إحياء علوم الدين

تصنيف

الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي

المتوفى سنة ٥٠٥ هـ

المجلد الأول

دار المعرفة
بيروت - لبنان

إحياء علوم الدين

تصنيف

الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي

المتوفى في ٥٠٥ هـ

وبذيله كتاب

المغني عن حمل الأسفار في الأسفار

في تخريج ما في الإحياء من الأخبار

للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي

المتوفى في ٨٠٦ هـ

وتمامًا للنفع ألحقنا بالكتاب في آخره ثلاثة كتب:

الأول: تعريف الأحياء بفضائل الإحياء للعلامة عبد القادر بن شيخ بن عبد الله ابن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوي

الثاني: الإملاء عن إشكالات الإحياء للإمام الغزالي: رد به اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من الإحياء.

الثالث: عوارف المعارف: للعارف بالله تعالى الإمام السهروردي

الجزء الأول

دار المعرفة

بيروت - لبنان

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

ترجمة الإمام الغزالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الهادى إلى الصواب . وأشهد أن لا إله إلا الله الكريم الوهاب ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله من آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب . اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن أحيا سننه إلى يوم الدين .

أما بعد : فهذه نبذة من تاريخ حياة الإمام الغزالى رحمه الله تعالى نوردها ليعلم القارىء شيئاً عنه وبالله التوفيق

هو الإمام الجليل ، محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الطوسى الغزالى ، حجة الإسلام . ومحجة الدين التى يتوصل بها إلى دار السلام ، جامع أشتات العلوم ، والمبرز فى المنقول منها والمفهوم . جرت الأئمة قبله لشأو ما قنع منه بالغاية ، ولا وقف عند مطلب بل لم يبرح فى دأب لا يقضى له بنهاية ، حتى أخمل من الأقران كل خصم بلغ مبلغ السها ، وأخمد من نيران البدع كل مالا تستطيع أيدى المجالدين مسها . كان رضى الله عنه ضرغاما إلا أن الأسود تتضاءل لديه وتتوارى ، وبدراً تماما إلا أن هداه يشرق نهارا ، وبشرا من الخلق إلا أنه الطود العظيم ، وبعض الناس ولكن مثل ما بعض الجماد الدر النظيم . . جاء والناس إلى رد فرية الفلاسفة أحوج من الظلماء لمصابيح السماء . وأفقر من الجدباء إلى قطرات الماء ، فلم يزل يناضل عن الدين الحنيفى بحلاد مقاله ، ويحمى حوزة الدين ولا يلطخ بدم المعتدين حد نصاله ، حتى أصبح الدين وثيق العرى . وانكشفت غياهب الشبهات وما كانت إلا حديثاً مفترى .

هذا مع ورع طوى عليه ضميره ، وخلوة لم يتخذ فيها غير الطاعة سميره ، ترك الدنيا وراء ظهره ، وأقبل على الآخرة مخلصاً لله فى سره وجهره .

مولده

ولد بطوس سنة خمسين وأربعمائة ، وكان والده يغزل الصوف ويبيعه فى دكان بطوس ، ولما حضرته الوفاة وصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له متصوف من أهل الخير وقال له : إن لى لتأسفا عظيما على تعلم الخط وأشتهى استدراك مافاتنى فى ولدى هذين فعليهما ولا عليك أن ينفد فى ذلك جميع ما أخلفه لهما . فلما مات أقبل الصوفى على تعليمهما إلى أن فنى ذلك النزر اليسير الذى خلفه لهما أبوهما وتعذر على الصوفى

القيام بقوتهما فقال لهما : اعلما أنى قد أنفقت عليكما ما كان لكما وأنا رجل من أهل الفقر والتجريد . ليس لى مال فأواسيكما به . وأصلح ما أرى لكما أن تلجأ إلى مدرسة كأكما من طلبة العلم فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما ففعلا ذلك وكان هو السبب فى سعادتهما وعلو درجتهما . وكان الغزالى يحكى هذا ويقول : طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله .

صفة والده

ويحكى أن أباه كان فقيراً صالحاً لا يأكل إلا من كسب يده فى عمل غزل الصوف ويطوف على المتفقهة ويجالسهم ويتوفر على خدمتهم ويجد فى الإحسان إليهم والنفقة بما يمكنه عليهم وأنه كان إذا سمع كلامهم بكى وتضرع وسأل الله أن يرزقه ولداً ويجعله فقيهاً ويحضر مجالس الوعظ فإذا طاب وقته بكى وسأل الله أن يرزقه ولداً واعظاً . فاستجاب الله دعوتيه .

أما أبو حامد فكان أفقر أقرانه ، وإمام أهل زمانه . وفارس ميدانه . كلمة شهد بها الموافق والمخالف ، وأقر بحقيقتها المعادى والمخالف .

وأما أحمد فكان واعظاً تنفلق الصم عند استماع تحذيره . وترعد فرائص الحاضرين فى مجالس تذكيره

تلقيه العلوم

قرأ الغزالى رضى الله عنه فى صباه طرفا من الفقه ببلده على أحمد بن محمد الراذكانى ثم سافر إلى جرجان أبى نصر الإسماعيلى وعلق عنه التعليقة ثم رجع إلى طوس . قال الإمام أسعد الميهنى فسمعته يقول : قطعت علينا الطريق وأخذ العيارون جميع مامعى ومضوا . فتبعتهم . فالتفت إلى مقدمهم وقال : ارجع ويحك وإلا هلكت . فقلت له : أسألك بالذى ترجو فسلامة منه أن ترد على تعليقتى فقط فما هى شىء تنتفعون به . فقال لى : وما هى تعليقتك ؟ فقلت : كتب فى تلك المخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها . فضحك وقال : كيف تدعى أنك عرفت علمها . وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم ثم أمر بعض أصحابه فسلم إلى المخلاة .

قال الغزالى رحمه الله : فقلت هذا مستنطق أنطقه الله ليرشدنى به أمرى . فلما وافيت طوس أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ماعلقته . وصرت بحيث لو قطع الطريق لم أتجرد من علمى . وقد روى هذه الحكاية عن الغزالى أيضاً الوزير نظام الملك كما هو مذكور فى ترجمة نظام الملك من ذيل ابن السمعانى .

قدومه نيسابور وملازمته لإمام الحرمين

ثم إن الغزالى قدم نيسابور ولازم إمام الحرمين وجد واجتهد حتى برع المذهب والخلاف والأصلين والجدل والمنطق ؛ وقرأ الحكمة والفلسفة وأحكم كل ذلك ، وفهم كلام أرباب هذه العلوم ، وتصدى للرد عليهم وإبطال دعاويهم . وصنف فى كل فن من هذه العلوم كتبا أحسن تأليفها وأجاد وضعها وترصيفها

وكان رضى الله عنه شديد الذكاء عجيب الفطرة مفرط الإدراك ، بعيد الغور ، غواصاً على المعانى الدقيقة جبل علم مناظراً محجاجا وكان إمام الحرمين يصف تلامذته فيقول : الغزالى بحر مغرق ، والكيا : أسد مخرق ، والخوافى : نار تحرق .

زيارته للوزير نظام الملك

ثم لما مات إمام الحرمين خرج الغزالى إلى العسكر قاصداً للوزير نظام الملك ، وناظر الأئمة والعلماء فى مجلسه وقهر الخصوم ، وظهر كلامه على الجميع ، واعترفوا بفضله ، وتلقاه الصاحب بالتعظيم والتبجيل ، وولاه تدريس مدرسته ببغداد . وأمره بالتوجه إليها ، فقدم بغداد فى سنة أربع وثمانين وأربعمائة ودرس بالنظامية ، وأعجب الخلق حسن كلامه وكمال فضله وفصاحة لسانه ونكته الدقيقة وإشاراته اللطيفة ، وأحبوه وأحلوه محل العين بل أعلى وقالوا أهلا بمن أصبح لأجل المناصب أهلا .

إقامته على التدريس

وأقام على التدريس وتعليم العلم مدة عظيم الجاه زائد الحشمة عالى الرتبة مشهور الإسم ، تضرب به الامثال وتشد إليه الرحال إلى أن شرفت نفسه عن رذائل الدنيا فرفض مافيها من التقدم والجاه ، وترك كل ذلك وراء ظهره وقصد بيت الله الحرام ، فحج وتوجه إلى الشام فى ذى القعدة سنة ثمان وثمانين ، واستناب أخاه فى التدريس وجاور بيت المقدس ، ثم عاد إلى دمشق واعتكف فى زاويته بالجامع الأموى المعروفة اليوم بالغزالية نسبة إليه .

زهده وورعه

ولبس الثياب الخشنة ، وقلل طعامه وشرابه ، وأخذ فى التصنيف للاحياء ، وصار يطوف المشاهد ، ويزور الترب والمساجد ، ويأوى إلى القفار ، ويروض نفسه ويجاهدها جهاد الأبرار ، ويكلفها مشاق العبادات ، ويبلوها بأنواع القرب والطاعات ، إلى أن صار قطب الوجود ، والبركة العامة لكل موجود ، والطريق الموصل إلى رضا الرحمن .

تكلمه على لسان أهل الحقيقة

ثم رجع إلى بغداد وعقد بها مجلس الوعظ ، وتكلم على لسان أهل الحقيقة ، وحدث بكتاب الإحياء . قال ابن النجار : ولم يكن له أستاذ ولا طلب شيئاً من الحديث ، لم أر له إلا حديثا واحداً سيأتى ذكره فى هذا الكتاب — يعنى تاريخه — قلت : ولم أره ذكر هذا الحديث بعد . وقد أخبرنا أبو الحافظ بحديث من حديثه أوردناه فى الطبقات الكبرى .

ماشهد له به العلماء العاملون

قال الإمام محمد بن يحيى : الغزالى هو الشافعى الثانى : وقال أسعد الميهنى لايصل إلى معرفة علم الغزالى

وفضله إلا من بلغ أو كاد يبلغ الكمال فى عقله وقال أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد المنعم العبدرى : رأيت بالاسكندرية فيما يرى النائم كأن الشمس طلعت من مغربها ، فعبر ذلك بعض المعبرين ببدعة تحدث فيهم فوصلت بعد أيام والمركب بإحراق كتب الغزالى بالمرية .

توزيع أعماله على الأوقات

ثم إن الغزالى عاد إلى خراسان ودرس بالمدرسة النظامية بنيسابور مدة يسيرة . ثم رجع إلى طوس واتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء وخانقاه للصوفية ؛ ووزع أوقاته على وظائف من ختم القرآن ، ومجالسة أرباب القلوب والتدريس لطلبة العلم ، وإدامة الصلاة والصيام وسائر العبادات إلى أن انتقل إلى رحمة الله ورضوانه طيب الثناء ، أعلى منزلة من نجوم السماء ؛ وأهدى للأمة من البدر فى الظلماء لا يبغضه إلا حاسد أو زنديق .

ما حصل لمبغضيه من البلاء

ولقد كان فى ثغر الاسكندرية من مدة قريبة أدركها أشياخنا شخص يبغض الغزالى ويغتابه ، فرأى النبى ﷺ فى المنام ؛ وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما إلى جانبه ، وكأن الغزالى واقف بين يديه وهو يقول : يارسول الله هذا - يعنى الرائى - يتكلم فى ويؤذينى قال : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هاتوا السياط . وأمر به فضرب بين يديه لأجل الغزالى وقام هذا الرجل من النوم وأثر السياط على ظهره .

مصنفاته رضى الله عنه

ومن تصانيف الغزالى : البسيط ، والوسيط ، والوجيز ، والخلاصة ، والمستصفى ، والمنخول ، وتحصين الأدلة ، وشفاء العليل ، والأسماء الحسنى ، والرد على الباطنية ، ومنهاج العابدين وإحياء علوم الدين . وغير ذلك من التصانيف .

وفاته رحمه الله تعالى

توفى بطوس يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة ، ولو أردنا استيعاب ترجمته لطال الشرح وفيما أوردناه مقنع وبلاغ .

ترجمة الإمام العراقى

وإليك ترجمة الإمام العراقى مخرج أحاديث الإحياء :

قال الإمام الحافظ السيوطى فى كتابه حسن المحاضرة فى باب ذكر من كان بمصر من حفاظ الحديث ونقاده:

العراقى هو الإمام الكبير الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن حافظ العصر ، ولد بمنشاة المهرانى بين مصر والقاهرة فى جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، وعنى بالفن وتقدم فيه بحيث كان شيوخ عصره يبالغون فى الثناء عليه بالمعرفة . كالسبكى والعلائى وابن كثير وغيرهم . ونقل عنه الإسنوى فى المهمات ووصفه بحافظ العصر . وكذلك وصفه فى الترجمة ابن سيد الناس .

وله مؤلفات فى الفن بديعة كالألفية التى اشتهرت فى الآفاق وشرحها ، ونظم الاقتراح ، وتخريج أحاديث الإحياء ـ وهو الذى بين يدى القارئ ـ وتكملة شرح الترمذى لابن سيد الناس .

وشرع فى إملاء الحديث من سنة ست وتسعين فأحيا الله تعالى به سنة الإملاء بعد أن كانت دائرة فأملى أكثر من أربعمائة مجلس ، وكان صالحاً متواضعا ضيق المعيشة . مات فى ثامن شعبان سنة ست وثمانمائة ورثاه تلميذه الحافظ ابن حجر العسقلانى بقصيدة غراء فانظرها هناك .

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله أولا ، حمداً كثيراً متوالياً ؛ وإن كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين .
وأصلى وأسلم على رسله ثانياً صلاة تستغرق مع سيد البشر سائر المرسلين .
وأستحيره تعالى ثالثاً فيما انبعث عزمى من تحرير كتاب فى إحياء علوم الدين .
وأنتدب لقطع تعجبك رابعاً أيها العاذل المتغالى فى العذل من بين زمرة الجاحدين ، المسرف فى التقريع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أحيا علوم الدين فأينعت بعد اضمحلالها ، وأعيا فهوم الملحدين عن دركها فرجعت بكلالها ، أحمده وأستكين له من مظالم أنقضت الظهور بأثقالها ؛ وأعبده وأستعين به لعصام الأمور وعضالها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة ولفية بحصول الدرجات وظلالها ؛ واقية من حلول الدركات وأهوالها ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أطلع به فجر الإيمان من ظلمة القلوب وضلالها ، وأسمع به وقر الآذان وجلا به زين القلوب بصقالها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم صلاة لاقاطع لاتصالها .

وبعد : فلما وفق الله تعالى لإكمال الكلام على أحاديث «إحياء علوم الدين» فى سنة إحدى وخمسين تعذر الوقوف على بعض أحاديثه فأخرت تبييضه إلى سنة ستين فظفرت بكثير مما عزب عنى علمه ثم شرعت فى تبييضه فى مصنف متوسط حجمه وأنا مع ذلك متباطئ فى إكماله غير متعرض لتركه وإهماله إلى أن ظفرت بأكثر ما كنت لم أقف عليه وتكرر السؤال من جماعة فى إكماله فأجبت وبادرت إليه ولكنى اختصرته فى غاية الاختصار ليسهل تحصيله وحمله فى الأسفار فاقتصرت فيه على ذكر طرف الحديث وصحابيه ومخرجه وبيان صحته أو حسنه أو ضعف مخرجه فإن ذلك هو المقصود الأعظم عند أبناء الآخرة بل وعند كثير من المحدثين عند المذاكرة والمناظرة وأبين ماليس له أصل فى كتب الأصول ، والله أسأل أن ينفع به إنه خير مسئول .

فإن كان الحديث فى الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليه وإلا عزوته إلى من خرجه من بقية الستة وحيث كان فى أحد الستة لم أعزه إلى غيرها إلا لغرض صحيح بأن يكون فى كتاب التزم مخرجه الصحة أو يكون أقرب إلى لفظه فى الإحياء وحيث كرر المصنف ذكر الحديث ، فإن كان فى باب واحد منه اكتفيت بذكره أول مرة وربما ذكرته فيه ثانياً وثالثاً لغرض أو لذهول عن كونه تقدم ، وإن كرره فى باب آخر ذكرته ونبهت على أنه قد تقدم وربما لم أنبه على تقدمه لذهول عنه ، وحيث عزوت الحديث لمن خرجه من الأئمة فلا أريد ذلك اللفظ بعينه بل قد يكون بلفظه وقد يكون بمعناه أو باختلاف على قاعدة المستخرجات ، وحيث لم أجد ذلك الحديث ذكرت مايغنى عنه غالباً وربما لم أذكره . وسميته :

المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار : فى تخريج مافى الإحياء من الأخبار

جعله الله خالصاً لوجهه الكريم ووسيلة إلى النعيم المقيم .

والإنكار من بين طبقات المنكرين الغافلين ؛ فلقد حل عن لسانى عقدة الصمت وطوقنى عبدة الكلام وقلادة النطق : ما أنت مثابر عليه من العمى عن جلية الحق ، مع اللجاج فى نصرة الباطل وتحسين الجهل ، والتشغيب على من آثر النزوع قليلا عن مراسم الخلق ومال ميلا يسيراً عن ملازمة الرسم إلى العمل بمقتضى العلم طمعاً فى نيل ماتعبده الله تعالى به من تزكية النفس وإصلاح القلب ، وتداركا لبعض مافرط من إضاعة العمر يائساً عن تمام حاجتك فى الحيرة وانحيازاً عن عمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله سبحانه بعلمه [1] » ولعمرى إنه لاسبب لإصرارك على التكبر إلا الداء الذى عم الجم الغفير بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر والجهل بأن الأمر إدّ والخطب جدّ والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والأجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سدّ ، وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير ردّ وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكدّ : فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، وقد شغر منهم الزمان ولم يبق إلا المترسمون وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان ، وأصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفا ، فصار يرى المعروف منكراً والمنكر معروفا حتى ظل علم الدين مندرساً ، ومنار الهدى فى أقطار الأرض منطمساً ، ولقد خيلوا إلى الخلق أن لا علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام ، أو جدل يتدرع به طالب المباهاة إلى الغلبة والإفحام أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام ، إذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام .

فأما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه فى كتابه : فقها وحكمة وعلما وضياء ونوراً وهداية ورشداً ، فقد أصبح من بين الخلق مطوياً وصار نسياً منسيا .

ولما كان هذا ثلما فى الدين ملماً وخطباً مدلهما ، رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهماً ، إحياء لعلوم الدين ، وكشفا عن مناهج الأئمة المتقدمين ، وإيضاحا لمباهى العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين .

وقد أسسته على أربعة أرباع وهى : ربع العبادات ، وربع العادات ، وربع المهلكات ، وربع المنجيات .

وصدرت الجملة بكتاب العلم لأنه غاية المهم لأكشف أولا عن العلم الذى تعبد الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم الأعيان بطلبه ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «طلب العلم فريضة على كل مسلم[2]» وأميز فيه العلم النافع من الضار ، إذ قال صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من علم لاينفع [3] » وأحقق ميل أهل العصر عن شاكلة الصواب ، وانخداعهم بلامع السراب ، واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب .

ويشتمل ربع العبادات على عشرة كتب :

كتاب العلم ، وكتاب قواعد العقائد ، وكتاب أسرار الطهارة ، وكتاب أسرار الصلاة ، وكتاب أسرار الزكاة ، وكتاب أسرار الصيام ، وكتاب أسرار الحج ، وكتاب آداب تلاوة القرآن ، وكتاب الأذكار والدعوات ، وكتاب ترتيب الأوراد فى الأوقات .

أحاديث الخطبة

(١) حديث « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » رواه الطبرانى فى الصغير والبيهقى فى شعب الإيمان من حديث أبى هريرة بإسناد ضعيف (٢) حديث « طلب العلم فريضة على كل مسلم » رواه ابن ماجه من حديث أنس وضعفه أحمد والبيهقى وغيرهما (٣) حديث « نعوذ بالله من علم لاينفع » رواه ابن ماجه من حديث جابر بإسناد حسن .

وأما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب :

كتاب آداب الأكل ، وكتاب آداب النكاح ، وكتاب أحكام الكسب ، وكتاب الحلال والحرام ، وكتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق ، وكتاب العزلة ، وكتاب آداب السفر ، وكتاب السماع والوجد ، وكتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وكتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة .

وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب :

كتاب شرح عجائب القلب ، وكتاب رياضة النفس ، وكتاب آفات الشهوتين : شهوة البطن وشهوة الفرج ، وكتاب آفات اللسان ، وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد ، وكتاب ذم الدنيا ، وكتاب ذم المال والبخل، وكتاب ذم الجاه والرياء ، وكتاب ذم الكبر والعجب ، وكتاب ذم الغرور .

وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب :

كتاب التوبة ، وكتاب الصبر والشكر ، وكتاب الخوف والرجاء ، وكتاب الفقر والزهد ، وكتاب التوحيد والتوكل ، وكتاب المحبة والشوق والأنس والرضا ، وكتاب النية والصدق والإخلاص ، وكتاب المراقبة والمحاسبة ، وكتاب التفكر ، وكتاب ذكر الموت .

فأما ربع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليه ، بل لايكون من علماء الآخرة من لايطلع عليه ، وأكثر ذلك مما أهمل فى فن الفقهيات .

وأما ربع العادات فأذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع فى مجاريها وهى مما لايستغنى عنها متدين .

وأما ربع المهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن بإماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه ، وأذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حدّه وحقيقته ، ثم أذكر سببه الذى منه يتولد ، ثم الآفات التى عليها تترتب ثم العلامات التى بها تتعرف ، ثم طرق المعالجة التى بها منها يتخلص ، كل ذلك مقروناً بشواهد الآيات والأخبار والآثار .

وأما ربع المنجيات فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التى بها يتقرب العبد من رب العالمين وأذكر فى كل خصلة حدّها وحقيقتها وسببها الذى به تجتلب وثمرتها التى منها تستفاد وعلامتها التى بها تتعرف وفضيلتها التى لأجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ؛ ولقد صنف الناس فى بعض هذه المعانى كتباً ، ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة أمور (الأول) حل ما عقدوه وكشف ما أجملوه (الثانى) ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه (الثالث) إيجاز ما طولوه وضبط ما قرروه (الرابع) حذف ما كرروه وإثبات ما حرروه (الخامس) تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأفهام لم يتعرض لها فى الكتب أصلا إذ الكل وإن تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر أن يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لأمر يخصه ويغفل عنه رفقاؤه ، أو لا يغفل عن التنبيه ولكن يسهو عن إيراده فى الكتب ، أو لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف ؛ فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاوياً لمجامع هذه العلوم .

وإنما حملنى على تأسيس هذا الكتاب على أربعة أرباع أمران : أحدهما ـ وهو الباعث الأصلى ـ أن هذا الترتيب فى التحقيق والتفهيم كالضرورة لأن العلم الذى يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة وعلم المكاشفة ، وأعنى

بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط ، وأعنى بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التى لارخصة فى إيداعها الكتب وإن كانت هى غاية مقصد الطالبين ومطمع نظر الصديقين ، وعلم المعاملة طريق إليه ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلا فى علم الطريق والإرشاد إليه . وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال ، علماً منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال ـ والعلماء ورثة الأنبياء ـ فما لهم سبيل إلى العدول عن نهج التأسى والاقتداء ثم إن علم المعاملة ينقسم إلى علم ظاهر ، أعنى العلم بأعمال الجوارح ـ وإلى علم باطن ـ أعنى العلم بأعمال القلوب والجارى على الجوارح إما عادة وإما عبادة ، والوارد على القلوب التى هى بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت إما محمود وإما مذموم فبالواجب انقسم هذا العلم إلى شطرين ظاهر وباطن والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم إلى عادة وعبادة ، والشطر الباطن المتعلق بأحوال القلب وأخلاق النفس انقسم إلى مذموم ومحمود ، فكان المجموع أربعة أقسام ولا يشذ نظر فى علم المعاملة عن هذه الأقسام . الباعث الثانى . أنى رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة فى الفقه الذى صلح عند من لا يخاف الله سبحانه وتعالى المتدرع به إلى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته فى المنافسات وهو مرتب على أربعة أرباع والمتزيى بزى المحبوب محبوب فلم أبعد أن يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفاً فى استدراج القلوب ولهذا تلطف بعض من رام استمالة قلوب الرؤساء إلى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعا فى الجداول والرقوم وسماه تقويم الصحة ليكون أنسهم بذلك الجنس جاذباً لهم إلى المطالعة والتلطف فى اجتذاب القلوب إلى العلم الذى يفيد حياة الأبد أهم من التلطف فى اجتذابها إلى الطب الذى لايفيد إلا صحة الجسد، فثمرة هذا العلم طب القلوب والأرواح المتوصل به إلى حياة تدوم أبد الآباد ، فأين منه الطب الذى يعالج به الأجساد وهى معرضة بالضرورة للفساد فى أقرب الآماد ؟ فنسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والسداد ، إنه كريم جواد .

كتاب العلم

وفيه سبعة أبواب

(الباب الأول) فى فضل العلم والتعليم والتعلم (الباب الثانى) فى فرض العين وفرض الكفاية من العلوم وبيان حد الفقه والكلام من علم الدين وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا (الباب الثالث) فيما تعده العامة من علوم الدين وليس منه ، وفيه بيان جنس العلم المذموم وقدره (الباب الرابع) فى آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل (الباب الخامس) فى آداب المعلم والمتعلم (الباب السادس) فى آفات العلم والعلماء والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة (الباب السابع) فى العقل وفضله وأقسامه وما جاء فيه من الأخبار .

الباب الأول

فى فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهده من النقل والعقل

فضيلة العلم

شواهدها من القرآن قوله عز وجل (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط) فانظر

كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم ؛ وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلاء ونبلا . وقال الله تعالى ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما : للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام . وقال عز وجل ﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ وقال تعالى ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وقال تعالى ﴿ قل كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾ وقال تعالى ﴿ قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به ﴾ تنبيها على أنه اقتدر بقوة العلم . وقال عز وجل ﴿ وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ﴾ بين أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم . وقال تعالى ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلا العالمون ﴾ وقال تعالى ﴿ ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ ردّ حكمه فى الوقائع إلى استنباطهم وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء فى كشف حكم الله . وقيل فى قوله تعالى ﴿ يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم ـ يعنى العلم ـ وريشاً ـ يعنى اليقين ـ ولباس التقوى ﴾ يعنى الحياء . وقال عز وجل ﴿ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم ﴾ وقال تعالى ﴿ فلنقصن عليهم بعلم ﴾ وقال عز وجل ﴿ بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ﴾ وقال تعالى ﴿ خلق الإنسان علمه البيان ﴾ وإنما ذكر ذلك فى معرض الامتنان . وأما الأخبار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ويلهمه رشده »[1] وقال صلى الله عليه وسلم « العلماء ورثة الأنبياء »[2] ، ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة . وقال صلى الله عليه وسلم « يستغفر للعالم ما فى السموات والأرض »[3] وأى منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك »[4] ، وقد نبه بهذا على ثمراته فى الدنيا ، ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى . وقال صلى الله عليه وسلم « خصلتان لايكونان فى منافق : حسن سمت وفقه فى الدين »[5] ولا تشكن فى الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان ، فانه ما أراد به الفقه الذى ظننته ، وسيأتى معنى الفقه . وأدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا ، وهذه المعرفة إذا صدقت وغلبت عليه برئ بها من النفاق والرياء . وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الناس المؤمن العالم الذى إن احتيج إليه نفع وإن استغنى عنه أغنى نفسه »[6] ، وقال صلى الله عليه وسلم « الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم »[7] وقال صلى الله عليه وسلم « أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد : أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل ، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم

كتاب العلم : الباب الأول

(١) حديث (من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ويلهمه رشده) متفق عليه من حديث معاوية دون قوله (ويلهمه رشده) وهذه الزيادة عند الطبرانى فى الكبير (٢) حديث (العلماء ورثة الأنبياء) أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى الدرداء (٣) حديث (يستغفر العالم ما فى السموات والأرض) هو بعض حديث أبي الدرداء المتقدم حديث (الحكمة تزيد الشريف شرفا . . . . الحديث) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ، وابن عبد البر فى بيان العلم ، وعبد الغنى الأزدى فى آداب المحدث من حديث أنس باسناد ضعيف (٥) حديث (خصلتان لاتجتمعان فى منافق ... الحديث) أخرجه الترمذى من حديث أبي هريرة وقال حديث غريب (٦) حديث (أفضل الناس المؤمن العالم .... الحديث) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان موقوفا على أبى الدرداء باسناد ضعيف ولم أره مرفوعا (٧) حديث (الإيمان عريان .....الحديث) أخرجه الحاكم فى تاريخ نيسابور من حديث أبى الدرداء باسناد ضعيف

على ما جاءت به الرسل (١) » . وقال صلى الله عليه وسلم « لموت قبيلة أيسر من موت عالم (٢) » وقال عليه الصلاة والسلام « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « من حفظ على أمتى أربعين حديثا من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « من حمل من أمتى أربعين حديثا لقى الله عز وجل يوم القيامة فقيها عالما (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « من تفقه فى دين الله عز وجل كفاه الله تعالى ما أهمه ورزقه من حيث لا يحتسب (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام : يا إبراهيم إنى عليم أحب كل عليم (٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « العالم أمين الله سبحانه فى الأرض (٩) » وقال صلى الله عليه وسلم « صنفان من أمتى إذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس : الأمراء والفقهاء » (١٠) وقال عليه السلام « إذا أتى علىّ يوم لاأزداد فيه علما يقربنى إلى الله عز وجل فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم (١١) » ، وقال صلى الله عليه وسلم فى تفضيل العلم على العبادة والشهادة « فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى (١٢) » فانظر كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وإن كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التى يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة ؟ وقال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب (١٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء (١٤) » فأعظم بمرتبة هى تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد فى فضل الشهادة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماعبد الله تعالى بشىء أفضل من فقه فى الدين ، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ، ولكل شىء عماد وعماد هذا الدين الفقه (١٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « خير دينكم أيسره وخير العبادة الفقه (١٦) وقال صلى الله عليه وسلم « فضل المؤمن العالم على

---

(١) حديث « أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد ... الحديث » أخرجه أبو نعيم فى فضل العالم العفيف من حديث ابن عباس باسناد ضعيف (٢) حديث « لموت قبيلة أيسر من موت عالم » أخرجه الطبرانى وابن عبد البر من حديث أبي الدرداء ، وأصل الحديث عند أبي الدرداء (٣) حديث « الناس معادن ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٤) حديث « يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودماء الشهداء » اخرجه ابن عبد البر من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف .

(٥) حديث « من حفظ على أمتى أربعين حديثا من السنة حتى يؤديها اليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة » أخرجه ابن عبد البر فى العلم من حديث ابن عمر وضعفه (٦) حديث « من حمل من أمتى أربعين حديثا لقى الله يوم القيامة فقيها عالما » أخرجه ابن عبد البر من حديث أنس وضعفه (٧) حديث « من تفقه فى دين الله كفاه الله همه .. الحديث » رواه الخطيب فى التاريخ من حديث عبد الله بن جزء الزبيدى بإسناد ضعيف (٨) حديث « أوحى الله إلى إبراهيم يا إبراهيم إنى عليم أحب كل عليم » ذكره ابن عبد البر تعليقا ولم اظفر له بإسناد (٩) حديث « العالم أمين الله فى الأرض » أخرجه ابن عبد البر من حديث معاذ بسند ضعيف (١٠) حديث « صنفان من أمتى إذا صلحوا صلح الناس .. الحديث » أخرجه ابن عبد البر وأبو نعيم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (١١) حديث « إذا أتى على يوم لاازداد فيه علما يقربنى ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الحلية وابن عبد البر فى العلم من حديث عائشة باسناد ضعيف (١٢) حديث « فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى » أخرجه الترمذى من حديث أبى أمامة وقال حسن صحيح (١٣) حديث « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان ، وهو قطعة من حديث أبى الدرداء المتقدم (١٤) حديث « يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء » رواه ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان باسناد ضعيف (١٥) حديث « ماعبد الله بشىء أفضل من فقه فى الدين ... الحديث » رواه الطبرانى فى الأوسط ، وأبو بكر الآجرى فى كتاب فضل العلم ، وأبو نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث أبى هريرة باسناد ضعيف . وعند الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس بسند ضعيف « فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد » (١٦) حديث « خير دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه » أخرجه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف ، والشطر الأول عند أحمد من حديث محجن ابن الأدرع باسناد جيد ، والشطر الثانى عند الطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف

المؤمن العابد بسبعين درجة [١] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنكم أصبحتم فى زمن كثير فقهاؤه قليل قراؤه وخطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه ، العمل فيه خير من العلم . وسيأتى على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه ، العلم فيه خير من العمل [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة [٣] » وقيل : يارسول الله ، أى الأعمال أفضل ؟ فقال « العلم بالله عز وجل » فقيل : أى العلم تريد ؟ قال صلى الله عليه وسلم « العلم بالله سبحانه » فقيل له : نسأل عن العمل وتجيب عن العلم ! فقال صلى الله عليه وسلم « إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله ، وإن كثير العمل لاينفع مع الجهل بالله [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « يبعث الله سبحانه العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول : يامعشر العلماء ، إنى لم أضع علمى فيكم إلا لعلمى بكم ولم أضع علمى فيكم لأعذبكم ، اذهبوا فقد غفرت لكم [٥] » نسأل الله حسن الخاتمة . وأما الآثار فقد قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لكميل : ياكميل ، العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو بالإنفاق . وقال على أيضا رضى الله عنه : العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد ، وإذا مات العالم ثلم فى الإسلام ثلمة لايسدها إلا خلف منه وقال رضى الله عنه نظما :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا ... الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقال أبو الأسود : ليس شىء أعز من العلم ، الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك وقال ابن عباس رضى الله عنهما : خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطى المال والملك معه ، وسئل ابن المبارك : من الناس ؟ فقال : العلماء . قيل : فمن الملوك ؟ قال : الزهاد . قيل : فمن السفلة ؟ قال : الذين يأكلون الدنيا بالدين ولم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصية التى يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم ؛ فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله ، وليس ذلك بقوة شخصه ، فان الجمل أقوى منه ، ولا بعظمه فإن الفيل أعظم منه ، ولا بشجاعته فإن السبع أشجع منه ، ولا بأكله فإن الثور أوسع بطنا منه ، ولا ليجامع فإن أخس العصافير أقوى على السفاد منه ، بل لم يخلق إلا للعلم . وقال بعض العلماء : ليت شعرى أى شىء أدرك من فاته العلم ، وأى شىء فاته من أدرك العلم . وقال عليه الصلاة والسلام « من أوتى القرآن فرأى أن أحدا أوتى خيرا منه فقد حقر ما عظم الله تعالى » وقال فتح الموصلى رحمه الله : أليس المريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت ؟ قالوا : بلى قال : كذلك القلب إذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت . ولقد صدق فإن غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته ، كما أن غذاء الجسد الطعام ، ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به ؛ إذ حب الدنيا

---

(١) حديث (فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة) . أخرجه ابن عدى من حديث أبى هريرة باسناد ضعيف ولأبى يعلى نحوه من حديث عبد البر بن عوف . (٢) حديث (إنكم أصبحتم فى زمان كثير فقهاؤه .... الحديث) أخرجه الطبرانى من حديث حزام بن حكيم عن عمه ، وقيل عن أبيه وإسناده ضعيف (٣) حديث (بين العالم والعابد مائة درجة) الأصبهانى فى الترغيب والترهيب من حديث ابن عمر عن أبيه وقال (سبعون درجة) بسند ضعيف ، وكذا رواه صاحب مسند الفردوس من حديث أبى هريرة (٤) حديث (قيل يارسول الله أى الأعمال أفضل فقال العلم بالله . . . الحديث) أخرجه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف (٥) حديث (يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ... الحديث) رواه الطبرانى من حديث أبى موسى بسند ضعيف .

وشغله بها أبطل إحساسه ؛ كما أن غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح فى الحال وإن كان واقعا ؛ فإذا حط الموت عنه أعباء الدنيا أحس بهلاكه وتحسر تحسراً عظيما ثم لا ينفعه وذلك كإحساس الآمن خوفه والمفيق من سكره بما أصابه من الجراحات فى حالة السكر أو الخوف ، فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء فإن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا . وقال الحسن رحمه الله : يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : عليكم بالعلم قبل أن يرفع ، ورفعه موت رواته ، فوالذى نفسى بيده ليودّنّ رجال قتلوا فى سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم ، فإن أحداً لم يولد عالما وإنما العلم بالتعلم . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلىّ من إحيائها ، وكذلك عن أبى هريرة رضى الله عنه وأحمد بن حنبل رحمه الله . وقال الحسن فى قوله تعالى ﴿ ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ﴾ إن الحسنة فى الدنيا هى العلم والعبادة ، وفى الآخرة هى الجنة . وقيل لبعض الحكماء : أى الأشياء تقتنى ؟ قال : الأشياء التى إذا غرقت سفينتك سبحت معك ، يعنى العلم وقيل . أراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت . وقال بعضهم : من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس إماما ، ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار . وقال الشافعى رحمة الله عليه : من شرف العلم أن كل من نسب إليه ولو فى شىء حقير فرح ، ومن رفع عنه حزن . وقال عمر رضى الله عنه : ياأيها الناس عليكم بالعلم فإن لله سبحانه رداء يحبه ، فمن طلب بابا من العلم ردّاه الله عز وجل بردائه ، فإن أذنب ذنباً استعتبه ثلاث مرات لئلا يسلبه رداءه ذلك وإن تطاول به ذلك الذنب حتى يموت . وقال الأحنف رحمه الله : كاد العلماء أن يكونوا أربابا وكل عز لم يوطد بعلم فإلى ذل مصيره . وقال سالم بن أبى الجعد : اشترانى مولاى بثلثمائة درهم وأعتقنى ، فقلت بأى شىء أحترف ؟ فاحترفت بالعلم فما تمت لى سنة حتى أتانى أمير المدينة زائراً فلم آذن له . وقال الزبير بن أبى بكر : كتب إلىّ أبى بالعراق : عليك بالعلم فإنك إن افتقرت كان لك مالا ، وإن استغنيت كان لك جمالا . وحكى ذلك فى وصايا لقمان لابنه قال : يابنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله سبحانه يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الأرض بوابل السماء . وقال بعض الحكماء : إذا مات العالم بكاه الحوت فى الماء والطير فى الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره . وقال الزهرى رحمه الله : العلم ذكر ولا تحبه إلا ذكران الرجال .

فضـــيلة التعـــلم

أما الآيات فقوله تعالى ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ﴾ وقوله عز وجل ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون ﴾ وأما الأخبار فقوله صلى الله عليه وسلم « من سلك طريقاً يطلب فيه علما سلك الله به طريقاً إلى الجنة [1] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع [2] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من أن تصلى مائة ركعة [3] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها [4] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم

---

(١) حديث (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً ... الحديث) أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة (٢) حديث (إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع) أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال

(٣) حديث (لأن تغدو فتتعلم باباً من الخير خير من أن تصلى مائة ركعة) أخرجه ابن عبد البر من حديث أبى ذر وليس لإسناده بذاك ، والحديث عند ابن ماجه بلفظ آخر (٤) حديث (باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا) أخرجه ابن حبان فى روضة العقلاء ، وابن عبد البر موقوفا على الحسن البصرى ، ولم أره مرفوعا إلا بلفظ (خير له من مائة ركعة) رواه الطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف من حديث أبى ذر

ولو بالصين [١] » وقال صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وقال عليه الصلاة والسلام « العلم خزائن مفاتيحها السؤال ، ألا فاسألوا فإنه يؤجر فيه أربعة . السائل والعالم والمستمع والمحب لهم [٢] وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينبغى للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه [٣] » وفى حديث أبى ذر رضى الله عنه « حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة » فقيل يا رسول الله ، ومن قراءة القرآن ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « وهل ينفع القرآن إلا بالعلم ؟ [٤] » وقال عليه الصلاة والسلام « من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام فبينه وبين الأنبياء فى الجنة درجة واحدة [٥] » وأما الآثار فقال ابن عباس رضى الله عنهما ذللت طالبا فعززت مطلوبا . وكذلك قال ابن أبى مليكة رحمه الله : ما رأيت مثل ابن عباس ، إذا رأيته رأيت أحسن الناس وجها . وإذا تكلم فأعرب الناس لسانا وإذا أفتى فأكثر الناس علما . وقال ابن المبارك رحمه الله : عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة ؟ وقال بعض الحكماء : إنى لا أرحم رجالا كرحمتى لأحد رجلين : رجل يطلب العلم ولا يفهم ، ورجل يفهم العلم ولا يطلبه . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : لأن أتعلم مسألة أحب إلى من قيام ليلة . وقال أيضا : كن عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك . وقال عطاء : مجلس علم يكفر سبعين مجلساً من مجالس اللهو . وقال عمر رضى الله عنه : موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه . وقال الشافعى رضى الله عنه : طلب العلم أفضل من النافلة . وقال ابن عبد الحكم رحمه الله: كنت عند مالك أقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لأصلى فقال : يا هذا ما الذى قمت إليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النية . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : من رأى أن الغدو إلى طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص فى رأيه وعقله .

فضيـــلة التعليم

أما الآيات فقوله عز وجل : ﴿ ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ والمراد هو التعليم والإرشاد . وقوله تعالى ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ﴾ وهو إيجاب للتعليم . وقوله تعالى ﴿ وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ وهو تحريم للكتمان كما قال تعالى فى الشهادة ﴿ ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « ما آتى الله عالما علما إلا وأخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينوه للناس ولا يكتموه [٦] » وقال تعالى ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا ﴾ وقال تعالى ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ وقال تعالى ﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ وأما الأخبار فقوله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً رضى الله عنه إلى اليمن « لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا ومافيها [٧]

---

(١) حديث «اطلبوا العلم ولو بالصين» أخرجه ابن عدى والبيهقى فى المدخل والشعب من حديث أنس ، وقال البيهقى: متنه مشهور وأسانيده ضعيفة (٢) حديث (العلم خزائن مفاتيحها السؤال ... الحديث) رواه أبو نعيم من حديث على مرفوعا بإسناد ضعيف

(٣) حديث « لا ينبغى للجاهل أن يسكت على جهله » أخرجه الطبرانى فى الأوسط وابن مردويه فى التفسير وابن السنى وأبو نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف (٤) حديث أبى ذر (حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة ... الحديث » ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات من حديث عمر ولم أجده من طريق أبي ذر (٥) حديث « من جاءه الموت وهو يطلب العلم ... الحديث » أخرجه الدارمى وابن السنى فى رياضة المتعلمين من حديث الحسن ، وقيل : هو ابن على ، وقيل : هو ابن يسار البصرى مرسلا (٦) حديث « ما آتى الله عالما علما إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين ... الحديث » أخرجه أبو نعيم فى فضل العالم العفيف من حديث ابن مسعود بنحوه ، وفى الخلعيات نحوه من حديث أبي هريرة

(٧) حديث قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن « لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك ... الحديث » أخرجه أحمد من حديث معاذ ، وفى الصحيحين من حديث سهل ابن سعد أنه قال ذلك لعلى

وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم « من تعلم باباً من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقا [١] » وقال عيسى صلى الله عليه وسلم : من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما فى ملكوت السموات . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة يقول الله سبحانه للعابدين والمجاهدين : ادخلوا الجنة ، فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا ، فيقول الله عز وجل : أنتم عندى كبعض ملائكتى اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة [٢] » وهذا إنما يكون بالعلم المتعدى بالتعليم لا العلم اللازم الذى لا يتعدى . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل لا ينتزع العلم انتزاعا من الناس بعد أن يؤتيهم إياه ولكن يذهب بذهاب العلماء ، فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم ، حتى إذا لم يبق إلا رؤساء جهالا إن سئلوا أفتوا بغير علم فيضلون ويضلون [٣] وقال صلى الله عليه وسلم « من علم علماً فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوى عليها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم تعلمه إياها تعدل عبادة سنة [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله سبحانه وماوالاه أو معلما أو متعلما [٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله سبحانه وملائكته وأهل سمواته وأرضه حتى النملة فى جحرها حتى الحوت فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير [٧] » وقال صلى الله عليه وسلم « ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغه فبلغه [٨] » وقال صلى الله عليه وسلم « كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعلمها ويعمل بها خير له من عبادة سنة [٩] » وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله عز وجل ويرغبون إليه والثانى يعلمون الناس ، فقال « أما هؤلاء فيسألون الله تعالى فان شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيعلمون الناس وإنما بعثت معلما ثم عدل إليهم وجلس معهم [١٠] » وقال صلى الله عليه وسلم « مثل ما بعثنى الله عز وجل به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله عز وجل بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وكانت منها طائفة قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ [١١] » اه ، فالأول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه ، والثانى ذكره مثلا للنافع ، والثالث للمحروم منهما

---

(١) حديث « من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقاً » رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٢) حديث « إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة . . . الحديث » أخرجه أبو العباس الذهبى فى العلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٣) حديث « إن الله لا ينتزع العلم انتزاعا من الناس . . . الحديث » متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو (٤) حديث « من علم علماً فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة ، قال الترمذى : حديث حسن (٥) حديث « نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها . . . الحديث » أخرجه الطبرانى من حديث ابن عباس نحوه بإسناد ضعيف (٦) حديث « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها . . . الحديث » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة ، قال الترمذى حسن غريب .

(٧) حديث « إن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير » أخرجه الترمذى من حديث أبى أمامة وقال غريب ، وفى نسخة : حسن صحيح (٨) حديث « ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن . . الحديث » أخرجه ابن عبد البر من رواية محمد بن المنكدر مرسلا نحوه ، ولأبى نعيم من حديث عبد الله بن عمرو « ما أهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة تزيده هدى أو ترده عن ردى » (٩) حديث « كلمة من الحكمة يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها . . . الحديث » أخرجه ابن المبارك فى الزهد والرقائق من رواية زيد بن أسلم مرسلا نحوه ، وفى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة بسند ضعيف « كلمة حكمة يسمعها الرجل خير له من عبادة سنة » (١٠) حديث : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله . . . الحديث : أخرجه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف . (١١) حديث « مثل ما بعثنى الله به من العلم والهدى . . . الحديث » متفق عليه من حديث أبى موسى

وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : علم ينتفع به [١] الحديث » وقال صلى الله عليه وسلم « الدال على الخير كفاعله [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « لاحسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله عزوجل حكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس ، ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الخير [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « على خلفائى رحمة الله » قيل : ومن خلفاؤك ؟ قال « الذين يحيون سنتى ويعلمونها عباد الله [٤] » وأما الآثار فقد قال عمر رضى الله عنه : من حدث حديثا فعمل به فله مثل أجر من عمل ذلك العمل . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : معلم الناس الخير يستغفر له كل شىء حتى الحوت فى البحر . وقال بعض العلماء : العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل . وروى أن سفيان الثورى رحمه الله قدم عسقلان فكث لايسأله إنسان ، فقال : اكروا لى لأخرج من هذا البلد ، هذا بلد يموت فيه العلم . وإنما قال ذلك حرصاً على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به وقال عطاء رضى الله عنه : دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكى ، فقلت : مايبكيك ؟ قال : ليس أحد يسألنى عن شىء . وقال بعضهم : العلماء سرج الأزمنة ، كل واحد مصباح زمانه يستضىء به أهل عصره . وقال الحسن رحمه الله : لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم : أى أنهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية إلى حد الإنسانية . وقال عكرمة : إن لهذا العلم ثمنا . قيل وماهو ؟ قال : أن تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه . وقال يحيى بن معاذ : العلماء أرحم بأمة محمد صلى الله عليه وسلم من آبائهم وأمهاتهم . قيل : وكيف ذلك ؟ قال لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة . وقيل : أول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره . وقيل : علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم ماتجهل ؛ فإنك إذا فعلت ذلك علمت ماجهلت وحفظت ما علمت . وقال معاذ بن جبل فى التعليم والتعلم ورأيته أيضا مرفوعا « تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لايعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، وهو الأنيس فى الوحدة ، والصاحب فى الخلوة ، والدليل على الدين ، والمصبر على السراء والضراء ، والوزير عند الأخلاء ، والقريب عند الغرباء ، ومنار سبيل الجنة ، يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة سادة هداة ، يقتدى بهم ، أدلة فى الخير تقتص آثارهم وترمق أفعالهم وترغب الملائكة فى خلتهم وبأجنحتها تمسحهم ، وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها [٥] ، لأن العلم حياة القلوب من العمى . ونور الأبصار من الظلم ، وقوة الأبدان من الضعف ، يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى ، والتفكر فيه يعدل بالصيام ، ومدارسته بالقيام ، به يطاع الله عز وجل وبه يعبد ، وبه يوحد وبه يمجد ، وبه يتورع ، وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام ، وهو إمام والعمل تابعه ، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء . نسأل الله تعالى حسن التوفيق .

---

(١) حديث (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ... الحديث) أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة

(٢) حديث (الدال على الخير كفاعله) أخرجه الترمذى من حديث أنس وقال غريب . ورواه مسلم وأبو داود والترمذى وصححه عن أبى مسعود البدرى بلفظ (من دل على خير فله مثل أجر فاعله) (٣) حديث (لاحسد إلا فى اثنتين ... الحديث) متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث (على خلفائى رحمة الله ... الحديث) رواه ابن عبد البر فى العلم ، والهروى فى ذم الكلام من حديث الحسن ، فقيل هو ابن على وقيل ابن يسار البصرى فيكون مرسلا ، ولابن الشنى وأبى نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث على نحوه . (٥) حديث معاذ (تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة .. الحديث بطوله) رواه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب ، وابن عبد البر وقال : ليس له إسناد قوى

فى الشواهد العقلية

اعلم أن المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته ، ومالم تفهم الفضيلة فى نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن أن تعلم وجودها صفة للعلم أولغيره من الخصال ، فلقد ضل عن الطريق من طمع أن يعرف أن زيداحكيم أم لا ، وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها . والفضيلة مأخوذة من الفضل وهى الزيادة ؛ فإذا تشارك شيئان فى أمر واختص أحدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل عليه مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشىء كما يقال : الفرس أفضل من الحمار بمعنى أنه يشاركه فى قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة ، فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة لم يقل إنه أفضل ؛ لأن تلك زيادة فى الجسم ونقصان فى المعنى وليست من الكمال فى شىء، والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه ؛ فإذا فهمت هذا لم يخف عليك أن العلم فضيلة إن أخذته بالإضافة إلى سائر الأوصاف ، كما أن للفرس فضيلة إن أخذته بالإضافة إلى سائر الحيوانات ؛ بل شدة العدو فضيلة فى الفرس وليست فضيلة على الإطلاق ، والعلم فضيلة فى ذاته وعلى الإطلاق من غير إضافة ؛ فإنه وصف كمال الله سبحانه وبه شرف الملائكة والأنبياء ، بل الكيس من الخيل خير من البليد فهى فضيلة على الإطلاق من غير إضافة . واعلم أن الشىء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى مايطلب لغيره ، وإلى مايطلب لذاته ، وإلى مايطلب لغيره ولذاته جميعا فما يطلب لذاته أشرف وأفضل مما يطلب لغيره ، والمطلوب لغيره : الدراهم والدنانير فإنهما حجران لامنفعة لهما ، ولولا أن الله سبحانه وتعالى يسر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصباء بمثابة واحدة . والذى يطلب لذاته : فالسعادة فى الآخرة ولذة النظر لوجه الله تعالى . والذى يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن ، فإن سلامة الرجل مثلا مطلوبة من حيث إنها سلامة للبدن عن الألم ومطلوبة للمشى بها والتوصل إلى المآرب والحاجات ، وبهذا الاعتبار إذا نظرت إلى العلم رأيته لذيذا فى نفسه فيكون مطلوبا لذاته ، ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها وذريعة إلى القرب من الله تعالى ولايتوصل إليه إلا به ، وأعظم الأشياء رتبة فى حق الآدمى السعادة الأبدية وأفضل الأشياء ماهو وسيلة إليها ولن يتوصل إليها إلا بالعلم والعمل ولايتوصل إلى العمل إلا بالعلم بكيفية العمل ، فأصل السعادة فى الدنيا والآخرة هو العلم فهو إذن أفضل الأعمال ، وكيف لاوقد تعرف فضيلة الشىء أيضاً بشرف ثمرته ! وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بأفق الملائكة ومقارنة الملأ الأعلى ، هذا فى الآخرة وأما فى الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام فى الطباع حتى إن أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الإنسان لشعورها بتمييز الإنسان بكمال مجاوز لدرجتها : هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم كما سيأتى بيانه وتتفاوت لامحالة فضائلها بتفاوتها . وأما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة مما ذكرناه ، فإن العلم إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طلبا للأفضل فكان تعليمه إفادة للأفضل ، وبيانه أن مقاصد الخلق مجموعة فى الدين والدنيا ولانظام للدين إلا بنظام الدنيا ، فإن الدنيا مزرعة الآخرة وهى الآلة الموصلة إلى الله عزوجل لمن اتخذها آلة ومنزلا لمن يتخذها مستقرا ووطنا ؛ وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين . وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر فى ثلاثة أقسام :

(أحدها) أصول لاقوام للعالم دونها ، وهى أربعة : الزراعة ، وهى للمطعم . والحياكة ، وهى للملبس . والبناء ،

وهو للمسكن . والسياسة ، وهى للتأليف والاجتماع والتعاون على أسباب المعيشة وضبطها .

(الثانى) ماهى مهيئة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها : كالحدادة فإنها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات بإعداد آلاتها كالحلاجة والغزل فإنها تخدم الحياكة بإعداد عملها .

(الثالث) ماهى متممة للأصول ومزينة ، كالطحن والخبز للزراعة ؛ وكالقصارة والخياطة للحياكة ؛ وذلك بالإضافة إلى قوام أمر العالم الأرضى مثل أجزاء الشخص بالإضافة إلى جملته فإنها ثلاثة أضرب أيضا : إما أصول كالقلب والكبد والدماغ ؛ وإما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والأعصاب والأوردة ، وإما مكملة لها ومزينة كالأظفار والأصابع والحاجبين ، وأشرف هذه الصناعات أصولها ، وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح ولذلك تستدعى هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها مالايستدعيه سائر الصناعات ، ولذلك يستخدم لامحالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع والسياسة فى استصلاح الخلق وإرشادهم إلى الطريق المستقيم المنجى فى الدنيا والآخرة على أربع مراتب : الأولى ـ وهى العليا : سياسة الأنبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً فى ظاهرهم وباطنهم . والثانية : الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً ولكن على ظاهرهم لاعلى باطنهم . والثالثة : العلماء بالله عز وجل وبدينه الذين هم ورثة الأنبياء ، وحكمهم على باطن الخاصة فقط ، ولايرتفع فهم العامة على الاستفادة منهم ولاتنتهى قوتهم إلى التصرف فى ظواهرهم بالإلزام والمنع والشرع .

والرابعة : الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط ؛ فأشرف هذه الصناعات الأربع بعد النبوة إفادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم ؛ وإنما قلنا إن هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات لأن شرف الصناعات يعرف بثلاثة أمور : إما بالالتفات إلى الغريزة التى بها يتوصل إلى معرفتها كفضل العقول العقلية على اللغوية : إذ تدرك الحكمة بالعقل ، واللغة بالسمع ، والعقل أشرف من السمع ؛ وإما بالنظر إلى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة ، وإما بملاحظة المحل الذى فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة : إذ محل أحدهما الذهب ومحل الآخر جلد الميتة ؛ وليس يخفى أن العلوم الدينية وهى فقه طريق الآخرة إنما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء ، والعقل أشرف صفات الإنسان كما سيأتى بيانه ؛ إذ به تقبل أمانة الله ، وبه يتوصل إلى جوار الله سبحانه . وأما عموم النفع فلا يستراب فيه فإن نفعه وثمرته سعادة الآخرة . وأما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف فى قلوب البشر ونفوسهم ، وأشرف موجود على الأرض جنس الإنس وأشرف جزء من جواهر الإنسان قلبه ، والمعلم مشتغل بتكميله وتجليته وتطهيره وسياقته إلى القرب من الله عز وجل ، فتعليم العلم من وجه : عبادة لله تعالى ، ومن وجه خلافة لله تعالى ، وهو من أجل خلافة الله ؛ فإن الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذى هو أخص صفاته . فهو كالخازن لأنفس خزائنه ؛ ثم هو مأذون له فى الإنفاق منه على كل محتاج إليه ؛ فأى رتبة أجل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه فى تقريبهم إلى الله زلفى وسياقتهم إلى جنة المأوى ، جعلنا الله منهم بكرمه ؛ وصلى الله على كل عبد مصطفى .

الباب الثانى

فى العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما

وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية ، وبيان أن موقع الكلام والفقه من علم الدين إلى أى حد هو وتفضيل علم الآخرة .

بيان العلم الذى هو فرض عين : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالصين » واختلف الناس فى العلم الذى هو فرض على كل مسلم ، فتفرقوا فيه أكثر من عشرين فرقة ، ولا نطيل بنقل التفصيل ، ولكن حاصله أن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذى هو بصدده ، فقال المتكلمون : هو علم الكلام ، إذ به يدرك التوحيد ويعلم به ذات الله سبحانه وصفاته ، وقال الفقهاء : هو علم الفقه إذ به تعرف العبادات والحلال والحرام ومايحرم من المعاملات وما يحل ، وعنوا به مايحتاج إليه الآحاد دون الوقائع النادرة ، وقال المفسرون والمحدثون : هو علم الكتاب والسنة ، إذ بهما يتوصل إلى العلوم كلها . وقال المتصوفة : المراد به هذا العلم ، فقال بعضهم : هو علم العبد بحاله ومقامه من الله عز وجل . وقال بعضهم : هو العلم بالإخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان . وقال بعضهم : هو علم الباطن ، وذلك يجب على أقوام مخصوصين هم أهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه . وقال أبو طالب المكى : هو العلم بما يتضمنه الحديث الذى فيه مبانى الإسلام ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله [1] » إلى آخر الحديث ، لأن الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب . والذى ينبغى أن يقطع به المحصل ولايستريب فيه ماسنذكره : وهو أن العلم كما قدمناه فى خطبة الكتاب ينقسم إلى علم معاملة وعلم مكاشفة ، وليس المراد بهذا العلم إلا علم المعاملة . والمعاملة التى كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلاثة : اعتقاد ، وفعل ، وترك : فإذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلا فأول واجب عليه تعلم كلمتى الشهادة وفهم معناهما وهو قول « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلة ، بل يكفيه أن يصدق به ويعتقده جزما من غير اختلاج ريب واضطراب نفس ، وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث ولا برهان ؛ إذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والإقرار من غير تعلم دليل [2] . فإذا فعل ذلك فقد أدى واجب الوقت وكان العلم الذى هو فرض عين عليه فى الوقت تعلم الكلمتين وفهمهما ، وليس يلزمه أمر وراء هذا فى الوقت ، بدليل أنه لو مات عقيب ذلك مات مطيعاً لله عز وجل غير عاص له ، وإنما يجب غير ذلك بعوارض تعرض وليس ذلك ضروريا فى حق كل شخص بل يتصور الانفكاك وتلك العوارض إما أن تكون فى الفعل وإما فى الترك وإما فى الاعتقاد . أما الفعل : فبأن يعيش من ضحوة نهاره إلى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة ، فإن كان صحيحاً وكان بحيث لو صبر إلى وقت زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل فى الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم ، فلا يبعد أن يقال : الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت . ويحتمل أن يقال : وجوب العلم الذى هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال ، وهكذا فى بقية الصلوات فإن عاش إلى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم : وهو أن وقته من الصبح إلى غروب الشمس ؛ وأن الواجب فيه النية والإمساك عن الأكل والشرب والوقاع ، وأن ذلك يتمادى إلى رؤية الهلال أو شاهدين ؛ فإن تجدد له مال أو كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم مايجب عليه من الزكاة ، ولكن لايلزمه فى الحال إنما يلزمه عند

الباب الثانى

(١) حديث (بنى الإسلام على خمس ... الحديث) متفق عليه من حديث ابن عمر (٢) حديث : اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والإقرار من غير تعلم دليل : مشهور فى كتب السير والحديث ؛ فعند مسلم قصة ضمام بن ثعلبة .

تمام الحول من وقت الإسلام ؛ فإن لم يملك إلا الإبل لم يلزمه إلا تعلم زكاة الإبل ، وكذلك فى سائر الأصناف ، فإذا دخل فى أشهر الحج فلا يلزمه المبادرة إلى علم الحج مع أن فعله على التراخى فلا يكون تعلمه على الفور ، ولكن ينبغى لعلماء الإسلام أن ينبهوه على أن الحج فرض على التراخى على كل من ملك الزاد والراحلة إذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه فى المبادرة فعند ذلك إذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه إلا تعلم أركانه وواجباته دون نوافله ، فإن فعل ذلك نفل فعله أيضاً نفل فلا يكون تعلمه فرض عين وفى تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب أصل الحج فى الحال نظر يليق بالفقه ، وهكذا التدريج فى علم سائر الأفعال التى هى فرض عين . وأما التروك فيجب تعلم علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال ، وذلك يختلف بحال الشخص إذ لا يجب على الأبكم تعلم ما يحرم من الكلام ، ولا على الأعمى تعلم ما يحرم من النظر ، ولا على البدوى تعلم ما يحرم الجلوس فيه من المساكن ، فذلك أيضاً واجب بحسب ما يقتضيه الحال ، فما يعلم أنه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الإسلام لابساً للحرير ، أو جالساً فى الغصب ، أو ناظراً إلى غير ذى محرم ، فيجب تعريفه بذلك وما ليس ملابساً له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالأكل والشرب فيجب تعليمه ، حتى إذا كان فى بلد يتعاطى فيه شرب الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه ، وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه . وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر ، فإن خطر له شك فى المعانى التى تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به إلى إزالة الشك . فإن لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله سبحانه قديم وأنه مرئى وأنه ليس محلا للحوادث إلى غير ذلك مما يذكر فى المعتقدات ، فقد مات على الإسلام إجماعاً ، ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها يخطر بالسماع من أهل البلد ، فإن كان فى بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغى أن يصان فى أول بلوغه عنها بتلقين الحق ، فإنه لو ألقى اليه الباطل لوجبت إزالته عن قلبه وربما عسر ذلك ، كما أنه لو كان هذا المسلم تاجراً وقد شاع فى البلد معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا ، وهذا هو الحق فى العلم الذى هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب ، فمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذى هو فرض عين ، وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو ولمة الملك حق أيضاً ولكن فى حق من يتصدى له ، فإذا كان الغالب أن الإنسان لا ينفك عن دواعى الشر والرياء والحسد فيلزمه أن يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجا إليه ، وكيف لا يجب عليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه »[1] ولا ينفك عنها بشر ، وبقية ما سنذكره من مذمومات أحوال القلب كالكبر والعجب وأخواتها تتبع هذه الثلاث المهلكات ، وإزالتها فرض عين ، ولا يمكن إزالتها إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها ؛ فإن من لا يعرف الشر يقع فيه ، والعلاج هو مقابلة السبب بضده ، وكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب ، وأكثر ما ذكرناه فى ربع المهلكات من فروض الأعيان ، وقد تركها الناس كافة اشتغالا بما لا يعنى . ومما ينبغى أن يبادر فى إلقائه إليه إذا لم يكن قد انتقل عن ملة إلى ملة أخرى : الإيمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق ، وهو من تتمة كلمتى الشهادة ، فإنه بعد التصديق بكونه عليه السلام رسولا

(١) حديث (ثلاث مهلكات : شح مطاع ... الحديث) أخرجه البزار والطبرانى وأبو نعيم والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بإسناد ضعيف

ينبغى أن يفهم الرسالة التى هو مبلغها : وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة ، ومن عصاهما فله النار ، فإذا انتبهت لهذا التدريج علمت أن المذهب الحق هو هذا ، وتحققت أن كل عبد هو فى مجارى أحواله فى يومه وليلته لايخلو من وقائع فى عبادته ومعاملاته عن تجدد لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر ويلزمه المبادرة إلى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالبا ؛ فإذا تبين أنه عليه الصلاة والسلام إنما أراد بالعلم المعرف بالألف واللام فى قوله صلى الله عليه وسلم ؛ طلب العلم فريضة على كل مسلم ؛ علم العمل الذى هو مشهور الوجوب على المسلمين لاغير ؛ فقد اتضح وجه التدريج ووقت وجوبه ، والله أعلم .

بيان العلم الذى هو فرض كفاية

اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم والعلوم بالإضافة إلى الغرض الذى نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية ؛ وأعنى بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب ، ولا التجربة مثل الطب ، ولا السماع مثل اللغة : فالعلوم التى ليست بشرعية تنقسم إلى ماهو محمود وإلى ما هو مذموم وإلى ما هو مباح ، فالمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم إلى ما هو فرض كفاية وإلى ما هو فضيلة وليس بفريضة : أما فرض الكفاية فهو علم لا يستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا كالطب ، إذ هو ضرورى فى حاجة بقاء الأبدان . وكالحساب ؛ فإنه ضرورى فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما . وهذه هى العلوم التى لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد . وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين . فلايتعجب من قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات فان أصول الصناعات أيضاً من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة . فإنه لوخلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك . فإن الذى أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد إلى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه . فلا يجوز التعرض للهلاك بإهماله . وأما ما يعد فضيلة لافريضة فالتعمق فى دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه . ولكنه يفيد زيادة قوة فى القدر المحتاج إليه . وأما المذموم فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات . وأما المباح منه فالعلم بالأشعار التى لا سخف فيها . وتواريخ الأخبار وما يجرى مجراه .

أما العلوم الشرعية وهى المقصودة بالبيان : فهى محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن أنها شرعية وتكون مذمومة فتنقسم إلى المحمودة والمذمومة . أما المحمودة فلها أصول وفروع ومقدمات ومتممات وهى أربعة أضرب (الضرب الأول) الأصول : وهى أربعة كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله عليه السلام وإجماع الأمة وآثار الصحابة والإجماع أصل من حيث إنه يدل على السنة فهو أصل فى الدرجة الثالثة . وكذا الأثر فإنه أيضاً يدل على السنة . لأن الصحابة رضى الله عنهم قد شاهدوا الوحى والتنزيل وأدركوا بقرائن الأحوال ما غاب عن غيرهم عيانه وربما لاتحيط العبارات بما أدرك بالقرائن . فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص على وجه مخصوص عند من يراه ولا يليق بيانه بهذا الفن (الضرب الثانى) الفروع : وهو مافهم من هذه الأصول لابموجب ألفاظها بل بمعان تنبه لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ به غيره كما فهم من قوله عليه السلام « لايقضى القاضى وهو غضبان [1] » أنه لايقضى إذا كان خائفاً أو جائعاً أو متألماً بمرض .

(١) حديث (لا يقضى القاضى وهو غضبان) متفق عليه من حديث أبي بكرة .

وهذا على ضربين : أحدهما : يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه والمتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا . والثانى : مايتعلق بمصالح الآخرة وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة والمذمومة وما هو مرضى عند الله تعالى ، وماهو مكروه وهو الذى يحويه الشطر الأخير من هذا الكتاب ، أعنى جملة كتاب إحياء علوم الدين ، ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح فى عباداتها وعاداتها ، وهو الذى يحويه الشطر الأول من هذا الكتاب . (والضرب الثالث) المقدمات ، وهى التى تجرى منه مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو ؛ فإنهما آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية فى أنفسهما ، ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة لاتظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ومن الآلات علم كتابة الخط إلا أن ذلك ليس ضروريا إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] أميا . ولو تصور استقلال الحفظ بجميع مايسمع لاستغنى عن الكتابة ، ولكنه صار بحكم العجز فى الغالب ضروريا (الضرب الرابع) المتممات : وذلك فى علم القرآن ؛ فإنه ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءات ومخارج الحروف وإلى مايتعلق بالمعنى كالتفسير ؛ فإن اعتماده أيضاً على النقل ، إذ اللغة بمجردها لاتستقل به وإلى مايتعلق بأحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر . وكيفية استعمال البعض منه مع البعض ، وهو العلم الذى يسمى أصول الفقه ويتناول السنة أيضا . وأما المتممات فى الآثار والأخبار فالعلم بالرجال وأسمائهم وأنسابهم وأسماء الصحابة وصفاتهم ، والعلم بالعدالة فى الرواة ، والعلم بأحوالهم ليميز الضعيف عن القوى ، والعلم بأعمارهم ليميز المرسل عن المسند وكذلك مايتعلق به ؛ فهذه هى العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات * فإن قلت . لم ألحقت الفقه بعلم الدنيا ؟ فاعلم أن الله عز وجل أخرج آدم عليه السلام من التراب وأخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق ، فأخرجهم من الأصلاب إلى الأرحام ومنها إلى الدنيا ثم إلى القبر ثم إلى العرض ثم إلى الجنة أو إلى النار ؛ فهذا مبدؤهم وهذا غايتهم وهذه منازلهم . وخلق الدنيا زاداً للمعاد ليتناول منها مايصلح للتزود ؛ فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة إلى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان إلى قانون يسوسهم به ؛ فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا بحكم الشهوات ؛ فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده إلى طرق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم أمورهم فى الدنيا ، ولعمرى إنه متعلق أيضاً بالدين ، لكن لابنفسه بل بواسطة الدنيا ؛ فإن الدنيا مزرعة الآخرة ، ولا يتم الدين إلا بالدنيا . والملك والدين توأمان ؛ فالدين أصل والسلطان حارس ، وما لاأصل له فمهدوم ، وما لاحارس له فضائع ، ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان وطريق الضبط فى فصل الحكومات بالفقه . وكما أن سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين فى الدرجة الأولى ؛ بل هو معين على ما لايتم الدين إلا به ، فكذلك معرفة طريق السياسة فمعلوم أن الحج لايتم إلا ببذرقة تحرس من العرب فى الطريق ولكن الحج شىء وسلوك الطريق إلى الحج شىء ثان ، والقيام بالحراسة التى لايتم الحج الا بها شىء ثالث ، ومعرفة طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شىء رابع ، وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روى مسندا « لا يفتى الناس إلا ثلاثة : أمير أو مأمور

(١) حديث : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أميا : أى لا يحسن الكتابة : أخرجه ابن مردويه فى التفسير من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا « أنا محمد النبى الأمى » وفيه ابن لهيعة ، ولابن حبان والدارقطنى والحاكم والبيهقى وصححه من حديث ابن مسعود « قولوا اللهم صل على محمد النبى الأمى » وللبخارى من حديث البراء « وأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب » .

أو متكلف [١] ، فالأمير هو الإمام وقد كانوا هم المفتون ، والمأمور نائبه ، والمتكلف غيرهما : وهو الذى يتقلد تلك العهدة من غير حاجة . وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يحترزون عن الفتوى ، حتى كان يحيل كل منهم على صاحبه ، وكانوا لايحترزون إذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة . وفى بعض الروايات بدل المتكلف : المرائى ؛ فإن من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به إلا طلب الجاه والمال * فإن قلت : هذا إنما استقام لك فى أحكام الجراحات والحدود والغرامات وفصل الخصومات ، فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة ولا فيما يشتمل عليه ربع العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام ، فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الأعمال التى هى أعمال الآخرة ثلاثة : الإسلام والصلاة والزكاة والحلال والحرام ؛ فإذا تأملت منتهى نظر الفقيه فيها علمت أنه لايجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة ، وإذا عرفت هذا فى هذه الثلاثة فهو فى غيرها أظهر . أما الإسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفى شروطه وليس يلتفت فيه إلا إلى اللسان . وأما القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم أرباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال « هلا شققت عن قلبه ؟ [٢] » للذى قتل من تكلم بكلمة الإسلام معتذرا بأنه قال ذلك من خوف السيف ، بل يحكم الفقيه بصحة الإسلام تحت ظلال السيوف ، مع أنه يعلم أن السيف لم يكشف له عن نيته ولم يدفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة ، ولكنه مشير على صاحب السيف فإن السيف ممتد إلى رقبته واليد ممتدة إلى ماله وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله مادام له رقبة ومال ، وذلك فى الدنيا ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « امرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم [٣] » جعل أثر ذلك فى الدم والمال . وأما الآخرة فلا تنفع فيها الأموال بل أنوار القلوب وأسرارها وإخلاصها ، وليس ذلك من الفقه ، وإن خاض الفقيه فيه كان كما لو خاض فى الكلام والطب وكان خارجا عن فنه . وأما الصلاة فالفقيه يفتى بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط وإن كان غافلا فى جميع صلاته من أولها إلى آخرها مشغولا بالتفكير فى حساب معاملاته فى السوق إلا عند التكبير ، وهذه الصلاة لاتنفع فى الآخرة ، كما أن القول باللسان فى الإسلام لاينفع ، ولكن الفقيه يفتى بالصحة أى أن مافعله حصل به امتثال صيغة الأمر وانقطع به عنه القتل والتعزير ، فأما الخشوع وإحضار القلب الذى هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لايتعرض له الفقيه ولو تعرض له لكان خارجا عن فنه ، وأما الزكاة فالفقيه ينظر إلى مايقطع به مطالبة السلطان حتى إنه إذا امتنع عن أدائها فأخذها السلطان قهرا حكم بأنه برئت ذمته . وحكى أن أبا يوسف القاضى كان يهب ماله لزوجته آخر الحول ويستوهب مالها إسقاطا للزكاة ، فحكى ذلك لأبى حنيفة رحمه الله فقال ذلك من فقهه . وصدق فإن ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته فى الآخرة أعظم من كل جناية ، ومثل هذا هو العلم الضار . وأما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين ، ولكن الورع له أربع مراتب (الأولى) الورع الذى يشترط فى عدالة الشهادة : وهو الذى يخرج بتركه الإنسان عن أهلية الشهادة والقضاء والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر (الثانية) ورع الصالحين : وهو التوقى من الشبهات التى يتقابل فيها الاحتمالات . قال صلى الله عليه وسلم « دع مايريبك إلى مالا يريبك [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « الإثم حزاز القلوب [٥] » (الثالثة) ورع

(١) حديث « لايفتى الناس إلا ثلاثة . . . الحديث » أخرجه ابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ « لايقص على الناس » وإسناده حسن . (٢) حديث « هلا شققت عن قلبه » أخرجه مسلم من حديث أسامة بن زيد

(٣) حديث « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله . . الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة وعمر وابن عمر

(٤) حديث « دع مايريبك إلى مالا يريبك » أخرجه الترمذى وصححه والنسائى وابن حبان من حديث الحسن بن على

(٥) حديث « الإثم حزاز القلوب » أخرجه البيهقى فى شعب الايمان من حديث ابن مسعود ، ورواه العدنى فى مسنده موقوفا عليه

المتقين وهو ترك الحلال المحض الذى يخاف منه أداؤه إلى الحرام . قال صلى الله عليه وسلم « لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس [1] » وذلك مثل التورع عن التحدث بأحوال الناس خيفة من الانجرار إلى الغيبة ، والتورع عن أكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر المؤدى إلى مقارفة المحظورات (الرابعة) ورع الصدّيقين وهو الإعراض عما سوى الله تعالى خوفا من صرف ساعة من العمر إلى مالا يفيد زيادة قرب عند الله عز وجل وإن كان يعلم ويتحقق أنه لا يفضى إلى حرام ، فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه إلا الدرجة الأولى : وهو ورع الشهود والقضاء وما يقدح فى العدالة والقيام بذلك لا ينفى الإثم فى الآخرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابصة « استفت قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك [2] » ، والفقيه لا يتكلم فى حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح فى العدالة فقط ، فان جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التى بها صلاح طريق الآخرة ، فان تكلم فى شىء من صفات القلب وأحكام الآخرة فذلك يدخل فى كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل فى كلامه شىء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام ، وكما تدخل الحكمة فى النحو والشعر . وكان سفيان الثورى وهو إمام فى علم الظاهر يقول : إن طلب هذا ليس من زاد الآخرة ، كيف وقد اتفقوا على أن الشرف فى العلم العمل به فكيف يظن أنه علم الظهار واللعان والسلم والإجارة والصرف ، ومن تعلم هذه الأمور ليتقرب بها إلى الله تعالى فهو مجنون ، وإنما العمل بالقلب والجوارح فى الطاعات ، والشرف هو تلك الأعمال * فان قلت : لم سويت بين الفقه والطب إذ الطب أيضا يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد وذلك يتعلق به أيضا صلاح الدين ، وهذه التسوية تخالف إجماع المسلمين ؟ فاعلم أن التسوية غير لازمة بل بينهما فرق ، وأن الفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه (أحدها) أنه علم شرعى إذ هو مستفاد من النبوة ، بخلاف الطب فانه ليس من علم الشرع (والثانى) أنه لا يستغنى عنه أحد من سالكى طريق الآخرة ألبتة لا الصحيح ولا المريض . واما الطب فلا يحتاج إليه إلا المرضى وهم الأقلون (والثالث) أن علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لأنه نظر فى أعمال الجوارح ، ومصدر أعمال الجوارح ومنشؤها صفات القلوب ، فالمحمود من الأعمال يصدر عن الأخلاق المحمودة المنجية فى الآخرة ، والمذموم يصدر من المذموم ، وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب . وأما الصحة والمرض فمنشؤهما صفاء فى المزاج والأخلاط وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب ، فهما أضيف الفقه إلى الطب ظهر شرفه ، وإذا أضيف علم طريق الآخرة إلى الفقه ظهر أيضا شرف علم طريق الآخرة * فان قلت : فصل لى علم طريق الآخرة تفصيلا يشير إلى تراجمه وإن لم يمكن استقصاء تفاصيله . فاعلم أنه قسمان : علم مكاشفة وعلم معاملة ، فالقسم الأول علم المكاشفة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم ، فقد قال بعض العارفين : من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة ، وأدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله . وقال آخر : من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشىء من هذا العلم : بدعة ، أو كبر . وقيل : من كان محبا للدنيا أو مصراً على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم ، وأقل عقوبة من ينكره أنه لا يذوق منه شيئا وينشد على قوله :

وارض لمن غاب عنك غيبته فذاك ذنب عقابه فيـــه

وهو علم الصدّيقين والمقربين ، أعنى علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر فى القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته

---

(١) حديث « لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به .. الحديث » أخرجه الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث عطية السعدى . (٢) حديث « استفت قلبك وإن أفتوك » أخرجه أحمد من حديث وابصة .

المذمومة ، وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معانى مجملة غير متضحة ، فتتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه ، وبصفاته الباقيات التامات ، وبأفعاله ، وبحكمه فى خلق الدنيا والآخرة ، ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا ، والمعرفة بمعنى النبوة والنبى ، ومعنى الوحى ، ومعنى الشيطان ، ومعنى لفظ الملائكة والشياطين ، وكيفية معاداة الشياطين للإنسان ، وكيفية ظهور الملك للأنبياء ، وكيفية وصول الوحى إليهم ، والمعرفة بملكوت السموات والأرض ، ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ، ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ، ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ، ومعنى قوله تعالى ﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ ومعنى قوله تعالى ﴿ وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر إلى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول فى جواره ، ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ الأعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ، ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدرى فى جوف السماء إلى غير ذلك مما يطول تفصيله ، إذ للناس فى معانى هذه الأمور بعد التصديق بأصولها مقامات شتى ، فبعضهم يرى أن جميع ذلك أمثلة وأن الذى أعده الله لعباده الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وأنه ليس مع الخلق من الجنة إلا الصفات والأسماء . وبعضهم يرى أن بعضها أمثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من ألفاظها ، وكذا يرى بعضهم أن منتهى معرفة الله عز وجل الاعتراف بالعجز عن معرفته ، وبعضهم يدعى أموراً عظيمة فى المعرفة بالله عز وجل ، وبعضهم يقول حد معرفة الله عز وجل ما انتهى إليه اعتقاد جميع العوام : وهو أنه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم ، فنعنى بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق فى هذه الأمور اتضاحا يجرى مجرى العيان الذى لا يشك فيه ، وهذا ممكن فى جوهر الإنسان لولا ان مرآة القلب قد تراكم صدؤها وخبثها بقاذورات الدنيا ، وإنما نعنى بعلم طريق الآخرة : العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التى هى الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله ، وإنما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فى جميع أحوالهم ، فبقدر ما ينجلى من القلب ويحاذى به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه ، ولا سبيل إليه إلا بالرياضة التى يأتى تفصيلها فى موضعها ، وبالعلم والتعليم ، وهذه هى العلوم التى لا تسطر فى الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشىء منها إلا مع أهله ، وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة ، وبطريق الأسرار ، وهذا هو العلم الخفى الذى أراده صلى الله عليه وسلم بقوله « إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى ، فاذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى فلا تحقروا عالما آتاه الله تعالى علما منه ، فان الله عز وجل لم يحقره إذ آتاه إياه [1] » وأما القسم الثانى : وهو علم المعاملة ، فهو علم أحوال القلب : أما ما يحمد منها فكالصبر ، والشكر ، والخوف ، والرجاء ، والرضا ، والزهد ، والتقوى ، والقناعة ، والسخاء ، ومعرفة المنة لله تعالى فى جميع الأحوال ، والإحسان ، وحسن الظن ، وحسن الخلق ، وحسن المعاشرة ، والصدق ، والإخلاص ، فمعرفة حقائق هذه الأحوال وحدودها وأسبابها التى بها تكتسب وثمرتها وعلامتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود من علم الآخرة ،

(١) حديث « إن من العلم كهيئة المكنون ... الحديث » رواه أبو عبد الرحمن السلمى فى الأربعين له فى التصوف من حديث أبى هريرة بإسناد ضعيف .

وأما ما يذم ، فخوف الفقر ، وسخط المقدور ، والغل ، والحقد ، والحسد ، والغش ، وطلب العلو ، وحب الثناء ، وحب طول البقاء فى الدنيا للتمتع ، والكبر ، والرياء ، والغضب ، والأنفة ، والعداوة ، والبغضاء والطمع ، والبخل ، والرغبة ، والبذخ ، والأشر ، والبطر ، وتعظيم الأغنياء ، والاستهانة بالفقراء ، والفخر ، والخيلاء ، والتنافس ، والمباهاة والاستكبار عن الحق ، والخوض فيما لا يعنى ، وحب كثرة الكلام ، والصلف ، والتزين للخلق ، والمداهنة ، والعجب ، والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس ، وزوال الحزن من القلب ، وخروج الخشية منه ، وشدة الانتصار للنفس إذا نالها الذل ، وضعف الانتصار للحق ، واتخاذ إخوان العلانية على عداوة السر ، والأمن من مكر الله سبحانه وتعالى فى سلب ماأعطى ، والاتكال على الطاعة ، والمكر ، والخيانة ، والمخادعة وطول الأمل ، والقسوة ، والفظاظة ، والفرح بالدنيا والأسف على فواتها ، والأنس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفاء ، والطيش ، والعجلة ، وقلة الحياء ، وقلة الرحمة ، فهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الأعمال المحظورة . وأضدادها ـ وهى الأخلاق المحمودة ـ منبع الطاعات والقربات . فالعلم بحدود هذه الأمور وحقائقها وأسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة ، وهو فرض عين فى فتوى علماء الآخرة ، فالمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك فى الآخرة ، كما أنّ المعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا ، فنظر الفقهاء فى فروض العين بالإضافة إلى صلاح الدنيا ، وهذا بالإضافة إلى صلاح الآخرة . ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعانى حتى عن الإخلاص مثلا أو عن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع أنه فرض عينه الذى فى إهماله هلاكه فى الآخرة ، ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمى لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التى تنقضى الدهور ولا يحتاج إلى شىء منها ، وإن احتيج لم تخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها ، فلا يزال يتعب فيها ليلا ونهاراً وفى حفظه ودرسه يغفل عما هو مهم فى نفسه فى الدين ، وإذا روجع فيه قال : اشتغلت به لأنه علم الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره فى تعلمه ، والفطن يعلم أنه لو كان غرضه أداء حق الأمر فى فرض الكفاية لقدّم عليه فرض العين ، بل قدّم عليه كثيراً من فروض الكفايات ؛ فكم من بلدة ليس فيها طبيب إلا من أهل الذمة ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه ، ثم لا نرى أحداً يشتغل به ، ويتهاترون على علم الفقه لاسيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع ؛ فليت شعرى كيف يرخص فقهاء الدين فى الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة وإهمال مالا قائم به ؟ هل لهذا سبب إلا أن الطب ليس يتيسر الوصول به إلى تولى الأوقاف والوصايا وحيازة مال الأيتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدّم به على الأقران والتسلط به على الأعداء ؟ هيهات هيهات ، قد اندرس علم الدين بتلبيس العلماء السوء ؛ فالله تعالى المستعان وإليه الملاذ فى أن يعيذنا من هذا الغرور الذى يسخط الرحمن ويضحك الشيطان ، وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرّين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب : كان الإمام الشافعى رضى الله عنه يجلس بين يدى شيبان الراعى كما يقعد الصبى فى المكتب ويسأله : كيف يفعل فى كذا وكذا ؟ فيقال له : مثلك يسأل هذا البدوى ؟ فيقول : إنّ هذا وفق لما أغفلناه . وكان أحمد بن حنبل رضى الله عنه ويحيى بن معين يختلفان إلى معروف الكرخى ولم يكن فى علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسألانه ، وكيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما قيل له كيف نفعل إذا جاءنا أمر لم نجده فى كتاب ولا سنة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « سلوا الصالحين واجعلوه شورى

بينهم [١] ، ولذلك قيل : علماء الظاهر زينة الأرض والملك ، وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت . وقال الجنيد رحمه الله قال لى السرى شيخى يوماً : إذا قمت من عندى فى تجالس ؟ قلت : المحاسبى ، فقال : نعم خذ من علمه وأدنه ، ودع عنك تشقيقه الكلام ورده على المتكلمين ، ثم لما وليت سمعته يقول : جعلك الله صاحب حديث صوفياً ولا جعلك صوفياً صاحب حديث: أشار إلى أنّ من حصل الحديث والعلم ثم تصوف أفلح ، ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه * فإن قلت : فلم لم تورد فى أقسام العلوم : الكلام والفلسفة ، وتبين أنهما مذمومان أو محمودان ؟ فاعلم أنّ حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من لادلة التى ينتفع بها ، فالقرآن والأخبار مشتملة عليه ، وما خرج عنهما فهو إما مجادلة مذمومة وهى من البدع كما سيأتى بيانه ، وإما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق لها ، وتطويل بنقل المقالات التى أكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع ، وبعضها حوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شىء منه مألوفا فى العصر الأول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ، ولكن تغير الآن حكمه إذ حدثت البدعة الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ، ونبغت جماعة لفقهوا لها شبهاً ورتبوا فيها كلاماً مؤلفاً ، فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة مأذوناً فيه ، بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذى يقابل به المبتدع إذا قصد الدعوة إلى البدعة ، وذلك إلى حدّ محدود ـ سنذكره فى الباب الذى يلى هذا إن شاء الله تعالى ـ وأما الفلسفة فليست علماً برأسها بل هى أربعة أجزاء (أحدها) الهندسة والحساب ، وهما مباحان كما سبق ولا يمنع عنهما إلا من يخاف عليه أن يتجاوز بهما إلى علوم مذمومة ؛ فإن أكثر الممارسين لها قد خرجوا منهما إلى البدع ، فيصان الضعيف عنهما ـ لا لعينهما ـ كما يصان عصبى عن شاطئ النهر خيفة عليه من الوقوع فى النهر وكما يصان حديث العهد بالإسلام عن مخالطة الكفار خوفاً عليه ، مع أن القوى لا يندب إلى مخالطتهم (الثانى) المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ، ووجه الحدّ وشروطه ، وهما داخلان فى علم الكلام (الثالث) الإلهيات ، وهو بحث عن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته ؛ وهو داخل فى الكلام أيضاً ، والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم ، بل انفردوا بمذاهب : بعضها كفر وبعضها بدعة ، وكما أنّ الاعتزال ليس علماً برأسه بل أصحابه طائفة من المتكلمين وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة ، فكذلك الفلاسفة (والرابع) الطبيعيات ، وبعضها مخالف للشرع والدين والحق ، فهو جهل وليس بعلم حتى نورده فى أقسام العلوم ، وبعضها بحث عن صفات الاجسام وخواصها وكيفية إستحالتها وتغيرها ، وهو شبيه بنظر الاطباء ؛ إلا أن الطبيب ينظر فى بدن الإنسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح ، وهم ينظرون فى جميع الاجسام من حيث تتغير وتتحرك ؛ ولكن للطب فضل عليه وهو أنه محتاج إليه . وأما علومهم فى الطبيعيات فلا حاجة إليها فإذن الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخيلات المبتدعة ، وإنما حدث ذلك بحدوث البدع كما حدثت حاجة الإنسان إلى استئجار البدرقة فى طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ؛ ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج ؛ فلذلك لو ترك المبتدع هذيانه لما افتقر إلى الزيادة على ماعهد فى عصر الصحابة رضى الله عنهم ؛ فليعلم المتكلم حدّه من الدين وأن موقعه منه موقع الحارس فى طريق الحج ؛ فإذا تجرّد الحارس للحراسة لم يكن من جملة الحاج ، والمتكلم إذا تجرّد للمناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد

---

(١) حديث : قيل له كيف نفعل إذا جاء أمر لم نجده فى كتاب الله ولا سنة رسوله ؟ ... الحديث . رواه الطبرانى من حديث ابن عباس وفيه عبد الله بن كيسان ضعفه الجمهور .

القلب وصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين أصلا ، وليس عند المتكلم من الدين إلا العقيدة التى شاركه فيها سائر العوام وهى من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان ، وإنما يتميز عن العامى بصنعة المجادلة والحراسة ، فأما معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله وجميع ماأشرنا إليه فى علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام ، بل يكاد أن يكون الكلام حجابا عليه ومانعا عنه ، وإنما الوصول إليه بالمجاهدة التى جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال تعالى ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ * فإن قلت : فقد رددت حد المتكلم إلى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة ، كما أن حد البذرقة حراسة أقمشة الحجيج عن نهب العرب ، ورددت حد الفقيه إلى حفظ القانون الذى به يكف السلطان شر بعض أهل العدوان عن بعض ، وهاتان رتبتان نازلتان بالإضافة إلى علم الدين ، وعلماء الأمة المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم أفضل الخلق عند الله تعالى ، فكيف تنزل درجاتهم إلى هذه المنزلة السافلة بالإضافة إلى علم الدين ؟ فاعلم أن من عرف الحق بالرجال حار فى متاهات الضلال ، فاعرف الحق تعرف أهله إن كنت سالكا طريق الحق ، وإن قنعت بالتقليد والنظر إلى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلو منصبهم ، فقد أجمع الذين عرضت بذكرهم على تقدمهم وأنهم لايدرك فى الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها ، ومافضل أبو بكر رضى الله عنه الناس بكثرة صيام ولا صلاة ولا بكثرة رواية ولافتوى ولا كلام ، ولكن بشىء وقر فى صدره [1] كما شهد له سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ فليكن حرصك فى طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدر المكنون ، ودع عنك ماتطابق أكثر الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لاسباب ودواع يطول تفصيلها ، فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آلاف من الصحابة رضى الله عنهم كلهم علماء بالله ، أثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن فيهم أحد يحسن صنعة الكلام ، ولا نصب نفسه للفتيا منهم أحد إلا بضعة عشر رجلا ، ولقد كان ابن عمر رضى الله عنهما منهم ، وكان إذا سئل عن الفتيا يقول للسائل : اذهب إلى فلان الأمير الذى تقلد أمور الناس ، وضعها فى عنقه إشارة إلى أن الفتيا فى القضايا والاحكام من توابع الولاية والسلطنة ، ولما مات عمر رضى الله عنه قال ابن مسعود : مات تسعة أعشار العلم ، فقيل له : أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة ؟ فقال : لم أرد علم الفتيا والاحكام إنما أريد العلم بالله تعالى ، أفترى أنه أراد صنعة الكلام والجدل ، فما بالك لاتحرص على معرفة ذلك العلم الذى مات بموت عمر تسعة أعشاره ، وهو الذى سد باب الكلام والجدل وضرب ضبيعا بالدرة لما أورد عليه سؤالا فى تعارض آيتين فى كتاب الله ، وهجره وأمر الناس بهجره وأما قولك إن المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون ، فاعلم أن ما ينال به الفضل عند الله شىء وما ينال به الشهرة عند الناس شىء آخر ؛ فلقد كان شهرة أبى بكر الصديق رضى الله عنه بالخلافة وكان فضله بالسر الذى وقر فى قلبه وكان شهرة عمر رضى الله عنه بالسياسة وكان فضله بالعلم بالله الذى مات تسعة أعشاره بموته ، وبقصده التقرب إلى الله عز وجل فى ولايته وعدله وشفقته على خلقه ، وهو أمر باطن فى سره ، فأما سائر أفعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب فى الشهرة ، فتكون الشهرة فيما هو المهلك ، والفضل فيما هو سر لايطلع عليه أحد ، فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة والعلماء ، وقد انقسموا ، فمنهم من أراد الله سبحانه بعلمه وفتواه وذبه عن

---

(١) حديث « ما فضل أبو بكر الناس بكثرة صلاة ولا كثرة صيام ... الحديث » أخرجه الترمذى الحكيم فى النوادر من قول أبى بكر بن عبد الله المزنى ولم أجده مرفوعا

سنة نبيه ولم يطلب به رياء ولا سمعة ، فأولئك أهل رضوان الله تعالى وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ولإرادتهم وجه الله سبحانه بفتواهم ونظرهم ، فإن كل علم عمل فإنه فعل مكتسب ، وليس كل عمل علما ، والطبيب يقدر على التقرب إلى الله تعالى بعلمه فيكون مثابا على علمه من حيث إنه عامل لله سبحانه وتعالى به ، والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضيا عند الله سبحانه ومثابا ، لامن حيث إنه متكفل بعلم الدين ، بل من حيث هو متقلد بعمل يقصد به التقرب إلى الله عزوجل بعلمه . وأقسام مايتقرب به إلى الله تعالى ثلاثة : علم مجرد وهو علم المكاشفة ، وعمل مجرد وهو كعدل السلطان مثلا وضبطه للناس ، ومركب من عمل وعلم وهو علم طريق الآخرة فإن صاحبه من العلماء والعمال جميعا ، فانظر إلى نفسك أتكون يوم القيامة فى حزب علماء الله ، وأعمال الله تعالى ، أوفى حزبهما فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما ، فهذا أهم عليك من التقليد لمجرد الاشتهار كما قيل :

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به فى طلعة الشمس مايغنيك عن زحل

على أنا سننقل من سيرة فقهاء السلف ماتعلم به أن الذين انتحلوا مذاهبهم طلموهم وأنهم من أشد خصمائهم يوم القيامة فإنهم ماقصدوا بالعلم إلا وجه الله تعالى ، وقد شوهد من أحوالهم ماهو من علامات علماء الآخرة كما سيأتى بيانه فى باب علامات علماء الآخرة ، فإنهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه ، بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها ، ولكن صرفهم عن التدريس والتصنيف فيه ماصرف الصحابة عن التصنيف والتدريس فى الفقه ، مع أنهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتوى والصوارف والدواعى متيقنة ، ولا حاجة إلى ذكرها .

ونحن الآن نذكر من أحوال فقهاء الإسلام ما تعلم به أن ما ذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن أظهر الاقتداء بهم منتحلا مذاهبهم وهو مخالف لهم فى أعمالهم وسيرهم . فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق ـ أعنى الذين كثر أتباعهم فى المذاهب خمسة : الشافعى ، ومالك ، وأحمد بن حنبل ، وأبو حنيفة ، وسفيان الثورى رحمهم الله تعالى . وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما بعلوم الآخرة وفقيها فى مصالح الخلق فى الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى ، فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جملتها على خصلة واحدة وهى التشمير والمبالغة فى تفاريع الفقه ، لأن الخصال الأربع لاتصلح إلا للآخرة ، وهذه الخصلة الواحدة تصلح الدنيا والآخرة ، إن أريد بها الآخرة قل صلاحها للدنيا شمروا لها وادعوا بها مسابهة أولئك الأئمة ، وهيهات أن تقاس الملائكة بالحدادين ، ولنورد الآن من أحوالهم مايدل على هذه الخصال الأربع ، فإن معرفتهم بالفقه ظاهرة .

أما الإمام الشافعى رحمه الله تعالى فيدل على أنه كان عابدا : ماروى أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء : ثلثا للعلم ، وثلثا للعبادة . وثلثا للنوم . قال الربيع : كان الشافعى رحمه الله يختم القرآن فى رمضان ستين مرة كل ذلك فى الصلاة. وكان البويطى أحد أصحابه يختم القرآن فى رمضان فى كل يوم مرة . وقال الحسن الكرابيسى : بت مع الشافعى غير ليلة فكان يصلى نحوا من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية ، فإذا أكثر فمائة آية ، وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله لنفسه ولجميع المسلمين والمؤمنين ، ولا يمر بآية عذاب إلا تعوذ فيها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين ، وكأنما جمع له الرجاء والخوف معا ، فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين آية على تبحره فى أسرار القرآن وتدبره فيها وقال الشافعى رحمه الله : ما شبعت منذ ست عشرة سنة لأن الشبع يثقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة ، فانظر إلى حكمته فى ذكر آفات الشبع ، ثم فى جده فى العبادة ، إذ طرح الشبع لأجلها ، ورأس التعبد تقليل الطعام . وقال الشافعى رحمه الله : ماحلفت بالله تعالى لاصادقا ولا كاذبا قط ، فانظر

إلى حرمته وتوقيره لله تعالى ، ودلالة ذلك على علمه بجلال الله سبحانه . وسئل الشافعى رضى الله عنه عن مسئلة فسكت ، فقيل له : ألاتجيب رحمك الله ؟ فقال : حتى أدرى الفضل فى سكوتى أوفى جوابى ؟ فانظر فى مراقبته للسانه مع أنه أشد الأعضاء تسلطا على الفقهاء وأعصاها عن الضبط والقهر ، وبه يستبين أنه كان لايتكلم ولا يسكت لا لنيل الفضل وطلب الثواب . وقال أحمد بن يحيى بن الوزير : خرج الشافعى رحمه الله تعالى يوما من سوق القناديل فتبعناه فإذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم ، فالتفت الشافعى إلينا وقال : نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به ، فإن المستمع شريك القائل ، وإن السفيه لينظر إلى أخبث شىء فى إنائه فيحرص أن يفرغه فى أوعيتكم ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما شقى بها قائلها . وقال الشافعى رضى الله عنه : كتب حكيم إلى حكيم : قد أوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم . وأما زهده رضى الله عنه فقد قال الشافعى رحمه الله : من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها فى قلبه فقد كذب . وقال الحميدى : خرج الشافعى رحمه الله إلى اليمن مع بعض الولاة فانصرف إلى مكة بعشرة آلاف درهم فضرب له خباء فى موضع خارجا من مكة فكان الناس يأتونه ، فما برح من موضعه ذلك حتى فرقها كلها . وخرج من الحمام مرة فأعطى الحمامى مالا كثيرا . وسقط سوطه من يده مرة فرفعه إنسان إليه فأعطاه جزاء عليه حسين دينارا . وسخاوة الشافعى رحمه الله أشهر من أن تحكى ورأس الزهد السخاء ، لأن من أحب شيئا أمسكه ولم يفارق المال إلا من صغرت الدنيا فى عينه وهو معنى الزهد . ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همته بالآخرة : ماروى أنه روى سفيان بن عيينة حديثا فى الرقائق فغشى على الشافعى فقيل له : قد مات ، فقال : ان مات فقد مات أفضل زمانه . وماروى عبد الله بن محمد البلوى قال : كنت أنا وعمر بن نباتة جلوسا نتذاكر العباد والزهاد فقال لى عمر : مارأيت أورع ولا أفصح من محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه : خرجت أنا وهو والحارث بن لبيد إلى الصفا وكان الحارث تلميذ الصالح المرى فافتتح يقرأ وكان حسن الصوت ، فقرأ هذه الآية عليه ﴿ هذا يوم لاينطقون ولايؤذن لهم فيعتذرون ﴾ فرأيت الشافعى رحمه الله وقد تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما أفاق جعل يقول : أعوذ بك من مقام الكاذبين وإعراض الغافلين ، اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لك رقاب المشتاقين ، إلهى هب لى جودك وجللنى بسترك واعف عن تقصيرى بكرم وجهك . قال : ثم مشى وانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقعدت على الشط أتوضأ للصلاة إذ مر بى رجل فقال لى : يا غلام أحسن وضوءك أحسن الله إليك فى الدنيا والآخرة ، فالتفت فإذا أنا برجل يتبعه جماعة ، فأسرعت فى وضوئى وجعلت أقفو أثره ، فالتفت إلى فقال : هل لك من حاجة ؟ فقلت : نعم ، تعلمنى مما علمك الله شيئا ، فقال لى اعلم أن من صدق الله نجا ، ومن أشفق على دينه سلم من الردى ، ومن زهد فى الدنيا قرت عيناه مما يراه من ثواب الله تعالى غدا ، أفلا أزيدك ؟ قلت : نعم . قال من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الإيمان : من أمر بالمعروف وائتمر ونهى عن المنكر وانتهى ، وحافظ على حدود الله تعالى ، ألا أزيدك ؟ قلت بلى ، : فقال : كن فى الدنيا زاهدا وفى الآخرة راغبا واصدق الله تعالى فى جميع أمورك تنج مع الناجين ، ثم مضى ، فسألت : من هذا ؟ فقالوا : هو الشافعى فانظر إلى سقوطه مغشيا عليه ثم إلى وعظه كيف يدل ذلك على زهده وغاية خوفه ! ولايحصل هذا الخوف والزهد إلا من معرفة الله عز وجل فإنه ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ ولم يستفد الشافعى رحمه الله هذا الخوف والزهد من علم كتاب السلم والإجارة وسائر كتب الفقه ، بل هو من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والأخبار

إذحكم الأولين والآخرين مودعة فيهما . وأما كونه عالما بأسرار القلب وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم المأثورة عنه ، روى أنه سئل عن الرياء فقال على البديهة : الرياء فتنة عقدها الهوى حيال أبصار قلوب العلماء فنظروا إليها بسوء اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم . وقال الشافعى رحمه الله تعالى : إذا أنت خفت على عملك العجب فانظر رضا من تطلب ؟ وفى أى ثواب ترغب ؟ ومن أى عقاب ترهب ؟ وأى عافية تشكر ؟ وأى بلاء تذكر ؟ فإنك إذا تفكرت فى واحد من هذه الخصال صغر فى عينك عملك ، فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب ! وقال الشافعى رضى الله عنه : من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه . وقال رحمه الله : من أطاع الله تعالى بالعلم نفعه سره . وقال : مامن أحد إلا له محب ومبغض ، فإذا كان كذلك فكن مع أهل طاعة الله عز وجل ، وروى أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان يسأل الشافعى رضى الله عنه عن مسائل فى الورع والشافعى رحمه الله يقبل عليه لورعه ، وقال للشافعى يوما : أيما أفضل الصبر أو المحنة أو التمكين ، فقال الشافعى رحمه الله : التمكين درجة الأنبياء ، ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة ، فإذا امتحن صبر وإذا صبر مكن ؛ ألا ترى أن الله عز وجل امتحن إبراهيم عليه السلام ثم مكنه ، وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه ، وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنه ، وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه وآتاه ملكا ، والتمكين أفضل الدرجات ، قال الله عز وجل ﴿ وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ﴾ وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مكن ، قال الله تعالى ﴿ وآتيناه أهله ومثلهم معهم - الآية ﴾ فهذا الكلام من الشافعى رحمه الله يدل على تبحره فى أسرار القرآن واطلاعه على مقامات السائرين إلى الله تعالى من الأنبياء والأولياء ، وكل ذلك من علوم الآخرة . وقيل للشافعى رحمه الله : متى يكون الرجل عالما ؟ قال : إذا تحقق فى علم الدين فعلمه وتعرض لسائر العلوم فنظر فيها فاته فعند ذلك يكون عالما ، فإنه قيل لجالينوس إنك تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجمعة ! فقال : إنما المقصود منها واحد وإنما يجعل معه غيره لتسكن حدته لأن الإفراد قاتل ، فهذا وأمثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته فى معرفة الله تعالى وعلوم الآخرة . وأما إرادته بالفقه والمناظرة فيه وجه الله تعالى : فيدل عليه ماروى عنه قال : وددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم ومانسب إلى شىء منه ، فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم له وكيف كان منزه القلب عن الالتفات إليه بمجرد النية فيه لوجه الله تعالى . وقال الشافعى رضى الله عنه . ماناظرت أحداً قط فأحببت أن يخطئ . وقال : ما كلمت احداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ ، وما كلمت أحداً قط وأنا أبالى أن يبين الله الحق على لسانى أو على لسانه : وقال : ماأوردت الحق والحجة على أحد فقبلها منى إلا هبته واعتقدت محبته ، ولا كابرنى أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عينى ورفضته ، فهذه العلامات هى التى تدل على إرادة الله تعالى بالفقه والمناظرة ، فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط ، ثم كيف خالفوه فيها أيضا ، ولهذا قال أبو ثور رحمه الله : مارأيت ولا رأى الراءون مثل الشافعى رحمه الله تعالى . وقال أحمد بن حنبل رضى الله عنه : ماصليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعى رحمه الله تعالى ، فانظر إلى إنصاف الداعى وإلى درجة المدعو له وقس به الأقران والأمثال من العلماء فى هذه الأعصار ومابينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم فى دعوى الاقتداء بهؤلاء ، ولكثرة دعائه له قال له ابنه : أى رجل كان الشافعى حتى تدعو له كل هذا الدعاء ؟ فقال أحمد : يابنى كان الشافعى رحمه الله تعالى كالشمس للدنيا وكالعافية للناس ، فانظر هل لهذين من خلف وكان أحمد رحمه الله يقول : مامس أحد بيده محبرة إلا وللشافعى رحمه الله فى عنقه منة . وقال يحيى بن سعيد القطان :

ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو فيها للشافعى لما فتح الله عز وجل عليه من العلم ووفقه للسداد فيه . ولنقتصر على هذه النبذة من أحواله فان ذلك خارج عن الحصر ، وأكثر هذه المناقب نقلناه من الكتاب الذى صنفه الشيخ نصر بن إبراهيم المقدسى رحمه الله تعالى فى مناقب الشافعى رضى الله عنه وعن جميع المسلمين .

وأما الإمام مالك رضى الله عنه فانه كان أيضا متحليا بهذه الخصال الخمس ، فانه قيل له : ما تقول يامالك فى طالب العلم ؟ فقال : حسن جميل ولكن انظر إلى الذى يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسى فالزمه ، وكان رحمه الله تعالى فى تعظيم علم الدين مبالغا ، حتى كان إذا أراد أن يحدّث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة ثم حدّث ، فقيل له فى ذلك فقال : أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال مالك : العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية، وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى . وأما إرادته وجه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله : الجدال فى الدين ليس بشىء . ويدل عليه قول الشافعى رحمه الله : إنى شهدت مالكا وقد سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال فى اثنتين وثلاثين منها : لاأدرى . ومن يرد غير وجه الله تعالى بعلمه فلا تسمح نفسه بأن يقر على نفسه بأنه لا يدرى ، ولذلك قال الشافعى رضى الله عنه : إذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب ، وما أحد أمن على من مالك . وروى أن أبا جعفر المنصور منعه من رواية الحديث فى طلاق المكره ثم دس عليه من يسأله ، فروى على ملأ من الناس : ليس على مستكره طلاق ، فضربه بالسياط ، ولم يترك رواية الحديث . وقال مالك رحمه الله : ما كان رجل صادقا فى حديثه ولا يكذب إلا متع بعقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا خرف . وأما زهده فى الدنيا فيدل عليه ما روى أن المهدى أمير المؤمنين سأله فقال له : هل لك من دار ؟ فقال : لا ولكن أحدثك « سمعت ربيعة بن أبى عبد الرحمن يقول : نسب المرء داره » وسأله الرشيد : هل لك دار ؟ فقال: لا، فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال : اشتر بها دارا فأخذها ولم ينفقها ، فلما أراد الرشيد الشخوص قال لمالك رحمه الله : ينبغى أن تخرج معنا فانى عزمت على أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان رضى الله عنه الناس على القرآن ، فقال له : أما حمل الناس على الموطأ فليس إليه سبيل ، لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده فى الأمصار فحدثوا ، فعند كل أهل مصر علم وقد قال صلى الله عليه وسلم « اختلاف أمتى رحمة [1] » وأما الخروج معك فلا سبيل إليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون [2] » وقال عليه الصلاة والسلام « المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد [3] » وهذه دنانيركم كما هى إن شئتم فخذوها وإن شئتم فدعوها ، يعنى أنك إنما تكلفنى مفارقة المدينة لما اصطنعته إلى فلا أوثر الدنيا على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهكذا كان زهد مالك فى الدنيا . ولما حملت إليه الأموال الكثيرة من أطراف الدنيا لانتشار علمه وأصحابه كان يفرقها فى وجوه الخير ودل سخاؤه على زهده وقلة حبه للدنيا وليس الزهد فقد المال : وإنما الزهد فراغ القلب عنه ولقد كان سليمان عليه السلام فى ملكه من الزهاد . ويدل على احتقاره للدنيا ما روى عن الشافعى رحمه الله أنه قال : رأيت على باب مالك كراعا من أفراس خراسان ويقال مصر ما رأيت أحسن منه فقلت لمالك رحمه الله : ما أحسنه فقال : هو هدية منى إليك يا أبا عبد الله ، فقلت : دع لنفسك منها دابة تركبها

---

(١) حديث « اختلاف أمتى رحمة » ذكره البيهقى فى رسالته الأشعرية تعليقاً وأسنده فى المدخل من حديث ابن عباس بلفظ « اختلاف أصحابى لكم رحمة » وإسناده ضعيف (٢) حديث « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » متفق عليه من حديث سفيان ابن أبى زهير (٣) حديث « المدينة تنفى خبثها . . الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة .

فقال : إنى أستحيي من الله تعالى أن أطأ تربة فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة فانظر إلى سخائه إذ وهب جميع ذلك دفعة واحدة وإلى توقيره لتربة المدينة ويدل على إرادته بالعلم وجه الله تعالى واستحقار للدنيا : ماروى أنه قال دخلت على هرون الرشيد فقال لى : يا أبا عبد الله ينبغى أن تختلف إلينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ . قال : فقلت أعز الله مولانا الأمير ، إن هذا العلم منكم خرج فان أنتم أعززتموه عزوإن أنتم أذللتموه ذل والعلم يؤتى ولا يأتى ، فقال : صدقت ، اخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا مع الناس .

وأما أبو حنيفة رحمه الله تعالى فلقد كان أيضا عابدا زاهدا ، بالله تعالى ، خائفا منه ، مريدا وجه الله تعالى بعلمه ، فأما كونه عابدا فيعرف بما روى عن ابن المبارك أنه قال : كان أبو حنيفة رحمه الله له مروءة وكثرة صلاة . وروى حماد بن أبى سليمان أنه كان يحيي الليل كله . وروى أنه كان يحيي نصف الليل فمر يوما فى طريق فأشار إليه إنسان وهو يمشى فقال لآخر : هذا هو الذى يحيي الليل كله ، فلم يزل بعد ذلك يحيي الليل كله وقال : أنا أستحيي من الله سبحانه أن أوصف بما ليس فى من عبادته . وأما زهده فقد روى عن الربيع بن عاصم قال : أرسلنى يزيد بن عمر بن هبيرة فقدمت بأبى حنيفة عليه ، فأراده أن يكون حاكما على بيت المال فأبى ، فضربه عشرين سوطا . فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب ! قال الحكم بن هشام الثقفى : حدثت بالشام حديثا فى أبى حنيفة أنه كان من أعظم الناس أمانة وأراده السلطان على أن يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختار عذابهم له على عذاب الله تعالى . وروى أنه ذكر أبو حنيفة عند ابن المبارك ، فقال : أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها . وروى عن محمد بن شجاع عن بعض أصحابه أنه قيل لأبى حنيفة : قد أمر لك أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم . قال : فما رضى أبو حنيفة ، قال : فلما كان اليوم الذى توقع أن يؤتى بالمال فيه صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم ، فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال ، فدخل عليه ، فلم يكلمه ، فقال بعض من حضر : ما يكلمنا إلا بالكلمة بعد الكلمة ، أى هذه عادته . فقال : ضعوا المال فى هذا الجراب فى زاوية البيت ، ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته وقال لابنه : إذا مت ودفنتمونى فخذ هذه البدرة واذهب بها إلى الحسن ابن قحطبة فقل له خذ وديعتك التى أودعتها أبا حنيفة . قال ابنه : ففعلت ذلك ، فقال الحسن : رحمة الله على أبيك فلقد كان شحيحا على دينه . وروى أنه دعى إلى ولاية القضاء فقال : أنا لا أصلح لهذا ، فقيل له : لم ؟ فقال : إن كنت صادقا فما أصلح لها ، وإن كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضاء . وأما علمه بطريق الآخرة وطريق أمور الدين ومعرفته بالله عز وجل فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده فى الدنيا ، وقد قال ابن جريج : قد بلغنى عن كوفيكم هذا النعمان بن ثابت أنه شديد الخوف لله تعالى . وقال شريك النخعى : كان أبو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس ، فهذا من أوضح الأمارات على العلم الباطنى والاشتغال بمهمات الدين ، فمن أوتى الصمت والزهد فقد أوتى العلم كله ، فهذه نبذة من أحوال الأئمة الثلاثة .

وأما الإمام أحمد بن حنبل وسفيان الثورى رحمهما الله تعالى فأتباعهما أقل من أتباع هؤلاء ، وسفيان أقل أتباعا من أحمد ، ولكن اشتهارهما بالورع والزهد أظهر ، وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات أفعالهما وأقوالهما فلا حاجة إلى التفصيل الآن ، فانظر الآن فى غير هؤلاء الأئمة الثلاثة وتأمل أن هذه الأحوال والأقوال والأفعال فى الإعراض عن الدنيا والتجرد لله عز وجل هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والإجارة والظهار والإيلاء واللعان ، أو يثمرها علم آخر أعلى وأشرف منه ، وانظر إلى الذين ادعوا الاقتداء بهؤلاء أصدقوا فى دعواهم أم لا

الباب الثالث

فيما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها

وفيه بيان الوجه الذى قد يكون به بعض العلوم مذموما وبيان تبديل أسامى العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها .

بيان علة ذم العلم المذموم لعلك تقول : العلم هو معرفة الشيء على ما هو به وهو من صفات الله تعالى فكيف يكون الشيء علما ويكون مع كونه علما مذموما ؟ فاعلم أن العلم لا يذم لعينه وإنما يذم فى حق العباد لأحد أسباب ثلاثة (الأول) أن يكون مؤديا إلى ضرر ما إما لصاحبه أو لغيره ، كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق ، إذ شهد القرآن له وأنه سبب يتوصل به إلى التفرقة بين الزوجين ، وقد سحر [1] رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه حتى أخبره جبريل عليه السلام بذلك وأخرج السحر من تحت حجر فى قعر بئر ، وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمور حسابية فى مطالع النجوم ، فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويرصد به وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ، ويتوصل بسببها إلى الاستعانة بالشياطين ، ويحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله تعالى العادة أحوال غريبة فى الشخص المسحور ، ومعرفة هذه الأسباب من حيث إنها معرفة ليست بمذمومة ولكنها ليست تصلح إلا للإضرار بالخلق والوسيلة إلى الشر شر ، فكان ذلك هو السبب فى كونه علما مذموما ، بل من اتبع وليا من أولياء الله ليقتله وقد اختفى منه فى موضع حريز إذا سأل الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه ؛ بل وجب الكذب فيه ؛ وذكر موضعه إرشاد وإفادة علم بالشيء على ما هو عليه ، ولكنه مذموم لأدائه إلى الضرر (الثانى) أن يكون مضرا بصاحبه فى غالب الأمر ، كعلم النجوم ، فانه فى نفسه غير مذموم لذاته ، إذ هو قسمان : قسم حسابى ، وقد نطق القرآن بأن مسير الشمس والقمر محسوب ، إذ قال عز وجل ﴿ الشمس والقمر بحسبان ﴾ وقال عز وجل ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ . والثانى : الأحكام ، وحاصله يرجع إلى الاستدلال على الحوادث بالأسباب وهو يضاهى استدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض ، وهو معرفة لمجارى سنة الله تعالى وعادته فى خلقه ولكن قد ذمه الشرع . قال صلى الله عليه وسلم : إذا ذكر القدر فأمسكوا ، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا ، وإذا ذكر أصحابى فأمسكوا [2] » . وقال صلى الله عليه وسلم « أخاف على أمتى بعدى ثلاثا : حيف الأئمة ، والإيمان بالنجوم ، والتكذيب بالقدر [3] » . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : تعلموا من النجوم ما تهتدون به فى البر والبحر ثم أمسكوا ، وإنما زجر عنه من ثلاثة أوجه : أحدها : أنه مضر بأكثر الخلق ، فانه إذا ألقى إليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب ، وقع فى نفوسهم أن الكواكب هى المؤثرة ، وأنها الآلهة المدبرة لأنها جواهر شريفة سماوية ، ويعظم وقعها فى القلوب فيبقى القلب ملتفتا إليها ، ويرى الخير والشر محدورا أو مرجوا من جهتها ،

الباب الثالث

(١) حديث « سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم » متفق عليه من حديث عائشة

(٢) حديث « إذا ذكر القدر فأمسكوا ... الحديث » رواه الطبرانى من حديث ابن مسعود بإسناد حسن

(٣) حديث « أخاف على أمتى بعدى ثلاثاً : حيف الأئمة ... الحديث » أخرجه ابن عبد البر من حديث أبى محجن بإسناد ضعيف

وينمحى ذكر الله سبحانه عن القلب ، فإن الضعيف يقصر نظره على الوسائط ، والعالم الراسخ هو الذى يطلع على أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره سبحانه وتعالى ، ومثال نظر الضعيف إلى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس ، مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس وهى تنظر إلى سواد الخط يتجدد ، فتعتقد أنه فعل القلم ولا تترقى فى نظرها إلى مشاهدة الأصابع ، ثم منها إلى اليد ، ثم منها إلى الإرادة المحركة اليد ، ثم منها إلى الكاتب القادر المريد ، ثم منه إلى خالق اليد والقدرة والإرادة ؛ فأكثر نظر الخلق مقصور على الأسباب القريبة السافلة . مقطوع من الترقى إلى مسبب الأسباب ؛ فهذا أحد أسباب النهى عن النجوم . وثانيها : أن أحكام النجوم تخمين محض ليس يدرك فى حق آحاد الأشخاص لا يقيناً ولا ظناً ، فالحكم به حكم بجهل ، فيكون ذمه على هذا من حيث إنه جهل لا من حيث إنه علم ، فلقد كان ذلك معجزة لإدريس عليه السلام فيما يحكى وقد اندرس وانمحى ذلك العلم وانمحق ، وما يتفق من إصابة المنجم على ندور فهو اتفاق لأنه قد يطلع على بعض الأسباب ولا يحصل المسبب عقيبها إلا بعد شروط كثيرة ليس فى قدرة البشر الاطلاع على حقائقها ، فإن اتفق أن قدر الله تعالى بقية الأسباب وقعت الإصابة ، وإن لم يقدر أخطأ ، ويكون ذلك كتخمين الإنسان فى أن السماء تمطر اليوم مهما رأى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك ، وربما يحمى النهار بالشمس ويذهب الغيم ، وربما يكون بخلافه ، ومجرد الغيم ليس كافياً فى مجىء المطر وبقية الأسباب لا تدرى ، وكذلك تخمين الملاح أن السفينة تسلم اعتماداً على ما ألفه من العادة فى الرياح ولتلك الرياح أسباب خفية هو لا يطلع عليها ، فتارة يصيب فى تخمينه وتارة يخطئ ، ولهذه العلة يمنع القول عن النجوم أيضاً . وثالثها : أنه لا فائدة فيه ، فأقل أحواله أنه خوض فى فضول لا يغنى وتضييع العمر الذى هو أنفس بضاعة الإنسان فى غير فائدة وذلك غاية الخسران ؛ فقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال « ما هذا ؟ فقالوا : رجل علامة . فقال : بماذا ؟ قالوا بالشعر وأنساب العرب . فقال : علم لا ينفع وجهل لا يضر[1] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « إنما العلم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة » فإذن الخوض فى النجوم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض فى جهالة من غير فائدة ، فإن ما قدر كائن ، والاحتراز منه غير ممكن ، بخلاف الطب فإن الحاجة ماسة إليه وأكثر أدلته بما يطلع عليه ، وبخلاف التعبير وإن كان تخميناً لأنه جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ولا خطر فيه (السبب الثالث) الخوض فى علم لا يستفيد الخائض فيه فائدة علم ، فهو مذموم فى حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها ، وخفيها قبل جليها ، وكالبحث عن الأسرار الإلهية ، إذ يطلع الفلاسفة والمتكلمون إليها ولم يستقلوا بها ، ولم يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها إلا الأنبياء والأولياء ، فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم إلى ما نطق به الشرع ، ففى ذلك مقنع للموفق ، فكم من شخص خاض فى العلوم واستضر بها ولو لم يخض فيها لكان حاله أحسن فى الدين مما صار إليه ولا ينكر كون العلم ضاراً لبعض الناس كما يضر لحم الطير وأنواع الحلوى اللطيفة بالصبى الرضيع ، بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الأمور ، فلقد حكى أن بعض الناس شكا إلى طبيب عقم امرأته وأنها لا تلد ، فجس الطبيب نبضها وقال : لا حاجة لك إلى دواء الولادة فانك ستموتين إلى

---

(١) حديث : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون فقال « ما هذا ؟ فقالوا : رجل علامة ... الحديث » أخرجه ابن عبد البر من حديث أبى هريرة وضعفه . وفى آخر الحديث « إنما العلم آية محكمة ... إلى آخره » وهذه القطعة عند أبى داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو

أربعين يوما ، وقد دل النبض عليه ، فاستشعرت المرأة الخوف العظيم وتنغص عليها عيشها ، وأخرجت أموالها وفرقتها ، وأوصت ، وبقيت لا تأكل ولاتشرب حتى انقضت المدة فلم تمت ، فجاء زوجها إلى الطبيب وقال له : لم تمت ، فقال الطبيب : قد علمت ذلك فجامعها الآن فإنها تلد ؛ فقال : كيف ذاك؟ قال : رأيتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها ، فعلمت أنها لاتهزل إلا بخوف الموت ، فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة : فهذا ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من علم لاينفع [1] » فاعتبر بهذه الحكاية ولاتكن بحاثا عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها ، ولازم الاقتداء بالصحابة رضى الله عنهم ، واقتصر على أتباع السنة ، فالسلامة فى الاتباع ، والخطر فى البحث عن الأشياء والاستقلال ، ولاتكثر اللجج برأيك ومعقولك ودليلك وبرهانك وزعمك أنى أبحث عن الأشياء لأعرفها على ماهى عليه ، فأى ضرر فى التفكر فى العلم فإن مايعود عليك من ضرره أكثر ، وكم من شيء تطلع عليه فيضرك اطلاعك عليه ضرراً يكاد يهلكك فى الآخرة إن لم يتداركك الله برحمته . واعلم أنه كما يطلع الطبيب الحاذق على أسرار فى المعالجات يستبعدها من لايعرفها فكذلك الأنبياء أطباء القلوب والعلماء بأسباب الحياة الأخروية ، فلا تتحكم على سننهم بمعقولك فتهلك ، فكم من شخص يصيبه عارض فى أصبعه فيقتضى عقله أن يطليه ، حتى ينبهه الطبيب الحاذق أن علاجه أن يطلى الكف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لايعلم كيفية انشعاب الأعصاب ومنابتها وجه التفافها على البدن ؟ فهكذا الأمر فى طريق الآخرة ، وفى دقائق سنن الشرع وآدابه ، وفى عقائده التى تعبد الناس بها أسرار ولطائف ليست فى سعة العقل وقوته الإحاطة بها ، كما أن فى خواص الأحجار أموراً عجائب غاب عن أهل الصنعة علمها حتى لم يقدر أحد على أن يعرف السبب الذى به يجذب المغناطيس الحديد ؛ فالعجائب والغرائب فى العقائد والأعمال ، وإفادتها لصفاء القلوب ونقائها وطهارتها وتزكيتها وإصلاحها للترقى إلى جوار الله تعالى وتعرضها لنفحات فضله أكثر وأعظم مما فى الأدوية والعقاقير ، وكما أن العقول تقصر عن إدراك منافع الأدوية مع أن التجربة سبيل إليها فالعقول تقصر عن إدراك ما ينفع فى حياة الآخرة مع أن التجربة غير متطرقة إليها ، وإنما كانت التجربة تتطرق إليها لو رجع إلينا بعض الأموات فأخبرنا عن الأعمال المقبولة النافعة المقربة إلى الله تعالى زلفى وعن الأعمال المبعدة عنه ، وكذا عن العقائد ، وذلك مما لايطمع فيه فيكفيك من منفعة العقل أن يهديك إلى صدق النبى صلى الله عليه وسلم ويفهمك موارد إشاراته ، فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلاتسلم إلا به والسلام ؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن من العلم جهلا وإن من القول عيا [2] » ، ومعلوم أن العلم لايكون جهلا ولكنه يؤثر تأثير الجهل فى الإضرار . وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « قليل من التوفيق خير من كثير من العلم [3] » ، وقال عيسى عليه السلام : ماأكثر الشجر وليس كلها بثمر وليس كلها بطيب ، وماأكثر العلوم وليس كلها بنافع !

بيان مابدل من ألفاظ العلوم

اعلم أن منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسامى المحمودة وتبديلها ونقلها بالأغراض

---

(١) حديث « نعوذ بالله من علم لاينفع » أخرجه ابن عبد البر من حديث جابر بسند حسن ، وهو عند ابن ماجه بلفظ « تعوذوا » وقد تقدم . (٢) حديث « إن من العلم جهلا ... الحديث » رواه أبو داود من حديث بريدة وفى إسناده من يجهل . (٣) حديث « قليل من التوفيق خير من كثير من العلم » لم أجد له أصلا ، وقد ذكره صاحب الفردوس من حديث أبى الدرداء ، وقال « العقل بدل العلم » ، ولم يخرجه ولده فى مسنده

الفاسدة إلى معان غير ما أراده السلف الصالح والقرن الأول ، وهى خمسة ألفاظ : الفقه ، والعلم ، والتوحيد ، والتذكير ، والحكمة ؛ فهذه أسام محمودة ، والمتصفون بها أرباب المناصب فى الدين ، ولكنها نقلت الآن إلى معان مذمومة ، فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع إطلاق هذه الأسامى عليهم (اللفظ الأول) الفقه ؛ فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل ؛ إذا خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة فى الفتاوى والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها ؛ فمن كان أشد تعمقا فيها وأكثر اشتغالا بها يقال هو الأفقه ، ولقد كان اسم الفقه فى العصر الأول مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب ؛ ويدلك عليه قوله عزوجل ﴿ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾ وما يحصل به الإنذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق والعتاق واللعان والسلم والإجارة ؛ فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف ، بل التجرد له على الدوام يقسى القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد الآن من المتجردين له . وقال تعالى ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ﴾ وأراد به معانى الإيمان دون الفتاوى ؛ ولعمرى إن الفقه والفهم فى اللغة اسمان بمعنى واحد ، وإنما يتكلم فى عادة الاستعمال به قديما وحديثا . قال تعالى ﴿ لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ﴾ الآية ؛ فأحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه ؛ فانظر إن كان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى ، أو هو نتيجة عدم ماذكرناه من العلوم . وقال صلى الله عليه وسلم « علماء فقهاء [1] » للذين وفدوا عليه . وسئل سعد بن إبراهيم الزهرى رحمه الله أى أهل المدينة أفقه ؟ فقال : أتقاهم لله تعالى ؛ فكأنه أشار إلى ثمرة الفقه ، والتقوى ثمرة العلم الباطنى دون الفتاوى والأقضية . وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه ؟ قالوا بلى ، قال : من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يؤمنهم من مكر الله ، ولم يؤيسهم من روح الله ، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ماسواه [2] » ولما روى أنس بن مالك قوله صلى الله عليه وسلم « لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب [3] » قال : فالتفت إلى زيد الرقاشى وزياد النميرى وقال : لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص احدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سردا ، إنما كنا نقعد فنذكر الإيمان ونتدبر القرآن ونتفقه فى الدين ونعد نعم الله علينا تفقها ، فسمى تدبر القرآن وعد النعم تفقها . قال صلى الله عليه وسلم « لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس فى ذات الله ، وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة [4] » وروى أيضا موقوفا على أبى الدرداء رضى الله عنه مع قوله « ثم يقبل على نفسه فيكون لها أشد مقتا » وقد سأل فرقد السبخى الحسن عن الشىء فأجابه ، فقال : إن الفقهاء يخالفونك ؛ فقال الحسن رحمه الله : ثكلتك أمك فريقد ، وهل رأيت فقيها بعينك ؟ إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا الراغب فى الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف نفسه عن أعراض المسلمين العفيف عن أموالهم الناصح لجماعتهم ؛ ولم يقل فى جميع فى ذلك : الحافظ لفروع الفتاوى ، ولست أقول إن اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى فى الأحكام الظاهرة ، ولكن كان بطريق

---

(١) حديث « علماء حكماء فقهاء » رواه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الزهد ، والخطيب فى التاريخ من حديث سويد بن الحارث بإسناد ضعيف (٢) حديث « ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه ... الحديث » رواه أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق ، وأبو بكر بن السنى وابن عبد البر من حديث على . وقال ابن عبد البر : أكثرهم يوقفونه عن على (٣) حديث أنس « لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوه إلى طلوع الشمس ... الحديث » رواه أبو داود بإسناد حسن .

(٤) حديث « لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس فى ذات الله ... الحديث » أخرجه ابن عبد البر من حديث شداد بن أوس وقال : لا يصح مرفوعا .

العموم والشمول أو بطريق الاستتباع ؛ فكان إطلاقهم له على علم الآخرة أكثر . فبان من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والإعراض عن علم الآخرة وأحكام القلوب ، ووجدوا على ذلك معيناً من الطبع ، فإن علم الباطن غامض والعمل به عسير ، والتوصل به إلى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر ، فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك فى القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذى هو اسم محمود فى الشرع (اللفظ الثانى) العلم : وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى وبآياته وبأفعاله فى عباده وخلقه ، حتى أنه لما مات عمر رضى الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله ، لقد مات تسعة أعشار العلم فعرّفه بالألف واللام ثم فسره العلم بالله سبحانه وتعالى ، وقد تصرفوا فيه أيضاً بالتخصيص حتى شهروه فى الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم فى المسائل الفقهية وغيرها ؛ فيقال : هو العالم على الحقيقة ، وهو الفحل فى العلم ، ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعدّ من حملة الضعفاء ولا يعدونه فى زمرة أهل العلم . وهذا أيضاً تصرف بالتخصيص ، ولكن ما ورد من فضائل العلم والعلماء أكثره فى العلماء بالله تعالى وبأحكامه وبأفعاله وصفاته . وقد صار الآن مطلقاً على من لا يحيط من علوم الشرع بشىء سوى رسوم جدلية فى مسائل خلافية ، فيعدّ بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والأخبار وعلم المذهب وغيره ، وصار ذلك سبباً مهلكا لخلق كثير من أهل الطلب للعلم (اللفظ الثالث) التوحيد . وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والإحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على التشدّق فيها بتكثير الأسئلة وإثارة الشبهات وتأليف الإلزامات ، حتى لقب طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد وسمى المتكلمون العلماء بالتوحيد ، مع أن جميع ما هو خاصة هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شىء فى العصر الأول بل كان يشتدّ منهم النكير على من كان يفتح بابا من الجدل والمماراة ؛ فأما ما يشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التى تسبق الأذهان إلى قبولها فى أول السماع فلقد كان ذلك معلوما للكل ، وكان العلم بالقرآن هو العلم كله ، وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين ، وإن فهموه لم يتصفوا به : وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط ، فلا يرى الخير والشر كله إلا منه جل جلاله ؛ فهذا مقام شريف إحدى ثمراته التوكل كما سيأتى بيانه فى كتاب التوكل . ومن ثمراته أيضاً ترك شكاية الخلق ، وترك الغضب عليهم ، والرضا والتسليم لحكم الله تعالى . وكانت إحدى ثمراته قول أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه لما قيل له فى مرضه أنطلب لك طبيباً فقال : الطبيب أمرضنى ، وقول آخر لما مرض فقيل له ماذا قال لك الطبيب فى مرضك ؟ فقال : قال لى إنى فعال لما أريد .

وسيأتى فى كتاب التوكل وكتاب التوحيد شواهد ذلك . والتوحيد جوهر نفيس وله قشران : أحدهما أبعد عن اللب من الآخر ، فخصص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر وأهملوا اللب بالكلية ؛ فالقشر الأول : هو أن تقول بلسانك لا إله إلا الله ، وهذا يسمى توحيداً مناقضاً للتثليث الذى صرح به النصارى ، ولكنه قد يصدر من المنافق الذى يخالف سره جهره . والقشر الثانى : أن لا يكون فى القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده وكذلك التصديق به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة . والثالث : وهو اللباب ـ أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط ، وأن يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره ، ويخرج عن هذا التوحيد أتباع الهوى ، فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده . قال الله تعالى ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « أبغض إله عبد فى الأرض

عند الله تعالى هو الهوى [١] » وعلى التحقيق من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم وانما يعبد هواه ، إذ نفسه مائلة إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل ، وميل النفس إلى المألوفات أحد المعانى التى يعبر عنها بالهوى ، ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والالتفات إليهم ، فإنّ من يرى الكل من الله عز وجل كيف يتسخط على غيره ، فلقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو مقام الصدّيقين ، فانظر إلى ماذا حول وبأى قشر قنع منه ، وكيف اتخذوا هذا معتصما فى التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الإفلاس عن المعنى الذى يستحق الحمد الحقيقى ، وذلك كإفلاس من يصبح بكرة ويتوجه إلى القبلة ويقول ﴿ وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً ﴾ وهو أول كذب يفاتح الله به كل يوم إن لم يكن وجه قلبه متوجهاً إلى الله تعالى على الخصوص : فإنه إن أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه إلا إلى الكعبة وما صرفه إلا عن سائر الجهات ، والكعبة ليست جهة للذى فطر السموات والأرض . حتى يكون المتوجه اليها متوجهاً إليه ، تعالى عن أن تحده الجهات والأقطار . وإن أراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق فى قوله وقلبه متردّد فى أوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف فى طلب الحيل فى جمع الأموال والجاه واستكثار الأسباب ، ومتوجه بالكلية إليها ، فمتى وجه وجهه للذى فطر السموات والأرض وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد ، فالموحد هو الذى لا يرى إلا الواحد ولا يوجه وجهه إلا إليه ، وهو امتثال قوله تعالى ﴿ قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ﴾ وليس المراد به القول باللسان ، فإنما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب أخرى . وإنما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه هو القلب ، وهو معدن التوحيد ومنبعه (اللفظ الرابع) الذكر والتذكير ، فقد قال الله تعالى ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ وقد ورد فى الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قيل : وما رياض الجنة ؟ قال . مجالس الذكر [٢] » وفى الحديث « إنّ لله تعالى ملائكة سياحين فى الدنيا سوى ملائكة الخلق إذا رأوا مجالس الذكر ينادى بعضهم بعضاً ألا هلموا إلى بغيتكم فيأتونهم ويحفون بهم ويستمعون . ألا فاذكروا الله وذكروا أنفسكم [٣] » فنقل ذلك إلى ما ترى أكثر الوعاظ فى هذا الزمان يواظبون عليه وهو القصص والأشعار والتطع والطامات ، أما القصص فهى بدعة ، وقد ورد نهى السلف عن الجلوس إلى القصاص وقالوا لم يكن ذلك فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤] ولا فى زمن أبى بكر ولا عمر رضى الله عنهما ، حتى ظهرت الفتنة وظهر القصاص وروى أن ابن عمر رضى الله عنهما خرج من المسجد فقال : ما أخرجنى إلا القاص ولولاه لما خرجت . وقال ضمرة : قلت لسفيان الثورى نستقبل القاص بوجوهنا ؟ فقال ولوا البدع ظهوركم ، وقال ابن عون : دخلت على ابن سيرين فقال : ما كان اليوم من خبر ؟ فقلت : نهى الأمير القصاص أن يقصوا . فقال : وفق للصواب . ودخل الأعمش جامع البصرة فرأى قاصاً يقص ويقول : حدثنا الأعمش ، فتوسط الحلقة وجعل ينتف شعر إبطه ، فقال القاص ، ياشيخ ، ألا تستحى ! فقال : لم ؟ أنا فى سنة وأنت فى كذب ، أنا الأعمش وما حدثتك وقال أحمد ، أكثر الناس كذباً القصاص والسؤال . وأخرج على رضى الله عنه القصاص من مسجد جامع البصرة ،

---

(١) حديث « أنفس له عبد فى الأرض عند الله هو الهوى » أخرجه الطبرانى من حديث أبى أمامة بإسناد ضعيف .

(٢) حديث « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أنس وحسنه .

(٣) حديث « إن لله ملائكة سياحين فى الهواء سوى ملائكة الخلق ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة دون قوله فى الهواء والترمذى « سياحين فى الأرض » وقال مسلم سياره .

(٤) حديث : لم تكن القصص فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه ابن ماجه من حديث عمر بإسناد حسن

فلما سمع كلام الحسن البصرى لم يحرجه إذا كان يتكلم فى علم الآخرة والتفكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله ونعمائه وتقصير العبد فى شكره ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها ونكث عهدها وخطر الآخرة وأهوالها ، فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذى روى الحث عليه فى حديث أبى ذر رضى الله عنه حيث قال « حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة . وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض ، وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة ، فقيل : يا رسول الله ، ومن قراءة القرآن ؟ قال : وهل تنفع قراءة القرآن إلا بالعلم [1] » وقال عطاء رحمه الله : مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو ، فقد اتخذ المزخرفون هذه الأحاديث حجة على تزكية أنفسهم ، ونقلوا اسم التذكير إلى خرافاتهم : وذهلوا عن طريق الذكر المحمود ، واشتغلوا بالقصص التى تتطرق إليها الاختلافات والزيادة والنقص وتخرج عن القصص الواردة فى القرآن وتزيد عليها ، فان من القصص ما ينفع سماعه ، ومنها ما يضر وإن كان صدقا . ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار ، فمن هذا نهى عنه ، ولذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله : ما أحوج الناس إلى قاص صادق ، فان كانت القصة من قصص الأنبياء عليهم السلام فيما يتعلق بأمور دينهم وكان القاص صادقا صحيح الرواية فلست أرى بها بأسا ، فليحذر الكذب وحكايات أحوال تومئ إلى هفوات أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتفكيرات متداركة بحسنات تغطى عليها ، فان العامى يعتصم بذلك فى مساهلاته وهفواته ، ويمهد لنفسه عذراً فيه ، ويحتج بأنه حكى كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الأكابر ، فكلنا بصدد المعاصى ، فلا غرو إن عصيت الله تعالى فقد عصاه من هو أكبر منى ، ويفيده ذلك جراءة على الله تعالى من حيث لا يدرى ، فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلا بأس به ، وعند ذلك يرجع إلى القصص المحمودة وإلى ما يشتمل عليه القرآن ، ويصح فى الكتب الصحيحة من الأخبار ، ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة فى الطاعات ويزعم أن قصده فيها دعوة الخلق إلى الحق ، فهذه من نزعات الشيطان ، فإن فى الصدق مندوحة عن الكذب ، وفيما ذكر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم غنية عن الاختراع فى الوعظ ، كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع . قال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه لابنه عمر ـ وقد سمعه يسجع ـ : هذا الذى يبغضك إلى لاقضيت حاجتك أبدا حتى تتوب ـ وقد كان جاءه فى حاجة ـ وقد قال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة فى سجع من ثلاث كلمات « إياك والسجع يا ابن رواحة [2] » فكأن السجع المحذور المتكلف ما زاد على كلمتين : ولذلك لما قال الرجل فى دية الجنين : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح ولا استهل ، ومثل ذلك يطل . فقال النبى صلى الله عليه وسلم « أسجع كسجع الأعراب [3] » وأما الأشعار فتكثيرها فى المواعظ مذموم . قال الله تعالى ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ﴾ وقال تعالى ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغى له ﴾ وأكثر ما اعتاده الوعاظ من الأشعار : ما يتعلق بالتواصف فى العشق وجمال المعشوق وروح الوصال وألم الفراق ، والمجلس لا يحوى إلا أجلاف العوام ، وبواطنهم مشحونة بالشهوات ، وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات إلى الصور المليحة ؛ فلا تحرك الأشعار من قلوبهم إلا ما هو مستكن

---

(١) حديث أبى ذر « حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة » تقدم فى الباب الأول

(٢) حديث « إياك والسجع يا ابن رواحة » لم أجده هكذا ، ولأحمد وأبى يعلى وابن السنى وأبى نعيم فى كتاب الرياضة من حديث عائشة بإسناد صحيح أنها قالت للسائب إياك والسجع فان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا لا يسجعون ولابن حبان واجتنب السجع ، وفى البخارى نحوه من قول ابن عباس (٣) حديث « أسجع كسجع الأعراب » أخرجه مسلم من حديث المغيرة

فيها فتشتعل فيها نيران الشهوات ، فيزعقون ويتواجدون ؛ وأكثر ذلك أو كله يرجع إلى نوع فساد، فلا ينبغى أن يستعمل من الشعر إلا ما فيه موعظة أو حكمة على سبيل استشهاد واستئناس . وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن من الشعر لحكمة [1] » ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله تعالى ولم يكن معهم غيرهم ، فان أولئك لا يضر معهم الشعر الذى يشير ظاهره إلى الخلق ، فإن المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولى على قلبه ، كما سيأتى تحقيق ذلك فى كتاب السماع ، ولذلك كان الجنيد رحمه الله يتكلم على بضعة عشر رجلا ، فإن كثروا لم يتكلم ، وما تم أهل مجلسه قط عشرين وحضر جماعة باب دار ابن سالم ، فقيل له : تكلم فقد حضر أصحابك ، فقال : لا ، ما هؤلاء أصحابى ، إنما هم أصحاب المجلس ، إن أصحابى هم الخواص : وأما الشطح : فنعنى به صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية (أحدهما) الدعاوى الطويلة العريضة فى العشق مع الله تعالى والوصال المغنى عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهى قوم إلى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب ، فيقولون : قيل لنا كذا ، وقلنا كذا ، ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذى صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس ، ويستشهدون بقوله أنا الحق ، وبما حكى عن أبى يزيد البسطامى أنه قال سبحانى سبحانى ، وهذا فن من الكلام عظيم ضرره فى العوام ، حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم وأظهروا مثل هذه الدعاوى ، فإن هذا الكلام يستلذه الطبع إذ فيه البطالة من الأعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والأحوال ، فلا تعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلفف كلمات مخبطة مزخرفة ، ومهما أنكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن أن يقولوا: هذا إنكار مصدره العلم والجدال، والعلم حجاب ، والجدل عمل النفس ، وهذا الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق ، فهذا ومثله مما قد استطار فى البلاد شرره وعظم فى العوام ضرره ، حتى من نطق بشىء منه فقتله أفضل فى دين الله من إحياء عشرة ، وأما أبو يزيد البسطامى رحمه الله فلا يصح عنه ما يحكى وإن سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله عز وجل فى كلام يردده فى نفسه ، كما لو سمع وهو يقول « إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى » فإنه ما كان ينبغى أن يفهم منه ذلك إلا على سبيل الحكاية (الصنف الثانى) من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل ، إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط فى عقله وتشويش فى خياله لقلة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الأكثر . وإما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على ضميره ، لقلة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعانى بالألفاظ الرشيقة ، ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام إلا أنه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الأذهان ، أو يحمل على أن يفهم منها معانى ما أريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه . وقد قال صلى الله عليه وسلم « ما حدث أحدكم قوما بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم [2] » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتريدون أن يكذب الله ورسوله [3] » وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع ، فكيف فيما لا يفهمه قائله . فإن كان يفهمه القائل دون المستمع فلا يحل ذكره . وقال عيسى

---

(١) حديث « ان من الشعر لحكمة » أخرجه البخارى من حديث أبى بن كعب

(٢) حديث « ما حدث أحدكم قوما بحديث لا يفهمونه إلا كان فتنة عليهم » رواه العقيلى فى الضعفاء وابن السنى وأبو نعيم فى الرياء من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف ، ولمسلم فى مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود (٣) حديث « كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون ... الحديث » رواه البخارى موقوفا على على ، ورفعه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبى نعيم

عليه السلام : لاتضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ، كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء فى موضع الداء . وفى لفظ آخر من وضع الحكمة فى غير أهلها فقد جهل ، ومن منعها أهلها فقد ظلم ؛ إن للحكمة حقا وإن لها أهلا ، فأعط كل ذى حق حقه . وأما الطامات فيدخلها ماذكرناه فى الشطح ؛ وأمر آخر يخص بها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لايسبق منها إلى الأفهام فائدة ، كدأب الباطنية فى التأويلات ؛ فهذا أيضا حرام وضرره عظيم ؛ فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ فإن ما يسبق منه إلى الفهم لايوثق به والباطن لاضبط له ، بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى ؛ وهذا أيضا من البدع الشائعة العظيمة الضرر ، وإنما قصد أصحابها الإغراب ؛ لأن النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذة له ؛ وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكيناه من مذاهبهم فى كتاب المستظهر المصنف فى الرد على الباطنية . ومثال تأويل أهل الطامات قول بعضهم فى تأويل قوله تعالى ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى ﴾ أنه إشارة إلى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغى على كل إنسان . وفى قوله تعالى ﴿ وأن ألق عصاك ﴾ أى مايتوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله عز وجل فينبغى أن يلقيه . وفى قوله صلى الله عليه وسلم « تسحروا فإن فى السحور بركة [1] » أراد به الاستغفار فى الأسحار وأمثال ذلك حتى يحرفون القرآن من أوله إلى آخره عن ظاهره ، وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعا ، كتنزيل فرعون على القلب ؛ فإن فرعون شخص محسوس تواتر إلينا النقل بوجوده ودعوة موسى له وكأبى جهل وأبى لهب وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة مما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل إلى ألفاظه ، وكذا حمل السحور على الاستغفار ، فإنه كان صلى الله عليه وسلم يتناول الطعام ويقول : تسحروا [2] ، وهلموا إلى الغذاء المبارك [3] » فهذه أمور يدرك بالتواتر والحس بطلانها نقلا ، وبعضها يعلم بغالب الظن ، وذلك فى أمور لايتعلق بها الإحساس ؛ فكل ذلك حرام وضلالة وإفساد للدين على الخلق ، ولم ينقل شىء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصرى مع إكبابه على دعوة الخلق ووعظهم ، فلا يظهر لقوله صلى الله عليه وسلم « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار [4] » معنى إلا هذا النمط : وهو أن يكون غرضه ورأيه تقرير أمر وتحقيقه ، فيستجر شهادة القرآن إليه ، ويحمله عليه ، من غير أن يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية أو نقلية ، ولا ينبغى أن يفهم منه أنه يجب أن لايفسر القرآن بالاستنباط والفكر ، فإن من الآيات مانقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة . ونعلم أن جميعها غير مسموع من النبى صلى الله عليه وسلم ، فإنها قد تكون متنافية لاتقبل الجمع ، فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنه « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل [5] » .

---

(١) حديث « تسحروا فإن فى السحور بركة » متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث « تناول الطعام فى السحور » رواه البخارى من حديث أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم وزيد بن ثابت تسحرا (٣) حديث « هلموا إلى الغذاء المبارك » رواه أبو داود والنسائى وابن حبان من حديث العرباض بن سارية وضعفه ابن القطان .

(٤) حديث « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » أخرجه الترمذى من حديث ابن عباس وحسنه ، وهو عند أبى داود من رواية ابن العبد ، وعند النسائى فى الكبرى (٥) حديث « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » قاله لابن عباس رواه البخارى من حديث ابن عباس دون قوله « وعلمه التأويل » وهو بهذه الزيادة عند أحمد وابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد

ومن يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مرادة بالألفاظ ويزعم أنه يقصد بها دعوة الخلق إلى الخالق يضاهى من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو فى نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع ، كمن يضع فى كل مسئلة يراها حقا حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم فذلك ظلم وضلال ودخول فى الوعيد المفهوم من قوله صلى الله عليه وسلم « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار [1] » بل الشر فى تأويل هذه الألفاظ أطم وأعظم ، لأنها مبدلة للثقة بالألفاظ ، وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعى الخلق عن العلوم المحمودة إلى المذمومة ، فكل ذلك من تلبيس علماء السوء بتبديل الأسامى فإن اتبعت هؤلاء اعتمادا على الاسم المشهور من غير التفات إلى ما عرف فى العصر الأول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيما ، فإن اسم الحكيم ، صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم فى هذا العصر ، وذلك بالغفلة عن تبديل الألفاظ (اللفظ الخامس) وهو الحكمة ، فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذى يدحرج القرعة على أكف السوادية فى شوارع الطرق . والحكمة هى التى أثنى الله عز وجل عليها فقال تعالى ﴿ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا ومافيها [2] » فانظر ما الذى كانت الحكمة عبارة عنه ، وإلى ماذا نقل ، وقس به بقية الألفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء ، فإن شرهم على الدين أعظم من شر الشياطين ، إذ الشيطان بواسطتهم يتدرج إلى انتزاع الدين من قلوب الخلق ، ولهذا لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق أبى وقال « اللهم اغفر » حتى كرروا عليه فقال « هم علماء السوء [3] » فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس وإليك الخيرة فى أن تنظر لنفسك فتقتدى بالسلف . أو تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف ، فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس ، وما أكب الناس عليه فأكثره مبتدع ومحدث ، وقد صح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء » فقيل : ومن الغرباء ؟ قال « الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتى والذين يحيون ما أماتوه من سنتى [4] » وفى آخر « هم المتمسكون بما أنتم عليه اليوم [5] » وفى حديث آخر « الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير ، من يبغضهم فى الخلق أكثر ممن يحبهم [6] » وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ، ولذلك قال الثورى رحمه الله : إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه مخلط ، لأنه إن نطق بالحق أبغضوه .

بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة

اعلم أن العلم بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام : قسم هو مذموم قليله وكثيره وقسم هو محمود قليله وكثيره ، وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه ، وهو مثل

---

(١) حديث « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » متفق عليه من حديث أبى هريرة وعلى وأنس .

(٢) حديث « كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا » تقدم بنحوه (٣) حديث لما سئل عن شر الخلق أبى وقال « اللهم اغفر » الحديث . رواه الدارمى بنحوه من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا وهو ضعيف ، ورواه البزار فى مسنده من حديث معاذ بسند ضعيف .

(٤) حديث « بدأ الإسلام غريباً .. الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة مختصراً ، وهو بتمامه عند الترمذى من حديث عمرو بن عوف وحسنه (٥) حديث « هم المتمسكون بما أنتم عليه اليوم » يقوله فى وصف الغرباء ، لم ار له أصلا .

(٦) حديث « الغرباء ناس قليلون صالحون » أخرجه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو .

أحوال البدن ، فان منها ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ، ومنها مايذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ، ومنها مايحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فانّ التبذير لايحمد فيه وهو بذل ، وكالشجاعة فان التهور لايحمد فيها ، وإن كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم . فالقسم المذموم منه قليله وكثيره هو مالا فائدة فيه فى دين ولا دنيا ، إذ فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم ، فبعضه لافائدة فيه أصلا، وصرف العمر الذى هو أنفس مايملكه الإنسان إليه إضاعة ، وإضاعة النفيس مذمومة . ومنه مافيه ضرر يزيد على ما يظن أنه يحصل به من قضاء وطر فى الدنيا ، فانّ ذلك لايعتدّ به بالإضافة إلى الضرر الحاصل عنه . وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله ،وسنته فى خلقه. وحكمته فى ترتيب الآخرة على الدنيا ، فان هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به إلى سعادة الآخرة ، وبذل المقدور فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب ، فانه البحر الذى لا يدرك غوره وإنما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر مايسر لهم ، وما خاض أغمارافه إلا الأنبياء والأولياء والراسخون فى العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله تعالى فى حقهم ، وهذا هو العلم المكنون الذى لا يسطر فى الكتب، ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة أحوال علماء الآخرة ، كما سيأتى علامتهم ، هذا فى أول الأمر ويعين عليه فى الآخرة المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا والتشبه فيها بالأنبياء والأولياء، ليتضح منه لكل ساع إلى طلبه بقدر الرزق لابقدر الجهد ولكن لاغنى فيه عن الاجتهاد ، فالمجاهدة مفتاح الهداية لامفتاح لها سواها وأما العلوم التى لا يحمد منها إلا مقدار مخصوص فهى العلوم التى أوردناها فى فروض الكفايات ، فإن فى كل علم منها اقتصاراً وهو الأقل ، واقتصاداً وهو الوسط ، واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لامرد له إلى آخر العمر ، فكن أحد رجلين : إما مشغولا بنفسك ، وإما متفرغا لغيرك بعد الفراغ من نفسك ، وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك ، فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذى هو فرض عليك بحسب مايقتضيه حالك ، وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم ، وإنما الأهم الذى أهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم ، إذ لاينفك بشر عن الصفات المذمومة مثل الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها وجميع ذلك مهلكات، وإهمالها من الواجبات ، مع أن الاشتغال بالأعمال الظاهرة يضاهى الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذى بالجرب والدماميل والتهاون بإخراج المادة بالفصد والإسهال ،وحشوية العلماء يشيرون بالأعمال الظاهرة كما يشير الطرقية من الأطباء بطلاء ظاهر البدن ، وعلماء الآخرة لايشيرون إلا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بإفساد منابتها وقلع مغارسها من القلب ، وإنما فزع الأكثرون إلى الأعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة أعمال الجوارح واستصعاب أعمال القلوب ، كما يفزع إلى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الأدوية المرة، فلا يزال يتعب فى الطلاء ويزيد فى المواد وتتضاعف به الأمراض ، فان كنت مريداً للآخرة وطالباً للنجاة وهارباً من الهلاك الأبدى فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه فى ربع المهلكات ، ثم ينجز بك ذلك إلى المقامات المحمودة المذكورة فى ربع المنجيات لامحالة ، فان القلب إذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود؛ والأرض إذا نقيت من الحشيش نبت فيها أصناف الزرع والرياحين ، وإن لم تفرغ من ذلك لم تنبت ذاك ، فلا تشتغل بفروض الكفاية لاسيما وفى زمرة الخلق من قد قام بها فان مهلك نفسه فيما به صلاح غيره سفيه ، فما أشد حماقة من دخلت الأفاعى والعقارب تحت ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مدبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لايغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب إذا همت به . وإن تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الإثم وباطنه وصار ذلك ديدنا

لك وعادة متيسرة فيك ـ وما أبعد ذلك منك ـ فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدريج فيها ؛ فابتدئ ، بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك فى السنة ، ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ، ثم بأصول الفقه ؛ وهكذا إلى بقية العلوم على مايتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ؛ ولاتستغرق عمرك فى فن واحد منها طلباً للاستقصاء ؛ فان العلم كثير والعمر قصير ، وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها ، وكل مايطلب لغيره فلا ينبغى أن ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه ؛ فاقتصر من شائع علم اللغة على ماتفهم منه كلام العرب وتنطق به ، ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه ، واقتصر من النحو على مايتعلق بالكتاب والسنة فما من علم إلا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء . ونحن نشير إليها فى الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها ، فالاقتصار فى التفسير ما يبلغ ضعف القرآن فى المقدار كما صنفه على الواحدى النيسابورى وهو الوجيز ؛ والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة أضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط فيه وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه فلا مرد له إلى انتهاء العمر . وأما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل مافى الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث . وأما حفظ أسامى الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ؛ ولك أن تعول على كتبهم ، وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله تحصيلا تقدر منه على طلب ماتحتاج إليه عند الحاجة ؛ وأما الاقتصاد فيه فأن تضيف إليهما ماخرج عنهما بما ورد فى المسندات الصحيحة . وأما الاستقصاء فما وراء ذلك إلى استيعاب كل مانقل من الضعيف والقوى والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة فى النقل ومعرفة أحوال الرجال وأسمائهم وأوصافهم . وأما الفقه فالاقتصار فيه على مايحويه مختصر المزنى رحمه الله وهو الذى رتبناه فى خلاصة المختصر ، والاقتصاد فيه مايبلغ ثلاثة أمثاله وهو القدر الذى أوردناه فى الوسيط من المذهب ، والاستقصاء ماأوردناه فى البسيط إلى ما وراء ذلك من المطولات . وأما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التى نقلها أهل السنة من السلف الصالح لاغير ؛ وما وراء ذلك طلب لكشف حقائق الأمور من غير طريقتها ، ومقصود حفظ السنة تحصيل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر ؛ وهو القدر الذى أوردناه فى كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب ، والاقتصاد فيه مايبلغ قدر مائة ورقة وهو الذى أوردناه فى كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد ، ويحتاج إليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامى ، وذلك لاينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم ، وأما المبتدع بعد أن يعلم من الجدل ولو شيئا يسيرا فقلما ينفع معه الكلام ؛ فإنك إن ألجمته لم يترك مذهبه وأحال بالقصور على نفسه وقدر أن عند غيره جوابا ما وهو عاجز عنه ، وإنما أنت ملبس عليه بقوة المجادلة . وأما العامى إذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن أن يرد إليه بمثله قبل أن يشتد التعصب للأهواء ؛ فإذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم ؛ إذ التعصب سبب يرسخ العقائد فى النفوس وهو من آفات علماء السوء ؛ فإنهم يبالغون فى التعصب للحق وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار ، فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة ، وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ، ويقوى غرضهم فى التمسك بما نسبوا إليه ، ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح فى الخلوة ـ لافى معرض التعصب والتحقير ـ لانجحوا فيه ، ولكن لما كان الجاه لايقوم إلا بالاستتباع ولايستميل الأتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم ، اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم ، وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن المسلمين ، وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة

فى النفوس . وأما الخلافيات التى أحدثت فى هذه الأعصار المتأخرة وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات مالم يعهد مثلها فى السلف فإياك وأن تحوم حولها ، واجتنبها اجتناب السم القاتل فإنها الداء العضال وهو الذى رد الفقهاء كلهم إلى طلب المنافسة والمباهاة على ما سيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتها . وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال : الناس أعداء ما جهلوا فلا تظن ذلك ، وعلى الخبير سقطت . فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زمانا ، وزاد فيه على الأولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ، ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه : فلا يغرنك قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا يعرف علله إلا بعلم الخلاف ، فإن علل المذهب مذكورة فى المذهب ، والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الأولون ولا الصحابة وكانوا أعلم بعلل الفتاوى من غيرهم ، بل هى مع أنها غير مفيدة فى علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه ، فإن الذى يشهد له حدس المفتى إذا صح ذوقه فى الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل فى أكثر الأمر ، فمن ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الإذعان لذوق الفقه ، وإنما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بأنه يطلب علل المذهب ، وقد ينقضى عليه العمر ولا تنصرف همته إلى علم المذهب ، فكن من شياطين الجن فى أمان ، واحترز من شياطين الإنس فإنهم أراحوا شياطين الجن من التعب فى الإغواء والإضلال ، وبالجملة فالمرضى عند العقلاء أن تقدر نفسك فى العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار ، وتأمل فيما يعنيك مما بين يديك ، ودع عنك ماسواه والسلام . وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء فى المنام فقال له : ما خبر تلك العلوم التى كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يده ونفخ فيها وقال : طاحت كلها هباء منثورا وما انتفعت إلا بركعتين خلصتا لى فى جوف الليل . وفى الحديث « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل [1] » ثم قرأ ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون ﴾ وفى الحديث فى معنى قوله تعالى ﴿فأما الذين فى قلوبهم زيغ﴾ الآية : « هم أهل الجدل الذين عناهم الله بقوله تعالى : فاحذرهم [2] » وقال بعض السلف : يكون فى آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل ويفتح لهم باب الجدل . وفى بعض الأخبار إنكم فى زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتى قوم يلهمون الجدل [3] وفى الخبر المشهور « ابغض الخلق إلى الله تعالى الألد الخصم [4] » وفى الخبر « ما أتى قوم المنطق إلا منعوا العمل » [5] والله أعلم .

الباب الرابع

فى سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط إباحتها

اعلم أن الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاها الخلفاء الراشدون المهديون وكانوا أئمة علماء بالله تعالى فقهاء فى أحكامه وكانوا مستقلين بالفتاوى فى الأقضية ، فكانوا لا يستعينون بالفقهاء إلا نادرا فى وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة ، فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها ، وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا ، وأقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم ، فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام تولوها

---

(١) حديث « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » رواه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى أمامة . قال الترمذى : حسن صحيح

(٢) حديث « هم أهل الجدل الذين عنى الله بقوله فاحذرهم » متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث « إنكم فى زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتى قوم يلهمون الجدل » لم أجده (٤) حديث « أبغض الخلق إلى الله الألد الخصم » متفق عليه من حديث عائشة (٥) حديث « ما أوتى قوم المنطق إلا منعوا العمل » لم أجد له أصلا .

بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام ، اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء وإلى استصحابهم فى جميع أحوالهم لاستفتائهم فى مجارى أحكامهم ، وكان قد بقى من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأول وملازم صفو المدين ومواطب على سمت علماء السلف ، فكانوا إذا طلبوا هربوا وأعرضوا ؛ فاضطر الخلفاء إلى الإلحاح فى طلبهم لتولية القضاء والحكومات ، فرأى أهل تلك الأعصار عز العلماء وإقبال الأئمة والولاة عليهم مع إعراضهم عنهم ، فاشرأبوا لطلب العلم توصلا إلى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة ؛ فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولاة ، وتعرفوا إليهم ، وطلبوا الولايات والصلات منهم ، فمنهم من حرم ومنهم من أنجح ، والمنجح لم يخل من ذل الطلب ومهانة الابتذال ، فأصبح الفقهاء - بعد أن كانوا مطلوبين - طالبين ، وبعد أن كانوا أعزة بالإعراض عن السلاطين أذلة بالإقبال عليهم ، إلا من وفقه الله تعالى فى كل عصر من علماء دين الله ، وقد كان أكثر الإقبال فى تلك الأعصار على علم الفتاوى والأقضية لشدة الحاجة إليها فى الولايات والحكومات ، ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من يسمع مقالات الناس فى قواعد العقائد ومالت نفسه إلى سماع الحجج فيها : فعلمت رغبته إلى المناظرة والمجادلة فى الكلام فأكب الناس على علم الكلام وأكثروا فيه التصانيف ، ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات فى المقالات ، وزعموا أن غرضهم الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع المبتدعة ، كما زعم من قبلهم أن غرضهم بالاشتغال بالفتاوى الدين وتقلد أحكام المسلمين ، إشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم . ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض فى الكلام وفتح باب المناظرة فيه . لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية المفضية إلى إهراق الدماء وتخريب البلاد ، ومالت نفسه إلى المناظرة فى الفقه وبيان الأولى من مذهب الشافعى وأبى حنيفة رضى الله عنهما على الخصوص ، فترك الناس الكلام وفنون العلم وانثالوا على المسائل الخلافية بين الشافعى وأبى حنيفة على الخصوص ، وتساهلوا فى الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم ، وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد أصول الفتاوى ، وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها أنواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون عليه إلى الآن ، ولسنا ندرى ما الذى يحدث الله فيما بعدنا من الأعصار ؟ فهذا هو الباعث على الإكباب على الخلافيات والمناظرات لا غير ولو مالت نفوس أرباب الدنيا إلى الخلاف مع إمام آخر من الأئمة أو إلى علم آخر من العلوم لمالوا أيضاً معهم ، ولم يسكنوا عن التعلل بأن ما اشتغلوا به هو علم الدين وأن لا مطلب لهم سوى التقرب إلى رب العالمين

بيان التلبيس فى تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف

أعلم أن هؤلاء قد يستدرجون الناس إلى ذلك بأن غرضنا من المناظرات المباحثة عن الحق ليتضح ، فإن الحق مطلوب والتعاون على النظر فى العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر ، هكذا كان عادة الصحابة رضى الله عنهم فى مشاوراتهم كتشاورهم فى مسألة الجد والأخوة وحد شرب الخمر ووجوب الغرم على الإمام إذا أخطأ ، كما نقل من إجهاض المرأة جنينها خوفا من عمر رضى الله عنه ؛ وكما نقل من مسائل الفرائض وغيرها وما نقل عن الشافعى وأحمد ومحمد بن الحسن ومالك وأبى يوسف وغيرهم من العلماء رحمهم الله تعالى . ويطلعك على هذا التلبيس ما أذكره وهو أن التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات ثمان ، الأول : أن لا يشتغل به وهو من

فروض الكفايات، من لم يتفرغ من فروض الأعيان ، ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم أن مقصده الحق فهو كذاب . ومثاله من يترك الصلاة فى نفسه ويتجرد فى تحصيل الثياب ونسجها ويقول عرضى أستر عورة من يصلى عرياناً ولا يجد ثوباً ؛ فإن ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه أن وقوع النوادر التى عنها البحث فى الخلاف ممكن . والمشتغلون بالمناظرة مهملون لأمور هى فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه رد وديعة فى الحال فقام وأحرم بالصلاة التى هى أقرب القربات إلى الله تعالى عصى به ، فلا يكفى فى كون الشخص مطيعاً كون فعله من جنس الطاعات مالم يراع فيه الوقت والشروط والترتيب . الثانى : أن لا يرى فرض كفاية أهم من المناظرة فإن رأى ما هو أهم وفعل غيره عصى بفعله وكان مثاله مثال من يرى جماعة من العطاش أشرفوا على الهلاك وقد أهملهم الناس وهو قادر على إحيائهم بأن يسقيهم الماء فاشتغل بتعلم الحجامة ، وزعم أنه من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها لهلك الناس وإذا قيل له فى البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول هذا لايخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية . فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطاش من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفى البلد فروض كفايات مهملة لا قائم بها فأما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بلد من جملة الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء إليها وأقربها الطب ؛ إذ لايوجد فى أكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول فيه على قول الطبيب شرعا ولا يرغب أحد من الفقهاء فى الاشتغال به ، وكذا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهو من فروض الكفايات وربما يكون المناظر فى مجلس مناظرته مشاهداً للحرير ملبوساً ومفروشاً وهو ساكت ويناظر فى مسألة لايتفق وقوعها قط وإن وقعت قام بها جماعة من الفقهاء ، ثم يزعم أنه يريد أن يتقرب إلى الله تعالى بفروض الكفايات . وقد روى أنس رضى الله عنه أنه « قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ فقال عليه السلام : إذا ظهرت المداهنة فى خياركم والفاحشة فى شراركم وتحول الملك فى صغاركم والفقه فى أراذلكم [1] » الثالث : أن يكون المناظر مجتهداً يفتى برأيه لا بمذهب الشافعى وأبى حنيفة وغيرهما حتى إذا ظهر له الحق من مذهب أبى حنيفة ترك مايوافق رأى الشافعى وأفتى بما ظهر له كما كان يفعله الصحابة رضى الله عنهم والأئمة . فأما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم كل أهل العصر وإنما يفتى فيما يسأل عنه ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يحزله أن يتركه ، فأى فائدة له فى المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره ؟ وما يشكل عليه يلزمه أن يقول : لعل عند صاحب مذهبى جواباً عن هذا فإنى لست مستقلا بالاجتهاد فى أصل الشرع : ولو كانت مباحثته عن المسائل التى فيها وجهان أو قولان لصاحبه لكان أشبه ، فإنه ربما يفتى بأحدهما فيستفيد من البحث ميلا إلى أحد الجانبين ولا يرى المناظرات جارية فيها قط ، بل ربما ترك المسألة التى فيها وجهان أو قولان وطلب مسألة يكون الخلاف فيها مبتوتا . الرابع : أن لايناظر إلا فى مسألة واقعة أو قريبة الوقوع غالباً فإن الصحابة رضى الله عنهم ماتشاوروا إلا فيما تجدد من الوقائع أو مايغلب وقوعه كالفرائض ، ولا نرى المناظرين يهتمون بانتقاد المسائل التى تعم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التى تسمع فيتسع مجال الجدل فيها كيفما كان الأمر ،

الباب الرابع

(١) حديث أنس «قيل يارسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . . الحديث» أخرجه ابن ماجه بإسناد حسن .

وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسألة خبرية أو هى من الزوايا وليست من الطبوليات ، فمن العجائب أن يكون المطلب هو الحق ثم يتركون المسألة لأنها خبرية ومدرك الحق فيها هو الإخبار ! أو لأنها لأنها ليست من الطبول فلا نطول فيها الكلام . والمقصود فى الحق أن يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا أن يطول . الخامس : أن تكون المناظرة فى الخلوة أحب إليه وأهم من المحافل وبين أظهر الأكابر والسلاطين فإن الخلوة أجمع للفهم وأحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق ، وفى حضور الجمع مايحرك دواعى الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقاكان أو مبطلا ، وأنت تعلم أن حرصهم على المحافل والمجامع ليس لله وأن الواحد منهم يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب وإذا ظهر مقدم أو انتظم مجمع لم يغادر فى قوس الاحتيال منزعا حتى يكون هو المتخصص بالكلام . السادس : أن يكون فى طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه ويرى رفيقه معينا لاخصما ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق ، كما لو أخذ طريقاً فى طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته فى طريق آخر فإنه كان يشكره ولا يذمه ويكرمه ويفرح به ؛ فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضى الله عنهم حتى أن امرأة ردت على عمر رضى الله عنه ونبهته على الحق وهو فى خطبته على ملإ من الناس فقال : أصابت امرأة وأخطأ رجل . وسأل رجل عليا رضى الله عنه فأجابه فقال : ليس كذلك ياأمير المؤمنين ولكن كذا كذا فقال : أصبت وأخطأت وفوق كل ذى علم عليم . واستدرك ابن مسعود على أبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما فقال أبو موسى ؛ لاتسألونى عن شىء وهذا الحبر بين أظهركم . وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل فى سبيل الله فقتل فقال : هو فى الجنة . وكان أمير الكوفة فقام ابن مسعود فقال : أعده على الأمير فلعله لم يفهم ؟ فأعادوا عليه فأعاد الجواب فقال ابن مسعود . وأنا أقول إن قتل فأصاب الحق فهو فى الجنة . فقال أبو موسى : الحق ما قال . وهكذا يكون إنصاف طالب الحق ؟ ولو ذكر مثل هذا الآن لأقل فقيه لأنكره واستبعده وقال : لايحتاج إلى أن يقال أصاب الحق فإن ذلك معلوم لكل أحد . فانظر إلى مناظرى زمانك اليوم كيف يسود وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجهد فى مجاحدته بأقصى قدرته وكيف يذم من ألجمه طول عمره ثم لايستحى من تشبيه نفسه بالصحابة رضى الله عنهم فى تعاونهم على النظر فى الحق ؟ السابع : أن لا يمنع معينه فى النظر من الانتقال من دليل إلى دليل ومن إشكال إلى إشكال ، فهكذا كانت مناظرات السلف : ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل المبتدعة فيماله وعليه كقوله : هذا لايلزمنى ذكره ، وهذا يناقض كلامك الأول فلا يقبل منك : فإن الرجوع إلى الحق مناقض للباطل ويجب قبوله . وأنت ترى أن جميع المجالس تنقضى فى المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل على أصل بعلة يظنها فيقال له : ما الدليل على أن الحكم فى الأصل معلل بهذه العلة ؟ فيقول : هذا ما ظهر لى ؛ فإن ظهر لك ماهو أوضح منه وأولى فاذكره حتى أنظر فيه . فيصر المعترض ويقول فيه معان سوى ماذكرته وقد عرفتها ولاأذكرها إذ لايلزمنى ذكرها ، ويقول المستدل عليك إيراد ماتدعيه وراء هذا ويصر المعترض على أنه لايلزمه ويتوخى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وأمثاله ولا يعرف هذا المسكين أن قوله : إنى أعرفه ولا أذكره إذ لايلزمنى ، كذب على الشرع : فإنه إن كان لايعرف معناه وإنما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصى الله تعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها وإن كان صادقا فقد فسق بإخفائه ماعرفه من أمر الشرع . وقد سأله أخوه المسلم ليفهمه وينظر فيه فإن كان قويا رجع إليه وإن كان ضعيفاً أظهر له ضعفه وأخرجه عن ظلمة الجهل إلى نور العلم . ولا خلاف أن إظهار

ماعلم من علوم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم فمعنى قوله : لا يلزمنى ؛ أى فى شرع الجدل الذى أبدعناه بحكم التشهى والرغبة فى طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لايلزمنى وإلا فهو لازم بالشرع ، فإنه بامتناعه عن الذكر إما كاذب وإما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رضى الله عنهم هل سمعت فيها ما يضاهى هذا الجنس وهل منع أحد من الانتقال من دليل إلى دليل ومن قياس إلى أثر ومن خبر إلى آية ؟ بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس إذ كانوا يذكرون كل مايخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه . الثامن : أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم . والغالب أنهم يحترزون من مناظرة الفحول والأكابر خوفا من ظهور الحق على ألسنتهم فيرغبون فيمن دونهم طمعاً فى ترويج الباطل عليهم ووراء هذه شروط دقيقة كثيرة ولكن فى هذه الشروط الثمانية مايهديك إلى من يناظر لله ومن يناظر لعلة . واعلم بالجملة أن من لايناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو أعدى عدو له ولا يزال يدعوه إلى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره فى المسائل التى المجتهد فيها مصيب أو مساهم للمصيب فى الأجر فهو ضحكة الشيطان وعبرة للمخلصين ولذلك شمت الشيطان به لما غمسه فيه من ظلمات الآفات التى نعددها ونذكر تفاصيلها ؛ فنسأل الله حسن العون والتوفيق .

بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق

اعلم وتحقق أن المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والإفحام وإظهار الفضل والشرف والتشدق عند الناس وقصد المباهاة والمماراة واستمالة وجوه الناس هى منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله المحمودة عند عدو الله إبليس . ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة . وكما أن الذى خير بين الشرب والفواحش وسائر الفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه فدعاه ذلك إلى ارتكاب بقية الفواحش فى سكره فكذلك من غلب عليه حب الإفحام والغلبة فى المناظرة وطلب الجاه والمباهاة دعاه ذلك إلى إضمار الخبائث كلها فى النفس وهيج فيه جميع الأخلاق المذمومة . وهذه الأخلاق ستأتى أدلة مذمتها من الأخبار والآيات فى ربع المهلكات . ولكنا نشير الآن إلى مجامع ما تهيجه المناظرة فمنها الحسد ؛ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب[1] » ولا ينفك المناظر عن الحسد فانه تارة يغلب وتارة يغلب وتارة يحمد كلامه وأخرى يحمد كلام غيره . فما دام يبقى فى الدنيا واحد يذكره بقوة العلم والنظر أو يظن أنه أحسن منه كلاماً وأقوى نظراً فلا بد أن يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف القلوب والوجوه عنه إليه . والحسد نار محرقة فمن بلى به فهو فى العذاب فى الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأعظم ؛ ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما : خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض فإنهم يتغايرون كما تتغاير التيوس فى الزريبة . ومنها التكبر والترفع على الناس فقد قال صلى الله عليه وسلم « من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله[2] » وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى « العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما قصمته[3] » ولا ينفك المناظر عن التكبر على

---

(١) حديث « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » أخرجه أبو داود من حديث أبى هريرة ، وقال البخارى : لايصح . وهو عند ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف ، وفى تاريخ بغداد بإسناد حسن

(٢) حديث « من تكبر وضعه الله ... الحديث » أخرجه الخطيب من حديث عمر بإسناد صحيح وقال : غريب من حديث الثورى » ولابن ماجه نحوه من حديث أبى سعيد بسند حسن (٣) حديث « الكبرياء ردائى والعظمة إزارى ... الحديث » أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة وهو عند مسلم بلفظ « الكبرياء رداؤه » من حديث أبى هريرة وأبى سعيد .

الأقران والأمثال والترفع إلى فوق قدره حتى إنهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه فى الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدر والبعد منها والتقدم فى الدخول عند مضايق الطرق ، وربما يتعلل الغنى والمكار الخداع منهم بأنه يبغى صيانة عز العلم ، « وأن المؤمن منهى عن الإذلال لنفسه[1] » فتعبر عن التواضع الذى أثنى الله عليه وسائر أنبيائه بالذل وعن التكبر الممقوت عند الله بعز الدين تحريفاً للاسم وإضلالا للخلق به كما فعل فى اسم الحكمة والعلم وغيرهما . ومنها الحقد فلا يكاد المناظر يخلو عنه . وقد قال صلى الله عليه وسلم « المؤمن ليس بحقود[2] » ، وورد فى ذم الحقد مالا يخفى . ولا ترى مناظراً يقدر على أن لا يضمر حقداً على من يحرك رأسه من كلام خصمه ويتوقف فى كلامه فلا يقابله بحسن الإصغاء بل يضطر إذا شاهد ذلك إلى إضمار الحقد وتربيته فى نفسه وغاية تماسكه الإخفاء بالنفاق ويترشح منه إلى الظاهر لا محالة فى غالب الأمر . وكيف ينمك عن هذا ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع أحواله فى إيراده وإصداره ؟ بل لو صدر من خصمه أدنى سبب فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس فى صدره حقد لايقلعه مدى الدهر إلى آخر العمر . ومنها الغيبة وقد شبهها الله بأكل الميتة ولا يزال المناظر مثابراً على أكل الميتة فانه لاينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته ، وغاية تحفظه أن يصدق فيما يحكيه عليه ولا يكذب فى الحكاية عنه فيحكى عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو الغيبة ، فأما الكذب فبهتان وكذلك لايقدر على أن يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض عن كلامه ويصغى إلى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه إلى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة . ومنها تزكية النفس ، قال الله سبحانه وتعالى ﴿ فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴾ وقيل لحكيم : ما الصدق القبيح ؟ فقال : ثناء المرء على نفسه . ولا يخلو المناظر من الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم على الأقران ولا ينفك فى أثناء المناظرة عن قوله : لست ممن يخفى عليه أمثال هذه الأمور وأنا المتفنن فى العلوم والمستقل بالأصول وحفظ الأحاديث وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة إلى ترويج كلامه . ومعلوم أن الصلف والتمدح مذمومان شرعا وعقلا ومنها التجسس وتتبع عورات الناس ، وقد قال تعالى ﴿ ولا تجسسوا ﴾ والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه وتتبع عورات خصومه حتى إنه ليخبر بورود مناظر إلى بلده فيطلب من يخبر بواطن أحواله ويستخرج بالسؤال متابجه حتى يعدها ذخيرة لنفسه فى إفضاحه وتخجيله إذا مست اليه حاجة حتى إنه ليستكشف عن أحوال صباه وعن عيوب بدنه فعساه يعثر على هفوة أو على عيب به من قرع أو غيره ، ثم إذا أحس بأدنى غلبة من جهته عرض به إن كان متماسكا ويستحسن ذلك منه ويعد من لطائف التسبب ولا يمتنع عن الإفصاح به إن كان متبجحا بالسفاهة والاستهزاء ، كما حكى عن قوم من أكابر المناظرين المعدودين من فحولهم . ومنها الفرح لمساءة الناس والغم لمسارهم ومن لايحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد من أخلاق المؤمنين ، فكل من طلب المباهاة بإظهار الفضل يسره لا محالة ما يسوء أقرانه وأشكاله الذين يسامونه فى الفضل ويكون التباغض بينهم كما بين الضرائر فكما أن إحدى الضرائر إذا رأت صاحبتها من بعيد ارتعدت فرائصها واصفر لونها فكذا ترى المناظر إذا رأى مناظراً تغير لونه واضطرب عليه فكره فكأنه يشاهد شيطانا ماردا أو سبعاً ضارياً ، فأين الاستئناس والاسترواح الذى كان يجرى بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من المؤاخاة والتناصر والتساهم فى السراء

(١) حديث « نهى المؤمن عن إذلال نفسه » أخرجه الترمذى وصححه وابن ماجه من حديث حذيفة « لاينبغى للمؤمن أن يذل نفسه » (٢) حديث « المؤمن ليس بحقود » لم أقف له على أصل .

والضراء حتى قال الشافعى رضى الله عنه : العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل ؟ فلا أدرى كيف يدعى الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة ! فهل يتصور أن ينسب الأنس بينهم مع طلب الغلبة والمباهاة هيهات هيهات وناهيك بالشر شرا أن يلزمك أخلاق المنافقين ويبرئك عن أخلاق المؤمنين والمتقين . ومنها النفاق فلا يحتاج إلى ذكر الشواهد فى ذمه وهم مضطرون إليه فإنهم يلقون الخصوم ومحبيهم وأشياعهم ولا يجدون بدّا من التودد إليهم باللسان وإظهار الشوق والاعتداد بمكانهم وأحوالهم ، ويعلم ذلك المخاطب والمخاطب وكل من يسمع منهم أن ذلك كذب وزور ونفاق وفجور فإنهم متوددون بالألسنة متباغضون بالقلوب نعوذ بالله العظيم منه ؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا فى الأرحام لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم[1] » رواه الحسن وقد صح ذلك بمشاهدة هذه الحالة . ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على المماراة فيه حتى إن أبغض شىء إلى المناظر أن يظهر على لسان خصمه الحق ومنهما ظهر تشمر لجحده وإنكاره بأقصى جهده وبذل غاية إمكانه فى المخادعة والمكر والحيلة لدفعه حتى تصير المماراة فيه عادة طبيعية فلا يسمع كلاما إلا وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه فى أدلة القرآن وألفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض ، والمراء فى مقابلة الباطل محذور إذ ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ترك المراء بالحق على الباطل . قال صلى الله عليه وسلم « من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا فى ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا فى أعلى الجنة[2] » وقد سوّى الله تعالى بين من افترى على الله كذبا وبين من كذب بالحق فقال تعالى ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه ﴾ وقال تعالى ﴿ فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه ﴾ ومنها الرياء وملاحظة الخلق والجهد فى استمالة قلوبهم وصرف وجوههم . والرياء هو الداء العضال الذى يدعو إلى أكبر الكبائر - كما سيأتى فى كتاب الرياء - والمناظر لا يقصد إلا الظهور عند الخلق وانطلاق ألسنتهم بالثناء عليه ؛ فهذه عشر خصال من أمهات الفواحش الباطنة سوى ما يتفق لغير المتماسكين منهم من الخصام المؤدى إلى الضرب واللكم واللطم وتمزيق الثياب والأخذ باللحى وسب الوالدين وشتم الأستاذين والقذف الصريح فإن أولئك ليسوا معدودين فى زمرة الناس المعتبرين وإنما الأكابر والعقلاء منهم هم الذين لا ينفكون عن هذه الخصال العشر ، نعم قد يسلم بعضهم من بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه أو ظاهر الارتفاع عليه أو هو بعيد عن بلده وأسباب معيشته ، ولا ينفك أحد منهم عنه مع أشكاله المقارنين له فى الدرجة . ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الخصال العشر عشر أخرى من الرذائل لم نطول بذكرها وتفصيل آحادها مثل : الأنفة ، والغضب ، والبغضاء ، والطمع ، وحب طلب المال ، والجاه للتمكن من الغلبة ، والمباهاة ، والأشر ، والبطر ، وتعظيم الأغنياء والسلاطين والتردد إليهم والأخذ من حرامهم ، والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المحظورة ، والاستحقار للناس بالفخر والخيلاء ، والخوض فيما لا يعنى ، وكثرة الكلام ، وخروج الخشية والخوف والرحمة من القلب ، واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدرى المصلى منهم فى صلاته ما صلى وما الذى يقرأ ومن الذى يناجيه ؟ ولا يحس بالخشوع من قلبه مع استغراق العمر فى العلوم التى تعين فى المناظرة مع أنها لا تنفع فى الآخرة : من تحسين العبارة وتسجيع اللفظ

---

(١) حديث « إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب ... الحديث » أخرجه الطبرانى من حديث سلمان بإسناد ضعيف (٢) حديث « من ترك المراء وهو مبطل ... الحديث » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أنس مع اختلاف . قال الترمذى : حسن .

وحفظ النوادر إلى غير ذلك من أمور لاتحصى . والمناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولاينفك أعظمهم ديناً وأكثرهم عقلا عن جمل من مواد هذه الأخلاق وإنما غايته إخفاؤها ومجاهدة النفس بها . واعلم أن هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ أيضاً إذا كان قصده طلب القبول وإقامة الجاه ونيل الثروة والعزة وهى لازمة أيضاً للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى إذا كان قصده طلب القضاء وولاية الأوقاف والتقدم على الأقران . وبالجملة هى لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الله تعالى فى الآخرة فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الأبد أو يحييه حياة الأبد ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه » فلقد ضره مع أنه لم ينفعه ؛ وليته نجا منه رأسا برأس ؛ وهيهات هيهات فخطر العلم عظيم ؛ وطالبه طلب الملك المؤبد ، والنعيم السرمد ، فلا ينفك عن الملك أو الهلك ؛ وهو كطالب الملك فى الدنيا ، فإن لم يتفق له الإصابة فى الأموال لم يطمع فى السلامة من الإذلال بل لابد من لزوم أفضح الأحوال . فإن قلت : فى الرخصة فى المناظرة فائدة وهى ترغيب الناس فى طلب العلم إذ لولا حب الرياسة لاندرست العلوم ؛ فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد إذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير ما رغب الصبيان فى المكتب وذلك لايدل على أن الرغبة فيه محمودة ، ولولا حب الرياسة لاندرس العلم . ولايدل ذلك على أن طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال صلى الله عليه وآله وسلم فيهم « إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر [2] » فطالب الرياسة فى نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره إن كان يدعو إلى ترك الدنيا وذلك فيمن كان ظاهر حاله فى ظاهر الأمر ظاهر حال علماء السلف ولكنه يضمر قصد الجاه ، فمثاله مثال الشمع الذى يحترق فى نفسه ويستضىء به غيره فصلاح غيره فى هلاكه وأما إذا كان يدعو إلى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التى تأكل نفسها وغيرها . فالعلماء ثلاثة : إما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها ، وإما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون الخلق إلى الله سبحانه ظاهراً وباطنا ، وإما مهلك نفسه مسعد غيره وهو الذى يدعو إلى الآخرة وقد رفض الدنيا فى ظاهره وقصده فى الباطن قبول الخلق وإقامة الجاه ، فانظر من أى الأقسام أنت ومن الذى اشتغلت بالاعتداد له ؟ فلا تظنن أن الله تعالى يقبل غير الخالص لوجهه تعالى من العلم والعمل . وسيأتيك فى كتاب الرياء بل فى جميع ربع المهلكات ما ينفى عنك الريبة فيه إن شاء الله تعالى .

الباب الخامس

فى آداب المتعلم والمعلم

أما المتعلم فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظم تفاريقها عشر جمل :

الوظيفة الأولى : تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف إذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن إلى الله تعالى ؛ وكما لا تصح الصلاة التى هى وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث فكذلك لاتصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس

(١) حديث « إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم » أخرجه النسائى من حديث أنس بإسناد صحيح .

(٢) حديث « إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » متفق عليه من حديث أبى هريرة .

الأوصاف. قال صلى الله عليه وسلم « بنى الدين على النظافه[1] » وهو كذلك باطنا وظاهرا قال الله تعالى ﴿إنما المشركون نجس﴾ تنبيها للعقول على الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر أى باطنه ملطخ بالخبائث . والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن أهم بالاجتناب فإنها مع خبثها فى الحال مهلكات فى المآل . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب[2] » والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أنزهم ومحل استقرارهم ؛ والصفات الرديئة مثل والغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها كلاب نابحة فأنى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لايقذفه الله تعالى فى القلب إلا بواسطة الملائكة ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه مايشاء﴾ وهكذا مايرسل من رحمة العلوم إلى القلوب إنما تتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون المبرءون عن الصفات المذمومات فلايلاحظون إلا طيبا ولا يعمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله إلا طيبا طاهرا . ولست أقول المراد بلفظ « البيت » هو القلب و « بالكلب » هو الغضب والصفات المذمومة ولكنى أقول هو تنبيه عليه ، وفرق بين تعبير الظواهر إلى البواطن وبين التنبيه البواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ، ففارق الباطنية بهذه الدقيقة ، فإن هذه طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والأبرار إذ معنى الاعتبار أن يعبر ماذكر إلى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون فيها له عبرة بأن يعبر منها إلى التنبه لكونه أيضا عرضة المصائب وكون الدنيا بصدد الانقلاب ، فعبوره من غيره إلى نفسه ومن نفسه إلى أصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر أنت أيضا من البيت الذى هو بناء الخلق إلى القلب الذى هو بيت من بناء الله تعالى ومن الكلب الذى ذم لصفته ـ لالصورته ـ وهو مافيه من سبعية ونجاسة إلى الروح الكلبية وهى السبعية . واعلم أن القلب المشحون بالغضب والشره إلى الدنيا والتكلب عليها والحرص على التمزيق لأعراض الناس كلب فى المعنى وقلب فى الصورة ، فنور البصيرة يلاحظ المعانى لاالصور . والصور فى هذا العالم غالبة على المعانى والمعانى باطنة فيها . وفى الآخرة تتبع الصور المعانى وتغلب المعانى . فلذلك يحشر كل شخص على صورته المنوبة « فيحشر الممزق لأعراض الناس كلبا ضاريا . والشره إلى أموالهم ذئبا عاديا ، والمتكبر عليهم فى صورة نمر ، وطالب الرياسة فى صورة أسد[3] » وقد وردت بذلك الأخبار وشهد به الاعتبار عند ذوى البصائر والأبصار . فإن قلت : كم من طالب ردىء الأخلاق حصل العلوم فهيهات ماأبعده عن العلم الحقيقى النافع فى الآخرة الجالب للسعادة فإن من أوائل ذلك العلم أن يظهر له أن المعاصى سموم قاتلة مهلكة وهل رأيت من يتناول سما مع علمه بكونه سما قاتلا ؟ إنما الذى تسمعه من المترسمين حديث يلفقونه بألسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم أخرى وليس ذلك من العلم فى شىء . قال ابن مسعود رضى الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يقذف فى القلب . وقال بعضهم : إنما العلم الخشية لقوله تعالى ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ وكأنه أشار إلى أخص ثمرات العلم . ولذلك قال بعض المحققين : معنى قولهم « تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله » أن العلم أبى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته وإنما حصل لنا

الباب الخامس

(١) حديث « بنى الدين على النظافة » لم أجده هكذا . وفى الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة « تنظفوا فإن الاسلام نظيف » وللطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف جداً من حديث ابن مسعود « النظافة تدعو إلى الايمان » (٢) حديث « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب » متفق عليه من حديث أبى طلحة الأنصارى (٣) حديث « حشر الممزق لأعراض الناس فى صورة كلب ضار ... الحديث » أخرجه الثعلبى فى التفسير من حديث البراء بسند ضعيف .

حديثه وألفاظه . فإن قلت : أرى جماعة من العلماء والفقهاء المحققين برزوا فى الفروع والأصول وعدوا من جملة الفحول وأخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها ؟ فيقال : إذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك أن مااشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علما وإنما غناؤه من حيث كونه عملا لله تعالى إذا قصد به التقرب إلى الله تعالى وقد سبقت إلى هذا إشارة . وسيأتيك فيه مزيد بيان وإيضاح إن شاء الله تعالى . الوظيفة الثانية : أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الأهل والوطن فإن العلائق شاغلة وصارفة ﴿ ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ﴾ ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل « العلم لايعطيك بعضه حتى تعطيك كلك فإذا أعطيته كلك فأنت من إعطائه إياك بعضه على خطر » والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الأرض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه مايجتمع ويبلغ المزدرع . الوظيفة الثالثة : أن لايتكبر على العلم ولا يتأمر على معلمه بل يلقى إليه زمام أمره بالكلية فى كل تفصيل ويذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق . وينبغى أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته . قال الشعبى « صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت إليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد : خل عنه ياابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد بن ثابت يده وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس من أخلاق المؤمن التملق إلا فى طلب العلم [2] » فلا ينبغى لطالب العلم أن يتكبر على المعلم ومن تكبره على المعلم أن يستنكف عن الاستفادة إلا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة فإن العلم سبب النجاة والسعادة ، ومن يطلب مهربا من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين أن يرشده إلى الهرب مشهور أو خامل ، وضراوة سباع النار بالجهال بالله تعالى أشد من ضراوة كل سبع فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها إليه كائنا من كان ؛ فلذلك قيل :

العلم حرب للفتى المتعالى كالسيل حرب للمكان العالى

فلا ينال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع قال الله تعالى ﴿ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلا للعلم فهما ، ثم لاتعينه القدرة على الفهم حتى يلقى السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما القى إليه بحسن الإصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة . فليكن المتعلم لمعلمه كأرض دمثة نالت مطرا غزيرا فتشربت جميع أجزائها وأذعنت بالكلية لقبوله . ومهما أشار عليه المعلم بطريق فى التعلم فليقلده وليدع رأيه فإن خطأ مرشده أنفع له من صوابه فى نفسه إذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع أنه يعظم نفعها ، فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب فى بعض أوقاته بالحرارة ليزيد فى قوته إلى حد يحتمل صدمة العلاج فيعجب منه من لاخبرة له به ، وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر ﴿ إنك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا ﴾ ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال ﴿ فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا ﴾ ثم لم يصبر ولم يزل فى مراودته إلى أن كان ذلك سبب الفراق بينهما . وبالجملة كل متعلم استبق لنفسه رأيا واختيارا

---

(١) حديث « أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت » وقوله « هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء » أخرجه الطبرانى والحاكم والبيهقى فى المدخل إلا أنهم قالوا « هكذا نفعل » قال الحاكم : صحيح الاسناد على شرط مسلم (٢) حديث « ليس من أخلاق المؤمن الملق إلا فى طلب العلم » أخرجه ابن عدى من حديث معاذ وأبى أمامة باسنادين ضعيفين

دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالإخفاق والخسران .

* فإن قلت : فقد قال الله تعالى ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون ﴾ فالسؤال مأمور به ؟ فاعلم أنه كذلك ولكن فيما يأذن المعلم فى السؤال عنه فإن السؤال عما لم تبلغ مرتبتك إلى فهمه مذموم ، ولذلك منع الخضر موسى عليه السلام من السؤال : أى دع السؤال قبل أوانه فالمعلم أعلم بما أنت أهل له وبأوان الكشف . ومالم يدخل أوان الكشف فى كل درجة من مراقى الدرجات لايدخل أو ان السؤال عنه . وقد قال على رضى الله عنه : إن من حق العالم أن لاتكثر عليه بالسؤال ولا تعنته فى الجواب ، ولا تلح عليه إذا كسل ولاتأخذ بثوبه إذا نهض ، ولا تفشى له سرا ولاتغتابن أحدا عنده ولا تطلبن عثرته ، وإن زل قبلت معذرته ، وعليك أن توقره وتعظمه لله تعالى مادام يحفظ أمر الله تعالى ، ولا تجلس أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته .

الوظيفه الرابعة ؛ أن يحترز الخائض فى العلم فى مبدإ الأمر عن الإصغاء إلى اختلاف الناس ، سواء كان ماخاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة : فإن ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رأيه ويؤيسه عن الإدراك والاطلاع ، بل ينبغى أن يتقن أولا الطريق الحميدة الواحدة المرضية عند أستاذه ، ثم بعد ذلك يصغى إلى المذاهب والشبه . وإن لم يكن أستاذه مستقلا باختيار رأى واحد وإنما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها فليحذر منه فإن إضلاله أكثر من إرشاده فلايصلح الأعمى لقود العميان وإرشادهم ، ومن هداحاله يعد فى عمى الحيرة وتيه الجهل ، ومنع المبتدئ عن الشبه يضاهى منع الحديث العهد بالإسلام عن مخالطة الكفار ، وندب القوى إلى النظر فى الاختلافات يضاهى حث القوى على مخالطة الكفار ؛ ولهذا يمنع الجبان عن التهجم على صف الكفار ويندب الشجاع له . ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء أن الاقتداء بالأقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ، ولم يدر أن وظائف الأقوياء تخالف وظائف الضعفاء . وفى ذلك قال بعضهم : من رآنى فى البداية صار صديقا ، ومن رآنى فى النهاية صار زنديقاً ، إذ النهاية ترد الأعمال إلى الباطن وتسكن الجوارح إلا عن رواتب الفرائض ؛ فيتراءى للناظرين أنها بطالة وكسل وإهمال ، وهيهات فذلك مرابطة القلب فى عين الشهود والحضور وملازمة الذكر الذى هو أفضل الأعمال على الدوام ؛ وتشبه الضعيف بالقوى فيما يرى من ظاهره أنه هفوة يضاهى اعتذار من يلقى نجاسة يسيرة فى كوز ماء ويتعلل بأن أضعاف هذه النجاسة قد بلقى فى البحر والبحر أعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز أحوز . ولا يدرى المسكين أن البحر بقوته يحيل النجاسة ماء فتنقلب عين النجاسة باستيلائه إلى صفته ، والقليل من النجاسه يغلب على الكوز ويحيله إلى صفته ، ولمثل هذا جوز للنبى صلى الله عليه وسلم مالم يجوز لغيره حتى أبيح له تسع نسوة [1] إذ كان له من القوة مايتعدى منه صفة العدل إلى نسائه وإن كثرن ، وأما غيره فلا يقدر على بعض العدل بل يتعدى مابينهن من الضرار إليه حتى ينجر إلى معصية الله تعالى فى طلبه رضاهن . فما أفلح من قاس الملائكة بالحدادين

الوظيفة الخامسة : أن لايدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من أنواعه إلا وينظر فيه نظراً يطلع به على مقصده وغايته ، ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية ؛ فإن العلوم متعاونه وبعضها مرتبط ببعض ، ويستفيد منه فى الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب

(١) حديث « أبيح له صلى الله عليه وسلم تسعة نسوة » وهو معروف . وفى الصحيحين من حديث ابن عباس « كان عند النبى صلى الله عليه وسلم تسع ... الحديث» .

جهله ؛ فإن الناس أعداء ماجهلوا قال تعالى ﴿ وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ﴾ . قال الشاعر :

ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها إما سالكة بالعبد إلى الله تعالى ، أو معينة على السلوك نوعا من الإعانة ، ولها منازل مرتبة فى القرب والبعد من المقصود ، والقوام بها حفظة كحفاظ الرباطات والثغور ، ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر فى الآخرة إذا قصد به وجه الله تعالى .

الوظيفة السادسة : أن لايخوض فى فن من فنون العلم دفعة بل يراعى الترتيب ويبتدئ بالأهم . فإن العمر إذا كان لايتسع لجميع العلوم غالباً فالحزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه ويكتفى منه بتسمه ويصرف جمام قوته فى الميسور من علمه إلى استكمال العلم الذى هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة أعنى قسمى المعاملة والمكاشفة ، فغاية المعاملة المكاشفة . وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى ؛ ولست أعنى به الاعتقاد الذى يتلقفه العامى وراثة أو تلقفا ؛ ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة فى تحصين الكلام عن مرواغات الخصوم كما هو غاية المتكلم ، بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى فى قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهى إلى رتبة إيمان أبى بكر رضى الله عنه الذى لووزن بإيمان العالمين لرجح[1] كما شهد له به سيد البشر صلى الله عليه وسلم ، فما عندى أن مايعتقده العامى ويرتبه المتكلم الذى لا يزيد على العامى إلا فى صنعة الكلام ، ولأجله سميت صناعته كلاما ، وكان يعجز عنه عمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضى الله عنهم ، حتى كان يفضلهم أبو بكر بالسر الذى وقر فى صدره . والعجب ممن يسمع مثل هذه الأقوال من صاحب الشرع ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ثم يزدرى مايسمعه على وفقه ويزعم أنه من ترهات الصوفية وأن ذلك غير معقول ؛ فينبغى أن تتئد فى هذا فعنده ضيعت رأس المال ، فكن حريصاً على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين ولا يرشدك إليه إلا حرصك فى الطلب .

وعلى الجملة فأشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل وهو بحر لايدرك منتهى غوره ، وأقصى درجات البشر فيه رتبة الأنبياء ثم الأولياء ثم الذين يلونهم . وقد روى أنه رؤى صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين فى مسجد وفى يد أحدهما رقعة فيها : إن أحسنت كل شيء فلا تظنن أنك أحسنت شيئا حتى تعرف الله تعالى وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء . وفى يد الآخر كنت قبل أن أعرف الله تعالى أشرب وأظمأ ، حتى إذا عرفته رويت بلا شرب

الوظيفة السابعة : أن لايخوض فى فن حتى يستوفى الفن الذى قبله ؛ فإن العلوم مرتبة ترتيباً ضروريا وبعضها طريق إلى بعض ، والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج . قال الله تعالى ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته ﴾ أى لايجاوزون فناحتى يحكموه علماً وعملا ، وليكن قصده فى كل علم يتحراه الترقى إلى ماهوفوقه ؛ فينبغى ألا يحكم على علم بالفساد لوقوع الخلف بين أصحابه فيه ، ولا بخطأ واحد أو آحاد فيه ، ولا بمخالفتهم موجب علمهم بالعمل ؛ فترى جماعة تركوا النظر فى العقليات والفقهيات ، متعللين فيها بأنها لوكان لها أصل لأدركه أربابها ؛ وقد مضى كشف هذه الشبه فى كتاب (معيار العلم) وترى طائفة يعتقدون بطلان الطب لخطأ شاهدوه من طبيب ، وطائفة اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفق لواحد ، وطائفة اعتقدوا بطلانه لخطأ اتفق لآخر . والكل خطأ ، بل

(١) حديث « لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان العالمين لرجح » أخرجه ابن عدى من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف ؛ ورواه البيهقى فى الشعب موقوفا على عمر بإسناد صحيح .

ينبغى أن يعرف الشىء فى نفسه ، فلا كل علم يستقل بالإحاطة به كل شخص ولذلك قال على رضى الله عنه : لاتعرف الحق بالرجال . اعرف الحق تعرف أهله

الوظيفة الثامنة : أن يعرف السبب الذى به يدرك أشرف العلوم ، وأن ذلك يراد به شيئان : أحدهما : شرف الثمرة والثانى : وثاقة الدليل وقوته ، وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان ثمرة أحدهما الحياة الأبدية وثمرة الآخر الحياة الفانية فيكون علم الدين أشرف . ومثل علم الحساب وعلم النجوم فان علم الحساب أشرف لوثاقة أدلته وقوتها وإن نسب الحساب إلى الطب كان الطب أشرف باعتبار ثمرته والحساب أشرف باعتبار أدلته وملاحظة الثمرة أولى : ولذلك كان الطب أشرف وإن كان أكثره بالتخمين . وبهذا تبين أن أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل إلى هذه العلوم فاياك أن ترغب إلا فيه وأن تحرص إلا عليه .

الوظيفة التاسعة : أن يكون قصد المتعلم فى الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفى المآل القرب من الله سبحانه والترقى إلى جوار الملأ الأعلى من الملائكة والمقربين ، ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الأقران وإن كان هذا مقصده طلب لا محالة الأقرب إلى مقصوده وهو علم الآخرة : ومع هذا فلا ينبغى له أن ينظر بعين الحقارة إلى سائر العلوم أعنى علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما أوردناه فى المقدمات والمتممات من ضروب العلوم التى هى فرض كفاية ، ولا تفهمن من غلونا فى الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدين فى سبيل الله فمنهم المقاتل ومنهم الرده ومنهم الذى يسقيهم الماء ومنهم الذى يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك أحد منهم عن أجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء قال الله تعالى ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ وقال تعالى ﴿ هم درجات عند الله ﴾ والفضيلة نسبية . واستحقارنا للصيارفة عند قياسهم بالملوك لايدل على حقارتهم إذا قيسوا بالكناسين فلا تظن أن ما نزل عن الرتبة القصوى ساقط القدر بل الرتبة العليا للأنبياء ثم الأولياء ثم العلماء الراسخين فى العلم ثم للصالحين على تفاوت درجاتهم وبالجملة ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ ومن قصد الله تعالى بالعلم أى علم كان نفعه ورفعه لا محالة .الوظيفة العاشرة : أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد كيما يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ـ ومعنى المهم ما يهمك ـ ولا يهمك إلا شأنك فى الدنيا والآخرة . وإذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجرى مجرى العيان فالأهم ما يبقى أبد الآباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والأعمال سعياً إلى المقصد ولا مقصد إلا لقاء الله تعالى ففيه النعيم كله وإن كان لايعرف فى هذا العالم قدره إلا الأقلون . والعلوم بالإضافة إلى سعادة لقاء الله سبحانه والنظر إلى وجهه الكريم ـ أعنى النظر الذى طلبه الأنبياء وفهموه دون ما سبق إلى فهم العوام والمتكلمين ـ على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو أن العبد الذى علق عتقه وتمكينه من الملك بالحج وقيل له إن حججت وأتممت وصلت إلى العتق والملك جميعا وإن ابتدأت بطريق الحج والاستعداد له وعاقك فى الطريق مانع ضرورى فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك فله ثلاثة أصناف من الشغل ، الأول . تهيئة الأسباب بشراء الناقة وخرز الراوية وإعداد الزاد والراحلة والثانى السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه إلى الكعبة منزلا بعد منزل . والثالث : الاشتغال بأعمال الحج ركنا بعد ركن ثم بعد الفراغ والنزوع عن هيئة الإحرام وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة ، وله فى كل مقام منازل من أول إعداد الأسباب إلى آخره ،

من أول سلوك البوادى إلى آخره ، ومن أول أركان الحج إلى آخره. وليس قرب من ابتدأ بأركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد فى إعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك بل هو أقرب منه ، فالعلوم أيضاً ثلاثة أقسام : قسم يجرى مجرى إعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن فى الدنيا . وقسم يجرى مجرى سلوك البوادى وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة التى عجز عنها الأولون والآخرون إلا الموفقين فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله وكما لا يغنى علم المنازل وطرق البوادى دون سلوكها كذلك لا يغنى علم تهذيب الأخلاق دون مباشرة التهذيب ولكن المباشرة دون العلم غير ممكن . وقسم ثالث يجرى مجرى نفس الحج وأركانه وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وأفعاله وجميع ماذكرناه فى تراجم المكاشفة وههنا نجاة وفوز بالسعادة والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق إذا كان غرضه المقصد الحق وهو السلامة . وأما الفوز بالسعادة فلا يناله إلا العارفون بالله تعالى وهم المقربون المنعمون فى جوار الله تعالى بالروح والريحان وجنة النعيم وأما المسوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال الله عز وجل ﴿ فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين ﴾ وكل من لم يتوجه إلى المقصد ولم ينتهض له أو انتهض إلى جهته لا على قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو من أصحاب الشمال ومن الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم . واعلم أن هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين أعنى أنهم أدركوه بمشاهدة من الباطن هى أقوى وأجلى من مشاهدة الأبصار وترقوا فيه عن حد التقليد لمجرد السماع ، وحالهم حال من أخبر فصدق ثم شاهد فحقق وحال غيرهم حال من قبل بحس التصديق والإيمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان . فالسعادة وراء علم المكاشفة وعلم المكاشفة وراء علم المعاملة التى هى سلوك طريق الآخرة وقطع عقبات الصفات . وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك فى ذلك وراء علم سلامة البدن ومساعدة أسباب الصحة . وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذى يتوصل به إلى الملبس والمطعم والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه فى ضبط الناس على منهج العدل والسياسة فى ناصية الفقيه . وأما أسباب الصحة ففى ناصية الطبيب ومن قال «العلم علمان : علم الأبدان وعلم الأديان» وأشار به إلى الفقه أراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا للعلوم العزيزة الباطنة . فإن قلت : لم شبهت علم الطب والفقه بإعداد الزاد والراحلة ؟ فاعلم أن الساعى إلى الله تعالى لينال قربه هو القلب دون البدن ولست أعنى بالقلب اللحم المحسوس بل هو من أسرار الله عز وجل لا يدركه الحس ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح وتارة بالنفس المطمئنة ، والشرع يعبر عنه بالقلب لأنه المطية الأولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة، وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مضنون به بل لا رخصة فى ذكره ، وغاية المأذون فيه أن يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز أشرف من هذه الأجرام المرئية وإنما هو أمر إلهى كما قال تعالى ﴿ ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ﴾ وكل المخلوقات منسوبة إلى الله تعالى ولكن نسبته أشرف من نسبة سائر أعضاء البدن فلله الخلق والأمر جميعا ، والأمر أعلى من الخلق . وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لأمانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والأرضين والجبال إذ أبين أن يحملنها وأشفقن منها من عالم الأمر : ولا يفهم من هذا أنه تعريض بقدمها فان القائل بقدم الأرواح مغرور جاهل لا يدرى ما يقول فلنقبض عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده . والمقصود أن هذه اللطيفة هى الساعية إلى قرب الرب لأنها من أمر الرب فمنه مصدرها واليه

مرجعها ، وأما البدن فمطيتها التى تركبها وتسعى بواسطتها ، فالبدن لها فى طريق الله تعالى كالناقة للبدن فى طريق الحج وكالراوية الخازنة للماء الذى يفتقر إليه البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جمله مصالح المطية . ولايخفى أن الطب كذلك فإنه قد يحتاج إليه فى حفظ الصحة على البدن ولو كان الإنسان وحده لاحتاج إليه : والفقه يفارقه فى أنه لو كان الإنسان وحده ربما كان يستغنى عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكنه أن يعيش وحده إذ لا يستقل بالسعى وحده فى تحصيل طعامه بالحراثة والزرع والخبز والطبخ وفى تحصيل الملبس والمسكن وفى إعداد آلات ذلك كله فاضطر إلى المخالطة والاستعانة . ومهما اختلط الناس وثارت شهواتهم تجاذبوا أسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الأخلاط من داخل ، وبالطب يحفظ الاعتدال فى الأخلاط المتنازعة من داخل ، وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال فى التنافس من خارج ، وعلم طريق اعتدال الأخلاط طب ، وعلم طريق اعتدال أحوال الناس فى المعاملات والأفعال فقه . وكل ذلك لحفظ البدن الذى هو مطية فالمتجرد لعلم الفقه أو الطب إذا لم يجاهد نفسه ولا يصلح قلبه كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها إذا لم يسلك بادية الحج . والمستغرق عمره فى دقائق الكلمات التى تجرى فى مجادلات الفقه كالمستغرق عمره فى دقائق الأسباب التى بها تستحكم الخيوط التى تخرز بها الراوية للحج . ونسبة هؤلاء من السالكين لطريق إصلاح القلب الموصل إلى علم المكاشفة كنسبة أولئك إلى سالكى طريق الحج أو ملابسى أركانه : فتأمل هذا أولا واقبل النصيحة مجانا ممن قام عليه ذلك غالبا ولم يصل إليه إلا بعد جهد جهيد وحراءة تامة على مباينة الخلق العامة والخاصة فى النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة ، فهذا القدر كاف فى وظائف المتعلم .

بيان وظائف المرشد المعلم

اعلم أن الإنسان فى علمه أربعة أحوال كحالة فى اقتناء الأموال : إذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسبا ، وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال . وحال إنفاق على نفسه فيكون منتفعا ، وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو أشرف أحواله . فكذلك العلم يقتنى كما يقتنى المال فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغنى عن السؤال وحال استبصار وهو التفكر فى المحصل والتمتع به وحال تبصير وهو أشرف الأحوال : فمن علم وعمل وعلم فهو الذى يدعى عظيما فى ملكوت السموات فإنه كالشمس تضىء لغيرها وهى مضيئة فى نفسها وكالمسك الذى يطيب غيره وهو طيب والذى يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذى يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسن الذى يشحذ غيره ولا يقطع والإبرة التى تكسو غيرها وهى عارية وذبالة المصباح تضىء لغيرها وهى تحترق كما قيل :

ما هو إلا ذبالة وقدت تضىء للناس وهى تحترق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه (الوظيفة الأولى) الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما أنا لكم مثل الوالد لولده [1] » بأن يقصد إنقاذهم من نار الآخرة وهو أهم من إنقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا : ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين فإن الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية والمعلم سبب الحياة الباقية . ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة أعنى معلم علوم الآخرة أو علوم

(١) حديث « إنما أنا لكم مثل الوالد لولده » أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة

الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا ، فأما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك نعوذ بالله منه . وكما أن حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتوادد ولا يكون إلا كذلك إن كان مقصدهم الآخرة ولا يكون إلا التحاسد والتباغض إن كان مقصدهم الدنيا . فإن العلماء وأبناء الآخرة مسافرون إلى الله تعالى وسالكون إليه الطريق من الدنيا ، وسنوها وشهورها منازل الطريق . والترافق فى الطريق بين المسافرين إلى الأمصار سبب التواد والتحاب فكيف السفر إلى الفردوس الأعلى والترافق فى طريقه ؟ ولا ضيق فى سعادة الآخرة فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع ولا سعة فى سعادات الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم . والعادلون إلى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى (إنما المؤمنون إخوة) وداخلون فى مقتضى قوله تعالى (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) (الوظيفة الثانية) أن يقتدى بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فلا يطلب على إفادة العلم أجرا ولا يقصد به جزاء ولا شكراً بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبا للتقرب إليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وإن كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم لأن تتقرب إلى الله تعالى بزراعة العلوم فيها ، كالذى يعيرك الأرض لتزرع فيها لنفسك زراعة فنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الأرض فكيف تقلده منة وثوابك فى التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى ؟ ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الأجر إلا من الله تعالى كما قال عز وجل (ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجرى إلا على الله) فإن المال وما فى الدنيا خادم البدن والبدن مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم إذ به شرف النفس . فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وذلك هو الانتكاس على أم الرأس ، ومثله هو الذى يقوم فى العرض الأكبر مع المجرمين ناكسى رءوسهم عند ربهم . وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم فانظر كيف انتهى أمر الدين إلى قوم يزعمون أن مقصودهم التقرب إلى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفى غيرهما ؟ فانهم يبذلون المال والجاه ويتحملون أصناف الذل فى خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف إليهم ثم يتوقع المعلم من المتعلم أن يقوم له فى كل نائبة وينصر وليه ويعادى عدوه وينتهض جهارا له فى حاجاته ومسخرا بين يديه فى أوطاره : فإن قصر فى حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه . فأخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحيي من أن يقول غرضى من التدريس نشر العلم تقربا إلى الله تعالى ونصرة لدينه ! فانظر إلى الأمارات حتى ترى ضروب الاغترارات (الوظيفه الثالثة) أن لا يدع من نصح المتعلم شيئا وذلك بأن يمنعه من التصدى لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفى قبل الفراغ من الجلى ثم ينبهه على أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ، ويقدم تقبيح ذلك فى نفسه بأقصى مايمكن فليس مايصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده : فإن علم من باطنه أنه لايطلب العلم إلا للدنيا نظر إلى العلم الذى يطلبه فإن كان هو علم الخلاف فى الفقه والجدل فى الكلام والفتاوى فى الخصومات والأحكام فيمنعه من ذلك فإن هذه العلوم ليست من علوم الآخرة ولا من العلوم التى قيل فيها « تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله » وإنما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الأولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها فإذا تعلمه الطالب وقصد به الدنيا فلا بأس أن يتركه فإنه يثمر له طمعا فى الوعظ والاستتباع ولكن قد يتنبه فى أثناء الأمر أو آخره إذ فيه العلوم المخوفة من الله تعالى المحقرة للدنيا المعظمة للآخرة ، وذلك

يوشك أن يؤدى إلى الصواب فى الآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره . ويجرى حب القبول والجاه مجرى الحب الذى ينثر حوالى الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده إذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها إلى بقاء النسل . وخلق أيضا حب الجاه ليكون سببا لإحياء العلوم وهذا متوقع فى هذه العلوم فأما الخلافيات المحضة ومجادلات الكلام ومعرفة التفاريع الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الإعراض عن غيرها إلا قسوة القلب وغفلة عن الله تعالى وتماديا فى الضلال وطلبا للجاه إلا من تداركه الله تعالى برحمته أو مزج به غيره من العلوم الدينية . ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك فى العباد والبلاد والله المستعان . وقد روى سفيان الثورى رحمه الله حزينا فقيل له : مالك ؟ فقال : صرنا متجرا لأبناء الدنيا يلزمنا أحدهم حتى إذا تعلم جعل قاضيا أو عاملا أو قهرمانا (الوظيفة الرابعة) وهى من دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ماأمكن ولا يصرح . وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الإصرار إذ قال صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم « لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا مانهينا عنه إلا وفيه شىء [1] » وينبهك على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام وما نهيا عنه ؛ فما ذكرت القصة معك لتكون سمراً بل لتتنبه بها على سبيل العبرة ولأن التعريض أيضاً يميل النفوس الفاضلة والأذهان الذكية إلى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة فى العلم به ليعلم أن ذلك مما لايعزب عن فطنته (الوظيفة الخامسة) أن المتكفل ببعض العلوم ينبغى أن لا يقبح فى نفس المتعلم العلوم التى وراءه ، كمعلم اللغة إذ عادته تقبيح علم الفقه . ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وأن ذلك نقل محض وسماع وهو شأن العجائز ولا مجال للعقل فيه ، ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول : ذلك فروع وهو كلام فى حيض النسوان وأين ذلك من الكلام فى صفة الرحمن ؟ فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغى أن تجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغى أن يوسع على المتعلم طريق التعلم فى غيره وإن كان متكفلا بعلوم فينبغى أن يراعى التدريج فى ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة (الوظيفة السادسة) أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى إليه مالا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله اقتداء فى ذلك بسيد البشر صلى الله عليه وسلم حيث قال « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم [2] » فليبث إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها وقال صلى الله عليه وسلم « ما أحد يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم » وقال على رضى الله عنه ـ وأشار إلى صدره ـ « إن ههنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة ، وصدق رضى الله عنه فقلوب الأبرار قبور الأسرار . فلاينبغى أن يفشى العالم كل ما يعلم إلى كل أحد ؛ هذا إذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلا للانتفاع به فكيف فيما لايفهمه ؟ وقال عيسى عليه السلام : لاتعلقوا الجواهر فى أعناق الخنازير فإن الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير » ولذلك قيل : كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار : وسئل بعض العلماء عن شىء فلم يجب فقال السائل : أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار [3] » ؟ فقال :

---

(١) حديث « لو منع الناس عن فت البعر لفتوه ... الحديث » لم أجده (٢) حديث « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ... الحديث » رويناه فى جزء من حديث أبي بكر بن الشخير من حديث عمر أخصر منه وعند أبي داود من حديث عائشة « أنزلوا الناس منازلهم » (٣) حديث « من كتم علماً نافعاً جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار » أخرجه ابن ماجه من حديث أبي سعيد بإسناد ضعيف ؛ وتقدم حديث أبى هريرة بنحوه .

اترك اللحام واذهب فإن جاء من يفقه وكتمته فليلجمنى فقد قال الله تعالى (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) تنبيها على أن حفظ العلم عن يفسده ويضره أولى ، وليس الظلم فى إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم فى منع المستحق :

أأنثر درا بين سارحة النعم فأصبح محزونا براعية الغنم
لأنهم أمسوا بجهل لقدره فلا أنا أصحى أن أطوقه البهم
فإن لطف الله اللطيف بلطفه وصادفت أهلا للعلوم وللحكم
نشرت مفيداً واستفدت مودة وإلا فمخزون لدى ومكتتم
فمن منح الجهال علما أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

(الوظيفة السابعة) أن المتعلم القاصر ينبغى أن يلقى إليه الجلى اللائق به ولا يذكر له وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه فإن ذلك يفتر رغبته فى الجلى ويشوش عليه قلبه ويوهم إليه البخل به عنه إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق . فما من أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه فى كمال عقله وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلا هو أفرحهم بكمال عقله . وبهذا يعلم أن من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ فى نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل وحسن مع ذلك سريرته ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك فلا ينبغى أن يشوش عليه اعتقاده بل ينبغى أن يخلى وحرفته ، فإنه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرتفع عنه السد الذى بينه وبين المعاصى وينقلب شيطانا مريداً يهلك نفسه وغيره ؛ بل لا ينبغى أن يخاص مع العوام فى حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الأمانة فى الصناعات التى هم بصددها ويملأ قلوبهم من الرغبة والرهبة فى الجنة والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة فإنه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويعسر عليه حلها فيشقى ويهلك . وبالجملة لا ينبغى أن يفتح للعوام باب البحث فإنه يعطل عليهم صناعاتهم التى بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص (الوظيفة الثامنة) أن يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر . فإذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئا وقال للناس لاتتناولوه فإنه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون لولا أنه اطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به . ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود فكيف ينتقش الطين بما لانقش فيه ومتى استوى الظل والعود أعوج ؟ ولذلك قيل فى المعنى :

لاتنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) ولذلك كان وزر العالم فى معاصيه أكثر من وزر الجاهل إذ يزل بزلته عالم كثير ويقتدون به . ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها . ولذلك قال على رضى الله عنه قصم ظهرى رجلان ؛ عالم متهتك وجاهل متنسك ؛ فالجاهل يغر الناس بتنسكه ، والعالم يغرهم بتهتكه . والله اعلم .

الباب السادس

فى آفات العلم وبيان علامات علما الآخرة والعلماء السوء

قد ذكرنا ماورد من فضائل العلم والعلماء ، وقد ورد فى العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على أنهم أشد الخلق عذابا يوم القيامة . فمن المهمات العظيمه معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ونعنى بعلماء الدنيا

علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها قال صلى الله عليه وسلم « إنّ أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لايكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « العلم علمان : علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وعلم فى القلب فذلك العلم النافع [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « يكون فى آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « لاتتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو فى النار [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « من كتم علماً عنده ألجمه الله بلجام من نار » وقال صلى الله عليه وسلم « لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال . فقيل : وما ذلك ؟ فقال : من الأئمة المضلين [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « من ازداد علماً ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعداً [6] » وقال عيسى عليه السلام : إلى متى تصفون الطريق للمدلجين وأنتم مقيمون مع المتحيرين ، فهذا وغيره من الأخبار يدل على عظيم خطر العلم فان العالم إما متعرّض لهلاك الأبد أو لسعادة الأبد وإنه بالخوض فى العلم قد حرم السلامة إن لم يدرك السعادة . وأما الآثار فقد قال عمر رضى الله عنه : إنّ أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم . قالوا : وكيف يكون منافقا عليما ؟ قال : عليم اللسان جاهل القلب والعمل . وقال الحسن رحمه الله : لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجرى فى العمل مجرى السفهاء . وقال رجل لأبى هريرة رضى الله عنه : أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال : كفى بترك العلم إضاعة له . وقيل لإبراهيم بن عيينة : أى الناس أطول ندما ؟ قال : أما فى عاجل الدنيا فصانع المعروف إلى من لايشكره وأما عند الموت فعالم مفرّط . وقال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة ، رجل يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك عالم فاتبعوه ، ورجل يدرى ولايدرى أنه يدرى فذلك نائم فأيقظوه ، ورجل لا يدرى ويدرى أنه لايدرى فذلك مسترشد فأرشدوه ، ورجل لايدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك جاهل فارفضوه . وقال سفيان الثورى رحمه الله : يهتف العلم بالعمل فان أجابه وإلا ارتحل . وقال ابن المبارك : لا يزال المرء عالما ماطلب العلم فاذا ظنّ أنه قد علم فقد جهل . وقال الفضيل ابن عياض رحمه الله : إنى لأرحم ثلاثة : عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر وعالما تلعب به الدنيا . وقال الحسن : عقوبة العلماء موت القلب ، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وأنشدوا :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشترى دنياه بالدين اعجب
واعجب من هذين من باع دينه بدنيا سواه فهو من ذين اعجب

الباب السادس

(١) حديث « لايكون المرء عالماً حتى يكون بعلمه عاملا » أخرجه ابن حبان فى كتاب روضة العقلاء ، والبيهقى فى المدخل موقوفا على أبى الدرداء ولم أجده مرفوعا (٢) حديث « العلم علمان علم على اللسان ... الحديث » أخرجه الترمذى الحكيم فى النوادر وابن عبدالبر من حديث الحسن مرسلا باسناد صحيح ، وأسنده الخطيب فى التاريخ من رواية الحسن عن جابر باسناد جيد وأعله ابن الجوزى (٣) حديث « يكون فى آخر الزمان عباد جهال وعلماء فسقة » أخرجه الحاكم من حديث أنس وهو ضعيف (٤) حديث « لاتتعلموا العلم لتباهوا به العلماء » أخرجه ابن ماجه من حديث جابر باسناد صحيح (٥) حديث « لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال .. الحديث » أخرجه أحمد من حديث أبى ذر باسناد جيد (٦) حديث « من ازداد علماً ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعداً » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس وحديث على باسناد ضعيف الا أنه قال « زهداً » وروى ابن حبان فى روضة العقلاء موقوفا على الحسن « من ازداد علما ثم ازداد على الدنيا حرصاً لم يزدد من الله الا بعدا » وروى أبو الفتح الأزدى فى الضعفاء من حديث على « من ازداد بالله علما ثم ازداد للدنيا حباً ازداد الله عليه غضبا »

وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ العالم ليعذب عذاباً يطيف به أهل النار استعظاماً لشدة عذابه [1] » أراد به العالم الفاجر . وقال أسامة بن زيد : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه [2] » وإنما يضاعف عذاب العالم فى معصيته لأنه عصى عن علم ولذلك قال الله عز وجل ﴿ إنّ المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ﴾ لأنهم جحدوا بعد العلم ، وجعل اليهود شراً من النصارى مع أنهم ما جعلوا لله سبحانه ولداً ولا قالوا : إنه ثالث ثلاثة ، إلا أنهم أنكروا بعد المعرفة إذ قال الله ﴿ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ وقال تعالى ﴿ فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ وقال تعالى ـ فى قصة بلعام بن باعوراء ـ ﴿ واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ﴾ حتى قال ﴿ فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) فكذلك العالم الفاجر فان بلعام أوتى كتاب الله تعالى فأخلد إلى الشهوات فشبه بالكلب أى سواء أوتى الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث إلى الشهوات . وقال عيسى عليه السلام : مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لا هى تشرب الماء ولا هى تترك الماء يخلص إلى الزرع ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ، ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى : فهذه الأخبار والآثار تبين أن العالم الذى هو من أبناء الدنيا أخس حالا وأشدّ عذابا من الجاهل . وأن الفائزين المقربين هم علماء الآخرة ولهم علامات : فمنها أن لا يطلب الدنيا بعلمه فان أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم أنهما متضادتان وأنهما كالضرتين مهما أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى وأنهما ككفتى الميزان مهما رجحت إحداهما خفت الأخرى وأنهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من أحدهما بعدت عن الآخر وأنهما كقدحين أحدهما مملوء والآخر فارغ فبقدر ما تصب منه فى الآخر حتى يمتلئ يفرغ الآخر . فان من لايعرف حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذاتها بآلامها ثم انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل . فان المشاهدة والتجربة ترشد إلى ذلك فكيف يكون من العلماء من لاعقل له ؟ ومن لايعلم عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الإيمان فكيف يكون من العلماء من لاإيمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة وأن الجمع بينهما طمع فى غير مطمع ؟ فهو جاهل بشرائع الأنبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن كله من أوله إلى آخر فكيف يعدّ من زمرة العلماء ؟ ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من حزب العلماء من هذه درجته؟ وفى أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى « إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوته على محبتى أن أحرمه لذيذ مناجاتى ، ياداود لا تسأل عنى عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتى أولئك قطاع الطريق على عبادى ، ياداود إذا رأيت لى طالباً فكن له خادما ؛ ياداود من رد إلى هاربا كتبته جهبذا ومن كتبته جهبذا لم أعذبه أبدا » ولذلك قال الحسن رحمه الله : عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة . ولذلك قال يحيى بن معاذ: إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا . وقال سعيد بن المسيب رحمه الله : إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء

---

(١) حديث « إن العالم يعذب عذابا يطيف به أهل النار . الحديث » لم أجده بهذا اللفظ وهو معنى حديث أسامة المذكور بعده

(٢) حديث أسامة بن زيد « يؤتى بالعالم يوم القيامة ويلقى فى النار فتندلق أقتابه . الحديث » متفق عليه بلفظ « الرجل » بدل « العالم »

فهو لص ، وقال عمر رضى الله عنه : إذا رأيتم للعالم محباً للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما أحب وقال مالك بن دينار رحمه الله : قرأت فى بعض الكتب السالفة إن الله تعالى يقول إن أهون ماأصنع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتى من قلبه . وكتب رجل إلى أخ له : إنك قد أوتيت علماً فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم فى نور علمهم ، وكان يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله يقول لعلماء الدنيا: ياأصحاب العلم قصوركم قيصريه وبيوتكم كسروية وأثوابكم ظاهرية وأخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية وأوانيكم فرعونية ومآثمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فأين الشريعة المحمدية ؟ قال الشاعر :

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب ؟

وقال الآخر :

يا معشر القــراء يا ملح البلد ما يصلح الملح إذا الملح فسد ؟

وقيل لبعض العارفين : أترى أن من تكون المعاصى قرة عينه لايعرف الله ؟ قال لاشك أن من تكون الدنيا عنده آثر من الآخرة أنه لا يعرف الله تعالى . وهذا دون ذلك بكثير ولا تظن أن ترك المال يكفى فى اللحوق بعلماء الآخرة فان الجاه أضر من المال . ولذلك قال بشر « حدثنا » باب من أبواب الدنيا فاذا سمعت الرجل يقول « حدثنا » فانما يقول : أوسعوا لى . ودفن بشر بن الحرث بضعة عشر ما بين قمطرة وقوصرة من الكتب وكان يقول : أنا أشتهى أن أحدث ، ولو ذهبت عنى شهوة الحديث لحدثت ، وقال هو وغيره : إذا اشتهيت أن تحدث فاسكت فاذا لم تشته فحدث . وهذا لأن التلذذ بجاه الإفادة ومنصب الإرشاد أعظم لذة من كل تنعم فى الدنيا فمن أجاب شهوته فيه فهو من أبناء الدنيا . ولذلك قال الثورى : فتنة الحديث أشد من فتنة الأهل والمال والولد وكيف لاتخاف فتنته وقد قيل لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا) وقال سهل رحمه الله : العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به والعمل كله هباء إلا الإخلاص . وقال : الناس كلهم موتى إلا العلماء والعلماء سكارى إلا العاملين والعاملون كلهم مغرورون إلا المخلصين والمخلص على وجل حتى يدرى ماذا يختم له به . وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله : إذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر فى طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا وإنما أراد به طلب الأسانيد العالية أو طلب الحديث الذى لا يحتاج اليه فى طلب الآخرة ، وقال عيسى عليه السلام : كيف يكون من أهل العلم من مسيره إلى آخرته وهو مقبل على طريق دنياه وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به ؟ وقال صالح بن كيسان البصرى : أدركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة . وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من طلب علماً مما يبتغى به وجه الله تعالى ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة[1] » وقد وصف الله علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد . فقال عز وجل فى علماء الدنيا (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلا) وقال تعالى فى علماء الآخرة (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم) وقال بعض السلف : العلماء يحشرون فى زمرة الأنبياء والقضاة يحشرون فى زمرة السلاطين . وفى معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه . وروى

(١) حديث أبى هريرة « من طلب علما مما يبتغى به وجه الله ليصيب به عرضا ... الحديث » أخرجه أبو داود وابن ماجه بإسناد جيد

أبو الدرداء رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أوحى الله عز وجل إلى بعض الأنبياء : قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمرّ من الصبر إياى يخادعون وبى يستهزئون لأفتحن لهم فتنة تذر الحليم حيران[1] » وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « علماء هذه الأمة رجلان : رجل آتاه الله علماً فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعاً ولم يشتر به ثمناً فذلك يصلى عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الأرض والكرام الكاتبون يقدم على الله عز وجل يوم القيامة سيداً شريفاً حتى يوافق المرسلين ، ورجل آتاه الله علماً فى الدنيا فضن به على عباد الله وأخذ عليه طمعاً واشترى به ثمناً فذلك يأتى يوم القيامة ملجما بلجام من نار ينادى مناد على رءوس الخلائق هذا فلان بن فلان آتاه الله علماً فى الدنيا فضنّ به على عباده وأخذ به طمعاً واشترى به ثمنا فيعذب حتى يفرغ من حساب الناس[2] » وأشد من هذا ماروى « أن رجلا كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول حدثنى موسى صفى الله حدثنى موسى نجى الله حدثنى موسى كليم الله حتى أثرى وكثر ماله ففقده موسى عليه السلام فجعل يسأل عنه ولا يحس له خبراً حتى جاءه رجل ذات يوم وفى يده خنزير وفى عنقه حبل أسود فقال له موسى عليه السلام : أتعرف فلانا ؟ قال : نعم قال هو هذا الخنزير ، فقال موسى : يارب أسألك أن ترده إلى حاله حتى أسأله بم أصابه هذا ؟ فأوحى الله عز وجل اليه : لو دعوتنى بالذى دعانى به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه ولكن أخبرك لم صنعت هذا به ؟ لأنه كان يطلب الدنيا بالدين » وأغلظ من هذا ماروى معاذ بن جبل رضى الله عنه موقوفا ومرفوعا فى رواية عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب اليه من الاستماع[3] » وفى الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ وفى الصمت سلامة وعلم . ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك فى الدرك الأول من النار . ومن العلماء من يكون فى علمه بمنزلة السلطان إن رد عليه شىء من علمه أو تهوون بشىء من حقه غضب فذلك فى الدرك الثانى من النار . ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لأهل الشرف واليسار ولا يرى أهل الحاجة له أهلا فذلك فى الدرك الثالث من النار . ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتى بالخطأ والله تعالى يبغض المتكلفين فذلك فى الدرك الرابع من النار . ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك فى الدرك الخامس من النار . ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلا وذكراً فى الناس فذلك فى الدرك السادس من النار . ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فان وعظ عنف وإن وعظ أنف فذلك فى الدرك السابع من النار . فعليك ياأخى بالصمت فبه تغلب الشيطان . وإياك أن تضحك من غير عجب أو تمشى فى غير أرب . وفى خبر آخر « إن العبد لينشر له من الثناء ما يملأ ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة[4] » وروى أن الحسن حمل اليه رجل من خراسان كيساً بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البز وقال . ياأباسعيد هذه نفقة وهذه كسوة ؛ فقال الحسن . عافاك الله تعالى ، ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك إنه من

---

(٢) حديث أبي الدرداء » أوحى الله الى بعض الأنبياء : قل للذين يتفقهون لغير الدين . الحديث » أخرجه ابن عبد البر بإسناد ضعيف (٢) حديث ابن عباس « علماء هذه الأمة رجلان . . الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط بإسناد ضعيف

(٣) حديث معاذ « من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب اليه من الاستماع . . . الحديث » أخرجه أبو نعيم وابن الجوزى فى الموضوعات (٤) حديث « إن العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة » لم أجده هكذا وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة « إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لايزن عند الله جناح بعوضة »

جلس مثل مجلسى هذا وقبل من الناس مثل هذا لقى الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له . وعن جابر رضى الله عنه موقوفا ومرفوعا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا تجلسوا عند كل عالم إلا إلى عالم يدعوكم من خمس إلى خمس : من الشك إلى اليقين ، ومن الرياء إلى الإخلاص ، ومن الرغبة إلى الزهد ، ومن الكبر إلى التواضع ، ومن العداوة إلى النصيحة [1] ، وقال تعالى ﴿ فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن ﴾ الآية ، فعرّف أهل العلم بإيثار الآخرة على الدنيا . ومنها أن لا يخالف فعله قوله بل لا يأمر بالشئ ما لم يكن هو أول عامل به . قال الله تعالى ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ وقال تعالى (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) وقال تعالى فى قصة شعيب (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) وقال تعالى (واتقوا الله ويعلمكم الله) وقال تعالى (واتقوا الله واعلموا ـ واتقوا الله واسمعوا) وقال تعالى لعيسى عليه السلام « يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحى منى » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت ليلة أسرى بى بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت : من أنتم ؟ فقالوا : كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « هلاك أمتى عالم فاجر وعابد جاهل ، وشر الشرار شرار العلماء ، وخير الخيار خيار العلماء [3] » وقال الأوزاعى رحمه الله : شكت العواويس ما تجد من نتن جيف الكفار فأوحى الله إليها : بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه . وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : بلغنى أن الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات . وقال الشعبى : يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم : ما أدخلكم النار وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم ؟ فيقولون إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وننهى عن الشر ونفعله . وقال حاتم الأصم رحمه الله ليس فى القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك هو . وقال مالك ابن دينار : إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا . وأنشدوا :

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما ... إذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا ... فالموبقات لعمرى أنت جانيها
تعيب دنيا وناسا راغبين لها ... وأنت أكثر منهم رغبة فيها

وقال آخر : لا تنه عن خلق وتأتى مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله : مررت بحجر بمكة مكتوب عليه « اقلبنى تعتبر » فقلبته فإذا عليه مكتوب « أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لم تعلم » ؟ وقال ابن السماك رحمه الله : كم من مذكر بالله ناس لله ! وكم من مخوف بالله جرىء على الله : وكم من مقرب إلى الله بعيد من الله ! وكم من داع إلى الله فار من الله ! وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله ! وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله : لقد أعربنا فى كلامنا فلم نلحن ولحنا فى أعمالنا فلم نعرب . وقال الأوزاعى : إذا جاء الإعراب ذهب الخشوع . وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم أنه قال : حدثنى عشرة

---

(١) حديث جابر « لا تجلسوا عند كل عالم .. الحديث » أخرجه أبو نعيم فى الحلية وابن الجوزى فى الموضوعات

(٢) حديث « مررت ليلة أسرى بى بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار .. الحديث » أخرجه ابن حبان من حديث أنس .

(٣) حديث « هلاك أمتى عالم فاجر وشر الشرار شرار العلماء .. الحديث » أخرجه الدارمى من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا آخر الحديث نحوه وقد تقدم ولم أجد صدر الحديث

من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ، كنا ندرس العلم فى مسجد قباء إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال . تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا [1] » وقال عيسى عليه السلام : مثل الذى يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت فى السر فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رءوس الأشهاد . وقال معاذ رحمه الله : احذروا زلة العالم لأن قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته . وقال عمر رضى الله عنه : إذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق ، وقال عمر رضى الله عنه : ثلاث بهن ينهدم الزمان إحداهن زلة العالم . وقال ابن مسعود : سيأتى على الناس زمان تملح فيه عدوبة القلوب فلا ينتفع بالعلم يومئذ عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها عذوبة ، وذلك إذا مالت قلوب العلماء إلى حب الدنيا وإيثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة ويطفئ مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه أنه يخشى الله بلسانه والفجور ظاهر فى عمله ، فما أخصب الألسن يومئذ وما أجدب القلوب ! فوالله الذى لا إله إلا هو ما ذلك إلا لأن المعلمين علموا لغير الله تعالى والمتعلمين تعلموا لغير الله تعالى . وفى التوراة والإنجيل مكتوب : لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم . وقال حذيفة رضى الله عنه : إنكم فى زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك ، وسيأتى زمان من عمل فيه بعشر ما يعلم نجا وذلك لكثرة البطالين . واعلم أن مثل العالم مثل القاضى وقد قال صلى الله عليه وسلم « القضاة ثلاثة : قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك فى الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم أولا يعلم فهو فى النار وقاض قضى بغير ما أمر الله به فهو فى النار [2] » وقال كعب رحمه الله : يكون فى آخر الزمان علماء يزهدون الناس فى الدنيا ولا يزهدون، ويخوفون الناس ولا يخافون ، وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم ، ويؤثرون الدنيا على الآخرة يأكلون بألسنتهم ، يقربون الأغنياء دون الفقراء ، يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال ؛ يغضب أحدهم على جليسه إذا جالس غيره ، أولئك الجبارون أعداء الرحمن . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان ربما يسوفكم بالعلم ، فقيل : يا رسول الله وكيف ذلك ؟ قال صلى الله عليه وسلم : يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال للعلم قائلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل [3] » وقال سرى السقطى (اعتزل رجل للتعبد كان حريصا على طلب علم الظاهر فسألته فقال : رأيت فى النوم قائلا يقول لى « إلى كم تضيع العلم صيعك الله » فقلت . إنى لأحفظه فقال « حفظ العلم العمل به » فتركت الطلب وأقبلت على العمل . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : (ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية) وقال الحسن: تعلموا ما شئتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا فإن السفهاء همتهم الرواية والعلماء همتهم الرعاية: وقال مالك رحمه الله : إن طلب العلم لحسن وإن نشره لحسن إذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسى فلا تؤثرن عليه شيئا . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : أنزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسيأتى قوم يثقفونه مثل القناة ليسوا بخياركم والعالم الذى لا يعمل كالمريض الذى يصف الدواء وكالجائع الذى يصف لذائذ الأطعمة ولا يجدها . وفى مثله قوله تعالى ﴿ ولكم الويل مما تصفون ﴾ وفى الخبر « إنما أخاف على أمتى زلة عالم

---

(١) حديث عبد الرحمن بن غنم عن عشرة من الصحابة « تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا » علقه ابن عبد البر وأسنده ابن عدى وأبو نعيم والخطيب — فى كتاب اقتضاء العلم للعمل — من حديث معاذ فقط بسند ضعيف ورواه الدارمى موقوفا على معاذ بسند صحيح .

(٢) حديث « القضاة ثلاثة .. الحديث » أخرجه أصحاب السنن من حديث بريدة وهو صحيح

(٣) حديث « إن الشيطان ربما يسوفكم بالعلم . الحديث » فى الجامع من حديث أنس بسند ضعيف

وجدال منافق فى القرآن [١] » ومنها أن تكون عنايته بتحصيل العلم النافع فى الآخرة المرغب فى الطاعات مجتنباً للعلوم التى يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال . فمثال من يعرض عن علم الأعمال ويشتغل بالجدال مثل رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيبا حاذقا فى وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير والأدوية وغرائب الطب وترك مهمه الذى هو مؤاخذ به ، وذلك محض السفه . وقد روى « أنّ رجلا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : علمنى من غرائب العلم ، فقال له : ما صنعت فى رأس العلم ؟ فقال : ومارأس العلم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم ، هل عرفت الرب تعالى ؟ قال : نعم ، فما صنعت فى حقه ؟ قال : ما شاء الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : هل عرفت الموت ؟ قال نعم ، قال: فما أعددت له ؟ قال : ما شاء الله ، قال صلى الله عليه وسلم : إذهب فأحكم ما هناك ثم تعال نعلمك من غرائب العلم [٢] » بل ينبغى أن يكون المتعلم من جنس ماروى عن حاتم الأصم ـ تلميذ شقيق البلخى رضى الله عنهما ـ أنه قال له : شقيق منذ كم صحبتنى ؟ قال حاتم : منذ ثلاث وثلاثين سنة ، قال : فما تعلمت منى فى هذه المدّة ؟ قال : ثمانى مسائل ، قال شقيق له : إنا لله وإنا اليه راجعون ذهب عمرى معك ولم تتعلم إلا ثمانى مسائل ؟ قال : يا أستاذ لم أتعلم غيرها وإنى لا أحب أن أكذب ، فقال هات هذه الثمانى مسائل حتى أسمعها ، قال حاتم : نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه إلى القبر فاذا وصل إلى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبى فاذا دخلت القبر دخل محبوبى معى . فقال : أحسنت ياحاتم فما الثانية ؟ فقال : نظرت فى قول الله عز وجل ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فانّ الجنة هى المأوى ﴾ فعلمت أنّ قوله سبحانه وتعالى هو الحق فأجهدت نفسى فى دفع الهوى حتى استقرّت على طاعة الله تعالى . الثالثة أنى نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل من معه شىء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت إلى قول الله عز وجل ﴿ ماعندكم ينفد وما عند الله باق ﴾ فكلما وقع معى شىء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله ليبقى عنده محفوظاً . الرابعة : أنى نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحسب والشرف والنسب فنظرت فيها فإذا هى لاشىء ثم نظرت إلى قول الله تعالى ﴿ إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ فعملت فى التقوى حتى أكون عند الله كريما، الخامسة : أنى نظرت إلى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم فى بعض ويلعن بعضهم بعضاً وأصل هذا كله الحسد ثم نظرت إلى قول الله عز وجل (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت أن القسمه من عند الله سبحانه وتعالى فتركت عداوة الخلق عنى . السادسة : نظرت إلى هذا الخلق يبغى بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضاً فرجعت إلى قول الله عز وجل (إن الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدواً) فعاديته وحده واجتهدت فى أخذ حذرى منه لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدوّ لى فتركت عداوة الخلق غيره . السابعة : نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لايحل له ثم نظرت إلى قوله تعالى ﴿ وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ﴾ فعلمت أنى واحد من هذه الدواب التى على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى على وتركت مالى عنده . الثامنة : نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق ـ هذا على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه ـ وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله فرجعت إلى

(١) حديث « إنما أخاف على أمتى زلة عالم .. الحديث » أخرجه الطبرانى من حديث أبى الدرداء ، ولابن حبان نحوه من حديث عمران بن حصين (٢) حديث « أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علمنى من غرائب العلم .. الحديث » رواه ابن السنى وأبو نعيم فى كتاب الرياضة لهما ، وابن عبد البر من حديث عبد الله بن المنور مرسلا وهو ضعيف جدا

قوله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) فتوكلت على الله عز وجل فهو حسبي ، قال شقيق : ياحاتم وفقك الله تعالى فإني نظرت في علوم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم فوجدت جميع أنواع الخير والديانة وهي تدور على هذه الثمان مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة فهذا الفن من العلم لا يهتم بإدراكه والتفطن له إلا علماء الآخرة فأما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون أمثال هذه العلوم التي بعث الله بها الأنبياء كلهم عليهم السلام وقال الضحاك بن مزاحم : أدركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض إلا الورع وهم اليوم ما يتعلمون إلا الكلام ، ومنها أن يكون غير مائل إلى الترفه في المطعم والمشرب والتنعم في الملبس والتجمل في الأثاث والمسكن بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله تعالى ويميل إلى الاكتفاء بالأقل في جميع ذلك وكلما زاد إلى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه وارتفع في علماء الآخرة حزبه . ويشهد لذلك ماحكي عن أبي عبد الله الخواص ـ وكان من أصحاب حاتم الأصم ـ قال : دخلت مع حاتم إلى الري ومعنا ثلثمائة وعشرون رجلا يريد الحج وعليهم الزرمانقات وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فأضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم: ألك حاجة فإني أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل ؟ قال حاتم عيادة المريض فيها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أيضاً أجيء معك . وكان العليل محمد بن مقاتل ـ قاضي الري ـ فلما جئنا إلى الباب فإذا قصر مشرف حسن فبقي حاتم متفكراً يقول : باب عالم على هذه الحالة ؟ ثم أذن لهم فدخلوا فإذا دار حسناء فوراء واسعة نزهة وإذا بزة وستور فبقي حاتم متفكراً ثم دخلوا إلى المجلس الذي هو فيه وإذا بفرش وطيئة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة فقعد الزائر عند رأسه وسأل عن حاله وحاتم قائم فأومأ إليه ابن مقاتل أن اجلس فقال لا أجلس فقال لعل لك حاجة فقال: نعم، قال: وما هي؟ قال: مسئلة أسألك عنها قال : سل ، قال : قم فاستو جالساً حتى أسألك . فاستوى جالساً قال حاتم : علمك هذا من أين أخذته ؟ فقال : من الثقات حدثوني به ، قال : عمن ؟ قال : عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ؟ قال : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ؟ قال : عن جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل . قال حاتم فيما أداه جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأداه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وأصحابه إلى الثقات وأداه الثقات إليك هل سمعت فيه من كان في داره إشراف وكانت سعتها أكثر كان له عند الله عز وجل المنزلة أكبر : قال : لا . قال : فكيف سمعت ؟ قال : سمعت أنه من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كانت له عند الله المنزلة ، قال له حاتم : فأنت بمن اقتديت أبالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم والصالحين رحمهم الله ام بفرعون ونمروذ اول من بنى بالجص والآجر ؟ ياعلماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول : العالم على هذه الحالة : أفلا أكون أنا شراً منه ؟ وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ أهل الري ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له : إن الطنافسي بقزوين أكثر توسعاً منه . فسار حاتم متعمداً فدخل عليه فقال . رحمك الله أنا رجل أعجمي أحب أن تعلمني مبتدأ ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة ؟ قال : نعم وكرامة ياغلام هات إناء فيه ماء . فأتى به فقعد الطنافسي فتوضأ ثلاثاً ثلاثاً ثم قال : هكذا فتوضأ . فقال حاتم : مكانك حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكد لما أريد ، فقام الطنافسي وقعد حاتم فتوضأ ثم غسل ذراعيه أربعاً اربعاً فقال الطنافسي : ياهذا اسرفت . قال له حاتم : فبماذا ؟ قال غسلت ذراعيك اربعاً . فقال حاتم : يا سبحان الله العظيم انا في كف من ماء أسرفت وأنت في جميع هذا كله لم تسرف ؟ فعلم الطنافسي

أنه قصد ذلك دون التعلم فدخل منزله فلم يخرج إلى الناس أربعين يوما فلما دخل حاتم بغداد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا : يا أبا عبد الرحمن أنت رجل ولكن أعجمي وليس يكلمك أحد إلا قطعته ، قال : معي ثلاث خصال أظهر بهن على خصمي أفرح إذا أصاب خصمي وأحزن إذا أخطأ وأحفظ نفسي أن لا أجهل عليه . فبلغ ذلك الإمام أحمد بن حنبل فقال : سبحان الله ماأعقله قوموا بنا إليه . فلما دخلوا عليه قال له : يا أباعبد الرحمن ما السلامة من الدنيا ؟ قال : يا أباعبد الله لاتسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال : تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك منهم وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم آيسا ، فإذا كنت هكذا سلمت ، ثم سار إلى المدينة فاستقبله أهل المدينة فقال : ياقوم أية مدينة هذه ؟ قالوا : مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فأين قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصلي فيه ؟ قالوا : ماكان له قصر إنما كان له بيت لاطئ بالأرض ، قال : فأين قصور أصحابه رضى الله عنهم ؟ قالوا : ماكان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لاطئة بالأرض ؛ قال حاتم : ياقوم فهذه مدينة فرعون ، فأخذوه وذهبوا به إلى السلطان وقالوا . هذا العجمي يقول هذه مدينة فرعون ، قال الوالي : ولم ذلك ؟ قال حاتم : لاتعجل على أنا رجل أعجمي غريب دخلت البلد فقلت مدينة من هذه فقالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت فأين قصر . . . وقص القصة ، ثم قال : وقد قال الله تعالى ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ فأنتم بمن تأسيتم أبرسول الله صلى الله عليه وسلم أم بفرعون أول من بنى بالجص والآجر ؟ فخلوا عنه وتركوه . فهذه حكاية حاتم الأصم رحمه الله تعالى . وسيأتي من سيرة السلف في البذاذة وترك التجمل ما يشهد لذلك في مواضعه . والتحقيق فيه أن التزين بالمباح ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الأنس به حتى يشق تركه ، واستدامة الزينة لا تتمكن إلا بمباشرة أسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصي من المداهنة ومراعاة الخلق ومراءاتهم وأمور أخر هي محظورة والحزم اجتناب ذلك لأن من خاض في الدنيا لا يسلم منها ألبتة ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض فيها لكان صلى الله عليه وسلم لايبالغ في ترك الدنيا حتى نزع القميص المطرز بالعلم [1] ونزع خاتم الذهب في أثناء الخطبة [2] إلى غير ذلك مما سيأتي بيانه وقد حكى أن يحيى بن يزيد النوفلي كتب إلى مالك ابن أنس رضى الله عنهما « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسوله محمد في الأولين والآخرين ، من يحيى ابن يزيد بن عبد الملك إلى مالك بن أنس ، أما بعد فقد بلغني أنك تلبس الدقاق وتأكل الرقاق وتجلس على الوطيء وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم وقد ضربت إليك المطي وارتحل إليك الناس واتخذوك إماما ورضوا بقولك ؛ فاتق الله تعالى يامالك وعليك بالتواضع . كتبت إليك بالنصيحة مني كتابا مااطلع عليه غير الله سبحانه وتعالى والسلام » فكتب إليه مالك « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على الله سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . من مالك ابن أنس إلى يحيى بن يزيد سلام الله عليك ، أما بعد : فقد وصل إلى كتابك فوقع مني موقع النصيحة والشفقة والأدب أمتعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا وأسأل الله تعالى التوفيق ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم ، فأما ماذكرت لي أني آكل الرقاق وألبس الدقاق وأحتجب وأجلس على الوطيء فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى فقد قال الله تعالى ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ وإني لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه . ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلام » فانظر إلى إنصاف مالك إذ اعترف أن

(١) حديث « نزع القميص المعلم » متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث « نزع الخاتم الذهب في أثناء الخطبة » متفق عليه من حديث ابن عمر .

ترك ذلك خير من الدخول فيه وأفتى بأنه مباح وقد صدق فيهما جميعا ومثل مالك فى منصبه إذا سمحت نفسه بالإنصاف والاعتراف فى مثل هذه النصيحة فتقوى أيضا نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لايحمله ذلك على المراءاة والمداهنة والتجاوز إلى المكروهات وأما غيره فلا يقدر عليه فالتعريج على التنعم بالمباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصية علماء الله تعالى الخشية وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر . ومنها أن يكون مستقصيا عن السلاطين فلايدخل عليهم ألبته مادام يجد إلى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغى أن يحترز عن مخالطتهم وإن جاءوا إليه فإن الدنيا حلوة خضرة وزمامها بأيدى السلاطين . والمخالط لايخلو عن تكلف فى طيب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع أنهم ظلمة . ويجب على كل متدين الإنكار عليهم وتضييق صدرهم بإظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم إما أن يلتفت إلى تجملهم فيزدرى نعمة الله عليه أو يسكت عن الإنكار عليهم فيكون مداهنا لهم أو يتكلف فى كلامه كلاما لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح أو أن يطمع فى أن ينال من دنياهم وذلك هو السحت وسيأتى فى كتاب الحلال والحرام مايجوز أن يؤخذ من أموال السلاطين ومالا يجوز من الإدرار والجوائز وغيرها . وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للشرور وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط . وقال صلى الله عليه وسلم « من بدا جفا - يعنى من سكن البادية جفا - ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن[1] » وقال صلى الله عليه وسلم « سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضى وتابع أبعده الله تعالى . قيل : أفلا نقاتلهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم : لاماصلوا[2] » وقال سفيان : فى جهنم واد لايسكنه إلا القراء الزائرون للملوك . وقال حذيفة : إياكم ومواقف الفتن ، قيل وما هى ؟ قال : أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول فيه ماليس فيه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « العلماء أمناء الرسل على عباد الله تعالى مالم يخالطوا السلاطين فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم[3] » رواه أنس . وقيل للأعمش : ولقد أحببت العلم لكثرة من يأخذه عنك فقال : لاتعجلوا ثلث يموتون قبل الإدراك وثلث يلزمون أبواب السلاطين فهم شر الخلق والثلث الباقى لايفلح منه إلا القليل . ولذلك قال سعيد بن المسيب رحمه الله : إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فاحترزوا منه فإنه لص . وقال الأوزاعى ما من شىء أبغض إلى الله تعالى من عالم يزور عاملا . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء[4] » وقال مكحول الدمشقى رحمه الله ، من تعلم القرآن وتفقه فى الدين ثم صحب السلطان تملقا إليه وطمعا فيما لديه خاض فى بحر من نار جهنم بعدد خطاه . وقال سمنون : ماأسمج بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلايوجد فيسئل عنه فيقال هو عند الأمير ! قال : وكنت أسمع أنه يقال إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك ؛ إذ مادخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسى بعد الخروج فأرى عليها الدرك وأنتم ترون ماألقاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت أن انجو من الدخول عليه كفافا مع أنى لاأخذ منه شيئا ولاأشرب له شربة ماء . ثم قال : وعلماء زماننا شر من علماء بنى إسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق

---

(١) حديث « من بدا جفا .. الحديث » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه والنسائى من حديث ابن عباس

(٢) حديث « سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون .. الحديث » أخرجه مسلم من حديث أم سلمة (٣) حديث أنس « العلماء أمناء الرسل على عباد الله .. الحديث » أخرجه العقيلى فى الضعفاء ، وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات .

(٤) حديث « شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء » أخرجه ابن ماجه بالشطر الأول نحوه من حديث أبى هريرة بسند ضعيف .

هواه ولو أخبروه بالذى عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم عليه وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم. وقال الحسن: كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم فى الإسلام وصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قال عبد الله بن المبارك عنى به سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ـ قال وكان لا يغشى السلاطين ويفر عنهم . فقال له بنوه : يأتى هؤلاء من ليس هو مثلك فى الصحبة والقدم فى الإسلام فلو أتيتهم ، فقال : يابنى آتى حيفة قد أحاط بها قوم والله لئن استطعت لأشاركهم فيها ؛ قالوا ياأبانا إذن نهلك هزالا قال ، يابنى لأن أموت مؤمنا مهزولا أحب إلى من أن أموت منافقا سمينا قال الحسن : خصمهم والله إذ علم أن التراب يأكل اللحم والسمن دون الإيمان . وفى هذا إشارة إلى أن الداخل على السلطان لايسلم من النفاق ألبتة وهو مضاد للإيمان . وقال أبو ذر لسلمة : يا سلمة لا تغش أبواب السلاطين فإنك لاتصيب شيئا من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه . وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لاسيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو ، إذ لا يزال الشيطان يلقى إليه : أن فى وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع إلى أن يخيل إليه أن الدخول عليهم من الدين ، ثم إذا دخل لم يلبث أن يتلطف فى الكلام ويداهن ويخوض فى الثناء والإطراء وفيه هلاك الدين . وكان يقال : العلماء إذا علموا عملوا فإذا عملوا شغلوا فإذا شغلوا فقدوا فإذا فقدوا طلبوا فإذا طلبوا هربوا : وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى الحسن : أما بعد فأشر على بأقوام أستعين بهم على أمر الله تعالى . فكتب إليه : أما أهل الدين فلا يريدونك وأما أهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالأشراف فإنهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة . هذا فى عمر بن عبد العزيز رحمه الله وكان أزهد أهل زمانه ! فإذا كان شرط أهل الدين الهرب منه فكيف يستنسب طلب غيرهم ومخالطته ؟ ولم يزل السلف العلماء مثل الحسن والثورى وابن المبارك والفضيل وإبراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط يتكلمون فى علماء الدنيا من أهل مكة والشام وغيرهم إما لميلهم إلى الدنيا وإما لمخالطتهم السلاطين منها أن لايكون مسارعا إلى الفتيا بل يكون متوقفاً ومحترزاً ماوجد إلى الخلاص سبيلا . فإن سئل عما يعلمه تحقيقاً بنص كتاب الله أو بنص حديث أو إجماع أو قياس جلى أفتى ، وإن سئل عما يشك فيه قال : لاأدرى ! وإن سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره إن كان فى غيره غنية هذا هو الحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفى الخبر « العلم ثلاثة : كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدرى [1] » قال الشعبى : « لاأدرى » نصف العلم . ومن سكت حيث لايدرى لله تعالى فليس بأقل أجرا ممن نطق لأن الاعتراف بالجهل أشد على النفس فهكذا كانت عادة الصحابة والسلف رضى الله عنهم . كان ابن عمر إذا سئل عن الفتيا قال : اذهب إلى هذا الأمير الذى تقلد أمور الناس وضعها فى عنقه ؛ وقال ابن مسعود رضى الله عنه : إن الذى يفتى الناس فى كل مايستفتونه لمجنون ، وقال : جنة العالم « لاأدرى » فإن أخطأها فقد أصيبت مقاتله . وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله : ليس شىء أشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم ، يقول : انظروا إلى هذا سكوته أشد على من كلامه . ووصف بعضهم الأبدال فقال : أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة ؛ أى لايتكلمون حتى يسألوا وإذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا فإن اضطروا أجابوا وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من السهوة الخفية للكلام ، ومر على وعبد الله رضى الله عنهما برجل يتكلم على الناس فقال : هذا يقول اعرفونى . وقال بعضهم : إنما العالم الذى إذا سئل عن المسئلة فكأنما يقلع ضرسه . وكان ابن عمر يقول : تريدون

(١) حديث « العلم ثلاثة : كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدرى » أخرجه الخطيب فى أسماء من روى عن مالك موقوفا على ابن عمر ولأبى داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا نحوه مع اختلاف وقد تقدم

أن تجعلونا جسرا تعبرون علينا إلى جهنم . وقال أبو حفص النيسابورى : العالم هو الذى يخاف عند السؤال أن يقال له يوم القيامة من أين أجبت ؟ وكان إبراهيم التيمى إذا سئل عن مسئلة يبكى ويقول : لم تجدوا غيرى حتى احتجتم إلى . وكان أبو العالية الرياحى وإبراهيم بن أدهم والثورى يتكلمون على الاثنين والثلاثة والنفر اليسير فإذا كثروا انصرفوا . وقال صلى الله عليه وسلم « ماأدرى أعزير نبى أم لا ؟ وماأدرى أتبع ملعون أم لا ؟ وماأدرى ذو القرنين نبى أم لا ؟ [1] » ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خير البقاع فى الأرض وشرها قال « لاأدرى » حتى نزل عليه جبريل عليه السلام فسأله فقال « لا أدرى » إلى أن أعلمه الله عز وجل أن خير البقاع المساجد وشرها الأسواق [2] » وكان ابن عمر رضى الله عنهما يسئل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع . وكان ابن عباس رضى الله عنهما يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة . وكان فى الفقهاء من يقول « لاأدرى » أكثر ممن يقول « أدرى » منهم سفيان الثورى ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل والفضيل ابن عياض وبشر بن الحرث . وقال عبد الرحمن بن أبى ليلى : أدركت فى هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم أحد يسئل عن حديث أو فتيا إلا ود أن أخاه كفاه ذلك . وفى لفظ آخر : كانت المسئلة تعرض على أحدهم فيردها إلى الآخر ويردها الآخر إلى الآخر حتى تعود إلى الأول وروى أن أصحاب الصفة أهدى إلى واحد منهم رأس مشوى وهو فى غاية الضر فأهداه إلى الآخر وأهداه الآخر إلى الآخر ؛ هكذا دار بينهم حتى رجع إلى الأول . فانظر الآن كيف انعكس أمر العلماء فصار المهروب منه مطلوبا والمطلوب مهروبا عنه ؟ ويشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتاوى ما روى مسندا عن بعضهم . أنه قال : لايفتى الناس إلا ثلاثة : أمير أو مأمور أو متكلف . وقال بعضهم : كان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء ؛ الإمامة والوصية والوديعة والفتيا . وقال بعضهم : كان أسرعهم إلى الفتيا أقلهم علما واشدهم دفعا لها أورعهم . وكان شغل الصحابة والتابعين رضى الله عنهم فى خمسة أشياء : قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وذلك لما سمعوه من قوله صلى الله عليه وسلم « كل كلام ابن آدم عليه لاله إلا ثلاثة : أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله تعالى [3] » وقال تعالى ﴿ لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴾ الآية . ورأى بعض العلماء بعض أصحاب الرأى من أهل الكوفة فى المنام فقال : مارأيت فيما كنت عليه من الفتيا والرأى ؟ فكره وجهه وأعرض عنه وقال : ماوجدناه شيئا وماحمدنا عاقبته . وقال ابن حصين : إن أحدهم ليفتى فى مسئلة لو وردت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه لجمع لها اهل بدر . فلم يزل السكوت دأب أهل العلم إلا عند الضرورة . وفى الحديث « إذا رأيتم الرجل قد أوتى صمتا وزهدا فاقتربوا منه فإنه يلقن الحكمة [4] » وقيل العالم إما عالم عامة وهو المفتى وهم أصحاب السلاطين أو عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد وأعمال القلوب ، وهم أصحاب الزوايا المتفرقون المنفردون . وكان يقال : مثل أحمد بن حنبل مثل دجلة كل احد يغترف منها ، ومثل بشر بن الحرث مثل بئر عذبة مغطاة لايقصدها إلا واحد بعد واحد . وكانوا يقولون : فلان عالم

(١) حديث « ما أدرى أعزير نبى أم لا .. الحديث » أخرجه أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث « لما سئل عن خير البقاع وشرها قال لا أدرى حتى نزل جبريل .. الحديث » أخرجه أحمد وأبو يعلى والبزار والحاكم وصححه ونحوه من حديث ابن عمر (٣) حديث « كل كلام ابن آدم عليه لاله إلا ثلاثة . . الحديث » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أم حبيبة قال الترمذى حديث غريب (٤) حديث « إن رأيتم الرجل قد أوتى صمتا وزهدا .. الحديث أخرجه ابن ماجه من حديث ابن خلاد باسناد ضعيف

وفلان متكلم وفلان أكثر كلاما وفلان أكثر عملا ، وقال أبو سليمان : المعرفة إلى السكوت أقرب منها إلى الكلام وقيل : إذا كثر العلم قل الكلام وإذا كثر الكلام قل العلم وكتب سلمان إلى أبى الدرداء رضى الله عنهما ـ وكان قد آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] . يا أخى بلغنى أنك قعدت طبيبا تداوى المرضى ، فانظر فان كنت طبيبا فتكلم فإن كلامك شفاء وإن كنت متطبباً فالله الله لاتقتل مسلما . فكان أبو الدرداء يتوقف بعدذلك إذا سئل وكان أنس رضى الله عنه إذا سئل يقول: سلوا مولانا الحسن. وكان ابن عباس رضى الله عنهما إذا سئل يقول : سلوا حارثة ابن زيد وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول : سلوا سعيد بن المسيب . وحكى أنه روى صحابى فى حضرة الحسن عشرين حديثاً فسئل عن تفسيرها فقال : ماعندى إلا ماروايت ، فأخذ الحسن فى تفسيرها حديثا حديثا ، فتعجبوا من حسن تفسيره وحفظه ! فأخذ الصحابى كفا من حصى ورماهم به وقال : تسألونى عن العلم وهذا الحبر بين أظهركم ومنها أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء فى انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة تفضى إلى المشاهدة ، ودقائق علوم القلب تتفجر بها ينابيع الحكمة من القلب ، وأما الكتب والتعليم فلا تفى بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد إنما تتفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الأعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله عز وجل فى الخلوة مع حضور القلب بصافى الفكرة والانقطاع إلى الله تعالى عما سواه فذلك مفتاح الإلهام ومنبع الكشف ، فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة ، وكم من مقتصر على المهم فى التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ماتحار فيه عقول ذوى الألباب ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم[2] » وفى بعض الكتب السالفة : يابنى إسرائيل لاتقولوا العلم فى السماء من ينزل به إلى الأرض ولا فى تخوم الأرض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر به ، العلم مجعول فى قلوبكم تأدبوا بين يدى بآداب الروحانيين وتخلقوا لى بأخلاق الصديقين أظهر العلم فى قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم . وقال سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله : خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء . ثم تلا قوله تعالى (وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو) الآية ولولا أن إدراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال صلى الله عليه وسلم « استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك » وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى « لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به[3] . . . الحديث » فكم من معان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب المتجردين المذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين وإذا انكشف ذلك للمريد المراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية وألطاف الله تعالى بالهمم العالية المتوجهة اليه . وكذلك فى علوم المكاشفة وأسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب فان كل علم من هذه العلوم بحر لايدرك عمقه وإنما يخوضه كل طالب بقدر مارزق منه وبحسب ما وفق له من حسن العمل وفى وصف هؤلاء العلماء قال على رضى الله عنه فى حديث طويل . القلوب أوعية وخيرها اوعاها للخير ، والناس ثلاثة عالم ربانى ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع اتباع لكل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا

---

(١) حديث « مؤاخاته صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبى الدرداء » أخرجه البخارى من حديث أبى جحيفة

(٢) حديث « من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم » أخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس وضعفه

(٣) حديث « لايزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصراً » متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ « سمعه وبصره » وهو فى الحلية كما ذكره المؤلف من حديث انس بسند ضعيف

بنور العلم ولم يلجئوا الى ركن وثيق ، العلم خير من المال ، العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزكو على الإنفاق والمال ينقصه الإنفاق ، والعلم دين يدان به تكتسب به الطاعة فى حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته ؛ العلم حاكم والمال محكوم عليه ، ومنفعة المال تزول بزواله مات ، خزان الأموال وهم احياء والعلماء احياء باقون مابقى الدهر ، ثم تنفس الصعداء وقال . هاه إن ههنا علما جما لو وجدت له حملة « بل اجد طالبا غير مأمون يستعمل آلة الدين فى طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله على اوليائه ويستظهر بحجته على حلقه ، او منقادا لأهل الحق لكن ينزرع الشك فى قلبه بأول عارض من شبهة لابصيرة له لاذا ولا ذاك ؛ أو منهوما باللذات سلس القياد فى طلب الشهوات ، أو مغرى بجمع الأموال والادخار منقاداً لهواه أقرب شبها بهم الأنعام السائمة ؛ اللهم هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه ثم لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهر مكشوف وإما خائف مقهور لكيلا تبطل حجج الله تعالى وبيناته وكم وأين أولئك ؟ هم الأقلون عدداً الأعظمون قدراً أعيانهم مفقودة وامثالهم فى القلوب موجودة يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها من وراءهم ويزرعوها فى قلوب أشباههم : هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه الغافلون، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك أولياء الله عز وجل من خلقه وأمناؤه وعماله فى أرضه والدعاة إلى دينه ثم بكى وقال : واشوقاه إلى رؤيتهم فهذا الذى ذكره أخيراً هو وصف علماء الآخرة وهو العلم الذى يستفاد أكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة .

ومنها أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين فإن اليقين هو رأس مال الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اليقين الإيمان كله [1] » فلا بد من تعلم علم اليقين أعنى أوائله ثم ينفتح للقلب طريقه ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « تعلموا اليقين [2] » ومعناه جالسوا الموقنين واستمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوى يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير من العمل . وقال صلى الله عليه وسلم « لما قيل له : رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد فى العبادة قليل اليقين ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما من آدمى إلا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لأنه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة [3] » ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن من أقل ما أوتيتم : اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال مافاته من قيام الليل وصيام النهار [4] » وفى وصية لقمان لابنه يابنى لايستطاع العمل إلا باليقين ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه ، وقال يحيى بن معاذ إن للتوحيد نوراً وللشرك ناراً ، وإن نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين ، وأراد به اليقين ، وقد أشار الله تعالى فى القرآن إلى ذكر الموقنين فى مواضع دل بها على أن اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات » فان قلت . فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه أولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فان مالا تفهم صورته لايمكن طلبه ؟ فاعلم أن اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين أما النظار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك إذ ميل النفس إلى التصديق بالشىء له أربع مقامات ، الأول أن يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك ، كما إذا سئلت عن

---

(١) حديث « اليقين الإيمان كله » اخرجه البيهقى فى الزهد والخطيب فى التاريخ من حديث ابن مسعود باسناد حسن

(٢) حديث «تعلموا اليقين» اخرجه ابو نعيم من رواية ثور بن يزيد مرسلا وهو معضل رواه ابن أبى الدنيا فى اليقين من قول خالد بن معدان (٣) حديث (قيل له . رجل حسن اليقين كثير الذنوب) اخرجه الترمذى الحكيم فى النوادر من حديث أنس باسناد مظلم (٤) حديث (من أولى ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر .. الحديث) لم أقف له على أصل . وروى ابن عبد البر من حديث معاذ (ما أنزل الله شيئا أقل من اليقين ولا قسم شيئا بين الناس أقل من الحلم) الحديث

شخص معين ، أن الله تعالى يعاقبه أم لا ؟ وهو مجهول الحال عندك فإن نفسك لاتميل إلى الحكم فيه بإثبات ولا نفى بل يستوى عندك إمكان الأمرين فيسمى هذا شكا . الثانى . أن تميل نفسك إلى أحد الأمرين مع الشعور بإمكان نقيضه ولكنه إمكان لايمنع ترجيح الأول ، كما إذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى أنه بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب ؟ فإن نفسك تميل إلى أنه لا يعاقب أكثر من ميلها إلى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح . ومع هذا فأنت تجوز اختفاء أمر موجب للعقاب فى باطنه وسريرته فهذا التجوير مساو لذلك الميل ولكنه غير دافع رجحانه فهذه الحالة تسمى ظنا . الثالث : أن تميل النفس إلى التصديق لشىء بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال غيره ولو خطر بالبال تأبى النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك مع معرفة محققة إذ لو أحسن صاحب هذا المقام التأمل والإصغاء إلى التشكيك والتجويز اتسعت نفسه للتجويز ، وهذا يسمى اعتقاداً مقارباً لليقين وهو اعتقاد العوام فى الشرعيات كلها إذ رسخ فى نفوسهم بمجرد السماع حتى إن كل فرقة تثق بصحة مذهبها وإصابة إمامها ومتبوعها ، ولو ذكر لأحدهم إمكان خطأ إمامه نفر عن قبوله . الرابع المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذى لا يشك فيه ولا يتصور الشك فيه فاذا امتنع وجود الشك وإمكانه يسمى يقينا عند هؤلاء ، ومثاله أنه إذا قيل للعاقل هل فى الوجود شىء هو قديم ؟ فلا يمكنه التصديق به بالبديهة لأن القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فإنه يصدق بوجودهما بالحس وليس العلم بوجوده شىء قديم أزلى ضرورياً مثل العلم بأن الاثنين أكثر من الواحد ومثل العلم بأن حدوث حادث بلا سبب محال ، فان هذا أيضا ضرورى لحق غريزة العقل أن تتوقف عن التصديق بوجود القديم على الارتحال والبديهة ، ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقا جزما ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام . ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو أن يقال له . إن لم يكن فى الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة فإن كانت كلها حادثة فهى حادثة بلا سبب أو فيها حادث بلا سبب وذلك محال ، فالمؤدى إلى المحال محال ، فيلزم فى العقل التصديق بوجود شىء قديم بالضرورة لأن الأقسام ثلاثة . وهى أن تكون الموجودات كلها قديمة أو كلها حادثة أو بعضها قديمة وبعضها حادثة فان كانت كلها قديمة فقد حصل المطلوب إذ ثبت على الجملة قديم ، وإن كان الكل حادثا فهو محال إذ يؤدى إلى حدوث بغير سبب فيثبت القسم الثالث أو الأول . وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا عند هؤلاء سواء حصل بنظر مثل ماذكرناه أو حصل بحس أو بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب أو بتواتر ، كالعلم بوجود مكة أو بتجربة كالعلم بأن السقمونيا المطبوخ مسهل أو بدليل كما ذكرنا فشرط إطلاق هذا الاسم عندهم عدم الشك فكل علم لا شك فيه يسمى يقينا عند هؤلاء وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف إذ لاتفاوت فى نفى الشك . الاصطلاح الثانى اصطلاح الفقهاء والمتصوفة وأكثر العلماء وهو أن لا يلتفت فيه إلى اعتبار التجويز والشك بل إلى استيلائه وغلبته على العقل : حتى يقال . فلان ضعيف اليقين بالموت مع أنه لاشك فيه ؛ ويقال : فلان قوى اليقين فى إتيان الرزق مع أنه قد يجوز أنه لايأتيه ، فهما مالت النفس إلى التصديق لشىء وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف فى النفس بالتجويز والمنع سمى ذلك يقينا ولا شك فى أن الناس يشتركون فى القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ، ولكن فيهم من لا يلتفت اليه ولا إلى الاستعداد له وكأنه غير موقن به . ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق جميع همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ، ولذلك قال بعضهم . مارأيت يقينا لاشك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من

الموت ، وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحن إنما أردنا بقولنا « إن من شأن علماء الآخرة صرف العناية إلى تقوية اليقين » بالمعنيين جميعا وهو نفى الشك ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكم عليها المتصرف فيها . فاذا فهمت هذا علمت أن المراد من قولنا « إن اليقين ينقسم ثلاثة أقسام » بالقوة والضعف والكثرة والقلة والخفاء والجلاء ، فأما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثانى وذلك فى الغلبة والاستيلاء على القلب ودرجات معانى اليقين فى القوة والضعف لاتتناهى وتفاوت الخلق فى الاستعداد الموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعانى وأما التفاوت بالخفاء والجلاء فى الاصطلاح الأول فلا ينكر أيضاً ، أما فيما يتطرق إليه التجويز فلا ينكر ـ أعنى الاصطلاح الثانى ـ وفيما انتفى الشك أيضا عنه لاسبيل إلى إنكاره فإنك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود فدك مثلا وبين تصديقك بوجود موسى ووجود يوشع عليهما السلام مع أنك لا تشك فى الأمرين جميعا فمستندهما جميعا التواتر ، ولكن ترى أحدهما أجلى وأوضح فى قلبك من الثانى لأن السبب فى أحدهما أقوى وهو كثرة المخبرين ، وكذلك يدرك الناظر هذا فى النظريات المعروفة بالأدلة فانه ليس وضوح مالاح له بدليل واحد كوضوح مالاح له بالأدلة الكثيرة مع تساويهما فى نفى الشك ، وهذا قد ينكره المتكلم الذى يأخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الأحوال . وأما القلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين ، كما يقال : فلان أكثر علما من فلان ، أى معلوماته أكثر . ولذلك قد يكون العالم قوى اليقين فى جميع ماورد الشرع به وقد يكون قوى اليقين فى بعضه * فإن قلت : قد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته وقلته وجلاءه وخفاءه بمعنى نفى الشك أو بمعنى الاستيلاء على القلب فما معنى متعلقات اليقين ومحاريه وفيماذا يطلب اليقين فإنى مالم أعرف ما يطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه ؟ فاعلم أن جميع ماورد به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من أوله إلى آخره هو من مجارى اليقين فإن البقين عباره عن معرفة مخصوصة ومتعلقه المعلومات التى وردت بها الشرائع فلا مطمع فى إحصائها ولكنى أشير إلى بعضها وهى أمهاتها . فمن ذلك : التوحيد . وهو أن يرى الأشياء كلها من مسبب الأسباب ولا يلتفت إلى الوسائط بل يرى الوسائط مسخرة لاحكم لها فالمصدق بهذا موقن ، فإن انتفى عن قلبه مع الإيمان إمكان الشك فهو مرقن بأحد المعنيين ، فان غلب على قلبه مع الإيمان غلبة أزالت عنه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم ونزل الوسائط فى قلبه منزلة القلم واليد فى حق المنعم بالتوقيع فانه لايشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما آلتين مسخرتين وواسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثانى وهو الإشراف ، وهو ثمرة اليقين الأول وروحه وفائدته . ومهما تحقق أن الشمس والنجوم والجمادات والنبات والحيوان وكل مخلوق فهى مسخرات بأمره حسب تسخير القلم فى يد الكاتب وأن القدرة الأزلية هى المصدر للكل استولى على قلبه غلبة التوكل والرضا والتسليم وصار موقنا بريئا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق ، فهذا أحد أبواب اليقين . ومن ذلك : الثقة بضمان الله سبحانه بالرزق فى قوله تعالى ﴿وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها﴾ واليقين بأن ذلك يأتيه وأن مافدّر له سيساق اليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا فى الطلب ولم يشتد حرصه وشرهه وتأسفه على ما فاته ، وأثمر هذا اليقين أيضا جملة من الطاعات والأخلاق الحميدة . ومن ذلك : أنّ يغلب على قلبه أن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات إلى الثواب كنسبة الخبز إلى الشبع ، ونسبة المعاصى إلى العقاب كنسبة السموم والأفاعى إلى الهلاك فكما يحرص على التحصيل للخبز طلبا للشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعات كلها قليلها

وكثيرها ، وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها فكذلك يجتنب المعاصى قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها ؛ فاليقين بالمعنى الأول قد يوجد لعموم المؤمنين أما بالمعنى الثانى فيختص به المقربون ، وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة فى الحركات والسكنات الخطرات والمبالغة فى التقوى والتحرز عن كل السيئات , وكلما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشد والتشمير أبلغ . ومن ذلك ؛ اليقين بأن الله تعالى مطلع عليك فى كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك فهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الأول وهو عدم الشك وأما بالمعنى الثانى وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون ، وثمرته أن يكون الإنسان فى خلوته متأدباً فى جميع أحواله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر إليه فإنه لايزال مطرقا متأدباً فى جميع أعماله متماسكا محترزاً عن كل حركة تخالف هيئة الأدب ويكون فى فكرته الباطنة كهو فى أعماله الظاهرة إذ يتحقق أن الله تعالى مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره فتكون مبالغته فى عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بعين الله تعالى الكائنة أشد من مبالغته فى تزيين ظاهره لسائر الناس ، وهذا المقام فى اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الأخلاق المحمودة ، وهذه الأخلاق تورث أنواعا من الطاعات رفيعة فاليقين فى كل باب من هذه الأبواب مثل الشجرة وهذه الأخلاق فى القلب مثل الأغصان المتفرعة منها وهذه الأعمال والطاعات الصادرة من الأخلاق كالثمار وكالأنوار المتفرعة من الأغصان فاليقين هو الأصل والأساس وله مجار وأبواب أكثر مما عددناه ، وسيأتى ذلك فى ربع المنجيات إن شاء الله تعالى . وهذا القدر كاف فى معنى اللفظ الآن . ومنها أن يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر أثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته لا ينظر إليه ناظر إلا وكان نظره مذكرا لله تعالى وكانت صورته دليلا على عمله فالجواد عينه مرآته وعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم فى السكينة والذلة والتواضع ، وقد قيل ماألبس الله عبدا لبسة أحسن من خشوع فى سكينة فهى لبسة الأنبياء وسيما الصالحين والصديقين والعلماء وأما التهافت فى الكلام والتشدق والاستغراق فى الضحك والحدة فى الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطر والأمن والغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه وهو دأب أبناء الدنيا الغافلين عن الله دون العلماء به ، وهذا لأن العلماء ثلاثة كما قال سهل التسترى رحمه الله : عالم بأمر الله تعالى لابأيام الله وهم المفتون فى الحلال والحرام وهذا العلم لايورث الخشية ، وعالم بالله تعالى لابأمر الله ولا بأيام الله وهم عموم المؤمنين ، وعالم بالله تعالى وبأمر الله تعالى وبأيام الله تعالى وهم الصديقون ، والخشية والخشوع إنما تغلب عليهم ، وأراد بأيام الله أنواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التى أفاضها على القرون السالفة واللاحقه فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه . وقال عمر رضى الله عنه : تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولاتكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم . ويقال ما آتى الله عبدا علما إلا آتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورفقا فذلك هو العلم النافع . وفى الأثر : من آتاه الله علما وزهدا وتواضعا وحسن خلق فهو إمام المتقين . وفى الخبر « إن من خيار أمتى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من خوف عذابه ، أبدانهم فى الأرض وقلوبهم فى السماء ، أرواحهم فى الدنيا وعقولهم فى الآخرة ، يتمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة [1] » وقال الحسن : الحلم وزير العلم والرفق أبوه والتواضع سرباله . وقال بشر بن الحارث من طلب

(١) حديث « إن من خيار أمتى قوماً يضحكون جهراً من سعة رحمة الله ويبكون سراً من خوف عذابه .. الحديث » أخرجه الحاكم والبيهقى فى شعب الإيمان وضعفه من حديث عياض بن سليمان

الرياسة بالعلم فتتقرب إلى الله تعالى ببغضه فإنه ممقوت فى السماء والأرض . ويروى فى الإسرائيليات أن حكيما صنف ثلثمائة وستين مصنفا فى الحكمة حتى وصف بالحكيم فأوحى الله تعالى إلى نبيهم . قل لفلان قد ملأت الأرض نفاقا ولم تردنى من ذلك بشىء وإنى لا أقبل من نفاقك شيئا . فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة فى الأسواق وواكل بنى إسرائيل وتواضع فى نفسه فأوحى الله تعالى إلى نبيهم : قل له الآن وفقت لرضاى . وحكى الأوزاعى رحمه الله عن بلال بن سعد : أنه كان يقول ينظر أحدكم إلى الشرطى فيستعيذ بالله منه وينظر إلى علما الدنيا المتصنعين للخلق المتشوفين إلى الرياسة فلا يمقتهم وهم أحق بالمقت من ذلك الشرطى . وروى أنه قيل « يارسول الله أى الأعمال أفضل ؟ قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله تعالى ، قيل : فأى الأصحاب خير ؟ قال صلى الله عليه وسلم صاحب إن ذكرت الله أعانك وإن نسيته ذكرك ، قيل : فأى الأصحاب شر ؟ قال صلى الله عليه وسلم : صاحب إن نسيت لم يذكرك وإن ذكرت لم يعنك ، قيل : فأى الناس أعلم ؟ قال : أشدهم لله خشية ، قيل : فأخبرنا بخيار نا نجالسهم ، قال صلى الله عليه وسلم : الذين إذا رؤوا ذكر الله ، قيل : فأى الناس شر ؟ قال : اللهم غفرا ، قالوا : أخبرنا يارسول الله قال: العلماء إذا فسدوا [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أكثر الناس أمانا يوم القيامة أكثرهم فكرا فى الدنيا وأكثر الناس ضحكا فى الآخرة أكثرهم بكاء فى الدنيا وأشد الناس فرحا فى الآخرة أطولهم حزنا فى الدنيا [2] » وقال على رضى الله عنه فى خطبة له : ذمتى رهينة وأنا به زعيم إنه لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على الهدى سنخ أصل ، وإن أجهل الناس من لا يعرف قدره ، وإن أبغض الخلق إلى الله تعالى رجل قمش علما أغار به فى أغباش الفتنة سماه أشباه له من الناس وأرذالهم عالما ولم يعش فى العلم يوما سالما ، تكثر واستكثر فما قل منه وكفى خير مما كثر وألهى حتى إذا ارتوى من ماء آجن وأكثر من غير طائل جلس للناس معلما لتخليص ما التبس على غيره ، فإن نزلت به إحدى المهمات هيأ لها من رأيه حشو الرأى فهو من قطع الشبهات فى مثل نسج العنكبوت لا يدرى أخطأ أم أصاب ؟ ركاب جهالات خباط عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا بعض على العلم بضرس قاطع فيغنم ، تبكى منه الدماء وتستحل بقضائه الفروج الحرام لا ملىء والله بإصدار ما ورد عليه ولا هو أهل لما فوض إليه أولئك الذين حلت عليهم المثلات وحقت عليهم النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا . وقال على رضى الله عنه : إذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب . وقال بعض السلف : العالم إذا ضحك ضحكة مج من العلم مجة . وقيل : إذا جمع المعلم ثلاثا تمت النعمة بها على المتعلم : الصبر والتواضع وحسن الخلق . وإذا جمع المتعلم ثلاثا تمت النعمة بها على المعلم : العقل والأدب وحسن الفهم . وعلى الجملة فالأخلاق التى ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة لأنهم يتعلمون القرآن للعمل لا للرياسة . وقال ابن عمر رضى الله عنهما : لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وأوامرها وزواجرها وما ينبغى أن يقف عنده منها ، ولقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدرى ما آمره وما زاجره وما ينبغى ان يقف عنده ينثره الدقل [3] . وفى خبر آخر بمثل معناه : كنا اصحاب رسول الله صلى الله

---

(١) حديث « قيل يارسول الله أى الأعمال افضل » قال . اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله . . الحديث » لم أجده هكذا بطوله ، وفى زيادات الزهد لابن المبارك من حديث الحسن مرسلا « سئل النبى صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أفضل . قال : أن تموت يوم تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى » وللدارمى من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا « ألا إن شر الشر شرار العلماء وإن خير الخير خيار العلماء » وقد تقدم . (٢) حديث « إن أكثر الناس أمنا يوم القيامة أكثرهم خوفا فى الدنيا . . الحديث » لم أجد له أصلا (٣) حديث ابن عمر « لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن الحديث » أخرجه الحاكم وصححه على شرط الشيخين والبيهقى

عليه وسلم أوتينا الإيمان قبل القرآن وستأتى بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الإيمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده وحقوقه يقولون قرأنا فمن أقرأ منا وعلمنا فمن أعلم منا ؟ فذلك حظهم [1] . وفى لفظ أولئك شرار هذه الأمة . وقيل خمس من الأخلاق هى من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات من كتاب الله عز وجل : الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وإيثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد ، فأما الخشية فمن قوله تعالى ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وأما الخشوع فمن قوله تعالى ﴿ خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا ﴾ وأما التواضع فمن قوله تعالى ﴿ واخفض جناحك للمؤمنين ﴾ وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ﴾ وأما الزهد فمن قوله تعالى ﴿ وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ﴾ ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ فقيل له ما هذا الشرح ؟ فقال «إن النور إذا قذف فى القلب انشرح له الصدر وانفسح» قيل : فهل لذلك من علامة ؟ قال صلى الله عليه وسلم « نعم التجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله [2] » ، ومنها أن يكون أكثر بحثه عن علم الأعمال وعما يفسدها ويشوش القلوب ويهيج الوسواس ويثير الشر فإن أصل الدين التوقى من الشر ولذلك قيل :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

ولأن الأعمال الفعلية قريبة وأقصاها بل أعلاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان وإنما الشأن فى معرفة ما يفسدها ويشوشها وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفريعه ، وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة إليه وتعم به البلوى فى سلوك طريق الآخرة ، وأما علماء الدنيا فإنهم يتبعون غرائب التفريعات فى الحكومات والأقضية ويتعبون فى وضع صور تنقضى الدهور ولا تقع أبدا ، وإن وقعت فإنما تقع لغيرهم لا لهم ، وإذا وقعت كان فى القائمين بها كثرة ، ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم آناء الليل وأطراف النهار فى خواطرهم ووساوسهم وأعمالهم ، وما أبعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر إيثارا للتقرب والقبول من الخلق على التقرب من الله سبحانه . وشرها فى أن يسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق وجزاؤه من الله أن لا ينتفع فى الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين ، ولقد كان الحسن البصرى رحمه الله أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأقربهم هديا من الصحابة رضى الله عنهم اتفقت الكلمة فى حقه على ذلك وكان أكثر كلامه فى خواطر القلوب وفساد الأعمال ووساس النفوس والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس ؛ وقد قيل له : يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن أين أخذته ؟ قال : من حذيفة بن اليمان . وقيل لحذيفة : نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته ؟ قال : خصنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسبقنى علمه [3] وقال مرة : فعلمت أن من

---

(١) حديث « كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الإيمان قبل القرآن .. الحديث » أخرجه ابن ماجه من حديث جندب مختصراً مع اختلاف (٢) حديث « لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) .. الحديث » أخرجه الحاكم والبيهقى فى الزهد من حديث ابن مسعود

(٣) حديث حذيفة « كان الناس يسألون رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر .. الحديث » أخرجاه مختصراً .

لا يعرف الشر لا يعرف الخير . وفى لفظ آخر : كانوا يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا ؟ يسألونه عن فضائل الأعمال وكنت أقول يارسول الله مايفسد كذا وكذا ؟ فلما رآنى أسأله عن آفات الأعمال خصنى بهذا العلم . وكان حذيفة رضى الله عنه أيضا قد خص بعلم المنافقين وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن ، فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضى الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة ، وكان يسأل عن المنافقين فيخبر بعدد من بقى منهم ولا يخبر بأسمائهم ، وكان عمر رضى الله عنه يسأل عن نفسه هل يعلم فيه شيئا من النفاق ؟ فبرأه من ذلك ، وكان عمر رضى الله عنه إذا دعى إلى جنازة ليصلى عليها نظر فإن حضر حذيفة صلى عليها وإلا ترك ، وكان يسمى صاحب السر . فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة لأن القلب هو الساعى إلى قرب الله تعالى وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا وإذا تعرض العالم لشىء منه استغرب واستبعد وقيل هذا تزويق المذكرين فأين التحقيق ؟ ويرون أن التحقيق فى دقائق المجادلات ولقد صدق من قال :

الطرق شتى وطرق الحق ممردة والسالكون طريق الحق أفراد
لا يعرفون ولا تدرى مقاصدهم فهم على مهل يمشون قصاد
والناس فى غفلة عما يراد بهم فجلهم عن سبيل الحق رقاد

وعلى الجملة فلا يميل أكثر الخلق إلا إلى الأسهل والأوفق لطباعهم فإن الحق مر والوقوف عليه صعب وإدراكه شديد وطريقه مستوعر ولا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق المذمومة فإن ذلك نزع للروح على الدوام ، وصاحبه ينزل منزلة الشارب للدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه فهو يقاسى الشدائد ليكون فطره عند الموت ، ومتى تكثر الرغبة فى هذا الطريق ؟ ولذلك قيل : إنه كان فى البصرة مائة وعشرين متكلما فى الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم فى علم اليقين وأحوال القلوب وصفات الباطن إلا ثلاثة منهم - سهل التسترى والصبيحى وعبد الرحيم - وكان يجلس إلى أولئك الخلق الكثير الذى لا يحصى وإلى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة ، لأن النفيس العزيز لا يصلح إلا لأهل الخصوص وما يبذل للعموم فأمره قريب . ومنها أن يكون اعتماده فى علومه على بصيرته وإدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وإنما المقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما أمر به وقاله وإنما يقلد الصحابة رضى الله عنهم من حيث إن فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم إذا قلد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فى تلقى أقواله وأفعاله بالقبول فينبغى أن يكون حريصا على فهم أسراره فإن المقلد إنما يفعل الفعل لأن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فعله ، وفعله لا بد وأن يكون لسر فيه فينبغى أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال فإنه إن اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولا يكون عالما . ولذلك كان يقال : فلان من أوعية العلم ؛ فلا يسمى عالما إذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والأسرار . ومن كشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار فى نفسه متبوعا مقلدا فلا ينبغى أن يقلد غيره . ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما : ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على أبى بن كعب ثم خالفهما فى الفقه

(١) حديث ابن عباس « ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم » أخرجه الطبرانى من حديثه يرفعه بلفظة « من قوله ويدع »

والقراءة جميعا . وقال بعض السلف : ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة رضى الله عنهم فنأخذ منه ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال : وإنما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق قلوبهم أمورا أدركت بالقرائن فسددهم ذلك إلى الصواب من حيث لا يدخل فى الرواية والعبارة إذ فاض عليهم من نور النبوة مايحرسهم فى الأكثر عن الخطأ . وإذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليداً غير مرضى فالاعتماد على الكتب والتصانيف أبعد . بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شىء منها فى زمن الصحابة وصدر التابعين وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجملة التابعين رضى الله عنهم وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين ؛ بل كان الأولون يكرهون كتب الأحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر وقالوا : احفظوا كما كنا نحفظ . ولذلك كره أبو بكر وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم تصحيف القرآن فى مصحف وقالوا : كيف نفعل شيئاً ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا : نترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والإقراء ليكون هذا شغلهم وهمهم ، حتى أشار عمر رضى الله عنه وبقية الصحابة بكتب القرآن خوفا من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذراً من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع إليه فى كلمة أو قراءة من المتشابهات فانشرح صدر أبى بكر رضى الله عنه لذلك فجمع القرآن فى مصحف واحد . وكان أحمد بن حنبل ينكر على مالك فى تصنيفه الموطأ ويقول : ابتدع ما لم تفعله الصحابة رضى الله عنهم وقيل : أول كتاب صنف فى الإسلام كتاب ابن جريج فى الآثار وحروف التفاسير عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس رضى الله عنهم بمكة . ثم كتاب معمر بن راشد الصنعانى باليمن جمع فيه سننا مأثورة نبوية ، ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس ، ثم جامع سفيان الثورى . ثم فى القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض فى الجدال والغوص فى إبطال المقالات ، ثم مال الناس إليه وإلى القصص والوعظ بها فأخذ علم اليقين فى الاندراس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان وأعرض عن ذلك إلا الأقلون ، فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالما ، وهذا لأن العوام هم المستمعون إليهم فكان لا يتميز لهم حقيقة العلم من غيره ، ولم تكن سيرة الصحابة رضى الله عنهم وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث اللقب خلف عن سلف وأصبح علم الآخرة مطويا ، وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام إلا عن الخواص منهم كانوا إذا قيل لهم ؛ فلان أعلم أم فلان ؟ يقولون : فلان أكثر علما وفلان أكثر كلاما . فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام . هكذا ضعف الدين فى قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا ؟ وقد انتهى الأمر إلى أن مظهر الإنكار يستهدف لنسبته إلى الجنون فالأولى أن يشتغل الإنسان بنفسه ويسكت . ومنها أن يكون شديد التوقى من محدثات الأمور وإن اتفق عليها الجمهور فلا يغرنه إطباق الخلق على ماأحدث بعد الصحابة رضى الله عنهم وليكن حريصا على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم وما كان فيه أكثر همهم اكان فى التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية وتولى الأوقاف والوصايا واكل مال الأيتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم فى العشرة ؟ ام كان فى الخوف والحزن والتفكر المجاهدة ومراقبة الظاهر والباطن واجتناب دقيق الإثم وجليله والحرص على إدراك خفايا شهوات النفوس ومكايد الشيطان إلى غير ذلك

من علوم الباطن ؟ واعلم تحقيقاً أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق السلف فهم أخذ الدين . ولذلك قال على رضى الله عنه « خيرنا أتبعنا لهذا الدين » لما قيل له : خالفت فلانا . فلا ينبغى أن يكترث بمخالفة أهل العصر فى موافقة أهل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الناس رأوا رأيا فيما هم فيه لميل طباعهم إليه ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف بأن ذلك سبب الحرمان من الجنة فادعوا أنه لا سبيل إلى الجنة سواه . ولذلك قال الحسن : محدثان أحدثا فى الإسلام : رجل ذو رأى سيء زعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيه ، ومترف يعبد الدنيا لها يغضب ولها يرضى وإياها يطلب فارفضوهما إلى النار . وإن رجلا أصبح فى هذه الدنيا بين مترف يدعوه إلى دنياه وصاحب هوى يدعوه إلى هواه وقد عصمه الله تعالى منهما يحن إلى السلف الصالح يسأل عن أفعالهم ويقتفى آثارهم متعرض لأجر عظيم فكذلك كونوا . وقد روى عن ابن مسعود موقوفا ومسندا أنه قال : « إنما هما اثنتان الكلام والهدى ، فأحسن الكلام كلام الله تعالى ، وأحسن الهدى هدى رسول الله تعالى صلى الله عليه وآله وسلم ، ألا وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن شر الأمور محدثاتها ، وإن كل محدثة بدعة ، وإن كل بدعة ضلالة ، ألا لايطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم ، ألا كل ماهو آت قريب ، ألا إن البعيد ما ليس بآت[1] » وفى خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط أهل الفقه والحكم وجانب أهل الزلل والمعصية ، طوبى لمن ذل فى نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره ، طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها إلى بدعة[2] » وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول : حسن الهدى فى آخر الزمان خير من كثير من العمل ، وقال : أنتم فى زمان خيركم فيه المسارع فى الأمور وسيأتى بعدكم زمان يكون خيرهم فيه المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات . وقد صدق فمن لم يتوقف فى هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا فيه هلك كما هلكوا . وقال حذيفة رضى الله عنه : أعجب من هذا أنّ معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وأنّ منكركم اليوم معروف زمان قد أتى وإنكم لا تزالون بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به . ولقد صدق فإنّ أكثر معروفات هذه الأعصار منكرات فى عصر الصحابة رضى الله عنهم إذ من غرر المعروفات فى زماننا تزيين المساجد وتنجيدها وإنفاق الأموال العظيمة فى دقائق عماراتها وفرش البسط الرفيعة فيها ، ولقد كان يعدّ فرش البوارى فى المسجد بدعة ، وقيل إنه من محدثات الحجاج . فقد كان الأوّلون قلما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا . وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة من أجل علوم أهل الزمان ويزعمون أنه من أعظم القربات ، وقد كان من المنكرات . ومن ذلك التلحين فى القرآن والأذان . ومن ذلك التعسف فى النظافة والوسوسة فى الطهارة وتقدير الأسباب البعيدة فى نجاسة الثياب مع التساهل فى حل الأطعمة وتحريمها إلى نظائر ذلك . ولقد صدق ابن مسعود رضى الله عنه حيث قال : أنتم اليوم فى زمان الهوى فيه تابع للعلم وسيأتى عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى . وقد كان أحمد بن حنبل يقول : تركوا العلم وأقبلوا على الغرائب ما أقل العلم فيهم والله المستعان . وقال مالك بن أنس رحمه الله : لم تكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الأمور كما يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال ولكن أدركتهم يقولون مستحب ومكروه

---

(١) حديث ابن مسعود « إنما هما اثنتان الكلام والهدى ، . الحديث » أخرجه ابن ماجه

(٢) حديث « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق مالا اكتسبه . . الحديث » أخرجه أبو نعيم من حديث الحسين بن على بسند ضعيف والبزار من حديث أنس أول الحديث وآخره والطبرانى والبيهقى من حديث ركب المصرى وسط الحديث وكلها ضعيفة

(ومعناه أنهم كانوا ينظرون فى دقائق الكراهة والاستحباب فأما الحرام فكان فحشه ظاهرا) وكان هشام بن عروة يقول : لاتسألوهم اليوم عما أحدثوه بأنفسهم فإنهم قد أعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فإنهم لا يعرفونها . وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله يقول : لا ينبغى لمن ألهم شيئا من الخير أن يعمل به حتى يسمع به فى الأثر فيحمد الله تعالى إذا وافق ما فى نفسه ، وإنما قال هذا لأن ما قد أبدع من الآراء قد قرع الأسماع وعلق بالقلوب وربما يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الآثار . ولهذا لما أحدث مروان المنبر فى صلاة العيد عند المصلى قام إليه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه فقال : يا مروان ما هذه البدعة ؟ فقال : إنها ليست بدعة إنها خير مما تعلم إن الناس قد كثروا فأردت أن يبلغهم الصوت ، فقال أبو سعيد : والله لا تأتون بخير مما أعلم أبداً ووالله لاصليت وراءك اليوم ! وإنما أنكر ذلك عليه ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوكأ فى خطبة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا لا على المنبر[1] ، وفى الحديث المشهور « من أحدث فى ديننا ما ليس منه فهو رد[2] » وفى خبر آخر « من غش أمتى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، قيل : يا رسول الله وما غش أمتك ؟ قال : أن يبتدع بدعة يحمل الناس عليها[3] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله عز وجل ملكا ينادى كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعته[4] » ومثال الجانى على الدين بإبداع مايخالف السنة بالنسبة إلى من يذنب ذنبا مثال من عصى الملك فى قلب دولته بالنسبة إلى من خالف أمره فى خدمة معينة ، وذلك قد يغفر له فأما فى قلب الدولة فلا . وقال بعض العلماء : ماتكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وماسكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف . وقال غيره : الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى . وقال صلى الله عليه وسلم « عليكم بالنمط الأوسط الذى يرجع إليه العالى ويرتفع إليه التالى[5] » وقال ابن عباس رضى الله عنهما : الضلالة لها حلاوة فى قلوب أهلها قال الله تعالى ﴿ وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا ﴾ وقال تعالى ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ﴾ فكل ما أحدث بعد الصحابة رضى الله عنهم مما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من اللعب واللهو . وحكى عن إبليس لعنه الله أنه بث جنوده فى وقت الصحابة رضى الله عنهم فرجعوا إليه محسورين فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : مارأينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيئا وقد أتعبونا ! فقال : إنكم لاتقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سيأتى بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم . فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا إليه منكسين فقالوا : مارأينا أعجب من هؤلاء نصيب منهم الشىء بعد الشىء من الذنوب فإذا كان آخر النهار أخذوا فى الاستغفار فيبدل الله سيئاتهم حسنات ! فقال : إنكم لن تنالوا من هؤلاء شيئا لصحة توحيدهم واتباعهم لسنة نبيهم ولكن سيأتى بعد هؤلاء قوم تقر أعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بأزمة أهوائهم كيف شئتم إن استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فيبدل الله سيئاتهم

---

(١) حديث « كان يتوكأ فى خطبة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا » أخرجه الطبرانى من حديث البراء ونحوه فى يوم الأضحى ليس فيه الاستسقاء وهو ضعيف ، رواه فى الصغير من حديث سعد القرظى « كان إذا خطب فى العيدين خطب على قوس وإذا خطب فى الجمعة خطب على عصا » وهو عند ابن ماجه بلفظ « كان إذا خطب فى الحرب خطب على قوس .. الحديث »

(٢) حديث « من أحدث فى ديننا ما ليس فيه فهو رد » متفق عليه من حديث عائشة بلفظ « فى أمرنا ما ليس منه » وعند أبى داود « فيه »

(٣) حديث « من غش أمتى فعليه لعنة الله .. الحديث » أخرجه الدارقطنى فى الأفراد من حديث أنس بسند ضعيف جدا

(٤) حديث « إن لله ملكا ينادى كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعته » لم أجد له أصلا

(٥) حديث « عليكم بالنمط الأوسط .. الحديث » أخرجه أبو عبيد فى غريب الحديث موقوفا على على بن أبى طالب ولم أجده مرفوعا .

حسنات ، قال : فجاء قوم بعد القرن الأول فبث فيهم الأهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لايستغفرون الله منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الأعداء وقادوهم أين شاءوا ، فإن قلت : من أين عرف قائل هذا ما قاله إبليس ولم يشاهد إبليس ولا حدثه بذلك ؟ فاعلم أنّ أرباب القلوب يكاشفون بأسرار الملكوت تارة على سبيل الإلهام بأن يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لايعلمون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة فى اليقظة على سبيل كشف المعانى بمشاهدة الأمثلة ـ كما يكون فى المنام ـ وهذا أعلى الدرجات وهى من درجات النبوّة العالية كما أن الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوّة . فإياك أن يكون حظك من هذا العلم إنكار ما جاوز حد قصورك ففيه هلك المتخذلقون من العلماء الزاعمون أنهم أحاطوا بعلوم العقول ، فالجهل خير من عقل يدعو إلى إنكار مثل هذه الأمور لأولياء الله تعالى ، ومن أنكر ذلك للأولياء لزمه إنكار الأنبياء وكان خارجا عن الدين بالكلية . قال بعض العارفين : إنما انقطع الأبدال فى أطراف الأرض واستتروا عن أعين الجمهور لأنهم لا يطيقون النظر إلى علماء الوقت لأنهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند أنفسهم وعند الجاهلين علماء . قال سهل التسترى رضى الله عنه : إن من أعظم المعاصى الجهل بالجهل والنظر إلى العامة واستماع كلام أهل الغفلة . وكل عالم خاض فى الدنيا فلا ينبغى أن يصغى إلى قوله بل ينبغى أن يتهم فى كل مايقول لأن كل إنسان يخوض فيما أحب ويدفع مالا يوافق محبوبه ، ولذلك قال الله عزوجل ﴿ ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ والعوام العصاة أسعد حالا من الجهال بطريق الدين المعتقدين أنهم من العلماء ؛ لأن العامى العاصى معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان أنه عالم وأن ماهو مشتغل به من العلوم التى هى وسائله إلى الدنيا عن سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر ؛ بل لايزال مستمرا عليه إلى الموت . وإذ غلب هذا على أكثر الناس إلا من عصمه الله تعالى وانقطع الطمع من إصلاحهم فالأسلم لذى الدين المحتاط العزلة والانفراد عنهم ـ كما سيأتى فى كتاب العزلة بيانه إن شاء الله تعالى ـ ولذلك كتب يوسف بن أسباط إلى حذيفة المرعشى : ما ظنك بمن بقى لا يجد أحدا يذكر الله تعالى معه إلا كان آثما أو كانت مذاكرته معصية وذلك أنه لايجد أهله ؟ ولقد صدق فإن مخالطة الناس لا تنفك عن غيبة أو سماع غيبة أو سكوت على منكر وأن أحسن أحواله أن يفيد علما أو يستفيده ولو تأمل هذا المسكين وعلم أنّ إفادته لا تخلو عن شوائب الرياء وطلب الجمع والرياسة علم أن المستفيد إنما يريد أن يجعل ذلك آلة إلى طلب الدنيا ووسيلة إلى الشر فيكون هو معينا له على ذلك وردءا وظهيرا ومهيئا لأسبابه كالذى يبيع السيف من قطاع الطريق . فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو ، ولذلك لايرخص له فى البيع ممن يعلم بقرائن أحواله أنه يريد به الاستعانة على قطع الطريق . فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة منها جملة من أخلاق علماء السلف ؛ فكن أحد رجلين إما متصفا بهذه الصفات أو معترفا بالتقصير مع الإقرار به وإياك أن تكون الثالث فتلبس على نفسك بأن تبدل آلة الدنيا بالدين وتشبه سيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين وتلتحق بجهلك وإنكارك بزمرة الهالكين الآيسين . نعوذ بالله من خدع الشيطان ، فبها هلك الجمهور . فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن لا تغره الحياة الدنيا ولا يغره بالله الغرور .

الباب السابع

فى العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه — ببان شرف العقل

اعلم أن هذا مما لا يحتاج إلى تكلف فى إظهاره لا سيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه والعلم يجرى منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة فى الدنيا والآخرة ؟ أو كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتى إن أعظم البهائم بدنا وأشدها ضراوة وأقواها سطوة إذا رأى صورة الإنسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه عليه لما خص به من إدراك الحيل . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته[1] » وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التى هى ثمرة عقله . ولذلك ترى الأتراك والأكراد وأجلاف العرب وسائر الخلق مع قرب منزلتهم من رتبة البهائم يوقرون المشايخ بالطبع . ولذلك حين قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقعت أعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وتراءى لهم ما كان يتلألأ على ديباجة وجهه من نور النبوة وإن كان ذلك باطنا فى نفسه بطون العقل فشرف العقل ما يدرك بالضرورة ؛ وإنما القصد أن نورد ما وردت به الأخبار والآيات فى ذكر شرفه وقد سماه الله نورا فى قوله تعالى ﴿ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة ﴾ وسمى العلم المستفاد منه روحا ووحيا وحياة فقال تعالى ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ﴾ وقال سبحانه ﴿ أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس ﴾ وحيث ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل كقوله ﴿ يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتم عنه واعلموا أنه ينجدكم عند ربكم واعلموا أنّ العاقل من أطاع الله وإن كان دميم المنظر حقير الخطر دنىء المنزلة رث الهيئة ، وأنّ الجاهل من عصى الله تعالى وإن كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا فالقردة والخنازير أعقل عند الله تعالى ممن عصاه ، ولا تغتر بتعظيم أهل الدنيا إياهم فإنهم من الخاسرين[2] » . وقال صلى الله عليه وسلم « أول ما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر ، ثم قال الله عز وجل وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أكرم على منك ، بك آخذ وبك أعطى وبك أثيب وبك أعاقب[3] » * فإن قلت : فهذا العقل إن كان عرضا فكيف خلق قبل الأجسام ؟ وإن كان جوهرا فكيف يكون جوهر قائم بنفسه ولا يتحيز ؟ فاعلم أن هذا من علم المكاشفة فلا يليق ذكره بعلم المعاملة ، وغرضنا الآن ذكر علوم المعاملة . وعن أنس رضى الله عنه قال « أثنى قوم على رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال صلى الله عليه وسلم كيف عقل الرجل ؟ فقالوا : نخبرك عن اجتهاده فى العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « إنّ الأحمق يصيب بجهله أكثر من فجور

الباب السابع فى العقل

(١) حديث « الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته » أخرجه ابن حبان فى الضعفاء من حديث ابن عمر وأبو منصور الديلمى من حديث أبى رافع بسند ضعيف .

(٢) حديث « يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل .. الحديث » أخرجه داود بن المحبر أحد الضعفاء فى كتاب العقل من حديث أبى هريرة ؛ وهو فى مسند الحارث بن أبى أسامة عن داود (٣) حديث « أول ما خلق الله العقل قال له أقبل . . الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى أمامة وأبو نعيم من حديث عائشة بإسنادين ضعيفين

الفاجر وإنما يرتفع العباد غدا فى الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم [١] » . وعن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدى صاحبه إلى هدى ويرده عن ردى وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم إيمانه وأطاع ربه وعصى عدوه إبليس [٣] » وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شىء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته أما سمعتم قول الفجار فى النار (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير [٤]) وعن عمر رضى الله عنه أنه قال لتميم الدارى « ماالسودد فيكم ؟ قال : العقل ، قال : صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتك فقال كما قلت ، ثم قال سألت جبريل عليه السلام ما السودد ؟ فقال : العقل [٥] » وعن البراء ابن عازب رضى الله عنه قال : كثرت المسائل يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا أيها الناس إن لكل شىء مطية ومطية المرء العقل وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلا [٦] » وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال « لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون : فلان أشجع من فلان وفلان أبلى مالم يبل فلان ونحو هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما هذا فلا علم لكم به ، قالوا : وكيف ذلك يارسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : إنهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فأصيب منهم من أصيب على منازل شتى فإذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم [٧] » وعن البراء بن عازب أنه صلى الله عليه وسلم قال « جد الملائكة واجتهدوا فى طاعة الله سبحانه وتعالى بالعقل وجد المؤمنون من بنى آدم على قدر عقولهم فأعملهم بطاعة الله عز وجل أوفرهم عقلا [٨] » وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « قلت يا رسول الله بم يتفاضل الناس فى الدنيا ؟ قال : بالعقل ، قلت : وفى الآخرة ؟ قال : بالعقل ، قلت : أليس إنما يجزون بأعمالهم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : يا عائشة وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم عز وجل من العقل ؟ فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون [٩] » وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شىء آلة وعدة وإن آلة المؤمن العقل ولكل شىء مطية ومطية المرء العقل ولكل شىء دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم داع وداعى العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل أهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب

---

(١) حديث أنس « أثنى قوم على رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فى الثناء فقال كيف عقل الرجل . . الحديث » أخرجه ابن المجبر فى العقل بتمامه والترمذى الحكيم فى النوادر مختصراً (٢) حديث عمر « ما اكتسب رجل مثل فضل عقل . الحديث » أخرجه ابن المجبر فى العقل وعنه الحارث بن أبى أسامة (٣) حديث « إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله .. الحديث » أخرجه ابن المجبر من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به والحديث عند الترمذى مختصر دون قوله « ولا يتم » من حديث عائشة وصححه (٤) حديث أبى سعيد « لكل شىء دعامة ودعامة المؤمن عقله . . الحديث » أخرجه ابن المجبر وعنه الحارث (٥) حديث عمر أنه قال لتميم الدارى « ما السودد فيكم ، قال العقل قال صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ..الحديث» أخرجه ابن المجبر وعنه الحارث (٦) حديث البراء « كثرت المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياأيها الناس إن لكل شىء مطية .. الحديث » أخرجه ابن المجبر وعنه الحارث

(٧) حديث أبى هريرة « لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون كان فلان أشجع من فلان .. الحديث » أخرجه ابن المجبر (٨) حديث البراء بن عازب « جد الملائكة واجتهدوا فى طاعة الله بالعقل .. الحديث » أخرجه ابن المجبر كذلك وعنه الحارث فى مسنده ، ورواه البغوى فى معجم الصحابة من حديث ابن عازب رجل من الصحابة غير البراء وهو بالسند الذى رواه ابن المجبر (٩) حديث عائشة « قالت يارسول الله بأى شىء يتفاضل الناس فى الدنيا قال بالعقل .. الحديث » أخرجه ابن المجبر والترمذى الحكيم فى النوادر نحوه

عمارة وعمارة الآخرة العقل ، ولكل امرىء عقب ينسب إليه ويذكر به وعقب الصدّيقين الذى ينسبون إليه ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل [١] ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحب المؤمنين إلى الله عز وجل من نصب فى طاعة الله عز وجل ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه فأبصر وعمل به أيام حياته فأفلح وأنجح [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « أتمكم عقلا أشدكم لله تعالى خوفا وأحسنكم فيما أمركم به ونهى عنه نظرا وإن كان أقلكم تطوعا [٣] » .

بيان حقيقة العقل وأقسامه

اعلم أن الناس اختلفوا فى حدّ العقل وحقيقته وذهل الأكثرون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم . والحق الكاشف للغطاء فيه أن العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان ـ كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدّة وما يجرى هذا المجرى فلا ينبغى أن يطلب لجميع أقسامه حدّ واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه ـ فالأوّل : الوصف الذى يفارق الإنسان به سائر البهائم وهو الذى استعدّ به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذى أراده الحارث بن أسد المحاسبى حيث قال فى حدّ العقل : إنه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف فى القلب به يستعد لإدراك الأشياء ولم ينصف من أنكر هذا ورد العقل إلى مجرّد العلوم الضرورية فإن الغافل عن العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع فقد العلوم . وكما أن الحياة غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والإدراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها تتهيأ بعض الحيوانات للعلوم النظرية ولو جاز أن يسوّى بين الإنسان والحمار فى الغريزة والإدراكات الحسية . فيقال لا فرق بينهما إلا أن الله تعالى بحكم إجراء العادة يخلق فى الإنسان علوما وليس يخلقها فى الحمار والبهائم لجاز أن يسوى بين الحمار والجماد فى الحياة ، ويقال لا فرق إلا أن الله عز وجل يخلق فى الحمار حركات مخصوصة بحكم إجراء العادة . فإنه لو قدر الحمار جمادا ميتا لوجب القول بأن كل حركة تشاهد منه فالله سبحانه وتعالى قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد . وكما وجب أن يقال لم يكن مفارقته للجماد فى الحركات إلا بغريزة اختصت به عبر عنها بالحياة فكذا مفارقة الإنسان البهيمة فى إدراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهو كالمرآة التى تفارق غيرها من الأجسام فى حكاية الصور والألوان بصفة اختصت بها وهى الصقالة . وكذلك العين تفارق الجبهة فى صفات وهيئات بها استعدت للرؤية فنسبه هذه الغريزة إلى العلوم كنسبة العين إلى الرؤية ونسبة القرآن والشرع إلى هذه الغريزة فى سيافها إلى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس إلى البصر فهكذا ينبغى أن تفهم هذه الغريزة . الثانى : هى العلوم التى تخرج إلى الوجود فى ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد وأن الشخص الواحد لا يكون فى مكانين فى وقت واحد ، وهو الذى عناه بعض المتكلمين حيث قال فى حد العقل : إنه بعض العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وهو أيضا صحيح فى نفسه لأن هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهر وإنما الفاسد أن تنكر تلك الغريزة ويقال لا موجود إلا هذه العلوم . الثالث : علوم تستفاد من التجارب بمجارى الأحوال فإن من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال إنه عاقل فى العادة ومن لا يتصف بهذه الصفة فيقال

---

(١) حديث ابن عباس « لكل شىء آلة وعدة وإن آلة المؤمن العقل .. الحديث » أخرجه ابن الجبر وعنه الحارث

(٢) حديث « إن أحب المؤمنين إلى الله من نصب فى طاعة الله . . الحديث » أخرجه ابن المحبر من حديث ابن عمر ، ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس بإسناد آخر ضعيف (٣) حديث « أتمكم عقلا أشدكم لله خوفا .. الحديث » أخرجه ابن الجبر من حديث أبى قتادة

إنه غبى غمر جاهل ، فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا . الرابع : أن تنتهى قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها فإذا حصلت هذه القوة سمى صاحبها عاقلا من حيث إن إقدامه وإحجامه بحسب ما يقتضيه النظر فى العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه أيضا من خواص الإنسان التى بها يتميز عن سائر الحيوان ، فالأول : هو الأس والسنخ والمنبع . والثانى : هو الفرع الأقرب إليه . والثالث: فرع الأول والثانى ؛ إذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع : هو الثمرة الأخيرة وهى الغاية القصوى ، فالأولان بالطبع والأخيران بالاكتساب . ولذلك قال على كرم الله وجهه :

رأيت العقل عقلين فطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

والأول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم « ما خلق الله عز وجل خلقا أكرم عليه من العقل [1] » والأخير هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم « إذا تقرب الناس بأبواب البر والأعمال الصالحة فتقرب أنت بعقلك [2] » وهو المراد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى الدرداء رضى الله عنه « ازدد عقلا تزدد من ربك قربا ، فقال : بأبى أنت وأمى ! وكيف لى بذلك ؟ فقال : اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائض الله سبحانه تكن عاقلا واعمل بالصالحات من الأعمال تزدد فى عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل فى آجل العقبى بها من ربك عز وجل القرب والعز [3] » وعن سعيد بن المسيب « أن عمر وأبى بن كعب وأبا هريرة رضى الله عنهم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله من أعلم الناس ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : العاقل ؟ قالوا : فمن أعبد الناس ؟ قال : العاقل . قالوا : فمن أفضل الناس ؟ قال العاقل قالوا : أليس العاقل من تمت مروءته وطهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته ؟ فقال صلى الله عليه وسلم (وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين) إن العاقل هو المتقى وإن كان فى الدنيا حسيسا ذليلا [4] » قال صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر « إنما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته [5] » ويشبه أن يكون أصل الاسم فى أصل اللغة لتلك الغريزة وكذلك فى الاستعمال وإنما أطلق على العلوم من حيث إنها ثمرتها كما يعرف الشىء بثمرته فيقال : العلم هو الخشية والعالم من يخشى الله تعالى . فإن الخشية ثمرة العلم فتكون كالمجاز لغير تلك الغريزة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة . والمقصود أن هذه الأقسام الأربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف فى وجود جميعها إلا فى القسم الأول ، والصحيح وجودها بل هى الأصل . وهذه العلوم كأنها مضمنة فى تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر فى الوجود إذا جرى سبب يخرجها إلى الوجود حتى كأن هذه العلوم ليست لشىء وارد عليها من خارج وكأنها كانت مستكنة فيها فظهرت ، ومثاله الماء فى الأرض فإنه يظهر بحفر البئر ويجتمع ويتميز بالحس لا بأن يساق إليها شىء جديد ، وكذلك الدهن فى اللوز ، وماء الورد فى الورد ولذلك قال تعالى (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم

---

(١) حديث « ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل » أخرجه الترمذى الحكيم فى النوادر بسند ضعيف من رواية الحسن عن عدة من الصحابة (٢) حديث « إذا تقرب الناس أنواع البر فتقرب أنت بعقلك » أخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث على « إذا اكتسب الناس من أنواع البر ليتقربوا بها إلى ربنا عز وجل فاكتسب أنت من أنواع العقل تسبقهم بالزلفة والقرب » وإسناده ضعيف (٣) حديث « ازدد عقلا تزدد من ربك قربا .. الحديث » قاله لأبى الدرداء أخرجه ابن المجبر ومن طريقه الحارث ابن أبى أسامة والترمذى الحكيم فى النوادر (٤) حديث ابن المسيب « أن عمر وأبى بن كعب وأبا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله من أعلم الناس فقال العاقل .. الحديث » أخرجه ابن المجبر (٥) حديث « إنما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته » أخرجه ابن المجبر من حديث سعيد بن المسيب مرسلا وفيه قصة

ألست بربكم قالوا بلى ﴾ فالمراد به إقرار نفوسهم لا إقرار الألسنة فإنهم انقسموا فى إقرار الألسنة حيث وجدت الألسنة والأشخاص إلى مقر وإلى جاحد ولذلك قال تعالى ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ معناه إن اعتبرت أحوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم ﴿ فطرة الله التى فطر الناس عليها ﴾ أى كل آدمى فطر على الإيمان بالله عز وجل بل على معرفة الأشياء على ماهى عليه أعنى أنها كالمضمنة فيها لقرب استعدادها للإدراك . ثم لما كان الإيمان مركوزاً فى النفوس بالفطرة انقسم الناس إلى قسمين : إلى من أعرض فنسى وهم الكفار ، وإلى من أجال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها . ولذلك قال عز وجل (لعلهم يتذكرون ـ وليتذكر أولوا الباب ـ واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به ـ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر) وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد فكأنّ التذكر ضربان ؛ أحدهما . أن يذكر صورة كانت حاضرة الوجود فى قلبه لكن غابت بعد الوجود . والآخر : أن يذكر صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة . وهذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من يستروجه[1] السماع والتقليد دون الكشف والعيان . ولذلك تراه يتخبط فى مثل هذه الآيات ويتعسف وفى تأويل التذكر بإقرار النفوس أنواعا من التعسفات ويتخايل إليه فى الأخبار والآيات ضروب من المناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر إليها بعين الاستحقار ويعتقد فيها التهافت . ومثاله مثال الأعمى الذى يدخل داراً فيعثر فيها بالأوانى المصفوفة فى الدار فيقول : ما لهذه الأوانى لا ترفع من الطريق وترد إلى مواضعها ؟ فيقال له : إنها فى مواضعها وإنما الخلل فى بصرك . فكذلك خلل البصيرة يجرى مجراه وأطم منه وأعظم إذ النفس كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس أضر من عمى الفرس ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى) وقال تعالى (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض) الآية وسمى ضده عمى فقال تعالى (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) وقال تعالى (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا) وهذه الأمور التى كشفت للأنبياء بعضها كان بالبصر وبعضها كان بالبصيرة وسمى الكل رؤية . وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة لم يعلق به من الدين إلا قشوره وأمثلته دون لبابه وحقائقه . فهذه أقسام ما ينطلق اسم العقل عليها .

بيان تفاوت النفوس فى العقل

قد اختلف الناس فى تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الأولى والأهم المبادرة إلى التصريح بالحق . والحق الصريح فيه أن يقال إن التفاوت يتطرق إلى الأقسام الأربعة سوى القسم الثانى : وهو العلم الضرورى بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات . فإن من عرف أن الاثنين أكثر من الواحد عرف أيضاً استحالة كون الجسم فى مكانين وكون الشىء الواحد قديما حادثا وكذا سائر النظائر وكل مايدركه إدراكا محققا من غير شك ، وأما الأقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق إليها ، أما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت أحوال الشخص الواحد فيه ، وهذا التفاوت يكون تارة لتفاوت الشهوة إذ قد يقدر العاقل ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه . فإن الشاب قد يعجز عن ترك الزنا وإذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة الرياء والرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفا ، وقد يكون سببه التفاوت فى العلم المعرف لغائلة تلك الشهوة ، ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الأطعمة المضرة وقدم من يساويه فى العقل على ذلك

(١) قوله « يستروجه » من الرواج أى يكون السماع والتقليد رائجا عنده فتأمل اهـ مصححه

إذا لم يكن طبيبا وإن كان يعتقد على الجملة فيه مضرة لكن إذا كان علم الطبيب أتم كان خوفه أشد فيكون الخوف حدا للعقل وعدة له فى قمع الشهوات وكسرها . وكذلك يكون العالم أقدر على ترك المعاصى من الجاهل لقوة علمه بضرر المعاصى وأعنى به العالم الحقيقى دون أرباب الطيالسة وأصحاب المذيان . فإن كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع إلى تفاوت العقل وإن كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلا أيضاً فإنه يقوى غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية إليه وقد يكون بمجرد التفاوت فى غريزة العقل فإنها إذا قويت كان قمعها للشهوة لامحالة أشد . وأما القسم الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فإنهم يتفاوتون بكثرة الإصابة وسرعة الإدراك ويكون سببه إما تفاوتا فى الغريزة وإما تفاوتا فى الممارسة ، وأما الأول وهو الأصل أعنى الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل إلى جحده فإنه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادى إشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نموا خفى التدريج إلى أن يتكامل بقرب الأربعين سنة ؛ ومثاله نور الصبح فإن أوائله تخفى خفاء يشق إدراكه ثم يتدرج إلى الزيادة إلى أن يكمل بطلوع قرص الشمس . وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر والفرق مدرك بين الأعمش وبين حاد البصر بل سنة الله عز وجل جارية فى جميع خلقه بالتدريج فى الإيجاد حتى إن غريزة الشهوة لا تظهر فى الصبى عند البلوغ دفعة ودفعة بل تظهر شيئاً فشيئاً على التدريج وكذلك جميع القوى والصفات . ومن أنكر تفاوت الناس فى هذه الغريزة فكأنه منخلع عن ربقة العقل ، ومن ظن أن عقل النبى صلى الله عليه وسلم مثل عقل آحاد السوادية وأحلاف البوادى فهو أحمق فى نفسه من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلف الناس فى فهم العلوم ولما انقسموا إلى بليد لا يفهم بالتفهيم إلا بعد تعب طويل من المعلم وإلى ذكى يفهم بأدنى رمز وإشارة وإلى كامل تنبعث من نفسه حقائق الأمور بدون التعليم ؟ كما قال تعالى (يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور) وذلك مثل الأنبياء عليهم السلام إذ يتضح لهم فى بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالإلهام ، وعن مثله عبر النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال « إن روح القدس نفث فى روعى : أحبب من أحببت فإنك مفارقه وعش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزى به [1] » وهذا النمط من تعريف الملائكة للأنبياء يخالف الوحى الصريح الذى هو سماع الصوت بحاسة الأذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك أخبر عن هذا بالنفث فى الروع ، ودرجات الوحى كثيرة والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة . ولا تظن أن معرفة درجات الوحى تستدعى منصب الوحى إذ لا يبعد أن يعرف الطبيب المريض درجات الصحة ويعلم العالم الفاسق درجات العدالة وإن كان خاليا عنها فالعلم شىء ووجود المعلوم شىء آخر فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبياً ولا ولياً ولا كل من عرف التقوى والورع ودقائقه كان تقيا وانقسام الناس إلى من يتنبه من نفسه ويفهم وإلى من لا يفهم إلا بتنبيه وتعليم وإلى من لا ينفعه التعليم أيضاً ولا التنبيه كانقسام الأرض إلى ما يجتمع فيه الماء فيقوى فيتفجر بنفسه عيونا وإلى ما يحتاج إلى الحفر ليخرج إلى القنوات وإلى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الأرض فى صفاتها فكذلك اختلاف النفوس فى غريزة العقل . ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل : ما روى أن عبد الله بن سلام رضى الله عنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل فى آخره وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت « يا ربنا هل خلقت شيئاً أعظم من العرش ؟

---

(١) حديث « إن روح القدس نفث فى روعى : أحبب من أحببت فإنك مفارقه . . الحديث » أخرجه الشيرازى فى الألقاب من حديث سهل بن سعد نحوه ، والطبرانى فى الأصغر والأوسط من حديث على وكلاهما ضعيف

قال : نعم : العقل ، قالوا : ومابلغ من قدره ؟ قال : هيهات لايحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل ؟ قالوا : لا ، قال الله عز وجل : فإنى خلقت العقل أصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من أعطى حبة ومنهم من أعطى حبتين ومنهم من أعطى الثلاث والأربع ومنهم من أعطى فرقا ومنهم من أعطى وسقا ومنهم من أعطى أكثر من ذلك [1] » . فإن قلت : فما بال أقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول ؟ فاعلم أن السبب فيه أن الناس نقلوا اسم العقل المعقول إلى المجادلة والمماطرة بالمناقضات والإلزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على أن يقرروا عندهم أنكم أخطأتم فى التسمية إذ كان لا ينمحى عن قلوبهم بعد تداول الألسنة به ورسوخه فى القلوب فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم . فأما نور البصيرة التى بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق رسله فكيف يتصور ذمه وقد أثنى الله تعالى عليه وإن ذم فما الذى بعده يحمد ؟ فإن كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع ؟ فإن علم بالعقل المذموم الذى لايوثق به فيكون الشرع أيضا مذموما ولا يلتفت إلى من يقول : إنه يدرك بعين اليقين ونور الإيمان لا بالعقل . فإنا نريد بالعقل : مايريده بعين اليقين ونور الإيمان ، وهى الصفة الباطنة التى يتميز بها الآدمى عن البهائم حتى أدرك بها حقائق الأمور : وأكثر هذه التخبيطات إنما ثارت من جهل أقوام طلبوا الحقائق من الألفاظ فتخبطوا فيها لتخبط اصطلاحات الناس فى الألفاظ ؛ فهذا القدر كاف فى بيان العقل والله أعلم .

تم كتاب العلم بحمد الله تعالى ومنه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب قواعد العقائد والحمد لله وحده أولا وآخرا .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب قواعد العقائد وفيه أربعة فصول

الفصل الأول

فى ترجمة عقيدة أهل السنة فى كلمتى الشهادة التى هى أحد مبانى الإسلام

فنقول وبالله التوفيق : الحمد لله المبدئ المعيد الفعال لما يريد ذى العرش المجيد والبطش الشديد الهادى صفوة العبيد إلى المنهج الرشيد والمسلك السديد المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم إلى اتباع رسوله المصطفى واقتفاء آثار صحبه الأكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد المتجلى لهم فى ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التى لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد المعرف إياهم أنه فى ذاته واحد لاشريك له فرد لا مثيل له صمد لا ضد له منفرد لاند له وأنه واحد قديم لا أول له أزلى لابداية له مستمر الوجود لا آخر له أبدى لانهاية له قيوم لا انقطاع له دائم لاانصرام له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال

---

(١) حديث ابن سلام « سئل النبى صلى الله عليه وسلم » فى حديث طويل فى آخره وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت يارب هل خلقت شيئا أعظم من العرش الحديث أخرجه ابن المنذر من حديث أنس بتمامه والترمذى الحكيم فى النوادر مختصراً

لايقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض الآحال بل ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم ﴾

التنزيه : وأنه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر وأنه لا يماثل والأجسام ولافى التقدير ولا فى قبول الانقسام وأنه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا تعرض ولا تحله الأعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود ﴿ ليس كمثله شىء ﴾ ولا هو مثل شىء . وأنه لا يحده المقدار ولا تحويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات . وأنه مستو على العرش على الوجه الذى قاله وبالمعنى الذى أراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون فى قبضته . وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شىء إلى تخوم الثرى ، فوقية لاتزيده قربا إلى العرش والسماء كما لاتزيده بعدا عن الأرض والثرى بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى . وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد (وهو على كل شىء شهيد) إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام وأنه لا يحل فى شىء ولا يحل فيه شىء تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان . وأنه بائن عن خلقه بصفاته ليس فى ذاته سواه ولا فى سواه ذاته وأنه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال فى نعوت جلاله منزها عن الزوال وفى صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال . وأنه فى ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئى الذات بالأبصار نعمة منه ولطفا بالأبرار فى دار القرار وإتماما منه للنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم .

الحياة والقدرة : وأنه تعالى حى قادر جبار قاهر لايعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وأنه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والأمر والسموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون فى قبضته . وأنه المفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالإيجاد والإبداع خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لايشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور ، لاتحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته

العلم : وأنه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجرى من تخوم الأرضين إلى أعلى السموات وأنه عالم لايعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر فى جو الهواء ويعلم السر وأخفى ، ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم أزلى لم يزل موصوفا به فى أزل الآزال لابعلم متجدد حاصل فى ذاته بالحلول والانتقال ،

الإرادة : وأنه تعالى مريد للكائنات مدبر للحادثات فلايجرى فى الملك والملكوت قليل أو كثير صغير أو كبير خير أو شر نفع أوضر إيمان أو كفر عرفان أو نكر فوز أو خسران زيادة أو نقصان طاعة أو عصيان إلا بقضائه وقدره وحكمته ومشيئته . فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن لايخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولافلتة خاطر بل هو المبدئ المعيد الفعال لما يريد لاراد لأمره ولا معقب لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته . ولا قوة له على طاعته إلا بمشيئته وإرادته فلو اجتمع الإنس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا فى العالم ذرة أويسكنوها دون إرادته ومشيئته لعجزوا عن ذلك . وأن إرادته قائمة بذاته فى جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها

مريدا فى أزله لوجود الأشياء فى أوقاتها التى قدرها فوجدت فى أوقاتها كما أراده فى أزله من غير تقدم ولا تأخر بل وقعت على وفق علمه وإرادته من غير تبدل ولا تغير . دبر الأمور لا بترتيب أفكار ولا تربص زمان فلذلك لم يشغله شأن عن شأن .

السمع والبصر : وأنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى ولا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفى . ولا يغيب عن رؤيته مرئى وإن دق . ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام . يرى من غير حدقة وأجفان ويسمع من غير أصمخة وآذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق .

الكلام : وأنه تعالى متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام أزلى قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو اصطكاك أجرام ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان . وأن القرآن والتوراة والإنجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله عليهم السلام . وأن القرآن مقروء بالألسنة مكتوب فى المصاحف محفوظ فى القلوب وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق ، وأن موسى صلى الله عليه وسلم سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف ، كما يرى الأبرار ذات الله تعالى فى الآخرة من غير جوهر ولا عرض . وإذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات .

الأفعال : وأنه سبحانه وتعالى لا موجود سواه إلا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأتمها وأعدلها وأنه حكيم فى أفعاله عادل فى أقضيته لا يقاس عدله بعدل العباد إذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه فى ملك غيره . ولا يتصور الظلم من الله تعالى فإنه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما ، فكل ما سواه من إنس وجن وملك وشيطان وسماء وأرض وحيوان ونبات وجماد وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وأنشأه إنشاء بعد أن لم يكن شيئا إذ كان موجودا وحده ولم يكن معه غيره فأحدث الخلق بعد ذلك إظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من إرادته ولما حق فى الأزل من كلمته لا لافتقاره إليه وحاجته . وأنه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالإنعام والإصلاح لا عن لزوم ، فله الفضل والإحسان والنعمة والامتنان إذ كان قادرا على أن يصب على عباده أنواع العذاب ويبتليهم بضروب الآلام والأوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن منه قبيحا ولا ظلما . وأنه عزوجل يثبت عباده المؤمنين على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم له إذ لا يجب عليه لأحد فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لأحد عليه حق . وأن حقه فى الطاعات وجب على الخلق بإيجابه على ألسنة أنبيائه عليهم السلام لا بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به .

(معنى الكلمة الثانية) وهى الشهادة للرسل بالرسالة وأنه بعث النبى الأمى القرشى محمدا صلى الله عليه وسلم برسالته إلى كافة العرب والعجم والجن والإنس فنسخ بشريعته الشرائع إلا ما قرره منها . وفضله على سائر الأنبياء وجعله سيد البشر . ومع كمال الإيمان بشهادة التوحيد وهو قول « لا إله إلا الله » مالم تقترن بها شهادة الرسول وهو قولك « محمد رسول الله » وألزم الخلق تصديقه فى جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة . وأنه لا يتقبل

إيمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت ، وأوله : سؤال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد فى قبره سويا ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان له : من ربك ومادينك ومن نبيك [١] ؟ وهما فتانا القبر [٢] وسؤالهما أول فتنة بعد الموت [٣] . وأن يؤمن بعذاب القبر [٤] وأنه حق وحكمه عدل على الجسم والروح على مايشاء . وأن يؤمن بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته فى العظم أنه مثل طبقات السموات والأرض توزن الأعمال بقدرة الله تعالى ، والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام العدل ، وتوضع صحائف الحسنات فى صورة حسنة فى كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله وتطرح صحائف السيئات فى صورة قبيحة فى كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله [٥] . وأن يؤمن بأن الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعرة تزل عليه أقدام الكافرين بحكم الله سبحانه فتهوى بهم إلى النار وتثبت عليه أقدام المؤمنين بفضل الله فيساقون إلى دار القرار [٦] . وأن يؤمن بالحوض المورود حوض محمد صلى الله عليه وسلم يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط [٧] من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا عرضه مسيرة شهر ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عددها بعدد نجوم السماء [٨] فيه ميزابان يصبان فيه من الكوثر [٩] . وأن يؤمن بالحساب وتفاوت الناس فيه إلى مناقش فى الحساب وإلى مسامح فيه وإلى من يدخل

كتاب قواعد العقائد

(١) حديث « سؤال منكر ونكير » أخرجه الترمذى وصححه ابن حبان من حديث أبي هريرة « إذا قبر الميت — أو قال أحدكم — أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير » وفى الصحيحين من حديث أنس « إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وأنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه .. الحديث » (٢) حديث « إنهما فتانا القبر » أخرجه أحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمرو « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فتاني القبر فقال عمر : أترد علينا عقولنا ؟ .. الحديث » (٣) حديث « إن سؤالها أول فتنة بعد الموت » لم أجده (٤) حديث « عذاب القبر » أخرجاه من حديث عائشة « إنكم تفتنون أو تعذبون فى قبوركم . الحديث » ولهما من حديث أبي هريرة وعائشة « استعاذته صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر » (٥) حديث « الإيمان بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته فى العظم أنه مثل طباق السموات والأرض » أخرجه البيهقى فى البعث من حديث عمر « قال : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان ... الحديث » وأصله عند مسلم ليس فيه ذكر الميزان ، ولأبى داود من حديث عائشة « أما فى ثلاثة مواطن لا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل ؟ » زاد ابن مردويه فى تفسيره « قالت عائشة : أى حتى قد علمنا الموازين هى الكفتان فيوضع فى هذه الشىء ويوضع فى هذه الشىء فترجح إحداهما وتخف الأخرى » والترمذى وحسنه من حديث أنس « واطلبنى عند الميزان » ومن حديث عبد الله بن عمرو فى : حديث البطاقة « فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة .. الحديث » وروى ابن شاهين فى كتاب السنة عن ابن عباس « كفة الميزان كأطباق الدنيا كلها » (٦) حديث « الإيمان بالصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر » أخرجه الشيخان من حديث أبى هريرة « ويضرب الصراط بين ظهرانى جهنم » ولهما من حديث أبى سعيد « ثم يضرب الجسر على جهنم » زاد مسلم « قال أبو سعيد : إن الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف » ورفعه أحمد من حديث عائشة والبيهقى فى الشعب ، والبعث من حديث أنس وضعفه ؛ وفى البعث من رواية عبد الله بن عمير مرسلا ومن قول ابن مسعود « الصراط كحد السيف » وفى آخر الحديث مايدل على أنه مرفوع

(٧) حديث « الإيمان بالحوض وأنه يشرب منه المؤمنون » أخرجه مسلم من حديث أنس فى نزول (إنا أعطيناك الكوثر) « هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم » ولهما من حديث ابن مسعود وعقبة ابن عامر وجندب وسهل بن سعد « أنا فرطكم على الحوض » ومن حديث ابن عمر « أمامكم حوض كما بين جرباء وأذرح » وقال الطبراني « كما بينكم وبين جرباء وأذرح » وهو الصواب . وذكر الحوض فى الصحيح من حديث أبى هريرة وأبي سعيد وعبد الله بن عمر وحذيفة وأبى ذر وجابر ابن سمرة وحارثة بن وهب وثوبان وعائشة وأم سلمة وأسماء (٨) حديث « من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا عرضه مسيرة شهر أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عدد نجوم السماء » من حديث عبد الله بن عمرو ولهما من حديث أنس « فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء » وفى رواية لمسلم « أكثر من عدد النجوم » (٩) حديث « فيه ميزابان يصبان من الكوثر » أخرجه مسلم من حديث ثوبان « يمت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق

الجنة بغير حساب وهم المقربون فيسأل الله تعالى[١] من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين[٢] ويسأل المبتدعة عن السنة[٣] ويسأل المسلمين عن الأعمال[٤] . وأن يؤمن بأخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لايبقى فى جهنم موحد بفضل الله تعالى فلا يخلد فى النار موحد[٥] . وأن يؤمن بشفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين على حسب جاهه ومنزلته عند الله تعالى ومن بقى من المؤمنين ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله عز وجل فلا يخلد فى النار مؤمن بل يخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان[٦] . وأن يعتقد فضل الصحابة رضى الله عنهم وترتيبهم وأنّ أفضل الناس بعد النبى صلى الله عليه وسلم : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم[٧] . وأن يحسن الظن بجميع الصحابة ويثنى عليهم كما أثنى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين[٨] فكل ذلك مما وردت به الأخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من أهل الحق وعصابة السنة وفارق رهط الضلال وحزب البدعة فنسأل الله كمال اليقين وحسن الثبات فى الدين لنا ولكافة المسلمين برحمته إنه أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

---

(١) حديث «الايمان بالحساب وتفاوت الخلق فيه الى مناقش فى الحساب ومسامح فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب» أخرجه البيهقى فى البعث من حديث عمر «فقال يارسول الله ما الايمان ، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالموت والبعث من بعد الموت والحساب والجنة والنار والقدر كله .. الحديث» وهو عند مسلم دون ذكر «الحساب» وللشيخين من حديث عائشة «من نوقش الحساب عذب قالت قلت يقول الله تعالى ﴿ فسوف يحاسب حسابا يسيرا ﴾ قال ذلك العرض» ولهما من حديث ابن عباس «عرضت على الأمم فقيل هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب» ولمسلم من حديث أبى هريرة وعمران بن حصين «يدخل من أمتى الجنة سبعون ألفا بغير حساب» زاد البيهقى فى البعث من حديث عمرو بن حزم «وأعطانى مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا» زاد أحمد من حديث عبد الرحمن بن أبى بكر بعده : هذه الزيادة فقال «فهلا استزدته قال قد استزدته فأعطانى مع كل رجل سبعين ألفا قال عمر فهلا استزدته قال قد استزدته فأعطانى هكذا — وفرج عبد الرحمن بن أبى بكر بين يديه — . الحديث» (٢) حديث «سؤال من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين» أخرجه البخارى من حديث أبى سعيد «يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا رب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمته فيقولون ما أتانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وأمته ... الحديث» ولابن ماجه «يجىء النبى يوم القيامة ... الحديث» وفيه «فيقال هل بلغت قومك ... الحديث» (٣) حديث «سؤال المبتدعة عن السنة» رواه ابن ماجه من حديث عائشة «من تكلم بشىء من القدر سئل عنه يوم القيامة» ومن حديث أبى هريرة «ما من داع يدعو إلى شىء إلا وقف يوم القيامة لازما لدعوة ما دعا إليه وان دعا رجل رجلا» واسنادها ضعيف (٤) حديث «سؤال المسلمين عن الأعمال» أخرجه أصحاب السنن ، من حديث أبى هريرة «إن أول مايحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته .. الحديث» وسيأتى فى الصلاة .

(٥) حديث «اخراج الموحدين من النار حتى لايبقى فيها موحد بفضل الله سبحانه» أخرجه الشيخان من حديث أبى هريرة فى حديث طويل «حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لايشرك بالله شيئاً ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله . الحديث» (٦) حديث شفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين ومن بقى من المؤمنين ولم يكن لهم شفيع أخرج بفضل الله فلا يخلد فى النار مؤمن بل يخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان» أخرجه ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان «يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء» وقد تقدم فى العلم . وللشيخين من حديث أبى سعيد الخدرى «من وجدتم فى قلبه مثقال حبة من خردل من الايمان فأخرجوه» وفى رواية «من خير» وفيه «فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفعت النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط .. الحديث» (٧) حديث «أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على» أخرجه البخارى من حديث ابن عمر قال «كنا نخير بين الناس فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان» ولأبى داود «كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حى أفضل أمة النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضى الله عنهم» زاد الطبرانى «ويسمع ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ولا ينكره» (٨) حديث «إحسان الظن بجميع الصحابة والثناء عليهم» أخرجه الترمذى من حديث عبد الله ابن مغفل «الله الله فى أصحابى لاتتخذوهم غرضا بعدى» وللشيخين من حديث أبى سعيد «لا تسبوا أصحابى» وللطبرانى من حديث ابن مسعود «إذا ذكر أصحابى فأمسكوا»

الفصـــل الثـانى

فى وجه التدريج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد . اعلم أنّ ما ذكرناه فى ترجمة العقيدة ينبغى أن يقدم إلى الصبى فى أوّل نشوه ليحفظه حفظاً ثم لا يزال ينكشف له معناه فى كبره شيئاً فشيئاً ؛ فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به ، وذلك مما يحصل فى الصبى بغير برهان . فمن فضل الله سبحانه على قلب الإنسان أن شرحه فى أوّل نشوه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان ، وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مباديها التلقين المجرّد والتقليد المحض ؟ نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرّد التقليد غير خال عن نوع من الضعف فى الابتداء على معنى أنه يقبل الإزالة بنقيضه لو ألقى إليه فلا بد من تقويته وإثباته فى نفس الصبى والعامى حتى يترسخ ولا يتزلزل . وليس الطريق فى تقويته وإثباته إن يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه . ويشتغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها وبما يسرى إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وسماعهم وهيآتهم فى الخضوع لله عز وجل والخوف منه والاستكانة له فيكون أوّل التلقين كإلقاء بذر فى الصدر ، وتكون هذه الأسباب كالسقى والتربية له حتى ينمو ذلك البذر يقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها فى السماء . وينبغى أن يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة فإنّ ما يشوّشه الجدل أكثر مما يمهده وما يفسده أكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل تضاهى ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد رجاء تقويتها بأن تكثر أجزاؤها وربما يفتتها ذلك ويفسدها وهو الأغلب . والمشاهدة تكفيك فى هذا بيانا فناهيك بالعيان برهانا . فقس عقيدة أهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامى فى الثبات كالطود الشامخ لاتحرّكه الدواهى والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل فى الهواء تفيئه الرياح مرة هكذا ومرة هكذا إلا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليداً كما تلقف نفس الاعتقاد تقليدا ؛ إذ لا فرق فى التقليد بين تعليم الدليل أو تعلم المدلول فتلقين الدليل شىء والاستدلال بالنظر شىء آخر بعيد عنه . ثم الصبى إذا وقع نشوه على هذه العقيدة إن اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم فى الآخرة باعتقاد أهل الحق ، إذ لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الحازم بظاهر هذه العقائد ، فأما البحث والتفتيش وتكلف نظم الأدلة فلم يكلفوه أصلا . وإن أراد أن يكون من سالكى طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتحت له أبواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهى يقذف فى قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده عز وجل إذ قال (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) وهو الجوهر النفيس الذى هو غاية إيمان الصدّيقين والمقرّبين ، وإليه الإشارة بالسر الذى وقر فى صدر أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه حيث فضل به الخلق . وانكشاف ذلك السر بل تلك الأسرار له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن فى النظافة والطهارة عما سوى الله تعالى وفى الاستضاءة بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق فى أسرار الطب والفقه وسائر العلوم إذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة فى الذكاء والفطنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه (مسألة) فإن قلت : تعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم أو هو

مباح أو مندوب اليه ؟ فاعلم أنّ للناس فى هذا غلوا وإسرافا فى أطراف فمن قائل إنه بدعة أو حرام وأنّ العبد إن لقى الله عز وجل بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام ، ومن قائل إنه واجب وفرض إما على الكفاية أو على الأعيان وأنه أفضل الأعمال وأعلى القربات فإنه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله تعالى . وإلى التحريم ذهب الشافعى ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف . قال ابن عبد الأعلى رحمه الله سمعت الشافعى رضى الله عنه يوم ناظر حفصا الفرد ـ وكان من متكلمى المعتزلة ـ يقول : لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير من أن يلقاه بشىء من علم الكلام ولقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه ، وقال أيضا : قد اطلعت من أهل الكلام على شىء ما ظننته قط ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ماعدا الشرك خير له من أن ينظر فى الكلام . وحكى الكرابيسى « أنّ الشافعى رضى الله عنه سئل عن شىء من الكلام فغضب وقال : سل عن هذا حفصا الفرد وأصحابه ، أخزاهم الله ، ولما مرض الشافعى رضى الله عنه دخل عليه حفص الفرد فقال له : من أنا ؟ فقال : حفص الفرد ، لاحفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه . وقال أيضا لو علم الناس ما فى الكلام من الأهواء لفرّوا منه فرارهم من الأسد ؟ وقال أيضا إذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى ؟ فاشهد بأنه من أهل الكلام ولا دين له . قال الزعفرانى : قال الشافعى حكمى فى أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم فى القبائل والعشائر ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ فى الكلام ؟ وقال أحمد بن حنبل : لايفلح صاحب الكلام أبداً ، ولا تكاد ترى أحداً نظر فى الكلام إلا وفى قلبه دغل ، وبالغ فى ذمه حتى هجر الحارث المحاسبى مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا فى الرد على المبتدعة وقال له : ويحك ألست تحكى بدعتهم أوّلا ثم ترد عليهم ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر فى تلك الشبهات فيدعوهم ذلك إلى الرأى والبحث ! وقال احمد رحمه الله : علماء الكلام زنادقة . وقال مالك رحمه الله : أرأيت إن جاءه من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد ؟ يعنى أن أقوال المتجادلين تتفاوت . وقال مالك رحمه الله أيضا : لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء ؛ فقال بعض أصحابه ـ فى تأويله ـ أنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أى مذهب كانوا . وقال أبو يوسف : من طلب العلم بالكلام تزندق . وقال الحسن : لاتجادلوا أهل الأهواء ولا تجالسوهم ولا تسمعوا منهم ، وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا . ولا ينحصر مانقل عنهم من التشديدات فيه وقالوا ما سكت عنه الصحابة ـ مع أنهم أعرف بالحقائق وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم ـ إلا لعلمهم بمايتولد منه من الشر . ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم « هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون[1] » أى المتعمقون فى البحث والاستقصاء . واحتجوا أيضا بأن ذلك لو كان من الدين لكان ذلك أهم مايأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم طريقه ويثنى عليه وعلى أربابه ، فقد علمهم الاستنجاء[2] ، وندبهم إلى علم الفرائض وأثنى عليهم[3] ونهاهم عن الكلام فى القدر وقال أمسكوا[4] عن القدر . وعلى هذا استمر الصحابة رضى الله عنهم فالزيادة على الأستاذ طغيان وظلم . وهم الأستاذون والقدوة ونحن الأتباع والتلامذة . وأما الفرقة الأخرى فاحتجوا بأن قالوا : إن المحذور من الكلام إن كان هو لفظ الجوهر والعرض وهذه الاصطلاحات الغريبة التى لم تعهدها الصحابة

(١) حديث « هلك المتنطعون » أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود (٢) حديث أن النبى صلى الله عليه وسلم علمهم الاستنجاء » أخرجه مسلم من حديث سلمان الفارسى (٣) حديث « ندبهم إلى علم الفرائض وأثنى عليهم » أخرجه ابن ماجه من حديث أبى هريرة (تعلموا الفرائض وعلموها الناس ... الحديث) وللترمذى من حديث أنس وأفرضهم زيد بن ثابت

(٤) حديث (نهاهم عن الكلام فى القدر وقال أمسكوا) تقدم فى العلم

رضى الله عنهم فالأمر فيه قريب ، إذا ما من علم إلا وقد أحدث فيه اصطلاحات لأجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه ولو عرض عليهم عبارة النقص والكسر والتركيب والتعدية وفساد الوضع إلى جميع الأسئلة التى تورد على القياس لما كانوا يفقهونه . فإحداث عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كإحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها فى مباح ، وإن كان المحذور هو المعنى فنحن لانعنى به إلا معرفة الدليل على حدوث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كما جاء فى الشرع فمن أين تحرم معرفة الله تعالى بالدليل ، وإن كان المحذور هو التشعب والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضى إليه الكلام فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه كما أن الكبر والعجب والرياء وطلب الرياسة مما يفضى إليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم يجب الاحتراز عنه ولكن لا يمنع من العلم لأجل أدائه إليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظوراً وقد قال الله تعالى (قل هاتوا برهانكم) وقال عز وجل (ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة) وقال تعالى (هل عندكم من سلطان بهذا) أى حجة وبرهان وقال تعالى (قل فلله الحجة البالغة) وقال تعالى (ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه - إلى قوله - فبهت الذى كفر) إذ ذكر سبحانه احتجاج إبراهيم ومجادلته وإفحامه خصمه فى معرض الثناء عليه وقال عز وجل (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه) وقال تعالى (قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا) وقال تعالى فى قصة فرعون (وما رب العالمين - إلى قوله - أولو جئتك بشىء مبين) وعلى الجملة فالقرآن من أوله إلى آخره محاجة مع الكفار فعمدة أدلة المتكلمين فى التوحيد قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) وفى النبوة (وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) وفى البعث (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) إلى غير ذلك من الآيات والأدلة . ولم تزل الرسل صلوات الله عليهم يحاجون المنكرين ويجادلونهم قال تعالى (وجادلهم بالتى هى أحسن) فالصحابة رضى الله عنهم أيضا كانوا يحاجون المنكرين ويجادلون ولكن عند الحاجة وكانت الحاجة اليه قليلة فى زمانهم وأول من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة إلى الحق : على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، إذ بعث ابن عباس رضى الله عنهما إلى الخوارج وكلمهم فقال : ما تنقمون على إمامكم ؟ قالوا : قاتل ولم يسب ولم يغنم ، فقال : ذلك فى قتال الكفار ! أرأيتم لو سبيت عائشة رضى الله عنها فى سهم أحدكم أكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهى أمكم فى نص الكتاب ؟ فقالوا : لا ، فرجع منهم إلى الطاعة بمجادلته ألفان . وروى أن الحسن ناظر قدريا فرجع عن القدر وناظر على بن أبى طالب كرم الله وجهه رجلا من القدرية وناظر عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يزيد بن عميرة فى الإيمان ، قال عبد الله : لو قلت إنى مؤمن لقلت إنى فى الجنة ؟ فقال له يزيد بن عميرة : ياصاحب رسول الله هذه زلة منك وهل الإيمان إلا أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والميزان وتقيم الصلاة والصوم والزكاة ؟ ولنا ذنوب لو نعلم أنها تغفر لنا لعلمنا أننا من أهل الجنة ، فمن أجل ذلك نقول إنا مؤمنون ولا نقول إنا من أهل الجنة . فقال ابن مسعود صدقت والله إنها منى زلة ، فينبغى أن يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيراً لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس واتخاذه صناعة ، فيقال أما قلة خوضهم فيه فانه كان لقلة الحاجة إذا لم تكن البدعة تظهر فى ذلك الزمان ، وأما القصر فقد كان الغاية إفحام الخصم واعترافه وانكشاف الحق وازالة الشبهة ، فلو طال إشكال الخصم أو لجاجه لطال لا محالة إلزامهم . وما كانوا يقدرون قدر الحاجة بميزان ولا مكيال بعد الشروع فيها ، وأما عدم تصديهم للتدريس والتصنيف فيه فهكذا كان دأبهم فى الفقه والتفسير والحديث أيضا ، فان جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التى لا تتفق إلا على الندور إما إدخار اليوم وقوعها وإن كان نادرا أو تشحيذا للخواطر فنحن أيضا نرتب طرق

المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة أو هيجان مبتدع أو لتشحيذ الخاطر أو لادخار الحجة حتى لا يعجز عنها عند الحاجة على البديهة والارتجال ، كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا مايمكن أن يذكر للفريقين * فإن قلت : فما المختار عندك فيه ؟ فاعلم أن الحق فيه أن إطلاق القول بذمه فى كل حال أو بحمده فى كل حال خطأ بل لابد فيه من تفصيل . فاعلم أولا أن الشىء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة وأعنى بقولى « لذاته » أن علة تحريمه وصف فى ذاته وهو الإسكار والموت . وهذا إذا سئلنا عنه أطلقنا القول بأنه حرام ولايلتفت إلى إباحة الميتة عند الاضطرار وإباحة تجرع الخمر إذا غص الإنسان بلقمة ولم يجد ما يسيغها سوى الخمر وإلى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع أخيك المسلم فى وقت الخيار والبيع وقت النداء ، وكأكل الطين فإنه يحرم لما فيه من الإضرار وهذا ينقسم إلى ما يضر قليله وكثيره فيطلق القول عليه بأنه حرام كالسم الذى يقتل قليله وكثيره ، وإلى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالإباحة كالعسل فإن كثيره يضر بالمحرور ، وكأكل الطين . وكأن إطلاق التحريم على الطين والخمر والتحليل على العسل التفات إلى أغلب الأحوال ؛ فإن تصدى شىء تقابلت فيه الأحوال فالأولى والأبعد عن الالتباس أن يفصل فنعود إلى علم الكلام ونقول : إن فيه منفعة وفيه مضرة ، فهو باعتبار منفعته فى وقت الانتفاع حلال أو مندوب إليه أو واجب كما يقتضيه الحال ، وهو باعتبار مضرته فى وقت الاستضرار ومحله حرام أما مضرته فإثارة الشبهات وتحريك العقائد وإزالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل فى الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ، ويختلف فيه الأشخاص ، فهذا ضرره فى الاعتقاد الحق . وله ضرر آخر فى تأكيد اعتقاد المبدعة للبدعة وتثبيته فى صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الإصرار عليه ولكن هذا الضرر بواسطة التعب الذى يثور من الجدل ولذلك ترى المبتدع العامى يمكن أن يزول اعتقاده باللطف فى أسرع زمان إلا إذا كان نشؤه فى بلد يظهر فيها الجدل والتعصب فإنه لو اجتمع عليه الأولون والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولى على قلبه ويمنعه من إدراك الحق حتى لو قيل له : هل تريد أن يكشف الله تعالى لك الغطاء ويعرفك بالعيان أن الحق مع خصمك لكره ذلك حيفة من أن يفرح به خصمه ؟ وهذا هو الداء العضال الذى استطار فى البلاد والعباد وهو نوع فساد أثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره . وأما منفعته فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ماهى عليه وهيهات فليس فى الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف ، وهذا إذا سمعته من محدث أوحشوى ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ماجهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك إلى التعمق فى علوم أخر تناسب نوع الكلام وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود . ولعمرى لاينفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور ولكن على الندور فى أمور جلية تكاد تفهم قبل التعمق فى صنعة الكلام بل منفعته شىء واحد وهو حراسة العقيدة التى ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة بأنواع الجدل فإن العامى ضعيف يستفزه جدل المبتدع وإن كان فاسدا ، ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه . والناس متعبدون بهذه العقيدة التى قدمناها إذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم وأجمع السلف الصالح عليها والعلماء يتعبدون بحفظها على العوام من تلبيسات المبتدعة كما تعبد السلاطين بحفظ أموالهم عن تهجمات الطلمة والغصاب وإذا وقعت الإحاطة بضرره ومنفعته فينبغى أن يكون كالطبيب الحاذق فى استعمال الدواء الخطر إذ لا يضعه إلا فى موضعه وذلك فى وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة . وتفصيله أن العوام المشتغلين بالحرف والصناعات يجب أن يتركوا على سلامة عقائدهم

التى اعتقدوها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذى ذكرناه فإن تعليمهم الكلام ضرر محض فى حقهم إذ ربما يثير لهم شكا ويزلزل عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالإصلاح . وأما العامى المعتقد للبدعة فينبغى أن يدعى إلى الحق بالتلطف لا بالتعصب وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر فى القلب القريب من سياق أدلة القرآن والحديث الممزوج بفن من الوعظ والتحذير فإن ذلك أنفع من الجدال الموضوع على شرط المتكلمين ؛ إذ العامى إذا سمع ذلك اعتقد أنه نوع صنعة من الجدل تعلمها المتكلم ليستدرج الناس إلى اعتقاده فإن عجز عن الجواب قدر أن المجادلين من أهل مذهبه أيضا يقدرون على دفعه . فالجدل مع هذا ومع الأول حرام وكذلك مع من وقع فى شك إذ يجب إزالته باللطف والوعظ والأدلة القريبة المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام . واستقصاء الجدل إنما ينفع فى موضع واحد وهو أن يفرض عامى اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود إلى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له من الأنس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامية فقد انتهى هذا إلى حالة لا يشفيه منها إلا دواء الجدل فجاز أن يلقى إليه . وأما فى بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد الذى ذكرناه ولا يتعرض للأدلة ويتربص وقوع شبهة فإن وقعت ذكر بقدر الحاجة فإن كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان أن يخدعوا فلا بأس أن يعلموا القدر الذى أودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تأثير مجادلات المبتدعة إن وقعت إليهم وهذا مقدار مختصر وقد أودعناه هذا الكتاب لاختصاره فإن كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع سؤال أو ثارت فى نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا بأس أن يرقى منه إلى القدر الذى ذكرناه فى كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد ـ وهو قدر خمسين ورقة ـ وليس فيه خروج عن النظر فى قواعد العقائد إلى غير ذلك من مباحث المتكلمين . فإن أقنعه ذلك كف عنه وإن لم يقنعه ذلك فقد صارت العلة مزمنة والداء غالبا والمرض ساريا فليتلطف به الطبيب بقدر إمكانه وينتظر قضاء الله تعالى فيه إلى أن ينكشف له الحق بتنبيه من الله سبحانه أو يستمر على الشك والشبهة إلى ما قدر له فالقدر الذى يحويه ذلك الكتاب وجنسه من المصنفات هو الذى يرجى نفعه .

فأما الخارج منه فقسمان ؛ أحدهما : بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتمادات وعن الأكوان وعن الإدراكات وعن الحوص فى الرؤية هل لها ضد يسمى المنع أو العمى ؟ وإن كان فذلك واحد هو منع عن جميع ما لا يرى أو ثبت لكل مرئى يمكن رؤيته منع بحسب عدده إلى غير ذلك من الترهات المضلات . والقسم الثانى : زيادة تقرير لتلك الأدلة فى غير تلك القواعد وزيادة أسئلة وأجوبة وذلك أيضاً استقصاء لا يزيد إلا ضلالا وجهلا فى حق من لم يقنعه ذلك القدر فرب كلام يزيده الإطناب والتقرير غموضاً . ولو قال قائل : البحث عن حكم الإدراكات والاعتمادات فيه فائدة تشحيذ الخواطر . والخاطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا بأس بتشحيذه كان كقوله لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من الدين أيضاً وذلك هوس فإن الخاطر يتشحذ بسائر علوم الشرع ولا يخاف فيها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام والحال التى يذم فيها والحال التى يحمد فيها والشخص الذى ينتفع به والشخص الذى لا ينتفع به * فإن قلت : مهما اعترفت بالحاجة إليه فى دفع المبتدعة والآن قد ثارت البدع وعمت البلوى وأرهقت الحاجة فلا بد أن يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق كالقضاء والولاية وغيرهما ؟ وما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولو ترك بالكلية لاندرس وليس فى مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة مالم

يتعلم فينبغى أن يكون التدريس فيه والبحث عنه أيضا من فروض الكفايات بخلاف زمن الصحابة رضى الله عنهم فإنّ الحاجة ما كانت ماسة إليه . فاعلم أن الحق أنه لا بد فى كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل يدفع شبه المبتدعة التى ثارت فى تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير فإن هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من أنواع الضرر . فالعالم الذى ينبغى أن يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال ؛ إحداها : التجرد للعلم والحرص عليه ، فإن المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام وإزالة الشكوك إذا عرضت . الثانية : الذكاء والفطنة والفصاحة فإن البليد لا ينتفع بفهمه والفدم لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه نفعه . الثالثة : أن يكون فى طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا تكون الشهوات غالبة عليه فإن الفاسق بأدنى شبهة ينخلع عن الدين فإن ذلك يحل عنه الحجر ويرفع للسد الذى بينه وبين الملاذ فلا يحرص على إزالة الشبهة بل يغتنمها ليتخلص من أعباء التكليف فيكون ما يفسده مثل هذا المتعلم أكثر مما يصلحه . وإذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك أن هذه الحجة المحمودة فى الكلام إنما هى من جنس حجج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة فى القلوب المقنعة للنفوس دون التغلغل فى التقسيمات والتدقيقات التى لا يفهمها أكثر الناس وإذا فهموها اعتقدوا أنها شعوذة وصناعة تعلمها صاحبها للتلبيس ، فإذا قابله مثله فى الصنعة قاومه . وعرفت أن الشافعى وكافة السلف إنما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذى نبهنا عليه . وأن ما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما من مناظرة الخوارج وما نقل عن على رضى الله عنه من المناظرة فى القدر وغيره كان من الكلام الجلى الظاهر وفى محل الحاجة وذلك محمود فى كل حال . نعم قد تختلف الأعصار فى كثرة الحاجة وقلتها فلا يبعد أن يختلف الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة التى تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها فأما إزالة الشبهة وكشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ما هى عليه وإدراك الأسرار التى يترجمها ظاهر ألفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح له إلا المجاهدة وقمع الشهوات والإقبال بالكلية على الله تعالى وملازمة الفكر الصافى عن شوائب المجادلات وهى رحمة من الله عز وجل تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر الرزق وبحسب التعرض وبحسب قبول المحل وطهارة القلب وذلك البحر الذى لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله (مسألة) فإن قلت : هذا الكلام يشير إلى أن هذه العلوم لها ظواهر وأسرار وبعضها جلى يبدو أولا وبعضها خفى يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافى والسر الخالى عن كل شىء من أشغال الدنيا سوى المطلوب وهذا يكاد يكون مخالفاً للشرع إذ ليس للشرع ظاهر وباطن وسر وعلن بل الظاهر والباطن والسر والعلن واحد فيه ؟ فاعلم أن انقسام هذه العلوم إلى خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة وإنما ينكرها القاصرون الذى تلقفوا فى أوائل الصبا شيئاً وجمدوا عليه فلم يكن لهم ترق إلى شأو العلماء ومقامات العلماء والأولياء وذلك ظاهر من أدلة الشرع قال صلى الله عليه وسلم « إنّ للقرآن ظاهراً وباطناً وحدّا ومطلعا [1] » وقال على رضى الله عنه ـ وأشار إلى صدره ـ إنّ ههنا علوما جمة لو وجدت لها حملة . وقال صلى الله عليه وسلم « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « ما حدث أحد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم إلا كان فتنة عليهم [3] » وقال الله تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) وقال

(١) حديث « إن للقرآن ظاهرا وباطنا .. الحديث » أخرجه ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن مسعود بنحوه (٢ حديث « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم .. الحديث) تقدم فى العلم (٣) حديث (ما حدث أحد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم ... الحديث) تقدم فى العلم

صلى الله عليه وسلم « إنّ من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العالمون بالله تعالى [١] » الحديث إلى آخره كما أوردناه في كتاب العلم . وقال صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا [٢] » فليت شعري إن لم يكن ذلك سرا منع من إفشائه لقصور الأفهام عن إدراكه أو لمعنى آخر فلم لم يذكره لهم ولا شك أنهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم ؟ وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن) لو ذكرت تفسيره لرجمتموني . وفي لفظ آخر : لقلتم إنه كافر ، وقال أبو هريرة رضي الله عنه : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين أما أحدهما فبثثته وأما الآخر لو بثثته لقطع هذا الحلقوم . وقال صلى الله عليه وسلم « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسر وقر في صدره [٣] » رضي الله عنه ولا شك في أن ذلك السر كان متعلقا بقواعد الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين لم يكن خافيا بظواهره على غيره ، وقال سهل التستري رضي الله عنه : للعالم ثلاثة علوم : علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر وعلم باطن لا يسعه إظهاره إلا لأهله وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لأحد . وقال بعض العارفين : إفشاء سر الربوبية كفر . وقال بعضهم : للربوبية سر لو أظهر لبطلت النبوة ، وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم ، وللعلماء بالله سر لو أظهروه لبطلت الأحكام ، وهذا القائل إن لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق الضعفاء لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق بل الصحيح أنه لا تناقض فيه وأن الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ، وملاك الورع النبوة (مسألة) فإن قلت : هذه الآيات والأخبار يتطرق إليها تأويلات فبين لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن فإنّ الباطن إن كان مناقضاً للظاهر ففيه إبطال الشرع ، وهو قول من قال : إن الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر لأن الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عبارة عن الباطن وإن كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو ويزول به الانقسام ولا يكون للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفي والجلي واحد ؟ فاعلم أن هذا السؤال يحرك خطبا عظيما وينجر إلى علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة وهو غرض هذه الكتب فإن العقائد التي ذكرناها من أعمال القلوب وقد تعبدنا بتلقينها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا بأن يتوصل إلى أن ينكشف لنا حقائقها فإن ذلك لم يكلف به كافة الخلق « ولولا أنه من الأعمال لما أوردناه في هذا الكتاب ، ولولا أنه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما أوردناه في الشطر الأول من الكتاب وإنما الكشف الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه ولكن إذا انجر الكلام إلى تحريك حبال في مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز في حله . فمن قال : إن الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يناقض الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان بل الأسرار التي يختص بها المقربون بدركها ولا يشاركهم الأكثرون في علمها ويمتنعون عن إفشائها إليهم ترجع إلى خمسة أقسام : القسم الأول : أن يكون الشيء في نفسه دقيقا تكل أكثر الأفهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعليهم أن لا يفشوه إلى غير أهله فيصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر أفهامهم عن الدرك . وإخفاء سر الروح وكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيانه [٤] من هذا القسم فإن حقيقته مما تكل الأفهام عن دركه وتقصر الأوهام عن تصور كنهه . ولا تظنن أنّ ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنّ من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه ومن لم يعرف نفسه

---

(١) حديث (إن من العلم كهيئة المكنون .. الحديث) تقدم في العلم (٢) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً) أخرجاه من حديث عائشة وأنس (٣) حديث (ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام . الحديث) تقدم في العلم

(٤) حديث (كف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيان الروح) أخرجه الشيخان من حديث ابن مسعود حين سأله اليهود عن الروح قال (فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئا ... الحديث)

فكيف يعرف ربه سبحانه ؟ ولا يبعد أن يكون ذلك مكشوفا لبعض الأولياء والعلماء وإن لم يكونوا أنبياء ولكنهم يتأدبون بآداب الشرع فيسكتون عما سكت عنه بل فى صفات الله عز وجل من الخفايا ما تقصر أفهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها إلا الظواهر للأفهام من العلم والقدرة وغيرهما حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها إلى علمهم وقدرتهم إذ كان لهم من الأوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة . ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شىء لم يفهموه ، بل لذة الجماع إذا ذكرت للصبى أو العنين لم يفهمها إلا بمناسبة إلى لذة المطعوم الذى يدركه ولا يكون ذلك فهما على التحقيق . والمخالفة بين علم الله تعالى وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم أكثر من المخالفة بين لذة الجماع والأكل . وبالجملة فلا يدرك الإنسان إلا نفسه وصفات نفسه مما هى حاضرة له فى الحال أو مما كانت له من قبل ثم بالمقايسة إليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بأن بينهما تفاوتا فى الشرف والكمال فليس فى قوة البشر إلا أن يثبت لله تعالى ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بأن ذلك أكمل وأشرف فيكون معظم تحريمه على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به من الجلال . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك[1] » وليس المعنى أنى أعجز عن التعبير عما أدركته بل هو اعتراف بالقصور عن إدراك كنه جلاله . ولذلك قال بعضهم : ما عرف الله بالحقيقة سوى الله عز وجل . وقال الصدّيق رضى الله عنه : الحمد لله الذى لم يجعل للخلق سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته . ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط ولنرجع إلى الغرض وهو أن أحد الأقسام ما تكل الأفهام عن إدراكه ومن جملته الروح ومن جملته بعض صفات الله تعالى . ولعل الإشارة إلى مثله فى قوله صلى الله عليه وسلم « إن لله سبحانه وتعالى سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره[2] »

القسم الثانى : من الخفيات التى تمتنع الأنبياء والصدّيقون عن ذكرها ما هو مفهوم فى نفسه لا يكل الفهم عنه لكن ذكره يضر بأكثر المستمعين ولا يضر بالأنبيـــاء والصدّيقين . وسر القدر الذى منع أهل العلم من إفشائه من هذا القسم ، فلا يبعد أن يكون ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بأبصار الخفافيش وكما تضر رياح الورد بالجعل ، وكيف يبعد هذا وقولنا إن الكفر والزنا والمعاصى والشرور كله بقضاء الله تعالى وإرادته ومشيئته حق فى نفسه وقد أضر سماعه بقوله إذ أوهم ذلك عندهم أنه دلالة على السفه ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم ؟ وقد ألحد ابن الراوندى وطائفة من المخذولين بمثل ذلك . وكذلك سر القدر لو أفشى لأوهم عند أكثر الخلق عجزا إذ تقصر أفهامهم عن إدراك ما يزيل ذلك الوهم عنهم ، ولو قال قائل : إن القيامة لو ذكر ميقاتها وأنها بعد ألف سنة أو أكثر أو أقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فلعل المدة اليها بعيدة فيطول الأمد ، وإذا استبطأت النفوس وقت العقاب قل اكتراثها ولعلها كانت قريبة فى علم الله سبحانه ولو ذكرت لعظم الخوف وأعرض الناس عن الأعمال وخربت الدنيا ، فهذا المعنى لو اتجه وصح فيكون مثالا لهذا القسم

---

(١) حديث (لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) أخرجه مسلم من حديث عائشة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك فى سجوده (٢) حديث (إن لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره) أخرجه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب العظمة من حديث أبى هريرة (بين الله وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجابا من نور) وإسناده ضعيف . وفيه أيضا من حديث أنس قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل هل ترى ربك ؟ قال إن بينى وبينه سبعين حجابا من نور وفى الأكبر للطبرانى من حديث سهل بن سعد (دون الله تعالى ألف حجاب من نور وظلمة) ولمسلم من حديث أبى موسى (حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه) ولابن ماجه (شىء أدركه بصره)

القسم الثالث : أن يكون الشيء بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه فى قلب المستمع أغلب وله مصلحة فى أن يعظم وقت ذلك الأمر فى قلبه ، كما لو قال قائل : رأيت فلانا يقلد الدرّ فى أعناق الخنازير ؛ فكنى به عن إفشاء العلم وبث الحكمة إلى غير أهلها فالمستمع قد يسبق إلى فهمه ظاهر اللفظ ، والمحقق إذا نظر وعلم أن ذلك الإنسان لم يكن معه درّ ولا كان فى موضعه خنزير تفطن لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس فى ذلك ، ومن هذا قال الشاعر :

رجلان حياط وآخر حائك متقابلان على السماك الأعزل

لازال ينسج ذاك خرقة مدبر ويخيط صاحبه ثياب المقبل

فانه عبر عن سبب سماوى فى الإقبال والإدبار برجلين صانعين وهذا النوع يرجع إلى التعبير عن المعنى بالصورة التى تتضمن عين المعنى أو مثله ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « إن المسجد لينزوى من النخامة كما تنزوى الجلدة على النار [1] » وأنت ترى أن ساحة المسجد لاتنقبض بالنخامة ، ومعناه أن روح المسجد كونه معظما ورمى النخامة فيه تحقير له فيضاد معنى المسجدية مضادة النار لاتصال أجزاء الجلدة ، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول رأسه رأس حمار [2] » وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون ؛ ولكن من حيث المعنى هو كائن إذ رأس الحمار لم يكن بحقيقته لكونه وشكله بل بخاصيته وهى البلادة والحمق ، ومن رفع رأسه قبل الإمام فقد صار رأسه رأس حمار فى معنى البلادة والحمق وهو المقصود دون الشكل الذى هو قالب المعنى . إذ من غاية الحمق أن يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فإنهما متناقضان وإنما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر إما بدليل عقلى أو شرعى ، أما العقلى فأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن [3] » إذ لو فتشنا عن قلوب المؤمنين لم نجد فيها أصابع فعلم أنها كناية عن القدرة التى هى سر الأصابع وروحها الخفى ، وكنى بالأصابع عن القدرة لأن ذلك أعظم وقعاً فى تفهم تمام الاقتدار . ومن هذا القبيل فى كنايته عن الاقتدار قوله تعالى ﴿ إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ فإن ظاهره ممتنع إذ قوله « كن » إن كان خطابا للشىء قبل وجوده فهو محال إذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل وإن كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين . ولكن لما كانت هذه الكناية أوقع فى النفوس فى تفهيم غاية الاقتدار عدل إليها وأما المدرك بالشرع فهو أن يكون إجراؤه على الظاهر ممكنا ولكنه يروى أنه أريد به غير الظاهر كما ورد فى تفسير قوله تعالى ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ﴾ الآية وأن معنى الماء ههنا هو القرآن ومعنى الأودية هى القلوب وأنّ بعضها احتملت شيئاً كثيراً وبعضها قليلا وبعضها لم يحتمل . والزبد مثل الكفر والنفاق فإنه وإن ظهر وطفا على رأس الماء فإنه لا يثبت والهداية التى تنفع الناس تمكث . وفى هذا القسم تعمق جماعة فأوّلوا ما ورد فى الآخرة من الميزان والصراط وغيرهما وهو بدعة إذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية وإجراؤه على الظاهر غير محال فيجب إجراؤه على الظاهر . القسم الرابع : أن يدرك الإنسان الشىء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بأن يصير حالا ملابسا له فيتفاوت العلمان ويكون الأول كالقشر والثانى كاللباب ، والأول كالظاهر والثانى كالباطن .

---

(١) حديث (إن المسجد لينزوى من النخامة .. الحديث) لم أجد له أصلا (٢) حديث (أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الامام .. الحديث) أخرجاه من حديث أبى هريرة (٣) حديث (قلب العبد بين أصبعين من أصابع الرحمن) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو

وذلك كما يتمثل للإنسان فى عينه شخص فى الظلمة أو على البعد فيحصل له نوع علم فإذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظلام أدرك تفرقة بينهما ، ولا يكون الأخير ضدّ الأول بل هو استكمال له . فكذلك العلم والإيمان والتصديق ، إذ قد يصدّق الإنسان بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه ولكن تحققه به عند الوقوع أكمل من تحققه قبل الوقوع بل للإنسان فى الشهوة والعشق وسائر الأحوال ثلاثة أحوال متفاوتة وإدراكات متباينة ، الأول: تصديقه بوجوده قبل وقوعه . والثانى . عند وقوعه . والثالث : بعد تصرمه . فإن تحققك بالجوع بعد زواله يخالف التحقيق قبل الزوال وكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالإضافة إلى ما قبل ذلك ، ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها . فى هذه الأقسام الأربعة تتفاوت الخلق وليس فى شىء منها باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر والسلام . الخامس : أن يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقا ، والبصير بالحقائق يدرك السر فيه وهذا كقول القائل :قال الجدار للوتد لم تشقنى ؟ قال : سل من يدقنى فلم يتركنى ورائى الحجر الذى ورائى ؟ فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ، ومن هذا قوله تعالى ﴿ ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ﴾ فالبليد يفتقر فى فهمه إلى أن يقدّر لها حيـــاة وعقلا وفهما للخطاب وخطابا هو صوت وحرف تسمعه السماء والأرض فتجيبان بحرف وصوت وتقولان ﴿ أتينا طائعين ﴾ والبصير يعلم أن ذلك لسان الحال وأنه إنباء عن كونهما مسخرتين بالضرورة ومضطرتين إلى التسخير . ومن هذا قوله تعالى (وإن من شىء إلا يسبح بحمده) فالبليد يفتقر فيه إلى أن يقدر للجمادات حياة وعقلا ونطقا بصوت وحرف حتى يقول « سبحان الله » ليتحقق تسبيحه . والبصير يعلم أنه ما أريد به نطق اللسان بل كونه مسبحا بوجوده ومقدّسا بذاته وشاهدا بوحدانية الله سبحانه كما يقال :

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد

وكما يقال : هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكمال العلم لا بمعنى أنها تقول أشهد بالقول ولكن بالذات والحال . وكذلك ما من شىء إلا وهو محتاج فى نفسه إلى موجد يوجده ويبقيه ويديم أوصافه ويردده فى أطواره فهو بحاجته يشهد لخالقه بالتقديس يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجامدين على الظواهر . ولذلك قال تعالى (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وأما القاصرون فلا يفقهون أصلا وأما المقربون والعلماء الراسخون فلا يفقهون كنهه وكماله إذ لكل شىء شهادات شتى على تقديس الله سبحانه وتسبيحه ، ويدرك كل واحد بقدر عقله وبصيرته ، وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم المعاملة . فهذا الفن أيضا مما يتفاوت أرباب الظواهر وأرباب البصائر فى علمه وتظهر به مفارقة الباطن للظاهر . وفى هذا المقام لأرباب المقامات إسراف واقتصاد فمن مسرف فى رفع الظواهر انتهى إلى تعبير جميع الظواهر والبراهين أو أكثرها حتى حملوا قوله تعالى (وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم) وقوله تعالى (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء) وكذلك المخاطبات التى تجرى من منكر ونكير وفى الميزان والصراط والحساب ومناظرات أهل النار وأهل الجنة فى قولهم (أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله) زعموا أن ذلك كله بلسان الحال . وغلا آخرون فى حسم الباب منهم أحمد بن حنبل رضى الله عنه حتى منع تأويل قوله (كن فيكون) وزعموا أن ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى فى كل لحظة بعدد كون مكون حتى سمعت بعض أصحابه يقول : إنه حسم باب التأويل إلا لثلاثة ألفاظ قوله

صلى الله عليه وسلم « الحجر الأسود يمين الله فى أرضه [١] » وقوله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمنين بين أصبعين من أصابع الرحمن » وقوله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم « إنى لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن [٢] » ومال إلى حسم الباب أرباب الظواهر . والظن بأحمد بن حنبل رضى الله عنه أنه علم أن الاستواء ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ولكنه منع من التأويل حسما للباب ورعاية لصلاح الخلق . فإنه إذا فتح الباب اتسع الخرق وحرج الأمر عن الضبط وجاوز حد الاقتصاد إذ حد ما جاوز الاقتصاد لا ينضبط فلا بأس بهذا الزجر ويشهد له سيرة السلف فإنهم كانوا يقولون : أمروها كما جاءت « حتى قال مالك رحمه الله لما سئل عن الاستواء : الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة . وذهبت طائفة إلى الاقتصاد وفتحوا باب التأويل فى كل ما يتعلق بصفات الله سبحانه وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها ومنعوا التأويل فيه وهم الأشعرية . وزاد المعتزلة عليهم حتى أوّلوا من صفاته تعالى الرؤية وأوّلوا كونه سميعا بصيرا وأوّلوا المعراج وزعموا أنه لم يكن بالجسد وأوّلوا عذاب القبر والميزان والصراط وجملة من أحكام الآخرة ، ولكن أقروا بحشر الأجساد وبالجنة واشتمالها على المأكولات والمشمومات والمنكوحات والملاذ المحسوسة ، وبالنار واشتمالها على حسم محسوس يحرق بحرق الجلود ويذيب الشحوم . ومن ترقيهم إلى هذا الحد زاد الفلاسفة فأوّلوا كل ما ورد فى الآخرة وردوه إلى آلام عقلية وروحانية ولذات عقلية وأنكروا حشر الأجساد وقالوا ببقاء النفوس وأنها تكون إما معذبة وإما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس وهؤلاء هم المسرفون . وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال كله وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه إلا الموفقون الذين يدركون الأمور بنور إلهى لا بالسماع ، ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هى عليه نظروا إلى السمع والألفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرّروه وما خالف أوّلوه . فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرّد فلا يستقر له فيها قدم ولا يتعين له موقف . والألبق بالمقتصر على السمع المجرّد : مقام أحمد بن حنبل رحمه الله . والآن فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد فى هذه الأمور داخل فى علم المكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه ؛ والغرض بيان موافقة الباطن الظاهر وأنه غير مخالف له فقد انكشف بهذه الأقسام الخمسة أمور كثيرة . وإذا رأينا أن نقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التى حرّرناها وأنهم لا يكلفون غير ذلك فى الدرجة الأولى إلا إذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة فيرقى فى الدرجة الثانية إلى عقيدة فيها لوامع من الأدلة مختصرة من غير تعمق . فلنورد فى هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر فيها على ما حرّرناه لأهل القدس وسميناه « الرسالة القدسية فى قواعد العقائد » وهى مودعة فى هذا الفصل الثالث من هذا الكتاب

الفصل الثالث

من كتاب قواعد العقائد فى لوامع الأدلة للعقيدة التى ترجمناها بالقدس فنقول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى ميز عصابة السنة بأنوار اليقين وآثر رهط الحق بالهداية إلى دعائم الدين وجنبهم زيغ الزائغين وضلال الملحدين ووفقهم للاقتداء بسيد المرسلين وسدّدهم للتأسى بصحبه الأكرمين ويسر لهم اقتفاء آثار السلف

---

(١) حديث (الحجر يمين الله فى الأرض) أخرجه الحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمر (٢) حديث (إنى لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن) أخرجه أحمد من حديث أبى هريرة فى حديث قال فيه (وأجد نفس ربكم من قبل اليمن) ورجاله ثقات

الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين ومن سير الأولين وعقائدهم بالمنهج المبين ، فجمعوا بالقول بين نتائج العقول وقضايا الشرع المقول ، وتحققوا أنّ النطق بما تعبدوا به من قول « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ليس له طائل ولا محصول إن لم تتحقق الإحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من الأقطاب والأصول ، وعرفوا أن كلمتى الشهادة على إيجازها تتضمن إثبات ذات الإله وإثبات صفاته وإثبات أفعاله وإثبات صدق الرسول ، وعلموا أن بناء الإيمان على هذه الأركان وهى أربعة ويدور كل ركن منها على عشرة أصول (الركن الأوّل) فى معرفة ذات الله تعالى ومداره على عشرة أصول : وهى العلم بوجود الله تعالى وقدمه وبقائه وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وأنه سبحانه ليس مختصاً بجهة ولا مستقرّا على مكان وأنه يرى وأنه واحد (الركن الثانى) فى صفاته ويشتمل على عشرة أصول : وهو العلم بكونه حيا عالما قادراً مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حلول الحوادث وأنه قديم الكلام والعلم والإرادة (الركن الثالث) فى أفعاله تعالى ومداره على عشرة أصول : وهى أنّ أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وأنها مكتسبة للعباد وأنها مرادة لله تعالى وأنه متفضل بالخلق والاختراع وأنّ له تعالى تكليف ما لا يطاق ، وأنّ له إيلام البرىء ولا يجب عليه رعاية الأصلح ، وأنه لا واجب إلا بالشرع وأنّ بعثه الأنبياء جائز وأنّ نبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة مؤيدة بالمعجزة (الركن الرابع) فى السمعيات ومداره على عشرة أصول : وهى إثبات الحشر والنشر وسؤال منكر ونكير وعذاب القبر والميزان والصراط وخلق الجنة والنار وأحكام الإمامة وأنّ فضل الصحابة على حسب ترتيبهم وشروط الإمامة .

فأما الركن الأوّل من أركان الإيمان : فى معرفة ذات الله سبحانه وتعالى وأنّ الله تعالى واحد ومداره على عشرة أصول

(الأصل الأول) معرفة وجوده تعالى وأوّل ما يستضاء به من الأنوار ويسلك من طريق الاعتبار ما أرشد إليه القرآن فليس بعد بيان الله سبحانه بيان وقد قال تعالى ﴿ ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شداداً وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا ﴾ وقال تعالى ﴿ إنّ فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ وقال تعالى ﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجا والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا ﴾ وقال تعالى ﴿ أفرأيتم ما تمنون ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ﴾ إلى قوله ﴿ للمقوين ﴾ فليس يخفى على من معه أدنى مسكة من عقل إذا تأمل بأدنى فكرة مضمون هذه الآيات وأدار نظره على عجائب خلق الله فى الأرض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات أن هذا الأمر العجيب والترتيب المحكم لا يستغنى عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره ؛ بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفة بمقتضى تدبيره . ولذلك قال الله تعالى ﴿ أفى الله شك فاطر السموات والأرض ﴾ ولهذا بعث الأنبياء صلوات الله عليهم لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا « لا إله إلا الله » وما أمروا أن يقولوا لنا إله وللعالم إله . فإن ذلك كان مجبولا فى فطرة عقولهم من مبدإ نشوهم وفى عنفوان شبابهم . ولذلك قال عز وجل ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ وقال تعالى ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى

فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾ فإذاً فى فطرة الإنسان وشواهد القرآن مايغنى عن إقامة البرهان . ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار نقول : من بداهة العقول أن الحادث لايستغنى فى حدوثه عن سبب يحدثه ، والعالم حادث فإذاً لايستغنى فى حدوثه عن سبب . أما قولنا «إن الحادث لايستغنى فى حدوثه عن سبب » فجلى فإن كل حادث مختص بوقت يجوز فى العقل تقدير تقديمه وتأخيره فاختصاصه بوقته دون ماقبله وما بعده يفتقر بالضرورة إلى المخصص وأما قولنا « العالم حادث » فبرهانه أن أجسام العالم لاتخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لايخلو عن الحوادث فهو حادث . فنى هذا البرهان ثلاث دعاوى ؛ الأولى : قولنا « إن الأجسام لاتخلو عن الحركة والسكون » وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار فلا يحتاج فيها إلى تأمل وافتكار فإن من عقل جسما لا ساكناً ولا متحركا كان لمتن الجهل راكباً وعن نهج العقل ناكبا . الثانية : قولنا « إنهما حادثان » ويدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك مشاهد فى جميع الأجسام ماشوهد منها ومالم يشاهد فمن ساكن إلا والعقل قاض بجواز حركته وما من متحرك إلا والعقل قاض بجواز سكونه فالطارئ منهما حادث لطريانه والسابق حادث لعدمه ؛ لأنه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه ـ على ما سيأتى بيانه وبرهانه فى إثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس ـ الثالثة : قولنا « ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث » وبرهانه أنه لولم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا أول لها ولو لم تنقص تلك الحوادث بجملتها لاتنتهى النوبة إلى وجود الحادث الحاضر فى الحال وانقضاء ما لانهاية له محال ، ولأنه لوكان للفلك دورات لانهاية لها لكان لايخلو عددها عن أن تكون شفعاً أو وتراً أو شفعاً ووتراً جميعاً أو لاشفعاً ولا وترا ، ومحال أن يكون شفعاً ووتراً جميعاً أولاشفعاً ولا وترا . فإن ذلك جمع بين النفى والإثبات ؛ إذ فى إثبات أحدهما نفى الآخر وفى نفى أحدهما إثبات الآخر . ومحال أن يكون شفعاً لأن الشفع يصير وتراً بزيادة واحد . وكيف يعوز ما لانهاية له : واحد ؟ ومحال أن يكون وتراً إذ الوتر يصير شفعاً بواحد فكيف يعوزها واحد مع أنه لانهاية لأعدادها . ومحال أن يكون لاشفعاً ولاوتراً إذ لانهاية . فتحصل من هذا أن العالم لايخلو عن الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو إذن حادث . وإذا ثبت حدوثه كان افتقاره إلى المحدث من المدركات بالضرورة (الأصل الثانى) العلم بأن الله تعالى قديم لم يزل ، أزلى ليس لوجوده أول بل هو أول كل شىء وقبل كل ميت وحى . وبرهانه أنه لوكان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو أيضاً إلى محدث وافتقر محدثه إلى محدث وتسلسل ذلك إلى مالانهاية ، وما تسلسل لم يتحصل أو ينتهى إلى محدث قديم هو الأول وذلك هو المطلوب الذى سميناه صانع العالم ومبدئه وبارئه ومحدثه ومبدعه (الأصل الثالث) العلم بأنه تعالى مع كونه أزليا أبديا ليس لوجوده آخر فهو الأول والآخر والظاهر والباطن لأن ماثبت قدمه استحال عدمه ، وبرهانه أنه لو انعدم لكان لايخلو إما أن ينعدم بنفسه أو بمعدم يضاده ولو جاز أن ينعدم شىء يتصور دوامه لجاز أن يوجد شىء يتصور عدمه بنفسه فكما يحتاج طريان الوجود إلى سبب فكذلك يحتاج طريان العدم إلى سبب . وباطل أن ينعدم بمعدم يضاده لأن ذلك المعدم لوكان قديما لما تصور الوجود معه . وقد ظهر بالأصلين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده فى القدم ومعه ضده ؟ فإن كان الضد المعدم حادثا كان محالا ؛ إذ ليس الحادث فى مضادته للقديم حتى يقطع وجوده بأولى من القديم فى مضادته للحادث حتى يدفع وجوده ، بل الدفع أهون من القطع والقديم أقوى وأولى من الحادث (الأصل الرابع) العلم بأنه تعالى ليس بجوهر يتحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز . وبرهانه أن كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من أن يكون ساكنا فيه أو متحركا عنه ، فلا يخلو عن الحركة أو السكون

وهما حادثان ، ومالا يخلو عن الحوادث فهو حادث. ولو تصوّر جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم فإن سماه مسم جوهراً ولم يرد به المتحيز كان مخطئاً من حيث اللفظ لامن حيث المعنى ﴿الأصل الخامس﴾ العلم بأنه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر . إذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر ، وإذا بطل كونه جوهرا مخصوصا بحيز بطل كونه جسما لأن كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر فالجوهر يستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدوث. ولو جاز أن يعتقد أن صانع العالم جسم لجاز أن يعتقد الإلهية للشمس والقمر أو لشيء آخر من أقسام الأجسام . فإن تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسما من غير إرادة التأليف من الجواهر كان ذلك غلطا فى الاسم مع الإصابة فى نفى معنى الجسم ﴿الأصل السادس﴾ العلم بأنه تعالى ليس بعرض قائم بجسم أو حال فى محل لأن العرض ما يحل فى الجسم ، فكل جسم فهو حادث لامحالة ويكون محدثه موجودا قبله . فكيف يكون حالا فى الجسم وقد كان موجودا فى الأزل وحده وما معه غيره ، ثم أحدث الأجسام والأعراض بعده ؟ ولأنه عالم قادر مريد خالق - كما سيأتى بيانه - وهذه الأوصاف تستحيل على الأعراض بل لاتعقل إلا لموجود قائم بنفسه مستقل بذاته . وقد تحصل من هذه الأصول أنه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض . وأن العالم كله جواهر وأعراض وأجسام فاذا لايشبه شيئا ولا يشبهه شيء بل هو الحى القيوم الذى ليس كمثله شيء وأنى يشبه المخلوق خالقه والمقدور مقدره والمصوّر مصوّره . والأجسام والأعراض كلها من خلقه وصنعه فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابهته ﴿الأصل السابع﴾ العلم بأنّ الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات فان الجهة إما فوق وإما أسفل وأما يمين وإما شمال أو قدام أو خلف ، وهذه الجهات هو الذى خلقها وأحدثها بواسطة خلق الإنسان إذ خلق له طرفين أحدهما يعتمد على الأرض ويسمى رجلا ، والآخر يقابله ويسمى رأساً . فحدث اسم الفوق لما يلى جهة الرأس واسم السفل لما يلى جهة الرجل حتى إنّ النملة التى تدب منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق فى حقها تحتا وإن كان فى حقنا فوقا . وخلق للإنسان اليدين وإحداهما أقوى من الأخرى فى الغالب فحدث اسم اليمين للأقوى واسم الشمال لما يقابله وتسمى الجهة التى تلى اليمين يمينا والأخرى شمالا ، وخلق له جانبين يبصر من أحدهما ويتحرك اليه فحدث اسم القدام للجهة التى يتقدم اليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها ، فالجهات حادثة بحدوث الإنسان ولو لم يخلق الإنسان بهذه الخلقة بل خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود ألبته . فكيف كان فى الأزل مختصا بجهة والجهة حادثة ؟ وكيف صار مختصا بجهة بعد أن لم يكن له ؟ أبأن خلق العالم فوقه ويتعالى عن أن يكون له فوق إذ تعالى أن يكون له رأس والفوق عبارة عما يكون جهة الرأس أو خلق العالم تحته فتعالى عن أن يكون له تحت إذ تعالى عن أن يكون له رجل والتحت عبارة عما يلى جهة الرجل ؛ وكل ذلك مما يستحيل فى العقل ولأن المعقول من كونه مختصا بجهة أنه مختص بحيز اختصاص الجواهر أو مختص بالجواهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرا أو عرضا فاستحال كونه مختصا بالجهة ؛ وإن أريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطا فى الاسم مع المساعدة على المعنى ولأنه لو كان فوق العالم لكان محاذياً له ، وكل محاذ لجسم فإما أن يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر وكل ذلك تقدير محوج بالضرورة إلى مقدّر ويتعالى عنه الخالق الواحد المدبر ، فأما رفع الأيدى عند السؤال إلى جهة السماء فهو لأنها قبلة الدعاء . وفيه أيضا إشارة إلى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء ﴿الأصل

الثامن) العلم بأنه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذى أراد الله تعالى بالاستواء وهو الذى لاينافى وصف الكبرياء ولا يتطرق اليه سمات الحدوث والفناء وهو الذى أريد بالاستواء إلى السماء حيث قال فى القرآن (ثم استوى إلى السماء وهى دخان) وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

واضطر أهل الحق إلى هذا التأويل كما التأويل كما اضطر أهل الباطن إلى تأويل قوله تعالى ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ إذ حمل ذلك بالاتفاق على الإحاطة والعلم ، وحمل قوله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » على القدرة والقهوة ، وحمل قوله صلى الله عليه وسلم « الحجر الأسود يمين الله فى أرضه » على التشريف والإكرام لأنه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن جسما مماسا للعرش إما مثله أو أكبر منه أو أصغر وذلك محال ، وما يؤدى إلى المحال فهو محال ﴿الأصل التاسع﴾ العلم بأنه تعالى مع كونه منزها عن الصورة والمقدار مقدسا عن الجهات والأقطار مرئى بالأعين والأبصار فى الدار الآخرة دار القرار لقوله تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ ولا يرى فى الدنيا تصديقا لقوله عز وجل ﴿ لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ ولقوله تعالى فى خطاب موسى عليه السلام ﴿ لن ترانى ﴾ وليت شعرى كيف عرف المعتزل من صفات رب الأرباب ماجهله موسى عليه السلام ؟ وكيف سأل موسى عليه السلام الرؤية مع كونها محالا ؟ ولعل الجهل بدوى البدع والأهواء من الجهلة الأغبياء أولى من الجهل بالأنبياء صلوات الله عليهم ، وأما وجه إجراء آية الرؤية على الظاهر فهو أنه غير مؤد إلى المحال ، فإن الرؤية نوع كشف وعلم إلا أنه أتم وأوضح من العلم فاذا جاز تعلق العلم به وليس فى جهة جاز تعلق الرؤية به وليس بجهة ، وكما يجوز أن يرى الله تعالى الخلق وليس فى مقابلتهم جاز أن يراه الخلق من غير مقابلة ، وكما جاز أن يعلم من غير كيفية وصورة جاز أن يرى كذلك ﴿الأصل العاشر﴾ العلم بأن الله عز وجل واحد لاشريك له فرد لاند له انفرد بالخلق والإبداع واستند بالإيجاد والاختراع لامثل له يساهمه ويساويه ولا ضد له فينازعه ويناويه : وبرهانه قوله تعالى ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ وبيانه أنه لو كانا اثنين وأراد أحدهما أمرا فالثانى إن كان مضطرا إلى مساعدته كان هذا الثانى مقهورا عاجزا ولم يكن إلها قادرا ، وإن كان قادرا على مخالفته ومدافعته كان الثانى قويا قاهرا والأول ضعيفا قاصرا ولم يكن إلها قادرا

الركن الثانى العلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة أصول

﴿ الأصل الأول ﴾ العلم بأن صانع العالم قادر وأنه تعالى فى قوله ﴿ وهو على كل شىء قدير ﴾ صادق لأن العالم محكم فى صنعته مرتب فى خلقته ومن رأى ثوبا من ديباج حسن النسج والتأليف متناسب التطريز والتطريف ثم توهم صدور نسجه عن ميت لا استطاعة له أو عن إنسان لاقدرة له كان منخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا فى سلك أهل الغباوة والجهل ﴿الأصل الثانى﴾ العلم بأنه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات (لايعزب عن علمه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء) صادق فى قوله ﴿ وهو بكل شىء عليم ﴾ ومرشد إلى صدقه بقوله تعالى (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) أرشدك إلى الاستدلال بالخلق على العلم بأنك لاتستريب فى دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب ولو فى الشىء الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى فى الهداية والتعريف (الأصل الثالث) العلم بكونه عز وجل حيا فان من ثبت

علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ولو تصور قادر وعالم فاعل مدبر دون أن يكون حيا لجاز أن يشك فى حياة الحيوانات عند ترددها فى الحركات والسكنات بل فى حياة أرباب الحرف والصناعات وذلك انغماس فى غمرة الجهالات والضلالات (الأصل الرابع) العلم بكونه تعالى مريدا لأفعاله فلا موجود إلا وهو مستند إلى مشيئته وصادر عن إرادته فهو المبدئ المعيد والفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه أمكن أن يصدر منه ضده ؟ ومالا ضد له أمكن أن يصدر منه ذلك بعينه قبله أو بعده . والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة فلابد من إرادة صارفة للقدرة إلى أحد المقدورين . ولو أغنى العلم عن الإرادة فى تخصيص المعلوم حتى يقال إنما وجد فى الوقت الذى سبق بوجوده لجاز أن يغنى عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لأنه سبق العلم بوجوده فيه (الأصل الخامس) العلم بأنه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكير ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصخرة الصماء : وكيف لا يكون سميعا بصيرا والسمع والبصر كمال لا محالة وليس بنقص ؟ فكيف يكون المخلوق أكمل من الخالق والمصنوع أسنى وأتم من الصانع ؟ وكيف تعتدل القسمة مهما وقع النقص فى جهته والكمال فى خلقه وصنعته أو كيف تستقيم حجة إبراهيم صلى الله عليه وسلم على أبيه إذ كان يعبد الأصنام جهلا وغيا فقال له ﴿ لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ﴾ ولو انقلب ذلك عليه فى معبوده لأصحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تعالى ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ﴾ وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب ودماغ فليعقل كونه بصيرا بلا حدقة وسميعا بلا أذن إذ لا فرق بينهما (الأصل السادس) أنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام وهو وصف قائم بذاته ليس بصوت ولا حرف بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره . والكلام بالحقيقة كلام النفس وإنما الأصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والإشارات وكيف التبس هذا على طائفة من الأغبياء ولم يلتبس على جهلة الشعراء حيث قال قائلهم :

إنّ الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ومن لم يعقله عقله ولا نهاه نهاه عن أن يقول : لسانى حادث ولكن ما يحدث فيه بقدرتى الحادثة قديم ، فاقطع عن عقلة طمعك وكف عن خطابه لسانك . ومن لم يفهم أن القديم عبارة عما ليس قبله شىء . وأن الباء قبل السين فى قولك بسم الله فلا يكون السين المتأخر عن الباء قديما فنزه عن الالتفات إليه قلبك فلله سبحانه سر فى إبعاد بعض العباد ﴿ ومن يضلل الله فماله من هاد ﴾ ومن استبعد أن يسمع موسى عليه السلام فى الدنيا كلاما ليس بصوت ولا حرف فليستنكر أن يرى فى الآخرة موجودا ليس بجسم ولا لون : وإن عقل أن يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا كمية وهو إلى الآن لم ير غيره فليعقل فى حاسة السمع ماعقله فى حاسة البصر . وإن عقل أن يكون له علم واحد هو علم بجميع الموجودات فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع مادل عليه من العبارات . وإن عقل كون السموات السبع وكون الجنة والنار مكتوبة فى ورقة صغيرة ومحفوظة فى مقدار ذرة من القلب وأن كل ذلك مرئى فى مقدار عدسة من الحدقة من غير أن تحل ذات السموات والأرض والجنة والنار فى الحدقة والقلب والورقة فليعقل كون الكلام مقروءا بالألسنة محفوظا فى القلوب مكتوبا فى المصاحف من غير حلول ذات الكلام فيها إذ لو حلت بكتاب الله ذات الكلام فى الورق لحل ذات الله تعالى بكتابة اسمه فى الورق وحلت ذات النار بكتابه اسمها فى الورق ولاحترق (الأصل السابع) أن الكلام القائم بنفسه قديم وكذا جميع صفاته إذ يستحيل أن يكون محلا

للحوادث داخلا تحت التغير بل يجب للصفات من نعوت القدم مايجب للذات فلا تعتريه التغيرات ولا تحله الحادثات بل لم يزل فى قدمه موصوفا بمحامد الصفات ولا يزل فى أبده كذلك منزها عن تغير الحالات لأن ما كان محل الحوادث لا يخلو عنها ومالا يخلو عن الحوادث فهو حادث . وإنما ثبت نعت الحدوث للأجسام من حيث تعرضها للتغير وتقلب الأوصاف فكيف يكون خالقها مشاركا لها فى قبول التغير ؟ وينبنى على هذا أن كلامه قديم قائم بذاته وإنما الحادث هى الأصوات الدالة عليه ، وكما عقل قيام طلب التعلم وإرادته بذات الوالد للولد قبل أن يخلق ولده حتى إذا خلق ولده وعقل وخلق الله له علما متعلقا بما فى قلب أبيه من الطلب صار مأمورا بذلك الطلب الذى قام بذات أبيه ودام وجوده إلى وقت معرفة ولده له فليعقل قيام الطلب الذى دل عليه قوله عز وجل (اخلع نعليك) بذات الله ومصير موسى عليه السلام مخاطبا به بعد وجوده إذ خلقت له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم (الأصل الثامن) أن علمه قديم فلم يزل عالما بذاته وصفاته ومايحدثه من مخلوقاته . ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الأزلى إذ لو خلق لنا علم به بقدوم زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك العلم تقديرا حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند طلوع الشمس معلوما لنا بذلك العلم من غير تجدد علم آخر . فكهذا ينبغى أن يفهم قدم علم الله تعالى (الأصل التاسع) أن إرادته قديمة وهى فى القدم تعلقت بإحداث الحوادث فى أوقاتها اللائقة بها على وفق سبق العلم الأزلى إذ لو كانت حادثة لصار محل الحوادث ، ولو حدثت فى غير ذاته لم يكن هو مريدا لها كما لا تكون أنت متحركا بحركة ليست فى ذاتك وكيفما قدرت فيفتقر حدوثها إلى إرادة أخرى ، وكذلك الإرادة الأخرى تفتقر إلى أخرى ويتسلسل الأمر إلى غير نهاية ، ولو جاز أن يحدث إرادة بغير إرادة لجاز أن يحدث العالم بغير إرادة (الأصل العاشر) أن الله تعالى عالم بعلم ، حى بحياة ، قادر بقدرة ، ومريد بإرادة ، ومتكلم بكلام ، وسميع بسمع ، وبصير ببصر ، وله هذه الأوصاف من هذه الصفات القديمة . وقول القائل : عالم بلا علم كقوله : غنى بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم ، فإن العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل ، وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قتيل ولا يتصور قتيل بلا قاتل ولا قتل كذلك لا يتصور عالم بلا علم ولا علم بلا معلوم ولا معلوم بلا عالم بل هذه الثلاثة متلازمة فى العقل لا ينفك بعض منها عن البعض فمن جوز انفكاك العالم عن العلم فليجوز انفكاكه عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم إذ لا فرق بين هذه الأوصاف .

الركن الثالث : العلم بأفعال الله تعالى ، ومداره على عشرة أصول

(الأصل الأول) العلم بأن كل حادث فى العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لا خالق له سواه ولا محدث له إلا إياه . خلق الخلق وصنعهم وأوجد قدرتهم وحركتهم فجميع أفعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته تصديقا له فى قوله تعالى (الله خالق كل شىء) وفى قوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) وفى قوله تعالى (وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) أمر العباد بالتحرز فى أقوالهم وأفعالهم وإسرارهم وإضمارهم لعلمه بموارد أفعالهم . واستدل على العلم بالخلق ، وكيف لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته تامة لا قصور فيها وهى متعلقة بحركة أبدان العباد والحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذى يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون البعض مع تماثلها ؟ أو كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات مايتحير فيه عقول ذوى الألباب فكيف انفردت هى باختراعها دون رب الأرباب وهى غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب ؟ هيهات هيهات ! ذلت المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت .

جبار الأرض والسموات (الأصل الثانى) أنّ انفراد الله سبحانه باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله تعالى خلق القدرة والمقدور جميعاً وخلق الاختيار والمختار جميعاً . فأما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه وليست بكسب له . وأما الحركة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسب له فإنها خلقت مقدورة بقدرة هى وصفه وكانت للحركة نسبة إلى صفة أخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبا ، وكيف تكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية ؟ أوكيف يكون خلقا للعبد وهو لايحيط علما بتفاصيل أجزاء الحركات المكتسبة وأعدادها وإذا بطل الطرفان لم يبق إلا الاقتصاد فى الاعتقاد وهو أنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب . وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع فقط ؛ إذ قدرة الله تعالى فى الأزل قد كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلا بها وهى عند الاختراع متعلقة به نوعا آخر من التعلق فيه يظهر أنّ تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها (الأصل الثالث) أن فعل العبد وإن كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا لله سبحانه . فلا يجرى فى الملك والملكوت طرفة عين ولا لفتة خاطر ولا فلتة ناظر إلا بقضاء الله وقدرته وبإرادته ومشيئته . ومنه الشر والخير والنفع والضر والإسلام والكفر والعرفان والنكر والفوز والخسران والغواية والرشد والطاعة والعصيان والشرك والإيمان لاراد لقضائه ولا معقب لحكمه يضل من يشاء ويهدى من يشاء ﴿لايسئل عما يفعل وهم يسألون﴾ ويدل عليه من النقل قول الأمة قاطبة «ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن» وقول الله عز وجل ﴿أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً﴾ وقوله تعالى ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ ويدل عليه من جهة العقل أن المعاصى والجرائم إن كان الله يكرهها ولا يريدها وإنما هى جارية على وفق إرادة العدوّ إبليس لعنه الله مع أنه عدوّ لله سبحانه ، والجارى على وفق إرادة العدوّ أكثر من الجارى على وفق إرادته تعالى فليت شعرى كيف يستجيز المسلم أن يرد ملك الجبار ذى الجلال والإكرام إلى رتبة لو ردت إليها رياسة زعيم ضيعة لاستنكف منها ؛ إذ لو كان ما يستمرّ لعدو الزعيم فى القرية أكثر مما يستقيم له لاستنكف من زعامته وتبرأ عن ولايته . والمعصية هى الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف إرادة الحق تعالى وهذا غاية الضعف والعجز ، تعالى رب الأرباب عن قول الظالمين علوا كبيراً . ثم مهما ظهر أن أفعال العباد مخلوقة لله صح أنها مرادة له * فإن قيل : فكيف ينهى عما يريد ويأمر بما لايريد ؟ قلنا : الأمر غير الإرادة . ولذلك إذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان ـ فأراد إظهار حجته بأن يأمر العبد بفعل ويخالفه بين يديه ـ فقال له : أسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان ، فهو يأمره بما لايريد امتثاله ، ولو لم يكن آمراً لما كان عذره عند السلطان ممهدا ، ولو كان مريداً لامتثاله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محال (الأصل الرابع) أنّ الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجباً عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد وهو محال ؛ إذ هو الموجب والآمر والناهى وكيف يتهدف لإيجاب أو يتعرض للزوم وخطاب ؟ والمراد بالواجب أحد أمرين : إما الفعل الذى فى تركه ضرر إما آجل ؛ كما يقال يجب على العبد أن يطيع الله حتى لا يعذبه فى الآخرة بالنار ، أو ضرر عاجل : كما يقال يجب على العطشان أن يشرب حتى لا يموت . وإما أن يراد به الذى يؤدى عدمه إلى محال كما يقال وجود المعلوم واجب إذ عدمه يؤدى إلى محال وهو أن يصير العلم جهلا ، فإن أراد الخصم بأنّ الخلق واجب على الله بالمعنى الأوّل

فقد عرّضه للضرر وإن أراد به المعنى الثانى فهو مسلم ؛ إذ بعد سبق العلم لا بد من وجود المعلوم وإن أراد به معنى ثالثاً فهو غير مفهوم وقوله « يجب لمصلحة عباده » كلام فاسد فإنه إذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب فى حقه معنى . ثم إنّ مصلحة العباد فى أن يخلقهم فى الجنة فأما أن يخلقهم فى دار البلايا ويعرّضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر العقاب وهول العرض والحساب فما فى ذلك غبطة عند ذوى الألباب (الأصل الخامس) أنه يجوز على الله سبحانه أن يكلف الخلق مالايطيقونه ـ خلافا للمعتزلة ـ ولولم يجز ذلك لاستحال سؤال دفعه وقد سألوا ذلك فقالوا ﴿ ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾ ولأنّ الله تعالى أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بأنّ أبا جهل لا يصدقه ، ثم أمره بأن يأمره بأن يصدّقه فى جميع أقواله وكان من جملة أقواله أنه لا يصدّقه ، فكيف يصدّقه فى أنه لا يصدّقه وهل هذا إلا محال وجوده ؟ (الأصل السادس) أنّ لله عز وجل إيلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لا حق خلافا للمعتزلة ـ لأنه متصرف فى ملكه ولا يتصوّر أن يعدو تصرفه ملكه ، والظلم هو عبارة عن التصرف فى ملك الغير بغير إذنه وهو محال على الله تعالى فإنه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما : ويدل على جواز ذلك وجوده فإنّ ذبح البهائم إيلام لها وماصب عليها من أنواع العذاب من جهة الآدميين لم يتقدمها جريمة * فإن قيل : إنّ الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما قاسته من الآلام ويجب ذلك على الله سبحانه ؟ فنقول : من زعم أنه يجب على الله إحياء كل نملة وطئت وكل بقة عركت حتى يثيبها على آلامها فقد خرج عن الشرع والعقل ؛ إذ يقال وصف الثواب والحشر بكونه واجبا عليه إن كان المراد به أن يتضرر بتركه فهو محال ، وإن أريد به غيره فقد سبق أنه غير مفهوم إذ خرج عن المعانى المذكورة للواجب (الأصل السابع) أنه تعالى يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده لما ذكرناه من أنه لا يجب عليه سبحانه شىء بل لا يعقل فى حقه الوجوب فإنه ﴿ لايسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ وليت شعرى بما يجيب المعتزلى فى قوله « إنّ الأصلح واجب عليه » فى مسألة نعرضها عليه : وهو أن يفرض مناظرة فى الآخرة بين صبى وبين بالغ ماتا مسلمين فإنّ الله سبحانه يزيد فى درجات البالغ ويفضله على الصبى لأنه تعب بالإيمان والطاعات بعد البلوغ ، ويجب عليه ذلك ـ عند المعتزلى ـ فلو قال الصبى : يارب لم رفعت منزلته على فيقول : لأنه بلغ واجتهد فى الطاعات ، ويقول الصبى : أنت أمتنى فى الصبا فكان يجب عليك أن تديم حياتى حتى أبلغ فأجتهد « فقد عدلت عن العدل فى التفضل عليه بطول العمر له دونى فلم فضلته ؟ فيقول الله تعالى : لأنى علمت أنك لو بلغت لأشركت أو عصيت فكان الأصلح لك الموت فى الصبا ـ هذا عذر المعتزلى عن الله عز وجل ـ وعند هذا ينادى الكفار من دركات لظى ويقولون : يارب أما علمت أننا إذا بلغنا أشركنا فهلا أمتنا فى الصبا فإنا رضينا بما دون منزلة الصبى المسلم ؟ فبماذا يجاب عن ذلك وهل يجب عند هذا إلا القطع بأنّ الأمور الإلهية تتعالى بحكم الجلال عن أن توزن بميزان أهل الاعتزال ؟ * فإن قيل : مهما قدر على رعاية الأصلح للعباد ثم سلط عليهم أسباب العذاب كان ذلك قبحاً لا يليق بالحكمة ؟ قلنا : القبح ما لا يوافق الغرض حتى إنه قد يكون الشىء قبيحا عند شخص حسنا عند غيره إذا وافق غرض أحدهما دون الآخر حتى يستقبح قتل الشخص أولياؤه ويستحسنه أعداؤه . فإن أريد بالقبيح مالا يوافق غرض البارى سبحانه فهو محال إذ لا غرض له فلا يتصوّر منه قبح كما لا يتصور منه ظلم إذ لا يتصوّر منه التصرف فى ملك الغير. وإن أريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الغير فلم قلتم إن ذلك عليه محال ؟ وهل هذا إلا مجرد تشه يشهد بخلافه ماقد فرضناه من مخاصمة أهل النار ؟ ثم الحكيم معناه العالم بحقائق الأشياء القادر على إحكام فعلها على وفق إرادته وهذا من أين يوجب رعاية

الأصلح ؟ وأما الحكيم منا يراعى الأصلح نظرا لنفسه ليستفيد به فى الدنيا ثناء وفى الآخرة ثوابا أو يدفع به عن نفسه آفة . وكل ذلك محال على الله سبحانه وتعالى (الأصل الثامن) أن معرفة الله سبحانه وطاعته واجبة بإيجاب الله تعالى وشرعه لا بالعقل ـ خلافا للمعتزلة ـ لأن العقل وإن أوجب الطاعة فلا يخلو إما أن يوجبها لغير فائدة وهو محال فإن العقل لايوجب العبث ، وإما أن يوجبها لفائدة وغرض وذلك لايخلو إما أن يرجع إلى المعبود وذلك محال فى حقه تعالى فانه يتقدس عن الأعراض والفوائد بل الكفر ، والإيمان والطاعة والعصيان فى حقه تعالى سيان ، وإما أن يرجع ذلك إلى عرض العبد وهو أيضا محال لأنه لا غرض له فى الحال بل يتعب به وينصرف عن الشهوات لسببه وليس فى المآل إلا الثواب والعقاب . ومن أين يعلم أن الله تعالى يثيب على المعصية والطاعة ولا يعاقب عليهما مع أن الطاعة والمعصية فى حقه يتساويان ، إذ ليس له إلى أحدهما ميل ولا به لأحدهما اختصاص وإنما عرف تمييز ذلك بالشرع ، ولقد زل من أخذ هذا من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق بين الشكر والكفران لما له من الارتياح والاهتزاز والتلذذ بأحدهما دون الآخر * فان قيل : فإذا لم يجب النظر والمعرفة إلا بالشرع والشرع لايستقر مالم ينظر المكلف فيه ؛ فإذا قال المكلف للنبي : إن العقل ليس يوجب على النظر والشرع لايثبت عندى إلا بالنظر ولست أقدم على النظر ، أدى ذلك إلى إفحام الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ قلنا : هذا يضاهى قول القائل للواقف فى موضع من المواضع إن وراءك سبعا ضاريا فإن لم تبرح عن المكان قتلك وإن التفت ورأيك ونظرت عرفت صدق ، فيقول الواقف لايثبت صدقك مالم ألتفت ورائى ولا ألتفت ورائى ، ولا أنظر ما لم يثبت صدقك ؛ فيدل هذا على حماقة هذا القائل وتهدفه للهلاك ولاضرر فيه على الهادى المرشد ؛ فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن وراءكم الموت ودونه السباع الضارية والنيران المحرقة إن لم تأخذوا منها حذركم وتعرفوا لى صدقى بالالتفات إلى معجزتى وإلا هلكتم ، فمن التفت عرف واحترز ونجا ومن لم يلتفت وأصر هلك وتردى ولا ضرر على إن هلك الناس كلهم أجمعون ، وإنما على البلاغ المبين » فالشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت . والعقل يفيدهم كلامه والإحاطة بإمكان مايقوله فى المستقبل والطبع يستحث على الحذر من الضرر ، ومعنى كون الشيء واجبا أن فى تركه ضررا ، ومعنى كون الشرع موجبا أنه معرف للضرر المتوقع فإن العقل لايهدى إلى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات ، فهذا معنى الشرع والعقل وتأثيرهما فى تقدير الواجب ، ولولا خوف العقاب على ترك ما أمر به لم يكن الوجوب ثابتا ، إذ لامعنى للواجب إلا مايرتبط بتركه ضرر فى الآخرة (الأصل التاسع) أنه ليس يستحيل بعثة الأنبياء عليهم السلام ـ خلافا للبراهمة ـ حيث قالوا : لافائدة فى بعثتهم إذ فى العقل مندوحة عنهم لأن العقل لايهدى إلى الأفعال المنجية فى الآخرة كما لايهدى إلى الأدوية المفيدة للصحة ، فحاجة الخلق إلى الأنبياء كحاجتهم إلى الأطباء ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة . (الأصل العاشر) أن الله سبحانه قد أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من شرائع اليهود والنصارى والصابئين ؟ وأيده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة كانشقاق القمر [1] وتسبيح الحصى [2] وإنطاق العجماء [3] وماتفجر من بين أصابعه من الماء . ومن آياته الظاهرة التى تحدى بها ـ مع كافة العرب ـ القرآن العظيم

(١) حديث : انشقاق القمر ؛ متفق عليه من حديث أنس وابن مسعود وابن عباس (٢) حديث « تسبيح الحصى » أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة من حديث أبى ذر . وقال صالح بن أبى الأخضر ليس بالحافظ والمحفوظ رواية رجل من بنى سليم لم يسم عن أبى ذر (٣) حديث : إنطاق العجماء ، أخرجه أحمد والبيهقى بإسناد صحيح من حديث يعلى بن مرة فى البعير الذى شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أهله . وقد ورد فى كلام الضب والذئب والحمرة أحاديث رواها البيهقى فى الدلائل

فانهم مع تمييزهم بالفصاحة والبلاغة تهدفوا اسمه وبهيه وقتله وإخراجه ـ كما أخبر الله عز وجل ـ عنهم ولم يقدروا على معارضته بمثل القرآن ، إذ لم يكن فى قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه ، هذا مع ماهبه من أخبار الأولين مع كونه أميا غير ممارس للكتب والإنباء عن الغيب فى أمور تحقق صدقه فيها فى الاستقبال كقوله تعالى ﴿لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين﴾ وكقوله ﴿ ألم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين ﴾ ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل أن كل ما عجز عنه البشر لم يكن إلا فعلا لله تعالى . فهما كان مقرونا بتحدى النبى صلى الله عليه وسلم ينزل منزلة قوله « صدقت » وذلك مثل القائل بين يدى الملك المدعى على رعيته أنه رسول الملك إليهم فانه مهما قال لذلك إن كنت صادقا فقم على سريرك ثلاثا واقعد ـ على خلاف عادتك ـ فمعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضرورى بأن ذلك نازل منزلة قوله « صدقت »

الركن الرابع فى السمعيات وتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه ومداره على عشرة أصول

(الأصل الأول) الحشر والنشر [1] وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق بهما واجب لأنه فى العقل ممكن ؛ ومعناه الإعادة بعد الإفناء وذلك مقدور لله تعالى كابتدا. الإنشاء قال الله تعالى (قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مره) فاستدل بالابتداء على الإعادة وقال عز وجل (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) والإعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء الأول (الأصل الثانى) سؤال منكر ونكير [2] وقد وردت به الأخبار فيجب التصديق به لأنه ممكن إذ ليس يستدعى إلا إعادة الحياة إلى جزء من الأجزاء الذى به فهم الخطاب وذلك ممكن فى نفسه ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون أجزاء الميت وعدم سماعنا للسؤال له ، فان النائم ساكن بظاهره ويدرك بباطنه من الآلام واللذات مايحس بتأثيره عند التنبه ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع كلام جبريل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لايسمعونه ولا يرونه [3] ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وإذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه (الأصل الثالث) عذاب القبر وقد ورد الشرع به قال الله تعالى ﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ واشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح الاستعاذه من عذاب القبر [4] وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق أجزاء الميت فى بطون السباع وحواصل الطيور ، فان المدرك لألم العذاب من الحيوان أجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على إعادة الإدراك إليها (الأصل الرابع) الميزان وهو حق قال الله تعالى ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ وقال تعالى (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه) الآية ووجهها أن الله تعالى يحدث فى صحائف الأعمال وزنا بحسب درجات الأعمال عند الله تعالى فتصير مقادير أعمال العباد معلومة

---

(١) حديث الحشر والنشر ، أخرجه الشيخان من حديث ابن عباس « إنكم محشورون إلى الله .. الحديث » ومن حديث سهل « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء .. الحديث » ومن حديث عائشة « يحشرون يوم القيامة حفاة » ومن حديث أبى هريرة « يحشر الناس على ثلاث طرائق .. الحديث » ولابن ماجه من حديث ميمونة مولاة النبى صلى الله عليه وسلم « أفتنا فى بيت المقدس وأرض المحشر والمنشر . الحديث » وإسناده جيد (٢) حديث : سؤال منكر ونكير ، تقدم

(٣) حديث « كان يسمع كلام جبريل ويشاهده ومن حوله لايسمعونه ولا يرونه » أخرجه البخارى ومسلم من حديث عائشة قالت « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام فقلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى مالا أرى » قلت وهذا هو الأغلب وإلا فقد رأى جبريل جماعة من الصحابة منهم عمر وابنه عبد الله وكعب بن مالك وغيرهم .

(٤) حديث « استعاذ من عذاب القبر » أخرجاه من حديث أبى هريرة وعائشة وقد تقدم

للعباد حتى يظهر لهم العدل فى العقاب أو الفضل فى العفو وتضعيف الثواب (الأصل الخامس) الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أرق من الشعرة وأحدّ من السيف قال الله تعالى ﴿ فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم إنهم مسئولون ﴾ وهذا ممكن فيجب التصديق به فإن القادر على أن يطير الطير فى الهواء قادر على أن يسير الإنسان على الصراط (الأصل السادس) أن الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ فقوله تعالى ﴿ أعدت ﴾ دليل على أنها مخلوقة فيجب إجراؤه على الظاهر إذ لا استحالة فيه ، ولا يقال لا فائدة فى خلقهما قبل يوم الجزاء لأن الله تعالى ﴿ لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ﴾ (الأصل السابع) أن الإمام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إمام أصلا ؛ إذ لو كان لكان أولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة والأمراء على الجنود فى البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفى هذا ؟ وإن ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل إلينا ؟ فلم يكن أبو بكر إماما إلا بالاختيار والبيعة وأما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كلهم إلى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرق الإجماع ، وذلك مما لا يستجرئ على اختراعه إلا الروافض ، واعتقاد أهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما أثنى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم . وما جرى بين معاوية وعلى رضى الله عنهما كان مبنيا على الاجتهاد لا منازعة من معاوية فى الإمامة ؛ إذ ظن على رضى الله عنه أن تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدى إلى اضطراب أمر الإمامة فى بدايتها فرأى التأخير أصوب ، وظن معاوية أن تأخير أمرهم مع عظم جنايتهم يوجب الإغراء بالأئمة ويعرض الدماء للسفك . وقد قال أفاضل العلماء : كل مجتهد مصيب . وقال قائلون : المصيب واحد ولم يذهب إلى تخطئة على ذو تحصيل أصلا (الأصل الثامن) أن فضل الصحابة رضى الله عنهم على ترتيبهم فى الخلافة إذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله عز وجل وذلك لا يطلع عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد ورد فى الثناء على جميعهم آيات وأخبار كثيرة[1] وإنما يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه المشاهدون للوحى والتنزيل بقرائن الأحوال ودقائق التفصيل ، فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الأمر كذلك إذ كانوا لا تأخذهم فى الله لومة لائم ولا يصرفهم عن الحق صارف . (الأصل التاسع) أن شرائط الإمامة بعد الإسلام والتكليف خمسة : الذكورة والورع والعلم والكفاية ونسبة قريش ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم « الأئمة من قريش[2] » وإذا اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات فالإمام من انعقدت له البيعة من أكثر الخلق ، والمخالف للأكثر باغ يجب رده إلى الانقياد إلى الحق (الأصل العاشر) أنه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للإمامة وكان فى صرفه إثارة فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد إمامته ، لأنا بين أن نحرك فتنة بالاستبدال ، فما يلقى المسلمون فيه من الضرر يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التى أثبتت لمزية المصلحة فلا يهدم أصل المصلحة شغفا بمزاياها كالذى يبنى قصرا ويهدم مصرا وبين أن نحكم بخلو البلاد عن الإمام وبفساد الأقضية وذلك محال . ونحن نقضى بنفوذ قضاء أهل البغى فى بلادهم لمسيس حاجتهم فكيف لا نقضى بصحة الإمامة عند الحاجة والضرورة ؟ فهذه الأركان الأربعة الحاوية للأصول الأربعين هى قواعد العقائد فمن اعتقدها كان موافقا لأهل السنة ومباينا لرهط البدعة . فالله تعالى يسددنا بتوفيقه ويهدينا إلى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده وفضله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وكل عبد مصطفى .

---

(١) حديث « الثناء على الصحابة » تقدم (٢) حديث « الأئمة من قريش » أخرجه النسائى من حديث أنس والحاكم من حديث ابن عمر

الفصل الرابع من قواعد العقائد

فى الإيمان والإسلام وما بينهما من الاتصال وما يتطرّق إليه من الزيادة والنقصان

ووجه استثناء السلف فيه وفيه ثلاث مسائل

﴿ مسألة ﴾ اختلفوا فى أن الإسلام هو الإيمان أو غيره وإن كان غيره فهل هو منفصل عنه يوجد دونه أو مرتبط به يلازمه ؟ فقيل إنهما شىء واحد وقيل إنهما شيئان لا يتواصلان وقيل إنهما شيئان ولكن يرتبط أحدهما بالآخر . وقد أورد أبو طالب المكى فى هذا كلاما شديد الاضطراب كثير التطويل فلنهجم الآن على التصريح بالحق من غير تعريج على نقل مالا تحصيل له ، فنقول فى هذا ثلاثة مباحث : بحث عن موجب اللفظين فى اللغة ، وبحث عن المراد بهما فى إطلاق الشرع ، وبحث عن حكمهما فى الدنيا والآخرة ، والبحث الأوّل لغوى ، والثانى تفسيرى ، والثالث فقهى شرعى . البحث الأوّل : فى موجب اللغة ؛ والحق فيه أن الإيمان عبارة عن التصديق ؛ قال الله تعالى ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ﴾ أى ؛ بمصدق ، والإسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالإذعان والانقياد وترك التمرّد والإباء والعناد ، وللتصديق محل خاص وهو القلب ، واللسان ترجمان . وأما التسليم فإنه عام فى القلب واللسان والجوارح فإن كل تصديق بالقلب فهو تسليم وترك الإباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح . فموجب اللغة أن الإسلام أعم والإيمان أخص فكان الإيمان عبارة عن أشرف أجزاء الإسلام ؛ فإذن كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقا : البحث الثانى : عن إطلاق الشرع ؛ والحق فيه أنّ الشرع قد ورد باستعمالها على سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل ، أما الترادف ففى قوله تعالى (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) ولم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد وقال تعالى (يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) وقال صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على خمس [1] » وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس [2] وأما الاختلاف فقوله تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) ومعناه استسلمنا فى الظاهر ، فأراد بالإيمان ههنا التصديق بالقلب فقط وبالإسلام الاستسلام ظاهراً باللسان والجوارح ، وفى حديث جبرائيل عليه السلام لما سأله عن الإيمان فقال « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالبعث بعد الموت وبالحساب وبالقدر خيره وشره ، فقال : فما الإسلام ؟ فأجاب بذكر الخصال الخمس [3] » فعبر بالإسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل . وفى الحديث عن سعد أنه صلى الله عليه وسلم « أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر ؛ فقال له سعد : يارسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن ؟ فقال صلى الله عليه وسلم أو مسلم فأعاد عليه فأعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم [4] » وأما التداخل فما روى أيضا أنه

---

(١) حديث « بنى الإسلام على خمس » أخرجاه من حديث ابن عمر (٢) حديث « سئل عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس أخرجه البيهقى فى الاعتقاد من حديث ابن عباس فى قصة وفد عبد القيس « تدرون ما الإيمان : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وتصوموا رمضان وتحجوا البيت الحرام » والحديث فى الصحيحين لكن ليس فيه ذكر الحج وزاد « وأن تؤتوا خمساً من المغنم » (٣) حديث جبريل لما سأله عن الإيمان « فقال أن تؤمن بالله وملائكته .. الحديث » أخرجاه من حديث أبى هريرة ومسلم من حديث عمر دون ذكر « الحساب » ورواه البيهقى فى البعث وقد تقدم

(٤) حديث سعد « أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يارسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال أو مسلم . الحديث » أخرجاه بنحوه

سئل « فقيل أى الأعمال أفضل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : الإسلام ، فقال : أى الإسلام أفضل ، فقال صلى الله عليه وسلم : الإيمان [1] » وهذا دليل على الاختلاف وعلى التداخل وهو أوفق الاستعمالات فى اللغة لأن الإيمان عمل من الأعمال وهو أفضلها ، والإسلام هو تسليم إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح وأفضلها الذى بالقلب وهو التصديق الذى يسمى إيمانا والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز فى اللغة . أما الاختلاف فهو أن يجعل الإيمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق للغة ، والإسلام عبارة عن التسليم ظاهراً وهو أيضا موافق للغة فإنّ التسليم ببعض محال التسليم ينطلق عليه اسم التسليم ، وليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن أن يوجد المعنى فيه فإنّ من لمس غيره ببعض بدنه يسمى لامسا وإن لم يستغرق جميع بدنه ، فإطلاق اسم الإسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث سعد « أو مسلم » لأنه فضل أحدهما على الآخر ، ويريد بالاختلاف تفاضل المسميين . وأما التداخل فموافق أيضا للغة فى خصوص الإيمان وهو أن يجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا ، والإيمان عبارة عن بعض مادخل فى الإسلام وهو التصديق بالقلب وهو الذى عنيناه بالتداخل وهو موافق للغة فى خصوص الإيمان وعموم الإسلام للكل ، وعلى هذا خرج قوله « الإيمان » فى جواب قول السائل « أى الإسلام أفضل » لأنه جعل الإيمان خصوصا من الإسلام وأدخله فيه ، وأما استعماله فيه على سبيل الترادف بأن يجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا فإنّ كل ذلك تسليم وكذا الإيمان ويكون التصرف فى الإيمان على الخصوص بتعميمه وإدخال الظاهر فى معناه وهو جائز لأن تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته ، وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمره على سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الإسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه ولا ينقص ؛ وعليه خرج قوله ﴿ فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾ البحث الثالث : عن الحكم الشرعى . والإسلام والإيمان حكمان أخروى ودنيوى . أما الأخروى فهو الإخراج من النار ومنع التخليد إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان [2] » وقد اختلفوا فى أن هذا الحكم على ماذا يترتب ؟ وعبروا عنه بأن الإيمان ماذا هو ؟ فمن قائل إنه مجرد العقد ومن قائل يقول إنه عقد بالقلب وشهادة باللسان ومن قائل يزيد ثالثا وهو العمل بالأركان ، ونحن نكشف الغطاء عنه ونقول من جمع بين هذه الثلاثة فلاخلاف فى أن مستقره الجنة وهذه درجة . الدرجة الثانية : أن يوجد اثنان وبعض الثالث ـ وهو القول والعقد وبعض الأعمال ـ ولكن ارتكب صاحبه كبيرة أو بعض الكبائر ؛ فعند هذا قالت المعتزلة : خرج بهذا عن الإيمان ولم يدخل فى الكفر بل اسمه فاسق وهو على منزلة بين المنزلتين وهو مخلد فى النار ؛ وهذا باطل كما سنذكره الدرجة الثالثة : أن يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الأعمال بالجوارح ، وقد

---

(١) حديث « سئل أى الأعمال أفضل فقال الإسلام فقال أى الاسلام افضل فقال الايمان » أخرجه احمد والطبرانى من حديث عمرو بن عبسة بالنظر الأخير « فقال يارسول الله اى الاسلام افضل قال الإيمان » وإسناده صحيح

(٢) حديث « يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان » أخرجاه من حديث أبى سعيد الخدرى فى الشفاعة ، وفيه « اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه . . الحديث » ولهما من حديث أنس « فيقال انطلق فأخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة ـ أو خردلة ـ من إيمان » لفظ البخارى « منهما » وله تعليقا من حديث أنس « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن ذرة من إيمان » وهو عندهما متصل بلفظ « خير » مكان « إيمان »

اختلفوا فى حكمه ، فقال أبو طالب المكى : العمل بالجوارح من الإيمان ولا يتم دونه وادعى الإجماع فيه واستدل بأدلة تشعر بنقيض غرضه كقوله تعالى ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ إذ هذا يدل على أن العمل وراء الإيمان لامن نفس الإيمان وإلا فيكون العمل فى حكم المعاد ؟ والعجب أنه ادعى الإجماع فى هذا وهو مع ذلك ينقل قوله صلى الله عليه وسلم « لا يكفر أحد إلا بعد جحوده لما أقر به [1] » وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد فى النار بسبب الكبائر ؛ والقائل بهذا قائل بنفس مذهب المعتزلة ؛ إذ يقال له من صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات فى الحال فهل هو فى الجنة ؟ فلابد أن يقول نعم ، وفيه حكم بوجود الإيمان دون العمل ، فنزيد ونقول لو بقى حياتى دخل عليه وقت صلاة واحدة فتركها ثم مات أوزنى ثم مات ، فهل يخلد فى النار ؟ فإن قال نعم فهو مراد المعتزله ، وإن قال لا فهو تصريح بأن العمل ليس ركنا من نفس الإيمان ولا شرطا فى وجوده ولا فى استحقاق الجنة به ، وإن قال أردت به أن يعيش مدة طويلة ولا يصلى ولا يقدم على شىء من الأعمال الشرعية ، فنقول فما ضبط تلك المدة وما عدد تلك الطاعات التى بتركها يبطل الإيمان وما عدد الكبائر التى بارتكابها يبطل الإيمان ؟ وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصر إليه صائر أصلا . الدرجة الرابعة : أن يوجد التصديق بالقلب قبل أن ينطق باللسان أو يشتغل بالأعمال ومات فهل نقول مات مؤمنا بينه وبين الله تعالى : وهذا مما اختلف فيه ومن شرط القول لتمام الإيمان يقول هذا مات قبل الإيمان وهو فاسد إذ قال صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان » وهذا قلبه طافح بالإيمان فكيف يخلد فى النار ؟ ولم يشترط فى حديث جبريل عليه السلام للإيمان إلا التصديق بالله تعالى وملائكته وكتبه واليوم الآخر كما سبق . الدرجة الخامسة : أن يصدق بالقلب ويساعده من العمر مهلة النطق بكلمتى الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل أن يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلاة ، ويقول هو مؤمن غير مخلد فى النار ، والإيمان هو التصديق المحض واللسان ترجمان الإيمان فلا بد أن يكون الإيمان موجودا بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان وهذا هو الأظهر ؛ إذ لا مستند إلا اتباع موجب الألفاظ ووضع اللسان أن الإيمان هو عبارة عن التصديق بالقلب . وقد قال صلى الله عليه وسلم « يخرج من كان فى قلبه مثقال ذرة » ولا ينعدم الإيمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب ، وقال قائلون : القول ركن إذ ليس كلمتا الشهادة إخبارا عن القلب بل هو إنشاء عقد آخر وابتداء شهادة والتزام والأول أظهر ، وقد غلا فى هذا طائفة المرجئة فقالوا هذا لا يدخل النار أصلا وقالوا إن المؤمن وإن عصى فلا يدخل النار وسنبطل ذلك عليهم . الدرجة السادسة أن يقول بلسانه « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ولكن لم يصدق بقلبه فلا نشك فى أن هذا فى حكم الآخرة من الكفار وأنه مخلد فى النار ، ولا نشك فى أنه فى حكم الدنيا الذى يتعلق بالأئمة والولاة من المسلمين لأن قلبه لا يطلع عليه ، وعلينا أن نظن به أنه ما قاله بلسانه إلا وهو منطو عليه فى قلبه وإنما نشك فى أمر ثالث وهو الحكم الدنيوى فيما بينه وبين الله تعالى ، وذلك بأن يموت له فى الحال قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم يستفتى ويقول كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت والميراث الآن فى يدى فهل يحل لى بينى وبين الله تعالى ؟ أو نكح مسلمة ثم صدق بقلبه هل تلزمه إعادة النكاح ؟ هذا محل نظر فيحتمل أن يقال أحكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهرا وباطنا ويحتمل أن يقال تناط بالظاهر فى حق غيره لأن باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له فى نفسه بينه وبين الله تعالى ، والأظهر والعلم عند الله

(١) حديث « لا تكفروا أحدا إلا بجحود بما أقر به » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى سعيد « لن يخرج أحد من الايمان إلا بجحود ما دخل فيه » وإسناده ضعيف

تعالى أنه لايحل له ذلك الميراث ويلزمه إعادة النكاح ولذلك كان حذيفة رضى الله عنه لايحضر جنازة من يموت من المنافقين وعمر رضى الله عنه كان يراعى ذلك منه فلا يحضر إذا لم يحضر حذيفة رضى الله عنه ،والصلاة فعل ظاهر فى الدنيا وإن كانت من العبادات . والتوقى عن الحرام أيضا من جملة ما يجب لله كالصلاة لقوله صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فريضة بعد فريضة » وليس هذا مناقضاً لقولنا إن الإرث حكم الإسلام وهو الاستسلام بل الاستسلام التام هو ما يشمل الظاهر والباطن ، وهذه مباحث فقهية ظنية تبنى على ظواهر الألفاظ والعمومات والأقيسة فلا ينبغى أن يظن القاصر فى العلوم أن المطلوب فيه القطع من حيث جرت العادة بإيراده فى فن الكلام الذى يطلب فيه القطع فما أقبح من نظر إلى العادات والمراسم فى العلوم » فإن قلت : فما شبهة المعتزلة والمرجئة وما حجة بطلان قولهم ؟ فأقول شبهتهم عمومات القرآن ؛ أما المرجئة فقالوا لا يدخل المؤمن النار وإن أتى بكل المعاصى لقوله عز وجل (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا) ولقوله سبحانه وتعالى (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصدّيقون) الآية ولقوله تعالى (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ـ إلى قوله ـ فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شىء) فقوله (كلما ألقى فيها فوج) عام فينبغى أن يكون من ألقى فى النار مكذبا ولقوله تعالى (لا يصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى) وهذا حصر وإثبات ونفى ولقوله تعالى (من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون) فالإيمان رأس الحسنات ولقوله تعالى (والله يحب المحسنين) وقال تعالى (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا) ولا حجة لهم فى ذلك فإنه حيث ذكر الإيمان فى هذه الآيات أريد به الإيمان مع العمل إذ بينا أن الإيمان قد يطلق ويراد به الإسلام وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل ، ودليل هذا التأويل أخبار كثيرة فى معاقبة العاصين ومقادير العقاب وقوله صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان » فكيف يخرج إذا لم يدخل ؟ ومن القرآن قوله تعالى (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) والاستثناء بالمشيئة يدل على الانقسام وقوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها) وتخصيصه بالكفر تحكم وقوله تعالى (ألا إنّ الظالمين فى عذاب مقيم) وقال تعالى (ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار) فهذه العمومات فى معارضة عموماتهم ولا بدّ من تسليط التخصص والتأويل على الجانبين لأن الأخبار مصرحة بأنّ العصاة يعذبون [1] بل قوله تعالى (وإن منكم إلا واردها) كالصريح فى أنّ ذلك لا بد منه للكل إذ لايخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه وقوله تعالى (لا يصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى) أراد به من جماعة مخصوصين أو أراد بالأشقى شخصا معينا أيضا وقوله تعالى (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها) أى فوج من الكفار، وتخصيص العمومات قريب ومن هذه الآية وقع للأشعرى وطائفة من المتكلمين إنكار صيغ العموم وأنّ هذه الألفاظ يتوقف فيها إلى ظهور قرينة تدل على معناها . وأما المعتزلة فشبهتهم قوله تعالى (وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) وقوله تعالى (والعصر إنّ الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقوله تعالى (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا) ثم قال (ثم ننجى الذين اتقوا) وقوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله فإنّ له نار جهنم) وكل آية ذكر الله عز وجل العمل الصالح فيها مقرونا بالإيمان وقوله تعالى (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاءه جهنم خالداً فيها) وهذه العمومات أيضا مخصوصة بدليل قوله تعالى

(١) حديث : تعذيب العصاة . أخرجه البخارى من حديث أنس « ليصيبن أقواما سفع من النار بذنوب أصابوها الحديث » ويأتى فى ذكر الموت عدة أحاديث

(ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) فينبغى فينبغى أن تبقى له مشيئة فى مغفرة ماسوى الشرك . وكذلك قوله عليه السلام « يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان » وقوله تعالى (إنا لانضيع أجر من أحسن عملا) وقوله تعالى (إن الله لايضيع أجر المحسنين) فكيف يضيع أجر أصل الإيمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة ؟ وقوله تعالى (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) أى لإيمانه وقد ورد على مثل هذا السبب * فإن قلت : فقدمال الاختيار إلى أن الإيمان حاصل دون العمل . وقد اشتهر عن السلف قولهم : الإيمان عقد وقول وعمل ؛ فما معناه ؟ قلنا . لايبعد أن يعد العمل من الإيمان لأنه مكمل له ومتمم كما يقال الرأس واليدان من الإنسان ومعلوم أنه يخرج عن كونه إنسانا بعدم الرأس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك يقال التسبيحات والتكبيرات من الصلاة وإن كانت لاتبطل بفقدها فالتصديق بالقلب من الإيمان كالرأس من وجود الإنسان إذ ينعدم بعدمه وبقية الطاعات كالأطراف بعضها أعلى من بعض وقد قال صلى الله عليه وسلم «لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن [1] » والصحابة رضى الله عنهم ما اعتقدوا مذهب المعتزلة فى الخروج عن الإيمان بالزنا ولكن معناه غير مؤمن حقا إيمانا تاما كاملا كما يقال للعاجز المقطوع الأطراف هذا ليس بإنسان أى ليس له الكمال الذى هو وراء حقيقة الإنسانية

(مسألة) فان قلت : فقد اتفق السلف على أن الإيمان يزيد وينقص - يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية - فاذا كان التصديق هو الإيمان فلا يتصوّر فيه زيادة ولا نقصان ؟ فأقول : السلف هم الشهود العدول وما لأحد عن قولهم عدول فما ذكروه حق وإنما الشأن فى فهمه ، وفيه دليل على أن العمل ليس من أجزاء الإيمان وأركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والزائد موجود والناقص موجود والشىء لا يزيد بذاته ، فلا يجوز أن يقال الإنسان يزيد برأسه بل يقال يزيد بلحيته وسمنه ، ولا يجوز أن يقال الصلاة تزيد بالركوع والسجود بل تزيد بالآداب والسنن فهذا تصريح بأن الإيمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان * فان قلت : فالإشكال قائم فى أن التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة ؟ فأقول : إذا تركنا المداهنة ولم نكترث بتشغيب من تشغب وكشفنا الغطاء ارتفع الإشكال فنقول: الإيمان اسم مشترك يطلق من ثلاثة أوجه الأول : أنه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر وهو إيمان العوام بل إيمان الخلق كلهم إلا الخواص ، وهذا الاعتقاد عقدة عن القلب تارة تشتد وتقوى وتارة تضعف وتسترخى كالعقدة على الخيط مثلا . ولا تستبعد هذا واعتبره باليهودى وصلابته فى عقيدته التى لايمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ولا بتخييل ووعظ ولا تحقيق وبرهان وكذلك النصرانى والمبتدعة وفيهم من يمكن تشكيكه بأدنى كلام ويمكن استنزاله عن اعتقاده بأدنى استمالة أو تخويف مع أنه غير شاك فى عقده كالأول ولكنهما متفاوتان فى شدّة التصميم . وهذا موجود فى الاعتقاد الحق أيضا والعمل يؤثر فى نماء هذا التصميم وزيادته كما يؤثر سقى الماء فى نماء الأشجار ولذلك قال الله تعالى (فزادتهم إيمانا) وقال تعالى (ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم) وقال صلى الله عليه وسلم فيما يروى فى بعض الأخبار « الإيمان يزيد وينقص [2] » وذلك بتأثير الطاعات فى القلب وهذا لايدركه إلا من راقب أحوال نفسه فى أوقات المواظبة على العبادة والتجرّد لها بحضور القلب مع أوقات الفتور وإدراك التفاوت فى السكون إلى عقائد الإيمان فى هذه الأحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك بل من يعتقد فى اليتيم معنى الرحمة إذا عمل بموجب اعتقاده فمسح رأسه وتلطف به أدرك

---

(١) حديث « لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث « الايمان يزيد وينقص » أخرجه ابن عدى فى الكامل وأبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث أبى هريرة وقال ابن عدى باطل فيه محمد بن أحمد بن حرب الملحى يتعمد الكذب وهو عند ابن ماجه موقوف على أبى هريرة وابن عباس وأبى الدرداء

من باطنه تأكيد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل : وكذلك معتقد التواضع إذا عمل بموجبه عملا مقبلا أو ساجدا لغيره أحس من قلبه بالتواضع عند إقدامه على الخدمة . وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها أعمال الجوارح ثم يعود أثر الأعمال عليها فيؤكدها ويزيدها ، وسيأتى هذا فى ربع المنجيات والمهلكات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والأعمال بالعقائد والقلوب فإن ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت وأعنى بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس وبالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت والأعضاء وأعمالها من عالم الملك . ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى إلى حد ظن بعض الناس اتحاد أحدهما بالآخر وظن آخرون أنه لا عالم إلا عالم الشهادة وهو هذه الأجسام المحسوسة . ومن أدرك الأمرين وأدرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه فقال :

رق الزجاج ورقت الخمر وتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

ولنرجع إلى المقصود فإن هذا العلم خارج عن علم المعاملة ولكن بين العلمين أيضا اتصال وارتباط فلذلك ترى علوم المكاشفة تتسلق كل ساعة على علوم المعاملة إلى أن تنكشف عنها بالتكليف فهذا وجه زيادة الإيمان بالطاعة بموجب هذا الإطلاق ، ولهذا قال على كرم الله وجهه : إن الإيمان ليبدو لمعة بيضاء فإذا عمل العبد الصالحات نمت فزادت حتى يبيض القلب كله وإن النفاق ليبدو نكتة سوداء فإذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه فذلك هو الختم وتلا قوله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم) الآية . الإطلاق الثانى : أن يراد به التصديق والعمل جميعا كما قال صلى الله عليه وسلم « الإيمان بضع وسبعون بابا [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » وإذا دخل العمل فى مقتضى لفظ الإيمان لم تخف زيادته ونقصانه وهل يؤثر ذلك فى زيادة الإيمان الذى هو مجرد التصديق ؟ هذا فيه نظر وقد أشرنا إلى أنه يؤثر فيه . الإطلاق الثالث : أن يراد به التصديق اليقينى على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة وهذا أبعد الأقسام عن قبول الزيادة ولكى أقول الأمر اليقينى الذى لاشك فيه تختلف طمأنينة النفس إليه فليس طمأنينة النفس إلى أن الاثنين أكثر من الواحد كطمأنينتها إلى أن العالم مصنوع حادث وإن كان لاشك فى واحد منهما فإن اليقينيات تختلف فى درجات الإيضاح ودرجات طمأنينة النفس إليها ، وقد تعرضنا لهذا فى فصل اليقين من كتاب العلم فى باب علامات علماء الآخرة فلا حاجة إلى الإعادة . وقد ظهر فى جميع الإطلاقات أن ما قالوه من زيادة الإيمان ونقصانه حق وكيف وفى الأخبار « أنه يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان » وفى بعض المواضع فى خبر آخر « مثقال دينار [2] » فأى معنى لاختلاف مقاديره إن كان مافى القلب لايتفاوت ؟

﴿ مسألة ﴾ فإن قلت : ماوجه قول السلف « أنا مؤمن إن شاء الله » والاستثناء شك والشك فى الإيمان كفر وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالإيمان ويحترزون عنه . فقال سفيان الثورى رحمه الله ، من قال أنا مؤمن عند الله فهو من الكذابين ومن قال أنا مؤمن حقا فهو بدعة ، فكيف يكون كاذبا وهو يعلم أنه مؤمن فى نفسه ومن كان مؤمنا فى نفسه كان مؤمنا عند الله ؟ كما أن من كان طويلا وسخيا فى نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا من

(١) حديث « الايمان بضع وسبعون بابا » وذكر بعد هذا فزاد فيه « أدناها إماطة الأذى عن الطريق » أخرجه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة « الايمان بضع وسبعون » زاد مسلم فى رواية « وأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها » فذكره ورواه بلفظ المصنف الترمذى وصححه . (٢) حديث « يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال دينار » متفق عليه من حديث أبى سعيد ، وسيأتى ذكر الموت وما بعده

كان مسرورا أو حزينا أو سميعا أو بصيرا ، ولو قيل للإنسان هل أنت حيوان : لم يحسن أن يقول أنا حيوان إن شاء الله . ولما قال سفيان ذلك قيل له فماذا نقول ؟ قال : قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وأى فرق بين أن يقول آمنا بالله وما أنزل إلينا وبين أن يقول أنا مؤمن ؟ وقيل للحسن : أمؤمن أنت ؟ فقال إن شاءالله ، فقيل له : لم تستثنى يا أبا سعيد فى الإيمان ؟ فقال أخاف أن أقول نعم فيقول الله سبحانه كذبت ياحسن فتحق على الكلمة . وكان يقول : مايؤمننى أن يكون الله سبحانه قداطلع على فى بعض مايكره فمقتنى وقال اذهب لاقبلت لك عملا ؛ فأنا أعمل فى غير معمل . وقال إبراهيم بن أدهم : إذا قيل لك أمؤمن أنت ؟ فقل لا إله إلا الله وقال مرة : قل أنا لا أشك فى الإيمان وسؤالك إياى بدعة . وقيل لعلقمة : أمؤمن أنت ؟ قال : أرجو إن شاء الله . وقال الثورى : نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وما ندرى ما نحن عند الله تعالى ؟ فما معنى هذه الاستثناءات ؟ فالجواب : أن هذا الاستثناء صحيح وله أربعة أوجه ؛ وجهان مستندان إلى الشك لا فى أصل الإيمان ولكن فى خاتمته أو كماله ، ووجهان لا يستندان إلى الشك . الوجه الأول ـ الذى لايستند إلى معارضة الشك : الاحتراز من الجزم خيفة مافيه من تزكية النفس قال الله تعالى (فلا تزكوا أنفسكم) وقال (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم) وقال تعالى (انظر كيف يفترون على الله الكذب) وقيل لحكيم : ما الصدق القبيح : فقال : ثناء المرء على نفسه . والإيمان من أعلى صفات المجد والجزم تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كأنها ثقل من عرف التزكية ، كما يقال للإنسان أنت طبيب أو فقيه أومفسر ؟ فيقول : نعم إن شاء الله ، لا فى معرض التشكيك ولكن لإخراج نفسه عن تزكية نفسه فالصيغة صيغة الترديد والتضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف للازم من لوازم الخبر وهو التزكية . وبهذا التأويل لوسئل عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء . الوجه الثانى : التأدب بذكر الله تعالى فى كل حال وإحالة الأمور كلها إلى مشيئة الله سبحانه فقد أدب الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى (ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) ثم لم يقتصر على ذلك فيما لايشك فيه بل قال تعالى (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين) وكان الله سبحانه عالما بأنهم يدخلون لا محالة وأنه شاءه ولكن المقصود تعليمه ذلك فتأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ما كان يخبر عنه معلوما كان أومشكوكا حتى قال صلى الله عليه وسلم لما دخل المقابر « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون [1] » واللحوق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الأدب ذكر الله تعالى وربط الأمور به . وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار بعرف الاستعمال عبارة عن إظهار الرغبة والتمنى ، فإذا قيل لك إن فلانا يموت سريعا فتقول إن شاء الله فيفهم منه رغبتك لاتشككك ، وإذا قيل لك فلان سيزول مرضه ويصح فتقول إن شاء الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك إلى معنى الرغبة وكذلك العدول إلى معنى التأدب لذكر الله تعالى كيف كان الأمر : الوجه الثالث : مستنده الشك ومعناه أنا مؤمن حقا إن شاء الله ، إذ قال الله تعالى لقوم مخصوصين بأعيانهم (أولئك هم المؤمنون حقا) فانقسموا إلى قسمين ويرجع هذا إلى الشك فى كمال الإيمان لا فى أصله ، وكل إنسان شاك فى كمال إيمانه وذلك ليس بكفر . والشك فى كمال الإيمان حق من وجهين ؛ أحدهما : من حيث إن النفاق يزيل كمال الإيمان وهو خفى لاتتحقق البراءة منه . والثانى : أنه يكمل بأعمال الطاعات ولا يدرى وجودها على الكمال : أما العمل فقد قال الله تعالى ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون) فيكون

(١) حديث « لما دخل المقابر قال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين .. الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة

الشك فى هذا الصدق وكذلك قال الله تعالى ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ﴾ فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد . ثم قال تعالى ﴿ أولئك الذين صدقوا ﴾ وقد قال تعالى ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ وقال تعالى ﴿ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) الآية وقد قال تعالى (هم درجات عند الله) وقال صلى الله عليه وسلم « الإيمان عريان ولباسه التقوى[1] » الحديث وقال صلى الله عليه وسلم « الإيمان بضع وسبعون بابا أدناها إماطة الأذى عن الطريق » فهذا مايدل على ارتباط كمال الإيمان بالأعمال وأما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الخفى فقوله صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلى وزعم أنه مؤمن : من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وإذا خاصم فجر[2] » وفى بعض الروايات « وإذا عاهد غدر » وفى حديث أبى سعيد الخدرى « القلوب أربعة : قلب أجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأى المادتين غلب عليه حكم له بها[3] » وفى لفظ آخر « غلبت عليه ذهبت به » وقال عليه السلام « أكثر منافقى هذه الأمة قراؤها[4] » وفى حديث « الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل على الصفا[5] » وقال حذيفة رضى الله عنه « كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا إلى أن يموت وإنى لأسمعها من أحدكم فى اليوم عشر مرات[6] » وقال بعض العلماء : أقرب الناس من النفاق من يرى أنه برىء من النفاق . وقال حذيفة : المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فكانوا إذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق الإيمان وكماله وهو خفى وأبعد الناس منه من يتخوفه وأقربهم منه من يرى أنه برىء منه . فقد قيل للحسن البصرى : يقولون أن لا نفاق اليوم فقال يا أخى لو هلك المنافقون لاستوحشتم فى الطريق . وقال هو أو غيره : لو نبتت للمنافقين أذناب ماقدرنا أن نطأ على الأرض بأقدامنا « وسمع ابن عمر رضى الله عنه رجلا يتعرض للحجاج فقال : أرأيت لو كان حاضراً يسمع أكنت تتكلم فيه ؟ فقال : لا ، فقال : كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم »[7] وقال صلى الله عليه وسلم « من كان ذا لسانين فى الدنيا جعله الله ذا لسانين فى الآخرة » وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم « شر الناس ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه ويأتى هؤلاء بوجه » وقيل للحسن : إنّ قوما يقولون إنا لا نخاف النفاق ، فقال : والله لأن أكون أعلم أنى برىء من النفاق أحب إلى من تلاع الأرض ذهبا . وقال الحسن : إنّ من النفاق اختلاف اللسان والقلب ، والسر والعلانية ، والمدخل والمخرج . وقال رجل لحذيفة رضى الله عنه : إنى أخاف أن أكون منافقاً ، فقال : لو كنت منافقاً ما خفت النفاق إنّ المنافق قد أمن النفاق . وقال ابن أبى مليكة : أدركت

---

(١) حديث « الإيمان عريان » تقدم فى العلم (٢) حديث « أربع من كن فيه فهو منافق .. الحديث » متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث « القلوب أربعة : قلب أجرد .. الحديث » أخرجه أحمد من حديث أبى سعيد وفيه ليث ابن أبى سليم مختلف فيه (٤) حديث « أكثر منافقى هذه الأمة قراؤها » أخرجه أحمد والطبرانى من حديث عقبة بن عامر

(٥) حديث « الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل على الصفا » أخرجه أبو يعلى وابن عدى وابن حبان فى الضعفاء من حديث أبى بكر ولأحمد والطبرانى نحوه من حديث أبى موسى ، وسيأتى فى ذم الجاه والرياء (٦) حديث حذيفة « كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا . الحديث » أخرجه أحمد بإسناد فيه جهالة ، وحديث حذيفة « المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .. الحديث » أخرجه البخارى إلا أنه قال (شر) بدل أكثر

(٧) حديث « سمع ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج فقال أرأيت لو كان حاضرا أكنت تتكلم فيه قال لا قال كنا نعد هذا نفاقاً على على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » رواه أحمد والطبرانى بنحوه وليس فيه ذكر الحجاج .

ثلاثين ومائة - وفى رواية خمسين ومائة - من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون النفاق . وروى « أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً فى جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه فبيناهم كذلك إذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق نعله بيده وبين عينيه أثر السجود فقالوا : يا رسول الله هو هذا الرجل الذى وصفناه ، فقال صلى الله عليه وسلم : أرى على وجهه سفعة من الشيطان ، فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال النبى صلى الله عليه وسلم : نشدتك الله هل حدّثت نفسك حين أشرفت على القوم أنه ليس فيهم خير منك ؟ فقال : اللهم نعم[1] » فقال صلى الله عليه وسلم فى دعائه « اللهم إنى أستغفرك لما علمت ولما لم أعلم ، فقيل له : أتخاف يارسول الله ؟ فقال : وما يؤمننى والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ! وقد قال سبحانه (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون)[2] ، قيل فى التفسير : عملوا أعمالا ظنوا أنها حسنات فكانت فى كفة السيئات . وقال سرى السقطى : لو أنّ إنساناً دخل بستانا فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور فخاطبه كل طير منها بلغة ؛ فقال : السلام عليك ياولى الله ، فسكنت نفسه إلى ذلك كان أسيراً فى يديها فهذه الأخبار والآثار تعرّفك خطر الأمر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفى وأنه لا يؤمن منه حتى كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وأنه هل ذكر فى المنافقين ؟ وقال أبو سليمان الدارانى : سمعت من بعض الأمراء شيئاً فأردت أن أنكره فخفت أن يأمر بقتلى ولم أخف من الموت ولكن خشيت أن يعرض لقلبى التزين للخلق عند خروج روحى فكففت . وهذا من النفاق الذى يضاد حقيقة الإيمان وصدقه وكماله وصفاءه لاأصله . والنفاق نفاقان ، أحدهما : يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك فى زمرة المخلدين فى النار . والثانى : يفضى بصاحبه إلى النار مدّة أو ينقص من درجات عليين ويحط من رتبة الصدّيقين وذلك مشكوك فيه ولذلك حسن الاستثناء فيه . وأصل هذا النفاق تفاوت بين السر والعلانية ، والأمن من مكر الله ، والعجب ، وأمور أخر لايخلو عنها إلا الصدّيقون . الوجه الرابع : وهو أيضاً مستند إلى الشك وذلك من خوف الخاتمة فإنه لا يدرى أيسلم له الإيمان عند الموت أم لا ؟ فإن ختم له بالكفر حبط عمله السابق لأنه موقوف على سلامة الآخر ، ولو سئل الصائم ضحوة النهار عن صحة صومه فقال : أنا صائم قطعاً ، فلو أفطر فى أثناء نهاره بعد ذلك لتبين كذبه إذ كانت الصحة موقوفة على التمام إلى غروب الشمس من آخر النهار . وكما أن النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام صحة الإيمان ووصفه بالصحة قبل آخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه ، والعاقبة مخوفة ولأجلها كان بكاء أكثر الخائفين لأجل أنها ثمرة القضية السابقة والمشيئة الأزلية التى لاتظهر إلا بظهور المقضى به ولامطلع عليه لأحد من البشر ، فخوف الخاتمة كخوف السابقة وربما يظهر فى الحال ماسبقت الكلمة بنقيضه ، فمن الذى يدرى أنه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى ؟ وقيل فى معنى قوله تعالى (وجاءت سكرة الموت بالحق) أى بالسابقة يعنى أظهرتها . وقال بعض السلف : إنما يوزن من الأعمال خواتيمها . وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يحلف بالله مامن أحد يأمن أن يسلب إيمانه إلاسلبه . وقيل من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك . وقيل هى عقوبات دعوى الولاية والكرامة بالافتراء . وقال بعض العارفين : لو عرضت على الشهادة عندباب الدار والموت على التوحيد

---

(١) حديث « كان جالسا فى جماعة من أصحابه فذكروا رجلا فأكثروا الثناء عليه وبينما هم كذلك إذ طلع رجل عليهم ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء .. الحديث » أخرجه أحمد والبزار والدارقطنى من حديث أنس (٢) حديث « اللهم إنى أستغفرك لما علمت وما لم أعلم . . الحديث » أخرجه مسلم من حديث عائشة « اللهم إنى أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر مالم أعمل » ولأبى بكر بن الضحاك فى الشمائل فى حديث مرسل «وشر ما أعلم وشر مالا أعلم»

عند باب الحجرة لاحترت الموت على التوحيد عند باب الحجرة لأنى لاأدرى مايعرض لقلبي من التغيير عن التوحيد إلى باب الدار ؟ وقال بعضهم : لوعرفت واحدا بالتوحيد خمسين سنة ثم حال بيني وبينه سارية ومات لم أحكم أنه مات على التوحيد . وفى الحديث « من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل [1] » وقيل فى قوله تعالى (وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا) صدقا لمن مات على الإيمان وعدلا لمن مات على الشرك وقد قال تعالى (ولله عاقبة الأمور) فهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجبا لأن الإيمان عبارة عما يفيد الجنة كما أن الصوم عبارة عما يبرئ الذمة وما فسد قبل الغروب لايبرئ الذمة فيخرج عن كونه صوما فكذلك الإيمان بل لا يبعد أن يسأل عن الصوم الماضى الذى لايشك فيه بعد الفراغ منه فيقال أصمت بالأمس ؟ فيقول نعم إن شاء الله تعالى إذ الصوم الحقيقى هو المقبول والمقبول غائب عنه لايطلع عليه إلا الله تعالى فمن هذا حسن الاستثناء فى جميع أعمال البر ويكون ذلك شكا فى القبول، إذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة أسباب خفية لايطلع عليها إلا رب الأرباب جل جلاله فيحسن الشك فيه . فهذه وجوه حسن الاستثناء فى الجواب عن الإيمان وهى آخر ما نختم به « كتاب قواعد العقائد » تم الكتاب بحمد الله تعالى وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

كتاب أسرار الطهارة

وهو الكتاب الثالث من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافة ، وأفاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم أنوارها وألطافه ، وأعد لظواهرهم تطهيرا لها الماء المخصوص بالرقة واللطافة ، وصلى الله على النبى محمد المستغرق بنور الهدى أطراف العالم وأكنافه ، وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة تنجينا بركاتها يوم المخافة ، وتنتصب جنة بيننا وبين كل آفة . أما بعد . فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « بنى الدين على النظافة [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « مفتاح الصلاة الطهور [3] » وقال الله تعالى (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) وقال النبى صلى الله عليه وسلم « الطهور نصف الإيمان [4] » وقال الله تعالى (مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم) فتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر أن أهم الأمور تطهير السرائر إذ يبعد أن يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم « الطهور نصف الإيمان » عمارة الظاهر بالتنظيف بإفاضة الماء وإلقائه وتخريب الباطن وإبقائه مشحونا بالأخباث والأقذار هيهات

(١) حديث « من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل » أخرجه الطبرانى فى الأوسط بالشطر الأخير منه من حديث ابن عمر وفيه ليث بن أبي سليم تقدم ، والشطر الأول روى من قول يحيى بن أبى كثير رواه الطبرانى فى الأصغر بلفظ « من قال أنا فى الجنة فهو فى النار » وسنده ضعيف

كتاب الطهارة

(٢) حديث (بنى الدين على النظافة) لم أجده هكذا ، وفى الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة (تنظفوا فان الاسلام نظيف) والطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود (النظافة تدعوا إلى الايمان) (٣) حديث (مفتاح الصلاة الطهور) أخرجه د ت ه من حديث على ، قال الترمذى : هذا أصح شىء فى هذا الباب وأحسن (٤) حديث (الطهور نصف الايمان) أخرجه ت من حديث رجل من بنى سليم وقال ، حسن ، ورواه مسلم من حديث أبى مالك الأشعرى بلفظ (شطر) كما فى الإحياء

هيهات ! والطهارة لها أربع مراتب (المرتبة الأولى) تطهير الظاهر عن الأحداث وعن الأخباث والفضلات (المرتبة الثانية) تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام (المرتبة الثالثة) تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة (المرتبة الرابعة) تطهير السر عما سوى الله تعالى وهى طهارة الأنبياء صلوات الله عليهم والصدّيقين ، والطهارة فى كل رتبة نصف العمل الذى فيها فإن الغاية القصوى فى عمل السر أن ينكشف له جلال الله تعالى وعظمته ولن تحل معرفة الله تعالى بالحقيقة فى السر مالم يرتحل ماسوى الله تعالى عنه ولذلك قال الله عز وجل (قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) لأنهما لايجتمعان فى قلب (وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) وأما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالأخلاق المحمودة والعقائد المشروعة وان ينصف بها مالم ينطف عن نقائضها من العقائد الفاسدة والرذائل الممقوتة ، فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذى هو شرط فى الثانى فكان الطهور شطر الإيمان بهذا المعنى ، وكذلك تطهير الجوارح عن المناهى أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذى هو شرط فى الثانى، فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول وعمارتها بالطاعات الشطر الثانى فهذه مقامات الإيمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية إلا أن يجاوز الطبقة السافلة ، فلا يصل الى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة مالم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق المذموم وعمارته بالخلق المحمود ، ولن يصل إلى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهى وعمارتها بالطاعات ، وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظنّ أنّ هذا الأمر يدرك وينال بالهوينى، نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة إلا الدرجة الأخيرة التى هى كالقشرة الأخيرة الظاهرة بالإضافة إلى اللب المطلوب ، فصار يمعن فيها ويستقصى فى مجاريها ويستوعب جميع أوقاته فى الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وتخيل العقل أنّ الطهارة المطلوبة الشريفة هى هذه فقط وجهالة بسيرة الأولين واستغراقهم جميع الهم والفكر فى تطهير القلب وتساهلهم فى أمر الظاهر ، حتى إنّ عمر رضى الله عنه مع علو منصبه توضأ من ماء فى جرّة نصرانية ، وحتى إنهم ما كانوا يغسلون اليد من الدسومات والأطعمة بل كانوا يمسحون أصابعهم بأخمص أقدامهم وعدّوا الأشنان من البدع المحدثة ، ولقد كانوا يصلون على الأرض فى المساجد ويمشون حفاة فى الطرقات ، ومن كان لايجعل بينه وبين الأرض حاجزاً فى مضجعه كان من أكابرهم ، وكانوا يقتصرون على الحجارة فى الاستنجاء . وقال أبو هريرة وغيره من أهل الصفة : « كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة فندخل أصابعنا فى الحصى ثم نفركها بالتراب ونكبر[1] » وقال عمر رضى الله عنه : « ما كنا نعرف الأشنان فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانت مناديلنا بطون أرجلنا[2] كنا إذا أكلنا الغمر مسحنا بها » ويقال أول ماظهر من البدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع : المناخل والأشنان والموائد والشبع . فكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم: الصلاة فى النعلين أفضل « لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزع نعليه فى صلاته بإخبار جبريل عليه السلام له أنّ بهما نجاسة وخلع الناس نعالهم قال صلى الله عليه وسلم لم خلعتم نعالكم[3] » ؟ وقال النخعى فى الذين يخلعون نعالهم « وددت لو أنّ محتاجا جاء اليها فأخذها » منكراً لخلع النعال . فهكذا كان تساهلهم فى هذه الأمور بل كانوا يمشون فى طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويصلون

(١) حديث « كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة فندخل أصابعنا فى الحصباء .. الحديث) أخرجه ه من حديث عبدالله بن الحارث ابن جزء ولم أره من حديث أبى هريرة (٢) حديث عمر (ما كنا نعرف الأشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانت مناديلنا باطن أرجلنا .. الحديث) لم أجده من حديث عمر ولابن ماجه نحوه مختصرا من حديث جابر

(٣) حديث (خلع نعليه فى الصلاة إذ أخبره جبريل عليه الصلاة والسلام أن عليه نجاسة) أخرجه د ك وصححه من حديث أبى سعيد الخدرى

فى المساجد على الأرض، ويأكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليه، ولا يحترزون من عرق الإبل والخيل مع كثرة تمرغها فى النجاسات ، ولم ينقل قط عن أحد منهم سؤال فى دقائق النجاسات فهكذا كان تساهلهم فيها . وقد انتهت النوبة الآن إلى طائفة يسمون الرعونة نظافة فيقولون هى مبنى الدين فأكثر أوقاتهم فى تزيينهم الظواهر ، كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق ولا يستنكرون ذلك ولا يتعجبون منه ! ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر أو مشى على الأرض حافيا أو صلى على الأرض أو على بوارى المسجد من غير سجادة مفروشة أو مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من أدم أو توضأ من آنية عجوز أو رجل غير متقشف أقاموا عليه القيامة وشدّوا عليه النكير ولقبوه بالقذر وأخرجوه من زمرتهم واستنكفوا عن مؤاكلته ومخالطته . فسموا البذاذة التى هى من الإيمان قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكراً ! وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس حقيقته وعلمه * فإن قلت: أفتقول إن هذه العادات التى أحدثها الصوفية فى هيئاتهم ونظافتهم من المحظورات أو المنكرات ؟ فأقول حاش لله أن أطلق القول فيه من غير تفصيل ولكنى أقول إنّ هذا التنظيف والتكلف وإعداد الأوانى والآلات واستعمال غلاف القدم والإزار المقنع به لدفع العار وغير ذلك من هذه الأسباب إن وقع النظر إلى ذاتها على سبيل التجرد فهى من المباحات وقد يقترن بها أحوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات ، فأما كونها مباحة فى نفسها فلا يخفى أنّ صاحبها متصرف بها فى ماله وبدنه وثيابه فيفعل بها مايريد إذا لم يكن فيه إضاعة وإسراف ، وأما مصيرها منكراً فبأن يجعل ذلك أصل الدين ويفسر به قوله صلى الله عليه وسلم « بنى الدين على النظافة » حتى ينكر به على من يتساهل فيه الأولين أو يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرهم ، فإن ذلك هو الرياء المحظور فيصير منكراً بهذين الاعتبارين ، أما كونه معروفا فبأن يكون القصد منه الخير دون التزين وأن لاينكر على من ترك ذلك ولا يؤخر بسببه الصلاة عن أوائل الأوقات ولا يشتغل به عن عمل هو أفضل منه أو عن علم أو غيره ، فاذا لم يقترن به شىء من ذلك فهو مباح يمكن أن يجعل قربة بالنية ولكن لا يتيسر ذلك إلا للبطالين الذين لو لم يشتغلوا بصرف الأوقات فيه لاشتغلوا بنوم أو حديث فيما لايعنى فيصير شغلهم به أولى لأن الاشتغال بالطهارات يجدد ذكر الله تعالى وذكر العبادات فلا بأس به إذا لم يخرج إلى منكر أو إسراف . وأما أهل العلم والعمل فلا ينبغى أن يصرفوا من أوقاتهم اليه إلا قدر الحاجة فالزيادة عليه منكر فى حقهم وتضييع العمر الذى هو أنفس الجواهر وأعزها فى حق من قدر على الإنتفاع به . ولا يتعجب من ذلك فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين . ولا ينبغى للبطال أن يترك النظافة وينكر على المتصوفة ويزعم أنه يتشبه بالصحابة إذ التشبه بهم فى أن لايتفرغ إلا لما هو أهم منه ، كما قيل لداود الطائى لم لا تسرح لحيتك ؟ قال : إنى إذن لفارغ . فلهذا لا أرى للعالم ولا للمتعلم ولا للعامل أن يضيع وقته فى غسل الثياب إحترازا من أن يلبس الثياب المقصورة وتوهما بالقصار تقصيراً فى الغسل ؛ فقد كانوا فى العصر الأول يصلون فى الفراء المدبوغة ولم يعلم منهم من فرق بين المقصورة والمدبوغة فى الطهارة والنجاسة ، بل كانوا يجتنبون النجاسة إذا شاهدوها ولا يدققون نظرهم فى استنباط الاحتمالات الدقيقة ، بل كانوا يتأملون فى دقائق الرياء والظلم حتى قال سفيان الثورى لرفيق له كان يمشى معه فنظر إلى باب دار مرفوع معمور : لاتفعل ذلك فإنّ الناس لو لم ينظروا اليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الإسراف . فالناظر إليه معين له على الإسراف . فكانوا يعدّون جمام الذهن لاستنباط مثل هذه الدقائق لا فى احتمالات النجاسة . فلو وجد العالم عاميا

يتعاطى له غسل الثياب محتاطاً فهو أفضل فإنه بالإضافة إلى التساهل خير . وذلك العامى ينتفع بتعاطيه إذ يشغل نفسه الأمارة بالسوء بعمل المباح فى نفسه فيمتنع عليه المعاصى فى تلك الحال . والنفس إن لم تشغل بشىء شغلت صاحبها وإذا قصد به التقرب إلى العالم صار ذلك عنده من أفضل القربات . فوقت العالم أشرف من أن يصرفه إلى مثله فيبقى محفوظا عليه ، وأشرف وقت العامى أن يشتغل بمثله فيتوفر الخير عليه من الجوانب كلها . وليتفطن بهذا المثل لنظائره من الأعمال وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على بعض ، فتدقيق الحساب فى حفظ لحظات العمر بصرفها إلى الأفضل أهم من التدقيق فى أمور الدنيا بحذافيرها . وإذا عرفت هذه المقدمة واستبنت أن الطهارة لها أربع مراتب . فاعلم أنا فى هذا الكتاب لسنا نتكلم إلا فى المرتبة الرابعة وهى نظافة الظاهر لأنافى الشطر الأول من الكتاب لانتعرض قصدا إلا للظواهر . فنقول طهارة الظاهر ثلاثة أقسام : طهارة عن الخبث وطهارة عن الحدث وطهارة عن فضلات البدن ، وهى التى تحصل بالقلم والاستحداد واستعمال النورة والختان وغيره .

القسم الأول : فى طهارة الخبث ، والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال به والإزالة

الطرف الأول فى المزال

وهى النجاسة . والأعيان ثلاثة : جمادات وحيوانات وأجزاء حيوانات أما الجمادات فطاهرة كلها إلا الخمر وكل منتبذ مسكر ، والحيوانات طاهرة كلها إلا الكلب والخنزير وما تولد منهما أو من أحدهما . فاذا ماتت فكلها نجسة إلا خمسة : الآدمى والسمك والجراد ودود التفاح ـ وفى معناه كل ما يستحيل من الأطعمة ـ وكل ماليس له نفس سائلة كالذباب والخنفساء وغيرهما فلاينجس الماء بوقوع شىء منها فيه . وأما أجزاء الحيوانات فقسمان ، أحدهما : مايقطع منه وحكمه حكم الميت . والشعر لاينجس بالجز ، والموت والعظم ينجس . الثانى : الرطوبات الخارجة من باطنه فكل ماليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط ، وما له مقر وهو مستحيل فنجس ، إلا ماهو مادة الحيوان كالمنى والبيض . والقيح والدم والروث والبول نجس من الحيوانات كلها . ولا يعفى عن شىء من هذه النجاسات قليلها وكثيرها إلا عن خمسة ، الأول : أثر النجو بعد الاستجمار بالأحجار يعفى عنه مالم يعد المخرج والثانى : طين الشوارع وغبار الروث فى الطريق يعفى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه ، وهو الذى لاينسب المتلطخ به إلى تفريط أو سقطة . الثالث : ما على أسفل الخف من نجاسة لايخلو الطريق عنها فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة . الرابع : دم البراغيث ما قل منه أو كثر إلا إذا جاوز حد العادة سواء كان فى ثوبك أو فى ثوب غيرك فلبسته . الخامس : دم البثرات وما ينفصل منها من قيح وصديد . وذلك ابن عمر رضى الله عنه بثرة على وجهه فخرج منها الدم وصلى ولم يغتسل . وفى معناه ما يترشح من لطخات الدماميل التى تدوم غالبا وكذلك أثر الفصد إلا ما يقع نادرا من خراج أو غيره فيلحق بدم الاستحاضة ، ولايكون فى معنى البثرات التى لايخلو الإنسان عنها فى أحواله . ومسامحة الشرع فى هذه النجاسات الخمس تعرفك أن أمر الطهارة على التساهل وما ابتدع فيها وسوسة لا أصل لها .

الطرف الثانى : فى المزال به

وهو إما جامد وإما مائع ؛ أما الجامد فحجر الاستنجاء وهو مطهر تطهير تخفيف بشرط أن يكون صلبا طاهرا منشفا غير محترم ، وأما المائعات فلا تزال النجاسات بشىء منها إلا الماء ؛ ولا كل ماء بل الطاهر الذى لم يتفاحش

تغيره بمخالطة ما يستغنى عنه . ويخرج الماء عن الطهارة بأن يتغير بملاقاة النجاسة طعمه أو لونه أو ريحه . فإن لم يتغير وكان قريبا من مائتين وخمسين منا - وهو خمسمائة رطل برطل العراق - لم ينجس لقوله صلى الله عليه وسلم « إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا [1] » وإن كان دونه صار نجسا عند الشافعى رضى الله عنه . هذا فى الماء الراكد . وأما الماء الجارى إذا تغير بالنجاسة فالجرية المتغيرة نجسة دون ما فوقها وما تحتها لأن جريات الماء متفاصلات . وكذا النجاسة الجارية إذا جرت بمجرى الماء فالنجس موقعها من الماء وماعن يمينها وشمالها إذا تقاصر عن قلتين . وإن كان جرى الماء أقوى من جرى النجاسة فما فوق النجاسة طاهر وما سفل عنها فنجس وإن تباعد وكثر إلا إذا اجتمع فى حوض قدر قلتين . وإذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجسا بالتفريق . هذا هو مذهب الشافعى رضى الله عنه . وكنت أود أن يكون مذهبه كمذهب مالك رضى الله عنه فى أن الماء وإن قل لاينجس إلا بالتغير إذ الحاجة ماسة إليه ومثار الوسواس اشترط القلتين ، ولأجله شق على الناس ذلك : وهو لعمرى سبب المشقة ويعرفه من يجربه ويتأمله . ومما لا أشك فيه أن ذلك لو كان مشروطا لكان أولى المواضع بتعسر الطهارة : مكة والمدينة ؛ إذ لا يكثر فيهما المياه الجارية ولا الراكدة الكثيرة . ومن أول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آخر عصر أصحابه لم تنقل واقعة فى الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات . وكانت أوانى مياههم يتعاطاها الصبيان والإماء الذين لا يحترزون عن النجاسات . وقد توضأ عمر رضى الله عنه بماء فى جرة نصرانية ، وهذا كالصريح فى أنه لم يعول إلا على عدم تغير الماء وإلا فنجاسة النصرانية وإنائها غالبة تعلم بظن قريب ، فإذا عسر القيام بهذا المذهب . وعدم وقوع السؤال فى تلك الأعصار ؛ دليل أول . وفعل عمر رضى الله عنه : دليل ثان . والدليل الثالث : إصغاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الإناء للهرة [2] وعدم تغطية الأوانى منها : بعد أن يرى أنها تأكل الفأرة ولم يكن فى بلادهم حياض تلغ السنانير فيها وكانت لا تنزل الآبار . والرابع : أن الشافعى رضى الله عنه نص على أن غسالة النجاسة طاهرة إذا لم تتغير ونجسة إن تغيرت ، وأى فرق بين أن يلاقى الماء النجاسة بالورود عليها أو بورودها عليه ؟ وأى معنى لقول القائل إنّ قوة الورود تدفع النجاسة مع أن الورود لم يمنع مخالطة النجاسة ؟ وإن أحيل ذلك على الحاجة فالحاجة أيضا ماسة إلى هذا فلا فرق بين طرح الماء فى إجانة فيها ثوب نجس أو طرح الثوب النجس فى الإجانة وفيها ماء ؟ وكل ذلك معتاد فى غسل الثياب والأوانى ، والخامس : أنهم كانوا يستنجون على أطراف المياه الجارية القليلة ، ولاخلاف فى مذهب الشافعى رضى الله عنه أنه إذا وقع بول فى ماء جار ولم يتغير أنه يجوز التوضؤ به وإن كان قليلا . وأى فرق بين الجارى والراكد ؟ وليت شعرى هل الحوالة على عدم التغير أولى أو على قوة الماء بسبب الجريان ؟ ثم ماحد تلك القوة أتجرى فى المياه الجارية فى أنابيب الحمامات أم لا ؟ فإن لم تجر فما الفرق وإن جرت فما الفرق بين مايقع فيها وبين مايقع فى مجرى الماء من الأوانى على الأبدان وهى أيضا جارية ؟ ثم البول أشد اختلاطا بالماء الجارى من نجاسة جامدة ثابتة إذا قضى بأن مايجرى عليها وإن لم يتغير نجس أن يجتمع فى مستنقع قلتان ، فأى فرق بين الجامد والمائع والماء واحد والاختلاط أشد من المجاورة ؟ والسادس : أنه إذا وقع رطل من البول فى قلتين ثم فرقتا فكل كوز يغترف منه طاهر ، ومعلوم أن البول منتشر فيه وهو قليل وليت شعرى هل تعليل طهارته بعدم التغير أولى أو بقوة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوالها مع

(١) حديث (إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا) أخرجه أصحاب السنن وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن عمر

(٢) حديث (إصغاء الإناء للهرة ، أخرجه الطبرانى فى الأوسط والدارقطنى من حديث عائشة ؛ وروى أصحاب السنن ذلك من فعل أبى قتادة

تحقق بقاء أجزاء النجاسة فيها ؟ والسابع : أن الحمامات لم تزل فى الأعصار الخالية يتوضأ فيها المتقشفون ويغمسون الأيدى والأوانى فى تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بأن الأيدى النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليها . فهذه الأمور مع الحاجة الشديدة تقوى فى النفس أنهم كانوا ينظرون إلى عدم التغير معولين على قوله صلى الله عليه وسلم خلق الماء طهورا لاينجسه شيء إلا ماغير طعمه أو لونه أوريحه [1] وهذا فيه تحقيق ، وهو أن طبع كل مائع أن يقلب إلى صفة نفسه كل مايقع فيه وكان مغلوبا من جهته ؛ فكما ترى الكلب يقع فى المملحة فيستحيل ملحا ويحكم بطهارته بصيرورته ملحا وزوال صفة الكلبية عنه ، فكذلك الخل يقع فى الماء وكذا اللبن يقع فيه وهو قليل فتبطل صفته ويتصور بصفة الماء وينطبع بطبعه إلا إذا كثر وغلب وتعرف غلبته بغلبة طعمه أو لونه أوريحه فهذا المعيار . وقد أشار الشرع إليه فى الماء القوى على إزالة النجاسة وهو جدير بأن يعول عليه فيندفع به الحرج ويظهر به معنى كونه طهورا إذ يغلب عليه فيطهره ، كما صار كذلك فيما بعد القلتين وفى الغسالة وفى الماء الجارى وفى إصغاء الإناء للهرة ولا تظن ذلك عفوا إذ لو كان كذلك لكان كأثر الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاقى له نجسا ولا ينجس بالغسالة ولا بولوغ السنور فى الماء القليل . وأما قوله صلى الله عليه وسلم « لايحمل خبثا » فهو فى نفسه مبهم فإنه يحمل إذا تغير * فإن قيل . أراد به إذا لم يتغير فيمكن أن يقال إنه أراد به أنه فى الغالب لايتغير بالنجاسات المعتادة ؟ ثم هو تمسك بالمفهوم فيما إذا لم يبلغ قلتين ، وترك المفهوم بأقل من الأدلة التى ذكرناها ممكن وقوله « لايحمل خبثا » ظاهره نفى الحمل أى يقلبه إلى صفة نفسه ، كما يقال للمملحة لاتحمل كلبا ولاغيره أى يقلب ، وذلك لأن الناس قد يستنجون فى المياه القليلة وفى الغدران ويغمسون الأوانى النجسة فيها ثم يترددون فى أنها تغيرت تغيرا مؤثرا أم لا ؟ فتبين أنه إذا كان قلتين لايتغير بهذه النجاسة المعتادة * فإن قلت : فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « لايحمل خبثا » ومهما كثرت حملها فهذا ينقلب عليك فإنها مهما كثرت حملها حكما كما حملها حسا . فلا بد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعا . وعلى الجملة فميلى فى أمور النجاسات المعتادة إلى التساهل فهما من سيرة الأولين وحسما لمادة الوسواس وبذلك أفتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه فى مثل هذه المسائل .

الطرف الثالث : فى كيفية الإزالة

والنجاسة إن كانت حكمية وهى التى ليس لها جرم محسوس فيكفى إجراء الماء على جميع مواردها ، وإن كانت عينية فلا بد من إزالة العين ، وبقاء الطعم يدل على بقاء العين وكذا بقاء اللون إلا فيما يلتصق به فهو معفو عنه بعد الحت والقرص . أما الرائحة فبقاؤها يدل على بقاء العين ولا يعفى عنها إلا إذا كان الشيء له رائحة فائحة يعسر إزالتها فالدلك والعصر مرات متواليات يقوم مقام الحت والقرص فى اللون ، والمزيل للوسواس أن يعلم أن الأشياء خلقت طاهرة بيقين فما لايشاهد عليه نجاسة ولايعلمها يقينا يصلى معه ، ولاينبغى أن يتوصل بالاستنباط إلى تقدير النجاسات القسم الثانى : طهارة الأحداث ، ومنها الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجاء ، فلنورد كيفيتها على الترتيب مع آدابها وسننها مبتدئين بسبب الوضوء وآداب قضاء الحاجة إن شاء الله تعالى .

باب آداب قضاء الحاجة

ينبغى أن يبعد عن أعين الناظرين فى الصحراء وأن يستتر بشيء إن وجده وأن لايكشف عورته قبل الانتهاء

---

(١) حديث (خلق الله الماء طهورا لاينجسه شيء إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه) أخرجه ابن ماجه من حديث أبى أمامة بإسناد ضعيف ، وقد رواه بدون الاستثناء أبو داود والنسائى والترمذى من حديث أبى سعيد وصححه أبو داود وغيره

إلى موضع الجلوس وأن لايستقبل الشمس والقمر وأن لايستقبل القبلة ولايستدبرها إلى إذا كان فى بناء ، والعدول أيضا عنها فى البناء أحب وإن استتر فى الصحراء براحلته جاز وكذلك بذيله ، وأن يتقى الجلوس فى متحدث الناس وأن لايبول فى الماء الراكد ولا تحت الشجرة المثمرة ولافى الجحر ، وأن يتقى الموضع الصلب ومهاب الرياح فى البول استنزاها من رشاشه وأن يتكئ فى جلوسه على الرجل اليسرى وإن كان فى بنيان يقدم الرجل اليسرى فى الدخول واليمنى فى الخروج ولا يبول قائما . قالت عائشة رضى الله عنها « من حدثكم أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه [1] » وقال عمر رضى الله عنه « رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبول قائما فقال : ياعمر لا تبل قائما [2] » قال عمر : فما بلت قائما بعد ، وفيه رخصة إذ روى حذيفة رضى الله عنه « أنه عليه الصلاة والسلام بال قائما فأتيته بوضوء فتوضأ ومسح على خفيه [3] » ولا يبول فى المغتسل قال صلى الله عليه وسلم « عامة الوسواس منه [4] » وقال ابن المبارك : قد وسع فى البول فى المغتسل إذا جرى الماء عليه ذكره الترمذى وقال عليه الصلاة والسلام « لا يبولن أحدكم فى مستحمه ثم يتوضأ فيه فأن عامة الوسواس منه » وقال ابن المبارك : إن كان الماء جاريا فلا بأس به ولا يستصحب شيئا عليه اسم الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا يدخل بيت الماء حاسر الرأس . وأن يقول عند الدخول « بسم الله أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم » وعند الخروج « الحمد لله الذى أذهب عنى مايؤذينى وأبقى على ماينفعنى » ويكون ذلك خارجا عن بيت الماء وأن يعد النبل قبل الجلوس وأن لا يستنجى بالماء فى موضع الحاجة وأن يستبرئ من البول بالتنحنح والنثر ـ ثلاثا ـ وإمرار اليد على أسفل القضيب ولا يكثر التفكر فى الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه الأمر وما يحس به من بلل فايقدر أنه بقية الماء . فإن كان يؤذيه ذلك فليرش عليه الماء حتى يقوى فى نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس . وفى الخبر أنه صلى الله عليه وسلم فعله أعنى رش الماء [5] وقد كان أخفهم استبراء أفقههم فتدل الوسوسة فيه على قلة الفقه . وفى حديث سلمان رضى الله عنه « علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شىء حتى الخراءة فأمرنا أن لا نستنجى بعظم ولا روث ونهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول [6] » وقال رجل لبعض الصحابة من الأعراب وقد خاصمه : لأحسبك تحسن الخراءة قال : بلى وأبيك إنى لأحسنها وإنى بها لحاذق أبعد الأثر وأعد المدر وأستقبل الشيح وأستدبر الريح وأقعى إقعاء الظبى وأجفل إجفال النعام ـ الشيح نبت طيب الرائحة بالبادية ، والإقعاء ههنا أن يستوفز على صدور قدميه ، والإجفال أن يرفع عجزه . ومن الرخصة أن يبول الانسان قريبا من صاحبه مستترا عنه [1] فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شدة حيائه ليبين للناس ذلك .

---

(١) حديث عائشة (من حدثكم أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه) أخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجه قال الترمذى هو أحسن شىء فى هذا الباب وأصح (٢) حديث عمر (رآنى النبى صلى الله عليه وسلم وانا أبول قائما فقال ياعمر لاتبل قائما » أخرجه ابن ماجه بإسناد ضعيف ، رواه ابن حبان من حديث ابن عمر ليس فيه ذكر لعمر (٣) حديث (انه عليه الصلاة والسلام بال قائما .. الحديث) متفق عليه (٤) حديث (قال فى البول فى المغتسل : عامة الوسواس منه) اخرجه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن مغفل قال الترمذى غريب قلت وإسناده صحيح (٥) حديث « رش الماء بعد الوضوء » وهو الانتضاح أخرجه أبوداود والنسائى وابن ماجه من حديث سفيان بن الحكم الثقفى أو الحكم بن سفيان وهو مضطرب كما قاله الترمذى وابن عبد البر (٦) حديث سلمان « علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شىء حتى الخراءة ... الحديث » أخرجه مسلم وقد تقدم فى قواعد العقائد (٧) حديث « البول قريبا من صاحبه » متفق عليه من حديث حذيفة

كيفية الاستنجاء

ثم يستنجى لمقعدته بثلاثة أحجار ، فإن أنقى وإلا استعمل رابعاً ، فإن أنقى وإلا استعمل خامسا لأن الإنقاء واجب والايتار مستحب . قال عليه السلام « من استجمر فليوتر [1] » ويأخذ الحجر بيساره ويضعه على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة ويمره بالمسح والإدارة إلى المؤخر ، ويأخذ الثانى ويضعه على المؤخر كذلك ويمره إلى المقدمة ، ويأخذ الثالث فيديره حول المسربة إدارة فإن عسرت الإدارة ومسح من المقدمة إلى المؤخر أجزأه ، ثم يأخذ حجرا كبيراً بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح ثلاثا فى ثلاثة مواضع أوفى ثلاثة أحجار أو فى ثلاثة مواضع من جدار إلى أن لا يرى الرطوبة فى محل المسح ، فإن حصل ذلك بمرتين أتى بالثالثة ، ووجب ذلك إن أراد الاقتصار على الحجر ، وإن حصل بالرابعة استحب الخامسة للإيتار. ثم ينتقل من ذلك الموضع إلى موضع آخر ويستنجى بالماء بأن يفيضه باليمنى على محل النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى أثر يدركه الكف بحس اللمس ، ويدرك الاستقصاء فيه بالتعرض للماطن فإن ذلك منبع الوسواس ، وليعلم أن كل ما لا يصل إليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة مالم تظهر ، وكل ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فحد ظهوره أن يصل الماء إليه فيزيله ولا معنى للوسواس . ويقول عند الفراغ من الاستنجاء « اللهم طهر قلبى من النفاق وحصن فرجى من الفواحش » ويدلك يده بحائط أو بالأرض إزالة للرائحة إن بقيت . والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روى « أنه لما نزل قوله تعالى ﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل قباء : ما هذه الطهارة التى أثنى الله بها عليكم ، قالوا . كنا نجمع بين الماء والحجر [2] » .

كيفية الوضوء

إذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم قط خارجا من الغائط إلا توضأ ويبتدئ بالسواك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أفواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك [3] » فينبغى أن ينوى عند السواك تطهير فمه لقراءة القرآن وذكر الله تعالى فى الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم « صلاة على أثر سوالا أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « مالى أراكم تدخلون على قلحا استاكوا [6] » أى صفر الأسنان « وكان عليه الصلاة والسلام يستاك فى الليلة مرارا [7] » وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : « لم يزل صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شىء [8] » وقال عليه السلام « عليكم بالسواك فإنه

---

(١) حديث « من استجمر فليوتر » متفق عليه من حديث أبى هريرة (٢) حديث « لما نزل قوله تعالى ﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا ﴾ الحديث فى أهل قباء وجمعهم بين الحجر والماء ؟ . » أخرجه البزار من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبى أيوب وجابر وأنس فى الاستنجاء بالماء ، ليس فيه ذكر « الحجر » وقول النووى تبعا لابن الصلاح « إن الجمع بين الماء والحجر فى أهل قباء لا يعرف » مردود بما تقدم (٣) حديث « إن أفواهكم طرق القرآن » أخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث على ورواه ابن ماجه موقوفا على على وكلاهما ضعيف (٤) حديث « صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك » رواه أبو نعيم فى كتاب السواك من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف ورواه أبو داود والحاكم وصححه والبيهقى وضعفه من حديث عائشة وضعفه بلفظ من سبعين صلاة (٥) حديث « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » متفق عليه من حديث أبى هريرة (٦) حديث « مالى أراكم تدخلون على قلحا استاكوا » أخرجه البزار والبيهقى من حديث العباس بن عبد المطلب وابو داود والبغوى من حديث تمام ابن العباس والبيهقى من حديث عبد الله بن عباس وهو مضطرب (٧) حديث « كان يستاك من الليل مرارا » أخرجه مسلم من حديث ابن عباس (٨) حديث ابن عباس « لم يزل يأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شىء » رواه احمد

مطهرة للفم ومرضاة للرب[١] » وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : السواك يزيد فى الحفظ ويذهب البلغم[٢] وكان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يروحون والسواك على آذانهم . وكيفيته : أن يستاك بخشب الأراك أو غيره من قضبان الأشجار مما يخشن ويزيل القلح ويستاك عرضا وطولا وإن اقتصر فعرضا . ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وإن لم يصل عقيبه وعند تغير النكهة بالنوم أو طول الأزم أو كل ما تكره رائحته ، ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء مستقبل القبلة ويقول « بسم الله الرحمن الرحيم » قال صلى الله عليه وسلم « لا وضوء لمن لم يسم الله تعالى[٣] » أى لا وضوء كامل . ويقول عند ذلك « أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون » ثم يغسل يديه ثلاثا قبل أن يدخلهما الإناء ، ويقول « اللهم إنى أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة » ثم ينوى رفع الحدث أو استباحة الصلاة ويستديم النية إلى غسل الوجه فإن نسيها عند الوجه لم يجزه ، ثم يأخذ غرفة لفيه بيمينه فيتمضمض بها ثلاثاً ويغرغر بأن يرد الماء إلى الغلصمة إلا أن يكون صائما فيرفق ويقول « اللهم أعنى على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك » ثم يأخذ غرفة لأنفه ويستنشق ثلاثا ويصعد الماء بالنفس إلى خياشيمه ويستنثر ما فيها ويقول فى الاستنشاق « اللهم أوجد لى رائحة الجنة وأنت عنى راض » وفى الاستنثار « اللهم إنى أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار » لأن الاستنشاق إيصال والاستنثار إزالة ، ثم يغرف غرفة لوجهه فيغسله من مبدإ سطح الجبهة إلى منتهى ما يقبل من الذقن فى الطول ، ومن الأذن إلى الأذن فى العرض ، ولا يدخل فى حد الوجه النزعتان اللتان على طرفى الجبينين فهما من الرأس ، ويوصل الماء إلى موضع التحذيف وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو القدر الذى يقع فى جانب الوجه ، مهما وضع طرف الخيط على رأس الأذن والطرف الثانى على زاوية الجبين ، ويوصل الماء إلى منابت الشعور الأربعة : الحاجبان والشاربان والعذاران والأهداب : لأنها خفيفة فى الغالب . والعذاران هما ما يوازيان الأذنين من مبدإ اللحية . ويجب إيصال الماء إلى منابت اللحية الخفيفة أعنى ما يقبل من الوجه وأما الكثيفة فلا ، وحكم العنفقة حكم اللحية فى الكثافة والخفة ، ثم يفعل ذلك ثلاثاً ويفيض الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية ويدخل الأصابع فى محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما . فقد روى أنه عليه السلام فعل ذلك[٤] ويأمل عند ذلك خروج الخطايا من عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول عنده « اللهم بيض وجهى بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهى بظلماتك يوم تسود وجوه أعدائك » ويخلل اللحية الكثيفة عند غسل الوجه فإنه مستحب ، ثم يغسل يديه إلى مرفقيه ثلاثا ويحرك الخاتم ويطيل الغرة ويرفع الماء إلى أعلى العضد فإنهم يحشرون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء ، كذلك ورد الخبر . قال عليه السلام « من استطاع أن

---

(١) حديث « عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم مرضاة للرب » أخرجه البخارى تعليقا مجزوما من حديث عائشة والنسائى وابن خزيمة موصولا ، قلت وصل المصنف هذا الحديث بحديث ابن عباس الذى قبله وقد رواه من حديث ابن عباس الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى شعب الايمان (٢) حديث « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يروحون والسواك على آذانهم » أخرجه الخطيب فى كتاب أسماء من روى عن مالك وعند أبى داود والترمذى وصححه « أن زيد بن خالد كان يشهد الصلوات وسواكه على أذنه موضع القلم من أذن الكاتب (٣) حديث « لا وضوء لمن لم يسم الله » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة ونقل الترمذى عن البخارى أنه أحسن شىء فى هذا الباب (٤) حديث « لما خلله الأصبع فى محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل » أخرجه أحمد من حديث أبى أمامة كان يتعاهد المافقين ورواه الدارقطنى من حديث أبى هريرة بإسناد ضعيف « اشربوا الماء أعينكم »

يطيل غرته فليفعل[١] ، وروى أن الحلية تبلغ مواضع الوضوء[٢] ويبدأ باليمنى ويقول « اللهم أعطنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيرا » ويقول عند غسل الشمال « اللهم إنى أعوذ بك أن تعطينى كتابى بشمالى أو من وراء ظهرى » ثم يستوعب رأسه بالمسح بأن يبل يديه ويلصق رءوس أصابع يديه اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدمة الرأس ويمدهما إلى القفا ثم يردهما إلى المقدمة ، وهذه مسحة واحدة ، يفعل ذلك ثلاثا ويقول « اللهم غشنى برحمتك وأنزل على من بركاتك وأظلنى تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك » ثم يمسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد بأن يدخل مسبحتيه فى صماخى أذنيه ويدير إبهاميه على ظاهر أذنيه ثم يضع الكف على الأذنين استظهارا ، ويكرره ثلاثا ويقول « اللهم اجعلنى من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اللهم اسمعنى منادى الجنة مع الأبرار » ثم يمسح رقبته بماء جديد لقوله صلى الله عليه وسلم « مسح الرقبة أمان من الغل يوم القيامة[٣] » ويقول « اللهم فك رقبتى من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال » ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثا ويخلل باليد اليسرى من أسفل أصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من الرجل اليسرى ويقول « اللهم ثبت قدمى على الصراط المستقيم يوم تزل الأقدام فى النار » ويقول عند غسل اليسرى « أعوذ بك أن تزل قدمى عن الصراط يوم تزل فيه أقدام المنافقين » ويرفع الماء إلى أنصاف الساقين . فإذا فرغ رفع رأسه إلى السماء وقال « أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسى أستغفرك اللهم وأتوب إليك فاغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين واجعلنى من عبادك الصالحين واجعلنى عبدا صبورا شكورا واجعلنى أذكرك كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا » يقال: إن من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله تعالى ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك إلى يوم القيامة . ويكره فى الوضوء أمور : منها أن يزيد على الثلاث فمن زاد فقد ظلم ، وأن يسرف فى الماء « توضأ عليه السلام ثلاثا وقال من زاد فقد ظلم وأساء[٤] » وقال « سيكون قوم من هذه الأمة يعتدون فى الدعاء والطهور[٥] » ويقال : من وهن علم الرجل ولوعه بالماء فى الطهور[٦] وقال إبراهيم بن أدهم : يقال إن أول ما يبتدئ الوسواس من قبل الطهور ، وقال الحسن : إن شيطانا يضحك بالناس فى الوضوء يقال له الولهان . ويكره أن ينفض اليد فيرش الماء وأن يتكلم فى أثناء الوضوء وأن يلطم وجهه بالماء لطما . وكره قوم التنشيف وقالوا : الوضوء يوزن، قاله سعيد بن المسيب والزهرى ، لكن روى معاذ رضى الله عنه « أنه عليه السلام مسح وجهه بطرف ثوبه[٧] » وروت عائشة رضى الله عنها « أنه صلى الله عليه وسلم كانت له منشفة[٨] » ولكن طعن فى هذه الرواية عن عائشة . ويكره أن يتوضأ من إناء صفر وأن يتوضأ بالماء المشمس وذلك من جهة الطب . وقد روى عن ابن عمر وأبى هريرة رضى الله عنهما كراهية إناء الصفر: وقال بعضهم : أخرجت لشعبة ماء فى إناء صفر فأبى أن يتوضأ منه . ونقل كراهية

---

(١) حديث « من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل » أخرجاه من حديث أبى هريرة (٢) حديث « تبلغ الحلية من المؤمن ما يبلغ ماء الوضوء » أخرجاه من حديثه (٤) حديث « مسح الرقبة أمان من الغل » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث عمرو وهو ضعيف (٤) حديث « توضأ ثلاثا ثلاثا وقال من زاد فقد أساء وظلم » أخرجه أبو داود والنسائى والفظ له وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٥) حديث « سيكون قوم من هذه الأمة يعتدون فى الدعاء والطهور » أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله ابن مغفل (٦) حديث « من وهن علم الرجل ولوعه فى الماء فى التطهير » لم أجد له أصلا (٧) حديث معاذ « أن النبى صلى الله عليه وسلم مسح وجهه بطرف ثوبه » أخرجه الترمذى وقال غريب وإسناده ضعيف (٨) حديث عائشة « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان له منشفة » أخرجه الترمذى وقال ليس بالقائم ، قال ولا يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب شىء

ذلك عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما . ومهما فرغ من وضوئه وأقبل على الصلاة فينبغي أن يخطر بباله أنه طهر ظاهره وهو موضع نظر الخلق أن يستحي من مناجاة الله تعالى من غير تطهير قلبه وهو موضع نظر الرب سبحانه . وليحقق طهارة القلب بالتوبة . والخلو عن الأخلاق المذمومة والتخلق بالأخلاق الحميدة أولى . وأن من يقتصر على طهارة الظاهر كمن يدعو ملكا إلى بيته فتركه مشحونا بالقاذورات واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البرانى من الدار . وما أحدر مثل هذا الرجل بالتعرض للمقت والبوار ! والله سبحانه وتعالى أعلم .

فضيلة الوضوء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه[1] » وفي لفظ آخر « ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه » وقال صلى الله عليه وسلم أيضا « ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ إسباغ الوضوء على المكاره ونقل الأقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط - ثلاث مرات - [2] » « وتوضأ صلى الله عليه وسلم مرة مرة وقال : هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به ، وتوضأ مرتين مرتين وقال : من توضأ مرتين مرتين أتاه الله أجره مرتين ، وتوضأ ثلاثا ثلاثا وقال : هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي ووضوء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام[3] » وقال صلى الله عليه وسلم « من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه إلا ما أصاب الماء[4] » وقال صلى الله عليه وسلم « من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات[5] » وقال صلى الله عليه وسلم « الوضوء على الوضوء نور على نور[6] » وهذا كله حث على تجديد الوضوء وقال عليه السلام « إذا توضأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت أذنيه وإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة له[7] » ويروى « إن الطاهر كالصائم[8] » قال عليه الصلاة والسلام « من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء[9] » وقال عمر رضي الله عنه :

---

(١) حديث « من توضأ وأسبغ الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » وفي لفظ آخر « لم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه » أخرجه ابن المبارك في كتاب الزهد والرقائق باللفظين معا وهو متفق عليه من حديث عثمان بن عفان دون قوله « بشيء من الدنيا » ودون قوله « لم يسه فيهما » وأخرجه أبو داود من حديث زيد بن خالد « ثم صلى ركعتين لا يسهو فيهما الحديث » (٢) حديث « ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات .. الحديث » أخرجه مسلم عن أبي هريرة (٣) حديث « توضأ مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به .. الحديث » أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف (٤) حديث « من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله . الحديث » رواه الدارقطني من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف (٥) حديث « من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات » أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف (٦) حديث « الوضوء على الوضوء نور على نور » لم أجده أصلا (٧) حديث « إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه الحديث » أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث الصنابحي إسناده صحيح ، ولكن اختلف في صحبته وعند مسلم من حديث أبي هريرة وعمرو بن عبسة نحوه مختصراً (٨) حديث « الطاهر النائم كالصائم » أخرجه أبو منصور الديلمي من حديث عمرو بن حريث « الطاهر النائم كالصائم القائم » وسنده ضعيف (٩) حديث « من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله ... الحديث » أخرجه أبو داود من حديث عقبة بن عامر وهو عند مسلم دون قوله « ثم رفع هكذا » عزاه المزي في الأطراف وقد رواه النسائي « في اليوم والليلة » من رواية عقبة بن عامر وكذا رواه الدارمي في مسنده

إنّ الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان . وقال مجاهد : من استطاع أن لايبيت إلا طاهراً ذاكراً مستغفراً فليفعل فإنّ الأرواح تبعث على ما قبضت عليه .

كيفية الغسل

وهو أن يضع الإناء عن يمينه ثم يسمى الله تعالى ويغسل يديه ثلاثا ، ثم يستنجى كما وصفت لك ويزيل ما على بدنه من نجاسة إن كانت ، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة كما وصفنا إلا غسل القدمين فإنه يؤخرهما فإن غسلهما ثم وضعهما على الأرض كان إضاعة للماء ، ثم يصب الماء على رأسه ثلاثا ، ثم على شقه الأيمن ثلاثاً ، ثم على شقه الأيسر ثلاثاً ، ثم يدلك ما أقبل من بدنه ويخلل شعر الرأس واللحية ويوصل الماء إلى منابت ما كثف منه أو خف ، وليس على المرأة نقض الضفائر إلا إذا علمت أنّ الماء لايصل إلى خلال الشعر ، ويتعهد معاطف البدن وليتق أن يمس ذكره فى أثناء ذلك فإن فعل ذلك فليعد الوضوء ، وإن توضأ قبل الغسل فلا يعيده بعد الغسل . فهذه سنن الوضوء والغسل ذكرنا منها مالا بدّ لسالك طريق الآخرة من علمه وعمله ، وما عداه من المسائل التى يحتاج إليها فى عوارض الأحوال فليرجع فيها إلى كتب الفقه . والواجب من جملة ما ذكرناه فى الغسل أمران . النية واستيعاب البدن بالغسل . وفروض الوضوء . النية وغسل الوجه وغسل اليدين إلى المرفقين ومسح ما ينطلق عليه الاسم من الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين والترتيب . وأما الموالاة فليست بواجبه . والغسل الواجب بأربعة : بخروج المنى والتقاء الختانين والحيض والنفاس ، وما عداه من الأغسال سنة كغسل العيدين والجمعة والأعياد والإحرام والوقوف بعرفة ومزدلفة ولدخول مكة وثلاثة أغسال أيام التشريق ولطواف الوداع ـ على قول ـ والكافر إذا أسلم غير جنب والمجنون إذا أفاق ولمن غسل ميتا ، فكل ذلك مستحب

كيفية التيمم

من تعذر عليه استعمال الماء ـ لفقده بعد الطلب أو بمانع له عن الوصول إليه من سبع أو حابس أو كان الماء الحاضر يحتاج اليه لعطشه أو لعطش رفيقه أو كان ملكا لغيره ولم يبعه إلا بأكثر من ثمن المثل أو كان به جراحة أو مرض وخاف من استعماله فساد العضو أو شدة الضنا ـ فينبغى أن يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة ، ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب طاهر خالص لين بحيث يثور منه غبار ، ويضرب عليه كفيه ضاما بين أصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة ، وينوى عند ذلك استباحة الصلاة ، ولا يكلف إيصال الغبار إلى ما تحت الشعور خفت أو كثفت ، ويجتهد أن يستوعب بشرة وجهه بالغبار ـ ويحصل ذلك بالضربة الواحدة فإنّ عرض الوجه لايزيد على عرض الكفين ـ ويكفى فى الاستيعاب غالب الظنّ ، ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية يفرج فيها بين أصابعه ثم يلصق ظهور يده اليمنى ببطون أصابع يده اليسرى ـ بحيث لا يجاوز أطراف الأنامل من إحدى الجهتين عرض المسبحة من الأخرى ـ ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده الأيمن إلى المرفق ، ثم يقلب بطن كفه اليسرى على باطن ساعده الأيمن ويمرها إلى الكوع ، ويمر بطن إبهامه اليسرى على ظاهر إبهامه اليمنى ، ثم يفعل باليسرى كذلك . ثم يمسح كفيه ويخلل بين أصابعه ، وغرض هذا التكليف تحصيل الاستيعاب إلى المرفقين بضربة واحدة فإن عسر عليه ذلك فلا بأس بأن يستوعب بضربتين وزيادة . وإذا صلى به الفرض فله أن يتنفل كيف شاء ، فإن جمع بين فريضتين فينبغى أن يعيد التيمم للثانية . وهكذا يفرد كل فريضة بتيمم والله أعلم.

القسم الثالث من النظافة : التنظيف عن الفضلات الظاهرة وهى نوعان أوساخ وأجزاء

النوع الأول : الأوساخ والرطوبات المترشحة وهى ثمانية :

(الأول) ما يجتمع فى شعر الرأس من الدرن والقمل فالتنظيف عنه مستحب بالغسل والترجيل والتدهين إزالة للشعث عنه ، وكان صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر ويرجله غبا ويأمر به [١] ويقول عليه الصلاة والسلام : ادهنوا غبا [٢] وقال عليه الصلاة والسلام من كان له شعرة فليكرمها [٣] أى ليصنها عن الأوساخ ، ودخل عليه رجل ثائر الرأس أشعث اللحية فقال : أما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال: يدخل أحدكم كأنه شيطان [٤] ، (الثانى) ما يجتمع من الوسخ فى معاطف الأذن ، والمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع فى قعر الصماخ فينبغى أن ينظف برفق عند الخروج من الحمام فان كثرة ذلك ربما تضر بالسمع . (الثالث) ما يجتمع فى داخل الأنف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبه ويزيلها بالاستنشاق والاستنثار . (الرابع) ما يجتمع على الأسنان وطرف اللسان من القلح فيزيله السواك والمضمضة وقد ذكرناهما . (الخامس) ما يجتمع فى اللحية من الوسخ والقمل إذا لم يتعهد ويستحب إزالة ذلك بالغسل والتسريح بالمشط . وفى الخبر المشهور أنه صلى الله عليه وسلم « كان لا يفارقه المشط والمدرى والمرآة فى سفر ولا حضر [٥] » وهى سنة العرب وفى خبر غريب « أنه صلى الله عليه وسلم كان يسرح لحيته فى اليوم مرتين [٦] » وكان صلى الله عليه وسلم كث اللحية [٧] ، وكذلك كان أبو بكر ، وكان عثمان طويل اللحية رقيقها وكان على عريض اللحية قد ملأت مابين منكبيه . وفى حديث أغرب منه قالت عائشة رضى الله عنها « اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فرأيته يطلع فى الحب يسوى من رأسه ولحيته [٨] فقلت أو تفعل ذلك يارسول الله ؟ فقال : نعم إن الله يحب من عبده أن يتجمل لإخوانه إذا خرج إليهم » والجاهل ربما يظن أن ذلك من حب التزين للناس قياسا على أخلاق غيره وتشبيها الملائكة بالحدادين وهيهات ! فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمورا بالدعوة وكان من وظائفه أن يسعى فى تعظيم أمر نفسه فى قلوبهم كيلا تزدريه نفوسهم ويحسن صورته فى أعينهم كيلا تستصغره أعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك فى تنفيرهم . وهذا القصد واجب على كل عالم تصدى لدعوة الخلق إلى الله عز وجل ، وهو أن يراعى من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه . والاعتماد فى مثل هذه الأمور على النية فانها أعمال فى أنفسها تكتسب الأوصاف من المقصود ، فالتزين

---

(١) حديث « كان يدهن الشعر ويرجله » أخرجه الترمذى فى الشمائل بإسناد ضعيف من حديث أنس « كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته » وفى الشمائل أيضاً بإسناد حسن من حديث صحابى لم يسم « أنه عليه الصلاة والسلام كان يترجل غبا » (٢) حديث « ادهنوا غبا » قال ابن الصلاح لم أجد له اصلا وقال النووى غير معروف وعند أبى داود والترمذى والنسائى من حديث عبد الله بن مغفل « النهى عن الترجل إلا غبا » بإسناد صحيح (٣) حديث « من كانت له شعرة فليكرمها » من حديث أبى هريرة وقال « به شعر فليكرمه » وليس إسناده بالقوى (٤) حديث « دخل عليه رجل ثائر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره .. الحديث » أخرجه أبو داود والترمذى وابن حبان من حديث جابر بإسناد جيد (٥) حديث « كان لا يفارقه المشط والمدرى فى سفر ولا حضر » أخرجه ابن طاهر فى كتاب صفة التصوف من حديث أبى سعيد « كان لا يفارق مصلاه سواكه ومشطه » ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة وإسنادها ضعيف . وسيأتى فى آداب السفر مطولا (٦) حديث « كان يسرح لحيته كل يوم مرتين » تقدم حديث أنس « كان يكثر تسريح لحيته » والخطيب فى الجامع من حديث الحكم مرسلا « كان يسرح لحيته بالمشط » (٧) حديث « كان كث اللحية » أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث هند ابن أبى هالة وأبو نعيم فى دلائل النبوة من حديث على وأصله عند الترمذى (٨) حديث عائشة « اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فرأيته يطلع فى الحب يسوى من رأسه ولحيته » اخرجه ابن عدى وقال حديث منكر

على هذا القصد محبوب وترك التشعث فى اللحية إظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور وتركه شغلا بما هو أهم منه محبوب . وهذه أحوال باطنة بين العبد وبين الله عزوجل . والناقد بصير والتلبيس غير رائج عليه بحال ، وكم من جاهل يتعاطى هذه الأمور التفاتا إلى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى غيره ويزعم أن قصده الخير ، فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون أن قصدهم إرغام المبتدعة والمجادلين والتقرب إلى الله تعالى به وهذا أمر ينكشف يوم تبلى السرائر ، ويوم يبعثر ما فى القبور ويحصل ما فى الصدور ؛ فعند ذلك تتميز السبيكة الخالصة من البهرجة فنعوذ بالله من الخزى يوم العرض الأكبر (السادس) وسخ البراجم وهى معاطف ظهور الأنامل ، كانت العرب لاتكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع فى تلك الغضون وسخ فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسل البراجم [1] (السابع) تنظيف الرواجب [2] أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العرب بتنظيفها وهى رءوس الأنامل وماتحت الأظفار من الوسخ لأنها كانت لايحضرها المقراض فى كل وقت فتجتمع فيها أوساخ ؛ فوقت لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قلم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة أربعين يوما [3] لكنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيف ماتحت الأظفار [4] وجاء فى الأثر « أن النبى صلى الله عليه وسلم استبطأ الوحى فلما هبط عليه جبريل عليه السلام قال له : كيف ننزل عليكم وأنتم لاتغسلون براجمكم ولاتنظفون رواجبكم [5] وقلحا لاتستاكون . مرأمتك بذلك ، والاف وسخ الظفر ، والتف وسخ الأذن وقوله عز وجل ﴿ فلا تقل لهما أف ﴾ تعبهما أى بما تحت الظفر من الوسخ ، وقيل لاتتأذ بهما كما تتأذى بما تحت الظفر (الثامن) الدرن الذى يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق ، وذلك يزيله الحمام ولا بأس بدخول الحمام ، دخل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام وقال بعضهم : نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار : روى ذلك عن أبى الدرداء وأبى أيوب الأنصارى رضى الله عنهما وقال بعضهم . بئس البيت بيت الحمام يبدى العورة ويذهب الحياء . فهذا تعرض لآفته وذاك تعرض لفائدته ولابأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته . ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات ، فعليه واجبان فى عورته وواجبان فى عورة غيره . أما الواجبان فى عورته فهو أن يصونها عن نظر الغير ويصونها عن مس الغير فلايتعاطى أمرها وإزالة وسخها إلا بيده ، ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة إلى العانة ، وفى إباحة مس ماليس بسوءة لإزالة الوسخ احتمال ، ولكن الأقيس التحريم إذ ألحق مس السوأتين فى التحريم بالنظر فكذلك ينبغى أن تكون بقية العورة أعنى الفخذين . والواجبان فى عورة الغير أن يغض بصر نفسه عنها وأن ينهى عن كشفها لأن النهى عن المنكر واجب ، وعليه ذكر ذلك وليس عليه القبول ولايسقط عنه وجوب الذكر إلا لخوف ضرب أو شتم أو مايجرى عليه مما هو حرام فى نفسه ، فليس عليه أن ينكر حراما يرهق المنكر عليه إلى مباشرة حرام آخر . فأما قوله أعلم أن ذلك لايفيد ولا يعمل به فهذا

---

(١) حديث « الأمر بغسل البراجم » أخرجه الترمذى الحكيم فى النوادر من حيث عبد الله بن بسر « بعموا براجمكم » ولابن عدى فى حديث لأنس « وأن يتعاهد البراجم اذا توضأ » ولمسلم من حديث عائشة « عشر من الفطرة — وفيه — وغسل البراجم » (٢) الأمر بتنظيف الرواجب » أخرجه أحمد من حديث ابن عباس « أنه قيل له يارسول الله لقد أبطأ عنك جبريل فقيل ولم لا يبطئ وأنتم لا تستنون ولا تقلمون أظافركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم » وفيه إسماعيل بن عياش (٣) حديث « التوقيت فى قلم الأظافر ونتف الأبط وحلق العانة أربعين يوما » أخرجه مسلم من حديث أنس (٤) حديث « الأمر بتنظيف ما تحت الأظافر » أخرجه الطبرانى من حديث واثلة بن سعيد « سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن كل شىء حتى سألته عن الوسخ الذى يكون بين الأظافر فقال دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » (٥) حديث « استبطاء الوحى : فلما هبط عليه جبريل قال له : كيف ننزل عليكم وأنتم لاتغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم » تقدم قبل هذا بحديثين

لا يكون عذرا بل لابد من الذكر ، فلا يخلو قلب عن التأثر من سماع الإنكار واستشعار الاحتراز عند التعبير بالمعاصى وذلك يؤثر فى تقبيح الأمر فى عينه وتنفير نفسه فلا يجوز تركه ، ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام فى هذه الأوقات إذ لاتخلو عن عورات مكشوفة لا سيما ماتحت السرة إلى مافوق العانة ؛ إذ الناس لايعدونها عورة وقد ألحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحريم لها ولهذا يستحب تخلية الحمام . وقال بشر بن الحرث : ماأعنف رجلا لايملك إلا درهما دفعه ليخلى له الحمام . ورؤى ابن عمر رضى الله عنهما فى الحمام ووجهه إلى الحائط وقدعصب عينيه بعصابة وقال بعضهم : لابأس بدخول الحمام ولكن بإزارين : إزار للعورة وإزار للرأس يتقنع به ويحفظ عينيه ، وأما السنن فعشرة ، فالأول : النية وهو أن لايدخل لعاجل دنيا ولا عابثا لأجل هوى بل يقصد به التنظف المحبوب تزينا للصلاة ، ثم يعطى الحمامى الأجرة قبل الدخول فإن مايستوفيه مجهول وكذا ماينتظره الحمامى ، فتسليم الأجرة قبل الدخول دفع للجهالة من أحد العوضين وتطييب لنفسه ، ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ، ثم يدخل وقت الخلوة أو يتكلف تخلية الحمام فإنه إن لم يكن فى الحمام إلا أهل الدين والمحتاطين للعورات فالنظر إلى الأبدان مكشوفة فيه شائبة من قلة الحياء وهو مذكر للنظر فى العورات ، ثم لايخلو الإنسان فى الحركات عن انكشاف العورات بانعطاف فى أطراف الإزار فيقع البصر على العورة من حيث لايدرى ، ولأجله عصب ابن عمر رضى الله عنهما عينيه ، ويغسل الجناحين عند الدخول ولايعجل بدخول البيت الخارجى يعرق فى الأول ، وأن لايكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فإنه المأذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه الحمامى لكرهه ، لاسيما الماء الحار فله مئونة وفيه تعب وأن يتذكر حر النار بحرارة الحمام ويقدر نفسه محبوسا فى البيت الحار ساعة ويقيسه إلى جهنم ، فإنه أشبه بيت بجهنم : النار من تحت والظلام من فوق نعوذ بالله من ذلك ، بل العاقل لايغفل عن ذكر الآخرة فى لحظة فإنها مصيره ومستقره فيكون له فى كل مايراه من ماء أو نار أو غيرهما عبرة وموعظة ، فإن المرء ينظر بحسب همته . فإذا دخل براز ونجار وبناء وحائك دارا معمورة مفروشة فإذا تفقدتهم رأيت البزاز ينظر إلى الفرش يتأمل قيمتها والحائك ينظر إلى الثياب يتأمل نسجها والنجار ينظر إلى السقف يتأمل كيفية تركيبها والبناء ينظر إلى الحيطان يتأمل كيفية إحكامها واستقامتها . فكذلك سالك طريق الآخرة لايرى من الأشياء شيئا إلا ويكون له موعظة وذكرى للآخرة، بل لاينظر إلى شىء إلا ويفتح الله عز وجل له طريق عبرة فإن نظر إلى سواد تذكر ظلمة اللحد وإن نظر إلى حية تذكر أفاعى جهنم وإن نظر إلى صورة قبيحة شنيعة تذكر منكرا ونكيرا والزبانية ، وإن سمع صوتا هائلا تذكر نفخة الصور وإن رأى شيئا حسنا تذكر نعيم الجنة وإن سمع كلمة رد أو قبول فى سوق أو دار تذكر ماينكشف من آخر أمره بعد الحساب من الرد والقبول وما أجدر أن يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل إذ لايصرفه عنه إلا مهمات الدنيا ! فإذا نسب مدة المقام فى الدنيا إلى مدة المقام فى الآخرة استحقرها إن لم يكن ممن أغفل قلبه وأعميت بصيرته . ومن السنن : أن لايسلم عند الدخول وإن سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت إن أجاب غيره وإن أحب قال « عافاك الله » ولا بأس بأن يصافح الداخل ويقول « عافاك الله » لابتداء الكلام . ثم لايكثر الكلام فى الحمام ولا يقرأ القرآن إلا سرا ولابأس بإظهار الاستعاذة من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشاءين وقريبا من الغروب فإن ذلك وقت انتشار الشياطين ، ولا بأس أن يدلكه غيره فقد نقل ذلك عن يوسف بن أسباط أوصى بأن يغسله إنسان لم يكن من أصحابه وقال : إنه دلكنى فى الحمام مرة فأردت أن أكافئه بما يفرح به وإنه

ليفرح بذلك . ويدل على جوازه ماروى بعض الصحابة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا فى بعض أسفاره فنام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره فقلت : ماهذا يارسول الله ؟ فقال : إن الناقة تقحمت بى [1] » ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله عز وجل على هذه النعمة . فقد قيل الماء الحار فى الشتاء من النعيم الذى يسأل عنه . وقال ابن عمر رضى الله عنهما : الحمام من النعيم الذى أحدثوه . هذا من جهة الشرع . أما من جهة الطب فقد قيل : الحمام بعد النورة أمان من الجذام . وقيل : النورة فى كل شهر مرة تطفىء المرة الصفراء وتنقى اللون وتزيد فى الجماع . وقيل : بولة فى الحمام قائما فى الشتاء أنفع من شربة دواء . وقيل : نومة فى الصيف بعد الحمام تعدل شربة دواء . وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام أمان من النقرس ويكره صب الماء البارد على الرأس عند الخروج وكذا شربه، هذا حكم الرجال : وأما النساء فقد قال صلى الله عليه وسلم « لايحل للرجل أن يدخل حليلته الحمام [2] » وفى البيت مستحم ، والمشهور أنه حرام على الرجال دخول الحمام إلا بمئزر [3] » وحرام على المرأة دخول الحمام إلا نفساء أو مريضة . ودخلت عائشة رضى الله عنها حماما من سقم بها . فإن دخلت لضرورة فلاتدخل إلا بمئزر سابغ ، ويكره للرجل أن يعطيها أجرة الحمام فيكون معينا لها على المكروه .

النوع الثانى : فيما يحدث فى البدن من الأجزاء وهى ثمانية

(الأول) شعر الرأس ولا بأس بحلقه لمن أراد التنظيف ولا بأس بتركه لمن يدهنه ويرجله إلا إذا تركه قزعا ، أى قطعا وهو دأب أهل الشطارة ، أو أرسل الذوائب على هيئة أهل الشرف حيث صار ذلك شعاراً لهم فإنه إذا لم يكن شريفا كان ذلك تلبيسا (الثانى) شعر الشارب وقد قال صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم « قصوا الشارب » وفى لفظ آخر « جزوا الشوارب » وفى لفظ آخر « حفوا الشوارب وأعفوا اللحى [4] » أى اجعلوها حفاف الشفة أى حولها ، وحفاف الشىء : حوله . ومنه ﴿ وترى الملائكة حافين من حول العرش ﴾ وفى لفظ آخر « احفوا » وهذا يشعر بالاستئصال وقوله « حفوا » يدل على مادون ذلك . وقال الله عز وجل ﴿ إن يسئلكوها فيحفكم تبخلوا ﴾ أى يستقصى عليكم ، وأما الحلق فلم يرد . والإحفاء القريب من الحلق نقل عن الصحابة : نظر بعض التابعين إلى رجل أحفى شاربه فقال : ذكرتنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال المغيرة بن شعبة « نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربى فقال : تعال فقصه لى على سواك [5] » ولا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب ، فعل ذلك عمر وغيره لأن ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام إذ لا يصل إليه : وقوله صلى الله عليه وسلم « اعفوا اللحى » أى كثروها وفى الخبر « إن اليهود يعفون شواربهم

---

(١) حديث « نزل منزلا فى بعض أسفاره فنام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث عمر بسند ضعيف (٢) حديث « لا يحل لرجل أن يدخل حليلته الحمام .. الحديث » يأتى فى الذى يليه مع اختلاف

(٣) حديث « حرام على الرجال دخول الحمام الا بمئزر .. الحديث » أخرجه النسائى والحاكم وصححه من حديث جابر « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام » وللحاكم من حديث عائشة « الحمام حرام على نساء أمتى » قال صحيح الإسناد ولأبى داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر « فلا يدخلها الرجال الا بالإزار وامنعوها النساء الا من مريضة أو نفساء » (٤) حديث « قصوا » وفى لفظ « جزوا » وفى لفظ « احفوا الشوارب واعفوا اللحى » متفق عليه من حديث ابن عمر بلفظ « احفوا » ولمسلم من حديث أبى هريرة « جزوا » ولأحمد من حديثه « قصوا » (٥) حديث المغيرة ابن شعبة « نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربى فقال : تعال فقصه لى على سواك » أخرجه أبو داود والنسائى والترمذى فى الشمائل

ويقصون لحاهم [1] فخالفوهم ، وكره بعض العلماء الحلق ورآه بدعة (الثالث) شعر الإبط ويستحب نتفه فى كل أربعين يوما مرة وذلك سهل على من تعوّد نتفه فى الابتداء ، فأما من تعوّد الحلق فيكفيه الحلق إذ فى النتف تعذيب وإيلام ، والمقصود النظافة وأن لا يجتمع الوسخ فى خللها ويحصل ذلك بالحلق (الرابع) شعر العانة ويستحب إزالة ذلك إما بالحلق أو بالنورة ولا ينبغى أن تتأخر عن أربعين يوماً (الخامس) الأظفار وتقليمها مستحب لشناعة صورتها إذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة أقلم أظفارك فإنّ الشيطان يقعد على ما طال منها [2] » ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضوء لأنه لا يمنع وصول الماء ولأنه يتساهل فيه للحاجة لا سيما فى أظفار الرجل وفى الأوساخ التى تجتمع على البراجم وظهور الأرجل والأيدى من العرب وأهل السواد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهم بالقلم وينكر عليهم ما يرى تحت أظفارهم من الأوساخ ولم يأمرهم بإعادة الصلاة ، ولو أمر به لكان فيه فائدة أخرى وهو التغليظ والزجر عن ذلك . ولم أر فى الكتب خبرا مرويا فى ترتيب قلم الأظفار ولكن سمعت « أنه صلى الله عليه وسلم بدأ بمسبحته اليمنى وختم بإبهامه اليمنى وابتدأ فى اليسرى بالخنصر إلى الإبهام [3] » ولما تأملت فى هذا خطر لى من المعنى ما يدل على أنّ الرواية فيه صحيحة إذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتداء إلا بنور النبوّة ، وأما العالم ذو البصيرة فغايته أن يستنبطه من العقل بعد نقل الفعل إليه . فالذى لاح لى فيه والعلم عند الله سبحانه أنه لا بدّ من قلم أظفار اليد والرجل ، واليد أشرف من الرجل فيبدأ بها ، ثم اليمنى أشرف من اليسرى فيبدأ بها ، ثم على اليمنى خمسة أصابع والمسبحة أشرفها إذ هى المشيرة فى كلمتى الشهادة من جملة الأصابع ، ثم بعدها ينبغى أن يبتدئ بما على يمينها إذ الشرع يستحب إدارة الطهور وغيره على اليمين ، وإن وضعت ظهر الكف على الأرض فالإبهام هو اليمين ، وإن وضعت بطن الكف فالوسطى هى اليمنى ، واليد إذا تركت بطبعها كان الكف مائلا إلى جهة الأرض إذ جهة حركة اليمين إلى اليسار واستتمام الحركة إلى اليسار يجعل ظهر الكف عاليا فما يقتضيه الطبع أولى ، ثم إذا وضعت الكف على الكف صارت الأصابع فى حكم حلقة دائرة ، فيقتضى ترتيب الدور الذهاب عن يمين المسبحة إلى أن يعود إلى المسبحة ، فتقع البداءة بخنصر اليسرى والختم بإبهامها ويبقى إبهام اليمنى فيختم به التقليم . وإنما قدّرت الكف موضوعة على الكف حتى تصير الأصابع كأشخاص فى حلقة ليظهر ترتيبها . وتقدير ذلك أولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف أو وضع ظهر الكف على ظهر الكف فإن ذلك لا يقتضيه الطبع . وأما أصابع الرجل فالأولى عندى - إن لم يثبت فيها نقل - أن يبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كما فى التخليل ، فإنّ المعانى التى ذكرها فى اليد لا تتجه ههنا إذ لا مسبحة فى الرجل . وهذه الأصابع فى حكم صف واحد ثابت على الأرض فيبدأ من جانب اليمنى فإنّ تقديرها حلقة بوضع الأخمص على الأخمص يأباه الطبع بخلاف اليدين . وهذه الدقائق فى الترتيب تنكشف بنور النبوّة فى لحظة واحدة وإنما يطول التعب علينا . ثم لو سئلنا ابتداء عن الترتيب فى ذلك ربما لم يخطر لنا . وإذا ذكرنا فعله صلى الله عليه

---

(١) حديث « إن اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم » أخرجه أحمد من حديث أبى أمامة « قلنا يارسول الله إن أهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم فقال قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا أهل الكتاب » قلت والمشهور أن هذا فعل المجوس وفى صحيح ابن عمر فى المجوس « أنهم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم »

(٢) حديث « ياأبا هريرة قلم ظفرك فإن الشيطان يقعد على ما طال منها » أخرجه الخطيب فى الجامع بإسناد ضعيف من حديث جابر « قصوا أظافيركم » فإن الشيطان يجرى ما بين اللحم والظفر (٣) حديث « البداءة فى قلم الأظافر بمسبحة اليمنى والختم بإبهامها وفى اليسرى بالخنصر إلى الإبهام » لم أجد له أصلا وقد أنكره أبو عبد الله المازرى فى الرد على الغزالى وشنع عليه به

وسلم وترتيبه ربما تيسر لنا مما عاينه صلى الله عليه وسلم بشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى استنباط المعنى ، ولا تظن أنّ أفعاله صلى الله عليه وسلم فى جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب بل جميع الأمور الاختيارية التى ذكرناها يتردد فيها الفاعل بين قسمين أو أقسام كان لايقدم على واحد معين بالاتفاق بل بمعنى يقتضى الإقدام والتقديم ، فإنّ الاسترسال مهملا ـ كما يتفق ـ سجية البهائم ، وضبط الحركات بموازين المعانى سجية أولياء الله تعالى. وكلما كانت حركات الإنسان وخطراته إلى الضبط أقرب وعن الإهمال وتركه سدى أبعد : كانت مرتبته إلى رتبة الأنبياء والأولياء أكثر وكان قربه من الله عز وجل أظهر ؛ إذ القريب من النبى صلى الله عليه وسلم هو القريب من الله عز وجل والقريب من الله لا بد أن يكون قريبا فالقريب من القريب قريب بالإضافة إلى غيره فنعوذ بالله أن يكون زمام حركاتنا وسكناتنا فى يد الشيطان بواسطة الهوى . واعتبر فى ضبط الحركات باكتحاله صلى الله عليه وسلم « فإنه كان يكتحل فى عينه اليمنى ثلاثا وفى اليسرى اثنين [1] » فيبدأ باليمنى لشرفها . وتفاوته بين العينين لتكون الجملة وترا ، فإنّ للوتر فضلا عن الزوج فإنّ الله سبحانه وتر يحب الوتر فلا ينبغى أن يخلو فعل العبد من مناسبة لوصف من أوصاف الله تعالى . ولذلك استحب الإيتار فى الاستجمار . وإنما لم يقتصر على الثلاث وهو وتر لأنّ اليسرى لا يخصها إلا واحدة والغالب أن الواحدة لا تستوعب أصول الأجفان بالكحل ، وإنما خصص اليمين بالثلاث لأنّ التفضيل لابدّ منه للإيتار واليمين أفضل فهى بالزيادة أحق * فإن قلت : فلم اقتصر على اثنين لليسرى وهى زوج ؟ فالجواب أنّ ذلك ضرورة إذ لو جعل لكل واحدة وترا لكان المجموع زوجا إذ الوتر مع الوتر زوج ، ورعايته الإيتار فى مجموع الفعل وهو فى حكم الخصلة الواحدة أحب من رعايته فى الآحاد . ولذلك أيضاً وجه وهو أن يكتحل فى كل واحدة ثلاثا على قياس الوضوء [2] وقد نقل ذلك فى الصحيح وهو الأولى . ولو ذهبت أستقصى دقائق ما راعاه صلى الله عليه وسلم فى حركاته لطال الأمر فقس بما سمعته ما لم تسمعه . واعلم أنّ العالم لايكون وارثا للنبى صلى الله عليه وسلم إلا إذا اطلع على جميع معانى الشريعة حتى لايكون بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم إلا درجة واحدة وهى درجة النبوّة ، وهى الدرجة الفارقة بين الوارث والموروث ، إذ الموروث هو الذى حصل المال له واشتغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذى لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل إليه وتلقاه منه بعد حصوله له ، فأمثال هذه المعانى مع سهولة أمرها بالإضافة إلى الأغوار والأسرار لا يستقل بدركها ابتداء إلا الأنبياء ولا يستقل باستنباطها تلقيا بعد تنبيه الأنبياء عليها إلا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء عليهم السلام (السادس والسابع) زيادة السرة وقلفة الحشفة ؛ أما السرة فتقطع فى أوّل الولادة وأما التطهير بالختان فعادة اليهود فى اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير إلى أن يثغر الولد أحب وأبعد عن الخطر قال صلى الله عليه وسلم « الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء [3] » وينبغى أن لايبالغ فى خفض المرأة قال صلى الله عليه وسلم لأم عطية وكانت تخفض « يا أم عطية أشمى ولا تنهكى فإنه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج [4] » أى أكثر لماء الوجه ودمه وأحسن فى جماعها فانظر إلى حزالة لفظه صلى الله عليه وسلم فى الكناية وإلى إشراق نور النبوّة من مصالح الآخرة التى هى أهم مقاصد النبوة إلى

---

(١) حديث « كان يكتحل فى عينه اليمنى » ثلاثا « وفى اليسرى اثنين » أخرجه الطبرانى من حديث ابن عمر باسناد ضعيف

(٢) حديث « الاكتحال فى كل عين ثلاثا » قال الغزالى ونقل ذلك فى الصحيح ، قلت هو عند الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس قال الترمذى حديث حسن .

(٣) حديث « الختان سنة الرجال مكرمة النساء » أخرجه أحمد والبيهقى من رواية أبى المليح بن أسامة عن أبيه باسناد ضعيف

(٤) حديث « أم عطية أشمى ولا تنهكى .. الحديث » أخرجه الحاكم والبيهقى من حديث الضحاك بن قيس ولأبى داود نحوه من حديث أم عطية وكلاهما ضعيف

مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو أمى من هذا الأمر النازل قدره مالو وقعت الغفلة عنه خيف ضرره فسبحان من أرسله رحمة للعالمين ليجمع لهم بيمن بعثته مصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وسلم (الثامنة) ما طال من اللحية وإنما أخرناها لنلحق بها مافى اللحية من السنن والبدع إذ هذا أقرب موضع يليق به ذكرها وقد اختلفوا فيما طال منها فقيل إن قبض الرجل على لحيته وأخذ مافضل عن القبضة فلا بأس فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبى وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة وقالا تركها عافية أحب لقوله صلى الله عليه وسلم « اعفوا اللحى » والأمر فى هذا قريب إن لم ينته إلى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب فإن الطول المفرط قد يشوه الخلقة ويطلق ألسنة المغتابين بالنبذ إليه فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية . وقال النخعى عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا يأخذ من لحيته ويجعلها بين لحيتين فإن التوسط فى كل شىء حسن ، ولذلك قيل كلما طالت اللحية تشمر العقل .

فصـــل

وفى اللحية عشر خصال مكروهة وبعضها أشد كراهة من بعض ؛ خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت ونتفها ونتف الشيب منها والنقصان منها والزيادة وتسريحها تصنعا لأجل الرياء وتركها شعثة إظهارا للزهد والنظر إلى سوادها عجبا بالشباب وإلى بياضها تكبرا لعلو السن وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبها بالصالحين . أما الأول وهو الخضاب بالسواد فهو منهى عنه لقوله صلى الله عليه وسلم « خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم [1] » والمراد بالتشبه بالشيوخ فى الوقار لا فى تبييض الشعر و « نهى عن الخضاب بالسواد [2] » وقال هو خضاب أهل النار [3] » وفى لفظ آخر « الخضاب بالسواد خضاب الكفار » وتزوج رجل على عهد عمر رضى الله عنه وكان يخضب بالسواد فصل خضابه وظهرت شيبته فرفعه أهل المرأة إلى عمر رضى الله عنه فرد نكاحه وأوجعه ضربا وقال : غررت القوم بالسواد ولبست عليهم شيبتك ويقال أول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « يكون فى آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة [4] » الثانى : الخضاب بالصفرة والحمرة وهو جائز تلبيسا للشيب على الكفار فى الغزو والجهاد فإن لم يكن على هذه النية بل للتشبه بأهل الدين فهو مذموم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين [5] » وكانوا يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة ، وخضب بعض العلماء بالسواد لأجل الغزو وذلك لا بأس به إذا صحت النية ولم يكن فيه هوى وشهوة . الثالث : تبييضها بالكبريت استعجالا لإظهار علو السن توصلا إلى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترفعاً عن الشباب وإظهارا لكثرة العلم ظنا بأن كثرة الأيام تعطيه فضلا وهيهات فلا يزيد كبر السن للجاهل إلا جهلا فالعلم ثمرة العقل وهى غريزة ولا يؤثر الشيب فيها ومن كانت غريزته الحمق فطول المدة يؤكد حماقته وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب

---

(١) حديث « خير شبابكم من تشبه بكهولكم الحديث » أخرجه الطبراني من حديث واثلة باسناد ضعيف

(٢) حديث « نهى عن الخضاب بالسواد » أخرجه ابن سعد فى الطبقات من حديث عمرو بن العاص باسناد منقطع ، ولمسلم من حديث جابر « وغيروا هذا بشىء واجتنبوا السواد » قاله حين رأى بياض شعر أبى قحافة

(٣) حديث « الخضاب بالسواد خضاب أهل النار » وفى لفظ « خضاب الكفار » أخرجه الطبراني والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ « الكافر » قال ابن أبى حاتم منكر .

(٤) حديث « يكون فى آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد ... الحديث » أخرجه أبو داود والنسائى من حديث ابن عباس بإسناد جيد . (٥) حديث « الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين » أخرجه الطبرانى والحاكم بلفظ الإفراد من حديث ابن عمر قال ابن أبى حاتم منكر .

بالعلم . كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن على أكابر الصحابة ويسأله دونهم . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ما آتى الله عز وجل عبدا علما إلا شابا والخير كله فى الشباب ثم تلا قوله عز وجل ﴿ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ﴾ وقوله تعالى ﴿ إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ﴾ وقوله تعالى ﴿وآتيناه الحكم صبيا﴾ وكان أنس رضى الله عنه يقول « قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له يا أبا حمزة فقد أسن فقال لم يشنه الله بالشيب فقيل أهو شين فقال كلكم يكرهه [1] » ويقال إن يحيى بن أكثم ولى القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة فقال له رجل فى مجلسه يريد أن يخجله بصغر سنه كم سن القاضى أيده الله فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة مكة وقضاءها فألجمه [2] وروى عن مالك رحمه الله أنه قال قرأت فى بعض الكتب لا تعرنكم اللحى فإن التيس له لحية وقال أبو عمرو بن العلاء إذا رأيت الرجل طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحمق ولو كان أمية ابن عبد شمس وقال أيوب السختيانى أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه . وقال على بن الحسين من سبق فيه العلم قبلك فهو إمامك فيه وإن كان أصغر سنا منك ، وقيل لأبى عمرو بن العلاء أيحسن من الشيخ أن يتعلم من الصغير فقال إن كان الجهل يقبح به فالتعلم يحسن به وقال يحيى بن معين لأحمد بن حنبل وقد رآه يمشى خلف بغلة الشافعى يا أبا عبد الله تركت حديث سفيان بعلوه وتمشى خلف بغلة هذا الفتى وتسمع منه فقال له أحمد لو عرفت لكنت تمشى من الجانب الآخر إن علم سفيان إن فاتنى بعلو أدركته بنزول وإن عقل هذا الشاب إن فاتنى لم أدركه بعلو ولا نزول (الرابع) نتف بياضها استنكافا من الشيب « وقد نهى عليه السلام عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن [3] » وهو فى معنى الخضاب بالسواد وعلة الكراهية ماسبق والشيب نور الله تعالى والرغبة عنه رغبة عن النور (الخامس) نتفها أو نتف بعضها بحكم العبث والهوس وذلك مكروه ومشوه للخلقة ونتف الفنيكين بدعة وهما جانبا العنفقة . شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان ينتف فنيكيه فرد شهادته وردعمر بن الخطاب رضى الله عنه وابن أبى ليلى قاضى المدينة شهادة من كان ينتف لحيته وأما نتفها فى أول النبات تشبها بالمرد فمن المنكرات الكبار فإن اللحية زينة الرجال فإن لله سبحانه ملائكة يقسمون والذى زين بنى آدم باللحى وهو من تمام الخلق وبها يتميز الرجال عن النساء وقيل فى غريب التأويل اللحية هى المراد بقوله تعالى ﴿ يزيد فى الخلق ما يشاء ﴾ قال أصحاب الأحنف بن قيس وددنا أن نشترى للأحنف لحية ولو بعشرين ألفا وقال شريح القاضى وددت أن لى لحية ولو بعشرة آلاف وكيف تكره اللحية وفيها تعظيم الرجل والنظر إليه بعين العلم والوقار والرفع فى المجالس وإقبال الوجوه إليه والتقديم على الجماعة ووقاية العرض ؟ فإن من يشتم يعرض باللحية إن كان للمشتوم لحية وقد قيل إن أهل الجنة مرد إلا هرون أخا موسى صلى الله عليهما وسلم فإن له لحية إلى سرته تخصيصاً له وتفضيلا (السادس) تقصيصها كالتعبية طاقة على طاقة

---

(١) حديث « قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له ياأبا حمزة وقد أسن فقال لم يشبه الله بالشيب » متفق عليه من حديث أنس دون قوله « فقيل ...الخ » ولمسلم من حديثه « وسئل عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماشابه الله ببيضاء (٢) حديث يحيى بن أكثم « ولى القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة فقيل له كم سن القاضى فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة مكة وقضاءها يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ ابن جبل حين وجه به رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل اليمن » اخرجه الخطيب فى التاريخ بإسناد فيه نظر وما ذكره ابن أكثم صحيح بالنسبة إلى عتاب بن أسيد فإنه كان حين الولاية ابن عشرين ، وأما بالنسبة إلى معاذ فما يتم له ذلك على قول يحيى ابن سعيد الأنصارى ومالك وابن أبى حاتم إنه كان حين مات ابن ثمان وعشرين سنة والمرجح أنه مات ابن ثلاث وثلاثين سنة فى الطاعون سنة ثمانية عشر والله أعلم (٣) حديث « نهى عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه النسائى وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده

للتزين للنساء والتصنع قال كعب : يكون فى آخر الزمان أقوام يقصون لحاهم كذنب الحمامة ويعرقبون نعالهم كالمناجل أولئك لا خلاق لهم (السابع) الزيادة فيها وهو أن يزيد فى شعر العارضين من الصدغين وهو من شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللحى وينتهى إلى نصف الخد وذلك يباين هيئة أهل الصلاح . (الثامن) تسريحها لأجل الناس قال بشر : فى اللحية شركان : تسريحها لأجل الناس وتركها متفتلة لإظهار الزهد . (التاسع والعاشر) النظر فى سوادها أو فى بياضها بعين العجب وذلك مذموم فى جميع أجزاء البدن بل فى جميع الأخلاق والأفعال على ماسيأتى بيانه فهذا ما أردنا أن نذكره من أنواع التزين والنظافة وقد حصل من ثلاثة أحاديث من سنن الجسد اثنتا عشرة خصلة خمس منها فى الرأس وهى فرق شعر الرأس[1] والمضمضة والاستنشاق[2] وقص الشارب والسواك وثلاثة فى اليد والرجل وهى القلم وغسل البراجم وتنظيف الرواجب[3] وأربعة فى الجسد وهى نتف الإبط والاستحداد والختان والاستنجاء بالماء فقد وردت الأخبار بمجموع ذلك وإذا كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر على هذا وليتحقق أنّ فضلات الباطن وأوساخه التى يجب التنظيف منها أكثر من أن تحصى وسيأتى تفصيلها فى ربع المهلكات مع تعريف الطرق فى إزالتها وتطهير القلب منها إن شاء الله عز وجل .

تم كتاب أسرار الطهارة بحمد الله تعالى وعونه . ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الصلاة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

كتاب أسرار الصلاة ومهماتها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى غمر العباد بلطائفه ، وعمر قلوبهم بأنوار الدين ووظائفه التى تنزل عن عرش الجلال إلى السماء الدنيا من درجات الرحمة إحدى عواطفه فارق الملوك مع التفرد بالجلال والكبرياء بترغيب الخلق فى السؤال والدعاء فقال : هل من داع فأستجيب له وهل من مستغفر فأغفر له ؟ وباين السلاطين بفتح الباب ، ورفع الحجاب فرخص للعباد فى المناجاة بالصلوات كيفما تقلبت بهم الحالات فى الجماعات والخلوات ولم يقتصر على الرخصة بل تلطف بالترغيب والدعوة وغيره من ضعفاء الملوك لايسمح بالخلوة إلا بعد تقديم الهدية والرشوة فسبحانه ماأعظم شأنه وأقوى سلطانه ، وأتم لطفه ، وأعم إحسانه ؛ والصلاة على محمد نبيه المصطفى ووليه المجتبى وعلى آله وأصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليما أما بعد : فإنّ الصلاة عماد الدين ، وعصام اليقين ، ورأس القربات ، وغرّة الطاعات ؛ وقد استقصينا فى فن الفقه ـ فى بسيط المذهب ووسيطه ووجيزه ـ أصولها وفروعها ، صارفين جمام العناية إلى تفاريعها النادرة . ووقائعها الشاذة لتكون خزانة للمفتى منها يستمدّ ومعوّلا له إليها يفزع ويرجع . ونحن الآن

(١) حديث « فرق شعر الرأس .. الخ » من حديث ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره إلى أن قال ثم فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه » (٢) حديث « عشر من الفطرة .. الحديث » أخرجه مسلم من حديث عائشة ولفظه « قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء ـ قال وكيع يعنى الاستنجاء ـ قال مصعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة » ضعفه النسائى ولأبى داود وابن ماجه من حديث عمار بن ياسر نحوه فذكر فيه المضمضة والاختتان والانتضاح ولم يذكر إعفاء اللحية وانتقاص الماء قال أبو داود روى نحوه عن ابن عباس . قال « خمس كلها فى الرأس » وذكر منها « الفرق » ولم يذكر « إعفاء اللحية » وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة « الفطرة خمس : الختان .. الحديث » (٣) حديث « تنظيف الرواجب » تقدم

فى هذا الكتاب نقتصر على مالابدّ للمريد منه من أعمالها الظاهرة وأسرارها الباطنه ، وكاشفون من دقائق معانيها الخفية فى معانى الخشوع والإخلاص والنية ما لم تجر العادة بذكره فى فن الفقه ؛ ومرتبون الكتاب على سبعة أبواب . الباب الأوّل : فى فضائل الصلاة . الباب الثانى : فى تفضيل الأعمال الظاهرة من الصلاة . الباب الثالث : فى تفضيل الأعمال الباطنة منها . الباب الرابع : فى الإمامة والقدوة . الباب الخامس : فى صلاة الجمعة وأدابها . الباب السادس : فى مسائل متفرقة تعم بها البلوى يحتاج المريد إلى معرفتها . الباب السابع : فى التطوعات وغيرها .

الباب الأول : فى فضائل الصلاة السجود والجماعة والأذان وغيرها

فضيلة الأذان

قال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود لا يهولهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس : رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل وأم بقوم وهم به راضون ؛ ورجل أذن فى مسجد ودعا إلى الله عز وجل ابتغاء وجه الله ؛ ورجل ابتلى بالرزق فى الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يسمع نداء المؤذن جن ولا إنس ولا شىء إلا شهد له يوم القيامة [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه [3] » وقيل فى تفسير قوله عز وجل ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا ﴾ نزلت فى المؤذنين ، وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سمعتم النداء فقولوا مثل مايقول المؤذن [4] » وذلك مستحب إلا فى الحيعلتين فإنه يقول فيهما : لاحول ولاقوة إلا بالله ؛ وفى قوله قد قامت الصلاة أقامها الله وأدامها ما دامت السموات والأرض وفى التثويب صدقت وبررت ونصحت ؛ وعند الفراغ يقول : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته إنك لا تخلف الميعاد وقال سعيد بن المسيب من صلى بأرض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فإن أذن وأقام صلى وراءه أمثال الجبال من الملائكة .

فضيلة المكتوبة

قال الله تعالى ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئاً استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقى من درنه قالوا لاشىء قال صلى الله عليه

باب أسرار الصلاة

(١) حديث « ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك . . الحديث » أخرجه الترمذى وحسنه من حديث ابن عمر مختصرا وهو فى الصغير للطبرانى بنحو مما ذكره المؤلف (٢) حديث « لايسمع صوت المؤذن » جن ولا إنس ولا شىء إلا شهد له يوم القيامة أخرجه البخارى من حديث أبى سعيد

(٣) حديث « يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه » أخرجه الطبرانى فى الأوسط والحسن بن سعيد فى مسنده من حديث أنس باسناد ضعيف (٤) حديث « إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن » متفق عليه من حديث أبى سعيد

(٥) حديث « خمس صلوات كتبهن الله على العباد . . . الحديث » أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان من حديث عبادة بن الصامت وصححه ابن عبد البر

وسلم فإن الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن[١] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر[٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما[٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « من لقى الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسناته[٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « الصلاة عماد الدين فمن تركها فقدم هدم الدين[٥] » وسئل صلى الله عليه وسلم « أى الأعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها[٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « من حافظ على الخمس بإكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان[٧] » وقال صلى الله عليه وسلم « مفتاح الجنة الصلاة[٨] » وقال « ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة ولو كان شيء أحب إليه منها لتعبد به ملائكته فمنهم راكع ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد[٩] » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من ترك صلاة متعمدا فقد كفر[١٠] » أى قارب أن ينخلع عن الإيمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة إنه بلغها ودخلها . وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك صلاة معتمدا فقد برئ من ذمة محمد عليه السلام[١١] » وقال أبو هريرة رضى الله عنه : من توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج عامدا إلى الصلاة فإنه فى صلاة ما كان يعمد إلى الصلاة وأنه يكتب له بإحدى خطوتيه حسنة وتمحى عنه بالأخرى سيئة فإذا سمع أحدكم الإقامة فلا ينبغى له أن يتأخر فإنّ أعظمكم أجرا أبعدكم دارا ، قالوا لم يا أبا هريرة؟ قال : من أجل كثرة الخطا . ويروى « إن أوّل ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة[١٢] فإن وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وإن وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب[١٣] » وقال بعض العلماء : مثل المصلى مثل التاجر الذى لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال ، وكذلك المصلى لا تقبل له نافلة حتى يؤدى الفريضة . وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول: إذا حضرت الصلاة قوموا إلى ناركم التى أوقدتموها فأطفئوها .

فضيلة إتمام الأركان

قال صلى الله عليه وسلم « مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى[١٤] » وقال يزيد الرقاشى « كانت

---

(١) حديث « مثل خمس صلوات كمثل نهر .. الحديث » أخرجه مسلم من حديث جابر ولها نحوه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث « الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة (٣) حديث « بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح » أخرجه مالك من رواية سعيد بن المسيب مرسلا (٤) حديث « من لقى الله مضيعا الصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسناته » وفى معناه حديث « أول ما يحاسب به العبد الصلاة » وفيه « فإن فسدت فسد سائر عمله » رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس (٤) حديث « الصلاة عماد الدين » رواه البيهقى فى الشعب بسند ضعيف من حديث عمر قال الحاكم : عكرمة لم يسمع من عمر قال ورواه ابن عمر لم يقف عليه ابن الصلاح فقال فى مشكل الوسيط لأنه غير معروف (٦) حديث « سئل أى الأعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها » متفق عليه من حديث ابن مسعود (٧) حديث « من حافظ على الخمس بإكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا .. الحديث » أخرجه احمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمرو (٨) حديث « مفاتيح الجنة الصلاة » رواه أبو داود الطيالسى من حديث جابر وهو عند الترمذى ولكن ليس داخلا فى الرواية (٩) حديث « ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد شيئا أحب اليه من الصلاة .. الحديث » لم أجده هكذا وآخر الحديث عند الطبرانى من حديث جابر وعند الحاكم من حديث ابن عمر (١٠) حديث « من ترك صلاة متعمدا فقد كفر » أخرجه البزار من حديث ابى الدرداء بإسناد فيه مقال . (١١) حديث « من ترك صلاة متعمدا فقد تبرأ من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم » أخرجه احمد والبيهقى من حديث أم أيمن بنحوه ورجاله ثقات (١٢) حديث « أول ما يحاسب الله فيه يوم القيامة من عمل العبد الصلاة .. الحديث » رويناه فى الطيوريات من حديث أبى سعيد بإسناد ضعيف ولأصحاب السنن الحاكم وصححه إسناده نحوه من حديث أبى هريرة وسيأتى (١٣) حديث « يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك الرزق من حيث لا تحتسب » لم أقف له على اصل (١٤) حديث « مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من اوفى استوفى » أخرجه ابن المبارك فى الزهد من حديث الحسن مرسلا وأسنده البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بإسناد فيه جهالة

صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة [١] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ الرجلين من أمتى ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وإنّ مابين صلاتيهما مابين السماء والأرض [٢] » وأشار إلى الخشوع وقال صلى الله عليه وسلم « لاينظر الله يوم القيامة إلى العبد لايقيم صلبه بين ركوعه وسجوده [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « أما يخاف الذى يحوّل وجهه فى الصلاة أن يحوّل الله وجهه وجه حمار [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى صلاة لوقتها وأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهى بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتنى ومن صلى لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولاخشوعها عرجت وهى سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتنى حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته [٦] » وقال ابن مسعود رضى الله عنه وسلمان رضى الله عنه : الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى ، ومن طفف فقد علم ماقال الله فى المطففين .

فضيلة الجماعة

قال صلى الله عليه وسلم « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة [٧] » وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم فقد ناسا فى بعض الصلوات فقال « لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأحرق عليهم بيوتهم [٨] » وفى رواية أخرى « ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فآمر بهم فتحرّق عليهم بيوتهم بحزم الحطب ولو علم أحدهم أنه يجد عظما سمينا أو مرماتين لشهدها » يعنى صلاة العشاء . وقال عثمان رضى الله عنه مرفوعا « من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة [٩] » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى صلاة فى جماعة فقد ملأ نحره عبادة [١٠] » وقال سعيد بن المسيب : ما أذن مؤذن منذ عشرين سنة إلا وأنا فى المسجد . وقال محمد بن واسع : ما أشتهى من الدنيا إلا ثلاثة : أخا إنه إن تعوجت قومى وقوتا من الرزق عفوا من غير تبعة وصلاة فى جماعة يرفع عنى سهوها ويكتب لى فضلها . وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أم قوما مرة فلما انصرف قال : مازال الشيطان بى آنفا حتى أريت أنّ لى فضلا عن غيرى لا أؤم أبدا . وقال الحسن : لاتصلوا خلف رجل لايختلف إلى العلماء . وقال النخعى : مثل الذى يؤم الناس بغير علم مثل الذى يكيل الماء فى البحر لا يدرى

---

(١) حديث يزيد الرقاشى « كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة » رواه ابن المبارك فى الزهد ومن طريقه أبو الوليد الصفار فى كتاب الصلاة وهو مرسل ضعيف (٢) حديث « إن الرجلين من أمتى ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد . الحديث » أخرجه ابن المحبر فى العقل من حديث أبى أيوب الانصارى بنحوه وهو موضوع ورواه الحارث ابن أبى أسامة فى مسنده عن ابن المحبر (٣) حديث « لاينظر الله الى عبد لايقيم صلبه بين ركوعه وسجوده » أخرجه أحمد من حديث أبى هريرة باسناد صحيح (٤) حديث « أما يخاف الذى يحول وجهه فى الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار » أخرجه ابن عدى فى غوالى مشايخ مصر من حديث جابر « مايؤمنه إذا التفت فى صلاته ان يحول الله عز وجل وجهه وجه كلب او وجه خنزير » قال منكر بهذا الإسناد . وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة « أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الامام أن يجعل الله وجهه وجه حمار »

(٥) حديث « من صلى الصلاة لوقتها فأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهى بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتنى . . الحديث » اخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف والطيالسى والبيهقى فى الشعب من حديث عبادة ابن الصامت بسند ضعيف نحوه (٧) حديث « أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته » اخرجه احمد والحاكم وصحح إسناده من حديث ابى قتادة (٢) حديث « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » متفق عليه من حديث ابن عمر

(٨) حديث أبى هريرة « لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم أخالف الى رجال يتخلفون .. الحديث » متفق عليه

(٩) حديث عثمان « من شهد صلاة العشاء فكأنما قام نصف ليلة ... الحديث » اخرجه مسلم من حديثه مرفوعا قال الترمذى وروى عن عثمان موقوفا (١٠) حديث « من صلى صلاة فى جماعة فقد ملأ نحره عبادة » لم اجده مرفوعا وإنما هو من قول سعيد بن المسيب رواه محمد بن نصر فى كتاب الصلاة

زيادته من نقصانه ؟ وقال حاتم الأصم : فاتتنى الصلاة فى الجماعة فعزانى أبو إسحق البخارى وحده ، ولو مات لى ولد لعزانى أكثر من عشر آلاف لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا . وقال ابن عباس رضى الله عنهما من سمع المنادى فلم يجب لم يرد خيرا لم يرد به خير . وقال أبو هريرة رضى الله عنه : لأن تملأ أذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من أن يسمع النداء ثم لايجيب . وروى أن ميمون بن مهران أتى المسجد فقيل له : إن الناس قد انصرفوا فقال ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ لفضل هذه الصلاة أحب إلى من ولاية العراق . وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى أربعين يوما الصلوات فى جماعة لاتفوته فيها تكبيرة الإحرام كتب الله له براءتين : براءة من النفاق وبراءة من النار[1] » ويقال إنه إذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدرى فتقول لهم الملائكة : ما كانت أعمالكم ؟ فيقولون : كنا إذا سمعنا الأذان قمنا إلى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم تحشر طائفة وجوههم كالأقمار فيقولون بعد السؤال : كنا نتوضأ قبل الوقت ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون : كنا نسمع الأذان فى المسجد . وروى أن السلف كانوا يعزون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى ويعزون سبعا إذا فاتتهم الجماعة .

فضيلة السجود

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما تقرب العبد إلى الله بشىء أفضل من سجود خفى[2] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة[3] » وروى « أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ادع الله أن يجعلنى من أهل شفاعتك وأن يرزقنى مرافقتك فى الجنة فقال صلى الله عليه وسلم . أعنى بكثرة السجود[4] » وقيل « إن أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجدا[5] » وهو معنى قوله عز وجل ﴿ واسجد واقترب ﴾ وقال عز وجل ﴿ سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ﴾ فقيل هو مايلتصق بوجوههم من الأرض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فإنه يشرق من الباطن على الظاهر ، وهو الأصح وقيل هى الغرر التى تكون فى وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى ويقول يا ويلاه أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فعصيت فلى النار[6] » ويروى عن على بن عبد الله بن عباس أنه كان يسجد فى كل يوم ألف سجدة وكانوا يسمونه السجاد . ويروى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان لا يسجد إلا على التراب . وكان يوسف بن أسباط يقول : يامعشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض فما بقى أحد أحسده إلا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بينى وبين ذلك . وقال سعيد بن جبير : ما آسى على شىء من الدنيا إلا على السجود . وقال عقبة بن مسلم : ما من خصلة فى العبد أحب إلى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله عز وجل وما من ساعة العبد فيها أقرب إلى الله عز وجل

---

(١) حديث من صلى أربعين يوما الصلوات فى جماعة لاتفوته تكبيرة الإحرام ... الحديث أخرجه الترمذى من حديث أنس باسناد رجاله ثقات (٢) حديث « تقرب العبد الى الله بشىء أفضل من سجود خفى » رواه ابن المبارك فى الزهد من حديث ضمرة بن حبيب مرسلا (٣) حديث « ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه خطيئة » أخرجه ابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت بإسناد صحيح ولمسلم نحوه من حديث ثوبان وأبى الدرداء (٤) حديث « إن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أدع الله أن يجعلنى من أهل شفاعتك ويرزقنى مرافقتك فى الجنة . . الحديث » أخرجه مسلم من حديث ربيعة بن كعب الأسلمى نحوه وهو الذى سأله ذلك (٥) حديث « إن أقرب ما يكون العبد الى الله أن يكون ساجدا » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة (٦) حديث « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى .. الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة

منه حيث يخرّ ساجدا . وقال أبو هريرة رضى الله عنه : أقرب ما يكون للعبد إلى الله عز وجل إذا سجد فأكثروا الدعاء عند ذلك .

فضيلة الخشوع

قال الله تعالى ﴿ وأقم الصلاة لذكرى ﴾ وقال تعالى ﴿ ولا تكن من الغافلين ﴾ وقال عز وجل ﴿ لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ قيل سكارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا . وقال وهب : المراد به ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا إذ بين فيه العلة فقال ﴿ حتى تعلموا ما تقولون ﴾ وكم من مصل لم يشرب خمرا وهو لا يعلم ما يقول فى صلاته . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من صلى ركعتين لم يحدّث نفسه فيهما بشىء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه[1] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتأوه وتنادم وتضع يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهى خداج[2] » وروى عن الله سبحانه فى الكتب السالفة أنه قال « ليس كل مصل أتقبل صلاته إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتى ولم يتكبر على عبادى وأطعم الفقير الجائع لوجهى » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لإقامة ذكر الله تعالى فإذا لم يكن فى قلبك للمذكور الذى هو المقصود والمبتغى عظمة ولاهيبة فما قيمة ذكرك[3] » وقال صلى الله عليه وسلم للذى أوصاه « وإذا صليت فصل صلاة مودع[4] » أى مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سائر إلى مولاه كما قال عز وجل ﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه ﴾ وقال تعالى ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ وقال تعالى ﴿ واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا[5] » والصلاة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة ؟ وقال بكر بن عبد الله : يا ابن آدم إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فإذا أنت قد دخلت على مولاك بغير إذن فتكلمه بغير ترجمان . وعن عائشة رضى الله عنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه[6] » اشتغالا بعظمة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله إلى صلاة لايحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه[7] » وكان إبراهيم الخليل إذا قام إلى الصلاة يسمع وجيب قلبه على ميلين . وكان سعيد التنوخى إذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته

---

(١) حديث « من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشىء من الدنيا غفر له ماتقدم من ذنبه » أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف من حديث صلة بن أشيم مرسلا وهو فى الصحيحين من حديث عثمان بزيادة فى أوله دون قوله « بشىء من الدنيا » وزاد الطيالسى إلا بخير

(٢) حديث « إنما الصلاة تمسكن ودعاء وتضرع .. الحديث » أخرجه الترمذى والنسائى بنحوه من حديث الفضل بن عباس باسناد مضطرب (٣) حديث « إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لإقامة ذكر الله » أخرجه أبو داود والترمذى من حديث عائشة نحوه دون ذكر « الصلاة » قال الترمذى حسن صحيح (٤) حديث « إذا صليت فصل صلاة مودع » أخرجه ابن ماجه من حديث أبى أيوب والحاكم من حديث سعد بن أبى وقاص » وقال صحيح الإسناد والبيهقى فى الزهد من حديث ابن عمر ومن حديث نحوه (٥) حديث « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا » أخرجه على بن معبد فى كتاب الطاعة والمعصية من حديث الحسن مرسلا بإسناد صحيح ورواه الطبرانى وأسنده ابن مردويه فى تفسيره من حديث ابن عباس باسناد لين والطبرانى من قول ابن مسعود « من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر . الحديث » وإسناده صحيح

(٦) حديث عائشة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه » أخرجه الأزدى فى الضعفاء من حديث سويد بن غفلة مرسلا « كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا سمع الأذان كأنه لايعرف أحدا من الناس »

(٧) حديث « لاينظر الله إلى صلاة لايحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه لم أجده بهذا اللفظ وروى محمد بن نصر فى كتاب الصلاة من رواية عثمان بن دهرش مرسلا « لايقبل الله من عبد عملا حتى يعهد قلبه مع بدنه » ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى بن كعب وإسناده ضعيف

« ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه »[١] ويروى أن الحسن نظر إلى رجل يعبث بالحصى ويقول « اللهم زوجنى الحور العين » فقال : بئس الخاطب أنت تخطب الحور العين وأنت تعبث بالحصى . وقيل لخلف بن أيوب : ألا يؤذيك الذباب فى صلاتك فتطردها قال : لا أعود نفسى شيئا يفسد على صلاتى ، قيل له : وكيف تصبر على ذلك ؟ قال . بلغنى أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك فأنا قائم بين يدى ربى أفأتحرك لذبابة ؟ ويروى عن مسلم بن يسار أنه كان إذا أراد الصلاة قال لأهله : تحدثوا أنتم فإنى لست أسمعكم . ويروى عنه أنه كان يصلى يوما فى جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة . وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه فقيل له : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فيقول جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها . ويروى عن على بن الحسين أنه كان إذ توضأ اصفر لونه فيقول له أهله : ما هذا الذى يعتريك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم ؟ ويروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال « قال داود صلى الله عليه وسلم فى مناجاته : إلهى من يسكن بيتك وممن تتقبل الصلاة ؟ فأوحى الله إليه : يا داود إنما يسكن بيتى وأقبل الصلاة منه من تواضع لعظمتى وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات ، من أجلى يطعم الجائع ويؤوى الغريب ويرحم المصاب فذلك الذى يضىء نوره فى السموات كالشمس » إن دعانى لبيته وإن سألنى أعطيته ، أجعل له فى الجهل حلما وفى الغفلة ذكرا وفى الظلمة نورا ، وإنما مثله فى الناس كالفردوس فى أعلى الجنان لا ييبس أنهارها ولا تتغير ثمارها » ويروى عن حاتم الأصم رضى الله عنه أنه سئل عن صلاته فقال : إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذى أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحى ، ثم أقوم إلى صلاتى وأجعل الكعبة بين حاجبى والصراط تحت قدمى والجنة عن يمينى والنار عن شمالى وملك الموت ورائى أظنها آخر صلاتى « ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيرا بتحقيق وأقرأ قراءة بترتيل وأركع ركوعا بتواضع وأسجد سجودا بتخشع وأقعد على الورك الأيسر وأفرش ظهر قدمها وأنصب القدم اليمنى على الإبهام وأتبعها الإخلاص ، ثم لا أدرى أقبلت منى أم لا ؟ وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه .

فضيلة المسجد وموضع الصلاة

قال الله عز وجل ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له قصرا فى الجنة »[٢] ، وقال صلى الله عليه وسلم « من ألف المسجد ألفه الله تعالى »[٣] ، وقال صلى الله عليه وسلم « إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس »[٤] ، وقال صلى الله عليه وسلم « لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد »[٥] ، وقال صلى الله عليه وسلم « الملائكة تصلى على أحدكم ما دام

---

(١) حديث « رأى رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه » أخرجه الترمذى الحكيم فى النوادر من حديث أبى هريرة بسند ضعيف أنه من قول سعيد بن المسيب رواه ابن أبى شيبة فى المصنف وفيه رجل لم يسم

(٢) حديث « من بنى لله مسجدا ولو مثل مفحص قطاة ... الحديث » أخرجه ابن ماجه من حديث جابر بسند صحيح وابن حبان من حديث أبى ذر وهو متفق عليه من حديث عثمان دون قوله « ولو مثل مفحص القطاة »

(٣) حديث « من ألف المسجد ألفه الله تعالى » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى سعيد بسند ضعيف (٤) حديث « إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس » متفق عليه من حديث أبى قتادة (٥) حديث « لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد » أخرجه الدارقطنى من حديث جابر وأبى هريرة بإسنادين ضعيفين والحاكم من حديث أبى هريرة

فى مصلاه الذى يصلى فيه تقول : اللهم صل عليه اللهم ارحمه اللهم اغفر له ما لم يحدث أو يخرج من المسجد [١] ، وقال صلى الله عليه وسلم « يأتى فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لاتجالسوهم فليس لله بهم حاجة [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل فى بعض الكتب إن بيوتى فى أرضى المساجد وإنّ زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور أن يكرم زائره [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان [٤] » وقال سعيد بن المسيب من جلس فى المسجد فإنما يجالس ربه فما حقه أن يقول إلا خيرا . ويرى فى الأثر أو الخبر « الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهائم الحشيش [٥] » وقال النخعى : كانوا يرون أن المشى فى الليلة المظلمة إلى المسجد موجب للجنة : وقال أنس بن مالك : من أسرج فى المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام فى ذلك المسجد ضوءه . وقال على كرّم الله وجهه : إذا مات العبد يبكى عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ، ثم قرأ ﴿ فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ﴾ وقال ابن عباس : تبكى عليه الأرض أربعين صباحا . وقال عطاء الخراسانى : ما من عبد يسجد لله سجدة فى بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت . وقال أنس بن مالك : ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر إلا افتخرت على ماحولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل إلى منتهاها من سبع أرضين وما من عبد يقوم يصلى إلا تزخرفت له الأرض . ويقال : ما من منزل ينزل فيه قوم إلا أصبح ذلك المنزل يصلى عليهم أو يلعنهم .

الباب الثانى : فى كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وما قبله

ينبغى للمصلى إذا فرغ من الوضوء والطهارة من الخبث فى البدن والمكان والثياب وستر العورة من السرة إلى الركبة أن ينتصب قائما متوجها إلى القبلة ويزاوج بين قدميه ولا يضمهما فإنّ ذلك مما كان يستدل به على فقه الرجل وقد « نهى صلى الله عليه وسلم عن الصفن والصفد فى الصلاة [٦] » والصفد هو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى ﴿ مقرنين فى الأصفاد ﴾ والصفن هو رفع إحدى الرجلين ومنه قوله عز وجل ﴿ الصافنات الجياد ﴾ هذا ما يراعيه فى رجليه عند القيام ويراعى فى ركبتيه ومعقد نطاقه الانتصاب ، وأما رأسه إن شاء تركه على استواء القيام وإن شاء أطرق والإطراق أقرب للخشوع وأغض للبصر وليكن بصره محصورا على مصلاه الذى يصلى عليه ، فإن لم يكن له

---

(١) حديث « الملائكة تصلى على أحدكم مادام فى مصلاه ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث « يأتى فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا .. الحديث » أخرجه ابن حبان من حديث ابن مسعود والحاكم من حديث أنس وقال صحيح الاسناد (٣) حديث « قال الله تعالى : إن بيوتى فى أرضى المساجد وإن زوارى فيها عمارها . الحديث » أخرجه أبو نعيم من حديث أبى سعيد بسند ضعيف « يقول الله عز وجل يوم القيامة ابن جيرانى فتقول الملائكة من هذا الذى ينبغى له أن يجاورك فيقول أين قراء القرآن وعمار المساجد » وهو فى الشعب نحوه موقوفا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باسناد صحيح ، واسند ابن حبان فى الضعفاء آخر الحديث من حديث سلمان وضعفه (٤) حديث إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث ابى سعيد

(٥) حديث « الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش » لم اقف له على اصل

الباب الثانى

(٦) حديث « النهى عن الصفن والصفد فى الصلاة » عزاه رزين الى الترمذى ولم اجده عنده ولا عند غيره وانما ذكره اصحاب الغريب كابن الأثير فى النهاية . وروى سعيد بن منصور ان ابن مسعود راى رجلا صافا قدميه فقال : اخطأ هذا السنة

مصلى وليضرب من جدار الحائط أو ليخط خطا ، فإن ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر وليحجر على بصره أن يجاوز أطراف المصلى وحدود الخط ؟ وليدم على هذا القيام كذلك إلى الركوع من غير التفات . هذا أدب القيام فإذا استوى قيامه واستقباله وإطراقه كذلك فليقرأ ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ تحصنا به من الشيطان ، ثم ليأت بالإقامة وإن كان يرجو حضور من يقتدى به فليؤذن أولا ثم ليحضر النية وهو أن ينوى فى الظهر مثلا ويقول بقلبه : أؤدى فريضة الظهر لله ، ليميزها بقوله أؤدى عن القضاء وبالفريضة عن النفل ، وبالظهر عن العصر وغيره ، ولتكن معانى هذه الألفاظ حاضرة فى قلبه فإنه هو النية ، والألفاظ مذكرات وأسباب لحضورها ، ويجتهد أن يستديم ذلك إلى آخر التكبير حتى لا يعزب فإذا حضر فى قلبه ذلك فليرفع يديه إلى حذو منكبيه بعد إرسالها بحيث يحاذى بكفيه منكبيه وبإبهامية شحمتى أذنيه وبرءوس أصابعه رءوس أذنيه [1] ليكون جامعا بين الأخبار الواردة فيه ، ويكون مقبلا بكفيه وإبهاميه إلى القبلة ويبسط الأصابع ولا يقبضها ، ولا يتكلف فيها تفريجا ولا ضما بل يتركها على مقتضى طبعها ، إذ نقل فى الأثر النشر والضم [2] وهذا بينهما فهو أولى ، وإذا استقرت اليدان فى مقرهما ابتدأ التكبير مع إرسالها وإحضار النية ، ثم يضع اليدين على ما فوق السرة وتحت الصدر ويضع اليمنى على اليسرى إكراما لليمنى بأن تكون محمولة ، وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض بالإبهام والخنصر والبنصر على كوع اليسرى ، وقد روى أن التكبير مع رفع اليدين [3] ومع استقرارهما [4] ومع الإرسال [5] فكل ذلك لا حرج فيه وأراه بالإرسال أليق فإنه كلمة العقد ، ووضع إحدى اليدين على الأخرى فى صورة العقد ومبدؤه الإرسال وآخره الوضع . ومبدأ التكبير الألف وآخره الراء فيليق مراعاة التطابق بين الفعل والعقد ، وأما رفع اليد فكالمقدمة لهذه البداية . ثم لا ينبغى أن يرفع يديه إلى قدام رفعا عند التكبير ولا يردهما إلى خلف منكبيه ولا ينفضهما عن يمين وشمال نفضا اذا فرغ من التكبير ويرسلهما إرسالا خفيفا رفيقا ويستأنف وضع اليمين على الشمال بعد الإرسال ، وفى بعض الروايات أنه صلى الله عليه وسلم « كان إذا كبر أرسل يديه وإذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى [6] » فإن صح هذا فهو أولى مما ذكرناه . وأما التكبير فينبغى أن يضم الهاء من قوله « الله » ضمة خفيفة من غير مبالغة ولا يدخل بين الهاء والألف شبه الواو ، وذلك ينساق إليه بالمبالغة : ولا يدخل بين باء أكبر ورائه ألفا ، كأنه يقول « أكبار » ويجزم راء التكبير ولا يضمها فهذه هيئة التكبير وما معه

القـــراءة

ثم يبتدى بدعاء الاستفتاح وحسن أن يقول عقب قوله الله أكبر « الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيرا وسبحان

---

(١) حديث « رفع اليدين إلى حذو المنكبين » وورد « إلى شحمة أذنيه » وورد « إلى رءوس أذنيه » متفق عليه من حديث ابن عمر باللفظ الأول وأبو داود من حديث وائل بن حجر بإسناد ضعيف « إلى شحمة أذنيه » ولمسلم من حديث مالك بن الحويرث « فروع أذنيه » (٢) حديث « نشر الأصابع عند الافتتاح » وقيل « ضمها » وقال عطاء وابن خزيمة من حديث أبي هريرة والبيهقى « ولم يفرج بين أصابعه ولم يضمها » ولم أجد التصريح بضم الأصابع (٣) حديث التكبير مع رفع اليدين أخرجه البخارى من حديث ابن عمر « كان يرفع يديه حين يكبر » ولأبي داود من حديث وائل « يرفع يديه مع التكبير » (٤) حديث التكبير مع استقرار اليدين أى مرفوعتين أخرجه مسلم من حديث ابن عمر « كان إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه ثم كبر » زاد أبو داود « وهما كذلك » (٥) حديث « التكبير مع إرسال اليدين » أخرجه أبو داود من حديث أبى حميد « كان إذا قام إلى الصلاة يرفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه ثم كبر حتى يقر كل عظم فى موضعه معتدلا » قال ابن الصلاح فى المشكل فكلمة « حتى » التى هى للغاية تدل بالمعنى على ما ذكره أى من ابتداء التكبير مع الإرسال (٦) « كان إذا كبر أرسل يديه وإذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى » أخرجه الطبرانى من حديث معاذ بإسناد ضعيف

الله بكرة وأصيلا [١] وجهت وجهى - إلى قوله - وأنا من المسلمين [٢] » ثم يقول « سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا إله غيرك [٣] » ليكون جامعا بين متفرقات ما ورد فى الأخبار . وإن كان خلف الإمام اختصر إن لم يكن للإمام سكتة طويلة يقرأ فيها ثم يقول « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » ثم يقرأ الفاتحة يبتدئ فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم » بتمام تشديداتها وحروفها ويجتهد فى الفرق بين الضاد والظاء ويقول « آمين » فى آخر الفاتحة ويمدها مدا ، ولا يصل « آمين » بقوله « ولا الضالين » وصلا . ويجهر بالقراءة فى الصبح والمغرب والعشاء إلا أن يكون مأموما ، ويجهر بالتأمين . ثم يقرأ السورة أوقدر ثلاث آيات من القرآن فما فوقها ، ولا يصل آخر السورة بتكبير الهوى بأن يفصل بينهما بقدر قوله « سبحان الله » ويقرأ فى الصبح من السور الطوال من المفصل وفى المغرب من قصاره ، وفى الظهر والعصر والعشاء نحو ﴿ والسماء ذات البروج ﴾ وما قاربها . وفى الصبح فى السفر ﴿ قل ياأيها الكافرون وقل هو الله أحد ﴾ وكذلك فى ركعتى الفجر والطواف والتحية وهو فى جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما وصفنا فى أول الصلاة .

الركوع ولواحقه

ثم يركع ويراعى فيه أمورا وهو أن يكبر للركوع وأن يرفع يديه مع تكبيرة الركوع وأن يمد التكبير مدا إلى الانتهاء إلى الركوع وأن يضع راحتيه على ركبتيه فى الركوع وأصابعه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق وأن ينصب ركبتيه ولا يثنيهما وأن يمد ظهره مستويا وأن يكون عنقه ورأسه مستويين مع ظهره كالصفيحة الواحدة لايكون رأسه أخفض ولا أرفع وأن يجافى مرفقيه عن جنبيه وتضم المرأة مرفقيها إلى جنبيها . وأن يقول « سبحان ربى العظيم » ثلاثا والزيادة إلى السبعه وإلى العشرة حسن ، إن لم يكن إماما ، ثم يرتفع من الركوع إلى القيام ويرفع يديه ويقول « سمع الله لمن حمده » ويطمئن فى الاعتدال ويقول « ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شىء بعد » ولا يطول هذا القيام إلا فى صلاة التسبيح والكسوف والصبح . ويقنت فى الصبح فى الركعة الثانية بالكلمات المأثورة قبل السجود [٤] .

السجود

ثم يهوى إلى السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الأرض ويضع جبهته وأنفه وكفيه مكشوفة ويكبر عند الهوى ولا يرفع يديه فى غير الركوع ، وينبغى أن يكون أول مايقع منه على الأرض ركبتاه وأن يضع بعدهما يديه ثم يضع بعدهما وجهه وأن يضع جبهته وأنفه على الأرض وأن يجافى مرفقيه عن جنبيه : ولاتفعل المرأة ذلك . وأن يفرج بين رجليه . ولاتفعل المرأة ذلك . وأن يكون فى سجوده مخويا على الأرض . ولا تكون المرأة مخوية .

---

(١) حديث « أنه يقول بعد قوله الله أكبر : الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا » أخرجه مسلم من حديث ابن عمر قال « بينا نحن نصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال رجل من القوم الله أكبر كبيرا .. الحديث » أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث جبير بن مطعم « أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة قال : الله أكبر كبيراً ... الحديث » (٢) حديث « دعاء الاستفتاح وجهت وجهى ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث على

(٣) حديث « سبحانك اللهم وبحمدك .. الحديث » فى الاستفتاح أيضا أخرجه أبو داود والترمذى والحاكم وصححه من حديث عائشة وضعفه الترمذى والدارقطنى ورواه مسلم موقوفا على عمر وعند البيهقى من حديث جابر الجمع بين « وجهت » وبين « سبحانك اللهم »

(٤) حديث « القنوت فى الصبح بالكلمات المأثورة » أخرجه البيهقى من حديث ابن عباس « كان النبى صلى الله عليه وسلم يقنت فى صلاة الصبح وفى وتر الليل بهؤلاء الكلمات : اللهم اهدنى فيمن هديت . . . الحديث » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه والنسائى من حديث الحسن « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعلمه هؤلاء الكلمات يقولهن فى الوتر » وإسناده صحيح

والتخوية : رفع البطن عن الفخذين والتفريج بين الركبتين . وأن يضع يديه على الأرض حذاء منكبيه ولا يفرج بين أصابعهما بل يضمهما ويضم الإبهام إليهما ، وإن لم يضم الإبهام فلا بأس ، ولا يفترش ذراعيه على الأرض كما يفترش الكلب [1] فإنه منهى عنه . وأن يقول « سبحان ربى الأعلى » ثلاثا فان زاد فحسن إلا أن يكون إماما . ثم يرفع من السجود فيطمئن جالسا معتدلا فيرفع رأسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذيه والأصابع منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها . ويقول « رب اغفر لى وارحمنى وارزقنى وأهدنى واجبرنى وعافنى واعف عنى » ولا يطول هذه الجلسة إلا فى سجود التسبيح . ويأتى بالسجدة الثانية كذلك ويستوى منها جالسا جلسة خفيفة للاستراحة فى كل ركعة لا تشهد عقيبها . ثم يقوم فيضع اليد على الأرض ولا يقدم إحدى رجليه فى حال الارتفاع ويمد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه من القعود إلى وسط ارتفاعه إلى القيام . بحيث تكون الهاء من قوله « الله » عند استوائه جالسا ؛ وكاف «أكبر» عند اعتماده على اليد للقيام ، وراء «أكبر» فى وسط ارتفاعه إلى القيام ويبتدئ فى وسط ارتفاعه إلى القيام حتى يقع التكبير فى وسط انتقاله ولا يخلو عنه إلا طرفاه وهو أقرب إلى التعميم . ويصلى الركعة الثانية كالأولى ويعيد التعوذ كالابتداء .

التشهـــد

ثم يتشهد فى الركعة الثانية التشهد الأول . ثم يصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ويقبض أصابعه اليمنى إلا المسبحة ، ولا بأس بارسال الإبهام أيضا ، ويشير بمسبحة يمناه وحدها عند قوله «إلا الله» لا عند قوله « لا إله » ويجلس فى هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدتين . وفى التشهد الأخير يستكمل الدعاء المأثور [2] بعد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وسننه كسنن التشهد الأول لكن يجلس فى الأخير على وركه الأيسر ، لأنه ليس مستوفزا للقيام بل هو مستقر ، ويضجع رجله اليسرى خارجة من تحته وينصب اليمنى ويضع رأس الإبهام إلى جهة القبلة إن لم يشق عليه . ثم يقول « السلام عليكم ورحمة الله » ويلتفت يمينا بحيث يرى خده الأيمن من وراءه من الجانب اليمين ويلتفت شمالا كذلك . ويسلم تسليمة ثانية وينوى الخروج من الصلاة بالسلام وينوى بالسلام من على يمينه الملائكة والمسلمين فى الأولى ، وينوى مثل ذلك فى الثانية . ويجزم التسليم [3] ولا يمده مدا فهو السنة . وهذه هيئة صلاة المنفرد ، ويرفع صوته بالتكبيرات ولا يرفع صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه . وينوى الإمام الإمامة لينال الفضل فان لم ينو صحت صلاة القوم إذا نووا الاقتداء ونالوا فضل الجماعة ، ويسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ، ويجهر بالفاتحة والسورة فى جميع الصبح وأولى العشاء والمغرب . وكذلك المنفرد . ويجهر بقوله « آمين » فى الصلاة الجهرية وكذلك المأموم . ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الإمام معا لا تعقيبا . ويسكت الإمام سكتة عقيب الفاتحة ليثوب إليه نفسه ويقرأ المأموم الفاتحة فى الجهرية فى هذه السكتة ليتمكن من الاستماع عند قراءة الإمام . ولا يقرأ المأموم السور فى الجهرية إلا إذا لم يسمع صوت الإمام . ويقول الإمام «سمع الله لمن حمده» عند رفع رأسه من الركوع وكذا المأموم . ولا يزيد الإمام على الثلاث فى تسبيحات الركوع والسجود ، ولا يزيد

---

(١) حديث « النهى عن أن يفترش ذراعيه على الأرض كما يفترش الكلب » متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث «الدعاء المأثور بعد التشهد » أخرجه مسلم من حديث على فى دعاء الاستفتاح قال « ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم : اللهم اغفر لى ما قدمت .. الحديث » وفى الصحيحين من حديث عائشة «إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع : من عذاب جهنم . . الحديث » وفى وفى الباب غير ذلك جميعها فى الأصل (٣) حديث « حرم السلام سنة » أخرجه أبو داود والترمذى من حديث أبى هريرة وقال حسن صحيح وضعفه ابن القطان .

فى التشهد الأول بعد قوله « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد » ويقتصر فى الركعتين الأخيرتين على الفاتحة ولا يطول على القوم ولا يزيد على دعائه فى التشهد الأخير على قدر التشهد والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وينوى عند السلام : السلام على القوم والملائكة . وينوى القوم بتسليمهم جوابه ويثبت الإمام ساعة حتى يفرغ الناس من السلام ويقبل على الناس بوجهه . والأولى أن يثبت إن كان خلف الرجال نساء لينصرفن قبله ، ولا يقوم واحد من القوم حتى يقوم . وينصرف الإمام حيث يشاء عن يمينه وشماله واليمين أحب إلى . ولا يخص الإمام نفسه بالدعاء فى قنوت الصبح بل يقول « اللهم اهدنا » ويجهر به ويؤمن القوم ويرفعون أيديهم حذاء الصدور ، ويمسح لوجه عند ختم الدعاء . لحديث نقل فيه ، وإلا فالقياس أن لا يرفع اليد كما فى آخر التشهد .

المنهيـــات

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصفن فى الصلاة والصفد وقد ذكرناهما وعن الإقعاء[1] وعن السدل[2] والكفت[3] وعن الاختصار[4] وعن الصلب[5] وعن المواصلة[6] وعن صلاة الحاقن[7] والحاقب[8] والحازق[9] وعن صلاة الجائع والغضبان والمتلثم[10] وهو ستر الوجه . أما الإقعاء : فهو عند أهل اللغة أن يجلس على وركيه وينصب ركبتيه ويجعل يديه على الأرض كالكلب . وعند أهل الحديث أن يجلس على ساقيه جاثيا وليس على الأرض منه إلا رءوس أصابع الرجلين والركبتين . وأما السدل : فمذهب أهل الحديث فيه أن يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك . وكان هذا فعل اليهود فى صلاتهم فنهوا عن التشبه بهم . والقميص فى معناه فلا ينبغى أن يركع ويسجد ويداه فى بدن القميص . وقيل معناه أن يضع وسط الإزار على رأسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير أن يجعلهما على كتفيه . والأول أقرب . وأما الكف فهو أن يرفع ثيابه من بين يديه أو من خلفه إذا أراد السجود . وقد يكون الكف فى شعر الرأس فلا يصلين وهو عاقص شعره والنهى للرجال . وفى الحديث « أمرت

---

(١) حديث « النهى عن الإقعاء » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث على بسند ضعيف « لا يقع بين السجدتين » ومسلم من حديث عائشة « كان ينهى عن عقبة الشيطان » والحاكم من حديث سمرة وصححه « نهى عن الإقعاء » (٢) حديث « نهى عن السدل فى الصلاة » أخرجه أبو داود والترمذى والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة (٣) حديث « النهى عن الكفت فى الصلاة » متفق عليه من حديث ابن عباس « أمرنا النبى صلى الله عليه وسلم أن نسجد على سبعة أعظم ولا نكفت شعرا ولا ثوبا » (٤) حديث « النهى عن الاختصار » أخرجه أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة وهو متفق عليه بلفظ « نهى أن يصلى الرجل مختصرا »

(٥) حديث « النهى عن الصلب فى الصلاة » أخرجه أبو داود والنسائى من حديث ابن عمر بإسناد صحيح (٦) حديث « النهى عن المواصلة » عزاه رزين إلى الترمذى ولم أجده عنده ، وقد فسره الغزالى بوصل القراءة بالتكبير ووصل القراءة بالركوع وغير ذلك . وقد روى أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث سمرة « سكتتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل فى صلاته : إذا فرغ من قراءته وإذا فرغ من قراءة القرآن » وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة « كان يسكت بين التكبير والقراءة إسكاتة .. الحديث » (٧) حديث « النهى عن صلاة الحاقن » أخرجه ابن ماجه والدارقطنى من حديث أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يصلى الرجل وهو حاقن » وأبو داود من حديث أبى هريرة « لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصلى وهو حاقن » وله وللترمذى وحسنه نحوه من حديث ثوبان ومسلم من حديث عائشة « لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان » (٨) حديث « النهى عن صلاة الحاقب » لم أجده بهذا اللفظ وفسره المصنف تبعا للأزهرى بمدافعة الغائط وفيه حديث عائشة الذى قبل هذا (٩) حديث « النهى عن صلاة الحازق » عزاه رزين إلى الترمذى ولم أجده عنده والذى ذكره أصحاب الغريب حديث « لا رأى لحازق » وهو صاحب الخف الضيق » (١٠) حديث « النهى عن التلثم فى الصلاة » أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث أبى هريرة بسند حسن « نهى أن يصلى الرجل فاه فى الصلاة » رواه الحاكم وصححه قال الخطابى هو التلثم على الأفواه

أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكفت شعرا ولا ثوبا [١] » وكره أحمد بن حنبل رضى الله عنه أن يأتزر فوق القميص فى الصلاة ورآه من الكفت ، وأما الاختصار : فان يضع يديه على خاصرتيه . وأما الصلب فأن يضع يديه على خاصرتيه فى القيام ويجافى بين عضديه فى القيام . وأما المواصلة : فهى خمسة ؛ اثنان على الإمام أن لا يصل قراءته بتكبيرة الإحرام ولا ركوعه بقراءته ، واثنان على المأموم أن لا يصل تكبيرة الإحرام بتكبيرة الإمام ولا تسليمه بتسليمه ، وواحدة بينهما أن لا يصل تسليمة الفرض بالتسليمة الثانية وليفصل بينهما وأما الحاقن : فمن البول ، والحاقب : من الغائط . والحازق : صاحب الخف الضيق . فانّ كل ذلك يمنع من الخشوع . وفى معناه الجائع والمهتم . وفهم نهى الجائع من قوله صلى الله عليه وسلم « إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء إلا أن يضيق الوقت أو يكون ساكن القلب [٢] » وفى الخبر « لا يدخلن أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان [٣] » وقال الحسن : كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى إلى العقوبة أسرع . وفى الحديث « سبعة أشياء فى الصلاة من الشيطان : الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والحكاك والالتفات والعبث بالشىء [٤] » وزاد بعضهم « السهو والشك » وقال بعض السلف : أربعة فى الصلاة من الجفاء ـ الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصى وأن تصلى بطريق من يمر بين يديك « ونهى أيضا عن أن يشبك أصابعه [٥] أو يفرقع أصابعه [٦] أو يستر وجهه [٧] أو يضع إحدى كفيه على الأخرى يدخلهما بين فخذيه فى الركوع [٨] » وقال بعض الصحابة رضى الله عنهم : كنا نفعل ذلك فنهينا عنه . ويكره أيضا أن ينفخ فى الأرض عند السجود للتنظيف وأن يسوّى الحصى بيده فإنها أفعال مستغنى عنها ولا يرفع إحدى قدميه فيضعها على فخذه ولا يستند فى قيامه إلى حائط فإن استند بحيث لو سل ذلك الحائط لسقط فالأظهر بطلان صلاته والله أعلم .

تمييز الفرائض والسنن

جملة ما ذكر يشتمل على فرائض وسنن وآداب وهيئات مما ينبغى لمريد طريق الآخرة أن يراعى جميعها . فالفرض من جملتها اثنتا عشرة خصلة : النية والتكبير والقيام والفاتحة ، والانحناء فى الركوع إلى أن تنال راحتاه ركبتيه مع الطمأنينة والاعتدال عنه قائما ، والسجود مع الطمأنينة ولا يجب وضع اليدين والاعتدال عنه قاعدا ، والجلوس للتشهد الأخير والتشهد الأخير والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، والسلام الأول . فأما نية الخروج فلا تجب وما عدا هذا فليس بواجب بل هى سنن وهيئات فيها وفى الفرائض : أما السنن فمن الأفعال أربعة : رفع اليدين فى تكبيرة الإحرام وعند الهوى إلى الركوع وعند الارتفاع إلى القيام ، والجلسة للتشهد الأول . فأما ما ذكرناه من كيفية

---

(١) حديث « أمرت ان اسجد على سبعة أعضاء ولا اكفت شعرا ولا ثوبا » متفق عليه من حديث ابن عباس

(٢) حديث « إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء » متفق عليه من حديث ابن عمر وعائشة (٣) حديث « لا يدخل أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان » لم أجده (٤) حديث « سبعة أشياء من الشيطان فى الصلاة : الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والالتفات » وزاد بعضهم « السهو والشك » اخرجه الترمذى من رواية عدى بن ثابت عن ابيه عن جده فذكر منها الرعاف والنعاس والتثاؤب وزاد ثلاثة أخرى وقال حديث غريب ولمسلم من حديث عثمان بن أبى العاص « يارسول الله إن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى الحديث » وللبخارى من حديث عائشة فى الالتفات فى الصلاة هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة أحدكم وللشيخين من حديث أبى هريرة التثاؤب من الشيطان ولهما من حديث أبى هريرة إن احدكم إذا قام يصلى جاء الشيطان فليس عليه صلاته حتى لا يدرى كم صلى (٥) حديث « النهى عن تشبيك الأصابع » أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة وابو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان نحوه من حديث كعب بن عجرة (٦) حديث « النهى تفقيع الأصابع فى الصلاة » أخرجه ابن ماجه من حديث على باسناد ضعيف لا يستقيم فى أصابعك الصلاة (٧) حديث « النهى عن ستر الوجه أخرجه أبو داود وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة (٨) حديث « النهى عن التطبيق فى الركوع » متفق عليه من حديث سعد بن ابى وقاص : كنا نفعله فنهينا عنه وامرنا ان نضع الأيدى على الركب

نشر الأصابع وحدّ رفعها فهى هيئات تابعة لهذه السنة ، والتورك والافتراش هيئات تابعة للجلسة والإطراق وترك الالتفات هيئات للقيام وتحسين صورته ، وجلسة الاستراحة لم نعدّها من أصول السنة فى الأفعال لأنها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود إلى القيام لأنها ليست مقصودة فى نفسها ولذلك لم تفرد بذكر . وأما السنن من الأذكار فدعاء الاستفتاح ثم التعوذ ثم قوله « آمين » فإنه سنة مؤكدة ثم قراءة السورة ثم تكبيرات الانتقالات ، ثم الذكر فى الركوع والسجود والاعتدال عنهما ، ثم التشهد الأوّل والصلاة فيه على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم الدعاء فى آخر التشهد الأخير ، ثم التسليمة الثانية وإن جمعناها فى اسم السنة فلها درجات متفاوتة إذ تجبر أربعة منها بسجود السهو . وأما من الأفعال فواحدة : وهى الجلسة الأولى للتشهد الأوّل فإنها مؤثرة فى ترتيب نظم الصلاة فى أعين الناظرين حتى يعرف بها أنها رباعية أم لا؟ بخلاف رفع اليدين فإنه لا يؤثر فى تغيير النظم فعبر عن ذلك بالبعض . وقيل الأبعاض تجبر بالسجود : وأما الأذكار فكلها لا تقتضى سجود السهو إلا ثلاثة : القنوت والتشهد الأوّل والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه ، بخلاف تكبيرات الانتقالات وأذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما ، لأنّ الركوع والسجود فى صورتهما مخالفان للعادة ويحصل بهما معنى العبادة مع السكوت عن الأذكار وعن تكبيرات الانتقالات فعدم تلك الأذكار لا تغير صورة العبادة . وأما الجلسة للتشهد الأوّل ففعل معتاد وما زيدت إلا للتشهد فتركها ظاهر التأثير . وأما دعاء الاستفتاح والسورة فتركهما لا يؤثر مع أنّ القيام صار معمورا بالفاتحة ومميزا عن العادة بها ، وكذلك الدعاء فى التشهد الأخير والقنوت أبعد ما يجبر بالسجود ولكن شرع مدّ الاعتدال فى الصبح لأجله فكان كمد جلسة الاستراحة إذ صارت بالمدّ مع التشهد جلسة للتشهد الأوّل . فبقى هذا قياما ممدودا معتادا ليس فيه ذكر واجب وفى الممدود احتراز عن غير الصبح وفى خلوّه عن ذكر واجب احتراز عن أصل القيام فى الصلاة * فإن قلت : تمييز السنن عن الفرائض معقول إذ تفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة ويتوجه العقاب به دونها فأما تمييز سنة عن سنة والكل مأمور به على سبيل الاستحباب ولا عقاب فى ترك الكل والثواب موجود على الكل فما معناه ؟ فاعلم أنّ اشتراكهما فى الثواب والعقاب والاستحباب لا يرفع تفاوتهما ، ولنكشف ذلك لك بمثال : وهو أنّ الإنسان لا يكون إنسانا موجودا كاملا إلا بمعنى باطن وأعضاء ظاهرة ، فالمعنى الباطن هو الحياة والروح ، والظاهر أجسام أعضائه . ثم بعض تلك الأعضاء ينعدم الإنسان بعدمها كالقلب والكبد والدماغ ، وكل عضو تفوت الحياة بفواته ، وبعضها لا تفوت بها الحياة ولكن يفوت بها مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل واللسان ، وبعضها لا يفوت بها الحياة ولا مقاصدها ولكن يفوت بها الحسن كالحاجبين واللحية والأهداب وحسن اللون ، وبعضها لا يفوت بها أصل الجمال ولكن كماله كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية والأهداب وتناسب خلقة الأعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض فى اللون فهذه درجات متفاوتة ؛ فكذلك العبادة صورة صورها الشرع وتعبدنا باكتسابها فروحها وحياتها الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والإخلاص ـ كما سيأتى ـ ونحن الآن فى أجزائها الظاهرة فالركوع والسجود والقيام وسائر الأركان تجرى منها مجرى القلب والرأس والكبد إذ يفوت وجود الصلاة بفواتها . والسنن التى ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح والتشهد الأوّل تجرى منها مجرى اليدين والعينين والرجلين ولا تفوت الصحة بفواتها كما لا تفوت الحياة بفوات هذه الأعضاء ولكن يصير الشخص بسبب فواتها مشوّه الخلقة مذموما غير مرغوب فيه ، فكذلك من اقتصر على أقل ما يجرى من الصلاة كان كمن أهدى إلى ملك من الملوك عبدا حيا مقطوع الأطراف . وأما الهيئات وهى ماوراء السنن فتجرى مجرى أسباب الحسن من الحاجبين واللحية والأهداب

وحسن اللون ، وأما وظائف الأذكار فى تلك السنن فهى مكملات للحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرهما . فالصلاة عندك قربة وتحفة تتقرب بها إلى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة من السلاطين إليهم وهذه التحفة تعرض على الله عز وجل . ثم ترد عليك يوم العرض الأكبر فإليك الخيرة فى تحسين صورتها وتقبيحها . فإن أحسنت فلنفسك وإن أسأت فعليها . ولا ينبغى أن يكون حظك من ممارسة الفقه أن يتميز لك السنة عن الفرض فلا يعلق بفهمك من أوصاف السنة إلا أنه يجوز تركها فتتركها فإن ذلك يضاهى قول الطبيب : إن فقء العين لا يبطل وجود الإنسان ولكن يخرجه عن أن يصدّق رجاء المتقرب فى قبول السلطان إذا أخرجه فى معرض الهدية ـ فهكذا ينبغى أن تفهم مراتب السنن والهيئات والآداب ، فكل صلاة لم يتم الإنسان ركوعها وسجودها فهى الخصم الأول على صاحبها تقول : ضيعك الله كما ضيعتنى . فطالع الأخبار التى أوردناها فى كمال أركان الصلاة ليظهر لك وقعها .

الباب الثالث : فى الشروط الباطنة من أعمال القلب

والمذكر فى هذا الباب ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب . ثم نذكر المعانى الباطنة وحدودها وأسبابها وعلاجها . ثم لمذكر تفصيل ماينبغى أن يحضر فى كل ركن من أركان الصلاة لتكون صالحة لزاد الآخرة .

بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب

اعلم أن أدلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى ﴿ أقم الصلاة لذكرى ﴾ وظاهر الأمر الوجوب ، والغفلة تضاد الذكر فمن غفل فى جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلاة لذكره ؟ وقوله تعالى (ولا تكن من الغافلين) نهى وظاهره التحريم وقوله عز وجل (حتى تعلموا ما تقولون) تعليل لنهى السكران وهو مطرد فى الغافل المستغرق الهم بالوسواس وأفكار الدنيا وقوله صلى الله عليه وسلم « إنما الصلاة تمسكن وتواضع » حصر بالألف واللام وكلمة «إنما» للتحقيق والتوكيد ، وقد فهم الفقهاء من قوله عليه السلام «إنما الشفعة فيما لم يقسم» الحصر والاثبات والنفى ، وقوله صلى الله عليه وسلم « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا » وصلاة الغافل لاتمنع من الفحشاء والمنكر ، وقال صلى الله عليه وسلم « كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب [1] » وماأراد به إلا الغافل وقال صلى الله عليه وسلم (ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها [2]) والتحقيق فيه أن المصلى مناج ربه عز وجل [3] ، كما ورد به الخبر والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة ألبتة ، وبيانه أن الزكاة إن غفل الإنسان عنها مثلا فهى فى نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس ، وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى الذى هو آلة للشيطان عدو الله ، فلا يبعد أن يحصل منها مقصود مع الغفلة ، وكذلك الحج أفعاله شاقة شديدة وفيه من المجاهدة مايحصل به

الباب الثالث

(١) حديث « كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب » أخرجه النسائى من حديث أبى هريرة « رب قائم ليس له من قيامه إلا السهر » ولأحمد « رب قائم حظه من صلاته السهر » وإسناده حسن .

(٢) حديث « ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل » لم أجده مرفوعا وروى محمد بن نصر المروزى فى كتاب الصلاة من رواية عثمان ابن أبى دهرش مرسلا « لايقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه » ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى ابن كعب ولابن المبارك فى الزهد موقوفا على عمار لايكتب للرجل من صلاته ماسها عنه

(٣) حديث « المصلى يناجى ربه » متفق عليه من حديث أنس

الإيلام كان القلب حاضراً مع أفعاله أو لم يكن ؟ أما الصلاة فليس فيها إلا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود ، فأما الذكر فإنه مجاورة ومناجاة مع الله عز وجل فأما أن يكون المقصود منه كونه خطابا ومحاورة أو المقصود منه الحروف والأصوات إمتحاناً للسان بالعمل كما تمتحن المعدة والفرج بالإمساك فى الصوم ، وكما يمتحن البدن بمشاق الحج ، ويمتحن بمشقة إخراج الزكاة واقتطاع المال المعشوق . ولا شك أن هذا القسم باطل فان تحريك اللسان بالهذيان ما أخفه على الغافل فليس فيه امتحان من حيث أنه عمل بل المقصود الحروف من حيث أنه نطق ، ولا يكون نطقا إلا إذا أعرب عما فى الضمير ولا يكون معربا إلا بحضور القلب، فأى سؤال فى قوله (إهدنا الصراط المستقيم) إذا كان القلب غافلا ؟ وإذا لم يقصد كونه تضرعا ودعاء فأى مشقة فى تحريك اللسان به مع الغفلة لاسيما بعد الاعتياد ؟ هذا حكم الأذكار بل أقول لو حلف الإنسان وقال : لأشكرن فلانا وأثنى عليه وأسأله حاجة ؛ ثم جرت الألفاظ الدالة على هذه المعانى على لسانه فى النوم لم يبر فى يمينه ، ولو جرت على لسانه فى ظلمة وذلك الإنسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير باراً فى يمينه إذ لا يكون كلامه خطاباً ونطقا معه مالم يكن هو حاضرا فى قلبه ، فلو كانت تجرى هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر إلا أنه فى بياض النهار غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الأفكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب اليه عند نطقه لم يصر باراً فى يمينه . ولا شك أن المقصود من القراءة والأذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء ، والمخاطب هو الله عز وجل وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التى شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله عز وجل ورسوخ عقد الإيمان به ! هذا حكم القراءة والذكر . وبالجملة فهذه الخاصية لا سبيل إلى إنكارها فى النطق وتمييزها عن الفعل . وأما الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم قطعا ولو جاز أن يكون معظما لله عز وجل بفعله وهو غافل عنه لجاز أن يكون معظما لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه، أو يكون معظما للحائط الذى بين يديه وهو غافل عنه ، وإذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق إلا مجرد حركة الظهر والرأس وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به ، ثم يجعله عماد الدين والفاصل بين الكفر والإسلام ويقدم على الحج وسائر العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص ، وما أرى أن هذه العظمة كلها للصلاة من حيث أعمالها الظاهرة إلا أن يضاف اليها مقصود المناجاة فان ذلك يتقدم على الصوم والزكاة والحج وغيره بل الضحايا والقرابين التى هى مجاهدة للنفس بتنقيص المال قال الله تعالى (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) أى الصفة التى استولت على القلب حتى حملته على امتثال الأوامر هى المطلوبة فكيف الأمر فى الصلاة ولا أرب فى أفعالها ؟ فهذا ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب * فان قلت : إن حكمت ببطلان الصلاة وجعلت حضور القلب شرطا فى صحتها خالفت إجماع الفقهاء فانهم لم يشترطوا إلا حضور القلب عند التكبير ؟ فاعلم أنه قد تقدم فى كتاب العلم : أن الفقهاء لا يتصرفون فى الباطن ولا يشقون عن القلوب ولا فى طريق الآخرة بل يبنون أحكام الدين على ظاهر أعمال الجوارح ؛ وظاهر الأعمال كاف لسقوط القتل وتعزير السلطان ؛ فأما أنه ينفع فى الآخرة فليس هذا من حدود الفقه على أنه لا يمكن أن يدعى الإجماع. فقد نقل عن بشر بن الحارث فيما رواه عنه أبو طالب المكى عن سفيان الثورى أنه قال : من لم يخشع فسدت صلاته وروى عن الحسن أنه قال : كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى إلى العقوبة أسرع . وعن معاذ بن جبل: من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو فى الصلاة فلا صلاة له . وروى أيضا مسندا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« إن العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل[1] منها » وهذا لو نقل عن غيره لجعل مذهبا فكيف لا يتمسك به ؟ وقال عبد الواحد بن زيد : أجمعت العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها ، فجعله إجماعا ، وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى . والحق الرجوع إلى أدلة الشرع والأخبار ، والآثار ظاهرة فى هذا الشرط إلا أن مقام الفتوى فى التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق . فلا يمكن أن يشترط على الناس إحضار القلب فى جميع الصلاة فان ذلك يعجز عنه كل البشر إلا الأقلين وإذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مردّ له إلا أن يشترط منه ما يطلق عليه الاسم ولو فى اللحظة الواحدة ، وأولى اللحظات به لحظة التكبير فاقتصرنا على التكليف بذلك . ونحن مع ذلك نرجو أن لا يكون حال الغافل فى جميع صلاته مثل حال التارك بالكلية . فانه على الجملة أقدم على العمل ظاهرا وأحضر القلب لحظة . وكيف لا والذى صلى مع الحدث ناسيا صلاته باطلة عند الله تعالى ولكن له أجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ، ومع هذا الرجاء فيخشى أن يكون حاله أشد من حال التارك وكيف لا والذى يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر أشد حالا من الذى يعرض عن الخدمة ؟ وإذا تعارض أسباب الخوف والرجاء وصار الأمر مخطرا فى نفسه فاليك الخيرة بعده فى الاحتياط والتساهل . ومع هذا فلا مطمع فى مخالفة الفقهاء فيما أفتوا به من الصحة مع الغفلة فان ذلك من ضرورة الفتوى ـ كما سبق التنبيه عليه ـ ومن عرف سر الصلاة علم أن الغفلة تضادها . ولكن قد ذكرنا فى باب الفرق بين العلم الباطن والظاهر فى كتاب قواعد العقائد أن قصور الخلق أحد الأسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من أسرار الشرع . فلنقتصر على هذا القدر من البحث فان فيه مقنعا للمريد الطالب لطريق الآخرة . وأما المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن وحاصل الكلام أن حضور القلب هو روح الصلاة وأن أقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير . فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح فى أجزاء الصلاة . وكم من حى لا حراك به قريب من ميت ؟ فصلاة الغافل فى جميعها إلا عند التكبير كمثل حى لا حراك به نسأل الله حسن العون

بيان المعانى الباطنة التى تتم بها حياة الصلاة

إعلم أن هذه المعانى تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ست جمل وهى : حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء . فلنذكر تفاصيلها ثم أسبابها ثم العلاج فى اكتسابها . أما التفاصيل : فالأول ، حضور القلب ونعنى به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به ، فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ، ولا يكون الفكر جائلا فى غيرهما ، ومهما انصرف فى الفكر عن غير ما هو فيه وكان فى قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شىء فقد حصل حضور القلب ولكن التفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب ، فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ ؛ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذى أردناه بالتفهم . وهذا مقام يتفاوت الناس فيه إذ ليس يشترك الناس فى تفهم المعانى للقرآن والتسبيحات . وكم من معان لطيفة يفهمها المصلى فى أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ؟ ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر ، فإنها تفهم أمورا ؛ تلك الأمور تمنع عن الفحشاء لا محالة . وأما التعظيم فهو أمر وراء حضور القلب والفهم إذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب

(١) حديث « إن العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها ... الحديث » أخرجه أبو داود والنسائى وابن حبان من حديث عمار بن ياسر بنحوه

فيه ومتفهم لمعناه ولايكون معظما له فالتعظيم زائد عليهما . وأما الهيبة فزائدة على التعظيم بل هى عبارة عن خوف منشؤه التعظيم لأن من لايخاف لايسمى هائبا ، والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد ومايجرى مجراه من الأسباب الخسيسة لاتسمى مهابة ، بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة ، والهيبة خوف مصدرها الإجلال . وأما الرجا فلا شك أنه زائد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه أو يخاف سطوته ولكن لايرجو مثوبته . والعبد ينبغى أن يكون راجيا بصلاته ثواب الله عز وجل كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله عز وجل ، وأما الحياء فهو زائد على الجملة لأن مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لايكون توهم تقصير وارتكاب ذنب . وأما أسباب هذه المعانى الستة فاعلم أن حضور القلب سببه الهمة فإن قلبك تابع لهمتك فلا يحضر إلافيما يهمك ومهما أهمك أمر حضر القلب فيه شاء أم أبى فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه . والقلب إذا لم يحضر فى الصلاة لم يكن متعطلا بل جائلا فيما الهمة مصروفة إليه من أمور الدنيا ، فلا حيلة ولا علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلى الصلاة ، والهمة لاتنصرف إليها مالم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الإيمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى وأن الصلاة وسيلة إليها ، فإذا أضيف هذا إلى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعها حضور القلب فى الصلاه ، وبمثل هذه العلة يحضر قلبك إذا حضرت بين يدى بعض الأكابر ممن لايقدر على مضرتك ومنفعتك ، فإذا كان لايحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذى بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلاتظن أن له سببا سوى ضعف الإيمان فاجتهد الآن فى تقوية الإيمان ـ وطريقه يستقصى فى غير هذا الموضع ـ وأما التفهم فسببه بعد حضور القلب إدمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك المعنى وعلاجه ما هو علاج إحضار القلب مع الإقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر . وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها أعنى النزوع عن تلك الأسباب التى تنجذب الخواطر إليها ، ومالم تنقطع تلك المواد لاتنصرف عنها الخواطر فمن أحب شيئا أكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة ، لذلك ترى أن من أحب غيرالله لاتصفو له صلاة عن الخواطر. وأما التعظيم فهى حالة للقلب تتولد من معرفتين ، إحداهما : معرفة جلال الله عز وجل وعظمته وهو من أصول الإيمان فإن من لايعتقد عظمته لاتذعن النفس لتعظيمه . الثانية ، معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه فيعبر عنه بالتعظيم ، ومالم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله لاتنتظم حالة التعظيم والخشوع فإن المستغنى عن غيره الآمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لأن القرينة الأخرى وهى معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن إليه ، وأما الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة به ، وأنه لو أهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما يجرى على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف مايشاهد من ملوك الأرض . وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة ـ وسيأتى أسباب ذلك فى كتاب الخوف من ربع المنجيات ـ وأما الرجاء فسببه معرفة لطف الله عزوجل وكرمه وعميم إنعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه فى وعده الجنة بالصلاة ، فإذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لامحالة : وأما الحياء فباستشعاره التقصير فى العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عزوجل ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة إخلاصها وخبث دخلتها وميلها إلى الحظ العاجل فى جميع أفعالها مع العلم بعظيم مايقتضيه جلال الله عز وجل والعلم

بأنه مطلع على السر وخطرات القلب وإن دقت وخفيت ، وهذه المعارف إذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء فهذه أسباب هذه الصفات وكل ما طلب تحصيله فعلاجه إحضار سببه ففى معرفة السبب معرفة العلاج . ورابطة جميع هذه الأسباب الإيمان . واليقين أعنى به هذه المعارف التى ذكرناها ومعنى كونها يقينا انتفاء الشك واستيلاؤها على القلب ، كما سبق فى بيان اليقين من كتاب العلم ـ وبقدر اليقين يخسع القلب ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه » وقد روى أن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام « ياموسى إذا ذكرتنى فاذكرنى وأنت تنتفض أعضاؤك وكن عند ذكرى خاشعا مطمئنا وإذا ذكرتنى فاجعل لسانك من وراء قلبك وإذا قمت بين يدى فقم قيام العبد الذليل وناجنى بقلب وجل ولسان صادق » وروى أن الله تعالى أوحى إليه « قل لعصاة أمتك لايذكرونى فإنى آليت على نفسى أن من ذكرنى ذكرته فإذا ذكرونى ذكرتهم باللعنة » هذا فى عاص غير غافل فى ذكره فكيف إذا اجتمعت الغفلة والعصيان ؟ وباختلاف المعانى التى ذكرناها فى القلوب انقسم الناس إلى غافل يتمم صلاته ولم يحضر قلبه فى لحظة منها . وإلى من يتمم ولم يغب قلبه فى لحظة بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لايحس بما يجرى بين يديه . ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط الاسطوانة فى المسجد اجتمع الناس عليها . وبعضهم كان يحضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره . ووجيب قلب إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه كان يسمع على ميلين . وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد فإن أضعافه مشاهد فى همم أهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع عجزهم وضعفهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على ملك أو وزير ويحدثه بمهمته ثم يخرج ، ولو سئل عمن حواليه أو عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الإخبار عنه لاشتغال همه به عن ثوبه وعن الحاضرين حواليه ﴿ ولكل درجات مما عملوا ﴾ فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فإن موقع نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهر الحركات . ولذلك قال بعض الصحابة رضى الله عنهم : يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم فى الصلاة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود النعيم بها واللذة ، ولقد صدق فإنه يحشر كل على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه : ويراعى فى ذلك حال قلبه لاحال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور فى الدار الآخرة ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم ، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه

بيان الدواء النافع فى حضور القلب

اعلم أن المؤمن لابد أن يكون معظما لله عز وجل وخائفا منه وراجيا له ومستحييا من تقصيره فلا ينفك عن هذه الأحوال بعد إيمانه ، وإن كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها فى الصلاة لا سبب له إلا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة . ولا يلهى عن الصلاة إلا الخواطر الواردة الشاغلة ، فالدواء فى إحضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشىء إلا بدفع سببه فلنعلم سببه . وسبب موارد الخواطر إما أن يكون أمرا خارجا أو أمرا فى ذاته باطنا . أما الخارج فما يقرع السمع أو يظهر للبصر فإن ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكرة إلى غيره ويتسلسل ، ويكون الإبصار سببا للافتكار ، ثم تصير بعض تلك الأفكار سببا للبعض . ومن قويت نيته وعلت همته لم يلهه ماجرى على حواسه ولكن الضعيف لا بد وأن يتفرق به فكره . وعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يغض بصره أو يصلى فى بيت مظلم أو لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة بصره ، ويحترز من الصلاة على الشوارع

وفى المواضع المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش المصبوغة . ولذلك كان المتعبدون يتعبدون فى بيت صغير مظلم سعته قدر السجود ليكون ذلك أجمع للهم . والأقوياء منهم كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزون به موضع السجود ويرون كمال الصلاة فى أن لايعرفوا من على يمينهم وشمالهم . وكان ابن عمر رضى الله عنهما لا يدع فى موضع الصلاة مصحفا ولاسيفا إلانزعه ولا كتابا إلا محاه . وأما الأسباب الباطنة فهى أشدّ فإنّ من تشعبت به الهموم فى أودية الدنيا لاينحصر فكره فى فن واحد بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب وغض البصر لا يغنيه ، فإن ما وقع فى القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه أن يرد النفس قهرا إلى فهم ما يقرؤه فى الصلاة ويشغلها به عن غيره ، ويعينه على ذلك أن يستعدّ له قبل التحريم بأن يحدّد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدى الله سبحانه وهو المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت إليه خاطره . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن أبى شيبة « إنى نسيت أن أقول لك أن تخمر القدر الذى فى البيت[1] » فإنه لاينبغى أن يكون فى البيت شىء يشغل الناس عن صلاتهم ؛ فهذا طريق تسكين الأفكار . فإن كان لايسكن هوائج أفكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه إلا المسهل الذى يقمع مادة الداء من أعماق العروق وهو أن ينظر فى الأمور الصارفة الشاغلة عن إحضار القلب ، ولا شك أنها تعود إلى مهماته وأنها إنما صارت مهمات لشهواته فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق ، فكل مايشغله عن صلاته فهو ضدّ دينه وجند إبليس عدوّه فإمساكه أضر عليه من إخراجه فيتخلص منه بإخراجه كما روى أنه صلى الله عليه وسلم « لما لبس الخميصة التى أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته ، وقال صلى الله عليه وسلم : اذهبوا بها إلى أبى جهم فإنها ألهتنى آنفا عن صلاتى وائتونى بأنبجانية أبى جهم[2] » . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجديد شراك نعله ثم نظر إليه فى صلاته إذ كان جديدا فأمر أن ينزع منها ويرد الشراك الخلق[3] . « وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى نعلا فأعجبه حسنها فسجد وقال : تواضعت لربى عز وجل كى لا يمقتنى » ثم خرج بها فدفعها إلى أول سائل لقيه ، ثم أمر عليا رضى الله عنه أن يشترى له نعلين سبتيتين جرداوين فلبسهما[4] . وكان صلى الله عليه وسلم فى يده خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال شغلنى هذا : نظرة إليه ونظرة إليكم[5] وروى « أن أبا طلحة صلى فى حائط وفيه شجر فأعجبه دبسى طار فى الشجر يلتمس مخرجا فأتبعه بصره ساعة ثم لم يدركم صلى ؟ فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصابه من الفتنة ثم قال : يارسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت[6] » . وعن رجل آخر أنه صلى فى حائط له والنخل مطوقة بثمرها فنظر إليها فأعجبته ولم يدركم صلى ؟ فذكر ذلك لعثمان رضى الله عنه وقال : هو صدقة فاجعله فى سبيل الله عز وجل

---

(١) حديث « إنى نسيت ان أقول لك تخمر القربتين اللتين فى البيت .. الحديث » اخرجه ابو داود من حديث عثمان الحجبى وهو عثمان بن طلحة كما فى مسند احمد ووقع للمصنف انه قال ذلك لعثمان بن أبى شيبة وهو وهم .

(٢) حديث « نزع الخميصة وقال ائتونى بأنبجانية أبى جهم » متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم فى العلم

(٣) حديث « أمره بنزع الشراك الجديد ورد الشراك الخلق اذ نظر اليه فى صلاته » أخرجه ابن المبارك فى الزهد من حديث أبى النضر مرسلا باسناد صحيح (٤) حديث « احتذى نعلا فأعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربى .. الحديث » أخرجه أبو عبد الله ابن حقيق فى شرف الفقراء من حديث عائشة باسناد ضعيف (٥) حديث « رميه بالخاتم الذهب من يده وقال شغلنى هذا نظرة اليه ونظره اليكم » أخرجه النسائى من حديث ابن عباس باسناد صحيح وليس فيه بيان أن الخاتم كان ذهبا ولا فضة إنما هو مطلق (٦) حديث « ان أبا طلحة صلى فى حائط له فيه شجر فأعجبه رنش طائر فى الشجر .. الحديث » أخرجه فى سهوه فى الصلاة وتصدقه بالحائط مالك عن عبد الله بن أبى بكر أن أبا طلحة الأنصارى فذكره بنحوه

قباعه عثمان بخمسين ألفا . فكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القاطع لمادة العلة ولا يغنى غيره . فأما ماذكرناه من التلطف بالتسكين والرد إلى فهم الذكر فذلك ينفع فى الشهوات الضعيفة والهمم التى لا تشغل إلاحواشى القلب . فأما الشهوة القوية المرهقة فلاينفع فيها التسكين بل لاتزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضى جميع صلاتك فى شغل المجاذبة . ومثاله : رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره وكانت أصوات العصافير تشوش عليه ، فلم يزل يطيرها بخشبة فى يده ويعود إلى فكره فتعود العصافير فيعود إلى التنفير بالخشبة ، فقيل له : إنّ هذا أسير السوانى ولا ينقطع فإن أردت الخلاص فاقطع الشجرة . فكذلك شجرة الشهوات إذا تشعبت وتفرعت أغصانها انجذبت إليها الأفكار انجذاب العصافير إلى الأشجار وانجذاب الذباب إلى الأقذار والشغل يطول فى دفعها فإنّ الذباب كلما ذب آب ولأحله سمى ذبابا . فكذلك الخواطر ، وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو العبد عنها ويجمعها أصل واحد وهو حب الدنيا ، وذلك رأس كل خطيئة وأساس كل نقصان ومنبع كل فساد . ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال إلى شىء منها لا ليتزود منها ولا ليستعين بها على الآخرة فلا يطمعن فى أن تصفو له لذة المناجاة فى الصلاة . فإنّ من فرح بالدنيا لا يفرح بالله سبحانه وبمناجاته . وهمة الرجل مع قرة عينه فإن كانت قرة عينه فى الدنيا انصرف لا محالة إليها همه ولكن مع هذا فلاينبغى أن يترك المجاهدة ورد القلب إلى الصلاة وتقليل الأسباب الشاغلة ، فهذا هو الدواء المر ولمرارته استبشعته الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا ، حتى إنّ الأكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين لايحدثوا أنفسهم فيها بأمور الدنيا فعجزوا عن ذلك فإذن لامطمع فيه لأمثالنا ، وليته سلم لنا من الصلاة شطرها أو ثلثها من الوسواس لنكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئاً . وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة فى القلب مثل الماء الذى يصب فى قدح مملوء بخل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج منه من الخل لا محالة ولا يجتمعان

بيان تفصيل ما ينبغى أن يحضر فى القلب ـ عند كل ركن وشرط ـ من أعمال الصلاة

فنقول : حقك إن كنت من المريدين للآخرة أن لا تغفل أولا عن التنبيهات التى فى شروط الصلاة وأركانها . أما الشروط السوابق فهى الأذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما والنية . فإذا سمعت نداء المؤذن فأحضر فى قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة ؛ فإنّ المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فإن وجدته مملوءا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة إلى الابتدار فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أرحنا يا بلال[1] » أى أرحنا بها وبالنداء إليها إذ كان قرة عينه فيها صلى الله عليه وسلم . وأما الطهارة فإذا أتيت بها فى مكانك وهو طرفك الأبعد ثم فى ثيابك وهى غلافك الأقرب ، ثم فى بشرتك وهى قشرك الأدنى فلا تغفل عن لبك الذى هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرطت وتصميم العزم على الترك فى المستقبل فطهر بها باطنك فإنه موضع نظر معبودك . وأما ستر العورة فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق فإنّ ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق فما بالك فى عورات باطنك وفضائح سرائرك التى لا يطلع عليها إلا ربك عز وجل ؟ فأحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق أنه لايستر عن عين الله سبحانه

(١) حديث « بها أرحنا يا بلال » أخرجه الدارقطنى فى العلل من حديث بلال ولأبى داود نحوه من حديث رجل من الصحابة لم يسم باسناد صحيح .

ساتر . وإنما يغفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد بإحضارها فى قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنهما فتدل بها بنفسك ويستكين تحت الخجلة قلبك وتقوم بين يدى الله عز وجل قيام العبد المجرم المسىء الآبق الذى ندم فرجع إلى مولاه ناكسا رأسه من الحياء والخوف . وأما الاستقبال فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى ، أفترى أنّ صرف القلب عن سائر الأمور إلى الله عز وجل ليس مطلوبا منك مهيات فلا مطلوب سواه . وإنما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالإلتفات فى جهة واحدة حتى لا تبغى على القلب فإنها إذا بغت وظلمت فى حركاتها والتفاتها إلى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله عز وجل فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك . فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب إلى الله عز وجل إلا بالتفرغ عما سواه وقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا قام العبد إلى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه إلى الله عز وجل انصرف كيوم ولدته أمه[1] » وأما الاعتدال قائما فإنما هو مثول بالشخص والقلب بين يدى الله عز وجل ، فليكن رأسك الذى هو أرفع أعضائك مطرقا مطأطئا متنكسا ، وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبيها على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبرى عن الترؤس والتكبر ، وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدى الله عز وجل فى هول المطلع عند العرض للسؤال . واعلم فى الحال أنك قائم بين يدى الله عز وجل وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدى بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر فى دوام قيامك فى صلاتك أنك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من أهلك أو ممن ترغب فى أن يعرفك بالصلاح ، فإنه تهدأ عند ذلك أطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع . وإذا أحسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها : إنك تدعين معرفة الله وحبه أفلا تستحين من استجرائك عليه مع توقيرك عبدا من عباده أو تخشين الناس ولا تخشينه وهو أحق أن يخشى ؟ ولذلك لما قال أبو هريرة « كيف الحياء من الله فقال صلى الله عليه وسلم تستحى منه كما تستحى من الرجل الصالح من قومك[2] » وروى « من أهلك » وأما النية فاعزم على إجابة الله عز وجل فى امتثال أمره بالصلاة وإتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها وإخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه متقلدا للمنة منه بإذنه إياك فى المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك ، وعظم فى نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجى وكيف تناجى وبماذا تناجى ؟ وعند هذا ينبغى أن يعرق جبينك من الخجل وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف . وأما التكبير فاذا نطق به لسانك فينبغى أن لا يكذبه قلبك فإن كان فى قلبك شىء هو أكبر من الله سبحانه فالله يشهد إنك لكاذب وإن كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين فى قولهم : إنه صلى الله عليه وسلم رسول الله . فان كان هواك أغلب عليك من أمر الله عز وجل فأنت أطوع له منك لله تعالى فقد اتخذته إلهك وكبرته فيوشك أن يكون قولك « الله أكبر » كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته ؛ وما أعظم الخطر فى ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه . وأما دعاء الاستفتاح فأول كلماته قولك « وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض » وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فإنك إنما وجهته إلى جهة القبلة والله سبحانه يتقدس

(١) حديث « إذا قام العبد إلى صلاته وكان وجهه وهواه إلى الله انصرف كيوم ولدته أمه » لم أجده

(٢) حديث « قال أبو هريرة كيف الحياء من الله قال تستحى منه كما تستحى من الرجل الصالح من قومك » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق والبيهقى فى الشعب من حديث سعيد بن زيد مرسلا نحوه وأرسله البيهقى بزيادة ابن عمر فى السند وفى العلل الدارقطنى عن ابن عمر له وقال إنه أشبه شىء بالصواب لوروده من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة

عن أن تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه . وإنما وجه القلب هو الذي تتوجه به إلى فاطر السموات والأرض فانظر إليه أمتوجه هو إلى أمامه وهمه في البيت والسوق متبع للشهوات أو مقبل على فاطر السموات ؟ وإياك أن تكون أول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق ولن ينصرف الوجه إلى الله تعالى إلا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه اليه وإن عجزت عنه على الدوام فليكن قولك في الحال صادقا . وإذا قلت «حنيفا مسلما» فينبغي أن يخطر ببالك أن المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فإن لم تكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد في أن تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق من الأحوال . وإذا قلت « وما أنا من المشركين » فأخطر ببالك الشرك الخفي فإن قوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن حذرا مشفقا من هذا الشرك ، واستشعر الخجلة في قلبك إن وصفت نفسك بأنك لست من المشركين من غير براءة عن هذا الشرك فإن اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه . وإذا قلت «محياي ومماتي لله » فاعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده وأنه إن صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة ورهبته من الموت لأمور الدنيا لم يكن ملائما للحال. وإذا قلت « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » فاعلم أنه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله عز وجل حسدا لك على مناجاتك مع الله عز وجل وسجودك له مع أنه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها ، وأن استعاذتك بالله سبحانه منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله عز وجل لا بمجرد قولك ، فإن من قصده سبع أو عدو ليفترسه أو يقتله فقال : أعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه ، فإن ذلك لا ينفعه ، بل لا يعده إلا تبديل المكان ؛ فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عز وجل عن شر الشيطان وحصنه « لا إله إلا الله » إذ قال عز وجل فيما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم « لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي[1] » والمتحصن به لا معبود له سوى الله سبحانه وأما من اتخذ إلهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله عز وجل. واعلم أن من مكايده أن يشغلك في صلاتك بذكر الآخرة وتدبير وجوه الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرأ . فاعلم أن كل ما يشغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وسواس فإن حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها : فأما القراءة فالناس فيها ثلاثة ، رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره وهي درجات أصحاب اليمين ، ورجل يسبق قلبه إلى المعاني أولا ثم يخدم اللسان القلب فيترجمه . وفرق بين أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب . وتفصيل ترجمة المعاني أنك إذا قلت « بسم الله الرحمن الرحيم » فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله سبحانه ، وافهم أن الأمور كلها بالله سبحانه . وأن المراد بالاسم ههنا هو المسمى . وإذا كانت الأمور بالله سبحانه فلا جرم كان « الحمد لله » ومعناه أن الشكر لله إذ النعم من الله . ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله سبحانه بشكر لا من حيث إنه مسخر من الله عز وجل ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله تعالى . فإذا قلت « الرحمن الرحيم » فأحضر في قلبك جميع أنواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث بها رجاؤك . ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك « مالك يوم الدين » أما العظمة فلأنه لا ملك إلا له

(١) حديث « قال الله تعالى لا اله إلا الله حصني » أخرجه الحاكم في التاريخ وأبو نعيم في الحلية من طريق أهل البيت من حديث علي بإسناد ضعيف جداً ، وقول أبي منصور الديلمي إنه حديث ثابت مردود عليه .

وأما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه . ثم جدد الإخلاص بقولك « إياك نعبد » وجدد العجز والاحتياج والتبرى من الحول والقوة بقولك و « إياك نستعين » وتحقق أنه ما تيسرت طاعتك إلا بإعانته وأنّ له المنة إذ وفقك لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك أهلا لمناجاته . ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين . ثم إذا فرغت من التعوذ ومن قولك « بسم الله الرحمن الرحيم » ومن التحميد ومن إظهار الحاجة إلى الإعانة مطلقا فعين سؤالك ولا تطلب إلا أهم حاجاتك وقل « إهدنا الصراط المستقيم » الذي يسوقنا إلى جوارك ويفضي بنا إلى مرضاتك . وزده شرحا وتفصيلا وتأكيدا واستشهادا بالذين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين ثم التمس الإجابة وقل « آمين » فإذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل[1] » يقول العبد « الحمد لله رب العالمين » فيقول الله عز وجل : حمدني عبدي وأثنى علي . وهو معنى قوله « سمع الله لمن حمده ... الحديث الخ » فلو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته فناهيك بذلك غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله ؟ وكذلك ينبغي أن تفهم ما تقرؤه من السور - كما سيأتي في كتاب تلاوة القرآن - فلا تغفل عن أمره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر منته وإحسانه . ولكل واحد حق فالرجاء حق الوعد ؛ والخوف حق الوعيد ؛ والعزم حق الأمر والنهي ؛ والاتعاظ حق الموعظة ، والشكر حق ذكر المنة ، والاعتبار حق إخبار الأنبياء . وروى أن زرارة بن أوفى لما انتهى إلى قوله تعالى (فإذا نقر في الناقور) خرّ ميتا وكان إبراهيم النخعي إذا سمع قوله تعالى (إذا السماء انشقت) اضطرب حتى تضطرب أوصاله . وقال عبد الله بن واقد : رأيت ابن عمر يصلي مغلوبا عليه ؛ وحق له أن يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده فانه عبد مذنب ذليل بين يدي جبار قاهر . وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب . ودرجات ذلك لا تنحصر . والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف أسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الأذكار والتسبيحات أيضا . ثم يراعي الهيبة في القراءة فيرتل ولا يسرد فإن ذلك أيسر للتأمل . ويفرق بين نغماته في آية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتحميد والتعظيم والتمجيد . كان النخعي إذا مر بمثل قوله عز وجل (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله) يخفض صوته كالمستحيي عن أن يذكره بكل شيء لا يليق به . وروى أنه يقال لقارئ القرآن « إقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا[2] » وأما دوام القيام فانه تنبيه على إقامة القلب مع الله عز وجل على نعت واحد من الحضور قال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل مقبل على المصلي ما لم يلتفت[3] » وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات إلى غير الصلاة . فاذا التفت إلى غيره فذكره باطلاع الله عليه وبقبح التهاون بالمناجي عند غفلة المناجي ليعود اليه . وألزم لخشوع للقلب فإن الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع . ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى رجلا مصليا يعبث بلحيته « أما هذا

---

(١) حديث « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ... الحديث » أخرجه مسلم عن أبي هريرة (٢) حديث « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق .. الحديث » أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن عمر وقال الترمذي حسن صحيح

(٣) « إن الله يقبل على المصلي ما لم يلتفت » أخرجه أبو داود والنسائي والحاكم وصحح اسناده أبي ذر

لو خشع قلبه لخشعت جوارحه ، فإنّ الرعية بحكم الراعى . ولهذا ورد فى الدعاء « اللهم أصلح الراعى والرعية [1] » وهو القلب والجوارح . وكان الصدّيق رضى الله عنه فى صلاته كأنه وتد . وابن الزبير رضى الله عنه كأنه عود . وبعضهم كان يسكن فى ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كأنه جماد ، وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدى من يعظم من أبناء الدنيا فكيف لايتقاضاه بين يدى ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك ؟ وكل من يطمئن بين يدى غير الله عز وجل خاشعا وتضطرب أطرافه بين يدى الله عابثا فذلك لقصور معرفته عن جلال الله عز وجل وعن اطلاعه على سره وضميره . وقال عكرمة فى قوله عز وجل ﴿ الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين ﴾ قال : قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه . وأما الركوع والسجود فينبغى أن تجدّد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه وترفع يديك مستجيرا بعفو الله عز وجل من عقابه بتجديد نية ومتبعا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم . ثم تستأنف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد فى ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك . وتستعين على تقرير ذلك فى قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وأنه أعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار . ثم ترتفع من ركوعك راجيا أنه راحم لك ومؤكدا للرجاء فى نفسك بقولك « سمع الله لمن حمده » أى أجاب لمن شكره . ثم تردف ذلك الشكر المتقاضى للمزيد فتقول « ربنا لك الحمد » وتكثر الحمد بقولك « ملء السموات وملء الأرض » ثم تهوى إلى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة فتمكن أعز أعضائك وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب . وإن أمكنك أن لاتجعل بينهما حائلا فتسجد على الأرض فافعل فإنه أجلب للخشوع وأدل على الذل . وإذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم أنك وضعتها موضعها ورددت الفرع إلى أصله فإنك من التراب خلقت وإليه تعود فعند هذا جدّد على قلبك عظمة الله وقل « سبحان ربى الأعلى » وأكده بالتكرار فإنّ الكرّة الواحدة ضعيفة الأثر فإذا رق قلبك وطهر ذلك فاتصدق رجاءك فى رحمة الله فإن رحمته تتسارع إلى الضعف والذل لا إلى التكبر والبطر فارفع رأسك مكبرا وسائلا حاجتك وقائلا « رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم » أو ما أردت من الدعاء . ثم أكد التواضع بالتكرار فعد إلى السجود ثانيا كذلك . وأما التشهد فإذا جلست له فاجلس متأدبا وصرح بأن جميع ماتدلى به من الصلوات والطيبات أى من الأخلاق الطاهرة لله . وكذلك الملك لله وهو معنى « التحيات » وأحضر فى قلبك النبى صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم وقل « سلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته » وليصدّق أملك فى أنه يبلغه ويرد عليك ما هو أوفى منه . ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين . ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلاما وافيا بعدد عباده الصالحين ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولمحمد نبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة مجدّدا عهد الله سبحانه بإعادة كلمتى الشهادة ومستأنفا للتحصن بها . ثم ادع فى آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء بالإجابة . وأشرك فى دعائك أبويك وسائر المؤمنين . واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وانو ختم الصلاة به . واستشعر شكر الله سبحانه على توفيقه لإتمام هذه الطاعة . وتوهم أنك مودع لصلاتك هذه وأنك ربما لاتعيش لمثلها . وقال صلى الله عليه وسلم للذى أوصاه « صل صلاة مودع » ثم أشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير فى الصلاة ، وخف أن لا تقبل صلاتك وأن تكون ممقوتا بذنب ظاهر أو باطن فترد صلاتك فى وجهك ، وترجو مع ذلك أن يقلبها بكرمه وفضله . كان يحيى بن وثاب إذا صلى مكث ما شاء الله تعرف عليه كآبة الصلاة .

(١) حديث « اللهم أصلح الراعى والرعية » لم أقف له على أصل فسره المصنف بالقلب والجوارح

وكان إبراهيم يمكث بعد الصلاة ساعة كأنه مريض . فهذا تفصيل صلاة الخاشعين ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ... والذين هم على صلواتهم يحافظون . . . والذين هم على صلاتهم دائمون . والذين هم يناجون الله على قدر استطاعتهم فى العبودية فليعرض الإنسان نفسه على هذه الصلاة ، فبالقدر الذى يسر له منه ينبغى أن يفرح وعلى مايفوته ينبغى أن يتحسر وفى مداراة ذلك ينبغى أن يجتهد . وأما صلاة الغافلين فهى مخطرة إلا أن يتغمده الله برحمته والرحمة واسعة والكرم فائض فنسأل الله أن يتغمدنا برحمته ويغمرنا بمغفرته إذ لا وسيلة لنا إلا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته . واعلم أنّ تخليص الصلاة عن الآفات وإخلاصها لوجه الله عزوجل وأداءها بالشروط الباطنة التى ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول أنوار فى القلب تكون تلك الأنوار مفاتيح علوم المكاشفة . فأولياء الله المكاشفون بملكوت السموات والأرض وأسرار الربوبية إنما يكاشفون فى الصلاة لاسيما فى السجود إذ يتقرّب العبد من ربه عز وجل بالسجود . ولذلك قال تعالى ﴿ واسجد واقترب ﴾ وإنما تكون مكاشفة كل مصل على قدر صفائه عن كدورات الدنيا ، ويختلف ذلك بالقوّة والضعف والقلة والكثرة وبالجلاء والخفاء حتى ينكشف لبعضهم الشيء بعينه وينكشف لبعضهم الشيء بمثاله ، كما كشف لبعضهم الدنيا فى صورة جيفة والشيطان فى صورة كلب حائم عليها يدعو إليها . ويختلف أيضا بما فيه المكاشفة فبعضهم ينكشف له من صفات الله تعالى وجلاله وبعضهم من أفعاله وبعضهم من دقائق علوم المعاملة . ويكون لتعين تلك المعانى فى كل وقت أسباب خفية لاتحصى وأشدّها مناسبة الهمة فإنها إذا كانت مصروفة إلى شيء معين كان ذلك أولى بالانكشاف ولما كانت هذه الأمور لاتتراءى إلا فى المرائى الصقيلة وكانت المرآة كلها صدئة فاحتجبت عنها الهداية لا لبخل من جهة المنعم بالهداية بل لخبث متراكم الصدإ على مصب الهداية تسارعت الألسنة إلى إنكار مثل ذلك ، إذ الطبع مجبول على إنكار غير الحاضر ، ولو كان للجنين عقل لأنكر إمكان وجود الإنسان فى متسع الهواء ، ولو كان للطفل تمييز ما ربما أنكر مايزعم العقلاء إدراكه من ملكوت السموات والأرض ، وهكذا الإنسان فى كل طور يكاد ينكر مابعده ومن أنكر طور الولاية لزمه أن ينكر طور النبوّة ، وقد خلق الخلق أطوارا فلاينبغى أن ينكر كل واحد ماوراء درجته ، نعم لما طلبوا هذا من المجادله والمباحثة المشوشة ولم يطلبوها من تصفية القلوب عما سوى الله عز وجل فقدوه فأنكروه ومن لم يكن من أهل المكاشفة فلاأقل من أن يؤمن بالغيب ويصدّق به إلى أن يشاهد بالتجربة وفى الخبر « إنّ العبد إذا قام فى الصلاة رفع الله سبحانه الحجاب بينه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه إلى الهواء بصلاته ويؤمنون على دعائه ـ وإن المصلى لينثر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه وينادى مناد : لوعلم هذا المناجى ماالتفت . وإنّ أبواب السماء تفتح للمصلين . وإن الله عز وجل يباهى ملائكته بعبده المصلى [1] » ففتح أبواب السماء ومواجهة الله تعالى إياه بوجهه كناية عن الكشف الذى ذكرناه . وفى التوراة مكتوب : ياابن آدم لاتعجز أن تقوم بين يدى مصليا باكيا فأنا الله الذى اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نورى ، قال : فكنا نرى أن تلك الرقة والبكاء والفتوح الذى يجده المصلى فى قلبه من دنوّ الرب سبحانه من القلب . وإذا لم يكن هذا الدنوّ هو القرب بالمكان فلا معنى له إلا الدنوّ بالهداية والرحمة وكشف الحجاب . ويقال إن العبد إذا صلى ركعتين تعجب منه عشرة صفوف من الملائكة كل صف منهم عشرة آلاف وباهى الله به مائة ألف ملك . وذلك أنّ العبد قد جمع فى الصلاة بين القيام والقعود والركوع والسجود وقد فرّق الله ذلك على أربعين ألف ملك ، فالقائمون

(١) حديث « إن العبد إذا قام فى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبين عبده . . الحديث » لم أجده

لا يركعون إلى يوم القيامة والساجدون لا يرفعون إلى يوم القيامة ، وهكذا الراكعون والقاعدون ، فإن ما رزق تعالى الملائكة من القرب والرتبة لازم مستمر على حال واحد لا يزيد ولا ينقص لذلك أخبر الله عنهم أنهم قالوا ﴿ وما منا إلا له مقام معلوم ﴾ وفارق الإنسان الملائكة فى الترقى من درجة إلى درجة فإنه لا يزال يتقرب إلى الله تعالى فيستفيد مزيد قربه وباب المزيد مسدود على الملائكة عليهم السلام وليس لكل واحد إلا رتبته التى هى وقف عليه . وعبادته التى هو مشغول بها لا ينتقل إلى غيرها ولا يفتر عنها ﴿ لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ ومفتاح مزيد الدرجات هى الصلوات . قال الله عز وجل ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ﴾ فمدحهم بعد الإيمان بصلاة مخصوصة وهى المقرونة بالخشوع . ثم ختم أوصاف المفلحين بالصلاة أيضا فقال تعالى ﴿ والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴾ ثم قال تعالى فى ثمرة تلك الصفات ﴿ أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴾ ووصفهم بالفلاح أولا وبوراثة الفردوس آخرا ، وما عندى أن هدرمة اللسان مع غفلة القلب تنتهى إلى هذا الحد ولذلك قال الله عز وجل فى أضدادهم (ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين) فالمصلون هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله تعالى والمتمتعون بقربه ودنوه من قلوبهم . نسأل الله أن يجعلنا منهم وأن يعيذنا من عقوبة من تزينت أقواله وقبحت أفعاله إنه الكريم المنان القديم الإحسان وصلى الله على كل عبد مصطفى .

حكايات وأخبار فى صلاة الخاشعين رضى الله عنهم

اعلم أن الخشوع ثمرة الإيمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله عز وجل ومن رزق ذلك فإنه يكون خاشعا فى الصلاة وفى غير الصلاة بل فى خلوته وفى بيت المال عند الحاجة ، فإن موجب الخشوع معرفة اطلاع الله تعالى على العبد ومعرفة جلاله ومعرفة تقصير العبد . فمن هذه المعارف يتولد الخشوع وليست مختصة بالصلاة ولذلك روى عن بعضهم أنه لم يرفع رأسه إلى السماء أربعين سنة حياء من الله سبحانه وخشوعا له ، وكان الربيع بن خيم من شدة غضه لبصره وإطراقه يظن بعض الناس أنه أعمى ، وكان يختلف إلى منزل ابن مسعود عشرين سنة فإذا رأته جاريته قالت لابن مسعود : صديقك الأعمى قد جاء ، فكان يضحك ابن مسعود من قولها ، وكان إذا دق الباب تخرج الجارية إليه فتراه مطرقا غاضا بصره ، وكان ابن مسعود إذا نظر إليه يقول (وبشر المخبتين) أما والله لو رآك محمد صلى الله عليه وسلم لفرح بك ـ وفى لفظ آخر : لأحبك وفى لفظ آخر : لضحك ـ ومشى ذات يوم مع ابن مسعود فى الحدادين فلما نظر إلى الأكوار تنفخ وإلى النار تلتهب صعق وسقط مغشيا عليه وقعد ابن مسعود عند رأسه إلى وقت الصلاة فلم يفق فحمله على ظهره إلى منزله ، فلم يزل مغشيا عليه إلى مثل الساعة التى صعق فيها ففاتته خمس صلوات وابن مسعود عند رأسه يقول : هذا والله هو الخوف . وكان الربيع يقول ، ما دخلت فى صلاة قط فأهمنى فيها إلا ما أقول وما يقال لى ، وكان عامر بن عبد الله من خاشعى المصلين وكان إذ صلى ربما ضربت ابنته بالدف وتحدث النساء بما يردن فى البيت ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله ، وقيل له ذات يوم هل تحدثك نفسك فى الصلاة بشىء ؟ قال : نعم بوقوفى بين يدى الله عز وجل ومنصرفى إحدى الدارين ، قيل : فهل تجد شيئا مما تجد من أمور الدنيا ؟ فقال : لأن تختلف الأسنة فى أحب إلى من أن أجد فى صلاتى ما تجدون وكان يقول : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا . وقد كان مسلم بن يسار منهم ، وقد نقلنا أنه لم يشعر بسقوط اسطوانة فى المسجد وهو فى الصلاة . وتأكل طرف من أطراف بعضهم واحتيج فيه إلى القطع فلم يمكن منه فقيل : إنه فى الصلاة لا يحس بما يجرى عليه ؛ فقطع وهو فى الصلاة . وقال بعضهم : الصلاة من الآخرة فإذا دخلت فيها

خرجت من الدنيا وقيل لآخر : هل تحدث نفسك بشيء من الدنيا فى الصلاة ؟ فقال : لافى الصلاة ولافى غيرها . وسئل بعضهم هل تذكر فى الصلاة شيئا ؟ فقال : وهل شيء أحب إلى من الصلاة فأذكره فيها ؟ وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول : من فقه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله فى الصلاة ليدخل فى الصلاة وقلبه فارغ . وكان بعضهم يخفف الصلاة خيفة الوسواس ، وروى أنّ عمار بن ياسر صلى صلاة فأخفها فقيل له : خففت ياأبا اليقظان فقال : هل رأيتموني نقصت من حدودها شيئا ؟ قالوا : لا : قال : إنى بادرت سهو الشيطان ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن العبد ليصلى الصلاة لايكتب له نصفها . ولاثلثها ولاربعها ولا خمسها ولاسدسها ولاعشرها » وكان يقول « إنما يكتب للعبد من صلاته ماعقل منها[1] » ويقال إن طلحة والزبير وطائفة من الصحابة رضى الله عنهم كانوا أخف الناس صلاة ، وقالوا نبادر بها وسوسة الشيطان . وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال على المنبر : إنّ الرجل ليشيب عارضاه فى الإسلام وماأكمل لله تعالى صلاة ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لايتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله عز وجل فيها : وسئل أبو العالية عن قوله تعالى (الذين هم عن صلاتهم ساهون) قال هو الذى يسهو فى صلاته فلا يدرى على كم ينصرف أعلى شفع أم على وتر ؟ وقال الحسن : هو الذى يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج وقال بعضهم : هو الذى إنّ صلاها فى أول الوقت لم يفرح وإن أخرها عن الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها خيرا ولا تأخيرها إثما ، واعلم أن الصلاة قد يحسب بعضها ويكتب بعضها دون بعض كما دلت الأخبار عليه وإن كان الفقيه يقول : إن الصلاة فى الصحة لاتتجزأ ، ولكن ذلك له معنى آخر ذكرناه وهذا المعنى دلت عليه الأحاديث إذورد جبر نقصان الفرائض بالنوافل[2] وفى الخبر « قال عيسى عليه السلام : يقول الله تعالى بالفرائض بجامنى عبدى وبالنوافل تقرّب إلى عبدى » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى لاينجو منى عبدى إلا بأداء ماافترضته عليه[3] » وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم ، صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما انفتل قال ماذا قرأت فسكت القوم ؛ فسأل أبى بن كعب رضى الله عنه فقال : قرأت سورة كذا وتركت آية كذا فما ندرى أنسخت أم رفعت ؟ فقال : أنت لها يا أبى ، ثم أقبل على الآخرين فقال : مابال أقوام يحضرون صلاتهم ويتمون صفوفهم ونبيهم بين أيديهم لا يدرون مايتلو عليهم من كتاب ربهم ؟ ألا إن بنى إسرائيل كذا فعلوا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أنّ قل لقومك تحضرونى أبدانكم وتعطونى ألسنتكم وتغيبون عنى بقلوبكم باطل ماتذهبون إليه[4] » وهذا يدل على أن استماع مايقرأ الإمام وفهمه بدل عن قراءة السورة بنفسه : وقال بعضهم إن الرجل يسجد السجدة عنده أنه تقرّب بها إلى الله عز وجل ولو قسمت ذنوبه فى سجدته على أهل مدينته لهلكوا : قيل وكيف يكون ذلك ؟ قال . يكون ساجدا عند الله وقلبه مصغ إلى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه . فهذه صفة الخاشعين . فدلت هذه الحكايات والأخبار مع ماسبق على أن الأصل فى الصلاة الخشوع وحضور القلب وأن مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى فى المعاد والله أعلم . نسأل الله حسن التوفيق

---

(١) حديث « إن عمار بن ياسر صلى فأخفها فقيل له خففت يا أبا اليقظان .. الحديث » وفيه « إن العبد ليصلى صلاة لايكتب له نصفها ولا ثلثها » . إلى آخره » أخرجه أحمد باسناد صحيح وتقدم المرفوع عنه وهو عند أبى داود والنسائى

(٢) حديث « جبر نقصان الفرائض بالنوافل رواه أصحاب السنن والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة « إن أول مايحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته » وفيه فإن انتقص من فريضة شيئا قال الرب عز وجل انظروا هل لعبدى من تطوع ويكمل بها ما نقص من الفريضة » (٣) حديث « قال الله تعالى لاينجو منى عبدى إلا بأداء ما افترضت عليه » لم أجده

(٤) حديث « صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما التفت قال ماذا قرأت فسكت القوم فسأل أبى بن كعب . الحديث » رواه محمد بن نصر فى كتاب الصلاة مرسلا وأبو منصور الديلمى من حديث أبى بن كعب ورواه النسائى مختصراً من حديث عبد الرحمن بن أبزى باسناد صحيح

الباب الرابع فى الإمامة والقدوة

وعلى الإمام وظائف قبل الصلاة وفى القراءة وفى أركان الصلاة وبعد السلام :

أما الوظائف التى هى قبل الصلاة فستة (أولها) أن لايتقدم للإمامة على قوم يكرهونه فإن اختلفوا كان النظر إلى الأكثرين ، فإن كان الأقلون هم أهل الخير والدين فالنظر إليهم أولى وفى الحديث « ثلاثة لاتجاوز صلاتهم رءوسهم : العبد الآبق وامرأة زوجها ساخط عليها وإمام أم قوما وهم له كارهون [1] » وكما ينهى عن تقدمه مع كراهيتهم فكذلك ينهى عن التقدمة إن كان وراءه من هو أفقه منه إلا إذا امتنع من هو أولى منه فله التقدم ، فإن لم يكن شىء من ذلك فليتقدم مهما قدم وعرف من نفسه القيام بشروط الإمامة . ويكره عند ذلك المدافعة فقد قيل إن قوما تدافعوا الإمامة بعد إقامة الصلاة فخسف بهم . وما روى من مدافعة الإمامة بين الصحابة رضى الله عنهم فسببه إيثارهم من رأوه أنه أولى بذلك أو خوفهم على أنفسهم السهو وخطر ضمان صلاتهم ، فإن الأئمة ضمناء وكأن من لم يتعود ذلك ربما يشتغل قلبه ويتشوش عليه الإخلاص فى صلاته حياء من المقتدين لاسيما فى جهره بالقراءة ، فكان لاحتراز من احترز أسباب من هذا الجنس . (الثانية) إذا خير المرء بين الأذان والإمامة فينبغى أن يختار الإمامة فإن لكل واحد منهما فضلا ولكن الجمع مكروه بل ينبغى أن يكون الإمام غير المؤذن ، وإذا تعذر الجمع فالإمامة أولى . وقال قائلون : الأذان أولى لما نقلناه من فضيلة الأذان ولقوله صلى الله عليه وسلم « الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن [2] » فقالوا ، فيها خطر الضمان . وقال صلى الله عليه وسلم « الإمام أمين فإذا ركع فاركعوا وإذا سجد فاسجدوا [3] » وفى الحديث « فإن أتم فله ولهم وإن نقص فعليه لاعليهم [4] » ولأنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين [5] » والمعفرة أولى بالطلب فإن الرشد يراد للمغفرة وفى الخبر « من أم فى مسجد سبع سنين وجبت له الجنة بلاحساب ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب [6] » ولذلك نقل عن الصحابة رضى الله عنهم أنهم كانوا يتدافعون الإمامة : والصحيح أن الإمامة أفضل إذ واظب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما والأئمة بعدهم . نعم فيها خطر الضمان والفضيلة مع الخطر كما أن رتبة الإمارة أفضل لقوله صلى الله عليه وسلم « ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة [7] » ولكن فيها خطر ولذلك وجب تقديم الأفضل

الباب الرابع

(١) حديث « ثلاثة لاتجاوز صلاتهم رءوسهم : العبد الآبق ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أبى أمامه وقال حسن غريب وضعفه البيهقى (٢) حديث « الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن » أخرجه ابو داود والترمذى من حديث أبي هريرة ، وحكى عن ابن المدينى انه لم يثبته ورواه أحمد من حديث أبي أمامة بإسناد حسن (٣) حديث « الامام أمين فاذا ركع فاركعوا . الحديث » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة دون قوله « الإمام أمين » وهو بهذه الزيادة فى مسند الحميدى وهو متفق عليه من حديث أنس دون هذه الزيادة (٤) حديث « فان أتم فله ولهم وإن انتقص فعليه ولا عليهم » أخرجه ابوداود وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث عقبة بن عامر والبخارى من حديث أبي هريرة « يصلون بكم فان أصابوا فلكم وإن أخطئوا فلكم وعليهم »

(٥) حديث « اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين » هو بقية حديث « الإمام ضامن » وتقدم قبل حديثين (٦) حديث « من أذن فى مسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس بالشطر الأول نحوه قال الترمذى حديث غريب (٧) حديث « ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة » أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس بسند حسن بلفظ ستين

والأفقه فقد قال صلى الله عليه وسلم « أئمتكم شفعاؤكم ـ أو قال وفدكم إلى الله ـ فإن أردتم أن تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم[١] » وقال بعض السلف . ليس بعد الأنبياء أفضل من العلماء ولا بعد العلماء أفضل من الأئمة المصلين لأن هؤلاء قاموا بين يدى الله عز وجل وبين خلقه هذا بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدين وهو الصلاة . وبهذه الحجة احتج الصحابة فى تقديم أبى بكر الصديق رضى الله عنه وعنهم للخلافة ، إذ قالوا نظرنا فإذا الصلاة عماد الدين فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا[٢] وما قدموا بلالا احتجاجا بأنه رضيه للأذان[٣] وما روى « أنه قال له رجل : يا رسول الله دلنى على عمل أدخل به الجنة قال : كن مؤذنا ، قال لا أستطيع ، قال : كن إماما ، قال : لا أستطيع ، فقال : صل بإزاء الإمام[٤] » فلعله ظن أنه لا يرضى بإمامته إذ الأذان إليه والإمامة إلى الجماعة وتقديمهم له . ثم بعد ذلك توهم أنه ربما يقدر عليها (الثالثة) أن يراعى الإمام أوقات الصلوات فيصلى فى أوائلها ليدرك رضوان الله سبحانه ففضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا[٥] هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الحديث « إن العبد ليصلى الصلاة فى آخر وقتها ولم تفته ، ولما فاته من أول وقتها خير له من الدنيا وما فيها[٦] » ولا ينبغى أن يؤخر الصلاة لانتظار كثرة الجماعة بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة أول الوقت فهى أفضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة . وقد قيل كانوا إذا حضر اثنان فى الجماعة لم ينتظروا الثالث ، وإذا حضر أربعة فى الجنازة لم ينتظروا الخامس « وقد تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر وكانوا فى سفر وإنما تأخر للطهارة فلم ينتظر وقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام يقضيها ، قال : فأشفقنا من ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد أحسنتم هكذا فافعلوا[٧] » وقد تأخر فى صلاة الظهر فقدموا أبا بكر رضى الله عنه حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى الصلاة فقام إلى جانبه[٨] » وليس على الإمام انتظار المؤذن وإنما على المؤذن انتظار الإمام للإقامة فإذا حضر فلا ينتظر غيره (الرابعة) أن يؤم مخلصا لله عز وجل ومؤديا أمانة الله تعالى فى طهارته وجميع شروط صلاته . أما الإخلاص

---

(١) حديث « أئمتكم وفدكم إلى الله تعالى فإن أردتم أن تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم » أخرجه الدارقطنى والبيهقى وضعف إسناده من حديث ابن عمر والبغوى وابن قانع والطبرانى فى معاجمهم والحاكم من حديث مرثد بن أبى مرثد نحوه وهو منقطع وفيه يحيى بن يحيى الأسلمى وهو ضعيف (٢) حديث « تقديم الصحابة أبا بكر وقولهم اخترنا لدنيانا من اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا » أخرجه ابن شاهين فى شرح مذهب أهل السنة من حديث على قال « لقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلى بالناس وإنى شاهد ـ ما أنا بغائب ولا فى مرض ـ فرضينا لدنيانا ما رضى به النبى صلى الله عليه وسلم لديننا » والمرفوع منه متفق عليه من حديث عائشة وأبى موسى فى حديث « قال مروا أبا بكر فليصل بالناس » (٣) حديث « تقديم الصحابة بلالا » احتجاجا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيه للأذان أما المرفوع منه فرواه أبو داود والترمذى وصححه وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان من حديث عبد الله بن زيد فى بدء الأذان وفيه « قم مع بلال فألق عليه ما رأيت فيؤذن به .. الحديث » وأما تقديمهم له بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم فروى الطبرانى « أن بلالا جاء إلى أبى بكر فقال يا خليفة رسول الله أردت أن أرابط بنفسى فى سبيل الله حتى أموت فقال أبو بكر أنشدك بالله يا بلال وحرمتى وحقى لقد كبرت سنى وضعفت قوتى واقترب أجلى وأقام بلال معه ، فلما توفى أبو بكر جاء عمر فقال له مثل ما قال لأبى بكر فأبى عليه فقال عمر فمن يا بلال ؟ فقال إلى سعد فإنه قد أذن بقباء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمر الأذان إلى سعد وعقبة » وفى إسناده جهالة (٤) حديث « قال له رجل يا رسول الله دلنى على عمل أدخل به الجنة فقال كن مؤذنا ... الحديث » أخرجه البخارى فى التاريخ والعقيلى فى الضعفاء والطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف (٥) حديث « فضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٦) حديث « إن العبد ليصلى الصلاة فى آخر وقتها ولم تفته .. الحديث » أخرجه الدارقطنى من حديث أبى هريرة نحوه بإسناد ضعيف (٧) حديث « تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما عن صلاة الفجر وكان فى سفر وإنما تأخر للطهارة فقدموا عبد الرحمن بن عوف .. الحديث » متفق عليه من حديث المغيرة (٨) حديث « تأخر فى صلاة الظهر فقدموا أبا بكر .. الحديث » متفق عليه من حديث سهل بن سعد

فبأن لا يأخذ عليها أجرة فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن أبي العاص الثقفي وقال « اتخذ مؤذنا لا يأخذ على الأذان أجرا [١] » فالأذان طريق إلى الصلاة فهي أولى بأن لا يؤخذ عليها أجر ، فإن أخذ رزقا من مسجد قد وقف على من يقوم بإمامته أو من السلطان أو آحاد الناس فلا يحكم بتحريمه ولكنه مكروه . والكراهية في الفرائض أشد منها في التراويح « وتكون أجرة له على مداومته على حضور الموضع ومراقبة مصالح المسجد في إقامة الجماعة لا على نفس الصلاة . وأما الأمانة فهي الطهارة باطناً عن الفسق والكبائر والإصرار على الصغائر فالمترشح للإمامة ينبغي أن يحترز عن ذلك بجهده فإنه كالوفد والشفيع للقوم فينبغي أن يكون خير القوم وكذا الطهارة ظاهراً عن الحدث والخبث فإنه لا يطلع عليه سواه ، فإن تذكر في أثناء صلاته حدثا أو خرج منه ريح فلا ينبغي أن يستحي بل يأخذ بيد من يقرب منه ويستخلفه « فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنابة في أثناء الصلاة فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل في الصلاة [٢] » وقال سفيان : صل خلف كل بر وفاجر إلا مدمن خمر أو معلن بالفسوق أو عاق لوالديه أو صاحب بدعة أو عبد آبق (الخامسة) أن لا يكبر حتى تستوى الصفوف وليلتفت يميناً وشمالا فإن رأى خللا أمر بالتسوية . قيل كانوا يتحاذون بالمناكب ويتضامون بالكعاب . ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الإقامة والمؤذن يؤخر الإقامة عن الأذان بقدر استعداد الناس في الصلاة . ففي الخبر « ليتمهل المؤذن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره [٣] » وذلك لأنه نهى عن مدافعة الأخبثين [٤] وأمر بتقديم العشاء على العشاء [٥] طلباً لفراغ القلب (السادسة) أن يرفع صوته بتكبيرة الإحرام وسائر التكبيرات ولا يرفع المأموم صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه . وينوى الإمامة لينال الفضل فإن لم ينو صحت صلاته وصلاة القوم إذا نووا الاقتداء . ونالوا فضل القدوة وهو لا ينال فضل الإمامة ، وليؤخر المأموم تكبيره عن تكبيرة الإمام فيبتدئ بعد فراغه والله أعلم . وأما وظائف القراءة فثلاثة (أولها) أن يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة والسورة بعدها في جميع الصبح وأولي العشاء والمغرب وكذلك المنفرد . ويجهر بقوله « آمين » في الصلاة الجهرية وكذا المأموم ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الإمام معاً لا تعقيبا [٦] ويجهر بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » والأخبار فيه متعارضة [٧] واختيار الشافعي رضي الله عنه الجهر (الثانية) أن يكون للإمام في القيام ثلاث سكتات [٨] هكذا رواه سمرة بن جندب وعمران بن الحصين عن

---

(١) حديث « اتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجرة » أخرجه أصحاب السنن والحاكم وصححه من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي

(٢) حديث « تذكر النبي صلى الله عليه وسلم الجنابة في صلاته فاستخلف واغتسل ثم رجع » أخرجه أبو داود من حديث أبي بكرة بإسناد صحيح وليس فيه ذكر الاستخلاف وإنما قال « ثم أومأ إليهم أن مكانكم . الحديث » وورد الاستخلاف من فعل عمر وعلي وعند البخاري استخلاف عمر في قصة طعنه (٣) حديث « يمهل المؤذن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره » أخرجه الترمذي والحاكم من حديث جابر « يا بلال اجعل بين أذانك وإقامتك قدر ما يفرغ الآكل من أكله والشارب من شربه والمعتصر إذا دخل لقضاء حاجته » قال الترمذي : إسناده مجهول وقال الحاكم ليس في إسناده مطعون فيه غير عمرو بن قايد . قلت : بل فيه عبد المنعم الدباغي منكر الحديث قاله البخاري وغيره (٤) حديث النهي عن مدافعة الأخبثين أخرجه مسلم من حديث عائشة بلفظ « صلاة » وللبيهقي « لا يصلين أحدكم .. الحديث » (٥) « الأمر بتقديم العشاء على العشاء » تقدم من حديث ابن عمر وعائشة « إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء » متفق عليه . (٦) حديث الجهر بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » أخرجه الدارقطني والحاكم وصححه من حديث ابن عباس (٧) حديث « ترك الجهر بها » أخرجه مسلم من حديث أنس « صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلم أسمع أحدا منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم » وللنسائي يجهر له « بسم الله الرحمن الرحيم »

(٨) حديث سمرة بن جندب وعمران بن حصين في سكتات الامام رواه الإمام أحمد من حديث سمرة قال « كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سكتات في صلاته . وقال عمران : أنا أحفظها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبوا في ذلك إلى أبي بن كعب ؟ فكتب إن سمرة قد حفظ » هكذا وجدته في غير نسخة صحيحة من المسند والمعروف أن عمران أنكر ذلك على سمرة هكذا في غير موضع من المسند رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان ، وروى الترمذي « فأنكر ذلك عمران وقال حفظنا سكتة وقال حديث =

رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أولاهن : إذا كبر وهى الطولى منهن مقدار ما يقرأ من خلفه فاتحة الكتاب وذلك وقت قراءته لدعاء الاستفتاح فإنه إن لم يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه ما نقص من صلاتهم ، فإن لم يقرءوا الفاتحة فى سكوته واشتغلوا بغيرها فذلك علية لاعليهم . السكتة الثانية : إذا فرغ من الفاتحة ليتم من يقرأ الفاتحة فى السكتة الأولى فاتحته وهى كنصف السكتة الأولى . السكتة الثالثة : إذا فرغ من السورة قبل أن يركع وهى أخفها وذلك بقدر ماتنفصل القراءة عن التكبير فقد نهى عن الوصل فيه . ولايقرأ المأموم وراء الإمام إلا الفاتحة فإن لم يسكت الإمام قرأ فاتحة الكتاب معه والمقصر هو الإمام . وإن لم يسمع المأموم فى الجهرية لبعده أوكان فى السرية فلا بأس بقراءة السورة (الوظيفة الثالثة) أن يقرأ فى الصبح سورتين من المثانى مادون المائة فإنّ الإطالة فى قراءة الفجر والتغليس بها سنة ، ولايضره الخروج منها مع الإسفار ، ولا بأس بأن يقرأ فى الثانية بأواخر السور نحو الثلاثين أو العشرين إلى أن يختمها لأنّ ذلك لايتكرر على الأسماع كثيراً فيكون أبلغ فى الوعظ وأدعى إلى التفكر ، وإنما كره بعض العلماء قراءة بعض أول السور وقطعها وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى إلى ذكر موسى وفرعون قطع فركع [1] وروى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ فى الفجر آية من البقرة [2] وهى قوله ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ﴾ وفى الثانية ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت ﴾ وسمع بلالا يقرأ من ههنا وههنا ؛ فسأله عن ذلك فقال : أخلط الطيب بالطيب ، فقال : أحسنت [3] ويقرأ فى الظهر بطوال المفصل إلى ثلاثين آية وفى العصر بنصف ذلك وفى المغرب بأواخر المفصل . وآخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم : المغرب ؛ قرأ فيها سورة المرسلات ماصلى بعدها حتى قبض [4] . وبالجملة التخفيف أولى لاسيما إذا كثر الجمع قال صلى الله عليه وسلم فى هذه الرخصة « إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة وإذا صلى لنفسه فليطول ماشاء [5] » وقد كان معاذ بن جبل يصلى بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة وأتم لنفسه ، فقالوا : نافق الرجل ، فتشاكيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجر رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذاً فقال « أفتان أنت يامعاذ اقرأ سورة سبح والسماء والطارق والشمس وضحاها [6] » . وأما وظائف الأركان فثلاثة ؛ أولها : أن يخفف الركوع والسجود فلا يزيد فى التسبيحات على ثلاث فقد روى عن أنس أنه قال « مارأيت أخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تمام [7] » نعم روى أيضاً أن أنس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أميراً بالمدينة قال « ماصليت وراء أحد أشبه صلاة بصلاة رسول الله صلى الله عليه

= حسن انتهى وليس فى حديث سمرة إلا سكتتان : ولكن اختلف عنه فى محل الثانية . وروى عنه بعد الفاتحة وروى عنه بعد السورة وللدارقطنى من حديث أبى هريرة وضعفه « من صلى صلاة مكتوبة مع الإمام فليقرأ بفاتحة الكتاب فى سكتاته »

(١) حديث «قرأ بعض سورة يونس ، فلما انتهى إلى ذكر موسى وفرعون قطع وركع» أخرجه مسلم من حديث عبدالله بن السائب وقال : سورة المؤمنين وقال موسى وهارون وعلقه البخارى (٢) حديث قرأ فى الفجر (قولوا آمنا بالله) الآية ، وفى الثانية (ربنا آمنا بما أنزلت) أخرجه مسلم من حديث ابن عباس كان يقرأ فى ركعتى الفجر فى الأولى منها (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا) الآية التى فى البقرة وفى الآخرة منها (آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون) رواه أبو داود من حديث أبى هريرة (قل آمنا بالله وماأنزل علينا) الآية وفى الركعة الآخرة (ربنا آمنا بما أنزلت) أو (لما أرسلتك بالحق) (٣) حديث «سمع بلالا يقرأ من ههنا ومن ههنا» فسأله عن ذلك فقال أخلط الطيب بالطيب فقال أحسنت» أخرجه أبو داود من حديث أبى هريرة بإسناد صحيح نحوه

(٤) حديث « قراءته فى المغرب بالمرسلات وهى آخر صلاة صلاها » متفق عليه من حديث أم الفضل

(٥) حديث « إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف .. الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة (٦) حديث «صلى معاذ بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة .. الحديث» متفق عليه من حديث جابر وليس فيه ذكر (والسماء والطارق) وهى عند البيهقى

(٧) حديث أنس « ما رأيت أخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تمام » متفق عليه

وسلم من هذا الشاب قال : وكنا نسبح وراءه عشرا عشرا [١] ، وروى مجملا أنهم قالوا «كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الركوع والسجود عشرا عشرا [٢] ، وذلك حسن ولكن الثلاث إذا كثر الجمع أحسن . فاذا لم يحضر إلا المتجردون للدين فلا بأس بالعشر ، هذا وجه الجمع بين الروايات . وينبغى أن يقول الإمام عند رفع رأسه من الركوع « سمع الله لمن حمده » الثانية : فى المأموم ؛ ينبغى أن لا يساوى الإمام فى الركوع والسجود بل يتأخر فلا يهوى للسجود إلى إذا وصلت جبهة الإمام إلى المسجد ، هكذا كان اقتدى الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم [٣] ولا يهوى للركوع حتى يستوى الإمام راكعاً . وقد قيل إن الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام ؛ طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد الإمام : وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساوونه ، وطائفة بلا صلاة وهم الذين يسابقون الإمام . وقد اختلف فى أن الإمام فى الركوع هل ينتظر لحوق من يدخل لينال فضل الجماعة وإدراكهم لتلك الركعة ؟ ولعل الأولى أن ذلك مع الإخلاص لا بأس به إذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فان حقهم مرعى فى ترك التطويل عليهم . الثالثة : لا يزيد فى دعاء التشهد على مقدار التشهد حذرا من التطويل ولا يخص نفسه فى الدعاء بل يأتى بصيغة الجمع فيقول « اللهم اغفر لنا » ولا يقول « اغفر لى » فقد كره للإمام أن يخص نفسه ولا بأس أن يستعيذ فى التشهد بالكلمات الخمس المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول «نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين [٤] » وقيل سمى مسيحاً لأنه يمسح الأرض بطولها وقيل لأنه ممسوح العين أى مطموسها ، وأما وظائف التحلل فثلاثة ، أولها : أن ينوى بالتسليمتين السلام على القوم والملائكة . الثانية : أن يثبت عقيب السلام كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما فيصلى النافلة فى موضع آخر . فإن كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن [٥] وفى الخبر المشهور « أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقعد إلا قدر قوله : اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام [٦] » الثالثة : إذا وثب فينبغى أن يقبل بوجهه على الناس ويكره للمأموم القيام قبل انتقال الامام . فقد روى عن طلحة والزبير رضى الله عنهما أنهما صليا خلف إمام فلما سلما قالا للإمام ما أحسن صلاتك وأتمها إلا شيئا واحداً أنك لما سلمت لم تنفتل بوجهك . ثم قالا للناس : ما أحسن صلاتكم إلا أنكم انصرفتم قبل أن ينفتل إمامكم . ثم ينصرف الإمام حيث شاء من يمينه وشماله واليمين أحب . هذه وظيفة الصلوات ، وأما الصبح فزيد فيها القنوت فيقول الإمام « اللهم اهدنا » ولا يقول اللهم اهدنى ، ويؤمن المأموم فاذا انتهى إلى قوله « إنك تقضى ولا يقضى عليك » فلا يليق به التأمين وهو ثناء ، فيقرأ معه فيقول مثل قوله أو يقول «بلى وأنا على ذلك من الشاهدين » أو « صدقت وبررت » وما أشبه ذلك . وقد روى حديث فى رفع اليدين فى القنوت [٧] فاذا صح

---

(١) حديث أنس « أنه صلى خلف عمر بن عبد العزيز فقال ما صليت وراء أحد أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب .. الحديث أخرجه أبو داود والنسائى بإسناد جيد وضعفه ابن القطان (٢) حديث « كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الركوع والسجود عشرا لم أجد له أصلا فى الحديث الذى قبله وفيه « كبرنا فى ركوعه عشر تسبيحات وفى سجوده عشر تسبيحات »

(٣) حديث « كان الصحابة لا يهوون للسجود إلا إذا وصلت جبهة النبى صلى الله عليه وسلم إلى الأرض » متفق عليه من حديث البراء بن عازب (٤) حديث « التعوذ فى التشهد من عذاب جهنم وعذاب القبر .. الحديث » تقدم وزاد فيه الغزالى هنا « وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين » ولم أجده مقيدا بآخر الصلاة وللترمذى من حديث ابن عباس « وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون » روى الحاكم نحوه من حديث ثوبان وعبد الرحمن بن عايش وصححهما وسيأتى فى الدعاء

(٥) حديث « المكث بعد السلام » أخرجه البخارى من حديث أم سلمة (٦) حديث « إنه لم يكن يقعد إلا بقدر قوله : اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام » أخرجه مسلم من حديث عائشة (٧) حديث « رفع اليدين فى القنوت » أخرجه البيهقى من حديث أنس بسند جيد فى قصة قتل القراء « ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما صلى الغداة رفع يديه » يدعو عليهم

الحديث استحب ذلك وإن كان على خلاف الدعوات فى آخر التشهد إذ لا يرفع بسببها اليد بل التعويل على التوقيف وبينهما أيضا فرق أن للأيدى وظيفة فى التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لهما ههنا ، فلا يبعد أن يكون رفع اليدين هو الوظيفة فى القنوت ، فانه لائق بالدعاء والله أعلم . فهذه جمل آداب القدوة والإمامة والله الموفق .

الباب الخامس : فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها

فضيلة الجمعة

إعلم أن هذا يوم عظيم عظم الله به الإسلام وخصص به المسلمين . قال الله تعالى (إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) فحرم الاشتغال بأمور الدنيا وبكل صارف عن السعى إلى الجمعة . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل فرض عليكم الجمعة فى يومى هذا فى مقامى هذا [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه [2] » وفى لفظ آخر « فقد نبذ الإسلام وراء ظهره [3] » واختلف رجل إلى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة ، فقال : فى النار ، فلم يزل يتردد اليه شهراً يسأله عن ذلك وهو يقول فى النار وفى الخبر : إن أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله تعالى له وأخره لهذه الأمة وجعله عيداً لهم فهم أولى الناس به سبقا وأهل الكتابين لهم تبع [4] . وفى حديث أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « أتانى جبريل عليه السلام فى كفه مرآة بيضاء وقال : هذه الجمعة يفرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولأمتك من بعدك . قلت : فما لنا فيها ؟ قال : لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير قسم له أعطاه الله سبحانه إياه أو ليس له قسم ذخر له ما هو أعظم منه ؛ أو تعوذ من شر مكتوب عليه إلا أعاذه الله عز وجل من أعظم منه وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه فى الآخرة يوم المزيد ، قلت ولم؟ قال: إنّ ربك عز وجل اتخذ فى الجنة وادياً أفسح من المسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة نزل تعالى من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى ينظروا إلى وجهه الكريم [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط إلى الأرض وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة، وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميه الملائكة فى السماء وهو يوم النظر إلى الله تعالى فى الجنة [6] » وفى الخبر « إن لله عز وجل فى كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار [7] » وفى حديث أنس رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم

الباب الخامس

(١) حديث « إن الله فرض عليكم الجمعة فى يومى هذا .. الحديث » أخرجه ابن ماجه من حديث جابر بإسناد ضعيف

(٢) حديث « من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه » أخرجه أحمد واللفظ له وأصحاب السنن ورواه الحاكم وصححه من حديث أبى الجعد الضمرى (٣) حديث « من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر فقد نبذ الإسلام وراء ظهره » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس (٤) حديث « إن أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه . الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة بنحوه

(٥) حديث أنس « أتانى جبريل فى كفه مرآة بيضاء فقال هذه الجمعة .. الحديث » أخرجه الشافعى فى المسند والطبرانى فى الأوسط وابن مردويه فى التفسير بأسانيد ضعيفة مع اختلاف (٦) حديث « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة .. الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة (٧) حديث « إن لله فى كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار » أخرجه ابن عدى وابن حبان فى الضعفاء وفى الشعب من حديث أنس قال الدارقطنى فى العلل والحديث غير ثابت

قال « إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام[1] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ الجحيم تسعر فى كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس فى كبد السماء فلا تصلوا فى هذه الساعة إلا يوم الجمعة فانه صلاة كله وإن جهنم لاتسعر فيه[2] » وقال كعب : إن الله عز وجل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة ومن الليالى ليلة القدر ويقال إن الطير والهوام يلقى بعضها بعضا فى يوم الجمعة فتقول : سلام سلام يوم صالح وقال صلى الله عليه وسلم « من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر[3] »

بيان شروط الجمعة

اعلم أنها تشارك جميع الصلوات فى الشروط وتتميز عنها بستة شروط (الأول) الوقت : فان وقعت تسليمة الإمام فى وقت العصر فاتت الجمعة وعليه أن يتمها ظهرا أربعا ، والمسبوق إذا وقعت ركعته الأخيرة خارجا من الوقت فعليه خلاف (الثانى) المكان : فلا تصح فى الصحارى والبرارى وبين الخيام بل لا بد من بقعة جامعة لأبنية لا تنقل بجمع أربعين ممن تلزمهم الجمعة والقرية فيه كالبلد ، ولا يشترط فيه حضور السلطان ولا إذنه ولكن الأحب استئذانه (الثالث) العدد : فلا تنعقد بأقل من أربعين ذكوراً مكلفين أحراراً مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفا ، فان انفضوا حتى نقص العدد إما فى الخطبة أو فى الصلاة لم تصح الجمعة بل لابد منهم من الأول إلى الآخر (الرابع) الجماعة : فلو صلى أربعون فى قرية أو فى بلد متفرقين لم تصح جمعتهم . ولكن المسبوق إذا أدرك الركعة الثانية حاز له الانفراد بالركعة الثانية . وإن لم يدرك ركوع الركعة الثانية اقتدى ونوى الظهر وإذا سلم الإمام تممها ظهرا (الخامس) أن لا تكون الجمعة مسبوقة بأخرى فى ذلك البلد . فان تعذر اجتماعهم فى جامع واحد جاز فى جامعين وثلاثة وأربعة بقدر الحاجة . وإن لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التى يقع بها التحريم أولا . وإذا تحققت الحاجة فالأفضل الصلاة خلف الأفضل من الإمامين ، فان تساويا فالمسجد الأقدم ، فإن تساويا ففى الأقرب ، ولكثرة الناس أيضا فضل يراعى (السادس) الخطبتان : فهما فريضتان والقيام فيهما فريضة والجلسة بينهما فريضة . وفى الأولى أربع فرائض : التحميد وأقله الحمد لله . والثانية : الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . والثالثة : الوصية بتقوى الله سبحانه وتعالى والرابعة : قراءة آية من القرآن . وكذا فرائض الثانية أربعة إلا أنه يجب فيها الدعاء بدل القراءة . واستماع الخطبتين واجب من الأربعين . وأما السنن : فإذا زالت الشمس وأذن المؤذن وجلس الإمام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية ، والكلام لا ينقطع إلا بافتتاح الخطبة . ويسلم الخطيب على الناس إذا أقبل عليهم بوجهه ويردون عليه السلام فإذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه لا يلتفت يمينا ولا شمالا ويشغل يديه بقائم السيف أو العنزة والمنبر كى لا يعبث بهما أو يضع إحداهما على الأخرى . ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة . ولا يستعمل غريب اللغة ولا يمطط ولا يتغنى . وتكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة . ويستحب أن يقرأ آية فى الثانية أيضاً . ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فإن سلم لم يستحق جواباً ، والإشارة بالجواب حسن ، ولا يشمت العاطسين أيضا . هذه شروط الصحة . فأما شروط الوجوب : فلا تجب الجمعة إلا على ذكر بالغ عاقل مسلم حر مقيم فى قرية تشتمل على أربعين جامعين

---

(١) حديث أنس « إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام » أخرجه ابن حبان فى الضعفاء وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب من حديث عائشة ولم أجده من حديث أنس (٢) حديث « إن الجحيم تسعر كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس — إلى أن قال — إلا يوم الجمعة .. الحديث » أخرجه أبو داود من حديث أبى قتادة وأعله بالانقطاع (٣) حديث « من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر » أخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث جابر روى الرندى نحوه مختصراً من حديث عبد الله بن عمر وقال غريب ليس إسناده بمتصل . قلت . وصله الترمذى الحكيم فى النوادر

لهذه الصفات ، أو فى قرية من سواد البلد يبلغها نداء البلد من طرف بابها والأصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى (إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) ويرخص لهؤلاء فى ترك الجمعة لعذر المطر والوحل والفزع والمرض والتمريض إذا لم يكن للمريض قيم غيره . ثم يستحب لهم ـ أعنى أصحاب الأعذار ـ تأخير الظهر إلى أن يفرغ الناس من الجمعة ، فان حضر الجمعة مريض أو مسافر أو عبد أو امرأة صحت جمعتهم وأجزأت عن الظهر والله أعلم

بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة وهى عشر جمل

(الأول) أن يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد العصر يوم الخميس لأنها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة فى يوم الجمعة . قال بعض السلف : إنّ لله عز وجل فضلا سوى أرزاق العباد لا يعطى من ذلك الفضل إلا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة ، ويغسل فى هذا اليوم ثيابه ويبيضها ويعد الطيب إن لم يكن عنده ، ويفرغ قلبه من الأشغال التى تمنعه من البكور إلى الجمعة ، وينوى فى هذه الليلة صوم يوم الجمعة فإن له فضلا وليكن مضموما إلى يوم الخميس أو السبت ـ لا مفردا فإنه مكروه ـ ويشتغل بإحياء هذه الليلة بالصلاة وختم القرآن فلها فضل كثير وينسحب عليها فضل يوم الجمعة . ويجامع أهله فى هذه الليلة أو فى يوم الجمعة فقد استحب ذلك قوم حملوا عليه قوله صلى الله عليه وسلم « رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل [1] » وهو حمل الأهل على الغسل . وقيل معناه غسل ثيابه ـ فروى بالتخفيف ـ واغتسل لجسده . وبهذا تتم آداب الاستقبال ويخرج من زمرة الغافلين الذين إذا أصبحوا قالوا ما هذا اليوم؟ قال بعض السلف : أوفى الناس نصيبا من الجمعة من انتظرها ورعاها من الأمس ، وأخفهم نصيبا من إذا أصبح يقول : أيش اليوم ؟ وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة فى الجامع لأجلها (الثانى) إذا أصبح ابتدأ بالغسل بعد طلوع الفجر ، وإن كان لا يبكر فأقرب إلى الرواح أحب ليكون أقرب عهدا بالنظافة ، فالغسل مستحب استحبابا مؤكدا ، وذهب بعض العلماء إلى وجوبه قال صلى الله عليه وسلم « غسل الجمعة واجب على كل محتلم [2] » والمشهور من حديث نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما « من أتى الجمعة فليغتسل [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل [4] » وكان أهل المدينة إذا تساب المتسابان يقول أحدهما للآخر : لأنت أشر ممن لا يغتسل يوم الجمعة . وقال عمر لعثمان رضى الله عنهما لما دخل وهو يخطب « أهذه الساعة ؟ ـ منكراً عليه ترك البكور ـ فقال : ما زدت بعد أن سمعت الأذان على أن توضأت وخرجت فقال : والوضوء أيضا : وقد علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا بالغسل [5] » وقد عرف جواز ترك الغسل بوضوء عثمان رضى الله تعالى عنه وبما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال « من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل [6] » ومن اغتسل للجنابة فليفض الماء على بدنه مرة أخرى

---

(١) حديث « رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل . . الحديث » رواه أصحاب السنن وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أوس بن أوس « من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر . . الحديث » وحسنه الترمذى

(٢) حديث « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم » متفق عليه من حديث أبى سعيد (٣) حديث نافع عن ابن عمر « من أتى الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل » متفق عليه وهذا لفظ ابن حبان (٤) حديث « من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا » أخرجه ابن حبان والبيهقى من حديث ابن عمر (٥) حديث « قال عمر لعثمان لما دخل وهو يخطب : أهذه الساعة . . : الحديث ـ إلى أن قال ـ والوضوء أيضا وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل » متفق عليه من حديث أبى هريرة ولم يسم البخارى عثمان (٦) حديث « من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت . . الحديث » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه ورواه النسائى من حديث سمرة

على نية غسل الجمعة ، فإن اكتفى بغسل واحد أجزأه وحصل له الفضل إذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة فى غسل الجنابة . وقد دخل بعض الصحابة على ولده وقد اغتسل فقال له : أللجمعة ؟ فقال : بل عن الجنابة ، فقال : أعد غسلا ثانيا ، وروى الحديث فى غسل الجمعة على كل محتلم . وإنما أمره به لأنه لم يكن نواه . وكان لا يبعد أن يقال المقصود النظافة وقد حصلت دون النية ، ولكن هذا ينقدح فى الوضوء أيضا وقد جعل فى الشرع قربة فلا بد من طلب فضلها . ومن اغتسل ثم أحدث توضأ ولم يبطل غسله والأحب أن يحترز عن ذلك (الثالثة) الزينة ، وهى مستحبة فى هذا اليوم وهى ثلاثة : الكسوة والنظافه وتطييب الرائحة . أما النظافة فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقص الشارب وسائر ما سبق فى كتاب الطهارة . قال ابن مسعود : من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله عز وجل منه داء وأدخل فيه شفاء ، فإن كان قد دخل الحمام فى الخميس أو الأربعاء فقد حصل المقصود . فليتطيب فى هذا اليوم بأطيب طيب عنده ليغلب بها الروائح الكريهة ويوصل بها الروح والرائحة إلى مشام الحاضرين فى جواره « وأحب طيب الرجال ماظهر ريحه وخفى لونه وطيب النساء ماظهر لونه وخفى ريحه [1] » وروى ذلك فى الأثر وقال الشافعى رضى الله عنه : من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله . وأما الكسوة فأحبها البياض من الثياب - إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البيض - ولا يلبس ما فيه شهرة . ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل بل كره جماعة النظر إليه لأنه بدعة محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمامة مستحبة فى هذا اليوم . وروى واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال إن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة [2] » فإن أكربه الحر فلا بأس بنزعها قبل الصلاة وبعدها ولكن لا ينزع فى وقت السعى من المنزل إلى الجمعة ولا فى وقت الصلاة ولا عند صعود الإمام المنبر وفى خطبته (الرابع) البكور إلى الجامع : ويستحب أن يقصد الجامع من فرسخين وثلاث وليبكر . ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وفضل البكور عظيم . وينبغى أن يكون فى سعيه إلى الجمعة خاشعاً متواضعاً ناويا للاعتكاف فى المسجد إلى وقت الصلاة قاصداً للمبادرة إلى جواب نداء الله عز وجل إلى الجمعة إياه . والمسارعة إلى مغفرته ورضوانه وقد قال صلى الله عليه وسلم « من راح إلى الجمعة فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة فإذا خرج الإمام طويت الصحف ورفعت الأقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فإنما جاء لحق الصلاة ليس له من الفضل شىء [3] » والساعة الأولى إلى طلوع الشمس ؛ والثانية إلى ارتفاعها ، والثالثة إلى انبساطها حين ترمض الأقدام ، والرابعة والخامسة بعد الضحى الأعلى إلى الزوال وفضلها قليل ؛ ووقت الزوال حق الصلاة ولا فضل فيه . وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا ركض الإبل فى طلبهن ؛ الأذان والصف الأول والغدو إلى الجمعة [4] » وقال أحمد بن حنبل رضى الله عنه : أفضلهن الغدو إلى الجمعة . وفى الخبر

---

(١) حديث « طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفى لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه والنسائى من حديث أبى هريرة (٢) حديث واثلة بن الأسقع «إن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة» أخرجه الطبرانى وعدى ، وقال منكر من حديث أبى الدرداء ولم أره من حديث واثلة (٣) حديث « من راح الى الجمعة فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة .. الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة وأنس وفيه « ورفعت الأقلام» وهذه اللفظة عند البيهقى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٤) حديث « ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا ركض الإبل فى طلبهن : الأذان والصف الأول والغدو إلى الجمعة » أخرجه أبو الشيخ فى ثواب الأعمال من حديث أبى هريرة « ثلاث لو يعلم الناس مافيهن ما أخذتهن الا بالاستهام عليهن حرصا على ما فيهن من الخير والبركة .. الحديث » قال « والتهجير الى الجمعة » وفى الصحيحين من حديثه « لو يعلم الناس مافى النداء والصف الأول ثم لم يجدوا الا أن يستهموا لاستهموا ولو يعلمون مافى التهجير لاستبقوا اليه

« إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المساجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأول فالأول على مراتبهم [١] » وجاء فى الخبر « إنّ الملائكة يتفقدون الرجل إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه : ما فعل فلان وما الذى أخره عن وقته ؟ فيقولون : اللهم إن كان أخره فقر فأغنه وإن كان أخره مرض فاشفه وإن كان أخره شغل ففرّغه لعبادتك وإن كان أخره لهو فأقبل بقلبه إلى طاعتك [٢] » وكان يرى فى القرن الأول سحراً وبعد الفجر الطرقات مملوءة من الناس يمشون فى السرج ويزدحمون بها إلى الجامع كأيام العيد حتى اندرس ذلك فقيل : أوّل بدعة حدثت فى الإسلام ترك البكور إلى الجامع . وكيف لا يستحى المسلمون من اليهود والنصارى وهم يبكرون إلى البيع والكنائس يوم السبت والأحد ؟ وطلاب الدنيا كيف يبكرون إلى رحاب الأسواق للبيع والشراء والربح فلم لا يسابقهم طلاب الآخرة ؟ ويقال : إنّ الناس يكونون فى قربهم عند النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى على قدر بكورهم إلى الجمعة . ودخل ابن مسعود رضى الله عنه بكرة الجامع فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتم لذلك وجعل يقول فى نفسه معاتبا لها : رابع أربعة : وما رابع أربعة من البكور ببعيد

(الخامس) فى هيئة الدخول : ينبغى أن لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين أيديهم والبكور يسهل ذلك عليه فقد ورد وعيد شديد فى تخطى الرقاب وهو أنه يجعل جسرا يوم القيامة يتخطاه الناس [٣] » وروى ابن جريج مرسلا « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب يوم الجمعة إذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبى صلى الله عليه وسلم صلاته عارض الرجل حتى لقيه فقال : يافلان ما منعك أن تجمع اليوم معنا ؟ قال : يانبى الله قد جمعت معكم : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ألم نرك تتخطى رقاب الناس [٤] » أشار به إلى أنه أحبط عمله . وفى حديث مسند أنه قال « ما منعك أن تصلى معنا ؟ قال : أو لم ترنى يارسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : رأيتك تأبيت وآذيت [٥] » أى تأخرت عن البكور وآذيت الحضور . ومهما كان الصف الأول متروكا خاليا فله أن يتخطى رقاب الناس لأنهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة . قال الحسن : تخطوا رقاب الناس الذين يقعدون على أبواب الجوامع يوم الجمعة فإنه لا حرمة لهم . وإذا لم يكن فى المسجد إلا من يصلى فينبغى أن لا يسلم لأنه تكليف جواب فى غير محله (السادس) أن لا يمرّ بين يدى الناس ويجلس حيث هو إلى قرب أسطوانة أو حائط حتى لا يمرون بين يديه أعنى بين يدى المصلى فإن ذلك لا يقطع الصلاة ولكنه منهى عنه قال صلى الله عليه وسلم « لأن يقف أربعين عاما خير له من أن يمر بين يدى المصلى [٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « لأن يكون الرجل رمادا أو رميما

---

(١) حديث « إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب .. الحديث » أخرجه ابن مردويه فى التفسير من حديث على بإسناد ضعيف « إذا كان يوم الجمعة نزل جبريل فركز لواء بالمسجد الحرام وغدا سائر الملائكة الى المساجد التى يجمع فيها يوم الجمعة فركزوا ألويتهم وراياتهم بباب المساجد ثم نشروا قراطيس من فضة وأقلاما من ذهب

(٢) حديث « إن الملائكة يتفقدون العبد إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا ما فعل فلان » أخرجه البيهقى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مع زيادة ونقص بإسناد حسن . واعلم أن المصنف ذكر هذا فإن لم يرد به حديثا مرفوعا فليس من شرطنا وإنما ذكرناه احتياطا (٣) حديث « من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا الى جهنم » أخرجه الترمذى وضعفه وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس (٤) حديث ابن جريج مرسلا أن النبى صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب إذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس . الحديث وفيه ما منعك أن تجمع معنا اليوم » أخرجه ابن المبارك فى الرقائق (٥) حديث « ما منعك أن تصلى معنا فقال أو لم ترنى قال رأيتك آذيت وآذيت » أخرجه أبو داود والنسائى وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن بسر مختصرا

(٦) حديث « لأن يقف أربعين سنة خير له من أن يمر بين يدى المصلى » أخرجه البزار من حديث زيد بن خالد وفى الصحيحين من حديث أبى جهيم « أن يقف أربعين » قال أبو النضر : لا أدرى « أربعين يوما أو شهرا أو سنة » رواه أبو داود وابن حبان من حديث أبى هريرة « مائة عام »

تذروه الرياح خير من أن يمرّ بين يدى المصلى[١] » وقد روى فى حديث آخر فى المار والمصلى حيث صلى على الطريق أو قصر فى الدفع فقال « لو يعلم المار بين يدى المصلى والمصلى ما عليهما فى ذلك لكان أن يقف أربعين سنة خيراً له من أن يمر بين يديه[٢] » والأسطوانة والحائط والمصلى المفروش حدّ للمصلى فمن اجتاز به فينبغى أن يدفعه قال صلى الله عليه وسلم « ليدفعه فإن أبى فليدفعه فإنّ أبى فليقاتله فإنه شيطان[٣] » وكان أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه ، فربما تعلق به الرجل فاستعدى عليه عند مروان فيخبره أن النبى صلى الله عليه وسلم أمره بذلك . فإن لم يجد أسطوانة فلينصب بين يديه شيئا طوله قدر ذراع ليكون ذلك علامة لحدّه (السابع) أن يطلب الصف الأول فإنّ فضله كثير كما رويناه وفى الحديث « من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع كان ذلك له كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام[٤] » وفى لفظ آخر « غفر الله له إلى الجمعة الأخرى ـ وقد اشترط فى بعضها ـ ولم يتخط رقاب الناس[٥] » ولا يغفل فى طلب الصف الأول عن ثلاثة أمور ، أولها : أنه إذا كان يرى بقرب الخطيب منكرا يعجز عن تغييره ـ من لبس حرير من الإمام أو غيره أو صلى فى سلاح كثير ثقيل شاغل أو سلاح مذهب أو غير ذلك ـ مما يجب فيه الإنكار فالتأخر له أسلم وأجمع للهم ، فعل ذلك جماعة من العلماء طلبا للسلامة . قيل لبشر بن الحرث : نراك تبكر وتصلى فى آخر الصفوف ، فقال : إنما يراد قرب القلوب لا قرب الأجساد . وأشار به إلى أن ذلك أقرب لسلامة قلبه . ونظر سفيان الثورى إلى شعيب بن حرب عند المنبر يسمع إلى الخطبة من أبى جعفر المنصور فلما فرغ من الصلاة قال : شغل قلبى قربك من هذا هل أمنت أن تسمع كلاما يجب عليك إنكاره فلا تقوم به ؟ ثم ذكر ما أحدثوا من لبس السواد فقال : يا أبا عبد الله أليس فى الخبر « أدن واستمع[٦] » فقال : ويحك ذاك للخلفاء الراشدين المهديين ، وأما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر اليهم كان أقرب إلى الله عز وجل . وقال سعيد بن عامر « صليت إلى جنب أبى الدرداء فجعل يتأخر فى الصفوف حتى كنا فى آخر صف ؛ فلما صلينا قلت له : أليس يقال خير الصفوف أولها ؟ قال : بلى إلا أن هذه الأمة مرحومة منظور اليها من بين الأمم[٧] فإن الله تعالى إذا نظر إلى عبد فى الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس فإنما تأخرت رجاء أن يغفر لى بواحد منهم ينظر الله اليه . وروى بعض الرواة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك ، فمن تأخر على هذه النية إيثارا وإظهارا لحسن الخلق فلا بأس ، وعند هذا يقال « الأعمال بالنيات » ثانيها : إن لم تكن مقصورة عند الخطيب مقتطعة عن المسجد للسلاطين فالصف الأول محبوب وإلا فقد كره بعض العلماء دخول المقصورة . كان الحسن وبكر المزنى لا يصليان فى المقصورة ورأيا أنها قصرت على السلاطين وهى بدعة أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المساجد . والمسجد مطلق لجميع الناس وقد اقتطع ذلك على خلافه . وصلى أنس بن مالك

---

(١) حديث « لأن يكون الرجل رمادا تذروه الرياح خيراً له من أن يمر بين يدى المصلى » أخرجه أبو نعيم فى تاريخ أصبهان وابن عبد البر فى التمهيد موقوفا على عبد الله بن عمر وزاد «متعمدا»

(٢) حديث « لو يعلم المار بين يدى المصلى والمصلى ما عليهما فى ذلك .. الحديث » رواه هكذا أبو العباس محمد بن يحيى السراج فى مسنده من حديث زيد بن خالد باسناد صحيح

(٣) حديث أبى سعيد « فليدفعه فان أبى فليقاتله فانما هو شيطان » متفق عليه

(٤) حديث «من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الإمام واستمع .. الحديث» أخرجه الحاكم من حديث أوس بن أوس وأصله عند أصحاب السنن

(٥) حديث « أنه اشترط فى بعضها ولم يتخط رقاب الناس » أخرجه أبو داود وابن حبان والحاكم من حديث أبى سعيد وأبى هريرة وقال صحيح على شرط مسلم

(٦) حديث « ادن فاستمع » أخرجه أبو داود من حديث سمرة « احضروا الذكر وادنوا من الإمام » وتقدم بلفظ « من هجر ودنا واستمع » وهو عند أصحاب السنن من حديث شداد

(٧) حديث أبى الدرداء « إن هذه الامة مرحومة منظور اليها من بين الأمم وان الله إذا نظر الى عبد فى الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس » لم أجده

وعمران بن حصين فى المقصورة ولم يكرها ذلك لطلب القرب . ولعل الكراهية تختص بحالة التخصيص والمنع فأما مجرد المقصورة إذا لم يكن منع فلا يوجد كراهة وثالثها: أن المنبر يقطع بعض الصفوف وإنما الصف الأول الواحد المتصل الذى فى فناء المنبر وما على طرفيه مقطوع . وكان الثورى يقول : الصف الأول هو الخارج بين يدى المنبر وهو متجه لانه متصل ولأن الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع منه . ولا يبعد أن يقال الأقرب إلى القبلة هو الصف الأول ولا يراعى هذا المعنى . وتكره الصلاة فى الأسواق والرحاب الخارجة عن المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب (الثامن) أن يقطع الصلاة عند خروج الإمام ويقطع الكلام أيضا بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة . وقد جرت عادة بعض العوام بالسجود عند قيام المؤذنين ولم يثبت له أصل فى أثر ولا خبر ، ولكنه إن وافق سجود تلاوة فلا بأس بها للدعاء لأنه وقت فاضل : ولا يحكم بتحريم هذا السجود فإنه لاسبب لتحريمه ، وقد روى عن على وعثمان رضى الله عنهما أنهما قالا: من استمع وأنصت فله أجران ومن لم يستمع وأنصت فله أجر ومن سمع ولغا فعليه وزران ومن لم يستمع ولغا فعليه وزر واحد . وقال صلى الله عليه وسلم « من قال لصاحبه والإمام يخطب أنصت أو مه فقد لغا ومن لغا والإمام يخطب فلا جمعة له [1] » وهذا يدل على أن الإسكات ينبغى أن يكون بإشارة أو رمى حصاة لا بالنطق وفى حديث أبى ذر « أنه لما سأل أبيا والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب فقال : متى أنزلت هذه السورة ؟ فأومأ اليه أن أسكت : فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أبى : اذهب فلا جمعة لك ، فشكاه أبو ذر إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : صدق أبى [3] » وإن كان بعيدا من الإمام فلا ينبغى أن يتكلم فى العلم وغيره بل يسكت لأن كل ذلك يتسلل ويفضى إلى هينمة حتى ينتهى إلى المستمعين ولا يجلس فى حلقة من يتكلم فمن عجز عن الاستماع بالبعد فلينصت فهو المستحب . وإذا كان تكره الصلاة فى وقت خطبة الإمام فالكلام أولى بالكراهية . وقال على كرم الله وجهه : تكره الصلاة فى أربع ساعات ؛ بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلاة والإمام يخطب (التاسع) أن يراعى فى قدوة الجمعة ماذكرناه فى غيرها فاذا سمع قراءة الامام لم يقرأ سوى الفاتحة . فإذا فرغ من الجمعة قرأ « الحمد لله » سبع مرات قبل أن يتكلم « وقل هو الله أحد والمعوذتين » سبعا سبعا وروى بعض السلف أن من فعله عصم من الجمعة إلى الجمعة وكان حرزا له من الشيطان ويستحب أن يقول بعد الجمعة « اللهم ياغنى ياحميد يامبدئ يامعيد يارحيم ياودود أغننى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك » يقال من داوم على هذا الدعاء أغناه الله سبحانه عن خلقه ورزقه من حيث لايحتسب ، ثم يصلى بعد الجمعة ست ركعات ، فقد روى ابن عمر رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى بعد الجمعة ركعتين [3] » وروى أبو هريرة أربعا [4] » وروى على وعبد الله ابن عباس رضى الله عنهم ستا [5] والكل صحيح فى أحوال مختلفة ، والأكمل أفضل

---

(١) حديث « من قال لصاحبه والإمام يخطب أنصت فقد لغا ومن لغا لا جمعة له » أخرجه الترمذى والنسائى عن أبى هريرة روى الترمذى قوله « ومن لغا فلا جمعة له » قال الترمذى حديث حسن صحيح وهو فى الصحيحين بلفظ « إذا قلت لصاحبك » أخرجه أبو داود من حديث على « من قال صه فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له » (٢) حديث أبى ذر « لما سأل أبيا والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب وقال متى أنزلت هذه السورة .. الحديث » أخرجه البيهقى وقال فى المعرفة إسناده صحيح أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث أبى بن كعب بسند صحيح أن السائل له أبو الدرداء وأبو ذر ولأحمد من حديث أبى الدرداء أنه سأل أبيا ولابن حبان من حديث جابر أن السائل عبد الله بن مسعود ولأبى يعلى من حديث جابر قال « قال سعد بن أبى وقاص لرجل: لاجمعة لك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لم ياسعد فقال لأنه كان يتكلم وأنت تخطب فقال صدق سعد »

(٣) حديث ابن عمر فى الركعتين بعد الجمعة متفق عليه (٤) حديث أبى هريرة فى الأربع ركعات بعد الجمعة أخرجه مسلم « إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعا » (٥) حديث على وعبد الله فى صلاة ست ركعات بعد الجمعة أخرجه البيهقى مرفوعا عن على وله موقوفا على ابن مسعود أربعا وأبو داود من حديث ابن عمر : كان إذا كان بمكة صلى بعد الجمعة ستا

(العاشر) أن يلازم المسجد حتى يصلى العصر فإن أقام إلى المغرب فهو الأفضل . يقال من صلى العصر فى الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى المغرب فله ثواب حجة وعمرة فإن لم يأمن التصبح ودخول الآفة عليه من نظر الخلق إلى اعتكافه أوخاف الخوض فيما لايعنى فالأفضل أن يرجع إلى بيته ذاكرا الله عز وجل مفكرا فى آلائه شاكرا الله تعالى على توفيقه خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه إلى غروب الشمس حتى لاتفوته الساعة الشريفة . ولاينبغى أن يتكلم فى الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا قال صلى الله عليه وسلم « يأتى على الناس زمان يكون حديثهم فى مساجدهم أمر دنياهم ليس لله تعالى فيهم حاجة فلا تجالسوهم [1] » .

بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذى يعم جميع النهار وهى سبعة أمور

(الأول) أن يحضر مجالس العلم بكرة أوبعد العصر ولا يحضر مجالس القصاص فلا خير فى كلامهم . ولا ينبغى أن يخلو المريد فى جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات حتى توافيه الساعة الشريفة وهوفى خير ولاينبغى أن يحضر الحلق قبل الصلاة وروى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما « أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة [2] » إلا أن يكون عالما بالله يذكر بأيام الله ويفقه فى دين الله يتكلم فى الجامع بالغداة فيجلس إليه فيكون جامعا بين البكور وبين الاستماع . واستماع العلم النافع فى الآخرة أفضل من اشتغاله بالنوافل فقد روى أبو ذر « إن حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة [3] » قال أنس بن مالك فى قوله تعالى ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ أما إنه ليس بطلب دنيا لكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة أخ فى الله عزوجل . وقد سمى الله عزوجل العلم فضلا فى مواضع قال تعالى ﴿ وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ وقال تعالى ﴿ ولقد آتينا داود منا فضلا ﴾ يعنى العلم فتعلم العلم فى هذا اليوم وتعليمه من أفضل القربات . والصلاة أفضل من مجالس القصاص إذ كانوا يرونه بدعة ويخرجون القصاص من الجامع : بكر ابن عمر رضى الله عنهما إلى مجلسه فى المسجد الجامع فإذا قاص فى موضعه فقال : قم عن مجلسى ! فقال : لا أقوم وقد جلست وسبقتك إليه ، فأرسل ابن عمر إلى صاحب الشرطة فأقامه . فلوكان ذلك من السنة لما جازت إقامته فقد قال صلى الله عليه وسلم « لايقيمن أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا [4] » وكان ابن عمر إذا قام الرجل له من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود إليه . وروى أن قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة رضى الله عنها فأرسلت إلى ابن عمر : إن هذا قد آذانى بقصصه وشغلنى عن سبحتى ، فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده (الثانى) أن يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة ففى الخبر المشهور « إن فى الجمعة ساعة لايوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها شيئا إلا أعطاه [5] » وفى خبر آخر « لايصادفها عبد يصلى [6] » واختلف فيها فقيل إنها عند طلوع الشمس وقيل عند الزوال وقيل مع الأذان وقيل إذا صعد الإمام المنبر وأخذ فى الخطبة وقيل إذا قام

---

(١) حديث « يأتي على أمتى زمن يكون حديثهم فى مساجدهم أمر دنياهم ... الحديث » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث الحسن مرسلا وأسنده الحاكم من حديث أنس وصحح اسناده وأخرج ابن حبان نحوه من حديث ابن مسعود وقد تقدم

(٢) حديث « عبد الله بن عمر فى النهى عن التحلق يوم الجمعة » أخرجه أبو داود والنسائي ورواه ابن ماجه من رواية عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده من حديث ابن عمر (٣) حديث أبي ذر « حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة » تقدم فى العلم (٤) حديث « لايقيمن أحدكم أخاه من مجلسه .. الحديث » متفق عليه من حديث ابن عمر (٥) حديث « لمن فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئا الا أعطاه » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث عمرو بن عوف المزنى .

(٦) حديث « لايصادفها عبد مصلى » متفق عليه من حديث أبى هريرة

الناس إلى الصلاة وقيل آخر وقت العصر ـ أعنى وقت الاختيار ـ وقيل قبل غروب الشمس ، وكانت فاطمة رضى الله عنها تراعى ذلك الوقت وتأمر خادمتها أن تنظر إلى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ فى الدعاء والاستغفار إلى أن تغرب الشمس ، وتخبر بأن تلك الساعة هى المنتظرة وتؤثره عن أبيها صلى الله عليه وسلم وعليها [1] ، وقال بعض العلماء : هى مبهمة فى جميع اليوم مثل ليلة القدر تتوفر الدواعى على مراقبتها . وقيل إنها تنتقل فى ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا هو الأشبه ، وله سر لايليق بعلم المعاملة ذكره ولكن ينبغى أن يصدق بما قال صلى الله عليه وسلم « إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها [2] » ويوم الجمعة من جملة تلك الأيام فينبغى أن يكون العبد فى جميع نهاره متعرضا لها بإحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع عن وساوس الدنيا فعساه يحظى بشىء من تلك النفحات . وقد قال كعب الأحبار : إنها فى آخر ساعة من يوم الجمعة وذلك عند الغروب ، فقال أبو هريرة : وكيف تكون آخر ساعة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايوافقها عبد يصلى ولات حين صلاة ! فقال كعب : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد ينتظر الصلاة فهو فى الصلاة [3] قال : بلى ، قال : فذلك صلاة ؟ فسكت أبو هريرة وكان كعب مائلا إلى أنها رحمة من الله سبحانه للقائمين بحق هذا اليوم وأوان إرسالها عند الفراغ من تمام العمل . وبالجملة هذا وقت شريف مع وقت صعود الإمام المنبر فليكثر الدعاء فيهما (الثالث) يستحب أن يكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا اليوم فقد قال صلى الله عليه وسلم « من صلى على فى يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يارسول الله كيف الصلاة عليك ؟ قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى ، وتعقد واحدة ، وإن قلت اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضاء ولحقه أداء وأعطه الوسيلة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته واجزه عنا ماهو أهله واجزه أفضل ماجازيت نبيا عن أمته وصل عليه وعلى جميع إخوانه من النبيين والصالحين ياأرحم الراحمين [4] » تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها فى سبع جمع فى كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته صلى الله عليه وسلم . وإن أراد أن يزيد أتى بالصلاة المأثورة فقال « اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامى بركاتك وشرائف زكواتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قائد الخير وفاتح البر ونبى الرحمة وسيد الأمة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه يغبطه به الأولون والآخرون اللهم اعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيفة اللهم أعط محمدا سؤله وبلغه مأموله واجعله أول شافع وأول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وأبلج حجته وارفع فى أعلى المقربين درجته اللهم احشرنا فى زمرته واجعلنا من أهل شفاعته وأحينا على سنته وتوفنا على ملته

---

(١) حديث فاطمة « فى ساعة الجمعة أخرجه الدارقطنى فى العلل والبيهقى فى الشعب وعلته الاختلاف (٢) حديث « إن لربكم فى أيام دهركم نفحات . . الحديث » أخرجه الحكيم فى النوادر والطبرانى فى الأوسط من حديث محمد بن مسلمة ولابن عبد البر فى التمهيد نحوه من حديث أنس ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الفرج من حديث أبى هريرة واختلف فى اسناده

(٣) حديث « اختلاف كعب وأبى هريرة فى ساعة الجمعة وقول أبى هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايوافقها عبد يصلى ولات حين صلاة فقال كعب ألم يقل عليه الصلاة والسلام من قعد ينتظر الصلاة فهو فى صلاة » قلت فى الإحياء أن كعبا هو القائل لأنها آخر ساعة وليس كذلك وإنما هو عبد الله بن سلام وأما كعب فإنما قال إنها فى كل سنة مرة ثم رجع والحديث رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان من حديث أبى هريرة وابن ماجه ونحوه من حديث عبد الله بن سلام

(٤) حديث « من صلى على فى يوم الجمعة ثمانين مرة ... الحديث » أخرجه الدارقطنى من رواية ابن المسيب قال أظنه عن أبى هريرة وقال حديث غريب ، وقال ابن النبهان حديث حسن

وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين آمين يارب العالمين [١] » وعلى الجملة فكل ماأتى به من ألفاظ الصلاة ولو بالمنهورة فى التشهد كان مصليا . وينبغى أن يضيف إليه الاستغفار فإن ذلك أيضا مستحب فى هذا اليوم (الرابع) قراءة القرآن فليكثر منه وليقرأ سورة الكهف خاصة . فقد روى عن ابن عباس وأبى هريرة رضى الله عنهما « أنّ من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطى نورا من حيث يقرؤها إلى مكة وغفر له إلى يوم الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وعوفى من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال [٢] » ويستحب أن يختم القرآن فى يوم الجمعة وليلتها إن قدر ، وليكن ختمه للقرآن فى ركعتى الفجر إن قرأ بالليل أوفى ركعتى المغرب أوبين الأذان والإقامة للجمعة فله فضل عظيم . وكان العابدون يستحبون أن يقرءوا يوم الجمعة قل هو الله أحد ألف مرة . ويقال إنّ من قرأها فى عشر ركعات أو عشرين فهو أفضل من ختمة وكانوا يصلون على النبى صلى الله عليه وسلم ألف مرة وكانوا يقولون « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » ألف مرة وإن قرأ المسبحات الست فى يوم الجمعة أو ليلتها فحسن . وليس يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ سورا بأعيانها إلا فى يوم الجمعة وليلتها كان يقرأ فى صلاة المغرب ليلة الجمعة « قل ياأيها الكافرون . وقل هو الله أحد » وكان يقرأ فى صلاه العشاء الآخره ليلة الجمعة : سورة الجمعة والمنافقين [٣] وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرؤهما فى ركعتى الجمعة . وكان يقرأ فى الصبح يوم الجمعة . سورة سجدة لقمان وسورة هل أتى على الإنسان [٤] (الخامس) الصلوات يستحب إذا دخل الجامع أن لايجلس حتى يصلى أربع ركعات يقرأ فيهن « قل هو الله أحد » مائتى مرة فى كل ركعة خمسين مرة [٥] فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنّ من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له » ولا يدع ركعتى التحية وإن كان الإمام يخطب ولكن يخفف . أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك [٦] وفى حديث غريب « أنه صلى الله عليه وسلم سكت للداخل حتى صلاهما [٧] » فقال الكوفيون : إن سكت له الإمام صلاهما . ويستحب فى هذا اليوم أوفى ليلته أن يصلى أربع ركعات بأربع سور : الأنعام والكهف وطه ويس . فإن لم يحسن قرأ يس وسورة سجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك . ولايدع قراءة هذه الأربع سور فى ليلة الجمعة ففيها فضل كثير . ومن لا يحسن القرآن قرأ ما يحسن فهو له بمنزلة الختمة . ويكثر من قراءة سورة الإخلاص . ويستحب أن يصلى صلاة التسبيح ـ كما سيأتى فى باب التطوعات كيفيتها ـ لأنه صلى الله عليه وسلم قال لعمه العباس « صلها فى كل جمعة [٨] وكان ابن عباس رضى الله عنهما لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال

---

(١) حديث « اللهم اجعل فضائل صلواتك .. الحديث » أخرجه ابن أبى عاصم فى كتاب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم من حديث ابن مسعود نحوه بسند ضعيف وقفه على ابن مسعود (٢) حديث ابن عباس وأبى هريرة « من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة .. الحديث » لم أجده من حديثهما (٣) حديث « القراءة فى المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ، وفى عشائها الجمعة والمنافقين » أخرجه ابن حبان والبيهقى من حديث سمرة وفى ثقات ابن حبان المحفوظ عن سماك مرسلا قلت لايصح مسنداً ولا مرسلا (٤) حديث « القراءة فى الجمعة بالجمعة والمنافقين » وفى صبح الجمعة بالسجدة وهل أتى » أخرجه مسلم من حديث ابن عباس وأبى هريرة (٥) حديث « من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى أربع ركعات يقرأ فيها قل هو الله أحد مائتى مرة .. الحديث » أخرجه الخطيب فى الرواة عن مالك من حديث ابن عمر وقال غريب جدا

(٦) حديث « الأمر بالتخفيف فى التحية إذا دخل والإمام يخطب » أخرجه مسلم من حديث جابر والبخارى « الأمر بالركعتين » ولم يذكر التخفيف (٧) حديث « سكوته صلى الله عليه وسلم عن الخطبة للداخل حتى فرغ من التحية » أخرجه الدارقطنى من حديث أنس وقال أسنده عبيد بن محمد ووهم فيه والصواب عن معتمر عن أبيه مرسلا (٨) حديث « صلاة التسبيح وقوله لعمه العباس صلها فى كل جمعة » أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن خزيمة والحاكم من حديث ابن عباس وقال العقيلى وغيره ليس فيها حديث صحيح

وكان يخبر عن جلالة فضلها . والأحسن أن يجعل وقته إلى الزوال للصلاة وبعد صلاة الجمعة إلى العصر لاستماع العلم وبعد العصر إلى المغرب للتسبيح والاستغفار . (السادس) الصدقة مستحبة فى هذا اليوم خاصة فإنها تتضاعف إلا على من سأل والإمام يخطب وكان يتكلم فى كلام الإمام فهذا مكروه . وقال صالح بن محمد : سأل مسكين يوم الجمعة والإمام يخطب ـ وكان إلى جانب أبى ـ فأعطى رجل أبى قطعة ليناوله إياها فلم يأخذها منه أبى . وقال ابن مسعود إذا سأل الرجل فى المسجد فقد استحق أن لايعطى وإذا سأل على القرآن فلا تعطوه . ومن العلماء من كره الصدقة على السؤال فى الجامع الذين يتخطون رقاب الناس ؛ إلا أن يسأل قائما أوقاعدا فى مكانه من غير تخط . وقال كعب الأحبار : من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما وخشوعهما ثم يقول : اللهم إنى أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذى لا إله إلا الله هو الحى القيوم الذى لاتأخذه سنة ولا نوم ، لم يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه . وقال بعض السلف . من أطعم مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ أحدا ثم قال حين يسلم الإمام « بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم أسألك أن تغفر لى وترحمنى وتعافينى من النار » ثم دعا بما بداله استجيب له (السابع) أن يجعل يوم الجمعة للآخرة فيكف فيه عن جميع أشغال الدنيا ويكثر فيه الأوراد ولا يبتدئ فيه السفر فقد روى « أنه من سافر فى ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه [1] » وهو بعد طلوع الفجر حرام إلا إذا كانت الرفقة تفوت . وكره بعض السلف شراء الماء فى المسجد من السقاء ليشربه أو يسبله حتى لا يكون مبتاعا فى المسجد فإن البيع والشراء فى المسجد مكروه . وقالوا : لا بأس لو أعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب أو سبل فى المسجد . وبالجملة ينبغى أن يزيد فى الجمعة فى أوراده وأنواع خيراته فإن الله سبحانه إذا أحب عبدا استعمله فى الأوقات الفاضلة بفواضل الأعمال وإذا مقته استعمله فى الأوقات الفاضلة بسيء الأعمال ليكون ذلك أوجع فى عقابه وأشد لمقته لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت . ويستحب فى الجمعة دعوات ، وسيأتى ذكرها فى كتاب الدعوات إن شاء الله تعالى . وصلى الله على كل عبد مصطفى .

الباب السادس : فى مسائل متفرقة تعم بها البلوى ويحتاج المريد إلى معرفتها

فأما المسائل التى تقع نادرة فقد استقصيناها فى كتب الفقه

(مسألة) الفعل القليل وإن كان لايبطل الصلاة فهو مكروه إلا لحاجة وذلك فى دفع المار وقتل العقرب التى تخاف ويمكن قتلها بضربة اوضربتين فإذا صارت ثلاثا فقد كثرت وبطلت الصلاة ، وكذلك القملة والبرغوث مهما تأذى بهما كان له دفعهما ، وكذلك حاجته إلى الحك الذى يتشوش عليه الخشوع . كان معاذ يأخذ القملة والبرغوث فى الصلاة . وابن عمر كان يقتل القملة فى الصلاة حتى يظهر الدم على يده . وقال النخعى : يأخذها ويوهنها ولا شىء عليه إن قتلها . وقال ابن المسيب : يأخذها ويخدرها ثم يطرحها . وقال مجاهد : الأحب إلى أن يدعها إلا أن تؤذيه فتشغله عن صلاته فيوهنها قدرما لاتؤذى ثم يلقيها . وهذه رخصة وإلا فالكمال الاحتراز عن الفعل وإن قل . ولذلك كان بعضهم لايطرد الذباب وقال : لا أعود نفسى ذلك فأفسد على صلاتى . وقد سمعت أن الفساق بين يدى

---

(١) حديث « من سافر يوم الجمعة دعا عليه ملكاه » أخرجه الدارقطنى فى الأفراد من حديث ابن عمر وفيه ابن لهيعة وقال غريب والخطيب فى الرواة عن مالك من حديث أبى هريرة بسند ضعيف

الملوك يصبرون على أذى كثير ولا يتحركون . ومهما تثاءب فلا بأس أن يضع يده على فيه وهو الأولى . وإن عطس حمد الله عز وجل فى نفسه ولا يحرك لسانه . وإن تجشأ فينبغى أن لا يرفع رأسه إلى السماء وإن سقط رداؤه فلا ينبغى أن يسوّيه وكذلك أطراف عمامته فكل ذلك مكروه إلا لضرورة .

(مسألة) الصلاة فى النعلين جائزة وإن كان نزع النعلين سهلا ، وليست الرخصة فى الخف لعسر النزع بل هذه النجاسة معفو عنها . وفى معناها المداس « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نعليه ، ثم نزع فنزع الناس نعالهم فقال : لم خلعتم نعالكم ؟ قالوا : رأيناك خلعت فخلعنا فقال صلى الله عليه وسلم : إنّ جبرائيل عليه السلام أتانى فأخبرنى أن بهما خبثا فإذا أراد أحدكم المسجد فليقلب نعليه ولينظر فيهما فإن رأى خبثا فليمسحه بالأرض وليصل فيهما [1] » وقال بعضهم : الصلاة فى النعلين أفضل لأنه صلى الله عليه وسلم قال « لم خلعتم نعالكم ؟ » وهذه مبالغة فإنه صلى الله عليه وسلم سألهم ليبين لهم سبب خلعه إذ علم أنهم خلعوا على موافقته . وقد روى عبد الله بن السائب « أن النبى صلى الله عليه وسلم خلع نعليه [2] » فإذن قد فعل كليهما فمن خلع فلا ينبغى أن يضعهما عن يمينه ويساره فيضيق الموضع ويقطع الصف بل يضعهما بين يديه ولا يتركهما وراءه فيكون قلبه ملتفتا إليهما . ولعل من رأى الصلاة فيهما أفضل راعى هذا المعنى وهو التفات القلب إليهما . روى أبو هريرة رضى الله عنه . أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه [3] » وقال أبو هريرة لعبيره : اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما . ووضعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على يساره وكان إماما [4] فللإمام أن يفعل ذلك إذ لا يقف أحد على يساره . والأولى أن لا يضعهما بين قدميه فتشغلانه ولكن قدام قدميه ، ولعله المراد بالحديث . وقد قال جبير بن مطعم . وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة .

(مسألة) إذا بزق فى صلاته لم تبطل صلاته لأنه فعل قليل . وما لا يحصل به صوت لا يعد كلاما وليس على شكل حروف الكلام إلا أنه مكروه فينبغى أن يحترز منه إلا كما أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه إذ روى بعض الصحابة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى القبلة نخامة فغضب غضباً شديداً ثم حكها بعرجون كان فى يده وقال : ائتونى بعبير ، فلطخ أثرها بزعفران ثم التفت إلينا وقال : أيكم يحب أن يبزق فى وجهه ؟ فقلنا : لا أحد ، قال : فإن أحدكم إذا دخل فى الصلاة فإن الله عز وجل بينه وبين القبلة [5] » وفى لفظ آخر « واجهه الله تعالى فلا يبزقن أحدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه ولكن عن شماله أو تحت قدمه اليسرى فإنّ بدرته بادرة فليبصق فى ثوبه وليقل به هكذا وذلك بعضه ببعض »

(مسألة) لوقوف المقتدى : سنة وفرض ؛ أما السنة : فأن يقف الواحد عن يمين الإمام متأخرا عنه قليلا ، والمرأة الواحدة تقف خلف الإمام ؛ فإن وقفت بجنب الإمام لم يضر ذلك ولكن خالفت السنة . فإن كان معها رجل

الباب السادس

(١) حديث « صلى فى نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم .. الحديث » أخرجه أحمد واللفظ لابن ماجه وأبو داود والحاكم وصححه من حديث أبى سعيد (٢) حديث عبد الله بن السائب فى « خلع النبى صلى الله عليه وسلم نعليه » أخرجه مسلم

(٣) حديث أبى هريرة « إذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه » أخرجه أبو داود بسند صحيح وضعفه المنذرى وليس بجيد

(٤) حديث « وضعه نعليه على يساره » أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن السائب

(٥) حديث « رأى فى القبلة نخامة فغضب . . الحديث » أخرجه مسلم من حديث جابر واتفقا عليه مختصراً من حديث أنس وعائشة وأبى سعيد وأبى هريرة وابن عمر .

وقف الرجل عن يمين الإمام وهى خلف الرجل . ولا يقف أحد خلف الصف منفردا بل يدخل فى الصف أو يجرّ إلى نفسه واحدا من الصف . فإن وقف منفردا صحت صلاته مع الكراهية . وأما الفرض . فاتصال الصف وهو أن يكون بين المقتدى والإمام رابطة جامعة فإنهما فى جماعة فإن كانا فى مسجد كفى ذلك جامعا لأنه بنى له فلا يحتاج إلى اتصال صف بل إلى أن يعرف أفعال الإمام ، صلى أبو هريرة رضى الله عنه على ظهر المسجد بصلاة الإمام . وإذا كان المأموم على فناء المسجد فى طريق أو صحراء مشتركة وليس بينهما اختلاف بناء مصرق فيكفى القرب بقدر غلوة سهم وكفى بها رابطة إذ يصل فعل أحدهما إلى الآخر . وإنما يشترط إذا وقف فى صحن دار على يمين المسجد أو يساره وبابها لاطىء فى المسجد فالشرط أن يمدّ صف المسجد فى دهليزها من غير انقطاع إلى الصحن . ثم تصح صلاة من فى ذلك الصف ومن خلفه دون من تقدّم عليه وهكذا حكم الأبنية المختلفة فأما البناء الواحد والعرصة الواحدة فكالصحراء .

(مسألة) المسبوق إذا أدرك آخر صلاة الإمام فهو أوّل صلاته فليوافق الإمام وليبن عليه وليقنت فى الصبح فى آخر صلاة نفسه . وإن قنت مع الإمام وإن أدرك مع الإمام بعض القيام فلا يشتغل بالدعاء وليبدأ بالفاتحة وليخففها . فإن ركع الإمام قبل تمامها وقدر على لحوقه فى اعتداله من الركوع فليتم . فإن عجز وافق الإمام وركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها فتسقط عنه بالسبق . وإن ركع الامام وهو فى السورة فليقطعها . وإن أدرك الإمام فى السجود أو التشهد كبر للإحرام ثم جلس ولم يكبر بخلاف ما إذا أدركه فى الركوع فإنه يكبر ثانيا فى الهوى لأن ذلك انتقال محسوب له . والتكبيرات للانتقالات الأصلية فى الصلاة لا للعوارض بسبب القدوة . ولا يكون مدركا للركعة مالم يطمئن راكعا فى الركوع والإمام بعد فى حدّ الراكعين . فإن لم يتم طمأنينته إلا بعد مجاوزة الإمام حدّ الراكعين فاتته تلك الركعة .

(مسألة) من فاتته صلاة الظهر إلى وقت العصر فليصل الظهر أوّلا ثم العصر ، فإن ابتدأ بالعصر أجزأه ولكن ترك الأولى واقتحم شبهة الخلاف . فإن وجد إماما فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده فإن الجماعة بالأداء أولى . فإن صلى منفردا فى أوّل الوقت ثم أدرك جماعة صلى فى الجماعة ونوى صلاة الوقت والله يحتسب أيهما شاء . فإن نوى فائتة أو تطوّعا جاز . وإن كان قد صلى فى الجماعة فأدرك جماعة أخرى فلينو الفائتة أو النافلة فإعادة المؤداة بالجماعة مرة أخرى لا وجه له وإنما احتمل ذلك لدرك فضيلة الجماعة .

(مسألة) من صلى ثم رأى على ثوبه نجاسة فالأحب قضاء الصلاة ولا يلزمه . ولو رأى النجاسة فى أثناء الصلاة رمى بالثوب وأتم والأحب الاستئناف . وأصل هذا قصة خلع النعلين حين أخبر جبرائيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن عليهما نجاسة فإنه صلى الله عليه وسلم لم يستأنف الصلاة .

(مسألة) من ترك التشهد الأول أو القنوت أو ترك الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التشهد الأول أو فعل فعلا سهواً وكانت تبطل الصلاة بتعمده أو شك فلا يدر أصلى ثلاثاً أو أربعا : أخذ باليقين وسجد سجدتى السهو قبل السلام . فإن نسى فبعد السلام مهما تذكر على القرب . فإن سجد بعد السلام وبعد أن أحدث بطلت صلاته . فإنه لما دخل فى السجود كأنه جعل سلامه نسيانا فى غير محله فلا يحصل التحلل به وعاد إلى الصلاة فلذلك يستأنف السلام بعد السجود . فإن تذكر سجود السهو بعد خروجه من المسجد أو بعد طول الفصل فقد فات .

(مسألة) الوسوسة فى نية الصلاة سببها خبل فى العقل أو جهل بالشرع لأن امتثال أمر الله عز وجل مثل

امتثال أمر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره فى حق القصد . ومن دخل عليه عالم فقام له فلو قال : نويت أن أنتصب قائما تعظيما لدخول زيد الفاضل لأجل فضله مقبلا عليه بوجهى ، كان سفها فى عقله بل كما يراه ويعلم فضله تنبعث داعية التعظيم فتقيمه ويكون معظما إلا إذا قام لشغل آخر أو فى غفلة . واشتراط كون الصلاة ظهرا أداء فرضا فى كونه امتثالا كاشتراط كون القيام مقرونا بالدخول مع الإقبال بالوجه على الداخل وانتفاء باعث آخر سواه . وقصد التعظيم به ليكون تعظيما . فإنه لو قام مدبرا عنه أو صبر فقام بعد ذلك بمدة لم يكن معظما . ثم هذه الصفات لابد وأن تكون معلومة وأن تكون مقصودة ثم لايطول حضورها فى النفس فى لحظة واحدة وإنما يطول نظم الألفاظ الدالة عليها إما تلفظا باللسان وإما تفكرا بالقلب . فمن لم يفهم نية الصلاة على هذا الوجه فكأنه لم يفهم النية . فليس فيه إلا أنك دعيت إلى أن تصلى فى وقت فأجبت وقمت فالوسوسة محض الجهل . فإن هذه القصود وهذه العلوم تجتمع فى النفس فى حالة واحدة ولاتكون مفصلة الآحاد فى الذهن بحيث تطالعها النفس وتتأملها . وفرق بين حضور الشىء فى النفس وبين تفصيله بالفكر . والحضور مضاد للعزوب والغفلة ، وإن لم يكن مفصلا . فإن من علم الحادث مثلا فيعلمه بعلم واحد فى حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علوما هى حاضرة وإن لم تكن منفصلة فإن من علم الحادث فقد علم الموجود والمعدوم والتقدم والتأخر والزمان ، وأن التقدم للعدم وأن التأخر للوجود ، فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث ، بدليل أن العالم بالحادث إذا لم يعلم غيره لو قيل له هل علمت التقدم فقط أو التأخر أو العدم أو تقدم العدم أو تأخر الوجود أو الزمان المنقسم إلى المتقدم والمتأخر ؟ فقال ماعرفته قط كان كاذبا وكان قوله مناقضا لقوله : إنى أعلم الحادث . ومن الجهل بهذه الدقيقة يثور الوسواس فإن الموسوس يكلف نفسه أن يحضر فى قلبه الظهرية والأدائية والفرضية فى حالة واحدة مفصلة بألفاظها وهو يطالعها وذلك محال . ولو كلف نفسه ذلك فى القيام لأجل العالم لتعذر عليه . فبهذه المعرفة يندفع الوسواس وهو أن امتثال أمر الله سبحانه فى النية كامتثال أمر غيره ثم أزيد على سبيل التسهيل والترخص وأقول . لو لم يفهم الموسوس النية إلا بإحضار هذه الأمور مفصلة ولم يمثل فى نفسه الامتثال دفعة واحدة وأحضر جملة ذلك فى أثناء التكبير من أوله إلى آخره بحيث لايفرغ من التكبير إلا وقد حصلت النية كفاه ذلك . ولا نكلفه أن يقرن الجميع بأول التكبير أو آخره فإن ذلك تكليف شطط . ولو كان مأمورا به لوقع للأولين سؤال عنه ولوسوس واحد من الصحابة فى النية ، فعدم وقوع ذلك دليل على أن الأمر على التساهل ، فكيفما تيسرت النية للموسوس ينبغى أن يقنع به حتى يتعود ذلك وتفارقه الوسوسة ، ولايطالب نفسه بتحقيق ذلك فإن التحقيق يزيد فى الوسوسة . وقد ذكرنا فى الفتاوى وحوها من التحقيق فى تحقيق العلوم . والقصود المتعلقة بالنية تفتقر العلماء إلى معرفتها أما العامة فربما ضرها سماعها ويهيج عليها الوسواس فلذلك تركناها .

(مسألة) ينبغى أن لايتقدم المأموم على الإمام فى الركوع والسجود والرفع منهما ولا فى سائر الأعمال ولاينبغى أن يساويه بل يتبعه ويقفو أثره فهذا معنى الاقتداء ، فإن ساواه عمدا لم تبطل صلاته كما لو وقف بجنبه غير متأخر عنه . فإن تقدم عليه ففى بطلان صلاته خلاف ، ولايبعد أن يقضى بالبطلان تشبيها بما لو تقدم فى الموقف على الإمام ؛ بل هذا أولى لأن الجماعة اقتداء فى الفعل لافى الموقف فالتبعية فى الفعل أهم . وإنما شرط ترك التقدم فى الموقف تسهيلا للمتابعة فى الفعل وتحصيلا لصورة التبعية إذ اللائق بالمقتدى به أن يتقدم فالتقدم عليه فى الفعل لاوجه له إلا أن يكون سهوا . ولذلك شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم النكير فيه فقال « أمايخشى

الذى يرفع رأسه قبل الإمام أن يحوّل الله رأسه رأس حمار [١] » وأما التأخر عنه بركن واحد فلا يبطل الصلاة ، وذلك بأن يعتدل الإمام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ولكن التأخر إلى هذا الحدّ مكروه فإن وضع الإمام جبهته على الأرض وهو بعد لم ينته إلى حدّ الراكعين بطلت صلاته . وكذا إن وضع الإمام جبهته للسجود الثانى وهو بعد لم يسجد السجود الأوّل .

(مسألة) حق على من حضر الصلاة إذا رأى من غيره إساءة فى صلاته أنّ يغيره وينكر عليه . وإن صدر من جاهل رفق بالجاهل وعلمه . فمن ذلك الأمر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد بالوقوف خارج الصف ، والإنكار على من يرفع رأسه قبل الإمام إلى غير ذلك من الأمور . فقد قال صلى الله عليه وسلم « ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه [٢] » وقال ابن مسعود رضى الله عنه : من رأى من يسىء صلاته فلم ينهه فهو شريكه فى وزرها . وعن بلال بن سعد أنه قال : الخطيئة إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها فإذا أظهرت فلم تغير أضرت بالعامة . وجاء فى الحديث « أنّ بلالا كان يسوّى الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة [٣] » وعن عمر رضى الله عنه قال : تفقدوا إخوانكم فى الصلاة فإذا فقدتموهم فإن كانوا مرضى فعودوهم وإن كانوا أصحاء فعاتبوهم . والعتاب إنكار على من ترك الجماعة ولا ينبغى أن يتساهل فيه وقد كان الأولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة إلى بعض من تخلف عن الجماعة إشارة إلى أن الميت هو الذى يتأخر عن الجماعة دون الحى . ومن دخل المسجد ينبغى أن يقصد يمين الصف ؛ ولذلك تزاحم الناس عليه فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قيل له : تعطلت الميسرة فقال صلى الله عليه وسلم « من عمر ميسرة المسجد كان له كفلان من الأجر [٤] » ومهما وجد غلاما فى الصف ولم يجد لنفسه مكانا فله أن يخرجه إلى خلف ويدخل فيه - أعنى إذا لم يكن بالغا - وهذا ما أردنا أن نذكره من المسائل التى تعم بها البلوى . وسيأتى أحكام الصلوات المتفرقة فى كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى .

الباب السابع : فى النوافل من الصلوات

اعلم أنّ ما عدا الفرائض من الصلوات ينقسم إلى ثلاثة أقسام : سنن ومستحبات وتطوّعات . ونعنى بالسنن ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المواظبة عليه كالرواتب عقيب الصلوات وصلاة الضحى والوتر والتهجد وغيرها ؛ لأن السنة عبارة عن الطريق المسلوكة . ونعنى بالمستحبات ما ورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه - كما سننقله فى صلوات الأيام والليالى فى الأسبوع - وكالصلاة عند الخروج من المنزل والدخول فيه وأمثاله . ونعنى بالتطوّعات ما وراء ذلك مما لم يرد فى عينه أثر ولكنه تطوّع به العبد من حيث رغب فى مناجاة الله عزوجل بالصلاة التى ورد الشرع بفضلها مطلقا ؛ فكأنه متبرع به إذا لم يندب إلى تلك الصلاة بعينها وإن ندب إلى الصلاة مطلقا ، والتطوّع عبارة عن التبرع . وسميت الأقسام الثلاثة نوافل من حيث إن النفل هو الزيادة وجملتها زائد على الفرائض . فلفظ : النافلة والسنة والمستحب والتطوّع ؛ أردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد . ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا مشاحة فى الألفاظ بعد فهم المقاصد . وكل قسم من هذه الأقسام تتفاوت درجاته فى

---

(١) حديث « أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الإمام » متفق عليه من حديث أبى هريرة .
(٢) حديث « ويل للعالم من الجاهل .. الحديث » أخرجه صاحب مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف .
(٣) حديث « أن بلالا كان يسوى الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة » لم أجده .
(٤) حديث « قيل له قد تعطلت الميسرة فقال من عمر ميسرة المسجد ... الحديث » أخرجه ابن ماجه من حديث عمر بسند ضعيف

الفضل بحسب ما ورد فيها من الأخبار والآثار المعرفة لفضلها وبحسب طول مواظبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وبحسب صحة الأخبار الواردة فيها واشتهارها ، ولذلك يقال سنن الجماعات أفضل من سنن الانفراد . وأفضل سنن الجماعات : صلاة العيد ثم الكسوف ثم الاستسقاء . وأفضل سنن الانفراد : الوتر ثم ركعتا الفجر ثم مابعدهما من الرواتب على تفاوتها . واعلم أن النوافل باعتبار الإضافة إلى معلقاتها تنقسم إلى مايتعلق بأسباب كالكسوف والاستسقاء وإلى مايتعلق بأوقات ، والمتعلق بالأوقات ينقسم إلى مايتكرر بتكرر اليوم والليلة أو بتكرر الأسبوع أو بتكرر السنة فالجملة أربعة أقسام

القسم الأول : ما يتكرر بتكرر الأيام والليالى وهى ثمانية ، خمسة هى رواتب الصلوات الخمس ، وثلاثة وراءها وهى صلاة الضحى وإحياء مابين العشاءين والتهجد

(الأولى) راتبة الصبح وهى ركعتان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ركعتا الفجر خير من الدنيا ومافيها [1] » ويدخل وقتها بطلوع الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل . وإدراك ذلك بالمشاهدة عسير فى أوله إلا أن يتعلم منازل القمر أو يعلم اقتراع طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر . فيستدل بالكواكب عليه ويعرف بالقمر فى ليلتين من الشهر فإن القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ، ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثنى عشر من الشهر هذا هو الغالب ، ويتطرق إليه تفاوت فى بعض البروج وشرح ذلك يطول . وتعلم منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الأوقات بالليل وعلى الصبح ، ويفوت وقت ركعتى الفجر بفوات وقت فريضة الصبح وهو طلوع الشمس ، ولكن السنة أداؤهما قبل الفرض . فإن دخل المسجد وقد قامت الصلاة فليشتغل بالمكتوبة فإنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة [2] » ثم إذا فرغ من المكتوبة قام إليهما وصلاهما . والصحيح أنهما أداء ما وقعتا قبل طلوع الشمس لأنهما تابعتان للفرض فى وقته وإنما الترتيب بينهما سنة فى التقديم والتأخير إذا لم يصادف جماعة . فإذا صادف جماعة انقلب الترتيب وبقيتا أداء . والمستحب أن يصليهما فى المنزل ويخففهما ، ثم يدخل المسجد ويصلى ركعتين تحية المسجد ، ثم يجلس ولا يصلى إلى أن يصلى المكتوبة . وفيما بين الصبح إلى طلوع الشمس الأحب فيه الذكر والفكر والاقتصار على ركعتى الفجر والفريضة (الثانية) راتبة الظهر وهى ست ركعات : ركعتان بعدها وهى أيضاً سنة مؤكدة ، وأربع قبلها وهى أيضا سنة وإن كانت دون الركعتين الأخيرتين . روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى الليل [3] » ، وكان صلى الله عليه وسلم لايدع أربعا بعد الزوال يطيلهن ويقول إن أبواب السماء تفتح فى هذه الساعة فأحب أن يرفع لى فيها عمل [4] » رواه أبو أيوب الأنصارى وتفرد به ، ودل عليه أيضا ماروت أم حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى فى كل يوم اثنتى عشرة ركعة غير المكتوبة بنى له بيت فى الجنة

الباب السابع

(١) حديث « ركعتا الفجر خير من الدنيا .. الحديث » أخرجه مسلم من حديث عائشة .

(٢) حديث « إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة .

(٣) حديث أبى هريرة « من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن . الحديث » ذكره عبد الملك بن حبيب بلاغا من حديث أبى مسعود ولم أره من حديث أبى هريرة (٤) حديث أبى أيوب «كان لايدع أربعا بعد الزوال . الحديث» أخرجه أحمد بسند ضعيف نحوه وهو عند أبى داود وابن ماجه مختصرا وروى الترمذى نحوه من حديث عبد الله بن السائب وقال حسن

ركعتين قبل الفجر وأربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب[١] » وقال ابن عمر رضى الله عنهما : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل يوم عشر ركعات [٢] فذكر ماذكرته أم حبيبة رضى الله عنها إلا ركعتى الفجر فإنه قال : تلك ساعة لم يكن يدخل فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن حدثتنى أختى حفصة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى ركعتين فى بيتها ثم يخرج . وقال فى حديثه : ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد العشاء . فصارت الركعتان قبل الظهر آكد من جملة الأربعة . ويدخل وقت ذلك بالزوال . والزوال يعرف بزيادة ظل الأشخاص المنتصبة مائلة إلى جهة الشرق ، إذيقع للشخص ظل عند الطلوع فى جانب المغرب يستطيل فلا تزال الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف عن جهة المغرب إلى أن تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل . فإذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع أخذ الظل فى الزيادة فمن حيث صارت الزيادة مدركة بالحس دخل وقت الظهر . ويعلم قطعا أن الزوال فى علم الله سبحانه وقع قبله ولكن التكاليف لاترتبط إلا بما يدخل تحت الحس . والقدر الباقى من الظل الذى منه يأخذ فى الزيادة يطول فى الشتاء ويقصر فى الصيف ، ومنتهى طوله بلوغ الشمس أول الجدى ، ومنتهى قصره بلوغها أول السرطان . ويعرف ذلك بالأقدام والموازين . ومن الطرق القريبة من التحقيق لمن أحسن مراعاته أن يلاحظ القطب الشمالى بالليل ويضع على الأرض لوحا مربعا وضعاً مستويا بحيث يكون أحد أضلاعه من جانب القطب ، بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب إلى الأرض ثم توهمت خطا من مسقط الحجر إلى الضلع الذى يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين أى لايكون الخط مائلا إلى أحد الضلعين ، ثم تنصب عمودا على اللوح نصبا مستويا فى موضع علامة ه وهو بإزاء القطب فيقع ظله على اللوح فى أول النهار مائلا إلى جهة المغرب فى صوب خط ا ثم لايزال يميل إلى أن ينطبق على خط ب ، بحيث لو مدّ رأسه لانتهى على الاستقامة إلى مسقط الحجر ، ويكون موازيا للضلع الشرقى والغربى غير مائل إلى أحدهما ، فإذا بطل ميله إلى الجانب الغربى فالشمس فى منتهى الارتفاع ، فإذا انحرف الظل عن الخط الذى على اللوح إلى جانب الشرق فقد زالت الشمس . وهذا يدرك بالحس تحقيقا فى وقت هو قريب من أول الزوال فى علم الله تعالى ، ثم يعلم على رأس الظل عند انحرافه علامة ، فإذا صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر فهذا القدر لا بأس بمعرفته فى علم الزوال وهذه صورته :

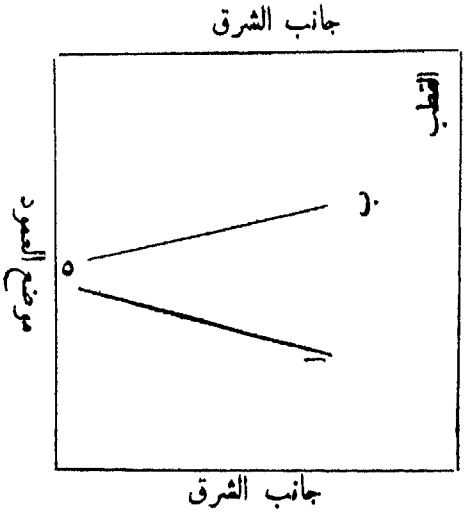

(الثالثة) راتبة العصر وهى أربع ركعات قبل العصر . روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « رحم الله عبداً صلى قبل العصر أربعاً [٣] » ففعل ذلك على رجاء الدخول فى دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستحب استحبابا مؤكدا فإن دعوته تستجاب لامحالة له . ولم تكن مواظبته على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر (الرابعة) راتبة المغرب وهما ركعتان بعد الفريضة لم

(١) حديث أم حبيبة « من صلى فى يوم اثنتى عشرة ركعة .. الحديث » أخرجه النسائى والحاكم وصحح اسناده على شرط مسلم ورواه مسلم مختصرا ليس فيه تعيين أوقات الركعات (٢) حديث ابن عمر «حفظت من النبى صلى الله عليه وسلم فى كل يوم عشر ركعات .. الحديث » متفق عليه واللفظ للبخارى ولم يقل فى كل يوم (٣) حديث أبى هريرة «رحم الله عبدا صلى أربعا قبل العصر » =

تختلف الرواية فيهما ، وأما ركعتان قبلها بين أذان المؤذن وإقامة المؤذن على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كأبي بن كعب وعبادة بن الصامت وأبي ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال عبادة أو غيره : كان المؤذن إذا أذن لصلاة المغرب ابتدر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السواري يصلون ركعتين [١] وقال بعضهم : كنا نصلي الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب أنا صلينا فيسأل أصليتم المغرب ؟ وذلك يدخل في عموم قوله صلى الله عليه وسلم « بين كل أذانين صلاة لمن شاء [٣] » وكان أحمد بن حنبل يصليهما فعابه الناس فتركهما فقيل له في ذلك فقال : لم أر الناس يصلونهما ، فتركتهما وقال : لئن صلاهما الرجل في بيته أو حيث لا يراه الناس لحسن . ويدخل وقت المغرب بغيبوبة الشمس عن الأبصار في الأراضي المستوية التي ليست محفوفة بالجبال فإن كانت محفوفة بها في جهة المغرب فيتوقف إلى أن يرى إقبال السواد من جانب المشرق قال صلى الله عليه وسلم « إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم [٤] » والأحب المبادرة في صلاة المغرب خاصة وإن أخرت وصليت قبل غيبوبة الشفق الأحمر وقعت أداء ولكنه مكروه . وأخر عمر رضي الله عنه صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فأعتق رقبة وأخرها ابن عمر حتى طلع كوكبان فأعتق رقبتين (الخامسة) راتبة العشاء الآخرة أربع ركعات بعد الفريضة . قالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام [٥] » واختار بعض العلماء من مجموع الأخبار أن يكون عدد الرواتب سبع عشرة كعدد المكتوبة : ركعتان قبل الصبح وأربع قبل الظهر وركعتان بعدها وأربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وثلاث بعد العشاء الآخرة وهي الوتر [٦] ومهما عرفت الأحاديث الواردة فيه فلا معنى للتقدير فقد قال صلى الله عليه وسلم « الصلاة خير موضع فمن شاء أكثر ومن شاء أقل [٧] » فإذاً اختيار كل مريد من هذه الصلاة بقدر رغبته في الخير فقد ظهر فيما ذكرناه أن بعضها آكد من بعض ، وترك الآكد أبعد لاسيما والفرائض تكمل بالنوافل فمن لم يستكثر منها يوشك أن لا تسلم له فريضة من غير جابر (السادسة) الوتر : قال أنس بن مالك « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات ، يقرأ في الأولى سبح اسم ربك الأعلى وفي الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله أحد [٨] » وجاء في الخبر « أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا وفي بعضها متربعا [٩] » وفي بعض الأخبار « إذا أراد أن يدخل فراشه زحف إليه وصلى فوقه ركعتين قبل أن يرقد يقرأ فيهما إذا زلزلت الأرض وسورة التكاثر [١٠] » وفي رواية أخرى « قل يا أيها الكافرون » ويجوز الوتر مفصولا وموصولا ، بتسليمة واحدة

= أخرجه أبو داود والترمذي وابن حبان من حديث ابن عمر وأعله ابن القطان ولم أره من حديث أبي هريرة

(١) حديث عبادة أو غيره « في ابتدار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السواري إذا أذن لصلاة المغرب » متفق عليه من حديث أنس لا من حديث عبادة ، وروى عبد الله بن أحمد في زيادات المسند « أن أبي بن كعب وعبد الرحمن بن عوف كانا يركعان حين تغرب الشمس ركعتين قبل المغرب (٢) حديث « كنا نصلي الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب أنا صلينا » أخرجه مسلم من حديث أنس (٣) حديث « بين كل أذانين صلاة لمن شاء » متفق عليه من حديث عبد الله بن مغفل

(٤) حديث « إذا أقبل الليل من ههنا .. الحديث » متفق عليه من حديث عمر (٥) حديث عائشة « كان يصلي بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام » أخرجه أبو داود (٦) حديث « الوتر ثلاث بعد العشاء » أخرجه أحمد واللفظ له والنسائي من حديث عائشة « كان يوتر بثلاث لا يفصل بينهن » (٧) حديث « الصلاة خير موضع » أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي ذر (٨) حديث أنس « كان يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الأولى سبح .. الحديث » أخرجه ابن عدي في ترجمة محمد بن أبان ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس بسند صحيح (٩) حديث « كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا » أخرجه مسلم من حديث عائشة (١٠) حديث « إذا أراد أن يدخل فراشه زحف إليه ثم صلى ركعتين .. الحديث » أخرجه البيهقي من حديث أبي أمامة وأنس نحوه وضعفه وليس فيه « زحف إليه » ولا ذكر « ألهاكم التكاثر »

وتسليمتين : وقد أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم بركعة[١] وثلاث[٢] وخمس[٣] وهكذا بالأوتار[٤] إلى إحدى عشرة ركعة[٥] والرواية مترددة فى ثلاث عشرة[٦] وفى حديث شاذ « سبع عشرة ركعة[٧] » وكانت هذه الركعات - أعنى ما سمينا جملتها وترا - صلاة بالليل وهو التهجد والتهجد بالليل سنة مؤكدة - وسيأتى ذكر فضلها فى كتاب الأوراد وفى الأفضل خلاف فقيل إن الإيتار بركعة فردة أفضل إذ صح أنه صلى الله عليه وسلم كان يواظب على الإيتار بركعة فردة وقيل الموصولة أفضل للخروج عن شبهة الخلاف لاسيما الإمام إذ قد يقتدى به من لا يرى الركعة الفردة صلاة ، فإن صلى موصولا نوى بالجميع الوتر وإن اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتى العشاء أو بعد فرض العشاء نوى الوتر وصح . لأن شرط الوتر أن يكون فى نفسه وترا وأن يكون موترا لغيره مما سبق قبله وقد أوتر الفرض ولو أوتر قبل العشاء لم يصح أى لا ينال فضيلة الوتر الذى هو خير له من حمر النعم[٨] كما ورد به الخبر . وإلا فركعة فردة صحيحة فى أى وقت كان وإنما لم يصح قبل العشاء لأنه خرق إجماع الخلق فى الفعل ولأنه لم يتقدم ما يصير به وترا . فأما إذا أراد أن يوتر بثلاث مفصولة ففى نيته فى الركعتين نظر . فإنه إن نوى بهما التهجد أو سنة العشاء لم يكن هو من الوتر . وإن نوى الوتر لم يكن هو فى نفسه وترا . وإنما الوتر ما بعده . ولكن الأظهر أن ينوى الوتر كما ينوى فى الثلاث الموصولة الوتر . ولكن للوتر معنيان ، أحدهما : أن يكون فى نفسه وترا ، والآخر أن ينشأ ليجعل وترا بما بعده فيكون مجموع الثلاثة وترا ، والركعتان من جملة الثلاث إلا أن وتريته موقوفة على الركعة الثالثة . وإذا كان هو على عزم أن يوترهما بثالثة كان له أن ينوى بهما الوتر . والركعة الثالثة وتر بنفسها وموترة لغيرها . والركعتان لا يوتران غيرهما وليستا وترا بأنفسهما ولكنهما موترتان بغيرهما . والوتر ينبغى أن يكون آخر صلاة الليل فيقع بعد التهجد . وسيأتى فضائل الوتر والتهجد وكيفية الترتيب بينهما فى كتاب ترتيب الأوراد (السابعة) صلاة الضحى : فالمواظبة عليها من عزائم الأفعال وفواضلها . أما عدد ركعاتها فأكثر ما نقل فيه ثمان ركعات . روت أم هانئ أخت على بن أبى طالب رضى الله عنهما « أنه صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ثمانى ركعات أطالهن وحسنهن[٩] » ولم ينقل هذا القدر غيرها . فأما عائشة رضى الله عنها فإنها ذكرت « أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى أربعا ويزيد ما شاء الله سبحانه[١٠] » فلم تحد الزيادة أى أنه كان يواظب على الأربعة ولا ينقص منها وقد يزيد زيادات . وروى فى حديث مفرد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى ست ركعات[١١] » وأما وقتها فقد روى على رضى الله عنه « أنه

---

(١) حديث « الوتر ركعة » متفق عليه من حديث ابن عمر وهو لمسلم من حديث عائشة (٢) حديث « الوتر بثلاث » تقدم (٣) حديث « الوتر بخمس » من حديث عائشة « يوتر من ذلك بخمس ولا يجلس فى شىء إلا فى آخرها »

(٤) حديث « الوتر بسبع » أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى « واللفظ له من حديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كبر وضعف أوتر بسبع ركعات لا يقعد إلا فى السادسة ثم ينهض ولا يسلم فيصلى السابعة » حديث « الوتر بتسع » أخرجه مسلم من حديث عائشة وهو فى الذى قبله (٥) حديث الوتر بإحدى عشرة » أخرجه أبو داود بإسناد صحيح من حديث عائشة « كان يوتر بأربع وثلاث ، وست وثلاث ، وثمان وثلاث ، وعشر وثلاث . . الحديث » ولمسلم من حديثها « كان يصلى بالليل إحدى عشرة ركعة . الحديث » (٦) حديث « الوتر بثلاث عشرة » تقدم فى الذى قبله وللترمذى والنسائى من حديث أم سلمة « كان يوتر بثلاث عشرة » وقال الترمذى حسن . ولمسلم من حديث عائشة « كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة » زاد فى رواية « ركعتى الفجر » (٧) حديث « الوتر سبع عشرة » أخرجه ابن المبارك من حديث طاوس مرسلا « كان يصلى سبع عشرة ركعة من الليل » (٨) حديث « الوتر خير من حمر النعم » أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث خارجة ابن حذافة « إن الله أمدكم بصلاة هى خير لكم من حمر النعم » وضعفه البخارى وغيره . (٩) حديث أم هانئ « صلى الضحى ثمانى ركعات أطالهن وأحسنهن » متفق عليه دون زيادة « أطالهن وأحسنهن » وهى مستكرة (١٠) حديث عائشة « كان يصلى الضحى أربعا ويزيد ما شاء الله » أخرجه مسلم (١١) حديث « كان يصلى الضحى ست ركعات » أخرجه الحاكم فى فضل صلاة الضحى من حديث جابر ورجاله ثقات

صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى ستا في وقتين ، إذا أشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين ـ وهو أول الورد الثاني من أوراد النهار كما سيأتي ـ وإذا انبسطت الشمس وكانت في ربع السماء من جانب الشرق صلى أربعا [١] ، فالأول إنما يكون إذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح والثاني إذا مضى من النهار ربعه بإزاء صلاة العصر فإن وقته أن يبقى من النهار ربعه ، والظهر على منتصف النهار ، ويكون الضحى على منتصف مابين طلوع الشمس إلى الزوال ، كما أن العصر على منتصف مابين الزوال إلى الغروب . وهذا أفضل الأوقات . ومن وقت ارتفاع الشمس إلى ماقبل الزوال وقت للضحى على الجملة . (الثامنة) إحياء مابين العشاءين وهي سنة مؤكدة ومما نقل عدده من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين العشاءين ست ركعات [٢] ولهذه الصلاة فضل عظيم . وقيل إنها المراد بقوله عز وجل (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى بين المغرب والعشاء فإنها من صلاة الأوابين [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو بقرآن كان حقا على الله أن يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه أهل الأرض لوسعهم [٤] » وسيأتي بقية فضائلها في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى .

القسم الثاني مايتكرر بتكرر الأسابيع

وهي صلاة أيام الأسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة

أما الأيام فنبدأ فيها بيوم الأحد . يوم الأحد : روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الأحد أربع ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله له بعدد كل نصراني ونصرانية حسنات وأعطاه الله ثواب نبي وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة ألف صلاة وأعطاه الله في الجنة بكل حرف مدينة من مسك أذفر [٥] » وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد فإنه سبحانه واحد لا شريك له فمن صلى يوم الأحد بعد صلاة الظهر أربع ركعات بعد الفريضة والسنة يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة ، وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك ثم تشهد وسلم ثم قام فصلى ركعتين أخريين يقرأ فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسأل الله سبحانه حاجته كان حقا على الله أن يقضي حاجته [٦] » .

يوم الاثنين : روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد والمعوذتين مرة مرة فإذا سلم

---

(١) حديث « كان إذا أشرق وارتفعت قام وصلى ركعتين وإذا انبسطت الشمس وكانت في ربع النهار من جانب المشرق صلى أربعا » أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث علي كان نبي الله صلى الله عليه وسلم « إذا زالت الشمس من مطلعها قيد رمح أو رمحين كقدر صلاة العصر من مغربها صلى ركعتين ثم أمهل حتى إذا ارتفع الضحى صلى أربع ركعات » لفظ النسائي وقال الترمذي حسن . (٢) حديث « صلى بين العشاءين ست ركعات » أخرجه ابن منده في الضحى والطبراني في الأوسط والأصبهاني من حديث عمار ابن ياسر بسند ضعيف والترمذي وضعفه من حديث أبي هريرة « من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتي عشرة سنة » (٣) حديث « من صلى بين المغرب والعشاء فإنها من صلاة الأوابين » أخرجه ابن المبارك في الرقائق من رواية ابن المنذر مرسلا (٤) حديث « من عكف نفسه بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة » أخرجه أبو الوليد الصفار في ـ كتاب الصلاة ـ من طريق عبد الملك بن حبيب بلاغا له من حديث عبد الله بن عمر (٥) حديث « من صلى يوم الأحد أربع ركعات ... الحديث » أخرجه أبو موسى المديني من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٦) حديث علي « وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد .. الحديث » ذكره أبو موسى المديني فيه بغير إسناد

استغفر الله عشر مرات وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عشر مرات غفر الله تعالى له ذنوبه كلها [١] » وروى أنس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الاثنين ثنتي عشره ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة فإذا فرغ قرأ قل هو الله أحد اثنتي عشرة واستغفر اثنتي عشرة مرة ينادي به يوم القيامة : أين فلان بن فلان ليقم فليأخذ ثوابه من الله عز وجل ؟ فأول ما يعطى من الثواب ألف حلة ويتوج ويقال له ادخل الجنه ويستقبله مائة الف ملك مع كل ملك هدية يتبعونه حتى يدور على ألف قصر من نور يتلألا [٢] » .

يوم الثلاثاء : روى يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال « قال صلى الله عليه وسلم : من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار [٣] » وفي حديث آخر « عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات لم تكتب عليه خطيئة إلى سبعين يوما فإن مات إلى سبعين يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة .

يوم الأربعاء : روى أبو إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الأربعاء ثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات والمعوذتين ثلاث مرات نادى مناد عند العرش : ياعبد الله استأنف العمل فقد غفر لك ماتقدم من ذنبك ورفع الله سبحانه عنك عذاب القبر وضيقه وظلمته ورفع عنك شدائد القيامة ، ورفع له من يومه عمل بي [٤] » .

يوم الخميس : عن عكرمة عن ابن عباس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وآية الكرسي مائة مرة وفي الثانية فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد مائة مرة ويصلي على محمد مائة مرة أعطاه الله ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من آمن بالله سبحانه وتوكل عليه حسنة [٥] » .

يوم الجمعة ، روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يوم الجمعة صلاة كله ما من عبد مؤمن قام إذا استقلت الشمس وارتفعت قدر رمح أو أكثر من ذلك فتوضأ ثم أسبغ الوضوء فصلى سبحة الضحى ركعتين إيمانا واحتسابا إلا كتب الله له مائتي حسنة ومحا عنه مائتي سيئة ومن صلى أربع ركعات رفع الله سبحانه له في الجنة أربعمائة درجة ومن صلى ثماني ركعات رفع الله تعالى له في الجنة ثمانمائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى ثنتي عشرة ركعة كتب الله له ألفين ومائتي حسنة ومحا عنه ألفين ومائتي سيئة ورفع له في الجنة ألفين ومائتي درجة [٦] » وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من دخل الجامع

---

(١) حديث جابر « من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين .. الحديث » أخرجه أبو موسى المديني من حديث جابر عن عمر مرفوعا وهو حديث منكر (٢) حديث أنس « من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة ... الحديث » ذكره أبو موسى المديني بغير سند وهو منكر . (٣) حديث يزيد الرقاشي عن أنس « من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار .. الحديث » أخرجه أبو موسى المديني بسند ضعيف ولم يقل « عند انتصاف النهار ولا عند ارتفاعه »

(٤) حديث أبي ادريس الخولاني عن معاذ « من صلى يوم الأربعاء اثنتي عشرة ركعة ... الحديث » أخرجه أبو موسى المديني وقال رواته ثقات والحديث مركب . قلت : بل فيه غير مسمى وهو محمد بن حميد الرازي أحد الكذابين

(٥) حديث عكرمة عن ابن عباس « من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين ... الحديث » أخرجه أبو موسى المديني بسند ضعيف جدا (٦) حديث علي « يوم الجمعة صلاة كله ما من عبد مؤمن قام إذا استقلت الشمس .. الحديث » لم أجد له أصلا وهو باطل

يوم الجمعة فصلى أربع ركعات قبل صلاة الجمعة يقرأ فى كل ركعة الحمد لله وقل هو الله أحد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له [١] » .

يوم السبت : روى أبو هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من صلى يوم السبت أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات فإذا فرغ قرأ آية الكرسى كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف أجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها وأعطاه الله عزوجل بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهداء [٢] » .

وأما الليالى . ليلة الأحد : روى أنس بن مالك فى ليلة الأحد أنه صلى الله عليه وسلم قال « من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمسين مرة والمعوذتين مرة مرة واستغفر الله عزوجل مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم مائة مرة وتبرأ من حوله وقوته والتجأ إلى الله ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن آدم صفوة الله وفطرته وإبراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله ومحمدا حبيب الله كان له من الثواب بعدد من دعا لله ولدا ومن لم يدع لله ولدا وبعثه الله عزوجل يوم القيامة مع الآمنين وكان حقا على الله تعالى أن يدخله الجنة مع النبيين [٣] » .

ليلة الاثنين : روى الأعمش عن أنس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات يقرأ فى الركعة الأولى الحمد لله وقل هو الله أحد عشر مرات ، وفى الركعة الثانية الحمد لله وقل هو الله أحد عشرين مرة ، وفى الثالثة الحمد لله وقل هو الله أحد ثلاثين مرة ، وفى الرابعة الحمد لله وقل هو الله أحد أربعين مرة ثم يسلم ويقرأ قل هو الله أحد خمسا وسبعين مرة واستغفر الله لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة ثم سأل الله حاجته كان حقا على الله أن يعطيه سؤله ماسأل [٤] » وهى صلاة الحاجة .

ليلة الثلاثاء : من صلى ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوذتين خمس عشرة مرة ، ويقرأ بعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسى واستغفر الله تعالى خمس عشرة مرة كان له ثواب عظيم وأجر جسيم . وروى عن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ليلة الثلاثاء ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وإنا أنزلناه وقل هو الله أحد سبع مرات أعتق الله رقبته من النار ويكون يوم القيامة قائده ودليله إلى الجنة [٥] » .

ليلة الأربعاء : روت فاطمة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ليلة الأربعاء ركعتين يقرأ فى الأول فاتحة الكتاب وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات ، وفى الثانية بعد الفاتحة قل أعوذ برب الناس عشر مرات

---

(١) حديث نافع عن ابن عمر « من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى أربع ركعات . . الحديث » أخرجه الدارقطنى فى غرائب مالك وقال لا يصح وعبد الله بن وصيف مجهول والخطيب فى الرواة عن مالك وقال غريب جدا ولا أعرف له وجها غير هذا

(٢) حديث أبى هريرة « من صلى يوم السبت أربع ركعات .. الحديث » أخرجه أبو موسى المدينى فى كتاب وظائف الليالى والأيام بسند ضعيف جدا

(٣) حديث « من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة .. الحديث » ذكره أبو موسى المدينى بغير إسناد وهو منكر وروى أبو موسى من حديث أنس « فى فضل الصلاة فيها ست ركعات وأربع ركعات » وكلاهما ضعيف جدا

(٤) حديث « الأعمش عن أنس « من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات .. الحديث » ذكره أبو موسى المدينى هكذا عن الأعمش بغير إسناد من رواية يزيد الرقاشى عن أنس حديثا « فى صلاة ست ركعات فيها » وهو منكر .

(٥) حديث « الصلاة فى ليلة الثلاثاء ركعتين .. الحديث » ذكره أبو موسى بغير إسناد حكاية عن بعض المصنفين وأسند من حديث ابن مسعود وجابر حديثا « فى صلاة أربع ركعات فيها » وكلها منكرة

ثم إذا سلم استغفر الله عشر مرات ثم يصلى على محمد صلى الله عليه وسلم عشر مرات نزل من كل سماء سبعون ألف ملك يكتبون ثوابه إلى يوم القيامة [١] » وفى حديث آخر « ست عشرة ركعة يقرأ بعد الفاتحة ماشاء الله ويقرأ فى آخر الركعتين آية الكرسى ثلاثين مرة وفى الأولين ثلاثين مرة قل هو الله أحد يشفع فى عشرة من أهل بيته كلهم وجبت عليهم النار » وروت فاطمة رضى الله عنها أنها قالت « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى ليلة الأربعاء ست ركعات قرأ فى ركعة بعد الفاتحة قل اللهم مالك الملك إلى آخر الآية فإذا فرغ من صلاته يقول جزى الله محمدا عنا ماهو أهله غفر له ذنوب سبعين سنة وكتب له براءة من النار [٢] » .

ليلة الخميس : قال أبو هريرة رضى الله عنه « قال النبى صلى الله عليه وسلم : من صلى ليلة الخميس مابين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى خمس مرات وقل هو الله أحد خمس مرات والمعوذتين خمس مرات فإذا فرغ من صلاته استغفر الله تعالى خمس عشر مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد أدى حق والديه عليه وإن كان عاقا لهما وأعطاه الله تعالى ما يعطى الصديقين والشهداء [٣] » .

ليلة الجمعة : قال جابر « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة فكأنما عبد الله تعالى اثنتى عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلها [٤] » وقال أنس « قال النبى صلى الله عليه وسلم : من صلى ليلة الجمعة صلاة العشاء الآخرة فى جماعة وصلى ركعتى السنة ثم صلى بعدهما عشر ركعات قرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوذتين مرة مرة ثم أوتر بثلاث ركعات ونام على جنبه الأيمن وجهه إلى القبلة فكأنما أحيا ليلة القدر [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « أكثروا من الصلاة على فى الليلة الغراء واليوم الأزهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة [٦] » .

ليلة السبت : قال أنس « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة بنى له قصر فى الجنة وكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهود وكان حقا على الله أن يغفر له [٧] » .

القسم الثالث مايتكرر بتكرر السنين

وهى أربعة : صلاة العيدين والتراويح وصلاة رجب وشعبان (الأولى) صلاة العيدين : وهى سنة مؤكدة وشعار من شعائر الدين وينبغى أن يراعى فيها سبعة أمور : الأول . التكبير ثلاثا نسقا فيقول « الله أكبر الله أكبر

---

(١) حديث « من صلى ليلة الأربعاء ركعتين . الحديث » لم أجد فيه إلا حديث جابر « فى صلاة أربع ركعات فيها » ورواه أبو موسى المدينى وروى من حديث أنس « ثلاثين ركعة » (٢) حديث فاطمة « من صلى ست ركعات فى ليلة الأربعاء ... الحديث » أخرجه أبو موسى المدينى بسند ضعيف جدا (٣) حديث أبى هريرة « من صلى ليلة الخميس مابين المغرب والعشاء ركعتين .. الحديث » أخرجه أبو موسى المدينى وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس بسند ضعيف جدا وهو منكر

(٤) حديث جابر « من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة .. الحديث » باطل لا أصل له

(٥) حديث أنس « من صلى ليلة الجمعة العشاء الآخرة فى جماعة وصلى ركعتى السنة ثم صلى بعدها عشر ركعات .. الحديث » باطل لا أصل له وروى المظفر بن الحسين الأرجانى فى كتاب فضائل القرآن وإبراهيم بن المظفر فى كتاب وصول القرآن للميت من حديث أنس « من صلى ركعتين ليلة الجمعة قرأ فيهما بفاتحة الكتاب وإذا زلزلت خمس عشرة مرة » وقال إبراهيم بن المظفر « حسين مرة أمنه الله من عذاب القبر ومن أهوال يوم القيامة » ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من هذا الوجه ومن حديث ابن عباس أيضاً وكلها ضعيفة منكرة وليس يصح فى أيام الأسبوع ولياليه شىء والله أعلم (٦) حديث « أكثروا على من الصلاة فى الليلة الغراء واليوم الأزهر » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة وفيه عبد المنعم بن بشير ضعفه ابن معين وابن حبان (٧) حديث أنس « من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة .. الحديث » لم أجد له أصلا

الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » يفتتح بالتكبير ليلة الفطر إلى الشروع فى صلاة العيد ، وفى العيد الثانى يفتتح التكبير عقيب الصبح يوم عرفة إلى آخر النهار يوم الثالث عشر ، وهذا أكمل الأقاويل . ويكبر عقيب الصلوات المفروضة وعقيب النوافل وهو عقيب الفرائض آكد : الثانى : إذا أصبح يوم العيد يغتسل ويتزين ويتطيب كما ذكرناه فى الجمعة والرداء والعمامة هو الأفضل للرجال ، وليجتنب الصبيان الحرير والعجائز التزين عند الخروج . الثالث : أن يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر[1] هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم « يأمر بإخراج العواتق وذوات الخدور[2] » . الرابع : المستحب الخروج إلى الصحراء إلا بمكة وبيت المقدس ، فإن كان يوم مطر فلا بأس بالصلاة فى المسجد ، ويجوز فى يوم الصحو أن يأمر الإمام رجلا يصلى بالضعفة فى المسجد ويخرج بالأقوياء مكبرين . الخامس : يراعى الوقت فوقت صلاة العيد ما بين طلوع الشمس إلى الزوال . ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر خطبتين وركعتين إلى آخر اليوم الثالث عشر ويستحب تعجيل صلاة الأضحى لأجل الذبح وتأخير صلاة الفطر لأجل تفريق صدقة الفطر قبلها . هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] . السادس : فى كيفية الصلاة فليخرج الناس مكبرين فى الطريق . وإذا بلغ الإمام المصلى لم يجلس ولم يتنفل ويقطع الناس التنفل . ثم ينادى مناد : الصلاة جامعة . ويصلى الإمام بهم ركعتين يكبر فى الأولى سوى تكبيرة الإحرام والركوع سبع تكبيرات يقول بين كل تكبيرتين « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » ويقول « وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض » عقيب تكبيرة الافتتاح ويؤخر الاستعاذة إلى ما وراء الثامنة ويقرأ « سورة ق » فى الأولى بعد الفاتحة « واقتربت » فى الثانية . والتكبيرات الزائدة فى الثانية خمس سوى تكبيرتى القيام والركوع . وبين كل تكبيرتين ما ذكرناه . ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة ومن فاتته صلاة العيد قضاها ، السابع : أن يضحى بكبش « ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين وذبح بيده وقال « بسم الله والله أكبر هذا عنى وعمن لم يضح من أمتى[4] » وقال صلى الله عليه وسلم : « من رأى هلال ذى الحجة وأراد أن يضحى فلا يأخذ من شعره ولا من أظفاره شيئاً[5] » قال أبو أيوب الأنصارى : كان الرجل يضحى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة عن أهل بيته ويأكلون ويطعمون[6] . وله أن يأكل من الضحية بعد ثلاثة أيام فما فوق ، وردت فيه الرخصة بعد النهى عنه وقال سفيان الثورى : يستحب أن يصلى بعد عيد الفطر اثنتى عشرة ركعة وبعد عيد الأضحى ست ركعات[7] وقال هو من السنة (الثانية) التراويح : وهى عشرون ركعة

---

(١) حديث « الخروج فى طريق والرجوع فى أخرى » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة

(٢) حديث « كان يأمر بإخراج العواتق وذوات الخدور » متفق عليه من حديث أم عطية

(٣) حديث « تعجيل صلاة الأضحى وتأخير صلاة الفطر » أخرجه الشافعى من رواية أبى الحويرث مرسلا أن النبى صلى الله عليه وسلم كتب إلى عمرو بن حزم وهو بنجران أن عجل الأضحى وأخر الفطر

(٤) حديث « ضحى بكبشين أملحين وذبح بيده وقال . بسم الله والله أكبر هذا عنى وعمن لم يضح من أمتى » متفق عليه دون قوله « عنى » الخ من حديث أنس وهذه الزيادة عند أبى داود والترمذى من حديث جابر وقال الترمذى غريب ومنقطع .

(٥) حديث « من رأى هلال ذى الحجة وأراد أن يضحى فلا يأخذ من شعره وأظفاره » أخرجه من حديث أم سلمة .

(٦) حديث أبى أيوب « كان الرجل يضحى على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشاة عن أهله فيأكلون ويطعمون » أخرجه الترمذى وابن ماجه قال الترمذى حسن صحيح (٧) قال سفيان الثورى : من السنة أن يصلى بعد الفطر اثنتى عشرة ركعة وبعد الأضحى ست ركعات . لم أجد له أصلا فى كونه سنة وفى الحديث الصحيح ما يخالفه وهو أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل قبلها ولا بعدها وقد اختلفوا فى قول التابعى : من السنة كذا ، وأما قول تابعى التابع كذلك كالثورى فهو مقطوع .

وكيفيتها مشهورة وهي سنة مؤكدة وإن كانت دون العيدين واختلفوا في أنّ الجماعة فيها أفضل أم الانفراد ؟ وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ليلتين أو ثلاثا للجماعة ثم لم يخرج وقال « أخاف أن توجب عليكم[1] » وجمع عمر رضي الله عنه الناس عليها في الجماعة حيث أمن من الوجوب بانقطاع الوحي ؛ فقيل إنّ الجماعة أفضل لفعل عمر رضي الله عنه ولأنّ الاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرائض ولأنه ربما يكسل في الانفراد وينشط عند مشاهدة الجمع . وقيل الانفراد أفضل لأنّ هذه سنة ليست من الشعائر كالعيدين فإلحاقها بصلاة الضحى وتحية المسجد أولى ولم تشرع فيها جماعة . وقد جرت العادة بأن يدخل المسجد جمع معا ثم لم يصلوا التحية بالجماعة ولقوله صلى الله عليه وسلم « فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت[2] » وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال « صلاة في مسجدي هذا أفضل من مائة صلاة في غيره من المساجد وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدي ، وأفضل من ذلك كله رجل يصلي في زاوية بيته ركعتين لا يعلمها إلا الله عز وجل[3] » وهذا لأنّ الرياء والتصنع ربما يتطرق إليه في الجمع ويأمن منه في الوحدة فهذا ما قيل فيه . والمختار أن الجماعة أفضل كما رآه عمر رضي الله عنه . فإنّ بعض النوافل قد شرعت فيها الجماعة وهذا جدير بأن يكون من الشعائر التي تظهر . وأما الالتفات إلى الرياء في الجمع والكسل في الانفراد عدول عن مقصود النظر في فضيلة الجمع من حيث إنه جماعة ، وكأنّ قائله يقول : الصلاة خير من تركها بالكسل والإخلاص خير من الرياء . فلنفرض المسألة فيمن يثق بنفسه أنه لا يكسل لو انفرد ولا يرائي لو حضر الجمع فأيهما أفضل له ؟ فيدور النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الإخلاص وحضور القلب في الوحدة ، فيجوز أن يكون في تفضيل أحدهما على الآخر تردد ومما يستحب القنوت في الوتر في النصف الأخير من رمضان . أما صلاة رجب : فقد روي بإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما من أحد يصوم أول خميس من رجب ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وإنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات وقل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة ، فإذا فرغ من صلاته صلى على سبعين مرة يقول : اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة : سبوح قدوس رب الملائكة والروح ، ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة : رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم ، ثم يسجد سجدة أخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الأولى ثم يسأل حاجته في سجوده فإنها تقضى[4] » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يصلي أحد هذه الصلاة إلا غفر

---

(١) حديث « خرج ليلة لقيام رمضان ليلتين أو ثلاثا ثم لم يخرج وقال أخاف أن يوجب عليكم » متفق عليه من حديث عائشة بلفظ « خشيت أن تفرض عليكم » (٢) حديث « فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت » رواه آدم بن أبي إياس في كتاب الفوائد من حديث ضمرة بن حبيب مرسلا ورواه ابن أبي شيبة في المصنف لحمله عن ضمرة بن حبيب عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم موقوفا . وفي سنن أبي داود بإسناد صحيح من حديث زيد بن ثابت صلاة المرء في بيته أفضل من صلاته في مسجدي هذا إلا المكتوبة

(٣) حديث « صلاة في مسجدي هذا أفضل من مائة صلاة في غيره وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدي وأفضل من هذا كله رجل يصلي ركعتين في زاوية بيته لا يعلمها إلا الله » أخرجه أبو الشيخ في الثواب من حديث أنس « صلاة في مسجدي تعدل بعشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة والصلاة بأرض الرباط تعدل بألفي ألف صلاة وأكثر من ذلك كله الركعتان يصليهما العبد في جوف الليل لا يريد بهما إلا وجه الله عز وجل » وإسناده ضعيف وذكر أبو الوليد الصفار في كتاب الصلاة تعليقا من حديث الأوزاعي قال : دخلت على يحيى فأسند لي حديثا فذكره ، إلا أنه قال في الأولى « ألف » وفي الثانية « مائة » (٤) حديث « ما من أحد يصوم أول خميس من رجب ... الحديث » في صلاة الرغائب أورده رزين في كتابه وهو حديث موضوع

الله تعالى له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الأشجار ويشفع يوم القيامة فى سبعمائة من أهل بيته ممن قد استوجب النار » فهذه صلاة مستحبة ، وإنما أوردناها فى هذا القسم لأنها تتكرر بتكرر السنين وإن كانت رتبتها لاتبلغ رتبة التراويح وصلاة العيد لأنّ هذه الصلاة نقلها الآحاد ، ولكى رأيت أهل القدس بأجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها فأحببت إيرادها . وأما صلاة شعبان : فليلة الخامس عشر منه يصلى مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة ، وإن شاء صلى عشر ركعات يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله أحد ، فهذا أيضا مروى فى جملة الصلوات كان السلف يصلون هذه الصلاة ويسمونها صلاة الخير ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة . روى عن الحسن أنه قال: حدثنى ثلاثون من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أنّ من صلى هذه الصلاة فى هذه الليلة نظر الله اليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة [1]

القسم الرابع من النوافل : مايتعلق بأسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهى تسعة

صلاة الخسوف والكسوف والاستسقاء وتحية المسجد وركعتى الوضوء وركعتين بين الأذان والإقامة وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول فيه . ونظائر ذلك فنذكر منها ما يحضرنا الآن ﴿ الأولى ﴾ صلاة الخسوف: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة [2] » قال ذلك لما مات ولده إبراهيم صلى الله عليه وسلم وكسفت الشمس فقال الناس . إنما كسفت لموته . والنظر فى كيفيتها ووقتها ، أما الكيفية . فاذا كسفت الشمس فى وقت الصلاة فيه مكروهة أو غير مكروهة نودى « الصلاة جامعة » وصلى الإمام بالناس فى المسجد ركعتين وركع فى كل ركعة ركوعين أوائلهما أطول من أواخرهما . ولا يجهر فيقرأ فى الأولى من قيام الركعة الأولى الفاتحة والبقرة ؛ وفى الثانية الفاتحة وآل عمران ، وفى الثالثة الفاتحة وسورة النساء ، وفى الرابعة الفاتحة وسورة المائدة ، أو مقدار ذلك من القرآن من حيث أراد ، ولو اقتصر على الفاتحة فى كل قيام أجزأه ولو اقتصر على سور قصار فلا بأس . ومقصود التطويل دوام الصلاة إلى الإنجلاء . ويسبح فى الركوع الأول قدر مائة آية ، وفى الثانى قدر ثمانين ، وفى الثالث قدر سبعين ، وفى الرابع قدر خمسين . وليكن السجود على قدر الركوع فى كل ركعة . ثم يخطب خطبتين بعد الصلاة بينهما جلسة ويأمر الناس بالصدقة والعتق والتوبة . وكذلك يفعل بخسوف القمر إلا أنه يجهر فيها لأنها ليلية . فأما وقتها فعند ابتداء الكسوف إلى تمام الانجلاء ويخرج وقتها بأن تغرب الشمس كاسفة . وتفوت صلاة خسوف القمر بأن يطلع قرص الشمس إذ يبطل سلطان الليل ولا تفوت بغروب القمر خاسفا لأن الليل كله سلطان القمر ، فان انجلى فى أثناء الصلاة أتمها مخففة . ومن أدرك الركوع الثانى مع الإمام فقد فاتته تلك الركعة لأن الأصل هو الركوع الأول ﴿ الثانية ﴾ صلاة الاستسقاء : فاذا غارت الأنهار وانقطعت الأمطار أو إنهارت قناة فيستحب للإمام أن يأمر الناس أولا بصيام ثلاثة أيام وما أطاقوا من الصدقة والخروج من المظالم والتوبة من المعاصى ، ثم يخرج بهم فى اليوم الرابع وبالعجائز والصبيان متنظفين فى ثياب بذلة واستكانة متواضعين ـ بخلاف العيد ـ وقيل يستحب

---

(١) حديث « صلاة ليلة نصف شعبان » حديث باطل رواه ابن ماجه من حديث على « إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها » وأسناده ضعيف (٢) حديث « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله .. الحديث » أخرجاه من حديث المغيرة بن شعبة

إخراج الدواب لمشاركتها فى الحاجة ولقوله صلى الله عليه وسلم « لولا صبيان رضع ومشايخ ركع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا [1] » ولو خرج أهل الذمة أيضا متميزين لم يمنعوا فإذا اجتمعوا فى المصلى الواصل من الصحراء نودى « الصلاة جامعة » فصلى بهم الامام ركعتين مثل صلاة العيد - بغير تكبير - ثم يخطب خطبتين وبينهما جلسة خفيفة ، وليكن الاستغفار معظم الخطبتين ، وينبغى فى وسط الخطبة الثانية ، أن يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحول رداءه فى هذه الساعة تفاؤلا بتحويل الحال [2] . هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجعل أعلاه أسفله وما على اليمين على الشمال وما على الشمال على اليمين . وكذلك يفعل الناس ويدعون فى هذه الساعة سراً ، ثم يستقبلهم فيختم الخطبة ويدعون أرديتهم محولة كما هى حتى ينزعوها متى نزعوا الثياب . ويقول فى الدعاء : اللهم إنك أمرتنا بدعائك ووعدتنا إجابتك فقد دعوناك كما أمرتنا فأجبنا كما وعدتنا اللهم فامنن علينا بمغفرة ما قارفنا وإجابتك فى سقيانا وسعة أرزاقنا . ولا بأس بالدعاء أدبار الصلوات فى الأيام الثلاثة قبل الخروج ولهذا الدعاء آداب وشروط باطنة من التوبة ورد المظالم وغيرها ، وسيأتى ذلك فى كتاب الدعوات (الثالثة) صلاة الجنائز : وكيفيتها مشهورة وأجمع دعاء مأثور ماروى فى الصحيح عن عوف بن مالك قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على جنازة فحفظت من دعائه : اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وأبدله داراً خيراً من داره وأهلا خيرا من أهله وزوجا خيرا من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار [3] » حتى قال عوف : تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت . ومن أدرك التكبيرة الثانية فينبغى أن يراعى ترتيب الصلاة فى نفسه ويكبر مع تكبيرات الإمام فإذا سلم الإمام قضى تكبيره الذى فات كفعل المسبوق ، وإنه لو بادر التكبيرات لم تبق للقدوة فى هذه الصلاة معنى ، فالتكبيرات هى الأركان الظاهرة ، وجدير بأن تقام مقام الركعات فى سائر الصلوات ، هذا هو الأوجه عندى وإن كان غيره محتملا . والأخبار الواردة فى فضل صلاة الجنازة وتشييعها مشهورة فلا نطيل بإيرادها ، وكيف لا يعظم فضلها وهى من فرائض الكفايات ؟ وإنما تصير نفلا فى حق من لم تتعين عليه بحضور غيره ، ثم ينال بها فضل فرض الكفاية وإن لم يتعين لأنهم بجملتهم قاموا بما هو فرض الكفاية وأسقطوا الحرج عن غيرهم ، فلا يكون ذلك كنفل لا يسقط به فرض عن أحد ، ويستحب طلب كثرة الجمع تبركا بكثرة الهمم والأدعية واشتماله على ذى دعوة مستجابة لما روى كريب عن ابن عباس : أنه مات له ابن فقال : يا كريب أنظر ما اجتمع له من الناس قال : فخرجت فاذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته فقال : تقول هم أربعون قلت : نعم ، قال : أخرجوه فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفعهم الله عز وجل فيه [4] » وإذا شيع الجنازة فوصل المقابر أو دخلها ابتداء قال : السلام عليكم أهل هذه الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون . والأولى أن لا ينصرف حتى يدفن الميت فاذا سوى على الميت قبره قام عليه وقال : اللهم عبدك رد اليك فارأف به وارحمه اللهم جاف الأرض عن جنبيه وافتح أبواب السماء لروحه وتقبله منك بقبول حسن اللهم

---

(١) حديث « لولا صبيان رضع ومشايخ ركع .. الحديث » أخرجه البيهقى وضعفه من حديث أبى هريرة (٢) حديث « استدبار الناس واستقبال القبلة وتحويل الرداء فى بالاستسقاء » أخرجاه من حديث عبد الله بن زيد المازنى (٣) حديث عوف بن مالك فى الصلاة على الجنازة « اللهم اغفر لى وله وارحمنى وارحمه وعافنى وعافه .. الحديث » أخرجه مسلم دون الدعاء للمصلى

(٤) حديث ابن عباس « ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون ... الحديث » أخرجه مسلم

إن كان محسنا فضاعف له فى إحسانه وإن كان مسيئا فتجاوز عنه (الرابعة) تحية المسجد : ركعتان فصاعدا سنة مؤكدة حتى أنها لا تسقط وإن كان الإمام يخطب يوم الجمعة مع تؤكد وجوب الإصغاء إلى الخطيب . وإن اشتغل بفرض أو قضاء تأدى به التحية وحصل الفضل إذ المقصود أن لايخلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياما بحق المسجد . ولهذا يكره أن يدخل المسجد على غير وضوء فان دخل لعبور أو جلوس فليقل « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » يقولها أربع مرات يقال إنها عدل ركعتين فى الفضل . ومذهب الشافعى رحمه الله أنه لاتكره التحية فى أوقات الكراهية : وهى بعد العصر وبعد الصبح ووقت الزوال ووقت الطلوع والغروب ، لما روى « أنه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين بعد العصر فقيل له أما نهيتنا عن هذا ؟ فقال : هما ركعتان كنت أصليهما بعد الظهر فتشغلنى عنهما الوفد [1] » فأفاد هذا الحديث فائدتين إحداهما : أنّ الكراهية مقصورة على صلاة لاسبب لها ومن أضعف الأسباب قضاء النوافل إذ اختلف العلماء فى أنّ النوافل هل تقضى وإذا فعل مثل ما فاته هل يكون قضاء ؟ وإذا انتفت الكراهية بأضعف الأسباب فبأحرى أن تنتفى بدخول المسجد وهو سبب قوى . ولذلك لاتكره صلاة الجنازة إذ حضرت ولا صلاة الخسوف والاستسقاء فى هذه الأوقات لأن لها أسبابا . الفائدة الثانية : قضاء النوافل إذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولنا فيه أسوة حسنة . وقالت عائشة رضى الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غلبه نوم أو مرض فلم يقم تلك الليلة صلى من أوّل النهار اثنتى عشرة ركعة [2] » وقد قال العلماء : من كان فى الصلاة ففاته جواب المؤذن فإذا سلم قضى وأجاب وإن كان المؤذن سكت ، ولا معنى الآن لقول من يقول : إنّ ذلك مثل الأول وليس يقضى ، إذ لو كان كذلك لما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وقت الكراهة . نعم من كان له ورد فعاقه عن ذلك عذر فينبغى أن لايرخص لنفسه فى تركه بل يتداركه فى وقت آخر حتى لا تميل نفسه إلى الدعة والرفاهية . وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولأنه صلى الله عليه وسلم قال « أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل [3] » فيقصد به أن لايفتر فى دوام عمله وروت عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من عبد الله عز وجل بعبادة ثم تركها ملالة مقته الله عز وجل [4] » فليحذر أن يدخل تحت الوعيد . وتحقيق هذا الخبر . أنه مقته الله تعالى بتركها ملالة فلولا المقت والإبعاد لما سلطت الملالة عليه (الخامسة) ركعتان بعد الوضوء مستحبتان لأن الوضوء قربة ومقصودها الصلاة والأحداث عارضة فربما يطرأ الحدث قبل صلاة فينتقض الوضوء ويضيع السعى فالمبادرة إلى ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوات . وعرف ذلك بحديث بلال إذ قال صلى الله عليه وسلم « دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت لبلال بم سبقتنى إلى الجنة ؟ فقال بلال لا أعرف شيئا إلا أنى لا أحدث وضوءا إلا أصلى عقيبه ركعتين [5] » (السادسة) ركعتان عند دخول المنزل وعند الخروج منه : روى أبو هريرة رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء وإذا دخلت إلى منزلك فصل ركعتين

---

(١) حديث « صلى ركعتين بعد العصر قيل له أما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت أصليهما بعد الظهر ... الحديث » أخرجاه من حديث أم سلمة ولمسلم من حديث عائشة « كان يصلى ركعتين قبل العصر ثم انه شغل عنهما .. الحديث »

(٢) حديث عائشة « كان إذا غلبه نوم أو مرض فلم يقم تلك الليلة .. الحديث » أخرجه مسلم (٣) حديث « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » أخرجاه من حديث عائشة (٤) حديث عائشة « من عبد الله عباده ثم تركها ملالة مقته الله » ورواه ابن السنى فى رياضة المتعبدين موقوفا على عائشة (٤) حديث « دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت يابلال بم سبقتنى إلى الجنة . الحديث » أخرجاه من حديث أبى هريرة

يمنعانك مدخل السوء[١] » وفى معنى هذا كل أمر يبتدأ به مما له وقع، ولذلك ورد ركعتان عند الإحرام[٢] وركعتان عند ابتداء السفر[٣] وركعتان عند الرجوع من السفر[٤] فى المسجد قبل دخول البيت فكل ذلك مأثور من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان بعض الصالحين إذا أكل أكلة صلى ركعتين وإذا شرب شربة صلى ركعتين ، وكذلك فى كل أمر يحدثه . وبداية الأمور ينبغى أن يتبرك فيها بذكر الله عز وجل وهى على ثلاث مراتب : بعضها يتكرر مراراً كالأكل والشرب فيبدأ فيه باسم الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر[٥] » الثانية : مالا يكثر تكرره وله وقع كعقد النكاح وابتداء النصيحة والمشورة فالمستحب فيها أن يصدر بحمد الله فيقول المزوج « الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجتك ابنتى » ويقول القابل « الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلت النكاح » وكانت عادة الصحابة رضى الله عنهم فى ابتداء أداء الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم التحميد . الثالثة : مالا يتكرر كثيراً وإذا وقع دام وكان له وقع كالسفر وشراء دار جديدة والاحرام وما يجرى مجراه فيستحب تقديم ركعتين عليه وأداء الخروج من المنزل والدخول اليه فإنه نوع سفر قريب (السابعة) صلاة الاستخارة : فمن هم بأمر وكان لا يدرى عاقبته ولا يعرف أن الخير فى تركه أو فى الإقدام عليه فقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم « بأن يصلى ركعتين يقرأ فى الأولى فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون ، وفى الثانية الفاتحة وقل هو الله أحد ، فإذا فرغ دعا وقال اللهم إنى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ودنياى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فاقدره لى وبارك لى فيه ثم يسره لى وإن كنت تعلم ان هذا الأمر شر لى فى دينى ودنياى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فاصرفنى عنه واصرفه عنى واقدر لى الخير أينما كان إنك على كل شىء قدير[٦] » رواه جابر بن عبد الله قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا هم احدكم بأمر فليصل ركعتين ثم ليسم الامر ويدعو بما ذكرناه » وقال بعض الحكماء من اعطى اربعا لم يمنع اربعا ، من اعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطى التوبة لم يمنع القبول ومن اعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطى المشورة لم يمنع الصواب (الثامنة) صلاة الحاجة[٧] فمن ضاق عليه الامر ومسته حاجة فى صلاح دينه ودنياه إلى امر تعذر عليه فليصل هذه الصلاة فقد روى عن وهيب بن الورد انه قال : إن من الدعاء الذى لا يرد ان يصلى العبد ثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة

---

(١) حديث أبى هريرة « إذا خرجت من منزلك فصلى ركعتين يمنعانك مخرج السوء وإذا دخلت منزلك . . الحديث » أخرجه البيهقى فى الشعب من رواية بشكر بن عمرو عن صفوان بن سليم ، قال بكر حسبته عن أبى سلمة عن أبى هريرة فذكره : وروى الخرائطى فى مكارم الأخلاق وابن عدى فى الكامل من حديث أبى هريرة « إذا دخل أحدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين فإن لله جاعل له من ركعتيه خيرا » قال ابن عدى . وهو بهذا الإسناد منكر وقال البخارى لا أصل له (٢) حديث « ركعتى الإحرام » أخرجه البخارى من حديث ابن عمر (٣) حديث « صلاة ركعتين عند ابتداء السفر » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث أنس « ما استخلف فى أهل من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصليهن العبد فى بيته إذا شد عليه ثيات سفره . . الحديث » وهو ضعيف

(٤) حديث « الركعتين عند القدوم من السفر » اخرجاه من حديث كعب بن مالك (٥) حديث « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بسم الله فهو أبتر » أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة

(٦) حديث « صلاة الاستخارة » أخرجه البخارى من حديث جابر قال أحمد حديث منكر (٦) حديث ابن مسعود « فى صلاة الحاجة اثنتى عشرة ركعة » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس باسادين ضعيفين جدا فيهما عمرو بن هارون البلخى كذبه ابن معين وفيه علل أخرى وقد وردت « صلاة الحاجة ركعتين » رواه الترمذى وابن ماجه من حديث عبد الله بن أبى أوفى وقال الترمذى حديث غريب وفى إسناده مقال

بأم الكتاب وآية الكرسى وقل هو الله أحد فإذا فرغ خر ساجدا ثم قال « سبحان الذى لبس العز وقال به سبحان الذى تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذى أحصى كل شىء بعلمه سبحان الذى لا ينبغى التسبيح إلا له سبحان ذى المن والفضل سبحان ذى العز والكرم سبحان ذى الطول أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم وحدك الأعلى وكلماتك التامات العامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر أن تصلى على محمد وعلى آل محمد » ثم يسأل حاجته التى لا معصية فيها فيجاب إن شاء الله عز وجل . قال وهب : بلغنا أنه كان يقال : لا تعلموها لسفهائكم فتتعاونون بها على معصية الله عز وجل (التاسعة) صلاة التسبيح : وهذه الصلاة مأثورة على وجها ولا تختص بوقت ولا بسبب ويستحب أن لا يخلو الأسبوع عنها مرة واحدة أو الشهر مرة . فقد روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما « أنه صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب : ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك بشىء إذا أنت فعلته غفر الله لك ذنبك أوله وآخره قديمه وحديثه خطأه وعمده سره وعلانيته تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة ، فإذا فرغت من القراءة فى أول ركعة وأنت قائم تقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشر مرات ، ثم ترفع من الركوع فتقولها قائما عشرا ، ثم تسجد فتقولها عشرا ، ثم ترفع من السجود فتقولها جالسا عشرا ، ثم تسجد فتقولها وأنت ساجد عشرا ، ثم ترفع من السجود فتقولها عشرا ، فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة تفعل ذلك فى أربع ركعات إن استطعت أن تصليها فى كل يوم مرة فافعل فإن لم تفعل ففى كل جمعة مرة فإن لم تفعل ففى كل شهر مرة فإن لم تفعل ففى السنة مرة [1] » وفى رواية أخرى « أنه يقول فى أول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك إسمك وتعالى جدك وتقدست أسماؤك ولا إله غيرك ، ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشرا بعد القراءة والباقى كما سبق عشرا عشرا ولا يسبح بعد السجود الأخير قاعدا ، وهذا هو الأحسن وهو اختيار ابن المبارك . والمجموع من الروايتين ثلثمائة تسبيحة فإن صلاها نهارا فبتسليمة واحدة وإن صلاها ليلا فبتسليمتين أحسن ؛ إذ ورد . أن صلاة الليل مثنى مثنى [2] » وإن زاد بعد التسبيح قوله « لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » فهو حسن فقد ورد ذلك فى بعض الروايات وهذه الصلوات المأثورة . ولا يستحب شىء من هذه النوافل فى الأوقات المكروهة إلا تحية المسجد « وما أوردناه بعد التحية من ركعتى الوضوء وصلاة السفر والخروج من المنزل والاستخارة فلأن النهى مؤكد وهذه الأسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الخسوف والاستسقاء والتحية . وقد رأيت بعض المتصوفة يصلى فى الأوقات المكروهة ركعتى الوضوء وهو فى غاية البعد لأن الوضوء لا يكون سببا للصلاة بل الصلاة سبب الوضوء . فينبغى أن يتوضأ ليصلى لا أنه يصلى لأنه توضأ . وكل محدث يريد أن يصلى فى وقت الكراهية فلا سبيل له إلا أن يتوضأ ويصلى فلا يبقى للكراهية معنى . ولا ينبغى أن ينوى ركعتى الوضوء كما ينوى ركعتى التحية بل إذا توضأ صلى ركعتين تطوعا كيلا يتعطل وضوءه كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء . وحديث بلال لم يدل على أن الوضوء سبب كالخسوف والتحية حتى ينوى ركعتى الوضوء فيستحيل أن ينوى بالصلاة الوضوء بل ينبغى أن ينوى بالوضوء الصلاة . وكيف ينتظم أن يقول فى وضوئه أتوضأ لصلاتى وفى صلاته يقول أصلى لوضوئى ، بل من أراد أن يحرس وضوءه عن التعطيل فى وقت الكراهية فلينو قضاء إن كان يجوز أن يكون فى ذمته صلاة تطرق إليها خلل لسبب من الأسباب فإن قضاء الصلوات فى أوقات الكراهية غير مكروه « فأما نية التطوع فلا وجه لها . ففى النهى فى أوقات الكراهية مهمات ثلاثة

(١) حديث « صلاة التسبيح » تقدم (٢) حديث « صلاة الليل مثنى مثنى » أخرجاه من حديث ابن عمر

أحدها التوقى من مضاهاة عبدة الشمس ، والثانى : الاحتراز من انتشار الشياطين إذ قال صلى الله عليه وسلم « إن الشمس لتطلع ومعها قرن الشيطان فإذا طلعت قارنها وإذا ارتفعت فارقها فإن استوت قارنها فإذا زالت فارقها فإذا تضيفت للغروب قارنها فإذا غربت فارقها » ونهى عن الصلوات فى هذه الأوقات ونبه به على العلة ، والثالث : أن سالكى طريق الآخرة لايزالون يواظبون على الصلوات فى جميع الأوقات . والمواظبة على نمط واحد من العبادات يورث الملل . ومهما منع منها ساعة زاد النشاط وانبعثت الدواعى ، والإنسان حريص على مامنع منه ففى تعطيل هذه الأوقات زيادة تحريض وبعث على انتظار انقضاء الوقت ، فخصصت هذه الأوقات بالتسبيح والاستغفار حذرا من الملل بالمداومة وتفرجا بالانتقال من نوع عبادة إلى نوع آخر . ففى الاستطراف والاستجداد لذة ونشاط وفى الاستمرار على شىء واحد استثقال وملال ولذلك لم تكن الصلاة سجودا مجردا ولا ركوعا مجردا ولا قياما مجردا بل رتبت العبادات من أعمال مختلفة وأذكار متباينة ، فإن القلب يدرك من كل عمل منهما لذة جديدة عند الانتقال إليها ولو واظب على الشىء الواحد لتسارع إليه الملل . فإذا كانت هذه أمورا مهمة فى النهى عن ارتكاب أوقات الكراهة إلى غير ذلك من أسرار أخر ليس فى قوة البشر الاطلاع عليها والله ورسوله أعلم بها . فهذه المهمات لاتترك إلا بأسباب مهمة فى الشرع مثل قضاء الصلوات وصلاة الاستسقاء والخسوف وتحية المسجد . فأما ما ضعف عنها فلا ينبغى أن يصادم به مقصود النهى . هذا هو الأوجه عندنا والله أعلم .

كمل كتاب : أسرار الصلاة من كتاب إحياء علوم الدين يتلوه إن شاء الله كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه . والحمد لله وحده وصلاته على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

كتاب أسرار الزكاة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أسعد وأشقى وأمات وأحيا وأضحك وأبكى وأوجد وأفنى وأفقر وأغنى وأضر وأقنى الذى خلق الحيوان من نطفة تمنى ، ثم تفرد عن الخلق بوصف الغنى ، ثم خصص بعض عباده بالحسنى فأفاض عليهم من نعمة ماأيسر به من شاء واستغنى وأحوج إليه من أخفق فى رزقه وأكدى إظهارا للامتحان والابتلا . ثم جعل الزكاة للدين أساسا ومنى وبين أن بفضله تزكى من عباده من تزكى ومن غناه زكى ماله من زكى والصلاة على محمد المصطفى سيد الورى وشمس الهدى وعلى آله وأصحابه المخصوصين بالعلم والتقى .

أما بعد : فإن الله تعالى جعل الزكاة إحدى مبانى الإسلام وأردف بذكرها الصلاة التى هى أعلى الأعلام فقال تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وقال صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة [٢] » وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) ومعنى الإنفاق فى سبيل الله إخراج حق الزكاة قال

---

(١) حديث « إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها ... الحديث » أخرجه النسائى من حديث عبد الله الصنابحى وهو مرسل ومالك هو الذى يقول عبد الله الصنابحى ووهم فيه والصواب عبد الرحمن ولم ير النبى صلى الله عليه وسلم

كتاب أسرار الزكاة

(٢) حديث « بنى الإسلام على خمس » أخرجاه من حديث ابن عمر

الأحنف بن قيس : كنت فى نفر من قريش فمر أبو ذر فقال بشر الكانزين بكى فى ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكى فى أقفائهم يخرج من جباههم . وفى رواية أنه يوضع على حلمة ثدى أحدهم فيخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل ـ وقال أبو ذر : انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رآنى قال « هم الأخسرون ورب الكعبة فقلت ومن هم : قال : الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ماهم ، مامن صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لايؤدى زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ماكانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس [1] » وإذا كان هذا التشديد مخرجا فى الصحيحين فقد صار من مهمات الدين الكشف عن أسرار الزكاة وشروطها الجلية والخفية ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصار على مالايستغنى عن معرفته مؤدى الزكاة وقابضها وينكشف ذلك فى أربعة فصول (الفصل الأول) فى أنواع الزكاة وأسباب وجوبها (الثانى) آدابها وشروطها الباطنة والظاهرة (الثالث) فى القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضه (الرابع) فى صدقة التطوع وفضلها

الفصل الأول : فى أنواع الزكاة وأسباب وجوبها والزكوات باعتبار متعلقاتها ستة أنواع : زكاة النعم والنقدين والتجارة وزكاة الركاز والمعادن وزكاة المعشرات وزكاة الفطر

النوع الأول : زكاة النعم

ولاتجب هذه الزكاة وغيرها إلا على حر مسلم . ولا يشترط البلوغ بل تجب فى مال الصبى والمجنون هذا شرط من عليه . وأما المال فشروطه خمسة : أن يكون نعما سائمة باقية حولا نصابا كاملا مملوكا على الكمال (الشرط الأول) كونه نعما فلا زكاة إلا فى الإبل والبقر والغنم . أما الخيل والبغال والحمير والمتولد من بين الظباء والغنم فلازكاة فيها (الثانى) السوم : فلا زكاة فى معلوفة وإذا أسيمت فى وقت وعلفت فى وقت تظهر بذلك مؤنتها فلا زكاة فيها (الثالث) الحول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا زكاة فى مال حتى يحول عليه الحول [2] » ويستثنى من هذا نتاج الحول (الرابع) كمال الملك والتصرف : فتجب الزكاة فى الماشية المرهونة لأنه الذى حجر على نفسه فيه ولاتجب فى الضال والمغصوب إلا إذا عاد بجميع نمائه فيجب زكاة مامضى عند عوده ولو كان عليه دين يستغرق ماله فلا زكاة عليه فإنه ليس غنيا به إذ الغنى مايفضل عن الحاجة . (الخامس) كمال النصاب .

أما الإبل فلا شىء فيها حتى تبلغ خمسا ففيها جذعة من الضأن والجذعة هى التى تكون فى السنة الثانية ، أو ثنية من المعز وهى التى تكون فى السنة الثالثة . وفى عشر شاتان ، وفى خمس عشرة ثلاث شياه . وفى عشرين أربع شياه . وفى خمس وعشرين بنت مخاض وهى التى فى السنة الثانية ، فإن لم يكن فى ماله بنت مخاض فابن لبون ذكر وهو الذى فى السنة الثالثة يؤخذ إن كان قادرا على شرائها . وفى ست وثلاثين ابنة لبون . ثم إذا بلغت ستا وأربعين ففيها حقة وهى التى فى السنة الرابعة . فإذا صارت إحدى وستين ففيها جذعة وهى التى فى السنة الخامسة ، فإذا صارت ستا وسبعين ففيها بنتا لبون . فإذا صارت إحدى وتسعين ففيها حقتان . فإذا صارت إحدى وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون . فإذا صارت مائة وثلاثين فقد استقر الحساب ؛ فى كل خمسين حقة ، وفى كل أربعين بنت لبون .

---

(١) حديث أبى ذر « انتهيت إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رآنى قال هم الأخسرون ورب الكعبة . . الحديث » اخرجاه مسلم والبخارى (٢) حديث « لا زكاة فى مال حتى يحول عليه الحول » أخرجه أبو داود من حديث على بإسناد جيد وابن ماجه من حديث عائشة بإسناد ضعيف

وأما البقر فلا شيء فيها حتى تبلغ ثلاثين ففيها تبيع وهو الذى فى السنة الثانية . ثم فى أربعين مسنة وهى التى فى السنة الثالثة . ثم فى ستين تبيعان . واستقرّ الحساب بعد ذلك . ففى كل أربعين مسنة . وفى كل ثلاثين تبيع .

وأما الغنم فلا زكاة فيها حتى تبلغ أربعين ففيها شاة جذعة من الضأن أو ثنية من المعز . ثم لاشيء فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان . إلى مائتى شاة وواحدة فيها ثلاث شياه إلى أربعمائة ففيها أربع شياه . ثم استقر الحساب فى كل مائة شاة . وصدقة الخليطين كصدقة المالك الواحد فى النصاب فإذا كان بين رجلين أربعون من الغنم ففيها شاة . وإن كان بين ثلاثة نفر مائة شاة وعشرون ففيها شاة واحدة . على جميعهم . وخلطة الجوار كخلطة الشيوع ولكن يشترط أن يريحا معا ويسقيا معا ويحلبا معا ويسرحا معا ويكون المرعى معا ويكون إنزاء الفحل معا وأن يكونا جميعاً من أهل الزكاة ولا حكم للخلطة مع الذمى والمكاتب . ومهما نزل فى واجب الإبل عن سنّ إلى سنّ فهو جائز مالم يجاوز بنت مخاض فى النزول . ولكن تضم إليه جبران السنّ لسنة واحدة شاتين أو عشرين درهما . ولسنتين أربع شياه أو أربعين درهما . وله أن يصعد فى السنّ مالم يجاوز الجذعة فى الصعود ويأخذ الجبران من الساعين من بيت المال . ولا تؤخذ فى الزكاة مريضة إذا كان بعض المال صحيحا ولو واحدة . ويؤخذ من الكرائم كريمة ومن اللئام لئيمة . ولا يؤخذ من المال الأكولة ولا الماخض ولا الربا ولا الفحل ولا غراء المال .

النوع الثانى : زكاة المعشرات

فيجب العشر فى كل مستنبت مقتات بلغ ثمانمائة منّ ولا شيء فيما دونها ولا فى الفواكه والقطن ، ولكن فى الحبوب التى تقتات وفى التمر والزبيب . ويعتبر أن تكون ثمانمائة منّ تمراً أو زبيباً لارطبا وعنبا ، ويخرج ذلك بعد التجفيف . ويكمل مال أحد الخليطين بمال الآخر فى خلطة الشيوع كالبستان المشترك بين ورثة لجميعهم ثمانمائة منّ من زبيب ، فيجب على جميعهم ثمانون منا من زبيب بقدر حصصهم . ولا يعتبر خلطة الجوار فيه . ولا يكمل نصاب الحنطة بالشعير . ويكمل نصاب الشعير بالسلت فإنه نوع منه ، هذا قدر الواجب إن كان يسقى بسيح أو قناة فإن كان يسقى بنضح أو دالية فيجب نصف العشر ، فإن اجتمعا فالأغلب يعتبر . وأما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابس والحب اليابس بعد التنقية . ولا يؤخذ عنب ولا رطب إلا إذا حلت بالأشجار آفة وكانت المصلحة فى قطعها قبل تمام الإدراك ، فيؤخذ الرطب فيكال تسعة للمالك وواحد للفقير . ولا يمنع من هذه القسمة قولنا : إنّ القسمة بيع ، بل يرخص فى مثل هذا للحاجة . ووقت الوجوب أن يبدو الصلاح فى الثمار وأن يشتدّ الحب . ووقت الأداء بعد الجفاف .

النوع الثالث : زكاة النقدين

فإذا تم الحول على وزن مائتى درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم ، وهو ربع العشر ، وما زاد فحسابه ولو درهما . ونصاب الذهب عشرون مثقالا خالصاً بوزن مكة ففيها ربع العشر ، وما زاد فحسابه ، وإن نقص من النصاب حبة فلا زكاة . وتجب على من معه دراهم مغشوشة إذا كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة . وتجب الزكاة فى التبر وفى الحلى المحظور كأوانى الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال . ولا تجب فى الحلى المباح . وتجب فى الدين الذى هو على ملىء ولكن تجب عند الاستيفاء وإن كان مؤجلا فلا تجب إلا عند حلول الأجل .

النوع الرابع : زكاة التجارة

وهى كزكاة النقدين ، وإنما ينعقد الحول من وقت ملك النقد الذى به اشترى البضاعة إن كان النقد نصابا ؛ فإن كان ناقصا أو اشترى بعرض على نية التجارة فالحول من وقت الشراء . وتؤدى الزكاة من نقد البلد وبه يقوم . فإن كان ما به الشراء نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به أولى من نقد البلد ومن نوى التجارة من مال قنية فلاينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشترى به شيئاً ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكاة . والأولى أن تؤدى زكاة تلك السنة ، وما كان من ربح فى السلعة فى آخر الحول وجبت الزكاة فيه بحول رأس المال ولم يستأنف له حولا كما فى النتاج . وأموال الصيارفة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات وزكاة ربح مال القراض على العامل وإن كان قبل القسمة ؛ هذا هو الأقيس .

النوع الخامس : الركاز والمعدن

والركاز مال دفن فى الجاهلية ووجد فى أرض لم يجر عليها فى الإسلام ملك ، فعلى واجده فى الذهب والفضة منه الخمس والحول غير معتبر . والأولى أن لايعتبر النصاب أيضاً لأنّ إيجاب الخمس يؤكد شبهه بالغنيمة . واعتباره أيضاً ليس ببعيد لأنّ مصرف الزكاة ولذلك يخصص على الصحيح بالنقدين .

وأما المعادن فلا زكاة فيما استخرج منها سوى الذهب والفضة ؛ ففيها بعد الطحن والتخليص ربع العشر على أصح القولين ، وعلى هذا يعتبر النصاب . وفى الحول قولان ، وفى قول : يجب الخمس ؛ فعلى هذا لا يعتبر . وفى النصاب قولان والأشبه ـ والعلم عند الله تعالى ـ أن يلحق فى قدر الواجب بزكاة التجارة فإنه نوع اكتساب . وفى الحول بالمعشرات فلا يعتبر لأنه عين الرفق ويعتبر النصاب كالمعشرات ، والاحتياط أن يخرج الخمس من القليل والكثير ، ومن عين النقدين أيضا خروجا عن شبهة هذه الاختلافات فانها ظنون قريبة من التعارض وجزم الفتوى فيها خطر لتعارض الاشتباه .

النوع السادس : فى صدقة الفطر

وهى واجبة ـ على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات[1] بصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منوان وثلثا منّ ، يخرجه من جنس قوته أو من أفضل منه . فإن اقتات بالحنطة لم يجز الشعير . وإن اقتات حبوبا مختلفة اختار خيرها ومن أيها أخرج أجزأه . وقسمتها كقسمة زكاة الأموال فيجب فيها استيعاب الأصناف ولا يجوز إخراج الدقيق والسويق . ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته ومماليكه وأولاده وكل قريب هو فى نفقته أعنى من تجب عليه نفقته من الآباء والأمهات والأولاد . قال صلى الله عليه وسلم « أدوا صدقة الفطر عمن تمونون[2] » ، وتجب صدقة العبد المشترك على الشريكين ولا تجب صدقة العبد الكافر . وإن تبرعت الزوجة بالإخراج عن نفسها أجزأها وللزوج الإخراج عنها دون إذنها . وإن فضل عنه مايؤدى عن بعضهم أدى عن بعضهم ، وأولاهم بالتقديم من كانت نفقته آكد . وقد

---

(١) حديث « وجوب صدقة الفطر على كل مسلم » أخرجاه من حديث ابن عمر قال « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان .. الحديث » (٢) حديث « أدوا زكاة الفطر عمن تمونون » أخرجه الدارقطنى والبيهقى من حديث ابن عمر « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد ممن تمونون» قال البيهقى إسناده غير قوى

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم[1] فهذه أحكام فقهية لابد للغنى من معرفتها ، وقد تعرض له وقائع نادرة خارجة عن هذا فله أن يتكل فيها على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد إحاطته بهذا المقدار .

الفصل الثانى : فى الأداء وشروطه الباطنة والظاهرة

اعلم أنه يجب على مؤدى الزكاة خمسة أمور (الأول) النية : وهو أن ينوى بقلبه زكاة الفرض ويسن عليه تعيين الأموال . فإن كان له مال غائب فقال هذا عن مالى الغائب إن كان سالما وإلا فهو نافلة جاز ؛ لأنه إن لم يصرح به فكذلك يكون عند إطلاقه . ونية الولى تقوم مقام نية المجنون والصبى . ونية السلطان تقوم مقام نية المالك الممتنع عن الزكاة ولكن فى ظاهر حكم الدنيا ـ أعنى فى قطع المطالبة عنه ـ أما فى الآخرة فلا بل تبقى ذمته مشغولة إلى أن يستأنف الزكاة وإذا وكل بأداء الزكاة ونوى عند التوكيل أو وكل الوكيل بالنية كفاه لأن توكيله بالنية نية (الثانى) البدار عقيب الحول وفى زكاة الفطر لا يؤخرها عن يوم الفطر . ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس من آخر يوم من شهر رمضان . ووقت تعجيلها شهر رمضان كله . ومن أخر زكاة ماله مع التمكن عصى ولم يسقط عنه بتلف ماله وتمكنه بمصادفة المستحق . وإن أخر لعدم المستحق فتلف ماله سقطت الزكاة عنه . وتعجيل الزكاة جائز بشرط أن يقع بعد كمال النصاب وانعقاد الحول . ويجوز تعجيل زكاة حولين . ومهما عجل فمات المسكين قبل الحول أو ارتد أو صار غنيا بغير ما عجل إليه أو تلف مال المالك أو مات ، فالمدفوع ليس بزكاة ، واسترجاعه غير ممكن إلا إذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن المعجل مراقبا آخر الأمور وسلامة العاقبة (الثالث) أن لا يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج المنصوص عليه ، فلا يجزئ ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق وإن زاد عليه فى القيمة . ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعى رضى الله عنه يتساهل فى ذلك ويلاحظ المقصود من سد الخلة وما أبعده عن التحصيل ، فإن سد الخلة مقصود وليس هو كل المقصود بل واجبات الشرع ثلاثة أقسام : قسم هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ والأغراض فيه . وذلك كرمى الجمرات مثلا إذ لا حظ للجمرة فى وصول الحصى إليها ، فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى ، لأن ما يعقل معناه فقد يساعده الطبع عليه ويدعوه إليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية ، إذ العبودية تظهر بأن تكون الحركة لحق أمر المعبود فقط لا لمعنى آخر . وأكثر أعمال الحج كذلك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى إحرامه «لبيك بحجة حقا تعبداً ورقا[2] » تنبيها على أن ذلك اظهار للعبودية بالانقياد لمجرد الأمر وامتثاله كما أمر من غير استئناس العقل منه بما يميل إليه ويحث عليه . القسم الثانى : من واجبات الشرع ما المقصود منه حظ معقول وليس يقصد منه التعبد كقضاء دين الآدميين ورد المغصوب فلا جرم لا يعتبر فيه فعله ونيته . ومهما وصل الحق إلى مستحقه بأخذ المستحق أو ببدل عنه عند رضاه تأدى الوجوب وسقط خطاب الشرع . فهذان قسمان لا تركيب فيهما يشترك فى دركهما جميع الناس والقسم الثالث : هو المركب الذى يقصد منه الأمران جميعا وهو حظ العباد وامتحان المكلف بالاستعباد، فيجتمع فيه تعبد رمى الجمار وحظ رد الحقوق فهذا قسم فى نفسه معقول ، فإن ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ولا ينبغى أن

---

(١) حديث « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم » أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة بسند صحيح وابن حبان والحاكم وصححه ورواه النسائي وابن حبان بتقديم « الزوجة على الولد » وسيأتى

(٢) حديث « لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا » أخرجه البزار والدارقطنى فى العلل من حديث أنس

ينسى أدق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق بسبب أحلاهما ، ولعل الأدق هو الأهم والزكاة من هذا القبيل ولم ينتبه له غير الشافعى رضى الله عنه لحظ الفقير مقصود فى سدّ الخلة وهو جلى سابق إلى الأفهام وحق التعبد فى اتباع التفاصيل مقصود للشرع . وباعتباره صارت الزكاة قرينة للصلاة والحج فى كونها من مبانى الإسلام . ولاشك فى أن على المكلف تعبا فى تمييز أجناس ماله وإخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته . ثم توزيعه على الأصناف الثمانية كما سيأتى . والتساهل فيه غير قادح فى حظ الفقير لكنه قادح فى التعبد . ويدل على أن التعبد مقصود بتعيين الأنواع أمور ذكرناها فى كتب الخلاف من الفقهيات . ومن أوضحها أنّ الشرع أوجب فى خمس من الإبل شاة فعدل من الإبل إلى الشاة ولم يعدل إلى النقدين والتقويم وإن قدر أنّ ذلك لقلة النقود فى أيدى العرب بطل بذكره عشرين درهما فى الجبران مع الشاتين فلم يذكر فى الجبران قدر النقصان من القيمة ؟ ولم قدر بعشرين درهما وشاتين ؟ وإن كانت الثياب والأمتعة كلها فى معناها . فهذا وأمثاله من التخصيصات يدل على أن الزكاة لم تترك خالية عن التعبدات كما فى الحج ولكن جمع بين المعنيين . والأذهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات فهذا شأن الغلط فيه (الرابع) أن لاينقل الصدقة إلى بلد آخر فإن أعين المساكين فى كل بلدة تمتد إلى أموالها ، وفى النقل تخييب للظنون . فإن فعل ذلك أجزأه فى قول ولكن الخروج عن شبهة الخلاف أولى فليخرج زكاة كل مال فى تلك البلدة . ثم لا بأس أن يصرف إلى الغرباء فى تلك البلدة (الخامس) أن يقسم ماله بعدد الأصناف الموجودين فى بلده ، فإن استيعاب الأصناف واجب وعليه يدل ظاهر قوله تعالى ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين ﴾ الآية فإنه يشبه قول المريض إنما ثلث مالى للفقراء والمساكين وذلك يقتضى التشريك فى التمليك . والعبادات ينبغى أن يتوقى عن الهجوم فيها على الظواهر . وقد عدم من الثمانية صنفان فى أكثر البلاد : وهم المؤلفة قلوبهم والعاملون على الزكاة . ويوجد فى جميع البلاد أربعة أصناف : الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون ـ أعنى أبناء السبيل ـ وصنفان يوجدان فى بعض البلاد دون البعض : وهم الغزاة والمكاتبون . فإن وجد خمسة أصناف مثلا قسم بينهم زكاة ماله بخمسة أقسام متساوية أو متقاربة وعين لكل صنف قسم . ثم قسم كل قسم ثلاثة أسهم فما فوقه إما متساوية أو متفاوتة وليس عليه التسوية بين آحاد الصنف فإن له أن يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد . وأما الأصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغى أن ينقص فى كل صنف عن ثلاثة إن وجد . ثم لو لم يجب إلا صاع للفطرة ووجد خمسة أصناف فعليه أن يوصله إلى خمسة عشر نفرا . ولو نقص منهم واحد مع الإمكان غرم نصيب ذلك الواحد. فإن عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليتشارك جماعة ممن عليهم الزكاة وليخلط مال نفسه بمالهم وليجمع المستحقين وليسلم إليهم حتى يتساهموا فيه فإن ذلك لابد منه .

بيان دقائق الآداب الباطنة فى الزكاة

اعلم أن على مريد طريق الآخرة بزكاته وظائف الوظيفة الأولى : فهم وجوب الزكاة ومعناها ووجه الامتحان فيها وأنها لم جعلت من مبانى الإسلام مع أنها تصرف مالى وليست من عبادة الأبدان وفيه ثلاث معان ؛ الأول : أن التلفظ بكلمتى الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بإفراد المعبود وشرط تمام الوفاء به أن لايبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فإن المحبة لاتقبل الشركة ، والتوحيد باللسان قليل الجدوى وإنما يمتحن به درجة المحب بمفارقة المحبوب والأموال محبوبة عند الخلائق لأنها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع أن فيه لقاء المحبوب ، فامتحنوا بتصديق دعواهم فى المحبوب واستنزلوا عن المال الذى هو مرموقهم ومعشوقهم . ولذلك قال

الله تعالى ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة ﴾ وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقا إلى لقاء الله عز وجل والمسامحة بالمال أهون . ولما فهم هذا المعنى فى بذل الأموال انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام : قسم صدّقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع أموالهم فلم يدخروا دينارا ولا درهما فأبوا أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة فى مائتى درهم ؟ فقال : أما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم ، وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع . ولهذا تصدق أبو بكر رضى الله عنه بجميع ماله وعمر رضى الله عنه بشطر ماله فقال صلى الله عليه وسلم « ماأبقيت لأهلك » فقال : مثله ، وقال لأبى بكر رضى الله عنه « ماأبقيت لأهلك » قال الله ورسوله ، فقال صلى الله عليه وسلم « بينكما مابين كلمتيكما [1] » فالصدّيق وفى بتمام الصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله . القسم الثانى : درجتهم دون درجة هذا وهم الممسكون أموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات ، فيكون قصدهم فى الادخار الإنفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة إلى وجوه البر مهما ظهر وجوهها ، وهؤلاء لايقتصرون على مقدار الزكاة . وقد ذهب جماعة من التابعين إلى أن فى المال حقوقا سوى الزكاة كالنخعى والشعبى وعطاء ومجاهد . قال الشعبى بعد أن قيل له هل فى المال حق سوى الزكاة ؟ قال: نعم أما سمعت قوله عزوجل ﴿ وآتى المال على حبه ذوى القربى ﴾ الآية واستدلوا بقوله عزوجل ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ وبقوله تعالى ﴿ وأنفقوا مما رزقناكم ﴾ وزعموا أنّ ذلك غير منسوخ بآية الزكاة بل هو داخل فى حق المسلم على المسلم ، ومعناه أنه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا أن يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة والذى يصح فى الفقه من هذا الباب أنه مهما أرهقته حاجته كانت إزالتها فرض كفاية إذ لايجوز تضييع مسلم ، ولكن يحتمل أن يقال ليس على الموسر إلا تسليم مايزيل الحاجة قرضا ولايلزمه بذله بعد أن أسقط الزكاة عن نفسه ، ويحتمل أن يقال يلزمه بذله فى الحال ولايجوز له الاقتراض أى لايجوز له تكليف الفقير قبول القرض وهذا مختلف فيه ، والاقتراض نزول إلى الدرجة الأخيرة من درجات العوام وهى درجة القسم الثالث الذين يقتصرون على أداء الواجب فلا يزيدون عليه ولاينقصون عنه وهى أقل الرتب ، وقد اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال وميلهم إليه وضعف حبهم للآخرة قال الله تعالى ﴿ إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ﴾ يحفكم أى يستقص عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بأنّ له الجنة وبين عبد لايستقصى عليه لبخله ؛ فهذا أحد معانى أمر الله سبحانه عباده ببذل الأموال المعنى الثانى : التطهير من صفة البخل فإنه من المهلكات قال صلى الله عليه وسلم « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه [2] » وقال تعالى ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ وسيأتى فى ربع المهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية التقصى منه ، وإنما تزول صفة البخل بأن تتعود بذل المال فحب الشىء لاينقطع إلا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا . فالزكاة بهذا المعنى طهرة أى تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وإنما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه بإخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى . المعنى الثالث : شكر النعمة فإن لله عزوجل على عبده نعمة فى نفسه وفى ماله فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال . وماأخس من ينظر إلى الفقير وقد ضيق عليه الرزق وأحوج إليه ثم لاتسمح نفسه بأن يؤدى شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه بربع العشر أو العشر من ماله .

---

(١) حديث « جاء أبو بكر بجميع ماله وعمر بشطر ماله .. الحديث » أخرجه أبو داود والترمذى والحاكم وصححه من حديث ابن عمر وليس فيه قوله « بينكما مابين كلمتيكما » . (٢) حديث « ثلاث مهلكات .. الحديث » تقدم

الوظيفة الثانية : فى وقت الأداء ؛ ومن آداب ذوى الدين التعجيل عن وقت الوجوب إظهارا للرغبة فى الامتثال بإيصال السرور إلى قلوب الفقراء ومبادرة لعوائق الزمان أن تعوقه عن الخيرات وعلما بأن فى التأخير آفات مع ما يتعرض العبد له من العصيان لو أخر عن وقت الوجوب . ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغى أن يغتنم فإنّ ذلك لمة الملك «وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» فما أسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر . وله لمة عقيب لمة الملك فليغتنم الفرصة فيه وليعين لزكاتها إن كان يؤديها جميعا شهرا معلوما وليجتهد أن يكون من أفضل الأوقات ليكون ذلك سببا لنماء قربته وتضاعف زكاته . وذلك كشهر المحرم فإنه أول السنة وهو من الأشهر الحرم أو رمضان فقد كان صلى الله عليه وسلم أجود الخلق وكان فى رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئاً [1] ولرمضان فضيلة ليلة القدر وأنه أنزل فيه القرآن . وكان مجاهد يقول : لا تقولوا رمضان فإنه اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان . وذو الحجة أيضاً من الشهور الكثيرة الفضل فإنه شهر حرام وفيه الحج الأكبر وفيه الأيام المعلومات وهى العشر الأول والأيام المعدودات وهى أيام التشريق . وأفضل أيام شهر رمضان العشر الأواخر . وأفضل أيام ذى الحجة العشر الأول .

الوظيفة الثالثة : الإسرار ؛ فإنّ ذلك أبعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصدقة جهد المقل إلى فقير فى سر [2] » وقال بعض العلماء . ثلاث من كنوز البر منها إخفاء الصدقة [3] وقد روى أيضاً مسندا . وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ العبد ليعمل عملا فى السر فيكتبه الله له سرا فإن أظهره نقل من السر وكتب فى العلانية فإن تحدّث به نقل من السر والعلانية وكتب رياء [4] » وفى الحديث المشهور « سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله أحدهم رجل تصدّق بصدقة فلم تعلم شماله بما أعطت يمينه [5] » وفى الخبر « صدقة السر تطفئ غضب الرب [6] » وقال تعالى ﴿وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾ وفائدة الإخفاء الخلاص من آفات الرياء والسمعة فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته يطلب السمعة والمعطى فى ملأ من الناس يبغى الرياء والإخفاء والسكوت هو المخلص منه [7] » وقد بالغ فى فضل الإخفاء جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطى فكان بعضهم يلقيه فى يد أعمى وبعضهم يلقيه فى طريق الفقير وفى موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطى وبعضهم كان يصره فى ثوب الفقير وهو نائم . وبعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطى وكان يستكتم المتوسط شأنه ويوصيه بأن لا يفشيه : كل ذلك توصلا إلى إطفاء غضب الرب سبحانه واحترازاً من الرياء والسمعة . ومهما لم يتمكن إلا بأن يعرفه شخص واحد فتسليمه إلى وكيل ليسلم إلى المسكين والمسكين لا يعرف أولى ؛ إذ فى معرفة المسكين الرياء والمنة جميعا وليس فى معرفة المتوسط إلا الرياء . ومهما كانت الشهرة مقصودة له

---

(١) حديث « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الخلق وأجود ما يكون فى رمضان . . الحديث » أخرجاه من حديث ابن عباس

(٢) حديث « أفضل الصدقة جهد المقل الى فقير فى سر » أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم من حديث أبى ذر ولأبى داود من حديث أبى هريرة « أى الصدقة أفضل ؟ قال جهد المقل » (٣) حديث « ثلاث من كنوز البر فذكر منها إخفاء الصدقة » أخرجه أبو نعيم فى كتاب الإيجاز وجوامع الكلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٤) حديث « ان العبد ليعمل عملا فى السر فيكتبه الله له سرا فان أظهره نقل من السر . . الحديث » أخرج الخطيب فى التاريخ من حديث أنس نحوه باسناد ضعيف

(٥) حديث « سبعة يظلهم الله فى ظله . . الحديث » أخرجاه من حديث أبى هريرة (٦) حديث « صدقة السر تطفئ غضب الرب » أخرجه الطبرانى من حديث أبى أمامة ورواه أبو الشيخ فى كتاب الثواب والبيهقى فى الشعب من حديث أبى سعيد كلاهما ضعيف والترمذى وحسنه من حديث أبى هريرة « إن الصدقة لتطفئ غضب الرب » ولابن حبان نحوه من حديث أنس وهو ضعيف أيضا (٧) حديث « لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان » لم أظفر به هكذا

حبط عمله لأن الزكاة إزالة للبخل وتضعيف لحب المال . وحب الجاه أشد استيلاء على النفس من حب المال وكل واحد منهما مهلك فى الآخرة ؛ ولكن صفة البخل تنقلب فى القبر فى حكم المثال عقربا لادغا ، وصفة الرياء تنقلب فى القبر أفعى من الأفاعى وهو مأمور بتضعيفهما أو قتلهما لدفع أذاهما أو تخفيف أذاهما فهما قصد الرياء والسمعة فكأنه جعل بعض أطراف العقرب مقويا للحية فبقدر ماضعف من العقرب زاد فى قوة الحية ولو ترك الأمر كما كان لكان الأمر أهون عليه . وقوة هذه الصفات التى بها قوتها العمل بمقتضاها ، وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها فأى فائدة فى أن يخالف دواعى البخل ويجيب دواعى الرياء فيضعف الأدنى ويقوى الأقوى ؟ وستأتى أسرار هذه المعانى فى ربع المهلكات .

الوظيفة الرابعة : أن يظهر حيث يعلم أن فى إظهاره ترغيبا للناس فى الاقتداء ويحرس سره من داعية الرياء بالطريق الذى سنذكره فى معالجة الرياء فى كتاب الرياء فقد قال الله عز وجل ﴿ إن تبدوا الصدقات فنعما هى ﴾ وذلك حيث يقتضى الحال الإبداء إما للاقتداء وإما لأن السائل إنما سأل على ملأ من الناس فلا ينبغى أن يترك التصدق خيفة من الرياء فى الإظهار بل ينبغى أن يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الإمكان ، وهذا لأن فى الإظهار محذورا ثالثا سوى المن والرياء وهو هتك ستر الفقير « فإنه ربما يتأذى بأن يرى فى صورة المحتاج فمن أظهر السؤال فهو الذى هتك ستر نفسه . فلا يحذر هذا المعنى فى إظهاره وهو كإظهار الفسق على من تستر به فإنه محظور ، والتجسس فيه والاعتياد بذكره منهى عنه : فأما من أظهره فإقامة الحد عليه إشاعة ولكن هو السبب فيها . وبمثل هذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم « من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له[1] » وقد قال الله تعالى ﴿ وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ﴾ ندب إلى العلانية أيضا لما فيها من فائدة الترغيب فليكن العبد دقيق التأمل فى وزن هذه الفائدة بالمحذور الذى فيه ، إن ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص ، فقد يكون الإعلان فى بعض الأحوال لبعض الأشخاص أفضل . ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الأولى والأليق بكل حال .

الوظيفة الخامسة : أن لا يفسد صدقته بالمن والأذى قال الله تعالى (لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) واختلفوا فى حقيقة المن والأذى فقيل المن أن يذكرها والأذى أن يظهرها : وقال سفيان : من منّ فسدت صدقته فقيل له كيف المن ، فقال : أن يذكره ويتحدث به . وقيل : المن أن يستخدمه بالعطاء ، والأذى أن يعيره بالفقر . وقيل : المن أن يتكبر عليه لأجل عطائه ، والأذى أن ينتهره أو يوبخه بالمسألة . وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يقبل الله صدقة منان[2] » وعندى أن المن له أصل ومعرس وهو من أحوال القلب وصفاته : ثم يتفرع عليه أحوال ظاهرة على اللسان والجوارح فأصله أن يرى نفسه محسنا إليه ومنعما عليه ، وحقه أن يرى الفقير محسنا إليه بقبول حق الله عز وجل منه الذى هو طهرته ونجاته من النار ، وأنه لو يقبله لبقى مرتهنا به فحقه أن يتقلد منة الفقير إذ جعل كفه نائبا عن الله عز وجل فى قبض حق الله عز وجل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الصدقة تقع بيد الله عز وجل قبل أن تقع فى يد السائل[3] » فليتحقق أنه مسلم إلى عز وجل حقه والفقير آخذ من الله تعالى . رزقه بعد صيرورته إلى الله عز وجل . ولو كان عليه دين لإنسان فأحال به عبده أو خادمه الذى هو متكفل برزقه

---

(١) حديث « من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له » أخرجه ابن عدى وابن حبان فى الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف

(٢) حديث « لا يقبل الله صدقة منان » هو كالذى قبله بحديث لم أجده (٣) حديث « إن الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع فى يد السائل » أخرجه الدارقطنى فى الأفراد من حديث ابن عباس وقال غريب من حديث عكرمة عنه ورواه البيهقى فى الشعب بسند ضعيف

لكان اعتقاد مؤدى الدين كون القابض تحت منته سفهاوجهلا ، فإن المحسن إليه هو المتكفل برزقه . أماهو فإنما يقضى الذى لزمه بشراء ماأحبه فهو ساع فى حق نفسه فلم يمن به على غيره . ومهما عرف المعانى الثلاثةالتى ذكرناها فى فهم وجوب الزكاة أو أحدها لم ير نفسه محسنا إلا إلى نفسه ؛ إما ببذل ماله إظهارا لحب الله تعالى أو تطهيرا لنفسه عن رذيلة البخل أوشكرا على نعمة المال طلبا للمزيد . وكيفما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسنا إليه ، ومهما حصل هذا الجهل بأن رأى نفسه محسنا إليه تفرع منه على ظاهره ما ذكر فى معنى المن وهو التحدث به وإظهاره وطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق والتقديم فى المجالس والمتابعة فى الأمور ؛ فهذه كلها ثمرات المنة ، ومعنى المنة فى الباطن ماذكرناه . وأما الأذى : فظاهره التوبيخ والتعيير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك الستر بالإظهار وفنون الاستخفاف ، وباطنه وهو منبعه أمران ؛ أحدهما : كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على نفسه فإن ذلك يضيق الخلق لا محالة . والثانى : رؤيته أنه خير من الفقير وأن الفقير لسبب حاجته أخس منه وكلاهما منشؤه الجهل . أما كراهية تسليم المال فهو حمق لأن من كره بذل درهم فى مقابلة ما يساوى ألفا فهو شديد الحمق . ومعلوم أنه يبذل المال لطلب رضا الله عز وجل والثوب فى الدار الآخرة وذلك أشرف مما بذله أو يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل أو شكرا لطلب المزيد . وكيفما فرض فالكراهة لاوجه لها . وأماالثانى : فهو أيضا جهل لأنه لوعرف فضل الفقرعلى الغنى وعرف خطر الأغنياء لما استحقر الفقير بل تبرك به وتمنى درجته ، فصلحاء الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ، هم الأخسرون ورب الكعبة فقال أبو ذر : من هم ؟ قال : هم الأكثرون أموالا ، الحديث ؟ ثم كيف يستحقر الفقير وقدجعله الله تعالى متجرة له ؟ إذ يكتسب المال بجهده ويستكثرمنه ويجتهد فى حفظه بمقدار الحاجة وقد ألزم أن يسلم إلى الفقير قدر حاجته ويكف عنه الفاضل الذى يضره لوسلم إليه ؛ فالغنى مستخدم للسعى فى رزق الفقير ويتميز عليه بتقليد المظالم والتزام المشاق وحراسة الفضلات إلى أن يموت فيأكله أعداؤه ، فإن مهما انتقلت الكراهية وتبدلت بالسرور والفرح بتوفيق الله تعالى له أداء الواجب وتفضيله الفقير حتى يخلصه عن عهدته بقبوله منه انتفى الأذى والتوبيخ وتقطيب الوجه وتبدل بالاستبشار والثناء وقبول المنة فهذا منشأ المن والأذى . فإن قلت : فرؤيته نفسه فى درجة المحسن أمر غامض فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف بها أنه لم ير نفسه محسنا ؟ فاعلم أن له علامة دقيقة واضحة وهو أن يقدر أن الفقير لوجنى عليه جناية أومالا عدوا له عليه مثلا هل كان يزيد استنكاره واستبعاده له على استنكاره قبل التصدق ؟ فإن زاد لم تخل صدقته عن شائبة المنة لأنه توقع لسببه ما لم يكن يتوقعه قبل ذلك . فإن قلت ، فهذا أمر غامض ولا ينفك قلب أحد عنه فما دواؤه ؟ فاعلم أن له دواء باطنا ودواء ظاهراً : أما الباطن : فالمعرفة بالحقائق التى ذكرناها فى فهم الوجوب وأن الفقير هو المحسن إليه فى تطهيره بالقبول . وأما الظاهر : فالأعمال التى يتعاطاها متقلد المنة فإن الأفعال التى تصدر عن الأخلاق تصبغ القلب بالأخلاق ـ كما سيأتى أسراره فى الشطر الأخير من الكتاب ـ ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدى الفقير ويتمثل قائما بين يديه يسأله قبولها حتى يكون هو فى صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لو رده . وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير من كفه وتكون يد الفقير هى العليا . وكانت عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما إذا أرسلتا معروفا إلى فقير قالتا للرسول : احفظ ما يدعو به ثم كانتا تردان عليه مثل قوله ، وتقولان : هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا . فكانوا لايتوقعون الدعاء لأنه شبه المكافأة وكانوا يقابلون الدعاء

بمثله . وهكذا فعل عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضى الله عنهما . وهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من حيث الظاهر إلا هذه الأعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة ومن حيث الباطن المعارف التى ذكرناها ؛ هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم . ولا يعالج القلب إلا بمعجون العلم والعمل ، وهذه الشريطة من الزكوات تجرى مجرى الخشوع من الصلاه وثبت ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم « ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها [1] . وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم « لايتقبل الله صدقة منان » وكقوله عز وجل ﴿ لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ﴾ وأما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنها دون هذا الشرط فحديث آخر وقد أشرنا إلى معناه فى كتاب الصلاة .

الوظيفة السادسة : أن يستصغر العطية فإنه إن استعظمها أعجب بها والعجب من المهلكات وهو محبط للأعمال قال تعالى ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ﴾ ويقال إن الطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله عز وجل . والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله عز وجل . وقيل لايتم المعروف إلا بثلاثة أمور : تصغيره وتعجيله وستره . وليس الاستعظام هو المن والأذى ، فإنه لو صرف ماله إلى عمارة مسجد أو رباط أمكن فيه الاستعظام ولا يمكن فيه المن والأذى بل العجب والاستعظام يجرى فى جميع العبادات ودواؤه علم وعمل . أما العلم : فهو أن يعلم أن العشر أو ربع العشر قليل من كثير وأنه قد قنع لنفسه بأخس درجات البدل ـ كما ذكرنا فى فهم الوجوب ـ فهو جدير بأن يستحيي منه فكيف يستعظمه ؟ وإن ارتقى إلى الدرجة العليا فبذل كل ماله أو أكثره فليتأمل أنه من أين له المال وإلى ماذا يصرفه ؟ فالمال لله عز وجل وله المنة عليه إذ أعطاه ووفقه لبذله فلم يستعظم فى حق الله تعالى ما هو عين حق الله سبحانه ؟ وإن كان مقامه يقتضى أن ينظر إلى الآخرة وأنه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ماينتظر عليه أضعافه ؟ وأما العمل : فهو أن يعطيه عطاء الخجل من بخله بإمساك بقية ماله عن الله عز وجل فتكون هيئته الانكسار والحياء ، كهيئة من يطالب برد وديعة فيمسك بعضها ويرد البعض ، لأن المال كله لله عز وجل وبذل جميعه هو الأحب عند الله سبحانه ، وإنما لم يأمر به عبده لأنه يشق عليه بسبب بخله كما قال الله عز وجل ﴿ فيحفكم تبخلوا ﴾

الوظيفة السابعة : أن ينتقى من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه فإن الله تعالى طيب لايقبل إلا طيبا . وإذا كان المخرج من شبهة فربما لايكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموقع . وفى حديث أبان عن أنس بن مالك « طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية [2] » وإذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الأدب إذ قد يمسك الجيد لنفسه أو لعبده أو لأهله فيكون قد آثر على الله عز وجل غيره ، ولو فعل هذا بضيفه وقدم إليه أردأ طعام فى بيته لأوغر بذلك صدره ، هذا إن كان نظره إلى الله عز وجل ، وإن كان نظره إلى نفسه وثوابه فى الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه ، وليس له من ماله إلا ماتصدق به فأبقى أو أكل فأفنى ، والذى يأكله قضاء وطر فى الحال فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار وقد قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولاتيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ﴾ أى لاتأخذوه إلا مع كراهية وحياء وهو معنى الإغماض فلاتؤثروا به ربكم . وفى الخبر « سبق درهم مائة ألف درهم [3] »

(١) حديث « ليس للمؤمن من صلاته إلا ما عقل منها » تقدم فى الصلاة

(٢) حديث أنس « طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية » أخرجه ابن عدى والبزار (٣) حديث « سبق درهم مائة الف » أخرجه النسائي وابن حبان وصححه من حديث أبى هريرة

وذلك بأن يخرجه الإنسان وهو من أحل ماله وأجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل ، وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك على أنه ليس يؤثر الله عز وجل بشيء مما يحبه . وبذلك ذم الله تعالى قوما جعلوا لله ما يكرهون فقال تعالى ﴿ ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا ﴾ وقف بعض القراء على النى تكذيباً لهم ، ثم ابتدأ وقال ﴿ جرم أن لهم النار ﴾ أى كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار .

الوظيفة الثامنة : أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ولا يكتفى بأن يكون من عموم الأصناف الثمانية فإن فى عمومهم خصوص صفات فليراع خصوص تلك الصفات وهى ستة . الأولى : أن يطلب الأتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة قال صلى الله عليه وسلم « لا تأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى [1] » . وهذا لأن التقى يستعين به على التقوى فتكون شريكا فى طاعته بإعانتك إياه ، وقال صلى الله عليه وسلم « أطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين [2] » ، وفى لفظ آخر « أضف بطعامك من تحبه فى الله تعالى » وكان بعض العلماء يؤثر بالطعام فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له : لو عممت بمعروفك جميع الفقراء لكان أفضل . فقال : لا هؤلاء قوم هممهم لله سبحانه فإذا طرقتهما فاقة تشتت هم أحدهم فلأن أرد همة واحد إلى الله عز وجل أحب إلى من أن أعطى ألفا ممن همته الدنيا ، فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال . هذا ولى من أولياء الله تعالى وقال ماسمعت منذ زمان كلاما أحسن من هذا ، ثم حكى أن هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث إليه الجنيد مالا وقال : اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فإن التجارة لاتضر مثلك ، وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء ثمن مايبتاعون منه . الصفة الثانية : أن يكون من أهل العلم خاصة فإن ذلك إعانة له على العلم ، والعلم أشرف العبادات مهما صحت فيه النية . وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه أهل العلم فقيل له: لو عممت ، فقال: إنى لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم أفضل . الصفة الثالثة : أن يكون صادقا فى تقواه وعلمه بالتوحيد . وتوحيده أنه إذا أخذ العطاء حمد الله عز وجل وشكره ورأى أن النعمة منه ولم ينظر إلى واسطة فهذا هو أشكر العباد لله سبحانه وهو أن يرى أن النعمة كلها منه . وفى وصية لقمان لابنه : لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما . ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف المنعم ولم يتيقن أن الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله عز وجل إذ سلط الله تعالى عليه دواعى الفعل ويسر له الأسباب فأعطى وهو مقهور ، ولو أراد تركه لم يقدر عليه بعد أن ألقى الله عز وجل فى قلبه أن صلاح دينه ودنياه فى فعله . فهما قوى الباعث أوجب ذلك جزم الإرادة وانتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوى الذى لاتردد فيه والله عز وجل خالق للبواعث ومهيجها ومزيل للضعف والتردد عنها ومسخر القدرة للانتهاض بمقتضى البواعث . فمن تيقن هذا لم يكن له نظر إلا إلى مسبب الأسباب : وتيقن مثل هذا العبد أنفع للمعطى من ثناء غيره وشكره ، فذلك حركة لسان يقل فى الأكثر جدواه وإعانة مثل هذا العبد الموحد لاتضيع . وأما الذى يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيدم بالمنع ويدعو بالشر عند الإيذاء وأحواله متفاوتة . وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم بعث معروفا إلى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ مايقول ؛ فلما أخذ قال : الحمد لله الذى لاينسى من ذكره ولايضيع من شكره . ثم قال اللهم إنك لم تنس فلانا ـ يعنى نفسه ـ فاجعل فلانا لاينساك ـ يعنى بفلان نفسه ـ فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك

---

(١) حديث « لاتأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى » أخرجه أبو داود والترمذى من حديث أبى سعيد بلفظ « لاتصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى » (٢) حديث « أطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين ، أخرجه ابن المبارك فى البر والصلة من حديث أبى سعيد الخدرى قال ابن طاهر غريب فيه مجهول (٣) حديث « أضف بطعامك من يحبه الله » أخرجه ابن المبارك أنبأنا جويبر عن الضحاك مرسلا

فسر وقال صلى الله عليه وسلم : علمت أنه يقول ذلك [١] » فانظر كيف قصر التفاته على الله وحده « وقال صلى الله عليه وسلم لرجل : تب فقال أتوب إلى الله وحده ولا أتوب إلى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لأهله [٢] » ولما نزلت براءة عائشة رضى الله عنها فى قصة الإفك قال أبو بكر رضى الله عنه : قومى فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لاأقوم ولاأحمد إلا الله فقال صلى الله عليه وسلم : دعها ياأبا بكر [٣] » وفى لفظ آخر « أنها رضى الله عنها قالت لأبى بكر رضى الله عنه : بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك » فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ذلك مع أن الوحى وصل إليها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورؤية الأشياء من غير الله سبحانه وصف الكافرين قال الله تعالى ﴿ وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ﴾ ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط إلا من حيث إنهم وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفى سره . فليتق الله سبحانه فى تصفية توحيده عن كدورات الشرك وشوائبه . الصفة الرابعة : أن يكون مستترا مخفيا حاجته لايكثر البث والشكوى أو يكون من أهل المروءة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش فى جلباب التجمل قال الله تعالى ﴿ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لايسألون الناس إلحافا ﴾ أى لايلحون فى السؤال لأنهم أغنياء بيقينهم أعزة بصبرهم ، وهذا ينبغى أن يطلب بالتفحص عن أهل الدين فى كل محلة ويستكشف عن بواطن أحوال أهل الخير والتجمل فثواب صرف المعروف إليهم أضعاف مايصرف إلى المجاهرين بالسؤال . الصفة الخامسة : أن يكون معيلا أو محبوسا بمرض أو بسبب من الأسباب فيوجد فيه معنى قوله عز وجل ﴿ للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله ﴾ أى حبسوا فى طريق الآخرة بعيلة أو ضيق معيشة أو إصلاح قلب ﴿ لايستطيعون ضربا فى الأرض ﴾ لأنهم مقصوصو الجناح مقيدو الأطراف . فبهذه الأسباب كان عمر رضى الله عنه يعطى أهل البيت القطيع من الغنم ـ العشرة فما فوقها ـ وكان صلى الله عليه وسلم يعطى العطاء على مقدار العيلة [٤] وسأل عمر رضى الله عنه عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال . الصفة السادسة : أن يكون من الأقارب وذوى الأرحام فتكون صدقة وصلة رحم وفى صلة الرحم من الثواب مالا يحصى . قال على رضى الله عنه : لأن أصل أخا من إخوانى بدرهم أحب إلى من أن أتصدق بعشرين درهما ولأن أصله بعشرين درهما أحب إلى من أتصدق بمائة درهم ولأن أصله بمائة درهم أحب إلى من أن أعتق رقبة . والأصدقاء وإخوان الخير أيضا

---

(١) حديث « بعث معروفا إلى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما أخذه قال الحمد لله الذى لاينسى من ذكره ... الحديث » لم أجد له أصلا إلا فى حديث ضعيف من حديث ابن عمر وروى ابن منده فى الصحابة أوله ولم يسق هذه القطعة التى أوردها المصنف وسمى الرجل حديرا ، فقد رويا من طريق البيهقى « أنه وصل لحدير من أبى الدرداء شىء فقال اللهم إنك لم تنس حديرا فاجعل حديرا لاينساك » وقيل إن هذا آخر لاصحبة له يكنى أباجريرة وقد ذكره ابن حبان فى ثقات التابعين .

(٢) حديث « قال لرجل تب فقال أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمد . . الحديث » أخرجه أحمد والطبرانى من حديث الأسود ابن سريع بسند ضعيف (٣) حديث « لما نزلت براءة عائشة قال أبو بكر قومى فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث » أخرجه أبو دواد من حديث عائشة بلفظ « فقال أبواى قومى فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أحمد الله لا إياكما » وللبخارى تعليقا « فقال أبواى قومى إليه فقلت لا والله لا أقوم إليه ولا أحمدكما ولكن أحمد الله » وله ولمسلم « فقالت لى أمى قومى إليه فقلت لا والله لاأقوم إليه ولا أحمد إلا الله » وللطبرانى « فقالت بحمد الله لابحمد صاحبك » وله من حديث ابن عباس « فقالت لابحمدك ولا بحمد صاحبك » وله من حديث ابن عمر « فقال أبو بكر قومى فاحتضنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا والله لا أدنو منه . . الحديث » وفيه « أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم بحمد الله لابحمدك »

(٤) حديث « كان يعطى العطاء على مقدار العيلة » لم أر له أصلا ولأبى داود من حديث عوف بن مالك « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتاه الفىء قسمه فى يومه وأعطى الآهل حظين وأعطى العزب حظا »

يقدمون على المعارف كما يتقدم الأقارب على الأجانب ؛ فليراع هذه الدقائق فهذه هي الصفات المطلوبة ، وفي كل صفة درجات فينبغي أن يطلب أعلاها ، فإن وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى . ومهما اجتهد في ذلك وأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد ، فإن أحد أجريه في الحال تطهيره نفسه عن صفة البخل وتأكيد حب الله عز وجل في قلبه واجتهاده في طاعته ، وهذه الصفات هي التي تقوى في قلبه فتشوقه إلى لقاء الله عز وجل . والأجر الثاني ما يعود إليه من فائدة دعوة الآخذ وهمته فإن قلوب الأبرار لها آثار في الحال والمآل ، فإن أصاب حصل الأجران وإن أخطأ حصل الأول دون الثاني فبهذا يضاعف أجر المصيب في الاجتهاد ههنا وفي سائر المواضع والله أعلم .

الفصل الثالث في القابض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه

بيان أسباب الاستحقاق

اعلم أنه لا يستحق الزكاة إلا حر مسلم ليس بهاشمي ولا مطلبي اتصف بصفة من صفات الأصناف الثمانية المذكورين في كتاب الله عز وجل . ولا تصرف زكاة إلى كافر ولا إلى عبد ولا إلى هاشمي ولا إلى مطلبي أما الصبي والمجنون فيجوز الصرف إليهما إذا قبض وليهما فلنذكر صفات الأصناف الثمانية (الصنف الأول) الفقراء : والفقير هو الذي ليس له مال ولا قدرة له على الكسب ، فإن كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين ، وإن كان معه نصف قوت يومه فهو فقير ، وإن كان معه قميص وليس معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تفي بجميع ذلك كما يليق بالفقراء فهو فقير ، لأنه في الحال قد عدم ما هو محتاج إليه وما هو عاجز عنه فلا ينبغي أن يشترط في الفقير أن لا يكون له كسوة سوى ساتر العورة فإن هذا غلو ، والغالب أنه لا يوجد مثله ولا يخرجه عن الفقر كونه معتاداً للسؤال ، فلا يجعل السؤال كسبا بخلاف ما لو قدر على كسب فإن ذلك يخرجه عن الفقر فإن قدر على الكسب بآلة فهو فقير ويجوز أن يشترى له آلة . وإن قدر على كسب لا يليق بمروءته وبحال مثله فهو فقير ، وإن كان متفقها ويمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته ، وإن كان متعبدا يمنعه الكسب من وظائف العبادات وأوراد الأوقات فليكتسب لأن الكسب أولى من ذلك قال صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فريضة بعد الفريضة [1] » وأراد به السعي في الاكتساب . وقال عمر رضي الله عنه : كسب في شبهة خير من مسألة . وإن كان مكتفيا بنفقة أبيه أو من تجب عليه نفقته فهذا أهون من الكسب فليس بفقير (الصنف الثاني) المساكين : والمسكين هو الذي لا يفي دخله بخرجه فقد يملك ألف درهم وهو مسكين وقد لا يملك إلا فأسا وحبلا وهو غني ، والدويرة التي يسكنها والثوب الذي يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين ، وكذا أثاث البيت - أعني ما يحتاج إليه - وذلك ما يليق به ، وكذا كتب الفقه لا تخرجه عن المسكنة وإذا لم يملك إلا الكتب فلا تلزمه صدقة الفطر . وحكم الكتاب حكم الثوب وأثاث البيت فإنه محتاج إليه ولكن ينبغي أن يحتاط في قطع الحاجة بالكتاب ، فالكتاب محتاج إليه لثلاثة أغراض : التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة . أما حاجة التفرج فلا تعتبر كاقتناء كتب الأشعار وتواريخ الأخبار وأمثال ذلك مما لا ينفع في الآخرة ولا يجري في الدنيا إلا مجرى التفرج والاستئناس ، فهذا يباع في الكفارة وزكاة الفطر وتمنع اسم المسكنة . وأما حاجة التعليم إن كان لأجل الكسب كالمؤدب والمعلم والمدرس بأجره فهذه آلته فلا تباع في الفطرة كأدوات الخياط وسائر المحترفين ، وإن كان يدرس للقيام بفرض

(١) حديث « طلب الحلال فريضة بعد الفريضة » أخرجه الطبراني والبيهقي في شعب الإيمان من حديث ابن مسعود بسند ضعيف .

الكفاية فلا تباع ولايسلبه ذلك اسم المسكين لأنها حاجة مهمة ، وأما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب كادخاره كتب طب ليعالج بها نفسه أو كتاب وعظ ليطالع فيه ويتعظ به فإن كان فى البلد طبيب وواعظ فهذا مستغنى عنه وإن لم يكن فهو محتاج إليه ثم ربما لايحتاج إلى مطالعة الكتاب إلا بعد مدّة فينبغى أن يضبط مدّة الحاجة . والأقرب أن يقال مالايحتاج إليه فى السنة فهو مستغنى عنه فإنّ من فضل من قوت يومه شىء لزمته الفطرة . فإذا قدرنا القوت باليوم فحاجة أثاث البيت وثياب البدن ينبغى أن تقدّر بالسنة ؛ فلا تباع ثياب الصيف فى الشتاء والكتب بالثياب والأثاث أشبه وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة إلى إحداهما * فإن قال : إحداهما أصح والأخرى أحسن فأنا محتاج إليهما ؟ قلنا : اكتف بالأصح ودع الأحسن ودع التفرّج والترفه . وإن كان نسختان من علم واحد إحداهما بسيطة والأخرى وجيزة فإن كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيطة وإن كان قصده التدريس فيحتاج إليهما إذ فى كل واحدة فائدة ليست فى الأخرى . وأمثال هذه الصور لاتنحصر ولم يتعرّض له فى فنّ الفقه وإنما أوردناه لعموم البلوى والتنبيه بحسن هذا النظر على غيره . فإنّ استقصاء هذه الصور غير ممكن إذ يتعدّى مثل هذا النظر فى أثاث البيت فى مقدارها وعددها ونوعها وفى ثياب البدن وفى الدار وسعتها وضيقها . وليس لهذه الأمور حدود محدودة ولكنّ الفقيه يجتهد فيها برأيه ويقرب فى التحديدات بما يراه ويقتحم فيه خطر الشبهات . والمتورّع يأخذ فيه بالأحوط ويدع مايريبه إلى مالايريبه . والدرجات المتوسطة المشكلة بين الأطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولاينجى منها إلا الاحتياط والله أعلم . (الصنف الثالث) العاملون : وهم السعاة الذين يجمعون الزكوات سوى الخليفة والقاضى ويدخل فيه العريف والكاتب والمستوفى والحافظ والنقال ولايزاد واحد منهم على أجرة المثل ؛ فإن فضل شىء من الثمن عن أجر مثلهم رد على بقية الأصناف وإن نقص كمل من مال المصالح (الصنف الرابع) المؤلفة قلوبهم على الإسلام : وهم الأشراف الذين أسلموا وهم مطاعون فى قومهم ، وفى إعطائهم تقريرهم على الإسلام وترغيب نظائرهم وأتباعهم (الصنف الخامس) المكاتبون : فيدفع إلى السيد سهم المكاتب وإن دفع إلى المكاتب جاز ولايدفع السيد زكاته إلى مكاتب نفسه لأنه يعدّ عبدا له . (الصنف السادس) الغارمون : والغارم هو الذى استقرض فى طاعة أومباح وهو فقير فإن استقرض فى معصية فلايعطى إلا إذا تاب ، وإن كان غنيا لم يقض دينه إلا إذا كان قد استقرض لمصلحة أو إطفاء فتنة (الصنف السابع) الغزاة : الذين ليس لهم مرسوم فى ديوان المرتزقة فيصرف إليهم سهم وإن كانوا أغنياء إعانة لهم على الغزو (الصنف الثامن) ابن السبيل : وهو الذى شخص من بلده ليسافر فى غير معصية أو اجتاز بها فيعطى إن كان فقيرا وإن كان له مال ببلد آخر أعطى بقدر بلغته * فإن قلت : فبم تعرف هذه الصفات ؟ قلنا : أما الفقر والمسكنة فبقول الآخذ ولايطالب ببينة ولايحلف بل يجوز اعتماد قوله إذا لم يعلم كذبه . وأما الغزو والسفر فهو أمر مستقبل فيعطى بقوله إنى غاز فإن لم يف به استرد . وأما بقية الأصناف فلا بدّ فيها من البينة فهذه شروط الاستحقاق . وأما مقدار مايصرف إلى كل واحد فسيأتى .

بيان وظائف القابض وهى خمسة

(الأولى) أن يعلم أنّ الله عزوجل أوجب صرف الزكاة إليه ليكفى همه ويجعل همومه هما واحدا . فقد تعبد الله عزوجل الخلق بأن يكون همهم واحدا وهو الله سبحانه واليوم الآخر وهو المعنى بقوله تعالى ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ ولكن لما اقتضت الحكمة أن يسلط على العبد الشهوات والحاجات وهى تفرّق همه

اقتضى الكرم إفاضة نعمة تكفي الحاجات فأكثر الأموال وصبها في أيدي عباده لتكون آلة لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعاتهم ، فمنهم من أكثر ماله فتنة وبلية فأقحمه في الخطر ومنهم من أحبه فحماه عن الدنيا كما يحمي المشفق مريضه فزوى عنه فضولها وساق إليه قدر حاجته على يد الأغنياء ليكون سهل الكسب والتعب في الجمع والحفظ عليهم ، وفائدته تنصب إلى الفقراء فيتجردون لعبادة الله والاستعداد لما بعد الموت فلا تصرفهم عنها فضول الدنيا ولا تشغلهم عن التأهب الفاقة وهذا منتهى النعمة . فحق الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق أنّ فضل الله عليه فيما زواه عنه أكثر من فضله فيما أعطاه ـ كما سيأتي في كتاب الفقر تحقيقه وبيانه إن شاء الله تعالى ـ فليأخذ ما يأخذه من الله سبحانه رزقا له وعونا له على الطاعة ولتكن نيته فيه أن يتقوى به على طاعة الله فإن لم يقدر على ذلك فليصرفه إلى ما أباحه الله عز وجل فإن استعان به على معصية الله كان كافرا لأنعم الله عز وجل مستحقا للبعد والمقت من الله سبحانه (الثانية) أن يشكر المعطي ويدعو له ويثني عليه ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله سبحانه إليه ، وللطريق حق من حيث جعله الله طريقا وواسطة وذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله سبحانه فقد قال صلى الله عليه وسلم « من لم يشكر الناس لم يشكر الله [1] » وقد أثنى الله عز وجل على عباده في مواضع على أعمالهم وهو خالقها وفاطر القدرة عليها نحو قوله تعالى ﴿ نعم العبد إنه أواب ﴾ إلى غير ذلك . وليقل القابض في دعائه طهر الله قلبك في قلوب الأبرار وزكى عملك في عمل الأخيار وصلى على روحك في أرواح الشهداء وقد قال صلى الله عليه وسلم « من أسدى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تستطيعوا فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه [2] » ومن تمام الشكر أن يستر عيوب العطاء إن كان فيه عيب ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع إذا منع ويفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه فوظيفة المعطي الاستصغار ووظيفة القابض تقلد المنة والاستعظام وعلى كل عند القيام بحقه ؛ وذلك لا تناقض فيه إذ موجبات التصغير والتعظيم تتعارض . والنافع للمعطي ملاحظة أسباب التصغير ويضره خلافه والآخذ بالعكس منه . وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله عز وجل فإن من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل وإنما المنكر أن يرى الواسطة أصلا (الثالثة) أن ينظر فيما يأخذه فإن لم يكن من حل تورع عنه (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) ولن يعدم المتورع عن الحرام فتوحا من الحلال . فلا يأخذ من أموال الأتراك والجنود وعمال السلاطين ومن أكثر كسبه من الحرام إلا إذا ضاق الأمر عليه وكان ما يسلم إليه لا يعرف له مالكا معينا فله أن يأخذ بقدر الحاجة ؛ فإن فتوى الشرع في مثل هذا أن يتصدق به ـ على ما سيأتي بيانه في كتاب الحلال والحرام ـ وذلك إذا عجز عن الحلال فإذا أخذ لم يكن أخذه أخذ زكاة إذ لا يقع زكاة عن مؤديه وهو حرام (الرابعة) أن يتوقى مواقع الريبة والاشتباه في مقدار ما يأخذه فلا يأخذ إلا المقدار المباح ولا يأخذ إلا إذا تحقق أنه موصوف بصفة الاستحقاق . فإن كان يأخذه بالكتابة والغرامة فلا يزيد على مقدار الدين . وإن كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على أجرة المثل . وإن أعطى زيادة أبى وامتنع إذ ليس المال للمعطي حتى يتبرع به . وإن كان مسافرا لم يزد على الزاد وكراء الدابة إلى مقصده. وإن كان غازيا لم يأخذ إلا ما يحتاج إليه للغزو خاصة من خيل وسلاح ونفقة . وتقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حد ، وكذا زاد السفر ، والورع ترك ما يريبه إلا ما لا يريبه . وإن أخذ بالمسكنة فلينظر أولا إلى أثاث بيته وثيابه

(١) حديث « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » أخرجه الترمذي وحسنه من حديث أبي سعيد وله ولأبي داود وابن حبان نحوه من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح (٢) حديث « من أسدى إليكم معروفا فكافئوه .. الحديث » أخرجه أبو داود والنسائي من حديث ابن عمر بإسناد صحيح بلفظ « من صنع »

وكتبه هل فيها مايستغنى عنه بعينه أو يستغنى عن نفاسته فيمكن أن يبدل بما يكفى ويفضل بعض قيمته ؟ وكل ذلك إلى اجتهاده . وفيه طرف ظاهر يتحقق معه أنه مستحق وطرف آخر مقابل يتحقق معه أنه غير مستحق ، بينهما أوساط مشتبهة ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، والاعتماد فى هذا على قول الآخذ ظاهرا . والمحتاج فى تقدير الحاجات مقامات فى التضييق والتوسيع ولاتحصر مراتبه وميل الورع إلى التضييق وميل المتساهل إلى التوسيع حتى يرى نفسه محتاجا إلى فنون من التوسع وهو ممقوت فى الشرع . ثم إذا تحققت حاجته فلايأخذن مالا كثيرا بل مايتمم كفايته من وقت أخذه إلى سنة . فهذا أقصى مايرخص فيه من حيث أنّ السنة إذا تكررت تكررت أسباب الدخل . ومن حيث إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخر لعياله قوت سنة [1] فهذا أقرب مايحدّ به حدّ الفقير والمسكين ولو اقتصر على حاجة شهره أوحاجة يومه فهو أقرب للتقوى . ومذاهب العلماء فى قدر المأخوذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة فمن مبالغ فى التقليل إلى حد أوجب الاقتصار على قدر قوت يومه وليلته وتمسكوا بما روى سهل بن الحنظلية « أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن السؤال مع الغنى فسئل عن غناه فقال صلى الله عليه وسلم غداؤه وعشاؤه [2] » وقال آخرون : يأخذ إلى حدّ الغنى . حدّ الغنى نصاب الزكاة إذ لم يوجب الله تعالى الزكاة إلا على الأغنياء فقالوا له أن يأخذ بنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة . وقال آخرون : حد الغنى خمسون درهما أو قيمتها من الذهب لما روى ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال « من سأل وله مال يغنيه جاء يوم القيامة وفى وجهه خموش فسئل وماغناه ؟ قال خمسون درهما أوقيمتها من الذهب [3] » وقيل : راويه ليس بقوى وقال قوم : أربعون ، لما رواه عطاء بن يسار منقطعا أنه صلى الله عليه وسلم قال « من سأل وله أوقية فقد ألحف فى السؤال [4] » وبالغ آخرون فى التوسيع فقالوا : له أن يأخذ مقدار مايشترى به ضيعة فيستغنى به طول عمره أويهيئ بضاعة ليتجر بها ويستغنى بها طول عمره لأن هذا هو الغنى وقد قال عمر رضى الله عنه : إذا أعطيتم فأغنوا ، حتى ذهب قوم إلى أن من افتقر فله أن يأخذ بقدر مايعود به إلى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم إلا إذا خرج عن حد الاعتدال . ولما شغل أبو طلحة ببستانه عن الصلاة قال : جعلته صدقة . فقال صلى الله عليه وسلم « اجعله فى قرابتك فهو خير لك [5] » فأعطاه حسان وأبا قتادة . الحائط من نخل لرجلين كثير مغن وأعطى عمر رضى الله عنه أعرابيا ناقة معها ظئر لها ، فهذا ماحكى فيه فأما التقليل إلى قوت اليوم أو الأوقية فذلك ورد فى كراهية السؤال والتردد على الأبواب وذلك مستنكر وله حكم آخر ، بل التجويز إلى أن يشترى ضيعة فيستغنى بها أقرب إلى الاحتمال وهو أيضاً مائل إلى الإسراف . والأقرب إلى الاعتدال كفاية سنة فما وراءه فيه خطر وفيما دونه تضييق . وهذه الأمور إذا لم يكن فيها تقدير جزم بالتوقيف فليس للمجتهد إلا الحكم بما يقع له . ثم يقال للورع « استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك [6] » كما قاله صلى الله عليه وسلم إذ الإثم حزاز القلوب ، فإذا وجد القابض فى نفسه شيئا مما يأخذه فليتق الله فيه ولايترخص تعللا بالفتوى من

---

(١) حديث « ادخر لعياله قوت سنة » أخرجاه من حديث عمر « كان يعزل نفقة أهله سنة » والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس « كان إذا ادخر لأهله قوت سنة تصدق بما بقى » قال الذهبى حديث منكر

(٢) حديث سهل بن الحنظلية « فى النهى عن السؤال مع الغنى فيسأل ما يغنيه فقال غداؤه وعشاؤه » أخرجه أبو داود وابن حبان بلفظ « من سأل وله ما يغنيه فإنما يستكثر من جمر جهنم .. الحديث » (٣) حديث ابن مسعود « من سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة وفى وجهه خموش .. الحديث » أخرجه أصحاب السنن وحسنه الترمذى وضعفه النسائى والخطابى (٤) حديث عطاء بن يسار منقطعا « من سأل وله أوقية فقد ألحف فى السؤال » أخرجه أبو داود والنسائى من رواية عطاء عن رجل من بنى أسد متصلا وليس بمنقطع كما ذكر المصنف لأن الرجل صحابى فلا يضر عدم تسميته وأخرجه أبو داود والنسائى وابن حبان من حديث أبى سعيد (٥) حديث « لما شغل أبا طلحة بستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة » تقدم فى الصلاة

(٦) حديث « استفت قلبك وإن أفتوك » تقدم فى العلم .

علماء الظاهر وإن لفتواهم قيودا ومطلقات من الضرورات ، وفيها تخمينات واقتحام شبهات . والتوقى من الشبهات من شيم ذوى الدين وعادات السالكين لطريق الآخرة (الخامسة) أن يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه فإن كان مايعطيه فوق الثمن فلا يأخذه منه فإنه لايستحق مع شريكه إلا الثمن فلينقص من الثمن مقدار مايصرف إلى اثنين من صنفه . وهذا السؤال واجب على أكثر الخلق فإنهم لايراعون هذه القسمة إما لجهل وإما لتساهل ، وإنما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الأمور إذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم . وسيأتى ذكر مظان السؤال ودرجة الاحتمال فى كتاب الحلال والحرام إن شاء الله تعالى .

الفصل الرابع : فى صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها وإعطائها

بيان فضيلة الصدقة

من الأخبار : قوله صلى الله عليه وسلم « تصدقوا ولو بتمرة فإنها تسد من الجائع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولايقبل الله إلا طيبا إلا كان الله آخذها بيمينه فيربيها كما يربى أحدكم فصيله حتى تبلغ التمرة مثل أحد [3] » وقال صلى الله عليه وسلم لأبى الدرداء « إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر إلى أهل بيت من جيرانك فأصبهم منه بمعروف [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « ماأحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله عزوجل الخلافة على تركته [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « كل امرئ فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس [6] » وقال صلى الله عليه وسلم « الصدقة تسد سبعين بابا من الشر [7] » وقال صلى الله عليه وسلم « صدقة السر تطفئ غضب الرب عزوجل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماالذى أعطى من سعة بأفضل أجرا من الذى يقبل من حاجة [8] » ولعل المراد به الذى يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين فيكون مساويا للمعطى الذى يقصد بإعطائه عمارة دينه . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أى الصدقة افضل ؟ قال : أن تصدق وأنت صحيح تأمل البقاء وتخشى الفاقة ولاتمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان [9] » وقد قال صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه « تصدقوا فقال رجل إن عندى دينارا فقال أنفقه على نفسك فقال : إن عندى آخر قال أنفقه

---

(١) حديث « تصدقوا ولو بتمرة فإنها تسد من الجائع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار » أخرجه ابن المبارك فى الزهد من حديث عكرمة مرسلا ولأحمد من حديث عائشة بسند حسن « استتروا من النار ولو بشق تمرة فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان » ولأبى يعلى والبزار من حديث أبى بكر « اتقوا النار ولو بشق تمرة فإنها تقوم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع موقعها من الشبعان » ولسنده ضعيف وللترمذى والنسائى فى الكبرى وابن ماجه فى حديث معاذ « والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار » (٢) حديث « اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة » أخرجاه من حديث عدى بن حاتم

(٣) حديث « ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبا . الحديث » أخرجه البخارى تعليقا ومسلم والترمذى والنسائى فى الكبرى واللفظ لابن ماجه من حديث أبى هريرة (٤) حديث « قال لأبى الدرداء إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها .. الحديث » أخرجه من حديث أبى ذر أنه قال ذلك له وما ذكره المصنف أنه قال لأبى الدرداء وهم

(٥) حديث « ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله الخلافة على تركته » أخرجه ابن المبارك فى الزهد من حديث ابن شهاب مرسلا بإسناد صحيح وأسنده الخطيب فيمن روى عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه (٦) حديث « كل امرئ فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس » أخرجه ابن حبان والحاكم وصححه على شرط مسلم من حديث عقبة بن عامر (٧) حديث « الصدقة تسد سبعين بابا من الشر » أخرجه ابن المبارك فى البر من حديث أنس بسند ضعيف « إن الله ليدرأ بالصدقة سبعين بابا من ميتة السوء » (٨) حديث « ما المعطى من سعة بأفضل أجرا من الذى يقبل من حاجة » أخرجه ابن حبان فى الضعفاء والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس ورواه فى الكبير من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٩) حديث « سئل أى الصدقة أفضل قال أن تصدق وانت صحيح شحيح ... الحديث » أخرجاه من حديث أبى هريرة

على زوجتك قال إن عندى آخر قال أنفقه على ولدك قال إن عندى آخر قال أنفقه على خادمك قال إن عندى آخر قال صلى الله عليه وسلم أنت أبصر به [١] » وقال صلى الله عليه وسلم « لاتحل الصدقة لآل محمد إنما هى أوساخ الناس [٢] » وقال «ردوا مدمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « لو صدق السائل ما أفلح من رده [٤] » وقال عيسى عليه السلام . من رد سائلا خائبا من بيته لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام « وكان نبينا صلى الله عليه وسلم لايكل خصلتين إلى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمره وكان يناول المسكين بيده [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان إنما المسكين المتعفف اقرءوا إن شئتم لايسألون الناس إلحافا [٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن مسلم يكسو مسلما إلا كان فى حفظ الله عز وجل مادامت عليه منه رقعة [٧] » * الآثار : قال عروة بن الزبير لقد تصدقت عائشة رضى الله عنها بخمسين ألفا وإن درعها لمرقع وقال مجاهد فى قول الله عز وجل ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا﴾ فقال : وهم يشتهونه وكان عمر رضى الله عنه يقول : اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون به على ذوى الحاجة منا . وقال عمر عبد العزيز : الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه . وقال ابن أبى الجعد: إن الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء وفضل سرها على علانيتها بسبعين ضعفا وإنها لتفك لحيى سبعين شيطانا . وقال ابن مسعود : إن رجلا عبد الله سبعين سنة ثم أصاب فاحشة فأحبط عمله ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين سنة . وقال لقمان لابنه : إذا أخطأت خطيئة فأعط الصدقة . وقال يحيى بن معاذ ماأعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا الحبة من الصدقة . وقال عبد العزيز بن أبى رواد : كان يقال ثلاثة من كنوز الجنة كتمان المرض وكتمان الصدقة وكتمان المصائب . وروى مسندا وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن الأعمال تباهت فقالت الصدقة أنا أفضلكن. وكان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر ويقول سمعت الله يقول ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ والله يعلم أنى أحب السكر . وقال النخعى : إذا كان الشىء لله عز وجل لايسرنى أن يكون فيه عيب . وقال عبيد بن عمير: يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأعطش ما كانوا قط وأعرى ما كانوا قط ، فمن أطعم لله عز وجل أشبعه الله ومن سقى لله عز وجل سقاه الله ومن كسا لله عز وجل كساه الله ، وقال الحسن : لو شاء الله لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض . وقال الشعبى : من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه . وقال مالك : لانرى بأسا بشرب المؤمن من الماء الذى يتصدق به ويسقى فى المسجد لأنه إنما جعل للعطشان من كان ، ولم يرد به أهل الحاجة والمسكنة على الخصوص ويقال : إن الحسن مر به نخاس

---

(١) حديث « قال يوما لأصحابه تصدقوا فقال رجل لدى عندى دينارا فقال أنفقه على نفسك .. الحديث » أخرجه أبو داود والنسائى واللفظ له وابن حبان والحاكم من حديث أبى هريرة وقد تقدم قبل يسير

(٢) « حديث لاتحل الصدقة لآل محمد .. الحديث » أخرجه مسلم من حديث المطلب بن ربيعة .

(٣) حديث « ردوا مدمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام » أخرجه العقيلى فى الضعفاء من حديث عائشة

(٤) حديث «لوصدق السائل ما أفلح من رده » أخرجه العقيلى فى الضعفاء وابن عبد البر فى التمهيد من حديث عائشة ، قال العقيلى لايصح فى هذا الباب شىء وللطبرانى نحوه من حديث أبى أمامة بسند ضعيف

(٥) حديث « كان لا يكل خصلتين إلى غيره .. الحديث » أخرجه الدارقطنى من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ابن المبارك فى البر مرسلا

(٦) حديث « ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان .. الحديث » متفق عليه من حديث عائشة

(٧) حديث « ما من مسلم يكسو مسلما إلا كان فى حفظ الله .. الحديث » أخرجه الترمذى وحسنه والحاكم وصحح إسناده من حديث ابن عباس وفيه خالد بن طهمان ضعيف

ومعه جارية فقال للنخاس أترضى فى ثمنها الدرهم والدرهمين ؟ قال : لا ، قال فاذهب فإن الله عز وجل رضى فى الحور العين بالفلس واللقمة .

بيان إخفاء الصدقة وإظهارها

قد اختلف طريق طلاب الإخلاص فى ذلك فمال قوم إلى أن الإخفاء أفضل ومال قوم إلى أن الإظهار أفضل ونحن نشير إلى ما فى كل واحد من المعانى والآفات ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه .

أما الإخفاء ففيه خمسة معان (الأول) أنه أبقى للستر على الآخذ فإن أخذه ظاهراً هتك لستر المروءة وكشف عن الحاجة وخروج عن هيئة التعفف والتصون المحبوب الذى يحسب الجاهل أهله أغنياء من التعفف . (الثانى) أنه أسلم لقلوب الناس وألسنتهم فإنهم ربما يحسدون أو ينكرون عليه أخذه ويظنون أنه آخذ مع الاستغناء أو ينسبونه إلى أخذ زيادة . والحسد وسوء الظن والغيبة من الذنوب الكبائر وصيانتهم عن هذه الجرائم أولى . وقال أبو أيوب السختيانى : إنى لأترك لبس الثوب الجديد خشية أن يحدث فى جيرانى حسداً . وقال بعض الزهاد : ربما تركت استعمال الشىء لأحل إخوانى يقولون من أين له هذا ؟ وعن ابراهيم التيمى : أنه رؤى عليه قميص جديد فقال بعض إخوانه من أين لك هذا ؟ فقال كسانيه أخى خيثمة ولو علمت أن أهله علموا به ما قبلته . (الثالث) إعانة المعطى على إسرار العمل فإن فضل السر على الجهر فى الإعطاء أكثر والإعانة على إتمام المعروف معروف ، والكتمان لا يتم إلا باثنين فهما أظهر هذا انكشف أمر المعطى . ودفع رجل إلى بعض العلماء شيئاً ظاهراً فرده إليه ودفع إليه آخر شيئاً فى السر فقبله ، فقيل له فى ذلك فقال : إن هذا عمل الأدب فى إخفاء معروفه فقبلته وذاك أساء أدبه فى عمله فرددته عليه وأعطى رجل لبعض الصوفية شيئاً فى الملأ فرده فقال له : لم ترد على الله عز وجل ما أعطاك ؟ فقال : إنك أشركت غير الله سبحانه فيما كان لله تعالى ولم تقنع بالله عز وجل فرددت عليك شركك . وقبل بعض العارفين فى السر شيئاً كان رده فى العلانية فقيل له فى ذلك ؛ فقال عصيت الله بالجهر فلم أك عونا لك على المعصية وأطعته بالإخفاء فأعنتك على برك وقال الثورى : لو علمت أن أحدهم لا يذكر صدقته ولا يتحدث بها لقبلت صدقته . (الرابع) أن فى إظهار الأخذ ذلا وامتهانا وليس للمؤمن أن يذل نفسه . كان بعض العلماء يأخذ فى السر ولا يأخذ فى العلانية ويقول : إنى فى إظهاره إذلالا للعلم وامتهانا لأهله فما كنت بالذى أرفع شيئاً من الدنيا بوضع العلم وإذلال أهله (الخامس) الاحتراز عن شبهة الشركة قال صلى الله عليه وسلم « من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها [1] » وبأن يكون ورقا أو ذهبا لا يخرج عن كونه هدية قال صلى الله عليه وسلم « أفضل ما يهدى الرجل إلى أخيه ورقا أو يطعمه خبزا [2] » فجعل الورق هدية بانفراده فما يعطى فى الملأ مكروه إلا برضا جميعهم ولا يخلو عن شبهة ، فإذا انفرد سلم من هذه الشبهة .

أما الإظهار والتحدث به ففيه معان أربعة (الأول) الإخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والمراءاة (والثانى) إسقاط الجاه والمنزلة وإظهار العبودية والمسكنة والتبرى عن الكبرياء ودعوى الاستغناء وإسقاط النفس من أعين الخلق . قال بعض العارفين لتلميذه : أظهر الأخذ على كل حال إن كنت آخذ فإنك لا تخلو عن أحد رجلين:

---

(١) حديث « من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها » أخرجه العقيلى وابن حبان فى الضعفاء والطبرانى فى الأوسط والبيهقى من حديث ابن عباس قال العقيلى لا يصح فى هذا المتن حديث (٢) حديث « أفضل ما يهدى الرجل إلى أخيه ورقا أو يعطيه خبزاً » أخرجه ابن عدى وضعفه من حديث ابن عمر « أفضل العمل عند الله أن يقضى عن مسلم دينه أو يدخل عليه سرورا أو يطعمه خبزا » ولأحمد والترمذى وصححه من حديث البراء « من منح منحة ورق أو منحة لبن أو أهدى زقاقا فهو كعتاق نسمة »

رجل تسقط من قلبه إذا فعلت ذلك فذلك هو المراد لأنه أسلم لدينك وأقل لآفات نفسك ، أو رجل تزداد فى قلبه بإظهارك الصدق فذلك الذى يريده أخوك لأنه يزداد ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه إياك فتؤجر أنت إذ كنت سبب مزيد ثوابه . (الثالث) هو أن العارف لا نظر له إلا إلى الله عز وجل والسر والعلانية فى حقه واحد فاختلاف الحال شرك فى التوحيد . قال بعضهم : كنا لانعبأ بدعاء من يأخذ فى السر ويرد فى العلانية . والالتفات إلى الخلق حضروا أم غابوا نقصان فى الحال ، بل ينبغى أن يكون النظر مقصور على الواحد الفرد . حكى أن بعض الشيوخ كان كثير الميل إلى واحد من جملة المريدين فشق على الآخرين فأراد أن يظهر لهم فضيلة ذلك المريد ، فأعطى كل واحد منهم دجاجة وقال : لينفرد كل واحد منكم بها وليذبحها حيث لا يراه أحد . فانفرد كل واحد وذبح إلا ذلك المريد فإنه رد الدجاجة ، فسألهم فقالوا : فعلنا ما أمرنا به الشيخ ، فقال الشيخ المريد : مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك ؟ فقال ذلك المريد . لم أقدر على مكان لايرانى فيه أحد وإن الله يرانى فى كل موضع ، فقال الشيخ : لهذا أميل إليه لأنه لايلتفت لغير الله عز وجل . (الرابع) أن الإظهار إقامة لسنة الشكر وقد قال تعالى ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ والكتمان كفران النعمة وقد ذم الله عز وجل من كتم ما آتاه الله عز وحل وقرنه بالبخل فقال تعالى ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ماآتاهم الله من فضله ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن ترى نعمته عليه [1] » وأعطى رجل بعض الصالحين شيئاً فى السر فرفع به يده وقال : هذا من الدنيا والعلانية فيها أفضل والسر فى أمور الآخرة أفضل . ولذلك قال بعضهم . إذا أعطيت فى الملأ فخذ ثم اردد فى السر والشكر فيه محثوث عليه . قال صلى الله عليه وسلم « من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وحل [2] » والشكر قائم مقام المكافأة حتى قال صلى الله عليه وسلم « من أسدى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تستطيعوا فأثنوا عليه به خيرا وادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه » ولما قال المهاجرون فى الشكر « يا رسول الله مارأينا خيراً من قوم نزلنا عندهم قاسمونا الأموال حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كله فقال صلى الله عليه وسلم كل ما شكرتم لهم وأثنيتم عليهم به فهو مكافأة [3] » .

فالآن إذا عرفت هذه المعانى فاعلم أن ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا فى المسئلة بل هو اختلاف حال ، فكشف الغطاء فى هذا أنا لانحكم حكما بتا بأن الإخفاء أفضل فى كل حال أو الإظهار أفضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات وتختلف النيات باختلاف الأحوال والأشخاص . فينبغى أن يكون المخلص مراقبا لنفسه حتى لايتدلى بحبل الغرور ولاينخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان والمكر والخداع أغلب فى معانى الإخفاء منه فى الإظهار مع أن له دخلا فى كل واحد منهما . فأما مدخل الخداع فى الإسرار فمن ميل الطبع إليه لما فيه من فى خفض الجاه والمنزلة وسقوط القدر عن أعين الناس ونظر الخلق إليه بعين الازدراء وإلى المعطى بعين المنعم المحسن فهذا هو الداء الدفين ويستكن فى النفس . والشيطان بواسطته يظهر معانى الخير حتى يتعلل بالمعانى الخمسة التى ذكرناها . ومعيار كل ذلك ومحكه أمر واحد وهو أن يكون تألمه بانكشاف أخذه الصدقة كتألمه بانكشاف صدقة أخذها بعض نظرائه وأمثاله ، فإنه إن كان يبغى صيانة الناس عن الغيبة والحسد وسوء الظن أو يتقى

---

(١) حديث « إذا أنعم الله تعالى على عبد نعمة أحب أن ترى عليه » أخرجه أحمد من حديث عمران بن حصين بسند صحيح وحسنه الترمذى من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » تقدم

(٢) حديث « قالت المهاجرون يارسول الله مارأينا خيرا من قوم نزلنا عليهم .. الحديث » أخرجه الترمذى وصححه من حديث أنس ورواه مختصرا أبو داود والنسائى فى اليوم والليلة والحاكم وصححه ابن ماجه

انتهاك الستر أو إعانة المعطى على الإسرار أو صيانة العلم عن الابتذال فكل ذلك مما يحصل بانكشاف صدقة أخيه ، فإن كان انكشاف أمره أثقل عليه من انكشاف أمر غيره فتقديره الحذر من هذه المعانى أغاليط وأباطيل من مكر الشيطان وخدعه ، فإن إذلال العلم محذور من حيث إنه علم لا من حيث إنه علم زيد أو علم عمرو . والغيبة محذورة من حيث إنها تعرض لعرض مصون لا من حيث إنها تعرض لعرض زيد على الخصوص ومن أحسن من ملاحظة مثل هذا ربما يعجز الشيطان عنه وإلا فلا يزال كثير العمل قليل الحظ . وأما جانب الإظهار فميل الطبع إليه من حيث إنه تطييب لقلب المعطى واستحثاث له على مثله وإظهاره عند غيره أنه من المبالغين فى الشكر حتى يرغبوا فى إكرامه وتفقده وهذا داء دفين فى الباطن ، والشيطان لا يقدر على المتدين إلا بأن يروج عليه هذا الخبث فى معرض السنة ويقول له الشكر من السنة والإخفاء من الرياء ويورد عليه المعانى التى ذكرناها ليحمله على الإظهار وقصده الباطن ما ذكرناه ومعيار ذلك ومحكه أن ينظر إلى ميل نفسه إلى الشكر حيث لا ينتهى الخبر إلى المعطى ولا إلى من يرغب فى عطائه ؛ وبين يدى جماعة يكرهون إظهار العطية ويرغبون فى إخفائها وعادتهم أنهم لا يعطون إلا من يخفى ولا يشكر . فإن استوت هذه الأحوال عنده فليعلم أن باعثه هو إقامة السنة فى الشكر والتحدث بالنعمة وإلا فهو مغرور . ثم إذا علم أن باعثه السنة فى الشكر فلا ينبغى أن يعمل عن قضاء حق المعطى فينظر فإن كان هو ممن يحب الشكر والنشر فينبغى أن يخفى ولا يشكر ، لأن قضاء حقه أن لا ينصره على الظلم وطلبه الشكر ظلم . وإذا علم من حاله أنه لا يحب الشكر ولا يقصده فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للرجل الذى مدح بين يديه « ضربتم عنقه لو سمعها ما أفلح [1] » مع أنه صلى الله عليه وسلم كان يثنى على قوم فى وجوههم لثقته بيقينهم وعلمه بأن ذلك لا يضرهم بل يزيد فى رغبتهم فى الخير فقال لواحد « إنه سيد أهل الوبر [2] » وقال صلى الله عليه وسلم فى آخر « إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه [3] » وسمع كلام رجل فأعجبه فقال صلى الله عليه وسلم « إن من البيان لسحراً [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا علم أحدكم من أخيه خيرا فليخبره فإنه يزداد رغبة فى الخير [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مدح المؤمن ربا الإيمان فى قلبه [6] » وقال الثورى : من عرف نفسه لم يضره مدح الناس . وقال أيضاً ليوسف بن أسباط : إذا أوليتك معروفا كنت أنا أسر به منك ورأيت ذلك نعمة من الله عز وجل على فاشكر وإلا فلا تشكر . ورقائق هذه المعانى ينبغى أن يلحظها من يراعى قلبه فإن أعمال الجوارح مع إهمال هذه الدقائق صحكة للشيطان وشماتة له لكثرة التعب وقلة النفع ، ومثل هذا العلم هو الذى يقال فيه : إن تعلم مسألة واحدة منه أفضل من عبادة سنة إذ بهذا العلم تحيا عبادة العمل وبالجهل به تموت عبادة العمل كله وتتعطل . وعلى الجملة فالأخذ فى الملأ والرد فى السر أحسن المسالك وأسلمها ، فلا ينبغى أن يدفع بالتزويقات إلا أن تكمل المعرفة

---

(١) حديث « قال للرجل الذى مدح بين يديه ضربتم عنقه لو سمعها ما أفلح » متفق عليه من حديث أبى بكرة بلفظ « ويحك قطعت عنق صاحبك » زاد الطبرانى فى رواية « والله لو سمعها ما أفلح أبدا » وفى سنده على بن زيد بن جدعان متكلم فيه وابن ماجه نحوه من حديث أبى موسى (٢) حديث « إنه سيد الوبر » أخرجه العقيلى والطبرانى وابن قانع فى معاجمهم وابن حبان فى الثقات من حديث قيس بن عاصم المنقرى « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له ذلك » .

(٣) حديث « إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه » أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر ورواه أبو داود فى المراسيل من حديث الشعبى مرسلا بسند صحيح وقال روى متصلا وهو ضعيف والحاكم نحوه من حديث معبد بن خالد الأنصارى عن أبيه وصحح إسناده

(٤) حديث « إن من البيان لسحرا » أخرجه البخارى من حديث ابن عمر

(٥) حديث « إذا علم أحدكم من أخيه خيرا فليخبره فانه يزداد رغبة فى الخير » أخرجه الدارقطنى فى العلل من رواية ابن المسيب عن أبى هريرة . وقال لا يصح عن الزهرى وروى عن ابن المسيب مرسلا

(٦) حديث « إذا مدح المؤمن ربا الإيمان فى قلبه » أخرجه الطبرانى من حديث أسامة بن زيد بسند ضعيف

بحيث يستوى السر والعلانية وذلك هو الكبريت الأحمر الذى يتحدث به ولا يرى . نسأل الله الكريم حسن العون والتوفيق .

بيان الأفضل من أخذ الصدقة أو الزكاة

كان إبراهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون أن الأخذ من الصدقة أفضل فإن فى أخذ الزكاة مزاحمة للمساكين وتضييقا عليهم ولأنه ربما لايكمل فى أخذه صفة الاستحقاق كما وصف فى الكتاب العزيز وأما الصدقة فالأمر فيها أوسع . وقال قائلون : بأخذ الزكاة دون الصدقة لأنها إعانة على الواجب . ولو ترك المساكين كلهم أخذ الزكاة لأثموا : ولأن الزكاة لامنة فيها وإنما هو حق واجب لله سبحانه رزقا لعباده المحتاجين . ولأنه أخذ بالحاجة والإنسان يعلم حاجة نفسه قطعا . وأخذ الصدقة أخذ بالدين فإنّ الغالب أنّ المتصدّق يعطى من يعتقد فيه خيرا ؛ ولأنّ مرافقة المساكين أدخل فى الذل والمسكنة وأبعد من التكبر ؛ إذ قد يأخذ الإنسان الصدقة فى معرض الهدية فلا تتميز عنه ؛ وهذا تنصيص على ذل الآخذ وحاجته . والقول الحق فى هذا يختلف بأحوال الشخص وما يغلب عليه وما يحضره من النية فإن كان فى شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق فلاينبغى أن يأخذ الزكاة . فإذا علم أنه مستحق قطعا إذا حصل عليه دين صرفه إلى خير وليس له وجه فى قضائه فهو مستحق قطعا . فإذا خير هذا بين الزكاة وبين الصدقة فإذا كان صاحب الصدقة لا يتصدّق بذلك المال لو لم يأخذه هو فليأخذ الصدقة ؛ فإنّ الزكاة الواجبة يصرفها صاحبها إلى مستحقها فى ذلك تكثير للخير وتوسيع على المساكين . وإن كان المال معرّضا للصدقة ولم يكن فى أخذ الزكاة تضييق على المساكين فهو مخير والأمر فيهما يتفاوت وأخذ الزكاة أشدّ فى كسر النفس وإذلالها فى أغلب الأحوال والله أعلم .

كمل كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ؛ ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الصوم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى الملائكة والمقربين من أهل السموات والأرضين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل ،

كتاب أسرار الصوم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أعظم على عباده المنة ، بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه ، ورد أمله وخيب ظنه ؛ إذ جعل الصوم حصنا لأوليائه وجنة ، وفتح لهم به أبواب الجنة ، وعرّفهم أنّ وسيلة الشيطان إلى قلوبهم الشهوات المستكنة ، وإنّ بقمعها تصبح النفس المطمئنة ظاهرة الشوكة فى قصم خصمها قوية المنة ، والصلاة على محمد قائد الخلق ومهد السنة وعلى آله وأصحابه ذوى الأبصار الثاقبة والعقول المرجحنة وسلم تسليما كثيرا . أما بعد : فإن الصوم ربع الإيمان بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم « الصوم نصف الصبر [1] » وبمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم « الصبر نصف

(١) حديث « الصوم نصف الصبر » أخرجه الترمذى وحسنه من حديث رجل من بنى سليم وابن ماجه من حديث أبى هريرة

الإيمان [١] » ثم هو متميز بخاصية النسبة إلى الله تعالى من بين سائر الأركان إذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم « كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به [٢] » وقد قال الله تعالى (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب وناهيك فى معرفة فضله قوله صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عنده الله من ريح المسك يقول الله عز وجل إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجلى فالصوم لى وأنا أجزى به [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « للجنة باب يقال له الريان لايدخله إلا الصائمون وهو موعود بلقاء الله تعالى فى جزء صومه [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « للصائم فرحتان فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربه [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « لكل شىء باب وباب العبادة الصوم [٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « نوم الصائم عبادة [٧] » وروى أبو هريرة رضى الله عنه « أنه صلى الله عليه وسلم قال : إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين ونادى مناد ياباغى الخير هلم ويا باغى الشر أقصر [٨] » وقال وكيع فى قوله تعالى (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية) هى أيام الصيام إذ تركوا فيها الأكل والشرب وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رتبة المباهاة بين الزهد فى الدنيا وبين الصوم فقال « إن الله تعالى يباهى ملائكته بالشاب العابد فيقول : أيها الشاب التارك شهوته لأجلى المبدل شبابه لى أنت عندى كبعض ملائكتى [٩] » وقال صلى الله عليه وسلم فى الصائم « يقول الله عز وجل : انظروا يلاملائكتى إلى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلى [١٠] » وقيل فى قوله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) قيل كان عملهم الصيام لأنه قال (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) فيفرغ للصائم جزاؤه إفراغا ويجازف جزافا فلا يدخل تحت وهم وتقدير ، وجدير بأن يكون كذلك لأن الصوم إنما كان له ومشرفا بالنسبة إليه وإن كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة إلى نفسه والأرض كلها له لمعنيين ؛ أحدهما : أن الصوم كف وترك وهو فى نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد . وجميع أعمال الطاعات تشهد من الخلق ومرأى والصوم لايراه إلا الله عز وجل فإنه عمل فى الباطن بالصبر المجرد . والثانى : أنه قهر لعدو الله عز وجل فإن وسيلة الشيطان لعنة الله الشهوات ؛ وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان

---

(١) حديث « الصبر نصف الإيمان » أخرجه أبو نعيم فى الحلية والخطيب فى التاريخ من حديث ابن مسعود بسند حسن

(٢) حديث « كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم الحديث .. » أخرجاه من حديث أبى هريرة

(٣) حديث « والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم . . الحديث » أخرجاه من حديثه وهو بعض الذى قبله

(٤) حديث « للجنة باب يقال له الريان .. الحديث » أخرجاه من حديث سهل بن سعد (٥) حديث للصائم فرحتان . . الحديث » أخرجاه من حديث أبى هريرة (٦) حديث « لكل شىء باب وباب العبادة الصوم » أخرجه ابن المبارك فى الزهد ومن طريقه أبو الشيخ فى الثواب من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف (٧) حديث « نوم الصائم عبادة » رويناه فى أمالى ابن منده من رواية ابن المغيرة القواس عن عبد الله بن عمر بسند ضعيف ولعله عبد الله بن عمرو فإنهم لم يذكروا لابن المغيرة رواية إلا عنه ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث عبدالله بن أبى أوفى وفيه سليمان بن عمرو النخعى أحد الكذابين

(٨) حديث « إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة » أخرجه الترمذى وقال غريب وابن ماجه والحاكم وصححه على شرطهما من حديث أبى هريرة وصحح البخارى وقفه على مجاهد وأصله متفق عليه دون قوله « ونادى مناد »

(٩) حديث « إن الله تعالى يباهى ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته ... الحديث » أخرجه ابن عدى من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (١٠) حديث « يقول الله تعالى لملائكته ياملائكتى انظروا الى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلى »

ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع [١] » ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها « داومى قرع باب الجنة ؛ قالت : بماذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم : بالجوع [٢] » ـ وسيأتى فضل الجوع فى كتاب : شره الطعام ـ وعلاجه من ربع المهلكات ـ فلما كان الصوم على الخصوص قمعا للشيطان وسدّا لمسالكه وتضييقا لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة إلى الله عز وجل فى قمع عدوّ الله نصرة لله سبحانه وناصر الله تعالى موقوف على النصرة له قال الله تعالى (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) فالبداية بالجهد من العبد والجزاء بالهداية من الله عز وجل ولذلك قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وقال تعالى (إنّ الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وإنما التغير تكثير الشهوات فهى مرتع الشياطين ومرعاهم فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم وما داموا يترددون لم ينكشف للعبد جلال الله سبحانه وكان محجوبا عن لقائه . وقال صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السموات [٣] » فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة وإذا عظمت فضيلته إلى هذا الحدّ فلابد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر أركانه وسننه وشروطه الباطنة ، ونبين ذلك بثلاثة فصول .

الفصل الأول : فى الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بإفساده

أما الواجبات الظاهرة فستة

(الأوّل) مراقبة أوّل شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فإن غم فاستكمال ثلاثين يوما من شعبان . ونعنى بالرؤية العلم ، ويحصل ذلك بقول عدل واحد . ولا يثبت هلال شوّال إلا بقول عدلين احتياطا للعبادة . ومن سمع عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وإن لم يقض القاضى به فليتبع كل عبد فى عبادته موجب ظنه ، وإذا رؤى الهلال ببلدة ولم ير بأخرى وكان بينهما أقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل ، وإن كان أكثر كان لكل بلدة حكمها ولا يتعدّى الوجوب (الثانى) النية : ولا بد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة فلو نوى أن يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكفه ، وهو الذى عنينا بقولنا « كل ليلة » ولو نوى بالنهار لم يجزه صوم رمضان ولا صوم الفرض إلا التطوّع ، وهو الذى عنينا بقولنا « مبيتة » ولو نوى الصوم مطلقا أو الفرض مطلقا لم يجزه حتى ينوى فريضة الله عز وجل صوم رمضان ولو نوى ليلة الشك أن يصوم غدا إن كان من رمضان لم يجزه فإنها ليست جازمة إلا أن تستند نيته إلى قول شاهد عدل ، واحتمال غلط العدل أو كذبه لا يبطل الجزم أو يستند إلى استصحاب حال كالشك فى الليلة الأخيرة من رمضان ، فذلك لا يمنع جزم النية أو يستند إلى اجتهاد كالمحبوس فى المطمورة إذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشكه لا يمنعه من النية . ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزمه النية باللسان فإن النية محلها القلب . ولا يتصوّر فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال فى وسط رمضان : أصوم غدا إن كان من رمضان فإن ذلك لا يضره لأنه ترديد لفظ ومحل النية لا يتصوّر فيه تردد بل هو قاطع بأنه من رمضان : ومن نوى ليلا ثم أكل لم تفسد نيته ولو نوت امرأة فى الحيض ثم طهرت قبل الفجر صح صومها (الثالث) الإمساك عن إيصال شىء إلى الجوف عمدا مع ذكر الصوم فيفسد صومه بالأكل والشرب والسعوط والحقنة . ولا يفسد بالفصد والحجامة

---

(١) حديث « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم .. الحديث » متفق عليه من حديث صفية دون قوله « فضيقوا مجاريه بالجوع »

(٢) حديث « قال لعائشة داومى قرع باب الجنة . الحديث » لم أجد له أصلا

(٣) حديث « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم . . الحديث » أخرجه أحمد من حديث أبى هريرة بنحوه

الاكتحال وإدخال الميل فى الأذن والإحليل إلا أن يقطر فيه مايبلغ المثانة وما يصل بغير قصد من غبار الطريق ـ ذبابة تسبق إلى جوفه أو ما يسبق إلى جوفه فى المضمضة ، فلا يفطر إلا إذا بالغ فى المضمضة فيفطر نه مقصر وهو الذى أردنا بقولنا « عمدا » وأما ذكر الصوم فأردنا به الاحتراز عن الناسى فإنه لايفطر . ا من أكل عامدا فى طرفى النهار ثم ظهر له أنه أكل نهارا بالتحقيق فعليه القضاء وإن بقى على حكم ظنه واجتهاده لاقضاء عليه ولاينبغى أن يأكل فى طرفى النهار إلا بنظر واجتهاد . (الرابع) الإمساك عن الجماع : وحده مغيب لحشفة وإن جامع ناسيا لم يفطر وإن جامع ليلا أواحتلم فأصبح جنبا لم يفطر وإن طلع الفجر وهو مخالط أهله فنزع الحال صح صومه فإن صبر فسد ولزمته الكفارة . (الخامس) الإمساك عن الاستمناء : وهو إخراج المنى قصدا باع أو بغير جماع فإن ذلك يفطر ولايفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها مالم ينزل « لكن يكره ذلك إلا أن يكون بخا أو مالكا لإربه ، فلا بأس بالتقبيل وتركه أولى . وإذا كان يخاف من التقبيل أن ينزل فقبل وسبق المنى أفطر نصيره . (السادس) الإمساك عن إخراج القىء فالاستقاء يفسد الصوم وإن ذرعه القىء لم يفسد صومه ، وإذا لع نخامة من حلقه أو صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به إلا أن يبتلعه بعد وصوله إلى فيه فإنه طر عند ذلك .

وأما لوازم الإفطار فأربعة

القضاء والكفارة والفدية وإمساك بقية النهار تشبيها بالصائمين . أما القضاء : فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ـك الصوم بعذر أو بغير عذر ، فالحائض تقضى الصوم وكذا المرتد . وأما الكافر والصبى والمجنون فلاقضاء عليهم لا يشترط التتابع فى قضاء رمضان ولكن يقضى كيف شاء متفرقا ومجموعا .

وأما الكفارة : فلاتجب إلا بالجماع . وأما الاستمناء والأكل والشرب وماعدا الجماع لايجب به كفارة فالكفارة تق رقبة فإن أعسر فصوم شهرين متتابعين وإن عجز فإطعام ستين مسكينا مدا مدا .

وأما إمساك بقية النهار : فيجب على من عصى بالفطر أو قصر فيه . ولا يجب على الحائض إذا طهرت إمساك بية نهارها ولا على المسافر إذا قدم مفطرا من سفر بلغ مرحلتين . ويجب الإمساك إذا شهد بالهلال عدل واحد وم الشك . والصوم فى السفر أفضل من الفطر إلا إذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيما فى أوله ولا يوم ندم إذا قدم صائما .

وأما الفدية : فتجب على الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفا على ولديهما ، لكل يوم مد حنطة لمسكين واحد مع قضاء والشيخ الهرم إذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا .

وأما السنن فست : تأخير السحور ؛ وتعجيل الفطر بالتمر أو الماء قبل الصلاة ، وترك السواك بعد الزوال ، الجود فى شهر رمضان لما سبق من فضائله فى الزكاة ، ومدارسة القرآن ، والاعتكاف فى المسجد ، لاسيما فى العشر لأخير فهو عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا دخل العشر الأواخر طوى الفراش وشد المئزر وداب أدأب أهله [1] » أى أداموا النصب فى العبادة إذ فيها ليلة القدر والأغلب أنها فى أوتارها وأشبه الأوتار ليلة إحدى ثلاث وخمس وسبع . والتتابع فى هذا الاعتكاف أولى فإن نذر اعتكافا متتابعا أونواه انقطع تتابعه بالخروج من

(١) حديث « كان إذا دخل العشر الأواخر طوى الفراش .. الحديث » متفق عليه من حديث عائشة بلفظ « أحيا الليل وأيقظ هله وجد وشد المئزر » .

غير ضرورة ؛ كما لو خرج لعيادة أو شهادة أو جنازة أو زيارة أو تجديد طهارة ، وإن خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع وله أن يتوضأ فى البيت . ولا ينبغى أن يعرج على شغل آخر « كان صلى الله عليه وسلم لا يخرج إلا لحاجة الإنسان ولا يسأل عن المريض إلا مارا [1] » ويقطع التتابع بالجماع ولا يقطع بالتقبيل . ولا بأس فى المسجد بالطيب وعقد النكاح وبالأكل والنوم وغسل اليد فى الطست فكل ذلك قد يحتاج إليه فى التتابع . ولا ينقطع التتابع بخروج بعض بدنه « كان صلى الله عليه وسلم يدنى رأسه فترجله عائشة رضى الله عنها وهى فى الحجرة [2] » ومهما خرج المعتكف لقضاء حاجته فإذا عاد ينبغى أن يستأنف النية إلا إذا كان قد نوى أولا عشرة أيام مثلا . والأفضل مع ذلك التجديد .

الفصل الثانى : فى أسرار الصوم وشروطه الباطنة

اعلم أن الصوم ثلاث درجات : صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص . أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله . وأما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام . وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية ، ويحصل الفطر فى هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله عز وجل واليوم الآخر وبالفكر فى الدنيا إلا دنيا تراد للدين ، فإن ذلك من زاد الآخرة وليس من الدنيا حتى قال أرباب القلوب : من تحركت همته بالتصرف فى نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة ، فإن ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عز وجل وقلة اليقين برزقه الموعود ، وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقربين ولا يطول النظر فى تفصيلها قولا ولكن فى تحقيقها عملا ، فإنه إقبال بكنه الهمة على الله عز وجل وانصراف عن غير الله سبحانه وتلبس بمعنى قوله عز وجل ﴿ قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ﴾ وأما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الآثام وتمامه بستة أمور : الأول : غض البصر وكفه عن الاتساع فى النظر إلى كل ما يذم ويكره وإلى كل ما يشغل القلب ويلهى عن ذكر الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس لعنه الله فمن تركها خوفا من الله آتاه الله عز وجل إيمانا يجد حلاوته فى قلبه [3] » وروى جابر عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة [4] » . الثانى : حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء ، وإلزامه السكوت وشغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان . وقد قال سفيان : الغيبة تفسد الصوم . رواه بشر بن الحارث عنه . وروى ليث عن مجاهد : خصلتان يفسدان الصيام الغيبة والكذب . وقال صلى الله عليه وسلم « إنما الصوم جنة فإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إنى صائم إنى صائم [5] » وجاء فى الخبر « أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا فبعثتا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذناه فى الإفطار فأرسل إليهما قدحا وقال صلى الله عليه وسلم : قل لهما

---

(١) حديث « كان لا يخرج إلا لحاجة ولا يسأل عن المريض إلا مارا » متفق على الشطر الأول من حديث عائشة والشطر الثانى » رواه أبو داود بنحوه بسند لين (٢) حديث « كان يدنى رأسه لعائشة » متفق عليه من حديثها (٣) حديث « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس .. الحديث » أخرجه الحاكم وصحح إسناده من حديث حذيفة (٤) حديث جابر عن أنس « خمس يفطرن الصائم ... الحديث » أخرجه الأزدى فى الضعفاء من رواية جابان عن أنس وقوله جابر تصحيف قال أبو حاتم الرازى هذا كذاب (٥) حديث « الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائما .. الحديث » أخرجاه من حديث أبى هريرة

قيئا فيه ما أكلتما فقامت إحداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقامت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما . فعدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا يعتابان الناس فهذا ما أكلتا من لحومهم[1] » الثالث : كف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه لأن كل ما حرم قوله حرم الإصغاء إليه ولذلك سوى الله عز وجل بين المستمع وآكل السحت فقال تعالى ﴿ سماعون للكذب أكالون للسحت ﴾ وقال عز وجل ﴿ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت ﴾ فالسكوت على الغيبة حرام وقال تعالى ﴿ إنكم إذاً مثلهم ﴾ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « المغتاب والمستمع شريكان فى الإثم[2] » الرابع : كف بقية الجوارح عن الآثام من اليد والرجل عن المكاره ، وكف البطن عن الشبهات وقت الإفطار . فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الإفطار على الحرام . فمثال هذا الصائم مثال من يبنى قصرا ويهدم مصرا فإن الطعام الحلال إنما يضر بكثرته لا بنوعه ، فالصوم لتقليله . وتارك الاستكثار من الدواء خوفا من ضرره إذا عدل إلى تناول السم كان سفيها والحرام سم مهلك للدين . والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره . وقصد الصوم تقليله . وقد قال صلى الله عليه وسلم « كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش[3] » فقيل هو الذى يفطر على الحرام ، وقيل هو الذى يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام ، وقيل هو الذى لا يحفظ جوارحه عن الآثام . الخامس : أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلئ جوفه فما من وعاء أبغض إلى الله عز وجل من بطن ملئ من حلال . وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه فى ألوان الطعام ؟ حتى استمرت العادات بأن تدخر جميع الأطعمة لرمضان فيؤكل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل فى عدة أشهر . ومعلوم أن مقصود الصوم الجوع وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى . وإذا دفعت المعدة من ضحوة نهار إلى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات وأشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها . فروح الصوم وسره تضعيف القوى التى هى وسائل الشيطان فى العود إلى الشرور ، ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل وهو أن يأكل أكلته التى كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم فأما إذا جمع ما كان يأكل ضحوة إلى ما كان يأكل ليلا فلم ينتفع بصومه . بل من الآداب أن لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم فى كل ليلة قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجده وأوراده ، فعسى الشيطان أن لا يحوم على قلبه فينظر إلى ملكوت السماء . وليلة القدر عبارة عن الليلة التى ينكشف فيها شىء من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب . ومن أخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله عز وجل وذلك هو الأمر كله . ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام . وسيأتى له مزيد بيان فى كتاب الأطعمة إن شاء الله عز وجل . السادس : أن يكون قلبه بعد الإفطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء إذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من المقربين أو يرد عليه فهو من الممقوتين ؟ وليكن كذلك فى آخر كل عبادة يفرغ

---

(١) حديث « أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث » فى الغيبة للصائم أخرجه أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث سنده فيه مجهول (٢) حديث « المغتاب والمستمع شريكان فى الإثم » غريب والطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة

(٣) حديث « كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش » أخرجه النسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة

منها فقد روى عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه مر بقوم وهم يضحكون فقال : إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق قوم ففازوا وتخلف أقوام فخابوا فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون . أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته أي كان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك . وعن الاحنف بن قيس : أنه قيل له إنك شيخ كبير وإن الصيام يضعفك فقال : إني أعده لسفر طويل والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه . فهذه هي المعاني الباطنة في الصوم * فإن قلت : فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعاني فقد قال الفقهاء . صومه صحيح فما معناه ؟ فاعلم أن فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بأدلة هي أضعف من هذه الأدلة التي أوردناها في هذه الشروط الباطنة لاسيما الغيبة وأمثالها ، ولكن ليس إلى فقهاء الظاهر من التكليفات إلا ما يتيسر على عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحته . فأما علماء الآخرة فيعنون بالصحة القبول وبالقبول الوصول إلى المقصود. ويفهمون أن المقصود من الصوم التخلق بخلق من أخلاق الله عز وجل وهو الصمدية ، والاقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بحسب الإمكان فإنهم منزهون عن الشهوات . والإنسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها ، فكلما انهمك في الشهوات انحط إلى أسفل السافلين والتحق بغمار البهائم ، وكلما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين والتحق بأفق الملائكة . والملائكة مقربون من الله عز وجل والذي يقتدي بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله عز وجل كقربهم ، فإن الشبيه من القريب قريب ، وليس القرب ثم بالمكان بل بالصفات . وإذا كان هذا سر الصوم عند أرباب الألباب وأصحاب القلوب فأي جدوى لتأخير أكلة وجمع أكلتين عند العشاء مع الانهماك في الشهوات الأخر طول النهار ؟ ولو كان لمثله جدوى فأي معنى لقوله صلى الله عليه وسلم « كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش » ولهذا قال أبو الدرداء : ياحبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف لا يعيبون صوم الحمقى وسهرهم ! ولذرة من ذوي يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغتربين . ولذلك قال بعض العلماء كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم . والمفطر الصائم هو الذي يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب ، والصائم المفطر هو الذي يجوع ويعطش ويطلق جوارحه . ومن فهم معنى الصوم وسره علم أن مثل من كف عن الأكل والجماع وأفطر بمخالطة الآثام كمن مسح على عضو من أعضائه في الوضوء ثلاث مرات فقد وافق في الظاهر العدد إلا أنه ترك المهم وهو الغسل فصلاته مردودة عليه بجهله ، ومثل من أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل أعضاؤه مرة مرة فصلاته متقبلة إن شاء الله لإحكامه الأصل وإن ترك الفضل . ومثل من جمع بينهما كمن غسل كل عضو ثلاث مرات فجمع بين الأصل والفضل وهو الكمال . وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته [1] » ، ولما تلا قوله عز وجل (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) وضع يده على سمعه وبصره فقال : السمع أمانة والبصر أمانة [2] » ، ولولا أنه من أمانات الصوم لما قال صلى الله عليه وسلم « فليقل إني صائم » أي إني أودعت لساني لأحفظه فكيف أطلقه بجوابك ؟ فإذن قد ظهر أن لكل عبادة ظاهرا وباطنا

---

(١) حديث « إنما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته » أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود في حديث في الأمانة والصوم وإسناده حسن (٢) حديث « لما تلا قوله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) وضع يده على سمعه وبصره وقال السمع أمانة والبصر أمانة » أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة دون قوله « السمع أمانة »

وقشرا ولبا ولقشرها درجات ولكل درجة طبقات . فإليك الخيرة الآن فى ان تقنع بالقشر عن اللباب أو تتحيز إلى غمار أرباب الألباب .

الفصل الثالث : فى التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه

اعلم أن استحباب الصوم يتأكد فى الأيام الفاضلة وفواضل الأيام بعضها يوجد فى كل سنة وبعضها يوجد فى كل شهر وبعضها فى كل أسبوع . أما فى السنة بعد أيام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء والعشر الأول من ذى الحجة والعشر الأول من المحرم . وجميع الأشهر الحرم مظان الصوم وهى أوقات فاضلة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر صوم شعبان حتى كان يظن أنه فى رمضان [1] ، وفى الخبر « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم [2] » . لأنه ابتداء السنة فبناؤها على الخير أحب وأرجى لدوام بركته . وقال صلى الله عليه وسلم « صوم يوم من شهر حرام أفضل من ثلاثين من غيره وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلاثين من شهر حرام [3] » وفى الحديث « من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله له بكل يوم عبادة تسعمائة عام [4] » وفى الخبر : إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان [5] ولهذا يستحب أن يفطر قبل رمضان أياما فإن وصل شعبان برمضان فجائز [6] فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة وفصل مرارا كثيرة [7] ولا يجوز أن يقصد استقبال رمضان بيومين أو ثلاثة إلا أن يوافق وردا له وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حتى لا يضاهى بشهر رمضان . فالأشهر الفاضلة : ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان . والأشهر الحرم : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ، واحد فرد وثلاثة سرد . وأفضلها ذو الحجة لأن فيه الحج والأيام المعلومات والمعدودات . وذو القعدة من الأشهر الحرم وهو من أشهر الحج ، وشوال من أشهر الحج وليس من الحرم ، والمحرم ورجب ليسا من أشهر الحج . وفى الخبر « ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب إلى الله عز وجل من أيام عشر ذى الحجة إن صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه تعدل قيام ليلة القدر » قيل : ولا الجهاد فى سبيل الله تعالى ، قال : ولا الجهاد فى سبيل الله عز وجل إلا من عقر جواده وأهريق دمه [8] » وأما ما يتكرر فى الشهر : فأول الشهر وأوسطه وآخره ، ووسطه الأيام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر . وأما فى الأسبوع : فالاثنين والخميس والجمعة فهذه هى الأيام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات لتضاعف أجورها ببركة هذه الأوقات . وأما صوم الدهر فإنه

---

(١) حديث « كان يكثر صيام شعبان .. الحديث » متفق عليه من حديث عائشة

(٢) حديث « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة (٣) حديث « صوم يوم من شهر حرام أفضل من صوم ثلاثين .. الحديث » لم أجده هكذا وفى المعجم الصغير للطبرانى من حديث ابن عباس « من صام يوما من المحرم فله بكل يوم ثلاثون يوما » (٤) حديث « من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت .. الحديث » أخرجه الأزدى فى الضعفاء من حديث أنس (٥) حديث « إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان » أخرجه الأربعة من حديث أبى هريرة وابن حبان فى صحيحه عنه « إذا كان النصف من شعبان فأفطروا حتى يجىء رمضان » وصححه الترمذى (٦) حديث « وصل شعبان برمضان مرة » أخرجه الأربعة من حديث أم سلمة « لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما إلا شعبان يصله برمضان » وأخرج أبو داود والنسائى نحوه من حديث عائشة (٧) حديث « فصل شعبان من رمضان مرارا » أخرجه أبو داود من حديث عائشة قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحفظ من هلال شعبان مالا يتحفظ من غيره فإن غم عليه عد ثلاثين يوما ثم صام » وأخرجه الدارقطنى وقال إسناده صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين (٨) حديث « ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب إلى الله من عشر ذى الحجة .. الحديث » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة دون قوله « قيل ولا الجهاد الخ وعند البخارى من حديث ابن عباس « ما العمل فى أيام أفضل من العمل فى هذا العشر قالوا ولا الجهاد قال ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشىء »

شامل للكل وزيادة وللسالكين فيه طرق فمنهم من كره ذلك إذ وردت أخبار تدل على كراهته . والصحيح أنه إنما يكره لشيئين ؛ أحدهما : أن لا يفطر فى العيدين وأيام التشريق فهو الدهر كله [١] والآخر أن يرغب عن السنة فى الإفطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه مع أن الله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه . فإذا لم يكن شىء من ذلك ورأى صلاح نفسه فى صوم الدهر فليفعل ذلك . فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم . وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو موسى الأشعرى « من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين [٢] » ومعناه لم يكن له فيها موضع ، ودونه درجة أخرى وهو صوم نصف الدهر بأن يصوم يوما ويفطر يوما وذلك أشد على النفس وأقوى فى قهرها ، وقد ورد فى فضله أخبار كثيرة لأن العبد فيه بين صوم يوم وشكر يوم فقد قال صلى الله عليه وسلم « عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الأرض فرددتها وقلت أجوع يوما وأشبع يوما أحمدك إذا شبعت وأتضرع إليك إذا جعت [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصيام صوم أخى داود كان يصوم ويفطر يوما [٤] » ومن ذلك « منازلته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو رضى الله عنهما فى الصوم وهو يقول ؛ إنى أطيق أكثر من ذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم : صم يوما وأفطر يوما ، فقال : إنى أريد أفضل من ذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم : لا أفضل من ذلك [٥] » وقد روى « أنه صلى الله عليه وسلم ما صام شهرا كاملا قط إلا رمضان [٦] » بل كان يفطر منه ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس بثلثه وهو أن يصوم ويفطر يومين . وإذا صام ثلاثة من من أول الشهر وثلاثة من الوسط وثلاثة من الآخر فهو ثلث ، وواقع فى الأوقات الفاضلة . وإن صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث . وإذا ظهرت أوقات الفضيلة فالكمال فى أن يفهم الإنسان معنى الصوم وأن مقصوده تصفية القلب وتفريغ الهم لله عز وجل . والفقيه بدقائق الباطن ينظر إلى أحواله فقد يقتضى حاله دوام الصوم وقد يقتضى دوام الفطر وقد يقتضى مزج الإفطار بالصوم . وإذا فهم المعنى وتحقق حده فى سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا . ولذلك روى أنه صلى الله عليه وسلم « كان يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم وينام حتى يقال لا يقوم ويقوم حتى يقال لا ينام [٧] » وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الأوقات . وقد كره العلماء أن يوالى بين الإفطار أكثر من أربعة أيام تقديرا بيوم العيد وأيام التشريق وذكروا أن ذلك يقسى القلب ويولد ردىء العادات ويفتح أبواب الشهوات ولعمرى هو كذلك فى حق أكثر الخلق لاسيما من يأكل فى اليوم والليل مرتين . فهذا ما أردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوع به والله أعلم بالصواب .

تم كتاب : أسرار الصوم ، والحمد لله بجميع محامده كلها ما علمنا منها وما لم نعلم على جميع نعمه كلها ما علمنا منها

---

(١) الأحاديث الدالة على كراهة صيام الدهر أخرجها البخارى ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو وفى حديث لابن ماجه « لا صام من صام الأبد » ولمسلم من حديث أبى قتادة « قيل يارسول الله كيف من صام الدهر قال لا صام ولا أفطر » وأخرج النسائى نحوه من حديث عبد الله بن عمر وعمران بن حصين وعبد الله بن الشخير

(٢) حديث أبى موسى الأشعرى « من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم هكذا وعقد تسعين » أخرجه أحمد والنسائى فى الكبرى وابن حبان وحسنه أبو على الطوسى (٣) حديث « عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا .. الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أبى أمامة بلفظ « عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا » وقال حسن (٤) حديث « أفضل الصيام صوم أخى داود .. الحديث » أخرجاه من حديث عبد الله بن عمر (٥) حديث « منازلته لعبد الله بن عمر وقوله : صم يوما وأفطر يوما .. الحديث » أخرجاه من حديثه (٦) حديث « ما صام شهرا كاملا قط إلا رمضان » أخرجاه من حديث عائشة

(٧) حديث « كان صوم حتى لا يقال لا يفطر .. الحديث » أخرجاه من حديث عائشة وابن عباس دون ذكر « القيام والنوم » والبخارى من حديث أنس « كان يفطر من الشهر حتى يظن أن لا يصوم منه شيئا ويصوم حتى يظن أن لا يفطر منه شيئا وكان لا تشاء تراه من الليل مصليا إلا رأيته ولا نائما إلا رأيته »

وما لم نعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وكرم وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب : أسرار الحج ، والله المعين لارب غيره وما توفيق إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل .

كتاب أسرار الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا . وجعل البيت العتيق مثابة للناس وأمنا ، وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشريفا وتحصينا ومنا ، وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد وبين العذاب وجنا ، والصلاة على محمد نبى الرحمة وسيد الأمة وعلى آله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم تسليما كثيرا . أما بعد : فإن الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الأمر وتمام الإسلام وكمال الدين . فيه أنزل الله عز وجل (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) وفيه قال صلى الله عليه وسلم « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا[1] » فأعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال ويساوى تاركها اليهود والنصارى فى الضلال ، وأحدر بها أن تصرف العناية إلى شرحها وتفصيل أركانها وسننها وآدابها وفضائلها وأسرارها . وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله عز وجل فى ثلاثة أبواب :

الباب الأول : فى فضائلها وفضائل مكة والبيت العتيق وجمل أركانها وشرائط وجوبها .

الباب الثانى : فى أعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدإ السفر إلى الرجوع .

الباب الثالث : فى آدابها الدقيقة وأسرارها الخفية وأعمالها الباطنة . فلنبدأ بالباب الأول وفيه فصلان :

الفصل الأول : فى فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى وشد الرحال إلى المساجد

فضيلة الحج

قال الله عز وجل (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) وقال قتادة لما أمر الله عز وجل إبراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وعلى كل عبد مصطفى أن يؤذن فى الناس بالحج نادى : يا أيها الناس إن الله عز وجل بنى بيتا فحجوه وقال تعالى (ليشهدوا منافع لهم) قيل التجارة فى الموسم والأجر فى الآخرة . ولما سمع بعض السلف هذا قال : غفر لهم ورب الكعبة . وقيل فى تفسير قوله عز وجل (لأقعدن لهم صراطك المستقيم) أى طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس منها وقال صلى الله عليه وسلم « من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه[2] » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « ماروى

كتاب أسرار الحج

(١) حديث « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا » أخرجه ابن عدى من حديث أبى هريرة والترمذى نحوه من حديث على وقال غريب وفى إسناده مقال

(٢) حديث « من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » أخرجاه من حديث أبى هريرة

الشيطان فى يوم اصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة [١] ، وما ذلك إلا لما يرى من نزول الرحمة وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب العظام إذ يقال « إن من الذنوب ذنوبا لايكفرها إلا الوقوف بعرفة [٢] » وقد أسنده جعفر بن محمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر بعض المكاشفين من المقربين أن إبليس لعنه الله عليه ظهر له فى صورة شخص بعرفة فاذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكى العين مقصوف الظهر فقال له : ما الذى أبكى عينك ؟ قال : خروج الحاج إليه بلا تجارة ، أقول قد قصدوه أخاف أن لايخيبهم فيحزننى ذلك قال : فما الذى أنحل جسمك ؟ قال : صهيل الخيل فى سبيل الله عز وجل ولو كانت فى سبيلى كان أحب إلى ، قال : فما الذى غير لونك ؟ قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية كان أحب إلى ، قال : فما الذى قصف ظهرك ؟ قال : قول العبد أسألك حسن الخاتمة ، أقول يا ويلتى متى يعجب هذا بعمله أخاف أن يكون قد فطن ؟ وقال صلى الله عليه وسلم « من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجرى له أجر الحاج المعتمر إلى يوم القيامة ومن مات فى أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « الحجاج والعمار وفد الله عز وجل وزواره إن سألوه أعطاهم وإن استغفروه غفر لهم وإن دعوا استجيب لهم وإن شفعوا شفعوا [٥] » وفى حديث مسند من طريق أهل البيت عليهم السلام « أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله تعالى لم يغفر له [٦] » وروى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « ينزل على هذا البيت فى كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين [٧] » وفى الخبر « استكثروا من الطواف بالبيت فإنه من أجل شىء تجدونه فى صحفكم يوم القيامة وأغبط عمل تجدونه [٨] » ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة وفى الخبر « من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا فى المطر غفر له ما سلف من ذنبه [٩] » ويقال : إن الله عزوجل إذا غفر لعبد ذنبا فى الموقف عفره لكل من أصابه فى ذلك الموقف . وقال بعض السلف : إذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل أهل عرفة وهو أفضل

---

(١) حديث « ما رؤى الشيطان فى يوم هو أصغر .. الحديث » أخرجه مالك عن إبراهيم بن أبى عبلة عن طلحة بن عبد الله بن كريز مرسلا (٢) حديث « من الذنوب ذنوب لايكفرها إلا الوقوف بعرفة » لم أجد له أصلا

(٣) حديث « من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجرى الله له أجر الحاج المعتمر إلى يوم القيامة ومن مات فى أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له أدخل الجنة » أخرجه البيهقى فى الشعب بالشطر الأول من حديث أبى هريرة . وروى هو والدارقطنى من حديث عائشة الشطر الثانى نحوه وكلاهما ضعيف (٤) حديث « حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة » أخرجاه من حديث أبى هريرة الشطر الثانى بلفظ « الحج المبرور » وقال « إن الحجة المبرورة » وعند ابن عدى « حجة مبرورة » (٥) حديث « الحجاج والعمار وفد الله وزواره » الحديث » أخرجه من حديث أبى هريرة دون قوله « وزواره » ودون قوله « إن سألوه أعطاهم وإن شفعوا شفعوا » وله من حديث ابن عمر « وسألوه فأعطاهم » ورواه ابن حبان (٦) حديث « أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له » أخرجه الخطيب فى المتفق والمفترق وأبو منصور شهر دار بن شيرويه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر باسناد ضعيف (٧) حديث « ينزل على هذا البيت فى كل يوم مائة وعشرون رحمة » أخرجه ابن حبان فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بإسناد حسن وقال أبو حاتم حديث منكر (٨) حديث « استكثروا من الطواف بالبيت . الحديث » أخرجه ابن حبان والحاكم من حديث ابن عمر « استمتعوا من هذا البيت فإنه هدم مرتين ويرفع فى الثالثة » وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين .

(٩) حديث « من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا فى المطر غفر له ما سلف من ذنوبه » لم أجده هكذا وعند الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر « من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة » لفظ الترمذى وحسنه .

يوم فى الدنيا ، وفيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان واقفا إذ نزل قوله عز وجل (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) [1] ، قال أهل الكتاب . لو أنزلت هذه الآية علينا لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضى الله عنه : أشهد لقد نزلت هذه الآية فى يوم عيدين اثنين ؛ يوم عرفة ويوم جمعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة . وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج [2] » ويروى أن على بن موفق حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حججا قال : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى : يا ابن موفق حججب عنى ؟ قلت : نعم ، قال : ولبيت عنى ؟ قلت : نعم . قال : فإنى أكافئك بها يوم القيامة آخذ بيدك فى الموقف فأدخلك الجنة والخلائق فى كرب الحساب . وقال مجاهد وغيره من العلماء : إن الحجاج إذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الإبل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا . وقال الحسن : من مات عقيب رمضان أو عقيب غزو أو عقيب حج مات شهيدا . وقال عمر رضى الله عنه : الحاج مغفور له ولمن يستغفر له فى شهر ذى الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الأول . وقد كان من سنة السلف رضى الله عنهم أن يشيعوا الغزاة وأن يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألوهم الدعاء ويبادرون ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام . ويروى عن على بن موفق قال : حججت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمنى فى مسجد الخيف فرأيت فى المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى أحدهما صاحبه : يا عبد الله فقال الآخر : لبيك يا عبد الله ، قال : تدرى كم حج بيت ربنا عز وجل فى هذه السنة ؟ قال : لا أدرى قال : حج بيت ربنا ستمائة ألف أفتدرى كم قبل منهم ؟ قال : لا ، قال : ستة أنفس ، قال : ثم ارتفعا فى الهواء فغابا عنى فانتبهت فزعا واغتممت غما شديدا وأهمنى أمرى فقلت : إذا قبل حج ستة أنفس فأين أكون أنا فى ستة أنفس ؟ فلما أفضت من عرفة قمت عند المشعر الحرام فجعلت أفكر فى كثرة الخلق وفى قلة من قبل منهم ؛ فحملنى النوم فإذا الشخصان قد نزلا على هيئتهما ؛ فنادى أحدهما صاحبه واعاد الكلام بعينه ثم قال : أتدرى ماذا حكم ربنا عزوجل فى هذه الليلة ؟ قال : لا ، قال : فإنه وهب لكل واحد من الستة مائة ألف ، قال : فانتبهت وبى من السرور ما يجل عن الوصف . وعنه أيضا رضى الله عنه قال : حججت سنة فلما قضيت مناسكى تفكرت فيمن لا يقبل حجه فقلت : اللهم إنى قد وهبت حجتى وجعلت ثوابها لمن لم تقبل حجته قال : فرأيت رب العزة فى النوم جل جلاله فقال لى : يا على تسخى على وأنا خلقت السخاء والأسخياء وأنا أجود الأجودين وأكرم الأكرمين وأحق بالجود والكرم من العالمين قد وهبت كل من لم أقبل حجه لمن قبلته .

فضيلة البيت ومكة المشرفة

قال صلى الله عليه وسلم « إن الله عزوجل قد وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة ألف فإن نقصوا أكملهم الله عزوجل من الملائكة [3] » وإن الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها يتعلق بأستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفى الخبر « إن الحجر الأسود ياقوتة من يواقيت الجنة وإنه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق

(١) حديث « وقوفه فى حجة الوداع يوم الجمعة ونزول (اليوم أكملت لكم دينكم) الحديث » أخرجاه من حديث عمر

(٢) حديث « اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج » أخرجه الحاكم من حديث أبى هريرة وقال صحيح على شرط مسلم

(٣) حديث « إن الله قد وعد هذا البيت أن يحجه فى كل سنة ستمائة ألف .. الحديث » لم أجد له أصلا

به يشهد لكل من استلمه بحق وصدق [١] ، وكان صلى الله عليه وسلم يقبله كثيرا [٢] وروى أنه صلى الله عليه وسلم سجد عليه وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن [٣] وقبله عمر رضى الله عنه ثم قال: إنى لأعلم أنك حجر لاتضر ولاتنفع [٤] ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ماقبلتك ، ثم بكى حتى علا نشيجه فالتفت إلى ورائه فرأى عليا كرم الله وجهه ورضى الله عنه فقال : يا أبا الحسن ههنا تسكب العبرات وتستجاب الدعوات ، فقال على رضى الله عنه : ياأمير المؤمنين بل هو يضر وينفع ، قال : وكيف ؟ قال :إن الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم القمه هذا الحجر ؛ فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود . قيل : فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام « اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك . وروى عن الحسن البصرى رضى الله عنه : انّ صوم يوم فيها بمائة ألف يوم وصدقة درهم بمائة ألف درهم وكذلك كل حسنة بمائة ألف ويقال : طواف سبعة أسابيع يعدل عمرة وثلاث عمر تعدل حجة . وفى الخبر الصحيح « عمرة فى رمضان كحجة معى [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « انا أول من تنشق عنه الأرض ثم آتى أهل البقيع فيحشرون معى ثم آتى أهل مكة فأحشر بين الحرمين [٦] » وفى الخبر « إنّ آدم صلى الله عليه وسلم لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا : بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام [٧] » وجاء فى الأثر : إنّ الله عزوجل ينظر فى كل ليلة إلى أهل الأرض فأول من ينظر إليه أهل الحرم وأول من ينظر إليه من أهل الحرم أهل المسجد الحرام فمن رآه طائفا غفر له ومن رآه مصليا غفر له ومن رآه قائما مستقبل الكعبة غفر له . وكوشف بعض الأولياء رضى الله عنهم قال: إنى رأيت الثغور كلها تسجد لعبادان ورأيت عبادان ساجدة لحدّة . ويقال : لاتغرب الشمس من يوم إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال ، ولايطلع الفجر من ليلة إلا طاف به واحد من الأوتاد ، وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لايرى الناس لها اثرا ، وهذا إذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد . ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فإذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ، ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس إلى الأشعار والأغانى واخبار الجاهلية . ثم يخرج الدجال وينزل عيسى عليه السلام فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب التى تتوقع ولادتها . وفى الخبر « استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع فقد هدم مرتين ويرفع فى الثالثة [٨] » وروى عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : قال

---

(١) حديث « إن الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة ويبعث يوم القيامة له عينان . الحديث » أخرجه الترمذى وصححه النسائى من حديث ابن عباس « الحجر الأسود من الجنة » لفظ النسائى وباقى الحديث رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصحح إسناده من حديث ابن عباس أيضا وللحاكم من حديث أنس « إن الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة » وصحح إسناده ورواه النسائى وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو .

(٢) حديث « أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبله كثيرا » أخرجاه من حديث عمر دون قوله « كثيرا » والنسائى « أنه كان يقبله كل مرة ثلاثا ان رآه خاليا » (٣) حديث « إنه كان يسجد عليه » أخرجه البزار والحاكم من حديث عمر وصحح إسناده .

(٤) « قبله عمر وقال إنى لاعلم أنك حجر » أخرجاه دون الزيادة التى رواها على ورواه بتلك الزيادة الحاكم وقال ليس من شرط الشيخين (٥) حديث « عمرة فى رمضان كحجة معى » أخرجاه من حديث ابن عباس دون قوله « معى » فهى عند مسلم على الشك « تقضى حجة أو حجة معى » ورواه الحاكم بزيادتها من غير شك (٦) حديث « أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم آتى أهل البقيع فيحصرون معى .. الحديث » أخرجه الترمذى وحسنه ابن حبان من حديث ابن عمر

(٧) حديث « إن آدم لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم .. الحديث » رواه المفضل الجعدى ومن طريقه ابن الجوزى فى العلل من حديث ابن عباس وقال لا يصح ورواه الأزرقى فى تاريخ مكة موقوفا على ابن عباس

(٨) حديث « استكثروا من الطواف بهذا البيت .. الحديث » أخرجه البزار وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن عمر « استمتعوا من هذا البيت فانه هدم مرتين ويرفع فى الثالثة »

الله تعالى « إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتي فخربته ثم أخرب الدنيا على أثره [١] » .

فضيلة المقام بمكة حرسها الله تعالى وكراهيته

كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لمعان ثلاثة (الأول) خوف التبرم والأنس بالبيت ، فإنّ ذلك ربما يؤثر فى تسكين حرقة القلب فى الاحترام ، وهكذا كان عمر رضى الله عنه يضرب الحجاج إذا حجوا ويقول : ياأهل اليمن يمنكم ويا أهل الشام شامكم ويا أهل العراق عراقكم . ولذلك هم عمر رضى الله عنه بمنع الناس من كثرة الطواف ، وقال : خشيت أن يأنس الناس بهذا البيت (الثانى) تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العودة فإنّ الله تعالى جعل البيت مثابة للناس وأمنا أى يثوبون ويعودون إليه مرة بعد أخرى ولا يقضون منه وطرا . وقال بعضهم تكون فى بلد وقلبك مشتاق إلى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه وأنت متبرم بالمقام وقلبك فى بلد آخر . وقال بعض السلف : كم من رجل بخراسان وهو أقرب إلى هذا البيت ممن يطوف به ؟ ويقال : إنّ لله تعالى عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا إلى الله عزوجل (الثالث) الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها ، فإنّ ذلك مخطر وبالحرى أن يورث مقت الله عز وجل لشرف الموضع . وروى عن وهيب بن الورد المكى قال : كنت ذات ليلة فى الحجر أصلى فسمعت كلاما بين الكعبة والأستار يقول إلى الله أشكو ثم إليك ياجبرائيل ماألقى من الطائفين حولى من تفكرهم فى الحديث ولغوهم ولهوهم لئن لم ينتهوا عن ذلك لأنتفضن انتفاضة يرجع كل حجر منى إلى الجبل الذى قطع منه . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : مامن بلد يؤاخذ فيه العبد بالنية قبل العمل إلا مكة وتلا قوله تعالى ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ أى أنه على مجرد الإرادة . ويقال : إنّ السيئات تضاعف بها كما تضاعف الحسنات . وكان ابن عباس رضى الله عنه يقول : الاحتكار بمكة من الإلحاد فى الحرم ، وقيل : الكذب أيضا وقال ابن عباس : لأن أذنب سبعين ذنبا بركية أحب إلى من أن أذنب ذنبا واحدا بمكة . وركية منزل بين مكة والطائف . والخوف ذلك انتهى بعض المقيمين إلى أن لم يقض حاجته فى الحرم بل كان يخرج إلى الحل عند قضاء الحاجة . وبعضهم أقام شهرا وما وضع جنبه على الأرض . وللمنع من الإقامة كره بعض العلماء أجور دور مكة . ولاتظنن أنّ كراهة المقام يناقض فضل البقعة لأنّ هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع فمعنى قولنا إنّ ترك المقام به أفضل أى بالإضافة إلى مقام مع التقصير والتبرم ، أما أن يكون أفضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيهات ! وكيف لا ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة استقبل الكعبة وقال « إنك لخير أرض الله عزوجل وأحب بلاد الله تعالى إلى ولولا أنى أخرجت منك لما خرجت [٢] » وكيف لا والنظر إلى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناه .

فضيلة المدينة الشريفة على سائر البلاد

ما بعد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالأعمال فيها أيضا مضاعفة قال صلى الله عليه وسلم « صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام [٣] » وكذلك كل عمل بالمدينة بألف

---

(١) حديث « قال الله إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتى فخربته ثم أخرب الدنيا على أثره » ليس له أصل

(٢) حديث « إنك لخير أرض الله وأحب بلاد الله إلى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت » أخرجه الترمذى وصححه النسائى فى الكبرى وابن ماجه وابن حبان من حديث عبد الله بن عدى بن الحمراء (٢) حديث « صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » متفق عليه من حديث أبى هريرة ورواه مسلم من حديث ابن عمر

وبعد مدينته الأرض المقدسة فإن الصلاة فيها بخمسمائة صلاة فيما سواها إلا المسجد الحرام ، وكذلك سائر الأعمال . وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « صلاة فى مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة فى المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة [١] » وقال صلى الله عليه وسلم « من صبر على شدتها ولأوائها كنت له شفيعا يوم القيامة [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فإنه لن يموت بها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة [٣] » وما بعد هذه البقاع الثلاث فالمواضع فيها متساوية إلا الثغور فإن المقام بها للمرابطة فيها فيه فضل عظيم . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى [٤] » وقد ذهب بعض العلماء إلى الاستدلال بهذا الحديث فى المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء . وما تبين لى أن الأمر كذلك بل الزيارة مأمور بها قال صلى الله عليه وسلم « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا [٥] » والحديث إنما ورد فى المساجد وليس فى معناها المشاهد ، لأن المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة ولا بلد إلا وفيه مسجد فلا معنى للرحلة إلى مسجد آخر ، وأما المشاهد فلا تتساوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله عز وجل ، نعم لو كان فى موضع لامسجد فيه فله أن يشد الرحال إلى موضع فيه مسجد وينتقل إليه بالكلية إن شاء ثم ليت شعرى هل يمنع هذا القائل من شد الرحال إلى قبور الأنبياء عليهم السلام مثل إبراهيم وموسى ويحيى وغيرهم عليهم السلام، فالمنع من ذلك فى غاية الإحالة ، فإذا جوز هذا فقبور الأولياء والعلماء والصلحاء فى معناها ، فلا يبعد أن يكون ذلك من أغراض الرحلة كما أن زيارة العلماء فى الحياة من المقاصد ؛ هذا فى الرحلة . أما المقام فالأولى بالمريد أن يلازم مكانه إذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله فى وطنه ؛ فإن لم يسلم فيطلب من المواضع ماهو أقرب إلى الخمول وأسلم للدين وأفرغ للقلب وأيسر للعبادة فهو أفضل المواضع له ، قال صلى الله عليه وسلم « البلاد بلاد الله عز وجل والخلق عباده فأى موضع رأيت فيه رفقا فأقم واحمد الله تعالى [٦] » وفى الخبر « من بورك له فى شىء فليلزمه ومن جعلت معيشته فى شىء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه [٧] » وقال أبو نعيم : رأيت سفيان الثورى وقد جعل جرابه على كتفه وأخذ نعلبه بيده فقلت : إلى أين يا أبا عبد الله ؟ قال : إلى بلد أملأ فيه جرابى بدرهم . وفى حكاية أخرى بلغنى عن قرية فيها رخص أقيم فيها ، قال فقلت : وتفعل هذا يا أبا عبد الله ؟ فقال : نعم إذا سمعت برخص فى بلد فاقصده فإنه أسلم لدينك وأقل لهمك ، وكان يقول هذا زمان سوء لايؤمن فيه على الخاملين فكيف

---

(١) حديث ابن عباس « صلاة فى مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة فى المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة » غريب لم أجده بجملته هكذا وأخرجه ابن ماجه من حديث ميمونة باسناد جيد فى بيت المقدس « ائتوه فصلوا فيه فان الصلاة فيه كألف صلاة فى غيره » ولابن ماجه من حديث أنس « صلاة بالمسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة وصلاة فى مسجدى بخمسين الف صلاة » وليس فى إسناده من ضعف وقال الذهبى إنه منكر

(٢) حديث « لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة » من حديث أبى هريرة وابن عمر وأبى سعيد

(٣) حديث « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها . . الحديث » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر قال الترمذى حسن صحيح (٤) حديث « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد . . الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد (٥) حديث « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » أخرجه مسلم من حديث بريدة بن الحصيب

(٦) حديث « البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فأى موضع رأيت فيه رفقا فأقم » أخرجه أحمد والطبرانى من حديث الزبير بسند ضعيف (٧) حديث « من ورق فى شىء فليلزمه ومن جعلت معيشته فى شىء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه » أخرجه ابن ماجه من حديث أنس بالجملة الأولى بسند حسن ومن حديث عائشة بسند فيه جهالة بلفظ « إذا سبب الله لأحدكم ورقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير أو يتنكر له »

بالمشهورين ؟ هذا زمان تنقل يتنقل الرحل من قرية إلى قرية يفرّ بدينه من الفتن . ويحكى عنه أنه قال : والله ما أدرى أى البلاد أسكن ؟ فقيل له : خراسان ، فقال : مذاهب مختلفة وآراء فاسدة ، قيل : فالشام ، قال : يشار إليك بالأصابع ـ أراد الشهرة ـ قيل؟ فالعراق ، قال : بلد الجبابرة ، قيل: مكة ، قال : مكة تديب الكيس والبدن . وقال له رجل غريب : عزمت على المجاورة بمكة فأوصنى ، قال : أوصيك بثلاث : لاتصلين فى الصف الأول ولاتصحبن قرشيا ولا تظهرن صدقة . وإنما كره الصف الأول لأنه يشتهر فيفتقد إذا غاب فيختلط بعمله التزين والتصنع .

الفصل الثانى : فى شروط وجوب الحج وصحة أركانه وواجباته ومحظوراته

أما الشرائط فشرط صحة الحج اثنان : الوقت والإسلام . فيصح حج الصبى ويحرم بنفسه إن كان مميزا ويحرم عنه وليه إن كان صغيرا ويفعل به ما يفعل فى الحج من الطواف والسعى وغيره . وأما الوقت فهو شوّال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر ، فمن أحرم بالحج فى غير هذه المدّة فهى عمرة وجميع السنة وقت العمرة ، ولكن من كان معكوفا على النسك ايام منى فلاينبغى أن يحرم بالعمرة لأنه لايتمكن من الاشتغال عقيبه لاشتغاله بأعمال منى . وأما شروط وقوعه عن حجة الإسلام فخمسة : الإسلام والحرّية والبلوغ والعقل والوقت ، فإن أحرم الصبى أو العبد ولكن عتق العبد وبلغ الصبى بعرفة أو بمزدلفة وعاد إلى عرفة قبل طلوع الفجر أجزأهما عن حجة الإسلام ، لأنّ الحج عرفة ، وليس عليهما دم إلاشاة . وتشترط هذه الشرائط فى وقوع العمرة عن فرض الإسلام إلا الوقت . وأما شروط وقوع الحج نفلا عن الحر البالغ فهو بعد براءة ذمته عن حجة الإسلام فحج الإسلام متقدّم ، ثم القضاء لمن أفسده فى حالة الوقوف ؛ ثم النذر ، ثم النيابة ، ثم النفل ؛ وهذا الترتيب مستحق ، وكذلك يقع وإن نوى خلافه . وأما شروط لزوم الحج فخمسة : البلوغ والإسلام والعقل والحرّية والاستطاعة ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ومن أراد دخول مكة لزيارة أو تجارة ولم يكن حطابا لزمه الإحرام على قول ثم يتحلل بعمل عمرة أو حج ، وأما الاستطاعة فنوعان : أحدهما المباشرة وذلك له أسباب أما فى نفسه فبالصحة ، وأما فى الطريق فبأن تكون خصبة آمنة بلا بحر مخطر ولا عدوّ قاهر ، وأما فى المال فبأن يجد نفقة ذهابه وإيابه إلى وطنه ـ كان له أهل أو لم يكن ـ لأن مفارقة الوطن شديدة وأن يملك نفقة من تلزمه نفقته فى هذه المدّة وأن يملك مايقضى به ديونه وأن يقدر على راحلة أو كرائها بمحمل أو زاملة إن استمسك على الزاملة وأما النوع الثانى : فاستطاعة المعضوب بماله وهو أن يستأجر من يحج عنه بعد فراغ الأجير عن حجة الإسلام لنفسه . ويكفى نفقة الذهاب بزاملة فى هذا النوع ، والابن إذا عرض طاعته على الأب الزمن صار به مستطيعا ولو عرض ماله لم يصر به مستطيعا ؛ لأن الخدمة بالبدن فيها شرف للولد ، وبذل المال فيه منة على الوالد . ومن استطاع لزمه الحج وله التأخير ولكنه فيه على خطر فإن تيسر له ولو فى آخر عمره سقط عنه ؟ وإن مات قبل الحج لقى الله عز وجل عاصيا بترك الحج ، وكان الحج فى تركته يحج عنه وإن لم يوص كسائر ديونه . وإن استطاع فى سنة فلم يخرج مع الناس وهلك ماله فى تلك السنة ـ قبل حج الناس ـ ثم مات لقى الله عز وجل ولا حج عليه . ومن مات ولم يحج مع اليسار فأمره شديد عند الله تعالى . قال عمر رضى الله عنه : لقد هممت أن أكتب فى الأمصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع إليه سبيلا . وعن سعيد بن جبير وإبراهيم النخعى ومجاهد وطاوس: لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ماصليت عليه وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه . وكان ابن عباس يقول : من مات ولم يزك ولم يحج سأل الرجعة إلى الدنيا وقرأ قوله عز وجل ﴿رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت﴾ قال :

الحج وأما الأركان التى لايصح الحج بدونها فخمسة : الإحرام والطواف والسعى بعده والوقوف بعرفة والحلق بعده على قول وأركان العمرة كذلك إلا الوقوف والواجبات المجبورة بالدم ست: الإحرام من الميقات فمن تركه وجاوز الميقات محلا فعليه شاة والرمى فيه الدم قولا واحدا ، وأما الصبر بعرفة إلى غروب الشمس والمبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وطواف الوداع فهذه الأربعة يجبر تركها بالدم على أحد القولين ، وفى القول الثانى فيها دم على وجه الاستحباب . وأما وجوه أداء الحج والعمرة فثلاثة (الأول) الإفراد وهو الأفضل وذلك أن يقدم الحج وحده فإذا فرغ خرج إلى الحل فأحرم واعتمر . وأفضل الحل لإحرام العمرة الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية . وليس على المفرد دم إلا أن يتطوع (الثانى) القران وهو أن يجمع فيقول « لبيك بحجة وعمرة معا » فيصير محرما بهما ويكفيه أعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الغسل ؛ إلا أنه إذا طاف وسعى قبل الوقوف بعرفة فسعيه محسوب من النسكين وأما طوافه فغير محسوب ، لأن شرط الطواف الفرض فى الحج أن يقع بعد الوقوف . وعلى القارن دم شاة إلا أن يكون مكيا فلا شىء عليه لأنه لم يترك ميقاته إذ ميقاته مكة (الثالث) التمتع وهو أن يجاوز الميقات محرما بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات إلى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتعا إلا بخمس شرائط . أحدها أن لا يكون من حاضرى المسجد الحرام وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة . الثانى . أن يقدم العمرة على الحج . الثالث . أن تكون عمرته فى أشهر الحج . الرابع : أن لايرجع إلى ميقات الحج ولا إلى مثل مسافته لإحرام الحج . الخامس : أن يكون حجه وعمرته عن شخص واحد فإذا وجدت هذه الأوصاف كان متمتعاً ولزمه دم شاة ؛ فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج قبل يوم النحر متفرقة أو متتابعة وسبعة إذا رجع إلى الوطن ، وإن لم يصم الثلاثة حتى رجع إلى الوطن صام العشرة تتابعا أو متفرقا وبدل دم القران والتمتع سواء . والأفضل الإفراد ثم التمتع ثم القران . وأما محظورات الحج والعمرة فستة ؛ الأول : اللبس للقميص والسراويل والخف والعمامة بل ينبغى أن يلبس إزاراً ورداء ونعلين ، فإن لم يجد نعلين فكعبين فإن لم يجد إزاراً فسراويل ولا بأس بالمنطقة والاستظلال فى المحمل ولكن لاينبغى أن يغطى رأسه فإن إحرامه فى الرأس وللمرأة أن تلبس كل مخيط بعد أن لاتستر وجهها بما يماسه فإن إحرامها فى وجهها . الثانى الطيب فليجتنب كل ما يعده العقلاء طيبا فإن تطيب أو لبس فعليه دم شاة . الثالث : الحلق والقلم وفيهما الفدية أعنى دم شاة ، ولا بأس بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر ، الرابع : الجماع وهو مفسد قبل التحلل الأول وفيه بدنة أو بقرة أوسبع شياه وإن كان بعد التحلل الأول لزمه البدنة ولم يفسد حجه . والخامس : مقدمات الجماع كالقبلة والملامسة التى تنقض الطهر مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكذا فى الاستمناء ، ويحرم النكاح والإنكاح ولا دم فيه لأنه لاينعقد . السادس : قتل صيد البر أعنى مايؤكل أو هو متولد من الحلال والحرام فإن قتل صيدا فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب فى الخلقة وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه .

الباب الثانى فى ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر إلى الرجوع وهى عشر جمل

الجملة الأولى : فى السير من أول الخروج إلى الإحرام وهى ثمانية

(الأولى) فى المال : فينبغى أن يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع ويرد ماعنده من الودائع . ويستصحب من المال الحلال الطيب مايكفيه لذهابه وإيابه من غير

تقتير بل على وجه يمكنه معه التوسع فى الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء . ويتصدق بشىء قبل خروجه ويشترى لنفسه دابة قوية على الحمل لاتضعف أو يكتريها فإن اكترى فليظهر للمكارى كل مايريد أن يحمله من قليل أو كثير ويحصل رضاه فيه (الثانية) فى الرفيق : ينبغى أن يلتمس رفيقاً صالحاً محباً للخير معينا عليه إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه وإن جبن شجعه وإن عجز قواه وإن ضاق صدره صبره . ويودع رفقاءه المقيمين وإخوانه وجيرانه فيودعهم ويلتمس أدعيتهم فإن الله تعالى جاعل فى أدعيتهم خيرا والسنة فى الوداع أن يقول أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك [1] وكان صلى الله عليه وسلم يقول لمن أراد السفر « فى حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما كنت [2] » (الثالثة) فى الخروج من الدار : ينبغى إذا هم بالخروج أن يصلى ركعتين أولا يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة : قل يا أيها الكافرون وفى الثانية الإخلاص فإذا فرغ رفع يديه ودعا الله سبحانه عن إخلاص صاف ونية صادقة وقال : اللهم أنت الصاحب فى السفر وأنت الخليفة فى الأهل والمال والولد والأصحاب احفظنا وإياهم من كل آفة وعاهة . اللهم إنا نسألك فى مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى . اللهم إنا نسألك أن تطوى لنا الأرض وتهون علينا السفر وأن ترزقنا فى سفرنا سلامة البدن والدين والمال وتبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى الأهل والمال والولد والأصحاب . اللهم اجعلنا وإياهم فى جوارك ولا تسلبنا وإياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك (الرابعة) إذا حصل على باب الدار قال : بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أذل أو أذل أو أزل أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على . اللهم إنى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولاسمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا إلى لقائك . فإذا مشى قال : اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت وإليك توجهت . اللهم أنت ثقتى وأنت رجائى فاكفنى ما أهمنى وما لاأهتم به وما أنت أعلم به منى عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك . اللهم زودنى التقوى واغفرلى ذنبى ووجهنى للخير أينما توجهت . ويدعو بهذا الدعاء فى كل منزل يدخل عليه (الخامسة) فى الركوب . فإذا ركب الراحلة يقول : بسم الله وبالله والله أكبر توكلت على الله ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون . اللهم إنى وجهت وجهى إليك وفوضت أمرى كله إليك وتوكلت فى جميع أمورى عليك أنت حسبى ونعم الوكيل . فإذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ـ سبع مرات ـ وقال ﴿ الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لو أن هدانا الله ﴾ اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور (السادسة) فى النزول : والسنة أن لالا ينزل حتى يحمى النهار ويكون أكثر سيره بالليل قال صلى الله عليه وسلم « عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار [3] » وليقلل نومه بالليل حتى يكون

الباب الثانى ـ فى ترتيب الأفعال الظاهرة

(١) حديث « أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك » أخرجه الترمذى وصححه والنسائى من حديث ابن عمر « أنه كان يقول للرجل إذا أراد سفرا : أدن حتى أودعك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعنا »

(٢) حديث « كان صلى الله عليه وسلم يقول لمن أراد سفرا . فى حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وغفر الله ذنبك ووجهك للخير أينما توجهت » أخرجه الطبرانى فى الدعاء من حديث أنس وهو عند الترمذى وحسنه دون قوله «فى حفظ الله وكنفه»

(٣) حديث « عليكم بالدلجة فان الأرض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار » أخرجه أبو داود من حديث أنس دون قوله « مالاتطوى بالنهار » وهذه الزيادة فى الموطأ من حديث خالد بن معدان مرسلا

عونا على السير . ومهما أشرف على المنزل فليقل : اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شره وشر ما فيه اصرف عنى شر شرارهم . فإذا نزل المنزل صلى ركعتين فيه ثم قال : أعوذ بكلمات الله التامات التى لايجاوزهن بر ولا فاجر من شر ماخلق . فإذا جن عليه الليل يقول : يا أرض ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر مافيك وشر مادب عليك أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد ووالد وماولد ﴿ وله ماسكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم ﴾ (السابعة) فى الحراسة : ينبغى أن يحتاط بالنهار فلا يمشى منفردا خارج القافلة لأنه ربما يغتال أو ينقطع ، ويكون بالليل متحفظا عند النوم فإن نام فى ابتداء الليل افترش ذراعه ، وإن نام فى آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه فى كفه ، هكذا كان ينام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفره [1] لأنه ربما استثقل النوم فتطلع الشمس وهو لايدرى فيكون مايفوته من الصلاة أفضل مما يناله من الحج والأحب فى الليل أن يتناوب الرفيقان فى الحراسة فإذا نام أحدهما حرس الآخر [2] فهو السنة فإن قصده عدو أو سبع فى ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسى وشهد الله والإخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله ماشاء الله لاقوة إلا بالله حسبي الله توكلت على الله ماشاء الله لا يأتى بالخير إلا الله ما شاء الله لايصرف السوء إلا الله حسبى الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز ﴾ تحصنت بالله العظيم واستغثت بالحى الذى لا يموت اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام واكنفنا بركنك الذى لا يرام . اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا . اللهم أعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة إنك أنت أرحم الراحمين (الثامنة) مهما علا نشزا من الأرض فى الطريق فيستحب أن يكبر ثلاثا ثم يقول : اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال . ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة فى سفره قال : سبحان الله الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت .

الجملة الثانية : فى آداب الإحرام من الميقات إلى دخول مكة وهى خمسة

(الأول) أن يغتسل وينوى به غسل الإحرام أعنى إذا انتهى إلى الميقات المشهور الذى يحرم الناس منه . ويتمم غسله بالتنظيف ويسرح لحيته ورأسه وبقلم اظفاره ويقص شاربه ويستكمل النظافة التى ذكرناها فى الطهارة (الثانى) أن يفارق الثياب المخيطة ويلبس ثوبى الإحرام فيرتدى ويتزر بثوبين أبيضين فالأبيض هو أحب الثياب إلى الله عز وجل ، ويتطيب فى ثيابه وبدنه ولا بأس بطيب يبقى جرمه بعد الإحرام ؛ فقد رؤى بعض المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الإحرام مما كان استعمله قبل الإحرام [3] (الثالث) أن يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحلته إن كان راكبا أو يبدأ بالسير إن كان راجلا فعند ذلك ينوى الإحرام بالحج أو بالعمرة

---

(١) حديث « كان إذا نام فى أول الليل افترش ذراعه واذا نام فى آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل ذراعه فى كفه » أخرجه أحمد والترمذى فى الشمائل من حديث أبى قتادة باسناد صحيح وعزاه أبو مسعود الدمشقى والحميدى الى مسلم ولم أره فيه .

(٢) حديث « تناوب الرفيقين فى الحراسة فاذا نام أحدهما حرس الآخر » أخرجه البيهقى من طريق ابن اسحق من حديث جابر فى حديث فيه « فقال الأنصارى أى الليل أحب اليك أن أكفيكه أوله أو آخره ؟ وقال : بل اكفنى أوله فاضطجع المهاجرى .. الحديث » والحديث عند أبى داود ولكن ليس فيه قول الأنصارى للمهاجرين (٣) حديث رؤية وبيص المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الإحرام » متفق عليه من حديث عائشة قالت « كأنما أنظر الى وبيص المسك » الحديث .

قرانا أو إفرادا كما أراد . ويكفى مجرد النية لانعقاد الإحرام ولكن السنة أن يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول « لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك» وإن زاد قال « لبيك وسعديك والخير كله بيديك والرغباء إليك لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد » (الرابع) إذا انعقد إحرامه بالتلبية المذكورة فيستحب أن يقول : اللهم إنى أريد الحج فيسره لى وأعنى على أداء فرضه وتقبله منى . اللهم إنى نويت أداء فريضتك فى الحج فاجعلنى من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا أمرك واجعلنى من وفدك الذين رضيت عنهم وارتضيت وقبلت منهم . اللهم فيسرلى أداء مانويت من الحج ، اللهم قد أحرم لك لحمى وشعرى ودمى وعصبى ومخى وعظامى وحرمت على نفسى النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة . ومن وقت الإحرام حرم عليه المحظورات الستة التى ذكرناها من قبل فليجتنبها (الخامس) يستحب تجديد التلبية فى دوام الإحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق وعند اجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب ونزول رافعا بها صوته بحيث لايبح حلقه ولا ينهر ، فإنه لاينادى أصم ولا غائبا [1] كما ورد فى الخبر . ولا بأس برفع الصوت بالتلبية فى المساجد الثلاثة فإنها مظنة المناسك - أعنى المسجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد الميقات - وأما سائر المساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت : وكان صلى الله عليه وسلم إذا أعجبه شىء قال « لبيك إن العيش عيش الآخرة [2] » .

الجملة الثالثة فى آداب دخول مكة إلى الطواف وهى ستة

(الأول) أن يغتسل بذى طوى لدخول مكة . والاغتسالات المستحبة المسنونة فى الحج تسعة . الأول : للإحرام من الميقات ثم لدخول مكة ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بمزدلفة ثم ثلاثة أغسال لرمى الجمار الثلاث ؛ ولا غسل لرمى جمرة العقبة ، ثم لطواف الوداع . ولم ير الشافعى رضى الله عنه فى الجديد : الغسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع فتعود إلى ساعة ، الثانى : أن يقول عند الدخول فى أول الحرم وهو خارج مكة « اللهم هذا حرمك وأمنك فحرم لحمى ودمى وشعرى وبشرى على النار وآمنى من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلنى من أوليائك وأهل طاعتك . الثالث أن يدخل مكة من جانب الأبطح وهو ثنية كدا - بفتح الكاف - عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادة الطريق إليها [3] فالتأسى به أولى ، وإذا خرج خرج من ثنيه كدى - بضم الكاف - وهى الثنية السفلى والأولى هى العليا . الرابع : إذا دخل مكة وانتهى إلى رأس الردم فعنده يقع بصره على البيت فليقل « لا إله إلا الله والله أكبر اللهم أنت السلام ومنك السلام وبارك دار السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام اللهم إن هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حجه برا وكرامة اللهم افتح لى أبواب رحمتك وأدخلنى جنتك وأعذنى من الشيطان الرجيم » . الخامس : إذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بنى شيبة وليقل « بسم الله وبالله ومن الله وإلى وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . اللهم

---

(١) حديث « إنكم لاتنادون أصم ولا غائبا » متفق عليه من حديث أبى موسى (٢) حديث « كان إذا أعجبه شىء قال : لبيك إن العيش عيش الآخرة » أخرجه الشافعى فى المسند من حديث مجاهد مرسلا بنحوه والحاكم وصححه من حديث ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف بعرفات فلما قال لبيك اللهم لبيك » قال « إنما الخير خير الآخرة »

(٣) حديث « دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثنية كداء — بفتح الكاف — » متفق عليه من حديث ابن عمر قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل مكة دخل من الثنية العليا التى بالبطحاء .. الحديث »

صل على محمد عبدك ورسولك وعلى إبراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك » وليرفع يديه وليقل « اللهم إنى أسألك فى مقامى هذا فى أول مناسكى أن تتقبل توبتى وأن تتجاوز عن خطيئتى وتضع عنى وزرى الحمد لله الذى بلغنى بيته الحرام الذى جعله مثابة للناس وأمنا وجعله مباركا وهدى للعالمين . اللهم إنى عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جئتك أطلب رحمتك وأسألك مسئلة المضطر الخائف من عقوبتك الراجى لرحمتك الطالب مرضاتك . السادس : أن تقصد الحجر الأسود بعد ذلك وتمسه بيدك اليمنى وتقبله وتقول « اللهم أمانتى أديتها وميثاقى وفيته اشهد لى بالموافاة فإن لم يستطع التقبيل وقف فى مقابلته ويقول ذلك . ثم لا يعرج على شىء دون الطواف وهو طواف القدوم إلا أن يجد الناس فى المكتوبة فيصلى معهم ثم يطوف .

الجملة الرابعة : فى الطواف

فإذا أراد افتتاح الطواف إما للقدوم وإما لغيره فينبغى أن يراعى أمورا ستة (الأول) أن يراعى شروط الصلاة من طهارة الحدث والخبث فى الثوب والبدن والمكان وستر العورة . فالطواف بالبيت صلاة ولكن الله سبحانه أباح فيه الكلام . وليضطبع قبل ابتداء الطواف وهو أن يجعل وسط ردائه تحت إبطه اليمنى ويجمع طرفيه على منكبه الأيسر ويرخى طرفا وراء ظهره وطرفا على صدره . ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويشتغل بالأدعية التى سنذكرها (الثانى) إذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره ولقف عند الحجر الأسود وليتنح عنه قليلا ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه فى ابتداء طوافه . وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريبا من البيت فإنه أفضل ولكيلا يكون طائفا على الشاذروان فإنه من البيت ، وعند الحجر الأسود قد يتصل الشاذروان بالأرض ويلتبس به ، والطائف عليه لا يصح طوافه ؛ لأنه طائف فى البيت . والشاذروان هو الذى فضل عن عرض جدار البيت بعد أن صبق أعلى الجدار ثم من هذا الموقف يبتدئ الطواف (الثالث) أن يقول قبل مجاوزة الحجر بل فى ابتداء الطواف « بسم الله والله أكبر اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم » ويطوف . فأول ما يجاوز الحجر ينتهى إلى باب البيت فيقول « اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا الأمن أمنك وهذا مقام العائذ بك من النار » وعند ذكر المقام يشير بعينه إلى مقام إبراهيم عليه السلام « اللهم إن بيتك عظيم ووجهك كريم وأنت أرحم الراحمين فأعذنى من النار ومن الشيطان الرجيم وحرم لحمى ودمى على النار وآمنى من أهوال يوم القيامة واكفنى مؤنة الدنيا والآخرة » ثم يسبح الله تعالى ويحمده حتى يبلغ الركن العراقى فعنده يقول « اللهم إنى أعوذ بك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الأخلاق وسوء المنظر فى الأهل والمال والولد » فإذا بلغ الميزاب قال « اللهم أظلنا تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك اللهم اسقنى بكأس محمد صلى الله عليه وسلم شربة لا أظمأ بعدها أبداً » فإذا بلغ الركن الشامى قال « اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم » فإذا بلغ الركن اليمانى قال « اللهم إنى أعوذ بك من الكفر وأعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من الخزى فى الدنيا والآخرة » ويقول بين الركن اليمانى والحجر الأسود « اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا برحمتك فتنة القبر وعذاب النار » فإذا بلغ الحجر الأسود قال اللهم اغفرلى برحمتك أعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر » وعند ذلك قد تم شوط واحد فيطوف كذلك سبعة أشواط فيدعو بهذه الأدعية فى كل شوط (الرابع) أن يرمل فى ثلاثة أشواط ويمشى فى الأربعة الأخر

على الهيئة المعتادة . ومعنى الرمل الإسراع فى المشى مع تقارب الخطا ، وهو دون العدو وفوق المشى المعتاد . والمقصود منه ومن الاضطباع إظهار الشطارة والجلادة والقوة ، هكذا كان القصد أولا قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك السنة[1] والأفضل الرمل مع الدنو من البيت فإن لم يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد أفضل فيخرج إلى حاشية المطاف وليرمل ثلاثا ثم ليقرب إلى البيت فى المزدحم وليمش أربعا . وإن أمكنه استلام الحجر فى كل شوط فهو الأحب ، وإن منعه الزحمة أشار باليد وقبل يده ، وكذلك استلام الركن اليمانى يستحب من سائر الأركان . وروى « أنه صلى الله عليه وسلم كان يستلم الركن اليمانى[2] ويقبله[3] ويضع خده عليه[4] » ومن أراد تخصيص الحجر بالتقبيل واقتصر فى الركن اليمانى على الاستلام أغنى عن اللمس باليد فهو أولى (الخامس) إذا تم الطواف سبعا فليأت الملتزم وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة ، وليلتزق بالبيت وليتعلق بالأستار وليلصق بطنه بالبيت وليضع عليه خده الأيمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه ، وليقل « اللهم يارب البيت العتيق أعتق رقبتى من النار وأعذنى من الشيطان الرجيم وأعذنى من كل سوء وقنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيما آتيتنى اللهم إنّ هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار اللهم اجعلنى من أكرم وفدك عليك » ثم ليحمد الله كثيرا فى هذا الموضع وليصل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الرسل كثيرا وليدع بحوائجه الخاصة وليستغفر من ذنوبه . كان بعض السلف فى هذا الموضع يقول لمواليه : تنحوا عنى حتى أقر لربى بذنوبى (السادس) إذا فرغ من ذلك ينبغى أن يصلى خلف المقام ركعتين يقرأ فى الأولى قل يا أيها الكافرون وفى الثانية الإخلاص وهما ركعتا الطواف . قال الزهرى : مضت السنة أن يصلى لكل سبع ركعتين[5] وإن قرن بين أسابيع وصلى ركعتين جاز[6] فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل أسبوع طواف . وليدع بعد ركعتى الطواف وليقل « اللهم يسر لى اليسرى وجنبنى العسرى واغفر لى فى الآخرة والأولى واعصمنى بألطافك حتى لا أعصيك وأعنى على طاعتك بتوفيقك وجنبنى معاصيك واجعلنى ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين . اللهم حببنى إلى ملائكتك ورسلك وإلى عبادك الصالحين اللهم فكما هديتنى إلى الإسلام فثبتنى عليه بألطافك وولايتك واستعملنى لطاعتك وطاعة رسولك وأحرنى من مضلات

---

(١) حديث « مشروعية الرمل والاضطباع قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك السنة » أما الرمل فمتفق عليه من حديث ابن عباس قال « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال المشركون إنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الأشواط الثلاثة ... الحديث » وأما الاضطباع فروى أبو داود وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث عمر قال « فيم الرملان الآن والكشف عن المناكب وقد أظهر الله الإسلام ونفى الكفر وأهله ومع ذلك لانترك شيئا كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٢) حديث « استلامه صلى الله عليه وسلم للركن اليمانى » متفق عليه من حديث ابن عمر قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقدم مكة إذا استلم الركن الأسود ... الحديث » ولهما من حديثه « لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمس من الأركان إلا اليمانيين » ولمسلم من حديث ابن عباس « لم أره يستلم غير الركنين اليمانيين » وله من حديث جابر الطويل « حتى إذا أتيت البيت معه استلم الركن » (٣) حديث « تقبيله صلى الله عليه وسلم له » متفق عليه من حديث عمر « أنه قبل الحجر وقال لولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك » وللبخارى من حديث ابن عمر « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله » وله فى التاريخ من حديث ابن عباس « كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا استلم الركن اليمانى قبله » (٤) حديث « وضع الخد عليه » أخرجه الدارقطنى من حديث ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الركن اليمانى ..الحديث » قال الحاكم صحيح الإسناد قلت فيه عبد الله بن مسلم بن هرمز ضعفه الجمهور (٥) حديث الزهرى « مضت السنة أن يصلى لكل أسبوع ركعتين » ذكره البخارى تعليقا السنة أفضل لم يطف النبى صلى الله عليه وسلم أسبوعا إلا صلى ركعتين وفى الصحيحين من حديث ابن عمر « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين (٦) حديث « قرانه صلى الله عليه وسلم بين أسابيع » رواه ابن أبى حاتم من حديث ابن عمر « أن النبى صلى الله عليه وسلم قرن ثلاثة أطواف ليس بينهما صلاة » ورواه العقيلى فى الضعفاء وابن شاهين فى أماليه من حديث أبى هريرة وزاد « ثم صلى لكل أسبوع ركعتين » وفى إسنادهما عبد السلام بن أبى الجنوب منكر الحديث

الفتن . ثم ليعد إلى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف قال صلى الله عليه وسلم « من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة [1] » وهذه كيفية الطواف . والواجب من جملته بعد شروط الصلاة أن يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت ، وأن يبتدئ بالحجر الأسود ويجعل البيت على يساره وأن يطوف داخل المسجد وخارج البيت لا على الشاذروان ولا فى الحجر ، وأن يوالى بين الأشواط ولا يفرقها تفريقا خارجا عن المعتاد وما عدا هذا فهو سنن وهيئات .

الجملة الخامسة : فى السعى

فإذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو فى محاذاة الضلع الذى بين الركن اليمانى والحجر . فإذا خرج من ذلك الباب وانتهى إلى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجات فى حضيض الجبل بقدر قامة الرجل . رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت له الكعبة [2] . وابتداء السعى من أصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة ، ولكن بعض تلك الدرج مستحدثة فينبغى أن لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعى ، وإذا ابتدأ من ههنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات . وعند رقية فى الصفا ينبغى أن يستقبل البيت ويقول « الله أكبر الله أكبر الحمد لله على ما هدانا الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شىء قدير لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا إله إلا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ﴾ اللهم إنى أسألك إيمانا دائما ويقينا صادقا وعلما نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا وأسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة ويصلى على محمد صلى الله عليه وسلم » ويدعو الله عز وجل بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء ثم ينزل ويبتدئ السعى وهو يقول « رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » ويمشى على هينة حتى ينتهى إلى الميل الأخضر وهو أول ما يلقاه إذا نزل من الصفا ـ وهو على زاوية المسجد الحرام ـ فإذا بقى بينه وبين محاذاة الميل ستة أذرع أخذ فى السير السريع وهو الرمل حتى ينتهى إلى الميلين الأخضرين . ثم يعود إلى الهينة فإذا انتهى إلى المروة صعدها كما صعد الصفا وأقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء وقد حصل السعى مرة واحدة ؛ فإذا عاد إلى الصفا حصلت مرتان . يفعل ذلك سبعا ويرمل فى موضع الرمل فى كل مرة ويسكن فى موضع السكون ـ كما سبق ـ وفى كل نوبة يصعد الصفا والمروة فإذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعى وهما سنتان . والطهارة مستحبة للسعى وليست بواجبة بخلاف الطواف وإذا سعى فينبغى أن لا يعيد السعى بعد الوقوف ويكتفى بهذا ركنا ؛ فإنه ليس من شروط السعى أن يتأخر عن الوقوف وإنما ذلك شرط فى طواف الركن . نعم شرط كل سعى أن يقع بعد طواف أى طواف كان .

---

(١) حديث « من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة » أخرجه الترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه من حديث ابن عمر « من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة » لفظ ابن ماجه وقال « الآخر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة » والبيهقى فى الشعب « من طاف أسبوعا وركع ركعتين كانت كعتاق رقبة »

(٢) حديث « أنه رقى على الصفا حتى بدت له الكعبة » أخرجه مسلم من حديث جابر « فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت » وله من حديث أبى هريرة « أتى الصفا فعلا عليه حتى نزل إلى البيت » .

الجملة السادسة : فى الوقوف وما قبله

الحاج إذا انتهى يوم عرفة إلى عرفات يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف . وإذا وصل قبل ذلك بأيام فطاف طواف القدوم فيمكث محرما إلى اليوم السابع من ذى الحجة . فيخطب الإمام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ويأمر الناس بالاستعداد للخروج إلى منى يوم التروية والمبيت بها ، وبالغدو منها إلى عرفة لإقامة فرض الوقوف بعد الزوال ؛ إذ وقت الوقوف من الزوال إلى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر ، فينبغى أن يخرج إلى منى ملبيا : ويستحب له المشى من مكة فى المناسك إلى انقضاء حجته إن قدر عليه . والمشى من مسجد إبراهيم عليه السلام إلى الموقف أفضل وآكد . فإذا انتهى إلى منى قال « اللهم هذه منى فامنن على بما منت به على أولياءك وأهل طاعتك وليمكث هذه الليلة بمنى ـ وهو مبيت منزل لايتعلق به نسك ـ فإذا أصبح يوم عرفة صلى الصبح فإذا طلعت الشمس على ثبير سار إلى عرفات ويقول « اللهم أجعلها خيرغدوة غدوتها قط وأقربها من رضوانك وأبعدها من سخطك اللهم إليك غدوت وإياك رجوت وعليك اعتمدت ووجهك أردت فاجعلنى ممن تباهى به اليوم من هو خير منى وأفضل . فإذا أتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريباً من المسجد ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبته [1] ونمرة هى بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة . وليغتسل للوقوف فإذا زالت الشمس خطب الإمام خطبة وجيزة وقعد ، وأخذ المؤذن فى الأذان والإمام فى الخطبة الثانية ووصل الإقامة بالأذان ، وفرغ الإمام مع تمام إقامة المؤذن . ثم جمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين ، وقصر الصلاة ، وراح إلى الموقف فليقف بعرفة ولايقفن فى وادى عرنة . وأمامسجد إبراهيم عليه السلام فصدره فى الوادى وأخرياته من عرفة فمن وقف فى صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة . ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت ثم . والأفضل أن يقف عند الصخرات بقرب الإمام مستقبلا للقبلة راكبا . وليكثر من أنواع التحميد والتسبيح والتهليل والثناء على الله عز وجل والدعاء والتوبة ولا يصوم فى هذا اليوم لتقوى على المواظبة على الدعاء . ولايقطع التلبية يوم عرفة بل الأحب أن يلبى تارة ويكب على الدعاء أخرى ويتبغى أن لاينفصل من طرف عرفة إلا بعد الغروب ليجمع فى عرفة بين الليل والنهار : وإن أمكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند إمكان الغلط فى الهلال فهو الحزم وبه الأمن من الفوات . ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج ، فعليه أن يتحلل عن إحرامه بأعمال العمرة ثم يريق دما لأجل الفوات ، ثم يقضى العام الآتى ، وليكن أهم اشتغاله فى هذا اليوم الدعاء . ففى مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجى إجابة الدعوات . والدعاء المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] وعن السلف

---

(١) حديث « ضربه صلى الله عليه وسلم قبته بنمرة » أخرجه مسلم من حديث جابر الطويل « أمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة .. الحديث » (٢) حديث « الدعاء المأثور فى يوم عرفة لا إله إلا الله وحده لاشريك له .. الحديث » أخرجه الترمذى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى لاإله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير » وقال حسن غريب وله من حديث على قال « أكثر مادعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة فى الموقف اللهم لك الحمد كالذى تقول وخيرا مما نقول لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى واليك مآبى ولك رب تراثى اللهم إنى أعوذ بك من شر ماتجىء به الريح » وقال ليس بالقوى إسناده وروى المستغفرى فى الدعوات من حديثه « ياعلى إن أكثر دعاء من قبلى يوم عرفة أن أقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير اللهم اجعل فى صدرى نورا وفى سمعى نورا وفى قلبى نورا اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى اللهم إنى أعوذ بك من وسواس الصدر وشتات الأمر وفتنة القبر وشر ما يلج فى الليل وشر ما يلج فى النهار وشر ماتهب به الرياح ومن شر بوائق الدهر » وإسناده ضعيف وروى الطبرانى فى المعجم الصغير من حديث ابن عباس قال « كان مما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة : اللهم إنك ترى مكانى وتسمع كلامى وتعلم سرى وعلانيتى ولا يخفى عليك شىء من أمرى أنا البائس =

فى يوم عرفة أول مايدعو به فليقل « لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير . اللهم اجعل فى قلبي نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا وفى لسانى نورا . اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى وليقل : اللهم رب الحمد لك الحمد كما تقول وخيراً مما نقول لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى وإليك مآبى وإليك ثوابى . اللهم إنى أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر وعذاب القبر . اللهم إنى أعوذ بك من شر مايلج فى الليل ومن شر مايلج فى النهار ومن شر ماتهب به الرياح . ومن شر بوائق الدهر . اللهم إنى أعوذ بك من تحوّل عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك . اللهم اهدنى بالهدى واغفر لى فى الآخرة والأولى ياخير مقصود وأسنى منزول به وأكرم مسئول مالديه أعطنى العشية أفضل ماأعطيت أحداً من خلقك وحجاج بيتك ياأرحم الراحمين. اللهم يارفيع الدرجات ومنزل البركات ويافاطر الأرضين والسموات ضجت إليك الأصوات بصوف اللغات يسألونك الحاجات وحاجتى إليك أن لاتنسانى فى دار البلاء إذا نسينى أهل الدنيا . اللهم إنك تسمع كلامى وترى مكانى وتعلم سرى وعلانيتى ولايخفى عليك شيء من أمرى أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المعترف بذنبه أسألك مسئلة المسكين وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك أنفه . اللهم لاتجعلنى بدعائك رب شقيا وكن بى رءوفا رحيما ياخير المسئولين وأكرم المعطين إلهى من مدح لك نفسه فإنى لائم نفسى . إلهى أخرست المعاصى لسانى فمالى وسيلة عن عمل ولاشفيع سوى الأمل . إلهى إنى أعلم أنّ ذنوبى لم تبق لى عندك جاها ولا للاعتذار وجهاً ولكنك أكرم الأكرمين. إلهى إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فإن رحمتك أهل أن تبلغنى ورحمتك وسعت كل شيء وأنا شيء إلهى إنّ ذنوبى وإن كانت عظاما ولكنها صغار فى جنب عفوك فاغفرها لى يا كريم إلهى أنت أنت وأنا أنا ، أنا العوّاد إلى الذنوب وأنت العوّاد إلى المغفرة. إلهى إن كنت لا ترحم إلا أهل طاعتك فإلى من يفزع المذنبون . إلهى تجنبت عن طاعتك عمداً وتوجهت إلى معصيتك قصداً فسبحانك ما أعظم حجتك على وأكرم عفوك عنى فبوجوب حجتك على وانقطاع حجتى عنك وفقرى إليك وغناك عنى إلا غفرت لى ياخير من دعاه داع وأفضل من رجاه راج بحرمة الإسلام وبذمة محمد عليه السلام أتوسل إليك فاغفر لى جميع ذنوبى واصرفنى من موقفى هذا مقضى الحوائج وهب لى ماسألت وحقق رجائى فيما تمنيت . إلهى دعوتك بالدعاء الذى علمتنيه فلا تحرمنى الرجاء الذى عرفتنيه إلهى ماأنت صانع العشية بعبد مقرّ لك بذنبه خاشع لك بدلته مستكين بجرمه متضرع إليك من عمله تائب إليك من اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتهل إليك فى العفو عنه طالب إليك نجاح حوائجه راج إليك فى موقفه مع كثرة ذنوبه فياملجأ كل حى وولى كل مؤمن من أحسن فبرحمتك يفوز ومن أخطأ فبخطيئته يهلك . اللهم إليك خرجنا وبفنائك أنخنا وإياك أملنا وماعندك طلبنا ولإحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك أشفقنا وإليك بأثقال الذنوب هربنا ولبيتك الحرام حججنا يامن يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين يامن ليس معه رب يدعى ويامن ليس فوقه خالق يخشى ويامن ليس له وزير يؤتى ولاحاجب يرشى يامن لايزداد على كثرة السؤال إلا جوداً وكرما وعلى كثرة الحوائج إلا تفضلا وإحسانا . اللهم إنك جعلت لكل ضيف قرى ونحن أضيافك فاجعل قرانا منك الجنة . اللهم إن لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية ولكل راج ثواباً ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل

= الفقير » فذكر الحديث إلى قوله « ياخير المسئولين وياخير المعطين » وإسناده ضعيف وباقى الدعاء من دعاء بعض السلف فى بعضه ما هو مرفوع ولكن ليس مقيدا بموقف عرفه .

مسترحم عندك رحمة ولكل راغب إليك زلفى ولكل متوسل إليك عفواً وقد وفدنا إلى بيتك الحرام ووقفنا بهذه المشاعر العظام وشهدنا هذه المشاهد الكرام رجاء لما عندك فلا تخيب رجاءنا . إلهنا تابعت النعم حتى اطمأنت الأنفس بتتابع نعمك وأظهرت العبر حتى نطقت الصوامت بحجتك وظاهرت المنن حتى اعترف أولياؤك بالتقصير عن حقك وأظهرت الآيات حتى أفصحت السموات والأرضون بأدلتك وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزتك وعنت الوجوه لعظمتك إذا أساءت عبادك حلمت وأمهلت وإن أحسنوا تفضلت وقبلت وإن عصوا سترت وإن أذنبوا عفوت وغفرت وإذا دعونا أجبت وإذا نادينا سمعت وإذا أقبلنا إليك قربت وإذا ولينا عنك دعوت . إلهنا إنك قلت فى كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين ﴿ قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف ﴾ فأرضاك عنهم الإقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وإنا نشهد لك بالتوحيد مخبتين ولمحمد بالرسالة مخلصين فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف الإجرام ولاتجعل حظنا فيه أنقص من حظ من دخل فى الإسلام . إلهنا إنك أحببت التقرب إليك بعتق ماملكت أيماننا ونحن عبيدك وأنت أولى بالتفضل فاعتقنا . وإنك أمرتنا أن نتصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك وأنت أحق بالتطول فتصدق علينا . ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا وأنت أحق بالكرم فاعف عنا . ربنا اغفر لنا وارحمنا أنت مولانا ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار» وليكثر من دعاء الخضر عليه السلام وهو أن يقول « يامن لايشغله شأن عن شأن ولاسمع عن سمع ولاتشتبه عليه الأصوات ، يامن لا تغلطه المسائل ولاتختلف عليه اللغات ، يامن لايبرمه إلحاح الملحين ولاتضجره مسئلة السائلين أذقنا برد عفوك وحلاوة مناجاتك » وليدع بما بدا له وليستغفر له ولو الديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات وليلح فى الدعاء وليعظم المسألة فإن الله لايتعاظمه شيء ، وقال مطرف بن عبدالله وهو بعرفة : اللهم لاترد الجميع من أجلى . وقال بكر المزنى : قال رجل لما نظرت إلى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم لولا أنى كنت فيهم .

الجملة السابعة : فى بقية أعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمى والنحر والحلق والطواف

فإذا أفاض من عرفة بعد غروب الشمس فينبغى أن يكون على السكينة والوقار وليجتنب وجيف الخيل وإيضاع الإبل كما يعتاده بعض الناس . فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم « نهى عن وجيف الخيل وإيضاع الإبل وقال : اتقوا الله وسيروا سيراً جميلا لاتطأوا ضعيفاً ولاتؤذوا مسلما [1] » فإذا بلغ المزدلفة اغتسل لها لأن المزدلفة من الحرم فليدخله بغسل ، وإن قدر على دخوله ماشيا فهو أفضل وأقرب إلى توقير الحرم . ويكون فى الطريق رافعاً صوته بالتلبية فإذا بلغ المزدلفة قال « اللهم إن هذه مزدلفة جمعت فيها ألسنة مختلفة تسألك حوائج مؤتنفه فاجعلنى ممن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيته » ثم يجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة فى وقت العشاء قاصراً له بأذان وإقامتين ليس بينهما نافلة ، ولكن يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين ، ويبدأ بنافلة المغرب ثم بنافلة العشاء كما فى الفريضتين . فإن ترك النوافل فى السفر خسران ظاهر . وتكليف إيقاعها فى الأوقات إضرار وقطع للتبعية بينهما وبين الفرائض فإذا جاز أن يؤدى النوافل مع الفرائض بتيمم واحد بحكم التبعية فبأن يجوز أداؤهما على حكم الجمع بالتبعية أولى . ولايمنع من هذا مفارقة النفل للفرض فى جواز أدائه على الراحلة لما أو مأنا إليه من التبعية والحاجة . ثم يمكث تلك الليلة

(١) حديث « نهى النبى عن وجيف الخيل وإيضاع الأبل » أخرجه النسائى والحاكم وصححه من حديث أسامة بن زيد « عليكم بالسكينة والوقار فان البر ليس فى إيضاع الإبل » وقال الحاكم « ليس البر بإيجاف الخيل والإبل » وللبخارى من حديث ابن عباس « فان البر ليس بالإيضاع » .

بمزدلفة وهو مبيت نسك ، ومن خرج منها فى النصف الأول من الليل ولم يبت فعليه دم ، وإحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه ثم إذا انتصف الليل يأخذ فى التأهب للرحيل ويتزود الحصى منها ـ ففيها أحجار رخوة ـ فليأخذ سبعين حصاة فإنها قدر الحاجة ، ولا بأس بأن يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضها ولتكن الحصى خفافا بحيث يحتوى عليه أطراف البراجم . ثم ليغلس بصلاة الصبح وليأخذ فى المسير حتى إذا انتهى إلى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف ويدعو إلى الإسفار ويقول « اللهم بحق المشعر الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والركن والمقام أبلغ روح محمد منا التحية والسلام وأدخلنا دار السلام ياذا الجلال والإكرام » ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهى إلى موضع يقال له وادى محسر فيستحب له أن يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادى وإن كان راجلا أسرع فى المشى . ثم إذا أصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فيلبى تارة ويكبر أخرى . فينتهى إلى منى ومواضع الجمرات وهى ثلاثة فيتجاوز الأولى والثانية فلا شغل له معهما يوم النحر ، حتى ينتهى إلى جمرة العقبة وهى على يمين مستقبل القبلة فى الجادة ـ والمرمى مرتفع قليلا فى سفح الجبل وهو ظاهر بمواقع الجمرات ـ ويرمى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر رمح . وكيفيته أن يقف مستقبلا القبلة وإن استقبل الجمرة فلا بأس ويرمى سبع حصيات رافعاً يده ، ويبدل التلبية بالتكبير ويقول مع كل حصاة « الله أكبر على طاعة الرحمن ، ورغم الشيطان اللهم تصديقاً بكتابك واتباعا لسنة نبيك » فإذا رمى قطع التلبية والتكبير إلا التكبير عقيب فرائض الصلوات من ظهر يوم النحر إلى عقيب الصبح من آخر أيام التشريق . ولا يقف فى هذا اليوم للدعاء بل يدعو فى منزله . وصفة التكبير أن يقول « الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده لاشريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله والله أكبر » ثم ليذبح الهدى إن كان معه والأولى أن يذبح بنفسه وليقل « بسم الله والله أكبر اللهم منك وبك وإليك تقبل منى كما تقبلت من خليلك إبراهيم » والتضحية بالبدن أفضل ثم بالبقر ثم بالشاة . والشاة أفضل من مشاركة ستة فى البدنة أو البقرة . والضأن أفضل من المعز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير الأضحية الكبش الأقرن والبيضاء أفضل من الغبراء والسوداء [1] » وقال أبو هريرة : البيضاء أفضل فى الأضحى من دم سوداوين وليأكل منه إن كانت من هدى التطوع ولا يضحين بالعرجاء والجدعاء والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء . والجدع فى الأنف والأذن للقطع منهما ، والعضب فى القرن وفى نقصان القوائم والشرقاء المشقوقة الأذن من فوق ، والخرقاء من أسفل ، والمقابلة المخروقة الأذن من قدام ، والمدابرة من خلف . والعجفاء المهزولة التى لا تنقى أى لا مخ فيها من الهزال . ثم ليحلق بعد ذلك والسنة أن يستقبل القبلة ويبتدئ بمقدم رأسه فيحلق الشق الأيمن إلى العظمين المشرفين على القفا ثم ليحلق الباقى ويقول « اللهم أثبت لى بكل شعرة حسنة وامح عنى بها سيئة وارفع لى بها عندك درجة » والمرأة تقصر الشعر . والأصلع يستحب له إمرار الموسى على رأسه ومهما حلق بعد رمى الجمرة فقد حصل له التحلل الأول وحل له كل المحذورات إلا النساء والصيد . ثم يفيض إلى مكة ويطوف كما وصفناه . وهذا الطواف طواف ركن فى الحج ويسمى طواف الزيارة وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر ، وأفضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بل له أن يؤخر إلى أى وقت شاء ، ولكن يبقى مقيداً بعلقة الإحرام فلا تحل له النساء إلى أن يطوف . فإذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الإحرام بالكلية ولم يبق

---

(١) حديث « خير الأضحية الكبش » أخرجه أبو داود من حديث عبادة بن الصامت والترمذى من حديث أبى أمامة قال الترمذى غريب وعمير يضعف فى الحديث .

إلا رمى أيام التشريق والمبيت بمنى وهى واجبات بعد زوال الإحرام على سبيل الاتباع للحق وكيفية هذا الطواف مع الركعتين كما سبق فى طواف القدوم . فإذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفنا إن لم يكن سعى بعد طواف القدوم وإن كان قد سعى فقد وقع ذلك ركنا فلا ينبغى أن يعيد السعى . وأسباب التحلل ثلاثة : الرمى والحلق والطواف الذى هو ركن . ومهما أتى باثنين من هذه الثلاثة فقد تحلل أحد التحللين ، ولا حرج عليه فى التقديم والتأخير بهذه الثلاث مع الذبح ، ولكن الأحسن أن يرمى ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف . والسنة للإمام فى هذا اليوم أن يخطب بعد الزوال وهى خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم ففى الحج أربع خطب : خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة وخطبة يوم النحر [1] وخطبة يوم النفر الأول ، وكلها عقيب الزوال وكلها إفراد إلا خطبة يوم عرفة فانها خطبتان بينهما جلسة . ثم إذا فرغ من الطواف عاد إلى منى للمبيت والرمى فيبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القر لأن الناس فى غد يقرّون بمنى ولا ينفرون . فإذا أصبح اليوم الثانى من العيد وزالت الشمس اغتسل للرمى وقصد الجمرة الأولى التى تلى عرفة وهى على يمين الجادة ويرمى إليها بسبع حصيات ، فإذا تعداها انحرف قليلا عن يمين الجادة ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلا على الدعاء ، ثم يتقدم إلى الجمرة الوسطى ويرمى كما رمى الأولى ويقف كما وقف للأولى ثم يتقدم إلى جمرة العقبة ويرمى سبعاً ، ولا يحرج على شغل بل يرجع إلى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الأول ، ويصبح فإذا صلى الظهر فى اليوم الثانى من أيام التشريق رمى فى هذا اليوم إحدى وعشرين حصاة كاليوم الذى قبله . ثم هو مخير بين المقام بمنى وبين العود إلى مكة . فإن خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شىء عليه وإن صبر إلى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه المبيت حتى يرمى فى يوم النفر الثانى أحداً وعشرين حجراً كما سبق . وفى ترك المبيت والرمى إراقة دم وليتصدق باللحم . وله أن يزور البيت فى ليالى منى بشرط أن لا يبيت إلا بمنى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك [2] ولا يتركنّ حضور الفرائض مع الإمام فى مسجد الخيف فإنّ فضله عظيم فإذا أفاض من منى فالأولى أن يقيم بالمحصب من منى ويصلى العصر والمغرب والعشاء ويرقد رقدة [3] فهو السنة . رواه جماعة من الصحابة رضى الله عنهم . فإن لم يفعل ذلك فلا شىء عليه .

الجملة الثامنة : فى صفة العمرة وما بعدها إلى طواف الوداع

من أراد أن يعتمر قبل حجه أو بعده كيفما أراد فليغتسل ويلبس ثياب الإحرام كما سبق فى الحج ويحرم بالعمرة من ميقاتها ، وأفضل مواقيتها الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية . وينوى العمرة ويلبى ويقصد مسجد عائشة رضى الله

---

(١) حديث « الخطبة يوم النحر وهى خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم » أخرجه البخارى من حديث أبى بكرة « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر » وله من حديث ابن عباس « خطب الناس يوم النحر » وفى حديث علقه البخارى ووصله ابن ماجه من حديث ابن عمر « وقف النبى صلى الله عليه وسلم يوم النحر بين الجمرات فى الحجة التى حج فيها فقال : أى يوم هذا ؟ الحديث » وفيه « ثم ودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع »

(٢) حديث « زيارة البيت فى ليالى منى والمبيت بمنى » أخرجه أبو داود فى المراسيل من حديث طاوس « قال أشهد أن ابن عباس قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور البيت أيام منى » وفيه عمرو بن رباح ضعيف والمرسل صحيح الإسناد ولأبى داود من حديث عائشة « أن النبى صلى الله عليه وسلم مكث بمنى ليالى أيام التشريق »

(٣) حديث « نزول المحصب وصلاة العصر والمغرب والعشاء به والرقود به رقدة » أخرجه البخارى من حديث أنس « أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالبطحاء ثم هجع هجعة . الحديث »

عنها ويصلى ركعتين ويدعو بما شاء . ثم يعود إلى مكة وهو يلبي حتى يدخل المسجد الحرام . فإذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعاً كما وصفنا . فإذا فرغ حلق رأسه وقد تمت عمرته والمقيم بمكة ينبغى أن يكثر الاعتمار والطواف . وليكثر النظر إلى البيت . فإذا دخله فليصل ركعتين بين العمودين فهو الأفضل وليدخله حافياً موقراً . قيل لبعضهم : هل دخلت بيت ربك اليوم ؟ فقال : والله ماأرى هاتين القدمين أهلا للطواف حول بيت ربى فكيف أراهما أهلا لأن أطأ بهما بيت ربى ! وقد علمت حيث مشيتا وإلى أين مشيتا . وليكثر شرب ماء زمزم وليستق بيده من غير استنابة إن أمكنه وليرتو منه حتى يتضلع وليقل : اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم وارزقنى الإخلاص واليقين والمعافاة فى الدنيا والآخرة قال صلى الله عليه وسلم « ماء زمزم لما شرب له [1] » أى يشفى ما قصد به .

الجملة التاسعة : فى طواف الوداع

مهما عنّ له الرجوع إلى الوطن بعد الفراغ من إتمام الحج والعمرة فلينجز أولاً أشغاله وليشد رحاله وليجعل آخر أشغاله وداع البيت . ووداعه بأن يطوف به سبعاً كما سبق ولكن من غير رمل واضطباع . فإذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام وشرب من ماء زمزم ثم يأتى الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول « اللهم إن البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملتنى على ماسخرت لى من خلقك حتى سيرتنى فى بلادك وبلغتنى بنعمتك حتى أعنتنى على قضاء مناسكك ، فإن كنت رضيت عنى فازدد عنى رضا وإلا فمنّ الآن قبل تباعدى عن بيتك هذا أوان انصرافى إن أذنت لى غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك . اللهم أصحبنى العافية فى بدنى والعصمة فى دينى وأحسن منقلبى وارزقنى طاعتك أبداً ما أبقيتنى واجمع لى خير الدنيا والآخرة إنك على كل شىء قدير . اللهم لاتجعل هذا آخر عهدى ببيتك الحرام وإن جعلته آخر عهدى فعوضنى عنه الجنة » والأحب أن لايصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه .

الجملة العاشرة : فى زيارة المدينة وآدابها

قال صلى الله عليه وسلم «من زارنى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « من وجد سعة ولم يفد إلى فقد جفانى [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « من جاءنى زائراً لايهمه إلا زيارتى كان حقا على الله سبحانه أن أكون له شفيعاً [4] » فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريقه كثيراً . فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال « اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لى وقاية من النار وأمانا من العذاب وسوء الحساب » وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة وليتطيب وليلبس أنظف ثيابه . فإذا دخلها فليدخلها

---

(١) حديث « ماء زمزم لما شرب له » أخرجه ابن ماجه من حديث جابر بسند ضعيف ورواه الدارقطنى والحاكم فى المستدرك من حديث ابن عباس قال الحاكم صحيح الإسناد لأن سلم من محمد بن حبيب الجلارودى قال ابن القطان سلم منه فان الخطيب قال فيه كان صدوقا ، قال ابن القطان لكن الراوى عنه مجهول وهو محمد بن همام المروزى (٢) حديث « من زارنى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى » أخرجه الطبرانى والدارقطنى من حديث ابن عمر (٣) حديث « من وجد سعة ولم يفد الى فقد جفانى » أخرجه ابن عدى والدارقطنى فى غرائب مالك وابن حبان فى الضعفاء والخطيب فى الرواة عن مالك فى حديث ابن عمر « من حج ولم يزرنى فقد جفانى » وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات . وروى ابن النجار فى تاريخ المدينة من حديث أنس « ما من أحد من أمتى له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر » (٤) حديث « من جاءنى زائراً لاتهمه الا زيارتى كان حقا على الله أن أكون له شفيعا » أخرجه الطبرانى من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن .

متواضعاً معظما وليقل : بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيرا ﴾ ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلى بجنب المنبر ركعتين . ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن ويستقبل السارية التى إلى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التى فى قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يعير المسجد . وليجتهد أن يصلى فى المسجد الأول قبل أن يزاد فيه . ثم يأتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه وذلك بأن يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو من أربعة أذرع من السارية التى فى زاوية جدار القبر ، ويجعل القنديل على رأسه وليس من السنة أن يمس الجدار ولا أن يقبله بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام ، فيقف ويقول « السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبى الله السلام عليك يا أمين الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك ياخيرة الله السلام عليك ياأحمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا أبا القاسم السلام عليك يا ماحى السلام عليك ياعاقب السلام عليك ياحاشر السلام عليك يا بشير السلام عليك يا نذير السلام عليك يا طهر السلام عليك ياطاهر السلام عليك يا أكرم ولد آدم السلام عليك ياسيد المرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين السلام عليك يا رسول رب العالمين السلام عليك يا قائد الخير السلام عليك يافاتح البر السلام عليك يانبى الرحمة السلام عليك يا هادى الأمة السلام عليك ياقائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبياً عن قومه ورسولا عن أمته وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون وكلما غفل عنك الغافلون وصلى عليك فى الأولين والآخرين أفضل وأكمل وأعلى وأجل وأطيب وأطهر ما صلى على أحد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك من الجهالة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وصفيه وخيرته من خلقه وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت عدوك وهديت أمتك وعبدت ربك حتى أتاك اليقين فصلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين وسلم وشرف وكرم وعظم وإن كان قد أوصى بتبليغ سلام فيقول « السلام عليك من ـ فلان ـ السلام عليك من ـ فلان ـ ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبى بكر الصديق رضى الله عنه لأن رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورأس عمر رضى الله عنه عند منكب أبى بكر رضى الله عنه . ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضى الله عنه ويقول « السلام عليكما ياوزيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعاونين له على القيام بالدين مادام حياً والقائمين فى أمته بعده بأمور الدين تتبعان فى ذلك آثاره وتعملان بسنته فجزاكما الله خير ماجزى وزيرى نبى عن دينه . ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بين القبر والاسطوانة اليوم ـ ويستقبل القبلة وليحمد الله عز وجل وليمجده وليكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول « اللهم إنك قد قلت وقولك الحق ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ﴾ اللهم إنا قد سمعنا قولك وأطعنا أمرك وقصدنا نبيك متشفعين به إليك فى ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا فتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك . اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان . اللهم لاتجعله آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا أرحم الراحمين . ثم يأتى الروضة فيصلى فيها ركعتين ويكثر من الدعاء مااستطاع لقوله صلى الله

عليه وسلم « مابين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى [١] » ويدعو عند المنبر ويستحب أن يضع يده على الرمانة السفلى التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع يده عليها عند الخطبة [٢] ويستحب له أن يأتى أحدا يوم الخميس ويزور قبور الشهداء فيصلى الغداة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم . ثم يخرج ويعود إلى المسجد لصلاة الظهر فلا يفوته فريضة فى الجماعة فى المسجد . ويستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزور قبر عثمان رضى الله عنه وقبر الحسن بن على رضى الله عنهما ، وفيه أيضا قبر على ابن الحسين ومحمد بن على وجعفر بن محمد رضى الله عنهم ، ويصلى فى مسجد فاطمة رضى الله عنها ويزور قبر إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك كله بالبقيع . ويستحب له أن يأتى مسجد قباء فى كل سبت ويصلى فيه لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال من خرج من بيته حتى يأتى مسجد قباء ويصلى فيه كان له عدل عمرة [٣] » ويأتى بئر أريس يقال إن النبى صلى الله عليه وسلم تفل فيها وهى عند المسجد فيتوضأ منها ويشرب من مائها [٤] ويأتى مسجد الفتح وهو على الخندق . وكذا يأتى سائر المساجد والمشاهد ويقال إن جميع المشاهد والمساجد بالمدينة ثلاثون موضعا يعرفها أهل البلد فيقصد ما قدر عليه وكذلك يقصد الآبار التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها [٥] وهى سبع آبار طلبا للشفاء

---

(١) حديث « مابين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى » متفق عليه من حديث أبى هريرة وعبد الله ابن زيد (٢) حديث « وضعه صلى الله عليه وسلم يده عند الخطبة على رمانة المنبر » لم أقف له على أصل وذكر محمد بن الحسن ابن زبالة فى تاريخ المدينة أن طول رمانتى المنبر اللتين كان يمسكهما صلى الله عليه وسلم بيديه الكريمتين إذا جلس شبر وأصبعان .

(٣) حديث « من خرج من بيته حتى يأتى مسجد قباء ويصلى فيه كان عدل عمرة » أخرجه النسائى وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف بإسناد صحيح (٤) حديث « أن النبى صلى الله عليه وسلم تفل فى بئر أريس » لم أقف له على أصل وإنما ورد أنه تفل فى بئر البصة وبئر غرس — كما سيأتى عند ذكرها — (٥) حديث « الآبار التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يتوضأ ويغتسل ويشرب منها » وهى سبعة آبار . قلت : وهى بئر أريس وبئر حا وبئر رومة وبئر غرس وبئر بضاعة وبئر البصة وبئر السقيا أو العهن أو بئر جمل . لحديث « بئر أريس » رواه مسلم من حديث أبى موسى الأشعرى فى حديث فيه « حتى دخل بئر أريس قال فجلست عند بابها وبابها من حديد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته وتوضأ . . الحديث » وحديث « بئر حا » متفق عليه من حديث أنس قال « كان أبو طلحة أكثر أنصارى بالمدينة نخلا وكان أحب أمواله اليه بئر حا وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب . . . الحديث » وحديث « بئر رومة » رواه الترمذى والنسائى من حديث عثمان « أنه قال أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشترى بئر رومة ويجعل دلوه مع دلاء المسلمين ... الحديث » قال الترمذى حديث حسن . وفى رواية لهما « هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بالثمن فابتعتها فجعلتها للغنى والفقير وابن السبيل ... الحديث » وقال حسن صحيح وروى البغوى والطبرانى من حديث بشير الأسلمى قال « لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بنى غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع منها القربة بمد . الحديث » وحديث « بئر غرس » رواه ابن حبان فى الثقات من حديث أنس « أنه قال ائتونى بماء من بئر غرس فإنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويتوضأ » ولابن ماجه بإسناد جيد مرفوعا « إذا أنا مت فاغسلونى بسبع قرب من بئرى بئر غرس » وروينا فى تاريخ المدينة لابن النجار بإسناد ضعيف مرسلا « أن النبى صلى الله عليه وسلم توضأ منها وبزق فيها وغسل منها حين توفى » وحديث « بئر بضاعة » رواه أصحاب السنن من حديث أبى سعيد الخدرى « أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنتوضأ من بئر بضاعة » وفى رواية « أنه يستقى لك من بئر بضاعة . . الحديث » قال يحيى بن معين إسناده جيد وقال الترمذى حسن وللطبرانى من حديث أبى أسيد « بصق النبى صلى الله عليه وسلم فى بئر بضاعة » وروينا أيضا فى تاريخ ابن النجار من حديث سهل بن سعد . وحديث « بئر البصة » رواه ابن عدى من حديث أبى سعيد الخدرى « أن النبى صلى الله عليه وسلم جاءه يوما فقال هل عندكم من سدر أغسل به رأسى فإن اليوم الجمعة ؟ قال نعم فأخرج له سدرا وخرج معه الى البصة فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وصب غسالة رأسه وهراق شعره فى البصة » وفيه محمد بن الحسن بن زبالة ضعيف وحديث « بئر السقيا » رواه أبو داود من حديث عائشة « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يستعذب له من بيوت السقيا » زاد البزار فى مسنده « أو من بئر السقيا » ولأحمد من حديث على « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بالسقيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتونى بوضوء فلما توضأ

وتبركا به صلى الله عليه وسلم وإن أمكنه الإقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم قال صلى الله عليه وسلم « لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فإنه لن يموت بها أحد إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة [2] » ثم إذا فرغ من أشغاله وعزم على الخروج من المدينة فالمستحب أن يأتى القبر الشريف ويعيد دعاء الزيارة - كما سبق - ويودع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسأل الله عز وجل أن يرزقه العودة إليه ويسأل السلامة فى سفره . ثم يصلى ركعتين فى الروضة الصغيرة وهى موضع مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن زيدت المقصورة فى المسجد . فإذا خرج فليخرج رجله اليسرى أولا ثم اليمنى وليقل « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك وحط أوزارى بزيارته وأصحبنى فى سفرى السلامة ويسر رجوعى إلى أهلى ووطنى سالما يا أرحم الراحمين » وليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه . وليتتبع المساجد التى بين المدينة ومكة فيصلى فيها وهى عشرون موضعا .

فصل : فى سنن الرجوع من السفر

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على رأس كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده [3] » وفى بعض الروايات « وكل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون » فينبغى أن يستعمل هذه السنة فى رجوعه . وإذا أشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول « اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا » ثم ليرسل إلى أهله من يخبرهم بقدومه كى لا يقدم عليهم بغتة فذلك هو السنة [4] ولا ينبغى أن يطرق أهله ليلا فإذا دخل البلد فليقصد المسجد أولا وليصل ركعتين فهو السنة [5] كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإذا دخل بيته قال « توبا توبا لربنا أوبا لا يغادر علينا حوبا » فإذا استقر فى منزله فلا ينبغى أن ينسى ما أنعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه صلى الله عليه وسلم فيكفر تلك النعمة بأن يعود إلى الغفلة واللهو والخوض فى المعاصى ، فما ذلك علامة الحج المبرور بل علامته أن يعود زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة متأهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت .

الباب الثالث : فى الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة

بيان دقائق الآداب وهى عشرة

(الأول) أن تكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردا

= قام .. الحديث » وأما بترجل فى الصحيحين من حديث أبى الجهم « أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بئر جمل .. الحديث » وصله البخارى وعلقه مسلم والمشهور أن الآثار بالمدينة سبعة . وقد روى الدارمى من حديث عائشة « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه : صبوا على سبع قرب من آبار شتى .. الحديث » وهو عند البخارى دون قوله « من آبار شتى »

(١) حديث « لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة » تقدم فى الباب قبله (٢) حديث « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها .. الحديث » تقدم فى الباب قبله (٣) حديث « كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ... الحديث » متفق عليه من حديث ابن عمر وما زاده فى آخره فى بعض الروايات من قوله « وكل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون » رواه المحاملى فى الدعاء بإسناد جيد .

(٤) حديث « إرسال المسافر إلى أهل بيته من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة » لم أجد فيه ذكر الإرسال وفى الصحيحين من حديث جابر « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل فقال أمهلوا حتى ندخل ليلا أى عشاء كى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة » (٥) حديث « صلاة ركعتين فى المسجد عند القدوم من السفر » تقدم فى الصلاة

لله تعالى والقلب مطمئنا منصرفا إلى ذكر الله تعالى وتعظيم شعائره وقد روى فى خبر من طريق أهل البيت « إذا كان آخر الزمان خرج الناس إلى الحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة وأغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للسمعة [1] » وفى الخبر إشارة إلى جملة أغراض الدنيا التى يتصور أن تتصل بالحج ، فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص ؛ لا سيما إذا كان متجرداً بنفس الحج بأن يحج لغيره بأجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة . وقد كره الورعون وأرباب القلوب ذلك إلا أن يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا بأس أن يأخذ ذلك على هذا القصد ، لا ليتوصل بالدين إلى الدنيا بل بالدنيا إلى الدين . فعند ذلك ينبغى أن يكون قصده زيارة بيت الله عز وجل ومعاونة أخيه المسلم بإسقاط الفرض عنه . وفى مثله ينزل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل الله سبحانه بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة : الموصى بها والمنفذ لها ومن حج بها عن أخيه [2] » ولست أقول لا تحل الأجرة أو يحرم ذلك بعد أن أسقط فرض الإسلام عن نفسه ، ولكن الأولى أن لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره فإن الله عز وجل يعطى الدنيا بالدين ولا يعطى الدين بالدنيا . وفى الخبر « مثل الذى يغزو فى سبيل الله عز وجل ويأخذ أجرا مثل أم موسى عليه السلام ترضع ولدها وتأخذ أجرها [3] » فمن كان مثاله فى أخذ الأجرة على الحج مثال أم موسى فلا بأس بأخذه فإنه يأخذ ليتمكن من الحج والزيارة فيه ، وليس يحج ليأخذ الأجرة بل يأخذ الأجرة ليحج كما كانت تأخذ أم موسى ليتيسر لها الإرضاع بتلبيس حالها عليهم (الثانى) أن لا يعاون أعداء الله سبحانه بتسليم المكس وهم الصادون عن المسجد الحرام من أمراء مكة والأعراب المترصدين فى الطريق . فإن تسليم المال إليهم إعانة على الظلم وتيسير لأسبابه عليهم فهو كالإعانة بالنفس ؛ فليتلطف فى حيلة الخلاص فإن لم يقدر فقد قال بعض العلماء ـ ولا بأس بما قاله ـ إن ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق أفضل من إعانة الظلمة فإن هذه بدعة أحدثت وفى الانقياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل جزية . ولا معنى لقول القائل إن ذلك يؤخذ منى وأنا مضطر فإنه لو قعد فى البيت أو رجع من الطريق لم يؤخذ منه شىء بل ربما يظهر أسباب الترفه فتكثر مطالبته فلو كان فى زى الفقراء لم يطالب فهو الذى ساق نفسه إلى حالة الاضطرار (الثالث) التوسع فى الزاد وطيب النفس بالبذل والإنفاق من غير تقتير ولا إسراف بل على اقتصاد ، وأعنى بالإسراف التنعم بأطيب الأطعمة والترفه بشرب أنواعها على عادة المترفين . فأما كثرة البذل فلا سرف فيه . إذ لا خير فى السرف ولا سرف فى الخير ، كما قيل . وبذل الزاد فى طريق الحج نفقته فى سبيل الله عز وجل والدرهم بسبعمائة درهم . قال ابن عمر رضى الله عنهما : من كرم الرجل طيب زاده فى سفره . وكان يقول أفضل الحاج أخلصهم نية وأزكاهم نفقة وأحسنهم يقينا . وقال صلى الله عليه وسلم « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة فقيل له يارسول الله ما بر الحج ؟ فقال : طيب الكلام وإطعام الطعام [4] » (الرابع) ترك الرفث والفسوق

الباب الثالث : فى الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة

(١) حديث « اذا كان فى آخر الزمان خرج الناس للحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة وأغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للسؤال وقراؤهم للسمعة » أخرجه الخطيب من حديث أنس باسناد مجهول وليس فيه ذكر السلاطين ، ورواه أبو عثمان الصابونى فى كتاب المائتين فقال « تحج أغنياء أمتى للنزهة وأوساطهم للتجارة وقراؤهم للمسألة وقراؤهم للرياء والسمعة » (٢) حديث « يدخل بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الموصى بها والمنفذ لها ومن حج بها عن أخيه » أخرجه البيهقى من حديث جابر بسند ضعيف

(٣) حديث « مثل الذى يغزو ويأخذ أجرا مثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها » أخرجه ابن عدى من حديث معاذ وقال مستقيم الإسناد منكر المتن (٤) حديث « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، فقيل له ما بر الحج ؟ قال طيب الكلام وإطعام الطعام » أخرجه أحمد من حديث جابر باسناد لين ورواه الحاكم مختصراً وقال صحيح الإسناد

والجدال كما نطق به القرآن . والرفث اسم جامع لكل لغو وخنى وفحش من الكلام ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن والتحدث بشأن الجماع ومقدماته ، فإن ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والداعى إلى المحظور محظور . والفسق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله عز وجل . والجدال هو المبالغة فى الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ويفرق فى الحال الهمة وينافض حسن الخلق . وقد قال سفيان : من رفث فسد حجه . وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الكلام مع إطعام الطعام من بر الحج . والمماراة تناقض طيب الكلام فلا ينبغى أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيره من أصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين إلى بيت الله عز وجل ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كف الأذى بل احتمال الأذى وقيل سمى السفر سفرا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال . ولذلك قال عمر رضى الله عنه لمن زعم أنه يعرف رجلا : هل صحبته فى السفر الذى يستدل به على مكارم الأخلاق ؟ قال : لا ، فقال : ما أراك تعرفه (الخامس) أن يحج ماشيا إن قدر عليه فذلك الأفضل . أوصى عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما بنيه عند موته فقال . يا بنى حجوا مشاة فإن للحاج الماشى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم ، قيل وما حسنات الحرم ؟ قال : الحسنة بمائة ألف والاستحباب فى المشى فى المناسك والتردد من مكة إلى الموقف وإلى منى آكد منه فى الطريق . وإن أضاف إلى المشى الإحرام من دويرة أهله فقد قيل إن ذلك من إتمام الحج قاله عمر وعلى وابن مسعود رضى الله عنهم فى معنى قوله عز وجل ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ وقال بعض العلماء : الركوب أفضل لما فيه من الإنفاق والمؤنة ولأنه أبعد عن ضجر النفس وأقل لأذاه وأقرب إلى سلامته وتمام حجه . وهذا عند التحقيق ليس مخالفا للأول بل ينبغى أن يفصل . ويقال من سهل عليه المشى فهو أفضل فإن كان يضعف ويؤدى به ذلك إلى سوء الخلق وقصور عن عمل فالركوب له أفضل ، كما أن الصوم للمسافر أفضل وللمريض مالم يفض إلى ضعف وسوء خلق . وسئل بعض العلماء عن العمرة : أيمشى فيها أو يكترى حمارا بدرهم؟ فقال : إن كان وزن الدرهم أشد عليه فالكراء أفضل من المشى ، وإن كان المشى أشد عليه كالأغنياء فالمشى له أفضل ؛ فكأنه ذهب فيه إلى طريق مجاهدة النفس وله وجه . ولكن الأفضل له أن يمشى ويصرف ذلك الدرهم إلى خير فهو أولى من صرفه إلى المكارى عوضا عن ابتذال الدابة . فإذا كانت لا تتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس ونقصان المال فما ذكره غير بعيد فيه (السادس) أن لا يركب إلا زاملة أما المحمل فليجتنبه إلا إذا كان يخاف على الزاملة أن لا يستمسك عليها لعدر وفيه معنيان أحدهما : التخفيف على البعير فإن المحمل يؤذيه . والثانى : اجتناب زى المترفين المتكبرين « حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم [1] وطاف على الراحلة لينظر الناس إلى هديه وشمائله [2] » وقال صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم « خذوا عنى مناسككم [3] » وقيل إن هذه المحامل أحدثها الحجاج وكان العلماء فى وقته ينكرونها . فروى سفيان الثورى عن أبيه أنه قال : برزت من الكوفة إلى القادسية للحج ووافيت الرفاق من البلدان فرأيت الحاج كلهم على زوامل وجوالقات ورواحل ومارأيت فى جميعهم إلا محملين . وكان ابن عمر إذا نظر إلى ماأحدث الحجاج من الزى والمحامل يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر إلى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال : هذا نعم من الحجاج .

---

(١) حديث « حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم » أخرجه الترمذى فى الشمائل وابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث « طوافه صلى الله عليه وسلم على راحلته » تقدم .
(٣) حديث « خذوا عنى مناسككم » أخرجه مسلم والنسائى واللفظ له من حديث جابر

(السابع) أن يكون رث الهيئة أشعث أغبر غير مستكثر من الزينة ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر فيكتب في ديوان المتكبرين المترفهين ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين وخصوص الصالحين ، فقد أمر صلى الله عليه وسلم بالشعث والاختفاء [١] ونهى عن التنعم والرفاهية [٢] في حديث فضالة بن عبيد وفي الحديث « إنما الحاج الشعث التفث [٣] ويقول الله تعالى : انظروا إلى زوار بيتي قد جاءوني شعثا غبرا من كل فج عميق [٤] » وقال تعالى ﴿ ثم ليقضوا تفثهم ﴾ والتفث الشعث والاغبرار ، وقضاؤه بالحلق وقص الشارب والأظفار . وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد : اخلولقوا واخشوشنوا . أي البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة في الأشياء . وقد قيل : زين الحجيج أهل اليمن لأنهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف فينبغي أن يجتنب الحمرة في زيه على الخصوص والشهرة كيفما كانت على العموم . فقد روي « أنه صلى الله عليه وسلم كان في سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الإبل فنظر إلى أكسية حمر على الأقتاب فقال صلى الله عليه وسلم أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم [٥] قالوا فقمنا إليها ونزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الإبل » (الثامن) أن يرفق بالدابة فلا يحملها مالا تطيق والمحمل خارج عن حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة عن قعود وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال صلى الله عليه وسلم « لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي [٦] » ، ويستحب أن ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة [٧] وفيه آثار عن السلف . وكان بعض السلف يكتري بشرط أن لا ينزل ويوفي الأجرة ثم كان ينزل عنها ليكون بذلك محسنا إلى الدابة ، فيكون في حسناته ويوضع في ميزانه لا في ميزان المكاري . وكل من آذى بهيمة وحملها مالا تطيق طولب به يوم القيامة . قال أبو الدرداء لبعير له عند الموت : يا أيها البعير لا تخاصمني إلى ربك فإني لم أكن أحملك فوق طاقتك . وعلى الجملة في كل كبد حرّاء أجر فليراع حق الدابة وحق المكاري جميعا وفي نزوله ساعة ترويح الدابة وسرور قلب المكاري . قال رجل لابن المبارك : احمل لي هذا الكتاب معك لتوصله فقال : حتى استأمر الجمال فإني قد اكتريت . فانظر كيف تورّع من استصحاب كتاب لا وزن له ؟ وهو طريق الحزم في الورع فإنه إذا فتح باب القليل انجرّ إلى الكثير يسيرا يسيرا (التاسع) أن يتقرب بإراقة دم وإن لم يكن واجبا عليه ويجتهد أن يكون من سمين النعم ونفيسه ، وليأكل منه إن كان تطوعا ولا يأكل منه إن كان واجبا . قيل في تفسير قوله تعالى ﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله ﴾ إنه تحسينه وتسمينه . وسوق الهدي من الميقات أفضل إن كان لا يجهده ولا يكده . وليترك المكاس في شرائه فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون

---

(١) حديث « الأمر بالشعث والاختفاء » أخرجه البغوي والطبراني من حديث عبد الله بن أبي حدرد قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمعددوا واخشوشنوا وانتضلوا وامشوا حفاة » وفيه اختلاف ورواه ابن عدي من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف (٢) حديث فضالة بن عبيد « في النهي عن التنعم والرفاهية وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ينهى عن كثير من الإرفاه » ولأحمد من حديث معاذ إياك والتنعم .. الحديث » (٣) حديث « إنما الحاج الشعث التفث » أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر وقال غريب (٤) حديث « يقول الله تعالى أنظروا إلى زوار بيتي قد جاءوا شعثا غبرا من كل فج عميق » أخرجه الحاكم وصححه من حديث أبي هريرة دون قوله « من كل فج عميق » وكذا رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمر (٤) حديث « أنه صلى الله عليه وسلم كان في سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الإبل فنظر إلى أكسية حمر على الأقتاب فقال أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم . الحديث » أخرجه أبو داود من حديث رافع بن خديج وفيه رجل لم يسم .

(٦) حديث « لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي » أخرجه أحمد من حديث سهل بن معاذ بسند ضعيف ورواه الحاكم وصححه من رواية معاذ بن أنس عن أبيه (٧) حديث « النزول عن الدابة غدوة وعشية يريحها بذلك » أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أنس باسناد جيد « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى الفجر في السفر مشى » ورواه البيهقي في الأدب وقال « مشى قليلا وناقته تقاد »

المكاس فيهن : الهدى والأضحية والرقبة ، فإن أفضل ذلك أغلاه ثمنا وأنفسه عند أهله ، وروى ابن عمر ، أن عمر رضى الله عنهما أهدى بختية فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها [1] ، وذلك لأن القليل الجيد خير من الكثير الدون . وفى ثلثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم إنما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله عز وجل فـ ﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ﴾ وذلك يحصل بمراعاة النفاسة فى القيمة كثر العدد أو قل ، وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم مابر الحج فقال العج والثج [2] ، والعج هو رفع الصوت بالتلبية ، والثج هو نحر البدن . وروت عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما عمل آدمى يوم النحر أحب إلى الله عز وجل من إهراقه دما وإنها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأظلافها وإن الدم يقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع بالأرض فطيبوا بها نفسا [3] » وفى الخبر « لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وإنها لتوضع فى الميزان فابشروا [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « استجدوا هداياكم فإنها مطاياكم يوم القيامة » (العاشر) أن يكون طيب النفس بما أنفقه من نفقة وهدى وبما أصابه من خسران ومصيبة فى مال أو بدن إن أصابه ذلك فإن ذلك من دلائل قبول حجه . فإن المصيبة فى طريق الحج تعدل النفقة فى سبيل الله عز وجل الدرهم بسبعمائة درهم بمثابة الشدائد فى طريق الجهاد فله بكل أذى احتمله وخسران أصابه ثواب فلا يضيع منه شىء عند الله عز وجل . ويقال إن من علامة قبول الحج أيضا ترك ما كان عليه من المعاصى وأن يتبدل بإخوانه البطالين إخوانا صالحين ، وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة .

بيان الأعمال الباطنة ووجه الإخلاص فى النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر لأسرارها ومعانيها من أول الحج إلى آخره

اعلم أن أول الحج الفهم ـ أعنى فهم موقع الحج فى الدين ـ ثم التشوق إليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة منه ثم شراء ثوب الإحرام ثم شراء الزاد ثم اكتراء الراحلة ثم الخروج ثم المسير فى البادية ثم الإحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الأفعال كما سبق . وفى كل واحد من هذه الأمور تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق وتعريف وإشارة للفطن . فلنرمز إلى مفاتحها حتى إذا انفتح بابها وعرفت أسبابها انكشفت لكل حاج من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة فهمه .

أما الفهم : اعلم أنه لا وصول إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه فى جميع الحركات والسكنات . ولأجل هذا انفرد الرهبانيون فى الملل السالفة

---

(١) حديث ابن عمر « أن عمر أهدى بختيه فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها » أخرجه أبو داود وقال « انحرها » (٢) حديث « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم مابر الحج ؟ فقال : العج والثج » أخرجه الترمذى واستغربه وابن ماجه والحاكم وصححه والبزار واللفظ له من حديث أبى بكر وقال الباقولى « أى الحج أفضل » (٣) حديث عائشة « ماعمل ابن آدم يوم النحر أحب إلى الله من إهراقه دما . . الحديث » أخرجه الترمذى وحسنه ابن ماجه وضعفه ابن حبان وقال البخارى إنه مرسل ووصله ابن خزيمة (٤) حديث « لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وإنها لتوضع فى الميزان فأبشروا » أخرجه ابن ماجه وصححه البيهقى من حديث زيد بن أرقم فى حديث فيه « بكل شعرة حسنة قالوا فالصوف قال بكل شعرة من الصوف حسنة » وفى رواية للبيهقى « بكل قطرة حسنة » قال البخارى لا يصح وروى أبو الشيخ فى كتاب الضحايا من حديث على « أما إنها تجاء بها يوم القيامة بلحومها ودمائها حتى توضع فى ميزانك » يقولها لفاطمة .

عن الخلق وانحازوا إلى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الأنس بالله عز وجل فتركوا لله عز وجل اللذات الحاضرة وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة طمعا فى الآخرة وأثنى الله عزوجل عليهم فى كتابه فقال ﴿ ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لايستكبرون ﴾ فلما اندرس ذلك وأقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله عز وجل وفتروا عنه بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم لإحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين فى سلوكها . فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياحة فى دينه فقال صلى الله عليه وسلم : أبدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف [1] يعنى الحج « وسئل صلى الله عليه وسلم عن السائحين فقال : هم الصائمون [2] » فأنعم الله عز وجل على هذه الأمة بأن جعل الحج رهبانية لهم فشرف البيت العتيق بالإضافة إلى نفسه تعالى . ونصبه مقصدا لعباده وجعل ماحواليه حرما لبيته تفخيما لأمره . وجعل عرفات كالميزاب على فناء حوضه : وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره . ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته . مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ليكون ذلك ابلغ فى رقهم وعبوديتهم وأتم فى إذعانهم وانقيادهم . ولذلك وظف عليهم فيها أعمالا لاتأنس بها النفوس ولا تهتدى إلى معانيها العقول كرمى الجمار بالأحجار ، والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار . وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية . فإن الزكاة إرفاق ووجهه مفهوم وللعقل إليه ميل . والصوم كسر للشهوة التى هى آلة عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل . والركوع والسجود فى الصلاة تواضع لله عز وجل بأفعال هى هيئة التواضع وللنفوس أنس بتعظيم الله عز وجل . فأما ترددات السعى ورمى الجمار وأمثال هذه الأعمال فلا حظ للنفوس ولا أنس فيها ولا اهتداء للعقل إلى معانيها فلا يكون فى الإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد وقصد الامتثال للأمر من حيث إنه أمر واجب الاتباع فقط . وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل أنسه فإن كل ماأدرك العقل معناه ؛ مال الطبع إليه ميلا ما . فيكون ذلك الميل معينا للأمر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى الحج على الخصوص « لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا [1] » ولم يقل ذلك فى صلاة ولا غيرها . وإذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم وأن يكون زمامها بيد الشرع فيترددون فى أعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد . كان مالا يهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات فى تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق . مقتضى الاسترقاق . وإذا تفطنت لهذا فهمت أن تعجب النفوس من هذه الأفعال العجيبة مصدره الذهول عن أسرار التعبدات . وهذا القدر كاف فى تفهم أصل الحج إن شاء الله تعالى .

وأما الشوق : فإنما ينبعث بعد الفهم والتحقق بأن البيت بيت الله عزوجل وأنه وضع على مثال حضرة الملوك

---

(١) حديث « سئل عن الرهبانية والسياحة فقال : بدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف » أخرجه أبو داود من حديث أبي أمامة « أن رجلا قال يارسول الله ائذن لى فى السياحة فقال إن سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله » رواه الطبرانى بلفظ « إن لكل أمة سياحة وسياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله ولكل أمة رهبانية ورهبانية أمتى الرباط فى نحر العدو » وللبيهقى فى الشعب من حديث أنس « رهبانية أمتى الجهاد فى سبيل الله » وكلاهما ضعيف والترمذى وحسنه والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه من حديث أبى هريرة « أن رجلا قال يارسول الله إنى أريد أن أسافر فأوصنى قال عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف » .

(٢) حديث « سئل عن السائحين فقال هم الصائمون » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة وقال المحفوظ عن عبيد بن عمير عن عمر مرسلا

(٣) حديث « لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا » تقدم فى الزكاة .

فقاصده قاصد إلى الله عز وجل وزائر له وأن من قصد البيت فى الدنيا جدير بأن لايضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة فى ميعاده المضروب له وهو النظر إلى وجه الله الكريم فى دار القرار ، من حيث إن العين القاصرة الفانية فى دار الدنيا لاتتهيأ لقبول النظر إلى وجه الله عز وجل ولا تطيق احتماله ولا تستعد للاكتحال به لقصورها ، وأنها إن أمدت فى الدار الآخرة بالبقاء ونزهت عن أسباب التغير والفناء استعدت للنظر والإبصار ولكنها بقصد البيت والنظر إليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم . فالشوق إلى لقاء الله عزوجل يشوقه إلى أسباب اللقاء لامحالة ، هذا مع أن المحب مشتاق إلى كل ماله إلى محبوبه إضافة والبيت مضاف إلى الله عزوجل فبالحرى أن يشتاق إليه لمجرد هذه الإضافة فضلا عن الطلب لنيل ماوعد عليه من الثواب الجزيل .

وأما العزم : فليعلم أنه بعزمه قاصدا إلى مفارقة الأهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات متوجها إلى زيارة بيت الله عزوجل . وليعظم فى نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره وأن من طلب عظيما خاطر بعظيم . وليجعل عزمه خالصا لوجه الله سبحانه بعيدا عن شوائب الرياء والسمعة ، وليتحقق أنه لايقبل من قصده وعمله إلا الخالص وإن من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الله وحرمه والمقصود غيره . فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه بإخلاصه وإخلاصه باجتناب كل مافيه رياء وسمعة فليحذر أن يستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير .

وأما قطع العلائق : فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن جملة المعاصى فكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلابيبه ينادى عليه ويقول : إلى أين تتوجه أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيع أمره فى منزلك هذا ومستهين به ومهمل له ؟ أولاتستحى أن تقدم عليه قدوم العبد العاصى فيردك ولايقبلك ؟ فإن كنت راغبا فى قبول زيارتك فنفذ أوامره ورد المظالم وتب إليه أولا من جميع المعاصى واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ماوراءك لتكون متوجها إليه بوجه قلبك كما أنك متوجه إلى بيته بوجه ظاهرك . فإن لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك أولا إلا النصب والشقاء وآخرا إلا الطرد والرد . وليقطع العلائق عن وطنه انقطع من قطع عنه وقدر أن لايعود إليه وليكتب وصيته لأولاد وأهله فإن المسافر وماله لعلى خطر إلا من وقى الله سبحانه . وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فإن ذلك بين يديه على القرب ومايقدمه من هذا السفر طمع فى تيسير ذلك السفر فهو المستقر وإليه المصير . فلاينبغى أن يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد بهذا السفر .

وأما الزاد : فليطلبه من موضع حلال وإذا أحس من نفسه الحرص على استكثاره وطلب مايبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتذكر أن سفر الآخرة أطول من هذا السفر ، وأن زاده التقوى وأن ماعداه مما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه ، كالطعام الرطب الذى يفسد فى أول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيرا محتاجا لاحيلة له . فليحذر أن تكون أعماله التى هى زاده إلى الآخرة لاتصحبه بعد الموت بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير .

وأما الراحلة : إذا أحضرها فليشكر الله بقلبه على تسخير الله عز وجل له الدواب لتحمل عنه الأذى وتخفف عنه المشقة . وليتذكر عنده المركب الذى يركبه إلى دار الآخرة وهى الجنازة التى يحمل عليها . فإن أمر الحج من وجه يوازى أمر السفر إلى الآخرة ولينظر أيصلح سفره على هذا المركب لأن يكون زادا له لذلك السفر على ذلك المركب ؟ فما أقرب ذلك منه . وما يدريه لعل الموت قريب ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمل . وركوب

الجنازة مقطوع به وتيسر أسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاط فى أسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر فى زاده وراحلته ويهمل أمر السفر المستيقن ؟

وأما شراء ثوبى الإحرام : فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه فإنه سيرتدى ويتزر بثوبى الإحرام عند القرب من بيت الله عز وجل وربما لا يتم سفره إليه . وأنه سيلقى الله عز وجل ملفوفا فى ثياب الكفن لا محالة . فكما لا يلقى بيت الله عز وجل إلا مخالفا عادته فى الزى والهيئة فلا يلقى الله عز وجل بعد الموت إلا فى زى مخالف لزى الدنيا . وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس فيه مخيط كما فى الكفن .

وأما الخروج من البلد : فليعلم عنده أنه فارق الأهل والوطن متوجها إلى الله عز وجل فى سفر لا يضاهى أسفار الدنيا . فليحضر فى قلبه أنه ماذا يريد وأين يتوجه وزيارة من يقصد ؟ وأنه متوجه إلى ملك الملوك فى زمرة الزائرين له الذين نودوا فأجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستنهضوا فنهضوا وقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق وأقبلوا على بيت الله عز وجل الذى فخم أمره وعظم شأنه ورفع قدره تسليا بلقاء البيت عن لقاء رب البيت إلى أن يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم . وليحضر فى قلبه رجاء الوصول والقبول لا إدلالا بأعماله فى الارتحال ومفارقة الأهل والمال ولكن ثقة بفضل الله عز وجل ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج أنه إن لم يصل إليه وأدركته المنية فى الطريق لقى الله عز وجل وافداً إليه إذ قال جل جلاله ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾ .

وأما دخول البادية إلى الميقات ومشاهدة تلك العقبات : فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات يوم القيامة وما بينهما من الأهوال والمطالبات . وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادى عقارب القبر وديدانه ومافيه من الأفاعى والحيات ومن انفراده من أهله وأقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته . وليكن فى هذه المخاوف فى أعماله وأقواله متزوداً لمخاوف القبر .

وأما الإحرام والتلبية من الميقات . فليعلم أن معناه إجابة نداء الله عز وجل فارج أن تكون مقبولا واخش أن يقال لك لا لبيك ولا سعديك فكن بين الرجاء والخوف مترددا وعن حولك وقوتك متبرئا وعلى فضل الله عز وجل وكرمه متكلا . فإن وقت التلبية هو بداية الأمر وهى محل الخطر . قال سفيان بن عيينة : حج على ابن الحسين رضى الله عنهما فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبى فقيل له : لم لا تلبى ؟ فقال : أخشى أن يقال لى لا لبيك ولا سعديك . فلما لبى غشى عليه ووقع عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه وقال أحمد بن أبى الحوارى : كنت مع أبى سليمان الدارانى رضى الله عنه حين أراد الإحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا فأخذته الغشية ثم أفاق وقال : يا أحمد إن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام مر ظلمة بنى إسرائيل أن يقلوا من ذكرى فإنى أذكر من ذكرنى منهم باللعنة . ويحك يا أحمد بلغنى أن من حج من غير حله ثم لبى قال الله عز وجل لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما فى يديك فما نأمن أن يقال لنا ذلك . وليتذكر الملبى عند رفع الصوت بالتلبية فى الميقات إجابته لنداء الله عز وجل إذ قال ﴿ وأذن فى الناس بالحج ﴾ ونداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم فى عرصات القيامة مجيبين لنداء الله سبحانه ؛ ومنقسمين إلى مقربين وممقوتين . ومقبولين ومردودين . ومترددين فى أول الأمر بين الخوف والرجاء تردد الحاج فى الميقات حيث لا يدرون أيتيسر لهم إتمام الحج وقبوله أم لا ؟

وأما دخول مكة : فليتذكر عندها أنه قد انتهى إلى حرم الله تعالى آمنا وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله عزوجل وليخش أن لايكون أهلا للقرب فيكون بدخوله الحرم خائباً ومستحقا للمقت . وليكن رجاؤه فى جميع الأوقات غالبا فالكرم عميم والرب رحيم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعى وذمام المستجير اللائذ غير مضيع .

وأما وقوع البصر على البيت : فينبغى أن يحضر عنده عظمة البيت فى القلب ويقدّر كأنه مشاهد لرب البيت لشدّة تعظيمه إياه . وارج أن يرزقك الله تعالى النظر إلى وجهه الكريم كما رزقك الله النظر إلى بيته العظيم . واشكر الله تعالى على تبليغه إياك هذه الرتبة وإلحاقه إياك بزمرة الوافدين عليه . واذكر عند ذلك انصباب الناس فى القيامة إلى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ثم انقسامهم إلى مأذونين فى الدخول ومصروفين انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين . ولا تغفل عن تذكر أمور الآخرة فى شىء مما تراه فإن كل أحوال الحاج دليل على أحوال الآخرة .

وأما الطواف بالبيت : فاعلم أنه صلاة فأحضر فى قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ماوصفناه فى كتاب الصلاة . واعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله . ولاتظن أن المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لاتبتدئ الذكر إلا منه ولاتختم إلا به كما تبتدئ الطواف من البيت وتختم بالبيت . واعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية . وأن البيت مثال ظاهر فى عالم الملك لتلك الحضرة التى لاتشاهد بالبصر وهى عالم الملكوت ، كما أن البدن مثال ظاهر فى عالم الشهادة للقلب الذى لايشاهد بالبصر وهو فى عالم الغيب . وأن عالم الملك والشهادة مدركة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح الله له الباب وإلى هذه الموازنة وقعت الإشارة بأن البيت المعمور فى السموات بإزاء الكعبة . فإن طواف الملائكة به كطواف الأنس بهذا البيت . ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الإمكان ووعدوا بأن من تشبه بقوم فهو منهم [1] والذى يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذى يقال إن الكعبة تزوره وتطوف به على مارآه بعض المكاشفين لبعض أولياء الله سبحانه وتعالى .

وأما الاستلام : فاعتقد عنده أنك مبايع لله عز وجل على طاعته فصمم عزيمتك على الوفاء ببيعتك فمن غدر فى المبايعة استحق المقت . وقد روى ابن عباس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « الحجر الأسود يمين الله عزوجل فى الأرض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه [2] » .

وأما التعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم : فلتكن نيتك فى الالتزام طلب القرب حبا وشوقا للبيت ولرب البيت وتبركا بالمماسة ورجاء للتحصن عن النار فى كل جزء من بدنك لافى البيت . ولتكن نيتك فى التعلق بالستر الإلحاح فى طلب المغفرة وسؤال الأمان كالمذنب المتعلق بثياب من أذنب إليه المتضرع إليه فى عفوه عنه المظهر له أنه لاملجأ له منه إلا إليه ولا مفزع له إلا كرمه وعفوه وأنه لايفارق ذيله إلا بالعفو وبذل الأمن فى المستقبل .

وأما السعى بين الصفا والمروة فى فناء البيت : فإنه يضاهى تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد أخرى

---

(١) حديث « من تشبه بقوم فهو منهم » أخرجه أبو دواد من حديث ابن عمر بسند صحيح

(٢) حديث ابن عباس « الحجر يمين الله فى الأرض يصافح بها خلقه .. الحديث » تقدم فى العلم من حديث عبدالله بن عمرو .

إظهارا للخلوص فى الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة ، كالذى دخل على الملك وخرج وهو لايدرى ما الذى يقضى به الملك فى حقه من قبول أو رد ؟ فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن يرحم فى الثانية إن لم يرحم فى الأولى وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتى الميزان فى عرصات القيامة وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات . وليتذكر تردده بين الكفتين ناظرا إلى الرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران .

وأما الوقوف بعرفة . فاذكر - بما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق أئمتهم فى الترددات على المشاعر اقتفاء لهم وسيرا بسيرهم - عرصات القيامة واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة واقتفاء كل أمة نبيها وطمعهم فى شفاعتهم وتحيرهم فى ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول . وإذا تذكرت ذلك فألزم قلبك الضراعة والابتهال إلى الله عزوجل فتحشر فى زمرة الفائزين المرحومين وحقق رجاءك بالإجابة فالموقف شريف والرحمة إنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من أوتاد الأرض . ولا ينفك الموقف عن طبقة من الأبدال والأوتاد وطبقة من الصالحين وأرباب القلوب . فإذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت إلى الله سبحانه أيديهم وامتدت إلى أعناقهم وشخصت نحو السماء أبصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظنن أنه يخيب أملهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم. ولذلك قيل: إن من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات، ويظن أن الله تعالى لم يغفر له . وكأن اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده فلا طريق إلى استدرار رحمة الله سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب فى وقت واحد .

وأما رمى الجمار : فاقصد به الانقياد للأمر إظهارا للرق والعبودية وانتهاضا لمحرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه . ثم اقصد به التشبه بإبراهيم عليه السلام حيث عرض له إبليس لعنه الله تعالى فى ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية فأمره الله عزوجل أن يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لأمله . فإن خطر لك : أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه وأما أنا فليس يعرض لى الشيطان ؟ فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان وأنه الذى ألقاه فى قلبك ليفتر عزمك فى الرمى ويخيل إليك أنه فعل لافائدة فيه وأنه يضاهى اللعب فلم تشتغل به؟ فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير فى الرمى فيه برغم أنف الشيطان . واعلم أنك فى الظاهر ترمى الحصى إلى العقبة وفى الحقيقة ترمى به وجه الشيطان وتقصم به ظهره إذ لا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيما له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه .

وأما ذبح الهدى : فاعلم أنه تقرب إلى الله تعالى بحكم الامتثال فأكمل الهدى وارج أن يعتق الله بكل جزء منه جزءا منك من النار [1] فهكذا ورد الوعد . فكلما كان الهدى أكبر وأجزاؤه أوفر كان فداوك من النار أعم

وأما زيارة المدينة : فإذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر أنها البلدة التى اختارها الله عزوجل لنبيه صلى الله عليه وسلم وجعل إليها هجرته وأنها داره التى شرع فيها فرائض ربه عزوجل وسنته وجاهد عدوه وأظهر بها دينه إلى أن

(١) حديث « أنه يعتق بكل جزء من الأضحية جزءاً من المضحى من النار » لم أقف له على أصل وفى كتاب الضحايا لأبى الشيخ من حديث أبى سعيد « فان لك بأول قطرة تقطر من دمها أن يغفر لك ما تقدم من ذنوبك » يقوله لفاطمة رضي الله عنها وإسناده ضعيف

توفاه الله عز وجل . ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق بعده رضى الله عنهما ثم مثل فى نفسك مواقع أقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ترددداته فيها وأنه ما من موضع قدم تطؤه إلا وهو موضع أقدامه العزيزة فلا تضع قدمك عليه إلا عن سكينة ووجل . وتذكر مشيه وتخطيه فى سككها وتصور خشوعه وسكينته فى المشى وما استودع الله سبحانه قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره مع ذكره تعالى حتى قرنه بذكر نفسه وإحباطه عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته . ثم تذكر ما من الله تعالى به على الذين أدركوا صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه وأعظم تأسفك على ما فاتك من صحبته وصحبة أصحابه رضى الله عنهم . ثم اذكر أنك قد فاتتك رؤيته فى الدنيا وأنك من رؤيته فى الآخرة على خطر . وأنك ربما لا تراه إلا بحسرة وقد حيل بينك وبين قبوله إياك بسوء عملك كما قال صلى الله عليه وسلم « يرفع الله إلى أقواما فيقولون يا محمد فأقول يارب أصحابى فيقول إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك فأقول بعدا وسحقاً [1] » فإن تركت حرمة شريعته ولو فى دقيقة من الدقائق فلا تأمن أن يحال بينك وبينه بعدولك عن محجته . وليعظم مع ذلك رجاؤك أن لا يحول الله تعالى بينك وبينه بعد أن رزقك الإيمان وأشخصك من وطنك لأجل زيارته من غير تجارة ولا حظ فى دنيا بل لمحض حبك له وشوقك إلى أن تنظر إلى آثاره وإلى حائط قبره ؛ إذ سمحت نفسك بالسفر بمجرد ذلك لما فاتتك رؤيته فما أجدرك بأن ينظر الله تعالى إليك بعين الرحمة . فإذا بلغت المسجد فاذكر أنها العرصة التى اختارها الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ولأول المسلمين وأفضلهم عصابة . وان فرائض الله سبحانه أول ما أقيمت فى تلك العرصة . وأنها جمعت أفضل خلق الله حيا وميتا فليعظم أملك فى الله سبحانه أن يرحمك بدخولك إياه فادخله خاشعاً معظما . وما أجدر هذا المكان بأن يستدعى الخشوع من قلب كل مؤمن كما حكى عن أبى سليمان أنه قال : حج أويس القرنى رضى الله عنه ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له : هذا قبر النبى صلى الله عليه وسلم فغشى عليه . فلما أفاق قال : أخرجونى فليس يلذ لى بلد فيه محمد صلى الله عليه وسلم مدفون .

وأما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم : فينبغى أن تقف بين يديه كما وصفنا وتزوره ميتا كما تزوره حياً ولا تقرب من قبره إلا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا . وكما كنت ترى الحرمة فى أن لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد ماثلا بين يديه فكذلك فافعل فإن المس والتقبيل للمشاهد عادة النصارى واليهود . واعلم أنه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وأنه يبلغه سلامك وصلاتك : فمثل صورته الكريمة فى خيالك موضوعا فى اللحد بإزائك وأحضر عظيم رتبته فى قلبك فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم « أن الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته [2] » هذا فى حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادى شوقا إلى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم إذ فاته مشاهدة غرته الكريمة ؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم « من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه عشرا [3] » فهذا جزاؤه فى الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته ببدنه ؟ ثم ائت منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وتوهم صعود النبى صلى الله عليه وسلم المنبر ومثل فى قلبك طلعته البهية كأنها على المنبر

---

(١) حديث « يرفع إلى أقوام فيقولون يا محمد يا محمد فأقول يارب أصحابى فيقول إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك فأقول بعدا وسحقا » متفق عليه من حديث ابن مسعود وأنس وغيرهما دون قوله « يامحمد يامحمد » (٢) حديث « إن الله وكل بقبره صلى الله عليه وسلم ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته » أخرجه النسائى وابن حبان والحاكم من حديث ابن مسعود بلفظ « إن لله ملائكة سياحين فى الأرض يبلغونى عن أمتى السلام »

(٢) حديث « من أصلى على واحدة صلى الله عليه عشرا » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة وعبد الله بن عمرو

وقد أحدق به المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم وهو صلى الله عليه وسلم يحثهم على طاعة الله عز وجل بخطبته وسل الله عز وجل أن لايفرق فى القيامة بينك وبينه فهذه وظيفة القلب فى أعمال الحج . فإذا فرغ منها كلها فينبغى أن يلزم قلبه الحزن والهم والخوف وأنه ليس يدرى أقبل منه حجه وأثبت فى زمرة المحبوبين أم رد حجه وألحق بالمطرودين ؟ وليتعرف ذلك من قلبه وأعماله فإن صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور وانصرافا إلى دار الأنس بالله تعالى ووجد أعماله قد اتزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول فإن الله تعالى لا يقبل إلا من أحبه ؛ ومن أحبه تولاه وأظهر عليه آثار محبته وكف عنه سطوه عدوه إبليس لعنه الله . فإذا ظهر ذلك عليه دل على القبول ، وإن كان الأمر بخلافه فيوشك أن يكون حظه من سفره : العناء والتعب نعوذ بالله سبحانه وتعالى من ذلك .

تم كتاب : أسرار الحج . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب . آداب تلاوة القرآن .

كتاب آداب تلاوة القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى امتن على عباده بنبيه المرسل صلى الله عليه وسلم وكتابه المنزل ﴿ الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ حتى اتسع على أهل الأفكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص والأخبار . واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصل فيه من الأحكام . وفرق بين الحلال والحرام فهو الضياء والنور وبه النجاة من الغرور وفيه شفاء لما فى الصدور . ومن خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم فى غيره أضله الله . هو حبل الله المتين ونوره المبين والعروة الوثقى والمعتصم الأوفى وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير . لاتنقضى عجائبه ولا تتناهى غرائبه لايحيط بفوائده عند أهل العلم تحديد ولا يخلقه عند أهل التلاوة كثرة الترديد هو الذى أرشد الأولين والآخرين ولما سمعه الجن لم يلبثوا أن ولوا إلى قومهم منذرين ﴿ فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا ﴾ فكل من آمن به فقد وفق ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدى ومن عمل به فقد فاز وقال تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ ومن أسباب حفظه فى القلوب والمصاحف استدامة تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه والمحافظة على مافيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة . وذلك لابد من بيانه وتفصيله وتنكشف مقاصده فى أربعة أبواب : (الباب الأول) فى فضل القرآن وأهله . (الباب الثانى) فى آداب التلاوة فى الظاهر . (الباب الثالث) فى الأعمال الباطنة عند التلاوة . (الباب الرابع) فى فهم القرآن وتفسيره بالرأى وغيره .

الباب الأول : فى فضل القرآن وأهله وذم المقصرين فى تلاوته

فضيلة القرآن

قال صلى الله عليه وسلم « من قرأ القرآن ثم رأى أن أحداً أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ما عظمه الله

تعالى [١] « وقال صلى الله عليه وسلم » ما من شفيع أفضل منزلة عند الله تعالى من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « لو كان القرآن فى إهاب ما مسته النار [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل عبادة أمتى تلاوة القرآن [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً « إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت : طوبى لأمة ينزل عليهم هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسنة تنطق بهذا [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « خيركم من تعلم القرآن وعلمه [٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائى ومسألتى أعطيته أفضل ثواب الشاكرين [٧] » وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ مابين الناس : رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل والخ أم به قوما وهم به رضوان [٨] » وقال صلى الله عليه وسلم « أهل القرآن أهل الله وخاصته [٩] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد فقيل يارسول الله وما جلاؤها ؟ فقال : تلاوة القرآن وذكر الموت [١٠] » وقال صلى الله عليه وسلم « لله أشد أذنا إلى قارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته [١١] » الآثار · قال أبو أمامة الباهلى : اقرءوا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فإن الله لا يعذب قلبا هو وعاء للقرآن . وقال ابن مسعود : إذا أردتم العلم فانثروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين . وقال أيضاً : اقرءوا القرآن فإنكم تؤجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات أما إنى لا أقول : الحرف ألم ولكنّ الألف حرف واللام حرف والميم حرف . وقال أيضاً : لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن ويعجبه فهو يحب الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم . وقال عمرو بن العاص : كل آية فى القرآن درجة فى الجنة ومصباح فى بيوتكم وقال أيضاً : من قرأ القرآن فقد ادرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه . وقال أبو هريرة :

كتاب آداب تلاوة القرآن

الباب الأول فى فضل القرآن وأهله

(١) حديث « من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ما عظمه الله » أخرجه الطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (٢) حديث « ما من شفيع أعظم منزلة عند الله من القرآن لا نبى ولا ملك ولا غيره » رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسلا وللطبرانى من حديث ابن مسعود « القرآن شافع مشفع » ولمسلم من حديث أبى أمامة « اقرءوا القرآن فانه يجىء يوم القيامة شفيعا لصاحبه »

(٣) حديث « لو كان القرآن فى إهاب ما مسته النار » أخرجه الطبرانى وابن حبان فى الضعفاء من حديث سهل بن سعد ولأحمد والدارمى والطبرانى من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة ورواه ابن عدى والطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث عصمة ابن مالك بإسناد ضعيف (٤) حديث « أفضل عبادة أمتى تلاوة القرآن » أخرجه أبو نعيم فى فضائل القرآن من حديث النعمان ابن بشير وأنس ولإسنادهما ضعيف (٥) حديث « إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام .. الحديث » أخرجه الدارمى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٦) حديث « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » أخرجه البخارى من حديث عثمان بن عفان (٧) حديث « يقول الله من شغله قراءة القرآن عن دعائى ومسئلتى أعطيته ثواب الشاكرين » أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد « من شغله القرآن عن ذكرى أو مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » وقال حسن غريب ورواه ابن شاهين بلفظ المصنف (٨) حديث « ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك . . الحديث » تقدم فى الصلاة

(٩) حديث « أهل القرآن أهل الله وخاصته » أخرجه النسائى فى الكبرى وابن ماجه والحاكم من حديث أنس باسناد حسن .

(١٠) حديث « إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل ما جلاؤها قال تلاوة القرآن وذكر الموت » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف (١١) حديث « لله أشد أذنا إلى قارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته » أخرجه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث فضالة بن عبيد

إن البيت الذى يتلى فيه القرآن اتسع بأهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين ، وإن البيت الذى لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل : ضاق بأهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين . وقال أحمد ابن حنبل : رأيت الله عز وجل فى المنام فقلت : يا رب ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك ؟ قال : بكلامى يا أحمد ، قال قلت : يا رب بفهم أو بغير فهم ؟ قال : بفهم وبغير فهم . وقال محمد بن كعب القرظى : إذا سمع الناس القرآن من الله عز وجل يوم القيامه فكأنهم لم يسمعوه قط . وقال الفضيل بن عياض : ينبغى لحامل القرآن أن لا يكون له إلى أحد حاجة ولا إلى الخلفاء فمن دونهم فينبغى أن تكون حوائج الخلق إليه وقال أيضا حامل القرآن حامل راية الإسلام فلا ينبغى أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن . وقال سفيان الثورى : إذا قرأ الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه . وقال عمرو بن ميمون : من نشر مصحفا حين يصلى الصبح فقرأ منه مائة آية رفع الله عز وجل له مثل عمل جميع أهل الدنيا . ويروى « أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرأ على القرآن فقرأ عليه ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ﴾ الآية فقال له أعد فأعاد فقال : والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمورق وإن أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر [1] » وقال الحسن والله مادون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة . وقال الفضيل : من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسى ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القاسم بن عبد الرحمن : قلت لبعض النساك ما ههنا أحد نستأنس به فمد يده إلى المصحف ووضعه على حجره وقال : هذا . وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : ثلاث يزدن فى الحفظ ويذهبن البلغم : السواك والصيام وقراءة القرآن .

فى ذم تلاوة الغافلين

قال أنس بن مالك : رب تال للقرآن والقرآن يلعنه . وقال ميسرة : الغريب هو القرآن فى جوف الفاجر وقال أبو سليمان الدارانى : الزبانية أسرع إلى حملة القرآن الذين يعصون الله عز وجل منهم إلى عبدة الأوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القرآن . وقال بعض العلماء : إذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط ثم عاد فقرأ قيل له : مالك ولكلامى . وقال ابن الرماح : ندمت على استظهارى القرآن لأنه بلغنى أن أصحاب القرآن يسألون عما يسأل عنه الأنبياء يوم القيامة . وقال ابن مسعود ، ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس ينامون وبنهاره إذا الناس يفرطون وبحزنه إذا الناس يفرحون وببكائه إذا الناس يضحكون وبصمته إذا الناس يخوضون وبخشوعه إذا الناس يختالون . وينبغى لحامل القرآن أن يكون مستكينا لينا ولا ينبغى له أن يكون جافيا ولا ماريا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا . وقال صلى الله عليه وسلم « أكثر منافقى هذه الأمة قراؤها [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « اقرإ القرآن ما نهاك فإن لم ينهك فلست تقرؤه [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « ما آمن بالقرآن من استحل محارمه [4] » وقال بعض السلف :

---

(١) حديث « أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرأ على القرآن فقرأ عليه ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ﴾ فقال : أعد فأعاد فقال : إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمورق وإن أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر » ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب بغير إسناد ورواه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد إلا أنه قال « الوليد بن المغيرة » بدل « خالد بن عقبة » وكذا ذكره ابن إسحق فى السيرة بنحوه

(٢) حديث « أكثر منافقى أمتى قراؤها » أخرجه أحمد من حديث عقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو وفيهما ابن لهيعة

(٣) حديث « اقرأ القرآن ما نهاك فإن لم ينهك فلست تقرؤه » أخرجه الطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف

(٤) حديث « ما آمن بالقرآن من استحل محارمه » أخرجه الترمذى من حديث صهيب وقال ليس إسناده بالقوى

إن العبد ليفتتح سورة فتصلى عليه الملائكة حتى يفرغ منها ، وإن العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ فقال : إذا أحل حلالها وحرم حرامها صلت عليه وإلا لعنته . وقال بعض العلماء : إن العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لايعلم يقول ﴿ ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ وهو ظالم نفسه ﴿ ألا لعنة الله على الكاذبين ﴾ وهو منهم . وقال الحسن : إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل حملا فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله ، وإن من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار . وقال ابن مسعود أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا إن أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد أسقط العمل به . وفى حديث ابن عمر وحديث جندب رضى الله عنهما : لقد عشنا دهرا طويلا وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغى أن يقف عنده منها . ثم لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ مابين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لايدرى ما آمره ولا زاجره ولا مايبغى أن يقف عنده منه ينثره نثر الدقل[1] وقد ورد فى التوراة : ياعبدى أما تستحى منى يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت فى الطريق تمشى فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله وتقرؤه وتتدبره حرفا حرفا حتى لايفوتك شىء منه ، وهذا كتابى أنزلته إليك انظر كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك ؟ يا عبدى يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغى إلى حديثه بكل قلبك فإن تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن كف وها أنا ذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عنى أفجعلتنى أهون عندك من بعض إخوانك ؟

الباب الثانى : فى ظاهر آداب التلاوة وهى عشرة

(الأول) فى حال القارئ : وهو أن يكون على الوضوء واقعا على هيئة الأدب والسكون إما قائما وإما جالسا مستقبل القبلة مطرقا رأسه غير متربع ولا متكئ ولا جالس على هيئة التكبر . ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدى أستاذه . وأفضل الأحوال أن يقرأ فى الصلاة قائما وأن يكون فى المسجد وذلك من أفضل الأعمال . فإن قرأ على غير وضوء وكان مضطجعا فى الفراش فله أيضا فضل ولكنه دون ذلك . قال الله تعالى ﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ﴾ فأثنى على الكل ولكن قدم القيام فى الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعا . قال على رضى الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم فى الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس فى الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة . ومن قرأه فى غير صلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة . ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات . وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب ، قال أبو ذر الغفارى رضى الله عنه : إنّ كثرة السجود بالنهار وإنّ طول القيام بالليل أفضل (الثانى) فى مقدار القراءة : وللقراء عادات مختلفة فى الاستكثار والاختصار فمنهم من يختم القرآن فى اليوم والليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم إلى ثلاث ومنهم من يختم فى الشهر مرة وأولى مايرجع إليه فى التقديرات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث لم يفقهه[2] » وذلك لأن الزيادة عليه تمنعه الترتيل . وقد قالت عائشة

---

(١) حديث ابن عمر وحديث جندب « لقد عشنا دهرا وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن .. الحديث » تقدما فى العلم الباب الثانى فى ظاهر آداب التلاوة

(٢) حديث « من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث لم يفقهه » أخرجه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو وصححه الترمذى

رضى الله تعالى عنها ـ لما سمعت رجلا يهذر القرآن هذرا ـ « إن هذا ماقرأ القرآن ولا سكت » وأمر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن يختم القرآن فى كل سبع [1] وكذلك كان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم يختمون القرآن فى كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبى بن كعب رضى الله عنهم . فى الختم أربع درجات : الختم فى يوم وليلة وقد كرهه جماعة والختم فى كل شهر كل يوم حزء من ثلاثين جزءا ـ وكأنه مبالغة فى الاقتصار كما أن الأول مبالغة فى الاستكثار ـ وبينهما درجتان معتدلتان إحداهما فى الأسبوع مرة والثانية فى الأسبوع مرتين تقريبا من الثلاث . والأحب أن يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار ، ويجعل ختمه بالنهار يوم الاثنين فى ركعتى الفجر أو بعدهما ، ويجعل ختمه بالليل ليلة الجمعة فى ركعتى المغرب أو بعدهما ، ليستقبل أول النهار وأول الليل بختمته . فإن الملائكة عليهم السلام تصلى عليه إن كانت ختمته ليلا حتى يصبح وإن كان نهارا حتى يمسى فتشمل بركتهما جميع الليل والنهار . والتفصيل فى مقدار القراءة أنه إن كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغى أن ينقص عن ختمتين فى الأسبوع . وإن كان من السالكين بأعمال القلب وضروب الفكر أو من المستغلين بنشر العلم فلا بأس أن يقتصر فى الأسبوع على مرة . وإن كان نافذ الفكر فى معانى القرآن فقد يكتفى فى الشهر بمرة لكثرة حاجته إلى كثرة الترديد والتأمل (الثالث) فى وجه القسمة : أما من ختم فى الأسبوع مرة فيقسم القرآن سبعة أحزاب فقد حزب الصحابة رضى الله عنهم القرآن أحزابا [2] فروى أن عثمان رضى الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة ، وليلة السبت بالأنعام إلى هود ، وليلة الأحد بيوسف إلى مريم ، وليلة الاثنين بطه إلى طسم ، موسى وفرعون ، وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى ص ، وليلة الأربعاء بتنزيل إلى الرحمن ، ويختم ليلة الخميس . وابن مسعود كان يقسمه أقساما لا على هذا الترتيب وقيل أحزاب القرآن سبعة فالحزب الأول ثلاث سور والحزب الثانى خمس سور والحزب الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس إحدى عشرة سورة والسادس ثلاث عشرة سورة والسابع المفصل من ق إلى آخره . فهكذا حزبه الصحابة رضى الله عنهم وكانوا يقرءونه كذلك . وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قبل أن تعمل الأخماس والأعشار والأجزاء فما سوى هذا محدث (الرابع) فى الكتابة : يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا بأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فإنها تزيين وتبيين وصد عن الخطأ واللحن لمن يقرؤه . وقد كان الحسن وابن سيرين ينكرون الأخماس والعواشر والأجزاء . وروى عن الشعبى وإبراهيم كراهية النقط بالحمرة وأخذ الأجرة على ذلك ، وكانوا يقولون جردوا القرآن . والظن بهؤلاء أنهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من أن يؤدى إلى إحداث زيادات وحسبما للباب وتشوقا إلى حراسة القرآن عما يطرق إليه تغييرا . وإذا لم يؤد إلى محظور واستقر أمر الأمة فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا بأس به . ولا يمنع من ذلك كونه محدثا فكم من محدث حسن كما قيل فى إقامة الجماعات فى التراويح إنها من محدثات عمر رضى الله عنه وأنها بدعة حسنة . إنما البدعة المذمومة ما يصادم السنة القديمة أو يكاد يفضى إلى تغييرها . وبعضهم كان يقول . أقرأ من المصحف فى المنقوط ولا أنقطه بنفسى وقال الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير : كان القرآن مجردا فى المصاحف فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا

---

(١) حديث « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو أن يختم القرآن فى كل أسبوع » متفق عليه من حديثه .

(٢) حديث « تحزيب القرآن على سبعة أجزاء » أخرجه ابن ماجه من حديث أوس بن حذيفة فى حديث فيه « قرأ على حزبى من القرآن » قال أوس فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا : ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل . وفى رواية للطبرانى فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزئ القرآن ؟ فقالوا . كان يحزئه ثلاثا . فذكره مرفوعا وإسناده حسن

لابأس به فإنه نور له . ثم أحدثوا بعده نقطا كبارا عند منتهى الآى فقالوا : لابأس به يعرف به رأس الآية . ثم أحدثوا بعد ذلك الخواتم والفواتح . قال أبو بكر الهذلى سألت الحسن عن تنقيط المصاحف بالأحمر فقال: وما تنقيطها ؟ قلت : يعربون الكلمة بالعربية قال : أما إعراب القرآن فلا بأس به وقال خالد الحذاء : دخلت على ابن سيرين فرأيته يقرأ فى مصحف منقوط وقد كان يكره النقط . وقيل : إنّ الحجاج هو الذى أحدث ذلك وأحضر القراء حتى عدّوا كلمات القرآن وحروفه وسووا أجزاءه وقسموه إلى ثلاثين جزءا وإلى أقسام أخر. (الخامس) الترتيل : هو المستحب فى هيئة القرآن لأنا سنبين أنّ المقصود من القراءة التفكر والترتيل معين عليه . ولذلك نعتت أم سلمة رضى الله عنها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا [1] وقال ابن عباس رضى الله عنه : لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما أحب إلى من أن أقرأ القرآن هدرمة . وقال أيضا: لأن أقرأ إذا زلزلت والقارعة أتدبرهما أحب إلى من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهذيرا . وسئل مجاهد عن رجلين دخلا فى الصلاة فكان قيامهما واحدا إلا أنّ أحدهما قرأ البقرة فقط والآخر القرآن كله فقال . هما فى الأجر سواء . واعلم أن الترتيل مستحب لا لمجرّد التدبر فإن العجمى الذى لا يفهم معنى القرآن يستحب له فى القراءة أيضا الترتيل والتؤدة لأنّ ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشدّ تأثيرا فى القلب من الهدرمة والاستعجال (السادس) البكاء : البكاء مستحب مع القراءة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يتغن بالقرآن [3] » وقال صالح المرّى : قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى يا صالح هذه القراءة فأين البكاء ؟ وقال ابن عباس رضى الله عنهما : إذا قرأتم سجدة سبحان ؛ فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه وإنما طريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء قال صلى الله عليه وسلم « إنّ القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا [4] » ووجه إحضار الحزن أن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود . ثم يتأمل تقصيره فى أوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكى . فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء فإنّ ذلك أعظم المصائب . (السابع) أن يراعى حق الآيات : فإذا مر بآية سجدة سجد ، وكذلك إذا سمع من غيره سجدة سجد إذا سجد التالى ، ولا يسجد إلا إذا كان على طهارة . وفى القرآن أربع عشرة سجدة . وفى الحج سجدتان وليس فى ص سجدة وأقله أن يسجد بوضع جبهته على الأرض وأكمله أن يكبر فيسجد ويدعو فى سجوده بما يليق بالآية التى قرأها مثل أن يقرأ قوله تعالى ﴿ خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ﴾ فيقول « اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك أو على أوليائك » وإذا قرأ قوله تعالى ﴿ ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا ﴾ فيقول « اللهم اجعلنى من الباكين إليك الخاشعين لك ، وكذلك كل سجدة ، ويشترط فى هذه السجدة شروط الصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب والبدن من الحدث والخبث . ومن لم يكن على طهارة عند السماع فإذا تطهر يسجد ، وقد قيل فى كمالها أنه يكبر رافعا يديه لتحريمه ثم يكبر للهوى للسجود ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم . وزاد زائدون

---

(١) حديث « نعتت أم سلمة قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فاذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا » أخرجه أبو داود والنسائى والترمذى وقال حسن صحيح

(٢) حديث « اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا » أخرجه ابن ماجه من حديث سعد ابن أبى وقاص بإسناد جيد

(٣) حديث « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة

(٤) حديث « ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا » أخرجه أبو يعلى وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف .

التشهد ولاأصل لهذا إلا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد فإنه ورد الأمر فى السجود فليتبع فيه الأمر وتكبيرة الهوى أقرب للبداية وماعدا ذلك ففيه بعد . ثم المأموم ينبغى أن يسجد عند سجود الإمام ولايسجد لتلاوة نفسه إذا كان مأموما (الثامن) أن يقول فى مبتدإ قراءته : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ﴿ رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ ولاقرأ : قل أعوذ برب الناس وسورة الحمد لله وليقل عند فراغه من القراءة : صدق الله تعالى وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين وأستغفر الله الحى القيوم . وفى أثناء القراءة إذا مر بآية تسبيح سبح وكبر ، وإذا مر بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر ، وإن مر بمرجو سأل وإن مر بمخوف استعاذ . يفعل ذلك بلسانه أوبقلبه فيقول : سبحان الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا . قال حذيفة : صليت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فابتدأ سورة البقرة فكان لايمر بآية رحمة إلا سأل ولا بآية عذاب إلا استعاذ ولا بآية تنزيه إلا سبح [1] ، فإذا فرغ قال ما كان يقول صلوات الله وسلامه عند ختم القرآن « اللهم ارحمنى بالقرآن واجعله لى إماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه مانسيت وعلمنى منه ماجهلت وارزقنى تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله لى حجة يارب العالمين [2] » (التاسع) فى الجهر بالقراءة : ولاشك فى أنه لابد أن يجهر به إلى حد يسمع نفسه إذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف ولابد من صوت فأقله مايسمع نفسه فإن لم يسمع نفسه لم تصح صلاته . فأما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر . ويدل على استحباب الإسرار ماروى أنه صلى الله عليه وسلم قال « فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية » وفى لفظ آخر « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر به كالمسر بالصدقة [3] » وفى الخبر العام « يفضل عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفا [4] » وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « خير الرزق مايكفى وخير الذكر الخفى [5] » وفى الخبر « لايجهر بعضكم على بعض فى القراءة بين المغرب والعشاء [6] » وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة فى صلاته وكان حسن الصوت فقال لغلامه : اذهب إلى هذا المصلى فمره أن يخفض صوته ، فقال الغلام : إن المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب ، فرفع سعيد صوته وقال : ياأيها المصلى إن كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض صوتك وإن كنت تريد الناس فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ، فسكت عمر بن عبد العزيز وخفف ركعته فلما سلم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ أمير المدينة . ويدل على استحباب الجهر ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع جماعة من أصحابه يجهرون فى صلاة الليل فصوب ذلك [7] وقد قال صلى الله

---

(١) حديث حذيفة « كان لايمر بآية عذاب إلا تعوذ ولا بآية رحمة إلا سأل ولا بآية تنزيه إلا سبح » أخرجه مسلم مع اختلاف لفظ (٢) حديث « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند ختم القرآن اللهم ارحمنى بالقرآن واجعله لى إماما وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمنى منه ما جهلت وارزقنى تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله لى حجة يارب العالمين » رواه أبو منصور المصفر بن الحسين الأرجانى فى فضائل القرآن وأبو بكر بن الضحاك فى الشمائل كلاهما من طريق أبى در الهروى من رواية داود بن قيس معضلا (٣) حديث « فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية » قال وفى لفظ آخر « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة » أخرجه أبو داود والنسائى والترمذى وحسنه من حديث عقبة بن عامر باللفظ الثانى (٤) حديث « يفضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث عائشة (٥) حديث « خير الرزق مايكفى وخير الذكر الخفى » أخرجه أحمد وابن حبان من حديث سعد بن أبى وقاص (٦) حديث « لا يجهر بعضكم على بعض فى القراءة بين المغرب والعشاء » رواه أبو داود من حديث البياضى دون قوله « بين المغرب والعشاء » والبيهقى فى الشعب من حديث على « قبل العشاء وبعدها » وفيه الحارث الأعور وهو ضعيف (٧) حديث « أنه سمع جماعة من الصحابة يجهرون فى صلاة الليل فصوب ذلك » فى الصحيحين من حديث عائشة « أن رجلا قام من الليل وقرأ فرفع صوته بالقرآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله فلانا ... الحديث » ومن حديث أبى موسى قال =

عليه وسلم « إذا قام أحدكم من الليل يصلى فليجهر بالقراءة فإن الملائكة وعمار الدار يستمعون قراءته ويصلون بصلاته [١] » ومر صلى الله عليه وسلم بثلاثة من أصحابه رضى الله عنهم مختلفى الأحوال فمر على أبى بكر رضى الله عنه وهو يخافت فسأله عن ذلك فقال : إن الذى أناجيه هو يسمعنى . ومر على عمر رضى الله عنه وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال : أوقظ الوسنان وأزجر الشيطان . ومر على بلال وهو يقرأ آيا من هذه السورة وآيا من هذه السورة فسأله عن ذلك فقال أخلط الطيب بالطيب . فقال صلى الله عليه وسلم : كلكم قد أحسن وأصاب [٢] . فالوجه فى الجمع بين هذه الأحاديث أن الإسرار أبعد عن الرياء والتصنع فهو أفضل فى حق من يخاف ذلك على نفسه فإن لم يخف ولم يكن فى الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر ، ولأن فائدته أيضاً تتعلق بغيره فالخير المتعدى أفضل من اللازم ، ولأنه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه إلى الفكر فيه ويصرف إليه سمعه ، ولأنه يطرد النوم فى رفع الصوت ولأنه يزيد فى نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ، ولأنه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب إحيائه، ولأنه قد يراه بطال غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق إلى الخدمة « فمتى حضره شىء من هذه النيات فالجهر أفضل . وإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر وبكثرة النيات تزكو أعمال الأبرار وتتضاعف أجورهم فإن كان فى العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر أجور . ولهذا نقول قراءة القرآن فى المصاحف أفضل إذ يزيد فى العمل النظر وتأمل المصحف وحمله فيزيد الأجر بسببه . وقد قيل الختمة فى المصحف بسبع لأن النظر فى المصحف أيضاً عبادة . وخرق عثمان رضى الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما فكان كثير من الصحابة يقرءون فى المصاحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا فى المصحف . ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعى رضى الله عنه فى السحر وبين يديه مصحف فقال له الشافعى : شغلكم الفكر عن القرآن إنى لأصلى العتمة وأضع المصحف بين يدى فما أطبقه حتى أصبح (العاشر) تحسين القراءة وترتيلها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم فذلك سنة قال صلى الله عليه وسلم « زينوا القرآن بأصواتكم [٣] » وقال عليه السلام « ما أذن الله لشىء إذنه لحسن الصوت بالقرآن [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » فقيل أراد به الاستغناء وقيل أراد به الترنم وترديد الألحان به وهو أقرب عند أهل اللغة . وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ليلة ينتظر عائشة رضى الله عنها فأبطأت عليه فقال صلى الله عليه وسلم : ما حبسك قالت : يارسول الله كنت أستمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه ، فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع إليه طويلا ثم رجع فقال صلى الله عليه وسلم : هذا سالم مولى أبى حذيفة الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله [٥] » واستمع صلى الله عليه وسلم أيضاً ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فوقفوا طويلا ثم قال

= « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رأيتنى وأنا أسمع قراءتك البارحة . الحديث » ومن حديث أيضاً « إنما أعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن .. الحديث » (١) حديث « إذا قام أحدكم من الليل يصلى فليجهر بقراءته فإن الملائكة وعمار الدار يستمعون إلى قراءته ويصلون بصلاته » رواه بنحوه زيادة فيه أبو بكر البزار ونصر المقدسى فى المواعظ وأبو شجاع من حديث معاذ بن جبل وهو حديث منكر منقطع .

(٢) حديث « مروره صلى الله عليه وسلم بأبى بكر وهو يخافت وعمر وهو يجهر وبلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة .. الحديث » تقدم فى الصلاة (٣) حديث « زينوا القرآن بأصواتكم » أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث البراء بن عازب (٤) حديث « ما أذن الله لشىء إذنه لحسن الصوت بالقرآن » متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ « ما أذن الله لشىء ما أذن لنبى يتغنى بالقرآن » زاد مسلم « لنبى حسن الصوت » وفى رواية له « كإذنه لنبى يتغنى بالقرآن » .

(٥) حديث « كان ينتظر عائشة فأبطأت عليه فقال ما حبسك قالت يارسول الله كنت أسمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع إليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى أبى حذيفة الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله » أخرجه أبو داود من حديث عائشة ورجال إسناده ثقات .

صلى الله عليه وسلم « من أراد أن يقرأ القرآن غضا طريا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد[١] » وقال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود « اقرأ على فقال يارسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل فقال صلى الله عليه وسلم : إنى أحب أن أسمعه من غيرى فكان يقرأ وعينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تفيضان[٢] » واستمع صلى الله عليه وسلم إلى قراءة أبى موسى فقال « لقد أوتى هذا من مزامير آل داود » فبلغ ذلك أباموسى فقال : يارسول الله لوعلمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا[٣] ورأى هيثم القارئ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام قال : فقال لى أنت الهيثم الذى تزين القرآن بصوتك قلت نعم قال جزاك الله خيرا . وفى الخبر . كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن وقد كان عمر يقول لأبى موسى رضى الله عنهما : ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط فيقال ياأمير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول : أولسنا فى صلاة ؟ إشارة إلى قوله عزوجل ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « من استمع إلى آية من كتاب الله عزوجل كانت له نورا يوم القيامة[٤] » وفى الخبر : كتب له عشر حسنات . ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالى هو السبب فيه كان شريكا فى الأجر إلا أن يكون قصده الرياء والتصنع .

الباب الثالث : فى أعمال الباطن فى التلاوة وهى عشرة

فهم أصل الكلام . ثم التعظيم . ثم حضور القلب . ثم التدبر . ثم التفهم . ثم التخلى عن موانع الفهم . ثم التخصيص . ثم التأثر . ثم الترقى . ثم التبرى . (فالأول) فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه فى نزوله عن عرش جلاله إلى درجة إفهام خلقه . فلينظر كيف لطف بخلقه فى إيصال معانى كلامه الذى هو صفة قديمة قائمة بذاته إلى أفهام خلقه ؟ وكيف تجلت لهم تلك الصفة فى طى حروف وأصوات هى صفات البشر إذ يعجز البشر عن الوصول إلى فهم صفات الله عز وجل إلا بوسيلة صفات نفسه . ولولا استتار كنه جلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى مابينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره . ولولا تبيت الله عزوجل لموسى عليه السلام لما أطاق لسماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادى تجليه حيث صار دكا . ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام إلا بأمثلة على حد فهم الخلق . ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال : إن كل حرف من كلام الله عز وجل فى اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف وإن الملائكة عليهم السلام لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ماأطاقوه حتى يأتى إسرافيل عليه السلام وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله بإذن الله عزوجل ورحمته لابقوته وطاقته ولكن الله عزوجل طوقه ذلك واستعمله به ، ولقد تألق بعض الحكماء فى التعبير عن وجه اللطف فى إيصال معانى الكلام مع علو درجته إلى فهم الإنسان وتثبيته مع قصور رتبته وضرب له مثلا لم يقصر فيه ؛ وذلك أنه دعا

---

(١) حديث « استمع ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر فوقفوا طويلا ثم قال من أراد أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد » أخرجه أحمد والنسائي فى الكبرى من حديث عمر والترمذى وابن ماجه من حديث ابن مسعود « أن أبا بكر وعمر بشراه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن يقرأ القرآن ... الحديث » قال الترمذى حسن صحيح (٢) حديث « أنه قال لابن مسعود : اقرأ فقال يارسول الله أقرأ وعليك أنزل فقال إنى أحب أن أسمعه من غيرى ... الحديث » متفق عليه من حديث ابن مسعود . (٣) حديث « استمع إلى قراءة أبى موسى فقال لقد أوتى هذا من مزامير آل داود » متفق عليه من حديث أبى موسى . (٤) حديث « من استمع إلى آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة » وفى الخبر « كتب له عشر حسنات » أخرجه أحمد من حديث أبى هريرة « من استمع إلى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة » وفيه ضعف وانقطاع .

بعض الملوك حكيم إلى شريعة الأنبياء عليهم السلام فسأله الملك عن أمور فأجاب بما لا يحتمله فهمه ؛ فقال الملك : أرأيت ما تأتى به الأنبياء إذا ادعت أنه ليس بكلام الناس وأنه كلام الله عز وجل فكيف يطيق الناس حمله ؟ فقال الحكيم : إنا رأينا الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتأخيرها وإقبالها وإدبارها ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنوار عقولهم مع حسنه وتزيينه وبديع نظمه ، فنزلوا إلى درجة تمييز البهائم وأوصلوا مقاصدهم إلى بواطن البهائم بأصوات يضعونها الائقة بهم من النقر والصفير والأصوات القريبة من أصواتها لكى يطيقوا حملها . وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله عز وجل بكنهه وكمال صفاته . فصاروا بما تراجعوا بينهم من الأصوات التى سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذى سمعت به الدواب من الناس . ولم يمنع ذلك معانى الحكمة المخبوءة فى تلك الصفات من أن شرف الكلام أى الأصوات لشرفها وعظم لتعظيمها ، فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا والحكمة للصوت نفسا وروحا . فكما أن أجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك أصوات الكلام تشرف للحكمة التى فيها . والكلام على المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم فى الحق والباطل . وهو القاضى العدل والشاهد المرتضى يأمر وينهى . ولا طاقة للباطل أن يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل أن يقول قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر أن يفقدوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس ، ولكنهم ينالون من ضوء عين الشمس ما تحيا به أبصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط . والكلام كالملك المحجوب الغائب وجهه النافذ أمره وكالشمس الغزيرة الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم الزهرة التى قد يهتدى بها من لا يقف على سيرها فهو مفتاح الخزائن النفيسة وشراب الحياة الذى من شرب منه لم يمت ودواء الأسقام الذى من سقى منه لم يسقم . فهذا الذى ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لا تليق بعلم المعاملة فينبغى أن يقتصر عليه . (الثانى) التعظيم للمتكلم : فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغى أن يحضر فى قلبه عظمة المتكلم ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر وأن فى تلاوة كلام الله عز وجل غاية الخطر فإنه تعالى قال (لا يمسه إلا المطهرون) وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن طاهر نشرة اللامس إلا إذا كان متطهرا ، فباطن معناه أيضا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب إلا إذا كان متطهرا عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير . وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب . ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبى جهل إذا نشر المصحف غشى عليه ويقول : هو كلام ربى هو كلام ربى ؟ فتعظيم الكلام تعظيم المتكلم ولن تحضره عظمة المتكلم مالم يتفكر فى صفاته وجلاله وأفعاله . فإذا حضر بباله العرش والكرسى والسموات والأرض وما بينهما من الجن والإنس والدواب والأشجار ، وعلم أن الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد ، وأن الكل فى قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته إن أنعم فبفضله وإن عاقب فبعدله ، وأنه الذى يقول هؤلاء إلى الجنة ولا أبالى وهؤلاء إلى النار ولا أبالى وهذا غاية العظمة والتعالى . فبالتفكر فى أمثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام (الثالث) حضور القلب وترك حديث النفس : قيل فى تفسير (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) أى بجد واجتهاد وأخذه بالجد أن يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهمة إليه عن غيره ، وقيل لبعضهم : إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشىء ؟ فقال أو شىء أحب إلى من القرآن حتى أحدث به نفسى ! وكان بعض السلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فإن المعظم للكلام الذى يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه . فنى القرآن ما يستأنس به القلب إن كان التالى أهلا له فكيف يطلب الأنس بالفكر فى غيره وهو فى متنزه ومتفرج

والذى يتفرج فى المتنزهات لا يتفكر فى غيرها ؟ فقد قيل إن فى القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس ودبابيج ورياضا وخانات فالميمات ميادين القرآن والراءات بساتين القرآن والحاءات مقاصيره والمسبحات عرائس القرآن والحاميمات دبابيج القرآن والمفصل رياضه والخانات ماسوى ذلك فإذا دخل القارئ الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الدبابيج وتنزه فى الرياض وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه ولم يتفرق فكره .

(الرابع) التدبر : وهو وراء حضور القلب فإنه قد لا يتفكر فى غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره . والمقصود من القراءة التدبر . ولذلك سن لأن الترتيل فيه الترتيل فى الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن . قال على رضى الله عنه : لا خير فى عبادة لا فقه فيها ولا فى قراءة لا تدبر فيها . وإذا لم يتمكن من التدبر إلا بترديد فليردد إلا أن يكون خلف إمام . فإنه لو بقى فى تدبر آية وقد اشتغل الإمام بآية أخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة عن يناجيه عن فهم بقية كلامه . وكذلك إن كان فى تسبيح الركوع وهو متفكر فى آية قرأها إمامه فهذا وسواس . فقد روى عن عامر بن عبد قيس أنه قال : الوسواس يعترينى فى الصلاة ، فقيل : فى أمر الدنيا ؟ فقال : لأن تختلف فى الأسنة أحب إلى من ذلك ، ولكن يشتغل قلبى بموقفى بين يدى ربى عز وجل . وأنى كيف انصرف ، فعد ذلك وسواسا وهو كذلك فإنه يشغله عن فهم ما هو فيه والشيطان لا يقدر على مثله إلا بأن يشغله بمهم دينى ولكن يمنعه به عن الأفضل . ولما ذكر ذلك للحسن قال إن كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله ذلك عندنا . ويروى « أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة [1] » وإنما رددها صلى الله عليه وسلم لتدبره فى معانيها . وعن أبى ذر قال « قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا ليلة فقام بآية يرددها وهى (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم [2]) الآية » وقام تميم الدارى ليلة بهذه الآية (أم حسب الذين اجترحوا السيئات) الآية . وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الآية (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) وقال بعضهم : إنى لأفتتح السورة فيوقفنى بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر . وكان بعضهم يقول : آية لا أتفهمها ولا يكون قلبى فيها لا أعد لها ثوابا ، وحكى عن أبى سليمان الدارانى أنه قال : إنى لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال ولولا أنى أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها . وعن بعض السلف أنه بقى فى سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها . وقال بعض العارفين : لى فى كل جمعة ختمة وفى كل شهر ختمة وفى كل سنة ختمة ولى ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد . وذلك بحسب درجات تدبره وتعبيته . وكان هذا أيضا يقول : أقمت نفسى مقام الأجراء فأنا أعمل مياومة ومجامعة ومشاهرة ومسانهة .

(الخامس) التفهم : وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل . وذكر أفعاله . وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام . وذكر أحوال المكذبين لهم وأنهم كيف أهلكوا ، وذكر أوامره وزواجره ، وذكر الجنة والنار .

أما صفات الله عز وجل فكقوله تعالى (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) وكقوله تعالى (الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر) فليتأمل معانى هذه الأسماء والصفات لينكشف له أسرارها فتحتها معان

الباب الثالث : فى أعمال الباطن فى التلاوة

(١) حديث « أنه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة » رواه أبو ذر الهروى فى معجمه من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٢) حديث أبى ذر « قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا ليلة بآية يرددها وهى ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك ﴾ » أخرجه النسائى وابن ماجه بسند صحيح

مدفونة لا تنكشف إلا للموفقين : وإليه أشار على رضى الله عنه بقوله ما أسر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا كتمه عن الناس إلا أن يؤتى الله عز وجل عبدا فهما فى كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم [1] وقال ابن مسعود رضى الله عنه : من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن . وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله عز وجل وصفاته إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا أمورا لائقة بأفهامهم ولم يعثروا على أغوارها .

وأما أفعاله تعالى فكذكره خلق السموات والأرض وغيرها . فليفهم التالى منها صفات الله عز وجل وجلاله إذ الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمته . فينبغى أن يشهد فى الفعل الفاعل دون الفعل ، فمن عرف الحق رآه فى كل شىء إذ كل شىء فهو منه وإليه وبه وله فهو الكل على التحقيق . ومن لا يراه فى كل ما يراه فكأنه ما عرفه . ومن عرفه عرف أن كل شىء ما خلا الله باطل وأن كل شىء هالك إلا وجهه ، لا أنه سيبطل فى ثانى الحال ؛ بل هو الآن باطل إن اعتبر ذاته من حيث هو إلا أن يعتبر وجوده من حيث إنه موجود بالله عز وجل وبقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات وبطريق الاستقلال بطلان محض « وهذا مبدأ من مبادى علم المكاشفة : ولهذا ينبغى إذا قرأ التالى قوله عز وجل ﴿ أفرأيتم ما تحرثون - أفرأيتم ما تمنون - أفرأيتم الماء الذى تشربون - أفرأيتم النار التى تورون ﴾ فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمنى بل يتأمل فى المنى وهو نطفة متشابهة الأجزاء ثم ينظر فى كيفية انقسامها إلى اللحم والعظم والعروق والعصب وكيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة كما قال تعالى ﴿ أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾ فيتأمل هذه العجائب ليترقى منها إلى عجب العجائب وهو الصفة التى منها صدرت هذه الأعاجيب فلا يزال ينظر إلى الصنعة فيرى الصانع .

وأما أحوال الأنبياء عليهم السلام : فإذا سمع منها كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم . فليفهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل والمرسل إليهم وأنه لو أهلك جميعهم لم يؤثر فى ملكه شيئا . وإذا سمع نصرتهم فى آخر الأمر فليفهم قدرة الله عز وجل وإرادته لنصرة الحق .

وأما أحوال المكذبين ؛ كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار فى نفسه وأنه إن غفل وأساء الأدب واغتر بما أمهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية : وكذلك إذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما فى القرآن فلا يمكن استقصاء ما يفهم منه لأن ذلك لا نهاية له وإنما لكل عبد بقدر رزقه ، فلا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا ﴾ ولذلك قال على رضى الله عنه : لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب . فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهيم لينفتح بابه فأما الاستقصاء فلا مطمع فيه . ومن لم يكن له فهم ما فى القرآن ولو فى أدنى الدرجات دخل فى قوله تعالى (ومنهم من يستمع إليك حتى إذا

---

(١) حديث على « ما أسر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً كتمه عن الناس إلا أن يؤتى الله عبدا فهما فى كتابه » أخرجه النسائى من رواية أبى جحيفة قال « سألنا عليا فقلنا هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شىء سوى القرآن ؟ فقال : لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يعطى الله عبدا فهما فى كتابه .. الحديث » وهو عند البخارى بلفظ « هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس فى القرآن » وفى رواية « وقال مرة ما ليس عند الناس » ولأبى داود والنسائى « فقلنا هل عهد اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهده إلى الناس ؟ قال : لا إلا ما فى كتابى هذا ... الحديث » ولم يذكر « الفهم فى القرآن »

خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم ﴾ والطابع هى الموانع التى سنذكرها فى موانع الفهم . وقد قيل : لايكون المريد مريدا حتى يجد فى القرآن كل مايريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغنى بالمولى عن العبيد (السادس) التخلى عن موانع الفهم فإن أكثر الناس منعوا عن فهم معانى القرآن لأسباب وحجب أسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن قال صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى الملكوت [1] » ومعانى القرآن من حملة الملكوت وكل ما غاب عن الحواس ولم يدرك إلا بنور البصيرة فهو من الملكوت . وحجب الفهم أربعة ؛ أولها : أن يكون الهم منصرفا إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها ، وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معانى كلام الله عز وجل فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه . فهذا يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف فأنى تنكشف له المعانى ؟ وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعاً لمثل هذا التلبيس . ثانيها ؛ أن يكون مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت فى نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة . فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه ، فإن لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعانى التى تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك ، فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثله . ولمثل هذا قالت الصوفية : إن العلم حجاب وأرادوا بالعلم العقائد التى استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها إليهم . فأما العلم الحقيقى الذى هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجابا وهو منتهى المطلب ؟ وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعاً كمن يعتقد فى الاستواء على العرش التمكن والاستقرار فإن خطر له مثلا فى القدوس أنه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك فى نفسه . ولو استقر فى نفسه لانجر إلى كشف ثان وثالث ولتواصل . ولكن يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل . وقد يكون حقا ويكون أيضاً مانعا من الفهم والكشف لأن الحق الذى كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وغور باطن وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول إلى الغور الباطن ـ كما ذكرناه فى الفرق بين العلم الظاهر والباطن فى كتاب قواعد العقائد ـ ثالثها : أن يكون مصرا على ذنب أو متصفا بكبر أو مبتلى فى الجملة بهوى فى الدنيا مطاع فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه ، وهو كالخبث على المرآة فيمنع جلية الحق من أن يتجلى فيه وهو أعظم حجاب للقلب وبه حجب الأكثرون . وكلما كانت الشهوات أشد تراكما كانت معانى الكلام أشد احتجابا وكلما خف عن القلب أثقال الدنيا قرب تجلى المعنى فيه . فالقلب مثل المرآة والشهوات مثل الصدإ ومعانى القرآن مثل الصور التى تتراءى فى المرآة . والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إذا عظمت أمتى الدينار والدرهم نزع منها هيبة الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حرموا بركة الوحى [2] » قال الفضيل : يعنى حرموا فهم القرآن . وقد شرط الله عز وجل الإنابة فى الفهم والتذكير فقال تعالى (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) وقال عز وجل (وما يتذكر إلا من ينيب) وقال تعالى (إنما يتذكر أولو الألباب) فالذى آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة

---

(١) حديث « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى الملكوت » تقدم فى الصلاة

(٢) حديث « إذا عظمت أمتى الدينار والدرهم نزع منها هيبة الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف حرموا بركة الوحى » رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الأمر بالمعروف موصلا من حديث الفضل بن عياض قال . ذكر عن نبى الله صلى الله عليه وسلم

فليس من ذوى الألباب ولذلك لاتنكشف له أسرار الكتاب . رابعها: أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقد أنه لامعنى لكلمات القرآن إلا ماتناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأى وأن من فسر القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار فهذا أيضاً من الحجب العظيمة . وسنبين معنى التفسير بالرأى فى الباب الرابع وأن ذلك لايناقض قول على رضى الله عنه إلا أن يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن . وأنه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلفت الناس فيه (السابع) التخصيص وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب فى القرآن فإن سمع أمرا أو نهيا قدر أنه المنهى والمأمور وإن سمع وعدا أو وعيدا فكمثل ذلك ، وإن سمع قصص الأولين والأنبياء علم أن السمر غير مقصود وإنما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه مايحتاج إليه فما من قصة فى القرآن إلا وسياقها لفائدة فى حق النبى صلى الله عليه وسلم وأمته . ولذلك قال تعالى ﴿ مانثبت به فؤادك ﴾ فليقدر العبد أن الله ثبت فؤاده بما يقصه عليه من أحوال الأنبياء وصبرهم على الإيذاء وثباتهم فى الدين لانتظار نصر الله تعالى . وكيف لا يقدر هذا والقرآن ماأنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ؟ ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال تعالى ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ﴾ وقال عز وجل ﴿ لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلاتعقلون وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم . كذلك يضرب الله للناس أمثالهم . واتبعوا أحسن ماأنزل إليكم من ربكم . هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون . هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ﴾ وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد فهذا القارئ الواحد مقصود فماله ولسائر الناس فليقدر أنه المقصود قال الله تعالى (وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ) قال محمد بن كعب القرظى : من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله . وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذى كتبه إليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه . ولذلك قال بعض العلماء : هـذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا عز وجل بعهوده نتدبرها فى الصلوات ونقف عليها فى الخلوات وننفذها فى الطاعات والسنن المتبعات . وكان مالك بن دينار يقول : مازرع القرآن فى قلوبكم يا أهل القرآن إن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض . وقال قتادة : لم يجالس أحد هذا القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان قال تعالى ﴿ هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ﴾ (الثامن) التأثر وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره . ومهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه فإن التضييق غالب على آيات القرآن فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة إلا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله عز وجل (وإنى لغفار) ثم أتبع ذلك بأربعة شروط (لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) وقوله تعالى (والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) ذكر أربعة شروط وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال تعالى (إن رحمة الله قريب من المحسنين) فالإحسان يجمع الكل وهكذا من يتصفح القرآن من أوله إلى آخره . ومن فهم ذلك فجدير بأن يكون حاله الخشية والحزن . ولذلك قال الحسن: والله ماأصبح اليوم عبد يتلو القرآن يؤمن به إلا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته . وقال وهيب بن الورد نظرنا فى هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئاً أرق للقلوب ولاأشد استجلابا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره . فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت . وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من

الفرح . وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته . وعند ذكر الكفار مايستحيل على الله عز وجل كذكرهم لله عز وجل ولدا وصاحبة يغض صوته ويكسر فى باطنه حياء قبح مقالتهم . وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا إليها . وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا منها ، ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود « اقرأ على [1] قال : فافتتحت سورة النساء فلما بلغت ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ رأيت عينيه تذرفان بالدمع فقال لى : حسبك الآن » وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية . ولقد كان فى الخائفين من خر مغشيا عليه عند آيات الوعيد . ومنهم من مات فى سماع الآيات . فمثل هذه الأحوال يخرجه عن أن يكون حاكيا فى كلامه . فإذا قال ﴿ إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم ﴾ ولم يكن خائفا كان حاكيا . وإذا قال (عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير) ولم يكن حاله التوكل والإنابة كان حاكيا . وإذا قال (ولنصبرن على ما آذيتمونا) فليكن حاله الصبر أو العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة . فإن لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه فى قوله تعالى (ألا لعنة الله على الظالمين) وفى قوله تعالى (كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) وفى قوله عز وجل (وهم فى غفلة معرضون) وفى قوله (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا) وفى قوله تعالى (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) إلى غير ذلك من الآيات وكان داخلا فى معنى قوله عز وجل (ومنهم أميون لايعلمون الكتاب إلا أمانى) يعنى التلاوة المجردة وقوله عز وجل (وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) لأن القرآن هو المبين لتلك الآيات فى السموات والأرض ، ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضاً عنها . ولذلك قيل : إن من لم يكن متصفا بأخلاق القرآن فإذا قرأ القرآن ناداه الله تعالى : مالك ولكلامى وأنت معرض عنى دع عنك كلامى إن لم تتب إلى . ومثال العاصى إذا قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك فى كل يوم مرات وقد كتب إليه فى عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه ؛ فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان أبعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت . ولذلك قال يوسف بن أسباط : إنى لأهم بقراءة القرآن فإذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فاعدل إلى التسبيح والاستغفار . والمعرض عن العمل به أريد بقوله عز وجل (فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلا فبئس مايشترون) ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فإذا اختلفتم فلستم تقرءونه ـ وفى بعضها ـ فإذا اختلفتم فقوموا عنه [2] » قال الله تعالى (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون) وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذى إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى [3] » وقال صلى الله عليه وسلم «لايسمع القرآن من أحد أشهى ممن يخشى الله عز وجل [4] » يراد لاستجلاب هذه الأحوال إلى القلب والعمل به ؛ وإلا فالمؤنة فى تحريك اللسان بحروفه خفيفة . ولذلك قال بعض القراء : قرأت القرآن على شيخ لى ثم رجعت لأقرأ ثانياً فانتهرنى وقال جعلت القرآن على عملا اذهب فاقرأ على الله عز وجل . فانظر بماذا يأمرك وبماذا ينهاك . وبهذا كان شغل

---

(١) حديث « أنه قال لابن مسعود اقرأ على . . الحديث » تقدم فى الباب قبله (٢) حديث « اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرءونه ـ وفى بعضها ـ فاذا اختلفتم فقوموا عنه » متفق عليه من حديث جندب ابن عبد الله البجلى فى اللفظ الثانى دون قوله « ولانت جلودكم » (٣) حديث « إن أحسن الناس صوتا بالقرآن الذى إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى » أخرجه ابن ماجه بسند ضعيف (٤) حديث « لا يسمع القرآن من أحد أشهى ممن يخشى الله تعالى » رواه أبو عبد الله الحاكم فيما ذكره أبو القاسم الرافعى فى كتاب فضائل القرآن

الصحابة رضى الله عنهم فى الأحوال والأعمال . فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة اختلف فى اثنين منهم . وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين . وكان الذى يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم [1] ولما جاء واحد ليتعلم القرآن فانتهى إلى قوله عز وجل (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره[2] » قال : يكفى هذا وانصرف . فقال صلى الله عليه وسلم : انصرف الرجل وهو فقيه . وإنما العزيز مثل تلك الحالة التى منّ الله عز وجل بها على قلب المؤمن عقيب فهم الآية . فأما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى . بل التالى باللسان المعرض عن العمل جدير بأن يكون هو المراد بقوله تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فإنّ له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) وبقوله عز وجل (كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) أى تركتها ولم تنظر إليها ولم تعبأ بها فإن المقصر فى الأمر يقال إنه نسى الأمر وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب ، فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعانى وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار . فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ . (التاسع) الترقى : وأعنى به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لا من نفسه « فدرجات القراءة ثلاث ، أدناها : أن يقدر العبد كأنه يقرؤه على الله عز وجل واقفا بين يديه وهو ناظر إليه ومستمع منه ، فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال . الثانية : أن يشهد بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بألطافه ويناجيه بإنعامه وإحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والإصغاء والفهم . الثالثة : أن يرى فى الكلام المتكلم وفى الكلمات الصفات فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ولا إلى تعلق الإنعام به من حيث إنه منعم عليه بل يكون مقصورا الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره . وهذه درجة المقربين وما قبله درجة أصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين . وعن الدرجة العليا أخبر جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه قال : والله لقد تجلى الله عز وجل لخلقه فى كلامه ولكنهم لا يبصرون . وقال أيضا وقد سألوه عن حالة لحقته فى الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سرى عنه قيل له فى ذلك فقال : ما زلت اردد الآية على قلبى حتى سمعتها من المتكلم

---

(١) حديث « مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم عن عشرين ألفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة ـ اختلف فى اثنين منهم ـ وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذى يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم » قلت : قوله « مات عن عشرين ألفا » لعله أراد بالمدينة وإلا فقد رويا عن أبى زرعة الرازى أنه قال : قبض عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه انتهى . وأما من حفظ القرآن فى عهده ففى الصحيحين من حديث أنس قال « جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة ـ كلهم من الأنصار ـ أبى بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد وأبو زيد » قلت : ومن أبو زيد ؟ قال . أحد عمومتى » وزاد بن أبى شيبة كالمصنف من رواية الشعبى مرسلا وأبو الدرداء وسعيد بن عبيد وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو « استقرئوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبى حذيفة ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب » وروى ابن الأنبارى بسنده إلى عمر قال « كان الفاضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدر هذه الأمة من يحفظ من القرآن السورة ونحوها .. الحديث » وسنده ضعيف وللترمذى وحسنه من حديث أبى هريرة قال « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم ذو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل ما معه من القرآن فأتى على رجل من أحدثهم سنا فقال ما معك يا فلان ؟ قال معى كذا وكذا ، وسورة البقرة فقال : أمعك سورة البقرة ؟ قال : نعم ، قال : اذهب فأنت أميرهم ... الحديث » (٢) حديث « الرجل الذى جاء ليتعلم فانتهى إلى قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) فقال يكفى هذا وانصرف ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : انصرف الرجل وهو فقيه » أخرجه أبو داود والنسائى فى الكبرى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو قال « أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرئنى يا رسول الله ... الحديث » وفيه « وأقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت حتى فرغ منها فقال الرجل : والذى بعثك بالحق لا أزيد عليهما أبدا ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . أفلح الرويجل أفلح الرويجل » ولأحمد والنسائى فى الكبرى من حديث صعصعة عم الفرزدق أنه صاحب القصة فقال « حسبى لا أبالى أن لا أسمع غيرها » .

بها فلم يثبت جسمى لمعاينة قدرته ، فى مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة . ولذلك قال بعض الحكماء : كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأنى أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على أصحابه ، ثم رفعت إلى مقام فوقه كنت أتلوه كأنى أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله عليه وسلم ، ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا أصبر عنه . وقال عثمان وحذيفة رضى الله عنهما : لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن ، وإنما قالوا ذلك لأنها بالطهارة تترقى إلى مشاهدة المتكلم فى الكلام . ولذلك قال ثابت البنانى : كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم دون ماسواه يكون العبد ممتثلا لقوله عز وجل ﴿ ففروا إلى الله ﴾ ولقوله ﴿ ولا تجعلوا مع الله إلها آخر ﴾ فمن لم يره فى كل شىء فقد رأى غيره وكل ماالتفت إليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيئا من الشرك الخفى ، بل التوحيد الخالص أن لا يرى فى كل شىء إلا الله عز وجل . (العاشر) التبرى : وأعنى به أن يتبرأ من حوله وقوته والالتفات إلى نفسه بين الرضا والتزكية . فإذا تلا بآيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوف إلى أن يلحقه الله عز وجل بهم ، وإذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد على نفسه هناك وقدر أنه المخاطب خوفا وإشفاقا . ولذلك كان ابن عمر رضى الله عنهما يقول : اللهم إنى أستغفرك لظلمى وكفرى ، فقيل له : هذا الظلم فما بال الكفر ؟ فتلا قوله عز وجل (إن الإنسان لظلوم كفار) وقيل ليوسف ابن أسباط : إذا قرأت القرآن بماذا تدعو ، فقال : بماذا أدعو أستغفر الله عز وجل من تقصيرى سبعين مرة . فإذا رأى نفسه بصورة التقصير فى القراءة كان رؤيته سبب قربه . فإن من شهد البعد فى القرب لطف به فى الخوف حتى يسوقه الخوف إلى درجة أخرى فى القرب وراءها . ومن شهد القرب فى البعد مكر به بالأمن الذى يفضيه إلى درجة أخرى فى البعد أسفل مما هو فيه . ومهما كان مشاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه ، فإذا جاوز حد الالتفات إلى نفسه ولم يشاهد إلا الله تعالى فى قراءته كشف له سر الملكوت . قال أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه : وعد ابن ثوبان أخاله أن يفطر عنده فأبطأ عليه حتى طلع الفجر فلقيه أخوه من الغد فقال له : وعدتنى أنك تفطر عندى فأخلفت فقال لولا ميعادى معك ما أخبرتك الذى حبسنى عنك ! إنى لما صليت العتمة قلت . أوتر قبل أن أجيئك لأنى لا آمن مايحدث من الموت فلما كنت فى الدعاء من الوتر رفعت إلى روضة خضراء فيها أنواع الزهر من الجنة فما زلت أنظر إليها حتى أصبحت . وهذه المكاشفات لا تكون إلا بعد التبرى عن النفس وعدم الالتفات إليها وإلى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب أحوال المكاشف فحيث يتلو آيات الرجاء ويطلع على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عيانا وإن غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها . وذلك لأن كلام الله عز وجل يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب أوصافه ، إذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش . فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب فى اختلاف الحالات ، وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بأمر يناسب تلك الحالة ويقاربها ؛ إذ يستحيل أن يكون حالة المستمع واحدا والمسموع مختلفا إذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالى وكلام حنان متعطف لا يهمل .

الباب الرابع : فى فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل

لعلك تقول : عظمت الأمر فيما سبق فى فهم أسرار القرآن وما ينكشف لأرباب القلوب الزكية من معانيه

فكيف يستحب ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار [١] » ؟ وعن هذا شنع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل التصوف من المقصرين المنسوبين إلى التصوف فى تأويل كلمات فى القرآن على خلاف مانقل عن ابن عباس وسائر المفسرين وذهبوا إلى أنه كفر فإن صح ماقاله أهل التفسير فما معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره ؟ وإن لم يصح ذلك فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » ؟ فاعلم أن من زعم أن لامعنى للقرآن إلا ماترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب فى الإخبار عن نفسه ، ولكنه مخطئ فى الحكم برد الخلق كافة إلى درجته التى هى حده ومحطه بل الأخبار والآثار تدل على أن فى معانى القرآن منسعا لأرباب الفهم [٢] قال على رضى الله عنه : إلا أن يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن . فإن لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم ؟ وقال صلى الله عليه وسلم « إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا [٣] » ، ويروى أيضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير . فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع ؟ وقال على كرم الله وجهه : لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب . فما معناه وتفسير ظاهرها فى غاية الاقتصار ؟ وقال أبو الدرداء . لايفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها . وقد قال بعض العلماء : لكل آية ستون ألف فهم ومابقى من فهمها أكثر . وقال آخرون : القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتى علم إذ كل كلمة علم . ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع . وترديد رسول الله صلى الله عليه وسلم « بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة [٤] » لايكون إلا لتدبره باطن معانيها وإلا فترجمتها وتفسيرها ظاهر لايحتاج مثله إلى تكرير . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن . وذلك لايحصل بمجرد تفسير الظاهر . وبالجملة فالعلوم كلها داخلة فى أفعال الله عز وجل وصفاته ، وفى القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته : وهذه العلوم لانهاية لها ، وفى القرآن إشارة إلى مجامعها . والمقامات فى التعمق فى تفصيله راجع إلى فهم القرآن . ومجرد ظاهره التفسير لايشير إلى ذلك ، بل كل ماأشكل فيه على النظار واختلف فيه الخلائق فى النظريات والمعقولات فهى القرآن إليه رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها . فكيف يفى بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ؟ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « اقرءوا القرآن والتمسوا غرائبه [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث على كرم الله وجهه « والذى بعثنى بالحق نبيا ليفترقن أمتى عن أصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون إلى النار فإذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله عز وجل فإن فيه نبأ من كان قبلكم ونبأ ما يأتى بعدكم وحكم مابينكم ، من خالفه من الجبابرة قصمه الله عز وجل ومن ابتغى العلم فى غيره أضله الله عز وجل وهو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاؤه النافع ، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لايعوج فيقوم ولايزيغ فيستقيم ولاتنقضى عجائبه ولا تخلقه كثرة الترديد [٦] »

الباب الرابع : فى فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل

(١) حديث « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » تقدم فى الباب الثالث من العلم (٢) حديث « الأخبار والآثار الدالة على أن فى معانى القرآن متسعا لارباب الفهم » تقدم قول على فى الباب « إلا أن يؤتى الله عبدا فهما فى كتابه » .

(٣) حديث « إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا » تقدم فى قواعد العقائد (٤) حديث « تكرير النبى صلى الله عليه وسلم البسملة عشرين مرة » تقدم فى الباب قبله .

(٥) حديث « اقرءوا القرآن والتمسوا غرائبه » أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف وأبو يعلى الموصلى والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بلفظ « أعربوا » وسنده ضعيف (٦) حديث على « والذى بعثنى بالحق لتفترقن أمتى على أصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعو إلى النار فإذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله فإن فيه نبأ من كان قبلكم ... الحديث » بطوله هو عند الترمذى دون ذكر افتراق الامة بلفظ « ألا إنها ستكون فتنة مضلة فقلت ما المخرج منها يارسول الله قال كتاب الله فيه نبأ من كان قبلكم » فذكره مع اختلاف وقال غريب وإسناده مجهول

الحديث وفى حديث حذيفة « لما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاختلاف والفرقة بعده قال : فقلت يارسول الله فماذا تأمرنى إن أدركت ذلك ؟ فقال : تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك ، قال : فأعدت عليه ذلك ثلاثا ، فقال صلى الله عليه وسلم ثلاثا . تعلم كتاب الله عز وجل واعمل بما فيه ففيه النجاة [1] » وقال على كرم الله وجهه : من فهم القرآن فسر به جمل العلم ، أشار به إلى أن القرآن يشير إلى مجامع العلوم كلها ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ﴾ يعنى الفهم فى القرآن . وقال عز وجل ﴿ ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما ﴾ سمى ما آتاهما علما وحكما وخصص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم وجعله مقدما على الحكم والعلم . فهذه الأمور تدل على أن فى فهم معانى القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغا وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه . فأما قوله صلى الله عليه وسلم : « من فسر القرآن برأيه » ونهيه عنه [2] صلى الله عليه وسلم وقول أبى بكر رضى الله عنه أى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى إذا قلت فى القرآن برأيى ؟ إلى غير ذلك مما ورد فى الأخبار والآثار فى النهى عن تفسير القرآن بالرأى ، فلا يخلو إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم . أو المراد به أمراً آخر . وباطل قطعا أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد فى القرآن إلا بما يسمعه لوجوه (أحدها) انه يشترط أن يكون ذلك مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسندا إليه وذلك مما لا يصادف إلا فى بعض القرآن . فأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهم فينبغى أن لا يقبل ويقال هو تفسير بالرأى لأنهم لم يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا غيرهم من الصحابة رضى الله عنهم . (والثانى) أن الصحابة والمفسرين اختلفوا فى تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها ، وسماع جميعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال ، ولو كان الواحد مسموعا لرد الباقى « فتبين على القطع أن كل مفسر قال فى المعنى بما ظهر له باستنباطه ، حتى قالوا فى الحروف التى فى أوائل السور سبعة أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها فقيل : إن « الر » هى حروف من الرحمن ، وقيل إن الألف الله واللام لطيف والراء رحيم وقيل غير ذلك . والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعا ؟ (والثالث) أنه صلى الله عليه وسلم « دعا لابن عباس رضى الله عنه وقال : اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل [3] » فإن كان التأويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك ؟ (والرابع) أنه قال عز وجل (لعلمه الذى يستنبطونه منهم) فأثبت لأهل العلم استنباطا ، ومعلوم أنه وراء السماع . وجملة ما نقلناه من الآثار فى فهم القرآن يناقض هذا الخيال فبطل أن يشترط السماع فى التأويل ، وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله . وأما النهى فإنه ينزل على أحد وجهين ، أحدهما : أن يكون له فى الشىء رأى وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ، ولو لم يكن له ذلك الرأى والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى . وهذا تارة يكون مع العلم كالذى يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم انه ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه . وتارة يكون مع الجهل ولكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذى

---

(١) حديث حذيفة فى الاختلاف والفرقة بعده « فقلت ما تأمرنى إن أدركت ذلك ؟ قال : تعلم كتاب الله واعمل بما فيه ... الحديث » أخرجه أبو داود والنسائى فى الكبرى وفيه « تعلم كتاب الله واتبع ما فيه — ثلاث مرات — »

(٢) حديث « النهى عن تفسير القرآن بالرأى » غريب . (٣) حديث دعائه لابن عباس « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » تقدم فى الباب الثانى من العلم .

يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه ، فيكون قد فسر برأيه أى رأيه هو الذى حمله على ذلك التفسير ، ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه مما يعلم أنه ما أريد به كمن يدعو إلى الاستغفار بالأسحار فيستدل بقوله صلى الله عليه وسلم «تسحروا فان فى السحور بركة[1]» ويزعم أن المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم أن المراد به الأكل ، وكالذى يدعو إلى مجاهدة القلب القاسى فيقول قال الله عز وجل ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ ويشير إلى قلبه ويومئ إلى أنه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ فى المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع . وقد تستعمله الباطنية فى المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعا أنها غير مرادة به . فهذه الفنون أحد وجهى المنع من التفسير بالرأى .. ويكون المراد بالرأى الرأى الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والرأى يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص باسم الرأى . والوجه الثانى أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير . فمن لم يحكم بظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعانى بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل فى زمرة من يفسر بالرأى . فالنقل والسماع لا بد منه فى ظاهر التفسير أولا ليتقى به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط . والغرائب التى لا تفهم إلا بالسماع كثيرة ، ونحن نرمز إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها ويعلم أنه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولا . ولا مطمع فى الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر . ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعى البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب . أو يدعى فهم مقاصد الأتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك . فان ظاهر التفسير يجرى مجرى تعليم اللغة التى لا بد منها للفهم . وما لا بد فيه من السماع فنون كثيرة : منها الإيجاز بالحذف والإضمار كقوله تعالى ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها﴾ معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها ، فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ، ولم يدر أنهم بماذا ظلموا غيرهم أو أنفسهم . وقوله تعالى ﴿وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم﴾ أى حب العجل ، فحذف الحب وقوله عز وجل ﴿إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات﴾ أى ضعف عذاب الأحياء وضعف عذاب الموتى فحذف العذاب ، وأبدل الأحياء والموتى بذكر الحياة والموت وكل ذلك جائز فى فصيح اللغة . وقوله تعالى (واسئل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها) أى أهل العير فالأهل فيهما محذوف مضمر . وقوله عز وجل (ثقلت فى السموات والأرض) معناه خفيت على أهل السموات والأرض والشىء إذا خفى ثقل فأبدل اللفظ به وأقيم (فى) مقام (على) وأضمر الأهل وحذف . وقوله تعالى (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) أى شكر رزقكم وقوله عز وجل (آتنا ما وعدتنا على رسلك) أى على ألسنة رسلك فحذف ألسنة وقوله تعالى (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) أراد القرآن وما سبق له ذكر . وقال عز وجل (حتى توارت بالحجاب) أراد الشمس وما سبق لها ذكر . وقوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) أى يقولون ما نعبدهم وقوله عز وجل (فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) معناه لا يفقهون حديثا يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله فان لم يرد هذا كان مناقضا لقوله (قل كل من عند الله) وسبق إلى الفهم منه مذهب القدرية . ومنها المنقول المنقلب كقوله تعالى (وطور سينين) أى طور

(١) حديث « تسحروا فإن فى السحور بركة » تقدم فى الباب الثالث من العلم .

سيناء (سلام على آل ياسين) أى على الياس وقيل إدريس ، لأن فى حرف ابن مسعود ﴿ سلام على إدراسين ﴾ ومنها المكرر القاطع لوصل الكلام فى الظاهر كقوله عز وجل ﴿ وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن ﴾ وقوله عز وجل ﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم ﴾ معناه: الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا ومنها المقدم والمؤخر وهو مظنة الغلط كقوله عز وجل ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى ﴾ معناه لولا الكلمة وأجل مسمى لكان لزاما ولولاه لكان نصبا كاللزام وقوله تعالى ﴿ يسألونك كأنك حفى عنها ﴾ أى يسألونك عنها كأنك حفى بها وقوله عز وجل (لهم مغفرة ورزق كريم كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) فهذا الكلام غير متصل وإنما هو عائد إلى قوله السابق (قل الانفال لله والرسول - كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) أى فصارت أنفال الغنائم لك إذ أنت راض بخروجك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الأمر بالتقوى وغيره ومن هذا النوع قوله عز وجل (حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه) الآية . ومنها المبهم وهو اللفظ المشترك بين معان من كلمة أو حرف . أما الكلمة فكالشىء والقرين والأمة والروح ونظائرها قال الله تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شىء) أراد به النفقة مما رزق وقوله عز وجل (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شىء) أى الأمر بالعدل والاستقامة وقوله عز وجل (فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء) أراد به من صفات الربوبية ، وهو العلوم التى لا يحل السؤال عنها حتى يبتدئ بها العارف فى أوان الاستحقاق . وقوله عز وجل (أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون) أى من غير خالق فربما يتوهم به أنه يدل على أنه لا يخلق شىء إلا من شىء . وأما القرين فكقوله عز وجل ﴿ وقال قرينه هذا ما لدى عتيد ألقيا فى جهنم كل كفار ﴾ أراد به الملك الموكل به وقوله تعالى (قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان) أراد به الشيطان . وأما الأمة فتطلق على ثمانية أوجه ، الأمة : الجماعة كقوله تعالى (وجد عليه أمة من الناس يسقون) وأتباع الأنبياء كقولك عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ورجل جامع للخير يقتدى به كقوله تعالى (إن ابراهيم كان أمة قانتا لله) والأمة : الدين كقوله عز وجل (إنا وجدنا آباءنا على أمة) والأمة : الحين والزمان كقوله عز وجل ﴿ إلى أمة معدودة ﴾ وقوله عز وجل (وادّكر بعد أمة) والأمة : القامة يقال فلان حسن الأمة أى القامة ، وأمة : رجل منفرد بدين لا يشركه فيه أحد قال صلى الله عليه وسلم « يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده [1] » والأمة يقال هذه أمة زيد أى أم زيد . والروح أيضا ورد فى القرآن على معان كثيرة فلا نطول بإيرادها . وكذلك قد يقع الإبهام فى الحروف مثل قوله عز وجل (فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا) فالهاء الأولى : كناية عن الحوافر وهى المؤريات أى أثرن بالحوافر نقعا والثانية ؛ كناية عن الإغارة وهى المغيرات صبحا فوسطن به جمعا جمع المشركون فأغاروا بجمعهم وقوله تعالى (وأنزلنا به الماء) يعنى السحاب ﴿ فأخرجنا به من كل الثمرات ﴾ يعنى الماء . وأمثال هذا فى القرآن لا ينحصر . ومنها التدريج فى البيان كقوله عز وجل ﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ﴾ إذ لم يظهر به أنه ليل أو نهار، وبان بقوله عز وجل (إنا أنزلناه فى ليلة مباركة) ولم يظهر به أى ليلة فظهر بقوله تعالى (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) وربما يظن فى الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات ، فهذا وأمثاله مما لا يغنى فيه إلا النقل والسماع فالقرآن من أوله إلى آخره غير خال عن هذا الجنس لأنه أنزل بلغة العرب فكان متشملا على أصناف كلامهم من إيجاز وتطويل وإضمار وحذف وإبدال وتقديم وتأخير ، ليكون ذلك مفحما لهم ومعجزا فى حقهم . فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر إلى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسماع والنقل فى هذه الأمور فهو داخل فيمن فسر القرآن برأيه . مثل أن يفهم من الأمة المعنى الأشهر منه فيميل طبعه ورأيه اليه فاذا سمعه فى موضع آخر مال برأيه إلى ماسمعه من مشهور

(١) حديث « يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده » أخرجه النسائى فى الكبرى من حديث زيد بن حارثة وأسماء بنت أبى بكر بإسنادين جيدين

معناه وترك تتبع النقل فى كثير معانيه فهذا مايمكن أن يكون منهيا عنه دون التفهم لأسرار المعانى ـ كما سبق ـ فإذا حصل السماع بأمثال هذه الأمور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الألفاظ . ولا يكفى ذلك فى فهم حقائق المعانى . ويدرك الفرق بين حقائق المعانى وظاهر التفسير بمثال : وهو أن الله عز وجل قال ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ فظاهره تفسير واضح وحقيقة معناه غامض . فإنه إثبات للرمى ونفى له . وهما متضادان فى الظاهر مالم يفهم أنه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذى لم يرم رماه الله عز وجل . وكذلك قال تعالى ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ﴾ فإذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله سبحانه هو المعذب ؟ وإن كان الله تعالى هو المعذب بتحريك أيديهم فما معنى أمرهم بالقتال ؟ فحقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات لايغنى عنه ظاهر التفسير وهو أن يعلم وجه ارتباط الأفعال بالقدرة الحادثة . ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله عز وجل حتى ينكشف ـ بعد إيضاح أمور كثيرة غامضة ـ صدق قوله عز وجل ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ ولعل العمر لو أنفق فى استكشاف أسرار هذا المعنى ومايرتبط بمقدماته ولواحقه لانقضى العمر قبل استيفاء جميع لواحقه وما من كلمة من القرآن إلا وتحقيقها محوج إلى مثل ذلك . وإنما ينكشف للراسخين فى العلم من أسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب . ويكون لكل واحد حد فى الترقى إلى درجة أعلى منه . وأما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مداداً والأشجار أقلاما فأسرار كلمات الله لانهاية لها فتنفد الأبحر قبل أن تنفد كلمات الله عز وجل . فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق فى الفهم بعد الاشتراك فى معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لايغنى عنه . ومثاله فهم بعض أرباب القلوب من قوله صلى الله عليه وسلم فى سجوده أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك [1] » أنه قيل له ابعد واقترب فوجد القرب فى السجود فنظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض ؛ فإن الرضا والسخط وصفان ثم زاد قربه فاندرج القرب الأول فيه فرقى إلى الذات فقال « أعوذ بك منك » ثم زاد قربه بما استحيا به من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء فأثنى بقوله « لاأحصى ثناء عليك » ثم علم أن ذلك قصور فقال « أنت كما أثنيت على نفسك » فهذه خواطر تفتح لأرباب القلوب . ثم لها أغوار وراء هذا وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به . وأسرار ذلك كثيرة : ولا يدل تفسير ظاهر عليه وليس اللفظ هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول إلى لبابه عن ظاهره فهذا ما نورده لفهم المعانى الباطنة لاما يناقض الظاهر والله أعلم . تم كتاب : آداب التلاوة . والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين وعلى آل محمد وصحبه وسلم . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب : الأذكار والدعوات . والله المستعان لارب سواه .

كتاب الأذكار والدعوات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الشاملة رأفته العامة رحمته الذى جازى عباده عن ذكرهم بذكرهم فقال تعالى (فاذكرونى أذكركم)

---

(١) حديث « قوله صلى الله عليه وسلم فى سجوده أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث عائشة .

ورغبهم فى السؤال والدعاء بأمره فقال (ادعونى أستجب لكم) فأطمع المطيع والعاصى والدانى والقاصى فى الانبساط إلى حضرة جلاله برفع الحاجات والأمانى بقوله (فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) والصلاة على محمد سيد أنبيائه وعلى آله وأصحابه خيرة أصفيائه وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد : فليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل عبادة تؤدى باللسان أفضل من ذكر الله تعالى ورفع الحاجات بالأدعية الخالصة إلى الله تعالى . فلابد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل فى أعيان الأذكار . وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه ونقل المأثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها . ويتحرر المقصود من ذلك بذكر أبواب خمسة (الباب الأول) فى فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلا (الباب الثانى) فى فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . الباب الثالث) فى أدعية مأثورة ومعزية إلى أصحابها وأسبابها (الباب الرابع) فى أدعية منتخبة ثم وقة الإسناد من الأدعية المأثورة (الباب الخامس) فى الأدعية المأثورة عند حدوث الحوادث .

الباب الأول : فى فضيلة الذكر وفائدته على الجملة والتفصيل من الآيات والاخبار والآثار

ويدل على فضيلة الذكر على الجملة من الآيات : قوله سبحانه وتعالى (فاذكرونى أذكركم) قال ثابت البنانى رحمه الله : إنى أعلم متى يذكرنى ربى عز وجل ، ففزعوا منه وقالوا . كيف تعلم ذلك ؟ فقال: إذا ذكرته ذكرنى . وقال تعالى (اذكروا الله ذكرا كثيرا) وقال تعالى (فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم) وقال عز وجل (فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا) وقال تعالى (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) وقال تعالى (فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) قال ابن عباس رضى الله عنهما : أى بالليل والنهار فى البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية . وقال تعالى فى ذم المنافقين (ولا يذكرون الله إلا قليلا) وقال عز وجل (واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) وقال تعالى (ولذكر الله أكبر) قال ابن عباس رضى الله عنهما : له وجهان أحدهما أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه ، والآخر : أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه . إلى غير ذلك من الآيات . وأما الأخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله فى الغافلين كالشجرة فى وسط الهشيم [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل بين الفارين » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل أنا مع عبدى ماذكرنى وتحركت شفتاه بى [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « ماعمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل ، قالوا يارسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد فى سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم

كتاب الأذكار والدعوات

الباب الأول : فى فضيلة الذكر

(١) حديث « ذاكر الله فى الغافلين كالشجرة الخضراء فى وسط الهشيم » أخرجه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقال « فى وسط الشجر » الحديث . (٢) حديث « يقول الله تعالى أنا مع عبدى ماذكرنى وتحركت بى شفتاه » أخرجه البيهقى وابن حبان من حديث أبى هريرة والحاكم من حديث أبى الدرداء وقال صحيح الإسناد

تضرب به حتى ينقطع ، ثم تضرب به حتى ينقطع [١] فقال صلى الله عليه وسلم « من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل [٢] » وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أى الأعمال أفضل ؟ فقال : أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسى وليس عليك خطيئة [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « لذكر الله عز وجل بالغداة والعشى أفضل من حطم السيوف فى سبيل الله ومن إعطاء المال سحا [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تبارك وتعالى إذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملئه وإذا تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا وإذا تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا وإذا مشى إلى هرولت إليه [٦] » يعنى بالهرولة سرعة الإجابة . وقال صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله عزوجل فى ظله يوم لاظل إلا ظله - من جملتهم - رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله [٧] وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم قالوا وماذاك يارسول الله ؟ قال ذكر الله عزوجل دائما [٨] » وقال صلى الله عليه وسلم « قال الله عزوجل من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ماأعطى السائلين [٩] » وأما الآثار : فقد قال الفضيل : بلغنا أن الله عزوجل قال عبدى اذكرنى بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك مابينهما . وقال بعض العلماء : إن الله عزوجل يقول أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه . وقال الحسن الذكر ذكران ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ماحرم الله عز وجل . ويروى « إن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا ذاكر الله عز وجل » وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه : ليس يتحسر أهل الجنة على شىء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها ، والله تعالى أعلم .

---

(١) حديث « ماعمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يارسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال ولا الجهاد فى سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع - ثلاث مرات » أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف والطبرانى من حديث معاذ بإسناد حسن (٢) حديث « من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى » أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف والطبرانى من حديث معاذ بسند ضعيف ورواه الطبرانى فى الدعاء من حديث أنس وهو عند الترمذى بلفظ « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » وقد تقدم فى الباب الثالث من العلم (٣) حديث « سئل أى الأعمال أفضل ؟ قال أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى » أخرجه ابن حبان والطبرانى فى الدعاء والبيهقى فى الشعب من حديث معاذ

(٤) حديث « أمس وأصبح ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسى وليس عليك خطيئة » أخرجه أبو القاسم الأصبهانى فى الترغيب والترهيب من حديث أنس « من أصبح وأمسى ولسانه رطب من ذكر الله يمسى ويصبح وليس عليه خطيئة » وفيه من لايعرف (٥) حديث « لذكر الله بالغداة والعشى أفضل من حطم السيوف فى سبيل الله ومن إعطاء المال سحا » رويناه من حديث أنس بسند ضعيف فى الأصل وهو معروف من قول ابن عمر كما رواه ابن عبد البر فى التمهيد .

(٦) حديث « قال الله عزوجل إذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة .

(٧) حديث « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلا ظله - من جملتهم - رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » متفق عليه من حديث أبى هريرة أيضاً (٨) حديث « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم ... الحديث » أخرجه الترمذى والحاكم وابن ماجه وصحح إسناده من حديث أبى الدرداء (٩) حديث « قال الله تعالى من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » أخرجه البخارى فى التاريخ والبزار فى المسند والبيهقى فى الشعب من حديث عمر بن الخطاب وفيه صفوان بن أبى الصفا ذكره ابن حبان فى الضعفاء وفى الثقات أيضاً

فضيـــلة مجالس الذكر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماجلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده [١] » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفوراً لكم قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات [٢] » وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم « ماقعد قوم مقعداً لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة [٣] » وقال داود صلى الله عليه وسلم: إلهى إذا رأيتنى أجاوز مجالس الذاكرين إلى مجالس الغافلين فاكسر رجلى دونهم فإنها نعمة تنعم بها على . وقال صلى الله عليه وسلم « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفى ألف مجلس من مجالس السوء [٤] » وقال أبو هريرة رضى الله عنه إن أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض التى يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم . وقال سفيان بن عيينة رحمه الله إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا : ألا ترين مايصنعون ؟ فتقول الدنيا : دعهم فإنهم إذا تفرقوا أخذت بأعناقهم إليك . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه دخل السوق وقال : أراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فى المسجد ؟ فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا ، فقالوا : يا أبا هريرة مارأينا ميراثا يقسم فى المسجد ؟ قال : فماذا رأيتم ؟ قالوا : رأينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرءون القرآن ، قال . وذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم [٥] وروى الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن لله عز وجل ملائكة سياحين فى الأرض فضلا عن كتاب الناس فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم إلى السماء فيقول الله تبارك وتعالى . أى شىء تركتم عبادى يصنعونه فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك فيقول الله تبارك وتعالى وهل رأونى فيقولون لا فيقول جل جلاله كيف لو رأونى فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسبيحاً وتحميدا وتمجيدا . فيقول لهم من أى شىء يتعوذون فيقولون من النار فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول الله عز وجل فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد هرباً منها وأشد نفورا فيقول الله عز وجل وأى شىء يطلبون فيقولون الجنة فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول تعالى فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصاً . فيقول جل جلاله إنى أشهدكم أنى قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم إنما جاء لحاجة فيقول الله عز وجل هم القوم لايشقى جليسهم [٦] » .

---

(١) حديث « ماجلس قوم مجلسا يذكرون الله تعالى إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة (٢) حديث « مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لايريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات » أخرجه أحمد وأبو يعلى والطبرانى بسند ضعيف من حديث أنس (٣) حديث « ماقعد قوم مقعدا لم يذكروا الله ولم يصلوا على النبى صلى الله عليه وسلم فيه إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة » أخرجه الترمذى وحسنه من حديث أبى هريرة . (٤) حديث « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفى ألف مجلس من مجالس السوء » ذكره صاحب الفردوس من حديث ابن وداعه وهو مرسل ولم يخرجه ولده وكذلك لم أجد له إسنادا (٥) حديث أبى هريرة « أنه دخل السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فى المسجد فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى المعجم الصغير بإسناد فيه جهالة أو انقطاع

(٦) حديث الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة أو أبى سعيد الخدرى عنه صلى الله عليه وسلم « أنه قال إن لله عز وجل ملائكة سياحين فى الأرض فضلا عن كتاب الناس ... الحديث » رواه الترمذى من هذا الوجه والحديث فى الصحيحين من حديث أبى هريرة وحده وقد تقدم فى الباب الثالث من العلم

فضيلة التهليل

قال صلى الله عليه وسلم « أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له [١] » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى قبورهم ولا فى نشورهم كأنى أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رءوسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً لأبى هريرة « يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامه إلا شهادة أن لا إله إلا الله فإنها لاتوضع فى ميزان ، لأنها لو وضعت فى ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والأرضون السبع ومافيهن كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم (لو جاء قائل لا إله إلا الله صادقا بقراب الأرض ذنوبا لغفر الله له ذلك [٦]) وقال صلى الله عليه وسلم (ياأبا هريرة لقن الموتى شهادة أن لا إله إلا الله فإنها تهدم الذنوب هدما ، قلت يارسول الله هذا للموتى فكيف للأحياء قال صلى الله عليه وسلم : هى أهدم وأهدم [٧]) وقال صلى الله عليه وسلم (من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة [٨]) وقال صلى الله عليه وسلم (لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد عن الله عز وجل شراد البعير عن أهله فقيل يا رسول الله من الذى يأبى ويشرد عن الله قال من لم يقل لا إله إلا الله [٩]) فأكثروا من قول لا إله إلا الله قبل أن

---

(١) حديث « أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله ... الحديث » تقدم فى الباب الثانى من الحج

(٢) حديث « من قال لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة . . الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة (٣) حديث « مامن عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله . . الحديث » أخرجه من حديث عقبة بن عامر وقد تقدم فى الطهارة .

(٤) حديث « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى قبورهم ولا فى النشور .. الحديث » أخرجه أبو يعلى والطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٥) حديث « ياأبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة الا شهادة أن لا إله إلا الله فإنها لاتوضع فى ميزان ؛ لأنها لووضعت فى ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والأرضون السبع ومافيهن كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك » قلت وصية أبى هريرة هذه موضوعة . وآخر الحديث رواه المستغفرى فى الدعوات « ولو جعلت لا إله إلا الله » وهو معروف من حديث أبى سعيد مرفوعا « لو أن السموات السبع والأرضين السبع فى كفة مالت بهن لا إله إلا الله » رواه النسائى فى اليوم والليلة وابن حبان والحاكم وصححه .

(٦) حديث « لوجاء حامل لا إله إلا الله صادقا بقراب الأرض ذنوبا لغفر الله له » غريب بهذا اللفظ . وللترمذى فى حديث لأنس « يقول الله يابن آدم إنك لوأتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لاتشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة » ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث أنس « يارب ماجزاء من هلل مخلصا من قلبه قال جزاؤه أن يكون كيوم ولدته أمه من الذنوب » وفيه انقطاع .

(٧) حديث « ياأبا هريرة لقن الموتى شهادة أن لا اله الا الله فانها تهدم الذنوب ... الحديث » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق ابن المقرى من حديث أبى هريرة وفيه موسى ابن وردان مختلف فيه ورواه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف ورواه ابن أبى الدنيا فى المحتضرين من حديث الحسن مرسلا (٨) حديث « من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة » أخرجه الطبرانى من حديث زيد بن أرقم باسناد ضعيف (٩) حديث « لتدخلن الجنة كلكم الامن أبى وشرد على الله شرود البعير على أهله » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة « كل أمتى يدخلون الجنة الا من أبى » زاد الحاكم وصححها « وشرد على الله شرود البعير على أهله » قال البخارى « قالوا يارسول الله ومن يأبى قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى » ولابن عدى وأبى يعلى والطبرانى فى الدعاء من حديثه « أكثروا من قول لا اله الا الله قبل أن يحال بينكم وبينها » وفيه ابن وردان أيضاً ، ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث الحكم بن عمير الثمالى مرسلا « اذا قلت لا اله الا الله وهى كلمة =

يحال بينكم وبينها فإنها كلمة التوحيد وهى كلمة الإخلاص وهى كلمة التقوى وهى كلمة طيبة وهى دعوة الحق وهى العروة الوثقى وهى ثمن الجنة ، وقال الله عز وجل ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ فقيل الإحسان فى الدنيا قول لا إله إلا الله وفى الآخرة الجنة . وكذا قوله تعالى ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ وروى البراء بن عازب أنه صلى الله عليه وسلم قال « من قال لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير - عشر مرات - كانت له عدل رقبة أو قال نسمة [1] » وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال فى يوم مائتى مرة لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير لم يسبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد بعده إلا من عمل بأفضل من عمله [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال فى سوق من الأسواق لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة وبنى له بيتا فى الجنه » ويروى « إن العبد إذا قال لا إله إلا الله أتت إلى صحيفته فلا تمر على خطيئة إلى محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إلى جنبها [3] » وفى الصحيح عن أيوب عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قال لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسمعيل صلى الله عليه وسلم [4] » وفى الصحيح أيضا عن عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم قال اللهم اغفر لى غفر له او دعا استجيب له فإن توضا وصلى قبلت صلاته [5] » .

فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الأذكار

قال صلى الله عليه وسلم « من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وختم المائة بلا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو كل شىء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر [6] » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال سبحان الله وبحمده فى اليوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر [7] » وروى « أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : تولت عنى الدنيا وقلت ذات

= التوحيد ... الحديث » والحكم ضعيف ، ولأبى بكر بن الضحاك فى الشمائل من حديث ابن مسعود فى اجابة المؤذن « اللهم رب هذه الدعوة المجابة المستجاب لها دعوة الحق وكلمة الإخلاص » ولابن عدى من حديث ابن عمر فى اجابة المؤذن « دعوة الحق » وللطبرانى فى الدعاء عن عبدالله بن عمرو « كلمة الإخلاص لا اله الا الله ... الحديث » وللطبرانى من حديث سلمة بن الاكوع « وألزمهم كلمة التقوى قال : لا اله الا الله » وللطبرانى فى الدعاء عن ابن عباس « كلمة طيبة قال شهادة أن لااله الا الله » وله عنه فى قوله « دعوة الحق » قال « شهادة أن لااله الا الله » وله عنه « فقد استمسك بالعروة الوثقى » قال « لااله الا الله » ولابن عدى والمستغفرى من حديث أنس « ثمن الجنة لااله الا الله » ولا يصح شىء منها (١) حديث البراء « من قال لااله الاالله وحده لاشريك له ... الحديث » أخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وهو فى مسند أحمد دون قوله « عشر مرات » .

(٢) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال فى كل يوم مائة مرة لااله الا الله وحده لاشريك له ... الحديث » أخرجه أحمد بلفظ « مائة » وكذا رواه الحاكم فى المستدرك وإسناده جيد وهكذا هو فى بعض نسخ الإحياء .

(٣) حديث « ان العبد اذا قال لااله الا الله أتت الى صحيفته فلا تمر على خطيئة الا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس اليها » أخرجه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث أبى أيوب « من قال لااله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد اسمعيل » متفق عليه (٥) حديث عبادة بن الصامت « من تعار من الليل فقال لااله الا الله ... الحديث » رواه البخارى (٦) حديث « من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة (٧) حديث « من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر » متفق عليه من حديث أبى هريرة

يدى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون ؟ قال : فقلت وماذا يارسول الله ؟ قال : قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله مائة مرة مابين طلوع الفجر إلى أن تصلى الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله عز وجل من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة لك ثوابه [1] «وقال صلى الله عليه وسلم » إذا قال العبد الحمدلله ملأت مابين السماء والأرض فإذا قال الحمدلله الثانية ملأت مابين السماء السابعة إلى الأرض السفلى فإذا قال الحمد لله الثالثة قال الله عز وجل سل تعط [2] » وقال رفاعة الزرقى « كنا يوما نصلى وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم : ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاته قال : من المتكلم آنفا ؟ قال : أنا يارسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أولا [3] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الباقيات الصالحات هن لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولاحول ولاقوة إلا بالله [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « ماعلى الأرض رجل يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر [5] » رواه ابن عمر وروى النعمان بن بشير عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتكبيره وتحميده ينعطفن حول العرش لهن دوى كدوى النحل يذكرون بصاحبهن أو لايحب أحدكم أن لا يزال عند الله مايذكر به [6] » وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس [7] » وفى رواية أخرى زاد « لا حول ولا قوة إلا بالله وقال هى خير من الدنيا وما فيها » وقال صلى الله عليه وسلم « أحب الكلام إلى الله تعالى أربع : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لايضرك بأيهن بدأت [8] » رواه سمرة بن جندب .

---

(١) حديث « أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال تولت عنى الدنيا وقلت ذات يدى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين أنت عن صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون .. الحديث » أخرجه المستغفرى فى الدعوات من حديث ابن عمر وقال غريب من حديث مالك ولاأعرف له أصلا فى حديث مالك ولأحمد من حديث عبدالله بن عمرو « أن نوحا قال لابنه آمرك بلا اله الا الله ... الحديث » ثم قال « وسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شىء وبها يرزق الخلق » واسناده صحيح

(٢) حديث « اذا قال العبد الحمد لله ملأت مابين السماء والأرض واذا قال الحمد لله الثانية ملأت مابين السماء السابعة الى الأرض واذا قال الحمد لله الثالثة قال الله تعالى سل تعطه » غريب بهذا اللفظ لم أجده .

(٣) حديث رفاعة الزرقى «كنا يوما نصلى وراء النبى صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه .. الحديث » رواه البخارى (٤) حديث « الباقيات الصالحات هن لا اله الا الله وسبحان الله والله أكبر والحمد لله ولاحول ولاقوة الا بالله » أخرجه النسائى فى اليوم الليلة وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبى سعيد والنسائى والحاكم من حديث أبى هريرة دون قوله « ولاحول ولاقوة الا بالله » .

(٥) حديث « ماعلى الأرض رجل يقول لاإله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولاحول وقوة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر » أخرجه الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم وهو عند الترمذى وحسنه والنسائى فى اليوم والليلة مختصرا دون قوله « سبحان الله والحمد لله » (٦) حديث النعمان بن بشير « الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتحميده وتهليله وتحميده ينعطف حول العرش له دوى كدوى النحل يذكرون بصاحبهن .. الحديث » أخرجه ابن ماجه والحاكم وصححه على شرط مسلم (٧) حديث أبى هريرة « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس » وزاد فى رواية « ولاحول ولا قوة إلا بالله وقال خير من الدنيا ومافيها » أخرجه مسلم باللفظ الأول والمستغفرى فى الدعوات من رواية مالك بن دينار « أن أبا أمامة قال للنبى صلى الله عليه وسلم قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير من الدنيا ومافيها قال أنت أعلم القوم » وهو مرسل جيد الإسناد .

(٨) حديث سمرة بن جندب «أحب الكلام الى الله أربع .. الحديث» رواه مسلم .

وروى أبو مالك الأشعرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والله أكبر يملآن ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها أو مشتر نفسه فمعتقها [1] » وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم [2] » وقال أبو ذر رضى الله عنه « قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الكلام أحب إلى الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم ما اصطفى الله سبحانه لملائكته : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم [3] » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى اصطفى من الكلام : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر [4] » فإذا قال العبد « سبحان الله » كتبت له عشرون حسنة وتحط عنه عشرون سيئة وإذا قال « الله أكبر » فمثل ذلك وذكر إلى آخر الكلمات . وقال جابر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة [5] » وعن أبى ذرّ رضى الله عنه أنه قال : قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم « ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدّقون بفضول أموالهم فقال : أو ليس قد جعل لكم ما تصدّقون به ؟ إن بكل تسبيحة صدقة وتحميدة صدقة وتهليلة صدقة وتكبيرة صدقة وأمر بمعروف صدقة ونهى عن منكر صدقة ويضع أحدكم اللقمة فى فى أهله فهى له صدقة . وفى بضع أحدكم صدقة . قالوا يارسول الله يأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال صلى الله عليه وسلم : أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه فيها وزر ؟ قالوا : نعم . قال : كذلك ان وضعها فى الحلال كان له فيها أجر [6] » وقال أبو ذر رضى الله عنه : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم « سبق أهل الأموال بالأجر يقولون كما نقول وينفقون ولا ننفق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا أدلك على عمل إذا أنت عملته أدركت من قبلك وفقت من بعدك إلا من قال مثل قولك ؟ تسبح الله بعد كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتحمده ثلاثا وثلاثين وتكبر أربعا وثلاثين [7] » وروت بسرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « عليكنّ بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن واعقدن بالأنامل فإنها مستنطقات [8] » يعنى بالشهادة فى القيامة . وقال ابن عمر : رأيته صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح [9] وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما شهد عليه أبو هريرة وأبو سعيد الخدرى « إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر قال الله عز وجل صدق عبدى لا إله إلا أنا وأنا أكبر وإذا قال العبد : لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال تعالى صدق عبدى لا إله إلا أنا وحدى لا شريك لى ، وإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة

---

(١) حديث أبى مالك الأشعرى « الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان .. الحديث » رواه مسلم وقد تقدم فى الطهارة

(٢) حديث أبى هريرة « كلمتان خفيفتان على اللسان... الحديث » متفق عليه (٣) حديث أبى ذر « أى الكلام أحب إلى الله قال ما اصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » رواه مسلم وأبو داود والنسائى « قوله سبحان الله العظيم » .

(٤) حديث « إن الله اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله .. الحديث » أخرجه النسائى فى اليوم والليلة والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وصححه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد الا أنهما قالا فى ثواب الحمد لله « كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون سيئة » (٥) حديث جابر « من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة » أخرجه الترمذى وقال حسن والنسائى فى اليوم والليلة وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وصححه (٦) حديث أبى ذر « قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلى .. الحديث » رواه مسلم (٧) حديث أبى ذر « قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبق أهل الأموال بالأجر يقولون كما نقول وينفقون ولا ننفق ... الحديث » رواه ابن ماجه الا أنه قال : قال سفيان لا أدرى أيتهن أربع . ولأحمد فى هذا الحديث « وتحمد أربعا وثلاثين » واسنادهما جيد ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث أبى الدرداء « وتكبر أربعا وثلاثين » كما ذكر المصنف (٨) حديث بسرة « عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ولا تغفلن واعقدن بالأنامل فإنها مستنطقات » أخرجه أبو داود والترمذى والحاكم بإسناد جيد (٩) حديث ابن عمر « رأيته صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح » قلت : انما هو عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه أبو داود والنسائى والترمذى وحسنه والحاكم .

إلا بالله يقول الله سبحانه صدق عبدى لاحول ولاقوة إلا بى ومن قالهن عند الموت لم تمسه النار [١] ، وروى مصعب ابن سعد عن أبيه عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة فقيل : كيف ذلك يارسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف سيئة [٢] » .

وقال صلى الله عليه وسلم « ياعبد الله بن قيس - أو يا أبا موسى - أولا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ قال : بلى ، قال : قل لاحول ولاقوة إلا بالله [٣] » وفى رواية أخرى « ألا أعلمك كلمة من كنز تحت العرش : لاحول ولاقوة إلا بالله » وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أدلك على عمل من كنوز الجنة من تحت العرش قول لاحول ولاقوة إلا بالله يقول الله تعالى أسلم عبدى واستسلم [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال حين يصبح رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبالقرآن إماما وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا رسولا كان حقا على الله أن يرضيه يوم القيامة [٥] » وفى رواية « من قال ذلك رضى الله عنه » وقال مجاهد إذا خرج الرجل من بيته فقال : بسم الله ، قال الملك : هديت : فإذا قال : توكلت على الله ، قال الملك : كفيت . وإذا قال : لاحول ولاقوة إلا بالله ، قال الملك : وقيت فتتفرق عنه الشياطين فيقولون ماتريدون من رجل قد هدى وكفى ووقى ؟ لاسبيل لكم إليه .

* فإن قلت : فما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها ؟ فاعلم أن تحقيق هذا لايليق إلا بعلم المكاشفة . والقدر الذى يسمح بذكره فى علم المعاملة : أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فأما الذكر باللسان والقلب لاه فهو قليل الجدوى . وفى الأخبار مايدل عليه أيضا [٦] وحضور القلب فى لحظة بالذكر والذهول عن الله عز وجل مع الاشتغال بالدنيا أيضا قليل الجدوى . بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أوفى أكثر الأوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية . والذكر أول وآخر ؛ فأوله يوجب الأنس والحب لله وآخره يوجب الأنس والحب ويصدر عنه ، والمطلوب ذلك الأنس والحب . فإن المريد فى بداية أمره قد يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى ذكر الله عز وجل . فإن وفق للمداومة أنس به وانغرس فى قلبه حب المذكور . ولاينبغى أن يتعجب من هذا فإن من المشاهد فى العادات أن تذكر غائبا غير مشاهد بين يدى شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيحبه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر . ثم إذا عشق بكثرة الذكر المتكلف أولا صار مضطرا إلى كثرة الذكر آخرا بحيث لايصبر عنه . فإن من أحب شيئا أكثر من ذكره . ومن أكثر ذكر شىء - وإن كان تكلفا - أحبه . فكذلك أول الذكر متكلف إلى أن يثمر الأنس بالمذكور والحب له ثم يمتنع الصبر عنه آخرا فيصير الموجب موجبا

---

(١) حديث أبى هريرة وأبى سعيد « اذا قال العبد لااله الا الله والله أكبر قال الله صدق عبدى .. الحديث » أخرجه الترمذى وقال حسن والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه والحاكم وصححه (٢) حديث مصعب بن سعد عن أبيه « أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة ... الحديث » أخرجه مسلم الا أنه قال « أو يحط » كما ذكره المصنف وقال حسن صحيح .

(٣) حديث « ياعبد الله بن قيس — أو ياأبا موسى — ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لاحول ولاقوة الا بالله » متفق عليه (٤) حديث أبى هريرة « عمل من كنز الجنة ومن تحت العرش قول لاحول ولاقوة الا بالله يقول الله أسلم عبدى واستسلم » أخرجه النسائى فى اليوم والليلة والحاكم « من قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولاحول ولا قوة الا بالله قال أسلم عبدى واستسلم » وقال صحيح الإسناد . (٥) حديث « من قال حين يصبح رضيت بالله ربا .. الحديث » أخرجه أبو داود والنسائى فى اليوم والليلة والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث خادم النبى صلى الله عليه وسلم ورواه الترمذى من حديث ثوبان وحسنه وفيه نظر ففيه سعد بن المرزبان ضعيف جدا (٦) حديث « الدال على أن الذكر والقلب لاه قليل الجدوى » أخرجه الترمذى وقال حسن والحاكم وقال حديث مستقيم الإسناد من حديث أبى هريرة « واعلموا أن الله لايقبل الدعاء من قلب لاه » .

والثمر مثمرا . وهذا معنى قول بعضهم . كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة . ولا يصدر التنعم إلا من الأنس والحب . ولا يصدر الأنس إلا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعا . فكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الإنسان تناول طعام يستشنعه أولا ويكابد أكله ويواظب عليه فيصير موافقا لطبعه حتى لا يصبر عنه فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف ، هي النفس ما عودتها تتعود ، أي ما كلفتها أولا يصير لها طبعا آخرا . ثم إذا حصل الأنس بذكر الله سبحانه انقطع عن غير ذكر الله وما سوى الله عز وجل هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى إلا ذكر الله عز وجل . فإن كان قد أنس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه إذ ضرورات الحاجات في الحياة الدنيا تصد عن ذكر الله عز وجل ، ولا يبقى بعد الموت عائق ؛ فكأنه خلي بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعا فيه عما به أنسه . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فإنك مفارقه[1] » أراد به كل ما يتعلق بالدنيا فإن ذلك يفنى في حقه بالموت فـ (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وإنما تفنى الدنيا بالموت في حقه إلى أن تفنى في نفسها عند بلوغ الكتاب أجله . وهذا الأنس يتلذذ به العبد بعد موته إلى أن ينزل في جوار الله عز وجل ويترقى من الذكر إلى اللقاء . وذلك بعد أن يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه الموت فيقول إنه أعدم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل ؟ فإنه لم يعدم عند ما يمنع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت . وإلى ما ذكرناه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة[2] » وبقوله صلى الله عليه وسلم « أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر[3] » وبقوله صلى الله عليه وسلم لقتلى بدر من المشركين « يا فلان يا فلان وقد سماهم النبي صلى الله عليه وسلم هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقا[4] » فسمع عمر رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف يسمعون وأنى يجيبون وقد جيفوا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لكلامي منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا » والحديث في الصحيح هذا قوله عليه السلام في المشركين فأما المؤمنون والشهداء فقد قال صلى الله عليه وسلم « أرواحهم في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش[5] » وهذه الحالة وما أشبه بهذه الألفاظ إليه لا ينافي ذكر الله عز وجل وقال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) الآية ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة لأن المطلوب الخاتمة ونعني بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله عز وجل منقطع العلائق

---

(١) حديث « إن روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فإنك مفارقه » تقدم في الكتاب السابع من العلم .

(٢) حديث « القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة » أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد بتقديم وتأخير وقال غريب قلت فيه عبيد الله بن الوليد الوصافي ضعيف (٣) حديث « أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر » أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود « أنه سئل عن هذه الآية ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا ﴾ الآية قال : أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال أرواحهم في جوف طير خضر فلم يسم فيه النبي صلى الله عليه وسلم » وفي رواية الترمذي « أما إنا سألنا عن ذلك وأخبرنا » وذكر صاحب مسند الفردوس أن أبي منيع صرح برفعه في مسنده . (٤) حديث « نداؤه لقتلى بدر من المشركين يا فلان يا فلان وقد سماهم إني قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟ أخرجه مسلم من حديث أنس

(٥) حديث « أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش » أخرجه ابن ماجه من حديث كعب بن مالك « إن أرواح المؤمنين في طير خضر تعلق بشجر الجنة » وروى النسائي بلفظ « إنما نسمة المؤمن طائر » ورواه الترمذي بلفظ « أرواح الشهداء » وقال حسن صحيح .

عن غيره . فإن قدر عبد على أن يجعل همه مستغرقا بالله عز وجل فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا فى صف القتال . فإنه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فإنه يريدها لحياته وقد هوّن على قلبه حياته فى حب الله عز وجل وطلب مرضاته فلا تجرد لله أعظم من ذلك ، ولذلك عظم أمر الشهادة وورد فيه من الفضائل مالا يحصى . فمن ذلك أنه لما استشهد عبد الله بن عمرو الأنصارى يوم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر (ألا أبشرك يا جابر ! قال : بلى بشرك الله بالخير قال: إن الله عز وجل أحيا أباك فأقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى : تمنّ على ياعبدى ماشئت أعطيكه فقال يارب أن تردنى إلى الدنيا حتى أقتل فيك وفى نبيك مرة أخرى . فقال عز وجل . سبق القضاء منى بأنهم إليها لايرجعون[1]) ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فإنه لو لم يقتل وبقى مدّة ربما عادت شهوات الدنيا إليه وغلبت على ما استولى على قلبه من ذكر الله عز وجل . ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الخاتمة . فإن القلب وإن ألزم ذكر الله عز وجل فهو متقلب لايخلو عن الالتفات إلى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريه . فإذا تمثل فى آخر الحال فى قلبه أمر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيحن بعد الموت إليه ويتمنى الرجوع إلى الدنيا . وذلك لقلة حظه فى الآخرة إذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على مامات عليه . فأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة إذ لم يكن قصد الشهيد نيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك[2] كما ورد به الخبر بل حب الله عز وجل وإعلاء كلمته فهذه الحالة هى التى عبر عنها (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة . وحالة الشهيد توافق معنى قولك (لا إله إلا الله) فإنه لامقصود له سوى الله عز وجل وكل مقصود معبود وكل معبود إله فهذا الشهيد قائل بلسان حاله (لا إله إلا الله) إذ لامقصود له سواه . ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فأمره فى مشيئة الله عز وجل ولا يؤمن فى حقه الخطر . ولذلك فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم قول لا إله إلا الله على سائر الأذكار[3] وذكر ذلك مطلقاً فى مواضع الترغيب . ثم ذكر فى بعض المواضع الترغيب . ثم ذكر فى بعض المواضع الصدق والإخلاص فقال مرة (من قال لا إله إلا الله مخلصاً) ومعنى الإخلاص مساعدة الحال للمقال . فنسأل الله تعالى أن يجعلنا فى الخاتمة من أهل لا إله إلا الله حالا ومقالا ظاهراً وباطنا حتى نودع الدنيا غير متلفتين إليها بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله فإن من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . فهذه مرامز إلى معانى الذكر التى لايمكن الزيادة عليها فى علم المعاملة .

الباب الثانى : فى آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية المأثورة وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فضيلة الدعاء

قال الله تعالى ﴿ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى ﴾ وقال تعالى

---

(١) حديث « ألا أبشرك ياجابر قال بلى بشرك الله بالخير قال إن الله أحيا أباك وأقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمن على ... الحديث » أخرجه الترمذى وقال حسن وابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث جابر . (٢) حديث « الرجل يقاتل لنيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك » متفق عليه من حديث أبى موسى « قال جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يقاتل الذكر والرجل يقاتل المغنم والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن فى سبيل الله ؟ قال من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » . (٣) حديث « تفضيل لا إله إلا الله على سائر الأذكار » أخرجه الترمذى وقال حسن والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه من حديث جابر .

﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لايحب المعتدين ﴾ وقال تعالى ﴿ وقال ربكم ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ﴾ وقال عز وجل ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ وروى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ ﴿ ادعونى أستجب لكم ﴾ [1] » الآية ـ وقال صلى الله عليه وسلم (الدعاء مخ العبادة [2]) وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال (ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء [3]) وقال صلى الله عليه وسلم (إن العبد لايخطئه من الدعاء إحدى ثلاث : إما ذنب يغفر له وإما خير يعجل له وإما خير يدخر له [4]) وقال أبو ذر رضى الله عنه : يكفى من الدعاء مع البر مايكفى الطعام من الملح . وقال صلى الله عليه وسلم (سلوا الله تعالى من فضله فإن الله تعالى يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج [5]) .

آداب الدعاء وهى عشرة

(الأول) أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة . ورمضان من الأشهر ويوم الجمعة من الأسبوع ، ووقت السحر من ساعات الليل قال تعالى ﴿ وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم (ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول عز وجل من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له [6]) وقيل إن يعقوب صلى الله عليه وسلم إنما قال (سوف أستغفر لكم ربى) ليدعو فى وقت السحر . فقيل إنه قام فى وقت السحر يدعو وأولاده يؤمنون خلفه فأوحى الله عز وجل إنى قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء (الثانى) أن يغتنم الأحوال الشريفة . قال أبو هريرة رضى الله عنه: إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف فى سبيل الله تعالى وعند نزول الغيث وعند إقامة الصلوات المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها وقال مجاهد : إن الصلاة جعلت فى خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات . وقال صلى الله عليه وسلم (الدعاء بين الأذان والإقامة لايرد [7]) وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً (الصائم لاترد دعوته [8]) وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضاً إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه وفراغه من المتشوشات . ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله عز وجل فهذا أحد أسباب شرف الأوقات سوى مافيها من أسرار لايطلع البشر عليها . وحالة السجود أيضاً أجدر بالإجابة قال أبو هريرة رضى الله عنه : قال النبي

الباب الثانى فى آداب الدعاء وفضله

(١) حديث النعمان بن بشير « إن الدعاء هو العبادة » أخرجه أصحاب السنن والحاكم وقال صحيح الإسناد وقال الترمذى حسن صحيح . (٢) حديث « الدعاء مخ العبادة » أخرجه الترمذى من حديث أنس وقال غريب من هذا الوجه لانعرفه إلا من حديث ابن لهيعة . (٣) حديث أبي هريرة « ليس شيء أكرم عند الله من الدعاء » أخرجه الترمذى وقال غريب وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد . (٤) حديث « إن العبد لايخطئه من الدعاء إحدى ثلاث : إما ذنب يغفر له وإما خير يعجل له وإما خير يدخر له » أخرجه الديلمى فى الفردوس من حديث أنس وفيه روح . أخرجه ابن مسافر عن أبان بن عياش وكلاهما ضعيف ولأحمد والبخارى فى الأدب والحاكم وصحح إسناده من حديث أبى سعيد « إما أن تعجل له دعوته وإما أن يدخر له فى الآخرة وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها » . (٥) حديث « سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج » أخرجه الترمذى من حديث ابن مسعود وقال حماد بن واقد ليس بالحافظ قلت وضعفه ابن معين وغيره .

(٦) حديث « ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة .

(٧) حديث « الدعاء بين الأذان والإقامة لايرد » أخرجه أبو داود والنسائى فى اليوم والليلة والترمذى وحسنه من حديث أنس وضعفه ابن عدى وابن القطان ورواه فى اليوم والليلة بإسناد آخر جيد وابن حبان والحاكم وصححه . (٨) حديث « الصائم لاترد دعوته » أخرجه الترمذى وقال حسن وابن ماجه من حديث أبى هريرة بزيادة فيه .

صلى الله عليه وسلم « أقرب مايكون العبد من ربه عزوجل وهو ساجد فأكثروا فيه من الدعاء [١] وروى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إنى نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا فأما الركوع فعظموا فيه الرب تعالى وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فإنه قمن أن يستجاب لكم [٢] » (الثالث) أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض إبطيه . وروى جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس [٣] » وقال سلمان : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن ربكم حيي كريم يستحيي من عبيده إذا رفعوا أيديهم إليه أن يردها صفرا [٤] » وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم « كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه فى الدعاء ولا يشير بأصبعيه [٥] » وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم مر على إنسان يدعو ويشير بإصبعيه السبابتين فقال صلى الله عليه وسلم أحد أحد [٦] » أى اقتصر على الواحدة . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه . ارفعوا هذه الأيدى قبل أن تغل بالأغلال . ثم ينبغى أن يمسح بهما وجهه فى آخر الدعاء : قال عمر رضى الله عنه « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مد يديه فى الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه [٧] » وقال ابن عباس « كان صلى الله عليه وسلم إذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلى وجهه [٨] » فهذه هيئات اليد ولا يرفع بصره إلى السماء قال صلى الله عليه وسلم « لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم [٩] » (الرابع) خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روى أن أبا موسى الأشعرى قال : قدمنا مع رسول الله فلما دنونا من المدينة كبر وكبر الناس ورفعوا أصواتهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس إن الذى تدعون ليس بأصم ولا غائب إن الذى تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم [١٠] » وقالت عائشة رضى الله عنها فى قوله عزوجل ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها [١١] ﴾ أى بدعائك وقد أثنى الله عزوجل على نبيه زكرياء عليه السلام حيث قال ﴿ إذ نادى ربه نداء خفيا ﴾ وقال عز وجل ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية ﴾ (الخامس) أن لا يتكلف السجع فى الدعاء فإن حال الداعى ينبغى أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه قال صلى الله عليه وسلم « سيكون قوم يعتدون فى الدعاء [١٢] » وقد قال عز وجل : ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه

---

(١) حديث أبى هريرة « أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء » رواه مسلم (٢) حديث ابن عباس « انى نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أوساجدا ... الحديث » أخرجه مسلم أيضاً (٣) حديث جابر « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس ... الحديث » أخرجه مسلم دون قوله « يدعو » فقال مكانها « واقفا » والنسائي من حديث أسامة بن زيد « كنت ردفه بعرفات ورفع يديه يدعو » ورجاله ثقات .

(٤) حديث سلمان « ان ربكم حيى كريم يستحى من عبده اذا رفع يديه أن يردهما صفراً » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وقال اسناده صحيح على شرطهما (٥) حديث أنس « كان يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه فى الدعاء ولايشير بأصبعه » أخرجه مسلم دون قوله ولا يشير بأصبعه . والحديث متفق عليه لكن مقيد بالاستسقاء (٦) حديث أبى هريرة « مر على انسان يدعو بأصبعيه السبابتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد أحد » أخرجه النسائى وقال حسن وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد (٧) حديث عمر « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مديديه فى الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه » أخرجه الترمذى وقال غريب والحاكم فى المستدرك وسكت عليه وهو ضعيف (٨) حديث ابن عباس « كان صلى الله عليه وسلم اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلى وجهه » أخرجه الطبرانى فى الكبير بسند ضعيف .

(٩) حديث « لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم الى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة وقال عند الدعاء فى الصلاة (١٠) حديث أبى موسى الأشعرى « يا أيها الناس ان الذى تدعون ليس بأصم ولا غائب » متفق عليه مع اختلاف ، واللفظ الذى ذكره المصنف لأبى داود (١١) حديث عائشة فى قوله تعالى ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ أى بدعائك متفق عليه . (١٢) حديث « سيكون قوم يعتدون فى الدعاء » وفى رواية « والطهور » أخرجه أبوداود وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن مغفل

لايحب المعتدين﴾ قيل معناه التكلف للأسجاع والأولى أن لايجاوز الدعوات المأثورة فإنه قد يعتدى فى دعائه فيسأل مالا تقتضيه مصلحته فما كل أحد يحسن الدعاء ولذلك روى عن معاذ رضى الله عنه : إن العلماء يحتاج إليهم فى الجنة إذيقال لأهل الجنة تمنوا فلايدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء ؟ وقدقال صلى الله عليه وسلم « إياكم والسجع فى الدعاء حسب أحدكم أن يقول اللهم إنى أسألك الجنة وماقرب إليها من قول وعمل وأعوذبك من النار وماقرب إليها من قول وعمل [1] » وفى الخبر : سيأتى قوم يعتدون فى الدعاء والطهور . ومر بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال له : أعلى الله تبالغ ؟ أشهد لقد رأيت حبيبا العجمى يدعو ومايزيد على قوله : اللهم اجعلنا جيدين اللهم لاتفضحنا يوم القيامة اللهم وفقنا للخير ، والناس يدعون من كل ناحية وراءه وكان يعرف بركة دعائه . وقال بعضهم . ادع بلسان الذلة والافتقار لابلسان الفصاحة والانطلاق . ويقال إن العلماء والأبدال لايزيدون فى الدعاء على سبع كلمات فمادونها ويشهد له آخر سورة البقرة فإن الله تعالى لم يخبر فى موضع من أدعية عبادة أكثر من ذلك . واعلم أن المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام فإن ذلك لا يلائم الضراعة والذلة وإلا فنى الأدعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله صلى الله عليه وسلم « أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وإنك تفعل ماتريد [2] » وأمثال ذلك فليقتصر على المأثور من الدعوات أوليلتمس بلسان التضرع والخشوع من غير سجع وتكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله عز وجل (السادس) التضرع والخشوع والرغبة والرهبة قال الله تعالى ﴿ إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهبا ﴾ وقال عز وجل ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه [3] » . (السابع) أن يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يقل أحدكم إذا دعا اللهم اغفر لى إن شئت اللهم ارحمنى إن شئت ليعزم المسألة فإنه لا مكره له [4] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شىء [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله عز وجل لايستجيب دعاء من قلب غافل [6] » وقال سفيان بن عيينة : لايمنعن أحدكم من الدعاء مايعلم من نفسه فإن الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق إبليس لعنه الله ﴿ إذ قال رب فانظرنى إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين ﴾ (الثامن) أن يلح فى الدعاء ويكرره ثلاثا قال ابن مسعود :

---

(١) حديث « اياكم والسجع فى الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل » غريب بهذا السياق وللبخارى عن ابن عباس « وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فانى عهدت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لايفعلون الا ذلك » وابن ماجه والحاكم واللفظ له وقال صحيح الإسناد من حديث عائشة « عليك بالكوامل » وفيه « وأسألك الجنة ... الى آخره » (٢) حديث « أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وإنك تفعل ما تريد » أخرجه الترمذى من حديث ابن عباس « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته ... فذكر حديثا طويلا من جملته هذا » وقال حديث غريب انتهى . وفيه محمد بن عبدالرحمن بن أبى ليلى سيئ الحفظ (٣) حديث « إذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس « إذا أحب الله عبدا صب عليه البلاء صبا ... الحديث » وفيه « دعه فإنى أحب أن أسمع صوته » وللطبرانى من حديث أبى أمامة « إن الله يقول للملائكة انطلقوا إلى عبدى فصبوا عليه البلاء ... الحديث » وفيه « فانى أحب أن أسمع صوته » وسندهما ضعيف (٤) حديث « لايقل أحدكم اللهم اغفرلى إن شئت اللهم ارحمنى إن شئت ليعزم المسألة فانه لا مكره له » متفق عليه من حديث أبى هريرة (٥) حديث « إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فان الله لايتعاظمه شىء » أخرجه ابن حبان من حديث أبى هريرة .

(٦) حديث « ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لايستجيب دعاء من قلب غافل » أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال غريب والحاكم وقال مستقيم الإسناد تفرد به صالح المرى وهو أحد زهاد البصرة قلت لكنه ضعيف فى الحديث .

كان عليه السلام إذا دعا دعا ثلاثا وإذا سأل سأل ثلاثا [١] » وينبغى أن لا يستبطئ الإجابة لقوله صلى الله عليه وسلم « يستجاب لأحدكم مالم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لى فإذا دعوت فاسأل الله كثيرا فإنك تدعو كريما [٢] » وقال بعضهم : انى أسأل الله عز وجل منذ عشرين سنة حاجة وما أجابنى وأنا أرجو الإجابة سألت الله تعالى أن يوفقنى لترك مالا يعنينى . وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سأل أحدكم ربه مسألة فتعرف الإجابة فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عنه من ذلك فليقل الحمد لله على كل حال [٣] » . (التاسع) أن يفتتح الدعاء بذكر الله عز وجل فلا يبدأ بالسؤال . قال سلمة بن الأكوع « ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء إلا استفتحه بقول : سبحان ربى العلى الأعلى الوهاب [٤] قال أبو سليمان الدارانى رحمه الله : من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يسأله حاجته ثم يختم بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع مابينهما ، وروى فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا سألتم الله عز وجل حاجة فابتدئوا بالصلاة على فإن الله تعالى أكرم من أن يسئل حاجتين فيقضى إحداهما ويرد الأخرى [٥] » رواه أبو طالب المكى (العاشر) وهو الأدب الباطن وهو الأصل فى الإجابة : التوبة ورد المظالم والإقبال على الله عز وجل بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب فى الإجابة . فيروى عن كعب الأحبار أنه قال : أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج موسى ببنى إسرائيل يستسقى بهم فلم يسقوا حتى خرج ثلاث مرات ولم يسقوا ، فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام : إنى لا أستجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمام ، فقال موسى : يارب ومن هو حتى نخرجه من بيننا فأوحى الله عز وجل إليه : ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما ! فقال موسى : ابنى إسرائيل : توبوا إلى ربكم بأجمعكم عن النميمة فتابوا فأرسل الله تعالى عليهم الغيث . وقال سعيد بن جبير قحط الناس فى زمن ملك من ملوك بنى إسرائيل فاستسقوا فقال الملك لبنى إسرائيل : ليرسلن الله تعالى علينا السماء أو لنؤذينه قيل له وكيف تقدر أن تؤذيه وهو فى السماء ؟ فقال أقتل أولياءه وأهل طاعته فيكون ذلك أذى له فأرسل الله تعالى عليهم السماء . وقال سفيان الثورى : بلغنى أن بنى إسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة من المزابل وأكلوا الأطفال وكانوا كذلك يخرجون إلى الجبال يبكون ويتضرعون ، فأوحى الله عز وجل إلى أنبيائهم عليهم السلام لو مشيتم إلى بأقدامكم حتى تحنى ركبكم وتبلغ أيديكم عنان السماء وتكل ألسنتكم عن الدعاء فإنى لا أجيب لكم داعيا ولا أرحم لكم باكيا حتى تردوا المظالم إلى أهلها ففعلوا فمطروا من يومهم . وقال مالك بن دينار . أصاب الناس فى بنى إسرائيل قحط فخرجوا مرارا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن أخبرهم أنكم تخرجون إلى بأبدان نجسة وترفعون إلى أكفا قد سفكتم بها الدماء وملأتم بطونكم من الحرام الآن قد اشتد غضبى عليكم ولن تزدادوا منى إلا بعدا ، وقال أبو الصديق الناجى : خرج سليمان عليه السلام يستسقى فمر بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها

---

(١) حديث ابن مسعود « كان صلى الله عليه وسلم إذا دعا دعا ثلاثا وإذا سأل سأل ثلاثا » رواه مسلم وأصله متفق عليه .

(٢) حديث « يستجاب لأحدكم مالم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لى » متفق عليه من حديث أبى هريرة .

(٣) حديث « إذا سأل أحدكم مسألة وتعرف الإجابة فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عنه من ذلك شىء فليقل الحمد لله على كل حال » أخرجه البيهقى فى الدعوات من حديث أبى هريرة وللحاكم نحوه من حديث عائشة مختصرا بإسناد ضعيف .

(٤) حديث سلمة بن الأكوع « ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء إلا استفتحه وقال سبحان ربى العلى الأعلى الوهاب » أخرجه أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد قلت فيه عمر بن راشد اليمانى ضعفه الجمهور (٥) حديث « إذا سألتم الله حاجة فابدءوا بالصلاة على فان الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيعطى إحداهما ويرد الأخرى » لم أجده مرفوعا وإنما هو موقوف على أبى الدرداء .

إلى السماء وهى تقول : اللهم إنا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا ، فقال سليمان عليه السلام : ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم . وقال الأوزاعى : خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يامعشر من حضر ألستم مقرين بالإساءه ؟ فقالوا : اللهم نعم ، فقال : اللهم إنا قد سمعناك تقول ﴿ ماعلى المحسنين من سبيل ﴾ وقد أقررنا بالإساءة فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا ؛ اللهم فاغفر لنا وارحمنا واسقنا ؛ فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا . وقيل لمالك بن دينار : ادع لنا ربك فقال إنكم تستبطئون المطر وأنا أستبطئ الحجارة . وروى أن عيسى صلوات الله عليه وسلامه خرج يستسقى فلما ضجروا قال لهم عيسى عليه السلام : من أصاب منكم ذنبا فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق معه فى المفازة إلا واحد ، فقال له عيسى عليهم السلام : أمالك من ذنب ؟ وقال : والله ماعلمت من شىء غير أنى كنت ذات يوم أصلى فمرت بى امرأة فنظرت إليها بعينى هذه فلما جاوزتنى أدخلت أصبعى فى عينى فانتزعتها وتبعت المرأة بها . فقال له عيسى عليه السلام : فادع الله حتى أؤمن على دعائك ، قال : فدعا فتجللت السماء سحابا ثم صبت فسقوا ، وقال يحيى الغسانى « أصاب الناس قحط على عهد داود عليه السلام فاختاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم فقال أحدهم : اللهم إنك أنزلت فى توراتك أن نعفو عمن ظلمنا اللهم إناقد ظلمنا أنفسنافاعف عنا : وقال الثانى : اللهم إنك أنزلت فى توراتك أن نعتق أرقاءنا اللهم إنا أرقاؤك فأعتقنا . وقال الثالث : اللهم إنك أنزلت فى توراتك أن لا ترد المساكين إذا وقفوا بأبوابنا اللهم إنا مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا فسقوا » وقال عطاء السلمى : منعنا الغيث فخرجنا نستسقى فإذا نحن بسعدون المجنون فى المقابر فنظر إلى فقال ياعطاء أهذا يوم النشور أوبعثر مافى القبور ؟ فقلت : لا ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقى فقال ياعطاء : بقلوب أرضيه أم بقلوب سماوية ؟ فقلت : بل بقلوب سماوية فقال : هيهات ياعطاء قل للمتبهرجين لاتتبهرجوا فإن الناقد بصير . ثم رمق السماء بطرفه وقال إلهى وسيدى ومولاى لاتهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالسر المكنون من أسمائك وما وارت الحجب من آلائك إلا ماسقيتنا ماء غدقا فراتا تحيى به العباد وتروى به البلاد يامن هو على كل شىء قدير ، قال عطاء : فما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت وجادت بمطر كأفواه القرب فولى وهو يقول :

أفلح الزاهدون والعابدونا إذ لمولاهم أجاعوا البطونا
أسهروا الأعين العليلة حبا فانقضى ليلهم وهم ساهرونا
شغلتهم عبادة الله حتى حسب الناس أن فيهم جنونا

وقال ابن المبارك : قدمت المدينة فى عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون فخرجت معهم إذا أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش قد اتزر بإحداهما وألقى الأخرى على عاتقه فجلس إلى جنبى فسمعته يقول إلهى أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوى الأعمال وقد حبست عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك فأسألك ياحليما ذا أناة يامن لايعرف عباده منه إلا الجميل أن تسقيهم الساعة الساعة فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كل جانب ، قال ابن المبارك : فجئت إلى الفضيل فقال مالى أراك كئيبا ؟ فقلت أمر سبقنا إليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل وخر مغشيا عليه . ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استسقى بالعباس رضى الله عنه فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس : اللهم إنه لم ينزل بلاء من السماء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه بى القوم إليك لمكانى من نبيك صلى الله عليه وسلم وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة وأنت

الراعى لاتهمل الضالة ولاتدع الكبير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الأصوات بالشكوى وأنت تعلم السر وأخفى اللهم فأغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا فإنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون قال فما تم كلامه حتى ارتفعت السماء مثل الجبال .

فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضله صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ وروى أنه صلى الله عليه وسلم « جاء ذات يوم والبشرى ترى فى وجهه فقال صلى الله عليه وسلم إنه جاءنى جبريل عليه السلام فقال أماترضى يامحمد أن لايصلى عليك أحد من أمتك صلاة واحدة إلا صليت عليه عشرا ولايسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرا [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى على صلت عليه الملائكة ماصلى على فليقلل عند ذلك أو ليكثر [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أولى الناس بى أكثرهم على صلاة [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « بحسب المؤمن من البخل أن أذكر عنده فلا يصلى على [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى على من أمتى كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيآت [6] » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والشفاعة يوم القيامه حلت له شفاعتى [7] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له مادام اسمى فى ذلك الكتاب [8] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن فى الأرض ملائكة سياحين يبلغونى عن أمتى السلام [9] » وقال صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث « أنه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى ترى فى وجهه فقال إنه جاءنى جبريل عليه الصلاة والسلام فقال أما ترضى يامحمد أن لايصلى عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرا » أخرجه النسائى وابن حبان من حديث أبى طلحة باسناد جيد (٢) حديث « من صلى على صلت عليه الملائكة ماصلى فليقلل عند من ذلك أو ليكثر » أخرجه ابن ماجه من حديث عامر بن ربيعة باسناد ضعيف والطبرانى فى الأوسط باسناد حسن .

(٣) حديث « إن أولى الناس بى أكثرهم على صلاة » أخرجه الترمذى من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب وابن حبان

(٤) حديث « بحسب امرئ من البخل أن أذكر عنده فلا يصلى على » أخرجه قاسم بن أصبغ من حديث الحسن بن على هكذا والنسائى وابن حبان من حديث أخيه الحسين « البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على » ورواه الترمذى من رواية الحسين بن على عن أبيه وقال حسن صحيح . (٥) حديث « أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة » أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط البخارى من حديث أوس بن أوس وذكره ابن أبى حاتم فى العلل وحكى عن أبيه أنه حديث منكر . (٦) حديث « من صلى على من أمتى كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات » أخرجه النسائى فى اليوم والليلة من حديث عمرو بن دينار وزاد فيه « مخلصا من قلبه صلى الله عليه بها عشر صلوات ورفعه بها عشر درجات » وله فى السير ولابن حبان من حديث أنس نحوه دون قوله « مخلصا من قلبه » ودون ذكر : محو السيئات . ولم يذكر ابن حبان أيضا : رفع الدرجات . (٧) حديث « من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتى » أخرجه البخارى من حديث جابر دون ذكر الإقامة والشفاعة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وقال النداء وللمستغفرى فى الدعوات « حين يسمع الدعاء للصلاة » وزاد ابن وهب ذكر الصلاة والشفاعة فيه بسند ضعيف وزاد الحسن بن على المعمرى فى اليوم والليلة من حديث أبى الدرداء ذكر الصلاة فيه وله والمستغفرى فى الدعوات سند ضعيف من حديث أبى رافع « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع الأذان » فذكر حديثاً فيه « وإذا قال قد قامت الصلاة قال اللهم رب هذه الدعوة التامة ... الحديث » وزاد « وتقبل شفاعته فى أمته » ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا على ثم سلوا الله لى الوسيلة » وفيه « فمن سأل الوسيلة حلت عليه الشفاعة » . (٨) حديث « من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمى فى ذلك الكتاب » أخرجه الطبرانى فى الأوسط وأبو الشيخ فى الثواب والمستغفرى فى الدعوات من حديث أبى هريرة بسند ضعيف .

(٩) حديث « إن فى الأرض ملائكة سياحين يبلغونى عن أمتى السلام » تقدم فى آخر الحج .

« ليس أحد يسلم على إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام [١] » و « قيل له يارسول الله كيف نصلى عليك ؟ فقال قولوا اللهم صل على محمد عبدك وعلى آله وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد [٢] » وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكى ويقول : بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك كانت أولى بالحنين إليك لما فارقتهم ، بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعل طاعتك طاعته فقال عز وجل ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالذنب فقال تعالى ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم ﴾ بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك فى أولهم فقال عزوجل ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم ﴾ الآية بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ، بأبى أنت وأمى يارسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تتفجر منه الأنهار فماذا بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك ، بأبى أنت وأمى يارسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فماذا بأعجب من البراق حين سريت عليه إلى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح صلى الله عليك ، بأبى أنت وأمى يارسول الله لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله إحياء الموتى فماذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهى مشوية فقالت لك الذراع : لاتأكلنى فإنى مسمومة ، بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا بمثلها لهلكنا فلقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومى فإنهم لايعلمون ، بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد اتبعك فى قلة سنك وقصر عمرك مالم يتبع نوحا فى كثرة سنه وطول عمره ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا القليل ، بأبى أنت وأمى يارسول الله لو لم تجالس إلا كفؤاً لك ماجالستنا ولو لم تنكح إلا كفؤاً لك مانكحت إلينا ولو لم تؤاكل إلا كفؤاً لك ماواكلتنا فلقد والله جالستنا ونكحت إلينا وواكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك ووضعت طعامك على الأرض ولعقت أصابعك تواضعا منك صلى الله عليك وسلم [٣] . وقال بعضهم : كنت أكتب

---

(١) حديث « ليس أحد يسلم على إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام » أخرجه أبو داود من حديث أبى هريرة بسند جيد

(٢) حديث « قيل له يارسول الله كيف نصلى عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته . الحديث » متفق عليه من حديث أبى حميد الساعدى . (٣) حديث عمر « فى حنين الجذع ونبع الماء من بين أصابعه والإسراء به على البراق إلى السماء السابعة ثم صلاة الصبح من ليلته بالأبطح وكلام الشاة المسمومة وأنه دمى وجهه وكسرت رباعيته فقال اللهم اغفر لقومى فإنهم لايعلمون وأنه لبس الصوف وركب الحمار وأردف خلفه ووضع طعامه بالأرض ولعق أصابعه » وهو غريب بطوله من حديث عمر وهو معروف من أوجه أخرى . فحديث حنين الجذع متفق عليه من حديث جابر وابن عمر ، وحديث نبع الماء من بين أصابعه متفق عليه من حديث أنس وغيره وحديث الإسراء متفق عليه من حديث أنس دون ذكر صلاة الصبح بالأبطح ، وحديث كلام الشاة المسمومة رواه أبو داود من حديث جابر وفيه انقطاع ، وحديث أنه دمى وجهه وكسرت رباعيته متفق عليه من حديث سهل بن سعد فى غزوة أحد ، وحديث اللهم اغفر لقومى فإنهم لايعلمون رواه البيهقى فى دلائل النبوة والحديث فى الصحيح من حديث ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم حكاه عن نبى من الأنبياء ضربه قومه ، وحديث لبس الصوف رواه الطيالسى من حديث سهل بن سعد ، وحديث ركوبه الحمار وإردافه خلفه متفق عليه من حديث أسامة بن زيد ، وحديث وضع طعامه بالأرض رواه أحمد فى الزهد من حديث الحسن مرسلا والبخارى من حديث أنس ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان قط ، وحديث لعقه أصابعه رواه مسلم من حديث كعب بن مالك وأنس بن مالك

الحديث وأصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فيه ولا أسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى : اماتتم الصلاة على فى كتابك ؟ فما كتبت بعد ذلك إلا صليت وسلمت عليه . وروى عن أبى الحسن قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت : يارسول الله بم جوزى الشافعى عنك حيث يقول فى كتابه الرسالة « وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون » ؟ فقال صلى الله عليه وسلم جوزى عنى أنه لايوقف للحساب .

فضيلة الاستغفار

قال الله عزوجل ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ﴾ وقال علقمة والأسود قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنهم : فى كتاب الله عزوجل آيتان ماأذنب عبد ذنبا فقرأهما واستغفر الله عزوجل إلا غفر الله تعالى له ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أوظلموا أنفسهم ﴾ الآية وقوله عزوجل (ومن يعمل سوءا أويظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) وقال عزوجل (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) وقال تعالى (والمستغفرين بالأسحار) وكان صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول « سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى إنك أنت التواب الرحيم [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « من أكثر من الاستغفار جعل الله عزوجل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لايحتسب [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنى لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه فى اليوم سبعين مرة [3] » هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وقال صلى الله عليه وسلم « إنه ليغان على قلبى حتى إنى لأستغفر الله تعالى فى كل يوم مائة مرة [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال حين يأوى إلى فراشه استغفر الله العظيم الذى لاإله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر ـ أو عدد رمل عالج أو عدد ورق الشجر أوعدد أيام الدنيا ـ [5] » وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر « من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فارا من الزحف [6] » وقال حذيفة . كنت ذرب اللسان على أهلى فقلت « يارسول الله لقد خشيت أن يدخلنى لسانى النار ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فأين أنت من الاستغفار ؟ فإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة [7] » وقالت عائشة رضى الله عنها : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار [8] » وكان صلى الله

---

(١) حديث « كان النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى انك أنت التواب الرحيم » أخرجه الحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح ان كان أبو عبيدة سمع من أبيه والحديث متفق عليه من حديث عائشة « أنه كان يكثر أن يقول ذلك فى ركوعه وسجوده » دون قوله « انك أنت التواب الرحيم » .

(٢) حديث « من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل غم مخرجا ورزقه من حيث لايحتسب » أخرجه أبو داود والنسائي فى اليوم والليلة وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث ابن عباس وضعفه ابن حبان .

(٣) حديث « انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم سبعين مرة » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة الا أنه قال « أكثر من سبعين » وهو فى الدعاء للطبرانى كما ذكره المصنف (٤) حديث « انه ليغان على قلبى حتى انى لاستغفر الله فى كل يوم مائة مرة » أخرجه مسلم من حديث الأغر (٥) حديث « من قال حين يأوى الى فراشه استغفر الله العظيم الذى لااله الاهو الحى القيوم وأتوب اليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد وقال غريب لانعرفه الا من حديث عبد الله بن الوليد الوصافى . قلت الوصافى وان كان ضعيفا فقد تابعه عليه عصام بن قدامة وهو ثقة ورواه البخارى فى التاريخ دون قوله « حين يأوى الى فراشه » وقوله « ثلاث مرات » (٦) حديث « من قال ذلك غفرت ذنوبه وان كان فارا من الزحف » أخرجه أبو داود والترمذى من حديث زيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم وقال غريب « قلت ورجاله موثقون ورواه ابن مسعود والحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث حذيفة « كنت ذرب اللسان على أهلى .. الحديث » وفيه « أين أنت من الاستغفار » أخرجه النسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين (٨) حديث عائشة « ان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار » =

عليه وسلم يقول فى الاستغفار « اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى وإسرافى فى أمرى وما أنت أعلم به منى اللهم اغفر لى هزلى وجدّى وخطئى وعمدى وكل ذلك عندى اللهم اغفر لى ما قدّمت وماأخرت وماأسررت وما أعلنت وما أنت اعلم به منى أنت المقدّم وأنت المؤخر وأنت على كل شىء قدير [١] » وقال على رضى الله عنه : كنت رجلا إذاسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعنى الله عز وجل بما شاء أن ينفعنى منه وإذا حدّثنى أحد من أصحابه استحلفته فإذا حلف صدّقته ، قال : وحدّثنى أبو بكر وصدق أبو بكر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله عزوجل إلا غفر له ثم تلا قوله عزوجل (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم) [٢] الآية » وروى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إنّ المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها فإن زاد زادت حتى تغلف قلبه [٣] فذلك الران الذى ذكره الله عزوجل فى كتابه (كلابل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « إنّ الله سبحانه ليرفع الدرجة للعبد فى الجنة فيقول يارب أنى لى هذه فيقول عزوجل باستغفار ولدك لك [٤] » وروت عائشة رضى الله عنها : أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم اجعلنى من الذين إذا احسنوا استبشروا وإذا اساءوا استغفروا [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أذنب العبد ذنبا فقال اللهم اغفر لى فيقول الله عزوجل أذنب عبدى ذنبا فعلم أنّ له ربا يأخذ بالذنب ويغفر الذنب عبدى اعمل ماشئت فقد غفرت لك [٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « ما أصر من استغفر وإن عاد فى اليوم سبعين مرة [٧] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ رجلا لم يعمل خيرا قط نظر إلى السماء فقال إن لى ربا يارب فاغفرلى فقال الله عز وجل قد غفرت لك [٨] » وقال صلى الله عليه وسلم « من أذنب ذنبا فعلم أن الله قد اطلع عليه غفر له وإن لم يستغفر [٩] » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى ياعبادى كلكم مذنب إلا من عافيته فاستغفرونى أغفر لكم ومن علم أنى ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالى [١٠] » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال سبحانك ظلمت نفسى وعملت سوءا فاغفر لى فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت غفرت له ذنوبه ولو كانت كدب النمل [١١] » وروى

= متفق عليه دون قوله « فإن التوبة .. الخ » وزاد « أو توبى إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه » وللطبرانى فى الدعاء « فإن العبد إذا أذنب ثم استغفر الله غفر له » (١) حديث « كان يقول اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى وإسرافى فى أمرى وماأنت أعلم به منى اللهم اغفرلى جدى وهزلى » متفق عليه من حديث أبى موسى واللفظ لمسلم (٢) حديث على عن أبى بكر « مامن عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له » أخرجه أصحاب السنن وحسنه الترمذى

(٣) حديث أبى هريرة « إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء فى قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه .. الحديث » أخرجه الترمذى وصححه والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه وابن حبان والحاكم (٤) حديث أبى هريرة « إن الله ليرفع العبد الدرجة فى الجنة فيقول يارب أنى لى هذه فيقول باستغفار ولدك لك » رواه أحمد بإسناد حسن . (٥) حديث عائشة « اللهم اجعلنى من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا » أخرجه ابن ماجه وفيه على بن زيد بن جدعان مختلف فيه .

(٦) حديث « إذا أذنب العبد فقال اللهم اغفر لى يقول الله أذنب عبدى ذنباً فعلم أن له ربا يأخذ بالذنب ويغفر الذنب ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة . (٧) حديث « ما أصر من استغفر وإن عاد فى اليوم سبعين مرة » أخرجه أبو داود والترمذى من حديث أبى بكر وقال غريب وليس إسناده بالقوى . (٨) حديث « إن رجلا لم يعمل خيرا قط نظر إلى السماء فقال إن لى ربا يارب اغفر لى فقال الله تعالى قد غفرت لك » لم أقف له على أصل . (٩) حديث « من أذنب فعلم أن الله قد اطلع عليه غفر له وإن لم يستغفر » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن مسعود بسند ضعيف . (١٠) حديث « يقول الله ياعبادى كلكم مذنب إلا من عافيته فاستغفرونى أغفر لكم ومن علم أنى ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالى » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى ذر وقال الترمذى حسن وأصله عند مسلم بلفظ آخر . (٢١) حديث « من قال سبحانك ظلمت نفسى وعملت سوءا فاغفرلى إنه لايغفر الذنوب إلا أنت غفرت ذنوبه وإن كانت كدب النمل » أخرجه البيهقى فى الدعوات من حديث على « أن =

« إن أفضل الاستغفار اللهم أنت ربى وأنا عبدك خلقتنى وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ماصنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء على نفسى بذنبى فقد ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفرلى ذنوبى ما قدمت منها وما أخرت فإنه لايغفر الذنوب جميعها إلا أنت [1] » والآثار : قال خالد بن معدان يقول الله عز وجل إنّ أحب عبادى إلى المتحابون بحبى والمتعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالأسحار أولئك الذين إذا أردت أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم . وقال قتادة رحمه الله : القرآن يدلكم عن دائكم ودوائكم. أما داؤكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار وقال على كرم الله وجهه : العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل وما هى ؟ قال الاستغفار . وكان يقول : ما ألهم الله سبحانه عبدا الاستغفار وهو يريد أن يعذبه . وقال الفضيل : قول العبد « أستغفر الله » تفسيرها : أقلنى . وقال بعض العلماء : العبد بين ذنب ونعمة لايصلحهما إلا الحمد والاستغفار . وقال الربيع بن خيثم رحمه الله : لايقولن أحدكم أستغفر الله وأتوب إليه فيكون ذنبا وكذبا إن لم يفعل ؟ ولكن ليقل: اللهم اغفرلى وتب على . وقال الفضيل رحمه الله : الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين : وقالت رابعة العدوية رحمها الله : استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير . وقال بعض الحكماء : من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا بالله عز وجل وهو لايعلم . وسمع أعرابى وهو متعلق بأستار الكعبة يقول : اللهم إن استغفارى مع إصرارى للؤم وإن تركى استغفارك مع علمى بسعة عفوك لعجز ، فكم تتحبب إلى بالنعم مع غناك عنى وكم أتبغض إليك بالمعاصى مع فقرى إليك ! يامن إذا وعد وفى وإذا أوعد عفا أدخل عظيم جرمى فى عظيم عفوك يا أرحم الراحمين . وقال أبو عبد الله الوراق : لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبا لمحيت عنك إذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصا إن شاء الله تعالى « اللهم إنى أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ماوعدتك به من نفسى ولم أوف لك به وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على فاستعنت بها على معصيتك وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيته فى ضياء النهار وسواد الليل فى ملأ أوخلاء وسر وعلانية ياحليم . ويقال إنه استغفار آدم عليه والسلام وقيل الخضر عليه الصلاة والسلام .

الباب الثالث : فى أدعية مأثورة ومعزية إلى أسبابها وأربابها مما يستحب أن يدعو بها المرء صباحا ومساء وبعقب كل صلاة

فمنها : دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتى الفجر قال ابن عباس رضى الله عنهما . بعثنى العباس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته ممسيا وهو فى بيت خالتى ميمونة فقام يصلى من الليل فلما صلى ركعتى الفجر قبل صلاة الصبح قال « اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى وتجمع بها شملى وتلم بها شعثى وترد بها الفتن عنى وتصلح بها دينى وتحفظ بها غائبى وترفع بها شاهدى وتزكى بها عملى وتبيض بها وجهى وتلهمنى بها رشدى وتعصمنى بها من كل سوء . اللهم أعطنى إيمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة . اللهم إنى أسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء ومرافقة الأنبياء . اللهم إنى

= رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أعلمك كلمات تقولهن لوكان عليك كمدد الرمل — أو كمدد الدهر — ذنوبا غفرها الله لك » فذكره بزيادة « لااله إلا أنت » فى أوله وفيه ابن لهيعة . (١) حديث « أفضل الاستغفار اللهم أنت ربى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك مااستطعت ... الحديث » أخرجه البخارى من حديث شداد بن أوس دون قوله « وقد ظلمت نفسى واعترفت بذنبى » ودون قوله « ذنوبى ماقدمت منها وما أخرت » ودون قوله « جميعا » .

أنزل بك حاجتي وإن ضعف رأيي وقلت حيلتي وقصر عملي وافتقرت إلى رحمتك فأسألك يا كافي الأمور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور . اللهم ماقصر عنه رأيي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي وأمنيتي من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك فإني أرغب إليك فيه وأسألكه يارب العالمين . اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لأعدائك وسلما لأوليائك نحب بحبك من أطاعك من خلقك ونعادي بعداوتك خالفك من خلقك . اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وإنا لله وإنا إليه راجعون ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم ذي الحبل الشديد والأمر الرشيد أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركوع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وأنت تفعل ماتريد . سبحان الذي لبس العز وقال به سبحان الذي تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذي لاينبغي التسبيح إلا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي العزة والكرم سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه . اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي . اللهم زدني نورا وأعطني نورا واجعل لي نورا [1] »

دعاء عائشة رضي الله عنها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها « عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه ومالم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت ومالم أعلم وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل وأسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشدا برحمتك ياأرحم الراحمين [2] »

دعاء فاطمة رضي الله عنها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يافاطمة ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به ؟ أن تقولي : يا حي ياقيوم برحمتك أستغيث لا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله

دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه

علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكر الصديق رضي الله عنه أن يقول «اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك وروحك وبتوراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد صلى الله عليه وسلم

الباب الثالث : في أدعية مأثورة

(١) حديث ابن عباس « اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي ... الحديث » أخرجه الترمذي وقال غريب ولم يذكر في أوله : بعث العباس لابنه عبد الله ولا نومه في بيت ميمونة ، وهو بهذه الزيادة في الدعاء للطبراني.

(٢) حديث قوله لعائشة « عليك بالجوامع الكوامل قولي : اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ماعلمت منه وما لم أعلم ... الحديث » أخرجه ابن ماجه والحاكم وصححه من حديثها (٣) حديث « يافاطمة مايمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي ياحي ياقيوم برحمتك أستغيث لاتكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله » أخرجه النسائي في اليوم والليلة والحاكم من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين .

وعليهم أجمعين وبكل وحى أوحيته أو قضاء قضيته أو سائل أعطيته أو غنى أفقرته أو فقير أغنيته أو ضال هديته وأسألك باسمك الذى أنزلته على موسى صلى الله عليه وسلم وأسألك باسمك الذى بثثت به أرزاق العباد وأسألك باسمك الذى وضعته على الأرض فاستقرت وأسألك باسمك الذى وضعته على السموات فاستقلت وأسألك باسمك الذى وضعته على الجبال فرست وأسألك باسمك الذى استقل به عرشك وأسألك باسمك الطهر الطاهر الأحد الصمد الوتر المنزل فى كتابك من لدنك من النور المبين وأسألك باسمك الذى وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فأظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك الكريم أن ترزقنى القرآن والعلم به وتخلطه بلحمى ودمى وسمعى وبصرى وتستعمل به جسدى بحولك وقوتك فإنه لاحول ولا قوة إلا بك يا أرحم الراحمين [1] » .

دعاء بريدة الأسلمى رضى الله عنه

وروى أنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « يابريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيرا علمهن إياه ثم لم ينسهن إياه أبدا قال : فقلت بلى يارسول الله قال قل : اللهم إنى ضعيف فقو فى رضاك ضعفى وخذ إلى الخير بناصيتى واجعل الإسلام منتهى رضاى ، اللهم إنى ضعيف فقونى وإنى ذليل فأعزنى وإنى فقير فأغننى يا أرحم الراحمين [2] »

دعاء قبيصة بن المخارق

إذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم « علمنى كلمات ينفعنى الله عز وجل بها فقد كبر سنى وعجزت عن أشياء كثيرة كنت أعملها فقال عليه السلام : أما لدنياك فإذا صليت الغداة فقل ثلاث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم فإنك إذا قلتهن أمنت من الغم والجذام والبرص والفالج . وأما لآخرتك فقل : اللهم أهدنى من عندك وأفض على من فضلك وانشر على من رحمتك وأنزل على من بركاتك . ثم قال صلى الله عليه وسلم : أما إنه إذا وافى بهن عبد يوم القيامة لم يدعهن فتح له أربعة أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء [3]

دعاء أبى الدرداء رضى الله عنه

قيل لأبى الدرداء رضى الله عنه : قد احترقت دارك ـ وكانت النار قد وقعت فى محلته ـ فقال ما كان الله ليفعل ذلك ، فقيل له ذلك ثلاثا وهو يقول : ما كان الله ليفعل ذلك . ثم أتاه آت فقال : ياأبا الدرداء إن النار حين دنت من دارك طفئت ، قال . قد علمت ذلك ، فقيل له : ماندرى أى قوليك أعجب ؟ قال : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يقول هؤلاء الكلمات فى ليل أو نهار لم يضره شىء وقد قلتهن وهى « اللهم أنت ربى لاإله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علما وأحصى كل شىء عددا . اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى

---

(١) حديث « علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه أن يقول اللهم إنى أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك ... الحديث » فى الدعاء لحفظ القرآن رواه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب من رواية عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه « أن أبا بكر أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال إنى أتعلم القرآن ويفلت منى » فذكره وعبد الملك وأبوه ضعيفان وهو منقطع بين هارون وأبى بكر . (٢) حديث « يابريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيرا علمهن إياه ... الحديث » أخرجه الحاكم من حديث بريدة وقال صحيح الإسناد (٣) حديث « إن قبيصة بن المخارق قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم علمنى كلمات ينفعنى الله بها فقد كبرت سنى وعجزت ... الحديث » أخرجه ابن السنى فى اليوم والليلة من حديث ابن عباس وهو عند أحمد فى المسند مختصرا من حديث قبيصة نفسه وفيه رجل لم يسم

ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم [1] » .

دعاء الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام

كان يقول إذا أصبح : اللهم إن هذا خلق جديد فافتحه على بطاعتك واختمه لى بمغفرتك ورضوانك وارزقنى فيه حسنة تقبلها منى وزكها وضعفها لى وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لى إنك غفور رحيم ودود كريم . قال : ومن دعا بهذا الدعاء إذا أصبح فقد أدى شكر يومه .

دعاء عيسى عليه الصلاة والسلام

كان يقول . اللهم إنى أصبحت لاأستطيع دفع ماأكره ولاأملك نفع ماأرجو وأصبح الأمر بيد غيرى وأصبحت مرتهنا بعملى فلا فقير أفقر منى . اللهم لاتشمت بى عدوى ولا تسؤ بى صديق ولا تجعل مصيبتى فى دينى ولا تجعل الدنيا أكبر همى ولا تسلط على من لا يرحمنى ياحى يا قيوم .

دعاء الخضر عليه السلام

يقال : إن الخضر وإلياس عليهما السلام إذا التقيا فى كل موسم لم يفترقا إلاعن هذه الكلمات « بسم الله ماشاءالله لا قوة إلا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لايصرف السوء إلا الله » فمن قالها ثلاث مرات إذا أصبح أمن من الحرق والغرق والسرق إن شاء الله تعالى .

دعاء معروف الكرخى رضى الله عنه

قال محمد بن حسان ؛ قال لى معروف الكرخى رحمه الله ألا أعلمك عشر كلمات خمس للدنيا وخمس للآخرة من دعا الله عز وجل بهن وحد الله تعالى عندهن : قلت . اكتبها لى قال لا . ولكن أرددها عليك كما رددها على بكر بن خنيس رحمه الله حسبى الله لدينى حسبى الله لدنياى حسبى الله الكريم لما أهمنى حسبى الله الحليم القوى لمن بغى على حسبى الله الشديد لمن كادنى بسوء حسبى الله الرحيم عند الموت حسبى الله الرءوف عند المسألة فى القبر حسبى الله الكريم عند الحساب حسبى الله اللطيف عند الميزان حسبى الله القدير عند الصراط حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » وقد روى عن أبى الدرداء أنه قال « من قال فى كل يوم سبع مرات (فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) كفاه الله عز وجل ما أهمه من أمر آخرته صادقا كان أو كاذبا » .

دعاء عتبة الغلام

وقد رؤى فى المنام بعد موته فقال : دخلت الجنة بهذه الكلمات « اللهم ياهادى المضلين ويا راحم المذنبين ويامقيل عثرات العاثرين أرحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الأخيار المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين .

دعاء آدم عليه الصلاة والسلام

قالت عائشة رضى الله عنها : لما أراد الله عز وجل أن يتوب على آدم صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت سبعا

---

(١) حديث « قيل لأبي الدرداء : أحرقت دارك فقال ما كان الله ليفعل ذلك ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الدعاء من حديث أبي الدرداء ضعيف .

وهو يومئذ ليس بمبنى ربوة حمراء ثم قام فصلى ركعتين ثم قال « اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم حاجتى فأعطنى سؤلى وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى . اللهم إنى أسألك إيماناً يباشر قلبى ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلا ما كتبته على والرضا بما قسمته لى ياذا الجلال والإكرام » فأوحى الله عز وجل إليه إنى قد غفرت لك ولم يأتى أحد من ذريتك فيدعونى بمثل الذى دعوتنى به إلا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهى راغمة وإن كان لا يريدها .

دعاء على بن أبى طالب رضى الله عنه

رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله تعالى يمجد نفسه كل يوم ويقول : إنى أنا الله رب العالمين . إنى أنا الله لا إله إلا أنا الحى القيوم . إنى أنا الله لا إله إلا أنا العلى العظيم . إنى أنا الله لا إله إلا أنا لم ألد ولم أولد إنى أنا الله لا إله إلا أنا العفو الغفور . إنى أنا الله لا إله إلا أنا مبدئ كل شىء وإلى يعود العزيز الحكيم الرحمن الرحيم مالك يوم الدين خالق الخير والشر خالق الجنة والنار الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا الفرد الوتر عالم الغيب والشهادة الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الكبير المتعال المقتدر القهار الحليم الكريم أهل الثناء والمجد أعلم السر وأخفى القادر الرزاق فوق الخلق والخليقة [1] » وذكر قبل كل كلمة « إنى أنا الله لا إله إلا أنا » كما أوردناه فى الأول فمن دعا بهذه الأسماء فليقل « إنك أنت الله لا إله إلا أنت كذا وكذا » فمن دعا بهن كتب من الساجدين المخبتين الذين يجاورون محمداً وإبراهيم وموسى وعيسى والنبيين صلوات الله عليهم فى دار الجلال . وله ثواب العابدين فى السموات والأرضين وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى .

دعاء ابن المعتمر وهو سليمان التيمى وتسبيحاته رضى الله عنه

روى أن يونس بن عبيد رأى رجلا فى المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم فقال : ما أفضل ما رأيت ثم من الأعمال ؟ قال : رأيت تسبيحات ابن المعتمر من الله عز وجل بمكان وهى هذه « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق وملء ما خلق وملء ما هو خالق وملء سمواته وملء أرضه ومثل ذلك وأضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه حتى يرضى وإذا رضى وعدد ما ذكره به خلقه فى جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقى فى كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات وشم ونفس من الأنفاس وأبد من الآباد من أبد إلى أبد أبد الدنيا وأبد الآخرة وأكثر من ذلك لا ينقطع أوله ولا ينفد آخره » .

دعاء إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه

روى إبراهيم بن بشار خادمه : أنه كان يقول هذا الدعاء فى كل يوم جمعة إذا أصبح وإذا أمسى « مرحبا بيوم المزيد والصبح الجديد والكاتب والشهيد يومنا هذا يوم عيد اكتب لنا فيه ما نقول بسم الله الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال فى خلقه ما يريد أصبحت بالله مؤمنا وبلقائه مصدقا وبحجته معترفا ومن ذنبى مستغفرا ولربوبية الله خاضعاً

---

(١) حديث على « إن الله تعالى يمجد نفسه كل يوم فيقول إنى أنا الله رب العالمين إنى أنا الله لا إله إلا أنا الحى القيوم .. الحديث » بطوله لم أجده أصلا .

ولسوى الله فى الآلهة جاحداً وإلى الله فقيرا وعلى الله متكلا وإلى الله منيبا أشهد الله وأشهد ملائكته وأنبيائه ورسله وحملة عرشه ومن خلقه ومن هو خالقه بأنه هو الله الذى لا إله إلا هو وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وأن الجنة حق وأن النار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق ووعدك حق ووعيدك حق ولقاءك حق والساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور على ذلك أحيا وعليه أموت وعليه أبعث إن شاء الله . اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك اللهم من شر ما صنعت ومن شر كل ذى شر . اللهم إنى ظلمت نفسى فاغفر لى ذنوبى فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت واهدنى لأحسن الأخلاق فإنه لايهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها فإنه لا يصرف سيئها إلا أنت لبيك وسعديك والخير كله بيديك أنا لك وإليك أستغفرك وأتوب إليك . آمنت اللهم بما أرسلت من رسول وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب وصلى الله على محمد النبي الأمى وعلى آله وسلم تسليما كثيرا خاتم كلامى ومفتاحه وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين يارب العالمين . اللهم أوردنا حوض محمد واسقنا بكأسه مشربا رويا سائغا هنيا لا نظمأ بعده أبدا واحشرنا فى زمرته غير خزايا ولا ناكثين للعهد ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوب علينا ولا ضالين . اللهم اعصمنى من فتن الدنيا ووفقنى لما تحب وترضى وأصلح لى شأنى كله وثبتنى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولاتضلنى وإن كنت ظالما سبحانك ، سبحانك ياعلى ياعظيم يابارئ يارحيم ياعزيز ياجبار سبحان من سبحت له السموات بأكنافها وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها وسبحان من سبحت له الجبال بأصدائها وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم فى السماء بأبراجها وسبحان من سبحت له الأشجار بأصولها وثمارها وسبحان من سبحت له السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحان من سبح له كل شىء من مخلوقاته تباركت وتعاليت سبحانك ، سبحانك ياحى ياقيوم ياعليم ياحليم سبحانك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك تحيي وتميت وأنت حى لا تموت بيدك الخير وأنت على كل شىء قدير .

الباب الرابع

فى أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضى الله عنهم

محذوفة الأسانيد منتخبة من جملة ما جمعه أبو طالب المكى وابن خزيمة وابن منذر رحمهم الله

يستحب للمريد إذا أصبح أن يكون أحب أوراده الدعاء ـ كما سيأتى ذكره فى كتاب الأوراد ـ فإن كنت من المريدين لحرث الآخرة المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما دعا به فقل فى مفتتح دعواتك [1] أعقاب صلواتك [2] سبحان ربى العلى الأعلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . وقل : رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا [3] ـ ثلاث مرات ـ وقل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شىء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه [4] وقل : اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى وأقل

الباب الرابع : فى أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) حديث « افتتاح الدعاء بسبحان ربى العلى الأعلى الوهاب » تقدم فى الباب الثانى فى الدعاء (٢) حديث « القول عقب الصلوات لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير » متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة .

(٣) حديث « رضيت بالله ربا .. الحديث » تقدم فى الباب الأول من الأذكار (٤) حديث « اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شىء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه » =

عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن أغتال من تحتي [١] اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا تنزع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين [٢] وقل : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت [٣] ـ ثلاث مرات ـ وقل : اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا إله إلا أنت [٤] ـ ثلاث مرات ـ وقل : اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك الكريم وشوقا إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أعتدي أو يعتدى علي أو أكسب خطيئة أو ذنبا لا تغفره [٥] اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة في الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا خاشعا سليما وخلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم فإنك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب [٦] اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني فإنك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير وعلى كل غيب شهيد [٧] اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الأبد ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم في أعلى جنة الخلد [٨] اللهم إني أسألك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين أسألك حبك وحب من أحبك وحب كل عمل يقرب إلى حبك وأن تتوب علي وتغفر لي وترحمني، وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون [٩] اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك وأعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة . واللهم زينا

= أخرجه أبو داود والترمذي وصححه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة « أن أبا بكر الصديق قال : يارسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت قال قل اللهم » فذكره (١) حديث « اللهم إني أسألك العافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورتي وآمن روعتي وأقل عثرتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي » أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث ابن عمر « قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح » (٢) حديث « اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين » رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس دون قوله « ولا تولني غيرك » وإسناده ضعيف (٣) حديث « اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » أخرجه البخاري من حديث شداد بن أوس وقد تقدم (٤) حديث « اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا إله إلا أنت ـ ثلاث مرات ـ » أخرجه أبو داود والنسائي في اليوم والليلة من حديث أبي بكرة وقال النسائي جعفر بن ميمون ليس بالقوي (٥) حديث « اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء .. الحديث » إلى قوله « أوذنبا لا يغفر » أخرجه أحمد والحاكم من حديث زيد بن ثابت في أثناء حديث وقال صحيح الإسناد (٦) حديث « اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد ... الحديث » إلى قوله « وأنت علام الغيوب » أخرجه الترمذي والنسائي والحاكم وصححه من حديث شداد بن أوس . قلت : بل هو منقطع وضعيف (٧) حديث « اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ... الحديث » إلى قوله « وعلى كل غيب شهيد » متفق عليه من حديث أبي موسى دون قوله « وعلى كل غيب شهيد » وقد تقدم في الباب الثاني من هذا الكتاب (٨) حديث « اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الأبد ... الحديث » أخرجه النسائي في اليوم والليلة والحاكم من حديث عبد الله بن مسعود دون قوله « وقرة عين الابد » وقال صحيح الإسناد والنسائي من حديث عمار بن ياسر باسناد جيد « وأسألك نعيما لا يبيد وقرة عين لا تنقطع » (٩) حديث « اللهم إني أسألك الطيبات وفعل الخيرات . الحديث » إلى قوله غير مفتون » أخرجه الترمذي من حديث معاذ « اللهم إني أسألك فعل الخيرات ... الحديث » وقال حسن صحيح ولم يذكر « الطيبات » وهي في الدعاء للطبراني من حديث عبد الرحمن بن عايش وقال أبو حاتم ليست له صحبة

بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين [١] اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا والآخرة [٢] اللهم املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا منك فرقا واسكن فى نفوسنا من عظمتك ما تذلل به جوارحنا لخدمتك واجعلك اللهم أحب إلينا ممن سواك واجعلنا أخشى لك ممن سواك [٣] اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوله رحمة واوسطه نعمة وآخره تكرمة ومغفرة [٤] الحمد لله الذى تواضع كل شىء لعظمته وذل كل شىء لعزته وخضع كل شىء لملكه واستسلم كل شىء لقدرته والحمد لله الذى سكن كل شىء لهيبته وأظهر كل شىء بحكمته وتصاغر كل شىء لكبريائه [٥] اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأزواج محمد وذريته وبارك على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد [٦] اللهم صلى على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى رسولك الأمين وأعطه المقام المحمود الذى وعدته يوم الدين [٧] اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين واستعملنا لمرضاتك عنا ووفقنا لمحابك منا وصرفنا بحسن اختيارك لنا [٨] نسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه [٩] اللهم بقدرتك على تب على إنك أنت التواب الرحيم وبحلمك عنى اعف عنى إنك أنت الغفار الحليم وبعلمك بى ارفق بى إنك أنت أرحم الراحمين وبملكك لى ملكنى نفسى ولا تسلطها على إنك أنت الملك الجبار [١٠] سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفر لى ذنبى إنك أنت ربى ولا يغفر الذنوب إلا أنت [١١] اللهم ألهمنى رشدى وقنى شر نفسى [١٢] اللهم ارزقنى حلالا لا تعاقبنى عليه وقنعنى بما رزقتنى

---

(١) حديث « اللهم انى أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينى ما كانت الحياة خيرا لى ... الحديث » الى قوله « واجعلنا هداة مهتدين » أخرجه النسائى والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث عمار بن ياسر « قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به » (٢) حديث « اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك .. الحديث » أخرجه الترمذى وقال حسن والنسائى فى اليوم والليلة والحاكم وقال صحيح على شرط البخارى من حديث ابن عمر « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يختم مجلسه بذلك » (٣) حديث « اللهم املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا بك فرحا ... الحديث » الى قوله « واجعلنا أخشى لك من سواك » لم أقف له على أصل (٤) حديث « اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكرمة » أخرجه عبد بن حميد فى المنتخب والطبرانى من حديث ابن أوفى بالشطر الأول فقط الى قوله « نجاحا » واسناده ضعيف .

(٥) حديث « الحمد لله الذى تواضع كل شىء لعظمته وذل كل شىء لعزته ... الحديث » الى قوله « وتصاغر كل شىء لكبريائه » أخرجه الطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف دون قوله « والحمد لله الذى سكن كل شىء لهيبته » الى آخره وكذلك رواه فى الدعاء من حديث أم سلمة وسنده ضعيف أيضاً (٦) حديث « اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته ... الحديث » الى قوله « حميد مجيد » تقدم فى الباب الثانى (٧) حديث « اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى رسول الاميين وأعطه المقام المحمود يوم الدين » لم أجده بهذا اللفظ مجموعا والبخارى من حديث أبى سعيد « اللهم صل على محمد عبدك ورسولك » وابن حبان والدارقطنى والحاكم والبيهقى من حديث ابن مسعود « اللهم صل على محمد النبى الامى » والنسائى من حديث جابر « وابعثه المقام المحمود الذى وعدته » وهو عند البخارى بلفظ « وابعثه مقاما محمودا » قال الدارقطنى اسناده حسن وقال الحاكم صحيح وقال البيهقى فى المعرفة اسناده صحيح (٨) حديث « اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين ... الحديث » إلى قوله « صرفنا بحسن اختيارك لنا » لم أقف له على أصل (٩) حديث « نسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه » أخرجه الطبرانى من حديث أم سلمه « أنه كان يدعو بهؤلاء الكلمات » فذكر منها « اللهم انى أسألك فواتح الخير وخواتمه وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلى من الجنة آمين » فيه عاصم بن عبيد لا أعلم روى عنه إلا موسى ابن عقبة (١٠) حديث « اللهم بقدرتك على تب على إنك أنت التواب الرحيم وبحلمك على اعف عنى ... الحديث » الى قوله « إنك الملك الجبار » لم أقف له على أصل (١١) حديث « سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفر لى ذنبى أنت ربى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » أخرجه البيهقى فى الدعوات من حديث على دون قوله « ذنبى إنك أنت ربى » وقد تقدم فى الباب الثانى (١٢) حديث « اللهم الهمنى رشدى وقنى شر نفسى » أخرجه الترمذى من حديث عمران بن حصين =

واستعملني به صالحا تقبله مني [١] اللهم إني أسألك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة [٢] يامن لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي مالا يضرك وأعطني مالا ينقصك ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين . أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين . أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين . واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك . ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير . ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين . ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم . ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم . ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا . ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان - إلى قوله عز وجل - إنك لا تخلف الميعاد . ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا - إلى آخر السورة [٣] - رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا . واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات [٤] رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم وأنت خير الراحمين وأنت خير الغافرين وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد خاتم النبيين وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا [٥] .

أنواع الاستعاذة المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم

اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر [٦] اللهم إني أعوذ بك من طبع يهدي إلى طمع ومن طمع في غير مطمع ومن

= « أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه لحصين » وقال حسن غريب ورواه النسائي في اليوم والليلة والحاكم من حديث حصين والد عمران وقال صحيح على شرط الشيخين (١) حديث « اللهم ارزقني حلالا لاتباعني فيه وقنعني بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله مني » أخرجه الحاكم من حديث ابن عباس « كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه وأخلف على كل غائبة لي بخير » وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٢) حديث « اللهم إني أسألك العفو والعافية والمعافاة وحسن اليقين في الدنيا والآخرة » أخرجه النسائي من حديث أبي بكر الصديق بلفظ « سلوا الله المعافاة فإنه لم يؤت أحد بعد اليقين خيرا من المعافاة » وفي رواية للبيهقي « سلوا الله العفو والعافية واليقين في الأولى والآخرة فإنه ماأوتي العبد بعد اليقين خيرا من العافية » وفي رواية لأحمد « أسأل الله العفو والعافية » (٣) حديث « يامن لاتضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي مالايضرك وأعطني مالاينقصك » أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بسند ضعيف (٤) حديث « رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات » أخرجه أبو داود وابن ماجه بإسناد حسن من حديث أبي أسيد الساعدي « قال رجل من بني سلمة هل بقي علي من برأبوي شيء ؟ قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما ... الحديث » ولأبي الشيخ ابن حبان في الثواب والمستغفري في الدعوات من حديث أنس « من استغفر للمؤمنين والمؤمنات رد الله عليه عن كل مؤمن مضى من أول الدهر أوهو كائن إلى يوم القيامة » وسنده ضعيف وفي صحيح ابن حبان من حديث أبي سعيد « أيما رجل مسلم لم يكن عنده صدقة فليقل في دعائه اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فإنها زكاة » (٥) حديث « رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم وأنت خير الراحمين وخير الغافرين » أخرجه أحمد من حديث أم سلمة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول رب اغفر وارحم واهدني السبيل الأقوم » وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه ، وللطبراني في الدعاء من حديث ابن مسعود « أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا سعى في بطن المسيل اللهم اغفر وارحم وأنت الأعز الأكرم » وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه ورواه موقوفا عليه بسند صحيح (٦) حديث « اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر » أخرجه البخاري من حديث سعيد بن أبي وقاص .

طمع حيث لا مطمع [١] اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع . وأعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ومن الخيانة فإنها بئست البطانة ومن الكسل والبخل والجبن والهرم ومن أن أرد إلى أرذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات . اللهم إنا نسألك قلوباً أواهة مخبتة منيبة فى سبيلك . اللهم إنى أسألك عزائم مغفرتك وموجبات رحمتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار [٢] . اللهم إنى أعوذ بك من التردى وأعوذبك من الغم والغرق والهدم وأعوذبك من أن أموت فى سبيلك مدبرا وأعوذ بك من أن أموت فى تطلب الدنيا [٣] اللهم إنى أعوذ بك شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم [٤] . اللهم جنبنى منكرات الأخلاق والأعمال والأدواء والأهواء [٥] . اللهم إنى أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء [٦] اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال [٧] اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى وبصرى وشر لسانى وقلبى وشر ومنيى [٨] . اللهم إنى أعوذ بك من جار السوء فى دار المقامة فإن جار البادية يتحول [٩] . اللهم إنى أعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة وأعوذ بك من الكفر والفقر والفسوق والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق وضيق الأرزاق والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والعمى والجنون والجذام والبرص وسيء الأسقام [١٠] اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحول عافيتك ومن فجأة نقمتك ومن جميع سخطك [١١] اللهم إنى أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر فتنة

---

(١) حديث « اللهم اني أعوذ بك من طبع يهدى الى طمع وطمع فى غير مطمع ومن طمع حيث لامطمع » أخرجه أحمد والحاكم من حديث معاذ وقال مستقيم الإسناد .

(٢) حديث « اللهم انى أعوذ بك من علم لاينفع وقلب لايخشع ودعاء لايسمع ... الحديث » الى قوله « والنجاة من النار » أخرجه الحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح الإسناد وليس كما قال الا أنه ورد مفرقا فى أحاديث جيدة الأسانيد

(٣) حديث « اللهم انى أعوذ بك من التردى وأعوذ بك من الغم ... الحديث » الى قوله وأعوذ بك أن أموت فى تطلب الدنيا » أخرجه أبو داود والنسائى والحاكم وصحح اسناده من حديث أبى اليسر واسمه كعب بن عمرو بزيادة فيه دون قوله « وأعوذ بك أن أموت فى تطلب دنيا » وتقدم من عند البخارى الاستعاذة من فتنة الدنيا . (٤) حديث « اللهم انى أعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم » قلت : هكذا فى غير نسخة « علمت » وانما هو « عملت ، وأعمل » كذا رواه مسلم من حديث عائشة ولأبى بكر بن الضحاك فى الشمائل فى حديث مرسل فى الاستعاذة وفيه « وشر مالم أعمل وشر ما لم أعلم » .

(٥) حديث « اللهم جنبنى منكرات الأخلاق والأعمال والأدواء والأهواء » أخرجه الترمذى وحسنه والحاكم وصححه واللفظ له من حديث قطبة بن مالك . (٦) حديث « اللهم انى أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء » متفق عليه من حديث أبى هريرة . (٧) حديث « اللهم انى أعوذ بك من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال » أخرجه النسائى والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه كان يقول من الكفر والدين » وفى رواية للنسائى « من الكفر والفقر » ولمسلم من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « أنه كان يتعوذ من عذاب القبر وعذاب جهنم وفتنة الدجال » وللشيخين من حديث عائشة فى حديث قال فيه « ومن شر فتنة المسيح الدجال » . (٨) حديث « اللهم انى أعوذ بك من شر سمعى وشر بصرى وشر لسانى وقلبى وشر منيى » أخرجه أبو داود والنسائى والترمذى وحسنه الحاكم وصحح اسناده من حديث سهل بن حميد . (٩) حديث « اللهم انى أعوذ بك من جار السوء فى دار المقامة فان جار البادية يتحول » أخرجه النسائى والحاكم من حديث أبى هريرة وقال صحيح على شرط مسلم

(١٠) حديث « اللهم انى أعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيىء الاسقام » أخرجه أبو داود والنسائى مقتصرين على الأربعة الأخيرة والحاكم بتمامه من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين .

(١٢) حديث « اللهم انى أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك ومن جميع سخطك » أخرجه مسلم من حديث ابن عمر .

المسيح الدجال وأعوذ بك من المغرم والمأثم [١] اللهم إنى أعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلاة لاتنفع ودعوة لاتستجاب وأعوذ بك من شر الغم وفتنة الصدر [٢] . اللهم إنى أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء [٣] وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين آمين .

الباب الخامس : فى الأدعية المأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث

إذا أصبحت وسمعت الأذان فيستحب لك جواب المؤذن وقد ذكرناه وذكرنا أدعية دخول الخلاء والخروج منه وأدعية الوضوء فى كتاب الطهارة . فإذا خرجت إلى المسجد فقل « اللهم اجعل فى قلبى نوراً وفى لسانى نوراً واجعل فى سمعى نورا واجعل فى بصرى نورا واجعل خلفى نورا وأمامى نورا واجعل من فوقى نورا اللهم أعطنى [٤] نورا » وقل أيضا : اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا إليك [٥] فإنى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تنقذنى من النار وأن تغفر لى ذنوبى إنه لايغفر الذنوب إلا أنت » فإن خرجت من المنزل لحاجة فقل « بسم الله رب أعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على [٦] بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم بسم الله التكلان على الله [٧] » فإذا انتهيت إلى المسجد تريد دخوله فقل « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم اغفر لى جميع ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك [٨] » وقدم رجلك اليمنى فى الدخول فإذا رأيت فى المسجد من يبيع أو يبتاع فقل « لا أربح الله تجارتك [٩] » وإذا رأيت من ينشد ضالة فى المسجد فقل « لا ردها الله عليك » أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم [١٠] فإذا صليت ركعتى الصبح فقل « بسم الله اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى . . الدعاء إلى آخره [١١]

---

(١) حديث « اللهم إنى أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من المأثم والمغرم » متفق عليه من حديث عائشة . (٢) حديث « اللهم إنى أعوذ بك من نفس لاتشبع وقلب لايخشع وصلاة لاتنفع ودعوة لاتستجاب وأعوذ بك من سوء العمر وفتنة الصدر » أخرجه مسلم من حديث زيد بن أرقم فى أثناء حديث « اللهم إنى أعوذ بك من قلب لايخشع ونفس لاتشبع وعمل لايرفع ودعوة لايستجاب لها وصلاة لاتنفع » وشك أبو المعتمر فى سماعه من أنس وللنسائى بإسناد جيد من حديث عمر فى أثناء حديث « وأعوذ بك » وأبو داود من حديث أنس « اللهم إنى أعوذ بك من سوء العمر وأعوذ بك من فتنة الصدر » . (٣) حديث « اللهم إنى أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء » أخرجه النسائى والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم .

الباب الخامس : فى الأدعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث

(٤) حديث « القول عند الخروج الى المسجد اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى لسانى نورا ... الحديث » متفق عليه من حديث ابن عباس . (٥) حديث « اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا إليك ... الحديث » من حديث أبى سعيد الخدرى باسناد حسن . (٦) حديث « القول عند الخروج من المنزل لحاجته بسم الله رب أعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على » أخرجه أصحاب السنن من حديث أم سلمة قال الترمذى حسن صحيح . (٧) حديث « بسم الله الرحمن الرحيم ولاحول ولاقوة إلا بالله التكلان على الله » أخرجه ابن ماجه من حديث أبى هريرة « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من منزله قال بسم الله » فذكره إلا أنه لم يقل « الرحمن الرحيم » وفيه ضعف . (٨) حديث « القول عند دخول المسجد اللهم صل على محمد اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الترمذى حسن وليس إسناده بمتصل ولمسلم من حديث أبى حميد أو أبى أسيد « إذا دخل أحدكم المسجد فليقل اللهم افتح لى أبواب رحمتك » وزاد أبو داود فى أوله « فليسلم على النبى صلى الله عليه وسلم » .

(٩) حديث « القول إذا رأى من يبيع أو يبتاع فى المسجد لاأربح الله تجارتك » أخرجه الترمذى وقال حسن غريب والنسائى فى اليوم والليلة من حديث أبى هريرة (١٠) حديث « القول إذا رأى من ينشد ضالة فى المسجد لاردها الله عليك » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة (١١) حديث ابن عباس فى القول بعد ركعتى الصبح « اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى » الخ قد تقدم فى الدعاء

كما أوردناه عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فإذا ركعت فقل فى ركوعك « اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت أنت ربى خشع سمعى وبصرى ومخى وعظمى وعصبى وما استقلت به قدمى لله رب العالمين [1] » وإن أحببت فقل « سبحان ربى العظيم - ثلاث مرات - [2] أو سبوح قدوس رب الملائكة والروح [3] » فإذا رفعت رأسك من الركوع فقل « سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد [4] وإذا سجدت فقل اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين اللهم سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى أبوء بنعمتك على وأبوء بذنبى وهذا ماجنيت على نفسى فاغفر لى فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت [5] أو تقول « سبحان ربى الأعلى - ثلاث مرات - [6] » فإذا فرغت من الصلاة فقل « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام [7] وتدعو بسائر الأدعية التى ذكرناها . فإذا قمت من المجلس وأردت دعاء يكفر لغو المجلس فقل « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفر لى فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت [8] فإذا دخلت السوق فقل « لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير [9] بسم الله اللهم إنى أسألك خير هذه السوق وخير مافيها اللهم إنى أعوذ بك من شرها وشر مافيها اللهم إنى أعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة أو صفقة خاسرة [10] فإن كان عليك دين فقل « اللهم أكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك [11] فإذا لبست ثوبا جديدا فقل اللهم كسوتنى هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ماصنع له وأعوذ بك من شره وشر ماصنع له [12] » وإذا

---

(١) حديث ابن عباس فى القول فى الركوع « اللهم لك ركعت ولك أسلمت ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث على

(٢) حديث القول فيه « سبحان ربى العظيم » ثلاثا أخرجه أبو داود والترمذى والبيهقى من حديث ابن مسعود وفيه انقطاع

(٣) حديث القول فيه « سبوح قدوس رب الملائكة والروح » أخرجه مسلم من حديث عائشة

(٤) حديث القول عند الرفع من الركوع « سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى وابن عباس دون قوله « سمع الله لمن حمده » فهى فى اليوم والليلة للحسن بن على المعمرى وهى عند مسلم من حديث ابن أبى أوفى وعند البخارى من حديث أبي هريرة (٥) حديث القول فى السجود « اللهم لك سجدت ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث على « اللهم سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى أبوء بنعمتك على وأبوء بذنبى وهذا ماجنيت على نفسى فاغفر لى فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت » أخرجه الحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح الإسناد وليس كما قال بل هو ضعيف (٦) حديث « سبحان ربى الأعلى » ثلاثا أخرجه أبو داود والترمذى والبيهقى من حديث ابن مسعود وهو منقطع .

(٧) حديث القول إذا فرغ من الصلاة « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام » أخرجه مسلم من حديث ثوبان (٨) حديث « كفارة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لااله إلا أنت » أخرجه النسائى فى اليوم والليلة من حديث رافع بن خديج بإسناد حسن (٩) حديث القول عند دخول السوق « لااله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير » من حديث عمر وقال غريب والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين . (١٠) حديث « بسم الله اللهم إنى أسألك خير هذه السوق وخير مافيها اللهم إنى أعوذ بك من شرها وشر مافيها اللهم إنى أعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة أو صفقة خاسرة » أخرجه الحاكم من حديث بريدة وقال أقربها للعرائط هذا الكتاب حديث بريدة . قلت فيه أبو عمر جار لشعيب بن حرب ولعله حفص بن سليمان الأسدى مختلف فيه

(١١) حديث دعاء الدين « اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك » أخرجه الترمذى وقال حسن غريب والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث على بن أبي طالب (١٢) حديث الدعاء إذا لبس ثوبا جديدا « اللهم كسوتنى هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ماصنع له وأعوذ بك من شره وشر ماصنع له » أخرجه أبو داود والترمذى وقال حسن والنسائى فى اليوم والليلة من حديث أبى سعيد الخدرى ورواه ابن السنى بلفظ المصنف .

رأيت شيئا من الطيرة تكرهه فقل « اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت لاحول ولاقوة إلا بالله [١] » وإذا رأيت الهلال فقل « اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والبر والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى والحفظ عمن تسخط ، ربى وربك الله [٢] » ويقول « هلال رشد وخير آمنت بخالقك [٣] اللهم إنى أسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم الحشر [٤] » وتكبر قبله أولا ثلاثا . وإذا هبت الريح فقل « اللهم إنى أسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها ومن شر ما أرسلت به [٥] » وإذا بلغك وفاة أحد فقل « إنا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه فى المحسنين واجعل كتابه فى عليين واخلفه على عقبه فى الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله [٦] وتقول عند التصدق ﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ وتقول عند الخسران ﴿ عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون ﴾ وتقول عند ابتداء الأمور ﴿ ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ـ رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى ﴾ وتقول عند النظر إلى السماء ﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ـ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ﴾ وإذا سمعت صوت الرعد فقل ﴿ سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته [٧] ﴾ فإن رأيت الصواعق فقل « اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك [٨] » قاله كعب . فإذا أمطرت السماء فقل « اللهم سقيا هنيئا وصيبا نافعا [٩] اللهم اجعله صيب رحمة ولا تجعله صيب عذاب [١٠] » فإذا عضبت فقل « اللهم اغفر لى ذنبى وأذهب غيظ قلبى

---

(١) حديث القول إذا رأى شيئاً من الطيرة يكرهه « اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت لاحول ولا قوة إلا بالله » أخرجه ابن أبى شيبة وأبو نعيم فى اليوم والليلة والبيهقى فى الدعوات من حديث عروة بن عامر مرسلا ورجاله ثقات وفى اليوم والليلة لابن السنى عن عقبة بن عامر نحوه مسندا (٢) حديث « التكبير عند رؤية الهلال ـ ثلاثا ـ ثم يقول : اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ربى وربك الله » أخرجه الدارمى من حديث ابن عمر إلا أنه أطلق التكبير ولم يقل « ثلاثا » ورواه الترمذى وحسنه من حديث طلحة بن عبيد الله دون ذكر التكبير وللبيهقى فى الدعوات من حديث قتادة مرسلا « كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال كبر ثلاثا » (٣) حديث « هلال خير ورشد آمنت بخالقك » أخرجه أبو داود مرسلا من حديث قتادة « أنه بلغه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال هلال خير ورشد هلال خير ورشد آمنت بالذى خلقك ـ ثلاث مرات ـ » وأسنده الدارقطنى فى الأفراد والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس وقال أبو داود وليس فى هذا عن النبى صلى الله عليه وسلم حديث مسند صحيح (٤) حديث « اللهم إنى أسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم الحشر » أخرجه ابن أبى شيبة وأحمد فى مسنديهما من حديث عبادة بن الصامت وفيه من لم يسم بل قال الراوى عنه حدثنى من لا أتهم (٥) حديث « القول إذا هبت الريح : اللهم إنى أسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به » أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى فى اليوم والليلة من حديث أبى بن كعب (٦) حديث « القول إذا بلغه وفاة أحد إنا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه من المحسنين واجعل كتابه فى عليين واخلفه على عقبه فى الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله » أخرجه ابن السنى فى اليوم والليلة وابن حبان من حديث أم سلمة « إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل إنا لله وإنا إليه راجعون » ولمسلم من حديثها « اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المهديين واخلفه فى عقبه فى الغابرين واغفر لنا وله يارب العالمين وافسح له فى قبره ونور له فيه .

(٧) حديث « القول إذا سمع صوت الرعد : سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته » أخرجه مالك فى الموطأ عن عبد الله بن الزبير موقوفا ولم أجده مرفوعا . (٨) حديث « القول عند الصواعق : اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك » أخرجه الترمذى وقال غريب والنسائى فى اليوم والليلة من حديث ابن عمر وابن السنى بإسناد حسن .

(٩) حديث « القول عند المطر : اللهم سقيا هنيئا وصيبا نافعا » أخرجه البخارى من حديث عائشة « كان إذا رأى المطر قال : اللهم اجعله صيبا نافعا » وابن ماجه « سيبا » بالسين أوله والنسائى فى اليوم والليلة « اللهم اجعله صيبا هنيئا » وإسنادها صحيح

(١٠) حديث « اللهم اجعله صيب رحمة ولا تجعله صيب عذاب » أخرجه النسائى فى اليوم والليلة من حديث سعيد بن المسيب مرسلا .

وأجرنى من الشيطان الرجيم [١] » فإذا خفت قوما فقل « اللهم إنا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم [٢] » فإذا غزوت فقل « اللهم أنت عضدى ونصيرى وبك أقاتل [٣] » وإذا طنت أذنك فصل على محمد صلى الله عليه وسلم وقل « ذكر الله من ذكرنى بخير [٤] » فإذا رأيت استجابة دعائك فقل الحمد لله الذى بعزته وجلاله تتم الصالحات » وإذا أبطأت فقل « الحمد لله على كل حال [٥] » وإذا سمعت أذان المغرب فقل « اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لى [٦] » وإذا أصابك هم فقل « اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء غمى وذهاب حزنى وهمى [٧] » قال صلى الله عليه وسلم « ما أصاب أحداً حزن فقال ذلك إلا أذهب الله همه وأبدله مكانه فرحا فقيل له يا رسول الله أفلا نتعلمها ؟ فقال صلى الله عليه وسلم بل ينبغى لمن سمعها أن يتعلمها » وإذا وجدت وجعاً فى جسدك أو جسد غيرك فارقه برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا اشتكى الإنسان قرحة أو جرحا وضع سبابته على الأرض ثم رفعها وقال بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا [٨] » وإذا وجدت وجعاً فى جسدك فضع يدك على الذى يتألم من جسدك وقل « بسم الله - ثلاثا - وقل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر [٩] » فإذا أصابك كرب فقل « لا إله إلا الله العلى الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم [١٠] » فإن أردت النوم فتوضأ أولا ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة ثم كبر الله تعالى أربعا وثلاثين وسبحه ثلاثا وثلاثين واحمده ثلاثا وثلاثين [١١] » ثم قل « اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم إنى لا أستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثنيت على نفسك [١٢] اللهم باسمك أحيا وأموت [١٣] اللهم رب السموات ورب الأرض ورب كل شىء ومليكه فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل

---

(١) حديث « القول اذا غضب : اللهم اغفر ذنبى وأذهب غيظ قلبى وأجرنى من الشيطان الرجيم » أخرجه ابن السنى فى اليوم والليلة من حديث عائشة بسند ضعيف . (٢) حديث « القول اذا خاف قوما : اللهم انى أجعلك فى نحورهم وأعوذ بك من شرورهم » أخرجه أبو داود والنسائى فى اليوم والليلة من حديث أبى موسى بسند صحيح . (٣) حديث « القول اذا غزا : اللهم أنت عضدى ونصيرى بك أقاتل » أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث أنس قال الترمذى حسن غريب .

(٤) حديث « القول عند طنين الأذن : اللهم صل على محمد ذكر الله بخير من ذكرنى » أخرجه الطبرانى وابن عدى وابن السنى فى اليوم والليلة من حديث أبى رافع بسند ضعيف . (٥) حديث « القول اذا رأى استجابة دعائه : الحمد لله الذى بعزته تتم الصالحات » تقدم فى الدعاء . (٦) حديث « القول اذا سمع أذان المغرب : اللهم هذا إقبال ليلك وادبار نهارك وأصوات دعاتك وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لى » أخرجه الترمذى وأبو داود وقال غريب والحاكم من حديث أم سلمة دون قوله « وحضور صلواتك » فإنها عند الخرائطى فى مكارم الأخلاق والحسن بن على المعمرى فى اليوم والليلة . (٧) حديث « القول اذا أصابه هم : اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك .. الحديث » أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط مسلم ان سلم من ارسال عبد الرحمن عن أبيه فإنه مختلف فى سماعه من أبيه .

(٨) حديث « رقية رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا » متفق عليه من حديث عائشة . (٩) حديث « وضع يده على الذى يألم من جسده ويقول : بسم الله - ثلاثا - ويقول : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات » أخرجه مسلم من حديث عثمان بن أبى العاص . (١٠) حديث « دعاء الكرب لا اله الا الله العلى الحليم .. الحديث » متفق عليه من حديث ابن عباس . (١١) حديث « التكبير عند النوم أربعا وثلاثين والتسبيح ثلاثا وثلاثين والتحميد ثلاثا وثلاثين » متفق عليه من حديث على . (١٢) حديث « القول عند ارادة النوم : اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم لا أستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثنيت على نفسك » أخرجه النسائى فى اليوم والليلة من حديث على وفيه انقطاع . (١٣) حديث « اللهم باسمك أحيا وأموت » أخرجه البخارى من حديث حذيفة ومسلم من حديث البراء .

والقرآن أعوذ بك من شر كل ذى شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنى الدين وأغننى من الفقر [1] اللهم إنك خلقت نفسى وأنت تتوفاها لك مماتها ومحياها اللهم إن أمتها فاغفر لها وإن أحييتها فاحفظها اللهم إنى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة [2] باسمك ربى وضعت جنبى فاغفر لى ذنبى [3] اللهم قنى عذابك يوم تجمع عبادك [4] اللهم أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى إليك وفوضت أمرى إليك والجأت ظهرى إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت [5] » ويكون هذا آخر دعائك فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وليقل قبل ذلك « اللهم أيقظنى فى أحب الساعات إليك واستعملنى بأحب الأعمال إليك تقربنى إليك زلفى وتبعدنى من سخطك بعداً أسألك فتعطينى واستغفرك فتغفر لى وأدعوك فتستجيب لى [6] » فإذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل « الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور [7] أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله [8] أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين [9] اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير [10] اللهم إنى أسألك أن تبعثنا فى هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه سوءا أو نجره إلى مسلم فإنك قلت ﴿ وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ﴾ [11] اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه [12] بسم الله ماشاء الله لا قوة إلا بالله ماشاء الله

---

(١) حديث « اللهم رب السموات والأرض رب كل شيء ومليكه فالق الحب والنوى ... الحديث » الى قوله « وأغننا من الفقر » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة . (٢) حديث « اللهم أنت خلقت نفسى وأنت تتوفاها . الحديث » الى قوله « اللهم انى أسألك العافية » أخرجه مسلم من حديث ابن عمر . (٣) حديث « باسمك ربى وضعت جنبى فاغفر لى ذنبى » أخرجه النسائى فى اليوم والليلة من حديث عبد الله بن عمرو بسند جيد وللشيخين من حديث أبى هريرة « باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه ان أمسكت نفسى فاغفر لها » وقال البخارى « فارحمها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » .

(٤) حديث « اللهم قنى عذابك يوم تجمع عبادك » أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث ابن مسعود وهو عند أبى داود من حديث حفصة بلفظ « تبعث » وكذا رواه الترمذى من حديث حذيفة وصححه ومن حديث البراء وحسنه .

(٥) حديث « اللهم انى أسلمت نفسى إليك وفوضت أمرى إليك .. الحديث » متفق عليه من حديث البراء . (٦) حديث « اللهم أيقظنى فى أحب الساعات إليك واستعملنى فى أحب الأعمال إليك تقربنى إليك زلفى وتبعدنى من سخطك بعدا أسألك فتعطينى وأستغفرك فتغفر لى وأدعوك فتستجيب لى » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس « اللهم انى أسألك فى أحب الساعات إليك حتى تذكرك فتذكرنا وتسألك فتعطينا وتدعوك فتستجيب لنا وتستغفرك فتغفر لنا » وإسناده ضعيف وهو معروف من قول حبيب الطائى كما رواه ابن أبى الدنيا فى الدعاء . (٧) حديث « القول : إذا استيقظ من منامه الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور » أخرجه البخارى من حديث حذيفة ومسلم من حديث البراء . (٨) حديث « أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة أصبحنا وأصبح الملك والحمد والحول والقوة والقدرة والسلطان والسموات والأرض وكل شيء لله رب العالمين » وله فى الدعاء من حديث ابن أبى أوفى « أصبحت وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والليل والنهار وما سكن فيهما لله » وإسنادهما ضعيف ولمسلم من حديث ابن مسعود « أصبحنا وأصبح الملك لله » . (٩) حديث « أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين » أخرجه النسائى فى اليوم والليلة من حديث عبد الرحمن بن أبزى بسند صحيح ورواه أحمد من حديث ابن أبزى عن أبى بن كعب مرفوعا . (١٠) حديث « اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير » أخرجه أصحاب السنن وابن حبان وحسنه الترمذى إلا أنهم قالوا « وإليك النشور » ولابن السنى « وإليك المصير » . (١١) حديث « اللهم انا نسألك أن تبعثنا فى هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه سوءا أو نجره إلى مسلم . الحديث » لم أجد أوله والترمذى من حديث أبى بكر فى حديث له وأعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه وأن نقترف على أنفسنا سوءا أو نجره الى مسلم » رواه أبو داود من حديث أبى مالك الأشعرى بإسناد جيد . (١٢) حديث « اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس =

كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لايصرف السوء إلا الله [١] رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا - ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير [٢] - وإذا أمسى قال ذلك إلا أنه يقول « أمسينا » ويقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ماذرأ وبرأ ومن شر كل ذى شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إنّ ربى على صراط مستقيم [٣] وإذا نظر فى المرآة قال الحمد لله الذى سوّى خلقى فعدله وكرم صورة وجهى وحسنها وجعلنى من المسلمين [٤] وإذا اشتريت خادما أو غلاما أو دابة فخذ بناصيته وقل اللهم إنى أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ماجبل عليه [٥] وإذا هنأت بالنكاح فقل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير [٦] وإذا قضيت الدين فقل للمقضى له بارك الله لك فى أهلك ومالك إذ قال صلى الله عليه سلم « وإنما جزاء السلف الحمد والأداء [٧] » .

فهذه أدعية لايستغنى المريد عن حفظها وماسوى ذلك من أدعية السفر والصلاة والوضوء ذكرناها فى كتاب الحج والصلاة والطهارة * فإن قلت : فما فائدة الدعاء والقضاء لامرد له ؟ فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب

= والقمر حسبانا أسألك خير هذا اليوم وخير مافيه وأعوذ بك من شره وشر مافيه » قلت هو مركب من حديثين فروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى سعيد قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اقض عنى الدين وأغننى من الفقر وقوني على الجهاد فى سبيلك » وللدارقطنى فى الأفراد من حديث البراء « نسألك خير هذا اليوم وخير ما بعده ونعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده » وأبو داود من حديث أبى مالك الأشعرى « اللهم إنا نسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وهداه وبركته وأعوذ بك من شر مافيه وشر ما بعده » وسنده جيد وللحسن بن على المعمرى فى اليوم والليلة من حديث ابن مسعود « اللهم إني أسألك خير ما فى هذا اليوم وخير مابعده وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده » والحديث عند مسلم فى المساء « خير مافى هذه الليلة .. الحديث » ثم قال : وإذا أصبح قال ذلك أيضاً .

(١) حديث « بسم الله ماشاء الله لاقوة إلا بالله ماشاء الله كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لايصرف السوء إلا الله » عند فى الكامل من حديث ابن عباس ولا أعلمه إلا مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال يلتقى الخضر وإلياس عليهما الصلاة والسلام كل عام بالموسم بمنى فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه فيفترقان عن هذه الكلمات » فذكره ولم يقل « الخير كله بيد الله » قال موضعها « لايسوق الخير إلا الله » قال ابن عباس : من قالهن حين يصبح وحين يمسى أمنه الله من الغرق والحرق وأحسبه قال : ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب . أورده فى ترجمة الحسين بن زرين قال ليس بالمعروف وهو بهذا الإسناد منكر .

(٢) حديث « رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا » تقدم فى الباب الأول . (٣) حديث « القول عند المساء مثل الصباح الا أنك تقول : أمسينا وتقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ماذرأ وبرأ ومن شر كل ذى شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم » أخرجه أبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث عبد الرحمن بن عوف « من قال حين يصبح أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وبرأ وذرأ اعتصم من شر الثقلين ... الحديث » وفيه « وان قالهن حين يمسى كن له كذلك حتى يصبح » وفيه ابن لهيعة ولأحمد من حديث عبد الرحمن بن حسن فى حديث « ان جبريل قال يامحمد قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق وذرأ وبرأ ومن شر ماينزل من السماء ... الحديث » واسناده جيد ولمسلم من حديث أبى هريرة فى الدعاء عند النوم « أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها » وللطبرانى فى الدعاء من حديث أبى الدرداء « اللهم انى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة ... الخ الحديث » وقد تقدم فى الباب الثانى . (٤) حديث « القول اذا نظر فى المرآة : الحمد لله الذى سوى خلقى فعدله وكرم صورة وجهى وحسنها وجعلنى من المسلمين » أخرجه الطبرانى فى الأوسط وابن السنى فى اليوم والليلة من حديث أنس بسند ضعيف . (٥) حديث « القول اذا اشترى خادما أو دابة : اللهم انى أسألك خيره وخير ماجبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ماجبل عليه » أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند جيد . (٦) حديث « التهنئة بالنكاح : بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير » أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة قال الترمذى حسن صحيح .

(٧) حديث « الدعاء لصاحب الدين اذا قضى الله دينه : بارك الله لك فى أهلك ومالك انما جزاء السلف الحمد والأداء » أخرجه النسائى من حديث عبد الله بن أبى ربيعة قال « استقرض منى النبى صلى الله عليه وسلم أربعين ألفا فجاءه مال فدفعه الى » قال فذكره واسناده حسن .

لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما أن الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان . وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يحمل السلاح وقد قال تعالى ﴿ خذوا حذركم ﴾ وأن لا يسقى الأرض بعد بث البذر فيقال إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر وإن لم يسبق لم ينبت . بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذى هو كلمح البصر أو هو أقرب وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذى قدر الخير قدره بسبب . والذى قدر الشر قدر لدفعه سببا فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته . ثم فى الدعاء من الفائدة ما ذكرناه فى الذكر فإنه يستدعى حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الدعاء مخ العبادة [1] » والغالب على الخلق أنه لا تنصرف قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل إلا عند إلمام حاجة وإرهاق ملمة فإن الإنسان إذا مسه الشر فذو دعاء عريض . فالحاجة تحوج إلى الدعاء والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذى هو أشرف العبادات . ولذلك صار البلاء موكلا بالأنبياء عليهم السلام ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل لأنه يرد القلب بالافتقار والتضرع إلى الله عز وجل ويمنع من نسيانه وأما الغنى فسبب للبطر فى غالب الأمور فإن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى . فهذا ما أردنا أن نورده من جملة الأذكار والدعوات والله الموفق للخير . وأما بقية الدعوات فى الأكل والسفر وعيادة المريض وغيرها فستأتى فى مواضعها إن شاء الله تعالى وعلى الله التكلان . بحر كتاب الأذكار والدعوات ، بكماله . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب : الأوراد . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل

وهو الكتاب العاشر من إحياء علوم الدين

وبه اختتام ربع العبادات نفع الله به المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله على آلائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا يغادر فى القلب استكبارا ولا بطرا ونشكره إذ جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ونصلى على نبيه الذى بعثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى آله الطاهرين وصحبه الأكرمين الذين اجتهدوا فى عبادة الله غدوة وعشيا وبكرة وأصيلا حتى أصبح كل واحد منهم نجما فى الدين هاديا وسراجا منيرا .

أما بعد : فإن الله تعالى جعل الأرض ذلولا لعباده لا ليستقروا فى مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودوا منها زادا يحملهم فى سفرهم إلى أوطانهم ويكتنزون منها تحفا لنفوسهم عملا وفضلا محترزين من مصايدها ومعاطبها ويتحققون أن العمر يسير بهم سير السفينة براكبها . فالناس فى هذا العالم سفر وأول منازلهم المهد وآخرها اللحد والوطن هو الجنة أو النار . والعمر مسافة السفر ؛ فسنوه مراحله ، وشهوره فراسخه ، وأيامه أميالها وأنفاسه خطواته وطاعته بضاعته وأوقاته رءوس أمواله ، وشهواته وأغراضه قطاع طريقه ، وربحه الفوز بلقاء الله تعالى فى دار السلام مع الملك

---

(١) حديث « الدعاء مخ العبادة » تقدم فى الباب الأول

الكبير والمعيم المقيم ، وخسرانه البعد من الله تعالى مع الأنكال والأغلال والعذاب الأليم فى دركات الجحيم . فالغافل فى نفس من أنفاسه حتى يقضى فى غير طاعة تقربه إلى الله زلفى متعرض فى يوم التغابن لغبينة وحسرة مالها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر . ورتبوا بحسب تكرر الأوقات وظائف الأوراد حرصا على إحياء الليل والنهار فى طلب القرب من الملك الجبار والسعى إلى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول فى كيفية قسمة الأوراد وتوزيع العبادات التى سبق شرحها على مقادير الأوقات ويتضح هذا المهم بذكر بابين . (الباب الأول) فى فضيلة الأوراد وترتيبها فى الليل والنهار . (الباب الثانى) فى كيفية إحياء الليل وفضيلته وما يتعلق به .

الباب الأول : فى فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها

فضيلة الأوراد وبيان أن المواظبة عليها هى الطريق إلى الله تعالى

اعلم أن الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة إلا فى لقاء الله تعالى وأنه لاسبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد محبا لله تعالى وعارفا بالله سبحانه . وأن المحبة والأنس لا تحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه . وأن المعرفة به لاتحصل إلا بدوام الفكر فيه وفى صفاته وأفعاله وليس فى الوجود سوى الله تعالى وأفعاله . ولن يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لايتم إلا باستغراق أوقات الليل والنهار فى وظائف الأذكار والأفكار . والنفس لما حملت عليه من السآمة والملال لا تصبر على فن واحد من الأسباب المعينة على الذكر والفكر بل إذا ردت إلى نمط واحد أظهرت الملال والاستثقال وأن الله تعالى لا يمل حتى تملوا . فمن ضروره اللطف بها أن نروح بالتنقل من فن إلى فن ومن نوع إلى نوع بحسب كل وقت لتغتر بالانتقال لذتها وتعظم باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الأوراد قسمة مختلفة فالذكر والفكر ينبغى أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثرها فإن النفس بطبعها مائلة إلى ملاذ الدنيا . فإن صرف العبد شطر أوقاته إلى تدبيرات الدنيا وشهواتها المباحة مثلا والشطر الآخر إلى العبادات رجح جانب الميل إلى الدنيا لموافقتها الطبع إذ يكون الوقت متساويا ؛ فأنى يتقاومان والطبع لأحدهما مرجح إذ الظاهر والباطن يتساعدان على أمور الدنيا ويصفو فى طلبها القلب ويتجرد . وأما الرد إلى العبادات فمتكلف ولايسلم إخلاص القلب فيه وحضوره إلا فى بعض الأوقات فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقاته فى الطاعة . ومن أراد أن تترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب فى الطاعة أكثر أوقاته فإن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فأمره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله تعالى أن يغفر له بجوده وكرمه ؛ فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة ؛ فإن لم تكن من أهله فانظر إلى خطاب الله تعالى لرسوله واقتبسه بنور الإيمان فقد قال الله تعالى لأقرب عباده إليه وأرفعهم درجة لديه ﴿ إن لك فى النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا ﴾ وقال تعالى ﴿ واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ﴾ وقال تعالى ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود ﴾ وقال سبحانه ﴿ وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم ﴾ وقال تعالى ﴿ إن ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا ﴾ وقال تعالى ﴿ ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ﴾ وقال عز وجل ﴿ وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم فقال تعالى ﴿ أمن هو قانت

آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون) وقال تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا) وقال عزوجل (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) وقال عزوجل (كانوا قليلا من الليل مايهجعون وبالأسحار هم يستغفرون) وقال عزوجل (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) وقال تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) فهذا كله يبين لك أن الطريق إلى تعالى مراقبة الأوقات وعمارتها بالأوراد على سبيل الدوام . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أحب عباد الله إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر والأظلة لذكر الله تعالى [1] » وقد قال تعالى (الشمس والقمر بحسبان) وقال تعالى (ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا) وقال تعالى (والقمر قدرناه منازل) وقال تعالى (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) فلا تظنن أن المقصود من سير الشمس والقمر بحسبان منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم أن يستعان بها على أمور الدنيا بل لتعرف بها مقادير الأوقات فتشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الآخرة يدلك عليه قوله تعالى (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا) أى يخلف أحدهما الآخر ليتدارك فى أحدهما مافات فى الآخر وبين أن ذلك للذكر والشكر لاغير . وقال تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب) وإنما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة ونسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه .

بيان أعداد الأوراد وترتيبها

اعلم أن أوراد النهار سبعة : فما بين طلوع الصبح إلى طلوع قرص الشمس ورد ، وما بين طلوع الشمس إلى الزوال ورداں ، وما بين الزوال إلى وقت العصر وردان ، وما بين العصر إلى المغرب وردان . والليل ينقسم إلى أربعة أوراد . ورداں من المغرب إلى وقت نوم الناس ، ووردان من النصف الأخير من الليل إلى طلوع الفجر . فلنذكر فضيلة كل ورد ووظيفته وما يتعلق به .

فالورد الأوّل : مابين طلوع الصبح إلى طلوع الشمس وهو وقت شريف ويدل على شرفه وفضله إقسام الله تعالى به إذ قال (والصبح إذا تنفس) وتمدحه به إذ قال (فالق الإصباح) وقال تعالى (قل أعوذ برب الفلق) وإظهاره القدرة بقبض الظل فيه إذ قال تعالى (ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً) وهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس وإرشاده الناس إلى التسبيح فيه بقوله تعالى (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) وبقوله تعالى (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) وقوله عز وجل (ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى) وقوله تعالى (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) .

فأما ترتيبه : فليأخذ من وقت انتباهه من النوم فإذا انتبه فينبغى أن يبتدئ بذكر الله تعالى فيقول الحمد لله الذى أحيانا بعد ماأماتنا وإليه النشور إلى آخر الأدعية والآيات التى ذكرناها فى دعاء الاستيقاظ من كتاب الدعوات

كتاب الأوراد وفضل إحياء الليل

الباب الأوّل فى فضيلة الأوراد

(١) حديث «أحب عباد الله إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر والأهلة لذكر الله» أخرجه الطبرانى والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث ابن أبى أوفى بلفظ « خيار عباد الله »

وليلبس ثوبه وهو فى الدعاء وينوى به ستر عورته امتثالا لأمر الله تعالى واستعانة به على عبادته من غير قصد رياء ولا رعونة ثم يتوجه إلى بيت الماء إن كان به حاجة إلى بيت الماء ويدخل أولا رجله اليسرى ويدعو بالأدعية التى ذكرناها فيه فى كتاب الطهارة عند الدخول والخروج . ثم يستاك على السنة ـ كما سبق ـ ويتوضأ مراعياً لجميع السنن والأدعية التى ذكرناها فى الطهارة فإنا إنما قدمنا آحاد العبادات لكى ندكر فى هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط . فإذا فرغ من الوضوء صلى ركعتى الفجر أعنى السنة فى منزله [1] كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرأ بعد الركعتين سواء أداهما فى البيت أو المسجد الدعاء الذى رواه ابن عباس رضى الله عنهما ويقول « اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى إلا آخر الدعاء ... [2] » ثم يخرج من البيت متوجهاً إلى المسجد ولا ينسى دعاء الخروج إلى المسجد ولا يسعى إلى الصلاة سعياً بل يمشى وعليه السكينة والوقار [3] كما ورد به الخبر ولا يشبك بين أصابعه . ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو بالدعاء المأثور لدخول المسجد [4] ثم يطلب من المسجد الصف الأول إن وجد متسعا ولا يتخطى رقاب الناس ولا يزاحم ـ كما سبق ذكره فى كتاب الجمعة ـ ثم يصلى ركعتى الفجر إن لم يكن صلاهما فى البيت ويشتغل بالدعاء المذكور بعدهما. وإن كان قد صلى ركعتى الفجر صلى ركعتى التحية وجلس منتظراً للجماعة . والأحب التغليس بالجماعة فقد كان صلى الله عليه وسلم يغلس بالصبح [5] ولا ينبغى أن يدع الجماعة فى الصلاة عامة وفى الصبح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل . فقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فى صلاة الصبح « من توضأ ثم توجه إلى المسجد ليصلى فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئة والحسنة بعشر أمثالها ، فإذا صلى ثم انصراف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة فى جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فإن جلس حتى يركع الضحى كتب له بكل ركعة ألفا ألف حسنة ، ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة [6] » وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر. قال رجل من التابعين « دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فلقيت أبا هريرة فسبقنى فقال لى : يا ابن أخى لأى شىء خرجت من منزلك فى هذه الساعة ؟ فقلت : لصلاة الغداة فقال : أبشر فإنا كنا نعد خروجنا وقعودنا فى المسجد فى هذه الساعة بمنزلة غزوة فى سبيل الله تعالى [7] ـ أو قال ـ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة رضى الله عنهما وهما نائمان فقال : ألا تصليان قال على : فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله تعالى فإذا شاء أن يبعثها بعثها فانصرف صلى الله عليه وسلم فسمعته وهو منصرف يضرب فخذه ويقول : وكان الإنسان أكثر شىء جدلا [8] . ثم ينبغى أن يشتغل بعد ركعتى الفجر ودعائه بالاستغفار والتسبيح إلى أن تقام الصلاة فيقول : أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه سبعين مرة

---

(١) حديث « صلاة ركعتى الصبح فى المنزل » متفق عليه من حديث حفصة . (٢ حديث « الدعاء بعد ركعتى الصبح : اللهم إنى أسألك رحمة من عندك . الحديث » تقدم . (٣) حديث « المشى إلى الصلاة وعليه السكينة » متفق عليه من حديث أبى هريرة . (٤) حديث « الدعاء المأثور لدخول المسجد » تقدم فى الباب الخامس من الأذكار . (٥) حديث « التغليس فى الصبح » متفق عليه من حديث عائشة . (٦) حديث « أنس فى صلاة الصبح : من توضأ ثم توجه إلى المسجد ليصلى فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئة والحسنة بعشر أمثالها وإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة فى جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فإن جلس حتى يركع كتب له بكل ركعة ألفا ألف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بحجة مبرورة » لم أجد له أصلا بهذا السياق وفى شعب الإيمان للبيهقى من حديث أنس بسند ضعيف « ومن صلى المغرب فى جماعة كان له كحجة مبرورة وعمرة متقبلة » (٧) حديث أبى هريرة « كنا نعد خروجنا وقعودنا فى المجلس فى هذه الساعة بمنزلة غزوة فى سبيل الله » لم أقف له على أصل . (٨) حديث على « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة وهما نائمان فقال ألا تصليان قال على : فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله ... الحديث » متفق عليه .

وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة » ثم يصلى الفريضة مراعيا جميع ماذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة فى الصلاة والقدوه . فإذا فرغ منها قعد فى المسجد إلى طلوع الشمس فى ذكر الله تعالى كما سنرتبه فقد قال صلى الله عليه وسلم « لأن أقعد فى مجلسى أذكر الله تعالى فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب [1] » وروى « أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى الغداة قعد فى مصلاه حتى تطلع الشمس - وفى بعضها - ويصلى ركعتين [2] » أى بعد الطلوع وقدورد فى فضل ذلك مالايحصى . وروى الحسن « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكره من رحمة ربه يقول إنه قال : ياابن آدم اذكرنى بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك مابينهما [3] » وإذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم إلى طلوع الشمس بل ينبغى أن تكون وظيفته إلى الطلوع أربعة أنواع أدعية وأذكار ويكررها فى سبحة وقراءة قرآن وتفكر . أما الأدعية : فكلما يفرغ من صلاته فليبدأ وليقل « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام » ثم يفتتح الدعاء بما كان يفتتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله « سبحان ربى العلى الأعلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون [4] » ثم يبدأ بالأدعية التى أوردناها فى الباب الثالث والرابع من كتاب الأدعية فيدعو بجميعها إن قدر عليه أو يحفظ من جملتها مايراه أوفق بحاله وأرق لقلبه وأخف على لسانه .

وأما الأذكار المكررة فهى كلمات ورد فى تكرارها فضائل لم نطول بإيرادها وأقل ما ينبغى أن يكرر كل واحد منها ثلاثا أو سبعاً وأكثره مائة أوسبعون وأوسطه عشر . فليكررها بقدر فراغة وسعة وقته وفضل الأكثر أكثر . والأوسط الأقصد أن يكررها عشر مرات فهو أجدر بأن يدوم عليه وخير الأمور أدومها وإن قل . وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع المداومة أفضل وأشد تأثيرا فى القلب مع كثيرها مع الفترة . ومثال القليل الدائم كقطرات ماء تتقاطر على الأرض على التوالى فتحدث فيها حفيرة ولو وقع ذلك على الحجر . ومثال الكثير المتفرق ماء يصب دفعة أو دفعات متفرقة متباعدة الأوقات فلا يبين لها أثر ظاهر وهذه الكلمات عشرة (الأولى) قوله : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير [5] (الثانية) قوله : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله

---

(١) حديث « لأن أقعد فى مجلس أذكر الله فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب » أخرجه أبو داود من حديث أنس وتقدم فى الباب الثالث من العلم . (٢) حديث « كان إذا صلى الغداة قعد فى مصلاه حتى تطلع الشمس وفى بعضها ويصلى ركعتين أى بعد الطلوع » أخرجه مسلم من حديث جابر بن سمرة دون ذكر الركعتين والترمذى من حديث أنس وحسنه « من صلى الفجر فى جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة » . (٣) حديث الحسن « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكر من رحمة ربه أنه قال : ياابن آدم اذكرنى من بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك مابينهما » أخرجه ابن المبارك فى الزهد هكذا مرسلا . (٤) حديث « كان يفتتح الدعاء بسبحان ربى العلى الأعلى الوهاب » تقدم . (٥) حديث « الفضل فى تكرار لاإله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير » تقدم من حديث أبى أيوب تكرارها عشرا دون قوله « يحيى ويميت وهو حى لايموت بيده الخير » فإنها فى اليوم والليلة للنسائى من حديث أبى ذر دون قوله « وهو حى لايموت » وهى كلها عند البزار من حديث عبد الرحمن بن عوف فيما يقال عند الصباح والمساء وتقدم تكرارها مائة ومائتين وللطبرانى الدعاء من حديث عبد الله بن عمر وتكرارها ألف مرة وإسناده ضعيف .

العلى العظيم [١] (الثالثة) قوله : سبوح قدوس رب الملائكة والروح [٢] . (الرابعة) قوله : سبحان الله العظيم وبحمده [٣] (الخامسة) قوله : أستغفر الله العظيم الذى لاإله إلاهو الحى القيوم وأسأله التوبة [٤] (السادسة) قوله : اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد [٥] (السابعة) قوله : لا إله إلا الله الملك الحق المبين [٦] (الثامنة) قوله : بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم [٧] (التاسعة) اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم [٨] (العاشرة) قوله : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون [٩] فهذه العشر كلمات إذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة مرة « فهو أفضل من أن يكرر ذكرا واحدا مائة مرة » لأن لكل واحدة من هؤلاء الكلمات فضلا على حياله وللقلب بكل واحد نوع تنبه وتلذذ وللنفس فى الانتقال من كلمة إلى كلمة نوع استراحة وأمن من الملل . وأما القراءة فيستحب له قراءة جملة من الآيات

---

(١) حديث « الفضل فى تكرار : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولاحول ولاقوة إلا بالله » أخرجه النسائى فى اليوم والليلة وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبى سعيد الخدرى « استكثروا من الباقيات الصالحات » فذكرها

(٢) حديث « تكرار : سبوح قدوس رب الملائكة والروح » لم أجد ذكرها مكررة ولكن عند مسلم من حديث عائشة « أنه صلى الله عليه وسلم كان يقولها فى ركوعه وسجوده » وقد تقدم ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث البراء « أكثر من أن تقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح » . (٣) حديث « تكرار : سبحان الله وبحمده » متفق عليه من حديث أبى هريرة « من قال ذلك فى يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر » . (٤) حديث « تكرار أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأسأله التوبة » أخرجه المستغفرى فى الدعوات من حديث معاذ « أن من قالها بعد الفجر وبعد العصر ثلاث مرات كفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر » ولفظه « وأتوب اليه » وفيه ضعف وهكذا رواه الترمذى من حديث أبى سعيد فى قولها « ثلاثا » وللبخارى من حديث أبى هريرة « انى لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة » ولم يقل الطبرانى « أكثر » ولمسلم من حديث الأعرابى « لأستغفر الله فى كل يوم مائة مرة » تقدمت هذه الأحاديث فى الباب الثانى من الأذكار . (٥) حديث « تكرار . اللهم لامانع لما أعطيت ولامعطى لما منعت ولاينفع ذا الجد منك الجد » لم أجد تكرارها فى حديث وانما وردت مطلقة عقب الصلوات وفى الرفع من الركوع . (٦) حديث « تكرار : لااله الا الله الملك الحق المبين » أخرجه المستغفرى فى الدعوات والخطيب فى الرواة عن مالك من حديث على « من قالها فى يوم مائة مرة كان له أمان من الفقر وأمان من وحشة القبر واستجاب به العمى واستقرع باب الجنة » وفيه الفضل بن غانم ضعيف ولأبى نعيم فى الحلية « من قال ذلك فى كل يوم وليلة مائتى مرة لم يسأل الله فيهما حاجة الا قضاها » وفيه سليم الخواص ضعيف وقال فيه : أظنه عن على . (٧) حديث « تكرار : بسم الله الذى لايضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم » أخرجه أصحاب السنن وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عثمان « من قال ذلك ثلاث مرات حين يمسى لم يصبه فجأة بلاء حتى يصبح ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم يصبه فجأة بلاء حتى يمسى » قال الترمذى حسن صحيح غريب .

(٨) حديث « تكرار : اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمى وعلى آل محمد » ذكره أبو القاسم محمد بن عبد الواحد الدافقى فى فضائل القرآن من حديث ابن أبي أوفى « من أراد أن يموت فى السماء الرابعة فليقل كل يوم ثلاث مرات » فذكره وهو منكر . قلت : ورد التكرار عند الصباح والمساء من غير تسمية لهذه الصفة رواه الطبرانى من حديث أبى الدرداء بلفظ « من صلى على حين يصبح عشرا وحين يمسى عشرا أدركته شفاعتى يوم القيامة » وفيه انقطاع .

(٩) حديث « تكرار : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم أعوذ بالله من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون » أخرجه الترمذى من حديث معقل بن يسار « من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك .. الحديث » ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة وقال حسن غريب ولابن أبى الدنيا من حديث أنس مثل حديث مقطوع قبله « من قالها حين يصبح عشر مرات أجير من الشيطان الى الصبح ... الحديث » ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث عائشة « ألا أعلمك ياخالد كلمات تقولها ثلاث مرات قل : أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون » والحديث عند أبى داود والترمذى وحسنه والحاكم وصححه فيما يقال عند الفزع دون تكرارها ثلاثا من حديث عبد الله بن عمرو .

وردت الأخبار بفضلها وهو أن يقرأ سورة الحمد [١] وآية الكرسي [٢] وخاتمة البقرة [٣] من قوله آمن الرسول وشهد الله [٤] وقل اللهم مالك الملك الآيتين [٥] وقوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها [٦] وقوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق إلى آخرها [٧] وقوله سبحانه الحمد لله لم يتخذ ولدا [٨] الآية وخمس آيات من أول الحديد [٩] وثلاثا من آخر سورة الحشر [١٠] وإن قرأ المسبعات العشر التي أهداها الخضر عليه السلام إلى إبراهيم التيمي رحمه الله ووصاه أن يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة جملة الأدعية المذكورة . فقد روى عن كرز بن وبرة رحمه الله وكان من الأبدال قال « أتاني أخ لي من أهل الشام فأهدى لي هدية وقال : يا كرز اقبل مني هذه الهدية فإنها نعمت الهدية » فقلت : يا أخي ومن أهدى لك هذه الهدية ؟ قال : أعطانيها إبراهيم التيمي ، قلت أفلم تسأل إبراهيم من أعطاه إياها ؟ قال : كنت جالسا في فناء الكعبة وأنا في التهليل والتسبيح والتحميد والتمجيد فجاءني رجل فسلم علي وجلس عن يميني فلم أر في زماني أحسن منه وجها ولا أحسن منه ثيابا ولا أشد بياضا ولا أطيب ريحا منه فقلت يا عبد الله من أنت ومن أين جئت ؟ فقال : أنا الخضر ، فقلت : في أي شيء جئتني ؟ فقال : جئتك للسلام عليك وحبا لك في الله وعندي هدية أريد أن أهديها لك فقلت : ماهي ؟ قال : أن تقول

---

(١) حديث « فضل سورة الحمد » أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد بن المعلى أنها أعظم السور في القرآن ومسلم من حديث ابن عباس « في الملك الذي نزل الى الأرض وقال للنبي صلى الله عليه وسلم أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة ، لم تقرأ بحرف منها إلا أعطيته » . (٢) حديث « فضل آية الكرسي » أخرجه مسلم من حديث أبي بن كعب « يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قلت : الله لا إله إلا هو الحي القيوم ... الحديث » والبخاري من حديث أبي هريرة في توكيله بحفظ تمر الصدقة ومجيء الشيطان إليه وقوله « إذا آويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ... الحديث » وفيه « فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إنه قد صدقك وهو كذوب » . (٣) حديث « فضل خاتمة البقرة » متفق عليه من حديث أبي مسعود « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه » وتقدم حديث ابن عباس قبله بحديث

(٤) حديث « فضل » شهد الله » أخرجه أبو الشيخ وابن حبان في كتاب الثواب من حديث ابن مسعود « من قرأ شهد الله — إلى قوله — الإسلام ثم قال وأنا أشهد على ما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عنده وديعة جيء به يوم القيامة فقيل له عبدي هذا عهد إلي عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة » وفيه عمر بن المختار روى الأباطيل قاله ابن عدي وسيأتي حديث علي بعده

(٥) حديث « فضل : قل اللهم مالك الملك الآيتين » أخرجه المستغفري في الدعوات من حديث علي « أن فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران شهد الله إلى قوله الإسلام وقل اللهم مالك الملك إلى قوله بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله حجاب .. الحديث » وفيه « فقال الله لا يقرأ كن أحد من عبادي دبر كل صلاة إلا حملت الجنة مثواه ... الحديث » وفيه الحارث ابن عمير وفي ترجمته ذكره ابن حبان في الضعفاء وقال موضوع لا أصل له والحارث يروي عن الأثبات الموضوعات . قلت : وثقه حماد بن زيد وابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي وروى له البخاري تعليقا . (٦) حديث « فضل : لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها أخرجه الطبراني في الدعاء من حديث أنس بسند ضعيف « علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحترز به من كل شيطان رجيم ومن كل جبار عنيد » وذكر حديثا وفي آخره « فقل حسبي الله إلى آخر السورة » وذكر أبو القاسم الدافقي في فضائل القرآن في رغائب القرآن لعبد الملك بن حبيب من رواية محمد بن بكار « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من لزم قراءة لقد جاءكم رسول من أنفسكم ... إلى آخر السورة — لم يمت هدما ولا غرقا ولا حرقا ولا صرما بحديدة » وهو ضعيف .

(٧) حديث « فضل : لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق » لم أجد فيه حديثا يخصها ، لكن في فضل سورة الفتح ما رواه أبو الشيخ في كتاب من حديث أبي بن كعب « من قرأ سورة الفتح فكأنما شهد فتح مكة مع النبي صلى الله عليه وسلم » وهو حديث موضوع . (٨) حديث « فضل : الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا .. الآية » أخرجه أحمد والطبراني من حديث معاذ بن أنس « آية العز : الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ... الآية كلها » وإسناده ضعيف . (٩) حديث « فضل : خمس آيات من أول الحديد » ذكر أبو القاسم الدافقي في فضائل القرآن من حديث علي « إذا أردت أن تسأل الله حاجة فاقرأ خمس آيات من أول سورة الحديد إلى قوله — عليم بذات الصدور — ومن آخر سورة الحشر من قوله — لو أنزلنا هذا القرآن على جبل — إلى آخر السورة ثم تقول يا من هو كذا افعل بي كذا وتدعو بما تريد . (١٠) حديث « فضل ثلاث آيات من آخر سورة الحشر » أخرجه الترمذي من حديث معقل بن يسار وقد تقدم قبل هذا وللبيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة بسند ضعيف « من قرأ خواتيم سورة الحشر في ليل أو نهار فمات من يومه أو ليلته فقد أوجب الله له الجنة » .

قبل طلوع الشمس وقبل انبساطها على الأرض وقبل الغروب سورة الحمد وقل أعوذ برب الناس وقل أعوذ برب الفلق وقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون وآية الكرسى كل واحدة سبع مرات وتقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبعا وتصلى على النبي صلى الله عليه وسلم سبعا وتستغفر لنفسك ولوالديك وللمؤمنين والمؤمنات سبعا وتقول : اللهم افعل بى وبهم عاجلا وآجلا فى الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يامولانا ما نحن له أهل إنك غفور حليم جواد كريم رءوف رحيم سبع مرات وانظر أن لاتدع ذلك غدوة وعشية فقلت : أحب أن تخبرنى من أعطاك هذه العطية العظيمة ؟ فقال : أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم[1] فقلت : أخبرنى بثواب ذلك ؟ فقال : إذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فاسأله عن ثوابه فإنه يخبرك بذلك ، فذكر إبراهيم التيمى : أنه رأى ذات يوم فى منامه كأن الملائكة جاءته فاحتملته حتى أدخلوه الجنة فرأى ما فيها ووصف أمورا عظيمة مما رآه فى الجنة قال . فسألت الملائكة فقلت : لمن هذا ؟ فقالوا : للذى يعمل مثل عملك وذكر أنه أكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال : فأتانى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب فسلم على وأخذ بيدى فقلت : يا رسول الله الخضر أخبرنى أنه سمع منك هذا الحديث فقال : صدق الخضر صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم أهل الأرض وهو رئيس الأبدال وهو من جنود الله تعالى فى الأرض فقلت يا رسول الله فمن فعل هذا أو عمله ولم ير مثل الذى رأيت فى منامى هل يعطى شيئاً مما أعطيته ؟ فقال والذى بعثنى بالحق نبيا إنه ليعطى العامل بهذا وإن لم يرنى ولم ير الجنة إنه ليغفر له جميع الكبائر التى عملها ويرفع الله تعالى عنه غضبه ومقته ويأمر صاحب الشمال أن لا يكتب عليه خطيئة من السيئات إلى سنة والذى بعثنى بالحق نبيا ما يعمل بهذا إلا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه إلا من خلقه الله شقيا ، وكان إبراهيم التيمى يمكث أربعة أشهر لم يطعم ولم يشرب فلعله كان بعد هذه الرؤيا . فهذه وظيفة القراءة ؛ فإن أضاف إليها شيئا مما انتهى إليه ورده من القرآن أو اقتصر عليه فهو حسن فإن القرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر كما ذكرنا فضله وآدابه فى باب التلاوة . وأما الأفكار : فليكن ذلك إحدى وظائفه ـ وسيأتى تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته فى كتاب التفكر من ربع المنجيات ـ ولكن مجامعه ترجع إلى فنين ؛ أحدهما : أن يتفكر فيما ينفعه من المعاملة بأن يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ويرتب وظائفه فى يومه الذى بين يديه ويدبر فى دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق إليه الخلل من أعماله ليصلحه ويحضر فى قلبه النيات الصالحة من أعماله فى نفسه وفى معاملته المسلمين. والفن الثانى : فيما ينفعه فى علم المكاشفة وذلك بأن يتفكر مرة فى نعم الله تعالى وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها أو فى عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الإله واستغنائه ويزيد خوفه منها . ولكل واحد من هذه الأمور شعب كثيرة يتسع التفكر فيها على بعض الخلق دون البعض وإنما يستقصى ذلك فى كتاب التفكر . ومهما تيسر الفكر فهو أشرف العبادات إذ فيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة أمرين ، أحدهما : زيادة المعرفة إذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف . والثانى : زيادة المحبة إذ لا يحب القلب إلا من اعتقد تعظيمه ولا تنكشف عظمة الله سبحانه وجلاله إلا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب أفعاله . فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة . والذكر أيضا يورث الأنس وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التى سببها المعرفة

(١) حديث كرز بن وبرة من أهل الشام عن إبراهيم التيمى « أن الخضر علمه المسبعات العشرة » وقال فى آخرها « أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم » ليس له أصل ولم يصح فى حديث قط اجتماع الخضر بالنبى صلى الله عليه وسلم ولا عدم اجتماعه ولا حياته ولا موته .

أقوى وأثبت وأعظم ونسبة محبة العارف إلى أنس الذاكر من غير تمام الاستبصار كنسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين واطلع على حسن أخلاقه وأفعاله وفضائله وخصاله الحميدة بالتجربة إلى أنس من كرر على سمعه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن فى الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما فليس محبته له كمحبة المشاهد وليس الخبر كالمعاينة . فالعباد المواظبون على ذكر الله بالقلب واللسان الذين يصدقون بما جاءت به الرسل بالإيمان التقليدى ليس معهم من محاسن صفات الله تعالى إلا أمور جملة اعتقدوها بتصديق عن وصفها لهم . والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة الباطنة التى هى أقوى من البصر الظاهر لأن أحدا لم يحط بكنه جلاله وجماله فإن ذلك غير مقدور لأحد من الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر مارفع له من الحجاب ولا نهاية لجمال حضرة الربوبية ولا لحجبها . وإنما عدد حجبها التى استحقت أن تسمى نورا وكاد يظن الواصل إليها أنه قد تم وصوله إلى الأصل سبعون حجابا . قال صلى الله عليه وسلم « إن لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ماأدرك بصره [1] » وتلك الحجب أيضا مترتبة وتلك الأنوار متفاوتة فى الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب ويبدو فى الأول أصغرها ثم ما يليه وعليه أول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لإبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم فى ترقيه وقال ﴿فلما جن عليه الليل﴾ أى أظلم عليه الأمر ﴿رأى كوكبا﴾ أى وصل إلى حجاب من حجب النور فعبر عنه بالكوكب وماأريد به هذه الأجسام المضيئة فإن آحاد العوام لايخفى عليهم أن الربوبية لاتليق بالأجسام بل يدركون ذلك بأوائل نظرهم فما لايضل العوام لايضل الخليل عليه السلام . والحجب المسماة أنوارا ماأريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل أريد بها ماأريد بقوله تعالى ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾ الآية ولنتجاوز هذه المعانى فإنها خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل إلى حقائقها إلا الكشف التابع للفكر الصافى وقل من ينفتح له بابه والمتيسر على جماهير الخلائق الفكر فيما يفيد فى علم المعاملة وذلك أيضا مما تغزر فائدته ويعظم نفعه . فهذه الوظائف الأربعة أعنى : الدعاء والذكر والقراءة والفكر ، ينبغى أن تكون وظيفة المريد بعد صلاة الصبح بل فى كل ورد بعد الفراغ من وظيفة الصلاة فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الأربع ، ويقوى على ذلك بأن يأخذ سلاحه وجنته والصوم هو الجنة التى تضيق مجارى الشيطان المعادى الصارف له عن سبيل الرشاد .

وليس بعد طلوع الصبح صلاة سوى ركعتى الفجر وفرض الصبح إلى طلوع الشمس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم يشتغلون فى هذا الوقت بالأذكار [2] وهو الأولى إلى أن يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع إلا بالصلاة فلو صلى لذلك فلا بأس به .

الورد الثانى : مابين طلوع الشمس إلى ضحوة النهار وأعنى بالضحوة منتصف مابين طلوع الشمس إلى الزوال وذلك بمضى ثلاث ساعات من النهار إذا فرض النهار اثنتى عشرة ساعة وهو الربع . وفى هذا الربع من النهار وظيفتان زائدتان ؛ إحداهما : صلاة الضحى ـ وقد ذكرناها فى كتاب الصلاة ـ وأن الأولى أن يصلى ركعتين عند الإشراق وذلك إذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر نصف رمح ويصلى أربعا أوستا أوثمانيا إذا رمضت الفصال وضحيت الأقدام بحر الشمس . فوقت الركعتين هو الذى أراد الله تعالى بقوله ﴿يسبحن بالعشى والإشراق﴾ فإنه وقت إشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازات البخارات والغبارات التى على وجه الأرض

(١) حديث « إن لله سبعين حجابا من نور ... الحديث » تقدم فى قواعد العقائد .

(٢) حديث « اشتغاله بالأذكار من الصبح إلى طلوع الشمس » تقدم حديث جابر بن سمرة عند مسلم فى جلوسه صلى الله عليه وسلم إذا صلى الفجر فى مجلسه حتى تطلع الشمس وليس فيه ذكر اشتغاله بالذكر وإنما هو من قوله عما تقدم من حديث أنس .

فإنها تمنع إشراقها التام ، ووقت الركعات الأربع هو الضحى الأعلى الذى أقسم الله تعالى به فقال ﴿ والضحى والليل إذا سجى ﴾ « وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يصلون عند الإشراق فنادى بأعلى صوته : ألا إن صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال [1] » فلذلك نقول إذا كان يقتصر على مرة واحدة فى الصلاة فهذا الوقت أفضل لصلاة الضحى وإن كان أصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفى وقتى الكراهة وهو ما بين ارتفاع الشمس بطلوع نصف رمح بالتقريب إلى ما قبل الزوال فى ساعة الاستواء . واسم الضحى ينطلق على الكل وكأن ركعتى الإشراق تقع فى مبتدأ وقت الإذن فى الصلاة وانقضاء الكراهة إذ قال صلى الله عليه وسلم « إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فإذا ارتفعت فارقها [2] » فأقل ارتفاعها أن ترتفع عن بخارات الأرض وغبارها وهذا يراعى بالتقريب .

الوظيفة الثانية فى هذا الوقت : الخيرات المتعلقة بالناس التى جرت بها العادات بكرة من عيادة مريض وتشييع جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور مجلس علم وما يجرى مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها . فإن لم يكن شىء من ذلك عاد إلى الوظائف الأربع ـ التى قدمناها من الأدعية والذكر والقراءة والفكر والصلوات ـ المتطوع بها إن شاء فإنها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست مكروهة الآن . فتصير الصلاة قسما خامسا من جملة وظائف هذا الوقت لمن أراده أما بعد فريضة الصبح فتكره كل صلاة لا سبب لها . وبعد الصبح الأحب أن يقتصر على ركعتى الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلاة بل بالأذكار والقراءة والدعاء والفكر .

الورد الثالث : من ضحوة النهار إلى الزوال ونعنى بالضحوة المنتصف وما قبله بقليل ، وإن كان بعد كل ثلاث ساعات أمر بصلاة فإذا انقضى ثلاث ساعات بعد الطلوع فعندها وقبل مضيها صلاة الضحى . فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالظهر . فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالعصر . فإذا مضت ثلاث أخرى فالمغرب . ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والغروب ، إلا أن الضحى لم تعرض لأنه وقت انكباب الناس على أشغالهم فخفف عنهم . الوظيفة الرابعة : فى هذا الوقت الأقسام الأربعة ، وزيد أمران : أحدهما ؟ الاشتغال بالكسب وتدبير المعيشة وحضور السوق فإن كان تاجراً فينبغى أن يتجر بصدق وأمانة وإن كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة ولا ينسى ذكر الله تعالى فى جميع أشغاله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على أن يكتسب فى كل يوم لقوته . فإذا حصل كفاية يومه فليرجع إلى بيت ربه وليتزود لآخرته فإن الحاجة إلى زاد الآخرة أشد والتمتع به أدوم فاشتغاله بكسبه أهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت . فقد قيل : لا يوجد المؤمن إلا فى ثلاث مواطن مسجد يعمره أو بيت يستره أو حاجة لابد له منها . وقل من يعرف القدر فيما لابد منه بل أكثر الناس يقدرون فيما عنه بد أنه لابد لهم منه وذلك لأن الشيطان يعدهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء فيصغون إليه ويجمعون مالا يأكلون خيفة الفقر والله يعدهم مغفرة منه وفضلا فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه . الأمر الثانى : القيلولة وهى سنة يستعان بها على قيام الليل كما أن التسحر سنة يستعان به على صيام النهار . فإن كان لا يقوم بالليل لكن لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما خالط أهل الغفلة وتحدث معهم فالنوم أحب له إذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع إلى الأذكار والوظائف المذكورة إذ فى النوم الصمت والسلامة ، وقد قال بعضهم : يأتى على الناس زمان الصمت والنوم فيه أفضل أعمالهم . وكم من عابد أحسن أحواله النوم وذلك إذا كان يرائى بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالغافل

---

(١) حديث « خرج على أصحابه وهم يصلون عند الإشراق فنادى بأعلى صوته : ألا إن صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال » أخرجه الطبرانى من حديث زيد بن أرقم دون قوله « فنادى بأعلى صوته » وهو عند مسلم دون ذكر الإشراق . (٢) حديث « إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فإذا ارتفعت فارقها » تقدم فى الصلاة .

الفاسق ؟ قال سفيان الثورى رحمه الله : كان يعجبهم إذا تفرّغوا أن يناموا طلبا للسلامة فإذا كان نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل كان نومه قربة . ولكن ينبغى أن يتنبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلاة فان ذلك من فضائل الأعمال وان لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة والذكر فهو أفضل أعمال النهار لأنه وقت غفلة الناس عن الله عز وجل واشتغالهم بهموم الدنيا فالقلب المتفرّغ لخدمة ربه عند إعراض العبيد عن بابه جدير بأن يزكيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته . وفضل ذلك كفضل إحياء الليل فإن الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا وأحد معنى قوله تعالى : ﴿ وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر ﴾ أى يخلف أحدهما الآخر فى الفضل والثانى : أنه يخلفه فيتدارك فيه مافات فى أحدهما .

الورد الرابع : ما بين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر وراتبته وهذا أقصر أوراد النهار وأفضلها : فاذا كان قد توضأ قبل الزوال وحضر المسجد فمهما زالت الشمس وابتدأ المؤذن الأذان فليصبر إلى الفراغ من جواب أذانه ثم ليقم إلى إحياء مابين الأذان والإقامة فهو وقت الإظهار الذى أراده الله تعالى بقوله ﴿وحين تظهرون﴾ وليصل فى هذا الوقت أربع ركعات لايفصل بينهن بتسليمة واحدة [1] وهذه الصلاة وحدها من بين سائر صلوات النهار نقل بعض العلماء أنه يصليها بتسليمة واحدة ولكن طعن فى تلك الرواية ، ومذهب الشافعى رضى الله عنه أنه يصلى مثنى مثنى كسائر النوافل ويفصل بتسليمة [2] وهو الذى صحت به الأخبار وليطول هذه الركعات إذ فيها تفتح أبواب السماء كما أوردنا الخبر فيه فى باب صلاة التطوّع وليقرأ فيها سورة البقرة أو سورة من المئين أو أربعا من المثانى فهذه ساعات يستجاب فيها الدعاء . وأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرتفع له فيها عمل ، ثم يصلى الظهر بجماعة بعد أربع ركعات طويلة - كما سبق - أو قصيرة لا ينبغى أن يدعها . ثم ليصل بعد الظهر ركعتين ثم أربعا فقد كره ابن مسعود أن تتبع الفريضة بمثلها من غير فاصل ويستحب أن يقرأ فى هذه النافلة آية الكرسى وآخر سورة البقرة والآيات التى أوردناها فى الورد الأول ليكون ذلك جامعا له بين الدعاء والذكر والقراءة والصلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت .

الورد الخامس : مابعد ذلك إلى العصر ويستحب فيه العكوف فى المسجد مشتغلا بالذكر والصلاة أو فنون الخير ويكون فى انتظار الصلاة معتكفا . فمن فضائل الأعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سنة السلف كان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويا كدوى النحل من التلاوة . فإن كان بيته أسلم لدينه وأجمع لهمه فالبيت أفضل فى حقه فإحياء هذا الورد وهو أيضا وقت غفلة الناس كإحياء الورد الثالث فى الفضل . وفى هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال إذ يكره نومتان بالنهار قال بعض العلماء : ثلاث يمقت الله عليها ، الضحك بغير عجب والأكل من غير جوع والنوم بالنهار من غير سهر بالليل . والحد فى النوم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فالاعتدال فى نومه ثمان ساعات فى الليل والنهار جميعا فإن نام هذا القدر بالليل فلامعنى للنوم بالنهار ، وإن نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار فحسب ابن آدم إن عاش ستين سنة أن ينقص من عمره عشرون سنة . ومهما نام ثمان ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء الروح كما أن الطعام غذاء الأبدان

---

(١) حديث « صلاة أربع بعد الزوال بتسليمة واحدة » وفيه « أنها فيها تفتح أبواب السماء وأنها ساعة يستجاب فيها الدعاء وأحب أن يرفع لى فيها عمل صالح » أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث أبى أيوب وقد تقدم فى الصلاة فى الباب السادس .

(٢) حديث « صلاة الليل والنهار مثنى مثنى » أخرجه أبو داود وابن حبان من حديث ابن عمر .

وكما أن العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه عنه وقدر الاعتدال هذا والنقصان منه ربما يفضى إلى اضطراب البدن إلا من يتعود السهر تدريجا فقد يمرن نفسه عليه من غير اضطراب . وهذا الورد من أطول الأوراد وأمتعها للعباد وهو أحد الآصال التى ذكرها الله تعالى إذ قال ﴿ ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال ﴾ وإذا سجد لله عز وجل الجمادات، فكيف يجوز أن يغفل العبد العاقل عن أنواع العبادات ؟

الورد السادس : إذا دخل وقت العصر دخل وقت الورد السادس وهو الذى أقسم الله تعالى به فقال تعالى ﴿ والعصر ﴾ هذا أحد معنى الآية وهو المراد بالآصال فى أحد التفسيرين وهو العشى المذكور فى قوله ﴿ وعشيا ﴾ وفى قوله ﴿ بالعشى والإشراق ﴾ وليس فى هذا الورد صلاة إلا أربع ركعات بين الأذان والإقامة ـ كما سبق فى الظهر ـ ثم يصلى الفرض ويشتغل بالأقسام الأربعة المذكورة فى الورد الأول إلى أن ترتفع الشمس إلى رءوس الحيطان وتصفر . والأفضل فيه إذ منع عن الصلاة تلاوة القرآن بتدبر وتفهم إذ يجمع ذلك بين الذكر والدعاء والفكر فيندرج فى هذا القسم أكثر مقاصد الأقسام الثلاثة .

الورد السابع : إذا اصفرت الشمس بأن تقرب من الأرض بحيث يغطى نورها العبارات والبخارات التى على وجه الأرض ويرى صفرة فى ضوئها دخل وقت هذا الورد وهو مثل الورد الأول من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأنه قبل الغروب كما أن ذلك قبل الطلوع وهو المراد بقوله تعالى ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ﴾ وهذا هو الطرف الثانى المراد بقوله تعالى ﴿ فسبح وأطراف النهار ﴾ قال الحسن . كانوا أشد تعظيما للعشى منهم لأول النهار . وقال بعض السلف : كانوا يجعلون أول النهار للدنيا وآخره للآخرة : فيستحب فى هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وسائر ماذكرناه فى الورد الأول مثل أن يقول : أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأسأله التوبة وسبحان الله العظيم وبحمده ، مأخوذ من قوله تعالى ﴿ واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والإبكار ﴾ والاستغفار على الأسماء التى فى القرآن أحب كقوله ﴿ أستغفر الله إنه كان غفارا ـ أستغفر الله إنه كان توابا ـ رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين ـ فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ـ فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾ ويستحب أن يقرأ قبل غروب الشمس : والشمس وضحاها والليل إذا يغشى والمعوذتين . ولتغرب الشمس عليه وهو فى الاستغفار فإذا سمع الأذان قال ، اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك ـ كما سبق ـ ثم يجيب المؤذن ويشتغل بصلاة المغرب . وبالغروب قد انتهت أوراد النهار فينبغى أن يلاحظ العبد أحواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة ، فان ساوى يومه أمسه فيكون مغبونا وإن كان شرا منه فيكون ملعونا فقد قال صلى الله عليه وسلم « لابورك لى فى يوم لا أزداد فيه خيرا [1] » فإن رأى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره مترفها عن التجشم كانت بشارة فليشكر الله تعالى على توفيقه وتسديده إياه لطريقه وإن تكن الأخرى فالليل خلقة النهار فليعزم على تلافى ماسبق من تفريطه فإن الحسنات يذهبن السيئات . وليشكر الله تعالى على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره طول ليله ليشتغل بتدارك تقصيره وليحضر فى قلبه أن نهار العمر له آخر تغرب فيه شمس الحياة فلا يكون لها بعدها طلوع . وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر إلا أياما معدودة تنقضى لا محالة جملتها بانقضاء آحادها .

---

(١) حديث « لابورك لى فى يوم لا أزداد فيه خيرا » تقدم فى العلم فى الباب الأول إلا أنه قال « علما » بدل « خيرا » .

بيـان أوراد الليل وهى خمسة

الأول : إذا غربت الشمس صلى المغرب واشتغل بإحياء ما بين العشاءين فآخر هذا الورد عند غيبوبة الشفق أعنى الحمرة التى بغيبوبتها يدخل وقت العتمة وقد أقسم الله تعالى به فقـال ﴿ فلا أقسم بالشفق ﴾ والصلاة فيه هى ناشئة الليل لأنه أوّل نسو ساعاته وهو آن من الآناء المذكورة فى قوله تعالى ﴿ومن آناء الليل فسبح ﴾ وهى صلاة الأوابين . وهى المراد بقوله تعالى ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ روى ذلك عن الحسن وأسنده ابن أبى زياد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه سئل عن هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم : الصلاة بين العشاءين ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : عليكم بالصلاة بين العشاءين فإنها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره[1] » والملاغات جمع ملغاة من اللغو . وسئل أنس رحمه الله عمن يام بين العشاءين فقال : لاتفعل فإنها الساعة المعنية بقوله تعالى ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ وسيأتى فضل إحياء مابين العشاءين فى الباب الثانى . وترتيب هذا الورد أن يصلى بعد المغرب ركعتين أوّلا يقرأ فيهما قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولاشغل ثم يصلى أربعا يطيلها ثم يصلى إلى غيبوبة الشفق ما تيسر له . وإن كان المسجد قريبا من المنزل فلا بأس أن يصليها فى بيته إن لم يكن عزمه العكوف فى المسجد وإن عزم على العكوف فى انتظار العتمة فهو الأفضل إذا كان آمنا من التصنع والرياء .

والورد الثانى : يدخل بدخول وقت العشاء الآخرة إلى حدّ نومة الناس وهو أول استحكام الظلام وقد أقسم الله تعالى به إذ قال ﴿ والليل وما وسق ﴾ أى وماجمع من ظلمته وقال ﴿ إلى غسق الليل ﴾ فهناك يغسق الليل وتستوسق ظلمته . وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلاثة أمور (الأول) أن يصلى سوى فرض العشاء عشر ركعات : أربعا قبل الفرض إحياء لما بين الأذانين وستا بعد الفرض ركعتين ثم أربعا ويقرأ فيها من القرآن الآيات المخصوصة كآخر البقرة وآية الكرسى وأول الحديد وآخر الحشر وغيرها . (والثانى) أن يصلى ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر فإنه أكثر ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى بها من الليل[2] والأكياس يأخذون أوقاتهم من أول الليل والأقوياء من آخره . والحزم التقديم فإنه ربما لايستيقظ أو يثقل عليه القيام إلا إذا صار ذلك عادة له فآخر الليل أفضل . ثم ليقرأ فى هذه الصلاة قدر ثلثمائة آية من السور المخصوصة التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر قراءتها مثل يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة[3] فإن لم يصل فلا يدع قراءة هذه السور أو بعضها

---

(١) حديث « سئل عن قوله تعالى ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ فقال الصلاة بين العشاءين ثم قال عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره » قال المصنف أسنده ابن أبى الزناد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت : إنما هو إسماعيل بن أبى زياد بالياء المثناة من تحت رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من رواية إسماعيل بن أبى زياد الشامى عن الأعمش . حدثنا أبو العلاء العنبرى عن سلمان قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغات أول النهار ومهذبة آخره » وإسماعيل هذا متروك يضع الحديث قاله الدارقطنى . واسم أبى زياد مسلم وقد اختلف فيه على الأعمش ولابن مردويه من حديث أنس « أنها نزلت فى الصلاة بين المغرب والعشاء » والحديث عند الترمذى وحسنه بلفظ « نزلت فى انتظار الصلاة التى تدعى العتمة .

(٢) حديث « الوتر ثلاث عشرة ركعة يعنى بالليل وأنه أكثر ماصلى به النبى صلى الله عليه وسلم من الليل » أخرجه أبو داود من حديث عائشة « لم يكن يوتر بأنقص من سبع ولا بأكثر من ثلاث عشرة ركعة » والبخارى من حديث ابن عباس « وكانت صلاته ثلاث عشرة ركعة يعنى بالليل » ومسلم « كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة » وفى رواية للشيخين « منها ركعتا الفجر » ولهما أيضاً ماكان يزيد فى رمضان ولاغيره على إحدى عشرة ركعة » . (٣) حديث « إكثاره صلى الله عليه وسلم من قراءة يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة » غريب لم أقف على ذكر الإكثار فيه وابن حبان من حديث

قبل النوم فقد روى فى ثلاث أحاديث ما كان يقرؤه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل ليلة أشهرها : السجدة وتبارك الملك [١] والزمر والواقعة وفى رواية : الزمر وبنى إسرائيل [٢] وفى أخرى : أنه كان يقرأ المسبحات فى كل ليلة ويقول فيها آية أفضل من ألف آية [٣] وكان العلماء يجعلونها ستا فيزيدون سبح اسم ربك الأعلى إذ فى الخبر «أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب سبح اسم ربك الأعلى . وكان يقرأ فى ثلاث ركعات الوتر ثلاث سور سبح اسم ربك الأعلى [٤] وقل يا أيها الكافرون والإخلاص [٥] فإذا فرغ قال : سبحان الملك القدوس ثلاث مرات» (الثالث) الوتر : وليوتر قبل النوم إن لم يكن عادته القيام قال أبو هريرة رضى الله عنه : أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أنام إلا على وتر [٦] وإن كان معتادا صلاة الليل فالتأخير أفضل . قال صلى الله عليه وسلم « صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة [٧] » وقالت عائشة رضى الله عنها « أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر [٨] » وقال على رضى الله عنه : الوتر على ثلاثة أنحاء إن شئت أوترت أول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يعنى أنه يصير وترا بما مضى وإن شئت أوترت بركعة فإذا استيقظت شفعت إليها أخرى ثم أوترت من آخر الليل وإن شئت أخرت الوتر ليكون آخر صلاتك ، هذا ما روى عنه والطريق الأول والثالث لابأس به وأما نقض الوتر فقد صح فيه نهى فلا ينبغى أن ينقض [٩] وروى مطلقا أنه صلى الله عليه وسلم قال «لا وتران فى ليلة [١٠] » ولمن يتردد فى استيقاظه تلطف استحسنه بعض العلماء وهو أن يصلى بعد الوتر ركعتين جالسا على فراشه عند النوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزحف إلى فراشه ويصليهما ويقرأ فيهما إذا زلزلت وألهاكم [١١] لما فيهما من التحذير والوعيد وفى رواية قل يا أيها الكافرون لما فيها من التبرئة وإفراد العبادة لله تعالى ، فقيل إن استيقظ قامتا مقام ركعة واحدة وكان له أن يوتر بواحدة فى آخر صلاة الليل وكأنه صار ما مضى شفعا بهما . وحسن استئناف الوتر واستحسن هذا أبو طالب المكى وقال فيه ثلاثة أعمال قصر الأمل وتحصيل الوتر والوتر آخر الليل ، وهو كما

= جندب « من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر له والترمذى من حديث جابر « كان لاينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذى بيده الملك » وله من حديث عائشة « كان لاينام حتى يقرأ بنى إسرائيل والزمر » وقال حسن غريب وله من حديث أبي هريرة « من قرأ حم الدخان فى ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك » قال غريب ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث عائشة « من قرأ فى ليلة الم تنزيل ويس وتبارك الذى بيده الملك واقتربت كن له نورا ... الحديث » ولأبى منصور المظفر بن الحسين الغزنوى فى فضائل القرآن من حديث على « ياعلى أكثر من قراءة يس ... الحديث » وهو منكر وللحارث بن أبى أسامة من حديث ابن مسعود بسند ضعيف « من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا » والترمذى من حديث ابن عباس « شيبتنى هود والواقعة .. الحديث » وقال حسن غريب . (١) حديث « كان يقرأ فى كل ليلة السجدة وتبارك الملك » أخرجه الترمذى وتقدم فى الحديث قبله . (٢) حديث « كان يقرأ فى كل ليلة الزمر وبنى إسرائيل » أخرجه الترمذى وتقدم أيضاً .

(٣) حديث « كان يقرأ المسبحات فى كل ليلة ويقول : فيهن آية أفضل من ألف آية » أخرجه أبو داود والترمذى وقال حسن والنسائى فى الكبرى من حديث عرباض بن سارية .

(٤) حديث « كان يحب سبح اسم ربك الأعلى » أخرجه أحمد والبزار من حديث على بسند ضعيف . (٥) حديث « كان يقرأ فى ثلاث ركعات الوتر بسبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون والإخلاص » أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أبى بن كعب باسناد صحيح وتقدم فى الصلاة من حديث أنس . (٦) حديث أبى هريرة « أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أنام إلا على وتر » متفق عليه بلفظ « أن أوتر قبل أن أنام » . (٧) حديث « صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فأوتر بركعة » متفق عليه من حديث ابن عمر . (٨) حديث عائشة « أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر » متفق عليه . (٩) حديث « النهى عن نقض الوتر » قال المصنف صح فيه نهى قلت : وإنما صح من قول عابد بن عمرو وله صحبة كما رواه البخارى ومن قول ابن عباس كما رواه البيهقى ولم يصرح بأنه مرفوع فالظاهر أنه إنما أراد ماذكرناه عن الصحابة . (١٠) حديث «لا وتران فى ليلة » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه والنسائى من حديث طلق بن على (١١) حديث « الركعتين بعد الوتر جالسا » تقدم فى الصلاة رواه مسلم من حديث عائشة .

ذكره لكن ربما يخطر أنهما لو شفعتا مامضى لكان كذلك ، وإن لم يستيقظ وأبطل وتره الأول فكونه شافعا إن استيقظ غير مشفع إن نام فيه نظر إلا أن يصح من رسول الله صلى الله عليه وسلم إيتاره قبلهما وإعادته الوتر فيفهم منه أن الركعتين شفع بصورتهما وتر بمعناهما فيحسب وتراً إن لم يستيقظ وشفعا إن استيقظ . ثم يستحب بعد التسليم من الوتر أن يقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والأرض بالعظمة والجبروت ، وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت روى « أنه صلى الله عليه وسلم ما مات حتى كان أكثر صلاته جالسا إلا المكتوبة [1] وقد قال « للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد [2] » وذلك يدل على صحة النافلة دائما .

الورد الثالث : النوم ولابأس أن يعد ذلك فى الأوراد فإنه إذا روعيت آدابه احتسب عبادة فقد قيل : إنّ للعبد إذا نام على طهارة وذكر الله تعالى يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل فى شعاره ملك فإن تحرّك فى نومه فذكر الله تعالى دعا له الملك واستغفر له الله [3] » وفى الخبر « إذا نام على طهارة رفع روحه إلى العرش [4] » هذا فى العوام فكيف بالخواص والعلماء وأرباب القلوب الصافية ؟ فإنهم يكاشفون بالأسرار فى النوم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح [5] » وقال معاذ لأبى موسى : كيف تصنع فى قيام الليل ؟ فقال أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيئا واتفوق القرآن فيه تفوقا قال معاذ : لكنى أنا أنام ثم أقوم واحتسب فى نومتى ما أحتسب فى قومتى . فذكرا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : معاذ أفقه منك [6] وآداب النوم عشرة (الأول) الطهارة والسواك : قال صلى الله عليه وسلم « إذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة وإن لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات أضغاث أحلام لاتصدق [7] » وهذا أريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا ، وطهارة الباطن هى المؤثرة فى انكشاف حجب الغيب (الثانى) أن يعدّ عنه رأسه سواكه وطهوره وينوى القيام للعبادة عند التيقظ وكلما يتنبه يستاك ؛ كذلك كان يفعله بعض السلف . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه كان يستاك فى كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها [8] وإن لم يتيسر له الطهارة يستحب له مسح الأعضاء بالماء فإن لم يجد فليقعد وليستقبل القبلة وليشتغل بالذكر والدعاء والتفكر فى آلاء الله تعالى وقدرته فذلك يقوم مقام قيام الليل . وقال صلى الله عليه وسلم « من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له مانوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى [9] » (الثالث) أن لايبيت من له وصية إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه فإنه لايأمن

---

(١) حديث « مامات حتى كان أكثر صلاته جالسا إلا المكتوبة » متفق عليه من حديث عائشة « لما بدن النبى صلى الله عليه وسلم وثقل كان أكثر صلاته جالسا » . (٢) حديث « للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد » أخرجه البخارى من حديث عمران بن حصين . (٣) حديث « قيل إنه إذا نام على طهارة ذاكرا لله تعالى يكتب مصليا ويدخل فى شعاره ملك .. الحديث » أخرجه ابن حبان من حديث ابن عمر « من بات طاهراً بات فى شعاره ملك فلم يستيقظ إلا قال الملك اللهم اغفر لعبدك فلان فإنه بات طاهرا » (٤) حديث « إذا نام على الطهارة رفع روحه إلى العرش » أخرجه ابن المبارك فى الزهد موقوفا على أبى الدرداء والبيهقى فى الشعب موقوفا على عبد الله بن عمرو بن العاص . وروى الطبرانى فى الأوسط من حديث على « مامن عبد ولا أمة تنام فتثقل نوما إلا عرج بروحه إلى العرش فالذى لايستيقظ إلا عند العرش فتلك الرؤيا التى تصدق والذى يستيقظ دون العرش فهى الرؤيا التى تكتب » هو ضعيف . (٥) حديث « نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح » قلت المعروف فيه الصائم دون العالم . وقد تقدم فى الصوم

(٦) حديث « قال معاذ لأبى موسى كيف تصنع فى قيام الليل ؟ فقال أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيئا وأتفوق القرآن تفوقا قال معاذ لكنى أنام ثم أقوم وأحتسب فى نومتى ما احتسب فى قومتى فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : معاذ أفقه منك » متفق عليه بنحوه من حديث أبى سعيد وليس فيه « أنهما ذكرا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم » ولاقوله « معاذ أفقه منك » وإنما زاد فيه الطبرانى « فكان معاذ أفضل منه » . (٧) حديث « إذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة » الحديث تقدم . (٨) حديث « أنه كان يستاك فى كل ليلة مرارا عند كل نومه وعند التنبه منها » تقدم فى الطهارة .

(٩) حديث « من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له مانوى وكان نومه صدقة من الله عليه » أخرجه النسائى وابن ماجه من حديث أبى الدرداء بسند صحيح .

القبص فى النوم فإنّ من مات من غير وصية لم يؤذن له فى الكلام بالبرزخ إلى يوم القيامة ، ينزاوره الأموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات من غير وصية ، وذلك مستحب خوف موت الفجأة وموت الفجأة تخفيف إلا لمن ليس مستعداً للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم (الرابع) أن ينام تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم أحد ، ولا بعزم على معصية إن استيقظ ، قال صلى الله عليه وآله وسلم « من أوى إلى فراشه لاينوى ظلم أحد ولايحقد على أحد غفر له مااحترم[1] » (الخامس) أن لايتنعم بتمهيد الفرش الناعمة بل يترك ذلك أو يقتصد فيه . كان بعض السلف يكره التمهيد للنوم ويرى ذلك تكلفا . وكان أهل الصفة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا وإليها نرد وكانوا يرون ذلك أرق لقلوبهم وأجدر بتواضع نفوسهم فمن لم تسمح بذلك نفسه فلتقتصد (السادس) أن لاينام مالم يغلبه النوم ولايتكلف استجلابه إلا إذا قصد به الاستعانة على القيام فى آخر الليل فقد كان نومهم غلبة وأكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا بأنهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون . إن غلبه النوم عن الصلاة والذكر وصار لا يدرى مايقول فلينم حتى يعقل ما يقول . وكان ابن عباس رضى الله عنه يكره النوم قاعدا وفى الخبر « لا تكابدوا الليل[3] » وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ فلانة تصلى بالليل فإذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال : ليصل أحدكم من الليل ما تيسر له فإذا غلبه النوم فليرقد[2] » وقال صلى الله عليه وسلم « تكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لن يمل حتى تملوا[4] » وقال صلى الله عليه وسلم « خير هذا الدين أيسره[5] » وقيل له صلى الله عليه وسلم « إنّ فلانا يصلى فلا ينام ويصوم فلا يفطر فقال لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر هذه سنتى فمن رغب عنها فليس منى[6] » وقال صلى الله عليه وسلم « لا تشادوا هذا الدين فإنه متين فمن يشاده يغلبه فلا تبغض إلى نفسك عبادة الله[7] » (السابع) أن ينام مستقبل القبلة . والاستقبال على ضربين أحدهما . استقبال المحتضر ـ وهو المستلقى على قفاه ـ فاستقباله أن يكون وجهه وأخمصاه إلى القبلة . والثانى : استقبال اللحد وهو أن ينام على جنب بأن يكون وجهه إليها مع قبالة بدنه إذا نام على شقه الأيمن (الثامن) الدعاء عند النوم فيقول باسمك ربى وضعت جنبى وباسمك أرفعه إلى آخر الدعوات المأثورة التى أوردناها فى كتاب الدعوات[8] ويستحب أن يقرأ الآيات المخصوصة مثل آية الكرسى وآخر البقرة وغيرهما وقوله تعالى ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو ﴾ إلى قوله ﴿ لقوم يعقلون ﴾ يقال إنّ من قرأها عند النوم حفظ الله عليه القرآن فلم ينسه ويقرأ من سورة الأعراف هذه الآية ﴿ إنّ ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ﴾ إلى قوله

---

(١) حديث « من أوى إلى فراشه لاينوى ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما احترم » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب النية من حديث أنس « من أصبح ولم يهم بظلم أحد غفر له ما احترم » وسنده ضعيف . (٢) حديث « لاتكابدوا الليل » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف وفى جامع سفيان الثورى موقوفا على ابن مسعود « لاتماللوا هذا الليل » . (٣) حديث « قيل له إن فلانة تصلى فإذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهاهن عن ذلك .. الحديث » متفق عليه من حديث أنس . (٤) حديث « تكلفوا من العمل ماتطيقون فإن الله لايمل حتى تملوا » متفق عليه من حديث عائشة بلفظ « اكلفوا » . (٥) حديث « خير هذا الدين أيسره » أخرجه أحمد من حديث محجن بن الأدرع وتقدم فى العلم .

(٦) حديث « قيل له إن فلانا يصلى ولاينام ويصوم ولايفطر فقال : لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر هذه سنتى فمن رغب عنها فليس منى » أخرجه النسائى من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله « هذه سنتى » الخ وهذه الزيادة لابن خزيمة « من رغب عن سنتى فليس منى » وهى متفق عليها من حديث أنس . (٧) حديث « لاتشادوا هذا الدين فإنه متين فمن يشاده يغلبه ولاتبغض إلى نفسك عبادة الله » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة « إن يشاد هذا الدين أحدا إلا غلبه فسددوا وقاربوا » وللبيهقى من حديث جابر « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولاتبغض إلى نفسك عبادة الله » ولايصح إسناده . (٨) حديث « الدعاء المأثور عند النوم باسمك اللهم رب وضعت جنبى ... الحديث » إلى آخر الدعوات المأثورة التى أوردناها فى الدعوات تقدم هناك وبقية الدعوات .

(قريب من المحسنين) وآخر بنى إسرائيل (قل ادعوا الله) الآيتين فإنه يدخل فى شعاره ملك يوكل بحفظه فيستغفر له ويقرأ المعوذتين وينفث بهن فى يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده ، كذلك روى من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] وليقرأ عشرا من أول الكهف وعشرا من آخرها وهذه الآى للاستيقاظ لقيام الليل . وكان على كرم الله وجهه يقول : ماأرى أن رجلا مستكملا عقله ينام قبل أن يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين مرة : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . ليكون مجموع هذه الكلمات الأربع مائة مرة (التاسع) أن يتذكر عند النوم أن النوم نوع وفاة والتيقظ نوع بعث قال الله تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها) وقال (وهو الذى يتوفاكم بالليل) فسماه توفيا وكما أن المستيقظ تكشف له مشاهدات لاتناسب أحواله فى النوم فكذلك المبعوث يرى مالم يخطر قط بباله ولا شاهده حسه . ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة . وقال لقمان لابنه : يابنى إن كنت تشك فى الموت فلا تنم فكما أنك تنام كذلك تموت ، وإن كنت تشك فى البعث فلا تنتبه فكما أنك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك . وقال كعب الأحبار : إذا نمت فاضطجع على شقك الأيمن واستقبل القبلة بوجهك فإنها وفاة وقالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر مايقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى أنه ميت فى ليلته تلك اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شىء ومليكه [2] ، الدعاء إلى آخره كما ذكرناه فى كتاب الدعوات . فحق على العبد أن يفتش عن ثلاثة عند نومه : أنه على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله تعالى وحب لقائه أوحب الدنيا ؟ وليتحقق أنه يتوفى على ما هو الغالب عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فإن المرء مع من أحب ومع ماأحب (العاشر) الدعاء عند التنبه فليقل فى تيقظاته وتقلباته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار [3] » وليجتهد أن يكون آخر مايجرى على قلبه عند النوم ذكر الله تعالى وأول ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى فهو علامة الحب . ولا يلازم القلب فى هاتين الحالتين إلا ماهو الغالب عليه فليجرب قلبه به فهو علامة الحب فإنها علامة تكشف من باطن القلب وإنما استحبت هذه الأذكار لتستجر القلب إلى ذكر الله تعالى ، فإذا استيقظ ليقوم قال : الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور . إلى آخر ما أوردناه من أدعية التيقظ .

الورد الرابع . يدخل بمضى النصف الأول من الليل إلى أن يبقى من الليل سدسه وعند ذلك يقوم العبد للتهجد . فاسم التهجد يختص بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذى بعد الزوال وهو وسط النهار وبه أقسم الله تعالى فقال (والليل إذا سجى) أى إذا سكن وسكونه هدوءه فى هذا الوقت فلا تبقى عين إلا نائمة سوى الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم . وقيل إذا سجى إذا امتد وطال وقيل إذا أظلم . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أى الليل أسمع ؟ فقال جوف الليل [4] » وقال داود صلى الله عليه وسلم : إلهى إنى أحب أن أتعبد لك فأى وقت أفضل ؟ فأوحى الله تعالى إليه ياداود لاتقم أول الليل ولا آخره ، فإن من قام

---

(١) حديث « قراءة المعوذتين عند النوم ينفث بهن فى يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده » متفق عليه من حديث عائشة .

(٢) حديث عائشة « كان آخر مايقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم .. الحديث » تقدم فى الدعوات دون : وضع الخد على اليد وتقدم من حديث حفصة . (٣) حديث « كان يقول عند تيقظه : لاإله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار » أخرجه ابن السنى وأبو نعيم فى كتابيهما عمل اليوم والليلة من حديث عائشة . (٤) حديث « سئل أى الليل أسمع ؟ قال : جوف الليل » أخرجه أبو داود والترمذى وصححه من حديث عمرو بن عبسة .

أوله نام آخره ، ومن قام آخره لم يقم أوله ، ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بى وأخلو بك ، وارفع إلى حوائجك وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أى الليل أفضل ؟ فقال : نصف الليل الغابر [1] » يعنى الباقى وفى آخر الليل وردت الأخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار تعالى إلى سماء الدنيا [2] وغير ذلك من الأخبار . وترتيب هذا الورد أنه بعد الفراغ من الأدعية التى للاستيقاظ يتوضأ وضوءا ـ كما سبق ـ بسننه وآدابه وأدعيته . ثم يتوجه إلى مصلاه ويقوم مستقبلا القبلة ، ويقول « الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا » ثم يسبح عشرا وليحمد الله عشرا ويهلل عشرا وليقل « الله أكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة » وليقل هذه الكلمات فإنها مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قيامه للتهجد « اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ومن عليهن أنت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنشور حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق . اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وأسرفت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت [3] اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها [4] اللهم اهدنى لأحسن الأعمال لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت [5] أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء المضطر الذليل فلا تجعلنى بدعائك رب شقيا وكن بى رءوفا رحيما يا خير المسئولين وأكرم المعطين [6] وقالت عائشة رضى الله عنها « كان صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته قال . اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم [7] » ثم يفتتح الصلاة ويصلى ركعتين خفيفتين . ثم يصلى مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر إن لم يكن قد صلى الوتر . ويستحب أن يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلاة وقد صح فى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل أنه صلى أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج إلى ثلاث عشرة

---

(١) حديث « سئل أى الليل أفضل ؟ قال : نصف الليل الغابر » أخرجه أحمد وابن حبان من حديث أبى ذر دون قوله « الغابر » وهى فى بعض طرق حديث عمرو بن عبسة . (٢) الأخبار الواردة فى اهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن فى آخر الليل ونزول الجبار إلى سماء الدنيا ؛ أما حديث النزول فقد تقدم وأما الباقى فهى آثار رواها محمد بن نصر فى قيام الليل من رواية سعيد الجريرى قال « قال داود : ياجبريل أى الليل أفضل ؟ قال : ماأدرى غير أن العرش يهتز من السحر » وفى رواية له عن الجريرى عن سعيد بن أبى الحسن قال « إذا كان من السحر ألا ترى كيف تهوج ريح كل شجر » وله من حديث أبى الدرداء مرفوعا « إن الله تبارك وتعالى لينزل فى ثلاث ساعات بقين من الليل يفتتح الذكر فى الساعة الأولى » وفيه « ثم ينزل فى الساعة الثانية إلى جنة عدن ... الحديث » وهو مثله . (٣) حديث « القول فى قيامه للتهجد : اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ... الحديث » متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله « أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت زين السموات والأرض » ودون قوله « ومن عليهن ومنك الحق » . (٤) حديث « اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها » أخرجه أحمد بإسناد جيد من حديث عائشة « أنها فقدت النبى صلى الله عليه وسلم من مضجعه فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول رب أعط نفسى تقواها ... الحديث » . (٥) حديث « اللهم اهدنى لأحسن الأعمال لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت » أخرجه مسلم من حديث على عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه كان إذا قام إلى الصلاة » فذكره بلفظ « لأحسن الأخلاق » وفيه زيادة فى أوله . (٦) حديث « أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء المضطر الذليل .. الحديث » أخرجه الطبرانى فى الصغير من حديث ابن عباس « أنه كان من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم عشية عرفة » تقدم فى الحج (٧) حديث عائشة « كان إذا قام من الليل افتتح صلاته قال : اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض ... الحديث » رواه مسلم .

ركعة [١] وسئلت عائشة رضى الله عنها « أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر فى قيام الليل أم يسر ؟ فقالت : ربما جهر وربما أسر [٢] وقال صلى الله عليه وسلم « صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة [٣] » وقال « صلاة المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل [٤] » وأكثر ماصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قيام الليل ثلاث عشرة ركعة [٥] ويقرأ فى هذه الركعات من ورده من القرآن أو من السور المخصوصة ماخف عليه وهو فى حكم هذا الورد قريب من السدس الأخير من الليل .

الورد الخامس : السدس الأخير من الليل وهو وقت السحر فإن الله تعالى قال ﴿ وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ قيل يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب للفجر الذى هو وقت انصراف ملائكة الليل وإقبال ملائكة النهار وقد أمر بهذا الورد سلمان أخاه أبا الدرداء رضى الله عنهما ليلة زاره [٦] فى حديث طويل قال فى آخره « فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان : نم فنام ثم ذهب ليقوم فقال له : نم فنام فلما كان عند الصبح قال له سلمان : قم الآن ، فقاما فصليا فقال : إن لنفسك عليك حقا وإن لضيفك عليك حقا وإن لأهلك عليك حقا فأعط كل ذى حق حقه ، وذلك أن امرأة أبى الدرداء أخبرت سلمان أنه لاينام الليل قال : فأتيا النبى صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له فقال : صدق سلمان . وهذا هو الورد الخامس وفيه يستحب السحور وذلك عند خوف طلوع الفجر والوظيفة فى هذين الوردين الصلاة . فإذا طلع الفجر انقضت أوراد الليل ودخلت أوراد النهار فيقوم ويصلى ركعتى الفجر وهو المراد بقوله تعالى ﴿ ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم ﴾ ثم يقرأ ﴿ شهد الله أنه لاإله إلا هو والملائكة ﴾ إلى آخرها . ثم يقول وأنا أشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته وأولو العلم من خلقه وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله تعالى وديعة وأسأله حفظها حتى يتوفانى عليها . اللهم احطط عنى بها وزرا واجعلها لى عندك ذخرا واحفظها على وتوفنى عليها حتى ألقاك بها غير مبدل تبديلا . فهذا ترتيب الأوراد للعباد وقد كانوا يستحبون أن يجمعوا مع ذلك فى كل يوم بين أربعة أمور صوم وصدقة وإن قلت وعيادة مريض وشهود جنازة ففى الخبر « من جمع بين هذه الأربع فى يوم غفر له [٧] » وفى رواية « دخل الجنة » فإن أنفق بعضها وعجز عن الآخر كان له أجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون أن ينقضى اليوم ولم يتصدقوا فيه بصدقة ولو بتمرة أو بصلة أو كسرة خبز لقوله صلى الله عليه وسلم « الرجل فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس [٨] » ولقوله صلى الله عليه وسلم « اتقوا النار ولو بشق تمرة [٩] » ودفعت عائشة رضى الله عنها إلى سائل عنبة واحدة فأحدها فنظر من كان عندها بعضهم إلى بعض فقالت : مالكم إن فيها لمثاقيل ذر كثير ؟ وكانوا لايستحبون رد السائل إذ كان من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك

---

(١) حديث « أنه صلى بالليل أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج إلى ثلاث عشرة ركعة » أخرجه مسلم من حديث زيد بن خالد الجهنى . (٢) حديث « سئلت عائشة أكان يجهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قيام الليل أم يسر ؟ فقالت ربما جهر وربما أسر » أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه باسناد صحيح . (٣) حديث « صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة » متفق عليه وقد تقدم .

(٤) حديث « صلاة المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل » أخرجه أحمد من حديث ابن عمر بإسناد صحيح .

(٥) حديث « القيام من الليل ثلاث عشرة ركعة وإنه أكثر ماصح عنه » تقدم . (٦) حديث « زار سلمان أبا الدرداء فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام .. الحديث » وفى آخره فقال « صدق سلمان » أخرجه البخارى من حديث أبى جحيفة . (٧) حديث « من جمع بين صوم وصدقة وعيادة مريض وشهود جنازة فى يوم غفر له » وفى رواية « دخل الجنة » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة « ماجتمعن فى امرئ إلا دخل الجنة » . (٨) حديث « الرجل فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس » تقدم فى الزكاة . (٩) حديث « اتقوا النار ولو بشق تمرة » تقدم فى الزكاة .

ماسأله أحد شيئا فقال : لا ، ولكنه إن لم يقدر عليه سكت [1] وفى الخبر « يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعنى المفصل وفى جسده ثلثمائة وستون مفصلا فأمرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك إلى الطريق صدقة وإماطتك الأذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل . ثم قال وركعتا الضحى تأتى على ذلك كله أو تجمعن لك ذلك كله [2] » .

بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال

اعلم أن المريد لحرث الآخرة السالك لطريقها لايخلو عن ستة أحوال فإنه : إما عابد وإما عالم وإما متعلم وإما وال وإما محترف وإما موحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره (الأول) العابد : وهو المتجرد للعبادة الذى لا شغل له غيرها أصلا ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب أوراده ماذكرناه ، نعم لايبعد أن تختلف وظائفه بأن يستغرق أكثر أوقاته إما فى الصلاة أو القراءة أو فى التسبيحات فقد كان فى الصحابة رضى الله عنهم من ورده فى اليوم اثنا عشر ألف تسبيحة . وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفا . وكان فيهم من ورده ثلثمائة ركعة إلى ستمائة وإلى ألف ركعة . وأقل مانقل فى أورادهم من الصلاة مائة ركعة فى اليوم والليلة . وكان بعضهم أكثر ورده القرآن وكان يختم الواحد منهم فى اليوم مرة وروى مرتين عن بعضهم : وكان بعضهم يقضى اليوم أو الليل فى التفكر فى آية واحدة يرددها . وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة فكان يطوف فى كل يوم سبعين أسبوعا وفى كل ليلة سبعين أسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن فى اليوم والليلة مرتين . فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ويكون مع كل أسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة وختمتان وعشرة فراسخ * فإن قلت : فما الأولى أن يصرف إليه أكثر الأوقات من هذه الأوراد فاعلم أن قراءة القرآن فى الصلاة قائما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما تعسر المواظبة عليه فالأفضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الأوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله تعالى وإيناسه به فلينظر المريد إلى قلبه فما يراه أشد تأثيرا فيه فليواظب عليه . فإذا أحس بملالة منه فلينتقل إلى غيره ولذلك نرى الأصوب لأكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الأوقات ـ كما سبق ـ والانتقال فيها من نوع إلى نوع لأن الملال هو الغالب على الطبع وأحوال الشخص الواحد فى ذلك أيضا تختلف . ولكن إذا فهم فقه الأوراد وسرها فليتبع المعنى فإن سمع تسبيحة مثلا وأحس لها بوقع قلبه فليواظب على تكرارها مادام يجد لها وقعا . وقد روى عن إبراهيم بن أدهم عن بعض الأبدال أنه قام ذات ليلة يصلى على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير أحدا فقال من أنت أسمع صوتك ولا أرى شخصك ؟ فقال : أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت قلت : فما اسمك ؟ قال : مهلهيائيل قلت : فما ثواب من قاله ؟ قال : من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له . والتسبيح هو قوله « سبحان الله العلى الديان سبحان الله الشديد الأركان سبحان من يذهب بالليل ويأتى بالنهار سبحان من لا يشغله شأن عن شأن سبحان الله الحنان المنان سبحان الله المسبح فى كل مكان » فهذا وأمثاله إذا سمعه المريد ووجد له فى قلبه وقعا فليلازمه . وأيا ما وجد القلب عنده وفتح له فيه خير فليواظب عليه (الثانى) العالم الذى ينفع الناس بعلمه فى فتوى أو تدريس أو تصنيف فترتيبه الأوراد يخالف ترتيب العابد ؛ فإنه يحتاج إلى المطالعة للكتب وإلى التصنيف والإفادة ، ويحتاج إلى مدة لها لامحالة فإن أمكنه استغراق الأوقات فيه فهو أفضل مايشتغل

---

(١) حديث « ماسأله أحد شيئاً فقال لا إن لم يقدر عليه سكت » أخرجه مسلم من حديث جابر وللبزار من حديث أنس « أو يسكت » . (٢) حديث « يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى ذر.

به بعد المكتوبات ورواتبها . ويدل على ذلك جميع ماذكرناه فى فضيلة التعليم والتعلم فى كتاب العلم . وكيف لايكون كذلك وفى العلم المواظبة على ذكر الله تعالى ؟ وتأمل ما قال الله تعالى وقال رسوله . وفيه منفعة الخلق وهدايتهم إلى طريق الآخرة ورب مسألة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلمها لكان سعيه ضائعا . وإنما نعنى بالعلم المقدم على العبادة العلم الذى يرغب الناس فى الآخرة ويزهدهم فى الدنيا أو العلم الذى يعينهم على سلوك طريق الآخرة إذا تعلموه على قصد الاستعانة به على السلوك ، دون العلوم التى تزيد بها الرغبة فى المال والجاه وقبول الخلق والأولى بالعالم أن يقسم أوقاته أيضا فإن استغراق الأوقات فى ترتيب العلم لايحتمله الطبع . فينبغى أن يخصص ما بعد الصبح إلى طلوع الشمس بالأذكار والأوراد كما ذكرناه فى الورد الأول . وبعد الطلوع إلى ضحوة النهار فى الإفادة والتعليم إن كان عنده من يستفيد علما لأجل الآخرة ، وإن لم يكن فيصرفه إلى الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين فإن صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات . ومن ضحوة النهار إلى العصر للتصنيف والمطالعة لايتركها إلا فى وقت أكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة إن طال النهار . ومن العصر إلى الاصفرار يشتغل بسماع مايقرأ بين يديه من تفسير أو حديث أو علم نافع . ومن الاصفرار إلى الغروب يشتغل بالذكر والاستغفار والتسبيح فيكون ورده الأول قبل طلوع الشمس فى عمل اللسان . وورده الثانى فى عمل القلب بالفكر إلى الضحوة ووورده الثالث إلى العصر فى عمل العين واليد بالمطالعة والكتابة . ووورده الرابع بعد العصر فى عمل السمع ليروح فيه العين واليد فإن المطالعة والكتابة بعد العصر ربما أضرا بالعين . وعند الاصفرار يعود إلى ذكر اللسان فلا يخلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب فى الجميع . وأما الليل فأحسن قسم فيه قسمة الشافعى رضى الله عنه إذ كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للمطالعة وترتيب العلم وهو الأول وثلثا للصلاة وهو الوسط وثلثا للنوم وهو الأخير . وهذا يتيسر فى ليالى الشتاء ، والصيف ربما لا يحتمل ذلك إلا إذا كان أكثر النوم بالنهار فهذا مانستحبه من ترتيب أوراد العالم (الثالث) المتعلم : والاشتغال بالتعلم أفضل من الاشتغال بالأذكار والنوافل فحكمه حكم العالم فى ترتيب الأوراد ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالإفادة وبالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف ويرتب أوقاته كما ذكرنا . وكل ماذكرناه فى فضيلة التعلم والعلم من كتاب العلم يدل على أن ذلك أفضل . بل إن لم يكن متعلما على معنى أنه يعلق ويحصل ليصير عالما . بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والوعظ والعلم أفضل من اشتغاله بالأوراد التى ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفى سائر الأوقات . ففى حديث أبى ذر رضى الله عنه « أن حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة وعيادة ألف مريض [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها فقيل يارسول الله وما رياض الجنة ؟ قال حلق الذكر [2] » وقال كعب الأحبار رضى الله عنه : لو أن ثواب مجالس العلماء بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذى إمارة إمارته وكل ذى سوق سوقه . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة ، فإذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه وانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب ، فلا تفارقوا مجالس العلماء فإن الله عز وجل لم يخلق على وجه الأرض تربة أكرم من مجالس العلماء . وقال رجل للحسن رحمه الله أشكو إليك قساوة قلبى فقال : أدبه من مجالس الذكر .

---

(١) حديث أبى ذر « حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة ... الحديث » تقدم فى العلم .

(٢) حديث « إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها ... الحديث » تقدم فى العلم .

ورأى عمار الزاهدى مسكينة الطفاوية فى المنام وكانت من المواظبات على حلق الذكر فقال : مرحبا يامسكينة فقالت : هيهات هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغنى ! فقال : هيه ! فقالت : ماتسأل عمن أبيح لها الجنة بحذافيرها ؟ قال : وبم ذلك ؟ قالت : بمجالسة أهل الذكر . وعلى الجملة فما ينحل عن القلب من عقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكى السيرة أشرف وأنفع من ركعات كثيرة مع اشتمال القلب على حب الدنيا (الرابع) المحترف الذى يحتاج إلى الكسب لعياله فليس له أن يضيع العيال ويستغرق الأوقات فى العبادات بل ورده فى وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغى أن لاينسى ذكر الله تعالى فى صناعته بل يواظب على التسبيحات الأذكار وقراءة القرآن فإن ذلك يمكن أن يجمع إلى العمل . وإنما لايتيسر مع العمل الصلاة إلا أن يكون ناطورا فإنه لايعجز عن إقامة أوراد الصلاة معه . ثم مهما فرغ من كفايته ينبغى أن يعود إلى ترتيب الأوراد . وإن داوم على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فهو أفضل من سائر الأوراد التى ذكرناها لأن العبادات المتعدية فائدتها أتم من اللازمة والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له فى نفسه تقربه إلى الله تعالى ثم يحصل به فائدة للغير وتتحدب إليه بركات دعوات المسلمين ويتضاعف به الأجر (الخامس) الوالى : مثل الإمام والقاضى والمتولى فى أمور المسلمين فقيامه بحاجات المسلمين وأغراضهم على وفق الشرع وقصد الإخلاص أفضل من الأوراد المذكورة فحقه أن يشتغل بحقوق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة ويقيم الأوراد المذكورة بالليل ، كما كان عمر رضى الله عنه يفعله إذ قال : مالى وللنوم فلو نمت بالنهار ضيعت المسلمين ولو نمت بالليل ضيعت نفسى . وقد فهمت مما ذكرناه أنه يقدم على العبادات المدنية أمران أحدهما : العلم ، والآخر : الرفق بالمسلمين ، لأن كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل فى نفسه وعبادة تفضل سائر العبادات بتعدى فائدته وانتشار جدواه فكانا مقدمين عليه (السادس) الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذى أصبح وهمومه هم واحد فلا يحب إلا الله تعالى ولا يخاف إلا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر فى شىء إلا ويرى الله تعالى فيه . فمن ارتفعت رتبته إلى هذه الدرجة لم يفتقر إلى تنويع الأوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحد وهو حضور القلب مع الله تعالى فى كل حال ، فلا يخطر بقلوبهم أمر ولا يقرع سمعهم قارع ولا يلوح لأبصارهم لائح إلا كان لهم فيه عبرة وفكر ومزيد ، فلا محرك لهم ولا مسكن إلا الله تعالى فهؤلاء جميع أحوالهم تصلح أن تكون سببا لازديادهم فلا تتميز عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا إلى الله عز وجل كما قال تعالى ﴿ لعلكم تذكرون ففروا إلى الله ﴾ وتحقق فيهم قوله تعالى (وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ﴾ وإليه الإشارة بقوله (إنى ذاهب إلى ربى سيهدين) وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول إليها إلا بعد ترتيب الأوراد والمواظبة عليها دهرا طويلا فلا ينبغى أن يغتر المريد بما سمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر عن وظائف عبادته فذلك علامته أن لا يهجس فى قلبه وسواس ولا يخطر فى قلبه معصية ولا ترجعه هواجس الأهوال ولا تستفزه عظائم الأشغال . وأنى ترزق هذه الرتبة لكل أحد . فيتعين على الكافة ترتيب الأوراد كما ذكرناه وجميع ماذكرناه طرق إلى الله تعالى قال تعالى (قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) فكلهم مهتدون وبعضهم أهدى من بعض . وفى الخبر « الإيمان ثلاث وثلاثون وثلثمائة طريقة من لقى الله تعالى بالشهادة على طريق منها دخل الجنة [1] » وقال بعض العلماء : الإيمان ثلثمائة وثلاثة عشر خلقا

(١) حديث « الإيمان ثلاث وثلاثون وثلثمائة طريقة من لقى الله بالشهادة على طريق منها دخل الجنة » أخرجه ابن شاهين واللالكائى فى السنة والطبرانى والبيهقى فى الشعب من رواية المغيرة بن عبد الرحمن بن عبد عن أبيه عن جده « الإيمان ثلثمائة وثلاثة وثلاثون شريعة من وافى شريعة منهن دخل الجنة » وقال الطبرانى والبيهقى « ثلثمائة وثلاثون » وفى إسناده جهالة .

بعدد الرسل فكل مؤمن على خلق منها فهو سالك الطريق إلى الله . فإذن الناس وإن اختلفت طرقهم في العبادة فكلهم على الصواب (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) وإنما يتفاوتون في درجات القرب لا في أصله ، وأقربهم إلى الله تعالى أعرفهم به ، وأعرفهم به لابد وأن يكون أعبدهم له ؛ فمن عرفه لم يعبد غيره. والأصل في الأوراد في حق كل صنف من الناس المداومة فإن المراد منه تغيير الصفات الباطنة . وآحاد الأعمال يقل آثارها بل لا يحس بآثارها وإنما يترتب الأثر على المجموع فإذا لم يعقب العمل الواحد أثرا محسوسا ولم يردف بثان وثالث على القرب انمحى الأثر الأول وكان كالمفقيه يريد أن يكون فقيه النفس فإنه لا يصير فقيه النفس إلا بتكرار كثير ؛ فلو بالغ ليلة في التكرار وترك شهرا أو أسبوعا ثم عاد وبالغ ليلة لم يؤثر هذا فيه . ولو وزع ذلك القدر على الليالي المتواصلة لأثر فيه . ولهذا السر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل [1] . وسئلت عائشة رضي الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملا أثبته [2] » ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقته الله [3] » وهذا كان السبب في صلاته بعد العصر تداركا لما فاته من ركعتين شغله عنهما الوفد ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما بعد العصر ولكن في منزله لا في المسجد كيلا يقتدى به [4] روته عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما . فإن قلت : فهل لغيره أن يقتدى به في ذلك مع أن الوقت وقت كراهية ؟ فاعلم أن المعاني الثلاثة التي ذكرناها في الكراهية من الاحتراز عن التشبه بعبدة الشمس أو السجود وقت ظهور قرن الشيطان أو الاستراحة عن العبادة حذرا من الملال لا يتحقق في حقه فلا يقاس عليه في ذلك غيره . ويشهد لذلك فعله في المنزل حتى لا يقتدى به صلى الله عليه وسلم .

الباب الثاني : في الأسباب الميسرة لقيام الليل وفي الليالي التي يستحب إحياؤها وفي فضيلة إحياء الليل وما بين العشاءين وكيفية قسمة الليل

فضيلة إحياء مابين العشاءين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روت عائشة رضي الله عنها « إن أفضل الصلوات عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا عن مقيم فتح بها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرا في الجنة [5] » قال الراوي : لا أدري من ذهب أو فضة ؟ « ومن صلى بعدها أربع ركعات غفر له ذنب عشرين سنة أو قال أربعين سنة » وروت أم سلمة وأبو هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة كاملة أو كأنه صلى ليلة القدر [6] » وعن سعيد بن جبير عن ثوبان

---

(١) حديث « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » متفق عليه من حديث عائشة . (٢) حديث « سئلت عائشة عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملا أثبته » رواه مسلم . (٣) حديث « من عوده الله عبادة فتركها ملالا مقته الله » تقدم في الصلاة وهو موقوف على عائشة . (٤) حديث « شغله الوفد عن ركعتين فصلاهما بعد العصر ثم لم يزل يصليهما بعد العصر في منزله » متفق عليه من حديث أم سلمة « أنه صلى بعد العصر ركعتين وقال شغلني ناس من عبد القيس عن الركعتين بعد الظهر » ولهما من حديث عائشة « ما تركهما حتى لقي الله وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصليهما ولا يصليهما في المسجد مخافة أن يثقل على أمته » والله الموفق للصواب .

الباب الثاني : في الأسباب الميسرة لقيام الليل

(٥) حديث عائشة « إن أفضل الصلاة عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا عن مقيم . . الحديث » رواه أبو الوليد يونس بن عبيد الله الصفار في كتاب الصلاة ورواه الطبراني في الأوسط مختصرا وإسناده ضعيف . (٦) حديث أم سلمة عن أبي هريرة « من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة أو كأنه صلى ليلة القدر » أخرجه الترمذي وابن ماجه بلفظ =

قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قرآن كان حقا على الله أن يبنى له قصرين فى الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه أهل الدنيا لوسعهم [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « من ركع عشر ركعات مابين المغرب والعشاء بنى الله له قصرا فى الجنة فقال عمر رضى الله عنه : إذاً تكثر قصورنا يارسول الله فقال : الله أكثر وأفضل ـ أو قال ـ أطيب [2] » وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى المغرب فى جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولم يتكلم بشىء فيما بين ذلك من أمر الدنيا ويقرأ فى الركعة الأولى فاتحة الكتاب وعشر آيات من أول سورة البقرة وآيتين من وسطها وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إنّ فى خلق السموات والأرض إلى آخر الآية وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ثم يركع ويسجد فإذا قام فى الركعة الثانية قرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسى وآيتين بعدها إلى قوله (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وثلاث آيات من آخر سورة البقرة من قوله لله مافى السموات ومافى الأرض إلى آخرها وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة [3] » وصف من ثوابه فى الحديث مايخرج عن الحصر وقال كرز بن وبرة وهو من الأبدال : قلت للخضر عليه السلام علمنى شيئا أعمله فى كل ليلة فقال إذا صليت المغرب فقم إلى وقت صلاة العشاء مصليا من غير أن تكلم أحدا وأقبل على صلاتك التى أنت فيها وسلم من كل ركعتين واقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاثا فإن فرغت من صلاتك انصرف إلى منزلك ولا تكلم أحدا وصل ركعتين واقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد سبع مرات فى كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله تعالى سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم سبع مرات ، ثم ارفع رأسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل ياحى ياقيوم ياذا الجلال والإكرام ياإله الأولين والآخرين يارحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يارب يارب يارب ياألله يا ألله يا ألله ، ثم قم وأنت رافع يديك وأدع بهذا الدعاء ، ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبى صلى الله عليه وسلم وأدم الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم . فقلت له: أحب أن تعلمنى ممن سمعت هذا ؟ فقال : إنى حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعاء وأوحى إليه به فكنت عنده وكان ذلك بمحضر منى فتعلمته ممن علمه إياه [4] ويقال إنّ هذا الدعاء وهذه الصلاة من داوم عليهما بحسن يقين وصدق نية رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامه قبل أن يخرج من الدنيا ؛ وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى أنه أدخل الجنة ورأى فيها الأنبياء ورأى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وعلمه . وعلى الجملة ماورد فى فضل إحياء مابين العشاءين كثير حتى قيل لعبيد الله مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بصلاة غير المكتوبة ؟ قال : مابين المغرب والعشاء [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى مابين المغرب والعشاء تلك

= اثنتى عشرة سنة وضعفه الترمذى وأما قوله « كانه صلى ليلة القدر » فهو من قول كعب الأحبار كما رواه أبو الوليد الصفار ، ولأبى منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس « من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يكلم أحداً وصمت له فى عليين وكان كمن أدرك ليلة القدر فى المسجد الأقصى » وسنده ضعيف . (١) حديث سعيد بن جبير عن ثوبان « من عكف نفسه مابين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قرآن كان حقا على الله أن يبنى له قصرين فى الجنة » لم أجد له أصلا من هذا الوجه وقد تقدم فى الصلاة من حديث ابن عمر . (٢) حديث « من ركع عشر ركعات بين المغرب والعشاء بنى الله له قصراً فى الجنة فقال عمر إذا تكثر قصورنا يارسول الله ... الحديث » أخرجه ابن المبارك فى الزهد من حديث عبد الكريم ابن الحارث مرسلا . (٣) حديث أنس « من صلى المغرب فى جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولا يتكلم بشىء فيما بين ذلك من أمر الدنيا ويقرأ فى الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وعشر آيات من أول البقرة وآيتين من وسطها وإلهكم إله واحد .. الحديث » أخرجه أبو الشيخ فى الثواب من رواية زياد بن ميمون عنه مع اختلاف يسير وهو ضعيف (٤) حديث كرز بن وبرة « أن الخضر علمه صلاة بين المغرب والعشاء وفيه أن كرزاً سأل الخضر ممن سمعت هذا ؟ قال : إنى حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حين علم هذا الدعاء ... الحديث » وهذا باطل لا أصل له . (٥) حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له « هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بصلاة غير المكتوبة ؟ قال مابين المغرب والعشاء » رواه أحمد وفيه رجل لم يسم .

صلاة الأوابين [١] » وقال الأسود ماأتيت ابن مسعود رضى الله عنه فى هذا الوقت إلا ورأيته يصلى فسألته فقال : نعم هى ساعة الغفلة : وكان أنس رضى الله عنه يواظب عليها ويقول : هى ناشئة الليل ، ويقول : فيها نزل قوله تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) وقال أحمد بن أبى الحوارى : قلت لأبى سليمان الدارانى أصوم النهار وأتعشى بين المغرب والعشاء أحب إليك أو أفطر بالنهار وأحيى مابينهما ؟ فقال : اجمع بينهما ، فقلت : إن لم يتيسر ؟ قال أفطر وصل ما بينهما .

فضيلة قيام الليل

أما من الآيات : فقوله تعالى (إنّ ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل) الآية وقوله تعالى (إنّ ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا) وقوله سبحانه وتعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) وقوله تعالى (أمن هو قانت آناء الليل) الآية وقوله عزوجل (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) وقوله تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة) قيل هى قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس . ومن الأخبار : قوله صلى الله عليه وسلم « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فإن استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فإن توضأ انحلت عقدة فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان [٢] » وفى الخبر « أنه ذكر عنده رجل ينام كل الليل حتى يصبح فقال : ذاك رجل بال الشيطان فى أذنه [٣] » وفى الخبر « إنّ للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فإذا أسعط العبد ساء خلقه وإذا ألعقه ذرب لسانه بالشر وإذا ذره نام الليل حتى يصبح [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « ركعتان يركعهما العبد فى جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتى لفرضتهما عليهم [٥] » وفى الصحيح عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن من الليل ساعة لايوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه إياه » وفى رواية « يسأل الله تعالى خيرا من الدنيا والآخرة وذلك فى كل ليلة » وقال المغيرة بن شعبة : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تفطرت قدماه فقيل له : أما قد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : أفلا أكون عبدا شكورا [٦] ويظهر من معناه أن ذلك كناية عن زيادة الرتبة فإن الشكر سبب المزيد قال تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) وقال صلى الله عليه وسلم « ياأبا هريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك ياأبا هريرة صل فى زوايا بيتك يكن نور بيتك فى السماء كنور الكواكب والنجم عند أهل الدنيا [٧] » وقال صلى الله عليه وسلم « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم . فإن قيام الليل قربة إلى الله عزوجل وتكفير للذنوب

---

(١) حديث « من صلى ما بين المغرب والعشاء فذلك صلاة الأوابين » تقدم فى الصلاة .

(٢) حديث « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد .. الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة .

(٣) حديث « ذكر عنده رجل نام حتى أصبح فقال : ذاك رجل بال الشيطان فى أذنه » متفق عليه من حديث ابن مسعود .

(٤) حديث « إن للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا ... الحديث » أخرجه الطبرانى من حديث أنس « إن الشيطان لعوقا وكحلا فإذا لعق الإنسان من لعوقه ذرب لسانه بالشر وإذا كحله من كحله نامت عيناه عن الذكر » ورواه البزار من حديث سمرة بن جندب وسندهما ضعيف . (٥) حديث « ركعتان يركعهما العبد فى جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتى لفرضتهما عليهم » أخرجه آدم بن أبى إياس فى الثواب ومحمد بن نصر المروزى فى كتاب قيام الليل من رواية حسان بن عطية مرسلا ووصله أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر ولايصح . (٦) حديث المغيرة بن شعبة « قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تفطرت قدماه ... الحديث » متفق عليه . (٧) حديث « ياأبا هريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك ، ياأبا هريرة صل فى زوايا بيتك يكن نور بيتك فى السماء كنور الكواكب والنجوم عند أهل الدنيا » باطل لاأصل له .

ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الإثم [١] » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن امرئ تكون له صلاة بالليل فغلبه عليها النوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم لأبي ذر « لو أردت سفرا أعددت له عدة ؟ قال : نعم ، قال : فكيف سفر طريق القيامة ألا أنبئك يا أباذر بما ينفعك ذلك اليوم ؟ قال : بلى بأبي أنت وأمي ، قال : صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظائم الأمور وتصدق بصدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها [٣] » وروى « أنه كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول : يارب النار أجرني منها ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : إذا كان ذلك فآذنوني فأتاه فاستمع فلما أصبح قال : يا فلان هلا سألت الله الجنة ؟ قال : يارسول الله إني لست هناك ولا يبلغ عملي ذاك فلم يلبث إلا يسيرا حتى نزل جبرائيل عليه السلام وقال : أخبر فلانا أن الله قد أجاره من النار وأدخله الجنة [٤] » ويروى « أن جبرائيل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم : نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل ، فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل [٥] » قال نافع : كان يصلي بالليل ثم يقول : يانافع أسحرنا ؟ فأقول : لا ، فيقوم لصلاته ثم يقول يانافع أسحرنا ؟ فأقول : نعم ، فيقعد فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر . وقال علي بن أبي طالب شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله تعالى إليه : يايحيى أوحدت دارا خيرا لك من داري ؟ أم وحدت جوارا خيرا لك من جواري ؟ فوعزتي وجلالي يايحيى لو اطلعت إلى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت إلى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الجلد بعد المسوح » . وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق فقال : سينهاه مايعمل [٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح في وجهها الماء [٧] » وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى فإن أبى نضحت في وجهه الماء » وقال صلى الله عليه وسلم « من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات [٨] » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل [٩] » وقال

---

(١) حديث « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم . الحديث » أخرجه الترمذي من حديث بلال وقال غريب ولا يصح ورواه الطبراني والبيهقي من حديث أبي أمامة بسند حسن وقال الترمذي إنه أصح .

(٢) حديث « مامن امرئ يكون له صلاة بالليل يغلبه عليها نوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه » أخرجه أبو داود والنسائي من حديث عائشة وفيه رجل لم يسم سماه النسائي في رواية الاسود بن يزيد لكن في طريقه ابن جعفر الرازي قال النسائي ليس بالقوي ورواه النسائي وابن ماجه من حديث أبي الدرداء نحوه بسند صحيح وتقدم في الباب قبله .

(٣) حديث إنه قال لأبي ذر « لو أردت سفرا أعددت له عدة فكيف بسفر طريق القيامة ألا أنبئك ياأبا ذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأبي وأمي قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور ... الحديث » أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد من رواية السري بن مجاهد مرسلا والسري ضعفه الأزدي .

(٤) حديث « أنه كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول : يارب النار أجرني منها . فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : إذا كان ذلك فآذنوني ... الحديث » لم أقف له على أصل . (٥) حديث « أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم : نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل ... الحديث » متفق عليه من حديث ابن عمر « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك » وليس فيه ذكر لجبريل . (٦) حديث « قيل له إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق قال سينهاه مايعمل » أخرجه ابن حبان من حديث أبي هريرة . (٧) حديث « رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت ... الحديث » أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث أبي هريرة . (٨) حديث « من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات » أخرجه أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة وأبي سعيد بسند صحيح . (٩) حديث « أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل » أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة

عمر بن الخطاب رضى الله عنه : قال صلى الله عليه وسلم « من نام عن حزبه أو عن شيء منه بالليل فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل [1] » الآثار : روى أن عمر رضى الله عنه كان يمر بالآية من ورده بالليل فيسقط حتى يعاد منها أياما كثيرة كما يعاد المريض . وكان ابن مسعود رضى الله عنه إذا هدأت العيون قام فيسمع له دوى كدوى النحل حتى يصبح ويقال : إن سفيان الثورى رحمه الله شبع ليلة فقال : إن الحمار إذا زيد فى علفه زيد فى عمله فقام تلك الليلة حتى أصبح . وكان طاوس رحمه الله إذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما تتقلى الحبة على المقلاة ثم يثب ويصلى إلى الصباح ثم يقول : طير ذكر جهنم نوم العابدين . وقال الحسن رحمه الله : ما نعلم عملا أشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال فقيل له : ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها ؟ قال : لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره . وقدم بعض الصالحين من سفره فمهد له فراش فنام عليه حتى فاته ورده فحلف أن لا ينام بعدها على فراش أبدا . وكان عبد العزيز بن رواد إذا جن عليه الليل يأتى فراشه فيمرّ يده عليه ويقول : إنك للين ووالله إن فى الجنة لألين منك ولا يزال يصلى الليل كله . وقال الفضيل : إنى لأستقبل الليل من أوله فيهولنى طوله فأفتتح القرآن فأصبح وما قضيت نهمتى . وقال الحسن : إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل . وقال الفضيل : إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك . وكان صلة بن أشيم رحمه الله يصلى الليل كله فإذا كان فى السحر قال : إلهى ليس مثلى يطلب الجنة ولكن أجرنى برحمتك من النار . وقال رجل لبعض الحكماء : إنى لأضعف عن قيام الليل ، فقال له « يا أخى لا تعص الله تعالى ولا تنم بالليل . وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان فى جوف الليل قامت الجارية فقالت : يا أهل الدار الصلاة الصلاة ! فقالوا : أصبحنا أطلع الفجر ؟ فقالت : وما تصلون إلا المكتوبة ؟ قالوا : نعم ؛ فرجعت إلى الحسن فقالت : يا مولاى بعتنى من قوم لا يصلون إلا المكتوبة ؟ ردنى . فردها ، وقال الربيع : بت فى منزل الشافعى رضى الله عنه ليالى كثيرة فلم يكن ينام من الليل إلا يسيرا . وقال أبو الحويرية . لقد صحبت أبا حنيفة رضى الله عنه ستة أشهر فما فيها ليلة وضع جنبه على الأرض . وكان أبو حنيفة يحيى نصف الليل فمرّ بقوم فقالوا : إنّ هذا يحيى الليل كله : فقال : إنى أستحى أن أوصف بما لا أفعل فكان بعد ذلك يحيى الليل كله . ويروى أنه ما كان له فراش بالليل . ويقال : إنّ مالك بن دينار رضى الله عنه بات يردد هذه الآية ليلة حتى أصبح (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية : وقال المغيرة بن حبيب : رمقت مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء ثم قام إلى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول حرم شيبة مالك على النار إلهى قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فأى الرجلين مالك ؟ وأى الدارين دار مالك ؟ فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر . وقال مالك بن دينار : سهوت ليلة عن وردى ونمت فإذا أنا فى المنام بجارية كأحسن ما يكون وفى يدها رقعة فقالت لى : أتحسن تقرأ ؟ فقلت : نعم ، فدفعت إلى الرقعة فإذا فيها :

أألهتك اللذائذ والأمانى ... عن البيض الأوانس فى الجنان
تعيش مخلدا لا موت فيها ... وتلهو فى الجنان مع الحسان
تنبه من منامك إن خيرا ... من النوم التهجد بالقران

وقيل حج مسروق فما بات ليلة إلا ساجدا . ويروى عن أزهر بن مغيث وكان من القوامين أنه قال : رأيت فى

(١) حديث عمر « من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنه قرأه من الليل » رواه مسلم

المنام امرأة لاتشبه نساء أهل الدنيا فقلت لها : من أنت ؟ قالت : حوراء ؛ فقلت : زوجيني نفسك ؛ فقالت اخطبني إلى سيدي وأمهرني ؛ فقلت : ومامهرك ؟ قالت : طول التهجد وقال يوسف بن مهران : بلغني أنّ تحت العرش ملكا في صورة ديك برائته من لؤلؤ وصئصئه من زبرجد أخضر فإذا مضى ثلث الليل الأول ضرب بجناحيه وزقا وقال : ليقم القائمون فإذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال : ليقم المتهجدون ؛ فإذا مضى ثلثا الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال : ليقم المصلون ؛ فإذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقا وقال : ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم . وقيل إنّ وهب بن منبه اليماني ما وضع جنبه إلى الأرض ثلاثين سنة وكان يقول : لأن أرى في بيتي شيطانا أحب إلي من أن أرى في بيتي وسادة لأنها تدعو إلى النوم ، وكانت له مسورة من أدم إذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفزع إلى الصلاة . وقال بعضهم : رأيت رب العزة في النوم فسمعته يقول : وعزتي وجلالي لأكرمن مثوى سليمان التيمي فإنه صلى لي الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة . ويقال كان مذهبه أن النوم إذا حام القلب بطل الوضوء ، وروى في بعض الكتب القديمة عن الله تعالى أنه قال : إن عبدي الذي هو عبدي حقا الذي لاينتظر بقيامه صياح الديكة .

بيان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل

اعلم أن قيام الليل عسير على الخلق إلا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا

فأما الظاهرة فأربعة أمور (الأول) أن لايكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام . كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول : معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتتحسروا عند الموت كثيرا . وهذا هو الأصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام (الثاني) أن لايتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تعيا بها الجوارح وتضعف بها الأعصاب فإن ذلك أيضا مجلبة للنوم (الثالث) أن لايترك القيلولة بالنهار فإنها سنة للاستعانة على قيام الليل[1] (الرابع) أن لايحتقب الأوزار بالنهار فإن ذلك مما يقسي القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة . قال رجل للحسن : يا أبا سعيد إني أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعدّ طهوري فما بالي لا أقوم ؟ فقال : ذنوبك قيدتك . وكان الحسن رحمه الله إذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول : أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء فإنهم لا يقيلون . وقال الثوري : حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته ، قيل وما ذاك الذنب ؟ قال : رأيت رجلا يبكي فقلت في نفسي هذا مراء وقال بعضهم : دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت أتاك نعي بعض أهلك ؟ فقال : أشد ؛ فقلت : وجع يؤلمك ؟ قال : أشد ؛ قلت : فماذاك ؟ قال : باب مغلق وستر مسبل ولم أقرأ حزبي البارحة وماذاك إلا بذنب أحدثته . وهذا لأن الخير يدعو إلى الخير والشر يدعو إلى الشر والقليل من كل واحد منهما يجرّ إلى الكثير . ولذلك قال أبو سليمان الداراني : لاتفوت أحدا صلاة الجماعة إلا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة بعد . وقال بعض العلماء : إذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى أي شيء تفطر فإن العبد ليأكل أكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود إلى حالته الأولى . فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل ، وأخصها بالتأثير تناول الحرام . وتؤثر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحريكه إلى الخير مالا يؤثر غيرها ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له . ولذلك قال بعضهم : كم من أكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة ؟ وإن العبد ليأكل أكلة أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة . وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات . وقال بعض السجادين

(١) حديث « الاستعانة بقيلولة النهار على قيام الليل » أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عباس وقد تقدم .

كنت سجانا نيفا وثلاثين سنة أسأل كل مأخوذ بالليل أنه هل صلى العشاء فى جماعة فكانوا يقولون : لا ؟ وهذا تنبيه على أن بركة الجماعة تنهى عن تعاطى الفحشاء والمنكر .

وأما الميسرات الباطنة فأربعة أمور : (الأول) سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لايتيسر له القيام ، وإن قام فلا يتفكر فى صلاته إلا فى مهماته ولا يجول إلا فى وساوسه وفى مثل ذلك يقال :

يخبرنى البواب أنك نائم وأنت إذا استيقظت أيضاً فنائم

(الثانى) : خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل فإنه إذا تفكر فى أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره كما قال طاوس : إنّ ذكر جهنم طير نوم العابدين . وكما حكى أن غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيدته : إنّ قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار ، فقال : إنّ صهيبا إذا ذكر النار لايأتيه النوم وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل فقال : إذا ذكرت النار اشتدّ خوفى وإذا ذكرت الجنة اشتدّ شوقى فلا أقدر أن أنام وقال ذو النون المصرى رحمه الله :

مع القرآن بوعده ووعيده مقل العيون بليلها أن تهجعا
فهموا عن الملك الجليل كلامه فرقابهم ذلت إليه تخضعا

وأنشدوا أيضاً :

يا طويل الرقاد والغفلات كثرة النوم تورث الحسرات
إن فى القبر إن نزلت إليه لرقادا يطول بعد الممات
ومهادا ممهدا لك فيه بذنوب عملت أو حسنات
أأمنت البيات من ملك الموت وكم نال آمنا ببيات

وقال ابن المبارك :

إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن فى الدنيا هجوع

(الثالث) أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأخبار والآثار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه إلى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة فى درجات الجنان ؛ كما حكى أن بعض الصالحين رجع من غزوته فهدت امرأته فراشها وجلست تنتظره فدخل المسجد ولم يزل يصلى حتى أصبح فقالت له زوجته : كنا ننتظرك مدة فلما قدمت صليت إلى الصبح ؟ قال : والله إنى كنت أتفكر فى حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والمنزل فقمت طول ليلتى شوقا إليها .

(الرابع) وهو أشرف البواعث ؛ الحب لله وقوة الإيمان بأنه فى قيامه لايتكلم بحرف إلا وهو مناج ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة مايخطر بقلبه وأن تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه ، فإذا أحب الله تعالى أحب لامحالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام . ولا ينبغى أن يستبعد هذه اللذة إذ يشهد لها العقل والنقل . فأما العقل فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله أو لملك بسبب إنعامه وأمواله أنه كيف يتلذذ به فى الخلوة ومناجاته حتى لايأتيه النوم طول ليله ، فإن قلت : إن الجميل يتلذذ بالنظر إليه وإن الله تعالى لايرى ؟ فاعلم

أنه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر أو كان فى بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمحاورته المجردة دون النظر ودون الطمع فى أمر آخر سواه . وكان يتنعم بإظهار حبه عليه وذكره بلسانه بمسمع منه وإن كان ذلك أيضا معلوما عنده * فإن قلت : إنه ينتظر جوابه فليتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله تعالى ؟ فاعلم أنه إن كان يعلم أنه لا يجيبه ويسكت عنه فقد بقيت له أيضا لذة فى عرض أحواله عليه ورفع سريرته إليه كيف والموقن يسمع من الله تعالى كل مايرد على خاطره فى أثناء مناجاته فيتلذذ به ؟ وكذا الذى يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته فى جنح الليل يتلذذ به فى رجاء إنعامه . والرجاء فى حق الله تعالى أصدق وما عند الله خير وأبقى وأنفع مما عند غيره فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه فى الخلوات ؟ وأما النقل فيشهد له أحوال قوام الليل فى تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب حتى قيل لبعضهم : كيف أنت والليل ؟ قال : ماراعته قط يرينى وجهه ثم ينصرف وماتأملته بعد . وقال آخر : أنا والليل فرسا رهان مرة يسبقنى إلى الفجر ومرة يقطعنى عن الفكر . وقيل لبعضهم : كيف الليل عليك ؟ فقال : ساعة أنا فيها بين حالتين أفرح بظلمته إذا جاء وأغتم بفجره إذا طلع ، ماتم فرحى به قط وقال على بن بكار : منذ أربعين سنة ما أحزننى شىء سوى طلوع الفجر . وقال الفضيل بن عياض : إذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتى بربى وإذا طلعت حزنت لدخول الناس على . وقال أبو سليمان : أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو فى لهوهم ولولا الليل ما أحببت البقاء فى الدنيا . وقال أيضا : لو عوض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم مايجدونه من اللذة لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم . وقال بعض العلماء : ليس فى الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا مايجده أهل التلذذ فى قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة . وقال بعضهم : لذة المناجاة ليست من الدنيا إنما هى من الجنة أظهرها الله تعالى لأوليائه لايجدها سواهم ، وقال ابن المنكدر : مابقى من لذات الدنيا إلا ثلاث قيام الليل ولقاء الإخوان والصلاة فى الجماعة . وقال بعض العارفين : إن الله تعالى ينظر بالأسحار إلى قلوب المتيقظين فيملؤها أنواراً فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافى إلى قلوب الغافلين . وقال بعض العلماء من القدماء : إن الله تعالى أوحى إلى بعض الصدّيقين إن لى عبادا من عبادى أحبهم ويحبوننى ويشتاقون إلى وأشتاق إليهم ويذكروننى وأذكرهم وينظرون إلى وأنظر إليهم فإن حذوت طريقهم أحببتك وإن عدلت عنهم مقتك ، قال يارب وماعلامتهم؟ قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى غنمه ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها فإذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا إلى أقدامهم وافترشوا إلى وجوههم وناجونى بكلامى وتملقوا إلى بإنعامى فبين صارخ وباكى وبين متأوه وشاكى بعينى مايتحملون من أجلى وبسمعى ما يشتكون من حبى أول ما أعطيهم أقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم . والثانية : لو كانت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهما فى موازينهم لاستقللتها لهم . والثالثة : أقبل بوجهى عليهم أفترى من أقبلت بوجهى عليه أيعلم أحد ما أريد أن أعطيه ؟ وقال مالك بن دينار رحمه الله إذا قام العبد يتهجد من الليل قرب منه الجبار عز وجل . وكانوا يرون ما يجدون من الرقة والحلاوة فى قلوبهم والأنوار من قرب الرب تعالى من القلب وهذا له سر وتحقيق ستأتى الإشارة إليه فى كتاب المحبة . وفى الأخبار عن الله عز وجل « أى عبدى أنا الله الذى اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نورى » وشكا بعض المريدين إلى أستاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم فقال أستاذه : يابنى إن لله نفحات فى الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطئ القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات ؛ فقال : ياسيدى تركتنى لاأنام بالليل ولا بالنهار

واعلم أن هذه النفحات بالليل أرجى لما فى قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل ، وفى الخبر الصحيح عن جابر بن عبدالله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن من الليل ساعة لايوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه إياه [1] » وفى رواية أخرى « يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه وذلك كل ليلة » ومطلوب القائمين تلك الساعة وهى مبهمة فى جملة الليل كليلة القدر فى شهر رمضان وكساعة يوم الجمعة وهى ساعة النفحات المذكورة والله أعلم .

بيـان طرق القسمة لأجزاء الليل

اعلم أن إحياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب (الأولى) إحياء كل الليل وهذا شأن الأقوياء الذين تجردوا لعبادة الليل وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا المنام إلى النهار وفى وقت اشتغال الناس ، وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء . حكى أبو طالب المكى أن ذلك حكى على سبيل التواتر والاشتهار عن أربعين من التابعين وكان فيهم من واظب عليه أربعين سنة ، قال : منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم ـ المدنيان ـ وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد ـ المكيان ـ وطاوس ووهب بن منبه ـ اليمانيان ـ والربيع بن خيثم والحكم ـ الكوفيان ـ وأبو سليمان الدارانى وعلى بن بكار ـ الشاميان ـ وأبو عبدالله الخواص وأبو عاصم ـ العباديان ـ وحبيب أبو محمد وأبو جابر السلمانى ـ الفارسيان ـ ومالك بن دينار سليمان التيمى ويزيد الرقاشى وحبيب بن أبى ثابت ويحيى البكاء ـ البصريون ـ وكهمس بن المنهال وكان يختم فى الشهر تسعين ختمة ومالم يفهمه رجع وقرأه مرة أخرى . وأيضا من أهل المدينة : أبو حازم ومحمد بن المنكدر فى جماعة يكثر عددهم (المرتبة الثانية) أن يقوم نصف الليل : وهذا لاينحصر عدد المواظبين عليه من السلف . وأحسن فيه أن ينام الثلث الأول من الليل والسدس الأخير منه حتى يقع قيامه فى جوف الليل ووسطه فهو الأفضل (المرتبة الثالثة) أن يقوم ثلث الليل : فينبغى أن ينام النصف الأول والسدس الأخير ، وبالجملة نوم آخر الليل محبوب لأنه يذهب النعاس بالغداة ، وكانوا يكرهون ذلك ، ويقال صفرة الوجه والشهرة به فلو قام أكثر الليل ونام سحرا قلت صفرة وجهه وقل نعاسه . وقالت عائشة رضى الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حاجة إلى أهله دنا منهن وإلا اضطجع فى مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه للصلاة [2] » وقالت أيضا رضى الله عنها « ماألفيته بعد السحر إلا نائما [3] » حتى قال بعض السلف : هذه الضجعة قبل الصبح سنة ، منهم أبو هريرة رضى الله عنه . وكان نوم هذا الوقت سببا للمكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب وذلك لأرباب القلوب وفيه استراحة

---

(١) حديث جابر « إن من الليل ساعة لايوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة » رواه مسلم .

(٢) حديث « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حاجة إلى أهله دنا منهن وإلا اضطجع فى مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذن بالصلاة » أخرجه مسلم من حديث عائشة « كان ينام أول الليل ويحيى آخره ثم إن كان له حاجة إلى أهله قضى حاجته ثم ينام » وقال النسائى « فإذا كان من السحر أوتر ثم أتى فراشه فإذا كان له حاجة إلى أهله » ولأبى داود « كان إذا قضى صلاته من آخر الليل نظر فإن كنت مستيقظة حدثنى وإن كنت نائمة أيقظنى وصلى الركعتين ثم اضطجع حتى يأتيه المؤذن فيؤذنه بصلاة الصبح فيصلى ركعتين خفيفتين ثم يخرج إلى الصلاة » وهو متفق عليه بلفظ « كان إذا صلى فإن كنت مستيقظة حدثنى وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة » وقال مسلم « إذا صلى ركعتى الفجر » (٣) حديث عائشة « ماألفيته بعد السحر الأعلى إلا نائما » متفق عليه بلفظ « ماألفى رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر الأعلى فى بيتى أو عندى إلا نائما » لم يقل البخارى « الأعلى » وقال ابن ماجه « ماكنت ألقى أو ألفى النبى صلى الله عليه وسلم من آخر الليل إلا وهو نائم عندى »

تعين على الورد الأول من أوراد النهار وقيام ثلث الليل من النصف الأخير . ونوم السدس الأخير قيام داود صلى الله عليه وسلم (المرتبة الرابعة) أن يقوم سدس الليل أو خمسه وأفضله أن يكون فى النصف الأخير وقبل السدس الأخير منه (المرتبة الخامسة) أن لا يراعى التقدير فإن ذلك إنما يتيسر لنبي يوحى إليه أو لمن يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه ويواظبه ويوقظه ثم ربما يضطرب فى ليالى الغيم ، ولكنه يقوم من أول الليل إلى أن يغلبه النوم فإذا انتبه قام فإذا غلبه النوم عاد إلى النوم . فيكون له فى الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل وأشد الأعمال وأفضلها ، وقد كان هذا من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] ، وهو طريقة ابن عمر وأولى العزم من الصحابة وجماعة من التابعين رضى الله عنهم . وكان بعض السلف يقول : هى أول نومة فإذا انتبهت ثم عدت إلى النوم فلا أنام الله لى عينا . فأما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان يقوم نصف الليل أو ثلثه أو سدسه [2] يختلف ذلك فى الليالى ودل عليه قوله تعالى فى الموضعين من سورة المزمل (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه) فأدنى من ثلثى الليل كأنه بصفه ونصف سدسه فإن كسر قوله (ونصفه وثلثه) كان نصف الثلثين وثلثه ويقرب من الثلث والربع وإن نصب كان نصف الليل وقالت عائشة رضى الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يقوم إذا سمع الصارخ [3] » يعنى الديك وهذا يكون السدس فما دونه . وروى غير واحد أنه قال « راعيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السفر ليلا فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر فى الأفق فقال (ربنا ما خلقت هذا باطلا) حتى بلغ (إنك لا تخلف الميعاد) ثم استل من فراشه سواكا فاستاك به وتوضأ وصلى حتى قلت : صلى مثل الذى نام . ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى . ثم استيقظ فقال ما قال أول مرة وفعل ما فعل أول مرة [4] » (المرتبة السادسة) وهى الأقل : أن يقوم مقدار اربع ركعات أو ركعتين أو تتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلا بالذكر والدعاء فيكتب فى جملة قوام الليل برحمة الله وفضله وقد جاء فى الأثر : صل من الليل ولو قدر حلب شاة [5] فهذه طرق القسمة فليختر المريد لنفسه ما يراه أيسر عليه . وحيث يتعذر عليه القيام فى وسط الليل فلا ينبغى أن يهمل إحياء ما بين العشاءين والورد الذى بعد العشاء . ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح

---

(١) حديث « قيامه أول الليل إلى أن يعلمه النوم فإذا انتبه قام فإذا غلبه عاد إلى النوم فيكون له فى الليل نومتان » أخرجه أبو داود والترمذى وصححه وابن ماجه من حديث أم سلمة « كان يصلى وينام قدر ما صلى ثم يصلى قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح » وللبخارى من حديث ابن عباس « صلى العشاء ثم جاء فصلى أربع ركعات ثم نام ثم قام » وفيه « فصلى خمس ركعات ثم صلى ركعتين ثم نام حتى سمعت غطيطه ... الحديث » .

(٢) حديث « ربما كان يقوم نصف الليل أو ثلثه أو ثلثيه أو سدسه » أخرجه الشيخان من حديث ابن عباس « قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ ... الحديث » وفى رواية للبخارى « فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء ... الحديث » ولأبى داود « قام حتى إذا ذهب ثلث الليل أو نصفه استيقظ ... الحديث » لمسلم من حديث عائشة « فيبعثه الله بما شاء أن يبعثه من الليل » . (٣) حديث عائشة « كان يقوم إذا سمع الصارخ » متفق عليه . (٤) حديث « غير واحد قال : راعيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السفر ليلا فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر فى الأفق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك — حتى بلغ — انك لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه سواكا فاستاك وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام .. الحديث » أخرجه النسائى من رواية حميد بن عبد الرحمن بن عوف « أن رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال : قلت وأنا فى سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأرقبن رسول الله صلى الله عليه وسلم » فذكر نحوه وروى أبو الوليد بن معيث فى كتاب الصلاة من رواية اسحق بن عبد الله بن أبى طلحة « أن رجلا قال لأرمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم » فذكر الحديث وفيه « أنه أخذ سواكه من مؤخر الرحل » وهذا يدل أنه أيضاً كان فى سفر .

(٥) حديث « صل من الليل ولو قدر حلب شاة » أخرجه أبو يعلى من حديث ابن عباس فى صلاة الليل مرفوعا « نصفه ثلثه ربعه فواق حلب ناقة فواق حلب شاة » ولأبى الوليد بن معيث من رواية اياس بن معاوية مرسلا « لابد من صلاة الليل ولو حلبة ناقة أو حلبة شاة » .

نائما ويقوم بطرفى الليل (وهذه هى المرتبة السابعة ومهما كان النظر إلى المقدار فترتيب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره : وأما فى الرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيهما إلى القدر فليس يجرى أمرهما فى التقدم والتأخر على الترتيب المذكور إذ السابعة ليست دون ماذكرناه فى السادسة ، ولا الخامسة دون الرابعة .

بيان الليالى والأيام الفاضلة

اعلم أن الليالى المخصوصة بمزيد الفضل التى يتأكد فيها استحباب الإحياء فى السنة خمس عشرة ليلة لا ينبغى أن يغفل المريد عنها فإنها مواسم الخيرات ومظان التجارات . ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل المريد عن فضائل الأوقات لم ينجح . فستة من هذه الليالى فى شهر رمضان : خمس فى أوتار العشر الأخير إذ فيها يطلب ليلة القدر . وليلة سبع عشرة من رمضان ـ فهى ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ، فيه كانت وقعة بدر ، وقال ابن الزبير رحمه الله : هى ليلة القدر ـ وأما التسع الأخر : فأول ليلة من المحرم . وليلة عاشوراء وأول ليلة من رجب وليلة النصف منه . وليلة سبع وعشرين منه وهى ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة فقد قال صلى الله عليه وسلم « للعامل فى هذه الليلة حسنات مائة سنة [1] » فمن صلى فى هذه الليلة اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويتشهد فى كل ركعتين ويسلم فى آخرهن ثم يقول « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ثم يستغفر الله مائة مرة ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من أمر دنياه وآخرته ويصبح صائما فإن الله يستجيب دعاءه كله إلا أن يدعو فى معصية ـ وليلة النصف من شعبان ـ ففيها مائة ركعة يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة سورة الإخلاص عشر مرات كانوا لايتركونها كما أوردناه فى صلاة التطوع ـ وليلة عرفة . وليلتا العيدين : قال صلى الله عليه وسلم « من أحيا ليلتى العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب [2] » .

وأما الأيام الفاضلة فتسعة عشر يستحب مواصلة الأوراد فيها : يوم عرفة . ويوم عاشوراء . ويوم سبعة وعشرين من رجب ـ له شرف عظيم روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا [3] » وهو اليوم الذى أهبط الله فيه جبرائيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ـ ويوم سبعة عشر من رمضان ـ وهو يوم وقعة بدر ـ ويوم النصف من شعبان . ويوم الجمعة ، ويوما العيدين والأيام المعلومات وهى عشر من ذى الحجة . والأيام المعدودات وهى أيام التشريق . وقد روى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة [4] » وقال بعض العلماء : من أخذه مهناة فى الأيام الخمسة فى الدنيا لم ينل مهناة فى الآخرة وأراد به العيدين والجمعة وعرفة وعاشوراء ومن فواضل الأيام فى الأسبوع يوم الخميس والاثنين ترفع فيهما الأعمال إلى الله تعالى : وقد ذكرنا فضائل الأشهر والأيام للصيام فى كتاب الصوم فلاحاجة إلى الإعادة والله أعلم ، وصلى الله على كل عبد مصطفى من كل العالمين .

---

(١) حديث « الصلاة المأثورة فى ليلة السابع والعشرين من رجب » ذكر أبو موسى المدينى فى كتاب فضائل والأيام الليالى : أن أبا محمد الحبارى رواه من طريق الحاكم أبى عبد الله من رواية محمد بن الفضل عن أبان عن أنس مرفوعا ، ومحمد بن الفضل وأبان ضعيفان جدا والحديث منكر . (٢) حديث « من أحيا ليلتى العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب » أخرجه باسناد ضعيف من حديث أبى أمامة . (٣) حديث أبى هريرة « من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذى هبط فيه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم » رواه أبو موسى المدينى فى كتاب فضائل الليالى والأيام من رواية شهر بن حوشب عنه . (٤) حديث أنس « إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة » تقدم فى الباب الخامس من الصلاة فذكر يوم الجمعة فقط وقد رواه بجملته ابن حبان فى الضعفاء وأبو نعيم فى الحلية من حديث عائشة وهو ضعيف .

تم الربع الأول من كتاب : إحياء علوم الدين ، وهو ربع العبادات ويتلوه : الربع الثانى ، وهو ربع العادات

فهرس

الجزء الأول

من إحياء علوم الدين

صحيفة

ب ترجمة الإمام الغزالى
د ترجمة الإمام العراقى
١ خطبة الكتاب
٤ كتاب العلم وفيه سبعة أبواب
الباب الأول فى فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهده من النقل والعقل
فضيلة العلم
٨ فضيلة التعلم
٩ فضيلة التعليم
١٢ فى الشواهد العقلية
١٣ الباب الثانى فى العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما وفيه بيان ماهو فرض عين وماهو فرض كفاية وبيان أن موقع الكلام والفقه من علم الدين إلى أى حد هو وتفضيل علم الآخرة
بيان العلم الذى هو فرض عين
١٩ بيان العلم الذى هو فرض كفاية
٢٩ الباب الثالث فيما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذى قد يكون به بعض العلوم مذموما . بيان تبديل أسامى العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها . بيان علة ذم العلم المذموم
٣١ بيان مايدل من ألفاظ العلوم
٣٨ بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة
٤١ الباب الرابع فى سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط إباحتها
٤٢ بيان التلبيس فى تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رحمهم الله تعالى
٤٥ بيان آفات المناظرة ومايتولد منها من مهلكات الأخلاق
٤٨ الباب الخامس فى آداب المتعلم والمعلم أما المتعلم

صحيفة

فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنتظم تماريقها فى عشر جمل
٥٥ بيان وظائف المرشد المعلم
٥٨ الباب السادس فى آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء
٨٣ الباب السابع فى العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه . بيان شرف العقل
٨٥ بيان حقيقة العقل وأقسامه
٨٧ بيان تفاوت النفوس فى العقل
٨٩ كتاب قواعد العقائد
وفيه أربعة فصول
الفصل الأول فى ترجمة عقيدة أهل السنة فى كلمتى الشهادة الخ
٩٤ الفصل الثانى فى وجه التدريج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد
١٠٤ الفصل الثالث من كتاب قواعد العقائد فى لوامع الأدلة للعقيدة التى ترجمناها بالقدس وفيها أركان أربعة
١٠٥ فأما الركن الأول من أركان الإيمان فى معرفة ذات الله سبحانه وتعالى وأن الله تعالى واحد ومداره على عشرة أصول
١٠٨ الركن الثانى العلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة أصول
١١٠ الركن الثالث العلم بأفعال الله تعالى ومداره على عشرة أصول
١١٤ الركن الرابع فى السمعيات وتصديقه ﷺ فيما أخبر عنه ومداره على عشرة أصول
١١٦ الفصل الرابع فى الإيمان والإسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال وما يتطرق إليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه ثلاث مسائل مسألة اختلفوا فى أن الإسلام هو الإيمان أو غيره الخ

صحيفة

١٢٠ مسألة فان قلت فقد اتفق السلف على أن الإيمان يزيد وينقص الخ
١٢١ مسألة فان قلت ماوجه قول السلف أنا مؤمن إن شاء الله الخ
١٢٥ كتاب أسرار الطهارة
وهو الكتاب الثالث من ربع العبادات
١٢٨ القسم الأول فى طهارة الخبث والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال به والإزالة. الطرف الأول فى المزال
الطرف الثانى فى المزال به
١٣٠ الطرف الثالث فى كيفية الإزالة
القسم الثانى طهارة الأحداث ومنها الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجاء
باب آداب قضاء الحاجة
١٣٢ كيفية الاستنجاء
كيفية الوضوء
١٣٥ فضيلة الوضوء
١٣٦ كيفية الغسل
كيفية التيمم
١٣٧ القسم الثالث فى النظافة والتنظيف عن الفضلات الظاهرة وهى نوعان أوساخ وأجزاء
النوع الأول الأوساخ والرطوبات المترشحة وهى ثمانية
١٤٠ النوع الثانى فيما يحدث فى البدن من الأجزاء وهى ثمانية
١٤٥ كتاب أسرار الصلاة ومهماتها
وفيه سبعة أبواب
١٤٦ الباب الأول فى فضائل الصلاة والسجود والجماعة والأذان وغيرها
فضيلة الأذان
فضيلة المكتوبة
١٤٧ فضيلة إتمام الأركان
١٤٨ فضيلة الجماعة

صحيفة

١٤٩ فضيلة السجود
١٥٠ فضيلة الخشوع
١٥١ فضيلة المسجد وموضع الصلاة
١٥٢ الباب الثانى فى كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وماقبله
١٥٣ القراءة
١٥٤ الركوع ولواحقه
السجود
١٥٥ التشهد
١٥٦ المنهيات
١٥٧ تمييز الفرائض والسنن
١٥٩ الباب الثالث فى الشروط الباطنة من أعمال القلب الخ
بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب
١٦١ بيان المعانى الباطنة التى تتم بها حياة الصلاة
١٦٣ بيان الدواء النافع فى حضور القلب
١٦٥ بيان تفصيل ماينبغى أن يحضر فى القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة
١٧١ حكايات وأخبار فى صلاة الخاشعين
١٧٣ الباب الرابع فى الإمامة والقدوة الخ
١٧٨ الباب الخامس فى فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها
فضيلة الجمعة
١٧٩ بيان شروط الجمعة
وأما السنن الخ
١٨٠ بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة وهى عشر جمل
١٨٥ بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذى يعم جميع النهار وهى سبعة أمور
١٨٨ الباب السادس فى مسائل متفرقة تعم بها البلوى، ويحتاج المريد إلى معرفتها
١٩٢ الباب الرابع فى النوافل من الصلوات وفيه أربعة أقسام

صحيفة

١٩٣ القسم الأول مايتكرر بتكرر الأيام والليالى وهى ثمانية
١٩٧ القسم الثانى مايتكرر بتكرر الأسابيع
٢٠٠ القسم الثالث مايتكرر بتكرر السنين
٢٠٣ القسم الرابع من النوافل مايتعلق بأسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهى تسعة
٢٠٨ كتاب أسرار الزكاة
وفيه أربعة فصول
٢٠٩ الفصل الأول فى أنواع الزكاة وأسباب وجوبها
النوع الأول زكاة النعم
٢١٠ النوع الثانى زكاة المعشرات
النوع الثالث زكاة النقدين
٢١١ النوع الرابع زكاة التجارة
النوع الخامس الركاز والمعدن
النوع السادس فى صدقة الفطر
٢١٢ الفصل الثانى فى الأداء وشروطه الباطنة والظاهرة
٢١٣ بيان دقائق الآداب الباطنة فى الزكاة
الوظيفة الأولى أى من الوظائف التى على مريد طريق الآخرة فهم وجوب الزكاة الخ
٢١٥ الوظيفة الثانية فى وقت الأداء
الوظيفة الثالثة الإسرار
٢١٦ الوظيفة الرابعة أن يظهر حيث يعلم أن فى إظهاره ترغيبا للناس الخ
الوظيفة الخامسة أن لا يفسد صدقته بالمن والأذى
٢١٨ الوظيفة السادسة أن يستصغر العطية
الوظيفة السابعة أن ينتقى من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه
٢١٩ الوظيفة الثامنة أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة الخ
٢٢١ الفصل الثالث فى القابض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه
بيان أسباب الاستحقاق

صحيفة

٢٢٢ بيان وظائف القابض
٢٢٥ الفصل الرابع فى صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها وإعطائها
بيان فضيلة الصدقة
٢٢٧ بيان إخفاء الصدقة وإظهارها
٢٣٠ بيان الأفضل من أخذ الصدقة أو الزكاة
كتاب أسرار الصوم
وفيه ثلاثة فصول
٢٣٢ الفصل الأول فى الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بافساده
أما الواجبات الظاهرة فستة
٢٣٣ لوازم الإفطار أربعة
٢٣٤ الفصل الثانى فى أسرار الصوم وشروطه الباطنة
٢٣٧ الفصل الثالث فى التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه
٢٣٩ كتاب أسرار الحج
وفيه ثلاثة أبواب
الباب الأول وفيه فصلان
الفصل الأول فى فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى وشد الرحال إلى المساجد
فضيلة الحج
٢٤١ فضيلة البيت ومكة المشرفة
فضيلة المقام بمكة حرسها الله وكراهيته
٢٤٣ فضيلة المدينة الشريفة على سائر البلاد
٢٤٥ الفصل الثانى فى شروط وجوب الحج وصحة أركانه وواجباته ومحظوراته
٢٤٦ الباب الثانى فى ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر إلى الرجوع وهى عشرة جمل
الجملة الأولى فى السير من أول الخروج إلى الإحرام وهى ثمانية
٢٤٨ الجملة الثانية فى آداب الإحرام من الميقات إلى دخول مكة وهى خمسة

صحيفة

٢٤٩ الجملة الثالثة فى آداب دخول مكة إلى الطواف وهى ستة
٢٥٠ الجملة الرابعة فى الطواف الخ .
٢٥٢ الجملة الخامسة فى السعى
٢٥٣ الجملة السادسة فى الوقوف وماقبله
٢٥٥ الجملة السابعة فى بقية أعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمى والنحر والحلق والطواف
٢٥٧ الجملة الثامنة فى صفة العمرة وما بعدها إلى طواف الوداع
٢٥٨ الجملة التاسعة فى طواف الوداع
الجملة العاشرة فى زيارة المدينة وآدابها
٢٦١ فصل فى سنن الرجوع من السفر
الباب الثالث فى الآداب الدقيقة والاعمال الباطنية
بيان دقائق الآداب وهى عشرة
٢٦٥ بيان الاعمال الباطنة ووجه الاخلاص فى النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر لاسرارها ومعانيها من أول الحج إلى آخره
٣٧٢ كتاب آداب تلاوة القرآن
وفيه أربعة ابواب
الباب الاول فى فضل القرآن وأهله وذم المقصرين فى تلاوته
فضيلة القرآن
٢٧٤ فى ذم تلاوة الغافلين
٢٧٥ الباب الثانى فى ظاهر آداب التلاوة وهى عشرة
٢٨٠ الباب الثالث فى أعمال الباطن فى التلاوة وهى عشرة
٢٨٨ الباب الرابع فى فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل
٦٩٣ كتاب الاذكار والدعوات
وفيه خمسة أبواب

صحيفة

٢٩٤ الباب الأول فى فضيلة الذكر وفائدته على الجملة والتفصيل من الآيات والاخبار والآثار
٢٩٦ فضيلة مجالس الذكر
٢٩٧ فضيلة التهليل
٢٩٨ فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الاذكار
٣٠٣ الباب الثانى فى آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الادعية المأثورة وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فضيلة الدعاء
٣٠٤ آداب الدعاء وهى عشرة
٣٠٩ فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضله
٣٠٩ فضيلة الاستغفار
٣١٣ الباب الثالث فى أدعية مأثورة ومعزية إلى اسبابها وأربابها مما يستحب أن يدعو بها المرء صباحا ومساء وبعقب كل صلاة
٣١٤ دعاء عائشة رضى الله عنها
دعاء فاطمة رضى الله عنها
دعاء أبى بكر الصديق رضى الله عنه
٣١٥ دعاء بريدة الاسلمى رضى الله عنه
دعاء قبيصة بن المخارق
دعاء أبى الدرداء رضى الله عنه
دعاء الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام
دعاء عيسى صلى الله عليه وسلم
دعاء الخضر عليه السلام
دعاء معروف الكرخى رضى الله عنه
دعاء عتبة الغلام
دعاء آدم عليه الصلاة والسلام
٣١٧ دعاء على بن أبى طالب رضى الله عنه
دعاء ابن المعتمر وهو سليمان التيمى وتسبيحاته رضى الله عنه
دعاء إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه

صحيفة

٣١٨ الباب الرابع فى أدعية مأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضى الله عنهم محذوفة الأسانيد منتخبة من جملة ماجمعه أبو طالب المكى وابن خزيمة وابن منذر رحمهم الله
٣٢١ أنواع الاستعاذة المأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم
٣٢٣ الباب الخامس فى الادعية المأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث
٣٢٩ كتاب ترتيب الاوراد وتفصيل إحياء الليل وهو الكتاب العاشر من إحياء علوم الدين وبه اختتام ربع العبادات وفيه بابان
٣٣٠ الباب الاول فى فضيلة الاوراد وترتيبها وأحكامها

صحيفة

٣٣٠ فضيلة الاوراد وبيان أن المواظبة عليها هى الطريق إلى الله تعالى
٣٣١ بيان أعداد الاوراد وترتيبها
٣٣٢ بيان أوراد الليل والنهار
٣٤٨ بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال
٣٥١ الباب الثانى فى الأسباب الميسرة لقيام الليل وفى الليالى التى يستحب إحياؤها وفى فضيلة إحياء الليل ومابين العشاءين وكيفية قسمة الليل
٣٥١ فضيلة إحياء مابين العشاءين
٣٥٣ فضيلة إحياء الليل
٣٥٦ بيان الأسباب التى بها يتيسر قيام الليل
٣٥٩ بيان طرق القسمة لأجزاء الليل
٣٦١ بيان الليالى والأيام الفاضلة

تم الفهرس

تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب

تأليف

الإمام أبي القاسم محمود بن حمزة الكرماني

المتوفى سنة ٥٠٥ هـ

المجلد الثاني

دار الثقافة

بيروت - لبنان

إحياء علوم الدين

تصنيف

الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي

المتوفى في ٥٠٥ هـ

وبذيله كتاب

المغني عن حمل الأسفار في الأسفار

في تخريج ما في الإحياء من الأخبار

للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي

المتوفى في ٨٠٦ هـ

وتماماً للنفع ألحقنا بالكتاب في آخره ثلاثة كتب:

الأول: تعريف الأحياء بفضائل الإحياء، للعلامة عبد القادر بن شيخ بن عبد الله ابن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوي

الثاني: الإملاء عن إشكالات الإحياء، للإمام الغزالي، رد به اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من الإحياء.

الثالث: عوارف المعارف: للعارف بالله تعالى الإمام السهروردي

الجزء الثاني

دار المعرفة

بيروت - لبنان

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

الباب الأول : فيما لابدّ للمنفرد منه

وهو ثلاثة أقسام : قسم قبل الأكل ، وقسم مع الأكل ؛ وقسم بعد الفراغ منه

القسم الأول : فى الآداب التى تتقدم على الأكل وهى

الأول : أن يكون الطعام بعد كونه حلالا فى نفسه طيبا فى جهة مكسبه موافقا للسنة والورع لم يكتسب بسبب مكروه فى الشرع ولا بحكم هوى ومداهنة فى دين ـ على ماسيأتى فى معنى الطيب المطلق فى كتاب الحلال والحرام ـ وقد أمر الله تعالى بأكل الطيب وهو الحلال وقدم النهى عن الأكل بالباطل على القتل تفخيما لأمر الحرام وتعظيما لبركة الحلال فقال تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ إلى قوله ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ الآية ، فالأصل فى الطعام كونه طيبا وهو من الفرائض وأصول الدين .

الثانى : غسل اليد قال صلى الله عليه وسلم « الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر وبعده ينفى اللمم [1] » وفى رواية « ينفى الفقر قبل الطعام وبعده » ولأن اليد لاتخلو عن لوث فى تعاطى الأعمال فغسلها أقرب إلى النظافة والنزاهة . ولأن الأكل لقصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بأن يقدم عليه ما يجرى منه مجرى الطهارة من الصلاة :

الثالث : أن يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الأرض فهو أقرب إلى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفعه على المائدة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى بطعام وضعه على الأرض [2] » فهذا أقرب إلى التواضع فإن لم يكن فعلى السفرة فإنها تذكر السفر ويتذكر من السفر سفر الآخرة وحاجته إلى زاد التقوى . وقال أنس بن مالك رحمه الله « ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا فى سكرجة [3] » قيل فعلى ماذا كنتم تأكلون ؟ قال على السفرة . وقيل : أربع أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : الموائد والمناخل والأشنان والشبع واعلم أنا وإن قلنا الأكل على السفرة أولى فلسنا نقول الأكل على المائدة منهى عنه نهى كراهة أو تحريم إذا لم يثبت فيه نهى . وما يقال إنه أبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس كل ماأبدع منهيا ، بل المنهى بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع أمرا من الشرع مع بقاء علته ، بل الإبداع قد يجب فى بعض الأحوال إذا تغيرت الأسباب وليس فى المائدة إلا رفع الطعام عن الأرض لتيسير الأكل وأمثال ذلك مما لا كراهة فيه . والأربع التى جمعت فى أنها مبدعة ليست متساوية بل الأشنان حسن لما فيه من النظافة فإن الغسل مستحب للنظافة والأشنان أتم فى التنظيف ، وكانوا لا يستعملونه لأنه ربما كان لا يعتاد عندهم أو لا يتيسر ، أو كانوا مشغولين بأمور أهم من المبالغة فى النظافة فقد كانوا لا يغسلون اليد أيضا ، وكانت مناديلهم أخص أقدامهم وذلك لا يمنع كون الغسل

الباب الأول

(١) حديث « الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر وبعده ينفى اللمم » وفى رواية « ينفى الفقر قبل الطعام وبعده » أخرجه القضاعى فى مسند الشهاب من رواية موسى الرضا عن آبائه متصلا باللفظ الأول ، والطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس « الوضوء قبل الطعام وبعده مما ينفى الفقر » ولأبى داود والترمذى من حديث سلمان « بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده » وكلها ضعيفة

(٢) حديث « كان إذا أتى بطعام وضعه على الأرض » أخرجه أحمد فى كتاب الزهد من رواية الحسن مرسلا ورواه البزار من حديث أبى هريرة نحوه وفيه جماعة وثقه أحمد وضعفه الدارقطنى . (٣) حديث أنس « ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا فى سكرجة ... » الحديث رواه البخارى .

مستحبا . وأما المنخل فالمقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح مالم ينته إلى التنعم المفرط . وأما المائدة فتيسير للأكل وهو أيضا مباح مالم ينته إلى الكبر والتعاظم . وأما الشبع فهو أشد هذه الأربعة فإنه يدعو إلى تهييج الشهوات وتحريك الأدواء فى البدن فلتدرك التفرقة بين هذه المبدعات .

الرابع : أن يحسن الجلسة على السفرة فى أول جلوسه ويستديمها كذلك « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جثا للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى [1] وكان يقول « لا آكل متكئا [2] إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد [3] » والشرب متكئا مكروه للمعدة أيضا ويكره الأكل نائما ومتكئا إلا مايتنقل به من الحبوب . روى عن على كرم الله وجهه أنه أكل كعكا على ترس وهو مضطجع ويقال منبطح على بطنه والعرب قد تفعله .

الخامس : أن ينوى بأكله أن يتقوى به على طاعة الله تعالى ليكون مطيعا بالأكل ولا يقصد التلذذ والتنعم بالأكل . قال إبراهيم بن شيبان : منذ ثمانين سنة ما أكلت شيئا لشهوتى . ويعزم مع ذلك على تقليل الأكل فإنه إذا أكل لأجل قوة العبادة لم تصدق نيته إلا بأكل مادون الشبع فإن الشبع يمنع من العبادة ولا يقوى عليها فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة وإيثار القناعة على الاتساع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماملأ آدمى وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم اقيمات يقمن صلبه فإن لم يفعل فثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس [4] » ومن ضرورة هذه النية أن لايمد اليد إلى الطعام إلا وهو جائع فيكون الجوع أحد مالابد من تقديمه على الأكل . ثم ينبغى أن يرفع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب ـ وسيأتى فائدة قلة الأكل وكيفية التدريج فى التقليل منه فى كتاب كسر شهوة الطعام من ربع المهلكات .

السادس : أن يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد فى التنعم وطلب الزيادة وانتظار الأدم بل من كرامة الخبز أن لاينتظر به الأدم وقد ورد الأمر بإكرام الخبز [5] فكل مايديم الرمق ويقوى على العبادة فهو خير كثير لاينبغى أن يستحقر بل لاينتظر بالخبز الصلاة إن حضر وقتها إذا كان فى الوقت متسع . قال صلى الله عليه وسلم « إذا حضر العشاء والعشاء فابدءوا بالعشاء [6] » وكان ابن عمر رضى الله عنهما ربما سمع قراءة الإمام ولا يقوم من عشائه . ومهما كانت النفس لاتتوق إلى الطعام ولم يكن فى تأخير الطعام ضرر فالأولى تقديم الصلاة . فأما إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة وكان فى التأخير مايبرد الطعام أو يشوش أمره فتقديمه أحب عند اتساع الوقت ، تاقت النفس أو لم تتق ، لعموم الخبر ولأن القلب لايخلو عن الالتفات إلى الطعام الموضوع وإن لم يكن الجوع غالبا

---

(١) حديث « ربما جثا الأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى » أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن بشير فى أثناء حديث « أتوا تلك القصعة فالتفوا عليها فلما كثروا جثا رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث » وله وللنسائى من حديث أنس « رأيته يأكل وهو مقتع من الجوع » وروى أبو الحسن بن المقرى فى الشمائل من حديثه « كان إذا قعد على الطعام استوفز على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأفعل كما يفعل العبد » وإسناده ضعيف . (٢) حديث « كان يقول لا آكل متكئا » أخرجه البخارى من حديث أبى جحيفة .

(٣) حديث « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد » تقدم قبله من حديث أنس بلفظ « وأفعل » بدل « وأجلس » ورواه البزار من حديث ابن عمر دون قوله « وأجلس » . (٤) حديث « ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ... الحديث » أخرجه الترمذى وقال حسن والنسائى وابن ماجه من حديث المقداد بن معد يكرب . (٥) حديث « أكرموا الخبز » أخرجه البزار والطبرانى وابن قانع من حديث عبد الله بن أم حرام بإسناد ضعيف جدا وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات .

(٦) حديث « إذا حضر العشا والعشاء فابدءوا بالعشاء » تقدم فى الصلاة والمعروف « وأقيمت الصلاة » .

السابع : أن يجتهد فى تكثير الأيدى على الطعام ولو من أهله وولده . قال صلى الله عليه وسلم « اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه[١] » وقال أنس رضى الله عنه « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل وحده[٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « خير الطعام ما كثرت عليه الأيدى » .

القسم الثانى : فى آداب حالة الاكل

وهو أن يبدأ بـ « بسم الله » فى أوله وبـ « الحمد لله » فى آخره . ولو قال مع كل لقمة « بسم الله » فهو حسن حتى لا يشغله الشره عن ذكر الله تعالى ، ويقول مع اللقمة الأولى « بسم الله » ومع الثانية « بسم الله الرحمن » ومع الثالثة « بسم الله الرحمن الرحيم » ويجهر به ليذكر غيره . ويأكل باليمنى ويبدأ بالملح ويختم به ويصغر اللقمة ويجود مضغها ومالم يبتلعها لم يمد اليد إلى الأخرى فإن ذلك عجلة فى الأكل وأن لا يذم مأكولا « كان صلى الله عليه وسلم لا يعيب مأكولا كان إذا أعجبه أكله وإلا تركه[٣] » وأن يأكل مما يليه إلا الفاكهة فإن له أن يجيل يده فيها قال صلى الله عليه وسلم « كل مما يليك[٤] » ثم كان صلى الله عليه وسلم يدور على الفاكهة ، فقيل له فى ذلك فقال : ليس هو نوعا واحدا[٥] » وأن لا يأكل من دورة القصعة ولا من وسط الطعام بل يأكل من استدارة الرغيف إلا إذا قل الخبز فيكسر الخبز ولا يقطع بالسكين[٦] ولا يقطع اللحم أيضاً فقد نهى عنه وقال : انهشوه نهشا[٧] ولا يوضع على الخبز قصعة ولا غيرها إلا ما يأكل به قال صلى الله عليه وسلم « أكرموا الخبز فإن الله تعالى أنزله من بركات السماء » ولا يمسح يده بالخبز . وقال صلى الله عليه وسلم « إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها وليمط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه فإنه لا يدرى فى أى طعامه البركة[٨] » ولا ينفخ فى الطعام الحار[٩] فهو منهى عنه بل يصبر إلى أن يسهل أكله ويأكل من التمر ترا سبعا أو إحدى عشرة أو إحدى وعشرين أو ما اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى فى طبق ولا يجمع فى كفه بل يضع النواة من فيه على ظهر كفه ثم يلقيها ، وكذا كل ماله عجم وثفل . وأن لا يترك ما استرذله من الطعام ويطرحه فى القصعة بل يتركه مع الثفل حتى لا يلتبس على غيره فيأكله . وأن لا يكثر الشرب فى أثناء الطعام إلا إذا غص بلقمة أو صدق عطشه فقد قيل إن ذلك مستحب فى الطب وإنه دباغ المعدة .

وأما الشرب ؛ فأدبه أن يأخذ الكوز بيمينه ويقول « بسم الله » ويشربه مصا لا عبا قال صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث « اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه » أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث وحشى بن حرب باسناد حسن .

(٢) حديث أنس « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل وحده » رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف .

(٣) حديث أنس « كان لا يعيب مأكولا إن أعجبه أكله وإلا تركه » متفق عليه من حديث أبى هريرة . (٤) حديث « كل مما يليك » متفق عليه من حديث عمر بن أبى سلمة . (٥) حديث « كان يدور على الفاكهة وقال ليس هو نوعا واحدا » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث عكراش بن دويب وفيه « وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الطبق فقال يا عكراش كل من حيث شئت فانه غير لون واحد » قال الترمذى غريب ورواه ابن حبان فى الضعفاء . (٦) حديث « النهى عن قطع الخبز بالسكين » رواه ابن حبان فى الضعفاء من حديث أبى هريرة وفيه نوح ابن أبى مريم وهو كذاب ورواه البيهقى فى الشعب من حديث أم سلمة بسند ضعيف . (٧) حديث « النهى عن قطع اللحم بالسكين » أخرجه أبو داود من حديث عائشة وقال « فانهشوه نهشا » قال النسائى منكر . وأخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث صفوان بن أمية « وانهشوا اللحم نهشا » وسنده ضعيف .

(٨) حديث « إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها وليمط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه فانه لا يدرى فى أى طعامه البركة » أخرجه مسلم من حديث أنس وجابر . (٩) حديث « النهى عن النفخ فى الطعام والشراب » أخرجه أحمد فى مسنده من حديث ابن عباس وهو عند أبى داود والترمذى وصححه ابن ماجه إلا أنهم قالوا « فى الإناء » وأخرجه الترمذى وصححه من حديث أبى سعيد « نهى عن النفخ فى الشراب » .

مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا فإن الكباد من العب[1] » ولا يشرب قائما ولا مضطجعا فإنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الشرب قائما [2] » وروى أنه صلى الله عليه وسلم شرب قائما [3] » ولعله كان لعذر . ويراعى أسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر فى الكوز قبل الشرب ولا يتجشأ ولا يتنفس فى الكوز بل ينحيه عن فمه بالحمد ويرده بالتسمية . وقد قال صلى الله عليه وسلم بعد الشرب « الحمد لله الذى جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا [4] » والكوز وكل ما يدار على القوم يدار يمنة « وقد شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا وأبو بكر رضى الله عنه عن شماله وأعرابى عن يمينه وعمر ناحيته فقال عمر رضى الله عنه : أعط أبابكر فناول الأعرابى وقال الأيمن فالأيمن » ويشرب فى ثلاثة أنفاس يحمد الله فى أواخرها ويسمى الله فى أوائلها ويقول فى آخر النفس الأول « الحمد لله » وفى الثانى يزيد « رب العالمين » وفى الثالث يزيد « الرحمن الرحيم » فهذا قريب من عشرين أدبا فى حالة الأكل والشرب دلت عليها الأخبار والآثار .

القسم الثالث : ما يستحب بعد الطعام

وهو أن يمسك قبل الشبع ويلعق أصابعه ثم يمسح بالمنديل ثم يغسلها ويلتقط فتات الطعام قال صلى الله عليه وسلم « من أكل مايسقط من المائدة عاش فى سعة وعوفى فى ولده [5] » ويتخلل ولا يبتلع كل ما يخرج من بين أسنانه بالخلال إلا ما يجمع من أصول أسنانه بلسانه أما المخرج بالخلال فيرميه وليتمضمض بعد الخلال ففيه أثر عن أهل البيت عليهم السلام . وأن يلعق القصعة ويشرب ماءها . ويقال : من لعق القصعة وغسلها وشرب ماءها كان له عتق رقبة . وأن التقاط الفتات مهور الحور العين وأن يشكر الله تعالى بقلبه على ما أطعمه فيرى الطعام نعمة منه قال الله تعالى ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ﴾ ومهما أكل حلالا قال : الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم أطعمنا طيبا واستعملنا صالحا . وإن أكل شبهة فليقل : الحمد لله على كل حال اللهم لاتجعله قوة لنا على معصيتك ، ويقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ولإيلاف قريش . ولا يقوم عن المائدة حتى ترفع أولا فإن أكل طعام الغير فليدع له وليقل : اللهم أكثر خيره وبارك له فيما رزقته ويسر له أن يفعل فيه خيرا وقنعه بما أعطيته واجعلنا وإياه من الشاكرين . وإن أفطر عند قوم فليقل : أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة . وليكثر الاستغفار والحزن على ما أكل من شبهة ليطفئ بدموعه وحزنه حر النار التى تعرض لها لقوله صلى الله عليه وسلم « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به [6] » وليس من يأكل ويبكى كمن يأكل ويلهو . وليقل إذا أكل لبنا : اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه [7] فإن أكل غيره قال : اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيراً

---

(١) حديث « مصوا الماء مصا ولاتعبوه عبا » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بالفطر الأول ولأبى داود فى المراسيل من رواية عطاء بن أبي رباح « إذا شربتم فاشربوا مصا » . (٢) حديث « النهى عن الشراب قائما » أخرجه مسلم من حديث أنس وأبي سعيد وأبي هريرة . (٣) حديث « أنه صلى الله عليه وسلم شرب قائما » متفق عليه من حديث ابن عباس ، وذلك من زمزم » . (٤) حديث « كان يقول بعد الشرب الحمد لله الذى جعل الماء عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا » أخرجه الطبرانى فى الدعاء مرسلا من رواية أبى جعفر محمد بن على بن الحسين . (٥) حديث « من أكل ما سقط من المائدة عاش فى سعة وعوفى فى ولده » أخرجه أبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث جابر بلفظ « أمن من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده الحمق » وله من حديث الحجاج بن علاط « أعطى سعة من الرزق ووقى فى ولده » وكلاهما منكر جدا . (٦) حديث « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به » هو فى شعب الإيمان من حديث كعب بن عجرة بلفظ « سحت » وهو عند الترمذى وحسنه بلفظ « لا يربو الحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به » (٧) حديث « القول عند أكل اللبن اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث ابن عباس « إذا أكل أحدكم طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه ، ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه » .

منه ، فذلك الدعاء مما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن لعموم نفعه . ويستحب عقيب الطعام أن يقول : الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافى من كل شىء ولا يكفى منه شىء أطعمت من جوع وآمنت من خوف فلك الحمد آويت من يتم وهديت من ضلالة وأغنيت من عيلة فلك الحمد حمداً كثيراً دائماً طيباً نافعاً مباركا فيه كما أنت أهله ومستحقه اللهم أطعمتنا طيباً فاستعملنا صالحاً واجعله عونا لنا عن طاعتك ونعوذ بك أن نستعين به على معصيتك ، وأما غسل اليدين بالأشنان فكيفيته أن يجعل الأشنان فى كفه اليسرى ويغسل الأصابع الثلاث من اليد اليمنى أولا ، ويضرب أصابعه على الأشنان اليابس فيمسح به شفتيه ، ثم ينعم غسل الفم بأصبعه ويدلك ظاهر أسنانه وباطنها والحنك واللسان ، ثم يغسل أصابعه من ذلك بالماء ثم يدلك ببقية الأشنان اليابس أصابعه ظهراً وبطنا ويستغنى بذلك عن إعادة الأشنان إلى الفم وإعادة غسله .

الباب الثانى : فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة فى الأكل وهى سبعة

(الأول) أن لايبتدئ بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر سن أو زيادة فضل إلا أن يكون هو المتبوع والمقتدى به فحينئذ ينبغى أن لايطول عليهم الانتظار إذا اشرأبوا للأكل واجتمعوا له (الثانى) أن لايسكتوا على الطعام فإن ذلك من سيرة العجم ولكن يتكلمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات الصالحين فى الأطعمة وغيرها .

(الثالث) أن يرفق برفيقه فى القصعة فلا يقصد أن يأكل زيادة على مايأكله فإن ذلك حرام إن لم يكن موافقا لرضا رفيقه مهما كان الطعام مشتركا . بل ينبغى أن يقصد الإيثار ولا يأكل تمرتين فى دفعة إلا إذا فعلوا ذلك أو استأذنهم . فإن قلل رفيقه نشطه ورغبه فى الأكل وقال له : « كل » ولا يزيد فى قوله « كل » على ثلاث مرات فإن ذلك إلحاح وإفراط . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خوطب فى شىء ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث [1] وكان صلى الله عليه وسلم يكرر الكلام ثلاثا [2] فليس من الأدب الزيادة عليه . فأما الحلف عليه بالأكل فممنوع قال الحسن بن على رضى الله عنهما : الطعام أهون من أن يحلف عليه (الرابع) أن لايحوج رفيقه إلى أن يقول له : كل . قال بعض الأدباء : أحسن الآكلين أكلا من لايحوج صاحبه إلى أن يتفقده فى الأكل وحمل عن أخيه مؤنة القول . ولاينبغى أن يدع شيئا مما يشتهيه لأجل نظر الغير إليه فإن ذلك تصنع بل يجرى على المعتاد ولا ينقص من عادته شيئا فى الوحدة ، ولكن يعود نفسه حسن الأدب فى الوحدة حتى لايحتاج إلى التصنع عند الاجتماع . نعم لو قلل من أكله إيثاراً لإخوانه ونظراً لهم عند الحاجة إلى ذلك فهو حسن ، وإن زاد فى الأكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم فى الأكل فلا بأس به بل هو حسن . وكان ابن المبارك يقدم فاخر الرطب إلى إخوانه ويقول : من أكل أكثر أعطيته بكل نواة درهما . وكان يعد النوى ويعطى كل من له فضل نوى بعدده دراهم وذلك لدفع الحياء وزيادة النشاط فى الانبساط ، وقال جعفر بن محمد رضى الله عنهما . أحب إخوانى إلى أكثرهم أكلا وأعظمهم لقمة وأثقلهم على من يحوجنى إلى تعهده فى الأكل . وكل هذا إشارة إلى الجرى على المعتاد وترك التصنع . وقال جعفر رحمه الله أيضا : تتبين جودة محبة الرجل لأخيه بجودة أكله فى منزله (الخامس) أن غسل اليد فى الطست لابأس به وله أن يتنخم فيه

الباب الثانى : فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة فى الأكل

(١) حديث « كان إذا خوطب فى شىء ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث » أخرجه أحمد من حديث جابر فى حديث طويل ومن حديث أبى حدرد أيضا وإسنادهما حسن . (٢) حديث « كان يكرر الكلمة ثلاثا » أخرجه البخارى من حديث أنس « كان يعيد الكلمة ثلاثا » .

إن أكل وحده وإن أكل مع غيره فلاينبغى أن يفعل ذلك . فإذا قدم الطست إليه غيره إكراما له فليقبله . اجتمع أنس بن مالك وثابت البنانى رضى الله عنهما على طعام فقدم أنس الطست إليه فامتنع ثابت فقال أنس : إذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا تردها فإنما يكرم الله عز وجل . . وروى أن هرون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير فصب الرشيد على يده فى الطست فلما فرغ قال : ياأبا معاوية تدرى من صب على يدك ؟ فقال لا ، قال : صبه أمير المؤمنين فقال . يا أمير المؤمنين إنما أكرمت العلم وأجللته فأجلك الله وأكرمك كما أجللت العلم وأهله . ولابأس أن يجتمعوا على غسل اليد فى الطست فى حالة واحدة فهو أقرب إلى التواضع وأبعد عن طول الانتظار . فإن لم يفعلوه فلاينبغى أن يصب ماء كل واحد بل يجمع الماء فى الطست قال صلى الله عليه وسلم « اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم [1] » قيل إن المراد هذا . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار : لايرفع الطست من بين يدى قوم إلا مملوءة ولاتشبهوا بالعجم . وقال ابن مسعود : اجتمعوا على غسل اليد فى طست واحد ولا تستنوا بسنة الأعاجم . والخادم الذى يصب الماء على اليد كره بعضهم أن يكون قائما وأحب أن يكون جالسا لأنه أقرب إلى التواضع ، وكره بعضهم جلوسه فروى أنه صب الماء على يد واحد خادم جالسا فقام المصبوب عليه فقيل له : لم قمت ؟ فقال : أحدنا لابد وأن يكون قائما . وهذا أولى لأنه أيسر للصب وللغسل وأقرب إلى تواضع الذى يصب وإذا كان له نية فيه فتمكينه من الخدمة ليس فيه تكبر فإن العادة جارية بذلك : فنى الطست إذاً سبعة آداب : أن لايبزق فيه ، وأن يقدم به المتبوع ، وأن يقبل الإكرام بالتقديم ؛ وأن يدار يمنة ، وأن يجتمع فيه جماعة ، وأن يجمع الماء فيه وأن يكون الخادم قائما وأن يمج الماء من فيه ويرسله من يده برفق حتى لايرش على الفراش وعلى أصحابه ، وليصب صاحب المنزل بنفسه الماء على يد ضيفه ، هكذا فعل مالك بالشافعى رضى الله عنهما فى أول نزوله عليه وقال : لايروعك مارأيت منى فخدمة الضيف فرض . (السادس) أن لا ينظر إلى أصحابه ولا يراقب أكلهم فيستحيون بل يغض بصره عنهم ويشتغل بنفسه ولا يمسك قبل إخوانه إذا كانوا يحتشمون الأكل بعده بل يمد اليد ويقبضها ويتناول قليلا قليلا إلى أن يستوفوا فإن كان قليل الأكل توقف فى الابتداء وقلل الأكل حتى إذا توسعوا فى الطعام أكل معهم أخيرا ، فقد فعل ذلك كثير من الصحابة رضى الله عنهم ، فإن امتنع لسبب فليعتذر إليهم دفعا للخجلة عنهم . (السابع) أن لايفعل مايستقذره غيره فلاينفض يده فى القصعة ولايقدم إليها رأسه عند وضع اللقمة فى فيه ، وإن أخرج شيئا من فيه صرف وجهه عن الطعام وأخذه بيساره ولا يغمس اللقمة الدسمة فى الخل ولا الخل فى الدسومة فقد يكرهه غيره واللقمة التى قطعها بسنه لا يغمس بقيتها فى المرقة والخل ، ولا يتكلم بما يذكر المستقذرات .

الباب الثالث فى آداب تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين

تقديم الطعام إلى الإخوان فيه فضل كثير . قال جعفر بن محمد رضى الله عنهما : إذا قعدتم مع الإخوان على المائدة فأطيلوا الجلوس فإنها ساعة لاتحسب عليكم من أعماركم . وقال الحسن رحمه الله : كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يحاسب عليها ألبتة إلا نفقة الرجل على إخوانه فى الطعام فإن الله يستحيى أن يسأل عن ذلك . هذا مع ماورد من الأخبار فى الإطعام قال صلى الله عليه وسلم « لاتزال الملائكة تصلى على أحدكم مادامت مائدته موضوعة

(١) حديث « اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم » رواه القضاعى فى مسند الشهاب من حديث أبي هريرة باسناد لابأس به وجعل ابن طاهر مكان أبى هريرة ابراهيم وقال انه معضل وفيه نظر .

بين يديه حتى ترفع [١] » وروى عن بعض علماء خراسان : أنه كان يقدم إلى إخوانه طعاما كثيرا لا يقدرون على أكل جميعه وكان يقول بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إنّ الإخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من أكل فضل ذلك [٢] » فأنا أحب أن أستكثر مما أقدمه إليكم لتأكل فضل ذلك . وفى الخبر « لا يحاسب العبد على ما يأكله مع إخوانه [٣] » وكان بعضهم يكثر الأكل مع الجماعة لذلك ويقلل إذا أكل وحده . وفى الخبر « ثلاثة لا يحاسب عليها العبد : أكلة السحور وما أفطر عليه وما أكل مع الإخوان [٤] » وقال على رضى الله عنه : لأن أجمع إخوانى على صاع من طعام أحب إلى من أن أعتق رقبة . وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول : من كرم المرء طيب زاده فى سفره وبذله لأصحابه : وكان الصحابة رضى الله عنهم يقولون : الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق وكانوا رضى الله عنهم يجتمعون على قراءة القرآن ولا يتفرقون إلا عن ذواق . وقيل اجتماع الإخوان على الكفاية مع الأنس والألفة ليس هو من الدنيا . وفى الخبر « يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة يا ابن آدم جعت فلم تطعمنى فيقول كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ فيقول : جاع أخوك المسلم فلم تطعمه ولو أطعمته كنت أطعمتنى [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا جاءكم الزائر فأكرموه [٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها هى لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام [٧] » وقال صلى الله عليه وسلم « خيركم من أطعم الطعام [٨] » وقال صلى الله عليه وسلم « من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار بسبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام [٩] » .

وأما آدابه : فبعضها فى الدخول وبعضها فى تقديم الطعام . أما الدخول فليس من السنة أن يقصد قوما متربصا لوقت طعامهم فيدخل عليهم وقت الأكل فإن ذلك من المفاجأة وقد نهى عنه قال الله تعالى ﴿ لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ﴾ يعنى منتظرين حينه ونضجه . وفى الخبر « من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقا وأكل حراما [١٠] » ولكن حق الداخل إذا لم يتربص واتفق أن صادفهم على طعام أن لا يأكل ما لم يؤذن له ، فإذا قيل له : كل . نظر فإن علم أنهم يقولونه على محبة لمساعدته فليساعد ، وإن

الباب الثالث : فى آداب تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين

(١) حديث « لا تزال الملائكة تصلى على أحدكم مادامت مائدته موضوعة بين يديه حتى يرفع » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف . (٢) حديث « إن الإخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لا يحاسب من أكل من فضل ذلك الطعام » لم أقف له على أصل . (٣) حديث « لا يحاسب العبد بما يأكله مع إخوانه » هو فى الحديث الذى بعده بمعناه

(٤) حديث « ثلاثة لا يحاسب عليها العبد : أكلة السحور وما أفطر عليه وما أكل مع الإخوان » أخرجه الأزدى فى الضعفاء من حديث جابر « ثلاثة لا يسألون عن النعيم : الصائم والمتسحر والرجل يأكل مع ضيفه » أورده فى ترجمة سليمان بن داود الجزرى وقال فيه : منكر الحديث ، ولأبى منصور الديلمى فى مسند الفردوس نحوه من حديث أبى هريرة . (٥) حديث « يقول الله للعبد يوم القيامة يابن آدم جعت فلم تطعمنى ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة بلفظ « استطعمتك فلم تطعمنى » .

(٦) حديث « إذا جاءكم الزائر فأكرموه » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث أنس وهو حديث منكر قاله ابن أبى حاتم فى العلل عن أبيه . (٧) حديث « إن فى الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها هى لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام » أخرجه الترمذى من حديث على وقال غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن ابن إسحاق وقد تكلم فيه من قبل حفظه . (٨) حديث « خيركم من أطعم الطعام » أخرجه أحمد والحاكم من حديث صهيب وقال صحيح الإسناد . (٩) حديث « من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام » أخرجه الطبرانى من حديث عبد الله بن عمر وقال ابن حبان ليس من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الذهبى غريب منكر . (١٠) حديث « من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقا وأكل حراما » أخرجه البيهقى من حديث عائشة نحوه وضعفه ولأبى داود من حديث ابن عمر « من دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغيرا » إسناده ضعيف .

كانوا يقولونه حياء منه فلا ينبغى أن يأكل ، بل ينبغى أن يتعلل ، أما إذا كان جائعا فقصد بعض إخوانه ليطعمه ولم يتربص به وقت أكله فلا بأس به . قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوبكر وعمر رضى الله عنهما منزل أبى الهيثم بن التيهان وأبى أيوب الأنصارى لأجل طعام يأكلونه وكانوا جياعا[1] والدخول على مثل هذه الحالة إعانة لذلك المسلم على حيازة ثواب الإطعام وهى عادة الله . وكان عون بن عبد الله المسعودى له ثلاثمائة وستون صديقا يدور عليهم فى السنة . ولآخر ثلاثون يدور عليهم فى الشهر . ولآخر سبعة يدور عليهم فى الجمعة . فكان إخوانهم معلومهم بدلا عن كسبهم وكان قيام أولئك بهم على قصد التبرك عبادة لهم فإن دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقا بصداقته عالما بفرحه إذا أكل من طعامه فله أن يأكل بغير إذنه ، إذ المراد من الإذن الرضا لاسيما فى الأطعمة وأمرها على السعة . فرب رجل يصرح بالإذن ويحلف وهو غير راض فأكل طعامه مكروه . ورب غائب لم يأذن وأكل طعامه محبوب . وقد قال تعالى ﴿ أو صديقكم ﴾ ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة وأكل طعامها وهى غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال : بلغت الصدقة محلها[2] وذلك لعلمه بسرورها بذلك . لذلك يجوز أن يدخل الدار بغير استئذان اكتفاء بعلمه بالإذن ، فإن لم يعلم فلابد من الاستئذان أولا ثم الدخول . وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون مايجدون بغير إذن . وكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسر به ويقول : هكذا كنا . وروى عن الحسن رضى الله عنه أنه كان قائما يأكل من متاع بقال فى السوق يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه قسبة فقال له هشام مابدا لك ياأبا سعيد فى الورع تأكل متاع الرجل بغير إذنه ؟ فقال . يالكع اتل على آية الأكل فتلا إلى قوله تعالى ﴿ أوصديقكم ﴾ فقال . فمن الصديق ياأبا سعيد ؟ قال : من استروحت إليه النفس واطمأن إليه القلب . ومشى قوم إلى منزل سفيان الثورى فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وجعلوا يأكلون فدخل الثورى وجعل يقول : ذكرتمونى أخلاق السلف هكذا كانوا » وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده مايقدمه إليهم فذهب إلى منزل بعض إخوانه فلم يصادفه فى المنزل فدخل فنظر إلى قدر قد طبخها وإلى خبز قد خبزه وغير ذلك لحمله كله فقدمه إلى أصحابه وقال . كلوا فجاء رب المنزل فلم ير شيئا فقيل له . قد أخذ فلان ، فقال : قد أحسن ، فلما لقيه قال : ياأخى إن عادوا فعد . فهذه آداب الدخول .

وأما آداب التقديم : فترك التكلف أولا وتقديم ماحضر فإن لم يحضره شىء ولم يملك فلا يستقرض لأجل ذلك فيشوش على نفسه . وإن حضره ماهو محتاج إليه لقوته ولم تسمح نفسه بالتقديم فلا ينبغى أن يقدم . دخل بعضهم على زاهد وهو يأكل فقال : لولا أنى أخذته بدين لأطعمتك منه ، وقال بعض السلف فى تفسير التكلف . أن تطعم أخاك مالاتأكله أنت بل تقصد زيادة عليه فى الجودة والقيمة . وكان الفضيل يقول : إنما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع إليه . وقال بعضهم . ما أبالى بمن أتانى من إخوانى فإنى لاأتكلف له إنما أقرب ماعندى ولو تكلفت له لكرهيت مجيئه ومللته ؟ وقال بعضهم : كنت أدخل على أخ لى فيتكلف لى فقلت له إنك لاتأكل وحدك هذا ولا أنا فما بالنا إذا اجتمعنا أكلناه ؟ فإما أن تقطع هذا التكلف أو أقطع المجىء ، فقطع

---

(١) حديث « قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما منزل أبى الهيثم بن التيهان وأبى أيوب الأنصارى لأجل طعام يأكلونه » أما قصة أبى الهيثم فرواها الترمذى من حديث أبى هريرة وقال حسن غريب صحيح والقصة عند مسلم لكن ليس فيها ذكر لأبى الهيثم وإنما قال « رجل من الأنصار » وأما حديث قصدهم منزل أبى أيوب فرواها الطبرانى فى المعجم الصغير من حديث ابن عباس بسند ضعيف . (٢) حديث « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة وأكل طعامها وهى غائبة وكان من الصدقة فقال : بلغت الصدقة مكانها » متفق عليه من حديث عائشة « أهدى لبريرة لحم فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هو لها صدقة ولنا هدية » وأما قوله « بلغت محلها » فقاله فى الشاة التى أعطيتها نسيبة من الصدقة وهو متفق عليه أيضاً من حديث أم عطية .

التكلف ودام اجتماعنا بسببه ، ومن التكلف أن يقدم جميع ماعنده فيجحف بعياله ويؤذى قلوبهم . روى أن رجلا دعا عليا رضى الله عنه فقال على : أجيبك على ثلاث شرائط لاتدخل من السوق شيئا ولا تدخر مافى البيت ولا تجحف بعيالك . وكان بعضهم يقدم من كل مافى البيت فلايترك نوعا إلا ويحضر شيئا منه . وقال بعضهم : دخلنا على جابر بن عبدالله فقدم إلينا خبزا وخلا وقال : لولا أنانهينا عن التكلف لتكلفت لكم [1] وقال بعضهم : إذا قصدت للزيارة فقدم ماحضر وإن استزرت فلا تبق ولا تذر . وقال سلمان أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لانتكلف للضيف ماليس عندنا وأن نقدم إليه ماحضرنا [2] وفى حديث يونس النبى صلى الله عليه وسلم : أنه زاره إخوانه فقدم إليهم كسرا وجزلهم بقلا كان يزرعه ثم قال لهم : كلوا لولا أن الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه وغيره من الصحابة : أنهم كانوا يقدمون ماحضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون : لاندرى أيهما أعظم وزرا الذى يحتقر مايقدم إليه أو الذى يحتقر ماعنده أن يقدمه ؟ (الأدب الثانى) وهو للزائر أن لايقترح ولايتحكم بشىء بعينه فربما يشق على المزور إحضاره فإن خيره أخوه بين طعامين فليتخير أيسرهما عليه ؛ كذلك السنة . فى الخبر أنه ماخير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيئين إلا اختار أيسرهما [3] وروى الأعمش عن أبى وائل أنه قال : مضيت مع صاحب لى نزور سلمان فقدم إلينا خبز شعير وملحا جريشا ؛ فقال صاحبى : لو كان فى هذا الملح سعترا كان أطيب ، فخرج سلمان فرهن مطهرته وأخذ سعترا ، فلما أكلنا قال صاحبى : الحمدلله الذى قنعنا بما رزقنا : فقال سلمان : لوقنعت بما رزقت لم تكن مطهرتى مرهونة . هذا إذا توهم تعذر ذلك على أخيه أو كراهته له فإن علم أنه يسر باقتراحه ويتيسر عليه ذلك فلا يكره له الاقتراح ، فعل الشافعى رضى الله عنه ذلك مع الزعفرانى إذ كان نازلا عنده ببغداد وكان الزعفرانى يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ويسلمها إلى الجارية وأخذ الشافعى الرقعة فى بعض الأيام وألحق بها لونا آخر بخطه ، فلما رأى الزعفرانى ذلك اللون أنكر وقال : ما أمرت بهذا ؟ فعرضت عليه الرقعة ملحنا فيها خط الشافعى فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك وأعتق الجارية سرورا باقتراح الشافعى عليه . وقال أبو بكر الكنانى : دخلت على السرى فجاء بفتيت وأخذ يجعل نصفه فى القدح فقلت له : أى شىء تعمل وأنا أشربه كله فى مرة واحدة ؟ فضحك وقال : هذا أفضل لك من حجة . وقال بعضهم : الأكل على ثلاثة أنواع ، مع الفقراء بالإيثار ومع الإخوان بالانبساط ومع أبناء الدنيا بالأدب (الأدب الثالث) أن يشهى المزور أخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل مايقترح فذلك حسن وفيه أجر وفضل جزيل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من صادف من أخيه شهوة غفر له ومن سر أخاه المؤمن فقد سر الله تعالى [4] » وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه جابر « من لذذ أخاه بما يشتهى كتب الله له ألف ألف حسنة ومحى عنه ألف ألف سيئة

---

(١) حديث « دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم إلينا خبزا وخلا وقال لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم » رواه أحمد دون قوله « لولا أنا نهينا » وهو من حديث سلمان الفارسى وسيأتى بعده وكلاهما ضعيف وللبخارى عن عمر بن الخطاب « نهينا عن التكلف » . (٢) حديث سلمان « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لانتكلف للضيف ماليس عندنا وأن نقدم إليه ماحضرنا » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق ، ولأحمد « لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا — أولولا أنا نهينا — أن يتكلف أحدنا لصاحبه لتكلفنا لك » وللطبرانى « نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتكلف للضيف ماليس عندنا » .

(٣) حديث « ماخير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيئين إلا اختار أيسرهما » متفق عليه من حديث عائشة وزاد « مالم يكن إثما » ولم يذكرها مسلم فى بعض طرقه . (٤) حديث « من صادف من أخيه شهوة غفر الله له ومن سر أخاه المؤمن فقد سر الله عزوجل» أخرجه البزار والطبرانى من حديث أبى الدرداء « من وافق من أخيه شهوة غفر له » قال ابن الجوزى حديث موضوع وروى ابن حبان والعقيلى فى الضعفاء من حديث أبى بكر الصديق « من سر مؤمنا فإنما سر الله ... الحديث » قال العقيلى باطل لاأصل له .

ورفع له ألف ألف درجة وأطعمه الله من ثلاث جنات جنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد [١] » (الأدب الرابع) أن لا يقول له : هل أقدم لك طعاما ؟ بل ينبغي أن يقدم إن كان . قال الثوري : إذا زارك أخوك فلا تقل له : أتأكل؟ أو أقدم إليك ؟ ولكن قدم فإن أكل وإلا فارفع . وإن كان يريد أن يطعمهم طعاما فلا ينبغي أن يظهرهم عليه أو يصفه لهم . قال الثوري : إذا أردت أن لا تطعم عيالك مما تأكله فلا تحدثهم به ولا يرونه معك . وقال بعض الصوفية : إذا دخل عليكم الفقراء فقدموا إليهم طعاما وإذا دخل الفقهاء فسلوهم عن مسألة فإذا دخل القراء فدلوهم على المحراب .

الباب الرابع في آداب الضيافة

ومظان الآداب فيها ستة : الدعوة أولا ثم الإجابة ثم الحضور ثم تقديم الطعام ثم الأكل ثم الانصراف ولنقدم على شرحها إن شاء الله تعالى .

فضيلة الضيافة : قال صلى الله عليه وسلم « لا تكلفوا للضيف فتبغضوه فإنه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « لا خير فيمن لا يضيف [٣] » ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضيفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له . فقال صلى الله عليه وسلم : انظروا إليهما إنما هذه الأخلاق بيد الله فمن شاء أن يمنحه خلقا حسنا فعل [٤] . وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنه نزل به صلى الله عليه وسلم ضيف فقال . قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فأسلفني شيئا من الدقيق إلى رجب ، فقال اليهودي : والله ما أسلفه إلا برهن فأخبرته فقال ؛ والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض ولو أسلفني لأديته فاذهب بدرعي وارهنه عنده [٥] » وكان إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا أراد أن يأكل خرج ميلا أو ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى أبا الضيفان ، ولصدق نيته فيه دامت ضيافته في مشهده إلى يومنا هذا ، فلا تنقضي ليلة إلا ويأكل عنده جماعة من بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة . وقال قوام الموضع إنه لن يخل إلى الآن ليلة عن ضيف ، وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الإيمان ؟ فقال : إطعام الطعام وبذل السلام [٦] وقال صلى الله عليه وسلم « في الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام [٧] »

---

(١) حديث جابر « من لذ أخاه بما يشتهي كتب الله له ألف ألف حسنة ... الحديث » ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من رواية محمد بن نعيم عن ابن الزبير عن جابر وقال أحمد بن حنبل هذا باطل كذب .

الباب الرابع : في آداب الضيافة

(٢) حديث « لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه فإنه من أبغض الضيف فقد أبغض ومن الله أبغض الله أبغضه الله » أخرجه أبو بكر ابن لال في مكارم الأخلاق من حديث سلمان « لا يتكلفن أحد لضيفه ما لا يقدر عليه » وفيه محمد بن الفرج الأزرق متكلم فيه .

(٣) حديث « لا خير فيمن لا يضيف » أخرجه أحمد من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة . (٤) حديث « مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له ... الحديث » أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق من رواية أبي المنهال مرسلا .

(٥) حديث أبي رافع « أنه نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فقال قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فأسلفني شيئاً من الدقيق إلى رجب ... الحديث » رواه إسحق بن راهويه في مسنده والخرائطي في مكارم الأخلاق وابن مردويه في التفسير بإسناد ضعيف . (٦) حديث « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الإيمان ؟ قال : إطعام الطعام وبذل السلام » متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ « أي الإسلام خير ؟ قال تطعم الطعام وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » .

(٧) حديث « قال صلى الله عليه وسلم في الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام » أخرجه الترمذي وصححه والحاكم من حديث معاذ وقد تقدم بعضه في الباب الرابع من الأذكار وهو حديث « اللهم إني أسألك فعل الخيرات » .

وسئل عن الحج المبرور فقال « إطعام الطعام وطيب الكلام [١] » وقال أنس رضى الله عنه : كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة . والأخبار الواردة فى فضل الضيافة والإطعام لاتحصى فلنذكر آدابها .

أما الدعوة : فينبغى للداعى أن يعمد بدعوته الأتقياء دون الفساق قال صلى الله عليه سلم « أكل طعامك الأبرار [٢] » فى دعائه لبعض من دعا له وقال صلى الله عليه وسلم « لا تأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى [٣] » ويقصد الفقراء دون الأغنياء على الخصوص . قال صلى الله عليه وسلم « شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء دون الفقراء [٤] » وينبغى أن لايهمل أقاربه فى ضيافته فإن إهمالهم إيحاش وقطع رحم وكذلك يراعى الترتيب فى أصدقائه ومعارفه فإن فى تخصيص البعض إيحاشا لقلوب الباقين . وينبغى أن لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الإخوان والتسنن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إطعام الطعام وإدخال السرور على قلوب المؤمنين . وينبغى أن لا يدعو من يعلم أنه يشق عليه الإجابة وإذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الأسباب . وينبغى أن لا يدعو إلا من يحب إجابته قال سفيان : من دعا أحدا إلى طعام وهو يكره الإجابة فعليه خطيئة فإن أجاب المدعو فعليه خطيئتان . لأنه حمله على الأكل مع كراهة ولو علم ذلك لما كان يأكله . وإطعام التقى إعانة على الطاعة وإطعام الفاسق تقوية على الفسق . قال رجل خياط لابن المبارك : أنا أخيط ثياب السلاطين فهل تخاف أن أكون من أعوان الظلمة ؟ قال : لا إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والإبرة أما أنت فمن الظلمة نفسهم . وأما الإجابة فهى سنة مؤكدة وقد قيل بوجوبها فى بعض المواضع . قال صلى الله عليه وسلم « لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى ذراع لقبلت [٥] » .

والإجابة خمسة آداب (الأول) أن لايميز الغنى بالإجابة عن الفقير فذلك هو التكبر المنهى عنه ولأجل ذلك امتنع بعضهم عن أصل الإجابة وقال : انتظار المرقة ذل ، وقال آخر : إذا وضعت يدى فى قصعة غيرى فقد ذلت له رقبتى ومن المتكبرين من يجيب الأغنياء دون الفقراء وهو خلاف السنة . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين [٦] » ومر الحسن بن على رضى الله عنهما بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على الطريق وقد نشروا كسرا على الأرض فى الرمل وهم يأكلون وهو على بغلته فسلم عليهم فقالوا له : هلم إلى الغداء يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : نعم إن الله لايحب المستكبرين فنزل وقعد معهم على الأرض وأكل ثم سلم عليهم وركب وقال : قد أجبتكم فأجيبونى ، قالوا : نعم ، فوعدهم وقتا معلوما فحضروا فقدم إليهم فاخر الطعام وجلس يأكل معهم . وأما قول القائل إن من وضعت يدى فى قصعته فقد ذلت له رقبتى ؛ فقد قال بعضهم هذا خلاف السنة وليس كذلك فإنه ذل إذا كان الداعى لا يفرح بالإجابة ولا يتقلد منة وكان يرى ذلك يداً له على المدعو . ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحضر لعلمه أن الداعى له يتقلد منة ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه فى الدنيا والآخرة فهذا يختلف باختلاف الحال فمن ظن به أنه يستثقل الإطعام وإنما يفعل ذلك مباهاة أو تكلفا فليس من السنة إجابته [٧] » بل الأولى التعلل ، ولذلك قال بعض الصوفية . لاتجب إلا دعوة من يرى أنك أكلت رزقك وأنه

---

(١) حديث « سئل عن الحج المبرور فقال اطعام الطعام وطيب الكلام » تقدم فى الحج . (٢) حديث « أكل طعامكم الأبرار » أخرجه أبو داود من حديث أنس بإسناد صحيح . (٣) حديث « لا تأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى » تقدم فى الزكاة . (٤) حديث « شر الطعام طعام الوليمة ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة . (٥) حديث « لو دعيت الى كراع لأجبت ولو أهدى الى ذراع لقبلت » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة .

(٦) حديث « كان يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أنس دون ذكر المسكين وضعفه الترمذى وصححه الحاكم . (٧) حديث « ليس من السنة إجابة من يطعم مباهاة أو تكلفا » أخرجه أبو داود من حديث =

سلم إليك وديعة كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه فى قبول تلك الوديعة منه . وقال سرى السقطى رحمه الله : آه على لقمة ليس على لله فيها تبعة ولا لمخلوق فيها منة . فإذا علم المدعو أنه لامنة فى ذلك فلا ينبغى أن يرد . وقال أبو تراب النخشبى رحمة الله عليه : عرض على طعام فامتنعت فابتليت بالجوع أربعة عشر يوما فعلمت أنه عقوبته . وقيل لمعروف الكرخى رضى الله عنه كل من دعاك تمر إليه فقال : أنا ضيف أنزل حيث أنزلونى . (الثانى) أنه لاينبغى أن يمتنع عن الإجابة لبعد المسافة كما لايمتنع لفقر الداعى وعدم جاهه ، بل كل مسافة يمكن احتمالها فى العادة لاينبغى أن يمتنع لأجل ذلك . يقال فى التوراة أوبعض الكتب سر ميلا عد مريضا سر ميلين شيع جنازة سر ثلاثة أميال أجب دعوة سر أربعة أميال زر أخا فى الله . وإنما قدم إجابة الدعوة والزيارة لأن فيه قضاء حق الحى فهو أولى من الميت وقال صلى الله عليه وسلم لو دعيت إلى كراع بالغميم لأجبت [1] ، وهو موضع على أميال من المدينة أفطر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان [2] لما بلغه وقصر عنده فى سفره [3] (الثالث) أن لايمتنع لكونه صائما بل يحضر فإن كان يسر أخاه إفطاره فليفطر وليحتسب فى إفطاره بنية إدخال السرور على قلب أخيه ما يحتسب فى الصوم وأفضل وذلك فى صوم التطوع وان لم يتحقق سرور قلبه فليصدقه بالظاهر وليفطر وإن تحقق أنه متكلف فليتعلل . وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن امتنع بعذر الصوم « تكلف لك أخوك وتقول إنى صائم [4] » وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : من أفضل الحسنات إكرام الجلساء بالإفطار فالإفطار عبادة بهذه النية وحسن خلق فثوابه فوق ثواب الصوم . ومهما لم يفطر فضيافته الطيب والمجمرة والحديث الطيب . وقد قيل الكحل والدهن أحد القراءين . (الرابع) أن يمتنع من الإجابة إن كان الطعام طعام شبهة أو الموضع أو البساط المفروش من غير حلال ، أو كان يقام فى الموضع منكر من فرش ديباج أو إناء فضة أو تصوير حيوان على سقف أو حائط أو سماع شىء من المزامير والملاهى أو التشاغل بنوع من اللهو والعزف والهزل واللعب واستماع الغيبة والنميمة والزور والبهتان والكذب وشبه ذلك مما يمنع الإجابة واستحبابها ويوجب تحريمها أو كراهيتها ، وكذلك إذا كان الداعى ظالما أو مبتدعا أو فاسقا أو شريرا أو متكلفا طلبا للمباهاة والفخر . (الخامس) أن لا يقصد بالإجابة قضاء شهوة البطن فيكون عاملا فى أبواب الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالاجابة عاملا للآخرة وذلك بأن تكون نيته الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله « لو دعيت إلى كراع لأجبت » وينوى الحذر من معصية الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم « من لم يجب الداعى فقد عصى الله ورسوله [5] » وينوى إكرام أخيه المؤمن اتباعا لقوله صلى الله عليه وسلم « من أكرم أخاه المؤمن فكأنما أكرم الله [6] » وينوى إدخال السرور على قلبه امتثالا لقوله

= ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن طعام المتباريين » قال أبو داود من رواه عن جرير لم يذكر فيه ابن عباس وللعقيلى فى الضعفاء « نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن طعام المتباهيين » والمتباريان المتعارضان بفعلهما المباهاة والرياء قاله أبو موسى المدينى . (١) حديث « لو دعيت الى كراع بالغميم لأجبت » ذكر الغميم فيه ليعرف والمعروف « لو دعيت الى كراع » كما تقدم قبله بثلاثة أحاديث ويرد هذه الزيادة مارواه الترمذى من حديث أنس « لو أهدى إلى كراع لقبلت » .

(٢) حديث « إفطاره صلى الله عليه وسلم فى رمضان لما بلغ كراع الغميم » رواه مسلم من حديث جابر فى عام الفتح .

(٣) حديث « قصره صلى الله عليه وسلم فى سفره عند كراع الغميم » لم أقف له على أصل وللطبرانى فى الصغير من حديث ابن عمر « كان يقصر الصلاة بالعقيق » يريد إذا بلغه وهذا يرد الأول لأن بين العقيق وبين المدينة ثلاثة أميال أو أكثر وكراع الغميم بين مكة وعسفان والله أعلم . (٤) حديث « وقال لمن امتنع بعذر الصوم تكلف لك أخوك وتقول إنى صائم » أخرجه البيهقى من حديث أبى سعيد الخدرى « صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما وأتانى هو وأصحابه فلما وضع الطعام قال رجل من القوم : إنى صائم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعاكم أخوكم وتكلف لكم . الحديث » وللدارقطنى نحوه من حديث جابر .

(٥) حديث « من لم يجب الداعى فقد عصى الله ورسوله » متفق عليه من حديث أبى هريرة . (٦) حديث « من أكرم أخاه المؤمن فإنما يكرم الله تعالى » ذكره الأصفهانى فى الترغيب والترهيب من حديث جابر والعقيلى فى الضعفاء من حديث أبى بكر ولإسنادها ضعيف

صلى الله عليه وسلم « من سر مؤمنا فقد سر الله » [١] وينوى مع ذلك زيارته ليكون من المتحابين فى الله إذ شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه التزاور والتباذل لله [٢] وقد حصل البذل من أحد الجانبين فتحصل الزيارة من جانبه أيضاً ، وينوى صيانة نفسه عن أن يساء به الظنّ فى امتناعه ويطلق اللسان فيه بأن يحمل على تكبر أوسوء خلق أواستحقار أخ مسلم أو مايجرى مجراه . فهذه ست نيات تلحق إجابته بالقربات آحادها فكيف مجموعها ؟ وكان بعض السلف يقول : أنا أحب أن يكون لى فى كل عمل نية حتى فى الطعام والشراب وفى مثل هذا قال صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه [٣] » والنية إنما تؤثر فى المباحات والطاعات أما المنهيات فلا . فإنه لو نوى أن يسر إخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر أو حرام آخر لم تنفع النية ولم يجز أن يقال الأعمال بالنيات . بل لو قصد بالغزو الذى هو طاعة المباهاة وطلب المال انصرف عن جهة الطاعة . وكذلك المباح المردد بين وجوه الخيرات وغيرها يلتحق بوجوه الخيرات بالنية فتؤثر النية فى هذين القسمين لا فى القسم الثالث .

وأما الحضور فأدبه أن يدخل الدار ولا يتصدّر فيأخذ أحسن الأماكن بل يتواضع ولايطول الانتظار عليهم ولايعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد ، ولايضيق المكان على الحاضرين بالزحمة بل إن أشار إليه صاحب المكان بموضع لا يخالفه ألبتة فإنه قد يكون رتب فى نفسه موضع كل واحد فمخالفته تشوش عليه وإن أشار إليه بعض الضيفان بالارتفاع إكراما فليتواضع قال صلى الله عليه وسلم « إنّ من التواضع لله الرضا بالدون من المجلس [٤] » ولا ينبغى أن يجلس فى مقابلة باب الحجرة التى للنساء وسترهم . ولا يكثر النظر إلى الموضع الذى يخرج منه الطعام فإنه دليل على الشره . ويخص بالتحية والسؤال من يقرب منه إذا جلس . وإذا دخل ضيف للبيت فليعرفه صاحب المنزل عند الدخول القبلة وبيت الماء وموضع الوضوء ، كذلك فعل مالك بالشافعى رضى الله عنهما . وغسل مالك يده قبل الطعام قبل القوم وقال : الغسل قبل الطعام لرب البيت أولى : لأنه يدعو الناس إلى كرمه فحكمه أن يتقدم بالغسل وفى آخر الطعام يتأخر بالغسل لينتظر أن يدخل من يأكل فيأكل معه . وإذا دخل فرأى منكرا غيره إن قدر وإلا أنكر بلسانه وانصرف . والمنكر فرش الديباج واستعمال أوانى الفضة والذهب والتصوير على الحيطان وسماع الملاهى والمزامير وحضور النسوة المتكشفات الوجوه وغير ذلك من المحرّمات حتى قال أحمد رحمه الله : إذا رأى مكحلة رأسها مفضض ينبغى أن يخرج ، ولم يأذن فى الجلوس إلا فى ضبة وقال : إذا رأى كلة فينبغى أن يخرج فإن ذلك تكلف لافائدة فيه ولاتدفع حرّا ولابردا ولاتستر شيئا ؛ وكذلك قال : يخرج إذا رأى حيطان البيت مستورة بالديباج كما تستر الكعبة . وقال : إذا اكترى بيتا فيه صورة أو دخل الحمام ورأى صورة فينبغى أن يحكها فإن لم يقدر خرج . وكل ما ذكره صحيح وإنما النظر فى الكلة وتزيين الحيطان بالديباج فإن ذلك لاينتهى إلى التحريم إذ الحرير يحرم على الرجال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذان حرام على ذكور أمتى حل لإناثها [٥] » وما على

---

(١) حديث « من سر مؤمنا فقد سر الله » تقدم فى الباب قبله . (٢) حديث «وجبت محبتى للمتزاورين فى والمتباذلين فى» أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة ولم يذكر المصنف هذا الحديث وإنما أشار إليه . (٣) حديث « الأعمال بالنيات » متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب . (٤) حديث « إن من التواضع لله الرضا بالدون من المجلس» أخرجه الخرائطى فى مكارم الاخلاق وأبو نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث طلحة بن عبيد بسند جيد . (٥) حديث « هذان حرامان على ذكور أمتى » أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث على وفيه أبو أفلح الهمدانى جهله ابن القصان والنسائى والترمذى وصححه من حديث أبى موسى بنحوه . قلت الظاهر انقطاعه بين سعيد بن أبى هند وأبى موسى فأدخل أحد بينهما رجلا لم يسم .

الحائط ليس منسوبا إلى الذكور ولو حرّم هـذا لحرّم تزيين الكعبة بل الأولى إباحته لموجب قوله ﴿ قل من حرّم زينة الله ﴾ لاسيما فى وقت الزينة إذا لم يتخذ عادة للتفاخر . وإن تخيل أن الرجال ينتفعون بالنظر إليه ولا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر إلى الديباج مهما لبسه الجوارى والنساء . والحيطان فى معنى النساء إذ لسن موصوفات بالذكورة .

وأما إحضار الطعام فله آداب خمسة (الأول) تعجيل الطعام فذلك من إكرام الضيف وقد قال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه [1] » ومهما حضر الأكثرون وغاب واحد أو اثنان وتأخروا عن الوقت الموعود فحق الحاضر فى التعجيل أولى من حق أولئك فى التأخير ؛ إلا أن يكون المتأخر فقيرا أو ينكسر قلبه بذلك فلا بأس فى التأخير وأحد المعنيين فى قوله تعالى ﴿ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ﴾ أنهم أكرموا بتعجيل الطعام إليهم دل عليه قوله تعالى ﴿ فما لبث أن جاء بعجل حنيذ ﴾ وقوله ﴿ فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين ﴾ والروغان : الذهاب بسرعة وقيل فى خفية وقيل جاء بفخذ من لحم وإنما سمى عجلا لأنه عجله ولم يلبث . قال حاتم الأصم : العجلة من الشيطان إلا فى خمسة فإنها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إطعام الضيف وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب [2] ويستحب التعجيل فى الوليمة قيل الوليمة فى أول يوم سنة وفى الثانى معروف وفى الثالث رياء . (الثانى) ترتيب الأطعمة بتقديم الفاكهة أولا إن كانت فذلك أوفق فى الطب فإنها أسرع استحالة فينبغى أن تقع فى أسفل المعدة . وفى القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة فى قوله تعالى ﴿ وفاكهة مما يتخيرون ﴾ ثم قال ﴿ ولحم طير مما يشتهون ﴾ ثم أفضل مايقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد فقد قال عليه السلام « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » فإن جمع إليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات . ودل على حصول الإكرام باللحم قوله تعالى فى ضيف إبراهيم إذ أحضر العجل الحنيذ ـ أى المحنوذ وهو الذى أجيد نضجه ـ وهو أحد معنى الإكرام أعنى تقديم اللحم . وقال تعالى فى وصف الطيبات ﴿ وأنزلنا عليكم المن والسلوى ﴾ المن : العسل ، والسلوى . اللحم ؛ سمى سلوى لأنه يتسلى به عن جميع الإدام ولا يقوم غيره مقامه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « سيد الإدام اللحم » ثم قال بعد ذكر المن والسلوى ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ فاللحم والحلاوة من الطيبات . قال أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه : أكل الطيبات يورث الرضا عن الله . وتتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند الغسل . قال المأمون : شرب الماء بثلج يخلص الشكر . وقال بعض الأدباء : إذا دعوت إخوانك فأطعمتهم حصرمية وبورانية وسقيتهم ماء باردا فقد أكملت الضيافة . وأنفق بعضهم دراهم فى ضيافة فقال بعض الحكماء : لم نكن نحتاج إلى هذا إذا كان خبزك جيدا وماؤك باردا وخلك حامضا فهو كفاية . وقال بعضهم : الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الألوان ، والتمكن على المائدة خير من زيادة لونين .

---

(١) حديث « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » متفق عليه من حديث أبى شريح .

(٢) حديث حاتم الأصم « العجلة من الشيطان إلا فى خمسة فانها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إطعام الطعام وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب » أخرجه الترمذى من حديث سهل بن سعد « الأناة من الله والعجلة من الشيطان » وسنده ضعيف وأما الاستثناء فروى أبو داود من حديث سعد بن أبى وقاص « التؤدة فى كل شىء إلا فى عمل الآخرة » قال الأعمش لاأعلم إلا أنه رفعه وروى المزى فى التهذيب فى ترجمة محمد بن موسى بن نفيع عن مشيخة من قومه « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الاناة فى كل شىء إلا فى ثلاث إذا صبيح فى خيل الله وإذا نودى بالصلاة وإذا كانت الجنازة ... الحديث » مرسل والترمذى من حديث على « ثلاثة لاتؤخرها : الصلاة إذا أتت والجنازة إذا حضرت والأيم إذا وجدت كفؤا » وسنده حسن .

ويقال إن الملائكة تحضر المائدة إذا كان عليها بقل فذلك أيضا مستحب ولما فيه من التزين بالخضرة . وفى الخبر : إن المائدة التى أنزلت على بنى إسرائيل كان عليها من كل البقول إلا الكرات . وكان عليها سمكة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح ، وسبعة أرغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان ، فهذا إذا اجتمع حسن للموافقة (الثالث) أن يقدم من الألوان ألطفها حتى يستوفى منها من يريد ولا يكثر الأكل بعده وعادة المترفين تقديم الغليظ ليستأنف حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده وهو خلاف السنة فإنه حيلة فى استكثار الأكل . وكان من سنة المتقدمين أن يقوموا جملة الألوان دفعة واحدة ويصففون القصاع من الطعام على المائدة ليأكل كل واحد مما يشتهى . وإن لم يكن عنده إلا لون واحد ذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا أطيب منه . ويحكى عن بعض أصحاب المروءات أنه كان يكتب نسخة بما يستحضر من الألوان ويعرض على الضيفان . وقال بعض الشيوخ : قدم إلى بعض المشايخ لونا بالشام فقلت عندنا بالعراق إنما يقدم هذا آخرا ، فقال : وكذا عندنا بالشام ، ولم يكن له لون غيره فخجلت منه . وقال آخر : كنا جماعة فى ضيافة فقدم إلينا ألوان من الرءوس المشوية طبيخا وقديدا فكنا لا نأكل ننتظر بعدها لونا أو حملا ، فجاءنا بالطست ولم يقدم غيرها ، فنظر بعضنا إلى بعض فقال بعض الشيوخ وكان مزاحا : إن الله تعالى يقدر أن يخلق رءوسا بلا أبدان ، قال : وبتنا تلك الليلة جياعا نطلب فتيتا إلى السحور . فلهذا يستحب أن يقدم الجميع أو يخبر بما عنده (الرابع) أن لا يبادر إلى رفع الألوان قبل تمكنهم من الاستيفاء حتى يرفعوا الأيدى عنها فلعل منهم من يكون بقية ذلك اللون أشهى عنده مما استحضروه أو بقيت فيه حاجة إلى الأكل فيتنغص عليه بالمبادرة ، وهى من التمكن على المائدة التى يقال إنها خير من لونين فيحتمل أن يكون المراد به قطع الاستعجال ويحتمل أن يكون أراد به سعة المكان . حكى عن الستورى وكان صوفيا مزاحا فحضر عند واحد من أبناء الدنيا على مائدة فقدم إليهم حمل - وكان فى صاحب المائدة بخل - فلما رأى القوم مزقوا الحمل كل ممزق ضاق صدره وقال : ياغلام ارفع إلى الصبيان ، فرفع الحمل إلى داخل الدار فقام الستورى يعدو خلف الحمل . فقيل له : إلى أين ؟ فقال : آكل مع الصبيان فاستحيا الرجل وأمر برد الحمل . ومن هذا الفن أن لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم فإنهم يستحيون بل ينبغى أن يكون آخرهم أكلا . كان بعض الكرام يخبر القوم بجميع الألوان ويتركهم يستوفون فإذا قاربوا الفراغ جثا على ركبتيه ومد يده إلى الطعام وأكل وقال . بسم الله ساعدونى بارك الله فيكم وعليكم ، وكان السلف يستحسنون ذلك منه (الخامس) أن يقدم من الطعام قدر الكفاية فإن التقليل عن الكفاية نقص فى المروءة والزيادة عليه تصنع ومراءاة لاسيما إذا كانت نفسه لا تسمح بأن يأكلوا الكل ، إلا أن يقدم الكثير وهو طيب النفس لو أخذوا الجميع ونوى أن يتبرك بفضلة طعامهم ، إذ فى الحديث لا يحاسب عليه . أحضر إبراهيم بن أدهم رحمه الله طعاما كثيرا على مائدته فقال له سفيان : ياأبا إسحق أما تخاف أن يكون هذا سرفا ؟ فقال إبراهيم : ليس فى الطعام سرف . فإن لم تكن هذه النية فالتكثير تكلف . قال ابن مسعود رضى الله عنه : نهينا أن نجيب دعوة من يباهى بطعامه وكره جماعة من الصحابة أكل طعام المباهاة . ومن ذلك كان لا يرفع من بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط لأنهم كانوا لا يقدمون إلا قدر الحاجة ولا يأكلون تمام الشبع . وينبغى أن يعزل أولا نصيب أهل البيت حتى لا تكون أعينهم طامحة إلى رجوع شىء منه فلعله لا يرجع فتضيق صدورهم وتنطلق فى الضيفان ألسنتهم ويكون قد أطعم الضيفان ما يتبعه كراهية قوم وذلك خيانة فى حقهم . وما بقى من الأطعمة فليس للضيفان أخذه وهو الذى تسميه الصوفية الزلة إلا إذا صرح

صاحب الطعام بالإذن فيه عن قلب راض أو علم ذلك بقرينة حاله وأنه يفرح به ، فإن كان يظن كراهيته فلا ينبغى أن يؤخذ وإذا علم رضاه فينبغى مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء ؛ فلا ينبغى أن يأخذ الواحد إلا ما يخصه أو ما يرضى به رفيقه عن طوع لا عن حياء .

فأما الانصراف : فله ثلاثة آداب (الأول) أن يخرج مع الضيف إلى باب الدار وهو سنة وذلك من إكرام الضيف وقد أمر بإكرامه قال عليه الصلاة والسلام « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » وقال عليه السلام « إن من سنة الضيف أن يشيع إلى باب الدار » قال أبو قتادة « قدم وفد النجاشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه : نحن نكفيك يارسول الله فقال : كلا إنهم كانوا لأصحابى مكرمين وأنا أحب أن أكافئهم » وتمام الإكرام طلاقة الوجه وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة . قيل للأوزاعى رضى الله عنه ما كرامة الضيف ؟ قال طلاقة الوجه وطيب الحديث . وقال يزيد بن أبى زياد ما دخلت على عبد الرحمن بن أبى ليلى إلا حدثنا حديثا حسنا وأطعمنا طعاما حسنا (الثانى) أن ينصرف الضيف طيب النفس وإن جرى فى حقه تقصير ، فذلك من حسن الخلق والتواضع قال صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم » ودعى بعض السلف برسول فلم يصادفه الرسول فلما سمع حضر وكانوا قد تفرقوا وفرغوا وخرجوا فخرج إليه صاحب المنزل وقال : قد خرج القوم ، فقال : هل بقى بقية ؟ قال : لا ، قال فكسرة إن بقيت ؟ قال : لم تبق ، قال : فالقدر أمسحها ؟ قال : قد غسلتها ؟ فانصرف يحمد الله تعالى فقيل له فى ذلك فقال : قد أحسن الرجل دعانا بنية وردنا بنية ، فهذا هو معنى التواضع وحسن الخلق . وحكى أن أستاذ أبى القاسم الجنيد دعاه صبى إلى دعوة أبيه أربع مرات فرده الأب فى المرات الأربع وهو يرجع فى كل مرة تطييبا لقلب الصبى بالحضور ولقلب الأب بالانصراف ، فهذه نفوس قد ذللت بالتواضع لله تعالى واطمأنت بالتوحيد وصارت تشاهد فى كل رد وقبول عبرة فيما بينها وبين ربها ، فلا تنكسر بما يجرى من العباد من الإذلال كما لا تستبشر بما يجرى منهم من الإكرام بل يرون الكل من الواحد القهار . ولذلك قال بعضهم : أنا لا أجيب الدعوة إلا لأنى أتذكر بها طعام الجنة أى هو طعام طيب يحمل عنا كده ومؤنته وحسابه . (الثالث) أن لا يخرج إلا برضا صاحب المنزل وإذنه ويراعى قلبه فى قدر الإقامة ، وإذا نزل ضيفا فلا يزيد على ثلاثة أيام فربما يتبرم به ويحتاج إلى إخراجه قال صلى الله عليه وسلم « الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فصدقة [1] » نعم لو ألح رب البيت عليه عن خلوص قلب فله المقام إذ ذاك ويستحب أن يكون عنده فراش للضيف النازل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان [2] » .

فصل يجمع آدابا ومناهى طبية وشرعية متفرقة

(الأول) حكى عن إبراهيم النخعى أنه قال ، الأكل فى السوق دناءة [3] وأسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسناده قريب . وقد نقل ضده عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : كنا نأكل عهد رسول الله صلى الله

---

(١) حديث « الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فصدقة » متفق عليه من حديث أبى شريح الخزاعى . (٢) حديث « فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان » أخرجه مسلم من حديث جابر (٣) حديث « الأكل فى السوق دناءة » أخرجه الطبرانى من حديث أبى أمامة وهو ضعيف ورواه ابن عدى فى الكامل من حديثه وحديث أبى هريرة

عليه وسلم ونحن نمشى ونشرب ونحن قيام[١] . ورؤى بعض المشايخ من المتصوفة المعروفين يأكل فى السوق فقيل له فى ذلك فقال : ويحك أجوع فى السوق وآكل فى البيت ؛ فقيل تدخل المسجد ؟ قال : أستحى أن أدخل بيته للأكل فيه . ووجه الجمع أن الأكل فى السوق تواضع وترك تكلف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروءة من بعضهم فهو مكروه ، وهو مختلف بعادات البلاد وأحوال الأشخاص فمن لايليق ذلك بسائر أعماله حمل ذلك على قلة المروءة وفرط الشره ويقدح ذلك فى الشهادة ومن يليق ذلك بجميع أحواله وأعماله فى ترك التكلف كان ذلك منه تواضعا (الثانى) قال على رضى الله عنه : من ابتدأ غذاءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ، ومن أكل فى يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة فى بطنه ، ومن أكل كل يوم إحدى وعشرين زبيبة حرامالم ير فى جسده شيئا يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب والبسقارجات تعظم البطن وترخى الأليتين ، ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ، ولن تستشفى النفساء بشىء أفضل من الرطب ، والسمك يذيب الجسد ، وقراءة القرآن والسواك يذهبان البلغم ، ومن أراد البقاء ولا بقاء فليباكر بالغداء وليكرر العشاء وليلبس الحذاء ، ولن يتداوى الناس بشىء مثل السمن وليقل غشيان النساء وليخف الرداء وهو الدين (الثالث) قال الحجاج لبعض الأطباء : صف لى صفة آخذ بها ولا أعدوها قال . لاتنكح من النساء إلا فتاة ولا تأكل من اللحم إلا فتيا ولا تأكل المطبوخ حتى يتم نضجه ولا تشربن دواء إلا من علة ولا تأكل من الفاكهة إلا نضيجها ، ولا تأكلن طعاما إلا أجدت مضغه ، وكل ماأحببت من الطعام ولا تشربن عليه فإذا شربت فلاتأكلن عليه شيئا ، ولا تحبس الغائط والبول ، وإذا أكلت بالنهار فنم وإذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولومائة خطوة . وفى معناه قول العرب : تغد تمد تعش تمش يعنى تمدد كما قال الله تعالى ـ ثم ذهب إلى أهله يتمطى ـ أى يتمطط . ويقال إن حبس البول يفسد الجسد كما يفسد النهر ماحوله إذا سد مجراه (الرابع) فى الخبر « قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهرمة[٢] » ، والعرب تقول ترك الغداء يذهب بشحم الكاذة ـ يعنى الآلية ـ وقال بعض الحكماء لابنه : يابنى لاتخرج من منزلك حتى تأخذ حلمك أى تتغذى ، إذبه يبقى الحلم ويزول الطيش وهو أيضا أقل لشهوته لما يرى فى السوق . وقال حكيم لسمين : أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك فمم هى ؟ قال من أكل لباب البر وصغار المعز وأدهن بجام بنفسج وألبس الكتان . (الخامس) الحمية تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمريض ، هكذا قيل . وقال بعضهم : من احتمى فهو على يقين من المكروه وعلى شك من العوافى ، وهذا حسن فى حال الصحة « ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيبا يأكل تمرا وإحدى عينيه رمداء فقال . أتأكل التمر وأنت رمد ؟ فقال : يارسول الله إنما آكل بالشق الآخر[٣] » يعنى جانب السليمة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم . (السادس) أنه يستحب أن يحمل طعام إلى أهل الميت ، ولما جاء نعى جعفر بن أبى طالب قال عليه السلام « إن آل جعفر شغلوا بميتهم عن صنع طعامهم فاحملوا إليهم مايأكلون[٤] » فذلك سنة . وإذا قدم ذلك إلى الجمع حل الأكل منه مايهيأ للنوائح والمعينات عليه بالبكاء والجزع

---

(١) حديث ابن عمر « كنا نأكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشى ونشرب ونحن قيام » أخرجه الترمذى وصححه وابن ماجه وابن حبان . (٢) حديث « قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهرمة » أخرجه ابن عدى فى الكامل من حديث عبد الله بن جراد بالشطر الأول والترمذى من حديث أنس بالشطر الثانى وكلاهما ضعيف وروى ابن ماجه الشطر الثانى من حديث جابر . (٣) حديث « رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيبا يأكل تمراً وإحدى عينيه رمدة فقال له أتأكل التمر وأنت رمد فقال إنما أمضغ بالشق الآخر فضحك صلى الله عليه وسلم » أخرجه ابن ماجه من حديث صهيب بإسناد جيد . (٤) حديث « لما جاء نعى جعفر بن أبى طالب قال صلى الله عليه وسلم إن آل جعفر شغلوا بميتهم عن طعامهم فاحملوا إليهم مايأكلون » أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث عبد الله بن جعفر نحوه بسند حسن ولابن ماجه نحوه من حديث أسماء بنت عميس .

فلاينبغى أن يؤكل معهم (السابع) لاينبغى أن يحضر طعام ظالم فإن أكره فليقلل الأكل ولايقصد الطعام الأطيب رد بعض المزكين شهادة من حضر طعام سلطان فقال : كنت مكرها ، فقال : رأيتك تقصد الأطيب وتكبر اللقمة وما كنت مكرها عليه ؟ وأجبر السلطان هذا المزكى على الأكل فقال : إما أن آكل وأخلى التزكية أو أزكى ولا آكل فلم يجدوا بدا من تزكيته فتركوه . وحكى أن ذا النون المصرى حبس ولم يأكل أياما فى السجن فكانت له أخت فى الله فبعثت إليه طعاما من مغزلها على يد السجان فامتنع فلم يأكل ، فعاتبته المرأة بعد ذلك فقال : كان حلالا ولكن جاءنى على طبق ظالم وأشار به إلى يد السجان وهذا غاية الورع . (الثامن) حكى عن فتح الموصلى رحمه الله أنه دخل على بشر الحافى زائرا فأخرج بشر درهما فدفعه لأحمد الجلاء خادمه وقال : اشتر به طعاما جيدا وأدما طيبا ، قال : فاشتريت خبزا نظيفا وقلت : لم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لشىء اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه [1] سوى اللبن فاشتريت اللبن واشتريت تمرا جيدا فقدمت إليه فأكل وأخذ الباقى . فقال بشر : أتدرون لم قلت اشتر طعاما طيبا ؟ لأن الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر ، أتدرون لم لم يقل لى كل ؟ لأنه ليس للضيف أن يقول لصاحب الدار كل ، أتدرون لم حمل مابقى ؟ لأنه إذا صح التوكل لم يضر الحمل . وحكى أبو على الروذبارى رحمه الله تعالى أنه اتخذ ضيافة فأوقد فيها ألف سراج فقال له رجل : قد أسرفت ، فقال له : ادخل فكل ماأوقدته لغير الله فأطفئه فدخل الرجل فلم يقدر على إطفاء واحد منها فانقطع . واشترى أبو على الروذبارى أحمالا من السكر وأمر الحلاويين حتى بنوا جدارا من السكر عليه شرف ومحاريب على أعمدة منقوشة كلها من سكر ثم دعا الصوفية حتى هدموها وانتهبوها . (التاسع) قال الشافعى رضى الله عنه « الأكل على أربعة أنحاء : الأكل بأصبع من المقت ، وبأصبعين من الكبر ، وبثلاث أصابع من السنة [2] وبأربع وخمس من الشره وأربعة أشياء تقوى البدن : أكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان . وأربعة توهن البدن : كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء على الريق وكثرة أكل الحموضة . وأربعة تقوى البصر : الجلوس تجاه القبلة والكحل عند النوم والنظر إلى الخضرة وتنظيف الملبس . وأربعة توهن البصر : النظر إلى القذر والنظر إلى المصلوب والنظر إلى فرج المرأة والقعود فى استدبار القبلة . وأربعة تزيد فى الجماع : أكل العصافير وأكل الإطريفل الأكبر وأكل الفستق وأكل الجرجير . والنوم على أربعة أنحاء . فنوم على القفا وهو نوم الأنبياء عليهم السلام يتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ونوم على اليمين وهو نوم العلماء والعباد ، ونوم على الشمال وهو نوم الملوك ليهضمهم طعامهم ، ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين . وأربعة تزيد فى العقل : ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة الصالحين والعلماء . وأربعة هن من العبادة : لا يخطو خطوة إلا على وضوء وكثرة السجود ولزوم المساجد وكثرة قراءة القرآن » وقال أيضا : عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الأكل بعد أن يخرج كيف لايموت ؟ وعجبت لمن احتجم ثم يبادر الأكل كيف لايموت ؟ وقال : لم أر شيئا أنفع فى الوباء من البنفسج يدهن به ويشرب . والله أعلم بالصواب .

---

(١) حديث « اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه » قاله عند شرب اللبن تقدم فى آخر الباب الأول من آداب الأكل .

(٢) حديث « الأكل بثلاث أصابع من السنة » أخرجه مسلم من حديث كعب بن مالك « كان النبى صلى الله عليه وسلم يأكل بثلاث أصابع » وروى ابن الجوزى فى العلل من حديث ابن عباس موقوفا « كل بثلاث أصابع فانه من السنة » .

كتاب آداب النكاح

وهو الكتاب الثانى من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى لاتصادف سهام الأوهام فى عجائب صنعه مجرى ولاترجع العقول عن أوائل بدائعها إلا والهة حيرى ولا تزال لطائف نعمه على العالمين تترى فهى تتوالى عليهم اختيارا وقهرا . ومن بدائع ألطافه أن خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها الحراثة جبرا واستبقى به نسلهم إقهارا وقسرا . ثم عظم أمر الأنساب وجعل لها قدرا فحرم بسببها السفاح وبالغ فى تقبيحه ردعا وزجرا وجعل اقتحامه جريمة فاحشة وأمر إمرا وندب إلى النكاح وحث عليه استحبابا وأمرا فسبحان من كتب الموت على عباده فأذلهم به هدما وكسرا ثم بث بذور النطف فى أراضى الأرحام وأنشأ منها خلقا وجعله لكسر الموت جبرا تنبيها على أن بحار المقادير فياضة على العالمين نفعا وضرا وخيرا وشرا وعسرا ويسرا وطيا ونشرا والصلاة والسلام على محمد المبعوث بالإنذار والبشرى وعلى آله وأصحابه صلاة لايستطيع لها الحساب عدا ولا حصرا وسلم تسليما كثيرا . أما بعد : فإن النكاح معين على الدين ومهين للشياطين وحصن دون عدو الله حصين وسبب للتكثير الذى به مباهاة سيد المرسلين لسائر النبيين فما أحراه بأن تتحرى أسبابه وتحفظ سننه وآدابه وتشرح مقاصده وآرابه وتفصل فصوله وأبوابه . والقدر المهم من أحكامه ينكشف فى ثلاثة أبواب (الباب الأول) فى الترغيب فيه وعنه . (الباب الثانى) فى الآداب المرعية فى العقد والعاقدين . (الباب الثالث) فى آداب المعاشرة بعد العقد إلى الفراق .

الباب الأول : فى الترغيب فى النكاح والترغيب عنه

اعلم أن العلماء قد اختلفوا فى فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم أنه أفضل من التخلى لعبادة الله واعترف آخرون بفضله ولكن قدموا عليه التخلى لعبادة الله ، مهما لم تتق النفس إلى النكاح توقاناً يشوش الحال ويدعو إلى الوقاع . وقال آخرون : الأفضل تركه فى زماننا هذا وقد كان له فضيلة من قبل إذ لم تكن الأكساب محظورة وأخلاق النساء مذمومة . ولا ينكشف الحق فيه إلا بأن نقدم أولا ما ورد من الأخبار والآثار فى الترغيب فيه والترغيب عنه ثم نشرح فوائد النكاح وغوائله حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه فى حق كل من سلم من غوائله أو لم يسلم منها .

الترغيب فى النكاح

أما من الآيات : فقد قال الله تعالى ﴿ وأنكحوا الأيامى منكم ﴾ وهذا أمر وقال تعالى ﴿ فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن ﴾ وهذا منع من العضل ونهى عنه . وقال تعالى فى وصف الرسل ومدحهم ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية ﴾ فذكر ذلك فى معرض الامتنان وإظهار الفضل . ومدح أولياءه بسؤال ذلك فى الدعاء فقال ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ﴾ الآية ويقال إن الله تعالى لم يذكر

فى كتابه من الأنبياء إلا المتأهلين فقالوا إن يحيى صلى الله عليه وسلم قد تزوج ولم يجامع قيل إنما فعل ذلك لنيل الفضل وإقامة السنة ، وقيل لغض البصر ، وأما عيسى عليه السلام فإنه سينكح إذا نزل الأرض ويولد له .

وأما الأخبار فقوله صلى الله عليه وسلم « النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فقد رغب عنى » وقال صلى الله عليه وسلم « النكاح سنتى فمن أحب فطرتى فليستن بسنتى [1] » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم (تناكحوا تكثروا فإنى أباهى بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط [2]) وقال أيضا عليه السلام (من رغب عن سنتى فليس منى وإن من سنتى النكاح فمن أحبنى فليستن بسنتى [3]) وقال النبى صلى الله عليه وسلم (من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا [4]) وهذا ذم لعلة الامتناع لا لأصل الترك وقال صلى الله عليه وسلم (من كان ذا طول فليتزوج [5]) وقال (من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لا فليصم فإن الصوم له وجاء [6]) وهذا يدل على أن سبب الترغيب فيه خوف الفساد فى العين والفرج . والوجاء هو عبارة عن رض الخصيتين للفحل حتى تزول فحولته ؛ فهو مستعار للضعف عن الوقاع فى الصوم . وقال صلى الله عليه وسلم (إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير [7]) وهذا أيضا تعليل الترغيب لخوف الفساد . وقال صلى الله عليه وسلم (من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله [8]) وقال صلى الله عليه وسلم (من تزوج فقد أحرز شطر دينه فليتق الله فى الشطر الثانى [9]) وهذا أيضا إشارة إلى أن فضيلته لأجل التحرز من المخالفة تحصنا من الفساد فكأن المفسد لدين المرء فى الأغلب فرجه وبطنه وقد كفى بالتزويج أحدهما . وقال صلى الله عليه وسلم (كل عمل ابن آدم ينقطع إلا ثلاث ولد صالح يدعو له ... [10]) الحديث . ولا يوصل إلى هذا إلا بالنكاح .

كتاب آداب النكاح

الباب الأول فى الترغيب فى النكاح

(١) حديث « النكاح سنتى فمن أحب فطرتى فليستن بسنتى » أخرجه أبو يعلى فى مسنده مع تقديم وتأخير من حديث ابن عباس بسند حسن . (٢) حديث « تناكحوا تكثروا فانى أباهى بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط » أخرجه أبو بكر بن مردويه فى تفسيره من حديث ابن عمر دون قوله « حتى بالسقط » وإسناده ضعيف وذكره بهذه الزيادة البيهقى فى المعرفة عن الشافعى أنه بلغه

(٣) حديث « من رغب عن سنتى فليس منى وإن من سنتى النكاح فمن أحبنى فليستن بسنتى » متفق على أوله من حديث أنس « من رغب عن سنتى فليس منى » وباقيه تقدم قبله بحديث . (٤) حديث « من ترك التزويج خوف العيلة فليس منا » رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى سعيد بسند ضعيف وللدارمى فى مسنده والبغوى فى معجمه وأبى داود فى المراسيل من حديث أبى نجيح « من قدر على أن ينكح فلم ينكح فليس منا » وأبو نجيح اختلف فى صحبته

(٥) حديث « من كان ذا طول فليتزوج » أخرجه ابن ماجه من حديث عائشة بسند ضعيف . (٦) حديث « من استطاع منكم الباءة فليتزوج الحديث » متفق عليه من حديث ابن مسعود . (٧) حديث « إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة ونقل عن البخارى أنه لم يعده محفوظا وقال أبو داود إنه خطأ ورواه الترمذى أيضاً من حديث أبى حاتم المزنى وحسنه ورواه أبو داود فى المراسيل وأعله ابن القطان بإرساله وضعف رواته . (٨) حديث « من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله عزوجل » أخرجه أحمد بسند ضعيف من حديث معاذ بن أنس « من أعطى لله وأحب لله وأبغض لله وأنكح لله فقد استكمل إيمانه » . (٩) حديث « من تزوج فقد أحرز شطر دينه فليتق الله فى الشطر الآخر » أخرجه ابن الجوزى فى العلل من حديث أنس بسند ضعيف وهو عند الطبرانى فى الأوسط بلفظ « فقد استكمل نصف الإيمان » وفى المستدرك وصحح إسناده بلفظ « من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه ... الحديث » . (١٠) حديث « كل عمل ابن آدم ينقطع إلا ثلاثة » فذكر فيه « وولد صالح يدعو له » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة بنحوه .

وأما الآثار : فقال عمر رضى الله عنه لايمنع من النكاح إلا عجز أو فجور . فبين أن الدين غير مانع منه وحصر المانع فى أمرين مذمومين . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : لايتم نسك الناسك حتى يتزوج . يحتمل أن جعله من النسك وتتمة له . ولكن الظاهر أنه أراد به أنه لايسلم قلبه لغلبة الشهوة إلا بالتزويج ولا يتم النسك إلا بفراغ القلب ، ولذلك كان يجمع غلمانه لما أدركوا عكرمة وكريبا وغيرهما ويقول : إن أردتم النكاح أنكحتكم فإن العبد إذا زنى نزع الإيمان من قلبه . وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول : لو لم يبق من عمرى إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج لكيلا ألقى الله عزبا ومات امرأتان لمعاذ بن جبل رضى الله عنه فى الطاعون وكان هو أيضا مطعونا فقال : زوجونى فإنى أكره أن ألقى الله عزبا . وهذا منهما يدل على أنهما رأيا فى النكاح فضلا لامن حيث التحرز عن غائلة الشهوة . وكان عمر رضى الله عنه يكثر النكاح ويقول : ماأتزوج إلا لأجل الولد « وكان بعض الصحابة قد انقطع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخدمه ويبيت عنده لحاجة إن طرقته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تتزوج ؟ فقال يارسول الله إنى فقير لاشىء لى وأنقطع عن خدمتك فسكت . ثم عاد ثانيا فأعاد الجواب . ثم تفكر الصحابى وقال : والله لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما يصلحنى فى دنياى وآخرتى وما يقربنى إلى الله منى ولئن قال لى الثالثة لأفعلن . فقال له الثالثة : ألاتتزوج ؟ قال : فقلت يارسول الله زوجنى ، قال . اذهب إلى بنى فلان فقل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تزوجونى فتاتكم قال : فقلت يارسول الله لاشىء لى ، فقال لأصحابه : اجمعوا لأخيكم وزن نواة من ذهب فجمعوا له فذهبوا به إلى القوم فأنكحوه فقال له : أولم وجمعوا له من الأصحاب شاة للوليمة[1] » وهذا التكرير يدل على فضل فى نفس النكاح ويحتمل أنه توسم فيه الحاجة إلى النكاح . وحكى أن بعض العباد فى الأمم السالفة فاق أهل زمانه فى العبادة فذكر لنبى زمانه حسن عبادته فقال : نعم الرجل هو لولا أنه تارك لشىء من السنة فاغتم العابد لما سمع ذلك فسأل النبى عن ذلك فقال : أنت تارك للتزويج ، فقال: لست أحرمه ولكنى فقير وأنا عيال على الناس ، قال : أنا أزوجك ابنتى فزوجه النبى عليه السلام ابنته . وقال بشر بن الحرث : فضل على أحمد بن حنبل بثلاث : بطلب الحلال لنفسه ولغيره وأنا أطلبه لنفسى فقط ولاتساعه فى النكاح وضيقى عنه ولأنه نصب إماما للعامة . ويقال إن أحمد رحمه الله تزوج فى اليوم الثانى لوفاة أم ولده عبد الله وقال : أكره أن أبيت عزبا . وأما بشر فإنه لما قيل له . إن الناس يتكلمون فيك لتركك النكاح ويقولون هو تارك للسنة ، فقال : قولوا لهم هو مشغول بالفرض عن السنة . وعوتب مرة أخرى فقال : مايمنعنى من التزويج إلا قوله تعالى ﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف﴾ فذكر ذلك لأحمد فقال : وأين مثل بشر ؟ إنه قعد على مثل حد السنان . ومع ذلك فقد روى أنه رؤى فى المنام فقيل له : مافعل الله بك ؟ فقال : رفعت منازلى فى الجنة وأشرف بى على مقامات الأنبياء ولم أبلغ منازل المتأهلين . وفى رواية قال لى : ما كنت أحب أن تلقانى عزبا قال : فقلنا له ، مافعل أبو نصر التمار ؟ فقال : رفع فوقى بسبعين درجة ، قلنا : بماذا فقد كنا نراك فوقه ؟ قال : بصبره على بناته والعيال . وقال سفيان بن عيينة : كثرة النساء ليست من الدنيا لأن عليا رضى الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية . فالنكاح سنة ماضيه وخلق من أخلاق الأنبياء . وقال رجل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله : طوبى لك فقد تفرغت للعبادة بالعزوبة ! فقال : لروعة منك بسبب العيال : أفضل من جميع ما أنا فيه ، قال: فما الذى

(١) حديث « كان بعض الصحابة قد انقطع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبيت عنده لحاجة ان طرقته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تتزوج ... الحديث » أخرجه أحمد من حديث ربيعة الأسلمى فى حديث طويل — وهو صاحب القصة — باسناد حسن .

يمنعك من النكاح ، فقال : مالى حاجة فى امرأة وما أريد أن أغر امرأة بنفسى . وقد قيل : فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد . وركعة من متأهل أفضل من سبعين ركعة من عزب .

وأما ماجاء فى الترهيب عن النكاح : فقد قال صلى الله عليه وسلم « خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذى لاأهل له ولا ولد [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « يأتى على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه مالا يطيق ، فيدخل المداخل التى يذهب فيها دينه فيهلك [2] » وفى الخبر « قلة العيال أحد اليسارين وكثرتهم أحد الفقرين [3] » وسئل أبو سليمان الدارانى عن النكاح فقال : الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار . وقال أيضا : الوحيد يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد المتأهل . وقال مرة : مارأيت أحداً من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته الأولى . وقال أيضا : ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا من طلب معاشا أو تزوج امرأة أو كتب الحديث . وقال الحسن رحمه الله : إذا أراد الله بعبد خيرا لم يشغله بأهل ولا مال ، وقال ابن أبى الحوارى : تناظر جماعة فى هذا الحديث فاستقر رأيهم على أنه ليس معناه أن لايكونا له بل أن يكونا له ولايشغلانه وهو إشارة إلى قول أبى سليمان الدارانى : ماشغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشئوم وبالجملة لم ينقل عن أحد الترغيب عن النكاح مطلقا إلا مقرونا بشرط . وأما الترغيب فى النكاح فقد ورد مطلقاً ومقرونا بشرط فلنكشف الغطاء عنه بحصر آفات النكاح وفوائده .

آفات النكاح وفوائده ، وفيه فوائد خمسة : الولد وكسر الشهوة ، وتدبير المنزل . وكثرة العشيرة ، ومجاهدة النفس بالقيام بهن .

الفائدة الأولى : الولد ؛ وهو الأصل وله وضع النكاح . والمقصود إبقاء النسل وأن لا يخلو العالم عن جنس الإنس . وإنما الشهوة خلقت باعثة مستحثة كالموكل بالفحل فى إخراج البذر وبالأنثى فى التمكين من الحرث تلطفا بهما فى السياقة إلى اقتناص الولد بسبب الوقاع ، كالتلطف بالطير فى بث الحب الذى يشتهيه ليساق إلى الشبكة وكانت القدرة الأزلية غير قاصرة عن اختراع الأشخاص ابتداء من غير حراثة وازدواج ، ولكن الحكمة اقتضت ترتيب المسببات على الأسباب مع الاستغناء عنها إظهارا للقدرة وإتماما لعجائب الصنعة وتحقيقا لما سبقت به المشيئة وحقت به الكلمة وجرى به القلم . وفى التوصل إلى الولد قربة من أربعة أوجه هى الأصل فى الترغيب فيه عند الأمن من غوائل الشهوة حتى لم يحب أحدهم أن يلقى الله عزبا . (الأول) موافقة محبة الله بالسعى فى تحصيل الولد لإبقاء جنس الإنسان (والثانى) طلب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تكثير من مباهاته . (والثالث) طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده (والرابع) طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله .

أما الوجه الأول : فهو أدق الوجوه وأبعدها عن أفهام الجماهير وهو أحقها وأقواها عند ذوى البصائر النافذة فى عجائب صنع الله تعالى ومجارى حكمه . وبيانه أن السيد إذاسلم إلى عبده البذر وآلات الحرث وهيأ له أرضاً مهيأة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة ووكل به من يتقاضاه عليها فإن تكاسل وعطل آلة الحرث وترك البذر ضائعا

---

(١) حديث « خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذى لاأهل له ولاولد » أخرجه أبو يعلى من حديث حذيفة ورواه الخطابى فى العزلة من حديثه وحديث أبى أمامة وكلاهما ضعيف . (٢) حديث يأتى على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه مالا يطبق فيدخل المداخل التى يذهب فيها دينه فيهلك » أخرجه الخطابى فى العزلة من حديث ابن مسعود نحوه والبيهقى فى الزهد نحوه فى حديث أبى هريرة وكلاهما ضعيف .

(٣) حديث « قلة العيال أحد اليسارين وكثرتهم أحد الفقرين » أخرجه القضاعى فى مسند الشهاب من حديث على وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث عبد الله بن عمر وابن هلال المزنى كلاهما بالشطر الأول بسندين ضعيفين .

حتى فسد ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة كان مستحقا للمقت والعتاب من سيده . والله تعالى خلق الزوجين وخلق الذكر والأنثيين وخلق النطفة فى الفقار وهيأ لها فى الأنثيين عروقا ومجارى وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط متقاضى الشهوة على كل واحد من الذكر والأنثى ، فهذه الافعال والآلات تشهد بلسان ذلق فى الإعراب عن مراد خالقها وتنادى أرباب الألباب بتعريف ماأعدت له . هذا إن لم يصرح به الخالق تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بالمراد حيث قال « تناكحوا تناسلوا » فكيف وقد صرح بالأمر وباح بالسر ؟ فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر معطل لما خلق الله من الآلات المعدة وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الأعضاء بخط إلهى ليس برقم حروف وأصوات يقرؤه كل من له بصيرة ربانية نافذة فى إدراك دقائق الحكمة الأزلية ، ولذلك عظم الشرع الأمر فى القتل للأولاد وفى الوأد لأنه منع لتمام الوجود ، وإليه أشار من قال : العزل أحد الوأدين فالناكح ساع فى إتمام ما أحب الله تعالى تمامه والمعرض معطل ومضيع لماكره الله ضياعه ، ولأجل محبة الله تعالى لبقاء النفوس أمر بالإطعام وحث عليه وعبر عنه بعبادة القرض فقال ﴿ من ذا الذى يقرض له قرضا حسنا ﴾ * فإن قلت : قولك : إن بقاء النسل والنفس محبوب يوهم أن فناءها مكروه عند الله ، وهو فرق بين الموت والحياة بالاضافة إلى إرادة الله تعالى ، ومعلوم أن الكل بمشيئة الله وأن الله غنى عن العالمين فمن أين يتميز عنده موتهم عن حياتهم أو بقاؤهم عن فنائهم ؟ فاعلم أن هذه الكلمة حق أريد بها باطل فإن ماذكرناه لاينافى إضافة الكائنات كلها إلى إرادة الله خيرها وشرها ونفعها وضرها ، ولكن المحبة والكراهية يتضادان وكلاهما لايضادان الإرادة ، فرب مراد مكروه ، ورب مراد محبوب ، فالمعاصى مكروهة وهى مع الكراهة مرادة ، والطاعات مرادة ومن مع كونها مرادة محبوبة ومرضية أما الكفر والشر فلا نقول إنه مرضى ومحبوب بل هو مراد . وقد قال الله تعالى ﴿ ولا يرضى لعباده الكفر ﴾ فكيف يكون الفناء بالإضافة إلى محبة الله وكراهته كالبقاء ، فإنه تعالى يقول « ماترددت فى شىء كترددى فى قبض روح عبدى المسلم هو يكره الموت وأنا أكره مساءته ولابد له من الموت[1] » فقوله « لابد له من الموت » إشارة إلى سبق الإرادة . والتقدير المذكور فى قوله تعالى ﴿ نحن قدرنا بينكم الموت ﴾ وفى قوله تعالى ﴿ الذى خلق الموت والحياة ﴾ ولا مناقضة بين قوله تعالى ﴿ نحن قدرنا بينكم الموت ﴾ وبين قوله « وأنا أكره مساءته » ، ولكن إيضاح الحق فى هذا يستدعى تحقيق معنى الإرادة والمحبة والكراهة وبيان حقائقها ، فإن السابق إلى الأفهام منها أمور تناسب إرادة الخلق ومحبتهم وكراهتهم ، وهيهات فبين صفات الله تعالى وصفات الخلق من البعد مابين ذاته العزيز وذاتهم وكما أن ذوات الخلق جوهر وعرض وذات الله مقدس عنه ، ولايناسب ماليس بجوهر وعرض الجوهر والعرض ، فكذا صفاته لاتناسب صفات الخلق ، وهذه الحقائق داخلة فى علم المكاشفة ، ووراء سر القدر الذى منع من إفشائه ، فلنقتصر عن ذكره ، ولنقتصر على مانبهنا عليه من الفرق بين الإقدام على النكاح والإحجام عنه ، فإن أحدهما مضيع نسلا أدام الله وجوده من آدم صلى الله عليه وسلم عقبا بعد عقب إلى أن انتهى إليه ؛ فالممتنع عن النكاح قد حسم الوجود المستدام من لدن وجود آدم عليه السلام على نفسه فمات أبتر لا عقب له ، ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة لما قال معاذ فى الطاعون : زوجونى لا ألقى الله عزبا * فإن قلت : فما كان معاذ يتوقع ولدا فى ذلك الوقت فما وجه رغبته فيه ؟ فأقول : الولد يحصل بالوقاع

(١) حديث أنه تعالى يقول « ماترددت فى شىء كترددى فى قبض روح عبدى المسلم يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له منه » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة ، انفرد به مخلد القطوانى وهو متكلم فيه .

بباعث الشهوة ، وذلك أمر لايدخل فى الاختيار ؛ وإنما المعلق باختيار العبد إحضار المحرك للشهوة ، وذلك متوقع فى كل حال ؛ فمن عقد فقد أدى ما عليه وفعل ما إليه ، والباقى خارج عن اختياره ، ولذلك يستحب النكاح للعنين أيضاً ، فإن نهضات الشهوة خفية لا يطلع عليها حتى إن الممسوح الذى لايتوقع له ولد لا ينقطع الاستحباب أيضا فى حقه على الوجه الذى يستحب للأصلع إمرار الموسى على رأسه اقتداء بغيره وتشبها بالسلف الصالحين ، وكما يستحب الرمل والاضطباع فى الحج الآن وقد كان المراد منه أولا إظهار الجلد للكفار . فصار الاقتداء والتشبه بالذين أظهروا الجلد سنة فى حق من بعدهم ، ويضعف هذا الاستحباب بالإضافة إلى الاستحباب فى حق القادر على الحرث وربما يزداد ضعفا بما يقابله من كراهة تعطيل المرأة وتضييعها فيما يرجع إلى قضاء الوطر ، فإن ذلك لا يخلو عن نوع من الخطر ؛ فهذا المعنى هو الذى ينبه على شدة إنكارهم لترك النكاح مع فتور الشهوة .

الوجه الثانى : السعى فى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه بتكثير مابه مباهاته ، إذ قد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، ويدل على مراعاة أمر الولد جملة بالوجوه كلها ماروى عن عمر رضى الله عنه أنه كان ينكح كثيرا ويقول : إنما أنكح للولد . وما روى من الأخبار فى مذمة المرأة العقيم ، إذ قال عليه السلام « لحصير فى ناحية البيت خير من امرأة لاتلد[1] » ، وقال خير نسائكم الولود الودود[2] » وقال « سوداء ولود ، خير من حسناء لاتلد[3] » ، وهذا يدل على أن طلب الولد أدخل فى اقتضاء فضل النكاح من طلب دفع غائلة الشهوة ، لأن الحسناء أصلح للتحصين وغض البصر وقطع الشهوة .

الوجه الثالث : أن يبقى بعده ولدا صالحا يدعو له ، كما ورد فى الخبر أن جميع عمل ابن آدم منقطع إلا ثلاثا فذكر الولد الصالح . وفى الخبر « إن الأدعية تعرض على الموتى على أطباق من نور[4] » وقول القائل : إن الولد ربما لم يكن صالحا : لا يؤثر فإنه مؤمن ، والصلاح هو الغالب على أولاد ذوى الدين لاسيما إذا عزم على تربيته وحمله على الصلاح ، وبالجملة دعاء المؤمن لأبويه مفيد برا كان أو فاجرا ، فهو مثاب على دعواته وحسناته فإنه من كسبه وغير مؤاخذ بسيئاته ، فإنه لاتزر وازرة وزر أخرى ، ولذلك قال تعالى ﴿ ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء ﴾ أى ما نقصناهم من أعمالهم ، وجعلنا أولادهم مزيدا فى إحسانهم .

الوجه الرابع : أن يموت الولد قبله فيكون له شفيعا ، فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الطفل يجر بأبويه إلى الجنة[5] » وفى بعض الأخبار « يأخذ بثوبه كما أنا الآن آخذ بثوبك[6] » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « إن المولود يقال ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محنطئا » أى ممتلئا غيظا وغضبا « ويقول لا أدخل الجنة إلا وأبواى معى ، فيقال : أدخلوا أبويه معه الجنة[7] » وفى خبر آخر « إن الأطفال

---

(١) حديث « لحصير فى ناحية البيت خير من امرأة لاتلد » أخرجه أبو عمر النوقانى فى كتاب معاشرة الأهلين موقوفا على عمر بن الخطاب ، ولم أجده مرفوعا .

(٢) حديث « خير نسائكم الولود الودود » أخرجه البيهقى من حديث ابن أبى أدية الصدفى ، وقال البيهقى : وروى باسناد صحيح عن سعيد بن يسار مرسلا . (٣) حديث « سوداء ولود خير من حسناء لاتلد » أخرجه ابن حبان فى الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ولايصح . (٤) حديث « إن الأدعية تعرض على الموتى على أطباق من نور » رويناه فى الأربعين المشهورة من رواية أبى هدية عن أنس فى الصدقة عن الميت ، وأبو هدية كذاب . (٥) حديث « إن الطفل يجر أبويه إلى الجنة » أخرجه ابن ماجه من حديث على وقال « السقط » بدل « الطفل » وله من حديث معاذ « إن الطفل ليجر أمه بسرره إلى الجنة إذا هى احتسبته » وكلاهما ضعيف . (٦) حديث « إنه يأخذ بثوبه كما أنا الآن آخذ بثوبك » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة

(٧) حديث « إن المولود يقال له ادخل الجنة » فيقف على باب الجنة فيظل محنطئا أى ممتلئا غيظا وغضبا ، ويقول لا أدخل إلا وأبواى معى ... الحديث » أخرجه ابن حبان فى الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ولايصح ، والنسائى من حديث أبى هريرة « يقال لهم ادخلوا الجنة فيقولون حتى يدخل آباؤنا فيقال ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم » وإسناده جيد .

يجتمعون فى موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة : اذهبوا بهؤلاء إلى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم : مرحبا بذرارى المسلمين ادخلوا لاحساب عليكم ، فيقولون : فأين آباؤنا وأمهاتنا ؟ فيقول الخزنة : إن آباءكم وأمهاتكم ليسوا مثلكم ، إنه كانت لهم ذنوب وسيئات فهم يحاسبون عليها ويطالبون . قال : فيتضاغون ويضجون على أبواب الجنة ضجة واحدة ، فيقول الله سبحانه وهو أعلم بهم : ماهذه الضجة ؟ فيقولون : ربنا أطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة إلا مع آبائنا ؛ فيقول الله تعالى : تخللوا الجمع فخذوا بأيدى آبائهم فأدخلوهم الجنة [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « من مات له اثنان من الولد فقد احتظر بحظار من النار [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم » قيل : يارسول الله واثنان ؟ قال «واثنان [3] » وحكى أن بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج فيأبى برهة من دهره ، قال فانتبه من نومه ذات يوم وقال : زوّجونى زوجونى ، فزوّجوه ، فسئل عن ذلك فقال : لعل الله يرزقنى ولدا ويقبضه فيكون لى مقدمة فى الآخرة ، ثم قال : رأيت فى المنام كأن القيامة قد قامت وكأنى فى جملة الخلائق فى الموقف ، وبى من العطش ما كاد أن يقطع عنقى ، وكذا الخلائق فى شدة العطش والكرب ، فنحن كذلك إذ ولدان يتخللون الجمع ، عليهم مناديل من نور ، وبأيديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب ، وهم يسقون الواحد بعد الواحد ، يتخللون الجمع ويتجاوزون أكثر الناس ، فمددت يدى إلى أحدهم وقلت : اسقنى فقد أجهدنى العطش ، فقال : ليس لك فينا ولد ، إنما نسقى آباءنا ، فقلت : ومن أنتم ؟ فقالوا : نحن من مات من أطفال المسلمين . وأحد المعانى المذكورة فى قوله تعالى ﴿ فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم ﴾ تقديم الأطفال إلى الآخرة ؛ فقد ظهر بهذه الوجوه الأربعة أن أكثر فضل النكاح لأجل كونه سبباً للولد .

الفائدة الثانية : التحصن من الشيطان ، وكسر التوقان ، ودفع غوائل الشهوة ، وغض البصر ، وحفظ الفرج ، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام « من نكح فقد حصن نصف دينه فليتق الله فى الشطر الآخر » وإليه الإشارة بقوله « عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء » وأكثر ما نقلناه من الآثار والأخبار إشارة إلى هذا المعنى ، وهذا المعنى دون الأول ؛ لأنّ الشهوة موكلة بتقاضى تحصيل الولد ؛ فالنكاح كاف لشغله دافع لجعله وصارف لشر سطوته ، وليس من يجيب مولاه رغبة فى تحصيل رضاه ، كمن يجيب لطلب الخلاص عن غائلة التوكيل ؛ فالشهوة والولد مقدّران وبينهما ارتباط ، وليس يجوز أن يقال : المقصود اللذة ، والولد لازم منها كما يلزم مثلا قضاء الحاجة من الأكل وليس مقصودا فى ذاته ، بل الولد هو المقصود بالفطرة والحكمة ، والشهوة باعثة عليه ؛ ولعمرى فى الشهوة حكمة أخرى سوى الإرهاق إلى الإيلاد ، وهو ما فى قضائها من اللذة التى لا توازيها لذة لو دامت ، فهى منبهة على اللذات الموعودة فى الجنان ، إذ الترغيب فى لذة لم يجد لها ذواقا لا ينفع ، فلو رغب العنين فى لذة الجماع أو الصبى فى لذة

---

(١) حديث « إن الأطفال يجتمعون فى موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء إلى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بذرارى المسلمين ادخلوا لاحساب عليكم فيقولون أين آباؤنا وأمهاتنا ... » الحديث بطوله لم أجده أصلا يعتمد عليه . (٢) حديث « من مات له اثنان من الولد احتظر بحظار من النار » أخرجه البزار والطبرانى من حديث زهير بن أبى علقمة « جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، إنه مات لى ابنان سوى هذا فقال : لقد احتظرت من دون النار بحظار شديد » ولمسلم من حديث أبى هريرة فى المرأة التى قالت : دفنت ثلاثة « لقد احتظرت بحظار شديد من النار » (٣) حديث « من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم، قيل : يارسول الله واثنان ، قال : واثنان » أخرجه البخارى من حديث أنس دون ذكر الاثنين ، وهو عند أحمد بهذه الزيادة من حديث معاذ، وهو متفق عليه من حديث أبى سعيد بلفظ « أيما امرأة » بنحو منه .

الملك والسلطنة لم ينفع الترغيب ، وإحدى فوائد لذات الدنيا الرغبة فى دوامها فى الجنة ، ليكون باعثا على عبادة الله . فانظر إلى الحكمة ، ثم إلى الرحمة ، ثم إلى التعبية الإلهية كيف عبيت تحت شهوة واحدة حياتان حياة ظاهرة وحياة باطنة ، فالحياة الظاهرة حياة المرء ببقاء نسله فإنه نوع من دوام الوجود ، والحياة الباطنة هى الحياة الأخروية ، فإن هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام تحرك الرغبة فى اللذة الكاملة بلذة الدوام ، فيستحث على العبادة الموصلة إليها ، فيستفيد العبد بشدة الرغبة فيها تيسر المواظبة على مايوصله إلى نعيم الجنان ، ومامن ذرة من ذرات بدن الإنسان باطنا وظاهرا ، بل ذرات ملكوت السموات والأرض ، إلا وتحتها من لطائف الحكمة وعجائبها ماتحار العقول فيها ، ولكن إنما ينكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها وبقدر رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها وغوائلها ، فالنكاح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم فى الدين لكل من لايؤتى عن عجز وعنة وهم غالب الخلق ، فإن الشهوة إذا غلبت ولم يقاومها قوة التقوى جرت إلى اقتحام الفواحش ، وإليه أشار بقوله عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى ﴿ إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ﴾ وإن كان ملجما بلجام التقوى فغايته أن يكف الجوارح عن إجابة الشهوة ، فيغض البصر ويحفظ الفرج ، فأما حفظ القلب عن الوسواس والفكر فلا يدخل تحت اختياره ، بل لاتزال النفس تجاذبه وتحدثه بأمور الوقاع ولا يفترعنه الشيطان الموسوس إليه فى أكثر الأوقات ، وقد يعرض له ذلك فى أثناء الصلاة حتى يجرى على خاطره من أمور الوقاع ما لو صرح به بين يدى أخس الخلق لاستحيى منه ، والله مطلع على قلبه ، والقلب فى حق الله كاللسان فى حق الخلق ، ورأس الأمور للمريد فى سلوك طريق الآخرة قلبه ، والمواظبة على الصوم لاتقطع مادة الوسوسة فى حق أكثر الخلق إلا أن ينضاف إليه ضعف فى البدن وفساد فى المزاج ، ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما : لايتم نسك الناسك إلا بالنكاح . وهذه محنة عامة قل من يتخلص منها . قال قتادة فى معنى قوله تعالى ﴿ ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ﴾ هو الغلمة . وعن عكرمة ومجاهد أنهما قالا فى معنى قوله تعالى ﴿ وخلق الإنسان ضعيفا ﴾ أنه لايصبر عن النساء وقال فياض بن نجيح . إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله . وبعضهم يقول : ذهب ثلث دينه . وفى نوادر التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما ﴿ ومن شر غاسق إذا وقب ﴾ قال قيام الذكر ، وهذه بلية غالبة إذا هاجت لايقاومها عقل ولا دين ، وهى مع أنها صالحة لأن تكون باعثة على الحياتين كما سبق فهى أقوى آلة الشيطان على بنى آدم ، وإليه أشار عليه السلام بقوله « مارأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوى الألباب منكن [1] » وإنما ذلك لهيجان الشهوة . وقال صلى الله عليه وسلم فى دعائه « اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى وبصرى وقلبى وشر منيى [2] » وقال « أسألك أن تطهر قلبى وتحفظ فرجى [3] » فما يستعيذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يجوز التساهل فيه لغيره ، وكان بعض الصالحين يكثر النكاح حتى لايكاد يخلو من اثنتين وثلاث ، فأنكر عليه بعض الصوفية فقال : هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدى الله تعالى جلسة أو وقف بين يديه موقفا فى معاملة فخطر على قلبه خاطر شهوة ، فقالوا : يصيبنا من ذلك كثير ، فقال : لو رضيت فى عمرى كله بمثل حالكم فى وقت واحد لما تزوجت ، لكنى ماخطر على قلبى خاطر يشغلنى عن حالى إلا نفذته فأستريح وأرجع إلى شغلى ، ومنذ أربعين سنة ماخطر على قلبى معصية . وأنكر بعض الناس حال الصوفية فقال له

---

(١) حديث « مارأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوى الألباب منكن » أخرجه مسلم من حديث ابن عمر ، واتفقا عليه من حديث أبى سعيد ولم يسق مسلم لفظه . (٢) حديث « اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى وبصرى وشر منيى » تقدم فى الدعوات . (٣) حديث « أسألك أن تطهر قلبى وتحفظ فرجى » أخرجه البيهقى فى الدعوات من حديث أم سلمة باسناد فيه لين .

بعض ذوى الدين : ماالذى تنكر منهم ؟ قال : يأكلون كثيرا . قال : وأنت أيضا لو جعت كما يجوعون لأكلت كما يأكلون ، قال : ينكحون كثيرا . قال : وأنت أيضا لو حفظت عينيك وفرجك كما يحفظون لنكحت كما ينكحون . وكان الجنيد يقول : أحتاج إلى الجماع كما أحتاج إلى القوت ، فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب ، ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع نظره على امرأة فتاقت إليها نفسه أن يجامع أهله [1] ؛ لأن ذلك يدفع الوسواس عن النفس . وروى جابر رضى الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج . وقال صلى الله عليه وسلم « إن المرأة إذا أقبلت أقبلت بصورة شيطان ، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله معها مثل الذى معها [2] » ، وقال عليه السلام « لاتدخلوا على المغيبات - وهى التى غاب زوجها عنها - فإن الشيطان يجرى من أحدكم مجرى الدم » قلنا : ومنك ؟ قال « ومنى ، ولكن الله أعانى عليه فأسلم [3] » قال سفيان بن عيينة : فأسلم معناه فأسلم أنا منه ، هذا معناه ، فإن الشيطان لايسلم ، وكذلك حكى على ابن عمر رضى الله عنهما وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم أنه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الأكل ، وربما أنه جامع ثلاثا من جواريه فى شهر رمضان قبل العشاء الأخيرة . وقال ابن عباس خير هذه الأمة أكثرها نساء [4]

ولما كانت الشهوة أغلب على مزاج العرب كان استكثار الصالحين منهم للنكاح أشد ولأجل فراغ القلب أبيح نكاح الأمة عند خوف العنت مع أن فيه إرقاق الولد وهو نوع إهلاك ، وهو محرم على كل من قدر على حرة ، ولكن إرقاق الولد أهون من إهلاك الدين ، وليس فيه إلا تنغيص الحياة على الولد مدة ، وفى اقتحام الفاحشة تفويت الحياة الأخروية التى تستحقر الأعمار الطويلة بالاضافة إلى يوم من أيامها . وروى أنه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس وبقى شاب لم يبرح ، فقال له ابن عباس : هل لك من حاجة ؟ قال : نعم أردت أن أسأل مسألة فاستحييت من الناس ، وأنا الآن أهابك وأجلك ، فقال ابن عباس : إن العالم بمنزلة الوالد ، فما كنت أفضيت به إلى أبيك فأفض إلى به ، فقال : إنى شاب لازوجة لى ، وربما خشيت العنت على نفسى ، فربما استمنيت بيدى ، فهل فى ذلك معصية ؟ فأعرض عنه ابن عباس ثم قال : أف وتف نكاح الأمة خير منه ، وهو خير من الزنا ، فهذا تنبيه على أن العزب المغتلم مردد بين ثلاثة شرور أدناها نكاح الأمة ، وفيه إرقاق الولد ، وأشد منه الاستمناء باليد ، وأخشه الزنا ، ولم يطلق ابن عباس الإباحة فى شىء منه لأنهما محذوران يفزع إليهما حذرا من الوقوع فى محذور أشد منه ، كما يفزع إلى تناول الميتة حذرا من هلاك النفس ، فليس ترجيح أهون الشرين فى معنى الإباحة المطلقة ولا فى معنى الخير المطلق ، وليس قطع اليد المتأكلة من الخيرات وإن كان يؤذن فيه عند إشراف النفس على الهلاك ، فإذا فى النكاح فضل من هذا الوجه ، ولكن هذا لايعم الكل بل الأكثر ، فرب شخص فترت شهوته لكبر سن أو مرض أو غيره فينعدم هذا الباعث فى حقه ، ويبقى ماسبق من أمر الولد . فإن ذلك عام إلا الممسوح

---

(١) حديث « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره على امرأة فتاقت نفسه إليها أن يجامع أهله » أخرجه أحمد من حديث أبى كبشة الأنمارى ، حين مرت به امرأة فوقع فى قلبه شهوة النساء فدخل فأتى بعض أزواجه وقال : فكذلك فافعلوا ، فانه من أماثل أفعالكم لإتيان الحلال ، وإسناده جيد . (٢) حديث جابر « رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته » الحديث رواه مسلم والترمذى واللفظ له وقال : حسن صحيح . (٣) حديث « لاتدخلوا على المغيبات فان الشيطان يجرى من أحدكم مجرى الدم ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث جابر وقال غريب ، ولمسلم من حديث عبد الله بن عمر « ولايدخل بعد يومى هذا على مغيبة إلا ومعه رجل أو اثنان » . (٤) حديث ابن عباس « خير هذه الأمة أكثرها نساء » يعنى النبى صلى الله عليه وسلم رواه البخارى .

وهو نادر ، ومن الطباع ماتغلب عليها الشهوة بحيث لاتحصنه المرأة الواحدة فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة إلى الأربع ، فإن يسر الله له مودة ورحمة واطمأن قلبه بهن وإلا فيستحب له الاستبدال ، فقد نكح على رضى الله عنه بعد وفاة فاطمة عليها السلام بسبع ليال ، ويقال : إن الحسن بن على كان منكاحا حتى نكح زيادة على مائتى امرأة وكان ربما عقد على أربع فى وقت واحد ، وربما طلق أربعا فى وقت واحد واستبدل بهن ، وقد قال عليه الصلاة والسلام للحسن « أشبهت خلقى وخلقى [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « حسن منى وحسين من على [2] » فقال إن كثرة نكاحه أحد ماأشبه به خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتزوج المغيرة بن شعبة بثمانين امرأة ، وكان فى الصحابة من له الثلاث والأربع ، ومن كان له اثنتان لايحصى ، ومهما كان الباعث معلوما فينبغى أن يكون العلاج بقدر العلة فالمراد تسكين النفس فلينظر إليه فى الكثرة والقلة .

الفائدة الثالثة : ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة إراحة للقلب وتقوية له على العبادة فإن النفس ملول وهى عن الحق نفور لأنه على خلاف طبعها ، فلو كلفت المداومة بالإكراه على مايخالفها جمحت وثابت ، وإذا روحت باللذات فى بعض الأوقات قويت ونشطت ، وفى الاستئناس بالنساء من الاستراحة مايزيل الكرب ويروح القلب ، وينبغى أن يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات ، ولذلك قال الله تعالى ﴿ ليسكن إليها ﴾ وقال على رضى الله عنه : روحوا القلوب ساعة فإنها إذا أكرهت عميت . وفى الخبر « على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات : ساعة يناجى فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه . فإن فى هذه الساعة عونا على تلك الساعات [3] » ومثله بلفظ آخر « لايكون العاقل ظاعنا إلا فى ثلاث : تزود لمعاد ، أو مرمة لمعاش ، أو لذة فى غير محرم [4] » وقال عليه الصلاة السلام « لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته إلى سنتى فقد اهتدى [5] » والشرة الجد والمكابدة بحدة وقوة ، وذلك فى ابتداء الإرادة ، والفترة . الوقوف للاستراحة ، وكان أبو الدرداء يقول إنى لأستجم نفسى بشىء من اللهو لأتقوى بذلك فيما بعد على الحق . وفى بعض الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « شكوت إلى جبريل عليه السلام ضعفى عن الوقاع فدلنى على الهريسة [6] » هذا إن صح لايحمل له إلا الاستعداد للاستراحة ، ولا يمكن تعليله بدفع الشهوة فإنه استثارة للشهوة ، ومن عدم الشهوة عدم الأكثر من هذا الأنس . وقال عليه الصلاة والسلام حبب إلى من دنياكم ثلاث : الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة [7] » فهذه أيضا فائدة لاينكرها من جرب إتعاب نفسه فى الأفكار والأذكار وصنوف الأعمال ، وهى خارجة عن

---

(١) حديث أنه قال للحسن بن على « أشبهت خلقى وخلقى » قلت المعروف أنه قال هذا اللفظ لجعفر بن أبى طالب ، كما هو متفق عليه من حديث البراء ، ولكن الحسن أيضا كان يشبه النبى صلى الله عليه وسلم ، كما هو متفق عليه من حديث أبى جحيفة ، وللترمذى وصححه وابن حبان من حديث أنس « لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن » . (٢) حديث « حسن منى وحسين من على » رواه أحمد من حديث المقداد بن معديكرب بسند جيد . (٣) حديث « على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات : ساعة يناجى فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه » رواه ابن حبان من حديث أبى ذر فى حديث طويل : أن ذلك فى صحف إبراهيم . (٤) حديث « لايكون العاقل ظاعنا إلا فى ثلاث : تزود لمعاد ، أو مرمة لمعاش ، أو لذة فى غير محرم » رواه ابن حبان من حديث أبى ذر الطويل : أن ذلك فى صحف إبراهيم . (٥) حديث « لكل عامل شرة ، ولكل شرة فترة ، فمن كانت فترته إلى سنتى فقد اهتدى » رواه أحمد والطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو . وللترمذى نحو من هذا من حديث أبى هريرة وقال حسن صحيح . (٦) حديث « شكوت إلى جبريل ضعفى عن الوقاع فدلنى على الهريسة » أخرجه ابن عدى من حديث حذيفة ؛ وابن عباس ، والعقيلى من حديث معاذ وجابر بن سمرة ، وابن حبان فى الضعفاء من حديث حذيفة ، والأزدى فى الضعفاء من حديث أبى هريرة بطرق كلها ضعيفة . قال ابن عدى : موضوع ، وقال العقيلى : باطل

(٧) حديث « حبب إلى من دنياكم الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة » رواه النسائى والحاكم من حديث أنس باسناد جيد ، وضعفه العقيلى .

الفائدتين السابقتين ، حتى إنها تطرد فى حق الممسوح ومن لا شهوة له ، إلا أن هذه الفائدة تجعل للنكاح فضيلة بالإضافة إلى هذه النية ، وقل من يقصد بالنكاح ذلك . وأما قصد الولد وقصد دفع الشهوة وأمثالها فهو مما يكثر ثم رب شخص يستأنس بالنظر إلى الماء الجارى والخضرة وأمثالها ولا يحتاج إلى ترويح النفس بمحادثة النساء وملاعبتهن . فيختلف هذا باختلاف الأحوال والأشخاص فليتنبه له .

الفائدة الرابعة : تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الأوانى وتهيئة أسباب المعيشة ، فإن الإنسان لو لم يكن له شهوة الوقاع لتعذر عليه العيش فى منزله وحده ، إذ لو تكفل بجميع أشغال المنزل لضاع أكثر أوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل ، فالمرأة الصالحة المصلحة للمنزل عون على الدين بهذه الطريق ، واختلال هذه الأسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنغصات للعيش ، ولذلك قال أبو سليمان الدارانى رحمه الله : الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فإنها تفرغك للآخرة ، وإنما تفريغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعاً . وقال محمد بن كعب القرظى فى معنى قوله تعالى ﴿ ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ﴾ قال : المرأة الصالحة . وقال عليه الصلاة والسلام « ليتخذ أحدكم قلبا شاكراً ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته[1] » فانظر كيف جمع بينها وبين الذكر والشكر . وفى بعض التفاسير فى قوله تعالى ﴿ فلنحيينه حياة طيبة ﴾ قال الزوجة الصالحة ؛ وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : ما أعطى العبد بعد الإيمان بالله خيراً من امرأة صالحة ، وإن منهن غنما لا يحذى منه ، ومنهن غلالا يفدى منه . وقوله : لا يحذى أن يعتاض عنه بعطاء . وقال عليه الصلاة والسلام « فضلت على آدم بخصلتين : كانت زوجته عونا له على المعصية ، وأزواجى أعوان لى على الطاعة ، وكان شيطانه كافرا وشيطانى مسلم لا يأمر إلا بخير[2] » فعد معاونتها على الطاعة فضيلة : فهذه أيضاً من الفوائد التى يقصدها الصالحون إلا أنها تخص بعض الأشخاص الذين لا كافل لهم ولا مدبر ، ولا تدعو إلى امرأتين بل الجمع ربما ينغص المعيشة ويضطرب به أمور المنزل ؛ ويدخل فى هذه الفائدة قصد الاستكثار بعشيرتها وما يحصل من القوة بسبب تداخل العشائر ، فإن ذلك مما يحتاج إليه فى دفع الشرور وطلب السلامة ولذلك قيل : ذل من لا ناصر له ، ومن وجد من يدفع عنه الشرور سلم حاله وفرغ قلبه للعبادة ، فإن الذل مشوش للقلب والعز بالكثرة دافع بالذل .

الفائدة الخامسة : مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الأهل والصبر على أخلاقهن واحتمال الأذى منهن والسعى فى إصلاحهن وإرشادهن إلى طريق الدين والاجتهاد فى كسب الحلال لأجلهن والقيام بتربيته لأولاده ، فكل هذه أعمال عظيمة الفضل ، فإنها رعاية وولاية ، والأهل والولد رعية ، وفضل الرعاية عظيم ، إنما يحترز منها من يحترز خيفة من القصور عن القيام بحقها ، وإلا فقد قال عليه الصلاة والسلام « يوم من وال عادل أفضل من عبادة سبعين سنة » ثم قال « ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته[3] » وليس من اشتغل

---

(١) حديث « ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ولسانا ذاكراً وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته » أخرجه الترمذى وحسنه ، وابن ماجه واللفظ له من حديث ، وفيه انقطاع . (٢) حديث « فضلت على آدم صلى الله عليه وسلم بخصلتين : كانت أزوجته عونا له على المعصية وأزواجى أعوان لى على الطاعة ، وكان شيطانه كافرا وشيطانى مسلم لا يأمر إلا بخير » رواه الخطيب فى التاريخ من حديث ابن عمر ، وفيه محمد بن وليد بن أبان بن القلانسى قال ابن عدى كان يضع الحديث ، ولمسلم من حديث ابن مسعود « ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن » قالوا : وإياك يارسول الله ؟ قال « وأنا ، إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم ولا يأمرنى إلا بخير » . (٣) حديث « يوم من وال عادل أفضل من عبادة سبعين سنة » ثم قال « ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » رواه الطبرانى والبيهقى من حديث ابن عباس ، وقد تقدم بلفظ « ستين سنة » دون ما بعده فانه متفق عليه من حديث ابن عمر .

بإصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل بإصلاح نفسه فقط ، ولا من صبر على الأذى كمن رفه نفسه وأراحها ، فمقاساة الأهل والولد بمنزلة الجهاد فى سبيل الله ولذلك قال بشر : فضل على أحمد بن حنبل بثلاث : إحداها أنه يطلب الحلال لنفسه ولغيره ، وقد قال عليه الصلاة والسلام « ماأنفقه الرجل على أهله فهو صدقة ، وإن الرجل ليؤجر فى اللقمة يرفعها إلى فى امرأته[1] » وقال بعضهم لبعض العلماء : من كل عمل أعطانى الله نصيباً حتى ذكر الحج والجهاد وغيرهما فقال له : أين أنت من عمل الأبدان ؟ قال : وما هو ! قال كسب الحلال ، والنفقة على العيال . وقال ابن المبارك وهو مع إخوانه فى الغزو : تعلمون عملا أفضل مما نحن فيه ؟ قالوا : مانعلم ذلك. قال : أنا أعلم . قالوا: فما هو؟قال رجل متعفف ذو عائلة قام من الليل فنظر إلى صبيانه نياما متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه ، فعمله أفضل مما نحن فيه . وقال صلى الله عليه وسلم من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معى فى الجنة كهاتين[2] » وفى حديث آخر « إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال[3] » وفى الحديث « إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم العيال ليكفرها عنه[4] » وقال بعض السلف . من الذنوب ذنوب لايكفرها إلا الغم بالعيال ، وفيه أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهم بطلب المعيشة[5] » وقال صلى الله عليه وسلم « من كان له ثلاث بنات فأنفق عليهن وأحسن إليهن حتى يغنيهن الله عنه أوجب الله له الجنة ألبتة ، إلا أن يعمل عملا لايغفر له[6] » وكان ابن عباس إذا حدث بهذا قال . والله هو من غرائب الحديث وغرره . وروى أن بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته إلى أن ماتت . فعرض عليه التزويج فامتنع وقال : الوحدة أروح لقلبي وأجمع لهمى ، ثم قال : رأيت فى المنام بعد جمعة من وفاتها كأن أبواب السماء فتحت وكأن رجالا ينزلون ويسيرون فى الهواء يتبع بعضهم بعضا ، فكلما نزل واحد نظر إلى وقال لمن وراءه : هذا هو المشئوم ، فيقول الآخر نعم ، ويقول الثالث كذلك ، ويقول الرابع نعم ، فخفت أن أسألهم هيبة من ذلك إلى أن مر بى آخرهم وكان غلاما، فقلت له : ياهذا من هذا المشئوم الذى تومئون إليه؟ فقال : أنت . فقلت: ولم ذاك ؟ قال : كنا نرفع عملك فى أعمال المجاهدين فى سبيل الله ، فمنذ جمعة أمرنا أن نضع عملك مع الخالفين ، فما ندرى ماأحدثت ؟ فقال لإخوانه : زوجونى زوجونى فلم يكن تفارقه زوجتان أو ثلاث . وفى أخبار الأنبياء عليهم السلام أن قوما دخلوا على يونس النبى عليه السلام فأضافهم ، فكان يدخل ويخرج إلى منزله فتؤذيه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت ، فتعجبوا من ذلك فقال : لاتعجبوا فإنى سألت الله تعالى وقلت : ما أنت معاقب لى به فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا ، فقال : إن عقوبتك بنت فلان ، تتزوج بها ، فتزوجت بها وأنا صابر على ماترون منها ، وفى الصبر على ذلك رياضة النفس وكسر الغضب

---

(١) حديث « ماأنفق الرجل على أهله فهو صدقة وان الرجل ليؤجر فى رفع اللقمة الى فى امرأته » متفق عليه من حديث ابن مسعود « إذا أنفق الرجل على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة » ولهما من حديث سعد بن أبى وقاص « ومهما أنفقت فهو لك صدقة حتى اللقمة ترفعها الى فى امرأتك » . (٢) حديث « من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معى فى الجنة كهاتين » أخرجه أبو يعلى من حديث أبى سعيد الخدرى بسند ضعيف . (٣) حديث « ان الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال » أخرجه ابن ماجه من حديث عمران بن حصين بسند ضعيف . (٤) حديث « اذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم العيال ليكفرها » رواه أحمد من حديث عائشة الا أنه قال « بالحزن » وفيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه . (٥) حديث « من الذنوب ذنوب لايكفرها الا الهم بطلب المعيشة » أخرجه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الحلية والخطيب فى التلخيص المتشابه من حديث أبى هريرة باسناد ضعيف . (٦) حديث « من كان له ثلاث بنات فأنفق عليهن وأحسن اليهن حتى يغنيهن الله عنه أوجب الله له الجنة ألبتة الا أن يعمل عملا لايغفر له » رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث ابن عباس بسند ضعيف ، وهو عنده بلفظ آخر . ولأبى داود واللفظ له والترمذى من حديث أبى سعيد « من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن اليهن فله الجنة » ورجاله ثقات ، وفى سنده اختلاف .

وتحسين الخلق ؛ فإن المنفرد بنفسه أو المشارك لمن حسن خلقه لاتترشح منه خبائث النفس الباطنة ولا تنكشف بواطن عيوبه ، فحق على سالك طريق الآخرة أن يجرّب نفسه بالتعرض لأمثال هذه المحرّكات واعتياد الصبر عليها ، لتعتدل أخلاقه وترتاض نفسه ويصفو عن الصفات الذميمة باطنه والصبر على العيال مع أنه رياضة ومجاهدة تكفل لهم وقيام بهم وعبادة فى نفسها ، فهذه أيضاً من الفوائد ، ولكنه لاينتفع بها إلا أحد رجلين : إما رجل قصد المجاهدة والرياضة وتهذيب الأخلاق لكونه فى بداية الطريق ، فلا يبعد أن يرى هذا طريقا فى المجاهدة وترتاض به نفسه ، وإما رجل من العابدين ليس له سير بالباطن وحركة بالفكر والقلب ، وإنما عمله عمل الجوارح بصلاة أو حج أو غيره ، فعمله لأهله وأولاده بكسب الحلال لهم والقيام بتربيتهم أفضل له من العبادات اللازمة لبدنه التى لايتعدّى خيرها إلى غيره ، فأما الرجل المهذب الأخلاق إما بكفاية فى أصل الخلقة أو بمجاهدة سابقة إذا كان له سير فى الباطن وحركة بفكر القلب فى العلوم والمكاشفات ، فلا ينبغى أن يتزوج لهذا الغرض ، فإنّ الرياضة هو مكفى فيها . وأما العبادة فى العمل بالكسب لهم فالعلم أفضل من ذلك ، لأنه أيضاً عمل ، وفائدته أكثر من ذلك وأعم وأشمل لسائر الخلق من فائدة الكسب على العيال ، فهذه فوائد النكاح فى الدين التى بها يحكم له بالفضيلة .

أما آفات النكاح فثلاث : (الأولى) وهى أقواها العجز عن طلب الحلال فإنّ ذلك لايتيسر لكل أحد ، لاسيما فى هذه الأوقات مع اضطراب المعايش فيكون النكاح سببا فى التوسع للطلب والإطعام من الحرام ، وفيه هلاكه وهلاك أهله والمتعزب فى أمن من ذلك ، وأما المتزوج ففى الأكثر يدخل فى مداخل السوء فيتبع هوى زوجته ويبيع آخرته بدنياه . وفى الخبر « إنّ العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال فيسأل عن رعاية عائلته والقيام بهم ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، حتى يستغرق بتلك المطالبات كل أعماله ، فلا تبقى له حسنة ، فتنادى الملائكة : هذا الذى أكل عياله حسناته فى الدنيا وارتهن اليوم بأعماله[1] » ويقال : إنّ أول مايتعلق بالرجل فى القيامة أهله وولده فيوقفونه بين يدى الله تعالى ويقولون : ياربنا خذ لنا بحقنا منه فإنه ماعلمنا مانجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم ، فيقتص لهم منه . وقال بعض السلف : إذا أراد الله بعبد شرا سلط عليه فى الدنيا أنيابا تنهشه يعنى العيال . وقال عليه الصلاة والسلام « لايلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله[2] » فهذه آفة عامة قل من يتخلص منها إلا من له مال موروث أو مكتسب من حلال يفى به وبأهله وكان له من القناعة ما يمنعه من الزيادة ، فإنّ ذاك يتخلص من هذه الآفة ، أو من هو محترف ومقتد على كسب حلال من المباحات باحتطاب أو اصطياد ، أو كان فى صناعة لا تتعلق بالسلاطين ويقدر على أن يعامل به أهل الخير ، ومن ظاهره السلامة وغالب ماله الحلال وقال ابن سالم رحمه الله ـ وقد سئل عن التزويج ـ فقال : هو أفضل فى زماننا هذا لمن أدركه شبق غالب ، مثل الحماريرى الأتان فلا ينتهى عنها بالضرب ولا يملك نفسه ، فإن ملك نفسه فتركه أولى .

الآفة الثانية : القصور عن القيام بحقهن والصبر على أخلاقهن واحتمال الأذى منهن وهذه دون الأولى فى العموم فإنّ القدرة على هذا أيسر من القدرة على الأولى ، وتحسين الخلق مع النساء والقيام بحظوظهن أهون من طلب الحلال وفى هذا أيضا خطر ، لأنه راع ومسئول عن رعيته . وقال عليه الصلاة والسلام « كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول[3] »

(١) حديث « ان العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال ويسأل عن رعاية عياله والقيام بهن ... الحديث » لم أقف له على أصل . (٢) حديث « لايلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله » ذكره صاحب الفردوس من حديث أبى سعيد ، ولم يجده ولده أبو منصور فى مسنده . (٣) حديث « كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول » رواه أبو داود والنسائى بلفظ « من يقوت » وهو عند مسلم بلفظ آخر .

وروى أن الهارب من عياله بمنزلة العبد الهارب الآبق لا تقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع إليهم ، ومن يقصر عن القيام بحقهن وإن كان حاضرا فهو بمنزلة هارب ، فقد قال تعالى ﴿ قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ﴾ أمرنا أن نقيهم النار كما نقى أنفسنا ، والإنسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه ، وإذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضافت إلى نفسه نفس أخرى والنفس أمارة بالسوء ، إن كثرت عليها الحقوق كثر الأمر بالسوء غالبا ، ولذلك اعتذر بعضهم من التزويج وقال : أنا مبتلى بنفسى وكيف أضيف إليها نفسا أخرى ؟ كما قيل :

لن يسع الفأرة جحرها علقت المكنس فى دبرها

وكذلك اعتذر إبراهيم بن أدهم رحمه الله وقال : لا أغر امرأة بنفسى ولا حاجة لى فيهن : أى من القيام بحقهن وتحصينهن وإمتاعهن وأنا عاجز عنه ، وكذلك اعتذر بشر وقال : يمنعنى من النكاح قوله تعالى ﴿ ولهن مثل الذى عليهن ﴾ وكان يقول : لو كنت أعول دجاجة لخفت أن أصير جلادا على الجسر . ورؤى سفيان ابن عيينة رحمه الله على باب السلطان فقيل له : ما هذا موقفك ! فقال : وهل رأيت ذا عيال أفلح ؟ وكان سفيان يقول :

ياحبذا العزبة والمفتاح * ومسكن تخرقه الرياح * لاصخب فيه ولا صياح

فهذه آفة عامة أيضا وإن كانت دون عموم الأولى ، لايسلم منها إلا حكيم عاقل ، حسن الأخلاق ، بصير بعادات النساء ، صبور على لسانهن ، وقاف عن اتباع شهواتهن ، حريص على الوفاء بحقهن يتغافل عن زللهن ، ويدارى بعقله أخلاقهن ، والأغلب على الناس السفه والفظاظة والحدّة والطيش وسوء الخلق وعدم الإنصاف مع طلب تمام الإنصاف ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادا من هذا الوجه لا محالة ، فالوحدة أسلم له .

الآفة الثالثة ـ وهى دون الأولى والثانية ـ : أن يكون الأهل والولد شاغلا له عن الله تعالى وجاذبا له إلى طلب الدنيا وحسن تدبير المعيشة للأولاد بكثرة جمع المال وادخاره لهم وطلب التفاخر والتكاثر بهم وكل ما شغل عن الله من أهل ومال وولد فهو مشئوم على صاحبه ، ولست أعنى بهذا أن يدعو إلى محظور ، فإن ذلك مما اندرج تحت الآفة الأولى والثانية ، بل أن يدعوه إلى التنعم بالمباح بل إلى الإغراق فى ملاعبة النساء ومؤانستهن والإمعان فى التمتع بهن ، ويثور من النكاح أنواع من الشواغل من هذا الجنس تستغرق القلب ، فينقضى الليل والنهار ولا يتفرغ المرء فيهما للتفكر فى الآخرة والاستعداد لها ، ولذلك قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله : من تعود أفخاذ النساء لم يجئ منه شىء . وقال أبو سليمان رحمه الله . من تزوج فقد ركن إلى الدنيا : أى يدعوه ذلك إلى الركون إلى الدنيا ، فهذه مجامع الآفات والفوائد ، فالحكم على شخص واحد بأن الأفضل له النكاح أو العزوبة مطلقا قصور عن الإحاطة بمجامع هذه الأمور بل تتخذ هذه الفوائد والآفات معتبرا ومحكا ويعرض المريد عليه نفسه ، فإن انتفت فى حقه الآفات واجتمعت الفوائد بأن كان له مال حلال وخلق حسن وجدّ فى الدين تام لايشغله النكاح عن الله ، وهو مع ذلك شاب محتاج إلى تسكين الشهوة ومنفرد يحتاج إلى تدبير المنزل والتحصن بالعشيرة ، فلا يمارى فى أن النكاح أفضل له مع مافيه من السعى فى تحصيل الولد ، فإن انتفت الفوائد واجتمعت الآفات فالعزوبة أفضل له ، وإن تقابل الأمران وهو الغالب فينبغى أن يوزن بالميزان القسط حظ تلك الفائدة فى الزيادة من دينه وحظ تلك الآفات فى النقصان منه ، فإذا غلب على الظن رجحان أحدهما حكم به ، وأظهر الفوائد الولد وتسكين الشهوة ، وأظهر الآفات الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله ، فلنفرض تقابل هذه الأمور فنقول : من لم يكن فى أذية من الشهوة وكانت فائدة نكاحه فى السعى لتحصيل

الولد وكانت الآفة الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله فالعزوبة له أولى ، فلا خير فيما يشغل عن الله ، ولا خير فى كسب الحرام ، ولا يفى بنقصان هذين الأمرين أمر الولد ، فإن النكاح للولد سعى فى طلب حياة للولد موهومة ، وهذا نقصان فى الدين ناجز ، فحفظه لحياة نفسه وصونها عن الهلاك أهم من السعى فى الولد وذلك ربح والدين رأس مال . وفى فساد الدين بطلان الحياة الأخروية وذهاب رأس المال ، ولا تقاوم هذه الفائدة إحدى هاتين الآفتين . وأما إذا انضاف إلى أمر الولد حاجة كسر الشهوة لتوقان النفس إلى النكاح نظر : فإن لم يقو لجام التقوى فى رأسه وخاف على نفسه الزنا فالنكاح له أولى ، لأنه متردد بين أن يقتحم الزنا أو يأكل الحرام ، والكسب الحرام أهون الشرين ، وإن كان يثق بنفسه أنه لا يزنى ولكن لا يقدر مع ذلك على غض البصر عن الحرام فترك النكاح أولى ، لأن النظر حرام والكسب من غير وجهه حرام ، والكسب يقع دائما وفيه عصيانه وعصيان أهله ، والنظر يقع أحيانا وهو يخصه وينصرم على قرب ، والنظر زنا العين ولكن إذا لم يصدقه الفرج فهو إلى العفو أقرب من أكل الحرام ، إلا أن يخاف إفضاء النظر إلى معصية الفرج فيرجع ذلك إلى خوف العنت ؛ وإذا ثبت هذا فالحالة الثالثة : وهو أن يقوى على غض البصر ولكن لا يقوى على دفع الأفكار الشاغلة للقلب فذلك أولى بترك النكاح ، لأن عمل القلب إلى العفو أقرب ، إنما يراد فراغ القلب للعبادة ولا تتم عبادة مع الكسب الحرام وأكله وإطعامه ، فهكذا ينبغى أن توزن هذه الآفات بالفوائد ويحكم بحسبها ، ومن أحاط بهذا لم يشكل عليه شىء مما نقلنا عن السلف من ترغيب فى النكاح مرة ورغبة عنه أخرى ، إذ ذلك بحسب الأحوال صحيح .

* فإن قلت : فمن أمن الآفات فما الأفضل له . التخلى لعبادة الله ، أو النكاح ؟ * فأقول : يجمع بينهما ، لأن النكاح ليس مانعا من التخلى لعبادة الله من حيث إنه عقد ، ولكن من حيث الحاجة إلى الكسب ، فإن قدر على الكسب الحلال فالنكاح أيضا أفضل ، لأن الليل وسائر أوقات النهار يمكن التخلى فيه للعبادة ، والمواظبة على العبادة من غير استراحة غير ممكن ، فإن فرض كونه مستغرقا بالكسب حتى لا يبقى له وقت سوى أوقات المكتوبة والنوم والأكل وقضاء الحاجة ، فإن كان الرجل ممن لا يسلك سبيل الآخرة إلا بالصلاة النافلة أو الحج وما يجرى مجراه من الأعمال البدنية فالنكاح له أفضل ، لأن فى كسب الحلال والقيام بالأهل والسعى فى تحصيل الولد والصبر على أخلاق النساء أنواعا من العبادات لا يقصر فضلها عن نوافل العبادات وإن كان عبادته بالعلم والفكر وسير الباطن ، والكسب يشوش عليه ذلك ، فترك النكاح أفضل .

* فإن قلت : فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله ؟ وإن كان الأفضل التخلى لعبادة الله فلم استكثر رسولنا صلى الله عليه وسلم من الأزواج ؟ فاعلم أن الأفضل الجمع بينهما فى حق من قدر ومن قويت منته وعلت همته فلا يشغله عن الله شاغل ، ورسولنا عليه السلام أخذ بالقوة ، وجمع بين فضل العبادة والنكاح ، ولقد كان مع تسع من النسوة [1] متخليا لعبادة الله ، وكان قضاء الوطر بالنكاح فى حقه غير مانع ، كما لا يكون قضاء الحاجة فى حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم عن التدبير ، حتى يشتغلون فى الظاهر بقضاء الحاجة وقلوبهم مشغوفة بهمهم غير غافلة عن مهماتهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلو درجته لا يمنعه أمر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى ، فكان ينزل عليه الوحى وهو فى فراش امرأته [2] ، ومن سلم مثل هذا المنصب لغيره فلا يبعد أن يغير السواقى

---

(١) حديث « جمعه صلى الله عليه وسلم بين تسع نسوة » أخرجه البخارى من حديث أنس ، وله من حديثه أيضاً « وهن احدى عشرة » . (٢) حديث « كان ينزل عليه الوحى وهو فى فراش امرأته » أخرجه البخارى من حديث أنس « يا أم سلمة لا تؤذيني فى عائشة فانه والله ما نزل على الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها » .

مالا يغير البحر الخضم ، فلاينبغى أن يقاس عليه غيره . وأماعيسى صلى الله عليه وسلم فإنه أخذ بالحزم لابالقوة ، واحتاط لنفسه ، ولعل حالته كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال بالأهل ، أويتعذر معها طلب الحلال ، أو لايتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلى للعبادة فآثر التخلى للعبادة ، وهم أعلم بأسرار أحوالهم وأحكام أعصارهم فى طيب المكاسب وأخلاق النساء ، وما على الناكح من غوائل النكاح وماله فيه ، ومهما كانت الأحوال منقسمة حتى يكون النكاح فى بعضها أفضل وتركه فى بعضها أفضل ؛ فحقنا أن ننزل أفعال الأنبياء على الأفضل فى كل حال والله أعلم .

الباب الثانى : فيما يراعى حالة العقد من أحوال المرأة وشروط العقد

أماالعقد فأركانه وشروطه لينعقد ويفيد الحل أربعة : (الأول) إذن الولى ؛ فإن لم يكن فالسلطان (الثانى) رضا المرأة إن كانت ثيبا بالغا أو كانت بكرا بالغا ، ولكن يزوجها غير الأب والجد (الثالث) حضور شاهدين ظاهرى العدالة ، فإن كانامستورين حكمنا بالانعقاد للحاجة (الرابع) إيجاب وقبول متصل به بلفظ الإنكاح أوالتزويج أومعناهما الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة ، سواء كان هو الزوج أو الولى أو وكيلهما .

وأما آدابه . فتقديم الخطبة مع الولى لافى حال عدة المرأة ، بل بعد انقضائها إن كانت معتدة ، ولافى حال سبق غيره بالخطبة ، إذنهى عن الخطبة على الخطبة [1] . ومن آدابه . الخطبة قبل النكاح ، ومزج التحميد بالإيجاب والقبول فيقول المزوج : الحمدلله والصلاة على رسول الله زوجتك ابنتى فلانة . ويقول الزوج : الحمدلله والصلاة على رسول الله قبلت نكاحها على هذا الصداق . وليكن الصداق معلوما خفيفا ، والتحميد قبل الخطبة أيضا مستحب . ومن آدابه . أن يلقى أمر الزوج إلى سمع الزوجة وإن كانت بكرا فذلك أحرى وأولى بالألفة ؛ ولذلك يستحب النظر إليها قبل النكاح فإنه أحرى أن يؤدم بينهما . ومن الآداب : إحضار جمع من أهل الصلاح زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنان للصحة ، ومنها : أن ينوى بالنكاح إقامة السنة وغض البصر وطلب الولد وسائر الفوائد التى ذكرناها ، ولا يكون قصده مجرد الهوى والتمتع ، فيصير عمله من أعمال الدنيا ، ولا يمنع ذلك هذه النيات ، فرب حق يوافق الهوى . قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : إذا وافق الحق الهوى فهو الزبد بالنرسيان ، ولا يستحيل أن يكون كل واحد من حظ النفس وحق الدين باعثا معا ، ويستحب أن يعقد فى المسجد وفى شهر شوال . قالت عائشة رضى الله عنها : تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شوال ، وبنى بى فى شوال [2] .

وأما المنكوحة فيعتبر فيها نوعان : أحدهما للحل . والثانى لطيب المعيشة وحصول المقاصد :

النوع الأول مايعتبر فيها للحل : وهو أن تكون خلية عن موانع النكاح والموانع تسعة عشر : (الأول) أن تكون منكوحة للغير (الثانى) أن تكون معتدة للغير سواء كانت عدة وفاة أوطلاق أووطء شبهة أوكانت فى استبراء وطء عن ملك يمين (الثالث) أن تكون مرتدة عن الدين لجريان كلمة على لسانها من كلمات الكفر (الرابع) أن تكون مجوسية (الخامس) أن تكون وثنية أو زنديقة لاتنسب إلى نبى وكتاب ومنهن المعتقدات لمذهب الإباحة فلا يحل نكاحهن وكذلك كل معتقدة مذهبا فاسدا يحكم بكفر معتقده (السادس) أن تكون كتابية قد دانت بدينهم بعد التبديل أو بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فليست من نسب بنى إسرائيل ، فإذا عدمت كلتا الخصلتين

الباب الثانى : فيما يراعى حالة العقد

(١) حديث النهى عن الخطبة على الخطبة : متفق عليه من حديث ابن عمر ، ولايخطب على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله ويأذن له . (٢) حديث عائشة : تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شوال وبنى أبى فى شوال . رواه مسلم .

لم يحل نكاحها ، وإن عدمت النسب فقط ففيه خلاف (السابع) أن تكون رقيقة و الناكح حرّا قادرا على طول الحرّة أوغير خائف من العنت ، (الثامن) أن تكون كلها أو بعضها مملوكا للناكح ملك يمين (التاسع) أن تكون قريبة للزوج بأن تكون من أصوله أوفصوله ، أوفصول أوّل أصوله ، أومن أوّل فصل من كل أصل بعده أصل ، وأعنى بالأصول : الأمهات والجدّات ، وبفصوله : الأولادوالأحفاد ، وبفصول أول أصوله : الإخوة وأولادهم ، وبأوّل فصل من كل أصل بعده أصل : العمات والخالات دون أولادهن (العاشر) أن تكون محرّمة بالرضاع ويحرم من الرضاع مايحرم من النسب من الأصول والفصول كما سبق ، ولكن المحرّم خمس رضعات وما دون ذلك لايحرم (الحادى عشر) المحرم بالمصاهرة : وهو أن يكون الناكح قد نكح ابنتها أو جدتها أو ملك بعقد أو شبهة عقد من قبل ، أو وطئهن بالشبهة فى عقد أو وطئ أمها أو إحدى جداتها بعقد أو شبهة عقد ؛ فمجرد العقد على المرأة يحرم أمهاتها ، ولا يحرم فروعها إلا بالوطء ، أو يكون قد نكحها أبوه أو ابنه قبل (الثانى عشر) أن تكون المنكوحة خامسة أى يكون تحت الناكح أربع سواها إما فى نفس النكاح أو فى عدة الرجعة ، فإن كانت فى عدة بينونة لم تمنع الخامسة . (الثالث عشر) أن يكون تحت الناكح أختها أو عمتها أو خالتها ، فيكون بالنكاح جامعا بينهما ، وكل شخصين بينهما قرابة لوكان أحدهما ذكرا والآخرة أنثى لم يجز بينهما النكاح ، فلايجوز أن يجمع بينهما (الرابع عشر) أن يكون هذا الناكح قد طلقها ثلاثا فهى لا تحل له مالم يطأها زوج غيره فى نكاح صحيح (الخامس عشر) أن يكون الناكح قد لاعنها فإنها تحرم عليه أبدا بعداللعان (السادس عشر) أن تكون محرمة بحج أو عمرة أوكان الزوج كذلك فلا ينعقد النكاح إلا بعد تمام التحلل (السابع عشر) أن تكون ثيبا صغيرة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ . (الثامن عشر) أن تكون يتيمة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ (التاسع عشر) أن تكون من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن توفى عنها أودخل بها فإنهنّ أمهات المؤمنين وذلك لايوجد فى زماننا ؛ فهذه هى الموانع المحرّمة .

أما الخصال المطيبة للعيش التى لابد من مراعاتها فى المرأة ليدوم العقد وتتوفر مقاصده ثمانية : الدين ، والخلق ، والحسن ، وخفة المهر ، والولادة ، والبكارة ، والنسب ، وأن لاتكون قرابة قريبة (الأولى) أن تكون صالحة ذات دين ، فهذا هو الأصل وبه ينبغى أن يقع الاعتناء ، فإنها إن كانت ضعيفة الدين فى صيانة نفسهاوفرجها أزرت بزوجها وسوّدت بين الناس وجهه وشوّشت بالغيرة قلبه وتنغص بذلك عيشه ، فإن سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل فى بلاء ومحنة ؛ وإن سلك سبيل التساهل كان متهاونا بدينه وعرضه ومنسوبا إلى قلة الحمية والأنفة ، وإذا كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها أشدّ ، إذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها ، ويكون كالذى جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يارسول الله إنّ لى امرأة لاترد يد لامس . قال : طلقها ، فقال : إنى أحبها . قال : أمسكها[1] وإنما أمره بإمساكها خوفا عليه بأنه إذا طلقها أتبعها نفسه وفسد هو أيضا معها ؛ فرأى مافى دوام نكاحه من دفع الفساد عنه من ضيق قلبه أولى ، وإن كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله أوبوجه آخر لم يزل العيش مشوّشا معه . فإن سكت ولم ينكره كان شريكا فى المعصية مخالفا لقوله تعالى ﴿قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾ وإن أنكر وخاصم تنغص العمر ، ولهذا بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التحريض على ذات الدين فقال « تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها

(١) حديث « جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ان لى امرأة لاترد يد لامس ، قال : طلقها ... الحديث » رواه أبو داود والنسائى من حديث ابن عباس ؛ قال النسائي : ليس بثابت ، والمرسل أولى بالصواب . وقال أحمد : حديث منكر ، وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات .

ودينها فعليك بذات الدين تربت يداك [١] ، وفى حديث آخر « من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم جمالها ومالها ، ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « لاتنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يرديها ، ولا لمالها فلعل مالها يطغيها » وانكح المرأة لدينها [٣] » وإنما بالغ فى الحث على الدين لأن مثل هذه المرأة تكون عونا على الدين ؛ فأما إذا لم تكن متدينة كانت شاغلة عن الدين ومشوشة له . (الثانية) حسن الخلق ، وذلك أصل مهم فى طلب الفراغة والاستعانة على الدين : فإنها إذا كانت سليطة بذية اللسان سيئة الخلق كافرة للنعم ، كان الضرر منها أكثر من النفع ، والصبر على لسان النساء مما يمتحن به الأولياء . قال بعض العرب . لاتنكحوا من النساء ستة : لا أنانة . ولا منانة ، ولا حنانة ؛ ولا تنكحوا حدّاقة : ولابراقة ، ولا شدّاقة . أما الأنانة فهى التى تكثر الأنين والتشكى وتعصب رأسها كل ساعة ؛ فنكاح الممراضة أو نكاح المتمارضة لاخير فيه ، والمنانة : التى تمن على زوجها فتقول : فعلت لأجلك كذا وكذا ، والحنانة : التى تحن إلى زوج آخر أوولدها من زوج آخر ، وهذا أيضا مما يجب اجتنابه ، والحداقة : التى ترمى إلى كل شىء بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج شراءه ، والبراقة تحتمل معنيين : أحدهما أن تكون طول النهار فى تصقيل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق محصل بالصنع ، والثانى أن تغضب على الطعام فلا تأكل إلا وحدها وتستقل نصيبها من كل شىء ، وهذه لغة يمانية يقولون : برقت المرأة وبرق الصبى الطعام إذا غضب عنده ، والشداقة : المتشدقة الكثيرة الكلام ، ومنه قوله عليه السلام « إن الله تعالى يبغض الثرثارين المتشدقين [٤] » وحكى أن السائح الأزدى لقى إلياس عليه السلام فى سياحته فأمره بالتزوج ونهاه عن التبتل ، ثم قال لاتنكح أربعا : المختلعة ، والمبارية ، والعاهرة ، والناشز ، فأما المختلعة : فهى التى تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب ، والمبارية : المباهية بغيرها المفاخرة بأسباب الدنيا ، والعاهرة : الفاسقة التى تعرف بخليل وخدن وهى التى قال الله تعالى ﴿ ولا متخذات أخدان ﴾ والناشز التى تعلو على زوجها بالفعال والمقال . والنشز : العالى من الأرض ، وكان على رضى الله عنه يقول : شر خصال الرجال خير خصال النساء . البخل ، والزهو والجبن ؛ فإنّ المرأة إذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها ، وإذا كانت مزهوة استنكفت أن تكلم كل أحد بكلام لين مريب وإذا كانت جبانة فرقت من كل شىء فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهمة خيفة من زوجها ؛ فهذه الحكايات ترشد إلى مجامع الأخلاق المطلوبة فى النكاح . (الثالثة) حسن الوجه ؛ فذلك أيضا مطلوب ، إذ به يحصل التحصن والطبع لايكتفى بالدميمة غالبا ، كيف والغالب أن حسن الخلق والخلق لا يفترقان . وما نقلناه من الحث على الدين وأن المرأة لاتنكح لجمالها ليس زاجر عن رعاية الجمال ، بل هو زجر عن النكاح لأجل الجمال المحض مع الفساد فى الدين ؛ فإن الجمال وحده فى غالب الأمر يرغب فى النكاح ويهوّن أمر الدين ويدل على الالتفات إلى معنى الجمال أن الألفة والمودة تحصل به غالبا وقد ندب الشرع إلى مراعاة أسباب الألفة ولذلك استحب النظر فقال « إذا أوقع الله فى نفس

---

(١) حديث « تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها ، فعليك بذات الدين » متفق عليه من حديث أبى هريرة .

(٢) حديث « من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها . . الحديث » رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس « من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله الا ذلا ، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله الا فقرا ، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله الا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يرد بها الا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه » ورواه ابن حبان فى الضعفاء . (٣) حديث « لاتنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يرديها » أخرجه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف . (٤) حديث « إن الله يبغض الثرثارين المتشدقين » رواه الترمذى وحسنه من حديث جابر « وان أبغضكم الى وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون والمتفيهقون » ولأبى داود والترمذى وحسنه من حديث عبد الله بن عمرو « ان الله يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها » .

أحدكم من أمرأة فلينظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما[1] » أى يؤلف بينهما ، من وقوع الأدمة على الأدمة : وهى الجلدة الباطنة . والبشرة ، الجلدة الظاهرة. وإنما ذكر ذلك للمبالغة فى الائتلاف . وقال عليه الصلاة والسلام « إن فى أعين الأنصار شيئا فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر إليهن [2] » قيل كان فى أعينهن عمش . وقيل : صغر ، وكان بعض الورعين لا ينكحون كرائمهم إلا بعد النظر احترازا من الغرور . قال الأعمش . كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم . ومعلوم أن النظر لا يعرف الخلق والدين والمال ، وإنما يعرف الجمال من القبح . وروى أن رجلا تزوج على عهد عمر رضى الله عنه وكان قد خضب فنصل خضابه ، فاستعدى عليه أهل المرأة إلى عمر وقالوا : حسبناه شابا : فأوجعه عمر ضربا وقال : غررت القوم : وروى أن بلالا وصهيبا أتيا أهل بيت من العرب فخطبا إليهم فقيل لهما ، من أنتما فقال بلال : أنا بلال وهذا أخى صهيب ، كنا ضالين فهدانا الله وكنا مملوكين فأعتقنا الله ، وكنا عائلين فأغنانا الله ؛ فإن تزوجونا فالحمد لله ، وإن تردونا فسبحان الله ، فقالوا بل تزوجان والحمد لله . فقال صهيب : لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اسكت فقد صدقت فأنكحك الصدق . والغرور يقع فى الجمال والخلق جميعا فيستحب إزالة الغرور فى الجمال بالنظر ، وفى الخلق بالوصف والاستيصاف فينبغى أن يقدم ذلك على النكاح ، ولا يستوصف فى أخلاقها وجمالها إلا من هو بصير صادق خبير بالظاهر والباطن ولا يميل إليها فيفرط فى الثناء ، ولا يحسدها فيقصر ، فالطباع مائلة فى مبادى النكاح ووصف المنكوحات إلى الإفراط والتفريط ، وقل من يصدق فيه ويقتصد ، بل الخداع والإغراء أغلب ، والاحتياط فيه مهم لمن يخشى على نفسه التشوف إلى غير زوجته . فأما من أراد من الزوجة مجرد السنة أو الولد أو تدبير المنزل ، فلو رغب عن الجمال فهو إلى الزهد أقرب لأنه على الجملة باب من الدنيا وإن كان قد يعين على الدين فى حق بعض الأشخاص . قال أبو سليمان الدارانى : الزهد فى كل شىء حتى فى المرأة يتزوج الرجل العجوز إيثاراً للزهد فى الدنيا . وقد كان مالك بن دينار رحمه الله يقول . يترك أحدكم أن يتزوج يتيمة فيؤجر فيها إن أطعمها وكساها تكون خفيفة المؤنة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان يعنى أبناء الدنيا فتشتهى عليه الشهوات وتقول اكسنى كذا وكذا ! واختار أحمد بن حنبل عوراء على أختها وكانت أختها جميلة ، فسأل : من أعقلهما ؟ فقيل : العوراء ، فقال : زوجونى إياها ، فهذا دأب من لم يقصد التمتع ، فأما من لا يأمن على دينه مالم يكن له مستمتع فليطلب الجمال ، فالتلذذ بالمباح حصن للدين . وقد قيل : إذا كانت المرأة حسناء خيرة الأخلاق سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهى على صورة الحور العين ؛ فإن الله تعالى وصف نساء أهل الجنه بهذه الصفة فى قوله ﴿ خيرات حسان ﴾ أراد بالخيرات حسنات الأخلاق ، وفى قوله ﴿قاصرات الطرف﴾ وفى قوله ﴿عرباً أتراباً﴾ العروب : هى العاشقة لزوجها المشتهية للوقاع وبه تتم اللذة والحور : البياض والحوراء : شديدة بياض العين شديدة سوادها فى سواد الشعر والعيناء الواسعة العين . وقال عليه الصلاة والسلام « خير نسائكم من إذا نظر إليها زوجها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته فى نفسها وماله [3] » وإنما يسر بالنظر إليها إذا كانت محبة للزوج (الرابعة) أن تكون خفيفة المهر .

---

(١) حديث « إذا أوقع الله فى نفس أحدكم من امرأة فلينظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما » أخرجه ابن ماجه بسند ضعيف من حديث أحمد بن مسلمة دون قوله « فانه أحرى » وللترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه من حديث المغيرة بن شعبة : أنه خطب امرأة فقال النبى صلى الله عليه وسلم « انظر إليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما » (٢) حديث « إن فى أعين الأنصار شيئا فاذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر إليهن » رواه مسلم من حديث أبى هريرة نحوه . (٣) حديث « خير نسائكم التى إذا نظر إليها زوجها سرته ، وإن أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » أخرج النسائى من حديث أبى هريرة نحوه بسند صحيح وقال « ولا تخالفه فى نفسها ولا مالها » وعند أحمد « فى نفسها وماله » ولأبى داود نحوه من حديث ابن عباس بسند صحيح .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا [١] « وقد نهى عن المغالاة فى المهر [٢] تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحى يد وجرة ووسادة من أدم حشوها ليف [٣] وعلى ، وأولم على بعض نسائه بمدين من شعير [٤] وعلى أخرى بمدين من تمر ومدين من سويق [٥] ، وكان عمر رضى الله عنه ينهى عن المغالاة فى الصداق ويقول : ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم [٦] ، ولو كانت المغالاة بمهور النساء مكرمة لسبق إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد تزوج بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على نواة من ذهب قيمتها خمسة دراهم [٧] وزوج سعيد بن المسيب ابنته من أبى هريرة رضى الله عنه على درهمين ، ثم حملها هو إليه ليلا فأدخلها هو من الباب ثم انصرف ، ثم جاءها بعد سبعة أيام فسلم عليها ولو تزوج على عشرة دراهم للخروج من خلاف العلماء فلا بأس به . وفى الخبر « من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها » أى الولادة « ويسر مهرها [٨] » وقال أيضا « أبركهن أقلهن مهرا [٩] وكما تكره المغالاة فى المهر من جهة المرأة فيكره السؤال عن مالها من جهة الرجل . ولا ينبغى أن ينكح طمعا فى المال . قال الثورى : إذا تزوج وقال : أى شىء للمرأة ، فاعلم أنه لص ، وأذا أهدى إليهم فلا ينبغى أن يهدى ليضطرهم إلى المقابلة بأكثر منه ، وكذلك إذا أهدوا إليه فنية طلب الزيادة نية فاسدة ؛ فأما التهادى فمستحب وهو سبب المودة . قال عليه السلام « تهادوا تحابوا [١٠] » وأما طلب الزيادة فداخل فى قوله تعالى ﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾ أى تعطى لتطلب أكثر ، وتحت قوله تعالى (وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس) فإن الربا هو الزيادة ، وهذا طلب زيادة على الجملة ، وإن لم يكن فى الأموال الربوية فكل ذلك مكروه وبدعة فى النكاح يشبه التجارة والقمار ويفسد مقاصد النكاح . (الخامسة) أن تكون المرأة ولودا ؛ فإن عرفت بالعقر فليمتنع عن تزوجها . قال عليه السلام « عليكم

---

(١) حديث « خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا » أخرجه ابن حبان من حديث ابن عباس « خيرهن أيسرهن صداقا » وله من حديث عائشة « من يمن المرأة تسهيل أمرها وقلة صداقها » وروى أبو عمر التوقانى فى كتاب معاشرة الأهلين « إن أعظم النساء بركة أصبحهن وجوها وأقلهن مهرا » وصححه .

(٢) حديث « النهى عن المغالاة فى المهر » رواه أصحاب السنن الأربعة موقوفا على عمر وصححه الترمذى . (٣) حديث « تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحى يد وجرة ووسادة من أدم حشوها ليف » رواه أبو داود الطيالسى والبزار من حديث أنس : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة على متاع بيت قيمته عشرة دراهم . قال البزار : ورأيته فى موضع آخر تزوجها على متاع بيت ورحى قيمته أربعون درهما . ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى سعيد وكلاهما ضعيف . ولأحمد من حديث على لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة أدم حشوها ليف ورحيين وسقاء وجرتين » ورواه الحاكم وصحح إسناده ، وابن حبان مختصرا . (٤) حديث « أولم على بعض نسائه بمدين من شعير » أخرجه البخارى من حديث عائشة . (٥) حديث « وأولم على أخرى بمدى تمر ومدى سويق » رواه الأربعة من حديث أنس : أولم على صفية بسويق وتمر . ولمسلم : فجعل الرجل يجىء بفضل التمر وفضل السويق . وفى الصحيحين : التمر والأقط والسمن ، وليس فى شىء من الأصول تقييد التمر والسويق بمدين . (٦) حديث : كان عمر ينهى عن المغالاة ويقول : ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم . رواه الأربعة من حديث عمر . قال الترمذى : حسن صحيح .

(٧) حديث . تزوج بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم على وزن نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم . متفق عليه من حديث أنس أن عبد الرحمن بن عوف تزوج على ذلك وتقويمها بخمسة دراهم . رواه البيهقى . (٨) حديث « من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها » أى الولادة وتيسير مهرها . رواه أحمد والبيهقى من حديث عائشة « من يمن المرأة أن تتيسر خطبتها وأن يتيسر صداقها وأن يتيسر رحمها » قال عروة : يعنى الولادة ، ولإسناده جيد . (٩) حديث « أبركهن أقلهن مهرا » رواه أبو عمر التوقانى فى معاشرة الأهلين من حديث عائشة « إن أعظم النساء بركة أصبحهن وجوها وأقلهن مهرا » وقد تقدم ، ولأحمد والبيهقى « إن أعظم النساء بركة أيسرهن صداقا » ولإسناده جيد .

(١٠) حديث « تهادوا تحابوا » أخرجه البخارى فى كتاب الأدب المفرد ، والبيهقى من حديث أبى هريرة بسند جيد .

بالولود الودود [١] فإن لم يكن لها زوج ولم يعرف حالها فيراعى صحتها وشبابها ، فإنها تكون ولودا فى الغالب مع هذين الوصفين (السادسة) أن تكون بكراً قال عليه السلام لجابر : وقد نكح ثيبا « هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك [٣] » فى البكارة ثلاث فوائد ، إحداها : أن تحب الزوج وتألفه فيؤثر فى معنى الود ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « عليكم بالودود » والطباع مجبولة على الأنس بأول مألوف . وأما التى اختبرت الرجال ومارست الأحوال فربما لا ترضى بعض الأوصاف التى تخالف ما ألفته فتثقل الزوج : الثانية : أن ذلك أكمل فى مودته لها فإن الطبع ينفر عن التى مسها غير الزوج نفرة ما ، وذلك يثقل على الطبع مهما يذكر وبعض الطباع فى هذا أشد نفورا . الثالثة : أنها لا تحن إلى الزوج الأول وآكد الحب ما يقع مع الحبيب الأول غالبا . (السابعة) أن تكون نسيبة أعنى أن تكون من أهل بيت الدين والصلاح فإنها ستربى بناتها وبنيها ، فإذا لم تكن مؤدبة لم تحسن التأديب والتربية ، ولذلك قال عليه السلام « إياكم وخضراء الدمن » فقيل : ما خضراء الدمن : قال « المرأة الحسناء فى المنبت السوء [٣] » وقال عليه السلام تخيروا لنطفكم فإن العرق نزاع [٤] » الثامنة : أن لا تكون من القرابة القريبة ؛ فإن ذلك يقال الشهوة : قال صلى الله عليه وسلم « لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاويا [٥] » أى نحيفا ، وذلك لتأثيره فى تضعيف الشهوة ، فإن الشهوة إنما تنبعث بقوة الإحساس بالنظر واللمس وإنما يقوى الإحساس بالأمر الغريب الجديد ، فأما المعهود الذى دام النظر إليه مدة فإنه يضعف الحس عن تمام إدراكه والتأثر به ولا تنبعث به الشهوة ، فهذه هى الخصال المرغبة فى النساء ، ويجب على الولى أيضا أن يراعى خصال الزوج ولينظر لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خلقه أو خلقه ، أو ضعف دينه ، أو قصر عن القيام بحقها أو كان لا يكافئها فى نسبها ، قال عليه السلام « النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته [٦] » والاحتياط فى حقها أهم لأنها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها ، والزوج قادر على الطلاق بكل حال ، ومهما زوج ابنته ظالما أو فاسقا أو مبتدعا أو شارب خمر فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله لما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار . وقال رجل للحسن : قد خطب ابنتى جماعة فمن أزوجها ؟ قال ، ممن يتقى الله ، فإن أحبها أكرمها ، وإن أبغضها لم يظلمها . وقال عليه السلام « من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها [٧] » .

---

(١) حديث « عليكم بالودود الولود » أخرجه أبو داود والنسائى من حديث معقل بن يسار « تزوجوا الودود الولود » وإسناده صحيح . (٢) حديث قال لجابر وقد نكح ثيباً « هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك » متفق عليه من حديث جابر .

(٣) حديث « إياكم وخضراء الدمن ؛ فقيل : وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء » رواه الدارقطنى فى الأفراد ، والرامهرمزى فى الأمثال من حديث أبى سعيد الخدرى ، قال الدارقطنى : تفرد به الواقدى وهو ضعيف .

(٤) حديث « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس » رواه ابن ماجه من حديث عائشة مختصراً دون قوله « فإن العرق » وروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس « تزوجوا فى الحجر الصالح فإن العرق دساس » وروى أبو موسى المدينى فى كتاب تضييع العمر والأيام من حديث ابن عمر « وانظر فى أى نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس » وكلاهما ضعيف .

(٥) حديث « لا تنكحوا القرابة فإن الولد يخلق ضاويا » قال ابن الصلاح : لم أجد له أصلا معتمدا . قلت : إنما يعرف من قول عمر أنه قال لآل السائب « قد أضويتم فانكحوا فى النوابغ » رواه إبراهيم الحربى فى غريب الحديث ، وقال : معناه تزوجوا الغرائب قال : ويقال : اغربوا لا تضووا .

(٦) حديث « النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته » رواه أبو عمر التوقانى فى معاشرة الأهلين موقوفا على عائشة وأسماء ابنتى أبى بكر . قال البيهقى . وروى ذلك مرفوعا والموقوف أصح (٧) حديث « من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها » رواه ابن حبان فى الضعفاء من حديث أنس ، ورواه فى الثقات من قول الشعبى بإسناد صحيح .

الباب الثالث : فى آداب المعاشرة وما يجرى فى دوام النكاح

والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة . أما الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والأدب فى اثنى عشر أمرا : فى الوليمة ، والمعاشرة ، والدعابة ، والسياسة ، والغيرة . والنفقة ، والتعليم ، والقسم ، والتأديب فى النشوز ، والوقاع ، والولادة ، والمفارقة بالطلاق .

الأدب الأول : الوليمة ، وهى مستحبة ، قال أنس رضى الله عنه : « رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه أثر صفرة فقال « ماهذا » فقال . تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب . فقال « بارك الله لك » أولم ولو بشاة [1] « وأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية بتمر وسويق [2] . وقال صلى الله عليه وسلم « طعام أول يوم حق ، وطعام الثانى سنة ، وطعام الثالث سمعة ، ومن سمع سمع الله به [3] » ولم يرفعه إلا زياد بن عبد الله وهو غريب . وتستحب تهنئته فيقول من دخل على الزوج : بارك الله لك وبارك عليك ، وجمع بينكما فى خير [4] . وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه عليه السلام أمر بذلك ، ويستحب إظهار النكاح . قال عليه السلام ، فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت [5] » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعلنوا هذا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدفوف [6] » وعن الربيع بنت معوذ قالت « جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل غداة بنى بى فجلس على فراشى وجويريات لنا يضربن بدفهن ويندبن من قتل من آبائى إلى أن قالت إحداهن « وفينا نبى يعلم مافى غد » فقال لها : اسكتى عن هذه وقولى الذى كنت تقولين قبلها [7] » .

الأدب الثانى . حسن الخلق معهن واحتمال الأذى منهن ترحما عليهن لقصور عقلهن . وقال الله تعالى ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ وقال فى تعظيم حقهن ﴿ وأخذن منكم ميثاقا غليظا ﴾ وقال ﴿ والصاحب بالجنب ﴾ قيل هى المرأة وآخر ماوصى به رسول صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهم حتى تلجلج لسانه وخفى كلامه : جعل يقول : « الصلاة الصلاة ، وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم مالا يطيقون . الله الله فى النساء فإنهن عوان فى أيديكم - يعنى أسراء - أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله [8] » وقال عليه السلام « من صبر على سوء خلق امرأته

الباب الثالث : فى آداب المعاشرة

(١) حديث أنس : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن بن عوف أثر الصفرة فقال : « مهذا ؟ » قال : تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب ، فقال « بارك الله لك ، أولم ولو بشاة » متفق عليه (٢) حديث « أولم على صفية بسويق وتمر » رواه الأربعة من حديث أنس ، ولمسلم نحوه وقد تقدم (٣) حديث « طعام أول يوم حق ، وطعام الثانى سنة ، وطعام الثالث سمعة ، ومن سمع سمع الله به » قال المصنف : لم يرفعه إلا زياد بن عبد الله . قلت . هكذا قال الترمذى بعد أن أخرجه من حديث ابن مسعود وضعفه (٤) حديث أبى هريرة فى تهنئة الزوج « بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير » رواه أبو داود والترمذى وصححه وابن ماجه وتقدم فى الدعوات (٥) حديث « فصل مابين الحلال والحرام الدف والصوت » رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث محمد بن حاطب (٦) حديث « أعلنوا هذا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدف » رواه الترمذى من حديث عائشة وحسنه وضعفه البيهقى (٧) حديث الربيع بنت معوذ : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على غداة بنى بى فجلس على فراشى وجويريات لنا يضربن بدفوفهن ... الحديث ، رواه البخارى وقال . يوم بدر وقع فى بعض نسخ الإحياء : يوم بعاث ، وهو وهم .

(٨) حديث « آخر ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث : كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفى كلامه ، جعل يقول « الصلاة وماملكت أيمانكم لاتكلفوهم مالا يطيقون ، الله الله فى النساء فانهن عوان عندكم ... الحديث » أخرجه النسائى فى الكبرى ، وابن ماجه من حديث أم سلمة أن النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى الموت جعل يقول « الصلاة وما ملكت أيمانكم » فما زال يقولها وما يقبض بها لسانه ، وأما الوصية بالنساء فالمعروف أن ذلك كان فى حجة الوداع . رواه مسلم من حديث جابر الطويل ، وفيه . « فاتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله ... » الحديث

أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ، ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون [١] » . وأعلم أنه ليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها ، بل احتمال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها ، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام ، وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل [٢] وراجعت امرأة عمر رضى الله عنه عمر فى الكلام فقال أتراجعينى بالكعاء ؟ فقالت : إنّ أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك [٣] ؛ فقال عمر : خابت حفصة وخسرت إن راجعته ؛ ثم قال لحفصة . لا تغترى بابنة ابن أبى قحافة فإنها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوّفها من المراجعة . وروى أنه دفعت إحداهن فى صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها أمها ، فقال عليه السلام : دعيها فإنهن يصنعن أكثر من ذلك [٤] . وجرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخلا بينهما أبا بكر رضى الله عنه حكما واستشهده ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه سلم تكلمين أو أتكلم فقالت بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقا ، فلطمها أبو بكر حتى دمى فوها وقال : يا عدية نفسها ، أويقول غير الحق ! فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لم ندعك لهذا ولا أردنا منك هذا [٥] . وقالت له مرة فى كلام غضبت عنده : أنت الذى تزعم أنك نبى الله ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حلما وكرما [٦] . وكان يقول لها « إنى لأعرف غضبك من رضاك » قالت : وكيف تعرفه ؟ قال « إذا رضيت قلت لا وإله محمد ، وإذا غضبت قلت لا وإله إبراهيم » قالت : صدقت إنما أهجر اسمك [٧] » ويقال إنّ أوّل حب وقع فى الإسلام حب النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها [٨] . وكان يقول لها : كنت لك كأبى زرع لأم زرع ، غير أنى لا أطلقك [٩] ، وكان يقول لنسائه « لاتؤذونى فى عائشة ، فإنه والله ما نزل على الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها [١٠] » وقال أنس رضى الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان [١١] .

---

(١) حديث « من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ... الحديث » لم أقف له على أصل (٢) حديث : كان أزواجه صلى الله عليه وسلم يراجعنه الحديث وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل . متفق عليه من حديث عمر فى الحديث الطويل فى قوله تعالى ﴿ فإن تظاهرا عليه ﴾

(٣) حديث : وراجعت امرأة عمر عمر فى الكلام فقال : أتراجعينى بالكعاء ؟ قالت : ان أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك . الحديث ، هو الحديث الذى قبله وليس فيه قوله : بالكعاء ، ولا قولها : هو خير منك .

(٤) حديث : دفعت إحداهن فى صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها أمها ، فقال صلى الله عليه وسلم « دعيها فإنهن يصنعن أكثر من ذلك » لم أقف له على أصل (٥) حديث : جرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخل بينهما أبا بكر حكما ... الحديث . أخرجه الطبرانى فى الأوسط والخطيب فى التاريخ من حديث عائشة بسند ضعيف (٦) حديث : قالت له عائشة مرة غضبت عنده : وأنت الذى تزعم أنك نبى ، فتبسم رسول الله عليه وسلم . أخرجه أبو يعلى فى مسنده وأبو الشيخ فى كتاب الأمثال من حديث عائشة ، وفيه ابن اسحق وقد عنعنه .

(٧) حديث : كان يقول لعائشة « إنى لأعرف غضبك من رضاك ... الحديث » متفق عليه من حديثها . (٨) حديث « أول حب وقع فى الإسلام حب النبى صلى الله عليه وسلم عائشة » رواه الشيخان من حديث عمرو بن العاص أنه قال : أى الناس أحب إليك يارسول الله ؟ قال « عائشة ... الحديث » وأما كونه أول فرواه ابن الجوزى فى الموضوعات من حديث أنس ، ولعله أراد بالمدينة كما فى الحديث الآخر أن ابن الزبير أول مولود ولد فى الإسلام بريد بالمدينة ، وإلا فمحبة النبى صلى الله عليه وسلم لخديجة أمر معروف تشهد له الأحاديث الصحيحة (٩) حديث : كان يقول لعائشة « كنت لك كأبى زرع لأم زرع غير أنى لا أطلقك » متفق عليه من حديث عائشة دون الاستثناء ، ورواه بهذه الزيادة الزبير بن بكار والخطيب . (١٠) حديث « لاتؤذونى فى عائشة فانه والله ما أنزل على الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها » رواه البخارى من حديث عائشة . (١١) حديث أنس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان . رواه مسلم بلفظ . مارأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد على بن عبد العزيز والبغوى : والصبيان .

الثالث : أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزح والملاعبة ؛ فهى التى تطيب قلوب النساء ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن وينزل إلى درجات عقولهن فى الأعمال والأخلاق ، حتى روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يسابق عائشة فى العدو فسبقته يوما ، وسبقها فى بعض الأيام ، فقال عليه السلام « هذه بتلك » [1] . وفى الخبر : أنه كان صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس مع نسائه [2] . وقالت عائشة رضى الله عنها « سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون فى يوم عاشوراء ؛ فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتحبين أن ترى لعبهم قالت قلت نعم ، فأرسل إليهم فجاؤا ، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين ، فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقنى على يده وجعلوا يلعبون وأنظر ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « حسبك » وأقول امكث مرتين أو ثلاثا ، ثم قال « يا عائشة حسبك » فقلت نعم ، فأشار إليهم فانصرفوا [3] » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله [4] » وقال عليه السلام « خيركم خيركم لنسائه ، وأنا خيركم لنسائى [5] » وقال عمر رضى الله عنه مع خشونته : ينبغى للرجل أن يكون فى أهله مثل الصبى ؛ فإذا التمسوا ماعنده وجد رجلا . وقال لقمان رحمه الله : ينبغى للعاقل أن يكون فى أهله كالصبى ، وإذا كان فى القوم وجد رجلا . وفى تفسير الخبر المروى « إن الله يبغض الجعظرى الجوّاظ [6] » قيل هو الشديد على أهله المتكبر فى نفسه ؛ وهو أحد ماقيل فى معنى قوله تعالى ﴿ عتل ﴾ قيل العتل : هو الفظ اللسان الغليظ القلب على أهله . وقال عليه السلام لجابر « هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك [7] » ووصفت أعرابية زوجها وقد مات فقالت : والله لقد كان ضحوكا إذا ولج سكيتا إذا خرج ، آكلا ما وجد . غير مسائل عما فقد .

الرابع : أن لا يتبسط فى الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها إلى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته عندها ، بل يراعى الاعتدال فيه فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى منكرا ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات ألبتة ، بل مهما رأى ما يخالف الشرع والمروءة تنمر وامتعض . قال الحسن : والله ماأصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله فى النار . وقال عمر رضى الله عنه : خالفوا النساء فإن فى خلافهن البركة . وقد قيل : شاوروهن وخالفوهن . وقد قال عليه السلام « تعس عبد الزوجة [8] » وإنما قال ذلك لأنه إذا أطاعها فى هواها فهو عبدها

---

(١) حديث مسابقته صلى الله عليه وسلم لعائشة فسبقته ثم سبقها وقال « هذه بتلك » رواه أبو داود والنسائى فى الكبرى وابن ماجه من حديث عائشة بسند صحيح .

(٢) حديث : كان من أفكه الناس مع نسائه . رواه الحسن بن سفيان فى مسنده من حديث أنس دون قوله : مع نسائه . ورواه البزار والطبرانى فى الصغير والأوسط فقالا : مع صبى . وفى إسناده ابن لهيعة . (٣) حديث عائشة : سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون يوم عاشوراء فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتحبين أن ترى لعبهم » الحديث ، متفق عليه مع اختلاف دون ذكر يوم عاشوراء ، وإنما قال : يوم عيد ، ودون قولها : امكث . وفى رواية للنسائى فى الكبرى : قلت : لاتعجل ، مرتين . وفيه فقال : ياحميراء ، وسنده صحيح . (٤) حديث « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله » رواه الترمذى والنسائى واللفظ له ، والحاكم وقال : رواته ثقات على شرط الشيخين . (٥) حديث « خياركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائى » أخرجه الترمذى وصححه من حديث أبى هريرة دون قوله « وأنا خيركم لنسائى » وله من حديث عائشة وصححه « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى » .

(٦) حديث « إن الله يبغض الجعظرى الجواظ » رواه أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق من حديث أبى هريرة بسند ضعيف ، وهو فى الصحيحين من حديث جارية بن وهب الخزاعى بلفظ « ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر » ولأبى داود « لايدخل الجنة الجواظ ولا الجعظرى » (٧) حديث قال لجابر « هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك » متفق عليه من حديثه ، وقد تقدم

(٨) حديث « تعس عبد الزوجة » لم أقف له على أصل ، والمعروف « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم ... الحديث » رواه البخارى من حديث أبى هريرة .

وقد تعس فإن الله ملكه المرأة فملكها نفسه فقد عكس الأمر وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قال ﴿ ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ﴾ إذ حق الرجل أن يكون متبوعا لا تابعا ، وقد سمى الله الرجال قوامين على النساء وسمى الزوج سيدا ، فقال تعالى ﴿ وألفيا سيدها لدى الباب ﴾ فإذا انقلب السيد مسخرا فقد بدل نعمة الله كفرا ، ونفس المرأة على مثال نفسك : إن أرسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا ، وإن أرخيت عذارها فتراً جذبتك ذراعا ، وإن كبحتها وشددت يدك عليها فى محل الشدة ملكتها . قال الشافعى رضى الله عنه : ثلاثة إن أكرمتهم أهانوك وإن أهنتهم أكرموك : المرأة ، والخادم . والنبطى : أراد به إن محضت الإكرام ولم تمزج غلظك بلينك وفظاظتك برفقك . وكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الأزواج ، وكانت المرأة تقول لابنتها : اختبرى زوجك قبل الإقدام والجراءة عليه انزعى زج رمحه ، فإن سكت فقطعى اللحم على ترسه ، فإن سكت فكسرى العظام بسيفه ، فإن سكت فاجعلى الإكاف على ظهره وامتطيه فإنما هو حمارك . وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والأرض ، فكل ما جاوز حده انعكس على ضده ، فينبغى أن تسلك سبيل الاقتصاد فى المخالفة والموافقة وتتبع الحق فى جميع ذلك لتسلم من شرهن ، فإن كيدهن عظيم وشرهن فاش ، والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل ، ولا يعتدل ذلك منهن إلا بنوع لطف ممزوج بسياسة . وقال عليه السلام « مثل المرأة الصالحة فى النساء كمثل الغراب الأعصم بين مائة غراب [1] » والأعصم يعنى الأبيض البطن . وفى وصية لقمان لابنه : يابنى اتق المرأة السوء فإنها تشيبك قبل الشيب ، واتق شرار النساء فإنهن لا يدعون إلى خير ، وكن من خيارهن على حذر . وقال عليه السلام « استعيذوا من الفواقر الثلاث [2] » وعد منهن المرأة السوء فإنها المشيبة قبل الشيب . وفى لفظ آخر « إن دخلت عليها سبتك ، وإن غبت عنها خانتك » وقد قال عليه السلام فى خيرات النساء « إنكن صواحبات يوسف [3] » يعنى إن صرفكن أبا بكر عن التقدم فى الصلاة ميل منكن عن الحق إلى الهوى . قال الله تعالى حين أفشين سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ﴾ أى مالت وقال ذلك فى خير أزواجه [4] » وقال عليه السلام « لا يفلح قوم تملكهم امرأة [5] » وقد زبر عمر رضى الله عنه امرأته لما راجعته وقال : ما أنت إلا لعبة فى جانب البيت إن كانت لنا إليك حاجة وإلا جلست كما أنت ، فإذن فيهن شر وفيهن ضعف ؛ فالسياسة والخشونة علاج الشر ، والمطايبة والرحمة علاج الضعف ، فالطبيب الحاذق هو الذى يقدر العلاج بقدر الداء ، فلينظر الرجل أولا إلى أخلاقها بالتجربة ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها .

الخامس : الاعتدال فى الغيرة : وهو أن لا يتغافل عن مبادى الأمور التى تخشى غوائلها ، ولا يبالغ فى إساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن ، فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتبع عورات النساء [6] وفى لفظ آخر :

---

(٦) حديث « مثل المرأة الصالحة فى النساء كمثل الغراب الأعصم بين مائة غراب » رواه الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف ولأحمد من حديث عمرو بن العاص : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران ، فاذا بمربان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار فقال « لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب فى هذه الغربان » وإسناده صحيح ، وهو فى السنن الكبرى للنسائى .

(٢) حديث « استعيذوا من الفواقر الثلاث وعد منهن المرأة السوء فانها المشيبة قبل الشيب » وفى لفظ آخر « إن دخلت عليها لسنتك ، وإن غبت عنها خانتك » رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة بسند ضعيف . واللفظ الآخر رواه الطبرانى من حديث فضالة بن عبيد « ثلاث من الفواقر : وذكر منها وامرأة إن حضرت آذتك وإن غبت عنها خانتك » وسنده حسن . (٣) حديث « إنكن صواحبات يوسف » متفق عليه من حديث عائشة (٤) حديث نزول قوله تعالى ﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ﴾ فى خير أزواجه متفق عليه من حديث عمر ، والمرأتان عائشة وحفصة (٥) حديث « لا يفلح قوم تملكهم امرأة » رواه البخارى من حديث أبى بكرة نحوه (٦) حديث : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتبع عورات النساء رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث جابر : نهى أن تتطلب عثرات النساء ، والحديث عند مسلم بلفظ : نهى أن يطرق الرجل أهله ليلا =

أن تبغت النساء . ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره قال قبل دخول المدينة « لاتطرقوا النساء ليلا » فخالفه رجلان فسبقا ، فرأى كل واحد فى منزله مايكره [1] وفى الخبر المشهور « المرأة كالضلع إن قومته كسرته ، فدعه تستمتع به على عوج [2] » وهذا فى تهذيب أخلاقها . وقال صلى الله عليه وسلم « إن من الغيرة غيرة يبغضها الله عز وجل وهى غيرة الرجل على أهله من غير ريبة [3] » لأن ذلك من سوء الظن الذى نهينا عنه ، فإنّ بعض الظن إثم . وقال على رضى الله عنه : لاتكثر الغيرة على أهلك فترمى بالسوء من أجلك . وأما الغيرة فى محلها فلابدّ منها وهى محمودة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يغار والمؤمن يغار وغيرة الله تعالى أن يأتى الرجل المؤمن ماحرّم الله عليه [4] » وقال عليه السلام « أتعجبون من غيرة سعد أنا والله أغير منه والله أغير منى [5] » ولأجل غيرة الله تعالى حرّم الفواحش ماظهر منها ومابطن ، ولاأحد أحب إليه العذر من الله ، ولذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا أحد أحب إليه المدح من الله ولأجل ذلك وعد الجنة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت ليلة أسرى بى فى الجنة قصرا وبفنائه جارية ؛ فقلت : لمن هذا القصر ؟ فقيل : لعمر ؛ فأردت أن أنظر إليها فذكرت غيرتك ياعمر : فبكى عمر وقال : أعليك أغار يارسول الله [6] » وكان الحسن يقول : أتدعون نساءكم ليزاحمن العلوج فى الأسواق قبح الله من لا يغار ، وقال عليه الصلاة والسلام « إن من الغيرة ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله ، ومن الخيلاء ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله ، فأما الغيرة التى يحبها الله فالغيرة فى الريبة ، والغيرة التى يبغضها الله فالغيرة فى غير ريبة ، والاختيال الذى يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدمة ، والاختيال الذى يبغضه الله الاختيال فى الباطل [7] » وقال عليه الصلاة والسلام « إنى لغيور ، ومامن امرئ لايغار إلا منكوس القلب [8] » والطريق المغنى عن الغيرة أن لا يدخل عليها الرجال وهى لاتخرج إلى الأسواق . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة عليها السلام « أى شىء خير للمرأة ؟ » قالت : أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل ، فضمها إليه وقال « ذرّية بعضها من بعض [9] » فاستحسن قولها . وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسدّون الكوى والثقب فى الحيطان لئلا تطلع النسوان إلى الرجال . ورأى معاذ امرأته تطلع فى الكوة فضربها ، ورأى امرأته قد دفعت إلى غلامه تفاحة قد أكلت منها فضربها . وقال عمر رضى الله عنه : أعروا النساء يلزمن الحجال ، وإنما قال ذلك لأنهن لايرغبن فى

= يخونهم أو يطلب عثراتهم واقتصر البخارى منه على ذكر النهى عن الطروق ليلا (١) حديث أنه قال قبل دخول المدينة « لاتطرقوا أهلكم ليلا » فخالفه رجلان فسعيا إلى منازلهما فرأى كل واحد فى بيته مايكره . رواه أحمد من حديث ابن عمر بسند جيد .

(٢) حديث « المرأة كالضلع إن أردت تقيمه كسرته ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة (٣) حديث « غيرة يبغضها الله وهى غيرة الرجل على أهله من غير ريبة » رواه أبو داود والنسائى وابن حبان من حديث جابر بن عتيك .

(٤) حديث « الله يغار والمؤمن يغار ، وغيرة الله تعالى أن يأتى الرجل المؤمن ماحرم الله عليه » متفق عليه من حديث أبى هريرة ولم يقل البخارى : والمؤمن يغار (٥) حديث « أتعجبون من غيرة سعد ، والله لأنا أغير منه والله أغير منى ... الحديث » متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة .

(٦) حديث « رأيت ليلة أسرى بى فى الجنة قصرا وبفنائه جارية ، فقلت : لمن هذا القصر ؟ فقيل لعمر ... الحديث » متفق عليه من حديث جابر دون ذكر ليلة أسرى بى ولم يذكر الجارية ، وذكر الجارية فى آخر متفق عليه من حديث أبى هريرة « بينما أنا نائم رأيتنى فى الجنة ... الحديث » (٧) حديث « إن من الغيرة مايحبه الله تعالى ومنها مايبغضه الله تعالى ... الحديث » رواه أبو داود والنسائى وابن حبان من حديث جابر بن عتيك ، وهو الذى تقدم قبله بأربعة أحاديث . (٨) حديث « إنى لغيور وما من امرئ لايغار إلا منكوس القلب » تقدم أوله . وأما آخره فرواه أبو عمر التوقانى فى كتاب معاشرة الأهلين من رواية عبد الله بن محمد مرسلا . والظاهر أنه عبد الله بن الحنفية (٩) حديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة « أى شىء خير للمرأة ؟ » فقالت : أن لاترى رجلا ... الحديث . رواه البزار والدارقطنى فى الافراد من حديث على بسند ضعيف .

الخروج فى الهيئة الرثة . وقال عوّدوا نساءكم « لا » وكان قد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء فى حضور المسجد [١] والصواب الآن المنع إلا العجائز ، بل استصوب ذلك فى زمان الصحابة حتى قالت عائشة رضى الله عنها ، لو علم النبى صلى الله عليه وسلم ما أحدثت النساء بعده لمنعهن من الخروج [٢] . ولما قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتمنعوا إماء الله مساجد الله » فقال بعض ولده : بلى والله لنمنعهن ، فضربه وغضب عليه وقال تسمعنى أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تمنعوا » فتقول : بلى [٣] ، وإنما استجرأ على المخالفة لعلمه بتغير الزمان ، وإنما غضب عليه لإطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهراً من غير إظهار العذر ، وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أذن لهن فى الأعياد خاصة أن يخرجن [٤] ولكن لايخرجن إلا برضا أزواجهن ، والخروج الآن مباح للمرأة العفيفة برضا زوجها ولكن القعود أسلم وينبغى أن لاتخرج إلا لمهم ، فإن الخروج للنظارات والأمور التى ليست مهمة تقدح فى المروءة وربما تفضى إلى الفساد ، فإذا خرجت فينبغى أن تغض بصرها عن الرجال ، ولسنا نقول إن وجه الرجل فى حقها عورة كوجه المرأة فى حقه ، بل هو كوجه الصبى الأمرد فى حق الرجل فيحرم النظر عندخوف الفتنة فقط ، فإن لم تكن فتنة فلا : إذ لم يزل الرجال على مر الزمان مكشوفى الوجوه والنساء يخرجن منتقبات ولو كان وجوه الرجال عورة فى حق النساء لأمروا بالتنقب أو منعن من الخروج إلا لضرورة .

السادس : الاعتدال فى النفقة فلا ينبغى أن يقتر عليهن فى الإنفاق ، ولاينبغى أن يسرف ، بل يقتصد . قال تعالى ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ وقال تعالى ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ﴾ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيركم خيركم لأهله [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « دينار أنفقته فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك : أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك [٦] » وقيل : كان لعلى رضى الله عنه أربع نسوة ، فكان يشترى لكل واحدة فى كل أربعة أيام لحما بدرهم ، وقال الحسن رضى الله عنه : كانوا فى الرجال مخاصيب ، والإناث والثياب مجاديب . وقال ابن سيرين : يستحب للرجل أن يعمل لأهله فى كل جمعة فالوذجة ، وكأن الحلاوة وإن لم تكن من المهمات ولكن تركها بالكلية تقتير فى العادة ، وينبغى أن يأمرها بالتصدق ببقايا الطعام وما يفسد لو ترك ! فهذا أقل درجات الخير ، وللمرأة أن تفعل ذلك بحكم الحال من غير صريح إذن من الزوج ، ولاينبغى أن يستأثر عن أهله بمأكول طيب فلا يطعمهم منه ، فإن ذلك مما يوغر الصدور ويبعد عن المعاشرة بالمعروف ، فإن كان مزمعا على ذلك فليأكله بخفية بحيث لايعرف أهله ولا ينبغى أن يصف عندهم طعاماً ليس يريد إطعامهم إياه ، وإذا أكل فيقعد العيال كلهم على مائدته ، فقد قال سفيان رضى الله عنه : بلغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة ، وأهم مايجب عليه مراعاته فى الإنفاق أن يطعمها من الحلال ولا يدخل مداخل السوء لأجلها ، فإن ذلك جناية عليها لامراعاة لها وقد أوردنا الأخبار الواردة فى ذلك عند ذكر آفات النكاح .

---

(١) حديث الإذن للنساء فى حضور المساجد . متفق عليه من حديث ابن عمر « ائذنوا للنساء بالليل الى المساجد » .

(٢) حديث قالت عائشة : لوعلم النبى صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء بعده لمنعهن من الخروج . متفق عليه . قال البخارى : لمنعهن من المساجد (٣) حديث ابن عمر « لاتمنعوا إماء الله مساجد الله » فقال بعض ولده : بلى والله ... الحديث متفق عليه.

(٤) حديث « الإذن لهن فى الخروج فى الأعياد » متفق عليه من حديث أم عطية . (٥) حديث « خيركم خيركم لأهله » أخرجه الترمذى من حديث عائشة وصححه ، وقد تقدم . (٦) حديث « دينار أنفقته فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك : أعظمها أجرا الدينار الذى أنفقته على أهلك » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة .

السابع : أن يتعلم المتزوج من علم الحيض وأحكامه مايحترز به الاحتراز الواجب ، ويعلم زوجته أحكام الصلاة وما يقضى منها فى الحيض وما لايقضى ، فإنه أمر بأن يقيها النار بقوله تعالى ﴿ قوا أنفسكم وأهليكم نارا ﴾ فعليه أن يلقنها اعتقاد أهل السنة ويزيل عن قلبها كل بدعة إن استمعت إليها ، ويخوفها فى الله إن تساهلت فى أمر الدين ، ويعلمها من أحكام الحيض والاستحاضة ماتحتاج إليه وعلم الاستحاضة يطول ؛ فأما الذى لابد من إرشاد النساء إليه فى أمر الحيض بيان الصلوات التى تقضيها ، فإنها مهما انقطع دمها قبيل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر ، وإذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشاء ، وهذا أقل مايراعيه النساء ، فإن كان الرجل قائماً بتعليمها فليس لها الخروج لسؤال العلماء وإن قصر علم الرجل ولكن ناب عنها فى السؤال فأخبرها بجواب المفتى فليس لها خروج ، فإن لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال بل عليها ذلك ويعصى الرجل بمنعها ومهما تعلمت ما هو من الفرائض عليها فليس لها أن تخرج إلى مجلس ذكر ولا إلى تعلم فضل إلا برضاه ومهما أهملت المرأة حكما من أحكام الحيض والاستحاضة ولم يعلمها الرجل حرج الرجل معها وشاركها فى الإثم .

الثامن : إذا كان له نسوة فينبغى أن يعدل بينهن ولا يميل إلى بعضهن ، فإن خرج إلى سفر وأراد استصحاب واحدة أقرع بينهن [1] ، كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن ظلم امرأة بليلتها قضى لها ، فإن القضاء واجب عليه ، وعند ذلك يحتاج إلى معرفة أحكام القسم وذلك يطول ذكره ؛ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى - وفى لفظ - ولم يعدل بينهما ؛ جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل [2] » وإنما عليه العدل فى العطاء والمبيت ، وأما فى الحب والوقاع فذلك لايدخل تحت الاختيار . قال الله تعالى ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾ أى أن تعدلوا فى شهوة القلب وميل النفس ، ويتبع ذلك التفاوت فى الوقاع . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بينهن فى العطاء والبيتوتة فى الليالى ويقول « اللهم هذا جهدى فيما أملك ولاطاقة لى فيما تملك ولا أملك [3] » يعنى الحب . وقد كانت عائشة رضى الله عنها أحب نسائه إليه [4] وسائر نسائه يعرفن ذلك . وكان يطاف به محمولا فى مرضه فى كل يوم وكل ليلة ، فيبيت عند كل واحدة منهن ويقول : أين أنا غدا ، ففطنت لذلك امرأة منهن فقالت : إنما يسأل عن يوم عائشة ؛ فقلن يا رسول الله قد أذنا لك أن تكون فى بيت عائشة فإنه يشق عليك أن تحمل فى كل ليلة ؛ فقال « وقد رضيتن بذلك ؟ فقلن : نعم . قال : فحولونى إلى بيت عائشة [5] » ومهما وهبت واحدة ليلتها لصاحبتها ورضى الزوج بذلك ثبت الحق لها . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه ، فقصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت

---

(١) حديث القرعة بين أزواجه إذا أراد سفراً : متفق عليه من حديث عائشة . (٢) حديث « من كان له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الاخرى » وفى لفظ آخر « لم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل » أخرجه أصحاب السنن وابن حبان من حديث أبى هريرة : قال أبو داود وابن حبان « فمال مع إحداهما » وقال الترمذى « فلم يعدل بينهما » . (٣) حديث : كان يعدل بينهن ويقول « اللهم هذا جهدى فيما أملك ولاطاقة لى فيما تملك ولا أملك » أخرجه أصحاب السنن وابن حبان من حديث عائشة نحوه . (٤) حديث : كانت عائشة أحب نسائه إليه : متفق عليه من حديث عمرو بن العاص أنه قال : أى الناس أحب إليك يارسول الله ؟ قال « عائشة » وقد تقدم . (٥) حديث : كان يطاف به محمولا فى مرضه كل يوم وليلة فيبيت عند كل واحدة ويقول « أين أنا غدا ... الحديث » رواه ابن سعد فى الطبقات من رواية محمد بن على بن الحسين أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحمل فى ثوب يطاف به على نسائه وهو مريض يقسم بينهن . وفى مرسل آخر له : لما ثقل قال « أين أنا غدا ؟ » قالوا : عند فلانة . قال « فأين أنا بعد غد ؟ » قالوا عند فلانة ، فعرف أزواجه أنه يريد عائشة .. الحديث . وللبخارى من حديث عائشة : كان يسأل فى مرضه الذى مات فيه : « أين أنا غدا ؟ » يريد يوم عائشة ، فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء وفى الصحيحين : لما ثقل استأذن أزواجه أن يمرض فى بيتى فأذن له .

فوهبت ليلتها لعائشة وسألته أن يقرها على الزوجية حتى تحشر فى زمرة نسائه ، فتركها وكان لايقسم لها ويقسم لعائشة ليلتين واسائر أزواجه ليلة ليلة [١] ، ولكنه صلى الله عليه وسلم لحسن عدله وقوته كان إذا تاقت نفسه إلى واحدة من النساء فى غير نوبتها فجامعها طاف فى يومه أوليلته على سائر نسائه ؛ فمن ذلك ماروى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نسائه فى ليلة واحدة [٢] . وعن أنس أنه عليه السلام طاف على تسع نسوة فى ضحوة نهار [٣] .

التاسع : فى النشوز ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم أمرهما : فإن كان من جانبهما جميعا أو من الرجل فلا تسلط الزوجة على زوجها ولا يقدر على إصلاحها فلا بد من حكمين : أحدهما من أهله والآخر من أهلها لينظرا بينهما ويصلحا أمرهما (إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما) وقد بعث عمر رضى الله عنه حكما إلى زوجين ، فعاد ولم يصلح أمرهما فعلاه بالدرة وقال : إن الله تعالى يقول (إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما) فعاد الرجل وأحسن النية وتلطف بهما فأصلح بينهما . وإما إذا كان النشوز من المرأة خاصة فالرجال قوامون على النساء ، فله أن يؤدبها ويحملها على الطاعة قهراً ، وكذا إذا كانت تاركة للصلاة فله حملها على الصلاة قهرا ، ولكن ينبغى أن يتدرج فى تأديبها : وهو أن يقدم أولا الوعظ والتحذير والتخويف ، فإن لم ينجح ولاها ظهره فى المضجع أو انفرد عنها بالفراش وهجرها وهو فى البيت معها من ليلة إلى ثلاث ليال . فإن لم ينجح ذلك فيها ضربها ضربا غير مبرح بحيث يؤلمها ولا يكسر لها عظما ولايدمى لها جسم . ولا يضرب وجهها فذلك منهى عنه . وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم . « ما حق المرأة على الرجل ؟ قال « يطعمها إذا طعم . ويكسوها إذا اكتسى . ولا يقبح الوجه . ولا يضرب إلا ضربا غير مبرح . ولا يهجرها إلا فى المبيت [٤] » وله أن يغضب عليها ويهجرها فى أمر من أمور الدين إلى عشر وإلى عشرين وإلى شهر . فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أرسل إلى زينب بهدية فردتها عليه . فقالت له التى هو فى بيتها : لقد اقمأتك إذ ردت عليك هديتك [٥] . أى أذلتك واستصغرتك . فقال صلى الله عليه وسلم « أنتن أهون على الله أن تقمئنى » ثم غضب عليهن كلهن شهراً إلى أن عاد إليهن .

العاشر : فى اداب الجماع . ويستحب أن يبدأ باسم الله تعالى ويقرأ قل هو الله أحد أولا ويكبر ويهلل ويقول : بسم الله العلى العظيم . اللهم اجعلها ذرية طيبة إن كنت قدرت أن تخرج ذلك من صلبى . وقال عليه الصلاة والسلام « لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : اللهم جنبنى الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا . فإن كان بينهما ولد لم يضره

---

(١) حديث : كان يقسم بين نسائه ، فقصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت ، فوهبت ليلتها لعائشة ... الحديث رواه أبو داود من حديث عائشة : قالت سودة حين أسنت وفرقت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله يومى لعائشة ... الحديث ، وللطبرانى : فأراد أن يفارقها . وهو عند البخارى بلفظ : لما كبرت سودة وهبت يومها لعائشة وكان يقسم لها بيوم سودة ، وللبيهقى مرسلا : طلق سودة فقالت : أريد أن أحشر فى أزواجك ... الحديث . (٢) حديث عائشة : طاف على نسائه فى ليلة واحدة . متفق عليه بلفظ : كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيطوف على نسائه ثم يصبح محرما ينضح طيبا

(٣) حديث أنس : أنه طاف على تسع نسوة فى ضحوة نهار ، رواه ابن عدى فى الكامل ، وللبخارى : كان يطوف على نسائه فى ليلة واحدة وله تسع نسوة . (٤) حديث : قيل له : ماحق المرأة على الرجل ؟ فقال « يطعمها إذا طعم ، ويكسوها إذا اكتسى ، ولايقبح الوجه ، ولايضرب إلا ضربا غير مبرح ، ولايهجرها إلا فى البيت » رواه أبو داود والنسائى فى الكبرى ، وابن ماجه من رواية معاوية بن حيدة بسند جيد ، وقال : ولايضرب الوجه ولايقبح . وفى رواية لأبى داود : ولاتقبح الوجه ولاتضرب . (٥) حديث هجرة صلى الله عليه وسلم نساءه شهرا لما أرسل بهدية الى زينب فردتها فقالت له التى فى بيتها : لقد أقمأتك ... الحديث ، ذكره ابن الجوزى فى الوفاء بغير اسناد . وفى الصحيحين من حديث عمر : كان أقسم أن لايدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن . وفى رواية من حديث جابر : ثم اعتزلهن شهرا

الشيطان [١] » وإذا قربت من الإنزال فقل فى نفسك ولا تحرك شفتيك : الحمد لله الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا . وكان بعض أصحاب الحديث يكبر حتى يسمع أهل الدار صوته ، ثم ينحرف عن القبلة ولا يستقبل القبلة بالوقاع إكراما للقبلة ، وليغط نفسه وأهله بثوب : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغطى رأسه ويغض صوته ويقول المرأة « عليك بالسكينة [٢] » وفى الخبر « إذا جامع أحدكم أهله فلا يتجردان تجرد العيرين [٣] » أى الحمارين ، وليقدم التلطف بالكلام والتقبيل قال صلى الله عليه وسلم « لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة ، وليكن بينهما رسول » قيل وما الرسول يارسول الله ؟ قال « القبلة والكلام [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم (ثلاث من العجز فى الرجل : أن يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعلم اسمه ونسبه ، والثانى : أن يكرمه أحد فيرد عليه كرامته ، والثالث : أن يقارب الرجل جاريته أو زوجته فيضيبها قبل أن يحدثها ويؤانسها ، ويضاجعها فيقضى حاجته منها قبل أن تقضى حاجتها منه [٥]) ويكره له الجماع فى ثلاث ليال من الشهر : الأول ، والآخر ، والنصف . يقال : إن الشيطان يحضر الجماع فى هذه الليالى ، ويقال : إن الشياطين يجامعون فيها ، وروى كراهة ذلك عن على ومعاوية وأبى هريرة رضى الله عنهم . ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة وليلته تحقيقاً لأحد التأويلين من قوله صلى الله عليه وسلم (رحم الله من غسل واغتسل [٦]) الحديث . ثم إذا قضى وطره فليتمهل على أهله حتى تقضى هى أيضاً نهمتها ، فإن إنزالها ربما يتأخر فيهيج شهوتها ، ثم القعود عنها إيذاء لها ، والاختلاف فى طبع الإنزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقا إلى الإنزال ، والتوافق فى وقت الإنزال ألذ عندها ليشتغل الرجل بنفسه عنها ، فإنها ربما تستحى . وينبغى أن يأتيها فى كل أربع ليال مرة فهو أعدل ، إذ عدد النساء أربعة فجاز التأخير إلى هذا الحد ، نعم ينبغى أن يزيد أو ينقص بحسب حاجتها فى التحصين ، فإن تحصينها واجب عليه ، وإن كان لا يثبت المطالبة بالوطء فذلك لعسر المطالبة والوفاء بها ، ولا يأتيها فى الحيض . ولا بعد انقضائه وقبل الغسل ، فهو محرم بنص الكتاب ، وقيل : إن ذلك يورث الجذام فى الولد ، وله أن يستمتع بجميع بدن الحائض ولا يأتيها فى غير المأتى ، إذ حرم غشيان الحائض لأجل الأذى ، والأذى غير المأتى دائم فهو أشد تحريما من إتيان الحائض . وقوله تعالى ﴿ فأتوا حرثكم انى شئتم ﴾ أى أى وقت شئتم ، وله أن يستمتع بما تحت الإزار بما يشتهى سوى الوقاع . وينبغى أن تتزر المرأة بإزار من حقوها إلى فوق الركبة فى حال الحيض ، فهذا من الأدب ، وله أن يؤاكل الحائض ، ويخالطها فى المضاجعة وغيرها ، وليس عليه اجتنابها ، وإن أراد أن يجامع ثانيا بعد أخرى فليغسل فرجه أولا ، وإن احتلم فلا يجامع حتى يغسل فرجه أو يبول ، ويكره الجماع فى أول الليل حتى لا ينام على غير طهارة ، فإن أراد النوم أو الأكل فليتوضأ أولا وضوء الصلاة فذلك سنة . قال ابن عمر : قلت للنبى صلى الله عليه وسلم : أينام أحدنا وهو جنب ؟ قال « نعم إذا توضأ [٧] » ولكن قد وردت فيه رخصة قالت عائشة رضى الله

---

(١) حديث « لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : اللهم جنبنا الشيطان ... الحديث » متفق عليه من حديث ابن عباس .

(٢) حديث « كان يغطى رأسه ويغض صوته ويقول المرأة « عليك بالسكينه » رواه الخطيب من حديث أم سلمة بسند ضعيف .

(٣) حديث « إذا جامع أحدكم امرأته فلا يتجردان تجرد العيرين » أخرجه ابن ماجه من حديث عتبة بن عبد بسند ضعيف .

(٤) حديث « لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة ... الحديث . رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس وهو منكر . (٥) حديث « ثلاث من العجز فى الرجل . أن يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعرف اسمه ... الحديث » رواه أبو منصور الديلمى من حديث أخصر منه وهو بعض الحديث الذى قبله . (٦) حديث « رحم الله من غسل واغتسل » تقدم فى الباب الخامس من الصلاة . (٧) حديث ابن عمر : قلت للنبى صلى الله عليه وسلم : أينام أحدنا وهو جنب؟ قال « نعم إذا توضأ » متفق عليه من حديثه أن عمر سأل ، لا أن عبد الله هو السائل .

عنها « كان النبي صلى الله عليه وسلم ينام جنبا لم يمس ماء [1] » ومهما عاد إلى فراشه فليمسح وجه فراشه أولينفضه ، فإنه لايدرى ما حدث عليه بعده ، ولا ينبغى أن يحلق أو يقلم أو يستحد أو يخرج الدم أو يبين من نفسه جزءا وهو جنب ؛ إذ ترد إليه سائر أجزائه فى الآخرة فيعود جنبا ، ويقال : إن كل شعرة تطالبه بجنابتها ومن الآداب أن لايعزل ، بل لايسرح إلا إلى محل الحرث وهوالرحم ، فمامن نسمة قدر الله كونها إلاوهى كائنة [2] هكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن عزل فقد اختلف العلماء فى إباحته وكراهته على أربع مذاهب ، فمن مبيح مطلقا بكل حال ، ومن محرم بكل حال ، ومن قائل يحل برضاها ولا يحل دون رضاها ، وكأن هذا القائل يحرم الإيذاء دون العزل ، ومن قائل يباح فى المملوكة دون الحرة . والصحيح عندنا أن ذلك مباح ، وأما الكراهية فإنها تطلق لنهى التحريم ولنهى التنزيه ولترك الفضيلة ، فهو مكروه بالمعنى الثالث أى فيه ترك فضيلة ، كما يقال : يكره للقاعد فى المسجد أن يقعد فارغا لايشتغل بذكر أو صلاة ، ويكره للحاضر فى مكة مقيمها أن لايحج كل سنة ، والمراد بهذه الكراهية ترك الأولى والفضيلة فقط ، وهذا ثابت لما بيناه من الفضيلة فى الولد ، ولما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليجامع أهله فيكتب له بجماعه أجر ولد ذكر قاتل فى سبيل الله فقتل [3] » وإنما قال ذلك لأنه لو ولد له مثل هذا الولد لكان له أجر التسبب إليه ، مع أن الله تعالى خالقه ومحييه ومقويه على الجهاد ، والذى إليه من التسبب فقد فعله وهو الوقاع ، وذلك عند الإمناء فى الرحم . وإنما قلنا لاكراهة بمعنى التحريم والتنزيه ، لأن إثبات النهى إنما يمكن بنص أو قياس على منصوص ولا نص ولا أصل يقاس عليه ، بل ههنا أصل يقاس عليه وهو ترك النكاح أصلا أو ترك الجماع بعد النكاح أو ترك الإنزال بعد الإيلاج ، فكل ذلك ترك للأفضل وليس بارتكاب نهى ولافرق ، إذ الولد يتكون بوقوع النطفة فى الرحم ، ولها أربعة أسباب : النكاح ، ثم الوقاع ، ثم الصبر إلى الإنزال بعد الجماع ، ثم الوقوف لينصب المنى فى الرحم ، وبعض هذه الأسباب أقرب من بعض ، فالامتناع عن الرابع كالامتناع عن الثالث ، وكذا الثالث كالثانى ، والثانى كالأول ، وليس هذا كالإجهاض والوأد ، لأن ذلك جناية على موجود حاصل ، وله أيضا مراتب وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة فى الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحياة وإفساد ذلك جناية ، فإن صارت مضغة وعلقة كانت الجناية أفحش ، وإن نفخ فيه الروح واستوت الخلقة ازدادت الجناية تفاحشا ، ومنتهى التفاحش فى الجناية بعد الانفصال حيا . وإنما قلنا مبدأ سبب الوجود من حيث وقوع المنى فى الرحم لامن حيث الخروج من الإحليل ، لأن الولد لايخلق من منى الرجل وحده بل من الزوجين جميعا إما من مائه ومائها أو من مائه ودم الحيض ، قال بعض أهل التشريح : إن المضغة تخلق بتقدير الله من دم الحيض ، وإن الدم منها كاللبن من الرائب ، وإن النطفة من الرجل شرط فى خثور دم الحيض وانعقاده كالأنفحة للبن ، إذ بها ينعقد الرائب ، وكيفما كان فماء المرأة ركن فى الانعقاد فيجرى الماءان مجرى الإيجاب والقبول فى الوجود الحكمى فى العقود ، فمن أوجب ثم رجع قبل القبول لايكون جانيا على العقد بالنقض والفسخ ، ومهما اجتمع الإيجاب والقبول كان الرجوع بعده رفعا وفسخا وقطعا ، وكما أن النطفة فى الفقار لا يتخلق منها الولد فكذا بعد الخروج من الإحليل مالم يمتزج بماء المرأة ودمها ، فهذا هو القياس الجلى .

---

(١) حديث عائشة : كان ينام جنبا لم يمس ماء رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه . وقال يزيد بن هارون : إنه وهم ، ونقل البيهقى عن الحافظ الطعن فيه ، قال : وهو صحيح من جهة الرواية .

(٢) حديث « مامن نسمة قدر الله كونها إلا وهى كائنة » متفق عليه من حديث أبى سعيد .

(٣) حديث « إن الرجل ليجامع أهله فيكتب له من جماعه أجر ولد ذكر يقاتل فى سبيل الله » لم أجد له أصلا .

* فإن قلت : فإن لم يكن العزل مكروها من حيث إنه دفع لوجود الولد فلا يبعد أن يكره لأجل النية الباعثة عليه ، إذ لا يبعث عليه إلا نية فاسدة فيها شيء من شوائب الشرك الخفي * فأقول : النيات الباعثة على العزل خمس : الأولى في السراري وهو حفظ الملك عن الهلاك باستحقاق العتاق وقصد استبقاء الملك بترك الإعتاق ودفع أسبابه ليس بمنهي عنه . الثانية : استبقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع واستبقاء حياتها خوفا من خطر الطلق ، وهذا أيضا ليس منهيا عنه . الثالثة : الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد والاحتراز من الحاجة إلى التعب في الكسب ودخول مداخل السوء ، وهذا أيضا غير منهي عنه ، فإن قلة الحرج معين على الدين ، نعم الكمال والفضل في التوكل والثقة بضمان الله حيث قال ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ ولا جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال وترك الأفضل ، ولكن النظر إلى العواقب وحفظ المال وادخاره مع كونه مناقضا للتوكل لا نقول إنه منهي عنه . الرابعة : الخوف من الأولاد الإناث لما يعتقد في تزويجهن من المعرة كما كانت من عادة العرب في قتلهم الإناث ، فهذه نية فاسدة لو ترك بسببها أصل النكاح أو أصل الوقاع أثم بها لا بترك النكاح والوطء ، فكذا في العزل ، والفساد في اعتقاد المعرة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد ، وينزل منزلة امرأة تركت النكاح استنكافا من أن يعلوها رجل فكانت تتشبه بالرجال ، ولا ترجع الكراهة إلى عين ترك النكاح . الخامسة : أن تمتنع المرأة لتعززها ومبالغتها في النظافة والتحرز من الطلق والنفاس والرضاع ، وكان ذلك عادة نساء الخوارج لمبالغتهن في استعمال المياه ، حتى كن يقضين صلوات أيام الحيض ولا يدخلن الخلاء إلا عراة ، فهذه بدعة تخالف السنة ، فهي نية فاسدة ؛ واستأذنت واحدة منهن على عائشة رضي الله عنها لما قدمت البصرة فلم تأذن لها ، فيكون القصد هو الفاسد دون منع الولادة .

* فإن قلت : فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا ثلاثا [1] » . قلت : فالعزل كترك النكاح . وقوله « ليس منا » أي ليس موافقا لنا على سنتنا وطريقتنا وسنتنا فعل الأفضل .

* فإن قلت : فقد قال صلى الله عليه وسلم في العزل « ذاك الوأد الخفي » وقرأ : وإذا الموءودة سئلت [2] » وهذا في الصحيح . قلنا : وفي الصحيح أيضا أخبار صحيحة [3] في الإباحة ، وقوله « الوأد الخفي » كقوله (الشرك الخفي) وذلك يوجب كراهة لا تحريما .

* فإن قلت : فقد قال ابن عباس : العزل هو الوأد الأصغر ، فإن الممنوع وجوده به هو الموءودة الصغرى .

قلنا : هذا قياس منه لدفع الوجود على قطعه وهو قياس ضعيف ، ولذلك أنكره عليه علي رضي الله عنه ، لما سمعه قال : ولا تكون موءودة إلا بعد سبع ، أي بعد الأخرى سبعة أطوار ، وتلا الآية الواردة في أطوار الخلقة وهي قوله تعالى ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ﴾ إلى قوله ﴿ ثم أنشأناه خلقا آخر ﴾ أي نفخنا فيه الروح ، ثم تلا قوله تعالى في الآية ﴿ وإذا الموءودة سئلت ﴾ وإذا نظرت إلى ما قدمناه في طريق القياس والاعتبار ، ظهر لك تفاوت منصب علي وابن عباس رضي الله عنهما في الغوص على المعاني ودرك

---

(١) حديث « من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا » تقدم في أوائل النكاح . (٢) حديث قال صلى الله عليه وسلم في العزل « ذلك الوأد الخفي » أخرجه مسلم من حديث جذامة بنت وهب . (٣) أحاديث إباحة العزل ، رواها مسلم من حديث أبي سعيد : أنهم سألوه عن العزل فقال « لا عليكم أن لا تفعلوه » ورواه النسائي من حديث أبي صرمة ، وللشيخين من حديث جابر : كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، زاد مسلم : فبلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا . وللنسائي من حديث أبي هريرة سئل عن العزل فقيل : اليهود تزعم أنها الموءودة الصغرى ؛ فقال : كذبت يهود . قال البيهقي : رواة الإباحة أكثر وأحفظ .

العلوم ، كيف وفى المتفق عليه فى الصحيحين على جابر أنه قال (كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل) وفى لفظ آخر (كنا نعزل فبلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا [١]) وفيه أيضا عن جابر أنه قال (إن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن لى جارية خادمتنا وساقيتنا فى النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل ، فقال عليه الصلاة السلام (اعزل عنها إن شئت فإنه سيأتيها ما قدر لها) فلبث الرجل ماشاء الله ثم أتاه فقال : إن الجارية قدحملت ، فقال (قد قلت سيأتيها ماقدر لها [٢]) كل ذلك فى الصحيحين .

الحادى عشر : فى آداب الولادة وهى خمسة : (الأول) أن لايكثر فرحه بالذكر وحزنه بالأنثى ، فإنه لايدرى الخيرة له فى أيهما ، فكم من صاحب ابن يتمنى أن لايكون له ، أو يتمنى أن يكون بنتا ، بل السلامة منهن أكثر والثواب فيهن أجزل قال صلى الله عليه وسلم (من كان له ابنة فأدبها فأحسن تأديبها وغذاها فأحسن غذاءها وأسبغ عليها من النعمة التى أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار إلى الجنة [٣]) وقال ابن عباس رضى الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما صحبتاه إلا أدخلتاه الجنة [٤]) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ما صحبتاه كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين [٥]) وقال أنس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئا لحمله إلى بيته فخص به الإناث دون الذكور نظر الله إليه ، ومن نظر الله إليه لم يعذبه [٦]) وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من حمل طرفة من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليبدأ بالإناث قبل الذكور فإنه من فرح أنثى فكأنما بكى من خشية الله ومن بكى من خشيته حرم الله بدنه على النار [٧]) وقال أبو هريرة : قال صلى الله عليه وسلم (من كانت له ثلاث بنات أو أخوات فصبر على لأوائهن وضرائهن أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن ، فقال رجل : وثنتان يا رسول الله ؟ قال : وثنتان . فقال رجل : أو واحدة ؟ فقال وواحدة [٨]) (الأدب الثانى) . أن يؤذن فى اذن الولد : روى رافع عن أبيه قال (رأيت النبى صلى الله عليه وسلم قد أذن فى أذن الحسين حين ولدته فاطمة رضى الله عنها [٩]) وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (من ولد له مولود فأذن فى أذنه اليمنى وأقام فى أذنه اليسرى دفعت عنه أم الصبيان [١٠]) ويستحب أن يلقنوه أول انطلاق لسانه

---

(١) حديث جابر المتفق عليه فى الصحيحين : كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا ، هو كما ذكر متفق عليه ، إلا أن قوله « فلم ينهنا » انفرد بها مسلم . (٢) حديث جابر : أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن لى جارية وهى خادمتنا وساقيتنا فى النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل ؟ فقال : اعزل عنها إن شئت .. الحديث ، ذكر المصنف أنه فى الصحيحين وليس كذلك ، وإنما انفرد به مسلم .

(٣) حديث « من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها وغذاها فأحسن غذاءها .. الحديث » أخرجه الطبرانى فى الكبير ، والخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف . (٤) حديث ابن عباس « مامن أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما صحبتاه إلا أدخلتاه الجنة » أخرجه ابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد . (٥) حديث أنس « من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ماصحبتاه كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين » رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف . ورواه الترمذى بلفظ « من عال جاريتين » وقال حسن غريب . (٦) حديث أنس « من خرج الى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئاً لحمله إلى بيته فخص به الإناث دون الذكور نظر الله إليه ، ومن نظر الله إليه لم يعذبه » أخرجه الخرائطى بسند ضعيف .

(٧) حديث أنس « من حمل طرفة من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة » أخرجه الخرائطى بسند ضعيف جدا ، وأخرجه ابن عدى فى الكامل . وقال ابن الجوزى : حديث موضوع . (٨) حديث أبى هريرة « من كانت له ثلاث بنات أو أخوات فصبر على لأوائهن . . الحديث » رواه الخرائطى واللفظ له والحاكم ولم يقل : أو أخوات وقال . صحيح الإسناد .

(٩) حديث أبى رافع : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن فى أذن الحسين حين ولدته فاطمة . أخرجه أحمد واللفظ له وأبو داود والترمذى وصححه ، إلا أنهما قالا « الحسن » مكبرا ، وضعفه ابن القطان . (١٠) حديث « من ولد له مولود وأذن فى أذنه اليمنى وأقام فى أذنه اليسرى دفعت عنه أم الصبيان » أبو يعلى الموصلى وابن السنى فى اليوم والليلة ، والبيهقى فى شعب الإيمان =

لا إله إلا الله ، ليكون أول حديثه ، والختان فى اليوم السابع ورد به خبر [١] (الأدب الثالث): أن تسميه اسما حسنا ؛ فذلك من حق الولد . وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سميتم فعبدوا [٢] » وقال عليه الصلاة والسلام « أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن [٣] » وقال « سموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى [٤] » قال العلماء : كان ذلك فى عصره صلى الله عليه وسلم إذ كان ينادى يا أبا القاسم والآن فلا بأس ، نعم لا يجمع بين اسمه وكنيته ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا تجمعوا بين اسمى وكنيتى [٥] » وقيل : إنّ هذا أيضا كان فى حياته ، وتسمى رجل أبا عيسى فقال عليه السلام « إنّ عيسى لا أب له [٦] » فيكره ذلك ، والسقط ينبغى أن يسمى . قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية : بلغنى أنّ السقط يصرخ يوم القيامة وراء أبيه فيقول : أنت ضيعتنى وتركتنى لا اسم لى ؛ فقال عمر بن عبد العزيز : كيف وقد لا يدرى أنه غلام أو جارية فقال عبد الرحمن : من الأسماء ما يجمعهما كحمزة وعمارة وطلحة وعتبة ، وقال صلى الله عليه وسلم إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم [٧] » ومن كان له اسم يكره يستحب تبديله ، أبدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص بعبد الله [٨] . وكان اسم زينب برة ، فقال عليه السلام « تزكى نفسها » فسماها زينب [٩] ، وكذلك ورد النهى فى تسمية أفلح ويسار ونافع وبركة [١٠] لأنه يقال : أثم بركة ؟ فيقال : لا (الرابع) العقيقة عن الذكر بشاتين ، وعن الأنثى بشاة ذكرا كان أو أنثى . وروت عائشة رضى الله عنها : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر فى الغلام أن يعق بشاتين مكافئتين ، وفى الجارية بشاة [١١] . وروى : أنه عق عن الحسن بشاة [١٢] وهذا رخصة فى الاقتصار على واحدة وقال صلى الله عليه وسلم « مع الغلام عقيقته فأهريقوا عنه دما وأميطوا عنه الأذى [١٣] » ، ومن السنة أن يتصدّق بوزن شعره ذهبا أو فضة ؛ فقد ورد فيه خبر : « أنه عليه السلام أمر فاطمة رضى الله عنها يوم سابع حسين أن تحلق شعره وتتصدّق بزنة شعره فضة [١٤] »

= من حديث الحسين بن على بسند ضعيف . (١) حديث : الختان فى اليوم السابع ، رواه الطبرانى فى الصغير من حديث جابر بسند ضعيف : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عق عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام وإسناده ضعيف . واختلف فى إسناده فقيل : عبد الملك بن إبراهيم بن زهير عن أبيه عن جده . (٢) حديث « إذا سميتم فعبدوا » رواه الطبرانى من حديث عبد الملك ابن أبى زهير عن أبيه معاذ ، وصحح إسناده والبيهقى من حديث عائشة .

(٣) حديث « أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن » أخرجه مسلم من حديث ابن عمر . (٤) حديث « سموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى » متفق عليه من حديث جابر . وفى لفظ « تسموا » . (٥) حديث « لا تجمعوا بين اسمى وكنيتى » رواه أحمد وابن حبان من حديث أبى هريرة ، ولأبى داود والترمذى وحسنه وابن حبان من حديث جابر « من سمى باسمى فلا يتكنى بكنيتى ، ومن تكنى بكنيتى فلا يتسمى باسمى » . (٦) حديث « أن عيسى لا أب له » أخرجه أبو عمر التوقانى فى كتاب معاشرة الأهلين من حديث ابن عمر بسند ضعيف ، ولأبى داود أن عمر ضرب ابناله تكنى أبا عيسى ، وأنكر على المغيرة بن شعبة تكنيه بأبى عيسى ، فقال : رسول الله عليه وسلم كنانى ، وإسناده صحيح . (٧) حديث « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم » أخرجه أبو داود من حديث أبى الدرداء . قال النووى : بإسناد جيد ، وقال البيهقى إنه مرسل . (٨) حديث : بدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص بعبد الله ، رواه البيهقى من حديث عبد الله بن الحارث ابن جزء الزبيدى بسند صحيح . (٩) حديث قال صلى الله عليه وسلم لزينب وكان اسمها برة تزكى نفسها فسماها زينب ، متفق عليه من حديث أبى هريرة . (١٠) حديث النهى فى تسمية أفلح ويسار ونافع وبركة ، أخرجه مسلم من حديث سمرة بن جندب إلا أنه جعل مكان بركة رباحا ، وله من حديث جابر : أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن ينهى أن يسمى بيعلى وبركة .. الحديث

(١١) حديث عائشة : أمر فى الغلام بشاتين مكافئتين ، وفى الجارية بشاة ، أخرجه الترمذى وصححه (١٢) حديث : عق عن الحسن بشاة ، أخرجه الترمذى من حديث على وقال : ليس إسناده بمتصل ، ووصله الحاكم ، إلا أنه قال حسين . ورواه أبو داود من حديث ابن عباس إلا أنه قال « كبشا » . (١٣) حديث « مع الغلام عقيقته فأهريقوا عنه دما وأميطوا عنه الأذى » أخرجه البخارى من حديث سلمان بن عامر الضبى . (١٤) حديث : أمر فاطمة يوم سابع حسين أن يحلق شعره ويتصدق بزنة شعره فضة ، أخرجه الحاكم وصححه من حديث على ، وهو عند الترمذى منقطع بلفظ « حسن » وقال : ليس إسناده بمتصل ، ورواه أحمد من حديث أبى رافع .

قالت عائشة رضى الله عنهما : لايكسر للعقيقة عظم . (الخامس) أن يحنكه بتمرة أو حلاوة . وروى عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت « ولدت عبد الله بن الزبير بقباء ، ثم أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعته فى حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل فى فيه [1] » فكان أول شىء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرك عليه ، وكان أول مولود ولد فى الإسلام ، ففرحوا به فرحا شديدا لأنهم قيل لهم : إن اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم .

الثانى عشر : فى الطلاق ، وليعلم أنه مباح ، ولكنه أبغض المباحات إلى الله تعالى ، وإنما يكون مباحا إذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل ، ومهما طلقها فقد آذاها ، ولا يباح إيذاء الغير إلا بجناية من جانبها أو بضرورة من جانبه ، قال الله تعالى ﴿ فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ﴾ أى لاتطلبوا حيلة للفراق وإن كرهها أبوه فليطلقها . قال ابن عمر رضى الله عنهما ، كان تحتى امرأة أحبها وكان أبى يكرهها ويأمرنى بطلاقها ، فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا ابن عمر طلق امرأتك [2] » فهذا يدل على أن حق الوالد مقدم ، ولكن والد يكرهها ـ لالغرض فاسد ـ مثل عمر ، ومهما آذت زوجها وبذت على أهله فهى جانية ، وكذلك مهما كانت سيئة الخلق أو فاسدة الدين . قال ابن مسعود فى قوله تعالى ﴿ ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ﴾ مهما بذت على أهله وآذت زوجها فهو فاحشة ، وهذا أريد به فى العدة ولكنه تنبيه على المقصود . وإن كان الأذى من الزوج فلها أن تفتدى ببذل مال ، يكره للرجل أن يأخذ منها أكثر مما أعطى فإن ذلك إجحاف بها وتحامل عليها وتجارة على البضع . قال تعالى (فلا جناح عليهما فيما افتدت به) فرد ما أخذته فما دونه لائق بالفداء . فان سألت الطلاق بغير ما بأس فهى آثمة ، قال صلى الله عليه وسلم « أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة [3] » وفى لفظ آخر « فالجنة عليها حرام » وفى لفظ آخر : أنه عليه السلام قال « المختلعات هن المنافقات [4] » ثم ليراع الزوج فى الطلاق أربعة أمور (الأول) أن يطلقها فى طهر لم يجامعها فيه ، فإن الطلاق فى الحيض أو الطهر الذى جامع فيه يدعى حرام وإن كان واقعا ، لما فيه من تطويل العدة عليها ؛ فإن فعل ذلك فليراجعها : طلق ابن عمر زوجته فى الحيض فقال صلى الله عليه وسلم لعمر : مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ، ثم إن شاء طلقها وإن شاء أمسكها ، فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء [5] » وإنما أمره بالصبر بعد الرجعة طهرين لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط (الثانى) أن يقتصر على طلقة واحدة فلا يجمع بين الثلاث ، لأن الطلقة الواحدة بعد العدة تفيد المقصود ويستفيد بها الرجعة إن ندم فى العدة وتجديد النكاح إن أراد بعد العدة ، وإذا طلق ثلاثا ربما ندم فيحتاج إلى أن يتزوجها محلل وإلى الصبر مدة ، وعقد المحلل منهى عنه ، ويكون هو الساعى فيه ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير وتطليقه ـ أعنى زوجة المحلل بعد أن زوج منه ـ ثم يورث ذلك تنفيرا من الزوجة ، وكل ذلك ثمرة الجمع ، وفى الواحدة

---

(١) حديث أسماء : ولدت عبدالله بن الزبير بقباء ثم أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه فى حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل فى فيه ... الحديث : متفق عليه . (٢) حديث ابن عمر : كانت تحتى امرأة أحبها وكان أبى يكرهها ، فأمرنى بطلاقها ... الحديث . رواه أصحاب السنن ، وقال الترمذى : حسن صحيح . (٣) حديث « أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة » وفى لفظ « فالجنة عليها حرام » رواه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث ثوبان . (٤) حديث « المختلعات هن المنافقات » رواه النسائى من حديث أبى هريرة وقال : لم يسمع الحسن من أبى هريرة . قال : ومع هذا لم أسمعه إلا من حديث أبى هريرة . قلت : رواه الطبرانى من حديث عقبة بن عامر بسند ضعيف .

(٥) حديث : طلق ابن عمر زوجته فى الحيض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر « مره فليراجعها ... الحديث » متفق عليه من حديث ابن عمر .

كفاية فى المقصود من غير محذور ، ولست أقول الجمع حرام ، لكنه مكروه بهذه المعانى ، وأعنى بالكراهة تركه النظر لنفسه . (الثالث) أن يتلطف فى التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف ، وتطييب قلبها بهدية على سبيل الإمتاع والجبر لما فجعها به من أذى الفراق . قال تعالى (ومتعوهن) وذلك واجب مهما لم يسم لها مهر فى أصل النكاح . كان الحسن بن على رضى الله عنهما مطلاقا ومنكاحا ، ووجه ذات يوم بعض أصحابه لطلاق امرأتين من نسائه وقال : قل لهما اعتدا ، وأمره أن يدفع إلى كل واحدة عشرة آلاف درهم ، ففعل ، فلما رجع إليه قال : ماذا فعلتا ؟ قال أما إحداهما فنكست رأسها وتنكست ، وأما الأخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول : متاع قليل من حبيب مفارق فأطرق الحسن وترحم لها وقال : لو كنت مراجعا امرأة بعد ما فارقتها لراجعتها ، ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ـ فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه ضربت المثل عائشة رضى الله عنها حيث قالت لولم أسر مسيرى ذلك لكان أحب إلى من أن يكون لى ستة عشرا ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : فدخل عليه الحسن فى بيته ، فعظمه عبد الرحمن وأجلسه فى مجلسه وقال : ألا أرسلت إلى فكنت أجيئك ، فقال : الحاجة لنا . قال : وما هى ؟ قال جئتك خاطبا ابنتك ، فأطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه وقال : والله ما على وجه الأرض أحد يمشى عليها أعز على منك ، ولكنك تعلم أن ابنتى بضعة منى يسوءنى ماساءها ويسرنى ما سرها ، وأنت مطلاق ، فأخاف أن تطلقها ، وإن فعلت خشيت أن يتغير قلبى فى محبتك وأكره أن يتغير قلبى عليك ، فأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن شرطت أن لا تطلقها زوجتك ، فسكت الحسن وقام وخرج وقال بعض أهل بيته . سمعته وهو يمشى ويقول : ما أراد عبد الرحمن إلا أن يجعل ابنته طوقا فى عنقى . وكان على رضى الله عنه يضجر من كثرة تطليقه ، فكان يعتذر منه على المنبر ويقول فى خطبته ، إن حسنا مطلاقا فلا تنكحوه ، حتى قام رجل من همدان فقال : والله يا أمير المؤمنين لننكحنه ما شاء ، فإن أحب أمسك وإن شاء ترك ، فسر ذلك عليا وقال :

لو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلى بسلام

وهذا تنبيه على أن من طعن فى حبيبه من أهل وولد بنوع حياء فلا ينبغى أن يوافق عليه ، فهذه الموافقة قبيحة ، بل الأدب المخالفة ما أمكن ، فإن ذلك أسر لقلبه وأوفق لباطن ذاته ، والقصد من هذا بيان أن الطلاق مباح ، وقد وعد الله الغنى فى الفراق والنكاح جميعا فقال (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) وقال سبحانه وتعالى (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته) . (الرابع) أن لا يفشى سرها لا فى الطلاق ولا عند النكاح ، فقد ورد فى إفشاء سر النساء فى الخبر الصحيح وعيد عظيم [1] . ويروى عن بعض الصالحين أنه أراد طلاق امرأة ، فقيل له : ما الذى يريبك فيها ؟ فقال : العاقل : لا يهتك ستر امرأته ، فلما طلقها قيل له . لم طلقتها ؟ فقال : مالى ولا مرأة غيرى , فهذا بيان ما على الزوج .

القسم الثانى من هذا الباب : النظر فى حقوق الزوج عليها

والقول الشافى فيه أن النكاح نوع رق ، فهى رقيقة له ، فعليها طاعة الزوج مطلقا فى كل ما طلب منها فى نفسها مما لا معصية فيه ، وقد ورد فى تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة : قال صلى الله عليه وسلم « أيما امرأة

(١) حديث الوعيد فى إفشاء سر المرأة . رواه مسلم من حديث أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أعظم الخيانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم يفشى سرها » .

ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة [١] » . « وكان رجل قد خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لاتنزل من العلو إل السفل وكان أبوها فى الأسفل ، فمرض فأرسلت المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن فى النزول إلى أبيها ، فقال صلى الله عليه وسلم « أطيعى زوجك » فمات فاستأمرته فقال « أطيعى زوجك » فدفن أبوها فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها يخبرها أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها [٢] ، وقال صلى الله عليه وسلم « إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها [٣] » وأضاف طاعة الزوج إلى مبانى الإسلام ؟ وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فقال « حاملات والدات مرضعات رحيمات بأولادهن لولا مايأتين إلى أزواجهن دخل مصلياتهن الجنة [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « اطلعت فى النار فإذا أكثر أهلها النساء ، فقلن : لم يا رسول الله ؟ قال يكثرن اللعن ويكفرن العشير [٥] » يعنى الزوج المعاشر . وفى خبر آخر « اطلعت فى الجنة فإذا أقل أهلها النساء ، فقلت : أين النساء ؟ قال : شغلهن الأحمران الذهب والزعفران [٦] » يعنى الحلى ومصبغات الثياب : وقالت عائشة رضى الله عنها : أتت فتاة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله إنى فتاة أخطب فأكره التزويج ، فما حق الزوج على المرأة ؟ قال « لو كان من فرقه إلى قدمه صديد فلحسته ماأدت شكره » قالت : أفلا أتزوج ؟ قال « بلى تزوجى فإنه خير [٧] » قال ابن عباس : « أتت امرأة من خثعم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : إنى امرأة أيم وأريد أن تزوج ، فما حق الزوج ؟ قال : إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها عن نفسها وهى على ظهر بعير لا تمنعه ، ومن حقه أن لاتعطى شيئا من بيته إلا بإذنه ، فإن فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له ، ومن حقه أن لاتصوم تطوعا إلا بإذنه ، فإن فعلت جاعت وعطشت ولم يتقبل منها ، وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع إلى بيته أو تتوب [٨] » وقال صلى الله عليه وسلم « لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها [٩] » . وقال صلى الله عليه وسلم « أقرب ماتكون المرأة من وجه ربها إذا كانت فى قعر بيتها ، وإن صلاتها فى صحن دارها أفضل من صلاتها فى المسجد ، وصلاتها فى بيتها أفضل من صلاتها فى صحن دارها ، وصلاتها

---

(١) حديث « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » أخرجه الترمذى وقال حسن غريب ، وابن ماجه من حديث أم سلمة .

(٢) حديث : كان رجل خرج الى سفر وعهد الى امرأته أن لاتنزل من العلو الى السفل وكان أبوها فى السفل فمرض ... الحديث ، أخرجه الطبراني فى الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف ، إلا أنه قال : غفر لأبيها . (٣) حديث « إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها ... الحديث » أخرجه ابن حبان من حديث أبى هريرة . (٤) حديث : ذكر النساء فقال « حاملات والدات مرضعات ... الحديث » أخرجه ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي أمامة دون قوله « مرضعات » وهى عند الطبرانى فى الصغير . (٥) حديث « اطلعت فى النار فإذا أكثر أهلها النساء ... الحديث » متفق عليه من حديث ابن عباس .

(٦) حديث « اطلعت فى الجنة فاذا أقل أهلها النساء ، فقلت : أين النساء؟ قال : شغلهن الأحمران الذهب والزعفران » أخرجه أحمد من حديث أبى أمامة بسند ضعيف ، وقال « الحرير » بدل « الزعفران » ولمسلم من حديث عزة الأشجعية « ويل للنساء من الأحمرين : الذهب والزعفران » وسنده ضعيف . (٧) حديث عائشة : أتت فتاة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : يانبى الله ، انى فتاة أخطب وانى أكره التزويج فما حق الزوج على المرأة ؟ الحديث ، أخرجه الحاكم وصحح إسناده من حديث أبى هريرة دون قوله « بلى فتزوجى فانه خير » ولم أره من حديث عائشة . (٨) حديث ابن عباس : أتت امرأة من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : انى امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج ؟ الحديث ، أخرجه البيهقى مقتصرا على شطر الحديث ، ورواه بتمامه من حديث ابن عمر وفيه ضعف . (٩) حديث « لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والولد لأبيه من عظم حقهما عليهما » أخرجه الترمذى وابن حبان من حديث أبى هريرة دون قوله « والولد لأبيه » فلم أرها وكذلك رواه أبو داود من حديث قيس بن سعد ، وابن ماجه من حديث عائشة ، وابن حبان من حديث ابن أبى أوفى .

فى مخدعها أفضل من صلاتها فى بيتها [١] » والمخدع : بيت فى بيت ، وذلك للستر ، ولذلك قال عليه السلام « المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان [٢] » وقال أيضا « للمرأة عشر عورات ، فإذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة ؛ فإذا ماتت ستر القبر العشر عورات [٣] » فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة ، وأهمها أمران ، أحدهما : الصيانة والستر . والآخر : ترك المطالبة بما وراء الحاجة ، والتعفف عن كسبه إذا كان حراما ، وهكذا كانت عادة النساء فى السلف : كان الرجل إذا خرج من منزله تقول له امرأته أو ابنته : إياك وكسب الحرام فإنا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار . وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره ، فقالوا لزوجته : لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة ؟ فقالت : زوجى منذ عرفته عرفته أكالا وما عرفته رزاقا ، ولى رب رزاق : يذهب الأكال ويبقى الرزاق . وخطبت رابعة بنت إسمعيل أحمد بن أبى الحوارى ، فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها : والله مالى همة فى النساء لشغلى بحالى ، فقالت : إنى لأشغل بحالى منك ومالى شهوة ، ولكن ورثت مالا جزيلا من زوجى فأردت أن تنفقه على إخوانك ، وأعرف بك الصالحين فيكون لى طريقا إلى الله عز وجل ، فقال : حتى استأذن أستاذى ، فرجع إلى ابى سليمان الدارانى ، قال : وكان ينهانى عن التزويج ويقول : ما تزوج أحد من أصحابنا إلا تغير ؛ فلما سمع كلامها قال : تزوج بها فإنها ولية لله ، هذا كلام الصديقين ، قال : فتزوجتها فكان فى منزلنا كن من جص ففنى من غسل أيدى المستعجلين للخروج بعد الأكل فضلا عمن غسل بالأشنان . قال : وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمنى الطيبات وتطيبنى وتقول : اذهب بنشاطك وقوتك إلى أزواجك ، وكانت رابعة هذه تشبه فى أهل الشام برابعة العدوية بالبصرة . ومن الواجبات عليها : أن لا تفرط فى ماله بل تحفظه عليه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام الذى يخاف فساده ، فإن أطعمت عن رضاه كان لها مثل أجره ، وإن أطعمت بغير إذنه كان له الأجر وعليها الوزر [٤] » ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن المعاشرة ، وآداب العشرة مع الزوج كما روى أن أسماء بنت خارجة الفزارى قالت لابنتها عند التزوج إنك خرجت من العش الذى فيه درجت فصرت إلى فراش لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكونى له أرضا يكن لك سماء وكونى له مهادا يكن لك عماداً وكونى له أمة يكن لك عبداً ، لا تلحفى به فيقلاك ولا تباعدى عنه فينساك إن دنا منك فاقربى منه ، وإن نأى فأبعدى عنه ، واحفظى أنفه وسمعه وعينه ، فلا يشمن منك إلا طيبا ، ولا يسمع إلا حسنا ، ولا ينظر إلا جميلا . وقال رجل لزوجته :

خذى العفو منى تستديمى مودتى ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب

---

(١) حديث « أقرب ما يكون المرأة من ربها إذا كانت فى قعر بيتها فان صلاتها فى صحن دارها أفضل من صلاتها فى المسجد ... الحديث » أخرجه ابن حبان من حديث ابن مسعود بأول الحديث دون آخره ، وآخره رواه أبو داود مختصراً من حديثه دون ذكر صحن الدار . ورواه البيهقى من حديث عائشة بلفظ « ولأن تصلى فى الدار خيرلها من أن تصلى فى المسجد » وإسناده حسن ؛ ولابن حبان من حديث أم حميد نحوه . (٢) حديث « المرأة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان » رواه الترمذى وقال حسن صحيح وابن حبان من حديث ابن مسعود . (٣) حديث « للمرأة عشر عورات فإذا تزوجت ستر الزوج عورة ... الحديث » أخرجه الحافظ أبوبكر محمد بن عمر الجعابى فى تاريخ الطالبيين من حديث على بسند ضعيف وللطبرانى فى الصغير من حديث ابن عباس « للمرأة ستران . قيل : وماهما ؟ قال : الزوج والقبر » . (٤) حديث « لايحل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام ... الحديث » أخرجه أبو داود الطيالسى والبيهقى من حديث ابن عمر فى حديث فيه « ولاتعطى من بيته شيئاً إلا باذنه ؛ فان فعلت ذلك كان له الأجر وعليها الوزر » ولأبى داود من حديث سعد : قالت امرأة يارسول الله ، إنا كل على آبائنا وأبنائنا وأزواجنا ، فما يحل لنا من أموالهم ؟ قال « الرطب تأكلنه وتهدينه » وصحح الدارقطنى فى العلل أن سعداً هذا رجل من الأنصار ليس ابن أبى وقاص ، واختاره ابن القطان ، ولمسلم من حديث عائشة « إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ، ولزوجها أجره بما كسب » .

ولا تنقرينى نقرك الدف مرة فإنك لا تدرين كيف المغيب
ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالهوى ويأباك قلبى والقلوب تقلب
فإنى رأيت الحب فى القلب والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

فالقول الجامع فى آداب المرأة من غير تطويل : أن تكون قاعدة فى قعر بيتها لازمة لمغزلها ، لا يكثر صعودها واطلاعها ، قليلة الكلام لجيرانها ، لا تدخل عليهم إلا فى حال يوجب الدخول ، تحفظ بعلها فى غيبته ، وتطلب مسرته فى جميع أمورها ، ولا تخونه فى نفسها وماله ، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه ، فإن خرجت بإذنه فمختفية فى هيئة رثة ، تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق ، محترزة من أن يسمع غريب صوتها أو يعرفها بشخصها لا تتعرف إلى صديق بعلها فى حاجاتها ، بل تتنكر على من تظن أنه يعرفها أو تعرفه ، همها صلاح شأنها وتدبير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها ، وإذا استأذن صديق لبعلها على الباب وليس البعل حاضرا لم تستفهم ولم تعاوده فى الكلام غيرة على نفسها وبعلها ، وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله ، وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائر أقاربها ، متنظفة فى نفسها مستعدة فى الأحوال كلها للتمتع بها إن شاء ، مشفقة على أولادها ، حافظة للستر عليهم ، قصيرة اللسان عن سب الأولاد ومراجعة الزوج . وقد قال صلى الله عليه وسلم « أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين فى الجنة : امرأة آمت من زوجها وحبست نفسها على بناتها حتى ثابوا أو ماتوا [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « حرم الله على كل آدمى الجنة يدخلها قبلى ، غير أنى أنظر عن يمينى فإذا امرأة تبادرنى إلى باب الجنة فأقول : ما لهذه تبادرنى ؟ فيقال لى : يا محمد ، هذه امرأة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها ، فصبرت عليهن حتى بلغ أمرهن الذى بلغ فشكر الله لها ذلك [2] » ومن آدابها : أن لا تتفاخر على الزوج بجمالها ولا تزدرى زوجها لقبحه ، فقد روى أن الأصمعى قال : دخلت البادية فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجها تحت رجل من أقبح الناس وجها ، فقلت لها : يا هذه أترضين لنفسك أن تكونى تحت مثله ؟ فقالت : يا هذا اسكت فقد اسأت فى قولك ، لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه فجعلنى ثوابه ، أو لعلى أسأت فيما بينى وبين خالقى فجعله عقوبتى ، أفلا أرضى بما رضى الله لى فأسكتتنى . وقال الأصمعى : رأيت فى البادية امرأة عليها قميص أحمر وهى مختضبة وبيدها سبحة ، فقلت : ما أبعد هذا من هذا ؟ فقالت :

ولله منى جانب لا أضيعه وللهو منى والبطالة جانب

فعلمت أنها امرأة صالحة لها زوج تتزين له . ومن آداب المرأة ملازمة الصلاح والانقباض فى غيبة زوجها والرجوع إلى اللعب والانبساط وأسباب اللذة فى حضور زوجها ، ولا ينبغى أن تؤذى زوجها بحال . روى عن معاذ ابن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله ، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا [3] » ومما يجب عليها من حقوق النكاح إذا مات عنها زوجها أن لا تحد عليه أكثر من أربعة أشهر وعشر وتتجنب الطيب والزينة فى هذه المدة ، قالت زينب بنت أبى سلمة : دخلت على أم حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم حين توفى أبوها أبو سفيان بن حرب ،

---

(١) حديث « أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين .. الحديث » رواه أبو داود من حديث أبى مالك الأشجعى بسند ضعيف .
(٢) حديث « حرم الله على كل آدمى الجنة أن يدخل قبلى غير أنى أنظر عن يمينى فاذا امرأة تبادرنى إلى باب الجنة » رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث أبى هريرة بسند ضعيف . (٣) حديث معاذ « لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه .. الحديث » رواه الترمذى وقال حسن غريب ، وابن ماجه .

فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره ، فدهنت به جارية ، ثم مست بعارضيها ، ثم قالت : والله مالى بالطيب من حاجة غير أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً [1] » ويلزمها لزوم مسكن النكاح إلى آخر العدة ، وليس لها الانتقال إلى أهلها ولا الخروج إلا لضرورة . ومن آدابها : أن تقوم بكل خدمة فى الدار تقدر عليها ، فقد روى عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما أنها قالت : تزوجنى الزبير وماله فى الأرض من مال ولا مملوك ولا شىء غير فرسه وناضحه فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه وأدق النوى لناضحه وأعلفه وأستقى الماء وأخرز غربه وأعجن ، وكنت أنقل النوى على رأسى من ثلثى فرسخ حتى أرسل إلى أبو بكر بجارية فكفتنى سياسة الفرس فكأنما أعتقنى [2]. ونقبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ومعه أصحابه والنوى على رأسى فقال صلى الله عليه وسلم « أخ أخ » لينيخ ناقته ويحملنى خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال ، وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس ، فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى قد استحييت ، فجئت الزبير فحكيت له ما جرى ، فقال : والله لحملك النوى على رأسك أشد على من ركوبك معه .

تم كتاب آداب النكاح بحمد الله ومنه وصلى الله على كل عبد مصطفى

كتاب آداب الكسب والمعاش

وهو الكتاب الثالث من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله حمد موحد انمحق فى توحيده ما سوى الواحد الحق وتلاشر . ونمجده تمجيد من يصرح بأن كل شىء ما سوى الله باطل ولا يتحاشى . وأن كل من فى السموات والأرض لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ولا فراشا . ونشكره إذ رفع السماء لعباده سقفا مبنيا ، ومهد الأرض بساطا لهم وفراشا . وكور الليل على النهار فجعل الليل لباسا والنهار معاشا . لينتشروا فى ابتغاء فضله وينتعشوا به عن ضراعة الحاجات انتعاشا ، ونصلى على رسوله الذى يصدر المؤمنون عن حوضه رواء بعد ورودهم عليه عطاشا . وعلى آله وأصحابه الذين لم يدعوا فى نصرة دينه تشمرا وانكماشا . وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد : فإن رب الأرباب ومسبب الأسباب . جعل الآخرة دار الثواب والعقاب ، والدنيا دار التحمل والاضطراب . والتشمر والاكتساب . وليس التشمر فى الدنيا مقصوراً على المعاد دون المعاش ، بل المعاش ذريعة إلى المعاد ومعين عليه ، فالدنيا مزرعة الآخرة ومدرجة إليها . والناس ثلاثة : رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الفائزين ، والأقرب إلى الاعتدال هو الثالث الذى شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين . ولن ينال رتبة

---

(١) حديث أم حبيبة « لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا » متفق عليه . (٢) حديث أسماء « تزوجنى الزبير وماله فى الأرض من مال ولا مملوك ولا شىء غير فرس وناضح ، فكنت أعلف فرسه ... الحديث » متفق عليه .

الاقتصاد من لم يلازم فى طلب المعيشة منهج السداد ، ولن ينتهض من طلب الدنيا وسيلة إلى الآخرة وذريعة ، مالم يتأدب فى طلبها بآداب الشريعة وها نحن نورد آداب التجارات والصناعات وضروب الاكتسابات وسننها ونشرحها فى خمسة أبواب (الباب الأول) فضل الكسب والحث عليه (الباب الثانى) فى علم صحيح البيع والشراء والمعاملات (الباب الثالث) فى بيان العدل فى المعاملة (الباب الرابع) فى بيان الإحسان فيها (الباب الخامس) فى شفقه التاجر على نفسه ودينه .

الباب الأول : فى فضل الكسب والحث عليه

أما من الكتاب فقوله تعالى ﴿ وجعلنا النهار معاشا ﴾ فذكره فى معرض الامتنان . وقال تعالى ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ﴾ فجعلها ربك نعمة وطلب الشكر عليها . وقال تعالى ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ﴾ وقال تعالى ﴿ وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله ﴾ وقال تعالى ﴿ فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ وأما الأخبار ؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهم فى طلب المعيشة [1] » وقال عليه الصلاة والسلام « التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسئلة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقى الله ووجهه كالقمر ليلة البدر [3] » وكان صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر يسعى ، فقالوا : ويح هذا ، لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله ؛ فقال صلى الله عليه وسلم « لا تقولوا هذا ، فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو فى سبيل الله ! وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو فى سبيل الله ، وإن كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو فى سبيل الشيطان [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغنى بها عن الناس ، ويبغض العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة [5] » وفى الخبر « إن الله تعالى يحب المؤمن المحترف [6] » وقال صلى الله عليه وسلم (أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور [7])

كتاب آداب الكسب : الباب الأول فى فضل الكسب والحث عليه

(١) حديث « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهم فى طلب المعيشة » تقدم فى النكاح . (٢) حديث « التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء » أخرجه الترمذى والحاكم من حديث أبى سعيد . قال الترمذى : حسن ، وقال الحاكم : إنه من مراسيل الحسن ، ولابن ماجه والحاكم نحوه من حديث ابن عمر . (٣) حديث « من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسألة وسعياً على عياله ... الحديث » أخرجه أبو الشيخ فى كتاب الثواب ، وأبو نعيم فى الحلية . والبيهقى فى شعب الإيمان من حديث أبى هريرة بسند ضعيف . (٤) حديث : كان صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظر الى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر يسعى ، فقالوا : ويح هذا ، لو كان جلده فى سبيل الله ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى معاجمه الثلاثة من حديث كعب بن عجرة بسند ضعيف . (٥) حديث « ان الله يحب العبد يتخذ المهنة يستغنى بها عن الناس ... الحديث » لم أجده هكذا ، وروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على « ان الله يحب أن يرى عبده تعباً فى طلب الحلال » وفيه محمد بن سهل العطار قال الدارقطنى : يضع الحديث . (٦) حديث « ان الله يحب المؤمن المحترف » أخرجه الطبرانى وابن عدى وضعفه من حديث ابن عمر . (٧) حديث « أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور » أخرجه أحمد من حديث رافع بن خديج ، قيل : يارسول الله أى الكسب أطيب ؟ قال : عمل الرجل بيده وكل عمل مبرور . ورواه البزار والحاكم من رواية سعيد بن عمير عن عمه . قال الحاكم : صحيح الإسناد ، قال : وذكر يحيى بن معين أن عم سعيد : البراء بن عازب . ورواه البيهقى من رواية سعيد بن عمير مرسلا ، وقال : هذا هو المحفوظ ، وخطأ قول من قال عن عمه ، وحكاه عن البخارى ، ورواه أحمد والحاكم من رواية جميع ابن عمير عن خاله أبى بردة ، وجميع ضعيف والله أعلم .

وفى خبر آخر (أحل ما أكل العبد كسب يد الصانع إذا نصح [١]) وقال عليه الصلاة السلام (عليكم بالتجارة فإنّ فيها تسعة أعشار الرزق [٢]) وروى أنّ عيسى عليه السلام رأى رجلا فقال : ما تصنع ؟ قال : أتعبد . قال : من يعولك ؟ قال أخى . قال : أخوك أعبد منك . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم (إنى لا أعلم شيئا يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار إلا أمرتكم به ، وإنى لا أعلم شيئا يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار إلا نهيتكم عنه ، وإن الروح الأمين نفث فى روعى : إنّ نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها وإن أبطأ عنها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب) أمر بالإجمال فى الطلب ولم يقل اتركوا الطلب ، ثم قال فى آخره (ولا يحملنكم استبطاء شىء من الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله تعالى ، فإنّ الله لا ينال ما عنده بمعصيته [٣]) وقال صلى الله عليه وسلم (الأسواق موائد الله تعالى ، فمن أتاها أصاب منها [٤]) وقال عليه السلام (لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يأتى رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه [٥]) وقال (من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر [٦]) . وأما الآثار ، فقد قال لقمان الحكيم لابنه : يا بنى ، استغن بالكسب الحلال عن الفقر ، فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال : رقة فى دينه ، وضعف فى عقله ، وذهاب مروءته ، وأعظم من هذه الثلاث : استخفاف الناس به . وقال عمر رضى الله عنه : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق يقول اللهم ارزقنى ، فقد علمتم أنّ السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة . وكان زيد بن مسلمة يغرس فى أرضه فقال له عمر رضى الله عنه : أصبت ، استغن عن الناس يكن أصون لدينك وأكرم لك عليهم ، كما قال صاحبكم أحيحة :

فلن أزال على الزوراء أغمرها إن الكريم على الإخوان ذو المال

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : إنى لأكره أن أرى الرجل فارغا لا فى أمر دنياه ولا فى أمر آخرته . وسئل إبراهيم عن التاجر الصدوق ، أهو أحب إليك أم المتفرغ للعبادة ؟ قال التاجر الصدوق أحب إلى لأنه فى جهاد يأتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل الأخذ والعطاء فيجاهده ، وخالفه الحسن البصرى فى هذا . وقال عمر رضى الله عنه : ما من موضع يأتينى الموت فيه أحب إلى من موطن أتسوّق فيه لأهلى أبيع وأشترى . وقال الهيثم : ربما يبلغنى عن الرجل يقع فى فأذكر استغنائى عنه فيهون ذلك على . وقال أيوب : كسب فيه شىء أحب إلى من سؤال الناس . وجاءت ريح عاصفة فى البحر ، فقال أهل السفينة لإبراهيم بن أدهم رحمه الله وكان معهم فيها : أما ترى هذه الشدّة ؟ فقال : ما هذه الشدّة ، وإنما الشدّة الحاجة إلى الناس . وقال أيوب قال لى أبو قلابة : الزم السوق فإنّ الغنى من العافية ، يعنى الغنى عن الناس . وقيل لأحمد : ما تقول فيمن جلس فى بيته

---

(١) حديث « أحل ما أكل العبد كسب الصانع اذا نصح » رواه أحمد من حديث أبى هريرة « خير الكسب كسب العامل اذا نصح » واسناده حسن . (٢) حديث « عليكم بالتجارة فان فيها تسعة أعشار الرزق » رواه ابراهيم الحربى فى غريب الحديث من حديث نعيم بن عبد الرحمن « تسعة أعشار الرزق فى التجارة » ورجاله ثقات ، ونعيم هذا قال فيه ابن مده : ذكر فى الصحابة ولا يصح . وقال أبو حاتم الرازى وابن حبان : انه تابعى فالحديث مرسل . (٣) حديث « انى لا أعلم شيئاً يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار إلا نهيتكم عنه فإن الروح الأمين نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها ... الحديث » رواه ابن أبى الدنيا فى القناعة ، والحاكم من حديث ابن مسعود وذكره شاهداً لحديث أبى حميد وجابر وصححهما على شرط الشيخين ، وهما مختصران ، ورواه البيهقى فى شعب الإيمان وقال : إنه منقطع . (٤) حديث « الأسواق موائد الله فمن أتاها أصاب منها » رويناه فى الطيوريات من قول الحسن البصرى ، ولم أجده مرفوعا . (٥) حديث « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتى رجلا ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة . (٦) حديث « من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر » رواه الترمذى من حديث أبى كبشة الأنمارى « ولا فتح عبد باب مسئلة إلا فتح الله عليه باب فقر » أو كلمة نحوها ، وقال : حسن صحيح .

أو مسجده وقال لاأعمل شيئا حتى يأتيني رزقي ؟ فقال أحمد : هذا رجل جهل العلم ، أما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم « إنّ الله جعل رزقي تحت ظل رمحي [1] » وقوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال « تغدو خماصا وتروح بطانا [2] » فذكر أنها تغدو في طلب الرزق ، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم والقدوة بهم . وقال أبو قلابة لرجل : لأن أراك تطلب معاشك أحب إلي من أن أراك في زاوية المسجد . وروى أنّ الأوزاعي لقي إبراهيم بن أدهم رحمهم الله وعلى عنقه حزمة حطب ؛ فقال له : ياأباأسحق إلى متى هذا ؟ إخوانك يكفونك ؛ فقال : دعني عن هذا ياأباعمرو ، فإنه بلغني أنه من وقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة . وقال أبو سليمان الداراني : ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يقوت لك ؟ ولكن ابدأ برغيفيك فأحرزهما ثم تعبد . وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه . ينادي مناد يوم القيامة : أين بغضاء الله في أرضه ؛ فيقوم سؤال المساجد ، فهذه مذمة الشرع للسؤال والاتكال على كفاية الأغيار . ومن ليس له مال موروث فلا ينجيه من ذلك إلا الكسب والتجارة .

فإن قلت : فقد قال صلى الله عليه وسلم « ماأوحى إلي أن اجمع المال وكن من التاجرين ، ولكن أوحى إلي أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين [3] » وقيل لسلمان الفارسي . أوصنا ؛ فقال: من استطاع منكم أن يموت حاجا أو غازيا أو عامراً لمسجد ربه فليفعل ، ولا يموتن تاجرا ولا خائنا » فالجواب : أن وجه الجمع بين هذه الأخبار تفصيل الأحوال ؛ فنقول : لسنا نقول التجارة أفضل مطلقا من كل شيء ، ولكن التجارة إما أن تطلب بها الكفاية أو الثروة أو الزيادة على الكفاية ؛ فإن طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادخاره لاليصرف إلى الخيرات والصدقات فهي مذمومة ، لأنه إقبال على الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة ، فإن كان مع ذلك ظالما خائنا فهو ظلم وفسق ، وهذا ماأراده سلمان بقوله ؛ لاتمت تاجرا ولاخائنا ، وأراد بالتاجر: طالب الزيادة ، فأما إذا طلب بها الكفاية لنفسه وأولاده وكان يقدر على كفايتهم بالسؤال فالتجارة تعففا عن السؤال أفضل ، وإن كان لايحتاج إلى السؤال وكان يعطى عن غير سؤال فالكسب أفضل ، لأنه إنما يعطى لأنه سائل بلسان حاله ومناد بين الناس بفقره ، فالتعفف والتستر أوفى من البطالة ، بل من الاشتغال بالعبادات البدنية وترك الكسب أفضل لأربعة : عابد بالعبادات البدنية ؛ أو رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الأحوال والمكاشفات ، أو عالم مشتغل بتربية علم الظاهر مما ينتفع الناس به في دينهم كالمفتي والمفسر والمحدث وأمثالهم ، أو رجل مشتغل بمصالح المسلمين وقد تكفل بأمورهم كالسلطان والقاضي والشاهد ، فهؤلاء إذا كانوا يكفون من الأموال المرصدة للمصالح أو الأوقاف المسبلة على الفقراء أو العلماء . فإقبالهم على ماهم فيه أفضل من اشتغالهم بالكسب ، ولهذا أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح إليه أن كن من التاجرين لأنه كان جامعا لهذه المعاني الأربعة إلى زيادات لايحيط بها الوصف ، ولهذا أشار الصحابة على أبي بكر رضي الله عنهم بترك التجارة لما ولي الخلافة إذ كان ذلك يشغله عن المصالح ، وكان يأخذ كفايته من مال المصالح : ورأى ذلك أولى ثم لما توفي أوصى برده إلى بيت المال ، ولكنه رآه في الابتداء أولى ، ولهؤلاء الأربعة حالتان أخريان : (أحداهما)

---

(١) حديث « إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي » رواه أحمد من حديث ابن عمر « جعل رزقي تحت ظل رمحي » واسناده صحيح . (٢) حديث : ذكر الطير فقال « تغدو خماصا وتروح بطانا » أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذي : حسن صحيح . (٣) حديث « ماأوحى الى أن اجمع المال وكن من التاجرين ، ولكن أوحى الى أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين » رواه ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند فيه لين .

أن تكون كفايتهم عند ترك المكسب من أيدى الناس وما يتصدق به عليهم من زكاة أو صدقة من غير حاجة إلى سؤال ، فترك الكسب والاشتغال بما هم فيه أولى ، إذ فيه إعانة الناس على الخيرات وقبول منهم لما هو حق عليهم وأفضل لهم . (الحالة الثانية) الحاجة إلى السؤال ، وهذا فى محل النظر ، والتشديدات التى رويناها فى السؤال وذمه تدل ظاهرا على أن التعفف عن السؤال أولى وإطلاق القول فيه من غير ملاحظة الأحوال والأشخاص عسير ، بل هو موكول إلى اجتهاد العبد ونظره لنفسه بأن يقابل مايلقى فى السؤال من المذلة وهتك المروءة والحاجة إلى التثقيل والإلحاح بما يحصل من اشتغاله بالعلم والعمل من الفائدة له ولغيره ، فرب شخص تكثر فائدة الخلق وفائدته فى اشتغاله بالعلم أو العمل ، ويهون عليه بأدنى تعريض فى السؤال تحصيل الكفاية ، وربما يكون بالعكس ، وربما يتقابل المطلوب والمحذور ، فينبغى أن يستفتى المريد فيه قلبه وإن أفتاه المفتون ، فإن الفتاوى لا تحيط بتفاصيل الصور ودقائق الأحوال ولقد كان فى السلف من له ثلثمائة وستون صديقا ينزل على كل واحد منهم ليلة ومنهم من له ثلاثون ، وكانوا يشتغلون بالعبادة لعلمهم بأن المتكلفين بهم يتقلدون منة من قبولهم لمبراتهم ، فكان قبولهم لمبراتهم خيرا مضافا لهم إلى عباداتهم ، فينبغى أن يدقق النظر فى هذه الأمور فإن أجر الآخذ كأجر المعطى مهما كان الآخذ يستعين به على الدين والمعطى يعطيه عن طيب قلب . ومن اطلع على هذه المعانى أمكنه أن يتعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه ماهو الأفضل له بالإضافة إلى حاله ووقته ، فهذه فضيلة الكسب ، وليكن العقد الذى به الاكتساب جامعا لأربعة أمور : الصحة ، والعدل ، والإحسان ، والشفقة على الدين . ونحن نعقد فى كل واحد بابا ، ونبتدئ بذكر أسباب الصحة فى الباب الثانى .

الباب الثانى فى علم الكسب بطريق البيع والربا والسلم والإجارة والقراض والشركة
وبيان شروط الشرع فى صحة هذه التصرفات التى هى مدار المكاسب فى الشرع

اعلم أن تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مسلم مكتسب ، لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ، وإنما هو طلب العلم المحتاج إليه ، والمكتسب يحتاج إلى علم الكسب ، ومهما حصل علم هذا الباب وقف على مفسدات المعاملة فيتقيها ، وما شذ عنه من الفروع المشكلة فيقع على سبب إشكالها فيتوقف فيها إلى أن يسأل ، فإنه إذا لم يعلم أسباب الفساد بعلم جملى فلا يدرى متى يجب عليه التوقف والسؤال ، ولو قال لا أقدم العلم ولكنى أصبر إلى أن تقع لى الواقعة فعندها أتعلم وأستفتى ، فيقال له : وبم تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم جمل مفسدات العقود ، فإنه يستمر فى التصرفات ويظنها صحيحة مباحة ، فلا بد له من هذا القدر من علم التجارة ليتميز له المباح عن المحظور ، وموضع الإشكال عن موضع الوضوح : ولذلك روى عن عمر رضى الله عنه أنه كان يطوف السوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول : لا يبيع فى سوقنا إلا من يفقه ، وإلا أكل الرباشاء أم أبى ، وعلم العقود كثير ولكن هذه العقود الستة لا تنفك المكاسب عنها : وهى البيع والربا والسلم والإجارة والشركة والقراض ، فلنشرح شروطها :

العقد الأول : البيع

وقد أحله الله تعالى وله ثلاثة أركان : العاقد . والمعقود عليه ، واللفظ .

الركن الأول : العاقد ، ينبغى للتاجر أن لا يعامل بالبيع أربعة : الصبى ، والمجنون ، والعبد ، والأعمى ، لأن الصبى غير مكلف ، وكذا المجنون ، وبيعهما باطل ، فلا يصح بيع الصبى وإن أذن له فيه الولى عند الشافعى ، وما أخذه منهما مضمون عليه لهما

وماسلمه فى المعاملة إليهما فضاع فى أيديهما فهو المضيع له . وأماالعبد العاقل فلا يصح بيعه وشراؤه إلا باذن سيده فعلى البقال والخباز والقصاب وغيرهم أن لايعاملوا العبيد مالم تأذن لهم السادة فى معاملتهم ، وذلك بأن يسمعه صريحا أو ينتشر فى البلد أنه مأذون له فى الشراء لسيده وفى البيع له ، فيعوّل على الاستفاضة أوعلى قول عدل يخبره بذلك ، فإن عامله بغير إذن السيد فعقده باطل ، وما أخذه منه مضمون عليه لسيده ، وماتسلمه إن ضاع فى يد العبد لايتعلق برقبته ولايضمنه سيده ، بل ليس له إلا المطالبة إذا عتق . وأماالأعمى فإنه يبيع ويشترى مالايرى فلايصح ذلك ، فليأمره بأن يوكل وكيلا بصيرا ليشترى له أويبيع ، فيصح توكيله ويصح بيع وكيله ، فإن عامله التاجر بنفسه فالمعاملة فاسدة ، وما أخذه منه مضمون عليه بقيمته . وما سلمه إليه أيضا مضمون له بقيمته . وأما الكافر فتجوز معاملته لكن لا يباع منه المصحف ولا العبد المسلم ، ولا يباع منه السلاح إن كان من أهل الحرب ، فإن فعل فهى معاملات مردودة وهو عاص بها ربه . وأما الجندية من الأتراك والتركمانية والعرب والأكراد والسراق والخونة وأكلة الربا والظلمة وكل من أكثر ماله حرام ، فلا ينبغى أن يتملك مما فى أيديهم شيئا لأجل أنها حرام إلا إذا عرف شيئا بعينه أنه حلال ، وسيأتى تفصيل ذلك فى كتاب الحلال والحرام .

الركن الثانى فى المعقود عليه : وهو المال المقصود نقله من أحد العاقدين إلى الآخر ثمنا كان أومثمنا فيعتبر فيه ستة شروط . (الأول) أن لايكون نجسا فى عينه فلايصح بيع كلب وخنزير ، ولا بيع زبل وعذرة ، ولا بيع العاج والأوانى المتخذة منه ، فإنّ العظم ينجس بالموت ، ولايطهر الفيل بالذبح ، ولايطهر عظمه بالتذكية ، ولايجوز بيع الخمر ولا بيع الودك النجس المستخرج من الحيوانات التى لاتؤكل ، وإن كان يصلح للاستصباح أوطلاء السفن ، ولابأس ببيع الدهن الطاهر فى عينه الذى نجس بوقوع نجاسة أو موت فأرة فيه ، فإنه يجوز الانتفاع به فى غير الأكل ، وهو فى عينه ليس بنجس ، وكذلك لاأرى بأساً ببيع بزر القز ، فإنه أصل حيوان ينتفع به ، وتشبيهه بالبيض وهو أصل حيوان أولى من تشبيهه بالروث . ويجوز بيع فأرة المسك ويقضى بطهارتها إذا انفصلت من الظبية فى حالة الحياة . (الثانى) أن يكون منتفعا به فلا يجوز بيع الحشرات ولا الفأرة ولا الحية ، ولا التفات إلى انتفاع المشعبذ بالحية ، وكذا لاالتفات إلى انتفاع أصحاب الحلق بإخراجها من السلة وعرضها على الناس ، ويجوز بيع الهرّة والنحل وبيع الفهد والأسد وما يصلح لصيد أو ينتفع بجلده ، ويجوز بيع الفيل لأجل الحمل ، ويجوز بيع الطوطى وهى الببغاء والطاوس والطيور المليحة الصور وإن كانت لاتؤكل ، فإن التفرّج بأصواتها والنظر إليها غرض مقصود مباح ، وإنما الكلب هو الذى لايجوز أن يقتنى إعجابا بصورته لنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه [1] . ولا يجوز بيع العود والصنج والمزامير والملاهى فإنه لامنفعة لها شرعا ، وكذا بيع الصور المصنوعة من الطين كالحيوانات التى تباع فى الأعياد للعب الصبيان فان كسرها واجب شرعا ، وصور الأشجار متسامح بها ، وأما الثياب والأطباق وعليها صور الحيوانات فيصح بيعها وكذا الستور ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها « اتخذى منها نمارق [2] » ولايجوز استعمالها منصوبة ، ويجوز موضوعة ، وإذا جاز الانتفاع من وجه صح البيع لذلك الوجه . (الثالث) أن يكون المتصرف فيه مملوكا للعاقد أو مأذونا من جهة المالك ، ولا يجوز أن يشترى من غير المالك انتظارا للإذن من المالك ، بل لو رضى بعد ذلك وجب استئناف العقد ، ولا ينبغى أن يشترى من الزوجة مال

الباب الثانى : فى علم الكسب

(١) حديث : النهى عن اقتناء الكلب : متفق عليه من حديث ابن عمر « من اقتنى كلبا إلا كلب ماشية أوضاريا نقص من عمله كل يوم قيراطان» . (٢) حديث « اتخذى منها نمارق » يقوله لعائشة : متفق عليه من حديثها .

الزوج ولا من الزوج مال الزوجة ، ولا من الوالد مال الولد ولا من الولد مال الوالد . اعتمادا على أنه لو عرف لرضى ، فإنه إذا لم يكن الرضا متقدماً لم يصح البيع ، وامثال ذلك مما يجرى فى الأسواق ؛ فواجب على العبد المتدين أن يحترز منه . (الرابع) أن يكون المعقود عليه مقدورا على تسليمه شرعا وحسا ؛ فما لا يقدر على تسليمه حسا لايصح بيعه كالآبق والسمك فى الماء والجنين فى البطن وعسب الفحل : وكذلك بيع الصوف على ظهر الحيوان ، واللبن فى الضرع لايجوز ، فإنه يتعذر تسليمه لاختلاط غير المبيع بالمبيع ، والمعجوز عن تسليمه شرعا كالمرهون والموقوف ، والمستولدة فلايصح بيعهاأيضا ، وكذا بيع الأم دون الولد إذا كان الولدصغيرا ، وكذا بيع الولد دون الأم ؛ لأنّ تسليمه تفريق بينهما وحرام ، فلايصح التفريق بينهما بالبيع . (الخامس) أن يكون المبيع معلوم العين والقدر والوصف ، أماالعلم بالعين فبأن يشير إليه بعينه ، فلوقال : بعتك شاةمن هذا القطيع أى شاة أردت ، أوثوبا من هذه الثياب التى بين يديك ، أو ذراعا من هذا الكرباس ، وخذه من أى جانب شئت ، أوعشرة أذرع من هذه الأرض ، وخذه من أى طرف شئت ، فالبيع باطل ، وكل ذلك مما يعتاده المتساهلون فى الدين إلاأن يبيع شائعا ، مثل أن يبيع نصف الشىء أوعشره ، فإنّ ذلك جائز . وأماالعلم بالقدرفإنما يحصل بالكيل أوالوزن أوالنظر إليه ، فلو قال بعتك هذا الثوب بما باع به فلان ثوبه وهما لايدريان ذلك فهو باطل ، ولو قال : بعتك بزنة هذه الصنجة فهو باطل ، إذا لم تكن الصنجة معلومة ، ولو قال : بعتك هذه الصبرة من الحنطة فهو باطل : أو قال : بعتك بهذه الصرة من الدراهم أو بهذه القطعة من الذهب وهو يراها . صح البيع وكان تخمينه بالنظر كافيا فى معرفة المقدار . وأماالعلم بالوصف فيحصل بالرؤية فى الأعيان ، ولا يصح بيع الغائب إلا إذا سبقت رؤيته مذ مدّة لايغلب التغير فيها ، والوصف لايقوم مقام العيان . هذا أحد المذهبين ، ولايجوز بيع الثوب فى المنسج اعتمادا على الرقوم ، ولا بيع الحنطة فى سنبلها ، ويجوز بيع الأرز فى قشرته التى يدخر فيها ، وكذا بيع الجوز واللوز فى القشرة السفلى ، ولايجوز فى القشرتين ، ويجوز بيع الباقلاء الرطب فى قشرته للحاجة ، ويتسامح ببيع الفقاع لجريان عادة الأولين به ولكن نجعله إباحة بعوض ، فإن اشتراه ليبيعه فالقياس بطلانه لأنه ليس مستترا ستر خلقة ، ولايبعد أن يتسامح به ، إذفى إخراجه إفساده كالرمان وما يستر بستر خلق معه . (السادس) أن يكون المبيع مقبوضا إن كان قد استفاد ملكه بمعاوضة ، وهذا شرط خاص ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع مالم يقبض [1] ويستوى فيه العقار والمنقول ، فكل مااشتراه أوباعه قبل القبض فبيعه باطل ، وقبض المنقول بالنقل ، وقبض العقار بالتخلية ، وقبض ماابتاعه بشرط الكيل لايتم إلا بأن يكتاله ، وأما بيع الميراث والوصية والوديعة ومالم يكن الملك حاصلا فيه بمعاوضة ، فهو جائز قبل القبض .

الركن الثالث : لفظ العقد ، فلا بدمن جريان إيجاب وقبول متصل به بلفظ دال على المقصود ، مفهم إماصريح أوكناية ، فلوقال : أعطيتك هذا بذاك ، بدل قوله : بعتك ، فقال : قبلته ، جاز مهما قصدا به البيع ، لأنه قديحتمل الإعارة إذا كان فى ثوبين أودابتين ، والنية تدفع الاحتمال ، والصريح أقطع للخصومة ، ولكن الكناية تفيد الملك أيضا والحل فيما يختاره ، ولاينبغى أن يقرر بالبيع شرطا على خلاف مقتضى العقدة ، فلوشرط أن يزيد شيئا آخر ، وأن يحمل المبيع إلى داره ، أواشترى الحطب بشرط النقل إلى داره : كل ذلك فاسد إلاإذا أفرد استئجاره على النقل بأجرة معلومة منفردة عن الشراء للمنقول ، ومهما لم يجر بينهما إلا المعاطاة بالفعل دون التلطف باللسان لم ينعقد البيع

(١) حديث النهى عن بيع مالم يقبض : متفق عليه من حديث ابن عباس .

عندالشافعى أصلا ، وانعقد عند أبى حنيفة إن كان فى المحقرات ثم ضبط المحقرات عسير ؛ فإن رد الأمر إلى العادات فقد جاوز الناس المحقرات فى المعاطاة ، إذ يتقدم الدلال إلى البزاز يأخذ منه ثوبا ديباجا قيمته عشرة دنانير مثلا ويحمله إلى المشترى ويعود إليه بأنه ارتضاه ، فيقول له ؛ خذ عشرة ، فيأخذ من صاحبه العشرة ويحملها ويسلمها إلى البزاز ، فيأخذها ويتصرف فيها ، ومشترى الثوب يقطعه ولم يجر بينهما إيجاب وقبول أصلا ، وكذلك يجتمع المجهزون على حانوت البياع ، فيعرض متاعا قيمته مائة دينار مثلا فيمن يزيد ، فيقول أحدهم : هذا على بتسعين ، ويقول الآخر : هذا على بخمسة وتسعين ، ويقول الآخر : هذا بمائة ، فيقال له زن ، فيزن ويسلم ويأخذ المتاع من غير إيجاب وقبول ؛ فقد استمرت به العادات ، وهذه من المعضلات التى ليست تقبل العلاج ، إذ الاحتمالات ثلاثة : إما فتح باب المعاطاة مطلقا فى الحقير والنفيس ـ وهو محال ، إذ فيه نقل الملك من غير لفظ دال عليه ، وقد أحل الله البيع ، والبيع اسم للإيجاب والقبول ، ولم يجر ولم ينطلق اسم البيع على مجرد فعل بتسليم وتسلم ، فبماذا يحكم بانتقال الملك من الجانبين ، لاسيما فى الجوارى والعبيد والعقارات والدواب النفيسة وما يكثر التنازع فيه ؛ إذ للمسلم أن يرجع ويقول : قد ندمت ومابعته ، إذ لم يصدر منى إلا مجرد تسليم ، وذلك ليس ببيع . (الاحتمال الثانى) أن نسد الباب بالكلية كما قال الشافعى رحمه الله من بطلان العقد ، وفيه إشكال من وجهين ، أحدهما : أنه يشبه أن يكون ذلك فى المحقرات معتادا فى زمن الصحابة : ولو كانوا يتكلفون الإيجاب والقبول من البقال والخباز والقصاب لثقل عليهم فعله ، ولنقل ذلك نقلا منتشرا ، ولكان يشتهر وقت الإعراض بالكلية عن تلك العادة ؛ فإن الأعصار فى مثل هذا تتفاوت . والثانى : أن الناس الآن قد انهمكوا فيه فلا يشترى الإنسان شيئا من الأطعمة وغيرها إلى ويعلم أن البائع قد ملكه بالمعاطاة ، فأى فائدة فى تلفظه بالعقد إذا كان الأمر كذلك ، (الاحتمال الثالث) أن يفصل بين المحقرات وغيرها كما قاله أبو حنيفة رحمه الله ، وعند ذلك يتعسر الضبط فى المحقرات ، ويشكل وجه نقل الملك من غير لفظ يدل عليه ، وقد ذهب ابن سريج إلى تخريج قول للشافعى رحمه الله على وفقه وهو أقرب الاحتمالات إلا الاعتدال ، فلا بأس لو ملنا إليه لمسيس الحاجات ، ولعموم ذلك بين الخلق ، ولما يغلب على الظن بأن ذلك كان معتادا فى الأعصار الأولى . فأما الجواب عن الإشكالين : فهو أن نقول : أما الضبط فى الفصل بين المحقرات وغيرها فليس علينا تكلفه بالتقدير ، فإن ذلك غير ممكن ، بل له طرفان واضحان إذ لا يخفى أن شراء البقل وقليل من الفواكه والخبز واللحم من المعدود من المحقرات التى لا يعتاد فيها إلا المعاطاة ، وطالب الإيجاب والقبول فيه يعد مستقصيا ويستبرد تكليفه لذلك ويستثقل وينسب إلى أنه يقيم الوزن لأمر حقير ولى وجه له هذا طرف الحقارة ، والطرف الثانى الدواب والعبيد والعقارات والثياب النفيسة فذلك مما لا يستبعد تكلف الإيجاب والقبول فيها ؟ وبينهما أوساط متشابهة يشك فيها هى فى محل الشبهة ؛ فحق ذى الدين أن يميل فيها إلى الاحتياط وجميع ضوابط الشرع فيما يعلم بالعادة كذلك ينقسم إلى أطراف واضحة وأوساط مشكلة . وأما الثانى ـ وهو طلب سبب لنقل الملك ، فهو أن يجعل الفعل باليد أخذا وتسليما سببا لعينه بل لدلالته ، وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع دلالة مستمرة فى العادة ، وانضم إليه مسيس الحاجة وعادة الأولين واطراد جميع العادات بقبول الهدايا من غير إيجاب وقبول مع التصرف فيها ، وأى فرق بين أن يكون فيه عوض أو لا يكون ، إذ الملك لابد من نقله فى الهبة أيضا ، إلا أن العادة السالفة لم تفرق فى الهدايا بين الحقير والنفيس ، بل كان طلب الإيجاب والقبول يستقبح فيه كيف كان ، وفى المبيع لم يستقبح فى غير المحقرات هذا ما نراه أعدل الاحتمالات وحق الورع المتدين أن لا يدع الإيجاب والقبول للخروج عن شبهة الخلاف ، فلا ينبغى أن يمتنع من ذلك لأجل

أن البائع قد تملكه بغير إيجاب وقبول ؛ فإنّ ذلك لا يعرف تحقيقا ؛ فربما اشتراه بقبول وإيجاب ، فإن كان حاضرا عند شرائه أو أقرّ البائع به فيمتنع منه وليشتر من غيره ، فإن كان الشيء محقرا وهو إليه محتاج فليتلفظ بالإيجاب والقبول فإنه يستفيد به قطع الخصومة فى المستقبل معه ، إذ الرجوع من اللفظ الصريح غير ممكن ، ومن الفعل ممكن .

فإن قلت : فإن أمكن هذا فيما يشتريه ، فكيف يفعل إذا حضر فى ضيافة أو على مائدة وهو يعلم أن أصحابها يكتفون بالمعاطاة فى البيع والشراء أوسمع منهم ذلك أورآه ؟ أيجب عليه الامتناع من الأكل ! فأقول : يجب عليه الامتناع من الشراء إذا كان ذلك الشيء الذى اشتروه مقدارا نفيسا ولم يكن من المحقرات . وأما الأكل ، فلا يجب الامتناع منه ، فإنى أقول ؛ إن ترددنا فى جعل الفعل دلالة على نقل الملك ، فلا ينبغى أن لانجعله دلالة على الإباحة ، فإن أمر الإباحة أوسع ، وأمر نقل الملك أضيق ، فكل مطعوم جرى فيه بيع معاطاة فتسليم البائع إذن فى الأكل يعلم ذلك بقرينة الحال ، كإذن الحمامى فى دخول الحمام ، والإذن فى الإطعام لمن يريده المشترى فينزل منزلة مالوقال : أبحت لك أن تأكل هذا الطعام ، أو تطعم من أردت ؛ فإنه يحل له ولو صرح وقال : كل هذا الطعام ثم أغرم لى عوضه ، لحل الأكل ويلزمه الضمان بعد الأكل ، هذا قياس الفقه عندى ، ولكنه بعد المعاطاة آكل ملكه ومتلفا له فعليه الضمان وذلك فى ذمته ، والثمن الذى سلمه إن كان مثل قيمته فقد ظفر المستحق بمثل حقه ، فله أن يتملكه مهما عجز عن مطالبة من عليه ، وإن كان قادرا على مطالبته فإنه لايتملك ماظفر به من ملكه ، لإنه ربما لايرضى بتلك العين أن يصرفها إلى دينه فعليه المراجعة . وأما ههنا فقد عرف رضاه بقرينة الحال عند التسليم ، فلا يبعد أن يجعل الفعل دلالة على الرضاء بأن يستوفى دينه مما يسلم إليه فيأخذه بحقه ، لكن على كل الأحوال جانب البائع أغمض لأن ما أخذه قد يريد المالك ليتصرف فيه ولا يمكنه التملك إلا إذا أتلف عين طعامه فى يد المشترى ، ثم ربما يفتقر إلى استئناف قصد التملك ، ثم يكون قد تملك بمجرد رضا استفاده من الفعل دون القول . وأما جانب المشترى للطعام وهو لا يريد إلا الأكل فهين ، فإنّ ذلك يباح بالإباحة المفهومة من قرينة الحال ، ولكن ربما يلزم من مشاورته أن الضيف يضمن ماأتلفه ، وإنما يسقط الضمان عنه إذا تملك البائع ماأخذه من المشترى فيسقط ، فيكون كالقاضى دينه والمتحمل عنه ، فهذا مانراه فى قاعدة المعاطاة على غموضها ، والعلم عند الله وهذه احتمالات وظنون رددناها ، ولا يمكن بناء الفتوى إلا على هذه الظنون ، وأما الورع فإنه ينبغى أن يستفتى قلبه ويتقى مواضع الشبه .

العقد الثانى : عقد الربا

وقد حرمه الله تعالى وشدّد الأمر فيه ، ويجب الاحتراز منه على الصيارفة المتعاملين على النقدين ، وعلى المتعاملين على الأطعمة ، إذ لا ربا إلا فى نقد أو فى طعام . وعلى الصيرفى أن يحترز من النسيئة والفضل . أما النسيئة فأن لايبيع شيئا من جواهر النقدين بشيء من جواهر النقدين إلا يداً بيد : وهو أن يجرى التقابض فى المجلس ، وهذا احتراز من النسيئة ، وتسليم الصيارفة الذهب إلى دار الضرب وشراء الدنانير المضروبة حرام من حيث النساء ، ومن حيث إن الغالب أن يجرى فيه تفاضل ، إذ لايرد المضروب بمثل وزنه . وأما الفضل ، فيحترز منه فى ثلاثة أمور : فى بيع المكسر بالصحيح ، فلاتجوز المعاملة فيهما إلا مع المماثلة . وفى بيع الجيد بالردىء ، فلا ينبغى أن يشترى رديئا بجيد دونه فى الوزن ، أو يبيع رديئا بجيد فوقه فى الوزن ، أعنى إذا باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة ، فإن اختلف الجنسان فلاحرج فى الفضل . والثالث فى المركبات من الذهب والفضة كالدنانير المخلوطة من الذهب والفضة : إن كان

مقدرا الذهب مجهولا لم تصح المعاملة عليها أصلا إلا إذا كان ذلك نقدا جاريا فى البلد فإنا نرخص فى المعاملة عليه إذا لم يقابل بالنقد ، وكذا الدراهم المغشوشة بالنحاس إن لم تكن رائجة فى البلد لم تصح المعاملة عليها ، لأن المقصود منها النقرة وهى مجهولة ، وإن كان نقدا رائجا فى البلد رخصنا فى المعاملة لأجل الحاجة وخروج النقرة عن أن يقصد استخراجها ، ولكن لايقابل بالنقرة أصلا ، وكذلك كل حلى مركب من ذهب وفضة فلا يجوز شراؤه لا بالذهب ولا بالفضة ، بل ينبغى أن يشترى بمتاع آخر إن كان قدر الذهب منه معلوما ، إلا إذا كان مموها بالذهب تمويها لايحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار ، فيجوز بيعها بمثلها من النقرة بما أريد من غير النقرة ، وكذلك لايجوز للصيرفى أن يشترى قلادة فيها خرز وذهب بذهب ، ولا أن يبيعه ، بل بالفضة يدا بيد إن لم يكن فيها فضة ولا يجوز شراء ثوب منسوج بذهب يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار بذهب ، ويجوز بالفضة غيرها وأما المتعاملون على الأطعمة فعليهم التقابض فى المجلس ، اختلف جنس الطعام المبيع والمشترى أو لم يختلف ؛ فان اتحد الجنس فعليهم التقابض ومراعاة المماثلة ، والمعتاد فى هذا معاملة القصاب بأن يسلم إليه الغنم ويشترى بها اللحم نقدا أو نسيئة فهو حرام ، ومعاملة الخباز بأن يسلم إليه الحنطة ويشترى بها الخبز نسيئة أو نقدا فهو حرام ، ومعاملة العصار بأن يسلم إليه البزر والسمسم والزيتون ليأخذ منه الأدهان فهو حرام ، وكذا اللبان يعطى اللبن ليؤخذ منه الجبن والسمن والزبد وسائر أجزاء اللبن ، فهو أيضا حرام ، ولا يباع الطعام بغير جنسه من الطعام إلا نقدا ، وبجنسه إلا نقدا ومتماثلا ، وكل مايتخذ من الشىء المطعوم فلا يجوز أن يباع به متماثلا ولا متفاضلا ، فلا يباع بالحنطة دقيق وخبز وسويق ، ولا بالعنب والتمر دبس وخل وعصير ، ولا باللبن سمن وزبد ومخيض ومصل وجبن ، والمماثلة لاتفيد إذا لم يكن الطعام فى حال كمال الادخار ، فلا يباع الرطب بالرطب والعنب بالعنب متفاضلا ومتماثلا ، فهذه جمل مقنعة فى تعريف البيع والتنبيه على مايشعر التاجر بمثارات الفساد حتى يستفتى فيها إذا تشكك والتبس عليه شىء منها ، وإذا لم يعرف هذا لم يتفطن لمواضع السؤال ، واقتحم الربا والحرام وهو لايدرى .

العقد الثالث : السلم

وليراع التاجر فيه عشرة شروط : (الأول) أن يكون رأس المال معلوما على مثله حتى لو تعذر تسليم المسلم فيه أمكن الرجوع إلى قيمة رأس المال : فان أسلم كفا من الدراهم جزافا فى كر حنطة لم يصح فى أحد القولين . (الثانى) أن يسلم رأس المال فى مجلس العقد قبل التفرق فلو تفرقا قبل القبض انفسخ السلم . (الثالث) أن يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف أوصافه كالحبوب والحيوانات والمعادن والقطن والصوف والإبريسم والألبان واللحوم ومتاع العطارين وأشباهها ، ولا يجوز فى المعجونات والمركبات وما تختلف أجزاؤه كالقسى المنوعة والنبل المعمول والخفاف والنعال المختلفة أجزاؤها وصنعتها وجلود الحيوانات . ويجوز السلم فى الخبز . ومايتطرق إليه من اختلاف قدر الملح والماء بكثرة الطبخ وقلته يعفى عنه ويتسامح فيه . (الرابع) أن يستقصى وصف هذه الأمور القابلة للوصف . حتى لايبقى وصف تتفاوت به القيمة تفاوتا لايتغابن بمثله الناس إلا ذكره . فإن ذلك الوصف هو القائم مقام الرؤية فى البيع . (الخامس) أن يجعل الأجل معلوما إن كان مؤجلا فلا يؤجل إلى الحصاد ولا إلى إدراك الثمار بل إلى الأشهر والأيام فإن الإدراك قد يتقدم وقد يتأخر . (السادس) أن يكون المسلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت المحل ويؤمن فيه وجوده غالبا . فلا ينبغى أن يسلم فى العنب إلى أجل لايدرك فيه . وكذا سائر الفواكه ، فإن كان الغالب وجوده وجاء المحل وعجز عن التسليم بسبب آفة . فله أن يمهله إن شاء أو يفسخ ويرجع فى رأس المال

إن شاء . (السابع) أن يذكر مكان التسليم فيما يختلف الغرض به كي لا يثير ذلك نزاعا (الثامن) أن لا يعلقه بمعين فيقول : من حنطة هذا الزرع ، أو ثمرة هذا البستان ، فإن ذلك يبطل كونه دينا . نعم لو أضاف إلى ثمرة بلد أو قرية كبيرة ، لم يضر ذلك . (التاسع) أن لا يسلم في شيء نفيس عزيز الوجود مثل درة موصوفة يعز وجود مثلها ، أو جارية حسناء معها ولدها ، أو غير ذلك مما لا يقدر عليه غالبا . (العاشر) أن لا يسلم في طعام مهما كان رأس المال طعاما سواء كان من جنسه أو لم يكن ، ولا يسلم في نقد إذا كان رأس المال نقداً ، وقد ذكرنا هذا في الربا .

العقد الرابع : الإجارة

وله ركنان : الأجرة ، والمنفعة . فأما العاقد واللفظ فيعتبر فيه ماذكرناه في البيع والأجرة كالثمن ، فينبغي أن يكون معلوما وموصوفا بكل ماشرطناه في المبيع إن كان عينا ، فإن كان دينا فينبغي أن يكون معلوم الصفة والقدر ، وليحترز فيه عن أمور جرت العادة بها ، وذلك مثل كراء الدار بعمارتها فذلك باطل ، إذ قدر العمارة مجهول . ولو قدر دراهم وشرط على المكتري أن يصرفها إلى العمارة لم يجز ، لأن عمله في الصرف إلى العمارة مجهول . ومنها استئجار السلاخ على أن يأخذ الجلد بعد السلخ ، واستئجار حمال الجيف بجلد الجيفة ، واستئجار الطحان بالنخالة أو بعض الدقيق فهو باطل ، وكذلك كل مايتوقف حصوله وانفصاله على عمل الأجير ، فلا يجوز أن يجعل أجرة . ومنها : أن يقدر في إجارة الدور والحوانيت مبلغ الأجر ، فلو قال لكل شهر دينار ولم يقدر أشهر الإجارة كانت المدة مجهولة ولم تنعقد الإجارة .

الركن الثاني : المنفعة المقصودة بالإجارة وهي العمل وحده إن كان عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع به الغير عن الغير ، فيجوز الاستئجار عليه ؛ وجملة فروع الباب تندرج تحت هذه الرابطة ، ولكنا لا نطول بشرحها فقد طولنا القول فيها في الفقهيات ، وإنما نشير إلى ماتعم به البلوى ، فليراع في العمل المستأجر عليه خمسة أمور : (الأول) أن يكون متقوماً ، بأن يكون فيه كلفة وتعب . فلو استأجر طعاما ليزين به الدكان . أو أشجارا ليجفف عليها الثياب ؛ أودراهم ليزين بها الدكان . لم يجز ، فإن هذه المنافع تجري مجرى حبة سمسم وحبة بر من الأعيان وذلك لا يجوز بيعه ، وهي كالنظر في مرآة الغير ، والشرب من بئره ، والاستظلال بجداره ، والاقتباس من ناره ولهذا لو استأجر بياعا على أن يتكلم بكلمة يروج بها سلعته لم يجز . وما يأخذه البياعون عوضاً عن حشمتهم وجاههم وقبول قولهم في ترويج السلع فهو حرام ، إذ ليس يصدر منهم إلا كلمة لا تعب فيها ولا قيمة لها ، وإنما يحل لهم ذلك إذ تعبوا بكثرة التردد أو بكثرة الكلام في تأليف أمر المعاملة . ثم لا يستحقون إلا أجرة المثل ، فأما ماتواطأ عليه الباعة فهو ظلم وليس مأخوذا بالحق . (الثاني) أن لا تتضمن الإجارة استيفاء عين مقصودة فلا يجوز إجارة الكرم لارتفاقه . ولا إجارة المواشي للبنها . ولا إجارة البساتين لثمارها . ويجوز استئجار المرضعة ويكون اللبن تابعا : لأن إفراده غير ممكن . وكذا يتسامح بحبر الورق وخيط الخياط . لأنهما لا يقصدان على حيالهما . (الثالث) أن يكون العمل مقدورا على تسليمه حساً وشرعا . فلا يصح استئجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه . ولا استئجار الأخرس على التعليم ونحوه وما يحرم فعله فالشرع يمنع من تسليمه . كالاستئجار على قلع سن سليمة أو قطع عضو لا يرخص الشرع في قطعه ؛ أو استئجار الحائض على كنس المسجد . أو المعلم على تعليم السحر أو الفحش . أو استئجار زوجة الغير على الإرضاع دون إذن زوجها . أو استئجار المصور على تصوير الحيوانات . أو استئجار الصائغ على صيغة الأواني من الذهب والفضة فكل ذلك باطل . (الرابع) أن لا يكون العمل واجباً على الأجير . أو لا يكون بحيث لا تجري

النيابة فيه عن المستأجر . فلا يجوز أخذ الأجرة على الجهاد ولا سائر العبادات التى لا نيابة فيها . إذ لا يقع ذلك عن المستأجر . ويجوز عن الحج وغسل الميت وحفر القبور ودفن الموتى وحمل الجنائز . وفى أخذ الأجرة على إمامة صلاة التراويح وعلى الأذان وعلى التصدى للتدريس وإقراء القرآن خلاف . أما الاستئجار على تعليم مسئلة بعينها أو تعليم سورة بعينها لشخص معين فصحيح . (الخامس) أن يكون العمل والمنفعة معلوما . فالخياط يعرف عمله بالثوب . والمعلم يعرف عمله بتعيين السورة ومقدارها . وحمل الدواب يعرف بمقدار المحمول وبمقدار المسافة . وكل مايثير خصومة فى العادة فلا يجوز إهماله . وتفصيل ذلك يطول . وإنما ذكرنا هذا القدر ليعرف به جليات الأحكام ويتفطن به لمواقع الإشكال . فيسأل . فإن الاستقصاء شأن المفتى لاشأن العوام .

العقد الخامس : القراض

ولبراع فيه ثلاثة أركان :

الركن الأول : رأس المال ، وشرطه أن يكون نقدا معلوما مسلما إلى العامل ؛ فلا يجوز القراض على الفلوس ولا على العروض ؛ فإنّ التجارة تضيق فيه . ولايجوز على صرة من الدراهم ، لأن قدر الربح لايتبين فيه ، ولو شرط مالك اليد لنفسه لم يجز ، لأنّ فيه تضييق طريق التجارة .

الركن الثانى : الربح ، وليكن معلوما بالجزئية بأن يشترط له الثلث أو النصف أو ماشاء ، فلو قال : على أن لك من الربح مائة والباقى لى ، لم يجز إذ ربما لا يكون الربح أكثر من مائة فلايجوز تقديره بمقدار معين بل بمقدار شائع .

الثالث : العمل الذى على العامل ، وشرطه أن يكون تجارة غير مضيقه عليه بتعيين وتأقيت ، فلو شرط أن يشترى بالمال ماشية ليطلب نسلها فيتقاسمان النسل ، أو حنطة فيخبزها ويتقاسمان الربح ، لم يصح ، لأنّ القراض مأذون فيه فى التجارة وهو البيع والشراء ومايقع من ضرورتهمافقط ، وهذا حرف ـ أعنى الخبز ورعاية المواشى ، ولو ضيق عليه وشرط أن لا يشترى إلا من فلان أو لا يتجر إلا فى الخز الأحمر ، أو شرط ما يضيق باب التجارة فسد العقد ، ثم مهما انعقد فالعامل وكيل فيتصرف بالغبطه تصرف الوكلاء ، ومهما أراد المالك الفسخ فله ذلك ، فإذا فسخ فى حالة والمال كله فيها نقد لم يخف وجه القسمة وإن كان عروضا ولا ربح فيه رد عليه ولم يكن للمالك تكليفه أن يرده إلى النقد ، لأن العقد قد انفسخ وهو لم يلتزم شيئا ، وإن قال العامل : ابيعه ، وأبى المالك ، فالمتبوع رأى المالك ، إلا إذا وجد العامل زبونا يظهر بسببه ربح على رأس المال ، ومهما كان ربح فعلى العامل بيع مقدار رأس المال بجنس رأس المال لا بنقد آخر ، حتى يتميز الفاضل ربحا فيشتركان فيه ، وليس عليهم بيع الفاضل على رأس المال ، ومهما كان رأس السنة فعليهم تعرف قيمة المال لأجل الزكاة : فإذا كان قد ظهر من الربح شيء فالأقيس أن زكاة نصيب العامل على العامل وأنه يملك الربح بالظهور ، وليس للعامل أن يسافر بمال القراض دون إذن المالك ، فإن فعل صحت تصرفاته ، ولكنه إذا فعل ضمن الأعيان والأثمان جميعا ، لأن عدوانه بالنقل يتعدّى إلى ثمن المنقول ، وإن سافر بالإذن جاز ونفقة النقل وحفظ المال على مال القراض ، كما أن نفقة الوزن والكيل والحمل الذى لايعتاد التاجر مثله على رأس المال ، فأما نشر الثوب وطيه والعمل اليسير المعتاد فليس له أن يبذل عليه أجرة . وعلى العامل نفقته وسكناه فى البلد ، وليس عليه أجرة الحانوت . ومهما تجرد فى السفر لمال القراض فنفقته فى السفر على مال القراض ، فإذا رجع فعليه أن يرد بقايا آلات السفر من المطهرة والسفرة وغيرها .

العقد السادس : الشركة

وهى أربعة أنواع : ثلاثة منها باطلة : (الأول) شركة المفاوضة ؛ وهو أن يقولا : تفاوضنا لنشترك فى كل مالنا وعلينا ومالاهما ممتازان ، فهى باطلة ، (الثانى) شركة الأبدان : وهو أن يتشارطا الاشتراك فى أجرة العمل فهى باطلة . (الثالث) شركة الوجوه : وهو أن يكون لأحدهما حشمة وقول مقبول فيكون من جهته التنفيل ومن جهة غيره العمل ، فهذا أيضا باطل . وإنما الصحيح العقد الرابع المسمى شركة العنان : وهو أن يختلط مالاهما بحيث يتعذر التمييز بينهما إلا بقسمه ، ويأذن كل واحد منهما لصاحبه فى التصرف ، ثم حكمهما توزيع الربح والخسران على قدر المالين ، ولا يجوز أن يغير ذلك بالشرط ، ثم بالعزل يمتنع التصرف عن المعزول ، وبالقسمة ينفصل الملك عن الملك ، والصحيح أنه يجوز عقد الشركة على العروض المشتراة ، ولا يشترط النقد ، بخلاف القراض .

فهذا القدر من علم الفقه يجب تعلمه على كل مكتسب ، وإلا اقتحم الحرام من حيث لا يدرى . وأما معاملة القصاب والخباز والبقال فلا يستغنى عنها المكتسب وغير المكتسب ، والخلل فيها من ثلاثة وجوه : من إهمال شروط البيع ، أو إهمال شروط السلم ، أو الاقتصار على المعاطاة ، إذ العادات جارية بكتبه الخطوط على هؤلاء بحاجات كل يوم ، ثم المحاسبة فى كل مدة ، ثم التقويم بحسب مايقع عليه التراضى ، وذلك مما نرى القضاء بإباحته للحاجة ، ويحمل تسليمهم على إباحة التناول مع انتظار العوض فيحل أكله ، ولكن يجب الضمان بأكله وتلزم قيمته يوم الإتلاف ، فتجتمع فى الذمة تلك القيم ، فإذا وقع التراضى على مقدار مافينبغى أن يلتمس منهم الإبراء المطلق لاتبقى عليه عهدة إن تطرق إليه تفاوت فى التقويم ، فهذا ما تجب القناعة به ، فإن تكليف وزن الثمن لكل حاجة من الحوائج فى كل يوم وكل ساعة تكليف شطط ، وكذا تكليف الإيجاب والقبول وتقدير ثمن كل قدر يسير منه فيه عسر ، وإذا كثر كل نوع سهل تقويمه ، والله الموفق .

الباب الثالث : فى بيان العدل واجتناب الظلم فى المعاملة

اعلم أن المعاملة قد تجرى على وجه يحكم المفتى بصحتها وانعقادها ولكنها تشتمل على ظلم يتعرض به المعامل لسخط الله تعالى ، إذ ليس كل نهى يقتضى فساد العقد ، وهذا الظلم يعنى به مااستضر به الغير ، وهو منقسم إلى مايعم ضرره وإلى مايخص المعامل .

القسم الأول : فيما يعم ضرره . وهو أنواع :

النوع الأول : الاحتكار فبائع الطعام يدخر الطعام ينتظر به غلاء الأسعار ، وهو ظلم عام ، وصاحبه مذموم فى الشرع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من احتكر الطعام أربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره [1] » وروى ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من احتكر الطعام أربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ الله منه [2] » وقيل : فكأنما قتل الناس جميعا ، وعن على رضى الله عنه : من احتكر الطعام أربعين يوما

الباب الثالث : فى بيان العدل

(١) حديث « من احتكر الطعام أربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره » رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على ، والخطيب فى التاريخ من حديث أنس بسندين ضعيفين . (٢) حديث ابن عمر « من احتكر الطعام أربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ الله منه » رواه أحمد والحاكم بسند جيد ، وقال ابن عدى : ليس بمحفوظ من حديث ابن عمر .

قسا قلبه . وعنه أيضا أنه أحرق طعام محتكر بالنار . وروى فى فضل ترك الاحتكار عنه صلى الله عليه وسلم « من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به » وفى لفظ آخر « فكأنما أعتق رقبة [1] » وقيل فى قوله تعالى ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ إنّ الاحتكار من الظلم وداخل تحته فى الوعيد . وعن بعض السلف أنه كان بواسط فجهز سفينة حنطة إلى البصرة وكتب إلى وكيله : بع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ولا تؤخره إلى غد ؛ فوافق سعة فى السعر فقال له التجار : لو أخرته جمعة ربحت فيه أضعافه ، فأخره جمعة فربح فيه أمثاله ، وكتب إلى صاحبه بذلك ؛ فكتب إليه صاحب الطعام : يا هذا ، إنا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا ، وإنك قد خالفت وما نحب أن نربح أضعافه بذهاب شىء من الدين فقد جنيت علينا جناية ؛ فإذا أتاك كتابى هذا فخذ المال كله فتصدق به على فقراء البصرة ، وليتنى أنجو من إثم الاحتكار كفافا لا على ولا لى . واعلم أن النهى مطلق ويتعلق النظر به فى الوقت والجنس ، أما الجنس فيطرد النهى فى أجناس الأقوات ، أما ما ليس بقوت ولا هو معين على القوت كالأدوية والعقاقير والزعفران وأمثاله ، فلا يتعدى النهى إليه وإن كان مطعوما . وأما ما يعين على القوت كاللحم والفواكه وما يسد مسدا يغنى عن القوت فى بعض الأحوال وإن كان لا يمكن المداومة عليه ، فهذا فى محل النظر ؛ فمن العلماء من طرد التحريم فى السمن والعسل والشيرج والجبن والزيت وما يجرى مجراه ؛ وأما الوقت فيحتمل أيضا طرد النهى فى جميع الأوقات ، وعليه تدل الحكاية التى ذكرنا فى الطعام الذى صادف بالبصرة سعة فى السعر ، ويحتمل أن يخصص بوقت قلة الأطعمة وحاجة الناس إليه حتى يكون فى تأخير بيعه ضر ما ؛ فأما إذا اتسعت الأطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها إلا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر قحطا ؛ فليس فى هذا إضرار . وإذا كان الزمان زمان قحط كان فى ادخار العسل والسمن والشيرج وأمثالها إضرار ؛ فينبغى أن يقضى بتحريمه ويعول فى نفى التحريم وإثباته على الضرار فإنه مفهوم قطعا من تخصيص الطعام ، وإذا لم يكن ضرار فلا يخلو احتكار الأقوات عن كراهية ، فإنه ينتظر مبادئ الضرار وهو ارتفاع الأسعار ، وانتظار مبادئ الضرار محذور كانتظار عين الضرار ولكنه دونه ، وانتظار عين الضرار أيضا هو دون الإضرار ، فبقدر درجات الإضرار تتفاوت درجات الكراهية والتحريم . وبالجملة التجارة فى الأقوات مما لا يستحب لأنه طلب ربح ، والأقوات أصول خلقت قواما ، والربح من المزايا ، فينبغى أن يطلب الربح فيما خلق من جملة المزايا التى لا ضرورة للخلق إليها ولذلك أوصى بعض التابعين رجلا وقال : لا تسلم ولدك فى بيعتين ولا فى صنعتين : بيع الطعام ، وبيع الأكفان فإنه يتمنى الغلاء وموت الناس . والصنعتان . أن يكون جزارا فإنها صنعة تقسى القلب ، أو صواغا فإنه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة .

النوع الثانى : ترويج الزيف من الدراهم فى أثناء النقد فهو ظلم ، إذ يستضر به المعامل إن لم يعرف ، وإن عرف فسيروجه على غيره ، فكذلك الثالث والرابع ، ولا يزال يتردد فى الأيدى ويعم الضرر ويتسع الفساد ويكون وزر الكل ووباله راجعا عليه ، فإنه هو الذى فتح هذا الباب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئا [2] » . وقال بعضهم : إنفاق درهم

---

(١) حديث « من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به » وفى لفظ آخر « فكأنما أعتق رقبة » أخرجه ابن مردويه فى التفسير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف : « مامن جالب يجلب طعاما إلى بلد من بلدان المسلمين فيبيعه بسعر يومه إلا كانت منزلته عند الله منزلة الشهيد » وللحاكم من حديث اليسع بن المغيرة « إن الجالب إلى سوقنا كالمجاهد فى سبيل الله » وهو مرسل

(٢) حديث « من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شىء » أخرجه مسلم من حديث جرير بن عبد الله .

زيف أشد من سرقة مائة درهم ، لأنّ السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت ، وإنفاق الزيف بدعة أظهرها فى الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته إلى مائة سنة ، أو مائتى سنة .. إلى أن يفنى ذلك الدرهم ، ويكون عليه مافسد من أموال الناس بسنته ، وطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه ، والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتى سنة أو أكثر يعذب بها فى قبره ويسئل عنها إلى آخر انقراضها ، وقال تعالى ﴿ ونكتب ما قدموا وآثارهم ﴾ أى نكتب أيضا ما أخروه من آثار أعمالهم كما نكتب ماقدموه ، وفى مثله قوله تعالى ﴿ ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ﴾ وإنما أخر آثار أعماله من سنة سيئة عمل بها غيره . وليعلم أن فى الزيف خمسة أمور : (الأول) أنه إذا رد عليه شىء منه فينبغى أن يطرحه فى بئر بحيث لاتمتد إليه اليد ، وإياه أن يروجه فى بيع آخر . وإن أفسده بحيث لايمكن التعامل به جاز . (الثانى) أنه يجب على التاجر تعلم النقد لا ليستقصى لنفسه ولكن لئلا يسلم إلى مسلم زيفا وهو لايدرى فيكون آثما بتقصيره فى تعلم ذلك العلم . فكل علم عمل به يتم نصح المسلمين . فيجب تحصيله ولمثل هذا كان السلف يتعلمون علامات النقد نظراً لدينهم لا لدنياهم . (الثالث) أنه إن سلم وعرف المعامل أنه زيف لم يخرج عن الإثم . لأنه ليس يأخذه إلا ليروجه على غيره ولايخبره ، ولو لم يعزم على ذلك لكان لايرغب فى أخذه أصلا . فإنما يتخلص من إثم الضرر الذى يخص معامله فقط . (الرابع) أن يأخذ الزيف ليعمل بقوله صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء [1] » فهو داخل فى بركة هذا الدعاء إن عزم على طرحه فى بئر . وإن كان عازما على أن يروجه فى معاملة فهذا شر روجه الشيطان عليه فى معرض الخير فلا يدخل تحت من تساهل فى الاقتضاء . (الخامس) أن الزيف نعنى به مالانقرة فيه أصلا بل هو مموه . أو مالا ذهب فيه أعنى فى الدنانير . أما مافيه نقرة فإن كان مخلوطا بالنحاس وهو نقد البلد فقد اختلف العلماء فى المعاملة عليه ، وجل رأينا الرخصة فيه إذا كان ذلك نقد البلد ، سواء علم مقدار النقرة أو لم يعلم . وإن لم يكن هو نقد البلد لم يجز إلا إذا علم قدر النقرة ، فإن كان فى ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه أن يخبر به معامله ، وأن لايعامل به إلا من لايستحل الترويج فى جملة النقد بطريق التلبيس ، فأما من يستحل ذلك فتسليمه إليه تسليط له على الفساد ، فهو كبيع العنب ممن يعلم أنه يتخذه خمراً ، وذلك محظور وإعانة على الشر ومشاركة فيه ، وسلوك طريق الحق بمثال هذا فى التجارة أشد من المواظبة على نوافل العبادات والتخلى لها ، ولذلك قال بعضهم : التاجر الصدوق أفضل عند الله من المتعبد ، وقد كان السلف يحتاطون فى مثل ذلك حتى روى عن بعض الغزاة فى سبيل الله أنه قال : حملت على فرسى لأقتل علجا ، فقصر بى فرسى فرجعت ثم دنا منى العلج فحملت ثانية فقصر فرسى فرجعت ، ثم حملت الثالثة فنفر منى فرسى وكنت لا أعتاد ذلك منه ، فرجعت حزينا وجلست منكس الرأس منكسر القلب لما فاتنى من العلج وما ظهر لى من خلق الفرس ، فوضعت رأسى على عمود الفسطاط وفرسى قائم فرأيت فى النوم كأن الفرس يخاطبنى ويقول لى : بالله عليك أردت أن تأخذ على العلج ثلاث مرات وأنت بالأمس اشتريت لى علفا ودفعت فى ثمنه درهما زائفا لايكون هذا أبدا . قال : فانتبهت فزعا فذهبت إلى العلاف وأبدلت ذلك الدرهم ، فهذا مثال ما يعم ضرره وليقس عليه أمثاله .

القسم الثانى : ما يخص ضرره المعامل

فكل مايستضر به المعامل فهو ظلم ، وإنما العدل لايضر بأخيه المسلم ، والضابط الكلى فيه : أن لا يحب

(١) حديث « رحم الله امرءا سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء » أخرجه البخارى من حديث جابر .

لأخيه إلا مايحب لنفسه ؛ فكل مالو عومل به شق عليه وثقل على قلبه فينبغى أن لايعامل غيره به ؛ بل ينبغى أن يستوى عنده درهمه ودرهم غيره . قال بعضهم : من باع أخاه شيئا بدرهم وليس يصلح له لواشتراه لنفسه إلابخمسة دوانق فإنه قد ترك النصح المأمور به فى المعاملة ولم يحب لأخيه مايحب لنفسه ، هذه جملته .

فأما تفصيله ففى أربعة أمور . أن لايثنى على السلعة بما ليس فيها ، وأن لايكتم من عيوبها وخفايا صفاتها شيئا أصلا ، وأن لايكتم فى وزنها ومقدارها شيئا ، وأن لايكتم من سعرها مالو عرفه المعامل لامتنع عنه :

أما الأول ، فهو ترك الثناء ؛ فإن وصفه للسلعة إن كان بما ليس فيها فهو كذب ، فإن قبل المشترى ذلك فهو تلبيس وظلم مع كونه كذبا ، وإن لم يقبل فهو كذب وإسقاط مروءة ، إذ الكذب الذى لايروج قد لايقدح فى ظاهر المروءة ، وإن أثنى على السلعة بما فيها فهو هذيان وتكلم بكلام لايعنيه . وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه أنه لم تكلم بها . قال الله تعالى ﴿ مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ إلا أن يثنى على السلعة بما فيها مما لايعرفه المشترى مالم يذكره ، كما يصفه من خفى أخلاق العبيد والجوارى والدواب ؛ فلا بأس بذكر القدر الموجود منه من غير مبالغة وإطناب ، وليكن قصده منه أن يعرفه أخوه المسلم فيرغب فيه وتنقضى بسببه حاجته ، ولاينبغى أن يحلف عليه ألبتة ؛ فإنه إن كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس وهى من الكبائر التى تذر الديار بلاقع ، وإن كان صادقا فقد جعل الله تعالى عرضة لأيمانه ، وقد أساء فيه ، إذ الدنيا أخس من أن يقصد ترويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة ، وفى الخبر « ويل للتاجر من بلى والله ولا والله ، وويل للصانع من غد وبعد » [1] وفى الخبر « اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للبركة » [2] وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاثة لاينظر الله إليهم يوم القيامة . عائل مستكبر ، ومنان بعطيته ، ومنفق سلعته بيمينه » [3] فإذا كان الثناء على السلعة مع الصدق مكروها من حيث إنه فضول لايزيد فى الرزق فلا يخفى التغليظ فى أمر اليمين ؛ وقد روى عن يونس بن عبيد وكان خزازا : أنه طلب منه خز للشراء ، فأخرج غلامه سقط الخز ونشره ونظر إليه وقال : اللهم ارزقنا الجنة ، فقال لغلامه : رده إلى موضعه ولم يبعه ، وخاف أن يكون ذلك تعريضا بالثناء على السلعة ، فمثل هؤلاء الذين اتجروا فى الدنيا ولم يضيعوا دينهم فى تجاراتهم ، بل علموا أن ربح الآخرة أولى بالطلب من ربح الدنيا .

الثانى : أن يظهر جميع عيوب المبيع خفيها وجليها ولايكتم منها شيئا ، فذلك واجب ، فإن أخفاه كان ظالما غاشا والغش حرام ، وكان تاركا للنصح فى المعاملة والنصح واجب ، ومهما أظهر أحسن وجهى الثوب وأخفى الثانى كان غاشا ، وكذلك إذا عرض الثياب فى المواضع المظلمة ، وكذلك إذا عرض أحسن فردى الخف أو النعل وأمثاله ويدل على تحريم الغش ماروى : أنه مر عليه الصلاة والسلام برجل يبيع طعاما فأعجبه ، فأدخل يده فيه فرأى بللا ، فقال : « ماهذا ؟ » قال : أصابته السماء ، فقال « فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ، من غشنا فليس منا [4] » ويدل على وجوب النصح بإظهار العيوب ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما بايع جريرا على الإسلام ذهب

---

(١) حديث « ويل للتاجر من بلى والله ولا والله ، وويل للصانع من غد وبعد غد » لم أقف له على أصل ، وذكر صاحب مسند الفردوس من حديث أنس بغير إسناد نحوه . (٢) حديث « اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للبركة » متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ « الحلف » وهو عند البيهقى بلفظ المصنف . (٣) حديث أبى هريرة « ثلاثة لاينظر الله إليهم يوم القيامة: عائل مستكبر ، ومنان بعطيته . ومنفق سلعته بيمينه » أخرجه مسلم من حديثه إلا أنه لم يذكر فيها إلا : عائل مستكبر ، ولها « ثلاثة لايكلمهم الله ولاينظر إليهم : رجل حلف على سلعة لقد أعطى فيها أكثر مما أعطى وهو كاذب ... الحديث » ولمسلم من حديث أبى ذر : « المنان ، والمسبل إزاره ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » . (٤) حديث : مر برجل يبيع طعاما فأعجبه فأدخل يده فرأى بللا فقال « ماهذا ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة .

لينصرف فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم [١] ، فكان جرير إذا قام إلى السلعة يبيعها بصر عيوبها ثم خيره وقال : إن شئت فخذ وإن شئت فاترك ، فقيل له : إنك إذا فعلت مثل هذا لم ينفذ لك بيع ، فقال : إنا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم . وكان واثلة بن الأسقع واقفا فباع رجل ناقة له بثلثمائة درهم ، فغفل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة ، فسعى وراءه وجعل يصيح به : ياهذا ، اشتريتها للحم أو للظهر ؟ فقال : بل للظهر ، فقال : إن بخفها نقبا قد رأيته ، وإنها لاتتابع السير ، فعاد فردها فنقصها البائع مائة درهم وقال لواثلة : رحمك الله أفسدت على بيعى ، فقال : إنا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم ، وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لايحل لأحد يبيع بيعا إلا أن يبين آفته ، ولايحل لمن يعلم ذلك إلا تبيينه [٢] » فقد فهموا من النصح أن لايرضى لأخيه إلا مايرضاه لنفسه ، ولم يعتقدوا أن ذلك من الفضائل وزيادة المقامات ، بل اعتقدوا أنه من شروط الإسلام الداخلة تحت بيعتهم ، وهذا أمر يشق على أكثر الخلق ، فلذلك يختارون التخلى للعبادة والاعتزال عن الناس ، لأن القيام بحقوق الله مع المخالطة والمعاملة مجاهدة لايقوم بها إلا الصديقون ، ولن يتيسر ذلك على العبد إلا بأن يعتقد أمرين : (أحدهما) أن تلبيسه العيوب وترويجه السلع لايزيد فى رزقه ، بل يمحقه ويذهب ببركته ، ومايجمعه من مفرقات التلبيسات يهلكه الله دفعة واحدة ، فقد حكى أن واحدا كان له بقرة يحلبها ويخلط بلبنها الماء ويبيعه ، فجاء سيل فغرق البقرة ، فقال بعض أولاده : إن تلك المياه المتفرقة التى صببناها فى اللبن اجتمعت دفعة واحدة وأخذت البقرة . كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم « البيعان إذا صدقا ونصحا بورك لهما فى بيعهما ، وإذا كتما وكذبا نزعت بركة بيعهما [٣] » وفى الحديث « يد الله على الشريكين مالم يتخاونا ، فإذا تخاونا رفع يده عنهما [٤] » فإذاً لايزيد مال من خيانة ، كما لاينقص من صدقة ، ومن لايعرف الزيادة والنقصان إلا بالميزان لم يصدق بهذا الحديث . ومن عرف أن الدرهم الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الإنسان فى الدنيا والدين ، والآلاف المؤلفة قد ينزع الله البركة منها حتى تكون سببا لهلاك مالكها بحيث يتمنى الإفلاس منها ويراه أصلح له فى بعض أحواله ، فيعرف معنى قولنا : إن الخيانة لاتزيد فى المال والصدقة لاتنقص منه (والمعنى الثانى) الذى لابد من اعتقاده ليتم له النصح ويتيسر عليه : أن يعلم أن ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا ، وأن فوائد أموال الدنيا تنقضى بانقضاء العمر وتبقى مظالمها وأوزارها فكيف يستجيز العاقل أن يستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ، والخير كله فى سلامة الدين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتزال لاإله إلا الله تدفع عن الخلق سخط الله مالم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم [٥] » وفى لفظ آخر « مالم يبالوا مانقص من دنياهم بسلامة دينهم ، فإذا فعلوا ذلك وقالوا : لاإله إلا الله ، قال الله تعالى : كذبتم لستم بها صادقين » وفى حديث آخر « من قال لاإله إلا الله مخلصا دخل الجنة . قيل . وما إخلاصه ؟ قال . أن يحجزه عما حرم الله [٦] » وقال أيضا . ما آمن بالقرآن من استحل محارمه ، ومن علم

---

(١) حديث جرير بن عبد الله : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم . متفق عليه . (٢) حديث واثلة « لايحل لأحد يبيع بيعا إلا بين مافيه ، ولايحل لمن يعلم ذلك إلا بينه » أخرجه الحاكم وقال : صحيح الإسناد ، والبيهقى .

(٣) حديث « البيعان إذا صدقا ونصحا بورك لهما فى بيعهما .. الحديث » متفق عليه من حديث حكيم بن حزام .

(٤) حديث « يد الله على الشريكين مالم يتخاونا ، فاذا تخاونا رفع يده عنهما » رواه أبو داود والحاكم من حديث أبى هريرة وقال : صحيح الإسناد . (٥) حديث « لاتزال لاإله إلا الله تدفع عن الخلق سخط الله مالم يؤثروا صفقة دنياهم على أخراهم ... الحديث » رواه أبو يعلى والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بسند ضعيف . وفى رواية للترمذى الحكيم فى النوادر « حتى إذا نزلوا بالمنزل الذى لايبالون مانقص من دينهم إذا سلمت لهم دنياهم . . الحديث » وللطبرانى فى الأوسط نحوه من حديث عائشة ، وهو ضعيف أيضاً . (٦) حديث « من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة » قيل : وما اخلاصها ؟ قال « تحجزه عما حرم الله » أخرجه الطبرانى من حديث زيد بن أرقم فى معجمه الكبير والأوسط بإسناد حسن .

أن هذه الأمور قادحة فى إيمانه ، وأن إيمانه رأس ماله فى الآخرة لم يضيع رأس ماله المعد لعمر لا آخر له بسبب ربح ينتفع به أياما معدودة . وعن بعض التابعين أنه قال : لو دخلت الجامع ومع وهو غاص بأهله وقيل لى : من خير هؤلاء ؟ لقلت : من أنصحهم لهم ؟ فإذا قالوا : هذا ، قلت : هو خيرهم . ولو قيل لى : من شرهم ؟ قلت : من أغشهم لهم ؟ فإذا قيل : هذا ، قلت : هو شرهم . والغش حرام فى البيوع والصنائع جميعا ، ولا ينبغى أن يتهاون الصانع بعمله على وجه لو عامله به غيره لما ارتضاه لنفسه ، بل ينبغى أن يحسن الصنعة ويحكمها ، ثم يبين عيبها إن كان فيها عيب ، فبذلك يتخلص . وسأل رجل حداء بن سالم فقال : كيف لى أن أسلم فى بيع النعال ؟ فقال : اجعل الوجهين سواء ، ولا تفضل اليمنى على الأخرى ، وجود الحشو ، وليكن شيئا واحدا تاما ، وقارب بين الخرز ، ولا تطبق إحدى النعلين على الأخرى . ومن هذا الفن ماسئل عنه أحمد بن حنبل رحمه الله من الرفو بحيث لا يتبين ، قال : لايجوز لمن يبيعه أن يخفيه ، وإنما يحل للرفا إذا علم أنه يظهره أو أنه لايريده للبيع .

* فإن قلت : فلاتتم المعاملة مهما وجب على الإنسان أن يذكر عيوب المبيع * فأقول : ليس كذلك ، إذ شرط التاجر أن لايشترى للبيع إلا الجيد الذى يرتضيه لنفسه لو أمسكه ثم يقنع فى بيعه بربح يسير ، فيبارك الله له فيه ، ولا يحتاج إلى تلبيس ، وإنما تعذر هذا لأنهم لايقنعون بالربح اليسير ، وليس يسلم الكثير إلا بتلبيس ، فمن تعود هذا لم يشتر المعيب ، فإن وقع فى يده معيب نادرا فليذكره وليقنع بقيمته . باع ابن سيرين شاة فقال للمشترى : أبرأ إليك من عيب فيها إنها تقلب العلف برجلها . وباع الحسن بن صالح جارية فقال المشترى : إنها تنخمت مرة عندنا دما ، فهكذا كانت سيرة أهل الدين ، فمن لايقدر عليه فليترك المعاملة أو ليوطن نفسه على عذاب الآخرة .

الثالث : ألا يكتم فى المقدار شيئا وذلك بتعديل الميزان والاحتياط فيه وفى الكيل ، فينبغى أن يكيل كما يكتال قال الله تعالى ﴿ ويل للمطففين * الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴾ ولا يخلص من هذا إلا بأن يرجح إذا أعطى ، وينقص إذا أخذ ، إذ العدل الحقيق قلما يتصور ، فليستظهر بظهور الزيادة والنقصان ، فإن من استقصى حقه بكماله يوشك أن يتعداه . وكان بعضهم يقول : لا أشترى الويل من الله بحبة ، فكان إذا أخذ نقص نصف حبة ، وإذا أعطى زاد حبة ، وكان يقول : ويل لمن باع بحبة جنة عرضها السموات والأرض ؛ وما أخسر من باع طوبى بويل . وإنما بالغوا فى الاحتراز من هذا وشبهه لأنها مظالم لا يمكن التوبة منها ، إذ لايعرف أصحاب الحبات حتى يجمعهم ويؤدى حقوقهم ، ولذلك لما اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قال للوزان لما كان يزن ثمنه « زن وأرجح [1] » ، ونظر فضيل إلى ابنه وهو يغسل دينارا يريد أن يصرفه ويزيل تكحيله وينقيه حتى لايزيد وزنه بسبب ذلك فقال : يابنى فعلك هذا أفضل من حجتين وعشرين عمرة . وقال بعض السلف : عجبت للتاجر والبائع كيف ينجو ، يزن ويحلف بالنهار ، وينام بالليل . وقال سليمان عليه السلام لابنه : يابنى كما تدخل الحبة بين الحجرين ، كذلك تدخل الخطيئة بين المتبايعين . وصلى بعض الصالحين على مخنث ؛ فقيل له : إنه كان فاسقا ، فسكت ، فأعيد عليه فقال : كأنك قلت لى : كان صاحب ميزانين يعطى بأحدهما ويأخذ بالآخر ، أشار به إلى أن فسقه مظلمة بينه وبين الله تعالى ، وهذا من مظالم العباد ، والمسامحة والعفو فيه أبعد ، والتشديد فى أمر الميزان عظيم ، والخلاص منه يحصل بحبة ونصف حبة . وفى قراءة عبدالله بن مسعود رضى الله عنه ﴿ لاتطغوا فى الميزان * وأقيموا الوزن باللسان ولا تخسروا الميزان ﴾ أى لسان الميزان ، فإن النقصان والرجحان

(١) حديث : قال للوزان « زن وأرجح » رواه أصحاب السنن والحاكم من حديث سويد بن قيس . قال الترمذى : حسن صحيح وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم .

يظهر بميله ، وبالجملة كل من ينتصف لنفسه من غيره ولو فى كلمة ولا ينصف بمثل ماينتصف ، فهو داخل تحت قوله تعالى ﴿ ويل للمطففين * الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ﴾ الآيات ، فإن تحريم ذلك فى المكيل ليس لكونه مكيلا ، بل لكونه أمرا مقصودا ترك العدل والنصفة فيه ، فهو جار فى جميع الأعمال ، فصاحب الميزان فى خطر الويل ، وكل مكلف فهو صاحب موازين فى أفعاله وأقواله وخطراته ، فالويل له إن عدل عن العدل ومال عن الاستقامة ، ولولا تعذر هذا واستحالته لما ورد قوله تعالى ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ﴾ فلا ينفك عبد ليس معصوما عن الميل عن الاستقامة ، إلا أن درجات الميل تتفاوت تفاوتا عظيما ، فلذلك تتفاوت مدة مقامهم فى النار إلى أوان الخلاص ، حتى لايبقى بعضهم إلا بقدر تحلة القسم ، ويبقى بعضهم ألفا وألوف سنين ، فنسأل الله تعالى أن يقربنا من الاستقامة والعدل ، فإن الاشتداد على متن الصراط المستقيم من غير ميل عنه ، غير مطموع فيه ، فإنه أدق من الشعرة وأحد من السيف ، ولولاه لكان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط الممدود على متن النار الذى من صفته أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف ، وبقدر الاستقامة على هذا الصراط المستقيم يخف العبد يوم القيامة على الصراط ، وكل من خلط بالطعام ترابا أوغيره ثم كاله فهو من المطففين فى الكيل ، وكل قصاب وزن مع اللحم عظما لم تجر العادة بمثله ، فهو من المطففين فى الوزن ، وقس على هذا سائر التقديرات ، حتى فى الذرع الذى يتعاطاه البزاز ، فإنه إذا اشترى أرسل الثوب فى وقت الذرع ولم يمده مدا ، وإذا باعه مده فى الذرع ليظهر تفاوتا فى القدر ، فكل ذلك من التطفيف المعرض صاحبه للويل .

الرابع : أن يصدق فى سعر الوقت ولا يخفى منه شيئا ، فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تلقى الركبان[1] ونهى عن النجش[2] ، أما تلقى الركبان ، فهو أن يستقبل الرفقة ويتلقى المتاع ويكذب فى سعر البلد ، فقد قال صلى الله عليه وسلم « لاتتلقوا الركبان » ومن تلقاها فصاحب السلعة بالخيار بعد أن يقدم السوق ، وهذا الشراء منعقد ، ولكنه إن ظهر كذبه ثبت للبائع الخيار ، وإن كان صادقا فنى الخيار خلاف لتعارض عموم الخبر مع زوال التلبيس ، ونهى أيضا أن يبيع حاضر لباد[3] : وهو أن يقدم البدوى البلد ومعه قوت يريد أن يتسارع إلى بيعه ، فيقول له الحضرى اتركه عندى حتى أغالى فى ثمنه وأنتظر ارتفاع سعره ، وهذا فى القوت محرم ، وفى سائر السلع خلاف ، والأظهر تحريمه لعموم النهى ، ولأنه تأخير للتضييق على الناس على الجملة من غير فائدة للفضولى المضيق ، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النجش . وهو أن يتقدم إلى البائع بين يدى الراغب المشترى ويطلب السلعة بزيادة وهو لايريدها ، وإنما يريد تحريك رغبة المشترى فيها ، فهذا إن لم تجر مواطأة مع البائع فهو فعل حرام من صاحبه والبيع منعقد ، وإن جرى مواطأة فنى ثبوت الخيار خلاف ، والأولى إثبات الخيار لأنه تغرير بفعل يضاهى التغرير فى المصراة وتلقى الركبان ، فهذه المناهى تدل على أنه لايجوز أن يلبس على البائع والمشترى فى سعر الوقت ويكتم منه أمرا لو علمه لما أقدم على العقد ، ففعل هذا من الغش الحرام المضاد للنصح الواجب ، فقد حكى عن رجل من التابعين أنه كان بالبصرة وله غلام بالسوس يجهز إليه السكر ، فكتب إليه غلامه : إن قصب السكر قد أصابته آفة فى هذه السنة ، فاشتر السكر ، قال : فاشترى سكرا كثيرا ، فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين ألفا ، فانصرف إلى منزله فأفكار

---

(١) حديث النهى عن تلقى الركبان : متفق عليه من حديث ابن عباس وأبى هريرة : (٢) حديث النهى عن النجش : متفق عليه من حديث ابن عمر وأبى هريرة . (٣) حديث النهى عن بيع الحاضر للبادى : متفق عليه من حديث ابن عباس وأبى هريرة وأنس .

ليلته وقال : ربحت ثلاثين ألفا وخسرت نصح رجل من المسلمين ، فلما أصبح غدا إلى بائع السكر فدفع إليه ثلاثين ألفا وقال : بارك الله لك فيها ، فقال : ومن أين صارت لى ؟ فقال : إنى كتمتك حقيقة الحال وكان السكر قد غلا فى ذلك الوقت ، فقال : رحمك الله قد أعلمتنى الآن وقد طيبتها لك ، قال : فرجع بها إلى منزله وتفكر وبات ساهرا وقال : ما نصحته ، فلعله استحيا منى فتركها لى فبكر إليه من الغد وقال : عافاك الله ، خذ مالك إليك فهو أطيب لقلبى ، فأخذ منه ثلاثين ألفا . فهذه الأخبار فى المناهى والحكايات تدل على أنه ليس له أن يغتنم فرصة وينتهز غفلة صاحب المتاع ويخفى من البائع غلاء السعر أو من المشترى تراجع الأسعار ، فإن فعل ذلك كان ظالما تاركا للعدل والنصح للمسلمين ، ومهما باع مرابحة بأن يقول : بعت بما قام على أو بما اشتريته ، فعليه أن يصدق ، ثم يجب عليه أن يخبر بما حدث بعد العقد من عيب أو نقصان ، ولو اشترى إلى أجل وجب ذكره ، ولو اشترى مسامحة من صديقه أو ولده يجب ذكره . لأن المعامل يعول على عادته فى الاستقصاء أنه لا يترك النظر لنفسه ، فإذا تركه بسبب من الأسباب فيجب إخباره ، إذ الاعتماد فيه على أمانته .

الباب الرابع : فى الاحسان فى المعاملة

وقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعاً ، والعدل سبب النجاة فقط ، وهو يجرى من التجارة مجرى رأس المال . والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة ، وهو يجرى من التجارة مجرى الربح ، ولا يعد من الغفلاء من قنع فى معاملات الدنيا برأس ماله ، فكذا فى معاملات الآخرة ، فلا ينبغى للمتدين أن يقتصر على العدل واجتناب الظلم ويدع أبواب الإحسان ، وقد قال الله ﴿ وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾ وقال عز وجل ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ وقال سبحانه ﴿ إن رحمت الله قريب من المحسنين ﴾ ونعنى بالإحسان : فعل ما ينتفع به المعامل ، وهو غير واجب عليه ، ولكنه تفضل منه ، فإن الواجب يدخل فى باب العدل وترك الظلم وقد ذكرناه ، وتنال رتبة الإحسان بواحد من ستة أمور .

الأول : فى المغابنة ، فينبغى أن لا يغبن صاحبه بما لا يتغابن به فى العادة ، فأما أصل المغابنة فمأذون فيه : لأن البيع للربح ، ولا يمكن ذلك إلا بغبن ما ، ولكن يراعى فيه التقريب ، فإن بذل المشترى زيادة على الربح المعتاد إما لشدة رغبته أو لشدة حاجته فى الحال إليه ، فينبغى أن يمتنع من قبوله ، فذلك من الإحسان . ومهما لم يكن تلبيس لم يكن أخذ الزيادة ظلما وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ، ولسنا نرى ذلك ، ولكن من الإحسان أن يحط ذلك الغبن . يروى أنه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الأثمان : ضرب قيمة كل حلة منها أربعمائة ، وضرب كل حلة قيمتها مائتان ، فمر إلى الصلاة وخلف ابن أخيه فى الدكان ، فجاء أعرابى وطلب حلة بأربعمائة فعرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها ، فاشتراها فمضى بها وهى على يديه ، فاستقبله يونس فعرف حلته ، فقال للأعرابى : بكم اشتريت ؟ فقال : بأربعمائة ، فقال : لا تساوى أكثر من مائتين فارجع حتى تردها ، فقال : هذه تساوى فى بلدنا خمسمائة وأنا أرتضيها ، فقال له يونس : انصرف فإن النصح فى الدين خير من الدنيا بما فيها ، ثم رده إلى الدكان ورد عليه مائتى درهم ، وخاصم ابن أخيه فى ذلك وقاتله وقال : أما استحييت ، أما اتقيت الله ، تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين ، فقال : والله ما أخذها إلا وهو راض بها . قال : فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك ، وهذا إن كان فيه إخفاء سعر وتلبيس ، فهو من

باب الظلم وقد سبق ، وفى الحديث « غبن المسترسل حرام [١] » وكان الزبير بن عدى يقول : أدركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم أحد يحسن يشترى لحما بدرهم ، فغبن مثل هؤلاء المسترسلين ظلم : إن كان من غير تلبيس فهو من ترك الإحسان ، وقلما يتم هذا إلا بنوع تلبيس وإخفاء سعر الوقت .

وإنما الإحسان المحض ما نقل عن السرى السقطى أنه اشترى كر لوز بستين ديناراً وكتب فى روزنامجه ثلاثة دنانير ربحه ، وكأنه رأى أن يربح على العشرة نصف دينار ، فصار اللوز بتسعين ، فأتاه الدلال وطلب اللوز فقال : خذه . قال : بكم ؟ فقال . بثلاثة وستين ، فقال الدلال وكان من الصالحين : فقد صار اللوز بتسعين ، فقال السرى: قد عقدت عقداً لا أحله ، لست أبيعه إلا بثلاثة وستين ، فقال الدلال : وأنا عقدت بينى وبين الله أن لا أغش مسلما ، لست آخذ منك إلا بتسعين . قال : فلا الدلال اشترى منه ، ولا السرى باعه ، فهذا محض الإحسان من الجانبين ، فإنه مع العلم بحقيقة الحال .

وروى عن محمد بن المنكدر أنه كان له شقق بعضها بخمسة وبعضها بعشرة ، فباع غلامه فى غيبته شقة من الخمسيات بعشرة ، فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الأعرابى المشترى طول النهار حتى وجده ، فقال له : إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوى خمسة بعشرة ، فقال : يا هذا قد رضيت ، فقال : وإن رضيت فإنا لانرضى لك إلا مانرضاه لأنفسنا ، فاختر إحدى ثلاث خصال : إما أن تأخذ شقة من العشريات بدراهمك ، وإما أنّ نرد عليك خمسة ، وإما أن ترد شقتنا وتأخذ دراهمك ، فقال : أعطنى خمسة ، فرد عليه خمسة وانصرف الأعرابى يسأل ويقول : من هذا الشيخ ؟ فقيل له : هذا محمد بن المنكدر ، فقال لاإله إلا الله ، هذا الذى نستسقى به فى البوادى إذا قحطنا . فهذا إحسان فى أن لايربح على العشرة إلا نصفاً أوواحد على ماجرت به العادة فى مثل ذلك المتاع فى ذلك المكان ، ومن قنع بربح قليل كثرت معاملاته واستفاد من تكررها ربحا كثيرا ، وبه تظهر البركة .

كان على رضى الله عنه يدور فى سوق الكوفة بالدرة ويقول : معاشر التجار ، خذوا الحق تسلموا ، لاتردوا قليل الربح فتحرموا كثيره .

قيل لعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : ماسبب يسارك ؟ قال : ثلاث ، ماترددت ربحا قط ، ولا طلب منى حيوان فأخرت بيعه ، ولابعت بنسيئة . ويقال : إنه باع ألف ناقة فما ربح إلا عقلها : باع كل عقال بدرهم فربح فيها ألفا وربح من نفقته عليها ليومه ألفا .

الثانى : فى احتمال الغبن ، والمشترى إن اشترى طعاما من ضعيف أو شيئاً من فقير فلا بأس أن يحتمل الغبن ويتساهل ، ويكون به محسنا وداخلا فى قوله عليه السلام « رحم الله امرءاً سهل البيع سهل الشراء » فأما إذا اشترى من غنى تاجر يطلب الربح زيادة على حاجته ، فاحتمال الغبن منه ليس محموداً ، بل هو تضييع مال من غير أجر ولا حمد ، فقد ورد فى حديث من طريق أهل البيت « المغبون فى الشراء لامحمود ولا مأجور [٢] » وكان إياس ابن معاوية بن قرة قاضى البصرة وكان من عقلاء التابعين يقول : لست بخب والخب لايغبننى ولا يغبن ابن سيرين ولكن يغبن الحسن ويغبن أبى ـ يعنى معاوية بن قرة ، والكمال فى أن لا يغبن ولا يغبن ، كما وصف بعضهم عمر

الباب الرابع : الإحسان فى المعاملة

(١) حديث « غبن المسترسل حرام » أخرجه الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف ، والبيهقى من حديث جابر بسند جيد، وقال « ربا » بدل « حرام » . (٢) حديث « المغبون فى الشراء لامحمود ولامأجور » أخرجه الترمذى الحكيم فى النوادر من رواية عبيد الله بن الحسن عن أبيه عن جده ، ورواه أبو يعلى من حديث الحسين بن على يرفعه . قال الذهبى : هو منكر .

رضى الله عنه فقال : كان أكرم من أن يخدع ، وأعقل من أن يخدع . وكان الحسن والحسين وغيرهما من خيار السلف يستقصون فى الشراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال ، فقيل لبعضهم : تستقصى فى شرائك على اليسير ثم تهب الكثير ولا تبالى ! فقال : إن الواهب يعطى فضله وإن المغبون يغبن عقله . وقال بعضهم : إنما أغبن عقلى وبصرى فلا أمكن الغابن منه ، وإذا وهبت أعطى لله ولا أستكثر منه شيئاً .

الثالث : فى استيفاء الثمن وسائر الديون والإحسان فيه : مرة بالمسامحة وحط البعض ، ومرة بالإمهال والتأخير ، ومرة بالمساهلة فى طلب جودة النقد ، وكل ذلك مندوب إليه ومحثوث عليه : قال النبى صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرءاً سهل البيع سهل الشراء سهل الاقتضاء [1] » فليغتنم دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم . وقال صلى الله عليه وسلم « اسمح يسمح لك [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « من انظر معسراً أو ترك له حاسبه الله حساباً يسيرا » وفى لفظ آخر « أظله الله تحت ظل عرشه يوم لاظل إلا ظله [3] » . وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا كان مسرفا على نفسه : حوسب فلم يوجد له حسنة ، فقيل له : هل عملت خيراً قط ؟ فقال : لا إلا أنى كنت رجلا أداين الناس فأقول لفتيانى : سامحوا الموسر وأنظروا المعسر [4] . وفى لفظ آخر « وتجاوزوا عن المعسر : فقال الله تعالى : نحن أحق بذلك منه ، فتجاوز الله عنه وغفر له » وقال صلى الله عليه وسلم « من أقرض ديناراً إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله ، فإذا حل الأجل فانظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة [5] » وقد كان من السلف من لايحب أن يقضى غريمه الدين لأجل هذا الخبر ، حتى يكون كالمتصدق بجميعه فى كل يوم . وقال صلى الله عليه وسلم « رأيت على باب الجنة مكتوبا : الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمان عشرة [6] » فقيل فى معناه : إن الصدقة تقع فى يد المحتاج وغير المحتاج ، ولايحتمل ذل الاستقراض إلا محتاج . ونظر النبى صلى الله عليه وسلم إلى رجل يلازم رجلا بدين ، فأومأ إلى صاحب الدين بيده أن ضع الشطر ففعل ، فقال للمديون : قم فأعطه [7] » وكل من باع شيئاً وترك ثمنه فى الحال ولم يرهق إلى طلبه فهو فى معنى المقرض .

وروى أن الحسن البصرى باع بغلة له بأربعمائة درهم ، فلما استوجب المال قال له المشترى : اسمح يا أبا سعيد . قال : قد أسقطت عنك مائة ، قال له : فأحسن ياأبا سعيد ، فقال : قد وهبت لك مائة أخرى ، فقبض من حقه مائتى درهم . فقيل له : يا أبا سعيد ، هذا نصف الثمن ، فقال : هكذا يكون الإحسان وإلا فلا .

وفى الخبر « خذ حقك فى كفاف وعفاف واف أو غير واف ، يحاسبك الله حسابا يسيراً [8] » .

---

(١) حديث « رحم الله امرءاً سهل البيع سهل الشراء » تقدم فى الباب قبله . (٢) حديث « اسمح يسمح لك » أخرجه الطبرانى من حديث ابن عباس ورجاله ثقات .

(٣) حديث « من أنظر معسراً أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا » وفى لفظ آخر « أظله الله تحت ظله يوم لاظل الاظله » رواه مسلم باللفظ الثانى من حديث أبى اليسر كعب بن عمرو . (٤) حديث : ذكر رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة ، فقيل له : هل عملت خيراً قط ، فقال : لاالا أنى كنت رجلا أداين الناس فأقول لفتيانى : سامحوا الموسر ... الحديث . رواه مسلم من حديث أبى مسعود الأنصارى ، وهو متفق عليه بنحوه من حديث حذيفة . (٥) حديث « من أقرض دينارا إلى أجل فله بكل يوم صدقة الى أجله . فاذا حل الأجل فأنظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة » أخرجه ابن ماجه من حديث بريدة « من أنظر معسراً كان له كل يوم صدقة ؛ ومن أنظره بعد أجله كان له مثله فى كل يوم صدقة » وسنده ضعيف ، ورواه أحمد والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين .

(٦) حديث « رأيت على باب الجنة مكتوبا : الصدقة بعشر أمثالها ، والقرض بثمان عشرة » أخرجه ابن ماجه من حديث أنس باسناد ضعيف . (٧) حديث « أومأ الى صاحب الدين بيده ضع الشطر ... الحديث » متفق عليه من حديث كعب بن مالك .

(٨) حديث « خذ حقك فى عفاف ... الحديث » أخرجه ابن ماجه من حديث أبى هريرة باسناد حسن دون قوله « يحاسبك الله حسابا يسيرا » وله ولابن حبان والحاكم وصححه نحوه من حديث ابن عمر وعائشة .

الرابع : فى توفية الدين . ومن الإحسان فيه حسن القضاء ، وذلك بأن يمشى إلى صاحب الحق ولا يكلفه أن يمشى إليه يتقاضاه ، فقد قال صلى الله عليه وسلم « خيركم أحسنكم قضاء »[1] ، ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر إليه ولو قبل وقته ، وليسلم أجود مما شرط عليه وأحسن ، وإن عجز فلينو قضاءه مهما قدر . قال صلى الله عليه وسلم « من ادّان دينا وهو ينوى قضاءه وكل الله به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه[2] » وكان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر ، ومهما كلمه صاحب الحق بكلام خشن فليحتمله وليقابله باللطف ، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم : إذ جاءه صاحب الدين عند حلول الأجل ولم يكن قد اتفق قضاؤه ، فجعل الرجل يشدّد الكلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم به أصحابه فقال : دعوه فإنّ لصاحب الحق مقالا[3] ، ومهما دار الكلام بين المستقرض والمقرض ، فالإحسان أن يكون الميل الأكثر للمتوسطين إلى من عليه الدين ، فإنّ المقرض يقرض عن غنى والمستقرض يستقرض عن حاجة ، وكذلك ينبغى أن تكون الإعانة للمشترى أكثر ؛ فإنّ البائع راغب عن السلعة يبغى ترويجها ، والمشترى محتاج إليها : هذا هو الأحسن ، إلا أن يتعدّى من عليه الدين حده ، فعند ذلك نصرته فى منعه عن تعدّيه وإعانة صاحبه ، إذ قال صلى الله عليه وسلم « انصر أخاك ظالما أو مظلوما . فقيل : كيف ننصره ظالما ؟ فقال : منعك إياه من الظلم نصرة له[4] » .

الخامس : أن يقيل من يستقيله ، فإنه لا يستقيل إلا متندم مستضر بالبيع ، ولا ينبغى أن يرضى لنفسه أن يكون سبب استضرار أخيه : قال صلى الله عليه وسلم « من أقال نادما صفقته أقال الله عثرته يوم القيامة[5] » أو كما قال .

السادس : أن يقصد فى معاملته جماعة من الفقراء بالنسيئة وهو فى الحال عازم على أن لا يطالبهم إن لم تظهر لهم ميسرة ، فقد كان فى صالحى السلف من له دفتران للحساب : أحدهما ترجمته مجهولة ، فيه أسماء من لا يعرفه من الضعفاء والفقراء ، وذلك أن الفقير كان يرى الطعام أو الفاكهة فيشتهيه فيقول : أحتاج إلى خمسة أرطال مثلا من هذا وليس معى ثمنه ، فكان يقول : خذه واقض ثمنه عند الميسرة ولم يكن يعدّ هذا من الخيار ، بل عدّ من الخيار من لم يكن يثبت اسمه فى الدفتر أصلا ولا يجعله دينا ، لكن يقول : خذ ما تريد ، فإن يسر لك فاقض ، وإلا فأنت فى حل منه وسعة : فهذه طرق تجارات السلف وقد اندرست ، والقائم به محى لهذه السنة ، وبالجملة ؛ التجارة محك الرجال ، وبها يمتحن دين الرجل وورعه ، ولذلك قيل :

لا يغرنك من المر ء قميص رقعه ... أو إزار فوق كعـ ـب الساق منه رفعه
أو جبين لاح فيه أثر قد قلعه ... ولدى الدرهم فانظر غيه أو ورعه

ولذلك قيل : إذا أثنى على الرجل جيرانه فى الحضر وأصحابه فى السفر ومعاملوه فى الأسواق فلا تشكوا فى صلاحه .

وشهد عند عمر رضى الله عنه شاهد فقال : ائتنى بمن يعرفك ، فأتاه برجل فأثنى عليه خيرا ، فقال عمر : أنت

---

(١) حديث « خيركم أحسنكم قضاء » متفق عليه من حديث أبى هريرة . (٢) حديث « من ادان دينا وهو ينوى قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه » أخرجه أحمد من حديث عائشة « مامن عبد كانت له نية فى أداء دينه إلا كان معه من الله عون وحافظ » وفى رواية له « لم يزل معه من الله حارس » وفى رواية للطبرانى فى الأوسط « إلا كان معه عون من الله عليه حتى يقضيه عنه » . (٣) حديث « دعوه فإن لصاحب الحق مقالا » متفق عليه من حديث أبى هريرة .
(٤) حديث « انصر أخاك ظالما أو مظلوما ... الحديث » متفق عليه من حديث أنس . (٥) حديث « من أقال نادما صفقته أقال الله عثرته يوم القيامة » أخرجه أبو داود والحاكم من حديث أبى هريرة وقال : صحيح على شرط مسلم .

جاره الأدنى الذى يعرف مدخله ومخرجه ؟ قال : لا ؛ فقال كنت رفيقه فى السفر الذى يستدل به على مكارم الأخلاق ؟ فقال : لا ، قال : فعاملته بالدينار والدرهم الذى يستبين به ورع الرجل ؟ قال : لا ، قال : أظنك رأيته قائما فى المسجد يهمهم بالقرآن يخفض رأسه طورا ويرفعه أخرى ! قال : نعم ، فقال : اذهب فلست تعرفه . وقال للرجل . آذهب فائتنى بمن يعرفك .

الباب الخامس : فى شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويعم آخرته

ولا ينبغى للتاجر أن يشغله معاشه عن معاده ، فيكون عمره ضائعا وصفقته خاسرة ، وما يفوته من الربح فى الآخرة لايفى به مايناله فى الدنيا ، فيكون اشترى الحياة الدنيا بالآخرة ، بل العاقل ينبغى أن يشفق على نفسه ، وشفقته على نفسه بحفظ رأس ماله ، ورأس ماله دينه وتجارته فيه . قال بعض السلف : أولى الأشياء بالعاقل أحوجه إليه فى العاجل ، وأحوج شىء إليه فى العاجل أحمده عاقبة فى الآجل . وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه فى وصيته : إنه لابد لك من نصيبك فى الدنيا ، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج فابدأ بنصيبك من الآخرة ، فخذه فإنك ستمر على نصيبك من الدنيا فتنظمه . قال الله تعالى ﴿ ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ أى لا تنس فى الدنيا نصيبك منها للآخرة ، فإنها مزرعة الآخرة ، وفيها تكتسب الحسنات .

وإنما تتم شفقة التاجر على دينه بمراعاة سبعة أمور :

الأول : حسن النية والعقيدة فى ابتداء التجارة ، فلينوبها الاستعفاف عن السؤال ، وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال عنهم ، واستعانة بما يكسبه على الدين ، وقياما بكفاية العيال ليكون من جملة المجاهدين به ، ولينو النصح للمسلمين ، وأن يحب لسائر الخلق مايحب لنفسه ، ولينو اتباع طريق العدل والإحسان فى معاملته كما ذكرناه ، ولينو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى كل مايراه فى السوق ، فاذا أضمر هذه العقائد والنيات كان عاملا فى طريق الآخرة ، فإن استفاد مالا فهو مزيد ، وإن خسر فى الدنيا ربح فى الآخرة .

الثانى : أن يقصد القيام فى صنعته أو تجارته بفرض من فروض الكفايات ، فإن الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعايش وهلك أكثر الخلق . فانتظام أمر الكل بتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمل ، ولو أقبل كلهم على صنعة واحدة لتعطلت البواقى وهلكوا ، وعلى هذا حمل بعض الناس قوله صلى الله عليه وسلم « اختلاف أمتى رحمة [1] » أى اختلاف همهم فى الصناعات والحرف . ومن الصناعات ماهى مهمة ، ومنها مايستغنى عنها لرجوعها إلى طلب النعم والتزين فى الدنيا ، فليشتغل بصناعة مهمة ليكون فى قيامه بها كافيا عن المسلمين مهما فى الدين ، وليجتنب صناعة النقش والصياغة وتشييد البنيان بالجص وجميع ماتزخرف به الدنيا ، فكل ذلك كرهه ذوو الدين ، فأما عمل الملاهى والآلات التى يحرم استعمالها فاجتناب ذلك من قبيل ترك الظلم ، ومن جملة ذلك خياطة الخياط القباء من الإبريسم للرجال ، وصياغة الصائغ مراكب الذهب أو خواتيم الذهب للرجال فكل ذلك من المعاصى والأجرة المأخوذة عليه حرام ، ولذلك أوجبنا الزكاة فيها وإن كنا لانوجب الزكاة فى الحلى ، لأنها إذا قصدت للرجال فهى محرمة ، وكونها مهيأة للنساء لا يلحقها بالحلى المباح ، مالم يقصد ذلك بها فيكتسب حكمها من القصد . وقد ذكرنا أن بيع الطعام وبيع الأكفان مكروه لأنه يوجب انتظار موت الناس وحاجتهم بغلاء السعر ،

الباب الخامس : فى شفقة التاجر على دينه

(١) حديث « اختلاف أمتى رحمة » تقدم فى العلم .

ويكره أن يكون جزارا ، لما فيه من قساوة القلب ، وأن يكون حجاما أو كناسا لما فيه من مخامرة النجاسة ، وكذا الدباغ وما فى معناه ، وكره ابن سيرين الدلالة ، وكره قتادة أجرة الدلال ، ولعل السبب فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب والإفراط فى الثناء على السلعة لترويجها ، ولأن العمل فيه لا يتقدر فقد يقل وقد يكثر ، ولا ينظر فى مقدار الأجرة إلى عمله بل إلى قدر قيمة الثوب ، هذا هو العادة ، وهو ظلم ، بل ينبغى أن ينظر إلى قدر التعب ، وكرهوا شراء الحيوان للتجارة ، لأن المشترى يكره قضاء الله فيه وهو الموت الذى بصدده لا محالة وحلوله . وقيل : بع الحيوان واشتر الموتان ، وكرهوا الصرف ، لأن الاحتراز فيه عن دقائق الربا عسير ، ولأنه طلب لدقائق الصفات فيما لا يقصد أعيانها وإنما يقصد رواجها ، وقلما يتم للصيرفى ربح إلا باعتماد جهالة معامله بدقائق النقد ، فقلما يسلم الصيرفى وإن احتاط ، ويكره للصيرفى وغيره كسر الصحيح والدنانير إلا عند الشك فى جودته أو عند ضرورة . قال أحمد بن حنبل رحمه الله : ورد نهى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] وعن أصحابه فى الصياغة من الصحاح ، وأنا أكره الكسر ، وقال : يشترى بالدنانير دراهم ثم يشترى بالدرهم ذهبا ويصوغه ، واستحبوا تجارة البز . قال سعيد بن المسيب: ما من تجارة أحب إلى من البز ، ما لم يكن فيها أيمان . وقد روى « خير تجارتكم البز وخير صناعتكم الخرز [2] » وفى حديث آخر « لو اتجر أهل الجنة لاتجروا فى البز ، ولو اتجر أهل النار لاتجروا فى الصرف [3] » وقد كان غالب أعمال الأخيار من السلف عشر صنائع : الخرز ، والتجارة ، والحمل ، والخياطة ، والحذو ، والقصارة ، وعمل الخفاف وعمل الحديد ، وعمل المغازل ، ومعالجة صيد البر والبحر ، والوراقة : قال عبد الوهاب الوراق . قال لى أحمد بن حنبل : ما صنعتك ؟ قلت : الوراقة . قال : كسب طيب ، ولو كنت صانعا بيدى لصنعت صنعتك ، ثم قال لى : لا تكتب إلا مواسطة ، واستبق الحواشى وظهور الأجزاء . وأربعة من الصناع موسومون عند الناس بضعف الرأى : الحاكة ، والقطانون ، والمغازليون ، والمعلمون. ولعل ذلك لأن أكثر مخالطتهم مع النساء والصبيان ، ومخالطة ضعفاء العقول تضعف العقل ، كما أن مخالطة العقلاء تزيد فى العقل . وعن مجاهد : أن مريم عليها السلام مرت فى طلبها لعيسى عليه السلام بحاكة ، فطلبت الطريق فأرشدوها غير الطريق ، فقالت : اللهم انزع البركة من كسبهم ، وأمتهم فقراء ، وحقرهم فى أعين الناس ، فاستجيب دعاؤها . وكره السلف أخذ الأجرة على كل ما هو من قبيل العبادات وفروض الكفايات كغسل الموتى ودفنهم ، وكذا الأذان وصلاة التراويح ، وإن حكم بصحة الاستئجار عليه ، وكذا تعليم القرآن وتعليم علم الشرع ، فإن هذه أعمال حقها أن يتجر فيها للآخرة ، وأخذ الأجرة عليها استبدال بالدنيا عن الآخرة ولا يستحب ذلك .

الثالث ، أن يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة ، وأسواق الآخرة المساجد . قال الله تعالى ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ﴾ وقال الله تعالى ﴿ فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾ فينبغى أن يجعل أول النهار إلى وقت دخول السوق لآخرته فيلازم المسجد ويواظب على الأوراد . كان عمر رضى الله عنه يقول للتجار : اجعلوا أول نهاركم لآخرتكم وما بعده لدنياكم . وكان صالحو السلف يجعلون أول

---

(١) حديث النهى عن كسر الدينار والدرهم ، رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه والحاكم من رواية علقمة بن عبد الله عن أبيه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكسر سكة المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس . زاد الحاكم : أن يكسر الدرهم فيجعل فضة ، ويكسر الدينار فيجعل ذهبا . وضعفه ابن حبان . (٢) حديث « خير تجارتكم البز ، وخير صنائعكم الخرز » لم أقف له على إسناد ، وذكره صاحب الفردوس من حديث على بن أبى طالب . (٣) حديث « لو اتجر أهل الجنة لاتجروا فى البز ، ولو اتجر أهل النار لاتجروا فى الصرف » رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى سعيد بسند ضعيف . وروى أبو يعلى والعقيلى فى الضعفاء الشطر الأول من حديث أبى بكر الصديق .

النهار وآخره للآخرة والوسط للتجارة ، ولم يكن يبيع الهريسة والرءوس بكرة إلا الصبيان وأهل الذمة ، لأنهم كانوا فى المساجد بعد . وفى الخبر « إن الملائكة إذا صعدت بصحيفة العبد وفيها فى أول النهار وفى آخره ذكر الله وخير : كفر الله عنهما ما بينهما من سيئ الأعمال [1] » وفى الخبر « تلتقى ملائكة الليل والنهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر ، فيقول الله تعالى وهو أعلم بهم : كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وجئناهم وهم يصلون ؛ فيقول الله سبحانه وتعالى : أشهدكم أنى قد غفرت لهم [2] » ثم مهما سمع الأذان فى وسط النهار للأولى والعصر ، فينبغى أن لا يعرج على شغل ، وينزعج عن مكانه ، ويدع كل ما كان فيه ، فما يفوته من فضيلة التكبيرة الأولى مع الإمام فى أول الوقت لا توازيها الدنيا بما فيها ، ومهما لم يحضر الجماعة عصى عند بعض العلماء . وقد كان السلف يبتدرون عند الأذان ويخلون الأسواق للصبيان وأهل الذمة ، وكانوا يستأجرون بالقراريط لحفظ الحوانيت فى أوقات الصلوات ، وكان ذلك معيشة لهم . وقد جاء فى تفسير قوله تعالى ﴿ لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ أنهم كانوا حدادين وخرازين ؛ فكان أحدهم إذا رفع المطرقة أو غرز الإشفى فسمع الأذان لم يخرج الإشفى من المغرز ولم يوقع المطرقة ورمى بها وقام إلى الصلاة . الرابع . أن لا يقتصر على هذا بل يلازم ذكر الله سبحانه فى السوق ويشتغل بالتهليل والتسبيح ، فذكر الله فى السوق بين الغافلين أفضل . قال صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل خلف الفارين ، وكالحى بين الأموات » وفى لفظ آخر « كالشجرة الخضراء بين الهشيم » وقال صلى الله عليه وسلم « من دخل السوق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير ، كتب الله له ألف ألف حسنة [3] » وكان ابن عمر وسالم بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم يدخلون السوق قاصدين لنيل فضيلة هذا الذكر . وقال الحسن : ذاكر الله فى السوق يجئ يوم القيامة له ضوء كضوء القمر ، وبرهان كبرهان الشمس . ومن استغفر الله فى السوق غفر الله له بعدد أهلها . وكان عمر رضى الله عنه إذا دخل السوق قال : اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفسوق ، ومن شر ما أحاطت به السوق ، اللهم إنى أعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة . وقال أبو جعفر الفرغانى : كنا يوما عند الجنيد ، فجرى ذكر ناس يجلسون فى المساجد ويتشبهون بالصوفية ويقصرون عما يجب عليهم من حق الجلوس ويعيبون من يدخل السوق ؛ فقال الجنيد : كم ممن هو فى السوق حكمه أن يدخل المسجد ؟ ويأخذ بأذن بعض من فيه فيخرجه ويجلس مكانه ، وإنى لأعرف رجلا يدخل السوق ورده كل يوم ثلثمائة ركعة وثلاثون ألف تسبيحة . قال : فسبق إلى وهمى أنه يعنى نفسه ، فهكذا كانت تجارة من يتجر لطلب الكفاية لا للتنعم فى الدنيا ؛ فإن من يطلب الدنيا للاستعانة بها على الآخرة كيف يدع ربح الآخرة ، والسوق والمسجد والبيت له حكم واحد ، وإنما النجاة بالتقوى . قال صلى الله عليه وسلم « اتق الله حيثما كنت [4] » فوظيفة التقوى لا تنقطع عن المتجردين للدين كيفما تقلبت بهم الأحوال ، وبه تكون حياتهم وعيشتهم ، إذ فيه يرون تجارتهم وربحهم . وقد قيل : من أحب الآخرة عاش ، ومن أحب الدنيا طاش ، والأحمق يغدو ويروح فى لاش ، والعاقل عن عيوب نفسه فتاش .

---

(١) حديث « إن الملائكة إذا صعدت بصحيفة العبد وفى أول النهار وآخره ذكر وخير كفر الله ما بينهما من سيئ الأعمال » أخرجه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف بمعناه . (٢) حديث « تلتقى ملائكة الليل وملائكة النهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر ، فيقول الله وهو أعلم : كيف تركتم عبادى ؟ .. الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الغداة وصلاة العصر ... الحديث » . (٣) حديث « من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ... الحديث » تقدم فى الأذكار .

(٤) حديث « اتق الله حيثما كنت » أخرجه الترمذى من حديث أبى ذر وصححه .

الخامس : أن لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة ، وذلك بأن يكون أول داخل وآخر خارج ، وبأن يركب البحر فى التجارة ، فهما مكروهان ، يقال إنّ من ركب البحر فقد استقصى فى طلب الرزق . وفى الخبر « لا يركب البحر إلا لحج أو عمرة أو غزو [1] » وكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما يقول : لاتكن أوّل داخل فى السوق ولا آخر خارج منها ، فإنّ بها باض الشيطان وفرّخ . روى عن معاذ بن جبل وعبدالله بن عمر : أنّ إبليس يقول لولده زلنبور : سر بكتائبك فأت أصحاب الأسواق ، زين لهم الكذب والحلف والخديعة والمكر والخيانة ، وكن مع أوّل داخل وآخر خارج منها . وفى الخبر « شر البقاع الأسواق ، وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا [2] » وتمام هذا الاحتراز أن يراقب وقت كفايته ، فإذا حصل كفاية وقته انصرف واشتغل بتجارة الآخرة هكذا كان صالحو السلف ، فقد كان منهم من إذا ربح دانقا انصرف قناعة به . وكان حماد بن سلمة يبيع الخز فى سفط بين يديه ، فكان إذا ربح حبتين رفع سفطه وانصرف . وقال إبراهيم بن بشار : قلت لإبراهيم بن أدهم رحمه الله : أمر اليوم أعمل فى الطين فقال : يا ابن بشار ، إنك طالب ومطلوب ، يطلبك من لا تفوته وتطلب ما قد كفيته ! أما رأيت حريصا محروما وضعيفا مرزوقا ؟ فقلت : إن لى دانقا عند البقال ؛ فقال عز على بك ، تملك دانقا وتطلب العمل ؟ ! وقد كان فيهم من ينصرف بعد الظهر ، ومنهم بعد العصر ، ومنهم من لا يعمل فى الأسبوع إلا يوما أو يومين وكانوا يكتفون به .

السادس : أن لا يقتصر على اجتناب الحرام ، بل يتقى مواقع الشبهات ومظان الريب ولا ينظر إلى الفتاوى بل يستفتى قلبه ، فإذا وجد فيه حزازة اجتنبه ، وإذا حمل إليه سلعة رابه أمرها سأل عنها حتى يعرف وإلا أكل الشبهة « وقد حمل إلى رسول الله صلى الله عليه سلم لبن ، فقال « من أين لكم هذا ؟ » فقالوا : من الشاة ، فقال « ومن أين لكم هذه الشاة ؟ » فقيل : من موضع كذا ، فشرب منه ثم قال « إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن لا نأكل إلا طيباً ولا نعمل إلا صالحا [3] » وقال « إن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم [4] ﴾ فسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن أصل الشىء وأصل أصله ولم يزد ، لأن ما وراء ذلك يتعذر . وسنبين فى كتاب الحلال والحرام موضع وجوب هذا السؤال ، فإنه كان عليه السلام لا يسأل عن كل ما يحمل إليه [5] ، وإنما الواجب أن ينظر التاجر إلى من يعامله ، فكل منسوب إلى ظلم أو خيانة أو سرقة أو ربا فلا يعامله ، وكذا الأجناد والظلمة لا يعاملهم ألبتة ولا يعامل أصحابهم وأعوانهم ، لأنه معين بذلك على الظلم . وحكى عن رجل أنه تولى عمارة سور لثغر من الثغور . قال : فوقع فى نفسى من ذلك شىء - وإن كان ذلك العمل من الخيرات بل من فرائض الإسلام ، ولكن كان الأمير الذى تولى فى محلته من الظلمة . قال : فسألت سفيان رضى الله

---

(١) حديث « لاتركب البحر إلا لحجة أوعمرة أوغزو » أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو ، وقيل إنه منقطع .

(٢) حديث « شر البقاع الأسواق ، وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا » تقدم صدر الحديث فى الباب السادس من العلم . وروى أبو نعيم فى كتاب حرمة المساجد من حديث ابن عباس « أبغض البقاع إلى الله الأسواق وأبغض أهلها إلى الله أولهم دخولا وآخرهم خروجا » .

(٣) حديث سؤاله عن اللبن والشاة ، وقوله « إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن لانأكل إلا طيبا ولا نعمل إلا صالحا » رواه الطبرانى من حديث أم عبد الله أخت شداد بن أوس بسند ضعيف .

(٤) حديث « إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة .

(٥) حديث : كان لايسأل عن كل مايحمل اليه . رواه أحمد من حديث جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مروا بامرأة فذبحت لهم شاة ... الحديث ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمة فلم يستطع أن يسيغها ، فقال : هذه شاة ذبحت بغير اذن أهلها ... الحديث ، وله من حديث أبي هريرة : كان اذا أتى بطعام من غير أهله سأل عنه . . الحديث ، واسنادهما جيد . وفى هذا أنه كان لايسأل عما أتي به من عند أهله ، والله أعلم .

عنه فقال : لا تكن عونا لهم على قليل ولا كثير ؛ فقلت : هذا سور فى سبيل الله للمسلمين ! فقال نعم ، ولكن أقل مايدخل عليك أن تحب بقاءهم ليوفوك أجرك ؛ فتكون قد أحببت بقاء من يعصى الله . وقد جاء فى الخبر « من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه [1] » وفى الحديث « إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق [2] » وفى حديث آخر « من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الإسلام [3] » ودخل سفيان على المهدى وبيده درج أبيض ، فقال : ياسفيان أعطنى الدواة حتى أكتب ، فقال : أخبرنى أى شىء تكتب ، فإن كان حقا أعطيتك . وطلب بعض الأمراء من بعض العلماء المحبوسين عنده أن يناوله طينا ليختم به الكتاب ، فقال : ناولنى الكتاب أولا حتى أنظر مافيه ، فهكذا كانوا يحترزون عن معاونة الظلمة ومعاملتهم أشد أنواع الإعانة : فينبغى أن يجتنبها ذوو الدين ماوجدوا إليه سبيلا . وبالجملة فينبغى أن ينقسم الناس عنده إلى من يعامل ومن لايعامل ، وليكن من يعامله أقل ممن لايعامله فى هذا الزمان . قال بعضهم : أتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول : من ترون لى أن أعامل من الناس فيقال له : عامل من شئت . ثم أتى زمان آخر كانوا يقولون : عامل من شئت إلا فلانا وفلانا ثم أتى زمان آخر فكان يقال : لاتعامل أحدا إلا فلانا وفلانا ، وأخشى أن يأتى زمان يذهب هذا أيضا . وكأنه قد كان الذى كان يحذر أن يكون ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

السابع : ينبغى أن يراقب جميع مجارى معاملته مع واحد من معامليه ، فإنه مراقب ومحاسب ، فليعدّ الجواب ليوم الحساب والعقاب فى كل فعلة وقولة إنه لم أقدم عليها ؟ ولأجل ماذا ؟ فإنه يقال : إنه يوقف التاجر يوم القيامة مع كل رجل كان باعه شيئا وقفة ، ويحاسب عن كل واحد فهو محاسب على عدد من عامله . قال بعضهم : رأيت بعض التجار فى النوم ، فقلت : ماذا فعل الله بك ؟ فقال : نشر على خمسين ألف صحيفة ، فقلت : هذه كلها ذنوب ، فقال ، هذه معاملات الناس بعدد كل إنسان عاملته فى الدنيا : لكل إنسان صحيفة مفردة فيما بينى وبينه من أول معاملته إلى آخرها فهذا ما على المكتسب فى عمله من العدل والإحسان والشفقة على الدين ، فإن اقتصر على العدل كان من الصالحين ، وإن أضاف إليه الإحسان كان من المقربين ، وإن راعى مع ذلك وظائف الدين كما ذكر فى الباب الخامس كان من الصدّيقين والله أعلم بالصواب .

تم كتاب الكسب والمعيشة بحمد الله ومنه

---

(١) حديث « من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه » لم أجده مرفوعا ، وانما رواه ابن أبي الدنيا فى كتاب الصمت من قول الحسن ، وقد ذكره المصنف هكذا على الصواب فى آفات اللسان . (٢) حديث « ان الله لينضب اذا مدح الفاسق » أخرجه ابن أبي الدنيا فى الصمت ، وابن عدى فى الكامل ، وأبو يعلى والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بسند ضعيف .

(٣) حديث « من أكرم فاسقاً فقد أعان على هدم الإسلام » غريب بهذا اللفظ ، والمعروف « من وقر صاحب بدعة ... الحديث » رواه ابن عدى من حديث عائشة ، والطبرانى فى الأوسط ، وأبو نعيم فى الحلية من حديث عبد الله بن بسر بأسانيد ضعيفة قال ابن الجوزى : كلها موضوعة .

كتاب الحلال والحرام

وهو الكتاب الرابع من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق الإنسان من طين لازب وصلصال ، ثم ركب صورته فى أحسن تقويم وأتم اعتدال ، ثم غذاه فى أول نشوه بلبن استصفاه من بين فرث ودم سائغا كالماء الزلال ، ثم حماه بما آتاه من طيبات الرزق عن دواعى الضعف والانحلال ، ثم قيد شهوته المعادية له عن السطوة والصيال وقهرها بما افترضه عليه من طلب القوت الحلال ، وهزم بكسرها جند الشيطان المتشمر للإضلال ، ولقد كان يجرى من ابن آدم مجرى الدم السيال ، فضيق عليه عزة الحلال المجرى والمجال ، إذ كان لا يبذرقه إلى أعماق العروق إلا الشهوة المائلة إلى الغلبة والاسترسال ؛ فبقى لما زمت بزمام الحلال خائبا خاسرا ماله من ناصر ولا وال . والصلاة على محمد الهادى من الضلال وعلى آله خير آل ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد فقد قال صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فريضة على كل مسلم [1] » رواه ابن مسعود رضى الله عنه ، وهذه الفريضة من بين سائر الفرائض : أعصاها على العقول فهما ، وأثقلها على الجوارح فعلا ، ولذلك اندرس بالكلية علما وعملا ، وصار غموض علمه سببا لاندراس عمله ، إذ ظن الجهال أن الحلال مفقود ، وأن السبيل دون الوصول إليه مسدود ، وأنه لم يبق من الطيبات إلا الماء الفرات ، والحشيش النابت فى الموات ، وما عداه فقد أخبثته الأيدى العادية ، وأفسدته المعاملات الفاسدة ، وإذا تعذرت القناعة بالحشيش من النبات لم يبق وجه سوى الاتساع فى المحرمات ؛ فرفضوا هذا القطب من الدين أصلا ، ولم يدركوا بين الأموال فرقا وفصلا ، وهيهات هيهات ، فالحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات ! ولا تزال هذه الثلاثة مقترنات كيفما تقلبت الحالات . ولما كانت هذه بدعة عم فى الدين ضررها ، واستطار فى الخلق شررها ، وجب كشف الغطاء عن فسادها بالإرشاد إلى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة على وجه التحقيق والبيان ، ولا يخرجه التضييق عن حيز الإمكان .

ونحن نوضح ذلك فى سبعة أبواب : (الباب الأول) فى فضيلة طلب الحلال ومذمة الحرام ودرجات الحلال والحرام . (الباب الثانى) فى مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام . (الباب الثالث) فى البحث والسؤال والهجوم والإهمال ومظانها فى الحلال والحرام . (الباب الرابع) فى كيفية خروج التائب عن المظالم المالية (الباب الخامس) فى إدرارات السلاطين وصلاتهم ومايحل منها ومايحرم . (الباب السادس) فى الدخول على السلاطين ومخالطتهم . (الباب السابع) فى مسائل متفرقة .

كتاب الحلال والحرام

(١) حديث ابن مسعود « طلب الحلال فريضة على كل مسلم » تقدم فى الزكاة دون قوله « على كل مسلم » والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس « واجب على كل مسلم » واسناده ضعيف .

الباب الأول : فى فضيلة الحلال ومذمة الحرام

وبيان أصناف الحلال ودرجاته وأصناف الحرام ودرجات الورع فيه

فضيلة الحلال ومذمة الحرام

قال الله تعالى ﴿ كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ﴾ أمر بالأكل من الطيبات قبل العمل . وقيل : إن المراد به الحلال . وقال تعالى ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ وقال تعالى ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما﴾ الآية . وقال تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ﴾ ثم قال ﴿ فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾ ثم قال ﴿ وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم ﴾ ثم قال ﴿ ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ جعل آكل الربا أول الأمر مؤذنا بمحاربة الله ، وفى آخره متعرضا للنار ، والآيات الواردة فى الحلال والحرام لاتحصى . وروى ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « طلب الحلال فريضة على كل مسلم » ولما قال صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم [1] » قال بعض العلماء : أراد به طلب علم الحلال والحرام ، وجعل المراد بالحديثين واحدا .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم « من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد فى سبيل الله ، ومن طلب الدنيا حلالا فى عفاف كان فى درجة الشهداء [2] » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه [3] » وفى رواية « زهده الله فى الدنيا » وروى : أن سعداً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله تعالى أن يجعله مجاب الدعوة ، فقال له : أطب طعمتك تستجب دعوتك [4] » ولما ذكر صلى الله عليه وسلم الحريص على الدنيا قال « رب أشعث أغبر مشرد فى الأسفار مطعمه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام ، يرفع يديه فيقول : يارب يارب ، فأنى يستجاب لذلك [5] » وفى حديث ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم « إن لله ملكا على بيت المقدس ينادى كل ليلة : من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل [6] » فقيل : الصرف النافلة ، والعدل الفريضة . وقال صلى الله عليه وسلم « من اشترى ثوبا

---

(١) حديث « طلب العلم فريضة على كل مسلم » تقدم فى العلم . (٢) حديث « من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد فى سبيل الله ، ومن طلب الدنيا فى عفاف كان فى درجة الشهداء » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة « من سعى على عياله ففى سبيل الله » ولأبى منصور فى مسند الفردوس « من طلب مكسبة من باب حلال يكف بها وجهه عن مسئلة الناس وولده وعياله جاء يوم القيامة مع النبيين والصديقين » وإسنادهما ضعيف . (٣) حديث « من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » أخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث أبى أيوب « من أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » ولابن عدى نحوه من حديث أبى موسى ، وقال : حديث منكر . (٤) حديث . أن سعداً سأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله أن يجعله مجاب الدعوة ، فقال له « أطب طعمتك تستجب دعوتك » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس وفيه من لاأعرفه . (٥) حديث « رب أشعث أغبر مشرد فى الأسفار مطعمه حرام وملبسه حرام ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة بلفظ : ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ... الحديث . (٦) حديث ابن عباس « ان لله ملكا على بيت المقدس ينادى كل ليلة : من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولاعدل » لم أقف له على أصل ؛ ولأبى منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن مسعود « من أكل لقمة من حرام لم تقبل منه صلاة أربعين ليلة ... الحديث » وهو منكر .

بعشرة دراهم وفى ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته مادام عليه منه شيء [١] » وقال صلى الله عليه وسلم « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النار [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « العبادة عشرة أجزاء : تسعة منها فى طلب الحلال [٤] » روى هذا مرفوعا وموقوفا على بعض الصحابة أيضا . وقال صلى الله عليه وسلم « من أمسى وانيا من طلب الحلال بات مغفوراً له وأصبح والله عنه راض [٥] وقال صلى الله عليه وسلم « من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحما أو تصدق به أو أنفقه فى سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم قذفه فى النار [٦] » وقال عليه السلام « خير دينكم الورع [٧] » وقال صلى الله عليه وسلم « من اتقى الله ورعا أعطاه الله ثواب الإسلام كله [٨] » ويروى أن الله تعالى قال فى بعض كتبه : وأما الورعون فأنا أستحى أن أحاسبهم . وقال صلى الله عليه وسلم « درهم من ربا أشد عندالله من ثلاثين زنية فى الإسلام [٩] » وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه «المعدة حوض البدن والعروق إليها واردة ، فإذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة ، وإذا سقمت صدرت بالسقم [١٠] » ومثل الطعمة من الدين مثل الأساس من البنيان ، فإذا ثبت الأساس وقوى استقام البنيان وارتفع ، وإذا ضعف الأساس واعوج انهار البنيان ووقع . وقال الله عز وجل ﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ﴾ الآية . وفى الحديث « من اكتسب مالا من حرام فإن تصدق به لم يقبل منه ، وإن تركه وراءه كان زاده إلى النار [١١] » وقد ذكرنا جملة من الأخبار فى كتاب آداب الكسب تكشف عن فضيلة الكسب الحلال .

وأما الآثار : فقد ورد أن الصديق رضى الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم سأل عبده فقال : تكهنت لقوم فأعطونى ، فأدخل أصابعه فى فيه وجعل يقيء حتى ظننت أن نفسه ستخرج ، ثم قال : اللهم إنى أعتذر إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء [١٢] . وفى بعض الأخبار أنه صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال : أوعلمتم . أن الصديق

---

(١) حديث « من اشترى ثوبا بعشرة دراهم فى ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته وعليه منه شيء » رواه أحمد من حديث ابن عمر بسند ضعيف . (٢) حديث « كل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به » أخرجه الترمذى من حديث كعب بن عجرة وحسنه ، وقد تقدم

(٣) حديث « من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله عز وجل من أين أدخله النار » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر . قال ابن العربى فى عارضة الأحوذى شرح الترمذى : إنه باطل لم يصح ولايصح .

(٤) حديث « العبادة عشرة أجزاء ، فتسعة منها فى طلب الحلال » رواه أبو منصور الديلمى من حديث أنس ، إلا أنه قال « تسعة منها فى الصمت والعاشرة كسب اليد من الحلال » وهو منكر . (٥) حديث « من أمسى وانيا من طلب الحلال بات مغفوراً له وأصبح والله عنه راض » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس « من أمسى كالا من عمل يديه أمسى مغفوراً له » وفيه ضعف . (٦) حديث « من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحما أو تصدق به أو أنفقه فى سبيل الله جمع الله ذلك جميعاً ثم قذفه فى النار » رواه أبو داود فى المراسيل من رواية القاسم بن مخيمرة مرسلا . (٧) حديث « خير دينكم الورع » تقدم فى العلم . (٨) حديث « من اتقى الله ورعا أعطاه ثواب الإسلام كله » لم أقف له على أصل . (٩) حديث « درهم من ربا أشد عند الله من ثلاثين زنية فى الإسلام » رواه أحمد والدارقطنى من حديث عبد الله بن حنظلة وقال : « ستة وثلاثين » ورجاله ثقات ، وقيل : عن حنظلة الزاهد عن كعب مرفوعا ، وللطبرانى فى الصغير من حديث ابن عباس « ثلاثة وثلاثين » وسنده ضعيف . (١٠) حديث أبى هريرة « المعدة حوض البدن ، والعروق إليها واردة ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط ، والعقيلى فى الضعفاء وقال : باطل لاأصل له . (١١) حديث « من اكتسب مالا من حرام فان تصدق به لم يقبل منه » وإن تركه وراءه كان زاده إلى النار » رواه أحمد من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ؛ ولابن حبان من حديث أبي هريرة « من جمع مالا من حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان إصره عليه » . (١٢) حديث : إن أبابكر شرب لبنا من كسب عبده ثم سأله فقال : تكهنت لقوم فأعطونى فأدخل أصبعه فى فيه وجعل يقيء . وفى بعض الأخبار أنه صلى الله عليه وسلم لما أخبر بذلك قال : أو ماعلمتم أن الصديق لايدخل جوفه إلا طيبا . رواه البخارى من حديث عائشة : كان لأبى بكر غلام يخرج له الخراج ، وكان أبو بكر يأكل من خراجه ، فجاء يوما بشيء فأكل منه أبو بكر ؛ فقال له الغلام : أتدرى ماهذا؟ فقال : وماهو ؟ قال : كنت تكهنت لإنسان فى الجاهلية . فذكره ، دون المرفوع منه ، فلم أجده .

لايدخل جوفه إلا طيبا ؛ وكذلك شرب عمر رضى الله عنه من لبن إبل الصدقة غلطا ، فأدخل أصبعه وتقيأ . وقالت عائشة رضى الله عنها : إنكم لتغفلون عن أفضل العبادة ، هو الورع . وقال عبدالله بن عمر رضى الله عنه : لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا ، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار ، لم يقبل ذلك منكم إلا بورع حاجز . وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله : ماأدرك من أدرك إلا من كان يعقل مايدخل جوفه . وقال الفضيل : من عرف مايدخل جوفه كتبه الله صديقا ، فانظر عند من تفطر يامسكين . وقيل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله : لم لاتشرب من ماء زمزم ؟ فقال : لوكان لى دلو شربت منه . وقال سفيان الثورى رضى الله عنه : من أنفق من الحرام فى طاعة الله كان كمن طهر الثوب النجس بالبول والثوب النجس لايطهره إلا الماء ، والذنب لايكفره إلا الحلال . وقال يحيى بن معاذ الطاعة خزانة من خزائن الله إلا أن مفتاحها الدعاء ، وأسنانه لقم الحلال . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : لايقبل الله صلاة امرئ فى جوفه حرام ، وقال سهل التسترى : لايبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يكون فيه أربع خصال : أداء الفرائض بالسنة ، وأكل الحلال بالورع ، واجتناب النهى من الظاهر والباطن ، والصبر على ذلك إلى الموت . وقال : من أحب أن يكاشف بآيات الصديقين فلا يأكل إلا حلالا ولا يعمل إلا فى سنة أو ضرورة . ويقال : من أكل الشبهة أربعين يوما أظلم قلبه ، وهو تأويل قوله تعالى ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ وقال ابن المبارك : رد درهم من شبهة أحب إلى من أن أتصدق بمائة ألف درهم ومائة ألف ومائة ألف ، حتى بلغ إلى ستمائة ألف . وقال بعض السلف : إن العبد يأكل أكله فيتقلب قلبه ، فينغل كما ينغل الأديم ولا يعود إلى حاله أبدا . وقال سهل رضى الله عنه : من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى ، علم أو لم يعلم . ومن كانت طعمته حلالا أطاعته جوارحه ووفقت للخيرات وقال بعض السلف : إن أول لقمة يأكلها العبد من حلال يغفر له ماسلف من ذنوبه ، ومن أقام نفسه مقام ذل فى طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كتساقط ورق الشجر . وروى فى آثار السلف أن الواعظ كان إذا جلس للناس قال العلماء : تفقدوا منه ثلاثا ، فإن كان معتقدا لبدعة فلا تجالسوه فإنه عن لسان الشيطان ينطق ، وإن كان سيء الطعمة فعن الهوى ينطق ، فإن لم يكن مكين العقل فإنه يفسد بكلامه أكثر مما يصلح فلا تجالسوه . وفى الأخبار المشهورة عن على عليه السلام وغيره : إن الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب . وزاد آخرون : وشبهتها عتاب . وروى أنّ بعض الصالحين دفع طعاما إلى بعض الأبدال فلم يأكل ؛ فسأله عن ذلك فقال : نحن لانأكل إلا حلالا ، فلذلك تستقيم قلوبنا ويدوم حالنا ونكاشف الملكوت ونشاهد الآخرة ، ولو أكلنا مما تأكلون ثلاثة أيام لما رجعنا إلى شيء من علم اليقين ولذهب الخوف والمشاهدة من قلوبنا ؛ فقال له الرجل : فإنى أصوم الدهر وأختم القرآن فى كل شهر ثلاثين مرة ، فقال له البدل : هذه الشربة التى رأيتنى شربتها من الليل أحب إلى من ثلاثين ختمة فى ثلثمائة ركعة من أعمالك ، وكانت شربته من لبن ظبية وحشية . وقد كان بين أحمد بن حنبل ويحيى بن معين صحبة طويلة ، فهجره أحمد إذ سمعه يقول : إنى لاأسأل أحدا شيئا ، ولو أعطانى الشيطان شيئا لأكلته ، حتى اعتذر يحيى وقال : كنت أمزح ، فقال : تمزح بالدين ؛ أما علمت أن الأكل من الدين قدمه الله تعالى على العمل الصالح فقال ﴿ كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ﴾ وفى الخبر : أنه مكتوب فى التوراة « من لم يبال من أين مطعمه لم يبال الله من أى أبواب النيران أدخله » وعن على رضى الله عنه أنه لم يأكل بعد قد قتل عثمان ونهب الدار طعاما إلا مختوما حذرا من الشبهة . واجتمع الفضيل بن عياض وابن عيينة وابن المبارك عند وهيب بن الورد بمكة ، فذكروا الرطب ، فقال وهيب ؛ هو من أحب الطعام إلى ، إلا أنى لا آكله لاختلاط رطب مكة ببساتين زبيدة وغيرها ، فقال له

ابن المبارك : إن نظرت فى مثل هذا ضاق عليك الخبز . قال : وما سببه ؟ قال : إن أصول الضياع قد اختلط بالصوافى ، فغشى على وهيب ؛ فقال سفيان : قتلت الرجل ؛ فقال ابن المبارك : ما أردت إلا أن أهوّن عليه ؛ فلما أفاق قال : لله على أن لا آكل خبزا أبدا حتى ألقاه . قال : فكان يشرب اللبن ، قال فأتته أمه بلبن فسألها فقالت : هو من شاة بنى فلان ، فسأل عن ثمنها وأنه من أين كان لهم فذكرت : فلما أدناه من فيه قال : بقى أنها من أين كانت ترعى ؟ فسكتت ، فلم يشرب لأنها كانت ترعى من موضع فيه حق للمسلمين ؛ فقالت أمه : اشرب فإن الله يغفر لك ؛ فقال ، ما أحب أن يغفر لى وقد شربته فأنال مغفرته بمعصيته . وكان بشر الحافى رحمه الله من الورعين ؛ فقيل له : من أين تأكل ، فقال : من حيث تأكلون ، ولكن ليس من يأكل وهو يبكى كمن يأكل وهو يضحك . وقال : يد أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة ، وهكذا كانوا يحترزون من الشبهات .

أصناف الحلال ومداخله

اعلم أنّ تفصيل الحلال والحرام إنما يتولى بيانه كتب الفقه ، ويستغنى المريد عن تطويله بأن يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى حلها لا يأكل من غيرها ؛ فأما من يتوسع فى الأكل من وجوه متفرّقة فيفتقر إلى علم الحلال والحرام كله كما فصلناه فى كتب الفقه .

ونحن الآن نشير إلى مجامعه فى سياق تقسيم : وهو أنّ المال إنما يحرم إما لمعنى فى عينه أو لخلل فى جهة اكتسابه .

القسم الأول : الحرام لصفة فى عينه كالخمر والخنزير وغيرهما

وتفصيله أنّ الأعيان المأكولة على وجه الأرض لا تعدو ثلاثة أقسام ، فإنها إما أن تكون من المعادن كالملح والطين وغيرهما ، أو من النبات ، أو من الحيوانات .

أما المعادن : فهى أجزاء الأرض وجميع ما يخرج منها ، فلا يحرم أكله إلا من حيث إنه يضر بالآكل ، وفى بعضها ما يجرى مجرى السم ، والخبز لو كان مضرا لحرم أكله ، والطين الذى يعتاد أكله لا يحرم إلا من حيث الضرر . وفائدة قولنا : إنه لا يحرم مع أنه لا يؤكل ، أنه لو وقع شىء منها فى مرقة أو طعام مائع لم يصر به محرّما .

وأما النبات : فلا يحرم منه إلا ما يزيل العقل أو يزيل الحياة أو الصحة ؛ فمزيل العقل : البنج والخمر وسائر المسكرات ، ومزيل الحياة ؛ السموم ؛ ومزيل الصحة : الأدوية فى غير وقتها ، وكأنّ مجموع هذا يرجع إلى الضرر إلا الخمر والمسكرات ؛ فإن الذى لا يسكر منها أيضا حرام مع قلته لعينه ولصفته ، وهى الشدّة المطربة . وأما السم فإذا خرج عن كونه مضرا لقلته أو لعجنه بغيره فلا يحرم

وأما الحيوانات : فتنقسم إلى ما يؤكل وإلى ما لا يؤكل ، وتفصيله فى كتاب الأطعمة ، والنظر يطول فى تفصيله ، لاسيما فى الطيور الغريبة وحيوانات البر والبحر ، وما يحل أكله منها فإنما يحل إذا ذبح ذبحا شرعيا روعى فيه شروط الذابح والآلة والذبح ، وذلك مذكور فى كتاب الصيد والذبائح ؛ وما لم يذبح ذبحا شرعيا أو مات فهو حرام ، ولا يحل إلا ميتتان : السمك والجراد ، وفى معناهما ما يستحيل من الأطعمة كدود التفاح والخل والجبن ، فإنّ الاحتراز منهما غير ممكن ؛ فأما إذا أفردت وأكلت فحكمها حكم الذباب والخنفساء والعقرب وكل ما ليس له نفس سائلة : لا سبب فى تحريمها إلا الاستقذار ، ولو لم يكن لكان لا يكره ، فإن وجد شخص لا يستقذره لم يلتفت إلى خصوص طبعه فإنه التحق بالخبائث لعموم الاستقذار ، فيكره أكله ، كما لو جمع المخاط وشربه كره

ذلك ، وليست الكراهة لنجاستها فإنّ الصحيح أنها لاتنجس بالموت ، إذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يمقل الذباب فى الطعام إذا وقع فيه [1] ، وربما يكون حارا ويكون ذلك سبب موته ، ولو تهرت نملة أو ذبابة فى قدر لم يجب إراقتها ، إذ المستقذر هو جرمه إذا بقى له جرم ، ولم ينجس حتى يحرم بالنجاسة ، وهذا يدل على أنّ تحريمه للاستقذار ، ولذلك نقول : لو وقع جزء من آدمى ميت فى قدر ولو وزن دانق حرم الكل لالنجاسته ، فإنّ الصحيح أن الآدمى لاينجس بالموت ، ولكن لأنّ أكله محرّم احتراما لا استقذارا . وأما الحيوانات المأكولة إذا ذبحت بشرط الشرع فلا تحل جميع أجزائها بل يحرم منها الدم والفرث وكل ما يقضى بنجاسته منها ، بل تناول النجاسه مطلقا محرّم ، ولكن ليس فى الأعيان شىء محرّم نجس إلا من الحيوانات . وأما من النبات فالمسكرات فقط دون ما يزيل العقل ولا يسكر كالبنج ، فإنّ نجاسة المسكر تغليظ للزجر عنه لكونه فى مظنة التشوّف ، ومهما وقعت قطرة من النجاسة أوجزء من نجاسة جامدة فى مرقة أوطعام أودهن حرم أكل جميعه ، ولايحرم الانتفاع به لغير الأكل ، فيجوز الاستصباح بالدهن النجس ، وكذا طلاء السفن والحيوانات وغيرها ، فهذه مجامع ما يحرم لصفة فى ذاته .

القسم الثانى : مايحرم لخلل فى جهة إثبات اليد عليه

وفية يتسع النظر فنقول ؛ أخذالمال إما أن يكون باختيار المالك أوبغير اختياره فالذى يكون بغير اختياره كالإرث ، والذى يكون باختياره إما أن لايكون من مالك كنيل المعادن ، أو يكون من مالك ، والذى أخذ من مالك فإما أن يؤخذ قهرا أو يؤخذ تراضيا ، والمأخوذ قهرا إما أن يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم ، أولاستحقاق الآخذ كزكاة الممتنعين والنفقات الواجبة عليهم ، والمأخوذ تراضيا إماأن يؤخذ بعوض كالبيع والصداق والأجرة ، وإما أن يؤخذ بغير عوض كالهبة والوصية ، فيحصل من هذا السياق ستة أقسام :

الأوّل : ما يؤخذ من غير مالك : كنيل المعادن ، وإحياء الموات ، والاصطياد ، والاحتطاب ، والاستقاء من الأنهار ، والاحتشاش ، فهذا حلال بشرط أن لايكون المأخوذ مختصا بذى حرمة من الآدميين ، فإذا انفك من الاختصاصات ملكها آخذها . وتفصيل ذلك فى كتاب إحياء الموات .

الثانى : المأخوذة قهرا ممن لاحرمة له وهو الفىء والغنيمة وسائر أموال الكفار والمحاربين ، وذلك حلال للمسلمين إذا أخرجوا منها الخمس وقسموها بين المستحقين بالعدل ولم يأخذوها من كافر له حرمة وأمان وعهد . وتفصيل هذه الشروط فى كتاب السير من كتاب الفىء والغنيمة وكتاب الجزية .

الثالث : مايؤخذ قهراً باستحقاق عند امتناع من وجب عليه ، فيؤخذ دون رضاه ، وذلك حلال إذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق الذى به استحقاقه واقتصر على القدر المستحق ، واستوفاه ممن يملك الاستيفاء من قاض أو سلطان أو مستحق : وتفصيل ذلك فى كتاب تفريق الصدقات وكتاب الوقف وكتاب النفقات ، إذ فيها النظر فى صفة المستحقين للزكاة والوقف والنفقة وغيرها من الحقوق ، فإذا استوفيت شرائطها كان المأخوذ حلالا .

الرابع : مايؤخذ تراضيا بمعاوضة ، وذلك حلال إذا روعى شرط العوضين وشرط العاقدين وشرط اللفظين : أعنى الإيجاب والقبول ، مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة . وبيان ذلك فى كتاب البيع والسلم والإجارة والحوالة والضمان والقراض والشركة والمساقاة والشفعة والصلح والخلع والكتابة والصداق

(١) حديث الأمر بأن يمقل الذباب فى الطعام إذا وقع فيه . رواه البخارى من حديث أبى هريرة .

وسائر المعاوضات .

الخامس : مايؤخذ عن رضا من غير عوض ، وهو حلال إذا روعى فيه شرط المعقود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يؤد إلى ضرر بوارث أو غيره وذلك مذكور فى كتاب الهبات والوصايا والصدقات .

السادس . ما يحصل بغير اختيار كالميراث ، وهو حلال إذا كان الموروث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمس على وجه حلال ، ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة وإخراج الزكاة والحج والكفارة إن كان واجبا ، وذلك مذكور فى كتاب الوصايا والفرائض : فهذه مجامع مداخل الحلال والحرام أومأنا إلى جملتها ليعلم المريد أنه إن كانت طعمته متفرقة لا من جهة معينة فلا يستغنى عن علم هذه الأمور ؛ فكل ما يأكله من جهة من الجهات ينبغى أن يستفتى فيه أهل العلم ولا يقدم عليه بالجهل ، فإنه كما يقال للعالم : لم خالفت علمك ؟ يقال للجاهل : لم لازمت جهلك ولم تتعلم بعد أن قيل لك طلب العلم فريضة على كل مسلم ؟

درجات الحلال والحرام

اعلم أن الحرام كله خبيث ، لكن بعضه أخبث من بعض ، والحلال كله طيب ، ولكن بعضه أطيب من بعض وأصفى من بعض ، وكما أن الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن يقول : بعضها حار فى الدرجة الأولى كالسكر ، وبعضها حار فى الثانية كالفانيذ ، وبعضها حار فى الثالثة كالدبس ، وبعضها حار فى الرابعة كالعسل . كذلك الحرام بعضه خبيث حار فى الدرجة الأولى ، وبعضه فى الثانية أو الثالثة أو الرابعة : وكذا الحلال تتفاوت درجات صفاته وطيبه ، فلنقتد بأهل الطب فى الاصطلاح على أربع درجات تقريبا . وإن كان التحقيق لا يوجب هذا الحصر ، إذ يتطرق إلى كل درجة من الدرجات أيضا تفاوت لا ينحصر ، فإنّ من السكر ما هو أشد حرارة من سكر آخر ، وكذا غيره ، فلذلك نقول : الورع عن الحرام على أربع درجات :

الأولى : ورع العدول ، وهو الذى يجب الفسق باقتحامه وتسقط العدالة به ويثبت اسم العصيان والتعرض للنار بسببه : وهو الورع عن كل ماتحرمه فتاوى الفقهاء .

الثانية : ورع الصالحين ، وهو الامتناع عما يتطرق إليه احتمال التحريم ، ولكن المفتى يرخص فى التناول بناء على الظاهر ، فهو من مواقع الشبهة على الجملة ، فلنسم التحرج عن ذلك ورع الصالحين وهو فى الدرجة الثانية .

الثالثة : مالا تحرمه الفتوى ولا شبهة فى حله ، ولكن يخاف منه أداؤه إلى محرّم ، وهو ترك مالا بأس به مخافة مما به بأس ، وهذا ورع المتقين . قال صلى الله عليه وسلم « لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع مالا بأس به مخافة مابه بأس [1] » .

الرابعة : مالا بأس به أصلا ولا يخاف منه أن يؤدى إلى مابه بأس ، ولكنه يتناول لغير الله وعلى غير نية التقوى به على عبادة الله ، أو تتطرق إلى أسبابه المسهلة له كراهية أو معصية ، والامتناع منه ورع الصدّيقين ، فهذه درجات الحلال جملة إلى أن نفصلها بالأمثلة والشواهد .

وأما الحرام الذى ذكرناه فى الدرجة الأولى وهو الذى يشترط التورع عنه فى العدالة واطراح سمة الفسق ، فهو أيضا على درجات فى الخبث ، فالمأخوذ بعقد فاسد كالمعاطاة مثلا فيما لا يجوز فيه المعاطاة حرام ، ولكن ليس فى درجة المغصوب على سبيل القهر ، بل المغصوب أغلظ ، إذ فيه ترك طريق الشرع فى الاكتساب وإيذاء الغير ،

(١) حديث « لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع مالا بأس به مخافة مابه بأس » رواه ابن ماجه ، وقد تقدم .

وليس فى المعاطاة إيذاء ، وإنما فيه ترك طريق التعبد فقط ، ثم ترك طريق التعبد بالمعاطاة أهون من تركه بالربا ، وهذا التفاوت يدرك بتشديد الشرع ووعيده وتأكيده فى بعض المناهى ، على ما سيأتى فى كتاب التوبة عند ذكر الفرق بين الكبيرة والصغيرة ، بل المأخوذ ظلما من فقير أو صالح أو من يتيم أخبث وأعظم من المأخوذ من قوى أو غنى أو فاسق ، لأن درجات الإيذاء تختلف باختلاف درجات المؤذى ، فهذه دقائق فى تفاصيل الخبائث لاينبغى أن يذهل عنها ، فلولا اختلاف درجات العصاة لما اختلفت درجات النار وإذا عرفت مثارات التغليظ فلا حاجة إلى حصره فى ثلاث درجات أو أربعة ، فإن ذلك جار مجرى التحكم والتشهى ، وهو طلب حصر فيما لاحاصر له ، ويدلك على اختلاف درجات الحرام فى الخبث ما سيأتى فى تعارض المحذورات وترجيح بعضها على بعض ، حتى إذا اضطر إلى أكل ميتة أو أكل طعام الغير أو أكل صيد الحرم فإنا نقدم بعض هذا على بعض .

أمثلة الدرجات الأربع فى الورع وشواهدها

أما الدرجة الأولى : وهى ورع العدول ، فكل ما اقتضى الفتوى تحريمه مما يدخل فى المداخل الستة التى ذكرناها من مداخل الحرام لفقد شرط من الشروط ، فهو الحرام المطلق الذى ينسب مقتحمه إلى الفسق والمعصية ، وهو الذى نريده بالحرام المطلق ولا يحتاج إلى أمثلة وشواهد .

وأما الدرجة الثانية : فأمثلتها : كل شبهة لاتوجب اجتنابها ولكن يستحب اجتنابها كما سيأتى فى باب الشبهات إذ من الشبهات مايجب اجتنابها فتلحق بالحرام ، ومنها مايكره اجتنابها فالورع عنها ورع الموسوسين ، كمن يمتنع من الاصطياد خوفا من أن يكون الصيد قد أفلت من إنسان أخذه وملكه ، وهذا وسواس . ومنها . مايستحب اجتنابها ولايجب وهو الذى ينزل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « دع ما يريبك إلى مالا يريبك [1] » ونحمله على نهى التنزيه ، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « كل ما أصميت ودع ماأنميت [2] » والإنماء : أن يجرى الصيد فيغيب عنه ثم يدركه ميتا ، إذ يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر ، والذى نختاره كما سيأتى : أن هذا ليس بحرام ولكن تركه من ورع الصالحين . وقوله « دع مايريبك » أمر تنزيه ، إذ ورد فى بعض الروايات « كل منه وإن غاب عنك مالم تجد فيه أثرا غير سهمك » ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم فى الكلب المعلم « وإن أكل فلا تأكل فإنى أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه » على سبيل التنزيه لأجل الخوف . إذ قال لأبى ثعلبة الخشنى « كل منه » فقال : وإن أكل منه ؟ فقال « وإن أكل [3] » وذلك لأن حالة أبى ثعلبة وهو فقير مكتسب لاتحتمل هذا الورع ، وحال عدى كان يحتمله . يحكى عن ابن سيرين أنه ترك لشريك له أربعة آلاف درهم لأنه حاك فى قلبه شىء ، مع اتفاق العلماء على أنه لابأس به ، فأمثلة هذه الدرجة نذكرها فى التعرض لدرجات الشبهة فكل ماهو شبهة لايجب اجتنابه فهو مثال هذه الدرجة

أما الدرجة الثالثة : وهى ورع المتقين ، فيشهد لها قوله صلى الله عليه وسلم « لايبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع مالا بأس به مخافة مابه بأس » وقال عمر رضى الله عنه . كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع فى الحرام .

---

(١) حديث « دع مايريبك إلى مالا يريبك » أخرجه النسائى والترمذى والحاكم وصححاه من حديث الحسن بن على .

(٢) حديث « كل ماأصميت ودع ما أنميت » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس والبيهقى موقوفا عليه وقال : إن المرفوع ضعيف . (٣) حديث قال لأبى ثعلبة « كل منه » ؟ فقال : وإن أكل ؟ قال : « وإن أكل » رواه أبو داود من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . ومن حديث أبى ثعلبة أيضاً مختصراً وإسنادهما جيد ، والبيهقى موقوفا عليه وقال : إن المرفوع ضعيف .

وقيل : إن هذا عن ابن عباس رضى الله عنهما . وقال أبو الدرداء : إن من تمام التقوى أن يتقى العبد فى مثال ذرة حتى يترك بعض مايرى أنه حلال خشية أن يكون حراما حتى يكون حجابا بينه وبين النار ، ولهذا كان لبعضهم مائة درهم على إنسان ، فحملها إليه ، فأخذ تسعة وتسعين وتورّع عن استيفاء الكل خيفة الزيادة . وكان بعضهم يتحرّز، فكل مايستوفيه يأخذه بنقصان حبة ومايعطيه يوفيه بزيادة حبة ، ليكون ذلك حاجزا من النار ، ومن هذه الدرجة الاحتراز عما يتسامح به الناس ، فإنّ ذلك حلال فى الفتوى ولكن يخاف من فتح بابه أن ينجرّ إلى غيره وتألف النفس الاسترسال وترك الورع : فمن ذلك ماروى عن على بن معبد أنه قال : كنت ساكنا فى بيت بكراء ، فكتبت كتابا وأردت أن آخذ من تراب الحائط لأتربه وأجففه ، ثم قلت : الحائط ليس لى ، فقالت لى نفسى : وماقدر تراب من حائط ، فأخذت من التراب حاجتى ، فلما نمت فإذا أنا بشخص واقف يقول : ياعلى بن معبد ، سيعلم غدا الذى يقول : وما قدر تراب من حائط ، ولعل معنى ذلك أنه يرى كيف يحط من منزلته ، فإن للتقوى درجة تفوت بفوات ورع المتقين ، وليس المراد به أن يستحق عقوبة على فعله . ومن ذلك ماروى أن عمر رضى الله عنه وصله مسك من البحرين فقال : وددت لو أنّ امرأة وزنت حتى أقسمه بين المسلمين ، فقالت امرأته عاتكة : أنا أجيد الوزن فسكت عنها ، ثم أعاد القول فأعادت الجواب ، فقال : لا أحببت أن تضعيه بكفة ثم تقولين فيها أثر الغبار فتمسحين بها عنقك فأصيب بذلك فضلا على المسلمين . وكان يوزن بين يدى عمر بن عبد العزيز مسك للمسلمين . فأخذ بأنفه حتى لاتصيبه الرائحة وقال : وهل ينتفع منه إلا بريحه لما استبعد ذلك منه . وأخذ الحسن رضى الله عنه تمرة من تمر الصدقة وكان صغيرا فقال النبى صلى الله عليه وسلم « كخ كخ [1] » أى ألقها . ومن ذلك ماروى بعضهم أنه كان عند محتضر ، فمات ليلا فقال : أطفئوا السراج قد حدث للورثة حق فى الدهن . وروى سليمان التيمى عن نعيمة العطارة قالت : كان عمر رضى الله عنه يدفع إلى امرأته طيباً من طيب المسلمين لتبيعه ، فباعتنى طيبا فجعلت تقوّم وتزيد وتنقص وتكسر بأسنانها ، فتعلق بأصبعها شىء منه فقالت به هكذا بأصبعها ، ثم مسحت به خمارها فدخل عمر رضى الله عنه فقال : ماهذه الرائحة ؟ فأخبرته فقال : طيب المسلمين تأخذينه ، فانتزع الخمار من رأسها وأخذ جرّة من الماء فجعل يصب على الخمار ثم يدلكه فى التراب ثم يشمه ، ثم يصب الماء ثم يدلكه فى التراب ويشمه، حتى لم يبق له ريح ، قالت : ثم اتيتها مرة أخرى فلما وزنت علق منه شىء بأصبعها ، فأدخلت أصبعها فى فيها ثم مسحت به التراب، فهذا من عمر رضى الله عنه ورع التقوى ، لخوف أداء ذلك إلى غيره ، وإلا فغسل الخمار ما كان يعيد الطيب إلى المسلمين ، ولكن أتلفه عليها زجرا وردعا واتقاء من أن يتعدّى الأمر إلى غيره . ومن ذلك ماسئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل يكون فى المسجد يحمل مجمرة لبعض السلاطين ويبخر المسجد بالعود فقال : ينبغى أن يخرج من المسجد ، فإنه لاينتفع من العود إلا برائحته ، وهذا قد يقارب الحرام ، فإنّ القدر الذى يعبق بثوبه من رائحة الطيب قد يقصد وقد يبخل به ، فلا يدرى أنه يتسامح به أم لا . وسئل أحمد بن حنبل عمن سقطت منه ورقة فيها أحاديث، فهل لمن وجدها أن يكتب منها ثم يردها ؟ فقال : لابل يستأذن ثم يكتب ، وهذا أيضا قد يشك فى أنّ صاحبها هل يرضى به أم لا ، فما هو فى محل الشك والأصل تحريمه فهو حرام ، وتركه من الدرجة الأولى . ومن ذلك التورع عن الزينة لأنه يخاف منها أن تدعو إلى غيرها ـ وإن كانت الزينة مباحة فى نفسها . وقد سئل أحمد بن حنبل عن النعال السبتية فقال : أما أنا فلا أستعملها ولكن إن كان للطين فأرجو ، وأما من أراد الزينة فلا ، ومن ذلك أن عمر

(١) حديث : أخذ الحسن بن على تمرة من الصدقة وكان صغيراً فقال النبى صلى الله عليه وسلم « كخ كخ ، ألقها » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة .

رضى الله عنه لما ولى الخلافة كانت له زوجة يحبها ، فطلقها خيفة أن تشير عليه بشفاعة فى باطل فيطيعها ويطلب رضاها ، وهذا من ترك مالا بأس به مخافة مما به البأس : أى مخافة من أن يفضى إليه ، وأكثر المباحات داعية إلى المحظورات ، حتى استكثار الأكل واستعمال الطيب للمتعزب فإنه يحرك الشهوة ، ثم الشهوة تدعو إلى الفكر ، والفكر يدعو إلى النظر ، والنظر يدعو إلى غيره ، وكذلك النظر إلى دور الأغنياء وتجملهم ، مباح فى نفسه ولكن يهيج الحرص ويدعو إلى طلب مثله ، ويلزم منه ارتكاب مالايحل فى تحصيله ، وهكذا المباحات كلها إذا لم تؤخذ بقدر الحاجة فى وقت الحاجة مع التحرز من غوائلها بالمعرفة أولا ثم بالحذر ثانيا ، فقلما تخلو عاقبتها عن خطر ، وكذا كل ماأخذ بالشهوة فقلما يخلو عن خطر ، حتى كره أحمد بن حنبل تجصيص الحيطان وقال : أما تجصيص الأرض فيمنع التراب ، وأما تجصيص الحيطان فزينة لافائدة فيه ، حتى أنكر تجصيص المساجد وتزيينها ، واستدل بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه سئل أن يكحل المسجد ، فقال « لا ، عريش كعريش موسى [1] » وإنما هو شىء مثل الكحل يطلى به ، فلم يرخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، وكره السلف الثوب الرقيق وقالوا : من رق ثوبه رق دينه ، وكل ذلك خوفا من سريان اتباع الشهوات فى المباحات إلى غيرها ، فإن المحظور والمباح تشتهيهما النفس بشهوة واحدة ، وإذا تعودت الشهوة المسامحة استرسلت ، فاقتضى خوف التقوى الورع عن هذا كله ، فكل حلال انفك عن مثل هذه المخافة فهو الحلال الطيب فى الدرجة الثالثة ، وهو كل مالايخاف أداؤه إلى معصية ألبتة .

أما الدرجة الرابعة : وهو ورع الصديقين ، فالحلال عندهم كل مالاتتقدم فى أسبابه معصية ولايستعان به على معصية ولايقصد منه فى الحال والمآل قضاء وطر ، بل يتناول لله تعالى فقط وللتقوى على عبادته واستبقاء الحياة لأجله ، وهؤلاء هم الذين يرون كل ماليس لله حراما ، امتثالا لقوله تعالى ﴿ قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ﴾ وهذه رتبة الموحدين المتجردين عن حظوظ أنفسهم ، المنفردين لله تعالى بالقصد ، ولاشك فى أن من يتورع عما يوصل إليه أو يستعان عليه بمعصية ليتورع عما يقترن بسبب اكتسابه معصية أو كراهية ؛ فمن ذلك ماروى عن يحيى بن كثير أنه شرب الدواء ، فقالت له امرأته : لو تمشيت فى الدار قليلا حتى يعمل الدواء ، فقال . هذه مشية لاأعرفها ، وأنا أحاسب نفسى منذ ثلاثين سنة ، فكأنه لم تحضره نية فى هذه المشية تتعلق بالدين ، فلم يجز الإقدام عليها . وعن سرى رحمه الله أنه قال : انتهيت إلى حشيش فى جبل وماء يخرج منه ، فتناولت من الحشيش وشربت من الماء ، وقلت فى نفسى : إن كنت قد أكلت يوما حلالا طيبا فهو هذا اليوم ، فهتف بى هاتف : إنّ القوة التى أوصلتك إلى هذا الموضع من أين هى ؟ فرجعت وندمت . ومن هذا ماروى عن ذى النون المصرى أنه كان جائعا محبوسا ، فبعثت إليه امرأة صالحة طعاما على يد السجان ، فلم يأكل ، ثم اعتذر وقال : جاءنى على طبق ظالم ، يعنى أن القوة التى أوصلت الطعام إلى لم تكن طيبة ، وهذه الغاية القصوى فى الورع . ومن ذلك أن بشراً رحمه الله كان لايشرب الماء من الأنهار التى حفرها الأمراء ، فإن النهر سبب لجريان الماء ووصوله إليه وإن كان الماء مباحا فى نفسه فيكون كالمنتفع بالنهر المحفور بأعمال الأجراء وقد أعطوا الأجرة من الحرام ؛ ولذلك امتنع بعضهم من العنب الحلال من كرم حلال ، وقال لصاحبه . أفسدته إذ سقيته من الماء الذى يجرى فى النهر الذى حفرته الظلمة ، وهذا أبعد عن الظلم من شرب نفس الماء ، لأنه احتراز من استمداد العنب من ذلك الماء. وكان بعضهم إذا مر فى طريق الحج لم يشرب من المصانع التى عملتها الظلمة ، مع أن الماء مباح ، ولكنه بقى محفوظا

(١) حديث : أنه سئل أن يكحل المسجد فقال « لا ، عريش كعريش موسى » أخرجه الدارقطنى فى الأفراد من حديث أبى الدرداء وقال : غريب .

بالمصنع الذى عمل به بمال حرام ، فكأنه انتفاع به . وامتناع ذى النون من تناول الطعام من يد السجان أعظم من هذا كله ؛ لأن يد السجان لاتوصف بأنها حرام ، بخلاف الطبق المغصوب إذا حمل عليه ، ولكنه وصل إليه بقوة اكتسبت بالغذاء الحرام ، ولذلك تقيأ الصديق رضى الله عنه من اللبن خيفة من أن يحدث الحرام فيه قوة مع أنه شربه عن جهل ، وكان لايجب إخراجه ولكن تخلية البطن عن الخبيث من ورع الصدّيقين ، ومن ذلك ؛ التورّع من كسب حلال اكتسبه خياط يخيط فى المسجد ؛ فإن أحمد رحمه الله كره جلوس الخياط فى المسجد . وسئل عن المغازلى يجلس فى قبة فى المقابر فى وقت يخاف من المطر ؛ فقال. إنما هى من أمر الآخرة وكره جلوسه فيها . وأطفأ بعضهم سراجا أسرجه غلامه من قوم يكره مالهم . وامتنع من تسجير تنور للخبز وقد بقى فيه جمر من حطب مكروه . وامتنع بعضهم من أن يحكم شسع نعله فى مشعل السلطان ، فهذه دقائق الورع عند سالكى طريق الآخرة

والتحقيق فيه أن الورع له أول وهو الامتناع عما حرمته الفتوى وهو ورع العدول وله غاية وهو ورع الصديقين ، وذلك هو الامتناع من كل ماليس لله مما أخذ بشهوة أو توصل إليه بمكروه ، أواتصل بسببه مكروه وبينهما درجات فى الاحتياط ، فكلما كان العبد أشدّ تشديدا على نفسه كان أخف ظهرا يوم القيامة وأسرع جوازا على الصراط ، وأبعد عن أن تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته ، وتتفاوت المنازل فى الآخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات فى الورع ، كما تتفاوت درجات النار فى حق الظلمة بحسب تفاوت درجات الحرام فى الخبث ، وإذا علمت حقيقة الأمر فإليك الخيار ، فإن شئت فاستكثر من الاحتياط ، وإن شئت فرخص فلنفسك تحتاط وعلى نفسك ترخص ، والسلام .

الباب الثانى : فى مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لايعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ، ومن وقع فى الشبهات واقع الحرام ، كالراعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه [1] » فهذا الحديث نص فى إثبات الأقسام الثلاثة ، والمشكل منها القسم المتوسط الذى لايعرفه كثير من الناس وهو الشبهة ، فلا بدّ من بيانها وكشف الغطاء عنها ، فإنّ مالا يعرفه الكثير فقد يعرفه القليل ، فنقول :

الحلال المطلق : هو الذى خلا عن ذاته الصفات الموجبة للتحريم فى عينه ، وانحل عن أسبابه ماتطرّق إليه تحريم أو كراهية ، ومثاله الماء الذى يأخذه الإنسان من المطر قبل أن يقع على ملك أحد يكون هو واقفا عند جمعه وأخذه من الهواء فى ملك نفسه أو فى أرض مباحة .

والحرام المحض : هو ما فيه صفة محرّمة لايشك فيها ، كالشدّة المطربة فى الخمر ، والنجاسة فى البول . أو حصل بسبب منهى عنه قطعا كالمحصل بالظلم والربا ونظائره ؛ فهذان طرفان ظاهران ، ويلتحق بالطرفين ماتحقق أمره ولكنه احتمل تغيره ، ولم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه ؛ فإنّ صيد البر والبحر حلال ؛ ومن أخذ ظبية فيحتمل أن يكون قد ملكها صياد ثم افلتت منه ، وكذلك السمك يحتمل أن يكون قد تزلق من الصياد بعد وقوعه فى يده وخريطته ؛ فمثل هذا الاحتمال لايتطرّق إلى ماء المطر المختطف من الهواء ، ولكنه فى معنى ماء المطر ،

الباب الثانى : فى مراتب الشبهات

(١) حديث « الحلال بين والحرام بين ... الحديث » متفق عليه من حديث النعمان بن بشير .

والاحتراز منه وسواس ، ولنسم هذا الفن ورع الموسوسين ، حتى تلتحق به أمثاله وذلك لأن هذا وهم مجرد لا دلالة عليه ، نعم لو دل عليه دليل : فإن كان قاطعا كما لو وجد حلقة فى أذن السمكة ، أو كان محتملا كما لو وجد على الظبية جراحة يحتمل أن يكون كيا لا يقدر عليه إلا بعد الضبط . ويحتمل أن يكون جرحا ، فهذا موضع الورع ، وإذا انتفت الدلالة من كل وجه فالاحتمال المعدوم دلالته كالاحتمال المعدوم فى نفسه ، ومن هذا الجنس من يستعير دارا فيغيب عنه المعير فيخرج ويقول : لعله مات وصار الحق للوارث ؛ فهذا وسواس إذ لم يدل على موته سبب قاطع أو مشكك إذ الشبهة المحذورة ما تنشأ من الشك ، والشك عبارة عن اعتقادين متقابلين نشآ عن سببين ، فما لا سبب له لا يثبت عقده فى النفس حتى يساوى العقد المقابل له فيصير شكا ، ولهذا نقول : من شك أنه صلى ثلاثا أو أربعا أخذ بالثلاث إذ الأصل عدم الزيادة . ولو سئل إنسان أن صلاة الظهر التى أداها قبل هذا بعشر سنين كانت ثلاثا أو أربعا لم يتحقق قطعا أنها أربعة ، وإذا لم يقطع جوز أن تكون ثلاثة ، وهذا التجويز لا يكون شكا ، إذ لم يحضره سبب أوجب اعتقاد كونها ثلاثا ، فلتفهم حقيقة الشك حتى لا يشتبه الوهم والتجويز بغير سبب فهذا يلتحق بالحلال المطلق . ويلتحق بالحرام المحض ما تحقق تحريمه وإن أمكن طريان محلل ولكن لم يدل عليه سبب ، كمن فى يده طعام لمورثه الذى لا وارث له سواه ، فغاب عنه فقال : يحتمل أنه مات وقد انتقل الملك إلى فآكله ، فإقدامه عليه إقدام على حرام محض ، لأنه احتمال لا مستند له ، فلا ينبغى أن يعد هذا النمط من أقسام الشبهات ، وإنما الشبهة نعنى بها ما اشتبه علينا أمره بأن تعارض لنا فيه اعتقادان صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين . ومثارات الشبهة خمسة :

المثار الأول : الشك فى السبب المحلل والمحرم

وذلك لا يخلو إما أن يكون متعادلا ، أو غلب أحد الاحتمالين ، فإن تعادل الاحتمالان كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب ولا يترك بالشك ، وإن غلب أحد الاحتمالين عليه بأن صدر عن دلالة معتبرة كان الحكم للغالب ، ولا يتبين هذا إلا بالأمثال والشواهد ، فلنقسمه إلى أقسام أربعة :

القسم الأول : أن يكون التحريم معلوما من قبل ثم يقع الشك فى المحلل ، فهذه شبهة يجب اجتنابها ويحرم الإقدام عليها . مثاله أن يرمى إلى صيد فيجرحه ويقع فى الماء فيصادفه ميتا ولا يدرى أنه مات بالغرق أو بالجرح ، فهذا حرام لأن الأصل التحريم ، إلا إذ مات بطريق معين وقد وقع الشك فى الطريق فلا يترك اليقين بالشك ، كما فى الأحداث والنجاسات وركعات الصلاة وغيرها ، وعلى هذا ينزل قوله صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم « لا تأكله فلعله قتله غير كلبك [1] » فلذلك كان صلى الله عليه وسلم إذا أتى بشىء اشتبه عليه أنه صدقة أو هدية سأل عنه حتى يعلم أيهما هو [2] . وروى « أنه صلى الله عليه وسلم أرق ليلة فقالت له بعض نسائه : أرقت يا رسول الله ، فقال ؛ أجل ، وجدت تمرة فخشيت أن تكون من الصدقة [3] » وفى رواية « فأكلتها فخشيت أن تكون من الصدقة » ومن ذلك ما روى عن بعضهم أنه قال : « كنا فى سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابنا الجوع ، فنزلنا منزلا

---

(١) حديث « لا تأكله فلعله قتله غير كلبك » قاله لعدى بن حاتم متفق عليه من حديثه . (٢) حديث « كان إذا أتى بشىء اشتبه عليه أنه صدقة أو هدية يسأل عنه » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة . (٣) حديث : أنه أرق ليلة فقال له بعض نسائه . أرقت يا رسول الله ! فقال : « أجل ، وجدت تمرة فأكلتها ، فخشيت أن تكون من الصدقة » أخرجه أحمد من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بإسناد حسن .

كثير الضباب فبينا القدور تغلى بها إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمة مسخت من بنى إسرائيل أخشى أن تكون هذه » فأكفأنا القدور [١] ، ثم أعلمه الله بعد ذلك أنه لم يمسخ الله خلقا فجعل له نسلا [٢] . وكان امتناعه أولا لأن الأصل عدم الحل وشك فى كون الذبح محللا .

القسم الثانى أن يعرف الحل ويشك فى المحرم ، فالأصل الحل وله الحكم . كما إذا نكح امرأتين رجلان وطار طائر ، فقال أحدهما : إن كان هذا غرابا فامرأتى طالق ، وقال الآخر : إن لم يكن غرابا فامرأتى طالق . والتبس أمر الطائر فلا يقضى بالتحريم فى واحدة منهما ولا يلزمهما اجتنابهما ، ولكن الورع اجتنابهما وتطليقهما حتى يحلا لسائر الأزواج ، وقد أمر مكحول بالاجتناب فى هذه المسئلة ، وأفتى الشعبى بالاجتناب فى رجلين كانا قد تنازعا ، فقال أحدهما للآخر : أنت حسود ، فقال الآخر : أحسدنا زوجته طالق ثلاثا ، فقال الآخر : نعم ، وأشكل الأمر ، وهذا إن أراد به اجتناب الورع فصحيح ، وإن أراد التحريم المحقق فلا وجه له ، إذ ثبت فى المياه والنجاسات والأحداث والصلوات أن اليقين لا يجب تركه بالشك ، وهذا فى معناه .

* فإن قلت : وأى مناسبة بين هذا وبين ذلك ؟ فاعلم أنه لا يحتاج إلى المناسبة ، فإنه لازم من غير ذلك فى بعض الصور ، فإنه مهما تيقن طهارة الماء ثم شك فى نجاسته جاز له أن يتوضأ به ، فكيف لا يجوز أن يشربه ؟ وإذا جوز الشرب فقد سلم أن اليقين لا يزال بالشك ، إلا أن ههنا دقيقة : وهو أن وزان الماء أن يشك فى أنه طلق زوجته أم لا ؟ فيقال : الأصل أنه ما طلق ووزان مسئلة الطائر أن يتحقق نجاسة أحد الإناءين ويشتبه عينه ؛ فلا يجوز أن يستعمل أحدهما بغير اجتهاد ، لأنه قابل يقين النجاسة بيقين الطهارة فيبطل الاستصحاب ، فكذلك ههنا قد وقع الطلاق على إحدى الزوجين قطعا ، والتبس عين المطلقة بغير المطلقة ، فنقول : اختلف أصحاب الشافعى فى الإناءين على ثلاثة أوجه ، فقال قوم : يستصحب بغير اجتهاد ، وقال قوم : بعد حصول يقين النجاسة فى مقابلة يقين الطهارة يجب الاجتناب ولا يغنى الاجتهاد . وقال المقتصدون : يجتهد وهو الصحيح ، ولكن وزانه أن تكون له زوجتان فيقول إن كان غرابا فزينب طالق ، وإن لم يكن فعمرة طالق ، فلا جرم لا يجوز له غشيانهما بالاستصحاب ولا يجوز الاجتهاد ، إذ لا علامة ، ونحرمهما عليه لإنه لو وطئهما كان مقتحما للحرام قطعا ، وإن وطئ إحداهما وقال : أقتصر على هذه ، كان متحكما بتعيينها من غير ترجيح . فنى هذا افترق حكم شخص واحد أو شخصين ، لأن التحريم على شخص واحد متحقق ، بخلاف الشخصين . إذ كل واحد شك فى التحريم فى حق نفسه .

فإن قيل : فلو كان الإناءان لشخصين فينبغى أن يستغنى عن الاجتهاد ويتوضأ كل واحد بإنائه لأنه تيقن طهارته وقد شك الآن فيه ، فنقول . هذا محتمل فى الفقه والأرجح فى ظنى المنع ، وإن تعدد الشخصين ههنا كاتحاده ، لأن صحة الوضوء لا تستدعى ملكا ، بل وضوء الإنسان بماء غيره فى رفع الحدث كوضوئه بماء نفسه ، فلا يتبين لاختلاف الملك واتحاده أثر ، بخلاف الوطء لزوجة الغير فإنه لا يحل ، ولأن للعلامات مدخلا فى النجاسات ، والاجتهاد فيه ممكن بخلاف الطلاق ، فوجب تقوية الاستصحاب بعلامة ليدفع بها قوة يقين النجاسة المقابلة ليقين الطهارة ، وأبواب الاستصحاب والترجيحات من غوامض الفقه ودقائقه ، وقد استقصيناه فى كتب الفقه ، ولسنا نقصد الآن إلا التنبيه على قواعدها .

---

(١) حديث : كنا فى سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصابنا الجوع ، فنزلنا منزلا كثير الضباب ، فبينا القدور تغلى بها إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمة من بنى إسرائيل مسخت فأخاف أن تكون هذه » فأكفأنا القدور . أخرجه ابن حبان والبيهقى من حديث عبد الرحمن وحسنه . وروى أبو داود والنسائى وابن ماجه حديث ثابت بن زيد نحوه مع اختلاف قال البخارى : وحديث ثابت أصح . (٢) حديث : أنه لم يمسخ الله خلقا فجعل له نسلا . أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود .

القسم الثالث : أن يكون الأصل التحريم ، ولكن طرأ ماأوجب تحليله بظنّ غالب ، فهو مشكوك فيه ، والغالب حله ؛ فهذا ينظر فيه ؛ فإن استند غلبة الظنّ إلى سبب معتبر شرعا فالذى نختار فيه أنه يحل ، واجتنابه من الورع . مثاله : أن يرمى إلى صيدفيغيب ثم يدركه ميتا وليس عليه أثرسوى سهمه ، ولكن يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر ، فإن ظهرعليه أثر صدمة أو جراحة أخرى التحق بالقسم الأول . وقد اختلف قول الشافعى رحمه الله فى هذا القسم ، والمختار أنه حلال ، لأن الجرح سبب ظاهر وقد تحقق ، والأصل أنه لم يطرأ غيره عليه ، فطريانه مشكوك فيه ، فلا يدع اليقين بالشك .

فإن قيل : فقد قال ابن عباس : كل ما أصميت ودع ماأنميت . وروت عائشة رضى الله عنها : أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم بأرنب فقال : رميتى عرفت فيها سهمى ، فقال « أصميت أو أنميت ؟ » فقال : بل أنميت ، قال « إن الليل خلق من خلق الله لا يقدر قدره إلا الذى خلقه ، فلعله أعان على قتله شىء [1] » وكذلك قال صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم فى كلبه المعلم « وإن أكل فلا تأكل ، فإنى أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه [2] » والغالب أن الكلب المعلم لا يسىء خلقه ولا يمسك إلا على صاحبه ، ومع ذلك نهى عنه ، وهذا التحقيق : وهو أن الحل إنما يتحقق إذا تحقق تمام السبب ، وتمام السبب بأن يفضى إلى الموت سليما من طريان غيره عليه ، وقد شك فيه فهو شك فى تمام السبب حتى اشتبه أنّ موته على الحل أو على الحرمة ، فلا يكون هذا فى معنى ماتحقق موته على الحل فى ساعته ثم شك فيما يطرأ عليه * فالجواب : أنّ نهى ابن عباس ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمول على الورع والتنزيه ، بدليل ماروى فى بعض الروايات أنه قال « كل منه وإن غاب عنك مالم تجد فيه أثرا غير سهمك [3] » وهذا تنبيه على المعنى الذى ذكرناه : وهو أنه إن وجد أثرا اخر فقد تعارض السببان بتعارض الظن ، وإن لم يجد سوى جرحه حصل غلبة الظن فيحكم به على الاستصحاب ، كما يحكم على الاستصحاب بخبر الواحد والقياس المظنون والعمومات المظنونة وغيرها . وأما قول القائل : إنه لم يتحقق موته على الحل فى ساعة فيكون شكا فى السبب فليس كذلك ، بل السبب قد تحقق ، إذ الجرح سبب الموت ، فطريان الغير شك فيه ، ويدل على صحة هذا : الإجماع ، على أن من جرح وغاب فوجد ميتا فيجب القصاص على جارحه ، بل إن لم يغب يحتمل أن يكون موته بهيجان خلط فى باطنه ، كما يموت الإنسان فجأة ، فينبغى أن لا يجب القصاص إلا بحز الرقبة والجرح المذفف ، لأن العلل القاتلة فى الباطن لا تؤمن ، ولأجلها يموت الصحيح فجأة ، ولا قائل بذلك ، مع أن القصاص مبناه على الشبهة ، وكذلك جنين المذكاة حلال ، ولعله مات قبل ذبح الأصل لا بسبب ذبحه أو لم ينفخ فيه الروح ، وغرّة الجنين تجب ، ولعل الروح لم ينفخ فيه ، أو كان قد مات قبل الجناية بسبب آخر ، ولكن يبنى على الأسباب الظاهرة ، فإن الاحتمال الآخر إذا لم يستند إلى دلالة تدل عليه التحق بالوهم والوسواس كما ذكرناه ، فكذلك هذا . وأما قوله صلى الله عليه وسلم «أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه» فللشافعى رحمه الله

---

(١) حديث عائشة أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم بأرنب فقال : رميتى عرفت فيها سهمى ، فقال « أصميت أو أنميت ؟ » قال : بل إنميت . قال « إن الليل خلق من خلق الله لايقدر قدره إلا الذى خلقه لعله أعان على قتله شىء » ليس هذا من حديث عائشة ، وإنما رواه موسى بن أبى عائشة عن أبى رزين قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم بصيد فقال : إنى رميته من الليل فأعيانى ، ووجدت سهمى فيه من الغد وعرفت سهمى ؟ فقال « الليل خلق من خلق الله عظيم ، لعله أعانك عليها شىء » رواه أبو داود فى المراسيل ، والبيهقى وقال : أبو رزين اسمه مسعود ، والحديث مرسل ، قاله البخارى . (٢) حديث : قال لعدى فى كلبه المعلم « وإن أكل فلا تأكل فإنى أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه » متفق عليه من حديثه .

(٣) حديث « كل منه وإن غاب عنك مالم تجد فيه أثر سهم غيرك » متفق عليه من حديث عدى بن حاتم .

فى هذه الصورة قولان ، والذى نختاره الحكم بالتحريم : لأن السبب قد تعارض ، إذ الكلب المعلم كالآلة والوكيل يمسك على صاحبه فيحل ، ولو استرسل المعلم بنفسه فأخذ ، لم يحل ؛ لأنه يتصور منه أن يصطاد لنفسه ، ومهما انبعث بإشارته ثم أكل دل ابتداء انبعاثه على أنه نازل منزلة آلته وأنه يسعى فى وكالته ونيابته ، ودل أكله آخرا على أنه أمسك لنفسه لا لصاحبه ، فقد تعارض السبب الدال فيتعارض الاحتمال ، والأصل التحريم فيستصحب ، ولا يزال بالشك ، وهو كما لو وكل رجلا بأن يشترى له جارية فاشترى جارية ومات قبل أن يبين أنه اشتراها لنفسه أو لموكله يحل للموكل وطؤها ، لأن للوكيل قدرة على الشراء لنفسه ولموكله جميعا ، ولا دليل مرجح والأصل التحريم ؛ فهذا يلتحق بالقسم الأول لا بالقسم الثالث .

القسم الرابع : أن يكون الحل معلوما ولكن يغلب على الظن طريان محرم بسبب معتبر فى غلبة الظن شرعا ، فيرفع الاستصحاب ويقضى بالتحريم ، إذ بان لنا أن الاستصحاب ضعيف ولا يبقى له حكم مع غالب الظن ، ومثاله أن يؤدى اجتهاده إلى نجاسة أحد الإناءين بالاعتماد على علامة معينة توجب غلبة الظن فتوجب تحريم شربه كما أوجبت منع الوضوء به ، وكذا إذا قال : إن قتل زيد عمراً أو قتل زيد صيدا منفردا بقتله فامرأتى طالق فجرحه وغاب عنه فوجد ميتا : حرمت زوجته ، لأن الظاهر أنه منفرد بقتله كما سبق ، وقد نص الشافعى رحمه الله أن من وجد فى الغدران ماء متغيرا احتمل أن يكون تغيره بطول المكث أو بالنجاسة فيستعمله ، ولو رأى ظبية بالت فيه ثم وجده متغيرا واحتمل أن يكون بالبول أو بطول المكث لم يجز استعماله ، إذ صار البول المشاهد دلالة مغلبة لاحتمال النجاسة وهو مثال ماذكرناه وهذا فى غلبة ظن استند إلى علامة متعلقة بعين الشىء ، فأما غلبة الظن لا من جهة علامة تتعلق بعين الشىء فقد اختلف قول الشافعى رضى الله عنه فى أن أصل الحل هل يزال به إذا اختلف قوله فى التوضؤ من أوانى المشركين ، ومدمن الخمر والصلاة فى المقابر المنبوشة والصلاة مع طين الشوارع ، أعنى المقدار الزائد على مايتعذر الاحتراز عنه ، وعبر الأصحاب عنه بأنه إذا تعارض الأصل والغالب فأيهما يعتبر ، وهذا جار فى حل الشرب من أوانى مدمن الخمر والمشركين ، لأن النجس لا يحل شربه ، فإذن مأخذ النجاسة والحل واحد ، فالتردد فى أحدهما يوجب التردد فى الآخر ، والذى أختاره أن الأصل هو المعتبر ، وأن العلامة إذا لم تتعلق بعين المتناول لم توجب رفع الأصل ، وسيأتى بيان ذلك وبرهانه فى المثار الثانى للشبهة وهى شبهة الخلط ، فقد اتضح من هذا حكم حلال شك فى طريان محرم عليه أو ظن ، وحكم حرام شك فى طريان محلل عليه أو ظن ، وبان الفرق بين ظن يستند إلى علامة فى عين الشىء وبين مالا يستند إليه ، وكل ما حكمنا فى هذه الأقسام الأربعة بحله فهو حلال فى الدرجة الأولى والاحتياط تركه ، فالمقدم عليه لا يكون من زمرة المتقين والصالحين بل من زمرة العدول الذين لا يقضى فى فتوى الشرع بفسقهم وعصيانهم واستحقاقهم العقوبة ، إلا ما ألحقناه برتبة الوسواس فإن الاحتراز عنه ليس من الورع أصلا .

المثار الثانى للشبهة : شك منشؤه الاختلاط

وذلك بأن يختلط الحرام بالحلال ويشتبه الأمر ولا يتميز ، والخلط لا يخلو : إما أن يقع بعدد لا يحصر من الجانبين أو من أحدهما ، أو بعدد محصور ، فإن اختلط بمحصور فلا يخلو : إما أن يكون اختلاط امتزاج بحيث لا يتميز بالإشارة كاختلاط المائعات . أو يكون اختلاط استبهام مع التميز للأعيان كاختلاط الأعبد والدور والأفراس ، والذى يختلط بالاستبهام فلا يخلو : إما أن يكون مما يقصد عينه كالعروض ، أو لا يقصد كالنقود ،

فيخرج من هذا التقسيم ثلاثة أقسام :

القسم الأول : أن تستبهم العين بعدد محصور ، كالو اختلطت الميتة بمذكاة أو بعشر مذكيات ، أو اختلطت رضيعة بعشر نسوة ، أو يتزوج إحدى الأختين ثم تلتبس ، فهذه شبهة يجب اجتنابها بالإجماع ، لأنه لامجال للاجتهاد والعلامات فى هذا ، وإذا اختلطت بعدد محصور صارت الجملة كالشيء الواحد ، فتقابل فيه يقين التحريم والتحليل ، ولافرق فى هذا بين أن يثبت حل فيطرأ اختلاط بمحرم ، كما لو أوقع الطلاق على إحدى زوجتين فى مسئلة الطائر ، أو يختلط قبل الاستحلال كما لو اختلطت رضيعة بأجنبية فأراد استحلال واحدة ، وهذا قد يشكل فى طريان التحريم كطلاق إحدى الزوجتين لما سبق من الاستصحاب . وقد نبهنا على وجه الجواب : وهو أن يقين التحريم قابل يقين الحل فضعف الاستصحاب وجانب الحظر أغلب فى نظر الشرع ؛ فلذلك ترجح ، وهذا إذا اختلط حلال محصور بحرام محصور . فإن اختلط حلال محصور بحرام غير محصور ، فلايخفى أن وجوب الاجتناب أولى .

القسم الثانى : حرام محصور بحلال غير محصور ، كما لو اختلطت رضيعة أو عشر رضائع بنسوة بلد كبير ، فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح نساء أهل البلد ، بل له أن ينكح من شاء منهن ، وهذا لايجوز ان يعلل بكثرة الحلال ، إذ يلزم عليه أن يجوز النكاح إذا اختلطت واحدة حرام بتسع حلال ولاقائل به ، بل العله الغلبة والحاجة جميعا ، إذ كل من ضاع له رضيع أو قريب أو محرم بمصاهرة أو سبب من الأسباب فلا يمكن أن يسد عليه باب النكاح ، وكذلك من علم أن مال الدنيا خالطه حرام قطعا لايلزمه ترك الشراء والأكل ؛ فإن ذلك حرج ، ومافى الدين من حرج . ويعلم هذا بأنه لما سرق فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم مجن [1] وغل واحد فى الغنيمة عباءة [2] ، لم يمتنع أحد من شراء المجان والعباء فى الدنيا ، وكذلك كل ماسرق ، وكذلك كان يعرف أن فى الناس من يربى فى الدراهم والدنانير . وماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس الدراهم والدنانير بالكلية [3] . وبالجملة إنما تنفك الدنيا عن الحرام إذا عصم الخلق كلهم عن المعاصى ، وهو محال . وإذا لم يشترط هذا فى الدنيا لم يشترط أيضا فى بلد إلا إذا وقع بين جماعة محصورين ، بل اجتناب هذا من ورع الموسوسين ، إذ لم ينقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة ، ولا يتصور الوفاء به فى ملة من الملل ولا فى عصر من الأعصار .

* فإن قلت : فكل عدد محصور فى علم الله ، فما حد المحصور ؟ ولو أراد الإنسان أن يحصر أهل بلد لقدر عليه أيضا إن تمكن منه * فاعلم أن تحديد أمثال هذه الأمور غير ممكن ، وإنما يضبط بالتقريب . فنقول : كل عدد لواجتمع على صعيد واحد لعسر على الناظر عدهم بمجرد النظر ، كالألف والألفين فهو غير محصور ، وما سهل كالعشرة والعشرين فهو محصور ، وبين الطرفين أوساط متشابهة تلحق بأحد الطرفين بالظن ، وما وقع الشك فيه استفتى فيه القلب ، فإن الإثم حزاز القلوب . وفى مثل هذا المقام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابصة « استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك [4] » وكذا الأقسام الأربعة التى ذكرناها فى المثال الأول يقع فيها أطراف متقابلة واضحة فى النفى والإثبات وأوساط متشابهة ، فالمفتى يفتى بالظن ، وعلى المستفتى أن يستفتى

---

(١) حديث سرقه المجن فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم : متفق عليه من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقا فى مجن قيمته ثلاثة دراهم . (٢) حديث « غل واحد من الغنائم عباءة » رواه البخارى من حديث عبد الله ابن عمر ، واسم الغال : كركرة . (٣) حديث : ان فى الناس من كان يربى فى الدراهم والدنانير ، وماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس الدراهم بالكلية ، هذا معروف ، وسيأتى حديث جابر بعده بحديث . وهو يدل على ذلك .

(٤) حديث « استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك » قاله لوابصة تقدم .

قلبه ، فإن حاك فى صدره شىء فهو الإثم بينه وبين الله ، فلا ينجيه فى الآخرة فتوى المفتى ، فإنه يفتى بالظاهر والله يتولى السرائر .

القسم الثالث : أن يختلط حرام لايحصر بحلال لايحصر ، كحكم الأموال فى زماننا هذا ، فالذى يأخذ الأحكام من الصور قد يظن أن نسبة غير المحصور إلى غير المحصور كنسبة المحصور إلى المحصور ، وقد حكمنا ثم بالتحريم ، فلنحكم هنا به : والذى نختاره خلاف ذلك : وهو أنه لايحرم بهذا الاختلاط أن يتناول شىء بعينه احتمل أنه حرام وأنه حلال ، إلا أن يقترن بتلك العين علامة تدل على أنه من الحرام ، فإن لم يكن فى العين علامة تدل على أنه من الحرام فتركه ورع وأخذه حلال لايفسق به آكله : ومن العلامات : أن يأخذه من يد سلطان ظالم ، إلى غير ذلك من العلامات التى سيأتى ذكرها ، ويدل عليه الأثر والقياس ، فأما الأثر . فما علم فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده ، إذ كانت أثمان الخمور ودراهم الربا من أيدى أهل الذمة مختلطة بالأموال ، وكذا غلول الأموال ، وكذا غلول الغنيمة ، ومن الوقت الذى نهى صلى الله عليه وسلم عن الربا إذ قال « أول ربا أضعه ربا العباس [1] » ماترك الناس الربا بأجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمور وسائر المعاصى ، حتى روى أن بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم باع الخمر ، فقال عمر رضى الله عنه . لعن الله فلانا هو أول من سن بيع الخمر ، إذ لم يكن قد فهم أن تحريم الخمر تحريم لثمنها . وقال صلى الله عليه وسلم « إن فلانا يجر فى النار عباءة قد غلها [2] » ، وقتل رجل ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزات من خرز اليهود لاتساوى درهمين قد غلها [3] ، وكذلك أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراء الظلمة ولم يمتنع أحد منهم عن الشراء والبيع فى السوق بسبب نهب المدينة وقد نهبها أصحاب يزيد ثلاثة أيام ، وكان من يمتنع من تلك الأموال مشارا إليه فى الورع ، والأكثرون لم يمتنعوا مع الاخلاط وكثرة الأموال المنهوبة فى أيام الظلمة . ومن أوجب مالم يوجبه السلف الصالح وزعم أنه تفطن من الشر مالم يتفطنوا له فهو موسوس مختل العقل ولو جاز أن يزاد عليهم فى أمثال هذا لجاز مخالفتهم فى مسائل لامستند فيها سوى اتفاقهم كقولهم « إن الجدة كالأم فى التحريم وابن الابن كالابن وشعر الخنزير وشحمه كاللحم المذكور تحريمه فى القرآن ، والربا جار فيما عدا الأشياء الستة . وذلك محال فإنهم أولى بفهم الشرع من غيرهم . واما القياس فهو أنه لوفتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات وخرب العالم إذ الفسق يغلب على الناس ويتساهلون بسببه فى شروط الشرع فى العقود ويؤدى ذلك لامحالة إلى الاختلاط .

« فإن قيل . فقد نقلتم أنه صلى الله عليه وسلم امتنع من الضب وقال « أخشى أن يكون مما مسخه الله » وهو فى اختلاط غير المحصور ؟ قلنا يحمل ذلك على التنزه والورع أو نقول الضب شكل غريب ربما يدل على أنه من المسخ فهى دلالة فى عين المتناول .

* فإن قيل هذا معلوم فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة بسبب الربا والسرقة والنهب وغلول الغنيمة وغيرها ولكن كانت هى الأقل بالإضافة إلى الحلال فماذا تقول فى زماننا وقد صار الحرام أكثر مافى أيدى الناس لفساد المعاملات وإهمال شروطها وكثرة الربا وأموال السلاطين الظلمة ، فمن أخذ مالا لم يشهد

---

(١) حديث « أول ربا أضعه ربا العباس » أخرجه مسلم من حديث جابر .

(٢) حديث « إن فلانا فى النار يجر عباءة قد غلها » رواه البخارى من حديث عبدالله بن عمر ، وتقدم قبله بثلاثة أحاديث .

(٣) حديث : قتل رجل ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزا من خرز اليهود لايساوى درهمين قد غله . رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث زيد بن خالد الجهنى .

عليه علامة معينة فى عينه للتحريم فهل هو حرام أم لا ؟ فأقول ليس ذلك حراما وإنما الورع تركه وهذا الورع أهم من الورع إذا كان قليلا .

ولكن الجواب عن هذا أن قول القائل أكثر الأموال حرام فى زماننا غلط محض ومنشؤه الغفلة عن الفرق بين الكثير والأكثر فأكثر الناس بل أكثر الفقهاء يظنون أن ماليس بنادر فهو الأكثر ويتوهمون أنهما قسمان متقابلان ليس بينهما ثالث وليس كذلك بل الأقسام ثلاثة قليل وهو النادر وكثير وأكثر ومثاله أنّ الخنثى فيما بين الخلق نادر وإذا أضيف إليه المريض وجد كثيراً وكذا السفر حتى يقال المرض والسفر من الأعذار العامة والاستحاضة من الأعذار النادرة ، ومعلوم أنّ المرض ليس بنادر وليس بالأكثر أيضاً بل هو كثير . والفقيه إذا تساهل وقال المرض والسفر غالب وهو عذر عام أراد به أنه ليس بنادر فإن لم يرد هذا فهو غلط والصحيح والمقيم هو الأكثر والمسافر والمريض كثير والمستحاضة والخنثى نادر . فإذا فهم هذا فنقول : قول القائل الحرام أكثر باطل لأن مستند هذا القائل إما أن يكون كثرة الظلمة والجندية أو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة أو كثرة الأيدى التى تكررت من أول الإسلام إلى زماننا هذا على أصول الأموال الموجودة اليوم . أما المستند الأول فباطل فإن الظالم كثير وليس هو بالأكثر فإنهم الجندية إذ لايظلم إلا ذو غلبة وشوكة وهم إذا أضيفوا إلى كل العالم لم يبلغوا عشر عشيرهم ، فكل سلطان يجتمع عليه من الجنود مائة ألف مثلا فيملك إقليما يجمع ألف ألف وزيادة ولعل بلدة واحدة من بلاد مملكته يزيد عددها على جميع عسكره ، ولو كان عدد السلاطين أكثر من عدد الرعايا لهلك الكل إذ كان يجب على كل واحد من الرعية أن يقوم بعشرة منهم مثلا مع تنعمهم فى المعيشة ولايتصور ذلك بل كفاية الواحد كان منهم تجمع من ألف من الرعية وزيادة ، وكذا القول فى السراق فإن البلدة الكبيرة تشتمل منهم على قدر قليل . وأما المستند الثانى وهو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة فهى أيضاً كثيرة وليست بالأكثر إذ أكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع فعدد هؤلاء أكثر والذى يعامل بالربا أو غيره فلو عددت معاملاته وحده لكان عدد الصحيح منها يزيد على الفاسد إلا أن يطلب الإنسان بوهمه فى البلد مخصوصا بالمجانة والخبث وقلة الدين حتى يتصور أن يقال معاملاته الفاسدة أكثر ، ومثل ذلك المخصوص نادر وإن كان كثيراً فليس بالأكثر لو كان كل معاملاته فاسدة كيف ولايخلو هو أيضا عن معاملات صحيحة تساوى الفاسدة أو تزيد عليها وهذا مقطوع به لمن تأمله وإنما غلب هذا على النفوس لاستكثار النفوس الفساد واستبعادها إياه واستعظامها له وإن كان نادراً حتى ربما يظن أن الربا وشرب الخمر قد شاع كما شاع الحرام فيتخيل أنهم الأكثرون وهو خطأ فإنهم الأقلون وإن كان فيهم كثرة . وأما المستند الثالث وهو أخيلها أن يقال الأموال إنما تحصل من المعادن والنبات والحيوان ، والنبات والحيوان حاصلان بالتوالد ، فإذا نظرنا إلى شاة مثلا وهى تلد فى كل سنة فيكون عدد أصولها إلى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من خمسمائة ولايخلو هذا أن يتطرق إلى أصل من تلك الأصول غصب أو معاملة فاسدة فكيف يقدر أن تسلم أصولها عن تصرف باطل إلى زماننا هذا ؟ وكذا بذور الحبوب والفواكه تحتاج إلى خمسمائة أصل أو ألف أصل مثلا إلى أول زمان الشرع ولايكون هذا حلالا مالم يكن أصله وأصل أصله كذلك إلى أول زمان النبوة حلالا وأما المعادن فهى التى يمكن نيلها على سبيل الابتداء وهى أقل الأموال وأكثر ما يستعمل منها الدراهم والدنانير ولا تخرج إلا من دار الضرب وهى فى أيدى الظلمة مثل المعادن فى أيديهم يمنعون الناس منها ويلزمون الفقراء استخراجها بالأعمال الشاقة ثم يأخذونها منهم غصبا فإذا نظر إلى هذا علم أن بقاء دينار واحد بحيث لايتطرق إليه عقد فاسد

ولا ظلم وقت النيل ولا وقت الضرب فى دار الضرب ولابعده فى معاملات الصرف والربا بعيد نادر أو محال فلا يبقى إذن حلال إلا الصيد والحشيش فى الصحارى الموات والمفاوز والحطب المباح ثم من يحصله لايقدر على أكله فيفتقر إلى أن يشترى به الحبوب والحيوانات التى لاتحصل إلا بالاستنبات والتوالد فيكون قد بذل حلالا فى مقابلة حرام فهذا هو أشد الطرق تخيلا . والجواب أن هذه الغلبة لم تنشأ من كثرة الحرام المخلوط بالحلال فخرج عن النمط الذى نحن فيه والتحق بما ذكرناه من قبل وهو تعارض الأصل والغالب إذ الأصل فى هذه الأموال قبولها للتصرفات وجواز التراضى عليها وقد عارضه سبب غالب يخرجه عن الصلاح له فيصاهى هذا محل القولين للشافعى رضى الله عنه فى حكم النجاسات ، والصحيح عندنا أنه تجوز الصلاة فى الشوارع إذا لم يجد فيها نجاسة فإن طين الشوارع طاهر وأن الوضوء من أوانى المشركين جائز وأن الصلاة فى المقابر المنبوشة جائزة فثبت هذا أولا ثم نقيس مانحن فيه عليه ، ويدل على ذلك توضؤ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مزادة مشركة ، وتوضؤ عمر رضى الله عنه من جرة نصرانية مع أن مشربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولايحترزون عما نجسه شرعنا ، فكيف تسلم أوانيهم من أيديهم ؟ بل نقول نعلم قطعا أنهم كانوا يلبسون الفراء المدبوغة والثياب المصبوغة والمقصورة ، ومن تأمل أحوال الدباغين والقصارين والصباغين علم أن الغالب عليهم النجاسة ، وأنّ الطهارة فى تلك الثياب محال أو نادر ، بل نقول نعلم أنهم كانوا يأكلون خبز البر والشعير ولا يغسلونه مع أنه يداس بالبقر والحيوانات وهى تبول عليه وتروث وقلما يخلص منها وكانوا يركبون الدواب وهى تعرق وما كانوا يغسلون ظهورها مع كثرة تمرغها فى النجاسات بل كل دابة تخرج من بطن أمها وعليها رطوبات نجسة قد تزيلها الأمطار وقد لاتزيلها وما كان يحترز عنها ، وكانوا يمشون حفاة فى الطرق وبالنعال ويصلون معها ويجلسون على التراب ويمشون فى الطين من غير حاجة ، وكانوا لايمشون فى البول والعذرة ولايجلسون عليهما ويستنزهون منه ، ومتى تسلم الشوارع عن النجاسات مع كثرة الكلاب وأبوالها وكثرة الدواب وأرواثها ؟ ولاينبغى أن نظن أن الأعصار أو الأمصار تختلف فى مثل هذا حتى يظن أن الشوارع كانت تغسل فى عصرهم أوكانت تحرس من الدواب هيهات فذلك معلوم استحالته بالعادة قطعا فدل على أنهم لم يحترزوا إلا من نجاسة مشاهدة أوعلامة على النجاسة دالة على العين . فأما الظن الغالب الذى يستثار من رد الدراهم إلى مجارى الأحوال فلم يعتبروه وهذا عند الشافعى رحمه الله وهو يرى أن الماء القليل ينجس من غير تغير واقع إذ لم يزل الصحابة يدخلون الحمامات ويتوضئون من الحياض وفيها المياه القليلة والأيدى المختلفة تغمس فيها على الدوام ، وهذا قاطع فى هذا الغرض ومهما ثبت جواز التوضؤ من جرة نصرانية ثبت جواز شربه والتحق حكم الحل بحكم النجاسة .

* فإن قيل : لا يجوز قياس الحل على النجاسة إذ كانوا يتوسعون فى أمور الطهارات ويحترزون من شبهات الحرام غاية التحرز فكيف يقاس عليها ؟ قلنا إن أريد به أنهم صلوا معها مع النجاسة والصلاة معصية وهى عماد الدين فبئس الظن بل يجب أن نعتقد فيهم أنهم احترزوا عن كل نجاسة وجب اجتنابها وإنما تسامحوا حيث لم يجب وكان فى محل تسامحهم هذه الصورة التى تعارض فيها الأصل والغالب فبان أنّ الغالب الذى لا يستند إلى علامة تتعلق بعين ما فيه النظر مطرح ، وأما تورعهم فى الحلال فكان بطريق التقوى وهو ترك مالا بأس به مخافة ما به بأس لأنّ أمر الأموال مخوف والنفس تميل إليها إن لم تضبط عنها ، وأمر الطهارة ليس كذلك فقد امتنع طائفة منهم عن الحلال المحض خيفة أن يشغل قلبه . وقد حكى عن واحد منهم أنه احترز من الوضوء بماء البحر وهو الطهور المحض ، فالافتراق فى ذلك لايقدح فى الغرض الذى أجمعنا فيه ، على أنا نجرى فى هذا المستند

على الجواب الذى قدمنا فى المستندين السابقين ولا نسلم ماذكروه من أنّ الأكثر هو الحرام لأنّ المال وإن كثرت أصوله فليس بواجب أن يكون فى أصوله حرام بل الأموال الموجودة اليوم مما تطرق الظلم إلى أصول بعضها دون بعض ، وكما أن الذى يبتدأ غصبه اليوم هو الأقل بالإضافة إلى مالا يغصب ولايسرق فهكذا كل مال فى كل عصر وفى كل أصل فالمغصوب من مال الدنيا والمتناول فى كل زمان بالفساد بالإضافة إلى غيره أقل ، ولسنا ندرى أنّ هذا الفرع بعينه من أى القسمين ؟ فلا نسلم أن الغالب تحريمه فإنه كما يزيد المغصوب بالتوالد يزيد غير المغصوب بالتوالد فيكون فرع الأكثر لامحالة فى كل عصر وزمان أكثر ، بل الغالب أن الحبوب المغصوبة تغصب للأكل لا للبذر وكذا الحيوانات المغصوبة أكثرها يؤكل ولا يقتنى للتوالد فكيف يقال إن فروع الحرام أكثر ولم تزل أصول الحلال أكثر من أصول الحرام ؟ وليتفهم المسترشد من هذا طريق معرفة الأكثر فإنه مزلة قدم وأكثر العلماء يغلطون فيه فكيف العوام ؟ هذا فى المتولدات من الحيوانات والحبوب فأما المعادن فإنها مخلاة مسبلة يأخذها فى بلاد الترك وغيرها من شاء ولكن قد يأخذ السلاطين بعضها منهم أو يأخذون الأقل لا محالة لا الأكثر ، ومن حاز من السلاطين معدنا فظلمه يمنع الناس منه فأما ما يأخذه الآخذ منه فيأخذه من السلطان بأجرة والصحيح أنه يجوز الاستنابة فى إثبات اليد على المباحات والاستئجار عليها ، فالمستأجر على الاستقاء إذا حاز الماء دخل فى ملك المستقى له واستحق الأجرة فكذلك النيل فإذا فرعنا على هذا لم تحرم عين الذهب إلا أن يقدر ظلمه بنقصان أجرة العمل وذلك قليل بالإضافة ثم لايوجب تحريم عين الذهب بل يكون ظالما ببقاء الأجرة فى ذمته ، وأما دار الضرب فليس الذهب الخارج منها من أعيان ذهب السلطان الذى غصبه وظلم به الناس بل التجار يحملون إليهم الذهب المسبوك أو النقد الردىء ويستأجرونهم على السبك والضرب ويأخذون مثل وزن ماسلموه إليهم إلا شيئا قليلا يتركونه أجرة لهم على العمل وذلك جائز ، وإن فرض دنانير مضروبة من دنانير السلطان فهو بالإضافة إلى مال التجار أقل لا محالة ، نعم السلطان يظلم أجراء دار الضرب بأن يأخذ منهم ضريبة لأنه خصصهم بها من بين سائر الناس حتى توفر عليهم مال بحشمة السلطان فما يأخذه السلطان عوض من حشمته وذلك من باب الظلم وهو قليل بالإضافة إلى ما يخرج من دار الضرب فلا يسلم لأهل دار الضرب والسلطان من جملة مايخرج منه من المائة واحد وهو عشر العشير فكيف يكون هو الأكثر ؟ فهذه أغاليط سبقت إلى القلوب بالوهم وتشمر لتزيينها جماعة ممن رق دينهم حتى قبحوا الورع وسدّوا بابه واستقبحوا تمييز من يميز بين مال ومال وذلك عين البدعة والضلال .

* فإن قيل : فلو قدر غلبة الحرام وقد اختلط غير محصور بغير محصور فماذا تقولون فيه إذا لم يكن فى العين المتناولة علامة خاصة ؟ فنقول الذى نراه أن تركه ورع وأن أخذه ليس بحرام لأن الأصل الحل ولايرفع إلا بعلامة معينة كما فى طين الشوارع ونظائرها . بل ازيد وأقول : لوطبق الحرام الدنيا حتى علم يقينا أنه لم يبق فى الدنيا حلال لكنت أقول نستأنف تمهيد الشروط من وقتنا ونعفو عما سلف ونقول ماجاوز حدّه انعكس إلى ضدّه فهما حرم الكل حل الكل : وبرهانه أنه إذا وقعت هذه الواقعة فالاحتمالات خمسة (أحدها) أن يقال يدع الناس الأكل حتى يموتوا من عند آخرهم . (الثانى) أن يقتصروا منها على قدر الضرورة وسدّ الرمق يزجون عليها أياما إلى الموت . (الثالث) أن يقال يتناولون قدر الحاجة كيف شاءوا سرقة وغصبا وتراضيا من غير تمييز بين مال ومال وجهة وجهة . (الرابع) أن يتبعوا شروط الشرع ويستأنفوا قواعده من غير اقتصار على قدر الحاجة . (الخامس)

أن يقتصروا مع شروط الشرع على قدر الحاجة . أما الأول فلا يخفى بطلانه . وأما الثانى فباطل قطعا لأنه إذا اقتصر الناس على سدّ الرمق وزجوا أوقاتهم على الضعف فشا فيهم الموتان وبطلت الأعمال والصناعات وخربت الدنيا بالكلية - وفى خراب الدنيا خراب الدين لأنها مزرعة الآخرة - وأحكام الخلافة والقضاء والسياسات بل أكثر أحكام الفقه مقصودها حفظ مصالح الدنيا ليتم بها مصالح الدين . وأما الثالث وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير زيادة عليه مع التسوية بين مال ومال بالغصب والسرقة والتراضى وكيفما اتفق فهو رفع لسد الشرع بين المفسدين وبين أنواع الفساد فتمتدّ الأيدى بالغصب والسرقة وأنواع الظلم ولا يمكن زجرهم منه إذ يقولون ليس يتميز صاحب اليد باستحقاق عنا فإنه حرام عليه وعلينا وذواليد له قدر الحاجة فقط فإن كان هو محتاجا فإنا أيضا محتاجون وإن كان الذى أخذته فى حق زائدا على الحاجة فقد سرقته ممن هو زائد على حاجته يومه وإذا لم يراع حاجة اليوم والسنة فما الذى نراعى وكيف يضبط ؟ وهذا يؤدى إلى بطلان سياسة الشرع وإغراء أهل الفساد بالفساد ، فلا يبقى إلا الاحتمال الرابع وهو أن يقال كل ذى يد على ما فى يده وهو أولى به لايجوز أن يؤخذ منه سرقة وغصبا بل يؤخذ برضاه والتراضى هو طريق الشرع وإذ لم يجز إلا بالتراضى فللتراضى أيضا منهاج فى الشرع تتعلق به المصالح ، فإن لم يعتبر فلم يتعين أصل التراضى وتعطل تفصيله ؟ وأما الاحتمال الخامس وهو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من أصحاب الأيدى فهو الذى نراه لائقا بالورع لمن يريد سلوك طريق الآخرة ولكن لاوجه لإيجابه على الكافة ولا لإدخاله فى فتوى العامة لأن أيدى الظلمة تمتدّ إلى الزيادة على قدر الحاجة فى أيدى الناس وكذا أيدى السراق ، وكل من غلب سلب وكل من وجد فرصة سرق ويقول لا حق له إلا فى قدر الحاجة وأنا محتاج ولا يبقى إلا أن يجب على السلطان أن يخرج كل زيادة على قدر الحاجة من أيدى الملاك ويستوعب بها أهل الحاجة ويدر على الكل الأموال - يوما فيوما أو سنة فسنة - وفيه تكليف شططٌ وتضييع أموال ، أما تكليف الشطط فهو أنّ السلطان لا يقدر على القيام بهذا مع كثرة الخلق بل لايتصوّر ذلك أصلا وأما التضييع فهو أن مافضل عن الحاجة من الفواكه واللحوم والحبوب ينبغى أن يلقى فى البحر أو يترك حتى يتعفن فإن الذى خلقه الله من الفواكه والحبوب زائد عن قدر توسع الخلق وترفههم فكيف على قدر حاجتهم ؟ ثم يؤدى ذلك إلى سقوط الحج والزكاة والكفارات المالية وكل عبادة نيطت بالغنى عن الناس إذا أصبح الناس لايملكون إلا قدر حاجتهم وهو فى غاية القبح ، بل أقول لو ورد نبى فى مثل هذا الزمان لوجب عليه أن يستأنف الأمر ويمهد تفصيل أسباب الأملاك بالتراضى وسائر الطرق ويفعل مايفعله لو وجد جميع الأموال حلالا من غير فرق .

وأعنى بقولى : يجب عليه ، إذا كان النبى ممن بعث لمصلحة الخلق فى دينهم ودنياهم إذ لا يتم الصلاح برد الكافة إلى قدر الضرورة والحاجة إليه فإن لم يبعث للصلاح لم يجب هذا . ونحن نجوّز أن يقدّر الله سببا يهلك به الخلق عن آخرهم فيفوت دنياهم ويضلون فى دينهم فإنه يضل من يشاء ويهدى من يشاء ويميت من يشاء ويحيى من يشاء ولكنا نقدّر الأمر جاريا على ماألف من سنة الله تعالى فى بعثة الأنبياء لصلاح الدين والدنيا . ومالى أقدّر هذا وقد كان ماأقدّره ، فلقد بعث الله نبينا صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وكان شرع عيسى عليه السلام قد مضى عليه قريب من ستمائة سنة والناس منقسمون إلى مكذبين له من اليهود وعبدة الأوثان وإلى مصدّقين له قد شاع الفسق فيهم كما شاع فى زماننا الآن والكفار مخاطبون بفروع الشريعة . والأموال كانت فى أيدى المكذبين له والمصدّقين ، أما المكذبون فكانوا يتعاملون بغير شرع عيسى عليه السلام وأما المصدّقون فكانوا يتساهلون مع أصل التصديق

كما يتساهل الآن المسلمون مع أن العهد بالنبوة أقرب فكانت الأموال كلها أو أكثرها أو كثير منها حراما . وعفا صلى الله عليه وسلم عما سلف ولم يتعرض له وخصص أصحاب الأيدى بالأموال ومهد الشرع وما ثبت تحريمه فى شرع لا ينقلب حلالا لبعثة رسول ولا ينقلب حلالا بأن يسلم الذى فى يده الحرام ، فإنا لا نأخذ فى الجزية من أهل الذمة ما نعرفه بعينه أنه ثمن خمر أومال ربا فقد كانت أموالهم فى ذلك الزمان كأموالنا الآن ، وأمر العرب كان أشدّ لعموم النهب والغارة فيهم . فبان أن الاحتمال الرابع متعين فى الفتوى ، والاحتمال الخامس هو طريق الورع ، بل تمام الورع الاقتصار فى المباح على قدر الحاجة وترك التوسع فى الدنيا بالكلية وذلك طريق الآخرة . ونحن الآن نتكلم فى الفقه المنوط بمصالح الخلق وفتوى الظاهر له حكم ومنهاج على حسب مقتضى المصالح وطريق الدين الذى لا يقدر على سلوكه إلا الآحاد ولو اشتغل الخلق كلهم به لبطل النظام وخرب العالم فإن ذلك طلب ملك كبير فى الآخرة ولو اشتغل كل الخلق بطلب ملك الدنيا وتركوا الحرف الدنيئة والصناعات الخسيسة لبطل النظام ثم يبطل ببطلانه الملك أيضا . فالمحترفون إنما سخروا لينتظم الملك للملوك وكذلك المقبلون على الدنيا سخروا ليسلم طريق الدين لذوى الدين وهو ملك الآخرة ولولاه لما سلم لذوى الدين أيضا دينهم فشرط سلامة الدين لهم أن يعرض الأكثرون عن طريقهم ويشتغلوا بأمور الدنيا وذلك قسمة سبقت بها المشيئة الأزلية وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ﴾ .

* فإن قيل : لاحاجة إلى تقدير عموم التحريم حتى لايبقى حلال فإن ذلك غير واقع وهو معلوم ولاشك فى أن البعض حرام وذلك البعض هو الأقل أو الأكثر فيه نظر ، وما ذكرتموه من أنه الأقل بالإضافة إلى الكل جلى ولكن لا بدّ من دليل محصل على تجويزه ليس من المصالح المرسلة وما ذكرتموه من التقسيمات كلها مصالح مرسلة فلا بدّ لها من شاهد معين تقاس عليه حتى يكون الدليل مقبولا بالاتفاق فإن بعض العلماء لا يقبل المصالح المرسلة ؟

* فأقول : إن سلم أن الحرام هو الأقل فيكفينا برهانا عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة مع وجود الربا والسرقة والغلول والنهب وإن قدر زمان يكون الأكثر الحرام هو فيحل التناول أيضا فبرهانة ثلاثة أمور : (الأول) التقسيم الذى حصرناه وأبطلنا منه أربعة وأثبتنا القسم الخامس فإن ذلك إذا أجرى فيما إذا كان الكل حراما كان أحرى فيما إذا كان الحرام هو الأكثر أو الأقل ، وقول القائل ؛ هو مصلحة مرسلة : هوس ، فإن ذلك إنما تخيل من تخيله فى أمور مظنونة وهذا مقطوع به فإنا لانشك فى أن مصلحة الدين والدنيا مراد الشرع وهو معلوم بالضرورة ، وليس بمظنون ولا شك فى أن رد كافة الناس إلى قدر الضرورة أو الحاجة أو إلى الحشيش والصيد مخرب للدنيا أوّلا وللدين بواسطة الدنيا ثانيا ، فما لايشك فيه لايحتاج إلى أصل يشهد له وإنما يستشهد على الخيالات المظنونة المتعلقة بآحاد الأشخاص . (البرهان الثانى) أن يعلل بقياس محرّر مردود إلى أصل يتفق الفقهاء الآنسون بالأقيسة الجزئية عليه وإن كانت الجزئيات مستحقرة عند المحصلين بالإضافة إلى مثل ما ذكرناه من الأمر الكلى الذى هو ضرورة النبى لو بعث فى زمان عم التحريم فيه حتى لو حكم بغيره لخرب العالم ، والقياس المحرّر الجزئى هو أنه قد تعارض أصل وغالب فيما انقطعت فيه العلامات المعينة من الأمور التى ليست محصورة فيحكم بالأصل لا بالغالب قياسا على طين الشوارع وجرّة النصرانية وأوانى المشركين ، وذلك قد أثبتناه من قبل بفعل الصحابة ، وقولنا : انقطعت العلامات المعينة ، احتراز عن الأوانى التى يتطرق الاجتهاد إليها . وقولنا : ليست محصورة ، احتراز عن التباس الميتة والرضيعة بالذكية والأجنبية .

* فإن قيل : كون الماء طهورا مستيقن وهو الأصل ومن يسلم أن الأصل فى الأموال الحل بل الأصل فيها التحريم ؟
* فنقول : الأمور لا تحرم لصفة فى عينها حرمة الخمر والخنزير خلقت على صفة تستعد لقبول المعاملات بالتراضى كما خلق الماء مستعدا للوضوء وقد وقع الشك فى بطلان هذا الاستعداد منهما فلا فرق بين الأمرين فإنها تخرج عن قبول المعاملة بالتراضى بدخول الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول الوضوء بدخول النجاسة عليه ولا فرق بين الأمرين . والجواب الثانى : أن اليد دلالة ظاهرة دالة على الملك نازلة منزلة الاستصحاب وأقوى منه بدليل أن الشرع ألحقه به إذ من ادعى عليه دين فالقول قوله لأن الأصل براءة ذمته وهذا استصحاب . ومن ادعى عليه ملك فى يده فالقول أيضا قوله إقامة لليد مقام الاستصحاب فكل ما وجد فى يد إنسان فالأصل أنه ملكه ما لم يدل على خلافه علامة معينة .

(البرهان الثالث) هو أن كل مادل على جنس لا يحصر ولا يدل على معين لم يعتبر وإن كان قطعا فبأن لا يعتبر إذا دل بطريق الظن أولى وبيانه أن ماعلم أنه ملك زيد فحقه يمنع من التصرف فيه بغير إذنه ولو علم أن له مالكا فى العالم ولكن وقع اليأس عن الوقوف عليه وعلى وارثه فهو مال مرصد لمصالح المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم المصلحة ولو دل على أن له مالكا محصورا فى عشرة مثلا أو عشرين امتنع التصرف فيه بحكم المصلحة فالذى يشك فى أن له مالكا سوى صاحب اليد أم لا ؟ لا يزيد على الذى يتيقن قطعا أن له مالكا ولكن لا يعرف عينه فليجز التصرف فيه بالمصلحة والمصلحة ما ذكرناه فى الأقسام الخمسة ، فيكون هذا الأصل شاهدا له وكيف لا وكل مال ضائع فقد مالكه يصرفه السلطان إلى المصالح ومن المصالح الفقراء وغيرهم ، فلو صرف إلى فقير ملكه ونفذ فيه تصرفه فلو سرقه منه سارق قطعت يده فكيف نفذ تصرفه فى ملك الغير ليس ذلك إلا لحكمنا بأن المصلحة تقتضى أن ينتقل الملك إليه ويحل له فقضينا بموجب المصلحة .

* فإن قيل : ذلك يختص بالتصرف فيه السلطان ؟ فنقول : والسلطان لم يجوز له التصرف فى ملك غيره بغير إذنه لاسبب له إلا المصلحة وهو أنه لو ترك لضاع فهو مردد بين تضييعه وصرفه إلى مهم والصرف إلى مهم أصلح من التضييع فرجح عليه والمصلحة فيما يشك فيه ولا يعلم تحريمه أن يحكم فيه بدلالة اليد ويترك على أرباب الأيدى إذ انتزاعها بالشك وتكليفهم الاقتصار على الحاجة يؤدى إلى الضرر الذى ذكرناه ، وجهات المصلحة تختلف فإن السلطان تارة يرى أن المصلحة أن يبنى بذلك المال قنطرة وتارة أن يصرفه إلى جند الإسلام وتارة إلى الفقراء ويدور مع المصلحة كيفما دارت ، وكذلك الفتوى فى مثل هذا تدور على المصلحة وقد خرج من هذا أن الخلق غير مأخوذين فى أعيان الأموال بظنون لا تستند إلى خصوص دلالة فى ملك الأعيان كما لم يؤاخذ السلطان والفقراء الآخذون منه بعلمهم أن المال له مالك حيث لم يتعلق العلم بعين مالك مشار إليه ، ولا فرق بين عين المالك وبين عين الأملاك فى هذا المعنى فهذا بيان شبهة الاختلاط ولم يبق إلا النظر فى امتزاج المائعات والدراهم والعروض فى يد مالك واحد وسيأتى بيانه فى باب تفصيل طريق الخروج من المظالم .

المثار الثالث للشبهة : أن يتصل بالسبب المحلل معصية

إما فى قرائنه وإما فى لواحقه وإما فى سوابقه أو فى عوضه وكانت من المعاصى التى لا توجب فساد العقد وإبطال السبب المحلل .

مثال المعصية فى القرائن : البيع فى وقت النداء يوم الجمعة والذبح بالسكين المغصوبة والاحتطاب بالقدوم المغصوب

والبيع على بيع الغير والسوم على سومه فكل نهى ورد فى العقود ولم يدل على فساد العقد فإن الامتناع من جميع ذلك ورع ، وإن لم يكن المستفاد بهذه الأساليب محكوما بتحريمه . وتسمية هذا النمط شبهة فيه تسامح لأن الشبهة فى غالب الأمر تطلق لإرادة الاشتباه والجهل ولا اشتباه ههنا بل العصيان بالذبح بسكين الغير معلوم وحل الذبيحة أيضاً معلوم ولكن قد تشتق الشبهة من المشابهة ، وتناول الحاصل من هذه الأمور مكروه والكراهة تشبه التحريم فإن أريد بالشبهة هذا فتسمية هذا شبهة له وجه وإلا فينبغى أن يسمى هذا كراهة لا شبهة ، وإذا عرف المعنى فلا مشاحة فى الأسامى فعادة الفقهاء التسامح فى الاطلاقات . ثم اعلم أن هذه الكراهة لها ثلاث درجات : الأولى منها تقرب من الحرام والورع عنه مهم والأخيرة تنتهى إلى نوع من المبالغة تكاد تلتحق بورع الموسوسين وبينهما أوساط نازعة إلى الطرفين ، فالكراهة فى صيد كلب مغصوب أشد منها فى الذبيحة بسكين مغصوب أو المقتنص بسهم مغصوب إذ الكلب له اختيار وقد اختلف فى أن الحاصل به لمالك الكلب أو للصياد ، ويليه شبهة البذر المزروع فى الأرض المغصوبة فإن الزرع لمالك البذر ولكن فيه شبهة ولو أثبتنا حق الحبس لمالك الأرض فى الزرع لكان كالثمن الحرام ، ولكن الأقيس أن لا يثبت حق حبس كما لو طحن بطاحونة مغصوبة واقتنص بشبكة مغصوبة إذا لا يتعلق حق صاحب الشبكة فى منفعتها بالصيد ، ويليه الاحتطاب بالقدوم المغصوب ثم ذبحه ملك نفسه بالسكين المغصوب إذ لم يذهب أحد إلى تحريم الذبيحة ، ويليه البيع فى وقت النداء فإنه ضعيف التعلق بمقصود العقد وإن ذهب قوم إلى فساد العقد إذ ليس فيه إلا أنه اشتغل بالبيع عن واجب آخر كان عليه ، ولو أفسد البيع بمثله لأفسد بيع كل من عليه درهم زكاة أو صلاة فائتة وجوبها على الفور أو فى ذمته مظلمة دانق فإن الاشتغال بالبيع مانع له عن القيام بالواجبات فليس للجمعة إلا الوجوب بعد النداء ، وينجر ذلك إلى أن لا يصح نكاح أولاد الظلمة وكل من فى ذمته درهم لأنه اشتغل بقوله عن الفعل الواجب عليه ؛ إلا من حيث ورد فى يوم الجمعة نهى على الخصوص ربما سبق إلى الأفهام خصوصية فيه فتكون الكراهة اشد ولا بأس بالحذر منه ولكن قد ينجر إلى الوسواس حتى يتحرج عن نكاح بنات أرباب المظالم وسائر معاملاتهم . وقد حكى عن بعضهم أنه اشترى شيئا من رجل فسمع أنه اشتراه يوم الجمعة ، فرده خيفة أن يكون ذلك مما اشتراه وقت النداء وهذا غاية المبالغة أنه رد بالشك . ومثل هذا الوهم فى تقدير المناهى أو المفسدات لا ينقطع عن يوم السبت وسائر الأيام والورع حسن والمبالغة فيه أحسن ولكن إلى حد معلوم فقد قال صلى الله عليه وسلم « هلك المتنطعون[1] » فليحذر من أمثال هذه المبالغات فإنها وإن كانت لا تضر صاحبها ربما أوهم عند الغير أن مثل ذلك مهم ثم يعجز عما هو أيسر منه فيترك أصل الورع وهو مستند أكثر الناس فى زماننا هذا إذ ضيق عليهم الطريق فأيسوا عن القيام به فاطرحوه ، فكما أن الموسوس فى الطهارة قد يعجز عن الطهارة فيتركها فكذا بعض الموسوسين فى الحلال سبق إلى أوهامهم أن مال الدنيا كله حرام فتوسعوا فتركوا التمييز وهو عين الضلال .

وأما مثال اللواحق : فهو كل تصرف يفضى فى سياقه إلى معصية وأعلاه بيع العنب من الخمار وبيع الغلام من المعروف بالفجور بالغلمان وبيع السيف من قطاع الطريق . وقد اختلف العلماء فى صحة ذلك وفى حل الثمن المأخوذ منه . والأقيس أن ذلك صحيح والمأخوذ حلال والرجل عاص بعقده كما يعصى بالذبح بالسكين المغصوب والذبيحة حلال ولكنه يعصى عصيان الإعانة على المعصية إذ لا يتعلق ذلك بعين العقد فالمأخوذ من هذا مكروه كراهية شديدة وتركه من الورع المهم وليس بحرام ، ويليه فى الرتبة بيع العنب ممن يشرب الخمر ولم يكن خمارا وبيع السيف ممن

(١) حديث « هلك المتنطعون » أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود ، وتقدم فى قواعد العقائد .

يغزو ويظلم أيضاً لأن الاحتمال قد تعارض . وقد كره السلف بيع السيف فى وقت الفتنة خيفة أن يشتريه ظالم فهذا ورع فوق الأول والكراهية فيه أخف ، ويليه ماهو مبالغة ويكاد يلتحق بالوسواس وهو قول جماعة أنه لاتجوز معاملة الفلاحين بآلات الحارث لأنهم يستعينون بها على الحراثة ويبيعون الطعام من الظلمة ولايباع منهم البقر والفدان وآلات الحرث وهذا ورع الوسوسة إذ ينجر إلى أن لايباع من الفلاح طعام لأنه يتقوى به على الحراثة ولايسقى من الماء العام لذلك ، وينتهى هذا إلى حد التنطع المنهى عنه . وكل متوجه إلى شىء على قصد خير لابد وأن يسرف إن لم يذمه العلم المحقق ، وربما يقدم على مايكون بدعة فى الدين ليستضر الناس بعده بها وهو يظن أنه مشغول بالخير ؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى [1] » والمتنطعون هم الذين يخشى عليهم أن يكونوا ممن قيل فيهم ﴿ الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ وبالجملة لاينبغى للانسان أن يشتغل بدقائق الورع إلا بحضرة عالم متقن فإنه إذا جاوز ما رسم وتصرف بذهنه من غير سماع كان مايفسده أكثر مما يصلحه . وقد روى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه أحرق كرمه خوفا من أن يباع العنب ممن يتخذه خمرا . وهذا لاأعرف له وجها إن لم يعرف هوسببا خاصا يوجب الإحراق ؟ إذ ما أحرق كرمه ونخله من كان أرفع قدراً منه من الصحابة . ولوجاز هذا لجاز قطع الذكر خيفة من الزنا وقطع اللسان خيفة من الكذب إلى غير ذلك من الإتلافات .

وأما المقدمات : فلتطرق المعصية إليها ثلاث درجات : (الدرجة العليا) التى يشتد الكراهة فيها : مابقى أثره فى المتناول كالأكل من شاة علفت بعلف مغصوب أو رعت فى مرعى حرام فإن ذلك معصية وقد كان سبباً لبقائها وربما يكون الباقى من دمها ولحمها وأجزائها من ذلك العلف ، وهذا الورع مهم وإن لم يكن واجبا ، ونقل ذلك عن جماعة من السلف . وكان لأبى عبد الله الطوسى التروغندى شاة يحملها على رقبته كل يوم إلى الصحراء ويرعاها وهو يصلى وكان يأكل من لبنها فغفل عنها ساعة فتناولت من ورق كرم على طرف بستان فتركها فى البستان ولم يستحل أخذها .

* فإن قيل : فقد روى عن عبد الله بن عمر وعبيد الله أنهما اشتريا إبلا فبعثاها إلى الحمى فرعته إبلهما حتى سمنت ؛ فقال عمر رضى الله عنه : أرعيتماها فى الحمى ؟ فقالا : نعم ؟ فشاطرهما . فهذا يدل على أنه رأى اللحم الحاصل من العلف لصاحب العلف فليوجب هذا تحريما * قلنا : ليس كذلك فإن العلف يفسد بالأكل واللحم خلق جديد وليس عين العلف فلا شركة لصاحب العلف شرعا ولكن عمر غرمهما قيمة الكلأ ورأى ذلك مثل شطر الإبل فأخذ الشطر بالاجتهاد ، كما شاطر سعد بن أبى وقاص ماله لما أن قدم من الكوفة ، وكذلك شاطر أبا هريرة رضى الله عنه إذ رأى أن كل ذلك لايستحقه العامل ورأى شطر ذلك كافيا على حق عملهم وقدره بالشطر اجتهادا .

(الرتبة الوسطى) مانقل عن بشر بن الحارث من امتناعه عن الماء المساق فى نهر احتفره الظلمة لأن النهر موصل إليه وقد عصى الله بحفره . وامتنع آخر عن عنب كرم يسقى بماء يجرى فى نهر حفر ظلما وهو أرفع منه وأبلغ فى الورع . وامتنع آخر من الشرب من مصانع السلاطين فى الطرق . وأعلى من ذلك امتناع ذى النون من طعام حلال أوصل إليه على يد سجان ، وقوله : إنه جاءنى على يد ظالم ، ودرجات هذه الرتب لاتنحصر . (الرتبة الثالثة) وهى قريب من الوسواس والمبالغة : أن يمتنع من حلال وصل على يد رجل عصى الله بالزنا أو القذف وليس هو كالعصى بأكل

(١) حديث « فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى » تقدم فى العلم .

الحرام فإن الموصل قوته الحاصلة من الغذاء الحرام والزنا والقذف لا يوجب قوة يستعان بها على الحمل بل الامتناع من أخذ حلال وصل على يد كافر وسواس ، بخلاف أكل الحرام إذ الكفر لايتعلق بحمل الطعام وينجر هذا إلى أن لايؤخذ من يد من عصى الله ولو بغيبة أو كذبة وهو غاية التنطع والإسراف فليضبط ماعرف من ورع ذى النون وبشر بالمعصية فى السبب الموصل كالنهر وقوة اليد المستفادة بالغذاء الحرام . ولو امتنع عن الشرب بالكوز لأن صانع الفخار الذى عمل الكوز كان قد عصى الله يوما بضرب إنسان أو شتمه لكان هذا وسواسا . ولوامتنع من لحم شاة ساقها آكل حرام فهذا أبعد من يد السجان لأن الطعام يسوقه قوة السجان والشاة تمشى بنفسها والسائق يمنعها عن العدول فى الطريق فقط فهذا قريب من الوسواس . فانظر كيف تدرجنا فى بيان ما تتداعى إليه هذه الأمور . واعلم أن كل هذا خارج عن فتوى علماء الظاهر فإن فتوى الفقيه تختص بالدرجة الأولى التى يمكن تكليف عامة الخلق بها ولو اجتمعوا عليه لم يخرب العالم دون ماعداه من ورع المتقين والصالحين . والفتوى فى هذا ماقاله صلى الله عليه وسلم لوابصة إذ قال « استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك » وعرف ذلك إذ قال « الإثم حزاز القلوب [1] » وكل ماحاك فى صدر المريد من هذه الأسباب فلو أقدم عليه مع حزازة القلب استضر به وأظلم قلبه بقدر الحزازة التى يجدها بل لو أقدم على حرام فى علم الله وهو يظن أنه حلال لم يؤثر ذلك فى قساوة قلبه ، ولو أقدم على ماهو حلال فى فتوى علماء الظاهر ولكنه يجد حزازة فى قلبه فذلك يضره . وإنما الذى ذكرناه فى النهى عن المبالغة أردنا به أن القلب الصافى المعتدل هو الذى لايجد حزازة فى مثل تلك الأمور فإن مال قلب موسوس عن الاعتدال ووجد الحزازة فأقدم مع مايجد فى قلبه فذلك يضره لأنه مأخوذ فى حق نفسه بينه وبين الله تعالى بفتوى قلبه . وكذلك يشدد على الموسوس فى الطهارة ونية الصلاة فإنه إذا غلب على قلبه أن الماء لم يصل إلى جميع أجزائه بثلاث مرات لغلبة الوسوسة عليه فيجب عليه أن يستعمل الرابعة وصار ذلك حكما فى حقه وإن كان مخطئا فى نفسه ، أولئك قوم شددوا فشدد الله عليهم ، ولذلك شدد على قوم موسى عليه السلام لما استقصوا فى السؤال عن البقرة ولو أخذوا أولا بعموم لفظ البقرة وكل ماينطلق عليه الاسم لأجزأهم ذلك . فلا تغفل عن هذه الدقائق التى رددناها نفيا وإثباتا فإن من لايطلع على كنه الكلام ولايحيط بمجامعه يوشك أن يزل فى درك مقاصده .

وأما المعصية فى العوض فله أيضاً درجات (الدرجة العليا) التى تشتد الكراهة فيها أن يشترى شيئا فى الذمة ويقضى ثمنه من غصب أو مال حرام فينظر فإن سلم إليه البائع الطعام قبل قبض الثمن بطيب قلبه فأكله قبل قضاء الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالإجماع أعنى قبل قضاء الثمن ولاهو أيضا من الورع المؤكد فإن قضى الثمن بعد الأكل من الحرام فكأنه لم يقض الثمن ، ولو لم يقضه أصلا لكان متقلدا للمظلمة بترك ذمته مرتهنة بالدين ولاينقلب ذلك حراما . فإن قضى الثمن من الحرام وأبرأه البائع مع العلم بأنه حرام فقد برئت ذمته ولم يبق عليه إلا مظلمة تصرفه فى الدراهم الحرام بصرفها إلى البائع وإن أبراه على ظن أن الثمن حلال فلا تحصل البراءة لأنه يبرئه مما أخذه إبراء استيفاء ولايصلح ذلك للإيفاء . هذا حكم المشترى والأكل منه وحكم الذمة وإن لم يسلم إليه بطيب قلب ولكن أخذه فأكله حرام سواء أكله قبل توفية الثمن من الحرام أو بعده لأن الذى تومئ الفتوى به ثبوت حق الحبس للبائع حتى يتعين ملكه بإقباض النقد كما تعين ملك المشترى ، وإنما يبطل حق حبسه إما بالإبراء

(١) حديث « الإثم حزاز القلوب » تقدم فى العلم .

أو الاستيفاء ولم يجر شيء منهما ولكنه أكل ملك نفسه وهو عاص به عصيان الراهن للطعام إذا أكله بغير إذن المرتهن ، وبينه وبين أكل طعام الغير فرق ولكن أصل التحريم شامل ، هذا كله إذا قبض قبل توفية الثمن إما بطيبة قلب البائع أو من غير طيبة قلبه . فأما إذا وفى الثمن الحرام أولا ثم قبض فإن كان البائع عالما بأن الثمن حرام ومع هذا أقبض المبيع بطل حق حبسه وبقى له الثمن فى ذمته إذ ما أخذه ليس بثمن ولا يصير أكل المبيع حراما بسبب بقاء الثمن فأما إذا لم يعلم أنه حرام وكانت بحيث لو علم لما رضى به ولا أقبض المبيع فحق حبسه لايبطل بهذا التلبيس فأكله حرام تحريم أكله المرهون إلى أن يبرئه أو يوفى من حلال أو يرضى هو بالحرام ويبرئ فيصح إبراؤه ولايصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه وبيان الحكم فى الدرجة الأولى من الحلال والحرمة فأما الامتناع عنه فمن الورع المهم لأن المعصية إذا تمكنت من السبب الموصل إلى الشيء تشتد الكراهية فيه ـ كما سبق ـ وأقوى الأسباب الموصلة الثمن ولولا الثمن الحرام لما رضى الله البائع بتسليمه إليه فرضاه لايخرجه عن كونه مكروها كراهية شديدة ولكن العدالة لاتنخرم به وتزول به درجة التقوى والورع . ولو اشترى سلطان مثلا ثوبا أو أرضا فى الذمة وقبضه برضا البائع قبل توفية الثمن وسلمه إلى فقيه أو غيره صلة أو خلعة وهو شاك فى أنه سيقضى ثمنه من الحلال أو الحرام فهذا أخف إذ وقع الشك فى تطرق المعصية إلى الثمن وتفاوت خفته بتفاوت كثرة الحرام وقلته فى مال ذلك السلطان ومايغلب على الظن فيه وبعضه أشد من بعض والرجوع فيه إلى ماينقدح فى القلب (الرتبة الوسطى) أن لا يكون العوض غصبا ولا حراما ولكن يتهيأ لمعصية ، كما لو سلم عوضا عن الثمن عنبا والآخذ شارب الخمر أو سيفا وهو قاطع طريق فهذا لايوجب تحريما فى مبيع اشتراه فى الذمة ولكن يقتضى فيه كراهية دون الكراهية التى فى الغصب . وتتفاوت درجات هذه الرتبة أيضا بتفاوت غلبة المعصية على قابض الثمن وندوره ومهما كان العوض حراما فبذله حرام وإن احتمل تحريمه ولكن أبيح بظن فبذله مكروه وعليه ينزل عندى النهى عن كسب الحجام وكراهته [1] إذ نهى عنه عليه السلام مرات ثم أمر بأن يعلف الناضح [2] وما سبق الى الوهم من أن سببه مباشرة النجاسة والقذر فاسد إذ يجب طرده فى الدباغ والكناس ولا قائل به وإن قيل به فلا يمكن طرده فى القصاب إذ كيف يكون كسبه مكروها وهو بدل عن اللحم واللحم فى نفسه غير مكروه ومخامرة القصاب النجاسة أكثر منه للحجام والفصاد فإن الحجام يأخذ الدم بالمحجمة ويمسحه بالقطنة ، ولكن السبب أن فى الحجامة والفصد تخريب بنية الحيوان وإخراجها لدمه وبه قوام حياته والأصل فيه التحريم وإنما يحل بضرورة وتعلم الحاجة والضرورة بحدس واجتهاد وربما يظن نافعا ويكون ضارا فيكون حراما عند الله تعالى ولكن يحكم بحله بالظن والحدس . ولذلك لايجوز للفصاد فصد صبى وعبد ومعتوه إلا بإذن وليه وقول طبيب ولولا أنه حلال فى الظاهر لما أعطى عليه السلام أجرة الحجام [3] ولولا أنه يحتمل التحريم لما نهى عنه فلا يمكن الجمع بين إعطائه ونهيه إلا باستنباط هذا المعنى . وهذا كان ينبغى أن نذكره فى القرائن المقرونة بالسبب فإنه أقرب إليه . (الرتبة السفلى) وهى درجة الموسوسين وذلك أن يحلف إنسان على

---

(١) حديث النهى عن كسب الحجام وكراهته : رواه ابن ماجه من حديث أبى مسعود الأنصارى ، والنسائى من حديث أبى هريرة باسنادين صحيحين : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كسب الحجام ، وللبخارى من حديث أبى جحيفة : نهى عن ثمن الدم ، ولمسلم من حديث رافع بن خديج « كسب الحجام خبيث » . (٢) حديث : نهى عنه مرات ثم أمر بأن يعلف الناضح ، رواه أبو داود والترمذى وحسنه ، وابن ماجه من حديث محيصة أنه استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى إجارة الحجام ، فنهاه عنها ، فلم يزل يسأل ويستأذن حتى قال : أعلفه ناضحك وأطعمه رقيقك . وفى رواية لأحمد أنه زجره عن كسبه فقال : ألا أطعمه أيتامالى ؟ قال . لا ؟ قال : أفلا أتصدق به ؟ قال : لا ، فرخص له أن يعلفه ناضحه . (٣) حديث : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أجرة الحجام . متفق عليه من حديث ابن عباس .

أن لا يلبس من غزل أمه فباع غزلها واشترى به ثوباً فهذا لا كراهية فيه والورع عنه وسوسة . وروى عن المغيرة أنه قال فى هذه الواقعة : لا يجوز ، واستشهد بأن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لعن الله اليهود حرمت عليهم الخمور فباعوها وأكلوا أثمانها [1] » وهذا غلط لأن بيع الخمور باطل إذ لم يبق للخمر منفعة فى الشرع وثمن البيع الباطل حرام ، وليس هذا من ذلك بل مثال هذا أن يملك الرجل جارية هى أخته من الرضاع فتباع بجارية أجنبية فليس لأحد أن يتورع منه وتشبيه ذلك ببيع الخمر غاية السرف فى هذا الطرف . وقد عرفنا جميع الدرجات وكيفية التدريج فيها وإن كان تفاوت هذه الدرجات لا ينحصر فى ثلاث أو أربع ولا فى عدد ولكن المقصود من التعديد التقريب والتفهيم .

* فإن قيل : فقد قال صلى الله عليه وسلم «من اشترى ثوبا بعشرة دراهم فيها درهم حرام لم يقبل الله له صلاة ما كان عليه [2] » ثم أدخل ابن عمر أصبعيه فى أذنيه وقال : صمتا إن لم أكن سمعته منه . قلنا ذلك محمول على ما لو اشترى بعشرة بعينها لا فى الذمة وإذا اشترى فى الذمة فقد حكمنا بالتحريم فى أكثر الصور فليحمل عليها ، ثم كم من ملك يتوعد عليه بمنع قبول الصلاة لمعصية تطرقت إلى سببه وإن لم يدل ذلك على فساد العقد كالمشترى فى وقت النداء وغيره .

المثار الرابع : الاختلاف فى الأدلة

فإن ذلك كالاختلاف فى السبب لأن السبب سبب لحكم الحل والحرمة . والدليل سبب لمعرفة الحل والحرمة فهو سبب فى حق المعرفة ولم يثبت فى معرفة الغير فلا فائدة لثبوته فى نفسه وإن جرى سببه فى علم الله ، وهو إما أن يكون لتعارض أدلة الشرع أو لتعارض العلامات الدالة أو لتعارض التشابه .

القسم الأول : أن تتعارض أدلة الشرع مثل تعارض عمومين من القرآن أو السنة أو تعارض قياسين أو تعارض قياس وعموم . وكل ذلك يورث الشك ويرجع فيه إلى الاستصحاب أو الأصل المعلوم قبله إن لم يكن ترجيح ، فإن ظهر ترجيح فى جانب الحظر وجب الأخذ به وإن ظهر فى جانب الحل جاز الأخذ به ولكن الورع تركه . واتقاء مواضع الخلاف مهم فى الورع فى حق المفتى والمقلد . وإن كان المقلد يجوز له أن يأخذ بما أفتى له مقلده الذى يظن أنه أفضل علماء بلده ويعرف ذلك بالتسامع كما يعرف أفضل أطباء البلد بالتسامع والقرائن وإن كان لا يحسن الطب . وليس للمستفتى أن ينتقد من المذاهب أوسعها عليه ؛ بل عليه أن يبحث حتى يغلب على ظنه الأفضل ثم يتبعه فلا يخالفه أصلا ، نعم إن أفتى له إمامه بشىء ولإمامه فيه مخالف فالفرار من الخلاف إلى الإجماع من الورع المؤكد وكذا المجتهد إذا تعارضت عنده الأدلة ورجح جانب الحل بحدس وتخمين وظن فالورع له الاجتناب . فلقد كان المفتون يفتون بحل أشياء لا يقدمون عليها قط تورعا منها وحذرا من الشبهة فيها فلنقسم هذا أيضا على ثلاث مراتب (الرتبة الأولى) ما يتأكد الاستحباب فى التورع عنه وهو ما يقوى فيه دليل المخالف ويدق وجه ترجيح المذهب الآخر عليه . فمن المهمات التورع عن فريسة الكلب المعلم إذا أكل منها وإن أفتى المفتى بأنه حلال لأن الترجيح فيه غامض ، وقد اخترنا أن ذلك حرام وهو أقيس قولى الشافعى رحمه الله . ومهما وجد للشافعى

(١) حديث المغيرة أن النبى صلى الله عليه وسلم لعن اليهود إذ حرمت عليهم الخمور فباعوها : لم أجده هكذا ، والمعروف أن ذلك فى الشحوم ؛ ففى الصحيحين من حديث جابر « قاتل الله اليهود لن الله لما حرم عليهم شحومها جملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه » .

(٢) حديث « من اشترى ثوبا بعشرة دراهم :.. الحديث » تقدم فى الباب قبله .

قول جديد موافق لمذهب أبى حنيفة رحمه الله أو غيره من الأئمة كان الورع فيه مهما وإن أفتى المفتى بالقول الآخر . ومن ذلك الورع عن متروك التسمية وإن لم يختلف فيه قول الشافعى رحمه الله لأن الآية ظاهرة فى إيجابها والأخبار متواترة فيه فإنه صلى الله عليه وسلم قال لكل من سأله عن الصيد « إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت عليه اسم الله فكل [1] » ونقل ذلك على التكرر وقد شهر الذبح بالبسملة [2] وكل ذلك يقوى دليل الاشتراط ولكن لما صح قوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن يذبح على اسم الله تعالى سمى أو لم يسم [3] » واحتمل أن يكون هذا عاما موجبا لصرف الآية وسائر الأخبار عن ظواهرها ويحتمل أن يخصص هذا بالناسى ويترك الظواهر ولا تأويل ، وكان حمله على الناسى ممكنا تمهيدا لعذره فى ترك التسمية بالنسيان وكان تعميمه وتأويل الآية ممكنا إمكانا أقرب رجحنا ذلك ولا ننكر رفع الاحتمال المقابل له فالورع عن مثل هذا مهم واقع فى الدرجة الأولى .

(الرتبة الثانية) وهى مزاحمة لدرجة الوسواس أن يتورع الإنسان عن أكل الجنين الذى يصادف فى بطن الحيوان المذبوح وعن الضب . وقد صح فى الصحاح من الأخبار حديث الجنين ؛ إنّ ذكاته ذكاة أمه [4] صحة لا يتطرق احتمال إلى متنه ولا ضعف إلى سنده وكذلك صح أنه أكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم [5] وقد نقل ذلك فى الصحيحين . وأظن أنّ أبا حنيفة لم تبلغه هذه الأحاديث ولو بلغته لقال بها وإن أنصف وإن لم ينصف منصف فيه كان خلافه غلطا لا يعتد به ولا يورث شبهة كما لو لم يخالف وعلم الشىء بخبر الواحد .

(الرتبة الثالثة) أن لا يشتهر فى المسألة خلاف أصلا ولكن يكون الحل معلوما بخبر الواحد فيقول القائل قد اختلف الناس فى خبر الواحد فمنهم من لا يقبله فأنا أتورع . فإن النقلة وإن كانوا عدولا فالغلط جائز عليهم والكذب لغرض خفى جائز عليهم ، لأن العدل أيضاً قد يكذب والوهم جائز عليه فإنه قد يسبق إلى سمعهم خلاف مايقوله القائل وكذا إلى فهمهم فهذا ورع لم ينقل مثله عن الصحابة فيما كانوا يسمعونه من عدل تسكن نفوسهم إليه . وأما إذا تطرقت شبهة بسبب خاص ودلالة معينة فى حق الراوى فللتوقف وجه ظاهر وإن كان عدلا . وخلاف من خالف فى أخبار الآحاد غير معتد به وهو كخلاف النظام فى أصل الإجماع . وقوله إنه ليس بحجة ولو جاز مثل هذا الورع لكان من الورع أن يمتنع الإنسان من أن يأخذ ميراث الجد أبى الأب ويقول ليس فى كتاب الله ذكر إلا للبنين وإلحاق ابن الابن بالابن بإجماع الصحابة وهم غير معصومين والغلط عليهم جائز إذ خالف النظام فيه ، وهذا هوس ويتداعى إلى أن يترك ما علم بعمومات القرآن إذ من المتكلمين من ذهب إلى أن

---

(١) حديث « إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل » متفق عليه من حديث عدى بن حاتم ، ومن حديث أبى ثعلبة الخشنى

(٢) حديث التسمية على الذبح : متفق عليه من حديث رافع بن خديج « ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ، ليس السن والظفر »

(٣) حديث « المؤمن يذبح على اسم الله سمى أو لم يسم » قال المصنف إنه صح . قلت : لا يعرف بهذا اللفظ فضلا عن صحته ؛ ولأبى داود فى المراسيل من رواية الصلت مرفوعا « ذبيحة المسلم حلال ذكر اسم الله أو لم يذكر » وللطبرانى فى الأوسط ، والدارقطنى ، وابن عدى ، والبيهقى من حديث أبى هريرة . قال رجل : يارسول الله ، الرجل منا يذبح وينسى أن يسمى الله ؛ فقال « اسم الله على كل مسلم » قال ابن عدى : منكر ، والدارقطنى والبيهقى من حديث ابن عباس « المسلم يكفيه اسمه ؛ فإن نسى أن يسمى حين يذبح فليسم وليذكر اسم الله ثم ليأكل » فيه محمد بن سنان ، ضعفه الجمهور .

(٤) حديث « ذكاة الجنين ذكاة أمه » قال المصنف : إنه صح صحة لا يتطرق احتمال إلى متنه ولا ضعف إلى سنده ، وأخذ هذا من إمام الحرمين ؛ فإنه كذا قال فى الأساليب ، والحديث رواه أبو داود والترمذى وحسنه ، وابن ماجه ، وابن حبان من حديث أبى سعيد ، والحاكم من حديث أبى هريرة وقال : صحيح الإسناد ، وليس كذلك . وللطبرانى فى الصغير من حديث ابن عمر بسند جيد . وقال عبد الحق : لا يحتج بأسانيده كلها

(٥) حديث أكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال المصنف : هو فى الصحيحين ، وهو كما ذكره من حديث ابن عمر وابن عباس وخالد بن الوليد .

العمومات لاصيغة لها وإنما يحتج بما فهمه الصحابة منها بالقرائن والدلالات وكل ذلك وسواس ؛ فإذن لاطرف من أطراف الشبهات إلا وفيها غلو وإسراف فليفهم ذلك . ومهما أشكل أمر من هذه الأمور فليستفت فيه القلب وليدع الورع مايريبه إلى مالا يريبه وليترك حزاز القلوب وحكاكات الصدور وذلك يختلف بالأشخاص والوقائع ولكن ينبغى أن يحفظ قلبه عن دواعى الوسواس حتى لايحكم إلا بالحق فلا ينطوى على حزازة فى مظانّ الوسواس ولا يخلو عن الحزازة فى مظانّ الكراهة ؛ وما أعز مثل هذا القلب ولذلك لم يرد عليه السلام كل أحد إلى فتوى القلب وإنما قال ذلك لوابصة لما كان قد عرف من حاله [1] .

القسم الثانى : تعارض العلامات الدالة على الحل والحرمة فإنه قد ينهب نوع من المتاع فى وقت ويندر وقوع مثله من غير النهب فيرى مثلا فى يد رجل من أهل الصلاح ، فيدل صلاحه على أنه حلال ويدل نوع المتاع وندوره من غير المنهوب على أنه حرام فيتعارض الأمران . وكذلك يخبر عدل أنه حرام وآخر أنه حلال أو تتعارض شهادة فاسقين أو قول صبى وبالغ ، فإن ظهر ترجيح حكم به والورع الاجتناب ، وإن لم يظهر ترجيح وجب التوقف وسيأتى تفصيله فى باب التعرف والبحث والسؤال .

القسم الثالث : تعارض الأشباه فى الصفات التى تناط بها الأحكام . مثاله أن يوصى بمال للفقهاء فيعلم أنّ الفاضل فى الفقه داخل فيه وأنّ الذى ابتدأ التعلم من يوم أو شهر لايدخل فيه وبينهما درجات لاتحصى يقع الشك فيها ، فالمفتى يفتى بحسب الظن والورع الاجتناب ، وهذا أغمض مثارات الشبهة فإنّ فيها صورا يتحير المفتى فيها تحيرا لازما لاحيلة له فيه إذ يكون المتصف بصفة فى درجة متوسطة بين الدرجتين المتقابلتين لايظهر له ميله إلى أحدهما . وكذلك الصدقات المصروفة إلى المحتاجين فإنّ من لاشىء له معلوم أنه محتاج ومن له مال كثير معلوم أنه غنى ويتصدّى بينهما مسائل غامضة كمن له دار وأثاث وثياب وكتب فإنّ قدر الحاجة منه لايمنع من الصرف إليه والفاضل يمنع والحاجة ليست محدودة وإنما تدرك بالتقريب ، ويتعدّى منه النظر فى مقدار سعة الدار وأبنيتها ومقدار قيمتها لكونها فى وسط البلد ووقوع الاكتفاء بدار دونها ، وكذلك فى نوع أثاث البيت إذا كان من الصفر لامن الخزف وكذلك فى عددها وكذلك فى قيمتهما وكذلك فيما لايحتاج إليه كل يوم ومايحتاج إليه كل سنة من آلات الشتاء ومالا يحتاج إليه إلا فى سنين ، وشىء من ذلك لاحدّ له . والوجه فى هذا ما قاله عليه السلام « دع مايريبك إلى مالا يريبك [2] » كل ذلك فى محل الريب إن توقف المفتى فلا وجه إلا التوقف وهو أهم مواقع الورع . وكذلك مايجب بقدر الكفاية من نفقة الأقارب وكسوة الزوجات وكفاية الفقهاء والعلماء على بيت المال إذ فيه طرفان يعلم أنّ أحدهما قاصر وأنّ الآخر زائد وبينهما أمور متشابهة تختلف باختلاف الشخص والحال . والمطلع على الحاجات هو الله تعالى وليس للبشر وقوف على حدودها ، فما دون الرطل المكى فى اليوم قاصر عن كفاية الرجل الضخم وما فوق ثلاثة أرطال زائد على الكفاية وما بينهما لايتحقق له حدّ . فليدع الورع ما يريبه وهذا جار فى كل حكم نيط بسبب يعرف ذلك السبب بلفظ العرب ، إذ العرب وسائر أهل اللغات لم يقدروا متضمنات اللغات بحدود محدودة تنقطع أطرافها عن مقابلاتها كلفظ الستة فإنه لايحتمل مادونها ومافوقها من الأعداد وسائر ألفاظ الحساب والتقديرات ، فليست الألفاظ اللغوية كذلك فلا لفظ فى كتاب الله وسنة رسول الله

---

(١) حديث : لم يرد كل أحد إلى فتوى قلبه وإنما قال ذلك لوابصة ، وتقدم حديث وابصة ، وروى الطبرانى من حديث واثلة أنه قال ذلك لواثلة أيضاً ، وفيه العلاء بن ثعلبة مجهول . (٢) حديث « دع مايريبك إلى مالا يريبك » تقدم فى الباب قبله

صلى الله عليه وسلم إلا ويتطرق الشك إلى أوساط في مقتضياتها تدور بين أطراف متقابلة فتعظم الحاجة إلى هذا الفن في الوصايا والأوقاف على الصوفية مثلا مما يصح ومن الداخل تحت موجب هذا اللفظ هذا من الغوامض فكذلك سائر الألفاظ . وسنشير إلى مقتضى لفظ الصوفي على الخصوص ليعلم به طريق التصرف في الألفاظ وإلا فلا مطمع في استيفائها ، فهذه اشتباهات تثور من علامات متعارضة تجذب إلى طرفين متقابلين ، وكل ذلك من الشبهات يجب اجتنابها إذا لم يترجح جانب الحل بدلالة تغلب على الظن أو باستصحاب بموجب قوله صلى الله عليه وسلم « دع مايريبك إلى مالا يريبك » وبموجب سائر الأدلة التي سبق ذكرها . فهذه مثارات الشبهات وبعضها أشد من بعض ولو تظاهرت شبهات شتى على شيء واحد كان الأمر أغلظ مثل أن يأخذ طعاما مختلفا فيه عوضا عن عنب باعه من خمار بعد النداء يوم الجمعة والبائع قد خالط ماله حرام وليس هو أكثر ماله ولكنه صار مشتبها به فقد يؤدي ترادف الشبهات إلى أن يشتد الأمر في اقتحامها ، فهذه مراتب عرفنا طريق الوقوف عليها وليس في قوة البشر حصرها فما اتضح من هذا الشرح أخذ به وما التبس فليجتنب فإن الإثم حزاز القلب . وحيث قضينا باستفتاء القلب أردنا به حيث أباح المفتي أما حيث حرمه فيجب الامتناع . ثم لايعول على كل قلب فرب موسوس ينفر عن كل شيء ورب شره متساهل يطمئن إلى كل شيء ولا اعتبار بهذين القلبين وإنما الاعتبار بقلب العالم الموفق المراقب لدقائق الأحوال وهو المحك الذي يمتحن به خفايا الأمور ، وماأعز هذا القلب في القلوب فمن لم يثق بقلب نفسه فليلتمس النور من قلب بهذه الصفة وليعرض عليه واقعته ، وجاء في الزبور « إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام : قل لبني إسرائيل إني لاأنظر إلى صلاتكم ولاصيامكم ولكن أنظر إلى من شك في شيء فتركه لأجلي فذاك الذي أنظر إليه وأؤيده بنصري وأباهي به ملائكتي .

الباب الثالث : في البحث ، والسؤال ، والهجوم . والإهمال ومظانها

اعلم أن كل من قدم إليك طعاما أو هدية أو أردت أن تشتري منه أو تتهب فليس لك أن تفتش عنه وتسأل وتقول : هذا مما لا أتحقق حله فلا آخذه بل أفتش عنه . وليس لك أيضاً أن تترك البحث فتأخذ كل مالاتتيقن تحريمه بل السؤال واجب مرة وحرام مرة ومندوب مرة ومكروه مرة فلا بد من تفصيله ، والقول الشافي فيه هو أن مظنة السؤال مواقع الريبة . ومنشأ الريبة ومثارها إما أمر يتعلق بالمال أو يتعلق بصاحب المال .

المثار الأول : أحوال المسالك

وله بالإضافة إلى معرفتك ثلاثة أحوال : إما أن يكون مجهولا أو مشكوكا فيه أو معلوما بنوع ظن يستند إلى دلالة .

الحالة الأولى : أن يكون مجهولا والمجهول هو الذي ليس معه قرينة تدل على فساده وظلمه كزي الأجناد ، ولامايدل على صلاحه كثياب أهل التصوف والتجارة والعلم وغيرها من العلامات . فإذا دخلت قرية لاتعرفها فرأيت رجلا لاتعرف من حاله شيئا ولا عليه علامة تنسبه إلى أهل صلاح أو أهل فساد فهو مجهول ؛ وإذا دخلت بلدة غريبا ودخلت سوقا ووجدت رجلا خبازا أو قصابا أو غيره ولاعلامة تدل على كونه مريبا أو خائنا ولامايدل على نفيه فهو مجهول ولايدرى حاله ، ولانقول إنه مشكوك فيه لأن الشك عبارة عن اعتقادين متقابلين لهما سببان متقابلان ، وأكثر الفقهاء لايدركون الفرق بين مالايدرى وبين مايشك فيه ؛ وقد عرفت مما سبق أن الورع ترك مالايدرى . قال يوسف بن أسباط : منذ ثلاثين سنة ماحاك في قلبي شيء إلا تركته . وتكلم جماعة في أشق الأعمال

فقالوا : هو الورع ؛ فقال لهم حسان بن أبي سنان : ماشيء عندى أسهل من الورع ، إذا حاك فى صدرى شيء تركته . فهذا شرط الورع ، وإنما نذكر الآن حكم الظاهر ، فنقول : حكم هذه الحالة أن المجهول إن قدم إليك طعاما أو حمل إليك هدية أو اردت أن تشترى من دكانه شيئا فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلما دلالتان كافيتان فى الهجوم على أخذه . وليس لك أن تقول الفساد والظلم غالب على الناس فهذه وسوسة وسوء ظن بهذا المسلم بعينه وإن بعض الظن إثم . وهذا المسلم يستحق بإسلامه عليك أن لاتسيء الظن به فإن أسأت الظن به فى عينه لأنك رأيت فسادا من غيره فقد جنيت عليه وأثمت به فى الحال نقدا من غير شك ، ولو أخذت المال لكان كونه حراما مشكوكا فيه . ويدل عليه أنا نعلم أن الصحابة رضى الله عنهم فى غزواتهم وأسفارهم كانوا ينزلون فى القرى ولا يردون القرى ويدخلون البلاد ولايحترزون من الأسواق ، وكان الحرام ايضا موجودا فى زمانهم ومانقل عنهم سؤال إلا عن ريبة إذكان صلى الله عليه وسلم لايسأل عن كل مايحمل إليه بل سأل فى أول قدومه إلى المدينة عما يحمل إليه : أصدقة أم هدية [1] ؟ لأن قرينة الحال تدل وهودخول المهاجرين المدينة وهم فقراء فغلب على الظن أن مايحمل إليهم بطريق الصدقة ، ثم إسلام المعطى ويده لايدلان على أنه ليس بصدقة . وكان يدعى إلى الضيافات فيجيب ولايسأل : أصدقة أم لا [2] ؟ إذ العادة ماجرت بالتصدق بالضيافة . ولذلك دعته أم سليم [3] ودعاه الخياط [4] كما فى الحديث الذى رواه أنس بن مالك رضى الله عنه وقدم إليه طعاما فيه قرع ، ودعاه الرجل الفارسى فقال عليه الصلاة والسلام أنا وعائشة ؟ فقال : لا ، فقال : « فلا » . ثم اجابه بعد فذهب هو وعائشة يتساوقان فقرب إليهما إهالة [5] ، ولم ينقل السؤال فى شيء من ذلك ، وسأل أبوبكر رضى الله عنه عبده عن كسبه لما رابه من أمره ، وسأل عمر رضى الله عنه الذى سقاه من لبن إبل الصدقة إذ رابه وكان أعجبه طعمه ولم يكن على ما كان يألفه كل مرة . وهذه أسباب الريبة وكل من وجد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن عاصيا بإجابته من غير تفتيش ، بل لو رأى فى داره تجملا ومالا كثيرا فليس له أن يقول الحلال عزيز وهذا كثير فمن أين يجتمع هذا من الحلال ؟ بلى هذا الشخص بعينه يحتمل أن يكون ورث مالا أو اكتسبه فهو بعينه يستحق إحسان الظن به ، وازيد على هذا واقول : ليس له أن يسأله بل إن كان يتورع فلا يدخل جوفه إلا مايدرى من اين هو فهو حسن فليتلطف فى الترك ، وإن كان لا بد له من أكله فليأكل بغير سؤال إذ السؤال إيذاء وهتك ستر وإيحاش وهو حرام بلا شك .

* فإن قلت : لعله لا يتأذى ؟ فأقول . لعله يتأذى فإنت تسأل حذرا من « لعل » فإن قنعت فلعل ماله حلال وليس الإثم المحذور فى إيذاء مسلم بأقل من الإثم فى أكل الشبهة والحرام ، والغالب على الناس الاستيحاش بالتفتيش ولا يجوز له ان يسأل من غيره من حيث يدرى هو به لأن الإيذاء فى ذلك أكثر ، وإن سأل من حيث لايدرى هو ففيه إساءة ظن وهتك ستر وفيه تجسس وفيه تشبث بالغيبة وإن لم يكن ذلك صريحا . وكل ذلك منهى عنه فى آية

الباب الثالث : فى البحث والسؤال

(١) حديث سؤاله فى أول قدومه الى المدينة عما يحمل اليه أصدقة أم هدية : رواه أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث سلمان أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة أتاه سلمان بطعام ، فسأله عنه أصدقة أم هدية ... الحديث، تقدم فى الباب قبله من حديث أبى هريرة . (٢) حديث كان يدعى الى الضيافات فيجيب ولايسأل أصدقة أم لا : هذا معروف مشهور ، من ذلك فى الصحيحين من حديث أبى مسعود الأنصارى فى صنيع أبى شعيب طعاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاه خامس خمسة (٣) حديث دعته أم سليم : متفق عليه من حديث أنس . (٤) حديث أنس : أن خياطا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم إليه طعاما فيه قرع : متفق عليه . (٥) حديث دعاه الرجل الفارسى فقال « أنا وعائشة ... الحديث » رواه مسلم عن أنس .

واحدة قال الله تعالى ﴿ اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ﴾ وكم زاهد جاهل يوحش القلوب فى التفتيش ويتكلم الكلام الخشن المؤذى وإنما يحسن الشيطان ذلك عنده طلبا للشهرة بأكل الحلال ، ولو كان باعثه محض الدين لكان خوفه على قلب مسلم أن يتأذى أشد من خوفه على بطنه أن يدخله مالا يدرى وهو غير مؤاخذ بما لا يدرى إذ لم يكن ثم علامة توجب الاجتناب فليعلم أن طريق الورع الترك دون التجسس ، وإذا لم يكن بد من الأكل فالورع الأكل وإحسان الظن ؛ هذا هو المألوف من الصحابة رضى الله عنهم ومن زاد عليهم فى الورع فهو ضال مبتدع وليس بمتبع فلن يبلغ أحد مد أحدهم ولا نصيفه ولو انفق مافى الأرض جميعا كيف وقد أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام بريرة فقيل : إنه صدقة ؛ فقال : هو لها صدقة ولنا هدية [1] » ولم يسأل على المتصدق عليها فكان مجهولا عنده ولم يمتنع .

الحالة الثانية : أن يكون مشكوكا فيه بسبب دلالة أورثت ريبة فلنذكر صورة ريبة ثم حكمها .

أما الخلقة : فبأن يكون على خلقة الأتراك والبوادى والمعروفين بالظلم وقطع الطريق ، وأن يكون طويل الشارب ، وأن يكون الشعر مفرقا على رأسه على دأب أهل الفساد . وأما الثياب : فالقباء والقلنسوة وزى أهل الظلم والفساد من الأجناد وغيرهم . وأما الفعل والقول : فهو أن يشاهد منه الإقدام على ما لا يحل ؛ فإن ذلك يدل على أنه يتساهل أيضاً فى المال ويأخذ ما لا يحل ؛ فهذه مواضع الريبة . فإذا أراد أن يشترى من مثل هذا شيئا ويأخذ منه هدية أو يجيبه إلى ضيافة وهو غريب مجهول عنده لم يظهر له منه إلا هذه العلامات ؛ فيحتمل أن يقال إن اليد تدل على الملك وهذه الدلالات ضعيفة فالإقدام جائز والترك من الورع . ويحتمل أن يقال إن اليد دلالة ضعيفة وقد قابلها مثل هذه الدلالة فأورثت ريبة فالهجوم غير جائز ، وهو الذى نختاره ونفتى به لقوله صلى الله عليه وسلم « دع مايريبك إلى مالا يريبك [2] » فظاهره أمر وإن كان يحتمل الاستحباب لقوله صلى الله عليه وسلم « الإثم حزاز القلوب [3] » وهذا له وقع فى القلب لا ينكر ولأن النبى صلى الله عليه وسلم سأل : أصدقة هو أو هدية ؟ وسأل أبو بكر رضى الله عنه غلامه . وسأل عمر رضى الله عنه . وكل ذلك كان فى موضع الريبة وحمله على الورع وإن كان ممكنا ولكن لا يحمل عليه إلا بقياس حكمى والقياس ليس يشهد بتحليل هذا فإن دلالة اليد والإسلام وقد عارضتها هذه الدلالات أورثت ريبة فإذا تقابلا فالاستحلال لا مستند له . وإنما لا يترك حكم اليد والاستصحاب بشك لا يستند إلى علامة كما إذا وجدنا الماء متغيرا واحتمل أن يكون بطول المكث فإن رأينا ظبية بالت فيه ثم احتمل أن التغيير به تركنا الاستصحاب وهذا قريب منه . ولكن بين هذه الدلالات تفاوت فإن طول الشوارب ولبس القباء وهيئة الأجناد يدل على الظلم بالمال . أما القول والفعل المخالفان للشرع إن تعلقا بظلم المال فهو أيضا دليل ظاهر كما لو سمعه يأمر بالغصب والظلم أو يعقد عقد الربا . فأما إذا رآه قد شتم غيره فى غضبه أو اتبع نظره امرأة مرت به فهذه الدلالة ضعيفة فكم من إنسان يتحرج فى طلب المال ولا يكتسب إلا الحلال ومع ذلك فلا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة ؟ فليتنبه لهذا التفاوت ولا يمكن أن يضبط هذا بحد فليستفت العبد فى مثل ذلك قلبه . وأقول إن هذا إن رآه من مجهول فله حكم وإن رآه ممن عرفه بالورع فى الطهارة والصلاة وقراءة القرآن فله حكم آخر إذ تعارضت

---

(١) حديث أكله طعام بريرة فقيل إنها صدقة فقال « هو لها صدقة ولنا هدية » متفق عليه من حديث أنس (٣) حديث « دع مايريبك » تقدم فى البابين قبله . (٣) حديث « الإثم حزاز القلوب » تقدم فى العلم .

الدلالات بالإضافة إلى المال وتساقطنا وعاد الرجل كالمجهول إذ ليست إحدى الدلالتين تناسب المال على الخصوص فكم من متحرج فى المال لا يتحرج فى غيره وكم من محسن للصلاة والوضوء والقراءة ويأكل من حيث يجد فالحكم فى هذه المواقع مايميل إليه القلب فإن هذا أمر بين العبد وبين الله فلا يبعد أنّ يناط بسبب خفى لا يطلع عليه إلا هو ورب الأرباب وهو حكم حزازة القلب . ثم ليتنبه لدقيقة أخرى وهو أن هذه الدلالة ينبغى أن تكون بحيث تدل على أن أكثر ماله حرام بأن يكون جنديا أو عامل سلطان أو نائحة أو مغنية فإن دل على أن فى ماله حراما قليلا لم يكن السؤال واجبا بل كان السؤال من الورع .

الحالة الثالثة : أن تكون الحالة معلومة بنوع خبرة وممارسة بحيث يوجب ذلك ظنا فى حل المال أو تحريمه مثل أن يعرف صلاح الرجل وديانته وعدالته فى الظاهر وجوز أن يكون الباطن بخلافه فههنا لا يجب السؤال ولا يجوز كما فى المجهول ؛ فالأولى الإقدام . والإقدام ههنا أبعد عن الشبهة من الإقدام على طعام المجهول فإن ذلك بعيد عن الورع وإن لم يكن حراما . وأما أكل طعام أهل الصلاح فدأب الأنبياء والأولياء قال صلى الله عليه وسلم « لا تأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى [1] » فأما إذا علم بالخبرة أنه جندى أو مغن أو مرب واستغنى عن الاستدلال عليه بالهيئة والشكل والثياب ، فههنا السؤال واجب لامحالة كما فى موضع الريبة بل أولى .

المثار الثانى : مايستند الشك فيه إلى سبب المال لا فى حال المالك

وذلك بأن يختلط الحلال بالحرام كما إذا طرح فى سوق أحمال من طعام غصب واشتراها أهل السوق فليس يجب على من يشترى فى تلك البلدة وذلك السوق أن يسأل عما يشتريه إلا أن يظهر أنّ أكثر ما فى أيديهم حرام فعند ذلك يجب السؤال ، فإن لم يكن هو الأكثر فالتفتيش من الورع وليس بواجب . والسوق الكبير حكمه حكم بلد . والدليل على أنه لايجب السؤال والتفتيش إذا لم يكن الأغلب الحرام أن الصحابة رضى الله عنهم لم يمتنعوا من الشراء من الأسواق وفيها دراهم الربا وغلول الغنيمة وغيرها ، وكانوا لايسألون فى كل عقد ، وإنما السؤال نقل عن آحادهم نادرا فى بعض الأحوال وهى محال الريبة فى حق ذلك الشخص المعين ، وكذلك كانوا يأخذون الغنائم من الكفار الذين كانوا قد قاتلوا المسلمين ، وربما أخذوا أموالهم واحتمل أن يكون فى تلك الغنائم شىء مما أخذوه من المسلمين وذلك لايحل أخذه مجانا بالاتفاق بل يرد على صاحبه عند الشافعى رحمه الله ، وصاحبه أولى به بالثمن عند أبى حنيفة رحمه الله ، ولم ينقل قط التفتيش عن هذا . وكتب عمر رضى الله عنه إلى أذربيجان : إنكم فى بلاد تذبح فيها الميتة فانظروا ذكيه من ميته . أذن فى السؤال وأمر به ولم يأمر بالسؤال عن الدراهم التى هى أثمانها لأن أكثر دراهمهم لم تكن أثمان الجلود وإن كانت هى أيضا تباع وأكثر الجلود كان كذلك . وكذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه : إنكم فى بلاد أكثر قصابيها المجوس فانظروا الذكى من الميتة فخص بالأكثر الأمر بالسؤال . ولا يتضح مقصود هذا الباب إلا بذكر صور وفرض مسائل يكثر وقوعها فى العادات فلنفرضها :

مسألة : شخص معين خالط ماله الحرام مثل أن يباع على دكان طعام مغصوب أو مال منهوب ، ومثل أن يكون القاضى أو الرئيس أو العامل أو الفقيه الذى له إدرار على سلطان ظالم له أيضا مال موروث ودهقنة أو تجارة أو رجل

(١) حديث : لاتأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى . تقدم فى الزكاة .

تاجر يعامل بمعاملات صحيحة ويربى أيضا . فإن كان الأكثر من ماله حراما لايجوز الأكل من ضيافته ولاقبول هديته ولا صدقته إلا بعد التفتيش ، فإن ظهر أن المأخوذ من وجه حلال فذاك وإلا ترك ، وإن كان الحرام أقل والمأخوذ مشتبه فهذا فى محل النظر لأنه على رتبة بين الرتبتين ، إذ قضينا بأنه لو اشتبه ذكية بعشر ميتات مثلا وجب اجتناب الكل وهذا يشبهه من وجه من حيث إن مال الرجل الواحد كالمحصور لاسيما إذا لم يكن كثير المال مثل السلطان ، ويخالفه من وجه إذ الميتة يعلم وجودها فى الحال يقينا والحرام الذى خالط ماله يحتمل أن يكون قد خرج من يده وليس موجودا فى الحال وإن كان المال قليلا ، وعلم قطعا أن الحرام موجود فى الحال فهو ومسألة اختلاط الميتة واحد . وإن كثر المال واحتمل أن يكون الحرام غير موجود فى الحال فهذا أخف من ذلك ويشبه من وجه الاختلاط بغير محصور كما فى الأسواق والبلاد ولكنه أغلظ منه لاختصاصه بشخص واحد ، ولا يشك فى أن الهجوم عليه بعيد من الورع جدا ولكن النظر فى كونه فسقا مناقض للعدالة ، وهذا من حيث النقل أيضا غامض لتجاذب الأشياء ، ومن حيث النقل أيضا غامض لأن ماينقل فيه عن الصحابة من الامتناع فى مثل هذا وكذا عن التابعين يمكن حمله على الورع ولا يصادف فيه نص على التحريم . وما ينقل من إقدام على الأكل كأكل أبى هريرة رضى الله عنه طعام معاوية مثلا إن قدر فى جملة مافى يده حرام فذلك أيضا يحتمل أن يكون إقدامه بعد التفتيش واستبانة أن عين مايأكله من وجه مباح . فالأفعال فى هذا ضعيفة الدلالة ومذاهب العلماء المتأخرين مختلفة حتى قال بعضهم : لو أعطانى السلطان شيئا لأخذته وطرد الإباحة فيما إذا كان الأكثر أيضا حراما مهما لم يعرف عين المأخوذ واحتمل أن يكون حلالا ، واستدل بأخذ بعض السلف جوائز السلاطين - كما سيأتى فى باب بيان أموال السلاطين فأما إذا كان الحرام هو الأقل واحتمل أن لايكون موجودا فى الحال لم يكن الأكل حراما ، وإن تحقق وجوده فى الحال - كما فى مسألة اشتباه الذكية بالميتة - فهذا مما لا أدرى ما أقول فيه وهو من المتشابهات التى يتحير المفتى فيها لأنها مترددة بين مشابهة المحصور وغير المحصور . والرضيعة إذا اشتبهت بقرية فيها عشر نسوة وجب الاجتناب وإن كانت ببلدة فيها عشرة آلاف لم يجب . وبينهما أعداد ، ولو سئلت عنها لكنت لا أدرى ما أقول فيها ، ولقد توقف العلماء فى مسائل هى أوضح من هذه إذ سئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل رمى صيدا فوقع فى ملك غيره أيكون الصيد للرامى أو لمالك الأرض ؟ فقال : لا أدرى ، فروجع فيه مرات فقال : لا أدرى . وكثيرا من ذلك حكيناه عن السلف فى كتاب العلم فليقطع المفتى طمعه عن درك الحكم فى جميع الصور . وقد سأل ابن المبارك صاحبه من البصرة عن معاملته قوما يعاملون السلاطين ، فقال : إن لم يعاملوا سوى السلطان فلا تعاملهم وإن عاملوا السلطان وغيره فعاملهم . وهذا يدل على المسامحة فى الأقل ويحتمل المسامحة فى الأكثر أيضا . وبالجملة فلم ينقل عن الصحابة أنهم كانوا يهجرون بالكلية معاملة القصاب والخباز والتاجر لتعاطيه عقدا واحدا فاسدا أو لمعاملة السلطان مرة ؛ وتقدير ذلك فيه بعد والمسألة مشكلة فى نفسها .

* فإن قيل : فقد روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه رخص فيه وقال : خذ ما يعطيك السلطان فإنما يعطيك من الحلال وما يأخذ من الحلال أكثر من الحرام . وسئل ابن مسعود رضى الله عنه ذلك فقال له السائل . إن لى جارا لاأعلمه إلا خبيثا يدعونا أو نحتاج فنستسلفه فقال : إذا دعاك فأجبه وإذا احتجت فاستسلفه فإن لك المهنأ وعليه المأثم . وأفتى سلمان بمثل ذلك . وقد علل علىّ بالكثرة وعلل ابن مسعود رضى الله عنه بطريق الإشارة بأن عليه المأثم لأنه يعرفه ولك المهنأ أى أنت لاتعرفه . وروى أنه قال رجل لابن مسعود

رضى الله عنه . إن لى جارا يأكل الربا فيدعونا إلى طعامه أفنأتيه ؟ فقال : نعم . وروى فى ذلك عن ابن مسعود رضى الله عنه روايات كثيرة مختلفة وأخذ الشافعى ومالك رضى الله عنهما جوائز الخلفاء والسلاطين مع العلم بأنه قد خالط مالهم الحرام ؟ قلنا : أما ما روى عن على رضى الله عنه فقد اشتهر من ورعه ما يدل على خلاف ذلك فإنه كان يمتنع من مال بيت المال حتى يبيع سيفه ولا يكون له إلا قميص واحد فى وقت الغسل لا يجد غيره . ولست أنكر أن رخصته صريح فى الجواز وفعله محتمل للورع ولكنه لو صح فمال السلطان له حكم آخر فإنه بحكم كثرته يكاد يلتحق بما لا يحصر ـ وسيأتى بيان ذلك ـ وكذا فعل الشافعى ومالك رضى الله عنهما متعلق بمال السلطان ـ وسيأتى حكمه ـ وإنما كلامنا فى آحاد الخلق وأموالهم قريبة من الحصر . وأما قول ابن مسعود رضى الله عنه فقيل إنه إنما نقله خوات التيمى وإنه ضعيف الحفظ والمشهور عنه ما يدل على توقى الشبهات إذ قال : لايقولن أحدكم أخاف وأرجو فإن الحلال بين والحرام بين ، وبين ذلك أمور مشتبهات فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك . وقال : اجتنبوا الحكاكات ففيها الإثم .

* فإن قيل : فلم قلتم إذا كان الأكثر حراما لم يجز الأخذ مع أن المأخوذ ليس فيه علامة تدل على تحريمه على الخصوص ، واليد علامة على الملك حتى إن من سرق مال مثل هذا الرجل قطعت يده والكثرة توجب ظنا مرسلا لايتعلق بالعين فليكن كغالب الظن فى طين الشوارع وغالب الظن فى الاختلاط بغير محصور إذا كان الأكثر هو الحرام ، ولايجوز أن يستدل على هذا بعموم قوله صلى الله عليه وسلم « دع مايريبك إلى مالايريبك » لأنه مخصوص ببعض المواضع بالاتفاق وهو أن يريبه بعلامة فى عين الملك بدليل اختلاط القليل بغير المحصور فإن ذلك يوجب ريبة ومع ذلك قطعتم بأنه لايحرم ؟ فالجواب أن اليد دلالة ضعيفة كالاستصحاب وإنما تؤثر إذا سلمت عن معارض قوى . فإذا تحققنا الاختلاط وتحققنا أن الحرام المخالط موجود فى الحال ، والمال غير خال عنه ، وتحققنا أن الأكثر هو الحرام وذلك فى حق شخص معين يقرب ماله من الحصر ظهر وجوب الإعراض عن مقتضى اليد وإن لم يحمل عليه قوله عليه السلام « دع مايريبك إلى مالا يريبك » لايبقى له محمل إذ لا يمكن أن يحمل على اختلاط قليل بحلال غير محصور إذ كان ذلك موجودا فى زمانه وكان لايدعه . وعلى أى موضع حمل هذا كان هذا فى معناه . وحمله على التنزيه صرف له عن ظاهره بغير قياس فإن تحريم هذا غير بعيد عن قياس العلامات والاستصحاب ، وللكثرة تأثير فى تحقيق الظن وكذا للحصر وقد اجتمعا حتى قال أبو حنيفه رضى الله عنه : لاتجتهد فى الأوانى إلا إذا كان الطاهر هو الأكثر . فاشترط اجتماع الاستصحاب والاجتهاد بالعلامة وقوة الكثرة : ومن قال يأخذ أى آنية أراد بلا اجتهاد بناء على مجرد الاستصحاب فيجوز الشرب أيضا فيلزمه التجويز ههنا بمجرد علامة اليد . ولا يجرى ذلك فى بول اشتبه بماء إذ لااستصحاب فيه ولانطرده أيضا فى ميتة اشتبهت بذكية إذ لااستصحاب فى الميتة ، واليد لاتدل على أنه غير ميتة وتدل فى الطعام المباح على أنه ملك . فههنا أربع متعلقات . استصحاب ، وقلة فى المخلوط أو كثرة ، وانحصار أو اتساع فى المخلوط ، وعلامة خاصة فى عين الشىء يتعلق بها الاجتهاد . فمن يغفل عن مجموع الأربعة ربما يغلط فيشبه بعض المسائل بما لايشبهه . فحصل مما ذكرناه أن المختلط فى ملك شخص واحد إما أن يكون الحرام أكثره أو أقله وكل واحد إما أن يعلم بيقين أو بظن عن علامة أو توهم . فالسؤال يجب فى موضعين : وهو أن يكون الحرام أكثر يقينا أو ظنا كما لو رأى تركيا مجهولا يحتمل أن يكون كل ماله من غنيمة وإن كان الأقل معلوما باليقين فهو محل التوقف وتكاد تسير سير أكثر السلف وضرورة الأحوال إلى الميل إلى الرخصة . وأما الأقسام الثلاثة الباقية

فالسؤال واجب فيها أصلا .

مسألة : إذا حضر طعام إنسان علم أنه دخل فى يده حرام من إدرار كان قد أخذه أو وجه آخر ولا يدرى أنه بقى إلى الآن أم لا ، قله الأكل ولايلزمه التفتيش وإنما التفتيش فيه من الورع ، ولو علم أنه قد بقى منه شىء ولكن لم يدر أنه الأقل أو الأكثر فله أن يأخذ بأنه الأقل . وقد سبق أن أمر الأقل مشكل وهذا يقرب منه .

مسألة : إذا كان يد المتولى للخيرات أو الأوقاف أو الوصايا مالان يستحق هو أحدهما ولا يستحق الثانى لأنه غير موصوف بتلك الصفة فهل له أن يأخذ مايسلمه إليه صاحب الوقف ؟ نظر ، فإن كانت تلك الصفة ظاهرة يعرفها المتولى وكان المتولى ظاهر العدالة فله أن يأخذ بغير بحث لأن الظن بالمتولى أنه لايصرف إليه مايصرفه إلا من المال الذى يستحقه ، وإن كانت الصفة خفية وإن كان المتولى ممن عرف حاله أنه يخلط ولايبالى كيف يفعل فعليه السؤال ، إذ ليس ههنا يد ولا استصحاب يعول عليه ، وهو وزان سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة والهدية عند تردده فيهما لأن اليد لاتخصص الهدية عن الصدقة ولا الاستصحاب فلاينجى منه إلا السؤال ، فإن السؤال حيث أسقطناه فى المجهول أسقطناه بعلامة اليد والإسلام ، حتى لو لم يعلم أنه مسلم وأراد أن يأخذ من يده لحما من ذبيحته واحتمل أن يكون مجوسيا لم يجز له مالم يعرف أنه مسلم إذ اليد لاتدل فى الميتة ولا الصورة تدل على الإسلام إلا إذا كان أكثر أهل البلدة مسلمين ، فيجوز أن يظن بالذى ليس عليه علامة الكفر أنه مسلم وإن كان الخطأ ممكنا فيه فلا ينبغى أن تلتبس المواضع التى تشهد فيها اليد والحال بالتى لا تشهد .

مسألة : له أن يشترى فى البلد دارا وإن علم أنها تشتمل على دور مغصوبة لأن ذلك الاختلاط بغير محصور ولكن السؤال احتياط وورع . وإن كان فى سكة عشر دور مثلا إحداها مغصوب أو وقف لم يجز الشراء مالم يتميز ويجب البحث عنه . ومن دخل بلدة وفيها رباطات خصص بوقفها أرباب المذاهب وهو على مذهب واحد من جملة تلك المذاهب فليس له أن يسكن أيها شاء ويأكل من وقفها بغير سؤال لأن ذلك من باب اختلاط المحصور فلا بد من التمييز ، ولا يجوز الهجوم مع الإبهام لأن الرباطات والمدارس فى البلد لابد أن تكون محصورة .

مسألة : حيث جعلنا السؤال من الورع فليس له أن يسأل صاحب الطعام والمال إذا لم يأمن غضبه وإنما أوجبنا السؤال إذا تحقق أن أكثر ماله حرام وعند ذلك لايبالى بغضب مثله ، إذ يجب إيذاء الظالم بأكثر من ذلك . والغالب أن مثل هذا لايغضب من السؤال . نعم إن كان يأخذ من يد وكيله أو غلامه أو تلميذه أو بعض أهله ممن هو تحت رعايته فله أن يسأل مهما استراب لأنهم لايغضبون من سؤاله ، ولأن عليه أن يسأل ليعلمهم طريق الحلال ولذلك سأل أبو بكر رضى الله عنه غلامه ، وسأل عمر من سقاه من إبل الصدقة ، وسأل أبا هريرة رضى الله عنه أيضا لما أن قدم عليه بمال كثير فقال : ويحك أكل هذا طيب ؟ من حيث إنه تعجب من كثرته وكان هو من رعيته لاسيما وقد رفق فى صيغة السؤال ، وكذلك قال على رضى الله عنه : ليس شىء أحب إلى الله تعالى من عدل إمام ورفقه ولاشىء أبغض إليه من جوره وخرقه .

مسألة . قال الحارث المحاسبى رحمه الله : لو كان له صديق أو أخ وهو يأمن غضبه لو سأله فلا ينبغى أن يسأله لأجل الورع ، لأنه ربما يبدو له ما كان مستورا عنه فيكون قد حمله على هتك الستر ثم يؤدى ذلك إلى البغضاء ، وما ذكره حسن لأن السؤال إذا كان من الورع لامن الوجوب فالورع فى مثل هذه الأمور الاحتراز عن هتك الستر ، وإثارة البغضاء أهم . وزاد على هذا فقال : وإن رابه منه شىء أيضا لم يسأله ويظن به أنه يطعمه من الطيب

ويجتنبه الخبيث فإن كان لايطمئن قلبه إليه فيحترز متلطفا ولا يهتك ستره بالسؤال ، قال : لأنى لم أر أحدا من العلماء فعله ، فهذا منه مع ما اشتهر به من الزهد يدل على مسامحة فيما إذا خالط المال الحرام القليل ولكن ذلك عند التوهم لا عند التحقيق لأن لفظ الريبة يدل على التوهم بدلالة تدل عليه ولايوجب اليقين فليراع هذه الدقائق بالسؤال .

مسألة : ربما يقول القائل : أى فائدة فى السؤال ممن بعض ماله حرام ومن يستحل المال الحرام ربما يكذب فإن وثق بأمانته فليثق بديانته فى الحلال ؟ فأقول : مهما علم مخالطة الحرام لمال إنسان وكان له غرض فى حضورك ضيافته أوقبولك هديته فلا تحصل الثقة بقوله فلا فائدة للسؤال منه ، فينبغى أن يسأل من غيره ، وكذا إن كان بياعا وهو يرغب فى البيع لطلب الربح فلا تحصل الثقة بقوله إنه حلال ولافائدة فى السؤال منه وإنما يسأل من غيره . وإنما يسأل من صاحب اليد إذا لم يكن متهما كما يسأل المتولى على المال الذى يسلمه أنه من أى جهة وكما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهدية والصدقة فإن ذلك لا يؤذى ولا يتهم القائل فيه ، وكذلك إذا اتهمه بأنه ليس يدرى طريق كسب الحلال ؛ فلا يتهم فى قوله إذا أخبر عن طريق صحيح ، وكذلك يسأل عبده وخادمه ليعرف طريق اكتسابه . فههنا يفيد السؤال فإذا كان صاحب المال متهما فليسأل من غيره فإذا أخبره عدل واحد قبله وإن أخبره فاسق يعلم من قرينة حاله أنه لا يكذب حيث لاغرض له فيه جاز قبوله لأن هذا أمر بينه وبين الله تعالى والمطلوب ثقة النفس ، وقد يحصل من الثقة بقول فاسق مالا يحصل بقول عدل فى بعض الأحوال ، وليس كل من فسق يكذب ولا كل من ترى العدالة فى ظاهره يصدق . وإنما نيطت الشهادة بالعدالة الظاهرة لضرورة الحكم فإن البواطن لايطلع عليها وقد قبل أبو حنيفة رحمه الله شهادة الفاسق . وكم من شخص تعرفه وتعرف أنه قد يقتحم المعاصى ثم إذا أخبرك بشىء وثقت به . وكذلك إذا أخبر به صبى مميز ممن عرفته بالتثبت فقد تحصل الثقة بقوله فيحل الاعتماد عليه . فأما إذا أخبر به مجهول لا يدرى من حاله شىء أصلا فهذا ممن جوزنا الأكل من يده لأن يده دلالة ظاهرة على ملكه . وربما يقال إسلامه دلالة ظاهرة على صدقه ؛ وهذا فيه نظر ، ولا يخلو قوله عن أثر ما فى النفس حتى لواجتمع منهم جماعة تفيد ظنا قويا إلا أن أثر الواحد فيه فى غاية الضعف فلينظر إلى حد تأثيره فى القلب فإن المفتى هو القلب فى مثل هذا الموضع وللقلب التفاتات إلى قرائن خفية يضيق عنها نطاق النطق فليتأمل فيه . ويدل على وجوب الالتفات إليه ما روى عن عقبة بن الحارث « أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنى تزوجت امرأة فجاءت أمة سوداء فزعمت أنها قد أرضعتنا وهى كاذبة ، فقال : دعها ، فقال : إنها سوداء ـ يصغر من شأنها ـ فقال عليه السلام : فكيف وقد زعمت أنها قد أرضعتكما ؟ لا خير لك فيها دعها عنك [1] ـ وفى لفظ آخر ـ كيف وقد قيل » ومهما لم يعلم كذب المجهول ولم تظهر أمارة غرض له فيه كان له وقع فى القلب لا محالة ؛ فلذلك يتأكد الأمر بالاحتراز فإن اطمأن إليه القلب كان الاحتراز حتما واجبا .

مسألة : حيث يجب السؤال فلو تعارض قول عدلين تساقطا وكذا قول فاسقين ، ويجوز أن يترجح فى قلبه قول أحد العدلين أو أحد الفاسقين ، ويجوز أن يرجح أحد الجانبين بالكثرة أو بالاختصاص بالخبرة والمعرفة وذلك مما يتشعب تصويره .

مسألة : لو نهب متاع مخصوص فصادف من ذلك النوع متاعا فى يد إنسان وأراد أن يشتريه واحتمل أن لا يكون

---

(١) حديث عقبة : إنى تزوجت امرأة فجاءتنا أمة سوداء فزعمت أنها قد أرضعتنا وهى كاذبة . رواه البخارى من حديث عقبة ابن الحارث .

من المغصوب فإن كان ذلك الشخص ممن عرفه بالصلاح جاز الشراء وكان تركه من الورع . وإن كان الرجل مجهولا لايعرف منه شيئا فإن كان يكثر نوع ذلك المتاع من غير المغصوب فله أن يشترى . وإن كان لايوجد ذلك المتاع فى تلك البقعة إلا نادرا وإنما كثر بسبب الغصب فليس يدل على الحل إلاالبد وقد عارضته علامة خاصة من شكل المتاع ونوعه ، فالامتناع عن شرائه من الورع المهم ، ولكن الوجوب فيه نظر فإن العلامة متعارضة . ولست أقدر على أن أحكم فيه بحكم إلا أرده إلى قلب المستفتى لينظر ما الأقوى فى نفسه فإن كان الأقوى أنه مغصوب لزمه تركه وإلا حل له شراؤه وأكثر هذه الوقائع يلتبس الأمر فيها فهى من المتشابهات التى لا يعرفها كثير من الناس فمن توقاها فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن اقتحمها فقد حام حول الحمى وخاطر بنفسه .

مسألة : لو قال قائل : قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبن قدم إليه فذكر أنه من شاة فسأل عن الشاة من أين هى فذكر له فسكت عن السؤال [1] فيجب السؤال عن أصل المال أم لا ، وإن وجب فعن أصل واحد أو اثنين أو ثلاثة وما الضبط فيه ؟ فأقول : لا ضبط فيه ولا تقدير بل ينظر إلى الريبة المقتضية للسؤال إما وجوبا أو ورعا . ولا غاية للسؤال إلا حيث تنقطع الريبة المقتضية له وذلك يختلف باختلاف الأحوال فإن كانت التهمة من حيث لايدرى صاحب اليد كيف طريق الكسب الحلال فإن قال : اشتريت ، انقطع بسؤال واحد ، وإن قال : من شاتى ، وقع الشك فى الشاة . فإذا قال : اشتريت ، انقطع وإن كانت الريبة من الظلم وذلك مما فى أيدى العرب ويتوالد فى أيديهم المغصوب فلا تنقطع الريبة بقوله : إنه من شاتى ، ولا بقوله : إن الشاة ولدتها شاتى ، فإن أسنده إلى الوراثة من أبيه وحالة أبيه مجهولة انقطع السؤال ، وإن كان يعلم أن جميع مال أبيه حرام فقد ظهر التحريم وإن كان يعلم أن أكثره حرام فبكثرة التوالد وطول الزمان وتطرق الإرث إليه لايغير حكمه فلينظر فى هذه المعانى .

مسألة : سئلت عن جماعة من سكان خانقاه الصوفية وفى يد خادمهم الذى يقدم إليهم الطعام وقف على ذلك المسكن ووقف آخر على جهة أخرى غير هؤلاء ، وهو يخلط الكل وينفق على هؤلاء وهؤلاء فأكل طعامه حلال أو حرام أو شبهة ؟ فقلت : إن هذا يلتفت إلى سبعة أصول : (الأصل الأول) أن الطعام الذى يقدم إليهم فى الغالب يشتريه بالمعاطاة والذى اخترناه صحة المعاطاة لا سيما فى الأطعمة والمستحقرات فليس فى هذا إلا شبهة الخلاف . (الأصل الثانى) أن ينظر أن الخادم هل يشتريه بعين المال الحرام أو فى الذمة ؟ فإن اشتراه بعين المال الحرام فهو حرام ، وإن لم يعرف فالغالب أنه يشترى فى الذمة ويجوز الأخذ بالغالب ، ولا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال بعيد وهو شراؤه بعين مال حرام . (الأصل الثالث) أنه من أين يشتريه فإن اشترى ممن أكثر ماله حرام لم يجز وإن كان أقل ماله ففيه نظر قد سبق ؛ وإذا لم يعرف جاز له الأخذ بأنه يشتريه ممن ماله حلال أو ممن لا يدرى المشترى حاله بيقين كالمجهول ، وقد سبق جواز الشراء من المجهول لأن ذلك هو الغالب فلا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال . (الأصل الرابع) أن يشتريه لنفسه أو للقوم فإن المتولى والخادم كالنائب وله أن يشترى له ولنفسه ولكن يكون ذلك بالنية أو صريح اللفظ وإذا كان الشراء يجرى بالمعاطاة فلا يجرى اللفظ ، والغالب أنه لاينوى عند المعاطاة ، والقصاب والخباز ومن يعامله يعول عليه ويقصد البيع منه لا ممن لا يحضرون فيقع عن جبهته ويدخل فى ملكه وهذا الأصل ليس فيه تحريم ولا شبهة ولكن يثبت أنهم يأكلون من ملك الخادم .

---

(١) حديث : سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبن قدم إليه ... الحديث » تقدم فى الباب الخامس من آداب الكسب والمعاش .

(الأصل الخامس) أن الخادم يقدم الطعام إليهم فلا يمكن أن يجعل ضيافة وهدية بغير عوض فإنه لا يرضى بذلك وإنما يقدم اعتماداً على عوضه من الوقف ، فهو معاوضة ولكن ليس ببيع ولا إقراض لأنه لو انتهض لمطالبتهم بالثمن استبعد ذلك وقرينة الحال لاتدل عليه . فأشبه أصل ينزل عليه هذه الحالة الهبة بشرط الثواب - أعنى هدية لالفظ فيها من شخص تقتضى قرينة حاله أنه يطمع فى ثواب - وذلك صحيح والثواب لازم وههنا ماطمع الخادم فى أن يأخذ ثوابا فيما قدمه إلا حقهم من الوقف ليقضى به دينه من الخباز والقصاب والبقال ، فهذا ليس فيه شبهة إذ لايشترط لفظ فى الهدية ولا فى تقديم الطعام وإن كان مع انتظار الثواب ، ولا مبالاة بقول من لايصحح هدية فى انتظار ثواب . (الأصل السادس) أن الثواب الذى يلزم فيه خلاف ، فقيل إنه أقل متمول وقيل قدر القيمة وقيل مايرضى به الواهب حتى له أن لايرضى بأضعاف القيمة ، والصحيح أنه يتبع رضاه فإذا لم يرض يرد عليه وههنا الخادم قد رضى بما يأخذ من حق السكان على الوقف ، فإن كان لهم من الحق بقدر ما أكلوه فقد تم الأمر وإن كان ناقصا ورضى به الخادم صح أيضا ، وإن علم أن الخادم لايرضى لولا أن فى يده الوقف الآخر الذى يأخذه بقوة هؤلاء السكان فكأنه رضى فى الثواب بمقدار بعضه حلال وبعضه حرام ، والحرام لم يدخل فى أيدى السكان ، فهذا كالخلل المتطرق إلى الثمن - وقد ذكرنا حكمه من قبل - وأنه متى يقتضى التحريم ومتى يقتضى الشبهة؟ وهذا لايقتضى تحريما على مافصلناه فلا تنقلب الهدية حراما يتوصل المهدى بسبب الهدية إلى حرام . (الأصل السابع) أنه يقضى دين الخباز والقصاب والبقال من ريع الواقفين فإن وفى ما أخذ من حقهم بقيمة ما أطعمهم فقد صح الأمر ، وإن قصر عنه فرضى القصاب والخباز بأى ثمن كان حراما أو حلالا ، فهذا خلل تطرق إلى ثمن الطعام أيضا فليلتفت إلى مافدمنا من الشراء فى الذمة ثم قضاء الثمن من الحرام ، هذا إذا علم أنه قضاه من حرام ، فإن احتمل ذلك واحتمل غيره فالشبهة أبعد ، وقد خرج من هذا أن أكل هذا ليس بحرام ولكنه أكل شبهة وهو بعيد من الورع ، لأن هذه الأصول إذا كثرت وتطرق إلى كل واحد احتمال صار احتمال الحرام بكثرته أقوى فى النفس كما أن الخبر إذا طال إسناده صار احتمال الكذب والغلط فيه أقوى مما إذا قرب إسناده . فهذا حكم هذه الواقعة وهى من الفتاوى وإنما أوردناها ليعرف كيفية تخريج الوقائع الملتفة الملتبسة وأنها كيف ترد إلى الأصول فإن ذلك مما يعجز عنه أكثر المفتين .

الباب الرابع : فى كيفية خروج التائب عن المظالم المالية

اعلم أن من تاب وفى يده مختلط فعليه وظيفة فى تمييز الحرام وإخراجه ووظيفة أخرى فى مصرف المخرج فلينظر فيهما .

النظر الأول : فى كيفية التمييز والإخراج

اعلم أن كل من تاب وفى يده ما هو حرام معلوم العين من غصب أو وديعة أو غيره فأمره سهل ؛ فعليه تمييز الحرام . وإن كان ملتبسا مختلطا فلا يخلو إما أن يكون فى مال هو من ذوات الأمثال كالحبوب والنقود والأدهان وإما أن يكون فى أعيان متمايزة كالعبيد والدور والثياب . فإن كان فى المتماثلات أو كان شائعا فى كله كمن اكتسب المال بتجارة يعلم أنه قد كذب فى بعضها فى المرابحة وصدق فى بعضها ، أو من غصب دهنا وخلطه بدهن نفسه ، أو فعل ذلك فى الحبوب ، أو الدراهم والدنانير فلا يخلو ذلك إما أن يكون معلوم القدر أو مجهولا . فإن كان معلوم القدر

مثل أن يعلم أن قدر النصف من جملة ماله حرام فعليه تمييز النصف . وإن أشكل فله طريقان أحدهما : الأخذ باليقين والآخر : الأخذ بغالب الظن ، وكلاهما قد قال به العلماء فى اشتباه ركعات الصلاة . ونحن لا نجوز فى الصلاة إلا الأخذ باليقين فإن الأصل اشتغال الذمة فيستصحب ولا يغير إلا بعلامة قوية وليس فى أعداد الركعات علامات يوثق بها ، وأما ههنا فلا يمكن أن يقال : الأصل أن مافى يده حرام ، بل هو مشكل فيجوز له الأخذ بغالب الظن اجتهادا ، ولكن الورع فى الأخذ باليقين . فإن أراد الورع فطريق التحرى والاجتهاد أن لايستبقى إلا القدر الذى يتيقن أنه حلال . وإن أراد الأخذ بالظن فطريقه مثلا أن يكون فى يده مال تجارة فسد بعضها فيتيقن أن النصف حلال وأن الثلث مثلا حرام ويبقى سدس يشك فيه فيحكم فيه بغالب الظن . وهكذا طريق التحرى فى كل مال وهو أن يقتطع القدر المتيقن من الجانبين فى الحل والحرمة . والقدر المتردد فيه إن غلب على ظنه التحريم أخرجه وإن غلب الحل جاز له الإمساك والورع إخراجه . وإن شك فيه جاز الإمساك والورع إخراجه ، وهذا الورع آكد لأنه صار مشكوكا فيه ، وجاز إمساكه اعتمادا على أنه فى يده فيكون الحل أغلب عليه وقد صار ضعيفا بعد يقين اختلاط الحرام . ويحتمل أن يقال الأصل التحريم ولا يأخذ إلا مايغلب على ظنه أنه حلال وليس أحد الجانبين بأولى من الآخر وليس يتبين لى فى الحال ترجيح وهو من المشكلات .

* فإن قيل : هب أنه أخذ باليقين لكن الذى يخرجه ليس يدرى أنه عين الحرام فلعل الحرام مابقى فى يده فكيف يقدم عليه ؟ ولو جاز هذا لجاز أن يقال : إذا اختلطت ميتة بتسع مذكاة فهى العشر فله أن يطرح واحدة أى واحدة كانت ـ ويأخذ الباقى ويستحله ولكن يقال : لعل الميته فيما استبقاه بل لوطرح التسع واستبقى واحدة لم تحل لاحتمال أنها الحرام ؟ فنقول : هذه الموازنة كانت تصح لولا أن المال يحل بإخراج البدل لتطرق المعاوضة إليه ، وأما الميتة فلا تتطرق المعاوضة إليها فليكشف الغطاء عن هذا الإشكال بالفرض فى درهم معين اشتبه بدرهم آخر فيمن له درهمان أحدهما حرام قد اشتبه عينه ، وقد سئل أحمد بن حنبل رضى الله عنه عن مثل هذا فقال: يدع الكل حتى يتبين ، وكان قد رهن آنية فلما قضى الدين حمل إليه المرتهن آنيتين وقال : لاأدرى أيتهما آنيتك؟ فتركهما فقال المرتهن : هذا الذى هو لك وإنما كنت اختبرك ؟ فقضى دينه ولم يأخذ الرهن وهذا ورع ولكنا نقول إنه غير واجب . فلنفرض المسألة فى درهم له مالك معين حاضر فنقول : إذا رد أحد الدرهمين عليه ورضى به مع العلم بحقيقة الحال حل له الدرهم الآخر ، لأنه لايخلو إما أن يكون المردود فى علم الله هو المأخوذ فقد حصل المقصود وإن كان غير ذلك فقد حصل لكل واحد درهم فى يد صاحبه ، فالاحتياط أن يتبايعا باللفظ وإن لم يفعلا وقع التقاص والتبادل بمجرد المعاطاة ، وإن كان المغصوب منه قد فات له درهم فى يد الغاصب وعسر الوصول إلى عينه واستحق ضمانه فلما أخذه وقع عن الضمان بمجرد القبض وهـذا فى جانبه واضح ، فإن المضمون له يملك الضمان بمجرد القبض من غير لفظ والإشكال فى الجانب الآخر أنه لم يدخل فى ملكه . فنقول : لأنه أيضا إن كان قد تسلم درهم نفسه فقد فات له أيضا درهم فى يد الآخر فليس يمكن الوصول إليه فهو كالغائب فيقع هذا بدلا عنه فى علم الله إن كان الأمر كذلك ، ويقع هذا التبادل فى علم الله كما يقع التقاص لو أتلف رجلان كل واحد منهما درهما على صاحبه ، بل فى عين مسألتنا لو ألقى كل واحد مافى يده فى البحر أو أحرقه كان قد أتلفه ولم يكن عليه عهدة للآخر بطريق التقاص ، فكذا إذا لم يتلف فإن القول بهذا أولى من المصير إلى أن من يأخذ درهما حراما ويطرحه فى ألف ألف درهم لرجل آخر يصير كل المال محجورا عليه لا يجوز التصرف

فيه وهذا المذهب يؤدى إليه ، فانظر ما فى هذا من البعد وليس فيما ذكرناه إلا ترك اللفظ . والمعاطاة بيع ومن لايجعلها بيعا فحيث يتطرق إليها احتمال إذ الفعل يضعف دلالته وحيث يمكن التلفظ ، وههنا هذا التسليم والتسلم للمبادله قطعا والبيع غير ممكن لأن المبيع غير مشار إليه ولا معلوم فى عينه وقد يكون مما لايقبل البيع كما لوخلط رطل دقيق بألف رطل دقيق لغيره وكذا الدبس والرطب وكل مالا يباع البعض منه بالبعض .

* فإن قيل : فأنتم جوزتم تسليم قدر حقه فى مثل هذه الصورة وجعلتموه بيعا ؟ قلنا : لانجعله بيعا بل نقول هو بدل عما فات فى يده فيملكه كما يملك المتلف عليه من الرطب إذا أخذ مثله ؛ هذا إذا ساعده صاحب المال فإن لم يساعده وأضر به وقال : لا آخذ درهما أصلا إلا عين ملكى فإن استهم فأتركه ولا أهبه وأعطل عليك مالك . فأقول على القاضى أن ينوب عنه فى القبض حتى يطيب للرجل ماله فإن هذا محض التعنت والتضييق والشرع لم يرد به فإن عجز عن القاضى ولم يجده فليحكم رجلا متدينا ليقبض عنه فإن عجز فيتولى هو بنفسه ويفرد على نيه الصرف إليه درهما ويتعين ذلك لهويطيب له الباقى ، وهذا فى خلط المائعات أظهر وألزم .

* فإن قيل فينبغى أن يحل له الأخذ وينتقل الحق إلى ذمته فأى حاجة إلى الإخراج أولا ثم التصرف فى الباقى ؟ قلنا : قال قائلون يحل له أن يأخذ مادام يبقى قدر الحرام ولا يجوز أن يأخذ الكل ولو أخذ لم يجز له ذلك . وقال آخرون : ليس له أن يأخذ مالم يخرج قدر الحرام بالتوبة وقصد الإبدال ، وقال آخرون يجوز للآخذ فى التصرف أن يأخذ منه وأما هو فلا يعطى فإن أعطى عصى هو دون الآخذ منه ، وما جوز أحد أخذ الكل وذلك لأن المالك لو ظهر فله أن يأخذ حقه من هذه الجملة إذ يقول لعل المصروف إلى يقع عين حقى . وبالتعيين وإخراج حق الغير وتمييزه يندفع هذا الاحتمال فهذا المال يترجح بهذا الاحتمال على غيره وما هو أقرب إلى الحق مقدم كما يقدم المثل على القيمة والعين على المثل فكذلك مايحتمل فيه رجوع المثل مقدم على مايحتمل فيه رجوع القيمة ومايحتمل فيه رجوع العين يقدم على مايحتمل فيه رجوع المثل ولو جاز لهذا أن يقول ذلك لجاز لصاحب الدرهم الآخر أن يأخذ الدرهمين ويتصرف فيهما ويقول على قضاء حقك من موضع آخر ؛ إذ الاختلاط من الجانبين وليس ملك أحدهما بان يقدر فائتا بأولى من الآخر إلا أن ينظر إلى الأقل فيقدر أنه فائت فيه أو ينظر إلى الذى خلط فيجعل بفعله متلفا لحق غيره وكلاهما بعيدان جدا . وهذا واضح فى ذوات الأمثال فإنها تقع عوضا فى الإتلافات من غير عقد فأما إذا اشتبه دار بدور أو عبد بعبيد فلا سبيل إلى المصالحة والتراضى فإن أبى أن يأخذ إلا عين حقه ولم يقدر عليه وأراد الآخر أن يعوق عليه جميع ملكه ، فإن كانت متماثلة القيم فالطريق أن يبيع القاضى جميع الدور ويوزع عليهم الثمن بقدر النسبة وإن كانت متفاوتة أخذ من طالب البيع قيمة أنفس الدور وصرف إلى الممتنع منه مقدار قيمة الأقل ، ويوقف قدر التفاوت إلى البيان أو الإصلاح لأنه مشكل ، وإن لم يوجد القاضى فللذى يريد الخلاص وفى يده الكل أن يتولى ذلك بنفسه ، هذه هى المصلحة وماعداها من الاحتمالات ضعيفة لانختارها وفيما سبق تنبيه على العلة ، وهذا فى الحنطة ظاهر ، وفى النقود دونه ، وفى العروض أغمض ، إذ لايقع البعض بدلا عن البعض ، فلذلك احتيج إلى البيع ولنرسم مسائل يتم بها بيان هذا الأصل :

مسألة : إذا ورث مع جماعة وكان السلطان قد غصب ضيعة لمورثهم فرد عليه قطعة معينة فهى لجميع الورثة . ولو رد من الضيعة نصفا وهو قدر حقه ساهمه الورثة ، فإن النصف الذى له لايتميز حتى يقال : هو المردود ، والباقى هو المغصوب ، ولا يصير مميزا بنية السلطان ، وقصده حصر الغصب فى نصيب الآخرين .

مسألة . إذا وقع فى يده مال أخذه من سلطان ظالم ثم تاب والمال عقار وكان قد حصل منه انتفاع ؛ فينبغى أن يحسب أجر مثله لطول تلك المدة ، وكذلك كل مغصوب له منفعة أو حصل منه زيادة ، فلا تصح توبته مالم يخرج أجرة المغصوب ، وكذلك كل زيادة حصلت منه وتقدير أجرة العبيد والثياب والأوانى وأمثال ذلك مما لايعتاد إجارتها مما يعسر ولا يدرك ذلك إلا باجتهاد وتخمين ، وهكذا كل التقويمات تقع بالاجتهاد وطريق الورع الأخذ بالأقصى ، وماربحه على المال المغصوب فى عقود عقدها على الذمة وقضى الثمن منه ، فهو ملك له ولكن فيه شبهة ، إذ كان ثمنه حراما كما سبق حكمه ، وإن كان بأعيان تلك الأموال فالعقود كانت فاسدة ، وقد قيل : تنفذ بإجازة المغصوب منه للمصلحة فيكون المغصوب منه أولى به ، والقياس أن تلك العقود تفسخ وتسترد الثمن وترد الأعواض فإن عجز عنه لكثرته فهى أموال حرام حصلت فى يده فللمغصوب منه قدر رأس ماله ، والفضل حرام يجب إخراجه لتصدّق به ، ولايحل للغاصب ولا للمغصوب منه ، بل حكمه حكم كل حرام يقع فى يده .

مسألة : من ورث مالا ولم يدر أن مورثه من أين اكتسبه أمن حلال أم من حرام ولم يكن ثم علامة ، فهو حلال باتفاق العلماء ، وإن علم أن فيه حراما وشك فى قدره أخرج مقدار الحرام بالتحرى ، فإن لم يعلم ذلك ولكن علم أن مورثه كان يتولى أعمالا للسلاطين واحتمل أنه لم يكن يأخذ فى عمله شيئا ، أو كان قد أخذ ولم يبق فى يده منه شىء لطول المدّة ، فهذه شبهة يحسن التورّع عنها ولايجب ، وإن علم أن بعض ماله كان من الظلم فيلزمه إخراج ذلك القدر بالاجتهاد . وقال بعض العلماء : لايلزمه والإثم على المورّث ، واستدل بما روى أن رجلا ممن ولى عمل السلطان مات ، فقال صحابى : الآن طاب ماله : أى لوارثه ، وهذا ضعيف ، لأنه لم يذكر اسم الصحابى ولعله صدر من متساهل ، فقد كان فى الصحابة من يتساهل ، ولكن لانذكره لحرمة الصحبة ، وكيف يكون موت الرجل مبيحا للحرام المتيقن المختلط ومن أين يؤخذ هذا ؟ نعم إذا لم يتيقن يجوز أن يقال : هو غير مأخوذ بما لايدرى ، فيطيب لوارث لايدرى أنّ فيه حراما يقينا .

النظر الثانى : فى المصرف

فإذا أخرج الحرام فله ثلاثة أحوال :

إما أن يكون له مالك معين فيجب الصرف إليه أو إلى وارثه ، وإن كان غائبا فينتظر حضوره أو الإيصال إليه ، وإن كانت له زيادة ومنفعة فلتجمع فوائده إلى وقت حضوره .

وإما أن يكون لمالك غير معين وقع اليأس من الوقوف على عينه ولا يدرى أنه مات عن وارث أم لا ، فهذا لايمكن الرد فيه للمالك ويوقف حتى يتضح الأمر فيه ، وربما لا يمكن الرد لكثرة الملاك ، كغلول الغنيمة فإنها بعد تفرق الغزاة ، كيف يقدر على جمعهم ، وإن قدر فكيف يفرق دينارا واحدا مثلا على ألف أو ألفين ، فهذا ينبغى أن يتصدق به .

وإما من مال الفىء والأموال المرصدة لمصالح المسلمين كافة ، فيصرف ذلك إلى القناطر والمساجد والرباطات ومصانع طريق مكة ، وأمثال هذه الأمور التى يشترك فى الانتفاع بها كل من يمر بها من المسلمين ، ليكون عاما للمسلمين ، وحكم القسم الأول لاشبهة فيه . أما التصدّق وبناء القناطر فينبغى أن يتولاه القاضى فيسلم إليه المال إن وجد قاضيا متدينا ، وإن كان القاضى مستحلا فهو بالتسليم إليه ضامن لو ابتدأ به فيما لايضمنه ، فكيف يسقط عنه به ضمان قد استقرّ عليه ، بل يحكم من أهل البلد عالما متدينا ، فإنّ التحكيم أولى من الانفراد ، فإن عجز فليتول

ذلك بنفسه ، فإن المقصود الصرف . وأما عين الصارف فإنما نطلبه لمصارف دقيقة فى المصالح ، فلا يترك أصل الصرف بسبب العجز عن صارف هو أولى عند القدرة عليه .

* فإن قيل : مادليل جواز التصدّق بما هو حرام ؟ وكيف يتصدّق بما لايملك ؟ وقد ذهب جماعة إلى أن ذلك غير جائز لأنه حرام . وحكى عن الفضيل أنه وقع فى يده درهمان فلما علم أنهما من غير وجههما رماهما بين الحجارة وقال : لاأتصدّق إلا بالطيب ولاأرضى لغيرى مالا أرضاه لنفسى . * فنقول : نعم ، ذلك له وجه واحتمال . وإنما اخترنا خلافه للخبر والأثر والقياس : أما الخبر فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدّق بالشاة المصلية التى قدمت إليه فكلمته بأنها حرام ، إذ قال صلى الله عليه وسلم أطعموها الأسارى [1] ولما نزل قوله تعالى ﴿ الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ﴾ كذبه المشركون وقالوا للصحابة : ألاترون ما يقول صاحبكم ، يزعم أن الروم ستغلب ، فخاطرهم أبو بكر رضى الله عنه بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما حقق الله صدقه وجاء أبو بكر رضى الله عنه بما قامرهم به قال عليه الصلاة والسلام : هذا سحت ، فتصدق به وفرح المؤمنون بنصر الله ، وكان قد نزل تحريم القمار بعد إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له فى المخاطرة مع الكفار [2] وأما الأثر فإن ابن مسعود رضى الله عنه اشترى جارية فلم يظفر بمالكها لينقده الثمن ، فطلبه كثيرا فلم يجده ، فتصدّق بالثمن وقال : اللهم هذا عنه إن رضى وإلا فالأجر لى . وسئل الحسن رضى الله عنه عن توبة الغال وما يؤخذ منه بعد تفرّق الجيش ، فقال يتصدق به . وروى أن رجلا سوّلت له نفسه فغل مائة دينار من الغنيمة ، ثم أتى أميره ليردها عليه فأبى أن يقبضها وقال له : تفرّق الناس ، فأتى معاوية فأبى أن يقبض ، فأتى بعض النساك فقال : ادفع خمسها إلى معاوية ، وتصدّق بمايبقى ، فبلغ معاوية قوله ، فتلهف إذلم يخطر له ذلك ، وقد ذهب أحمد بن حنبل والحارس المحاسبى وجماعة من الورعين إلى ذلك .

وأما القياس فهو أن يقال : إن هذا المال مردد بين أن يضيع وبين أن يصرف إلى خير ، إذ قد وقع اليأس من مالكه ، وبالضرورة يعلم أن صرفه إلى خير أولى من إلقائه فى البحر ، فإنا إن رميناه فى البحر فقد فوّتناه على أنفسنا وعلى المالك ولم تحصل منه فائدة : وإذا رميناه فى يد فقير يدعو لمالكه حصل للمالك بركة دعائه وحصل للفقير سدّ حاجته ، وحصول الأجر للمالك بغير اختياره فى التصدّق لاينبغى أن ينكر . فإن فى الخبر الصحيح « إن للزارع والغارس أجرا فى كل مايصيبه الناس والطيور من ثماره وزرعه [3] » وذلك بغير اختياره ، وأما قول القائل : لا نتصدق إلا بالطيب ، فذلك إذا طلبنا الأجر لأنفسنا ونحن الآن نطلب الخلاص من المظلمة لا الأجر

الباب الرابع : فى كيفية خروج التائب عن المظالم

(١) حديث : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالشاة المصلية التى قدمت بين يديه وكلمته بأنها حرام ، إذ قال « أطعموها الأسارى » رواه أحمد من حديث رجل من الأنصار قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة ، فلما رجعنا لقينا راعى امرأة من قريش فقال : إن فلانة تدعوك ومن معك إلى طعام ... الحديث ، وفيه : فقال « أحد لحم شاة أخذت بغير إذن أهلها » وفيه فقال « أطعموها الأسارى » وإسناده جيد (٢) حديث : مخاطرة أبى بكر المشركين بإذنه صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى ﴿ الم غلبت الروم ﴾ وفيه فقال صلى الله عليه وسلم « هذا سحت » فتصدق به . أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة من حديث ابن عباس ، وليس فيه أن ذلك كان بإذنه صلى الله عليه وسلم ، والحديث عند الترمذى وحسنه ، والحاكم وصححه دون قوله أيضا « هذا سحت » فتصدق به .

(٣) حديث « أجر الزارع والغارس فى كل ما يصيب الناس والطيور » أخرجه البخارى من حديث أنس « ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كان له صدقة » .

وترددنا بين التضييع وبين التصدّق ورجحنا جانب التصدّق على جانب التضييع . وقول القائل : لانرضى لغيرنا مالانرضاه لأنفسنا ، فهو كذلك ولكنه علينا حرام لاستغنائنا عنه وللفقير حلال إذ أحله دليل الشرع ، وإذا اقتضت المصلحة التحليل وجب التحليل وإذا حل فقد رضينا له الحلال ونقول إن له أن يتصدّق على نفسه وعياله إذا كان فقيرا . أما عياله وأهله فلا يخفى لأن الفقر لاينتفى عنهم بكونهم من عياله وأهله بل هم أولى من يتصدّق عليهم ، وأما هو فله أن يأخذ منه قدر حاجته لأنه أيضا فقير ولو تصدّق به على فقير لجاز وكذا إذا كان هو الفقير ، ولنرسم فى بيان هذا الأصل أيضا مسائل

مسألة : إذا وقع فى يده مال من يد سلطان قال قوم : يرد إلى السلطان فهو أعلم بما تولاه فيقلده ما تقلده وهو خير من أن يتصدّق به ، واختار المحاسبي ذلك وقال : كيف يتصدّق به فلعل له مالكا معينا ؟ ولو جاز ذلك لجاز أن يسرق من السلطان ويتصدّق به ، وقال قوم : يتصدق به إذا علم أن السلطان لا يرده إلى المالك لأن ذلك إعانة للظالم وتكثير لأسباب ظلمه فالرد إليه تضييع لحق المالك ، والمختار أنه إذا علم من عادة السلطان أنه لا يرده إلى مالكه فيتصدق به عن مالكه فهو خير للمالك إن كان له مالك معين من أن يرد على السلطان لأنه ربما لايكون له مالك معين ويكون حق المسلمين فرده على السلطان تضييع فإن كان له مالك معين فالرد على السلطان تضييع وإعانة للسلطان الظالم وتفويت لبركة دعاء الفقير على المالك وهذا ظاهر ، فإذا وقع فى يده من ميراث ولم يتعدّ هو بالأخذ من السلطان فإنه شبيه باللقطة التى أيس عن معرفة صاحبها إذ لم يكن له أن يتصرف فيها بالتصدّق عن المالك ولكن له أن يتملكها ثم . وإن كان غنيا من حيث أنه اكتسبه من وجه مباح وهو الالتقاط وههنا لم يحصل المال من وجه مباح فيؤثر فى منعه من التملك ولا يؤثر فى المنع من التصدّق .

مسألة : إذا حصل فى يده مال لامالك له وجوزنا له أن يأخذ قدر حاجته لفقره ففى قدر حاجته نظر ذكرناه فى كتاب أسرار الزكاة ، فقد قال قوم : يأخذ كفاية سنة لنفسه وعياله وإن قدر على شراء ضيعة أو تجارة يكتسب بها للعائلة فعل ، وهذا مااختاره المحاسبي ولكنه قال : الأولى أن يتصدّق بالكل إن وجد من نفسه قوة التوكل وينتظر لطف الله تعالى فى الحلال ، فإن لم يقدر فله أن يشترى ضيعة أو يتخذ رأس مال يتعيش بالمعروف منه وكل يوم وجد فيه حلالا أمسك ذلك اليوم عنه ، فإذا فنى عاد إليه ، فإذا وجد حلالا معينا تصدق بمثل ماأنفقه من قبل ويكون ذلك قرضا عنده ، ثم إنه يأكل الخبز ويترك اللحم إن قوى عليه وإلا أكل اللحم من غير تنعم وتوسع ، وما ذكره لامزيد عليه ولكن جعل ما أنفقه قرضا عنده فيه نظر ولا شك فى أن الورع أن يجعله قرضا ، فإذا وجد حلالا تصدّق بمثله . ولكن مهما لم يجب ذلك على الفقير الذى يتصدّق به عليه فلا يبعد أن لا يجب عليه أيضا إذا أخذه لفقره لاسيما إذا وقع فى يده من ميراث ولم يكن متعديا بغصبه وكسبه حتى يغلظ الأمر عليه فيه .

مسألة : إذا كان فى يده حلال وحرام أو شبهة وليس يفضل الكل عن حاجته فإذا كان له عيال فليخص نفسه بالحلال لأن الحجة عليه أوكد فى نفسه منه فى عبده وعياله وأولاده الصغار والكبار من الأولاد يحرسهم من الحرام إن كان لايفضى بهم إلى ماهو أشد منه فإن أفضى فيطعمهم بقدر الحاجة . وبالجملة كل ما يحذره فى غيره فهو محذور فى نفسه وزيادة وهو أنه يتناول مع العلم والعيال ربما تعذر إذا لم تعلم إذ لم تتول الأمر بنفسها فليبدأ بالحلال بنفسه ثم بمن يعول ، وإذا تردد فى حق نفسه بين مايخص قوته وكسوته وبين غيره من المؤن كأجرة الحجام والصباغ والقصار والحمال والاطلاء بالنورة والدهن وعمارة المنزل وتعهد الدابة وتسجير التنور وثمن الحطب ودهن السراج فليخص

بالحلال قوته ولباسه ، فإن مايتعلق ببدنه ـ ولاغنى به عنه ـ هو أولى بأن يكون طيبا وإذا دار الأمر بين القوت واللباس فيحتمل أن يقال يخص القوت بالحلال لأنه ممتزج بلحمه ودمه ، وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به . وأما الكسوة ففائدتها ستر عورته ودفع الحر والبرد والأبصار عن بشرته وهذا هو الأظهر عندى . وقال الحارث المحاسبي يقدم اللباس لأنه يبقى عليه مدة والطعام لايبقى عليه لما روى أنه « لايقبل الله صلاة من عليه ثوب اشتراه بعشرة دراهم فيها درهم حرام [1] » وهذا محتمل ولكن أمثال هذا قد ورد فيمن فى بطنه حرام ونبت لحمه من حرام [2] فمراعاة اللحم والعظم أن ينبته من الحلال أولى ، ولذلك تقيأ الصديق رضى الله عنه ما شربه مع الجهل حتى لاينبت منه لحم يثبت ويبقى .

* فإن قيل : فإذا كان الكل منصرفا إلى أغراضه فأى فرق بين نفسه وغيره وبين جهة وجهة ومامدرك هذا الفرق ؟ قلنا : عرف ذلك بما روى أنّ رافع بن خديج رحمه الله مات وخلف ناضحا وعبدا حجاما فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنهى عن كسب الحجام فروجع مرات فمنع منه فقيل : إنّ له أيتاما فقال : أعلفوه الناضح [3] فهذا يدل على الفرق بين مايأكله هو أو دابته فإذا انفتح سبيل الفرق فقس عليه التفصيل الذى ذكرناه .

مسألة : الحرام الذى فى يده لو تصدّق به على الفقراء فله أن يوسع عليهم وإذا أنفق على نفسه فليضيق ماقدر وما أنفق على عياله فليقتصد ، وليكن وسطا بين التوسيع والتضييق فيكون الأمر على ثلاث مراتب . فإن أنفق على ضيف قدم عليه وهو فقير فليوسع عليه ، وإن كان غنيا فلا يطعمه إلا إذا كان فى برية أو قدم ليلا ولم يجد شيئا فإنه فى ذلك الوقت فقير ، وإن كان الفقير الذى حضر ضيفا تقيا لو علم ذلك لتورّع عنه فليعرض الطعام وليخبره جمعا بين حق الضيافة وترك الخداع فلا ينبغى أن يكرم أخاه بما يكره ، ولاينبغى أن يعوّل على أنه لايدرى فلايضره فإنّ الحرام إذا حصل فى المعدة أثر فى قساوة القلب وإن لم يعرفه صاحبه ، ولذلك تقيأ أبوبكر وعمر رضى الله عنهما وكانا قد شربا على جهل ، وهذا وإن أفتينا بأنه حلال للفقراء أحللناه بحكم الحاجة إليه فهو كالخنزير والخمر إذا أحللناهما بالضرورة فلايلتحق بالطيبات .

مسألة : إذا كان الحرام أو الشبهة فى يد أبويه فليمتنع عن مؤاكلتهما فإن كانا يسخطان فلا يوافقهما على الحرام المحض بل ينهاهما فلا طاعة لمخلوق فى معصية الله تعالى ، فإن كان شبهة وكان امتناعه للورع فهذا قد عارضه أن الورع طلب رضاهما بل هو واجب فليتلطف فى الامتناع ، فإن لم يقدر فليوافق وليقلل الأكل بأن يصغر اللقمة ويطيل المضغ ولايتوسع فإن ذلك عدوان والأخ والأخت قريبان من ذلك لأنّ حقهما أيضا مؤكد ، وكذلك إذا ألبسته أمه ثوبا من شبهة وكانت تسخط برده فليقبل وليلبس بين يديها ولينزع فى غيبتها وليجتهد أن لايصلى فيه إلا عند حضورها فيصلى فيه صلاة المضطر ، وعند تعارض أسباب الورع ينبغى أن يتفقد هذه الدقائق . وقد حكى عن بشر رحمه الله أنه سلمت إليه أمه رطبة وقالت : بحق عليك أن تأكلها وكان يكرهه فأكل ثم صعد غرفة فصعدت

---

(١) حديث « لاتقبل صلاة من عليه ثوب اشتراه بعشرة دراهم وفيها درهم حرام » أخرجه أحمد من حديث ابن عمر وقد تقدم . (٢) حديث الجسد نبت من الحرام تقدم . (٣) حديث : أن رافع بن خديج مات وخلف ناضحا وعبدا حجاما ... الحديث . وفيه « أعلفوه الناضح » أخرجه أحمد والطبرانى من رواية عباية بن رفاعة بن خديج : أن جده حين مات ترك جارية وناضحا وغلاما حجاما ... الحديث . وليس المراد بجده رافع بن خديج فانه بقى إلى سنة أربع وسبعين فيحتمل أن المراد جده الأعلى وهو خديج ولم أر له ذكراً فى الصحابة وفى رواية للطبرانى عن عباية بن رفاعه عن أبيه قال « مات أبى » وفى رواية له عن عباية قال « مات رفاعة على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ... الحديث » وهو مضطرب .

أمه وراءه فرأته يتقيأ ، وإنما فعل ذلك لأنه أراد أن يجمع بين رضاها وبين صيانة المعدة . وقد قيل لأحمد بن حنبل : سئل بشر هل للوالدين طاعة فى الشبهة ؟ فقال : لا . فقال أحمد : هذا شديد . فقيل له : سئل محمد بن مقاتل العبادانى عنها فقال : برّ والديك ؛ فماذا تقول ؟ فقال للسائل : أحب أن تعفينى فقد سمعت ماقالا ثم قال : ماأحسن أن تداريهما .

مسألة : من فى يده مال حرام محض فلا حج عليه ولايلزمه كفارة مالية لأنه مفلس ولاتجب عليه الزكاة إذ معنى الزكاة وجوب إخراج ربع العشر مثلا ، وهذا يجب عليه إخراج الكل إما ردا على المالك إن عرفه أو صرفا إلى الفقراء إن لم يعرف المالك ، وأما إذا كان مال شبهة يحتمل أنه حلال فإذا لم يخرجه من يده لزمه الحج لأنّ كونه حلالا ممكن ولايسقط الحج إلا بالفقر ولم يتحقق فقره وقد قال الله تعالى ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ﴾ وإذا وجب عليه التصدّق بما يزيد على حاجته حيث يغلب على ظنه تحريمه فالزكاة أولى بالوجوب ، وإن لزمته كفارة فليجمع بين الصوم والإعتاق ليتخلص بيقين . وقد قال قوم : يلزمه الصوم دون الإطعام إذ ليس له يسار معلوم . وقال المحاسبي : يكفيه الإطعام . والذى نختاره : أن كل شبهة حكمنا بوجوب اجتنابها وألزمناه إخراجها من يده لكون احتمال الحرام أغلب على ماذكرناه فعليه الجمع بين الصوم والإطعام ، أما الصوم فلأنه مفلس حكما ، وأما الإطعام فلأنه قد وجب عليه التصدّق بالجميع ويحتمل أن يكون له فيكون اللزوم من جهة الكفارة .

مسألة : من فى يده مال حرام أمسكه للحاجة فأراد أن يتطوّع بالحج فإن كان ماشيا فلا بأس به لأنه سيأكل هذا المال فى غير عبادة فأكله فى عبادة أولى . وإن كان لايقدر على أن يمشى ويحتاج إلى زيادة للمركوب فلا يجوز الأخذ لمثل هذه الحاجة فى الطريق كما لايجوز شراء المركوب فى البلد . وإن كان يتوقع القدرة على حلال لو أقام بحيث يستغنى به عن بقية الحرام فالإقامة فى انتظاره أولى من الحج ماشيا بالمال الحرام .

مسألة : من خرج لحج واجب بمال فيه شبهة فليجتهد أن يكون قوته من الطيب ، فإن لم يقدر فمن وقت الإحرام إلى التحلل ، فإن لم يقدر فليجتهد يوم عرفة أن لايكون قيامه بين يدى الله ودعاؤه فى وقت مطعمه حرام وملبسه حرام ؛ فليجتهد أن لايكون فى بطنه حرام ولا على ظهره حرام فإنا وإن جوّزنا هذا بالحاجة فهو نوع ضرورة ، وما ألحقناه بالطيبات ، فإن لم يقدر فليلازم قلبه الخوف والغم لما هو مضطرّ إليه من تناول ماليس بطيب فعساه ينظر إليه بعين الرحمة ويتجاوز عنه بسبب حزنه وخوفه وكراهته .

مسألة : سئل أحمد بن حنبل رحمه الله فقال له قائل : مات أبى وترك مالا وكان يعامل من تكره معاملته ، فقال : تدع من ماله بقدر ماربح ، فقال : له دين وعليه دين ، فقال : تقضى وتقتضى ، فقال : أفترى ذلك ؟ فقال : أفتدعه محتبسا بدينه ؟ وماذكره صحيح وهو يدل على أنه رأى التحرّى بإخراج مقدار الحرام إذ قال : يخرج قدر الربح ، وأنه رأى أن أعيان أمواله ملك له بدلا عما بذله فى المعاوضات الفاسدة بطريق التقاص والتقابل مهما كثر التصرف وعسر الرد ، وعوّل فى قضاء دينه على أنه يقين فلا يترك بسبب الشبهة .

الباب الخامس : فى إدرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم

اعلم أن من أخذ مالا من سلطان فلابد له من النظر فى ثلاثة أمور : فى مدخل ذلك إلى يد السلطان من أين هو ؟ وفى صفته التى بها يستحق الأخذ . وفى المقدار الذى يأخذه هل يستحقه إذا أضيف إلى حاله وحال شركائه فى الاستحقاق ؟ .

النظر الأول : فى جهات الدخل للسلطان

وكل مايحل للسلطان سوى الإحياء وما يشترك فيه الرعية قسمان :

مأخوذ من الكفار ـ وهو الغنيمة المأخوذة بالقهر ـ والفىء ، وهو الذى حصل من مالهم فى يده من غير قتال ، والجزية وأموال المصالحة ، وهى التى تؤخذ بالشروط والمعاقدة .

والقسم الثانى : المأخوذ من المسلمين ـ فلا يحل منه إلا قسمان : المواريث وسائر الأمور الضائعة التى لا يتعين لها مالك ، والأوقاف التى لامتولى لها . أما الصدقات فليست توجد فى هذا الزمان . وما عدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين والمصادرات وأنواع الرشوة كلها حرام .

فإذا كتب لفقيه أو غيره إدرار أو صلة أو خلعة على جهة فلا يخلو من أحوال ثمانية : فإنه إما أن يكتب له ذلك على الجزية ، أو على المواريث ، أو على الأوقاف ، أو على ملك أحياه السلطان ، أو على ملك اشتراه ، أو على عامل خراج المسلمين ، أو على بياع من جملة التجار ، أو على الخزانة .

فالأول : هو الجزية وأربعة أخماسها للمصالح وخمسها لجهات معينة . فما يكتب على الخمس من تلك الجهات أو على الأخماس الأربعة لما فيه مصلحة وروعى فيه الاحتياط فى القدر فهو حلال ، بشرط أن لاتكون الجزية إلا مضروبة على وجه شرعى ليس فيها زيادة على دينار أو على أربعة دنانير ، فإنه أيضا فى محل الاجتهاد وللسلطان أن يفعل ماهو فى محل الاجتهاد ، وبشرط أن يكون الذمى الذى تؤخذ الجزية منه مكتسبا من وجه لايعلم تحريمه فلا يكون عامل سلطان ظالما ولا بياع خمر ولا صبيا ولا امرأة ، إذ لاجزية عليهما . فهذه أمور تراعى فى كيفية ضرب الجزية ومقدارها وصفة من تصرف إليه ومقدار مايصرف فيجب النظر فى جميع ذلك .

الثانى : المواريث والأموال الضائعة فهى للمصالح والنظر أن الذى خلفه هل كان ماله كله حراما أو أكثره أو أقله وقد سبق حكمه ، فإن لم يكن حراما بقى النظر فى صفة من يصرف إليه بأن يكون فى الصرف إليه مصلحة ثم فى المقدار المصروف .

الثالث : الأوقاف ، وكذا يجرى النظر فيها كما يجرى فى الميراث مع زيادة أمر وهو شرط الواقف حتى يكون المأخوذ موافقا له فى جميع شرائطه .

الرابع : ماأحياه السلطان ، وهذا لايعتبر فيه شرط إذ له أن يعطى من ملكه ماشاء لمن شاء أى قدر شاء . وإنما النظر فى أن الغالب أنه أحياه بإكراه الأجراء أو بأداء أجرتهم من حرام . فإن الإحياء يحصل بحفر القناة والأنهار وبناء الجدران وتسوية الأرض ولا يتولاه السلطان بنفسه . فإن كانوا مكرهين على الفعل لم يملكه السلطان وهو حرام وإن كانوا مستأجرين ثم قضيت أجورهم من الحرام فهذا يورث شبهة قد نبهنا عليها فى تعلق الكراهة بالأعواض .

الخامس : ما اشتراه السلطان فى الذمة من أرض أو ثياب خلعة أو فرس أو غيره فهو ملكه وله أن يتصرف فيه ولكنه سيقضى ثمنه من حرام وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة أخرى . وقد سبق تفصيله .

السادس : أن يكتب على عامل خراج المسلمين أو من يجمع أمواله القسمة والمصادرة وهو الحرام السحت الذى لاشبهة فيه ، وهو أكثر الإدرارات فى هذا الزمان إلا ما على أراضى العراق فإنها وقف عند الشافعى رحمه الله على مصالح المسلمين .

السابع : ما يكتب على بياع يعامل السلطان فإن كان لا يعامل غيره فما له كمال خزانة السلطان . وإن كان يعامل غير السلاطين أكثر فما يعطيه قرض على السلطان وسيأخذ بدله من الخزانة فالخلل يتطرق إلى العوض . وقد سبق حكم الثمن الحرام .

الثامن : ما يكتب على الخزانة أو على عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام فإن لم يعرف للسلطان دخل إلا من الحرام فهو سحت محض . وإن عرف يقينا أن الخزانة تشتمل على مال حلال ومال حرام واحتمل أن يكون ما يسلم إليه بعينه من الحلال احتمالا قريباً له وقع فى النفس ، واحتمل أن يكون من الحرام وهو الأغلب لأن أغلب أموال السلاطين حرام فى هذه الأعصار والحلال فى أيديهم معدوم أو عزيز فقد اختلف الناس فى هذا فقال قوم : كل ما لاأتيقن أنه حرام فلى أن آخذه ، وقال آخرون : لايحل أن يؤخذ مالم يتحقق أنه حلال فلا تحل شبهة أصلا . وكلاهما إسراف ، والاعتدال ماقدمنا ذكره وهو الحكم بأن الأغلب إذا كان حراما حرم وإن كان الأغلب حلالا وفيه يقين حرام فهو موضع توقفنا فيه كما سبق .

ولقد احتج من جوز أخذ أموال السلاطين إذا كان فيها حرام وحلال ـ مهما لم يتحقق أن عين المأخوذ حرام ـ بما روى عن جماعة من الصحابة أنهم أدركوا أيام الأئمة الظلمة وأخذوا الأموال : منهم أبو هريرة وأبو سعيد الخدرى وزيد بن ثابت وأبو أيوب الأنصارى وجرير بن عبد الله وجابر وأنس بن مالك والمسور بن مخرمة . فأخذ أبو سعيد وأبو هريرة من مروان ويزيد بن عبد الملك . وأخذ ابن عمر وابن عباس من الحجاج . وأخذ كثير من التابعين منهم كالشعبى وإبراهيم والحسن وابن أبى ليلى . وأخذ الشافعى من هرون الرشيد ألف دينار فى دفعة . وأخذ مالك من الخلفاء أموالا جمة وقال على رضى الله عنه : خذ مايعطيك السلطان فإنما يعطيك من الحلال ومايأخذ من الحلال أكثر . وإنما ترك من ترك العطاء منهم تورعا مخافة على دينه أن يحمل على مالا يحل . ألا ترى قول أبى ذر للأحنف بن قيس : خذ العطاء ما كان نحلة فإذا كان أثمان دينكم فدعوه ؟ وقال أبو هريرة رضى الله عنه : إذا أعطينا قبلنا وإذا منعنا لم نسأل . وعن سعيد بن المسيب : أن أبا هريرة رضى الله عنه كان إذا أعطاه معاوية سكت وإن منعه وقع فيه . وعن الشعبى عن مسروق : لايزال العطاء بأهل العطاء حتى يدخلهم النار ـ أى يحمله ذلك على الحرام لا أنه فى نفسه حرام ـ وروى نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما : أن المختار كان يبعث إليه المال فيقبله ثم يقول : لاأسأل أحدا ولا أرد مارزقنى الله . وأهدى إليه ناقة فقبلها وكان يقال لها ناقة المختار ، ولكن هذا يعارضه ماروى أن ابن عمر رضى الله عنهما لم يرد هدية أحد إلا هدية المختار ، والإسناد فى رده أثبت . وعن نافع أنه قال : بعث ابن معمر إلى ابن عمر بستين ألفا فقسمها على الناس ، ثم جاءه سائل فاستقرض له من بعض من أعطاه وأعطى السائل . ولما قدم الحسن بن على رضى الله عنهما على معاوية رضى الله عنه فقال : لأجيزك بجائزة لم أجزها أحدا قبلك من العرب ولا أجيزها أحداً بعدك من العرب ، قال : فأعطاه أربعمائة ألف درهم فأخذها . وعن حبيب

ابن أبى ثابت قال : لقد رأيت جائزة المختار لابن عمر وابن عباس فقبلاها فقيل ماهى ؟ قال : مال وكسوة . وعن الزبير بن عدى أنه قال : قال سلمان إذا كان لك صديق عامل أو تاجر يقارف الربا فدعاك إلى طعام أو نحوه أو أعطاك شيئا فاقبل فإن المهنأ لك وعليه الوزر . فإن ثبت هذا فى المربى فالظالم فى معناه . وعن جعفر عن أبيه أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا يقبلان جوائز معاوية . وقال حكيم بن جبير : مررنا على سعيد بن جبير وقد جعل عاملا على أسفل الفرات فأرسل إلى العشارين أطعمونا مما عندكم فارسلوا بطعام فأكل وأكلنا معه . وقال العلاء بن زهير الأزدى : أتى إبراهيم أبى ـ وهو عامل على حلوان ـ فأجازه فقبل وقال إبراهيم : لابأس بجائزة العمال إن للعمال مؤنة ورزقا . ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب فما أعطاك فهو من طيب ماله . فقد أخذ هؤلاء كلهم جوائز السلاطين الظلمة وكلهم طعنوا على من أطاعهم فى معصية الله تعالى . وزعمت هذه الفرقة أن ماينقل من امتناع جماعة من السلف لايدل على التحريم بل على الورع كالخلفاء الراشدين وأبى ذر وغيرهم من الزهاد فإنهم امتنعوا من الحلال المطلق زهدا ومن الحلال الذى يخاف إفضاؤه إلى محذور ورعا وتقوى . فإقدام هؤلاء يدل على الجواز وامتناع أولئك لايدل على التحريم . ومانقل عن سعيد بن المسيب أنه ترك عطاءه فى بيت المال حتى اجتمع بضعة وثلاثين ألفا ومانقل عن الحسن من قوله لاأتوضأ من ماء صيرفى ولو ضاق وقت الصلاة لأنى لاأدرى أصل ماله : كل ذلك ورع لاينكر ، واتباعهم عليه أحسن من اتباعهم على الاتساع ولكن لايحرم اتباعهم على الاتساع أيضا . فهذه هى شبهة من يجوز أخذ مال السلطان الظالم .

والجواب ، أن مانقل من أخذ هؤلاء محصور قليل بالإضافة إلى مانقل من ردهم وإنكارهم ، وإن كان يتطرق إلى امتناعهم احتمال الورع فيتطرق إلى أخذ من أخذ ثلاثة احتمالات متفاوتة فى الدرجة بتفاوتهم فى الورع فإن للورع فى حق السلاطين أربع درجات .

الدرجة الأولى : أن لا يأخذ من أموالهم شيئا أصلا كما فعله الورعون منهم ، وكما كان يفعله الخلفاء الراشدون حتى أن أبا بكر رضى الله عنه حسب جميع ما كان أخذه من بيت المال فبلغ ستة آلاف درهم فغرمها لبيت المال ، وحتى إن عمر رضى الله عنه كان يقسم مال بيت المال يوما فدخلت ابنة له وأخذت درهما من المال فنهض عمر فى طلبها حتى سقطت الملحفة من أحد منكبيه ودخلت الصبية إلى بيت أهلها تبكى وجعلت الدرهم فى فيها فأدخل عمر أصبعه فأخرجه من فيها وطرحه على الخراج وقال : أيها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر إلا ما للمسلمين قريبهم وبعيدهم . وكسح أبو موسى الأشعرى بيت المال فوجد درهما فربى لعمر رضى الله عنه فأعطاه إياه فرأى عمر ذلك فى يد الغلام فسأله عنه فقال أعطانيه أبو موسى فقال . ياأبا موسى ما كان فى أهل المدينة بيت أهون عليك من آل عمر أردت أن لا يبقى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أحد إلا طلبنا بمظلمة ، ورد الدرهم إلى بيت المال . هذا مع أن المال كان حلالا ولكن خاف أن لايستحق هو ذلك القدر فكان يستبرئ لدينه ويقتصر على الأقل امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم « دع مايريبك إلى ما لا يريبك [1] » ولقوله « ومن تركها فقد استبرأ لعرضه ودينه [2] » ولما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من التشديدات فى الأموال السلطانية حتى قال صلى الله عليه وسلم حين

(١) حديث « دع مايريبك إلى مالايريبك » تقدم فى الباب الأول من الحلال والحرام . (٢) حديث « من تركها فقد استبرأ لدينه وعرضه » متفق عليه من حديث النعمان بن بشير وقد تقدم أوله فى أول الباب الثانى من الحلال والحرام .

بعث عبادة بن الصامت إلى الصدقة « اتق الله ياأبا الوليد لاتجئ يوم القيامة ببعير تحمله على رقبتك له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة لها ثؤاج فقال يارسول الله أهكذا يكون ؟ قال نعم والذى نفسى بيده إلا من رحم الله . قال فوالذى بعثك بالحق لا أعمل على شىء أبدا [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنى لاأخاف عليكم أن تشركوا بعدى إنما أخاف عليكم أن تنافسوا [2] » وإنما خاف التنافس فى المال . ولذلك قال عمر رضى الله عنه فى حديث طويل يذكر فيه مال بيت المال : إنى لم أجد نفسى فيه إلا كالوالى مال اليتيم ؛ إن استغنيت استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف . وروى أن ابنا لطاوس افتعل كتابا عن لسانه إلى عمر بن عبدالعزيز فأعطاه ثلثمائة دينار ؛ فباع طاوس ضيعة له وبعث من ثمنها إلى عمر بثلثمائة دينار ، هذا مع أن السلطان ليس مثل عمر بن عبد العزيز . فهذه الدرجة العليا فى الورع .

الدرجة الثانية : هو أن يأخذ مال السلطان ولكن إنما يأخذ إذا علم أن ما يأخذه من جهة حلال فاشتمال يد السلطان على حرام آخر لايضره ، وعلى هذا ينزل جميع ما نقل من الآثار أو أكثرها أو ما اختص منها باكابر الصحابة والورعين منهم مثل ابن عمر فإنه كان من المبالغين فى الورع فكيف يتوسع فى مال السلطان ، وقد كان من أشدهم إنكارا عليهم وأشدهم ذما لأموالهم ؟ وذلك أنهم اجتمعوا عند ابن عامر ـ وهو فى مرضه وأشفق على نفسه من ولايته وكونه مأخوذا عند الله تعالى بها ـ فقالوا له : إنا لنرجو لك الخير ، حفرت الآبار وسقيت الحاج وصنعت ... وصنعت ... وابن عمر ساكت ، فقال : ماذا تقول يا ابن عمر ؟ فقال : أقول ذلك إذا طاب المكسب وزكت النفقة وسترد فترى . وفى حديث آخر أنه قال إن الخبيث لايكفر الخبيث وإنك قد وليت البصرة ولا أحسبك إلا قد أصبت منها شرا . فقال له ابن عامر : ألا تدعو لى ، فقال : ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يقبل الله صلاة بغير طهورا ولا صدقة من غلول [3] » وقد وليت البصرة فهذا قوله فيما صرفه إلى الخيرات . وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال فى أيام الحجاج : ماشبعت من الطعام منذ انتهبت الدار إلى يومى هذا وروى عن على رضى الله عنه أنه كان له سويق فى إناء مختوم يشرب منه فقيل : أتفعل هذا بالعراق مع كثرة طعامه ؟ فقال : أما إنى لاأختمه بخلابه ولكن أكره أن يجعل فيه ماليس منه واكره أن يدخل بطنى غير طيب ، فهذا هو المألوف منهم وكان ابن عمر لايعجبه شىء إلا خرج عنه فطلب منه نافع بثلاثين ألفا فقال : إنى أخاف أن تقتنى دراهم ابن عامر وكان هو الطالب اذهب فأنت حر . وقال أبو سعيد الخدرى : مامنا أحد إلا مالت به الدنيا إلا ابن عمر ؟ فبهذا يتضح أنه لايظن به وبمن كان فى منصبه أنه أخذ مالا يدرى أنه حلال .

الدرجة الثالثة : أن يأخذ ماأخذه من السلطان ليتصدق به على الفقراء أو يفرقه على المستحقين ، فإن مالا يتعين مالكه هذا حكم الشرع فيه . فإذا كان السلطان إن لم يأخذ منه لم يفرقه واستعان به على ظلم فقد نقول أخذه منه وتفرقته أولى من تركه فى يده ، وهذا قد رآه بعض العلماء وسيأتى وجهه . وعلى هذا ينزل ماأخذه أكثرهم ولذلك قال ابن المبارك : إن الذين يأخذون الجوائز اليوم ويحتجون بابن عمر وعائشة مايقتدون بهما ؟ لأن ابن عمر فرق ماأخذ حتى استقرض فى مجلسه بعد تفرقته ستين ألفا ، وعائشة فعلت مثل ذلك ، وجابر بن زيد جاءه مال فتصدق به وقال : رأيت أن آخذه منهم وأتصدق أحب إلى من أن أدعها فى أيديهم ، وهكذا فعل الشافعى رحمه الله بما قبله

---

(١) حديث « قال لعبادة بن الصامت حين بعثه إلى الصدقة اتق الله يا أبا الوليد لاتجئ يوم القيامة ببعير تحمله على رقبتك . . الحديث » أخرجه الشافعى فى المسند من حديث طاوس مرسلا ولأبى يعلى فى المعجم من حديث ابن عمر مختصراً أنه قاله لسعد بن عبادة ولإسناده صحيح . (٢) حديث « انى لاأخاف عليكم أن تشركوا بعدى إنما أخاف عليكم أن تنافسوا » متفق عليه من حديث عقبة بن عامر . (٣) حديث « لايقبل الله صلاة بغير طهور ولاصدقة من غلول » أخرجه مسلم من حديث ابن عمر

من هرون الرشيد فإنه فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه حبة واحدة .

الدرجة الرابعة : أن لا يتحقق أنه حلال ولا يفرق بل يستبق ولكن يأخذ من سلطان أكثر ماله حلال ، وهكذا كان الخلفاء فى زمان الصحابة رضى الله عنهم ، والتابعين بعد الخلفاء الراشدين ولم يكن أكثر مالهم حراما . ويدل عليه تعليل على رضى الله عنه حيث قال : فإن ما يأخذه من الحلال أكثر . فهذا مما قد جوزه جماعة من العلماء تعويلا على الأكثر . ونحن إنما توقفنا فيه فى حق آحاد الناس ، ومال السلطان أشبه بالخروج عن الحصر فلا يبعد أن يؤدى اجتهاد مجتهد إلى جواز أخذ مالم يعلم أنه حرام اعتمادا على الأغلب ، وإنما منعناه إذا كان الأكثر حراما فإذا فهمت هذه الدرجات تحققت أن إدرارات الظلمة فى زماننا لا تجرى مجرى ذلك وأنها تفارقه من وجهين قاطعين

أحدهما : أن أموال السلاطين فى عصرنا حرام كلها أو أكثرها ، وكيف لا والحلال هو الصدقات والفىء والغنيمة لا وجود لها وليس يدخل منها شئ فى يد السلطان ؟ ولم يبق إلا الجزية وأنها تؤخذ بأنواع من الظلم لا يحل أخذها به فإنهم يجاوزون حدود الشرع فى المأخوذ والمأخوذ منه والوفاء له بالشرط ، ثم إذا نسبت ذلك إلى ماينصب إليهم من الخراج المضروب على المسلمين ومن المصادرات والرشا وصنوف الظلم لم يبلغ عشر معشار عشيره .

والوجه الثانى : أن الظلمة فى العصر الأول لقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين كانوا مستشعرين من ظلمهم ومتشوفين إلى استمالة قلوب الصحابة والتابعين وحريصين على قبولهم عطاياهم وجوائزهم ، وكانوا يبعثون إليهم من غير سؤال وإذلال بل كانوا يتقلدون المنة بقبولهم ويفرحون به ، وكانوا يأخذون منهم ويفرقون ولا يطيعون السلاطين فى أغراضهم ولا يغشون مجالسهم ولا يكثرون جمعهم ولا يحبون بقاءهم بل يدعون عليهم ويطلقون اللسان فيهم وينكرون المنكرات منهم عليهم ، فما كان يحذر أن يصيبوا من دينهم بقدر ما أصابوا من دنياهم ولم يكن يأخذهم بأس ، فأما الآن فلا تسمح نفوس السلاطين بعطية إلا لمن طمعوا فى استخدامهم والتكثر بهم والاستعانة بهم على أغراضهم والتجمل بغشيان مجالسهم وتكليفهم المواظبة على الدعاء والثناء والتزكية والإطراء فى حضورهم ومغيبهم . فلو لم يذل الآخذ نفسه بالسؤال أولا ، وبالتردد فى الخدمة ثانيا ، وبالثناء والدعاء ثالثا ، بالمساعدة له على أغراضه عند الاستعانة رابعا ، وبتكثير جمعه فى مجلسه وموكبه خامسا ، وبإظهار الحب والموالاة والمناصرة له على أعدائه سادسا ، وبالستر على ظلمه ومقابحه ومساوى أعماله سابعا ، لم ينعم عليه بدرهم واحد ولو كان فى فضل الشافعى رحمه الله مثلا ؛ فإذا لا يجوز أن يؤخذ منهم فى هذا الزمان ما يعلم أنه حلال لإفضائه إلى هذه المعانى فكيف ما يعلم أنه حرام أو يشك فيه ؟ فمن استجرأ على أموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين فقد قاس الملائكة بالحدادين . فى أخذ الأموال منهم حاجة إلى مخالطتهم ومراعاتهم وخدمة عمالهم واحتمال الذل منهم والثناء عليهم والتردد إلى أبوابهم وكل ذلك معصية - على ما سنبين فى الباب الذى يلى هذا - فإذاً قد تبين مما تقدم مداخل أموالهم وما يحل منها وما لا يحل . فلو تصور أن يأخذ الإنسان منها مايحل بقدر استحقاقه وهو جالس فى بيته يساق إليه ذلك - لا يحتاج فيه إلى تفقد عامل وخدمته ولا إلى الثناء عليهم وتزكيتهم ولا إلى مساعدتهم - فلا يحرم الأخذ ولكن يكره لمعان سنبه عليها فى الباب الذى يلى هذا .

النظر الثانى من هذا الباب : فى قدر المأخوذ وصفة الآخذ

ولنفرض المال من أموال المصالح كأربعة أخماس الفىء والمواريث فإن ما عداه مما قد تعين مستحقه إن كان من وقف أو صدقة أو خمس فىء أو خمس غنيمة ، وما كان من ملك السلطان مما أحياه أو اشتراه فله أن يعطى

ما شاء لمن شاء . وإنما النظر فى الأموال الضائعة ومال المصالح فلا يجوز صرفه إلا إلى من فيه مصلحة عامة أو هو محتاج إليه عاجز عن الكسب ، فأما الغنى الذى لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال إليه ، هذا هو الصحيح وإن كان العلماء قد اختلفوا فيه . وفى كلام عمر رضى الله عنه ما يدل على أن لكل مسلم حقا فى بيت المال لكونه مسلما مكثرا جمع الإسلام ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على مخصوصين بصفات . فإذا ثبت هذا فكل من يتولى أمرا يقوم به تتعدى مصلحته إلى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه ، فله فى بيت المال حق الكفاية . ويدخل فيه العلماء كلهم ؛ أعنى العلوم التى تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى يدخل فيه المعلمون والمؤذنون . وطلبة هذه العلوم أيضا يدخلون فيه ، فإنهم إن لم يكفوا لم يتمكنوا من الطلب . ويدخل فيه العمال ، وهم الذين ترتبط مصالح الدنيا بأعمالهم وهم الأجناد المرتزقة الذين يحرسون المملكة بالسيوف عن أهل العداوة وأهل البغى وأعداء الإسلام . ويدخل فيه الكتاب والحساب والوكلاء وكل من يحتاج إليه فى ترتيب ديوان الخراج ، أعنى العمال على الأموال الحلال لا على الحرام ، فإنّ هذا المال للمصالح . والمصلحة إما أن تتعلق بالدين أو بالدنيا فبالعلماء حراسة الدين وبالأجناد حراسة الدنيا . والدين والملك توأمان فلا يستغنى أحدهما عن الآخر . والطبيب وإن كان لا يرتبط بعلمه أمر دينى ولكن يرتبط به صحة الجسد والدين يتبعه ؛ فيجوز أن يكون له ولمن يجرى مجراه فى العلوم المحتاج إليها فى مصلحة الأبدان أو مصلحة البلاد إدرار من هذه الأموال ليتفرغوا لمعالجة المسلمين ، أعنى من يعالج منهم بغير أجرة ، وليس يشترط فى هؤلاء الحاجة بل يجوز أن يعطوا مع الغنى . فإن الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والأنصار ولم يعرفوا بالحاجة . وليس يتقدّر أيضا بمقدار بل هو إلى اجتهاد الامام وله أن يوسع ويغنى وله أن يقتصر على الكفاية على ما يقتضيه الحال وسعة المال . فقد أخذ الحسن عليه السلام من معاوية فى دفعة واحدة أربعمائة ألف درهم . وقد كان عمر رضى الله عنه يعطى لجماعة اثنى عشر ألف درهم نقرة فى السنة . وأثبتت عائشة رضى الله عنها فى هذه الجريدة ولجماعة عشرة آلاف ولجماعة ستة آلاف وهكذا . فهذا مال هؤلاء فيوزع عليهم حتى لا يبقى منه شىء . فإن خص واحدا منهم بمال كثير فلا بأس . وكذلك للسلطان أن يخص من هذا المال ذوى الخصائص بالخلع والجوائز فقد كان يفعل ذلك فى السلف ولكن ينبغى أن يلتفت فيه إلى المصلحة . ومهما خص عالم أو شجاع بصلة كان فيه بعث للناس وتحريض على الاشتغال والتشبه به فهذه فائدة الخلع والصلات وضروب التخصيصات وكل ذلك منوط باجتهاد السلطان . وإنما النظر فى السلاطين الظلمة فى شيئين (أحدهما) أن السلطان الظالم عليه أن يكف عن ولايته ، وهو إما معزول أو واجب العزل فكيف يجوز أن يأخذ من يده وهو على التحقيق ليس بسلطان ؟ (والثانى) أنه ليس يعمم بماله جميع المستحقين فكيف يجوز للآحاد أن يأخذوا ؟ أفيجوز لهم الأخذ بقدر حصصهم أم لا يجوز أصلا ؟ أم يجوز أن يأخذ كل واحد ما أعطى ؟

أما الأول : فالذى نراه أنه لا يمنع أخذ الحق ، لأن السلطان الظالم الجاهل مهما ساعدته الشوكة وعسر خلعه وكان فى الاستبدال به فتنة ثائرة لا تطاق وجب تركه ووجبت الطاعة له كما تجب طاعة الأمراء ، إذ قد ورد فى الأمر بطاعة الأمراء[1] والمنع من سل اليد عن مساعدتهم[2] أوامر وزواجر . فالذى نراه : أن الخلافة منعقدة للمتكفل

(١) حديث « الأمر بطاعة الأمراء » أخرجه البخارى من حديث أنس « اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة » ولمسلم من حديث أبي هريرة « عليك بالطاعة فى منشطك ومكرهك ... الحديث » وله من حديث أبى ذر « أوصانى النبى صلى الله عليه وسلم أن أسمع وأطيع ولو لعبد مجدع الأطراف » . (٢) حديث « المنع من سل اليد عن مساعدتهم » =

بها من بنى العباس رضى الله عنه ، وأن الولاية نافذة للسلاطين فى أقطار البلاد والمبايعين للخليفة ـ وقد ذكرنا فى كتاب المستظهرى المستنبط من كتاب كشف الأسرار وهتك الأستار تأليف القاضى أبى الطيب فى الرد على أصناف الروافض من الباطنية ما يشير إلى وجه المصلحة فيه ـ والقول الوجيز أنا نراعى الصفات والشروط فى السلاطين تشوفا إلى مزايا المصالح . ولو قضينا ببطلان الولايات الآن لبطلت المصالح رأسا فكيف يفوت رأس المال فى طلب الربح ؟ بل الولاية الآن لا تتبع إلا الشوكة . فمن بايعه صاحب الشوكة فهو الخليفة . ومن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة فى أصل الخطبة والسكة فهو سلطان نافذ الحكم والقضاء فى أقطار الأرض ولايته نافذة الأحكام . وتحقيق هذا قد ذكرناه فى أحكام الإمامة من كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد فلسنا نطول الآن به .

وأما الإشكال الآخر وهو أن السلطان إذا لم يعمم بالعطاء كل مستحق فهل يجوز للواحد أن يأخذ منه ؟ فهذا مما اختلف العلماء فيه على أربع مراتب فغلا بعضهم وقال : كل ما يأخذه فالمسلمون كلهم فيه شركاء ولا يدرى أن حصته منه دانق أو حبة فليترك الكل وقال قوم : له أن يأخذ قدر قوت يومه فقط ، فإن هذا القدر يستحقه لحاجته على المسلمين . وقال قوم : له قوت سنة ، فإن أخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذو حق فى هذا المال فكيف يتركه ؟ وقال قوم : إنه يأخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقون . وهذا هو القياس لأن المال ليس مشتركا بين المسلمين كالغنيمة بين الغانمين ولا كالميراث بين الورثة لأن ذلك صار ملكا لهم . وهذا لو لم يتفق قسمه حتى مات هؤلاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث . بل هذا الحق غير متعين وإنما يتعين بالقبض . بل هو كالصدقات ومهما أعطى الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكا لهم ولم يمتنع بظلم المالك بقية الأصناف بمنع حقهم ، هذا إذا لم يصرف إليه كل المال بل صرف إليه من المال ما لو صرف إليه بطريق الإيثار والتفضيل مع تعميم الآخرين لجاز له أن يأخذه والتفضيل جائز فى العطاء . سوى أبو بكر رضى الله عنه فراجعه عمر رضى الله عنه فقال : إنما فضلهم عند الله وإنما الدنيا بلاغ . وفضل عمر رضى الله عنه فى زمانه فأعطى عائشة اثنى عشر ألفا وزينب عشرة آلاف وجويرية ستة آلاف وكذا صفية . وأقطع عمر لعلى خاصة رضى الله عنهما . وأقطع عثمان أيضا من السواد خمس جنات ، وآثر عثمان عليا رضى الله عنهما بها فقبل ذلك منه ولم ينكر . وكل ذلك جائز فى محل الاجتهاد وهو من المجتهدات التى أقول فيها : إن كل مجتهد مصيب ، وهى كل مسألة لا نص على عينها ولا على مسألة تقرب منها فتكون فى معناها بقياس جلى كهذه المسألة ومسألة حد الشرب فإنهم جلدوا أربعين وثمانين والكل سنة وحق وأن كل واحد من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما مصيب باتفاق الصحابة رضى الله عنهم ، إذ المفضول مارد فى زمان عمر شيئا إلى الفاضل مما قد كان أخذه فى زمان أبى بكر ، ولا الفاضل امتنع من قبول الفضل فى زمان عمر ، واشترك فى ذلك كل الصحابة واعتقدوا أن كل واحد من الرأيين حق . فليؤخذ هذا الجنس دستورا للخلافات التى يصوب فيها كل مجتهد . فأما كل مسألة شذ عن مجتهد فيها نص أو قياس جلى ـ بغفلة أو سوء رأى وكان فى القوة بحيث ينقض حكم المجتهد ـ فلا نقول فيها إن كل واحد مصيب بل المصيب من أصاب النص أو ما فى معنى النص . وقد تحصل من مجموع هذا أن من وجد من أهل الخصوص الموصوفين بصفة تتعلق بها مصالح الدين أو الدنيا وأخذ من السلطان خلعة أو إدرارا على التركات أو الجزية لم يصر فاسقا بمجرد أخذه ، وإنما يفسق بخدمته لهم ومعانته إياهم ودخوله

= أخرجه الشيخان من حديث ابن عباس « ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت إلا مات ميتة جاهلية » ولمسلم من حديث أبى هريرة « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية » وله من حديث ابن عمر « من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حجة له » .

عليهم وثنائه وإطرائه لهم إلى غير ذلك من لوازم لا يسلم المال غالبا إلا بها كما سنبينه .

الباب السادس : فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة وما يحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والاكرام لهم

اعلم أن لك مع الأمراء والعمال الظلمة ثلاثة أحوال (الحالة الأولى) وهى شرها أن تدخل عليهم (والثانية) وهى دونها أن يدخلوا عليك (والثالثة) وهى الأسلم أن تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك .

أما الحالة الأولى : وهى الدخول عليهم فهو مذموم جدا فى الشرع وفيه تغليظات وتشديدات تواردت بها الأخبار والآثار ، فننقلها لتعرف ذم الشرع له ، ثم نتعرض لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما تقتضيه الفتوى فى ظاهر العلم .

أما الأخبار : فإنه لما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراء الظلمة قال « فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم أو كاد أن يسلم ومن وقع معهم فى دنياهم فهو منهم[1] » وذلك لأن من اعتزلهم سلم من إثمهم ولكن لم يسلم من عذاب يعمه معهم إن نزل بهم لتركه المنابذة والمنازعة . وقال صلى الله عليه وسلم « سيكون من بعدى أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ولم يرد على الحوض[2] » وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم « أبغض القراء إلى الله تعالى الذين يزورون الأمراء[3] » وفى الخبر « خير الأمراء الذين يأتون العلماء وشر العلماء الذين يأتون الأمراء » وفى الخبر « العلماء أمناء الرسل على عباد الله مالم يخالطوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم[4] » رواه أنس رضى الله عنه .

وأما الآثار : فقد قال حذيفة : إياكم ومواقف الفتن ! قيل : وماهى قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه . وقال أبو ذر لسلمة : ياسلمة لا تغش أبواب السلاطين فإنك لا تصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينك أفضل منه ، وقال سفيان : فى جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزوارون للملوك . وقال الأوزاعى : ما من شىء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملا . وقال سمنون : ما أسمج بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال عند الأمير . وكنت أسمع أنه يقال : إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك ، إذ مادخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسى بعد الخروج فأرى عليها الدرك مع ما أواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم . وقال عبادة بن الصامت : حب القارئ الناسك الأمراء نفاق وحبه الأغنياء رياء . وقال أبو ذر : من كثر سواد قوم فهو منهم أى من كثر سواد الظلمة . وقال ابن مسعود رضى الله عنه إن الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين له ، قيل له : ولم ؟ قال لأنه يرضيه بسخط الله . واستعمل عمر بن

الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين

(١) حديث « فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم أو كاد يسلم ومن وقع معهم فى دنياهم فهو منهم » أخرجه الطبرانى من حديث ابن عباس بسند ضعيف وقال « ومن خالطهم هلك » . (٢) حديث « سيكون بعدى أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ولم يرد على الحواض » أخرجه النسائى والترمذى وصححه والحاكم من حديث كعب ابن عجرة . (٣) حديث أبى هريرة « أبغض القراء إلى الله عزوجل الذين يأتون الأمراء » تقدم فى العلم .

(٤) حديث أنس « العلماء أمناء الرسل على عباد الله مالم يخالطوا السلطان ... الحديث » أخرجه العقيلى فى الضعفاء فى ترجمة حفص الابرى وقال حديثه غير محفوظ تقدم فى العلم .

عبد العزيز رجلا فقيل : كان عاملا للحجاج ، فعزله ، فقال الرجل : إنما عملت له شيء يسير ، فقال له عمر : حسبك بصحبته يوما أوبعض يوم شؤما وشرا . وقال الفضيل : ماازداد رجل من ذى سلطان قربا إلاازداد من الله بعدا . وكان سعيد بن المسيب يتجر فى الزيت ويقول إن فى هذا لغنى عن هؤلاء السلاطين . وقال وهيب : هؤلاء الذين يدخلون على الملوك لهم أضر على الأمة من المقامرين . وقال محمد بن سلمة : الذباب على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء . ولما خالط الزهرى السلطان كتب أخ له فى الدين إليه : عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغى لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك ، أصبحت شيخا كبيراً قد أثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء قال الله تعالى (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) واعلم أن أيسر ما ارتكبت واخف مااحتملت أنك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل البغى بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين أدناك ، اتخذوك قطبا تدور عليك رحى ظلمهم وجسرا يعبرون عليك إلى بلائهم وسلما يصعدون فيه إلى ضلالهم ويدخلون بك الشك على العلماء ، ويصادون بك قلوب الجهلاء ، فما أيسر ماعمروا فى جنب ما خربوا عليك ، وما أكثر ماأخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك ، فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة ﴾ الآية وإنك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لايغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيء رادك فقد حضر سفر بعيد ﴿ وما يخفى على الله من شيء فى الأرض ولا فى السماء ﴾ والسلام

فهذه الأخبار والآثار تدل على ما فى مخالطة السلاطين من الفتن وأنواع الفساد ولكن نفصل ذلك تفصيلا فقهيا تميز فيه المحظور عن المكروه والمباح . فنقول : الداخل على السلطان متعرض لأن يعصى الله تعالى إما بفعله أو بسكوته وإما بقوله وإما باعتقاده فلا ينفك عن أحد هذه الأمور .

أما الفعل : فالدخول عليهم فى غالب الأحوال يكون إلى دور مغصوبة وتخطيها والدخول فيها بغير إذن الملاك حرام ؛ ولا يغرنك قول القائل : إنّ ذلك مما يتسامح به الناس كتمرة أو فتات خبز ذلك صحيح فى غير المغصوب ، أما المغصوب فلا . لأنه إن قيل : إن كل جلسة خفيفة لا تنقص الملك فهى فى محل التسامح ؟ وكذلك الاجتياز فيجرى هذا فى كل واحد فيجرى أيضا فى المجموع والغصب إنما تم بفعل الجميع ، وإنما يتسامح به إذا انفرد إذ لو علم المالك به ربما لم يكرهه ، فأما إذا كان ذلك طريقا إلى الاستغراق بالاشتراك فحكم التحريم ينسحب على الكل ، فلا يجوز أن يؤخذ ملك الرجل طريقا اعتمادا على أن كل واحد من المارّين إنما يخطو خطوة لاتنقص الملك ، لأن المجموع مفتوت للملك وهو كضربة خفيفة فى التعليم تباح ولكن بشرط الانفراد ، فلو اجتمع جماعة بضربات توجب القتل وجب القصاص على الجميع مع أنّ كل واحدة من الضربات لو انفردت لكانت لا توجب قصاصا . فإن فرض كون الظالم فى موضع غير مغصوب كالموات مثلا ، إن كان تحت خيمة أو مظلة من ماله فهو حرام ، والدخول إليه غير جائز لأنه انتفاع بالحرام واستظلال به . فإن فرض كل ذلك حلالا فلا يعصى بالدخول من حيث أنه دخول ولا بقوله : السلام عليكم ، ولكن إن سجد أوركع أومثل قائما فى سلامه وخدمته كان مكرما للظالم بسبب ولايته التى هى آلة ظلمه والتواضع للظالم معصية . بل من تواضع لغنى ليس يظالم لأجل غناه ـ لالمعنى آخر اقتضى التواضع ـ نقص ثلثا دينه فكيف إذا تواضع للظالم ؟ فلا يباح إلا مجرد السلام . فأما تقبيل اليد والانحناء فى الخدمة فهو معصية إلا عند الخوف ، أو الإمام عادل أو لعالم أو لمن يستحق ذلك بأمر دينى . قيل

أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه يد على كرّم الله وجهه لما أن لقيه بالشام فلم ينكر عليه . وقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد جوابهم فى السلام والإعراض عنهم استحقارا لهم وعدّ ذلك من محاسن القربات . فأما السكوت عن رد الجواب ففيه نظر ، لأنّ ذلك واجب فلا ينبغى أن يسقط بالظلم . فإن ترك الداخل جميع ذلك واقتصر على السلام فلا يخلو من الجلوس على بساطهم وإذا كان اغلب أموالهم حراما فلا يجوز الجلوس على فرشهم ؛ هذا من حيث الفعل .

فأما السكوت : فهو أنه سيرى فى مجلسهم من الفرش الحرير وأوانى الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ماهو حرام . وكل من رأى سيئة وسكت عليها فهو شريك فى تلك السيئة . بل يسمع من كلامهم ماهو فحش وكذب وشتم وإيذاء والسكوت على جميع لك حرام . بل يراهم لابسين الثياب الحرام واكلين الطعام الحرام وجميع مافى أيديهم حرام والسكوت على ذلك غير جائز . فيجب عليه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بلسانه إن لم يقدر بفعله .

* فإن قلت : إنه يخاف على نفسه فهو معذور فى السكوت ؟ فهذا حق ولكنه مستغن عن أن يعرض نفسه لارتكاب مالايباح إلا بعذر ، فإنه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر . وعند هذا أقول من علم فسادا فى موضع وعلم أنه لايقدر على إزالته فلا يجوز له أن يحضر ليجرى ذلك بين يديه وهو يشاهده ويسكت ، بل ينبغى أن يحترز عن مشاهدته .

وأما القول : فهو أن يدعو للظالم أو يثنى عليه أو يصدّقه فيما يقول من باطل بصريح قوله أو بتحريك رأسه أو باستبشار فى وجهه ، أو يظهر له الحب والموالاة والاشتياق إلى لقائه والحرص على طول عمره وبقائه ، فإنه فى الغالب لايقتصر على السلام بل يتكلم ولايعدو كلامه هذه الأقسام .

أما الدعاء له : فلا يحل إلا أن يقول : أصلحك الله أووفقك الله للخيرات أو طول الله عمرك فى طاعته أومايجرى هذا المجرى . فأما الدعاء بالحراسة وطول البقاء وإسباغ النعمة مع الخطاب بالمولى ومافى معناه فغير جائز قال صلى الله عليه وسلم « من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه [1] » فإن جاوز الدعاء إلى الثناء فسيذكر ماليس فيه فيكون به كاذبا ومنافقا ومكرما لظالم ، وهذه ثلاث معاص . وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق [2] » وفى خبر آخر « من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الإسلام [3] » فإن جاوز ذلك إلى التصديق له فيما يقول ، والتزكية والثناء على ما يعمل : كان عاصيا بالتصديق وبالإعانة ؛ فإن التزكية والثناء إعانة على المعصية وتحريك للرغبة فيه كما أن التكذيب والمذمة والتقبيح زجر عنه وتضعيف لدواعيه . والإعانة على المعصية معصية ولوبشطر كلمة . ولقد سئل سفيان الثورى رضى الله عنه عن ظالم أشرف على الهلاك فى برية هل يسقى شربة ماء ؟ فقال : لا ، دعه حتى يموت فإن ذلك إعانة له . وقال غيره يسقى إلى أن تثوب إليه نفسه ثم يعرض عنه . فإن جاوز ذلك إلى إظهار الحب والشوق إلى لقائه وطول بقائه : فإن كان كاذبا عصى معصية الكذب والنفاق ، وإن كان صادقا عصى بحبه بقاء الظالم وحقه أن يبغضه فى الله ويمقته . فالبغض فى الله واجب ، ومحب المعصية والراضى بها عاص . ومن أحب ظالما فإن أحبه لظلمه فهو عاص لمحبته وإن أحبه لسبب آخر فهو عاص من حيث إنه لم يبغضه وكان الواجب عليه أن يبغضه . وإن اجتمع فى شخص خير وشر وجب أن يحب لأجل ذلك الخير ويبغض لأجل ذلك الشر . وسيأتى

(١) حديث «من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه» تقدم . (٢) حديث «إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق» تقدم . (٣) حديث « من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الإسلام » تقدم أيضا .

فى كتاب الإخوة والمتحابين فى الله وجه الجمع بين البغض والحب . فإن سلم من ذلك كله وهيهات ! فلا يسلم من فساد يتطرق إلى قلبه فإنه ينظر إلى توسعه فى النعمة ويزدرى نعم الله عليه ويكون مقتحما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « يامعشر المهاجرين لاتدخلوا على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق [1] » وهذا مع مافيه من اقتداء غيره به فى الدخول ومن تكثيره سواد الظلمة بنفسه وتجميله إياهم إن كان ممن يتجمل به ، وكل ذلك إما مكروهات أو محظورات . دعى سعيد بن المسيب إلى البيعة للوليد وسليمان ابنى عبد الملك بن مروان فقال : لاأبايع اثنين مااختلف الليل والنهار فإن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعتين [2] فقال : ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر ، فقال : لا والله لا يقتدى بى أحد من الناس ، فجلد مائة وألبس المسوح .

ولايجوز الدخول عليهم إلا بعذرين (أحدهما) أن يكون من جهتهم أمر إلزام لا أمر إكرام وعلم أنه لوامتنع أوذى أو فسد عليهم طاعة الرعية واضطرب عليهم أمر السياسة فيجب عليه الإجابة لا طاعة لهم بل مراعاة لمصلحة الخلق حتى لاتضطرب الولاية . (والثانى) أن يدخل عليهم فى دفع ظلم عن مسلم سواه أو عن نفسه إمابطريق الحسبة أو بطريق التظلم ، فذلك رخصة بشرط أن لايكذب ولايثنى ولايدع نصيحة يتوقع لها قبولا فهذا حكم الدخول .

الحالة الثانية : أن يدخل عليك السلطان الظالم زائرا فجواب السلام لابد منه . وأما القيام والإكرام له فلايحرم مقابلة له على إكرامه . فإنه بإكرام العلم والدين مستحق للإحماد كما أنه بالظلم مستحق للإبعاد . فالإكرام بالإكرام والجواب بالسلام . ولكن الأولى أن لايقوم إن كان معه فى خلوة ليظهر له بذلك عز الدين وحقارة الظلم ، ويظهر غضبه للدين وإعراضه عمن أعرض عن الله فأعرض الله تعالى عنه . وإن كان الداخل عليه فى جمع فراعاة حشمة أرباب الولايات فيما بين الرعايا مهم فلا بأس بالقيام على هذه النية . وإن علم أن ذلك لا يورث فسادا فى الرعية ولا يناله أذى من غضبه فترك الإكرام بالقيام أولى . ثم يجب عليه بعد أن وقع اللقاء أن ينصحه فإن كان يقارف ما لايعرف تحريمه وهو يتوقع أن يتركه إذا عرف فليعرفه فذلك واجب . وأما ذكر تحريم مايعلم تحريمه من السرف والظلم فلا فائدة فيه بل عليه أن يخوفه فيما يرتكبه من المعاصى مهما ظن أن التخويف يؤثر فيه . وعليه أن يرشده إلى طريق المصلحة إن كان يعرف طريقا على وفق الشرع بحيث يحصل بها غرض الظالم من غير معصية ليصده بذلك عن الوصول إلى غرضه بالظلم . فإذاً يجب عليه التعريف فى محل جهله والتخويف فيما هو مستجرئ عليه والإرشاد إلى ما هو غافل عنه مما يغنيه عن الظلم ، فهذه ثلاثة أمور تلزمه إذا توقع للكلام فيه أثرا ، وذلك أيضا لازم على كل من اتفق له دخول على السلطان بعذر أو بغير عذر . وعن محمد بن صالح قال : كنت عند حماد بن سلمة وإذا ليس فى البيت إلا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ منها ؟ فبينا أنا عنده إذ دق داق الباب فإذا هو محمد بن سليمان فأذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال له : مالى إذا رأيتك امتلأت منك رعبا ؟ قال حماد : لأنه قال عليه السلام « إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شىء وإن أراد أن يكنز به الكنوز هاب من كل شىء [3] » ثم عرض عليه أربعين ألف درهم وقال : تأخذها وتستعين بها قال : اردها على من ظلمته بها ،

---

(١) حديث « يامعشر المهاجرين لاتدخلوا على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق » أخرجه الحاكم من حديث عبد الله بن الشخير أقلوا الدخول على الأغنياء فإنه أجدر أن لاتزدروا نعم الله عز وجل » وقال صحيح الإسناد . (٢) حديث « دعى ابن المسيب إلى البيعة للوليد وسليمان ابنى عبد الملك فقال : لاأبايع اثنين مااختلف الليل والنهار فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعتين » أخرجه أبو نعيم فى الحلية بإسناد صحيح من رواية يحيى بن سعيد (٣) حديث حماد بن سلمة مرفوعا « إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شىء وإذا أراد أن يكنز به الكنوز هاب من كل شىء » هذا معضل وروى أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب من حديث واثلة بن الأسقع « من خاف الله خوف الله منه كل شىء ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شىء » والمقيلى فى الضعفاء نحوه من حديث أبى هريرة وكلاهما منكر

قال : والله ما أعطيتك إلا ماورثته ، قال : لاحاجة لى بها : فتأخذها فتقسمها ، قال : لعلى إن عدلت فى قسمتها أخاف أن يقول بعض من لم يرزق منها إنه لم يعدل فى قسمتها فيأثم فازوها عنى .

الحالة الثالثة : أن يعتزلهم فلا يراهم ولا يرونه وهو الواجب إذ لاسلامة إلا فيه ؛ فعليه أن يعتقد بغضهم على ظلمهم ولايحب بقاءهم ولا يثنى عليهم ولايستخبر عن أحوالهم ولا يتقرب إلى المتصلين بهم ولايتأسف على مايفوت بسبب مفارقتهم ؛ وذلك إذا خطر بباله أمرهم ، وإن غفل عنهم فهو الأحسن . وإذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ماقاله حاتم الأصم : إنما بينى وبين الملوك يوم واحد فأما أمس فلا يجدون لذته وإنى وإياهم فى غد لعلى وجل وإنما هو اليوم وماعسى أن يكون فى اليوم ، وماقاله أبو الدرداء إذ قال: أهل الأموال يأكلون ونأكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس ولهم فضول أموال ينظرون إليها وننظر معهم إليها وعليهم حسابها ونحن منها براء. وكل من أحاط علمه بظلم ظالم ومعصية عاص فينبغى أن يحط ذلك من درجته فى قلبه . فهذا واجب عليه لأن من صدر منه مايكره نقص ذلك من رتبته فى القلب لا محالة . والمعصية ينبغى أن تكره فإنه إما أن يغفل عنها أو يرضى بها أو يكره ولا غفلة مع العلم ولا وجه للرضا فلا بد من الكراهة ، فليكن جناية كل أحد على حق الله كجنايته على حقك .

* فإن قلت : الكراهة لاتدخل تحت الاختيار فكيف تجب ؟ قلنا : ليس كذلك فإن المحب يكره بضرورة الطبع ماهو مكروه عند محبوبه ومخالف له فإن من لايكره معصية الله لايحب الله وإنما لايحب الله من لايعرفه والمعرفة واجبة والمحبة لله واجبة . وإذا أحبه كره ما كرهه وأحب ماأحبه وسيأتى تحقيق ذلك فى كتاب المحبة والرضا .

* فإن قلت : فقد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين ؟ فأقول : نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل ؛ كما حكى أن هشام بن عبد الملك قدم حاجا إلى مكة فلما دخلها قال ائتونى برجل من الصحابة فقيل : ياأمير المؤمنين قد تفانوا فقال : من التابعين ، فأتى بطاوس اليمانى فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم عليه بإمرة المؤمنين ولكن قال : السلام عليك ياهشام ، ولم يكنه وجلس بإزائه وقال : كيف أنت ياهشام ؟ فغضب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله ؛ فقيل له : أنت فى حرم الله وحرم رسوله ولا يمكن ذلك ، فقال : يا طاوس ما الذى حملك على ماصنعت ؟ قال : وما الذى صنعت ؟ فازداد غضبا وغيظا ؛ قال : خلعت نعليك بحاشية بساطى ولم تقبل يدى ولم تسلم على بإمرة المؤمنين ولم تكننى وجلست بإزائى بغير إذنى وقلت : كيف أنت يا هشام ؟ قال : أما ما فعلت من خلع نعلى بحاشية بساطك فإنى أخلعهما بين يدى رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبنى ولا يغضب على ، وأما قولك لم تقبل يدى فإنى سمعت أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول : لايحل لرجل أن يقبل يد أحد إلا امرأته من شهوة أو ولده من رحمة ، وأما قولك لم تسلم على بإمرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بإمرتك فكرهت أن أكذب ، وأما قولك لم تكننى فإن الله تعالى سمى أنبياءه وأولياءه فقال يايحيى ياعيسى ، وكنى اعداءه فقال ﴿ تبت يدا أبى لهب ﴾ وأما قولك جلست بإزائى فإنى سمعت أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه يقول : إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام . فقال له هشام : عظنى ، فقال سمعت من أمير المؤمنين على رضى الله عنه يقول : إن فى جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لايعدل فى رعيته . ثم قام وهرب . وعن سفيان الثورى رضى الله عنه قال : أدخلت على أبى جعفر المنصور بمنى فقال لى : ارفع الينا حاجتك ، فقلت له : اتق الله فقد ملأت الأرض ظلما وجورا . قال فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال: ارفع إلينا

حاجتك ، فقلت : إنما أنزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار وأبناؤهم يموتون جوعا فاتق الله وأوصل إليهم حقوقهم ، فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال : ارفع إلينا حاجتك ، فقلت : حج عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال لخازنه : كم أنفقت ؟ قال : بضعة عشر درهما ، وأرى ههنا أموالا لاتطيق الجمال حملها ، وخرج فهكذا كانوا يدخلون على السلاطين إذا ألزموا وكانوا يغترون بأرواحهم للانتقام لله من ظلمهم . ودخل ابن أبى شميلة على عبد الملك بن مروان فقال له : تكلم ، فقال له : إنّ الناس لاينجون فى القيامة من غصصها ومراراتها ومعاينة الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه ؛ فبكى عبد الملك وقال : لأجعلن هذه الكلمة مثالا نصب عينى ما عشت . ولما استعمل عثمان بن عفان رضى الله عنه عبد الله بن عامر أتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبطأ عنه أبو ذر ـ وكان له صديقا ـ فعاتبه ؛ فقال أبو ذرّ . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنّ الرجل إذا ولى ولاية تباعد الله عنه[2] » ودخل مالك بن دينار على أمير البصرة فقال : أيها الأمير قرأت فى بعض الكتب أن الله تعالى يقول ما أحمق من سلطان وما أجهل ممن عصانى ! ومن أعز ممن اعتزبى ؟ أيها الراعى السوء دفعت إليك غنما سمانا صحاحا فأكلت اللحم ولبست الصوف وتركها عظاما تتقعقع ، فقال له والى البصرة : أتدرى ما الذى يجرئك علينا ويجنبنا عنك ؟ قال لا ، قال : قلة الطمع فينا وترك الإمساك لما فى أيدينا . وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان ابن عبد الملك ؛ فسمع سليمان صوت الرعد فجزع ووضع صدره على مقدمة الرحل ، فقال له عمر : هذا صوت رحمته فكيف إذا سمعت صوت عذابه ؟ ثم نظر سليمان إلى الناس فقال : ما أكثر الناس ، فقال عمر : خصماؤك يا أمير المؤمنين فقال له سليمان : ابتلاك الله بهم . وحكى أن سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فأرسل إلى أبى حازم فدعاه فلما دخل عليه قال له سليمان : ياأبا حازم مالنا نكره الموت ؟ فقال : لأنكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب فقال : ياأبا حازم كيف القدوم على الله ؟ قال ياأمير المؤمنين أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله وأما المسىء فكالآبق يقدم على مولاه ، فبكى سليمان وقال : ليت شعرى مالى عند الله ؟ قال أبو حازم اعرض نفسك على كتاب الله تعالى حيث قال ﴿ إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم ﴾ قال : فأين رحمة الله قال : قريب من المحسنين ثم قال سليمان : ياأبا حازم أى عباد الله أكرم ؟ قال : أهل البر والتقوى قال : فأى الأعمال أفضل ؟ قال : أداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال : فأى الكلام أسمع ؟ قال قول الحق عند من تخاف وترجوا قال : فأى المؤمنين أكيس ؟ قال : رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس إليها ، قال : فأى المؤمنين أخسر ؟ قال : رجل خطا فى هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره ، قال سليمان : ما تقول فيما نحن فيه ؟ قال : أو تعفينى ؟ قال : لابد فإنها نصيحة تلقيها إلى ، قال : يا أمير المؤمنين إن آباءك قهروا الناس بالسيف وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا ، فلو شعرت مما قالوا وما قيل لهم ؟ فقال له رجل من جلسائه : بئسما قلت : قال أبو حازم : إن الله قد أخذ الميثاق على العلماء ليبينه للناس ولا يكتمونه . قال : وكيف لنا أن نصلح هذا الفساد ؟ قال : أن تأخذه من حله فتضعه فى حقه ، فقال سليمان : ومن يقدر على ذلك ؟ فقال : من يطلب الجنة ويخاف من النار . فقال سليمان : ادع لى . فقال أبو حازم : اللهم إن كان سليمان وليك فيسره لخيرى الدنيا والآخرة وإن كان عدوك فخذ بناصيته إلى ماتحب وترضى ، فقال سليمان : أوصنى ، فقال : أوصيك وأوجز ، عظم ربك ونزهه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك . وقال عمر

(١) حديث أبى ذر « إن الرجل إذا ولى ولاية تباعد الله عزوجل منه » لم أقف له على أصل .

ابن عبد العزيز لأبي حازم : عظني ، فقال : اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك ثم أنظر إلى ماتحب أن يكون فيك تلك الساعة فخذ به الآن ، وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن ، فلعل تلك الساعة قريبة . ودخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك ، فقال : تكلم ياأعرابي ، فقال : ياأمير المؤمنين إني مكلمك بكلام فاحتمله وإن كرهته فإن وراءه ماتحب إن قبلته ، فقال : ياأعرابي إنا لنجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا تأمن غشه فكيف بمن نأمن غشه ونرجو نصحه ؟ فقال الأعرابي : ياأمير المؤمنين إنه قد تكنفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله تعالى ولم يخافوا الله فيك ، حرب الآخرة سلم الدنيا فلا تأتمنهم على ما ائتمنك الله تعالى عليه فإنهم لم يألوا في الأمانة تضييعا وفي الأمة خسفا وعسفا وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا بمسئولين عما اجترحت ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره ، فقال له سليمان : ياأعرابي أما إنك قد سللت لسانك وهو أقطع سيفيك . قال : أجل ياأمير المؤمنين ولكن لك لا عليك . وحكى أن أبا بكرة دخل على معاوية فقال : اتق الله يامعاوية واعلم أنك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تأتي عليك لا تزداد من الدنيا إلا بعدا ومن الآخرة إلا قربا ، وعلى أثرك طالب لا تفوته وقد نصب لك علما لاتجوزه فما أسرع ما تبلغ العلم وما أوشك مايلحق بك الطالب وإنا وما نحن فيه زائل وفي الذي نحن إليه صائرون باق إن خيرا فخير وإن شرا فشر . فهكذا كان دخول أهل العلم على السلاطين أعني علماء الآخرة فأما علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا إلى قلوبهم فيدلونهم على الرخص ويستنبطون لهم بدقائق الحيل طرق السعة فيما يوافق أغراضهم . وإن تكلموا بمثل ماذكرناه في معرض الوعظ لم يكن قصدهم الإصلاح بل اكتساب الجاه والقبول عندهم . وفي هذا غروران يغتر بهما الخلق (أحدهما) أن يظهر أن قصدي في الدخول عليهم إصلاحهم بالوعظ . وربما يلبسون على أنفسهم بذلك وإنما الباعث لهم شهوة خفية للشهرة وتحصيل المعرفة عندهم ، وعلامة الصدق في طلب الإصلاح أنه لو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو من أقرانه في العلم ووقع موقع القبول وظهر به أثر الصلاح فينبغي أن يفرح به ويشكر الله تعالى على كفايته هذا المهم ، كمن وجب عليه أن يعالج مريضا ضائعا فقام بمعالجته غيره فإنه يعظم به فرحه . فإن كان يصادف في قلبه ترجيحا لكلامه على كلام غيره فهو مغرور (الثاني) أن يزعم أني أقصد الشفاعة لمسلم في دفع ظلامة . وهذا أيضا مظنة الغرور . ومعياره ما تقدم ذكره .

وإذا ظهر طريق الدخول عليهم فلنرسم في الأحوال العارضة في مخالطة السلاطين ومباشرة أموالهم مسائل :

مسألة : إذا بعث إليك السلطان مالا لتفرقه على الفقراء فإن كان له مالك معين فلا يحل أخذه وإن لم يكن بل كان حكمه أنه يجب التصدق به على المساكين ـ كما سبق ـ فلك أن تأخذه وتتولى التفرقة ولاتعصى بأخذه ولكن من العلماء من امتنع عنه فعند هذا ينظر في الأولى فنقول :

الأولى أن تأخذه إن أمنت ثلاث غوائل .

الغائلة الأولى : أن يظن السلطان بسبب أخذك أن ماله طيب ولولا أنه طيب لما كنت تمد يدك إليه ولاتدخله في ضمانك ؛ فإن كان كذلك فلا تأخذه ، فإن ذلك محذور ولا يفي الخير في مباشرتك التفرقة بما يحصل لك من الجراءة على كسب الحرام .

الغائلة الثانية : أن ينظر إليك غيرك من العلماء والجهال فيعتقدون أنه حلال فيقتدون بك في الأخذ ويستدلون به

على جوازه ثم لايفرقون ، فهذا أعظم من الأول . فإن جماعة يستدلون بأخذ الشافعي رضى الله عنه على جواز الأخذ ويغفلون عن تفرقته وأخذه على نية التفرقة ؛ فالمقتدى والمتشبه به ينبغى أن يحترز عن هذا غاية الاحتراز فإنه يكون فعله سبب ضلال خلق كثير . وقد حكى وهب بن منبه أن رجلا أتى به إلى ملك بمشهد من الناس ليكرهه على أكل لحم الخنزير فلم يأكل ، فقدم إليه لحم غنم وأكره بالسيف فلم يأكل ، فقيل له فى ذلك فقال : إن الناس قد اعتقدوا أنى طولبت بأكل لحم الخنزير ؛ فإذا خرجت سالما وقد أكلت فلا يعلمون ماذا أكلت فيضلون . ودخل وهب ابن منبه وطاوس على محمد بن يوسف ـ أخى الحجاج ـ وكان عاملا وكان فى غداة باردة فى مجلس بارز فقال لغلامه : هلم ذلك الطيلسان وألقه على أبى عبد الرحمن ـ أى طاوس ـ وكان قد قعد على كرسى فألقى عليه فلم يزل يحرك كتفيه حتى ألقى الطيلسان عنه ، فغضب محمد بن يوسف فقال وهب : كنت غنيا عن أن تغضبه لو أخذت الطيلسان وتصدقت به قال : نعم لولا أن يقول من بعدى إنه أخذه طاوس ـ ولا يصنع به ما أصنع به ـ إذن لفعلت .

الغائلة الثانية : أن يتحرك قلبك إلى حبك لتخصيصه إياك وإيثاره لك بما أنفذه إليك ، فإن كان كذلك فلا تقبل ذلك هو السم القاتل والداء الدفين أعنى مايحبب الظلمة إليك ، فإن من أحببته لابد أن تحرص عليه وتداهن فيه . قالت عائشة رضى الله عنها : جبلت النفوس على حب من أحسن إليها . وقال عليه السلام « اللهم لاتجعل لفاجر عندى يدا فيحبه قلبى [1] » بين صلى الله عليه وسلم أن القلب لايكاد يمتنع من ذلك . وروى أن بعض الأمراء أرسل إلى مالك بن دينار بعشرة آلاف درهم فأخرجها كلها فأتاه محمد بن واسع فقال : ماصنعت بما أعطاك هذا المخلوق ؟ قال : سل أصحابى ؟ فقالوا . أخرجه كله ، فقال . أنشدك الله أقلبك أشد حبا له الآن أم قبل أن أرسل إليك ؟ : لا بل الآن ، قال : إنما كنت أخاف هذا . وقد صدق فإنه إذا أحبه أحب بقاءه وكره وعزله ونكبته وموته وأحب اتساع ولايته وكثرة ماله ، وكل ذلك حب لأسباب الظلم وهو مذموم . قال سلمان وابن مسعود رضى الله عنهما : من رضى بأمر وإن غاب عنه كان كمن شهده قال تعالى ﴿ ولاتركنوا إلى الذين ظلموا ﴾ قيل لاترضوا بأعمالهم فإن كنت فى القوة بحيث لاتزداد حبالهم بذلك فلا بأس بالأخذ . وقد حكى عن بعض عباد البصرة أنه كان يأخذ أموالا ويفرقها فقيل له : ألا تخاف أن تحبهم ؟ فقال : لو أخذ رجل بيدى وأدخلنى الجنة ثم عصى ربه ماأحبه قلبى ، لأن الذى سخره للأخذ بيدى هو الذى أبغضه لأجله شكرا له على تصخيره إياه . وبهذا تبين أخذ المال الآن منهم وإن كان ذلك المال بعينه من وجه حلال محذور ومذموم لأنه لاينفك عن هذه الغوائل .

مسألة : إن قال قائل : إذا جاز أخذ ماله وتفرقته فهل يجوز أن يسرق ماله أو تخفى وديعته وتنكر وتفرق على الناس ؟ فنقول : ذلك غير جائز لأنه ربما يكون له مالك معين وهو على عزم أن يرده عليه ، وليس هذا كما لو بعثه إليك ؛ فإن العاقل لايظن به أنه يتصدق بمال يعلم مالكه فيدل تسليمه على أنه لا يعرف مالكه فإن كان ممن يشكل عليه مثله فلا يجوز أن يقبل منه المال مالم يعرف ذلك ثم كيف يسرق ويحتمل أن يكون ملكه قد حصل له بشراء فى ذمته ؟ فإن اليد دلالة على الملك . فهذا لاسبيل إليه بل لو وجد لقطة وظهر أن صاحبها جندى واحتمل أن تكون له بشراء فى الذمة أو غيره وجب الرد عليه . فإذا لايجوز سرقة مالهم لامنهم ولامن أودع عنده . ولايجوز إنكار وديعتهم ويجب الحد على سارق مالهم إلا إذا ادعى السارق أنه ليس ملكا لهم فعند ذلك يسقط الحد بالدعوى .

---

(١) حديث « اللهم لاتجعل لفاجر عندى يدا فيحبه قلبى » أخرجه ابن مردويه فى التفسير من رواية كثير بن عطية عن رجل لم يسم ، ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث معاذ وأبو موسى المدينى فى كتاب : تضييع العمر والأيام مرسلا وأسانيده كلها ضعيفة .

مسألة : المعاملة معهم حرام لأن أكثر مالهم حرام فما يؤخذ عوضا فهو حرام ، فإن أدى الثمن من موضع يعلم حله فيبقى النظر فيما سلم إليهم ، فإن علم أنهم يعصون الله به كبيع الديباج منهم وهو يعلم أنهم يلبسونه فذلك حرام كبيع العنب من الخمار ، وإنما الخلاف فى الصحة وإن أمكن ذلك وأمكن أن يلبسها نساءه فهو شبهة مكروهه، هذا فيما يعصى فى عينه من الأموال . وفى معناه بيع الفرس منهم ، لاسيما فى وقت ركوبهم إلى قتال المسلمين أو جباية أموالهم فإن ذلك إعانة لهم بفرسه وهى محظورة . فأما بيع الدراهم والدنانير منهم ومايجرى مجراها مما لايعصى فى عينه بل يتوصل بها فهو مكروه لما فيه من إعانتهم على الظلم لأنهم يستعينون على ظلمهم بالأموال والدواب وسائر الأسباب ، وهذه الكراهة جارية فى الإهداء إليهم وفى العمل لهم من غير أجرة حتى فى تعليمهم وتعليم أولادهم الكتابة والترسل والحساب ، وأما تعليم القرآن فلا يكره إلا من حيث أخذ الأجرة فإن ذلك حرام إلا من وجه يعلم حله ، ولو انتصب وكيلا لهم يشترى لهم فى الأسواق من غير جعل أو أجرة فهو مكروه من حيث الإعانة ، وإن اشترى لهم مايعلم أنهم يقصدون به المعصية كالغلام والديباج للعرش واللبس والفرس للركوب إلى الظلم والقتل فذلك حرام . فمهما ظهر قصد المعصية بالمبتاع حصل التحريم ومهما لم يظهر واحتمل بحكم الحال ودلالتها عليه حصلت الكراهة .

مسألة : الأسواق التى بنوها بالمال الحرام تحرم التجارة فيها ولايجوز سكناها ، فإن سكنها تاجر واكتسب بطريق شرعى لم يحرم كسبه وكان عاصيا بسكناه ، وللناس أن يشتروا منهم ، ولكن لو وجدوا سوقا أخرى فالأولى الشراء منها فإن ذلك إعانة لسكناهم وتكثير لكراء حوانيتهم ، وكذلك معاملة السوق التى لاخراج لهم عليها أحب من معاملة سوق لهم عليها خراج ، وقد بالغ قوم حتى تحرزوا من معاملة الفلاحين وأصحاب الأراضى التى لهم عليها الخراج فإنهم ربما يصرفون ما يأخذون إلى الخراج فيحصل به الإعانة ، وهذا غلو فى الدين وحرج على المسلمين فإن الخراج قد عم الأراضى ولاغنى بالناس عن ارتفاق الأرض ولامعنى للمنع منه ، ولو جاز هذا لحرم على المالك زراعة الأرض حتى لايطلب خراجها . وذلك مما يطول ويتداعى إلى حسم باب المعاش .

مسألة : معاملة قضاتهم وعمالهم وخدمهم حرام كمعاملتهم بل أشد . أما القضاة فلأنهم يأخذون من أموالهم الحرام الصريح ويكثرون جمعهم ويغرون الخلق بزيهم فإنهم على زى العلماء ويختلطون بهم ويأخذون من أموالهم والطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بذوى الجاه والحشمة . فهم سبب انقياد الخلق إليهم . وأما الخدم والحشم فأكثر أموالهم من الغصب الصريح ولايقع فى أيديهم مال مصلحة وميراث وجزية ولاوجه حلال حتى تضعف الشبهة باختلاط الحلال بمالهم . قال طاوس : لاأشهد عندهم وإن تحققت لأنى أخاف تعديهم على من شهدت عليه . وبالجملة إنما فسدت الرعية بفساد الملوك ، وفساد الملوك بفساد العلماء فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد الملوك خوفا من إنكارهم . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لاتزال هذه الأمة تحت يد الله وكنفه ما يمالئ قراؤها أمراءها [1] » وإنما ذكر القراء لأنهم كانوا هم العلماء وإنما كان علمهم بالقرآن ومعانيه المفهومة بالسنة . وما وراء ذلك من العلوم فهى محدثة بعدهم . وقد قال سفيان : لاتخالط السلطان ولامن يخالطه . وقال : صاحب القلم وصاحب الدواة وصاحب القرطاس وصاحب الليطة بعضهم شركاء بعض . وقد صدق فإن رسول الله

(١) حديث « لاتزال هذه الأمة تحت يد الله وكنفه مالم يمالئ قراؤها أمراءها » أخرجه أبو عمرو الدانى فى كتاب الفتن من رواية الحسن مرسلا ورواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على وابن عمر بلفظ « مالم يعظم أبرارها فجارها ويداهن خيارها شرارها » وإسنادهما ضعيف .

صلى الله عليه وسلم لعن فى الخمر عشرة حتى العاصر والمعتصر [١] وقال ابن مسعود رضى الله عنه « آكل الربا وموكله وشاهداه وكاتبه ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم [٢] » وكذا رواه جابر وعمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣] وقال ابن سيرين : لاتحمل للسلطان كتابا حتى تعلم مافيه ، وامتنع سفيان رحمه الله من مناولة الخليفة فى زمانه دواة بين يديه وقال : حتى أعلم ما تكتب بها فكل من حواليهم من خدمهم وأتباعهم ظلمة مثلهم يحب بغضهم فى الله جميعا . روى عن عثمان بن زائدة أنه سأله رجل من الجند وقال : أين الطريق ؟ فسكت وأظهر الصمم وخاف أن يكون متوجها إلى ظلم فيكون هو بإرشاده إلى الطريق معينا . وهذه المبالغة لم تنقل عن السلف مع الفساق من التجار والحاكة والحجامين وأهل الحمامات والصاغة والصباغين وأرباب الحرف مع غلبة الكذب والفسق عليهم ، بل مع الكفار من أهل الذمة ، وإنما هذا فى الظلمة خاصة الآكلين لأموال اليتامى والمساكين والمواظبين على إيذاء المسلمين الذين تعاونوا على طمس رسوم الشريعة وشعائرها . وهذا لأن المعصية تنقسم إلى لازمة ومتعدية ، والفسق لازم لايتعدى ، وكذا الكفر وهو جناية على حق الله تعالى وحسابه على الله وأما معصية الولاة بالظلم وهو متعد فإنما يغلظ أمرهم لذلك وبقدر عموم الظلم وعموم التعدى يزدادون عند الله مقتا فيجب أن يزداد منهم اجتنابا ومن معاملتهم احترازاً فقد قال صلى الله عليه وسلم « يقال للشرطى دع سوطك وادخل النار [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « من أشراط الساعة رجال معهم سياط كأذناب البقر [٥] » فهذا حكمهم ومن عرف بذلك منهم فقد عرف ومن لم يعرف فعلامته القباء وطول الشوارب وسائر الهيئات المشهورة . فمن رؤى على تلك الهيئة تعين اجتنابه ولايكون ذلك من سوء الظن لأنه الذى جنى على نفسه إذ تزيا بزيهم ، ومساواة الزى تدل على مساواة القلب ولا يتجانس إلا مجنون ولا يتشبه بالفساق إلا فاسق ، نعم الفاسق قد يلتبس بأهل الصلاح فأما الصالح فليس له أن يتشبه بأهل الفساد لأن ذلك تكثير لسوادهم وإنما نزل قوله تعالى ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ﴾ فى قوم من المسلمين كانوا يكثرون جماعة المشركين بالمخالطة ، وقد روى أن الله تعالى أوحى إلى يوشع ابن نون إنى مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم ، فقال : مابال الأخيار ؟ قال : إنهم لايغضبون لغضبى فكانوا يؤاكلونهم ويشاربونهم . وبهذا يتبين أن بعض الظلمة والغضب لله عليهم واجب ، وروى ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم « إن الله لعن علماء بنى إسرائيل إذ خالطوا الظالمين فى معاشهم [٦] » .

---

(١) حديث « أن النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم لعن فى الخمر عشرة حتى العاصر والمعتصر » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أنس قال الترمذى حديث غريب . (٢) حديث ابن مسعود « آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم » رواه مسلم وأصحاب السنن واللفظ للنسائى دون قوله « وشاهده » ولأبى داود لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه » قال الترمذى وصححه وابن ماجه وشاهديه . (٣) حديث جابر لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه قال هم سواء » أخرجه مسلم من حديثه ، وأما حديث عمر فأشار إليه الترمذى بقوله وفى الباب ولابن ماجه من حديثه « إن آخر ما أنزلت آية الربا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يفسرها فدعوا الربا والريبة » وهو من رواية ابن المسيب عنه والجمهور على أنه لم يسمع منه . (٤) حديث « يقال للشرطى دع سوطك وادخل النار » أخرجه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف . (٥) حديث « من أشراط الساعة رجال معهم أسياط كأذناب البقر » أخرجه أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث أبى أمامة « يكون فى آخر الزمان رجال معهم سياط كأنها أذناب البقر ... الحديث » ولمسلم من حديث أبى هريرة « يوشك إن طالت بك مدة أن ترى قوما فى أيديهم مثل أذناب البقر » وفى رواية له صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر ... الحديث » .

(٦) حديث ابن مسعود « لعن الله علماء بنى إسرائيل إذ خالطوا الظالمين فى معايشهم » أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى : نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم فى مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم » لفظ الترمذى وقال حسن غريب .

مسألة : المواضع التى بناها الظلمة كالقناطر والرباطات والمساجد والسقايات ينبغى أن يحتاط فيها وينظر أماالقنطرة فيجوزالعبور عليها للحاجة ، والورع الاحتراز ماأمكن وإن وجدعنه معدلاتأكد الورع . وإنماجوزنا العبور وإن وجد معدلا لأنه إذا لم يعرف الأعيان مالكا كان حكمها أن ترصد للخيرات وهذا خير ، فأما إذا عرف أن الآجر والحجر قد نقل من دار معلومة أو مقبرة أو مسجد معين فهذا لايحل العبور عليه أصلا إلا لضرورة يحل بها مثل ذلك من مال الغير ، ثم يجب عليه الاستحلال من المالك الذى يعرفه . وأما المسجد فإن بنى فى أرض مغصوبة أو بخشب مغصوب من مسجد آخر أو ملك معين فلا يجوز دخوله أصلا ولا للجمعة بل لو وقف الإمام فيه فليصل هو خلف الإمام وليقف خارج المسجد فإن الصلاة فى الأرض المغصوبة تسقط الفرض وتنعقد فى حق الاقتداء ، فلذلك جوزنا للمقتدى الاقتداء بمن صلى فى الأرض المغصوبة وإن عصى صاحبه بالوقوف فى الغصب . وإن كان من مال لا يعرف مالكه فالورع العدول إلى مسجد آخر إن وجد فإن لم يجد غيره فلا يترك الجمعة والجماعة به لأنه يحتمل أن يكون من الملك الذى بناه ولو على بعد وإن لم يكن له مالك معين فهو لمصالح المسلمين . ومهما كان فى المسجد الكبير بناء لسلطان ظالم فلا عذر لمن يصلى فيه مع اتساع المسجد ، أعنى فى الورع ، قيل لأحمد بن حنبل : ماحجتك فى ترك الخروج إلى الصلاة فى جماعة ونحن بالعسكر ؟ فقال . حجتى أن الحسن وإبراهيم التيمى خافا أن يفتنهما الحجاج وأنا أخاف أن أفتن أيضا . وأما الخلوق والتجصيص فلا يمنع من الدخول لأنه غير منتفع به فى الصلاة وإنما هو زينة والأولى أنه لا ينظر إليه ـ وأما البوارى التى فرشوها فإن كان لها مالك معين فيحرم الجلوس عليها وإلا فبعد أن أرصدت لمصلحة عامة جاز افتراشها ، ولكن الورع العدول عنها فإنها محل شبهة . وأما السقاية فحكمها ما ذكرناه وليس عن الورع الوضوء والشرب منها والدخول إليها إذا كان يخاف فوات الصلاة فيتوضأ وكذا مصانع طريق مكة . وأما الرباطات والمدارس فإن كانت رقبة الأرض مغصوبة أو الآجر منقولا من موضع معين يمكن الرد إلى مستحقه فلا رخصة للدخول فيه وإن التبس المالك فقد أرصد لجهة من الخير ، والورع اجتنابه ولكن لا يلزم الفسق بدخوله . وهذه الأبنية إن أرصدت من خدم السلاطين فالأمر فيها أشد إذ ليس لهم صرف الأموال الضائعة إلى المصالح ولأن الحرام أغلب على أموالهم إذ ليس لهم أخذ مال المصالح وإنما يجوز ذلك للولاة وأرباب الأمر .

مسألة : الأرض المغصوبة إذا جعلت شارعا لم يجز أن يتخطى فيه ألبتة وإن لم يكن له مالك معين جاز ، والورع العدول إن أمكن ، فإن كان الشارع مباحا وفوقه ساباط جاز العبور وجاز الجلوس تحت الساباط على وجه لايحتاج فيه إلى السقف كما يقع فى الشارع لشغل ، فإذا انتفع بالسقف فى دفع حر الشمس أو المطر أو غيره فهو حرام لأن السقف لايراد إلا لذلك ، وهكذا حكم من يدخل مسجدا أو أرضا مباحة سقف أو حوط بغصب فإنه بمجرد التخطى لايكون منتفعا بالحيطان والسقف إلا إذا كان له فائدة فى الحيطان والسقف لحر أو برد تستر عن بصر أو غيره فذلك حرام لأنه انتفاع بالحرام إذ لم يحرم الجلوس على الغصب لما فيه من المماسة بل الانتفاع ، والأرض تراد للاستقرار عليها والسقف للاستظلال به فلا فرق بينهما .

الباب السابع

فى مسائل متفرقة يكثر مسيس الحاجة إليها وقد سئل عنها فى الفتاوى

مسألة : سئل عن خادم الصوفية يخرج إلى السوق ويجمع طعاما أو نقدا ويشترى به طعاما فمن الذى يحل له أن يأكل منه ؟ وهل يختص بالصوفية أم لا ؟ فقلت : أما الصوفية فلا شبهة فى حقهم إذا أكلوه وأما غيرهم فيحل لهم إذا أكلوه برضا الخادم ولكن لايخلو عن شبهة ، أما الحل فلأن مايعطى خادم الصوفية إنما يعطى بسبب الصوفية وله أن يطعم غير العيال إذ يبعد أن يقال لم يخرج عن ملك المعطى ولا يتسلط الخادم على الشراء به التصرف فيه ؟ لأنّ ذلك مصير إلى أنّ المعاطاة لا تكفى وهو ضعيف ، ثم لا صائر اليه فى الصدقات والهدايا ، ويبعد أن يقال زال الملك إلى الصوفية الحاضرين الذين هم وقت سؤاله فى الخانقاه إذ لاخلاف أن له يطعم منه من يقدم بعدهم ولو ماتوا كلهم أوواحد منهم لايجب صرف نصيبه إلى وارثه ، ولايمكن أن يقال إنه وقع لجهة التصوف ولايتعين له مستحق لأنّ إزالة الملك إلى الجهة لاتوجب تسليط الآحاد على التصرف فإن الداخلين فيه لاينحصرون بل يدخل فيه من يولد إلى يوم القيامة ، وإنما يتصرف فيه الولاة ، والخادم لايجوز له أن ينتصب نائبا عن الجهة فلا وجه إلا أن يقال هو ملكه وإنما يطعم الصوفية بوفاء شرط التصوف والمروءة فإن منعهم عنه منعوه عن أن يظهر نفسه فى معرض التكفل بهم حتى ينقطع وقفه كما ينقطع عمن مات عياله .

مسألة : سئل عن مال أوصى به للصوفية فمن الذى يجوز أن يصرف إليه ؟ فقلت : التصوف أمر باطن لايطلع عليه ولا يمكن ضبط الحكم بحقيقته بل بأمور ظاهرة يعول عليها أهل العرف فى إطلاق اسم الصوفى ، والضابط الكلى أن كل من هو بصفة إذا نزل فى خانقاه الصوفية لم يكن نزوله فيها واختلاطه بهم منكرا عندهم فهو داخل فى غمارهم . والتفصيل أن يلاحظ فيه خمس صفات الصلاح والفقر وزى الصوفية وأن لايكون مشتغلا بحرفة وأن يكون مخالطا لهم بطريق المساكنة فى الخانقاه . ثم بعض هذه الصفات مما يوجب زوالها زوال الاسم وبعضها ينجبر بالبعض فالفسق يمنع الاستحقاق لأن الصوفى بالجملة عبارة عن رجل من أهل الصلاح بصفة مخصوصة ، فالذى يظهر فسقه وإن كان على زيهم لايستحق ماأوصى به للصوفية ولسنا نعتبر فيه الصغائر . وأما الحرفة والاشتغال بالكسب فانه يمنع هذا الاستحقاق فالدهقان والعامل والتاجر والصانع فى حانوته أو داره والأجير الذى يخدم بأجرة كل هؤلاء لايستحقون ماأوصى به للصوفية ولاينجبر هذا بالزى والمخالطة ، فأما الوراقة والخياطة ومايقرب منهما مما يليق بالصوفية تعاطيها ، فإذا تعاطاها لافى حانوت ولا على جهة اكتساب وحرفة فذلك لايمنع الاستحقاق وكان ذلك ينجبر بمساكنته إياهم مع بقية الصفات ، وأما القدرة على الحرف من غير مباشرة فلاتمنع ، وأما الوعظ والتدريس فلا ينافى اسم التصوف إذا وجدت بقية الخصال من الزى والمساكنة والفقر إذ لايتناقض أن يقال صوفى مقرئ وصوفى واعظ وصوفى عالم أو مدرس ، ويتناقض أن يقال صوفى تاجر وصوفى عامل ، وأما الفقر فإن زال بغنى مفرط ينسب الرجل إلى الثروة الظاهرة فلا يجوز معه أخذ وصية الصوفية ، وإن كان له مال ولايفى دخله بخرجه لم يبطل حقه ، وكذا إذا كان له مال قاصر عن وجوب الزكاة وإن لم يكن له خرج وهذه أمور لادليل لها إلا العادات . وأما المخالطة لهم ومساكنتهم فلها أثر ولكن من لايخالطهم وهو فى داره أوفى مسجد على زيهم ومتخلق بأخلاقهم فهو شريك فى سهمهم وكأن ترك المخالطة يجبرها ملازمة الزى فإن لم يكن على زيهم ووجد فيه بقية الصفات

فلا يستحق إلا إذا كان مساكنا لهم فى الرباط فينسحب عليه حكمهم بالتبعية. فالمخالطة والزى ينوب كل واحد منهما عن الآخر . والفقيه الذى ليس على زيهم هذا حكمه فإن كان خارجا لم يعدّ صوفيا وإن كان ساكنا معهم ووجدت بقية الصفات لم يبعد أن ينسحب بالتبعية عليه حكمهم . وأما لبس المرقعة من يد شيخ من مشايخهم فلايشترط ذلك فى الاستحقاق ، وعدمه لايضره مع وجود الشرائط المذكورة . وأما المتأهل المتردد بين الرباط والمسكن فلايخرج بذلك عن جملتهم .

مسألة : ماوقف على رباط الصوفية وسكانه فالأمر فيه أوسع مما أوصى لهم به لأن معنى الوقف الصرف إلى مصالحهم ؛ فلغير الصوفى أن يأكل معهم برضاهم على مائدتهم مرة أومرتين فإن أمر الأطعمة مبناه على التسامح حتى جاز الانفراد بها فى الغنائم المشتركة ، وللقوال أن يأكل معهم فى دعوتهم من ذلك الوقف وكان ذلك من مصالح معايشهم ، وما أوصى به للصوفية لايجوز أن يصرف إلى قوال الصوفية بخلاف الوقف ، وكذلك من أحضروه من العمال والتجار والقضاة والفقهاء ممن لهم غرض فى استمالة قلوبهم يحل لهم الأكل برضاهم ، فإن الواقف لايقف إلا معتقدا فيه ماجرت به عادات الصوفية فينزل على العرف ولكن ليس هذا على الدوام ، فلايجوز لمن ليس صوفيا أن يسكن معهم على الدوام ويأكل وإن رضوا به إذ ليس لهم تغيير شرط الواقف بمشاركة غير جنسهم . وأما الفقيه إذا كان على زيهم وأخلاقهم فله النزول عليهم ، وكونه فقيها لاينافى كونه صوفيا ، والجهل ليس بشرط فى التصوف عند من يعرف التصوف ، ولايلتفت إلى خرافات بعض الحمق بقولهم : إن العلم حجاب فإن الجهل هو الحجاب . وقد ذكرنا تأويل هذه الكلمة فى كتاب العلم ، وأن الحجاب هو العلم المذموم دون المحمود ، وذكرنا المحمود والمذموم وشرحهما . وأما الفقيه إذا لم يكن على زيهم وأخلاقهم فلهم منعه من النزول عليهم فإن رضوا بنزوله فيحل له الأكل معهم بطريق التبعية فكان عدم الزى تجبره المساكنة ولكن برضا أهل الزى ، وهذه أمور تشهد لها العادات وفيها أمور متقابلة لايخفى أطرافها فى النفى والإثبات ومتشابه أوساطها فمن احترز فى مواضع الاشتباه فقد استبرأ لدينه كما نبهنا عليه فى أبواب الشبهات .

مسألة : سئل عن الفرق بين الرشوة والهدية مع أن كل واحد منهما يصدر عن الرضا ولايخلو عن غرض وقد حرمت إحداهما دون الأخرى . فقلت : باذل المال لايبذله قط إلا لغرض ، ولكن الغرض إما آجل كالثواب وإما عاجل ، والعاجل إما مال وإما فعل وإعانة على مقصود معين وإما تقرب إلى قلب المهدى إليه بطلب محبته إما المحبة فى عينها وإما للتوصل بالمحبة إلى غرض وراءها فالأقسام الحاصلة من هذه خمسة .

الأول : ماغرضه الثواب فى الآخرة وذلك إما أن يكون لكون المصروف إليه محتاجا أوعالما أومنتسبا بنسب دينى أوصالحا فى نفسه متدينا . فما علم الآخذ أنه يعطاه لحاجته لايحل له أخذه إن لم يكن محتاجا ، وماعلم أنه يعطاه لشرف نسبه لايحل له إن علم أنه كاذب فى دعوى النسب ، وما يعطى لعلمه فلايحل له أن يأخذه إلا أن يكون فى العلم كما يعتقده المعطى ، فإن كان خيل إليه كمالا فى العلم حتى بعثه بذلك على التقرب ولم يكن كاملا لم يحل له ، ومايعطى لدينه وصلاحه لايحل له أن يأخذه إن كان فاسقا فى الباطن فسقا لو علمه المعطى ماأعطاه . وقلما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لبقيت القلوب مائلة إليه وإنما ستر الله الجميل هو الذى يحبب الخلق إلى الخلق . وكان المتورعون يوكلون فى الشراء من لايعرف أنه وكيلهم حتى لايتسامحوا فى المبيع خيفة من أن يكون ذلك أكلا بالدين فإن ذلك مخطر والتقى خفى لا كالعلم والنسب والفقر فينبغى أن يجتنب الأخذ بالدين ماأمكن .

القسم الثانى : مايقصد به فى العاجل غرض معين كالفقير يهدى إلى الغنى طمعا فى خلعته فهذه هبة بشرط الثواب لايخفى حكمها وإنما تحل عند الوفاء بالثواب المطموع فيه وعند وجود شروط العقود .

الثالث : أن يكون المراد إعانة بفعل معين كالمحتاج إلى السلطان يهدى إلى وكيل السلطان وخاصته ومن له مكانة عنده فهذه هدية بشرط ثواب يعرف بقرينة الحال ؛ فلينظر فى ذلك العمل الذى هو الثواب فإن كان حراما كالسعى فى تنجيز إدرار حرام أوظلم إنسان أو غيره حرم الأخذ ، وإن كان واجبا كدفع ظلم متعين على كل من يقدر عليه أو شهادة متعينة فيحرم عليه مايأخذه وهى الرشوة التى لايشك فى تحريمها ، وإن كان مباحا لاواجبا ولا حراما وكان فيه تعب بحيث لوعرف لجاز الاستئجار عليه فما يأخذه حلال مهما وفى بالغرض ، وهو جار مجرى الجعالة كقوله أوصل هذه القصة إلى يد فلان أو يد السلطان ولك دينار وكان بحيث يحتاج إلى تعب وعمل متقوم ، أو قال اقترح على فلان أن يعينني فى غرض كذا أو ينعم على بكذا وافتقر فى تنجيز غرضه إلى كلام طويل ، فذلك جعل كما يأخذه الوكيل بالخصومة بين يدى القاضى فليس بحرام إذا كان لايسعى فى حرام ، وإن كان مقصود يحصل بكلمة لاتعب فيها ولكن تلك الكلمة من ذى الجاه أو تلك الفعلة من ذى الجاه تفيد كقوله للبواب لاتغلق دونه باب السلطان أو كوضعه قصة بين يدى السلطان فقط ، فهذا حرام لأنه عوض من الجاه ، ولم يثبت فى الشرع جواز ذلك بل ثبت مايدل على النهى عنه ـ كما سيأتى فى هدايا الملوك ـ وإذا كان لايجوز العوض عن إسقاط الشفعة والرد بالعيب ودخول الأغصان فى هواء الملك وجملة من الأغراض مع كونها مقصودة فكيف يؤخذ عن الجاه ؟ ويقرب من هذا أخذ الطبيب العوض على كلمة واحدة ينبه بها على دواء ينفرد بمعرفته كواحد ينفرد بالعلم بنبت يقلع البواسير أو غيره فلا يذكره إلا بعوض فإن عمله بالتلفظ به غير متقوم كحبة من سمسم فلا يجوز أخذ العوض عليه ولا على علمه ، إذ ليس ينتقل علمه إلى غيره وإنما يحصل لغيره مثل علمه ويبقى هو عالما به ، ودون هذا : الحاذق فى الصناعة كالصيقلى مثلا الذى يزيل اعوجاج السيف أو المرآة بدقة واحدة لحسن معرفته بموضع الخلل ، ولحذقه بإصابته فقد يزيد بدقة واحدة مال كثير فى قيمة السيف والمرآة فهذا لا أرى بأسا بأخذ الأجرة عليه ، لأن مثل هذه الصناعات يتعب الرجل فى تعلمها ليكتسب بها ويخفف عن نفسه كثرة العمل .

الرابع : مايقصد به المحبة وجلبها من قبل المهدى إليه لالغرض معين ولكن طلبا للاستئناس وتأكيد للصحبة وتوددا إلى القلوب فذلك مقصود للعقلاء ومندوب إليه فى الشرع قال صلى الله عليه وسلم « تهادوا تحابوا [1] » وعلى الجملة فلا يقصد الإنسان فى الغالب أيضا محبة غيره لعين المحبة بل لفائدة فى محبته ولكن إذا لم تتعين تلك الفائدة ولم يتمثل فى نفسه غرض معين يبعثه فى الحال أو المآل سمى ذلك هدية وحل أخذها .

الخامس : أن يطلب التقرب إلى قلبه وتحصيل محبته لالمحبته ولا للأنس به من حيث إنه أنس فقط بل ليتوصل بجاهه إلى أغراض له ينحصر جنسها وإن لم ينحصر عينها وكان لولا جاهه وحشمته لكان لايهدى إليه ، فإن كان جاهه لأجل علم أو نسب فالأمر فيه أخف وأخذه مكروه فإن فيه مشابهة الرشوة ولكنها هدية فى ظاهرها ، فإن كان جاهه بولاية تولاها من قضاء أو عمل أو ولاية صدقة أو جباية مال أو غيره من الأعمال السلطانية حتى ولاية الأوقاف مثلا ، وكان لولا تلك الولاية لكان لايهدى إليه فهذه رشوة عرضت فى معرض الهدية إذ القصد

الباب السابع : فى مسائل متفرقة

(١) حديث « تهادوا تحابوا » أخرجه البيهقى من حديث أبى هريرة ، وضعفه ابن عدى .

بها فى الحال طلب التقرب واكتساب المحبة ولكن الأمر ينحصر فى جنسه إذ مايمكن التوصل إليه بالآيات لايخفى وآية أنه لايبغى المحبة أنه لو ولى فى الحال غيره لسلم المال إلى ذلك الغير ، فهذا مما اتفقوا على أن الكراهة فيه شديدة واختلفوا فى كونه حراما ، والمعنى فيه متعارضا فإنه دائر بين الهدية المحضة وبين الرشوة المبذوله فى مقابلة جاه فى غرض معين ، وإذا تعارضت المشابهة القياسية وعضدت الأخبار والآثار أحدهما تعين الميل إليه ، وقد دلت الأخبار على تشديد الأمر فى ذلك قال صلى الله عليه وسلم « يأتى على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البرىء لتوعظ به العامة [1] » ، وسئل ابن مسعود رضى الله عنه عن السحت فقال : يقضى الرجل الحاجة فتهدى له الهدية ولعله أراد قضاء الحاجة بكلمة لاتعب فيها أو تبرع بها لاعلى قصد أجرة ، فلايجوز أن يأخذ بعده شيئا فى معرض العوض ، شفع مسروق شفاعة فأهدى إليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال : لوعلمت مافى قلبك لما تكلمت فى حاجتك ولا أتكلم فيما بقى منها . وسئل طاوس عن هدايا السلطان فقال : سحت . وأخذ عمر رضى الله عنه ربح مال القراض الذى أخذه ولداه من بيت المال وقال : إنما أعطيتما لمكانكما منى إذ علم أنهما أعطيا لأجل جاه الولاية . وأهدت امرأة أبى عبيدة بن الجراح إلى خاتون ملكة الروم خلوقا فكافأتها بجوهر فأخذه عمر رضى الله عنه فباعه وأعطاها ثمن خلوقها ورد باقيه إلى بيت مال المسلمين . وقال جابر وأبو هريرة رضى الله عنهما : هدايا الملوك غلول . ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية قيل له « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية فقال : كان ذلك له هدية وهو لنا رشوة [2] » أى كان يتقرب إليه لنبوته لالولايته ونحن إنما نعطى للولاية . وأعظم من ذلك كله ما روى أبو حميد الساعدى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث واليا على صدقات الأزد فلما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك بعض مامعه وقال : هذا لكم وهذا لى هدية ، فقال عليه السلام : ألا جلست فى بيت أبيك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا ، ثم قال : مالى أستعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم وهذا لى هدية ألا جلس فى بيت أمه ليهدى له والذى نفسى بيده لايأخذ منكم أحد شيئا بغير حقه إلا أتى الله يحمله فلا يأتين أحدكم يوم القيامة ببعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ، ثم رفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه ، ثم قال : اللهم هل بلغت [3] » وإذا ثبتت هذه التشديدات فالقاضى والولى ينبغى أن يقدر نفسه فى بيت أمه وأبيه فما كان يعطى بعد العزل وهو فى بيت أمه يجوز له أن يأخذه فى ولايته ، ومايعلم أنه ، إنما يعطاه لولايته فحرام أخذه ، وما أشكل عليه فى هدايا أصدقائه أنهم هل كانوا يعطونه لو كان معزولا ؟ فهو شبهة فليجتنبه .

تم كتاب الحلال والحرام بحمد الله ومنه وحسن توفيقه والله أعلم

---

(١) حديث « يأتى على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة ، يقتل البرىء ليوعظ به العامة » لم أقف له على أصل . (٢) حديث : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية . أخرجه البخارى من حديث عائشة . (٣) حديث أبى حميد الساعدى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث واليا إلى صدقات الأزد لما جاء قال : هذا مالكم وهذا هدية لى . الحديث متفق عليه .

كتاب أداب الالفة والاخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق

وهو الكتاب الخامس من ربع العادات الثانى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص طولا وامتنانا . وألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانا . ونزع الغل من صدورهم فظلوا فى الدنيا أصدقاء وأخدانا . وفى الآخرة رفقاء وخلانا .

والصلاة والسلام على محمد المصطفى وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولا وفعلا وعدلا وإحسانا .

أما بعد : فإنّ التحاب فى الله تعالى والأخوة فى دينه من أفضل القربات ، وألطف مايستفاد من الطاعات فى مجارى العادات . ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين فى الله تعالى وفيها حقوق بمراعاتها تصفو الأخوة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان ، فبالقيام بحقوقها يتقرّب إلى الله زلفى وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى ، ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب فى ثلاثة أبواب (الباب الأوّل) فى فضيلة الألفة والأخوة فى الله تعالى وشروطها ودرجاتها وفوائدها . (الباب الثانى) فى حقوق الصحبة وآدابها وحقيقتها ولوازمها . (الباب الثالث) فى حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من قد بلى بهذه الأسباب .

الباب الأول : فى فضيلة الالفة والاخوة وفى شروطها ودرجاتها وفوائدها

فضيلة الألفة والأخوة

أعلم أنّ الألفة ثمرة حسن الخلق ، والتفرّق ثمرة سوء الخلق . فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر ، ومهما كان المثمر محمودا كانت الثمرة محمودة . وحسن الخلق لاتخفى فى الدين فضيلته وهو الذى مدح الله سبحانه به نبيه عليه السلام إذ قال ﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾ وقال النبى صلى الله عليه وسلم « أكثر مايدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق [1] » وقال أسامة بن شريك : قلنا يارسول الله ماخير ماأعطى الإنسان ؟ فقال : خلق حسن [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « بعثت لأتمم محاسن الإخلاق [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « أثقل مايوضع فى الميزان خلق حسن [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « ماحسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار [5] » وقال صلى الله علته وسلم « ياأباهريرة عليك بحسن الخلق ،

كتاب آداب الصحبة

الباب الأوّل : فى فضيلة الألفة والأخوة

(١) حديث « أول مايدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق » أخرجه الترمذى والحاكم من حديث أبى هريرة وقال : صحيح الإسناد وقد تقدم . (٢) حديث أسامة بن شريك : يارسول الله ، ماخير ماأعطى الإنسان ؟ قال « خلق حسن » أخرجه ابن ماجه بإسناد صحيح . (٣) حديث « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » رواه أحمد والبيهقى ، والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة

(٤) حديث « أثقل مايوضع فى الميزان خلق حسن » رواه أبو داود والترمذى من حديث أبى الدرداء وقال : حسن صحيح

(٥) حديث « ماحسن الله خلق امرئ وخلقه فتطعمه النار » أخرجه ابن عدى والطبرانى فى مكارم الأخلاق وفى الأوسط ، والبيهقى فى شعب الإيمان من حديث أبى هريرة . قال ابن عدى : فى إسناده بعض النكرة .

قال أبو هريرة رضى الله عنه : وما حسن الخلق يا رسول الله ؟ قال : تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك [١] » ولا يخفى أن ثمرة الخلق الحسن الألفة وانقطاع الوحشة ومهما طاب المثمر طابت الثمرة ، وكيف وقد ورد فى الثناء على نفس الألفة سيما إذا كانت الرابطة هى التقوى والدين وحب الله من الآيات والأخبار والآثار ما فيه كفاية ومقنع ، قال الله تعالى مظهرا عظيم منته على الخلق بنعمة الألفة ﴿ لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴾ وقال ﴿ فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ أى بالألفة ، ثم ذم التفرقة وزجر عنها فقال عز من قائل ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - إلى - لعلكم تهتدون ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ أقربكم منى مجلسا أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « المؤمن إلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم فى الثناء على الأخوة فى الدين « من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « مثل الأخوين إذ التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى وما التقى مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرا [٥] » وقال عليه السلام فى الترغيب فى الأخوة فى الله « من آخى أخا فى الله رفعه الله درجة فى الجنة لا ينالها بشىء من عمله [٦] » وقال أبو إدريس الخولانى لمعاذ : إنى أحبك فى الله ، فقال له : أبشر ثم أبشر فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة ، وجوههم كالقمر ليلة البدر ، يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فقيل : من هؤلاء يارسول الله ؟ فقال : هم المتحابون فى الله تعالى [٧] » ورواه أبو هريرة رضى الله عنه وقال فيه « إنّ حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء ، فقالوا ، يارسول الله صفهم لنا ؛ فقال : هم المتحابون فى الله والمتجالسون فى الله

---

(١) حديث « ياأبا هريرة عليك بحسن الخلق » قال : وماحسن الخلق ؟ قال « تصل من قطعك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتعطى من حرمك » رواه البيهقى فى الشعب من رواية الحسن عن أبى هريرة ولم يسمع منه . (٢) حديث « ان أقربكم منى مجلسا أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون » رواه الطبرانى فى مكارم الأخلاق من حديث جابر بسند ضعيف .

(٣) حديث « المؤمن الف مألوف ولاخير فيمن لايألف ولايؤلف » رواه أحمد والطبرانى من حديث سهل بن سعد ، والحاكم من حديث أبى هريرة وصححه . (٤) حديث « من أراد الله به خيرا رزقه أخا صالحا إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه » غريب بهذا اللفظ ، والمعروف أن ذلك فى الأمير ورواه أبو داود من حديث عائشة « إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه ... الحديث » ضعفه ابن عدى ، ولأبى عبد الرحمن السلمى فى آداب الصحبة من حديث على « من سعادة المرء أن يكون لإخوانه صالحين » . (٥) حديث « مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى » الحديث رواه السلمى فى آداب الصحبة ، وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس ، وفيه أحمد بن محمد بن غالب الباهلى كذاب ، وهو من قول سلمان الفارسى فى الأول من الحزبيات . (٦) حديث « من آخى أخا فى الله عزوجل رفعه الله درجة فى الجنة لاينالها بشىء من عمله » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الإخوان من حديث أنس « ما أحدث عبد أخا فى الله الا أحدث الله له درجة فى الجنة » واسناده ضعيف . (٧) حديث قال أبو ادريس الخولانى لمعاذ : انى أحبك فى الله فقال : أبشر ثم أبشر ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « تنصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة .. الحديث » أخرجه أحمد والحاكم فى حديث طويل : ان أبا ادريس قال : قلت والله انى لأحبك فى الله قال : فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان المتحابين بجلال الله فى ظل عرشه يوم لاظل الا ظله » قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ، وهو عند الترمذى من رواية أبى مسلم الخولانى عن معاذ بلفظ « المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء » قال حديث حسن صحيح ، ولأحمد من حديث أبى مالك الأشعرى « ان لله عباداً ليسوا بأنبياء ولاشهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على منازلهم وقربهم من الله ... الحديث » وفيه « تحابوا فى الله وتصافوا به يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فتجعل وجوههم نوراً وثيابهم نوراً يفزع الناس يوم القيامة ولايفزعون وهم أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون » وفيه شهر بن حوشب مختلف فيه .

والمتزاورون فى الله [١] » وقال صلى الله عليه وسلم « ماتحاب اثنان الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه [٢] » ويقال : إنّ الأخوين فى الله إذا كان أحدهما أعلى مقاما من الآخر رفع الآخر معه إلى مقامه وأنه يلتحق به كما تلتحق الذرية بالأبوين ، والأهل بعضهم ببعض لأن الأخوة إذا اكتسبت فى الله لم تكن دون أخوة الولادة . قال عز وجل ﴿ ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول حقت محبتى للذين يتزاورون من أجلى وحقت محبتى للذين يتحابون من أجلى وحقت محبتى للذين يتباذلون من أجلى وحقت محبتى للذين يتناصرون من أجلى [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لاظل إلا ظلى [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلاظله : إمام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال إنى أخاف الله تعالى ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « مازار رجل رجلا فى الله شوقا إليه ورغبة فى لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة [٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن رجلا زار أخا له فى الله ، فأرصد الله له ملكا فقال : أين تريد ؟ قال : أريد أن أزور أخى فلانا ، فقال : لحاجة لك عنده ؟ قال : لا ، قال : لقرابة بينك وبينه ؟ قال : لا ، قال : فبنعمة له عندك ؟ قال : لا ، قال : فبم ؟ قال أحبه فى الله قال . فإن الله أرسلنى إليك يخبرك بأنه يحبك لحبك إياه وقد أوجب لك الجنة [٧] » وقال صلى الله عليه وسلم « أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله [٨] » فلهذا يجب أن يكون للرجل أعداء يبغضهم فى الله كما يكون له أصدقاء وإخوان يحبهم فى الله . ويروى أن الله تعالى أوحى إلى نبى من الأنبياء : أما زهدك فى الدنيا فقد تعجلت الراحة وأما انقطاعك إلى فقد تعززت بى ولكن هل عاديت فى عدوا أوهل واليت فى وليا ؟ وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم لاتجعل لفاجر على منة فترزقه منى محبة [٩] » ويروى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام « لو أنك عبدتنى بعبادة أهل السماوات والأرض وحب فى الله ليس وبغض فى الله ليس ماأغنى عنك ذلك شيئا » وقال عيسى عليه السلام : تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصى وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم والتمسوا رضا الله بسخطهم » قالوا : ياروح الله فمن نجالس ؟ قال : جالسوا من تذكركم الله رؤيته ومن يزيد فى عملكم كلامه ومن يرغبكم فى الآخرة عمله . وروى فى الأخبار السالفة أن الله عز وجل أوحى إلى موسى

---

(١) حديث أبى هريرة « إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء ... الحديث » أخرجه النسائى فى سننه الكبرى ورجاله ثقات . (٢) حديث « ماتحاب اثنان فى الله الا كان أحبهم الى الله أشدهما حبا لصاحبه » أخرجه ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال : صحيح الإسناد .

(٣) حديث « إن الله يقول : حقت محبتى للذين يتزاورون من أجلى ، وحقت محبتى للذين يتحابون من أجلى ... الحديث » أخرجه أحمد من حديث عمرو بن عبسة وحديث عبادة بن الصامت ، ورواه الحاكم وصححه . (٤) حديث « إن الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالى ، اليوم أظلهم فى ظلى يوم لاظل إلا ظلى » أخرجه مسلم . (٥) حديث أبى هريرة « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلاظله إمام عادل : الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم . (٦) حديث « مازار رجل رجلا فى الله شوقا إليه ورغبة فى لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة » أخرجه ابن عدى من حديث أنس دون قوله « شوقا إليه ورغبة فى لقائه » وللترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة « من عاد مريضا أوزار أخا فى الله ناداه مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا » قال الترمذى : غريب . (٧) حديث « إن رجلا زار أخا له فى الله فأرصد الله له ملكا فقال : أين تريد ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة . (٨) حديث « أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله » رواه أحمد من حديث البراء بن عازب ، وفيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه . والخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف . (٩) حديث « اللهم لاتجعل لفاجر على منة ... الحديث » تقدم فى الكتاب الذى قبله .

عليه السلام . ياابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك إخوانا وكل خدن وصاحب لايوازرك على مسرتى فهو لك عدو وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام فقال : ياداود مالى أراك منتبذا وحيدا ؟ قال : إلهى قليت الخلق من أجلك ، فقال : ياداود كن يقظانا وارتد لنفسك أخدانا وكل خدن لايوافقك على مسرتى فلا تصاحبه فإنه لك عدو يقسى قلبك ويباعدك منى . وفى أخبار داود عليه السلام أنه قال : يارب كيف لى أن يحبنى الناس كلهم وأسلم فيما بينى وبينك ؟ قال : خالق الناس بأخلاقهم وأحسن فيما بينى وبينك . وفى بعضها : خالق أهل الدنيا بأخلاق الدنيا وخالق أهل الآخرة بأخلاق الآخرة . وقال النبى صلى الله عليه وسلم « إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم إلى الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الإخوان [1] » وقال صلى الله عليه ماسلم « إن لله ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول : اللهم كما ألفت بين الثلج والنار كذلك ألف بين قلوب عبادك الصالحين [2] » وقال أيضا « ما أحدث عبد أخا فى الله إلا أحدث له درجة فى الجنة [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « المتحابون فى الله على عمود من ياقوتة حمراء فى رأس العمود سبعون ألف غرفة يشرفون على أهل الجنة يضىء حسنهم لأهل الجنة كما تضىء الشمس لأهل الدنيا فيقول أهل الجنة : انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين فى الله فيضىء حسنهم لأهل الجنة كما تضىء الشمس ، عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم : المتحابون فى الله [4] » .

الآثار : قال على رضى الله عنه : عليكم بالإخوان فإنهم عدة فى الدنيا والآخرة ألا تسمع إلى قول أهل النار ﴿ فمالنا من شافعين ولا صديق حميم ﴾ وقال عبدالله بن عمر رضى الله عنهما : والله لو صمت النهار لا أفطره وقمت الليل لا أنامه وأنفقت مالى غلقا غلقا فى سبيل الله أموت يوم أموت وليس فى قلبى حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله مانفعنى ذلك شيئا . وقال ابن السماك عند موته : اللهم إنك تعلم أنى إذا كنت أعصيك كنت أحب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لى إليك . وقال الحسن ـ على ضده ـ ياابن آدم لايغرنك قول من يقول المرء مع من أحب فإنك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم . وهذه إشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة فى بعض الأعمال أو كلها لا ينفع وقال الفضيل فى بعض كلامه : هاه ! تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن فى داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ؟ بأى عمل عملته ؟ بأى شهوة تركتها ؟ بأى غيظ كظمته ؟ بأى رحم قاطع وصلتها ؟ بأى زلة لأخيك غفرتها ؟ بأى قريب باعدته فى الله ؟ بأى بعيد قاربته فى الله ؟ ويروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام : هل عملت لى عملا قط ؟ فقال : إلهى إنى صليت لك وصمت وتصدقت وزكيت ، فقال : إن الصلاة لك برهان والصوم جنة والصدقة ظل والزكاة نور فأى عمل عملت لى قال موسى إلهى دلنى على عمل هو لك ؟ قال : ياموسى هل واليت لى وليا قط ؟ وهل عاديت فى عدوا قط ؟ فعلم موسى أن أفضل الأعمال الحب فى الله والبغض فى الله . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : لو أن رجلا قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنه لبعثه الله يوم القيامة مع من يحب . وقال الحسن رضى الله عنه : مصارمة الفاسق قربان إلى الله وقال رجل لمحمد بن واسع : انى لأحبك فى الله ، فقال : أحبك الذى أحببتنى له . ثم حول وجهه وقال : اللهم انى

---

(١) حديث « إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط والصغير من حديث أبى هريرة بسند ضعيف . (٢) حديث « إن لله ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول . اللهم كما ألفت بين الثلج والنار كذلك ألف بين قلوب عبادك الصالحين » رواه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب العظمة من حديث معاذ بن جبل والعرباض بن سارية بسند ضعيف

(٣) حديث « ماأحدث عبد أخا فى الله تعالى إلا أحدث الله له درجة فى الجنة » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الإخوان من حديث أنس وقد تقدم . (٤) حديث « المتحابون فى الله على عمود من ياقوتة حمراء فى رأس العمود سبعون ألف غرفة ... الحديث » رواه الحكيم الترمذى فى النوادر من حديث ابن مسعود بسند ضعيف .

أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لى مبغض . ودخل رجل على داود الطائى فقال له : ماحاجتك ؟ فقال : زيارتك ، فقال : أماأنت فقدعملت خيرا حين زرت ، ولكن انظر ماذا ينزل بى أنا إذا قيل لى : من أنت فتزار ؟ أمن الزهاد أنت ؟ لاوالله ، أمن العبادانت ؟ لاوالله أمن الصالحين أنت ؟ لاوالله . ثم أقبل يوبخ نفسه ويقول : كنت فى الشبيبة فاسقا فلما شخت صرت مرائيا والله للمرائى شر من الفاسق وقال عمر رضى الله عنه : إذا أصاب أحدكم ودا من أخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك . وقال مجاهد : المتحابون فى الله إذا التقوا فكشر بعضهم إلى بعض تتحات عنهم الخطايا كما يتحات ورق الشجر فى الشتاء إذا يبس . وقال الفضيل : نظر الرجل إلى وجه أخيه على المودة والرحمة عبادة.

بيان معنى الأخوة فى الله وتمييزها من الأخوة فى الدنيا

اعلم أن الحب فى الله والبغض فى الله غامض وينكشف الغطاء عنه بما نذكره : وهو أن الصحبة تنقسم إلى مايقع بالاتفاق ، كالصحبة بسبب الجوار أو بسبب الاجتماع فى المكتب أو فى المدرسة أو فى السوق أو على باب السلطان أو فى الأسفار ، وإلى ماينشأ اختيارا ويقصد ، وهو الذى نريد بيانه إذ الأخوة فى الدين واقعة فى هذا القسم لامحالة إذ لاثواب إلا على الأفعال الاختيارية ولا ترغيب إلا فيها . والصحبة عبارة عن المجالسة والمجاورة . وهذه الأمور لايقصد الإنسان بها غيره إلا إذا أحبه فإن غير المحبوب يجتنب ويباعد ولا تقصد مخالطته ، والذى يحب فإما أن يحب لذاته لا ليتوصل به إلى محبوب ومقصود وراءه وإما أن يحب للتوصل به إلى مقصود ، وذلك المقصود إما أن يكون مقصورا على الدنيا وحظوظها وإما أن يكون متعلقا بالآخرة وإما أن يكون متعلقا بالله تعالى فهذه أربعة أقسام :

أماالقسم الأول وهو حبك الإنسان لذاته فذلك ممكن وهو أن يكون فى ذاته محبوبا عندك على معنى أنك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة أخلاقه لاستحسانك له ، فإن كل جميل لذيذ فى حق من أدرك جماله وكل لذيذ محبوب . واللذة تتبع الاستحسان والاستحسان يتبع المناسبة والملاءمة والموافقة بين الطباع ، ثم ذلك المستحسن إما أن يكون هو الصورة الظاهرة أعنى حسن الخلقة وإما أن يكون هو الصورة الباطنة أعنى كمال العقل وحسن الأخلاق ، ويتبع حسن الأخلاق حسن الأفعال لامحالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم ، وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل المستقيم ، وكل مستحسن فمستلذ به ومحبوب ، بل فى ائتلاف القلوب أمر أغمض من هذا فإنه قد تستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحة فى صورة ولاحسن فى خلق وخلق ولكن لمناسبة توجب الألفة والموافقة فإن شبه الشىء ينجذب إليه بالطبع ، والأشياء الباطنة خفية ولها أسباب دقيقة ليس فى قوة البشر الاطلاع عليها ، عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك حيث قال « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف [1] » فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف نتيجة التناسب الذى عبر عنه بالتعارف . وفى بعض الألفاظ « الأرواح جنود مجندة تلتقى فتتشام فى الهواء [2] » وقد كنى بعض العلماء عن هذا بأن قال : إن الله تعالى خلق الأرواح ففلق بعضها فلقا وأطافها حول العرش فأى روحين من فلقتين تعارفا هناك فالتقيا تواصلا فى الدنيا . وقال صلى الله عليه وسلم « إن أرواح المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه قط [3] » وروى « أن امرأة بمكة كانت تضحك

(١) حديث « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة والبخارى تعليقا من حديث عائشة . (٢) حديث « الأرواح تلتقى فتتشام فى الهواء » أخرجه الطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف من حديث على « إن الأرواح فى الهواء جند مجندة تلتقى فتتشام ... الحديث » . (٣) حديث « إن أرواح المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه قط » أخرجه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ « تلتقى » وقال « أحدهم » وفيه ابن لهيعة عن دراج

النساء وكانت بالمدينة أخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عائشة رضى الله عنها فأضحكتها ، فقالت : أين نزلت ؟ فذكرت لها صاحبتها ، فقالت : صدق الله ورسوله [1] سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الأرواح جنود مجندة ... الحديث » والحق فى هذا أن المشاهدة والتجربة تشهد للائتلاف عند التناسب والتناسب فى الطباع والأخلاق باطنا وظاهرا أمر مفهوم . وأما الأسباب التى أوجبت تلك المناسبة فليس فى قوة البشر الاطلاع عليها ، وغاية هذيان المنجم أن يقول ، إذا كان طالعه على تسديس طالع غيره أو تثليثه فهذا نظر الموافقة والمودة فتقتضى التناسب والتواد ، وإذا كان على مقابلته أو تربيعه اقتضى التباغض والعداوة . فهذا لو صدق بكونه كذلك فى مجارى سنة الله فى خلق السموات والأرض لكن الإشكال فيه أكثر من الإشكال فى أصل التناسب ، فلا معنى للخوض فيما لم يكشف سره للبشر فما أوتينا من العلم إلا قليلا ، ويكفينا فى التصديق بذلك التجربة والمشاهدة فقد ورد الخبر به قال صلى الله عليه وسلم « لو أن مؤمنا دخل إلى مجلس فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه ، ولو أن منافقا دخل إلى مجلس فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس إليه [2] » وهذا يدل على أن شبه الشىء منجذب إليه بالطبع وإن كان هو لا يشعر به وكان مالك بن دينار يقول : لا يتفق اثنان فى عشرة إلا وفى أحدهما وصف من الآخر ، وإن أجناس الناس كأجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير فى الطيران إلا وبينهما مناسبة ، قال فرأى يوما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك فقال : اتفقا وليسا من شكل واحد ، ثم طارا فإذا هما أعرجان فقال : من ههنا اتفقا ؛ ولذلك قال بعض الحكماء : كل إنسان يأنس إلى شكله كما أن كل طير يطير مع جنسه ، وإذا اصطحب اثنان برهة من زمان ولم يتشاكلا فى الحال فلا بد أن يفترقا ، وهذا معنى خفى تفطن له الشعراء حتى قال قائلهم :

وقائل كيف تفارقتما فقلت قولا فيه إنصاف
لم يك من شكلى ففارقته والناس أشكال وألاف

فقد ظهر من هذا أن الإنسان قد يحب لذاته لا لفائدة تنال منه فى حال أو مآل بل لمجرد المجانسة والمناسبة فى الطباع الباطنة والأخلاق الخفية . ويدخل فى هذا القسم الحب للجمال إذا لم يكن المقصود قضاء الشهوة فإن الصور الجميلة مستلذة فى عينها وإن قدر فقد أصل الشهوة حتى يستلذ النظر إلى الفواكه والأنوار والأزهار والتفاح المشرب بالحمرة وإلى الماء الجارى والخضرة من غير غرض سوى عينها . وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله بل هو حب بالطبع وشهوة النفس ، ويتصور ذلك ممن لا يؤمن بالله إلا أنه إن اتصل به غرض مذموم صار مذموما كحب الصورة الجميلة لقضاء الشهوة حيث لا يحل قضاؤها . وإن لم يتصل به غرض مذموم فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم « إذ الحب إما محمود وإما مذموم وإما مباح لا يحمد ولا يذم .

القسم الثانى : أن يحبه لينال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة إلى محبوب غيره والوسيلة إلى المحبوب محبوب ، وما يحب لغيره كان ذلك الغير هو المحبوب بالحقيقة . ولكن الطريق إلى المحبوب محبوب ولذلك أحب الناس الذهب

---

(١) حديث : ان امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة أخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عائشة فذكرت حديث « الأرواح جنود مجندة » أخرجه الحسن بن سفيان فى مسنده بالقصة بسند حسن ، وحديث عائشة عند البخارى تعليقا مختصرا أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان موقوفا على ابن مسعود ، وذكره صاحب الفردوس من حديث معاذ بن جبل ، ولم يخرجه ولده فى المسند .

والفضة ولا غرض فيهما إذ لا يطعم ولا يلبس ولكنهما وسيلة إلى المحبوبات فمن الناس من يحب كما يحب الذهب والفضة من حيث إنه وسيله إلى المقصود إذ يتوصل به إلى نيل جاه أو مال أو علم كما يحب الرجل سلطانا لانتفاعه بماله أو جاهه ويحب خواصه لتحسينهم حاله عنده وتمهيدهم أمره فى قلبه ، فالمتوسل إليه إن كان مقصور الفائدة على الدنيا لم يكن حبه من جملة الحب فى الله ، وإن لم يكن مقصور الفائدة على الدنيا ولكنه ليس يقصد به إلا الدنيا كحب التلميذ لأستاذه فهو أيضا خارج عن الحب لله فإنه إنما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه فمحبوبه العلم ، فإذا كان لا يقصد العلم للتقرب إلى الله بل لينال به الجاه والمال والقبول ، عند الخلق فمحبوبه الجاه والقبول ، والعلم وسيلة إليه والأستاذ وسيلة إلى العلم ، فليس فى شىء من ذلك حب لله إذ لا يتصور كل ذلك ممن لا يؤمن بالله تعالى أصلا . ثم ينقسم هذا أيضا إلى مذموم ومباح فإن كان يقصد به التوصل إلى مقاصد مذمومة من قهر الأقران وحيازة أموال اليتامى وظلم الرعاة بولاية القضاء أو غيره كان الحب مذموما ، وإن كان يقصد به التوصل إلى مباح وإنما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من المقصد المتوصل إليه فإنها تابعة له غير قائمة بنفسها .

القسم الثالث : أن يحبه لا لذاته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعا إلى حظوظه فى الدنيا بل يرجع إلى حظوظه فى الآخرة فهذا أيضا ظاهر لا غموض فيه ، وذلك كمن يحب أستاذه وشيخه لأنه يتوصل به إلى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز فى الآخرة فهذا من جملة المحبين فى الله ، وكذلك من يحب تلميذه لأنه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويرقى به إلى درجة التعظيم فى ملكوت السماء ، إذ قال عيسى صلى الله عليه وسلم من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما فى ملكوت السماء . ولا يتم التعليم إلا بمتعلم فهو إذن آلة فى تحصيل هذا الكمال ، فإن أحبه لأنه آلة له إذ جعل صدره مزرعة لحرثه الذى هو سبب ترقيه إلى رتبة التعظيم فى ملكوت السماء فهو محب فى الله ، بل الذى يتصدق بأمواله لله ويجمع الضيفان ويهيئ لهم الأطعمة اللذيذة الغريبة تقربا إلى الله فأحب طباخا لحسن صنعته فى الطبخ فهو من جملة المحبين فى الله ، وكذا لو أحب من يتولى له إيصال الصدقة إلى المستحقين فقد أحبه فى الله ، بل نزيد على هذا ونقول : إذا أحب من يخدمه بنفسه فى غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه ويفرغه بذلك للعلم أو العمل ومقصوده من استخدامه فى هذه الأعمال الفراغ للعبادة فهو محب فى الله ، بل نزيد عليه ونقول : إذا أحب من ينفق عليه من ماله ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه وجميع أغراضه التى يقصدها فى دنياه ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل المقرب إلى الله فهو محب فى الله . فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفايتهم جماعة من أولى الثروة وكان المواسى والمواسى جميعا من المتحابين فى الله ، بل نزيد عليه ونقول : من نكح امرأة صالحة ليتحصن بها عن وسواس الشيطان يصون بها دينه أو ليولد منها له ولد صالح يدعو له وأحب زوجته لأنها آلة إلى هذه المقاصد الدينية فهو محب فى الله . ولذلك وردت الأخبار بوفور الأجر والثواب على الإنفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل فى فى امرأته [1] بل نقول : كل من استهتر بحب الله وحب رضاه وحب لقائه فى الدار الآخرة فإذا أحب غيره كان محبا فى الله لأنه لا يتصور أن يحب شيئا إلا لمناسبته لما هو محبوب عنده وهو رضا الله عزوجل ، بل أزيد على هذا وأقول : إذا اجتمع فى قلبه محبتان محبة الله ومحبة الدنيا واجتمع فى شخص واحد المعنيان جميعا حتى صلح لأن يتوسل به إلى الله وإلى الدنيا فإذا أحبه لصلاحه للأمرين فهو من المحبين فى الله ، كمن يحب أستاذه الذى يعلمه الدين ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة فى المال فأحبه من حيث إنّ فى طبعه طلب الراحة فى الدنيا

(١) حديث « الأجر فى الانفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل فى فى امرأته » تقدم .

والسعادة فى الآخرة فهو وسيله إليهما فهو محب فى الله ، وليس من شرط حب الله أن لايحب فى العاجل حظا ألبتة إذ الدعاء الذى أمر به الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه فيه جمع بين الدنيا والآخرة ومن ذلك قولهم ﴿ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة﴾ وقال عيسى عليه السلام فى دعائه : اللهم لاتشمت بى عدوى ولاتسؤ بى صديق ولاتجعل مصيبتى لدينى ولاتجعل الدنيا أكبر همى فدفع شماتة الأعداء من حظوظ الدنيا ، ولم يقل : ولاتجعل الدنيا أصلا من همى ، بل قال : لاتجعلها أكبر همى . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم فى دعائه « اللهم إنى أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة [1] » وقال « اللهم عافنى من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة [2] » وعلى الجملة فإذا لم يكن حب السعادة فى الآخرة مناقضا لحب الله تعالى فحب السلامة والصحة والكفاية والكرامة فى الدنيا كيف يكون مناقضا لحب الله؟ والدنيا والآخرة عبارة عن حالتين إحداهما أقرب من الأخرى فكيف يتصور أن يحب الإنسان حظوظ نفسه غدا ولايحبها اليوم ؟ وإنما يحبها غدا لأن الغد سيصير حالا راهنة فالحالة الراهنة لابد أن تكون مطلوبة أيضا ، إلا أن الحظوظ العاجلة منقسمة إلى مايضاد حظوظ الآخرة ويمنع منها وهى التى احترز عنها الأنبياء والأولياء وأمروا بالاحتراز عنها وإلى مالايضاد وهى التى لم يمتنعوا منها كالنكاح الصحيح وأكل الحلال وغير ذلك ، فما يضاد حظوظ الآخرة فحق العاقل أن يكرهه ولايحبه أعنى أن يكرهه بعقله لابطبعه ، كما يكره التناول من طعام لذيذ لملك من الملوك يعلم أنه لو أقدم عليه لقطعت يده أو حزت رقبته لابمعنى أن الطعام اللذيذ يصير بحيث لايشتهيه بطبعه ولا يستلذه لو أكله فإن ذلك محال ، ولكن على معنى أنه يزجره عقله عن الإقدام عليه وتحصل فيه كراهة الضرر المتعلق به . والمقصود من هذا أنه لو أحب أستاذه لأنه يواسيه ويعلمه أو تلميذه لأنه يتعلم منه ويخدمه وأحدهما حظ عاجل والآخر آجل لكان فى زمرة المتحابين فى الله ، ولكن بشرط واحد وهو أن يكون بحيث لو منعه العلم مثلا أو تعذر عليه تحصيله منه لنقص حبه بسببه فالقدر الذى ينقص بسبب فقده هو لله تعالى ، وله على ذلك القدر ثواب الحب فى الله وليس بمستنكر أن يشتد حبك لإنسان لجملة أغراض ترتبط لك به فإن امتنع بعضها نقص حبك وإن زاد زاد الحب ، فليس حبك الذهب كحبك للفضة إذا تساوى مقدارهما لأن الذهب يوصل إلى أغراض هى أكثر مما توصل إليه الفضة ، فإذن يزيد الحب بزيادة الغرض ولا يستحيل اجتماع الأغراض الدنيوية والأخروية فهو داخل فى جملة الحب لله . وحده هو أن كل حب لولا الإيمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو حب فى الله ، وكذلك كل زيادة فى الحب لولا الإيمان بالله لم تكن تلك الزياده فتلك الزيادة من الحب فى الله فذلك وإن دق فهو عزيز . قال الجريرى : تعامل الناس فى القرن الأول بالدين حتى رق الدين وتعاملوا فى القرن الثانى بالوفاء حتى ذهب الوفاء وفى الثالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة ولم يبق إلا الرهبة والرغبة .

القسم الرابع : أن يحب لله وفى الله لالينال منه علما أو عملا أو يتوسل به إلى أمر وراء ذاته وهذا أعلى الدرجات وهو أدقها وأغمضها ، وهذا القسم أيضا ممكن فإن من آثار غلبة الحب أن يتعدى من المحبوب الى كل من يتعلق بالمحبوب ويناسبه ولو من بعد ، فمن أحب انسانا حبا شديدا أحب محب ذلك الإنسان وأحب محبوبه وأحب من يخدمه وأحب من يثنى عليه محبوبه وأحب من يتسارع إلى رضا محبوبه ، حتى قال بقية بن الوليد : إن المؤمن إذا أحب المؤمن أحب كلبه ؛ وهو كما قال : ويشهد له التجربة فى أحوال العشاق ويدل عليه أشعار الشعراء ولذلك يحفظ

---

(١) حديث « اللهم انى أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة » أخرجه الترمذى من حديث ابن عباس فى الحديث الطويل فى دعائه صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الليل وقد تقدم . (٢) حديث « اللهم عافنى من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة » أخرجه أحمد من حديث بشر بن أبى أرطاة نحوه بسند جيد .

ثوب المحبوب ويخفيه تذكرة من جهته ويحب منزله ومحلته وجيرانه حتى قال مجنون بنى عامر :

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وماحب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديارا

فإذن المشاهدة والتجربة تدل على أن الحب يتعدى من ذات المحبوب إلى مايحيط به ويتعلق بأسبابه ويناسبه ولو من بعد ؛ ولكن ذلك من خاصية فرط المحبة فأصل المحبة لايكفى فيه ويكون اتساع الحب فى تعديه من المحبوب إلى مايكتنفه ويحيط به ويتعلق بأسبابه بحسب إفراط المحبة وقوتها ، وكذلك حب الله سبحانه وتعالى إذا قوى وغلب على القلب واستولى عليه حتى انتهى إلى حد الاستهتار فيتعدى إلى كل موجود سواه ، فإن كل موجود سواه أثر من آثار قدرته ومن أحب إنسانا أحب صنعته وخطه وجميع أفعاله ، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم إذا حمل إليه باكورة من الفواكه مسح بها عينيه وأكرمها وقال : إنه قريب العهد بربنا [1] وحب الله تعالى تارة يكون لصدق الرجاء فى مواعيده ومايتوقع فى الآخرة من نعيمه ، وتارة لما سلف من أياديه وصنوف نعمته ، وتارة لذاته لالأمر آخر وهو أدق ضرب المحبة وأعلاها ـ وسيأتى تحقيقها فى كتاب المحبة من ربع المنجيات إن شاء الله تعالى ـ وكيفما اتفق حب الله فإذا قوى تعدى إلى كل متعلق به ضربا من التعلق حتى يتعدى إلى ماهو فى نفسه مؤلم مكروه ولكن فرط الحب يضعف الإحساس بالألم والفرح بفعل المحبوب وقصده إياه بالإيلام يغمر إدراك الألم ، وذلك كالفرح بضربة من المحبوب أو قرصة فيها نوع معاتبة فإن قوة المحبة تثير فرحا يغمر إدراك الألم فيه وقد انتهت محبة الله بقوم إلى أن قالوا لانفرق بين البلاء والنعمة فإن الكل من الله ولا نفرح إلا بما فيه رضاه حتى قال بعضهم لا أريد أن أنال مغفرة الله بمعصية الله . وقال سمنون :

وليس لى فى سواك حظ فكيفما شئت فاختبرنى

وسيأتى تحقيق ذلك فى كتاب المحبة . والمقصود أن حب الله إذ قوى أثمر حب كل من يقوم بحق عبادة الله فى علم أو عمل وأثمر حب كل من فيه صفة مرضية عند الله من خلق حسن أو تأدب بآداب الشرع . وما من محب للآخرة ومحب لله إلا إذا أخبر عن حال رجلين أحدهما عالم عابد والآخرة جاهل فاسق إلا وجد فى نفسه ميلا إلى العالم العابد ، ثم يضعف ذلك الميل ويقوى بحسب ضعف إيمانه وقوته وبحسب ضعف حبه لله وقوته وهذا الميل حاصل وإن كانا غائبين عنه بحيث يعلم أنه لايصيبه منهما خير ولا شر فى الدنيا ولافى الآخرة ، فذلك الميل هو حب فى الله ولله من غير حظ فإنه إنما يحبه لأن الله يحبه ولأنه مرضى عند الله تعالى ولأنه يحب الله تعالى ولأنه مشغول بعبادة الله تعالى إلا أنه إذا ضعف لم يظهر أثره ولا يظهر به ثواب ولا أجر ، فإذا قوى حمل على الموالاة والنصرة والذب بالنفس والمال واللسان وتتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم فى حب الله عز وجل ، ولو كان الحب مقصورا على حظ ينال من المحبوب فى الحال أو المآل لما تصور حب الموتى من العلماء والعباد ومن الصحابة والتابعين بل من الأنبياء المنقرضين صلوات الله عليهم وسلامه ، وحب جميعهم مكنون فى قلب كل مسلم متدين ، ويتبين ذلك بغضبه عند طعن أعدائهم فى واحد منهم ويفرحه عند الثناء عليهم وذكر محاسنهم وكل ذلك حب لله لأنهم خواص عباد الله

(١) حديث : كان اذا حمل اليه باكورة من الفواكه مسح بها عينيه وأكرمها وقال انها قريب عهد بربها . أخرجه الطبرانى فى الصغير من حديث ابن عباس ، وأبو داود فى المراسيل ، والبيهقى فى الدعوات من حديث أبى هريرة دون قوله « وأكرمها . . . الخ » وقال : إنه غير محفوظ ، وحديث أبى هريرة فى الباكورة عند بقية أصحاب السنن دون : مسح عينيه بها وما بعده ، وقال الترمذى حسن صحيح .

ومن أحب ملكا أو شخصا جميلا أحب خواصه وخدمه وأحب من أحبه إلا أنه يمتحن الحب بالمقابلة بحظوظ النفس وقد يغلب بحيث لا يبقى للنفس حظ إلا فيما هو حظ المحبوب ، وعنه عبر قول من قال :

أريد وصاله ويريد هجرى فأترك ما أريد لما يريد

وقول من قال * وما الجرح إذا أرضاكم ألم * وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الحظوظ دون بعض كمن تسمح نفسه بأن يشاطر محبوبه فى نصف ماله أو فى ثلثه أو فى عشره فمقادير الأموال موازين المحبة إذ لا تعرف درجة المحبوب إلا بمحبوب يترك فى مقابلته ؛ فمن استغرق الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب سواه فلا يمسك لنفسه شيئا مثل أبى بكر الصديق رضى الله عنه فإنه لم يترك لنفسه أهلا ولا مالا فسلم ابنته التى هى قرة عينه وبذل جميع ماله . قال ابن عمر رضى الله عنهما « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خللها على صدره بخلال إذ نزل جبريل عليه السلام فاقرأه عن الله السلام وقال له : يا رسول الله ما لى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال ؟ فقال : أنفق ماله على قبل الفتح ، قال : فأقره من الله السلام وقل له يقول لك ربك أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط ؟ قال : فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم إلى أبى بكر وقال : يا أبا بكر هذا جبريل يقرئك السلام من الله ويقول أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط ؟ قال : فبكى أبو بكر رضى الله عنه وقال : أعلى ربى أسخط أنا عن ربى راض [1] » . فحصل من هذا أن كل من أحب عالما أو عابدا أو أحب شخصا راغبا فى علم أو فى خير فإنما أحبه فى الله ولله وله فيه من الأجر والثواب بقدر قوة حبه ، فهذا شرح الحب فى الله ودرجاته وبهذا يتضح البغض فى الله أيضا ولكن نزيده بيانا.

بيان البغض فى الله

اعلم أن كل من يحب فى الله لابد أن يبغض فى الله فإنك إن أحببت إنسانا لأنه مطيع لله ومحبوب عند الله فإن عصاه فلابد أن تبغضه لأنه عاص لله ومقوت عند الله ، ومن أحب بسبب فبالضرورة يبغض لضده وهذان متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر وهو مطرد فى الحب والبغض فى العادات ولكن كل واحد من الحب والبغض داء دفين فى القلب ، وإنما يترشح عند الغلبة ويترشح بظهور أفعال المحبين والمبغضين فى المقاربة والمباعدة وفى المخالفة والموافقة فإذا ظهر فى الفعل سمى موالاة ومعاداة ، ولذلك قال الله تعالى : هل واليت فى وليا وهل عاديت فى عدوا ؟ كما نقلناه ، وهذا واضح فى حق من لم يظهر لك إلا طاعاته تقدر على أن تحبه أو لم يظهر لك إلا فسقه وفجوره وأخلاقه السيئة فتقدر على أن تبغضه ، وإنما المشكل إذا اختلطت الطاعات بالمعاصى فإنك تقول كيف أجمع بين البغض والمحبة وهما متناقضان ؟ وكذلك تتناقض ثمرتهما من الموافقة والمخالفة والموالاة والمعاداة وأقول ذلك غير متناقض فى حق الله تعالى كما لا يتناقض فى الحظوظ البشرية ؛ فإنه مهما اجتمع فى شخص واحد خصال يحب بعضها ويكره بعضها فإنك تحبه من وجه وتبغضه من وجه ، فمن زوجة حسناء فاجرة أو ولد ذكى خدوم ولكنه فاسق فإنه يحبه من وجه ويبغضه من وجه ويكون معه على حالة بين حالتين ، إذ لو فرض له ثلاثة أولاد أحدهم ذكى بار والآخر بليد عاق والآخر بليد بار أو ذكى عاق فإنه يصادف نفسه معهم على ثلاثة أحوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم ، فكذلك ينبغى أن تكون حالك بالإضافة إلى من غلب عليه الفجور ومن غلبت

(١) حديث ابن عمر : بينما النبى صلى الله عليه وسلم جالس وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خللها على صدره بخلال فنزل جبريل فاقرأه من ربه السلام .. الحديث . أخرجه ابن حبان والعقيلى فى الضعفاء ، قال الذهبى فى الميزان : هو كذب .

عليه الطاعة ومن اجتمع فيه كلاهما متفاوتة على ثلاث مراتب ، وذلك بأن تعطى كل صفة حظها من البغض والحب والإعراض والإقبال والصحبة والقطيعة وسائر الأفعال الصادرة منه .

* فإن قلت : كل مسلم فإسلامه طاعة منه فكيف أبغضه مع الإسلام ؟ فأقول : تحبه لإسلامه وتبغضه لمعصيته وتكون معه على حالة لو قستها بحال كافر أو فاجر أدركت تفرقة بينهما وتلك التفرقة حب للإسلام وقضاء لحقه وقدر الجناية على حق الله والطاعة له كالجناية على حقك والطاعة لك . فمن وافقك على غرض وخالفك فى آخر فكن معه على حالة متوسطة بين الانقباض والاسترسال وبين الإقبال والإعراض وبين التودد إليه والتوحش عنه ، ولا تبالغ فى إكرامه مبالغتك فى إكرام من يوافقك على جميع أغراضك ، ولا تبالغ فى إهانته مبالغتك فى إهانة من خالفك فى جميع أغراضك . ثم ذلك التوسط تارة يكون ميله إلى طرف الإهانة عند غلبة الجناية وتارة إلى طرف المجاملة والإكرام عند غلبة الموافقة ؛ فهكذا ينبغى أن يكون فيمن يطيع الله تعالى ويعصيه ويتعرض لرضاه مرة ولسخطه أخرى .

* فإن قلت : فبماذا يمكن إظهار البغض؟ فأقول أما فى القول فبكف اللسان عن مكالمته ومحادثته مرة وبالاستخفاف والتغليظ فى القول أخرى . وأما فى الفعل فبقطع السعى فى إعانته مرة وبالسعى فى إساءته وإفساد مآربه أخرى . وبعض هذا أشد من بعض وهى بحسب درجات الفسق والمعصية الصادرة منه . أما ما يجرى مجرى الهفوة التى يعلم أنه متندم عليها ولا يصر عليها فالأولى فيه الستر والإغماض . أما ما أصر عليه من صغيرة أو كبيرة فإن كان ممن تأكدت بينك وبينه مودة وصحبة وأخوة فله حكم آخر ـ وسيأتى وفيه خلاف بين العلماء ـ وأما إذا لم تتأكد أخوة وصحبة فلا بد من إظهار أثر البغض إما فى الإعراض والتباعد عنه وقلة الالتفات إليه وإما فى الاستخفاف وتغليظ القول عليه . وهذا أشد من الإعراض وهو بحسب غلظ المعصية وخفتها ، وكذلك فى الفعل أيضا رتبتان ؛ إحداهما : قطع المعونة والرفق والنصرة عنه وهو أقل الدرجات ، والأخرى : السعى فى إفساد أغراضه عليه كفعل الأعداء المبغضين ، وهذا لابد منه ولكن فيما يفسد عليه طريق المعصية . أما ما لا يؤثر فيه فلا ، مثاله رجل عصى الله بشرب الخمر وقد خطب امرأة لو تيسر له نكاحها لكان مغبوطا بها بالمال والجمال والجاه إلا أن ذلك لا يؤثر فى منعه من شرب الخمر ولا فى بعث وتحريض عليه ، فإذا قدرت على إعانته ليتم له غرضه ومقصوده وقدرت على تشويشه ليفوته غرضه فليس لك السعى فى تشويشه . أما الإعانة فلو تركتها إظهارا للغضب عليه فى فسقه فلا بأس ، وليس يجب تركها إذ ربما يكون لك نية فى أن تتلطف بإعانته وإظهار الشفقة عليه ليعتقد مودتك ويقبل نصحك فهذا حسن ، وإن لم يظهر لك ولكن رأيت أن تعينه على غرضه قضاء لحق إسلامه فذلك ليس بممنوع بل هو الأحسن إن كانت معصيته بالجناية على حقك أو حق من يتعلق بك . وفيه نزل قوله تعالى ﴿ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ إذ تكلم مسطح بن أثاثة فى واقعة الإفك [1] فحلف أبو بكر أن يقطع عنه رفقه ـ وقد كان يواسيه بالمال ـ فنزلت الآية مع عظم معصية مسطح ، وأية معصية تزيد على التعرض لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإطالة اللسان فى مثل عائشة رضى الله عنها ، إلا أن الصديق رضى الله عنه كان كالمجنى عليه فى نفسه بتلك الواقعة والعفو عمن ظلم والإحسان إلى من أساء من أخلاق الصديقين . وإنما يحسن الإحسان إلى من ظلمك ، فأما من ظلم غيرك وعصى الله به فلا يحسن إحسانك إليه لأن فى الإحسان إلى الظالم إساءة إلى المظلوم

(١) حديث : كلام مسطح فى الإفك وهجر أبى بكر له حتى نزلت : ولا يأتل أولوا الفضل منكم . الآية . متفق عليه من حديث عائشة .

وحق المظلوم أولى بالمراعاة وتقوية قلبه بالإعراض عن الظالم أحب إلى الله من تقوية قلب الظالم فأما إذا كنت أنت المظلوم فالأحسن فى حقك العفو والصفح وطرق السلف قد اختلفت فى إظهار البغض مع أهل المعاصى وكلهم اتفقوا على إظهار البغض للظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله بمعصية متعدية منه إلى غيره ، فأما من عصى الله فى نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة إلى العصاة كلهم ، ومنهم من شدد الإنكار واختار المهاجرة . فقد كان أحمد بن حنبل يهجر الأكابر فى أدنى كلمة ، حتى هجر يحيى بن معين لقوله : إنى لا أسأل أحدا شيئا ولو حمل السلطان إلى شيئا لأخذته . وهجر الحارث المحاسبي فى تصنيفه فى الرد على المعتزلة وقال : إنك لابد تورد أولا شبهتهم وتحمل الناس على التفكر فيها ثم ترد عليهم ، وهجر أباثور فى تأويله قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم على صورته[1] » وهذا أمر يختلف باختلاف النية وتختلف النية باختلاف الحال ، فإن كان الغالب على القلب النظر إلى اضطرار الخلق وعجزهم وأنهم مسخرون لما قدروا له أورث هذا تساهلا فى المعاداة والبغض وله وجه ولكن قد تلتبس به المداهنة فأكثر البواعث على الإغضاء عن المعاصى المداهنة ومراعاة القلوب والخوف من وحشتها ونفارها ، وقد يلبس الشيطان ذلك على الغبى الأحمق بأنه ينظر بعين الرحمة ومحك ذلك أن ينظر إليه بعين الرحمة إن جنى على خاص حقه ويقول إنه قد سخر له والقدر لا ينفع منه الحذر ، وكيف لا يفعله وقد كتب عليه فمثل هذا قد تصح له نية فى الإغماض عن الجناية على حق الله وإن كان يغتاظ عند الجناية على حقه ويترحم عند الجناية على حق الله فهذا مداهن مغرور بمكيدة من مكايد الشيطان فليتنبه له .

* فإن قلت : فأقل الدرجات فى إظهار البغض الهجر والإعراض وقطع الرفق والإعانة فهل يجب ذلك حتى يعصى العبد بتركه ؟ فأقول : لا يدخل ذلك فى ظاهر العلم تحت التكليف والايجاب فإنا نعلم أن الذين شربوا الخمر وتعاطوا الفواحش فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة ما كانوا يهجرون بالكلية بل كانوا منقسمين فيهم إلى من يغلظ القول عليه ويظهر البغض له ، وإلى من يعرض عنه ولا يتعرض له ، وإلى من ينظر إليه بعين الرحمة ولا يؤثر المقاطعة والتباعد . فهذه دقائق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الآخرة ويكون عمل كل واحد على ما يقتضيه حاله ووقته ، ومقتضى الأحوال فى هذه الأمور إما مكروهة أو مندوبة فتكون فى رتبة الفضائل ولا تنتهى إلى التحريم والإيجاب فإن الداخل تحت التكليف أصل المعرفة لله تعالى وأصل الحب وذلك قد لا يتعدى من المحبوب إلى غيره وإنما المتعدى إفراط الحب واستيلاؤه ، وذلك لا يدخل فى الفتوى وتحت ظاهر التكليف فى حق عوام الخلق أصلا .

بيان مراتب الذين يبغضون فى الله وكيفية معاملتهم

* فإن قلت : إظهار البغض والعداوة بالفعل إن لم يكن واجبا فلا شك أنه مندوب إليه والعصاة والفساق على مراتب مختلفة فكيف ينال الفضل بمعاملتهم وهل يسلك بجميعهم مسلكا واحدا أم لا ؟ فاعلم أن المخالف لأمر الله سبحانه لا يخلو إما أن يكون مخالفا فى عقده أو فى عمله ، والمخالف فى العقد إما مبتدع أو كافر والمبتدع إما داع إلى بدعته أو ساكت والساكت إما بعجزه أو باختياره : فأقسام الفساد فى الاعتقاد ثلاثة :

الأول : الكفر ؛ فالكافر إن كان محاربا فهو يستحق القتل والإرقاق وليس بعد هذين إهانة ، وأما الذمى فإنه لا يجوز إيذاؤه إلا بالإعراض عنه والتحقير له بالاضطرار إلى أضيق الطرق وبترك المفاتحة بالسلام ، فإذا قال :

(١) حديث «إن الله خلق آدم على صورته» أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة .

السلام عليك ، قلت : وعليك . والأولى الكف عن مخالطته ومعاملته ومواكلته وأما الانبساط معه والاسترسال إليه كما يسترسل إلى الأصدقاء فهو مكروه كراهة شديدة يكاد ينتهى ما يقوى منها إلى حد التحريم قال الله تعالى ﴿ لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم ﴾ الآية ، وقال صلى الله عليه وسلم « المسلم والمشرك لاتتراءى ناراهما [1] » ، وقال عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ﴾ الآية .

الثانى : المبتدع الذى يدعو إلى بدعته . فإن كانت البدعة بحيث يكفر بها فأمره أشد من الذمى لأنه لايقر بجزية ولا يسامح بعقد ذمة وإن كان ممن لايكفر به فأمره بينه وبين الله أخف من أمر الكافر لامحالة ولكن الأمر فى الإنكار عليه أشد منه على الكافر لأن شر الكافر غير متعد ، فإن المسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون إلى قوله إذ لايدعى لنفسه الإسلام واعتقاد الحق . أما المبتدع الذى يدعو إلا البدعة ويزعم أن مايدعو إليه حق فهو سبب لغواية الخلق فشره متعد ، فالاستحباب فى إظهار بغضه ومعاداته والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه أشد ، وإن سلم فى خلوة فلابأس برد جوابه ، وإن علمت أن الإعراض عنه والسكوت عن جوابه يقبح فى نفسه بدعته ويؤثر فى زجره فترك الجواب أولى لأن جواب الإسلام وإن كان واجبا فيسقط بأدنى غرض فيه مصلحة حتى يسقط بكون الإنسان فى الحمام أو فى قضاء حاجته وغرض الزجر أهم من هذه الأغراض ، وإن كان فى ملأ فترك الجواب أول تنفيرا للناس عنه وتقبيحا لبدعته فى أعينهم وكذلك الأولى كف الإحسان إليه والإعانة له لاسيما فيما يظهر للخلق قال عليه السلام « من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا ومن أهان صاحب بدعة أمنه الله يوم الفزع الأكبر ومن ألان له وأكرمه أولقيه ببشر فقد استخف بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم [2] » .

الثالث : المبتدع العامى الذى لايقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتداء به فأمره أهون فالأولى أن لايقابح بالتغليظ والإهانة بل يتلطف به فى النصح فإن قلوب العوام سريعة التقلب ، فإن لم ينفع النصح وكان فى الإعراض عنه تقبيح لبدعته فى عينه تأكد الاستحباب فى الإعراض ، وإن علم أن ذلك لايؤثر فيه لجمود طبعه ورسوخ عقده فى قلبه فالإعراض أولى لأن البدعة إذا لم يبالغ فى تقبيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها . وأما العاصى بفعله وعمله لا باعتقاده فلا يخلو إما أن يكون بحيث يتأذى به غيره كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والتضريب بين الناس والمشى بالنميمة وأمثالها . أو كان مما لايقتصر عليه ويؤذى غيره وذلك ينقسم إلى مايدعو غيره إلى الفساد كصاحب المخاور الذى يجمع بين الرجال والنساء ويهيئ أسباب الشرب والفساد لأهل الفساد أو لايدعو غيره إلى فعله كالذى يشرب ويزنى ، وهذا الذى لايدعو غيره إما أن يكون عصيانه بكبيرة أو بصغيرة ، وكل واحد فإما أن يكون مصرا عليه أو غير مصر ، فهذه التقسيمات يتحصل منها ثلاثة أقسام ولكل قسم منها رتبة وبعضها أشد من بعض ولانسلك بالكل مسلكا واحدا .

(القسم الأول) وهو أشدها : ما يتضرر به الناس كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والنميمة فهؤلاء الأولى الإعراض عنهم وترك مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم لأن المعصية شديدة فيما يرجع إلى إيذاء الخلق . ثم هؤلاء

---

(١) حديث « المؤمن والمشرك لاتتراءى ناراهما » رواه أبو داود والترمذى من حديث جرير « أنا برىء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين » قالوا : يارسول الله ولم ؟ قال « لاتتراءى ناراهما » ورواه النسائى مرسلا وقال البخارى : الصحيح أنه مرسل

(٢) حديث « من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا ... الحديث » أخرجه أبو نعيم فى الحلية والهروى فى ذم الكلام من حديث ابن عمر بسند ضعيف .

ينقسمون إلى من يظلم فى الدماء وإلى من يظلم فى الأموال وإلى من يظلم فى الأعراض وبعضها أشد من بعض فالاستحباب فى إهانتهم والإعراض عنهم مؤكد جدا ومهما كان يتوقع من الإهانة زجرا لهم أو لغيرهم كان الأمر فيه آكد وأشد . (الثانى) صاحب الماخور الذى يهيئ أسباب الفساد وينهل طرقه على الخلق فهذا لايؤذى الخلق فى دنياهم ولكن يختلس بفعله دينهم ، وإن كان وفق رضاهم فهو قريب من الأول ولكنه أخف منه فإن المعصية بين العبد وبين الله تعالى إلى العفو أقرب ولكن من حيث إنه متعدّ على الجملة إلى غيره فهو شديد ، وهذا أيضا يقتضى الإهانة والإعراض والمقاطعة وترك جواب السلام إذا ظن أن فيه نوعا من الزجر له أو لغيره . (الثالث) الذى يفسق فى نفسه بشرب خمر أو ترك واجب أو مقارفة محظور يخصه فالأمر فيه أخف ولكنه فى وقت مباشرته إن صودف يجب منعه بما يمتنع به منه ولو بالضرب والاستخفاف فإن النهى عن المنكر واجب ، وإذا فرغ منه وعلم أن ذلك من عادته وهو مصر عليه فإن تحقق أن نصحه يمنعه عن العود إليه وجب النصح وإن لم يتحقق ولكنه كان يرجو فالأفضل النصح والزجر بالتلطف أو بالتغليظ إن كان هو الأنفع ، فأما الإعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته حيث يعلم أنه يصر وأن النصح ليس ينفعه ، فهذا فيه نظر وسير العلماء فيه مختلفة ، والصحيح أن ذلك يختلف باختلاف نية الرجل فعند هذا يقال « الأعمال بالنيات إذ فى الرفق والنظر بعين الرحمة إلى الخلق نوع من التواضع وفى العنف والإعراض نوع من الزجر والمستفتى فيه القلب فما يراه أميل إلى هواه ومقتضى طبعه فالأولى ضدّه إذ قد يكون استخفافه وعنفه عن كبر وعجب والتذاذ بإظهار العلو والإدلال بالصلاح ، وقد يكون رفقه عن مداهنة واستمالة قلب للوصول به إلى غرض أو الخوف من تأثير وحشته ونفرته فى جاه أو مال بظن قريب أو بعيد وكل ذلك مردد على إشارات الشيطان وبعيد عن أعمال أهل الآخرة وكل راغب فى أعمال الدين مجتهد مع نفسه فى التفتيش عن هذه الدقائق ومراقبة هذه الأحوال ، والقلب هو المفتى فيه وقد يصيب الحق فى اجتهاده وقد يخطئ وقد يقدم على اتباع هواه وهو عالم به وقد يقدم وهو بحكم الغرور ظانّ انه عامل لله وسالك طريق الآخرة . وسيأتى بيان هذه الدقائق فى كتاب الغرور من ربع المهلكات . ويدل على تخفيف الأمر فى الفسق القاصر الذى هو بين العبد وبين الله ماروى أن شارب خمر ضرب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعود ، فقال واحد من الصحابة . لعنه الله ما أكثر مايشرب ، فقال صلى الله عليه وسلم « لا تكن عونا للشيطان على أخيك [1] » أو لفظا هذا معناه وكان هذا إشارة إلى أن الرفق أولى من العنف والتغليظ .

بيان الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته

اعلم أنه لايصلح للصحبة كل إنسان . قال صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل [2] » ولابد أن يتميز بخصال وصفات يرغب بسببها فى صحبته وتشترط تلك الخصال بحسب الفوائد المطلوبة من الصحبة إذ معنى الشرط مالا بد منه للوصول إلى المقصود فبالإضافة إلى المقصود تظهر الشروط . ويطلب من الصحبة فوائد دينية ودنيوية : أما الدنيوية فكالانتفاع بالمال أو الجاه أو مجرد الاستئناس بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من أغراضنا . وأما الدينية فيجتمع فيها أيضا أغراض مختلفة إذ منها الاستفادة من العلم والعمل ، ومنها الاستفادة من الجاه تحصنا به عن إيذاء من يشوش القلب ويصدّ عن العبادة ، ومنها استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الأوقات

(١) حديث « ان شارب خمر ضرب بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ... الحديث » وفيه « لاتكن عونا للشيطان على أخيك » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة (٢) حديث « المرء على دين خليله .. الحديث » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه والحاكم من حديث أبى هريرة وقال صحيح ان شاء الله .

فى طلب القوت ، ومنها الاستعانة فى المهمات فيكون عدة فى المصائب وقوة فى الأحوال ، ومنها التبرك بمجرد الدعاء ، ومنها انتظار الشفاعة فى الآخرة فقد قال السلف : استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل فى شفاعة أخيك . وروى فى غريب التفسير فى قوله تعالى ﴿ ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله ﴾ قال يشفعهم فى إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم . ويقال إذا غفر الله للعبد شفع فى إخوانه ؛ ولذلك حث جماعة من السلف على الصحبة والألفة والمخالطة وكرهوا العزلة والانفراد ؛ فهذه فوائد تستدعى كل فائدة شروطا لاتحصل إلا بها ، ونحن نفصلها : أما على الجملة فينبغى أن يكون فيمن تؤثر صحبته خمس خصال أن يكون عاقلا حسن الخلق غير فاسق ولامبتدع ولاحريص على الدنيا . أما العقل فهو رأس المال وهو الأصل فلا خير فى صحبة الأحمق فإلى الوحشة والقطيعة ترجع عاقبتها وإن طالت . قال على رضى الله عنه :

فلا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه فكم من جاهل أردى حليما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء إذا ما المرء ماشاه وللشىء من الشىء مقاييس وأشباه
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

كيف والأحمق قد يضرك وهو يريد نفعك وإعانتك من حيث لايدرى ولذلك قال الشاعر :

إنى لآمن من عدو عاقل وأخاف خلا يعتريه جنون
فالعقل فن واحد وطريقه أدرى فأرصدوا الجنون فنون

ولذلك قيل : مقاطعة الأحمق قربان إلى الله . وقال الثورى : النظر إلى وجه الأحمق خطيئة مكتوبة ، ونعنى بالعاقل الذى يفهم الأمور على ماهى عليه إما بنفسه وإما إذا فهم . وأما حسن الخلق فلا بد منه إذ رب عاقل يدرك الأشياء على ماهى عليه ولكن إذا غلبه غضب أوشهوة أو بخل أو جبن أطاع هواه وخالف ماهو المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته وتقويم أخلاقه فلا خير فى صحبته . وأما الفاسق المصر على الفسق فلا فائدة فى صحبته لأن من يخاف الله لايصر على كبيرة ومن لايخاف الله لاتؤمن غائلته ولايوثق بصداقته بل يتغير بتغير الأغراض . وقال تعالى ﴿ ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه ﴾ وقال تعالى ﴿ فلا يصدنك عنها من لايؤمن بها واتبع هواه ﴾ وقال تعالى ﴿ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ﴾ وقال ﴿ واتبع سبيل من أناب إلى ﴾ وفى مفهوم ذلك زجر عن الفاسق . وأما المبتدع ففى صحبته خطر سراية البدعة وتعدى شؤمها إليه فالمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة فكيف تؤثر صحبته ؟ وقد قال عمر رضى الله عنه فى الحث على طلب التدين فى الصديق فيما رواه سعيد بن المسيب قال: عليك بإخوان الصدق تعش فى أكنافهم فإنهم زينة فى الرخاء وعدة فى البلاء ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك مايغلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين من القوم ولا أمين إلا من خشى الله فلا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولاتطلعه على سرك واستشر فى أمرك الذين يخشون الله تعالى . وأما حسن الخلق فقد جمعه علقمة العطاردى فى وصيته لابنه حين حضرته الوفاة قال : يابنى إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك وإن صحبته زانك وإن قعدت بك مؤنة مانك ، اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها وإن رأى منك حسنة عدها وإن رأى سيئة سدها ، اصحب من إذا سألته أعطاك وإن سكت ابتداك وإن نزلت بك نازلة واساك ، اصحب من إذا قلت صدق قولك وإن حاولتما أمرا أمرك وإن تنازعتما آثرك ؛ فكأنه جمع بهذا جميع حقوق الصحبة وشرط أن يكون قائما بجميعها . قال ابن أكثم : قال المأمون فأين هذا ؟ فقيل له : أتدرى لم أوصاه بذلك ؟ قال

لا . قال : لأنه أراد أن لايصحب أحدا . وقال بعض الأدباء : لاتصحب من الناس إلا من يكتم سرك ويستر عيبك فيكون معك فى النوائب ويؤثرك بالرغائب وينشر حسنتك ويطوى سيئتك فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك .

وقال على رضى الله عنه :

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب زمان صدعك شتت فيه شمله ليجمعك

وقال بعض العلماء : لاتصحب إلا أحد رجلين : رجل تتعلم منه شيئا فى أمر دينك فينفعك ، أو رجل تعلمه شيئا فى أمر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب منه وقال بعضهم : الناس أربعة : فواحد حلو كله فلا يشبع منه . وآخر مر كله فلا يؤكل منه ، وآخر فيه حموضة فخذ من هذا قبل أن يأخذ منك ، وآخر فيه ملوحة فخذ منه وقت الحاجة فقط . وقال جعفر الصادق رضى الله عنه : لاتصحب خمسة : الكذاب فإنك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب ، والأحمق فإنك لست منه على شىء يريد أن ينفعك فيضرك . والبخيل فإنه يقطع بك أحوج ماتكون إليه ، والجبان فإنه يسلمك ويفر عند الشدة ، والفاسق فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها ، فقيل : وما أقل منها ؟ قال : الطمع فيها ثم لاينالها . وقال الجنيد : لأن يصحبنى فاسق حسن الخلق أحب إلى من أن يصحبنى قارئ سيئ الخلق . وقال ابن أبى الحوارى : قال لى أستاذى أبو سليمان : ياأحمد لا تصحب إلا أحد رجلين : رجلا ترتفق به فى أمر دنياك ، أو رجلا تزيد معه وتنتفع به فى أمر آخرتك ، والاشتغال بغير هذين خرق كبير . وقال سهل بن عبدالله اجتنب صحبة ثلاثة من أصناف الناس : الجبابرة الغافلين ، والقراء المداهنين ، والمتصوفة الجاهلين . واعلم أن هذه الكلمات أكثرها غير محيط بجميع أغراض الصحبة ، والمحيط ما ذكرناه من ملاحظة المقاصد ومراعاة الشروط بالإضافة إليها فليس مايشترط للصحبة فى مقاصد الدنيا مشروطا للصحبة فى الآخرة والأخوة كما قال بشر : الإخوان ثلاثة : أخ لآخرتك وأخ لدنياك وأخ لتأنس به . وقلما تجتمع هذه المقاصد فى واحد بل تتفرق على جمع فتتفرق الشروط فيهم لا محالة . وقد قال المأمون : الإخوان ثلاثة : أحدهم مثله مثل الغذاء لايستغنى عنه ، والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه فى وقت دون وقت ، والثالث مثله مثل الداء لايحتاج إليه قط : ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذى لاأنس فيه ولانفع . وقد قيل : مثل جملة الناس كمثل الشجر والنبات ، فمنها ماله ظل وليس له ثمر وهو مثل الذى ينتفع به فى الدنيا دون الآخرة فإن نفع الدنيا كالظل السريع الزوال ، ومنها ماله ثمر وليس له ظل وهو مثل الذى يصلح للآخرة دون الدنيا ، ومنها ماله ثمر وظل جميعا ، ومنها ماليس له واحد منهما كأم غيلان تمزق الثياب ولاطعم فيهما ولاشراب ، ومثله من الحيوانات الفأرة والعقرب ، كما قال تعالى ﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير﴾ وقال الشاعر .

الناس شتى إذا ما أنت ذقتهم لايستوون كما لايستوى الشجر

هذا له ثمر حلو مذاقته وذاك ليس له طعم ولاثمر

فإذا لم يجد رفيقا يؤاخيه ويستفيد به أحد هذه المقاصد فالوحدة أولى به . قال أبو ذر رضى الله عنه : الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة ، ويروى مرفوعا . وأما الديانة وعدم الفسق فقد قال الله تعالى ﴿واتبع سبيل من أناب الى﴾ ولأن مشاهدة الفسق والفساق تهون أمر المعصية على القلب وتبطل نفرة القلب عنها . قال سعيد بن المسيب : لاتنظروا الى الظلمة فتحبط أعمالكم الصالحة بل هؤلاء لاسلامة فى مخالطتهم وانما

السلامة فى الانقطاع عنهم . قال الله تعالى ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾ أى سلامة والألف بدل من الهاء ، ومعناه إنا سلمنا من إثمكم وأنتم سلمتم من شرنا ، فهذا ما أردنا أن نذكره من معانى الأخوة وشروطها وفوائدها فلنرجع فى ذكر حقوقها ولوازمها وطرق القيام بحقها . وأما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لايدرى صاحبه ، فمجالسة الحريص على الدنيا تحرك الحرص ومجالسة الزاهد تزهد فى الدنيا فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا ويستحب صحبة الراغبين فى الآخرة . قال على عليه السلام : أحيوا الطاعات بمجالسة من يستحيا منه . وقال أحمد بن حنبل رحمه الله : ماأوقعنى فى بلية إلا صحبة من لاأحتشمه . وقال لقمان : يابنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن القلوب لتحيا بالحكمة كما تحيا الأرض الميتة بوابل القطر .

الباب الثانى : فى حقوق الأخوة والصحبة

اعلم أن عقد الأخوه رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين ، وكما يقتضى النكاح حقوقا يجب الوفاء بها قياما بحق النكاح - كما سبق ذكره فى كتاب آداب النكاح - فكذا عقد الأخوة ، فلأخيك عليك حق فى المال والنفس وفى اللسان والقلب بالعفو والدعاء وبالإخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك يجمعه ثمانية حقوق :

الحق الأول : فى المال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى [1] » وإنما شبههما باليدين لاباليد والرجل لأنهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الأخوان إنما تتم أخوتهما إذا ترافقا فى مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد ، وهذا يقتضى المساهمة فى السراء والضراء والمشاركة فى المآل والحال وارتفاع الاختصاص والاستئثار . والمواساة بالمال مع الأخوة على ثلاث مراتب .

أدناها : أن تنزله منزلة عبدك أو خادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك ، فإذا سنحت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء ولم تحوجه إلى السؤال فان أحوجته إلى السؤال فهو غاية التقصير فى حق الأخوة .

الثانية : أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك فى مالك ونزوله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته فى المال قال الحسن : كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه .

الثالثة : وهى العليا أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين ومن ثمار هذه الرتبة الإيثار بالنفس أيضا ، كما روى أنه سعى بجماعة من الصوفية إلى بعض الخلفاء فأمر بضرب رقابهم وفيهم أبو الحسين النورى فبادر إ السياف ليكون هو أول مقتول فقيل له فى ذلك فقال : أحببت أن أوثر إخوانى بالحياة فى هذه اللحظة ، فكان ذلك سبب نجاة جميعهم فى حكاية طويلة ، فإن لم تصادف نفسك فى رتبة من هذه الرتب مع أخيك فاعلم أن عقد الأخوة لم ينعقد بعد فى الباطن وإنما الجارى بينكما مخالطة رسمية لاوقع لها فى العقل والدين ، فقد قال ميمون بن مهران : من رضى من الإخوان بترك الإفضال فليؤاخ أهل القبور . وأما الدرجة الدنيا فليست أيضا مرضية عند ذوى الدين ، روى أن عتبة الغلام جاء إلى منزل رجل

الباب الثانى : فى حقوق الأخوة والصحبة

(١) حديث « مثل الأخوين مثل اليدين ... الحديث » تقدم فى الباب قبله .

كان قد آخاه فقال أحتاج من مالك إلى أربعة آلاف فقال خذ ألفين فأعرض عنه وقال آثرت الدنيا على الله أما استحييت أن تدعى الأخوة فى الله وتقول هذا ، ومن كان فى الدرجة الدنيا من الأخوة ينبغى أن لا تعامله فى الدنيا قال أبو حازم : إذا كان لك أخ فى الله فلا تعامله فى أمور دنياك وإنما أراد به من كان فى هذه الرتبة .

وأما الرتبة العليا : فهى التى وصف الله تعالى المؤمنين بها فى قوله ﴿ وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴾ أى كانوا خلطاء فى الأموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض ، وكان منهم من لا يصحب من قال : نعلى ، لأنه أضافه إلى نفسه . وجاء فتح الموصلى إلى منزل لأخ له وكان غائبا ، فأمر أهله فأخرجت صندوقه ففتحه وأخذ حاجته فأخبرت الجارية مولاها فقال : إن صدقت فأنت حرة لوجه الله سرورا بما فعل . وجاء رجل إلى أبى هريرة رضى الله عنه وقال : إنى أريد أن أواخيك فى الله فقال : أتدرى ماحق الإخاء ؟ قال : عرفنى ، قال : أن لا تكون أحق بدينارك ودرهمك منى ، قال : لم أبلغ هذه المنزلة بعد ؟ قال : فاذهب عنى . وقال على بن الحسين رضى الله عنهما لرجل هل يدخل أحدكم يده فى كم أخيه وكيسه فيأخذ منه مايريد بغير إذنه ؟ قال لا . قال فلستم بإخوان . ودخل قوم على الحسن رضى الله عنه فقالوا : ياأبا سعيد أصليت ؟ قال : نعم ، قالوا : فإن أهل السوق لم يصلوا بعد ، قال : ومن يأخذ دينه من أهل السوق ؟ بلغنى أن أحدهم يمنع أخاه الدرهم ! قاله كالمتعجب منه . وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم رحمه الله وهو يريد بيت المقدس فقال : إنى أريد أن أرافقك ، فقال له إبراهيم : على أن أكون أملك لشيئك منك : قال : لا ، قال : أعجبنى صدقك ، قال : فكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله إذا رافقه رجل لم يخالفه وكان لا يصحب إلا من يوافقه وصحبه رجل شراك فأهدى رجل إلى إبراهيم فى بعض المنازل قصعة من ثريد ففتح جراب رفيقه وأخذ حزمة من شراك وجعلها فى القصعة وردها إلى صاحب الهدية ، فلما جاء رفيقه قال : أين الشراك ؟ قال : ذلك الثريد الذى أكلته إيش كان ؟ قال : كنت تعطيه شراكين أو ثلاثة . قال : إسمح يسمح لك . وأعطى مرة حمارا كان لرفيقه - بغير إذنه - رجلا رآه راجلا فلما جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك . قال ابن عمر رضى الله عنهما : أهدى لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة ، فقال : أخى فلان أحوج منى إليه فبعث به إليه فبعثه ذلك الإنسان إلى آخر فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة . وروى أن مسروقا ادان دينا ثقيلا وكان على أخيه خيثمة دين قال : فذهب مسروق فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم ولما آخى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين عند الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن : بارك الله لك فيهما [1] فآثره بما آثره به ، وكأنه قبله ثم آثره به وذلك مساواة والبداية إيثار والإيثار أفضل من المساواة . وقال أبو سليمان الدارانى : لو أن الدنيا كلها لى فجعلتها فى فم أخ من إخوانى لاستقللتها له . وقال أيضا : إنى لألقم اللقمة أخا من إخوانى فأجد طعمها فى حلقى . كان الإنفاق على الإخوان أفضل من الصدقات على الفقراء قال على رضى الله تعالى عنه : لعشرون درهما أعطيها أخى فى الله أحب إلى من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين . وقال أيضا : لأن أصنع صاعا من طعام وأجمع عليه إخوانى فى الله أحب إلى من أن أعتق رقبة . واقتداء الكل فى الإيثار برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتنى منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم إلى صاحبه ، فقال له : يا رسول الله كنت والله أحق بالمستقيم منى فقال « ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من النهار إلا سئل عن صحبته هل أقام فيها حق الله أم أضاعه [2] » فأشار بهذا إلى أن الإيثار

---

(١) حديث « لما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن بارك الله فيهما » رواه البخارى من حديث أنس . (٢) حديث « أنه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتنى منها سواكين =

هو القيام بحق الله فى الصحبة . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر يغتسل عندها فأمسك حذيفة بن اليمان الثوب وقام يستر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الثوب وقام يستر حذيفة عن الناس فأبى حذيفة وقال : بأبى أنت وأمى يارسول الله لاتفعل فأبى عليه السلام إلا أن يستره بالثوب حتى اغتسل[1] وقال صلى الله عليه وسلم « ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه [2] » وروى أن مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائبا فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل فقال له مالك : كف يدك حتى يجىء صاحب البيت : فلم يلتفت محمد إلى قوله وأقبل على الأكل ، وكان مالك أبسط منه وأحسن خلقا فدخل الحسن وقال : يامويلك هكذا كنا لا يحتشم بعضنا بعضا حتى ظهرت أنت وأصحابك . وأشار بهذا إلى أن الانبساط فى بيوت الإخوان من الصفاء فى الأخوة كيف وقد قال الله تعالى ﴿ أو صديقكم ﴾ وقال ﴿ أو ماملكتم مفاتحه ﴾ إذ كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويفوض له التصرف كما يريد ، وكان أخوه يتحرج عن الأكل بحكم التقوى حتى أنزل الله تعالى هذه الآية وإذن لهم فى الانبساط فى طعام الإخوان والأصدقاء .

الحق الثانى : فى الإعانة بالنفس فى قضاء الحاجات
والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة

وهذه أيضا لها درجات كما للمواساة بالمال فأدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح وقبول المنة : قال بعضهم : إذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله أن يكون قد نسى فإن لم يقضها فكبر عليه واقرأ هذه الآية ﴿ والموتى يبعثهم الله ﴾ وقضى ابن شبرمة حاجة لبعض إخوانه كبيرة فجاء بهدية ، فقال : ماهذا ؟ قال : لما أسديته إلى ؛ فقال : خذ مالك عافاك الله ، إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه فى قضائها فتوضأ للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعده فى الموتى . قال جعفر بن محمد : إنى لأتسارع إلى قضاء حوائج أعدائى مخافة أن أردهم فيستغنوا عنى : هذا فى الأعداء فكيف فى الأصدقاء ؟ وكان فى السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم إليهم ويمونهم من ماله فكانوا لايفقدون من أبيهم إلا عينه بل كانوا يرون منه مالم يروا من أبيهم فى حياته ، وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه ويسأل ويقول : هل لكم زيت ، هل لكم ملح ، هل لكم حاجة ؟ وكان يقوم بها حيث لايعرفه أخوه . وبهذا تظهر الشفقة والأخوة فإذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها . قال ميمون ابن مهران : من لم تنتفع بصداقته لم تضرك عداوته . وقال صلى الله عليه وسلم « ألا وإن لله أوانى فى أرضه وهى القلوب فأحب الأوانى إلى الله تعالى أصفاها وأصلبها وأرقها ، أصفاها من الذنوب وأصلبها فى الدين وأرقها على الإخوان[3] » وبالجملة فينبغى أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك أو أهم من حاجتك ، وأن تكون متفقداً لأوقات الحاجة غير غافل عن أحواله كما لاتغفل عن أحوال نفسك ، وتغنيه عن السؤال وإظهار الحاجه إلى الاستعانة ، بل

= أحدهما معوج والآخر مستقيم إلى صاحبه ... الحديث » لم أقف له على أصل (١) حديث « ستر حذيفة للنبي صلى الله عليه وسلم بثوب حتى اغتسل ثم ستره صلى الله عليه وسلم لحذيفة حتى اغتسل » لم أجده أيضا (٢) حديث « ماصطحب اثنان قط إلا كان أحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه » تقدم فى الباب قبله بلفظ « أحدهما حبا لصاحبه » .

(٣) حديث « إن لله أواني فى أرضه وهى القلوب فأحب الأوانى إلى الله أصفاها وأصلبها » أخرجه الطبرانى من حديث أبي عتبة الخولانى إلا أنه قال « ألينها وأرقها » وإسناده جيد .

تقوم بحاجته كأنك لاتدرى أنك قمت بها ، ولا ترى لنفسك حقا بسبب قيامك بها بل تتقلد منة بقبوله سعيك فى حقه وقيامك بأمره . ولا ينبغى أن تقتصر على قضاء الحاجة بل تجتهد فى البداية بالإكرام فى الزيادة والإيثار والتقديم على الأقارب والولد . كان الحسن يقول : إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا ؛ لأنّ أهلنا يذكروننا بالدنيا وإخواننا يذكروننا بالآخرة . وقال الحسن : من شيع أخاه فى الله بعث الله ملائكة من تحت عرشه يوم القيامة يشيعونه إلى الجنة . وفى الأثر « مازار رجل أخا فى الله شوقا إلى لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة [1] » وقال عطاء : تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث فإن كانوا مرضى فعودوهم أو مشاغيل فأعينوهم أو كانوا نسوا فذكروهم . وروى « إنّ ابن عمر كان يلتفت يمينا وشمالا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فقال : أحببت رجلا فأنا أطلبه ولا أراه فقال : إذا أحببت أحداً فسله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فإن كان مريضا عدته وإن كان مشغولا أعنته [2] » وفى رواية : وعن اسم جدّه وعشيرته . وقال الشعبى فى الرجل يجالس الرجل فيقول أعرف وجهه ولا أعرف اسمه : تلك معرفة النوكى . وقيل لابن عباس : من أحب الناس إليك ؟ قال : جليسى ، وقال : ما اختلف رجل إلى مجلسى ثلاثا من غير حاجة له إلى فعلمت ما مكافأته من الدنيا . وقال سعيد بن العاص : الجليسى على ثلاث : إذا دنا رحبت به وإذا حدث أقبلت عليه وإذا جلس أوسعت له . وقد قال تعالى ﴿ رحماء بينهم ﴾ إشارة إلى الشفقة والإكرام . ومن تمام الشفقة أن لا ينفرد بطعام لذيذ أو بحضور فى مسرة دونه بل يتنغص لفراقه ويستوحش بانفراده عن أخيه .

الحق الثالث : فى اللسان بالسكوت مرة وبالنطق أخرى

أما السكوت فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه فى غيبته وحضرته بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به ولا يماريه ولا يناقشه وأن يسكت عن التجسس والسؤال عن أحواله ، وإذا رآه فى طريق أو حاجة لم يفاتحه بذكر غرضه من مصدره ومورده ولا يسأله عنه فربما يثقل عليه ذكره أو يحتاج إلى أن يكذب فيه ، وليسكت عن أسراره التى بثها إليه ولا يبثها إلى غيره ألبتة ولا إلى أخص أصدقائه ولا يكشف شيئا منها ولو بعد القطيعة والوحشة ، فإن ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن ، وأن يسكت عن القدح فى احبابه وأهله وولده ، وأن يسكت عن حكاية قدح غيره فيه ، فإنّ الذى سبك من بلغك . وقال أنس « كان صلى الله عليه وسلم لا يواجه أحدا بشىء يكرهه [3] » والتأذى يحصل أولا من المبلغ ثم من القائل ، نعم لا ينبغى أن يخفى ما يسمع من الثناء عليه فإنّ السرور به أولا يحصل من المبلغ للمدح ثم من القائل ، وإخفاء ذلك من الحسد . وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا إلا إذا وجب عليه النطق فى أمر بمعروف أو نهى عن منكر ولم يجد رخصة فى السكوت فإذ ذاك لا يبالى بكراهته فإن ذلك إحسان إليه فى التحقيق وإن كان يظن أنها إساءة فى الظاهر .

أما ذكر مساوية وعيوبه ومساوى أهله فهو من الغيبة وذلك حرام فى حق كل مسلم ويزجرك عنه أمران :

أحدهما : أن تطالع أحوال نفسك فإن وجدت فيها شيئا واحدا مذموما فهون على نفسك ما تراه من أخيك

---

(١) حديث « مازار رجل أخا فى .. الحديث » تقدم فى الباب قبله . (٢) حديث ابن عمر « إذا أحببت أحدا فاسأله عن اسمه واسم أبيه ومنزله وعشيرته ... الحديث » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق والبيهقى فى شعب الإيمان بسند ضعيف ورواه الترمذى من حديث يزيد بن نعامة وقال غريب ، ولا يعرف ليزيد بن نعامة سماع من النبى صلى الله عليه وسلم .

(٣) حديث أنس « كان لا يواجه أحدا بشىء يكرهه » أخرجه أبو داود والترمذى فى الشمائل والنسائى فى اليوم والليلة بسند ضعيف .

وقدر أنه عاجز عن قهر نفسه فى تلك الخصلة الواحدة كما أنك عاجز عما أنت مبتلى به ولا تستثقله بخصلة واحدة مذمومة فأى الرجال المهذب ؟ وكل مالاتصادفه من نفسك فى حق الله فلا تنتظره من أخيك فى حق نفسك فليس حقك عليه بأكثر من حق الله عليك .

والأمر الثانى : أنك تعلم أنك لو طلبت منزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولن تجد من تصاحبه أصلا فما من أحد من الناس إلا وله محاسن ومساو فإذا غلبت المحاسن المساوى فهو الغاية والمنتهى ، فالمؤمن الكريم أبدا يحضر فى نفسه محاسن أخيه لينبعث من قلبه التوقير والود والاحترام ، وأما المنافق اللئيم فإنه أبدا يلاحظ المساوى والعيوب . قال ابن المبارك : المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات . وقال الفضيل : الفتوة العفو عن زلات الإخوان ولذلك قال عليه السلام « استعيذوا بالله من جار السوء الذى إن رأى خيراً ستره وإن رأى شراً أظهره [1] » وما من شخص إلا ويمكن تحسين حاله بخصال فيه ويمكن تقبيحه أيضا . روى أن رجلا أثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد ذمه فقال عليه السلام : « أنت بالأمس تثنى عليه واليوم تذمه ؟ » فقال : والله لقد صدقت عليه بالامس وما كذبت عليه اليوم إنه أرضانى بالأمس فقلت أحسن ماعلمت فيه وأغضبنى اليوم فقلت أقبح ماعلمت فيه فقال عليه السلام : « إن من البيان لسحرا [2] » وكأنه كره ذلك فشبهه بالسحر ، ولذلك قال فى خبر آخر : « البذاء والبيان شعبتان من النفاق [3] » وفى الحديث الآخر « إن الله يكره لكم البيان كل البيان » وكذلك قال الشافعى رحمه الله : ما أحد من المسلمين يطيع الله ولا يعصيه ولا أحد يعصى الله ولا يطيعه . فمن كانت طاعته أغلب من معاصيه فهو عدل وإذا جعل مثل هذا عدلا فى حق الله فبأن تراه عدلا فى حق نفسك ومقتضى أخوتك أولى . وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك إساءة الظن فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهى عنه أيضا ، وحده أن لا تحمل فعله على وجه فاسد ما أمكن أن تحمله على وجه حسن . فأما ما انكشف بيقين ومشاهدة فلا يمكنك أن لاتعلمه وعليك أن تحمل ماتشاهد على سهو ونسيان إن أمكن ، وهذا الظن ينقسم إلى مايسمى تفرسا وهو الذى يستند إلى علامة فإن ذلك يحرك الظن تحريكا ضروريا لايقدر على دفعه ، وإلى ما منشؤه سوء اعتقادك فيه حتى يصدر منه فعل له وجهان ، فيحملك سوء الاعتقاد فيه على أن تنزله على الوجه الأردأ من غير علامة تخصه به ، وذلك جناية عليه بالباطن وذلك حرام فى حق كل مؤمن . إذ قال صلى الله عليه وسلم « إن الله قد حرم على المؤمن من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث [5] » وسوء الظن

---

(١) حديث « استعيذوا بالله من جار السوء الذى إن رأى خيرا ستره وإن رأى شرا أظهره » أخرجه البخارى فى التاريخ من حديث أبى هريرة بسند ضعيف وللنسائى من حديث أبى هريرة وأبى سعيد بسند صحيح « تعوذوا بالله من جار السوء فى دار المقام » . (٢) حديث أن رجلا أثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد ذمه ... الحديث » وفيه « فقال صلى الله عليه وسلم : إن من البيان لسحرا ... أخرجه الطبرانى فى الأوسط والحاكم فى المستدرك من حديث أبى بكرة إلا أنه ذكر المدح والذم فى مجلس واحد لايومين ورواه الحاكم من حديث ابن عباس أطول منه بسند ضعيف أيضا .

(٣) حديث « البذاء والبيان شعبتان من النفاق » أخرجه الترمذى وقال حسن غريب والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث أبى أمامة بسند ضعيف . (٤) حديث « إن الله حرم من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء » أخرجه الحاكم فى التاريخ من حديث ابن عباس دون قوله « وعرضه » ورجاله ثقات إلا أن أبا على النيسابورى قال: ليس هذا عندى من كلام النبى صلى الله عليه وسلم إنما هو عندى من كلام ابن عباس . ولابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر ، ولمسلم من حديث أبى هريرة « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه . (٥) حديث « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة .

يدعو إلى التجسس والتحسس ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « لاتحسسوا ولاتجسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا [١] » والتجسس فى تطلع الأخبار والتحسس بالمراقبة بالعين . فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة أهل الدين . ويكفيك تنبيها على كمال الرتبة فى ستر القبيح وإظهار الجميل أن الله تعالى وصف به فى الدعاء فقيل : يامن أظهر الجميل وستر القبيح . والمرضى عند الله من تخلق بأخلاقه فإنه ستار العيوب وغفار الذنوب ومتجاوز عن العبيد فكيف لاتتجاوز أنت عمن هو مثلك أو فوقك وما هو بكل حال عبدك ولا مخلوقك ؟ وقد قال عيسى عليه السلام للحواريين : كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائما وقد كشف الريح ثوبه عنه ؟ قالوا : نستره ونغطيه ، قال : بل تكشفون عورته ! قالوا : سبحان الله من يفعل هذا ؟ فقال : أحدكم يسمع بالكلمة فى أخيه فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها . واعلم أنه لايتم إيمان المرء مالم يحب لأخيه مايحب لنفسه . وأقل درجات الأخوة أن يعامل أخاه بما يحب أن يعامله به ولاشك أنه ينتظر منه ستر العورة والسكوت على المساوى والعيوب ، ولو ظهر له منه نقيض ماينتظره اشتد عليه غيظه وغضبه فما أبعده إذا كان ينتظر منه مالا يضمره له ولا يعزم عليه لأجله ، وويل له فى نص كتاب الله تعالى حيث قال (ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) وكل من يلتمس من الإنصاف أكثر مما تسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية . ومنشأ التقصير فى ستر العورة أو السعى فى كشفها الداء الدفين فى الباطن وهو الحقد والحسن فإن الحقود الحسود يملأ باطنه بالخبث ولكن يحبسه فى باطنه ويخفيه ولا يبديه مهما لم يجد له مجالا وإذا وجد فرصة انحلت الرابطة وارتفع الحياء ويترشح الباطن بخبثه الدفين . ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فالانقطاع أولى ، قال بعض الحكماء : ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ، ولايزيد لطف الحقود إلا وحشة منه ، ومن فى قلبه سخيمة على مسلم فإيمانه ضعيف وأمره مخطر وقلبه خبيث لايصلح للقاء الله . وقد روى عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه أنه قال : كنت باليمن ولى جار يهودى يخبرنى عن التوراة فقدم على اليهودى من سفر فقلت إن الله قد بعث فينا نبيا فدعانا إلى الإسلام فأسلمنا وقد أنزل علينا كتابا مصدقا للتوراة ، فقال اليهودى صدقت ولكنكم لاتستطيعون أن تقوموا بما جاءكم به ، إنا نجد نعته ونعت أمته فى التوراة : إنه لايحل لامرئ أن يخرج من عتبة بابه وفى قلبه سخيمة على أخيه المسلم . ومن ذلك أن يسكت عن إفشاء سره الذى استودعه ، وله أن ينكره وإن كان كاذبا فليس الصدق واجبا فى كل مقام ، فإنه كما يجوز للرجل أن يخفى عيوب نفسه وأسراره وإن احتاج إلى الكذب فله أن يفعل ذلك فى حق أخيه فإن أخاه نازل منزلته وهما كشخص واحد لايختلفان إلا بالبدن . هذه حقيقة الأخوة وكذلك لايكون بالعمل بين يديه مرائيا وخارجا عن أعمال السر إلى أعمال العلانية فإن معرفة أخيه بعمله كمعرفته بنفسه من غير فرق وقد قال عليه السلام « من ستر عورة أخيه ستره الله تعالى فى الدنيا والآخرة [٢] » وفى خبر آخر « فكأنما أحيا موءودة [٣] » وقال عليه السلام « إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة [٤] » وقال « المجالس بالأمانة

(١) حديث « لاتحسسوا ولاتجسسوا ولاتقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا » متفق عليه من حديث أبي هريرة وهو بعض الحديث الذى قبله . (٢) حديث « من ستر عورة أخيه ستره الله فى الدنيا والآخرة » أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عباس وقال « يوم القيامة » ولم يقل « فى الدنيا » ولمسلم من حديث أبى هريرة « من ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة » وللشيخين من حديث ابن عمر « من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » . (٣) حديث « فكأنما أحيا موءودة من قبرها » أخرجه أبو داود والنسائى والحاكم من حديث عقبة بن عامر « من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة » زاد الحاكم « من قبرها » وقال صحيح الإسناد .
(٤) حديث « إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة » أخرجه أبو داود والترمذى من حديث جابر وقال حسن .

إلا ثلاثة مجالس : مجلس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال من غير حله[1] ، وقال صلى الله عليه وسلم « إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة ولا يحل لأحدهما أن يفشى على صاحبه مايكره[2] » ؛

قيل لبعض الأدباء : كيف حفظك للسر ؟ قال . أناقبره . وقد قيل : صدور الأحرار قبور الأسرار . وقيل : إن قلب الأحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه ، أى لايستطيع الأحمق إخفاء مافي نفسه فيبديه من حيث لايدرى به . فمن هذا يجب مقاطعة الحمق والتوقى عن صحبتهم بل عن مشاهدتهم . وقد قيل لآخر . كيف تحفظ السر ؟ قال : أجحد المخبر وأحلف للمستخبر . وقال آخر : أستره واستر أنى أستره وعبر عنه ابن المعتز فقال :

ومستودعى سرا تبوأت كتمه . فأودعته صدرى فصار له قبرا

وقال آخر وأراد الزيادة عليه :

وما السر فى صدرى كشاو بقبره لأنى أرى المقبور ينتظر النشرا
ولكننى أنساه حتى كأننى بما كان منه لم أحط ساعة خبرا
ولو جاز كتم السر بينى وبينه عن السر والأحشاء لم تعلم السرا

وأفشى بعضهم سرا له إلى أخيه ثم قال له . حفظت ؟ فقال : بل نسيت . وكان أبو سعيد الثورى يقول : إذا أردت أن تواخى رجلا فأغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك ، فإن قال خيرا وكتم سرك فاصحبه . وقيل لأبى يزيد : من تصحب من الناس ؟ قال : من يعلم منك مايعلم الله ثم يستر عليك كما يستره الله . وقال ذو النون : لاخير فى صحبة من لايحب أن يراك إلا معصوما ومن أفشى السر عند الغضب فهو اللئيم لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها . وقد قال بعض الحكماء . لا تصحب من يتغير عليك عند أربع : عند غضبه ورضاه ، وعند طمعه وهواه . بل ينبغى أن يكون صدق الأخوة ثابتا على اختلاف هذه الأحوال ولذلك قيل :

وترى الكريم إذا تصرم وصله يخفى القبيح ويظهر الإحسانا
وترى اللئيم إذا تقضى وصله يخفى الجميل ويظهر البهتانا

وقال العباس لابنه عبد الله : إنى أرى هذا الرجل - يعنى عمر رضى الله عنه - يقدمك على الأشياخ فاحفظ عنى خمسا : لاتفشين له سرا ولاتغتابن عنده أحدا ولاتجربن عليه كذبا ، ولاتعصين له أمرا ، ولا يطلعن منك على خيانة فقال الشعبى : كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف . ومن ذلك السكوت عن المماراة والمدافعة فى كل مايتكلم به أخوك قال ابن عباس : لاتمار سفيها فيؤذيك ولا حليما فيقليك . وقد قال صلى الله عليه وسلم « من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى أعلى الجنة[3] » هذا مع أن تركه مبطلا واجب ، وقد جعل ثواب النفل أعظم لأن السكوت عن الحق أشد على النفس من السكوت على الباطل وإنما الأجر على قدر النصب . وأشد الأسباب لإثارة نار الحقد بين الإخوان المماراة والمنافسة فإنها عين التدابر والتقاطع فإن التقاطع

(١) حديث « المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس .. الحديث » أخرجه أبو داود من حديث جابر من رواية ابن أخيه غير مسمى عنه
(٢) حديث « إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة لايحل لأحدهما أن يفشى على صاحبه مايكره » أخرجه أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بإسناد ضعيف ورواه ابن المبارك فى الزهد من رواية أبي بكر بن حزم مرسلا والحاكم وصححه من حديث ابن عباس « إنكم تجالسون بينكم بالأمانة » .
(٣) حديث « من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة ... الحديث » تقدم فى العلم .

يقع أولا بالآراء ثم بالأقوال ثم بالأبدان . وقال عليه السلام « لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحرمه ولايخذله بحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم [1] » وأشد الاحتقار المماراة فإن من رد على غيره كلامه فقد نسبه إلى الجهل والحمق أو إلى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ماهو عليه وكل ذلك استحقار وإيغار للصدر وإيحاش . وفي حديث أبي أمامة الباهلي قال « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتمارى فغضب وقال : ذروا المراء لقلة خيره وذروا المراء فإن نفعه قليل وإنه يهيج العداوة بين الإخوان [2] » وقال بعض السلف : من لاحى الإخوان وماراهم قلت مروءته وذهبت كرامته . وقال عبد الله ابن الحسن إياك ومماراة الرجال فإنك إن تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم . وقال بعض السلف : أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وكثرة المماراة توجب التضييع والقطيعة وتورث العداوة وقد قال الحسن : لا تشتر عداوة رجل بمودة ألف رجل . وعلى الجملة فلا باعث على المماراة إلا إظهار التميز بمزيد العقل والفضل واحتقار المردود عليه بإظهار جهله ، وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والإيذاء والشتم بالحمق والجهل ولامعنى للمعاداة إلا هذا فكيف تضامنه الأخوة والمصافاة ؟ فقد روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لاتمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه [3] » وقد قال عليه السلام « إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط وجه وحسن خلق [4] » والمماراة مضادة لحسن الخلق . وقد انتهى السلف في الحذر عن المماراة والحض على المساعدة إلى حد لم يروا السؤال أصلا . وقالوا : إذا قلت لأخيك قم فقال إلى أين ؟ فلا تصحبه بل قالوا ينبغي أن يقوم ولايسأل . وقال أبو سليمان الداراني : كان لي أخ بالعراق فكنت أجيئه في النوائب فأقول : أعطني من مالك شيئا ، فكان يلقي إلي كيسه فآخذ منه ما أريد ، فجئته ذات يوم فقلت : أحتاج إلى شيء . فقال : كم تريد ؟ فخرجت حلاوة إخائه من قلبي . وقال آخر : إذا طلبت من أخيك مالا فقال : ماذا تصنع به ؟ فقد ترك حق الإخاء . واعلم أن قوام الأخوة بالموافقة في الكلام والفعل والشفقة . قال أبو عثمان الحيري موافقة الإخوان خير من الشفقة عليهم ، وهو كما قال .

الحق الرابع : على اللسان بالنطق

فإن الأخوة كما تقتضي السكوت عن المكاره تقتضي أيضا النطق بالمحاب بل هو أخص بالأخوة لأن من قنع بالسكوت صحب أهل القبور ، وإنما تراد الإخوان ليستفاد منهم لا ليتخلص عن أذاهم ، والسكوت معناه كف الأذى فعليه أن يتودد إليه بلسانه ويتفقده في أحواله التي يحب أن يتفقد فيها كالسؤال عن عارض إن عرض وإظهار شغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه ، وكذا جملة أحواله التي يكرهها ينبغي أن يظهر بلسانه وأفعاله كراهتها ، وجملة أحواله التي يسر بها ينبغي أن يظهر بلسانه مشاركته له في السرور بها . فمعنى الأخوة المساهمة في السراء والضراء وقد

---

(١) حديث « لاتدابروا ولاتباغضوا ولاتحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وأوله متفق عليه من حديثه وحديث أنس وقد تقدم بعضه قبل هذا بسبعة أحاديث (٢) حديث أبي أمامة « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتمارى فغضب وقال ذروا المراء لقلة خيره فإن نفعه قليل فانه يهيج العداوة بين الإخوان » أخرجه الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة وأبي الدرداء وواثلة وأنس دون مابعد قوله « لقلة خيره » ومن هنا الى آخر الحديث رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة فقط واسنادهما ضعيف .

(٣) حديث ابن عباس « لاتمار أخاك ولاتمازحه ولاتعده موعدا فتخلفه » أخرجه الترمذي وقال غريب لانعرفه الا من هذا الوجه يعني من حديث ليث بن أبي سليم وضعفه الجمهور . (٤) حديث « انكم لاتسعون الناس بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق » أخرجه أبو يعلى الموصلي والطبراني في مكارم الأخلاق وابن عدي في الكامل وضعفه والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة .

قال عليه السلام « إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره [١] » وإنما أمر بالإخبار لأن ذلك يوجب زيادة حب فإن عرف أنك تحبه أحبك بالطبع لامحالة ، فإذا عرفت أنه أيضا يحبك زاد حبك لامحالة فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف . والتحاب بين المؤمنين مطلوب فى الشرع ومحبوب فى الدين ولذلك علم فيه الطريق فقال « تهادوا تحابوا [٢] » ومن ذلك أن يدعوه بأحب أسمائه إليه فى غيبته وحضوره . قال عمر رضى الله عنه : ثلاث يصفين لك ود أخيك : أن تسلم عليه إذا لقيته أولا ، وتوسع له فى المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه . ومن ذلك أن تثنى عليه بما تعرف من محاسن أحواله عند من يؤثر هو الثناء عنده فإن ذلك من أعظم الأسباب فى جلب المحبة ، وكذلك الثناء على أولاده وأهله وصنعته وفعله حتى على عقله وخلقه وهيئته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع مايفرح به وذلك من غير كذب وإفراط ولكن تحسين مايقبل التحسين لابد منه وآكد من ذلك أن تبلغه ثناء من أثنى عليه مع إظهار الفرح فإن إخفاء ذلك محض الحسد ومن ذلك أن تشكره على صنيعه فى حقك بل على نيته وإن لم يتم ذلك . قال على رضى الله عنه : من لم يحمد أخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنيعة . وأعظم من ذلك تأثيرا فى جلب المحبة الذب عنه فى غيبته مهما قصد بسوء أو تعرض لعرضه بكلام صريح أو تعريض فحق الأخوة التشمير فى الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه والسكوت عن ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب وتقصير فى حق الأخوة . وإنما شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الأخوين باليدين تغسل إحداهما الأخرى لينصر أحدهما الآخر وينوب عنه [٣] وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يخذله ولا يسلمه [٤] » وهذا من الانسلام والخذلان فإن إهماله لتمزيق عرضه كإهماله لتمزيق لحمه . فأخسس بأخ يراك والكلاب تفترسك وتمزق لحومك وهو ساكت لاتحركه الشفقة والحمية للدفع عنك! وتمزيق الأعراض أشد على النفوس من تمزيق اللحوم ولذلك شبهه الله تعالى بأكل لحوم الميتة فقال ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ﴾ والملك الذى يمثله فى المنام ماتطالعه الروح من اللوح المحفوظ بالأمثلة المحسوسة يمثل الغيبة بأكل لحوم الميتة ، حتى إن من يرى أنه يأكل لحم ميته فإنه يغتاب الناس لأن ذلك الملك فى تمثيله يراعى المشاركة والمناسبة بين الشىء وبين مثاله فى المعنى الذى يجرى من المثال مجرى الروح ؛ لا فى ظاهر الصور . فإذن حماية الأخوة بدفع ذم الأعداء وتعنت المتعنتين واجب فى عقد الأخوة . وقد قال مجاهد : لاتذكر أخاك فى غيبته إلا كما تحب أن يذكرك فى غيبتك . فإذن لك فيه معياران ؛ أحدهما : أن تقدر أن الذى قيل فيه لو قيل فيك وكان أخوك حاضرا ما الذى كنت تحب أن يقوله أخوك فيك ؟ فينبغى أن تعامل المتعرض لعرضه به . والثانى : أن تقدر أنه حاضر من وراء جدار يسمع قولك ويظن أنك لاتعرف حضوره ؛ فما كان يتحرك فى قلبك من النصرة له بمسمع منه ومرأى ؟ فينبغى أن يكون فى مغيبه كذلك فقد قال بعضهم : ماذكر أخ لى بغيب إلا تصورته جالسا فقلت فيه مايحب أن يسمعه لو حضر : وقال آخر : ماذكر أخ لى إلا تصورت نفسى فى صورته فقلت فيه مثل ما أحب أن يقال فى . وهذا من صدق الإسلام وهو أن لايرى لأخيه إلا مايراه لنفسه . وقد نظر أبو الدرداء إلى ثورين يحرثان فى فدان فوقف أحدهما يحك جسمه فوقف الآخر ؛ فبكى وقال : هكذا الإخوان فى الله يعملان لله فإذا وقف أحدهما وافقه الآخر . وبالموافقة يتم الإخلاص ومن لم يكن مخلصا فى إخائه فهو منافق . والإخلاص استواء الغيب والشهادة

---

(١) حديث « اذا أحب أحدكم أخاه فليخبره » أخرجه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح والحاكم من حديث المقدام بن معديكرب . (٢) حديث « تهادوا تحابوا » أخرجه البيهقى من حديث أبى هريرة وقد تقدم غير مرة .

(٣) حديث « تشبيه الأخوين باليدين » تقدم فى الباب قبله . (٤) حديث « المسلم أخو المسلم » تقدم فى أثناء حديث قبله بسبعة أحاديث .

واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والخلوة والاختلاف ، والتفاوت فى شىء من ذلك مماذقة فى المودة وهو دخل فى الدين ووليجة فى طريق المؤمنين ، ومن لايقدر من نفسه على هذا فالانقطاع والعزلة أولى به من المؤاخاة والمصاحبة فإن حق الصحبة ثقيل لايطيقه إلا محقق فلاجرم أجره جزيل لايناله إلا موفق . ولذلك قال عليه السلام « أبا هر أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة صاحبك تكن مؤمنا [1] » فانظر كيف جعل الإيمان جزاء الصحبة والإسلام جزاء الجوار ؟ فالفرق بين فضل الإيمان وفضل الإسلام على حد الفرق بين المشقة فى القيام بحق الجوار والقيام بحق الصحبة . فإن الصحبة تقتضى حقوقا كثيرة فى أحوال متقاربة مترادفة على الدوام والجوار لايقتضى إلا حقوقا قريبة فى أوقات متباعدة لاتدوم . ومن ذلك التعليم والنصيحة فليس حاجة أخيك إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال : فإن كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وإرشاده إلى كل ماينفعه فى الدين والدنيا ، فإن علمته وأرشدته ولم يعمل بمقتضى العلم فعليك النصيحة وذلك بأن تذكر آفات ذلك الفعل وفوائد تركه وتخوفه بما يكرهه فى الدنيا والآخرة لينزجر عنه وتنبهه على عيوبه وتقبح القبيح فى عينه وتحسن الحسن ولكن ينبغى أن يكون ذلك فى سر لايطلع عليه أحد فما كان على الملأ فهو توبيخ وفضيحة وما كان فى السر فهو شفقة ونصيحة إذ قال صلى الله عليه وسلم « المؤمن مرآة المؤمن [2] » أى يرى منه مالايرى من نفسه فيستفيد المرء بأخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة . وقال الشافعى رضى الله عنه: من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه . وقيل لمسعر : أتحب من يخبرك بعيوبك ؟ فقال : إن نصحنى فيما بينى وبينه فنعم وإن قرعنى بين الملأ فلا . وقد صدق ، فإن النصح على الملأ فضيحة والله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه فى ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سرا ، وقد يدفع كتاب عمله مختوما إلى الملائكة الذين يحفون به إلى الجنة ، فإذا قاربوا باب الجنة أعطوه الكتاب مختوما ليقرأه ، وأما أهل المقت فينادون على رءوس الأشهاد وتستنطق جوارحهم بفضائحهم فيزدادون بذلك خزيا وافتضاحا ونعوذ بالله من الخزى يوم العرض الأكبر . فالفرق بين التوبيخ والنصيحة بالإسرار والإعلان كما أن الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الإغضاء . فإن أغضيت لسلامة دينك ولما ترى من إصلاح أخيك بالإغضاء فأنت مدار وإن أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداهن . وقال ذو النون : لاتصحب مع الله إلا بالموافقة ولا مع الخلق إلا بالمناصحة ولا مع النفس إلا بالمخالفة ولا مع الشيطان إلا بالعداوة .

* فإن قلت : فإذا كان فى النصح ذكر العيوب ففيه إيحاش القلب فكيف يكون ذلك من حق الأخوة ؟ فاعلم أن الإيحاش إنما يحصل بذكر عيب يعلمه أخوك من نفسه فأما تنبيهه على ما لا يعلمه فهو عين الشفقة وهو استمالة القلوب ، أعنى قلوب العقلاء ، وأما الحمقى فلا يلتفت إليهم فإن من ينبهك على فعل مذموم تعاطيته أو صفة مذمومة اتصفت بها لتزكى نفسك عنها كان كمن ينبهك على حية أو عقرب تحت ذيلك وقد همت بإهلاكك ، فإن كنت تكره ذلك فما أشد حمقك ! والصفات الذميمة عقارب وحيات وهى فى الآخرة مهلكات فإنها تلدغ القلوب والأرواح وألمها أشد مما يلدغ الظواهر والأجساد وهى مخلوقة من نار الله الموقدة ، ولذلك كان عمر رضى الله عنه

---

(١) حديث « أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا » أخرجه الترمذى وابن ماجه واللفظ له من حديث أبى هريرة بالشطر الأول فقط وقال الترمذى « مؤمنا » قال « وأحب للناس ماتحب لنفسك تكن مسلما » وقال ابن ماجه « مؤمنا » قال الدارقطنى والحديث ثابت ورواه القضاعى فى مسند الشهاب بلفظ المصنف .

(٢) حديث « المؤمن مرآة المؤمن » أخرجه أبو داود من حديث أبى هريرة باسناد حسن .

يستهدى ذلك من إخوانه ويقول : رحم الله امرأ أهدى إلى أخيه عيوبه ، ولذلك قال عمر لسلمان وقد قدم عليه : ما الذى بلغك عنى مما تكره ؟ فاستعفى ، فألح عليه فقال : بلغنى أن لك حلتين تلبس إحداهما بالنهار والأخرى بالليل وبلغنى أنك تجمع بين إدامين على مائدة واحدة ، فقال عمر رضى الله عنه : أما هذان فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما ؟ فقال : لا . وكتب حذيفة المرعشى إلى يوسف بن أسباط : بلغنى أنك بعت دينك بحبتين : وقفت على صاحب لبن فقلت : بكم هذا ؟ فقال : بسدس ، فقلت له : لا ... بثمن ! فقال : هو لك ، وكان يعرفك . اكشف عن رأسك قناع الغافلين وانتبه عن رقدة الموتى واعلم أن من قرأ القرآن ولم يستغن وآثر الدنيا لم آمن أن يكون بآيات الله من المستهزئين ، وقد وصف الله تعالى الكاذبين ببغضهم للناصحين إذ قال ﴿ ولكن لا تحبون الناصحين ﴾ وهذا فى عيب هو غافل عنه فأما ماعلمت أنه يعلمه من نفسه فإنما هو مقهور عليه من طبعه فلا ينبغى أن يكشف فيه ستره إن كان يخفيه ، وإن كان يظهره فلا بد من التلطف فى النصح بالتعريض مرة وبالتصريح أخرى إلى حد لايؤدى إلى الإيحاش ، فإن علمت أن النصح غير مؤثر فيه وأنه مضطر من طبعه إلى الإصرار عليه فالسكوت عنه أولى ، وهذا كله فيما يتعلق بمصالح أخيك فى دينه أو دنياه ، أما مايتعلق بتقصيره فى حقك فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعامى عنه ، والتعرض لذلك ليس من النصح فى شىء ، نعم إن كان بحيث يؤدى استمراره عليه إلى القطيعة فالعتاب فى السر خير من القطيعة والتعريض به خير من التصريح والمكاتبة خير من المشافهة والاحتمال خير من الكل ، إذ ينبغى أن يكون قصدك من أخيك إصلاح نفسك بمراعاتك إياه وقيامك بحقه واحتمالك تقصيره لا الاستعانة به والاسترفاق منه . قال أبو بكر الكتانى : صحبنى رجل وكان على قلبى ثقيلا فوهبت له يوما شيئا على أن يزول ما فى قلبى فلم يزل ، فأخذت بيده يوما إلى البيت وقلت له : ضع رجلك على خدى ، فأبى ، فقلت ، لابد ، ففعل ، فزال ذلك من قلبى . وقال أبو على الرباطى : صحبت عبدالله الرازى وكان يدخل البادية فقال على أن تكون أنت الأمير أو أنا فقلت بل أنت فقال وعليك الطاعة فقلت نعم فأخذ مخلاة ووضع فيها الزاد وحملها على ظهره فإذا قلت له أعطنى قال ألست قلت أنت الأمير ؟ فعليك الطاعة فأخذنا المطر ليلة فوقف على رأسى إلى الصباح وعليه كساء وأنا جالس يمنع عنى المطر فكنت أقول مع نفسى ليتنى مت ولم أقل أنت الأمير .

الحق الخامس : العفو عن الزلات والهفوات

وهفوة الصديق لاتخلو إما أن تكون فى دينه بارتكاب معصية أو فى حقك بتقصيره فى الأخوة . أما ما يكون فى الدين من ارتكاب معصية والإصرار عليها فعليك التلطف فى نصحه بما يقوم أوده ويجمع شمله ويعيد إلى الصلاح والورع حاله . فإن لم تقدر وبقى مصرا فقد اختلفت طرق الصحابة والتابعين فى إدامة حق مودته أو مقاطعته . فذهب أبو ذرّ رضى الله عنه إلى الانقطاع وقال : إذا انقلب أخوك عما كان عليه فابغضه من حيث أحببته ، ورأى ذلك من مقتضى الحب فى الله والبغض فى الله . وأما أبو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا إلى خلافه ؛ فقال أبو الدرداء : إذا تغير أخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك فإن أخاك يعوج مرة ويستقيم أخرى . وقال إبراهيم النخعى لاتقطع أخاك ولاتهجره عند الذنب بذنبه فإنه يرتكبه اليوم ويتركه غدا . وقال أيضا : لاتحدثوا الناس بزلة العالم فإن العالم يزل الزلة ثم يتركها . وفى الخبر « اتقوا زلة العالم ولاتقطعوه وانتظروا فيئته [1] » وفى حديث عمر وقد سأل عن أخ كان آخاه فخرج إلى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه وقال :

(١) حديث « اتقوا زلة العالم ولاتقطعوه وانتظروا فيئته » رواه البموى فى المعجم وابن عدى فى الكامل من حديث عمرو بن عوف المزنى وضعفاه .

مافعل أخى ؟ قال : ذلك أخو الشيطان قال : مه ، قال : إنه قارف الكبائر حتى وقع فى الخمر . قال : إذا أردت الخروج فآذنى فكتب عند خروجه إليه « بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ﴾ الآية » ثم عاتبه تحت ذلك وعذله . فلما قرأ الكتاب بكى وقال : صدق الله ونصح لى عمر فتاب ورجع . وحكى أن أخوين ابتلى أحدهما بهوى فأظهر عليه أخاه وقال : إنى قد اعتللت فإن شئت أن لاتعقد على صحبتى لله فافعل ، فقال : ما كنت لأحل عقد أخوتك لأجل خطيئتك أبدا ، ثم عقد أخوه بينه وبين الله أن لايأكل ولايشرب حتى يعافى الله أخاه من هواه ، فطوى أربعين يوما فى كلها يسأله عن هواه فكان يقول : القلب مقيم على حاله . وما زال هو ينحل من الغم والجوع حتى زال الهوى عن قلب أخيه بعد الأربعين فأخبره بذلك فأكل وشرب بعد أن كاد يتلف هزالا وضرا . وكذلك حكى عن أخوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة فقيل لأخيه : ألا تقطعه وتهجره ، فقال : أحوج ما كان إلى فى هذا الوقت لما وقع فى عثرته أن آخذ بيده وأتلطف له فى المعاتبة وأدعو له بالعود إلى ما كان عليه . وروى فى الإسرائيليات أن أخوين عابدين كانا فى جبل نزل أحدهما ليشترى من المصر لحما بدرهم فرأى بغيا عند اللحام فرمقها وعشقها واجتذبها إلى خلوة وواقعها ، ثم أقام عندها ثلاثا واستحيا أن يرجع إلى أخيه حياء من جنايته . قال : فافتقده أخوه واهتم بشأنه فنزل إلى المدينة فلم يزل يسأل عنه حتى دل عليه فدخل إليه وهو جالس معها فاعتنقه وجعل يقبله ويلتزمه وأنكر الآخر أنه يعرفه قط لفرط استحيائه منه فقال : قم ياأخى فقد علمت شأنك وقصتك وما كنت قط أحب إلى ولا أعز من ساعتك هذه ، فلما رأى أن ذلك لم يسقطه من عينه قام فانصرف معه . فهذه طريقة قوم وهى ألطف وأفقه من طريقة أبى ذر رضى الله عنه ، وطريقته أحسن وأسلم .

* فإن قلت : ولم قلت هذا ألطف وأفقه ومقارف هذه المعصية لاتجوز مؤاخاته ابتداء فتجب مقاطعته انتهاء لأن الحكم إذا ثبت بعلة فالقياس أن يزول بزوالها ، وعلة عقد الأخوة التعاون فى الدين ولايستمر ذلك مع مقارفة المعصية فأقول : أما كونه ألطف فلما فيه من الرفق والاستمالة والتعطف المفضى إلى الرجوع والتوبة لاستمرار الحياء عند دوام الصحبة ، ومهما قوطع وانقطع طمعه عن الصحبة أصر واستمر . وأما كونه أفقه فمن حيث إن الأخوة عقد ينزل منزلة القرابة فإذا انعقدت تأكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد ، ومن الوفاء به أن لايهمل أيام حاجته وفقره وفقر الدين أشد من فقر المال ، وقد أصابته جائحة وألمت به آفة افتقر بسببها فى دينه فينبغى أن يراقب ويراعى ولايهمل ، بل لايزال يتلطف به ليعان على الخلاص من تلك الوقعة التى ألمت به . فالأخوة عدة للنائبات وحوادث الزمان وهذا من أشد النوائب ، والفاجر إذا صحب تقيا وهو ينظر إلى خوفه ومداومته فسيرجع على قرب ويستحيي من الإصرار بل الكسلان يصحب الحريص فى العمل فيحرص حياء منه . قال جعفر بن سليمان : مهما فترت فى العمل نظرت إلى محمد بن واسع وإقباله على الطاعة فيرجع إلى نشاطى فى العبادة وفارقنى الكسل وعملت عليه أسبوعا وهذا التحقيق وهو أن الصداقة لحمة كلحمة النسب والقريب لايجوز أن يهجر بالمعصية ، ولذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فى عشيرته ﴿ فإن عصوك فقل إنى برىء مما تعملون ﴾ ولم يقل إنى برىء منكم مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب . وإلى هذا أشار أبو الدرداء لما قيل له : ألا تبغض أخاك وقد فعل كذا ؟ فقال : إنما أبغض عمله وإلا فهو أخى وأخوة الدين أوكد من أخوة القرابة . ولذلك قيل لحكيم : أيما أحب إليك أخوك أوصديقك ؟ فقال : إنما أحب أخى إذا كان صديقا لى . وكان الحسن يقول : كم من أخ لم تلده أمك ؟ ولذلك قيل :

القرابة تحتاج إلى مودة والمودة لا تحتاج إلى قرابة وقال جعفر الصادق رضى الله عنه : مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم مائية من قطعها قطعه الله . فإذن الوفاء بعقد الأخوة إذا سبق انعقادها واجب . وهذا جوابنا عن ابتداء المؤاخاة مع الفاسق فإنه لم يتقدم له حق فإن تقدمت له قرابة فلا جرم لاينبغى أن يقاطع بل يجامل . والدليل عليه أن ترك المؤاخاة والصحبة ابتداء ليس مذموما ولامكروها بل قال قائلون : الانفراد أولى ؛ فأما قطع الأخوة عن دوامها فنهى عنه ومذموم فى نفسه ونسبته إلى تركها ابتداء كنسبة الطلاق إلى ترك النكاح ، والطلاق أبغض إلى الله تعالى من ترك النكاح قال صلى الله عليه وسلم « شرار عباد الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة [1] » وقال بعض السلف فى ستر زلات الإخوان : ود الشيطان أن يلقى على أخيكم مثل هذا حتى تهجروه وتقطعوه ، فماذا اتقيتم من محبة عدوكم . وهذا لأن التفريق بين الأحباب من محاب الشيطان كما أن مفارقة العصيان من محابه ؛ فإذا حصل للشيطان أحد غرضيه فلاينبغى أن يضاف إليه الثانى ، وإلى هذا أشار عليه السلام فى الذى شتم الرجل الذى أتى فاحشة إذ قال « مه » وزبره وقال « لاتكونوا عونا للشيطان على أخيكم [2] » فبهذا كله يتبين الفرق بين الدوام والابتداء لأن مخالطة الفساق محذورة ، ومفارقة الأحباب والإخوان أيضا محذورة ، وليس من سلم عن معارضة غيره كالذى لم يسلم وفى الابتداء قد سلم فرأينا أن المهاجرة والتباعد هو الأولى وفى الدوام تعارضا فكان الوفاء بحق الأخوة أولى ، هذا كله فى زلته فى دينه .

أما زلته فى حقه بما يوجب إيحاشه فلا خلاف فى أن الأولى العفو والاحتمال بل كل مايحتمل تنزيله على وجه حسن ويتصور تمهيد عذر فيه قريب أو بعيد فهو واجب بحق الأخوة ، فقد قيل : ينبغى أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذرا ؛ فإن لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك ، فتقول لقلبك : ماأقساك ! يعتذر إليك أخوك سبعين عذرا فلا تقبله ، فأنت المعيب لاأخوك ، فإن ظهر بحيث لم يقبل التحسين فينبغى أن لا تغضب إن قدرت ، ولكن ذلك لايمكن وقد قال الشافعى رحمه الله : من استغضب فلم يغضب فهو حمار ، ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان . فلاتكن حمارا ولا شيطانا ، واسترض قلبك بنفسك نيابة عن أخيك ، واحترز أن تكون شيطانا إن لم تقبل . قال الأحنف : حق الصديق أن تحتمل منه ثلاثا : ظلم الغضب ، وظلم الدالة ، وظلم الهفوة . وقال آخر : ماشتمت أحدا قط : لأنه إن شتمنى كريم فأنا احق من غفرها له أو لئيم فلا أجعل عرضى له غرضا ثم تمثل وقال :

وأغفر عوراء الكريم ادخاره ... وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

وقد قيل :

خذ من خليلك ما صفا ... ودع الذى فيه الكدر
فالعمر أقصر من معا ... تبة الخليل على الغير

ومهما اعتذر إليك أخوك كاذبا كان أو صادقا فاقبل عذره . قال عليه السلام « من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل إثم صاحب المكس [3] » وقال عليه السلام « المؤمن سريع الغضب سريع الرضا [4] » فلم يصفه بأنه

(١) حديث « شرار عباد الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة » رواه أحمد من حديث أسماء بنت يزيد بسند ضعيف

(٢) حديث « لاتكونوا أعوانا للشيطان على أخيكم » رواه البخارى من حديث أبى هريرة وتقدم فى الباب قبله .

(٣) حديث « من اعتذر اليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل إثم صاحب مكس » أخرجه ابن ماجه وأبو داود فى المراسيل من حديث جودان واختلف فى صحبته وجهله أبو حاتم وباقى رجاله ثقات ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث جابر بسند ضعيف .

(٤) حديث « المؤمن سريع الغضب سريع الرضا » لم أجده هكذا وللترمذى وحسنه من حديث أبى سعيد الخدرى « ألا ان بنى آدم خلقوا على طبقات شتى . . . الحديث » وفيه « ومنهم سريع الفىء فتلك بتلك »

لايغضب . وكذلك قال الله تعالى ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾ ولم يقل والفاقدين الغيظ ، وهذا لأن العادة لاتنتهى إلى أن يجرح الإنسان فلا يتألم ، بل تنتهى إلى أن يصبر عليه ويحتمل ، وكما أن التألم بالجرح مقتضى طبع البدن فالتألم بأسباب الغضب طبع القلب ، ولا يمكن قلعه ولكن ضبطه وكظمه والعمل بخلاف مقتضاه ، فإنه يقتضى التشفى والانتقام والمكافأة ، وترك العمل بمقتضاه ممكن ، وقد قال الشاعر :

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أى الرجال المهذب ؟

قال أبو سليمان الدارانى لأحمد بن ابى الحوارى : إذا واخيت احدا فى هذا الزمان فلا تعاتبه على ماتكرهه ، فإنك لاتأمن من أن ترى فى جوابك ماهو شر من الأول ، قال : فجربته فوجدته كذلك . وقال بعضهم : الصبر على مضض الأخ خير من معاتبته ، والمعاتبة خير من القطيعة ، والقطيعة خير من الوقيعة . وينبغى أن لايبالغ فى البغضة عند الوقيعة . قال تعالى ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ﴾ وقال عليه السلام « أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما : وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما [1] » وقال عمر رضى الله عنه : لايكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا : وهو أن تحب تلف صاحبك مع هلاكك .

الحق السادس

الدعاء للأخ فى حياته وبعد مماته بكل ما يحبه لنفسه ولأهله وكل متعلق به ، فتدعو له كما تدعو لنفسك ولاتفرق بين نفسك وبينه ، فإن دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق ؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا دعا الرجل لأخيه فى ظهر الغيب قال الملك : ولك مثل ذلك [2] » وفى لفظ آخر « يقول الله تعالى بك أبدا ياعبدى [3] » وفى الحديث « يستجاب للرجل فى أخيه مالا يستجاب له فى نفسه [4] » وفى الحديث « دعوة الرجل لأخته فى ظهر الغيب لاترد [5] » وكان أبو الدرداء يقول : إنى لأدعو لسبعين من إخوانى فى سجودى أسميهم بأسمائهم . وكان محمد بن يوسف الأصفهانى يقول : وأين مثل الأخ الصالح ؟ أهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بماخلفت ، وهو منفرد بحزنك مهتم بماقدمت وماصرت إليه ، يدعو لك فى ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى ، وكأن الأخ الصالح يقتدى بالملائكة ، إذ جاء فى الخبر « إذامات العبد قال الناس : ماخلفت ؟ وقالت الملائكة : ماقدم ؟ [6] » يفرحون له بما قدم ويسألون عنه ويشفقون عليه ، ويقال : من بلغه موت أخيه فترحم عليه واستغفر له كتب له كأنه شهد جنازته وصلى عليه . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مثل الميت فى قبره مثل الغريق يتعلق بكل شىء ينتظر دعوة من ولد أووالد أو أخ أوقريب [7] » وإنه ليدخل على قبور الأموات من دعاء الأحياء من الأنوار مثل الجبال . وقال بعض السلف الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء ، فيدخل الملك على الميت ومعه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول : هذه

---

(١) حديث « أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال غريب قلت رجاله ثقات رجال مسلم لكن الراوى تردد فى رفعه .

(٢) حديث « اذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب قال الملك ولك بمثل ذلك » أخرجه مسلم من حديث أبى الدرداء

(٣) حديث « الدعاء للأخ بظهر الغيب » وفيه « يقول الله بك أبدأ ياعبدى » لم أجد هذا اللفظ (٤) حديث « يستجاب للرجل فى أخيه مالايستجاب له فى نفسه » لم أجده بهذا اللفظ ولأبى داود والترمذى وضعفه من حديث عبد الله بن عمرو « إن أسرع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب » (٥) حديث « دعوة الأخ لأخيه فى الغيب لاترد » أخرجه الدارقطنى فى العلل من حديث أبى الدرداء وهو عند مسلم إلا أنه قال « مستجابة » مكان « لاترد » (٦) حديث « إذا مات العبد قال الناس ماخلف وقالت الملائكة ماقدم » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٧) حديث « مثل الميت فى قبره مثل الغريق يتعلق بكل شىء ينتظر دعوة من ولد أو والد . . الحديث » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة قال الذهبى فى الميزان إنه خبر منكر جدا .

هدية لك من عند أخيك فلان ، من عند قريبك فلان . قال : فيفرح بذلك كما يفرح الحى بالهدية .

الحق السابع : الوفاء والإخلاص

ومعنى الوفاء : الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه ، فإن الحب إنما يراد للآخرة ، فإن انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعى ، ولذلك قال عليه السلام « فى السبعة الذين يظلهم الله فى ظله « ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه [1] » وقال بعضهم : قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره فى حال الحياة ، ولذلك روى أنه صلى الله عليه وسلم أكرم عجوزا دخلت عليه ، فقيل له فى ذلك ، فقال « إنها كانت تأتينا أيام خديجة ، وإن كرم العهد من الدين [2] » فمن الوفاء للأخ مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه والمتعلقين به ، ومراعاتهم أوقع فى قلب الصديق من مراعاة الأخ فى نفسه ، فإن فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر ، إذ لا يدل على قوة الشفقة والحب إلا تعديهما من المحبوب إلى كل من يتعلق به ، حتى الكلب الذى على باب داره ينبغى أن يميز فى القلب عن سائر الكلاب ، ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان ، فإنه لا يحسد متعاونين على بر كما يحسد متواخيين فى الله ومتحابين فيه فإنه يجهد نفسه لإفساد ما بينهما قال الله تعالى ﴿ وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم ﴾ وقال مخبرا عن يوسف ﴿ من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى ﴾ ويقال ما تواخى اثنان فى الله فتفرق بينهما إلا بذنب يرتكبه أحدهما . وكان بشر يقول : إذا قصر العبد فى طاعة الله سلبه الله من يؤنسه . وذلك لأن الإخوان مسلاة للهموم وعون على الدين . ولذلك قال ابن المبارك : ألذ الأشياء مجالسة الإخوان والانقلاب إلى كفاية ، والمودة الدائمة هى التى تكون فى الله ، وما يكون لغرض يزول بزوال ذلك الغرض . ومن ثمرات المودة فى الله أن لا تكون مع حسد فى دين ودنيا وكيف يحسده وكل ما هو لأخيه فإليه ترجع فائدته ؟ وبه وصف الله تعالى المحبين فى الله تعالى فقال ﴿ ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ﴾ ووجود الحاجة هو الحسد . ومن الوفاء أن لا يتغير حاله فى التواضع مع أخيه وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه فالترفع على الإخوان بما يتجدد من الأحوال لؤم . قال الشاعر :

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا ... من كان يألفهم فى المنزل الخشن

وأوصى بعض السلف ابنه فقال : يابنى لا تصحب من الناس إلا من إذا افتقرت إليه قرب منك وإن استغنيت عنه لم يطمع فيك وإن علت مرتبته لم يرتفع عليك . وقال بعض الحكماء : إذا ولى أخوك ولاية فثبت على نصف مودته لك فهو كثير . وحكى الربيع : أن الشافعى رحمه الله آخى رجلا ببغداد ثم إن أخاه ولى السيبين فتغير له عما كان عليه ، فكتب إليه الشافعى بهذه الأبيات :

اذهب فودك من فؤادى طالق ... أبدا وليس طلاق ذات البين
فإن ارعويت فإنها تطليقة ... ويدوم ودك لى على ثنتين
وإن امتنعت شفعتها بمثالها ... فتكون تطليقين فى حيضين
وإذا الثلاث أتتك منى بتة ... لم تغن عنك ولاية السيبين

---

(١) حديث « سبعة يظلهم الله فى ظله ... الحديث » تقدم غير مرة .

(٢) حديث « إكرامه صلى الله عليه وسلم لعجوز دخلت عليه وقوله إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان » أخرجه الحاكم من حديث عائشة وقال صحيح على شرط الشيخين وليس له علة .

واعلم أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الحق فى أمر يتعلق بالدين بل الوفاء له المخالفة ، فقد كان الشافعى رضى الله عنه آخى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول ما يقيمنى بمصر غيره ؛ فاعتل محمد فعاده الشافعى رحمه الله تعالى فقال :

مرض الحبيب فعدته فمرضت من حذرى عليه
وأتى الحبيب يعودنى فبرئت من نظرى إليه

وظن الناس لصدق مودتهما أنه يفوض أمر حلقته إليه بعد وفاته ، فقيل للشافعى فى علته التى مات فيها رضى الله تعالى عنه : إلى من نجلس بعدك ياأبا عبدالله ؟ فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند رأسه ليومئ إليه ؛ فقال الشافعى : سبحان الله أيشك فى هذا أبو يعقوب البويطى ؟ فانكسر لها محمد ومال أصحابه إلى البويطى مع أن محمدا كان قد حمل عنه مذهبه كله ، لكن كان البويطى أفضل وأقرب إلى الزهد والورع . فنصح الشافعى لله وللمسلمين وترك المداهنة ولم يؤثر رضا الخلق على رضا الله تعالى . فلما توفى انقلب محمد بن عبد الحكم عن مذهبه ورجع إلى مذهب أبيه ودرس كتب مالك رحمه الله ، وهو من كبار أصحاب مالك رحمه الله . وآثر البويطى الزهد والخمول ولم يعجبه الجمع والجلوس فى الحلقة واشتغل بالعبادة وصنف « كتاب الأم » الذى ينسب الآن إلى الربيع بن سليمان ويعرف به ، وإنما صنفه البويطى ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه إلى نفسه ، فزاد الربيع فيه وتصرف وأظهره . والمقصود أن الوفاء بالمحبة من تمامها النصح لله . قال الأحنف : الإخاء جوهرة رقيقة إن لم تحرسها كانت معرضة للآفات فاحرسها بالكظم حتى تعتذر إلى من ظلمك وبالرضا حتى لاتستكثر من نفسك الفضل ولا من أخيك التقصير . ومن آثار الصدق والإخلاص وتمام الوفاء أن تكون شديد الجزع من المفارقة ، نفور الطبع عن أسبابها كما قيل :

وجدت مصيبات الزمان جميعها سوى فرقة الأحباب هينة الخطب

وأنشد ابن عيينة هذا البيت وقال : لقد عهدت أقواما فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما يخيل إلى أن حسرتهم ذهبت من قلبى . ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه لاسيما من يظهر أولا أنه محب لصديقه ـ كيلا يتهم ـ ثم يلقى الكلام عرضا وينقل عن الصديق ما يوغر القلب فذلك من دقائق الحيل فى التضريب ومن لم يحترز منه لم تدم مودته أصلا . قال واحد لحكيم : قد جئت خاطبا لمودتك ، قال : إن جعلت مهرها ثلاثا فعلت ، قال : وما هى ؟ قال : لاتسمع على بلاغة ولا تخالفنى فى أمر ولا توطئنى عشوة . ومن الوفاء أن لا يصادق عدو صديقه . قال الشافعى رحمه الله : إذا أطاع صديقك عدوك فقد اشتركا فى عداوتك .

الحق الثامن : التخفيف وترك التكلف والتكليف

وذلك بأن لا يكلف أخاه مايشق عليه بل يروح سره من مهماته وحاجاته ويرفهه عن أن يحمله شيئا من أعبائه ، فلا يستمد منه من جاه ومال ولا يكلفه التواضع له والتفقد لأحواله والقيام بحقوقه بل لايقصد بمحبته إلا الله تعالى تبركا بدعائه واستئناسا بلقائه واستعانة به على دينه وتقربا إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه وتحمل مؤنته . قال بعضهم : من اقتضى من إخوانه ما لا يقضونه فقد ظلمهم ، ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه فقد أتعبهم ، ومن لم يقتض فهو المتفضل عليهم . وقال بعض الحكماء : من جعل نفسه عند الإخوان فوق قدره أثم وأثموا ، ومن جعل نفسه فى قدره تعب وأتعبهم ، ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا وتمام التخفيف بطى بساط التكليف

حتى لا يستحى منه فيما لا يستحى من نفسه . وقال الجنيد : ماتواخى اثنان فى الله فاستوحش أحدهما من صاحبه أو احتشم إلا لعلة فى أحدهما . وقال على عليه السلام : شر الأصدقاء من تكلف لك ومن أحوجك إلى مداراة وألجأك إلى اعتذار . وقال الفضيل : إنما تقاطع الناس بالتكلف يزور أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه . وقالت عائشة رضى الله عنها : المؤمن أخو المؤمن لايغتنمه ولايحتشمه . وقال الجنيد : صحبت أربع طبقات من هذه الطائفة ـ كل طبقة ثلاثون رجلا ـ حارثا المحاسبي وطبقته ، وحسنا المسوحى وطبقته ، وسريا السقطى وطبقته ، وابن الكريبى وطبقته ، فما تواخى اثنان فى الله واحتشم أحدهما من صاحبه أو استوحش إلا لعلة فى أحدهما . وقيل لبعضهم : من نصحب ؟ قال : من يرفع عنك ثقل التكلف وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ . وكان جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنهما يقول : أثقل إخوانى على من يتكلف لى وأتحفظ منه ، وأخفهم على قلبى من أكون معه كما أكون وحدى . وقال بعض الصوفية : لا تعاشر من الناس إلا من لاتزيد عنده بر ولا تنقص عنده بإثم يكون ذلك لك وعليك وأنت عنده سواء ، وإنما قال هذا لأنّ به يتخلص عن التكلف والتحفظ . وإلا فالطبع يحمله على أن يتحفظ منه إذا علم أنّ ذلك ينقصه عنده . وقال بعضهم : كن مع أبناء الدنيا بالأدب ومع أبناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت ! وقال آخر : لا تصحب إلا من يتوب عنك إذا أذنبت ويعتذر إليك إذا أسأت ويحمل مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه . وقائل هذا قد ضيق طريق الأخوة على الناس وليس الأمر كذلك بل ينبغى أن يواخى كل متدين عاقل ويعزم على أن يقوم بهذه الشرائط ولا يكلف غيره هذه الشروط حتى تكثر إخوانه ، إذ به يكون مواخيا فى الله وإلا كانت مواخاته لحظوظ نفسه فقط . ولذلك قال رجل للجنيد : قد عز الإخوان فى هذا الزمان أين أخ لى فى الله ؟ فأعرض الجنيد حتى أعاده ثلاثا ، فلما أكثر قال له الجنيد : إن أردت أخا يكفيك مؤنتك ويتحمل أذاك فهذا لعمرى قليل ، وإن أردت أخا فى الله تحمل أنت مؤنته وتصبر على أذاه فعندى جماعة أعرفهم لك . فسكت الرجل . واعلم أن الناس ثلاثة : رجل تنتفع بصحبته ، ورجل تقدر على أن تنفعه ولاتتضرر به ولكن لاتنتفع به . ورجل لاتقدر أيضا على أن تنفعه وتتضرر به وهو الأحمق أو السيئ الخلق فهذا الثالث ينبغى أن تتجنبه ، فأما الثانى فلاتجتنبه لأنك تنتفع فى الآخرة بشفاعته وبدعائه وبثوابك على القيام به ، وقد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : إن أطعتنى فما أكثر إخوانك أى إن واسيتهم واحتملت منهم ولم تحسدهم . وقد قال بعضهم : صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بينى وبينهم خلاف فإنى كنت معهم على نفسى ومن كانت هذه شيمته كثر إخوانه . ومن التخفيف وترك التكلف أن لا يعترض فى نوافل العبادات . كان طائفة من الصوفية يصطحبون على شرط المساواة بين أربع معان : إن أكل أحدهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم ، وإن صام الدهر كله لم يقل له أفطر ، وإن نام الليل كله لم يقل له قم ؟ وإن صلى الليل كله لم يقل له : نم ، وتستوى حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان لأنّ ذلك إن تفاوت حرّك الطبع إلى الرياء والتحفظ لامحالة . وقد قيل : من سقطت كلفته دامت ألفته من خفت مؤنته دامت مودته . وقال بعض الصحابة : إنّ الله لعن المتكلفين وقال صلى الله عليه وسلم « أنا والأتقياء من أمتى برآء من التكلف [1] » وقال بعضهم : إذا عمل الرجل فى بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به [2] إذا أكل عنده ، ودخل الخلاء ، وصلى . ونام . فذكر ذلك لبعض المشايخ فقال : بقيت خامسة وهو أن يحضر مع الأهل فى بيت أخيه ويجامعها ، لأنّ البيت يتخذ للاستخفاء فى الأمور الخمس ،

---

(١) حديث « أنا وأمتى برآء من التكلف » أخرجه الدارقطنى فى الافراد من حديث الزبير بن العوام « ألا انى برىء من التكلف وصالحو أمتى » وإسناده ضعيف (٢) حديث « إذا صنع الرجل فى بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به . الحديث » لم أجد له أصلا .

وإلا فالمساجد أروح لقلوب المتعبدين ، فإذا فعل هذه الخمس فقد تم الإخاء وارتفعت الحشمة وتأكد الانبساط . وقول العرب فى تسليمهم يشير إلى ذلك ، إذ يقول أحدهم لصاحبه : مرحبا وأهلا وسهلا ، أى لك عندنا مرحب وهو السعة فى القلب والمكان ، ولك عندنا أهل تأنس بهم بلا وحشة لك منا ، ولك عندنا سهولة فى ذلك كله ، أى لايشتد علينا شىء مما تريد . ولايتم التخفيف وترك التكلف إلابأن يرى نفسه دون إخوانه ويحسن الظن بهم ويسىء الظن بنفسه فإذا رآهم خيرا من نفسه فعند ذلك يكون هو خيرا منهم وقال أبو معاوية الأسود : إخوانى كلهم خير منى ، قيل وكيف ذلك ؟ قال : كلهم يرى لى الفضل عليه ومن فضلنى على نفسه فهو خير منى وقد قال صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله ولا خير فى صحبة من لايرى لك مثل ماترى له [1] » فهذه أقل الدرجات وهو النظر بعين المساواة والكمال فى رؤية الفضل للأخ . ولذلك قال سفيان : إذا قيل لك ياشر الناس فغضبت فأنت شر الناس أى ينبغى أن تكون معتقدا ذلك فى نفسك أبدا . وسيأتى وجه ذلك فى كتاب الكبر والعجب . وقد قيل فى معنى التواضع ورؤية الفضل للإخوان أبيات :

تذلل لمن إن تذللت له ... يرى ذاك للفضل لا للبله
وجانب صداقة من لا يزا ... ل على الأصدقاء يرى الفضل له

وقال آخر :

كم صديق عرفته بصديق ... صار أحظى من الصديق العتيق
ورفيق رأيته فى طريق ... صار عندى هو الصديق الحقيق

ومهما رأى الفضل لنفسه فقد احتقر أخاه وهذا فى عموم المسلمين مذموم . قال صلى الله عليه وسلم « بحسب المؤمن من الشر أن يحقر أخاه المسلم [2] » ومن تتمة الانبساط وترك التكلف أن يشاور إخوانه فى كل مايقصده ويقبل إشاراتهم فقد قال تعالى ﴿ وشاورهم فى الأمر ﴾ وينبغى أن لا يخفى عنهم شيئا من أسراره كما روى أن يعقوب ابن أخى معروف قال : جاء أسود بن سالم إلى عمى معروف وكان مواخيا له فقال : إن بشر بن الحرث يحب مؤاخاتك وهو يستحى أن يشافهك بذلك وقد أرسلنى إليك يسألك أن تعقد له فيما بينك وبينه أخوة يحتسبها ويعتد بها إلا أنه يشترط فيها شروطا : لايجب أن يشتهر بذلك ولايكون بينك وبينه مزاورة ولاملاقاة فإنه يكره كثرة الالتقاء ، فقال معروف : أما أنا لو آخيت أحدا لم أحب مفارقته ليلا ولانهارا ولزرته فى كل وقت وآثرته على نفسى فى كل حال ، ثم ذكر من فضل الأخوة والحب فى الله أحاديث كثيرة ، ثم قال فيها . وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فشاركه فى العلم [3] وقاسمه فى البدن [4] وأنكحه أفضل بناته وأحبهن إليه وخصه بذلك لمؤاخاته [5] وأنا

---

(١) حديث « المرء على دين خليله ولاخير فى صحبة من لايرى لك مثل ماترى له » تقدم الشطر الأول منه فى الباب قبله وأما الشطر الثانى فرواه ابن عدى فى الكامل من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث « بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة وتقدم فى أثناء حديث « لاتدابروا » فى هذا الباب

(٣) حديث « آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وشاركه فى العلم » أخرجه النسائى فى الخصائص من سننه الكبرى من حديث على قال « جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب ... الحديث » وفيه « فأيكم يبايعنى على أن يكون أخى وصاحبى ووارثى فلم يقم إليه أحد فقمت إليه » وفيه « حتى إذا كان فى الثالثة ضرب بيده على يدى » وله وللحاكم من حديث ابن عباس « أن عليا كان يقول فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم والله إنى لأخوه ووليه ووارث علمه ... الحديث » وكل ماورد فى أخوته فضعيف لايصح منه شىء وللترمذى من حديث ابن عمر « وانت أخى فى الدنيا والآخرة » وللحاكم من حديث ابن عباس « أنا مدينة العلم وعلى بابها » وقال صحيح الإسناد وقال ابن حبان لاأصل له وقال ابن طاهر إنه موضوع وللترمذى من حديث على « أنا دار الحكمة وعلى بابها » وقال غريب (٤) حديث « مقاسمته عليا للبدن » أخرجه مسلم فى حديث جابر الطويل « ثم أعطى عليا فنحر ماغبر وأشركه فى هديه » (٥) حديث « أنه أنكح عليا أفضل بناته وأحبهم إليه » هذا معلوم مشهور فى الصحيحين من حديث على « لما أردت أن أبتنى بفاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم واعدت رجلا صواغا ... الحديث » وللحاكم من حديث =

أشهدك أنى قد عقدت له أخوة بينى وبينه وعقدت إخاءه فى الله لرسالتك ولمسألته على أن لايزورنى إن كره ذلك ولكنى أزوره متى أحببت ، ومره أن يلقانى فى مواضع نلتقى بها ، ومره أن لايخفى على شيئا من شأنه وأن يطلعنى على جميع أحواله ، فأخبر ابن سالم بشرا بذلك فرضى وسر به . فهذا جامع حقوق الصحبة وقد أجملناه مرة وفصلناه أخرى ، ولايتم ذلك إلا بأن تكون على نفسك للإخوان ولا تكون لنفسك عليهم وأن تنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتقيد بحقوقهم جميع جوارحك .

أما البصر فبأن تنظر إليهم نظر مودة يعرفونها منك وتنظر إلى محاسنهم وتتعامى عن عيوبهم ولاتصرف بصرك عنهم فى وقت إقبالهم عليك وكلامهم معك . روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يعطى كل من جلس إليه نصيبا من وجهه وما استصغاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مسألته وتوجهه للجالس إليه [1] وكان مجلسه مجلس حياء وتواضع وأمانة ، وكان عليه السلام أكثر الناس تبسما وضحكا فى وجوه أصحابه وتعجبا مما يحدثونه به ، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء منهم بفعله وتوقيرا له عليه السلام .

وأما السمع فبأن تسمع كلامه متلذذا بسماعه ومصدقا به ومظهرا الاستبشار به ولا تقطع حديثهم عليهم بمرادة ولا منازعة ومداخلة واعتراض فإن أرهقك عارض اعتذرت إليهم وتحرس سمعك عن سماع ما يكرهون .

وأما اللسان فقد ذكرنا حقوقه فإن القول فيه يطول ومن ذلك أن لايرفع صوته عليهم ولا يخاطبهم إلا بما يفقهون .

وأما اليدان فأن لايقبضهما عن معاونتهم فى كل ما يتعاطى باليد .

وأما الرجلان فأن يمشى بهما وراءهم مشى الأتباع لا مشى المتبوعين ولا يتقدمهم إلا بقدر مايقدمونه ولايقرب منهم إلا بقدر مايقربونه ويقوم لهم إذا أقبلوا ولا يقعد إلا بقعودهم ويقعد متواضعا حيث يقعد . ومهما تم الاتحاد خف حمله من هذه الحقوق مثل القيام والاعتذار والثناء فإنها من حقوق الصحبة وفى ضمنها نوع من الأجنبية والتكلف فإذا تم الاتحاد انطوى بساط التكلف بالكلية فلا يسلك به إلا مسلك نفسه لأن هذه الآداب الظاهرة عنوان آداب الباطن وصفاء القلب . ومهما صفت القلوب استغنى عن تكلف إظهار مافيها ، ومن كان نظره إلى صحبة الخلق فتارة يعوج وتارة يستقيم ، ومن كان نظره إلى الخالق لزم الاستقامة ظاهرا وباطنا وزين باطنه بالحب لله ولخلقه وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة لعباده فإنها أعلى أنواع الخدمة لله إذ لا وصول إليها إلا بحسن الخلق ، ويدرك العبد بحسن خلقه درجة القائم الصائم وزيادة .

= أم أيمن « زوج النبى صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة عليا ... الحديث » وقال صحيح الاسناد وفى الصحيحين من حديث عائشة عن فاطمة « يافاطمة أما ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين . . الحديث » (١) حديث « كان يعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه ... الحديث » أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث على فى أثناء حديث فيه « يعطى كل جلسائه نصيبه لايحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه ممن جالسه ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول » ثم قال « مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة » وفيه « يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه » وللترمذى من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء « مارأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم » وقال غريب .

خاتمة لهذا الباب

نذكر فيها جملة آداب العشرة والمجالسة مع أصناف الخلق

ملتقطة من كلام بعض الحكماء

إن أردت حسن العشرة فالق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم ، وتوقير من غير كبر ، وتواضع فى غير مذلة . وكن فى جميع أمورك فى أوسطها فكلا طرفى قصد الأمور ذميم . ولا تنظر فى عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات وإذا جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك أصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وتخليل أسنانك وإدخال أصبعك فى أنفك وكثرة بصاقك وتنخمك وطرد الذباب من وجهك وكثرة التمطى والتثاؤب فى وجوه الناس وفى الصلاة وغيرها ، وليكن مجلسك هاديا وحديثك منظوما مرتبا واصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك من غير إظهار تعجب مفرط ولا تسأله إعادته ، واسكت عن المضاحك والحكايات ولا تحدث عن إعجابك بولدك ولا جاريتك ولا شعرك ولا تصنيفك وسائر مايخصك ، ولاتتصنع تصنع المرأة فى التزين ولاتتبذل تبذل العبد وتوق كثرة الكحل والإسراف فى الدهن ، ولا تلح فى الحاجات ولا تشجع أحدا على الظلم ولاتعلم أهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فإنهم إن رأوه قليلا هنت عندهم وإن كان كثيرا لم تبلغ قط رضاهم ، وخوفهم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف ولا تهازل أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك ، وإذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر فى حجتك ولا تكثر الإشارة بيديك ولا تكثر الالتفات إلى من وراءك ولا تجث على ركبتيك ، وإذا هدأ غيظك فتكلم وإن قربك سلطان فكن منه على مثل حد السنان فإن استرسل إليك فلا تأمن انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبى وكلمه بما يشتهيه مالم يكن معصية ، ولا يحملنك لطفه بك أن تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه وإن كنت لذلك مستحقا عنده فإن سقطة الداخل بين الملك وبين أهله سقطة لاتنعش وزلة لاتقال ، وإياك وصديق العافية فإنه أعدى الأعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرضك ، وإذا دخلت مجلسا فالأدب فيه البداية بالتسليم وترك التخطى لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث يكون أقرب إلى التواضع ، وأن تحيى بالسلام من قرب منك عند الجلوس .

ولا تجلس على الطريق ، فإن جلست فأدبه غض البصر ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف وعون الضعيف وإرشاد الضال ورد السلام وإعطاء السائل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والارتياد لموضع البصاق ، ولا تبصق فى جهة القبلة ولا عن يمينك ولكن عن يسارك وتحت قدمك اليسرى .

ولا تجالس الملوك ، فإن فعلت فأدبه ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الألفاظ والإعراب فى الخطاب ، والمذاكرة بأخلاق الملوك وقلة المداعبة وكثرة الحذر منهم - وإن ظهرت لك المودة - وأن لاتتجشأ بحضرتهم ولا تتخلل بعد الأكل عنده ، وعلى الملك أن يحتمل كل شىء إلا إفشاء السر والقدح فى الملك والتعرض للحرم .

ولا تجالس العامة ، فإن فعلت فأدبه ترك الخوض فى حديثهم وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم والتغافل عما يجرى من سوء ألفاظهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة إليهم . وإياك أن تمازح لبيبا أو غير لبيب فإن اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترئ عليك لأن المزاح يخرق الهيبة ويسقط ماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الود ويشين فقه الفقيه ويجرئ

السفيه ويسقط المنزلة عند الحكيم ويمقته المتقون ، وهو يميت القلب ويباعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة ويورث الذلة وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر وبه تكثر العيوب وتبين الذنوب . وقد قيل : لايكون المزاح إلا من سخف أو بطر . ومن بلى فى مجلس بمزاح أو لغط فليذكر الله عند قيامه قال النبى صلى الله عليه وسلم « من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك . إلا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك [1] » .

الباب الثالث : فى حق المسلم والرحم والجوار والملك
وكيفية المعاشرة مع من يدلى بهذه الأسباب

اعلم أن الإنسان إما أن يكون وحده أو مع غيره وإذا تعذر عيش الإنسان إلا بمخالطة من هو من جنسه لم يكن له بد من تعلم آداب المخالطة . وكل مخالط فنى مخالطته أدب والأدب على قدر حقه وحقه على قدر رابطته التى بها وقعت المخالطة . والرابطة إما القرابة وهى أخصها أو أخوة الإسلام وهى أعمها ، وينطوى فى معنى الأخوة الصداقة والصحبة ، وإما الجوار ، وإما صحبة السفر والمكتب والدرس ، وإما الصداقة أو الأخوة .

ولكل واحد من هذه الروابط درجات . فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم المحرم آكد ، وللمحرم حق ولكن حق الوالدين آكد . وكذلك حق الجار ولكن يختلف بحسب قربه من الدار وبعده ، ويظهر التفاوت عند النسبة حتى إن البلدى فى بلاد الغربة يجرى مجرى القريب فى الوطن لاختصاصه بحق الجوار فى البلد . وكذلك حق المسلم يتأكد بتأكد المعرفة . وللمعارف درجات فليس حق الذى عرف بالمشاهدة كحق الذى عرف بالسماع بل آكد منه والمعرفة بعد وقوعها تتأكد بالاختلاط . وكذلك الصحبة تتفاوت درجاتها فحق الصحبة فى الدرس والمكتب آكد من حق صحبة السفر . وكذلك الصداقة تتفاوت فإنها إذا قويت صارت أخوة فإن ازدادت صارت محبة فإن ازدادت صارت خلة ، والخليل أقرب من الحبيب ؛ فالمحبة ما تتمكن من حبة القلب والخلة ما تتخلل سر القلب ؛ فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلا ، وتفاوت درجات الصداقة لا يخفى بحكم المشاهدة والتجربة فأما كون الخلة فوق الأخوة فمعناه أن لفظ الخلة عبارة عن حالة هى أتم من الأخوة وتعرفه من قوله صلى الله عليه وسلم « لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله [2] » إذ الخليل هو الذى يتخلل الحب جميع أجزاء قلبه ظاهرا وباطنا ويستوعبه ولم يستوعب قلبه عليه السلام سوى حب الله وقد منعته الخلة عن الاشتراك فيه مع أنه اتخذ عليا رضى الله عنه أخا فقال « على منى بمنزلة هرون من موسى إلا النبوة [3] » فعدل بعلى عن النبوة كما عدل بأبى بكر عن الخلة ، فشارك أبو بكر عليا رضى الله عنهما فى الأخوة وزاد عليه بمقاربة الخلة وأهليته لها لو كان للشركة فى الخلة مجال ، فإنه نبه عليه بقوله « لاتخذت أبا بكر خليلا » وكان صلى الله عليه وسلم حبيب الله وخليله ، وقد روى أنه صعد المنبر يوما مستبشرا فرحا فقال « إن الله قد اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ، فأنا حبيب الله وأنا خليل الله تعالى [4] » فإذن ليس قبل

---

(١) حديث « من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك .. الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة وصححه .

الباب الثالث : فى حقوق المسلم والرحم والجوار

(٢) حديث « لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدرى

(٣) حديث « على منى بمنزلة هارون من موسى الا النبوة » متفق عليه من حديث سعد بن أبى وقاص .

(٤) حديث « ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ... » أخرجه الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف ، دون قوله « فأنا حبيب الله وأنا خليل الله »

المعرفة رابطة ولابعد الخلة درجة ، وماسواهما من الدرجات بينهما . وقد ذكرنا حق الصحبة والأخوة ويدخل فيهما ماوراءهما من المحبة والخلة ، وإنما تتفاوت الرتب فى تلك الحقوق كما سبق بحسب تفاوت المحبة والأخوة ، حتى ينتهى أقصاها إلى أن يوجب الإيثار بالنفس والمال ، كما آثر أبو بكر رضى الله عنه نبينا صلى الله عليه وسلم ، وكما آثره طلحة ببدنه إذ جعل نفسه وقاية لشخصه العزيز صلى الله عليه وسلم ، فنحن الآن نريد أن نذكر حق أخوة الإسلام وحق الرحم وحق الوالدين ، وحق الجوار ، وحق الملك ـ أعنى ملك اليمين ـ فإن ملك النكاح قد ذكرنا حقوقه فى كتاب آداب النكاح .

حقوق المسلم

هى : أن تسلم عليه إذا لقيته ، وتجيبه إذا دعاك ، وتشمته إذا عطس ، وتعوده إذا مرض ، وتشهد جنازته إذا مات ، وتبر قسمه إذا أقسم عليك ، وتنصح له إذا استنصحك ، وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنك ، وتحب له ماتحب لنفسك وتكره له ماتكره لنفسك [1] ورد جميع ذلك فى أخبار وآثار . وقد روى أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « أربع من حق المسلمين عليك : أن تعين محسنهم ، وأن تستغفر لمذنبهم ، وأن تدعو لمدبرهم وأن تحب تائبهم [2] » وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى معنى قوله تعالى ﴿رحماء بينهم﴾ قال . يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم ، فإذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال : اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به ، وإذا نظر الصالح إلى الطالح قال : اللهم أهده وتب عليه واغفر له عثرته . ومنها أن يحب للمؤمنين مايحب لنفسه ويكره لهم مايكره لنفسه قال النعمان بن بشير : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالحمى والسهر [3] » وروى أبو موسى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا [4] » ومنها أن لايؤذى أحدا من المسلمين بفعل ولاقول ؟ قال صلى الله عليه وسلم « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده [5] » وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل يأمر فيه بالفضائل « فإن لم تقدر فدع الناس من الشر فإنها صدقة تصدقت بها على نفسك [6] » وقال أيضا « أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده [7] » وقال صلى الله عليه وسلم أتدرون من المسلم ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، قالوا : فمن المؤمن ؟ قال : من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم ، قالوا : فمن المهاجر ؟ قال : من هجر السوء واجتنبه [8] » وقال رجل يارسول الله ماالإسلام

الأخبار الواردة فى حقوق المسلم على المسلم

(١) هو أن يسلم عليه إذا لقيه فذكر عشر خصال . أخرجه الشيخان من حديث أبى هريرة « حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض . واتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس » وفى رواية لمسلم « حق المسلم على المسلم ست : إذا لقيته تسلم عليه » وزاد « وإذا استنصحك فانصح له » وللترمذى وابن ماجه من حديث على « للمسلم على المسلم ست » فذكر منها « ويحب له ما يحب لنفسه » وقال « وينصح له إذا غاب أو شهد » ولأحمد من حديث معاذ « وأن تحب للناس ماتحب لنفسك وتكره لهم ماتكره لنفسك » وفى الصحيحين من حديث البراء : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع فذكر منها « وإبرار القسم ونصر المظلوم » (٢) حديث أنس « أربع من حقوق المسلمين عليك : أن تعين محسنهم ، وأن تستغفر لمذنبهم ، وأن تدعو لمدبرهم وأن تحب تائبهم » ذكره صاحب الفردوس ولم أجد له إسنادا (٣) حديث النعمان بن بشير « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد ... الحديث » متفق عليه (٤) حديث أبى موسى « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » متفق عليه

(٥) حديث « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو

(٦) حديث « فإن لم تقدر فدع الناس من الشر فإنها صدقة تصدق بها على نفسك » متفق عليه من حديث أبى ذر

(٧) حديث « أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده » متفق عليه من حديث أبى موسى (٨) حديث « أتدرون من المسلم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم قال « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » أخرجه الطبرانى والحاكم وصححه من حديث فضالة بن عبيد « ألا أخبركم بالمؤمن ؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمجاهد من =

قال : أن يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك » وقال مجاهد : يسلط على أهل النار الجرب فيحتكون حتى يبدو عظم أحدهم من جلده، فينادى: يافلان : هل يؤذيك هذا ؟فيقول : نعم ، فيقول : هذا بما كنت تؤذى المؤمنين . وقال صلى الله عليه وسلم « لقد رأيت رجلا يتقلب فى الجنة فى شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين[1] » وقال أبو هريرة رضى الله عنه ؟ « يارسول الله ، علمنى شيئا أنتفع به . قال : اعزل الأذى عن طريق المسلمين[2] » وقال صلى الله عليه وسلم « من زحزح عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له به حسنة ، ومن كتب الله له حسنة أوجب له بها الجنة[3] » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يحل لمسلم أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه » و قال « لا يحل لمسلم أن يروع مسلما[4] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يكره أذى المؤمنين[5] » وقال الربيع ابن خثيم : الناس رجلان ، مؤمن فلا تؤذه ، وجاهل فلا تجاهله . ومنها أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه ، فإن الله لا يحب كل مختال فخور . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا حتى لايفخر أحد على أحد[6] » ثم إن تفاخر عليه غيره فليحتمل ، قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ وعن ابن أبى أوفى « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتواضع لكل مسلم ولا يأنف ولايتكبر أن يمشى مع الأرملة والمسكين فيقضى حاجته[7] » ومنها أن لايسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولايبلغ بعضهم مايسمع من بعض . قال صلى الله عليه وسلم « لايدخل الجنة قتات[8] » وقال الخليل بن أحمد : من نم لك نم عليك ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك . ومنها أن لايزيد فى الهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام مهما غضب عليه . قال أبو أيوب الأنصارى : قال صلى الله عليه وسلم « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام[9] » وقد قال صلى الله عليه وسلم من أقال مسلما عثرته أقاله الله يوم القيامة[10] » قال عكرمة قال الله تعالى ليوسف بن يعقوب ، بعفوك عن إخوانك رفعت ذكرك فى الدارين . قالت عائشة رضى الله عنها « ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله[11] » وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ماعفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزا . وقال

= جاهد نفسه فى طاعة الله ، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب » ورواه ابن ماجه مقتصرا على « المؤمن والمهاجر » وللحاكم من حديث أنس وقال : على شرط مسلم ، والمهاجر من هجر السوء ؛ ولأحمد بإسناد صحيح من حديث عمر بن عبسة : قال رجل يارسول الله ما الاسلام ؟ قال « أن تسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك » (١) حديث « لقد رأيت رجلا فى الجنة يتقلب فى شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة (٢) حديث أبى هريرة : يارسول الله، علمنى شيئا أنتفع به ، قال « اعزل الأذى عن طريق المسلمين » أخرجه مسلم من حديث أبي برزة قال : قلت يانبى الله ... فذكره (٣) حديث « من زحزح عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له بها حسنة ، ومن كتب له بها حسنة أوجب له بها الجنة » رواه أحمد من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف (٤) حديث « لايحل لمسلم أن ينظر إلى أخيه بنظر يؤذيه » أخرجه ابن المبارك فى الزهد من رواية حمزة بن عبيد مرسلا بسند ضعيف ، وفى البر والصلة له من زيادات الحسين المروزى حمزة بن عبد الله بن أبى سمى وهو الصواب (٥) حديث « إن الله تعالى يكره أذى المؤمنين » أخرجه ابن المبارك فى الزهد من رواية عكرمة بن خالد مرسلا بإسناد جيد (٦) حديث « إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لايفخر أحد على أحد » أخرجه أبو داود وابن ماجه واللفظ له من حديث عياض بن حماز ورجاله رجال الصحيح (٧) حديث ابن أبى أوفى : كان لايأنف ولايستكبر أن يمشى مع الأرملة والمسكين فيقضى حاجته ، أخرجه النسائي بإسناد صحيح ، والحاكم وقال : على شرط الشيخين .

(٨) حديث « لايدخل الجنة قتات » متفق عليه من حديث أبى أيوب (٩) « لايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث .. الحديث » متفق عليه (١٠) حديث « من أقال مسلما عثرته أقاله الله يوم القيامة » أخرجه أبو داود والحاكم ، وقد تقدم

(١١) حديث عائشة : ماانتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط ، إلا أن تصاب حرمة الله فينتقم لله . متفق عليه بلفظ : إلا أن تنتهك .

صلى الله عليه وسلم « مانقص مال من صدقة ومازاد الله رجلا بعفو إلا عزا ومامن أحد تواضع لله إلا رفعه الله[١] » ومنها أن يحسن إلى كل من قدر عليه منهم ما استطاع لايميز بين الأهل وغير الأهل . روى على بن الحسين على أبيه عن جده رضى الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اصنع المعروف فى أهله وفى غير أهله فإن أصبت أهله فهو أهله وإن لم تصب أهله فأنت من أهله[٢] » وعنه بإسناده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس واصطناع المعروف إلى كل بر وفاجر[٣] » قال أبو هريرة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايأخذ أحد بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذى يرسلها ولم تكن ترى ركبته خارجة عن ركبة جليسه ولم يكن أحد يكلمه إلا أقبل عليه بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه[٤] » ومنها أن لايدخل على أحد منهم إلا بإذنه بل يستأذن ثلاثا فإن لم يؤذن له انصرف . قال أبو هريرة رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الاستئذان ثلاث فالأولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون[٥] » ومنها أن يخالق الجميع بخلق حسن ويعاملهم بحسب طريقته فإنه إن أراد لقاء الجاهل بالعلم والأمى بالفقه والعيى بالبيان آذى وتأذى . ومنها أن يوقر المشايخ ويرحم الصبيان . قال جابر رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا[٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « من إجلال الله إكرام ذى الشيبة المسلم[٧] » ومن تمام توقير المشايخ أن لا يتكلم بين أيديهم إلا بالإذن ، وقال جابر « قدم وفد جهينة على النبى صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم فقال صلى الله عليه وسلم : مه فأين الكبير[٨] ؟ » وفى الخبر « ماوقر شاب شيخا إلا قيض الله له فى سنه من يوقره[٩] » وهذه بشارة بدوام الحياة فليتنبه لها فلايوفق لتوقير المشايخ إلا من قضى الله له بطول العمر ، وقال صلى الله عليه وسلم « لاتقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا وتفيض اللئام فيضا وتغيض الكرام غيضا ويجترئ الصغير على الكبير واللئيم على الكريم[١٠] » « والتلطف بالصبيان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم[١١] » . « كان صلى الله عليه وسلم يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يأمر بهم فيرفعون إليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه

---

(١) حديث « مانقص مال من صدقة ، وما زاد الله رجلا بعفو إلا عزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة (٢) حديث على بن الحسين عن أبيه عن جده « اصنع المعروف إلى أهله ، فإن لم تصب أهله فأنت أهله » ذكره الدارقطنى فى العلل وهو ضعيف ، ورواه القضاعى فى مسند الشهاب من رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرسلا بسند ضعيف (٣) حديث على بن الحسين عن أبيه عن جده « رأس العقل بعد الإيمان التودد إلى الناس واصطناع المعروف إلى كل بر وفاجر » أخرجه الطبرانى فى الأوسط ، والخطابى فى تاريخ الطالبيين ، وعند أبو نعيم فى الحلية دون قوله « واصطناع ... إلى آخره » وقال الطبرانى « التحبب » (٤) حديث أبى هريرة : كان لايأخذ أحد بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذى يرسلها ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن . ولأبى داود والترمذى وابن ماجه نحوه من حديث أنس بسند ضعيف

(٥) حديث أبى هريرة « الاستئذان ثلاث ؛ فالأولى يستنصتون ، والثانية يستصلحون ، والثالثة يأذنون أو يردون » أخرجه الدارقطنى فى الأفراد بسند ضعيف . وفى الصحيحين من حديث أبى موسى « الاستئذان ثلاث ؛ فإن أذن لك وإلا فارجع .

(٦) حديث جابر « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا » رواه الطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف ، وهو عند أبى داود ، والبخارى فى الأدب من حديث عبدالله بن عمرو بسند حسن (٧) حديث « من إجلال الله إكرام ذى الشيبة المسلم » أخرجه أبو داود من حديث أبى موسى الأشعرى بإسناد حسن (٨) حديث جابر : قدم وفد جهينة على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقام غلام ليتكلم ، فقال صلى الله عليه وسلم « مه فأين الكبير؟ » أخرجه الحاكم وصححه (٩) حديث « ماوقر شاب شيخا لسنه إلا قيض الله له فى سنه من يوقره » أخرجه الترمذى من حديث أنس بلفظ « ما أكرم ، ومن يكرمه » وقال حديث غريب . وفى بعض النسخ حسن ، وفيه أبو الرجال وهو ضعيف (١٠) حديث « لاتقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا ... الحديث » رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث عائشة والطبرانى من حديث ابن مسعود . وإسنادهما ضعيف (١١) حديث التلطف بالصبيان أخرجه البزار من حديث أنس : كان من أفكه الناس مع صبى ، وقد تقدم فى النكاح . وفى الصحيحين « ياأبا عمير مافعل النغير » وغير ذلك

ويأمر أصحابه أن يحملوا بعضهم [١] » فربما تفاخر الصبيان بعد ذلك فيقول بعضهم لبعض : حملني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه وحملك أنت وراءه ، ويقول بعضهم : أمر أصحابه أن يحملوك وراءهم « وكان يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة وليسميه فيأخذه فيضعه في حجره فربما بال الصبي فيصيح به بعض من يراه فيقول : لاتزرموا الصبي بوله فيدعه حتى يقضي بوله ثم يفرغ من دعائه له وتسميته ويبلغ سرور أهله فيه لئلا يروا أنه تأذى ببوله فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعده [٢] » ومنها أن يكون مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه رفيقا . قال صلى الله عليه وسلم « أتدرون على من حرمت النار ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال . على اللين الهين السهل القريب [٣] » وقال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب السهل الطلق الوجه [٤] » وقال بعضهم « يارسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة ، فقال : إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام [٥] » وقال عبد الله بن عمر : إن البر شيء هين ؛ وجه طليق وكلام لين وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة [٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها ؛ فقال أعرابي : لمن هي يارسول الله ؟ قال لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام [٧] » وقال معاذ بن جبل : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح [٨] » وقال أنس رضي الله عنه « عرضت لنبي الله صلى الله عليه وسلم امرأة وقالت : لي معك حاجة ؛ وكان معه ناس من أصحابه ، فقال : اجلسي في أي نواحي السكك شئت أجلس إليك ، ففعلت فجلس إليها حتى قضت حاجتها [٩] » وقال وهب بن منبه : إن رجلا من بني إسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل سبعة أيام ، فسأل الله تعالى أنه يريه كيف يغوي الشيطان الناس ؟ فلما طال عليه ذلك ولم يجب قال : لو اطلعت على خطيئتي وذنبي

---

(١) حديث : كان يقدم من السفر فتتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يأمر بهم فيرفعون إليه ... الحديث . رواه مسلم من حديث عبد الله بن جعفر : كان إذا قدم من سفر تلقي بنا . قال : فتلقي بي وبالحسن ، وقال : فحمل أحدنا بين يديه والآخر خلفه وفي رواية : تلقي بصبيان أهل بيته وأنه قدم من سفر فسبق بي إليه فحملني بين يديه ثم جيء بأحد ابني فاطمة فأردفه خلفه . وفي الصحيحين أن عبد الله بن جعفر قال لابن الزبير : أتذكر إذ تلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأنت وابن عباس ؟ قال : نعم فحملنا وتركك ، لفظ مسلم . وقال البخاري : ان ابن الزبير قال لابن جعفر ، فالله أعلم (٢) حديث : كان يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة ويسميه فيأخذه ويضعه في حجره فربما بال الصبي فيصيح به بعض من رآه .. الحديث رواه مسلم من حديث عائشة كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم فأتي بصبي فبال عليه فدعا بماء فأتبعه بوله ولم يغسله . وأصله متفق عليه . وفي رواية لأحمد : فيدعو لهم ، وفيه « صبوا عليه الماء صبا وللدارقطني : بال ابن الزبير على النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه أخذا عنيفا ... الحديث ، وفيه الحجاج بن أرطاة ضعيف ولأحمد بن منيع من حديث حسن بن علي عن امرأة منهم : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا على ظهره يلاعب صبيا اذ بال ، فقامت لتأخذه وتضربه فقال : « دعيه ، ائتوني بكوز من ماء ... الحديث » واسناده صحيح

(٣) حديث « أتدرون على من حرمت النار ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال على الهين اللين السهل القريب » أخرجه الترمذي من حديث ابن مسعود ولم يقل « اللين » وذكرها الخرائطي من رواية محمد بن أبي معيقيب عن أمه قال الترمذي حسن غريب

(٤) حديث أبي هريرة « ان الله يحب السهل الطلق » أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بسند ضعيف ورواه من رواية مورق العجلي مرسلا (٥) حديث « ان من واجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام » أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه والطبراني والخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له والبيهقي في شعب الإيمان من حديث هانئ بن يزيد بإسناد جيد (٦) حديث « اتقوا النار ولو بشق تمرة ... الحديث » متفق عليه من حديث عدي بن حاتم وتقدم في الزكاة (٧) حديث « ان في الجنة غرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها ... الحديث » أخرجه الترمذي من حديث علي وقال حديث غريب . قلت وهو ضعيف

(٨) حديث « معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث » أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق والبيهقي في كتاب الزهد وأبو نعيم في الحلية ولم يقل البيهقي « وخفض الجناح » واسناده ضعيف (٩) حديث أنس « عرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وقالت لي معك حاجة فقال اجلسي في أي نواحي السكك شئت أجلس اليك ... الحديث » رواه مسلم

بيني وبين ربي لكان خيرا لي من هذا الأمر الذي طلبته ، فأرسل الله إليه ملكا فقال له : إن الله أرسلني إليك وهو يقول لك : إن كلامك هذا الذي تكلمت به أحب إلي مما مضى من عبادتك ، وقد فتح الله بصرك فانظر، فنظر فإذا جنود إبليس قد أحاطت بالأرض وإذا ليس أحد من الناس إلا والشياطين حوله كالذئاب فقال : أي رب من ينجو من هذا ؟قال : الورع اللين . ومنها أن لا يعد مسلما بوعد إلا ويفي به قال صلى الله عليه وسلم « العدة عطية [1] » وقال « العدة دين [2] » وقال « ثلاث في المنافق : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان [3] » وقال « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى [4] » وذكر ذلك ومنها أن ينصف الناس من نفسه ولا يأتي إليهم إلا بما يحب أن يؤتى إليه قال صلى الله عليه وسلم « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال : الإنفاق من الإقتار والإنصاف من نفسه وبذل السلام [5] » وقال عليه السلام « من سره أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وليؤت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه [6] » وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا الدرداء أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما [7] » قال الحسن : أوحى الله تعالى إلى آدم صلى الله عليه وسلم بأربع خصال وقال : فيهن جماع الأمر لك ولولدك ، واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الخلق ، فأما التي لي : تعبدني ولا تشرك بي شيئا ، وأما التي لك : فعملك أجزيك به أفقر ما تكون إليه ، وأما التي بيني وبينك : فعليك الدعاء وعلي الإجابة ، وأما التي بينك وبين الناس فتصحبهم بالذي تحب أن يصحبوك به وسأل موسى عليه السلام الله تعالى فقال : أي رب أي عبادك أعدل ؟ قال من أنصف من نفسه . ومنها أن يزيد في توقير من تدل هيئته وثيابه على علو منزلته فينزل الناس منازلهم . روي أن عائشة رضي الله عنها كانت في سفر فنزلت منزلا فوضعت طعامها ، فجاء سائل فقالت عائشة : ناولوا هذا المسكين قرصا ، ثم مر رجل على دابة فقالت : ادعوه إلى الطعام . فقيل لها : تعطين المسكين وتدعين هذا الغني ؟ فقالت : إن الله تعالى أنزل الناس منازل لابد لنا من أن ننزلهم تلك المنازل ، هذا المسكين يرضى بقرص وقبيح بنا أن نعطي هذا الغني على هذه الهيئة قرصا . وروي أنه صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوته فدخل عليه أصحابه حتى غص المجلس وامتلأ ؛ فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد مكانا فقعد على الباب فلف رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه فألقاه إليه وقال له : اجلس على هذا فأخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكي ، ثم لفه ورمى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : ما كنت لأجلس على ثوبك ؛ أكرمك الله كما أكرمتني ، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا ثم قال « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه [8] » وكذلك كل من له عليه حق قديم

---

(١) حديث « العدة عطية » أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث ثابت بن أشيم بسند ضعيف (٢) حديث « العدة دين » رواه الطبراني في معجميه الأوسط والأصغر من حديث علي وابن مسعود بسند فيه جهالة ورواه أبو داود في المراسيل

(٣) حديث « ثلاث في المنافق : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان » متفق عليه من حديث أبي هريرة نحوه

(٤) حديث « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى » رواه البخاري من حديث أبي هريرة وأصله متفق عليه ولفظ مسلم « وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم » وهذا ليس في البخاري

(٥) حديث « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال : الإنفاق من الإقتار والإنصاف من نفسه وبذل السلام » أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عمار بن ياسر ووقفه البخاري عليه (٦) حديث « من سره أن يزحزح عن النار فلتأته منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه » أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص نحوه والخرائطي في مكارم الأخلاق بلفظه (٧) حديث « يا أبا الدرداء أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما » أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف والمعروف أنه قاله لأبي هريرة وقد تقدم (٨) حديث « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » وفي أوله قصة في قدوم جرير بن عبد الله أخرجه الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وتقدم في الزكاة مختصرا .

فليكرمه . روى أن ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أرضعته جاءت إليه فبسط لها رداءه ثم قال لها مرحبا بأمى ثم أجلسها على الرداء ثم قال لها اشفعى تشفعى وسلى تعطى فقالت : قومى فقال : أما حقى وحق بنى هاشم فهو ذلك ؛ فقام الناس من كل ناحية وقالوا : وحقنا يارسول الله . ثم وصلها بعد وأخدمها ووهب لها سهمانه بحنين [١] ، فبيع ذلك من عثمان بن عفان رضى الله عنه بمائة ألف درهم ، ولربما أتاه من يأتيه وهو على وسادة جالس ولا يكون فيها سعة يجلس معه فينزعها ويضعها تحت الذى يجلس إليه فإن أبى عزم عليه حتى يفعل [٢] ، ومنها أن يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد إليه سبيلا . قال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة ؟ قالوا : بلى قال : إصلاح ذات البين وفساد ذات البين هى الحالقة [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصدقة إصلاح ذات البين [٤] » وعن النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه أنس رضى الله عنه قال « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر رضى الله عنه : يارسول الله بأبى أنت وأمى ماالذى أضحكك ؟ قال : رجلان من أمتى جثيا بين يدى رب العزة فقال أحدهما : يارب خذلى مظلمتى من هذا ، فقال الله تعالى : رد على أخيك مظلمته . فقال : يارب لم يبق لى من حسناتى شىء ، فقال الله تعالى للطالب : كيف تصنع بأخيك ولم يبق له من حسناته شىء ؟ فقال : يارب فليحمل عنى من أوزارى . ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء فقال : إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس فيه إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال : فيقول الله تعالى ـ أى للمتظلم ـ ارفع بصرك فانظر فى الجنان فقال : يارب أرى مدائن من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لأى نبى هذا أو لأى صديق أو لأى شهيد ؟ قال الله تعالى : هذا لمن أعطى الثمن قال : يارب ومن يملك ذلك ؟ قال : أنت تملكه ، قال . بماذا يارب ؟ قال : بعفوك عن أخيك ، قال : يارب قد عفوت عنه ، فيقول الله تعالى : خذ بيد أخيك فأدخله الجنة . ثم قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة [٥] » وقد قال صلى الله عليه وسلم « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا [٦] » وهذا يدل على وجوب الإصلاح بين الناس لأن ترك الكذب واجب ولا يسقط الواجب إلا بواجب آكد منه قال صلى الله عليه وسلم « كل الكذب مكتوب إلا أن يكذب الرجل فى الحرب [٧] . فإن الحرب خدعة أو يكذب بين اثنين فيصلح بينهما أو يكذب لامرأته ليرضيها » ومنها أن يستر عورات المسلمين كلهم قال صلى الله عليه وسلم « من ستر على مسلم ستره الله

---

(١) حديث « إن ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أرضعته جاءت إليه فبسط لها رداءه .. الحديث » أخرجه أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبى الطفيل مختصرا فى بسط ردائه لها دون ما بعده

(٢) حديث « نزعه صلى الله عليه وسلم وسادته ووضعها تحت الذى يجلس إليه » أخرجه أحمد من حديث ابن عمرو « أنه دخل عليه صلى الله عليه وسلم فألقى إليه وسادة من أدم حشوها ليف ... الحديث » وإسناده صحيح وللطبرانى من حديث سلمان « دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكئ على وسادة فألقاها إلى .. الحديث » وسنده ضعيف قال صاحب الميزان هذا خبر ساقط

(٣) حديث « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال إصلاح ذات البين ، وفساد ذات البين هى الحالقة » رواه أبو داود والترمذى وصححه من حديث أبى الدرداء (٤) حديث « أفضل الصدقة إصلاح ذات البين » أخرجه الطبرانى فى الكبير والخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو وفيه عبد الرحمن بن زياد الإفريقى ضعفه الجمهور .

(٥) حديث أنس « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر يارسول الله بأبى وأمى ما الذى أضحكك ؟ قال رجلان من أمتى جثيا بين يدى الله عزوجل فقال أحدهما يارب خذ لى مظلمتى من هذا ... الحديث » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق والحاكم وقال صحيح الإسناد وكذا أبو يعلى الموصلى خرجه بطول وضعفه البخارى وابن حبان

(٦) حديث « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نمى خيرا » متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط

(٧) حديث « كل الكذب مكتوب إلا أن يكذب الرجل فى الحرب ... الحديث » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث النواس بن سمعان وفيه انقطاع وضعف ولمسلم نحوه من حديث أم كلثوم بنت عقبة .

تعالى فى الدنيا والآخرة [١] » وقال « لايستر عبد عبدا إلا ستره الله يوم القيامة [٢] » وقال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم « لايرى المؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم لماعز لما أخبره « لو سترته بثوبك كان خيرا لك [٤] » فإذن على المسلم أن يستر عورة نفسه فحق إسلامه واجب عليه كحق إسلام غيره . قال أبو بكر رضى الله عنه : لو وجدت شاربا لأحببت أن يستره الله ولو وجدت سارقا لأحببت أن يستره الله . وروى أن عمر رضى الله عنه كان يعس بالمدينة ذات ليلة فرأى رجلا وامرأة على فاحشة فلما أصبح قال للناس : أرأيتم لو أن إماما رأى رجلا وامرأة على فاحشة فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين ؟ قالوا : إنما أنت إمام ، فقال على رضى الله عنه : ليس ذلك لك ، إذاً يقام عليك الحد إن الله لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهود ، ثم تركهم ماشاء الله أن يتركهم ثم سألهم ، فقال القوم مقالتهم الأولى ، فقال على رضى الله عنه : مثل مقالته الأولى . وهذا يشير إلى أن عمر رضى الله عنه كان مترددا فى أن الوالى هل له أن يقضى بعلمه فى حدود الله ؟ فلذلك راجعهم فى معرض التقدير لا فى معرض الإخبار خيفة من أن لا يكون له ذلك فيكون قاذفا بإخباره ، ومال رأى على إلى أنه ليس له ذلك . وهذا من أعظم الأدلة على طلب الشرع لستر الفواحش فإن أفحشها الزنا ، وقد نيط بأربعة من العدول ـ يشاهدون ذلك منه فى ذلك منها كالمرود فى المكحلة ـ وهذا قط لا يتفق . وإن علمه القاضى تحقيقا لم يكن له أن يكشف عنه . فانظر إلى الحكمة فى حسم باب الفاحشة بإيجاب الرجم الذى هو أعظم العقوبات . ثم انظر إلى كشيف ستر الله كيف أسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق فى كشفه ؟ فنرجو أن لا نحرم هذا الكرم يوم تبلى السرائر : فى الحديث « إن الله إذا ستر على عبد عورته فى الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها فى الآخرة وإن كشفها فى الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها مرة أخرى [٥] » وعن عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه قال : خرجت مع عمر رضى الله عنه ليلة فى المدينة فبينما نحن نمشى إذ ظهر لنا سراج فانطلقنا نؤمه فلما دنونا منه إذا باب مغلق على قوم لهم أصوات ولغط فأخذ عمر بيدى وقال : أتدرى بيت من هذا ؟ قلت : لا ، فقال : هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شرب فما ترى ؟ قلت : أرى أنا قد أتينا ما نهانا الله عنه قال الله تعالى ﴿ ولا تجسسوا ﴾ فرجع عمر رضى الله عنه وتركهم وهذا يدل على وجوب الستر وترك التتبع وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاوية « إنك إن تتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم [٦] » وقال صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم « يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان فى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو كان فى جوف بيته [٧] » وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : لو رأيت أحدا على حد من حدود الله تعالى

---

(١) حديث « من ستر على مسلم ستره الله فى الدنيا والآخرة » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة وللشيخين من حديث ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة (٢) حديث « لايستر عبد عبدا إلا ستره الله يوم القيامة » رواه مسلم من حديث أبى هريرة أيضا

(٣) حديث أبى سعيد الخدرى « لايرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة » رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير والخرائطى فى مكارم الأخلاق واللفظ له بسند ضعيف (٤) حديث « لو سترته بثوبك كان خيرا لك » رواه أبو داود والنسائى من حديث نعيم بن هزال والحاكم من حديث هزال نفسه وقال صحيح الإسناد ونعيم مختلف فى صحبته (٥) حديث « إن الله إذا ستر على عبده عورة فى الدنيا فهو أكرم من أن يكشفه فى الآخرة .. الحديث » أخرجه الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث على « من أذنب ذنبا فى الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من أن يرجع فى شىء قد عفا عنه ومن أذنب ذنبا فى الدنيا فعوقب عليه فالله أعدل من أن يثنى العقوبة على عبده » لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ولمسلم من حديث أبى هريرة « لاستر الله على عبد فى الدنيا إلا ستره يوم القيامة » (٦) حديث « إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم » قاله لمعاوية أخرجه أبو داود بإسناد صحيح من حديث معاوية (٧) حديث « يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لاتغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ... الحديث » أخرجه أبو داود من حديث أبى برزة بإسناد جيد وللترمذى من حديث ابن عمر وحسنه .

ماأخذته ولا دعوت له أحدا حتى يكون معى غيرى . وقال بعضهم : كنت قاعدا مع عبدالله بن مسعود رضى الله عنه إذ جاءه رجل بآخر ، فقال : هذا نشوان ، فقال عبدالله بن مسعود : استنكهوه فاستنكهوه فوجده نشوانا فحبسه حتى ذهب سكره ، ثم دعا بسوط فكسر ثمره ثم قال للجلاد : اجلد وارفع يدك وأعط كل عضو حقه فجلده وعليه قباء أو مرط : فلما فرغ قال للذى جاء به : ماأنت منه ؟ قال : عمه ، قال عبدالله : ماأدبت فأحسنت الأدب ولاسترت الحرمة ! إنه ينبغى للإمام إذا انتهى إليه حد أن يقيمه وإن الله عفو يحب العفو ثم قرأ ﴿ وليعفوا وليصفحوا ﴾ ثم قال « إنى لأذكر أول رجل قطعه النبى صلى الله عليه وسلم أتى بسارق فقطعه فكأنما أسف وجهه ، فقالوا : يارسول الله كأنك كرهت قطعه ، فقال : ومايمنعنى ! لاتكونوا عونا للشياطين على أخيكم ؟ فقالوا : ألاعفوت عنه ؟ فقال : إنه ينبغى للسلطان إذا انتهى إليه حد أن يقيمه إن الله عفو يحب العفو وقرأ ﴿ وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ [1] » وفى رواية فكأنما سفى فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم رماد لشدة تغيره وروى أن عمر رضى الله عنه كان يعس بالمدينة من الليل فسمع صوت رجل فى بيت يتغنى فتسور عليه فوجده عنده امرأة وعنده خمر ، فقال : يا عدو الله أظننت أن الله يسترك وأنت على معصيته ؟ فقال : وأنت يا أمير المؤمنين فلا تعجل فإن كنت قد عصيت الله واحدة فقد عصيت الله فى ثلاثا قال الله تعالى ﴿ ولا تجسسوا ﴾ وقد تجسست وقال الله تعالى ﴿ وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ﴾ وقد تسورت على وقد قال الله تعالى ﴿ لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم ﴾ الآية وقد دخلت بيتى بغير إذن ولا سلام ، فقال عمر رضى الله عنه . هل عندك من خير إن عفوت عنك ؟ قال نعم والله ياأمير المؤمنين لئن عفوت عنى لاأعود إلى مثلها أبدا فعفا عنه وخرج وتركه . وقال رجل لعبدالله بن عمر . يا أباعبد الرحمن كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى يوم القيامة ؟ قال سمعته يقول « إن الله ليدنى منه المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول : أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول : نعم يارب ، حتى إذا قرره بذنوبه فرأى فى نفسه أنه قد هلك قال له : ياعبدى إنى لم أسترها عليك فى الدنيا إلا وأنا أريد أن أغفرها لك اليوم ، فيعطى كتاب حسناته . وأما الكافرون والمنافقون ﴿ فتقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « كل أمتى معافى إلا المجاهرين [3] » وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل السوء سرا ثم يخبر به وقال صلى الله عليه وسلم « من استمع خبر قوم وهو له كارهون صب فى أذنه الآنك يوم القيامة [4] » ومنها أن يتقى مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولألسنتهم عن الغيبة فإنهم إذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكا قال الله تعالى ﴿ ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « كيف ترون من يسب أبويه فقالوا : وهل من أحد يسب أبويه ؟ فقال : نعم يسب أبوى غيره فيسبون أبويه [5] » وقد روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم إحدى نسائه فمر به رجل فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يافلان هذه زوجتى صفية » فقال :

---

(١) حديث ابن مسعود « انى لأذكر أول رجل قطعه النبى صلى الله عليه وسلم أتى بسارق فقطعه فكأنما أسف وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث » رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد والخرائطى فى مكارم الأخلاق : فكأنما سفى فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم رماد .. الحديث (٢) حديث ابن عمر « إن الله عز وجل ليدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول أتعرف ذنب كذا .. الحديث عليه (٣) حديث « كل أمتى معافى إلا المجاهرين ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة (٤) حديث « من استمع من قوم وهم له كارهون صب فى أذنيه الآنك يوم القيامة » رواه البخارى من حديث ابن عباس مرفوعا وموقوفا عليه وعلى أبى هريرة أيضاً . (٥) حديث « كيف ترون من سب أبويه فقالوا وهل من أحد يسب أبويه ... الحديث » متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو نحوه .

يارسول الله من كنت أظن فيه فإنى لم أكن أظن فيك ، فقال : إنّ الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم[١] » وزاد فى رواية « إنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئا وكانا رجلين فقال : على رسلكما إنها صفية[٢] ... الحديث» وكانت قد زارته فى العشر الأواخر من رمضان : وقال عمر رضى الله عنه : من أقام نفسه مقام التهم فلا يلومن من أساء به الظن . ومر برجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فعلاه بالدرة فقال : ياأمير المؤمنين ، إنها امرأتى فقال : هلا حيث لايراك أحد من الناس ؟ ومنها أن يشفع لكل من له حاجة من المسلمين إلى من له عنده منزلة ويسعى فى قضاء حاجته بما يقدر عليه قال صلى الله عليه وسلم « إنى أوتى وأسأل وتطلب إلى الحاجة وأنتم عندى فاشفعوا لتؤجروا ويقضى الله على يدى نبيه ما أحب[٣] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشفعوا إلى لتؤجروا إنى أريد الأمر وأؤخره كى تشفعوا إلى فتؤجروا » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن صدقة أفضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك؟ قال : الشفاعة يحقن بها الدم وتجر بها المنفعة إلى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر[٤] » وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كأنى انظر إليه خلفها وهو يبكى ودموعه تسيل على لحيته ، فقال صلى الله عليه وسلم للعباس « ألا تعجب من شدّة حب مغيث لبريرة وشدة بغضها له ! فقال النبى صلى الله عليه وسلم لو راجعته فإنه أبو ولدك ، فقالت : يارسول الله أتأمرنى فافعل ؟ فقال . لا إنما أنا شافع[٥] » ومنها أن يبدأ كل مسلم منهم بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند السلام قال صلى الله عليه وسلم « من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه حتى يبدأ بالسلام[٦] » وقال بعضهم : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم أستأذن فقال النبى صلى الله عليه وسلم « ارجع فقل السلام عليكم أأدخل[٧] » وروى جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فإن الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته[٨] » وقال أنس رضى الله عنه خدمت النبى صلى الله عليه وسلم ثمان حجج فقال لى « يا أنس أسبغ الوضوء يزد فى عمرك وسلم على من لقيته من أمتى تكثر حسناتك وإذا دخلت منزلك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك[٩] » وقال أنس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا التقى المؤمنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسع وستون لأحسنهما بشرا » وقال تعالى ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ﴾ وقال عليه السلام « والذى نفسى بيده لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولاتؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على عمل إذا عملتموه تحاببتم ؟ قالوا . بلى يارسول الله ،

---

(١) حديث أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم لإحدى نسائه فمر به رجل فدعاه فقال يافلان هذه زوجتى فلانة ... الحديث » وفيه « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم » رواه مسلم (٢) حديث « إنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شرا وقال على رسلكما إنها صفية » متفق عليه من حديث صفية (٣) حديث « إنى أوتى وأسأل وتطلب إلى الحاجه وأنتم عندى فاشفعوا لتؤجروا ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى موسى نحوه (٤) حديث « مامن صدقة أفضل من صدقة اللسان .. الحديث » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق واللفظ له فى الكبير من حديث سمرة بن جندب ضعيف (٥) حديث عكرمة عن ابن عباس « أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كانى أنظر إليه خلفها يبكى ... الحديث » رواه البخارى (٦) حديث « من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه الحديث أخرجه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى اليوم والليلة واللفظ له من حديث ابن عمر بسند فيه لين

(٧) حديث : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم أستأذن فقال صلى الله عليه وسلم « ارجع فقل السلام عليكم أأدخل » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه من حديث كلدة بن الحنبل وهو صاحب القصة (٨) حديث جابر « إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فإن الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق وفيه ضعف .

(٩) حديث أنس : خدمت النبى صلى الله عليه وسلم ثمانى حجج فقال لى « ياأنس أسبغ الوضوء يزد فى عمرك وسلم على من لقيته من أمتى تكثر حسناتك وإذا دخلت بيتك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق واللفظ له والبيهقى فى الشعب واسناده ضعيف وللترمذى وصححه « اذا دخلت على اهلك فسلم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك »

قال : أفشوا السلام بينكم [١] ، وقال أيضا « إذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة [٢] وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم ولايسلم عليه [٣] » وقال عليه السلام « يسلم الراكب على الماشي وإذا سلم من القوم واحد أجزأ عنهم [٤] » وقال قتادة : كانت تحية من كان قبلكم السجود فأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام وهي تحية أهل الجنة . وكان أبو مسلم الخولاني يمر على قوم فلا يسلم عليهم ويقول : مايمنعني إلا أني أخشى أن لايردوا فتلعنهم الملائكة . والمصافحة أيضا سنة مع السلام وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليكم ، فقال عليه السلام : عشر حسنات ، فجاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله فقال عشرون حسنة ، فجاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فقال : ثلاثون [٥] » وكان أنس رضي الله عنه يمر على الصبيان فيسلم عليهم [٦] ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فعل ذلك . وروى عبد الحميد ابن بهرام : أنه صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من الناس قعود فأومأ بيده بالسلام ، وأشار عبد الحميد بيده إلى الحكاية [٧] . فقال عليه السلام « لاتبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه [٨] » وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتصافحوا أهل الذمة ولا تبدءوهم بالسلام فإذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيق الطرق » .

قالت عائشة رضي الله عنها : إنّ رهطا من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : السام عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم « عليكم » قالت عائشة رضي الله عنها : فقلت بل عليكم السام واللعنة فقال عليه السلام « ياعائشة إن الله يحب الرفق في كل شيء » قالت عائشة : ألم تسمع ماقالوا ؟ قال « فقد قلت عليكم [٩] » وقال عليه السلام « يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير [١٠] » وقال عليه السلام « لاتشبهوا باليهود والنصارى فإن تسليم اليهود بالإشارة بالأصابع وتسليم النصارى بالإشارة بالأكف [١١] » قال أبو عيسى إسناده ضعيف .

وقال عليه السلام « إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فإن بدا له أن يجلس فليجلس ، ثم إذا قام فليسلم فليست

---

(١) حديث « والذي نفسي بيده لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولاتؤمنوا حتى تحابوا ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث « إذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة » ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي هريرة ولم يسنده ولده في المسند (٣) حديث : الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم فلا يسلم عليه . لم أقف له على أصل

(٤) حديث « يسلم الراكب على الماشي وإذا سلم من القوم أحد أجزأ عنهم » رواه مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم مرسلا ولأبي داود من حديث علي « يجزى عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزى عن الجلوس أن يرد أحدهم » وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة « يسلم الراكب على الماشي ... الحديث » وسيأتي في بقية الباب (٥) حديث : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال سلام عليك فقال صلى الله عليه وسلم « عشر حسنات ... الحديث » أخرجه أبو داود والترمذي من حديث عمران ابن حصين قال الترمذي حسن غريب وقال البيهقي في الشعب إسناده حسن (٦) حديث أنس : كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم ورفعه متفق عليه (٧) حديث عبد الحميد بن بهرام : أنه صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من الناس قعود فألوى بيده بالتسليم وأشار عبد الحميد بيده أخرجه الترمذي من رواية عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وقال حسن وابن ماجه من رواية ابن أبي حسين عن شهر ورواه أبو داود وقال أحمد لا بأس به (٨) حديث « لاتبدؤا اليهود والنصارى بالسلام ... الحديث » رواه مسلم من حديث أبي هريرة

(٩) حديث عائشة : إن رهطا من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : السام عليك ... الحديث » متفق عليه (١٠) حديث « يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير » متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يقل مسلم « والصغير على الكبير » (١١) حديث « لاتشبهوا باليهود والنصارى فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع وتسليم النصارى الإشارة بالأكف » أخرجه الترمذي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال إسناده ضعيف

الأولى بأحق من الأخيرة [١] » وقال أنس رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا التقى المؤمنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسعة وستون لأحسنهما بشرا [٢] » وقال عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إذا التقى المسلمان وسلم كل واحد منهما على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادئ تسعون وللمصافح عشرة [٣] » وقال الحسن : المصافحة تزيد في الود . وقال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تمام تحياتكم المصافحة [٤] » وقال عليه السلام « قبلة المسلم أخاه المصافحة [٥] » ولا بأس بقبلة يد المعظم في الدين تبركا به وتوقيرا له . وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قبلنا يد النبي صلى الله عليه وسلم [٦] » وعن كعب بن مالك قال : لما نزلت توبتي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقبلت يده [٧] » وروى أن أعرابيا قال : يارسول الله ائذن لي فأقبل رأسك ويدك قال : فأذن له ففعل [٨] ولقي أبو عبيدة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فصافحه وقبل يده وتنحيا يبكيان وعن البراء بن عازب رضي الله عنه : أنه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه فرد عليه ومد يده إليه فصافحه فقال : يارسول الله ما كنت أرى هذا إلا من أخلاق الأعاجم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المسلمين إذا التقيا فتصافحا تحاتت ذنوبهما [٩] » وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم السلام وإن لم يردوا عليه رد عليه ملأ خير منهم وأطيب - أو قال وأفضل - [١٠] » والانحناء عند السلام منهي عنه قال أنس رضي الله عنه : قلنا يارسول الله أينحني بعضنا لبعض ؟ قال « لا » قال : فيقبل بعضنا بعضا ؟ قال « لا » قال : فيصافح بعضنا بعضا ؟ قال « نعم [١١] » والالتزام والتقبيل قد ورد به الخبر عند القدوم من السفر [١٢] وقال أبو ذر رضي الله عنه : مالقيته صلى الله عليه وسلم إلا صافحني ، وطلبني يوما فلم أكن في البيت فلما أخبرت جئت وهو على سرير فالتزمني فكانت أجود وأجود [١٣] .

---

(١) حديث « إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فان بدا له أن يجلس فليجلس ، ثم اذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الأخيرة » أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة (٢) حديث أنس « اذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما سبعون رحمة .. الحديث » أخرجه الخرائطي بسند ضعيف والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة « مائة رحمة تسعة وتسعون لأبشهما وأطلقهما وأبرهما وأحسنهما مسألة لأخيه » وفيه الحسن بن كثير بن يحيى بن أبي كثير مجهول (٣) حديث عمر بن الخطاب « اذا التقى المسلمان فسلم كل واحد على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة ... الحديث » أخرجه البزار في مسنده والخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له والبيهقي في الشعب وفي إسناده نظر (٤) حديث أبي هريرة « تمام تحياتكم بينكم المصافحة » أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق وهو عند الترمذي من حديث أبي أمامة وضعفه (٥) حديث « قبلة المسلم أخاه المصافحة » أخرجه الخرائطي وابن عدي من حديث أنس وقال غير محفوظ (٦) حديث ابن عمر : قبلنا يد رسول الله صلى الله عليه وسلم » أخرجه أبو داود بسند حسن (٧) حديث كعب بن مالك : « لما نزلت توبتي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقبلت يده » أخرجه أبو بكر بن المقرئ في كتاب الرخصة في تقبيل اليد . بسند ضعيف (٨) حديث : أن أعرابيا قال يارسول الله ائذن لي فأقبل رأسك ويدك فأذن له ففعل . أخرجه الحاكم من حديث بريدة إلا أنه قال « رجليك » موضع « يدك » وقال صحيح الإسناد .

(٩) حديث البراء بن عازب : أنه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه ومد يده إليه فصافحه ... الحديث . رواه الخرائطي بسند ضعيف وهو عند أبي داود والترمذي وابن ماجه مختصرا « مامن مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا » قال الترمذي حسن غريب من حديث أبي إسحق عن البراء (١٠) حديث « إذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم السلام وإن لم يردوا عليه رد عليه ملأ خير منهم وأطيب » أخرجه الخرائطي والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود مرفوعا وضعف البيهقي المرفوع ورواه موقوفا عليه بسند صحيح

(١١) حديث أنس : قلنا يارسول الله أينحني بعضنا لبعض ؟ قال « لا » الحديث . أخرجه الترمذي وحسنه وابن ماجه وضعفه أحمد والبيهقي (١٢) حديث : « الالتزام والتقبيل عند القدوم من السفر » أخرجه الترمذي من حديث عائشة قالت : قدم زيد بن حارثة ... الحديث » وفيه « فاعتنقه وقبله » وقال حسن غريب (١٣) حديث أبي ذر : مالقيته صلى الله عليه وسلم إلا صافحني ... الحديث . أخرجه أبو داود وفيه رجل من عزة لم يسم وسماه البيهقي في الشعب عبد الله

والأخذ بالركاب فى توقير العلماء ورد به الأثر فعل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت [١] وأخذ عمر يغرز زيد حتى رفعه وقال : هكذا فافعلوا بزيد وأصحاب زيد .

والقيام مكروه على سبيل الإعظام لا على سبيل الإكرام قال أنس : ما كان شخص أحب إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك [٢] وروى أنه عليه السلام قال مرة « إذا رأيتمونى فلا تقوموا كما تصنع الأعاجم [٣] » وقال عليه السلام « من سره أن يمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار [٤] » وقال عليه السلام « لايقم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا [٥] » وكانوا يحترزون عن ذلك لهذا النهى . وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أخذ القوم مجالسهم فإن دعا أحد أخاه فأوسع له فليأته فإنما هى كرامة أكرمه بها أخوه فإن لم يوسع له فلينظر إلى أوسع مكان يجده فيجلس فيه [٦] » وروى أنه سلم رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبول فلم يجب [٧] فيكره السلام على من يقضى حاجته ، ويكره أن يقول ابتداء : عليك السلام ، فإنه قاله رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام « إن عليك السلام تحية الموتى » قالها ثلاثا ، ثم قال « إذا لقى أحدكم أخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله [٨] » ويستحب للداخل إذا سلم ولم يجد مجلسا أن لا ينصرف بل يقعد وراء الصف . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فوجد فرجة فجلس فيها وأما الثانى فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهبا ، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا أخبركم عن النفر الثلاثة . أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله ، وأما الثانى فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه [٩] » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا [١٠] » وسلمت أم هانئ على النبى صلى الله عليه وسلم فقال « من هذه ؟ » فقيل له : أم هانئ فقال عليه السلام « مرحبا بأم هانئ [١١] » .

ومنها أن يصون عرض أخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر ويرد عنه ويناضل دونه وينصره فإن ذلك يجب عليه بمقتضى أخوة الإسلام . روى أبو الدرداء : أن رجلا نال من رجل عند رسول الله صلى عليه

---

(١) حديث : أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت . تقدم فى العلم

(٢) حديث أنس : ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك . أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح . (٣) حديث « إذا رأيتموني فلا تقوموا كما يصنع الأعاجم » أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث أبى أمامة وقال « كما يقوم الأعاجم » وفيه أبو العديس مجهول (٤) حديث: من سره أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار » أخرجه أبو داود والترمذى من حديث معاوية وقال حسن

(٥) حديث « لايقم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا » متفق عليه من حديث ابن عمر

(٦) حديث « إذا أخذ القوم مجالسهم فان دعا رجل أخاه فأوسع — يعنى له — فليجلس فانه كرامة من الله عز وجل ... الحديث » أخرجه البغوى فى معجم الصحابة من حديث ابن شيبة ورجاله ثقات وابن شيبة هذا ذكره أبو موسى المدينى فى ذيله فى الصحابة وقد رواه الطبرانى فى الكبير من رواية مصعب بن شيبة عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم أخصر منه ، وشيبة بن جبير والد منصور ليست له صحبة (٧) حديث . أن رجلا سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبول فلم يجب . أخرجه مسلم من حديث ابن عمر بلفظ : فلم يرد عليه (٨) حديث : قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليك السلام فقال « إن عليك السلام تحية الميت ... الحديث » أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى فى اليوم والليلة من حديث ابن جرى الهجيمى وهو صاحب القصة قال الترمذى حسن صحيح (٩) حديث : كان صلى الله عليه وسلم جالساً فى المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فوجد فرجة فجلس فيها .. الحديث . متفق عليه من حديث أبى واقد الليثى

(١٠) حديث « مامن مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا » أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث البراء بن عازب (١١) حديث : سلمت أم هانئ عليه فقال « مرحباً بأم هانئ » أخرجه مسلم من حديث أم هانئ

عليه وسلم فرد عنه رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم « من رد عن عرض أخيه كان له حجابا من النار [١] » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة [٢] » وعن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من ذكر عنده أخوه المسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره أذله الله بها فى الدنيا والآخرة ومن ذكر عنده أخوه المسلم فنصره نصره الله تعالى فى الدنيا والآخرة [٣] » وقال عليه السلام « من حمى عن عرض أخيه المسلم فى الدنيا بعث الله تعالى له ملكا يحميه يوم القيامة من النار [٤] » وقال جابر وأبو طلحة : سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من امرئ مسلم ينصر مسلما فى موضع ينتهك فيه عرضه ويستحل حرمته إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصره وما من امرئ خذل مسلما فى موطن ينتهك فيه حرمته إلا خذله الله فى موضع يحب فيه نصرته [٥] » .

ومنها تشميت العاطس . قال عليه الصلاة والسلام فى العاطس « يقول . الحمد لله على كل حال ، ويقول الذى يشمته : يرحمكم الله ، ويرد عليه العاطس فيقول : يهديكم الله ويصلح بالكم [٦] » . وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا يقول « إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين ، فإذا قال ذلك فليقل من عنده : يرحمك الله فإذا قالوا ذلك فليقل : يغفر الله لى ولكم [٧] » وشمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاطسا ولم يشمت آخر فسأله عن ذلك فقال « إنه حمد الله وأنت سكت [٨] » وقال صلى الله عليه وسلم « يشمت العاطس المسلم إذا عطس ثلاثا فإن زاد فهو زكام [٩] » . وروى أنه شمت عاطسا ثلاثا فعطس أخرى فقال « إنك مزكوم [١٠] » وقال أبو هريرة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عطس غض صوته واستتر بثوبه أو يده [١١] . وروى : خمر وجهه . وقال أبو موسى الأشعرى : كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول « يهديكم الله [١٢] » . وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه : أن رجلا عطس خلف النبي صلى الله عليه وسلم فى الصلاة فقال : الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضى ربنا ويرضى والحمد لله على كل حال ،

---

(١) حديث أبى الدرداء « من رد عن عرض أخيه كان له حجابا من النار » أخرجه الترمذى وحسنه (٢) حديث « ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة » أخرجه أحمد من حديث أسماء بنت يزيد بنحوه والخرائطى فى مكارم الأخلاق وهو عند الطبرانى بهذا اللفظ من حديث أبي الدرداء وفيهما شهر بن حوشب

(٣) حديث أنس « من ذكر عنده أخوه المسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره ولو بكلمة أذله الله عز وجل بها فى الدنيا والآخرة ... الحديث » أخرجه ابن أبي الدنيا فى الصمت مقتصرا على ماذكر منه ولإسناده ضعيف

(٤) حديث « من حمى عرض أخيه المسلم فى الدنيا بعث الله له ملكا يحميه يوم القيامة من النار » أخرجه أبو داود من حديث معاذ بن أنس نحوه بسند ضعيف (٥) حديث جابر وأبى طلحة « ما من امرئ ينصر مسلما فى موضع ينتهك فيه من عرضه ويستحل حرمته ... الحديث » أخرجه أبو داود مع تقديم وتأخير واختلف فى إسناده (٦) حديث « يقول العاطس الحمد لله على كل حال ويقول الذى يشمته يرحمك الله ويقول هو يهديكم الله ويصلح بالكم » أخرجه البخارى وأبو داود من حديث أبى هريرة ولم يقل البخارى « على كل حال » (٧) حديث ابى مسعود « إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين .. الحديث » أخرجه النسائى فى اليوم والليلة وقال حديث منكر ورواه أيضاً أبو داود والترمذى من حديث سالم بن عبد الله واختلف فى إسناده

(٨) حديث : شمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاطسا ولم يشمت آخر فسأله عن ذلك فقال « انه حمد الله وأنت سكت » متفق عليه من حديث أنس (٩) حديث « شمتوا المسلم اذا عطس ثلاثا فان زاد فهو زكام » أخرجه أبو داود من حديث أبى هريرة « شمت أخاك ثلاثا ... الحديث » واسناده جيد (١٠) حديث : أنه شمت عاطسا فعطس أخرى فقال « انك مزكوم » أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع (١١) حديث أبي هريرة : كان اذا عطس غض صوته وستر بثوبه أو يده . أخرجه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح وفى رواية لأبى نعيم فى اليوم والليلة « خمر وجهه وفاه » (١٢) حديث أبى موسى : كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول « يهديكم الله » أخرجه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح .

فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال « من صاحب الكلمات ؟ » فقال : أنا يارسول الله ماأردت بهن إلا خيرا ، فقال لقد رأيت اثنى عشر ملكا كلهم يبتدرونها أيهم يكتبها [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « من عطس عنده فسبق إلى الحمد لم يشتك خاصرته [2] » وقال عليه السلام « العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه ، فإذا قال : ها ها ، فإن الشيطان يضحك من جوفه [3] » وقال إبراهيم النخعى : إذا عطس فى قضاء الحاجة فلا بأس بأن يذكر الله . وقال الحسن : يحمد الله فى نفسه . وقال كعب : قال موسى عليه السلام يارب أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك ؟ فقال : أنا جليس من ذكرنى فقال : فإنا نكون على حال نجلك أن نذكرك عليها كالجنابة والغائط ، فقال : اذكرنى على كل حال .

ومنها أنه إذا بلى بذى شر فينبغى أن يتحمله ويتقيه قال بعضهم : خالص المؤمن مخالصة وخالق الفاجر مخالفة فإن الفاجر يرضى بالخلق الحسن فى الظاهر . وقال أبو الدرداء : إنا لنبش فى وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهى مع من يخاف شره قال الله تعالى ﴿ ادفع بالتى هى أحسن السيئة ﴾ قال ابن عباس فى معنى قوله ﴿ ويدرءون بالحسنة السيئة ﴾ أى الفحش والأذى بالسلام والمداراة . وقال فى قوله تعالى ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ﴾ قال بالرغبة والرهبة والحياء والمداراة . وقالت عائشة رضى الله عنها : استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو » فلما دخل ألان له القول حتى أن له عنده منزلة فلما خرج قلت له ، لما دخل قلت الذى قلت ، ثم ألنت له القول فقال « يا عائشة إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه [4] » وفى الخبر « ماوقى الرجل به عرضه فهو له صدقة [5] » .

وفى الأثر . خالطوا الناس بأعمالكم وزايلوهم بالقلوب . وقال محمد بن الحنفية رضى الله عنه ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لايجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له منه فرجا .

ومنها أن يجتنب مخالطة الأغنياء ويختلط بالمساكين ويحسن إلى الأيتام كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين [6] » وقال كعب الأحبار . كان سليمان عليه السلام فى ملكه إذا دخل المسجد فرأى مسكينا جلس إليه وقال : مسكين جالس مسكينا . وقيل ما كان من كلمة تقال لعيسى عليه السلام أحب إليه من أن يقال له يامسكين . وقال كعب الأحبار : مافى القرآن من ﴿ ياأيها الذين آمنوا ﴾ فهو فى التوراة « يا أيها المساكين » وقال عبادة بن الصامت . إن للنار سبعة أبواب ثلاثة للاغنياء وثلاثة للنساء وواحد للفقراء والمساكين وقال الفضيل : بلغنى أن نبيا من الأنبياء قال : يارب كيف لى أن أعلم رضاك عنى ؟ فقال . انظر كيف رضا المساكين عنك . وقال عليه الصلاة والسلام « إياكم ومجالسه الموتى ، قيل ومن الموتى يارسول الله ؟ قال : الأغنياء [7] » وقال موسى : إلهى أين أبغيك ؟ قال عند المكسرة قلوبهم . وقال صلى الله عليه وسلم « لاتغبطن فاجرا

---

(١) حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة : ان رجلا عطس خلف النبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ... الحديث » أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن عامر بن ربيعه عن أبيه ولاسناده جيد

(٢) حديث « من عطس عنده فسبق إلى الحمد لم يشتك خاصرته » أخرجه الطبرانى فى الأوسط وفى الدعاء من حديث على بسند ضعيف (٣) حديث « العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة دون قوله « العطاس من الله » فرواه الترمذى وحسنه والنسائى فى اليوم والليلة وقال البخارى « إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب ... الحديث »

(٤) حديث عائشه : استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ائذنوا له فبئس رجل العشيرة ... الحديث » متفق عليه (٥) حديث « ماوقى المرء به عرضه فهو له صدقة » أخرجه أبو يعلى وابن عدى من حديث جابر وضعفه

(٦) حديث « اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين » أخرجه ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبى سعيد والترمذى من حديث عائشة وقال غريب (٧) حديث « إياكم ومجالسة الموتى قيل وما الموتى ؟ قال الاغنياء » أخرجه الترمذى وضعفه والحاكم وصحح اسناده من حديث عائشة « إياك ومجالسة الاغنياء »

بنعمة فإنك لاتدرى إلى مايصير بعد الموت فإن من ورائه طالبا حثيثا[١] » وأما اليتيم فقال صلى الله عليه وسلم « من ضم يتيما من أبوين مسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة ألبتة [٢] » وقال عليه السلام « أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين وهو يشير بأصبعيه [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « من وضع يده على رأس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه [٥] » .

ومنها النصيحة لكل مسلم والجهد فى إدخال السرور على قلبه قال صلى الله عليه وسلم « المؤمن يحب للمؤمن كما يحب لنفسه [٦] وقال صلى الله عليه وسلم « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحدكم مرآة أخيه فإذا رأى فيه شيئا فليمطه عنه [٧] » وقال صلى الله عليه وسلم « من قضى حاجة لأخيه فكأنما خدم الله عمره [٨] » وقال صلى الله عليه وسلم « من أقر عين مؤمن أقر الله عينه يوم القيامة » وقال صلى الله عليه وسلم « من مشى فى حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاها أو لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين [٩] » وقال عليه السلام « من فرج عن مؤمن مغموم أو أعان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة [١٠] » وقال صلى الله عليه وسلم « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » فقيل كيف ينصره ظالما ؟ قال « يمنعه من الظلم [١١] » وقال عليه السلام « إن من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على قلب المؤمن أو أن يفرج عنه غما أو يقضى عنه دينا أو يطعمه من جوع [١٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « من حمى مؤمنا من منافق يعنته بعث الله إليه ملكا يوم القيامة يحمى لحمه من نار جهنم » وقال صلى الله عليه وسلم « خصلتان ليس فوقهما شىء من الشر الشرك بالله والضر لعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شىء من البر الإيمان بالله والنفع لعباد الله [١٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « من لم يهتم للمسلمين فليس منهم [١٤] » وقال معروف الكرخى « من قال كل يوم « اللهم أرحم أمة محمد كتبه الله من الأبدال » وفى رواية

---

(١) حديث « لاتغبطن فاجرا بنعمة ... الحديث » رواه البخارى فى التاريخ والطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٢) حديث « من ضم يتيما من أبوين مسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة البتة » أخرجه أحمد والطبرانى من حديث مالك بن عمر وفيه على بن زيد بن جدعان متكلم فيه (٣) حديث « أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة » أخرجه البخارى من حديث سهل بن سعد ومسلم من حديث أبى هريرة . (٤) حديث « من وضع يده على رأس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة » أخرجه أحمد والطبرانى بإسناد ضعيف من حديث أبى أمامه دون قوله « ترحما » ولابن حبان فى الضعفاء من حديث ابن أبى أوفى « من مسح يده على رأس يتيم رحمة له ... الحديث » (٥) حديث « خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه » أخرجه ابن ماجه من حديث أبى هريرة وفيه ضعف

(٦) حديث « المؤمن يحب للمؤمن مايحب لنفسه » تقدم بلفظ « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه » ولم أره بهذا اللفظ . (٧) حديث « ان أحدكم مرآة أخيه .. الحديث » رواه أبو داود والترمذى وقد تقدم . (٨) حديث « من قضى لأخيه حاجة فكأنما خدم الله عمره » أخرجه البخارى فى التاريخ والطبرانى والخرائطى كلاهما فى مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف مرسلا . (٩) حديث « من مشى فى حاجة أخيه ساعة من ليل او نهار قضاها أو لم يقضها كان خيراً له من اعتكاف شهرين » أخرجه الحاكم وصححه من حديث ابن عباس « لان يمشى أحدكم مع أخيه فى قضاء حاجته ـ وأشار بأصبعه ـ أفضل من أن يعتكف فى مسجدى هذا شهرين » والطبرانى فى الأوسط « من مشى فى حاجة أخيه كان خيراً له من اعتكافه عشر سنين » وكلاهما ضعيف . (١٠) حديث « من فرج عن مغموم أو أعان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة » أخرجه الخرائطى فى مكارم الاخلاق وابن حبان فى الضعفاء وابن عدى من حديث أنس بلفظ « من أغاث ملهوفا » . (١١) حديث « انصر اخاك ظالما أو مظلوما ... الحديث » متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم .

(١٢) حديث « ان من أحب الأعمال الى الله ادخال السرور على المؤمن .. الحديث » أخرجه الطبرانى فى الصغير والأوسط من حديث ابن عمر بسند ضعيف . (١٣) حديث « خصلتان ليس فوقهما شىء من الشر الشرك بالله والضر بعباد الله ... الحديث » ذكره صاحب الفردوس من حديث على ولم يسنده ولده فى مسنده . (١٤) حديث « من لم يهتم للمسلمين فليس منهم » أخرجه الحاكم من حديث حذيفة والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى ذر وكلاهما ضعيف .

أخرى ـ اللهم أصلح أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد ـ كل يوم ثلاث مرات ـ كتبه الله من الأبدال ، وبكى على بن الفضيل يوما فقيل له مايبكيك ؟ قال : أبكى على من ظلمنى إذا وقف غدا بين يدى الله تعالى وسئل عن ظلمه ولم تكن له حجة .

ومنها أن يعود مرضاهم فالمعرفة والإسلام كافيان فى إثبات هذا الحق ونيل فضله . وأدب العائد خفة الجلسة وقلة السؤال وإظهار الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع . وعند الاستئذان لايقابل الباب ويدق برفق ولا يقول : أنا ، إذا قيل له : من ! ولايقول ، ياغلام ، ولكن يحمد ويسبح وقال صلى الله عليه وسلم « تمام عيادة المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته أوعلى يده ويسأله كيف هو وتمام تحياتكم المصافحة » وقال صلى الله عليه وسلم « من عاد مريضا قعد فى مخارف الجنة حتى إذا قام وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى الليل [1] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا عاد الرجل المريض خاض فى الرحمة فإذا قعد عنده قرت فيه [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا عاد المسلم أخاه أو زاره قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك وتبوأت منزلا فى الجنة [3] » وقال عليه السلام « إذا مرض العبد بعث الله تبارك وتعالى إليه ملكين فقال : انظرا ماذا يقول لعواده ؟ فإن هو إذا جاءوه حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله وهو أعلم فيقول : لعبدى على إن توفيته ان أدخله الجنة وإن انا شفيته أن أبدل له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وإن أكفر عنه سيئاته [4] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يرد الله به خيرا يصب منه [5] » وقال عثمان رضى الله عنه مرضت فعادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « بسم الله الرحمن الرحيم أعيذك بالله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد من شر ماتجد » قالها مرارا [6] ودخل صلى الله عليه وسلم على على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو مريض فقال له « قل اللهم إنى إسألك تعجيل عافيتك أو صبرا على بليتك أو خروجا من الدنيا إلى رحمتك فإنك ستعطى إحداهن [7] » ويستحب للعليل أيضا أن يقول : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ماأجد وأحاذر . وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : إذا شكا أحدكم بطنه فليسأل امرأته شيئا من صداقها ويشترى به عسلا ويشربه بماء السماء فيجتمع له الهنىء والمرىء والشفاء

---

(١) حديث « من عاد مريضاً قعد فى مخارف الجنة ... الحديث » أخرجه أصحاب السنن والحاكم من حديث على « من أتى أخاه المسلم عائداً مشى فى خرافة الجنة حتى يجلس فاذا جلس غمرته الرحمة فإن كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى وإن كان مساء ... الحديث » لفظ ابن ماجه وصححه الحاكم وحسنه الترمذى ولمسلم من حديث ثوبان « من عاد مريضاً لم يزل فى خرفة الجنة » .

(٢) حديث « إذا عاد الرجل المريض خاض فى الرحمة فاذا قعد عنده قرت فيه » أخرجه الحاكم والبيهقى من حديث جابر وقال « انغمس فيها » قال الحاكم صحيح على شرط مسلم وكذا صححه ابن عبد البر ، وذكره مالك فى الموطأ بلاغا بلفظ « قرت فيه » ورواه الواقدى بلفظ « استقر فيها » وللطبرانى فى الصغير من حديث أنس « فاذا قعد عنده غمرته الرحمة » وله فى الأوسط من حديث كعب بن مالك وعمرو بن حزم « استنقع فيها » . (٣) حديث « إذا عاد المسلم أخاه أو زاره قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك وتبوأت منزلا فى الجنة » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة إلا أنه قال « ناداه مناد » قال الترمذى غريب قلت فيه عيسى بن سنان القسملى ضعفه الجمهور . (٤) حديث « إذا مرض العبد بعث الله تعالى ملكين فقال انظرا مايقول لعواده الحديث » أخرجه مالك فى الموطأ مرسلا من حديث عطاء بن يسار ووصله ابن عبد البر فى التمهيد من روايته عن أبى سعيد الخدرى وفيه عباد بن كثير الثقفى ضعيف الحديث وللبيهقى من حديث أبى هريرة قال الله تعالى « إذا ابتليت عبدى المؤمن فلم يشكنى الى عواده أطلقته من اسارى ثم أبدله لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم يستأنف العمل » وإسناده جيد : (٥) حديث « من يرد الله به خيراً يصب منه » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة . (٦) حديث عثمان : مرضت فعادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « بسم الله الرحمن الرحيم أعيذك بالله الاحد الصمد ... الحديث » أخرجه ابن السنى فى اليوم والليلة والطبرانى والبيهقى فى الأدعية من حديث عثمان بن عفان باسناد حسن . (٧) حديث : دخل على على وهو مريض فقال « قل اللهم إنى أسألك تعجيل عافيتك ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب المرض من حديث أنس بسند ضعيف : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على رجل وهو يشتكى ولم يسم عليا . وروى البيهقى فى الدعوات من حديث عائشة : أن جبريل علمها للنبى صلى الله عليه وسلم وقال إن الله يأمرك أن تدعو بهؤلاء الكلمات .

والمبارك . وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به فى أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار » قلت : بلى يارسول الله قال « يقول لا إله إلا الله يحيي ويميت وهو حى لايموت سبحان الله رب العباد والبلاد والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال . الله أكبر كبيرا إنّ كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان . اللهم إن أنت أمرضتنى لتقبض روحى فى مرضى هذا فاجعل روحى فى أرواح من سبقت لهم منك الحسنى وباعدنى من النار كما باعدت أولياءك الذين سبقت لهم منك الحسنى [1] » وروى أنه قال عليه السلام « عيادة المريض بعد ثلاث فواق ناقة [2] » وقال طاوس : أفضل العيادة أخفها . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : عيادة المريض مرة سنة فما ازدادت فنافلة ، وقال بعضهم : عيادة المريض بعد ثلاث . وقال عليه السلام « أغبوا فى العيادة وأربعوا فيها [3] » وجملة أدب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى والضجر والفزع إلى الدعاء والتوكل بعد الدواء على خالق الدواء ..

ومنها أن يشيع جنائزهم قال صلى الله عليه وسلم « من شيع جنازة فله قيراط من الأجر فإن وقف حتى تدفن فله قيراطان [4] » وفى الخبر « القيراط مثل أحد [5] » ولما روى أبو هريرة هذا الحديث وسمعه ابن عمر قال : لقد فرطنا إلى الآن فى قراريط كثيرة . والقصد من التشييع قضاء حق المسلمين والاعتبار . وكان مكحول الدمشقى إذا رأى جنازة قال : اغدوا فإنا رائحون . موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الأول والآخر لاعقل له . وخرج مالك بن دينار خلف جنازة أخيه وهو يبكى ويقول : والله لاتقر عينى حتى أعلم إلى ماصرت ولا والله لا أعلم مادمت حيا . وقال الأعمش : كنا نشهد الجنائز فلاندرى لمن نعزى لحزن القوم كلهم ؟ ونظر إبراهيم الزيات إلى قوم يترحمون على ميت فقال لو ترحمون أنفسكم لكان أولى ! إنه نجا من أهوال ثلاث : وجه ملك الموت قد رأى ، ومرارة الموت قد ذاق ، وخوف الخاتمة قد أمن . وقال صلى الله عليه وسلم « يتبع الميت ثلاث فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله [6] » .

ومنها أن يزور قبورهم والمقصود من ذلك الدعاء والاعتبار وترقيق القلب قال صلى الله عليه وسلم « ما رأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه [7] » وقال عمر رضى الله عنه : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى المقابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه . فبكى وبكينا ، فقال « مايبكيكم ؟ » قلنا : بكينا لبكائك . قال « هذا قبر آمنة بنت وهب استأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى واستأذنته فى أن أستغفر لها فأبى على فأدركنى مايدرك الولد من الرقة [8] » وكان عمر رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى تبتل لحيته ويقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنّ القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر وإن لم ينج منه فما بعده أشدّ [9] » وقال مجاهد . أول

---

(١) حديث أبى هريرة « ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به فى أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الدعاء وفى المرض والكفارات . (٢) حديث « عيادة المريض فواق ناقة » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب المرض من حديث أنس باسناد فيه جهالة . (٣) حديث « أغبوا فى العيادة وأربعوا » رواه ابن أبى الدنيا وفيه أبو يعلى من حديث جابر وزاد « إلا أن يكون مغلوبا » وإسناده ضعيف . (٤) حديث من تبع جنازة فله قيراط من الأجر فان وقف حتى تدفن فله قيراطان أخرجه الشيخان من حديث أبى هريرة . (٥) حديث « القيراط مثل جبل أحد » أخرجه مسلم من حديث ثوبان وأبى هريرة وأصله متفق عليه

(٦) حديث « يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد » أخرجه مسلم من حديث أنس . (٧) حديث « ماأريت منظراً إلا والقبر أفظع منه » أخرجه الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث عثمان وقال صحيح الإسناد وقال الترمذى حسن غريب

(٨) حديث عمر : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى المقابر فجلس الى قبر ... الحديث فى زيارته قبر أمه . أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة مختصراً وأحمد من حديث بريدة وفيه : فقام إليه عمر فقداه بالأب والأم يقول يارسول الله مالك .. الحديث

(٩) حديث عثمان بن عفان « إن القبر أول منازل الآخرة ... الحديث » أخرجه الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصحح إسناده

ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة . فهذا ما أعددت لك فما أعددت لى ؟ وقال أبو ذر : ألا أخبركم بيوم فقرى يوم أوضع فى قبرى . كان أبو الدرداء يقعد إلى القبور فقيل له فى ذلك فقال : أجلس إلى قوم يذكروننى معادى وإن قمت عنهم لم يغتابونى . وقال حاتم الأصم : من مر بالمقابر فلم يتفكر انفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم . وقال صلى الله عليه وسلم « ما من ليلة إلا وينادى مناد : يا أهل القبور من تغبطون ؟ قالوا : نغبط أهل المساجد لأنهم يصومون ولا نصوم ويصلون ولا نصلى ويذكرون الله ولانذكره [1] » وقال سفيان من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار . وكان الربيع بن خيثم قد حفر فى داره قبرا فكان إذا وجد فى قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع فيه ومكث ساعة ثم قال ﴿رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت﴾ ثم يقول : ياربيع قد أرجعت فاعمل الآن قبل أن لاترجع . وقال ميمون بن مهران : خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة فلما نظر إلى القبور بكى وقال ياميمون هذه قبور آبائى بنى أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذاتهم أماتراهم صرعى قد خلت بهم المثلات وأصاب الهوام من أبدانهم ؟ ثم بكى وقال والله ماأعلم أحدا أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله ؟

وآداب المعزى خفض الجناح وإظهار الحزن وقلة الحديث وترك التبسم .

وآداب تشييع الجنازة لزوم الخشوع وترك الحديث وملاحظة الميت والتفكر فى الموت والاستعداد له وأن يمشى أمام الجنازة بقربها والإسراع بالجنازة سنة [2] فهذه جمل آداب تنبه على آداب المعاشرة مع عموم الخلق .

والجملة الجامعة فيه أن لاتستصغر منهم أحدا حيا كان أو ميتا فتهلك لأنك لاتدرى لعله خير منك ؟ فإنه وإن كان فاسقا فلعله يختم لك بمثل حاله ويختم له بالصلاح ؟ ولا تنظر إليهم بعين التعظيم لهم فى حال دنياهم فإن الدنيا صغيرة عند الله صغير مافيها . ومهما عظم أهل الدنيا فى نفسك فقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله . ولا تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر فى أعينهم ثم تحرم دنياهم فإن لم تحرم كنت قد استبدلت الذى هو أدنى بالذى هو خير . ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة فيطول الأمر عليك فى المعاداة ويذهب دينك ودنياك فيهم ويذهب دينهم فيك ، إلا إذا رأيت منكرا فى الدين فتعادى أفعالهم القبيحة وتنظر إليهم بعين الرحمة لهم لتعرضهم لمقت الله وعقوبته بعصيانهم فحسبهم جهنم يصلونها ، فمالك تحقد عليهم ولا تسكن إليهم فى مودتهم لك وثنائهم عليك فى وجهك وحسن بشرهم لك فإنك إن طلبت حقيقة ذلك لم تجد فى المائة إلا واحدا وربما لا تجده . ولا تشك إليهم أحوالك فيكلك الله إليهم ولا تطمع أن يكونوا لك فى الغيب والسر كما فى العلانية فذلك طمع كاذب وأنى تظفر به ؟ ولا تطمع فيما فى أيديهم فتستعجل الذل ولا تنال الغرض . ولا تعل عليهم تكبرا لاستغنائك عنهم فإن الله يلجئك إليهم عقوبة على التكبر بإظهار الاستغناء . وإذا سألت أخا منهم حاجة فقضاها فهو أخ مستفاد وإن لم يقض فلا تعاتبه فيصير عدوا تطول عليك مقاساته . ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول فلا يسمع منك ويعاديك ، وليكن وعظك عرضا واسترسالا من غير تنصيص على الشخص . ومهما رأيت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله الذى سخرهم لك واستعذ بالله أن يكلك إليهم . وإذا بلغك عنهم غيبة أو رأيت منهم شرا أو أصابك منهم ما يسوءك فكل أمرهم إلى الله واستعذ بالله من شرهم . ولا تشغل نفسك بالمكافأة فيزيد الضرر ويضيع العمر بشغله . ولا تقل لهم لم تعرفوا موضعى .

---

(١) حديث « ما من ليلة إلا ينادى مناد يا أهل القبور من تغبطون ؟ فيقولون : نغبط أهل المساجد ... الحديث لم أجد له أصلا .

(٢) حديث : الإسراع بالجنازة . متفق عليه من حديث أبى هريرة « أسرعوا بالجنازة ... الحديث » .

واعتقد أنك لو استحقيت ذلك لجعل الله لك موضعا فى قلوبهم فالله المحبب والمبغض إلى القلوب وكن فيهم سميعا لحقهم أصم عن باطلهم نطوقا بحقهم صموتا عن باطلهم . واحذر صحبة أكثر الناس فإنهم لا يقيلون عثرة ولا يغفرون زلة ولا يسترون عورة ويحاسبون على النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير ، ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطأ والنسيان ولايعفون ، يغرون الإخوان على الإخوان بالنميمة والبهتان ، فصحبة أكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ، إن رضوا فظاهرهم الملق وإن سخطوا فباطنهم الحنق لا يؤمنون فى حنقهم ولا يرجون فى ملقهم ، ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب ، يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون ، يحصون عليك العثرات فى صحبتهم ليواجهوك بها فى غضبهم ووحشتهم ، ولاتعول على مودة من لم تخبره حق الخبرة ، بأن تصحبه مدة فى دار أو موضع واحد فتجربه فى عزله وولايته وغناه وفقره أو تسافر معه أو تعامله فى الدينار والدرهم أو تقع فى شدة فتحتاج إليه ، فإن رضيته فى الأحوال فاتخذه أبالك إن كان كبيرا أو ابنا لك إن كان صغيرا أو أخاك إن كان مثلك . فهذه جملة آداب المعاشرة مع أصناف الخلق .

حقوق الجوار

اعلم أن الجوار يقتضى حقا وراء ماتقتضيه أخوة الإسلام . فيستحق الجار المسلم مايستحقه كل مسلم وزيادة إذقال النبى صلى الله عليه وسلم « الجيران ثلاثة : جار له حق واحد ، وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق ، فالجار الذى له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم ، وأما الذى له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام ، وأما الذى له حق واحد فالجار المشرك [1] » فانظر كيف أثبت للمشرك حقا بمجرد الجوار ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما [2] » وقال النبى صلى الله عليه وسلم « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « لايؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « أول خصمين يوم القيامة جاران [6] » وقال عليه الصلاة والسلام « إذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيته [7] » ويروى أن رجلا جاء إلى ابن مسعود رضى الله عنه فقال له : إن لى جارا يؤذينى ويشتمنى ويضيق على فقال اذهب فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه . وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها فقال صلى الله عليه وسلم « هى فى النار [8] » . وجاء رجل إليه عليه السلام يشكو جاره فقال له النبى صلى الله عليه وسلم (اصبر) ثم قال له فى الثالثة أو الرابعة (اطرح متاعك فى الطريق) قال : فجعل الناس يمرون به ويقولون مالك ؟ فيقال آذاه جاره قال فجعلوا يقولون : لعنه الله ، فجاءه جاره فقال له رد متاعك فوالله لا أعود [9]

---

(١) حديث « الجيران ثلاثة جار له حق وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق ... الحديث » أخرجه الحسن بن سفيان والبزار فى مسنديهما وأبو الشيخ فى كتاب الثواب وأبو نعيم فى الحلية من حديث جابر وابن عدى من حديث عبدالله بن عمر وكلاهما ضعيف .

(٢) حديث « أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما » تقدم (٣) حديث « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » متفق عليه من حديث عائشة وابن عمر (٤) حديث « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » متفق عليه من حديث أبى شريح (٥) حديث « لايؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه » أخرجه البخارى من حديث أبى شريح أيضاً .

(٦) حديث « أول خصمين يوم القيامة جاران » أخرجه أحمد والطبرانى من حديث عقبة بن عامر بسند ضعيف .

(٧) حديث « إذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيته » لم أجد له أصلا (٨) حديث : إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها فقال هى فى النار » أخرجه أحمد والحاكم من حديث أبى هريرة وقال صحيح الإسناد (٩) حديث : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال اصبر ثم قال له فى الثالثة — أو الرابعة — اطرح متاعك على الطريق ... الحديث » أخرجه أبو داود وابن حبان والحاكم من حديث أبى هريرة وقال صحيح على شرط مسلم

وروى الزهرى : أنّ رجلا أتى النبي عليه السلام فجعل يشكو جاره فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن ينادى على باب المسجد « ألا إن أربعين دارا جار[1] » قال الزهرى : أربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأومأ إلى أربع جهات . وقال عليه السلام « اليمن والشؤم فى المرأة والمسكن والفرس ، فيمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها ، وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها . ويمن المسكن سعته وحسن جوار أهله . وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله . ويمن الفرس ذله وحسن خلقه ، وشؤمه صعوبته وسوء خلقه[2] » .

واعلم أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط بل احتمال الأذى ، فإن الجار أيضا قد كف أذاه فليس فى ذلك قضاء حق ، ولا يكفى احتمال الأذى بل لابد من الرفق وإسداء الخير والمعروف ، إذ يقال إن الجار الفقير يتعلق بجاره الغنى يوم القيامه فيقول : يارب سل هذا لم منعنى معروفه وسدّ بابه دونى ؟

وبلغ ابن المقفع أن جاراً له يبيع داره فى دين ركبه وكان يجلس فى ظل داره ، فقال : ماقمت إذاً بحرمة ظل داره إن باعها معدما فدفع إليه ثمن الدار وقال : لاتبعها .

وشكا بعضهم كثرة الفأر فى داره ، فقيل له : لو اقتنيت هرا ؟ فقال : أخشى أن يسمع الفأر صوت الهرّ فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أحببت لهم مالا أحب لنفسى .

وجملة حق الجار : أن يبدأه بالسلام ، ولا يطيل معه الكلام ، ولا يكثر عن حاله السؤال ، ويعوده فى المرض ويعزيه فى المصيبة ، ويقوم معه فى العزاء ، ويهنئه فى الفرح ، ويظهر الشركة فى السرور معه ، ويصفح عن زلاته ، ولا يتطلع من السطح إلى عوراته ، ولا يضايقه فى وضع الجذع على جداره ، ولا فى مصب الماء فى ميزابه ، ولا فى مطرح التراب فى فنائه ، ولا يضيق طرقه إلى الدار ، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره ، ويستر ماينكشف له من عوراته ، وينعشه من صرعته إذا نابته نائبة ، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ، ولا يسمع عليه كلاما ، ويغض بصره عن حرمته ، ولا يديم النظر إلى خادمته ، ويتلطف بولده فى كلمته ، ويرشده إلى مايجهله من أمر دينه ودنياه . هذا إلى جملة الحقوق التى ذكرناها لعامة المسلمين ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « أتدرون ماحق الجار ؟ إن استعان بك أعنته ، وإن استنصرك نصرته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن افتقر عدت عليه ، وإن مرض عدته ، وإن مات تبعت جنازته ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن أصابته مصيبة عزيته ، ولا تستعل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ، وإذا اشتريت فاكهة فأهد له ، فإن لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها ، ثم قال : أتدرون ماحق الجار ؟ والذى نفسى بيده لايبلغ حق الجار إلا من

---

(١) حديث الزهرى « ألا إن أربعين دارا جار » أخرجه أبو داود فى المراسيل ووصله الطبرانى من رواية الزهرى عن ابن كعب بن مالك عن أبيه ورواه أبو يعلى من حديث أبى هريرة وقال « أربعون ذراعا » وكلاهما ضعيف (٢) حديث « اليمن والشؤم فى المرأة والمسكن والفرس فيمن المرأة خفة مهرها . . . الحديث » أخرجه مسلم من حديث ابن عمر « الشؤم فى الدار والمرأة والفرس » وفى رواية له « إن يك من الشؤم شىء حقا » وله من حديث سهل بن سعد « إن كان فى الفرس والمرأة والمسكن » وللترمذى من حديث حكيم ابن معاوية « لاشؤم وقد يكون اليمن فى الدار والمرأة والفرس » ورواه ابن ماجه فسماه محمد بن معاوية وللطبرانى من حديث أسماء بنت عميس : قالت يارسول الله ماسوء الدار ؟ قال « ضيق ساحتها وخبث جيرانها » قيل فما سوء الدابة ؟ قال « منعها ظهرها وسوء خلقها » قيل فما سوء المرأة ؟ قال « عقم رحمها وسوء خلقها » وكلاهما ضعيف وروينا فى كتاب الخيل للدمياطى من رواية سالم بن عبد الله مرسلا « إذا كان الفرس ضروبا فهو مشئوم وإذا كانت المرأة قد عرفت زوجا قبل زوجها فحنت الى الزوج الأول فهى مشئومة وإذا كانت الدار بعيدة من المسجد لايسمع فيها الأذان والإقامة فهى مشئومة » وإسناده ضعيف ووصله صاحب مسند الفردوس بذكر ابن عمر فيه .

رحمه الله [١] » هكذا رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال مجاهد : كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يسلخ شاة ، فقال : ياغلام إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى ، حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا ؟ فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه [٢] وقال هشام : كان الحسن لايرى بأسا أن تطعم الجار اليهودى والنصرانى من أضحيتك ، وقال أبوذر رضى الله عنه . أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم وقال « إذا طبخت قدرا فأكثر ماءها ، ثم انظر بعض أهل بيت فى جيرانك فاغرف لهم منها [٣] » وقالت عائشة رضى الله عنها : قلت يارسول الله إن لى جارين أحدهما مقبل على بابه والآخر ناء ببابه عنى ، وربما كان الذى عندى لايسعهما ، فأيهما أعظم حقا ؟ فقال : المقبل عليك ببابه [٤] ورأى الصدّيق ولده عبد الرحمن وهو يناصى جارا له ، فقال لا تناص جارك ، فإنّ هذا يبقى والناس يذهبون . وقال الحسن بن عيسى النيسابورى : سألت عبد الله بن المبارك فقلت : الرجل المجاور يأتينى فيشكو غلامى أنه أتى إليه أمرا والغلام ينكره ، فأكره أن أضربه ولعله برىء وأكره أن أدعه فيجد على جارى ، فكيف أصنع ؟ قال : إن غلامك لعله أن يحدث حدثا يستوجب فيه الأدب فاحفظه عليه ، فإذا شكاه جارك فأدبه على ذلك الحدث ، فتكون قد أرضيت جارك وأدبته على ذلك الحدث ، وهذا تلطف فى الجمع بين الحقين .

وقالت عائشة رضى الله عنها : خلال المكارم عشر تكون فى الرجل ولا تكون فى أبيه وتكون فى العبد ولا تكون فى سيده ، يقسمها الله تعالى لمن أحب : صدق الحديث ، وصدق الناس ، وإعطاء السائل ، والمكافأة بالصنائع وصلة الرحم ، وحفظ الأمانة ، والتذمم للجار ، والتذمم للصاحب ، وقرى الضيف ، ورأسهن الحياء .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يامعشر المسلمات لاتحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة [٥] » قال صلى الله عليه وسلم « إن من سعادة المرء المسلم : المسكن الواسع ، والجار الصالح والمركب الهنى [٦] » وقال عبد الله : قال رجل : يارسول الله ، كيف لى أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت ، قال « إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت ، وإذا سمعتهم يقولون قد أسأت فقد أسأت [٧] » وقال جابر رضى الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم من كان له جار فى حائط أو شريك فلا يبعه حتى يعرضه عليه [٨] وقال أبو هريرة رضى الله عنه : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الجار يضع جذعه فى حائط جاره شاء أم أبى [٩] . وقال

---

(١) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « أتدرون ماحق الجار ؟ إن استعان بك أعنته وإن استقرضك أقرضته .. الحديث » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق وابن عدى فى الكامل وهو ضعيف . (٢) حديث مجاهد « كنت عند عبد الله ابن عمر وغلام له يسلخ شاة فقال ياغلام إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى . الحديث » أخرجه أبو داود والترمذى وقال حسن غريب (٣) حديث أبي ذر : أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم « إذا طبخت فأكثر المرق ثم انظر بعض أهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها » رواه مسلم (٤) حديث عائشة : قلت يارسول الله إن لى جارين ... الحديث، رواه البخارى (٥) حديث أبى هريرة « ياساء المسلمين لاتحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة » رواه البخارى (٦) حديث « إن من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنىء » رواه أحمد من حديث نافع بن عبد الحارث وسعد بن أبى وقاص ، وحديث نافع أخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد (٧) حديث عبد الله : قال رجل يارسول الله كيف لى أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت ؟ قال « إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت » رواه أحمد والطبرانى وعبد الله هو ابن مسعود ، وإسناده جيد .

(٨) حديث جابر « من كان له جار فى حائط أو شريك فلا يبعه حتى يعرضه عليه » أخرجه ابن ماجه والحاكم دون ذكر الجار، وقال : صحيح الإسناد ، وهو عند الخرائطى فى مكارم الأخلاق بلفظ المصنف ، ولابن ماجه من حديث ابن عباس « من كانت له أرض فأراد أن يبيعها فليعرضها على جاره » ورجاله رجال الصحيح (٩) حديث أبى هريرة : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الجار يضع جذعه فى حائط جاره شاء أم أبى . رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق هكذا ، وهو متفق عليه بلفظ « لايمنعن أحدكم جاره أن يغرز خشبة فى حائطه » رواه ابن ماجه بإسناد ضعيف ، واتفق عليه الشيخان من حديث أبى هريرة .

ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يمنعن أحدكم جاره أن يضع خشبة فى جداره » وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول : مالى أراكم عنها معرضين ، والله لأرمينها بين أكتافكم . وقد ذهب بعض العلماء إلى وجوب ذلك . وقال صلى الله عليه وسلم « من أراد الله به خيرا عسله » قيل : وما عسله ؟ قال « يحببه إلى جيرانه [1] » .

حقوق الأقارب الرحم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى أنا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسماً من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « من سره أن ينسأ له فى أثره ويوسع عليه فى رزقه فليصل رحمه [3] » وفى رواية أخرى « من سره أن يمد له فى عمره ويوسع له فى رزقه فليتق الله وليصل رحمه » وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الناس أفضل ؟ قال « أتقاهم لله وأوصلهم لرحمه . وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر [4] » وقال أبو ذر رضى الله عنه « أوصانى خليلى عليه السلام بصلة الرحم وإن ادبرت وأمرنى أن أقول الحق وإن كان مرا [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ الرحم معلقة بالعرش ، وليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل الذى إذا انقطعت رحمه وصلها [6] » وقال عليه السلام « إنّ أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم ، حتى إن أهل البيت ليكونون فجارا ، فتنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا وصلوا أرحامهم [7] » وقال زيد بن اسلم : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عرض له رجل فقال : إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم فعليك ببنى مدلج ، فقال عليه السلام « إنّ الله قد منعنى من بنى مدلج بصلتهم الرحم [8] » وقالت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما : قدمت علىّ أمى ، فقلت : يارسول الله ، إنّ أمى قدمت على وهى مشركة أفأصلها ؟ قال « نعم [9] » . وفى رواية : أفأعطيها ؟ قال « نعم صليها » . وقال عليه السلام « الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان [10] » ولما أراد أبو طلحة أن يتصدّق بحائط كان له يعجبه عملا بقوله تعالى ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ [11] قال :

---

(١) حديث « من أراد الله به خيراً عسله » رواه أحمد من حديث أبى عتبة الخولانى ، ورواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق ، والبيهقى فى الزهد من حديث عمرو بن الحمق . زاد الخرائطى : قيل وماعسله ؟ قال « حببه الى جيرانه » وقال البيهقى « يفتح له عملا صالحا قبل موته حتى يرضى عنه من حوله » ولسناده جيد .

(٢) حديث « يقول الله أنا الرحمن وهذه الرحم ... الحديث » متفق عليه من حديث عائشة . (٣) حديث « من سره أن ينسأ له فى أثره ويوسع له فى رزقه فليتق الله وليصل رحمه » متفق عليه من حديث أنس دون قوله « فليتق الله » وهو بهذه الزيادة عند أحمد والحاكم من حديث على باسناد جيد . (٤) حديث : أى الناس أفضل فقال « أتقاهم لله وأوصلهم للرحم » رواه أحمد والطبرانى من حديث درة بنت أبى لهب باسناد حسن . (٥) حديث أبى ذر : أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بصلة الرحم وإن أدبرت ، وأمرنى أن أقول الحق وإن كان مرا ، رواه أحمد وابن حبان وصححه . (٦) حديث « إن الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها » أخرجه الطبرانى والبيهقى من حديث عبد الله بن عمرو ، وهو عند البخارى دون قوله « الرحم معلقة بالعرش » فرواها مسلم من حديث عائشة . (٧) حديث « أعجل الطاعات ثوابا صلة الرحم ... الحديث » أخرجه ابن حبان من حديث أبى بكرة ، والخرائطى فى مكارم الأخلاق ، والبيهقى فى الشعب من حديث عبد الرحمن بن عوف بسند ضعيف . (٨) حديث زيد بن أسلم : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عرض له رجل فقال : إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم فعليك ببنى مدلج ؟ فقال « إن الله منعنى من بنى مدلج بصلتهم الرحم » رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق ، وزاد « وطعنهم فى ابات الإبل » وهو مرسل صحيح الإسناد (٩) حديث أسماء بنت أبى بكر : قدمت على أمى فقلت : يارسول الله ، قدمت على أمى وهى مشركة أفأصلها ؟ قال « نعم صليها » متفق عليه (١٠) حديث « الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذى الرحم صدقة وصلة » أخرجه الترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه من حديث سلمان ابن عامر الضبى (١١) حديث : لما أراد أبو طلحة أن يتصدق بحائط له كان يعجبه عملا بقوله تعالى ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ ... الحديث أخرجه البخارى وقد تقدم .

يارسول الله ، هو فى سبيل الله وللفقراء والمساكين فقال عليه السلام « وجب اجرك على الله قسمه فى أقاربك » وقال عليه السلام «أفضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح[1] » وهو فى معنى قوله «أفضل الفضائل أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتصفح عمن ظلمك[2] » وروى أنّ عمر رضى الله عنه كتب إلى عماله : مروا الأقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا ، وإنما قال ذلك لأنّ التجاور يورث التزاحم على الحقوق ، وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم .

حقوق الوالدين والولد

لايخفى أنه إذا تأكد حق القرابة والرحم فأخص الأرحام وأمسها الولادة ، فيتضاعف تأكد الحق فيها . وقد قال صلى الله عليه وسلم « لن يجزى ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه[3] » وقد قال صلى الله عليه وسلم « بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد فى سبيل الله[4] » وقد قال صلى الله عليه وسلم « من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة ، ومن أمسى فمثل ذلك ، وإن كان واحدا فواحدا ، وإن ظلما وإن ظلما . ومن أصبح مسخطاً لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار ، ومن أمسى مثل ذلك ، وإن كان واحدا فواحدا ، وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما[5] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ، ولايجد ريحها عاق ولا قاطع رحم[6] » وقال صلى الله عليه وسلم « بر أمك وأباك وأختك وأخاك ، ثم أدناك فأدناك[7] » .

ويروى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : ياموسى ، إنه من بر والديه وعقنى كتبته بارا ، ومن برنى وعق والديه كتبته عاقا .

وقيل : لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يقم له : فأوحى الله إليه : أتتعاظم أن تقوم لأبيك ، وعزتى وجلالى لأخرجت من صلبك نبيا .

وقال صلى الله عليه وسلم « ماعلى أحد إذا أراد أن يتصدّق بصدقة أن يجعلها لوالديه إذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل اجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شىء[8] » وقال مالك بن ربيعة : بينما نحن

---

(١) حديث « أفضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح » أخرجه أحمد والطبرانى من حديث أبى أيوب ، وفيه الحجاج بن أرطاة ورواه البيهقى من حديث أم كلثوم بنت عقبة (٢) حديث « أفضل الفضائل أن تصل من قطعك ... الحديث » أخرجه أحمد من حديث معاذ بن أنس بسند ضعيف وللطبرانى نحوه من حديث أبى أمامه وقد تقدم (٣) حديث « لن يجزى ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة (٤) حديث « بر الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد » لم أجده هكذا . وروى أبو يعلى والطبرانى فى الصغير والأوسط من حديث أنس : أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنى أشتهى الجهاد ولا أقدر عليه . قال : « هل بقى من والديك أحد ؟ » قال : أمى . قال « قابل الله فى برها ، فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد » وإسناده حسن (٥) حديث « من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة ... الحديث » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس ولايصح .

(٦) حديث « إن الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولايجد ريحها عاق ولاقاطع رحم » أخرجه الطبرانى فى الصغير من حديث أبى هريرة دون ذكر القاطع ، وهى فى الأوسط من حديث جابر ، إلا أنه قال « من مسيرة ألف عام » وإسنادها ضعيف .

(٧) حديث « برأمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك » أخرجه النسائى من حديث طارق المحاربى ، وأخرجه أحمد والحاكم من حديث أبى رمثة ، ولأبى داود نحوه من حديث كليب بن منفعه عن جده ، وله وللترمذى والحاكم وصححه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده : من أبر ؟ قال : « أمك ، ثم أمك ، ثم أمك ، ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب » وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة : قال رجل : من أحق الناس بحسن الصحبة ؟ قال « أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك » لفظ مسلم .

(٨) حديث « ما على أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقه أن يجعلها لوالديه إذا كانا مسلمين ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند ضعيف ـ دون قوله « إذا كانا مسلمين » .

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال : يا رسول الله ، هل بقى على من بر أبوى شىء أبرهما به بعد وفاتهما ؟ قال نعم ، الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم التى لاتوصل إلا بهما [١] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى الأب [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « بر الوالدة على الولد ضعفان [٣] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « دعوة الوالدة أسرع إجابة . قيل : يارسول الله ، ولم ذاك ؟ قال : هى أرحم من الأب ودعوة الرحم لاتسقط [٤] » .

وسأله رجل فقال : يارسول الله فمن أبر ؟ فقال : « بر والديك » فقال : ليس لى والدان ، فقال : « بر ولدك ، كما أن لوالديك عليك حقا ، كذلك لولدك عليك حق [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله والدا أعان ولده على بره [٦] » أى لم يحمله على العقوق بسوء عمله . وقال صلى الله عليه وسلم « ساووا بين أولادكم فى العطية » وقد قيل : ولدك ريحانتك تشمها سبعا وخادمك سبعا ، ثم هو عدوك أو شريكك » وقال أنس رضى الله عنه : قال النبى صلى الله عليه وسلم « الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى ؛ فإذا بلغ ست سنين أدب ، فإذا بلغ تسع سنين عزل فراشه ، فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة ، فإذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه ؛ ثم أخذ بيده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك ، أعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الآخرة [٧] » وقال صلى الله عليه وسلم « من حق الوالد على الولد أن يحسن أدبه ويحسن أسمه [٨] » .

وقال عليه الصلاة والسلام « كل غلام رهين أو رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه [٩] » وقال قتادة : إذا ذبحت العقيقة أخذت صوفة منها فاستقبلت بها أوداجها ثم توضع على يافوخ الصبى حتى يسيل عنه مثل الخيط ثم يغسل رأسه ويحلق بعد .

وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فشكا إليه بعض ولده ، فقال : هل دعوت عليه ؟ قال : نعم . قال : أنت أفسدته .

ويستحب الرفق بالولد : رأى الأقرع بن حابس النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن ، فقال : إن لى

---

(١) حديث مالك بن ربيعة . بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه رجل من بنى سلمة فقال هل بقى على من بر أبوى شىء ... الحديث » أخرجه أبو داود وابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد . (٢) حديث « إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه » أخرجه مسلم من حديث ابن عمر . (٣) حديث « بر الوالدة على الولد ضعفان » غريب بهذا اللفظ وقد تقدم قبل هذا بثلاثة أحاديث من حديث بهز بن حكيم وحديث أبى هريرة وهو معنى هذا الحديث . (٤) حديث دعوة الوالدة أسرع لإجابة .. الحديث » لم أقف له على أصل . (٥) حديث : قال رجل يارسول الله من أبر ؟ قال « بر والديك » فقال ليس لى والدان فقال « ولدك فكما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق » أخرجه أبو عمر النوقانى فى كتاب معاشرة الأهلين من حديث عثمان بن عفان دون قوله « فكما أن لوالديك » الخ وهذه القطعة رواها الطبرانى من حديث ابن عمر قال الدارقطنى فى العلل ان الأصح وقفه على ابن عمر . (٦) حديث « رحم الله والداً أعان ولده على بره » أخرجه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب من حديث على بن أبى طالب وابن عمر بسند ضعيف ورواه النوقانى من رواية الشعبى مرسلا .

(٧) حديث أنس : الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى فاذا بلغ ست سنين أدب فاذا بلغ سبع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاثة عشر ضرب على الصلاة والصوم فاذا بلغ ستة عشر زوجه أبوه ثم أخذ بيده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك أعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الآخرة أخرجه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الضحايا والعقيقة الا أنه قال « وأدبوه لسبع وزوجوه لسبع عشرة ولم يذكر الصوم » وفى اسناده من لم يسم . (٨) حديث « من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس وحديث عائشة وضعفهما .

(٩) حديث « كل غلام رهين أو رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه » أخرجه أصحاب السنن من حديث سمرة قال الترمذى حسن صحيح .

عشرة من الولد ماقبلت واحدا منهم ! فقال عليه الصلاة والسلام « إن من لايرحم لايرحم [١] » ، وقالت عائشة رضى الله عنها : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما « اغسلى وجه أسامة » فجعلت اغسله وأنا أنفة ، فضرب يدى ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال « قد أحسن بنا إذ لم يكن جارية [٢] » ، وتعثر الحسن ـ والنبى صلى الله عليه وسلم على منبره ـ فنزل فحمله وقرأ قوله تعالى ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ [٣] وقال عبدالله بن شداد : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بالناس ، إذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد ، فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر ، فلما قضى صلاته قالوا : قد أطلت السجود يارسول الله حتى ظننا أنه قد حدث أمر ! فقال « إن ابنى قد ارتحلنى فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته [٤] » وفى ذلك فوائد : إحداها القرب من الله تعالى فإن العبد أقرب مايكون من الله تعالى إذا كان ساجدا ، وفيه الرفق بالولد والبر ، وتعليم لأمته . وقال صلى الله عليه وسلم « ريح الولد من ريح الجنة [٥] » .

وقال يزيد بن معاوية : أرسل أبى إلى الأحنف بن قيس ، فلما وصل إليه قال له : ياأبا بحر ، ماتقول فى الولد ؟ قال : ياأمير المؤمنين ، ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة ، وسماء ظليلة ، وبهم نصول على كل جليلة ؛ فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فارضهم ، يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقلا ثقيلا ، فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك ؛ فقال له معاوية : لله أنت ياأحنف ، لقد دخلت على وأنا مملوء غضبا وغيظا على يزيد . فلما خرج الأحنف من عنده رضى عن يزيد وبعث إليه بمائتى ألف درهم ومائتى ثوب ؛ فأرسل يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب فقاسمه إياها على الشطر .

فهذه هى الأخبار الدالة على تأكد حق الوالدين وكيفية القيام بحقهما تعرف مما ذكرناه فى حق الأخوة ؛ فإن هذه الرابطة آكد من الأخوة بل يزيد ههنا أمران (أحدهما) أن أكثر العلماء على أن طاعة الأبوين واجبة فى الشبهات وإن لم تجب فى الحرام المحض ، حتى إذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما بالطعام فعليك أن تأكل معهما ، لأن ترك الشبهة ورع ، ورضا الوالدين حتم . وكذلك ليس لك أن تسافر فى مباح أو نافلة إلا بإذنهما ، والمبادرة إلى الحج الذى هو فرض الإسلام نفل ، لأنه على التأخير . والخروج لطلب العلم نفل إلا إذا كنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم ولم يكن فى بلدك من يعلمك ، وذلك كمن يسلم ابتداء فى بلد ليس فيها من يعلمه شرع الإسلام فعليه الهجرة ولا يتقيد بحق الوالدين .

قال أبو سعيد الخدرى : هاجر رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن وأراد الجهاد ، فقال عليه السلام « هل باليمن أبواك » قال : نعم ، قال « هل أذنا لك ؟ » قال : لا ، فقال عليه السلام « فارجع إلى أبويك

---

(١) حديث : رأى الأقرع بن حابس النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال إن لى عشرة من الولد ماقبلت واحدا منهم فقال « من لايرحم لايرحم » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة . (٢) حديث عائشة : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما « اغسلى وجه أسامة » فجعلت أغسله وأنا أنفة ؛ فضرب بيدى ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال « قد أحسن بنا إذ لم يكن جارية » لم أجده هكذا ولأحمد من حديث عائشة : أن أسامة عثر بعتبة الباب فدمى فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يمصه ويقول « لو كان أسامة جارية لحليتها ولكسوتها حتى أنفقها » وإسناده صحيح . (٣) حديث : عثر الحسن وهو على منبره صلى الله عليه وسلم فنزل فحمله وقرأ قوله تعالى ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ أخرجه أصحاب السنن من حديث بريدة فى الحسن والحسين معا يمشيان ويعثران قال الترمذى حسن غريب . (٤) حديث عبد الله بن شداد : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بالناس إذ جاء الحسن فركب عنقه . رواه النسائى من رواية عبد الله بن شداد عن أبيه وقال فيه الحسن أو الحسين على الشك ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين . (٥) حديث « ريح الولد من ريح الجنة » أخرجه الطبرانى فى الصغير والأوسط وابن حبان فى الضعفاء من حديث ابن عباس وفيه مندل بن على ضعيف .

فأستأذنهما ، فإن فعلا فجاهد ، وإلا فبرهما ما استطعت ، فإن ذلك خير ماتلقى الله به بعد التوحيد [١] » . وجاء آخر إليه صلى الله عليه وسلم ليستشيره فى الغزو فقال « ألك والدة ؟ » قال : نعم . قال « فالزمها فإن الجنة عند رجليها [٢] » . وجاء آخر يطلب البيعة على الهجرة وقال : ماجئتك حتى أبكيت والدى ، فقال « ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما [٣] » .

وقال صلى الله عليه وسلم « حق كبير الإخوة على صغيرهم كحق الوالد عن ولده [٤] » .

وقال عليه السلام « إذا استصعبت على أحدكم دابته أو ساء خلق زوجته أو أحد من أهل بيته فليؤذن فى أذنه [٥] » .

حقوق المملوك

اعلم أن ملك النكاح قد سبقت حقوقه فى آداب النكاح ، فأما ملك اليمين فهو أيضا يقتضى حقوقا فى المعاشرة لابد من مراعاتها ، فقد كان من آخر ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال « اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون ، فما أحببتم فأمسكوا وما كرهتم فبيعوا ، ولا تعذبوا خلق الله فإن الله ملككم إياهم ولو شاء لملكهم إياكم [٦] » وقال صلى الله تعالى عليه وسلم « للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق [٧] » وقال عليه السلام « لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خائن ولا سيئ الملكة [٨] » وقال عبدالله بن عمر رضى الله تعالى عنهما : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله كم نعفو عن الخادم ؟ فصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث أبى سعيد الخدرى : هاجر رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن وأراد الجهاد فقال صلى الله عليه وسلم « باليمن أبواك ؟ » قال : نعم ... الحديث . أخرجه أحمد وابن حبان دون قوله « مااستطعت » الخ . (٢) حديث : جاء آخر إلى النبى صلى الله عليه وسلم يستشيره فى الغزو فقال « ألك والدة ؟ » فقال : نعم ، قال فالزمها فان الجنة تحت قدمها » أخرجه النسائى وابن ماجه والحاكم من حديث معاوية بن جاهمة : أن جاهمة أتى النبى صلى الله عليه وسلم . قال الحاكم صحيح الإسناد . (٣) حديث جاء آخر فقال : ماجئتك حتى أبكيت والدى فقال « ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما » أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح الإسناد . (٤) حديث « حق كبير الإخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده » أخرجه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب من حديث أبى هريرة ورواه أبو داود فى المراسيل من رواية سعيد بن عمرو ابن العاص مرسلا ووصله صاحب مسند الفردوس فقال عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه عن جده سعيد بن العاص وإسناده ضعيف (٥) حديث « إذا استصعب على أحدكم دابته أوساء خلق زوجته أو أحد من أهل بيته فليؤذن فى أذنه » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث الحسين بن على بن أبى طالب بسند ضعيف نحوه (٦) حديث : كان من آخر ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال « اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون ... الحديث » الخ وهو مفرق فى عدة أحاديث فروى أبو داود من حديث على : كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم » وفى الصحيحين من حديث أنس : كان آخر وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت « الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم » ولهما من حديث أبى ذر « أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون ولاتكلفوهم مايغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم » لفظ رواية مسلم وفى رواية لأبى داود « من يلايكم من مملوكيكم فأطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ومن لايلايكم منهم فبيعوه ولاتعذبوا خلق الله تعالى » وإسناده صحيح (٧) حديث « للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولايكلف من العمل مالا يطيق » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة . (٨) حديث « لايدخل الجنة خب ولا متكبر ولاخائن ولاسيئ الملكة » أخرجه أحمد مجموعا والترمذى مفرقا وابن ماجه مقتصرا على « سيئ الملكة » من حديث أبى بكر وليس عند أحد منهم متكبر وزاد أحمد والترمذى البخيل والمنان وهو ضعيف وحسن الترمذى أحد طريقيه .

ثم قال « اعف عنه فى كل يوم سبعين مرة [١] » وكان عمر رضى الله عنه يذهب إلى العوالى فى كل يوم سبت ، فإذا وجد عبدا فى عمل لا يطيقه وضع عنه منه . ويروى على أبى هريرة رضى الله عنه أنه رأى رجلا على دابته وغلامه يسعى خلفه فقال له : ياعبدالله احمله خلفك فإنما هو أخوك روحه مثل روحك فحمله ثم قال : لا يزال العبد يزداد من الله بعدا مامشى خلفه . وقالت جارية لأبى الدرداء : إنى سممتك منذ سنة فما عمل فيك شيئا فقال : لم فعلت ذلك ؟ فقالت : أردت الراحة منك ، فقال : اذهبى فأنت حرة لوجه الله . وقال الزهرى : متى قلت للمملوك أخزاك الله فهو حر . وقيل للأحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم ، قيل فما بلغ من حلمه ؟ قال : بينما هو جالس فى داره إذا أتته خادمة له بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن له فعقره فمات ، فدهشت الجارية ، فقال : ليس يسكن روع هذه الجارية إلا العتق فقال لها : أنت حرة لا بأس عليك . وكان عون ابن عبد الله إذا عصاه غلامه قال : ماأشبهك بمولاك ؟ مولاك يعصى مولاه وأنت تعصى مولاك ، فأغضبه يوما فقال : إنما تريد أن أضربك اذهب فأنت حر . وكان عند ميمون بن مهران ضيف فاستعجل على جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوءة ، فعثرت وأراقتها على رأس سيدها ميمون ؛ فقال : ياجارية أحرقتنى ، قالت : يامعلم الخير ومؤدب الناس ارجع إلى ماقال الله تعالى قال : وما قال الله تعالى ؟ قالت : قال ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾ قال : قد كظمت غيظى ، قالت ﴿ والعافين عن الناس ﴾ قال : قد عفوت عنك ، قالت : زد فإن الله تعالى يقول ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ قال : أنت حرة لوجه الله تعالى . وقال ابن المنكدر : إن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل العبد يقول : أسألك بالله أسألك بوجه الله ، فلم يعفه فسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صياح العبد فانطلق إليه ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك يده فقال رسول الله « سألك بوجه الله فلم تعفه فلما رأيتنى أمسكت يدك » قال : فإنه حر لوجه الله يارسول الله ، فقال « لولم تفعل لسفعت وجهك النار [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين [٣] » ولما اعتق أبو رافع بكى وقال : كانّ لى أجران فذهب أحدهما . وقال صلى الله عليه وسلم « عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار ، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة : فالشهيد ، وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده ، وعفيف متعفف ذو عيال ، وأول ثلاثة يدخلون النار : أمير مسلط وذو ثروة لا يعطى حق الله وفقير فخور [٤] » وعن أبى مسعود الأنصارى قال : بينا أنا أضرب غلاما لى إذ سمعت صوتا من خلفى « اعلم يا أبا مسعود » مرتين فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقيت السوط من يدى فقال « والله لله أقدر عليك منك على هذا [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شىء يطعمه الحلو فإنه أطيب لنفسه [٦] » رواه معاذ

---

(١) حديث ابن عمر : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كم نعفو عن الخادم ؟ فصمت ثم قال « اعف عنه كل يوم سبعين مرة » أخرجه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح غريب (٢) حديث ابن المنكدر : أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل العبد يقول : أسألك بالله أسألك بوجه الله ؛ فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد... الحديث» أخرجه ابن المبارك فى الزهد مرسلا وفى رواية لمسلم فى حديث أبى مسعود الآتى ذكره : فجعل يقول : أعوذ بالله . قال فجعل يضربه فقال : أعوذ برسول الله فتركه ، وفى رواية له : فقلت هو حر لوجه الله ، فقال « أما إنك لو لم تفعل للفحتك النار » أو « لمستك النار » (٣) حديث « إذا نصح العبد لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين » متفق عليه من حديث ابن عمر (٤) حديث « عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار : فأول ثلاثة يدخلون الجنة : الشهيد وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده .. الحديث » أخرجه الترمذى وقال حسن وابن حبان من حديث أبى هريرة

(٥) حديث أبى مسعود الأنصارى : بينا أنا أضرب غلاما لى سمعت صوتا من خلفى « اعلم أبامسعود » مرتين ... الحديث . رواه مسلم . (٦) حديث معاذ : إذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شىء يطعمه الحلو فانه أطيب لنفسه أخرجه الطبرانى فى الأوسط والخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فليجلسه وليأكل معه فإن لم يفعل فليناوله لقمة [1] » وفى رواية « إذا كفى أحدكم مملوكه صنعة طعامه ؛ فكفاه حره ومؤنته وقرّبه إليه فليجلسه وليأكل معه ، فإن لم يفعل فليناوله أو ليأخذ أكلة فليروغها ـ وأشار بيده ـ وليضعها فى يده وليقل كل هذه ودخل على سلمان رجل وهو يعجن فقال : يا أبا عبدالله ماهذا ؟ فقال : بعثنا الخادم فى شغل فكرهنا أن نجمع عليه عملين . وقال صلى الله عليه وسلم « من كانت عنده جارية فصانها وأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها فذلك له أجران [2] » وقد قال صلى الله عليه وسلم « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته [3] » .

فجملة حق المملوك أن يشركه فى طعمته وكسوته ، ولا يكلفه فوق طاقته ، ولا ينظر إليه بعين الكبر والازدراء وأن يعفو عن زلته ويتفكر عند غضبه عليه بهفوته أو بجنايته فى معاصيه وجنايته على حق الله تعالى وتقصيره فى طاعته مع أنّ قدرة الله عليه فوق قدرته . وروى فضالة بن عبيد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة لايسئل عنهم : رجل فارق الجماعة ، ورجل عصى إمامه فمات عاصيا فلايسأل عنهما ، وأمرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده فلايسأل عنها . وثلاثة لايسأل عنهم رجل ينازع الله رداءه ورداؤه الكبرياء وإزاره العز ، ورجل فى شك من الله ، وقنوط من رحمة الله [4] » .

تم كتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق .

كتاب آداب العزلة

وهو الكتاب السادس من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أعظم النعمة على خيرة خلقه وصفوته بأن صرف هممهم إلى مؤانسته ، وأجزل حظهم من التلذذ بمشاهدة آلائه وعظمته ، وروّح أسرارهم بمناجاته وملاطفته ، وحقر فى قلوبهم النظر إلى متاع الدنيا وزهرتها حتى اغتبط بعزلته كل من طويت الحجب عن مجارى فكرته فاستأنس بمطالعة سبحات وجهه تعالى فى خلوته ، واستوحش بذلك عن الأنس بالإنس وإن كان من أخص خاصته والصلاة على سيدنا محمد سيد أنبيائه وخيرته وعلى آله وصحابته سادة الحق وأئمته .

أما بعد : فإن للناس اختلافا كثيرا فى العزلة والمخالطة وتفضيل إحداهما على الأخرى ، ومع أن كل واحدة منهما لاتنفك عن غوائل تنفر عنها وفوائد تدعو إلى إليها ، وميل أكثر العباد والزهاد إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة وما ذكرناه فى كتاب الصحبة من فضيلة المخالطة والمؤاخاة والمؤالفة يكاد يناقض ما مال إليه الأكثرون من اختيار الاستيحاش والخلوة ، فكشف الغطاء عن الحق فى ذلك مهم . ويحصل ذلك برسم بابين (الباب الأول) فى نقل المذاهب والحجج فيها (الباب الثانى) فى كشف الغطاء عن الحق بحصر الفوائد والغوائل .

---

(١) حديث أبى هريرة « وليأكل معه فان أبى فليناوله » وفى رواية « إذا كفى أحدكم مملوكه صنعة طعامه ... الحديث » متفق عليه مع اختلاف لفظ وهو فى مكارم الأخلاق للخرائطى باللفظين اللذين ذكرهما المصنف غير أنه لم يذكر « علاجه » وهذه اللفظة عند البخارى

(٢) حديث « من كانت عنده جارية فعالها وأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها فذلك له أجران » متفق عليه من حديث أبى موسى.

(٣) حديث « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم . (٤) حديث فضالة بن عبيد « ثلاثة لايسأل عنهم : رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصيا ... الحديث » أخرجه الطبرانى وصححه .

الباب الأول فى نقل المذاهب والأقاويل

وذكر حجج الفريقين فى ذلك

أما المذاهب فقد اختلف فيها وظهر هذا الاختلاف بين التابعين. فذهب إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة: سفيان الثورى، وإبراهيم بن أدهم، وداود الطائى، وفضيل بن عياض، وسليمان الخواص، ويوسف بن أسباط وحذيفة المرعشى، وبشر الحافى

وقال أكثر التابعين باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والإخوان والتألف والتحبب إلى المؤمنين والاستعانة بهم فى الدين تعاونا على البر والتقوى ومال إلى هذا: سعيد بن المسيب، والشعبى، وابن أبى ليلى، وهشام بن عروة، وابن شبرمة، وشريح، وشريك بن عبد الله، وابن عيينة، وابن المبارك، والشافعى، وأحمد بن حنبل، وجماعة.

والمأثور عن العلماء من الكلمات ينقسم إلى كلمات مطلقة تدل على الميل إلى أحد الرأيين، وإلى كلمات مقرونة بما يشير إلى علة الميل. فلننقل الآن مطلقات تلك الكلمات لنبين المذاهب فيها، وما هو مقرون بذكر العلة نورده عند التعرض للغوائل والفوائد، فنقول؛ قد روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال: خذوا بحظكم من العزلة. وقال ابن سيرين: العزلة عبادة. وقال الفضيل: كفى بالله محبا وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا. وقيل: اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا. وقال أبو الربيع الزاهد لداود الطائى: عظنى؛ قال: صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الأسد. وقال الحسن رحمه الله: كلمات أحفظهن من التوراة؛ قنع ابن آدم فاستغنى، اعتزل الناس فسلم، ترك الشهوات فصار حرا، وترك الحسد فظهرت مروءته، صبر قليلا فتمتع طويلا. وقال وهيب ابن الورد. بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء، تسعة منها فى الصمت والعاشر فى عزلة الناس. وقال يوسف بن مسلم لعلى بن بكار: ما أصبرك على الوحدة؟ - وقد كان لزم البيت - فقال: كنت وأنا شاب أصبر على أكثر من هذا؛ كنت أجالس الناس ولا أكلمهم. وقال سفيان الثورى: هذا وقت السكوت وملازمة البيوت. وقال بعضهم: كنت فى سفينة ومعنا شاب من العلوية فمكث معنا سبعا لا نسمع له كلاما؛ فقلنا له: يا هذا قد جمعنا الله وإياك منذ سبع ولا نراك تخالطنا ولا تكلمنا، فأنشأ يقول:

قليل الهم لا ولد يموت ولا أمر يحاذره يفوت
قضى وطر الصبا وأفاد علما فغايته التفرد والسكوت

وقال إبراهيم النخعى لرجل تفقه ثم اعتزل، وكذا قال الربيع بن خثيم. وقيل كان مالك بن أنس يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطى الإخوان حقوقهم فترك ذلك واحدا واحدا حتى تركها كلها، وكان يقول: لا يتهيأ للمرء أن يجمع كل عذر له. وقيل لعمر بن عبد العزيز: لو تفرغت لنا؟ فقال: ذهب الفراغ فلا فراغ إلا عند الله تعالى وقال الفضيل: إنى لأجد للرجل عندى يدا: إذا لقينى أن لا يسلم على، وإذا مرضت أن لا يعودنى. وقال أبو سليمان الدارانى. بينما الربيع ابن خثيم جالس على باب داره إذ جاءه حجر فصك جبهته فشجه، فجعل يمسح الدم ويقول: لقد وعظت يا ربيع، فقام ودخل داره فما جلس بعد ذلك على باب داره حتى أخرجت جنازته. وكان سعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد لزما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا يأتيان المدينة لجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق. وقال يوسف بن أسباط: سمعت سفيان الثورى يقول، والله الذى لا إله إلا هو لقد حلت العزلة وقال بشر بن عبد الله: أقل من معرفة الناس فإنك لا تدرى ما يكون يوم القيامة، فإن تكن

فضيحة كان من يعرفك قليلا . ودخل بعض الأمراء على حاتم الأصم فقال له . ألك حاجة ؟ قال: نعم ، قال: وما هي؟ قال أن لا ترانى ولا أراك ولا تعرفنى . وقال رجل لسهل : أريد أن أصحبك ، فقال : إذا مات أحدنا فمن يصحب الآخر ؟ قال : الله قال : فليصحبه الآن . وقيل للفضيل : إن عليا ابنك يقول لوددت أنى فى مكان أرى الناس ولا يرونى ؛ فبكى الفضيل وقال : ياويح على أفلا أتمها فقال لا أراهم ولا يرونى ؟ وقال الفضيل أيضا : من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : أفضل المجالس مجلس فى قعر بيتك لا ترى ولا ترى . فهذه أقاويل المائلين إلى العزلة .

ذكر حجج المائلين إلى المخالطة ووجه ضعفها

احتج هؤلاء بقوله تعالى ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا ﴾ الآية وبقوله تعالى ﴿ فألف بين قلوبكم ﴾ أمتن على الناس بالسبب المؤلف وهذا ضعيف ؛ لأن المراد به تفرق الآراء واختلاف المذاهب فى معانى كتاب الله وأصول الشريعة . والمراد بالألفة نزع الغوائل من الصدور وهى الأسباب المثيرة للفتن المحركة للخصومات ، والعزلة لا تنافى ذلك .

واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن إلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف [1] » ، وهذا ضعيف لأنه إشارة إلى مذمة سوء الخلق تمتنع بسببه المؤالفة ، ولا يدخل تحته الحسن الخلق الذى إن خالط ألف وألف ولكنه ترك المخالطة اشتغالا بنفسه وطلبا للسلامة من غيره .

واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم « من فارق الجماعة شبرا خلع ربقة الإسلام من عنقه » وقال « من فارق الجماعة فمات فميتته جاهلية [2] » وبقوله صلى الله عليه وسلم « من شق عصا المسلمين والمسلمون فى إسلام دائج فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه [3] » ، وهذا ضعيف لأن المراد به الجماعة التى اتفقت آراؤهم على إمام بعقد البيعة فالخروج عليهم بغى ، وذلك مخالفة بالرأى وخروج عليهم وذلك محظور لاضطرار الخلق إلى إمام مطاع يجمع رأيهم ولا يكون ذلك إلا بالبيعة من الأكثر ، فالمخالفة تشويش مثير للفتنة فليس فى هذا تعرض للعزلة .

واحتجوا بنهيه صلى الله عليه وسلم عن الهجر فوق ثلاث إذ قال « من هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار [4] » وقال عليه السلام « لا يحل لامرئ مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق بالصلح يدخل الجنة [5] » وقال « من هجر أخاه سنة فهو كسافك دمه [6] » قالوا والعزلة هجره بالكلية . وهذا ضعيف لأن المراد به الغضب على الناس واللجاج فيه بقطع الكلام والسلام والمخالطة المعتادة ، فلا يدخل فيه ترك المخالطة أصلا من غير غضب . مع أن الهجر فوق ثلاث جائز فى موضعين ؛ أحدهما : أن يرى فيه إصلاحا للمهجور فى الزيادة . الثانى . أن يرى لنفسه سلامة فيه .

كتاب العزلة

الباب الأول : فى نقل المذاهب والحجج فيها

(١) حديث « المؤمن الف مألوف ... الحديث » تقدم فى الباب الأول من آداب الصحبة . (٢) حديث « من ترك الجماعة فمات فميتته جاهلية » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة وقد تقدم فى الباب الخامس من كتاب الحلال والحرام . (٣) حديث « من شق عصا المسلمين والمسلمون فى اسلام دائج فقد خلع ربقة الإسلام » أخرجه الطبرانى والخطابى فى العزلة من حديث ابن عباس بسند جيد

(٤) حديث « من هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار » أخرجه أبو داود من حديث أبى هريرة بإسناد صحيح .

(٥) حديث « لا يحل لامرئ أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق بالصلح يدخل الجنة » متفق عليه من حديث أنس دون قوله « والسابق بالصلح » زاد فيه الطبرانى « والذى يبدأ بالصلح يسبق الى الجنة » . (٦) حديث « من هجر أخاه سنة فهو كسافك دمه » أخرجه أبو داود من حديث أبى خراش السلمى واسمه حدرد بن أبى حدرد واسناده صحيح .

والنهى وإن كان عاما فهو محمول على ماوراء الموضعين المخصوصين بدليل ماروى عن عائشة رضى الله عنها . أن النبى صلى الله عليه وسلم هجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر [١] . وروى عن عمر : أنه صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وآلى منهن شهرا وصعد إلى غرفة له وهى خزانته فلبث تسعا وعشرين يوما ؛ فلما نزل قيل له : إنك كنت فيها تسعا وعشرين ، فقال « الشهر قد يكون تسعا وعشرين [٢] » وروت عائشة رضى الله عنها : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام إلا أن يكون ممن لاتؤمن بوائقه [٣] » فهذا صريح فى التخصيص وعلى هذا ينزل قول الحسن رحمه الله حيث قال : هجران الأحمق قربة إلى الله فإن ذلك يدوم إلى الموت إذ الحماقة لاينتظر علاجها . وذكر عند محمد بن عمر الواقدى رجل هجر رجلا حتى مات ؛ فقال : هذا شىء قدم تقدم فيه قوم ؛ سعد بن أبى وقاص كان مهاجرا لعمار بن ياسر حتى مات ، وعثمان بن عفان كان مهاجرا لعبد الرحمن بن عوف وعائشة كانت مهاجرة لحفصة . وكان طاوس مهاجرا لوهب بن منبه حتى ماتا . وكل ذلك يحمل على رؤيتهم سلامتهم فى المهاجرة .

واحتجوا بما روى : أن رجلا أتى الجبل ليتعبد فيه فجىء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « لاتفعل أنت ولا أحد منكم لصبر أحدكم فى بعض مواطن الإسلام خير له من عبادة أحدكم وحده أربعين عاما [٤] » والظاهر أنّ هذا إنما كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدة وجوبه فى ابتداء الاسلام بدليل ما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه أنه قال : غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررنا بشعب فيه عيينة طيبة الماء ؛ فقال واحد من القوم : لو اعتزلت الناس فى هذا الشعب ولن أفعل ذلك حتى أذكره لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم « لاتفعل فإن مقام أحدكم فى سبيل الله خير من صلاته فى أهله ستين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم وتدخلون الجنة اغزوا فى سبيل الله فإنه من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة أدخله الله الجنة [٥] » .

واحتجوا بما روى معاذ بن جبل أنه صلى الله عليه وسلم قال « إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ القاصية والناحية والشاردة وإياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد [٦] » وهذا إنما أراد به من اعتزل قبل تمام الغلم ، وسيأتى بيان ذلك وأن ذلك ينهى عنه إلا لضرورة .

ذكر حجج المائلين إلى تفضيل العزلة

احتجوا بقوله تعالى حكايه عن إبراهيم عليه السلام ﴿ وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى ﴾ الآية ثم قال تعالى ﴿ فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ﴾ إشارة إلى أن ذلك ببركة العزلة . وهذا ضعيف لأن مخالطة الكفار لافائدة فيها إلا دعوتهم إلى الدين . وعند اليأس من إجابتهم فلا وجه

---

(١) حديث : أنه صلى الله عليه وسلم هجر عائشة ذا الحجة والمحرم وبعض صفر . قلت : إنما هجر زينب هذه المدة كما رواه أبو داود من حديث عائشة وسكت عليه فهو عنده صالح . (٢) حديث عمر : أنه صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وآلى منهن شهرا ... الحديث . متفق عليه . (٣) حديث عائشة . لايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث إلا أن يكون ممن لايأمن بوائقه أخرجه ابن عدى وقال غريب المتن والإسناد وحديث عائشة عند أبى داود دون الاستثناء بإسناد صحيح . (٤) حديث : أن رجلا أتى الجبل ليتعبد فيه فجىء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « لاتفعل » الحديث . أخرجه البيهقى من حديث عمس ابن سلامة قال ابن عبد البر يقولون ان حديثه مرسل وكذا ذكره ابن حبان فى ثقات التابعين . (٥) حديث أبى هريرة : غزونا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررنا بشعب فيه عيينة طيبة الماء غزيرة فقال واحد من القوم : لو اعتزلت الناس فى هذا الشعب ... الحديث » أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم الا أن الترمذى قال سبعين عاما .

(٦) حديث معاذ بن جبل : الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ القاصية » أخرجه أحمد والطبرانى ورجاله ثقات الا أن فيه انقطاعا .

إلا هجرهم وإنما الكلام فى مخالطة المسلمين وما فيها من البركة لما روى أنه قيل : يارسول الله الوضوء من جر مخمر أحب إليك أو من هذه المطاهر التى يتطهر منها الناس ؟ فقال « بل من هذه المطاهر التماسا لبركة أيدى المسلمين[1] » وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم ليشرب منها ؛ فإذا التمر المنقع فى حياض الأدم وقد مغثه الناس بأيديهم وهم يتناولون منه ويشربون ، فاستسقى منه وقال « اسقونى » فقال العباس : إن هذا النبيذ شراب قد مغث وخيض بالأيدى أفلا آتيك بشراب أنظف من هذا من جر مخمر فى البيت ؟ فقال « اسقونى من هذا الذى يشرب منه الناس ألتمس بركة أيدى المسلمين » فشرب منه[2] فإذن كيف يستدل باعتزال الكفار والأصنام على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم ؟

واحتجوا أيضا بقول موسى عليه السلام ﴿ وإن لم تؤمنوا لى فاعتزلون ﴾ وأنه فزع إلى العزله عند اليأس منهم وقال تعالى فى أصحاب الكهف ﴿ وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ﴾ أمرهم بالعزلة . وقد اعتزل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والهجرة إلى أرض الحبشة[3] ، ثم تلاحقوا به إلى المدينه بعد أن أعلى الله كلمته . وهذا أيضا اعتزال عن الكفار بعد اليأس منهم فإنه صلى الله عليه وسلم لم يعتزل المسلمين ولا من توقع إسلامه من الكفار . وأهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضا وهم مؤمنون وإنما اعتزلوا الكفار ، وإنما النظر فى العزلة من المسلمين .

واحتجوا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم لعبدالله بن عامر الجهنى لما قال : يارسول الله ماالنجاة ؟ قال « ليسعك بيتك وأمسك عليك لسانك وآبك على خطيئتك[4] » وروى أنه قيل له صلى الله عليه وسلم : أى الناس أفضل ؟ قال « مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله تعالى » قيل : ثم من ؟ قال « رجل معتزل فى شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره[5] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب العبد التقى النقى الخفى[6] »

وفى الاحتجاج بهذه الأحاديث نظر ، فأما قوله لعبدالله بن عامر فلا يمكن تنزيله إلا على ماعرفه صلى الله عليه وسلم بنور النبوة من حاله ، وأن لزوم البيت كان أليق به وأسلم له من المخالطة ، فإنه لم يأمر جميع الصحابة بذلك ، ورب شخص تكون سلامته فى العزله لافى المخالطة كما قد تكون سلامته فى القعود فى البيت وأن لايخرج إلى الجهاد ،

---

(١) حديث : قيل له صلى الله عليه وسلم الوضوء من جر مخمر أحب إليك أو من هذه المطاهر التى يطهر منها الناس ؟ فقال « بل من هذه المطاهر ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عمر وفيه ضعف (٢) حديث : لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم يشرب منها فإذا التمر منقع فى حياض الأدم قد مغثه الناس بأيديهم ... الحديث . وفيه فقال « اسقونى من هذا الذى يشرب منه الناس » رواه الأزرقى فى تاريخ مكة من حديث ابن عباس بسند ضعيف ومن رواية طاوس مرسلا نحوه .

(٣) حديث : اعتزله صلى الله عليه وسلم قريشاً لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والهجرة إلى الحبشة ... الحديث . رواه موسى بن عقبة فى المغازى ومن طريقه البيهقى فى الدلائل عن ابن شهاب مرسلا ، ورواه ابن سعد فى الطبقات من رواية ابن شهاب على بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام مرسلا أيضا ، ووصله من رواية أبى سلمة الحضرمى عن ابن عباس إلا أن ابن سعد ذكر أن المشركين حصروا بنى هاشم فى الشعب ، وذكر موسى بن عقبة أن أبا طالب جمع بنى عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ، ومغازى موسى بن عقبة أصح المغازى وذكر موسى بن عقبة أيضاً أنه أمر أصحابه حين دخل الشعب بالخروج إلى أرض الحبشة ، ولأبى داود من حديث أبى موسى : أمرنا النبى صلى الله عليه وسلم أن ننطلق إلى أرض النجاشى . قال البيهقى وإسناده صحيح ولأحمد من حديث ابن مسعود : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى . وروى ابن إسحق بإسناد جيد ومن طريقه البيهقى فى الدلائل من حديث أم سلمة : إن بأرض الحبشة ملكا لايظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده ... الحديث (٤) حديث : سأله عقبة بن عامر : يارسول الله ما النجاة ؟ فقال : ليسعك بيتك ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث عقبة وقال حسن (٥) حديث : أى الناس أفضل ؟ فقال « مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله . قيل : ثم من ؟ قال : رجل معتزل ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدرى (٦) حديث « ان الله يحب العبد التقى النقى الخفى » أخرجه مسلم من حديث سعد بن أبى وقاص .

وذلك لايدل على أن ترك الجهاد أفضل . وفى مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذى لايخالط الناس ولا يصبر على أذاهم [1] » وعلى هذا ينزل قوله عليه السلام « رجل معتزل يعبد ربه ويدع الناس من شره » فهذا إشارة إلى شرير بطبعه تتأذى الناس بمخالطته . وقوله « إن الله يحب التقى الخفى » إشارة إلى إيثار الخمول وتوقى الشهرة . وذلك لايتعلق بالعزلة فكم من راهب معتزل تعرفه كافة الناس ؟ وكم من مخالط خامل لا ذكر له ولا شهرة ؟ فهذا تعرض لأمر لايتعلق بالعزلة .

واحتجوا بما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه « ألا أنبئكم بخير الناس » قالوا : بلى يارسول الله ، فأشار بيده نحو المغرب وقال « رجل آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله ينتظر أن يغير أويغار عليه ألا أنبئكم بخير الناس بعده ؟ » وأشار بيده نحو الحجاز وقال « رجل فى غنمه يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويعلم حق الله فى ماله اعتزل شرور الناس [2] » فإذا ظهر أن هذه الأدلة لاشفاء فيها من الجانبين فلا بد من كشف الغطاء بالتصريح بفوائد العزلة وغوائلها ومقايسة بعضها بالبعض ليتبين الحق فيها .

الباب الثانى : فى فوائد العزلة وغوائلها
وكشف الحق فى فضلها

اعلم أن اختلاف الناس فى هذا يضاهى اختلافهم فى فضيلة النكاح والعزوبة . وقد ذكرنا أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص بحسب ما فصلناه من آفات النكاح وفوائده ، فكذلك القول فيما نحن فيه . فلنذكر اولا فوائد العزلة وهى تنقسم إلى فوائد دينية ودنيوية . والدينية تنقسم إلى ما يمكن من تحصيل الطاعات فى الخلوة والمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم ، وإلى تخلص من ارتكاب المناهى التى يتعرض الإنسان لها بالمخالطة ، كالرياء والغيبة والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة من جلساء السوء . وأما الدنيوية فتنقسم إلى مايمكن من التحصيل بالخلوة ؛ كتمكن المحترف فى خلوته إلى مايخلص من محذورات يتعرض لها بالمخالطة ، كالنظر إلى زهرة الدنيا وإقبال الخلق عليها وطمعه فى الناس وطمع الناس فيه وانكشاف ستر مروءته بالمخالطة والتأذى بسوء خلق الجليس فى مرائه أو سوء ظنه أو نميمته أو محاسدته أو التأذى بثقله وتشويه خلقته . وإلى هذا ترجع مجامع فوائد العزلة فلنحصرها فى ست فوائد .

الفائدة الأولى

التفرغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق ، والاشتغال باستكشاف أسرار الله تعالى فى أمر الدنيا والآخرة وملكوت السموات والأرض ، فإن ذلك يستدعى فراغا ولا فراغ مع المخالطة ، فالعزلة وسيلة إليه . ولهذا قال بعض الحكماء : لايتمكن أحد من الخلوة إلا بالتمسك بكتاب الله تعالى . والمتمسكون بكتاب الله تعالى هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله الذاكرون الله بالله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولقوا الله

---

(١) حديث : الذى يخالط الناس ولايصبر على أذاهم » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر ولم يسم الترمذى الصحابي قال شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والطريق واحد (٢) حديث : ألا أنبئكم بخير الناس ؟ قالوا : بلى ، قال : فأشار بيده نحو المغرب وقال « رجل أخذ بعنان فرسه فى سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه » الحديث أخرجه الطبرانى من حديث أم مبشر إلا أنه قال : نحو المشرق ، بدل : المغرب ، وفيه ابن إسحق رواه بالعنعنة والترمذى والنسائي نحوه مختصرا من حديث ابن عباس قال الترمذى حديث حسن .

بذكر الله . ولاشك فى أن هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر فالعزلة أولى بهم . ولذلك كان صلى الله عليه وسلم فى ابتداء أمره يتبتل فى جبل حراء وينعزل إليه حتى قوى فيه نور النبوة [1] فكان الخلق لايحجبونه عن الله فكان ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله تعالى حتى كان الناس يظنون أن أبا بكر خليله . فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن استغراق همه بالله فقال « لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبابكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله [2] » ولن يسع الجمع بين مخالطة الناس ظاهرا والإقبال على الله سرا إلا قوة النبوة فلا ينبغى أن يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع فى ذلك ، ولايبعد أن تنتهى درجة بعض الأولياء إليه . فقد نقل عن الجنيد أنه قال : أنا أكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أنى أكلمهم . وهذا إنما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقا لايبقى لغيره فيه متسع وذلك غير منكر ، فى المشتهرين بحب الخلق من يخالط الناس ببدنه وهو لايدرى مايقول ولا مايقال له لفرط عشقه لمحبوبه . بل الذى دهاه ملم يشوش عليه أمرا من أمور دنياه فقد يستغرقه الهم بحيث يخالط الناس ولايحس بهم ولايسمع أصواتهم لشدة استغراقه . وأمر الآخرة أعظم عند العقلاء فلاتستحيل ذلك فيه ولكن الأولى بالأكثرين الاستعانة بالعزلة . ولذلك قيل لبعض الحكماء ؟ ماالذى أرادوا بالخلوة واختيار العزلة ؟ فقال : يستدعون بذلك دوام الفكرة وتثبت العلوم فى قلوبهم ليحيوا حياة طيبة ويذوقوا حلاوة المعرفة . وقيل لبعض الرهبان : ماأصبرك على الوحدة ! فقال : ما أنا وحدى أنا جليس الله تعالى إذا شئت أن يناجينى قرأت كتابه وإذا شئت أن أناجيه صليت . وقيل لبعض الحكماء : إلى أى شىء أفضى بكم الزهد والخلوة ؟ فقال : إلى الأنس بالله . وقال سفيان بن عيينة : لقيت إبراهيم ابن أدهم رحمه الله فى بلاد الشام فقلت له : ياإبراهيم تركت خراسان ؟ فقال : ماتهنأت بالعيش إلا ههنا أفر بدينى من شاهق إلى شاهق ، فمن يرانى يقول موسوس أو حمال أو ملاح . وقيل لغزوان الرقاشى : هبك لاتضحك فما يمنعك من مجالسة إخوانك ؟ قال : إنى أصيب راحة قلبى فى مجالسة من عنده حاجتى . وقيل للحسن ياأبا سعيد : ههنا رجل لم تره قط جالسا إلا وحده خلف سارية . فقال الحسن : إذا رأيتموه فأخبرونى به ؛ فنظروا إليه ذات يوم فقالوا للحسن : هذا الرجل الذى أخبرناك به ؟ وأشاروا إليه ؛ فمضى إليه الحسن وقال له . ياعبد الله أراك قد حببت إليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس ؟ فقال : أمر شغلنى عن الناس ، قال : فما يمنعك أن تأتى هذا الرجل الذى يقال له الحسن فتجلس إليه ؟ فقال أمر شغلنى عن الناس . وعن الحسن : فقال له الحسن وماذاك الشغل يرحمك الله ؟ فقال : إنى أصبح وأمسى بين نعمة وذنب فرأيت أن أشغل نفسى بشكر الله تعالى على النعمة والاستغفار من الذنب فقال له الحسن : أنت ياعبد الله أفقه عندى من الحسن فالزم ما أنت عليه . وقيل : بينما أويس القرنى جالس إذ أتاه هرم بن حيان فقال له أويس : ماجاء بك ؟ قال : جئت لآنس بك ، فقال أويس : ما كنت أرى أن أحدا يعرف ربه فيأنس بغيره ؛ وقال الفضيل : إذا رأيت الليل مقبلا فرحت به وقلت أخلو بربى ، وإذا رأيت الصبح أدركنى استرجعت كراهية لقاء الناس وأن يجيئنى من يشغلنى عن ربى . وقال عبد الله بن زيد : طوبى لمن عاش فى الدنيا وعاش فى الآخرة ، قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : يناجى الله فى الدنيا ويجاوره فى الآخرة . وقال ذو النون المصرى : سرور المؤمن ولذته فى الخلوة بمناجاة ربه . وقال مالك بن دينار : من لم يأنس بمحادثة الله عز وجل عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمى

الباب الثانى : فى فوائد العزلة وغوائلها

(١) حديث : كان صلى الله عليه وسلم فى أول أمره يتبتل فى جبل حراء وينعزل إليه . متفق عليه من حديث عائشة نحوه : فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه ... الحديث (٢) حديث « لو كنت متخذاً خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله » أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

قلبه وضيع عمره . وقال ابن المبارك : ماأحب حال من انقطع إلى الله تعالى ! ويروى عن بعض الصالحين أنه قال : بينما أناأسير فى بعض بلاد الشام إذا أنا بعابد خارج من بعض تلك الجبال فلما نظر إلى تنحى إلى أصل شجرة وتستر بها فقلت : سبحان الله تبخل على بالنظر إليك ؟ فقال : هذا إنى أقمت فى هذا الجبل دهرا طويلا أعالج قلبي فى الصبر عن الدنيا وأهلها فطال فى ذلك تعبي وفنى فيه عمرى فسألت الله تعالى أن لايجعل حظى من أيامى فى مجاهدة قلبي ، فسكنه الله عن الاضطراب وألفه الوحدة والانفراد ، فلما نظرت إليك خفت أن أقع فى الأمر الأول فإليك عنى فإنى أعوذ من شرك برب العارفين وحبيب القانتين ، ثم صاح : واغماه من طول المكث فى الدنيا ، ثم حول وجهه عنى ، ثم نفض يديه وقال : إليك عنى يادنيا لغيرى فتزيني وأهلك فغرى ، ثم قال : سبحان من أذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع إليه ماألهى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان ، وجمع همهم فى ذكره فلاشيء ألذ عندهم من مناجاته . ثم مضى وهويقول : قدوس قدوس . فإذاً فى الخلوة أنس بذكر الله واستكثار من معرفة الله وفى مثل ذلك قيل .

وإنى لأستغشى وما بى غشوة لعل خيالا منك يلقى خياليا
وأخرج من بين الجلوس لعلنى أحدث عنك النفس بالسر خاليا

ولذلك قال بعض الحكماء : إنما يستوحش الإنسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة فيكثر حينئذ ملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه بالكون معهم , فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الواحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة . وقد قيل الاستئناس من علامات الإفلاس فإذاً هذه فائدة جزيلة ولكن فى حق بعض الخواص ومن يتيسر له بدوام الذكر الأنس بالله أو بدوام الفكر التحقق فى معرفة الله فالتجرد له أفضل من كل مايتعلق بالمخالطة . فإن غاية العبادات وثمرة المعاملات أن يموت الإنسان محبا لله عارفا بالله ولا محبة إلا بالأنس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة إلا بدوام الفكر . وفراغ القلب شرط فى كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة .

الفائدة الثانية

التخلص بالعزلة عن المعاصى التى يتعرض الإنسان لها غالبا بالمخالطة ويسلم منها فى الخلوة وهى أربعة : الغيبة والنميمة ، والرياء والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة التى يوجبها الحرص على الدنيا .

أما الغيبة فإذا عرفت من كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات وجوهها عرفت أن التحرز عنها مع المخالطة عظيم لاينجو منها إلا الصديقون . فإن عادة الناس كافة التمضمض بأعراض الناس والتفكه بها والتنفل بحلاوتها وهى طعمتهم ولذتهم وإليها يستروحون من وحشتهم فى الخلوة . فإن خالطتهم ووافقتهم أثمت وتعرضت لسخط الله تعالى ، وإن سكت كنت شريكا ، والمستمع أحد المغتابين ، وإن أنكرت أبغضوك وتركوا ذلك المغتاب واغتابوك فازدادوا غيبة إلى غيبة ، وربما زادوا على الغيبة وانتهوا إلى الاستخفاف والشتم .

وأما الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهو من أصول الدين وهو واجب ـ كما سيأتى بيانه فى آخر هذا الربع ـ ومن خالط الناس فلايخلو عن مشاهدة المنكرات فإن سكت عصى الله به ، وإن أنكر تعرض لأنواع من الضرر إذ ربما يجره طلب الخلاص عنها إلى معاص هى أكبر مما نهى عنه ابتداء . وفى العزلة خلاص من هذا فإن الأمر فى إهماله شديد والقيام به شاق . وقدم قام أبو بكر رضى الله عنه خطيبا وقال « أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية

﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ وإنكم تضعونها فى غير موضعها وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب[1] » وقدقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليسأل العبد حتى يقول له ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره فإذا لقن الله لعبد حجته قال يارب رجوتك وخفت الناس[2] » وهذا إذا خاف من ضرب أو أمر لايطاق . ومعرفة حدود ذلك مشكلة وفيه خطر . وفى العزلة خلاص وفى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إثارة للخصومات وتحريك لغوائل الصدور كما قيل :

وكم سقت فى آثاركم من نصيحة وقد يستفيد البغضة المتنصح

ومن جرب الأمر بالمعروف ندم عليه غالبا فإنه كجدار مائل يريد الإنسان أن يقيمه فيوشك أن يسقط عليه ؛ فإذا سقط عليه يقول ياليتنى تركته مائلا . نعم لو وجد أعوانا أمسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة لاستقام وأنت اليوم لا تجد الأعوان فدعهم وانج بنفسك .

وأما الرياء فهو الداء العضال الذى يعسر على الأبدال والأوتاد الاحتراز عنه . وكل من خالط الناس داراهم ، ومن داراهم راءاهم ومن راءاهم وقع فيما وقعوا فيه وهلك كما هلكوا . وأقل مايلزم فيه النفاق فإنك إن خالطت متعاديين ولم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقه صرت بغيضا إليهما جميعا ، وإن جاملتهما كنت من شرار الناس . وقال صلى الله عليه وسلم « تجدون من شرار الناس ذا الوجهين يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه[3] » وقال عليه السلام « إن من شر الناس ذا الوجهين يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه[4] » وأقل مايجب فى مخالطة الناس إظهار الشوق والمبالغة فيه ولايخلو ذلك عن كذب إما فى الأصل وإما فى الزيادة ، وإظهار الشفقة بالسؤال عن الأحوال بقولك : كيف أنت؟ وكيف أهلك ؟ وأنت فى الباطن فارغ القلب من همومه « وهذا نفاق محض . قال سرى : لو دخل أخ لى فسويت لحيتى بيدى لدخوله لخشيت أن أكتب فى جريدة المنافقين . وكان الفضيل جالسا وحده فى المسجد الحرام فجاء إليه أخ له فقال له : ماجاء بك ؟ قال : المؤانسة ياأبا على فقال : هى والله بالمواحشة أشبه هل تريد إلا أن تتزين لى وأتزين لك وتكذب لى وأكذب لك ؟ إما أن تقوم عنى أو أقوم عنك . وقال بعض العلماء : ما أحب الله عبدا إلا أحب أن لايشعر به . ودخل طاوس على الخليفة هشام فقال : كيف أنت ياهشام ؟ فغضب عليه وقال : لم لم تخاطبنى بأمير المؤمنين ؟ فقال : لأن جميع المسلمين ما اتفقوا على خلافتك فخشيت أن أكون كاذبا . فمن أمكنه أن يحترز هذا الاحتراز فليخالط الناس وإلا فليرض بإثبات اسمه فى جريدة المنافقين . فقد كان السلف يتلاقون ويحترزون فى قولهم كيف أصبحت؟ وكيف أمسيت ؟ وكيف أنت ؟ وكيف حالك ؟ وفى الجواب عنه . فكان سؤالهم عن أحوال الدين لا عن أحوال الدنيا . قال حاتم الأصم لحامد اللفاف : كيف أنت فى نفسك ؟ قال : سالم معافى : فكره حاتم جوابه وقال : ياحامد السلامة من وراء الصراط والعافية فى الجنة . وكان إذا قيل لعيسى صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت ؟ قال أصبحت لاأملك تقديم ماأرجو ولاأستطيع دفع ماأحاذر وأصبحت مرتهنا بعملى والخير كله فى يد غيرى ولا فقير أفقر منى

---

(١) حديث أبى بكر إنكم تقرءون هذه الآية ﴿ ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ وإنكم لتضعونها فى غير موضعها ... الحديث . أخرجه أصحاب السنن . قال الترمذى : حسن صحيح . (٢) حديث . إن الله يسأل العبد حتى يقول مامنعك إذا رأيت المنكر فى الدنيا أن تنكره ... الحديث . أخرجه ابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى باسناد جيد .

(٣) حديث « تجدون من شرار الناس ذا الوجهين » متفق عليه من حديث أبى هريرة . (٤) حديث « إن من شر الناس ذا الوجهين » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة وهو الذى قبله .

وكان الربيع بن خثيم إذا قيل له : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت من ضعفاء مذنبين نستوفى أرزاقنا وننتظر آجالنا . وكان أبو الدرداء إذا قيل له : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت بخير إن نجوت من النار . وكان سفيان الثورى إذا قيل له : كيف أصبحت ؟ يقول : أصبحت أشكر ذا إلى ذا وأذم ذا إلى ذا وأفر من ذا إلى ذا ، وقيل لأويس القرنى : كيف أصبحت ؟ قال : كيف يصبح رجل إذا أمسى لايدرى أنه يصبح وإذا أصبح لايدرى أنه يمسى ؟ وقيل لمالك بن دينار كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت فى عمر ينقص وذنوب تزيد . وقيل لبعض الحكماء : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت لاأرضى حياتى لماتى ولا نفسى لربى . وقيل لحكيم : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت آكل رزق ربى وأطيع عدوه إبليس . وقيل لمحمد بن واسع : كيف أصبحت ؟ قال : ماظنك برجل يرتحل كل يوم إلى الآخرة مرحلة . وقيل لحامد اللفاف : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت أشتهى عافية يوم إلى الليل ، فقيل له : ألست فى عافية فى كل الأيام ؟ فقال . العافية يوم لاأعصى الله تعالى فيه . وقيل لرجل وهو يجود بنفسه : ماحالك ؟ فقال : وماحال من يريد سفرا بعيدا بلازاد ويدخل قبرا موحشا بلا مؤنس وينطلق إلى ملك عدل بلاحجة . وقيل لحسان ابن أبى سنان : ما حالك : قال : ماحال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب . وقال ابن سيرين لرجل : كيف حالك ؟ فقال : وما حال من عليه خمسمائة درهم دينا وهو معيل ؟ فدخل ابن سيرين منزله فأخرج له ألف درهم فدفعها إليه وقال : خمسمائة اقض بها دينك وخمسمائة عد بها على نفسك وعيالك ـ ولم يكن عنده غيرها ـ ثم قال : والله لاأسأل أحدا عن حاله أبدا . وإنما فعل ذلك لأنه خشى أن يكون سؤاله من غير اهتمام بأمره فيكون بذلك مرائيا منافقا . فقد كان سؤالهم عن أمور الدين وأحوال القلب فى معاملة الله وإن سألوا عن أمور الدنيا فعن اهتمام وعزم على القيام بما يظهر لهم من الحاجة . وقال بعضهم : إنى لأعرف أقواما كانوا لايتلاقون ولو حكم أحدهم على صاحبه بجميع مايملكه لم يمنعه ، وأرى الآن أقواما يتلاقون ويتساءلون حتى عن الدجاجة فى البيت . ولو انبسط أحدهم لحبة من مال صاحبه لمنعه فهل هذا إلا مجرد الرياء والنفاق ؟ وآية ذلك أنك ترى هذا يقول كيف أنت ؟ ويقول الآخر كيف أنت ؟ فالسائل لاينتظر الجواب والمسئول يشتغل بالسؤال ولايجيب ، وذلك لمعرفتهم بأن ذلك عن رياء وتكلف . ولعل القلوب لاتخلو عن ضغائن وأحقاد والألسنة تنطق بالسؤال . قال الحسن : إنما كانوا يقولون السلام عليكم ، إذا سلمت والله القلوب ، وأما الآن : فكيف أصبحت عافاك الله ؟ كيف أنت أصلحك الله ؟ فإن أخذنا بقولهم كانت بدعة لاكرامة فإن شاءوا غضبوا علينا ، وإن شاؤا لا . وإنما قال ذلك لأن البداية بقولك : كيف أصبحت بدعة . وقال رجل لأبى بكر بن عياش : كيف أصبحت ؟ فما أجابه . وقال دعونا من هذه البدعة . وقال : إنما حدث هذا فى زمان الطاعون الذى كان يدعى طاعون عمواس بالشام من الموت الذريع ، كان الرجل يلقاه أخوه غدوة فيقول كيف أصبحت من الطاعون ؟ ويلقاه عشية فيقول : كيف أمسيت ؟ والمقصود أن الالتقاء فى غالب العادات ليس يخلو عن أنواع من التصنع والرياء والنفاق ، وكل ذلك مذموم ، بعضه محظور وبعضه مكروه . وفى العزلة الخلاص من ذلك ، فإن من لقى الخلق ولم يخالقهم بأخلاقهم مقتوه واستثقلوه واغتابوه وتشمروا لإيذائه فيذهب دينهم فيه ويذهب دينه ودنياه فى الانتقام منهم .

وأما مسارقة الطبع مما يشاهده من أخلاق الناس وأعمالهم فهو داء دفين قلما يتنبه له العقلاء فضلا عن الغافلين ، فلا يجالس الإنسان فاسقا مدة مع كونه منكرا عليه فى باطنه إلا ولو قاس نفسه إلى ماقبل مجالسته لأدرك بينهما تفرقة فى النفرة عن الفساد واستثقاله إذ يصير للفساد بكثرة المشاهدة هينا على الطبع فيسقط وقعه واستعظامه له ،

وإنما الوازع عنه شدّة وقعه فى القلب فإذا صار مستصغرا بطول المشاهدة أوشك أن تنحل القوة الوازعة ويذعن الطبع للميل إليه أولمادونه . ومهماطالت مشاهدته للكبائر من غيره استحقر الصغائر من نفسه : ولذلك يزدرى الناظر إلى الأغنياء نعمة الله عليه فتؤثر مجالستهم فى أن يستصغر ما عنده وتؤثر مجالسة الفقراء فى استعظام ما أتيح له من النعم . وكذلك النظر إلى المطيعين والعصاة هذا تأثيره فى الطبع من يقصر نظره على ملاحظه أحوال الصحابة والتابعين فى العبادة والتنزه عن الدنيا فلا يزال ينظر إلى نفسه بعين الاستصغار وإلى عبادته بعين الاستحقار : وما دام يرى نفسه مقصرا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة فى الاستكمال واستتماما للاقتداء . ومن نظر إلى الأحوال الغالبة على أهل الزمان وإعراضهم عن الله وإقبالهم على الدنيا واعتيادهم المعاصى استعظم أمر نفسه بأدنى رغبة فى الخير يصادفها فى قلبه وذلك هو الهلاك . ويكفى فى تغيير الطبع مجرد سماع الخير والشر فضلا عن مشاهدته . وبهذه الدقيقة يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم « عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة [1] » وإنما الرحمة دخول الجنة ولقاء الله وليس ينزل عند الذكر عين ذلك ولكن سببه وهو انبعاث الرغبة من القلب وحركة الحرص على الاقتداء بهم والاستنكاف عما هو ملابس له من القصور والتقصير . ومبدأ الرحمة فعل الخير ومبدأ فعل الخير الرغبة ، ومبدأ الرغبة ذكر أحوال الصالحين ، فهذا معنى نزول الرحمة . والمفهوم من فحوى هذا الكلام عند الفطن كالمفهوم من عكسه وهو أن عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنة لأن كثرة ذكرهم تهوّن على الطبع أمر المعاصى ، واللعنة هى البعد . ومبدأ البعد من الله هو المعاصى ، والإعراض عن الله بالإقبال على الحظوظ العاجلة والشهوات الحاضرة لا على الوجه المشروع . ومبدأ المعاصى سقوط ثقلها وتفاحشها عن القلب . ومبدأ سقوط الثقل وقوع الأنس بها بكثرة السماع . إذا كان هذا حال ذكر الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم ؟ بل قد صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « مثل الجليس السوء كمثل الكير إن لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه [2] » فكما أن الريح يعلق بالثوب ولا يشعر به فكذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر به . وقال « مثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك إن لم يهب لك منه تجد ريحه » ولهذا أقول من عرف من عالم زلة حرم عليه حكايتها لعلتين ، إحداهما : أنها غيبة ، والثانية وهى أعظمهما . أن حكايتها تهون على المستمعين أمر تلك الزلة ، ويسقط من قلوبهم استعظامهم الإقدام عليها فيكون ذلك سببا لتهوين تلك المعصية فإنه مهما وقع فيها فاستنكر ذلك دفع الاستنكار وقال كيف يستبعد هذا منا وكلنا مضطرون إلى مثله حتى العلماء والعباد ؟ ولو اعتقد أن مثل ذلك لا يقدم عليه عالم ولا يتعاطاه موفق معتبر لشق عليه الإقدام ، فكم من شخص يتكالب على الدنيا ويحرص على جمعها ويتهالك على حب الرياسة وتزيينها ويهوّن على نفسه قبحها ويزعم أن الصحابة رضى الله عنهم لم ينزهوا أنفسهم عن حب الرياسة ؟ وربما يستشهد عليه بقتال على ومعاوية ويخمن فى نفسه أن ذلك لم يكن لطلب الحق بل لطلب الرياسة ، فهذا الاعتقاد خطأ يهون عليه أمر الرياسة ولوازمها من المعاصى . والطبع اللئيم يميل إلى اتباع الهفوات والإعراض عن الحسنات بل إلى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالتنزيل على مقتضى الشهوة ليتعلل به وهو من دقائق مكايد الشيطان ، ولذلك وصف الله المراغمين للشيطان فيها بقوله ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ وضرب صلى الله عليه وسلم لذلك مثلا وقال مثل الذى يجلس يستمع الحكمة ثم لا يعمل إلا بشر ما يستمع كمثل رجل أتى راعيا فقال له يا راعى اجزرلى شاة من غنمك فقال اذهب فخذ خير شاة فيها فذهب

---

(١) حديث «عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة» ليس له أصل فى الحديث المرفوع وإنما هو من قول سفيان ابن عيينة كذا رواه ابن الجوزى فى مقدمة صفوة الصفوة .

(٢) حديث « مثل الجليس السوء كمثل الكير .. الحديث » متفق عليه من حديث أبى موسى .

فأخذ بأذن كلب الغنم [١] » وكل من ينقل هفوات الأئمة فهذا مثاله أيضا . ومما يدل على سقوط وقع الشيء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته أن أكثر الناس إذا رأوا مسلما أفطر فى نهار رمضان استبعدوا ذلك منه استبعادا يكاد يفضى إلى اعتقادهم كفره ، وقد يشاهدون من يخرج الصلوات عن أوقاتها ولا تنفر عنه طباعهم كنفرتهم عن تأخير الصوم ، مع أن صلاة واحدة يقتضى تركها الكفر عند قوم وحز الرقبة عند قوم ، وترك صوم رمضان كله لا يقتضيه ولا سبب له إلا أن الصلاة تتكرر والتساهل فيها مما يكثر فيسقط وقعها بالمشاهدة عن القلب . ولذلك لو لبس الفقيه ثوبا من حرير أو خاتما من ذهب أو شرب من إناء فضة استبعدته النفوس واشتد إنكارها ، وقد يشاهد فى مجلس طويل لا يتكلم إلا بما هو اغتياب للناس ولا يستبعد منه ذلك . والغيبة أشد من الزنا فكيف لا تكون أشد من لبس الحرير ؟ ولكن كثرة سماع الغيبة ومشاهدة المغتابين أسقط وقعها عن القلوب وهون على النفس أمرها ، فتفطن لهذه الدقائق وفر من الناس فرارك من الأسد لأنك لا تشاهد منهم إلا ما يزيد فى حرصك على الدنيا وغفلتك عن الآخرة ويهون عليك المعصية ويضعف رغبتك فى الطاعة . فإن وجدت جليسا يذكرك الله رؤيته وسيرته فالزمه ولا تفارقه واغتنمه ولا تستحقره فإنها غنيمة العاقل وضالة المؤمن . وتحقق أن الجليس الصالح خير من الوحدة وأن الوحدة خير من الجليس السوء . ومهما فهمت هذه المعانى ولاحظت طبعك والتفت إلى حال من أردت مخالطته لم يخف عليك أن الأولى التباعد بالعزلة أو التقرب إليه بالخلطة . وإياك أن تحكم مطلقا على العزلة أو الخلطة بأن إحداهما أولى إذ كل مفصل فإطلاق القول فيه بلا أو نعم خلف من القول محض ولا حق فى المفصل إلا التفصيل .

الفائدة الثالثة

الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لأخطارها وقلما تخلو البلاد عن تعصبات وفتن وخصومات ، فالمعتزل عنهم فى سلامة منها . قال عبدالله بن عمرو بن العاص : لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتن ووصفها وقال « إذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا ـ وشبك بين أصابعه ـ ، قلت: فما تأمرنى ؟ فقال « الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة [٢] » وروى أبو سعيد الخدرى أنه صلى الله عليه وسلم قال « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن من شاهق إلى شاهق [٣] » وروى عبدالله ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال : « سيأتى على الناس زمان لا يسلم لذى دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاهق إلى شاهق ومن جحر إلى جحر كالثعلب الذى يروغ » قيل له : ومتى ذلك يارسول الله ؟ قال « إذا لم تنل المعيشة إلا بمعاصى الله تعالى فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة » قالوا : وكيف يارسول الله وقد أمرتنا بالتزويج ؟ قال « إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه فإن لم يكن له أبوان فعلى يدى زوجته وولده فإن لم يكن فعلى يدى قرابته » قالوا : وكيف ذلك يارسول الله ؟ قال « يعيرونه بضيق اليد فيتكلف مالا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة [٤] » وهذا الحديث وإن كان فى العزوبة فالعزلة مفهومة منه إذ لا يستغنى المتأهل عن

---

(١) حديث « مثل الذى يسمع الحكمة ثم لا يحمل منها إلا شر مايسمع كمثل رجل أتى راعيا فقال ياراعى اجرر لى شاة من غنمك ... الحديث » أخرجه ابن ماجه من حديث أبى هريرة بسند ضعيف . (٢) حديث عبدالله بن عمرو بن العاص « إذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم ... الحديث » أخرجه أبوداود والنسائى فى اليوم والليلة باسناد حسن. (٣) حديث أبى سعيد الخدرى « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » رواه البخارى (٤) حديث ابن مسعود « سيأتى على الناس زمان لا يسلم لذى دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاهق إلى شاهق » تقدم فى النكاح

المعيشة والمخالطة ثم لاينال المعيشة إلا بمعصية الله تعالى ، ولست أقول : هذا أوان ذلك الزمان فلقد كان هذا بأعصار قبل هذا العصر ، ولأجله قال سفيان : والله لقد حلت العزلة . وقال ابن مسعود رضي الله عنه : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الفتنة وأيام الهرج قلت : وما الهرج ؟ قال « حين لايأمن الرجل جليسه » قلت : فبم تأمرني إن أدركت ذلك الزمان ؟ قال « كف نفسك ويدك وادخل دارك » قال : قلت يارسول الله أرأيت إن دخل على داري ؟ قال « فادخل بيتك » قلت : فإن دخل على بيتي ؟ قال « فادخل مسجدك واصنع هكذا » وقبض على الكوع « وقل ربي الله حتى تموت [1] » وقال سعد ـ لما دعي إلى الخروج أيام معاوية ـ لا ... إلا أن تعطوني سيفا له عينان بصيرتان ولسان ينطق بالكافر فأقتله وبالمؤمن فأكف عنه ، وقال : مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محجة بيضاء فبينما هم كذلك يسيرون إذ هاجت ريح عجاجة فضلوا الطريق فالتبس عليهم ؛ فقال بعضهم الطريق ذات اليمين فأخذوا فيها فتاهوا وضلوا ، وقال بعضهم ذات الشمال فأخذوا فيها فتاهوا وضلوا ، وأناخ آخرون وتوقفوا حتى ذهبت الريح وتبينت الطريق فسافروا . فاعتزل سعد وجماعة معه فارقوا الفتن ولم يخالطوا إلا بعد زوال الفتن . وعن ابن عمر رضي الله عنهما : أنه لما بلغه أن الحسين رضي الله عنه توجه إلى العراق تبعه فلحقه على مسيرة ثلاثة أيام فقال له : أين تريد ؟ فقال : العراق . فإذا معه طوامير وكتب ؛ فقال : هذه كتبهم وبيعتهم فقال : لاتنظر إلى كتبهم ولاتأتهم ؛ فأبى ، فقال : إني أحدثك حديثا ؛ جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا وإنك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لايليها أحد منكم أبدا وماصرفها عنكم إلا للذي هو خير لكم ، فأبى أن يرجع ، فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال : أستودعك الله من قتيل أو أسير [2] . وكان في الصحابة عشرة آلاف فما خف أيام الفتنة أكثر من أربعين رجلا . وجلس طاوس في بيته فقيل له في ذلك فقال : فساد الزمان وحيف الأئمة . ولما بنى عروة قصره بالعقيق ولزمه قيل له : لزمت القصر وتركت مسجد رسول صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : رأيت مساجدكم لاهية وأسواقكم لاغية والفاحشة في فجاجكم عالية وفيما هناك عما أنتم فيه عافية . فإذن الحذر من الخصومات ، ومثارات الفتن إحدى فوائد العزلة .

الفائدة الرابعة : الخلاص من شر الناس

فإنهم يؤذونك مرة بالغيبة ومرة بسوء الظن والتهمة بالاقتراحات والأطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها ، وتارة بالنميمة أو الكذب فربما يرون منك من الأعمال أو الأقوال مالاتبلغ عقولهم كنهه فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها لوقت تظهر فرصة للشر ، فإذا اعتزلتهم استغنيت من التحفظ عن جميع ذلك . ولذلك قال بعض الحكماء لغيره : أعلمك بيتين خير من عشرة آلاف درهم ؟ : ماهما ؟ قال :

اخفض الصوت إن نطقت بليل والتفت بالنهار قبل المقال
ليس للقول رجعة حين يبدو بقبيح يكون أو بجمال

ولا شك أن من اختلط بالناس وشاركهم في أعمالهم لاينفك من حاسد وعدو يسيء الظن به ويتوهم أنه يستعد

---

(١) حديث ابن مسعود : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتنة وأيام الهرج قلت : وما الهرج ؟ قال « حين لايأمن الرجل جليسه ... الحديث » أخرجه أبو داود مختصراً والخطابي في العزلة بتمامه وفي لمسنده عند الخطابي انقطاع ووصله أبو داود بزيادة رجل اسمه سالم يحتاج إلى معرفته . (٢) حديث ابن عمر : أنه لما بلغه أن الحسين توجه إلى العراق لحقه على مسيرة ثلاثة أيام ... الحديث . وفيه : أنه صلى الله عليه وسلم خير بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة . رواه الطبراني مقتصرا على المرفوع رواه في الأوسط بذكر قصة الحسين مختصرة ولم يقل : على مسيرة ثلاثة أيام . وكذا رواه البزار بنحوه ولمسنادها حسن .

لمعاداته ونصب المكيدة عليه وتدسيس غائلة وراءه فالناس مهما اشتد حرصهم على أمر ﴿يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم﴾ وقد اشتد حرصهم على الدنيا فلا يظنون بغيرهم إلا الحرص عليها . قال المتنبي :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

وعادى محبيه بقول عداته فأصبح فى ليل من الشك مظلم

وقد قيل : معاشرة الأشرار تورث سوء الظن بالأبرار . وأنواع الشر الذى يلقاه الإنسان من معارفه وممن يختلط به كثيرة : ولسنا نطول بتفصيلها ففيما ذكرناه إشارة إلى مجامعها ، وفى العزلة خلاص من جميعها . وإلى هذا أشار الأكثر ممن اختار العزلة . فقال أبو الدرداء : أخبر تقله ، يروى مرفوعا . وقال الشاعر :

من حمد الناس ولم يبلهم ثم بلاهم ذم من يحمد

وصار بالوحدة مستأنسا يوحشه الأقرب والأبعد

وقال عمر رضى الله عنه : فى العزلة راحة من القرين السوء . وقيل لعبدالله بن الزبير : ألا تأتى المدينة ؟ فقال : مابقى فيها إلا حاسد نعمة أوفرح بنقمة . وقال ابن السماك : كتب صاحب لنا ، أما بعد فإن الناس كانوا دواء يتداوى به فصاروا داء لادواء له ففر منهم فرارك من الأسد . وكان بعض الأعراب يلازم شجرا ويقول : هو نديم فيه ثلاث خصال ، إن سمع منى لم ينم على ، وإن تفلت فى وجهه احتمل منى ، وإن عربدت عليه لم يغضب ، فسمع الرشيد ذلك فقال : زهدنى فى الندماء ، وكان بعضهم قد لزم الدفاتر والمقابر فقيل له ذلك فقال : لم أر أسلم من وحدة ولا أوعظ من قبر ، ولا جليسا أمتع من دفتر ، وقال الحسن رضى الله عنه : أردت الحج فسمع ثابت البنانى بذلك ـ وكان أيضا من أولياء الله ـ فقال : بلغنى أنك تريد الحج فأحببت أن أصحبك ، فقال له الحسن : ويحك دعنا نتعاشر بستر الله علينا إنى أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض مانتماقت عليه . وهذه إشارة إلى فائدة أخرى فى العزلة وهو بقاء الستر على الدين والمروءة والأخلاق والفقر وسائر العورات . وقد مدح الله سبحانه المتسترين فقال ﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾ وقال الشاعر :

ولا عار إن زالت عن الحر نعمة ولكن عارا أن يزول التجمل

ولا يخلو الإنسان فى دينه ودنياه وأخلاقه وأفعاله عن عورات الأولى فى الدين والدنيا سترها ولا تبقى السلامة مع انكشافها . وقال أبو الدرداء : كان الناس ورقا لاشوك فيه فالناس اليوم شوك لا ورق فيه . إذا كان هذا حكم زمانه وهو فى أواخر القرن الأول فلا ينبغى أن يشك فى أن الأخير شر . وقال سفيان بن عيينة : قال لى سفيان الثورى ـ فى اليقظة فى حياته وفى المنام بعد وفاته ـ أقلل من معرفة الناس فإن التخلص منهم شديد ولا أحسب أنى رأيت ما أكره إلا ممن عرفت : وقال بعضهم : جئت إلى مالك بن دينار وهو قاعد وحده ، وإذا كلب قد وضع حنكه على ركبته . فذهب أطرده فقال : دعه ياهذا هذا لايضر ولا يؤذى وهو خير من جليس السوء . وقيل لبعضهم : ما حملك على أن تعتزل الناس ؟ قال : خشيت أن أسلب دينى ولا أشعر . وهذه إشارة إلى مسارقة الطبع من أخلاق القرين السوء . وقال أبو الدرداء : اتقوا الله واحذروا الناس فإنهم ماركبوا ظهر بعير إلا أدبروه ، ولا ظهر جواد إلا عقروه ، ولا قلب مؤمن إلا خربوه . وقال بعضهم : أقلل المعارف فإنه أسلم لدينك وقلبك ، وأخف لسقوط الحقوق عنك ، لأنه كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع . وقال بعضهم : أنكر من تعرف ولا تتعرف إلى من لاتعرف .

الفائدة الخامسة

أن ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس . فأما انقطاع طمع الناس عنك ففيه فوائد ، فإن رضا الناس غاية لاتدرك فاشتغال المرء بإصلاح نفسه أولى ومن أهون الحقوق وأيسرها حضور الجنازة وعيادة المريض وحضور الولائم والإملاكات ، وفيها تضييع الأوقات وتعرض للآفات ، ثم قدتعوق عن بعضها العوائق وتستقبل فيها المعاذير ، ولايمكن إظهار كل الأعذار فيقولون لهقت بحق فلان وقصرت فى حقنا ، ويصير ذلك سبب عداوة فقد قيل : من لم يعد مريضا فى وقت العيادة اشتهى موته خيفة من تخجيله إذا صح على تقصيره . ومن عمم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم ، ولو خصص استوحشوا . وتعميمهم بجميع الحقوق لايقدر عليه المتجرد له طول الليل والنهار فكيف من له مهم يشغله فى دين أو دنيا ؟ قال عمرو بن العاص : كثرة الأصدقاء كثرة الغرماء . وقال ابن الرومى :

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب

وقال الشافعى رحمه الله : أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام . وأما انقطاع طمعك عنهم فهو أيضا فائدة جزيلة ، فإن من نظر إلى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه ولا يرى إلا الخيبة فى أكثر الأحوال فيتأذى بذلك . ومهما اعتزل لم يشاهد ، وإذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع ولذلك قال الله تعالى ﴿ ولا تمدنّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لاتزدروا نعمة الله عليكم[1] » وقال عون بن عبدالله : كنت أجالس الأغنياء فلم أزل مغموما ، كنت أرى ثوبا أحسن من ثوبى ودابة أفره من دابتى فجالست الفقراء فاسترحت . وحكى أن المزنى رحمه الله خرج من باب جامع الفسطاط وقد أقبل ابن عبد الحكم فى موكبه فبهره مارأى من حسن حاله وحسن هيئته فتلا قوله تعالى ﴿ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ﴾ ثم قال بلى أصبر وأرضى ، وكان فقيرا مقلا . فالذى هو فى بيته لايبتلى بمثل هذه الفتن . فإن من شاهد زينة الدنيا فإما أن يقوى دينه ويقينه فيصبر إلى أن يتجرع مرارة الصبر ـ وهو أمر من الصبر ـ أو تنبعث رغبته فيحتال فى طلب الدنيا فيهلك هلاكا مؤبدا ، أما فى الدنيا فبالطمع الذى يخيب فى أكثر الأوقات فليس كل من يطلب الدنيا تتيسر له ، وأما فى الآخرة فإيثاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتقرب إليه . ولذلك قال ابن الأعرابى :

إذا كان باب الذل من جانب الغنى سموت إلى العلياء من جانب الفقر

أشار إلى أن الطمع يوجب فى الحال ذلا .

الفائدة السادسة

الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمق ومقاساة حمقهم وأخلاقهم ، فإن رؤية الثقيل هى العمى الأصغر . قيل للأعمش : مم عمشت عيناك ؟ قال : من النظر إلى الثقلاء . ويحكى أنه دخل عليه أبوحنيفة فقال : فى الخبر « إن من

(١) حديث « انظروا الى من هو دونكم ولاتنظروا الى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لاتزدروا نعمة الله عليكم » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة .

سلب الله كريمتيه عوضه الله عنهما ماهو خير منهما [1] » فما الذى عوضك ؟ فقال ـ فى معرض المطايبة ـ عوضنى الله منهما أنه كفانى رؤية الثقلاء وأنت منهم . وقال ابن سيرين : سمعت رجلا يقول نظرت إلى ثقيل مرة فغشى على . وقال جالينوس : لكل شىء حمى وحمى الروح النظر إلى الثقلاء . وقال الشافعى رحمه الله : ماجالست ثقيلا إلا وجدت الجانب الذى يليه من بدنى كأنه أثقل على من الجانب الآخر .

وهذه الفوائد ماسوى الأولين متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة ولكنها أيضا تتعلق بالدين . فإن الإنسان مهما تأذى برؤية ثقيل لم يأمن أن يغتابه وأن يستنكر ماهو صنع الله ، فإذا تأذى من غيره بغيبة أو سوء ظن أو محاسدة أو نميمة أو غير ذلك لم يصبر عن مكافأته . وكل ذلك يجر إلى فساد الدين وفى العزلة سلامة عن جميع ذلك فليفهم .

آفات العزلة

اعلم أن من المقاصد الدينية والدنيوية مايستفاد بالاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك إلا بالمخالطة . فكل مايستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة ، وفواته من آفات العزلة . فانظر إلى فوائد المخالطة والدواعى إليها ماهى ، وهى التعليم والتعلم ، والنفع والانتفاع ، والتأديب والتأدب ، والاستئناس والإيناس ، ونيل الثواب وإنالته فى القيام بالحقوق ، واعتياد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الأحوال والاعتبار بها . فلنفصل ذلك فإنها من فوائد المخالطة وهى سبع :

الفائدة الأولى : التعليم والتعلم

وقد ذكرنا فضلهما فى كتاب العلم وهما أعظم العبادات فى الدنيا . ولا يتصور ذلك إلا بالمخالطة إلا أن العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة ، وبعضها ضرورى فى الدنيا . فالمحتاج إلى التعلم لما هو فرض عليه عاص بالعزلة . وإن تعلم الفرض وكان لايتأتى منه الخوض فى العلوم ورأى الاشتغال بالعبادة فليعتزل . وإن كان يقدر على التبرز فى علوم الشرع والعقل فالعزلة فى حقه قبل التعلم غاية الخسران . ولهذا قال النخعى وغيره : تفقه ثم اعتزل فمن اعتزل قبل التعلم فهو فى الأكثر مضيع أوقاته بنوم أو فكر فى هوس ، وغايته أن يستغرق الأوقات بأوراد يستوعبها ، ولا ينفك فى أعماله بالبدن والقلب عن أنواع من الغرور يخيب سعيه ويبطل عمله بحيث لايدرى ، ولا ينفك اعتقاده فى الله وصفاته عن أوهام يتوهمها ويأنس بها وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها فيكون فى أكثر أحواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العباد . فالعلم هو أصل الدين فلاخير فى عزلة العوام والجهال ، أعنى من لايحسن العبادة فى الخلوة ولايعرف جميع مايلزم فيها . فمثال النفس مثال مريض يحتاج إلى طبيب متلطف يعالجه ، فالمريض الجاهل إذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل أن يتعلم الطب تضاعف لامحالة مرضه . فلا تليق العزلة إلا بالعالم واما التعليم ففيه ثواب عظيم مهما صحت نية المعلم والمتعلم . ومهما كان القصد إقامة الجاه والاستكثار بالأصحاب والأتباع فهو هلاك الدين . وقد ذكرنا وجه ذلك فى كتاب العلم .

وحكم فى العالم فى هذا الزمان أن يعتزل إن أراد سلامة دينه . فإنه لايرى مستفيدا يطلب فائدة لدينه ، بل لاطالب إلا لكلام مزخرف . يستميل به العوام فى معرض الوعظ أو الجدل ـ معقد يتوصل به إلى إفحام الأقران ويتقرب به إلى السلطان ويستعمل فى معرض المنافسة والمباهاة ، وأقرب علم مرغوب فيه : المذهب ، ولايطلب غالبا إلا للتوصل إلى التقدم على الأمثال وتولى الولايات واجتلاب الأموال . فهؤلاء كلهم يقتضى الدين والحزم الاعتزال عنهم ،

---

(١) حديث « من سلب الله كريمتيه عوضه عنهما ماهو خير منهما » أخرجه الطبرانى بإسناد ضعيف من حديث جرير « من سلبت كريمتيه عوضته عنهما الجنة » وله ولأحمد نحوه من حديث أبى أمامة بسند حسن ، وللبخارى من حديث أنس « يقول الله تبارك وتعالى إذا ابتليت عبدى بحبيبتيه ثم صبر عوضته منهما الجنة » يريد عينيه .

فإن صودف طالب لله ومتقرب بالعلم إلى الله فأكبر الكبائر الاعتزال عنه وكتمان العلم منه ، وهذا لايصادف فى بلدة كبيرة أكثر من واحد أو اثنين إن صودف .

ولا ينبغى أن يغتر الإنسان بقول سفيان : تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله ، فإن الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون إلى الله . وانظر إلى أواخر أعمار الأكثرين منهم واعتبرهم أنهم ماتوا ، وهم هلكى على طلب الدنيا ومتكالبون عليها أوراغبون عنها وزاهدون فيها ، وليس الخبر كالمعاينة . واعلم أن العلم الذى أشار إليه سفيان هو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفه سير الأنبياء والصحابة ، فإن فيها التخويف والتحذير وهو سبب لإثارة الخوف من الله فإن لم يؤثر فى الحال أثر فى المآل .

وأما الكلام والفقه المجرد ـ الذى يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات ـ المذهب منه والخلاف لايرد الراغب فيه للدنيا إلى الله ، بل لايزال متماديا فى حرصه إلى آخر عمره . ولعل ماأودعناه هذا الكتاب إن تعلمه المتعلم رغبة فى الدنيا فيجوز أن يرخص فيه ، إذ يرجى أن ينزجر به فى آخر عمره فإنه مشحون بالتخويف بالله والترغيب فى الآخرة والتحذير من الدنيا ، وذلك مما يصادف فى الأحاديث وتفسير القرآن ولا يصادف فى كلام ولا فى خلاف ولافى مذهب . فلا ينبغى أن يخادع الإنسان نفسه فإن المقصر العالم بتقصيره أسعد حالا من الجاهل المغرور أوالمتجاهل المغبون وكل عالم اشتد حرصه على التعليم يوشك أن يكون غرضه القبول والجاه ، وحظه تلذذ النفس فى الحال باستشعار الإدلال على الجهال والتكبر عليهم ، فآفة العلم الخيلاء [1] كما قال صلى الله عليه وسلم . ولذلك حكى عن بشر أنه دفن سبعة عشر قمطرا من كتب الأحاديث التى سمعها ، وكان لايحدث ، ويقول : إنى أشتهى أن أحدث فلذلك لاأحدث ولو اشتهيت أن لاأحدث لحدثت ، ولذلك قال « حدثنا » باب من أبواب الدنيا ، وإذا قال الرجل « حدثنا » فإنما يقول أوسعوا لى . وقالت رابعة العدوية لسفيان الثورى : نعم الرجل أنت لولا رغبتك فى الدنيا ، قال : وفيماذا رغبت ؟ قالت : فى الحديث . ولذلك قال أبو سليمان الدارانى : من تزوج أو طلب الحديث أواشتغل بالسفر فقد ركن إلى الدنيا . فهذه آفات قد نبهنا عليها فى كتاب العلم ، والحزم الاحتراز بالعزلة وترك الاستكثار من الأصحاب ماأمكن ، بل الذى يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه فالصواب له إن كان غافلا فى مثل هذا الزمان أن يتركه . فلقد صدق أبو سليمان الخطابى حيث قال : دع الراغبين فى صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولاجمال ، إخوان العلانية أعداء السر ، إذا لقوك تملقوك وإذا غبت عنهم سلقوك ، من أتاك منهم كان عليك رقيبا وإذا خرج كان عليك خطيبا ، أهل نفاق ونميمة وغل وخديعة ، فلا تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم بل الجاه والمال وأن يتخذوك سلما إلى أوطارهم وأغراضهم وحمارا فى حاجاتهم ، إن قصرت فى غرض من أغراضهم كانوا أشد أعدائك ، ثم يعدون ترددهم إليك دالة عليك ويرونه حقا واجبا لديك ، ويفرضون عليك أن تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم فتعادى عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم ، وتنتهض لهم سفيها وقد كنت فقيها ، وتكون لهم تابعا خسيسا بعد أن كنت متبوعا رئيسا . ولذلك قيل : اعتزال العامة مروءة تامة . فهذا معنى كلامه وإن خالف بعض ألفاظه ، وهو حق وصدق . فإنك ترى المدرسين فى رق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد إليهم فكأنه يهدى تحفه إليهم ويرى حقه واجبا عليهم . وربما لايختلف إليه مالم يتكفل برزق له على الإدرار . ثم إن المدرس المسكين قد يعجز عن القيام بذلك من ماله ، فلا يزال مترددا إلى أبواب السلاطين ويقاسى الذل والشدائد مقاساة الذليل

(١) حديث « آفة العلم الخيلاء » المعروف مارواه مطين فى مسنده من حديث على بن أبى طالب بسند ضعيف « آفة العلم النسيان وآفة الحمال الخيلاء » .

المهين حتى يكتب له على بعض وجوه السحت مال حرام ، ثم لايزال العامل يسترقه ويستخدمه ويمتهنه ويستذله إلى أن يسلم إليه مايقدره نعمة مستأنفة من عنده عليه ، ثم يبقى فى مقاساة القسمة على أصحابه إن سوى بينهم مقته المميزون ونسبوه إلى الحمق وقلة التمييز والقصور عن درك مصارفات الفضل والقيام بمقادير الحقوق بالعدل ، وإن فاوت بينهم سلقه السفهاء بألسنة حداد وثاروا عليه ثوران الأساود والآساد ، فلايزال فى مقاساتهم فى الدنيا وفى مطالبة مايأخذه ويفرقه عليهم فى العقبى . والعجب أنه مع هذا البلاء كله يمنى نفسه بالأباطيل ويدليها بحبل الغرور ويقول لها ، لاتفترى عن صنيعك فإنما أنت بما تفعلينه مريدة وجه الله تعالى ومذيعة شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشرة علم دين الله وقائمة بكفاية طلاب العلم من عباد الله ، وأموال السلاطين لامالك لها وهى مرصدة للمصالح وأى مصلحة أكبر من تكثير أهل العلم ؟ فبهم يظهر الدين ويتقوى أهله . ولو لم يكن ضحكة للشيطان لعلم بأدنى تأمل أن فساد الزمان لاسبب له إلا كثرة أمثال أولئك الفقهاء الذين يأكلون مايجدون ولا يميزون بين الحلال والحرام ، فتلحظهم أعين الجهال ويستجرئون على المعاصى باستجرائهم اقتداء بهم واقتفاء لآثارهم . ولذلك قيل : مافسدت الرعية إلا بفساد الملوك وما فسدت الملوك إلا بفساد العلماء . فنعوذ بالله من الغرور والعمى فإنه الداء الذى ليس له دواء ،

الفائدة الثانية : النفع والانتفاع

أما الانتفاع بالناس فبالكسب والمعاملة . وذلك لايتأتى إلا بالمخالطة والمحتاج إليه مضطر إلى ترك العزلة فيقع فى جهاد من المخالطة أن طلب موافقة الشرع فيه ـ كما ذكرناه فى كتاب الكسب ـ فإن كان معه مال لو اكتفى به قانعا لأقنعه فالعزلة أفضل له إذا أنسدت طرق المكاسب فى الأكثر إلى من المعاصى ، إلا أن يكون غرضه الكسب للصدقة . فإذا اكتسب من وجهه وتصدق به فهو أفضل من العزلة للاستغال بالنافلة ، وليس بأفضل من العزلة للاشتغال بالتحقق فى معرفة الله ومعرفة علوم الشرع ، ولا من الإقبال بكنه الهمة على الله تعالى والتجرد بها لذكر الله ؛ أعنى من حصل له أنس بمناجاة الله عن كشف وبصيرة لاعن أوهام وخيالات فاسدة .

وأما النفع فهو أن ينفع الناس إما بماله أو ببدنه فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسبة . فى النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب وذلك لاينال إلا بالمخالطة . ومن قدر عليها مع القيام بحدود الشرع فهى أفضل له من العزلة إن كان لايشتغل فى عزلته إلا بنوافل الصلوات والأعمال البدنية ، وإن كان ممن انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر أو فكر فذلك لايعدل به غيره ألبتة .

الفائدة الثالثة : التأديب والتأدب

ونعنى به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة فى تحمل أذاهم كسرا للنفس وقهرا للشهوات . وهى من الفوائد التى تستفاد بالمخالطة ، وهى أفضل من العزلة فى حق من لم تتهذب أخلاقه ولم تذعن لحدود الشرع شهواته ، ولهذا انتدب خدام الصوفية فى الرباطات فيخالطون الناس بخدمتهم وأهل السوق للسؤال منهم كسرا لرعونة النفس واستمدادا من بركة دعاء الصوفية المنصرفين بهممهم إلى الله سبحانه . وكان هذا هو المبدأ فى الأعصار الخالية والآن قد خالطته الأغراض الفاسدة ومال ذلك عن القانون كما مالت سائر شعائر الدين ، فصار يطلب من التواضع بالخدمة التكثير بالاستتباع والتذرع إلى جمع المال والاستظهار بكثرة الأتباع ، فإن كانت النية هذه فالعزلة خير من ذلك ولو إلى القبر ، وإن كانت النية رياضة النفس فهى خير من العزلة فى حق المحتاج إلى الرياضة : وذلك مما يحتاج إليه فى بداية الإرادة : فبعد حصول الارتياض ينبغى أن يفهم أن الدابة لايطلب من رياضتها عين رياضتها بل المراد منها أن تتخذ

مركبا يقطع به المراحل ويطوى على ظهره الطريق والبدن مطية للقلب يركبها ليسلك بها طريق الآخرة وفيها شهوات إن لم يكسرها جمحت به فى الطريق ، فمن اشتغل طول العمر بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها ، فلا يستفيد منها إلا الخلاص فى الحال فى عضها ورفسها ورمحها ، وهى لعمرى فائدة مقصودة ولكن مثلها حاصل فى البهيمة الميتة ، وإنما ترد الدابة لفائدة تحصل من حياتها ، فكذلك الخلاص من ألم الشهوات فى الحال يحصل بالنوم والموت ، ولا ينبغى أن يقنع به كالراهب الذى قيل له : ياراهب ، فقال : ما أبا راهب إنما أنا كلب عقور حبست نفسى حتى لاأعقر الناس : وهذا حسن بالإضافه إلى من يعقر الناس ولكن لاينبغى أن يقتصر عليه ، فإنّ من قتل نفسه أيضا لم يعقر الناس ، بل ينبغى أن يتشوف إلى الغاية المقصودة بها . ومن فهم ذلك واهتدى إلى الطريق وقدر على السلوك استبان له أن العزلة أعون له من المخالطة . فأفضل لمثل هذا الشخص المخالطة أوّلا والعزلة آخرا .

وأما التأديب فإنما نعنى به أن يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية معهم ، فإنه لايقدر على تهذيبهم إلا بمخالطتهم ، وحاله حال المعلم وحكمه ، ويتطرق إليه من دقائق الآفات والرياء ما يتطرق إلى نشر العلم إلا أن مخايل طلب الدنيا من المريدين الطالبين للارتياض أبعد منها من طلبه العلم ، ولذلك يرى فيهم قلة وفى طلبة العلم كثرة . فينبغى أن يقيس ماتيسر له من الخلوة بما تيسر له من المخالطة وتهذيب القوم ، وليقابل أحدهما بالآخر وليؤثر الأفضل ، وذلك يدرك بدقيق الاجتهاد ويختلف بالأحوال والأشخاص فلا يمكن الحكم عليه مطلقا بنفى ولا إثبات .

الفائدة الرابعة : الاستئناس والإيناس

وهو غرض من يحضر الولائم والدعوات ومواضع المعاشرة والأنس ، وهذا يرجع إلى حظ النفس فى الحال . وقد يكون ذلك على وجه حرام بمؤانسة من لاتجوز مؤانسته ، أو على وجه مباح . وقد يستحب ذلك لأمر الدين وذلك فيمن تستأنس بمشاهدة أحواله وأقواله فى الدين كالأنس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى . وقد يتعلق بحظ النفس ويستحب إذا كان الغرض منه ترويح القلب لتهييج دواعى النشاط فى العبادة ، فإنّ القلوب إذا أكرهت عميت ومهما كان فى الوحدة وحشة وفى المجالسة أنس يروّح القلب فهى أولى ، إذ الوفق فى العبادة من حزم العبادة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إنّ الله لايمل حتى تملوا [1] » وهذا أمر لايستغنى عنه فإن النفس لاتألف الحق على الدوام مالم تروّح ؛ وفى تكليفها الملازمة داعية للفترة وهذا عنى بقوله عليه السلام « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق » والإيغال فيه برفق دأب المستبصرين ولذلك قال ابن عباس : لولا مخافة الوسواس لم أجالس الناس ، وقال مرة : لدخلت بلادا لا أنيس بها ، وهل يفسد الناس إلا الناس ؟ فلا يستغنى المعتزل إذا عن رفيق يستأنس بمشاهدته ومحادثته فى اليوم والليلة ساعة فليجتهد فى طلب من لايفسد عليه فى ساعته تلك سائر ساعاته فقد قال صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل [2] » وليحرص أن يكون حديثه عند اللقاء فى أمور الدين وحكاية أحوال القلب وشكواه وقصوره عن الثبات على الحق والاهتداء إلى الرشد ، ففى ذلك متنفس ومتروّح للنفس ، فيه مجال رحب لكل مشغول بإصلاح نفسه فإنه لاتنقطع شكواه ولو عمر أعمارا طويلة ، والراضى عن نفسه مغرور قطعا . فهذا النوع من الاستئناس فى بعض أوقات النهار ربما يكون أفضل من العزلة فى حق بعض الأشخاص

(١) حديث « ان الله لايمل حتى تملوا » تقدم . (٢) حديث « المرء على دين خليله » تقدم فى آداب الصحبة .

فليتفقد فيه أحوال القلب وأحوال الجليس اولا ثم ليجالس .

الفائدة الخامس : فى نيل الثواب وإنالته

اما النيل فبحضور الجنائز وعيادة المريض وحضور العيدين ، وأما حضور الجمعة فلا بد منه . وحضور الجماعة فى سائر الصلوات أيضا لا رخصة فى تركه إلا لخوف ضرر ظاهر يقاوم مايفوت من فضيلة الجماعة ويزيد عليه ، وذلك لا يتفق إلا نادرا . وكذلك فى حضور الإملاكات والدعوات ثواب من حيث إنه إدخال سرور على قلب مسلم .

وأما إنالته فهو أن يفتح الباب لتعوده الناس أو ليعزوه فى المصائب أو يهنوه على النعم فإنهم ينالون بذلك ثوابا ، وكذلك إذا كان من العلماء وإذن لهم فى الزيارة نالوا ثواب الزيارة ، وكان هو بالتمكين سببا فيه فينبغى أن يزن ثواب هذه المخالطات بآفاتها التى ذكرناها ، وعند ذلك قد ترجح العزلة وقد ترجح المخالطة . فقد حكى عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك إجابة الدعوات وعيادة المرضى وحضور الجنائز بل كانوا أحلاس بيوتهم لايخرجون إلا إلى الجمعة أو زيارة القبور ، وبعضهم فارق الأمصار وانحاز إلى قلل الجبال تفرغا للعبادة وفرارا من الشواغل .

الفائدة السادسة

من المخالطة التواضع ، فإنه من أفضل المقامات ولا يقدر عليه فى الوحدة ، وقد يكون الكبر سببا فى اختيار العزلة . فقد روى فى الإسرائيليات أن حكيما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصحفا فى الحكمة حتى ظن أنه قد نال عند الله منزلة ، فأوحى الله إلى نبيه : قل لفلان إنك قد ملأت الأرض نفاقا وإنى لا أقبل من نفاقك شيئا ، قال : فتخلى وانفرد فى سرب تحت الأرض وقال : الآن قد بلغت رضا ربى ، فأوحى الله إلى نبيه قل له : إنك لن تبلغ رضاى حتى تخالط الناس وتصبر على أذاهم ، فخرج فدخل الأسواق وخالط الناس وجالسهم وواكلهم وأكل الطعام بينهم ومشى فى الأسواق معهم ، فأوحى الله تعالى إلى نبيه : الآن قد بلغ رضاى . فكم من معتزل فى بيته وباعثه الكبر ومانعه عن المحافل أن لا يوقر أو لايقدم ، أو يرى الترفع عن مخالطتهم أرفع لمحله وأتقى لطراوة ذكره بين الناس ، وقد يعتزل خيفة من أن تظهر مقابحه لو خالط فلايعتقد فيه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ البيت سترا على مقابحه إبقاء على اعتقاد الناس فى زهده وتعبده من غير استغراق وقت الخلوة بذكر أو فكر ، وعلامة هؤلاء أنهم يحبون أن يزاروا ولايحبون أن يزوروا ، ويفرحون بتقرب العوام والسلاطين إليهم واجتماعهم على بابهم وطرقهم وتقبيلهم أيديهم على سبيل التبرك ، ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذى يبغض إليه المخالطة وزيارة الناس لبغض إليه زياراتهم له ، كما حكيناه عن الفضيل حيث قال : وهل جئتنى إلا لأتزين لك وتتزين لى . وعن حاتم الأصم أنه قال للأمير الذى زاره : حاجتى أن لاأراك ولا ترانى . فمن ليس مشغولا مع نفسه بذكر الله فاعتزاله عن الناس سببه شدة اشتغاله بالناس ، لأن قلبه متجرد للالتفات إلى نظرهم إليه بعين الوقار والاحترام . والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه ، أحدها : أن التواضع والمخالطة لاتنقص من منصب من هو متكبر بعلمه أو دينه إذ كان على رضى الله عنه يحمل التمر والملح فى ثوبه ويده ويقول :

لا ينقص الكامل من كماله ماجر من نفع إلى عياله

وكان أبو هريرة وحذيفة وأبى وابن مسعود رضى الله عنهم يحملون حزم الحطب وجرب الدقيق على أكتافهم

وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول ـ وهو والى المدينة والحطب على رأسه ـ طرقوا لأميركم . وكان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يشترى الشيء فيحمله إلى بيته بنفسه ؛ فيقول له صاحبه : أعطنى أحمله فيقول « صاحب الشيء أحق بحمله [1] » وكان الحسن بن على رضى الله عنهما يمر بالسؤال وبين أيديهم كسر فيقولون : هلم إلى الغداء يا ابن رسول الله فكان ينزل ويجلس على الطريق ويأكل معهم ويركب ويقول ﴿إن الله لا يحب المستكبرين﴾ الوجه الثانى : أن الذى شغل نفسه بطلب رضا الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور لأنه لو عرف الله حق المعرفة علم أن الخلق لا يغنون عنه من الله شيئا ؛ وأن ضرره ونفعه بيد الله ولا نافع ولا ضار سواه وأن من طلب رضا الناس ومحبتهم بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس ، بل رضا الناس غاية لا تنال ، فرضا الله أولى بالطلب . ولذلك قال الشافعى ليونس بن عبد الأعلى : والله ما أقول لك إلا نصحا إنه ليس إلى السلامة من الناس من سبيل ، فانظر ماذا يصلحك فافعله ؟ ولذلك قيل :

من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور

ونظر سهل إلى رجل من أصحابه فقال له : اعمل كذا وكذا ـ لشيء أمره به ـ فقال : يا أستاذ لا أقدر عليه لأجل الناس ، فالتفت إلى أصحابه وقال : لا ينال عبد حقيقة من هذا الأمر حتى يكون بأحد وصفين ؛ عبد تسقط الناس من عينه فلا يرى فى الدنيا إلا خالقه ، وأن أحدا لا يقدر على أن يضره ولا ينفعه . وعبد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالى بأى حال يرونه . وقال الشافعى رحمه الله : ليس من أحد إلا وله محب ومبغض فإذا كان هكذا فكن مع أهل طاعة الله وقيل للحسن : يا أبا سعيد إن قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم إلا تتبع سقطات كلامك وتعنيتك بالسؤال ؛ فتبسم وقال للقائل : هون على نفسك فإنى حدثت نفسى بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت وما حدثت نفسى بالسلامة من الناس لأنى قد علمت أن خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم . وقال موسى صلى الله عليه وسلم يارب احبس عنى ألسنة الناس فقال : ياموسى هذا شيء لم أصطفه نفسى فكيف أفعله بك ؟ وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى عزير : إن لم تطب نفسا بأنى أجعلك علما فى أقواه الماضغين لم أكتبك عندى من المتواضعين . فإذن من حبس نفسه فى البيت ليحسن اعتقادات الناس وأقوالهم فيه فهو فى عناء حاضر فى الدنيا ﴿ ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ فإذن لا تستحب العزلة إلا لمستغرق الأوقات بربه ذكرا وفكرا وعبادة وعلما بحيث لو خالطه الناس لضاعت أوقاته وكثرت آفاته ولتشوشت عليه عباداته . فهذه غوائل خفية فى اختيار العزلة ينبغى أن تتقى فإنها مهلكات فى صور منجيات .

الفائدة السابعة : التجارب

فإنها تستفاد من المخالطة للخلق ومجارى أحوالهم . والعقل الغريزى ليس كافيا فى تفهم مصالح الدين والدنيا . وإنما تفيدها التجربة والممارسة ، ولا خير فى عزلة من لم تحنكه التجارب ؛ فالصبى إذا اعتزل بقى غمراً جاهلا بل ينبغى أن يشتغل بالتعلم ، ويحصل له فى مدة التعلم ما يحتاج إليه من التجارب ويكفيه ذلك ، ويحصل بقية التجارب بسماع الأحوال ولا يحتاج إلى المخالطة . ومن أهم التجارب أن يجرب نفسه وأخلاقه وصفات باطنه وذلك لا يقدر عليه فى الخلوة ، فإن كل مجرب فى الخلاء يسر ، وكل غضوب أو حقود أو حسود إذا خلا بنفسه لم يترشح منه خبثه وهذه الصفات مهلكات فى أنفسها يجب إماطتها وقهرها ولا يكفى تسكينها بالتباعد عما يحركها . فمثال القلب المشحون

(١) حديث : كان يشترى الشيء ويحمله الى بيته بنفسه فيقول له صاحبه أعطنى أحمله فيقول « صاحب المتاع أحق بحمله » أخرجه أبو يعلى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف فى حمله السراويل الذى اشتراه .

بهذه الخبائث مثال دمل ممتلئ بالصديد والمدة وقد لايحس صاحبه بألمه مالم يتحرك أو يمسه غيره ، فإن لم يكن له يد تمسه أو عين تبصر صورته ولم يكن من يحركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل فى نفسه وأعتقد فقده ، ولكن لو حركه محرك أو أصابه مشرط حجام لا نفجر منه الصديد وفار فوران الشيء المختنق إذا حبس عن الاسترسال ، فكذلك القلب المشحون بالحقد والبخل والحسد والغضب وسائر الأخلاق الذميمة إنما تتفجر منه خبائثه إذا حرك . وعن هذا كان السالكون لطريق الآخرة الطالبون لتزكيه القلوب يجربون أنفسهم . فمن كان يستشعر فى نفسه كبرا سعى فى إماطته حتى كان بعضهم يحمل قربة ماء على ظهره بين الناس أو حزمة حطب على رأسه ويتردد فى الأسواق ليجرب نفسه بذلك ؛ فإن غوائل النفس ومكايد الشيطان خفية قل من يتفطن لها ولذلك حكى عن بعضهم أنه قال : أعدت صلاة ثلاثين سنة مع أنى كنت أصليها فى الصف الأول ، ولكن تخلفت يوما بعذر فما وجدت موضعا فى الصف الأول فوقفت فى الصف الثانى فوجدت نفسى تستشعر خجلة من نظر الناس إلى وقد سبقت إلى الصف الأول ، فعلمت أن جميع صلواتى التى كنت أصليها كانت مشوبة بالرياء ممزوجة بلذة نظر الناس إلى ورؤيتهم إياى فى زمرة السابقين إلى الخير . فالمخالطة لها فائدة ظاهرة عظيمة فى استخراج الخبائث وإظهارها . ولذلك قيل : السفر يسفر عن الأخلاق فإنه نوع من المخالطة الدائمة . وستأتى غوائل هذه المعانى ودقائقها فى ربع المهلكات ، فإن بالجهل بها يحبط العمل الكثير وبالعلم بها يزكو العمل القليل ، ولولا ذلك مافضل العلم على العمل ، إذ يستحيل أن يكون العلم بالصلاة ولا يراد للصلاة إلا أفضل من الصلاة ، فإنا نعلم أن مايراد لغيره فإن ذلك الغير أشرف منه ، وقد قضى الشرع بتفضيل العالم على العابد حتى قال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى [1] » فمعنى تفضيل العلم يرجع إلى ثلاثة أوجه (أحدها) ماذكرناه (والثانى) عموم النفع لتعدى فائدته والعمل لاتتعدى فائدته (والثالث) أن يراد به العلم بالله وصفاته وأفعاله فذلك أفضل من كل عمل ، بل مقصود الأعمال صرف القلوب عن الخلق إلى الخالق لتنبعث بعد الانصراف إليه لمعرفته ومحبته ، فالعمل وعلم العمل مرادان لهذا العلم ، وهذا العلم غاية المريدين والعمل كالشرط له ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ فالكلم الطيب هو هذا العلم ، والعمل كالحال الرافع له إلى مقصده فيكون المرفوع أفضل من الرافع . وهذا كلام معترض لايليق بهذا الكلام . فلنرجع إلى المقصود فنقول : إذا عرفت فوائد العزلة وغوائلها تحققت أن الحكم عليها مطلقا بالتفضيل نفيا وإثباتا خطأ ، بل ينبغى أن ينظر إلى الشخص وحاله وإلى الخليط وحاله وإلى الباعث على مخالطته وإلى الفائت بسبب مخالطته من هذه الفوائد المذكورة ، ويقاس الفائت بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الأفضل ، وكلام الشافعى رحمه الله هو فصل الخطاب إذ قال يايونس ، الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط . فلذلك يجب الاعتدال فى المخالطة والعزلة ، ويختلف ذلك بالأحوال . وبملاحظة الفوائد والآفات يتبين الأفضل . هذا هو الحق الصراح وكل ماذكر سوى هذا فهو قاصر . وإنما هو إخبار كل واحد عن حالة خاصة هو فيها ، ولا يجوز أن يحكم بها على غيره المخالف له فى الحال . والفرق بين العالم والصوفى فى ظاهر العلم يرجع إلى هذا وهو أن الصوفى لايتكلم إلا عن حاله فلا جرم تختلف أجوبتهم فى المسائل ، والعالم هو الذى يدرك الحق على ماهو عليه ولا ينظر إلى حال نفسه فيكشف الحق فيه ، وذلك مما لايختلف فيه فإن الحق واحد أبدا ، والقاصر عن الحق كثير لايحصى . ولذلك سئل الصوفية عن الفقر فما من واحد إلا وأجاب بجواب غير جواب الآخر ، وكل ذلك حق

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى تقدم فى العلم .

بالإضافة إلى حاله وليس بحق فى نفسه إذ الحق لايكون إلا واحدا . ولذلك قال أبو عبدالله الجلاء ـ وقد سئل عن الفقر ـ فقال : اضرب بكميك الحائط وقل ربى الله فهو الفقر . وقال الجنيد : الفقير هو الذى لايسأل أحدا ولايعارض وإن عورض سكت . وقال سهل بن عبدالله : الفقير الذى لايسأل ولا يدخر . وقال آخر : هو أن لايكون لك فإن كان لك فلا يكون لك من حيث لم يكن لك . وقال إبراهيم الخواص : هو ترك الشكوى وإظهار أثر البلوى . والمقصود أنه لو سئل منهم مائة لسمع منهم مائة جواب مختلفة قلما يتفق منها اثنان ، وذلك كله حق من وجه فإنه خبر كل واحد عن حاله وما غلب على قلبه . ولذلك لا نرى اثنين منهم يثبت أحدهما لصاحبه قدما فى التصوف أو يثنى عليه ، بل كل واحد منهم يدعى أنه الواصل إلى الحق والواقف عليه ؛ لأن أكثر ترددهم على مقتضى الأحوال التى تعرض لقلوبهم فلا يشتغلون إلا بأنفسهم ولا يلتفتون إلى غيرهم . ونور العلم إذا أشرق أحاط بالكل وكشف الغطاء ورفع الاختلاف . ومثال نظر هؤلاء مارأيت من نظر قوم فى أدلة الزوال ـ بالنظر فى الظل ـ فقال بعضهم هو فى الصيف قدمان ، وحكى عن آخر أنه نصف قدم ، وآخر يرد عليه وأنه فى الشتاء سبعة أقدام ، وحكى عن آخر أنه خمسة أقدام ، وآخر يرد عليه ؛ فهذا يشبه أجوبة الصوفية واختلافهم ، فإن كل واحد من هؤلاء أخبر عن الظل الذى رآه ببلد نفسه ، فصدق فى قوله وأخطأ فى تخطئته صاحبه إذ ظن أن العالم كله بلده أو هو مثل بلده ، كما أن الصوفى لايحكم على العالم إلا بما هو حال نفسه : والعالم بالزوال هو الذى يعرف علة طول الظل وقصره وعلة اختلافه بالبلاد فيخبر بأحكام مختلفة فى بلاد مختلفة ويقول فى بعضها لايبقى ظل ، وفى بعضها يطول ، وفى بعضها يقصر

فهذا ما أردنا أن نذكره من فضيلة العزلة والمخالطة .

* فإن قلت : فمن آثر العزلة ورآها أفضل له وأسلم فما آدابه فى العزلة ؟ فنقول : إنما يطول النظر فى آداب المخالطة وقد ذكرناها فى كتاب آداب الصحبة . وأما آداب العزلة فلا تطول فينبغى للمعتزل أن ينوى بعزلته كف شر نفسه عن الناس أولا ، ثم طلب السلامة من شر الأشرار ثانيا ، ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا ، ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله رابعا ؛ فهذه آداب نيته . ثم ليسكن فى خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ليجتنى ثمرة العزلة وليمنع الناس عن أن يكثروا غشيانه وزيارته فيشوش أكثر وقته . وليكف عن السؤال عن أخبارهم وعن الإصغاء إلى أراجيف البلد وما الناس مشغولون به ، فإن كل ذلك ينغرس فى القلب حتى ينبعث فى أثناء الصلاة أو الفكر من حيث لايحتسب ، فوقوع الأخبار فى السمع كوقوع البذر فى الأرض فلا بد أن ينبت وتتفرع عروقه وأغصانه ويتداعى بعضها إلى بعض . وأحد مهمات المعتزل قطع الوساوس الصارفة عن ذكر الله . والأخبار ينابيع الوساوس وأصولها . وليقنع باليسير من المعيشه وإلا اضطره التوسع إلى الناس واحتاج إلى مخالطتهم . وليكن صبورا على ما يلقاه من أذى الجيران وليسد سمعه عن الإصغاء إلى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة أو قدح فيه بترك الخلطة ، فإن كل ذلك يؤثر فى القلب ولو مدة يسيرة ، وحال اشتغال القلب به لابد أن يكون واقفا عن سيره إلى طريق الآخرة ، فإن السير إما بالمواظبة على ورد وذكر مع حضور قلب ، وإما بالفكر فى جلال الله وصفاته وأفعاله وملكوت سمواته وأرضه ، وإما بالتأمل فى دقائق الأعمال ومفسدات القلوب وطلب طرق التحصن منها . وكل ذلك يستدعى الفراغ والإصغاء إلى جميع ذلك مما يشوش القلب فى الحال . وقد يتجدد ذكره فى دوام الذكر من حيث لاينتظر . وليكن له أهل صالحة أو جليس صالح لتستريح نفسه إليه فى اليوم ساعة من كد المواظبة ففيه عون على بقية الساعات . ولا يتم له الصبر فى العزلة إلا بقطع الطمع عن الدنيا

وما الناس منهمكون فيه ، ولا ينقطع طمعه إلا بقصر الأمل بأن لا يقدر لنفسه عمرا طويلا ، بل يصبح على أنه لايمسى ويمسى على أنه لايصبح ، فيسهل عليه صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو قدر تراخى الأجل . وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة . وليتحقق أن من لم يحصل فى قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به فلايطيق وحشه الوحدة بعد الموت . وأن من أنس بذكر الله ومعرفته فلايزيل الموت أنسه إذ لايهدم الموت محل الأنس والمعرفة بل يبقى حيا بمعرفته وأنسه فرحا بفضل الله عليه ورحمته ، كما قال الله تعالى فى الشهداء ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ﴾ وكل متجرد لله فى جهاد نفسه فهو شهيد مهما أدركه الموت مقبلا غير مدبر « فالمجاهد من جاهد نفسه وهواه [1] » كما صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم . والجهاد الأكبر جهاد النفس كما قال بعض الصحابة رضى الله عنهم : رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، يعنون جهاد النفس .

تم كتاب العزلة ، ويتلوه : كتاب آداب السفر ، والحمد لله وحده

كتاب آداب السفر

وهو الكتاب السابع من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى فتح بصائر أوليائه بالحكم والعبر ، واستخلص هممهم لمشاهدة عجائب صنعه فى الحضر والسفر ، فأصبحوا راضين بمجارى القدر منزهين قلوبهم عن التلفت إلى متنزهات البصر إلا على سبيل الاعتبار بما يسبح فى مسارح النظر ومجارى الفكر ، فاستوى عندهم البر والبحر والسهل والوعر والبدو والحضر . والصلاة على محمد سيد البشر وعلى وصحبه المقتفين لآثاره فى الأخلاق والسير وسلم كثيرا .

أما بعد : فإن السفر وسيلة إلى الخلاص عن مهروب عنه أو الوصول إلى مطلوب ومرغوب فيه . والسفر سفران : سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن إلى الصحارى والفلوات ، وسفر بسير القلب عن أسفل السافلين إلى ملكوت السموات . وأشرف السفرين السفر الباطن . فإن الواقف على الحالة التى نشأ عليها عقيب الولادة ، الجامد على ما تلقفه بالتقليد من الآباء والأجداد ، لازم درجة القصور وقانع بمرتبة النقص ومستبدل بمتسع فضاء ﴿ جنة عرضها السموات والأرض ﴾ ظلمة السجن وضيق الحبس ، ولقد صدق القائل :

ولم أر فى عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام

إلا أن هذا السفر لما كان مقتحمه فى خطب خطير لم يستغن فيه عن دليل وخفير ، فاقتضى غموض السبيل وفقد الخفير والدليل وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب النازل القليل ، اندرس مسالكه . فانقطع فيه الرفاق وخلا عن الطائفين متنزهات الأنفس والملكوت والآفاق . وإليه دعا الله سبحانه بقوله ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ﴾ وبقوله تعالى ﴿ وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ وعلى القعود عن هذا السفر وقع الإنكار بقوله تعالى ﴿ وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون ﴾ وبقوله سبحانه ﴿ وكأين

---

(١) حديث « المجاهد من جاهد نفسه وهواه » أخرجه الحاكم من حديث فضالة بن عبيد وصححه دون قوله « وهواه » وقد تقدم فى الباب الثالث من آداب الصحبة .

من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ﴾ فمن يسر له هذا السفر لم يزل فى سيره متنزها فى جنة عرضها السموات والأرض وهو ساكن بالبدن مستقر فى الوطن . وهو السفر الذى لاتضيق فيه المناهل والموارد ولا يضر فيه التزاحم والتوارد ، بل تزيد بكثرة المسافرين غنائمه وتتضاعف ثمراته وفوائده ؛ فغنائمه دائمة غير ممنوعة وثمراته متزايدة غير مقطوعة إلا إذا بدا للمسافر فترة فى سفره ووقفة فى حركته فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا زاغوا أزاغ الله قلوبهم وما الله بظلام للعبيد ، ولكنهم يظلمون أنفسهم ومن لم يؤهل للجولان فى هذا الميدان والتطواف فى متنزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر بدنه فى مدة مديدة فراسخ معدودة مغتنما بها تجارة للدنيا أو ذخيرة للآخرة ، فإن كان مطلبه العلم والدين أو الكفاية للاستعانة على الدين كان من سالكى سبيل الآخرة ، وكان له فى سفره شروط وآداب إن أهملها كان من عمال الدنيا وأتباع الشيطان ، وإن واظب عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بعمال الآخرة ، ونحن نذكر آدابه وشروطه فى بابين إن شاء الله تعالى . (الباب الأول) فى الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع وفى نية السفر وفائدته وفيه فصلان . (الباب الثانى) فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات .

الباب الأول

فى الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع وفى نية السفر وفائدته وفيه فصلان :

الفصل الأول : فى فوائد السفر وفضله ونيته

اعلم أن السفر نوع حركة ومخالطة ، وفيه فوائد وله آفات ـ كما ذكرناه فى كتاب الصحبة والعزلة .

والفوائد الباعثة على السفر لاتخلو من هرب أو طلب . فإن المسافر إما أن يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر إليه ، وإما أن يكون له مقصد ومطلب .

والمهروب عنه إما أمر له نكاية فى الأمور الدنيوية . كالطاعون والوباء إذا ظهر ببلد أو خوف سببه فتنة أو خصومة أو غلاء سعر . وهو إما عام كما ذكرناه أو خاص كمن يقصد بأذية فى بلدة فيهرب منها . وإما أمر له نكاية فى الدين كمن ابتلى فى بلده بجاه ومال واتساع أسباب تصده عن التجرد لله ، فيؤثر الغربة والخمول ويجتنب السعة والجاه ، أو كمن يدعى إلى بدعة قهرا أو إلى ولاية عمل لاتحل مباشرته فيطلب الفرار منه .

وأما المطلوب فهو إما دنيوى كالمال والجاه أو دينى ، والدينى إما علم وإما عمل .

والعلم إما علم من العلوم الدينية وإما علم بأخلاق نفسه وصفاته على سبيل التجربة ؛ وإما علم بآيات الأرض وعجائبها كسفر ذى القرنين وطوافه فى نواحى الأرض .

والعمل إما عبادة وإما زيارة . والعبادة هو الحج والعمرة والجهاد . والزيارة أيضا من القربات وقد يقصد بها مكان كمكة والمدينة وبيت المقدس . والثغور فإن الرباط بها قربة . وقد يقصد بها الأولياء والعلماء وهم إما موتى فتزار قبورهم وإما أحياء فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر إلى أحوالهم قوة الرغبة فى الاقتداء بهم .

فهذه هى أقسام الأسفار ويخرج من هذه القسمة أقسام :

القسم الأول : السفر فى طلب العلم ، وهو إما واجب وإما نفل وذلك بحسب كون العلم واجبا أو نفلا . وذلك

العلم إما علم بأمور دينه أو بأخلاقه فى نفسه أو بآيات الله فى أرضه . وقد قال عليه السلام « من خرج من بيته فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع [١] » وفى خبر آخر « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة [٢] » وكان سعيد بن المسيب يسافر الأيام فى طلب الحديث الواحد . وقال الشعبي : لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن فى كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى ما كان سفره ضائعا . ورحل جابر بن عبد الله من المدينة إلى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرا فى حديث بلغهم عن عبد الله أنيس الأنصارى يحدّث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعوه [٣] وكل مذكور فى العلم محصل له ـ من زمان الصحابة إلى زماننا هذا ـ لم يحصل العلم إلا بالسفر وسافر لأجله ، وأما علمه بنفسه وأخلاقه فذلك أيضا مهم فإنّ طريق الآخرة لا يمكن سلوكها إلا بتحسين الخلق وتهذيبه : ومن لا يطلع على أسرار باطنه وخبائث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها . وإنما السفر هو الذى يسفر عن أخلاق الرجال وبه يخرج الله الخبء فى السموات والأرض وإنما سمى السفر سفرا لأنه يسفر عن الأخلاق : ولذلك قال عمر رضى الله عنه للذى زكى عنده بعض الشهود : هل صحبته فى السفر الذى يستدل به على مكارم أخلاقه ؟ فقال : لا ، فقال : ما أراك تعرفه . وكان بشر يقول : يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فإن الماء إذا ساح طاب ، وإذا طال مقامه فى موضع تغير . وبالجملة فإن النفس فى الوطن مع مواتاة الأسباب لا تظهر خبائث أخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المألوفات المعهودة ، فإذا حملت وعثاء السفر وصرفت عن مألوفاتها المعتادة وامتحنت بمشاق الغربة انكشفت غوائلها ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بعلاجها . وقد ذكرنا فى كتاب العزلة فوائد المخالطة والسفر مخالطة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق .

وأما آيات الله فى أرضه ففى مشاهدتها فوائد للمستبصر ، ففيها قطع متجاورات وفيها الجبال والبرارى والبحار وأنواع الحيوان والنبات ، وما من شىء منها إلا وهو شاهد لله بالوحدانية ومسبح له بلسان ذلق لا يدركه إلا من ألقى السمع وهو شهيد . وأما الجاحدون والغافلون والمغترون بلامع السراب من زهرة الدنيا فإنهم لا يبصرون ولا يسمعون لأنهم عن السمع معزولون وعن آيات ربهم محجوبون ﴿ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ وما أريد بالسمع السمع الظاهر ـ فإن الذين أريدوا به ما كانوا معزولين عنه ـ وإنما أريد به السمع الباطن ولا يدرك بالسمع الظاهر إلا الأصوات . ويشارك الإنسان فيه سائر الحيوانات . فأما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال الذى هو نطق وراء نطق المقال يشبه قول القائل ـ حكاية لكلام الوتد والحائط ـ قال الجدار للوتد : لم تشقنى ؟ فقال : سل من يدقنى ، ولم يتركنى ورائى الحجر الذى ورائى . وما من ذرّة فى السموات والأرض إلا ولها أنواع شاهدات لله تعالى بالوحدانية هى توحيدها ، وأنواع شاهدات لصانعها بالتقدّس هى تسبيحها ، ولكن لا يفقهون تسبيحها ـ لأنهم لم يسافروا من مضيق سمع الظاهر إلى فضاء سمع الباطن ومن ركاكة لسان المقال

كتاب آداب السفر

الباب الأول . فى الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع

(١) حديث « من خرج من بيته فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع » أخرجه الترمذى من حديث أنس وقال حسن غريب (٢) حديث « من سلك طريقا يلتمس فيه علما ... الحديث » رواه مسلم وتقدم فى العلم (٣) حديث : رحل جابر ابن عبد الله من المدينة الى مسيرة شهر فى حديث بلغه عن عبد الله بن أنيس . أخرجه الخطيب فى كتاب الرحلة بإسناد حسن ولم يسم الصحابى وقال البخارى فى صحيحه : رحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر الى عبد الله بن أنيس فى حديث واحد ورواه أحمد الا أنه قال إلى الشام وإسناده حسن ، ولأحمد أن أبا أيوب ركب الى عقبة بن عامر الى مصر فى حديث ، وله أن عقبة بن عامر أتى سلمة بن مخلد وهو أمير مصر فى حديث آخر وكلاهما منقطع .

إلى فصاحة لسان الحال ـ ولو قدر كل عاجز على مثل هذا السير لما كان سليمان عليه السلام مختصا بفهم منطق الطير ولما كان موسى عليه السلام مختصا بسماع كلام الله تعالى الذى يجب تقديسه عن مشابهة الحروف والأصوات . ومن يسافر ليستقرئ هذه الشهادات من الأسطر المكتوبة بالخطوط الإلهية على صفحات الجمادات لم يطل سفره بالبدن ، بل يستقر فى موضع ويفرغ قلبه للتمتع بسماع نغمات التسبيحات من آحاد الذرات ، فماله وللتردد فى الفلوات وله غنية فى ملكوت السموات ؟ فالشمس والقمر والنجوم بأمره مسخرات . وهى إلى أبصار ذوى البصائر مسافرات فى الشهر والسنة مرات ، بل هى دائبة فى الحركة على توالى الأوقات . فمن الغرائب أن يدأب فى الطواف بآحاد المساجد من أمرت الكعبة أن تطوف به ، ومن الغرائب أن يطوف فى أكناف الأرض من يطوف به أقطار السماء . ثم مادام المسافر مفتقرا إلى أن يبصر عالم الملك والشهادة بالبصر الظاهر فهو بعد فى المنزل الأول من منازل السائرين إلى الله والمسافرين إلى حضرته ، وكأنه معتكف على باب الوطن لم يفض به المسير إلى متسع الفضاء ، ولا سبب لطول المقام فى هذا المنزل إلا الجبن والقصور . ولذلك قال بعض أرباب القلوب : إنّ الناس ليقولون افتحوا أعينكم حتى تبصروا ، وأنا أقول : غمضوا أعينكم حتى تبصروا ، وكل واحد من القولين حق إلا أنّ الأول خبر عن المنزل الأول القريب من الوطن ، والثانى خبر عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التى لا يطؤها إلا مخاطر بنفسه ؛ والمجاوز إليها ربما يتيه فيها سنين وربما يأخذ التوفيق بيده فيرشده إلى سواء السبيل ، والهالكون فى التيه هم الأكثرون من ركاب هذه الطريق ولكن السائحون بنور التوفيق فازوا بالنعيم والملك المقيم وهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى ، واعتبر هذا الملك بملك الدنيا فإنه يقل بالإضافة إلى كثرة الخلق طلابه ، ومهما عظم المطلوب قل المساعد . ثم الذى يهلك أكثر من الذى يملك . ولا يتصدى لطلب الملك العاجز الجبان لعظيم الخطر وطول التعب :

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسام

وما أودع الله العز والملك فى الدين والدنيا إلا فى حيز الخطر . وقد يسمى الجبان الجبن والقصور باسم الحزم والحذر كما قيل :

ترى الجبناء أنّ الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم

فهذا حكم السفر الظاهر إذا أريد به السفر الباطن بمطالعة آيات الله فى الأرض .

فلنرجع إلى الغرض الذى كنا نقصده ولنبين القسم الثانى : وهو أن يسافر لأجل العبادة إما لحج أو جهاد وقد ذكرنا فضل ذلك وآدابه وأعماله الظاهرة والباطنة فى كتاب أسرار الحج ، ويدخل فى جملته زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء ، وكل من يتبرك بمشاهدته فى حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته . ويجوز شدّ الرحال لهذا الغرض ولا يمنع من هذا قوله عليه السلام « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى [1] » لأن ذلك فى المساجد ، فإنها متماثلة بعد هذه المساجد ، وإلا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء والأولياء والعلماء فى أصل الفضل وإن كان يتفاوت فى الدرجات تفاوتا عظيما بحسب اختلاف درجاتهم عند الله .

وبالجملة زيارة الأحياء أولى من زيارة الأموات . والفائدة من زيارة الأحياء طلب بركة الدعاء وبركة النظر إليهم

(١) حديث « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ... الحديث » تقدم فى الحج .

فإن النظر إلى وجوه العلماء والصلحاء عبادة . وفيه أيضا حركة للرغبة فى الاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم وآدابهم؛ هذا سوى ماينتظر من الفوائد العلمية المستفادة من أنفاسهم وأفعالهم كيف ومجرد زيارة الإخوان فى الله فيه فضل ؟ كما ذكرناه فى كتاب الصحبة . وفى التوراة : سر أربعة أميال زر أخا فى الله .

وأما البقاع فلا معنى لزيارتها سوى المساجد الثلاثة وسوى الثغور للرباط بها . فالحديث ظاهر فى أنه لاتشد الرحال لطلب بركة البقاع إلا إلى المساجد الثلاثة . وقد ذكرنا فضائل الحرمين فى كتاب الحج .

وبيت المقدس أيضا له فضل كبير . خرج ابن عمر من المدينة قاصدا بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم كر راجعا من الغد إلى المدينة . وقد سأل سليمان عليه السلام ربه عز وجل : أن من قصد هذا المسجد لايعنيه إلا الصلاة فيه ؛ أن لا تصرف نظرك عنه مادام مقيما فيه حتى يخرج منه ؛ وأن تخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه فأعطاه الله ذلك .

القسم الثالث : أن يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين . وذلك أيضاً حسن فالفرار مما لايطاق من سنن الأنبياء والمرسلين .

ومما يجب الهرب منه الولاية والجاه وكثرة العلائق والأسباب فإن كل ذلك يشوش فراغ القلب ، والدين لايتم إلا بقلب فارغ عن غير الله ، فإن لم يتم فراغه فلا يتصور أن يشتغل بالدين . ولا يتصور فراغ القلب فى الدنيا عن مهمات الدنيا والحاجات الضرورية ، ولكن يتصور تخفيفها وتثقيلها وقد نجا المخفون وهلك المثقلون . والحمد لله الذى لم يعلق النجاة بالفراغ المطلق عن جميع الأوزار والأعباء ، بل قبل المخف بفضله وشمله بسعة رحمته . والمخف هو الذى ليست الدنيا أكبر همه ، وذلك لايتيسر فى الوطن لمن اتسع جاهه وكثرت علائقه ، فلايتم مقصوده إلا بالغربة والخمول وقطع العلائق التى لابد عنها حتى يروض نفسه مدة مديدة . ثم ربما يمده الله بمعونته فينعم عليه بما يقوى به يقينه ويطمئن به قلبه فيستوى عنده الحضر والسفر ويتقارب عنده وجود الأسباب والعلائق وعدمها فلا يصده شيء منها عما هو بصدده من ذكر الله ، وذلك مما يعز وجوده جدا بل الغالب على القلوب الضعف والقصور عن الاتساع للخلق والخالق ، وإنما يسعد بهذه القوة الأنبياء والأولياء . والوصول إليها بالكسب شديد وإن كان للاجتهاد والكسب فيها مدخل أيضا . ومثال تفاوت القوة الباطنة فيه كتفاوت القوة الظاهرة فى الأعضاء ، فرب رجل قوى ذى مرة سوى شديد الأعصاب محكم البنية يستقل بحمل ماوزنه ألف رطل مثلا ، فلو أراد الضعيف المريض أن ينال رتبته بممارسة الحمل والتدريج فيه قليلا قليلا لم يقدر عليه ، ولكن الممارسة والجهد يزيد فى قوته زيادة ما وإن كان ذلك لايبلغه درجته فلا ينبغى أن يترك الجهد عند اليأس عن الرتبة العليا فإن ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال . وقد كان من عادة السلف رضى الله عنهم مفارقة الوطن خيفة من الفتن . وقال سفيان الثورى : هذا زمان سوء لايؤمن فيه على الخامل فكيف على المشتهرين ؟ هذا زمان رجل ينتقل من بلد إلى بلد كلما عرف فى موضع تحول إلى غيره . وقال أبو نعيم : رأيت سفيان الثورى وقد علق قلته بيده ووضع جرابه على ظهره فقلت : إلى أين ياأبا عبد الله ؟ قال : بلغنى عن قرية فيها رخص أريد أن أقيم بها ، فقلت له : وتفعل هذا ؟ قال : نعم إذا بلغك أن قرية فيها رخص فأقم بها فإنه أسلم لدينك وأقل لهمك وهذا هرب من غلاء السعر . وكان سرى السقطى يقول للصوفية : إذا خرج الشتاء فقد خرج أذار وأورقت الأشجار وطاب الانتشار فانتشروا . وقد كان الخواص لايقيم ببلد أكثر من أربعين يوما . وكان من المتوكلين ويرى الإقامة اعتماداً على الأسباب قادحا فى التوكل . وسيأتى أسرار

الاعتماد على الأسباب فى كتاب التوكل إن شاء الله تعالى .

القسم الرابع : السفر هرباً مما يقدح فى البدن كالطاعون ، أو فى المال كغلاء السعر أو مايجرى مجراه . ولا حرج فى ذلك بل ربما يجب الفرار فى بعض المواضع ، وربما يستحب فى بعض بحسب وجوب مايترتب عليه من الفوائد واستحبابه ، ولكن يستثنى منه الطاعون فلا ينبغى أن يفر منه لورود النهى فيه . قال أسامة بن زيد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هذا الوجع - أو السقم - رجز عذب به بعض الأمم قبلكم ، ثم بقى بعد فى الأرض منه [1] » وقالت عائشة رضى الله عنها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فناء أمتى بالطعن والطاعون فقلت : هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون ؟ قال : غدة كغدة البعير تأخذهم فى مراقهم ، المسلم الميت منه شهيد والمقيم عليه المحتسب كالمرابط فى سبيل الله ، والفار منه كالفار من الزحف [2] » وعن مكحول عن أم أيمن قالت . أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه ، لاتشرك بالله شيئاً وإن عذبت أو حرقت وأطع والديك وإن أمراك أن تخرج من كل شىء هو لك فاخرج منه . ولاتترك الصلاة عمداً فإن من ترك الصلاة عمداً فقد برئت ذمة الله منه ، وإياك والخمر فإنها مفتاح كل شر : وإياك والمعصية فإنها تسخط الله ، ولاتفر من الزحف ، وإن أصاب الناس موتان وأنت فيهم فاثبت فيهم ، أنفق من طولك على أهل بيتك ولاترفع عصاك عنهم أخفهم بالله [3] » فهذه الأحاديث تدل على أن الفرار من الطاعون منهى عنه وكذلك القدوم عليه . وسيأتى شرح ذلك فى كتاب التوكل .

فهذه أقسام الأسفار وقد خرج منه أن السفر ينقسم إلى مذموم وإلى محمود وإلى مباح . والمذموم ينقسم إلى حرام كإباق العبد وسفر العاق ، وإلى مكروه كالخروج من بلد الطاعون . والمحمود ينقسم إلى واجب كالحج وطلب العلم الذى هو فريضة على كل مسلم ، وإلى مندوب إليه كزيارة العلماء وزيارة مشاهدهم . ومن هذه الأسباب تتبين النية فى السفر فإن معنى النية الانبعاث للسبب الباعث والانتهاض لإجابة الداعية . ولتكن نيته الآخرة فى جميع أسفاره ، وذلك ظاهر فى الواجب والمندوب ؛ ومحال فى المكروه والمحظور .

وأما المباح فمرجعه إلى النية . فمهما كان قصده بطلب المال مثلا التعفف عن السؤال ورعاية ستر المروءة على الأهل والعيال والتصدق بما يفضل عن مبلغ الحاجة صار هذا المباح بهذه النية من أعمال الآخرة . ولو خرج إلى الحج وباعثه الرياء والسمعة لخرج عن كونه من أعمال الآخرة لقوله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات [4] » فقوله صلى الله عليه وسلم الأعمال بالنيات عام فى الواجبات والمندوبات والمباحات دون المحظورات فإن النية لاتؤثر فى إخراجها عن كونها من المحظورات : وقد قال بعض السلف : إن الله تعالى قد وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون إلى مقاصدهم فيعطى كل واحد على قدر نيته . فمن كانت نيته الدنيا أعطى منها ونقص من آخرته أضعافه ؛ وفرق عليه همه وكثر بالحرص والرغبة شغله . ومن كانت نيته الآخرة أعطى من البصيرة والحكمة والفطنة وفتح له من التذكرة والعبرة بقدر نيته وجمع له همه ودعت له الملائكة واستغفرت له .

وأما النظر فى أن السفر هو الأفضل أو الإقامة ، فذلك يضاهى النظر فى أن الأفضل هو العزلة أو المخالطة ؟

---

(١) حديث أسامة بن زيد « إن هذا الوجع أو السقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم ... الحديث » متفق عليه واللفظ لمسلم .
(٢) حديث عائشة « إن فناء أمتى بالطعن والطاعون ... الحديث » رواه أحمد وابن عبد البر فى التمهيد بإسناد جيد .
(٣) حديث أم أيمن : أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أهله « لاتشرك بالله شيئاً وإن حرقت بالنار » أخرجه البيهقى وقال فيه إرسال . (٤) حديث « الأعمال بالنيات » متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم .

وقد ذكر منهاجه فى كتاب العزلة فليفهم هذا منه فإن السفر نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة تفرق الهم وتشتت القلب فى حق الأكثرين . والأفضل فى هذا ماهو الأعون على الدين : ونهاية ثمرة الدين فى الدنيا تحصيل معرفة الله تعالى وتحصيل الأنس بذكر الله تعالى ، والأنس يحصل بدوام الذكر ، والمعرفة تحصل بدوام الفكر . ومن لم يتعلم طريق الفكر والذكر لم يتمكن منهما . والسفر هو المعين على التعلم فى الابتداء . والإقامة هى المعينة على العمل بالعلم فى الانتهاء . وأما السياحة فى الأرض على الدوام فمن المشوشات للقلب إلا فى حق الأقوياء ، فإن المسافر وماله لعلى قلق إلا ما وقى الله ، فلا يزال المسافر مشغول القلب تارة بالخوف على نفسه وماله ، وتارة بمفارقة ماألفه واعتاده فى إقامته . وإن لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يخلو عن الطمع والاستشراف إلى الخلق فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر ، وتارة يقوى باستحكام أسباب الطمع . ثم الشغل بالحط والترحال مشوش لجميع الأحوال ، فلا ينبغى أن يسافر المريد إلا فى طلب علم أومشاهدة شيخ يقتدى به فى سيرته وتستفاد الرغبة فى الخير من مشاهدته ، فإن اشتغل بنفسه واستبصروانفتح له طريق الفكر أوالعمل فالسكون أولى به ، إلا أن أكثر متصوفة هذه الأعصار ـ لما خلت بواطنهم عن لطائف الأفكار ودقائق الأعمال ولم يحصل لهم أنس بالله تعالى وبذكره فى الخلوة وكانوا بطالين غير محترفين ولا مشغولين ـ قد ألفوا البطالة واستثقلوا العمل ، واستوعروا طريق الكسب واستلانوا جانب السؤال والكدية ، واستطابوا الرباطات المبنية لهم فى البلاد ، واستسخروا الخدم المنتصبين للقيام بخدمة القوم واستخفوا عقولهم وأديانهم : من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة إلا الرياء والسمعة وانتشار الصيت واقتناص الأموال بطريق السؤال تعللا بكثرة الأتباع ، فلم يكن لهم فى الخانقاهات حكم ناقذ ، ولا تأديب للمريدين نافع ، ولا حجر عليهم قاهر ، فبسوا المرقعات واتخذوا فى الخانقاهات متنزهات ، وربما تلقفوا ألفاظا مزخرفة من أهل الطامات ، فينظرون إلى أنفسهم وقد تشبهوا بالقوم فى خرقتهم وفى سياحتهم وفى لفظهم وعبارتهم وفى آداب ظاهرة من سيرتهم ، فيظنون بأنفسهم خيرا ويحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ويعتقدون أن كل سوداء تمرة ، ويتوهمون أنّ المشاركة فى الظاهر توجب المساهمة فى الحقائق وهيهات ! فما أغزر حماقة من لايميزبين الشحم والورم ؟ فهؤلاء بغضاء الله فإن الله تعالى يبغض الشاب الفارغ . ولم يحملهم على السياحة إلا الشباب والفراغ ، إلا من سافر لحج أو عمرة فى غير رياء ولاسمعة ، أو سافر لمشاهدة شيخ يقتدى به فى علمه وسيرته وقد خلت البلاد عنه الآن . والأمور الدينية كلها قد فسدت وضعفت إلا التصوف فإنه قد انمحق بالكلية وبطل ، لأنّ العلوم لم تندرس بعد ، والعالم وإن كان عالم سوء فإنما فساده فى سيرته لافى علمه ، فيبقى عالما غير عامل بعلمه ، والعمل غير العلم . وأما التصوف فهو عبارة عن تجرد القلب لله تعالى واستحقار ماسوى الله . وحاصله يرجع إلى عمل القلب والجوارح . ومهما فسد العمل فات الأصل . وفى أسفار هؤلاء نظر للفقهاء من حيث إنه إتعاب للنفس بلافائدة ، وقد يقال إنّ ذلك ممنوع . ولكن الصواب عندنا أن نحكم بالإباحة فإنّ حظوظهم التفرج عن كرب البطالة بمشاهدة البلاد المختلفة ، وهذه الحظوظ وإن كانت خسيسة فنفوس المتحركين لهذه الحظوظ أيضا خسيسة ، ولابأس بإتعاب حيوان خسيس لحظ خسيس يليق به ويعود إليه ، فهو المتأذى والمتلذذ . والفتوى تقتضى تشتيت العوام فى المباحات التى لا نفع فيها ولاضرر : فالسابحون فى غير مهم فى الدين والدنيا بل لمحض التفرج فى البلاد كالبهائم المترددة فى الصحارى فلا بأس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم ولم يلبسوا على الخلق حالهم ، وإنما عصيانهم فى التلبيس والسؤال على اسم التصوف والأكل من الأوقاف التى وقفت على الصوفية ، لأنّ الصوفى عبارة عن رجل صالح عدل فى دينه مع صفات أخر

وراء الصلاح ، ومن أقل صفات أحوال هؤلاء أكلهم أموال السلاطين ، وأكل الحرام من الكبائر فلا تبقى معه العدالة والصلاح ، ولو تصوّر صوفى فاسق لتصور صوفى كافر وفقيه يهودى . وكما أن الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفى عبارة عن عدل مخصوص لا يقتصر فى دينه على القدر الذى يحصل به العدالة . وكذلك من نظر إلى ظواهرهم ولم يعرف بواطنهم وأعطاهم من ماله على سبيل التقرب إلى الله تعالى حرم عليهم الأخذ وكان ما أكلوه سحتا ، وأعنى به إذا كان المعطى بحيث لو عرف بواطن أحوالهم ما أعطاهم : فأخذ المال بإظهار التصوف من غير اتصاف بحقيقته كأخذه بإظهار نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الدعوى ، ومن زعم أنه علوى وهو كاذب وأعطاه مسلم مالا لحبه أهل البيت ولو علم أنه كاذب لم يعطه شيئا فأخذه على ذلك حرام ، وكذلك الصوفى . ولهذا احترز المحتاطون عن الأكل بالدين فإن المبالغ فى الاحتياط لدينه لا ينفك فى باطنه عن عورات لو انكشفت للراغب فى مواساته لفترت رغبته عن المواساة . فلا جرم كانوا لا يشترون شيئا بأنفسهم مخافة أن يسامحوا لأجل دينهم فيكونوا قد أكلوا بالدين . وكانوا يوكلون من يشترى لهم ويشترطون على الوكيل أن لا يظهر أنه لمن يشترى . نعم إنما يحل أخذ ما يعطى لأجل الدين إذا كان الآخذ بحيث لو علم المعطى من باطنه ما يعلمه الله تعالى لم يقتض ذلك فتورا فى رأيه فيه ، والعاقل المنصف يعلم من نفسه أن ذلك ممتنع أو عزيز ؛ والمغرور الجاهل بنفسه أحرى بأن يكون جاهلا بأمر دينه : فإن أقرب الأشياء إلى قالبه قلبه فإذا التبس عليه أمر قلبه فكيف ينكشف له غيره ؟ ومن عرف هذه الحقيقة لزمه لا محالة أن لا يأكل إلا من كسبه ليأمن من هذه الغائلة ، أو لا يأكل إلا من مال من يعلم قطعا أنه لو انكشف له عورات باطنه لم يمنعه ذلك عن مواساته . فإن اضطر طالب الحلال ومريد طريق الآخرة إلى أخذ مال غيره فليصرح له ، وليقل إنك إن كنت تعطينى لما تعتقده فى من الدين فلست مستحقا لذلك ، ولو كشف الله تعالى سترى لم ترنى بعين التوقير ، بل اعتقدت أنى شر الخلق أو من شرارهم ، فإن أعطاه مع ذلك فليأخذ ، فإنه ربما يرضى منه هذه الخصلة وهو اعترافه على نفسه بركاكة الدين وعدم استحقاقه لما يأخذه . ولكن ههنا مكيدة للنفس بينة ومخادعة فليتفطن لها ، وهو أنه قد يقول ذلك مظهرا أنه متشبه بالصالحين فى ذمهم نفوسهم واستحقارهم لها ونظرهم إليها بعين المقت والازدراء ، فتكون صورة الكلام صورة القدح والازدراء وباطنه وروحه هو عين المدح والإطراء ، فكم من ذام نفسه وهو لها مادح بعين ذمه ، فذم النفس فى الخلوة مع النفس هو المحمود . وأما الذم فى الملأ فهو عين الرياء إلا إذا أورده إيرادا يحصل للمستمع يقينا بأنه مقترف للذنوب ومعترف بها . وذلك مما يمكن تفهيمه بقرائن الأحوال ويمكن تلبيسه بقرائن الأحوال . والصادق بينه وبين الله تعالى يعلم أن مخادعته لله عز وجل أو مخادعته لنفسه محال ، فلا يتعذر عليه الاحتراز عن أمثال ذلك . فهذا هو القول فى أقسام السفر ونية المسافر وفضيلته .

الفصل الثانى

فى آداب المسافر من أول نهوضه إلى آخر رجوعه وهى أحد عشر آدابا

الأول : أن يبدأ برد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لمن تلزمه نفقته ، وبرد الودائع إن كانت عنده ولا يأخذ لزاده إلا الحلال الطيب ، وليأخذ قدرا يوسع به على رفقائه . قال ابن عمر رضى الله عنهما من كرم الرجل طيب زاده فى سفره . ولا بد فى السفر من طيب الكلام وإطعام الطعام وإظهار مكارم الأخلاق فى السفر ، فإنه يخرج خبايا الباطن . ومن صلح لصحبة السفر صلح لصحبة الحضر : وقد يصلح فى الحضر من لا يصلح فى السفر . ولذلك

قيل : إذا أثنى على الرجل معاملوه فى الحضر ورفقاؤه فى السفر فلا تشكوا فى صلاحه . والسفر من أسباب الضجر ، ومن أحسن خلقه فى الضجر فهو الحسن الخلق ، وإلا فعند مساعدة الأمور على وفق الغرض قلما يظهر سوء الخلق .

وقد قيل ثلاثة لا يلامون على الضجر : الصائم والمريض والمسافر ، وتمام حسن خلق المسافر الإحسان إلى المكارى ومعاونة الرفقة بكل ممكن والرفق بكل منقطع بأن لا يجاوزه إلا بالإعانة بمركوب أو زاد أو توقف لأجله . وتمام ذلك مع الرفقاء بمزاح ومطايبة فى بعض الأوقات من غير فحش ولا معصية ليكون ذلك شفاء لضجر السفر ومشاقه .

الثانى : أن يختار رفيقا فلا يخرج وحده ، فالرفيق ثم الطريق . وليكن رفيقه ممن يعينه على الدين فيذكره إذا نسى ويعينه ويساعده إذا ذكر ، فإن المرء على دين خليله ولا يعرف الرجل إلا برفيقه . وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن أن يسافر الرجل وحده [1] وقال « الثلاثة نفر » [2] وقال أيضا « إذا كنتم ثلاثة فى السفر فأمروا أحدكم [3] » وكانوا يفعلون ذلك ويقولون : هذا أميرنا أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم [4] . وليؤمروا أحسنهم أخلاقا وأرفقهم بالأصحاب وأسرعهم إلى الإيثار وطلب الموافقة . وإنما يحتاج إلى الأمير لأن الآراء تختلف فى تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر ، ولا نظام إلا فى الوحدة ولا فساد إلا فى الكثرة . وإنما انتظم أمر العالم لأن مدبر الكل واحد ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ ومهما كان المدبر واحدا انتظم أمر التدبير . وإذا كثر المدبرون فسدت الأمور فى الحضر والسفر ، إلا أن مواطن الإقامة لا تخلو عن أمير عام كأمير البلد . وأمير خاص كرب الدار . وأما السفر فلا يتعين له أمير إلا بالتأمير . فلهذا وجب التأمير ليجتمع شتات الآراء . ثم على الأمير أن لا ينظر إلا لمصلحة القوم وأن يجعل نفسه وقاية لهم ، كما نقل عن عبد الله المروزى أنه صحبه أبو على الرباطى فقال : على أن تكون أنت الأمير أو أنا ، فقال : بل أنت ، فلم يزل يحمل الزاد لنفسه ولأبى على على ظهره فأمطرت السماء ذات ليلة فقام عبد الله طول الليل على رأس رفيقه وفى يده كساء يمنع عنه المطر فكلما قال له عبد الله : لا تفعل ، يقول ، ألم تقل إن الإمارة مسلمة لى ؟ فلا تتحكم على ولا ترجع عن قولك : حتى قال أبو على : وددت أنى مت ولم أقل له أنت الأمير ، فهكذا ينبغى أن يكون الأمير . وقد قال صلى الله عليه وسلم « خير الأصحاب أربعة [5] » وتخصيص الأربعة من بين سائر الأعداد لابد أن يكون له فائدة ، والذى ينقدح فيه أن المسافر لا يخلو عن رجل يحتاج إلى حفظه وعن حاجة يحتاج إلى التردد فيها « ولو كانوا ثلاثة لكان المتردد فى الحاجة واحدا فيبقى فى السفر بلا رفيق ، فلا يخلو عن خطر وعن ضيق قلب لفقد أنس الرفيق ، ولو تردد فى الحاجة اثنان لكان الحافظ للرحل واحدا ، فلا يخلو أيضا عن الخطر وعن ضيق الصدر . فإذن ما دون الأربعة لا يفى بالمقصود ، وما فوق الأربعة يزيد فلا تجمعهم رابطة واحدة فلا ينعقد بينهم الترافق ، لأن الخامس زيادة بعد الحاجة ، ومن يستغنى عنه لا تنصرف الهمة إليه فلا تتم المرافقة معه . نعم فى كثرة الرفقاء فائدة للأمن من المخاوف

---

(١) حديث : النهى عن أن يسافر الرجل وحده . أخرجه أحمد من حديث ابن عمر بسند صحيح وهو عند البخارى بلفظ « لو يعلم الناس ما فى الوحدة ما سار راكب بليل وحده » . (٢) حديث « الثلاثة نفر » رويناه من حديث على فى وصيته المشهورة وهو حديث موضوع والمعروف « الثلاثة ركب » رواه أبو داود والترمذى وحسنه النسائى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . (٣) حديث « إذا كنتم ثلاثة فأمروا أحدكم » أخرجه الطبرانى من حديث ابن مسعود بإسناد حسن .

(٤) حديث : كانوا يفعلون ذلك ويقولون هو أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم . أخرجه البزار والحاكم عن عمر أنه قال : إذا كنتم ثلاثة فى سفر فأمروا عليكم أحدكم ذا أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين . (٥) حديث « خير الأصحاب أربعة » أخرجه أبو داود والترمذى والحاكم من حديث ابن عباس قال الترمذى حسن غريب وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين .

ولكن الأربعة خير للرفاقة الخاصة لا للرفاقة العامة . وكم من رفيق فى الطريق عند كثرة الرفاق لا يكلم ولا يخالط إلى آخر الطريق للاستغناء عنه .

الثالث : أن يودع رفقاء الحضر والأهل والأصدقاء : وليدع عند الوداع بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال بعضهم : صحبت عبد الله بن عمر رضى الله عنهما من مكة إلى المدينة حرسها الله ، فلما أردت أن أفارقه شيعنى وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال لقمان إن الله تعالى إذا استودع شيئا حفظه وإنى أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك [1] » وروى زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا أراد أحدكم سفراً فليودع إخوانه فإن الله تعالى جاعل له فى دعائهم البركة [2] » وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ودع رجلا قال « زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك إلى الخير حيث توجهت [3] » فهذا دعاء المقيم للمودع . وقال موسى بن وردان : أتيت أبا هريرة رضى الله عنه أودعه لسفر أردته . فقال ألا أعلمك يا ابن أخى شيئاً علمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الوداع ، فقلت بلى قال قل « أستودعك الله الذى لا تضيع ودائعه [4] » وعن أنس بن مالك رضى الله عنه : أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنى أريد سفراً فأوصنى فقال له « فى حفظ الله وفى كنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث كنت أو أينما كنت [5] » شك فيه الراوى .

وينبغى إذا استودع الله تعالى ما يخلفه أن يستودع الجمع ولا يخصص . فقد روى أن عمر رضى الله عنه كان يعطى الناس عطاياهم إذ جاءه رجل معه ابن له فقال له عمر : ما رأيت أشبه بأحد من هذا بك ؟ فقال له الرجل : أحدثك عنه يا أمير المؤمنين بأمر ، إنى أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل به فقالت : تخرج وتدعنى على هذه الحالة ؟ فقلت : أستودع الله ما فى بطنك ، فخرجت ثم قدمت فإذا هى قد ماتت « فجلسنا نتحدث فإذا نار على قبرها فقلت للقوم : ما هذه النار ؟ فقالوا : هذه النار من قبر فلانة نراها كل ليلة ، فقلت : والله إنها كانت لصوامة قوامة ، فأخذت المعول حتى انتهينا إلى القبر فحفرنا فإذا سراج وإذا هذا الغلام يدب ، فقيل لى إن هذه وديعتك ولو كنت استودعت أمه لوجدتها ، فقال عمر رضى الله عنه : لهو أشبه بك من الغراب بالغراب .

الرابع : أن يصلى قبل سفره صلاة الاستخارة كما وصفناها فى كتاب الصلاة . ووقت الخروج يصلى لأجل السفر ، فقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه ، أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنى نذرت سفرا وقد كتبت وصيتى فإلى أى الثلاثة أدفعها ؟ إلى ابنى أم أخى أم أبى : فقال النبى صلى الله عليه وسلم « ما استخلف عبد فى أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصليهن فى بيته إذا شد عليه ثياب سفره ، يقرأ فيهن بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ثم يقول : اللهم إنى أتقرب بهن إليك فاخلفنى بهن فى أهلى ومالى فهى خليفته فى أهله وماله وحرز حول داره حتى يرجع إلى أهله [6] » .

---

(١) حديث ابن عمر : قال لقمان إن الله إذا استودع شيئاً حفظه وإنى أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك . أخرجه النسائى فى اليوم والليلة ورواه أبو داود مختصراً وإسناده جيد . (٢) حديث زيد بن أرقم « إذا أراد أحدكم سفراً فليودع إخوانه فإن الله جاعل له فى دعائهم البركة » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف . (٣) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : كان إذا ودع رجلا قال زودك الله التقوى . رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق والمحاملى فى الدعاء وفيه ابن لهيعة .

(٤) حديث أبى هريرة : أستودعك الله الذى لا تضيع ودائعه . أخرجه ابن ماجه والنسائى فى اليوم والليلة بإسناد حسن .

(٥) حديث أنس « فى حفظ الله وفى كنفه زودك الله التقوى ... الحديث » تقدم فى الحج فى الباب الثانى . (٦) حديث أنس : أن رجلا قال إنى نذرت سفراً وقد كتبت وصيتى فإلى أى الثلاثة أدفعها ؟ إلى أبى أم أخى أم امرأتى فقال « ما استخلف عبد فى أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات ... الحديث » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق وفيه من لا يعرف .

الخامس : إذا حصل على باب الدار فليقل : بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على ، فإذا مشى قال : اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت وإليك توجهت اللهم أنت ثقتى وأنت رجائى فاكفنى ماأهمنى وما لا أهتم به وماأنت أعلم به منى عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اللهم زودنى التقوى واغفر لى ذنبى ووجهنى للخير أينما توجهت . وليدع بهذا الدعاء فى كل منزل يرحل عنه . فإذا ركب الدابة فليقل : بسم الله وبالله والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون . فإذا استوت الدابة تحته فليقل ﴿ الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾ اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور .

السادس : أن يرحل عن المنزل بكرة . روى جابر : أن النبى صلى الله عليه وسلم رحل يوم الخميس وهو يريد تبوك وقال « اللهم بارك لأمتى فى بكورها [1] : ويستحب أن يبتدئ بالخروج يوم الخميس ، فقد روى عبدالله بن كعب بن مالك عن أبيه قال : قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس [2] . وروى أنس : أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم بارك لأمتى فى بكورها يوم السبت » وكان صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية بعثها أول النهار [3] . وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم بارك لأمتى فى بكورها يوم خميسها [4] » وقال عبد الله بن عباس : إذا كان لك إلى رجل حاجة فاطلبها منه نهارا ولا تطلبها ليلا واطلبها بكرة ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم بارك لأمتى فى بكورها [5] » .

ولا ينبغى أن يسافر بعد طلوع الفجر من يوم الجمعة فيكون عاصيا بترك الجمعة ، واليوم منسوب إليها - فكان أوله من أسباب وجوبها . والتشييع للوداع مستحب وهو سنة قال صلى الله عليه وسلم « لأن أشيع مجاهدا فى سبيل الله فأكتنفه على رحله غدوة أو روحة أحب إلى الدنيا وما فيها [6] » .

السابع : أن لا ينزل حتى يحمى النهار فهى السنة ويكون أكثر سيره بالليل . قال صلى الله عليه وسلم « عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار [7] » ومهما أشرف على المنزل فليقل : اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وماذرين ورب البحار وماجرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر مافيه اصرف عنى شر شرارهم . فإذا نزل المنزل فليصل فيه ركعتين ثم ليقل : اللهم إنى أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ماخلق . فإذا جن عليه الليل فليقل : ياأرض ! ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك ومن شر مافيك وشر مادب عليك أعوذ بالله

---

(١) حديث جابر : أنه صلى الله عليه وسلم رحل يوم الخميس يريد تبوك وقال « اللهم بارك لأمتى فى بكورها » رواه الخرائطى وفى السنن الأربعة من حديث صخر العامرى « اللهم بارك لأمتى فى بكورها » قال الترمذى حديث حسن . (٢) حديث كعب ابن مالك : قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس والسبت » أخرجه البزار مقتصراً على يوم خميسها والخرائطى مقتصراً على يوم السبت وكلاهما ضعيف . (٣) حديث : كان إذا بعث سرية بعثها أول النهار . أخرجه الأربعة من حديث صخر العامرى وحسنه الترمذى . (٤) حديث أبى هريرة « اللهم بارك لأمتى فى بكورها يوم خميسها » أخرجه ابن ماجه والخرائطى فى مكارم الأخلاق واللفظ له وقال ابن ماجه « يوم الخميس » وكلا الإسنادين ضعيف . (٥) حديث ابن عباس : إذا كانت لك الى رجل حاجة فاطلبها اليه نهارا ... الحديث أخرجه البزار والطبرانى فى الكبير والخرائطى فى مكارم الأخلاق واللفظ له واسناده ضعيف . (٦) حديث « لأن أشيع مجاهداً فى سبيل الله فأكتنفه على رحله غدوة أو روحة أحب الى من الدنيا ومافيها » رواه ابن ماجه بسند ضعيف من حديث معاذ بن أنس . (٧) حديث « عليكم بالدلجة .. الحديث . تقدم » فى الباب الثانى من الحج .

من شر كل أسد وأسود وحية وعقرب ومن شر ساكنى البلد ووالد وما ولد ﴿ وله ماسكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم ﴾ ومهما علا شرفا من الأرض فى وقت السير فينبغى ان يقول : اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ، ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة فى سفره قال : سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت .

الثامن : أن يحتاط بالنهار فلا يمشى منفردا خارج القافلة ـ لأنه ربما يغتال أو ينقطع ـ ويكون بالليل متحفظا عند النوم . كان صلى الله عليه وسلم إذا نام فى ابتداء الليل فى السفر افترش ذراعيه وإن نام فى آخر الليل نصب ذراعيه نصبا وجعل رأسه فى كفه [1] . والغرض من ذلك أن لا يستثقل فى النوم فتطلع الشمس وهو نائم لا يدرى فيكون مايفوته من الصلاة أفضل مما يطلبه بسفره .

والمستحب بالليل أن يتناوب الرفقاء فى الحراسة فإذا نام واحد حرس آخر [2] فهذه السنة . ومهما قصده عدو أو سبع فى ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسى وشهد الله وسور الإخلاص والمعوذتين . وليقل : بسم الله ماشاء الله لا قوة إلا بالله حسبى الله توكلت على الله ما شاء الله لا يأتى بالخيرات إلا الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله حسبى الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولادون الله ملجأ ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز ﴾ تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحى القيوم الذى لا يموت اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام واكنفنا بركنك الذى لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم أعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة إنك أنت أرحم الراحمين .

التاسع : أن يرفق بالدابة إن كان راكبا فلا يحملها مالا تطيق . ولا يضربها فى وجهها فإنه منهى عنه ، ولا ينام عليها فإنه يثقل بالنوم وتتأذى به الدابة كان أهل الورع لاينامون على الدواب إلا غفوة : وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسى [3] ويستحب أن ينزل عن الدابة غدوة وعشية يروحها بذلك [4] فهو سنة وفيه آثار عن السلف .

وكان بعض السلف يكترى بشرط أن لاينزل ويوفى الأجرة . ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا إلى الدابة فيوضع فى ميزان حسناته لافى ميزان حسنات المكارى . ومن آذى بهيمة بضرب أوحمل مالا تطيق طولب به يوم القيامة إذ فى كل كبد حراء أجر . قال أبو الدرداء رضى الله عنه لبعير له عند الموت : أيها البعير لاتخاصمنى إلى ربك فإنى لم أك أحملك فوق طاقتك . وفى النزول ساعة صدقتان ، إحداهما : ترويح الدابة : والثانية : إدخال السرور على قلب المكارى . وفيه فائدة أخرى وهى رياضة البدن وتحريك الرجلين . والحذر من خدر الأعضاء بطول الركوب .

وينبغى أن يقرر مع المكارى مايحمله عليها شيئا شيئا ويعرضه عليه ، ويستأجر الدابة بعقد صحيح لئلا يثور بينهما نزاع يؤذى القلب ويحمل على الزيادة فى الكلام ، فما يلفظ العبد من قول إلا لديه رقيب عتيد . فليحترز عن كثرة الكلام واللجاج مع المكارى ، فلاينبغى أن يحمل فوق المشروط شيئا وإن خف . فإن القليل يجر الكثير ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه . قال رجل لابن المبارك وهو على دابة : احمل لى هذه الرقعة إلى فلان ، فقال : حتى استأذن المكارى فإنى لم أشارطه على هذه الرقعة . فانظر كيف لم يلتفت إلى قول الفقهاء إن هذا مما يتسامح فيه ولكن

---

(١) حديث : كان اذا نام فى ابتداء الليل فى السفر افترش ذراعيه ... الحديث » تقدم فى الحج . (٢) حديث تناوب الرفقاء فى الحراسة . تقدم فى الحج فى الباب الثانى . (٣) حديث « لاتتخذوا ظهور دوابكم كراسى » تقدم فى الباب الثالث من الحج . (٤) حديث : النزول عن الدابة غدوة وعشية : تقدم فيه .

سلك طريق الورع ؟

العاشر : ينبغى أن يستصحب ستة أشياء . قالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول صلى الله عليه وسلم إذا سافر حمل معه خمسة أشياء . المرآة والمكحلة والمقراض والسواك والمشط [١] » وفى رواية أخرى عنها ، ستة أشياء : المرآة والقارورة والمقراض والسواك والمكحلة والمشط . وقالت أم سعد الأنصارية : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايفارقه فى السفر المرآة والمكحلة [٢] وقال صهيب قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « عليكم بالإثمد عند مضجعكم فإنه مما يزيد فى البصر وينبت الشعر [٣] » وروى أنه كان يكتحل ثلاثا ثلاثا ، وفى رواية : انه اكتحل لليمنى ثلاثا ولليسرى ثنتين [٤] وقد زاد الصوفية الركوة والحبل . وقال بعض الصوفية : إذا لم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل على نقصان دينه . وإنما زادوا هذا لما رأوه من الاحتياط فى طهارة الماء وغسل الثياب ، فالركوة لحفظ الماء الطاهر ، والحبل لتجفيف الثوب المغسول ولنزع الماء من الآبار . وكان الأولون يكتفون بالتيمم ويغنون أنفسهم عن نقل الماء . ولايبالون بالوضوء من الغدران ومن المياه كلها مالم يتيقنوا نجاستها حتى توضأ عمر رضى الله عنه من ماء فى جرة نصرانية . وكانوا يكتفون بالأرض والجبال عن الحبل فيفرشون الثياب المغسولة عليها . فهذه بدعة إلا أنها بدعة حسنة ، وإنما البدعة المذمومة ماتضاد السنن الثابتة ، وأما ما يعين على الاحتياط فى الدين فمستحسن .

وقد ذكرنا احكام المبالغة فى الطهارات فى كتاب الطهارة . وأن المتجرد لأمر الدين لاينبغى أن يؤثر طريق الرخصة بل يحتاط فى الطهارة ما لم يمنعه ذلك عن عمل أفضل منه .

وقيل كان الخواص من المتوكلين وكان لايفارقه أربعة أشياء فى السفر والحضر : الركوة والحبل والإبرة بخيوطها والمقراض ، وكان يقول : هذه ليست من الدنيا .

الحادى عشر : فى آداب الرجوع من السفر : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة أو غيره يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول « لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده [٥] » وإذا أشرف على مدينته فليقل : اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا . ثم ليرسل إلى أهله من يبشرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فيرى ما يكرهه ، ولا ينبغى له أن يطرقهم ليلا [٦] فقد ورد النهى عنه . وكان صلى الله عليه وسلم إذا قدم دخل المسجد اولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت [٧] وإذا دخل قال « توبا توبا لربنا أوبا أوبا لا يغادر علينا حوبا [٨] » .

---

(١) حديث عائشة : كان اذا سافر حمل معه خمسة أشياء : المرآة والمكحلة والمدرى والسواك والمشط . وفى رواية : ستة أشياء . أخرجه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى سننه والخرائطى فى مكارم الأخلاق واللفظ له وطرقه كلها ضعيفة .

(٢) حديث أم سعد الأنصارية : كان لايفارقه فى السفر المرآة والمكحلة . رواه الخرائطى واسناده ضعيف .

(٣) حديث صهيب : عليكم بالإثمد عند مضجعكم فانه يزيد فى البصر وينبت الشعر . أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف وهو عند الترمذى وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث ابن عباس وصححه ابن عبد البر وقال الخطابى صحيح الإسناد .

(٤) حديث : كان يكتحل لليمنى ثلاثا ولليسرى ثنتين . أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عمر بسند لين .

(٥) حديث : كان اذا قفل من حج أو غزو أو غيره يكبر ... الحديث تقدم فى الحج . (٦) حديث : النهى عن طروق الأهل ليلا . تقدم . (٧) حديث : كان اذا قدم من سفر دخل المسجد أولا وصلى ركعتين . تقدم . (٨) حديث : كان اذا دخل قال « توبا توبا لربنا أوبا أوبا لايغادر علينا حوبا » أخرجه ابن السنى فى اليوم والليلة والحاكم من حديث ابن عباس وقال صحيح على شرط الشيخين .

وينبغى أن يحمل لأهل بيته وأقاربه تحفة من مطعوم أو غيره على قدر إمكانه فهو سنة . فقد روى : أنه إن لم يجد شيئا فليضع فى مخلاته حجرا [1] وكأن هذا مبالغة فى الاستحثاث على هذه المكرمة لأن الأعين تمتد إلى القادم من السفر والقلوب تفرح به ، فيتأكد الاستحباب فى تأكيد فرحهم وإظهار التفات القلب فى السفر إلى ذكرهم بما يستصحبه فى الطريق لهم فهذه جملة من الآداب الظاهرة

وأما الآداب الباطنة : فنى الفصل الأول بيان جملة منها . وجملته أن لايسافر إلا إذا كان زيادة دينه فى السفر . ومهما وجد قلبه متغيراً إلى نقصان فيقف ولينصرف ولا ينبغى أن يجاوز همه منزله بل ينزل حيث ينزل قلبه وينوى فى دخول كل بلدة أن يرى شيوخها ويجتهد أن يستفيد من كل واحد منهم أدبا أو كلمة لينتفع بها ، لا ليحكى ذلك ويظهر أنه لقى المشايخ . ولا يقيم ببلدة أكثر من أسبوع أو عشرة أيام إلا أن يأمره الشيخ المقصود بذلك . ولا يجالس فى مدة الإقامة إلا الفقراء الصادقين . وإن كان قصده زيارة أخ فلا يزيد على ثلاثة أيام فهو حد الضيافة إلا إذا شق على أخيه مفارقته . وإذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده أكثر من يوم وليلة . ولا يشغل نفسه بالعشرة فإن ذلك يقطع بركة سفره . وكلما دخل بلداً لايشتغل بشىء سوى زيارة الشيخ بزيارة منزله ، وإن كان فى بيته فلا يدق عليه بابه ولا يستأذن عليه إلى أن يخرج ، فإذا خرج تقدم إليه بأدب فسلم عليه ، ولا يتكلم بين يديه إلا أن يسأله ، فإن سأله أجاب بقدر السؤال ، ولا يسأله عن مسألة مالم يستأذن أولا . وإذا كان فى السفر فلا يكثر ذكر أطعمة البلدان وأسخيائها ولا ذكر أصدقائه فيها ، وليذكر مشايخها وفقراءها . ولا يهمل فى سفره زيارة قبور الصالحين بل يتفقدها فى كل قرية وبلدة . ولايظهر حاجته إلا بقدر الضرورة ومع من يقدر على إزالتها . ويلازم فى الطريق الذكر وقراءة القرآن بحيث لايسمع غيره . وإذا كلمه إنسان فليترك الذكر وليجبه مادام يحدثه ثم ليرجع إلى ما كان عليه . فإن تبرمت نفسه بالسفر أو بالإقامة فليخالفها فالبركة فى مخالفة النفس . وإذا تيسرت له خدمة قوم صالحين فلا ينبغى له أن يسافر تبرما بالخدمة فذلك كفران نعمة . ومهما وجد نفسه فى نقصان عما كان عليه فى الحضر فليعلم أن سفره معلول وليرجع إذ لو كان لحق لظهر أثره . قال رجل لأبى عثمان المغربى : خرج فلان مسافرا ، فقال : السفر غربة والغربة ذلة وليس للمؤمن أن يذل نفسه ، وأشار به إلى أن من ليس له فى السفر زيادة دين فقد أذل نفسه وإلا فعز الدين لاينال إلا بذلة الغربة . فليكن سفر المريد من وطن هواه ومراده وطبعه حتى يعز فى هذه الغربة ولايذل فإن من اتبع هواه فى سفره ذل لامحالة إما عاجلا وإما آجلا .

الباب الثانى : فيما لا بد للمسافر من تعلمه
من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات

أعلم أن المسافر يحتاج فى أول سفره إلى أن يتزود لدنياه ولآخرته .

أما زاد الدنيا : فالطعام والشراب وما يحتاج إليه من نفقة . فإن خرج متوكلا من غير زاد فلا بأس به إذا كان سفره فى قافلة أو بين قرى متصلة . وإن ركب البادية وحده أو مع قوم لاطعام معهم ولاشراب فإن كان ممن يصبر على الجوع ـ أسبوعا أو عشرا مثلا ـ أو يقدر على أن يكتفى بالحشيش فله ذلك . وإن لم يكن له قوة الصبر على الجوع ولا القدرة على الاجتزاء بالحشيش فخروجه من غير زاد معصية فإنه ألقى نفسه بيده إلى التهلكة ولهذا سر سيأتى فى كتاب التوكل .

(١) حديث إطراق أهل عند القدوم ولو بحجر . أخرجه الدارقطنى من حديث عائشة بإسناد ضعيف .

وليس معنى التوكل التباعد عن الأسباب بالكلية ، ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو والحبل ونزع الماء من البئر ، ولوجب أن يصبر حتى يسخر الله له ملكا أو شخصا آخر حتى يصب الماء فى فيه . فإن كان حفظ الدلو والحبل لايقدح فى التوكل وهو آلة الوصول إلى المشروب فحمل عين المطعوم والمشروب حيث لا ينتظر له وجود أولى بأن لا يقدح فيه . وستأتى حقيقة التوكل فى موضعها فإنه يلتبس إلا على المحققين من علماء الدين .

وأما زاد الآخرة : فهو العلم الذى يحتاج إليه فى طهارته وصومه وصلاته وعبادته فلا بد وأن يتزود منه ، إذ السفر تارة يخفف عنه أمورا فيحتاج إلى معرفة القدر الذى يخففه السفر كالقصر والجمع والفطر ، وتارة يشدد عليه أمورا كان مستغنيا عنها فى الحضر كالعلم بالقبلة وأوقات الصلوات ، فإنه فى البلد يكتفى بغيره من محاريب المساجد وأذان المؤذنين وفى السفر قد يحتاج إلى أن يتعرف بنفسه . فإذن مايفتقر إلى تعلمه ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : العلم برخص السفر

والسفر يفيد فى الطهارة رخصتين : مسح الخفين والتيمم ، وفى صلاة الفرض رخصتين : القصر والجمع ، وفى النفل رخصتين : أداؤه على الراحلة وأداؤه ماشيا ، وفى الصوم رخصة واحدة وهى الفطر . فهذه سبع رخص .

الرخصة الأولى : المسح على الخفين ، قال صفوان بن عسال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا مسافرين أو سفر أن لا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن [1] فكل من لبس الخف على طهارة مبيحة للصلاة ثم أحدث فله أن يمسح على خفه من وقت حدثه ثلاثة أيام ولياليهن إن كان مسافرا ، أو يوما وليلة إن كان مقيما ولكن بخمسة شروط :

الأول : أن يكون اللبس بعد كمال الطهارة فلو غسل الرجل اليمنى وأدخلها فى الخف ثم غسل اليسرى فأدخلها فى الخف لم يجز له المسح عند الشافعى رحمه الله حتى ينزع اليمنى ويعيد لبسه .

الثانى : أن يكون الخف قويا يمكن المشى فيه ، ويجوز المسح على الخف وإن لم يكن منعلا إذ العادة جارية بالتردد فيه فى المنازل لأن فيه قوة على الجملة ، بخلاف جورب الصوفيه فإنه لايجوز المسح عليه وكذا الجرموق الضعيف .

الثالث : أن لايكون فى موضع فرض الغسل خرق ، فإن تخرق بحيث انكشف محل الفرض لم يجز المسح عليه . وللشافعى قول قديم إنه يجوز مادام يستمسك على الرجل ، وهو مذهب مالك رضى الله عنه . ولا بأس به لمسيس الحاجة إليه وتعذر الخرز فى السفر فى كل وقت . والمداس المنسوج يجوز المسح عليه مهما كان ساترا لاتبدو بشرة القدم من خلاله ، وكذا المشقوق الذى يرد على محل الشق بشرج لأن الحاجة تمس إلى جميع ذلك فلا يعتبر إلا أن يكون ساترا إلى مافوق الكعبين كيفما كان . فأما إذا ستر بعض ظهر القدم وستر الباقى باللفافة لم يجز المسح عليه .

الرابع : أن لاينزع الخف بعد المسح عليه ، فإن نزع فالأولى له استئناف الوضوء ، فإن اقتصر على غسل القدمين جاز .

الخامس : أن يمسح على الموضع المحاذى لمحل فرض الغسل لا على الساق ، وأقله مايسمى مسحا على ظهر القدم

الباب الثانى : فيما لابد المسافر من تعلمه

(١) حديث صفوان بن عسال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا مسافرين أو سفراً أن لاننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن . أخرجه الترمذى وصححه وابن ماجه والنسائى فى الكبرى وابن خزيمة وابن حبان .

من الخف . وإذا مسح بثلاث أصابع أجزأه ، والأولى أن يخرج من شبهة الخلاف وأكمله أن يمسح أعلاه وأسفله دفعة واحدة من غير تكرار [١] كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . ووصفه : أن يبل اليدين ويضع رءوس أصابع اليمنى من يده على رءوس أصابع اليمنى من رجله ويمسحه بأن يجر أصابعه إلى جهة نفسه ، ويضع رءوس أصابع يده اليسرى على عقبه من أسفل الخف ويمرها إلى رأس القدم . ومهما مسح مقيما ثم سافر أو مسافرا ثم أقام غلب حكم الإقامة فليقتصر على يوم وليلة . وعدد الأيام الثلاثة محسوب من وقت حدثه بعد المسح على الخف ، فلو لبس الخف فى الحضر ومسح فى الحضر ثم خرج وأحدث فى السفر وقت الزوال مثلا مسح ثلاثة أيام ولياليهن من وقت الزوال إلى الزوال من اليوم الرابع ، فإذا زالت الشمس من اليوم الرابع لم يكن له أن يصلى إلا بعد غسل الرجلين فيغسل رجليه ويعيد لبس الخف ، ويراعى وقت الحدث ويستأنف الحساب من وقت الحدث . ولو أحدث بعد لبس الخف فى الحضر ثم خرج بعد الحدث فله أن يمسح ثلاثة أيام لأن العادة قد تقتضى اللبس قبل الخروج ثم لا يمكن الاحتراز من الحدث . فأما إذا مسح فى الحضر ثم سافر اقتصر على مدة المقيمين .

ويستحب لكل من يريد لبس الخف فى حضر أو سفر أن ينكس الخف وينفض ما فيه حذرا من حية أو عقرب أو شوكة . فقد روى عن أبى أمامة أنه قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخفيه فلبس أحدهما ؛ فجاء غراب فاحتمل الآخر ثم رمى به فخرجت منه حية ؛ فقال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما [٢] » .

الرخصة الثانية : التيمم بالتراب بدلا عن الماء عند العذر ؛ إنما يتعذر الماء بأن يكون بعيدا عن المنزل بعدا لو مشى إليه لم يلحقه غوث القافلة إن صاح أو استغاث ، وهو البعد الذى لا يعتاده أهل المنزل - فى ترددهم لقضاء الحاجة - التردد إليه . وكذا إن نزل على الماء عدو أو سبع فيجوز التيمم وإن كان الماء قريبا . وكذا إن احتاج إليه لعطشه فى يومه أو بعد يومه لفقد الماء بين يديه فله التيمم . وكذا إن احتاج إليه لعطش أحد رفقائه فلا يجوز له الوضوء ، ويلزمه بذله إما بثمن أو بغير ثمن ولو كان يحتاج إليه لطبخ مرقة أو لحم أو لبل فتيت يجمعه به لم يجز له التيمم بل عليه أن يجتزى بالفتيت اليابس ويترك تناول المرقة . ومهما وهب له الماء وجب قبوله ، وإن وهب له ثمنه لم يجب قبوله لما فيه من المنة . وإن بيع بثمن المثل لزمه الشراء وإن بيع بغبن لم يلزمه . فإذا لم يكن معه ماء وأراد أن يتيمم فأول ما يلزمه طلب الماء مهما جوز الوصول إليه بالطلب ، وذلك بالتردد حوالى المنزل وتفتيش الرحل وطلب البقايا من الأوانى والمطاهر . فإن نسى الماء فى رحله أو نسى بئرا بالقرب منه لزمه إعادة الصلاة لتقصيره فى الطلب . وإن علم أنه سيجد الماء فى آخر الوقت فالأولى أن يصلى بالتيمم فى أول الوقت فإن العمر لا يوثق به . وأول الوقت رضوان الله .

تيمم ابن عمر رضى الله عنهما فقيل له : أتتيمم وجدران المدينة تنظر إليك ؟ فقال : أو أبق إلى أن أدخلها ؟ ومهما وجد الماء بعد الشروع فى الصلاة لم تبطل صلاته ولم يلزمه الوضوء . وإذا وجده قبل الشروع فى الصلاة لزمه الوضوء .

ومهما طلب فلم يجد فليقصد صعيدا طيبا عليه تراب يثور منه غبار ، وليضرب عليه كفيه بعد ضم أصابعهما

---

(١) حديث : مسحه صلى الله عليه وسلم على الخف وأسفله . أخرجه أبو داود والترمذى وضعفه وابن ماجه من حديث المغيرة وهكذا ضعفه البخارى وأبو زرعة .

(٢) حديث أبى أمامة « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما » رواه الطبرانى ، وفيه من لا يعرف .

ضربة فيمسح بها وجهه ، ويضرب ضربة أخرى ـ بعد نزع الخاتم ـ ويفرج الأصابع ويمسح بها يديه إلى مرفقيه فإن لم يستوعب بضربة واحدة جميع يديه ضرب ضربة أخرى ، وكيفية التلطف فيه ماذكرناه فى كتاب الطهارة فلا نعيده .

ثم إذا صلى به فريضة واحدة فله أن يتنفل ماشاء بذلك التيمم . وإن أراد الجمع بين فريضتين فعليه أن يعيد التيمم للصلاة الثانية ، فلا يصلى فريضتين إلا بتيممين . ولاينبغى أن يتيمم لصلاة قبل دخول وقتها ؛ فإن فعل وجب عليه إعادة التيمم . ولينو عند مسح الوجه : استباحة الصلاة . ولو وجد من الماء مايكفيه لبعض طهارته فيستعمله ثم ليتيمم بعده تيمماً تاما .

الرخصة الثالثة : فى الصلاة المفروضة ، القصر : وله أن يقتصر فى كل واحدة من الظهر والعصر والعشاء على ركعتين ولكن بشروط ثلاثة : (الأول) أن يؤديها فى أوقاتها فلو صارت قضاء فالأظهر لزوم الإتمام (الثانى) أى ينوى القصر فلو نوى الإتمام لزمه الإتمام ، ولو شك فى أنه نوى القصر أو الإتمام لزمه الإتمام . (الثالث) أى لايقتدى بمقيم ولا بمسافر متم ، فإن فعل لزمه الإتمام بل إن شك فى أن إمامه مقيم أو مسافر لزمه الإتمام ، وإن تيقن بعده أنه مسافر لأن شعار المسافر لاتخفى فليكن متحققا عند النية ، وإن شك فى أن إمامه هل نوى القصر أم لا بعد أن عرف أنه مسافر ـ لم يضره ذلك ، لأن النيات لايطلع عليها . وهذا كله إذا كان فى سفر طويل مباح .

وحدّ السفر من جهة البداية والنهاية فيه إشكال فلا بدّ من معرفته . والسفر هو الانتقال من موضع الإقامة مع ربط القصد بمقصد معلوم ، فالهائم وراكب التعاسيف ليس له الترخص وهو الذى لايقصد موضعا معينا ، ولايصير مسافرا مالم يفارق عمران البلد ولايشترط أن يجاوز خراب البلدة وبساتينها التى يخرج أهل البلدة إليها للتنزه . وأما القرية فالمسافر منها ينبغى أن يجاوز البساتين المحوطة دون التى ليست بمحوطة . ولو رجع المسافر إلى البلد لأخذ شىء نسيه لم يترخص إن كان ذلك وطنه مالم يجاوز العمران ، وإن لم يكن ذلك هو الوطن فله الترخص إذ صار مسافرا بالانزعاج والخروج منه .

وأما نهاية السفر فبأحد أمور ثلاثة : (الأول) الوصول إلى العمران من البلد الذى عزم على الإقامة به . (الثانى) العزم على الإقامة ثلاثة أيام فصاعدا إما فى بلد أو فى صحراء . (الثالث) صورة الإقامة وإن لم يعزم كما إذا أقام على موضع واحد ثلاثة أيام سوى يوم الدخول لم يكن له الترخص بعده ، وإن لم يعزم على الإقامة وكان له شغل وهو يتوقع كل يوم إنجازه ولكنه يتعوق عليه ويتأخر فله أن يترخص وإن طالت المدة ـ على أقيس القولين ـ لأنه منزعج بلقبه ومسافر عن الوطن بصورته ولامبالاة بصورة الثبوت على موضع واحد مع انزعاج القلب ، ولافرق بين أن يكون هذا الشغل قتالا أوغيره ، ولابين أن تطول المدة أو تقصر ، ولابين أن يتأخر الخروج لمطر لايعلم بقاؤه ثلاثة أيام أو لغيره ؛ إذ ترخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصر فى بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد [1] . وظاهر الأمر أنه لو تمادى القتال لتمادى ترخصه ؛ إذ لامعنى للتقدير بثمانية عشر يوما . والظاهر أن قصره كان لكونه مسافرا لا لكونه غازيا مقاتلا هذا معنى القصر .

وأما معنى التطويل فهو أن يكون مرحلتين : كل مرحلة ثمانية فراسخ ، وكل فرسخ ثلاثة أميال ، وكل ميل

---

(١) حديث : قصره صلى الله عليه وسلم فى بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد . أخرجه أبو داود من حديث عمران بن حصين فى قصة الفتح : فأقام بمكة ثمانية عشر ليلة لايصلى إلا ركعتين . وللبخارى من حديث ابن عباس : أقام بمكة تسعة عشر يوما يقصر الصلاة . ولأبى داود : سبعة عشر . بتقديم السين وفى رواية له : خمسة عشر .

أربعة آلاف خطوة ، وكل خطوة ثلاثة أقدام .

ومعنى المباح أن لايكون عاقا لوالديه هاربا منهما ، ولاهاربا من مالكه ، ولاتكون المرأة هاربة من زوجها ، ولا أن يكون من عليه الدين هاربا من المستحق مع اليسار ، ولايكون متوجها فى قطع طريق ، أو قتل إنسان ، أو طلب إدرار حرام من سلطان ظالم ، أوسعى بالفساد بين المسلمين .

وبالجملة فلا يسافر الإنسان إلا فى غرض ، والغرض هو المحرك . فإن كان تحصيل ذلك الغرض حراما ولولا ذلك الغرض لكان لاينبعث لسفره فسفره معصية ولايجوز فيه الترخص . وأماالفسق فى السفر بشرب الخمروغيره فلا يمنع الرخصة . بل كل سفر ينهى الشرع عنه فلا يعين عليه بالرخصة ولو كان له باعثان أحدهما مباح والآخر محظور ، وكان بحيث لو لم يكن الباعث له المحظور لكان المباح مستقلا بتحريكه ولكان لامحالة يسافر لأجله فله الترخص . والمتصوفة الطوافون فى البلاد من غير غرض صحيح سوى التفرج لمشاهدة البقاع المختلفة فى ترخصهم خلاف ، والمختار أن لهم الترخص .

الرخصة الرابعة ، الجمع بين الظهر والعصر فى وقتيهما وبين المغرب والعشاء فى وقتيهما ؛ فذلك أيضا جائز فى كل سفر طويل مباح ، وفى جوازه فى السفر القصير قولان . ثم إن قدم العصر إلى الظهر فلينو الجمع بين الظهر والعصر فى وقتيهما قبل الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر وليقم ، وعند الفراغ يقيم للعصر ، ويجدد التيمم أولا إن كان فرضه التيمم ، ولايفرق بينهما بأكثر من تيمم وإقامة ، فإن قدم العصر لم يجز ، وإن نوى الجمع عند التحرم بصلاة العصر جاز عند المزنى ، وله وجه فى القياس إذلا مستند لايجاب تقديم النية بل الشرع جوز الجمع وهذا جمع ، وإنما الرخصة فى العصر فتكفى النية فيها ، وأما الظهر فجار على القانون . ثم إذا فرغ من الصلاتين فينبغى أن يجمع بين سنن الصلاتين؛ أما العصر فلا سنة بعدها ولكن السنة التى بعد الظهر يصليها بعد الفراغ من العصر إما راكبا أومقيما ، لأنه لوصلى راتبة الظهر قبل العصر لانقطعت الموالاة وهى واجبة - على وجه - ولو أراد أن يقيم الأربع المسنونة قبل الظهر والأربع المسنونة قبل العصر فليجمع بينهن قبل الفريضتين فيصلى سنة الظهر أولا ثم سنة العصر ، ثم فريضة الظهر ثم فريضة العصر ، ثم سنة الظهر الركعتان اللتان هما بعد الفرض : ولاينبغى أن يهمل النوافل فى السفر فما يفوته من ثوابها أكثر مما يناله من الربح ؛ لاسيما وقد خفف الشرع عليه وجوز له أداءها على الراحلة كى لايتعوق عن الرفقة بسببها . وإن أخر الظهر إلى العصر فيجرى على هذا الترتيب ولايبالى بوقوع راتبة الظهر بعد العصر فى الوقت المكروه لأن ماله سبب لايكره فى هذا الوقت ، وكذلك يفعل فى المغرب والعشاء والوتر . وإذا قدم أوأخر فبعد الفراغ من الفرض يشتغل بجميع الرواتب ويختم الجميع بالوتر . وإن خطر له ذكر الظهر قبل خروج وقته فليعزم على أدائه مع العصر جميعا فهو نية الجمع ؛ لأنه إنما يخلو عن هذه النية إما بنية الترك أو بنية التأخير عن وقت العصر ، وذلك حرام والعزم عليه حرام . وإن لم يتذكر الظهر حتى خرج وقته إما لنوم أو لشغل فله أن يؤدى الظهر مع العصر ولايكون عاصيا ، لأن السفر كما يشغل عن فعل الصلاة فقد يشغل عن ذكرها . ويحتمل أن يقال إن الظهر إنما تقع أداء إذا عزم على فعلها قبل خروج وقتها ، ولكن الأظهر أن وقت الظهر والعصر صار مشتركا فى السفر بين الصلاتين ، ولذلك يجب على الحائض قضاء الظهر إذا طهرت قبل الغروب . ولذلك ينقدح أن لاتشترط الموالاة ولا الترتيب بين الظهر والعصر عند تأخير الظهر ، أما إذا قدم العصر على الظهر لم يجز لأن مابعد الفراغ من الظهر هو الذى جعل وقتا للعصر ، إذ يبعد أن يشتغل بالعصر من هو عازم على ترك الظهر أو على تأخيره . وعذر المطر يجوز للجمع كعذر السفر . وترك الجمعة أيضاً من رخص السفر وهى متعلقة أيضاً بفرائض الصلوات . ولو نوى

الإقامة بعد أن صلى العصر فأدرك وقت العصر فى الحضر فعليه أداء العصر ، ومامضى إنما كان مجزئا بشرط أن يبقى العذر إلى خروج وقت العصر .

الرخصة الخامسة : التنفل راكبا ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى على راحلته أينما توجهت به دابته [1] وأوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الراحلة . وليس على المتنفل الراكب فى الركوع والسجود إلا الإيماء . وينبغى أن يجعل سجوده أخفض من ركوعه ، ولا يلزمه الانحناء إلى حد يتعرض به لخطر بسبب الدابة . فإن كان فى مرقد فليتم الركوع والسجود فإنه قادر عليه .

وأما استقبال القبلة فلا يجب لا فى ابتداء الصلاة ولا فى دوامها ، ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة . فليكن فى جميع صلاته إما مستقبلا للقبلة أو متوجها فى صوب الطريق لتكون له جهة يثبت فيها ، فلو حرف دابته عن الطريق قصدا بطلت صلاته إلا إذا حرفها إلى القبلة . ولو حرفها ناسيا وقصر الزمان لم تبطل صلاته ، وإن طال ففيه خلاف وإن جمحت به الدابة فانحرفت لم تبطل صلاته ـ لأن ذلك مما يكثر وقوعه ـ وليس عليه سجود سهو إذ الجماح غير منسوب إليه ، بخلاف مالو حرف ناسيا فإنه يسجد للسهو بالإيماء .

الرخصة السادسة : التنفل للماشى جائز فى السفر ويومئ بالركوع والسجود ، ولايقعد للتشهد لأن ذلك يبطل فائدة الرخصة وحكمه حكم الراكب ؛ لكن ينبغى أن يتحرم بالصلاة مستقبلا للقبلة ؛ لأن الانحراف فى لحظة لاعسر عليه فيه بخلاف الراكب فإن فى تحريف الدابة وإن كان العنان بيده نوع عسر ؛ وربما تكثر الصلاة فيطول عليه ذلك . ولاينبغى أن يمشى فى نجاسة رطبة عمدا ؛ فإن فعل بطلت صلاته بخلاف مالو وطئت دابة الراكب نجاسة . وليس عليه أن يشوش المشى على نفسه بالاحتراز من النجاسات التى لاتخلو الطريق عنها غالبا. وكل هارب من عدو أو سيل أوسبع فله أن يصلى الفريضة راكبا أو ماشيا كما ذكرناه فى التنفل .

الرخصة السابعة : الفطر ، وهو فى الصوم . فللمسافر أن يفطر إلا إذا أصبح مقيما ثم سافر فعليه إتمام ذلك اليوم . وإن أصبح مسافرا صائما ثم أقام فعليه الإتمام . وإن أقام مفطر فليس عليه الإمساك بقية النهار . وإن أصبح مسافرا على عزم الصوم لم يلزمه بل له أن يفطر إذا أراد ، والصوم أفضل من الفطر . والقصر أفضل من الإتمام للخروج عن شبهة الخلاف ، ولأنه ليس فى عهدة القضاء بخلاف المفطر فإنه فى عهدة القضاء وربما يتعذر عليه ذلك بعائق فيبقى فى ذمته ، إلا إذا كان الصوم يضر به فالإفطار أفضل .

فهذه سبع رخص تتعلق ثلاث منها بالسفر الطويل وهى القصر والفطر والمسح ثلاثة أيام . وتتعلق اثنتان منها بالسفر طويلا كان أو قصيرا وهما سقوط الجمعة وسقوط القضاء عند أداء الصلاة بالتيمم . وأما صلاة النافلة ماشيا وراكبا ففيه خلاف والأصح جوازه فى القصير . والجمع بين الصلاتين فيه خلاف والأظهر اختصاصه بالطويل . وأما صلاة الفرض راكبا وماشيا للخوف فلاتتعلق بالسفر ، وكذا أكل الميتة ، وكذا أداء الصلاة فى الحال بالتيمم عند فقد الماء ، بل يشترك فيها الحضر والسفر مهما وجدت أسبابها .

* فإن قلت . فالعلم بهذه الرخص هل يجب على المسافر تعلمه قبل السفر أم يستحب له ذلك فاعلم أنه إن كان عازما على ترك المسح والقصر والجمع والفطر وترك التنفل راكبا وماشيا لم يلزمه علم شروط الترخص فى ذلك ، لأن الترخص ليس بواجب عليه . وأما علم رخصة التيمم فيلزمه لأن فقد الماء ليس إليه ، إلا أن يسافر على شاطئ نهر

---

(١) حديث : كان يصلى على راحلته أينما توجهت به دابته وأوتر على الراحلة . متفق عليه من حديث ابن عمر .

يوثق ببقاء مائه ، أو يكون معه فى الطريق عالم يقدر على استفتائه عند الحاجة ، فله أن يؤخر إلى وقت الحاجة . إما إذا كان يظن عدم الماء ولم يكن معه فيلزمه التعلم لامحالة .

* فإن قلت : التيمم يحتاج إليه لصلاة لم يدخل بعد وقتها فكيف يجب علم الطهارة لصلاة بعد لم تجب وربما لاتجب ؟ فأقول : من بينه وبين الكعبة مسافة لا تقطع إلا فى سنة ؛ فيلزمه قبل أشهر الحج ابتداء السفر . ويلزمه تعلم المناسك لامحالة إذا كان يظن أنه لايجد فى الطريق من يتعلم منه ؛ لأنّ الأصل الحياةواستمرارها . ومالايتوصل إلى الواجب إلابه فهو واجب . وكل مايتوقع وجوبه توقعا ظاهرا على الظن وله شرط لايتوصل إليه إلا بتقديم ذلك الشرط على وقت الوجوب فيجب تقديم تعلم الشرط لا محالة ، كعلم المناسك قبل وقت الحج وقبل مباشرته . فلايحل إذن للمسافر أن ينشئ السفر مالم يتعلم هذا القدر من علم التيمم . وإن كان عازما على سائر الرخص فعليه أن يتعلم أيضا القدر الذى ذكرناه من علم التيمم وسائر الرخص ؛ فإنه إذا لم يعلم القدر الجائز لرخصة السفر لم يمكنه الاقتصار عليه .

* فإن قلت : إنه إن لم يتعلم كيفية التنفل راكبا وماشيا ماذا يضره وغايته إن صلى أن تكون صلاته فاسدة ؟ وهى غير واجبة فكيف يكون علمها واجبا ؟ فأقول : من الواجب أن لايصلى النفل على نعت الفساد ، فالتنفل مع الحدث والنجاسة وإلى غير القبلة ومن غير إتمام شروط الصلاة وأركانها حرام ، فعليه أن يتعلم مايحترز به عن النافلة الفاسدة حذرا عن الوقوع فى المحظورات . فهذا بيان علم ماخفف عن المسافر فى سفره .

القسم الثانى : مايتجدّد من الوظيفة بسبب السفر

وهو علم القبلة والأوقات : وذلك أيضا واجب فى الحضر ، ولكن فى الحضر من يكفيه من محراب متفق عليه يغنيه عن طلب القبلة ومؤذن يراعى الوقت فيغنيه عن طلب علم الوقت .

والمسافر قد تشتبه عليه القبلة وقد يلتبس عليه الوقت فلا بدّ له من العلم بأدلة القبلة والمواقيت . أما أدلة القبلة فهى ثلاثة أقسام : أرضية ، كالاستدلال بالجبال والقرى والأنهار . وهوائية ، كالاستدلال بالرياح شمالها وجنوبها وصباها ودبورها . وسماوية ، وهى النجوم .

فأما الأرضية والهوائية فتختلف باختلاف البلاد ، فرب طريق فيه جبل مرتفع يعلم أنه على يمين المستقبل أوشماله أووراءه أوقدامه ، فليعلم ذلك وليفهمه . وكذلك الرياح قد تدل فى بعض البلاد فليفهم ذلك . ولسنانقدر على استقصاء ذلك إذ لكل بلد وإقليم حكم آخر .

وأما السماوية فأدلتها تنقسم إلى نهارية وإلى ليلية .

أما النهارية : فالشمس ، فلا بدّ أن يراعى قبل الخروج من البلد أن الشمس عند الزوال أين تقع منه ، أهى بين الحاجبين ؟ أوعلى العين اليمنى ؟ أو اليسرى ؟ أوتميل إلى الجبين ميلا أكثر من ذلك ؟ فإن الشمس لاتعدو فى البلاد الشمالية هذه المواقع . فإذا حفظ ذلك فهما عرف الزوال بدليله الذى سنذكره عرف القبلة به . وكذلك يراعى مواقع الشمس منه وقت العصر . فإنه فى هذين الوقتين يحتاج إلى القبلة بالضرورة . وهذا أيضا لما كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه

وأماالقبلة وقت المغرب فإنها تدرك بموضع الغروب . وذلك بأن يحفظ أنّ الشمس تغرب عن يمين المستقبل ، أوهى مائلة إلى وجهه ، أوقفاه . وبالشفق أيضا تعرف القبلة للعشاء الأخيرة .

وبمشرق الشمس تعرف القبلة لصلاة الصبح . فكأن الشمس تدل على القبلة فى الصلوات الخمس ، ولكن يختلف ذلك بالشتاء والصيف . فإن المشارق والمغارب كثيرة وإن كانت محصورة فى جهتين ، فلابد من تعلم ذلك أيضا . ولكن قد يصلى المغرب والعشاء بعد غيبوبة الشفق فلا يمكنه أن يستدل على القبلة به . فعليه أن يراعى موضع القطب . وهو الكوكب الذى يقال له : الجدى : فإنه كوكب كالثابت لا تظهر حركته عن موضعه ، وذلك إما أن يكون على قفا المستقبل ، أو على منكبه الأيمن من ظهره ، أو منكبه الأيسر فى البلاد الشمالية من مكة . وفى البلاد الجنوبية كاليمن وماوالاها فيقع فى مقابلة المستقبل ؛ فيتعلم ذلك ، وماعرفه فى بلده فليعول عليه فى الطريق كله إلا إذا طال السفر ، فإن المسافة إذا بعدت اختلف موقع الشمس وموقع القطب وموقع المشارق والمغارب ، إلا أن ينتهى فى أثناء سفره إلى بلاد فينبغى أن يسأل أهل البصيرة . أو يراقب هذه الكواكب وهو مستقبل محراب جامع البلد حتى يتضح له ذلك . فهما تعلم هذه الأدلة فله أن يعول عليها . فإن بان له أنه أخطأ من جهة القبلة إلى جهة أخرى من الجهات الأربع فينبغى أن يقضى . وإن انحرف عن حقيقة محاذاة القبلة ولكن لم يخرج عن جهتها لم يلزمه القضاء .

وقد أورد الفقهاء خلافا فى أنّ المطلوب جهة الكعبة أو عينها ، وأشكل معنى ذلك على قوم إذ قالوا : إن قلنا إن المطلوب العين فمتى يتصور هذا مع بعد الديار ؟ وإن قلنا : إن المطلوب الجهة فالواقف فى المسجد إن استقبل جهة الكعبة وهو خارج ببدنه عن موازاة الكعبة لا خلاف فى أنه لاتصح صلاته . وقد طوّلوا فى تأويل معنى الخلاف فى الجهة والعين . ولا بد أوّلا من فهم معنى مقابلة العين ومقابلة الجهة .

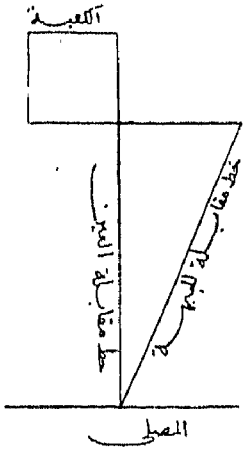

فمعنى مقابلة العين : أن يقف موقفا لو خرج خط مستقيم من بين عينيه إلى جدار الكعبة لاتصل به وحصل من جانبي الخط زاويتان متساويتان (وهذه صورته والخط الخارج من موقف المصلى يقدر أنه خارج من بين عينيه) وهذه صورة مقابلة العين :

وأما مقابلة الجهة . فيجوز فيها أن يتصل طرف الخط الخارجى من بين العينين إلى الكعبة من غير أن يتساوى الزاويتان عن جهتى الخط ، بل لا يتساوى الزاويتان إلا إذا انتهى الخط إلى نقطة معينة هى واحدة . فلو مدّ هذا الخط على الاستقامة إلى سائر النقط من يمينها أو شمالها كانت إحدى الزاويتين أضيق ، فيخرج عن مقابلة العين ولكن لا يخرج عن مقابلة الجهة ـ كالخط الذى كتبنا عليه مقابلة الجهة ـ فإنه لو قدر الكعبة على طرف ذلك الخط لكان الواقف مستقبلا لجهة الكعبة لا لعينها .

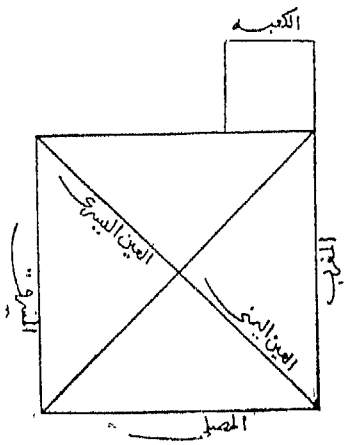

وحدّ تلك الجهة مايقع بين خطين يتوهمهما الواقف مستقبلا لجهة خارجين من العينين ، فيلتقى طرفاهما فى داخل الرأس بين العينين على زاوية قائمة ، فما يقع بين الخطين الخارجين من العينين فهو داخل فى الجهة . وسعة ما بين الخطين تتزايد بطول الخطين وبالبعد عن الكعبة (وهذه صورته) :

فإذا فهم معنى العين والجهة فأقول . الذى يصح عندنا فى الفتوى أن المطلوب العين إن كانت الكعبة مما يمكن رؤيتها ، وإن كان يحتاج إلى الاستدلال عليها لتعذر رؤيتها فيكفى استقبال الجهة .

فأما طلب العين عند المشاهدة فمجمع عليه . وأما الاكتفاء بالجهة عند تعذر المعاينة فيدل عليه الكتاب والسنة وفعل الصحابة رضى الله عنهم والقياس .

أما الكتاب : فقوله تعالى ﴿ وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ أى نحوه . ومن قابل جهة الكعبة يقال قد ولى وجهه شطرها .

وأما السنة : فما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأهل المدينة « مابين المغرب والمشرق قبلة[1] » . والمغرب يقع على يمين أهل المدينة والمشرق على يسارهم . فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع مايقع بينهما قبلة ومساحة الكعبة لا تفى بما بين المشرق والمغرب وإنما يفى بذلك جهتها . وروى هذا اللفظ أيضا عن عمر وابنه رضى الله عنهما .

وأما فعل الصحابة رضى الله عنهم : فما روى أن مسجد قباء كانوا فى صلاة الصبح بالمدينة مستقبلين لبيت المقدس مستدبرين الكعبة ـ لأن المدينة بينهما ـ فقيل لهم : الآن قد حولت القبلة إلى الكعبة . فاستداروا فى أثناء الصلاة من غير طلب دلالة[2] ولم ينكر عليهم . وسمى مسجدهم « ذا القبلتين » ومقابلة العين من المدينة إلى مكة لاتعرف إلا بأدلة هندسية يطول النظر فيها ؛ فكيف أدركوا ذلك على البديهة فى أثناء الصلاة وفى ظلمة الليل ؟ ويدل أيضا من فعلهم أنهم بنوا المساجد حوالى مكة وفى سائر بلاد الإسلام ولم يحضروا قط مهندسا عند تسوية المحاريب ، ومقابلة العين لاتدرك إلا بدقيق النظر الهندسى .

وأما القياس : فهو أن الحاجة تمس إلى الاستقبال وبناء المساجد فى جميع أقطار الأرض ، ولا يمكن مقابلة العين إلا بعلوم هندسية لم يرد الشرع بالنظر فيها ، بل ربما يزجر عن التعمق فى علمها فكيف ينبنى أمر الشرع عليها ؟ فيجب الاكتفاء بالجهة للضرورة .

وأما دليل صحة الصورة التى صورناها : وهو حصر جهات العالم فى أربع جهات فقوله عليه السلام فى آداب قضاء الحاجة « لاتستقبلوا بها القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا[3] » وقال . هذا بالمدينة ـ والمشرق على يسار المستقبل بها والمغرب على يمينه ـ فنهى عن جهتين ورخص فى جهتين . ومجموع ذلك أربع جهات . ولم يخطر ببال أحد أن جهات العالم يمكن أن تفرض فى ست أوسبع أوعشر . وكيفما كان فما حكم الباقى ؟ بل الجهات تثبت فى الاعتقادات بناء على خلقة الإنسان ، وليس له إلا أربع جهات : قدام وخلف ويمين وشمال فكانت الجهات بالإضافة إلى الإنسان فى ظاهر النظر أربعا . والشرع لايبنى إلا على مثل هذه الاعتقادات فظهر أن المطلوب الجهة ، وذلك يسهل أمر الاجتهاد فيها وتعلم به أداة القبلة . فأما مقابلة العين فإنها تعرف بمعرفة مقدار عرض مكة عن خط الاستواء ، ومقدار درجات طولها وهو بعدها عن أول عمارة فى المشرق . ثم يعرف ذلك أيضا فى موقف المصلى ، ثم يقابل أحدهما بالآخر . ويحتاج فيه إلى آلات وأسباب طويلة ، والشرع غير مبنى عليها قطعا . فإذن القدر الذى

---

(١) حديث : مابين المشرق والمغرب قبلة . أخرجه الترمذى وصححه ، والنسائى وقال منكر ، وابن ماجه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث : إن أهل قباء كانوا فى صلاة الصبح مستقبلين لبيت المقدس فقيل لهم ألا إن القبلة قد حولت إلى الكعبة فاستداروا ... الحديث . أخرجه مسلم من حديث أنس واتفقا عليه من حديث ابن عمر مع اختلاف .

(٣) حديث : لاتستقبلوا القبلة ولاتستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا . متفق عليه من حديث أبى أيوب .

لابد من تعلمه من أدلة القبلة : موقع المشرق والمغرب فى الزوال ، وموقع الشمس وقت العصر . فبهذا يسقط الوجوب .

* فإن قلت : فلو خرج المسافر من غير تعلم ذلك هل يعصى ؟ فأقول : إن كان طريقه على قرى متصله فيها محاريب ، أوكان معه فى الطريق بصير بأدلة القبلة موثوق بعدالته وبصيرته ويقدر على تقليده فلا يعصى . وإن لم يكن معه شيء من ذلك عصى . لأنه سيتعرض لوجوب الاستقبال ولم يكن قد حصل علمه فصار ذلك كعلم التيمم وغيره . فإن تعلم هذه الأدلة واستبهم عليه الأمر بغيم مظلم . أوترك التعلم ولم يجد فى الطريق من يقلده ، فعليه أن يصلى فى الوقت على حسب حاله ، ثم عليه القضاء سواء أصاب أم أخطأ . والأعمى ليس له إلا التقليد فليقلد من يوثق بدينه وبصيرته إن كان مقلده مجتهدا فى القبلة ، وإن كانت القبلة ظاهرة فله اعتماد قول كل عدل يخبره بذلك فى حضر أوسفر وليس للأعمى ولا للجاهل أن يسافر فى قافلة ليس فيها من يعرف أدله القبلة ـ حيث يحتاج إلى الاستدلال ـ كما ليس للعامى أن يقيم ببلدة ليس فيها فقيه عالم بتفصيل الشرع ، بل يلزمه الهجرة إلى حيث يجد من يعلمه دينه ، وكذا إن لم يكن فى البلد إلا فقيه فاسق فعليه الهجرة أيضا إذ لايجوز له اعتماد فتوى الفاسق ، بل العدالة شرط لجواز قبول الفتوى ـ كما فى الرواية ـ وإن كان معروفا بالفقه مستور الحال فى العدالة والفسق فله القبول مهما لم يجد من له عدالة ظاهرة لأن المسافر فى البلاد لايقدر أن يبحث عن عدالة المفتين . فإن رآه لابسا للحرير أوما يغلب عليه الإبريسم أوراكبا لفرس عليه مركب ذهب فقد ظهر فسقه وامتنع عليه قبول قوله ، فليطلب غيره . وكذلك إذا رآه يأكل على مائدة سلطان أغلب ماله حرام أو يأخذ منه إدرارا أو صلة من غير أن يعلم أن الذى يأخذه من وجه حلال ، فكل ذلك فسق يقدح فى العدالة ويمنع من قبول الفتوى والرواية والشهادة .

وأما معرفة أوقات الصلوات الخمس فلابد منها . فوقت الظهر يدخل بالزوال ، فإن كل شخص لابد أن يقع له فى ابتداء النهار ظل مستطيل فى جانب المغرب ، ثم لايزال ينقص إلى وقت الزوال ، ثم يأخذ فى الزيادة فى جهة المشرق ولا يزال يزيد إلى الغروب . فليقم المسافر فى موضع أو لينصب عودا مستقيما ، وليعلم على رأس الظل ، ثم لينظر بعد ساعة فإن رآه فى النقصان فلم يدخل بعد وقت الظهر .

وطريقه فى معرفة ذلك أن ينظر فى البلد ـ وقت أذان المؤذن المعتمد ـ ظل قامته ، فإن كان مثلا ثلاثة أقدام بقدمه فهما صار كذلك فى السفر وأخذ فى الزيادة صلى . فإن زاد عليه ستة أقدام ونصفا بقدمه دخل وقت العصر ، إذ ظل كل شخص بقدمه ستة أقدام ونصف بالتقريب . ثم ظل الزوال يزيد كل يوم إن كان سفره من أول الصيف . وإن كان من أول الشتاء فينقص كل يوم . وأحسن مايعرف به ظل الزول الميزان فليستصحبه المسافر . وليتعلم اختلاف الظل به فى كل وقت . وإن عرف موقع الشمس من مستقبل القبلة وقت الزوال وكان فى السفر فى موضع ظهرت القبلة فيه بدليل آخر ، فيمكنه أن يعرف الوقت بالشمس بأن تصير بين عينيه مثلا إن كانت كذلك فى البلد .

وأما وقت المغرب فيدخل بالغروب ، ولكن قد تحجب الجبال المغرب عنه ، فينبغى أن ينظر إلى جانب المشرق فهما ظهر سواد فى الأفق مرتفع من الأرض قدر رمح فقد دخل وقت المغرب .

وأما العشاء فيعرف بغيبوبة الشفق ـ وهو الحمرة ـ فإن كانت محجوبة عنه بجبال فيعرفه بظهور الكواكب الصغار وكثرتها ، فإن ذلك يكون بعد غيبوبة الحمرة .

وأما الصبح فيبدو فى الأول مستطيلا كذنب السرحان فلا يحكم به إلى أن ينقضى زمان . ثم يظهر بياض

معترض لايعسر إدراكه بالعين لظهوره ، فهذا أوّل الوقت . قال صلى الله عليه وسلم « ليس الصبح هكذا ـ وجمع بين كفيه ـ وإنما الصبح هكذا ـ ووضع إحدى سبابتيه على الأخرى وفتحهما ـ [1] » وأشار به إلى أنه معترض . وقد يستدل عليه بالمنازل وذلك تقريب لاتحقيق فيه ، بل الاعتماد على مشاهدة انتشار البياض عرضا لأن قوما ظنوا أن الصبح يطلع قبل الشمس بأربع منازل ، وهذا خطأ لأن ذلك هو الفجر الكاذب . والذى ذكره المحققون أنه يتقدم على الشمس بمنزلتين وهذا تقريب ، ولكن لا اعتماد عليه فإن بعض المنازل تطلع معترضة منحرفة فيقصر زمان طلوعها ، وبعضها منتصبة فيطول زمان طلوعها ، ويختلف ذلك فى البلد اختلافا يطول ذكره . نعم تصلح المنازل لأن يعلم بها قرب وقت الصبح وبعده ، فأما حقيقة أول الصبح فلا يمكن ضبطه بمنزلتين أصلا . وعلى الجملة فإذا بقيت أربع منازل إلى طلوع قرن الشمس بمقدار منزلة يتيقن أنه الصبح الكاذب ، وإذا بقى قريب من منزلتين يتحقق طلوع الصبح الصادق ، ويبقى بين الصبحين قدر ثلثى منزلة بالتقريب يشك فيه أنه من وقت الصبح الصادق أو الكاذب ، وهو مبدأ ظهور البياض وانتشاره قبل اتساع عرضه . فمن وقت الشك ينبغى أن يترك الصائم السحور ، ويقدم القائم الوتر عليه ولا يصلى صلاة الصبح حتى تنقضى مدّة الشك ، فإذا تحقق صلى . ولو أراد مريد أن يقدّر على التحقيق وقتا معينا يشرب فيه متسحرا ويقوم عقيبه ويصلى الصبح متصلا به لم يقدر على ذلك ، فليس معرفة ذلك فى قوّة البشر أصلا ، بل لابد من مهلة للتوقف والشك . ولا اعتماد إلا على العيان ، ولا اعتماد فى العيان إلا على أن يصير الضوء منتشرا فى العرض حتى تبدو مبادى الصفرة . وقد غلط فى هذا جمع من الناس كثير يصلون قبل الوقت . ويدل عليه ما روى أبو عيسى الترمذى فى جامعه بإسناده عن طلق بن على : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كلوا واشربوا ولا يهيبنكم الساطع المصعد وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الأحمر [2] » وهذا صريح فى رعاية الحمرة . قال أبو عيسى ـ وفى الباب عن عدى بن حاتم وأبى ذرّ وسمرة بن جندب ـ وهو حديث حسن غريب والعمل على هذا عند أهل العلم . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : كلوا واشربوا مادام الضوء ساطعا . قال صاحب الغريبين : أى مستطيلا . فإذاً لاينبغى أن يعوّل إلا على ظهور الصفرة وكأنها مبادى الحمرة . وإنما يحتاج المسافر إلى معرفة الأوقات لأنه قد يبادر بالصلاة قبل الرحيل حتى لا يشق عليه النزول ، أو قبل النوم حتى يستريح . فإن وطن نفسه على تأخير الصلاة إلى أن يتيقن فتسمح نفسه بفوات فضيلة أول الوقت ويتجشم كلفة النزول وكلفة تأخير النوم إلى التيقن استغنى عن تعلم علم الأوقات . فإن المشكل أوائل الأوقات لا أوساطها .

---

(١) حديث : ليس الصبح هكذا ـ وجمع كفه ـ إنما الصبح هكذا ـ ووضع إحدى سبابتيه على الأخرى وفتحهما وأشار الى أنه معترض ـ أخرجه ابن ماجه من حديث ابن مسعود بإسناد صحيح مختصر دون الإشارة بالكف والسبابتين ، ولأحمد من حديث طلق بن على « ليس الفجر المستطيل فى الأفق لكنه المعترض الأحمر » وإسناده حسن . (٢) حديث طلق بن على : كلوا واشربوا ولايهيبنكم الساطع المصعد وكلوا وشربوا حتى يعترض لكم الأحمر » قال المصنف : رواه أبو عيسى الترمذى فى جامعه وقال : حسن غريب وهو كما ذكر ، ورواه أبو داود أيضا .

كتاب آداب السماع والوجد

وهو الكتاب الثامن من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أحرق قلوب أوليائه بنار محبته ، واسترق هممهم وأرواحهم بالشوق إلى لقائه ومشاهدته ، ووقف أبصارهم وبصائرهم على ملاحظة جمال حضرته ، حتى أصبحوا من تنسم روح الوصال سكرى ـ وأصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والهة حيرى ، فلم يروا فى الكونين شيئاسواه ، ولم يذكروا فى الدارين إلاإياه ، إن سنحت لأبصارهم صورة عبرت إلى المصور بصائرهم ، وإن قرعت أسماعهم نغمه سبقت إلى المحبوب سرائرهم ، وإن ورد عليهم صوت مزعج أومقلق أومطرب أومحزن أو مبهج أو مشوق أو مهيج لم يكن انزعاجهم إلا إليه ، ولا طربهم إلا به ولا قلقهم إلا عليه ، ولا حزنهم إلا فيه ولا شوقهم إلا إلى ما لديه ، ولا انبعاثهم إلا له ولا ترددهم إلا حواليه . فمنه سماعهم ، وإليه استماعهم ، فقد أقفل عن غيره أبصارهم وأسماعهم ، أولئك الذين اصطفاهم الله لولايته ، واستخلصهم من بين أصفيائه وخاصته . والصلاة على محمد المبعوث برسالته وعلى آله وأصحابه أئمة الحق وقادته ، وسلم كثيرا .

أما بعد : فإن القلوب والسرائر ، خزائن الأسرار ومعادن الجواهر ، وقد طويت فيها جواهرها كما طويت النار فى الحديد والحجر ، كما أخفى الماء تحت التراب والمدر ، ولا سبيل إلى استثارة خفاياها إلا بقوادح السماع ولامنفذ إلى القلوب إلى من دهليز الأسماع ، فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج مافيها ، وتظهر محاسنها أو مساويها ، فلا يظهر من القلب عند التحريك إلا مايحويه . كما لايرشح الإناء إلابما فيه ، فالسماع للقلب محك صادق ، ومعيار ناطق ، فلا يصل نفس السماع إليه ، إلا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه ، وإذا كانت القلوب بالطباع مطيعة للأسماع حتى أبدت بوارداتها مكامنها ، وكشفت بها عن مساويها وأظهرت محاسنها ، وجب شرح القول فى السماع والوجد وبيان ما فيهما من الفوائد والآفات ، وما يستحب فيهما من الآداب والهيئات ، وما يتطرق إليهما من خلاف العلماء فى أنهما من المحظورات أو المباحات . ونحن نوضح ذلك فى بابين . (الباب الأول) فى إباحة السماع . (الباب الثانى) فى آداب السماع وآثاره فى القلب بالوجد وفى الجوارح بالرقص والزعق وتمزيق الثياب .

الباب الأول : فى ذكر اختلاف العلماء فى إباحة السماع وكشف الحق فيه

بيان أقاويل العلماء والمتصوفة فى تحليله وتحريمه

اعلم أن السماع هو أول الأمر ، ويثمر السماع حالة فى القلب تسمى الوجد ، ويثمر الوجد تحريك الأطراف إما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب وإما موزونة فتسمى التصفيق والرقص ، فلنبدأ بحكم السماع وهو الأول : وننقل فيه الأقاويل المعربة عن المذاهب فيه . ثم نذكر الدليل على إباحته ، ثم نردفه بالجواب عما تمسك به القائلون بتحريمه .

فأما نقل المذاهب : فقد حكى القاضى أبو الطيب الطبرى عن الشافعى ومالك وأبى حنيفة وسفيان وجماعة من

العلماء ألفاظا يستدل بها على أنهم رأوا تحريمه .

وقال الشافعى رحمه الله فى كتاب آداب القضاء : إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته .

وقال القاضى أبو الطيب : استماعه من المرأة التى ليست بمحرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعى رحمه الله بحال سواء كانت مكشوفة أومن وراء حجاب ، وسواء كانت حرة أو مملوكة وقال : قال الشافعى رضى الله عنه صاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته ، وقال : وحكى عن الشافعى أنه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن . وقال الشافعى رحمه الله : ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد أكثر مما يكره اللعب بشىء من الملاهى ، ولا أحب اللعب بالشطرنج وأكره كل مايلعب به الناس ؛ لأن اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا المروءة .

وأما مالك رحمه الله فقد نهى عن الغناء وقال : إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها . وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا ابن سعد وحده .

وأما أبو حنيفة رضى الله عنه فإنه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب ، وكذلك سائر أهل الكوفة: سفيان الثورى وحماد وإبراهيم والشعبى وغيرهم . فهذا كله نقله القاضى أبو الطيب الطبرى .

ونقل أبو طالب المكى إباحة السماع من جماعة فقال : سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم ، وقال : قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابى وتابعى بإحسان، وقال : لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع فى أفضل أيام السنة وهى الأيام المعدودات التى أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق ، ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع إلى زماننا هذا ، فأدركنا أبا مروان القاضى وله جوار يسمعن الناس التلحين قد أعدهن للصوفية ، قال : وكان لعطاء جاريتان يلحنان فكان إخوانه يستمعون إليهما . قال : وقيل لأبى الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسرى السقطى وذوالنون يستمعون ؟ فقال وكيف أنكر السماع وقد أجازه وسمعه من هو خير منى ؟ فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع ، وإنما أنكر اللهو واللعب فى السماع .

وروى عن يحيى بن معاذ أنه قال : فقدنا ثلاثة أشياء فما نراها ولا أراها تزداد إلا قلة ، حسن الوجه مع الصيانة ، وحسن القول مع الديانة ، وحسن الإخاء مع الوفاء . ورأيت فى بعض الكتب هذا محكيا بعينه عن الحارث المحاسبى وفيه مايدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده فى الدين وتشميره . قال : وكان ابن مجاهد لايجيب دعوة إلا أن يكون فيه سماع . وحكى غير واحد أنه قال : اجتمعنا فى دعوة ومعنا أبو القاسم ابن بنت منيع وأبو بكر ابن داود وابن مجاهد فى نظرائهم ، فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن داود فى أن يسمع فقال ابن داود : حدثنى أبى عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع وكان أبى يكرهه وأنا على مذهب أبى ، فقال أبو القاسم ابن بنت منيع : أما جدى أحمد ابن بنت منيع فحدثنى عن صالح بن أحمد أن أباه كان يسمع قول ابن الخبازة ، فقال ابن مجاهد لابن داود : دعنى أنت من أبيك ، وقال لابن بنت منيع : دعنى أنت من جدك أى شىء تقول ياأبا بكر فيمن أنشد بيت شعر أهو حرام ؟ فقال : ابن داود لا ، قال : فإن كان حسن الصوت حرم عليه إنشاده ؟ قال : لا، قال : فإن أنشده وطوله وقصر منه الممدود ومدّ منه المقصور أيحرم عليه ؟ قال : أنا لم أقو لشيطان واحد فكيف

أقوى لشيطانين ؟ قال : وكان أبو الحسن العسقلانى الأسود من الأولياء يسمع ويوله عند السماع ، وصنف فيه كتابا ورد فيه على منكريه ، وكذلك جماعة منهم صنفوا فى الرد على منكريه .

وحكى عن بعض الشيوخ أنه قال : رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام فقلت له : ماتقول فى هذا السماع الذى اختلف فيه أصحابنا ؟ فقال : هو الصفو الزلال الذى لايثبت عليه إلا أقدام العلماء . وحكى عن ممشاد الدينورى أنه قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقلت : يارسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئاً ؟ فقال : ما أنكر منه شيئاً ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن . وحكى عن طاهر بن بلال الهمدانى الوراق ـ وكان من أهل العلم ـ أنه قال : كنت معتكفا فى جامع جدّة على البحر فرأيت يوما طائفة يقولون فى جانب منه قولا ويستمعون ، فأنكرت ذلك بقلبى وقلت : فى بيت من بيوت الله يقولون الشعر ؟ قال : فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس فى تلك الناحية وإلى جنبة أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه وإذا أبو بكر يقول شيئاً من القول والنبى صلى الله عليه وسلم يستمع إليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك ، فقلت فى نفسى : ما كان ينبغى لى أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع وأبو بكر يقول؟ فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : هذا حق بحق ـ أوقال حق من حق ـ أنا أشك فيه .

وقال الجنيد : تنزل الرحمة على هذه الطائفة فى ثلاثة مواضع ، عند الأكل لأنهم لايأكلون إلا عن فاقة ، وعند المذاكرة لأنهم لايتحاورون إلا فى مقامات الصدّيقين ، وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا . وعن ابن جريج أنه كان يرخص فى السماع فقيل له : أيؤتى يوم القيامة فى جملة حسناتك أو سيئاتك ؟ فقال : لافى الحسنات ولافى السيئات ، لأنه شبيه باللغو وقال الله تعالى ﴿ لايؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ﴾

هذا مانقل من الأقاويل . ومن طلب الحق فى التقليد فهما استقصى تعارضت عنده هذه الأقاويل فيبقى متحيرا أو مائلا إلى بعض الأقاويل بالتشهى ، وكل ذلك قصور بل ينبغى أن يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدارك الحظر والإباحة كما سنذكره .

بيان الدليل على إباحة السماع

اعلم أن قول القائل : السماع حرام ، معناه أنّ الله تعالى يعاقب عليه ، وهذا أمر لايعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات محصورة فى النص أو القياس على المنصوص . وأعنى بالنص ما أظهره صلى الله عليه وسلم بقوله أو فعله ، وبالقياس المعنى المفهوم من ألفاظه وأفعاله . فإن لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول بتحريمه ، وبقى فعلا لاحرج فيه كسائر المباحات . ولايدل على تحريم السماع نص ولاقياس ، ويتضح ذلك فى جوابنا عن أدلة المائلين إلى التحريم . ومهما تم الجواب عن أدلتهم كان ذلك مسلكا كافيا فى إثبات هذا الغرض ، لكن نستفتح ونقول : قد دل النص والقياس جميعا على إباحته .

أما القياس : فهو أن الغناء اجتمعت فيه معان ينبغى أن يبحث عن أفرادها ثم عن مجموعها ، فإنّ فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك للقلب ، فالوصف الأعم أنه صوت طيب . ثم الطيب ينقسم إلى الموزون وغيره . والموزون ينقسم إلى المفهوم كالأشعار ، وإلى غير المفهوم كأصوات الجمادات وسائر الحيوانات .

أما سماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب فلا ينبغى أن يحرم بل هو حلال بالنص والقياس أما القياس فهو أنه يرجع إلى تلذذ حاسة السمع بإدراك ماهو مخصوص به ، وللإنسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة إدراك ،

وفى مدركات تلك الحاسة مايستلذ ، فلذة النظر فى المبصرات الجميلة كالخضرة والماء الجارى والوجه الحسن وبالجملة سائر الألوان الجميلة ، وهى فى مقابلة ما يكره من الألوان الكدرة القبيحة . وللشم الروائح الطيبة ، وهى فى مقابلة الأنتان المستكرهة . وللذوق الطعوم اللذيذة كالدسومة والحلاوة والحموضة ، وهى فى مقابلة المرارة المستبشعة . وللمس لذة اللين والنعومة والملاسة ، وهى فى مقابلة الخشونة والضراسة . وللعقل لذة العلم والمعرفة ، وهى فى مقابلة الجهل والبلادة .

فكذلك الأصوات المدركة بالسمع تنقسم إلى مستلذة كصوت العنادل والمزامير ، ومستكرهة كنهيق الحمير وغيرها . فما أظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها ؟

أما النص : فيدل على إباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده إذ قال ﴿ يزيد فى الخلق مايشاء ﴾ فقيل هو الصوت الحسن وفى الحديث « ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « لله أشدّ أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة لقينته [2] » وفى الحديث فى معرض المدح لداود عليه السلام « أنه كان حسن الصوت فى النياحة على نفسه وفى تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الإنس والجن والوحوش والطير لسماع صوته ، وكان يحمل فى مجلسه أربعمائة جنازة وما يقرب منها فى الأوقات [3] » وقال صلى الله عليه وسلم فى مدح أبى موسى الأشعرى « لقد أعطى مزمارا من مزامير آل داود [4] » وقول الله تعالى ﴿ إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن . ولو جاز أن يقال إنما أبيح ذلك بشرط أن يكون فى القرآن للزمه أن يحرم سماع صوت العندليب لأنه ليس من القرآن . وإذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والمعانى الصحيحة ؟ وإنّ من الشعر لحكمة . فهذا نظر فى الصوت من حيث أنه طيب حسن .

الدرجة الثانية : النظر فى الصوت الطيب الموزون ؛ فإنّ الوزن وراء الحسن فكم من صوت حسن خارج عن الوزن وكم من صوت موزون غير مستطاب . والأصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلاثة : فإنها إما أن تخرج من جماد كصوت المزامير والأوتار وضرب القضيب والطبل وغيره ، وإما أن تخرج من حنجرة حيوان ؛ وذلك الحيوان إما إنسان أو غيره كصوت العنادل والقمارى وذات السجع من الطيور ؛ فهى مع طيبها موزونة متناسبة المطالع والمقاطع فلذلك يستلذ سماعها . والأصل فى الأصوات حناجر الحيوانات ، وإنما وضعت المزامير على أصوات الحناجر وهو تشبيه للصنعة بالخلقة . وما من شىء توصل أهل الصناعات بصناعتهم إلى تصويره إلا وله مثال فى الخلقة التى استأثر الله تعالى باختراعها ؛ فمنه تعلم الصناع وبه قصدوا الاقتداء وشرح ذلك يطول . فسماع هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة أو موزونة فلا ذاهب إلى تحريم صوت العندليب وسائر الطيور .

كتاب السماع والوجد

الباب الأول فى ذكر اختلاف العلماء فى إباحته

(١) حديث : مابعث الله نبيا إلا حسن الصوت » أخرجه الترمذى فى الشمائل عن قتادة وزاد قوله « وكان نبيكم حسن الوجه حسن الصوت » ورويناه متصلا فى الغيلانيات من رواية قتادة عن أنس ، والصواب الأول قاله الدارقطنى ورواه ابن مردويه فى التفسير من حديث على بن أبى طالب وطرقه كلها ضعيفة .

(٢) حديث « لله أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته » تقدم فى كتاب تلاوة القرآن .

(٣) حديث : كان داود حسن الصوت فى النياحة على نفسه وفى تلاوة الزبور ... الحديث . لم أجد له أصلا . (٤) حديث « لقد أوتى مزماراً من مزامير آل داود » قاله فى مدح أبى موسى ؛ تقدم فى تلاوة القرآن .

ولافرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين جماد وحيوان . فينبغى أن يقاس على صوت العندليب الأصوات الخارجة من سائر الأجسام باختيار الآدمى كالذى يخرج من حلقه أو من القضيب والطبل والدف وغيره .

ولا يستثنى من هذه إلا الملاهى والأوتار والمزامير التى ورد الشرع بالمنع منها [1] لا للذتها إذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يلتذ به الإنسان . ولكن حرمت الخمور واقتضت ضراوة الناس بها المبالغة فى الفطام عنها حتى انتهى الأمر فى الابتداء إلى كسر الدنان فحرم معها ما هو شعار أهل الشرب وهى الأوتار والمزامير فقط ، وكان تحريمها من قبل الاتباع كما حرمت الخلوة بالأجنبية لأنها مقدمة الجماع ، وحرم النظر إلى الفخذ لاتصاله بالسوأتين ، وحرم قليل الخمر وإن كان لايسكر لأنه يدعو إلى السكر ، وما من حرام إلا وله حريم يطيف به ، وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون حمى للحرام ووقاية له وحظارا مانعا حوله كما قال صلى الله عليه وسلم « إنّ لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه [2] » فهى محرمة تبعا لتحريم الخمر لثلاث علل (إحداها) أنها تدعو إلى شرب الخمر فإنّ اللذة الحاصلة بها إنما تتم بالخمر ، ولمثل هذه العلة حرم قليل الخمر . (الثانية) أنها فى حق قريب العهد بشرب الخمر تذكر مجالس الأنس بالشرب فهى سبب الذكر ، والذكر سبب انبعاث الشوق وانبعاث الشوق إذا قوى فهو سبب الإقدام . ولهذه العلة « نهى عن الانتباذ فى المزفت والحنتم والنقير [3] » ، وهى الأوانى التى كانت مخصوصة بها . فمعنى هذا أن مشاهدة صورتها تذكرها وهذه العلة تفارق الأولى إذ ليس فيها اعتبار لذة فى الذكر إذ لا لذة فى رؤية القنينة وأوانى الشرب لكن من حيث التذكر بها ، فإن كان السماع يذكر الشرب تذكيرا يشوق إلى الخمر عند من ألف ذلك مع الشرب فهو منهى عن السماع لخصوص هذه العلة فيه . (الثالثة) الاجتماع عليها : لما أن صار من عادة أهل الفسق فيمنع من التشبه بهم ؛ لأن من تشبه بقوم فهو منهم . وبهذه العلة نقول بترك السنة مهما صارت شعارا لأهل البدعة خوفا من التشبه بهم . وبهذه العلة يحرم ضرب الكوبة ـ وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين ـ وضربها عادة المخنثين ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحجيج والغزو ، وبهذه العلة نقول لو اجتمع جماعة وزينوا مجلسا وأحضروا آلات الشرب وأقداحه ، وصبوا فيها السكنجبين ، ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسقيهم ، فيأخذون من الساقى ويشربون ويحيى بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم ، وإن كان المشروب مباحا فى نفسه ، لأن فى هذا تشبها بأهل الفساد ، بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك الشعر على الرأس قزعا فى بلاد صار القباء فيها من لباس أهل الفساد ، ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتياد أهل الصلاح ذلك فيهم . فبهذه المعانى حرم المزمار العراقى والأوتار كلها كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها . وما عدا ذلك فليس فى معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب ، وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب لأن كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكر بها ولا يشوق إليها ولا يوجب التشبه بأربابها

---

(١) حديث : المنع من الملاهى والأوتار والمزامير . أخرجه البخارى من حديث أبى عامر أو أبى مالك الأشعرى « ليكونن فى أمتى أقوام يستحلون الخز والحرير والمعازف » صورته عند البخارى صورة التعليق ولذلك ضعفه ابن حزم ووصله أبو داود والاسماعيلى . والمعازف : الملاهى ؛ قاله الجوهرى ، ولأحمد من حديث أبى أمامة « إن الله أمرنى أن أمحق المزامير والكيارات ـ يعنى البرابط ـ والمعازف » وله من حديث قيس بن سعد بن عبادة « إن ربى حرم على الخمر والكوبة والقنين » وله فى حديث لأبى أمامة باستحلالهم الخمور وضربهم بالدفوف . وكلها ضعيفة ، ولأبى الشيخ من حديث مرسلا « الاستماع الى الملاهى معصية ... الحديث » ولأبى داود من حديث ابن عمر : سمع مزماراً فوضع أصبعيه على أذنيه . قال أبو داود : وهو منكر .

(٢) حديث « إن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه » تقدم فى كتاب الحلال والحرام

(٣) حديث : النهى عن الحنتم والمزفت والنقير . متفق عليه من حديث ابن عباس .

فلم يكن فى معناها . فبقى على أصل الإباحة قياسا على أصوات الطيور وغيرها ، بل أقول سماع الأوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ حرام أيضا . وبهذا يتبين أنه ليست العلة فى تحريمها مجرد اللذة الطيبة ، بل القياس تحليل الطيبات كلها إلا مافى تحليله فساد . قال الله تعالى ﴿ قل من حرّم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ فهذه الأصوات لاتحرم من حيث إنها أصوات موزونة وإنما تحرم بعارض آخر . كما سيأتى فى العوارض المحرّمة .

الدرجة الثالثة : الموزون والمفهوم ، وهو الشعر وذلك لايخرج إلا من حنجرة الإنسان فيقطع بإباحة ذلك لأنه مازاد إلا كونه مفهوما ، والكلام المفهوم غير حرام والصوت الطيب الموزون غير حرام ، فإذا لم يحرم الآحاد فمن أين يحرم المجموع ؟ نعم ينظر فيما يفهم منه فإن كان فيه أمر محظور حرم نثره ونظمه وحرم النطق به سواء كان بألحان أو لم يكن ، والحق فيه ماقاله الشافعى رحمه الله إذ قال : الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح . ومهما جاز إنشاد الشعر بغير صوت وألحان جاز إنشاده مع الألحان . فإن أفراد المباحات إذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحا . ومهما انضم مباح إلى مباح لم يحرم إلا إذا تضمن المجموع محظورا لاتتضمنه الآحاد . ولامحظور ههنا وكيف ينكر إنشاد الشعر وقد أنشد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] ؟ وقال عليه السلام « إنّ من الشعر لحكمة [2] » وأنشدت عائشة رضى الله عنها :

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم وبقيت فى خلف كجلد الأجرب

وروى فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال رضى الله عنهما ، وكان بها وباء فقلت : يا أبت كيف تجدك ؟ ويا بلال كيف تجدك ؟ فكان أبو بكر رضى الله عنه إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بواد وحولى إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

قالت عائشة رضى الله عنها : فأخبرت بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشدّ [3] » وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم فى بناء المسجد وهو يقول :

---

(١) حديث : إنشاد الشعر بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ متفق عليه من حديث أبى هريرة : أن عمر مر بحسان وهو ينشد الشعر فى المسجد فلحظ إليه فقال : قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك ... الحديث ، ولمسلم من حديث عائشة إنشاد حسان :

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله فى ذاك الجزاء ... القصيدة

وإنشاد حسان أيضاً :

وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد

وللبخارى إنشاد ابن رواحة :

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع .. الأبيات

(٢) حديث « إن من الشعر لحكمة » رواه البخارى من حديث أبى بن كعب وتقدم فى العلم . (٣) حديث عائشة فى الصحيحين : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال ... الحديث . وفيه إنشاد أبى بكر :

كل امرئ مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

وإنشاد بلال :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بواد وحولى إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

قلت : هو فى الصحيحين كما ذكر المصنف لكن أصل الحديث والشعر عند البخارى فقط ليس عند مسلم .

هـذا الحمـــال لاحمال خيبر هـذا ـ أبر ـ ربنـــا وأطهر

وقال أيضا صلى الله عليه وسلم مرة أخرى :

لاهم إنّ العيش عيش الآخره فارحم الأنصار والمهـــاجره[1]

وهذه فى الصحيحين . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينافح ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يؤيد حسان بروح القدس مانافح أوفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] » ولما أنشده النابغة شعره قال له صلى الله عليه وسلم « لا يفضض الله فاك [3] » وقالت عائشة رضى الله عنها « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم « يتناشدون عنده الأشعار وهو يتبسم [4] » وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال : أنشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول أمية بن أبى الصلت كل ذلك يقول « هيه هيه » ثم قال « إن كاد فى شعره ليسلم [5] » وعن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدى له فى السفر . وإنّ أنجشة كان يحدو بالنساء ، والبراء بن مالك كان يحدو بالرجال ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياأنجشة رويدك سوقك بالقوارير [6] » ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة رضى الله عنهم وما هو إلا أشعار تؤدى بأصوات طيبة وألحان موزونة ولم ينقل عن أحد من الصحابة إنكاره ، بل ربما كانوا يلتمسون

---

(١) حديث : كان صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم فى بناء المسجد وهو يقول :

هذا الحمال لاحمال خيبر هذا أبر ـ ربنا ـ وأطهر

وقال صلى الله عليه وسلم مرة أخرى :

اللهم إن العيش عيش الآخره فارحم الأنصـــار والمهاجره

قال المصنف : والبيتان فى الصحيحين . قلت : البيت الأول انفرد به البخارى فى قصة الهجرة من رواية عروة مرسلا وفيه البيت الثاني أيضاً إلا أنه قال « الأجر » بدل « العيش » تمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لى؛ قال ابن شهاب : ولم يبلغنا فى الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هـذا البيت والبيت الثانى فى الصحيحين من حديث أنس يرتجزون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم يقولون :

اللهم لاخير إلا خير الآخره فانصر الأنصـــار والمهاجره

وليس البيت الثانى موزونا ، وفى الصحيحين أيضاً أنه قال فى حفر الخندق بلفظ « فبارك فى الأنصار والمهاجره » وفى رواية « فاغفر » وفى رواية لمسلم « فأكرم » ولهما من حديث سهل بن سعد « فاغفر للمهاجرين والأنصار » .

(٢) حديث : كان يضع لحسان منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينافح ... الحديث . أخرجه البخارى تعليقا ، وأبو داود والترمذى والحاكم متصلا من حديث عائشة ، قال الترمذى : حسن صحيح ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، وفى الصحيحين أنها قالت « إنه كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٣) حديث أنه قال للنابغة لما أنشده شعرا « لايفضض الله فاك » رواه البغوى فى معجم الصحابة ، وابن عبد البر فى الاستيعاب بإسناد ضعيف من حديث النابغة واسمه قيس بن عبد الله قال : أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ولنا نرجو فوق ذلك مظهرا ... الأبيات

ورواه البزار بلفظ « علونا العباد عفة وتكرما ... الأبيات » وفيه : فقال « أحسنت ياأبا ليلى لايفضض الله فاك » وللحاكم من حديث خزيم بن أوس : سمعت العباس يقول : يارسول الله إنى أريد أن أمتدحك ، فقال « قل لايفضض الله فاك » فقال العباس :

من قبلها طبت فى الظلال وفى مستودع حيث يخصف الورق ... الأبيات

(٤) حديث عائشة : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون الأشعار وهو يتبسم . أخرجه الترمذى من حديث جابر بن سمرة وصححه ولم أقف عليه من حديث عائشة . (٥) حديث الشريد : أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول أمية بن أبى الصلت كل ذلك يقول « هيه هيه ... الحديث » رواه مسلم . (٦) حديث أنس : كان يحدى له فى السفر وإن أنجشة كان يحدو بالنساء وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال ... الحديث . رواه أبو داود الطيالسى واتفق الشيخان منه على قصة أنجشة دون ذكر البراء بن مالك .

ذلك تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ . فلا يجوز أن يحرم من حيث إنه كلام مفهوم مستلذ مؤدى بأصوات طيبة وألحان موزونة .

الدرجة الرابعة : النظر فيه من حيث إنه محرك للقلب ومهيج لما هو الغالب عليه . فأقول : لله تعالى سر فى مناسبة النغمات الموزونة للأرواح حتى إنها لتؤثر فيها تأثيراً عجيبا . فمن الأصوات مايفرح ، ومنها مايحزن ، ومنها ماينوم ، ومنها مايضحك ويطرب ، ومنها مايستخرج من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس . ولا ينبغى أن يظن أنّ ذلك لفهم معانى الشعر ، بل جار فى الأوتار حتى قيل من لم يحركه الربيع وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج . وكيف يكون ذلك لفهم المعنى وتأثيره مشاهد فى الصبى فى مهده ؟ فإنه يسكنه الصوت الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه عما يبكيه إلى الإصغاء إليه . والجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثراً يستخف معه الأحمال الثقيلة . ويستقصر لقوة نشاطه فى سماعه المسافات الطويلة ، وينبعث فيه من النشاط مايسكره ويولهه ، فتراها إذا طالت عليها البوادى واعتراها الإعياء والكلال تحت المحامل والأحمال إذا سمعت منادى الحداء تمدّ أعناقها وتصغى إلى الحادى ناصية آذانها وتسرع فى سيرها حتى تتزعزع عليها أحمالها ومحاملها ، وربما تتلف أنفسها من شدّة السير وثقل الحمل وهى لاتشعر به لنشاطها . فقد حكى أبو بكر محمد بن داود الدينورى ـ المعروف بالرقى ـ رضى الله عنه قال : كنت بالبادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فأضافنى رجل منهم وأدخلنى خباءه ، فرأيت فى الخباء عبداً أسود مقيداً بقيد ، ورأيت جمالا قدماتت بين يدى البيت وقدبقى منها جمل وهو ناحل ذابل كأنه ينزع روحه ، فقال لى الغلام : أنت ضيف ولك حق فتشفع فى إلى مولاى فإنه مكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك فى هذا القدر ، فعساه يحل القيد عنى ، قال . فلما أحضروا الطعام امتنعت وقلت لا آكل مالم أشفع فى هذا العبد ، فقال : إن هذا العبد قد أفقرنى وأهلك جميع مالى ، فقلت . ماذا فعل ؟ فقال . إنّ له صوتاً طيباً وإنى كنت أعيش من ظهور هذه الجمال ، فحملها أحمالا ثقالا وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام فى ليلة واحدة من طيب نغمته ، فلما حطت أحمالها ماتت كلها إلا هذا الجمل الواحد ، ولكن أنت ضيفى فلكرامتك قد وهبته لك ، قال : فأحببت أن أسمع صوته ، فلما أصبحنا أمره أن يحدو على جمل يستقى الماء من بئر هناك ، فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقعت أنا على وجهى ، فما أظن أنى سمعت قط صوتاً أطيب منه . فإذن تأثير السماع فى القلب محسوس . ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زائد فى غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على جميع البهائم ، فإن جميعها تتأثر بالنغمات الموزونة . ولذلك كانت الطيور تقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته . ومهما كان النظر فى السماع باعتبار تأثيره فى القلب لم يجز أن يحكم فيه مطلقاً بإباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالأحوال والأشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم مافى القلب .

قال أبو سليمان : السماع لايجعل فى القلب ماليس فيه ولكن يحرك ماهو فيه ، فالترنم بالكلمات المسجعة الموزونة معتاد فى مواضع لأغراض مخصوصة ترتبط بها آثار فى القلب وهى سبعة مواضع :

الأول : غناء الحجيج ، فإنهم أولا يدورون فى البلاد بالطبل والشاهين والغناء ، وذلك مباح لأنها أشعار نظمت فى وصف الكعبة والمقام والحطيم وزمزم وسائر المشاعر ووصف البادية وغيرها ، وأثر ذلك يهيج الشوق إلى حج بيت الله تعالى واشتعال نيرانه إن كان ثم شوق حاصل ، أو استثارة الشوق واجتلابه إن لم يكن حاصلا . وإذا كان الحج قربة والشوق إليه محمودا كان التشويق إليه بكل مايشوق محمودا . وكما يجوز للواعظ أن ينظم كلامه

فى الوعظ ويزينه بالسجع ويشوق الناس إلى الحج بوصف البيت والمشاعر ووصف الثواب عليه جاز لغيره ذلك على نظم الشعر ، فإن الوزن إذا انضاف إلى السجع صار الكلام أوقع فى القلب ، فإذا أضيف إليه صوت طيب ونغمات موزونة زاد وقعه ، فإن أضيف إليه الطبل والشاهين وحركات الإيقاع زاد التأثير . وكل ذلك جائز ما لم يدخل فيه المزامير والأوتار التى هى من شعار الأشرار ، نعم إن قصد به تشويق من لايجوز له الخروج إلى الحج كالذى أسقط الفرض عن نفسه ولم يأذن له أبواه فى الخروج ، فهذا يحرم عليه الخروج . فيحرم تشويقه إلى الحج بالسماع بكل كلام يشوق إلى الخروج فإن التشويق إلى الحرام حرام . وكذلك إن كانت الطريق غير آمنة وكان الهلاك غالبا لم يجز تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق .

الثانى : ما يعتاده الغزاة لتحريض الناس على الغزو . وذلك أيضا مباح كما للحاج ، ولكن ينبغى أن تخالف أشعارهم وطرق ألحانهم أشعار الحاج وطرق ألحانهم ، لأن استثارة داعية الغزو ـ بالتشجيع وتحريك الغيظ والغضب فيه على الكفار وتحسين الشجاعة واستحقار النفس والمال بالإضافة إليه ـ بالأشعار المشجعة . مثل قول المتنبى :

فإن لا تمت تحت السيوف مكرما تمت وتقاس الذل غير مكرم

وقوله أيضا :

يرى الجبناء أن الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم

وأمثال ذلك . وطرق الأوزان المشجعة تخالف الطرق المشوقة . وهذا أيضا مباح فى وقت يباح فيه الغزو . ومندوب إليه وقت يستحب فيه الغزو ، ولكن فى حق من يجوز له الخروج إلى الغزو .

الثالث : الرجزيات التى يستعملها الشجعان فى وقت اللقاء ، والغرض منها التشجيع للنفس وللأنصار وتحريك النشاط فيهم للقتال ، وفيه التمدح بالشجاعة والنجدة ، وذلك إذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان أوقع فى النفس ، وذلك مباح فى كل قتال مباح ، ومندوب فى قتال مندوب ، ومحظور فى قتال المسلمين وأهل الذمة . وكل قتال محظور ، لأن تحريك الدواعى إلى المحظور محظور . وذلك منقول عن شجعان الصحابة رضى الله عنهم كعلى وخالد رضى الله عنهما وغيرهما . ولذلك نقول : ينبغى أن يمنع من الضرب بالشاهين فى معسكر الغزاة فإن صوته مرقق محزن يحلل عقدة الشجاعة ويضعف صرامة النفس ويشوق إلى الأهل والوطن ويورث الفتور فى القتال ، وكذا سائر الأصوات والألحان المرققة للقلب ، فالألحان المرققة المحزنة تباين الألحان المحركة المشجعة فمن فعل ذلك على قصد تغيير القلوب وتفتير الآراء عن القتال الواجب فهو عاص ، ومن فعله على قصد التفتير عن القتال المحظور فهو بذلك مطيع .

الرابع : أصوات النياحة ونغماتها وتأثيرها فى تهييج الحزن والبكاء وملازمة الكآبة والحزن قسمان : محمود ومذموم .

فأما المذموم فكالحزن على مافات قال الله تعالى ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ﴾ والحزن على الأموات من هذا القبيل فإنه تسخط لقضاء الله تعالى وتأسف على مالاتدارك له . فهذا الحزن لما كان مذموما كان تحريكه بالنياحة مذموما فلذلك ورد النهى الصريح عن النياحة [1] .

وأما الحزن المحمود فهو حزن الإنسان على تقصيره فى أمر دينه ، وبكاؤه على خطاياه . والبكاء والتباكى

(١) حديث : النهى عن النياحة . متفق عليه من حديث أم عطية : أخذ علينا النبى صلى الله عليه وسلم فى البيعة أن لانتوح .

والحزن والتحازن على ذلك محمود وعليه بكاء آدم عليه السلام . وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لأنه يبعث على التشمير للتدارك ، ولذلك كانت نياحة داود عليه السلام محمودة إذ كان ذلك مع دوام الحزن وطول البكاء بسبب الخطايا والذنوب ، فقد كان عليه السلام يبكي ويبكي ويحزن حتى كانت الجنائز ترفع من مجالس نياحته . وكان يفعل ذلك بألفاظه وألحانه : وذلك محمود لأن المفضى إلى المحمود محمود . وعلى هذا لايحرم على الواعظ الطيب الصوت أن ينشد على المنبر بألحانه الأشعار المحزنة المرققة للقلب ولا أن يبكي ويتباكى ليتوصل به إلى تبكية غيره وإثارة حزنه .

الخامس : السماع فى اوقات السرور تأكيدا للسرور وتهييجا له ، وهو مباح إن كان ذلك السرور مباحا كالغناء فى أيام العيد وفى العرس وفى وقت قدوم الغائب وفى وقت الوليمة والعقيقة وعند ولادة المولود وعند ختانه وعند حفظه القرآن العزيز . وكل ذلك مباح لأجل إظهار السرور به . ووجه جوازه أن من الألحان ما يثير الفرح والسرور والطرب فكل ماجاز السرور به جاز إثاره السرور فيه . ويدل على هذا من النقل إنشاد النساء على السطوح بالدف والألحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] .

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا * مادعا لله داع

فهذا إظهار السرور لقدومه صلى الله عليه وسلم وهو سرور محمود ، فإظهاره بالشعر والنغمات والرقص والحركات أيضا محمود . فقد نقل عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم أنهم حجلوا فى سرور أصابهم [2] - كما سيأتى فى أحكام الرقص - وهو جائز فى قدوم كل قادم يجوز الفرح به وفى كل سبب مباح من أسباب السرور . ويدل على هذا ماروى فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت « لقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون فى المسجد حتى أكون أنا الذى أسأمه [3] » فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو إشارة إلى طول مدة وقوفها . وروى البخارى ومسلم أيضا فى صحيحيهما حديث عقيل عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها : أن أبابكر رضى الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى تدففان وتضربان والنبي صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما أبوبكر رضى الله عنه فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال « دعهما ياأبابكر فإنها أيام عيد » وقالت عائشة رضى الله عنها : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون فى المسجد فزجرهم عمر رضى الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أمنا يا بنى أرفدة [4] » يعنى من الأمن ومن حديث عمرو بن الحرث عن ابن شهاب نحوه وفيه : تغنيان وتضربان [5] . وفى حديث أبى طاهر

---

(١) حديث . إنشاد النساء عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة من حديث عائشة معضلا وليس فيه ذكر الدف والألحان . (٢) حديث : حجل جماعة من الصحابة فى سرور أصابهم . أخرجه أبو داود من حديث على وسيأتى فى الباب الثانى . (٣) حديث عائشة : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم سترنى بردائه وأنا أنظر الى الحبشة يلعبون فى المسجد ... الحديث . هو كما ذكره المصنف أيضاً فى الصحيحين لكن قوله لأنه فيهما من رواية عقيل عن الزهرى ليس كما ذكر بل هو عند البخارى كما ذكر وعند مسلم من رواية عمرو بن الحارث عنه .

(٤) حديث عائشة : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترنى بثوبه وأنا أنظر الى الحبشة وهم يلعبون فى المسجد فزجرهم عمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم «أمنا يابنى أرفدة» تقدم قبله بحديث دون زجر عمر لهم ... إلى آخره . فرواه مسلم من حديث أبى هريرة دون قوله « أمنا يابنى أرفدة » بل قال « دعهم ياعمر » زاد النسائى « فإنهم بنو أرفدة » ولهما من حديث عائشة « دونكم بنى أرفدة » وقد ذكره المصنف بعد هذا . (٥) حديث عمرو بن الحارث عن ابن شهاب نحوه وفيه « يغنيان ويضربان » رواه مسلم وهو عند البخارى من رواية الأوزاعى عن ابن شهاب .

عن ابن وهب : والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتى والحبشة يلعبون بحرابهم فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسترنى بثوبه - أو بردائه - لكى أنظر إلى لعبهم ثم يقوم من أجلى حتى أكون أنا الذى أنصرف [1] ، وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت : كنت ألعب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان يأتينى صواحب لى فكن يتقنعن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسر لمجيئهن إلى فيلعبن معى [2] وفى رواية أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لها يوما « ماهذا ؟ » قالت : بناتى قال « فما هذا الذى أرى فى وسطهن ؟ » قالت : فرس قال « ماهذا الذى عليه ؟ » قالت : جناحان قال « فرس له جناحان » قالت : أو ماسمعت أنه كان لسليمان بن داود عليه السلام خيل لها أجنحة ؟ قالت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه . والحديث محمول عندنا على عادة الصبيان فى اتخاذ الصورة من الخزف والرقاع من غير تكميل صورته بدليل ماروى فى بعض الروايات أن الفرس كان له جناحان من رقاع . وقالت عائشة رضى الله عنها : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه فدخل أبو بكر رضى الله عنه فانتهرنى وقال : مزمار الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « دعهما » فلما غفل غمزتهما فخرجتا [3] . وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب فإما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم وإما قال « تشتهين تنظرين » فقلت : نعم ، فأقامنى وراءه وخدى على خده ويقول « دونكم يابنى أرفدة » حتى إذا مللت قال « حسبك » قلت : نعم ، قال « فاذهبى » وفى صحيح مسلم : فوضعت رأسى على منكبه فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا الذى انصرفت .

فهذه الأحاديث كلها فى الصحيحين وهو نص صريح فى أن الغناء واللعب ليس بحرام . وفيها دلالة على أنواع من الرخص (الأول) اللعب : ولايخفى عادة الحبشة فى الرقص واللعب . (والثانى) فعل ذلك فى المسجد (والثالث) قوله صلى الله عليه وسلم « دونكم يابنى أرفدة » وهذا أمر باللعب والتماس له فكيف يقدر كونه حراما ؟ (والرابع) منعه لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما عن الإنكار والتغيير وتعليله بأنه يوم عيد أى هو وقت سرور ؟ وهذا من أسباب السرور (والخامس) وقوفه طويلا فى مشاهدة ذلك وسماعه لموافقة عائشة رضى الله عنها . وفيه دليل على أن حسن الخلق فى تطييب قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب أحسن من خشونة الزهد والتقشف فى الامتناع والمنع منه (والسادس) قوله صلى الله عليه وسلم ابتداء لعائشة « أتشتهين أن تنظرى » ولم يكن ذلك عن اضطرار إلى مساعدة الأهل خوفا من غضب أو وحشة ، فإن الالتماس إذا سبق ربما كان الرد سبب وحشة وهو محذور فيقدم محذور على محذور . فأما ابتداء السؤال فلا حاجة فيه (والسابع) الرخصة فى الغناء والضرب بالدف من الجاريتين ، مع أنه شبه ذلك بمزمار الشيطان وفيه بيان أن المزمار المحرم غير ذلك (والثامن) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرع سمعه صوت الجاريتين وهو مضطجع ، ولو كان يضرب بالأوتار فى موضع لما جوز الجلوس ثم لقرع صوت الأوتار سمعه . فيدل هذا على أن صوت النساء غير محرم تحريم صوت المزامير بل إنما يحرم عند خوف الفتنة .

---

(١) حديث أبي طاهر عن ابن وهب : والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتى والحبشة يلعبون بحرابهم ... الحديث . رواه مسلم أيضاً .

(٢) حديث عائشة : كنت ألعب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث . وهو فى الصحيحين كما ذكر المصنف لكن مختصر إلى قولها « فيلعبن معى » . وأما الرواية المطولة التى ذكرها المصنف بقوله : وفى رواية - فليست من الصحيحين إنما رواها أبو داود بإسناد صحيح .

(٣) حديث عائشة : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث ... الحديث . هو فى الصحيحين كما ذكر المصنف ، والرواية التى عزاها لمسلم انفرد بها مسلم كما ذكر .

فهذه المقاييس والنصوص تدل على إباحة الغناء والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحراب والنظر إلى رقص الحبشة والزنوج فى أوقات السرور كلها ـ قياسا على يوم العيد ـ فإنه وقت سرور ، وفى معناه يوم العرس والوليمة والعقيقة والختان ويوم القدوم من السفر وسائر أسباب الفرح وهو كل مايجوز به الفرح شرعا ، ويجوز الفرح بزيارة الإخوان ولقائهم واجتماعهم فى موضع واحد على طعام أو كلام فهو أيضا مظنه السماع .

السادس : سماع العشاق تحريكا للشوق وتهييجا للعشق وتسلية للنفس . فإن كان فى مشاهدة المعشوق فالغرض تأكيد اللذة ، وإن كان مع المفارقة فالغرض تهييج الشوق . والشوق وإن كان ألما ففيه نوع لذة إذا انضاف إليه رجاء الوصال فإن الرجاء لذيذ واليأس مؤلم ، وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق والحب للشيء المرجو . فى هذا السماع تهييج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء المقدر فى الوصال مع الإطناب فى وصف حسن المحبوب . وهذا حلال إن كان المشتاق إليه ممن يباح وصاله كمن يعشق زوجته أو سريته ، فيصغى إلى غنائها لتضاعف لذته فى لقائها . فيحظى بالمشاهدة البصر ، وبالسماع الأذن ، ويفهم لطائف معانى الوصال والفراق القلب ، فتترادف أسباب اللذة . فهذه أنواع تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها ﴿وما الحياة الدنيا إلا لهو ولعب﴾ وهذا منه . وكذلك إن غضبت منه جارية أو حيل بينه وبينها بسبب من الأسباب فله أن يحرك بالسماع شوقه وأن يستثير به لذة رجاء الوصال ، فإن باعها أو طلقها حرم عليه ذلك بعده . إذ لايجوز تحريك الشوق حيث لايجوز تحقيقه بالوصال واللقاء . وأما من يتمثل فى نفسه صورة صبى أو امرأة لايحل له النظر إليها وكان ينزل ما يسمع على ماتمثل فى نفسه فهذا حرام لأنه محرك للفكر فى الأفعال المحظورة ، ومهيج للداعية إلى مالايباح الوصول إليه . وأكثر العشاق والسفهاء من الشباب فى وقت هيجان الشهوة لاينفكون عن إضمار شيء من ذلك : وذلك ممنوع فى حقهم لما فيه من الداء الدفين لا لأمر يرجع إلى نفس السماع . ولذلك سئل حكيم عن العشق فقال . دخان يصعد إلى دماغ الإنسان يزيله الجماع ويهيجه السماع .

السابع : سماع من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه فلا ينظر إلى شيء إلا رآه فيه سبحانه ، ولا يقرع سمعه قارع إلا سمعه منه أو فيه ، فالسماع فى حقه مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه وحبه ومور زناد قلبه ، ومستخرج منه أحوالا من المكاشفات والملاطفات لايحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها وينكرها من كل حسه عن ذوقها . وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجدا مأخوذ من الوجود والمصادفة أى صادف من نفسه أحوالا لم يكن يصادفها قبل السماع . ثم تكون تلك الأحوال أسبابا لروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتنقيه من الكدورات كما تنقى النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث ، ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات وهى غاية مطالب المحبين لله تعالى ونهاية ثمرة القربات كلها فالمفضى إليها من جملة القربات لا من جملة المعاصى والمباحات . وحصول هذه الأحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى فى مناسبة النغمات الموزونة للأرواح وتسخير الأرواح لها وتأثرها بها شوقا وفرحا وحزنا وانبساطا وانقباضا . ومعرفة السبب فى تأثر الأرواح بالأصوات من دقائق علوم المكاشفات . والبليد الجامد القاسى القلب المحروم عن لذة السماع يتعجب من التذاذ المستمع ووجده واضطراب حاله وتغير لونه تعجب البهيمة من لذة اللوزينج ، وتعجب العنين من لذة المباشرة ، وتعجب الصبى من لذة الرياسة واتساع أسباب الجاه ، وتعجب الجاهل من لذة معرفة الله تعالى ومعرفة جلاله وعظمته وعجائب صنعه . ولكل ذلك سبب واحد وهو أن اللذة نوع إدراك والإدراك يستدعى مدركا ويستدعى قوة مدركة . فمن لم تكمل قوة إدراكه لم يتصور منه التلذذ فكيف يدرك لذة الطعوم من فقد الذوق ؟ وكيف يدرك لذة الألحان من فقد السمع ؟ ولذة المعقولات من فقد العقل ؟ وكذلك ذوق السماع

بالقلب بعد وصول الصوت إلى السمع يدرك بحاسة باطنة فى القلب ، فمن فقدها عدم لامحالة لذته

ولعلك تقول : كيف يتصور العشق فى حق الله تعالى حتى يكون السماع محركا له ؟ فاعلم أن من عرف الله أحبه لامحالة ، ومن تأكدت معرفته تأكدت محبته بقدر تأكد معرفته . والمحبة إذا تأكدت سميت عشقا فلا معنى للعشق إلا محبة مؤكدة مفرطة . ولذلك قالت العرب : إن محمدا قد عشق ربه . لما رأوه يتخلى للعبادة فى جبل حراء . واعلم أنّ كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال والله تعالى جميل يحب الجمال . ولكن الجمال إن كان بتناسب الخلقة وصفاء اللون أدرك بحاسة البصر . وإن كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات والأخلاق وإرادة الخيرات لكافة الخلق وإفاضتها عليهم على الدوام إلى غير ذلك من الصفات الباطنة أدرك بحاسة القلب . ولفظ الجمال قد يستعار أيضاً لها فيقال : إنّ فلاناً حسن وجميل ولا تراد صورته . وإنما يعنى به أنه جميل الأخلاق محمود الصفات حسن السيرة ، حتى قد يحب الرجل بهذه الصفات الباطنة استحساناً لها كما تحب الصورة الظاهرة . وقد تتأكد هذه المحبة فتسمى عشقا . وكم من الغلاة فى حب أرباب المذاهب كالشافعى ومالك وأبى حنيفة رضى الله عنهم ؟ حتى يبذلوا أموالهم وأرواحهم فى نصرتهم وموالاتهم ويزيدوا على كل عاشق فى الغلو والمبالغة . ومن العجب أن يعقل عشق شخص لم تشاهد قط صورته أجميل هو أم قبيح وهو الآن ميت ؟ ولكن لجمال صورته الباطنة وسيرته المرضية والخيرات الحاصلة من عمله لأهل الدين وغير ذلك من الخصال . ثم لا يعقل عشق من ترى الخيرات منه . بل على التحقيق من لاخير ولا جمال ولامحبوب فى العالم إلا وهو حسنة من حسناته وأثر من آثار كرمه وغرفة من بحر جوده ، بل كل حسن وجمال فى العالم ادرك بالعقول والأبصار والأسماع وسائر الحواس من مبتدإ العالم إلى منقرضه ومن ذروة الثريا إلى منتهى الثرى فهو ذرّة من خزائن قدرته ولمعة من أنوار حضرته ، فليت شعرى كيف لايعقل حب من هذا وصفه ؟ وكيف لايتأكد عند العارفين بأوصافه حبه حتى يجاوز حدّا يكون إطلاق اسم العشق عليه ظلماً فى حقه لقصوره عن الإنباء عن فرط محبته ؟ فسبحان من احتجب عن الظهور بشدّة ظهوره واستتر عن الأبصار بإشراق نوره ، ولولا احتجابه بسبعين حجاباً من نوره لاحرقت سبحات وجهه أبصار الملاحظين لجمال حضرته ، ولولا أنّ ظهوره سبب خفائه لبهتت العقول ودهشت القلوب وتخاذلت القوى وتنافرت الأعضاء ، ولو ركبت القلوب من الحجارة والحديد لأصبحت تحت مبادى أنوار تجليه دكا دكا ، فأنى تطيق كنه نور الشمس أبصار الخفافيش . وسيأتى تحقيق هذه الإشارة فى كتاب المحبة . ويتضح أن محبة غير الله تعالى قصور وجهل بل المتحقق بالمعرفة لايعرف غير الله تعالى ، إذ ليس فى الوجود تحقيقاً إلا الله وأفعاله . ومن عرف الأفعال من حيث إنها أفعال لم يجاوز معرفة الفاعل إلى غيره . فمن عرف الشافعى مثلا رحمه الله وعلمه وتصنيفه من حيث إنه تصنيفه ـ لا من حيث إنه بياض وجلد وحبر وورق وكلام منظوم ولغة عربية ـ فلقد عرفه ولم يجاوز معرفة الشافعى إلى غيره ، ولا جاوزت محبته إلى غيره ، فكل موجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وفعله وبديع أفعاله فمن عرفها من حيث هى صنع الله تعالى فرأى من الصنع صفات الصانع كما يرى من حسن التصنيف فضل المصنف وجلالة قدره كانت معرفته ومحبته مقصورة على الله تعالى غير مجاوزة إلى سواه . ومن حدّ هذا العشق أنه لا يقبل الشركة وكل ماسوى هذا العشق فهو قابل للشركة ؛ إذ كل محبوب سواه يتصوّر له نظير إما فى الوجود وإما فى الإمكان . فأما هذا الجمال فلا يتصوّر له ثان لافى الإمكان ولا فى الوجود . فكان اسم العشق على حب غيره مجازاً محضا لا حقيقة . نعم الناقص القريب فى نقصانه من البهيمة قد لايدرك من لفظة العشق إلا طلب الوصال الذى هو عبارة عن تماس

ظواهر الأجسام وقضاء شهوة الوقاع . فمثل هذا الحمار ينبغى أن لايستعمل معه لفظة العشق والشوق والوصال والأنس ، بل يجنب هذه الألفاظ والمعانى كما تجنب البهيمة النرجس والريحان وتخصص بالفت والحشيش وأوراق القضبان . فإنّ الألفاظ إنما يجوز إطلاقها فى حق الله تعالى إذا لم تكن موهمة معنى يجب تقديس الله تعالى عنه . والأوهام تختلف باختلاف الأفهام فليتنبه لهذه الدقيقة فى أمثال هذه الألفاظ ، بل لايبعد أن ينشأ من مجرّد السماع لصفات الله تعالى وجد غالب يقطع بسببه نياط القلب . فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه ذكر غلاما كان فى بنى إسرائيل على جبل فقال لأمه : من خلق السماء ؟ قالت : الله عزوجل ، قال : فمن خلق الأرض ؟ قالت : الله عز وجل ، قال : فمن خلق الجبال ؟ قالت . الله عز وجل ، قال : فمن خلق الغيم ؟ قالت : الله عز وجل ، قال : إنى لأسمع لله شأنا . ثم رمى بنفسه من الجبل فتقطع [1] . وهذا كأنه سمع مادل على جلال الله تعالى وتمام قدرته فطرب لذلك ووجد فرمى بنفسه من الوجد . وما أنزلت الكتب إلا ليطربوا بذكر الله تعالى . قال بعضهم : رأيت مكتوبا فى الإنجيل ؛ غنينا لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا . أى شوقناكم بذكر الله تعالى فلم تشتاقوا . فهذا ماأردنا أن نذكره من أقسام السماع وبواعثه ومقتضياته وقد ظهر على القطع إباحته فى بعض المواضع والندب إليه فى بعض المواضع .

* فإن قلت : فهل له حالة يحرم فيها ؟ فأقول إنه يحرم بخمسة عوارض : عارض فى المسمع ، وعارض فى آلة الإسماع ، وعارض فى نظم الصوت ، وعارض فى نفس المستمع أو فى مواظبته ، وعارض فى كون الشخص من عوام الخلق ، لأن أركان السماع هى المسمع والمستمع وآلة الإسماع .

العارض الأول ، أن يكون المسمع امرأة لايحل النظر إليها وتخشى الفتنة من سماعها ، وفى معناها الصبى الأمرد الذى تخشى فتنته ، وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنة وليس ذلك لأجل الغناء ، بل لوكانت المرأة بحيث يفتتن بصوتها فى المحاورة من غير ألحان فلا يجوز محاورتها ومحادثتها ولا سماع صوتها فى القرآن أيضا ، وكذلك الصبى الذى تخاف فتنته .

فإن قلت : فهل تقول إن ذلك حرام بكل حال حسما للباب أو لا يحرم إلا حيث تخاف الفتنة فى حق من يخاف العنت . فأقول : هذه مسألة محتملة من حيث الفقه يتجاذبها أصلان ؛ أحدهما ؟ أن الخلوة بالأجنبية والنظر إلى وجهها حرام سواء خيفت الفتنة أو لم تخف لأنها مظنة الفتنة على الجملة . فقضى الشرع بحسم الباب من غير التفات إلى الصور ؟ والثانى : أن النظر إلى الصبيان مباح إلا عند خوف الفتنة فلا يلحق الصبيان بالنساء فى عموم الحسم بل يتبع فيه الحال : وصوت المرأة دائر بين هذين الأصلين فإن قسناه على النظر إليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب ، ولكن بينهما فرق إذ الشهوة تدعو إلى النظر فى أول هيجانها ولاتدعو إلى سماع الصوت وليس تحريك النظر لشهوة المماسة كتحريك السماع بل هو أشد . وصوت المرأة فى غير الغناء ليس بعورة فلم تزل النساء فى زمن الصحابة رضى الله عنهم يكلمن الرجال فى السلام والاستفتاء والسؤال والمشاورة وغير ذلك . ولكن الغناء مزيد أثر فى تحريك الشهوة . فقياس هذا على النظر إلى الصبيان أولى لأنهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم تؤمر النساء بستر الأصوات . فينبغى أن يتبع مثار الفتن ويقصر التحريم عليه . هذا هو الأقيس عندى ويتأيد بحديث الجاريتين المغنيتين فى بيت عائشة رضى الله عنها ؛ إذ يعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يسمع أصواتهما ولم يحترز منه ، ولكن لم تكن

(١) حديث أبى هريرة : إن غلاما كان فى بنى إسرائيل على جبل فقال لأمه : من خلق السماء ؟ فقالت : الله . . . الحديث . وفيه « ثم رمى نفسه من الجبل فتقطع » رواه ابن حبان .

الفتنة مخوفة عليه فلذلك لم يحترز . فإذن يختلف هذا بأحوال المرأة وأحوال الرجل فى كونه شابا وشيخا ولا يبعد أن يختلف الأمر فى مثل هذا بالأحوال . فإنا نقول : للشيخ أن يقبل زوجته وهو صائم وليس للشاب ذلك ؛ لأن القبلة تدعو إلى الوقاع فى الصوم وهو محظور ، والسماع يدعو إلى النظر والمقاربة وهو حرام فيختلف ذلك أيضا بالأشخاص .

العارض الثانى : فى الآلة ، بأن تكون من شعار أهل الشرف أو المخنثين وهى المزامير والأوتار وطبل الكوبة . فهذه ثلاثة أنواع ممنوعة . وماعدا ذلك يبقى على أصل الإباحة كالدف ـ وإن كان فيه الجلاجل ـ وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات .

العارض الثالث : فى نظم الصوت وهو الشعر فإن كان فيه شىء من الخنا والفحش والهجو أوماهو كذب على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم أوعلى الصحابة رضى الله عنهم ، كما رتبه الروافض فى هجاء الصحابة وغيرهم ، فسماع ذلك حرام بألحان وغير ألحان ، والمستمع شريك للقائل . وكذلك مافيه وصف امرأة بعينها فإنه لايجوز وصف المرأة بين الرجال . وأما هجاء الكفار وأهل البدع فذلك جائز . فقد كان حسان بن ثابت رضى الله عنه ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهاجى الكفار وأمره صلى الله عليه وسلم بذلك [1] فأما النسيب وهو التشبيه بوصف الخدود والأصداغ وحسن القد والقامة وسائر أوصاف النساء فهذا فيه نظر . والصحيح أنه لايحرم نظمه وإنشاده بلحن وغير لحن . وعلى المستمع أن لا ينزله على امرأة معينة فإن نزله فلينزله على من يحل له من زوجته وجاريته : فإن نزله على أجنبية فهو العاصى بالتنزيل وإحالة الفكر فيه . ومن هذا وصفه فينبغى أن يجتنب السماع رأسا فإن من غلب عليه عشق نزل كل مايسمعه عليه ؛ سوء كان اللفظ مناسبا له أو لم يكن ، إذ ما من لفظ إلا ويمكن تنزيله على معان بطريق الاستعارة ، فالذى يغلب على قلبه حب الله تعالى يتذكر بسواد الصدغ مثلا ظلمة الكفر ، وبنضارة الخد نور الإيمان ، وبذكر الوصال لقاء الله تعالى ، وبذكر الفراق الحجاب عن الله تعالى فى زمرة المردودين ، وبذكر الرقيب المشوش لروح الوصال عوائق الدنيا وآفاتها المشوشة لدوام الأنس بالله تعالى ، ولا يحتاج فى تنزيل ذلك عليه إلى استنباط وتفكر ومهلة ، بل تسبق المعانى الغالبة على القلب إلى فهمه مع اللفظ .

كما روى عن بعض الشيوخ ، أنه مر فى السوق فسمع واحدا يقول : الخيار عشرة بحبة ، فغلبه الوجد ، فسئل عن ذلك فقال : إذا كان الخيار عشرة بحبة فما قيمة الأشرار ؟ واجتاز بعضهم فى السوق فسمع قائلا يقول : ياسعتر برى ، فغلبه الوجد فقيل له : على ماذا كان وجدك ؟ فقال ؟ سمعته كأنه يقول اسع تر برى ، حتى إن العجمى قد يغلب عليه الوجد على الأبيات المنظومة بلغة العرب فإن بعض حروفها يوازن الحروف العجمية فيفهم منها معان أخر . أنشد بعضهم :

* وما زارنى فى الليل إلا خياله *

فتواجد عليه رجل أعجمى . فسئل عن سبب وجده فقال ، إنه يقول : ما زاريم . وهو كما يقول فإن لفظ « زار » يدل فى العجمية على المشرف على الهلاك ، فتوهم أنه يقول : كانا مشرفون على الهلاك ، فاستشعر عند ذلك خطر هلاك الآخرة .

والمحترق فى حب الله تعالى وجده بحسب فهمه ، وفهمه بحسب تخيله وليس من شرط تخيله أن يوافق مراد

---

(١) حديث : أمره صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت بهجاء المشركين . متفق عليه من حديث البراء : أنه صلى الله عليه وسلم قال لحسان « اهجهم أو هاجهم وجبريل معك »

الشاعر ولغته . فهذا الوجد حق وصدق . ومن استشعر خطر هلاك الآخرة فجدير بأن يتشوش عليه عقله وتضطرب عليه أعضاؤه . فإذن ليس فى تغيير أعيان الألفاظ كبير فائدة ، بل الذى غلب عشق مخلوق ينبغى أن يحترز من السماع بأى لفظ كان ، والذى غلب عليه حب الله تعالى فلا تضره الألفاظ ولا تمنعه عن فهم المعانى اللطيفة المتعلقة بمجارى همته الشريفة .

العارض الرابع : فى المستمع ، وهو أن تكون الشهوة غالبة عليه وكان فى غرة الشباب وكانت هذه الصفة أغلب عليه من غيرها ، فالسماع حرام عليه سواء غلب على قلبه حب شخص معين أو لم يغلب ، فإنه كيفما كان فلا يسمع وصف الصدغ والخد والفراق والوصال إلا ويحرك ذلك شهوته وينزله على صورة معينة ينفخ الشيطان بها فى قلبه فتشتعل فيه نار الشهوة وتحتد بواعث الشر . وذلك هو النصرة لحزب الشيطان والتخذيل للعقل المانع منه الذى هو حزب الله تعالى ، والقتال فى القلب دائم جنود الشيطان وهى الشهوات ، وبين حزب الله تعالى وهو نور العقل ، إلا فى قلب قد فتحه أحد الجندين واستولى عليه بالكلية . وغالب القلوب الآن قد فتحها جند الشيطان وغلب عليها فتحتاج حينئذ إلى أن تستأنف أسباب القتال لازعاجها فكيف يجوز تكثير أسلحتها وتشحيذ سيوفها وأسنتها : والسماع مشحذ لأسلحة جند الشيطان فى حق مثل هذا الشخص . فليخرج مثل هذا عن مجمع السماع فإنه يستضر به .

العارض الخامس : أن يكون الشخص من عوام الخلق ولم يغلب عليه حب الله تعالى فيكون السماع له محبوبا ، ولو غلبت عليه شهوة فيكون فى حقه محظورا . ولكنه أبيح فى حقه كسائر أنواع اللذات المباحة ، إلا أنه إذا اتخذه شيدنه وهجيراه وقصر عليه أكثر أوقاته فهذا هو السفيه الذى تردشهادته ، فإن المواظبة على اللهو جناية . وكما أن الصغيرة بالإصرار والمداومة تصير كبيرة فكذلك بعض المباحات بالمداومة تصير صغيرة ، وهو كالمواظبة على متابعة الزنوج والحبشة والنظر إلى لعبهم على الدوام فإنه ممنوع وإن لم يكن أصله ممنوعا إذ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن هذا القبيل اللعب بالشطرنج فإنه مباح ولكن المواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة . ومهما كان الغرض اللعب والتلذذ باللهو فذلك إنما يباح لما فيه من ترويح القلب ، إذ راحة القلب معالجة له فى بعض الأوقات لتنبعث دواعيه فيشتغل فى سائر الأوقات بالجد فى الدنيا كالكسب والتجارة ، أو فى الدين كالصلاة والقراءة . واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان الخال على الخد ، ولو استوعبت الخيلان الوجه لشوهته فما أقبح ذلك ! فيعود الحسن قبحا بسبب الكثرة فما كل حسن يحسن كثيره ولا كل مباح يباح كثيره ، بل الخبز مباح والاستكثار منه حرام . فهذا المباح كسائر المباحات .

* فإن قلت : فقد أدى مساق هذا الكلام إلى أنه مباح فى بعض الأحوال دون بعض فلم أطلقت القول أولا بالإباحة إذ إطلاق القول فى المفصل بلا أو بنعم خلف وخطأ ؟ فاعلم أن هذا غلط لأن الإطلاق إنما يمتنع لتفصيل ينشأ من عين ما فيه النظر ، فأما ما ينشأ من الأحوال العارضة المتصلة به من خارج فلا يمنع الإطلاق ، ألا ترى أنا إذا سئلنا عن العسل أهو حلال أم لا ؟ قلنا : إنه حلال ، على الإطلاق مع أنه حرام على المحرور الذى يستضر به وإذا سئلنا عن الخمر قلنا . إنها حرام . مع إنها تحل لمن غص بلقمة أن يشربها مهما لم يجد غيرها ، ولكن هى من حيث إنها خمر حرام وإنما أبيحت لعارض الحاجة . والعسل من حيث إنه عسل حلال وإنما حرم لعارض الضرر ، وما يكون لعارض فلا يلتفت إليه فإن البيع حلال ويحرم بعارض الوقوع فى وقت النداء يوم الجمعة ونحوه من العوارض ، والسماع من جملة المباحات من حيث إنه سماع صوت طيب موزون مفهوم وإنما تحريمه لعارض خارج

عن حقيقة ذاته . فإذا انكشف الغطاء عن دليل الإباحة فلا نبالى بمن يخالف بعد ظهور الدليل .

وأما الشافعى رضى الله عنه فليس تحريم الغناء من مذهبه أصلا . وقد نص الشافعى وقال فى الرجل يتخذه صناعة : لاتجوز شهادته . وذلك لأنه من اللهو المكروه الذى يشبه الباطل ، ومن اتخذه صنعة كان منسوبا إلى السفاهة وسقوط المروءة ، وإن لم يكن محرما بين التحريم . فإن كان لاينسب نفسه إلى الغناء ولايؤتى لذلك ولايأتى لأجله وإنما يعرف بأنه قد يطرب فى الحال فيترنم بها لم يسقط هذا مروءته ولم يبطل شهادته . واستدل بحديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان فى بيت عائشة رضى الله عنها ، وقال يونس بن عبد الأعلى : سألت الشافعى رحمه الله عن إباحة أهل المدينة للسماع فقال الشافعى . لا أعلم أحدا من علماء الحجاز كره السماع إلا ما كان منه فى الأوصاف ، فأما الحداء وذكر الأطلال والمرابع وتحسين الصوت بألحان الأشعار فمباح .

وحيث قال : إنه لهو مكروه يشبه الباطل فقوله « لهو » صحيح . ولكن اللهو من حيث إنه لهو ليس بحرام فلعب الحبشة ورقصهم لهو وقد كان صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ولا يكرهه . بل اللهو واللغو لا يؤاخذ الله تعالى به إن عنى به أنه فعل ما لا فائدة فيه . فإن الإنسان لو وظف على نفسه أن يضع يده على رأسه فى اليوم مائة مرة فهذا عبث لافائدة له ولا يحرم . قال الله تعالى ﴿ لايؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ﴾ فإذا كان ذكر اسم الله تعالى على الشىء على طريق القسم من غير عقد عليه ولا تصميم والمخالفة فيه مع أنه لافائدة فيه لايؤاخذ فكيف يؤاخذ به بالشعر والرقص ؟

وأما قوله « يشبه الباطل » فهذا لايدل على اعتقاد تحريمه ، بل لو قال : هو باطل صريحا . لما دل على التحريم وإنما يدل على خلوه عن الفائدة ، فالباطل مالا فائدة فيه . فقول الرجل لامرأته مثلا : بعت نفسى منك ، وقولها : اشتريت ، عقد باطل مهما كان القصد اللعب والمطايبة وليس بحرام الا إذا قصد به التمليك المحقق منع الشرع منه .

وأما قوله « مكروه » فينزل بعض المواضع التى ذكرتها لك أو ينزل على التنزيه فإنه نص على إباحة لعب الشطرنج وذكر أنى أكره لعب وتعليله يدل عليه فإنه قال : ليس ذلك من عادة ذوى الدين والمروءة . فهذا يدل على التنزيه . ورده الشهادة بالمواظبة عليه لايدل على تحريمه أيضا بل قد ترد الشهادة بالأكل فى السوق وما يخرم المروءة ، بل الحياكة مباحة وليست من صنائع ذوى المروءة ، وقد ترد شهادة المحترف بالحرفة الخسيسة فتعليله يدل على أنه أراد بالكراهة التنزيه . وهذا هو الظن أيضا بغيره من كبار الأئمة . وإن أرادوا التحريم فما ذكرناه حجة عليهم .

بيان حجج القائلين بتحريم السماع والجواب عنها

احتجوا بقوله تعالى ﴿ ومن الناس من يشترى لهو الحديث ﴾ قال ابن مسعود والحسن البصرى والنخعى رضى الله عنهم : إنّ لهو الحديث هو الغناء . وروت عائشة رضى الله عنها أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى حرّم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها [1] » فنقول : أما القينة فالمراد بها الجارية التى تغنى للرجال فى مجلس الشرب . وقد ذكرنا أن غناء الأجنبية للفساق ومن يخاف عليهم الفتنة حرام ، وهم لايقصدون بالفتنة إلا ماهو محظور ، فأما غناء الجارية لمالكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث ، بل لغير مالكها سماعها عند عدم الفتنة . بدليل ماروى فى الصحيحين من غناء الجاريتين فى بيت عائشة رضى الله عنها . وأما شراء لهو الحديث بالدين استبدالا به ليضل به عن سبيل الله

(١) حديث عائشة : إن الله حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها . أخرجه الطبرانى فى الأوسط بإسناد ضعيف ، قال البيهقى ليس بمحفوظ .

فهو حرام مذموم ، وليس النزاع فيه ، وليس كل غناء بدلا عن الدين مشترى به ومضلا عن سبيل الله تعالى ، وهو المراد فى الآية . ولو قرأ القرآن ليضل به عن سبيل الله لكان حراما .

حكى عن بعض المنافقين أنه كان يؤم الناس ولا يقرأ إلا سورة عبس لما فيها من العتاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمر بقتله ، ورأى فعله حراما لما فيه من الإضلال . فالإضلال بالشعر والغناء أولى بالتحريم .

واحتجوا بقوله تعالى ﴿ أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما : هو الغناء بلغة حمير ـ يعنى السمد ـ فنقول : ينبغى أن يحرم الضحك وعدم البكاء أيضا لأن الآية تشتمل عليه .

* فإن قيل : إنّ ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لإسلامهم ؟ فهذا أيضا مخصوص بأشعارهم وغنائهم فى معرض الاستهزاء بالمسلمين كما قال تعالى ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾ وأراد به شعراء الكفار . ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر فى نفسه .

واحتجوا بما روى جابر رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « كان إبليس أول من ناح وأول من تغنى [1] » فقد جمع بين النياحة والغناء ؟ قلنا : لا جرم كما استثنى منه نياحة داود عليه السلام ونياحة المذنبين على خطاياهم فكذلك يستثنى الغناء الذى يراد به تحريك السرور والحزن والشوق حيث يباح تحريكه ، بل كما استثنى غناء الجاريتين يوم العيد فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغناؤهن عند قدومه عليه السلام بقولهن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

واحتجوا بما روى أبو أمامة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « مارفع أحد صوته بغناء إلا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك [2] » قلنا : هو منزل على بعض أنواع الغناء الذى قدمناه وهو الذى يحرك من القلب ماهو مراد الشيطان من الشهوة وعشق المخلوقين ، فأما مايحرك الشوق إلى الله أو السرور بالعيد أو حدوث الولد أو قدوم الغائب فهذا كله يضاد مراد الشيطان . بدليل قصة الجاريتين والحبشة والأخبار التى نقلناها من الصحاح فالتجويز فى موضع واحد نص فى الإباحة ، والمنع فى ألف موضع محتمل للتأويل ومحتمل للتنزيل. أما الفعل فلا تأويل له ، إذ ماحرم فعله إنما يحل بعارض الإكراه فقط ، وما أبيح فعله يحرم بعوارض كثيرة حتى النيات والقصود .

واحتجوا بما روى عقبة بن عامر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « كل شىء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته لامرأته [3] » قلنا : فقوله « باطل » لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة وقد يسلم ذلك . على أن التلهى بالنظر إلى الحبشة خارج عن هذه الثلاثة وليس بحرام ، بل يلحق بالمحصور غير المحصور قياسا كقوله صلى الله عليه وسلم « لايحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث [4] » فإنه يلحق به رابع وخامس فكذلك ملاعبة امرأته لا فائدة له إلا التلذذ . وفى هذا دليل على أنّ التفرج فى البساتين وسماع أصوات الطيور وأنواع المداعبات مما يلهو به الرجل لايحرم عليه شىء منها وإن جاز وصفه بأنه باطل .

---

(١) حديث جابر : كان إبليس أول من ناح وأول من تغنى . لم أجد له أصلا من حديث جابر وذكره صاحب الفردوس من حديث على بن أبى طالب ولم يخرجه ولده فى مسنده . (٢) حديث أبى أمامة : ما رفع أحد حقيرته بغناء الا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك . أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الملاهى والطبرانى فى الكبير وهو ضعيف .

(٣) حديث عقبة بن عامر « كل شىء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته زوجته » أخرجه أصحاب السنن الأربعة وفيه اضطراب . (٤) حديث « لايحل دم امرئ إلا بإحدى ثلاث » متفق عليه من حديث ابن مسعود .

واحتجوا بقول عثمان رضى الله عنه : ماتغنيت ولاتمنيت ولامسست ذكرى بيمينى مذ بايعت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلنا : فليكن التمنى ومس الذكر باليمنى حراما ، إن كان هذا دليل تحريم الغناء فمن أين يثبت أن عثمان رضى الله عنه كان لايترك إلا الحرام ؟

واحتجوا بقول ابن مسعود رضى الله عنه : الغناء ينبت فى القلب النفاق ـ وزاد بعضهم ـ كما ينبت الماء البقل [1] ورفعه بعضهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غير صحيح . قالوا : ومر على ابن عمر رضى الله عنهما قوم محرمون وفيهم رجل يتغنى فقال : ألا لا أسمع الله لكم ألا لا أسمع الله لكم . وعن نافع أنه قال : كنت مع ابن عمر رضى الله عنهما فى طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه فى أذنيه ثم عدل عن الطريق ؛ فلم يزل يقول : يانافع أتسمع ذلك ؟ حتى قلت : لافأخرج أصبعيه وقال . هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع [2] وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : الغناء رقية الزنا . وقال بعضهم : الغناء رائد من رواد الفجور. وقال يزيد بن الوليد : إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ويزيد الشهوة ويهدم المروءة ، وإنه لينوب عن الخمر ويفعل مايفعله السكر ، فإن كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء فإن الغناء داعية الزنا . فنقول : قول ابن مسعود رضى الله عنه « ينبت النفاق » أراد به فى حق المغنى ، فإنه فى حقه ينبت النفاق إذ غرضه كله أن يعرض نفسه على غيره ويروج صوته عليه ، ولايزال ينافق ويتودد إلى الناس ليرغبوا فى غنائه ، وذلك أيضاً لايوجب تحريما . فإن لبس الثياب الجميلة وركوب الخيل المهملجة وسائر أنواع الزينة والتفاخر بالحرث والأنعام والزرع وغير ذلك ينبت فى القلب النفاق والرياء ، ولا يطلق القول بتحريم ذلك كله . فليس السبب فى ظهور النفاق فى القلب المعاصى فقط ، بل المباحات التى هى مواقع نظر الخلق أكثر تأثيرا . ولذلك نزل عمر رضى الله عنه عن فرس هملج تحته وقطع ذنبه لأنه استشعر فى نفسه الخيلاء لحسن مطيته . فهذا النفاق من المباحات . وأما قول ابن عمر رضى الله عنهما : ألالا أسمع الله لكم . فلا يدل على التحريم من حيث إنه غناء بل كانوا محرمين ولا يليق بهم الرفث ، وظهر له من مخايلهم أن سماعهم لم يكن لوجد وشوق إلى زيارة بيت الله تعالى بل لمجرد اللهو ، فأنكر ذلك عليهم لكونه منكرا بالإضافة إلى حالهم وحال الإحرام . وحكايات الأحوال تكثر فيها وجوه الاحتمال . وأما وضعه أصبعيه فى أذنيه فيعارضه أنه لم يأمر نافعا بذلك ولاأنكر عليه سماعه ، وإنما فعل ذلك هو لأنه رأى أن ينزه سمعه فى الحال وقلبه عن صوت ربما يحرك اللهو ويمنعه عن فكر كان فيه أو ذكر هو أولى منه . وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ مع أنه لم يمنع ابن عمر ـ لايدل أيضا على التحريم . بل يدل على أن الأولى تركه . ونحن نرى أن الأولى تركه فى أكثر الأحوال ، بل أكثر مباحات الدنيا الأولى تركها إذا علم أن ذلك يؤثر فى القلب . فقد خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبى جهم إذ كانت عليه أعلام شغلت قلبه [3] أفترى أن ذلك يدل على تحريم الأعلام على الثوب ؟ فلعله صلى الله عليه وسلم كان فى حالة كان صوت زمارة الراعى يشغله عن تلك الحالة كما شغله العلم عن الصلاة . بل الحاجة إلى استثارة الأحوال الشريفة من القلب بحيلة السماع قصور بالإضافة إلى من هو دائم الشهود للحق ، وإن كان كمالا بالإضافة إلى غيره . ولذلك قال الحصرى : ماذا أعمل بسماع ينقطع إذا مات من

---

(١) حديث ابن مسعود « الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل » قال المصنف والمرفوع غير صحيح لأن فى إسناده من لم يسم ، رواه أبو داود وهو فى رواية ابن العبد ليس فى رواية اللؤلؤى ورواه البيهقى مرفوعا وموقوفا . (٢) حديث نافع : كنت وابن عمر فى طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه فى أذنيه ... الحديث . ورفعه أبو داود وقال هذا حديث منكر

(٣) حديث : خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبى جهم إذ كان عليه أعلام شغلت قلبه . تقدم فى الصلاة .

يسمع منه ؟ إشارة إلى أن السماع من الله تعالى هو الدائم . فالأنبياء عليهم السلام على الدوام فى لذة السمع والشهود فلا يحتاجون إلى التحريك بالحيلة . وأما قول الفضيل : هو رقية الزنا . وكذلك ماعداه من الأقاويل القريبة منه . فهو منزل على سماع الفساق والمغتلمين من الشبان . ولو كان ذلك عاما لما سمع من الجاريتين فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما القياس : فغاية مايذكر فيه أن يقاس على الأوتار ، وقد سبق الفرق ، أو يقال هو لهو ولعب ، وهو كذلك ولكن الدنيا كلها لهو ولعب . قال عمر رضى الله عنه لزوجته : إنما أنت لعبة فى زاوية البيت . وجميع الملاعبة مع النساء لهو إلا الحراثة التى هى سبب وجود الولد . وكذلك المزح الذى لافحش فيه حلال . نقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة ، كما سيأتى تفصيله فى كتاب « آفات اللسان » إن شاء الله[1] وأى لهو يزيد على لهو الحبشة والزنوج فى لعبهم وقد ثبت بالنص إباحته ؟ على أنى أقول : اللهو مروح للقلب ومخفف عنه أعباء الفكر ، والقلوب إذا أكرهت عميت وترويحها إعانة لها على الجد ، فالمواظب على التفقة مثلا ينبغى أن يتعطل يوم الجمعة لأن عطلة يوم تبعث على النشاط فى سائر الأيام ، والمواظب على نوافل الصلوات فى سائر الأوقات ينبغى أن يتعطل فى بعض الأوقات ، ولأجله كرهت الصلاة فى بعض الأوقات . فالعطلة معونة على العمل واللهو معين على الجد ، ولا يصبر على الجد المحض والحق المر إلا نفوس الأنبياء عليهم السلام . فاللهو دواء القلب من داء الإعياء والملال ، فينبغى أن يكون مباحا ولكن لاينبغى أن يستكثر منه كما لايستكثر من الدواء فإذاً اللهو على هذه النية يصير قربة ، هذا فى حق من لايحرك السماع من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها بل ليس له إلا اللذة والاستراحة المحضة ، فينبغى أن يستحب له ذلك ليتوصل به إلى المقصود الذى ذكرناه . نعم هذا يدل على نقصان عن ذروة الكمال فإن الكامل هو الذى لايحتاج أن يروح نفسه بغير الحق ، ولكن حسنات الأبرار سيئات المقربين ومن أحاط بعلم علاج القلوب ووجوه التلطف بها لسياقتها إلى الحق علم قطعا أن ترويحها بأمثال هذه الأمور دواء نافع لاغنى عنه .

الباب الثانى : آثار السماع وآدابه

اعلم أن أول درجة السماع فهم المسموع وتنزيله على معنى يقع للمستمع ، ثم يثمر الفهم الوجد ، ويثمر الوجد الحركة بالجوارح . فلينظر فى هذه المقامات الثلاثة .

المقام الأول : فى الفهم ، وهو يختلف باختلاف أحوال المستمع .

وللمستمع أربعة أحوال ، إحداها : أن يكون سماع بمجرد الطبع أى لاحظ له فى السماع إلا استلذاذ الألحان والنغمات ، وهذا مباح وهو أخسر رتب السماع ، إذ الإبل شريكه له فيه وكذا سائر البهائم بل لايستدعى هذا الذوق إلا الحياة ، فلكل حيوان نوع تلذذ بالأصوات الطيبة .

الحالة الثانية : أن يسمع بفهم ولكن ينزله على صورة مخلوق إما معينا وإما غير معين ، وهو سماع الشباب وأرباب الشهوات ويكون تنزيلهم للمسموع على حسب شهواتهم ومقتضى أحوالهم ، وهذه الحالة أخس من أن نتكلم فيها إلا ببيان خستها والنهى عنها .

الحالة الثالثة : أن ينزل مايسمعه على أحوال نفسه فى معاملته لله تعالى وتقلب أحواله فى التمكن مرة والتعذر أخرى ، وهذا سماع المريدين لاسيما المبتدئين ، فإن للمريد لامحالة مرادا هو مقصده ، ومقصده معرفة الله سبحانه

---

(١) حديث مزاحه صلى الله عليه وسلم . يأتى فى آفات اللسان كما قال المصنف .

ولقاؤه والوصول إليه بطريق المشاهدة بالسر وكشف الغطاء ، وله فى مقصده طريق هو سالكه ، ومعاملات هو مثابر عليها ، وحالات تستقبله فى معاملاته . فإذا سمع ذكر عتاب أو خطاب أو قبول أو رد أو وصل أو هجر أو قرب أو بعد أو تلهف على فائت أو تعطش إلى منتظر أو شوق إلى وارد أو طمع أو يأس أو وحشة أو استئناس أو وفاء بالوعد أو نقض للعهد أو خوف فراق أو فرح بوصال أو ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب أو هموم العبرات أو ترادف الحسرات أو طول الفراق أو عدة الوصال أو غير ذلك مما يشتمل على وصفه الأشعار فلابد أن يوافق بعضها حال المريد فى طلبه فيجرى ذلك مجرى القدح الذى يورى زناد قلبه ، فتشتعل به نيرانه ويقوى به انبعاث الشوق وهيجانه ويهجم عليه بسببه أحوال مخالفة لعادته ويكون له مجال رحب فى تنزيل الألفاظ على أحواله . وليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه ، بل لكل كلام وجوه ، ولكل ذى فهم فى اقتباس المعنى منه حظوظ . ولنضرب لهذه التنزيلات والفهوم أمثلة كى لا يظن الجاهل أن المستمع لأبيات فيها ذكر الفم والخد والصدغ إنما يفهم منها ظواهرها . ولا حاجة بنا إلى ذكر كيفية فهم المعانى من الأبيات ففى حكايات أهل السماع ما يكشف عن ذلك . فقد حكى أن بعضهم سمع قائلا يقول :

قال الرسول غدا تزو ر فقلت تعقل ما تقول

فاستفزه اللحن والقول وتواجد وجعل يكرر ذلك ويجعل مكان التاء : نونا . فيقول : قال الرسول غدا نزور ، حتى غشى عليه من شدة الفرح واللذة والسرور . فلما أفاق سئل عن وجده مم كان ؟ فقال : ذكرت قول الرسول صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة يزورون ربهم فى كل يوم جمعة مرة [1] » ، وحكى الرقى عن ابن الدراج أنه قال : كنت أنا وابن الفوطى مارين على دجلة بين البصرة والأبلة فإذا بقصر حسن له منظرة وعليه رجل بين يديه جارية تغنى وتقول :

كل يوم تتـــلون ؟ غير هـذا بك أحسن

فإذا شاب حسن تحت المنظرة وبيده ركوة وعليه مرقعة يستمع فقال : ياجارية بالله وبحياة مولاك إلا أعدت على هذا البيت . فأعادت فكان الشاب يقول : هـذا والله تلونى مع الحق فى حالى ، فشهق شهقة ومات . قال : فقلنا قد استقبلنا فرض . فوقفنا ، فقال صاحب القصر للجارية : أنت حرة لوجه الله تعالى قال ثم إن أهل البصرة خرجوا فصلوا عليه . فلما فرغوا من دفنه قال صاحب القصر : اشهدكم أن كل شىء لى فى سبيل الله ، وكل جوارى احرار ، وهذا القصر للسبيل . قال : ثم رمى بثيابه واتزر بإزار وارتدى بآخر ومرّ على وجهه والناس ينظرون إليه حتى غاب عن أعينهم ، وهم يبكون . فلم يسمع له بعد خبر . والمقصود أن هذا الشخص كان مستغرق الوقت بحاله مع الله تعالى ومعرفة عجزه عن الثبوت على حسن الأدب فى المعاملة وتأسفه على تقلب قلبه وميله عن سنن الحق ، فلما قرع سمعه ما يوافق حاله سمعه من الله تعالى كأنه يخاطبه ويقول له :

كل يوم تتـــلون ؟ غير هـذا بك أحسن

ومن كان سماعه من الله تعالى وعلى الله وفيه . فينبغى أن يكون قد أحكم قانون العلم فى معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته . وإلا خطر له من السماع فى حق الله تعالى ما يستحيل عليه ويكفر به . ففى سماع المريد المبتدى خطر إلا إذا

الباب الثانى : فى آداب السماع وآثاره

(١) حديث « إن أهل الجنة يزورون ربهم فى كل جمعة » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة وفيه عبد الحميد ابن حبيب بن أبى العشرين مختلف فيه وقال الترمذى . لا نعرفه إلا من هذا الوجه قال : وقد روى سويد بن عمرو عن الأوزاعى شيئا من هذا .

لم ينزل مايسمع إلا على حاله من حيث لايتعلق بوصف الله تعالى . ومثال الخطأ فيه هذا البيت بعينه فلو سمعه فى نفسه وهو يخاطب به ربه عز وجل فيضيف التلوّن إلى الله تعالى فيكفر ، وهذا قد يقع عن جهل محض مطلق غير ممزوج بتحقيق ، وقد يكون عن جهل ساقه إليه نوع من التحقيق ، وهو أن يرى تقلب أحوال قلبه بل تقلب أحوال سائر العالم من الله وهو حق ، فإنه تارة يبسط قلبه وتارة يقبضه وتارة ينوره وتارة يظلمه وتارة يقسيه وتارة يلينه وتارة يثبته على طاعته ويقويه عليها وتارة يسلط الشيطان عليه ليصرفه عن سنن الحق ، وهذا كله من الله تعالى . ومن يصدر منه أحوال مختلفة فى أوقات متقاربة فقد يقال له فى العادة : إنه ذو بداوات وإنه متلوّن . ولعل الشاعر لم يرد به إلا نسبة محبوبه إلى التلوّن فى قبوله ورده وتقريبه وإبعاده وهذا هو المعنى . فسماع هذا كذلك فى حق الله تعالى كفر محض بل ينبغى أن يعلم أنه سبحانه وتعالى يلوّن ولا يتلوّن ويغير ولا يتغير بخلاف عباده . وذلك العلم يحصل للمريد باعتقاد تقليدى إيمانى . ويحصل للعارف البصير بيقين كشفى حقيقى . وذلك من أعاجيب أوصاف الربوبية وهو المغير من غير تغير ، ولا يتصوّر ذلك إلا فى حق الله تعالى ، بل كل مغير سواه فلا يغير مالم يتغير . ومن أرباب الوجد من يغلب عليه حال مثل السكر المدهش ، فيطلق لسانه بالعتاب مع الله تعالى ، ويستنكر اقتهاره للقلوب ، وقسمته للأحوال الشريفة على تفاوت . فإنه المستصفى لقلوب الصديقين ، والمبعد لقلوب الجاحدين والمغرورين ، فلا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ، ولم يقطع التوفيق عن الكفار لجناية متقدمة ، ولا أمد الأنبياء عليهم السلام بتوفيقه ونور هدايته لوسيلة سابقة ، ولكنه قال ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴾ وقال عز وجل ﴿ ولكن حق القول منى لأملأنّ جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ وقال تعالى ﴿ إنّ الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾ فإن خطر ببالك أنه لم اختلفت السابقة وهم فى ربقة العبودية مشتركون نوديت من سرادقات الجلال لاتجاوز حد الأدب ﴿ فإنه لايسئل عما يفعل وهم يسئلون ﴾ ولعمرى تأدب اللسان والظاهر مما يقدر عليه الأكثرون . فأما تأدب السر عن إضمار الاستبعاد بهذا الاختلاف الظاهر فى التقريب والإبعاد والإشقاء والإسعاد مع بقاء السعادة والشقاوة أبد الآباد فلا يقوى عليه إلا العلماء الراسخون فى العلم . ولهذا قال الخضر عليه السلام لما سئل عن السماع فى المنام : إنه الصفو الزلال الذى لايثبت عليه إلا أقدام العلماء لأنه محرّك لأسرار القلوب ومكامنها ، ومشوّش لها تشويش السكر المدهش الذى يكاد يحل عقدة الأدب عن السر إلا من عصمه الله تعالى بنور هدايته ولطيف عصمته . ولذلك قال بعضهم : ليتنا نجونا من هذا السماع رأسا برأس . فنى هذا الفن من السماع خطر يزيد على خطر السماع المحرّك للشهوة ، فإنّ غاية ذلك معصية وغاية الخطأ ههنا كفر .

واعلم أن الفهم قد يختلف بأحوال المستمع فيغلب الوجد على مستمعين لبيت واحد وأحدهما مصيب فى الفهم والآخر مخطئ ، أو كلاهما مصيبان وقد فهما معنيين مختلفين متضادين ، ولكنه بالإضافة إلى اختلاف أحوالهما لايتناقض . كما حكى عن عتبة الغلام أنه سمع رجلا يقول :

سبحان جبار السما إن المحب لفى عنا

فقال : صدقت . وسمعه رجل آخر فقال : كذبت . فقال بعض ذوى البصائر : أصابا جميعا وهو الحق فالتصديق كلام محب غير ممكن من المراد بل مصدود متعب بالصدّ والهجر . والتكذيب كلام مستأنس بالحب مستلذ لما يقاسيه بسبب فرط حبه غير متأثر به ، أو كلام محب غير مصدود عن مراده فى الحال ولا مستشعر بخطر

الصدّ فى المآل . وذلك لاستيلاء الرجاء وحسن الظن على قلبه . فباختلاف هذه الأحوال يختلف الفهم .

وحكى عن أبى القاسم بن مروان ـ وكان قد صحب أبا سعيد الخراز رحمه الله وترك حضور السماع سنين كثيرة ـ لحضر دعوة وفيها إنسان يقول :

واقف فى الماء عطشا ن ولكن ليس يسقى

فقام القوم وتواجدوا ، فلما سكنوا سألهم عن معنى ماوقع لهم من معنى البيت ، فأشاروا إلى التعطش إلى الأحوال الشريفة والحرمان منها مع حضور أسبابها ، فلم يقنعه ذلك فقالوا له : فماذا عندك فيه ؟ فقال : أن يكون فى وسط الأحوال ويكرم بالكرامات ولايعطى منها ذرّة . وهذه إشارة إلى إثبات حقيقة وراء الأحوال ، والكرامات والأحوال سوابقها ، والكرامات تسنح فى مباديها ، والحقيقة بعد لم يقع الوصول إليها . ولافرق بين المعنى الذى نهمه وبين ماذكروه إلا فى تفاوت رتبة المتعطش إليه ، فإن المحروم عن الأحوال الشريفة أولا يتعطش إليها ، فإن مكن منها تعطش إلى ماوراءها ، فليس بين المعنيين اختلاف فى الفهم بل الاختلاف بين الرتبتين . وكان الشبلى رحمه الله كثيرا مايتواجد على هذا البيت :

ودادكم هجـــر وحبكم قتلى ووصلكم صرم وسلمكم حرب

وهذا البيت يمكن سماعه على وجوه مختلفة بعضها حق وبعضها باطل ، وأظهرها : أن يفهم هـذا فى الخلق بل فى الدنيا بأسرها بل فى كل ماسوى الله تعالى . فإن الدنيا مكارة خداعة قتالة لأربابها معادية لهم فى الباطن ومظهرة صورة الود ، فما امتلأت منها دار حبرة إلا امتلأت عبرة [1] ، كما ورد فى الخبر وكما قال الثعلبى فى وصف الدنيا :

تنح عن الدنيـــا فلا تخطبنها ولاتخطبن قتالة من تناكح
فليس يفى مرجـــوها بمخوفها ومكروهها أما تأملت راجح
لقدقال فيها الواصفون فأكثروا وعندى لهـا وصف لعمرى صالح
سلاف قصاراها زعاف ومركب شهى إذا استذللته فهو جامح
وشخص جميل يؤثر الناس حسنه ولكن له أسرار سوء قبائح

والمعنى الثانى . أن ينزله على نفسه فى حق الله تعالى فإنه إذا تفكر فمعرفته جهل إذ ماقدروا الله حق قدره . وطاعته رياء إذ لا يتقى الله حق تقاته ، وحبه معلول إذ لا يدع شهوة من شهواته فى حبه . ومن أراد الله به خيرا بصره بعيوب نفسه فيرى مصداق هذا البيت فى نفسه ، وإن كان علىّ المرتبة بالإضافة إلى الغافلين ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لاأحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك [2] » وقال عليه الصلاة والسلام « إنى لأستغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة [3] » وإنما كان استغفاره عن أحوال هى درجات بعد بالإضافة إلى مابعدها ، وإن كانت قربا بالإضافة إلى ماقبلها ، فلا قرب إلا ويبقى وراءه قرب لانهاية له ، إذ سبيل السلوك إلى الله تعالى غير متناه ، والوصول إلى أقصى درجات القرب محال . والمعنى الثالث أن ينظر فى مبادئ أحواله فيرتضيها ثم ينظر فى عواقبها فيزدريها لاطلاعه على خفايا الغرور فيها ، فيرى ذلك من الله تعالى فيستمع البيت فى حق الله تعالى شكاية من القضاء والقدر وهذا كفر ـ كما سبق بيانه ـ ومامن بيت إلا ويمكن تنزيله على معان ، وذلك بقدر غزارة علم

(١) حديث « ما امتلأت دار منها حبرة إلا امتلأت عبرة » أخرجه ابن المبارك عن عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبى كثير مرسلا . (٢) حديث « لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » رواه مسلم وقد تقدم . (٣) حديث « إنى لأستغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة » تقدم فى الباب الثانى من الأذكار .

المستمع وصفاء قلبه .

الحالة الرابعة : سماع من جاوز الأحوال والمقامات فعزب عن فهم ماسوى الله تعالى حتى عزب عن نفسه وأحوالها ومعاملاتها ، وكان كالمدهوش الغائص فى بحر عين الشهود الذى يضاهى حاله حال النسوة اللاتى قطعن أيديهن فى مشاهدة جمال يوسف عليه السلام حتى دهشن وسقط إحساسهن . وعن مثل هذه الحاله تعبر الصوفية بأنه قد فنى عن نفسه . ومهما فنى عن نفسه فهو عن غيره أفنى فكأنه فنى عن كل شىء إلا عن الواحد المشهود . وفنى أيضا عن الشهود فإن القلب أيضا إذا التفت إلى الشهود وإلى نفسه بأنه مشاهد فقد غفل عن المشهود . فالمستهتر بالمرئى لاالتفات له فى حال استغراقه إلى رؤيته ولا إلى عينه التى بها رؤيته ولا إلى قلبه الذى به لذته ، فالسكران لاخبر له من سكره ، والمتلذذ لا خبر له من التذاذه ، وإنما خبره من المتلذذ به فقط . ومثاله العلم بالشىء : فإنه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشىء فالعالم بالشىء مهما وردعليه العلم بالعلم بالشىء كان معرضا عن الشىء . ومثل هذه الحالة قدتطرأ فى حق المخلوق وتطرأ أيضافى حق الخالق ، ولكنها فى الغالب تكون كالبرق الخاطف الذى لايثبت ولا يدوم ، وإن دام لم تطقه القوة البشرية ، فربما اضطرب تحت أعبائه اضطرابا تهلك به نفسه .

كما روى عن أبى الحسن النورى أنه حضر مجلسا فسمع هذا البيت :

مازلت أنزل من ودادك منزلا تتحير الألباب عند نزوله

فقام وتواجد وهام على وجهه . فوقع فى أجمة قصب قد قطع وبقيت أصوله مثل السيوف ، فصار يعدو فيها ويعيد البيت إلى الغداة والدم يخرج من رجليه ، حتى ورمت قدماه وساقاه وعاش بعد ذلك أياما ومات رحمه الله . فهذه درجة الصديقين فى الفهم والوجد فهى أعلى الدرجات لأن السماع على الأحوال نازل عن درجات الكمال وهى ممتزجة بصفات البشرية وهونوع قصور ، وإنما الكمال أن يفنى بالكلية عن نفسه وأحواله ؛ أعنى أنه ينساها فلايبقى له التفات إليها كما لم يكن للنسوة التفات إلى الأيدى والسكاكين . فيسمع لله وبالله وفى الله ومن الله وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الأحوال والأعمال واتحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الإخلاص ، فلم يبق فيه منه شىء أصلا ، بل خمدت بالكلية بشريته وفنى التفاته إلى صفات البشرية رأسا ، ولست أعنى بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه ، ولست أعنى بالقلب اللحم والدم بل سر لطيف له إلى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سر الروح الذى هو من أمر الله عزوجل ـ عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ـ ولذلك السر وجود . وصورة ذلك الوجود مايحضر فيه فإذا حضر فيه غيره فكأنه لاوجود إلا للحاضر . ومثاله المرآة المجلوة إذ ليس لها لون فى نفسها بل لونها لون الحاضر فيها ، وكذلك الزجاجة فإنها تحكى لون قرارها ولونها لون الحاضر فيها . وليس لها فى نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ، ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول الألوان ، ويعرب عن هذه الحقيقة ـ أعنى سر القلب بالإضافة إلى مايحضر فيه ـ قول الشاعر :

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وهذا مقام من مقامات علوم المكاشفة منه نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد ، وقال أنا الحق وحوله يدندن كلام النصارى فى دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت أو تدرعها بها أو حلولها فيها على ما اختلف فيهم عباراتهم وهو غلط محض يضاهى غلط من يحكم على المرآة بصورة الحمرة إذ ظهر فيها لون الحمرة مقابلها وإذا كان هذا لاغير لائق

بعلم المعاملة فلنرجع إلى الغرض ؛ فقد ذكرنا تفاوت الدرجات فى فهم المسموعات .

المقام الثانى : بعد الفهم والتنزيل ؛ الوجد : وللناس كلام طويل فى حقيقة الوجد ـ أعنى الصوفية والحكماء الناظرين فى وجه مناسبة السماع للأرواح ـ فلننقل من أقوالهم ألفاظا ثم لنكشف عن الحقيقة فيه .

أما الصوفية فقد قال ذو النون المصرى رحمه الله فى السماع : إنه وارد حق جاء يزعج القلوب إلى الحق ، فمن أصغى إليه بحق تحقق، ومن أصغى إليه بنفس تزندق . فكأنه عبر عن الوجد بانزعاج القلوب إلى الحق وهو الذى يجده عند ورود وارد السماع إذ سمى السماع وارد حق . وقال أبو الحسين الدراج مخبرا عما وجده فى السماع : الوجد عبارة عما يوجد عند السماع ، وقال : جال بى السماع فى ميادين البهاء فأوجدنى وجود الحق عند العطاء فسقانى بكأس الصفاء فأدكت به منازل الرضاء وأخرجنى إلى رياض التنزه والمضاء . وقال الشبلى رحمه الله : السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة ؛ فمن عرف الإشارة حل له استماع العبارة وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية . وقال بعضهم : السماع غذاء الأرواح لأهل المعرفة لأنه وصف يدق عن سائر الأعمال ويدرك برقة الطبع لرقته وبصفاء السر لصفائه ولطفه عند أهله . وقال عمرو بن عثمان المكى : لا يقع على كيفية الوجد عبارة لأنه سر الله عند عباده المؤمنين الموقنين وقال بعضهم : الوجد مكاشفات من الحق . وقال أبو سعيد بن الأعرابى : الوجد رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ومحادثة السر وإيناس المفقود ، وهو فناؤك من حيث أنت ، وقال أيضا : الوجد أول درجات الخصوص وهو ميرات التصديق بالغيب فلما ذاقوه وسطع فى قلوبهم نوره زال عنهم كل شك وريب . وقال أيضا : الذى يحجب عن الوجد رؤية آثار النفس والتعلق بالعلائق والأسباب ؛ لأن النفس محجوبة بأسبابها فإذا انقطعت الأسباب وخلص الذكر وصحا القلب ورق وصفا ونجحت الموعظة فيه وحل من المناجاة فى محل قريب وخوطب وسمع الخطاب بأذن واعية وقلب شاهد وسر ظاهر فشاهد ما كان منه خاليا ؛ فذلك هو الوجد لأنه قد وجد ما كان معدوما عنده . وقال أيضا : الوجد ما يكون عند ذكر مزعج أو خوف مقلق أو توبيخ على زلة أو محادثة بلطيفة أو إشارة إلى فائدة أو شوق إلى غائب أو أسف على فائت أو ندم على ماض أو استجلاب إلى حال أو داع إلى واجب أو مناجاة بسر ، وهو مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والغيب بالغيب والسر بالسر واستخراج مالك بما عليك مما سبق للسعى فيه فيكتب ذلك لك بعد كونه منك ، فيثبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا ذكر ، إذ كان هو المبتدئ بالنعم والمتولى وإليه يرجع الأمر كله فهذا ظاهر علم الوجد وأقوال الصوفية من هذا الجنس فى الوجد كثيرة .

وأما الحكماء فقال بعضهم : فى القلب فضيلة شريفة لم تقدر قوة النطق على إخراجها باللفظ فأخرجتها النفس بالألحان ، فلما ظهرت سرت وطربت إليها فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة الظواهر . وقال بعضهم : نتائج السماع استنهاض العاجز من الرأى واستجلاب العازب من الأفكار وحدة الكالّ من الأفهام والآراء حتى يثوب ما عزب وينهض ما عجز ويصفو ما كدر ويمرح فى كل رأى ونية ، فيصيب ولا يخطئ ويأتى ولا يبطئ . وقال آخر : كما أن الفكر يطرق العلم إلى المعلوم فالسماع يطرق القلب إلى العالم الروحانى . وقال بعضهم وقد سئل عن سبب حركة الأطراف بالطبع على وزن الألحان والإيقاعات فقال : ذلك عشق عقلى والعاشق العقلى لا يحتاج إلى أن يناغى معشوقه بالمنطق الجرمى بل يناغيه ويناجيه بالتبسم واللحظ والحركة اللطيفة بالحاجب والجفن والإشارة ، وهذه نواطق أجمع إلا أنها روحانية ، وأما العاشق البهيمى فإنه يستعمل المنطق الجرمى ليعبر به عن ثمرة ظاهر شوقه الضعيف وعشقه

الزائف . وقال آخر : من حزن فليسمع الألحان . فإن النفس إذا دخلها الحزن خمد نورها وإذا فرحت اشتعل نورها وظهر فرحها فيظهر الحنين بقدر قبول القابل وذلك بقدر صفائه ونقائه من الغش والدنس .

والأقاويل المقررة فى السماع والوجد كثيرة ولا معنى للاستكثار من إيرادها ، فلنشتغل بتفهيم المعنى الذى الوجد عبارة عنه فنقول : إنه عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد حق جديد عقيب السماع يجده المستمع من نفسه . وتلك الحالة لاتخلو عن قسمين : فإنها إما أن ترجع إلى مكاشفات ومشاهدات هى من قبيل العلوم والتنبيهات ، وإما أن ترجع إلى تغيرات وأحوال ليست من العلوم بل هى كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والأسف والندم والبسط والقبض ، وهذه الأحوال يهيجها السماع ويقويها ؛ فإن ضعف بحيث لم يؤثر فى تحريك الظاهر أو تسكينه أو تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته أو يطرق أو يسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم يسم وجدا ، وإن ظهر على الظاهر سمى وجدا إما ضعيفا وإما قويا ، بحسب ظهوره وتغييره للظاهر وتحريكه بحسب قوة وروده ، وحفظ الظاهر عن التغيير بحسب قوة الواجد وقدرته على ضبط جوارحه ؛ فقد يقوى الوجد فى الباطن ولايتغير الظاهر لقوة صاحبه ؛ وقد لايظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك وحل عقد التماسك . وإلى معنى الأول أشار أبو سعيد بن الأعرابى حيث قال فى الوجد : إنه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ، ولايبعد أن يكون السماع سببا لكشف مالم يكن مكشوفا قبله ، فإن الكشف يحصل بأسباب : منها التنبيه والسماع منبه ، ومنها تغير الأحوال ومشاهدتها وإدراكها فإن إدراكها نوع علم يفيد إيضاح أمور لم تكن معلومة قبل الورود ، ومنها صفاء القلب والسماع يؤثر فى تصفية القلب والصفاء يسبب الكشف ، ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان تقصر عنه قبل ذلك قوته ، كما يقوى البعير على حمل ما كان لايقوى عليه قبله . وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة أسرار الملكوت ، كما أن عمل البعير حمل الأثقال فبواسطة هذه الأسباب يكون سببا للكشف ، بل القلب إذا صفا ربما يمثل له الحق فى صورة مشاهدة أو فى لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف إذا كان فى اليقظة ، وبالرؤيا إذا كان فى المنام ، وذلك جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة . وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم المعاملة وذلك كما روى عن محمد بن مسروق البغدادى أنه قال : خرجت ليلة فى أيام جهالتى وأنا نشوان وكنت أغنى هذا البيت :

بطور سيناء كرم مامررت به إلا تعجبت ممن يشرب الماء

فسمعت قائلا يقول :

وفى جهنم ماء ماتجرعه خلق فأبقى له فى الجوف أمعاء

قال : فكان ذلك سبب توبتى واشتغالى بالعلم والعبادة . فانظر كيف أثر الغناء فى تصفية قلبه حتى تمثل له حقيقة الحق فى صفة جهنم فى لفظ مفهوم موزون وقرع ذلك سمعه الظاهر ؟ .

وروى عن مسلم العبادانى أنه قال ؟ قدم علينا صالح المرى وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد ومسلم الأسوارى فنزلوا على الساحل ، قال : فهيأت لهم ذات ليلة طعاما فدعوتهم إليه فجاؤا فلما وضعت الطعام بين أيديهم إذا بقائل يقول رافعا صوته هذا البيت :

وتلهيك عن دار الخلود مطاعم ولذة نفس غيها غير نافع

قال : فصاح عتبة الغلام صيحة وخر مغشيا عليه وبكى القوم ، فرفعت الطعام وماذاقوا والله منه لقمة .

وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب فيشاهد أيضاً بالبصر صورة الخضر عليه السلام فإنه يتمثل لأرباب القلوب بصور مختلفة . وفى مثل هذه الحالة تتمثل الملائكة للأنبياء عليهم السلام إما على حقيقة صورتها وإما على مثال يحاكى صورتها بعض المحاكاة . وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام مرتين فى صورته وأخبر عنه بأنه سد الأفق [1] وهو المراد بقوله تعالى ﴿ علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ﴾ إلى آخر هذه الآيات . وفى مثل هذه الأحوال من الصفاء يقع الاطلاع على ضمائر القلوب ، وقد يعبر عن ذلك الاطلاع بالتفرس . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله [2] » وقد حكى أن رجلا من المجوس كان يدور على المسلمين ويقول مامعنى قول النبى صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراسة المؤمن » فكان يذكر له تفسيره فلا يقنعه ذلك حتى انتهى إلى بعض المشايخ من الصوفية . فسأله ، فقال له معناه : أن تقطع الزنار الذى على وسطك تحت ثوبك . فقال : صدقت هذا معناه وأسلم ، وقال : الآن عرفت أنك مؤمن وأن إيمانك حق . وكما حكى عن إبراهيم الخواص قال : كنت ببغداد فى جماعة من الفقراء فى الجامع فأقبل شاب طيب الرائحة حسن الوجه فقلت لأصحابى : يقع لى أنه يهودى ، فكلهم كرهوا ذلك ، فخرجت وخرج الشاب ثم رجع إليهم وقال ؛ أى شىء قال الشيخ فى ؟ فاحتشموه فألح عليهم فقالوا له : قال إنك يهودى ، قال : فجاءنى وأكب على يدى وقبل رأسى وأسلم ، وقال : نجد فى كتبنا أن الصديق لا تخطئ فراسته فقلت : أمتحن المسلمين فتأملتهم فقلت : إن كان فيهم صديق ففى هذه الطائفة ؛ لأنهم يقولون حديثه سبحانه ويقرءون كلامه ؛ فلبست عليكم فلما اطلع على الشيخ وتفرس فى علمت أنه صديق قال ، وصار الشاب من كبار الصوفية .

وإلى مثل هذا الكشف الإشارة بقوله عليه السلام « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماء [3] » وإنما تحوم الشياطين على القلوب إذا كانت مشحونة بالصفات المذمومة فإنها مرعى الشيطان وجنده . ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفاه لم يطف الشيطان حول قلبه . وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ وبقوله تعالى ﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ﴾ والسماع سبب لصفاء القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء .

وعلى هذا يدل ماروى أن ذا النون المصرى رحمه الله دخل بغداد فاجتمع إليه قوم من الصوفية ومعهم قوال ؛ فاستأذنوه فى أن يقول لهم شيئا . فأذن لهم فى ذلك فأنشأ يقول :

صغير هواك عذبنى فكيف به إذا احتنكا وأنت جمعت فى قلبى
هوى قد كان مشتركا أما ترثى لمكتئب إذا ضحك الخلى بكى

فقام ذو النون وسقط على وجهه ، ثم قام رجل آخر فقال ذو النون : الذى يراك حين تقوم . فجلس ذلك الرجل وكان ذلك اطلاعا من ذى النون على قلبه . أنه متكلف متواجد ، فعرفه أن الذى يراه حين يقوم هو الخصم فى قيامه لغير الله تعالى ولو كان الرجل صادقا لما جلس . فإذاً قد رجع حاصل الوجد إلى مكاشفات وإلى حالات واعلم أن كل واحد منهما ينقسم إلى مايمكن التعبير عنه عند الإفاقة منه وإلى مالا تمكن العبارة عنه أصلا ، ولعلك تستبعد حالة أو علما لا تعلم حقيقته ولا يمكن التعبير عنه عن حقيقته ، فلا تستبعد ذلك فإنك تجد فى أحوالك القريبة لذلك شواهد.

---

(١) حديث : رأى جبريل عليه السلام مرتين فى صورته فأخبر أنه سد الأفق . متفق عليه من حديث عائشة .
(٢) حديث « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى » أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد وقال حديث غريب .
(٣) حديث « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماء » تقدم فى الصوم .

أما العلم فكم من فقيه تعرض عليه مسألتان متشابهتان فى الصورة ويدرك الفقيه بذوقه أن بينهما فرقا فى الحكم؟ وإذا كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان على التعبير وإن كان من أفصح الناس ، فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه ، وإدراكه الفرق علم يصادفه فى قلبه بالذوق ولا يشك فى أن لوقوعه فى قلبه سببا وله عند الله تعالى حقيقة ؛ ولا يمكنه الإخبار عنه لا لقصور فى لسانه بل لدقة المعنى فى نفسه عن أن تناله العبارة . وهذا مما قد تفطن له المواظبون على النظر فى المشكلات .

وأما الحال فكم من إنسان يدرك فى قلبه فى الوقت الذى يصبح فيه قبضا أو بسطا ولا يعلم سببه ، وقد يتفكر إنسان فى شىء فيؤثر فى نفسه أثرا فينسى ذلك السبب ويبقى الأثر فى نفسه وهو يحس به ، وقد تكون الحالة التى يحسها سرورا ثبت فى نفسه بتفكره فى سبب موجب للسرور ، أو حزنا فينسى المتفكر فيه ويحس بالأثر عقيبه . وقد تكون تلك الحالة حالة غريبة لا يعرب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة مفصحة عن المقصود ، بل ذوق الشعر الموزون والفرق بينه وبين غير الموزون يختص به بعض الناس دون بعض ، وهى حالة يدركها صاحب الذوق بحيث لا يشك فيها - أعنى التفرقة بين الموزون والمنزحف - فلا يمكنه التعبير عنها بما يتضح مقصوده لمن لا ذوق له . وفى النفس أحوال غريبة هذا وصفها بل المعانى المشهورة من الخوف والحزن والسرور إنما تحصل فى السماع عن غناء مفهوم ، وأما الأوتار وسائر النغمات التى ليست مفهومة فإنها تؤثر فى النفس تأثيرا عجيبا ولا يمكن التعبير عن عجائب تلك الآثار ، وقد يعبر عنها بالشوق ولكن شوق لا يعرف صاحبه المشتاق إليه فهو عجيب ، والذى اضطرب قلبه بسماع الأوتار أو الشاهين وما أشبهه ليس يدرى إلى ماذا يشتاق ؟ ويجد فى نفسه حالة كأنها تتقاضى أمرا ليس يدرى ما هو ؟ حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب على قلبه لا حب آدمى ولا حب الله تعالى . وهذا له سر وهو أن كل شوق فله ركنان :

أحدهما : صفة المشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق إليه .

والثانى : معرفة المشتاق إليه ومعرفة صورة الوصول إليه ، فإن وجدت الصفة التى بها الشوق ووجد العلم بصورة المشتاق إليه كان الأمر ظاهرا ، وإن لم يوجد العلم بالمشتاق ووجدت الصفة المشوقة وحركت قلبك الصفة واشتعلت نارها أورث ذلك دهشة وحيرة لا محالة

ولو نشأ آدمى وحده بحيث لم ير صورة النساء ولا عرف صورة الوقاع ثم راهق الحلم وغلبت عليه الشهوة لكان يحس من نفسه بنار الشهوة ولكن لا يدرى أنه يشتاق إلى الوقاع لأنه ليس يدرى صورة الوقاع ولا يعرف صورة النساء : فكذلك فى نفسه الآدمى مناسبة مع العالم الأعلى واللذات التى وعد بها فى سدرة المنتهى والفراديس العلا ؛ إلا أنه لم يتخيل من هذا الأمور إلا الصفات والأسماء ، كالذى سمع لفظ الوقاع واسم النساء ولم يشاهد صورة امرأة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه فى المرآة ليعرف بالمقايسة ، فالسماع يحرك منه الشوق والجهل المفرط والاشتغال بالدنيا قد أنساه نفسه وأنساه ربه وأنساه مستقره الذى إليه حنينه واشتياقه بالطبع ، فيتقاضاه قلبه أمرا ليس يدرى ما هو ؟ فيدهش ويتحير ويضطرب ويكون كالمختنق الذى لا يعرف طريق الخلاص فهذا ، وأمثاله من الأحوال التى لا يدرك تمام حقائقها ولا يمكن المتصف بها أن يعبر عنها . فقد ظهر انقسام الوجد إلى ما يمكن إظهاره وإلى ما لا يمكن إظهاره .

واعلم أيضا أن الوجد ينقسم إلى هاجم وإلى متكلف ويسمى التواجد ، وهذا التواجد المتكلف فمنه مذموم

وهو الذى يقصد به الرياء وإظهار الأحوال الشريفة مع الإفلاس منها ، ومنه ماهو محمود وهو التوصل إلى استدعاء الأحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها بالحيلة ، فإن للكسب مدخلا فى جلب الأحوال الشريفة ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحضره البكاء فى قراءة القرآن أن يتباكى ويتحازن [1] فإن هذه الأحوال قد تتكلف مباديها ثم تتحقق أواخرها . وكيف لا يكون التكلف سببا فى أن يصير المتكلف فى الآخرة طبعا ، وكل من يتعلم القرآن أو لا يحفظه تكلفا ، ويقرؤه تكلفا مع تمام التأمل وإحضار الذهن ؛ ثم يصير ذلك ديدنا للسان مطردا حتى يجرى به لسانه فى الصلاة وغيرها وهو غافل ؛ فيقرأ تمام السورة وتثوب نفسه إليه بعد انتهائه إلى آخرها ويعلم أنه قرأها فى حال غفلته ؟ وكذلك الكاتب يكتب فى الابتداء بجهد شديد ثم تتمرن على الكتابة يده فيصير الكتب له طبعا فيكتب أوراقا كثيرة وهو مستغرق القلب بفكر آخر ؟ فجميع ماتحتمله النفس والجوارح من الصفات لا سبيل إلى اكتسابه إلا بالتكلف والتصنع أولا ثم يصير بالعادة طبعا ، وهو المراد بقول بعضهم : العادة طبيعة خامسة . فكذلك الأحوال الشريفة لا ينبغى أن يقع اليأس منها عند فقدها ، بل ينبغى أن يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره ، فلقد شوهد فى العادات من اشتهى أن يعشق شخصا ولم يكن يعشقه فلم يزل يردد ذكره على نفسه ويديم النظر إليه ويقرر على نفسه الأوصاف المحبوبة والأخلاق المحمودة فيه حتى عشقه ورسخ ذلك فى قلبه رسوخا خرج عن حد اختياره ، فاشتهى بعد ذلك الخلاص منه فلم يتخلص . فكذلك حب الله تعالى والشوق إلى لقائه والخوف من سخطه وغير ذلك من الأحوال الشريفة ؛ إذا فقدها الانسان فينبغى أن يتكلف اجتلابها بمجالسة الموصوفين بها ومشاهدة أحوالهم وتحسين صفاتهم فى النفس وبالجلوس معهم فى السماع وبالدعاء والتضرع إلى الله تعالى فى أن يرزقه تلك الحلة بأن ييسر له أسبابها .

ومن اسبابها السماع ومجالسة الصالحين والخائفين والمحسنين والمشتاقين والخاشعين . فمن جالس شخصا سرت إليه صفاته من حيث لا يدرى . ويدل على إمكان تحصيل الحب وغيره من الأحوال بالأسباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعائه « اللهم ارزقنى حبك وحب من أحبك وحب من يقربنى إلى حبك [2] » فقد فزع عليه السلام إلى الدعاء فى طلب الحب . فهذا بيان انقسام الوجد إلى مكاشفات وإلى أحوال وانقسامه إلى ما يمكن الإفصاح عنه وإلى مالا يمكن ، وانقسامه إلى المتكلف وإلى المطبوع .

« فإن قلت : فما بال هؤلاء لايظهر وجدهم عند سماع القرآن وهو كلام الله ويظهر عند الغناء وهو كلام الشعراء ؟ فلو كان ذلك حقا من لطف الله تعالى ولم يكن باطلا من غرور الشيطان لكان القرآن أولى به من الغناء ؟ فنقول : الوجد الحق هو ماينشأ من فرط حب الله تعالى وصدق إرادته والشوق إلى لقائه ، وذلك يهيج بسماع القرآن أيضا . وإنما الذى لايهيج بسماع القرآن حب الخلق وعشق المخلوق . ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ وقوله تعالى ﴿ مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ وكل مايوجد عقيب السماع فى النفس فهو وجد . فالطمأنينة والاقشعرار والخشية ولين القلب كل ذلك وجد . وقد قال الله تعالى ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ وقال تعالى ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ﴾ فالوجل والخشوع وجد من قبيل الأحوال وإن لم يكن من قبيل المكاشفات . ولكن قد يصير سببا للمكاشفات والتنبيهات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « زينوا القرآن بأصواتكم [3] »

---

(١) حديث : البكاء عند قراءة القرآن فإن لم تبكوا فتباكوا . تقدم فى تلاوة القرآن فى الباب الثانى . (٢) حديث « اللهم ارزقنى حبك وحب من أحبك ... الحديث » تقدم فى الدعوات . (٣) حديث « زينوا القرآن بأصواتكم » تقدم فى تلاوة القرآن

وقال لأبي موسى الأشعري « لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود عليه السلام [١] » .

وأما الحكايات الدالة على أن أرباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القرآن فكثيرة فقوله صلى الله عليه وسلم « شيبتني هود وأخواتها [٢] » خبر عن الوجد ، فإن الشيب يحصل من الحزن والخوف وذلك وجد . وروى أن ابن مسعود رضي الله عنه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النساء ، فلما انتهى إلى قوله تعالى ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ قال « حسبك » وكانت عيناه تذرفان بالدموع [٣] . وفي رواية أنه عليه السلام قرأ هذا الآية أو قرئ عنده ﴿ إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما ﴾ فصعق [٤] وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قرأ ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك ﴾ فبكى [٥] وكان عليه السلام إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر [٦] والاستبشار وجد . وقد أثنى الله تعالى على أهل الوجد بالقرآن فقال تعالى ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ﴾ وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل [٧] .

وأما ما نقل من الوجد بالقرآن عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين فكثير : فمنهم من صعق ومنهم من بكى ومنهم من غشي عليه ومنهم من مات في غشيته . وروى أن زرارة بن أوفى ـ وكان من التابعين ـ كان يؤم الناس بالرقة فقرأ ﴿ فإذا نقر في الناقور ﴾ فصعق ومات في محرابه رحمه الله . وسمع عمر رضي الله عنه رجلا يقرأ ﴿ إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع ﴾ فصاح صيحة وخر مغشيا عليه فحمل إلى بيته ، فلم يزل مريضا في بيته شهرا . وأبو جرير ـ من التابعين ـ قرأ عليه صالح المري فشهق ومات . وسمع الشافعي رحمه الله قارئا يقرأ ﴿ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ فغشي عليه . وسمع علي بن الفضيل قارئا يقرأ ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ فسقط مغشيا عليه ، فقال الفضيل : شكر الله لك ما قد علمه منك . وكذلك نقل عن جماعة منهم .

وكذلك الصوفية : فقد كان الشبلي في مسجده ليلة من رمضان وهو يصلي خلف إمام له فقرأ الإمام ﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ﴾ فزعق الشبلي زعقة ظن الناس أنه قد طارت روحه واحمر وجهه وارتعدت فرائصه ، وكان يقول : بمثل هذا يخاطب الأحباب ، يردد ذلك مرارا . وقال الجنيد : دخلت على سري السقطي فرأيت بين يديه رجلا قد غشي عليه فقال لي : هذا رجل قد سمع آية من القرآن فغشي عليه ، فقلت : اقرءوا عليه تلك الآية بعينها فقرئت فأفاق ، فقال : من أين قلت هذا ؟ فقلت : رأيت يعقوب عليه السلام كان عماه من أجل مخلوق فبمخلوق أبصر ، ولو كان عماه من أجل الحق ما أبصر بمخلوق ، فاستحسن ذلك . ويشير إلى ما قاله الجنيد قول الشاعر :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

وقال بعض الصوفية : كنت أقرأ ليلة هذه الآية ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ فجعلت أرددها فإذا هاتف يهتف بي :

---

(١) حديث « لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود » قاله لأبي موسى تقدم فيه . (٢) حديث « شيبتني هود وأخواتها » أخرجه الترمذي من حديث أبي جحيفة وله والحاكم من حديث ابن عباس نحوه قال الترمذي حسن وقال الحاكم صحيح على شرط البخاري

(٣) حديث : أن ابن مسعود قرأ عليه فلما انتهى الى قوله ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ قال « حسبك » الحديث . متفق عليه من حديثه . (٤) حديث : أنه قرئ عنده ﴿ إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما ﴾ فصعق رواه ابن عدي . في الكامل والبيهقي في الشعب من طريقه من حديث أبي حرب بن أبي الأسود مرسلا .

(٥) حديث : أنه قرأ ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك ﴾ فبكى . أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو . (٦) حديث : كان إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر . تقدم في تلاوة القرآن دون قوله : واستبشر . (٧) حديث : أنه كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل . أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي في الشمائل من حديث عبد الله بن الشخير وقد تقدم .

كم تردد هذه الآية ؟ فقد قتلت أربعة من الجن مارفعوا رءوسهم إلى السماء منذ خلقوا . وقال أبو على المغازلى للشبلى : ربما تطرق سمعى آية من كتاب الله تعالى فتجذبنى إلى الإعراض عن الدنيا ثم أرجع إلى أحوالى وإلى الناس فلا أبقى على ذلك ، فقال : ماطرق سمعك من القرآن فاجتذبك به إليه فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك ، وإذاردك إلى نفسك فهو شفقة منه عليك فإنه لايصلح لك إلا التبرى من الحول والقوة فى التوجه إليه . وسمع رجل من أهل التصوف قارئا يقرأ ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية ﴾ فاستعادها من القارئ وقال : كم أقول لها ارجعى وليست ترجع ؟ وتواجد وزعق زعقة فخرجت روحه . وسمع بكر بن معاذ قارئا يقرأ ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة ﴾ الآية فاضطرب ثم صاح : ارحم من أنذرته ولم يقبل إليك بعد الإنذار بطاعتك ، ثم غشى عليه . وكان إبراهيم ابن أدهم رحمه الله إذا سمع أحدا يقرأ ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ اضطربت أوصاله حتى كان يرتعد . وعن محمد بن صبيح قال : كان رجل يغتسل فى الفرات فمر به رجل على الشاطئ يقرأ ﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ﴾ فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات . وذكر أن سلمان الفارسى أبصر شابا يقرأ فأتى على آية فاقشعر جلده فأحبه سلمان وفقده ، فسأل عنه فقيل له : إنه مريض ، فأتاه يعوده فإذا هو فى الموت ، فقال : ياعبدالله ! أرأيت تلك القشعريرة التى كانت بى ؟ فإنها أتتنى فى أحسن صورة فأخبرتنى أن الله قد غفر لى بها كل ذنب .

وبالجملة لايخلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن فإن كان القرآن لا يؤثر فيه أصلا فـ ﴿ مثله كمثل الذى ينعق بما لايسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون ﴾ بل صاحب القلب تؤثر فيه الكلمة من الحكمة يسمعها . قال جعفر الخلدى : دخل رجل من أهل خراسان على الجنيد وعنده جماعة فقال للجنيد : متى يستوى عند العبد حامده وذامه ؟ فقال بعض الشيوخ : إذا دخل البيمارستان وقيد بقيدين ، فقال الجنيد : ليس هذا من شأنك ؟ ثم أقبل على الرجل وقال : إذا تحقق أنه مخلوق فشهق الرجل شهقة ومات ،

* فإن قلت : فإن كان سماع القرآن مفيدا للوجد فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء من القوالين دون القارئين ؟ فكان ينبغى أن يكون اجتماعهم وتواجدهم فى حلق القراء لاحلق المغنين ؟ وكان ينبغى أن يطلب عند كل اجتماع فى كل دعوة قارئ لاقوال ؟ فإن كلام الله تعالى أفضل من الغناء لامحالة فاعلم أن الغناء أشد تهييجا للوجد من القرآن من سبعة أوجه :

الوجه الأول : أن جميع آيات القرآن لاتناسب حال المستمع ولا تصلح لفهمه وتنزيله على ما هو ملابس له ، فمن استولى عليه حزن أو شوق أو ندم فمن أين يناسب حاله قوله تعالى (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) وقوله تعالى (والذين يرمون المحصنات) ؟ وكذلك جميع الآيات التى فيها بيان أحكام الميراث والطلاق والحدود وغيرها ؟ وإنما المحرك لما فى القلب ما يناسبه . والأبيات إنما يضعها الشعراء إعرابا بها عن أحوال القلب فلا يحتاج فى فهم الحال منها إلى تكلف . نعم من يستولى عليه حالة غالبة قاهرة لم تبق فيه متسعا لغيرها ومعه تيقظ وذكاء ثاقب يتفطن به للمعانى البعيدة من الألفاظ ، فقد يخرج وجده على كل مسموع كمن يخطر له عند ذكر قوله تعالى (يوصيكم الله فى أولادكم) حالة الموت المحوج إلى الوصية وأن كل إنسان لابد أن يخلف ماله وولده وهما محبوباه من الدنيا ، فيترك أحد المحبوبين للثانى ويهجرهما جميعا فيغلب عليه الخوف والجزع أو يسمع ذكر الله فى قوله (يوصيكم الله فى أولادكم) فيدهش بمجرد الاسم عما قبله وبعده ، أو يخطر له رحمة الله على عباده وشفقته بأن تولى قسم مواريثهم بنفسه نظرا لهم فى حياتهم وموتهم فيقول : إذا نظر لأولادنا بعد موتنا فلا نشك بأنه ينظر لنا فيهيج

منه حال الرجاء ويورثه ذلك استبشارا وسرورا ، أو يخطر له من قوله تعالى ﴿ للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ تفضيل الذكر بكونه رجلا على الأنثى وأن الفضل فى الآخرة لرجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله . وأن من ألهاه غير الله تعالى عن الله تعالى فهو من الإناث لا من الرجال تحقيقا ، فيخشى أن يحجب أو يؤخر فى نعيم الآخرة كما أخرت الأنثى فى أموال الدنيا . فأمثال هذا قد يحرك الوجد ولكن لمن فيه وصفان (أحدهما) حالة غالبة مستغرقة قاهرة (والآخر) تفطن بليغ وتيقظ بالغ كامل للتنبيه بالأمور القريبة على المعانى البعيدة وذلك مما يعز ، فلأجل ذلك يفزع إلى الغناء الذى هو ألفاظ مناسبة للأحوال حتى يتسارع هيجانها . وروى أن أبا الحسين النورى كان مع جماعة فى دعوى فجرى بينهم مسألة فى العلم وأبو الحسين ساكت ثم رفع رأسه وأنشدهم :

رب ورقاء هتوف فى الضحى ذات شجو صدحت فى فنن
ذكرت إلفا ودهرا صالحا وبكت حزنا فهاجت حزنى
فبكائى ربما أرقها وبكاها ربما أرقنى
ولقد أشكو فما أفهمها ولقد تشكو فما تفهمنى
غير أنى بالجوى أعرفها وهى أيضا بالجوى تعرفنى

قال فما بقى أحد من القوم إلا قام وتواجد ، ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذى خاضوا فيه وإن كان العلم جدا وحقا .

الوجه الثانى : أن القرآن محفوظ للأكثرين ومتكرر على الأسماع والقلوب ، وكلما سمع أولا عظم أثره فى القلوب ، وفى الكرة الثانية يضعف أثره ، وفى الثالثة يكاد يسقط أثره . ولو كلف صاحب الوجد الغالب أن يحضر وجده على بيت واحد على الدوام فى مرات متقاربة فى الزمان ، فى يوم أو أسبوع لم يمكنه ذلك . ولو أبدل ببيت آخر لتجدد له أثر فى قلبه وإن كان معربا عن عين ذلك المعنى . ولكن كون النظم واللفظ غريبا بالإضافة إلى الأولى يحرك النفس وإن كان المعنى واحدا . وليس يقدر القارئ على أن يقرأ قرآنا غريبا فى كل وقت ودعوة فإن القرآن محصور لايمكن الزيادة عليه وكله محفوظ متكرر وإلى ماذكرناه أشار الصديق رضى الله عنه حيث رأى الأعراب يقدمون فيسمعون القرآن ويبكون فقال : كنا كما كنتم ولكن قست قلوبنا . ولا تظنن أن قلب الصديق رضى الله عنه كان أقسى من قلوب الأجلاف من العرب وأنه كان أخلى عن حب الله تعالى وحب كلامه من قلوبهم ، ولكن التكرار على قلبه اقتضى المرون عليه وقلة التأثر به لما حصل له من الأنس بكثرة استماعه ، إذ محال فى العادات أن يسمع السامع آية لم يسمعها قبل فيبكى ، ثم يدوم على بكائه عليها عشرين سنة ، ثم يرددها ويبكى ، ولا يفارق الأول الآخر إلا فى كونه غريبا جديدا ؟ ولكل جديد لذة ولكل طارئ صدمة ، ومع كل مألوف أنس يناقض الصدمة . ولذا هم عمر رضى الله عنه أن يمنع الناس من كثرة الطواف وقال : قد خشيت أن يتهاون الناس بهذا البيت أى يأنسوا به . ومن قدم حاجا فرأى البيت أولا بكى وزعق وربما غشى عليه إذ وقع عليه بصره ، وقد يقيم بمكة شهرا ولا يحس من ذلك فى نفسه بأثر ، فإذاً المغنى يقدر على الأبيات الغريبة فى كل وقت ولا يقدر فى كل وقت على آية غريبة .

الوجه الثالث : أن لوزن الكلام بذوق الشعر تأثيرا فى النفس فليس الصوت الموزون الطيب كالصوت الطيب الذى ليس بموزون ، وإنما يوجد الوزن فى الشعر دون الآيات ، ولو زحف المغنى البيت الذى ينشده أو لحن فيه

أو مال عن حد تلك الطريقة فى اللحن لاضطرب قلب المستمع وبطل جده وسماعه ونفر طبعه لعدم المناسبة . وإذا نفر الطبع اضطرب القلب وتشوش ، فالوزن إذن مؤثر فلذلك طاب الشعر .

الوجه الرابع : أن الشعر الموزون يختلف تأثيره فى النفس بالألحان التى تسمى الطرق والاستانات وإنما اختلاف تلك الطرق بمد المقصور وقصر الممدود والوقف فى أثناء الكلمات والقطع والوصل فى بعضها . وهذا التصرف جائز فى الشعر ولا يجوز فى القرآن الا التلاوة كما أنزل ، فقصره ومده والوقف والوصل والقطع فيه على خلاف ماتقضيه التلاوة حرام أو مكروه . وإذا رتل القرآن كما أنزل سقط عنه الأثر الذى سببه وزن الألحان وهو سبب مستقل بالتأثير وإن لم يكن مفهوما ، كما فى الأوتار والمزمار والشاهين وسائر الأصوات التى لاتفهم .

الوجه الخامس : أن الألحان الموزونة تعضد وتؤكد بإيقاعات وأصوات أخر موزونة خارج الحلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره ، لأن الوجد الضعيف لايستثار إلا بسبب قوى ، وإنما يقوى بمجموع هذه الأسباب ولكل واحد منها حظ فى التأثير ، وواجب أن يصان القرآن عن مثل هذه القرائن لأن صورتها عند عامة الخلق صورة اللهو واللعب ، والقرآن جد كله عند كافة الخلق ، فلا يجوز أن يمزج بالحق المحض ما هو لهو عند العامة وصورته صورة اللهو عند الخاصة ، وإن كانوا لا ينظرون إليها من حيث إنها لهو ، بل ينبغى أن يوقر القرآن فلا يقرأ على شوارع الطرق بل فى مجلس ساكن ، ولافى حال الجنابة . ولا على غير طهارة ولايقدر على الوفاء بحق حرمة القرآن فى كل حال إلا المراقبون لأحوالهم ، فيعدل إلى الغناء الذى لايستحق هذه المراقبه والمراعاة ، ولذلك لايجوز الضرب بالدف مع قراءة القرآن ليلة العرس . وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب الدف فى العرس فقال « أظهروا النكاح ولو بضرب الغربال [1] » أو بلفظ هذا معناه ، وذلك جائز مع الشعر دون القرآن . ولذلك لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار فسمع إحداهن تقول : وفينا نبى يعلم مافى غد . على وجه الغناء ، فقال صلى الله عليه وسلم « دعى هذا وقولى ما كنت تقولين [2] » وهذه شهادة بالنبوة فزجرها عنها وردها إلى الغناء الذى هو لهو ، لأن هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو . فإذاً يتعذر بسببه تقوية الأسباب التى بها يصير السماع محركا للقلب فواجب فى الاحترام العدول إلى الغناء عن القرآن كما وجب على تلك الجارية العدول عن شهادة النبوة إلى الغناء .

الوجه السادس . أن المغنى قد يغنى ببيت لايوافق حال السامع فيكرهه وينهاه عنه ويستدعى غيره فليس كل كلام موافقا لكل حال . فلو اجتمعوا فى الدعوات على القارئ فربما يقرأ آية لاتوافق حالهم إذ القرآن شفاء للناس كلهم على اختلاف الأحوال ، فآيات الرحمة شفاء الخائف ، وآيات العذاب شفاء المغرور الآمن . وتفصيل ذلك مما يطول . فإذاً لايؤمن أن لايوافق المقروء الحال وتكرهه النفس فيتعرض به لخطر كراهة كلام الله تعالى من حيث لايجد سبيلا إلى دفعه . فالاحتراز عن خطر ذلك حزم بالغ وحتم واجب إذ لايجد الخلاص عنه إلا بتنزيله على وفق حاله ولايجوز تنزيل كلام الله تعالى إلا على ماأراد الله تعالى . وأما قول الشاعر فيجوز تنزيله على غير مراده ففيه خطر الكراهة أو خطر التأويل الخطأ لموافقة الحال فيجب توقير كلام الله وصيانته عن ذلك ، وهذا ماينقدح فى علل انصراف الشيوخ إلى سماع الغناء عن سماع القرآن .

وههنا وجه سابع ذكره أبو نصر السراج الطوسى فى الاعتذار عن ذلك فقال : القرآن كلام الله وصفة من

---

(١) حديث : الأمر بضرب الدف فى العرس . تقدم فى النكاح . (٢) حديث : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يغنين .. الحديث . أخرجه البخارى من حديثها وقد تقدم فى النكاح .

صفاته وهو حق لاتطيقه البشرية ، لأنه غير مخلوق فلا تطيقه الصفات المخلوقة . ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيبته لتصدّعت ودهشت وتحيرت . والألحان الطيبة مناسبة للطباع ونسبتها نسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق ، والشعر نسبته نسبة الحظوظ . فإذا علقت الألحان والأصوات بما فى الأبيات من الإشارات واللطائف شاكل بعضها بعضا كان أقرب إلى الحظوظ وأخف على القلوب لمشاكلة المخلوق المخلوق . فما دامت البشرية باقية ونحن بصفاتنا وحظوظنا نتنعم بالنغمات الشجية والأصوات الطيبة ، فانبساطنا لمشاهدة بقاء هذه الحظوظ إلى القصائد أولى من انبساطنا إلى كلام الله تعالى الذى هو صفته وكلامه الذى منه بدأ وإليه يعود . وهذا حاصل المقصود من كلامه واعتذاره . وقد حكى عن أبى الحسن الدرّاج أنه قال قصدت يوسف بن الحسين الرازى من بغداد للزيارة والسلام عليه فلما دخلت الرى كنت أسأل عنه فكل من سألته عنه قال . أيش تعمل بذلك الزنديق ؟ فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف . ثم قلت فى نفسى : قد جبت هذا الطريق كله فلا أقل من أن أراه . فلم أزل أسأل عنه حتى دخلت عليه فى مسجد وهو قاعد فى المحراب وبين يديه رجل وبيده مصحف وهو يقرأ ، فإذا هو شيخ بهى حسن الوجه واللحية ، فسلمت عليه فأقبل على وقال : من أين أقبلت ؟ فقلت : من بغداد ، فقال : وما الذى جاء بك ؟ فقلت : قصدتك للسلام عليك ، فقال : لو أن فى بعض هذه البلدان قال لك إنسان أقم عندنا حتى نشترى لك دارا أو جارية أكان يقعدك ذلك عن المجىء ؟ فقلت : ما امتحننى الله بشىء من ذلك ولو امتحننى ما كنت أدرى كيف أكون ؟ ثم قال لى : أتحسن أن تقول شيئا ؟ فقلت : نعم ، فقال : هات ! فأنشأت أقول :

رأيتك تبنى دائما فى قطيعتى ولو كنت ذا حزم لهدّمت ماتبنى
كأنى بكم والليت أفضل قولكم ألا ليتنا كنا إذ الليت لا يغنى

قال : فأطبق المصحف ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته وابتل ثوبه ، حتى رحمته من كثرة بكائه ، ثم قال : يابنى تلوم أهل الرى يقولون يوسف زنديق ، هذا أنا من صلاة الغداة أقرأ فى المصحف لم تقطر من عينى قطرة ، وقد قامت القيامة على هذين البيتين . فإذاً القلوب وإن كانت محترقة فى حب الله تعالى فإن البيت الغريب يهيج منها مالا تهيج تلاوة القرآن ، وذلك لوزن الشعر ومشاكلته للطباع ، ولكونه مشاكلا للطبع اقتدر البشر على نظم الشعر ، وأما القرآن فنظمه خارج عن أساليب الكلام ومناهجه وهو لذلك معجز لايدخل فى قوة البشر لعدم مشاكلته لطبعه . وروى أن إسرافيل ـ أستاذ ذى النون المصرى ـ دخل عليه رجل فرآه وهو ينكت فى الأرض بأصبعه ويترنم ببيت فقال : هل تحسن أن تترنم بشىء ؟ فقال : لا ، قال : فأنت بلاقلب ـ إشارة إلى أن من له قلب وعرف طباعه علم أنه تحركه الأبيات والنغمات تحريكا لايصادف فى غيرها فيتكلف طريق التحريك إما بصوت نفسه أو بغيره ـ وقد ذكرنا حكم المقام الأول فى فهم المسموع وتنزيله ، وحكم المقام الثانى فى الوجد الذى يصادف فى القلب ، فلنذكر الآن أثر الوجد أعنى مايترشح منه إلى الظاهر من صعقة وبكاء وحركة وتمزيق ثوب وغيره فنقول :

المقام الثالث من السماع

نذكر فيه آداب السماع ظاهرا وباطنا وما يحمد من آثار الوجد وما يذم . فأما الآداب فهى خمس جمل :

الأول : مراعاة الزمان والمكان والإخوان . قال الجنيد : السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء وإلا فلا تسمع : الزمان والمكان والإخوان . ومعناه أن الاشتغال به فى وقت حضور طعام أو خصام أو صلاة أو صارف من الصوارف مع اضطراب القلب لافائدة فيه فهذا معنى مراعاة الزمان فيراعى حالة فراغ القلب له . وأما المكان : فقد يكون

شارعا مطروقا أوموضعا كريه الصورة أو فيه سبب يشغل القلب فيجتنب ذلك . وأما الإخوان : فسببه أنه إذا حضر غير الجنس من منكر السماع متزهد الظاهر مفلس من لطائف القلوب كان مستثقلا فى المجلس واشتغل القلب به . وكذلك إذا حضر متكبر من أهل الدنيا يحتاج إلى مراقبته وإلى مراعاته ، أو متكلف متواجد من أهل التصوف يرائى بالوجد والرقص وتمزيق الثياب ، فكل ذلك مشوشات . فترك السماع عند فقد هذه الشروط أولى ففى هذه الشروط نظر للمستمع .

الأدب الثانى : هو نظر الحاضرين أن الشيخ إذا كان حوله مريدون يضرهم السماع فلا ينبغى أن يسمع فى حضورهم فإن سمع فليشغلهم بشغل آخر والمريد الذى يستضر بالسماع أحد ثلاثة :

أقلهم درجة . هو الذى لم يدرك من الطريق إلا الأعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق السماع ؛ فاشتغاله بالسماع اشتغال بما لا يعنيه ، فإنه ليس من أهل اللهو فيلهو ولا من أهل الذوق فيتنعم بذوق السماع ، فليشتغل بذكر أو خدمة وإلا فهو تضييع لزمانه .

الثانى : هو الذى له ذوق السماع ولكن فيه بقية من الحظوظ والالتفات إلى الشهوات والصفات البشرية ولم ينكسر بعد انكسارا تؤمن غوائله ، فربما يهيج السماع منه داعية اللهو والشهوة فيقطع عليه طريقه ويصده عن الاستكمال .

الثالث : أن يكون قد انكسرت شهوته وأمنت غائلته وانفتحت بصيرته واستولى على قلبه حب الله تعالى ولكنه لم يحكم ظاهر العلم ولم يعرف أسماء الله تعالى وصفاته ومايجوز عليه ومايستحيل ؛ فإذا فتح له باب السماع نزل المسموع فى حق الله تعالى على ما يجوز وما لا يجوز فيكون ضرره من تلك الخواطر التى هى كفر أعظم من نفع السماع .

قال سهل رحمه الله : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل . فلا يصلح السماع لمثل هذا ولا لمن قلبه بعد ملوث بحب الدنيا وحب المحمدة والثناء ، ولا لمن يسمع لأجل التلذذ والاستطابة بالطبع فيصير ذلك عادة له ويشغله ذلك عن عبادته ومراعاة قلبه وينقطع عليه طريقه . فالسماع مزلة قدم يجب حفظ الضعفاء عنه . قال الجنيد : رأيت إبليس فى النوم فقلت له هل تظفر من أصحابنا بشىء ؟ قال : نعم فى وقتين ، وقت السماع ووقت النظر فإنى أدخل عليهم به . فقال بعض الشيوخ : لو رأيته أنا لقلت له ما أحمقك من سمع منه إذا سمع ونظر إليه إذا نظر كيف تظفر به ؟ فقال الجنيد : صدقت .

الأدب الثالث : أن يكون مصغيا إلى ما يقول القائل ، حاضر القلب ، قليل الالتفات إلى الجوانب ، متحرزا عن النظر إلى وجوه المستمعين ومايظهر عليهم من أحوال الوجد . مشتغلا بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة مايفتح الله تعالى له من رحمته فى سره ، متحفظا عن حركة تشوش على أصحابه قلوبهم . بل يكون ساكن الظاهر ، هادئ الأطراف متحفظا عن التنحنح والتثاؤب ، ويجلس مطرقا رأسه ، كجلوسه فى فكر مستغرق لقلبه ، متماسكا عن التصفيق والرقص وسائر الحركات على وجه التصنع والتكلف والمراءاة ، ساكتا عن النطق فى أثناء القول بكل ما عنه بد فإن غلبه الوجد وحركه بغير اختيار فهو فيه معذور غير ملوم . ومهما رجع إليه الاختيار فليعد إلى هدوئه وسكونه . ولا ينبغى أن يستديمه حياء من أن يقال انقطع وجده على القرب ولا أن يتواجد خوفا من أن يقال هو قاسى القلب عديم الصفاء والرقة .

حكى أن شابا كان يصحب الجنيد فكان إذا سمع شيئا من الذكر يزعق فقال له الجنيد يوما ؛ إن فعلت ذلك مرة

أخرى لم تصحبنى فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر من كل شعرة منه قطرة ماء ولا يزعق ، فحكى أنه اختنق يوما لشدة ضبطه لنفسه فشهق شهقة فانشق قلبه وتلفت نفسه . وروى أن موسى عليه السلام قص فى بنى إسرائيل فمزق واحد منهم ثوبه أو قميصه فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل له : مزق لى قلبك ولا تمزق ثوبك . قال أبو القاسم النصراباذى لأبى عمرو بن عبيد أنا أقول : إذا اجتمع القوم فيكون معهم قوّال يقول خيرا لهم من أن يغتابوا ؛ فقال أبو عمرو : الرياء فى السماع وهو أن ترى من نفسك حالا ليست فيك شر من أن تغتاب ثلاثين سنة أو نحو ذلك .

* فإن قلت : الأفضل هو الذى لا يحركه السماع ولا يؤثر فى ظاهره أو الذى يظهر عليه ؟ فاعلم أن عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان ، وتارة يكون مع قوة الوجد فى الباطن لكن لا يظهر لكمال القوة على ضبط الجوارح فهو كمال ، وتارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا فى الأحوال كلها فلا يتبين للسماع مزيد تأثير وهو غاية الكمال . فإن صاحب الوجد فى غالب الأحوال لا يدوم وجده فمن هو فى وجد دائم فهو المرابط للحق والملازم لعين الشهود ؛ فهذا لا تغيره طوارق الأحوال ولا يبعد أن تكون الإشارة بقول الصديق رضى الله عنه : كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا ، معناه قويت قلوبنا واشتدت فصارت تطيق ملازمة الوجد فى كل الأحوال فنحن فى سماع معانى القرآن على الدوام فلا يكون القرآن جديدا فى حقنا طارئا علينا حتى تتأثر به . فإذاً قوة الوجد تحرك وقوة العقل والتماسك تضبط الظاهر ـ وقد يغلب أحدهما الآخر إما الشدة قوته وإما لضعف ما يقابله ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك فلا تظنن أن الذى يضطرب بنفسه على الأرض أتم وجدا من الساكن باضطرابه ، بل رب ساكن أتم وجدا من المضطرب . فقد كان الجنيد يتحرك فى السماع فى بدايته ثم صار لا يتحرك فقيل له فى ذلك فقال ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء ﴾ إشارة إلى أن القلب مضطرب جائل فى الملكوت والجوارح متأدبة فى الظاهر ساكنة . وقال أبو الحسن محمد بن أحمد وكان بالبصرة : صحبت سهل بن عبد الله ستين سنة فما رأيته تغير عند شىء كان يسمعه من الذكر أو القرآن ، فلما كان فى آخر عمره قرأ رجل بين يديه ﴿ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ﴾ الآية فرأيته قد ارتعد وكاد يسقط ، فلما عاد إلى حاله سألته عن ذلك فقال : نعم ياحبيبى قد ضعفنا . وكذلك سمع مرة قوله تعالى ﴿ الملك يومئذ الحق للرحمن ﴾ فاضطرب فسأله ابن سالم ـ وكان من أصحابه ـ فقال : قد ضعفت . فقيل له : فإن كان هذا من مضعف فما قوة الحال فقال : أن لا يرد عليه وارد إلا وهو يلتقيه بقوة حاله ، فلا تغيره الواردات وإن كانت قوية . وسبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الأحوال بملازمة الشهود . كما حكى عن سهل رحمه الله تعالى أنه قال : حالتى قبل الصلاة وبعدها واحدة ، لأنه كان مراعيا للقلب حاضر الذكر مع الله تعالى فى كل حال . فكذلك يكون قبل السماع وبعده ، إذ يكون وجده دائما ، وعطشه متصلا ، وشربه مستمرا ، بحيث لا يؤثر السماع فى زيادته . كما روى أن ممشاد الدينورى أشرف على جماعة فيهم قوال فسكتوا فقال : ارجعوا إلى ما كنتم فيه فلو جمعت ملاهى الدنيا فى أذنى ما شغل همى ولا شفى بعض مابى . وقال الجنيد رحمه الله تعالى : لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم . وفضل العلم أتم من فضل الوجد .

فإن قلت : فمثل هذا لم يحضر السماع ؟ فاعلم أن من هؤلاء من ترك السماع فى كبره وكان لا يحضر إلا نادرا لمساعدة أخ من الإخوان وإدخالا للسرور على قلبه ؛ وربما حضر ليعرف القوم كمال قوته فيعلمون أنه ليس الكمال بالوجد الظاهر ؛ فيتعلمون منه ضبط الظاهر عن التكلف وإن لم يقدروا على الاقتداء به فى صيرورته طبعا

لهم . وإن اتفق حضورهم مع غير أبناء جنسهم فيكونون معهم بأبدانهم نائين عنهم بقلوبهم وبواطنهم . كما يجلسون من غير سماع مع غير جنسهم بأسباب عارضة تقتضى الجلوس معهم . وبعضهم نقل عنه ترك السماع ويظن أنه كان سبب تركه استغناءه عن السماع بما ذكرناه . وبعضهم كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحانى فى السماع ولا كان من أهل اللهو ، فتركه لئلا يكون مشغولا بما لايعنيه . وبعضهم تركه لفقد الإخوان . قيل لبعضهم لم لا تسمع ؟ فقال : عن ومع من ؟

الأدب الرابع : أن لايقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن إن رقص أوتباكى فهو مباح إذا لم يقصد به المراءاة ؛ لأنّ التباكى استجلاب للحزن ، والرقص سبب فى تحريك السرور والنشاط . فكل سرور مباح فيجوز تحريكه . ولو كان ذلك حراما لما نظرت عائشة رضى الله عنها إلى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفنون [1] هذا لفظ عائشة رضى الله عنها فى بعض الروايات . وقد روى عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم أنهم حجلوا لما ورد عليهم سرور أوجب ذلك ؛ وذلك فى قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها على بن أبى طالب وأخوه جعفر وزيد بن حارثة رضى الله عنهم فتشاحوا فى تربيتها فقال صلى الله عليه وسلم لعلى « أنت منى وأنا منك » فحجل على وقال لجعفر « أشبهت خلقى وخلقى » فحجل وراء حجل على وقال لزيد « أنت أخونا ومولانا » فحجل زيد وراء حجل جعفر ، ثم قال عليه السلام « هى لجعفر لأنّ خالتها تحته والخالة والدة [2] » وفى رواية أنه قال لعائشة رضى الله عنها « أتحبين أن تنظرى إلى زفن الحبشة » والزفن والحجل هو الرقص . وذلك يكون لفرح أو شوق فحكمه حكم مهيجه ، إن كان فرحه محمودا والرقص يزيده ويؤكده فهو محمود ، وإن كان مباحا فهو مباح ، وإن كان مذموما فهو مذموم . نعم لايليق اعتياد ذلك بمناصب الأكابر وأهل القدوة لأنه فى الأكثر يكون عن لهو ولعب ، وماله صورة اللعب واللهو فى أعين الناس فينبغى أن يجتنبه المقتدى به لئلا يصغر فى أعين الناس فيترك الاقتداء به .

وأما تمزيق الثياب فلا رخصة فيه إلا عند خروج الأمر عن الاختيار ، ولا يبعد أن يغلب الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لايدرى لغلبة سكر الوجد عليه ، أو يدرى ولكن يكون كالمضطر الذى لايقدر على ضبط نفسه ، وتكون صورته صورة المكره إذ يكون له فى الحركة أو التمزيق متنفس ، فيضطر إليه اضطرار المريض إلى الأنين ، ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع أنه فعل اختيارى ، فليس كل فعل حصوله بالإرادة يقدر الإنسان على تركه ، فالتنفس فعل يحصل بالإرادة ، ولو كلف الإنسان أن يمسك النفس ساعة لاضطر من باطنه إلى أن يختار التنفس . فكذلك الزعقة وتمزيق الثياب قد يكون كذلك فهذا لايوصف بالتحريم . فقد ذكر عند السرى حديث الوجد الحاد الغالب فقال: نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لايدرى . فروجع فيه واستبعد أن ينتهى إلى هذا الحد فأصر عليه ولم يرجع . ومعناه: أنه فى بعض الأحوال قد ينتهى إلى هذا الحد فى بعض الأشخاص .

* فإن قلت : فما تقول فى تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع فإنهم يمزقونها قطعا صغارا ويفرقونها على القوم ويسمونها الخرقة ؟ فاعلم أن ذلك مباح إذا قطع قطعا مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات . فإن الكرباس يمزق حتى يخاط منه القميص ، ولايكون ذلك تضييعا لأنه تمزيق لغرض . وكذلك ترقيع الثياب لايمكن إلا بالقطع الصغار وذلك مقصود ، والتفرقة على الجميع ليعم ذلك الخير مقصود مباح . ولكل

(١) حديث : نظرت عائشة إلى رقص الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفنون . تقدم فى الباب قبله .

(٢) حديث : اختصم على وجعفر وزيد بن حارثة فى ابنة حمزة فقال لعلى « أنت منى وأنا منك » فحجل وقال لجعفر « أشبهت خلقى وخلقى » فحجل وقال لزيد « أنت أخونا ومولانا » فحجل ... الحديث أخرجه أبو داود من حديث على باسناد حسن وهو عند البخارى دون « فحجل » .

مالك أن يقطع كرباسه مائة قطعة ويعطيها لمائة مسكين ، ولكن ينبغي أن تكون القطع بحيث يمكن أن ينتفع بها في الرقاع . وإنما منعنا في السماع التمزيق المفسد للثوب الذي يهلك بعضه بحيث لا يبقى منتفعا به فهو تضييع محض لايجوز بالاختيار .

الأدب الخامس : موافقة القوم في القيام إذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف ، أو قام باختيار من غير إظهار وجد وقامت له الجماعة فلابد من الموافقة ، فذلك من آداب الصحبة . وكذلك إن جرت عادة طائفة بتنحية العمامة على موافقة صاحب الوجد إذا سقطت عمامته . أو خلع الثياب إذا سقط عنه ثوبه بالتمزيق ؛ فالموافقة في هذه الأمور من حسن الصحبة والعشرة ، إذ المخالفة موحشة ولكل قوم رسم ، ولابد من مخالقة الناس بأخلاقهم [1] كما ورد في الخبر ، لاسيما إذا كانت أخلاقا فيها حسن العشرة والمجاملة وتطييب القلب بالمساعدة . وقول القائل : إنّ ذلك بدعة لم يكن في الصحابة ؟ فليس كل ما يحكم بإباحته منقولا عن الصحابة رضي الله عنهم ، وإنما المحذور ارتكاب بدعة تراغم سنة مأثورة ، ولم ينقل النهي عن شيء من هذا .

والقيام عند الدخول للداخل لم يكن من عادة العرب بل كان الصحابة رضي الله عنهم لا يقومون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأحوال [2] كما رواه أنس رضي الله عنه . ولكن إذا لم يثبت فيه نهي عام فلا نرى به بأسا في البلاد التي جرت العادة فيها بإكرام الداخل بالقيام ، فإن المقصود منه الاحترام والإكرام وتطييب القلب به . وكذلك سائر أنواع المساعدات إذا قصد بها تطييب القلب واصطلح عليها جماعة فلابأس بمساعدتهم عليها ، بل الأحسن المساعدة إلا فيما ورد فيه نهي لايقبل التأويل ، ومن الأدب أن لايقوم للرقص مع القوم إن كان يستثقل رقصه ، ولايشوش عليهم أحوالهم إذ الرقص من غير إظهار التواجد مباح ، والمتواجد هو الذي يلوح للجميع منه أثر التكلف . ومن يقوم عن صدق لا تستثقله الطباع فقلوب الحاضرين إذا كانوا من أرباب القلوب محك للصدق والتكلف .

سئل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال : صحته قبول قلوب الحاضرين له إذا كانوا أشكالا غير أضداد .

فإن قلت : فما بال الطباع تنفر عن الرقص ويسبق إلى الأوهام أنه باطل ولهو ومخالف للدين فلا يراه ذو جد في الدين إلا وينكره ؟

فاعلم أنّ الجد لايزيد على جد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد رأى الحبشة يرقصون في المسجد وما أنكره لما كان في وقت لائق به وهو العيد ، ومن شخص لائق به وهم الحبشة . نعم نفرة الطباع عنه ، لأنه يرى غالبا مقرونا باللهو واللعب ، واللهو واللعب مباح ولكن للعوام من الزنوج والحبشة ومن أشبههم . وهو مكروه لذوي المناصب لأنه لايليق بهم ، وما كره لكونه غير لائق بمنصب ذي المنصب فلا يجوز أن يوصف بالتحريم ، فمن سأل فقيرا شيئا فأعطاه رغيفا كان ذلك طاعة مستحسنة ، ولو سأل ملكا فأعطاه رغيفا أو رغيفين لكان ذلك منكرا عند الناس كافة ، ومكتوبا في تواريخ الأخبار من جملة مساويه ويعير به أعقابه وأشياعه ، ومع هذا فلا يجوز أن يقال ما فعله حرام لأنه من حيث إنه أعطى خبزا للفقير حسن ، ومن حيث أنه بالإضافة إلى منصبه كالمنع بالإضافة إلى الفقير مستقبح ، فكذلك الراقص وما يجري مجراه من المباحات ، ومباحات العوام سيئات الأبرار ، وحسنات الأبرار

(١) حديث : مخالقة الناس بأخلاقهم . أخرجه الحاكم من حديث أبي ذر « خالقوا الناس بأخلاقهم ... الحديث » قال صحيح على شرط الشيخين . (٢) حديث : كانوا لايقومون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأحوال . كما رواه أنس تقدم في آداب الصحبة .

سيئات المقربين ، ولكن هذا من حيث الالتفات إلى المناصب . وأما إذا نظر إليه فى نفسه وجب الحكم بأنه هو فى نفسه لاتحريم فيه والله أعلم ، فقد خرج من جملة التفصيل السابق أن السماع قد يكون حراما محضا ، وقد يكون مباحا ، وقد يكون مكروها ، وقد يكون مستحبا .

أما الحرام : فهو لأكثر الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا فلا يحرك السماع منهم إلا ماهو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة .

وأما المكروه : فهو لمن لاينزله على صورة المخلوقين ولكنه يتخذه عادة له فى أكثر الأوقات على سبيل اللهو .

وأما المباح : فهو لمن لاحظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن .

وأما المستحب : فهو لمن غلب عليه حب الله تعالى ولم يحرك السماع منه إلا الصفات المحمودة والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله .

كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

وهو الكتاب التاسع : من ربع العادات الثانى من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى لاتستفتح الكتب إلا بحمده ، ولا تستمنح النعم إلا بواسطة كرمه ورفده ، والصلاة على سيد الأنبياء محمد رسوله وعبده ، وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين من بعده .

أما بعد : فإنّ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الأعظم فى الدين ، وهو المهم الذى ابتعث الله له النبيين أجمعين ، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد ، وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد وقد كان الذى خفنا أن يكون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه ، وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه ، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس فى اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم ، وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه فى الله لومة لائم ، فمن سعى فى تلافى هذه الفترة وسد هذه الثلمة إما متكفلا بعملها أو متقلدا لتنفيذها مجددا لهذه السنة الداثرة ناهضا بأعبائها ومتشمرا فى إحيائها كان مستأثرا من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها ، ومستبدا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها ، وهانحن نشرح علمه فى أربعة أبواب . (الباب الأول) فى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفضيلته ، (الباب الثانى) فى أركانه وشروطه ، (الباب الثالث) فى مجاريه وبيان المنكرات المألوفة فى العادات (الباب الرابع) فى أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر

الباب الأول : فى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفضيلته والمذمة فى إهماله وإضاعته

ويدل على ذلك بعد إجماع الأمة عليه وإشارات العقول السليمة إليه : الآيات والأخبار والآثار

أما الآيات : فقوله تعالى ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم

المفلحون ﴾ فى الآية بيان الإيجاب فإن قوله تعالى ﴿ ولتكن ﴾ أمر وظاهر الأمر الإيجاب ، وفيها بيان أن الفلاح منوط به إذ حصر وقال ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ وفيها بيان أنه فرض كفاية لا فرض عين وأنه إذا قام به أمة سقط الفرض عن الآخرين ، إذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف بل قال ﴿ ولتكن منكم أمة ﴾ فإذاً مهما قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين ، واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين ، وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة وقال تعالى ﴿ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين ﴾ فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقال تعالى ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ﴾ فقد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فالذى هجر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين فى هذه الآية ، وقال تعالى ﴿ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ وهذا غاية التشديد إذ علل استحقاقهم للعنة بتركهم النهى عن المنكر ، وقال عز وجل ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ وهذا يدل على فضيلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذ بين أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس وقال تعالى ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ﴾ فبين أنهم استفادوا النجاة بالنهى عن السوء ويدل ذلك على الوجوب أيضا ، وقال تعالى ﴿ الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴾ فقرن ذلك بالصلاة والزكاة فى نعت الصالحين والمؤمنين وقال تعالى ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ وهو أمر جزم ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب الإمكان وقال تعالى ﴿ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ﴾ فبين أنهم أثموا بترك النهى وقال تعالى ﴿ فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض ﴾ الآية فبين أنه أهلك جميعهم إلا قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ﴾ وذلك هو الأمر بالمعروف للوالدين والأقربين وقال تعالى ﴿ لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما ﴾ وقال تعالى ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾ الآية والإصلاح نهى عن البغى وإعادة إلى الطاعة فإن لم يفعل فقد أمر الله تعالى بقتاله فقال ﴿ فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ﴾ وذلك هو النهى عن المنكر

وأما الأخبار : فمنها ما روى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال فى خطبة خطبها : أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم [1] لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ وإنى

كتاب الأمر بالمعروف

الباب الأول : فى وجوب الأمر بالمعروف

(١) حديث أبى بكر : أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) .. الحديث . أخرجه أصحاب السنن وتقدم فى العزلة .

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن قوم عملوا بالمعاصى وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده » وروى عن أبى ثعلبة الخشنى : أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى ﴿ لايضركم من ضل إذا اهتديتم [1] ﴾ فقال « ياأبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فإذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام إن من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم المتمسك فيها بمثل الذى أنتم عليه أجر خمسين منكم » قيل : بل منهم يارسول الله . قال : « لابل منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانا ولايجدون عليه أعوانا » وسئل ابن مسعود رضى الله عنه عن تفسير هذه الآية فقال : إن هذا ليس زمانها إنها اليوم مقبولة ، ولكن قد أوشك أن يأتى زمانها تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا وتقولون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم [2] » معناه تسقط مهابتهم من أعين الأشرار فلا يخافونهم . وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم « ياأيها الناس إن الله يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « ما أعمال البر عند الجهاد فى سبيل الله إلا كنفثة فى بحر لجى ، وما جميع أعمال البر والجهاد فى سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلا كنفثة فى بحر لجى [4] » وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « إن الله تعالى ليسأل العبد مامنعك إذ رأيت المنكر أن تنكره ؟ فإذا لقن الله العبد حجته قال رب وثقت بك وفرقت من الناس [5] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إياكم والجلوس على الطرقات » قالوا مالنا بد إنما هى مجالسنا نتحدث فيها قال « فاذا أبيتم إلا ذلك فأعطوا الطريق حقها » قالوا : وما حق الطريق ؟ قال : « غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر [6] » وقال صلى الله عليه وسلم « كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا أمرا بمعروف أونهيا عن منكر أو ذكراً لله تعالى [7] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ الله لايعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين أظهرهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه [8] » وروى أبو أمامة الباهلى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « كيف أنتم إذا طغى نساؤكم وفسق شبانكم وتركتم جهادكم ؟ » قالوا : وإن ذلك لكائن يارسول الله قال « نعم والذى نفسى بيده وأشدّ منه سيكون » قالوا : وما أشد

---

(١) حديث أبى ثعلبة : أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى ﴿ لايضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ ... الحديث . أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه .

(٢) حديث « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم » أخرجه البزار من حديث عمر بن الخطاب والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة وكلاهما ضعيف والترمذى من حديث حذيفة نحوه الا أنه قال « أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم » قال هذا حديث حسن . (٣) حديث « ياأيها الناس ان الله سبحانه يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم » أخرجه أحمد والبيهقى من حديث عائشة بلفظ « مروا وانهوا » وهو عند ابن ماجه دون عزوه الى كلام الله تعالى وفى اسناده لين . (٤) حديث : « ماأعمال البر عند الجهاد فى سبيل الله الا كنفثة فى بحر لجى » رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس مقتصراً على الشطر الأول من حديث جابر باسناد ضعيف ، وأما الشطر الأخير فرواه على بن معبد فى كتاب الطاعة والمعصية من رواية يحيى بن عطاء مرسلا أو معضلا ، ولا أدرى من يحيى بن عطاء ؟ (٥) حديث « ان الله تعالى ليسأل العبد مامنعك اذ رأيت المنكر أن تنكره ... الحديث » أخرجه ابن ماجه وقد تقدم . (٦) حديث « اياكم والجلوس على الطرقات ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى سعيد

(٧) حديث « كل كلام ابن آدم عليه لا له الا أمراً بمعروف ... الحديث » تقدم فى العلم .

(٨) حديث « ان الله لايعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يروا المنكر ... الحديث » أخرجه أحمد من حديث عدى بن عميرة وفيه من يسم والطبرانى من حديث أخيه العرس بن عميرة وفيه من لم أعرفه .

منه يارسول الله ؟ « كيف أنتم إذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر ؟ » قالوا : وكائن ذلك يارسول الله ؟ قال « نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون » قالوا : وماأشد منه ؟ كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا ؟ » قالوا : وكائن ذلك يارسول الله ؟ قال « نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون » قالوا : وما أشد منه ؟ قال « كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ قالوا : وكائن ذلك يارسول الله ؟ قال « نعم والذى نفسى بيد وأشد منه سيكون ؟ يقول الله تعالى بى حلفت لأتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران[1] » وعن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتقفن عند رجل يقتل مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه ، ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه[2] » قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاينبغى لامرئ شهد مقاما فيه حق إلا تكلم به فإنه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقا هو له[3] » وهذا الحديث يدل على أنه لايجوز دخول دور الظلمة والفسقة ولا حضور المواضع التى يشاهد المنكر فيها ولا يقدر على تغييره ، فإنه قال « اللعنة تنزل على من حضر » ولا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذارا بأنه عاجز . ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات فى الأسواق والأعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير ، وهذا يقتضى لزوم الهجر للخلق . ولهذا قال عمر ابن عبد العزيز رحمه الله : ما ساح السواح وخلوا دورهم وأولادهم إلا بمثل ما نزل بنا حين رأوا الشر قد ظهر والخير قد اندرس ، ورأوا أنه لا يقبل ممن تكلم ، ورأوا الفتن ولم يأمنوا أن تعتريهم وأن ينزل العذاب بأولئك القوم فلا يسلمون منه ؛ فرأوا أن مجاورة السباع وأكل البقول خير من مجاوره هؤلاء فى نعيمهم ثم قرأ ﴿ ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين ﴾ قال : ففر قوم فلولا ماجعل الله جل ثناؤه فى النبوة من السر لقلنا ماهم بأفضل من هؤلاء « فيما بلغنا أن الملائكة عليهم السلام لتلقاهم وتصافحهم ، والسحاب والسباع تمر بأحدهم فيناديها فتجيبه ، ويسألها أين أمرت فتخبره ؟ وليس بنبى . وقال أبو هريرة رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها ، ومن غاب عنها فأحبها فكأنه حضرها[4] » ومعنى الحديث أن يحضر لحاجة أو يتفق جريان ذلك بيديه . فأما الحضور قصدا فممنوع بدليل الحديث الأول . وقال ابن مسعود رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما بعث الله عز وجل نبيا إلا وله حوارى فيمسكث النبى بين أظهرهم ما شاء الله تعالى يعمل فيهم بكتاب الله وبأمره حتى إذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبأمره وبسنة نبيهم فإذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رءوس المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فإذا رأيتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك إسلام[5] » .

---

(١) حديث أبي أمامة : كيف بكم إذا طغى نساؤكم وفسق شبابكم وتركتم جهادكم قالوا وإن ذلك كائن يارسول الله قال « نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون » قالوا وما أشد منه ؟ قال « كيف أنتم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر ... الحديث « أخرجه ابن أبى الدنيا بإسناد ضعيف دون قوله « كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف » ورواه أبو يعلى من حديث أبى هريرة مقتصرا على الأسئلة الثلاثة الأول وأجوبتها دون الأخيرين وإسناده ضعيف

(٢) حديث عكرمة عن ابن عباس « لاتقفن عند رجل يقتل مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه » أخرجه الطبرانى بسند ضعيف والبيهقى فى شعب الإيمان بسند حسن . (٣) حديث « لاينبغى لامرئ شهد مقاما فيه حق الا تكلم به فانه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقا هو له » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بسند الحديث الذى قبله وروى الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى سعيد « لايمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول الحق إذا علمه » .

(٤) حديث أبى هريرة « من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكأنه حضرها » رواه ابن عدى وفيه يحيى بن أبى سلمان قال البخارى منكر الحديث . (٥) حديث ابن مسعود « مابعث الله عزوجل نبيا إلا وله حوارى ... الحديث » روى مسلم نحوه .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : كان أهل قرية يعملون بالمعاصى وكان فيهم أربعة نفر ينكرون مايعملون ، فقام أحدهم فقال : إنكم تعملون كذا وكذا فجعل ينهاهم ويخبرهم بقبيح مايصنعون فجعلوا يردون عليه ولا يرعوون عن أعمالهم فسبهم فسبوه وقاتلهم فغلبوه فاعتزل ثم قال اللهم إنى قد نهيتهم فلم يطيعونى وسببتهم فسبونى وقاتلتهم فغلبونى ثم ذهب ثم قام الآخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبهم فسبوه فاعتزل ثم قال اللهم إنى قد نهيتهم فلم يطيعونى وسببتهم فسبونى ولوقاتلتهم لغلبونى . ثم ذهب ثم قام الثالث فنهاهم فلم يطيعوة فاعتزل ثم قال اللهم إنى قدنهتهم فلم يطيعونى ولو سببتهم لسبونى ولوقاتلتهم لغلبونى . ثم ذهب ثم قام الرابع فقال اللهم إنى لو نهيتهم لعصونى ولو سببتهم لسبونى ولوقاتلتهم لغلبونى ثم ذهب قال ابن مسعود رضى الله عنه كان الرابع أدناهم منزلة وقليل فيكم مثله ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما : قيل يارسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون ؟ قال « نعم » قيل بم يارسول الله قال « بتهاونهم وسكوتهم على معاصى الله تعالى[1] » وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوحى الله تبارك وتعالى إلى ملك من الملائكة أن أقلب مدينة كذا وكذا على أهلها فقال يارب إن فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين قال اقلبها عليه وعليهم فإن وجهه لم يتمعر فىّ ساعة قط[2] » وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الأنبياء قالوا يارسول الله كيف قال لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر[3] » وعن عروة عن أبيه قال قال موسى صلى الله عليه وسلم يارب أى عبادك أحب إليك قال الذى يتسرع إلى هواى كما يتسرع النسر إلى هواه والذى يكلف بعبادى الصالحين كما يكلف الصبى بالثدى والذى يغضب إذا أتيت محارمى كما يغضب النمر لنفسه فإن النمر إذا غضب لنفسه لم يبال قل الناس أم كثروا وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدة الخوف وقال أبوذر الغفارى : قال أبوبكر الصديق رضى الله عنه : يارسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم ياأبا بكر إن لله تعالى مجاهدين فى الأرض أفضل من الشهداء أحياء مرزوقين يمشون على الأرض يباهى الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزينت أم سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم » فقال أبو بكر رضى الله عنه : يارسول الله ومن هم ؟ قال « الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون فى الله والمبغضون فى الله » ثم قال « والذى نفسى بيده إن العبد منهم ليكون فى الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء للغرفة منها ثلثمائة ألف باب منها الياقوت والزمرذ الأخضر على كل باب نور وإن الرجل منهم ليزوج بثلثمائة ألف حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت إلى واحدة منهن فنظر إليها تقول له : أتذكر يوم كذا وكذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر ؟ كلما نظر إلى واحدة منهن ذكرت له مقاما أمر فيه بمعروف ونهى فيه عن منكر[4] » وقال أبوعبيدة بن الجراح رضى الله عنه قلت : يارسول الله أى الشهداء أكرم على الله عزوجل ؟ قال « رجل قام إلى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فإن لم يقتله فإن القلم لايجرى

---

(١) حديث ابن عباس : قيل يارسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون ؟ قال « نعم » قيل : بم يارسول الله ؟ قال « بتهاونهم وسكوتهم عن معاصى الله » أخرجه البزار والطبرانى بسند ضعيف . (٢) حديث جابر « أوحى الله إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها قال فقال يارب إن فيهم عبدك فلانا ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب وضعفه وقال المحفوظ من قول مالك بن دينار . (٣) حديث عائشة « عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الأنبياء » لم أقف عليه مرفوعا وروى ابن أبى الدنيا وأبو الشيخ عن إبراهيم بن عمر الصنعانى « أوحى الله إلى يوشع بن نون إنى مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم قال يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار ؟ قال لأنهم لم يغضبوا لغضبى فكانوا يؤاكلونهم ويشاربونهم » . (٤) حديث أبى ذر : قال أبو بكر يارسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين ؟ قال « نعم ياأبا بكر إن لله تعالى مجاهدين فى الأرض أفضل من الشهداء » فذكر الحديث وفيه فقال « هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ... الحديث » بطوله لم أقف له على أصل وهو منكر .

عليه بعد ذلك وإن عاش ماعاش [١] » وقال الحسن البصرى رحمه الله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل شهداء أمتى رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته فى الجنة بين حمزة وجعفر [٢] » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بئس القوم قوم لا يأمرون بالقسط وبئس القوم قوم لايأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر [٣] » .

وأما الآثار : فقد قال أبو الدرداء رضى الله عنه : لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لايجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعوا عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلايغفر لكم . وسئل حذيفة رضى الله عنه عن ميت الأحياء فقال : الذى لاينكر المنكر بيده ولابلسانه ولابقلبه . وقال مالك بن دينار : كان حبر من أحبار بنى إسرائيل يغشى الرجال والنساء منزله يعظهم ويذكرهم بأيام الله عزوجل فرأى بعض بنيه يوما وقد غمز بعض النساء فقال : مهلا يابنى مهلا ، وسقط من سريره فانقطع نخاعة وأسقطت امرأته وقتل بنوه فى الجيش ، فأوحى الله تعالى إلى نبى زمانه : أن أخبر فلانا الحبر أنى لا أخرج من صلبك صديقا أبدا أما كان من غضبك لى إلا أن قلت : مهلا يابنى مهلا . وقال حذيفة : يأتى على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم وأوحى الله تعالى إلى يوشع بن نون عليه السلام إنى مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم فقال : يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار ، قال : إنهم لم يغضبوا لغضبى وواكلوهم وشاربوهم . وقال بلال بن سعد : إن المعصية إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها فإذا أعلنت ولم تغير أضرت بالعامة ، وقال كعب الأحبار لأبى مسلم الخولانى : كيف منزلتك من قومك ؟ قال : حسنة . قال كعب : إن التوراة لتقول غير ذلك ؟ قال : وماتقول ؟ قال : تقول إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه ، فقال : صدقت التوراة وكذب أبو مسلم . وكان عبدالله بن عمر رضى الله عنهما يأتى العمال ثم قعد عنهم فقيل له : لو أتيتهم فلعلهم يجدون فى أنفسهم ، فقال : أرهب إن تكلمت أن يروا أن الذى بى غير الذى بى ، وإن سكت رهبت أن آثم . وهذا يدل على أن من عجز عن الأمر بالمعروف فعليه أن يبعد عن ذلك الموضع ويستتر عنه حتى لايجرى بمشهد منه . وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : أول ماتغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ، ثم الجهاد بألسنتكم ، ثم الجهاد بقلوبكم ؛ فإذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر نكس فجعل أعلاه أسفله . وقال سهل بن عبد الله رحمه الله : أيما عبد عمل فى شىء من دينه بما أمر به أو نهى عنه وتعلق به عند فساد الأمور وتنكرها وتشوش الزمان فهو ممن قد قام لله فى زمانه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . معناه أنه إذا لم يقدر إلا على نفسه فقام بها وأنكر أحوال الغير بقلبه فقد جاء بما هو الغاية فى حقه وقيل للفضيل : ألا تأمر وتنهى ؟ فقال : إن قوما أمروا ونهوا فكفروا وذلك أنهم لم يصبروا على ماأصيبوا وقيل للثورى . ألا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فقال إذا انبثق البحر فمن يقدر أن يسكره . فقد ظهر بهذه الأدلة أن الأمر بالمعروف والنهى عن

---

(١) حديث أبي عبيدة : قلت يارسول الله أى الشهداء أكرم على الله ؟ قال « رجل قام إلى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله ... الحديث » أخرجه البزار مقتصرا على هذا دون قوله « فان لم يقتله ... إلى آخره » وهذه الزيادة منكره وفيه أبو الحسن غير مشهور لايعرف . (٢) حديث الحسن البصرى مرسلا « أفضل شهداء أمتى رجل قام الى امام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته فى الجنة بين حمزة وجعفر » لم أره من حديث الحسن والحاكم فى المستدرك وصحح اسناده من حديث جابر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب « ورجل قام الى امام جائر فأمره ونهاه فقتله » . (٣) حديث عمر « بئس القوم قوم لايأمرون بالقسط وبئس القوم قوم لايأمرون بالمعروف ولاينهون عن المنكر » رواه أبو الشيخ ابن حبان من حديث جابر بسند ضعيف وأما حديث عمر فأشار اليه أبو منصور الديلمى بقوله وفى الباب ورواه على بن معبد فى كتاب الطاعة والمعصية من حديث الحسن مرسلا .

المنكر واجب وأن فرضه لايسقط مع القدرة إلا بقيام قائم به . فلنذكر الآن شروطه وشروط وجوبه :

الباب الثانى : فى أركان الأمر بالمعروف وشروطه

أعلم أن الأركان فى الحسبة التى هى عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أربعة : المحتسب ، والمحتسب عليه ، والمحتسب فيه ، ونفس الاحتساب . فهذه أربعة أركان ولكل واحد منها شروطه .

الركن الأول : المحتسب

وله شروط ، وهو أن يكون مكلفا مسلما قادرا فيخرج منه المجنون والصبى والكافر والعاجز ، ويدخل فيه آحاد الرعايا وإن لم يكونوا مأذونين ، ويدخل فيه الفاسق والرقيق والمرأة . فلنذكر وجه اشتراط ما اشترطناه ووجه اطراح ما أطرحناه .

أما الشرط الأول ؛ وهو التكليف : فلا يخفى وجه اشتراطه فإن غير المكلف لا يلزمه أمر ، وما ذكرناه أردنا به شرط الوجوب ، فأما إمكان الفعل وجوازه فلا يستدعى إلا العقل ، حتى إن الصبى المراهق للبلوغ المميز ـ وإن لم يكن مكلفا ـ فله إنكار المنكر وله أن يريق الخمر ويكسر الملاهى ؛ وإذا فعل ذلك نال به ثوابا ولم يكن لأحد منعه من حيث إنه ليس بمكلف . فإن هذه قربة وهو من أهلها كالصلاة والإمامة وسائر القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ؛ ولذلك اثبتناه للعبد وآحاد الرعية . نعم فى المنع بالفعل وإبطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الإيمان كقتل المشرك وإبطال أسبابه وسلب أسلحته . فإن للصبى أن يفعل ذلك حيث لا يستضر به فالمنع من الفسق كالمنع من الكفر .

وأما الشرط الثانى ؛ وهو الإيمان : فلا يخفى وجه اشتراطه لأن هذا نصرة للدين فكيف يكون من أهله من هو جاحد لأصل الدين وعدو له ؟

وأما الشرط الثالث ؛ وهو العدالة : فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق أن يحتسب ، وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد على من يأمر بما لا يفعله مثل قوله تعالى ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ وقوله تعالى ﴿ كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ﴾ وبما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مررت ليلة أسرى بى بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت : من أنتم ؟ فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه [1] » وبما روى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى صلى الله عليه وسلم : عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحى منى . وربما استدلوا من طريق القياس بأن هداية الغير فرع للاهتداء ، وكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة ، والإصلاح ، زكاة عن نصاب الصلاح ، فمن ليس بصالح فى نفسه فكيف يصلح غيره ؟ ومتى يستقيم الظل والعود أعوج ؟ وكل ماذكروه خيالات وإنما الحق أن للفاسق أن يحتسب وبرهانه هو أن نقول : هل يشترط فى الاحتساب أن يكون متعاطيه معصوما عن المعاصى كلها ؟ فإن شرط ذلك فهو خرق للإجماع ثم حسم لباب الاحتساب إذ لاعصمة للصحابة فضلا عمن دونهم ، والأنبياء عليهم السلام قد اختلف فى عصمتهم عن الخطايا . والقرآن العزيز دال على نسبة آدم عليه السلام إلى المعصية وكذا جماعة من الأنبياء . ولهذا قال سعيد بن

الباب الثانى . فى أركان الأمر بالمعروف وشروطه

(١) حديث « مررت ليلة أسرى بى بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار . . الحديث » تقدم فى العلم .

جبير : إن لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر إلا من لا يكون فيه شيء ؛ لم يأمر أحد بشيء ، فأعجب مالكا ذلك من سعيد بن جبير . وإن زعموا أن ذلك لا يشترط عن الصغائر حتى يجوز للابس الحرير أن يمنع من الزنا وشرب الخمر فنقول :

وهل لشارب الخمر أن يغزو الكفار ويحتسب عليهم بالمنع من الكفر ؛ فإن قالوا : لا ، خرقوا الإجماع إذ جنود المسلمين لم تزل مشتملة على البر والفاجر وشارب الخمر وظالم الأيتام ولم يمنعوا من الغزو لا فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده . فإن قالوا : نعم ، فنقول : شارب الخمر هل له المنع من القتل أم لا ؟ فإن قالوا : لا ، قلنا . فما الفرق بينه وبين لابس الحرير ؟ إذ جاز له المنع من الخمر ، والقتل كبيرة بالنسبة إلى الشرب كالشرب بالنسبة إلى لبس الحرير ؛ فلا فرق . وإن قالوا : نعم ، وفصلوا الأمر فيه بأن كل مقدم على شيء فلا يمنع عن مثله ولا عما دونه وإنما يمنع عما فوقه فهذا تحكم فإنه كما لا يبعد أن يمنع الشارب من الزنا والقتل فمن أين يبعد أن يمنع الزانى من الشرب ؟ بل من أين يبعد أن يشرب ويمنع غلمانه وخدمه من الشرب ؟ ويقول يجب على الانتهاء والنهى فمن أين يلزمنى من العصيان بأحدهما أن أعصى الله تعالى بالثانى ؟ وإذا كان النهى واجبا على فمن أين يسقط وجوبه بإقدامى ؟ إذ يستحيل أن يقال يجب النهى عن شرب الخمر عليه مالم يشرب فإذا شرب سقط النهى .

فإن قيل : فيلزم على هذا أن يقول القائل الواجب على الوضوء والصلاة فأنا أتوضأ وإن لم أصل وأتسحر وإن لم أصم لأن المستحب لى السحور والصوم جميعا ولكن يقال : أحدهما مرتب على الآخر ، فكذلك تقويم الغير مرتب على تقويمه نفسه فليبدأ بنفسه ثم بمن يعول . والجواب أن التسحر يراد للصوم ولولا الصوم لما كان التسحر مستحبا ، وما يراد لغيره لا ينفك عن ذلك الغير ، وإصلاح الغير لا يراد لإصلاح النفس ، ولا إصلاح النفس لإصلاح الغير فالقول بترتب أحدهما على الآخر تحكم .

وأما الوضوء والصلاة فهو لازم فلا جرم أن من توضأ ولم يصل كان مؤديا أمر الوضوء وكان عقابه أقل من عقاب من ترك الصلاة والوضوء جميعا فليكن من ترك النهى والانتهاء أكثر عقابا ممن نهى ولم ينته ، كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه ؟ بل للصلاة فلا حكم له دون الصلاة .

وأما الحسبة فليست شرطا فى الانتهاء والائتمار فلا مشابهة بينهما .

* فإن قيل : فيلزم على هذا أن يقال إذا زنى الرجل بامرأة وهى مكرهة مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها فأخذ الرجل يحتسب فى أثناء الزنا ويقول : أنت مكرهة فى الزنا ومختارة فى كشف الوجه لغير محرم ، وها أنا غير محرم لك فاستترى وجهك ، فهذا احتساب شنيع يستنكره قلب كل عاقل ويستشنعه كل طبع سليم ؟ فالجواب أن الحق قد يكون شنيعا وأن الباطل قد يكون مستحسنا بالطباع والمتبع الدليل دون نفرة الأوهام والخيالات فإنا نقول : قوله لها فى تلك الحالة ، لا تكشفى وجهك ، واجب أو مباح أو حرام ؟ فإن قلتم : إنه واجب فهو الغرض لأن الكشف معصية والنهى عن المعصية حق . وإن قلتم : إنه مباح ، فإذن له أن يقول ما هو مباح ؟ فما معنى قولكم ليس للفاسق الحسبة ؟ وإن قلتم : إنه حرام ، فنقول ، وكان هذا واجبا فمن أين حرم بإقدامه على الزنا ؟ ومن الغريب أن يصير الواجب حراما بسبب ارتكاب حرام آخر .

وأما نفرة الطباع عنه واستنكارها له فهو لسببين :

أحدهما : أنه ترك الأهم واشتغل بما هو مهم . وكما أن الطباع تنفر عن ترك المهم إلى ما لا يعنى فتنفر عن ترك الأهم

والاشتغال بالمهم كما تنفر عمن يتحرج عن تناول طعام مغصوب وهو مواظب على الربا ، وكما تنفر عمن يتصاون عن الغيبة ويشهد بالزور لأن الشهادة بالزور أفحش وأشد من الغيبة التى هى إخبار عن كائن يصدق فيه المخبر ، وهذا الاستبعاد فى النفوس لا يدل على أن ترك الغيبة ليس بواجب ، وأنه لو اغتاب أو أكل لقمة من حرام لم تزد بذلك عقوبته ، فكذلك ضرره فى الآخرة من معصيته أكثر من ضرره من معصية غيره ، فاشتغاله عن الأقل بالأكثر مستنكر فى الطبع ، من حيث إنه ترك الأكثر لا من حيث إنه أتى بالأقل ، فمن غصب فرسه ولجام فرسه فاشتغل بطلب اللجام وترك الفرس نفرت عنه الطباع ويرى مسيئا ، إذ قد صدر منه طلب اللجام وهو غير منكر ، ولكن المنكر تركه لطلب الفرس بطلب اللجام فاشتد الإنكار عليه لتركه الأهم بما دونه ، فكذلك حسبة الفاسق تستبعد من هذا الوجه وهذا لا يدل على أن حسبته من حيث إنها حسبة مستنكرة .

الثانى : أن الحسبة تارة تكون بالنهى بالوعظ وتارة بالقهر ، ولا ينجع وعظ من لا يتعظ أولا ونحن نقول : من علم أن قوله لا يقبل فى الحسبة لعلم الناس بفسقه فليس عليه الحسبة بالوعظ ؛ إذ لا فائدة فى وعظه فالفسق يؤثر فى إسقاط فائدة كلامه ، ثم إذا سقطت فائدة كلامه سقط وجوب الكلام ، فأما إذا كانت الحسبة بالمنع فالمراد منه القهر وتمام القهر أن يكون بالفعل والحجة جميعا ، وإذا كان فاسقا فإن قهر بالفعل فقد قهر بالحجة إذ يتوجه عليه أن يقال له : فأنت لم تقدم عليه ؟ فتنفر الطباع عن قهره بالفعل مع كونه مقهورا بالحجة وذلك لا يخرج الفعل عن كونه حقا كما أن يذب الظالم عن آحاد المسلمين ويهمل أباه وهو مظلوم معهم تنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقا . فخرج من هذا أن الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لأنه لا يتعظ ؛ وإذا لم يكن عليه ذلك ، وعلم أنه يفضى إلى تطويل اللسان فى عرضه بالإنكار فنقول : ليس له ذلك أيضا . فرجع الكلام إلى أن أحد نوعى الاحتساب وهو الوعظ قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه : وأما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حرج على الفاسق فى إراقة الخمور وكسر الملاهى وغيرها إذا قدر ، وهذا غاية الإنصاف والكشف فى المسألة وأما الآيات التى استدلوا بها فهو إنكار عليهم من حيث تركهم المعروف لا من حيث أمرهم . ولكن أمرهم دل على قوة علمهم وعقاب العالم أشد لأنه لا عذر له مع قوة علمه وقوله تعالى ﴿ لم تقولون مالا تفعلون ﴾ المراد به الوعد الكاذب وقوله عز وجل ﴿ وتنسون أنفسكم ﴾ إنكار من حيث إنهم نسوا أنفسهم لا من حيث إنهم أمروا غيرهم ولكن ذكر أمر الغير استدلالا به على علمهم وتأكيدا للحجة عليهم . وقوله « يا ابن مريم عظ نفسك ... الحديث » هو فى الحسبة بالوعظ . وقد سلمنا أن وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف فسقه . ثم قوله « فاستحى منى » لا يدل على تحريم وعظ الغير بل معناه استحى منى فلا تترك الأهم وتشتغل بالمهم كما يقال احفظ أباك ثم جارك وإلا فاستحى .

* فإن قيل . فليجز للكافر الذمى أن يحتسب على المسلم إذا رآه يزنى لأن قوله لا تزن حق فى نفسه فمحال أن يكون حراما عليه ، بل ينبغى أن يكون مباحا أو واجبا . قلنا : الكافر إن منع المسلم بفعله فهو تسلط عليه فيمنع من حيث إنه تسلط وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا . وأما مجرد قوله « لا تزن » فليس بمحرم عليه من حيث إنه نهى عن الزنا ولكن من حيث إنه إظهار دالة الاحتكام على المسلم ، وفيه إذلال للمحتكم عليه ، والفاسق يستحق الإذلال ولكن لا من الكافر الذى هو أولى بالذل منه . فهذا وجه منعنا إياه من الحسبة وإلا فلسنا نقول إن الكافر يعاقب بسبب قوله : لا تزن ، من حيث إنه نهى بل نقول إنه إذا لم يقل لا تزن يعاقب عليه إن رأينا خطاب الكافر

بفروع الدين وفيه نظر استوفيناه فى الفقهيات ولا يليق بغرضنا الآن .

الشرط الرابع : كونه مأذونا من جهة الإمام والوالى ، فقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للآحاد من الرعية الحسبة ، وهذا الاشتراط فاسد ؛ فإن الآيات والأخبار التى أوردناها تدل على أن كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى إذ يجب نهيه أينما رآه وكيفما رآه على العموم ، فالتخصيص بشرط التفويض من الإمام تحكم لا أصل له . والعجب أن الروافض زادوا على هذا فقالوا : لايجوز الأمر بالمعروف مالم يخرج الإمام المعصوم وهو الإمام الحق عندهم . وهؤلاء أخس رتبة من أن يكلموا بل جوابهم أن يقال لهم - إذا جاءوا إلى القضاء طالبين لحقوقهم فى دمائهم وأموالهم - إن نصرتكم أمر بالمعروف واستخراج حقوقكم من أيدى من ظلمكم نهى عن المنكر وطلبكم لحقكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهى عن الظلم وطلب الحقوق لأن الإمام الحق بعد لم يخرج .

* فإن قيل : فى الأمر بالمعروف إثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه ، ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقا فينبغى أن لايثبت لآحاد الرعية إلا بتفويض من الوالى وصاحب الأمر ؟ فنقول : أما الكافر فممنوع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام ، والكافر ذليل فلا يستحق أن ينال عز التحكم على المسلم ، وأما آحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة ، ومافيه من عز السلطنة والاحتكام لايحوج إلى تفويض كعز التعليم والتعريف ، إذ لاخلاف فى أن تعريف التحريم والإيجاب لمن هو جاهل ومقدم على المنكر بجهله لايحتاج إلى إذن الوالى ، وفيه عز الإرشاد وعلى المعرف ذل التجهيل ، وذلك يكفى فيه مجرد الدين وكذلك النهى .

وشرح القول فى هذا أن الحسبة لها خمس مراتب - كما سيأتى - (أولها) التعريف . (والثانى) الوعظ بالكلام اللطيف (والثالث) السب والتعنيف ، ولست أعنى بالسب الفحش بل أن يقول : ياجاهل ، ياأحمق ألاتخاف الله ، وما يجرى هذا المجرى (والرابع) المنع بالقهر بطريق المباشرة ككسر الملاهى ، وإراقة الخمر ، واختطاف الثوب الحرير من لابسه ، واستلاب الثوب المغصوب منه ، ورده على صاحبه . (والخامس) التخويف والتهديد بالضرب ، ومباشرة الضرب له حتى يمتنع عما هو عليه كالمواظب على الغيبة والقذف فإن سلب لسانه غير ممكن ولكن يحمل على اختيار السكوت بالضرب . وهذا قد يحوج إلى استعانة وجمع أعوان من الجانبين ويجر ذلك إلى قتال وسائر المراتب لا يخفى وجه استغنائها عن إذن الإمام إلا المرتبة الخامسة فإن فيها نظرا - سيأتى - أما التعريف والوعظ فكيف يحتاج إلى إذن الإمام ؟ وأما التجهيل والتحميق والنسبة إلى الفسق وقلة الخوف من الله ومايجرى مجراه فهو كلام صدق ، والصدق مستحق بل أفضل الدرجات كلمة حق عند إمام جائر [1] كما ورد فى الحديث فإذا جاز الحكم على الإمام على مراغمته فكيف يحتاج إلى إذنه ؟ وكذلك كسر الملاهى وإراقة الخمور فإنه تعاطى مايعرف كونه حقا من غير اجتهاد فلم يفتقر إلى الإمام . وأما جمع الأعوان وشهر الأسلحة فذلك قد يجر إلى فتنة عامة ففيه نظر - سيأتى - واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاة قاطع بإجماعهم على الاستغناء عن التفويض ، بل كل من أمر بمعروف فإن كان الوالى راضيا به فذاك ، وإن كان ساخطا له فسخطه له منكر يجب الإنكار عليه فكيف يحتاج إلى إذنه فى الإنكار عليه . ويدل على ذلك عادة السلف فى الإنكار على الأئمة .

كما روى أن مروان بن الحكم خطب قبل صلاة العيد فقال له رجل : إنما الخطبة بعد الصلاة ، فقال له مروان : اترك ذلك يافلان ، فقال أبو سعيد : أما هذا فقد قضى ماعليه . قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رأى

---

(١) حديث « أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى .

منكم منكراً فلينكره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان (١) » فلقد كانوا فهموا من هذه العمومات دخول السلاطين تحتها فكيف يحتاج إلى إذنهم ؟ وروى أنّ المهدى لما قدم مكة لبث بها ماشاء الله فلما أخذ فى الطواف نحى الناس عن البيت فوثب عبد الله بن مرزوق فلببه بردائه ثم هزه وقال له : انظر ماتصنع ؟ من جعلك بهذا البيت أحق ممن أتاه من البعد ، حتى إذا صار عنده حلت بينه وبينه ؟ وقد قال الله تعالى ﴿ سواء العاكف فيه والباد ﴾ من جعل لك هذا ؟ فنظر فى وجهه ـ وكان يعرفه لأنه من مواليهم ـ فقال : أعبدالله ابن مرزوق ؟ قال : نعم ، فأخذ فجىء به إلى بغداد فكره أن يعاقبه عقوبة يشنع بها عليه فى العامة ، فجعله فى اصطبل الدواب ليسوس الدواب وضموا إليه فرسا عضوضا سيء الخلق ليعقره الفرس فلين الله تعالى له الفرس ، قال : ثم صيروه إلى بيت وأغلق عليه ، وأخذ المهدى المفتاح عنده فإذا هو قد خرج بعد ثلاث إلى البستان يأكل البقل ، فأوذن به المهدى فقال له : من أخرجك ؟ فقال : الذى حبسنى ، فضج المهدى وصاح وقال : ماتخاف أن أقتلك ؟ فرفع عبد الله إليه رأسه يضحك وهو يقول : لو كنت تملك حياة أو موتا ؟ ! فما زال محبوسا حتى مات المهدى ثم خلوا عنه فرجع إلى مكة . قال : وكان قد جعل على نفسه نذراً إن خلصه الله من أيديهم أن ينحر مائة بدنة فكان يعمل فى ذلك حتى نحرها .

وروى عن حبان بن عبد الله قال : تنزه هرون الرشيد بالدوين ومعه رجل من بنى هاشم وهو سليمان بن أبى جعفر فقال له هرون : قد كانت لك جارية تغنى فتحسن فجئنا بها ، قال : فجاءت فغنت فلم يحمد غناءها ، فقال لها : ماشأنك ؟ فقالت : ليس هذا عودى ، فقال للخادم ، جئنا بعودها ، قال : فجاء بالعود فوافق شيخا يلقط النوى فقال: الطريق ياشيخ ، فرفع الشيخ رأسه فرأى العود فأخذه من الخادم فضرب به الأرض ؛ فأخذه الخادم وذهب به إلى صاحب الربع فقال : احتفظ بهذا فإنه طلبة أمير المؤمنين ، فقال له صاحب الربع : ليس ببغداد أعبد من هذا فكيف يكون طلبة أمير المؤمنين ؟ فقال له : اسمع ما أقول لك ، ثم دخل على هرون فقال : إنى مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له : الطريق ، فرفع رأسه فرأى العود فأخذه فضرب به الأرض فكسره ؛ فاستشاط هرون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمان بن أبى جعفر : ماهذا الغضب ياأمير المؤمنين ؟ ابعث إلى صاحب الربع يضرب عنقه ويرم به فى الدجلة ، فقال : لا ، ولكن نبعث إليه ونناظره أولا ؛ فجاء الرسول فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال: نعم ، قال : اركب ، قال : لا ، فجاء يمشى حتى وقف على باب القصر ، فقيل لهرون : قد جاء الشيخ ، فقال للندماء أى شىء ترون ؟ نرفع ما قدامنا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ أو نقوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر؟ فقالوا له: نقوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر أصلح ، فقاموا إلى مجلس ليس فيه منكر ثم أمر بالشيخ فأدخل ـ وفى كمه الكيس الذى فيه النوى ـ فقال له الخادم : أخرج هذا من كمك وادخل على أمير المؤمنين ، فقال : من هذا عشائى الليلة ، قال : نحن نعشيك . قال : لاحاجة لى فى عشائكم ، فقال هرون للخادم : أى شىء تريد منه ؟ قال فى كمه نوى قلت له اطرحه وادخل على أمير المؤمنين فقال : دعه لايطرحه ، قال : فدخل وسلم وجلس ، فقال له هرون: ياشيخ ماحملك على ماصنعت ؟ قال : وأى شىء صنعت ؟ وجعل هرون يستحى أن يقول كسرت عودى ، فلما أكثر عليه قال . إنى سمعت أباك وأجدادك يقرءون هذه الآية على المنبر ﴿ إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ﴾ وأنا رأيت منكراً فغيرته ، فقال . فغيره . فوالله ماقال إلا هذا ، فلما خرج

(١) حديث : إن مروان خطب قبل الصلاة فى العيد ... الحديث . وفيه حديث أبى سعيد مرفوعا « من رأى منكراً ... الحديث » رواه مسلم .

أعطى الخليفة رجلا بدرة وقال . اتبع الشيخ فإن رأيته يقول : قلت لأمير المؤمنين وقال لى؛فلاتعطه شيئا ؛ وإن رأيته لا يكلم أحداً فأعطه البدرة . فلما خرج من القصر إذا هو بنواة فى الأرض قد غاصت فجعل يعالجها ولم يكلم أحداً فقال له : يقول لك أمير المؤمنين خذه هذه البدرة ، فقال : قل لأمير المؤمنين يردها من حيث أخذها . ويروى أنه أقبل بعد فراغه من كلامه على النواة التى يعالج قلعها من الأرض وهو يقول :

أرى الدنيا لمن هى فى يديه هموما كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصغر وتكرم كل من هانت عليه
إذا استغنيت عن شىء فدعه وخذ ماأنت محتاج إليه

وعن سفيان الثورى رحمه الله قال : حج المهدى سنة ست وستين ومائة فرأيته يرمى جمرة العقبة والناس يخبطون يمينا وشمالا بالسياط ، فوقفت فقلت : ياحسن الوجه حدثنا أيمن عن وائل عن قدامة بن عبدالله الكلابى قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى الجمرة يوم النحر على جمل لاضرب ولاطرد ولاجلد ولاإليك إليك [1] وها أنت يخبط الناس بين يديك يمينا وشمالا . فقال لرجل : من هذا ؟ قال : سفيان الثورى . فقال : ياسفيان لوكان المنصور ما احتملك على هذا ؟ فقال : لو أخبرك المنصور لقى لقصرت عما أنت فيه . قال : فقيل له إنه قال لك ياحسن الوجه ولم يقل لك ياأمير المؤمنين فقال : اطلبوه فطلب سفيان فاختفى وقد روى عن المأمون أنه بلغه أن رجلا محتسبا يمشى فى الناس يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . ولم يكن مأمورا من عنده بذلك فأمر بأن يدل عليه . فلما صار بين يديه قال له : إنى بلغنى أنك رأيت نفسك أهلا للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من غير أن نأمرك ـ وكان المأمون جالسا على كرسى ينظر فى كتاب أو قصة فأغفله فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر به ـ فقال له المحتسب : ارفع قدمك عن أسماء الله تعالى ثم قل ماشئت ؛ فلم يفهم المأمون مراده فقال ماذا تقول ؟ ـ حتى أعاده ثلاثا فلم يفهم ـ فقال : إما رفعت أو أذنت لى حتى أرفع . فنظر المأمون تحت قدمه فرأى الكتاب فأخذه وقبله وخجل . ثم عاد وقال : لم تأمر بالمعروف وقد جعل الله ذلك إلينا ـ أهل البيت ـ ونحن الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴾ فقال : صدقت ياأمير المؤمنين أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكن غير أنا أعوانك وأولياؤك فيه . ولاينكر ذلك إلا من جهل كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف ﴾ الآية . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا [2] » وقد مكنت فى الأرض وهذا كتاب الله وسنة رسوله فإن انقدت لها شكرت لمن أعانك لحرمتهما . وإن استكبرت عنهما ولم تنقد لما لزمك منهما فإن الذى إليه أمرك وبيده عزك وذلك قد شرط أنه لايضيع أجر من أحسن عملا فقل الآن ماشئت ؛ فأعجب المأمون بكلامه وسر به وقال : مثلك يجوز له أن يأمر بالمعروف . فامض على ما كنت عليه بأمرنا وعن رأينا . فاستمر الرجل على ذلك . ففى سياق هذه الحكايات بيان الدليل على الاستغناء عن الإذن

* فإن قيل : أفتثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد والعبد على المولى والزوجة على الزوج والتلميذ على الأستاذ

---

(١) حديث قدامة بن عبد الله : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى الجمرة يوم النحر على جمل لاضرب ولاطرد ولاجلد ولا إليك إليك » رواه الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى وابن ماجه ، وأما قوله فى أوله : إن الثورى قال حج المهدى سنة ست وستين . فليس بصحيح فإن الثورى توفى سنة إحدى وستين . (٢) حديث « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » متفق عليه من حديث أبى موسى وقد تقدم فى الباب الثالث من آداب الصحبة .

والرعية على الوالى مطلقا ، كما يثبت للوالد على الولد والسيد على العبد والزوج على الزوجة والأستاذ على التلميذ والسلطان على الرعية أو بينهما فرق ؟ فاعلم أن الذى نراه : أنه يثبت أصل الولاية ولكن بينهما فرق فى التفصيل. ولنفرض ذلك فى الولد مع الوالد فنقول : قد رتبنا للحسبة خمس مراتب ، وللولد الحسبة بالرتبتين الأوليين وهما : التعريف ثم الوعظ والنصح باللطف . وليس له الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد ولا بمباشرة الضرب وهما الرتبتان الأخيرتان وهل له الحسبة بالرتبة الثالثة حيث تؤدى إلى أذى الوالد وسخطه ؟ هذا فيه نظر ، وهو بأن يكسر مثلا عوده ويريق خمره ويحل الخيوط عن ثيابه المنسوجة من الحرير ويرد إلى الملاك ما يجده فى بيته من المال الحرام الذى غصبه أو سرقه أو أخذه عن إدرار رزق من ضريبة المسلمين ـ إذا كان صاحبه معينا ـ ويبطل الصور المنقوشة على حيطانه والمنقورة فى خشب بيته ويكسر أوانى الذهب والفضة ؛ فإن فعله فى هذه الأمور ليس يتعلق بذات الأب بخلاف الضرب والسب ، ولكن الوالد يتأذى به ويسخط بسببه ، إلا أن فعل الولد حق ، وسخط الأب منشؤه حبه للباطل وللحرام والأظهر فى القياس أنه يثبت للولد ذلك بل يلزمه أن يفعل ذلك ، ولا يبعد أن ينظر فيه إلى قبح المنكر وإلى مقدار الأذى والسخط . فإن كان المنكر فاحشا وسخطه عليه قريبا كإراقة خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر ، وإن كان المنكر قريبا والسخط شديدا كما لو كانت له آنية من بلور أو زجاج على صور حيوان وفى كسرها خسران مال كثير ، فهذا مما يشتد فيه الغضب وليس تجرى هذه المعصية مجرى الخمر وغيره فهذا كله مجال النظر .

* فإن قيل : ومن أين قلتم ليس له الحسبة بالتعنيف والضرب والإرهاق إلى ترك الباطل ، والأمر بالمعروف فى الكتاب والسنة ورد عاما من غير تخصيص ؟ وأما النهى عن التأفيف والإيذاء فقد ورد وهو خاص فيما لا يتعلق بارتكاب المنكرات ؟ فنقول : قد ورد فى حق الأب على الخصوص ما يوجب الاستثناء من العموم إذ لا خلاف فى أن الجلاد ليس له أن يقتل أباه فى الزنا حدا ، ولا له أن يباشر إقامة الحد عليه ، بل لا يباشر قتل أبيه الكافر ، بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له أن يؤذيه فى مقابلته .

وقد ورد فى ذلك أخبار وثبت بعضها بالإجماع [1] فإذا لم يجز له إيذاؤه بعقوبة هى حق على جناية سابقة فلا يجوز له إيذاؤه بعقوبة هى منع عن جناية مستقبلة متوقعة بل أولى . وهذا الترتيب أيضاً ينبغى أن يجرى فى العبد والزوجة مع السيد والزوج فهما قريبان من الولد فى لزوم الحق وإن كان ملك اليمين آكد من ملك النكاح . ولكن فى الخبر أنه « لو جاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها [2] » وهذا يدل على تأكيد الحق أيضا . وأما الرعية مع السلطان فالأمر فيها أشد من الولد فليس لها معه إلا التعريف والنصح : فأما الرتبة الثالثة ففيها نظر من حيث إن الهجوم على أخذ الأموال من خزانته وردها إلى الملاك وعلى تحليل الخيوط من ثيابه الحرير وكسر آنية الخمور فى بيته يكاد يفضى إلى خرق هيبته وإسقاط حشمته ، وذلك محظور ورد النهى عنه كما ورد النهى عن السكوت على المنكر [3] فقد تعارض فيه أيضاً محذوران والأمر فيه موكول إلى اجتهاد منشؤه النظر فى تفاحش المنكر ومقدار

---

(١) الأخبار الواردة : فى أن الجلاد ليس له أن يجلد أباه فى الزنا ولا أن يباشر إقامة الحد عليه ولا يباشر قتل أبيه الكافر وأنه لو قطع يده لم يلزم القصاص ، ثم قال وثبت بعضها بالإجماع . قلت : لم أجد فيه إلا حديث «لا يقاد الوالد بالولد» رواه الترمذى وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذى فيه اضطراب . (٢) حديث « لو جاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » تقدم فى النكاح . (٣) حديث : النهى عن الإنكار على السلطان جهرة بحيث يؤدى إلى خرق هيبته . أخرجه الحاكم فى المستدرك من حديث عياض بن غنم الأشعرى : من كانت عنده نصيحة لذى سلطان فلا يكلمه بها علانية ولكن يأخذه بيده فليخل به فإن قبلها قبلها وإلا كان قد أدى الذى عليه والذى له . قال : صحيح الأسناد وللترمذى وحسنه من حديث أبى بكرة « من أهان سلطان الله فى الأرض أهانه الله فى الأرض » .

مايسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك مما لايمكن ضبطه . وأما التلميذ والأستاذ فالأمر فيما بينهما أخف لأن المحترم هو الأستاذ المفيد للعلم من حيث الدين ولاحرمة لعالم لايعمل بعلمه فله أن يعامله بموجب علمه الذى تعلمه منه . وروى أنه سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على والده فقال : يعظه مالم يغضب فإن غضب سكت عنه.

الشرط الخامس : كونه قادرا ؛ ولايخفى أن العاجز ليس عليه حسبة إلا بقلبه إذ كل من أحب الله يكره معاصيه وينكرها . وقال ابن مسعود رضى الله عنه جاهدوا الكفار بأيديكم فإن لم تستطيعوا إلا أن تكفهروا فى وجوههم فافعلوا .

* واعلم أنه لايقف سقوط الوجوب على العجز الحسى بل يلتحق به مايخاف عليه مكروها يناله فذلك فى معنى العجز ، وكذلك إذا لم يخف مكروها ولكن علم أن إنكاره لاينفع فليلتفت إلى معنيين ؛ أحدهما : عدم إفادة الإنكار امتناعا ، والآخر : خوف مكروه . ويحصل من اعتبار المعنيين أربعة أحوال (أحدهما) أن يجتمع المعنيان بأن يعلم أنه لاينفع كلامه ويضرب إن تكلم فلا تجب عليه الحسبة ، بل ربما تحرم فى بعض المواضع . نعم يلزمه أن لايحضر مواضع المنكر ويعتزل فى بيته حتى لايشاهد ولايخرج إلا لحاجة مهمة أو واجب ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة إلا إذا كان يرهق إلى الفساد أو يحمل على مساعدة السلاطين فى الظلم والمنكرات ؛ فيلزمه الهجرة إن قدر عليها فإن الإكراه لايكون عذرا فى حق من يقدر على الهرب من الإكراه .(الحالة الثانية) أن ينتفى المعنيان جميعا بأن يعلم أن المنكر يزول بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه فيجب عليه الإنكار وهذه هى القدرة المطلقة . (الحالة الثالثة) أن يعلم أنه لايفيد إنكاره لكنه لايخاف مكروها فلا تجب عليه الحسبة لعدم فائدتها ولكن تستحب لإظهار شعائر الإسلام وتذكير الناس بأمر الدين . (الحالة الرابعة) عكس هذه وهو أن يعلم أنه يصاب بمكروه ولكن يبطل المنكر بفعله كما يقدر على أن يرمى زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها ، ويريق الخمر ، أو يضرب العود الذى فى يده ضربة مختطفة فيكسره فى الحال ، ويتعطل عليه هذا المنكر ولكن يعلم أنه يرجع إليه فيضرب رأسه ، فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب . ويدل عليه الخبر الذى أوردناه فى فضل « كلمة حق عند إمام جائر » ولاشك فى أن ذلك مظنة الخوف . ويدل عليه أيضاً ماروى عن أبى سليمان الدارانى رحمه الله تعالى أنه قال : سمعت من بعض الخلفاء كلاما فأردت أن أنكر عليه وعلمت أنى أقتل ، ولم يمنعنى القتل ولكن كان فى ملأ من الناس فخشيت أن يعترينى التزين للخلق فأقتل من غير إخلاص فى الفعل .

« فإن قيل : فما معنى قوله تعالى ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ ؟ قلنا : لاخلاف فى أن المسلم الواحد له أن يهجم على صف الكفار ويقاتل وإن علم أنه يقتل ، وهذا ربما يظن أنه مخالف لموجب الآية وليس كذلك ، فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : ليس التهلكة ذلك ، بل ترك النفقة فى طاعة الله تعالى ؛ أى من لم يفعل ذلك فقد أهلك نفسه . وقال البراء بن عازب : التهلكة هو أن يذنب الذنب ثم يقول لايتاب على . وقال أبو عبيدة : هو أن يذنب ثم لايعمل بعده خيراً حتى يهلك . وإذا جاز أن يقاتل الكفار حتى يقتل جاز أيضاً له ذلك فى الحسبة، ولكن لو علم أنه لانكاية لهجومه على الكفار كالأعمى يطرح نفسه على الصف أو العاجز فذلك حرام وداخل تحت عموم آية التهلكة . وإنما جاز له الإقدام إذا علم أنه يقاتل إلى أن يقتل أو علم أنه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جراءته واعتقادهم فى سائر المسلمين قلة المبالاة وحبهم للشهادة فى سبيل الله فتنكسر بذلك شوكتهم ؛ فكذلك يجوز للمحتسب بل يستحب له أن يعرض نفسه للضرب وللقتل إذا كان لحسبته تأثير فى رفع المنكر أو فى كسر جاه الفاسق أو فى

تقوية قلوب أهل الدين ، وأما إن رأى فاسقاً متغلباً وعنده سيف وبيده قدح ، وعلم أنه لو أنكر عليه لشرب القدح وضرب رقبته فهذا مما لاأرى للحسبة فيه وجهاً وهو عين الهلاك . فإن المطلوب أن يؤثر فى الدين أثراً ويفديه بنفسه ، فأما تعريض النفس للهلاك من غير أثر فلا وجه له بل ينبغى أن يكون حراما . وإنما يستحب له الإنكار إذا قدر على إبطال المنكر أو ظهر لفعله فائدة ، وذلك بشرط أن يقتصر المكروه عليه . فإن علم أنه يضرب معه غيره من أصحابه أو اقاربه أو رفقائه فلا تجوز له الحسبة بل تحرم لأنه عجز عن دفع المنكر إلا بأن يفضى ذلك إلى منكر آخر ، وليس ذلك من القدرة فى شىء . بل لوعلم أنه لواحتسب لبطل ذلك المنكر ولكن كان ذلك سببا لمنكر آخر يتعاطاه غير المحتسب عليه فلا يحل له الافكار الاظهر ، لأن المقصود عدم مناكير الشرع مطلقا لامين زيد أو عمرو ، وذلك بأن يكون مثلا مع الإنسان شراب حلال ـ نجس بسبب وقوع نجاسة فيه ـ وعلم أنه لوأراقه لشرب صاحبه الخمر أو تشرب أولاده الخمر لإعوازهم الشراب الحلال فلا معنى لإراقة ذلك . ويحتمل أن يقال إنه يريق ذلك فيكون هو مبطلا لمنكر . وأماشرب الخمر فهو الملوم فيه والمحتسب غير قادر على منعه من ذلك المنكر ، وقد ذهب إلى هذا ذاهبون . وليس ببعيد ، فإن هذه مسائل فقهية لايمكن فيها الحكم إلا بظن ، ولايبعد أن يفرق بين درجات المنكر المغير والمنكر الذى تفضى اليه الحسبة والتغيير ، فإنه إذا كان يذبح شاة لغيره ليأكلها وعلم أنه لومنعه من ذلك لذبح إنساناً واكله فلا معنى لهذه الحسبة . نعم لوكان منعه عن ذبح إنسان أو قطع طرقه يحمله على أخذ ماله فذلك له وجه . فهذه دقائق واقعة فى محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده فى ذلك كله ولهذه الدقائق نقول : العامى ينبغى له أن لايحتسب إلا فى الجليات المعلومة كشرب الخمر والزنا وترك الصلاة فأما مايعلم كونه معصية بالإضافة إلى مايطيف به من الأفعال ويفتقر فيه إلى اجتهاد فالعامى إن خاض فيه كان ما يفسده أكثر مما يصلحه ، وعن هذا يتأكد ظن من لايثبت ولاية الحسبة إلا بتعيين الوالى ؛ إذ ربما ينتدب لها من ليس أهلا لها لقصور معرفته أوقصور ديانته فيؤدى ذلك إلى وجوه من الخلل وسيأتى كشف الغطاء عن ذلك إن شاء الله

* فإن قيل : وحيث أطلقتم العلم بأن يصيبه مكروه أو أنه لاتفيد حسبته ؛ فلو كان بدل العلم ظن فما حكمه ؟ قلنا: الظن الغالب فى هذه الأبواب فى معنى العلم وإنما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم إذ يرجح العلم اليقينى على الظن ويفرق بين العلم والظن فى مواضع آخر ، وهو أنه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعا أنه لايفيد فإن كان غالب ظنه أنه لايفيد ولكن يحتمل أن يفيد وهو مع ذلك لايتوقع مكروها فقد اختلفوا فى وجوبه ، والأظهر وجوبه إذ لاضرر فيه وجدواه متوقعة ، وعموم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تقتضى الوجوب بكل حال ونحن إنما نستثنى عنه بطريق التخصيص ما اذا علم أنه لا فائدة فيه اما بالإجماع أو بقياس ظاهر وهو أن الأمر ليس يراد لعينه بل للمأمور ، فإذا علم اليأس عنه فلا فائدة فيه ، فأما اذا لم يكن يأس فينبغى أن لايسقط الوجوب

* فإن قيل : فالمكروه الذى تتوقع إصابته إن لم يكن متيقنا ولامعلوما بغالب الظن ولكن كان مشكوكا فيه ، أوكان غالب ظنه أنه لايصاب بمكروه ولكن احتمل أن يصاب بمكروه ، فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لايجب إلا عند اليقين بأنه لايصيبه مكروه أم يجب فى كل حال إلا إذا غلب على ظنه أنه يصاب بمكروه ؟ قلنا : ان غلب على الظن أنه يصاب لم يجب ، وان غلب أنه لايصاب وجب ـ وبجرد التجويز لايسقط الوجوب فإن ذلك

ممكن فى كل حسبة ، وإن شك فيه من غير رجحان فهذا محل النظر ، فيحتمل أن يقال الأصل الوجوب بحكم العمومات وإنما يسقط بمكروه ، والمكروه هو الذى يظن أو يعلم حتى يكون متوقعا ، وهذا هو الأظهر . ويحتمل أن يقال: إنه إنما يجب عليه إذا علم أنه لاضرر فيه عليه أو ظن أنه لاضرر عليه والأول أصح نظرا إلى قضية العمومات الموجبة للأمر بالمعروف .

* فإن قيل : فالتوقع للمكروه يختلف بالجبن والجراءة فالجبان الضعيف القلب يرى البعيد قريبا حتى كأنه يشاهده ويرتاع منه ، والمتهور الشجاع يبعد وقوع المكروه به بحكم ماجبل عليه من حسن الأمل حتى إنه لايصدق به إلا بعد وقوعه ، فعلى ماذا التعويل ؟ قلنا : التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والمزاج ، فإن الجبن مرض وهو ضعف فى القلب سببه قصور فى القوة وتفريط ، والتهور إفراط فى القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان ، وإنما الكمال فى الاعتدال الذى يعبر عنه بالشجاعة . وكل واحد من الجبن والتهور يصدر تارة عن نقصان العقل . وتارة عن خلل فى المزاج بتفريط أو إفراط ، فإن من اعتدل مزاجه فى صفة الجبن والجراءة فقد لايتفطن لمدارك الشر فيكون سبب جراءته جهله ، وقد لايتفطن لمدارك دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله ، وقد يكون عالما بحكم التجربة والممارسة بمداخل الشر ودوافعه ، ولكن يعمل الشر البعيد فى تخذيله وتحليل قوته فى الإقدام بسبب ضعف قلبه مايفعله الشر القريب فى حق الشجاع المعتدل الطبع . فلا التفات إلى الطرفين . وعلى الجبان أن يتكلف إزالة الجبن بإزالة علته وعلته جهل أو ضعف ، ويزول الجهل بالتجربة ، ويزول الضعف بممارسة الفعل المخوف منه تكلفا حتى يصير معتادا ، إذ المبتدئ فى المناظرة والوعظ مثلا قد يجبن عنه طبعه لضعفه فإذا مارس واعتاد فارقه الضعف ، فإن صار ذلك ضروريا غير قابل للزوال بحكم استيلاء الضعف على القلب فحكم ذلك الضعيف يتبع حاله فيعذر كما يعذر المريض فى التقاعد عن بعض الواجبات ، ولذلك قد نقول على رأى : لايجب ركوب البحر لأجل حجة الإسلام على من يغلب عليه الجبن فى ركوب البحر ويجب على من لايعظم خوفه منه فكذلك الأمر فى وجوب الحسبة .

* فإن قيل : فالمكروه المتوقع ماحده ؟ فإن الإنسان قد يكره كلمة وقد يكره ضربة وقد يكره طول لسان المحتسب عليه فى حقه بالغيبة ، وما من شخص يؤمر بالمعروف إلا يتوقع منه نوع من الأذى وقد يكون منه أن يسعى به إلى سلطان أو يقدح فيه فى مجلس يتضرر بقدحه فيه ، فما حد المكروه الذى يسقط الوجوب به ؟ قلنا : هذا أيضا فيه نظر غامض وصورته منتشرة ومجاريه كثيرة ، ولكنا نجتهد فى ضم نشره وحصر أقسامه .

فنقول : المكروه نقيض المطلوب ومطالب الخلق فى الدنيا ترجع إلى أربعة أمور : أما فى النفس فالعلم . وأما فى البدن فالصحة والسلامة . وأما فى المال فالثروة . وأما فى قلوب الناس فقيام الجاه ؛ فإذاً المطلوب العلم والصحة والثروة والجاه . ومعنى الجاه ملك قلوب الناس ، كما أن معنى الثروة ملك الدراهم لأن قلوب الناس وسيلة إلى الأغراض ، كما أن ملك الدراهم وسيلة إلى بلوغ الأغراض ـ وسيأتى تحقيق معنى الجاه وسبب ميل الطبع إليه فى ربع المهلكات ـ وكل واحدة من هذه الأربعة يطلبها الإنسان لنفسه ولأقاربه والمختصين به . ويكره فى هذه الأربعة أمران ؛ أحدهما : زوال ماهو حاصل موجود . والآخر . امتناع ماهو منتظر مفقود ؛ أعنى اندفاع مايتوقع وجوده . فلا ضرر إلا فى فوات حاصل وزواله ، أو تعويق منتظر ، فإن المنتظر عبارة عن الممكن حصوله والممكن حصوله كأنه حاصل وفوات إمكانه كأنه فوات حصوله : فرجع المكروه إلى قسمين ؛ أحدهما : خوف امتناع المنتظر وهذا

لاينبغى أن يكون مرخصاً فى ترك الأمر بالمعروف أصلا .

ولنذكر مثاله فى المطالب الأربعة ؛ أما العلم : فمثاله تركه الحسبة على من يختص بأستاذه خوفا من أن يقبح حاله عنده فيمتنع من تعليمه . وأما الصحة : فتركه الإنكار على الطبيب الذى يدخل عليه مثلا وهو لابس حريراً خوفاً من أن يتأخر عنه فتمتنع بسببه صحته المنتظرة . وأما المال : فتركه الحسبة على السلطان وأصحابه وعلى من يواسيه من ماله خيفة من أن يقطع إدراره فى المستقبل ويترك مواساته . وأما الجاه : فتركه الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاها فى المستقبل خيفة من أن لايحصل له الجاه أو خيفة من أن يقبح حاله عند السلطان الذى يتوقع منه ولاية .

وهذا كله لايسقط وجوب الحسبة لأن هذه زيادات امتنعت ، وتسمية امتناع حصول الزيادات ضررا مجاز . وإنما الضرر الحقيقى فوات حاصل ولا يستثنى من هذا شىء إلا ماتدعو إليه الحاجة ويكون فى فواته محذور يزيد على محذور السكوت على المنكر ، كما إذا كان محتاجا إلى الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة الطبيب ويعلم أن فى تأخره شدة الضنا به وطول المرض وقد يفضى إلى الموت . وأعنى بالعلم الظن الذى يجوز بمثله ترك استعمال الماء والعدول إلى التيمم فإذا انتهى إلى هذا الحد لم يبعد أن يرخص فى ترك الحسبة . وأما فى العلم فمثل أن يكون جاهلا بمهمات دينه ولم يجد إلا معلما واحدا ولا قدرة له على الرحلة إلى غيره وعلم أن المحتسب عليه قادر على أن يسد عليه طريق الوصول إليه لكون العالم مطيعا له أو مستمعا لقوله ، فإذاً الصبر على الجهل بمهمات الدين محذور والسكوت على المنكر محذور ، ولايبعد أن يرجح أحدهما ويختلف ذلك بتفاحش المنكر وبشدة الحاجة إلى العلم لتعلقه بمهمات الدين . وأما فى المال فمن يعجز عن الكسب والسؤال وليس هو قوى النفس فى التوكل ولا منفق عليه سوى شخص واحد ولو احتسب عليه قطع رزقه وافتقر فى تحصيله إلى طلب إدرار حرام أو مات جوعا فهذا أيضاً إذا اشتد الأمر فيه لم يبعد أن يرخص له فى السكوت . وأما الجاه فهو أن يؤذيه شرير ولا يجد سبيلا إلى دفع شره إلا بجاه يكتسبه من سلطان ، ولا يقدر على التوصل إليه إلا بواسطة شخص يلبس الحرير أو يشرب الخمر ، ولو احتسب عليه لم يكن واسطة ووسيلة له فيمتنع عليه حصول الجاه ويدوم بسببه أذى الشرير . فهذه الأمور كلها إذا ظهرت وقويت لم يبعد استثناؤها ولكن الأمر فيها منوط باجتهاد المحتسب حتى يستفتى فيها قلبه ، ويزن أحد المحذورين بالآخر ، ويرجح بنظر الدين لا بموجب الهوى والطبع ، فإن رجح بموجب الدين سمى سكوته مداراة ، وإن رجح بموجب الهوى سمى سكوته مداهنة . وهذا أمر باطن لايطلع عليه إلا بنظر دقيق ولكن الناقد بصير ، فحق على كل متدين فيه أن يراقب قلبه ويعلم أن الله مطلع على باعثه وصارفه أنه الدين أو الهوى ، وستجد كل نفس ماعملت من سوء أو خير محضراً عند الله ولو فى فلتة خاطر أو فلتة ناظر من غير ظلم وجور فما الله بظلام للعبيد .

وأما القسم الثانى ، وهو فوات الحاصل : فهو مكروه ومعتبر فى جواز السكوت فى الأمور الأربعة إلا العلم ، فإن فواته غير مخوف إلا بتقصير منه وإلا فلا يقدر أحد على سلب العلم من غيره وإن قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة والمال ، وهذا أحد أسباب شرف العلم فإنه يدوم فى الدنيا ويدوم ثوابه فى الآخرة فلا انقطاع له أبد الآباد . وأما الصحة والسلامة ففواتهما بالضرب فكل من علم أنه يضرب ضربا مؤلما يتأذى به فى الحسبة لم تلزمه الحسبة وإن كان يستحب له ذلك ـ كما سبق ـ وإذا فهم هذا فى الإيلام بالضرب فهو فى الجرح والقطع والقتل أظهر . وأما الثروة فهو بأن يعلم أنه تنهب داره ويخرب بيته وتسلب ثيابه ، فهذا أيضا يسقط عنه الوجوب ويبقى

الاستحباب إذ لا بأس بأن يفدى دينه بدنياه ولكل واحد من الضرب والنهب حد فى القلة لايكترث به كالحبة فى المال واللطمة الخفيف ألمها فى الضرب وحد فى الكثرة يتعين اعتباره ووسط يقع فى محل الاشتباه والاجتهاد ، وعلى المتدين أن يجتهد فى ذلك ويرجح جانب الدين ما أمكن . وأما الجاه ففواته بأن يضرب ضربا غير مؤلم أو بسبب على ملأ من الناس أو يطرح منديله فى رقبته ويدار به فى البلد أو يسود وجهه ويطاف به ، وكل ذلك من غير ضرب مؤلم للبدن وهو فادح فى الجاه ومؤلم للقلب . وهذا له درجات فالصواب أن يقسم إلى مايعبر عنه بسقوط المروءة ، كالطواف به فى البلد حاسرا حافيا فهذا يرخص له فى السكوت لأن المروءة مأمور بحفظها فى الشرع ، وهذا مؤلم للقلب ألما يزيد على ألم ضربات متعددة وعلى فوات دريهمات قليلة فهذه درجة . الثانية : مايعبر عنه بالجاه المحض وعلو الرتبة ، فإن الخروج فى ثياب فاخرة تجمل ، وكذلك الركوب للخيول . فلو علم أنه لو احتسب لكلف المشى فى السوق فى ثياب لايعتاد هو مثلها . أو كلف المشى راجلا وعادته الركوب . فهذا من جملة المزايا . وليست المواظبة على حفظها محمودة . وحفظ المروءة محمود فلا ينبغى أن يسقط وجوب الحسبة بمثل هذا القدر . وفى معنى هذا ما لو خاف أن يتعرض له باللسان إما فى حضرته بالتجهيل والتحميق والنسبة إلى الرياء والبهتان . وأما فى غيبته بأنواع الغيبة فهذا لايسقط الوجوب إذ ليس فيه إلا زوال فضلات الجاه التى ليس إليها كبير حاجة . ولو تركت الحسبة بلوم لائم أو باغتياب فاسق أو شتمه وتعنيفه أو سقوط المنزلة عن قلبه وقلب أمثاله لم يكن للحسبة وجوب أصلا إذ لا تنفك الحسبة عنه إلا إذا كان المنكر هو الغيبة ، وعلم أنه لو أنكر لم يسكت عن المغتاب ولكن أضافه إليه وأدخله معه فى الغيبة فتحرم هذه الحسبة لأنها سبب زيادة المعصية ، وإن علم أنه يترك تلك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا تجب عليه الحسبة لأن غيبته أيضا معصية فى حق المغتاب ، ولكن يستحب له ذلك ليفدى عرض المذكور بعرض نفسه على سبيل الإيثار . وقد دلت العمومات على تأكد وجوب الحسبة وعظم الخطر فى السكوت عنها فلا يقابله إلا ماعظم فى الدين خطره ، والمال والنفس والمروءة قد ظهر فى الشرع خطرها فأما مزايا الجاه والحشمة ودرجات التجمل وطلب ثناء الخلق فكل ذلك لاخطر له . وأما امتناعه لخوف شىء من هذه المكاره فى حق أولاده وأقاربه فهو فى حقه دونه لأن تأذيه بأمر نفسه أشد من تأذيه بأمر غيره ، ومن وجه الدين هو فوقه لأن له أن يسامح فى حقوق نفسه وليس له المسامحة فى حق غيره . فإذاً ينبغى أن يمتنع فإنه إن كان ما يفوت من حقوقهم يفوت على طريق المعصية كالضرب والنهب فليس له هذه الحسبة لأنه دفع منكر يفضى إلى منكر ، وإن كان يفوت لا بطريق المعصية فهو إيذاء للمسلم أيضا وليس له ذلك إلا برضاهم . فإذا كان يؤدى ذلك إلى أذى قومه فليتركه وذلك كالزاهد الذى له أقارب أغنياء فإنه لا يخاف على ماله إن احتسب على السلطان ولكنه يقصد أقاربه انتقاما منه بواسطته ، فإذا كان يتعدى الأذى من حسبته إلى أقاربه وجيرانه فليتركها فإن إيذاء المسلمين محذور كما أن السكوت على المنكر محذور . نعم إن كان لاينالهم أذى فى مال أو نفس ولكن ينالهم الأذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ، ويختلف الأمر فيه بدرجات المنكرات فى تفاحشها ودرجات الكلام المحذور فى نكايته فى القلب وقدحه فى العرض .

* فإن قيل : فلو قصد الإنسان قطع طرف من نفسه وكان لا يمتنع عنه إلا بقتال ربما يؤدى إلى قتله فهل يقاتل عليه ؟ فإن قلتم : يقاتل ، فهو محال لأنه إهلاك نفس خوفا من إهلاك طرف وفى إهلاك النفس إهلاك الطرف أيضا ؟ قلنا : يمنعه عنه ويقاتله إذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه بل الغرض حسم سبيل المنكر والمعصية ، وقتله فى الحسبة ليس بمعصية وقطع طرف نفسه معصية . وذلك كدفع الصائل على مال مسلم بما يأتى على قتله فإنه جائز لا على معنى

أنا نفدى درهما من مال مسلم بروح مسلم فإن ذلك محال ولكن قصده لأخذ مال المسلمين معصية وقتله فى الدفع عن المعصية ليس بمعصية وإنما المقصود دفع المعاصى .

* فإن قيل : فلو علمنا أنه لوخلا بنفسه لقطع طرف نفسه فينبغى أن نقتله فى الحال حسما لباب المعصية ؟ قلنا : ذلك لايعلم يقينا ولا يجوز سفك دمه بتوهم معصية ولكنا إذا رأيناه فى حال مباشرة القطع دفعناه ، فإن قاتلنا قاتلناه ولم نبال بما يأتى على روحه .

فإذا المعصية لها ثلاثة أحوال : (إحداها) أن تكون متصرمة فالعقوبة على ماتصرم منها حد أو تعزير وهو إلى الولاة لا إلى الآحاد (الثانية) أن تكون المعصية راهنة وصاحبها مباشر لها كلبسه الحرير وإمساكه العود والخمر ، فإبطال هذه المعصية واجب بكل ما يمكن مالم تؤد إلى معصية أفحش منها أو مثلها ، وذلك يثبت للآحاد والرعية (الثالثة) أن يكون المنكر متوقعا كالذى يستعد بكنس المجلس وتزيينه وجمع الرياحين لشرب الخمر وبعده لم يحضر الخمر ؛ فهذا مشكوك فيه إذ ربما يعوق عنه عائق فلا يثبت للآحاد سلطنة على العازم على الشرب إلا بطريق الوعظ والنصح ، فأما بالتعنيف والضرب فلا يجوز للآحاد ولا للسلطان إلا إذا كانت تلك المعصية علمت منه بالعادة المستمرة وقد أقدم على السبب المؤدى إليها ولم يبق لحصول المعصية إلا ماليس له فيه إلا الانتظار ، وذلك كوقوف الأحداث على أبواب حمامات النساء للنظر إليهن عند الدخول والخروج ، فإنهم وإن لم يضيقوا الطريق لسعته فتجوز الحسبة عليهم بإقامتهم من الموضع ومنعهم عن الوقوف بالتعنيف والضرب ، وكان تحقيق هذا إذا بحث عنه يرجع إلى أن هذا الوقوف فى نفسه معصية وإن كان مقصد العاصى وراءه كما أن الخلوة بالأجنبية فى نفسها معصية لأنها مظنة وقوع المعصية ، وتحصيل مظنة المعصية معصية ونعنى بالمظنة مايتعرض الإنسان به لوقوع المعصية غالبا بحيث لايقدر على الانكفاف عنها ، فإذاً هو على التحقيق حسبة على معصية راهنة لاعلى معصية منتظرة .

الركن الثانى : للحسبة مافيه الحسبة

وهو كل منكر موجود فى الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوم كونه منكراً بغير اجتهاد فهذه أربعة شروط فلنبحث عنها :

الأول : كونه منكرا ، ونعنى به أن يكون محذور الوقوع فى الشرع وعدلنا عن لفظ المعصية إلى هذا لأن المنكر أعم من المعصية ، إذ من رأى صبيا أو مجنوناً يشرب الخمر فعليه أن يريق خمره ويمنعه ، وكذا إن رأى مجنوناً يزنى بمجنونة أو بهيمة فعليه أن يمنعه منه . وليس ذلك لتفاحش صورة الفعل وظهوره بين الناس بل لوصادف هذا المنكر فى خلوة لوجب المنع منه ، وهذا لايسمى معصية فى حق المجنون إذ معصية لاعاصى بها محال ، فلفظ المنكر أدل عليه وأعم من لفظ المعصية وقد أدرجنا فى عموم هذا الصغيرة والكبيرة فلا تختص الحسبة بالكبائر ، بل كشف العورة فى الحمام والخلوة بالأجنبية واتباع النظر للنسوة الأجنبيات كل ذلك من الصغائر ويجب النهى عنها وفى الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظر سيأتى فى كتاب التوبة :

الشرط الثانى : أن يكون موجودا فى الحال وهو احتراز أيضاً عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر ، فإن ذلك ليس إلى الآحاد وقد انقرض المنكر واحتراز عما سيوجد فى ثانى الحال ، كمن يعلم بقرينة حال أنه عازم على الشرب فى ليلته فلا حسبة عليه إلا بالوعظ ، وإن أنكر عزمه عليه لم يجز وعظه أيضاً فإن فيه إساءة ظن بالمسلم وربما صدق فى قوله . وربما لايقدم على ماعزم عليه لعائق . وليتنبه للدقيقة التى ذكرناها وهو أن الخلوة بالأجنبية

معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء ومايجرى مجراه .

الشرط الثالث : أن يكون المنكر ظاهرا للمحتسب بغير تجسس . فكل من ستر معصية فى داره وأغلق بابه لايجوز أن يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى عنه . وقصة عمر وعبدالرحمن بن عوف فيه مشهورة ـ وقد أوردناها فى كتاب آداب الصحبة ـ وكذلك ماروى أن عمر رضى الله عنه تسلق دار رجل فرآه على حالة مكروهة فأنكر عليه فقال : ياأمير المؤمنين إن كنت أنا قد عصيت الله من وجه واحد فأنت قد عصيته من ثلاثة أوجه . فقال وماهى؟ فقال قد قال تعالى ﴿ ولاتجسسوا ﴾ وقد تجسست . وقال تعالى ﴿ وأتوا البيوت من أبوابها ﴾ وقد تسورت من السطح وقال ﴿ لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ﴾ وماسلمت . فتركه عمر وشرط عليه التوبة . ولذلك شاور عمر الصحابة رضى الله عنهم وهو على المنبر وسألهم عن الإمام إذا شاهد بنفسه منكرا فهل له إقامة الحد فيه ؟ فأشار على رضى الله عنه بأن ذلك منوط بعدلين فلا يكفى فيه واحد . وقد أوردنا هذه الأخبار فى بيان حق المسلم من كتاب آداب الصحبة فلا نعيدها .

* فإن قلت : فما حد الظهور والاستتار ؟ فاعلم أن من أغلق باب داره وتستر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير إذنه لنعرف المعصية إلا أن يظهر فى الدار ظهورا يعرفه من هوخارج الدار كأصوات المزامير والأوتار إذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان الدار . فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهى وكذا إذا ارتفعت أصوات السكارى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعها أهل الشوارع فهذا إظهار موجب للحسبة . فإذن إنما يدرك مع تخلل الحيطان صوت أو رائحة . فإذا فاحت روائح الخمر فإن احتمل أن يكون ذلك من الخمور المحترمة فلا يجوز قصدها بالإراقة . وإن علم بقرينة الحال أنها فاحت لتعاطيهم الشرب فهذا محتمل . والظاهر جواز الحسبة . وقد تستر قارورة الخمر فى الكم وتحت الذيل وكذلك الملاهى فإذا رؤى فاسق وتحت ذيله شىء لم يجز أن يكشف عنه مالم يظهر بعلامة خاصة . فإن فسقه لايدل على أن الذى معه خمر . إذ الفاسق محتاج أيضا إلى الخل وغيره . فلا يجوز أن يستدل بإخفائه وأنه لوكان حلالا لما أخفاه لأن الأغراض فى الإخفاء مما تكثر . وإن كانت الرائحة فائحة فهذا محل النظر . والظاهر أن له الاحتساب لأن هذه علامة تفيد الظن والظن كالعلم فى أمثال هذه الأمور . وكذلك العود ربما يعرف بشكله إذا كان الثوب الساتر له رقيقا . فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهرت دلالته فهو غير مستور بل هو مكشوف وقد أمرنا بأن نستر ماستر الله وننكر على من أبدى لنا صفحته . والإبداء له درجات فتارة يبدو لنا بحاسة السمع . وتارة بحاسة الشم . وتارة بحاسة البصر . وتارة بحاسة اللمس ولايمكن أن يخصص ذلك بحاسة البصر بل المراد العلم . وهذه الحواس أيضاً تفيد العلم . فإذن إنما يجوز أن يكسر ماتحت الثوب إذا علم أنه خمر . وليس له أن يقول : أرنى لأعلم مافيه . هذا تجسس . ومعنى التجسس طلب الأمارات المعرفة فالأمارة المعرفة إن حصلت وأورثت المعرفة جاز العمل بمقتضاها فأما طلب الأمارة المعرفة فلا رخصة فيه أصلا .

الشرط الرابع : أن يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتهاد فكل ماهو فى محل الاجتهاد فلا حسبة . فليس للحنفى أن ينكر على الشافعى أكله الضب والضبع ومتروك التسمية . ولا للشافعى أن ينكر على الحنفى شربه النبيذ الذى ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوى الأرحام وجلوسه فى دار أخذها بشفعة الجوار إلى غير ذلك من مجارى الاجتهاد نعم لو رأى الشافعى شافعيا يشرب النبيذ وينكح بلا ولى ويطأ زوجته فهذا فى محل النظر والأظهر أن له الحسبة والإنكار إذ لم يذهب أحد من المحصلين إلى أن المجتهد يجوز له أن يعمل بموجب اجتهاد غيره . ولا أن

الذى أدى اجتهاده فى التقليد إلى شخص رآه أفضل العلماء أن له أن يأخذ بمذهب غيره فينتقد من المذاهب أطيبها عنده ، بل على كل مقلد اتباع مقلده فى كل تفصيل ، فإذن مخالفته للمقلد متفق على كونه منكرا بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة ، إلا أنه يلزم من هذا أمر أغمض منه ، وهو أنه يجوز للحنفى أن يعترض على الشافعى إذا نكح بغير ولى بأن يقول له : الفعل فى نفسه حق ولكن لافى حقك فأنت مبطل بالإقدام عليه مع اعتقادك أن الصواب مذهب الشافعى ، ومخالفة ماهو صواب عندك معصية فى حقك وإن كانت صوابا عند الله . وكذلك الشافعى يحتسب على الحنفى إذا شاركه فى أكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول له : إما أن تعتقد أن الشافعى أولى بالاتباع ثم تقدم عليه ، أو لاتعتقد ذلك فلا تقدم عليه ، لأنه على خلاف معتقدك . ثم ينجر هذا إلى أمر آخر من المحسوسات وهو أن يجامع الأصم مثلا امرأة على قصد الزنا وعلم المحتسب أن هذه امرأته زوجه أبوه إياها فى صغره ، ولكنه ليس يدرى وعجز عن تعريفه ذلك لصممه أو لكونه غير عارف بلغته ، فهو فى الإقدام مع اعتقاده أنها أجنبية عاص ومعاقب عليه فى الدار الآخرة . فينبغى أن يمنعها عنه مع أنها زوجته وهو بعيد من حيث إنه حلال فى علم الله قريب من حيث إنه حرام عليه بحكم غلطه وجهله . ولاشك فى أنه لو علق طلاق زوجته على صفة فى قلب المحتسب مثلا من مشيئة أو غضب أو غيره وقد وجدت الصفة فى قلبه وعجز عن تعريف الزوجين ذلك ، ولكن علم وقوع الطلاق فى الباطن فإذا رآه يجامعها فعليه المنع - أعنى باللسان - لأن ذلك زنا إلا أن الزانى غير عالم به والمحتسب عالم بأنها طلقت منه ثلاثا ، وكونهما غير عاصيين لجهلهما بوجود الصفة لايخرج الفعل عن كونه منكرا ولايتقاعد ذلك عن زنا المجنون وقد بينا أنه يمنع منه ، فإذا كان يمنع مما هو منكر عند الله وإن لم يكن منكرا عند الفاعل ولاهو عاص به لعذر الجهل ، فيلزم من عكس هذا أن يقال : ماليس بمنكر عند الله إنما هو منكر عند الفاعل لجهله لايمنع منه ، وهذا هو الأظهر والعلم عند الله . فتحصل من هذا أن الحنفى لايعترض على الشافعى فى النكاح بلا ولى ، وأن الشافعى يعترض على الشافعى فيه لكون المعترض عليه منكرا باتفاق المحتسب والمحتسب عليه . وهذه مسائل فقهية دقيقة والاحتمالات فيها متعارضة ، وإنما أفتينا فيها بحسب ماترجح عندنا فى الحال . ولسنا نقطع بخطأ ترجيح المخالف فيها إن رأى أنه لايجرى الاحتساب إلا فى معلوم على القطع ، وقد ذهب إليه ذاهبون وقالوا : لاحسبة إلا فى مثل الخمر والخنزير ومايقطع بكونه حراما ، ولكن الأشبه عندنا أن الاجتهاد يؤثر فى حق المجتهد ؛ إذ يبعد غاية البعد أن يجتهد فى القبلة ويعترف بظهور القبلة عنده فى جهة بالدلالات الظنية ثم يستدبرها ، ولايمنع منه لأجل ظن غيره لأن الاستدبار هو الصواب . ورأى من يرى أنه يجوز لكل مقلد أن يختار من المذاهب ماأراد غير معتد به ولعله لايصح ذهاب ذاهب إليه أصلا ؛ فهذا مذهب لايثبت وإن ثبت فلا يعتد به .

* فإن قلت : إذا كان لايعترض على الحنفى فى النكاح بلا ولى لأنه يرى أنه حق فينبغى أن لايعترض على المعتزلى فى قوله : إن الله لايرى ؟ وقوله : وإن الخير من الله والشر ليس من الله ؟ وقوله : كلام الله مخلوق ؟ ولا على الحشوى فى قوله : إن الله تعالى جسم وله صورة وإنه مستقر على العرش ؟ بل لاينبغى أن يعترض على الفلسفى فى قوله : الأجساد لاتبعث وإنما تبعث النفوس ؛ لأن هؤلاء أيضاً أدى اجتهادهم إلى ماقالوه وهم يظنون أن ذلك هو الحق . فإن قلت : بطلان مذهب هؤلاء ظاهر فبطلان مذهب من يخالف نص الحديث الصحيح أيضاً ظاهر ، وكما ثبت بظواهر النصوص أن الله تعالى يرى والمعتزلى ينكرها بالتأويل فكذلك ثبت بظواهر النصوص مسائل خالف فيها الحنفى كمسألة النكاح بلا ولى ومسألة شفعة الجوار ونظائرهما ؟ فاعلم أن المسائل تنقسم

إلى ما يتصور أن يقال فيه : كل مجتهد مصيب . وهى أحكام الأفعال فى الحل والحرمة وذلك هو الذى لايعترض على المجتهدين فيه إذ لم يعلم خطؤهم قطعا بل ظنا ، وإلى مالايتصور أن يكون المصيب فيه إلا واحد كمسألة الرؤية والقدر وقدم الكلام ونفى الصورة والجسمية والاستقرار عن الله تعالى ، فهذا مما يعلم خطأ المخطئ فيه قطعا ولايبقى لخطئه الذى هو جهل محض وجه . فإذن البدع كلها ينبغى أن تحسم أبوابها وتنكر على المبتدعين بدعهم وإن اعتقدوا أنها الحق ، كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم وإن كانوا يعتقدون أن ذلك حق لأن خطأهم معلوم على القطع بخلاف الخطأ فى مظان الاجتهاد .

* فإن قلت : فهما اعترضت على القدرى فى قوله : الشر ليس من الله ، اعترض عليك القدرى أيضا فى قولك: الشر من الله ، وكذلك فى قولك : إنّ الله يرى ، وفى سائر المسائل . إذ المبتدع محق عند نفسه ، والمحق مبتدع عند المبتدع ، وكل يدعى أنه محق وينكر كونه مبتدعا . فكيف يتم الاحتساب ؟ فاعلم أنا لأجل هذا التعارض نقول : ينظر إلى البلدة التى فيها أظهرت تلك البدعة ؛ فإن كانت البدعة غريبة والناس كلهم على السنة فلهم الحسبة عليه بغير إذن السلطان ، وإن انقسم أهل البلد إلى أهل البدعة وأهل السنة وكان فى الاعتراض تحريك فتنة بالمقاتلة فليس للآحاد الحسبة فى المذاهب الا بنصب السلطان . فإذا رأى السلطان الرأى الحق ونصره وأذن لواحد أن يزجر المبتدعة عن اظهار البدعة كان له ذلك وليس لغيره . فإن مايكون بإذن السلطان لايتقابل ، ومايكون من جهة الآحاد فيتقابل الأمر فيه . وعلى الجملة فالحسبة فى البدعة أهم من الحسبة فى كل المنكرات ، ولكن ينبغى أن يراعى فيها هذا التفصيل الذى ذكرناه كيلا يتقابل الأمر ولاينجر الى تحريك الفتنة . بل لو أذن السلطان مطلقا فى منع كل من يصرح بأن القرآن مخلوق ، أو أن الله لايرى ، أو أنه مستقر على العرش مماس له ، أو غير ذلك من البدع لتسلط الآحاد على المنع منه ولم يتقابل الأمر فيه وانما يتقابل عند عدم اذن السلطان فقط .

الركن الثالث : المحتسب عليه

وشرطه أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه فى حقه منكرا ، وأقل مايكفى فى ذلك أن يكون إنسانا ، ولا يشترط كونه مكلفا ، إذ بينا أن الصبى لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وإن كان قبل البلوغ ، ولايشترط كونه مميزا إذ بينا أنّ المجنون لوكان يزنى بمجنونة أو يأتى بهيمة منعه منه . نعم من الأفعال مالا يكون منكرا فى حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره . ولكنا لسنا نلتفت إلى اختلاف التفاصيل فإن ذلك أيضا مما يختلف فيه المقيم والمسافر والمريض والصحيح . وغرضنا الإشارة إلى الصفة التى بها يتهيأ توجه أصل الإنكار عليه لاما بها يتهيأ للتفاصيل .

* فإن قلت : فاكتف بكونه حيوانا ولا تشترط كونه إنسانا ، فإن البهيمة لوكانت تفسد زرعا لإنسان لكنا نمنعها منه كما نمنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة ؟ فاعلم أن تسمية ذلك حسبة لاوجه لها ، إذ الحسبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله ، صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر ومنع المجنون عن الزنا وإتيان البهيمة لحق الله ، وكذا منع الصبى عن شرب الخمر . والإنسان إذا أتلف زرع غيره منع منه لحقين ، أحدهما : حق الله تعالى فإن فعله معصية ، والثانى : حق المتلف عليه ، فهما علتان تنفصل إحداهما عن الأخرى . فلو قطع طرف غيره بإذنه فقد وجدت المعصية وسقط حق المجنى عليه بإذنه فتثبت الحسبة والمنع بإحدى العلتين . والبهيمة إذا أتلفت فقد عدمت المعصية ولكن يثبت المنع بإحدى العلتين . ولكن فيه دقيقة وهو أنا لسنا نقصد بإخراج البهيمة منع البهيمة بل حفظ مال

المسلم ؛ إذ البهيمة لو أكلت ميتة أو شربت من إناء فيه خمر أوماء مشوب بخمر لم نمنعها منه ، بل يجوز إطعام كلاب الصيد الجيف والميتات ، ولكن مال المسلم إذا تعرض للضياع وقدرنا على حفظه بغير تعب وجب ذلك علينا حفظا للمال ، بل لو وقعت جرة لإنسان من علو وتحتها قارورة لغيره فتدفع الجرة لحفظ القارورة ، لالمنع الجرة من السقوط . فإنا لانقصد منع الجرة وحراستها من أن تصير كاسرة للقارورة ، ونمنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة وشرب الخمر وكذا الصبي ، لاصيانة للبهيمة المأتية أو الخمر المشروب : بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر وتنزيهاله من حيث إنه إنسان محترم . فهذه لطائف دقيقة لايتفطن لها إلا المحققون فلا ينبغي أن يغفل عنها ثم فيما يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر ، إذ قد يتردد في معنهما من لبس الحرير وغير ذلك . وسنتعرض لما نشير إليه في الباب الثالث .

* فإن قلت : فكل من رأى بهائم قد استرسلت في زرع إنسان فهل يجب عليه إخراجها ؟ وكل من رأى مالا لمسلم أشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه ؟ فإن قلتم : إن ذلك واجب فهذا تكليف شطط يؤدي إلى أن يصير الإنسان مسخرا لغيره طول عمره ؟ وإن قلتم ، لايجب فلم يجب الاحتساب على من يغصب مال غيره وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير ؟ فنقول : هذا بحث دقيق غامض . والقول الوجيز فيه أن نقول : مهماقدر على حفظه من الضياع من غير أن يناله تعب في بدنه أو خسران في ماله أو نقصان جاهه وجب عليه ذلك ، فذلك القدر واجب في حقوق المسلم بل هو أقل درجات الحقوق ، والأدلة الموجبة لحقوق المسلمين كثيرةوهذا أقل درجاتهاوهو أولى بالإيجاب من رد السلام ، فإن الأذى في هذا أكثر من الأذى في ترك رد السلام ، بل لاخلاف في أن مال الإنسان إذا كان يضيع بظلم ظالم وكان عند الشهادة لو تكلم بها لرجع الحق إليه وجب عليه ذلك وعصى بكتمان الشهادة ففي معنى ترك الشهادة ترك كل دفع لاضرر على الدافع فيه ، فأما إن كان عليه تعب أو ضرر في مال أو جاه لم يلزمه السعي في ذلك ولكن إذا كان لايتعب بتنبيه صاحب الزرع من نوم أو بإعلامه يلزمه ، فإهمال تعريفه وتنبيهه كأهماله تعريف القاضي بالشهادة ، وذلك لارخصة فيه ، ولايمكن أن يراعى فيه الأقل والأكثر حتى يقال إن كان لايضيع من منفعته في مدة اشتغاله بإخراج البهائم إلا قدر درهم مثلا وصاحب الزرع يفوته مال كثير فيترجح جانبه لأن الدرهم الذي له هو يستحق حفظه كما يستحق صاحب الألف حفظ الألف ولاسبيل للمصير إلا ذلك ،فأما إذا كان فوات المال بطريق هو معصية كالغصب أو قتل عبد مملوك للغير ، فهذا يجب المنع منه وإن كان فيه تعب ما ، لأن المقصود حق الشرع ، والغرض دفع المعصية ، وعلى الإنسان أن يتعب نفسه في دفع المعاصي كما عليه أن يتعب نفسه في ترك المعاصي . والمعاصي كلها في تركها تعب وإنما الطاعة كلها ترجع إلى مخالفة النفس وهي غاية التعب. ثم لايلزمه احتمال كل ضرر بل التفصيل فيه كما ذكرناه من درجات المحذورات التي يخافها المحتسب .

وقد اختلف الفقهاء في مسئلتين تقربان من غرضنا ، إحداهما : أن الالتقاط هل هو واجب واللقطة ضائعة ؟ والملتقط مانع من الضياع وساع في الحفظ ؟ والحق فيه عندنا أن يفصل ويقال : إن كانت اللقطة في موضع لو تركها فيه لم تضع بل يلتقطها من يعرفها ، أو تترك كما لو كان في مسجد أو رباط يتعين من يدخله وكلهم أمناء فلا يلزمه الالتقاط ، وإن كانت في مضيعة ، نظر ، فإن كان عليه تعب في حفظها كما لو كانت بهيمة وتحتاج إلى علف واصطبل فلا يلزمه ذلك ؛ لأنه إنما يجب الالتقاط لحق المالك . وحقه بسبب كونه إنسانا محترما ، والملتقط أيضا إنسان وله حق في أن لايتعب لأجل غيره كما لايتعب غيره لأجله . فإن كانت ذهبا أو ثوبا أو شيئا لاضرر عليه فيه إلا مجرد تعب

التعريف فهذا ينبغي أن يكون في محل الوجهين . فقائل يقول : التعريف والقيام بشرطه فيه تعب فلا سبيل إلى إلزامه ذلك إلا أن يتبرع فيلتزم طبقا للثواب . وقائل يقول : إن هذا القدر من التعب مستصغر بالإضافة إلى مراعاة حقوق المسلمين ؛ فينزل هذا منزلة تعب الشاهد في حضور مجلس الحكم فإنه لا يلزمه السفر إلى بلدة أخرى إلا أن يتبرع به ، فإذا كان مجلس القاضي في جواره لزمه الحضور وكان التعب بهذه الخطوات لا يعدّ تعبا في غرض إقامة الشهادة وأداء الأمانة ، وإن كان في الطرف الآخر من البلد وأحوج إلى الحضور في الهاجرة وشدّة الحر فهذا قد يقع في محل الاجتهاد والنظر ، فإن الضرر الذي ينال الساعي في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا يشك في أنه لا يبالي به ، وطرف في الكثرة لا يشك في أنه لا يلزم احتماله ، ووسط يتجاذبه الطرفان ويكون أبدا في محل الشبهة والنظر ، وهي من الشبهات المزمنة التي ليس في مقدور البشر إزالتها ؛ إذ لا علة تفرق بين أجزائها المتقاربة ، ولكن المتقي ينظر فيها لنفسه ويدع ما يريبه إلى ما لا يريبه ، فهذا نهاية الكشف عن هذا الأصل .

الركن الرابع : نفس الاحتساب

وله درجات وآداب : أما الدرجات ، فأولها التعرف ، ثم التعريف ، ثم النهي ، ثم الوعظ والنصح ، ثم السب والتعنيف ، ثم التغيير باليد ، ثم التهديد بالضرب ، ثم إيقاع الضرب وتحقيقه ، ثم شهر السلاح ، ثم الاستظهار فيه بالأعوان وجمع الجنود .

أما الدرجة الأولى : وهي التعرف ؛ ونعني طلب المعرفة بجريان المنكر وذلك منهي عنه - وهو التجسس الذي ذكرناه - فلا ينبغي أن يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الأوتار ، ولا أن يستنشق ليدرك رائحة الخمر ، ولا أن يمس ما في ثوبه ليعرف شكل المزمار ، ولا أن يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجري في داره . نعم لو أخبره عدلان ابتداء من غير استخبار بأن فلانا يشرب الخمر في داره أو بأن في داره خمرا أعده للشرب ، فله إذ ذاك أن يدخل داره ولا يلزم الاستئذان ، ويكون تخطي ملكه بالدخول للتوصل إلى دفع المنكر ككسر رأسه بالضرب للمنع مهما احتاج إليه . وإن أخبره عدلان أو عدل واحد - وبالجملة كل من تقبل روايته لا شهادته - ففي جواز الهجوم على داره بقولهم ، فيه نظر واحتمال ، والأولى أن يمتنع لأن له حقا في أن لا يتخطى داره بغير إذنه ، ولا يسقط حق المسلم عما ثبت عليه حقه إلا بشاهدين ؛ فهذا أولى ما يجعل مردا فيه . وقد قيل إنه كان نقش خاتم لقمان : الستر لما عاينت أحسن من إذاعة ما ظننت .

الدرجة الثانية : التعريف ؛ فإن المنكر قد يقدم عليه المقدم بجهله وإذا عرف أنه منكر تركه ، كالسوادي يصلي ولا يحسن الركوع والسجود ؛ فيعلم أنّ ذلك لجهله بأنّ هذه ليست بصلاة ولو رضي بأن لا يكون مصليا لترك أصل الصلاة ، فيجب تعريفه باللطف من غير عنف : وذلك لأن ضمن التعريف نسبة إلى الجهل والحمق ، والتجهيل إيذاء وقلما يرضى الإنسان بأن ينسب إلى الجهل بالأمور لاسيما بالشرع . ولذلك ترى الذي يغلب عليه الغضب كيف يغضب إذا نبه على الخطأ والجهل ؟ وكيف يجتهد في مجاحدة الحق بعد معرفته خيفة من أن تنكشف عورة جهله ؟ والطباع أحرص على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية ؛ لأن الجهل قبح في صورة النفس وسواد في وجهه ، وصاحبه ملوم عليه ، وقبح السوأتين يرجع إلى صورة البدن ، والنفس أشرف من البدن وقبحها أشدّ من قبح البدن . ثم هو غير ملوم عليه لأنه خلقة لم يدخل تحت اختياره حصوله ، ولا في اختياره إزالته وتحسينه . والجهل قبح يمكن إزالته وتبديله بحسن العلم ، فلذلك يعظم تألم الإنسان بظهور جهله ، ويعظم ابتهاجه في نفسه بعلمه

ثم لذته عند ظهور جمال علمه لغيره . وإذا كان التعريف كشفا للعورة مؤذيا للقلب فلابد وأن يعالج دفع أذاه بلطف الرفق فنقول له : إن الإنسان لا يولد عالما ولقد كنا أيضا جاهلين بأمور الصلاة فعلمنا العلماء ، ولعل قريتك خالية عن أهل العلم أو عالمها مقصر فى شرح الصلاة وإيضاحها ، إنما شرط الصلاة الطمأنينة فى الركوع والسجود . وهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير إيذاء ؛ فإن إيذاء المسلم حرام محذور كما أن تقريره على المنكر محذور ، وليس من العقلاء من يغسل الدم بالدم أو بالبول ، ومن اجتنب محذور السكوت على المنكر واستبدل عنه محذور الإيذاء المسلم مع الاستغناء عنه فقد غسل الدم بالبول على بالتحقيق . وأما إذا وقفت على خطأ فى غير أمر الدين فلا ينبغى أن ترده عليه فإنه يستفيد منك علما ويصير لك عدوا ، إلا إذا علمت أنه يغتنم العلم وذلك عزيز جدا .

الدرجة الثالثة : النهى بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى ؛ وذلك فيمن يقدم على الأمر وهو عالم بكونه منكرا ، أو فيمن أصر عليه بعد أن عرف كونه منكرا ، كالذى يواظب على الشرب أو على الظلم أو على اغتياب المسلمين أو ما يجرى مجراه ، فينبغى أن يوعظ ويخوف بالله تعالى وتورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد فى ذلك وتحكى له سيرة السلف وعبادة المتقين ؛ وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب ، بل ينظر إليه نظر المترحم عليه ويرى إقدامه على المعصية مصيبة على نفسه إذ المسلمون كنفس واحدة ، وههنا آفة عظيمة ينبغى أن يتوقاها فإنها مهلكة ، وهى أن العالم يرى - عند التعريف - عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل ؛ فربما يقصد بالتعريف الإدلال وإظهار التميز بشرف العلم وإذلال صاحبه بالنسبة إلى خسة الجهل . فإن كان الباعث هذا فهذا المنكر أقبح فى نفسه من المنكر الذى يعترض عليه ؟ ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره من النار بإحراق نفسه وهو غاية فى الجهل . وهذه مذلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور للشيطان يتدلى بحبله كل إنسان إلا من عرفه الله عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته ، فإن فى الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من وجهين ، أحدهما : من جهة دالة العلم ، والآخر : من جهة دالة الاحتكام والسلطنة . وذلك يرجع إلى الرياء وطلب الجاه ، وهو الشهوة الخفية الداعية إلى الشرك الخفى ، وله محك ومعيار ينبغى أن يمتحن المحتسب به نفسه ، وهو أن يكون امتناع ذلك الإنسان عن المنكر بنفسه أو باحتساب غيره أحب إليه من امتناعه باحتسابه . فإن كانت الحسبة شاقة عليه ثقيلة على نفسه وهو يود أن يكفى بغيره فليحتسب فإن باعثه هو الدين ، وإن كان اتعاظ ذلك العاصى بوعظه وانزجاره بزجره أحب إليه من اتعاظه بوعظ غيره فما هو إلا متبع هوى نفسه ومتوسل إلى إظهار جاه نفسه بواسطة حسبته فليتق الله تعالى فيه وليحتسب أولا على نفسه . وعند هذا يقال له ما قيل لعيسى عليه السلام : يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحى منى . وقيل لداود الطائى رحمه الله : أرأيت رجلا دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر ؟ فقال أخاف عليه السوط ، قال : إنه يقوى عليه ، قال : أخاف عليه السيف ، قال : إنه يقوى عليه ، قال : أخاف عليه الداء الدفين وهو العجب .

الدرجة الرابعة : السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن ، وذلك يعدل إليه عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادئ الإصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح ، وذلك مثل قول إبراهيم عليه السلام ﴿ أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴾ ولسنا نعنى بالسب والفحش بما فيه نسبة إلى الزنا ومقدماته ، ولا الكذب بل أن يخاطبه بما فيه مما لا يعد من جملة الفحش ، كقوله : يافاسق ياأحمق ياجاهل ألا تخاف الله ، وكقوله : ياسوادى يا غبى وما يجرى هذا المجرى . فإن كل فاسق فهو أحمق وجاهل ، ولولا حمقه لما عصى الله تعالى بل كل من ليس

بكيس فهو أحمق . والكيس من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكياسة حيث قال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت . والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله [1] » .

ولهذه الرتبة أدبان ؛ أحدهما : أن لا يقدم عليها إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف . والثانى : أن لا ينطق إلا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج إليه ؛ بل يقتصر على قدر الحاجة . فإن علم أن خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليست تزجره فلا ينبغى أن يطلقه . بل يقتصر على إظهار الغضب والاستحقار له والازدراء بمحله لأجل معصيته ، وإن علم أنه لو تكلم ضرب ولو اكفهر وأظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه ولم يكفه الإنكار بالقلب ، بل يلزمه أن يقطب وجهه ويظهر الإنكار له .

الدرجة الخامسة : التغيير باليد ؛ وذلك ككسر الملاهى وإراقة الخمر وخلع الحرير من رأسه وعن بدنه ومنعه من الجلوس عليه ودفعه عن الجلوس على مال الغير وإخراجه من الدار المغصوبة بالجر برجله وإخراجه من المسجد إذا كان جالسا وهو جنب وما يجرى مجراه ، ويتصور ذلك فى بعض المعاصى دون بعض .

فأما معاصى اللسان والقلب فلا يقدر على مباشرة تغييرها ، وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصى وجوارحه الباطنة .

وفى هذه الدرجة أدبان ، أحدهما : أن لا يباشر بيده التغيير مالم يعجز عن تكليف المحتسب عليه ذلك ، فإذا أمكنه أن يكلفه المشى فى الخروج عن الأرض المغصوبة والمسجد فلا ينبغى أن يدفعه أو يجره ، وإذا قدر على أن يكلفه إراقة الخمر وكسر الملاهى وحل دروز ثوب الحرير فلا ينبغى أن يباشر ذلك بنفسه ، فإن فى الوقوف على حد الكسر نوع عسر ، فإذا لم يتعاط بنفسه ذلك كفى الاجتهاد فيه وتولاه من لا حجر عليه فى فعله .

الثانى : أن يقتصر فى طريق التغيير على القدر المحتاج إليه ، وهو أن لا يأخذ بلحيته فى الإخراج ، ولا برجله إذا قدر على جره بيده ؛ فإن زيادة الأذى فيه مستغنى عنه ، وأن لا يمزق ثوب الحرير بل يحل دروزه فقط ، ولا يحرق الملاهى والصليب الذى أظهره النصارى بل يبطل صلاحيتها للفساد بالكسر . وحد الكسر أن يصير إلى حالة تحتاج فى استئناف إصلاحه إلى تعب يساوى تعب الاستئناف من الخشب ابتداء . وفى إراقة الخمر يتوقى كسر الأوانى إن وجد إليه سبيلا ، فإن لم يقدر عليها إلا بأن يرمى ظروفها بحجر فله ذلك ، وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الخمر إذ صار حائلا بينه وبين الوصول إلى إراقة الخمر ، ولو ستر الخمر ببدنه لكنا نقصد بدنه بالجرح والضرب لنتوصل إلى إراقة الخمر فإذن لا تزيد حرمة ملكه فى الظروف على حرمة نفسه . ولو كان الخمر فى قوارير ضيقة الرءوس ولو اشتغل بإراقتها طال الزمان وأدركه الفساق ومنعوه فله كسرها ، فهذا عذر . وإن كان لا يحذر ظفر الفساق به ومنعهم ولكن كان يضيع فى زمانه وتتعطل عليه أشغاله فله أن يكسرها فليس عليه أن يضيع منفعة بدنه وغرضه من أشغاله لأجل ظرف الخمر ، وحيث كانت الإراقة متيسرة بلا كسر فكسره لزمه الضمان .

* فإن قلت : فهلا جاز الكسر لأجل الزجر ؟ وهلا جاز الجر بالرجل فى الإخراج عن الأرض المغصوبة ليكون ذلك أبلغ فى الزجر ؟ فاعلم أن الزجر إنما يكون عن المستقبل ، والعقوبة تكون على الماضى ، والدفع على الحاضر الراهن . وليس إلى آحاد الرعية إلا الدفع وهو إعدام المنكر ، فما زاد على قدر الإعدام فهو إما عقوبة على

---

(١) حديث « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت .. الحديث » أخرجه الترمذى وقال حسن وابن ماجه من حديث شداد بن أوس .

جريمة سابقة أو زجر عن لاحق . وذلك إلى الولاة لا إلى الرعية . نعم الوالى له أن يفعل ذلك إذا رأى المصلحة فيه وأقول : له أن يأمر بكسر الظروف التى فيها الخمور زجرا . وقد فعل ذلك فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم تأكيدا للزجر [1] ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة إلى الزجر والفطام شديدة . فإذا رأى الوالى باجتهاده مثل الحاجة جاز له مثل ذلك . وإذا كان هذا منوطا بنوع اجتهاد دقيق لم يكن ذلك لآحاد الرعية .

* فإن قلت : فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصى بإتلاف أموالهم وتخريب دورهم التى فيها يشربون ويعصون وإحراق أموالهم التى بها يتوصلون إلى المعاصى ؟ فاعلم أن ذلك لو ورد الشرع به لم يكن خارجا عن سنن المصالح ولكنا لا نبتدع المصالح بل نتبع فيها . وكسر ظروف الخمر قد ثبت عند شدة الحاجة . وتركه بعد ذلك لعدم شدة الحاجة لا يكون نسخا بل الحكم يزول بزوال العلة ويعود بعودها . وإنما جوزنا ذلك للإمام بحكم الاتباع ومنعنا آحاد الرعية منه لخفاء وجه الاجتهاد فيه . بل نقول لو أريقت الخمور أولا فلا يجوز كسر الأوانى بعدها وإنما جاز كسرها تبعا للخمر . فإذا خلت عنها فهو إتلاف مال إلا أن تكون ضارية بالخمر لا تصلح إلا لها .

فكان الفعل المنقول عن العصر الأول كان مقرونا بمعنيين ؛ أحدهما : شدة الحاجة إلى الزجر ، والآخر : تبعية الظروف للخمر التى هى مشغولة بها . وهما معنيان مؤثران لا سبيل إلى حذفهما . ومعنى ثالث : وهو صدوره عن رأى صاحب الأمر لعلمه بشدة الحاجة إلى الزجر وهو أيضا مؤثر فلا سبيل إلى إلغائه . فهذه تصرفات دقيقة فقهية يحتاج المحتسب لا محالة إلى معرفتها .

الدرجة السادسة : التهديد والتخويف ؛ كقوله دع عنك هذا أولا كسرن رأسك أو لأضربن رقبتك أو لآمرن بك وما أشبهه ، وهذا ينبغى أن يقدم على تحقيق الضرب إذا أمكن تقديمه . والأدب فى هذه الرتبة أن لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه ، كقوله لأنهبن دارك أو لأضربن ولدك أو لأسبين زوجتك ومايجرى مجراه ، بل ذلك إن قاله عن عزم فهو حرام ، وإن قاله من غير عزم فهو كذب . نعم إذا تعرض لوعيده بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه إلى حد معلوم يقتضيه الحال ، وله أن يزيد فى الوعيد على ماهو فى عزمه الباطن إذا علم أن ذلك يقمعه ويردعه . وليس ذلك من الكذب المحذور بل المبالغة فى مثل ذلك معتادة وهو معنى مبالغة الرجل فى إصلاحه بين شخصين وتأليفه بين الضرتين ، وذلك مما قد رخص فيه للحاجة وهذا فى معناه ، فإن القصد به إصلاح ذلك الشخص . وإلى هذا المعنى أشار بعض الناس أنه لا يقبح من الله أن يتوعد بما لا يفعل لأن الخلف فى الوعيد كرم ، وإنما يقبح أن يعد بما لا يفعل ، وهذا غير مرضى عندنا فإن الكلام القديم لا يتطرق إليه الخلف وعدا كان أو وعيدا ، وإنما يتصور هذا فى حق العباد ، وهو كذلك إذ الخلف فى الوعيد ليس بحرام .

الدرجة السابعة : مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح ، وذلك جائز للآحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة فى الدفع ، فإذا اندفع المنكر فينبغى أن يكف . والقاضى قد يرهق من ثبت عليه الحق إلى الأداء بالحبس ، فإن أصر المحبوس وعلم القاضى قدرته على أداء الحق وكونه معاندا فله أن يلزمه الأداء بالضرب على التدريج كما يحتاج إليه . وكذلك المحتسب يراعى التدريج فإن احتاج إلى شهر سلاح وكان يقدر على دفع المنكر بشهر السلاح وبالجرح فله أن يتعاطى ذلك مالم تثر فتنة . كما لو قبض فاسق مثلا على امرأة أو كان يضرب بمزمار

---

(١) حديث : تكسير الظروف التى فيها الخمور فى زمنه صلى الله عليه وسلم . أخرجه الترمذى من حديث أبى طلحة أنه قال : يانبى الله انى اشتريت خمرا لأيتام فى حجرى قال « اهرق الخمر واكسر الدنان » وفيه ليث بن أبى سليم والأصح رواية السدى عن يحيى بن عباد عن أنس أن أبا طلحة كان عندى قاله الترمذى .

معه وبينه وبين المحتسب نهر حائل أو جدار مانع فيأخذ قوسه ويقول له : خل عنها أو لأرمينك . إن لم تخل عنها فله أن يرمى وينبغى أن لا يقصد المقتل بل الساق والفخذ وما أشبهه ويراعى فيه التدريج . وكذلك يسل سيفه ويقول اترك هذا المنكر أو لأضربنك . فكل ذلك دفع للمنكر ودفعه واجب بكل ممكن . ولا فرق فى ذلك بين ما يتعلق بخاص حق الله وما يتعلق بالآدميين .

وقالت المعتزلة : ما لا يتعلق بالآدميين فلا حسبة فيه إلا بالكلام أو بالضرب ولكن للإمام لا للآحاد .

الدرجة الثامنة : أن لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه إلى أعوان يشهرون السلاح . وربما يستمد الفاسق أيضا بأعوانه ويؤدى ذلك إلى أن يتقابل الصفان ويتقاتلا . . فهذا قد ظهر الاختلاف فى احتياجه إلى إذن الإمام . فقال قائلون : لا يستقل آحاد الرعية بذلك لأنه يؤدى إلى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد .

وقال آخرون : لا يحتاج إلى الإذن ـ وهو الأقيس ـ لأنه إذا جاز للآحاد الأمر بالمعروف وأوائل درجاته تجر إلى ثوان والثوانى إلى ثوالث . وقد ينتهى لا محالة إلى التضارب . والتضارب يدعو إلى التعاون فلا ينبغى أن يبالى بلوازم الأمر بالمعروف . ومنتهاه تجنيد الجنود فى رضا الله ودفع معاصيه . ونحن نجوز للآحاد من الغزاة أن يجتمعوا ويقاتلوا من أرادوا من فرق الكفار قمعا لأهل الكفر . فكذلك قمع أهل الفساد جائز لأن الكافر لا بأس بقتله والمسلم إن قتل فهو شهيد . فكذلك الفاسق المناضل عن فسقه لا بأس بقتله . والمحتسب المحق إن قتل مظلوما فهو شهيد . وعلى الجملة فانتهاء الأمر إلى هذا من النوادر فى الحسبة . فلا يغير به قانون القياس . بل يقال : كل من قدر على دفع منكر فله أن يدفع ذلك بيده وبسلاحه وبنفسه وبأعوانه . فالمسألة إذن محتملة ـ كما ذكرناه ـ فهذه درجات الحسبة فلنذكر آدابها والله الموفق .

باب آداب المحتسب

قد ذكرنا تفاصيل الآداب فى آحاد الدرجات . ونذكر الآن جملها ومصادرها فنقول جميع آداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات فى المحتسب : العلم . والورع . وحسن الخلق .

أما العلم : فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقتصر على حد الشرع فيه .

والورع : ليردعه عن مخالفة معلومة فما كل من علم عمل بعلمه . بل ربما يعلم أنه مسرف فى الحسبة وزائد على الحد المأذون فيه شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الأغراض . وليكن كلامه ووعظه مقبولا فإن الفاسق يهزأ به إذا احتسب ويورث ذلك جراءة عليه .

وأما حسن الخلق : فليتمكن به من اللطف والرفق وهو أصل الباب وأسبابه . والعلم والورع لا يكفيان فيه . فإن الغضب إذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع فى قمعه مالم يكن فى الطبع قبوله بحسن الخلق . وعلى التحقيق فلا يتم الورع إلا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب . وبه يصبر المحتسب على ما أصابه فى دين الله . وإلا فإذا أصيب عرضه أو ماله أو نفسه بشتم أو ضرب نسى الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه . بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم .

فهذه الصفات الثلاث بها تصير الحسبة من القربات وبها تندفع المنكرات . وإن فقدت لم يندفع المنكر . بل ربما كانت الحسبة أيضا منكرة لمجاوزة حد الشرع فيها ودل على هذه الآداب قوله صلى الله عليه وسلم « لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه فقيه

فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه [1] » وهذا يدل على أنه لا يشترط أن يكون فقيها مطلقا بل فيما يأمر به وينهى عنه وكذا الحلم . قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى : إذا كنت ممن يأمر بالمعروف فكن من آخذ الناس به وإلا هلكت وقد قيل :

لاتلم المرء على فعله وأنت منسوب إلى مثله
من ذم شيئا وأتى مثله فإنما يزرى على عقله

ولسنا نعنى بهذا أن الأمر بالمعروف يصير ممنوعا بالفسق ولكن يسقط أثره عن القلوب بظهور فسقه للناس . فقد روى عن أنس رضى الله عنه قال : قلنا يارسول الله لانأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله . فقال صلى الله عليه وسلم « بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله [2] » وأوصى بعض السلف بنيه فقال : إن أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مس الأذى ، فإذن من آداب الحسبة توطين النفس على الصبر . ولذلك قرن الله تعالى الصبر : بالأمر بالمعروف . فقال حاكيا عن لقمان ﴿ يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ﴾ .

ومن الآداب تقليل العلائق حتى لايكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلائق حتى تزول عنه المداهنة فقد روى عن بعض المشايخ أنه كان له سنور وكان يأخذ من قصاب فى جواره كل يوم شيئا من الغدد لسنوره فرأى على القصاب منكرا ، فدخل الدار أولا وأخرج السنور ، ثم جاء واحتسب على القصاب فقال له القصاب : لا اعطينك بعد هذا شيئا لسنورك ، فقال : ما احتسبت عليك إلا بعد إخراج السنور وقطع الطمع منك . وهو كما قال فمن لم يقطع الطمع من الخلق لم يقدر على الحسبة ومن طمع فى أن تكون قلوب الناس عليه طيبة وألسنتهم بالثناء عليه مطلقة لم تتيسر له الحسبة . قال كعب الأحبار لأبى مسلم الخولانى : كيف منزلتك بين قومك ؟ قال : حسنة ، قال : إن التوراة تقول ، إنّ الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه . فقال أبو مسلم : صدقت التوراة وكذب أبو مسلم .

ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المأمون إذ وعظه واعظ وعنف له فى القول فقال : يارجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر منى وأمره بالرفق فقال تعالى ﴿فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أويخشى﴾ فليكن اقتداء المحتسب فى الرفق بالأنبياء صلوات الله عليهم . فقد روى أبو أمامة : أنّ غلاما شابا أتى النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فقال : يانبى الله تأذن لى فى الزنا ؟ فصاح الناس به ، فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم « قربوه ادن » فدنا حتى جلس بين يديه فقال النبى عليه الصلاة والسلام « أتحبه لأمك ؟ » فقال : لاجعلنى الله فداك ، قال « كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم أتحبه لابنتك ؟ » قال : لاجعلنى الله فداك ، قال « كذلك الناس لايحبونه لبناتهم أتحبه لأختك ؟ [3] » وزاد ابن عوف حتى ذكر العمة والخالة وهو يقول فى كل واحد : لا ،

---

(١) حديث « لايأمر بالمعروف ولاينهى عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه ... الحديث » لم أجده هكذا وللبيهقى فى الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف » .

(٢) حديث أنس : قلنا يارسول الله لانأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله ، فقال صلى الله عليه وسلم « بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله » أخرجه الطبرانى فى المعجم الصغير والأوسط وفيه عبد القدوس بن حبيب أجمعوا على تركه .

(٣) حديث أبي أمامة : أن شابا قال : يارسول الله ائذن لى فى الزنا فصاح الناس به ... الحديث . رواه أحمد بإسناد جيد رجاله رجال الصحيح .

جعلنى الله فداك . وهو صلى الله عليه وسلم يقول « كذلك الناس لايحبونه » وقالا جميعا فى حديثهما أعنى ابن عوف والراوى الآخر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال « اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه » فلم يكن شىء أبغض إليه منه يعنى من الزنا .

وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله : إن سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال الفضيل : ماأخذ منهم إلا دون حقه ، ثم خلا به وعذله ووبخه فقال سفيان : يا أبا على إن لم نكن من الصالحين فإنا لنحب الصالحين . وقال حماد ابن سلمة : إنّ صلة بن أشيم مر عليه رجل قد أسبل إزاره فهم أصحابه أن يأخذوه بشدّة فقال : دعونى أنا أكفيكم ، فقال : ياابن أخى إنّ لى إليك حاجة قال : وماحاجتك ياعم ؟ قال : أحب أن ترفع من إزارك . فقال : نعم وكرامة ، فرفع إزاره فقال لأصحابه : لو أخذتموه بشدّة لقال : لا ولا كرامة وشتمكم . وقال محمد بن زكريا الغلابى : شهدت عبدالله بن محمد بن عائشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله ، وإذا فى طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امرأة فجذبها فاستغاثت فاجتمع الناس عليه يضربونه ، فنظر إليه ابن عائشة فعرفه فقال للناس : تنحوا عن ابن أخى ، ثم قال : إلى ياابن أخى ؛ فاستحى الغلام فجاء إليه فضمه إلى نفسه ، ثم قال له : امض معى ، فمضى معه حتى صار إلى منزله فأدخله الدار وقال لبعض غلمانه : بيته عندك فإذا أفاق من سكره فأعلمه بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى تأتينى به فلما أفاق ذكر له ما جرى فاستحيا منه وبكى وهم بالانصراف ؛ فقال الغلام : قد أمر أن تأتيه ؛ فأدخله عليه فقال له . أما استحييت لنفسك ؟ أما أستحييت لشرفك ؟ أما ترى من ولدك ؟ فاتق الله وانزع عما أنت فيه فبكى الغلام منكسا رأسه ثم رفع رأسه وقال : عاهدت الله تعالى عهداً يسألنى عنه يوم القيامة أنى لاأعود لشرب النبيذ ولا لشىء مما كنت فيه وأنا تائب ، فقال : ادن منى ، فقبل رأسه وقال أحسنت يابنى فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب عنه الحديث : وكان ذلك ببركة رفقه ثم قال : إنّ الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويكون معروفهم منكرا فعليكم بالرفق فى جميع أموركم تنالون به ما تطلبون . وعن الفتح بن شخرف قال : تعلق رجل بامرأة وتعرض لها وبيده سكين لايدنو منه أحد إلا عقره ، وكان الرجل شديد البدن ؛ فبينا الناس كذلك والمرأة تصيح فى يده إذ مر بشر بن الحارث فدنا منه وحك كتفه بكتف الرجل فوقع الرجل على الأرض ؛ ومشى بشر فدنوا من الرجل وهو يترشح عرقا كثيرا ومضت المرأة لحالها فسألوه ماحالك ؟ فقال : ماأدرى ! ولكن حاكنى شيخ وقال لى : إن الله عز وجل ناظر إليك وإلى ماتعمل ؛ فضعفت لقوله قدماى وهبته هيبة شديدة ولا أدرى من ذلك الرجل ؟ فقالوا له : هو بشر بن الحارث ، فقال : واسوأتاه كيف ينظر إلى بعد اليوم ؟ وحم الرجل من يومه ومات يوم السابع ، فكذا كانت عادة أهل الدين فى الحسبة . وقد نقلنا فيها آثاراً وأخبارا فى باب البغض فى الله والحب فى الله من كتاب آداب الصحبة فلانطول بالإعادة . فهذا تمام النظر فى درجات الحسبة وآدابها والله الموفق بكرمه والحمد لله على جميع نعمه .

الباب الثالث : فى المنكرات المألوفة فى العادات

فنشير إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها إذ لامطمع فى حصرها واستقصائها

فمن ذلك منكرات المساجد

أعلم أنّ المنكرات تنقسم إلى مكروهة وإلى محظورة ، فإذا قلنا : هذا منكر مكروه . فاعلم أن المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بحرام ، إلا إذا لم يعلم الفاعل أنه مكروه فيجب ذكره له لأن الكراهة حكم فى الشرع

يجب تبليغه إلى من لايعرفه . وإذا قلنا منكر محظور ، أوقلنا منكر مطلقا ، فنريد به المحظور ويكون السكوت عليه مع القدرة محظورا .

فما يشاهد كثيرا فى المساجد إساءة الصلاة بترك الطمأنينة فى الركوع والسجود وهو منكر مبطل للصلاة بنص الحديث فيجب النهى عنه إلا عند الحنفى الذى يعتقد أن ذلك لايمنع صحة الصلاة ، إذ لا ينفع النهى معه . ومن رأى مسيئا فى صلاته فسكت عليه فهو شريكه - هكذا ورد به الأثر - وفى الخبر مايدل عليه ، إذ ورد فى الغيبة أن المستمع شريك القائل [1] وكذلك كل ما يقدح فى صحة الصلاة من نجاسة على ثوبه لايراها ، أو انحراف عن القبلة بسبب ظلام أو عمى فكل ذلك تجب الحسبة فيه .

ومنها قراءة القرآن باللحن يجب النهى عنه ويجب تلقين الصحيح . فإن كان المعتكف فى المسجد يضيع أكثر أوقاته فى أمثال ذلك ويشتغل به عن التطوع والذكر فليشتغل به ، فإن هذا أفضل له من ذكره وتطوعه ، لأن هذا فرض وهى قربة تتعدى فائدتها ، فهى أفضل من نافلة تقتصر عليه فائدتها . وإن كان ذلك يمنعه عن الوراقة مثلا أو عن الكسب الذى هو طعمته ، فإن كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يجز له ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا ، وإن احتاج إلى الكسب لقوت يومه فهو عذر له فيسقط الوجوب عنه لعجزه والذى يكثر اللحن فى القرآن إن كان قادرا على التعلم فليمتنع من القراءة قبل التعلم فإنه عاص به ، وإن كان لا يطاوعه اللسان فإن كان أكثر مايقرؤه لحنا فليتركه وليجتهد فى تعلم الفاتحة وتصحيحها ، وإن كان الأكثر صحيحاً وليس يقدر على التسوية فلا بأس له أن يقرأ ، ولكن ينبغى أن يخفض به الصوت حتى لايسمع غيره . ولمنعه سرامنه أيضاً وجه ولكن إذا كان ذلك منتهى قدرته وكان له أنس بالقراءة وحرص عليها فلست أرى به بأسا والله أعلم .

ومنها تراسل المؤذنين فى الأذان وتطويلهم بمد كلماته وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر فى الحيعلتين ، أو انفراد كل واحد منهم بأذان ولكن من غير توقف إلى انقطاع أذان الآخر ، بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الأذان لتداخل الأصوات . فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريفها . فإن صدرت عن معرفة فيستحب المنع منها والحسبة فيها . وكذلك إذا كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغى أن يمنع من الأذان بعد الصبح ، فذلك مشوش للصوم والصلاة على الناس إلا إذا عرف أنه يؤذن قبل الصبح حتى لا يعول على أذانه فى صلاة وترك سحور ، أو كان معه مؤذن آخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح .

ومن المكروهات أيضا تكثير الأذان مرة بعد أخرى بعد طلوع الفجر فى مسجد واحد فى أوقات متعاقبة متقاربة ، إمامن واحد أوجماعة ، فإنه لافائدة فيه ، إذا لم يبق فى المسجد نائم ولم يكن الصوت مما يخرج عن المسجد حتى ينبه غيره فكل ذلك من المكروهات المخالفة لسنة الصحابة والسلف .

ومنها أن يكون الخطيب لابسا لثوب أسود يغلب عليه الإبريسم ، أو ممسكا لسيف مذهب فهو فاسق والإنكار عليه واجب ، وأما مجرد السواد فليس بمكروه لكنه ليس بمحبوب إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البيض . ومن قال إنه مكروه وبدعة أراد به أنه لم يكن معهودا فى العصر الأول ، ولكن إذا لم يرد فيه نهى فلا ينبغى أن يسمى بدعة ومكروها ولكنه ترك للأحب .

الباب الثالث : فى المنكرات المألوفة

(١) حديث « المغتاب والمستمع شريكان فى الإثم » تقدم فى الصوم .

ومنها كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة . فالقاص إن كان يكذب فى أخباره فهو فاسق والإنكار عليه واجب ، وكذا الواعظ المبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه إلا على قصد إظهار الرد عليه ؛ إما للكافة إن قدر عليه أو لبعض الحاضرين حواليه فإن لم يقدر فلا يجوز سماع البدع . قال الله تعالى لنبيه ﴿ فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ﴾ ومهما كان كلامه مائلا إلى الإرجاء وتجرئة الناس على المعاصى ، وكان الناس يزدادون بكلامه جراءة وبعفو الله وبرحمته وثوقا يزيد بسببه رجاؤهم على خوفهم فهو منكر ، ويجب منعه عنه لأن فساد ذلك عظيم ، بل لو رجح خوفهم على رجائهم فذلك أليق وأقرب بطباع الخلق فإنهم إلى الخوف أحوج وإنما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال عمر رضى الله عنه : لو نادى مناد يوم القيامة ؛ ليدخل النار كل الناس إلا رجلا واحداً لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ، ولو نادى مناد ؛ ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلا واحدا ، لخفت أن أكون أنا ذلك الرجل . ومهما كان الواعظ شابا متزينا للنساء فى ثيابه وهيئته كثير الأشعار والإشارات والحركات وقد حضر مجلسه النساء فهذا منكر يجب المنع منه ، فإن الفساد فيه أكثر من الصلاح ، ويتبين ذلك منه بقرائن أحواله ، بل لا ينبغى أن يسلم الوعظ إلا لمن ظاهره الورع وهيئته السكينة والوقار وزيه زى الصالحين ، وإلا فلا يزداد الناس به إلا تماديا فى الضلال . ويجب أن يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فإن ذلك أيضاً مظنة الفساد ، والعادات تشهد لهذه المنكرات ، ويجب منع النساء من حضور المساجد للصلوات ومجالس الذكر إذا خيفت الفتنة بهن فقد منعتهن عائشة رضى الله عنها فقيل لها : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنعهن من الجماعات ، فقالت : لو علم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما أحدثن بعده لمنعهن [1] وأما اجتياز المرأة فى المسجد مستترة فلا تمنع منه إلا أن الأولى أن لا تتخذ المسجد مجازاً أصلا . وقراءة القراء بين يدى الوعاظ مع التمديد والألحان على وجه يغير نظم القرآن ، ويجاوز حد التنزيل منكر مكروه شديد الكراهة أنكره جماعة من السلف .

ومنها الحلق يوم الجمعة لبيع الأدوية والأطعمة والتعويذات ، وكقيام السؤال وقراءتهم القرآن وإنشادهم الأشعار وما يجرى مجراه ، فهذه الأشياء منها ما هو محرم لكونه تلبيسا وكذبا ، كالكذابين من طرقية الأطباء وكأهل الشعبذة والتلبيسات وكذا أرباب التعويذات فى الأغلب يتوصلون إلى بيعها بتلبيسات على الصبيان والسوادية فهذا حرام فى المسجد وخارج المسجد ويجب المنع منه . بل كل بيع فيه كذب وتلبيس وإخفاء عيب على المشترى فهو حرام .

ومنها ماهو مباح خارج المسجد كالخياطة وبيع الأدوية والكتب والأطعمة ، فهذا فى المسجد أيضا لا يحرم إلا بعارض وهو أن يضيق المحل على المصلين ويشوش عليهم صلاتهم ، فإن لم يكن شىء من ذلك فليس بحرام والأولى تركه ولكن شرط إباحته أن يجرى فى أوقات نادرة وأيام معدودة ، فإن اتخاذ المسجد دكانا على الدوام حرم ذلك ومنع منه . فمن المباحات مايباح بشرط القلة فإن كثر صار صغيرة . كما أن من الذنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الإصرار فإن كان القليل من هذا لو فتح بابه لخيف منه أن ينجر إلى الكثير فليمنع منه ، وليكن هذا المنع إلى الوالى أو إلى القيم بمصالح المسجد من قبل الوالى لأنه لا يدرك ذلك بالاجتهاد ، وليس للآحاد المنع مما هو مباح فى نفسه لخوفه أن ذلك يكثر .

(١) حديث عائشة : لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدثن — أى النساء — من بعده لمنعهن المساجد . متفق عليه .

ومنها دخول المجانين والصبيان والسكارى فى المسجد ، ولا بأس بدخول الصبي المسجد إذا لم يلعب ، ولا يحرم عليه اللعب فى المسجد ولا السكوت على لعبه إلا إذا اتخذ المسجد ملعبا وصار ذلك معتاداً فيجب المنع منه ، فهذا مما يحل قليله دون كثيره ، ودليل حل قليله ماروى فى الصحيحين « أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقف لأجل عائشة رضى الله عنها حتى نظرت إلى الحبشة يزفنون ويلعبون بالدرق والحراب يوم العيد فى المسجد ، ولا شك فى أن الحبشة لو اتخذوا المسجد ملعباً لمنعوا منه ، ولم ير ذلك على الندرة والقلة منكراً حتى نظر إليه ، بل أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبصرهم عائشة تطييبا لقلبها إذ قال دونكم « يابنى أرفدة » كما نقلناه فى كتاب السماع . وأما المجانين فلا بأس بدخولهم المسجد إلا أن يخشى تلويثهم له ، أو شتمهم أو نطقهم مما هو فحش ، أو تعاطيهم لما هو منكر فى صورته ككشف العورة وغيره . وأما المجنون الهادئ الساكن الذى قد علم بالعادة سكونه وسكوته فلا يجب إخراجه من المسجد . والسكران فى معنى المجنون فإن خيف منه القذف ـ أعنى القيء ـ أو الإيذاء باللسان وجب إخراجه . وكذا لو كان مضطرب العقل فإنه يخاف ذلك منه ، وإن كان قد شرب ولم يسكر والرائحة منه تفوح فهو منكر مكروه شديد الكراهة . وكيف لا ومن أكل الثوم والبصل (*) فقد نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حضور المساجد ؟ ولكن يحمل ذلك على الكراهة والأمر فى الخمر أشد .

* فإن قال قائل : ينبغى أن يضرب السكران ويخرج من المسجد زجرا قلنا : لا ، بل ينبغى القعود فى المسجد ويدعى إليه ويؤمر بترك الشرب مهما كان فى الحال عاقلا ، فأما ضربه للزجر فليس ذلك إلى الآحاد بل هو إلى الولاة وذلك عند إقراره أو شهادة شاهدين ، فاما لمجرد الرائحة فلا . نعم إذا كان يمشى بين الناس متمايلا بحيث يعرف سكره فيجوز ضربه فى المسجد وغير المسجد منعا له عن إظهار أثر السكر ، فإن إظهار أثر الفاحشة فاحشة والمعاصى يجب تركها ، وبعد الفعل يجب سترها وستر آثارها ، فإن كان مستترا مخفيا لأثره فلا يجوز أن يتجسس عليه . والرائحة قد تفوح من غير شرب ، بالجلوس فى موضع الخمر وبوصوله إلى الفم دون الابتلاع ، فلا ينبغى أن يعول عليه .

منكرات الأسواق

من المنكرات المعتادة فى الأسواق الكذب فى المرابحة ، وإخفاء العيب . فمن قال : اشتريت هذه السلعة مثلا بعشرة وأربح فيها كذا وكان كاذبا فهو فاسق . وعلى من عرف ذلك أن يخبر المشترى بكذبه ، فإن سكت مراعاة لقلب البائع كان شريكا له فى الخيانة وعصى بسكوته . وكذا إذا علم به عيبا فيلزمه أن ينبه المشترى عليه وإلا كان راضيا بضياع مال أخيه المسلم وهو حرام وكذا التفاوت فى الذراع والمكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه أو رفعه إلى الوالى حتى يغيره .

ومنها ترك الإيجاب والقبول والاكتفاء بالمعاطاة ، ولكن ذلك فى محل الاجتهاد فلا ينكر إلا على من اعتقد وجوبه . وكذا فى الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الإنكار فيها فإنها مفسدة للعقود . وكذا فى الربويات كلها وهى غالبة . وكذا سائر التصرفات الفاسدة .

ومنها بيع الملاهى وبيع أشكال الحيوانات المصورة فى أيام العيد لأجل الصبيان ، فتلك يجب كسرها والمنع من بيعها كالملاهى وكذلك بيع الأوانى المتخذة من الذهب والفضة وكذلك بيع ثياب الحرير ، وقلانس

(*) هذا الحديث لم يخرجه العراقى وقد خرجه الشارح عن البخارى ومسلم وغيرهما

الذهب والحرير أعنى التى لاتصلح إلا للرجال ، أو يعلم بعادة البلد أنه لايلبسه إلا الرجال ، فكل ذلك منكر محظور وكذلك من يعتاد بيع الثياب المبتذلة المقصورة التى يلبس على الناس بقصارتها وابتذالها ويزعم أنها جديدة فهذا الفعل حرام والمنع منه واجب . وكذلك تلبيس انخراق الثياب بالرفو وما يؤدى إلى الالتباس . وكذلك جميع أنواع العقود المؤدية إلى التلبيسات وذلك يطول إحصاؤه . فليقس بما ذكرناه مالم نذكره .

منكرات الشوارع

فمن المنكرات المعتادة فيها : وضع الاسطوانات ، وبناء الدكات متصلة بالأبنية المملوكة . وغرس الأشجار ، وإخراج الرواشن والأجنحة ، ووضع الخشب وأحمال الحبوب والأطعمة على الطرق ، فكل ذلك منكر إن كان يؤدى إلى تضييق الطرق واستضرار المارة وإن لم يؤد إلى ضرر أصلا لسعة الطريق فلا يمنع منه نعم يجوز وضع الحطب وأحمال الأطعمة فى الطريق فى القدر الذى ينقل إلى البيوت ، فإن ذلك يشترك فى الحاجة إليه الكافة ولا يمكن المنع منه . وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق وينجس المجتازين منكر يجب المنع منه إلا بقدر حاجة النزول والركوب . وهذا لأن الشوارع مشتركة المنفعة وليس لأحد أن يختص بها إلا بقدر الحاجة والمرعى هو الحاجة التى ترد الشوارع لأجلها فى العادة دون سائر الحاجات .

ومنها سوق الدواب وعليها الشوك بحيث يمزق ثياب الناس فذلك منكر إن أمكن شدّها وضمها بحيث لاتمزق ، أو أمكن العدول بها إلى موضع واسع ، وإلا فلا منع إذ حاجة أهل البلد تمس إلى ذلك . نعم لاتترك ملقاة على الشوارع إلا بقدر مدة النقل . وكذلك تحميل الدواب من الأحمال مالاتطيقه منكر يجب منع الملاك منه . وكذلك ذبح القصاب إذا كان يذبح فى الطريق حذاء باب الحانوت ويلوث الطريق بالدم فإنه منكر يمنع منه ، بل حقه أن يتخذ فى دكانه مذبحا فإن فى ذلك تضييقا بالطريق وإضراراً بالناس بسبب ترشيش النجاسة ، وبسبب استقذار الطباع للقاذورات : وكذلك طرح القمامة على جواد الطرق ، وتبديد قشور البطيخ . أو رش الماء بحيث يخشى منه التزلق والتعثر كل ذلك من المنكرات وكذلك إرسال الماء من الميازيب المخرجة من الحائط فى الطريق الضيقة فإن ذلك ينجس الثياب . أو يضيق الطريق ، فلا يمنع منه فى الطرق الواسعة إذ العدول عنه ممكن فأما ترك مياه المطر والأوحال والثلوج فى الطرق من غير كسح فذلك منكر ، ولكن ليس يختص به شخص معين ، إلا الثلج الذى يختص بطرحه على الطريق واحد ، والماء الذى يجتمع على الطريق من ميزاب معين ، فعلى صاحبه على الخصوص كسح الطريق ، إن كان من المطر فذلك حسبة عامة فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها ، وليس للآحاد فيها إلا الوعظ فقط وكذلك إذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذى الناس فيجب منعه منه ، وإن كان لا يؤذى إلا بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه ، وإن كان يضيق الطريق ببسطه ذراعيه فيمنع منه ، بل يمنع صاحبه من أن ينام على الطريق أو يقعد قعودا يضيق الطريق ، فكلبه أولى بالمنع .

منكرات الحمامات

منها الصورة التى تكون على باب الحمام أو داخل الحمام يجب إزالتها على كل من يدخلها إن قدر ، فإن كان الموضع مرتفعا لاتصل إليه يده فلا يجوز له الدخول إلا لضرورة فليعدل إلى حمام آخر . فإن مشاهدة المنكر غير جائزة ويكفيه أن يشوّه وجهها ويبطل به صورتها ولا يمنع من صور الأشجار وسائر النقوش سوى صورة الحيوان .

ومنها كشف العورات والنظر إليها . ومن جملتها كشف الدلاك عن الفخذ وماتحت السرة لتنحية الوسخ بل من جملتها إدخال اليد تحت الإزار فإن مس عورة الغير حرام كالنظر إليها .

ومنها الانبطاح على الوجه بين يدى الدلاك لتغميز الأفخاذ والأعجاز ، فهذا مكروه إن كان مع حائل ولكن لايكون محظورا إذا لم يخش من حركة الشهوة . وكذلك كشف العورة للحجام الذمى من الفواحش . فإن المرأة لايجوز لها أن تكشف بدنها للذمية فى الحمام فكيف يجوز لها كشف العورات للرجال ؟

ومنها غمس اليد والأوانى النجسة فى المياه القليلة ، وغسل الإزار والطاس النجس فى الحوض وماؤه قليل ؛ فإنه منجس للماء ، إلا على مذهب مالك فلا يجوز الإنكار فيه على المالكية ويجوز على الحنفية والشافعية وإن اجتمع مالكى وشافعى فى الحمام فليس للشافعى منع المالكى من ذلك إلا بطريق الالتماس واللطف ؛ وهو أن يقول له : إنا نحتاج أن نغسل اليد أولا ثم نغمسها فى الماء ، وأما أنت فستغن عن إيذائى وتفويت الطهارة على ، وما يجرى مجرى هذا ، فإن مظان الاجتهاد لايمكن الحسبة فيها بالقهر .

ومنها أن يكون فى مداخل بيوت الحمام ومجارى مياهها حجارة ملساء مزلقة يزلق عليها الغافلون فهذا منكر ، ويجب قلعه وإزالته وينكر على الحمامى إهماله فإنه يفضى إلى السقطة ؛ وقد تؤدى السقطة إلى انكسار عضو أو انخلاعه وكذلك ترك السدر والصابون المزلق على أرض الحمام منكر ؛ ومن فعل ذلك وخرج وتركه فزلق به إنسان وانكسر عضو من أعضائه ، وكان ذلك فى موضع لا يظهر فيه بحيث يتعذر الاحتراز عنه فالضمان متردد بين الذى تركه وبين الحمامى ، إذ حقه تنظيف الحمام ، والوجه إيجاب الضمان على تاركه فى اليوم الأول ، وعلى الحمامى فى اليوم الثانى إذ عادة تنظيف الحمام كل يوم معتادة ، والرجوع فى مواقيت إعادة التنظيف إلى العادات ، فليعتبر بها . وفى الحمام أمور أخر مكروهة ذكرناها فى كتاب الطهارة فلتنظر هناك .

منكرات الضيافة

فمنها فرش الحرير للرجال فهو حرام . وكذلك تبخير البخور فى مجمرة فضة أو ذهب ، أو الشراب أو استعمال ماء الورد فى أوانى الفضة أو ما رءوسها من فضة .

ومنها إسدال الستور وعليها الصور .

ومنها سماع الأوتار أو سماع القينات .

ومنها اجتماع النساء على السطوح للنظر إلى الرجال مهما كان فى الرجال شباب يخاف الفتنة منهم ، فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره . ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج ، ومن لم يجز له الجلوس فلا رخصة له فى الجلوس فى مشاهدة المنكرات . وأما الصور التى على النمارق والزرابى المفروشة فليس منكرا . وكذلك على الأطباق والقصاع ، لا الأوانى المتخذة على شكل الصور ، فقد تكون رءوس بعض المجامر على شكل طير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه . وفى المكحلة الصغيرة من الفضة خلاف ، وقد خرج أحمد بن حنبل عن الضيافة بسببها . ومهما كان الطعام حراما ، أو كان الموضع مغصوبا أو كانت الثياب المفروشة حراما فهو من أشد المنكرات ، فإن كان من فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلايجوز الحضور ، إذ لايحل حضور مجالس الشرب وإن كان مع ترك الشرب ، ولايجوز مجالسة الفاسق فى حالة مباشرته للفسق ، وإنما النظر فى مجالسته بعد ذلك ، وأنه هل يجب بغضه فى الله ومقاطعته كما ذكرناه فى باب الحب والبغض فى الله ؟ وكذلك إن كان فيهم من يلبس الحرير أو خاتم الذهب فهو فاسق لايجوز

الجلوس معه من غير ضروره . فإن كان الثوب على صبي غير بالغ فهذا فى محل النظر . والصحيح أن ذلك منكر ويجب نزعه عنه إن كان مميزا لعموم قوله عليه السلام « هذان حرام على ذكور أمتى [1] » وكما يجب منع الصبي من شرب الخمر ـ لا لكونه مكلفاً ، لكن لأنه يأنس به ، فإذا بلغ عسر عليه الصبر عنه ـ فكذلك شهوة التزين بالحرير تغلب عليه إذا اعتاده ، فيكون ذلك بذرا للفساد يبذر فى صدره ، فتنبت منه شجرة من الشهوة راسخة يعسر قلعها بعد البلوغ . أما الصبي الذى لا يميز فيضعف معنى التحريم فى حقه ولا يخلو عن احتمال والعلم عند الله فيه والمجنون فى معنى الصبى الذى لا يميز ، نعم يحل التزين بالذهب والحرير للنساء من غير إسراف . ولا أرى رخصة فى تثقيب أذن الصبية لأجل تعليق حلق الذهب فيها ، فإن هذا جرح مؤلم ومثله موجب للقصاص فلا يجوز الا لحاجة مهمة كالفصد والحجامة والختان : والتزين بالحلق غير مهم بل فى التقريط بتعليقه على الأذن وفى المخانق والأسورة كفاية عنه . فهذا وإن كان معتادا فهو حرام والمنع منه واجب ، والاستئجار عليه غير صحيح ، والأجرة المأخوذة عليه حرام ؛ إلا أن يثبت من جهة النقل فيه رخصة ، ولم يبلغنا إلى الآن فيه رخصة .

ومنها أن يكون فى الضيافة مبتدع يتكلم فى بدعته ، فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرد ؛ فإن كان لا يقدر عليه لم يجز فان كان المبتدع لا يتكلم ببدعته فيجوز الحضور مع اظهار الكراهة عليه والاعراض عنه كما ذكرناه فى باب البغض فى الله . وإن كان فيها مضحك بالحكايات وأنواع النوادر فإن كان يضحك بالفحش والكذب لم يجز الحضور وعند الحضور يجب الإنكار عليه ، وإن كان ذلك بمزح لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح ـ أعنى ما يقل منه ـ فأما اتخاذه صنعة وعادة فليس بمباح . وكل كذب لا يخفى أنه كذب ولا يقصد به التلبيس فليس من جملة المنكرات ، كقول الإنسان مثلا : طلبتك اليوم مائة مرة ، وأعدت عليك الكلام ألف مرة ؛ وما يجرى مجراه مما يعلم أنه ليس يقصد به التحقيق فذلك لا يقدح فى العدالة ولا ترد الشهادة به . وسيأتى حد المزاح المباح والكذب المباح فى كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات .

ومنها الإسراف فى الطعام والبناء فهو منكر ، بل فى المال منكران ؛ أحدهما . الإضاعة . والآخر : الإسراف .

فالإضاعة : تفويت مال بلا فائدة يعتد بها كإحراق الثوب وتمزيقه ، وهدم البناء من غير غرض . والقاء المال فى البحر ، وفى معناه صرف المال إلى النائحة والمطرب ، وفى أنواع الفساد لأنها فوائد محرمة شرعا فصارت كالمعدومة .

وأما الإسراف : فقد يطلق لإرادة صرف المال إلى النائحة والمطرب والمنكرات ، وقد يطلق على الصرف إلى المباحات فى جنسها ولكن مع المبالغة .

والمبالغة تختلف بالإضافة إلى الأحوال فنقول : من لم يملك إلا مائة دينار مثلا ومعه عياله وأولاده ولا معيشة لهم سواه فأنفق الجميع فى وليمة فهو مسرف يجب منعه قال تعالى ﴿ ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ﴾ نزل هذا فى رجل بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيئا لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر على شىء وقال تعالى ﴿ ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ﴾ وكذلك قال عز وجل ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ﴾ فمن يسرف هذا الإسراف ينكر عليه ويجب على القاضى أن يحجر عليه ؛ إلا إذا كان الرجل وحده وكان له قوة فى التوكل صادقة ؛ فله أن ينفق جميع ماله فى أبواب البر . ومن له عيال أو كان عاجزا عن التوكل فليس له أن يتصدق

---

(١) حديث « هذا حرامان على ذكور أمتى » أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث على وقد تقدم فى الباب الرابع من آداب الأكل .

بجميع ماله . وكذلك لو صرف جميع ماله إلى نقوش حيطانه وتزيين بنيانه فهو أيضا إسراف محرم ، وفعل ذلك ممن له مال كثير ليس بحرام لأن التزيين من الأغراض الصحيحة ، ولم تزل المساجد تزين وتنقش أبوابها وسقوفها مع أن نقش الباب والسقف لا فائدة فيه إلا مجرد الزينة ، فكذا الدور ، وكذلك القول فى التجمل بالثياب والأطعمة فذلك مباح فى جنسه ، ويصير إسرافا باعتبار حال الرجل وثروته : وأمثال هذه المنكرات كثيرة لا يمكن حصرها . فقس بهذه المنكرات المجامع ومجالس القضاة ودواوين السلاطين ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية وخانات الأسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه أو محذور ، واستقصاء جميع المنكرات يستدعى استيعاب جميع تفاصيل الشرع أصولها وفروعها فلنقتصر على هذا القدر منها .

المنكرات العامة

اعلم أن كل قاعد فى بيته ـ أينما كان ـ فليس خاليا فى هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن إرشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف ، فأكثر الناس جاهلون بالشرع فى شروط الصلاة فى البلاد فكيف فى القرى والبوادى ؟ ومنهم الأعراب والأكراد والتركمانية وسائر أصناف الخلق ، وواجب أن يكون فى مسجد ومحلة من البلد فقيه يعلم الناس دينهم وكذا فى كل قرية وواجب على كل فقيه ـ فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية ـ أن يخرج إلى من يجاور بلده من أهل السواد ومن العرب والأكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ، ويستصحب مع نفسه زادا يأكله ولا يأكل من أطعمتهم فإن أكثرها مغصوب ، فإن قام بهذا الأمر واحد سقط الحرج عن الآخرين وإلا عم الحرج الكافة أجمعين .

أما العالم فلتقصيره فى الخروج . وأما الجاهل فلتقصيره فى ترك التعلم .

وكل عامى عرف شروط الصلاة فعليه أن يعرف غيره وإلا فهو شريك فى الإثم . ومعلوم أن الإنسان لا يولد عالما بالشرع وإنما يجب التبليغ على أهل العلم ، فكل من تعلم مسألة واحدة فهو من أهل العلم بها . ولعمرى الإثم على الفقهاء أشد لأن قدرتهم فيه أظهر وهو بصناعتهم أليق : لأن المحترفين لو تركوا حرفتهم لبطلت المعايش فهم قد تقلدوا أمرا لابد منه فى صلاح الخلق . وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن العلماء هم ورثة الأنبياء . وللإنسان أن يقعد فى بيته ولا يخرج إلى المسجد لأنه يرى الناس لا يحسنون الصلاة ، بل إذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهى . وكذا كل من تيقن أن فى السوق منكرا يجرى على الدوام أو فى وقت بعينه وهو قادر على تغييره فلا يجوز له أن يسقط ذلك عن نفسه بالقعود فى البيت ، بل يلزمه الخروج ، فإن كان لا يقدر على تغيير الجميع وهو محترز عن مشاهدته ويقدر على البعض لزمه الخروج ، لأن خروجه إذا كان لأجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضره مشاهدة ما لا يقدر عليه ، وإنما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر من غير غرض صحيح فحق على كل مسلم أن يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ، ثم يعلم ذلك أهل بيته ، ثم يتعدى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه ، ثم إلى أهل محلته ، ثم إلى أهل بلده ثم إلى أهل السوادى المكتنف ببلده ، ثم إلى أهل البوادى من الأكراد والعرب وغيرهم ، وهكذا إلى أقصى العالم ، فإن قام به الأدنى سقط عن الأبعد وإلا حرج به على كل قادر عليه قريبا كان أو بعيدا ، ولا يسقط الحرج مادام يبقى على وجه الأرض جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر على أن يسعى إليه بنفسه أو بغيره فيعلمه فرضه ، وهذا شغل شاغل لمن يهمه أمر دينه يشغله عن تجزئة الأوقات فى التفريعات النادرة والتعمق فى دقائق العلوم التى هى من فروض الكفايات ولا يتقدم على هذا إلا فرض عين أو فرض كفاية هو أهم منه .

الباب الرابع : فى أمر الأمراء والسلاطين ونهيهم عن المنكر

قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف وأن أوله التعريف ، وثانيه والوعظ ، وثالثه التخشين فى القول ، ورابعه المنع بالقهر فى الحمل على الحق بالضرب والعقوبة . والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتان الأوليان وهما : التعريف والوعظ . وأما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعية مع السلطان ، فإن ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ، ويكون مايتولد منه من المحذور أكثر ، وأما التخشين فى القول كقوله : ياظالم يامن لايخاف الله وما يجرى مجراه فذلك إن كان يحرك فتنة يتعدى شرها إلى غيره لم يجز ، وإن كان لا يخاف إلا على نفسه فهو جائز بل مندوب إليه . فلقد كان من عادة السلف التعرض للأخطار والتصريح بالإنكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لأنواع العذاب لعلمهم بأن ذلك شهادة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير الشهداء حمزة بن عبدالمطلب ثم رجل قام إلى إمام فأمره ونهاه فى ذات الله تعالى فقتله على ذلك [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر [2] » ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال « قرن من حديد لا تأخذه فى الله لومة لائم وتركه قوله الحق ماله من صديق [3] » ولما علم المتصلبون فى الدين أن أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر ، وأن صاحب ذلك إذا قتل فهو شهيد كما وردت به الأخبار ، قدموا على ذلك موطنين أنفسهم على الهلاك ومحتملين أنواع العذاب وصابرين عليه فى ذات الله تعالى ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله . وطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مانقل علماء السلف ، وقد أوردنا جملة من ذلك فى باب الدخول على السلاطين فى كتاب الحلال والحرام ، ونقتصر الآن على حكايات يعرف وجه الوعظ وكيفية الإنكار عليهم .

فمنها ماروى من إنكار أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه على أكابر قريش حين قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوء . وذلك ماروى عن عروة رضى الله عنه قال : قلت لعبد الله بن عمرو ما أكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عدواته : فقال : حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما فى الحجر فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : مارأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل سفه أحلامنا وشتم اباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا ، ولقد صبرنا منه على أمر عظيم ـ أو كما قالوا ـ فبينما هم فى ذلك إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشى حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول قال فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مضى ، فلما مر الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك فى وجهه عليه السلام ثم مضى ، فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال « أتسمعون يامعشر قريش : أما والذى نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح » قال : فأطرق القوم حتى مامنهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى أنّ أشدّهم فيه وطأة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن مايجد من القول ، حتى إنه ليقول : انصرف

الباب الرابع : فى أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر

(١) حديث « خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى رجل فأمره ونهاه فى ذات الله فقتله على ذلك » أخرجه الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الإسناد وتقدم فى الباب قبله (٢) حديث « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » تقدم

(٣) حديث : وصفه صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب بأنه قرن من حديد لاتأخذه فى الله لومة لائم تركه قوله الحق ماله من صديق . أخرجه الترمذى بسند ضعيف مقتصرا على آخر الحديث من حديث على : رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرا تركه الحق ماله من صديق . وأما أول الحديث فرواه الطبرانى إن عمر قال لكعب الأحبار كيف تجد نعتى ؟ قال : أجد نعتك قرنا من حديد قال . وما قرن من حديد ؟ قال : أمير شديد لاتأخذه فى الله لومة لائم .

يا أبا القاسم راشدا فوالله ما كنت جهولا قال : فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان من الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض : ذكرتم مابلغ منكم ومابلغكم عنه حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه ؛ فبينماهم فى ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون : أنت الذى تقول كذا ؟ أنت الذى تقول كذا ؟ لما كان قد بلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ، قال : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم أنا الذى أقول ذلك » قال : فلقد رأيت رجل منهم أخذ بمجامع ردائه قال : وقام أبو بكر الصديق رضى الله عنه دونه يقول ـ وهو يبكى ـ ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ؟ : ثم انصرفوا عنه وإن ذلك لأشد مارأيت قريشا بلغت منه [1] وفى رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلف ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم [2] ؟ وروى أن معاوية رضى الله عنه حبس العطاء فقام إليه أبو مسلم الخولانى فقال له : يامعاوية إنه ليس من كدك ولا من كد أبيك ولا من كد أمك . قال : فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال لهم : مكانكم ! وغاب عن أعينهم ساعة ثم خرج عليهم وقد اغتسل فقال : إن أبا مسلم كلمنى بكلام أغضبنى وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليغتسل [3] » وإنى دخلت فاغتسلت وصدق أبو مسلم أنه ليس من كدى ولا من كد أبى فهلموا إلى عطائكم . وروى عن ضبة بن محصن العنزى قال كان علينا أبو موسى الأشعرى أميرا بالبصرة فكان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وأنشأ يدعو لعمر رضى الله عنه قال : فغاظنى ذلك منه ، فقمت إليه فقلت له : أين أنت من صاحبه تفضله عليه ؟ فصنع ذلك جمعا ثم كتب إلى عمر يشكونى يقول : إن ضبة بن محصن العنزى يتعرض لى فى خطبتى . فكتب إليه عمر : أن أشخصه إلى . قال : فاشخصنى إليه فقدمت فضربت عليه الباب فخرج إلى فقال : من أنت ؟ فقلت . أنا ضبة فقال لى : لامرحبا ولاأهلا ، فلت . أما المرحب فمن الله ، وأما الأهل فلاأهل لى ولا مال ، فبماذا استحللت ياعمر إشخاصى من مصرى بلاذنب أذنبته ولاشىء أتيته ؟ فقال : ماالذى شجر بينك وبين عاملى ؟ قال : قلت الآن أخبرك به ، إنه كان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم أنشأ يدعو لك فغاظنى ذلك منه فقمت إليه فقلت له أين أنت من صاحبه تفضله عليه ؟ فصنع ذلك جمعا ثم كتب إليك يشكونى . قال : فاندفع عمر رضى الله عنه باكيا وهو يقول أنت والله أوفق منه وأرشد ، فهل أنت غافر لى ذنبى يغفر الله لك ؟ قال : قلت غفر الله لك ياأمير المؤمنين . قال : ثم اندفع باكيا وهو يقول : والله لليلة من أبى بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بليلته ويومه ؟ قلت : نعم ، قال :

أما الليلة : فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا فتبعه أبو بكر ، فجعل يمشى مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماهذا يا أبا بكر ؟ ماأعرف هذا من أفعالك » فقال يارسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك ، وأذكر الطلب

---

(١) حديث : عروة قلت لعبد الله بن عمرو ما أكثر مارأيت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته ... الحديث . أخرجه بطوله البخارى مختصرا وابن حبان بتمامه (٢) حديث عبد الله بن عمرو : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث رواه البخارى . (٣) حديث معاوية « الغضب من الشيطان ... الحديث » وفى أوله قصة رواه أبو نعيم فى الحلية وفيه من لاأعرفه .

فأكون خلفك ، ومرة عن يمينك ، ومرة عن يسارك ، لا آمن عليك . قال : فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت ؛ فلما رأى أبو بكر أنها قد حفيت حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى أتى فم الغار فأنزله ، ثم قال : والذى بعثك بالحق لاتدخله حتى أدخله فإن كان فيه شيء نزل بى قبلك ، قال : فدخل فلم ير فيه شيئا فحمله فأدخله وكان فى الغار خرق فيه حيات وأفاع فألقمه أبو بكر قدمه مخافة أن يخرج منه شيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه ، وجعلن يضربن أبا بكر فى قدمه وجعلت دموعه تنحدر على خديه من ألم مايجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له « ياأبا بكر لاتحزن إنّ الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه والطمأنينة لأبى بكر فهذه ليلته .

وأما يومه فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فقال بعضهم : نصلى ولانزكى فأتيته لآلوه نصحا فقلت : ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تألف الناس وارفق بهم . فقال لى : أجبار فى الجاهلية خوار فى الإسلام ؟ فبماذا أتألفهم ؟ قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحى فوالله لو منعونى عقالا كانوا يعطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه، قال : فقاتلنا عليه فكان والله رشيد الأمر . فهذا يومه . ثم كتب إلى أبى موسى يلومه [1] .

وعن الأصمعى قال : دخل عطاء بن أبى رباح على عبد الملك بن مروان ـ وهو جالس على سريره وحواليه الأشراف من كل بطن وذلك بمكة فى وقت حجه فى خلافته ـ فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له: ياأبا محمد ماحاجتك ؟ فقال : ياأمير المؤمنين اتق الله فى حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة ، واتق الله فى أولاد المهاجرين والأنصار فإنك بهم جلست هذا المجلس ، واتق الله فى أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين ، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسئول عنهم ، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولاتغلق بابك دونهم . فقال له : أجل أفعل ، ثم نهض وقام . فقبض عليه عبد الملك فقال : ياأبا محمد إنما سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت ؟ فقال : مالى إلى مخلوق حاجة . ثم خرج فقال عبد الملك : هذا وأبيك الشرف ! وقد روى أنّ الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما : قف على الباب فإذا مر بك رجل فأدخله على ليحدثنى . فوقف الحاجب على الباب مدة فمر به عطاء بن أبى رباح وهو لايعرفه فقال له : ياشيخ ادخل إلى أمير المؤمنين فإنه أمر بذلك ؛ فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من الوليد قال: السلام عليك ياوليد ! قال : فغضب الوليد على حاجبه وقال له. ويلك أمرتك أن تدخل إلى رجلا يحدثنى ويسامرنى فأدخلت إلى رجلا لم يرض أن يسمينى بالاسم الذى اختاره الله لى. فقال له حاجبه: مامر بى أحد غيره ، ثم قال لعطاء : اجلس ، ثم أقبل عليه يحدثه فكان فيما حدثه به عطاء أن قال له : بلغنا أن فى جهنم واديا يقال له هبهب أعده الله لكل إمام جائر فى حكمه . فصعق الوليد من قوله ، وكان جالسا بين يدى عتبة باب المجلس فوقع على قفاه إلى جوف المجلس مغشيا عليه ؛ فقال عمر لعطاء : قتلت أمير المؤمنين . فقبض عطاء على ذراع عمر ابن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال له : ياعمر إن الأمر جد فجد ، ثم قام عطاء وانصرف . فبلغنا عن عمر بن

(١) حديث ضبة بن محصن : كان علينا أبو موسى الأشعرى أميرا بالبصرة وفيه من عمر أنه قال والله لليلة من أبى بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بيومه وليلته ؟ فذكر ليلة الهجرة ويوم الردة بطوله رواه البيهقى فى دلائل النبوة بإسناد ضعيف هكذا وقصة الهجرة رواها البخارى من حديث عائشة بغير هذا السياق واتفق عليها الشيخان من حديث أبى بكر بلفظ آخر ولهما من حديثه قال : قلت يارسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال : ياأبابكر ماظنك باثنين الله ثالثهما . وأما قتاله لأهل الردة ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر لأبى بكر كيف تقاتل الناس . . الحديث .

عبد العزيز رحمه الله أنه قال : مكثت سنة أجد ألم غمزته فى ذراعى . وكان ابن أبى شميلة يوصف بالعقل والأدب ؛ فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك : تكلم ، قال : بم أتكلم وقد علمت أن كل كلام تكلم به المتكلم عليه وبال إلا ما كان لله ؟ فبكى عبد الملك ثم قال : يرحمك الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون ،فقال الرجل : ياأمير المؤمنين إن الناس فى القيامة لاينجون من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه ؛ فبكى عبدالملك ثم قال : لاجرم لأجعلن هذه الكلمات مثالا نصب عينى ماعشت . ويروى عن ابن عائشة أن الحجاج دعا بفقهاء البصرة وفقهاء الكوفةفدخلنا عليه ، ودخل الحسن البصرى رحمه الله آخر من دخل ، فقال الحجاج مرحبا بأبى سعيد إلى إلى ، ثم دعا بكرسى فوضع إلى جنب سريره فقعد عليه ؛ فجعل الحجاج يذاكرنا ويسألنا إذ ذكر على بن أبى طالب رضى الله عنه فنال منه ونلنا منه مقاربة له وفرقامن شره ، والحسن ساكت عاض على إبهامه ؛ فقال : يا أبا سعيد مالى أراك ساكتا ؟ قال : ماعسيت أن أقول ؟ قال : أخبرنى برأيك فى أبى تراب ، قال : سمعت الله جل ذكره يقول ﴿ وماجعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ فعلى من هدى الله من أهل الإيمان ، فأقول : ابن عم النبى عليه السلام وختنه على ابنته وأحب الناس إليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع أنت ولاأحد من الناس أن يحظرها عليه ولايحول بينه وبينها . وأقول : إن كانت لعلى هناة فالله حسبه والله ماأجد فيه قولا أعدل من هذا . فبسروجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضبا فدخل بيتا خلفه وخرجنا . قال عامر الشعبى : فأخذت بيد الحسن فقلت : ياأبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره ، فقال : إليك عنى ياعامر ، يقول الناس عامر الشعبى عالم أهل الكوفة . أتيت شيطانا من شياطين الإنس تكلمه بهواه وتقاربه فى رأيه ويحك ياعامر هلا اتقيت إن سئلت فصدقت ، أوسكت فسلمت ؟ قال عامر : ياأبا سعيد قدقلتها وأنا أعلم مافيها ، قال الحسن : فذاك أعظم فى الحجة عليك وأشد فى التبعة . قال :وبعث الحجاج إلى الحسن فلما دخل عليه قال : أنت الذى تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم ؟ قال : نعم ، قال ماحملك على هذا ؟ قال : ماأخذ الله على العلماء من المواثيق ﴿ ليبينن للناس ولايكتمونه ﴾ قال ياحسن أمسك عليك لسانك وإياك أن يبلغنى عنك ما أكره فأفرق بين رأسك وجسدك . وحكى أن حطيطا الزيات جىء به إلى الحجاج فلما دخل عليه قال : أنت حطيط ؟ قال : نعم ، سل عما بدا لك ، فإنى عاهدت الله ـ عند المقام ـ على ثلاث خصال : إن سئلت لأصدقن ، وإن ابتليت لأصبرنّ ، وإن عوفيت لأشكرنّ . قال : فما تقول فى ؟ قال : أقول إنك من أعداء الله فى الأرض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة . قال : فما تقول فى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ؟ قال: أقول إنه أعظم جرما منك وإنما أنت خطيئة من خطاياه . قال : فقال الحجاج ، ضعوا عليه العذاب . قال : فانتهى به العذاب إلى أن شقق له القصب ثم جعلوه على لحمه وشدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئا . قال : فقيل للحجاج إنه فى آخر رمق فقال : أخرجوه فارموا به فى السوق . قال جعفر : فأتيته أنا وصاحب له فقلنا له : حطيط ألك حاجة ؟ قال : شربة ماء فأتوه بشربة ثم مات ، وكان ابن ثمان عشرة سنة رحمة الله عليه . وروى أنّ عمر بن هبيرة دعا بفقهاء أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرائها فجعل يسألهم وجعل يكلم عامر الشعبى فجعل لايسأله عن شىء إلا وجد عنده منه علما ، ثم أقبل على الحسن البصرى فسأله ، ثم قال : هما هذان ، هذا رجل أهل الكوفة ـ يعنى الشعبى ـ وهذا رجل

أهل البصرة - يعنى الحسن - فأمر الحاجب فاخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن . فأقبل على الشعبي فقال : ياأباعمرو إنى أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمنى حقهم فأنا أحب حفظهم وتعهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم ، وقد يبلغنى عن العصابة من أهل الديار الأمر أجد عليهم فيه فأقبض طائفة من عطائهم فأضعه فى بيت المال ومن نيتى أن أرده عليهم ، فيبلغ أمير المؤمنين أنى قد قبضته على ذلك النحو فيكتب إلى أن لاترده فلا أستطيع رد أمره ولا إنفاذ كتابه ، وإنما أنا رجل مأمور على الطاعة . فهل على فى هذا تبعة وفى أشباهه من الأمور والنية فيها على ما ذكرت ؟ قال الشعبي . فقلت أصلح الله الأمير إنما السلطان والديخطئ ويصيب ، قال . فسر بقولى وأعجب به ورأيت البشر فى وجهه وقال فلله الحمد ، ثم أقبل على الحسن فقال : ماتقول ياأبا سعيد قال : قد سمعت قول الأمير يقول إنه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمنى حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم ، وحق الرعية لازم لك وحق عليك أن تحوطهم بالنصيحة وإنى سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة [1] » ويقول : إنى ربما قبضت من عطائهم إرادة صلاحهم واستصلاحهم وأن يرجعوا إلى طاعتهم ، فيبلغ أمير المؤمنين أنى قبضتها على ذلك النحو فيكتب إلى أن لاترده فلا أستطيع رد أمره ولا أستطيع إنفاذ كتابه ، وحق الله ألزم من حق أمير المؤمنين والله أحق أن يطاع ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، فأعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فإن وجدته موافقا لكتاب الله فخذ به وإن وجدته مخالفا لكتاب الله فانبذه ؛ ياابن هبيرة اتق الله فإنه يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل على عملك ؛ ياابن هبيرة إن الله ليمنعك من يزيد ولا يمنعك يزيد من الله وإن أمر الله فوق كل أمر وإنه لاطاعة فى معصية الله وإنى أحذرك بأسه الذى لايرد عن القوم المجرمين . فقال ابن هبيرة : أربع على ظلعك أيها الشيخ وأعرض عن ذكر أمير المؤمنين ؛ فإن أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل وإنما ولاه الله تعالى ما ولاه من أمر هذه الأمة لعلمه به وما يعلمه من فضله ونيته . فقال الحسن : ياابن هبيرة ، الحساب من ورائك سوط بسوط وغضب بغضب والله بالمرصاد ، ياابن هبيرة : إنك إن تلق من ينصح لك فى دينك ويحملك على أمر آخرتك خير من أن تلق رجلا يغرك ويمنيك . فقام ابن هبيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه . قال الشعبي : فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته فقال : إليك عنى ياعامر ، قال : فخرجت إلى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان أهلا لما أدى إليه وكنا أهلا أن يفعل ذلك بنا . فمارأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء إلا مثل الفرس العربى بين المقارف وماشهدنا مشهدا إلا برز علينا . وقال لله عز وجل وقلنا مقاربة لهم . قال عامر الشعبي : وأنا أعاهد الله أن لاأشهد سلطانا بعد هذا المجلس فأحابيه . ودخل محمد بن واسع على بلال بن أبى بردة فقال له : ما تقول فى القدر ؟ فقال : جيرانك أهل القبور فتفكر فيهم فإن فيهم شغلا عن القدر .

وعن الشافعى رضى الله عنه قال : حدثنى عمى محمد بن على قال : إنى لحاضر مجلس أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور

---

(١) حديث الحسن عن عبد الرحمن بن سمرة : من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة . رواه البغوى فى معجم الصحابة باسناد لين وقد اتفق عليه الشيخان بنحوه من رواية الحسن عن معقل بن يسار .

وفيه ابن أبي ذؤيب ، وكان والى المدينة الحسن بن زيد قال : فأتى الغفاريون فشكوا إلى أبي جعفر شيئا من أمر الحسن ابن زيد ، فقال الحسن : ياأمير المؤمنين سل عنهم ابن أبي ذؤيب قال : فسأله ، فقال : ماتقول فيهم ياابن أبي ذؤيب ؟ فقال : أشهد أنهم أهل تحطم في أعراض الناس كثيرو الأذى لهم . فقال أبو جعفر : قد سمعتم ، فقال الغفاريون : ياأمير المؤمنين سله عن الحسن بن زيد . فقال : ياابن أبي ذؤيب ما تقول في الحسن بن زيد ؟ فقال : أشهد عليه أنه يحكم بغير الحق ويتبع هواه ، فقال : قد سمعت ياحسن ما قال فيك ابن أبي ذؤيب وهو الشيخ الصالح ؟ فقال : ياأمير المؤمنين اسأله عن نفسك . فقال : ماتقول في ؟ قال : تعفيني ياأمير المؤمنين ، قال : اسألك بالله إلا أخبرتني . قال : تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك ؟ قال : والله لتخبرني ، قال : أشهد أنك أخذت هذا المال من غير حقه فجعلته في غير أهله ، وأشهد أن الظلم ببابك فاش . قال : فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن أبي ذؤيب فقبض عليه ثم قال له : أما والله لولا أني جالس ههنا لأخذت فارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك ! قال : فقال ابن أبي ذؤيب ياأمير المؤمنين قد ولى أبو بكر وعمر فأخذا الحق وقسما بالسوية وأخذا بأقفاء فارس والروم وأصغرا آنافهم ، قال : فخلى أبو جعفر قفاه وخلى سبيله وقال : والله لولا أني أعلم أنك صادق لقتلتك ، فقال ابن أبي ذؤيب : والله ياأمير المؤمنين إني لأنصح لك من ابنك المهدى ، قال . فبلغنا أن ابن أبي ذؤيب لما انصرف من مجلس المنصور لقيه سفيان الثورى فقال له : ياأبا الحرث لقد سرني ماخاطبت به هذا الجبار ولكن ساءني قولك له ابنك المهدى ، فقال : يغفر الله لك ياأبا عبدالله كلنا مهدى كلنا كان في المهد .

وعن الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال : بعث إلى أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالساحل فأتيته ، فلما وصلت إليه وسلمت عليه بالخلافة رد على واستجلسني ثم قال لي : ما الذى أبطأ بك عنا يا أوزاعي ؟ قال : قلت وما الذى تريد ياأمير المؤمنين ؟ قال : أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم ، قال : فقلت فانظر ياأمير المؤمنين أن لاتجهل شيئا مما أقول لك ، قال : وكيف أجهله وأنا أسألك عنه وفيه وجهت إليك وأقدمتك له ؟ قال : قلت أخاف أن تسمعه ثم لاتعمل به ، قال : فصاح بي الربيع وأهوى بيده إلى السيف فانتهره المنصور وقال : هذا مجلس مثوبة لامجلس عقوبة (١) فطابت نفسي وانبسطت في الكلام . فقلت : ياأمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فإنها نعمة من الله سيقت إليه فإن قبلها بشكر وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إثما ويزداد الله بها سخطا عليه (٢) » يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن ياسر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما وال مات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة (٣) » ياأمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله . إن الله هو الحق المبين . إن الذى لين قلوب أمتكم لكم حين ولاكم أمورهم لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم رءوفا رحيما مواسيا لهم بنفسه في ذات يده محمودا عند الله وعند الناس فحقيق بك أن تقوم له فيهم بالحق . وأن تكون بالقسط له فيهم قائما ولعوراتهم ساترا . لاتغلق عليك دونهم الأبواب ولاتقيم دونهم الحجاب . تبتهج بالنعمة عندهم . وتبتئس بما أصابهم من سوء . ياأمير

---

(١) حديث : الأوزاعي مع المنصور وموعظته له وذكر فيها عشرة أحاديث مرفوعة . والقصة بجملتها رواها ابن أبي الدنيا في كتاب مواعظ الخلفاء ورويناها في مشيخة يوسف بن كامل الخفاف ومشيخة ابن طبرزد ، وفي إسنادها أحمد بن عبيد بن ناصح قال ابن عدى يحدث بمناكير وهو عندى من أهل الصدق وقد رأيت سرد الأحاديث المذكورة في الموعظة لنذكر هل لبعضها طريق غير هذا الطريق وليعرف صحابي كل حديث أو كونه مرسلا فأولها (٢) حديث عطية بن بشر « أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فانها نعمة من الله ... الحديث . أخرجه ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء (٣) حديث عطية بن ياسر « أيما وال مات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة » أخرجه ابن أبي الدنيا فيه وابن عدى في الكامل في ترجمة أحمد بن عبيد .

المؤمنين قد كنت فى شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم ـ أحمرهم وأسودهم مسلمهم وكافرهم ـ وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك إذا انبعث منهم فئام وراء فئام وليس منهم أحد إلا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه أو ظلامة سقتها إليه ؟ ياأمير المؤمنين حدثنى مكحول عن عروة بن رويم قال : كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين ، فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له : يامحمد ماهذه الجريدة التى كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبا [1] ؟ فكيف بمن شقق أستارهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه ؟ ياأمير المؤمنين حدثنى مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسلمة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى القصاص من نفسه فى خدش خدشه أعرابيا لم يتعمده فأتاه جبريل عليه السلام فقال : يامحمد إن الله لم يبعثك جبارا ولا متكبرا . فدعا النبى صلى الله عليه وسلم الأعرابى فقال « اقتص منى » فقال الأعرابى : قد أحللتك ؛ بأبى أنت وأمى وما كنت لأفعل ذلك أبدا ولو أتيت على نفسى . فدعا له بخير [2] ياأمير المؤمنين رض نفسك لنفسك وخذ لها الأمان من ربك وارغب فى جنة عرضها السموات والأرض التى يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقيد قوس أحدكم من الجنة خير له من الدنيا وما فيها [3] » ياأمير المؤمنين إن الملك لو بقى لمن قبلك لم يصل إليك ، وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك . ياأمير المؤمنين أتدرى ماجاء فى تأويل هذه الآية عن جدك ﴿ مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾ قال الصغيرة : التبسم ، والكبيرة : الضحك ، فكيف بما عملته الأيدى وحصدته الألسن ؟ ياأمير المؤمنين بلغنى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لو ماتت سخلة على شاطئ الفرات ضيعة لخشيت أن أسأل عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك ؟ ياأمير المؤمنين أتدرى ماجاء فى تأويل هذه الآية عن جدك ﴿ ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ قال الله تعالى فى الزبور : ياداود إذا قعد الخصمان بين يديك فكان لك فى أحدهما هوى فلا تتمنين فى نفسك أن يكون الحق له فيفلح على صاحبه فأمحوك عن نبوتى ثم لا تكون خلفتى ولا كرامة ، ياداود إنما جعلت رسلى إلى عبادى رعاء كرعاء الإبل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير ويدلوا الهزيل على الكلأ والماء . يا أمير المؤمنين إنك قد بليت بأمر لو عرض على السموات والأرض والجبال لأبين أن يحملنه وأشفقن منه ، ياأمير المؤمنين حدثنى يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن عمرة الأنصارى : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقيما فقال له : مامنعك من الخروج إلى عملك ؟ أما علمت أن لك مثل أجر المجاهد فى سبيل الله قال : لا ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : إنه بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مامن وال يلى شيئا من أمور الناس إلا أتى به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه لا يفكها إلا عدله فيوقف على جسر من النار ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب فإن كان محسنا نجا

---

(١) حديث عروة بن رويم : كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين ... الحديث . أخرجه ابن أبى الدنيا فيه وهو مرسل وعروة ذكره ابن حبان فى ثقات التابعين (٢) حديث حبيب بن مسلمة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى القصاص من نفسه فى خدش خدشه أعرابيا لم يتعمده ... الحديث . أخرجه ابن أبى الدنيا فيه ، وروى أبو داود والنسائى من حديث عمر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتص من نفسه . وللحاكم من رواية عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبيه : طعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خاصرة أسيد بن حضير ، فقال أوجعتنى قال اقتص .. الحديث . قال صحيح الإسناد (٣) حديث « لقيد قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومافيها » أخرجه ابن أبى الدنيا من رواية الأوزاعى معضلا لم يذكر إسناده ورواه البخارى من حديث أنس بلفظ « لقاب » .

بإحسانه وإن كان مسيئا انخرق به ذلك الجسر فيهوى به فى النار سبعين خريفا [١] » فقال له عمر رضى الله عنه من سمعت هذا ؟ قال : من أبى ذرّ وسلمان فأرسل إليهما عمر فسألهما فقالا : نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر : واعمراه من يتولاها بما فيها ؟ فقال أبو ذرّ رضى الله عنه : من سلت الله أنفه وألصق خدّه بالأرض . قال : فأخذ المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكانى . ثم قلت : ياأمير المؤمنين قدسأل جدك العباس النبى صلى الله عليه وسلم إمارة مكة أو الطائف أو اليمن فقال له النبى عليه السلام « ياعباس ياعم النبى نفس تحييها خير من إمارة لاتحصيها [٢] » نصيحة منه لعمه وشفقة عليه وأخبره أنه لايغنى عنه من الله شيئا إذ أوحى الله إليه ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ فقال « ياعباس وياصفية عمى النبى ويافاطمة بنت محمد إنى لست أغنى عنكم من الله شيئاً إنّ لى عملى ولكم عملكم [٣] » وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لايقيم أمر الناس إلا حصيف العقل أريب العقد لايطلع منه على عورة ولايخاف منه على حرّة ولاتأخذه فى الله لومة لائم . وقال : الأمراء أربعة ؛ فأمير قوى ظلف نفسه وعماله فذلك كالمجاهد فى سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة ، وأمير فيه ضعف ظلف نفسه وأرتع عماله لضعفه فهو على شفا هلاك إلا أن يرحمه الله ، وأمير ظلف عماله وأرتع نفسه فذلك الحطمة الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « شر الرعاة الحطمة فهو الهالك وحده [٤] » وأمير أرتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا . وقد بلغنى ياأمير المؤمنين أن جبرائيل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال « أتيتك حين أمر الله بمنافيخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة ، فقال له : ياجبريل صف لى النار فقال : إن الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرّت ، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصفرّت ، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة لايضىء جمرها ولايطفأ لهبها ، والذى بعثك بالحق لو أنّ ثوبا من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعا ولو أن ذنوبا من شرابها صب فى مياه الأرض جميعا لقتل من ذاقه ولو أنّ ذراعا من السلسلة التى ذكرها الله وضع على جبال الأرض جميعا لذابت وماستقلت ، ولو أنّ رجلا أدخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه ؛ فبكى النبى صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل عليه السلام لبكائه فقال : أتبكى ياحمد وقد غفر لك ماتقدّم من ذنبك وماتأخر ؟ فقال « أفلا أكون عبدا شكورا ولم بكيت ياجبريل وأنت الروح الأمين أمين الله على وحيه » قال : أخاف أن أبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت فهو الذى منعنى من اتكالى على منزلتى عند ربى فأكون قد أمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء : ياجبريل وياحمد إنّ الله قد آمنكما أن تعصياه فيعذبكما وفضل محمد على سائر الأنبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة [٥] » وقدبلغنى ياأميرالمؤمنين أنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : اللهم إن كنت تعلم أنى أبالى إذا قعد

---

(١) حديث عبد الرحمن بن عمر : أن عمر استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة ... الحديث . وفيه مرفوعا « مامن وال يلى شيئا من أمور الناس الا أتى الله يوم القيامة معلولة يده إلى عنقه ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فيه من هذا الوجه ورواه الطبراني من رواية سويد بن عبد العزيز عن يسار بن أبى الحكم عن أبى وائل : أن عمر استعمل بشر بن عاصم فذكر أخصر منه ، وأن بشرا سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم يذكر فيه : سلمان (٢) حديث « ياعباس ياعم النبى نفس تنجيها خير من إمارة لاتحصيها » أخرجه ابن أبى الدنيا هكذا معضلا بغير إسناد ورواه البيهقى من حديث جابر متصلا ومن رواية ابن المنكدر مرسلا وقال هذا هو المحفوظ مرسلا (٣) حديث « ياعباس وياصفية ويافاطمة لاأغنى عنكم من الله شيئا لى عملى ولكم عملكم » أخرجه ابن أبي الدنيا هكذا معضلا دون إسناد ورواه البخارى من حديث أبي هريرة متصلا دون قوله « لى عملى ولكم عملكم » (٤) حديث « شر الرعاة الحطمة » رواه مسلم من حديث عائذ بن عمروالمزنى متصلا وهوعند ابن أبى الدنيا من الأوزاعى معضلا كما ذكره المصنف . (٥) حديث : بلغنى أن جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أتيتك حين أمر الله بمنافيخ النار وضعت على النار تسعر ليوم القيامة ... الحديث بطوله أخرجه ابن أبى الدنيا فيه هكذا معضلا بغير إسناد .

الخصمان بين يدى على من مال الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلنى طرفة عين . ياأمير المؤمنين إنّ أشد الشدة القيام لله بحقه وإن أكرم الكرم عند الله التقوى وأنه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه . فهذه نصيحتى إليك والسلام عليك . ثم نهضت فقال لى : إلى أين ؟ فقلت : إلى الولد والوطن بإذن أمير المؤمنين إن شاء الله ، فقال : قد أذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه أستعين وعليه أتوكل وهو حسبى ونعم الوكيل فلا تخلنى من مطالعتك إياى بمثل هذا فإنك المقبول القول غير المتهم فى النصيحة . قلت : أفعل إن شاء الله . قال محمد بن مصعب : فأمر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال : أنا فى غنى عنه وما كنت لأبيع نصيحتى بعرض من الدنيا . وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه فى ذلك .

وعن ابن المهاجر قال : قدم أمير المؤمنين المنصور مكة شرفها الله حاجا ، فكان يخرج من دار الندوة إلى الطواف فى آخر الليل يطوف ويصلى ولايعلم به ، فإذا طلع الفجر رجع إلى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فيصلى بالناس ، فخرج ذات ليلة حين أسحر فبينا هو يطوف إذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول : اللهم إنى أشكو إليك ظهور البغى والفساد فى الأرض ومايحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع . فأسرع المنصور فى مشيه حتى ملأ مسامعه من قوله ، ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل إليه فدعاه فأتاه الرسول وقال له : أجب أمير المؤمنين ، فصلى ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور : ماهذا الذى سمعتك تقوله من ظهور البغى والفساد فى الأرض ومايحول بين الحق وأهله من الطمع والظلم ؛ فوالله لقد حشوت مسامعى ماأمرضنى وأقلقنى ؟ فقال : ياأمير المؤمنين إن أمنتنى على نفسى أنبأتك بالأمور من أصولها وإلا اقتصرت على نفسى ففيها لى شغل شاغل ، فقال له : أنت آمن على نفسك فقال : الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق وإصلاح ماظهر من البغى والفساد فى الأرض أنت . فقال : ويحك وكيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء فى يدى والحلو والحامض فى قبضتى؟ قال : وهل دخل أحدا من الطمع مادخلك ياأمير المؤمنين ؟ إن الله تعالى استرعاك أمور المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وأبوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ، ثم سجنت نفسك فيها منهم وبعثت عمالك فى جمع الأموال وجبايتها واتخذت وزراء وأعوانا ظلمة إن نسيت لم يذكروك وإن ذكرت لم يعينوك وقويتهم على ظلم الناس بالأموال والكراع والسلاح وأمرت بأن لايدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان نفر سميتهم ، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العارى ولا الضعيف ولا الفقير ، ولا أحد إلا وله فى هذا المال حق فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لايحجبوا عنك تجبى الأموال ولاتقسمها قالوا : هذا قد خان الله فما لنا لانخونه وقد سخر لنا ؟ فائتمروا على أن لايصل إليك من علم أخبار الناس شىء إلا ماأرادوا وأن لايخرج لك عامل فيخالف لهم أمرا إلا أقصوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره ، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس وهابوهم وكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليتقووا بهم على ظلم رعيتك ، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلأت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار هؤلاء القوم شركاءك فى سلطانك وأنت غافل ؛ فإن جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول إليك وإن أراد رفع صوته أو قصته إليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر فى مظالمهم ؛ فإن جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم أن لايرفع مظلمته وإن كانت للمتظلم به حرمة وإجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم ، فلا يزال المظلوم يختلف إليه ويلوذ به ويشكو

ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه ؛ فإذا جهد وأخرج وظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وأنت تنظر ولاتنكر ولاتغير ؛ فما بقاء الإسلام وأهله على هذا ؛ ولقد كانت بنو أمية وكانت العرب لاينتهى إليهم المظلوم إلا رفعت ظلامته إليهم فينصف ؛ ولقد كان الرجل يأتى من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادى : ياأهل الإسلام فيبتدرونه مالك مالك فيرفعون مظلمته إلى سلطانهم فينتصف ؛ ولقد كنت ياأمير المؤمنين أسافر إلى أرض الصين وبها ملك فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكى فقال له وزراؤه : مالك تبكى لابكت عيناك ؟ فقال : أما إنى لست أبكى على المصيبة التى نزلت بى ولكن أبكى لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته ، ثم قال : أما إن كان قد ذهب سمعى فإنّ بصرى لم يذهب نادوا فى الناس : ألا لايلبس ثوبا أحمر إلا مظلوم فكان يركب الفيل ويطوف طرفى النهار هل يرى مظلوما فينصفه ؟ هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه فى ملكه ، وأنت مؤمن بالله وابن عم نبى الله لاتغلبك رأفتك بالمسلمين ورقتك على شح نفسك ؛ فإنك لاتجمع الأموال إلا لواحد من ثلاثة ؛ إن قلت اجمعها لولدى فقد أراك الله عبرا فى الطفل الصغير يسقط من بطن أمه وماله على الأرض مال ، ومامن مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه فمايزال الله تعالى يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه ولست الذى تعطى بل الله يعطى من يشاء ، وإن قلت : أجمع المال لأشيد سلطانى . فقد أراك الله عبرا فيمن كان قبلك ماأغنى عنهم ماجمعوه من الذهب والفضة وما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع وماضرك وولد أبيك ما كنتم فيه من قلة الجدة والضعف حين أراد الله بكم ماأراد . وإن قلت أجمع المال . لطلب غاية هى أجسم من الغاية التى أنت فيها ، فوالله مافوق ماأنت فيه إلا منزلة لاتدرك إلا بالعمل الصالح ياأمير المؤمنين هل تعاقب من عصاك من رعيتك بأشد من القتل ؟ قال: لا ، قال : فكيف تصنع بالملك الذى خولك الله وما أنت عليه من ملك الدنيا وهو تعالى لايعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخلود فى العذاب الأليم وهو الذى يرى منك ماعقد عليه قلبك وأضمرته جوارحك ؟ فماذا تقول إذا انتزع الملك الحق المبين ملك الدنيا من يدك ودعاك إلى الحساب ؟ هل يغنى عنك عنده شىء مما كنت فيه مما شححت عليه من ملك الدنيا ؟ فبكى المنصور بكاء شديدا حتى نحب وارتفع صوته ثم قال . ياليتنى لم أخلق ولم أك شيئا ، ثم قال : كيف احتيالى فيما خولت فيه ولم أر من الناس إلا خائنا ؟ قال : ياأمير المؤمنين عليك بالأئمة الأعلام المرشدين قال : ومن هم ؟ قال : العلماء ، قال : قد فروا منى ، قال : هربوا منك مخافة أن تحملهم على ماظهر من طريقتك من قبل عمالك ، ولكن افتح الأبواب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم من الظالم وامنع المظالم وخذ الشىء مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل وأنا ضامن على أنّ من هرب منك أن يأتيك فيعاونك على صلاح أمرك ورعيتك . فقال المنصور : اللهم وفقنى أن أعمل بما قال هذا الرجل . وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فخرج فصلى بهم ثم قال للحرسى : عليك بالرجل إن لم تأتنى به لأضربن عنقك ، واغتاظ عليه غيظا شديدا فخرج الحرسى يطلب الرجل فبينا هو يطوف فإذا هو بالرجل يصلى فى بعض الشعاب فقعد حتى صلى ثم قال : ياذا الرجل أماتتقى الله ؟ قال : بلى ، قال . أما تعرفه ؟ قال : بلى ، قال : فانطلق معى إلى الأمير فقد آلى أن يقتلنى إن لم آته بك ، قال : ليس لى إلى ذلك من سبيل ، قال : يقتلنى ، قال : لا ، قال : كيف ؟ قال : تحسن تقرأ ، قال : لا ، فأخرج من مزود كان معه رقا مكتوبا فيه شىء فقال : خذه فاجعله فى جيبك فإن فيه دعاء الفرج ، قال : وما دعاء الفرج ؟ قال : لايرزقه إلا الشهداء ، قلت : رحمك الله قد أحسنت إلى فإن رأيت أن تخبرنى ماهذا الدعاء ومافضله ؟ قال : من

دعابه مساء وصباحا هدمت ذنوبه ودام سروره ومحيت خطاياه واستجيب دعاؤه وبسط له رزقه وأعطى أمله وأعين على عدوّه وكتب عند الله صدّيقا ولا يموت إلا شهيدا ، تقول . اللهم كما لطفت فى عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ماتحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك ، وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر فى علمك ، وانقاد كل شىء لعظمتك وخضع كل ذى سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لى من كل هم أمسيت فيه فرجا ومخرجا . اللهم إنّ عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى وسترك على قبيح عملى أطمعنى أن أسألك مالا أستوجبه بما قصرت فيه أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا وإنك المحسن إلى وأنا المسىء إلى نفسى فيما بينى وبينك تتودد إلى بنعمك وأتبغض إليك بالمعاصى ولكن الثقة بك حملتنى على الجراءة عليك فعد بفضلك وإحسانك على إنك أنت التوّاب الرحيم . قال . فأخذته فصيرته فى جيبى ثم لم يكن لى هم غير أمير المؤمنين فدخلت فسلمت عليه فرفع رأسه فنظر إلى وتبسم ثم قال . ويلك وتحسن السحر ؟ فقلت : لا والله يا أمير المؤمنين ، ثم قصصت عليه أمرى مع الشيخ فقال . هات الرق الذى أعطاك ، ثم جعل يبكى وقال . وقد نجوت ، وأمر بنسخه وأعطانى عشرة آلاف ، ثم قال . أتعرفه ؟ قلت . لا ، قال ذلك الخضر عليه السلام .

وعن أبى عمران الجونى قال : لما ولى هارون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنوه بما صار إليه من أمر الخلافة ففتح بيوت الأموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنية ، وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد ، وكان يظهر النسك والتقشف ، وكان مؤاخيا لسفيان بن سعيد بن المنذر الثورى قديما فهجره سفيان ولم يزره ، فاشتاق هرون إلى زيارته ليخلوا به ويحدّثه فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولا بما صار إليه ، فاشتدّ ذلك على هرون فكتب إليه كتابا يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هرون الرشيد أمير المؤمنين إلى أخيه سفيان بن سعيد بن المنذر أما بعد ، يا أخى قد علمت أنّ الله تبارك وتعالى واخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله واعلم أنى قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حبلك ولم أقطع منها ودك وإنى منطو لك على أفضل المحبة والإرادة ، ولولا هذه القلادة التى قلدنيها الله لأتيتك ولو حبوا لما أجد لك فى قلبى من المحبة ، واعلم يا أبا عبد الله أنه مابقى من إخوانى وإخوانك أحد إلا وقد زارنى وهنانى بما صرت إليه وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسى وقرت به عينى وإنى استبطأتك فلم تأتنى ، وقد كتبت لك كتابا شوقا منى إليك شديدا ، وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء فى فضل المؤمن وزيارته ومواصلته ، فإذا ورد عليه كتابى فالعجل العجل . فلما كتب الكتاب التفت إلى من عنده فإذا كلهم يعرفون سفيان الثورى وخشونته فقال : على برجل من الباب ، فأدخل عليه رجل يقال له عباد الطالقانى . فقال : ياعباد خذ كتابى هذا فانطلق به إلى الكوفة فإذا دخلتها فسل عن قبيلة بنى ثور ، ثم سل عن سفيان الثورى فإذا رأيته فالق كتابى هذا إليه وع بسمعك وقلبك جميع ما يقول فأحص عليه دقيق أمره وجليله لتخبرنى به . فأخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسأل عن القبيلة فأرشد إليها ثم سأل عن سفيان فقيل له هو فى المسجد . قال عباد : فأقبلت إلى المسجد فلما رآنى قام قائما وقال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير . قال عباد : فوقعت الكلمة فى قلبى فجرحت ، فلما رآنى نزلت بباب المسجد قام يصلى ولم يكن وقت صلاة ، فربطت فرسى بباب المسجد ودخلت فإذا جلساؤه قعود قد نكسوا رءوسهم كأنهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من عقوبته ، فسلمت فما رفع أحد إلى رأسه وردوا السلام على برءوس الأصابع ، فبقيت واقفا فما منهم أحد يعرض على الجلوس وقد علانى من هيبتهم الرعدة

ومددت عينى إليهم فقلت إن المصلى هو سفيان فرميت بالكتاب إليه . فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له فى محرابه فركع وسجد وسلم وأدخل يده فى كمه ولفها بعباءته وأخذه ، فقلبه بيده ثم رماه إلى من كان خلفه وقال : يأخذه بعضكم يقرؤه فإنى أستغفر الله أن أمس شيئا مسه ظالم بيده . قال عباد : فأخذه بعضهم فحله كأنه خائف من فم حية تنهشه ، ثم فضه وقرأه ، وأقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته قال : اقلبوه واكتبوا إلى الظالم فى ظهر كتابه ، فقيل له : يا أبا عبد الله إنه خليفة فلو كتبت إليه فى قرطاس نقى . فقال : اكتبوا إلى الظالم فى ظهر كتابه فإن كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به ، وإن كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ولا يبقى شىء مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا . فقيل له : ماتكتب ؟ فقال اكتبوا : بسم الله الرحمن الرحيم ، من العبد المذنب سفيان بن سعيد بن المنذر الثورى إلى العبد المغرور بالآمال هرون الرشيد الذى سلب حلاوة الإيمان . أما بعد : فإنى قد كتبت إليك أعرفك أنى قد صرمت حبلك وقطعت ودك وقليت موضعك فإنك قد جعلتنى شاهدا عليك بإقرارك على نفسك فى كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فأنفقته فى غير حقه وأنفذته فى غير حكمه ، ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناء عنى حتى كتبت إلى تشهدنى على نفسك . أما إنى قد شهدت عليك أنا وإخوانى الذين شهدوا قراءة كتابك وسنؤدى الشهادة عليك غدا بين يدى الله تعالى ، ياهرون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضى بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها فى أرض الله تعالى والمجاهدون فى سبيل الله وابن السبيل ؟ أم رضى بذلك حملة القرآن وأهل العلم والأرامل والأيتام ؟ أم هل رضى بذلك خلق من رعيتك ؟ فشد يا هرون مئزرك وأعد للمسألة جوابا وللبلاء جلبابا ، واعلم أنك ستقف بين يدى الحكم العدل فقد رزئت فى نفسك إذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ القرآن ومجالسة الأخيار ورضيت لنفسك أن تكون ظالما وللظالمين إماما ، ياهرون قعدت على السرير ولبست الحرير وأسبلت سترا دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين ، ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك ، يظلمون الناس ولا ينصفون ؟ يشربون الخمور ويضربون من يشربها ! ويزنون ويحدون الزانى ؟ ويسرقون ويقطعون السارق ! أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس ؟ فكيف بك ياهرون غدا إذا نادى المنادى من قبل الله تعالى ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾ أى الظلمة وأعوان الظلمة فقدمت بين يدى الله تعالى ويداك مغلولتان إلى عنقك لايفكهما إلا عدلك وإنصافك ، والظالمون حولك وأنت لهم سابق وإمام إلى النار ، كأنى بك يا هرون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت المساق وأنت ترى حسناتك فى ميزان غيرك وسيئات غيرك فى ميزانك زيادة عن سيئاتك ، بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة ، فاحتفظ بوصيتى واتعظ بموعظتى التى وعظتك بها ، واعلم أنى قد نصحتك وما أبقيت لك فى النصح غاية ، فاتق الله ياهرون فى رعيتك واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم فى أمته وأحسن الخلافة عليهم ، واعلم أن هذا الأمر لو بقى لغيرك لم يصل إليك وهو صائر إلى غيرك وكذا الدنيا تنتقل بأهلها واحد بعد واحد فمنهم من تزود زاداً نفعه ومنهم من خسر دنياه وآخرته ، وإنى أحسبك ياهرون من خسر دنياه وآخرته فإياك إياك أن تكتب لى كتابا بعد هذا فلا أجيبك عنه والسلام . قال عباد : فألقى إلى الكتاب منشورا غير مطوى ولا مختوم فأخذته وأقبلت إلى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة من قلبى فناديت : ياأهل الكوفة ، فأجابونى فقلت لهم : ياقوم من يشترى رجلا هرب من الله إلى الله ؟ فأقبلوا إلى بالدنانير والدراهم ، فقلت : لاحاجة لى فى المال ولكن جبة صوف خشنه وعباءة قطوانية ، قال : فأتيت بذلك ونزعت ما كان على من اللباس الذى كنت ألبسه مع أمير المؤمنين ،

وأقبلت أقود البرذون وعليه السلاح الذى كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هرون حافيا راجلا ، فهزأ بى من كان على باب الخليفة . ثم استؤذن لى فلما دخلت عليه وبصر بى على تلك الحالة قام وقعد ، ثم قام قائما وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحزن ويقول : انتفع الرسول وخاب المرسل مالى وللدنيا مالى ولملك يزول عنى سريعا ؟ ثم ألقيت الكتاب إليه منشورا كما دفع إلى . فأقبل هرون يقرؤه ودموعه تنحدر من عينيه ويقرأ ويشهق فقال بعض جلسائه : ياأمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت إليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن كنت تجعله عبرة لغيره . فقال هرون : اتركونا يا عبيد الدنيا ، المغرور من غررتموه والشقى من أهلكتموه ، وإن سفيان أمة وحده فاتركوا سفيان وشأنه . ثم لم يزل كتاب سفيان إلى جنب هرون يقرؤه عند كل صلاة حتى توفى رحمه الله . فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى الله فيما يقدم عليه غدا من عمله فإنه عليه يحاسب وبه يجازى والله ولى التوفيق .

وعن عبد الله بن مهران قال : حج الرشيد فوافى الكوفة فأقام بها أياما ثم ضرب بالرحيل ، فخرج الناس ، وخرج بهلول المجنون فيمن خرج بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به ؛ إذ أقبلت هوادج هرون فكف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هرون نادى بأعلى صوته : يا أمير المؤمنين فكشف هرون السجاف بيده عن وجهه فقال : لبيك يابهلول فقال : يا أمير المؤمنين ؛ حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامرى قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم منصرفا من عرفة على ناقة له صهباء ؛ لاضرب ولاطرد ولا إليك إليك [1] وتواضعك فى سفرك هذا ياأمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك . قال : فبكى هرون حتى سقطت دموعه على الأرض ، ثم قال : يابهلول زدنا رحمك الله قال : نعم ياأمير المؤمنين ، رجل آتاه الله مالا وجمالا فأنفق من ماله وعف فى جماله كتب فى خالص ديوان الله تعالى مع الأبرار . قال : أحسنت يابهلول ، ودفع له جائزة : فقال : اردد الجائزة إلى من أخذتها منه فلاحاجة لى فيها ، قال : يا بهلول فإن كان عليك دين قضيناه ، قال : يا أمير المؤمنين هؤلاء أهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم أن قضاء الدين بالدين لايجوز ـ قال : يابهلول فنجرى عليك مايقوتك أو يقيمك ، قال : فرفع بهلول رأسه إلى السماء ثم قال : يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فمحال ان يذكرك وينسانى . قال : فأسبل هرون السجاف ومضى .

وعن أبى العباس الهاشمى عن صالح بن المأمون قال : دخلت على الحرث المحاسبى رحمه الله فقلت له : ياأباعبدالله هل حاسبت نفسك ؟ فقال : كان هذا مرة ، قلت له : فاليوم ؟ قال . أكاتم حالى ؟ إنى لأقرأ آية من كتاب الله تعالى فأضن بها أن تسمعها نفسى ولولا أن يغلبنى فيها فرح ما أعلنت بها . ولقد كنت ليلة قاعدا فى محرابى فإذا أنا بفتى حسن الوجه طيب الرائحة فسلم على ثم قعد بين يدى فقلت له من أنت ؟ فقال : أنا واحد من السياحين أقصد المتعبدين فى محاريبهم ولا أرى لك اجتهادا فأى شىء عملك ؟ قال : قلت له ؛ كتمان المصائب واستجلاب الفوائد ، قال : فصاح وقال : ماعلمت أن أحدا بين جنبى المشرق والمغرب هذه صفته ؟ قال الحرث : فأردت أن أزيد عليه فقلت له : أماعلمت أن أهل القلوب يخفون أحوالهم ويكتمون أسرارهم ويسألون الله كتمان ذلك عليهم فمن أين تعرفهم ؟ قال : فصاح صيحة غشى عليه منها فمكث عندى يومين لايعقل ، ثم أفاق وقد أحدث فى ثيابه ، فعلمت إزالة عقله فأخرجت له

---

(١) حديث قدامة بن عبد الله العامرى : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم منصرفا من عرفة على ناقة له صهباء لاضرب ولا طرد ولا إليك إليك . أخرجه الترمذى وصححه والنسائى وابن ماجه دون قوله منصرفا من عرفة وإنما قالوا : يرمى الجمرة ، وهو الصواب وقد تقدم فى الباب الثانى .

ثوبا جديدا وقلت له : هذا كفنى قد آثرتك به فاغتسل وأعد صلاتك فقال : هات الماء فاغتسل وصلى ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له : أين تريد ؟ فقال لى ؟ قم معى ، فلم يزل يمشى حتى دخل على المأمون فسلم عليه وقال : ياظالم أنا ظالم إن لم أقل لك ياظالم ، أستغفر الله من تقصيرى فيك ، أما تتقى الله تعالى فيما قد ملكك ؟ وتكلم بكلام كثير ثم أقبل يريد الخروج وأنا جالس بالباب فأقبل عليه المأمون وقال : من أنت ؟ قال : أنا رجل من السياحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلى فلم أجد لنفسى فيه حظا فتعلقت بموعظتك لعلى ألحقهم ، قال : فأمر بضرب عنقه ، فأخرج وأنا قاعد على الباب ملفوفا فى ذلك الثوب ومناد ينادى : من ولى هذا فليأخذ ، قال الحرث : فاختبأت عنه فأخذه أقوام غرباء فدفنوه وكنت معهم لا أعلمهم بحاله . فأقمت فى مسجد بالمقابر محزونا على الفتى فغلبتنى عيناى فإذا هو بين وصائف لم أر أحسن منهن وهو يقول : يا حارث أنت والله من الكاتمين الذين يخفون أحوالهم ويطيعون ربهم ، قلت : ومافعلوا ؟ قال الساعة يلقونك ، فنظرت إلى جماعة ركبان فقلت : من أنتم ؟ قالوا : الكاتمون أحوالهم حرك هذا الفتى كلامك له فلم يكن فى قلبه مما وصفت شىء فخرج للأمر والنهى وإن الله تعالى أنزله معنا وغضب لعبده .

وعن أحمد بن إبراهيم المقرى قال : كان أبو الحسين النورى رجلا قليل الفضول لايسأل عما لايعنيه ولايفتش عما لايحتاج إليه ، وكان إذا رأى منكرا غيره ولو كان فيه تلفه ، فنزل ذات يوم إلى مشرعة تعرف بمشرعة الفحامين يتطهر للصلاة إذ رأى زورقا فيه ثلاثون دنا مكتوب عليها بالقار « لطف » فقرأه وأنكره لأنه لم يعلم فى التجارات ولافى البيوع شيئا يعبر عنه بلطف . فقال للملاح : إيش فى هذه الدنان ؟ قال : وإيش عليك امض فى شغلك ؟ فلما سمع النورى من الملاح هذا القول ازداد تعطشا إلى معرفته فقال : أحب أن تخبرنى إيش فى هذه الدنان ؛ قال : وإيش عليك أنت والله صوفى فضولى ، هذا خمر للمعتضد يريد أن يتمم به مجلسه ؟ فقال النورى : وهذا خمر ؟ قال : نعم ، فقال : أحب أن تعطينى ذلك المدرى ، فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه : أعطه حتى انظر مايصنع ، فلما صارت المدرى فى يده صعد إلى الزورق ولم يزل يكسرها دنا دنا حتى أتى على آخرها إلا دنا واحدا ، والملاح يستغيث ، إلى أن ركب صاحب الجسر وهو يومئذ ابن بشر أفلح فقبض على النورى وأشخصه إلى حضرة المعتضد ـ وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس فى أنه سيقتله ـ قال أبو الحسين : فأدخلت عليه وهو جالس على كرسى حديد وبيده عمود يقلبه فلما رآنى قال : من أنت ؟ قلت : محتسب ، قال : ومن ولاك الحسبة ؟ قلت : الذى ولاك الإمامة ولانى الحسبة ياأمير المؤمنين ، قال : فأطرق إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إلى وقال : ماالذى حملك على ماصنعت ؟ فقلت : شفقة منى عليك إذ بسطت يدى إلى صرف مكروه عنك فقصرت عنه . قال فأطرق مفكرا فى كلامى ثم رفع رأسه إلى وقال : كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان ؟ فقلت : فى تخلصه علة أخبر بها أمير المؤمنين إن أذن ، فقال : هات خبرنى ، فقلت : ياأمير المؤمنين إنى أقبلت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه لى بذلك وغمر قلبى شاهد الإجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عنى فأقدمت عليها بهذه الحال إلى أن صرت إلى هذا الدن « فاستشعرت نفسى كبرا على أنى أقدمت على مثلك فمنعت ولو أقدمت عليه بالحال الأول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أبال ، فقال المعتضد : اذهب فقد أطلقنا يدك غير ماأحببت أن تغيره من المنكر . قال أبو الحسين فقلت : يا أمير المؤمنين بغض إلى التغيير لأنى كنت أغير عن الله تعالى وأنا الآن أغير عن شرطى فقال المعتضد : ما حاجتك ؟ فقلت : ياأمير المؤمنين تأمر بإخراجى سالما فأمر له بذلك وخرج إلى البصرة ، فكان أكثر أيامه بها خوفا من أن يسأله أحد حاجة يسألها المعتضد ، فأقام بالبصرة إلى توفى المعتضد ثم رجع إلى بغداد .

فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لكونهم اتكلوا على فضل الله تعالى أن يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة ، فلما أخلصوا لله النية أثر كلامهم فى القلوب القاسية فلينها وأزال قساوتها . وأما الآن فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا ، ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا . ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ، ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل فكيف على الملوك والأكابر ؟ والله المستعان على كل حال .

تم كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة

وهو الكتاب العاشر : من ربع العادات الثانى من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق كل شىء فأحسن خلقه وترتيبه ، وأدب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فأحسن تأديبه ، وزكى أوصافه وأخلاقه ثم اتخذه صفيه وحبيبه ، ووفق للاقتداء به من أراد تهذيبه ؛ وحرم عن التخلق بأخلاقه من أراد تخييبه وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم كثيرا .

أما بعد : فإن آداب الظواهر عنوان آداب البواطن ، وحركات الجوارح ثمرات الخواطر ، والأعمال نتيجة الأخلاق والآداب رشح المعارف ، وسرائر القلوب هى مغارس الأفعال ومنابعها ، وأنوار السرائر هى التى تشرق على الظواهر فتزينها وتجليها « وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساويها . ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه . ومن لم يكن صدره مشكاة الأنوار الإلهية لم يفض على ظاهره جمال الآداب النبوية ، ولقد كنت عزمت على أن أختم ربع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة لئلا يشق على طالبها استخراجها من جميع هذه الكتب ، ثم رأيت كل كتاب من ربع العادات قد أتى على جملة من الآداب فاستثقلت تكريرها وإعادتها ، فإن طلب الإعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة المعادات ، فرأيت أن أقتصر فى هذا الكتاب على ذكر آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه المأثورة عنه بالإسناد فأسردها مجموعة فصلا فصلا محذوفة الأسانيد ليجتمع فيه مع جميع الآداب تجديد الإيمان وتأكيده بمشاهدة أخلاقه الكريمة التى شهد آحادها على القطع بأنه أكرم خلق الله تعالى وأعلاهم رتبة وأجلهم قدرا فكيف مجموعها ؟ ثم أضيف إلى ذكر أخلاقه ذكر خلقته ثم ذكر معجزاته التى صحت بها الأخبار ليكون ذلك معربا عن مكارم الأخلاق والشيم ، ومنتزعا عن آذان الجاحدين لنبوته صمام الصمم . والله تعالى ولى التوفيق للاقتداء بسيد المرسلين فى الأخلاق والأحوال وسائر معالم الدين فإنه دليل المتحيرين ومجيب دعوة المضطرين . ولنذكر فيه أولا بيان تأديب الله تعالى إياه بالقرآن ، ثم بيان جوامع من محاسن أخلاقه ، ثم بيان جملة من آدابه وأخلاقه ، ثم بيان كلامه وضحكه ، ثم بيان أخلاقه وآدابه فى الطعام ، ثم بيان أخلاقه وآدابه فى اللباس ، ثم بيان عفوه مع القدرة ثم بيان إغضائه عما كان يكره ، ثم بيان سخاوته وجوده ، ثم بيان شجاعته وبأسه ، ثم بيان تواضعه ، ثم بيان صورته وخلقته ، ثم بيان جوامع معجزاته وآياته صلى الله عليه وسلم .

بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال من الله تعالى أن يزينه بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق ، فكان يقول فى دعائه «اللهم حسن خلقى وخلقى [1] » ويقول « اللهم جنبنى منكرات الأخلاق [2] » فاستجاب الله تعالى دعاءه وفاء بقوله عز وجل ﴿ ادعونى أستجب لكم ﴾ فأنزل عليه القرآن وأدبه به فكان خلقه القرآن .

قال سعد بن هشام : دخلت على عائشة رضى الله عنها وعن أبيها فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : أما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، قالت : كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن [3] .

وإنما أدبه القرآن بمثل قوله تعالى ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ وقوله ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ﴾ وقوله ﴿ واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ وقوله ﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ وقوله ﴿ فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ﴾ وقوله ﴿ وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ وقوله ﴿ ادفع بالتى هى أحسن فإذا فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ﴾ وقوله ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ وقوله ﴿ اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ﴾ ولما كسرت رباعيته وشج يوم أحد فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم ويقول « كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم [4] » فأنزل الله تعالى ﴿ ليس لك من الأمر شىء ﴾ تأديبا له على ذلك .

وأمثال هذه التأديبات فى القرآن لاتحصر وهو عليه السلام المقصود الأول بالتأديب والتهذيب ، ثم منه يشرق النور على كافة الخلق فإنه أدب بالقرآن وأدب الخلق به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق [5] » ثم رغب الخلق فى محاسن الأخلاق بما أوردناه فى كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق فلا نعيده ، ثم لما أكمل الله تعالى خلقه أثنى عليه فقال تعالى ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ فسبحانه ما أعظم شأنه وأتم امتنانه ثم انظر إلى عميم لطفه وعظيم فضله كيف أعطى ثم أثنى ؟ فهو الذى زينه بالخلق الكريم ثم أضاف إليه ذلك فقال ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ ثم بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للخلق أن الله يحب مكارم الأخلاق ويبغض سفسافها [6] قال على رضى الله عنه يا عجبا لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لقد كان ينبغى له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق فإنها مما تدل على سبيل النجاة . فقال له رجل : أسمعته من رسول الله

كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة

(١) حديث : كان يقول فى دعائه « اللهم حسن خلقى وخلقى » أخرجه أحمد من حديث ابن مسعود ومن حديث عائشة ولفظهما « اللهم أحسنت خلقى فأحسن خلقى » وإسنادها جيد وحديث ابن مسعود رواه ابن حبان (٢) حديث « اللهم جنبنى منكرات الأخلاق » أخرجه الترمذى وحسنه والحاكم وصححه واللفظ له من حديث قطبة بن مالك وقال الترمذى « اللهم إنى أعوذ بك » (٣) حديث سعد بن هشام : دخلت على عائشة فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن . رواه مسلم ووهم الحاكم فى قوله إنهما لم يخرجاه . (٤) حديث : كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم أحد ... الحديث ، فى نزول « ليس لك من الأمر شىء » أخرجه مسلم من حديث أنس وذكره البخارى تعليقا (٥) حديث « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » أخرجه أحمد والحاكم والبيهقى من حديث أبى هريرة قال الحاكم صحيح على شرط مسلم وقد تقدم فى آداب الصحبة .

(٦) حديث « إن الله يحب معالى الأخلاق ويبغض سفسافها » أخرجه البيهقى من حديث سهل بن سعد متصلا ومن رواية طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلا ورجالهما ثقات .

صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؟ فقال نعم وما هو خير منه لما أتى بسبايا طيء وقفت جارية فى السبي فقالت : يامحمد إن رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب فإنى بنت سيد قومى وإن أبى كان يحمى الذمار ويفك العانى ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشى السلام ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا ابنة حاتم الطائى . فقال صلى الله عليه وسلم « ياجارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق وإن الله يحب مكارم الأخلاق » فقام أبو بردة بن نيار فقال : يارسول الله ؛ الله يحب مكارم الأخلاق ؟ فقال « والذى نفسى بيده لايدخل الجنة إلا حسن الأخلاق [1] » وعن معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الله حف الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال [2] » ومن ذلك حسن المعاشرة وكرم الصنيعة ولين الجانب وبذل المعروف وإطعام الطعام وإفشاء السلام وعيادة المريض المسلم برا كان أو فاجرا وتشييع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاورت ـ مسلما كان أو كافرا ـ وتوقير ذى الشيبة المسلم وإجابة الطعام والدعاء عليه والعفو والإصلاح بين الناس والجود والكرم والسماحة والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس واجتناب ماحرمه الإسلام من اللهو والباطل والغناء والمعازف كلها وكل ذى وتر وكل ذى دخل والغابة والكذب والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة والنميمة وسوء ذات البين وقطيعة الأرحام وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة والبذخ والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغى والعدوان والظلم . قال أنس رضى الله عنه . فلم يدع نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها ولم يدع غشا ـ أو قال عيبا ، أو قال شيئا ـ إلا حذرناه ونهانا عنه [3] ويكفى من ذلك كله هذه الآية ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ الآية وقال معاذ : أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «يامعاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل ولزوم الإيمان والتفقه فى القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح ، وأنهاك أن تسب حكيما أو تكذب صادقا أوتطيع آثما أوتعصى إماما عادلا أو تفسد أرضا وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر ، وأن تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية [4] » فهكذا أدب عباد الله ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب .

بيان جملة من محاسن أخلاقه التى جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار

فقال : كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس [5] وأشجع الناس [6] وأعدل الناس [7] وأعف الناس لم تمس يده قط

---

(١) حديث على قوله : واعجبا لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا ... الحديث . وفيه مرفوعا « لما أتى بسبايا طيء وقفت جارية فى السبي فقالت : يامحمد إن رأيت أن تخلى عنى ... الحديث أخرجه الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول بإسناد فيه ضعف (٢) حديث معاذ « حف الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ... الحديث » بطوله لم أقف له على أصل ويغنى عنه حديث معاذ الآتى بعده بحديث (٣) حديث أنس : لم يدع صلى الله عليه وسلم نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها . لم أقف له على اسناد وهو صحيح من حيث الواقع (٤) حديث « يامعاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث ... الحديث » أخرجه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الزهد وقد تقدم فى آداب الصحبة (٥) حديث : كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس . أخرجه أبو الشيخ فى كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عبد الرحمن بن أبزى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحلم الناس ... الحديث . وهو مرسل . وروى أبو حاتم بن حبان من حديث عبد الله بن سلام فى قصة اسلام زيد بن شعثة من أحبار اليهود وقول زيد لعمر بن الخطاب : ياعمر كل علامات النبوة قد عرفتها فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولاتزيده شدة الجهل عليه الا حلما فقد اختبرتهما .. الحديث »

(٦) الحديث : أنه كان أشجع الناس . متفق عليه من حديث أنس (٧) حديث : كان أعدل الناس . أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث على بن أبى طالب فى الحديث الطويل فى صفته صلى الله عليه وسلم : لايقصر عن الحق ولايجاوزه . وفيه :

يد امرأة لايملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه [١] وكان أسخى الناس [٢] لايبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل شيء ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه [٣] لايأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر مايجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك فى سبيل الله [٤] لايسأل شيئا إلا أعطاه [٥] ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى إنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء [٦] وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم فى مهنة أهله [٧] ويقطع اللحم معهن [٨] وكان أشد الناس حياء لايثبت بصره فى وجه أحد [٩] ويجيب دعوة العبد والحر [١٠] ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها [١١]

= قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده فى الحق سواء .. الحديث . وفيه من لم يسم (١) حديث : كان أعف الناس لم تمس يده قط يد امرأة لايملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم له . أخرجه الشيخان من حديث عائشة : مامست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة إلا امرأة يملكها (٢) حديث : كان صلى الله عليه وسلم أسخى الناس . أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس « فضلت على الناس بأربع . بالسخاء والشجاعة ... الحديث . ورجاله ثقات. وقال صاحب الميزان إنه منكر وفى الصحيحين من حديثه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس واتفقا عليه من حديث ابن عباس . وتقدم فى الزكاة (٣) حديث : كان لايبيت عنده دينار ولا درهم قط وإن فضل ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل لم يأو إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه . أخرجه أبو داود من حديث بلال فى حديث طويل فيه : أهدى صاحب فدك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركائب عليهن كسوة وطعام وبيع بلال لذلك ووفاء دينه ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد فى المسجد وحده . وفيه : قال « فضل شيء » قلت : نعم ، ديناران قال « انظر أن تريحنى منهما فلست بداخل على أحد من أهلى حتى تريحنى منهما » فلم يأتنا أحد فبات فى المسجد حتى أصبح وظل فى المسجد اليوم الثانى حتى إذا كان فى آخر النهار جاء راكبان فانطلقت بهما فكسوتهما وأطعمتهما حتى إذا صلى العتمة دعانى فقال « مافعل الذى قبلك ؟ » قلت : قد أراحك الله منه ؛ فكبر وحمد الله شفقا من أن يدركه الموت وعنده ذلك ثم اتبعته حتى جاء أزواجه ... الحديث . وللبخارى من حديث عقبة بن الحارث : ذكرت وأنا فى الصلاة فكرهت أن يمسى ويبيت عندنا فأمرت بقسمته . ولأبى عبيد فى غريبه من حديث الحسن بن محمد مرسلا : كان لايقبل مالا عنده ولايبيته (٤) حديث : كان لايأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر مايجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك فى سبيل الله . متفق عليه بنحوه من حديث عمر بن الخطاب وقد تقدم فى الزكاة .

(٥) حديث : كان لايسئل شيئاً إلا أعطاه . أخرجه الطيالسى والدارمى من حديث سهل بن سعد وللبخارى من حديثه : فى الرجل الذى سأله الشملة فقيل له سألته إياها وقد علمت أنه لايرد سائلا ... الحديث . ولمسلم من حديث أنس : ماسئل على الإسلام شيئاً إلا أعطاه . وفى الصحيحين من حديث جابر : ماسئل شيئاً قط فقال : لا (٦) حديث : أنه كان يؤثر مما ادخر لعياله حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام . هذا معلوم ويدل عليه مارواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث ابن عباس : أنه صلى الله عليه وسلم توفى ودرعه مرهونة بعشرين صاعا من طعام أخذه لأهله . وقال ابن ماجه بثلاثين صاعا من شعير . وإسناده جيد والبخارى من حديث عائشة : توفى ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين وفى رواية البيهقى : بثلاثين صاعا من شعير .

(٧) حديث : وكان صلى الله عليه وسلم يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم فى مهنة أهله . أخرجه أحمد من حديث عائشة : كان يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل فى بيته كما يعمل أحدكم فى بيته . ورجاله رجال الصحيح ورواه أبو الشيخ بلفظ : ويرقع الثوب . وللبخارى من حديث عائشة : كان يكون فى مهنة أهله .

(٨) حديث : أنه كان يقطع اللحم . أخرجه أحمد من حديث عائشة : أرسل إلينا آل أبى بكر بقائمة شاة ليلا فأمسكت وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أو قالت ـ فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعت . وفى الصحيحين من حديث عبد الرحمن ابن أبى بكر فى أثناء حديث : وايم الله مامن الثلاثين ومائة إلا حز له رسول الله صلى الله عليه وسلم من سواد بطنها .

(٩) حديث : كان من أشد الناس حياء لايثبت بصره فى وجه أحد . أخرجه الشيخان من حديث أبى سعيد الخدرى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها (١٠) حديث : كان يجيب دعوة العبد والحر . أخرجه الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث أنس : كان يجيب دعوة المملوك . قال الحاكم صحيح الإسناد . قلت : بل ضعيف والدارقطنى فى غرائب مالك وضعفه والخطيب فى أسماء من روى عن مالك من حديث أبى هريرة : كان يجيب دعوة العبد إلى أى طعام دعى ويقول « لودعيت إلى كراع لأجبت » . وهذا بعمومه دال على إجابة دعوة الحر وهذه القطعة الأخيرة عند البخارى من حديث أبى هريرة وقد تقدم وروى ابن سعد من رواية حمزة بن عبد الله بن عتبة : كان لايدعوه أحمر ولا أسود من الناس إلا اجابه ... الحديث . وهو مرسل (١١) حديث : كان يقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها أخرجه البخارى من حديث عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها . وأما ذكر : جرعة اللبن ، وفخذ الأرنب . فى الصحيحين من حديث أم الفضل : أنها أرسلت بقدح لبن إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة فشربه . ولأحمد من =

ويأكلها ولا يأكل الصدقة [١] ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين [٢] يغضب لربه ولا يغضب لنفسه [٣] وينفذ الحق وإن عاد ذلك عليه بالضرر أو على أصحابه . وعرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو فى قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيده فى عدد من معه فأبى وقال : أنا لا أنتصر بمشرك [٤] وجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وإن بأصحابه لحاجة إلى بعير واحد يتقوون به [٥] وكان يعصب الحجر على بطنه مرة من الجوع [٦] ومرة يأكل ماحضر ولا يرد ماوجد ولا يتورع عن مطعم حلال وإن وجد تمرا دون خبز أكله [٧] وإن وجد شواء أكله وإن وجد خبز بر أو شعير أكله وإن وجد حلوا أو عسلا أكله وإن وجد لبنا دون خبز اكتفى به وإن وجد بطيخا أو رطبا أكله ، لا يأكل متكئا [٨] ولا على خوان [٩] منديله باطن قدميه [١٠] لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية [١١] حتى لقى الله تعالى إيثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا يجيب الوليمة [١٢]

= حديث عائشة : أهدت أم سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا ... الحديث . وفى الصحيحين من حديث أنس : أن أبا طلحة بعث بورك أرنب أو فخذها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله (١) حديث : كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة . متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم (٢) حديث : كان لا يستكبر أن يمشى مع المسكين . أخرجه النسائى والحاكم من حديث عبد الله بن أبى أوفى بسند صحيح وقد تقدم فى الباب الثانى من آداب الصحبة ورواه الحاكم أيضاً من حديث أبى سعيد الخدرى وقال صحيح على شرط الشيخين (٣) حديث : كان يغضب لربه ولا يغضب لنفسه . أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث هند ابن أبى هالة وفيه : وكان لا تغضبه الدنيا وما كان منها فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شىء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها . وفيه من لم يسم (٤) حديث : وينفذ الحق وإن عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو فى قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيد فى عدد من معه فأبى وقال « أنا لا أستنصر بمشرك » أخرجه مسلم من حديث عائشة : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ففرح به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فلما أدركه قال جئت لأتبعك وأصيب معك فقال له « أتؤمن بالله ورسوله » قال : لا . قال « فارجع فلن أستعين بمشرك ... الحديث » (٥) حديث : وجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم فوداه بمائة ناقة . . الحديث . متفق عليه من حديث سهل بن أبى حثمة ورافع بن خديج والرجل الذى وجد مقتولا هو عبد الله ابن سهل الأنصارى .

(٦) حديث : كان يعصب الحجر على بطنه من الجوع . متفق عليه من حديث جابر فى قصة حفر الخندق وفيه : فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم شد على بطنه حجرا ؛ وأغرب ابن حبان فقال فى صحيحه إنما هو الحجز — بضم الحاء وآخره زاى — جمع حجزة وليس بمتابع على ذلك . ويرد على ذلك مارواه الترمذى من حديث أبى طلحة : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين . ورجاله كلهم ثقات

(٧) حديث : كان يأكل ماحضر ولا يرد ماوجد ولا يتورع من مطعم حلال إن وجد تمرا دون خبز أكله وإن وجد خبز بر أو شعير أكله وإن وجد حلوا أو عسلا أكله وإن وجد لبنا دون خبز اكتفى به وإن وجد بطيخا أو رطبا أكله . انتهى . هذا كله معروف من أخلاقه ففى الترمذى من حديث أم هانئ دخل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال « أعندك شىء ؟ » قلت : لا ، إلا خبز يابس وخل فقال « هات » الحديث ، وقال حسن غريب وفى كتاب الشمائل لأبى الحسن بن الضحاك بن المقرى من رواية الأوزاعى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أبالى ماردد به الجوع » وهذا معضل ، ولمسلم من حديث جابر : أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل أهله الأدم فقالوا : ماعندنا إلا خل ، فدعا به ... الحديث . وله من حديث أنس : رأيته مقعيا يأكل تمرات والترمذى وصححه من حديث أم سلمة أنها قربت إليه جنبا مشويا فأكل منه ... الحديث . وللشيخين من حديث عائشة : ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا خبز بر حتى مضى لسبيله . لفظ مسلم وفى رواية له : ماشبع من خبز شعير يومين متتابعين . والترمذى وصححه وابن ماجه من حديث ابن عباس : كان أكثر خبزهم الشعير . وللشيخين من حديث عائشة : كان يحب الحلواء والعسل . ولهما من حديث ابن عباس : أن النبى صلى الله عليه وسلم شرب لبنا فدعا بماء فمضمض . والنسائى من حديث عائشة كان يأكل الرطب بالبطيخ وإسناده صحيح (٨) حديث : أنه كان لا يأكل متكئا . تقدم فى آداب الأكل من الباب الأول (٩) حديث : أنه كان لا يأكل على خوان . تقدم فى الباب المذكور (١٠) حديث : كان منديله باطن قدمه . لا أعرفه من فعله وإنما المعروف فيه مارواه ابن ماجه من حديث جابر : كنا زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قليلا ماتجد الطعام فإذا وجدناه لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا . وقد تقدم فى الطهارة (١١) حديث : لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقى الله . تقدم فى جملة الأحاديث التى قبله بثلاثة أحاديث (١٢) حديث : كان يجيب الوليمة . هذا معروف وتقدم قوله « لو دعيت إلى كراع لأجبت » وفى الأوسط للطبرانى من حديث ابن عباس : أنه كان الرجل من أهل العوالى ليدعو رسول الله =

ويعود المرضى [١] ويشهد الجنائز ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس [٢] أشد الناس تواضعا وأسكنهم في غير كبر [٣] وأبلغهم في غير تطويل [٤] وأحسنهم بشرا [٥] لا يهوله شيء من أمر الدنيا [٦] ويلبس ماوجد فمرة شملة ومرة برد حبرة يمانيا ومرة جبة صوف ماوجد من المباح لبس [٧] وخاتمه فضة [٨] يلبسه في خنصره الأيمن [٩] والأيسر [١٠] يردف خلفه عبده أو غيره [١١] يركب ماأمكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة يمشي راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى في أقصى المدينة [١٢] يحب الطيب ويكره الرائحة

صلى الله عليه وسلم بنصف الليل على خبز الشعير فيجيب : ولاسناده ضعيف (١) حديث : كان يعود المريض ويشهد الجنازة أخرجه الترمذي وضعفه ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أنس ورواه الحاكم من حديث سهل بن حنيف ، وقال صحيح الإسناد وفي الصحيحين عدة أحاديث من عيادته للمرضى وشهوده للجنائز (٢) حديث : كان يمشي وحده بين أعدائه بلا حارس . أخرجه الترمذي والحاكم من حديث عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ فأخرج رأسه من القبة فقال « انصرفوا فقد عصمني الله » قال الترمذي غريب وقال الحاكم صحيح الإسناد .

(٣) حديث : كان أشد الناس تواضعا وأسكنهم من غير كبر . رواه أبو الحسن بن الضحاك في الشمائل من حديث أبي سعيد الخدري في صفته صلى الله عليه وسلم : هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه — الى أن قال — متواضع في غير ذلة — وفيه — ذائب الإطراق . واسناده ضعيف وفي الأحاديث الصحيحة الدالة على شدة تواضعه غنية عنه منها عند النسائي من حديث ابن أبي أوفى : كان لايأنف ولايستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين ... الحديث . وقد تقدم وعند أبي داود من حديث البراء : فجلس وجلسنا كأن على رءوسنا الطير .. الحديث . ولأصحاب السنن من حديث أسامة بن شريك : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كأنما على رءوسهم الطير (٤) حديث : كان أبلغ الناس من غير تطويل . أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة : كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه . ولهما من حديثها : لم يكن يسرد الحديث كسردكم علقه البخاري ووصله مسلم زاد الترمذي : ولكنه كان يتكلم بكلام يبينه فصل يحفظه من جلس اليه وله في الشمائل من حديث ابن أبي هالة : يتكلم بجوامع الكلم فصل لافضول ولاتقصير (٥) حديث : كان أحسنهم بشرا . أخرجه الترمذي في الشمائل من حديث علي بن أبي طالب : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق ... الحديث وله في الجامع من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء : مارأيت أحدا كان أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غريب قلت : وفيه ابن لهيعة .

(٦) حديث : كان لايهوله شيء من أمور الدنيا . أخرجه أحمد من حديث عائشة : ماأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا وماأعجبه أحد قط إلا ذو تقى وفي لفظ له : ما أعجب النبي صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا إلا أن يكون فيها ذو تقى . وفيه ابن لهيعة (٧) حديث : كان يلبس ماوجد فمرة شملة ومرة حبرة ومرة جبة صوف ماوجد من المباح لبس . أخرجه البخاري من حديث سهل بن سعد : جاءت امرأة ببردة . قال سهل : هل تدرون ما البردة ؟ هي الشملة منسوج في حاشيتها وفيه : نخرج الينا وأنها لإزاره . . الحديث ولابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في شملة قد عقد عليها . فيه الأحوص بن حكيم مختلف فيه وللشيخين من حديث أنس : كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلبسها الحبرة . ولهما من حديث المغيرة بن شعبة وعليه جبة من صوف (٨) حديث : خاتمه فضة . متفق عليه من حديث أنس : اتخذ خاتما من فضة (٩) حديث : لبسه الخاتم في خنصره الأيمن أخرجه مسلم من حديث أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة في يمينه . وللبخاري من حديثه : فإني لأرى بريقه في خنصره (١٠) حديث : تختمه في الأيسر أخرجه مسلم من حديث أنس : كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم في هذه — وأشار الى الخنصر من يده اليسرى —

(١١) حديث : لردافه خلفه عبده أو غيره : أردف صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد من عرفة . كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس ومن حديث أسامة ، وأردفه مرة أخرى على حمار وهو في الصحيحين أيضاً من حديث أسامة وهو مولاه وابن مولاه ، وأردف الفضل بن عباس من المزدلفة وهو في الصحيحين أيضاً من حديث أسامة ومن حديث ابن عباس والفضل بن عباس وأردف معاذ بن جبل وابن عمر وغيرهم من الصحابة .

(١٢) حديث : كان يركب ماأمكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة راجلا ومرة حافيا بلا رداء ولاعمامة ولاقلنسوة ، يعود المرضى في أقصى المدينة . في الصحيحين من حديث أنس : ركوبه صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة . ولمسلم من حديث جابر بن سمرة ركوبه الفرس عريا حين انصرف من جنازة ابن الدحداح ولمسلم من حديث سهل بن سعد : كان النبي صلى الله عليه وسلم فرس يقال له : اللحيف . ولهما من حديث ابن عباس : طاف النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على بعير . ولهما من حديث البراء : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء يوم حنين . ولهما من حديث أسامة : أنه صلى الله عليه وسلم ركب على حمار على إكاف .. الحديث . ولهما من حديث ابن عمر : كان يأتي قبا راكبا وماشيا . ولمسلم من حديثه في عيادته صلى الله عليه وسلم لسعد بن عبادة : فقام وقمنا معه ونحن بضعة عشر ما علينا نعال ولا خفاف ولا قلانس ولا قمص نمشي في السباخ ... الحديث .

الرديئة [١] ويجالس الفقراء [٢] ويؤاكل المساكين [٣] ويكرم أهل الفضل فى أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم [٤] يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم [٥] لايجفو على أحد [٦] يقبل معذرة المعتذر إليه [٧] يمزح ولا يقول إلا حقا [٨] يضحك من غير قهقهة [٩] يرى اللعب المباح فلاينكره [١٠] يسابق أهله [١١] وترفع الأصوات عليه فيصبر [١٢] وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها [١٣] وكان له عبيد وإماء لايرتفع عليهم فى

---

(١) حديث : كان يحب الطيب والرائحة الطيبة ويكره الروائح الرديئة . أخرجه النسائي من حديث أنس . حبب الى النساء والطيب وأبو داود والحاكم من حديث عائشة : أنها صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من صوف فلبسها فلما عرق وجد ريح الصوف فخلعها وكان يعجبه الريح الطيبة . لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ولابن عدى من حديث عائشة كان يكره أن يوجد منه الا ريح طيبة . (٢) حديث : كان يجالس الفقراء . أخرجه أبو داود من حديث أبى سعيد : جلست فى عصابة من ضعفاء المهاجرين وإن بعضهم ليستر بعضا من العرى ... الحديث . وفيه : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطنا ليعدل بنفسه فينا .. الحديث . وابن ماجه من حديث خباب : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا ... الحديث فى نزول قوله تعالى ﴿ ولاتطرد الذين يدعون ربهم ﴾ إسنادهما حسن (٣) حديث : مؤاكلته للمساكين أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام لايأوون الى أهل ولا مال ولاعلى أحد ، إذا أتته صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها وإذا أتته هدية أرسل اليهم وأصاب منها وأشركهم فيها . (٤) حديث : كان يكرم أهل الفضل فى أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم . أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث على الطويل فى صفته صلى الله عليه وسلم : وكان من سيرته إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم فى الدين . وفيه . ويؤلفهم ولاينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ... الحديث . وللطبراني من حديث جرير فى قصة إسلامه . فألقى الى كساءه ثم أقبل على أصحابه ثم قال إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه . وإسناده جيد ورواه الحاكم من حديث معبد بن خالد الأنصارى عن أبيه نحوه وقال صحيح الإسناد (٥) حديث . كان يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم . أخرجه الحاكم من حديث ابن عباس . كان يجل العباس لجلال الوالد والوالدة . وله من حديث سعد بن وقاص . أنه أخرج عمه العباس وغيره من المسجد فقال له العباس تخرجنا ونحن عصبتك وعمومتك وتسكن عليا فقال « ماأنا أخرجكم وأسكنه ولكن الله أخرجكم وأسكنه » قال فى الأول صحيح الإسناد وسكت عن الثانى وفيه مسلم الملائى ضعيف . فآثر عليا لفضله بتقدم إسلامه وشهوده بدرا والله أعلم وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد لايبقين فى المسجد باب إلا سد إلا باب أبى بكر . (٦) حديث . كان لايجفو على أحد . رواه أبو داود والترمذى فى الشمائل والنسائى فى اليوم والليلة من حديث أنس كان قلما يواجه رجلا بشىء يكرهه . وفيه ضعف وللشيخين من حديث أبى هريرة : أن رجلا استأذن عليه صلى الله عليه وسلم فقال « بئس أخو العشيرة فلما دخل ألان له القول ... الحديث »

(٧) حديث . يقبل معذرة المعتذر إليه . متفق عليه من حديث كعب بن مالك فى قصة الثلاثة الذين خلفوا وفيه : طفق المخلفون يعتذرون اليه فقبل منهم علانيتهم ... الحديث . (٨) حديث : يمزح ولايقول إلا حقا . أخرجه أحمد من حديث أبى هريرة وهو عند الترمذى بلفظ : قالوا انك تداعبنا : قال « إى ولا أقول إلا حقا » وقال حسن . (٩) حديث : ضحكه من غير قهقهة أخرجه الشيخان من حديث عائشة : مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا حتى أرى لهواته انما كان يتبسم . والترمذى من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء : ماكان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تبسما . قال صحيح غريب وله فى الشمائل فى حديث هند بن أبى هالة : جل ضحكه التبسم . (١٠) حديث : يرى اللعب المباح ولايكرهه . أخرجه الشيخان من حديث عائشة : فى لعب الحبشة بين يديه فى المسجد وقال لهم « دونكم يابنى أرفدة » وقد تقدم فى كتاب السماع . (١١) حديث : مسابقته صلى الله عليه وسلم أهله . أخرجه أبو داود والنسائى فى الكبرى وابن ماجه من حديث عائشة : فى مسابقته لها : وتقدم فى الباب الثالث من النكاح . (١٢) حديث : ترفع الأصوات عنده فيصبر . أخرجه البخارى من حديث عبد الله بن الزبير : قدم ركب من بنى تميم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر : أمر القعقاع بن معبد ، وقال عمر : بل أمر الأقرع بن حابس . فقال أبو بكر : ماأردت الا خلافى ؟ وقال عمر : ماأردت خلافك . فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله ﴾ . (١٣) حديث : وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها . أخرجه محمد بن سعد فى الطبقات من حديث أم سلمة : كان عيشنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن — أوقالت أكثر عيشنا — كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاح بالغابة ... الحديث . وفى رواية له : كانت لنا أعنز سبع فكان الراعى يبلغ بهن مرة الحمى ومرة أحدا ويروح بهن علينا وكانت لقاح بذى الجدل فيؤب الينا ألبانهم بالليل ... الحديث . وفى إسنادهما محمد بن عمر الواقدى ضعيف فى الحديث ، وفى الصحيحين من حديث سلمة بن الأكوع : كانت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ترعى بذى قرد ... الحديث . ولأبى داود من حديث لقيط بن صبرة . لنا غنم مائة لانريد أن تزيد فإذا ولد الراعى بهمة ذبحنا مكانها شاة ... الحديث

مأكل ولا ملبس [١] ولا يمضى له وقت فى غير عمل لله تعالى أو فيما لابد له منه من صلاح نفسه [٢] يخرج إلى بساتين أصحابه [٣] لا يحتقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء مستويا [٤] قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب ، نشأ فى بلاد الجهل والصحارى فى فقره وفى رعاية الغنم يتيما لا أب له ولا أم فعلمه الله تعالى جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز فى الآخرة والغبطة والخلاص فى الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول [٥] . وفقنا الله لطاعته فى أمره والتأسى به فى فعله آمين يارب العالمين .

بيان جملة أخرى من آدابه وأخلاقه

مما رواه أبو البختري قال : ماشتم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من المؤمنين بشتيمة إلا جعل لها كفارة ورحمة [٦] وما لعن امرأة قط ولا خادما بلعنة [٧] وقيل له وهو فى القتال : لو لعنتم يارسول الله فقال « إنما بعثت

---

(١) حديث : كان له عبيد وإماء فلا يرتفع عليهم فى مأكل ولا ملبس . أخرجه محمد بن سعد فى الطبقات من حديث سلمى قالت : كان خدم النبى صلى الله عليه وسلم أنا وخضرة ورضوى وميمونة بنت سعد أعتقهن كلهن . وإسناده ضعيف ، وروى أيضا أن أبابكر بن حزم كتب إلى عمر بن عبد العزيز بأسماء خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر : بركة — أم أيمن — وزيد ابن حارثة وأبا كبشة وأنسة وشقران وسفينة وثوبان ورباحا ويسارا وأبا رافع وأنا مويهبة ورافعا ، أعتقهم كلهم ، وفضالة ومدعما وكركرة وروى أبوبكر بن الضحاك فى الشمائل من حديث أبى سعيد الخدرى باسناد ضعيف : كان صلى الله عليه وسلم يأكل مع خادمه . ومسلم من حديث أبى اليسر « أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون ... الحديث » (٢) حديث : لا يمضى له وقت فى غير عمل لله تعالى أو فيما لابد منه من صلاح نفسه . أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث على بن أبى طالب : كان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءا لله وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ، ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فرد ذلك بالخاصة على العامة ... الحديث . (٣) حديث : يخرج إلى بساتين أصحابه . تقدم فى الباب الثالث من آداب الأكل (خروجه صلى الله عليه وسلم إلى بستان أبى الهيثم بن التيهان وأبى أيوب الأنصارى وغيرهما) .

(٤) حديث : لا يحتقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء واحدا . أخرجه البخارى من حديث سهل بن سعد : مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ماتقولون فى هذا ؟ » قالوا : حرى إن خطب أن ينكح ... الحديث . وفيه : فمر رجل من فقراء المسلمين فقال « ماتقولون فى هذا ؟ » قالوا : حرى إن خطب أن لاينكح ... الحديث . وفيه « هذا خير من ملء الأرض مثل هذا » ومسلم من حديث أنس : أن النبى صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقيصر والنجاشى وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عزوجل . (٥) حديث : قد جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ فى بلاد الجهل والصحارى وفى فقر وفى رعاية الغنم لا أب له ولا أم فعلمه الله جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز فى الآخرة والغبطة والخلاص فى الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول . هذا كله معروف معلوم فروى الترمذى فى الشمائل من حديث على بن أبى طالب فى حديثه الطويل فى صفته : وكان من سيرته فى جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه ... الحديث . وفيه : فسألته عن سيرته فى جلسائه فقال كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ... الحديث . وفيه : كان يخزن لسانه إلا فيما يعنيه . وفيه : قد ترك نفسه من ثلاث : من المراء والإكثار وما لا يعنيه ... الحديث . وقد تقدم بعضه ، وروى ابن مردويه من حديث ابن عباس فى قوله ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ﴾ قال : كان نبى الله صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ ولا يكتب . وقد تقدم فى العلم وللبخارى من حديث ابن عباس قال : إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ مافوق الثلاثين ومائة فى سورة الأنعام ﴿ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم ﴾ وأحمد وابن حبان من حديث أم سلمة فى قصة هجرة الحبشة : أن جعفرا قال للنجاشى أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ... الحديث . ولأحمد من حديث أبى بن كعب : إنى لفى صحراء ابن عشر سنين وأشهر فإذا كلام فوق رأسى .. الحديث والبخارى من حديث أبى هريرة : كنت أرعاها — أى الغنم — على قراريط لأهل مكة ولأبى يعلى وابن حبان من حديث حليمة : إنما نرجو كرامة الرضاعة من والد المولود وكان يتيما ... الحديث . وتقدم حديث « بعثت بمكارم الأخلاق » (٦) حديث « ماشتم أحدا من المؤمنين إلا جعلها الله كفارة ورحمة » متفق عليه من حديث أبى هريرة فى أثناء حديث فيه « فأى المؤمنين لعنته شتمته جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة » وفى رواية « فاجعلها زكاة ورحمة » وفى رواية « فاجعلها له كفارة وقربة » وفى رواية « فاجعل ذلك كفارة له يوم القيامة » (٧) حديث : مالعن امرأة ولا خادما قط . المعروف : ماضرب . مكان مالعن . كما هو متفق عليه من حديث عائشة وللبخارى من حديث أنس : لم يكن فاحشا ولا لعانا . وسيأتى الحديث الذى بعده فيه هذا المعنى » =

رحمة ولم أبعث لعانا [١] » وكان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه إلى الدعاء له [٢] وما ضرب بيده أحدا قط إلا أن يضرب بها فى سبيل الله تعالى ، وما انتقم من شىء صنع إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله ، وما خير بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك [٣] وما كان يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلا قام معه فى حاجته [٤] وقال أنس رضى الله عنه : والذى بعثه بالحق ماقال لى فى شىء قط كرهه « لم فعلته ؟ » ولا لامنى نساؤه إلا قال « دعوه إنما كان هذا بكتاب وقدر [٥] » قالوا : وما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مضجعا ، إن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرش له اضطجع على الأرض [٦] وقد وصفه الله تعالى فى التوراة قبل أن يبعثه فى السطر الأول فقال : محمد رسول الله عبدى المختار لافظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولايجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ، مولده بمكة وهجرته بطابة وملكه بالشام يأتزر على وسطه هو ومن معه دعاة للقرآن والعلم يتوضأ على أطرافه . وكذلك نعته فى الإنجيل . وكان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام [٧] ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف [٨] وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر [٩] وكان إذا لقى أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته عليها [١٠] وكان لايقوم ولايجلس إلا على ذكر الله [١١] وكان لايجلس إليه أحد وهو يصلى إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال « ألك حاجة؟ »

---

(١) حديث « إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعانا » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة (٢) حديث : كان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه ودعا له . أخرجه الشيخان من حديث أبى هريرة : قالوا يارسول الله إن دوسا قد كفرت وأبت فادع عليهم فقيل : هلكت دوس ، فقال « اللهم اهد دوسا وائت بهم » (٣) حديث : ماضرب بيده أحدا قط الا أن يضرب فى سبيل الله وماانتقم فى شىء صنع اليه الا أن تنتهك حرمة الله ... الحديث . متفق عليه من حديث عائشة مع اختلاف وقد تقدم فى الباب الثالث من آداب الصحبة (٤) حديث : ما كان يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلا قام معه فى حاجته أخرجه البخارى تعليقا من حديث أنس : ان كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت ووصله ابن ماجه وقال : فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت من المدينة فى حاجتها . وقد تقدم ، وتقدم أيضاً من حديث ابن أبى أوفى : ولا يأنف ولا يستكبر أن يمشى مع الأرملة والمسكين حتى يقضى لهما حاجتهما

(٥) حديث أنس : والذى بعثه بالحق ماقال فى شىء قط كرهه « لم فعلته ؟ » ولا لامنى أحد من أهله إلا قال « دعوه إنما كان هذا بكتاب وقدر » أخرجه الشيخان من حديث أنس : ماقال لشىء صنعته « لم صنعته » ولا لشىء تركته « لم تركته » وروى أبو الشيخ فى كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث له قال فيه : ولا أمرنى بأمر فتوانيت فيه فعاتبنى عليه ، فإن عاتبنى أحد من أهله قال « دعوه فلو قدر شىء كان » وفى رواية له « كذا قضى » (٦) حديث . ماعاب مضجعا ان فرشوا له اضطجع وان لم يفرشوا له اضطجع على الأرض . لم أجده بهذا اللفظ والمعروف . ماعاب طعاما . ويؤخذ من عموم حديث على بن أبى طالب . ليس بفظ ، الى أن قال . ولا عياب رواه الترمذى فى الشمائل والطبرانى وأبو نعيم فى دلائل النبوة ، وروى ابن أبى عاصم فى كتاب السنة من حديث أنس . ماأعلمه عاب شيئا قط . وفى الصحيحين من حديث عمر . اضطجاعه على حصير والترمذى وصححه من حديث ابن مسعود نام على حصير فقام وقد أثر فى جنبه . . الحديث (٧) حديث : كان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام . أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة (٨) حديث : ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف أخرجه الطبرانى ومن طريقه أبو نعيم فى دلائل النبوة من حديث على بن أبى طالب وهو من حديث أنس كان إذا لقى الرجل يكلمه لم يصرف وجهه حتى يكون هو المنصرف . ورواه الترمذى نحوه وقال غريب (٩) حديث : وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر . أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أنس الذى قبله : كان إذا استقبل الرجل فصافحه لاينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع . لفظ الترمذى وقال غريب .

(١٠) حديث : كان إذا لقى أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته . أخرجه أبو داود من حديث أبى ذر : وسأله رجل من عنزة هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصافحكم إذا لقيتموه ؟ قال : مالقيته قط إلا صافحنى ... الحديث ، وفيه الرجل الذى من عنزة ولم يسم وسماه البيهقى فى الأدب عبد الله وروينا فى ملوم الحديث للحاكم من حديث أبى هريرة قال : شبك بيدى أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وهو عند مسلم بلفظ : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده

(١١) حديث : كان لايقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله عز وجل أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث على فى حديثه الطويل فى صفته قال : على ذكر — بالتنوين —

فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته [١] وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة [٢] ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه [٣] لأنه كان حيث انتهى به المجلس جلس [٤] وما رؤى قط مادّ رجليه بين أصحابه حتى لايضيق بهما على أحد إلا أن يكون المكان واسعا لاضيق فيه ، وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة [٥] وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه [٦] وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التى تحته فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل [٧] وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه [٨] حتى يعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف محاسنه وتوجهه للجالس إليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة قال الله تعالى ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ ولقد كان يدعو أصحابه بكناهم إكراما لهم واستمالة لقلوبهم [٩] ويكنى من لم تكن له كنية فكان يدعى بما كناه به [١٠] ويكنى أيضا النساء اللاتى لهن الأولاد واللاتى لم يلدن يبتدئ لهن الكنى [١١]

---

(١) حديث : كان لايجلس إليه أحد وهو يصلى إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال « ألك حاجة ؟ » فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته لم أجده أصلا (٢) حديث : كان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة . أخرجه أبو داود والترمذى فى الشمائل من حديث أبى سعيد الخدرى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس فى المجلس احتبى بيديه وإسناده ضعيف والبخارى من حديث ابن عمر : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة محتبيا بيديه .

(٣) حديث : إنه لم يكن يعرف مجلسه من مجالس أصحابه . أخرجه أبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة وأبى ذر : قالا كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلس بين ظهرانى أصحابه فيجىء الغريب فلا يدرى أيهم هو ؟ حتى يسأل ... الحديث

(٤) حديث : إنه حيثما انتهى به المجلس جلس . رواه الترمذى فى الشمائل فى حديث على الطويل .

(٥) حديث : مارؤى قط مادا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بها على أحد إلا أن يكون المكان واسعا لاضيق فيه أخرجه الدارقطنى فى غرائب مالك من حديث أنس وقال باطل والترمذى وابن ماجه لم ير مقدما ركبتيه بين يدى جليس له ، زاد ابن ماجه قط ، وسنده ضعيف (٦) حديث . كان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولارضاع يجلسه عليه . أخرجه الحاكم وصحح إسناده من حديث أنس . دخل جرير بن عبد الله على النبى صلى الله عليه وسلم ، وفيه . فأخذ بردته فألقاها عليه فقال « اجلس عليها ياجرير » الحديث وفيه « فإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » وقد تقدم فى الباب الثالث من آداب الصحبة . وللطبرانى فى الكبير من حديث جرير . فألقى إلى كساء ولأبى نعيم فى الحلية . فبسط إلى رداءه .

(٧) حديث كان يؤثر الداخل بالوسادة التى تكون تحته ... الحديث تقدم فى الباب الثالث من آداب الصحبة .

(٨) حديث . مااستصفاه أحد الا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى يعطى كل من جلس اليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه وتوجهه للجالس اليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة . أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث على الطويل وفيه . ويعطى كل جلسائه نصيبه لايحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه . مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة .

(٩) حديث . كان يدعو أصحابه بكناهم اكراما لهم واستمالة لقلوبهم . فى الصحيحين فى قصة الغار من حديث أبى بكر . يا أبابكر ماظنك باثنين الله ثالثهما . وللحاكم من حديث ابن عباس . أنه قال لعمر ياأبا حفص أبصرت وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال عمر . انه لأول يوم كنانى فيه بأبى حفص . وقال صحيح على شرط مسلم وفى الصحيحين أنه قال لعلى . قم ياأبا تراب وللحاكم من حديث رفاعة بن مالك : أن أبا حسن وجد منفصا فى بطنه فتخلفت عليه — يريد عليا — ولأبى يعلى الموصلى من حديث سعد ابن أبى وقاص فقال من هذا ؟ أبو اسحق ؟ فقلت . نعم ، وللحاكم من حديث ابن مسعود . أن النبى صلى الله عليه وسلم كناه أبا عبد الرحمن ولم يولد له . (١٠) حديث . كان يكنى من لم يكن له كنية وكان يدعى بما كناه به أخرجه الترمذى من حديث أنس . قال كنانى صلى الله عليه وسلم ببقلة كنت أختليها — يعنى أبا حمزة — قال حديث غريب وابن ماجه . أن عمر قال لصهيب ابن مالك تكتنى وليس لك ولد ؟ قال كنانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى يحيى . وللطبرانى من حديث أبى بكرة . تدليت ببكرة من الطائف فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم فأنت أبو بكرة . (١١) حديث . كان يكنى النساء اللاتى لهن الأولاد واللاتى لم يلدن يبتدئ لهن الكنى . أخرجه الحاكم من حديث أم أيمن فى قصة شربها بول النبى صلى الله عليه وسلم . فقال « يا أم أيمن قومى الى تلك الفخارة ... الحديث » وابن ماجه من حديث عائشة . أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم كل أزواجك كنيته غيرى قال « فأنت أم عبد الله » والبخارى من حديث أم خالد . أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لها « ياأم خالد هذا سناه » وكانت صغيرة وفيه مولى الزبير لم يسم ولأبى داود بإسناد صحيح أنها قالت . يارسول الله كل صواحبى لهن كنى قال « فاكتنى بابنك عبد الله ابن الزبير » .

ويكنى الصبيان فيستلين به قلوبهم [١] وكان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا [٢] وكان أرأف الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس [٣] ولم تكن ترفع فى مجلسه الأصوات [٤] وكان إذا قام من مجلسه قال « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك » ثم يقول « علمنيهن جبريل عليه السلام [٥] » .

بيان كلامه وضحكه صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم أفصح الناس منطقا وأحلاهم كلاما ويقول [٦] :

أنا أفصح العرب [٧] وإن أهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد صلى الله عليه وسلم [٨] وكان نزر الكلام سمح المقالة إذا نطق ليس بمهذار وكان كلامه كخرزات نظمن [٩] قالت عائشة رضى الله تعالى عنها : كان لا يسرد الكلام كسردكم هذا كان كلامه نزرا وأنتم تنثرون الكلام نثرا [١٠] قالوا : وكان أوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل وكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد [١١] وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كأنه يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه [١٢] وكان جهير الصوت أحسن الناس نغمة [١٣] وكان طويل السكوت لا يتكلم فى غير

---

(١) حديث . كان يكنى الصبيان . فى الصحيحين من حديث أنس . أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأخ له صغير « يا أبا عمير ما فعل النغير » . (٢) حديث . كان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا . هذا من المعلوم ويدل عليه اخباره صلى الله عليه وسلم أن بنى آدم خيرهم بطىء الغضب سريع الفىء رواه الترمذى من حديث أبى سعيد الخدرى وقال حديث حسن وهو صلى الله عليه وسلم خير بنى آدم وسيدهم وكان صلى الله عليه وسلم لا ينضب لنفسه ولا ينتصر لها . رواه الترمذى فى الشمائل من حديث هند ابن أبى هالة . (٣) حديث . كان أرأف الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس . هذا من المعلوم ورويناه فى الجزء الأول من فوائد أبى الدحداح من حديث على فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم : كان أرحم الناس بالناس .. الحديث بطوله .

(٤) حديث : لم تكن ترفع فى مجلسه الأصوات . أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث على الطويل . (٥) حديث : كان إذا قام من مجلسه قال « سبحانك اللهم وبحمدك .. الحديث » أخرجه النسائى فى اليوم والليلة والحاكم فى المستدرك من حديث رافع ابن خديج وتقدم فى الأذكار والدعوات . (٦) حديث : كان أفصح الناس منطقا وأحلاهم كلاما . أخرجه أبو الحسن بن الضحاك فى كتاب الشمائل وابن الجوزى فى الوفاء بإسناد ضعيف من حديث بريدة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفصح العرب وكان يتكلم بالكلام لا يدرون ما هو حتى يخبرهم ؟

(٧) حديث « أنا أفصح العرب » أخرجه الطبرانى فى الكبير من حديث أبى سعيد الخدرى : أنا أعرب العرب . وإسناده ضعيف والحاكم من حديث عمر قال : قلت يا رسول الله ما بالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا ؟ الحديث : وفى كتاب الرعد والمطر لابن أبى الدنيا فى حديث مرسل : أن أعرابيا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : ما رأيت أفصح منك ؟

(٨) حديث : إن أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه الحاكم من حديث ابن عباس وصححه : كلام أهل الجنة عربى

(٩) حديث : كان نزر الكلام سمح المقالة إذا نطق ليس بمهذار وكأن كلامه خرزات النظم أخرجه الطبرانى من حديث أم معبد وكان منطقه خرزات نظم ينحدرن حلو المنطق لا نزر ولا هذر . وقد تقدم وسيأتى فى حديث عائشة بعده : كان إذا تكلم تكلم نزرا وفى الصحيحين من حديث عائشة : كان يحدثنا حديثا لو عده العاد لأحصاه . (١٠) حديث عائشة : كان لا يسرد كسردكم هذا كان كلامه نزرا وأنتم تنثرونه نثرا . اتفق الشيخان على أول الحديث وأما الجملتان الأخيرتان فرواه الخلعى فى فوائده بإسناد منقطع .

(١١) حديث : كان أوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل وكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد أخرجه عبد بن حميد من حديث عمر بسند منقطع والدارقطنى من حديث ابن عباس بإسناد جيد : أعطيت جوامع الكلم واختصر لى الحديث اختصارا . وشطره الأول متفق عليه — كما سيأتى — قال البخارى بلفظى فى جوامع الكلم أن الله جمع له الأمور الكثيرة فى الأمر الواحد والامرين ونحو ذلك . وللحاكم من حديث عمر المتقدم : كانت لغة اسمعيل قد درست فجاء بها جبريل فحفظنيها . (١١) حديث : كان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كلام يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه . رواه الترمذى فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة : بعثت بجوامع الكلم . ولأبى داود من حديث جابر : كان فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم ترتيل أو ترسيل . وفيه شيخ لم يسم وله وللترمذى من حديث عائشة : كان كلام النبى صلى الله عليه وسلم كلاما فصلا يفهمه كل من سمعه . وقال الترمذى : يحفظه من جلس إليه وقال الترمذى فى اليوم والليلة : يحفظه من سمعه وإسناده حسن .

(١٣) حديث : كان جهير الصوت أحسن الناس نغمة . أخرجه الترمذى والنسائى فى الكبرى من حديث صفوان بن عسال قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر بينا نحن عنده إذ ناداه أعرابى بصوت له جهورى : يا محمد فأجابه رسول الله صلى الله عليه =

حاجة [١] ولا يقول المنكر ولا يقول فى الرضا والغضب إلا الحق [٢] ويعرض عمن تكلم بغير جميل [٣] ويكنى عما اضطره الكلام إليه مما يكره [٤] وكان إذا سكت تكلم جلساؤه ولا يتنازع عنده [٥] فى الحديث ويعظ بالجد والنصيحة [٦] ويقول « لاتضربوا القرآن بعضه ببعض فإنه أنزل على وجوه [٧] » وكان أكثر الناس تبسما وضحكا فى وجوه أصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخلطا لنفسه بهم [٨] ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه [٩] وكان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا له [١٠] قالوا : ولقد جاءه أعرابى يوما وهو عليه السلام متغير اللون ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا : لاتفعل ياأعرابى فإنا ننكر لونه فقال : دعونى فوالذى بعثه بالحق نبيا لاأدعه حتى يتبسم ، فقال : يارسول الله بلغنا أن المسيح يعنى الدجال يأتى الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا أفترى لى بأبى أنت وأمى أنّ أكف عن ثريده تعففا وتنزها حتى أهلك هزالا أم أضرب فى ثريده حتى إذا تضلعت شبعا آمنت بالله وكفرت به ؟ قالوا : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال « لابل يغنيك الله بما يغنى به المؤمنين [١١] » قالوا : وكان

= وسلم على نحو من صوته « هاؤم » الحديث . وقال أحمد فى مسنده : وأجابه نحوا مما تكلم به ... الحديث . وقد يؤخذ من هذا أنه صلى الله عليه وسلم كان جهورى الصوت ولم يكن يرفعه دائما ، وقد يقال لم يكن جهورى الصوت وإنما رفع صوته رفقا بالأعرابى حتى لايكون صوته أرفع من صوته وهو الظاهر وللشيخين من حديث البراء : ماسمعت أحدا أحسن صوتا منه .

(١) حديث : كان طويل السكوت لايتكلم فى غير حاجة . أخرجه فى الشمائل من حديث هند بن أبي هالة .

(٢) حديث : لايقول المنكر ولا يقول فى الرضى والغضب إلا الحق . أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو قال : كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتنى قريش وقالوا تكتب كل شىء ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم فى الغضب والرضا فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأومأ بأصبعه إلى فيه وقال « اكتب فوالذى نفسى بيده ما يخرج منه إلا حق » رواه الحاكم وصححه . (٣) حديث : يعرض عمن تكلم بغير جميل . أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث على الطويل : يتغافل عما لايشتهى الحديث . (٤) حديث : يكنى عما اضطره الكلام بما يكره فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لامرأة رفاعة «حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك » رواه البخارى من حديث عائشة : ومن ذلك ما اتفقا عليه من حديثها فى المرأة التى سألته عن الاغتسال من الحيض « خذى فرصة ممسكة فتطهرى بها ... الحديث » . (٥) حديث : كان إذا سكت تكلم جلساؤه ولايتنازع عنده فى الحديث أخرجه الترمذى فى الشمائل فى حديث على الطويل . (٦) حديث يعظ بالجد والنصيحة . أخرجه مسلم من حديث جابر : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ... الحديث . (٧) حديث « لاتضربوا القرآن بعضه ببعض وأنه أنزل على وجوه » أخرجه الطبرانى من حديث عبدالله بن عمرو بإسناد حسن « إن القرآن يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض » وفى رواية للهروى فى ذم الكلام « إن القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض » وفى رواية له « أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض » وفى الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف » . (٨) حديث : كان أكثر الناس تبسما وضحكا فى وجوه أصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخلطا لنفسه بهم أخرجه الترمذى من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء : مارأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى الصحيحين من حديث جرير : ولا رآنى إلا تبسم . والترمذى فى الشمائل من حديث على : يضحك مما تضحكون منه ويتعجب مما تعجبون منه . ومسلم من حديث جابر بن سمرة : كانوا يتحدثون فى أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم .

(٩) حديث : ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه : متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود فى قصة آخر من يخرج من النار وفى قصة الحبر الذى قال . إن الله يضع السموات على أصبع . ومن حديث أبى هريرة فى قصة المجامع فى رمضان وغير ذلك

(١٠) حديث : كان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا له . أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة فى أثناء حديثه الطويل : جل ضحكه التبسم (١١) حديث : جاءه أعرابى يوما وهو متغير ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا: لاتفعل ياأعرابى ، فإنا ننكر لونه فقال : دعونى والذى بعثه بالحق نبيا لاأدعه حتى يتبسم . فقال : يارسول الله بلغنا أن المسيح الدجال يأتى الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا ... الحديث . وهو حديث منكر لم أقف له على أصل ويرده قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث المغيرة بن شعبة المتفق عليه حين سأله : أنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء قال « هو أهون على الله من ذلك » وفى رواية لمسلم . أنهم يقولون معه جبالا من خبز ولحم . . الحديث . نعم فى حديث حذيفة وأبى مسعود المتفق عليهما . إن معه ماء ونارا الحديث ...

من أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا مالم ينزل عليه قرآن أو يذكر الساعة أو يخطب بخطبة عظة [١] وكان إذا سر ورضى فهو أحسن الناس رضا فإن وعظ وعظ بجد وإن غضب - وليس يغضب إلا لله - لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان فى أموره كلها [٢] وكان إذا نزل به الأمر فوض الأمر إلى الله وتبرأ من الحول والقوة واستنزل الهدى فيقول « اللهم أرنى الحق حقا فأتبعه وأرنى المنكر منكرا وارزقنى اجتنابه وأعذنى من أن يشتبه على فأتبع هواى بغير هدى منك واجعل هواى تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسى فى عافية واهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم [٣] » .

بيان أخلاقه وآدابه فى الطعام

كان صلى الله عليه وسلم يأكل ماوجد [٤] وكان أحب الطعام إليه ما كان على ضفف [٥] والضفف ما كثرت عليه الأيدى ، وكان إذا وضعت المائدة قال « بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة [٦] » وكان كثيرا إذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجلس المصلى إلا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد [٧] » وكان لا يأكل الحار ويقول « إنه غير ذى

---

(١) حديث : كان من أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا مالم ينزل عليه القرآن أو يذكر الساعة أو يخطب بخطبة عظة . تقدم حديث عبد الله بن الحارث : مارأيت أحدا أكثر تبسما منه . وللطبراني فى مكارم الأخلاق من حديث جابر : كان إذا نزل عليه الوحى قلت : نذير قوم ، فإذا سرى عنه فأكثر الناس ضحكا ... الحديث . ولأحمد من حديث على أو الزبير : كان يخطب فيذكر بأيام الله حتى يعرف ذلك فى وجهه وكأنه نذير قوم يصبحهم الأمر غدوة ، وكان إذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه ورواه أبو يعلى من حديث الزبير من غير شك وللحاكم من حديث جابر : كان إذا ذكر الساعة أحمرت وجنتاه واشتد غضبه . وهو عند مسلم بلفظ : كان إذا خطب (٢) حديث : كان إذا سر ورضى فهو أحسن الناس رضا وإن وعظ وعظ بجد وإن غضب - ولا يغضب إلا الله - لم يقم لغضبه شيء ، وكذلك كان فى أموره كلها ، أخرجه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف غضبه ورضاه بوجهه كان إذا رضى فكأنما ملاحك الجدر وجهه ، ولإسناده ضعيف والمراد به المرآة توضع فى الشمس فيرى ضوءها على الجدار ، وللشيخين من حديث كعب بن مالك قال : وهو يبرق وجهه من السرور . وفيه : وكان إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه ... الحديث ، ومسلم : كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه ... الحديث ، وقد تقدم والترمذى فى الشمائل فى حديث هند بن أبي هالة : لا تغضبه الدنيا وما كان منها فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، وقد تقدم (٣) حديث : كان يقول « اللهم أرنى الحق حقا فأتبعه وأرنى المنكر منكرا وارزقنى اجتنابه وأعذنى من أن يشتبه على فأتبع هواى بغير هدى منك واجعل هواى تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسى فى عافية واهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم » لم أقف لأوله على أصل ، وروى المستغفرى فى الدعوات من حديث أبى هريرة . كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول « اللهم انك سألتنا من أنفسنا مالا نملكه الا بك فأعطنا منها مايرضيك عنا » ومسلم من حديث عائشة فيما كان يفتتح به صلاته من الليل « اهدنى لما اختلف فيه » الى آخر الحديث

بيان أخلاقه وآدابه فى الطعام

(٤) حديث : كان يأكل ماوجد تقدم (٥) حديث : كان أحب الطعام إليه ما كان على ضفف أى كثرت عليه الأيدى أخرجه أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط وابن عدى فى الكامل من حديث جابر بسند حسن : أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدى . ولأبي يعلى من حديث أنس : لم يجتمع له غداء وعشاء خبز ولحم إلا على ضفف . ولإسناده ضعيف (٦) حديث : كان إذا وضعت المائدة قال « بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة » أما التسمية فرواها النسائى من رواية : من خدم النبى صلى الله عليه وسلم ثمان سنين : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرب إليه طعاما يقول « بسم الله ... الحديث » ولإسناده صحيح وأما بقية الحديث فلم أجده (٧) حديث : كان كثيرا إذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وقدميه كما يفعل المصلى إلا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد » أخرجه عبد الرزاق فى المصنف من رواية أيوب معضلا : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل أحفز وقال « آكل كما يأكل العبد ... الحديث » وروى ابن الضحاك فى الشمائل من حديث أنس بسند ضعيف : كان إذا قعد على الطعام استوفز على ركبته =

بركة وإن الله لم يطعمنا نارا فأبردوه [١] » وكان يأكل مما يليه [٢] ويأكل بأصابعه الثلاث [٣] وربما استعان بالرابعة [٤] ولم يأكل بأصبعين ويقول « إن ذلك أكلة الشيطان [٥] » وجاءه عثمان بن عفان رضى الله عنه بفالوذج فأكل منه وقال « ماهذا ياعبد الله ؟ » قال : بأبى أنت وأمى نجعل السمن والعسل فى البرمة ونضعها على النار ثم نغليه ثم نأخذ مخ الحنطة إذا طحنت فنقليه على السمن والعسل فى البرمة ، ثم نسوطه حتى ينضج فيأتى كما ترى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هذا الطعام طيب [٦] » وكان يأكل خبز الشعير غير منخول [٧] وكان يأكل القثاء بالرطب [٨] وبالملح [٩] وكان أحب الفواكه الرطبة إليه البطيخ والعنب [١٠] وكان يأكل البطيخ بالخبز وبالسكر [١١] وربما أكله

= اليسرى وأقام اليمنى ثم قال « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأفعل كما يفعل العبد » وروى أبو الشيخ فى أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم بسند حسن من حديث أبى بن كعب : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يجثو على ركبتيه وكان لايتكئ . أورده فى صفة أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم . وللبزار من حديث ابن عمر « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد » ولأبى يعلى من حديث عائشة « آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد » وسندها ضعيف (١) حديث : كان لايأكل الحار ويقول « إنه غير ذى بركة وإن الله لم يطعمنا نارا » أخرجه البيهقى من حديث أبى هريرة بإسناد صحيح : أتى النبى صلى الله عليه وسلم يوما بطعام سخن فقال « مادخل بطنى طعام سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم » ولأحمد بإسناد جيد والطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث خولة بنت قيس : وقدمت له حريرة فوضع يده فيها فوجد حرها فقبضها . لفظ الطبرانى والبيهقى وقال أحمد : فأحرقت أصابعه فقال : حس . وللطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة « أبردوا الطعام فإن الطعام الحار غير ذى بركة » وله فيه وفى الصغير من حديثه أتى بصحفة تفور فرفع يده منها وقال « إن الله لم يطعمنا نارا » وكلاهما ضعيف (٢) حديث : كان يأكل مما يليه . أخرجه أبو الشيخ ابن حبان من حديث عائشة وفى إسناده رجل لم يسم وسماه فى رواية له وكذلك البيهقى فى روايته فى الشعب عبيد بن القاسم نسيب سفيان الثورى ، وقال البيهقى تفرد به عبيد هذا وقد رماه ابن معين بالكذب ، ولأبى الشيخ من حديث عبد الله بن جعفر نحوه (٣) حديث : أكله بأصابعه الثلاث . أخرجه مسلم من حديث كعب بن مالك (٤) حديث : استعانته بالرابعة . رويناه فى الغيلانيات من حديث عامر بن ربيعة وفيه القاسم بن عبد الله العمرى هالك وفى مصنف ابن أبى شيبة من رواية الزهرى مرسلا : كان النبى صلى الله عليه وسلم يأكل بالخمس (٥) حديث : لم يأكل بأصبعين ويقول « إن ذلك أكلة الشيطان » أخرجه الدارقطنى فى الأفراد من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف « لاتأكل بأصبع فإنه أكل الملوك ولا تأكل بأصبعين فإنه أكل الشياطين ... الحديث » .

(٦) حديث : جاءه عثمان بن عفان بفالوذج ... الحديث ، قلت : المعروف أن الذى صنعه عثمان : الخبيص رواه البيهقى فى الشعب من حديث ليث بن أبى سليم قال : إن أول من خبص الخبيص عثمان بن عفان ، قدمت عليه عير تحمل النقى والعسل ... الحديث . وقال هذا منقطع وروى الطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث عبد الله بن سلام : أقبل عثمان ومعه راحلة عليها غرارتان . وفيه : فإذا دقيق وسمن وعسل . وفيه : ثم قال لأصحابه كلوا هذا الذى تسميه فارس الخبيص . وأما خبر الفالوذج فرواه ابن ماجه بإسناد ضعيف من حديث ابن عباس قال : أول ماسمعنا بالفالوذج أن جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن أمتك تفتح عليهم الأرض ويفاض عليهم من الدنيا حتى إنهم ليأكلون الفالوذج ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : وما الفالوذج ؟ قال : يخلطون السمن والعسل جميعا . قال ابن الجوزى فى الموضوعات هذا حديث باطل لاأصل له (٧) حديث : كان يأكل خبز الشعير غير منخول : أخرجه البخارى من حديث سهل بن سعد (٨) حديث : كان يأكل القثاء بالرطب . متفق عليه من حديث عبد الله بن جعفر

(٩) حديث : كان يأكل القثاء بالملح . أخرجه أبو الشيخ من حديث عائشة وفيه يحيى بن هاشم كذبه ابن معين وغيره ورواه ابن عدى وفيه عباد بن كثير متروك (١٠) حديث : كان أحب الفاكهة الرطبة إليه البطيخ والعنب . أخرجه أبو نعيم فى الطب النبوى من رواية أمية بن زيد العبسى : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحب من الفاكهة العنب والبطيخ . وروى أبو الشيخ وابن عدى فى الكامل والطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب من حديث أنس : كان يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره ويأكل الرطب بالبطيخ ؛ وكان أحب الفاكهة اليه . فيه يوسف ابن عطية الصفار مجمع على ضعفه وروى ابن عدى من حديث عائشة : كان أحب الفاكهة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرطب والبطيخ . وله من حديث آخر لها . فإن خير الفاكهة العنب . وكلاهما ضعيف (١١) حديث . كان يأكل البطيخ بالخبز والسكر . أما أكل البطيخ بالخبز فلم أره وإنما وجدت أكل العنب بالخبز فيما رواه ابن عدى من حديث عائشة مرفوعا « عليكم بالمرازمة » قيل يارسول الله وما المرازمة ؟ قال « أكل الخبز مع العنب . فإن خير الفاكهة العنب وخير الطعام الخبز » واسناده ضعيف . وأما أكل البطيخ بالسكر فإن أريد بالسكر نوع من التمر والرطب مشهور فهو الحديث الآتى بعده وإن أريد به السكر الذى هو الطبرزد فلم أر له أصلا الا فى حديث منكر معضل رواه أبو عمر النوقانى فى كتاب البطيخ من رواية محمد بن على بن الحسين . أن النبى صلى الله عليه وسلم أكل بطيخا بسكر . وفيه موسى =

بالرطب [١] ويستعين باليدين جميعا ، وأكل يوما الرطب فى يمينه وكان يحفظ النوى فى يساره فمرت شاة فأشار إليها بالنوى فجعلت تأكل من كفه اليسرى وهو يأكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة [٢] وكان ربما أكل العنب خرطا يرى زؤانه على لحيته كخرز اللؤلؤ [٣] وكان أكثر طعامه الماء والتمر [٤] وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الأطيبين [٥] وكان أحب الطعام إليه اللحم ويقول « هو يزيد فى السمع وهو سيد الطعام فى الدنيا والآخرة ولو سألت ربى أن يطعمنيه كل يوم لفعل [٦] » وكان يأكل الثريد باللحم والقرع [٧] وكان يحب القرع ويقول « إنها شجرة أخى يونس عليه السلام [٨] » قالت عائشة رضى الله عنها وكان يقول « ياعائشة إذ طبختم قدرا فأكثروا فيها من الدباء فإنه يشد قلب الحزين [٩] » وكان يأكل لحم الطير الذى يصاد [١٠] وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له ويؤتى به فيأكله [١١] وكان إذا أكل اللحم لم يطأطئ رأسه إليه ويرفعه إلى فيه رفعا ثم ينتهشه انتهاشا [١٢] وكان يأكل الخبز والسمن [١٣] وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ، ومن القدر الدباء ومن الصباغ الخل ومن التمر

= ابن ابراهيم المروزى كذبه يحيى بن معين (١) حديث . أكل البطيخ بالرطب أخرجه الترمذى والنسائى من حديث عائشة وحسنه الترمذى وابن ماجه من حديث سهل بن سعد . كان يأكل الرطب بالبطيخ . وهو عند الدارمى بلفظ . البطيخ بالرطب

(٢) حديث . استعانته باليدين جميعاً فأكل يوما الرطب فى يمينه وكان يحفظ النوى فى يساره فمرت شاة فأشار اليها بالنوى فجعلت تأكل من كفه اليسرى وهو يأكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة . أما استعانته بيديه جميعا فرواه أحمد من حديث عبد الله بن جعفر قال . آخر مارأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى احدى يديه رطبات وفى الأخرى قثاء يأكل من هذه ويعض من هذه . وتقدم حديث أنس فى أكله بيديه قبل هذا بثلاثة أحاديث وأما قصته مع الشاة فرويناها فى فوائد أبى بكر الشافعى من حديث أنس بإسناد ضعيف .

(٣) حديث . ربما أكل العنب خرطا ... الحديث . أخرجه ابن عدى فى الكامل من حديث العباس والعقيلى فى الضعفاء من حديث ابن عباس هكذا مختصرا وكلاهما ضعيف . (٤) حديث . كان أكثر طعامه الماء والتمر . أخرجه البخارى من حديث عائشة . توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شبعنا من الأسودين التمر والماء . (٥) حديث . كان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الأطيبين » أخرجه أحمد من رواية اسماعيل بن أبى خالد عن أبيه قال . دخلت على رجل وهو يجمع لبنا بتمر وقال، ادن فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها الأطيبين ورجاله ثقات ولبهامه لايضر . (٦) حديث : كان أحب الطعام اليه اللحم ويقول « هو يزيد فى السمع وهو سيد الطعام فى الدنيا والآخرة ولو سألت ربى أن يطعمنيه كل يوم لفعل » أخرجه أبو الشيخ من رواية ابن سمعان قال : سمعت من علمائنا يقولون كان أحب الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم ... الحديث . والترمذى فى الشمائل من حديث جابر : أتانا النبى صلى الله عليه وسلم فى منزلنا فذبحنا له شاة فقال « كأنهم علموا أنا نحب اللحم » ولسناده صحيح وابن ماجه من حديث أبى الدرداء بإسناد ضعيف : سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم . (٧) حديث : كان يأكل الثريد باللحم والقرع أخرجه مسلم من حديث أنس . (٨) حديث : كان يحب القرع ويقول « إنها شجرة أخى يونس » أخرجه النسائى وابن ماجه من حديث أنس : كان النبى صلى الله عليه وسلم يحب القرع . وقال النسائى : الدباء ،وهو عند مسلم بلفظ: تعجبه وروى ابن مردويه فى تفسيره من حديث أبى هريرة فى قصة يونس : فلفظته فى أصل شجرة ، وهى الدباء . (٩) حديث « ياعائشة إذا طبختم قدرا فأكثروا فيها من الدباء فإنها تشد قلب الحزين . رويناه فى فوائد أبى بكر الشافعى . (١٠) حديث: كان يأكل لحم الطير الذى يصاد . أخرجه الترمذى من حديث أنس قال: كان عند النبى صلى الله عليه وسلم طير فقال « اللهم ائتنى بأحب الخلق إليك يأكل معى هذا الطير » فجاء على فأكل معه ، قال حديث غريب قلت وله طرق كلها ضعيفة . وروى أبو داود والترمذى واستغربه من حديث سفينة قال : أكلت مع النبى صلى الله عليه وسلم لحم حبارى . (١١) حديث : كان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له فيؤتى به فيأكله . قلت هذا هو الظاهر من أحواله فقد قال من تبع الصيد غفل رواه أبو داود والنسائى والترمذى من حديث ابن عباس وقال : حسن غريب وأما حديث صفوان بن أمية عند الطبرانى « قد كانت قبلى لله رسل كلهم يصطاد ويطلب الصيد » فهو ضعيف جدا . (١٢) حديث : كان إذا أكل اللحم لم يطأطئ رأسه اليه ورفعه الى فيه رفعا ثم نهشه . أخرجه أبو داود من حديث صفوان بن أمية قال : كنت آكل مع النبى صلى الله عليه وسلم فتناول اللحم من العظم فقال « أدن اللحم من فيك فإنه أهنأ وأمرأ » والترمذى من حديثه « انهش اللحم نهشا فإنه أهنى وأمرأ » وهو منقطع والذى قبله منقطع أيضاً وللشيخين من حديث أبى هريرة : فتناول الذراع فنهش منها نهشة ... الحديث . (١٣) حديث : كان يأكل الخبز والسمن . متفق عليه من حديث أنس فى قصة طويلة فيها : فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت أم سليم عكة فآدمته .. الحديث . وفيه : ثم أكل النبى صلى الله عليه وسلم . وفى رواية ابن ماجه : فصنعت فيها شيئاً من سمن ولا يصح وأبو داود وابن ماجه من حديث ابن عمر : وددت أن عندى خبزة بيضاء من بر سمراء ملبقة بسمن ... الحديث . قال أبو داود منكر .

العجوة [١] ودعا فى العجوة بالبركة وقال « هى من الجنة وشفاء من السم والسحر [٢] » وكان يحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء التى يقال لها الرجلة [٣] : وكان يكره الكليتين لمكانهما من البول [٤] وكان لا يأكل من الشاة سبعا : الذكر والأنثيين والمثانة والمرارة والغدد والحيا والدم ، ويكره ذلك [٥] وكان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث [٦] وما ذم طعاما قط لكن إن أعجبه أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم يبغضه إلى غيره [٧] وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما [٨] وكان يلعق بأصابعه الصحفة ويقول : آخر الطعام أكثر بركة [٩] : وكان يلعق أصابعه من الطعام حتى تحمر [١٠] وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه واحدة واحدة ويقول : إنه لا يدرى فى أى الطعام البركة [١١] :

---

(١) حديث : كان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن القدر الدباء ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة . وروى الشيخان من حديث أبى هريرة قال : وضعت بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم قصعة من ثريد ولحم فتناول الذراع وكانت أحب الشاة إليه ... الحديث . وروى أبو الشيخ من حديث ابن عباس : كان أحب اللحم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتف . ولإسناده ضعيف ومن حديث أبى هريرة : لم يكن يعجبه من الشاة إلا الكتف . وتقدم حديث أنس : كان يحب الدباء . قبل هذا بستة أحاديث ولأبى الشيخ من حديث أنس : كان أحب الطعام إليه الدباء . وله من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف : كان أحب الصباغ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخل . وله بالإسناد المذكور : كان أحب التمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العجوة .

(٢) حديث : دعا فى العجوة بالبركة وقال « هى من الجنة وشفاء من السم والسحر » أخرجه البزار والطبرانى فى الكبير من حديث عبد الله بن الأسود قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد سدوس فأهدينا له تمرا . وفيه : حتى ذكرنا تمر أهلنا هذا الجذامى فقال « بارك الله فى الجذامى وفى حديقة خرج هذا منها ... الحديث » قال أبو موسى المدينى : قيل هو تمر أحمر والترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة « العجوة من الجنة وهى شفاء من السم » وفى الصحيحين من حديث سعد بن أبى وقاص « من تصبح بسبع تمرات من عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر » . (٣) حديث : كان يحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء — التى يقال لها الرجلة — أبو نعيم فى الطب النبوى من حديث ابن عباس « عليكم بالهندباء فإنه ما يوم إلا ويقطر عليه قطرة من قطر الجنة » وله من حديث الحسن بن على وأنس بن مالك نحوه وكلها ضعيفة وأما الباذروج فلم أجد فيه حديثا وأما الرجلة فروى أبو نعيم من رواية ثوير قال : مر النبى صلى الله عليه وسلم بالرجلة وفى رجله قرحة فداواها بها فبرئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بارك الله فيك أنبتى حيث شئت فأنت شفاء من سبعين داء أدناه الصداع » وهذا مرسل ضعيف

(٤) حديث : كان يكره الكليتين لمكانهما من البول . رويناه فى جزء من حديث أبى بكر محمد بن عبيد الله بن الشخير من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف فيه أبو سعيد الحسن بن على العدوى أحد الكذابين . (٥) حديث : كان لا يأكل من الشاة الذكر والأنثيين والمثانة والمرارة والغدة والحيا والدم . أخرجه ابن عدى ومن طريقه البيهقى من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف ورواه البيهقى من رواية مجاهد مرسلا . (٦) حديث : كان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث . أخرجه مالك فى الموطأ عن الزهرى عن سليمان بن يسار مرسلا ووصله الدارقطنى فى غرائب مالك عن الزهرى عن أنس وفى الصحيحين من حديث جابر : أتى بقدر فيه خضرات من بقول فوجد لها ريحا ... الحديث . وفيه : قال فانى أناجى من لا تناجى . ولمسلم من حديث أبى أيوب فى قصة بعثه إليه بطعام فيه ثوم فلم يأكل منه وقال « إنى أكرهه من أجل ريحه » . (٧) حديث : ما ذم طعاما قط لكن إن أعجبه أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم يبغضه إلى غيره . تقدم أول الحديث وفى الصحيحين من حديث ابن عمر فى قصة الضب فقال « كلوا فإنه ليس بحرام ولا بأس به ولكنه ليس من طعام قومى » (٨) حديث : كان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما أما الضب ففى الصحيحين عن ابن عباس « لم يكن بأرض قومى فأجدنى أعافه » ولهما من حديث ابن عمر « أحلت لنا ميتتان ودمان » وفيه « أما الدمان : فالكبد والطحال » وللبيهقى موقوفا على زيد بن ثابت « إنى لآكل الطحال وما بى إليه حاجة إلا ليعلم أهلى أنه لا بأس به »

(٩) حديث : كان يلعق الصحفة ويقول « آخر الطعام أكثر بركة » أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان من حديث جابر فى حديث قال فيه : ولا ترفع القصعة حتى تلعقها — أو تلعقها — فإن آخر الطعام فيه البركة ومسلم من حديث أنس : أمرنا أن نسلت الصحفة وقال « إن أحدكم لا يدرى أى طعامه يبارك له فيه ؟ » . (١٠) حديث . كان يلعق أصابعه من الطعام حتى تحمر . أخرجه من حديث كعب بن مالك دون قوله حتى تحمر فلم أقف له على أصل . (١١) حديث كان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه واحدة واحدة ويقول « إنه لا يدرى فى أى أصابعه البركة » أخرجه مسلم من حديث كعب بن مالك . أن النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يمسح يده حتى يلعقها وله من حديث جابر . فإذا فرغ فليلعق أصابعه فإنه لا يدرى فى أى طعامه تكون البركة ؟ وللبيهقى فى الشعب من حديثه « لا يمسح أحدكم يده بالمنديل حتى يلعق يده فإن الرجل لا يدرى فى أى طعامه يبارك له فيه » .

وإذا فرغ قال « الحمد لله اللهم لك الحمد أطعمت فأشبعت وسقيت فأرويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه [١] » وكان إذا أكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلا جيدا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه [٢] وكان يشرب فى ثلاث دفعات وله فيها ثلاث تسميات وفى أواخرها ثلاث تحميدات [٣] وكان يمص الماء مصا ولا يعب عبا [٤] وكان يدفع فضل سؤره إلى من على يمينه [٥] فإن كان من على يساره أجل رتبة قال للذى على يمينه « السنة أن تعطى فإن أحببت آثرتهم [٦] » وربما كان يشرب بنفس واحد حتى يفرغ [٧] وكان لا يتنفس فى الإناء بل ينحرف عنه [٨] وأتى بإناء فيه عسل ولبن فأبى أن يشربه وقال « شربتان فى شربة وإدامان فى إناء واحد ؟ [٩] » ثم قال صلى الله عليه وسلم « لا أحرمه ولكنى أكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا وأحب التواضع فإنّ من تواضع لله رفعه الله » وكان فى بيته أشدّ حياء من العاتق لايسألهم طعاما ولا يتشهاه عليهم إن أطعموه أكل وما أعطوه قبل وما سقوه شرب [١٠] وكان ربما قام فأخذ ما يأكل بنفسه أو يشرب [١١] .

---

(١) حديث : وإذا فرغ قال « اللهم لك الحمد أطعمت وأشبعت وسقيت وأرويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه » أخرجه الطبرانى من حديث الحارث بن الحارث بسند ضعيف وللبخارى من حديث أبى أمامة : كان إذا فرغ من طعامه قال « الحمد لله الذى كفانا وآوانا غير مكفى ولا مكفور » وقال مرة « الحمد لله ربنا غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا » (٢) حديث : كان إذا أكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلا جيدا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه » أخرجه أبو يعلى من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف من أكل من هذه اللحوم شيئا فليغسل يده من ريح وضره لايؤذى من حذاءه » . (٣) حديث : كان يشرب فى ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات وفى آخرها ثلاث تحميدات » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة ورجاله ثقات ومسلم من حديث أنس : كان إذا شرب تنفس ثلاثا . (٤) حديث : كان يمص الماء مصا ولا يعبه عبا . أخرجه البغوى والطبرانى وابن عدى وابن قانع وابن منده وأبو نعيم فى الصحابة من حديث بهز : كان يستاك عرضا ويشرب مصا . وللطبرانى من حديث أم سلمة : كان لايعب . ولأبى الشيخ من حديث ميمونة : لايعب ولايلهث . وكلها ضعيفة . (٥) حديث : كان يدفع فضل سؤره إلى من عن يمينه . متفق عليه من حديث أنس . (٦) حديث : استئذانه من على يمينه إذا كان من على يساره أجل رتبة . متفق عليه من حديث سهل بن سعد . (٧) حديث : شربه بنفس واحد . أخرجه أبو الشيخ من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف وللحاكم من حديث أبى قتادة وصححه « إذا شرب أحدكم فليشرب بنفس واحد » ولعل تأويل هذين الحديثين على ترك التنفس فى الإناء والله أعلم . (٨) حديث : كان لايتنفس فى الإناء حتى ينحرف عنه . أخرجه الحاكم من حديث أبى هريرة « ولا يتنفس أحدكم فى الإناء إذا شرب منه ولكن إذا أراد أن يتنفس فليؤخره عنه ثم ليتنفس » وقال حديث صحيح الإسناد .

(٩) حديث : أتى بإناء فيه عسل ولبن فأبى أن يشربه وقال « شربتان فى شربة وإدامان فى إناء واحد ... الحديث » رواه البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله « شربتان فى شربة » إلى آخره وسنده ضعيف . (١٠) حديث : كان فى بيته أشد حياء من العاتق لايسألهم طعاما ولايتشهاه عليهم إن أطعموه أكل وما أطعموه قبل وماسقوه شرب » رواه الشيخان من حديث أبى سعيد : كان أشد حياء من العذراء فى خدرها ... الحديث . وقد تقدم ، وأما كونه كان لايسألهم طعاما فإنه أراد أى طعام بعينه من حديث عائشة : أنه قال ذات يوم « ياعائشة هل عندكم شىء ؟ » قالت : فقلت ماعندنا شىء ؟ الحديث وفيه : فلما رجع قلت : أهديت لنا هدية ، قال « ماهو » ؟ قلت : حيس ، قال « هاتيه » وفى رواية « قربيه » وفى رواية للنسائى « أصبح عندكم شىء تطعمينيه ؟ » ولأبى داود « هل عندكم طعام ؟ » والترمذى « أعندك غداء ؟ » وفى الصحيحين من حديث عائشة : فدعا بطعام فأتى بخبز وأدم من أدم البيت فقال « ألم أر برمة على النار فيها لحم ؟ .. الحديث » وفى رواية لمسلم « لوصنعتم لنا من هذا اللحم ... الحديث » فليس فى قصة بريرة إلا الاستفهام والرضا . والحكمة فيه بيان الحكم لا التشهى والله أعلم . وللشيخين من حديث أم الفضل : أنها أرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره فشربه . ولأبى داود من حديث أم هانئ : جاءت الوليدة بإناء فيه شراب فتناوله فشرب منه . وإسناده حسن . (١١) حديث : وكان ربما قام فأخذ ما يأكل أو يشرب بنفسه . أخرجه أبو داود من حديث أم المنذر بنت قيس . دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب ومعه على — وعلى ناقه — ولنا دوال معلقة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل منها ... الحديث . وإسناده حسن وللترمذى وصححه وابن ماجه من حديث كبشة : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب من فى قربة معلقة قائما ... الحديث .

بيان آدابه وأخلاقه فى اللباس

كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك [١] وكان يعجبه الثياب الخضر [٢] وكان أكثر لباسه البياض ويقول « ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم » وكان يلبس القباء المحشو للحرب وغير الحرب [٣] وكان له قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه [٤] وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الأزار فوق ذلك إلى نصف الساق [٥] وكان قميصه مشدود الأزرار وربما حل الأزرار فى الصلاة وغيرها [٦] وكانت له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها [٧] وربما لبس الكساء وحده ما عليه غيره [٨] وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول « إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد [٩] » وكان له ثوبان

بيان آدابه وأخلاقه فى اللباس

(١) حديث : كان يلبس من الثياب ماوجد من إزار أو رداء أو قميص أوجبة أو غير ذلك . أخرجه الشيخان من حديث عائشة . أنها أخرجت إزارا مما يصنع باليمن وكساء من هذه الملبدة فقالت فى هذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية : إزارا غليظا . ولهما من حديث أنس : كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه رداء نجرانى غليظ الحاشية ... الحديث . لفظ مسلم وقال البخارى برد نجراني . وابن ماجه بسند ضعيف من حديث ابن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قميصا قصير اليدين والطول . وأبو داود والترمذى وحسنه . والنسائى من حديث أم سلمة : كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص . ولأبى داود من حديث أسماء بنت يزيد : كانت يد قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرسغ . وفيه شهر ابن حوشب مختلف فيه وتقدم قبل هذا الحديث حديث : الجبة والشملة والحبرة . (٢) حديث : كان أكثر لباسه البياض ويقول « ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم » أخرجه ابن ماجه والحاكم من حديث ابن عباس « خير ثيابكم البياض فألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم » قال الحاكم : صحيح الإسناد وله ولأصحاب السنن من حديث سمرة « عليكم بهذه الثياب البياض فليلبسها أحياؤكم وكفنوا فيها موتاكم » لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وقال الترمذى حسن صحيح .

(٣) حديث « كان يلبس القباء المحشو للحرب وغير الحرب » أخرجه الشيخان من حديث المسور بن مخرمة : أن النبى صلى الله عليه وسلم قدمت عليه أقبية من ديباج مزرر بالذهب ... الحديث . وليس فى طرق الحديث لبسها إلا فى طريق علقها البخارى قال : فخرج وعليه قباء من ديباج مزررة بالذهب ... الحديث ومسلم من حديث جابر : لبس النبى صلى الله عليه وسلم يوما قباء من ديباج أهدى له ثم نزعه ... الحديث . (٤) حديث كان له قباء سندس فيلبسه ... الحديث » أخرجه أحمد من حديث أنس : أن أكيدر دومة أهدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم جبة سندس أو ديباج قبل أن ينهى عن الحرير فلبسها . والحديث فى الصحيحين وليس فيه أنه لبسها وقال فيه : وكان ينهى عن الحرير وعند الترمذى وصححه النسائى أنه لبسها ولكنه قال : بجبة ديباج منسوجة فيها الذهب

(٥) حديث : كان ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق رواه أبو الفضل محمد بن طاهر فى كتاب صفوة التصوف من حديث عبد الله بن يسر : كانت ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم إزاره فوق الكعبين وقميصه فوق ذلك ورداؤه فوق ذلك وإسناده ضعيف والحاكم وصححه من حديث ابن عباس : كان يلبس قميصا فوق الكعبين ... الحديث وهو عنده بلفظ : قميصا قصير اليدين والطول وعندهما والترمذى فى الشمائل من رواية الأشعث قال : سمعت عمتى تحدث عن عمها فذكر النبى صلى الله عليه وسلم وفيه : فإذا إزاره الى نصف ساقه ورواه النسائى وسمى الصحابى عبيد بن خالد واسم عمه الأشعث وهم بيت الأسود ولا يعرف (٦) حديث : كان قميصه مشدود الأزرار وربما حل الأزرار فى الصلاة وغيرها أبو داود والبيهقى والترمذى فى الشمائل من رواية معاوية بن قرة بن اياس عن أبيه قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فى رهط من مزينة وبايعناه وان قميصه لمطلق الأزرار . وللبيهقى من رواية زيد بن أسلم قال : رأيت ابن عمر يصلى محلولة أزراره فسألته عن ذلك فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله . وفى العلل للترمذى أنه سأل البخارى عن هذا الحديث فقال : أنا أتقى هذا الشيخ كأن حديثه موضوع يعنى زهير بن محمد راويه عن زيد بن أسلم قلت تابعه عليه الوليد بن مسلم عن زيد رواه ابن خزيمة فى صحيحه ، وللطبرانى من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى محتبيا محلل الأزرار (٧) حديث : كان له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها أخرجه أبو داود والترمذى من حديث قيلة بنت مخرمة قالت : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وعليه أسمال ملاءتين كانتا بزعفران قال الترمذى لا نعرفه الا من عبد الله بن حسان . قلت ورواته موثقون وأبو داود من حديث قيس بن سعد فاغتسل ثم ناوله أبى سعد ملحفة مصبوغة بزعفران أو ورس فاشتمل بها الحديث ورجاله ثقات .

(٨) حديث : ربما لبس الكساء وحده ليس عليه غيره رواه ابن ماجه وابن خزيمة من حديث ثابت بن الصامت : أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى بنى عبد الأشهل وعليه كساء متلفف به ... الحديث . وفى رواية البزار فى كساء (٩) حديث : كان له كساء ملبد يلبسه ويقول « أنا عبد ألبس كما يلبس العبد » أخرجه الشيخان من رواية أبى بردة قال : أخرجت الينا عائشة كساء ملبدا

لجمعته خاصة سوى ثيابه فى غير الجمعة [١] وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره ويعقد طرفيه بين كتفيه [٢] وربما أم به الناس على الجنائز [٣] وربما صلى فى بيته فى الإزار الواحد ملتحفا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الإزار الذى جامع فيه يومئذ [٤] وكان ربما صلى بالليل فى الإزار ويرتدى ببعض الثوب مما يلى هدبه ويلقى البقية على بعض نسائه فيصلى كذلك [٥] ولقد كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمة : بأبى أنت وأمى مافعل ذلك الكساء الأسود ؟ فقال «كسوته» فقالت مارأيت شيئا قط كان أحسن من بياضك على سواده [٦] وقال أنس : وربما رأيته يصلى بنا الظهر فى شملة عاقدا بين طرفيه [٧] وكان يتختم [٨] وربما خرج وفى خاتمه الخيط المربوط يتذكر به الشىء [٩] وكان يختم به على الكتب ويقول الخاتم على الكتاب خير من التهمة [١٠] وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة ، وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلى إليها [١١] وربما لم تكن العمامة فيشد العصابة

= وازارا غليظا فقالت : فى هذين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم . وللبخارى من حديث عمر « انما أنا عبد » ولعبد الرزاق فى المصنف من رواية أيوب السختيانى مرفوعا معضلا « انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد » وتقدم من حديث أنس وابن عمر وعائشة . متصلا .

(١) حديث : كان له ثوبان لجمعته خاصة ... الحديث . أخرجه الطبرانى فى الصغير والأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف زاد : فاذا انصرف طويناها الى مثله . ويرده حديث عائشه عند ابن ماجه : مارأيته يسب أحدا ولا يطوى له ثوب .

(٢) حديث : ربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره فعقد طرفيه بين كتفيه . أخرجه الشيخان من حديث عمر فى حديث اعتزاله أهله : فإذا عليه ازاره وليس عليه غيره . وللبخارى من رواية محمد بن المنكدر صلى بنا جابر فى ازار قد عقده من قبل قفاه وثيابه موضوعه على المشجب وفى رواية له وهو يصلى فى ثوب ملتحفا به ورداؤه موضوع وفيه : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يصلى هكذا (٣) حديث : ربما أم به الناس على الجنائز . لم أقف عليه (٤) حديث : ربما صلى فى بيته فى الإزار الواحد ملتحفا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الإزار الذى جامع فيه يومئذ أخرجه أبو يعلى بإسناد حسن من حديث معاوية قال : دخلت على أم حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى ثوب واحد فقلت : ياأم حبيبة أيصلى النبى صلى الله عليه وسلم فى الثوب الواحد ؟ قالت : نعم ، وهو الذى كان فيه ما كان — تعنى الجماع — ورواه الطبرانى فى الاوسط .

(٥) حديث : ربما كان يصلى بالليل ويرتدى ببعض الثوب مما يلى هدبه ويلقى البقية على بعض نسائه . أخرجه أبوداود من حديث عائشة : أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى ثوب بعضه على . ولمسلم : كان يصلى من الليل وأنا الى جنبه وأنا حائض وعلى مرط بعضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وللطبرانى فى الأوسط من حديث أبى عبد الرحمن حاضن عائشة : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وعائشة يصليان فى ثوب واحد نصفه على النبى صلى الله عليه وسلم ونصفه على عائشة . وسنده ضعيف .

(٦) حديث : كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمه : بأبى أنت وأمى مافعل ذلك الكساء ؟ ... الحديث . لم أقف عليه من حديث أم سلمة . ولمسلم من حديث عائشة : خرج النبى صلى الله عليه وسلم وعليه مرط مرجل أسود . ولأبى داود والنسائى : صنعت للنبى صلى الله عليه وسلم بردة سوداء من صوف فلبسها ... الحديث . وزاد فيه ابن سعد فى الطبقات : فذكرت بياض النبى صلى الله عليه وسلم وسوادها ورواه الحاكم بلفظ : جبة . وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث أنس . ربما رأيته يصلى بنا الظهر فى شملة عاقدا بين طرفيها . أخرجه البزار وأبو يعلى بلفظ : صلى بثوب واحد وقد خالف بين طرفيه . وللبزار : خرج فى مرضه الذى مات فيه مرتديا بثوب قطن فصلى بالناس ولسناده صحيح . وابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت : صلى فى شملة قد عقد عليها . وفى كامل ابن عدى : قد عقد عليها هكذا — وأشار سفيان الى قفاه — وفى جزء الفطريف : فعقدها فى عنقه ماعليه غيرها . ولسناده ضعيف (٨) حديث : كان يتختم . أخرجه الشيخان من حديث ابن عمر وأنس (٩) حديث : ربما خرج وفى خاتمه خيط مربوط يتذكر به الشىء . أخرجه ابن عدى من حديث واثلة بسند ضعيف : كان إذا أراد الحاجة أوثق فى خاتمه خيطا . وزاد الحارث بن أبي أسامة فى مسنده من حديث ابن عمر : ليذكره به . وسنده ضعيف .

(١٠) حديث : كان يختم به على الكتب ويقول « الخاتم على الكتاب خير من التهمة » أخرجه الشيخان من حديث أنس : لما أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يكتب الى الروم قالوا . انهم لايقرءون إلا كتابا مختوما فاتخذ خاتما من فضة ... الحديث . والنسائى والترمذى فى الشمائل من حديث ابن عمر : اتخذ خاتما من فضة كان يختم به ولايلبسه . وسنده صحيح وأما قوله « الخاتم على الكتاب خير من التهمة » فلم أقف له على أصل . (١١) حديث : كان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلى إليها » أخرجه الطبرانى وأبو الشيخ والبيهقى فى شعب الإيمان من حديث ابن عمر : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قلنسوة بيضاء . ولأبى الشيخ من حديث ابن عباس : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث قلانس . قلنسوة بيضاء مضربة وقلنسوة برد حبرة وقلنسوة ذات آذان يلبسها فى السفر فربما وضعها بين يديه إذا صلى =

على رأسه وعلى جبهته [١] وكانت له عمامه تسمى : السحاب ، فوهبها من على فربما طلع على فيها فيقول صلى الله عليه وسلم « أتاكم على فى السحاب [٢] » وكان إذا لبس ثوبا لبسه من قبل ميامنه [٣] ويقول « الحمد لله الذى كسانى ماأوارى به عورتى وأتجمل به فى الناس [٤] » وإذا نزع ثوبه أخرجه من مياسره [٥] وكان إذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول « مامن مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه إلا لله إلا كان فى ضمان الله وحرزه وخيره ماوارأه حيا وميتا [٦] » وكان له فراش من أدم حشوه ليف طوله ذراعان أو نحوه وعرضه ذراع وشبر أو نحوه [٧] وكانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تثنى طاقين تحته [٨] وكان ينام على الحصير ليس تحته شىء غيره [٩] وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه ، وكان اسم رايته : العقاب . واسم سيفه الذى يشهد به الحروب : ذوالفقار . وكان له سيف يقال له : المخذم . وآخر يقال له : الرسوب : وآخر يقال له : القضيب . وكانت قبضة سيفه محلاة بالفضة [١٠]

= وإسنادها ضعيف ولأبى داود والترمذى من حديث ركانة « فرق مابيننا وبين المشركين العمائم على القلانس » قال الترمذى : غريب وليس إسناده بالقائم . (١) حديث : ربما لم تكن العمامة فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته . أخرجه من حديث ابن عباس صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر وقد عصب رأسه بعصابة دسماء ... الحديث . (٢) حديث : كانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من على فربما طلع على فيها فيقول صلى الله عليه وسلم « أتاكم على فى السحاب » أخرجه ابن عدى وأبو الشيخ من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده وهو مرسل ضعيف جدا ولابى نعيم فى دلائل النبوة من حديث عمر فى أثناء حديث : عمامته السحاب ... الحديث . (٣) حديث . كان إذا لبس ثوبا يلبسه من قبل ميامنه . أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة ورجاله رجال الصحيح وقد اختلف فى رفعه . (٤) حديث « الحمد لله الذى كسانى ماأوارى به عورتى وأتجمل به فى الناس » أخرجه الترمذى وقال غريب وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث عمر بن الخطاب . (٥) حديث : كان إذا نزع ثوبه خرج من مياسره . أخرجه أبو الشيخ من حديث ابن عمر : كان إذا لبس شيئا من الثياب بدأ بالأيمن وإذا نزع بدأ بالايسر . وله من حديث أنس : كان إذا ارتدى أو ترجل أو انتعل بدأ بيمينه وإذا خلع بدأ بيساره . وسندها ضعيف وهو فى الانتعال فى الصحيحين من حديث أبى هريرة من قوله لا من فعله . (٦) حديث : كان إذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول « مامن مسلم يكسو مسلما .. الحديث » أخرجه الحاكم فى المستدرك والبيهقى فى الشعب من حديث عمر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بثيابه فلبسها فلما بلغ تراقيه قال « الحمد لله الذى كسانى ما أتجمل به فى حياتى وأوارى به عورتى » ثم قال « مامن مسلم يلبس ثوبا جديدا ... الحديث » دون ذكر : تصدقه صلى الله عليه وسلم بثيابه وهو عند الترمذى وابن ماجه دون ذكر لبس النبى صلى الله عليه وسلم لثيابه وهو أصح وقد تقدم قال البيهقى وهو غير قوى .

(٧) حديث : كان له فراش من أدم حشوه ليف ... الحديث . متفق عليه من حديث عائشة مقتصرا على هذا دون ذكر : عرضه وطوله . ولأبى الشيخ من حديث أم سلمة . كان فراش النبى صلى الله عليه وسلم نحو مايوضع الإنسان فى قبره . وفيه : من لم يسم . (٨) حديث : كانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تفرش طاقين تحته . أخرجه ابن سعد فى الطبقات وأبو الشيخ من حديث عائشة : دخلت على امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة مثنية ... الحديث . ولأبى سعيد عنها : أنها كانت تفرش للنبى صلى الله عليه وسلم عباءة باثنين ... الحديث وكلاهما لايصح والترمذى فى الشمائل من حديث حفصة : وسئلت ما كان فراشه ؟ قالت : مسح نثنيه ثنتين فينام عليه ... الحديث . وهو منقطع (٩) حديث : كان ينام على الحصير ليس تحته شىء غيره . متفق عليه من حديث عمر : فى قصة اعتزال النبى صلى الله عليه وسلم نساءه . (١٠) حديث : كان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذى يشهد به الحروب ذو الفقار وكان له سيف يقال له المخذم وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيب وكان قبضة سيفه محلاة بالفضة . أخرجه الطبرانى من حديث ابن عباس كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم سيف قائمته من فضة وقبيعته من فضة وكان يسمى ذا الفقار وكانت له قوس تسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجمع وكانت له درع موشحة بنحاس تسمى ذات الفضول وكانت له حربة تسمى النبعة وكانت له مجن تسمى الدفن وكان له ترس أبيض يسمى موجزا وكان له فرس أدهم يسمى السكب وكان له سرج يسمى الداج المؤخر وكان له بغلة شهباء يقال له الدلدل وكانت له ناقة تسمى القصواء وكان له حمار يسمى يعفور وكان له بساط يسمى السكر وكانت له عنزة تسمى الثمر وكانت لها ركوة تسمى الصادر وكانت له مرآة تسمى المرآة وكان له مقراض يسمى الجامع وكان له قضيب شوحط يسمى الممشوق . وفيه على بن غررة الدمشقى نسب الى وضع الحديث ورواه ابن عدى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف : كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء تسمى العقاب . ورواه أبو الشيخ من حديث الحسن مرسلا وله من حديث على بن أبى طالب : كان اسم سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذا الفقار . أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس : أنه صلى الله عليه وسلم تنفل سيفه ذا الفقار يوم بدر =

وكان يلبس المنطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة [١] وكان اسم قوسه : الكتوم . وجعبته الكافور [٢] وكان اسم ناقته : القصواء ، وهى التى يقال لها : العضبا ـ واسم بغلته : الدلدل : وكان اسم حماره يعفور واسم شاته التى يشرب لبنها عينة [٣] وكان له مطهرة من نحاس يتوضأ فيها ويشرب منها [٤] فيرسل الناس أولادهم الصغار الذين قدعقلوا فيدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلايدفعون عنه فإذا وجدوا فى المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم وأجسادهم ويبتغون بذلك البركة .

بيان عفوه صلى الله عليه وسلم مع قدرته

كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس [٥] وأرغبهم فى العفو مع القدرة حتى أتى بقلائد من ذهب وفضة فقسمها بين أصحابه فقام رجل من أهل البادية فقال : يا محمد والله لئن أمرك الله أن تعدل فما أراك تعدل : فقال ؛ ويحك فمن يعدل عليه بعدى ، فلما ولى قال ، ردوه على رويدا [٦] ، روى جابر : أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبض للناس يوم خيبر من فضة فى ثوب بلال فقال له رجل : يارسول الله أعدل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل فقد خبت إذن وخسرت إن كنت لا اعدل ، فقام عمر فقال : ألا أضرب عنقه فإنه منافق فقال : معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى [٧] : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرب فرأوا من المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال : من يمنعك منى ؟ فقال : « الله » فقال : فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقال : من يمنعك منى ؟ : فقال : كن خير آخذ قال : قل أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله : فقال : لا ، غير أنى لا أقاتلك ولا أكون معك

= والحاكم من حديث على فى أثناء حديث وسيفه ذو الفقار وهو ضعيف ولابن سعد فى الطبقات من رواية مروان بن أبى سعيد ابن المعلى مرسلا قال : أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بنى قينقاع ثلاثة أسياف : سيف قلعى وسيف يدعى بتارا وسيف يدعى الحتف ، وكان عنده بعد ذلك المخذم ورسوب أصابهما من الفلس وفى سنده الواقدى وذكر ابن أبى خيثمة فى تاريخه: أنه يقال أنه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ومعه سيفان يقال لأحدهما العضب شهد به بدرا ولأبى داود والترمذى وقال حسن والنسائى وقال منكر من حديث أنس : كانت قبيعة سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فضة . (١) حديث : كان يلبس المنطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة لم أقف له على أصل : ولابن سعد فى الطبقات وأبى الشيخ من رواية محمد بن على بن الحسين مرسلا : كان فى درع النبى صلى الله عليه وسلم حلقتان من فضة . (٢) حديث : كان اسم قوسه الكتوم وجعبته الكافور . لم أجد له أصلا وقد تقدم فى حديث ابن عباس : أنه كانت له قوس تسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجمع وقال ابن أبى خيثمة فى تاريخه : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد من سلاح بنى قينقاع ثلاثة قسى ؛ قوس اسمها الروحاء ، وقوس شوحط تدعى البيضاء ، وقوس صفراء تدعى الصفراء ؛ من سيح .

(٣) حديث : كان اسم ناقته القصواء وهى التى يقال لها العضباء واسم بغلته الدلدل واسم حماره يعفور واسم شاته التى يشرب لبنها عينة . تقدم بعضه من حديث ابن عباس عند الطبرانى ، وللبخارى من حديث أنس : كان للنبى صلى الله عليه وسلم ناقة يقال لها العضباء . ولمسلم من حديث جابر فى حجة الوداع : ثم ركب القصواء والحاكم من حديث على : ناقته القصواء وبغلته دلدل وحماره عفير ... الحديث . ورويناه فى فوائد ابن الدحداح فقال : حماره يعفور وفيه شاته بركة والبخارى من حديث معاذ : كنت ردف النبى صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له : عفير ، ولابن سعد فى الطبقات من رواية إبراهيم بن عبد الله من ولد عتبة بن غزوان : كانت منائح رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنم سبعا : عجوة وزمزم وسقيا وبركة ورشة واهلال وأطراف . وفى سنده الواقدى وله من رواية مكحول مرسلا : كانت له شاة تسمى قر (٤) حديث : كانت له مطهرة من نحاس يتوضأ منها ويشرب فيها : الحديث . لم أقف له على أصل .

بيان عفوه مع القدرة

(٥) حديث : كان أحلم الناس . تقدم (٦) حديث : أتى بقلائد من ذهب وفضة فقسمها بين أصحابه .. الحديث أخرجه أبو الشيخ من حديث ابن عمر بإسناد جيد (٧) حديث جابر : أنه كان يقبض للناس يوم حنين من فضة فى ثوب بلال فقال له رجل : يانبى الله اعدل ... الحديث . رواه مسلم

ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، فخلى سبيله ، فجاء أصحابه فقال : جئتكم من عند خير الناس [١] وروى أنس : أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة ليأكل منها فجيء بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت . أردت قتلك ؛ فقال : ما كان الله ليسلطك على ذلك : قالوا : أفلا نقتلها ؟ فقال . لا [٢] : وسحره رجل من اليهود فأخبره جبريل عليه أفضل الصلاة والسلام بذلك حتى استخرجه وحل العقد فوجد لذلك خفة وما ذكر ذلك لليهودى ولا أظهره عليه قط [٣] وقال على رضى الله عنه : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا الزبير والمقداد فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها : فانطلقنا حتى أتينا روضة خاخ فقلنا أخرجى الكتاب فقالت : ما معى من كتاب فقلنا : لتخرجن الكتاب أو لننزعن الثياب ، فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فإذا فيه : من حاطب بن أبى بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم أمرا من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا حاطب ما هذا ؟ قال : يارسول الله لا تعجل على أنى كنت امرأ ملصقا فى قومى وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهلهم فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب منهم أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى ، ولم أفعل ذلك كفرا ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ولا ارتدادا عن دينى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه صدقكم : فقال عمر رضى الله عنه : دعنى أضرب عنق هذا المنافق ، فقال صلى الله عليه وسلم : إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم [٤] : وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة فقال رجل من الأنصار : هذه قسمة ما أريد بها وجه الله ؟ فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه وقال : رحم الله أخى موسى قد أوذى بأكثر من هذا فصبر [٥] : وكان صلى الله عليه وسلم يقول : لا يبلغنى أحد منكم عن أحد من أصحابى شيئا فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر [٦] .

بيان إغضائه صلى الله عليه وسلم عما كان يكرهه

كان رسول الله رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف فى وجهه غضبه ورضاه [٧] وكان إذا اشتد وجده أكثر من مس لحيته الكريمة [٨] وكان لا يشافه أحد بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها فلم يقل له شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم : لو قلتم لهذا أن يدع هذه [٩] : يعنى الصفرة . وبال أعرابى فى المسجد بحضرته فهم به

---

(١) حديث : كان فى حرب فرؤى فى المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف ... الحديث متفق عليه من حديث جابر بنحوه وهو فى مسند أحمد أقرب إلى لفظ المصنف وسمى الرجل غورث بن الحارث .

(٢) حديث أنس : أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة ... الحديث رواه مسلم وهو عند البخارى من حديث أبى هريرة (٣) حديث : سحره رجل من اليهود ، أخبره جبريل بذلك حتى استخرجه ... الحديث . أخرجه النسائى بإسناد صحيح من حديث زيد بن أرقم وقصة سحره فى الصحيحين من حديث عائشة بلفظ آخر (٤) حديث على : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد وقال « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ... الحديث » متفق عليه (٥) حديث : قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة فقال رجل من الأنصار : هذه قسمة ما أريد بها وجه الله ... الحديث : متفق عليه من حديث ابن مسعود (٦) حديث « لا يبلغنى أحد منكم عن أحد من أصحابى شيئا فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر » أخرجه أبو داود والترمذى من حديث ابن مسعود وقال غريب من هذا الوجه .

بيان إغضائه صلى الله عليه وسلم عما يكرهه

(٧) حديث : كان رقيق البشرة لطيف الظاهر يعرف فى وجهه غضبه أخرجه أبو الشيخ من حديث ابن عمر : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف رضاه وغضبه بوجهه ... الحديث . وقد تقدم . (٨) حديث : كان إذا اشتد وجده أكثر من مس لحيته الكريمة ... الحديث . وقد تقدم أخرجه أبو الشيخ من حديث عائشة بإسناد حسن (٩) حديث : كان لا يشافه أحدا بما يكرهه . دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهه فلم يقل شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم « لو قلتم لهذا أن يدع هذه » يعنى الصفرة أخرجه أبو داود والترمذى فى الشمائل والنسائى فى اليوم والليلة من حديث أنس وإسناده ضعيف .

الصحابة فقال صلى الله عليه وسلم « لاتزرموه » أى لاتقطعوا عليه البول ثم قال له « إنّ هـذه المساجد لاتصلح لشىء من القذر والبول والخلاء [١] » وفى رواية « قربوا ولاتنفروا » . وجاءه أعرابى يوما يطلب منه شيئا فأعطاه صلى الله عليه وسلم ثم قال له « أحسنت إليك ؟ » قال الأعرابى : لا ، ولاأجملت ، قال : فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل إلى الأعرابى وزاده شيئا ثم قال « أحسنت إليك ؟ » قال : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « إنك قلت ماقلت وفى نفس أصحابى شىء من ذلك فإن أحببت فقل بين أيديهم ماقلت بين يدى حتى يذهب من صدورهم مافيها عليك قال : نعم ، فلما كان الغد أو العشى جاء فقال النبى صلى الله عليه وسلم « إنّ هذا الأعرابى قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضى أكذلك ؟ » فقال الأعرابى : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا ، فقال صلى الله عليه وسلم « إن مثلى ومثل هذا الأعرابى كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بينى وبين ناقتى فإنى أرفق بها وأعلم فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها هونا حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل مافال فقتلتموه دخل النار [٢] » .

بيان سخاوته وجوده صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأسخاهم وكان فى شهر رمضان كالريح المرسلة لايمسك شيئاً [٣] وكان على رضى الله عنه إذا وصف النبى صلى الله عليه وسلم قال : كان أجود الناس كفا وأوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة ، من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته لم أر قبله ولابعده مثله [٤] وماسئل عن شىء قط على الإسلام إلا أعطاه [٥] وأنّ رجلا أتاه فسأله فأعطاه غنما سدت مابين جبلين فرجع إلى قومه وقال : أسلموا فإنّ محمدا يعطى عطاء من لايخشى الفاقة . وماسئل شيئاً قط فقال لا [٦] وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام إليها فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها [٧] وجاء رجل فسأله فقال « ماعندى شىء ولكن ابتع على فإذا جاءنا شىء قضيناه » فقال عمر : يارسول الله ما كلفك الله مالاتقدر عليه فكره النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الرجل : أنفق ولاتخش من ذى العرش إقلالا ، فتبسم النبى صلى الله

---

(١) حديث : بال أعرابى فى المسجد بحضرته فقال صلى الله عليه وسلم « لاتزرموه ... الحديث » متفق عليه من حديث أنس .

(٢) حديث : جاء أعرابى يوما يطلب منه شيئا فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « أحسنت إليك » فقال الأعرابى : لا ، ولاأجملت .. الحديث . بطوله أخرجه البزار وأبو الشيخ من حديث أبى هريرة بسند ضعيف .

بيان سخائه وجوده صلى الله عليه وسلم

(٣) حديث : كان أجود الناس وأسخاهم وكان فى شهر رمضان كالريح المرسلة . أخرجه الشيخان من حديث أنس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس . ولهما من حديث ابن عباس : كان أجود الناس بالخير وكان أجود مايكون فى شهر رمضان . وفيه : فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة . (٤) حديث : كان على إذا وصف النبى صلى الله عليه وسلم قال : كان أجود الناس كفا وأجرأ الناس صدرا ... الحديث . رواه الترمذى وقال ليس إسناده بمتصل .

(٥) حديث : ماسئل شيئا قط على الإسلام إلا أعطاه ... الحديث . متفق عليه من حديث أنس . (٦) حديث : ماسئل شيئا قط فقال : لا ، متفق عليه من حديث جابر . (٧) حديث : حمل إليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام إليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها . أخرجه أبو الحسن بن الضحاك فى الشمائل من حديث الحسن مرسلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم عليه مال من البحرين ثمانون ألفا لم يقدم عليه مال أكثر منه ، لم يسأله يومئذ أحد إلا أعطاه ولم يمنع سائلا ولم يعط ساكتا فقال له العباس ... الحديث . وللبخارى تعليقا من حديث أنس : أتى النبى صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين وكان أكثر مال أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث . وفيه : فما كان يرى أحدا إلا أعطاه إذ جاءه العباس ... الحديث ووصله عمر بن محمد البحرى فى صحيحه .

عليه وسلم وعرف السرور فى وجهه [١] ولما قفل من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « أعطونى ردائى لو كان لى عدد هذه العضاه نعما لقسمتها بينكم ثم لاتجدونى بخيلا ولا كذابا ولاجبانا [٢] » .

بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم أنجد الناس وأشجعهم [٣] قال على رضى الله عنه : لقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً [٤] وقال أيضاً : كنا إذا احمر البأس ولقى القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه [٥] قيل : وكان صلى الله عليه وسلم قليل الكلام قليل الحديث فإذا أمر الناس بالقتال تشمر وكان من أشد الناس بأسا [٦] وكان الشجاع هو الذى يقرب منه فى الحرب لقربه من العدو [٧] وقال عمران بن بن حصين : مالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب [٨] وقالوا : كان قوى البطش [٩] ولما غشيه المشركون نزل عن بغلته فجعل يقول :

« أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب : فما رؤى يومئذ أحد كان أشد منه [١٠]

بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعا فى علو منصبه [١١] قال ابن عامر : رأيته يرمى الجمرة على ناقة شهباء لاضرب ولاطرد ولا إليك إليك [١٢] وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف [١٣] وكان يعود

---

(١) حديث : جاءه رجل فسأله فقال « ماعندى شىء ولكن ابتع على فإذا جاءنا شىء قضيناه فقال عمر : يارسول الله ماكلفك الله ... الحديث أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث عمر وفيه موسى بن علقمة الفروى لم يروه غير ابنه هرون .

(٢) حديث : لما قفل من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه .. الحديث . أخرجه البخارى من حديث جبير بن مطعم .

بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم

(٣) حديث : كان أنجد الناس وأشجعهم . أخرجه الدارمى من حديث ابن عمر بسند صحيح : مارأيت أنجد ولا أجود ولا أشجع ولاأرمى من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وللشيخين من حديث أنس : كان أشجع الناس وأحسن الناس ... الحديث

(٤) حديث على : لقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله عليه وسلم ... الحديث . أخرجه أبو الشيخ فى أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم بإسناد جيد (٥) حديث على أيضاً . كنا إذا حمى البأس ولقى القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث . أخرجه النسائى بإسناد صحيح ولمسلم نحوه من حديث البراء . (٦) حديث . كان قليل الكلام قليل الحديث فإذا أمر بالقتال تشمر ... الحديث أخرجه أبو الشيخ من حديث سعد بن عياض الثمالى مرسلا (٧) حديث . كان الشجاع هو الذى يقرب منه فى الحرب ... الحديث . أخرجه مسلم من حديث البراء : والله إذا حمى الوطيس نتقى به وإن الشجاع منا الذى يحاذى به (٨) حديث عمران بن حصين . مالقى كتيبة إلا كان أول من يضرب . أخرجه أبو الشيخ أيضاً وفيه من لم أعرفه .

(٩) حديث . كان قوى البطش . أخرجه أبو الشيخ أيضا من رواية أبى جعفر معضلا وللطبرانى فى الأوسط من حديث عبد الله ابن عمرو « أعطيت قوة أربعين فى البطش والجماع » وسنده ضعيف . (١٠) حديث . لما غشيه المشركون نزل فجعل يقول « أنا النبى لا كذب ... الحديث » متفق عليه من حديث البراء دون قوله . فما رؤى أحد يومئذ أشد منه . وهذه الزيادة لأبى الشيخ وله من حديث على فى قصة بدر . وكان من أشد الناس يومئذ بأسا .

بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم

(١١) حديث : كان أشد الناس تواضعا فى علو منصبه أخرجه أبو الحسن بن الضحاك فى الشمائل من حديث أبى سعيد الخدرى فى حديث طويل فى صفته قال فيه : متواضع فى غير مذلة . وإسناده ضعيف (١٢) حديث : قال ابن عامر رأيته يرمى الجمرة على ناقة شهباء لاضرب ولاطرد ولا إليك إليك . أخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث قدامة بن عبد الله بن عمار قال الترمذى حسن صحيح وفى كتاب أبى الشيخ قدامة بن عبد الله بن عامر كما ذكره المصنف . (١٣) حديث : كان يركب الحمار =

المريض ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك [١] ويخصف النعل ويرقع الثوب وكان يصنع في بيته مع أهله في حاجتهم [٢] وكان أصحابه لايقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك [٣] وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم [٤] وأتى صلى الله عليه وسلم برجل فأرعد من هيبته فقال له : هون عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد [٥] وكان يجلس بين أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم فيأتي الغريب فلا يدرى أيهم هو ؟ حتى يسأل عنه حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلسا يعرفه الغريب فبنوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه [٦] وقالت له عائشة رضى الله عنها كل - جعلني الله فداك - متكئا فإنه أهون عليك قال : فأصغى رأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الأرض ثم قال : بل آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد [٧] : وكان لايأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق بالله تعالى [٨] وكان لايدعوه أحد من أصحابه وغيرهم إلا قال : لبيك [٩] : وكان إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى الآخرة أخذ معهم وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم وإن تكلموا في الدنيا تحدث معهم رفقا بهم وتواضعا لهم [١٠] وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحيانا ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون فيتبسم هو إذا ضحكوا ولايزجرهم إلا عن حرام [١١] .

بيان صورته وخلقته صلى الله عليه وسلم

وكان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد بل كان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده ، ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فإذا فارقاه نسبا إلى الطول ونسب هو عليه السلام إلى الربعة ويقول صلى الله عليه وسلم : جعل الخير كله في الربعة [١٢] .

= موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف . متفق عليه من حديث أسامة بن زيد . (١) حديث : كان يعود المريض ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك . أخرجه الترمذى وضعفه والحاكم وصحح إسناده من حديث أنس وتقدم منقطعا . (٣) حديث : كان يخصف النعل ويرقع الثوب ويصنع في بيته مع أهله . هو في المسند من حديث عائشة وقد تقدم في أوائل آداب المعيشة .

(٣) حديث : كان أصحابه لايقومون له لما يعلمون من كراهته لذلك : هو عند الترمذى من حديث أنس وصححه وتقدم في آداب الصحبة . (٤) حديث : كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم . متفق عليه من حديث أنس وتقدم في آداب الصحبة .

(٥) حديث : أتى برجل فأرعد من هيبته فقال « هون الله عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد » أخرجه الحاكم من حديث جرير وقال صحيح على شرط الشيخين . (٦) حديث : كان يجلس مع أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم فيأتي الغريب فلا يدرى أيهم هو ؟ ... الحديث . أخرجه أبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة وأبى ذر وقد تقدم .

(٧) حديث : قالت عائشة كل - جعلني الله فداك - متكئا فإنه أهون عليك ... الحديث . أخرجه أبو الشيخ من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عنها بسند ضعيف . (٨) حديث : كان صلى الله عليه وسلم لايأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لقى الله أخرجه البخارى من حديث أنس وتقدم في آداب الأكل . (٩) حديث : وكان صلى الله عليه وسلم لايدعوه أحد من أصحابه ولا من غيرهم إلا قال « لبيك » أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عائشة وفيه حسين بن علوان متهم بالكذب وللطبرانى في الكبير بإسناد جيد من حديث محمد بن حاطب في أثناء حديث : أن أمة قالت يارسول الله فقال « لبيك وسعديك » الحديث (١٠) حديث : كان صلى الله عليه وسلم إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى أمر الآخرة أخذ معهم وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم ... الحديث . أخرجه الترمذى في الشمائل من حديث زيد بن ثابت دون ذكر : الشراب ، وفيه سليمان بن خارجة تفرد عنه الوليد بن أبي الوليد وذكره ابن حبان في الثقات .

(١١) حديث : كانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحيانا ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ... الحديث . أخرجه مسلم من حديث جابر بن سمرة دون قوله : ولا يزجرهم إلا عن حرام .

بيان صورته وخلقته صلى الله عليه وسلم

(١٢) حديث : كان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد ... الحديث بطوله . أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عائشة بزيادة ونقصان دون شعر أبى طالب الآتى ودون قوله : وربما جعل شعره =

وأما لونه فقد كان أزهر اللون ولم يكن بالآدم ولا بالشديد البياض. والأزهر هو الأبيض الناصع الذى لا تشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الألوان ، ونعته عمه أبو طالب فقال :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل (١)

ونعته بعضهم بأنه مشرب بحمرة فقالوا : إنما كان المشرب منه بالحمرة ماظهر للشمس والرياح كالوجه والرقبة والأزهر الصافى عن الحمرة ما تحت الثياب منه . وكان عرقه صلى الله عليه وسلم فى وجهه كاللؤلؤ أطيب من المسك الأذفر .

وأما شعره فقد كان رجل الشعر حسنه ليس بالسبط ولا الجعد القطط وكان إذا مشطه بالمشط يأتى كأنه حبك الرمل . وقيل : كان شعره يضرب منكبيه وأكثر الرواية أنه كان إلى شحمة أذنيه . وربما جعله غدائر أربعا تخرج كل أذن من بين غديرتين . وربما جعل شعره على أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ . وكان شيبه فى الرأس واللحية سبع عشرة شعرة ، مازاد على ذلك .

وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأنورهم لم يصفه واصف إلا شبهه بالقمر ليلة البدر، وكان يرى رضاه وغضبه فى وجهه لصفاء بشرته ، وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه حيث يقول :

أمين مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام

وكان صلى الله عليه وسلم واسع الجبهة أزج الحاجبين سابغهما وكان أبلج مابين الحاجبين كأن مابينهما الفضة المخلصة ، وكانت عيناه نجلاوين أدعجهما وكان فى عينيه تمزج من حمرة ، وكان أهدب الأشفار حتى تكاد تلتبس من كثرتها ، وكان أقنى العرنين ـ أى مستوى الأنف ـ وكان مفلج الأسنان ـ أى متفرقها ـ وكان إذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق إذا تلألأ ، وكان من أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم ، وكان سهل الخدين صلبهما ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم ، كث اللحية ، وكان يعفى لحيته ويأخذ من شاربه ، وكان أحسن عباد الله عنقا لا ينسب إلى الطول ولا إلى القصر ، ماظهر من عنقه للشمس والرياح فكأنه إبريق فضة مشرب ذهبا يتلألأ فى بياض الفضة وفى حمرة الذهب ، وكان صلى الله عليه وسلم عريض الصدر لا يعدو لحم بعض بدنه بعضاً كالمرآة فى استوائها وكالقمر فى بياضه موصول مابين لبته وسرته بشعر منقاد كالقضيب لم يكن فى صدره ولا بطنه شعر غيره ، وكانت له عكن ثلاث يغطى الإزار منها واحدة ويظهر اثنتان ، وكان عظيم المنكبين أشعرهما ضخم الكراديس ـ أى رءوس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين ـ وكان واسع الظهر مابين كتفيه خاتم النبوة وهو مما يلى منكبه الأيمن فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس ، وكان عبل العضدين والذراعين طويل

= على أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ . ودون قوله : وربما كان واسع الجبهة ـ إلى قوله ـ وكان سهل الخدين وفيه صبيح بن عبد الله الفرغانى منكر الحديث قاله الخطيب . وفى الصحيحين من حديث البراء : له شعر يبلغ شحمة أذنيه وأبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أم هانئ : قدم إلى مكة وله أربع غدائر والترمذى من حديث على فى صفته صلى الله عليه وسلم : أدعج العينين أهدب الأشفار ... الحديث . وقال ليس إسناده بمتصل وله فى الشمائل من حديث ابن أبى هالة : أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ فى غير قرن ، بينهما عرق يدره الغضب . أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم ، كث اللحية سهل الخدين ضليع الفم مفلج الأسنان ... الحديث

(١) حديث : نعته عمه أبو طالب فقال : وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل .

ذكره ابن إسحاق فى السيرة وفى المسند عن عائشة : أنها تمثلت بهذا البيت وأبو بكر يقضى فقال أبو بكر: ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه على بن زيد بن جدعان مختلف فيه . وأخرجه البخارى تعليقا من حديث ابن عمر: ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستسقى فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب فأنشده . وقد وصله بإسناد صحيح .

الزندين رحب الراحتين سائل الأطراف كأن أصابعه قضبان الفضة ، كفه ألين من الخز ، كأن كفه كف عطار طيبا - مسها بطيب أو لم يمسها - يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على رأسه ، وكان عبل ماتحت الإزار من الفخذين والساق ، وكان معتدل الخلق في السمن بدن في آخر زمانه وكان لحمه متماسكا يكاد يكون على الخلق الأول لم يضره السمن .

وأما مشيه صلى الله عليه وسلم فكان يمشي كأنما يتقلع من صخر وينحدر من صبب يخطو تكفيا ويمشي الهوينى بغير تبختر - والهوينى تقارب الخطا - وكان عليه الصلاة والسلام يقول « أنا أشبه الناس بآدم صلى الله عليه وسلم وكان أبي إبراهيم صلى الله عليه وسلم أشبه الناس بي خلقا وخلقا » وكان يقول « إن لي عند ربي عشرة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد ، وأنا الحاشر يحشر الله العباد على قدمي ، وأنا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم والمقفى قفيت الناس جميعا وأنا قثم [1] » قال أبو البختري والقثم الكامل الجامع ، والله أعلم .

بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه

اعلم أن من شاهد أحواله صلى الله عليه وسلم وأصغى إلى سماع أخباره المشتملة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وعاداته وسجاياه وسياسته لأصناف الخلق وهدايته إلى ضبطهم وتألفه أصناف الخلق وقوده إياهم إلى طاعته مع مايحكى من عجائب اجوبته في مضايق الأسئلة وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق ومحاسن إشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذي يعجز الفقهاء والعقلاء عن إدراك أوائل دقائقها في طول أعمارهم ، لم يبق له ريب ولاشك في أن ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها القوة البشرية ، بل لايتصور ذلك إلا بالاستمداد من تأييد سماوي وقوة إلهية ، وأن ذلك كله لايتصور لكذاب ولاملبس ، بل كانت شمائله وأحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى أن العربي القح كان يراه فيقول : والله ماهذا وجه كذاب فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائله فكيف من شاهد أخلاقه ومارس أحواله في جميع مصادره وموارده ؟ وإنما أوردنا بعض أخلاقه لتعرف محاسن الأخلاق وليتنبه لصدقه عليه الصلاة والسلام وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله ؛ إذ آتاه الله جميع ذلك وهو رجل أمي لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب علم ولم يزل بين أظهر الجهال من الأعراب يتيما ضعيفا مستضعفا ، فمن أين حصل له محاسن الأخلاق والآداب ومعرفة مصالح الفقه مثلا فقط دون غيره من العلوم فضلا عن معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح الوحي ؟ ومن أين لقوة البشر الاستقلال بذلك ؟ فلو لم يكن له إلا هذه الأمور الظاهرة لكان فيه كفاية . وقد ظهر من آياته ومعجزاته مالا يستريب فيه محصل ، فلنذكر من جملتها ما استفاضت به الأخبار واشتملت عليه الكتب الصحيحة إشارة إلى مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل .

فقد خرق الله العادة على يده غير مرة ؛ إذ شق له القمر بمكة لما سألته قريش آية [2] وأطعم النفر الكثير في

---

(١) حديث : ان لي عند ربي عشرة أسماء ... الحديث . أخرجه ابن عدي من حديث علي وجابر وأسامة بن زيد وابن عباس وعائشة بإسناد ضعيف ، وله ولأبي نعيم في الدلائل من حديث أبي الطفيل : لي عند ربي عشرة أسماء . قال أبو الطفيل : حفظت منها ثمانية . فذكرها بزيادة ونقص وذكر سيف بن وهب : أن أبا جعفر قال : إن الاسمين طه ويس . ولإسناده ضعيف وفي الصحيحين من حديث جبير بن مطعم : لي أسماء أنا أحمد وأنا محمد وأنا الحاشر وأنا الماحي وأنا العاقب . ولمسلم من حديث أبي موسى : والمقفى ونبي التوبة ونبي الرحمة . ولأحمد من حديث حذيفة : ونبي الملاحم . وسنده صحيح .

بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه

(٢) حديث : انشقاق القمر : متفق عليه من حديث ابن مسعود وابن عباس وأنس .

منزل جابر [١] وفى منزل أبى طلحة ويوم الخندق [٢] ومرة أطعم ثمانين من أربعة أمداد شعير وعناق [٣] وهو من أولاد المعز فوق العتود ، ومرة أكثر من ثمانين رجلا من أقراص شعير حملها أنس فى يده [٤] ومرة أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير فى يدها فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم [٥] ونبع الماء من بين أصابعه عليه السلام فشرب أهل العسكر كلهم وهم عطاش ، وتوضئوا من قدح صغير ضاق عن أن يبسط عليه السلام يده فيه [٦] وأهراق عليه السلام وضوءه فى عين تبوك ولا ماء فيها ، ومرة أخرى فى بئر الحديبية فجاشتا بالماء ؛ فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف حتى رووا وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء [٧] وأمر عليه السلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يزود أربعمائة راكب من تمر كان فى اجتماعه كربضة البعير ـ وهو موضع بروكه ـ فزودهم كلهم منه وبقى منه فحبسه [٨] ورمى الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك القرآن فى قوله تعالى ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ [٩] وأبطل الله تعالى الكهانة بمبعثه صلى الله عليه وسلم فعدمت وكان ظاهرة موجودة [١٠] وحن الجذع الذى كان يخطب إليه لما عمل له المنبر حتى سمع منه جميع أصحابه مثل صوت الإبل فضمه إليه فسكن [١١] ودعا اليهود إلى تمنى الموت وأخبرهم بأنهم لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه [١٢] وهذا مذكور فى سورة يقرأ بها فى جميع جوامع الإسلام من شرق الأرض إلى غربها يوم الجمعة

---

(١) حديث : إطعام النفر الكثير فى منزل جابر . متفق عليه من حديثه .

(٢) حديث : إطعامه النفر الكثير فى منزل أبى طلحة . متفق عليه من حديث أنس .

(٣) حديث : إطعامه ثمانين من أربعة أمداد شعير وعناق . أخرجه الإسماعيلى فى صحيحه ومن طريقه البيهقى فى دلائل النبوة من حديث جابر وفيه أنهم كانوا ثمانمائة أو ثلاثمائة وهو عند البخارى دون ذكر العدد وفى رواية أبى نعيم فى دلائل النبوة وهم ألف . (٤) حديث : إطعامه أكثر من ثمانين رجلا من أقراص شعير حملها أنس فى يده . أخرجه مسلم من حديث أنس وفيه : حتى فعل ذلك بثمانين رجلا ثم أكل النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وأهل البيت وتركوا سؤرا . وفى رواية لأبى نعيم فى الدلائل : حتى أكل منه بضع وثمانون رجلا . وهو متفق عليه بلفظ : والقوم سبعون أو ثمانون رجلا .

(٥) حديث : إطعامه أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير فى يدها ... الحديث . أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة من طريق ابن إسحق حدثنا سعيد بن ميناء عن ابنة بشير بن سعد وإسناده جيد . (٦) حديث : نبع الماء من بين أصابعه فشرب أهل العسكر وهم عطاش وتوضؤا .. الحديث . متفق عليه من حديث أنس فى ذكر الوضوء فقط ولأبى نعيم من حديثه : خرج إلى قباء فأتى من بعض بيوتهم بقدح صغير . وفيه : ثم قال « هلم إلى الشرب » قال أنس : بصر عينى نبع الماء من بين أصابعه ولم يرد القدح حتى رووا منه . وإسناده جيد وللبزار واللفظ له والطبرانى فى الكبير من حديث ابن عباس . كان فى سفر فشكا أصحابه العطش فقال « ائتونى بماء » فأتوه بإناء فيه ماء فوضع يده فى الماء ينبع من بين أصابعه ... الحديث .

(٧) حديث : إهراقه وضوءه فى عين تبوك ولا ماء فيها ومرة أخرى فى بئر الحديبية فجاشتا بالماء ... الحديث وأخرجه مسلم من حديث معاذ بقصة عين تبوك ومن حديث سلمة بن الأكوع بقصة عين الحديبية وفيه : فإما دعا وإما بصق فيها فجاشت ... الحديث . وللبخارى من حديث البراء : أنه توضأ وصبه فيها . وفى الحديثين معا : أنهم كانوا أربعة عشر مائة وكذا عند البخارى من حديث البراء وكذلك عندهما من حديث جابر ، وقال البيهقى إنه الأصح ولهما من حديثه أيضاً : ألف وخمسمائة . ولمسلم من حديث ابن أبى أوفى : ألف وثلثمائة (٨) حديث : أمر عمر أن يزود أربعمائة راكب من تمر كان كربضة البعير .. الحديث . أخرجه أحمد من حديث النعمان بن مقرن وحديث دكين بن سعيد بإسنادين صحيحين وأصل حديث دكين عند أبى داود مختصرا من غير بيان لعددهم (٩) حديث : رميه الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم ... الحديث أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع دون ذكر نزول الآية فرواه ابن مردويه فى تفسيره من حديث جابر وابن عباس (١٠) حديث : إبطال الكهانة بمبعثه أخرجه الخرائطى من حديث مرداس بن قيس الدوسى قال : حضرت النبى صلى الله عليه وسلم وذكرت عنده الكهانة وما كان من تغييرها عند مخرجه .. الحديث . ولأبى نعيم فى الدلائل من حديث ابن عباس فى استراق الجن السمع فيلقونه على أوليائهم : فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم دحروا بالنجوم وأصله عند البخارى بغير هذا السياق (١١) حديث : حنين الجذع أخرجه البخارى من حديث جابر وسهل بن سعد (١٢) حديث : دعا اليهود إلى تمنى الموت وأخبرهم بأنهم لا يتمنونه ... الحديث أخرجه البخارى من حديث ابن عباس : لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ... الحديث . وللبيهقى فى الدلائل من حديث ابن عباس لا يقولها رجل منكم إلا غص بريقه فمات مكانه فأبوا أن يفعلوا ... الحديث . وإسناده ضعيف .

ـ جهرا ـ تعظيما للآية التى فيها .

وأخبر عليه السلام بالغيوب وأنذر عثمان بأن تصيبه بلوى بعدها الجنة [١] وبأن عمارا تقتله الفئة الباغية [٢] وأن الحسن يصلح الله به فئتين من المسلمين عظيمتين [٣] وأخبر عليه السلام عن رجل قاتل فى سبيل الله أنه من أهل النار [٤] فظهر ذلك بأن ذلك الرجل قتل نفسه وهذه كلها أشياء إلهية لا تعرف ألبتة بشىء من وجوه تقدمت المعرفة بها لا بنجوم ولا بكشف ولا بخط ولا بزجر لكن بإعلام الله تعالى له ووحيه إليه . واتبعه سراقة بن مالك فساخت قدما فرسه فى الأرض وأتبعه دخان حتى استغاثه فدعا له فانطلق الفرس ، وأنذره بأن سيوضع فى ذراعيه سوارا كسرى [٥] فكان كذلك وأخبر بمقتل الأسود العنسى الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن وأخبر بمن قتله [٦] وخرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رءوسهم ولم يروه [٧] وشكا إليه البعير بحضرة أصحابه وتذلل له [٨] وقال لنفر من أصحابه مجتمعين « أحدكم فى النار ضرسه مثل أحد فماتوا كلهم على استقامة وارتد منهم واحد فقتل مرتدا [٩] » وقال لآخرين منهم : آخركم موتا فى النار ؛ فسقط آخرهم موتا فى النار فاحترق فيها فمات [١٠] ودعا شجرتين فأتتاه واجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا . وكان عليه السلام نحو الربعة فإذا مشى مع الطوال طالهم [١١] ودعا عليه السلام النصارى إلى المباهلة فامتنعوا فعرفهم صلى الله عليه وسلم أنهم إن فعلوا ذلك هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا [١٢] وأتاه عامر بن الطفيل بن مالك وأربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتكاهم عازمين على قتله عليه السلام فحيل بينهما وبين ذلك ودعا عليهما فهلك عامر بغدة وهلك أربد بصاعقة أحرقته [١٣] وأخبر عليه السلام أنه يقتل

---

(١) حديث : إخباره بأن عثمان تصيبه بلوى بعدها الجنة . متفق عليه من حديث أبى موسى الأشعرى . (٢) حديث : إخباره بأن عمارا تقتله الفئة الباغية . أخرجه مسلم من حديث أبى قتادة وأم سلمة والبخارى من حديث أبى سعيد .

(٣) حديث : إخباره أن الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين . أخرجه البخارى من حديث أبو بكرة .

(٤) حديث : إخباره عن رجل قاتل فى سبيل الله أنه من أهل النار . متفق عليه من حديث أبى هريرة وسهل بن سعد .

(٥) حديث : اتباع سراقة بن مالك له فى قصة الهجرة فساخت قدما فرسه فى الأرض .. الحديث . متفق عليه من حديث أبى بكر الصديق (٦) حديث : إخباره بمقتل الأسود العنسى ليلة قتل وهو بصنعاء اليمن ومن قتله . وهو مذكور فى السير والذى قتله فيروز الديلمى وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة « بينا أنا نائم رأيت فى يدى سوارين من ذهب فأهمنى شأنهما فأوحى إلى فى المنام أن أنفخهما فنفختهما فطارا ، فتأولتهما كذابين يخرجان بعدى » فكان أحدهما العنسى صاحب صنعاء ... الحديث (٧) حديث : خرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رءوسهم ولم يروه . أخرجه ابن مردويه بسند ضعيف من حديث ابن عباس وليس فيه : أنهم كانوا مائة . وكذلك رواه ابن إسحاق من حديث محمد بن كعب القرظى مرسلا .

(٧) حديث : شكا إليه البعير وتذلل له . أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن جعفر فى أثناء حديث وفيه : فإنه شكا إلى أنك تجيعه وتدئبه . وأول الحديث عند مسلم دون ذكر قصة البعير (٩) حديث : قال لنفر من أصحابه « أحدكم ضرسه فى النار مثل أحد ... الحديث » ذكره الدارقطنى فى المؤتلف والمختلف من حديث أبى هريرة بغير إسناد فى ترجمة الرجال بن عنفرة وهو الذى ارتد ـ وهو بالجيم ـ وذكره عبد الغنى ـ بالمهملة ـ وسبقه إلى ذلك الواقدى والمدائنى والأول أصح وأكثر كما ذكره الدارقطنى وابن ماكولا ووصله الطبرانى من حديث رافع بن خديج بلفظ : أحد هؤلاء النفر فى النار . وفيه الواقدى عن عبد الله ابن نوح متروك (١٠) حديث : قال لآخرين منهم « آخركم موتا فى النار » فسقط آخرهم موتا فى نار فاحترق فيها فمات أخرجه الطبرانى والبيهقى فى الدلائل من حديث ابن محذورة وفى رواية البيهقى : أن آخرهم موتا سمرة بن جندب ، لم يذكر أنه احترق ورواه البيهقى من حديث أبى هريرة نحوه ورواته ثقات وقال ابن عبد البر : إنه سقط فى قدر مملوءة ماء حارا فمات . روى ذلك بإسناد متصل إلا أن فيه داود بن الخبر وقد ضعفه الجمهور (١١) حديث : دعا شجرتين فأتتاه فاجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا . أخرجه أحمد من حديث على بن مرة بسند صحيح (١٢) حديث : دعا النصارى إلى المباهلة وأخبرهم فعلوا ذلك هلكوا فامتنعوا أخرجه البخارى من حديث ابن عباس فى أثناء حديث : ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا (١٣) حديث : أتاه عامر بن الطفيل بن مالك وأربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتكاهم عازمين على قتله فحيل بينهما وبين ذلك .. الحديث . أخرجه الطبرانى فى الأوسط والأكبر من حديث ابن عباس بطوله بسند ابن .

أبي بن خلف الجمحي فخدشه يوم أحد خدشا لطيفا فكانت منيته فيه [١] .

وأطعم عليه الصلاة والسلام السم فمات الذى أكله معه وعاش هو صلى الله عليه وسلم بعده أربع سنين ، وكلمه الذراع المسموم [٢] .

وأخبر عليه السلام يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلا رجلا فلم يتعدوا احدمنهم ذلك الموضع [٣] وأنذر عليه السلام بأن طوائف من أمته يغزون فى البحر فكان كذلك [٤] وزويت له الأرض وأرى مشارقها ومغاربها وأخبر بأن ملك أمته سيبلغ مازوى له منها فكان كذلك فقد بلغ ملكهم من أول المشرق : من بلاد الترك إلى آخر المغرب من بحر الأندلس وبلاد البربر ولم يتسعوا فى الجنوب ولا فى الشمال - كما أخبر صلى الله عليه وسلم سواء بسواء [٥] . وأخبر فاطمة ابنته رضى الله عنها بأنها أول أهله لحاقا به [٦] فكان كذلك . وأخبر نساءه بأن أطولهن يدا أسرعهن لحاقا به فكانت زينب بنت جحش الأسدية أطولهن يدا بالصدقة أولهن لحوقا به رضى الله عنها [٧] .

ومسح ضرع شاة حائل لاابن لها فدرت [٨] وكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود رضى الله عنه . وفعل ذلك مرة أخرى فى خيمة أم معبد الخزاعية . وندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها عليه السلام بيده فكانت أصح عينيه وأحسنهما [٩] وتفل فى عين على رضى الله عنه وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته وبعثه بالراية [١٠] وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم [١١] وأصيبت رجل بعض أصحابه صلى الله عليه وسلم فمسحها بيده فبرأت من حينها [١٢] وقل زاد جيش كان معه عليه السلام فدعا بجميع مابقى فاجتمع شىء يسير جدا فدعا فيه بالبركة ، ثم أمرهم فأخذوا فلم يبق وعاء فى العسكر إلا ملئ من ذلك [١٣] وحكى الحكم بن العاص بن وائل (*) مشيته

---

(١) حديث . اخباره أنه يقتل أبي بن خلف الجمحي فخدشه يوم أحد خدشا لطيفا فكانت منيته . أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة من رواية سعيد بن المسيب ومن رواية عروة بن الزبير مرسلا (٢) حديث : إنه أطعم السم فمات الذى أكله معه وعاش هو بعده أربع سنين ، وكلمه الذراع المسموم . أخرجه أبو داود من حديث جابر فى رواية له مرسلة : أن الذى مات بشر بن البراء ، وفى الصحيحين من حديث أنس : إن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها .. الحديث . وفيه : فمازلت أعرفها فى لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) حديث : إخباره صلى الله عليه وسلم يوم بدر بمصارع صناديد قريش .. الحديث . أخرجه مسلم من حديث عمر بن الخطاب (٤) حديث : إخباره بأن طوائف من أمته يغزون فى البحر فكان كذلك متفق عليه من حديث أم حرام (٥) حديث : زويت له الأرض مشارقها ومغاربها وأخبر بأن ملك أمته سيبلغ مازوى له منها ... الحديث . أخرجه مسلم من حديث عائشة وفاطمة أيضاً (٦) حديث : إخباره فاطمة أنها أول أهله لحاقا به . متفق عليه من حديث عائشة وفاطمة أيضاً (٧) حديث : أخبر نساءه أن أطولهن يدا أسرعهن لحاقا به فكانت زينب الحديث . أخرجه مسلم من حديث عائشة وفى الصحيحين : أن سودة كانت أولهن لحوقا به قال ابن الجوزى وهذا غلط من بعض الرواة بلا شك .

(٨) حديث : مسح ضرع شاة حائل لاابن لها فدرت فكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود . أخرجه أحمد من حديث ابن مسعود بإسناد جيد (٩) حديث : ندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها فكانت أصح عينيه وأحسنهما . أخرجه أبو نعيم والبيهقى كلاهما فى دلائل النبوة من حديث قتادة بن النعمان وهو الذى سقطت عينه ففى رواية للبيهقى : أنه كان ببدر . وفى رواية أبي نعيم : أنه كان بأحد : وفى إسناده اضطراب وكذا رواه البيهقى فيه من حديث أبي سعيد الخدرى .

(١٠) حديث : تفل فى عين على وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته وبعثه بالراية . متفق عليه من حديث على ومن حديث سهل بن سعد أيضاً . (١١) حديث : كانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه . أخرجه البخارى من حديث ابن مسعود .

(١٢) حديث : أصيبت رجل بعض أصحابه فمسحها بيده فبرأت من حينها . أخرجه البخارى فى قصة قتل أبي رافع

(١٣) حديث : قل زاد جيش معه فدعا بما بقى فاجتمع شىء يسير فدعا فيه بالبركة ... الحديث . متفق عليه من حديث سلمة ابن الأكوع .

(*) قوله : الحكم بن العاص بن وائل هكذا فى النسخ وصوابه كما فى الشارح الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس اه مصححه .

عليه السلام مستهزئا فقال صلى الله عليه وسلم : كذلك فكن : فلم يزل يرتعس حتى مات [1] وخطب عليه السلام امرأة فقال له أبوها : إن بها برصا ـ امتناعا من خطبته واعتذارا ـ ولم يكن بها برص فقال عليه السلام : فلتكن كذلك : [2] فبرصت وهي أم شبيب بن البرصاء الشاعر . إلى غير ذلك من آياته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم ، وإنما اقتصرنا على المستفيض . ومن يستريب فى انخراق العادة على يده ويزعم أن آحاد هذه الوقائع لم تنقل تواترا بل المتواتر هو القرآن فقط كمن يستريب فى شجاعة على رضى الله عنه وسخاوة حاتم الطائى ومعلوم أن آحاد وقائعهم غير متواترة ولكن مجموع الوقائع يورث علما ضروريا ثم لا يتمارى فى تواتر القرآن وهى المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق : وليس لنبي معجزة باقية سواه صلى الله عليه وسلم إذ تحدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغاء الخلق وفصحاء العرب وجزيرة العرب حينئذ مملوءة بآلاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم . وكان ينادى بين أظهرهم أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ وقال ذلك تعجيزا لهم فعجزوا عن ذلك وصرفوا عنه حتى عرضوا أنفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم للسبي ، وما استطاعوا أن يعارضوا ولا أن يقدحوا فى جزالته وحسنه ثم انتشر ذلك بعده فى أقطار العالم شرقا وغربا قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر وقد انقرض اليوم قريب من خمسمائة سنة فلم يقدر أحد على معارضته .

فأعظم بغباوة من ينظر فى أحواله ، ثم فى أقواله ، ثم فى أفعاله ، ثم فى أخلاقه ، ثم فى معجزاته ، ثم فى استمرار شرعه إلى الآن ، ثم فى انتشاره فى أقطار العالم ، ثم فى إذعان ملوك الأرض له فى عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه ثم يتمارى بعد ذلك فى صدقه .

وما أعظم توفيق من آمن به وصدقه واتبعه فى كل ما ورد وصدر فنسأل الله تعالى أن يوفقنا للاقتداء به فى الأخلاق والأفعال والأحوال والأقوال بمنه وسعة جوده .

---

(١) حديث : حكى الحكم بن العاص مشيته مستهزئا به فقال « كذلك فكن .. الحديث » أخرجه البيهقى فى الدلائل من حديث هند بن خديج بإسناد جيد وللحاكم فى المستدرك من حديث عبد الرحمن بن أبى بكر نحوه ولم يسم الحكم وقال صحيح الإسناد (٢) حديث : خطب امرأة فقال أبوها إن بها برصا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال « فلتكن كذلك » فبرصت المرأة . ذكرها ابن الجوزى فى التلقيح وسماها جمرة بنت الحرث بن عوف المزنى وتبعه على ذلك الدمياطى

تم الجزء الثانى من كتاب إحياء علوم الدين

ويليه الجزء الثالث ويشتمل على ربع المهلكات

فهرس

الجزء الثاني

من كتاب إحياء علوم الدين

لحجة الإسلام الإمام الغزالي

صحيفة

٢ كتاب آداب الأكل

وهو الأول من ربع العادات

٣ الباب الأول فيما لا بد للمنفرد منه وهو ثلاثة أقسام: قسم قبل الأكل، وقسم مع الأكل، وقسم بعد الفراغ منه

القسم الأول في الآداب التي تتقدم على الأكل وهي سبعة

٥ القسم الثاني في آداب حالة الأكل

٦ القسم الثالث ما يستحب بعد الطعام

٧ الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة في الأكل وهي سبعة

٨ الباب الثالث في آداب تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين

١٢ الباب الرابع في آداب الضيافة

١٨ فصل يجمع آدابا ومناهي طبية وشرعية متفرقة

٢١ كتاب آداب النكاح

وهو الكتاب الثاني من ربع العادات

٢١ الباب الأول في الترغيب في النكاح والترغيب عنه

الترغيب في النكاح

٢٤ ما جاء في الترهيب عن النكاح

٢٥ آفات النكاح وفوائده

٢٦ الباب الثاني فيما يراعى حالة العقد من أحوال المرأة وشروط العقد

صحيفة

٤٢ الباب الثالث في آداب المعاشرة وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة

٥٦ القسم الثاني من هذا الباب النظر في حقوق الزوج عليها

٦٠ كتاب آداب الكسب والمعاش

وهو الكتاب الثالث من ربع العادات

٦١ الباب الأول في فضل الكسب والحث عليه

٦٤ الباب الثاني في علم الكسب بطريق البيع الخ وبيان شروط الشرع في صحة هذه التصرفات التي هي مدار المكاسب في الشرع

العقد الأول البيع

٦٨ العقد الثاني عقد الربا

٦٩ العقد الثالث السلم

٧٠ العقد الرابع الإجارة

٧١ العقد الخامس القراض

٧٣ العقد السادس الشركة

٧٢ الباب الثالث في بيان العدل واجتناب الظلم في المعاملة

القسم الأول فيما يعم ضرره وهو أنواع

٧٤ القسم الثاني ما يخص ضرره المعامل

٧٩ الباب الرابع في الإحسان في المعاملة

٨٣ الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويعم آخرته

صحيفة

٨٨ كتاب الحلال والحرام
وهو الكتاب الرابع من ربع العادات
٨٩ الباب الأول فى فضيلة الحلال ومذمة الحرام وبيان أصناف الحلال ودرجاته وأصناف الحرام ودرجات الورع فيه فضيلة الحلال ومذمة الحرام
٩٢ أصناف الحلال ومداخله
القسم الأول الحرام لصفة فى عينه الخ
٩٣ القسم الثانى مايحرم لخلل فى جهة إثبات اليد عليه
٩٤ درجات الحلال والحرام
٩٥ أمثلة الدرجات الأربع فى الورع وشواهدها
٩٨ الباب الثانى فى مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام
٩٩ المثار الأول الشك فى السبب المحلل والمحرم
١٠٢ المثار الثانى للشبهة شك منشؤه الاختلاط
١١٠ المثار الثالث للشبهة أن يتصل بالسبب المحلل معصية
١١٥ المثار الرابع الاختلاف فى الأدلة
١١٨ الباب الثالث فى البحث والسؤال والهجوم والإهمال ومظانها
المثار الأول أحوال المالك
١٢١ المثار الثانى مايستند الشك فيه إلى سبب المال لا فى حال المالك
١٢٧ الباب الرابع فى كيفية خروج التائب عن المظالم المالية وفيه نظران
النظر الأول فى كيفية التمييز والإخراج
١٣٠ النظر الثانى فى المصرف
١٣٥ الباب الخامس فى إدرارت السلاطين وما يحل منها ومايحرم وفيه نظران
١٣٥ النظر الأول فى جهات الدخل للسلطان
١٣٩ النظر الثانى من هذا الباب فى قدر المأخوذ وصفة الآخذ

صحيفة

١٤٢ الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ويحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والإكرام لهم
١٥٣ الباب السابع فى مسائل متفرقة يكثر مسيس الحاجة إليها قد سئل عنها فى الفتاوى
١٥٧ كتاب آداب الألفة والأخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق وهو الكتاب الخامس من ربع العادات الثانى وفيه ثلاثة أبواب
١٥٧ الباب الأول فى فضيلة الألفة والأخوة وفى شروطها ودرجاتها وفوائدها
فضيلة الألفة والأخوة
١٦١ بيان معنى الأخوة فى الله وتمييزها من الأخوة فى الدنيا
١٦٦ بيان البغض فى الله
١٦٨ بيان مراتب الذين يبغضون فى الله وكيفية معاملتهم
١٥٧ بيان الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته
١٧٣ الباب الثانى فى حقوق الأخوة والصحبة
الحق الأول فى المال
١٧٥ الحق الثانى فى الإعانة بالنفس الخ
١٧٦ الحق الثالث فى اللسان بالسكوت الخ
١٨٠ الحق الرابع على اللسان بالنطق
١٨٣ الحق الخامس العفو عن الزلات والهفوات
١٨٦ الحق السادس الدعاء للأخ فى حياته الخ
١٨٧ الحق السابع الوفاء والإخلاص
١٨٨ الحق الثامن التخفيف وترك التكلف الخ
١٩٢ خاتمة لهذا الباب نذكر فيها جملة الخ
١٩٣ الباب الثالث فى حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من يدلى بهذه الأسباب
١٩٤ حقوق المسلم
٢١٢ حقوق الجوار

صحيفة

٢١٥ حقوق الأقارب والرحم
٢١٦ حقوق الوالدين والولد
٢١٩ حقوق المملوك
٢٢١ كتاب آداب العزلة
وهو الكتاب السادس من ربع العادات
وفيه بابان
٢٢٢ الباب الأول فى نقل المذاهب والأويل
وذكر حجج الفريقين فى ذلك
٢٢٣ ذكر حجج المائلين إلى المخالطة ووجه ضعفها
٢٢٤ ذكر حجج المائلين إلى تفضيل العزلة
٢٢٦ الباب الثانى فى فوائد العزلة وغوائلها
وكشف الحق فى فضلها
الفائدة الأولى التفرغ للعبادة والفكر الخ
٢٢٨ الفائدة الثانية التخلص بالعزلة عن
المعاصى التى يتعرض الإنسان لها الخ
٢٣٢ الفائدة الثالثة الخلاص من الفتن
والخصومات وصيانة الدين والنفس الخ
٢٣٣ الفائدة الرابعة الخلاص من شر الناس
٢٣٥ الفائدة الخامسة أن ينقطع طمع الناس
عنك وينقطع طمعك عن الناس
٢٣٥ الفائدة السادسة الخلاص من مشاهدة الثقلاء
والحمق ومقاساة حمقهم وأخلاقهم الخ
٢٣٦ آفات العزلة المبنية على فوات فوائد المخالطة
السبعة الآتية .
الفائدة الأولى التعليم والتعلم
٢٣٨ الفائدة الثانية النفع والانتفاع
الفائدة الثالثة التأديب التأدب
٢٣٩ الفائدة الرابعة والاستئناس والإيناس
٢٤٠ الفائد الخامسة فى فضل الثواب وإنالته
الفائدة السادسة من فوائد المخالطة التواضع
٢٤١ الفائدة السابعة التجارب
٢٤٤ كتاب آداب السفر
وهو الكتاب السابع من ربع العادات
وفيه بابان

صحيفة

٢٤٥ الباب الأول فى الآداب من أول النهوض إلى
آخر الرجوع وفى نية السفر وفائدته وفيه
فصلان الفصل الأول فى فوائد السفر وفضله ونيته
٢٥١ الفصل الثانى فى آداب المسافر من أول نهوضه
إلى آخر رجوعه وهى أحد عشر أدبا
٢٥٧ الباب الثانى فيما لا بد للمسافر من تعلمه من
رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات الخ
القسم الأول العلم برخص السفر
٢٦٣ القسم الثانى ما يتجدد من الوظيفة الخ
٢٦٨ كتاب آداب السماع والوجد
وهو الكتاب الثامن من ربع العادات وفيه
بابان : الأول فى ذكر اختلاف العلماء
فى إباحة السماع وكشف الحق فيه بيان أقاويل
العلماء والمتصوفة فى تحليله وتحريمه
٢٧٠ بيان الدليل على إباحة السماع
٢٨٤ بيان حجج القائلين بتحريم السماع
والجواب عنها
٢٨٧ الباب الثانى فى آثار السماع وآدابه وفيه
مقامات ثلاث
٢٨٧ المقام الأول فى الفهم
٢٩١ المقام الثانى بعد الفهم والتنزيل الوجد
٣٠١ المقام الثالث من السماع نذكر فيه آداب السماع
ظاهراً وباطنا الخ
٣٠٦ كتاب الأمر بالمعروف
والنهى عن المنكر وهو الكتاب التاسع من
ربع العادات الثانى وفيه أربعة أبواب
٣٠٦ الباب الأول فى وجوب الأمر بالمعروف
والنهى عن المنكر وفضيلته والمذمة فى
إهماله وإضاعته
٣١٢ الباب الثانى فى أركان الأمر بالمعروف
وشروطه ، وأركانه أربعة
الركن الأول المحتسب
٣٢٤ الركن الثانى للحسبة ما فيه الحسبة
٣٢٧ الركن الثالث المحتسب عليه
٣٢٩ الركن الرابع نفس الاحتساب

صحيفة

٣٣٣ باب آداب المحتسب
٣٣٥ الباب الثالث فى المنكرات المألوفة فى العادات منكرات المساجد
٣٣٨ منكرات الأسواق
منكرات الشوارع
٣٣٩ منكرات الحمامات
٣٤٠ منكرات الضيافة
٣٤٢ المنكرات العامة
٣٤٣ الباب الرابع فى أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر
٣٥٧ كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة وهو الكتاب العاشر من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين
٣٥٨ بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمداً

صحيفة

صلى الله عليه وسلم بالقرآن
٣٦٤ بيان جملة من محاسن أخلاقه التى جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار
٣٦٤ بيان جملة أخرى من آدابه وأخلاقه
٣٧٧ بيان أخلاقه وآدابه فى الطعام
٣٧٤ بيان أخلاقه فى اللباس
٣٧٧ بيان عفوه صلى الله عليه وسلم مع القدرة
٣٧٨ بيان إغضائه ﷺ عما كان يكرهه
٣٧٩ بيان سخاوته وجوده صلى الله عليه وسلم
٣٨٠ بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم
بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم
١٨١ بيان صورته وخلقته صلى الله عليه وسلم
٣٨٣ بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه

الإحاطة في أخبار غرناطة

تصنيف

الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب

المتوفى سنة ٧٧٥ هـ

الجزء الثاني

دار المعرفة

بيروت - لبنان

إحياء علوم الدين

تصنيف

الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي

المتوفى في ٥٠٥ هـ

وبذيله كتاب

المغني عن حمل الأسفار في الأسفار

في تخريج ما في الإحياء من الأخبار

للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي

المتوفى في ٨٠٦ هـ

وتماما للنفع ألحقنا بالكتاب في آخره ثلاثة كتب:

الأول: تعريف الأحياء بفضائل الإحياء للعلامة عبد القادر بن شيخ بن عبد الله ابن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوي

الثاني: الإملاء عن إشكالات الإحياء للإمام الغزالي، رد به اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من الإحياء.

الثالث: عوارف المعارف، للعارف بالله تعالى الإمام السهروردي

الجزء الثالث

دار المعرفة

بيروت - لبنان

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب شرح عجائب القلب

وهو الكتاب الأول من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تتحير دون إدراك جلاله القلوب والخواطر ، وتدهش فى مبادى إشراق أنواره الأحداق والنواظر ، المطلع على خفيات السرائر ، العالم بمكنونات الضمائر ، المستغنى فى تدبير مملكته عن المشاور والموازر ، مقلب القلوب وغفار الذنوب ، وستار العيوب ، ومفرج الكروب .

والصلاة على سيد المرسلين ، وجامع شمل الدين ، وقاطع دابر الملحدين . وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وسلم كثيرا .

أما بعد : فشرف الإنسان وفضيلته التى فاق بها جملة من أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه ، التى هى فى الدنيا جماله وكماله وفخره ، وفى الآخرة عدته وذخره ، وإنما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه ؛ فالقلب هو العالم بالله . وهو المتقرب إلى الله ؛ وهو العامل لله ، وهو الساعى إلى الله ، وهو المكاشف بما عند الله ولديه ، وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات ، يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعى للرعية والصانع للآلة ؛ فالقلب هو المقبول عند الله إذا سلم من غير الله ، وهو المحجوب عن الله إذا صار مستغرقا بغير الله ، وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب وهو الذى يسعد بالقرب من الله فيفلح إذا زكاه ، وهو الذى يخيب ويشقى إذا دنسه ودساه ؛ وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى ، وإنما الذى ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره ، وهو العاصى المتمرد على الله تعالى وإنما السارى إلى الأعضاء من الفواحش آثاره ؛ وبإظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه ، إذ كل إناء ينضح بما فيه ، وهو الذى إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه ، وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه ، وهو الذى إذا جهله الإنسان فقد جهل نفسه ، وإذا جهل نفسه فقد جهل ربه ، ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل ، إذ أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم ، وقد حيل بينهم وبين أنفسهم ، فإن الله يحول بين المرء وقلبه . وحيلولته بأن يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن ، وأنه كيف يهوى مرة إلى أسفل السافلين وينخفض إلى أفق الشياطين ، وكيف يرتفع أخرى إلى أعلى عليين ويرتقى إلى عالم الملائكة المقربين . ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد لما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه ، فهو ممن قال الله تعالى فيه ﴿ نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ﴾ فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه

أصل الدين وأساس طريق السالكين .

وإذ فرغنا من الشطر الأول من هذا الكتاب من النظر فيما يجرى على الجوارح من العبادات والعادات ـ وهو العلم الظاهر ، ووعدنا أن نشرح فى الشطر الثانى ما يجرى على القلب من الصفات المهلكات والمنجيات ـ وهو العلم الباطن ؛ فلابدّ أن نقدّم عليه كتابين : كتابا فى شرح عجائب صفات القلب وأخلاقه ، وكتابا فى كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه . ثم نندفع بعد ذلك فى تفصيل المهلكات والمنجيات .

فلنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الأمثال ما يقرب من الأفهام ، فإنّ التصريح بعجائبه وأسراره الداخلة فى جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه أكثر الأفهام .

بيان معنى النفس ، والروح ، والقلب ، والعقل ، وما هو المراد بهذه الأسامى

اعلم أنّ هذه الأسماء الأربعة تستعمل فى هذه الأبواب . ويقل فى فحول العلماء من يحيط بهذه الأسامى واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها ، وأكثر الأغاليط منشؤها الجهل بمعنى هذه الأسامى واشتراكها بين مسميات مختلفة . ونحن نشرح فى معنى هذه الأسامى ما يتعلق بغرضنا :

اللفظ الأول : لفظ القلب ، وهو يطلق لمعنيين (أحدهما) اللحم الصنوبرى الشكل المودع فى الجانب الأيسر من الصدر ، وهو لحم مخصوص ، وفى باطنه تجويف ، وفى ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه ، ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته ، إذ يتعلق به غرض الأطباء ولا يتعلق به الأغراض الدينية . وهذا القلب موجود للبهائم ، بل هو موجود للميت . ونحن إذا أطلقنا لفظ القلب فى هذا الكتاب لم نعن به ذلك ؛ فإنه قطعة لحم لا قدر له ، وهو من عالم الملك والشهادة إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين . (والمعنى الثانى) هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسمانى تعلق ، وتلك اللطيفة هى حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان ، وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب . ولها علاقة مع القلب الجسمانى ، وقد تحيرت عقول أكثر الخلق فى إدراك وجه علاقته ؛ فإنّ تعلقه به يضاهى تعلق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات ، أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة . أو تعلق المتمكن بالمكان ، وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين : (أحدهما) أنه متعلق بعلوم المكاشفة ، وليس غرضنا من هذا الكتاب إلا علوم المعاملة (والثانى) أن تحقيقه يستدعى إفشاء سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ [1] فليس لغيره أن يتكلم فيه ، والمقصود أنا إذا أطلقنا لفظ القلب فى هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقتها فى ذاتها وعلم المعاملة يفتقر إلى معرفة صفاتها وأحوالها ولا يفتقر إلى ذكر حقيقتها .

اللفظ الثانى : الروح ، وهو أيضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين : (أحدهما) جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسمانى ، فينشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن ، وجريانه فى البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها ، يضاهى فيضان النور من السراج الذى يدار فى زوايا البيت ؛ فإنه لا ينتهى إلى جزء من البيت إلا ويستنير به ، والحياة مثالها النور الحاصل فى الحيطان ، والروح مثالها السراج ، وسريان الروح وحركته فى الباطن مثال حركة السراج فى جوانب البيت بتحريك محركه ، والأطباء إذا أطلقوا لفظ

حديث : أنه صلى الله عليه وسلم لم يتكلم فى الروح . متفق عليه من حديث ابن مسعود فى سؤال اليهود عن الروح . وفيه . فأمسك النبى صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم ، فعلمت أنه يوحى إليه . . الحديث ، وقد تقدم .

الروح أرادوا به هذا المعنى : وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب ، وليس شرحه من غرضنا ، إذ المتعلق به غرض الأطباء الذين يعالجون الأبدان ؛ فأما غرض أطباء الدين المعالجين للقلب حتى ينساق إلى جوار رب العالمين ، فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلا . (المعنى الثانى) هو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان ، وهو الذى شرحناه فى أحد معانى القلب ، وهو الذى أراده الله تعالى بقوله ﴿ قل الروح من أمر ربى ﴾ وهو أمر عجيب ربانى تعجز أكثر العقول والأفهام عن درك حقيقته

اللفظ الثالث : النفس ، وهو أيضا مشترك بين معان ، ويتعلق بغرضنا منه معنيان : (أحدهما) أنه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة فى الإنسان على ما سيأتى شرحه ، وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوف ؛ لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان ، فيقولون : لابد من مجاهدة النفس وكسرها ، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام « أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك [1] » . (المعنى الثانى) هى اللطيفة التى ذكرناها التى هى الإنسان بالحقيقة ، وهى نفس الإنسان وذاته ، ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها ؛ فإذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة . قال الله تعالى فى مثلها ﴿ ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية ﴾ والنفس بالمعنى الأول لايتصور رجوعها إلى الله تعالى ؛ فإنها مبعدة عن الله ، وهى من حزب الشيطان . وإذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة ؛ لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره فى عبادة مولاه . قال الله تعالى ﴿ ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعى الشيطان سميت النفس الأمارة بالسوء . قال الله تعالى إخبارا عن يوسف عليه السلام أو امرأة العزيز ﴿ وما أبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء ﴾ وقد يجوز أن يقال : المراد بالأمارة بالسوء : هى النفس بالمعنى الأول ، فإذن النفس بالمعنى الأول مذمومة غاية الذم ، وبالمعنى الثانى محمودة لأنها نفس الإنسان أى ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات .

اللفظ الرابع : العقل ، وهو أيضاً مشترك لمعان مختلفة ذكرناها فى كتاب العلم ، والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان : (أحدهما) أنه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور ، فيكون عبارة عن صفة العلم الذى محله القلب . (والثانى) أنه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب أعنى تلك اللطيفة . ونحن نعلم أنّ كل عالم فله فى نفسه وجود هو أصل قائم بنفسه ، والعلم صفة حالة فيه ، والصفة غير الموصوف ، والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم ، وقد يطلق ويراد به محل الإدراك أعنى المدرك ، وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم : أوّل ماخلق الله العقل [2] : فإنّ العلم عرض لايتصور أن يكون أوّل مخلوق ، بل لابد وأن يكون المحل مخلوقا قبله أو معه ، ولأنه لايمكن الخطاب معه . وفى الخبر : أنه قال له تعالى أقبل فأقبل ، ثم قال له أدبر فأدبر ... الحديث .

فإذن قد انكشف لك أنّ معانى هذه الأسماء موجودة : وهى القلب الجسمانى ، والروح الجسمانى ، والنفس الشهوانية ، والعلوم . فهذه أربعة معان يطلق عليها الألفاظ الأربعة ، ومعنى خامس : وهى اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان . والألفاظ الأربعة بجملتها تتوارد عليها ، فالمعانى خمسة ، والألفاظ أربعة ، وكل لفظ أطلق لمعنيين ،

---

(١) حديث « أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك » أخرجه البيهقى فى كتاب الزهد من حديث ابن عباس ، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضاعين . (٢) حديث « أول ماخلق الله العقل » وفى الخبر أنه قال له : أقبل فأقبل وقال أدبر فأدبر ... الحديث » تقدم فى العلم .

وأكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الألفاظ وتواردها ؛ فتراهم يتكلمون فى الخواطر ويقولون: هذا خاطر العقل ، وهذا خاطر الروح ، وهذا خاطر القلب ، وهذا خاطر النفس ، وليس يدرى الناظر اختلاف معانى هذه الأسماء ، ولأجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الأسامى ، وحيث ورد فى القرآن والسنة لفظ القلب ، فالمراد به المعنى الذى يفقه من الإنسان ويعرف حقيقة الأشياء ، وقد يكنى عنه بالقلب الذى فى الصدر ، لأن بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة ، فإنها وإن كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب ، فتعلقها الأول بالقلب وكأنه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها ، ولذلك شبه سهل التسترى القلب بالعرش ، والصدر بالكرسى فقال : القلب هو العرش والصدر هو الكرسى ، ولايظن به أنه يرى أنه عرش الله وكرسيه فإن ذلك محال ، بل أراد به أنه مملكة الإنسان والمجرى الأول لتدبيره وتصرفه ، فهما بالنسبة إليه كالعرش والكرسى بالنسبة إلى الله تعالى ، ولايستقيم هذا التشبيه أيضا إلا من بعض الوجوه ، وشرح ذلك أيضا لايليق بغرضنا فلنجاوزه .

بيان جنود القلب

قال الله تعالى ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ فلله سبحانه فى القلوب والأرواح وغيرها من العوالم جنود مجندة لايعرف حقيقتها وتفصيل عددها إلا هو . ونحن الآن نشير إلى بعض جنود القلب ، فهو الذى يتعلق بغرضنا . وله جندان : جند يرى بالأبصار ، وجند لايرى إلا بالبصائر ، وهو فى حكم الملك ، والجنود فى حكم الخدم والأعوان ، فهذا معنى الجند : فأما جنده المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والأذن واللسان وسائر الأعضاء الظاهرة والباطنة ، فإن جميعها خادمة للقلب ومسخرة له ، فهو المتصرف فيها والمردد لها ، وقد خلقت مجبولة على طاعته لاتستطيع له خلافا ولا عليه تمردا ، فإذا أمر العين بالانفتاح انفتحت ، وإذا أمر الرجل بالحركة تحركت ، وإذا أمر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم ، وكذا سائر الأعضاء . وتسخير الأعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة لله تعالى ، فإنهم مجبولون على الطاعة لايستطيعون له خلافا ، بل لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون ، وإنما يفترقان فى شىء : وهو أن الملائكة عليهم السلام عالمة بطاعتها وامتثالها ، والأجفان تطيع القلب فى الانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب ، وإنما افتقر القلب إلى هذه الجنود من حيث افتقاره إلى المركب والزاد لسفره الذى لأجله خلق ، وهو السفر إلى الله سبحانه وقطع المنازل إلى لقائه ، فلأجله خلقت القلوب . قال الله تعالى ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ وإنما مركبه البدن وزاده العلم . وإنما الأسباب التى توصله الى الزاد وتمكنه من التزود منه هو العمل الصالح ، وليس يمكن العبد أن يصل الى الله سبحانه مالم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا ، فإن المنزل الأدنى لابد من قطعه للوصول إلى المنزل الأقصى ، فالدنيا مزرعة الآخرة ، وهى منزل من منازل الهدى ، وإنما سميت دنيا : لأنها أدنى المنزلتين ، فاضطر الى أن يتزود من هذا العالم ، فالبدن مركبه الذى يصل به الى هذا العالم ، فافتقر إلى تعهد البدن وحفظه ، وإنما يحفظ البدن بأن يجلب إليه ما يوافقه من الغذاء وغيره ، وأن يدفع عنه ماينافيه من أسباب الهلاك ، فافتقر لأجل جلب الغذاء إلى جندين : باطن ، وهو الشهوة . وظاهر ، وهو اليد والأعضاء الجالبة للغذاء ، فخلق فى القلب من الشهوات ما احتاج إليه ، وخلقت الأعضاء التى هى آلات الشهوات فافتقر لأجل دفع المهلكات إلى جندين : باطن ، وهو الغضب الذى به يدفع المهلكات وينتقم من الأعداء . وظاهر ،

وهو اليد والرجل اللذين بهما يعمل بمقتضى الغضب ، وكل ذلك بأمور خارجة ؛ فالجوارح من البدن كالأسلحة وغيرها ، ثم المحتاج إلى الغذاء مالم يعرف الغذاء لم تنفعه شهوة الغذاء وإلفه ، فافتقر للمعرفة إلى جندين : باطن ، وهو إدراك السمع والبصر والشم واللمس والذوق : وظاهر ، وهو العين والأذن والأنف وغيرها . وتفصيل وجه الحاجة إليها ووجه الحكمة فيها يطول ولا تحويه مجلدات كثيرة . وقد أشرنا إلى طرف يسير منها فى كتاب الشكر فليقتنع به .

فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة أصناف : صنف باعث ومستحث : إما إلى جلب النافع الموافق كالشهوة ، وإما إلى دفع الضار المنافى كالغضب ، وقد يعبر عن هذا الباعث بالإرادة . والثانى : هو المحرك للاعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد ، ويعبر عن هذا الثانى بالقدرة : وهى جنود مبثوثة فى سائر الأعضاء لاسيما العضلات منها والأوتار . والثالث : هو المدرك المتعرف للاشياء كالجواسيس : وهى قوة البصر والسمع والشم والذوق واللمس ، وهى مبثوثة فى أعضاء معينة ، ويعبر عن هذا بالعلم والإدراك ، ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهى الأعضاء المركبة من الشحم واللحم والعصب والدم والعظم التى أعدت آلات لهذه الجنود ، فإنّ قوة البطش إنما هى بالأصابع ، وقوة البصر إنما هى بالعين ، وكذا سائر القوى ، ولسنا نتكلم فى الجنود الظاهرة أعنى الأعضاء فإنها من عالم الملك والشهادة ، وإنما نتكلم الآن فيما أيدت به من جنود لم تروها . وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم إلى ماقد أسكن المنازل الظاهرة وهى الحواس الخمس : أعنى السمع والبصر والشم والذوق واللمس وإلى ما أسكن منازل باطنة : وهى تجاويف الدماغ ، وهى أيضا خمسة ، فإنّ الإنسان بعد رؤية الشىء يغمض عينه فيدرك صورته فى نفسه وهو الخيال ، ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شىء يحفظه وهو الجند الحافظ ، ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك إلى البعض ، ثم يتذكر ماقد نسيه ويعود إليه ، ثم يجمع جملة معانى المحسوسات فى خياله بالحس المشترك بين المحسوسات ؛ ففى الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ، ولولا خلق الله قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان الدماغ يخلو عنه كما تخلو اليد والرجل عنه ؛ فتلك القوى أيضا جنود باطنة وأماكنها أيضا باطنه ، فهذه هى أقسام جنود القلب ، وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء بضرب الأمثلة يطول . ومقصود مثل هذا الكتاب أن ينتفع به الأقوياء والفحول من العلماء ، ولكنا نجتهد فى تفهيم الضعفاء بضرب الأمثلة ليقرب ذلك من أفهامهم .

بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة

اعلم أن جندى الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما ، فيعينه ذلك على طريقه الذى يسلكه وتحسن مرافقتهما فى السفر الذى هو بصدده ، وقد يستعصيان عليه استعصاء بغى وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه ، وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذى به وصوله إلى سعادة الأبد ، وللقلب جند آخر : وهو العلم والحكمة والتفكر ، كما سيأتى شرحه ، وحقه أن يستعين بهذا الجند فإنه حزب الله تعالى على الجندين الآخرين ، فإنهما قد يلتحقان بحزب الشيطان . فإن ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا ، وذلك حالة أكثر الخلق ، فإن عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم فى استنباط الحيل لقضاء الشهوة ، وكان ينبغى أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل إليه ، ونحن نقرب ذلك إلى فهمك بثلاثة أمثلة :

المثال الأول : أن نقول : مثل نفس الإنسان فى بدنه أعنى بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل ملك فى مدينته ومملكته

فإن البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها ، وجوارحها وقواها بمنزلة الصناع والعملة ، والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل . والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة إلى المدينة ، والغضب والحمية له كصاحب الشرطة . والعبد الجالب للميرة كذاب مكار خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهائل والسم القاتل ، وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح فى آرائه وتدبيراته حتى لا يخلو من منازعته ومعارضته ساعة ، كما أن الوالى فى مملكته إذا كان مستغنيا فى تدبيراته بوزيره مستشيرا له ومعرضا عن إشارة هذا العبد الخبيث ، مستدلا بإشارته فى أن الصواب فى نقيض رأيه ، أدبه صاحب شرطته وساسه لوزيره وجعله مؤتمرا له مسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث وأتباعه وأنصاره ، حتى يكون العبد مسوسا لا سائسا ، ومأمورا مدبرا لا أميرا مدبرا ، استقام أمر بلده وانتظم العدل بسببه ؛ فكذا النفس متى استعانت بالعقل ، وأدبت بحمية الغضب ، وسلطتها على الشهوة ، واستعانت بإحداهما على الأخرى تارة بأن تقلل مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها ، وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها ، اعتدلت قواها وحسنت أخلاقها ، ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم ﴾ وقال تعالى ﴿ واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾ وقال عز وجل فيمن نهى النفس عن الهوى ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى ﴾ وسيأتى كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض فى كتاب رياضة النفس إن شاء الله تعالى .

المثال الثانى : اعلم أن البدن كالمدينة والعقل ـ أعنى المدرك ـ من الإنسان كالملك مدبر لها ، وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده وأعوانه ، وأعضاؤه كرعيته ، والنفس الأمارة بالسوء التى هى الشهوة والغضب كعدو ينازعه فى مملكته ويسعى فى إهلاك رعيته ، فصار بدنه كرباط وثغر ، ونفسه كمقيم فيه مرابط ، فإن هو جاهد عدوه وهزمه وقهره على ما يحب حمد أثره إذا عاد إلى الحضرة كما قال الله تعالى ﴿ والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ﴾ وإن ضيع ثغره وأهمل رعيته ذم أثره فانتقم منه عند الله تعالى فيقال له يوم القيامة : يا راعى السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم تأو الضالة ولم تجبر الكسير اليوم أنتقم منك [1] كما ورد فى الخبر . وإلى هذه المجاهدة الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر [2] » .

المثال الثالث : مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه ، فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجاح ، ومتى كان هو فى نفسه أخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل بإشارته مطيعا فهو خليق بأن يعطب فضلا عن أن ينال ما طلب ، وإنما خرق الفارس مثل جهل الإنسان وقلة حكمته وكلال بصيرته ، وجماح الفرس مثل غلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج ، وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه . نسأل الله حسن التوفيق بلطفه .

بيان خاصية قلب الإنسان

اعلم أن جملة ما ذكرناه قد أنعم الله به على سائر الحيوانات سوى الآدمى ؛ إذ للحيوان الشهوة والغضب والحواس

---

(١) حديث . يقال يوم القيامة يا راعى السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة ... الخبر ، لم أجد له أصلا

(٢) حديث « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » أخرجه البيهقى فى الزهد من حديث جابر وقال : هذا إسناد فيه ضعف .

الظاهرة والباطنة أيضا ، حتى إن الشاة ترى الذئب بعينها فتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك هو الإدراك الباطن .

فلنذكر ما يختص به قلب الإنسان ، ولأجله عظم شرفه واستأهل القرب من الله تعالى . وهو راجع إلى علم وإرادة :

أما العلم فهو العلم بالأمور الدنيوية والأخروية والحقائق العقلية فإن هذه أمور وراء المحسوسات ولا يشاركه فيها الحيوانات ، بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل إذ يحكم الإنسان بأن الشخص الواحد لايتصور أن يكون فى مكانين فى حالة واحدة ، وهذا حكم منه على كل شخص . ومعلوم أنه لم يدرك بالحس إلا بعض الأشخاص فحكمه على جميع الأشخاص زائد على ماأدركه الحس . وإذا فهمت هذا فى العلم الظاهر الضرورى فهو فى سائر النظريات أظهر .

وأما الإرادة فإنه إذا أدرك بالعقل عاقبة الأمر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق إلى جهة المصلحة وإلى تعاطى أسبابها والإرادة لها ، وذلك غير إرادة الشهوة وإرادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة . فإن الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة ، والعقل يريدها ويطلبها ويبذل المال فيها . والشهوة تميل إلى لذائذ الأطعمة فى حين المرض والعاقل يجد فى نفسه زاجرا عنها ، وليس ذلك زاجر الشهوة . ولو خلق الله العقل المعرف بعواقب الأمور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للأعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعا على التحقيق .

فإذن قلب الإنسان اختص بعلم وإرادة ينفك عنها سائر الحيوان بل ينفك عنها الصبى فى أول الفطرة وإنما يحدث ذلك فيه بعد البلوغ . وأما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فإنها موجودة فى حق الصبى .

ثم الصبى فى حصول هذه العلوم فيه له درجتان ؛ إحداهما : أن يشتمل قلبه على سائر العلوم الضرورية الأولية ؛ كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيها غير حاصلة إلا أنها صارت ممكنة قريبة الإمكان والحصول ، ويكون حاله بالإضافة إلى العلوم كحال الكاتب الذى لايعرف من الكتابة إلا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فإنه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد .

الثانية : أن تتحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر فتكون كالمخزونة عنده ، فإذا شاء رجع إليها وحاله حال الحاذق بالكتابة إذ يقال له كاتب وإن لم يكن مباشراً للكتابة بقدرته عليها . وهذه هى غاية درجة الإنسانية . ولكن فى هذه الدرجة مراتب لاتحصى يتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطريق تحصيلها ؛ إذ تحصل لبعض القلوب بإلهام إلهى على سبيل المبادأة والمكاشفة ، ولبعضهم بتعلم واكتساب ، وقد يكون سريع الحصول وقد يكون بطىء الحصول . وفى هذا المقام تتباين منازل العلماء والحكماء والأنبياء والأولياء ، فدرجات الترقى فيه غير محصورة إذ معلومات الله سبحانه لانهاية لها . وأقصى الرتب رتبة النبى الذى تنكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتكلف ، بكشف إلهى فى أسرع وقت ، وبهذه السعادة يقرب العبد العبد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة ومراقى هذه الدرجات هى منازل السائرين إلى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل ، وإنما يعرف كل سالك منزله الذى بلغه فى سلوكه فيعرفه ويعرف ماخلفه من المنزل . فأما مابين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به إيمانا بالغيب ، كما أنا نؤمن بالنبوة والنبى ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة إلا النبى ، وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ، ولا الطفل حال المميز وما يفتح له من

العلوم الضرورية ، ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فكذلك لايعرف العاقل ماافتتح الله على أوليائه وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ﴾ وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضنون بها على أحد ولكن إنما تظهر فى القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم « إن لربكم فى أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها [1] » والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته من الخبث والكدورة الحاصلة من الأخلاق المذمومة ـ كما سيأتى بيانه ـ وإلى هذا الجود الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له » ؟ وبقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه عز وجل « لقد طال شوق الأبرار إلى لقائى وأنا إلى لقائهم أشد شوقا [2] » وبقوله تعالى « من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا [3] » كل ذلك إشارة إلى أن أنوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم ـ تعالى عن البخل والمنع علوا كبيرا ـ ولكن حجبت لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فإن القلوب كالأوانى فما دامت ممتلئة بالماء لايدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لاتدخلها المعرفة بجلال الله تعالى . وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماء [4] » ومن هذه الجملة يتبين أن خاصية الإنسان العلم والحكمة .

وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله فبه كمال الإنسان وفى كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الجلال والكمال . فالبدن مركب للنفس ، والنفس محل للعلم ، والعلم هو مقصود الإنسان وخاصيته التى لأجله خلق . وكما أن الفرس يشارك الحمار فى قوة الحمل ويختص عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لأجل تلك الخاصية ، فإن تعطلت منه نزل إلى حضيض رتبة الحمار . وكذلك الإنسان يشارك الحمار والفرس فى أمور ويفارقها فى أمور هى خاصيته وتلك الخاصية من صفات الملائكة المقربين من رب العالمين . والإنسان على رتبة بين البهائم والملائكة ، فإن الإنسان من حيث يتغذى وينسل فنبات ، ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان ، ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على الحائط ، وإنما خاصيته معرفة حقائق الأشياء .

من استعمل جميع أعضائه وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة ؛ فحقيق بأن يلحق بهم وجدير بأن يسمى ملكا وربانيا كما أخبر الله تعالى عن صواحبات يوسف عليه السلام بقوله ﴿ ماهذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ﴾ .

ومن صرف همته إلى اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الأنعام فقد انحط إلى حضيض أفق البهائم فيصير إما غمرا كثور ، وإما شرها كخنزير . وإما ضريا ككلب أو سنور ، أو حقودا كجمل . أو متكبرا كنمر ، أو ذاروغان كثعلب ، أو يجمع ذلك كله كشيطان مريد .

وما من عضو من الأعضاء ولا حاسة من الحواس إلا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول إلى الله تعالى ـ كما سيأتى بيان طرف منه فى كتاب الشكر ـ فمن استعمله فيه فقد فاز ، ومن عدل عنه فقد خسر وخاب . وجملة السعادة فى ذلك أن يجعل لقاء الله تعالى مقصده ، والدار الآخرة مستقره ، والدنيا منزله ، والبدن مركبه ، والأعضاء

---

(١) حديث « إن لربكم فى أيام دهركم لنفحات ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد وقد تقدم .

(٢) حديث « يقول الله عزوجل لقد طال شوق الأبرار إلى لقائى . . الحديث » لم أجد له أصلا إلا أن صاحب الفردوس خرجه من حديث أبى الدرداء ولم يذكر له ولده فى مسند الفردوس إسنادا .

(٣) حديث « يقول الله من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا » متفق عليه من حديث أبى هريرة .

(٤) حديث « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم ... الحديث » أخرجه أحمد من حديث أبى هريرة بنحوه وقد تقدم فى الصيام .

خدمه . فيستقر هو ـ أعنى المدرك من الإنسان ـ فى القلب الذى هو وسط مملكته كالملك ، ويجرى القوة الخيالية المودعة فى مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده إذ تجتمع أخبار المحسوسات عنده ، ويجرى القوة الحافظة التى مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه ، ويجرى اللسان مجرى ترجمانه ، ويجرى الأعضاء المتحركة مجرى كتابه ، ويجرى الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد منها بأخبار صقع من الأصقاع ؛ فيوكل العين بعالم الألوان ، والسمع بعالم الأصوات ، والشم بعالم الروائح . وكذلك سائرها فإنها أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها إلى القوة الخيالية التى هى كصاحب البريد ، ويسلمها صاحب البريد إلى الخازن وهى الحافظة ؛ ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها مايحتاج إليه فى تدبير مملكته وإتمام سفره الذى هو بصدده ، وقمع عدوه الذى هو مبتلى به ، ودفع قواطع الطريق عليه فإذا فعل ذلك كان موفقا سعيدا شاكرا نعمة الله وإذا عطل هذه الجملة أو استعملها لكن فى مراعاة أعدائه وهى الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة ، أو فى عمارة طريقه دون منزله إذ الدنيا طريقه التى عليها عبوره ، ووطنه ومستقره الآخرة ؛ كان مخذولا شقيا كافرا بنعمة الله تعالى مضيعا لجنود الله تعالى ناصرا لأعداء الله مخذلا لحزب الله فيستحق المقت والإبعاد فى المنقلب والمعاد . نعوذ بالله من ذلك .

وإلى المثال الذى ضربناه أشار كعب الأحبار حيث قال : دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت ؛ الإنسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب منه ملك [1] فإذا طاب الملك طابت جنوده ، فقالت : هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . وقال على رضى الله عنه فى تمثيل القلوب : إن لله تعالى فى أرضه آنية وهى القلوب فأحبها إليه تعالى أرقها وأصفاها وأصلبها : ثم فسره فقال : أصلبها فى الدين وأصفاها فى اليقين وأرقها على الإخوان ، وهو إشارة إلى قوله تعالى ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ وقوله تعالى ﴿ مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ﴾ قال أبى بن كعب رضى الله عنه : معناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله تعالى ﴿ أو كظلمات فى بحر لجى ﴾ مثل قلب المنافق . وقال زيد بن أسلم فى قوله تعالى ﴿ فى لوح محفوظ ﴾ وهو قلب المؤمن . وقال سهل : مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسى فهذه أمثلة القلب .

بيان مجامع أوصاف القلب وأمثلته

اعلم أن الإنسان قد اصطحب فى خلقته وتركيبه أربع شوائب ، فلذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من الأوصاف وهى : الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية . فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم . ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى أفعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره . ومن حيث إنه فى نفسه أمر ربانى كما قال الله تعالى ﴿ قل الروح من أمر ربى ﴾ فإنه يدعى لنفسه الربوبية ، ويحب الاستيلاء ، والاستعلاء ، والتخصص ، والاستبداد بالأمور كلها ، والتفرد بالرياسة ، والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ، ويشتهى الاطلاع على العلوم كلها ؛ بل يدعى لنفسه العلم ، والمعرفة ، والإحاطة بحقائق الأمور ، ويفرح إذا نسب إلى العلم ، ويحزن إذا نسب إلى الجهل والإحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من أوصاف الربوبية ، وفى الإنسان حرص على ذلك . ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته لها فى الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز فى

(١) حديث عائشة : الإنسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان ... الحديث . أخرجه أبو نعيم فى الطب النبوى والطبرانى فى مسند الشاميين والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة نحوه وله ولأحمد من حديث أبى ذر : وأما الأذن فقمع وأما العين فقرة لما يوعى القلب ولا يصح منها شىء .

استنباط وجوه الشر ، ويتوصل إلى الأغراض بالمكر والحيلة والخداع ، ويظهر الشر فى معرض الخير ، وهذه أخلاق الشياطين .

وكل إنسان فيه شوب من هذه الأصول الأربعة ـ أعنى الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية ـ وكل ذلك مجموع فى القلب . فكأن المجموع فى إهاب الإنسان : خنزير وكلب وشيطان وحكيم .

فالخنزير هو الشهوة فإنه لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه .

والكلب هو الغضب فإنّ السبع الضارى والكلب العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل ، بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر ، وفى باطن الإنسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه . فالخنزير يدعو بالشره إلى الفحشاء والمنكر والسبع بالغضب إلى الظلم والإيذاء .

والشيطان لايزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغرى أحدهما بالآخر ويحسن لهما ماهما مجبولان عليه .

والحكيم الذى هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ومكره بأن يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح ، وأن يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه إذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكلب مقهورا تحت سياسته ، فإن فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الأمر وظهر العدل فى مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم ، وإن عجز عن قهرها قهروه واستخدموه ، فلا يزال فى استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضى الكلب فيكون دائما فى عبادة كلب وخنزير .

وهذا حال أكثر الناس مهما كان أكثر همتهم البطن والفرج ومنافسة الأعداء ، والعجب منه أنه ينكر على عبدة الأصنام عبادتهم للحجارة ، ولو كشف الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله ومثل له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين إما فى النوم أوفى اليقظة لرأى نفسه ماثلا بين يدى خنزير ساجدا له مرة وراكعا أخرى ومنتظرا لإشارته وأمره . فهما هاج الخنزير لطلب شىء من شهواته انبعث على الفور فى خدمته وإحضار شهوته ، أو رأى نفسه ماثلا بين يدى كلب عقور عابدا له مطيعا سامعا لما يقتضيه ويلتمسه مدققا بالفكر فى حيل الوصول إلى طاعته وهو بذلك ساع فى مسرة شيطانه فإنه الذى يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ، ولينظر بعين البصيرة فلا يرى إن أنصف نفسه إلا ساعيا طول النهار فى عبادة هؤلاء ، وهذا غاية الظلم إذ جعل المالك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبداً والقاهر مقهوراً ، إذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء الثلاثة فلا جرم ينتشر إلى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات تتراكم عليه حتى يصير طابعا ورينا مهلكا للقلب وميتا له ، أما طاعة خنزير الشهوة فتصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والحقد والشماتة وغيرها . وأما طاعة كلب الغضب فتنتشر منها إلى القلب صفة التهور والبذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها . وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجراءة والتلبيس والتضريب والغش والخب والخنا وأمثالها . ولو عكس الأمر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية : لاستقر فى القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والإحاطة بحقائق الأشياء ومعرفة الأمور على ماهى عليه ، والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة ، واستحقاق التقدم على الخلق لكمال العلم وجلاله ، ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ، ولانتشر إليه

من ضبط خنزير الشهوة ورده إلى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدو والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وأمثالها ، ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها إلى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها :

فالقلب فى حكم مرآة قد اكتنفته هذه الأمور المؤثرة فيه ، وهذه الآثار على التواصل واصلة إلى القلب . أما الآثار المحمودة التى ذكرناها فإنها تزيد مرآة القلب جلاء وإشراقا ونورا وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الأمر المطلوب فى الدين ، وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه [1] » وبقوله صلى الله عليه وسلم « من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ [2] » وهذا القلب هو الذى يستقر فيه الذكر قال الله تعالى ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ .

وأما الآثار المذمومة فإنها مثل دخان مظلم يتصاعد إلى مرآة القلب ولايزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى إلى أن يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى ، وهو الطبع وهو الرين قال الله تعالى ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ وقال عز وجل ﴿ أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لايسمعون ﴾ فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال تعالى ﴿ واتقوا الله واسمعوا ـ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾

ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلوب وعند ذلك يعمى القلب عن إدراك الحق وصلاح الدين ويستهين بأمر الآخرة ويستعظم أمر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها . فإذا قرع سمعه أمر الآخرة وما فيها من الأخطار دخل من أذن وخرج من أذن ولم يستقر فى القلب ولم يحركه إلى التوبة والتدارك أولئك ﴿ يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور ﴾ وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة ،

قال ميمون بن مهران : إذا أذنب العبد ذنبا نكت فى قلبه نكته سوداء فإذا هو نزع وتاب صقل ، وإن عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه فهو الران وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر أسود منكوس [3] » فطاعة الله سبحانه بمخالفة الشهوات مصقلة للقلب ، ومعاصيه مسودات له فمن أقبل على المعاصى اسود قلبه ، ومن أتبع السيئة الحسنة ومحا أثرها لم يظلم قلبه ، ولكن ينقص نوره كالمرآة التى يتنفس فيها ثم تمسح ويتنفس ثم تمسح ، فإنها لاتخلو عن كدورة . وقد قال صلى الله عليه وسلم « القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق [4] » فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب . ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأى المادتين غلبت عليه حكم له بها ؟ وفى رواية : ذهبت به . قال الله تعالى ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ فأخبر أن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر وأنه لايتمكن منه إلا الذين اتقوا . فالتقوى باب الذكر ، والذكر باب الكشف ، والكشف باب الفوز الأكبر ، وهو الفوز بلقاء الله تعالى .

---

(١) حديث : اذا أراد الله بعبده خيرا جعل له واعظا من قلبه . أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أم سلمة وإسناده جيد . (٢) حديث : من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ . لم أجد له أصلا .

(٣) حديث « قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر ... الحديث » أخرجه أحمد والطبرانى فى الصغير من حديث أبي سعيد وهو بعض الحديث الذى يليه . (٤) حديث « القلوب أربعة : قلب أجرد فيه سراج يزهر ... الحديث » أخرجه أحمد والطبرانى فى الصغير من حديث أبى سعيد الخدرى . وقد تقدم .

بيان مثل القلب بالإضافة إلى العلوم خاصة

اعلم أن محل العلم هو القلب ؛ أعنى اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح وهى المطاعة المخدومة من جميع الأعضاء ، وهى بالإضافة إلى حقائق المعلومات كالمرآة بالإضافة إلى صور المتلونات ؛ فكما أن للمتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع فى المرآة ويحصل بها ، كذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة تنطبع فى مرآة القلب وتتضح فيها ، وكما أن المرآة غير وصور الأشخاص غير وحصول مثالها فى المرآة غير فهى ثلاثة أمور . فكذلك ههنا ثلاثة أمور القلب ، وحقائق الأشياء ، وحصول نفس الحقائق فى القلب وحضورها فيه .

فالعالم عبارة عن القلب الذى فيه يحل مثال حقائق الأشياء ، والمعلوم عبارة عن حقائق الأشياء . والعلم عبارة عن حصول المثال فى المرآة .

وكما أن القبض مثلا يستدعى (قابضا) كاليد (ومقبوضا) كالسيف ، ووصولا بين السيف واليد ـ بحصول السيف فى اليد ـ ويسمى (قبضا) فكذلك وصول مثال المعلوم إلى القلب يسمى علما ، وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن العلم حاصلا ، لأن العلم عبارة عن وصول الحقيقة إلى القلب ، كما أن السيف موجود واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والأخذ حاصلا لعدم وقوع السيف فى اليد ، نعم القبض عبارة عن حصول السيف بعينه فى اليد والمعلوم بعينه لايحصل فى القلب ، فمن علم النار لم تحصل عين النار فى قلبه ، ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها ، فتمثيله بالمرآة أولى لأن عين الإنسان لاتحصل فى المرآة وإنما يحصل مثال مطابق له . وكذلك حصول مثال مطابق لحقيقة المعلوم فى القلب يسمى علما .

وكما أن المرآة لاتنكشف فيها الصورة لخمسة أمور (أحدها) نقصان صورتها بجوهر الحديد قبل أن يدور ويشكل ويصقل . (والثانى) لخشنه وصدئه وكدورته وإن كان تام الشكل . (والثالث) لكونه معدولا به عن جهة الصورة إلى غيرها كما إذا كانت الصورة وراء المرآة . (والرابع) لحجاب مرسل بين المرآة والصورة . (والخامس) للجهل بالجهة التى فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه أن يحاذى بها شطر الصورة وجهتها .

فكذلك القلب مرآة مستعدة لأن ينجلى فيها حقيقة الحق فى الأمور كلها ، وإنما خلت القلوب عن العلوم التى خلت عنها لهذه الأسباب الخمسة (أولها) نقصان فى ذاته كقلب الصبى فإنه لاينجلى له المعلومات لنقصانه . (والثانى) لكدورة المعاصى والخبث الذى يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فإن ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكمه . وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « من قارف ذنبا فارقه عقل لايعود إليه أبدا [1] » أى حصل فى قلبه كدورة لايزول أثرها إذ غايته أن يتبعه بحسنة يمحوه بها ، فلو جاء بالحسنة ولم تتقدم السيئة لازداد لامحالة إشراق القلب فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها إلى ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نورا . فهذا خسران مبين ونقصان لاحيلة له فليست المرآة التى تتدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتى تمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق ؟ فالإقبال على طاعة الله والإعراض عن مقتضى الشهوات هو الذى يجلو القلب ويصفيه ولذلك قال الله تعالى ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم [2] » .

---

(١) حديث « من قارف ذنبا فارقه عقل لايعود إليه أبدا » لم أره أصلا . (٢) حديث « من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم » رواه أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس وقد تقدم فى العلم .

الثالث أن يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فإن قلب المطيع الصالح وإن كان صافيا فإنه ليس يتضح فيه جلية الحق لأنه ليس يطلب الحق وليس محاذيا بمرآته شطر المطلوب : بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية أو بتهيئة أسباب المعيشة ولا يصرف فكره إلى التأمل فى حضرة الربوبية والحقائق الخفية الإلهية ، فلا ينكشف له إلا ماهو متفكر فيه من دقائق آفات الأعمال وخفايا عيوب النفس إن كان متفكرا فيها ، أو مصالح المعيشة إن كان متفكرا فيها . وإذا كان تقييد الهم بالأعمال وتفصيل الطاعات مانعا عن انكشاف جليه الحق فما ظنك فيمن صرف الهم إلى الشهوات الدنيوية ولذاتها وعلائقها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقى ؟ .

الرابع : الحجاب فإن المطيع القاهر لشهواته المتجرد الفكر فى حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق إليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن ، فإن ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من أن ينكشف فى قلبه خلاف ماتلقفه من ظاهر التقليد ، وهذا أيضا حجاب عظيم به حجب أكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب ، بل أكثر الصالحين المتفكرين فى ملكوت السموات والأرض لأنهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت فى نفوسهم ورسخت فى قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقائق .

الخامس : الجهل بالجهة التى يقع منها العثور على المطلوب فإن طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول إلا بالتذكر للعلوم التى تناسب مطلوبه حتى إذا تذكرها ورتبها فى نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتنجلى حقيقة المطلوب لقلبه ، فإن العلوم المطلوبة التى ليست فطرية لا تقتنص إلا بشبكة العلوم الحاصلة ، بل كل علم لا يحصل إلا عن علمين سابقين يأتلفا ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال مايحصل النتاج من ازدواج الفحل والأنثى . ثم كما أن من أراد أن يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار وبعير وإنسان بل من أصل مخصوص من الخيل الذكر والأنثى ، وذلك إذا وقع بينهما ازدواج مخصوص . فكذلك كل علم فله أصلان مخصوصان وبينهما طريق فى الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب ، فالجهل بتلك الأصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم . ومثاله ماذكرناه من الجهل بالجهة التى الصورة فيها ، بل مثاله أن يريد الإنسان أن يرى قفاه مثلا بالمرآة فإنه إذا رفع المرآة بإزاء وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا ، وإن رفعها وراء القفا وحاذاه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيها فيحتاج إلى مرآة أخرى ينصبها وراء القفا ، وهذه فى مقابلتها بحيث يبصرها ويراعى مناسبة بين وضع المرآتين حتى تنطبع صورة القفا فى المرآة المحاذية للقفا ، ثم تنطبع صورة هذه المرآة فى المرآة الأخرى التى فى مقابلة العين ، ثم تدرك العين صورة القفا ، فكذلك فى اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات أعجب مما ذكرناه فى المرآة يعز على بسيط الأرض من يهتدى إلى كيفية الحيلة فى تلك الازورارات . فهذه هى الأسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الأمور . وإلا فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لأنه أمر ربانى شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف . وإليه الإشارة بقوله عز وجل ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ﴾ إشارة إلى أن له خاصية تميز بها عن السموات والأرض والجبال بها صار مطيقا لحمل أمانة الله تعالى . وتلك الأمانة هى المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمى مستعد لحمل الأمانة ومطيق لها فى الأصل ولكن يثبطه عن النهوض بأعبائها والوصول إلى تحقيقها الأسباب التى ذكرناها . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه [1] » وقول رسول الله

(١) حديث « كل مولود يولد على الفطرة ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة .

صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماء [١] » إشارة إلى بعض هذه الأسباب التى هى الحجاب بين القلوب وبين الملكوت .

وإليه الإشارة بما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قيل لرسول الله ، يارسول الله أين الله فى الأرض أو فى السماء ؟ قال فى قلوب عباده المؤمنين [٢] » وفى الخبر « قال الله تعالى : لم يسعنى أرضى ولاسمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن اللين الوادع [٣] » وفى الخبر « أنه قيل يارسول الله من خير الناس فقال « كل مؤمن مخموم القلب » فقيل: وما مخموم القلب ؟ فقال « هو التقى النقى الذى لاغش فيه ولا بغى ولا غدر ولاغل ولا حسد [٤] » ولذلك قال عمر رضى الله عنه : رأى قلبى ربى . إذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ، ومن ارتفع الحجاب بينه وبين الله تجلى صورة الملك والملكوت فى قلبه فيرى جنة عرض بعضها السموات والأرض ، أما جملتها فأكثر سعة من السموات والأرض لأن السموات والأرض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وإن كان واسع الأطراف متباعد الأكناف فهو متناه على الجملة ، وأما عالم الملكوت وهى الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار المخصوصة بإدراك البصائر فلا نهاية له ، نعم الذى يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه فى نفسه وبالإضافة إلى علم الله لانهاية له . وجملة عالم الملك والملكوت إذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لأن الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات إذ ليس فى الوجود شىء سوى الله تعالى وأفعاله ، ومملكته وعبيده من أفعاله ، فما يتجلى من ذلك للقلب هى الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق ، ويكون سعة ملكه فى الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ماتجلى له من الله وصفاته وأفعاله . وإنما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه ﴿قد أفلح من زكاها﴾ ومراد تزكيته حصول أنوار الإيمان فيه أعنى إشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام . أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾ .

نعم هذا التجلى وهذا الإيمان له ثلاث مراتب (المرتبة الأولى) إيمان العوام وهو إيمان التقليد المحض . (والثانية) إيمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال ، ودرجته قريبة من درجة ايمان العوام (والثالثة) إيمان العارفين وهو المشاهد بنور اليقين .

ونبين لك هذه المراتب بمثال : وهو أن تصديقك بكون زيد مثلا فى الدار له ثلاث درجات .

الأولى : أن يخبرك من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولاتهمته فى القول ، فإن قلبك يسكن إليه ويطمئن بخبره بمجرد السماع ، وهذا الإيمان بمجرد التقليد ، وهو مثل إيمان العوام فإنهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وأمهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وإرادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة الرسل وصدقهم وما جاءوا به ، وكما سمعوا به قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا إليه ، ولم يخطر ببالهم خلاف ماقالوه لهم لحسن ظنهم بآبائهم وأمهاتهم ومعلميهم ، وهذا الإيمان سبب النجاة فى الآخرة وأهله من أوائل رتب أصحاب اليمين وليسوا من المقربين لأنه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين ، إذ الخطأ ممكن فيما سمع من الآحاد بل من الآعداد فيما يتعلق

---

(١) حديث : لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم ... الحديث . تقدم . (٢) حديث ابن عمر : أين الله ؟ قال : فى قلوب عباده المؤمنين . لم أجده بهذا اللفظ ، وللطبرانى من حديث أبى عتبة الخولانى يرفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن لله آنية من أهل الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين ... الحديث » فيه بقية بن الوليد وهو مدلس لكنه صرح فيه بالتحديث . (٣) حديث « قال الله ماوسعنى أرضى ولاسمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن اللين الوادع » لم أر له أصلا وفى حديث أبى عتبة قبله عند الطبرانى بعد قوله « وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه ألينها وأرقها » . (٤) حديث : قيل من خير الناس ؟ قال « كل مؤمن مخموم القلب ... الحديث » أخرجه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر بإسناد صحيح .

بالاعتقادات ، فقلوب اليهود والنصارى أيضا مطمئنة بما يسمعونه من آبائهم وأمهاتهم إلا أنهم اعتقدوا ما اعتقدوا خطأ لأنهم ألقى إليهم الخطأ ، والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن ألقى إليهم كلمة الحق .

الرتبة الثانية : أن تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه فى الدار فيكون إيمانك وتصديقك ويقينك بكونه فى الدار أقوى من تصديقك بمجرد السماع ، فإنك إذا قيل لك إنه فى الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لأن الأصوات تدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت فى حال مشاهدة الصورة ، فيحكم قلبه بأن هذا صوت ذلك الشخص ؛ وهذا إيمان ممزوج بدليل والخطأ أيضا ممكن أن يتطرق إليه ، إذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة إلا أن ذلك قد لا يخطر ببال السامع لأنه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر فى هذا التلبيس والمحاكاة غرضا .

الرتبة الثالثة : أن تدخل الدار فتنظر إليه بعينك وتشاهده ؛ وهذه هى المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهى تشبه معرفة المقربين والصديقين لأنهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوى فى إيمانهم إيمان العوام والمتكلمين ، ويتميزون بمزية بينة يستحيل معها إمكان الخطأ . نعم وهم أيضا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف .

أما درجات الكشف فمثاله أن يبصر زيدا فى الدار عن قرب وفى صحن الدار فى وقت إشراق الشمس فيكمل له إدراكه والآخر يدركه فى بيت أو من بعد أو فى وقت عشية فيتمثل له فى صورته ما يستيقن معه أنه هو ؛ ولكن لا يتمثل فى نفسه الدقائق والخفايا من صورته . ومثل هذا متصور فى تفاوت المشاهدة للأمور الإلهية .

وأما مقادير العلوم فهو بأن يرى فى الدار زيدا وعمرا وبكرا غير ذلك وآخر لا يرى إلا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة . فهذا حال القلب بالإضافة إلى العلوم والله تعالى أعلم بالصواب .

بيان حال القلب بالإضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والأخروية

اعلم أن القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التى تحل فيه تنقسم إلى عقلية وإلى شرعية . والعقلية تنقسم إلى ضرورية ومكتسبة . والمكتسبة إلى دنيوية وأخروية .

أما العقلية : فنعنى بها ما تقضى بها غريزة العقل ولا توجد بالتقليد والسماع ؛ وهى تنقسم إلى ضرورية : لا يدرى من أين حصلت وكيف حصلت ؟ كعلم الإنسان بأن الشخص الواحد لا يكون فى مكانين والشىء الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما معا ؛ فإن هذه علوم يجد الإنسان نفسه منذ الصبا مفطورا عليها ولا يدرى متى حصل له هذا العلم ولا من أين حصل له ؟ أعنى أنه لا يدرى له سببا قريبا ، وإلا فليس يخفى عليه أن الله هو الذى خلقه وهداه . وإلى علوم مكتسبة : وهى المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلا .

قال على رضى الله عنه :

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

والأول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلى « ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل [1] » والثانى هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه « إذا تقرب الناس إلى الله تعالى بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك [2] »

(١) حديث « ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل » أخرجه الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول بإسناد ضعيف وقد تقدم فى العلم . (٢) حديث « إذا تقرب الناس إلى الله بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك » أخرجه أبو نعيم من حديث على بإسناد ضعيف

إذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة . ولكن مثل على رضى الله عنه هو الذى يقدر على التقرب باستعمال العقل فى اقتناص العلوم التى بها ينال القرب من رب العالمين ، فالقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر فى العين ، وقوة الابصار لطيفة تفقد فى العمى وتوجد فى البصر وإن كان قد غمض عينيه أو جن عليه الليل ، والعلم الحاصل منه فى القلب جار مجرى قوة إدراك البصر فى العين ورؤيته لأعيان الأشياء . وتأخر العلوم عن عين العقل فى مدة الصبا إلى أوان التمييز أو البلوغ يضاهى تأخر الرؤية عن البصر إلى أوان إشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات . والقلم الذى سطر الله به العلوم على صفحات القلوب يجرى مجرى قرص الشمس . وإنما لم يحصل العلم فى قلب الصبى قبل التمييز لأن لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نفس العلم . والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى جعله سببا لحصول نقش العلوم فى قلوب البشر قال الله تعالى ﴿ الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم ﴾ وقلم الله تعالى لايشبه قلم خلقه كما لايشبه وصفه وصف خلقه ، فليس قلمه من قصب ولا خشب كما أنه تعالى ليس من جوهر ولا عرض ؛ فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه إلا أنه لامناسبة بينهما فى الشرف ؛ فإن البصيرة الباطنة هى عين النفس التى هى اللطيفة المدركة ، وهى كالفارس والبدن كالفرس ، وعمى الفارس أضر على الفارس من عمى الفرس بل لانسبة لأحد الضررين إلى الآخر . ولموازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال ﴿ ما كذب الفؤاد مارأى ﴾ سمى إدراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله تعالى ﴿ وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ﴾ وماأراد به الرؤية الظاهرة فإن ذلك غير مخصوص بإبراهيم عليه السلام حتى يعرض فى معرض الامتنان ، ولذلك سمى ضد إدراكه عمى فقال تعالى ﴿ فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾ وقال تعالى ﴿ ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا ﴾ فهذا بيان العلم العقلى .

أما العلوم الدينية : فهى المأخوذة بطريق التقليد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيهما بعد السماع ، وبه كمال صفة القلب وسلامته عن الادواء والامراض ، فالعلوم العقلية غير كافية فى سلامة القلب وإن كان محتاجا إليها ، كما أن العقل غير كاف فى استدامة صحة أسباب البدن بل يحتاج إلى معرفة خواص الادوية والعقاقير بطريق التعلم من الاطباء ، إذ مجرد العقل لايهتدى إليه ولكن لايمكن فهمه بعد سماعه إلا بالعقل ، فلا غنى بالعقل عن السماع ولا غنى بالسماع عن العقل . فالداعى إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل ، والمكتفى بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور ، وإياك أن تكون من أحد الفريقين وكن جامعا بين الأصلين ، فإن العلوم العقلية كالأغذية والعلوم الشرعية كالأدوية والشخص المريض يستضر بالغذاء متى فاته الدواء ، فكذلك أمراض القلوب لايمكن علاجها إلا بالأدوية المستفادة من الشريعة وهى وظائف العبادات والأعمال التى ركبها الأنبياء صلوات الله عليهم لإصلاح القلوب ، فمن لايداوى قلبه المريض بمعالجات العبادة الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء . وظن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى فى عين البصيرة نعوذ بالله منه ، بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما . فيظن أنه تناقض فى الدين ، فيتحير به فينسل من الدين انسلال الشعرة من العجين . وإنما ذلك لأن عجزه فى نفسه خيل إليه نقضا فى الدين وهيهات . وإنما مثاله مثال الأعمى الذى دخل دار قوم فتعثر فيها بأوانى الدار فقال لهم : ما بال هذه الأوانى

تركت على الطريق لم لاترد إلى مواضعها ؟ فقالوا له : تلك الأوانى فى مواضعها ! وإنما أنت لست تهتدى للطريق لعماك فالعجب منك أنك لاتحيل عثرتك على عماك وإنما تحيلها على تقصير غيرك ؟ فهذه نسبة العلوم الدينية إلى العلوم العقلية .

والعلوم العقلية تنقسم إلى دنيوية وأخروية . فالدنيوية : كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات . والأخروية : كعلم أحوال القلب وآفات الأعمال والعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله ـ كما فصلناه فى كتاب العلم ـ وهما علمان متنافيان ـ أعنى أن من صرف عنايته إلى أحدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر على الأكثر ـ ولذلك ضرب على رضى الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة أمثلة فقال : هما ككفتى الميزان ، وكالمشرق والمغرب ، وكالضرتين إذا أرضيت إحداهما أسخطت الاخرى .

ولذلك ترى الأكياس فى أمور الدنيا وفى علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة جهالا فى أمور الآخرة . والأكياس فى دقائق علوم الآخرة جهالا فى أكثر علوم الدنيا ، لأن قوة العقل لاتفى بالأمرين جميعا فى الغالب فيكون أحدهما مانعا من الكمال فى الثانى . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن أكثر أهل الجنة البله [1] » أى البله فى أمور الدنيا .

وقال الحسن فى بعض مواعظه : لقد أدركنا أقواما لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو أدركوكم لقالوا شياطين . فهما سمعت أمرا غريبا من أمور الدين جحده أهل الكياسة فى سائر العلوم ، فلا يغرنك جحودهم عن قبوله إذ من المحال أن يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد فى المغرب ، فكذلك يجرى أمر الدنيا والآخرة ولذلك قال تعالى ﴿ إن الذين لايرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ﴾ الآية وقال تعالى ﴿ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ وقال عز وجل ﴿ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ﴾ فالجمع بين كمال الاستبصار فى مصالح الدنيا والدين لايكاد يتيسر إلا لمن رسخه الله لتدبير عباده فى معاشهم ومعادهم وهم الأنبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الإلهية التى تتسع لجميع الأمور ولا تضيق عنها . فأما قلوب سائر الخلق فإنها إذا استقلت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيها .

بيان الفرق بين الإلهام والتعلم ، والفرق بين طريق الصوفية فى استكشاف الحق وطريق النظار

اعلم أن العلوم التى ليست ضرورية ـ وإنما تحصل فى القلب فى بعض الأحوال ـ تختلف الحال فى حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه ألقى فيه من حيث لايدرى ، وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم . فالذى يحصل لابطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى إلهاما ، والذى يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا . ثم الواقع فى القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم إلى مالايدرى العبد أنه كيف حصل له ومن أين حصل ؟ وإلى مايطلع معه على السبب الذى منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقى فى القلب . والأول : يسمى إلهاما ونفثا فى الروع والثانى : يسمى وحيا وتختص به الأنبياء . والأول يختص به الأولياء والأصفياء . والذى قبله ـ وهو المكتسب بطريق الاستدلال ـ يختص به العلماء . وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لأن تنجلى فيه حقيقة الحق فى الأشياء كلها ،

(١) حديث « أكثر أهل الجنة البله » أخرجه البزار من حديث أنس وضعفه وصححه القرطبى فى التذكرة وليس كذلك فقد قال ابن عدى انه منكر .

وإنما حيل بينه وبينها بالأسباب الخمسة ـ التى سبق ذكرها ـ فهى كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذى هو منقوش بجميع ماقضى الله به إلى يوم القيامة . وتجلى حقائق العلوم من مرآة اللوح فى مرآة القلب يضاهى انطباع صورة من مرآة فى مرآة تقابلها ، والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد وأخرى يزول بهبوب الرياح تحركه . وكذلك قد تهب رياح الألطاف وتنكشف الحجب عن أعين القلوب فينجلى فيها بعض ماهو مسطور فى اللوح المحفوظ ، ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون فى المستقبل . وتمام ارتفاع الحجاب بالموت فبه ينكشف الغطاء ، وينكشف أيضا فى اليقظة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفى من الله تعالى ، فيلمع فى القلوب من وراء ستر الغيب شىء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف ، وأخرى على التوالى إلى حدما . ودوامه فى غاية الندور فلم يفارق الإلهام الاكتساب فى نفس العلم ولا فى محله ولا فى سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب ، فإن ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحى الإلهام فى شىء من ذلك بل فى مشاهدة الملك المفيد للعلم ، فإن العلم إنما يحصل فى قلوبنا بواسطة الملائكة ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه مايشاء ﴾

فإذا عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية . فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ماصنفه المصنفون والبحث عن الأقاويل والأدلة المذكورة ، بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولى لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم ، وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور فى القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت ، وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية فليس على العبد إلا الاستعداد بالتصفية المجردة وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة .

فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب ، بل بالزهد فى الدنيا والتبرى من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى . فمن كان لله كان الله له . وزعموا أن الطريق فى ذلك أولا بانقطاع علائق الدنيا بالكلية وتفريغ القلب منها وبقطع الهمة عن الأهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه إلى حالة يستوى فيها وجود كل شىء وعدمه ، ثم يخلو بنفسه فى زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ، ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ، ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل فى تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره ، بل يجتهد أن لايخطر بباله شىء سوى الله تعالى ، فلا يزال بعد جلوسه فى الخلوة قائلا بلسانه : الله الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهى إلى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ، ثم يصبر عليه إلى أن يمحى أثره عن اللسان ويصادف قلبه مواظبا على الذكر ، ثم يواظب عليه إلى أن يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ، ويبقى معنى الكلمة مجردا فى قلبه حاضرا فيه كأنه لازم له لايفارقه وله اختيار إلى أن ينتهى إلى هذا الحد واختيار فى استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس ، وليس له اختيار فى استجلاب رحمة الله تعالى ، بل هو بما فعله صار متعرضا لنفحات رحمة الله فلا يبقى إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كما فتحها على الأنبياء والأولياء بهذه الطريق ؛ وعند ذلك إذا صدقت إرادته وصفت همته وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تلمع لوامع الحق فى قلبه ، ويكون فى ابتدائه

كالبرق الخاطف لايثبت ؛ ثم يعود وقد يتأخر ، وإن عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا ؛ وإن ثبت قد يطول ثباته وقد لايطول ، وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد . ومنازل أولياء الله تعالى فيه لاتحصر كما لايحصى تفاوت خلقهم وأخلاقهم . وقد رجع هذا الطريق إلى تطهـــير محض من جانبك وتصفية وجلاء ، ثم استعداد وانتظار فقط .

وأما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وإمكانه وإفضائه إلى هذا المقصد على الندور فإنه أكثر أحوال الأنبياء والأولياء ، ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطؤا ثمرته واستبعدوا استجماع شروطه ، وزعموا أن محو العلائق إلى ذلك الحد كالمتعذر وإن حصل فى حال فثباته أبعد منه ، إذ أدنى وسواس وخاطر يشوش القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن أشد تقلبا من القدر فى غليانها [1] » وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن [2] » وفى أثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن ، وإذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس إليها مدة طويلة إلى أن يزول وينقضى العمر قبل النجاح فيها ، فكم من صوفى سلك هذا الطريق ثم بقى فى خيـال واحد عشرين سنة ولو كان قد أتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال فى الحال ، فالاشتغال بطريق التعلم أوثق وأقرب إلى الغرض . وزعموا أن ذلك يضاهى ما لو ترك الإنسان تعلم الفقه . وزعم أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ذلك وصار فقيها بالوحى والإلهام من غير تكرير وتعليق وأنا أيضا ربما انتهت بى الرياضة والمواظبة إليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره ، بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز ، فإن ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا ؛ فكذلك هذا . وقالوا : لابد أولا من تحصيل ماحصله العلماء وفهم ماقالوه ثم لابأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فعساه ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة .

بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس

اعلم أن عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس ، لأن القلب أيضا خارج عن إدراك الحس ومالبس مدركا بالحواس تضعف الأفهام عن دركه إلا بمثال محسوس . ونحن نقرب ذلك إلى الأفهام الضعيفة بمثالين :

أحدهما : أنه لوفرضنا حوضا محفورا فى الأرض احتمل أن يساق الماء من فوقه بأنهار تفتح فيه ، ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافى ، فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أغزر وأكثر . فذلك القلب مثل الحوض ، والعلم مثل الماء ، وتكون الحواس الخمس مثال الأنهار . وقد يمكن أن تساق العلوم إلى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علما ، ويمكن أن تسد هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد إلى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تنفجر ينابيع العلم من داخله .

* فإن قلت : فكيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه ؟ فاعلم أن هذا من عجائب أسرار القلب ولايسمح بذكره فى علم المعاملة بل القدر الذى يمكن ذكره أن حقائق الأشياء مسطورة فى اللوح المحفوظ بل فى قلوب الملائكة المقربين . فكما أن المهندس يصور أبنية الدار فى بياض ثم يخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر

---

(١) حديث « قلب المؤمن أشد تقلبا من القدر فى غليانها » أخرجه أحمد والحاكم وصححه من حديث المقداد بن الأسود .
(٢) حديث « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمر .

السموات والأرض كتب نسخة العالم من أوله إلى آخره فى اللوح المحفوظ ثم أخرجه إلى الوجود على وفق تلك النسخة ، والعالم الذى خرج إلى الوجود بصورته تتأدى منه صورة أخرى إلى الحس والخيال ، فإن من ينظر إلى السماء والأرض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والأرض فى خياله حتى كأنه ينظر إليها ، ولو انعدمت السماء والأرض وبقى هو فى نفسه لوجد صورة السماء والأرض فى نفسه كأنه يشاهدهما وينظر إليهما ، ثم يتأدى من خياله أثر إلى القلب فيحصل فيه حقائق الأشياء التى دخلت فى الحس والخيال . والحاصل فى القلب موافق للعالم الحاصل فى الخيال والحاصل فى الخيال موافق للعالم الموجود فى نفسه خارجا من خيال الإنسان وقلبه . والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة فى اللوح المحفوظ .

فكأن للعالم أربع درجات فى الوجود : وجود فى اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسمانى ، ويتبعه وجوده الحقيقى ، ويتبع وجوده الحقيقى وجوده الخيالى ـ أعنى وجود صورته فى الخيال ـ ويتبع وجوده الخيالى وجوده العقلى ـ أعنى وجود صورته فى القلب ـ

وبعض هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمانية . والروحانية بعضها أشد روحانية من البعض ؛ وهذا اللطف من الحكمة الإلهية ، إذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث تنطبع صورة العالم والسموات والأرض على اتساع أكنافها فيها ، ثم يسرى من وجودها فى الحس وجود إلى الخيال ، ثم منه وجود فى القلب فإنك أبدا لا تدرك إلا ماهو واصل إليك ، فلو لم يجعل للعالم كله مثالا فى ذاتك لما كان لك خبر مما يباين ذاتك ، فسبحان من دبر هذه العجائب فى القلوب والأبصار ثم أعمى عن دركها القلوب والأبصار ، حتى صارت قلوب أكثر الخلق جاهلة بأنفسها وبعجائبها .

ولنرجع إلى الغرض المقصود فنقول : القلب قد يتصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ ، كما أن العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر إليها وتارة من النظر إلى الماء الذى يقابل الشمس ويحكى صورتها . فهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الأشياء فيه وتفجر إليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس ، فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الأرض . ومهما أقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما أن الماء إذا اجتمع فى الأنهار منع ذلك من التفجر فى الأرض ، وكما أن من نظر إلى الماء الذى يحكى صورة الشمس لا يكون ناظرا إلى نفس الشمس ؛ فإذن للقلب بابان : باب مفتوح إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة ، وباب مفتوح إلى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الملك والشهادة . وعالم الشهادة والملك أيضا يحاكى عالم الملكوت نوعا من المحاكاة . فأما انفتاح باب القلب إلى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك . وأما انفتاح بابه الداخل إلى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينيا بالتأمل فى عجائب الرؤيا واطلاع القلب فى النوم على ماسيكون فى المستقبل أو كان فى الماضى من غير اقتباس من جهة الحواس . وإنما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم « سبق المفردون » قيل ومن هم المفردون يارسول الله ؟ قال « المتنزهون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا » ثم قال فى وصفهم إخبارا عن الله تعالى فقال « ثم أقبل بوجهى عليهم أترى من واجهته بوجهى يعلم أحد أى شىء أريد أن أعطيه ؟ ثم قال تعالى : أول ما أعطيهم أن أقذف النور فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم [1] » ومدخل

(١) حديث « سبق المفردون » قيل ومن هم ؟ قال « المستهترون بذكر الله ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة مقتصرا على أول الحديث وقال فيه : وما المفردون ؟ قال « الذاكرون الله كثيرا والذاكرات » ورواه الحاكم بلفظ « قال الذين =

هذه الأخبار هو الباب الباطن فإذا الفرق بين علوم الأولياء والأنبياء وبين علوم العلماء والحكماء هذا وهو أن علومهم تأتى من داخل القلب من الباب المنفتح إلى عالم الملكوت ، وعلم الحكمة يتأتى من أبواب الحواس المفتوحة إلى عالم الملك ، وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمى الشهادة والغيب لا يمكن أن يستقصى فى علم المعاملة . فهذا مثال يعلمك الفرق بين مدخل العالمين

المثال الثانى يعرفك الفرق بين العملين ، أعنى عمل العلماء وعمل الأولياء : فإن العلماء يعملون فى اكتساب نفس العلوم واجتلابها إلى القلب ، وأولياء الصوفية يعملون فى جلاء القلوب وتطهيرها وتصفيتها وتصقيلها فقط ، فقد حكى أن أهل الصين وأهل الروم تباهوا بين يدى بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر رأى الملك على أن يسلم إليهم صفة لينقش أهل الصين منها جانبا وأهل الروم جانبا ويرخى بينهما حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر ففعل ذلك ، فجمع أهل الروم من الأصباغ الغريبة مالا ينحصر ودخل أهل الصين من غير صبغ وأقبلوا يجلون جانبهم ويصقلونه و فلما فرغ أهل الروم ادعى أهل الصين أنهم قد فرغوا أيضا فعجب الملك من قولهم وأنهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ ؟ فقيل : وكيف فرغتم من غير صبغ ! فقالوا : ما عليكم ارفعوا الحجاب ، فرفعوا وإذا بجانبهم يتلألأ منه عجائب الصنائع الرومية مع زيادة إشراق وبريق ، إذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد التصقيل ؛ فكذلك عناية الأولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلألأ فيه جلية الحق بنهاية الإشراق كفعل أهل الصين ، وعناية الحكماء والعلماء بالاكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقشها فى القلب كفعل أهل الروم ، فكيفما كان الأمر فقلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحى وصفاؤه لا يتكدر وإليه أشار الحسن رحمة الله عليه بقوله : التراب لا يأكل محل الإيمان بل يكون وسيلة وقربة إلى الله تعالى .

وأما ما حصله من نفس العلم وما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نفس العلم فلا غنى به عنه ولا سعادة لأحد إلا بالعلم والمعرفة ، وبعض السعادات أشرف من بعض كما أنه لا غنى إلا بالمال . فصاحب الدرهم غنى وصاحب الخزائن المترعة غنى ، وتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة والإيمان كما تتفاوت درجات الأغنياء بحسب قلة المال وكثرته ، فالمعارف أنوار ولا يسعى المؤمنون إلى لقاء الله تعالى إلا بأنوارهم قال الله تعالى ﴿ يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ﴾ وقد روى فى الخبر « إن بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم أصغر حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نورا على إبهام قدميه فيضىء مرة وينطفىء أخرى فإذا أضاء قدم قدميه فمشى وإذا طفىء قام ، ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كالفرس إذا اشتد فى ميدانه ، والذى أعطى نورا على إبهام قدمه يحبو حبوا على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا ويعلق أخرى ويصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص [1] » الحديث فبهذا يظهر تفاوت الناس فى الإيمان ولو وزن إيمان أبى بكر بإيمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح . فهذا أيضا يضاهى قول القائل : لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها لرجح ؛ فإنما آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع ، وإيمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم ، وإيمان الأنبياء كالشمس . وكما ينكشف فى نور الشمس صورة الآفاق مع

= يستهترون بذكر الله » وقال صحيح على شرط الشيخين وزاد فيه البيهقى فى الشعب « يضع الذكر عنهم أثقالهم ويأتون يوم القيامة خفافا » ورواه هكذا الطبرانى فى المعجم الكبير من حديث أبى الدرداء دون الزيادة التى ذكرها المصنف فى آخره وكلاهما ضعيف .

(١) حديث « إن بعضهم يعطى نورا مثل الجبل حتى يكون أصغرهم رجل يعطى نوره على إبهام قدمه ... الحديث » أخرجه الطبرانى والحاكم من حديث ابن مسعود قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين .

اتساع اقطارها ولاينكشف فى نور السراج إلا زواية ضيقه من البيت فكذلك تفاوت انشراح الصدر بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين . ولذلك جاء فى الخبر « أنه يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان ، ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة [1] » كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الإيمان وأن هذه المقادير من الإيمان لاتمنع دخول النار ، وفى مفهومه أن من إيمانه يزيد على مثقال فإنه لايدخل النار ، إذ لو دخل لأمر بإخراجه أولا وأن من فى قلبه مثقال ذرة لايستحق الخلود فى النار وإن دخلها . وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « ليس شيء خيرا من ألف مثله إلا الإنسان المؤمن [2] » إشارة إلى تفضيل قلب العارف بالله تعالى الموقن فإنه خير من ألف قلب من العوام . وقد قال تعالى ﴿ وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ تفضيلا للمؤمنين على المسلمين والمراد به المؤمن العارف دون المقلد . وقال عز وجل ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ فأراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين أوتوا العلم . ويدل ذلك على أن اسم المؤمن يقع على المقلد وإن لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف .

وفسر ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى ﴿ والذين أوتوا العلم درجات ﴾ فقال يرفع الله العالم فوق المؤمن بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، وقال صلى الله عليه وسلم « أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوى الألباب [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى [4] » وفى رواية « كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » فبهذه الشواهد يتضح لك تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ، ولهذا كان يوم القيامة يوم التغابن إذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران ، والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره إليها كنظر الغنى الذى يملك عشرة دراهم إلى الغنى الذى يملك الأرض من المشرق إلى المغرب وكل واحد منهما غنى ولكن ما أعظم الفرق بينهما وما أعظم الغبن على من يخسر حظه من ذلك ﴿ وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ﴾ .

بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف فى اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد

اعلم أن من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الإلهام والوقوع فى القلب من حيث لايدرى فقد صار عارفا بصحة الطريق ، ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغى أن يؤمن به ، فإن درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ، ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات :

أما الشواهد : فقوله تعالى ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والإلهام . وقال صلى الله عليه وسلم « من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار [5] » وقال الله تعالى ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ﴾ من الإشكالات والشبه ﴿ ويرزقه من حيث لايحتسب ﴾ يعلمه

---

(١) حديث « يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من فى قلبه ربع مثقال من إيمان... الحديث » متفق عليه من حديث أبى سعيد وليس فيه قوله « ربع مثقال » . (٢) حديث « ليس شيء خيرا من ألف مثله إلا الإنسان أو المؤمن » أخرجه الطبرانى من حديث سلمان بلفظ « الإنسان » ولأحمد من حديث ابن عمر « لانعلم شيئا خيرا من مائة مثله إلا الرجل المؤمن » وإسنادهما حسن (٣) حديث « أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوى الألباب » تقدم دون هذه الزيادة ولم أجد لهذه الزيادة أصلا (٤) حديث « فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى » أخرجه الترمذى من حديث أبى أمامة وصححه وقد تقدم فى العلم وكذلك الرواية الثانية . (٥) حديث « من عمل بما علم ... الحديث » تقدم فى العلم دون قوله « ووفقه فيما يعمل » فلم أرها .

علما من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة . وقال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ﴾ قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يكثر فى دعائه من سؤال النور فقال عليه الصلاة السلام « اللهم أعطنى نورا وزدنى نورا واجعل لى فى قلبى نورا وفى قبرى نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا حتى قال فى شعرى وفى بشرى وفى لحمى ودمى وعظامى [1] » وسئل صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾ ماهذا الشرح ؟ فقال « هو التوسعة إن النور إذا قذف به فى القلب اتسع له الصدر وانشرح [2] » وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل [3] » وقال على رضى الله عنه : ماعندنا شىء أسره النبى صلى الله عليه وسلم إلينا إلا أن يؤتى الله تعالى عبدا فهما فى كتابه وليس هذا بالتعلم [4] ؟ وقيل فى تفسير قوله تعالى ﴿ يؤتى الحكمة من يشاء ﴾ إنه الفهم فى كتاب الله وقال تعالى ﴿ ففهمناها سليمان ﴾ خص ما انكشف باسم الفهم . وكان أبو الدرداء يقول : المؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق والله إنه للحق يقذفه الله فى قلوبهم ويجريه على ألسنتهم . وقال بعض السلف : ظن المؤمن كهانة .

وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى [5] » وإليه يشير قوله تعالى ﴿ إن فى ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ وقوله تعالى ﴿ قد بينا الآيات لقوم يوقنون ﴾ وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « العلم علمان فعلم باطن فى القلب فذلك هو العلم النافع [6] » وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو ؟ فقال : هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه الله تعالى فى قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا . وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن من أمتى محدثين ومعلمين ومكلمين وإن عمر منهم [7] » وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ولا محدث ﴾ يعنى الصديقين والمحدث هو الملهم ، والملهم هو الذى انكشف له فى باطن قلبه من جهة الداخل لامن جهة المحسوسات الخارجة .

والقرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف : وذلك علم من غير تعلم . وقال الله تعالى ﴿ وما خلق الله فى السموات والأرض لآيات لقوم يتقون ﴾ خصصها بهم وقال تعالى ﴿ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ﴾ وكان أبو يزيد وغيره يقول : ليس العالم الذى يحفظ من كتاب فإذا نسى ماحفظه صار جاهلا ، إنما العالم الذى يأخذ علمه من ربه أى وقت شاء ؟ بلاحفظ ولادرس . وهذا هو العلم الربانى وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ وعلمناه من لدنا علما ﴾ مع أن كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل اللدنى الذى ينفتح فى سر القلب من غير سبب مألوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ماورد فيه من الآيات والأخبار والآثار لخرج عن الحصر .

وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضاً خارج عن الحصر وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم . وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لعائشة رضى الله عنها عند موته : إنما هما أخواك وأختاك ، وكانت زوجته

---

(١) حديث « اللهم اعطنى نورا وزدنى نورا ... الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس .

(٢) حديث : سئل عن قوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام ... الحديث . وفى المستدرك من حديث ابن مسعود وقد تقدم فى العلم . (٣) حديث « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » قاله لابن عباس متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله « وعلمه التأويل » فأخرجه بهذه الزيادة أحمد وابن حبان والحاكم وصححه وقد تقدم فى العلم . (٤) حديث على : ماعندنا شىء أسره إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يؤتى الله عبدا فهما فى كتابه . تقدم فى آداب تلاوة القرآن . (٥) حديث « اتقوا فراسة المؤمن ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد وقد تقدم . (٦) حديث « العلم علمان ... الحديث » تقدم فى العلم . (٧) حديث « ان من أمتى محدثين ومكلمين وان عمر منهم » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة « لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يك فى أمتى أحد فإنه عمر » ورواه مسلم من حديث عائشة .

حاملا فولدت بنتا فكان قد عرف قبل الولادة أنها بنت . وقال عمر رضى الله عنه فى أثناء خطبته : ياسارية الجبل الجبل ؛ إذ انكشف له أن العدو قد أشرف عليه فحذره لمعرفته ذلك ، ثم بلوغ صوته إليه من جملة الكرامات العظيمة وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : دخلت على عثمان رضى الله عنه وكنت قد لقيت امرأة فى طريق فنظرت إليها شزرا وتأملت محاسنها فقال عثمان رضى الله عنه لما دخلت : يدخل على أحدكم وأثر الزنا ظاهر على عينيه أما علمت أن زنا العينين النظر ؟ لتتوبن أو لأعزرنك فقلت : أوحى بعد النبى ؟ فقال . لا ، ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة . وعن أبى سعيد الخراز قال : دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيرا عليه خرقتان ، فقلت فى نفسى : هذا وأشباهه كل على الناس ، فنادانى وقال ﴿ والله يعلم مافى أنفسكم فاحذروه ﴾ فاستغفرت الله فى سرى فنادانى وقال ﴿ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ﴾ ثم غاب عنى ولم أره .

وقال زكريا بن داود : دخل أبو العباس بن مسروق على أبى الفضل الهاشمى ـ وهو عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب يعيش به ـ قال : فلما قمت قلت فى نفسى من أين يأكل هذا الرجل ؟ قال : فصاح بى يا أبا العباس رد هذه الهمة الدنية فإن لله تعالى ألطافا خفية . وقال أحمد النقيب . دخلت على الشبلى فقال مفتونا : ياأحمد فقلت : ماالخبر؟ قال : كنت جالسا فجرى بخاطرى أنك بخيل ، فقلت : ماأنا بخيل ، فعاد منى خاطرى وقال : بل أنت بخيل ، فقلت: مافتح اليوم على بشىء إلا دفعته إلى أول فقير يلقانى ، قال : فما استتم الخاطر حتى دخل على صاحب لمؤنس الخادم ومعه خمسون دينارا فقال : اجعلها فى مصالحك ، قال : وقمت فأخذتها وخرجت وإذا بفقير مكفوف بين يدى مزين يحلق رأسه فتقدمت إليه وناولته الدنانير ، فقال : أعطها المزين ، فقلت : إن جملتها كذا وكذا ، قال : أوليس قد قلنا لك إنك بخيل ؟ قال : فناولتها المزين فقال المزين : قد عقدنا لما جلس هذا الفقير بين أيدينا أن لانأخذ عليه أجرا ، قال: فرميت بها فى دجلة وقلت : ماأعزك أحد إلا أذله الله عز وجل . وقال حمزة بن عبد الله العلوى : دخلت على أبى الخير النينانى واعتقدت فى نفسى أن أسلم عليه ولا آكل فى داره طعاما ، فلما خرجت من عنده إذا به قد لحقنى وقد حمل طبقا فيه طعام وقال : يافتى كل فقد خرجت الساعة من اعتقادك ، وكان أبو الخير النينانى هذا مشهورا بالكرامات وقال إبراهيم الرقى : قصدته مسلما عليه فحضرت صلاة المغرب فلم يكد يقرأ الفاتحة مستويا فقلت فى نفسى : ضاعت سفرتى ! فلما سلم خرجت إلى الطهارة فقصدنى سبع فعدت إلى أبى الخير وقلت : قصدنى سبع ، فخرج وصاح به وقال : ألم أقل لك لاتتعرض لضيفانى ؟ فتنحى الأسد فتطهرت فلما رجعت قال لى : اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الأسد ، واشتغلنا بتقويم البواطن فخافنا الأسد .

وما حكى من تفرس المشايخ وإخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر بل ماحكى عنهم من مشاهدة الخضر عليه السلام والسؤال منه ، ومن سماع صوت الهاتف ، ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية لاتنفع الجاحد مالم يشاهد ذلك من نفسه ، ومن أنكر الأصل أنكر التفصيل والدليل القاطع الذى لايقدر أحد على جحده أمران أحدهما : عجائب الرؤيا الصادقة فإنه ينكشف بها الغيب وإذا جاز ذلك فى النوم فلا يستحيل أيضا فى اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة إلا فى ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات فكم من مستيقظ غائص لايسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه ! والثانى : إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيب وأمور فى المستقبل كما اشتمل عليه القرآن وإذا جاز ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم جاز لغيره إذ النبى عبارة عن شخص كوشف بحقائق الأمور وشغل بإصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون فى الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل بإصلاح الخلق ، وهذا

لايسمى نبيا بل يسمى وليا ، فمن آمن بالأنبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لامحالة أن يقر بأن القلب له بابان : باب إلى خارج وهو الحواس ، وباب إلى الملكوت من داخل القلب وهو باب الإلهام والنفث فى الروع والوحى ، فإذا أقربهما جميعا لم يمكنه أن يحصر العلوم فى التعلم ومباشرة الأسباب المألوفة ، بل يجوز أن تكون المجاهدة سبيل إليه فهذا ماينبه على حقيقة ماذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت . وأما السبب فى انكشاف الأمر فى المنام بالمثال المحوج إلى التعبير وكذلك تمثل الملائكة للأنبياء والأولياء بصور مختلفة فذلك أيضا من أسرار عجائب القلب ، ولا يليق ذلك إلا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ماذكرناه فإنه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها . فقد قال بعض المكاشفين ظهر لى الملك فسألنى أملى عليه شيئا من ذكرى الخفى عن مشاهدتى من التوحيد وقال : مانكتب لك عملا ونحن نحب أن نصعد لك بعمل تتقرب به إلى الله عزوجل فقلت : ألستما تكتبان الفرائض ؟ قالا : بلى ، قلت : فيكفيكما ذلك . وهذه إشارة إلى أن الكرام الكاتبين لايطلعون على أسرار القلب وإنما يطلعون على الأعمال الظاهرة . وقال بعض العارفين : سألت بعض الأبدال عن مسألة من مشاهدة اليقين فالتفت إلى شماله فقال : ماتقول رحمك الله ؟ ثم التفت إلى يمينه فقال : ماتقول رحمك الله ؟ ثم أطرق إلى صدره وقال : ماتقول رحمك الله ؟ ثم أجاب بأغرب جواب سمعته فسألته عن التفاته فقال : لم يكن عندى فى المسألة جواب عتيد ، فسألت صاحب الشمال فقال لا أدرى ! فسألت صاحب اليمين وهو أعلم منه فقال لا أدرى ، فنظرت إلى قلبى وسألته فحدثنى بما أجبتك فإذا هو أعلم منهما . وكأن هذا هو معنى قوله عليه السلام « إن فى أمتى محدثين وإنّ عمر منهم » .

وفى الأثر : إن الله تعالى يقول : أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه . وقال أبو سليمان الدارانى رحمة الله عليه : القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها أبواب مغلقة فأى باب فتح له عمل فيه ؟ فقد ظهر انفتاح باب من أبواب القلب إلى جهة الملكوت والملأ الأعلى ، وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع والإعراض عن شهوات الدنيا . ولذلك كتب عمر رضى الله عنه إلى أمراء الأجناد : احفظوا ماتسمعون من المطيعين فإنهم ينجلى لهم أمور صادقة . وقال بعض العلماء : يد الله على أفواه الحكماء لاينطقون إلا بما هيأ الله لهم من الحق . وقال آخر : لو شئت لقلت إن الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره .

بيان تسلط الشيطان على القلب بالوساوس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها

اعلم أن القلب كما ذكرناه مثال قبة مضروبة لها أبواب تنصب إليه الأحوال من كل باب ، ومثاله أيضاً مثال هدف تنصب إليه السهام من الجوانب ، أو هو مثال مرآة منصوبة تجتاز عليها أصناف الصور المختلفة فتتراءى فيها صورة بعد صورة ولاتخلو عنها ، أو مثال حوض تنصب فيه مياه مختلفة من أنهار مفتوحة إليه . وإنما مداخل هذه الآثار المتجددة فى القلب فى كل حال ؛ أما من الظاهر فالحواس الخمس ، وأما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والأخلاق المركبة من مزاج الإنسان ؛ فإنه إذا أدرك بالحواس شيئا حصل منه أثر فى القلب ، وكذلك إذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الأكل وبسبب قوة فى المزاج حصل منها فى القلب أثر وإن كف عن الإحساس فالخيالات الحاصلة فى النفس تبقى وينتقل الخيال من شىء إلى شىء ، وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال آخر . والمقصود أن القلب فى التغير والتأثر دائما من هذه الأسباب . وأخص الآثار الحاصلة فى القلب هو الخواطر ؛ وأعنى بالخواطر مايحصل فيه من الأفكار ، والأذكار ، وأعنى به إدراكاته علوما إما على سبيل التجدد وإما على سبيل التذكر فإنها تسمى خواطر من حيث إنها تخطر بعد أن كان القلب غافلا عنها . والخواطر هى المحركات للإرادات

فإن النية والعزم والإرادة إنما تكون بعد خطور المنوى بالبال لامحالة ، فمبدأ الأفعال الخواطر ، ثم الخاطر يحرك الرغبة ، والرغبة تحرك العزم ، والعزم يحرك النية ، والنية تحرك الأعضاء . والخواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى مايدعو إلى الشر أعنى إلى مايضر فى العاقبة ، وإلى مايدعو إلى الخير أعنى إلى ماينفع فى الدار الآخرة . فهما خاطران مختلفان فافتقرا إلى اسمين مختلفين ، فالخاطر المحمود يسمى إلهاما ، والخاطر المذموم أعنى الداعى إلى الشر يسمى وسواسا ، ثم إنك تعلم أن هذه الخواطر حادثة ، ثم إن كل حادث فلا بد له من محدث . ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الأسباب هذا ماعرف من سنة الله تعالى فى ترتيب المسببات على الأسباب . فهما استنارت حيطان البيت بنور النار وأظلم سقفه واسود بالدخان علمت أن سبب السواد غير سبب الاستنارة .

وكذلك لأنوار القلب وظلمته سببان مختلفان : فسبب الخاطر الداعى إلى الخير يسمى ملكا ، وسبب الخاطر الداعى إلى الشر يسمى شيطانا ، واللطف الذى يتهيأ به القلب لقبول إلهام الخير يسمى توفيقا ، والذى به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواء وخذلانا ، فإن المعانى المختلفة تفتقر إلى أسامى مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه إفاضة الخير وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والأمر بالمعروف ، وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والأمر بالفحشاء ؛ والتخويف عند الهم بالخير بالفقر . فالوسوسة فى مقابلة الإلهام ، والشيطان فى مقابلة الملك ، والتوفيق فى مقابلة الخذلان . وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ ومن كل شىء خلقنا زوجين ﴾ فإن الموجودات كلها متقابلة مزدوجة إلا الله تعالى فإنه فرد لامقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للأزواج كلها . فالقلب متجاذب بين الشيطان والملك . وقد قال صلى الله عليه وسلم « فى القلب لمتان لمة من الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله ، ولمة من العدو إيعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم - ثم تلا قوله تعالى ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾ [1] الآية » . وقال الحسن إنما هما همان يجولان فى القلب هم من الله تعالى وهم من العدو ، فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله تعالى أمضاه وما كان من عدوه جاهده .

ولتجاذب القلب بين هذين المسلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن [2] » فالله يتعالى عن أن يكون له أصبع مركبة من لحم ودم وعصب منقسمة بالأنامل ولكن روح الأصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير ، فإنك لاتريد أصبعك لشخصه بل لفعله فى التقليب والترديد كما أنك تتعاطى الأفعال بأصابعك . والله تعالى يفعل مايفعل باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته فى تقليب القلوب ، كما أن أصابعك مسخرة لك فى تقليب الأجسام مثلا . والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملك ولقبول آثار الشيطان صلاحا متساويا ليس يترجح أحدهما على الآخر ، وإنما يترجح أحد الجانبين باتباع الهوى والإكباب على الشهوات أو الإعراض عنها ومخالفتها ، فإن اتبع الإنسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لأن الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه ، وإن جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه بأخلاق الملائكة عليهم السلام صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ولما كان لايخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل إلى غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة عن الهوى لاجرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « مامنكم

---

(١) حديث « فى القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير ... الحديث » أخرجه الترمذى وحسنه والنسائى فى الكبرى من حديث ابن مسعود (٢) حديث « قلب المؤمن بين أصبعين ... الحديث » تقدم

من أحد إلا وله شيطان ، قالوا وأنت يارسول الله ؟ قال « وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمر إلا بخير [١] » وإنما كان هذا لأن الشيطان لايتصرف إلا بواسطة الشهوة فمن أعانه الله على شهوته حتى صارت لاتنبسط إلا حيث ينبغي وإلى الحد الذي ينبغي فشهوته لاتدعو إلى الشر فالشيطان المتدرع بها لايأمر إلا بالخير . ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس . ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله وأقبل الملك وألهم . والتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم إلى أن ينفتح القلب لأحدهما فيستوطن ويستمكن ، ويكون اجتياز الثاني اختلاسا . وأكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وتملكتها فامتلأت بالوساوس الداعية إلى إيثار العاجلة واطراح الآخرة . ومبدأ استيلائها اتباع الشهوات والهوى . ولايمكن فتحها بعد ذلك إلا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح أثر الملائكة . وقال جابر بن عبيدة العدوي : شكوت إلى العلاء بن زياد ماأجد في صدري من الوسوسة فقال : إنما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فإن كان فيه شيء عالجوه وإلا مضوا وتركوه . يعني أن القلب الخالي عن الهوى لايدخله الشيطان . ولذلك قال الله تعالى ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لاعبد الله ولذلك سلط الله عليه الشيطان . وقال تعالى ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾ وهو إشارة إلى أن من الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد الهوى لاعبد الله . ولذلك قال عمرو ابن العاص للنبي صلى الله عليه وسلم : يارسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال « ذلك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثا » قال : ففعلت ذلك فأذهبه الله عني [٢] .

وفي الخبر « إن للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه [٣] » ولايمحو وسوسة الشيطان من القلب إلا ذكر ماسوى مايوسوس به ، لأنه إذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم منه ما كان فيه من قبل ، ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى مايتعلق به فيجوز أيضاً أن يكون مجالا للشيطان ، وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال . ولا يعالج الشيء إلا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبري عن الحول والقوة ، وهو معنى قولك : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم . وذلك لايقدر عليه إلا المتقون الغالب عليهم ذكر الله تعالى ، وإنما الشيطان يطوف عليهم في أوقات الفلتات على سبيل الخلسة . قال الله تعالى ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ وقال مجاهد في معنى قول الله تعالى ﴿ من شر الوسواس الخناس ﴾ قال : هو منبسط على القلب ؛ فإذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض ، وإذا غفل انبسط على قلبه . فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ، ولتضادهما قال الله تعالى ﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله﴾ وقال أنس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم فإن هو ذكر الله تعالى خنس وإن نسي الله تعالى التقم قلبه [٤] » وقال ابن وضاح في حديث ذكره : إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب ولم يتب مسح الشيطان وجهه بيده

---

(١) حديث « مامنكم من أحد الا وله شيطان ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود .

(٢) حديث ابن أبي العاص : ان الشيطان حال بيني وبين صلاتي ... الحديث . أخرجه مسلم من حديث ابن أبي العاص .

(٣) حديث : ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان ... الحديث » أخرجه ابن ماجه والترمذي من حديث أبي بن كعب وقال غريب وليس اسناده بالقوي عند أهل الحديث . (٤) حديث أنس « ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم ... الحديث » أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب مكايد الشيطان وأبو يعلى الموصلي وابن عدي في الكامل وضعفه .

وقال : بأبي وجه من لا يفلح [١] .

وكما أنّ الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضا سارية فى لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إنّ الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع [٢] . وذلك لأنّ الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات . ولأجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى إخبارا عن إبليس ﴿ لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ الشيطان قعد لابن آدم بطرق فقعد له بطريق الإسلام فقال : أتسلم وتترك دينك ودين آبائك ؟ فعصاه وأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال : أتهاجر أتدع أرضك وسمائك ؟ فعصاه وهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال : أتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك ، فعصاه وجاهد [٣] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة » فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهى هذه الخواطر التى تخطر للمجاهد أنه يقتل وتنكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة . فإذاً الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر إلى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصوّر أن ينفك عنه آدمى وإنما يختلفون بعصيانه ومتابعته ، ولذلك قال عليه السلام « مامن أحد إلا وله شيطان [٤] » .

فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والإلهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر فى ذات الشيطان أنه جسم لطيف أو ليس بجسم . وإن كان جسما فكيف يدخل بدن الإنسان ماهو جسم؟ فهذا الآن غير محتاج إليه فى علم المعاملة . بل مثال الباحث عن هذا مثال من دخلت فى ثيابه حية وهو محتاج إلى إزالتها ودفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عين الجهل فمصادمة الخواطر الباعثة على الشر قد علمت ودل ذلك على أنه عن سبب لامحالة ، وعلم أنّ الداعى إلى الشر المحذور فى المستقبل عدوّ فقد عرف العدوّ لامحالة فينبغى أن يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوته فى مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز عنه فقال تعالى ﴿ إنّ الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوّا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ وقال تعالى ﴿ ألم أعهد إليكم يابنى آدم أن لاتعبدوا الشيطان إنه لكم عدوّ مبين ﴾ فينبغى للعبد أن يشتغل بدفع العدوّ عن نفسه لا بالسؤال عن أصله ونسبه ومسكنه . نعم ينبغى أن يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للعالمين . فأما معرفة ذاته وصفاته وحقيقته ـ نعوذ بالله منه ـ وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين فى علوم المكاشفات فلا يحتاج فى علم المعاملة إلى معرفته . نعم ينبغى أن يعلم أن الخواطر تنقسم إلى مايعلم قطعا أنه داع إلى الشر فلا يخفى كونه وسوسة ، وإلى مايعلم أنه داع إلى الخير فلايشك فى كونه إلهاما ، وإلى مايتردد فيه فلا يدرى أنه من لمة الملك أو من لمة الشيطان ؟ فإن من مكايد الشيطان أن يعرض الشر فى معرض الخير ، والتمييز فى ذلك غامض وأكثر العباد به يهلكون ، فإن الشيطان لايقدر على دعائهم إلى الشر الصريح فيصوّر الشر بصورة الخير ، كما يقول للعالم بطريق الوعظ : أماتنظر إلى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد أشرفوا على النار؟

---

(١) حديث ابن وضاح « اذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال : بأبى وجه من لايفلح » لم أجد له أصلا . (٢) حديث « ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم » تقدم .

(٣) حديث « ان الشيطان قعد لابن آدم بطرق ... الحديث » أخرجه النسائى من حديث سبرة بن أبى فاكه بإسناد صحيح

(٤) حديث « مامن أحد الا له شيطان ... الحديث » تقدم .

أما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد أنعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة ؟ فكيف تكفر نعمة الله تعالى وتتعرض لسخطه وتسكت عن إشاعة العلم ودعوة الخلق إلى الصراط المستقيم ؟ وهو لا يزال يقرر ذلك فى نفسه ويستجره بلطيف الحيل إلى أن يشتغل بوعظ الناس ، ثم يدعوه بعد ذلك إلى أن يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ وإظهار الخير ويقول له : إن لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا إلى الحق . ولا يزال يقرر ذلك عنده وهو فى أثنائه يؤكد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة الأتباع والعلم والنظر إلى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح إلى الهلاك ، فيتكلم وهو يظن أن قصده الخير وإنما قصده الجاه والقبول ، فيهلك بسببه وهو يظن أنه عند الله بمكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ الله ليؤيد هذا الدين بقوم لاخلاق لهم [1] » . و « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر [2] » ولذلك روى أن إبليس لعنه الله تمثل لعيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فقال له : قل لا إله إلا الله . فقال : كلمة حق ولا أقولها بقولك . لأن له أيضا تحت الخير تلبيسات ، وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبها يهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والأغنياء وأصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لأنفسهم الخوض فى المعاصى المكشوفة .

وسنذكر جملة من مكايد الشيطان فى كتاب الغرور فى آخر هذا الربع . ولعلنا إن أمهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه (تلبيس إبليس) فإنه قد انتشر الآن تلبيسه فى البلاد والعباد لاسيما فى المذاهب والاعتقادات ، حتى لم يبق من الخيرات إلا رسمها . كل ذلك إذعانا لتلبيسات الشيطان ومكايده .

فحق على العبد أن يقف عند كل هم يخطر له ليعلم أنه من لمة الملك أو لمة الشيطان وأن يمعن النظر فيه بعين البصيرة لا بهوى من الطبع ، ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم كما قال تعالى ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ﴾ أى رجعوا إلى نور العلم ﴿ فإذا هم مبصرون ﴾ أى ينكشف لهم الإشكال فأما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه إلى الإذعان بتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلطه ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر . وفى مثلهم قال سبحانه وتعالى ﴿ وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ﴾ قيل هى أعمال ظنوها حسنات فإذا هى سيئات . وأغمض أنواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد أهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر إليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز عنه . ولا ينجى من كثرة الوسواس إلا سدّ أبواب الخواطر . وأبوابها الحواس الخمس ، وأبوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا . والخلوة فى بيت مظلم تسد باب الحواس . والتجرد عن الأهل والمال يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنة فى التخيلات الجارية فى القلب وذلك لا يدفع إلا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم إنه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بدّ من مجاهدته ، وهذه مجاهدة لا آخر لها إلا الموت إذ لا يتخلص أحد من الشيطان مادام حيا . نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد ، ولكن لا يستغنى قط عن الجهاد والمدافعة مادام الدم يجرى فى بدنه . فإذا مادام حيا فأبواب الشيطان مفتوحة إلى قلبه لا تنغلق وهى الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها ـ كما سيأتى شرحها ـ ومهما كان الباب مفتوحا والعدوّ غير غافل لم يدفع إلا بالحراسة والمجاهدة .

---

(١) حديث « ان الله يؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم » أخرجه النسائى من حديث أنس بإسناد جيد . (٢) حديث « إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم فى العلم .

قال رجل للحسن يا أبا سعيد أينام الشيطان ؟ فتبسم وقال : لو نام لاسترحنا . فإذن لاخلاص للمؤمن منه . نعم له سبيل إلى دفعه وتضعيف قوته . قال صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى أحدكم بعيره فى سفره [1] » وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول . وقال قيس بن الحجاج . قال لى شيطانى، دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل العصفور ، قلت : ولم ذاك ؟ قال : تذيبنى بذكر الله تعالى . فأهل التقوى لايتعذر عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة ، أعنى الأبواب الظاهرة والطرق الجلية التى تفضى إلى المعاصى الظاهرة ، وإنما يتعثرون فى طرقه الغامضة فإنهم لا يهتدون إليها فيحرسونها كما أشرنا إليه فى غرور العلماء والوعاظ والمشكل أن الأبواب المفتوحة إلى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد ، وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الأبواب الكثيرة فالعبد فيها كالمسافر الذى يبقى فى بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك فى ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق إلا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة . والعين البصيرة ههنا هى القلب المصفى بالتقوى . والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مما يهدى إلى غوامض طرقه ، وإلا فطرقه كثيرة وغامضة . قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال « هذا سبيل الله » ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال « هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه » ثم تلا ﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل ﴾ لتلك الخطوط [2] فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه .

وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذى يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصى الظاهرة ، فلنذكر مثالا لطريقه الواضح الذى لا يخفى إلا أن يضطر الآدمى إلى سلوكه . وذلك كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « كان راهب فى بنى إسرائيل فعمد الشيطان إلى جارية فخنقها وألقى فى قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب ، فأتوا بها إليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها ، فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه ، فوسوس إليه وقال : الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فإن سألوك فقل ماتت ، فقتلها ودفنها ، وأتى الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى فى قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودفنها ، فأتاه أهلها فسألوه عنها فقال : ماتت ، فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال : أنا الذى خنقتها وأنا الذى ألقيت فى قلوب أهلها فأطعنى تنج وأخلصك منهم قال : بماذا ؟ قال : اسجد لى سجدتين ؛ فسجد له سجدتين فقال له الشيطان : إنى برىء منك . فهو الذى قال الله تعالى فيه ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك ﴾ [3] فانظر الآن إلى حيله واضطراره الراهب إلى هذه الكبائر ، وكل ذلك لطاعته له فى قبول الجارية للمعالجة وهو أمر هين وربما يظن صاحبه أنه خير وحسنة فيحسن ذلك فى قلبه بخفى الهوى فيقدم عليه كالراغب فى الخير فيخرج الأمر بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض إلى البعض بحيث لا يجد محيصا: فنعوذ بالله من تضييع أوائل الأمور وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه [4] » .

---

(١) حديث « إن المؤمن ينضى شيطانه ... الحديث » أخرجه أحمد من حديث أبى هريرة وفيه ابن لهيعة .

(٢) حديث ابن مسعود : خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال « هذا سبيل الله ... الحديث . أخرجه النسائى فى الكبرى والحاكم وقال صحيح الإسناد . (٣) حديث « كان راهب فى بنى إسرائيل فأخذ الشيطان جارية فخنقها وألقى فى قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب .. الحديث » بطوله فى قوله تعالى ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر ﴾ رواه ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان وابن مردويه فى تفسيره فى حديث عبيد بن أبى رفاعة مرسلا وللحاكم نحوه موقوفا على بن أبى طالب وقال صحيح الإسناد ووصله بطين فى مسنده من حديث على . (٤) حديث « من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه » متفق عليه من حديث النعمان ابن بشير « من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه » لفظ البخارى .

بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب

اعلم أنّ مثال القلب مثال حصن والشيطان عدوّ يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولى عليه ، ولا يقدر على حفظ الحصن من العدوّ إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ، ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدرى أبوابه ، فحماية القلب عن وسواس الشيطان واجبة وهو فرض عين على كل عبد مكلف ، وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضا واجب ، ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة. ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد وهى كثيرة ، ولكنا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التى لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان .

فمن أبوابه العظيمة : الغضب والشهوة ؛ فإنّ الغضب هو غول العقل وإذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان . ومهما غضب الإنسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبى بالكرة . فقد روى أن موسى عليه السلام لقيه إبليس فقال له : ياموسى أنت الذى اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما وأنا خلق من خلق الله أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لى إلى ربى أن يتوب على ، فقال موسى : نعم ؛ فلما صعد موسى الجبل وكلم ربه عز وجل وأراد النزول قال له ربه : أد الأمانة ، فقال موسى : يارب عبدك إبليس يريد أن تتوب عليه ، فأوحى الله تعالى إلى موسى : ياموسى قد قضيت حاجتك مره أن يسجد لقبر آدم حتى يتاب عليه ، فلقى موسى إبليس فقال له : قد قضيت حاجتك امرت أن تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليك ، فغضب واستكبر وقال : لم أسجد له حيا أسجد له ميتا ؟ ثم قال له : ياموسى إن لك على حقا بما شفعت لى إلى ربك فاذكرنى عند ثلاث لا أهلكك فيهن : اذكرنى حين تغضب فإن روحى فى قلبك وعينى فى عينك وأجرى منك مجرى الدم ؛ اذكرنى إذا غضبت فإنه إذا غضب الإنسان نفخت فى أنفه فما يدرى ما يصنع ، واذكرنى حين تلقى الزحف فإنى آتى ابن آدم حين يلقى الزحف فأذكره زوجته وولده وأهله حتى يولى ، وإياك أن تجلس إلى امرأة ليست بذات محرم فإنى رسولها إليك ورسولك إليها فلا أزال حتى أفتنك بها وأفتنها بك . فقد أشار بهذا إلى الشهوة والغضب والحرص فإن الفرار من الزحف حرص على الدنيا ، وامتناعه من السجود لآدم ميتا هو الحسد وهو أعظم مداخله وقد ذكر أن بعض الأولياء قال لإبليس : أرنى كيف تغلب ابن آدم ؟ فقال : آخذه عند الغضب وعند الهوى ، وقد حكى أن إبليس ظهر لراهب فقال له الراهب : أى أخلاق بنى آدم أعون لك ؟ قال : الحدّة فإن العبد إذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة : وقيل : إن الشيطان يقول كيف يغلبنى ابن آدم وإذا رضى جئت حتى أكون فى قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون فى رأسه ؟

ومن أبوابه العظيمة الحسد والحرص فهما كان العبد حريصا على كل شىء أعماه حرصه وأصمه إذ قال صلى الله عليه وسلم « حبك للشىء يعمى ويصم [1] » ونور البصيرة هو الذى يعرف مداخل الشيطان فإذا غطاه الحسد والحرص لم يبصر فحينئذ يجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله إلى شهوته وإن كان منكرا وفاحشا . فقد روى أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى ، فرأى فى السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح : ما أدخلك ؟ فقال : دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معى وأبدانهم معك ، فقال له نوح : أخرج منها ياعدوّ الله فإنك لعين ، فقال له إبليس : خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين ، فأوحى الله تعالى إلى نوح : أنه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين ، فقال له نوح :

(١) حديث « حبك الشىء يعمى ويصم » أخرجه أبو داود من حديث أبى الدرداء بإسناد ضعيف .

ما الاثنتان ؟ فقال : هما اللتان لاتكذباني هما اللتان لاتخلفاني بهما أهلك الناس ؛ الحرص والحسد ، فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما ، وأما الحرص فإنه أبيح لآدم الجنة كلها إلا الشجرة فأصبت حاجتي منه بالحرص .

ومن أبوابه العظيمة : الشبع من الطعام وإن كان حلالا صافيا ؛ فإنّ الشبع يقوّى الشهوات والشهوات أسلحة الشيطان . فقد روى أنّ إبليس ظهر ليحيي بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له : يا إبليس ماهذه المعاليق ؟ قال : هذه الشهوات التي أصبت بها ابن آدم فقال : فهل فيها من شيء ؟ قال . ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر ، قال : فهل غير ذلك ؟ قال . لا ، قال لله على أن لاأملأ بطني من الطعام أبدا ، فقال له إبليس : ولله على أن لاأنصح مسلما أبدا . ويقال في كثرة الأكل ست خصال مذمومة ؛ أولها : أن يذهب خوف الله من قلبه . الثاني : أن يذهب رحمة الخلق من قلبه لأنه يظن أنهم كلهم شباع . والثالث : أنه يثقل عن الطاعة . والرابع : أنه إذا سمع كلام الحكمة لايجد له رقة والخامس : أنه إذا تكلم بالموعظة والحكمة لايقع في قلوب الناس . والسادس : أن يهيج فيه الأمراض .

ومن أبوابه : حب التزين من الأثاث والثياب والدار ، فإن الشيطان إذا رأى ذلك غالبا على قلب الإنسان باض فيه وفرخ ، فلا يزال يدعوه إلى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع أبنيتها ويدعوه إلى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره ، وإذا أوقعه في ذلك فقد استغنى أن يعود إليه ثانية ، فإن بعض ذلك يجره إلى البعض فلايزال يؤديه من شيء إلى شيء إلى أن يساق إليه أجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخشى من ذلك سوء العاقبة بالكفر نعوذ بالله منه .

ومن أبوابه العظيمه : الطمع في الناس : لأنه إذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحبب إليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بأنواع الرياء والتلبيس حتى المطموع فيه كأنه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب إليه ويدخل كل مدخل للوصول إلى ذلك . وأقل أحواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة له بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فقد روى صفوان بن سليم أن إبليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال له : يا ابن حنظلة احفظ عني شيئا أعلمك به فقال : لا حاجة لي به . قال : انظر فإن كان خيرا أخذت وإن كان شرا رددت ، يا ابن حنظلة لا تسأل أحدا غير الله سؤال رغبة ؟ وانظر كيف تكون إذا غضبت ؟ فإني أملكك إذا غضبت .

ومن أبوابه العظيمة : العجلة وترك التثبت في الأمور ، وقال صلى الله عليه وسلم « العجلة من الشيطان والتأني من الله تعالى [1] » وقال عز وجل ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ وقال تعالى ﴿ وكان الإنسان عجولا ﴾ وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ ولاتعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ﴾ وهذا لأن الأعمال ينبغي أن تكون بعد التبصرة والمعرفة ، والتبصرة تحتاج إلى تأمل وتمهل ، والعجلة تمنع من ذلك ، وعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الإنسان من حيث لايدري . فقد روى أنه لما ولد عيسى بن مريم عليه السلام أتت الشياطين إبليس فقالوا : أصبحت الأصنام قد نكست رءوسها فقال هذا حادث ، مكانكم ! فطار حتى أتى خافقي الأرض فلم يجد شيئاً ، ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد وإذا الملائكة حافين به ، فرجع إليهم فقال : إن نبيا قد ولد البارحة ماحملت أنثى قط ولاوضعت إلا وأنا حاضرها إلا هذا ، فأيسوا من أن تعبد الأصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة .

ومن أبوابه العظيمة : الدراهم والدنانير وسائر أصناف الأموال من العروض والدواب والعقار ؛ فإن كل ما يزيد

(١) حديث « العجلة من الشيطان والتأني من الله » أخرجه الترمذي من حديث سهل بن سعد بلفظ الأناة وقال حسن .

على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان ، فإن من معه قوته فهو فارغ القلب . فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق انبعث من قلبه شهوات تحتاج كل شهوة منها إلى مائة دينار أخرى فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج إلى تسعمائة أخرى ، وقد كان قبل وجود المائة مستغنياً ، فالآن لما وجد مائة ظن أنه صار بها غنيا وقد صار محتاجا إلى تسعمائة ليشترى داراً يعمرها وليشترى جارية وليشترى أثاث البيت ويشترى الثياب الفاخرة ، وكل شيء من ذلك يستدعى شيئاً آخر يليق به . وذلك لا آخر له فيقع فى هاوية آخرها عمق جهنم فلا آخر لها سواه . قال ثابت البنانى لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إبليس لشياطينه : لقد حدث أمر فانظروا ماهو فانطلقوا حتى أعيوا ثم جاءوا وقالوا ماندرى ؟ قال : أنا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء وقال : قد بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم قال : فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون : ماصحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى صلاتهم فيمحى ذلك ، فقال لهم إبليس : رويداً بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فنصيب منهم حاجتنا [1] . وروى أن عيسى عليه الصلاة والسلام توسد يوما حجرا فمر به إبليس فقال : ياعيسى رغبت فى الدنيا ؟ فأخذه عيسى صلى الله عليه وسلم فرمى به من تحت رأسه وقال : هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسد به عند النوم فقد ملك من الدنيا مايمكن أن يكون عدة للشيطان عليه . فإن القائم بالليل مثلا للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر ، يمكن أن يتوسده ؟ فلا يزال يدعوه إلى النوم وإلى أن يتوسده ، ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك ببال ولا تتحرك رغبته إلى النوم . هذا فى حجر فكيف بمن يملك المخاد الميثرة والفرش الوطيئة والمتنزهات الطيبة فمتى ينشط لعبادة الله تعالى ؟ .

ومن أبوابه العظيمة . البخل وخوف الفقر ؛ فإن ذلك هو الذى يمنع الإنفاق والتصدق ويدعو إلى الادخار والكنز والعذاب الأليم وهو الموعود للمكاثرين كما نطق به القرآن العزيز . قال خيثمة بن عبد الرحمن : إن الشيطان يقول : ما غلبنى ابن غلبة فلن يغلبنى على ثلاث ، أن آمره أن يأخذ المال من غير حقه ، وإنفاقه فى غير حقه ، ومنعه من حقه . وقال سفيان : ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فإذا قبل ذلك منه أخذ فى الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء .

ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الأسواق لجمع المال ، والأسواق هى معشش الشياطين . وقال أبو أمامة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال : يارب أنزلتنى إلى الأرض وجعلتنى رجيما فاجعل لى بيتا قال الحمام ، قال : اجعل لى مجلسا قال الأسواق ومجامع الطرق ، قال : اجعل لى طعاما قال طعامك مالم يذكر اسم الله عليه ، قال : اجعل لى شرابا قال كل مسكر ، قال : اجعل لى مؤذنا قال المزامير ، قال : اجعل لى قرآنا قال الشعر ، قال : اجعل لى كتابا قال الوشم ، قال : اجعل لى حديثا قال الكذب ، قال : اجعل لى مصايد قال النساء [2] » .

ومن أبوابه العظيمة التوصل : التعصب للمذاهب والأهواء والحقد على الخصوم والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار ، وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا فإن الطعن فى الناس والاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة فى

---

(١) حديث ثابت : لما بعث صلى الله عليه وسلم قال لإبليس لشياطينه . لقد حدث أمر ... الحديث . أخرجه ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان هكذا مرسلا . (٢) حديث أبى أمامة « إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يارب أنزلتنى إلى الأرض وجعلتنى رجيما فاجعل لى بيتا قال الحمام ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الكبير وإسناده ضعيف جدا ورواه بنحوه من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف أيضاً .

الطبع من الصفات السبعية ، فإذا خيل إليه الشيطان أن ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته ، وهو بذلك فرحان مسرور يظن أنه يسعى فى الدين وهو ساع فى اتباع الشياطين ، فترى الواحد منهم يتعصب لأبى بكر الصديق رضى الله عنه وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاط لأنواع الفساد ولو رآه أبو بكر لكان أول عدو له إذ موالى أبى بكر من أخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما بين لحييه ، وكان من سيرته رضى الله عنه أن يضع حصاة فى فمه ليكف لسانه عن الكلام فيما لايعنيه فأنى لهذا الفضولى أن يدعى ولاءه وحبه ولايسير بسيرته ؟ وترى فضوليا آخر يتعصب لعلى رضى الله عنه وكان من زهد على وسيرته أنه لبس فى خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمين إلى الرسغ ، وترى الفاسق لابسا الثياب الحرير ومتجملا بأموال اكتسبها من حرام وهو يتعاطى حب على رضى الله عنه ويدعيه وهو اول خصمائه يوم القيامة ، وليت شعرى من أخذ ولدا عزيزاً لإنسان هو قرة عينه وحياة قلبه فأخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعى حب أبيه وولاءه فكيف يكون حاله عنده ؟ ومعلوم أن الدين والشرع كانا أحب إلا أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضى الله عنهم ، من الأهل والولد بل من أنفسهم والمقتحمون لمعاصى الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون به إلى عدو الله إبليس وعدو أوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصحابة وعند أولياء الله تعالى ؟ لابل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ماتحبه الصحابة فى أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا أن يجروا على اللسان ذكرهم مع قبح أفعالهم ؟ ثم إن الشيطان يخيل إليهم أن من مات محبا لأبى بكر وعمر فالنار لاتحوم حوله ، ويخيل إلى الآخر أنه إذا مات محبا لعلى لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لفاطمة رضى الله عنها وهى بضعة منه [1] « اعملى فإنى لاأغنى عنك من الله شيئا [2] » وهذا مثال أوردناه من جملة الأهواء . وهكذا حكم المتعصبين للشافعى وأبى حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من الأئمة فكل من ادعى مذهب إمام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الإمام هو خصمه يوم القيامة إذ يقول له : كان مذهبى العمل دون الحديث باللسان ، وكان الحديث باللسان لأجل العمل لا لأجل الهذيان ؛ فما بالك خالفتنى فى العمل والسيرة التى هى مذهبى ومسلكى الذى سلكته وذهبت فيه إلى الله تعالى ثم ادعيت مذهبى كاذبا ؟ وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر العالم ، وقد سلمت المدارس لأقوام قل من الله خوفهم وضعفت فى الدين بصيرتهم وقويت فى الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع وإقامة الجاه إلا بالتعصب ، فحبسوا ذلك فى صدورهم ولم ينبهوهم على مكايد الشيطان فيه ، بل نابوا عن الشيطان فى تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا أمهات دينهم فقد هلكوا وأهلكوا فالله تعالى يتوب علينا وعليهم ، وقال الحسن . بلغنا أن إبليس قال : سولت لأمة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصى فقصموا ظهرى بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لايستغفرون الله تعالى منها وهى الأهواء . وقد صدق الملعون فإنهم لايعلمون أن ذلك من الأسباب التى تجر إلى المعاصى فكيف يستغفرون منها ؟

ومن عظيم حيل الشيطان أن يشغل الإنسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس فى المذاهب والخصومات قال عبدالله بن مسعود . جلس قوم يذكرون الله تعالى فأتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع ، فأتى رفقة أخرى يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم فقاموا يقتتلون ـ وليس إياهم يريد ـ فقام الذين يذكرون الله تعالى

(١) حديث « فاطمة بضعة منى » متفق عليه من حديث المسور بن مخرمة . (٢) حديث « انى لاأغنى عنك من الله شيئا » قاله لفاطمة متفق عليه من حديث أبى هريرة .

فاشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم ، وذلك مراد الشيطان منهم

ومن أبوابه حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر فى ذات الله تعالى وصفاته وفى أمور لايبلغها حدعقولهم حتى يشككهم فى أصل الدين ، أويخيل إليهم فى الله تعالى خيالات يتعالى الله عنها يصير أحدهم بها كافرا أو مبتدعا وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع فى صدره ، يظن ذلك هو المعرفة والبصيرة وأنه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله فأشد الناس حماقة أقواهم اعتقادا فى عقل نفسه وأثبت الناس عقلا أشدهم اتهاما لنفسه وأكثرهم سؤالا من العلماء . قالت عائشة رضى الله عنها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان يأتى أحدكم فيقول من خلقك ؟ فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله ؟ فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فإن ذلك يذهب عنه [1] » والنبى صلى الله عليه وسلم لم يأمر بالبحث فى علاج هذا الوسواس فإن هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وإنما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعبادتهم ومعايشهم ويتركوا العلم للعلماء فالعامى لو يزنى ويسرق كان خيرا له من أن يتكلم فى العلم فإنه من تكلم فى الله وفى دينه من غير إتقان العلم وقع فى الكفر من حيث لايدرى ، كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد، والمذاهب لاتحصر وإنما أردنا بما أوردناه المثال.

ومن أبوابه سوء الظن بالمسلمين قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ﴾ فمن يحكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك أو يقصر فى القيام بحقوقه أو يتوانى فى إكرامه وينظر إليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه . وكل ذلك من المهلكات ولأجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم فقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا مواضع التهم [2] » حتى احترز هو صلى الله عليه وسلم من ذلك . روى عن على بن حسين أن صفية بنت حيي بن أخطب أخبرته أن النبى صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فى المسجد قالت : فأتيته فتحدثت عنده فلما أمسيت انصرفت فقام يمشى معى فمر به رجلان من الأنصار فسلما ثم انصرفا فناداهما وقال « إنها صفية بنت حيي » فقالا يارسول الله ما نظن بك إلا خيرا ، فقال « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم من الجسد وإنى خشيت أن يدخل عليكما [3] » فانظر كيف أشفق صلى الله عليه وسلم على دينهما فحرسهما ؟ وكيف أشفق على أمته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين فى أحواله ؟ فيقول : مثلى لا يظن به إلا الخير إعجابا منه بنفسه . فإن أورع الناس وأتقاهم وأعلمهم لاينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة ، بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم ولذلك قال الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار فإن الأشرار لايظنون بالناس كلهم إلا الشر . فمهما رأيت إنسانا يسىء الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم أنه خبيث الباطن وأن ذلك خبثه يترشح منه ، وإنما رأى غيره من حيث هو فإن المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب ، والمؤمن سليم الصدر فى حق كافة الخلق . فهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب ولو أردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه وفى هذا القدر ما ينبه على غيره فليس فى الآدمى صفة

---

(١) حديث عائشة « ان الشيطان يأتى أحدكم فيقول من خلقك ؟ فيقول الله ... الحديث » أخرجه أحمد والبزار وأبو يعلى فى مسانيدهم ورجاله ثقات وهو متفق عليه من حديث أبي هريرة . (٢) حديث « اتقوا مواضع التهم » لم أجد له أصلا .

(٣) حديث « صفية بنت حيى : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فأتيته فتحدثت عنده ... الحديث . وفيه « ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم » متفق عليه .

مذمومة إلا وهى سلاح الشيطان ومدخل من مداخله .

* فإن قلت : فما العلاج فى دفع الشيطان وهل يكفى فى ذلك ذكر الله تعالى وقول الإنسان لاحول ولاقوة إلا بالله فاعلم أن علاج القلب فى ذلك سد هذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره . وغرضنا فى هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات وتحتاج كل صفة إلى كتاب منفرد على ما سيأتى شرحه — نعم إذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لأن حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب إلا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة ، وإلا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب ولا يدفع سلطان الشيطان . ولذلك قال الله تعالى ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ خصص بذلك المتقى فمثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك فإن لم يكن بين يديك خبز أو لحم فإنه ينزجر بأن تقول له : اخسأ ، فمجرد الصوت يدفعه . فإن كان بين يديك لحم وهو جائع فإنه يهجم على اللحم ولا يندفع بمجرد الكلام ، فالقلب الخالى عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر ، فأما الشهوة إذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر إلى حواشى القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان فى سويداء القلب . وأما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فإنه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر ، فاذا عاد إلى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى ﴿ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ وسائر الأخبار والآيات الواردة فى الذكر .

قال أبو هريرة : التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر دهين سمين كاس وشيطان المؤمن مهزول أشعث أغبر عار ، فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن : مالك مهزول ؟ قال : أنا مع رجل إذا أكل سمى الله فأظل جائعا وإذا شرب سمى الله فأظل عطشانا ، وإذا لبس سمى الله فأظل عريانا ، وإذا ادهن سمى الله فأظل شعثا ، فقال : لكنى مع رجل لا يفعل شيئا من ذلك فأنا أشاركه فى طعامه وشرابه ولباسه . وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح : اللهم إنك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك إنك على كل شىء قدير . قال : فتمثل له إبليس يوما فى طريق المسجد فقال له : يا ابن واسع هل تعرفنى ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : أنا إبليس ، فقال : وما تريد ؟ قال : أريد أن لا تعلم أحد هذه الاستعاذة ولا أتعرض لك ، قال : والله لا أمنعها من أراد فاصنع ما شئت . وعن عبد الرحمن ابن أبى ليلى قال : كان شيطان يأتى النبى صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلى فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب ، فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له : قل أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن . فقال ذلك فطفئت شعلته وخر على وجهه [1] وقال الحسن . نبئت أن جبرائيل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن عفريتا من الجن يكيدك فاذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى [2] وقال صلى الله عليه وسلم أتانى الشيطان فنازعنى ثم نازعنى فأخذت

---

(١) حديث عبد الرحمن بن أبى ليلى : كان الشيطان يأتى النبى صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار ... الحديث أخرجه ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان هكذا مرسلا ولمالك فى الموطأ نحوه عن يحيى بن سعيد مرسلا ووصله ابن عبد البر فى التمهيد من رواية يحيى ابن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن عياش الشامى عن ابن مسعود ورواه أحمد والبزار من حديث عبد الرحمن بن حبيش وقيل له : كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة كادته الشياطين ؟ فذكر نحوه (٢) حديث الحسن : نبئت أن جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ان عفريتا من الجن يكيدك ... الحديث أخرجه ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان هكذا مرسلا

بحلقه فوالذى بعثنى بالحق ما أرسلته حتى وجدت برد ماء لسانه على يدى ولولا دعوة أخى سليمان عليه السلام لأصبح طريحا فى المسجد [١] » وقال صلى الله عليه وسلم « ما سلك عمر فجا إلا سلك الشيطان فجا غير الذى سلكه عمر [٢] » وهذا لأن القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهى الشهوات فهما طمعت فى أن يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر رضى الله عنه كان محالا ، وكنت كمن يطمع أن يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشغولة بغليظ الأطعمة ، ويطمع أن ينفعه كما نفع الذى شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة ، والذكر الدواء والتقوى احتماء وهى تخلى القلب عن الشهوات . فإذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء فى المعدة الخالية عن الأطعمة . قال الله تعالى ﴿ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ﴾ وقال تعالى ﴿ كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير ﴾ ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مواليه وإن ذكر الله بلسانه . وإن كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بأن الذكر يطرد الشيطان [٣] ولم تفهم أن أكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط نقلها علماء الدين فانظر إلى نفسك ، فليس الخبر كالعيان ، وتأمل أن منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة ؛ فراقب قلبك إذا كنت فى صلاتك كيف يجاذبه الشيطان إلى الأسواق وحساب العالمين وجواب المعاندين وكيف يمر بك فى أودية الدنيا ومهالكها حتى إنك لا تذكر ماقد نسيته من فضول الدنيا إلا فى صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك إلا إذا صليت ؟ فالصلاة محك القلوب فبها يظهر محاسنها ومساويها ؛ فالصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا ينطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس ، كما أن الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر ، فإن أردت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم أردفه بدواء الذكر يفر الشيطان منك كما فر من عمر رضى الله عنه . ولذلك قال وهب بن منبه : اتق الله ولا تسب الشيطان فى العلانية وأنت صديقه فى السر ؛ أى أنت مطيع له . وقال بعضهم : يا عجبا لمن يعصى المحسن بعد معرفته بإحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه . وكما أن الله تعالى قال ﴿ادعونى استجب لكم﴾ وأنت تدعوه ولا يستجيب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعاء .

قيل لابراهيم بن أدهم : ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال تعالى ﴿ ادعونى استجب لكم ﴾ ؟ قال : لأن قلوبكم ميتة ، قيل وما الذى أماتها ؟ قال : ثمان خصال ؛ عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه ، وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده ، وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعملوا بسنته ، وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له ، وقال تعالى ﴿ إن الشيطان لكم عدوا فاتخذوه عدوا ﴾ فواطأتموه على المعاصى ، وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها ، وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها ، وإذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس أمامكم فأسخطتم ربكم ، فكيف يستجيب لكم ؟

* فإن قلت فالداعى إلى المعاصى المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفون ؟ فاعلم أنه لا حاجة لك إلى معرفة ذلك فى المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته . كل البقل من حيث يؤتى ولا تسأل عن المبقلة ، ولكن الذى

---

(١) حديث « أتانى شيطان فنازعنى ثم نازعنى فأخذت بحلقه .. الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا من رواية الشعبى مرسلا هكذا وللبخارى من حديث أبى هريرة « أن عفريتا من الجن تفلت على البارحة — أو كلمة نحوها — ليقطع على صلاتى فأمكننى الله منه ... الحديث » والنسائى فى الكبرى من حديث عائشة : كان يصلى فأتاه الشيطان فأخذه نصر عه فخنقه قال حتى وجدت برد لسانه على يدى ... الحديث » واسناده جيد (٢) حديث « ماسلك عمر فجا الا سلك الشيطان فجا غير فجه » متفق عليه من حديث سعد بن أبى وقاص بلفظ « يا ابن الخطاب مالقيك الشيطان سالكا فجا ... الحديث » (٣) الحديث الوارد بأن الذكر يا عمر يطرد الشيطان . تقدم

يتضح بنور الاستبصار فى شواهد الأخبار : أنهم جنود مجندة وأن لكل نوع من المعاصى شيطانا يخصه ويدعو إليه فأما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذى ذكرناه وهو أن اختلاف المسببات يدل على اختلاف الأسباب كما ذكرناه فى نور النار وسواد الدخان.

وأما الأخبار فقد قال مجاهد : لإبليس خمسة من الأولاد قد جعل كل واحد منهم على شىء من أمره: ثبر والأعور ومبسوط وداسم وزلنبور . فأما ثبر : فهو صاحب المصائب الذى يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية . وأما الأعور : فإنه صاحب الزنا يأمر به ويزينه . وأما مبسوط : فهو صاحب الكذب . وأما داسم : فإنه يدخل مع الرجل إلى أهله يرميهم بالعيب عنده ويغضبه عليهم وأما زلنبور : فهو صاحب السوق فبسببه لا يزالون متظلمين . وشيطان الصلاة يسمى خنزب [٢] وشيطان الوضوء يسمى الولهان [٣] وقد ورد فى ذلك أخبار كثيرة .

وكما أن الشياطين فيهم كثرة فكذلك فى الملائكة . وقد ذكرنا فى كتاب الشكر السر فى كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل منفرد به ، وقد قال أبو أمامة الباهلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك ؛ للبصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب الذباب عن قصعة العسل فى اليوم الصائف ، وما لو بدا لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل كل باسط يده فاغرفاه، ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين [١] .

وقال أيوب بن يونس بن يزيد : بلغنا أنه يولد مع أبناء الإنس من أبناء الجن ثم ينشئون معهم . وروى جابر ابن عبد الله : أن آدم عليه السلام لما هبط إلى الأرض قال يارب هذا الذى جعلت بينى وبينه عداوة إن لم تعنى عليه لا أقوى عليه ، قال : لا يولد لك ولد إلا وكل به ملك ، قال : يارب زدنى ، قال: أجزى بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا إلى ما أريد ، قال : رب زدنى ، قال : باب التوبة مفتوح مادام فى الجسد الروح ، قال إبليس: يارب هذا العبد الذى كرمته على إن لا تعنى عليه لا أقوى عليه ؟ قال لا يولد له ولد إلا ولد لك ولد . قال : يارب زدنى ، قال : تجرى منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتا ، قال : رب زدنى ، قال : اجلب عليهم بخيلك ورجلك إلى قوله غرورا ، وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلق الله الجن ثلاثة أصناف : صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض ، وصنف كالريح فى الهواء ، وصنف عليهم الثواب والعقاب . وخلق الله تعالى الإنس ثلاثة أصناف : صنف كالبهائم كما قال تعالى ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل ﴾ وصنف أجسامهم أجسام بنى آدم وأرواحهم أرواح الشياطين، وصنف فى ظل الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله [٢] » وقال وهيب بن الورد : بلغنا أن إبليس تمثل ليحيى بن زكريا عليهما السلام وقال : إنى أريد أن أنصحك ، قال : لا حاجة لى فى نصحك ولكن أخبرنى عن بنى آدم قال : هم عندنا ثلاثة أصناف : أما صنف منهم وهم أشد الأصناف علينا نقبل على أحدهم حتى نفتنه ونتمكن منه

---

(١) حديث « إن شيطان الصلاة يسمى خنزب » أخرجه مسلم من حديث عثمان بن أبى العاص وقد تقدم أول الحديث

(٢) حديث « إن شيطان الوضوء يسمى الولهان » تقدم وهو عند الترمذى من حديث أبى .

(٣) حديث أبى أمامه « وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان والطبرانى فى المعجم الكبير باسناد ضعيف (٤) حديث أبى الدرداء « خلق الله الجن ثلاثة أصناف: صنف حيات وعقارب ... الحديث أخرجه ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان وابن حبان فى الضعفاء فى ترجمة يزيد بن سنان وضعفه والحاكم نحوه مختصرا : فى الجن فقط ثلاثة أصناف . من حديث أبى ثعلبة الخشنى وقال صحيح الاسناد .

فيفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه ثم نعود إليه فيعود فلانحن نيأس منه ولانحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه فى عناء . وأما الصنف الآخر فهم فى أيدينا بمنزلة الكرة فى أيدى صبيانكم نقلبهم كيف شئنا قد كفونا أنفسهم . وأما الصنف الثالث فهم مثلك معصومون لانقدر منهم على شيء .

فإن قلت : فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض ، وإذا رأى صورة فهل هى صورته الحقيقية أو هو مثال يمثل له به ؟ فإن كان على صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة ؟ وكيف يرى فى وقت واحد فى مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين ؟ فاعلم أن الملك والشيطان لهما صورتان هى حقيقة صورتهما ولا تدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة إلا بأنوار النبوة ، فمارأى النبى صلى الله عليه وسلم جبرائيل عليه السلام فى صورته إلا مرتين (١) وذلك أنه سأله أن يريه نفسه على صورته فواعده بالبقيع وظهر له بحراء فسد الأفق من المشرق إلى المغرب ورآه مرة أخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وإنما كان يراه فى صورة الآدمى غالبا (٢) فكان يراه فى صورة دحية الكلبى (٣) وكان رجلا حسن الوجه . والأكثر أنه يكاشف أهل المكاشفة من أرباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له فى اليقظة ، فيراه بعينه ويسمع كلامه بأذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف فى المنام لأكثر الصالحين . وإنما المكاشف فى اليقظة هو الذى انتهى إلى رتبة لايمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التى تكون فى المنام فيرى فى اليقظة مايراه غيره فى المنام ، كما روى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم ، فرأى فى النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان فى صورة ضفدع قاعد على منكبه الأيسر بين منكبه وأذنه ، له خرطوم طويل دقيق قد أدخله من منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه ، فإذا ذكر الله تعالى خنس . ومثل هذا قد يشاهد بعينه فى اليقظة ، فقد رآه بعض المكاشفين فى صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس إليها ، وكانت الجيفة مثال الدنيا . وهذا يجرى مجرى مشاهدة صورته الحقيقية ، فإن القلب لابد وأن تظهر فيه حقيقة من الوجه الذى يقابل عالم الملكوت وعند ذلك يشرق أثره على وجهه الذى يقابل عالم الملك والشهادة لأن أحدهما متصل بالآخر . وقد بينا أن القلب له وجهان : وجه إلى عالم الغيب وهو مدخل الإلهام والوحى ، ووجه إلى عالم الشهادة . فالذى يظهر منه فى الوجه الذى يلى جانب عالم الشهادة لايكون إلا صورة متخيلة لأن عالم الشهادة كله متخيلات ، إلا أن الخيال تارة يحصل من النظر إلى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز أن لاتكون الصورة على وفق المعنى ، حتى يرى شخصا جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر لأن عالم الشهادة عالم كثير التلبيس . أما الصورة التى تحصل فى الخيال من إشراق عالم الملكوت على باطن سر القلوب فلا تكون إلا محاكية للصفة وموافقة لها ، لأن الشيطان فى صورة كلب وضفدع للصفة وموافقة لها ، فلا جرم لايرى المعنى القبيح إلا بصورة قبيحة ، فيرى الشيطان فى صورة كلب وضفدع وخنزير وغيرها ، ويرى الملك فى صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعانى ومحاكية لها بالصدق ، ولذلك يدل القرد والخنزير فى النوم على إنسان خبيث ، وتدل الشاة على إنسان سليم الصدر وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير . وهذه أسرار عجيبة وهى من أسرار عجائب القلب ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة . وإنما المقصود أن تصدق

---

(١) حديث : أنه صلى الله عليه وسلم مارأى جبريل فى صورته إلا مرتين أخرجه الشيخان من حديث عائشة : وسئلت هل رأى محمد ربه ؟ وفيه : ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين . (٢) حديث : أنه كان يرى جبريل فى صورة الآدمى غالبا أخرجه الشيخان من حديث عائشة وسئلت : فأين قوله ثم دنا فتدلى قالت ذاك جبريل كان يأتيه فى صورة الرجل الحديث ... »

(٣) حديث : أنه كان يرى جبريل فى صورة دحية الكلبى أخرجه الشيخان من حديث أسامة بن زيد : أن جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم وعنده أم سلمة فجعل يحدث ثم قام قال النبى صلى الله عليه وسلم لأم سلمة « من هذا؟ » قالت : دحية . . الحديث

بأن الشيطان ينكشف لأرباب القلوب وكذلك الملك ، تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما يكون ذلك فى النوم ، وتارة بطريق الحقيقة . والأكثر هو التمثيل بصورة محاكية للمعنى ـ هو مثال المعنى لا عين المعنى ـ إلا أنه يشاهد بالعين مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حوله كالنائم .

بيان مايؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به

اعلم أن هذا أمر غامض ، وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها إلا على سماسرة العلماء بالشرع . فقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « عفى عن أمتى ماحدثت به نفوسها مالم تتكلم به أو تعمل به [1] » وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم « إن الله تعالى يقول للحفظة : إذا هم عبدى بسيئة فلا تكتبوها فإن عملها فاكتبوها سيئة وإذا هم بحسنة لم يعملها فاكتبوها حسنة فإن عملها فاكتبوها عشرا [2] » وقد خرجه البخارى ومسلم فى الصحيحين وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة . وفى لفظ آخر « من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له إلى سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وإن عملها كتبت » وفى لفظ آخر ، « وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له مالم يعملها » وكل ذلك يدل على العفو فأما مايدل على المؤاخذة فقوله سبحانه ﴿إن تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ وقوله تعالى ﴿ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾ فدل على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقوله تعالى ﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾ وقوله تعالى ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾ والحق عندنا فى هذه المسألة لا يوقف عليه مالم تقع الإحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلى أن يظهر العمل على الجوارح .

فنقول . أول مايرد على القلب الخاطر ، كما لو خطر له مثلا صورة امرأة وأنها وراء ظهره فى الطريق لو التفت إليها لرآها . (والثانى) هيجان الرغبة إلى النظر وهو حركة الشهوة فى الطبع وهذا يتولد من الخاطر الأول ونسميه ميل الطبع ويسمى الأول حديث النفس . (والثالث) حكم القلب بأن هذا ينبغى أن يفعل أى ينبغى أن ينظر إليها فإن الطبع إذا مال لم تنبعث الهمة والنية مالم تندفع الصوارف ، فإنه قد يمنعه حياء أو خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ، ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل . (الرابع) تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسميه هما بالفعل ونية وقصدا ، وهذا الهم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن إذا أصغى القلب إلى الخاطر الأول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكد هذا الهم وصار إرادة مجزومة فإذا انجزمت الإرادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت إليه وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل .

فههنا أربع أحوال للقلب قبل العمل بالجارحة : الخاطر وهو حديث النفس ، ثم الميل ، ثم الاعتقاد ، ثم الهم .

فنقول : أما الخاطر فلا يؤاخذ به لأنه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لأنهما لا يدخلان

---

(١) حديث « عفى لأمتى عما حدثت به نفوسها » متفق عليه من حديث أبي هريرة «إن الله تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها ... الحديث » (٢) حديث أبى هريرة « يقول الله إذا هم عبدى بسيئة فلا تكتبوها عليه ... الحديث » قال المصنف أخرجه مسلم والبخارى فى الصحيحين قلت هو كما قال واللفظ لمسلم فلهذا والله أعلم قدمه فى الذكر .

أيضا تحت الاختيار ، وهما المرادان بقوله صلى الله عليه وسلم « عفى عن أمتى ماحدثت به نفوسها » فحديث النفس عبارة عن الخواطر التى تهجس فى النفس ولا يتبعها عزم على الفعل ، فأما الهم والعزم فلا يسمى حديث النفس ، بل حديث النفس كما روى عن عثمان بن مظعون حيث قال للنبى صلى الله عليه وسلم : يارسول الله نفسى تحدثنى أن أطلق خولة ، قال « مهلا إن من سنتى النكاح » قال : نفسى تحدثنى أن أجب نفسى ، قال « مهلا خصاء أمتى دءوب الصيام » قال : نفسى تحدثنى أن أترهب ، قال « مهلا رهبانية أمتى الجهاد والحج » قال : نفسى تحدثنى أن أترك اللحم ، قال مهلا فإنى أحبه ولو أصبته لأكلته ولو سألت الله لأطعمنيه [1] » فهذه الخواطر التى ليس معها عزم على الفعل هى حديث النفس ، ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل .

وأما الثالث : وهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغى أن يفعل فهذا تردد بين أن يكون اضطرارا أو اختيارا ، والأحوال تختلف فيه فالاختيارى منه يؤاخذ به والاضطرارى لا يؤاخذ به .

وأما الرابع وهو الهم بالفعل ؛ فإنه مؤاخذ به إلا أنه إن لم يفعل نظر فإن كان قد تركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لأن همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة ، والهم على وفق الطبع مما يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى ، والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج إلى قوة عظيمة فجده فى مخالفة الطبع هو العمل لله تعالى والعمل لله تعالى أشد من جده فى موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتب له حسنة لأنه رجح جده فى الامتناع وهمه به على همه بالفعل ، وإن تعوق الفعل بعائق أو تركه بعذر لا خوفا من الله تعالى كتبت عليه سيئة ، فإن همه فعل من القلب اختيارى .

والدليل على هذا التفصيل ماروى فى الصحيح مفصلا فى لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « قالت الملائكة عليهم السلام رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال : ارقبوه ، فإن هو عملها فاكتبوها له بمثلها وإن تركها فاكتبوها له حسنة إنما تركها من جرائى [2] » وحيث قال : فإن لم يعملها : أراد به تركها لله ، فأما إذا عزم على فاحشة فتعذرت عليه بسبب أو غفلة فكيف تكتب له حسنة ؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم « إنما يحشر الناس على نياتهم [3] » ونحن نعلم أن من عزم ليلا على أن يصبح ليقتل مسلما أو يزنى بامرأة فمات تلك

---

(١) حديث : إن عثمان بن مظعون قال يارسول الله نفسى تحدثنى أن أطلق خولة قال « مهلا إن من سنتى النكاح .. الحديث » أخرجه الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول من رواية على بن زيد عن سعيد بن المسيب مرسلا نحوه وفيه القاسم بن عبيد الله العمرى كذبه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وللدارمى من حديث سعد بن أبى وقاص : لما كان من أمر عثمان بن مظعون الذى كان من ترك النساء بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ياعثمان إنى لم أومر بالرهبانية .. الحديث » وفيه « من رغب عن سنتى فليس منى » وهو عندكم بلفظ : رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا . وللبغوى والطبرانى فى معجمى الصحابة بإسناد حسن من حديث عثمان بن مظعون : أنه قال يارسول الله إنى رجل تشق على هذه العزوبة فى المغازى فتأذن لى يارسول الله فى الخصاء فأختصى قال « لا ، ولكن عليك يابن مظعون بالصيام فإنه مجفرة » ولأحمد والطبرانى بإسناد جيد من حديث عبد الله بن عمرو « خصاء أمتى الصيام والقيام » وله من حديث سعيد بن العاص بإسناد فيه ضعف : إن عثمان بن مظعون قال : يارسول الله ائذن لى فى الاختصاء ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله قد أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة والتكبير على كل شرف .. الحديث » وابن ماجه بسند ضعيف من حديث عائشة « النكاح من سنتى » ولأحمد وأبى يعلى من حديث أنس « لكل نبى » وقال أبو يعلى « لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد فى سبيل الله » وفيه زيد العمى وهو ضعيف ولأبى داود من حديث أبى أمامة « إن سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله » وإسناده جيد .

(٢) حديث : قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر .. الحديث . قال المصنف إنه فى الصحيح وهو كما قال فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة (٣) حديث « إنما يحشر الناس على نياتهم » أخرجه ابن ماجه من حديث جابر دون قوله « إنما » وله من حديث أبى هريرة « إنما يبعث الناس على نياتهم » وإسنادهما حسن ومسلم من حديث عائشة « يبعثهم الله على نياتهم » وله من حديث أم سلمة « يبعثون على نياتهم »

الليلة مات مصرا ويحشر على نيته وقدهم بسيئة ولم يعملها .

والدليل القاطع فيه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار » فقيل يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال « لأنه أراد قتل صاحبه [1] » وهذا نص فى أنه صار بمجرد الإرادة من أهل النار مع أنه قتل مظلوما فكيف يظن أن الله لايؤاخذ بالنية والهم ؟ بل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به إلا أن يكفره بحسنة ، ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتبت له حسنة ، فأما فوت المراد بعائق فليس بحسنة . وأما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لايدخل تحت اختيار فالمؤاخذة به تكليف مالا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى ﴿ وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : كلفنا مالا نطيق إن أحدنا ليحدث نفسه بما لايحب أن يثبت فى قلبه ثم يحاسب بذلك فقال صلى الله عليه وسلم : « لعلكم تقولون كما قالت اليهود سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا فقالوا سمعنا وأطعنا [2] » فأنزل الله الفرج بعد سنة بقوله ﴿ لايكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ فظهر به أن كل مالايدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذى لايؤاخذ به . فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس . وكل من يظن أن كل مايجرى على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الأقسام الثلاثة فلا بد وأن يغلط وكيف لايؤاخذ بأعمال القلب من الكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من أعمال القلب ؟ بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ؟ أى مايدخل تحت الاختيار . فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذى محرم لم يؤاخذ به فإن أتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذا به لأنه مختار فكذا خواطر القلب تجرى هذا المجرى بل القلب أولى بمؤاخذته لأنه الأصل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « التقوى ههنا وأشار إلى القلب [3] » وقال الله تعالى ﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « الإثم حواز القلوب [4] » وقال « البر مااطمأن إليه القلب وإن أفتوك وأفتوك [5] » حتى إنا نقول إذا حكم القلب المفتى بإيجاب شىء وكان مخطئا فيه صار مثابا عليه بل من قد ظن أنه تطهر فعليه أن يصلى . فإن صلى ثم تذكر أنه لم يتوضأ كان له ثواب بفعله . فإن تذكر ثم تركه كان معاقبا عليه . ومن وجد على فراشه امرأة فظن أنها زوجته لم يعص بوطئها وإن كانت أجنبية . فإن ظن أنها أجنبية ثم وطئها عصى بوطئها وإن كانت زوجته . وكل ذلك نظر إلى القلب دون الجوارح .

بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا ؟

اعلم أن العلماء المراقبين للقلوب الناظرين فى صفاتها وعجائبها اختلفوا فى هذه المسألة على خمس فرق :

فقالت فرقة : الوسوسة تنقطع بذكر الله عز وجل لأنه عليه السلام قال « فإذا ذكر الله خنس [6] » والخنس هو السكوت فكأنه يسكت .

---

(١) حديث « إذا التقى بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار » الحديث متفق عليه من حديث أبى بكرة .

(٢) حديث : لما نزل قوله تعالى ﴿ وإن تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ جاء ناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كلفنا مالانطيق.. الحديث . أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة وابن عباس نحوه (٣) حديث « التقوى ههنا — وأشار الى القلب » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة وقال — الى صدره — (٤) حديث « الإثم حواز القلوب » تقدم فى العلم (٥) حديث « البر مااطمأن إليه القلب وإن أفتوك وأفتوك » أخرجه الطبرانى من حديث أبى ثعلبة ولأحمد نحوه من حديث وابصة وفيه « وإن أفتاك الناس وأفتوك » وقد تقدما (٦) حديث « وإذا ذكر الله خنس » أخرجه ابن أبى الدنيا وابن عدى من حديث أنس فى أثناء حديث « إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم :. الحديث » وقد تقدم قريبا .

وقالت فرقة : لاينعدم أصله ولكن يجرى فى القلب ولا يكون له أثر لأن القلب إذا صار مستوعبا بالذكر كان محجوبا عن التأثر بالوسوسة كالمشغول بهمه فإنه قد يتكلم ولا يفهم وإن كان الصوت يمر على سمعه .

وقالت فرقة : لاتسقط الوسوسة ولا أثرها أيضا ولكن تسقط غلبتها للقلب فكأنه يوسوس من بعد وعلى ضعف .

وقالت فرقة : ينعدم عند الذكر فى لحظة وينعدم الذكر فى لحظه ، ويتعاقبان فى أزمنة متقاربة يظن لتقاربها أنها متساوقة وهى كالكرة التى عليها نقط متفرقة فإنك إذا أدرتها بسرعة تواصلها بالحركة ، واستدل هؤلاء بأن الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له إلا هذا .

وقالت فرقة : الوسوسة والذكر يتساوقان فى الدوام على القلب تساوقا لاينقطع ، وكما أن الإنسان قد يرى بعينيه شيئين فى حالة واحدة فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين فقد قال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد إلا وله أربعة أعين : عينان فى رأسه يبصر بهما أمر دنياه ، وعينان فى قلبه يبصر بهما أمر دينه [1] » وإلى هذا ذهب المحاسبى . والصحيح عندنا أن كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الإحاطة بأصناف الوسواس، وإنما نظر كل واحد منهم إلى صنف واحد من الوسواس فأخبر عنه .

والوسواس أصناف ؛ الأول : أن يكون من جهة التلبيس بالحق ، فإنّ الشيطان قد يلبس بالحق فيقول الإنسان تترك التنعم باللذات فإن العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم ، فعند هذا إذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال لنفسه : الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار أشدّ منه ،ولا بد من أحدهما فإذا ذكر العبد وعد الله تعالى ووعيده وجدّد إيمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب ، إذ لايستطيع أن يقول له النار أيسر من الصبر على المعاصى ولا يمكنه أن يقول المعصية لاتفضى إلى النار ، فإنّ إيمانه بكتاب الله عز وجل يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه . وكذلك يوسوس إليه بالعجب بعمله فيقول : أى عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده ؟ فما أعظم مكانك عند الله تعالى ! فيتذكر العبد حينئذ أنّ معرفته وقلبه وأعضاءه التى بها عمله وعلمه كل ذلك من خلق الله تعالى فمن أين يعجب به ؟ فيخنس الشيطان إذ لايمكنه أن يقول ليس هذا من الله. فإن المعرفة والإيمان يدفعه . فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين المستبصرين بنور الإيمان والمعرفة .

الصنف الثانى . أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وهيجانها ، وهذا ينقسم إلى مايعلم العبد يقيناً أنه معصية وإلى مايظنه بغالب الظن . فإن علمه يقيناً خنس الشيطان عن تهييج يؤثر فى تحريك الشهوة ولم يخنس عن التهييج وإن كان مظنونا ، فربما يبقى مؤثراً بحيث يحتاج إلى مجاهدة فى دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة .

الصنف الثالث : أن تكون وسوسة بمجرد الخواطر وتذكر الأحوال الغالبة والتفكر فى غير الصلاة مثلا، فإذا أقبل على الذكر تصوّر أن يندفع ساعة ويعود ، ويندفع ويعود ، فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصوّر أن يتساوقا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر كأنهما فى موضعين من القلب . وبعيد جدّا أن يندفع هذا الخنس بالكلية بحيث لايخطر ، ولكنه ليس محالا إذا قال عليه السلام « من صلى ركعتين لم يحدث فيهما

(١) حديث « مامن عبد إلا وله أربعة أعين عينان فى رأسه يبصر بهما أمر دنياه وعينان فى قلبه يبصر بهما أمر دينه » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث معاذ بلفظ « الآخرة » مكان « دينه » وفيه الحسين بن أحمد بن محمد الهروى السماخى الحافظ كذبه الحاكم والآفة منه .

نفسه بشىء من أمر الدنيا غفرله ماتقدّم من ذنبه [١] ، فلولا أنه متصوّر لما ذكره ، إلا أنه لايتصوّر ذلك إلا فى قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر ، فإنا قد نرى المستوعب القلب بعدوّ تأذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات فى مجادلة عدوّه بحيث لايخطر بباله غير حديث عدوّه ، وكذلك المستغرق فى الحب قد يتفكر فى محادثة محبوبه بقلبه ويغوص فى فكره بحيث لايخطر بباله غير حديث محبوبه ، ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز بين يد أحد لكان كأن لايراه . وإذا تصوّر هذا فى خوف من عدوّ وعند الحرص على مال وجاه فكيف لايتصوّر من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر ، وإذا تأملت جملة هذه الأقسام وأصناف الوسواس علمت أنّ لكل مذهب من المذاهب وجها فى محل مخصوص .

وبالجملة فالخلاص من الشيطان فى لحظة أو ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمراً طويلا بعيد جدا ، ومحال فى الوجود ولو تخلص أحد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد روى : أنه نظر إلى علم ثوبه فى الصلاة فلما سلم رمى بذلك الثوب وقال « شغلنى عن الصلاة » وقال « اذهبوا به إلى أبى جهم وائتونى بأنبجانيته [٢] » وكان فى يده خاتم من ذهب فنظر إليه وهو على المنبر ثم رمى به قال « نظرة إليه ونظرة إليكم [٣] » وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر إلى خاتم الذهب وعلم الثوب ـ وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رمى به ـ فلا تنقطع وسوسة عروض الدنيا ونقدها إلا بالرمى والمفارقة ، فما دام يملك شيئا وراء حاجته ولو ديناراً واحداً لايدعه الشيطان فى صلاته من الوسوسة فى الفكر فى دينارة ، وأنه كيف يحفظه ؟ وفيماذا ينفقه ؟ وكيف يخفيه حتى لايعلم به أحد وكيف يظهره حتى يتباهى به ؟ إلى غير ذلك من الوساوس . فمن أنشب مخالبه فى الدنيا وطمع فى أن يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس فى العسل وظن أنّ الذباب لايقع عليه فهو محال . فالدنيا باب عظيم لوسوسة الشيطان . وليس له باب واحد بل أبواب كثيرة . قال حكيم من الحكماء : الشيطان يأتى ابن آدم من قبل المعاصى ، فإن امتنع أتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه فى بدعة ، فإن أبى أمره بالتحرّج والشدّة حتى يحرم ماليس بحرام ، وإن أبى شكّكه فى وضوئه وصلاته حتى يخرجه عن العلم ، فإن أبى خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفاً فتميل قلوبهم إليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه ، وعند ذلك يشتدّ إلحاحه فإنها آخر درجة ويعلم أنه لوجاوزها أفلت منه إلى الجنة .

بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب فى التغير والثبات

اعلم أن القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التى ذكرناها وتنصب إليه الآثار والأحوال من الأبواب التى وصفناها ، فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب ، فإذا أصابه شىء يتأثر به أصابه من جانب آخر مايضاده فتتغير صفته . فإن نزل به الشيطان فدعاه إلى الهوى نزل به الملك وصرفه عنه ، وإن جذبه شيطان إلى شر جذبه شيطان آخر إلى غيره ، وإن جذبه ملك إلى خير جذبه آخر إلى غيره . فتارة يكون متنازعا بين ملكين ، وتارة بين شيطانين ، وتارة بين ملك وشيطان ـ لايكون قط مهملا ـ وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ﴾ ولاطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عجيب صنع الله تعالى فى عجائب القلب وتقلبه كان يحلف

---

(١) حديث « من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشىء من الدنيا .. » تقدم فى الصلاة .

(٢) حديث : أنه صلى الله عليه وسلم نظر إلى علم فى ثوبه فى الصلاة .. الحديث . تقدم (٣) حديث : كان فى يده خاتم من ذهب فنظر إليه على المنبر فرماه فقال « نظرة إليكم » أخرجه النسائى من حديث ابن عباس وتقدم فى الصلاة

به فيقول « لا ومقلب القلوب [١] » وكان كثيراً مايقول « يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » قالوا أو تخاف يارسول الله ؟ قال « وما يؤمنني والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء [٢] » وفى لفظ آخر « إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه »

وضرب له صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثلة : فقال « مثل القلب مثل العصفور يتقلب فى كل ساعة [٣] » وقال عليه السلام « مثل القلب فى تقلبه كالقدر إذا استجمعت غليانا [٤] » وقال « مثل القلب كمثل ريشة فى أرض فلاة تقلبها الرياح ظهراً لبطن [٥] » وهذه التقلبات وعجائب صنع الله تعالى فى تقلبها من حيث لاتهدى إليه المعرفة لايعرفها إلا المراقبون والمراعون لأحوالهم مع الله تعالى .

والقلوب فى الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ، ثلاثة : قلب عمر بالتقوى وزكا بالرياضة وطهر عن خبائث الأخلاق تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت ، فينصرف العقل إلى التفكر فيما خطر له ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على أسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه ، فيحكم بأنه لابد من فعله فيستحثه عليه ويدعوه إلى العمل به ، وينظر الملك إلى القلب فيجده طيبا فى جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بأنوار المعرفة فيراه صالحا لأن يكون له مستقرا ومهبطا ، فعند ذلك يمده بجنود لاترى ويهديه إلى خيرات أخرى حتى ينجر الخير إلى الخير وكذلك على الدوام ، ولايتناهى إمداده بالترغيب بالخير وتيسير الأمر عليه . وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ﴾ وفى مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لايخفى فيه الشرك الخفى الذى هو أخفى من دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء ، فلا يخفى على هذا النور خافية ولايروج عليه شيء من مكايد الشيطان ، بل يقف الشيطان ويوحى زخرف القول غرورا فلا يلتفت إليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات - التى سنذكرها - من الشكر والصبر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك . وهو القلب الذى أقبل الله عزوجل بوجهه عليه ، وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ وبقوله عزوجل ﴿ ياأيتها النفس المطمئنة ﴾ .

القلب الثانى : القلب المخذول المشحون بالهوى ، المدنس بالأخلاق المذمومة والخبائث ، المفتوح فيه أبواب الشياطين ، المسدود عنه أبواب الملائكة . ومبدأ الشر فيه أن ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب إلى حاكم العقل ليستفتى منه ويستكشف وجه الصواب فيه ، فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى وأنس به واستمر على استنباط الحيل له وعلى مساعدة الهوى ، فتستولى النفس وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه

---

(١) حديث « لاومقلب القلوب » أخرجه البخارى من حديث ابن عمر (٢) حديث « يامثبت القلوب ثبت قلبي على دينك . . الحديث أخرجه الترمذى من حديث أنس وحسنه والحاكم من حديث جابر وقال ابن أبى الدنيا صحيح على شرط مسلم ولمسلم من حديث عبد الله ابن عمرو « اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك » والنسائى فى الكبرى وابن ماجه والحاكم وصححه على شرط البخارى ومسلم من حديث النواس بن سمعان « مامن قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه » والنسائى فى الكبرى باسناد جيد نحوه من حديث عائشه (٣) حديث « مثل القلب مثل العصفور يتقلب فى كل ساعة » أخرجه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم والبيهقى فى الشعب من حديث أبى عبيدة بن الجراح . قلت رواه البغوى فى معجمه من حديث أبى عبيد غير منسوب وقال لا أدرى له صحبة أم لا .

(٤) حديث « مثل القلب فى تقلبه كالقدر إذا استجمعت غليانا » أخرجه أحمد والحاكم وقال صحيح على شرط البخارى من حديث المقداد بن الأسود (٥) حديث « مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة . . الحديث » أخرجه الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب من حديث أبى موسى الأشعرى باسناد حسن وللبزار نحوه من حديث أنس باسناد ضعيف .

ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته . فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين والغرور والأمانى ، ويوحى بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الإيمان بالوعد والوعيد ، ويخبو نور اليقين لخوف الآخرة إذ يتصاعد عن الهوى دخان مظلم إلى القلب يملأ جوانبه حتى تنطفئ أنواره ، فيصير العقل كالعين التى ملأ الدخان أجفانها فلا يقدر على أن ينظر ، وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لايبقى للقلب إمكان التوقف والاستبصار ، ولو بصره واعظ وأسمعه ماهو الحق فيه عمى عن الفهم ، وصم عن السمع ، وهاجت الشهوة فيه ، وسطا الشيطان ، وتحركت الجوارح على وفق الهوى فظهرت المعصية إلى عالم الشهادة من عالم الغيب بقضاء من الله تعالى وقدره . وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله تعالى ﴿ أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا . أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ﴾ وبقوله عزوجل ﴿ لقد حق القول على أكثرهم فهم لايؤمنون ﴾ وبقوله ﴿ سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون ﴾ ورب قلب هذا حاله بالإضافة إلى بعض الشهوات كالذى يتورع عن بعض الأشياء ولكنه إذا رأى وجهاً حسناً لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مساك قلبه ، أو كالذى لايملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ، ولايبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور أسبابه ، أو كالذى لايملك نفسه عند الغضب مهما استحقر وذكر عيب من عيوبه ، أو كالذى لايملك نفسه عند القدرة على أخذ درهم أو دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فينسى فيه المروءة والتقوى ، فكل ذلك لتصاعد دخان الهوى إلى القلب حتى يظلم وتنطفئ منه أنواره فينطفئ نور الحياء والمروءة والإيمان ويسعى فى تحصيل مراد الشيطان .

القلب الثالث : قلب تبدو فيه خواطر الهوى فتدعوه إلى الشر فيلحقه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير ، فتنبعث النفس بشهوتها إلى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم ، فينبعث العقل إلى خاطر الخير ويدفع فى وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها إلى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع فى تهجمها على الشر وقلة أكتراثها بالعواقب فتميل النفس إلى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل فيقوى داعى الهوى ويقول ماهذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتؤذى نفسك ؟ وهل ترى أحداً من أهل عصرك يخالف هواه أو يترك غرضه ؟ أفتترك لهم ملاذ الدنيا يتمتعون بها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا متعوبا يضحك عليك أهل الزمان ؟ أفتريد أن يزيد مصيبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا ؟ أماترى العالم الفلانى ليس يحترز من مثل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع منه ؟ فتميل النفس إلى الشيطان وتنقلب إليه ؛ فيحمل الملك حملة على الشيطان ويقول هل لك إلا من اتبع لذة الحال ونسى العاقبة ؟ أفتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها أبد الآباد ؟ أم تستثقل ألم الصبر عن شهوتك ولا تستثقل ألم النار ؟ أتغتر بغفلة الناس عن أنفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان مع أن عذاب النار لايخففه عنك معصية غيرك ؟ أرأيت لو كنت فى يوم صائف شديد الحر ووقف الناس كلهم فى الشمس وكان لك بيت بارد أكنت تساعد الناس أو تطلب لنفسك الخلاص ؟ فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولاتخالفهم خوفا من حر النار ؟ فعند ذلك تمتثل النفس إلى قول الملك فلايزال يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين إلى أن يغلب على القلب ماهو أولى به فإن كانت الصفات التى فى القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التى ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب إلى جنسه من أحزاب الشيطان معرضا عن حزب الله تعالى وأوليائه ، ومساعداً لحزب الشيطان وأعدائه ، وجرى على جوارحه بسابق القدر ماهو سبب بعده عن الله تعالى ، وإن كان الأغلب على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب إلى إغواء الشيطان

وتحريضه إياه على العاجلة وتهوينه أمر الآخرة ، بل مال إلى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ماسبق من القضاء على جوارحه ، فقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن ـ أى بين تجاذب هذين الجندين وهو الغالب ـ أعنى التقليب والانتقال من حزب إلى حزب ، أما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة أو مع حزب الشيطان فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصى تظهر من خزائن الغيب إلى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فإنه من خزائن الملكوت ، وهى أيضا إذا ظهرت كانت علامات تعرف أرباب القلوب سابق القضاء . فمن خلق للجنة يسرت له أسباب الطاعات ومن خلق للنار يسرت له أسباب المعاصى وسلط عليه أقران السوء وألقى فى قلبه حكم الشيطان ، فإنه بأنواع الحكم يغر الحمق بقوله : إنّ الله رحيم فلا تبال ، وإنّ الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم ، وإن العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا ﴿ يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ﴾ يعدهم التوبة ويمنيهم المغفرة فيهلكهم بإذن الله تعالى بهذه الحيل ومايجرى مجراها ، فيوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحق ، وكل ذلك بقضاء من الله وقدر ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء ـ إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده ﴾ فهو الهادى والمضل يفعل ما يشاء ويحكم مايريد لاراد لحكمه ولا معقب لقضائه . خلق الجنة وخلق لها أهلا فاستعملهم بالطاعة ، وخلق النار وخلق لها أهلا فاستعملهم بالمعاصى . وعرف الخلق علامة أهل الجنة وأهل النار فقال ﴿ إنّ الأبرار لفى نعيم وإنّ الفجار لفى جحيم ﴾ ثم قال تعالى فيما روى عن نبيه صلى الله عليه وسلم « هؤلاء فى الجنة ولاأبالى وهؤلاء فى النار ولا أبالى [1] » فتعالى الله الملك الحق لايسئل عما يفعل وهم يسئلون .

ولنقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب فإن استقصاءه لايليق بعلم المعاملة ، وإنما ذكرنا منه مايحتاج إليه لمعرفة أغوار علوم المعاملة وأسرارها لينتفع بها من لايقنع بالظواهر ولايجتزئ بالقشر عن اللباب بل يتشوق إلى معرفة دقائق حقائق الأسباب . وفيما ذكرناه كفاية له ومقنع إن شاء الله تعالى والله ولى التوفيق .

تم كتاب عجائب القلب ولله الحمد والمنة . ويتلوه كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ، والحمد لله وحده وصلى الله على كل عبد مصطفى .

كتاب رياضة النفس

وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب

وهو الكتاب الثانى من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى صرف الأمور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فأحسن فى تصويره ، وزين صورة الإنسان بحسن تقويمه وتقديره ، وحرسه من الزيادة والنقصان فى شكله ومقاديره ، وفوض تحسين الأخلاق إلى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره ، وسهل على خواص عباده تهذيب الأخلاق بتوفيقه وتيسيره ، وامتن عليهم

(١) حديث « قال الله عزوجل هؤلاء الى الجنة ولا أبالى وهؤلاء الى النار ولا أبالى » أخرجه أحمد وابن حبان من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمى وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب انه مضطرب الاسناد .

بتسهيل صعبه وعسيره ، والصلاة والسلام على محمد عبد الله ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره ،الذى كان يلوح أنوار النبوّة من بين أساريره ، ويستشرف حقيقة الحق من مخايله وتباشيره ، وعلى آله وأصحابه الذين طهروا وجه الإسلام من ظلمة الكفر ودياجيره ، وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره :

أما بعد : فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين ، وهو على التحقيق شطر الدين وثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين . والأخلاق السيئة هى السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازى الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين ، المنخرطة بصاحبها فى سلك الشياطين ، وهى الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى الموقدة التى تطلع على الأفئدة ، كما أن الأخلاق الجميلة هى الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن ، والأخلاق الخبيثة أمراض القلوب وأسقام النفوس إلا أنه مرض يفوّت حياة الأبد ، وأين منه المرض الذى لايفوت إلاحياة الجسد ؟ ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان وليس فى مرضها إلا فوت الحياة الفانية ، فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفى مرضها فوت حياة باقية أولى ، وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذى لب إذ لايخلو قلب من القلوب عن أسقام لو أهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت ، فيحتاج العبد إلى تأنق فى معرفة علمها وأسبابها ثم إلى تشمير فى علاجها وإصلاحها ، فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾ وإهمالها هو المراد بقوله ﴿ وقد خاب من دساها ﴾ ونحن نشير فى هذا الكتاب إلى جمل من امراض القلوب وكيفية القول فى معالجتها على الجملة من غير تفصيل لعلاج خصوص الأمراض ، فإن ذلك يأتى فى بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الآن النظر الكلى فى تهذيب الأخلاق وتمهيد منهاجها . ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب من الأفهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ، ثم بيان حقيقة حسن الخلق ، ثم بيان قبول الأخلاق للتغير بالرياضة ، ثم بيان السبب الذى به ينال حسن الخلق ، ثم بيان الطرق التى بها يعرف تفصيل الطرق إلى تهذيب الأخلاق ورياضة النفوس ، ثم بيان العلامات التى بها يعرف مرض القلب ثم بيان الطرق التى بها يعرف الإنسان عيوب نفسه ، ثم بيان شواهد النقل على أن طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لاغير ، ثم بيان علامات حسن الخلق ، ثم بيان الطريق فى رياضة الصبيان فى أول النشو ، ثم بيان شروط الإرادة ومقدمات المجاهدة فهى أحد عشر فصلا يجمع مقاصدها هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق

قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن [1] وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ﴾ ثم قال صلى الله عليه وسلم « هو أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو ظلمك [2] وقال صلى الله عليه وسلم : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « أثقل مايوضع فى الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق [4] » وجاء رجل إلى رسول الله

كتاب رياضة النفس

(١) حديث عائشة : كان خلقه القرآن تقدم وهو عند مسلم (٢) حديث « تأويل قوله تعالى ﴿ خذ العفو ﴾ الآية هو أن تصل من قطعك .. الحديث » أخرجه ابن مردويه من حديث جابر وقيس بن سعد بن عبادة وأنس بأسانيد حسان

(٣) حديث « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » أخرجه أحمد والحاكم والبيهقى من حديث أبى هريرة وتقدم فى آداب الصحبة

(٤) حديث « أثقل مايوضع فى الميزان خلق حسن » أخرجه أبو داود والترمذى وصححه من حديث أبى الدرداء .

صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال : يارسول الله ما الدين ؟ قال « حسن الخلق » فأتاه من قبل يمينه فقال : يارسول الله ماالدين ؟ قال « حسن الخلق » ثم أتاه من قبل شماله فقال : ماالدين ؟ فقال « حسن الخلق » ثم أتاه من ورائه فقال يارسول الله ماالدين ؟ فالتفت إليه وقال « أما تفقه ؟ هو أن لاتغضب [1] » وقيل يارسول الله ماالشؤم ؟ قال « سوء الخلق [2] » وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أوصنى فقال « اتق الله حيثما كنت » قال زدنى قال « أتبع السيئة الحسنة تمحها » قال زدنى قال « خالق الناس بخلق حسن [3] » وسئل عليه السلام : أى الأعمال أفضل ؟ قال « خلق حسن » وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « ماحسن الله خلق عبد وخلقه فيطعمه النار [4] » وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهى سيئة الخلق تؤذى جيرانها بلسانها قال « لاخير فيها هى من أهل النار » وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يقول « أول ما يوضع فى الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الإيمان قال اللهم قوّنى فقواه بحسن الخلق والسخاء ، ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوّنى فقواه بالبخل وسوء الخلق [5] » وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا فزينوا دينكم بهما [6] » وقال عليه السلام « حسن الخلق خلق الله الأعظم [7] » وقيل : يارسول الله أى المؤمنين أفضل إيمانا ؟ قال « أحسنهم خلقا [8] » وقال صلى الله تعالى عليه وسلم « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق [9] » وقال أيضا صلى الله تعالى عليه وسلم « سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل [10] » وعن جرير بن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك [11] » وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا [12] وعن أبى مسعود البدرى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه « اللهم حسنت خلقى فحسن خلقى [13] » وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء فيقول « اللهم إنى أسألك

---

(١) حديث : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال : ما الدين ؟ قال « حسن الخلق .. الحديث » أخرجه محمد بن نصر المروزى فى كتاب تعظيم قدر الصلاة من رواية أبى العلاء بن الشخير مرسلا (٢) حديث : ماالشؤم ؟ قال « سوء الخلق » أخرجه أحمد من حديث عائشة « الشؤم سوء الخلق » ولأبى داود من حديث رافع بن مكيث « سوء الخلق شؤم » وكلاهما لايصح (٣) حديث : قال رجل أوصنى قال « اتق الله حيثما كنت .. الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أبى ذر وقال حسن صحيح (٤) حديث « ماحسن الله خلق امرئ وخلقه فتطعمه النار » تقدم فى آداب الصحبة .

(٥) حديث أبى الدرداء « أول مايوضع فى الميزان حسن الخلق .. الحديث » لم أقف له على أصل هكذا ولأبى داود والترمذى من حديث أبى الدرداء « مامن شىء فى الميزان أثقل من حسن الخلق » وقال غريب وقال فى بعض طرقه حسن صحيح (٦) حديث « إن الله استخلص هذا الدين لنفسه .. الحديث » أخرجه الدارقطنى فى كتاب المستجاد ، والخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث أبى سعيد الخدرى باسناد فيه لين (٧) حديث « حسن الخلق خلق الله الأعظم » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث عمار ابن ياسر بسند ضعيف (٨) حديث : قيل يارسول الله أى المؤمنين أفضلهم ايمانا ؟ قال « أحسنهم خلقا » أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى والحاكم من حديث أبى هريرة وتقدم فى النكاح بلفظ « أكمل المؤمنين » والطبرانى من حديث أبى أمامة « أفضلكم إيمانا أحسنكم خلقا » (٩) حديث « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق » أخرجه البزار وأبو يعلى والطبرانى فى مكارم الأخلاق من حديث أبى هريرة وبعض طرق البزار رجاله ثقات (١٠) حديث « سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل » أخرجه ابن حبان فى الضعفاء من حديث أبى هريرة والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس وأبى هريرة أيضاً وضعفهما ابن جرير (١١) حديث « إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فأحسن خلقك » أخرجه الخرايطى فى مكارم الأخلاق وأبو العباس الدغولى فى كتاب الآداب وفيه ضعف (١٢) حديث البراء : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند حسن (١٣) حديث أبى مسعود البدرى « اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق هكذا من رواية عبد الله بن أبى الهذيل عن أبى مسعود البدرى وإنما هو ابن مسعود أى عبد الله ، هكذا رواه ابن حبان فى صحيحه ورواه أحمد من حديث عائشة .

الصحة والعافية وحسن الخلق [١] » وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال « كرم المؤمن دينه ، وحسبه حسن خلقه ، ومروءته عقله [٢] » وعن أسامة بن شريك قال : شهدت الأعاريب يسألون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقولون ماخير ماأعطى العبد ؟ قال « خلق حسن [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا [٤] » وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من لم تكن فيه أو واحدة منهن فلا تعتدوا بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصى الله أو حلم يكف به السفيه أو خلق يعيش به بين الناس [٥] » وكان من دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم فى افتتاح الصلاة « اللهم اهدنى لأحسن الأخلاق لايهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها لايصرف عنى سيئها إلا أنت [٦] » وقال أنس : بينما نحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوما إذ قال « إن حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد [٧] » وقال عليه السلام « من سعادة المرء حسن الخلق [٨] » وقال صلى الله عليه وسلم « اليمن حسن الخلق [٩] » وقال عليه السلام لأبى ذر « ياأبا ذر لاعقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق [١٠] » وعن أنس قال : قالت أم حبيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيت المرأة يكون لها زوجان فى الدنيا فتموت ويموتان ويدخلون الجنة لأيهما هى تكون ؟ قال « لأحسنهما خلقا كان عندها فى الدنيا ، ياأم حبيبة ذهب حسن الخلق بخيرى الدنيا والآخرة [١١] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم مرتبته [١٢] » وفى رواية « درجة الظمآن فى الهواجر » وقال عبد الرحمن بن سمرة : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال « إنى رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمتى جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن خلقه فأدخله على الله تعالى [١٣] » وقال أنس : قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف فى العبادة [١٤] » وروى : أن عمر رضى الله عنه استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده

---

(١) حديث عبد الله بن عمرو « اللهم إنى أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق » أخرجه الخرايطى فى مكارم الأخلاق باسناد فيه لين (٢) حديث أبى هريرة « كرم المرء دينه ومروءته عقله وحسن خلقه » أخرجه ابن حبان والحاكم وصححه على شرط مسلم والبيهقى . قلت فيه مسلم بن خالد الزنجى وقد تكلم فيه . قال البيهقى وروى من وجهين آخرين ضعيفين ثم رواه موقوفا على عمر وقال إسناد صحيح (٣) حديث أسامة بن شريك : شهدت الأعاريب يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ماخير ما أعطى العبد ؟ قال « خلق حسن » أخرجه ابن ماجه وتقدم فى آداب الصحبة .

(٤) حديث « إن أحبكم إلى الله وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا » أخرجه الطبراني فى الصغير والأوسط من حديث أبى هريرة « إن أحبكم إلى الله أحاسنكم أخلاقا » وللطبراني فى مكارم الأخلاق من حديث جابر « إن أقربكم منى مجلسا أحاسنكم أخلاقا » وقد تقدم الحديثان فى آداب الصحبة (٥) حديث ابن عباس « ثلاث من لم يكن فيه أو واحدة منهن فلا يعتد بشيء من عمله ... الحديث » أخرجه الخرايطى فى مكارم الأخلاق باسناد ضعيف ورواه الطبرانى فى الكبير وفى مكارم الأخلاق من حديث أم سلمة

(٦) حديث « اللهم اهدنى لأحسن الأخلاق ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث على (٧) حديث أنس : إن حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد » أخرجه الخرايطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف ورواه الطبرانى والطيالسى والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس وضعفه وكذا رواه من حديث أبى هريرة وضعفه أيضاً (٨) حديث « من سعادة المرء حسن الخلق » أخرجه الخرايطى فى مكارم الأخلاق والبيهقى فى الشعب من حديث جابر بسند ضعيف (٩) حديث « اليمن حسن الخلق » أخرجه الخرايطى فى مكارم الأخلاق من حديث على باسناد ضعيف (١٠) حديث « ياأباذر لاعقل كالتدبير ولاحسب كحسن الخلق » أخرجه ابن ماجه وابن حبان من حديث أبى ذر (١١) حديث أنس : قالت أم حبيبة يارسول الله أرأيت المرأة يكون لها زوجان الحديث أخرجه البزار والطبرانى فى الكبير والخرايطى فى مكارم الأخلاق باسناد ضعيف (١٢) حديث « إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه .. الحديث » أخرجه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالرواية الأولى ومن حديث أبى هريرة بالرواية الثانية وفيهما ابن لهيعة (١٣) حديث عبد الرحمن بن سمرة « إنى رأيت البارحة عجبا ... الحديث » أخرجه الخرايطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف (١٤) حديث « إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة . الحديث » أخرجه الطبرانى والخرايطى فى مكارم الأخلاق وأبو الشيخ فى كتاب مكارم الأخلاق وأبو الشيخ فى كتاب طبقات الأصبهانيين من حديث أنس باسناد جيد .

نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته فلما استأذن عمر رضى الله عنه تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر رضى الله عنه : مم تضحك بأبى أنت وأمى يارسول الله؟ فقال « عجبت لهؤلاء اللاتى كن عندى لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب » فقال عمر : أنت كنت أحق أن يهبنك يا رسول الله ، ثم أقبل عليهن عمر فقال : يا عدوات أنفسهن أتهبننى ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلن: نعم أنت أغلظ وأفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم « إيهاً يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده مالقيك الشيطان قط سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك [1] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « سوء الخلق ذنب لايغفر وسوء الظن خطيئة تفوح [2] » وقال عليه السلام « إن العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم [3] ».

الآثار : قال ابن لقمان الحكيم لأبيه : يا أبت أى الخصال من الإنسان خير ؟ قال : الدين ، قال : فإذا كانت اثنتين ؟ قال : الدين والمال . قال : فإذا كانت ثلاثا ؟ قال : الدين والمال والحياء ، قال : فإذا كانت أربعا؟ قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق ، قال : فإذا كانت خمساً ؟ قال : الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء ، قال : فإذا كانت ستاً ؟ قال : يابنى إذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو نقى تقى ولله ولى ومن الشيطان برى ، وقال الحسن من ساء خلقه عذب نفسه . وقال أنس بن مالك : إن العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة فى الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك فى جهنم وهو عابد . وقال يحيى بن معاذ : فى سعة الأخلاق كنوز الأرزاق . وقال وهب ابن منبه : مثل السيئ الخلق كمثل الفخارة المكسورة لاترقع ولاتعاد طينا . وقال الفضيل : لأن يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب إلى من أن يصحبنى عابد سيئ الخلق . وصحب ابن المبارك رجلا سيء الخلق فى سفر فكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكى فقيل له فى ذلك فقال : بكيته رحمة له ، فارقته وخلقه معه لم يفارقه ، وقال الجنيد : أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه ، الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الإيمان. وقال الكتانى التصوف خلق فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى التصوف . وقال عمر رضى الله عنه : خالطوا الناس بالأخلاق وزايلوهم بالأعمال . وقال يحيى بن معاذ : سوء الخلق سيئة لاتنفع معها كثرة الحسنات ، وحسن الخلق حسنة لاتضر معها كثرة السيئات . وسئل ابن عباس : ماالكرم ؟ فقال : هو مابين الله فى كتابه العزيز ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ قيل فما الحسب ؟ قال : أحسنكم خلقاً أفضلكم حسباً . وقال : لكل بنيان أساس وأساس الإسلام حسن الخلق . وقال عطاء ماارتفع من ارتفع إلا بالخلق الحسن ، ولم ينل أحد كماله إلا المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فأقرب الخلق إلى الله عز وجل السالكون آثاره بحسن الخلق .

بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق

اعلم أن الناس قد تكلموا فى حقيقة حسن الخلق وأنه ماهو ، وما تعرضوا لحقيقته وإنما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته ، بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضرا فى ذهنه ولم يصرفوا العناية إلى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب ، وذلك كقول الحسن : حسن الخلق بسط الوجه

---

(١) حديث : إن عمر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه.. الحديث . متفق عليه (٢) حديث « سوء الخلق ذنب لايغفر .. الحديث . أخرجه الطبرانى فى الصغير من حديث عائشة : مامن شىء الا له توبة الا صاحب سوء الخلق فإنه لايتوب من ذنب الا عاد فى شر منه . واسناده ضعيف (٣) حديث : إن العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم » أخرجه الطبرانى والخرايطى فى مكارم الأخلاق وأبو الشيخ فى طبقات الأصبهانيين من حديث أنس باسناد جيد وهو بعض الحديث الذى قبله بحديثين .

وبذل الندى وكف الأذى . وقال الواسطى : هو أن لايخاصم ولايخاصم من شدة معرفته بالله تعالى . وقال شاه الكرمانى : هو كف الأذى واحتمال المؤن . وقال بعضهم : هو أن يكون من الناس قريباً وفيما بينهم غريبا . وقال الواسطى مرة : هو إرضاء الخلق فى السراء والضراء . وقال أبو عثمان : هو الرضا عن الله تعالى . وسئل سهل التسترى عن حسن الخلق فقال . أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه ، وقال مرة : أن لايتهم الحق فى الرزق ويثق به ويسكن الى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يعصيه فى جميع الأمور فيما بينه وبينه وفيما بينه وبين الناس . وقال على رضى الله عنه . حسن الخلق فى ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على العيال . وقال الحسين بن منصور : هو أن لايؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق . وقال أبو سعيد الخراز : هو أن لايكون لك هم غير الله تعالى . فهذا وأمثاله كثير ، وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لالنفسه ، ثم ليس هو محيطا بجميع الثمرات أيضاً . وكشف الغطاء عن الحقيقة أولى من نقل الأقاويل المختلفة .

فنقول : الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا ، يقال : فلان حسن الخلق والخلق ـ أى حسن الباطن والظاهر ـ فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ، ويراد بالخلق الصورة الباطنة . وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة . ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة . فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدراً من الجسد المدرك بالبصر . ولذلك عظم الله أمره بإضافته إليه إذ قال تعالى ﴿ إنى خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ﴾ فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين والروح إلى رب العالمين . والمراد بالروح والنفس فى هذا المقام واحد ؛ فالخلق عبارة عن هيئة فى النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقاً حسنا ، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التى هى المصدر خلقا سيئا . وإنما قلنا إنها هيئة راسخة ، لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لايقال خلقه السخاء مالم يثبت ذلك فى نفسه ثبوت رسوخ . وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لايقال خلقه السخاء والحلم .

فههنا أربعه أمور ؛ أحدها : فعل الجميل والقبيح . والثانى : القدرة عليهما . والثالث : المعرفة بهما . والرابع هيئه للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين ؛ إما الحسن وإما القبيح .

وليس الخلق عبارة عن الفعل ، فرب شخص خلقه السخاء ولايبذل إما لفقد المال أو لمانع ، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل إما لباعث أو لرياء وليس هو عبارة عن القوة ؛ لأن نسبة القوة إلى الإمساك والإعطاء بل إلى الضدين واحد . وكل إنسان خلق بالفطرة قادر على الإعطاء والإمساك ، وذلك لايوجب خلق البخل ولاخلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعاً على وجه واحد . بل هو عبارة عن المعنى الرابع ، وهو الهيئة التى بها تستعد النفس لأن يصدر منها الإمساك أو البذل . فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة . وكما أن حسن الصورة الظاهرة مطلقا لايتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخد بل لابد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر ؛ فكذلك فى الباطن أربعة أركان لابد من الحسن فى جميعها حتى يتم حسن الخلق . فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو : قوة العلم ، وقوة الغضب وقوة الشهوة ، وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث

أما قوة العلم فحسنها وصلاحها فى أن تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب فى الأقوال ، وبين الحق والباطل فى الاعتقادات ، وبين الجميل والقبيح فى الأفعال فإذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الأخلاق الحسنة ـ وهى التى قال الله فيها ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً ﴾ .

وأما قوة الغضب : فحسنها فى أن يصير انقباضها وانبساطها على حد ماتقتضيه الحكمة ؛ وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها فى أن تكون تحت إشارة الحكمة ، أعنى إشارة العقل والشرع

وأما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة العقل والشرع

فالعقل مثاله مثال الناصح المشير . وقوة العدل هى القدرة ، ومثالها مثال المنفذ الممضى لإشارة العقل . والغضب هو الذى تنفذ فيه الإشارة ، ومثاله مثال كلب الصيد فإنه يحتاج إلى أن يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الإشارة لابحسب هيجان شهوة النفس . والشهوة مثالها مثال الفرس الذى يركب فى طلب الصيد فإنه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا . فمن استوت فيه هذه الخصال واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا . ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصة كالذى يحسن بعض أجزاء وجهه دون بعض . وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة . وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة .

فإن مالت قوة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة تسمى تهورا ، وإن مالت إلى الضعف والنقصان تسمى جبنا وخورا . وإن مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة تسمى شرها ، وإن مالت إلى النقصان تسمى جمودا .

والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة ، والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل إذا فات فليس له طرفا زيادة ونقصان بل له ضد واحد ومقابل وهو الجور .

وأما الحكمة فيسمى إفراطها عند الاستعمال فى الأغراض الفاسدة خبثا وجربزة ، ويسمى تفريطها بلها ، والوسط هو الذى يختص باسم الحكمة .

فإذن أمهات الأخلاق وأصولها أربعة : الحكمة ، والشجاعة ، والعفة ، والعدل ونعنى بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ فى جميع الأفعال الاختيارية . ونعنى بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما فى الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها . ونعنى بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل فى إقدامها واحجامها . ونعنى بالعفة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع .

فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها .

إذ من اعتدال قوة العقل : يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأى وإصابة الظن والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس . ومن إفراطها : تصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء . ومن تفريطها : يصدر البله والغمارة والحمق والجنون ـ وأعنى بالغمارة قلة التجربة فى الأمور مع سلامة التخيل فقد يكون الإنسان غمرا فى شىء دون شىء . والفرق بين الحمق والجنون : أن الأحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة فى سلوك الطريق الموصل إلى الغرض ، وأما المجنون فإنه يختار مالا ينبغى أن يختار فيكون أصل اختياره وإيثاره فاسدا ـ .

وأما خلق الشجاعة : فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وأمثالها وهى أخلاق محمودة . وأما إفراطها وهو التهور : فيصدر منه الصلف والبذخ

والاستشاطة والتكبر والعجب . وأما تفريطها : فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب .

وأما خلق العفة : فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع . وأما ميلها إلى الإفراط أو التفريط : فيحصل منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للأغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك .

فأمهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربعة : وهى الحكمة ، والشجاعة ، والعفة ، والعدل . والباقى فروعها .

ولم يبلغ كمال الاعتدال فى هذه الأربع إلا رسول صلى الله عليه وسلم ، والناس بعده متفاوتون فى القرب والبعد منه . فكل من قرب منه فى هذه الأخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم إليه ويقتدون به فى جميع الأفعال . ومن انفك عن هذه الأخلاق كلها واتصف بأضدادها استحق أن يخرج من بين البلاد والعباد فإنه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد ، فينبغى أن يبعد ، كما أن الأول قريب من الملك المقرب فينبغى أن يقتدى به ويتقرب إليه فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعث إلا ليتمم مكارم الأخلاق كما قال [1] .

وقد أشار القرآن إلى هذه الأخلاق فى أوصاف المؤمنين فقال تعالى ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ فالإيمان بالله وبرسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل . ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذى يرجع إلى ضبط قوة الشهوة . والمجاهدة بالنفس هى الشجاعة التى ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال . فقد وصف الله تعالى الصحابة فقال ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ إشارة إلى أن للشدة موضعا وللرحمة موضعا ، فليس الكمال فى الشدة بكل حال ولا فى الرحمة بكل حال . فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان أركانه وثمراته وفروعه .

بيان قبول الأخلاق للتغيير بطريق الرياضة

اعلم أن بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق ، فلم تسمح نفسه بأن يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم أن الأخلاق لا يتصور تغييرها فإن الطباع لا تتغير .

واستدل فيه بأمرين ؛ أحدهما : أن الخلق هو صورة الباطن كما أن الخلق هو صورة الظاهر . فالخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالقصير لا يقدر أن يجعل نفسه طويلا ولا الطويل يقدر أن يجعل نفسه قصيرا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته ، فكذلك القبح الباطن يجرى هذا المجرى . والثانى : أنهم قالوا حسن الخلق يقمع الشهوة والغضب . وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى المزاج والطبع فإنه قط لا ينقطع عن الآدمى فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة . فإن المطلوب هو قطع التفات القلب إلى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده .

فنقول : لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ، ولما قال رسول الله

(١) حديث « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » تقدم فى آداب الصحبة .

صلى الله عليه وسلم « حسنوا أخلاقكم [1] » وكيف ينكر هذا فى حق الآدمى وتغيير خلق البهيمة ممكن إذ ينقل البازى من الاستيحاش إلى الأنس ، والكلب من شره الأكل إلى التأدب والإمساك والتخلية ، والفرس من الجماح إلى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغيير للأخلاق .

والقول الكاشف للغطاء عن ذلك أن نقول : الموجودات منقسمة إلى مالا مدخل للآدمى واختياره فى أصله وتفصيله ، كالسماء والكواكب ، بل أعضاء البدن داخلا وخارجا ، وسائر أجزاء الحيوانات . وبالجملة كل ماهو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله وإلى ماوجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد أن وجد شرطه . وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فأن النواة ليست بتفاح ولا نخل إلا أنها خلقت خلقة يمكن أن تصير نخلة إذا انضاف التربية إليها ، ولا تصير تفاحا أصلا ولا بالتربية ، فإذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الأحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو أردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لايبقى لهما أثر لم نقدر عليه أصلا ، ولو أردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه . وقد أمرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا إلى الله تعالى . نعم الجبلات مختلفة بعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان .

أحدهما : قوة الغريزة فى أصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فإن قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة فى الإنسان ، ولكن أصعبها أمرا وأعصاها على التغيير قوة الشهوة ، فإنها أقدم وجودا ، إذ الصبى فى مبدإ الفطرة تخلق له الشهوة ، ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب ، وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز .

والسبب الثانى : أن الخلق قد يتأكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسنا ومرضيا والناس فيه على أربع مراتب ﴿ الأولى ﴾ وهو الإنسان الغفل الذى لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقى كما فطر عليه خالياً عن جميع الاعتقادات ولم تستتم شهوته أيضا باتباع اللذات ، فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج إلا إلى معلم ومرشد ، وإلى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه فى أقرب زمان ﴿ والثانية ﴾ أن يكون قد عرف قبح القبيح ، ولكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهواته وإعراضا عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه ، ولكن علم تقصيره فى عمله فأمره أصعب من الأول ، إذ قد تضاعفت الوظيفة عليه ؛ إذ عليه قلع مارسخ فى نفسه أولا من كثرة الاعتياد للفساد ، والآخر أن يغرس فى نفسه صفة الاعتياد للصلاح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة إن انتهض لها بجد وتشمير وحزم . ﴿ والثالثة ﴾ أن يعتقد فى الأخلاق القبيحة أنها الواجبة المستحسنة وأنها حق وجميل وتربى عليها ، فهذا يكاد تمتنع معالجته ولايرجى صلاحه إلا على الندور ، وذلك لتضاعف أسباب الضلال . ﴿ والرابعة ﴾ أن يكون مع نشئه على الرأى الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة فى كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهى به ويظن أن ذلك يرفع قدره ، وهذا هو أصعب المراتب . وفى مثله قيل : ومن العناء رياضة الهرم ، ومن التعذيب تهذيب الذيب . والأول : من هؤلاء جاهل فقط . والثانى : جاهل وضال والثالث : جاهل وضال وفاسق . والرابع : جاهل وضال وفاسق وشرير .

وأما الخيال الآخر الذى استدلوا به : وهو قولهم إن الآدمى مادام حيا فلا تنقطع عنه الشهوة والغضب وحب الدنيا وسائر هذه الأخلاق ، فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا أن المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيهات ! فإن الشهوة خلقت لفائدة وهى ضرورية فى الجبلة ، فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان ، ولو انقطعت

---

(١) حديث « حسنوا أخلاقكم » أخرجه أبو بكر ابن لال فى مكارم الأخلاق من حديث معاذ « يامعاذ حسن خلقك للناس » منقطع ورجاله ثقات .

شهوة الوقاع لانقطع النسل ، ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الإنسان عن نفسه مايهلكه ويهلك . ومهما بقى أصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذى يوصله إلى الشهوة حتى يحمله ذلك على إمساك المال . وليس المطلوب إماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها إلى الاعتدال الذى هو وسط بين الإفراط والتفريط . والمطلوب فى صفة الغضب حسن الحمية وذلك بأن يخلو عن التهوّر وعن الجبن جميعاً . وبالجملة أن يكون فى نفسه قويا ومع قوته منقاداً للعقل. ولذلك قال الله تعالى ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ وصفهم بالشدة وإنما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لبطل الجهاد . وكيف يقصد قلع الشهوة والغضب بالكلية والأنبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك ، إذ قال صلى الله عليه وسلم « إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر [1] » . وكان إذا تكلم بين يديه بما يكرهه يغضب حتى تحمرّ وجنتاه ولكن لايقول إلا حقا فكان عليه السلام لا يخرجه غضبه عن الحق [2] وقال تعالى ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ﴾ ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد الغضب والشهوة إلى حدّ الاعتدال بحيث لايقهر واحد منهما العقل ولايغلبه ، بل يكون العقل هو الضابط لهما والغالب عليهما ممكن ، وهو المراد بتغيير الخلق فإنه ربما تستولى الشهوة على الإنسان بحيث لايقوى عقله على دفعها فيقدم على الانبساط إلى الفواحش . وبالرياضة تعود إلى حدّ الاعتدال فدل أن ذلك ممكن ، والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لاشك فيها والذى يدل على أن المطلوب هو الوسط فى الأخلاق دون الطرفين أن السخاء خلق محمود شرعا ، وهو وسط بين طرفى التبذير والتقتير . وقد أثنى الله تعالى عليه فقال ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾ وقال تعالى ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ﴾ وكذلك المطلوب فى شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجمود قال الله تعالى ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ وقال فى الغضب ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « خير الأمور أوساطها [3] » وهذا له سر وتحقيق وهو أن السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم . قال الله تعالى ﴿ إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ والبخل من عوارض الدنيا ، والتبذير أيضاً من عوراض الدنيا ، وشرط القلب أن يكون سليما منهما أى لا يكون ملتفتا إلى المال ولا يكون حريصاً على إنفاقه ولا على إمساكه ، فإن الحريص على الإنفاق مصروف القلب إلى الإنفاق كما أن الحريص على الإمساك مصروف القلب إلى الإمساك فكان كمال القلب أن يصفو عن الوصفين جميعاً . وإذا لم يكن ذلك فى الدنيا طلبنا ماهو الأشبه لعدم الوصفين وأبعد عن الطرفين وهو الوسط ، فإن الفاتر لا حار ولا بارد بل هو وسط بينهما فكأنه خال عن الوصفين ، فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير . والشجاعة بين الجبن التهوّر . والعفة بين الشره والجمود . وكذلك سائر الأخلاق فكلا طرفى الأمور ذميم ; هذا هو المطلوب وهو ممكن . نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد أن يقبح عنده الغضب رأسا ، ويذم إمساك المال رأسا ، ولايرخص له فى شىء منه لأنه لو رخص له فى أدنى شىء اتخذ ذلك عذرا فى استبقاء بخله وغضبه وظن أنه القدر المرخص فيه . فإذا قصد الأصل وبالغ فيه ولم يتيسر له إلا كسر

(١) حديث « إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر » أخرجه مسلم من حديث أنس وله من حديث أبى هريرة « إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر » (٢) حديث : أنه كان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لايقول إلا حقا فكان الغضب لايخرجه عن الحق » أخرجه الشيخان من حديث عبد الله بن الزبير فى قصة شراج الحرة فقال : لأن كان ابن عمتك؟ فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهما من حديث أبى سعيد الخدرى : وكان إذا كره شيئاً عرفناه فى وجهه . ولهما من حديث عائشة : وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله ولمسلم : مايسأل منه شىء قط فينتقم من صاحبه ... الحديث .

(٣) حديث « خير الأمور أوساطها » أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان من رواية مطرف بن عبد الله معضلا .

سورته بحيث يعود إلى الاعتدال فالصواب له أن يقصد قلع الأصل حتى يتيسر له القدر المقصود . فلا يكشف هذا السر المريد فإنه موضع غرور الحمق إذ يظن بنفسه أن غضبه بحق وأن إمساكه بحق .

بيان السبب الذى به ينال حسن الخلق على الجملة

قد عرفت أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة . وإلى اعتدال قوة الغضب والشهوة ، وكونها للعقل مطيعة وللشرع أيضا . وهذا الاعتدال يحصل على وجهين :

أحدهما : بجود إلهى وكمال فطرى بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب ، بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير عالما بغير تعليم ومؤدبا بغير تأديب كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام وكذا سائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين . ولا يبعد أن يكون فى الطبع والفطرة ماقد ينال بالاكتساب فرب صبى خلق صادق اللهجة سخيا جريا ، وربما يخلق بخلافه ، فيحصل ذلك فيه بالاعتياد ومخالطة المتخلقين بهذه الأخلاق ، وربما يحصل بالتعلم .

والوجه الثانى : اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة وأعنى به حمل النفس على الأعمال التى يقتضيها الخلق المطلوب . فمن أراد مثلا أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطى فعل الجواد وهو بذل المال ، فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفاً مجاهداً نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعاً له ويتيسر عليه فيصير به جواداً ، وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف إلى أن يصير ذلك خلقاً له وطبعاً فيتيسر عليه . وجميع الأخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق ، وغايته أن يصير الفعل الصادر منه لذيذاً فالسخى هو الذى يستلذ بذل المال الذى يبذله دون الذى يبذله عن كراهة ، والمتواضع هو الذى يستلذ التواضع ولن ترسخ الأخلاق الدينية فى النفس ، مالم تتعود النفس جميع العادات الحسنة ومالم تترك جميع الأفعال السيئة ، ومالم تواظب عليه مواظبة من يشتاق إلى الأفعال الجميلة ويتنعم بها ، ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها ، كما قال صلى الله عليه وسلم « وجعلت قرة عينى فى الصلاة [1] » ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به . نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالإضافة إلى تركها لا بالإضافة إلى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى ﴿ وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « اعبد الله فى الرضا فإن لم تستطع ففى الصبر على ما تكره خير كثير [2] » ثم لا يكن فى نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية فى زمان دون زمان ، بل ينبغى أن يكون ذلك على الدوام وفى جملة العمر . كلما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكمل ولذلك لما سئل صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال ، طول العمر فى طاعة الله تعالى [3] » ولذلك كره الأنبياء والأولياء الموت فإن الدنيا مزرعة الآخرة . وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل والنفس أزكى وأطهر والأخلاق أقوى وأرسخ ، وإنما مقصود العبادات تأثيرها فى القلب ، وإنما يتأكد تأثيرها بكثرة المواظبة على العبادات . وغاية هذه الأخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون

---

(١) حديث « وجعلت قرة عينى فى الصلاة » أخرجه النسائى من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث « اعبدالله فى الرضا فإن لم تستطع ففى الصبر على ماتكره خير كثير » أخرجه الطبرانى (٣) حديث : سئل عن السعادة فقال « طول العمر فى عبادة الله » رواه القضاعى فى مسند الشهاب وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر باسناد ضعيف وللترمذى من حديث أبي بكرة وصححه : أى الناس خير ؟ قال « من طال عمره وحسن عمله » .

شيء أحب إليه من لقاء الله تعالى عز وجل ، فلا يستعمل جميع ماله إلا على الوجه الذى يوصله إليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملهما إلى على الوجه الذى يوصله إلى الله تعالى ، وذلك بأن يكون موزوناً بميزان الشرع والعقل ، ثم يكون بعد ذلك فرحا به مستلذاً له ، ولاينبغى أن يستبعد مصير الصلاة إلى حد تصير هى قرة العين. ومصير العبادات لذيذة فإن العادة تقتضى فى النفس عجائب أغرب من ذلك ؛ فإنا قد نرى الملوك والمعمين فى أحزان دائمة ، ونرى المقامر قد يغلب عليه من الفرح واللذة بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح الناس بغير قمار ، مع أن القمار ربما سلبه ماله فخرب بيته وتركه مفلساً ومع ذلك فهو يحبه ويلتذ به ، وذلك لطول إلفه له وصرف نفسه إليه مدة . وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول النهار فى حر الشمس قائما على رجليه وهو لايحس بألمها لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحليقها فى جو السماء ، بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط وعلى أن يتقدم به للصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته فى الصبر على ذلك ، حتى يرى ذلك فخراً لنفسه ، ويقطع الواحد منهم إربا إربا على أن يقر بما تعاطاه أو تعاطاه غيره فيضر على الإنكار ولا يبالى بالعقوبات فرحاً بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية ، فقد صارت أحواله مع مافيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره ، بل لاحالة أخس وأقبح من حال المخنث فى تشبهه بالإناث فى نتف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النساء فترى المخنث فى فرح بحاله وافتخار بكماله فى تخنثه يتباهى به مع المخنثين ، حتى يجرى بين الحجامين والكناسين التفاخر والمباهاة كما يجرى بين الملوك والعلماء . فكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك فى المخالطين والمعارف . فإذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل إليه وإلى المقابح فكيف لاتستلذ الحق لو ردت إليه مدة والتزمت المواظبة عليه ؟ بل ميل النفس إلى هذه الأمور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهى الميل إلى أكل الطين فقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة ؛ فأما ميله إلى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل إلى الطعام والشراب فإنه مقتضى طبع القلب فإنه أمر ربانى ، وميله إلى مقتضيات الشهوة غريب من ذاته وعارض على طبعه ، وإنما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله عزوجل ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد حل به كما قد يحل المرض بالمعدة فلا تشتهى الطعام والشراب وهما سببان لحياتها ،فكل قلب مال إلى حب شيء سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله ، إلا إذا كان أحب ذلك الشيء لكونه معيناً له على حب الله تعالى وعلى دينه ، فعند ذلك لايدل ذلك على المرض

فإذن قد عرفت بهذا قطعاً أن هذه الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهى تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعاً انتهاء ، وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح ـ أعنى النفس والبدن ـ فإن كل صفة تظهر فى القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لاتتحرك إلا على وفقها لامحالة ، وكل فعل يجرى على الجوارح فإنه قد يرتفع منه أثر إلى القلب ، والأمر فيه دور ، ويعرف ذلك بمثال : وهو أن من أراد أن يصير الحذق فى الكتابة له صفة نفسية ـ حتى يصير كاتباً بالطبع ـ فلا طريق له إلا أن يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة يحاكى الخط الحسن ، فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفاً ، ثم لايزال يواظب عليه حتى يصير صفة راسخة فى نفسه ، فيصدر منه فى الآخر الخط الحسن طبعاً كما كان يصدر منه فى الابتداء تكلفا ، فكان الخط الحسن هو الذى جعل خطه حسنا ، ولكن الأول بتكلف إلا أنه ارتفع منه أثر إلى القلب ثم انخفض من القلب إلى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن بالطبع .

وكذلك من أراد أن يصير فقيه النفس فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال الفقهاء ، وهو التكرار للفقه حتى تنعطف منه على قلبه صفه الفقه فيصير فقيه النفس . وكذلك من أراد أن يصير سخيا عفيف النفس حليما متواضعاً فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفاً حتى يصير ذلك طبعاً له ، فلا علاج له إلا ذلك وكما أن طالب فقه النفس لاييأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة ، وكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالأعمال الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم . وهو معنى قولنا إن الكبيرة الواحدة لاتوجب الشقاء المؤبد ولكن العطلة فى يوم واحد تدعو إلى مثلها ، ثم تتداعى قليلا قليلا حتى تأنس النفس بالكسل وتهجر التحصيل رأسا فيفوتها فضيلة الفقه . وكذلك صغائر المعاصى يجر بعضها إلى بعض حتى يفوت أصل السعادة بهدم أصل الإيمان عند الخاتمة . وكما أن تكرار ليلة لا يحس تأثيره فى فقه النفس بل يظهر فقه النفس شيئاً فشيئا على التدريج - مثل نمو البدن وارتفاع القامة - فكذلك الطاعة الواحدة لايحس تأثيرها فى تزكية النفس وتطهيرها فى الحال ، ولكن لاينبغى أن يستهان بقليل الطاعة فإن الجملة الكثيرة منها مؤثرة ، وإنما اجتمعت الجملة من الآحاد ، فلكل واحد منها تأثير ، فما من طاعة إلا ولها أثر وإن خفى ، فله ثواب لامحالة . فإن الثواب بإزاء الأثر وكذلك المعصية . وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالى يسوف نفسه يوما فيوما إلى أن يخرج طبعه عن قبول الفقه . فكذا من يستهين صغائر المعاصى ويسوف نفسه بالتوبة على التوالى إلى أن يختطفه الموت بغتة أوتتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتتعذر عليه التوبة ، إذ القليل يدعو إلى الكثير فيصير القلب مقيداً بسلاسل شهوات لايمكن تخليصه من مخالبها . وهو المعنى بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدّاً ﴾ الآية ولذلك قال رضى الله تعالى عنه : إن الإيمان ليبدو فى القلب نكتة بيضاء ، كلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الإيمان أبيض القلب كله . وإن النفاق ليبدو فى القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فإذا استكمل النفاق اسود القلب كله .

فإذا عرفت أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة ، وتارة تكون باعتياد الأفعال الجميلة ، وتارة بمشاهدة أرباب الفعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح ، إذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا . فمن تظاهرت فى حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعاً واعتيادا وتعلما فهو فى غاية الفضيلة ، ومن كان رذلا بالطبع واتفق له قرناء السوء فتعلم منهم وتيسرت له أسباب الشر حتى اعتادها فهو فى غاية البعد من الله عز وجل ، وبين الرتبتين من اختلفت فيه من هذه الجهات ولكل درجة فى القرب والبعد بحسب ماتقتضيه صورته وحالته ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ .

بيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق

قد عرفت من قبل أن الاعتدال فى الأخلاق هو صحة النفس ، والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها . كما أن الاعتدال فى مزاج البدن هو صحة له ، والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالا . فنقول :

مثال النفس فى علاجها بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها وجلب الفضائل والأخلاق الجميلة إليها ، مثال البدن فى علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها إليه . وكما أن الغالب على أصل المزاج الاعتدال وإنما تعترى المعدة المضرة بعوارض الأغذية والأهوية والأحوال ، فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيح الفطرة ،

وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ـ أى بالاعتياد والتعليم تكتسب الرذائل ـ وكما أن البدن فى الابتداء لايخلق كاملا وإنما يكمل ويقوى بالنشو والتربية بالغذاء ؛ فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال ؛ وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم . وكما أن البدن إن كان صحيحاً فشأن الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وإن كان مريضاً فشأنه جلب الصحة إليه ؛ فكذلك النفس منك إن كانت زكية طاهرة مهذبة فينبغى أن تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة إليها واكتساب زيادة صفائها ، وإن كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغى أن تسعى لجلب ذلك إليها . وكما أن العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لاتعالج إلا بضدها فإن كانت من حرارة فبالبرودة ، وإن كانت من برودة فبالحرارة ، فكذلك الرذيلة التى هى مرض القلب علاجها بضدها . فيعالج مرض الجهل بالتعلم ، ومرض البخل بالتسخى ، ومرض الكبر بالتواضع ، ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا . وكما أنه لابد من الاحتمال لمرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الأبدان المريضة فكذلك لابد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل أولى . فإن مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله تعالى مرض يدوم بعد الموت أبد الآباد . وكما أن كل مبرد لا يصلح لعلة سببها الحرارة إلا إذا كان على حد مخصوص ـ ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ، ولا بد له من معيار يعرف به مقدار النافع منه فإنه إن لم يحفظ معياره زاد الفساد ـ فكذلك النقائض التى تعالج بها الأخلاق لا بد لها من معيار . وكما أن معيار الدواء مأخوذ من عيار العلة حتى إن الطبيب لايعالج مالم يعرف أن العلة من حرارة أو برودة ، فإن كانت من حرارة فيعرف درجتها أهى ضعيفة أم قوية ؟ فإذا عرف ذلك التفت إلى أحوال البدن وأحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وسائر أحواله ثم يعالج بحسبها .

فكذلك الشيخ المتبوع الذى يطبب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغى أن لايهجم عليهم بالرياضة والتكاليف فى فن مخصوص وفى طريق مخصوص مالم يعرف أخلاقهم وأمراضهم . وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم . بل ينبغى أن ينظر فى مرض المريد وفى حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة ويبنى على ذلك رياضته . فإن كان المريد مبتدئاً جاهلا بحدود الشرع فيعلمه أولا الطهارة والصلاة وظواهر العبادات ، وإن كان مشغولا بمال حرام أو مقارفا لمعصية فيأمره أولا بتركها ، فإذا تزين ظاهره بالعبادات وطهر عن المعاصى الظاهرة جوارحه نظر بقرائن الأحوال إلى باطنه ليتفطن لأخلاقه وأمراض قلبه: فإن رأى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته أخذه منه وصرفه إلى الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت إليه ، وإن رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيأمره أن يخرج إلى الأسواق للكدية والسؤال ، فإن عزة النفس والرياسه لاتنكسر إلا بالذل ولا ذل أعظم من ذل السؤال فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعز نفسه ، فإن الكبر من الأمراض المهلكة وكذلك الرعونة ، وإن رأى الغالب عليه النظافة فى البدن والثياب ورأى قلبه مائلا إلى ذلك فرحا به ملتفتاً إليه استخدمه فى تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى تتشوش عليه رعونته فى النظافة . فإن الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات النظيفة والسجادات الملونة لافرق بينهم وبين العروس التى تزين نفسها طول النهار ، فلا فرق بين أن يعبد الإنسان نفسه أو يعبد صنما فهما عبد غير الله تعالى فقد حجب عن الله، ومن راعى فى ثوبه شيئاً سوى كونه حلالا وطاهراً مراعاة يلتفت إليها قلبه فهو مشغول بنفسه

ومن لطائف الرياضة إذا كان المريد لايسخو بترك الرعونة رأساً أو بترك صفة أخرى ولم يسمح بضدها دفعة ؛ فينبغى أن ينقله من الخلق المذموم إلى خلق مذموم آخر أخف منه ، كالذى يغسل الدم بالبول ، ثم يغسل البول بالماء إذا كان الماء لايزيل الدم . كما يرغب الصبى فى المكتب باللعب بالكرة والصولجان وما أشبهه ، ثم ينقل من اللعب إلى الزينة وفاخر الثياب ، ثم ينقل من ذلك بالترغيب فى الرياسة وطلب الجاه ، ثم ينقل من الجاه بالترغيب فى الآخرة ، فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فلينقل إلى جاه أخف منه ، وكذلك سائر الصفات . وكذلك إذا رأى شره الطعام غالباً عليه ألزمه الصوم وتقليل الطعام ، ثم يكلفه أن يهيئ الأطعمة اللذيذة ويقدمها إلى غيره وهو لايأكل منها حتى يقوى بذلك نفسه فيتعود الصبر وينكسر شرهه . وكذلك إذا رأه شابا متشوقا إلى النكاح وهو عاجز عن الطول فيأمره بالصوم ، وربما لاتسكن شهوته بذلك فيأمره أن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء . ويمنعه اللحم والأدم رأساً حتى تذل نفسه وتنكسر شهوته ... فلاعلاج فى مبدأ الإرادة أنفع من الجوع . وإن رأى الغضب غالباً عليه ألزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق ، ويلزمه خدمة من ساء خلقه حتى يمرن نفسه على الاحتمال معه .

كما حكى عن بعضهم أنه كان يعوّد نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب ، فكان يستأجر من يشتمه على ملأ من الناس ويكلف نفسه الصبر ، ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل . وبعضهم كان يستشعر فى نفسه الجبن وضعف القلب فأراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر فى الشتاء عند اضطراب الأمواج . وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على نصبة واحدة . وبعض الشيوخ فى ابتداء إرادته كان يكسل عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسمح بالقيام على الرجل عن طوع . وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورمى به فى البحر ؛ إذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود والرياء بالبذل .

فهذه الأمثلة تعرفك طريق معالجة القلوب . وليس غرضنا ذكر دواء كل مرض ـ فإن ذلك سيأتى فى بقية الكتب ـ وإنما غرضنا الآن التنبيه على أن الطريق الكلى فيه سلوك مسلك المضاد لكل ماتهواه النفس وتميل إليه وقد جمع الله ذلك كله فى كتابه العزيز فى كلمة واحدة فقال تعالى ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى﴾ والأصل المهم فى المجاهدة الوفاء بالعزم فإذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت أسبابها ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى واختبارا . فينبغى أن يصبر ويستمر ، فإنه إن عود نفسه ترك العزم ألفت ذلك ففسدت وإذا اتفق منه نقض عزم فينبغى أن يلزم نفسه عقوبة عليه ـ كما ذكرناه فى معاقبة النفس فى كتاب المحاسبة والمراقبة ـ وإذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرياضة بالكلية .

بيان علامات امراض القلوب وعلامات عودها إلى الصحة

اعلم أنّ كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به ، وإنما مرضه أن يتعذر عليه فعله الذى خلق له حتى لايصدر منه أصلا أو يصدر منه مع نوع من الاضطراب . فمرض اليد أن يتعذر عليها البطش . ومرض العين أن يتعذر عليها الإبصار . وكذلك مرض القلب أن يتعذر عليه فعله الخاص به الذى خلق لأجله ؛ وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وإيثاره ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والأعضاء عليه قال الله تعالى ﴿وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ فلكل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة . وخاصية

النفس التى للآدمى ، مايتميز بها عن البهائم ، فإنه لم يتميز عنها بالقوة على الأكل والوقاع والإبصار أو غيرها ؛ بل بمعرفة الأشياء على ماهى عليه . وأصل الأشياء وموجدها ومخترعها هو الله عزوجل الذى جعلها أشياء . فلوعرف كل شىء ولم يعرف الله عزوجل فكأنه لم يعرف شيئا . وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى أحبه وعلامة المحبة أن لايؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم﴾ إلى قوله ﴿أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره﴾ فمن عنده شىء أحب إليه من الله فقلبه مريض ، كما أنّ كل معدة صار الطين أحب إليها من الخبز والماء أو سقطت شهوتها عن الخبز والماء فهى مريضة . فهذه علامات المرض وبهذا يعرف أنّ القلوب كلها مريضة إلا ما شاء الله إلا أنّ من الأمراض مالا يعرفها صاحبها ، ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه ، فلذلك يغفل عنه . وإن عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فإن دواءه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح . فإن وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيباً حاذقا يعالجه ، فإن الأطباء هم العلماء وقد استولى عليهم المرض فالطبيب المريض قلما يلتفت إلى علاجه . فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا العلم ، وأنكر بالكلية طب القلوب وأنكر مرضها ، وأقبل الخلق على حب الدنيا ، وعلى أعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراءات . فهذه علامات أصول الأمراض .

وأما علامات عودها إلى الصحة بعد المعالجة فهو أن ينظر فى العلة التى يعالجها ، فإن كان يعالج داء البخل فهو المهلك المبعد عن الله عز وجل وإنما علاجه ببذل المال وإنفاقه ، ولكنه قد يبذل المال إلى حدّ يصير به مبذرا فيكون التبذير أيضا داء ، فكان كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة فهو أيضا داء ، بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة . وكذلك المطلوب الاعتدال بين التبذير والتقتير حتى يكون على الوسط وفى غاية من البعد عن الطرفين ، فإن أردت أن تعرف الوسط فانظر إلى الفعل الذى يوجبه الخلق المحذور ، فإن كان أسهل عليك وألذ من الذى يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له ، مثل أن يكون إمساك المال وجمعه ألذ عندك وأيسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم أن الغالب عليك خلق البخل فزد فى المواظبة على البذل ، فإن صار البذل على غير المستحق ألذ عندك وأخف عليك من الإمساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع إلى المواظبة على الإمساك ، فلا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسير الأفعال وتعسيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى المال فلا تميل إلى بذله ولا إلى إمساكه ، بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه إلا إمساكه لحاجة أو بذله لحاجة محتاج ، ولا يترجح عندك البذل على الإمساك فكل قلب صار كذلك فقد أتى الله سليما عن هذا المقام خاصة . ويجب أن يكون سليما عن سائر الأخلاق حتى لا يكون له علاقة بشىء مما يتعلق بالدنيا ، حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق منها غير ملتفتة إليها ولا متشوقة إلى أسبابها ، فعند ذلك ترجع إلى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة فى زمرة عباد الله المقربين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

ولما كان الوسط الحقيقى بين الطرفين فى غاية الغموض بل هو أدق من الشعر وأحدّ من السيف فلا جرم أن من استوى على هذا الصراط المستقيم فى الدنيا ، جاز على مثل هذا الصراط فى الآخرة وقلما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم - أعنى الوسط - حتى لايميل إلى أحد الجانبين فيكون قلبه معلقا بالجانب الذى مال إليه .

ولذلك لاينفك عن عذاب ماواجتياز على النار وإن كان مثل البرق قال الله تعالى ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا . ثم ننجى الذين اتقوا ﴾ أى الذين كان قربهم إلى الصراط المستقيم أكثر من بعدهم عنه . ولأجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى فى كل يوم سبع عشرة مرة فى قوله ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ إذ وجب قراءة الفاتحة فى كل ركعة .

فقد روى أنّ بعضهم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال : قد قلت يارسول الله شيبتنى هود ، فلم قلت ذلك ؟ فقال عليه السلام لقوله تعالى ﴿ فاستقم كما أمرت ﴾ فالاستقامة على سواء السبيل فى غاية الغموض، ولكن ينبغى أن يجتهد الإنسان فى القرب من الاستقامة إن لم يقدر على حقيقتها . فكل من أراد النجاة فلا نجاة له إلا بالعمل الصالح ، ولا تصدر الأعمال الصالحة إلا عن الأخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته وأخلاقه ، وليعدّدها وليشتغل بعلاج واحد واحد فيها على الترتيب . فنسأل الله الكريم أن يجعلنا من المتقين .

بيان الطريق الذى يعرف به الإنسان عيوب نفسه

اعلم أنّ الله عز وجل إذا أراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه ، فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه ، فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج ، ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى فى عين أخيه ولا يرى الجذع فى عين نفسه . فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق :

الأول : أن يجلس بين يدى شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه فى نفسه ويتبع إشارته فى مجاهدته . وهذا شأن المريد مع شيخه والتلميذ مع أستاذه ، فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه . وهذا قد عز فى الزمان وجوده .

الثانى : أن يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله ، فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه . فهكذا كان يفعل الأكياس والأكابر من أئمة الدين .

كان عمر رضى الله عنه يقول : رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبى . وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له : ما الذى بلغك عنى مما تكرهه ؟ فاستعفى فألح عليه فقال : بلغنى أنك جمعت بين إدامين على مائدة ، وأن لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل ، قال : وهل بلغك غير هذا ؟ قال : لا ، فقال : أما هذان فقد كفيتهما . وكان يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنافقين ، فهل ترى على شيئا من آثار النفاق ؟ فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه رضى الله عنه !

فكل من كان أوفر عقلا وأعلى منصبا كان أقل إعجابا وأعظم اتهاما لنفسه ، إلا أن هذا أيضا قد عز فقل فى الأصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب ، أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب . فلا تخلو فى أصدقائك عن حسود أو صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا ، أو عن مداهن يخفى عنك بعض عيوبك .

ولهذا كان داود الطائى قد اعتزل الناس فقيل له : لم لا تخالط الناس ؟ فقال : وماذا أصنع بأقوام يخفون عنى عيوبى ؟ فكانت شهوة ذوى الدين أن يتنبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم ، وقد آل الأمر فى أمثالنا إلى أنّ أبغض الخلق إلينا من ينصحنا ويعرّفنا عيوبنا . ويكاد هذا أن يكون مفصحا عن ضعف الإيمان فإنّ الأخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة ، فلو نبهنا منبه على أن تحت ثوبنا عقرباً لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بإزالة العقرب وإبعادها وقتلها ، وإنما نكايتها على البدن ويدوم ألمها يوما فما دونه ، ونكاية الأخلاق الرديئة على صميم القلب أخشى أن تدوم

بعد الموت أبداً وآلافا من السنين . ثم إنا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بإزالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثل مقالته فنقول له : وأنت أيضاً تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ، ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب التي أثمرتها كثرة الذنوب . وأصل كل ذلك ضعف الإيمان . فنسأل الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا ويبصرنا بعيوبنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله .

الطريق الثالث : أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه فإن عين السخط تبدى المساويا . ولعل انتفاع الإنسان بعدوّ مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثنى عليه ويمدحه ويخفى عنه عيوبه ، إلا أن الطبع مجبول على تكذيب العدوّ وحمل ما يقوله على الحسد ، ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فإن مساويه لابدّ وأن تنتشر على ألسنتهم .

الطريق الرابع : أن يخالط الناس فكل ما رآه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها إليه ، فإن المؤمن مرآة المؤمن ، فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة فى اتباع الهوى . فما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه ، فليتفقد نفسه ويطهرها من كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديبا ، فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب .

قيل لعيسى عليه السلام : من أدبك ؟ قال ما أدبنى أحد ، رأيت جهل الجاهل شيئاً فاجتنبته . وهذا كله حيل من فقد شيخاً عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا فى الدين فارغا من تهذيب نفسه مشتغلا بتهذيب عباد الله تعالى ناصحاً لهم ، فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه وهو الذى يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذى هو بصدده .

بيان شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق فى معالجة أمراض القلب ترك الشهوات وأن مادة أمراضها هى اتباع الشهوات

اعلم أن ما ذكرناه إن تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشف لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين ، فإن عجزت عن ذلك فلا ينبغى أن يفوتك التصديق والإيمان على سبيل التلقى والتقليد لمن يستحق التقليد ، فان للإيمان درجة كما أن للعلم درجة ، والعلم يحصل بعد الإيمان وهو وراءه قال الله تعالى ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ فمن صدّق بأن مخالفة الشهوات هى الطريق إلى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا ، وإذا اطلع على ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى .

والذى يقتضى الإيمان بهذا الأمر فى القرآن والسنة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصر . قال الله تعالى : ﴿ ونهى النفس عن الهوى فإنّ الجنة هى المأوى ﴾ وقال تعالى ﴿ أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ﴾ قيل نزع منها محبة الشهوات . وقال صلى الله عليه وسلم « المؤمن بين خمس شدائد : مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه [1] » فبين أن النفس عدوّ منازع يجب عليه مجاهدتها .

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب

(١) حديث « المؤمن بين خمس شدائد : مؤمن يحسده ومنافق يبغضه ... الحديث » أخرجه أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف .

المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عنى محجوبة . وقال عيسى عليه السلام : طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لقوم قدموا من الجهاد « مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » قيل يا رسول وما الجهاد الأكبر ؟ قال « جهاد النفس [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله عز وجل [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « كف أذاك عن نفسك ولاتتابع هواها فى معصية الله تعالى إذن تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضا إلا أن يغفر الله تعالى ويستر [3] » وقال سفيان الثورى : ما عالجت شيئا أشد على من نفسى مرة لى ومرة على وكان أبو العباس الموصلى يقول لنفسه : يانفس لا فى الدنيا مع أبناء الملوك تتنعمين ولا فى طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كأنى بك بين الجنة والنار تحبسين يانفس ألا تستحين ! وقال الحسن : ما الدابة الجموح بأحوج إلى اللجام الشديد من نفسك .

وقال يحيى بن معاذ الرازى : جاهد نفسك بأسياف الرياضة . والرياضة على أربعة أوجه : القوت من الطعام ، والغمض من المنام ، والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الأنام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ، ومن قلة المنام صفو الإرادات ، ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ، ومن احتمال الأذى ، البلوغ إلى الغايات وليس على العبد شيء أشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الأذى وإذا تحركت من النفس إرادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام ، وضربتها بأيدى الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام ، فتأمن من بوائقها من بين سائر الأنام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها ؛ فتصير عند ذلك نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول فى ميدان الخيرات وتسير فى مسالك الطاعات كالفرس الفاره فى الميدان وكالملك المتنزه فى البستان . وقال أيضا : أعداء الإنسان ثلاثة : دنياه وشيطانه ونفسه ، فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ، ومن الشيطان بمخالفته ، ومن النفس بترك الشهوات .

قال بعض الحكماء : من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حب شهواتها ؛ محصورا فى سجن هواها ، مقهورا مغلولا زمامه فى يدها تجره حيث شاءت فتمنع قلبه من الفوائد . وقال جعفر بن حميد : أجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم لايدرك إلا بترك النعيم . وقال أبو يحيى الوراق : من أرضى الجوارح بالشهوات فقد غرس فى قلبه شجر الندامات . وقال وهيب بن الورد : مازاد على الخبز فهو شهوة . وقال أيضا : من أحب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل .

ويروى أن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام ـ بعد أن ملك خزائن الأرض وقعدت له على رابيه الطريق فى يوم موكبه وكان يركب فى زهاء اثنى عشر ألفا من عظماء مملكته ـ سبحان من جعل الملوك عبيدا بالمعصية وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم له . إن الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وذلك جزاء المفسدين ، وإن الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا . . فقال يوسف ـ كما أخبر الله تعالى عنه ﴿ إنه من يتق ويصبر فإن الله لايضيع أجر المحسنين ﴾ .

وقال الجنيد : أرقت ليلة فقمت إلى وردى فلم أجد الحلاوة التى كنت أجدها فأردت أن أنام فلم أقدر ، فجلست فلم أطق الجلوس ، فخرجت فإذا رجل ملتف فى عباءة مطروح على الطريق ، فلما أحس بى قال : ياأبا القاسم إلى الساعة ، فقلت : ياسيدى من غير موعد ؟ قال : بلى سألت الله عز وجل أن يحرك لى قلبك ، فقلت : قد فعل فما حاجتك ؟ قال : فمتى يصير داء النفس دواءها ؟ فقلت : إذا خالفت النفس هواها ؛ فأقبل على نفسه فقال : اسمعى فقد

(١) حديث « مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » أخرجه البيهقى فى الزهد وقد تقدم فى شرح عجائب القلب حديث « المجاهد من جاهد نفسه » أخرجه الترمذى فى أثناء حديث وصححه وابن ماجه من حديث فضالة بن عبيد (٣) حديث « كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها فى معصية الله .. الحديث » لم أجده بهذا السياق .

أجبتك بهذا سبع مرات فأبيت أن تسمعيه إلا من الجنيدها قد سمعتيه ، ثم انصرف وما عرفته وقال يزيد الرقاشى : إليكم عنى الماء البارد فى الدنيا لعلى لا أحرمه فى الآخرة . وقال رجل لعمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى : متى أتكلم ؟ قال : إذا اشتهيت الصمت ، قال : متى أصمت ؟ قال : إذا اشتهيت الكلام . وقال على رضى الله عنه : من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات فى الدنيا . وكان مالك بن دينار يطوف فى السوق فإذا رأى الشىء يشتهيه قال لنفسه : اصبرى فوالله ما أمنعك إلا من كرامتك على .

فإذن قد اتفق العلماء والحكماء على أن لا طريق إلى سعادة الآخرة إلا بنهى النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالإيمان بهذا واجب . وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فلا يدرك إلا بما قدمناه . وحاصل الرياضة وسرها أن لا تتمتع النفس بشىء مما لا يوجد فى القبر إلا بقدر الضرورة ، فيكون مقتصراً من الأكل والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر إليه على قدر الحاجة والضرورة ، فإنه لو تمتع بشىء منه أنس به وألفه ، فإذا مات تمنى الرجوع إلى الدنيا بسببه ولا يتمنى الرجوع إلى الدنيا إلا من لا حظ له فى الآخرة بحال ، ولا خلاص منه إلا بأن يكون القلب مشغولا بمعرفة الله وحبه والتفكر فيه والانقطاع إليه ، ولا قوة على ذلك إلا بالله ، ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الذكر والفكر فقط . فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه والناس فيه أربعة :

رجل مستغرق قلبه بذكر الله فلا يلتفت إلى الدنيا إلا فى ضرورات المعيشة فهو من الصديقين . ولا ينتهى إلى هذه الرتبة إلا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة .

الثانى : رجل استغرقت الدنيا قلبه ولم يبق لله تعالى ذكر فى قلبه إلا من حيث حديث النفس ، حيث يذكره باللسان لا بالقلب فهذا من الهالكين .

والثالث : رجل اشتغل بالدنيا والدين ولكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لابد له من ورود النار إلا أنه ينجو منها سريعاً بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه .

والرابع : رجل اشتغل بهما جميعاً لكن الدنيا أغلب على قلبه فهذا يطول مقامه فى النار لكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله تعالى فى قلبه وتمكنه من صميم فؤاده ، وإن كان ذكر الدنيا أغلب على قلبه . اللهم إنا نعوذ بك من خزيك فإنك أنت المعاذ .

وربما يقول القائل إن التنعم بالمباح مباح فكيف يكون التنعم سبب البعد من الله عز وجل ؟ وهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة وسبب إحباط كل حسنة . والمباح الخارج عن قدر الحاجة أيضاً من الدنيا وهو سبب البعد ـ وسيأتى ذلك فى كتاب ذم الدنيا ـ وقد قال إبراهيم الخواص كنت مرة فى جبل اللكام فرأيت رمانا فاشتهيته فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركتها ، فرأيت رجلا مطروحا وقد اجتمعت عليه الزنابير فقلت : السلام عليك ، فقال : وعليك السلام يا إبراهيم ، فقلت : كيف عرفتنى ؟ فقال : من عرف الله عز وجل لم يخف عليه شىء ، فقلت : أرى لك حالا مع الله عز وجل فلو سألته أن يحميك من هذه الزنابير ؟ فقال : وأرى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته أن يحميك من شهوة الرمان فإن لدغ الرمان يجد الإنسان ألمه فى الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه فى الدنيا ، فتركته ومضيت . وقال السرى : أنا منذ أربعين سنة تطالبنى نفسى أن أغمس خبزة فى دبس فما أطعتها .

فإذن لا يمكن إصلاح القلب لسلوك طريق الآخرة مالم يمنع نفسه عن التنعم بالمباح ، فإن النفس إذا لم تمنع

بعض المباحات طمعت فى المحظورات فمن أراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه أن يلزمه السكوت ؛ إلا عن ذكر الله وإلا عن المهمات فى الدين ، حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم إلا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة . ومهما اعتادت العين رمى البصر إلى كل شىء جميل لم تتحفظ عن النظر إلى مالا يحل ، وكذلك سائر الشهوات ، لأن الذى يشتهى به الحلال هو بعينه الذى يشتهى الحرام ، فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها من الحرام فإن لم يعوّدها الاقتصاد على قدر الضرورة من الشهوات غلبته . فهذه إحدى آفات المباحات ووراءها آفات عظيمة أعظم من هذه ، وهو أن النفس تفرح بالتنعم فى الدنيا وتركن إليها وتطمئن إليها أشراً وبطرا حتى تصير ثملة كالسكران الذى لايفيق من سكره . وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسرى فى العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت وأهوال يوم القيامة ، وهذا هو موت القلب . قال الله تعالى ﴿ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها﴾ وقال تعالى ﴿ وما الحياة الدنيا فى الآخرة إلا متاع ﴾ وقال تعالى ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ﴾ الآية وكل ذلك ذم لها فنسأل الله السلامة

فأولو الحزم من أرباب القلوب جربوا قلوبهم فى حال الفرح بمؤاتاة الدنيا فوجدوها قاسية نفرة بعيدة التأثر عن ذكر الله واليوم الآخر ، وجربوها فى حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لأثر الذكر . فعلموا أن النجاة فى الحزن الدائم والتباعد من أسباب الفرح والبطر ، فقطعوها عن ملاذها وعوّدوها الصبر عن شهواتها ـ حلالها وحرامها ـ وعلموا أن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب وهو نوع عذاب ، فمن نوقش الحساب فى عرصات القيامة فقد عذب . فخلصوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا إلى الحرية والملك الدائم فى الدنيا والآخرة بالخلاص من أسر الشهوات ورقها والأنس بذكر الله عز وجل والاشتغال بطاعته . وفعلوا بها مايفعل بالبازى إذا قصد تأديبه ونقله من التوثب والاستيحاش إلى الانقياد والتأديب ؛ فإنه يحبس أولا فى بيت مظلم وتخاط عيناه حتى يحصل به الفطام عن الطيران فى جو الهواء ، وينسى ماقد كان ألفه من طبع الاسترسال ، ثم يرفق . باللحم حتى يأنس بصاحبه ويألفه إلفاً إذا دعاه أجابه ، ومهما سمع صوته رجع إليه . فكذلك النفس لاتألف ربها ولاتأنس بذكره إلا إذا فطمت عن عادتها بالخلوة والعزلة أولا ليحفظ السمع والبصر عن المألوفات ، ثم عودت الثناء والذكر والدعاء ثانياً فى الخلوة حتى يغلب عليها الأنس بذكر الله عز وجل عوضا عن الأنس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يثقل على المريد فى البداية ثم يتنعم به فى النهاية ، كالصبى يفطم عن الثدى وهو شديد عليه إذا كان لايصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه عند الفطام ، ويشتد نفوره عن الطعام الذى يقدم إليه بدلا عن اللبن ، ولكنه إذا منع اللبن رأسا يوما فيوما وعظم تعبه فى الصبر عليه وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا ، ثم يصير له طبعاً . فلورد بعد ذلك إلى الثدى لم يرجع إليه ، فيهجر الثدى ويعاف اللبن ويألف الطعام . وكذلك الدابة فى الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك قهراً ، وتمنع عن السرج الذى ألفته بالسلاسل والقيود أولا ، ثم تأنس به بحيث تترك فى موضعها فتقف فيه من غير قيد . فكذلك تؤدب النفس كما تؤدب الطير والدواب ، وتأديبها بأن تمنع من النظر والأنس والفرح بنعيم الدنيا بل بكل مايزايلها بالموت ، إذ قيل له أحبب ما أحببت فإنك مفارقه . فإذا علم أنه من أحب شيئاً يلزمه فراقه ويشق لامحالة لفراقه شغل قلبه بحب مالا يفارقه وهو ذكر الله تعالى ، فإن ذلك يصحبه فى القبر ولا يفارقه . وكل ذلك يتم بالصبر أولا أياما قلائل فإن العمر قليل بالإضافة إلى مدة حياة الآخرة . وما من عاقل إلا وهو راض باحتمال المشقة فى سفر وتعلم صناعة وغيرها شهراً ليتنعم به سنة أو دهراً . وكل

العمر بالإضافة إلى الأبد أقل من الشهر بالإضافة إلى عمر الدنيا . فلا بد من الصبر والمجاهدة . فعند الصباح يحمد القوم السرى وتذهب عنهم عمايات الكرى كما قاله على رضى الله عنه .

وطريق المجاهدة والرياضة لكل إنسان تختلف بحسب اختلاف أحواله . والأصل فيه أن يترك كل واحد مابه فرحه من أسباب الدنيا فالذى يفرح بالمال أو بالجاه أو بالقبول فى الوعظ أو بالعز فى القضاء والولاية أوبكثرة الأتباع فى التدريس والإفادة فينبغى أن يترك أولا مابه فرحه ، فإنه إن منع عن شىء من ذلك وقيل له ثوابك فى الآخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتألم به فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها ، وذلك مهلك فى حقه . ثم إذا ترك أسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل إلا بذكر الله تعالى والفكر فيه . وليترصد لما يبدو فى نفسه من شهوة ووسواس حتى يقمع مادته مهما ظهر ، فإن لكل وسوسة سببا ولا تزول إلا بقطع ذلك السبب والعلاقة . وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر إلا بالموت .

بيان علامات حسن الخلق

اعلم أن كل إنسان جاهل بعيوب نفسه ، فإذا جاهد نفسه أدنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصى ربما يظن بنفسه أنه هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة ، فلا بد من إيضاح علامة حسن الخلق . فإن حسن الخلق هو الإيمان ، وسوء الخلق هو النفاق . وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين فى كتابه وهى بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق . فلنورد جملة من ذلك لتعلم آية حسن الخلق . قال الله تعالى ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون ﴾ إلى قوله ﴿ أولئك هم الوارثون ﴾ وقال عز وجل ﴿ التائبون العابدون الحامدون ﴾ إلى قوله ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ وقال عز وجل ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ إلى قوله ﴿ أولئك هم المؤمنون حقا ﴾ وقال تعالى ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾ إلى آخر السورة . من أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق ، وفقد جميعها علامة سوء الخلق ، ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل مافقده وحفظ ما وجده . وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بصفات كثيرة وأشار بجميعها إلى محاسن الأخلاق فقال « المؤمن يحب لأخيه مايحب لنفسه [1] » وقال عليه السلام « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره [3] » وقال « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أوليصمت [4] » وذكر أن صفات المؤمنين هى حسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة [6] » وقال « من سرته حسنته

(١) حديث « المؤمن يحب لأخيه مايحب لنفسه » أخرجه الشيخان من حديث أنس « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »

(٢) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » متفق عليه من حديث أبى شريح الخزاعى ومن حديث أبى هريرة

(٣) حديث « من كان يؤمن بالله واليوم والآخر فليكرم جاره » متفق عليه من حديثهما وهو بعض الحديث الذى قبله

(٤) حديث « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » متفق عليه أيضاً من حديثهما وهو بعض الذى قبله

(٥) حديث « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا » تقدم غير مرة (٦) حديث « إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة » أخرجه ابن ماجه من حديث أبى خلاد بلفظ « إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهداً فى الدنيا وقلة منطق

وساءته سيئته فهو مؤمن [١] » وقال « لايحل لمؤمن أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه [٢] » وقال عليه السلام « لايحل لمسلم أن يروع مسلما [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما يتجالس المتجالسان بأمانة الله عزوجل فلايحل لأحدهما أن يفشى على أخيه ما يكرهه [٤] » .

وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال : هو أن يكون كثيرا لحياء قليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان ، قليل الكلام كثير العمل ، قليل الزلل قليل الفضول ، برا وصولا وقورا صبورا شكورا رضيا حليما رفيقا عفيفا شفيقا ، لالعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا ، بشاشا هشاشا يحب فى الله ويبغض فى الله ويرضى فى الله ويغضب فى الله فهذا هو حسن الخلق .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال « إن المؤمن همته فى الصلاة والصيام والعبادة ، والمنافق همته فى الطعام والشراب كالبهيمة [٥] » وقال حاتم الأصم : المؤمن مشغول بالفكر والعبر ، والمنافق مشغول بالحرص والأمل ، والمؤمن آيس من كل أحد إلا من الله ، والمنافق راج كل أحد إلا الله ، والمؤمن آمن من كل أحد إلا من الله ، والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله ، والمؤمن يقدم ماله دون دينه ، والمنافق يقدم دينه دون ماله ، والمؤمن يحسن ويبكى ، والمنافق يسىء ويضحك ، والمؤمن يحب الخلوة والوحدة ، والمنافق يحب الخلطة والملأ ، والمؤمن يزرع ويخشى الفساد ، والمنافق يقلع ويرجو الحصاد ، والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح ، والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد .

وأولى مايمتحن به حسن الخلق الصبر على الأذى واحتمال الجفاء ، ومن شكا من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه ، فإن حسن الخلق احتمال الأذى فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما يمشى ومعه أنس فأدركه أعرابى فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجرانى غليظ الحاشية ، قال أنس رضى الله عنه : حتى نظرت إلى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه ، فقال : يامحمد هب لى من مال الله الذى عندك ، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك ، ثم أمر بإعطائه [٦] ولما أكثرت قريش إيذاءه وضربه قال ، اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون [٧] » قيل إنّ هذا يوم أحد فلذلك أنزل الله تعالى ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ ويحكى أن إبراهيم بن أدهم خرج يوما إلى بعض البرارى فاستقبله رجل جندى فقال : أنت عبد ؟ قال : نعم ، فقال له : أين العمران ؟ فأشار إلى المقبرة ، فقال الجندى : إنما أردت العمران ؟ فقال : هو المقبرة ، فغاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجه ورده إلى البلد فاستقبله أصحابه فقالوا ما الخبر ؟ فأخبرهم الجندى ماقال له فقالوا ، هذا إبراهيم بن أدهم ! فنزل الجندى عن فرسه وقبل يديه ورجليه وجعل يعتذر إليه ، فقيل بعد ذلك له : لم قلت له أنا عبد ؟ فقال : إنه لم يسألنى : عبد من أنت بل قال : أنت عبد ؟ فقلت : نعم ، لأنى عبدالله ، فلما ضرب رأسى سألت

---

(١) حديث « من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن » أخرجه أحمد والطبرانى والحاكم وصححه على شرطهما من حديث أبى موسى ورواه الطبرانى والحاكم وصححه على شرط الشيخين من حديث أبى أمامة (٢) حديث « لايحل لمسلم أن يشير الى أخيه بنظر يؤذيه » أخرجه ابن المبارك فى الزهد والرقائق وفى البر والصلة مرسلا وقد تقدم (٣) حديث « لايحل لمسلم أن يروع مسلماً » أخرجه الطبرانى والطيالسى من حديث النعمان بن بشير والبزار من حديث عمر ولسناده ضعيف .

(٤) حديث « إنما يتجالس المتجالسان بأمانة الله . . الحديث » تقدم فى آداب الصحبة .

(٥) حديث : سئل عن علامة المؤمن والمنافق فقال « إن المؤمن همه فى الصلاة والصيام ... الحديث » لم أجد له أصلا

(٦) حديث : كان يمشى فأدركه أعرابى فجذبه جذبا شديداً وكان عليه برد نجرانى غليظ الحاشية ... الحديث . متفق عليه من حديث أنس (٧) حديث « اللهم اغفر لقومى فإنهم لايعلمون » أخرجه ابن حبان والبيهقى فى دلائل النبوة من حديث سهل ابن سعد وفى الصحيحين من حديث ابن مسعود أنه حكاه صلى الله عليه وسلم عن نبى من الأنبياء ضربه قومه .

الله له الجنة قيل كيف وقد ظلمك ؟ فقال : علمت أنى أوجر على ما نالنى منه فلم أرد يكون نصيبى منه الخير ونصيبه منى الشر . ودعى أبو عثمان الحيرى إلى دعوة ـ وكان الداعى قد أراد تجربته ـ فلما بلغ منزله قال له : ليس لى وجه ، فرجع أبو عثمان فلما ذهب غير بعيد دعاه ثانيا فقال له : يا أستاذ ارجع فرجع أبو عثمان فقال له مثل مقالته الأولى فرجع ، ثم دعاه الثالثة وقال : ارجع على ما يوجب الوقت فرجع ، فلما بلغ الباب فان له مثل مقالته الأولى فرجع أبو عثمان ، ثم جاءه الرابعة فرده حتى عامله بذلك مرات وأبو عثمان لايتغير من ذلك ، فأكب على رجليه وقال : ياأستاذ إنما أردت أن أختبرك فما أحسن خلقك ! فقال : إنّ الذى رأيت منى هو خلق الكلب ، إن الكلب إذا دعى أجاب وإذا زجر انزجر . وروى عنه أيضا أنه اجتاز يوما فى سكة فطرحت عليه إجانة رماد فنزل عن دابته فسجد سجدة الشكر ثم جعل ينفض الرماد عن ثيابه ولم يقل شيئا فقيل ألا زبرتهم فقال إن من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز له أن يغضب وروى أنّ على بن موسى الرضا رحمة الله عليه كان لونه يميل إلى السواد ـ إذ كانت أمه سوداء ـ وكان بنيسابور حمام على باب داره ، وكان إذا أراد دخول الحمام فرغه له الحمامى ، فدخل ذات يوم فأغلق الحمامى الباب ومضى فى بعض حوائجه ، فتقدم رجل رستاق إلى باب الحمام ففتحه ودخل فنزع ثيابه ودخل فرأى على بن موسى الرضا فظن أنه بعض خدام الحمام ، فقال له : قم واحمل إلى الماء فقام على بن موسى وامتثل جميع ما كان يأمره به ، فرجع الحمامى فرأى ثياب الرستاق وسمع كلامه مع على بن موسى الرضا فخاف وهرب وخلاهما ، فلما خرج على بن موسى سأل عن الحمامى فقيل له : إنه خاف مما جرى فهرب قال : لاينبغى له أن يهرب إنما الذنب لمن وضع ماءه عند أمة سوداء . وروى أن أبا عبد الله الخياط كان يجلس على دكانه ، وكان له حريف مجوسى يستعمله فى الخياطة فكان إذا خاط له شيئاً حمل إليه دراهم زائفة ، فكان أبو عبدالله يأخذ منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه ، فاتفق يوما أن أباعبدالله قام لبعض حاجته ، فأتى المجوسى فلم يجده فدفع إلى تلميذه الأجرة واسترجع ماقد خاطه فكان درهما زائفا ، فلما نظر إليه التلميذ عرف أنه زائف فرده عليه ، فلما عاد أبو عبد الله أخبره بذلك فقال : بئس ما عملت هذا المجوسى يعاملنى بهذه المعاملة منذ سنة وأنا أصبر عليه وآخذ الدراهم منه وألقيها فى البئر لئلا يغر بها مسلما . وقال يوسف بن أسباط : علامة حسن الخلق عشر خصال ؛ قلة الخلاف ، وحسن الإنصاف ، وترك طلب العثرات ، وتحسين مايبدو من السيئات ، والتماس المعذرة ، واحتمال الأذى ، والرجوع بالملامة على النفس والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره ، وطلاقة الوجه للصغير والكبير ، ولطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه . وسئل سهل عن حسن الخلق فقال : أدناه احتمال الأذى وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه . وقيل للأحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم ! فقال : من قيس بن عاصم ، قيل ما و بلغ من حلمه ؟ قال : بينما هو جالس فى داره إذ أتته جارية له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له صغير فمات ، فدهشت الجارية فقال لها : لاروع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى . وقيل إن أويسا القرنى كان إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة فكان يقول لهم : يا إخوتاه إن كان ولابد فارمونى بالصغار حتى لاتدموا ساقى فتمنعونى عن الصلاة . وشتم رجل الأحنف بن قيس وهو لا يجيبه وكان يتبعه فلما قرب من الحى وقف وقال : إن كان قد بقى فى نفسك شىء فقله كى لايسمعك بعض سفهاء الحى فيؤذوك وروى أن عليا كرم الله وجهه دعا غلاما فلم يجبه فدعاه ثانياً وثالثاً فلم يجبه ، فقام إليه فرآه مضطجعاً فقال : أما تسمع ياغلام ؟ قال ، بلى ، قال : فما حملك على ترك إجابتى ؟ قال : أمنت عقوبتك فتكاسلت ، فقال : امض فأنت حر لوجه الله تعالى . وقالت امرأة لمالك بن دينار رحمه الله :

يامرائى ، فقال : ياهذه وجدت اسمى الذى أضله أهل البصرة . وكان ليحيى بن زياد الحارثى غلام سوء فقيل له : لم تمسكه ؟ فقال : لأتعلم الحلم عليه .

فهذه نفوس قد ذللت بالرياضة فاعتدلت أخلاقها ، ونقيت من الغش والغل والحقد بواطنها فأثمرت الرضا بكل ما قدره الله تعالى وهو منتهى حسن الخلق . فإن من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه ، فهؤلاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرناه . فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغى أن يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق ، بل ينبغى أن يشتغل بالرياضة والمجاهدة إلى أن يبلغ درجة حسن الخلق فإنها درجة رفيعة لاينالها إلا المقربون والصديقون .

بيان الطريق فى رياضة الصبيان فى أول نشوهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم

اعلم أن الطريق فى رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها والصبيان أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه ، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد فى الدنيا والآخرة وشاركه فى ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب ؛ وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقى وهلك وكان الوزر فى رقبة القيم عليه والوالى له . وقد قال الله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ﴾ ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى ؛ وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوده التنعم ، ولا يحبب إليه الزينة والرفاهية فيضيع عمره فى طلبها إذا كبر فيهلك هلاك الأبد ، بل ينبغى أن يراقبه من أول أمره فلا يستعمل فى حضانته وإرضاعه إلا امرأة متدينة تأكل الحلال ، فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه ، فإذا وقع عليه نشو الصبى انعجنت طينته من الخبيث فيميل طبعه إلى ماينا سب الخبائث . ومهما رأى فيه مخايل التمييز فينبغى أن يحسن مراقبته ، وأول ذلك ظهور أوائل الحياء ، فإنه إذا كان يحتشم ويستحى ويترك بعض الأفعال فليس ذلك إلا لإشراق نور العقل عليه ، حتى يرى بعض الأشياء قبيحا ومخالفاً للبعض فصار يستحى من شىء دون شىء ، وهذه هدية من الله تعالى إليه وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبى المستحى لا ينبغى أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه أو تمييزه ، وأول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغى أن يؤدب فيه ، مثل أن لا يأخذ الطعام إلا بيمينه ، وأن يقول عليه بسم الله عند أخذه ، وأن يأكل مما يليه وأن لايبادر إلى الطعام قبل غيره ، وأن لا يحدق النظر إليه ولا إلى من يأكل ، وأن لايسرع فى الأكل ، وأن يجيد المضغ ، وأن لايوالى بين اللقم ، ولا يلطخ يده ولا ثوبه ، وأن يعوّد الخبز القفار فى بعض الأوقات حتى لايصير بحيث يرى الأدم حتما ، ويقبح عنده كثرة الأكل بأن يشبه كل من يكثر الأكل بالبهائم ، وبأن يذم بين يديه الصبى الذى يكثر الأكل ويمدح عنده الصبى المتأدب القليل الأكل ، وأن يحبب إليه الإيثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن أى طعام كان ، وأن يحبب إليه من الثياب البيض دون الملون والإبريسم ويقرّر عنده أن ذلك شأن النساء والمخنثين وأن الرجال يستنكفون منه ويكرّر ذلك عليه ، ومهما رأى على صبى ثوباً من إبريسم أو ملون فينبغى أن يستنكره ويذمه ، ويحفظ الصبى عن الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة ، وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه فإن الصبى مهما أهمل فى ابتداء نشوه خرج فى الأغلب ردىء الأخلاق كذابا حسوداً سروقا نماما لحوحا ذا فضول وضحك وكياد ومجانة ، وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب ،

ثم يشغل فى المكتب فيتعلم القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس فى نفسه حب الصالحين ويحفظ من الأشعار التى فيها ذكر العشق وأهله ، ويحفظ من مخالطة الأدباء الذين يزعمون أن ذلك من الظرف ورقة الطبع ، فإن ذلك يغرس فى قلوب الصبيان بذر الفساد .

ثم مهما ظهر من الصبى خلق جميل وفعل محمود فينبغى أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس ، فإن خالف ذلك فى بعض الأحوال مرة واحدة فينبغى أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسروا أحد على مثله ، ولاسيما إذا ستره الصبى واجتهد فى إخفائه ؛ فإن إظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالى بالمكاشفة ، فعند ذلك إن عاد ثانيا فينبغى أن يعاتب سرا ويعظم الأمر فيه ويقال له : إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا وأن يطلع عليك فى مثل هذا فتفتضح بين الناس ، ولا تكثر القول عليه بالعتاب فى كل حين فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه ، وليكن الأب حافظا هيبة الكلام معه فلا يوبخه إلا أحياناً ، والأم تخوفه بالأب وتزجره عن القبائح ، وينبغى أن يمنع عن النوم نهاراً فإنه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلا ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب أعضاؤه ولا يسمن بدنه فلا يصبر عن التنعم ؛ بل يعود الخشونة فى المفرش والملبس والمطعم ، وينبغى أن يمنع من كل مايفعله فى خفية فإنه لايخفيه إلا وهو يعتقد أنه قبيح ، فاذا ترك تعود فعل القبيح . ويعود فى بعض النهار المشى والحركة والرياضة حتى لايغلب عليه الكسل ، ويعود أن لايكشف أطرافه ولا يسرع المشى ، ولا يرخى يديه بل يضمها إلى صدره ، ويمنع من أن يفتخر على أقرانه بشىء مما يملكه والداه أو بشىء من مطاعمه وملابسه أو لوحه ودواته ، بل يعود التواضع والإكرام لكل من عاشره والتلطف فى الكلام معهم ، ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيئا بدا له حشمة إن كان من أولاد المحتشمين ، بل يعلم أن الرفعة فى الإعطاء لا فى الأخذ وأن الأخذ لؤم وخسة ودناءة : وإن كان من أولاد الفقراء فليعلم أن الطمع والأخذ مهانة وذلة وأن ذلك من دأب الكلب فإنه يصبص فى انتظار لقمة والطمع فيها .

وبالجملة يقبح إلى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما أكثر مما يحذر من الحيات والعقارب ، فإن آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما أضر من آفة السموم على الصبيان بل على الأكابر أيضا ، وينبغى أن يعود أن لا يبصق فى مجلسه ولا يتنخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كمه تحت ذقنه ، ولا يعمد رأسه بساعده فإن ذلك دليل الكسل . ويعلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة وأنه فعل أبناء اللئام ، ويمنع اليمين رأساً ـ صادقا كان أو كاذبا ـ حتى لا يعتاد ذلك فى الصغر ، ويمنع أن يبتدئ بالكلام ، ويعود أن لا يتكلم إلا جوابا وبقدر السؤال ، وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سنا ، وأن يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ، ويمنع من لغو الكلام وفحشه ، ومن اللعن والسب ، ومن مخالطة من يجرى على لسانه شىء من ذلك فإن ذلك يسرى لا محالة من القرناء السوء ، وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء . وينبغى إذا ضربه المعلم أن لا يكثر الصراخ والشغب ، ولا يستشفع بأحد بل يصبر ويذكر له أن ذلك دأب الشجعان والرجال ، وأن كثرة الصراخ دأب المماليك والنسوان . وينبغى أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب فى اللعب ، فإن منع الصبى من اللعب وإرهاقه إلى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش ، حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه رأساً . وينبغى أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه ومن هو أكبر منه سنا من قريب وأجنبى ، وأن ينظر إليهم بعين الجلالة والتعظيم ، وأن يترك اللعب بين أيديهم . ومهما بلغ سن التمييز ، فينبغى

أن لايسامح فى ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم فى بعض أيام رمضان ، ويجنب لبس الديباج والحرير والذهب ويعلم كل مايحتاج إليه من حدود الشرع .

ويخوف من السرقة وأكل الحرام ومن الخيانة والكذب والفحش ، وكل مايغلب على الصبيان ، فإذا وقع نشوه كذلك فى الصبا فهما قارب البلوغ أمكن أن يعرف أسرار هذه الأمور ، فيذكر له أن الأطعمة أدوية وإنما المقصود منها أن يقوى الإنسان بها على طاعة الله عز وجل ، وأن الدنيا كلها لا أصل لها إذلا بقاء لها ، وإن الموت يقطع نعيمها ، وأنها دار ممر لادار مقر ، وأن الآخرة دار مقر لادار ممر ، وأن الموت منتظر فى كل ساعة ، وأن الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى ويتسع نعيمه فى الجنان ، فإذا كان النشو صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا يثبت فى قلبه كما يثبت النقش فى الحجر . وإن وقع النشو بخلاف ذلك حتى ألف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قبله عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس . فأوائل الأمور هى التى ينبغى أن تراعى ، فإن الصبي بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين . قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه [1] » قال سهل بن عبد الله التسترى : كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالى محمد بن سوار فقال لى يوما : ألا تذكر الله الذى خلقك فقلت : كيف أذكره ؟ قال : قل بقلبك عند تقلبك فى ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك ، الله معى الله ناظر إلى الله شاهدى ، فقلت ذلك ليالى ثم أعلمته فقال : قل فى كل ليلة سبع مرات ، فقلت ذلك ثم أعلمته فقال : قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة ، فقلته فوقع فى قلبي حلاوته ، فلما كان بعد سنة قال لى خالى : احفظ ماعلمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فانه ينفعك فى الدنيا والآخرة ، فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة فى سرى ، ثم قال لى خالى يوما : ياسهل من كان الله معه وناظرا إليه وشاهده أيعصيه ؟ إياك والمعصية ، فكنت أخلو بنفسى فبعثوا بى إلى المكتب فقلت : إنى لأخشى أن يتفرق على همى ولكن شارطوا المعلم أنى أذهب إليه ساعة فأتعلم ثم أرجع ، فمضيت إلى الكتاب فتعلمت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين ، وكنت أصوم الدهر وقوتى من خبز الشعير اثنتى عشرة سنة ، فوقعت لى مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلى أن يبعثونى إلى أهل البصرة لأسأل عنها ، فأتيت البصرة فسألت علماءها فلم يشف أحد عنى شيئا . فخرجت إلى عبادان إلى رجل يعرف بأبى حبيب حمزة بن أبى عبد الله العبادانى فسألته عنها فأجابنى ، فأقمت عنده مدة أنتفع بكلامه وأتأدب بآدابه ، ثم رجعت إلى تستر فجعلت قوتى اقتصادا على أن يشترى لى بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لى ، فأفطر عند السحر على أوقية كل ليلة بخبز من غير ملح ولا أدم ، فكان يكفينى ذلك الدرهم سنة . ثم عزمت على أن أطوى ثلاث ليال ثم أفطر ليلة . ثم خمسا ، ثم سبعا ، ثم خمسا وعشرين ليلة ، فكنت على ذلك عشرين سنة ، ثم خرجت أسيح فى الأرض سنين ، ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله ماشاء الله تعالى قال أحمد : فما رأيته أكل الملح حتى لقى الله تعالى :

بيان شروط الإرادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد فى سلوك سبيل الرياضة

واعلم أن من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مريدا حرث الآخرة مشتاقا إليها سالكا سبلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها ، فإن من كانت عنده خرزة فرأى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة فى الخرزة وقويت إرادته

(١) حديث « كل مولود يولد على الفطرة ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة .

فى بيعها بالجوهرة ، ومن ليس مريدا حرث الآخرة ولا طالبا للقاء الله تعالى فهو لعدم إيمانه بالله واليوم الآخر ـ ولست أعنى بالإيمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتى الشهادة من غير صدق وإخلاص ، فإن ذلك يضاهى قول من صدق بأن الجوهرة خير من الخرزة إلا أنه لايدرى من الجوهرة إلا لفظها وأما حقيقتها فلا ومثل هذا المصدق إذا ألف الخرزة قد لايتركها ولايعظم اشتياقه إلى الجوهرة ، فإذن المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الإرادة والمانع من الإرادة عدم الإيمان ، وسبب عدم الإيمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله تعالى الهادين إلى طريقه والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم أمر الآخرة ودوامها ـ فالخلق غافلون قد انهمكوا فى شهواتهم وغاصوا فى رقدتهم وليس فى علماء الدين من ينبههم ، فإن تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله ، فإن طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين إلى الهوى عادلين عن نهج الطريق ، فصار ضعف الإرادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلق طريق الله تعالى عن السالكين فيه . ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لامحالة ، فإن تنبه متنبه من نفسه أو من تنبيه غيره وانبعث له إرادة فى حرث الآخرة وتجارتها فينبغى أن يعلم له شروطا لابد من تقديمها فى بداية الإرادة وله معتصم لابد من التمسك به ، وله حصن لابد من التحصن به ليأمن من الأعداء القطاع لطريقه ، وعليه وظائف لابد من ملازمتها فى وقت سلوك الطريق .

أما الشروط التى لابد من تقديمها فى الإرادة فهى رفع السد والحجاب الذى بينه وبين الحق ، فإن حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى ﴿ وجعلنا من بين أيديهم ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لايبصرون ﴾ .

والسد بين المريد وبين الحق أربعة : المال ، والجاه ، والتقليد ، والمعصية . وإنما يرفع حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لا يبقى له إلا قدر الضرورة ، فما دام يبقى له درهم يلتفت إليه فهو مقيد به محجوب عن الله عز وجل . وإنما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه بالتواضع وإيثار الخمول والهرب من أسباب الذكر وتعاطى أعمال تنفر قلوب الخلق عنه . وإنما يرتفع حجاب التقليد بأن يترك التعصب للمذاهب وأن يصدق بمعنى قوله « لا إله إلا الله محمد رسول الله » تصديق إيمان ويحرص فى تحقيق صدقه بأن يرفع كل معبود له سوى الله تعالى ـ وأعظم معبود له الهوى ـ حتى إذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الأمر فى معنى اعتقاده الذى تلقفه تقليدا فينبغى أن يطلب كشف ذلك من المجاهدة لامن المجادلة ، فإن غلب عليه التعصب لمعتقدة ولم يبق فى نفسه متسع لغيره صار ذلك قيداً له وحجابا إذ ليس من شرط المريد الانتماء إلى مذهب معين أصلا . وأما المعصية فهى حجاب ولا يرفعها إلا التوبة والخروج من المظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على مامضى ورد المظالم وإرضاء الخصوم ، فإن من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصى الظاهرة وأراد أن يقف على أسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد أن يقف على أسرار القرآن وتفسيره وهو بعد لم يتعلم لغة العرب ، فإن ترجمة عربية القرآن لابد من تقديمها أولا ثم الترقى منها إلى أسرار معانيه ، فكذلك لابد من تصحيح الشريعة أولا وآخرا ثم الترقى إلى أغوارها وأسرارها .

فإذا قدم هذه الشروط الأربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحاً للصلاة فيحتاج إلى إمام يقتدى به ، فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدى به لامحالة ليهديه إلى سواء السبيل فإن سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ، فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لامحالة ، فمن

سلك سبل البوادى المهلكة بغير خفير فقد خاطر بنفسه وأهلكها ، ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التى تنبت بنفسها فإنها تجف على القرب ، وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر . فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض أمره إليه بالكلية ، ولا يخالفه فى ورده ولا صدره ولا يبقى فى متابعته شيئا ولا يذر ، وليعلم أن نفعه فى خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه فى صواب نفسه لو أصاب فإذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه أن يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهو أربعة أمور : الخلوة ، والصمت ، والجوع ، والسهر . وهذا تحصن من القواطع فإن مقصود المريد إصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه .

أما الجوع فإنه ينقص دم القلب ويبيضه وفى بياضه نوره ، ويذيب شحم الفؤاد وفى ذوبانه رقته ، ورقته مفتاح المكاشفة كما أن قساوته سبب الحجاب . ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدو فإن مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات . وقال عيسى عليه السلام : يامعشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم ! وقال سهل بن عبد الله التسترى : ما صار الأبدال أبدالا إلا بأربع خصال ، بإخماص البطون ، والسهر ، والصمت ، والاعتزال عن الناس . ففائدة الجوع فى تنوير القلب أمر ظاهر يشهد له التجربة . وسيأتى بيان وجه التدريج فيه فى كتاب كسر الشهوتين

وأما السهر فإنه يجلو القلب ويصقله وينوره ، فيضاف ذلك إلى الصفاء الذى حصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدرى والمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق ، ويشاهد فيه رفيع الدرجات فى الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتها ، فتتم بذلك رغبته عن الدنيا وإقباله على الآخرة . والسهر أيضا نتيجة الجوع فإن السهر مع الشبع غير ممكن ، والنوم يقسى القلب ويميته إلا إذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة لأسرار الغيب . فقد قيل فى صفة الأبدال : إن أكلهم قوة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة . وقال إبراهيم الخواص رحمه الله : أجمع رأى سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء .

وأما الصمت فإنه تسهله العزلة ، ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرابه وتدبير أمره ، فينبغى أن لا يتكلم إلا بقدر الضرورة فإن الكلام يشغل القلب وشره القلوب إلى الكلام عظيم ، فإنه يستروح إليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر فيستريح إليه . فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم والتقوى .

وأما حياة الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فإنهما دهليز القلب . والقلب فى حكم حوض تنصب إليه مياه كريهة كدرة قذرة من أنهار الحواس ، ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها ليتفجر أصل الحوض فيخرج منه الماء النظيف الطاهر ، وكيف يصح له أن ينزح الماء من الحوض والأنهار مفتوحة إليه فيتجدد فى كل حال أكثر مما ينقص ؟ فلا بد من ضبط الحواس إلا عن قدر الضرورة ، وليس يتم ذلك إلا بالخلوة فى بيت مظلم ، وإن لم يكن له مكان مظلم فليلف رأسه فى جيبه أو يتدثر بكساء أو إزار ، ففى مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية . أما ترى أن نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على مثل هذه الصفة فقيل له « يا أيها المزمل - يا أيها المدثر [1] » .

---

(١) حديث : بدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مدثر فقيل له ﴿ يا أيها المزمل - يا أيها المدثر ﴾ متفق عليه من حديث جابر « جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يمينى ... الحديث » وفيه « فأتيت خديجة فقلت : دثرونى وصبوا على الماء باردا فدثرونى وصبوا على ماء باردا » قال فنزلت ﴿ يا أيها المدثر ﴾ وفى رواية فقلت « زملونى زملونى » ولهما من حديث عائشة فقال « زملونى زملونى » فزملوه حتى ذهب عنه الروع .

فهذه الأربعة جنة وحصن بها تدفع عنه القواطع وتمنع العوارض القاطعة للطريق . فإذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق . وإنما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله تعالى إلا صفات القلب التى سببها الالتفات إلى الدنيا وبعض تلك العقبات أعظم من بعض . والترتيب فى قطعها أن يشتغل بالأسهل فالأسهل . وهى تلك الصفات ؛ أعنى أسرار العلائق التى قطعها فى أول الإرادة ، وآثارها ؛ أعنى المال والجاه وحب الدنيا والالتفات إلى الخلق والتشوف إلى المعاصى ، فلا بد أن يخلى الباطن عن آثارها كما أخلى الظاهر عن أسبابها الظاهرة ، وفيه تطول المجاهدة ، ويختلف ذلك باختلاف الأحوال ؛ فرب شخص قد كفى أكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة ، وقد ذكرنا أن طريق المجاهدة مضادة الشهوات ومخالفة الهوى فى كل صفة غالبة على نفس المريد - كما سبق ذكره - فإذا كفى ذلك أو ضعف بالمجاهدة ولم يبق فى قلبه علاقة ؛ شغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير الأوراد الظاهرة ، بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده ورداً واحداً . وهو لباب الأوراد وثمرتها ؛ أعنى ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلو من ذكر غيره ، ولا يشغله به ما دام قلبه ملتفتاً إلى علائقه . قال الشبلى للحصرى : إن كان يخطر بقلبك من الجمعة التى تأتينى فيها إلى الجمعة الأخرى شىء غير الله تعالى فحرام عليك أن تأتينى . وهذا التجرد لا يحصل إلا مع صدق الإرادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون فى صورة العاشق المستهتر الذى ليس له إلا هم واحد . فإذا كان كذلك ألزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال ، فإن أصل طريق الدين القوت الحلال ، وعند ذلك يلقنه ذكراً من الأذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا : الله الله . أو : سبحان الله سبحان الله . أو ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة اللسان وتكون الكلمة كأنها جارية على اللسان من غير تحريك ، ثم لا يزال يواظب عليه حتى يسقط الأثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ فى القلب ، ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته ، وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة منه غالبة عليه قد فرغ عن كل ما سواه ، لأن القلب إذا شغل بشىء خلا عن غيره - أى شىء كان - . فإذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو المقصود خلا لا محالة عن غيره ، وعند ذلك يلزمه أن يراقب وساوس القلب والخواطر التى تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما قد مضى من أحواله وأحوال غيره ، فإنه مهما اشتغل بشىء منه ولو فى لحظة خلا قلبه عن الذكر فى تلك اللحظة وكان أيضا نقصانا ، فليجتهد فى دفع ذلك . ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس إلى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة ، وأنها : ما هى ؟ وما معنى قولنا : الله ؟ ولأى معنى كان إلها وكان معبودا ؟ ويعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر وبدعة . ومهما كان كارها لذلك ومتشمرا لإماطته عن القلب لم يضره ذلك . وهى منقسمة إلى ما يعلم قطعاً أن الله تعالى منزه عنه ولكن الشيطان يلقى ذلك فى قلبه ويجريه على خاطره ، فشرطه أن يبالى به ويفزع إلى ذكر الله تعالى ويبتهل إليه ليدفعه عنه كما قال الله تعالى ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ﴾ وقال تعالى ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ وإلى ما يشك فيه فينبغى أن يعرض ذلك على شيخه ، بل كل ما يجد فى قلبه من الأحوال من فترة أو نشاط أو التفات إلى علقة أو صدق فى إرادة فينبغى أن يظهر ذلك لشيخه ، وأن يستره عن غيره فلا يطلع عليه أحداً ، ثم إن شيخه ينظر فى حاله ويتأمل فى ذكائه وكياسته ، فلو علم أنه لو تركه وأمره بالفكر تنبه من نفسه على حقيقة الحق فينبغى أن يحيله على الفكر ويأمره بملازمته حتى يقذف فى قلبه من النور ما يكشف له حقيقته ، وإن علم

أن ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده إلى الاعتقاد القاطع بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه ، وينبغى أن يتأنق الشيخ ويتلطف به فإن هذه مهالك الطريق ومواضع أخطارها ، فكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الإباحة؟ وذلك هو الهلاك العظيم . ومن تجرد للذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن أمثال هذه الأفكار فإنه قد ركب سفينة الخطر ، فإن سلم كان من ملوك الدين وإن أخطأ كان من الهالكين . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « عليكم بدين العجائز »[1] وهو تلقى أصل الإيمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال بأعمال الخير ، فإن الخطر فى العدول عن ذلك كثير . ولذلك قيل يجب على الشيخ أن يتفرس فى المريد فإن لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر ، بل يرده إلى الأعمال الظاهرة والأوراد المتواترة ، أو يشغله بخدمة المتجردين للفكر لتشمله بركتهم فإن العاجز عن الجهاد فى صف القتال ينبغى أن يسق القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيامة فى زمرتهم وتعمه بركتهم ، وإن كان لا يبلغ درجتهم ، ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد يقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف له من الأحوال وما يبدو من أوائل الكرامات . ومهما التفت إلى شىء من ذلك وشغلت به نفسه كان ذلك فتورا فى طريقه ووقوفا ، بل ينبغى أن يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذى لا ترويه البحار ولو أفيضت عليه ويدوم على ذلك ، ورأس ماله الانقطاع عن الخلق إلى الحق والخلوة .

قال بعض السياحين : قلت لبعض الأبدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق إلى التحقيق ؟ فقال أن تكون فى الدنيا كأنك عابر طريق . وقال مرة : قلت له دلنى على عمل أجد قلبى فيه مع الله تعالى على الدوام فقال لى : لا تنظر إلى الخلق فإن النظر إليهم ظلمة ، قلت : لابد لى من ذلك ، قال : فلا تسمع كلامهم فإن كلامهم قسوة ، قلت : لابد لى من ذلك ، قال : فلا تعاملهم فإن معاملتهم وحشة ، قلت : أنا بين أظهرهم لابد لى من معاملتهم ، قال فلا تسكن إليهم فإن السكون إليهم هلكة ، قلت : هذا لعلة ، قال : ياهذا أتنظر إلى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد أن تجد قلبك مع الله تعالى على الدوام ؟ هذا مالا يكون أبدا .

فإذاً منتهى الرياضة أن يجد قلبه مع الله تعالى على الدوام ولا يمكن ذلك إلا بأن يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره إلا بطول المجاهدة ، فإذا حصل قلبه مع الله تعالى انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطائف الله تعالى مالا يجوز أن يوصف بل لا يحيط به الوصف أصلا ، وإذا انكشف للمريد شىء من ذلك فأعظم القواطع عليه أن يتكلم به وعظا ونصحا ويتصدى للتذكير فتجد النفس فيه لذة ليس وراءها لذة ، فتدعوه تلك اللذة إلى أن يتفكر فى كيفية إيراد تلك المعانى وتحسين الألفاظ المعبرة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والأخبار وتحسين صنعة الكلام لتميل إليه القلوب والأسماع ، فربما يخيل إليه الشيطان أن هذا إحياء منك لقلوب الموتى الغافلين عن الله تعالى ، وإنما أنت واسطة بين الله تعالى وبين الخلق تدعو عباده إليه ومالك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ، ويتضح كيد الشيطان بأن يظهر فى أقرانه من يكون أحسن كلاما منه وأجزل لفظا وأقدر على استجلاب قلوب العوام ، فإنه يتحرك فى باطنه عقرب الحسد لامحالة إن كان محركه كيد القبول وإن

---

(١) حديث « عليكم بدين العجائز » قال ابن طاهر فى كتاب التذكرة هذا اللفظ تداوله العامة ولم أقف له على أصل يرجع إليه من رواية صحيحة ولا سقيمة حتى رأيت حديثا لمحمد بن عبد الرحمن بن السلمانى عن ابن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم « إذا كان فى آخر الزمان واختلف الأهواء فعليكم بدين أهل البادية » والنسائى وابن السلمانى له عن أبيه عن ابن عمر نسخة كان يتهم بوضعها انتهى وهذا اللفظ من هذا الوجه رواه ابن حبان فى الضعفاء فى ترجمة ابن السلمانى والله أعلم .

كان محركه هو الحق حرصا على دعوة عباد الله تعالى إلى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه ويقول : الحمد لله الذى عضدنى وأيدنى بمن وازرنى على إصلاح عباده . كالذى وجب عليه مثلا أن يحمل ميتا ليدفنه إذ وجده ضائعا وتعين عليه ذلك شرعا فجاء من أعانه عليه فإنه يفرح به ولايحسد من يعينه ، والغافلون موتى القلوب ، والوعاظ هم المنبهون والمحيون لهم ففى كثرتهم استرواح وتناصر فينبغى أن يعظم الفرح بذلك ، وهذا عزيز على الوجود جدا فينبغى أن يكون المريد على حذر منه فإنه أعظم حبائل الشيطان فى قطع الطريق على من انفتحت له أوائل الطريق فإن إيثار الحياة الدنيا طبع غالب على الإنسان ولذلك قال الله تعالى ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا ﴾ ثم بين أن الشر قديم فى الطباع وأن ذلك مذكور فى الكتب السالفة فقال ﴿ إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى ﴾ فهذا منهاج رياضة المريد وتربيته فى التدريج إلى لقاء الله تعالى . فأما تفصيل الرياضة فى كل صفة فسيأتى فإن أغلب الصفات على الإنسان بطنه وفرجه ولسانه ـ أعنى به الشهوات المتعلقة بها ـ ثم الغضب الذى هو كالجند لحماية الشهوات ، ثم مهما أحب الإنسان شهوة البطن والفرج وأنس بهما أحب الدنيا ، ولم يتمكن منها إلا بالمال والجاه وإذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة ، وإذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدنيا رأسا وتمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور .

فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين أن نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب إن شاء الله تعالى: كتاب فى كسر شهوة البطن والفرج ، وكتاب فى آفات اللسان ، وكتاب فى كسر الغضب والحقد والحسد ، وكتاب فى ذم الدنيا وتفصيل خدعها ، وكتاب فى كسر حب المال وذم البخل ، وكتاب فى ذم الرياء وحب الجاه ، وكتاب فى ذم الكبر والعجب ، وكتاب فى مواقع الغرور . وبذكر هذه المهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربع المهلكات إن شاء الله تعالى فإن ماذكرناه فى الكتاب الأول هو شرح لصفات القلب الذى هو معدن المهلكات والمنجيات ، وما ذكرناه فى الكتاب الثانى هو إشارة كلية إلى طريق تهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلوب . أما تفصيلها فإنه يأتى فى هذه الكتب إن شاء الله تعالى . تم كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوتين والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

كتاب كسر الشهوتين

وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالجلال فى كبريائه وتعاليه ، المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه ، القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه ، المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه ، المتكفل بحفظ عبده فى جميع موارده ومجاريه ، المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما يفى بأمانيه ، فهو الذى يرشده ويهديه ، وهو الذى يميته ويحييه ، وإذا مرض فهو يشفيه ، وإذا ضعف فهو يقويه ، وهو الذى يوفقه للطاعة ويرتضيه ، وهو الذى يطعمه ويسقيه ، ويحفظه من الهلاك ويحميه ، ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ، ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقربه حتى تضيق به مجارى الشيطان الذى يناويه ، ويكسر به شهوة النفس التى تعاديه ، فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه ، هذا

بعد أن يوسع عليه ما يلتذ به ويشتهيه ، ويكثر عليه ما يهيج بواعثه ويؤكد دواعيه ، كل ذلك يمتحنه به ويبتليه ، فينظر كيف يؤثره على ما يهواه وينتحيه ، وكيف يحفظ أوامره وينتهى عن نواهيه ، ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه . والصلاة على محمد عبده النبيه ، ورسوله الوجيه ، صلاة تزلفه وتحظيه ، وترفع منزلته وتعليه ، وعلى الأبرار من عترته وأقربيه ، والأخيار من صحابته وتابعيه .

أما بعد : فأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن ، فبها أخرج آدم عليه السلام وحواء من دار القرار إلى دار الذل والافتقار ؛ إذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهواتهما حتى أكلا منها فبدت لهما سوآتهما . والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الأدواء والآفات ، إذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق إلى المنكوحات ؛ ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة فى الجاه والمال اللذين هما وسيلة إلى التوسع فى المنكوحات والمطعومات ؛ ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ؛ ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ، ثم يتداعى ذلك إلى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء ، ثم يفضى ذلك بصاحبه إلى اقتحام البغى والمنكر والفحشاء ، وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء ، ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجارى الشيطان لأذعنت لطاعة الله عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ، ولم ينجر به ذلك إلى الانهماك فى الدنيا وإيثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا ، وإذا عظمت آفة شهوة البطن إلى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها تحذيراً منها ، ووجب إيضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيباً فيها ، وكذلك شرح شهوة الفرج فإنها تابعة لها . ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى فى فصول يجمعها بيان فضيلة الجوع ثم فوائده ، ثم طريق الرياضة فى كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتأخير ، ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس ، ثم بيان الرياضة فى ترك الشهوة ، ثم القول فى شهوة الفرج ، ثم بيان ما على المريد فى ترك التزويج وفعله ؛ ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة البطن والفرج والعين .

بيان فضيلة الجوع وذم الشبع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر فى ذلك كأجر المجاهد فى سبيل الله وأنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش [1] » وقال ابن عباس : قال النبى صلى الله عليه وسلم « لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه [2] » وقيل يا رسول الله أى الناس أفضل ؟ قال « من قل مطعمه وضحكه ورضى بما يستر به عورته [3] » وقال النبى صلى الله عليه وسلم « سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف [4] » وقال أبو سعيد الخدرى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « البسوا وكلوا واشربوا فى أنصاف البطون فإنه جزء من النبوة [5] » وقال الحسن : قال النبى صلى الله عليه وسلم « الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هى العبادة [6] » وقال الحسن أيضاً : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعا وتفكرا فى الله سبحانه ، وأبغضكم

كتاب كسر الشهوتين

(١) حديث « جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش » لم أجد له أصلا (٢) حديث ابن عباس « لا يدخل ملكوت السموات من ملأ بطنه » لم أجده أيضاً (٣) حديث : أى الناس أفضل ؟ قال « من قل طعمه وضحكه ورضى بما يستر عورته » يأتى الكلام عليه وعلى ما بعده من الأحاديث (٤) حديث « سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف » (٥) حديث أبى سعيد الخدرى « البسوا وكلوا واشربوا فى أنصاف البطون » (٦) حديث « الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هى العبادة »

عند الله عز وجل يوم القيامة كل نئوم أكول شروب [١] » وفى الخبر : أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يجوع من غير عوز [٢] » أى مختارا لذلك وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يباهى الملائكة بمن قل مطعمه ومشربه فى الدنيا يقول الله تعالى انظروا إلى عبدى ابتليته بالطعام والشراب فى الدنيا فصبر وتركهما اشهدوا يا ملائكتى ما من أكلة يدعها إلا أبدلته بها درجات فى الجنة [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء [٤] » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وإن كان لابد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه [٥] » وفى حديث أسامة بن زيد وحديث أبى هريرة الطويل ذكر فضيلة الجوع إذ قال فيه « إن أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه فى الدنيا ، الأخفياء الأتقياء الذين إن شهدوا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا ، تعرفهم بقاع الأرض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله عز وجل ، افترش الناس الفرش الوثيرة وافترشوا الجباه والركب ، ضيع الناس فعل النبيين وأخلاقهم وحفظوها هم ، تبكى الأرض إذا فقدتهم ويسخط الجبار على كل بلدة ليس فيها منهم أحد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف أكلوا العلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس فيظنون أن بهم داء وما بهم داء ، ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم إلى أمر الله الذى أذهب عنهم الدنيا ، فهم عند أهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حين ذهبت عقول الناس ، لهم الشرف فى الآخرة ، يا أسامة إذا رأيتهم فى بلدة فاعلم أنهم أمان لأهل تلك البلدة ولا يعذب الله قوما هم فيهم . الأرض بهم فرحة والجبار عنهم راض . اتخذهم لنفسك إخوانا عسى أن تنجو بهم . وإن استطعت إن يأتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل . فإنك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين . وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلى عليك الجبار [٦] » .

روى الحسن عن أبى هريرة : أن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال « البسوا الصوف وشمروا وكلوا فى أنصاف البطون تدخلوا فى ملكوت السماء [٧] » وقال عيسى عليه السلام : يا معشر الحواريين أجيعوا أكبادكم وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل [٨] » . وروى ذلك أيضاً عن نبينا صلى الله عليه وسلم رواه طاوس . وقيل مكتوب فى التوراة : إن الله ليبغض الحبر السمين لأن السمن يدل على الغفلة وكثرة الأكل وذلك قبيح خصوصاً بالحبر . ولأجل ذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه : إن الله تعالى يبغض القارئ السمين وفى خبر مرسل « إن

---

(١) حديث الحسن « أفضلكم عند الله أطولكم جوعا وتفكرا ... الحديث » لم أجد لهذه الأحاديث المتقدمة أصلا (٢) حديث كان يجوع من غير عوز — أى مختارا لذلك — أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان من حديث عائشة : قالت لو شئنا أن نشبع لشبعنا ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم كان يؤثر على نفسه . وإسناده معضل (٣) حديث « ان الله يباهى الملائكة بمن قل مطعمه فى الدنيا ... الحديث » أخرجه ابن عدى فى الكامل وقد تقدم فى الصيام (٤) حديث « لا تميتوا القلب بكثرة الطعام والشراب الحديث » لم أقف له على أصل (٥) حديث « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث المقدام وقد تقدم .

(٦) حديث أسامة بن زيد وأبى هريرة « أقرب الناس من الله يوم القيامة من طال جوعه وعطشه .. الحديث » بطوله أخرجه الخطيب فى الزهد من حديث سعيد بن زيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل على أسامة بن زيد فذكره مع تقديم وتأخير ، ومن طريقه رواه ابن الجوزى فى الموضوعات وفيه حباب بن عبد الله بن جبلة أحد الكذابين وفيه من لا يعرف وهو منقطع أيضاً ورواه الحارث بن أبى أسامة من هذا الوجه (٧) حديث الحسن عن أبى هريرة « البسوا الصوف وشمروا وكلوا فى أنصاف البطون تدخلوا فى ملكوت السماء » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس بسند ضعيف . (٨) حديث طاوس مرسلا « أجيعوا أكبادكم ... الحديث » لم أجده أيضاً .

الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش [١] » وفى الخبر « إن الأكل على الشبع يورث البرص [٢] » وقال صلى الله تعالى عليه وسلم « المؤمن يأكل فى معى واحد والمنافق يأكل فى سبعة أمعاء [٣] » أى يأكل سبعة أضعاف ما يأكل المؤمن أو تكون شهوته سبعة أضعاف شهوته وذكر المعى كناية عن الشهوة لأن الشهوة هى التى تقبل الطعام وتأخذه كما يأخذ المعى . وليس المعنى زيادة عدد معى المنافق على معى المؤمن . وروى الحسن عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول « أديموا قرع باب الجنة يفتح لكم » فقلت : كيف نديم قرع باب الجنة ؟ قال « بالجوع والظمأ [٤] » وروى « أن أبا جحيفة تجشأ فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له « أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعا فى الدنيا [٥] » وكانت عائشة رضى الله عنها تقول : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم تمتلئ قط شبعا وربما بكيت رحمة مما أرى به من الجوع فأمسح بطنه بيدى وأقول : نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقويك ويمنعك من الجوع ؟ فيقول « ياعائشة إخوانى من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا مضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدنى أستحى إن ترفهت فى معيشتى أن يقصر بى غداً دونهم فالصبر أياما يسيرة أحب إلى من أن ينقص حظى غدا فى الآخرة وما من شىء أحب إلى من اللحوق بأصحابى وإخوانى » قالت عائشة : فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله إليه [٦] » وعن أنس قال : جاءت فاطمة رضوان الله عليها بكسرة خبز إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ما هذه الكسرة » قالت : قرص خبزته ولم تطب نفسى حتى أتيتك منه بهذه الكسرة » فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام [٧] » وقال أبو هريرة : ما أشبع النبى صلى الله عليه وسلم أهله ثلاثة أيام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا [٨] وقال صلى الله عليه وآله وسلم « إن أهل الجوع فى الدنيا هم أهل الشبع فى الآخرة وإن أبغض الناس إلى الله المتخمون الملأى وما ترك عبد أكلة يشتهيها إلا كانت له درجة فى الجنة [٩] » .

وأما الآثار : فقد قال عمر رضى الله عنه : إياكم والبطنة فإنها ثقل فى الحياة نتن فى الممات . وقال شقيق البلخى العبادة حرفة حانوتها الخلوة وآلتها المجاعة . وقال لقمان لابنه : يابنى إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة . وكان الفضيل بن عياض يقول لنفسه : أى شىء تخافين ؟ أتخافين أن تجوعى ؟ لاتخافى ذلك ؛ أنت أهون على الله من ذلك إنما يجوع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه . وكان كهمس يقول إلهى

---

(١) حديث « إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم ... الحديث » تقدم فى الصيام دون الزيادة التى فى آخره وذكر المصنف هنا أنه مرسل والمرسل رواه ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان من حديث على بن الحسين دون الزيادة أيضاً .

(٢) حديث « إن الأكل على الشبع يورث البرص » لم أجد له أصلا (٣) حديث المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء » متفق عليه من حديث عمر وحديث أبى هريرة . (٤) حديث الحسن عن عائشة « أديموا قرع باب الجنة ... الحديث » لم أجده أيضاً (٥) حديث : إن أبا جحيفة تجشأ فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعا فى الدنيا » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث أبى جحيفة وأصله عند الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث ابن عمر : تجشأ رجل . الحديث . لم يذكر أبا جحيفة .

(٦) حديث عائشة : أنه صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ شبعا قط وربما بكيت رحمة له لما أرى به من الجوع الحديث . أخرجه أبو موسى المدينى مطولا فى كتاب استحلاء الموت وأورد منه عياض فى الشفاء (٧) حديث أنس : جاءت فاطمة بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث أخرجه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده بسند ضعيف (٨) حديث أبى هريرة : ماشبع النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا . أخرجه مسلم وقد تقدم (٩) حديث « إن أهل الجوع فى الدنيا هم أهل الشبع فى الآخرة » أخرجه الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عباس باسناد ضعيف .

اجعتنى وأعريتنى وفى ظلم الليالى بلا مصباح أجلستنى فبأى وسيلة بلغتنى مابلغتنى ؟ وكان فتح الموصلى إذا اشتد مرضه وجوعه يقول : إلهى ابتليتنى بالمرض والجوع وكذلك تفعل بأوليائك فبأى عمل أؤدى شكر ما أنعمت به على ؟ وقال مالك بن دينار : قلت لمحمد بن واسع يا أبا عبد الله طوبى لمن كانت له غليلة تقوته وتغنيه عن الناس فقال لى يا أبا يحيى طوبى لمن أمسى وأصبح جائعا وهو عن الله راض . وكان الفضيل بن عياض يقول : إلهى أجعتنى وأجعت عيالى وتركتنى فى ظلم الليالى بلا مصباح وإنما تفعل ذلك بأوليائك فبأى منزله نلت هذا منك ؟ وقال يحيى بن معاذ : جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة . وفى التوراة اتق الله وإذا شعبت فاذكر الجياع : وقال أبو سليمان : لأن أترك لقمة من عشائى أحب الى من قيام ليلة إلى الصبح ، وقال أيضاً : الجوع عند الله فى خزائنه لا يعطيه إلا من أحبه . وكان سهل بن عبد الله التسترى يطوى نيفا وعشرين يوماً لا يأكل ، وكان يكفيه لطعامه فى السنة درهم ، وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال : لا يوافى القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم فى أكله . وقال : لم ير الأكياس شيئا أنفع من الجوع للدين والدنيا . وقال : لاأعلم شيئا أضر على طلاب الآخرة من الأكل . وقال : وضعت الحكمة والعلم فى الجوع ووضعت المعصية والجهل فى الشبع . وقال : ماعبد الله بشىء أفضل من مخالفة الهوى فى ترك الحلال . وقد جاء فى الحديث « ثلث للطعام فمن زاد عليه فإنما يأكل من حسناته [1] » وسئل عن الزيادة فقال : لا يجد الزيادة حتى يكون الترك أحب إليه من الأكل ، ويكون إذا جاع ليلة سأل الله أن يجعلها ليلتين ، فإذا كان ذلك وجد الزيادة . وقال صار الأبدال أبدالا إلا بإخماص البطون والسهر والصمت والخلوة . وقال : رأس كل بر نزل من السماء إلى الأرض الجوع ، ورأس كل فجور بينهما الشبع . وقال : من جوّع نفسه انقطعت عنه الوساوس . وقال : إقبال الله عز وجل على العبد بالجوع والسقم والبلاء إلا من شاء الله . وقال : اعلموا أن هذا زمان لاينال أحد فيه النجاة إلا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والسهر والجهد . وقال : مامر على وجه الأرض أحد شرب من هذا الماء حتى روى فسلم من المعصية ـ وإن شكر الله تعالى ـ فكيف الشبع من الطعام ؟ وسئل حكيم بأى قيد أقيد نفسى ؟ قال : قيدها بالجوع والعطش ، وذللها بإخمال الذكر وترك العز ، وصغرها بوضعها تحت أرجل أبناء الآخرة ، واكسرها بترك زى القراء عن ظاهرها ، وانج من آفاتها بدوام سوء الظن بها ، واصحبها بخلاف هواها . وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى إنّ الله تعالى ماصافى أحدا إلا بالجوع ولا مشوا على الماء إلا به ، ولا طويت لهم الأرض إلا بالجوع ، ولا تولاهم الله تعالى إلا بالجوع ، وقال أبو طالب المكى : مثل البطن مثل المزهر وهو العود المجوف ذو الأوتار ـ إنما حسن صوته لخفته ورقته لأنه اجوف غير ممتلئ ، وكذلك الجوف إذا خلا كان أعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للمنام . وقال أبو بكر بن عبد الله المزنى : ثلاثة يحبهم الله تعالى ؛ رجل قليل النوم قليل الأكل قليل الراحة . وروى أن عيسى عليه السلام مكث يناجى ربه ستين صباحا لم يأكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فإذا رغيف موضوع بين يديه ، فجلس يبكى على فقد المناجاة وإذا شيخ قد أظله فقال له عيسى : بارك الله فيك ياولى الله ادع الله تعالى فإنى كنت فى حالة فخطر ببالى الخبز فانقطعت عنى ، فقال الشيخ : اللهم إن كنت تعلم أن الخبز خطر ببالى منذ عرفتك فلا تغفرلى ، بل كان

(١) حديث « ثلث للطعام » تقدم .

إذا حضر لى شىء أكلته من غير فكر وخاطر . وروى أن موسى عليه السلام لما قربه الله عز وجل نجيا كان قد ترك الأكل أربعين يوما - ثلاثين ثم عشرا - على ما ورد به القرآن ؛ لأنه أمسك بغير تبييت يوما فزيد عشرة لأجل ذلك .

بيان فوائد الجوع وآفات الشبع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر فى ذلك » ولعلك تقول : هذا الفضل العظيم للجوع من أين هو ؟ وما سببه ؟ وليس فيه إلا إيلام المعدة ومقاساة الأذى ! فإن كان كذلك فينبغى أن يعظم الأجر فى كل مايتأذى به الإنسان من ضربه لنفسه وقطعه للحمه وتناوله الأشياء المكروهة وما يجرى مجراه ؟ فاعلم أن هذا يضاهى قول من شرب دواء فانتفع به وظن أن منفعته لكراهة الدواء ومرارته ، فأخذ يتناول كل مايكرهه من المذاق وهو غلط ، بل نفعه فى خاصية فى الدواء وليس لكونه مرا ، وإنما يقف على تلك الخاصية الأطباء ، فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع إلا سماسرة العلماء ومن جوع نفسه مصدقا لما جاء فى الشرع من مدح الجوع انتفع به وإن لم يعرف علة المنفعة ، كما أنّ من شرب الدواء انتفع به وإن لم يعلم وجه كونه نافعاً .

ولكنا نشرح لك ذلك إن أردت أن ترتقى من درجة الإيمان إلى درجة العلم قال الله تعالى ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ فنقول : فى الجوع عشر فوائد .

الفائدة الأولى : صفاء القلب وإيقاد القريحة وإنفاذ البصيرة ، فإنّ الشبع يورث البلادة ويعمى القلب ويكثر البخار فى الدماغ شبه السكر حتى يحتوى على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان فى الأفكار وعن سرعة الإدراك ، بل الصبى إذا أكثر الأكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطىء الفهم والإدراك . وقال أبو سليمان الدارانى : عليك بالجوع فإنه مذله للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السماوى . وقال صلى الله عليه وسلم « احيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترق [1] » ويقال : مثل الجوع مثل الرعد ، ومثل القناعة مثل السحاب ، والحكمة كالمطر . وقال النبى صلى الله عليه وسلم « من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه [2] » وقال ابن عباس : قال النبى صلى الله عليه وسلم « من شبع ونام قسا قلبه » ثم قال « لكل شىء زكاة وزكاة البدن الجوع [3] » وقال الشبلى : ما جعت لله يوما إلا رأيت فى قلبى بابا مفتوحا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط . وليس يخفى أن غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل إلى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق ، والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه ، والمعرفة باب من أبواب الجنة فبالحرى أن تكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة . ولهذا قال لقمان لابنه : يابنى إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة . وقال أبو يزيد البسطامى : الجوع سحاب فإذا جاع العبد أمطر القلب الحكمة . وقال النبى صلى الله عليه وسلم « نور الحكمة الجوع ، والتباعد من الله عز وجل الشبع ، والقربة إلى الله عز وجل حب المساكين والدنو منهم . لاتشبعوا

---

(١) حديث « أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفو وترق » لم أجد له أصلا (٢) حديث « من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه » كذلك لم أجد له أصلا (٣) حديث « من شبع ونام قسا قلبه » ثم قال « إن لكل شىء زكاة وإن زكاة الجسد الجوع » أخرجه ابن ماجه من حديث أبى هريرة « لكل شىء زكاة وزكاة الجسد الصوم » وإسناده ضعيف

فتطفئوا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات فى خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح [1] » .

الفائدة الثانية : رقة القلب وصفاؤه الذى به يتهيأ لإدراك لذة المثابرة والتأثر بالذكر ، فكم من ذكر يجرى على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لايلتذ به ولا يتأثر حتى كأن بينه وبينه حجابا من قسوة القلب ، وقد يرق فى بعض الأحوال فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة ، وخلو المعدة هو السبب الأظهر فيه ، وقال أبو سليمان الدارانى : أحلى ماتكون إلى العبادة إذا التصق ظهرى ببطنى . وقال الجنيد : يجعل أحدهم بينه وبين صدره مخلاة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة المناجاة . وقال أبو سليمان : إذا جاع القلب وعطش صبا ورق ، وإذا شبع عمى وغلط ، فإذا تأثر القلب بلذة المناجاة أمر وراء تيسير الفكر واقتناص المعرفة فائدة ثانية .

الفائدة الثالثة . الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والأشر الذى هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى ، فلا تنكسر النفس ولا تذل بشىء كما تذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها إذا ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقيمة طعام فاتتها ، وأظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تأخرت عنها وما لم يشاهد الإنسان ذل نفسه وعجزه لايرى عزة مولاه ولا قهره ، وإنما سعادته فى أن يكون دائما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة والقهر ، فليكن دائما جائعا مضطرا إلى مولاه مشاهدا للاضطرار بالذوق ، ولأجل ذلك لما عرضت الدنيا وخزائنها على النبى صلى الله عليه وسلم قال « لابل أجوع يوما وأشبع يوما فإذا جعت صبرت وتضرعت وإذا شبعت شكرت [2] » أو كما قال . فالبطن والفرج باب من أبواب النار وأصله الشبع . والذل والانكسار باب من أبواب الجنة وأصله الجوع . ومن أغلق بابا من أبواب النار فقد فتح بابا من أبواب الجنة بالضرورة لأنهما متقابلان كالمشرق والمغرب ، فالقرب من أحدهما بعد من الآخر .

الفائدة الرابعة : أن لاينسى بلاء الله وعذابه ؛ ولا ينسى أهل البلاء فإن الشبعان ينسى الجائع وينسى الجوع ، والعبد الفطن لايشاهد بلاء من غيره إلا ويتذكر بلاء الآخرة ، فيذكر من عطشه عطش الخلق فى عرصات القيامة ، ومن جوعه جوع أهل النار ، حتى إنهم ليجوعون فيطعمون الضريع والزقوم ويسقون الغساق والمهل ، فلا ينبغى أن يغيب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها ، فإنه هو الذى يهيج الخوف ، فمن لم يكن فى ذلة ولا علة ولا قلة ولا بلاء نسى عذاب الآخرة ولم يتمثل فى نفسه ولم يغلب على قلبه ، فينبغى أن يكون العبد فى مقاساة بلاء أو مشاهدة بلاء ، وأولى مايقاسيه من البلاء الجوع فإن فيه فوائد جمة سوى تذكر عذاب الآخرة . وهذا أحد الأسباب الذى اقتضى اختصاص البلاء بالأنبياء والأولياء والأمثل فالأمثل . ولذلك قيل ليوسف عليه السلام : لم تجوع وفى يديك خزائن الأرض ؟ فقال : أخاف أن أشبع فأنسى الجائع . فذكر الجائعين والمحتاجين إحدى فوائد الجوع فإن ذلك يدعو إلى الرحمة والإطعام والشفقة على خلق الله عز وجل . والشبعان فى غفلة عن ألم الجائع .

الفائدة الخامسة ـ وهى من أكبر الفوائد ـ : كسر شهوات المعاصى كلها والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء ، فإن منشأ المعاصى كلها الشهوات والقوى ، ومادة القوى والشهوات لامحالة الأطعمة ، فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة . وإنما السعادة كلها فى أن يملك الرجل نفسه ، والشقاوة فى أن تملكه نفسه ، وكما أنك لاتملك الدابة الجموح إلا بضعف الجوع فإذا شبعت قويت وشردت وجمحت ، فكذلك النفس . كما قيل لبعضهم : مابالك مع كبرك لاتتعهد بدنك

---

(١) حديث « نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع ... الحديث » ذكره أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة وكتب عليه إنه مسند وهى علامة مارواه باسناده (٢) حديث « أجوع يوما وأشبع يوما ... الحديث » تقدم وهو عند الترمذى .

وقد انهد ؟ فقال : لأنه سريع المرح فاحش الأشر فأخاف أن يجمح بى فيورطنى ، فلأن أحمله على الشدائد أحب إلى من أن يحملنى على الفواحش . وقال ذو النون : ماشبعت قط إلا عصيت أوهممت بمعصية : وقالت عائشة رضى الله عنها : أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشبع .

إنّ القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم إلى هذه الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هى خزائن الفوائد . ولذلك قيل : الجوع خزانة من خزائن الله تعالى وأقل مايندفع بالجوع : شهوة الفرج وشهوة الكلام ، فإن الجائع لايتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها ، فيمنعه الجوع من كل ذلك وإذا شبع افتقر إلى فاكهة فيتفكه لامحالة بأعراض الناس ، ولا يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم .

وأما شهوة الفرج : فلا تخفى غائلتها ، والجوع يكفى شرها . وإذا شبع الرجل لم يملك فرجه ، وإن منعته التقوى فلا يملك عينه ، فالعين تزنى كما أن الفرج يزنى ، فإن ملك عينه بغض الطرف فلا يملك فكره ، فيخطر له من الأفكار الرديئة وحديث النفس بأسباب الشهوة ما يتشوش به مناجاته ، وربما عرض له ذلك فى أثناء الصلاة .

وإنما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالا ، وإلا فجميع معاصى الأعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع . قال حكيم : كل مريد صبر على السياسة فيصبر على الخبز البحت سنة لايخلط به شيئا من الشهوات ويأكل فى نصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء .

الفائدة السادسة : دفع النوم ودوام السهر ، فإن من شبع شرب كثيرا ، ومن كثر شربه كثر نومه ولأجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام : معاشر المريدين لاتأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا . وأجمع رأى سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة الشرب . وفى كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب ، والعمر أنفس الجواهر وهو رأس مال العبد فيه يتجر ، والنوم موت فتكثيره ينقص العمر ، ثم فضيلة التهجد لاتخفى وفى النوم فواتها . ومهما غلب النوم فإن تهجد لم يجد حلاوة العبادة ، ثم المتعزب إذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك أيضا من التهجد ، ويحوجه إلى الغسل إما بالماء البارد فيتأذى به أو يحتاج إلى الحمام وربما لايقدر عليه بالليل ، فيفوته الوتر إن كان قد أخره إلى التهجد ، ثم يحتاج إلى مؤنة الحمام وربما تقع عينه على عورة فى دخول الحمام ، فإن فيه أخطارا ذكرناها فى كتاب الطهارة وكل ذلك أثر الشبع . وقد قال أبو سليمان الدارانى : الاحتلام عقوبة . وإنما قال ذلك لأنه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الغسل فى كل حال . فالنوم منبع الآفات ، والشبع مجلبة له ؛ والجوع مقطعة له .

الفائدة السابعة : تيسير المواظبة على العبادة فإن الأكل يمنع من كثرة العبادات لأنه يحتاج إلى زمان يشتغل فيه بالأكل ، وربما يحتاج إلى زمان فى شراء الطعام وطبخه ، ثم يحتاج إلى غسل اليد والخلال ، ثم يكثر تردداده إلى بيت الماء لكثرة شربه . والأوقات المصروفة إلى هذا لو صرفها إلى الذكر والمناجاة وسائر العبادات لكثر ربحه . قال السرى رأيت مع على الجرجانى سويقا يستف منه فقلت : ماحملك على هذا ؟ قال : إنى حسبت مابين المضغ إلى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة فانظر كيف أشفق على وقته ولم يضيعه فى المضغ . وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لاقيمة لها فينبغى أن يستوفى منه خزانة باقية فى الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه إلى ذكر الله وطاعته

ومن جملة مايتعذر بكثرة الأكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد ، فإنه يحتاج إلى الخروج لكثرة شرب الماء

وإراقته . ومن جملته الصوم فإنه يتيسر لمن تعود الجوع ، فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف أوقات شغله بالأكل وأسبابه إلى العبادة أرباح كثيرة ، وإنما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ﴿ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ .

وقد أشار أبو سليمان الدارانى إلى ست آفات من الشبع فقال : من شبع دخل عليه ست آفات : فقد حلاوة المناجاة وتعذر حفظ الحكمة ، وحرمان الشفقة على الخلق لأنه إذا شبع ظنّ أن الخلق كلهم شباع ، وثقل العبادة ، وزيادة الشهوات ، وأن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد ، والشباع يدورون حول المزابل .

الفائدة الثامنة : يستفيد من قلة الأكل صحة البدن ودفع الأمراض ، فإن سببها كثرة الأكل وحصول فضلة الأخلاط فى المعدة والعروق . ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج إلى الفصد والحجامة والدواء والطبيب ، وكل ذلك يحتاج إلى مؤن ونفقات لا يخلو الإنسان منها بعد التعب عن أنواع من المعاصى واقتحام الشهوات ، وفى الجوع ما يمنع ذلك كله .

حكى أن الرشيد جمع أربعة أطباء : هندى ، وروى ، وعراقى ، وسوادى . وقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذى لا داء فيه . فقال الهندى : الدواء الذى لا داء فيه عندى هو الإهليلج الأسود ؛ وقال العراقى : هو حب الرشاد الأبيض وقال الرومى . هو عندى الماء الحار . وقال السوادى وكان أعلمهم — الإهليلج يعفص المعدة وهذا داء ، وحب الرشاد يزلق المعدة وهذا داء ، والماء الحار يرخى المعدة وهذا داء . قالوا . فما عندك ؟ فقال الدواء الذى لا داء معه عندى أن لا تأكل الطعام حتى تشتهيه ؛ وأن ترفع يدك عنه وأنت تشتهيه . فقالوا : صدقت وذكر لبعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قول النبى صلى الله عليه وسلم « ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس [1] » فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما فى قلة الطعام أحكم من هذا وإنه لكلام حكيم . وقال صلى الله عليه وسلم « البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعوّدوا كل جسم ما اعتاد [2] » وأظن تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لا من ذاك . وقال ابن سالم : من أكل خبز الحنطة بحتا بأدب لم يعتل إلا علة الموت . قيل . وما الأدب ؟ قال : تأكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع . وقال بعض أفاضل الأطباء فى ذم الاستكثار : إن أنفع ما أدخل الرجل بطنه الرمان وأضر ما أدخل معدته المالح ؛ ولأن يقلل من المالح خير له من أن يستكثر من الرمان . وفى الحديث صوموا تصحوا [3] » ففى الصوم والجوع وتقليل الطعام صحة الأجسام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما .

الفائدة التاسعة : خفة المؤونة فإنّ من تعوّد قلة الأكل كفاه من المال قدر يسير ، والذى تعوّد الشبع صار بطنه غريما ملازما له آخذا بمخنقه فى كل يوم ، فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج إلى أن يدخل المداخل ، فيكتسب من الحرام فيعصى أو من الحلال فيذل . وربما يحتاج إلى أن يمدّ أعين الطمع إلى الناس وهو غاية الذل والقماءة والمؤمن خفيف المؤنة . وقال بعض الحكماء : إنى لأقضى عامة حوائجى بالترك فيكون ذلك أروح لقلبى . وقال آخر : إذا أردت أن أستقرض من غيرى لشهوة أو زيادة استقرضت من نفسى فتركت الشهوة فهى خير غريم لى . وكان إبراهيم ابن أدهم رحمه الله يسأل أصحابه عن سعر المأكولات فيقول إنها غالية فيقول : أرخصوها بالترك . وقال سهل رحمه الله : الأكول مذموم فى ثلاثة أحوال ، إن كان من أهل العبادة فيكسل ، وإن كان مكتسبا فلا يسلم من الآفات

---

(١) حديث « ثلث للطعام » تقدم أيضاً (٢) حديث « البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل بدن بما اعتاد » لم أجد له أصلا .

(٣) حديث « صوموا تصحوا » أخرجه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الطب النبوى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف

وإن كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله تعالى من نفسه .

وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا ، وسبب حرصهم على الدنيا البطن والفرج ، وسبب شهوة الفرج ، شهوة البطن . وفى تقليل الأكل ما يحسم هذه الأحوال كلها وهى أبواب النار وفى حسمها فتح أبواب الجنة كما قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « أديموا قرع باب الجنة بالجوع » فمن قنع برغيف فى كل يوم قنع فى سائر الشهوات أيضاً وصار حرّا واستغنى عن الناس واستراح من التعب ، وتخلى لعبادة الله عزوجل وتجارة الآخرة ، فيكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإنما لا تلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة ، وأما المحتاج فتلهيه لامحالة .

الفائدة العاشرة : أن يتمكن من الإيثار والتصدق بما فضل من الأطعمة على اليتامى والمساكين ، فيكون يوم القيامة فى ظل صدقته[٢] كما ورد به الخبر : فما يأكله كان خزانته الكنيف وما يتصدق به كان خزانته فضل الله تعالى ، فليس للعبد من ماله إلا ماتصدق فأبقى أو أكل فأفنى أو لبس فأبلى ، فالتصدق بفضلات الطعام أولى من التخمة والشبع .وكان الحسن رحمة الله عليه إذا تلا قوله تعالى ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾ قال عرضها على السموات السبع الطباق والطرائق التى زينها بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها سبحانه وتعالى : هل تحملين الأمانة بما فيها ؟ قالت : وما فيها ؟ قال : إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت ، فقالت : لا ، ثم عرضها كذلك على الأرض فأبت ، ثم عرضها على الجبال الشوامخ الصلاب الصعاب فقال لها . هل تحملين الأمانة بما فيها ؟ قالت : وما فيها ؟فذكر الجزاء والعقوبة فقالت : لا ، ثم عرضها على الإنسان فحملها إنه كان ظلوما لنفسه جهولا بأمر ربه . فقد رأيناهم والله اشتروا الأمانة بأموالهم فأصابوا آلافا فماذا صنعوا فيها ؟ وسعوا بها دورهم وضيقوا بها قبورهم ، وأسمنوا براذينهم وأهزلوا دينهم ، وأتعبوا أنفسهم بالغدو والرواح إلى باب السلطان يتعرضون للبلاء وهم من الله فى عافية ، يقول أحدهم تبيعنى أرض كذا وكذا وأزيدك كذا وكذا ، يتكئ على شماله ويأكل من غير ماله، حديثه سخرة وماله حرام حتى إذا أخذته الكظة ونزلت به البطنة قال : يا غلام ائتنى بشيء أهضم به طعامى ، بالكم أطعامك تهضم ؟ إنما تهضم دينك ، أين الفقير أين الأرملة أين المسكين أين اليتيم الذى أمرك الله تعالى بهم ؟ فهذه إشارة إلى هذه الفائدة وهو صرف فاضل الطعام إلى الفقير ليدخر به الأجر فذلك خير له من أن يأكله حتى يتضاعف الوزر عليه .ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل سمين البطن فأومأ إلى بطنه بأصبعه وقال « لو كان هذا فى غير هذا لكان خيراً لك »[١] أى لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك . وعن الحسن قال : والله لقد أدركت أقواما كان الرجل منهم يمسى وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لأكله فيقول : والله لا أجعل هذا كله لبطنى حتى أجعل بعضه لله .

فهذه عشرة فوائد للجوع يتشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تتناهى فوائدها ، فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة . ولأجل هذا قال بعض السلف : الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد ، والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة . بل ذلك صريح فى الأخبار التى رويناها بالوقوف على تفصيل هذه الفوائد تدرك معانى تلك الأخبار إدراك علم وبصيرة . فإذا لم تعرف هـذا وصدقت بفضل الجوع كانت لك رتبة المقلدين فى الإيمان

---

(١) حديث « كل امرئ فى ظل صدقته » أخرجه الحاكم من حديث عقبة بن عامر وقد تقدم .

(٢) حديث : نظر إلى رجل سمين البطن فأومأ إلى بطنه بأصبعه وقال « لو كان هذا فى غير هذا لكان خيرا لك » أخرجه أحمد والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى الشعب من حديث جعدة الجشمى وإسناده جيد .

والله أعلم بالصواب .

بيان طريق الرياضة فى كسر شهوة البطن

اعلم أن على المريد فى بطنه ومأكوله أربع وظائف : الأول أن لايأكل إلا حلالا فإن العبادة مع أكل الحرام كالبناء على أمواج البحار . وقد ذكرنا ماتجب مراعاته من درجات الورع فى كتاب الحلال والحرام ، وتبقى ثلاث وظائف خاصة بالأكل وهو تقدير قدر الطعام فى القلة والكثرة وتقدير وقته فى الإبطاء والسرعة وتعيين الجنس المأكول فى تناول المشتهيات وتركها .

أما الوظيفة الأولى : فى تقليل الطعام ، فسبيل الرياضة فيه التدريج ، فمن اعتاد الأكل الكثير وانتقل دفعة واحدة إلى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته ، فينبغى أن يتدرج إليه قليلا قليلا وذلك بأن ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد . فإن كان يأكل رغيفين مثلا وأراد أن يرد نفسه إلى رغيف واحد فينقص كل يوم ربع سبع رغيف ، وهو أن ينقص جزءا من ثمانية وعشرين جزءا ، أوجزءا من ثلاثين جزءا ، فيرجع إلى رغيف فى شهر ، ولايستضر به ولايظهر أثره ، فإن شاء فعل فى ذلك بالوزن وإن شاء بالمشاهدة ، فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما أكله بالأمس . ثم هذا فيه أربع درجات .

أقصاها : أن يرد نفسه إلى قدر القوام الذى لايبقى دونه وهو عادة الصديقين . وهو اختيار سهل التسترى رحمة الله عليه إذ قال : إن الله استعبد الخلق بثلاث ، بالحياة ، والعقل ، والقوة . فإن خاف العبد على اثنين منها وهى الحياة والعقل ، أكل وأفطر إن كان صائما . وتكلف الطلب إن كان فقيراً . وإن لم يخف عليهما بل على القوة قال ، فينبغى أن لايبالى . ولو ضعف حتى صلى قاعدا وأرى أن صلاته قاعدا مع ضعف الجوع أفضل من صلاته قائما مع كثرة الأكل . وسئل سهل عن بدايته وما كان يقتات به فقال . كان قوتى فى كل سنة ثلاثة دراهم ، كنت آخذ بدرهم دبسا ، وبدرهم دقيق الأرز ، وبدرهم سمنا ، وأخلط الجميع وأسوى منه ثلثمائة وستين أكرة ، آخذ فى كل ليلة أكرة أفطر عليها ، فقيل له : فالساعة كيف تأكل ؟ قال : بغير حد ولاتوقيت : ويحكى عن الرهابين أنهم قد يردون أنفسهم إلى مقدار درهم من الطعام :

الدرجة الثانية : أن يرد نفسه بالرياضة فى اليوم والليلة إلى نصف مد ، وهو رغيف وشىء مما يكون الأربعة منه منا ويشبه أن يكون هذا مقدار ثلث البطن فى حق الأكثرين ـ كما ذكره النبى صلى الله عليه وسلم ـ وهو فوق اللقيمات لأن هذه الصيغة فى الجمع للقلة فهو لمادون العشرة ، وقد كان ذلك عادة عمر رضى الله عنه إذ كان يأكل سبع لقم أو تسع لقم .

الدرجة الثالثة : أن يردها إلى مقدار المد ، وهو رغيفان ونصف ، وهذا يزيد على ثلث البطن فى حق الأكثرين ، ويكاد ينتهى إلى ثلثى البطن ، ويبقى ثلث للشراب ولايبقى شىء للذكر . وفى بعض الألفاظ « ثلث للذكر » بدل قوله « للنفس »

الدرجة الرابعة : أن يزيد على المد إلى المن ، ويشبه أن يكون ماوراء المن إسرافا مخالفا لقوله تعالى ﴿ ولاتسرفوا ﴾ أعنى فى حق الأكثرين ، فإن مقدار الحاجة إلى الطعام يختلف بالسن ، والشخص ، والعمل الذى يشتغل به . وههنا طريق خامس لاتقدير فيه ولكنه موضع غلط ، وهو أن يأكل إذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ، ولكن الأغلب أن من لم يقدر لنفسه رغيفا أو رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ، ويشتبه عليه ذلك بالشهوة الكاذبة .

وقد ذكر للجوع الصادق علامات ؛ إحداها : أن لا تطلب النفس الأدم بل تأكل الخبز وحده بشهوة — أى خبز كان — فهما طلبت نفسه خبزا بعينه أو طلبت أدما فليس ذلك بالجوع الصادق . وقد قيل : من علامته أن يبصق فلا يقع الذباب عليه ؛ أى لم يبق فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ، ومعرفة ذلك غامض . فالصواب للمريد أن يقدر مع نفسه القدر الذى لا يضعفه عن العبادة التى هو بصددها فإذا انتهى إليه وقف وإن بقيت شهوته .

وعلى الجملة : فتقدير الطعام لا يمكن لأنه يختلف بالأحوال والأشخاص . نعم قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة فى كل جمعة ، فإذا أكلوا التمر اقتاتوا منه صاعا ونصفا ، وصاع الحنطة أربعة أمداد ، فيكون كل يوم قريبا من نصف مد — وهو ما ذكرناه أنه قدر ثلث البطن — واحتيج فى التمر إلى زيادة لسقوط النوى منه . وقد كان أبو ذر رضى الله عنه يقول : طعامى فى كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أزيد عليه شيئا حتى ألقاه فإنى سمعته يقول « أقربكم منى مجلسا يوم القيامة وأحبكم إلى من مات على ما هو عليه اليوم[1] » ، وكان يقول — فى إنكاره على بعض الصحابة : قد غيرتم ، ينخل لكم الشعير ولم يكن ينخل ، وخبزتم المرقق وجمعتم بين إدامين واختلف عليكم بألوان الطعام ، وغدا أحدكم فى ثوب وراح فى آخر ولم يكونوا هكذا على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان قوت أهل الصفة مدا من تمر بين اثنين فى كل يوم [2] والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى . وكان الحسن رحمة الله عليه يقول المؤمن مثل العنيزة يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء ، والمنافق مثل السبع الضارى بلعا بلعا وسرطا سرطا لا يطوى بطنه لجاره ولا يؤثر أخاه بفضله ، وجهوا هذه الفضول أمامكم . وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا لكان قوت المؤمن منها حلالا لأن أكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط .

الوظيفة الثانية : فى وقت الأكل ومقدار تأخيره وفيه أيضاً أربع درجات :

الدرجة العليا : أن يطوى ثلاثة أيام فما فوقها ، وفى المريدين من رد الرياضة إلى الطى لا إلى المقدار ، حتى انتهى بعضهم إلى ثلاثين يوما وأربعين يوما ، وانتهى إليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم : محمد بن عمرو القرنى ، وعبد الرحمن بن إبراهيم ، ورحيم ، وإبراهيم التيمى ، وحجاج بن فرافصة ، وحفص العابد المصيصى ، والمسلم بن سعيد ، وزهير ، وسليمان الخواص ، وسهل بن عبدالله التسترى ، وإبراهيم بن أحمد الخواص ، وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يطوى ستة أيام ، وكان عبدالله بن الزبير يطوى سبعة أيام ، وكان أبو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوى سبعا . وروى أن الثورى وإبراهيم بن أدهم كانا يطويان ثلاثا ثلاثا ، كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة

قال بعض العلماء من طوى لله أربعين يوما ظهرت له قدرة من الملكوت أى كوشف ببعض الأسرار الإلهية . وقد حكى أن بعض أهل هذه الطائفة مر براهب فذاكره بحاله وطمع فى إسلامه وترك ما هو عليه من الغرور ، فكلمه فى ذلك كلاما كثيرا إلى أن قال له الراهب : إن المسيح كان يطوى أربعين يوما وإن ذلك معجزة لا تكون إلا لنبى أو صديق ، فقال له الصوفى : فإن طويت خمسين يوما تترك ما أنت عليه وتدخل فى دين الإسلام وتعلم أنه حق وأنك على باطل ؟ قال ؛ نعم ، فجلس لا يبرح إلا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما ، ثم قال ؛ وأزيدك أيضا فطوى إلى تمام الستين ، فتعجب الراهب منه وقال ؛ ما كنت أظن أن أحداً يجاوز المسيح ؟ فكان ذلك سبب إسلامه .

---

(١) حديث أبى ذر « أقربكم منى مجلسا يوم القيامة وأحبكم الى من مات على ما هو عليه اليوم » أخرجه أحمد فى كتاب الزهد ومن طريقه أبو نعيم فى الحلية دون قوله « وأحبكم الى » وهو منقطع (٢) حديث : كان قوت أهل الصفة مدا من تمر بين اثنين فى كل يوم » أخرجه الحاكم وصحح إسناده من حديث طلحة البصرى .

وهذه درجة عظيمة قل من يبلغها إلا مكاشف محمول شغل بمشاهدة ماقطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه فى لذته وأنساه جوعته وحاجته .

الدرجة الثانية : أن يطوى يومين إلى ثلاثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول إليه بالجد والمجاهدة .

الدرجة الثالثة : وهى أدناها أن يقتصر فى اليوم والليلة على أكلة واحدة وهذا هو الأقل وماجاوز ذلك إسراف ومداومة للشبع حتى لايكون له حالة جوع ، وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة ، فقد روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا تغدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتغد [1] وكان السلف يأكلون فى كل يوم أكلة ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة « إياك والسرف ، فإن أكلتين فى يوم من السرف ، وأكلة واحدة فى كل يومين إقتار ، وأكلة فى كل يوم قوام بين ذلك [2] » وهو المحمود فى كتاب الله عز وجل .

ومن اقتصر فى اليوم على أكلة واحدة فيستحب له أن يأكلها سحراً قبل طلوع الفجر فيكون أكله بعد التهجد وقبل الصبح ، فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام ، وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر ، واجتماع الهم وسكون النفس إلى المعلوم ، فلا تنازعه قبل وقته . وفى حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : ماقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط ، وإن كان ليقوم حتى تورم قدماه ، وما واصل وصالكم هذا قط غير أنه قد أخر الفطر إلى السحر [3] وفى حديث عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم يواصل إلى السحر [4] فإن كان يلتفت قلب الصائم بعد المغرب إلى الطعام وكان ذلك يشغله عن حضور القلب فى التهجد فالأولى أن يقسم طعامه نصفين ، فإن كان رغيفين مثلا أكل رغيفاً عند الفطر ورغيفاً عند السحر ، لتسكن نفسه ويخف بدنه عند التهجد ولا يشتد بالنهار جوعه لأجل التسحر ، فيستعين بالرغيف الأول على التهجد وبالثانى على الصوم . ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا بأس أن يأكل كل يوم فطره وقت الظهر ، ويوم صومه وقت السحر . فهذه الطرق فى مواقيت الأكل وتباعده وتقاربه .

الوظيفة الثالثة : فى نوع الطعام وترك الإدام ، وأعلى الطعام مخ البر فإن نخل فهو غاية الترفه ، وأوسطه شعير منخول ، وأدناه شعير لم ينخل . وأعلى الأدم اللحم والحلاوة ، وأدناه الملح والخل ، وأوسطه المزورات بالأدهان من غير لحم . وعادة سالكى طريق الآخرة الامتناع من الإدام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات ، فإن كل لذيذ يشتهيه الانسان وأكله اقتضى ذلك بطرا فى نفسه وقسوة فى قلبه وأنساه بلذات الدنيا حتى يألفها ويكره الموت ولقاء الله تعالى ، وتصير الدنيا جنة فى حقه ويكون الموت سجناً له . وإذا منع نفسه عن شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجناً عليه ومضيقاً له فاشتهت نفسه الإفلات منها ، فيكون الموت إطلاقها . وإليه الإشارة بقول يحيى ابن معاذ حيث قال : معاشر الصديقين جوعوا أنفسكم لوليمة الفردوس فإن شهوة الطعام على قدر تجويع النفس ، فكل ماذكرناه من آفات الشبع فإنه يجرى فى كل الشهوات وتناول اللذات فلا نطول بإعادته ، فلذلك يعظم الثواب

---

(١) حديث أبى سعيد الخدرى : كان إذا تغدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتغد » لم أجد له أصلا (٣) حديث : قال لعائشة « إياك والإسراف فإن أكلتين فى يوم من السرف » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث عائشة وقال فى إسناده ضعف

(٣) حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبى هريرة : ماقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وإن كان ليقوم حتى تزلع قدماه . رواه النسائى مختصرا : كان يصلى حتى تزلع قدماه . وإسناده جيد . (٤) حديث : كان يواصل الى السحر . لم أجده من فعله وإنما هو من قوله « فأيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر » رواه البخارى من حديث أبى سعيد : وأما هو فكان يواصل وهو من خصائصه .

فى ترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر فى تناولها ، حتى قال صلى الله عليه وسلم « شرار أمتى الذين يأكلون مخ الحنطة [١] » وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى أن من أكله مرة أو مرتين لم يعص ، ومن دام عليه أيضاً فلا يعصى بتناوله ، ولكن تتربى نفسه بالنعيم فتأنس بالدنيا وتألف اللذات وتسعى فى طلبها فيجرها ذلك إلى المعاصى فهم شرار الأمة ، لأن مخ الحنطة يقودهم إلى اقتحام أمور ، تلك الأمور معاص . وقال صلى الله عليه وسلم « شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه أجسامهم [٢] » وإنما همتهم ألوان الطعام وأنواع اللباس ويتشدقون فى الكلام . وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام اذكر أنك ساكن القبر فإن ذلك يمنعك من كثير الشهوات . وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيذ الأطعمة وتمرين النفس عليها ورأوا أن ذلك علامة الشقاوة ، ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة ، حتى روى أن وهب بن منبه قال : التقى ملكان فى السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر : من أين ؟ قال : أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودى لعنه الله ، وقال الآخر : أمرت بإهراق زيت اشتهاه فلان العابد . فهذا تنبيه على أن تيسير أسباب الشهوات ليس من علامات الخير . ولهذا امتنع عمر رضى الله عنه عن شربة ماء بارد بعسل وقال : اعزلوا عنى حسابها . فلا عبادة لله تعالى أعظم من مخالفة النفس فى الشهوات وترك اللذات ـ كما أوردناه فى كتاب رياضة النفس ـ وقد روى نافع أن ابن عمر رضى الله عنهما كان مريضاً فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة فلم توجد ، ثم وجدت بعد كذا وكذا ، فاشتريت له بدرهم ونصف فشويت وحملت إليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام : لفها برغيفها وادفعها إليه ، فقال له الغلام : أصلحك الله قد اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها فلما وجدتها اشتريتها بدرهم ونصف ، فنحن نعطيه ثمنها ، فقال : لفها وادفعها إليه ، ثم قال الغلام للسائل : هل لك أن تأخذ درهما وتتركها ؟ قال : نعم فأعطاه درهما وأخذها وأتى بها فوضعها بين يديه وقال : قد أعطيته درهما وأخذتها منه ، فقال : لفها وادفعها إليه ولا تأخذ منه الدرهم ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا وأهلها الدمار [٤] » أشار إلى أن المقصود رد ألم الجوع والعطش ودفع ضررهما دون التنعم بلذات الدنيا ، وبلغ عمر رضى الله عنه أن يزيد بن أبى سفيان يأكل أنواع الطعام فقال عمر لمولى له : إذا علمت أنه قد حضر عشاؤه فأعلمنى ، فأعلمه فدخل عليه فقرب عشاؤه فأتوه بثريد لحم فأكل معه عمر ، ثم قرب الشواء وبسط يزيد يده وكف عمر يده وقال : الله الله يا يزيد بن أبى سفيان أطعام بعد طعام ؟ والذى نفس عمر بيده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم . وعن يسار بن عمير قال : ما نخلت لعمر دقيقا قط إلا وأناله عاص . وروى أن عتبة الغلام كان يعجن دقيقه ويجففه فى الشمس ، ثم يأكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيأ فى الآخرة الشواء والطعام الطيب . وكان يأخذ الكوز فيغرف به من جب كان فى الشمس نهاره

---

(١) حديث « شرار أمتى الذين يأكلون مخ الحنطة » لم أجد له أصلا (٢) حديث « شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم .. الحديث » أخرجه ابن عدى فى الكامل ومن طريقه البيهقى فى شعب الإيمان من حديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى من حديث فاطمة بنت الحسين مرسلا ، قال الدارقطنى فى العلل : أنه أشبه بالصواب ، ورواه أبو نعيم فى الحلية من حديث عائشة باسناد لا بأس به (٣) حديث نافع : أن ابن عمر كان مريضاً فاشتهى سمكة ... الحديث . وفيه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له » أخرجه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب باسناد ضعيف جدا ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات .

(٤) حديث « إذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا وأهلها الدمار » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة باسناد ضعيف .

فتقول مولاة له : ياعتبة لو أعطيتنى دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء ؟ فيقول لها : ياأم فلان قد شردت عنى كلب الجوع .

قال شقيق بن إبراهيم : لقيت إبراهيم بن أدهم بمكة فى سوق الليل - عند مولد النبى صلى الله عليه وسلم - يبكى وهو جالس بناحية من الطريق فعدلت إليه وقعدت عنده وقلت : إيش هذا البكاء ياأبا إسحق ؟ فقال : خير ، فعاودته مرة واثنتين وثلاثا ، فقال : ياشقيق استر على فقلت ياأخى قل ماشئت، فقال لى : اشتهت نفسى منذ ثلاثين سنة سكباجا فمنعتها جهدى ، حتى إذا كان البارحة كنت جالساً وقد غلبنى النعاس إذ أنا بفتى شاب بيده قدح أخضر يعلو منه بخار ورائحة سكباج ، قال : فاجتمعت بهمتى عنه فقربه وقال : يا إبراهيم كل ، فقلت : ما آكل قد تركته لله عزوجل ، فقال لى : قد أطعمك الله كل ، فما كان لى جواب إلا أنى بكيت ، فقال لى : كل رحمك الله ، فقلت : قد أمرنا أن لانطرح فى وعائنا إلا من حيث نعلم ، فقال : كل عافاك الله فإنما أعطيته ، فقيل لى ياخضر اذهب بهذا وأطعمه نفس إبراهيم بن أدهم فقد رحمها الله من طول صبرها على مايحملها من منعها . اعلم يا إبراهيم أنى سمعت الملائكة يقولون : من أعطى فلم يأخذ طلب فلم يعط ، فقلت : إن كان كذلك فها أنا بين يديك لأجل العقد مع الله تعالى ، ثم التفت فإذا أنا بفتى آخر ناوله شيئاً وقال : ياخضر لقمه أنت ، فلم يزل يلقمنى حتى نعست فانتبهت وحلاوته فى فمى ، قال شقيق : فقلت أرنى كفك ، فأخذت بكفه فقبلتها وقلت : يامن يطعم الجياع الشهوات إذا صحوا المنع ، يامن يقدح فى الضمير اليقين ، يامن يشفى قلوبهم من محبته ، أترى لشقيق عندك حالا ؟ ثم رفعت يد إبراهيم إلى السماء وقلت : بقدر هذا الكف عندك وبقدر صاحبه وبالجود الذى وجد منك جد على عبدك الفقير إلى فضلك وإحسانك ورحمتك وإن لم يستحق ذلك ، قال : فقام إبراهيم ومشى حتى أدركنا البيت .

وروى عن مالك بن دينار أنه بقى أربعين سنة يشتهى لبنا فلم يأكله . وأهدى إليه يوما رطب فقال لأصحابه : كلوا فما ذقته منذ أربعين سنة . وقال أحمد بن أبى الحوارى . اشتهى أبو سليمان الدارانى رغيفا حارا بملح فجئت به إليه فعض منه عضة ثم طرحه وأقبل يبكى وقال : عجلت إلى شهوتى بعد إطالة جهدى واشقوتى قد عزمت على التوبة فأقلنى ! قال أحمد . فما رأيته أكل الملح حتى لقى الله تعالى . وقال مالك بن ضيغم مررت بالبصرة فى السوق فنظرت إلى البقل فقالت لى نفسى : لو أطعمتنى الليلة من هذا فأقسمت أن لاأطعمها إياه أربعين ليلة ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ماأكل رطبة لأهل البصرة ولابسرة قط وقال . ياأهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة ما أكلت لكم رطبة ولابسرة فما زاد فيكم مانقص منى ولانقص منى مازاد فيكم . وقال . طلقت الدنيا ، منذ خمسين سنة ، اشتهت نفسى لبنا منذ أربعين سنة فوالله لاأطعمها حتى ألحق بالله تعالى . وقال حماد بن أبى حنيفة . أتيت داود الطائى والباب مغلق عليه فسمعته يقول . نفسى اشتهيت جزراً فأطعمتك جزراً ، ثم اشتهيت تمراً فما ليت أن لاتأكليه أبدا ، فسلمت ودخلت فإذا هو وحده . ومر أبو حازم يوما فى السوق فرأى الفاكهة فاشتهاها ، فقال لابنه. اشترلنا من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب إلى الفاكهة التى لامقطوعة ولا ممنوعة ، فلما اشتراها وأتى بها إليه قال لنفسه : قد خدعتينى حتى نظرت واشتهيت وغلبتينى حتى اشتريت والله لاذقتيه فبعث بها إلى يتامى من الفقراء وعن موسى الأشج أنه قال . نفسى تشتهى ملحا جريشا منذ عشرين سنة . وعن أحمد بن خليفة قال : نفسى تشتهى منذ عشرين سنة ماطلبت منى إلا الماء حتى تروى فما أرويتها . وروى أى عتبة الغلام اشتهى لحما سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال استحييت من نفسى أن أدافعها منذ سبع سنين - سنة بعد سنة - فاشتريت قطعة لحم على خبز وشويتها

وتركتها على رغيف فلقيت صبيا فقلت ، ألست أنت ابن فلان وقد مات أبوك ؟ قال . بلى ، فناولته إياها قالوا . وأقبل يبكى ويقرأ ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ﴾ ثم لم يذقه بعد ذلك . ومكث يشتهى تمرا سنين ، فلما كان ذات يوم اشترى تمرا بقيراط ورفعه إلى الليل ليفطر عليه قال . فهبت ريح شديده حتى أظلمت الدنيا ففزع الناس ، فأقبل عتبة على نفسه يقول : هذا لجراءتر عليك وشرائى التمر بالقيراط ، ثم قال لنفسه : ماأظن أخذ الناس إلا بذنبك ؟ على أن لاتذوقيه . واشترى داود الطائى بنصف فلس بقلا وبفلس خلا ، وأقبل ليلته كلها يقول لنفسه . ويلك ياداود ما أطول حسابك يوم القيامة ، ثم لم يأكل بعده إلافطارا ، وقال عتبة الغلام يوما لعبد الواحد بن زيد . إن فلانا يصف من نفسه منزلة ما أعرفها من نفسى فقال : لأنك تأكل مع خبزك تمراوهو لايزيد على الخبز شيئا قال : فإن أنا تركت أكل التمر عرفت تلك المنزلة ؟ قال . نعم ؛ وغيرها فأخذ يبكى فقال له بعض أصحابه لاأبكى الله عينك أعلى التمر تبكى ؟ فقال عبد الواحد دعه ؛ فإن نفسه قد عرفت صدق عزمه فى الترك، وهو إذا ترك شيئا لم يعاوده . وقال جعفر بن نصر . أمرنى الجنيد أن أشترى له التين الوزيرى ، فلما اشتريته أخذ واحدة عند الفطور فوضعها فى فمه ثم ألقاها وجعل يبكى ، ثم قال . احمله فقلت له فى ذلك فقال . هتف بى هاتف أما تستحى ؟ تركته من أجلى ثم تعود إليه ! وقال صالح المرى . قلت لعطاء السلمى إنى متكلف لك شيئا فلا ترد على كرامتى ، فقال . افعل ماتريد ، قال . فبعثت إليه مع ابنى شربة من سويق قد لتته بسمن وعسل ، فقلت : لاتبرح حتى يشربها ، فلما كان من الغد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها ، فعاتبته ولمته على ذلك وقلت . سبحان الله رددت على كرامتى ! فلما رأى وجدى لذلك قال . لايسوءك هذا ، إنى قد شربتها أول مرة وقد راودت نفسى فى المرة الثانية على شربها فلم أقدر على ذلك ، كلما أردت ذلك ذكرت قوله تعالى ﴿ يتجرعه ولايكاد يسيغه ﴾ الآية قال صالح . فبكيت وقلت فى نفسى . أنا فى واد وأنت فى واد آخر . وقال السرى السقطى . نفسى منذ ثلاثين سنة تطالبنى أن أغمس جزرة فى دبس فما أطعمتها . وقال أبو بكر الجلاء . أعرف رجلا تقول له نفسه أنا أصبر لك على طى عشرة أيام وأطعمنى بعد ذلك شهوة أشتهيها ، فيقول لها : لاأريد أن تطوى عشرة أيام ولكن اتركى هذه الشهوة . وروى أن عابدا دعا بعض إخوانه فقرب إليه رغفانا فجعل أخوه يقلب الأرغفة ليختار أجودها فقال له العابد . مه أى شىء تصنع ! أماعلمت أن فى الرغيف الذى رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانعا ، حتى استدار من السحاب الذى يحمل الماء والماء الذى يسقى الأرض والرياح والأرض والبهائم وبنى آدم حتى صار إليك ، ثم أنت بعد هذا تقلبه ولاترضى به .

وفى الخبر « لايستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعا أولهم ميكائيل عليه السلام الذى يكيل الماء من خزائن الرحمة ، ثم الملائكة التى تزجى السحاب والشمس والقمر والأفلاك وملائكة الهواء ودواب الأرض ، وآخرهم الخباز ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ [1] » وقال بعضهم : أتيت قاسما الجرعى فسألته عن الزهد أى شىء هو ؟ فقال : أى شىء سمعت فيه ؟ فعددت أقوالا فسكت فقلت : وأى شىء تقول أنت ؟ فقال : اعلم أن البطن دنيا العبد فبقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد ، وبقدر ما يملكه بطنه تملكه الدنيا وكان بشر بن الحرث قد اعتل مرة ، فأتى عبد الرحمن الطبيب يسأله عن شىء يوافقه من المأكولات ، فقال : تسألنى فإذا وصفت لك لم تقبل منى ، قال : صف لى حتى أسمع ، قال : تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتأكل

(١) حديث « لايستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعا أولهم ميكائيل .. الحديث » لم أجد له أصلا

بعد ذلك اسفيذباجا ، فقال له بشر : هل تعلم شيئاً أقل من السكنجبين يقوم مقامه ، قال : لا ، قال : أنا أعرف ، قال : ماهو ؟ قال : الهندبا بالخل ، ثم قال : أتعرف شيئا أقل من السفرجل يقوم مقامه ؟ قال : لا ، قال أنا أعرف قال : ماهو ؟ قال : الخرنوب الشامى ، قال : فتعرف شيئا أقل من الاسفيذباج يقوم مقامه ؟ قال : لا ، قال : أنا أعرف ؛ ماء الحمص بسمن البقر فى معناه ، فقال له عبد الرحمن : أنت أعلم منى بالطب ؛ فلم تسألنى ؟

فقد عرفت بهذا أن هؤلاء امتنعوا من الشهوات ومن الشبع من الأقوات ، وكان امتناعهم للفوائد التى ذكرناها ، وفى بعض الأوقات لأنهم كانوا لايصفو لهم الحلال فلم يرخصوا لأنفسهم إلا فى قدر الضرورة ، والشهوات ليست من الضرورات حتى قال أبو سليمان : الملح شهوة لأنه زيادة على الخبز وماوراء الخبز شهوة . وهذا هو النهاية . فمن لم يقدر على ذلك فينبغى أن لايغفل عن نفسه ولا ينهمك فى الشهوات ، فكفى بالمرء إسرافا أن يأكل كل ما يشتهيه ، ويفعل كل مايهواه فينبغى أن لايواظب على أكل اللحم . وقال على كرم الله وجهه من ترك اللحم أربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه أربعين يوما قسا قلبه . وقيل إن للمداومة على اللحم ضراوه كضراوة الخمر . ومهما كان جائعا وتاقت نفسه إلى الجماع فلاينبغى أن يأكل ويجامع ، فيعطى نفسه شهوتين فتقوى عليه ، وربما طلبت النفس الأكل لينشط فى الجماع . ويستحب أن لاينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعاد الفتور ويقسو قلبه لذلك ، ولكن ليصل أو ليجلس فيذكر الله تعالى فإنه أقرب إلى الشكر . وفى الحديث « أذيبوا طعامكم بالذكر والصلاة ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم [1] » وأقل ذلك أن يصلى أربع ركعات أو يسبح مائة تسبيحة أو يقرأ جزءا من القرآن عقيب أكله . فقد كان سفيان الثورى إذا شبع ليلة أحياها ، وإذا شبع فى يوم واصله بالصلاة والذكر ، وكان يقول . أشبع الزبجى وكده ومرة يقول : أشبع الحمار وكده . ومهما اشتهى شيئا من الطعام وطيبات الفواكه فينبغى أن يترك الخبز ويأكلها بدلا منه لتكون قوتا ، ولا تكون تفكها لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة . نظر سهل إلى ابن سالم وفى يده خبز وتمر فقال له : ابدأ بالتمر فإن قامت كفايتك به وإلا أخذت من الخبز بعده بقدر حاجتك . ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فإنه لايشتهى الغليظ بعده ، ولو قدم الغليظ لأكل اللطيف أيضا للطافته . وكان بعضهم يقول لأصحابه : لاتأكلوا الشهوات فإن أكلتموها فلا تطلبوها فإن طلبتموها فلا تحبوها ، وطلب بعض أنواع الخبز شهوة . قال عبدالله ابن عمر رحمة الله عليهما : ماتأتينا من العراق فاكهه أحب إلينا من الخبز فرأى ذلك الخبز فاكهة .

وعلى الجملة لاسبيل إلى إهمال النفس فى الشهوات المباحات واتباعها بكل حال فبقدر ما يستوفى العبد من شهوته يخشى أن يقال له يوم القيامة ﴿ أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ﴾ وبقدر مايجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع فى الدار الآخر بشهواته . قال بعض أهل البصرة : نازعتنى نفسى خبز أرز وسمكا فمنعتها ، فقويت مطالبتها واشتدت مجاهدتى لها عشرين سنة ، فلما مات قال بعضهم : رأيته فى المنام فقلت ماذا فعل الله بك ؟ قال : لا أحسن أن أصف ما لقانى به ربى من النعم والكرامات ، وكان أول شىء استقبلنى به خبز أرز وسمكا . وقال : كل اليوم شهوتك هنيئا بغير حساب . وقد قال تعالى ﴿ كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية ﴾ وكانوا قد أسلفوا ترك الشهوات . ولذلك قال أبو سليمان : ترك شهوة من الشهوات أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها . وفقنا الله لما يرضيه .

---

(١) حديث « أذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر ولاتناموا عليه فتقسو قلوبكم » أخرجه الطبرانى وابن السنى فى اليوم والليلة من حديث عائشة بسند ضعيف .

بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه

اعلم أنّ المطلوب الأقصى فى جميع الأمور والأخلاق : الوسط ، إذ خير الأمور أوساطها وكلا طرفى قصد الأمور ذميم . وما أوردناه فى فضائل الجوع ربما يومئ إلى أنّ الإفراط فيه مطلوب وهيهات ، ولكن من أسرار حكمة الشريعة أن كل مايطلب الطبع فيه الطرف الأقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة فى المنع منه ، على وجه يومئ عند الجاهل إلى أنّ المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الإمكان . والعالم يدرك أنّ المقصود الوسط ، لأنّ الطبع إذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغى أن يمدح غاية الجوع ، حتى يكون الطبع باعثاً والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال ، فإنّ من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم أنه لاينتهى إلى الغاية ؛ فإنه إن أسرف مسرف فى مضادة الطبع كان فى الشرع أيضاً ما يدل على إساءته ، كما أنّ الشرع بالغ فى الثناء على قيام الليل وصيام النهار ، ثم لما علم النبى صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم أنه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه [1] فإذا عرفت هذا فاعلم أنّ الأفضل بالإضافة إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لايحس بثقل المعدة ولا يحس بألم الجوع ، بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه الجوع أصلا ، فإن مقصود الأكل بقاء الحياة وقوة العبادة ، وثقل المعدة يمنع من العبادة وألم الجوع أيضا يشغل القلب ويمنع منها . فالمقصود أن يأكل أكلا لا يبقى المأكول فيه أثر ليكون متشبها بالملائكة فإنهم مقدّسون عن ثقل الطعام وألم الجوع ، وغاية الإنسان الاقتداء بهم . وإذا لم يكن للإنسان خلاص من الشبع والجوع فأبعد الأحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال

ومثال طلب الآدمى البعد عن هذه الأطراف المتقابلة بالرجوع إلى الوسط مثال نملة ألقيت فى وسط حلقة محمية على النار مطروحة على الأرض ، فإنّ النملة تهرب من حرارة الحلقة وهى محيطة بها لاتقدر على الخروج منها . فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذى هو الوسط ، فلوماتت ماتت على الوسط لأنّ الوسط هو أبعد المواضع عن الحرارة التى فى الحلقة المحيطة : فكذلك الشهوات محيطة بالإنسان إحاطه تلك الحلقة بالنملة ، والملائكة خارجون عن تلك الحلقة ، ولا مطمع للإنسان فى الخروج وهو يريد أن يتشبه بالملائكة فى الخلاص ، فأشبه أحواله بهم البعد ، وأبعد المواضع عن الأطراف الوسط ، فصار الوسط مطلوبا فى جميع هذه الأحوال المتقابلة . وعنه عبر بقوله صلى الله عليه وسلم « خير الأمور أوساطها [2] » وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ ومهما لم يحس الإنسان بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر وخف فى نفسه وقوى على العمل مع خفته ، ولكن هذا بعد اعتدال الطبع .

أما فى بداية الأمر إذا كانت النفس جموحا متشوقة إلى الشهوات مائلة إلى الإفراط فالاعتدال لا ينفعها بل لابد من المبالغة فى إيلامها بالجوع ، كما يبالغ فى إيلام الدابة التى ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره إلى أن تعتدل ، فإذا ارتاضت واستوت ورجعت إلى الاعتدال ترك تعذيبها وإيلامها . ولأجل هذا السر يأمر الشيخ مريده بما لايتعاطاه هو فى نفسه فيأمره بالجوع وهو لايجوع ، ويمنعه الفواكه والشهوات ، وقد لايمتنع هو منها ، لأنه قد فرغ من تأديب نفسه فاستغنى عن التعذيب . ولما كان أغلب أحوال النفس الشره والشهوة والجماح والامتناع عن العبادة ، كان الأصلح لها الجوع الذى تحس بألمه فى أكثر الأحوال لتنكسر نفسه . والمقصود أن تنكسر حتى

---

(١) حديث : النهى عن صوم الدهر كله وقيام الليل كله . تقدم (٢) حديث « خير الأمور أوساطها » أخرجه البيهقى فى الشعب مرسلا وقد تقدم .

تعتدل فترد بعد ذلك الغذاء أيضا إلى الاعتدال . وإنما يمتنع من ملازمة الجوع من سالكى طريق الآخرة : إما صدّيق وإما مغرور أحمق.

أما الصدّيق المستقيم : فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن أن يساق بسياط الجوع إلى الحق . وأما المغرور : فلظنه بنفسه أنه الصدّيق المستغنى عن تأديب نفسه الظان بها خيرا . وهذا غرور عظيم وهو الأغلب. فإن النفس قلما تتأدب تأدبا كاملا ، وكثيرا ما تغتر فتنظر إلى الصدّيق ومسامحته نفسه فى ذلك فيساعد نفسه، كالمريض ينظر إلى من قد صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة فيهلك . والذى يدل على أن تقدير الطعام بمقدار يسير - فى وقت مخصوص ونوع مخصوص - ليس مقصوداً فى نفسه - وإنما هو مجاهدة نفس متنائية عن الحق غير بالغة رتبة الكمال - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه .

قالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم [1] وكان يدخل على أهله فيقول « هل عندكم من شىء » فإن قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال « إنى إذن صائم [2] » وكان يقدّم إليه الشىء فيقول « أما إنى قد أردت الصوم » ثم يأكل [3] وخرج صلى الله عليه وسلم يوما وقال « إنى صائم » فقالت له عائشة رضى الله عنها : قد أهدى إلينا حيس فقال « كنت أردت الصوم ولكن قربيه [4] ».

ولذلك حكى عن سهل أنه قيل له : كيف كنت فى بدايتك ؟ فأخبر بضروب من الرياضات ، منها: أنه كان يقتات ورق النبق مدة . ومنها : أنه أكل دقاق التين مدّة ثلاث سنين ، ثم ذكر أنه اقتات بثلاثة دراهم فى ثلاث سنين فقيل له : فكيف أنت فى وقتك هذا ؟ فقال : آكل بلا حدّ ولا توقيت . وليس المراد بقوله بلا حدّ ولا توقيت : أنى آكل كثيرا ، بل أنى لا أقدّر بمقدار واحد ما آكله . وقد كان معروف الكرخى يهدى إليه طيبات الطعام فيأكل، فقيل له : إن أخاك بشرا لا يأكل مثل هذا ؟ فقال : إن أخى بشرا قبضه الورع وأنا بسطتنى المعرفة ، ثم قال: إنما أنا ضيف فى دار مولاى فإذا أطعمنى أكلت وإذا جوعنى صبرت ، مالى والاعتراض والتمييز ؟ ودفع إبراهيم بن أدهم إلى بعض إخوانه دراهم وقال : خذ لنا بهذه الدراهم زبدا وعسلا وخبزا حواريا فقيل : يا أبا إسحق بهذا كله ؟ قال ويحك إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال وإذا عدمنا صبرنا صبر الرجال . وأصلح ذات يوم طعاما كثيرا ودعا إليه نفرا يسيرا فيهم الأوزاعى والثورى فقال له الثورى : يا أبا إسحق أما تخاف أن يكون هذا إسرافا ؟ فقال : ليس فى الطعام إسراف إنما الاسراف فى اللباس والأثاث .

فالذى أخذ العلم من السماع والنقل تقليدا يرى هذا من إبراهيم بن أدهم ويسمع عن مالك بن دينار أنه قال مادخل بيتى الملح منذ عشرين سنة . وعن سرى السقطى أنه منذ أربعين سنة يشتهى أن يغمس جزرة فى دبس فما فعل. فيراه متناقضا فيتحير أو يقطع بأن أحدهما مخطئ . والبصير بأسرار القول يعلم أن كل ذلك حق ولكن بالإضافة إلى

---

(١) حديث عائشة : كان يصوم حتى نقول لايفطر ويفطر حتى نقول لايصوم . متفق عليه (٢) حديث : كان يدخل على أهله فيقول « هل عندكم من شىء » فإن قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال « إنى صائم » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه والنسائى من حديث عائشة وهو عند مسلم بنحوه كما سيأتى (٣) حديث : كان يقدم إليه الشىء فيقول « أما إنى كنت أريد الصوم » أخرجه البيهقى من حديث عائشة بلفظ « وإن كنت قد فرضت الصوم » وقال إسناده صحيح وعند مسلم « قد كنت أصبحت صائما » (٤) حديث : خرج وقال « إنى صائم » فقالت عائشة يارسول الله قد أهدى إلينا حيس فقال « كنت أردت الصوم ولكن قربيه » أخرجه مسلم بلفظ « قد كنت أصبحت صائما » وفى روايه له « أدنيه فقد أصبحت صائما » فأكل وفى لفظ للبيهقى « إنى كنت أريد الصوم ولكن قربيه » .

اختلاف الأحوال ثم هذه الأحوال المختلفة يسمعها فطن محتاط أو غبي مغرور . فيقول المحتاط : ما أنا من جملة العارفين حتى أسامح نفسي فليس نفسي أطوع من نفس سري السقطي ومالك بن دينار ، وهؤلاء من الممتنعين عن الشهوات فيقتدى بهم . والمغرور يقول : ما نفسي بأعصى على من نفس معروف الكرخي وإبراهيم بن أدهم فاقتدى بهم وأرفع التقدير في مأكولي ، فأنا أيضا ضيف في دار مولاي فمالي وللاعتراض ؟ ثم إنه لو قصر أحد في حقه وتوقيره أو في ماله وجاهه بطريقة واحدة قامت القيامة عليه واشتغل بالاعتراض ، وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمق ، بل رفع التقدير في الطعام والصيام وأكل الشهوات لا يسلم إلا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنبوة، فيكون بينه وبين الله علامة في استرساله وانقباضه ، ولا يكون ذلك إلا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكلية، حتى يكون أكله إذا أكل على نية كما يكون إمساكه بنية ، فيكون عاملا لله في أكله وإفطاره ، فينبغي أن يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فإنه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل ويأكله [1] ثم لم يقس نفسه عليه، بل لما عرضت عليه شربة باردة ممزوجة بعسل جعل يدير الإناء في يده ويقول : أشربها وتذهب حلاوتها وتبقى تبعتها . اعزلوا عني حسابها، وتركها.

وهذه الأسرار لا يجوز لشيخ إن يكاشف بها مريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ، ولا يدعوه إلى الاعتدال فإنه يقصر لا محالة عما يدعوه إليه . فينبغي أن يدعوه إلى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال. ولا يذكر له أن العارف الكامل يستغني عن الرياضة ، فإن الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيلقي إليه كل ساعة : إنك عارف كامل، وما الذي فاتك من المعرفة والكمال . بل كان من عادة إبراهيم الخواص أن يخوض مع المريد في كل رياضة كان يأمره بها ، كيلا يخطر بباله أن الشيخ يأمره بما لم يفعل فينفره ذلك من رياضته . والقوي إذا اشتغل بالرياضة وإصلاح الغير لزمه النزول إلى حد الضعفاء تشبهاً بهم وتلطفاً في سياقتهم إلى السعادة . وهذا ابتلاء عظيم للأنبياء والأولياء وإذا كان الاعتدال خفيا في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغي أن لا يترك في كل حال . ولذلك أدب عمر رضي الله عنه ولده عبدالله إذ دخل عليه فوجده يأكل لحما مأدوما بسمن ، فعلاه بالدرة وقال : لا أم لك كل يوما خبزا ولحما ، ويوما خبزا ولبنا ، ويوما خبزا وسمنا ، ويوما خبزا وزيتا ، ويوما خبزا وملحا ، ويوما خبزا قفارا . وهذا هو الاعتدال ، فأما المواظبة على اللحم والشهوات فإفراط وإسراف ، ومهاجرة اللحم بالكلية إقتار . وهذا قوام بين ذلك والله تعالى أعلم .

بيان آفة الرياء المتطرق إلى من ترك أكل الشهوات وقلل الطعام

اعلم أنه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما أعظم من أكل الشهوات ؛ إحداهما : أن لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها ، ولكن لا يريد أن يعرف بأنه يشتهيها فيخفي الشهوة ويأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة . وهذا هو الشرك الخفي ، سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل له : هل تعلم به بأسا ؟ قال يأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة . وهذه آفة عظيمة ، بل حق العبد إذا ابتلي بالشهوات وحبها أن يظهرها فإن هذا صدق الحال ، وهو بدل عن فوات المجاهدات بالأعمال ، فإن إخفاء النقص وإظهار ضده من الكمال هو نقصانان متضاعفان ، والكذب مع الإخفاء كذبان ، فيكون مستحقاً لمقتين ولا يرضى منه إلا بتوبتين صادقتين .

---

(١) حديث : كان يحب العسل ويأكله . متفق عليه من حديث عائشة : كان يحب الحلواء والعسل ... الحديث . وفيه قصة شربه العسل عند بعض نسائه .

ولذلك شدد أمر المنافقين فقال تعالى ﴿ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ﴾ لأن الكافر كفر وأظهر وهذا كفر وستر ، فكان ستره لكفره كفراً آخر لأنه استخف بنظر الله سبحانه وتعالى إلى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصى ولا يبتلون بالرياء والغش والإخفاء . بل كمال العارف أن يترك الشهوات لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة إسقاطاً لمنزلته من قلوب الخلق . وكان بعضهم يشترى الشهوات ويعلقها فى البيت وهو فيها من الزاهدين ، وإنما يقصد به تلبيس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لايشوشون عليه حاله .

فنهاية الزهد : الزهد فى الزهد بإظهار ضده وهذا عمل الصديقين . فإنه جمع بين صدقين كما أن الأول جمع بين كذبين . وهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها كأس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة برميه ؛ فلاجرم أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا . وهذا يضاهى طريق من يعطى جهراً فيأخذ ويرد سرا ليكسر نفسه بالذل جهراً وبالفقر سرا . فمن فاته هذا فلا ينبغى أن يفوته إظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه . ولا ينبغى أن يغره قول الشيطان : إنك إذا أظهرت اقتدى بك غيرك فاستره إصلاحا لغيرك ، فإنه لو قصد إصلاح غيره لكان إصلاح نفسه أهم عليه من غيره ، فهذا إنما يقصد الرياء المجرد ويروجه الشيطان عليه فى معرض إصلاح غيره ، فلذلك ثقل عليه ظهور ذلك منه واعلم أن من اطلع عليه ليس يقتدى به فى الفعل أو لاينزجر باعتقاده أنه تارك للشهوات .

الآفة الثانية : أن يقدر على ترك الشهوات لكنه يفرح أن يعرف به فيشتهر بالتعفف عن الشهوات ، فقد خالف شهوة ضعيفة وهى شهوة الأكل وأطاع شهوة هى شر منها وهى شهوة الجاه ، وتلك هى الشهوة الخفية فهما أحس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة آكد من كسر شهوة الطعام فليأكل فهو أولى له . قال أبو سليمان : إذا قدمت إليك شهوة وقد كنت تاركا لها فأصب منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك مناها ، فتكون قد أسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد نغصت عليها إذ لم تعطها شهوتها . وقال محمد بن جعفر الصادق : إذا قدمت إلى شهوة نظرت إلى نفسى فإن هى أظهرت شهوتها أطعمتها منها وكان ذلك أفضل من منعها ، وإن أخفت شهوتها وأظهرت العزوب عنها عاقبتها بالترك ولم أنلها منها شيئا ، وهذا طريق فى عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية .

وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع فى شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب وفزع إلى حية ؛ لأن شهوة الرياء أضر كثيرا من شهوة الطعام والله ولى التوفيق .

القول فى شهوة الفرج

اعلم أن شهوة الوقاع سلطت على الإنسان لفائدتين ؛ إحداهما : أن يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة . فإن لذة الوقاع لو دامت لكانت أقوى لذات الأجساد ، كما أن النار وآلامها أعظم آلام الجسد . والترغيب والترهيب يسوق الناس إلى سعادتهم وليس ذلك إلا بألم محسوس ولذة محسوسة مدركة ، فإن مالا يدرك بالذوق لا يعظم إليه الشوق .

الفائدة الثانية : بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها . ولكن فيها من الآفات مايهلك الدين والدنيا إن لم تضبط ولم تقهر ولم ترد إلى حد الاعتدال . وقد قيل فى تأويل قوله تعالى ﴿ ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ﴾ معناه شدة الغلمة ، وعن ابن عباس : فى قوله تعالى ﴿ ومن شر غاسق إذا وقب ﴾ قال : هو قيام الذكر . وقد أسنده بعض الرواة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه قال فى تفسيره : الذكر إذا دخل . وقد قيل : إذا

قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله [١] . وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه « اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى وبصرى وقلبى وهنى ومنيى [٢] » وقال عليه السلام « النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال [٣] » .

روى أن موسى عليه السلام كان جالساً فى بعض مجالسه إذا أقبل إليه إبليس وعليه برنس يتلون فيه ألوانا ؛ فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ، ثم أتاه فقال : السلام عليك ياموسى ، فقال له موسى من أنت ؟ فقال : أنا إبليس ، فقال : لاحياك الله ماجاء بك ؟ قال : جئت لأسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانتك منه ، قال : فما الذى رأيت عليك ؟ قال : برنس أختطف به قلوب بنى آدم قال : فما الذى إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه قال : إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله ونسى ذنوبه ، وأحذرك ثلاثا : لاتخل بامرأة لاتحل لك فإنه ماخلا رجل بامرأة لاتحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أفتنه بها وأفتنها به ، ولا تعاهد الله عهدا إلا وفيت به ، ولا تخرجن صدقة إلا أمضيتها فإنه ماأخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين الوفاء بها . ثم ولى وهو يقول : علم موسى مايحذر به بنى آدم . وعن سعيد بن المسيب قال : مابعث الله نبيا فيما خلا إلا لم ييأس إبليس أن يهلكه بالنساء ولا شىء أخوف عندى منهن ، وما بالمدينة بيت أدخله إلا بيتى وبيت ابنتى أغتسل فيه يوم الجمعة ثم أروح . وقال بعضهم : إن الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جندى وأنت سهمى الذى أرمى به فلاأخطئ ، وأنت موضع سرى وأنت رسولى فى حاجتى . فنصف جنده الشهوة ونصف جنده الغضب .

وأعظم الشهوات شهوة النساء . وهذه الشهوة أيضا لها إفراط وتفريط واعتدال ، فالإفراط : مايقهر العقل حتى يصرف همة الرجال إلى الاستمتاع بالنساء والجوارى ، فيحرم عن سلوك طريق الآخرة أو يقهر الدين حتى يجر إلى اقتحام الفواحش . وقد ينتهى إفراطها بطائفة إلى أمرين شنيعين :

أحدهما : أن يتناولوا مايقوى شهواتهم على الاستكثار من الوقاع ـ كما قد يتناول بعض الناس أودية تقوى المعدة لتعظم شهوة الطعام ـ وما مثال ذلك إلا كمن ابتلى بسباع ضارية وحيات عادية فتنام عنه فى بعض الأوقات فيحتال لإثارتها وتهييجها ثم يشتغل بإصلاحها وعلاجها ، فإن شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الإنسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص .

* فإن قلت . فقد روى فى غريب الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « شكوت إلى جبرائيل ضعف الوقاع فأمرنى بأكل الهريسة [٤] » ؟ فاعلم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالامتاع ، وحرم على غيره نكاحهن وإن طلقهن ، فكان طلبه القوة لهذا لاللتمتع .

والأمر الثانى . أنه قد تنتهى هذه الشهوة ببعض الضلال إلى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع ، وهو مجاوزة فى البهيمية لحد البهائم لأن المتعشق ليس يقنع بإراقة شهوة الوقاع وهى أقبح الشهوات وأجدرها أن يستحيى منه حتى اعتقد أن الشهوة لاتنقضى إلا من محل واحد ، والبهيمة تقضى الشهوة أين اتفق فتكتفى به ؟ وهذا لايكتفى

---

(١) حديث ابن عباس موقوفا مسندا فى قوله تعالى ﴿ ومن شر غاسق إذا وقب ﴾ قال هو قيام الذكر وقال الذى أسنده : الذكر إذا دخل . هذا حديث لاأصل له (٢) حديث « اللهم انى أعوذ بك من شر سمعى وبصرى وقلبى وهنى ومنيى » تقدم فى الدعوات (٣) حديث « النساء حبائل الشيطان » أخرجه الأصفهانى فى الترغيب والترهيب من حديث خالد بن زيد الجهنى باسناد فيه جهالة . (٤) حديث « شكوت الى جبريل ضعف الوقاع فأمرنى بأكل الهريسة » أخرجه العقيلى فى الضعفاء والطبرانى فى الأوسط من حديث حذيفة وقد تقدم وهو موضوع .

إلا بشخص واحد معين حتى يزداد به ذلا إلى ذل وعبودية إلى عبودية ، وحتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لاليكون خادما للشهوة ومحتالا لأجلها وما العشق إلا سعة إفراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لاهم له . وإنما يجب الاحتراز من أوائله بترك معاودة النظر والفكر ، وإلا فإذا استحكم عسر دفعه . فكذلك عشق المال والجاه والعقار والأولاد حتى حب اللعب بالطيور والنرد والشطرنج ، فإن هذه الأمور قد تستولى على طائفة بحيث تنغص عليهم الدين والدنيا ولايصبرون عنها ألبتة .

ومثال من يكثر سورة العشق فى أول انبعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها إلى باب لتدخله ، وما أهون منعها بصرف عنانها . ومثال من يعالجها بعد استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبها ويجرها إلى ورائها . وما أعظم التفاوت بين الأمرين فى اليسر والعسر ، فليكن الاحتياط فى بدايات الأمور فأما فى أواخرها فلا تقبل العلاج إلا بجهد جهيد يكاد يؤدى إلى نزع الروح .

فإذن إفراط الشهوة أن يغلب العقل إلى هذا الحد وهو مذموم جدا . وتفريطها : بالعنة أو بالضعف عن إمتاع المنكوحة ، وهو أيضا مذموم . وإنما المحمود أن تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع فى انقباضها وانبساطها . ومهما أفرطت فكسرها بالجوع والنكاح قال صلى الله عليه وسلم « معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فالصوم له وجاء [1] » .

بيان ما على المريد فى ترك التزويج وفعله

اعلم أنّ المريد فى ابتداء أمره ينبغى أن لايشغل نفسه بالتزويج فإنّ ذلك شغل شاغل يمنعه من السلوك ويستجره إلى الأنس بالزوجة . ومن أنس بغير الله تعالى شغل عن الله ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه كان لايشغل قلبه جميع مافى الدنيا عن الله تعالى [2] فلا تقاس الملائكة بالحدادين . ولذلك قال أبو سليمان الدارانى : من تزوج فقد ركن إلى الدنيا ؟ وقال : مارأيت مريدا تزوج فثبت على حاله الأول : وقيل له مرة : ما أحوجك إلى امرأة تأنس بها ؟ فقال : لا آنسنى الله بها ، أى أن الأنس بها يمنع الأنس بالله تعالى ، وقال أيضا : كل ماشغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشئوم . فكيف يقاس غير رسول الله صلى الله عليه وسلم به؟ وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه إلى حد كان يخشى منه فى بعض الأحوال أن يسرى ذلك إلى قالبه فيهدمه . فلذلك كان يضرب بيده على فخذ عائشة أحيانا ويقول « كلمينى ياعائشة » لتشغله بكلامها عن عظيم ماهو فيه لقصور طاقة قالبه عنه [3] فقد كان طبعه الأنس بالله عز وجل ، وكان أنسه بالخلق عارضا رفقا ببدنه ، ثم إنه كان لايطيق الصبر مع الخلق إذا جالسهم فإذا ضاق صدره قال « أرحنا بها يابلال [4] » ، حتى يعود إلى ماهو قرة عينه [5] فالضعيف إذا لاحظ أحواله فى مثل هذه الأمور فهو مغرور لأن الأفهام تقصر عن الوقوف على أسرار أفعاله صلى الله عليه وسلم . فشرط المريد العزبة فى الابتداء إلى أن يقوى فى المعرفة ، هذا إذا لم تغلبه الشهوة فإن غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم ، فإن لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لايقدر على حفظ العين مثلا وإن قدر على حفظ الفرج فالنكاح له أولى لتسكن الشهوة ، وإلا فهما لم يحفظ عينه لم يحفظ عليه فكره

---

(١) حديث « معاشر الشباب من استطاع منكم النكاح فليتزوج ... الحديث » تقدم فى النكاح (٢) حديث : كان لايشغل قلبه عن الله تعالى جميع مافى الدنيا . تقدم (٣) حديث : كان يضرب يده على فخذ عائشة أحيانا ويقول « كلمينى ياعائشة » لم أجد له أصلا (٤) حديث « أرحنا بها يابلال » تقدم فى الصلاة (٥) حديث : ان الصلاة كانت قرة عينه . تقدم أيضاً

ويتفرق عليه همه ، وربما وقع فى بلية لايطيقها . وزنا العين من كبائر الصغائر وهو يؤدى إلى القرب على الكبيرة الفاحشة وهى زنا الفرج . ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ فرجه قال عيسى عليه السلام : إياكم والنظرة فإنها تزرع فى القلب شهوة وكفى بها فتنة . وقال سعيد بن جبير : إنما جاءت الفتنة لداود عليه السلام من قبل النظرة . ولذلك قال لابنه عليه السلام : يابنى امش خلف الأسد والأسود ولاتمش خلف المرأة وقيل ليحيى عليه السلام : مابدء الزنا ؟ قال : النظر والتمنى . وقال الفضيل : يقول إبليس هو قوسى القديمة وسهمى الذى لاأخطئ به يعنى النظر . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفا من الله تعالى أعطاه الله تعالى إيمانا يجد حلاوته فى قلبه [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « ماتركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت من قبل النساء [3] » وقال تعالى ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾ الآية وقال عليه السلام « لكل ابن آدم حظ من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر ، واليدان تزنيان وزناهما البطش ، والرجلان تزنيان وزناهما المشى ، والفم يزنى وزناه القبلة ، والقلب يهم أو يتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه [4] » وقالت أم سلمة : استأذن ابن أم مكتوم الأعمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وميمونة جالستان ، فقال عليه السلام « احتجبا » فقلنا : أوليس بأعمى لايبصر ؟ فقال « وأنتما لاتبصرانه ؟ [5] » وهذا يدل على أنه لايجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت به العادة فى المآتم والولائم ، فيحرم على الأعمى الخلوة بالنساء ، ويحرم على المرأة مجالسة الأعمى وتحديق النظر إليه لغير حاجة ، وإنما جوز للنساء محادثة الرجال والنظر إليهم لأجل عموم الحاجة ، وإن قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالنكاح أولى به ، فإن الشر فى الصبيان أكثر ، فإنه لو مال قلبه إلى امرأة أمكنه الوصول إلى استباحتها بالنكاح . والنظر إلى وجه الصبى بالشهوة حرام ، بل كل من يتأثر قلبه بجمال صورة الأمرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحى لم يحل له النظر إليه .

فإن قلت : كل ذى حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لامحالة ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة ؟ فأقول لست أعنى تفرقة العين فقط ، بل ينبغى أن يكون إدراكه التفرقة كإدراكه التفرقة بين شجرة خضراء وأخرى يابسة ، وبين ماء صاف وماء كدر ، وبين شجرة عليها أزهارها وأنوارها وشجرة تساقطت أوراقها ، فإنه يميل إلى إحداهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ، ولأجل ذلك لايشتهى ملامسة الأزهار والأنوار وتقبيلها ، ولاتقبيل الماء الصافى ، وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين إليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لاشهوة فيها . ويعرف ذلك بميل النفس إلى القرب والملامسة . فهما وجد ذلك الميل فى قلبه وأدرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والأثواب المنقشة والسقوف المذهبة فنظره نظر شهوة فهو حرام ، وهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك إلى المعاطب وهم لايشعرون .

قال بعض التابعين ما أنا بأخوف من السبع الضارى على الشاب الناسك من غلام أمرد يجلس إليه . وقال

---

(١) حديث « النظرة سهم مسموم من سهام ابليس . الحديث » تقدم أيضاً (٢) حديث « ماتركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء » متفق عليه من حديث أسامة بن زيد (٣) حديث « اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فإن أول فتنة بنى اسرائيل كانت فى النساء » أخرجه مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى

(٤) حديث « لكل ابن آدم حظه من الزنا فالعينان تزنيان... الحديث » أخرجه مسلم والبيهقى واللفظ له من حديث أبى هريرة واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس نحوه (٥) حديث أم سلمة : استأذن ابن أم مكتوم الأعمى وأنا وميمونة جالستان فقال « احتجبا » الحديث أخرجه أبو داود والنسائى والترمذى وقال حسن صحيح .

سفيان : لو أنّ رجلا عبث بغلام بين أصبعين من أصابع رجله يريد الشهوة لكان لواطا . وعن بعض السلف قال: سيكون فى هذه الأمة ثلاثة أصناف لوطيون : صنف ينظرون ، وصنف يصافحون ، وصنف يعملون .

فإذن آفة النظر إلى الأحداث عظيمة . فهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له أن يكسر شهوته بالنكاح : فرب نفس لايسكن توقانها بالجوع .

وقال بعضهم : غلبت على شهوتى فى بدء إرادتى بما لم أطق فأكثرت الضجيج إلى الله تعالى فرأيت شخصا فى المنام فقال : مالك ؟ فشكوت إليه فقال : تقدّم إلى ، فتقدمت إليه فوضع يده على صدرى فوجدت بردها فى فؤادى وجميع جسدى ، فأصبحت وقد زال مابى فبقيت معافى سنة ، ثم عاودنى ذلك فأكثرت الاستغاثة فأتانى شخص فى المنام فقال لى : أتحب أن يذهب ماتجده وأضرب عنقك ؟ قلت : نعم ، فقال : مدّ رقبتك ، فمددتها فجرد سيفاً من نور فضرب به عنقى فأصبحت وقد زال مابى فبقيت معافى سنة ، ثم عاودنى ذلك أو أشدّ منه فرأيت كأن شخصاً فيما بين جنبى وصدرى يخاطبنى ويقول : ويحك كم تسأل الله تعالى رفع مالايجب رفعه ؟ قال : فتزوجت فانقطع ذلك عنى وولد لى .

ومهما احتاج المريد إلى النكاح فلا ينبغى أن يترك شرط الإرادة فى ابتداء النكاح ودوامه ، أما فى ابتدائه فبالنية الحسنة ، وفى دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة ـ كما فصلنا جميع ذلك فى كتاب آداب النكاح فلا نطول بإعادته ـ وعلامة صدق إرادته أن ينكح فقيرة متدينة ولايطلب الغنية . قال بعضهم : من تزوج غنية كان له منها خمس خصال ، مغالاة الصداق ، وتسويف الزفاف ، وفوت الخدمة ، وكثرة النفقة . وإذا أراد طلاقها لم يقدر خوفا على ذهاب مالها . والفقيرة بخلاف ذلك . وقال بعضهم : ينبغى أن تكون المرأة دون الرجل بأربع وإلا استحقرته : بالسنّ ، والطول ، والمال ، والحسب ، وأن تكون فوقه بأربع : بالجمال ، والأدب ، والورع والخلق وعلامة صدق الإرادة فى دوام النكاح الخلق .

تزوج بعض المريدين بامرأة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المرأة وشكت ذلك إلى أبيها وقالت : قد تحيرت فى هذا الرجل أنا فى منزله منذ سنين ما ذهبت إلى الخلاء قط إلا وحمل الماء قبلى إليه ؟ وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال فلما قرب زفافها أصابها الجدرى فاشتدّ حزن أهلها لذلك خوفا من أن يستقبحها ، فأراهم الرجل أنه قد أصابه رمد ، ثم أراهم أن بصره قد ذهب حتى زفت إليه فزال عنهم الحزن ، فبقيت عنده عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينيه حين ذلك ، فقيل له فى ذلك فقال تعمدته لأجل أهلها حتى لايحزنوا ، فقيل له : قد سبقت إخوانك بهذا الخلق . وتزوج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقيل له : لم لاتطلقها ؟ فقال : أخشى أن يتزوجها من لايصبر عليها فيتأذى بها ، فإن تزوج المريد فهكذا ينبغى أن يكون ، وإن قدر على الترك فهو أولى له ، إذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم أن ذلك يشغله عن حاله ، كما روى أن محمد بن سليمان الهاشمى كان يملك من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم فى كل يوم ، فكتب إلى أهل البصرة وعلمائها فى امرأة يتزوجها فأجمعوا كلهم على رابعة العدوية رحمها الله تعالى فكتب إليها : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ، فإن الله تعالى قد ملكنى من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم فى كل يوم ، وليس تمضى الأيام والليالى حتى أتمها مائة ألف وأنا أصير لك مثلها ومثلها فأجيبينى . فكتبت إليه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ، فإن الزهد فى الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن ، فإذا أتاك كتابى هذا فهيّ زادك وقدم لمعادك وكن وصى نفسك ولا تجعل الرجال أوصياءك فيقتسموا

تراثك ؛ فصم الدهر وليكن فطرك الموت . وأما أنا فلو أن الله تعالى خولنى أمثال الذى خولك وأضعافه ما سرنى أن أشتغل عن الله طرفة عين .

وهذه إشارة إلى أن كل مايشغل عن الله تعالى فهو نقصان ، فلينظر المريد إلى حاله وقلبه فإن وجده فى العزوبة فهو الأقرب ، وإن عجز عن ذلك فالنكاح أولى به . ودواء هذه العلة ثلاثة أمور : الجوع ، وغض البصر ، والاشتغال بشغل يستولى على القلب . فإن لم تنفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذى يستأصل مادتها فقط . ولهذا كان السلف يبادرون إلى النكاح وإلى تزويج البنات ، قال سعيد بن المسيب ما أيس إبليس من أحد إلا وأتاه من قبل النساء ، وقال سعيد أيضا ـ وهو ابن أربع وثمانين سنة ، وقد ذهبت إحدى عينيه وهو يعشو بالأخرى ـ ماشىء أخوف عندى من النساء ، وعن عبد الله بن أبى وداعة قال : كنت أجالس سعيد بن المسيب فتفقدنى أياماً فلما أتيته قال أين كنت ؟ قلت : توفيت أهلى فاشتغلت بها ، فقال : هلا أخبرتنا فشهدناها ؟ قال : ثم أردت أن أقوم فقال : هل استحدثت امرأة ؟ فقلت : يرحمك الله تعالى ومن يزوجنى وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة ؟ فقال : أنا ، فقلت : وتفعل ؟ قال : نعم ، فحمد الله تعالى وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وزوجنى على درهمين ـ أو قال ثلاثة ـ قال : فقمت وما أدرى ما أصنع من الفرح ؟ فصرت إلى منزلى وجعلت أفكر ممن آخذ وممن أستدين فصليت المغرب وانصرفت إلى منزلى فأسرجت ، وكنت صائما فقدمت عشائى لأفطر ـ وكان خبزا وزيتا ـ وإذا بابى يقرع فقلت : من هذا ؟ قال : سعيد ، قال : فأفكرت فى كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب ـ وذلك أنه لم ير أربعين سنة إلا بين داره والمسجد ـ قال : فخرجت إليه فإذا به سعيد بن المسيب فظننت أنه قد بدا له ، فقلت : يا أبا محمد لو أرسلت إلى لأتيتك ؟ فقال : لا ، أنت أحق أن تؤتى ، قلت : فما تأمر ؟ قال : إنك كنت رجلا عزباً فتزوجت فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك ، وهذه امرأتك ، وإذا هى قائمة خلفه فى طوله ثم أخذ بيدها فدفعها فى الباب ورده فسقطت المرأة من الحياء ، فاستوثقت من الباب ثم تقدمت إلى القصعة التى فيها الخبز والزيت فوضعتها فى ظل السراج لكيلا تراه ؛ ثم صعدت السطح فرميت الجيران فجاءونى وقالوا : ما شأنك ؟ قلت : ويحكم زوجنى سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا : أو سعيد زوجك ؟ قلت : نعم ؛ قالوا وهى فى الدار ؟ قلت : نعم ، فنزلوا إليها وبلغ ذلك أمى فجاءت وقالت : وجهى من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام ، قال : فأقمت ثلاثاً ثم دخلت بها ؛ فاذا هى من أجمل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفهم بحق الزوج ؟ قال : فمكثت شهراً لا يأتينى سعيد ولا آتيه ؛ فلما كان بعد الشهر أتيته وهو فى حلقته فسلمت عليه فرد على السلام ولم يكلمنى حتى تفرق الناس من المجلس ، فقال : ماحال ذلك الإنسان ؟ فقلت : بخير يا أبا محمد على مايحب الصديق ويكره العدو ، قال : إن رابك منه أمر فدونك والعصا فانصرفت إلى منزلى فوجه إلى بعشرين ألف درهم . قال عبد الله بن سليمان : وكانت بنت سعيد بن المسيب هذه قد خطبها منه عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد فأبى سعيد أن يزوجه ، فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط فى يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف . فاستعجال سعيد فى الزفاف تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة فى الدين إلى تطفئة نارها بالنكاح رضى الله تعالى عنه ورحمه .

بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

اعلم أن هذه الشهوة هى أغلب الشهوات على الإنسان وأعصاها عند الهيجان على العقل ، إلا أن مقتضاها قبيح

يستحيا منه ويخشى من اقتحامه ، وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها إما لعجز أو لخوف أو لحياء أو لمحافظة على جسمه ، وليس فى شىء من ذلك ثواب فإنه إيثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخر . نعم من العصمة أن لا يقدر فى هذه العوائق فائدة وهى دفع الإثم ، فإن من ترك الزنا اندفع عنه إثمه بأى سبب كان تركه ؟ وإنما الفضل والثواب الجزيل فى تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الأسباب ، لاسيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد [1] » وقال عليه السلام « سبعة يظلهم الله يوم القيامة فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ـ وعدّ منهم : رجل دعته امرأة ذات جمال وحسب إلى نفسها فقال إنى أخاف الله رب العالمين [2] » وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من زليخا مع القدرة ومع رغبتها معروفة ، وقد أثنى الله تعالى عليه بذلك فى كتابه العزيز ، وهو إمام لكل من وفق لمجاهدة الشيطان فى هذه الشهوة العظيمة .

وروى أن سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجها فدخلت عليه امرأة فسألته نفسه فامتنع عليها وخرج هاربا من منزله وتركها فيه . قال سليمان: فرأيت تلك الليلة فى المنام يوسف عليه السلام وكأنى أقول له أنت يوسف ؟ قال : نعم أنا يوسف الذى هممت وأنت سليمان الذى لم تهم أشار إلى قوله تعالى ﴿ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾ وعنه أيضا ما هو أعجب من هذا . وذلك أنه خرج من المدينة حاجا ومعه رفيق له حتى نزلا بالأبواء فقام رفيقه وأخذ السفرة وانطلق إلى السوق ليبتاع شيئاً ، وجلس سليمان فى الخيمة وكان من أجمل الناس وجها وأورعهم ، فبصرت به أعرابية من قلة الجبل وانحدرت إليه حتى وقفت بين يديه ـ وعليها البرقع والقفازان ـ فأسفرت عن وجه لها كأنه فلقة قمر وقالت أهنئنى ؛ فظن أنها تريد طعاما فقام إلى فضلة السفرة ليعطيها فقالت : لست أريد هذا إنما أريد ما يكون من الرجل إلى أهله ؟ فقال : جهزك إلى إبليس ؟ ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأخذ فى النحيب فلم يزل يبكى فلما رأت منه ذلك سدلت البرقع على وجهها وانصرفت راجعة حتى بلغت أهلها . وجاء رفيقه فرآه وقد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه فقال ما يبكيك ؟ قال : خير ذكرت صبيتى . قال : لا والله إلا أن لك قصة إنما عهدك بصبيتك منذ ثلاث أو نحوها ، فلم يزل به حتى أخبره خبر الأعرابية ، فوضع رفيقه السفرة وجعل يبكى بكاء شديدا فقال سليمان : وأنت ما يبكيك ؟ قال : أنا أحق بالبكاء منك لأنى أخشى أن لو كنت مكانك لما صبرت عنها ، فلم يزالا يبكيان ، فلما انتهى سليمان إلى مكة فسعى وطاف ثم أتى الحجر ، فاحتبى بثوبه فأخذته عينه فنام وإذا رجل وسيم طوال له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان : رحمك الله من أنت ؟ قال له : أنا يوسف ، قال : يوسف الصديق ؟ قال : نعم ، قال : إن فى شأنك وشأن امرأة العزيز لعجبا ! فقال له يوسف : شأنك وشأن صاحبة الأبواء أعجب .

وروى عن عبدالله بن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « انطلق ثلاثة نفر مما كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوا فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار ، فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم فقال رجل منهم : اللهم إنك تعلم أنه كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا ، فنأى بى طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما

(١) حديث « من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد » أخرجه الحاكم فى التاريخ من حديث ابن عباس وقال أنكر على سويد بن سعيد ، ثم قال : يقال ان يحيى لما ذكر له هذا الحديث قال لو كان لى فرس ورمح غزوت سويدا ورواه الخرائطى من غير طريق سويد إسناد فيه نظر (٢) حديث « سبعة يظلهم الله فى ظله ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم

فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا ومالا ، فلبثت والقدح فى يدى أنتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبية يتضاغون حول قدمى فاستيقظا فشربا غبوقهما ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا مانحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئا لايستطيعون الخروج منه . وقال الآخر : اللهم إنك تعلم أنه كان لى ابنة عم من أحب الناس إلى فراودتها عن نفسها فامتنعت منى ، حتى ألمت بها سنة من السنين ، فجاءتنى فأعطيتها مائة وعشرين دينارا على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت ، حتى إذا قدرت عليها قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه ، فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهى من أحب الناس إلى وتركت الذهب الذى أعطيتها ، اللهم إن كنت فعلته ابتغاء وجهك ففرج عنا مانحن فيه ، فانفرجت الصخرة عنهم غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها . وقال الثالث : اللهم إنى استأجرت أجراء وأعطيتهم أجورهم غير رجل واحد فإنه ترك الأجر الذى له وذهب فنميت له أجره حتى كثرت منه الأموال ، فجاءنى بعد حين فقال : ياعبد الله أعطنى أجرى ، فقلت كل ماترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق ؛ فقال ياعبدالله أتهزأ بى ؟ فقلت : لا أستهزئ بك فخذه ، فاستاقه وأخذه كله ولم يترك منه شيئا ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون [1] .

فهذا فضل من تمكن من قضاء هذه الشهوة فعف وقريب منه من تمكن من قضاء شهوة العين ، فإن العين مبدأ الزنا فحفظها مهم ، وهو عسر من حيث إنه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والآفات كلها منه تنشأ . والنظرة الأولى إذا لم تقصد لايؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها قال صلى الله عليه وسلم « لك الأولى وعليك الثانية [2] » أى النظرة . وقال العلاء بن زياد . لاتتبع بصرك رداء المرأة فإن النظر يزرع فى القلب شهوة ، وقلما يخلو الإنسان فى ترداده عن وقوع البصر على النساء والصبيان . فهما تخايل إليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعنده ينبغى أن يقرر فى نفسه أن هذه المعاودة عين الجهل ، فإنه إن حقق النظر فاستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول فلا يحصل له إلا التحسر ، وإن استقبح لم يلتذ وتألم لأنه قصد الالتذاذ فقد فعل ما آلمه ، فلا يخلو فى كلتا حالتيه عن معصية وعن تألم وعن تحسر . ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات ، فإن أخطأت عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعى غاية القوة ونهاية التوفيق . فقد روى عن أبى بكر بن عبدالله المزنى : أن قصابا أولع بجارية لبعض جيرانه فأرسلها أهلها فى حاجة لهم إلى قرية أخرى فتبعها وراودها عن نفسها فقالت له : لاتفعل لأنا أشد حبا لك منك لى ولكنى أخاف الله ، قال : فأنت تخافينه وأنا لاأخافه ! فرجع تائباً فأصابه العطش حتى كاد يهلك فإذا برسول لبعض أنبياء بنى إسرائيل فسأله فقال : مالك ؟ قال : العطش ، قال : تعال حتى ندعو الله بأن تظلنا سحابة حتى ندخل القرية ، قال : مالى من عمل صالح فأدعوا ، فادع أنت ، قال : أنا أدعو وأمن أنت على دعائى فدعا الرسول وأمن هو فأظلتهما سحابة حتى انتهيا إلى القرية ، فأخذ القصاب إلى مكانه فمالت السحابة معه فقال له الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم : زعمت أن ليس لك عمل صالح وأنا الذى دعوت وأنت الذى أمنت فأظلتنا سحابة ثم تبعتك ، لتخبرنى بأمرك ، فأخبره فقال الرسول : إن التائب عند الله تعالى بمكان ليس أحد من الناس بمكانه . وعن أحمد بن سعيد العابد عن أبيه قال : كان عندنا بالكوفة شاب متعبد لازم المسجد الجامع لايكاد يفارقه ، وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت ، فنظرت إليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال عليها ذلك ، فلما كان ذات يوم وقفت له على الطريق وهو يريد المسجد فقالت له : يافتى اسمع منى كلمات أكلمك بها ثم اعمل ما شئت ،

(١) حديث ابن عمر « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت الى غار ... فذكر الحديث بطوله رواه البخارى
(٢) حديث « لك الأولى وليست لك الثانية » أى النظرة أخرجه أبو داود والترمذى من حديث بريدة قاله العلى قال الترمذى حديث غريب

فمضى ولم يكلمها ، ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له : يافتى اسمع منى كلمات أكلمك بها ، فأطرق مليا وقال لها : هذا موقف تهمة وأنا أكره أن أكون للتهمة موضعا ، فقالت له : والله ماوقفت موقفى هذا جهالة منى بأمرك ولكن معاذ الله أن يتشوف العباد إلى مثل هذا منى ، والذى حملنى على أن لقيتك فى مثل هذا الأمر بنفسى لمعرفتى أن القليل من هذا عند الناس كثير ، وأنتم معاشر العباد على مثال القوارير أدنى شىء يعيبها ، وجملة ماأقول لك إن جوارحى كلها مشغولة بك فالله الله فى أمرى وأمرك ، قال : فمضى الشاب إلى منزله وأراد أن يصلى فلم يعقل كيف يصلى ! فأخذ قرطاساً وكتب كتابا ثم خرج من منزله وإذا بالمرأة واقفة فى موضعها فألقى الكتاب إليها ورجع إلى منزله ، وكان فيه : بسم الله الرحمن الرحيم اعلمى أيتها المرأة أن الله عزوجل إذا عصاه العبد حلم فإذا عاد إلى المعصية مرة أخرى ستره ، فإذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضق منها السموات والأرض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه ، فإن كان ماذكرت باطلا فإنى أذكرك يوما تكون السماء فيه كالمهل وتصير الجبال كالعهن وتجثوا الأمم لصولة الجبار العظيم ، وإنى والله قد ضعفت عن إصلاح نفسى فكيف بإصلاح غيرى ؟ وإن كان ماذكرت حقا فإنى أدلك على طبيب هدى يداوى الكلوم الممرضة والأوجاع المرمضة ذلك الله رب العالمين فاقصديه بصدق المسألة فإنى مشغول عنك بقوله تعالى ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ماللظالمين من حميم ولا شفيع يطاع . يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ﴾ فأين المهرب من هذه الآية ؟ ثم جاءت بعد ذلك بأيام فوقفت له على الطريق فلما رآها من بعيد أراد الرجوع إلى منزله كيلا يراها فقالت : يافتى لاترجع فلا كان الملتقى بعد هذا اليوم أبدا إلا غدا بين يدى الله تعالى ، ثم بكت بكاء شديدا وقالت : أسأل لك الله الذى بيده مفاتيح قلبك أن يسهل ما قد عسر من أمرك ، ثم إنها تبعته وقالت : امنن على بموعظة أحملها عنك وأوصنى بوصية أعمل عليها ، فقال لها : أوصيك بحفظ نفسك من نفسك وأذكرك قوله تعالى ﴿ وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار ﴾ قال : فأطرقت وبكت بكاء شديدا أشد من بكائها الأول ، ثم إنها أفاقت ولزمت بيتها وأخذت فى العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا ، فكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكى ، فيقال له : مم بكاؤك وأنت قد أيأستها من نفسك ؟ فيقول : إنى قد ذبحت طمعها فى أول أمرها وجعلت قطيعتها ذخيرة لى عند الله تعالى فأنا أستحى منه أن أسترد ذخيرة ادخرتها عنده تعالى .

تم كتاب كسر الشهوتين بحمدالله تعالى وكرمه . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب آفات اللسان ، والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وسلم تسليما كثيرا .

كتاب آفات اللسان

وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أحسن خلق الإنسان وعدله ، وألهمه نور الإيمان فزينه به وجمله ، وعلمه البيان فقدمه به وفضله ، وأفاض على قلبه خزائن العلوم فأكمله ، ثم أرسل عليه سترا من رحمته وأسبله ، ثم أمده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ، ويكشف عنه ستره الذى أرسله ، وأطلق بالحق مقوله ، وأفصح بالشكر عما أولاه وخوله ،

من علم حصله ونطق سهله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله الذى أكرمه وبجله ، ونبيه الذى أرسله بكتاب أنزله ، وأسمى فضله وبين سبله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن قبله ما كبر الله عبد وهلله.

أما بعد : فإن اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبه ، فإنه صغير جرمه ، عظيم طاعته وجرمه ، إذا لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان ، ثم إنه مامن موجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم إلا واللسان يتناوله ويتعرض له بإثبات أو نفى ، فإن كل مايتناوله العلم يعرب عنه اللسان إما بحق أو باطل ولا شيء إلا والعلم متناول له . وهذه خاصية لاتوجد فى سائر الأعضاء ، فإن العين لا تصل إلى غير الألوان والصور ، والآذان لاتصل إلى غير الأصوات ، واليد لاتصل إلى غير الأجسام ، وكذا سائر الأعضاء . واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجالة منتهى وحد ، له فى الخير مجال رحب وله فى الشر ذيل سحب ، فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخى العنان سلك به الشيطان فى كل ميدان وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار ، ولا يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع ، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه فى الدنيا والآخرة ويكفه عن كل مايخشى غائلته فى عاجله وآجله وعلم مايحمد فيه إطلاق اللسان أو يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير ، وأعصى الأعضاء على الإنسان اللسان فإنه لاتعب فى إطلاقه ولا مؤنة فى تحريكه وقد تساهل الخلق فى الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله ، وإنه أعظم آلة الشيطان فى استغواء الإنسان . ونحن بتوفيق الله وحسن تدبيره نفصل مجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها وأسبابها وغوائلها ، ونعرف طريق الاحتراز عنها ، ونورد ماورد من الأخبار والآثار فى ذمها . فنذكر أولا فضل الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لايعنى ، ثم آفة فضول الكلام ، ثم آفة الخوض فى الباطل ، ثم آفة المراء والجدال ؛ ثم آفة الخصومة ، ثم آفة التقعر فى الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة ، ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان ، ثم آفة اللعن إما لحيوان أو جماد أو إنسان ، ثم آفة الغناء بالشعر ـ وقد ذكرنا فى كتاب السماع مايحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده ـ ثم آفة المزاح ، ثم آفة السخرية والاستهزاء ، ثم آفة إفشاء السر ، ثم آفة الوعد الكاذب ، ثم آفة الكذب فى القول واليمين ، ثم بيان التعاريض فى الكذب ، ثم آفة الغيبة ، ثم آفة النميمة ، ثم آفة ذى اللسانين الذى يتردد بين المتعاديين فيكلم كل واحد بكلام يوافقه ، ثم آفة المدح ، ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطأ فى فحوى الكلام لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بأصول الدين ، ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله عز وجل وعن الحروف أهى قديمه أو محدثة ؟ وهى آخر الآفات وما يتعلق بذلك وجملتها عشرون آفة ونسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه .

بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت

اعلم أن خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره إلا بالصمت ، فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وسلم « من صمت نجا [1] » وقال عليه السلام « الصمت حكم وقليل فاعله [2] » أى حكمة وحزم . وروى

كتاب آفات اللسان

(١) حديث « من صمت نجا » أخرجه الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو بسند فيه ضعف وقال غريب وهو عند الطبرانى بسند جيد (٢) حديث « الصمت حكمة وقليل فاعله » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بلفظ « حكم » بدل « حكمة » وقال غلط فيه عثمان بن سعد والصحيح رواية ثابت قال

عبد الله بن سفيان عن أبيه قال : قلت يارسول الله أخبرنى عن الإسلام بأمر لاأسأل عنه أحداً بعدك قال « قل آمنت بالله ثم استقم » قال : قلت فما أتقى ؟ فأومأ بيده إلى لسانه (١) وقال عقبة بن عامر قلت يارسول الله ما النجاة ؟ قال « أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك (٢) » وقال سهل بن سعد الساعدى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يتكفل لى بما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من وقى شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقى الشر كله (٤) » القبقب : هو البطن والذبذب : الفرج ، واللقلق : اللسان . فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق ، ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج ، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر مايدخل الناس الجنة فقال « تقوى الله وحسن الخلق » وسئل عن أكثر مايدخل النار فقال « الأجوفان : الفم والفرج (٥) » فيحتمل أن يكون المراد بالفم آفات اللسان لأنه محله ، ويحتمل أن يكون المراد به البطن لأنه منفذه ؛ فقد قال معاذ بن جبل : قلت يارسول الله أنؤاخذ بما نقول ؟ فقال « ثكلتك أمك يا ابن جبل وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ؟ (٦) » وقال عبد الله الثقفى : قلت يارسول الله حدثنى بأمر أعتصم به فقال « قل ربى الله ثم استقم » قلت يارسول الله ما أخوف ما تخاف على ؟ فأخذ بلسانه وقال « هذا (٧) » وروى أن معاذا قال : يارسول الله أى الأعمال أفضل ؟ فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه أصبعه (٨) وقال أنس بن مالك : قال صلى الله عليه وسلم « لايستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ، ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه (٩) » وقال صلى الله عليه وسلم « من سره أن يسلم فليلزم الصمت (١٠) » وعن سعيد بن جبير مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان أى تقول اتق الله فينا فإنك إن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا (١١) » وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى أبابكر الصدّيق رضى الله عنه وهو يمد لسانه بيده فقال له : ما تصنع ياخليفة رسول الله ؟ قال : هذا أوردنى الموارد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس شىء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدّته (١٢) » وعن ابن مسعود

= والصحيح عن أنس أن القمان قال ورواه كذلك هو وابن حبان فى كتاب روضة العقلاء بسند صحيح الى أنس (١) حديث سفيان الثقفى : أخبرنى عن الإسلام بأمر لاأسأل عنه أحدا بعدك ... الحديث » أخرجه الترمذى وصححه والنسائى وابن ماجه وهو عند مسلم دون آخر الحديث الذى فيه ذكر اللسان (٢) حديث عقبة بن عامر : قلت يارسول الله ما النجاة ؟ قال « أمسك عليك لسانك ... الحديث » أخرجه الترمذى وقال حسن (٣) حديث سهل بن سعد « من يتوكل لى بما بين لحييه ورجليه أتوكل له بالجنة » رواه البخارى (٤) حديث « من وقى شر قبقبه وذبذبه ولقلقه ... الحديث » أخرجه أبو منصور الديلمى من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ « فقد وجبت له الجنة » (٥) حديث : سئل عن أكثر مايدخل الجنة . . الحديث : أخرجه الترمذى وصححه وابن ماجه من حديث أبي هريرة (٦) حديث معاذ : قلت يارسول الله أنؤاخذ بما نقول ؟ فقال « ثكلتك أمك وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم » أخرجه الترمذى وصححه وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين

(٧) حديث عبد الله الثقفى : قلت يارسول الله حدثنى بأمر أعتصم به ... الحديث . رواه النسائي قال ابن عساكر وهو خطأ والصواب سفيان بن عبد الله الثقفى كما رواه الترمذى وصححه ابن ماجه وقد تقدم قبل هذا بخمسة أحاديث .

(٨) حديث : إن معاذا قال : يارسول الله أى الأعمال أفضل ؟ فأخرج لسانه ثم وضع يده عليه . أخرجه الطبرانى وابن أبى الدنيا فى الصمت قال « أصبعه » مكان « يده » (٩) حديث أنس « لايستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولايستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ... الحديث » أخرجه ابن أبي الدنيا فى الصمت والخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند فيه ضعف (١٠) حديث « من سره أن يسلم فليلزم الصمت » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت وأبو الشيخ فى فضائل الأعمال والبيهقى فى الشعب من حديث أنس باسناد ضعيف (١١) حديث « إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان .. الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أبي سعيد الخدرى رفعه ووقع فى الإحياء عن سعيد بن جبير مرفوعا وإنما هو عن سعيد بن جبير عن أبى سعيد رفعه ورواه الترمذى موقوفا على عمار بن زيد وقال هذا أصح (١٢) حديث : أن عمر اطلع على أبى بكر وهو يمد لسانه فقال : ماتصنع ياخليفة رسول الله =

أنه كان على الصفا يلبي ويقول : يالسان قل خيرا تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم ، فقيل له يا أبا عبد الرحمن أهذا شيء تقوله أو شيء سمعته ؟ فقال : لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن أكثر خطايا ابن آدم فى لسانه [١] » وقال ابن عمر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره [٢] » وروى أن معاذ بن جبل قال . يارسول الله أوصنى قال « اعبدالله كأنك تراه وعد نفسك فى الموتى وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله » وأشار بيده إلى لسانه [٣] وعن صفوان بن سليم قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن . الصمت وحسن الخلق [٤] » .

وقال أبو هريرة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت [٥] » وقال الحسن : ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « رحم الله عبداً تكلم فغنم أوسكت فسلم [٦] » وقيل لعيسى عليه السلام : دلنا على عمل ندخل به الجنة قال : لا تنطقوا أبدا ، قالوا : لانستطيع ذلك ، فقال : فلا تنطقوا إلا بخير . وقال سليمان بن داود عليهما السلام : إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب . وعن البراء بن عازب قال : جاء أعرابى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : دلنى على عمل يدخلنى الجنة ، قال « أطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فإن لم تطق فكف لسانك إلا من خير [٧] » وقال صلى الله عليه وسلم « اخزن لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان [٨] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ علم مايقول » وقال عليه السلام « إذا رأيتم المؤمن صموتا وقوراً فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة [٩] » وقال ابن مسعود ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الناس ثلاثة : غانم وسالم وشاحب . فالغانم الذى يذكر الله تعالى ، والسالم الساكت ، والشاحب الذى يخوض فى الباطل [١٠] » وقال عليه السلام « إن لسان المؤمن وراء قلبه فاذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه ، وإن لسان المنافق أمام قلبه ، فإذاهم بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه [١١] » وقال عيسى عليه السلام : العبادة عشرة أجزاء : تسعة منها فى الصمت

= قال : لن هذا أوردنى الموارد لن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس شيء من الجسد الا يشكو الى الله عز وجل اللسان على حدته » أخرجه ابن أبي الدنيا فى الصمت وأبو يعلى فى مسنده والدارقطنى فى العلل والبيهقى فى الشعب من رواية أسلم مولى عمر ، وقال الدارقطنى لن المرفوع وهم على الدراوردى قال وروى هذا الحديث عن قيس بن أبى حازم عن أبى بكر ولا علة له .

(١) حديث ابن مسعود : أنه كان على الصفا يلبي ويقول : يالسان قل خيرا تغنم . وفيه مرفوعا « لن أكثر خطايا بنى آدم فى لسانه » أخرجه الطبرانى وابن أبى الدنيا فى الصمت والبيهقى فى الشعب بسند حسن (٢) حديث ابن عمر « من كف لسانه ستر الله عورته الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت بسند حسن (٣) حديث : لن معاذا قال أوصنى قال « اعبد الله كأنك تراه .. الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت والطبرانى ورجاله ثقات وفيه انقطاع (٤) حديث صفوان بن سليم مرفوعا « ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن : الصمت وحسن الخلق » أخرجه ابن أبى الدنيا هكذا مرسلا ورجاله ثقات ورواه أبو الشيخ فى طبقات المحدثين من حديث أبى ذر وأبى الدرداء أيضاً مرفوعا .

(٥) حديث أبي هريرة « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أوليسكت » متفق عليه . (٦) حديث الحسن : ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « رحم الله عبدا تكلم فغنم أوسكت فسلم » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بسند فيه ضعف فإنه من رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيين (٧) حديث البراء : جاء أعرابى فقال دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال « أطعم الجائع .. الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا باسناد جيد (٨) حديث « اخزن لسانك إلا من خير ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الصغير من حديث أبى سعيد وله فى المعجم الكبير ولابن حبان فى صحيحه نحوه من حديث أبى ذر (٩) حديث « إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة » أخرجه ابن ماجه من حديث أبى خلاد بلفظ « إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا فى الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة » وقد تقدم . (١٠) حديث ابن مسعود « الناس ثلاثة غانم وسالم وشاحب .. الحديث » أخرجه الطبرانى وأبو يعلى من حديث أبى سعيد الخدرى بلفظ « المجالس » وضعفه ابن هدى ولم أجده « ثلاثة » من حديث ابن مسعود (١١) حديث « لن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم =

وجزء فى الفرار من الناس . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « من كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به [1] » .

الآثار : كان أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه يضع حصاة فى فيه يمنع بها نفسه عن الكلام ، وكان يشير إلى لسانه ويقول : هذا الذى أوردنى الموارد . وقال عبد الله بن مسعود : والله الذى لا إله إلا هو ماشىء أحوج إلى طول سجن من لسان . وقال طاوس : لسانى سبع إن أرسلته أكلنى . وقال وهب بن منبه : فى حكمة آل داود ؛ حق على العاقل أن يكون عارفا بزمانه حافظاً للسانه مقبلا على شأنه . وقال الحسن : ماعقل دينه من لم يحفظ لسانه . وقال الأوزاعى : كتب إلينا عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ أما بعد : فإن من أكثر ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير ، ومن عدّ كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه . وقال بعضهم : الصمت يجمع الرجل فضيلتين ؛ السلامة فى دينه والفهم عن صاحبه . وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار : ياأبا يحيى حفظ اللسان أشدّ على الناس من حفظ الدينار والدرهم . وقال يونس بن عبيد : مامن الناس أحد يكون منه لسانه على بال إلا رأيت صلاح ذلك فى سائر عمله . وقال الحسن تكلم قوم عند معاوية رحمه الله والأحنف بن قيس ساكت فقال له : مالك يا أبابحر لاتتكلم ؟ فقال له : أخشى الله إن كذبت وأخشاك إن صدقت . وقال أبو بكر بن عياش : اجتمع أربعة ملوك ؛ ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر ، فقال أحدهم : أنا أندم على ماقلت ولا أندم على مالم أقل ، وقال الآخر : إنى إذا تكلمت بكلمة ملكتنى ولم أملكها وإذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكنى ، وقال الثالث : عجبت للمتكلم إن رجعت عليه كلمته ضرته وإن لم ترجع لم تنفعه . وقال الرابع : أنا على رد مالم أقل أقدر منى على رد ماقلت . وقيل : أقام المنصور بن المعتز لم يتكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة أربعين سنة . وقيل : ماتكلم الربيع بن خيثم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان إذا أصبح وضع دواة وقرطاسا وقلما فكل ماتكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء .

فإن قلت : فهذا الفضل الكبير للصمت ماسببه ؟ فاعلم أن سببه كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض فى الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وإيذاء الخلق وهتك العورات . فهذه آفات كثيرة وهى سيالة إلى اللسان لاتثقل عليه ولها حلاوة فى القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان ، والخائض فيها قلما يقدر أن يمسك اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب فإن ذلك من غوامض العلم ـ كما سيأتى تفصيله ـ ففى الخوض خطر وفى الصمت سلامة فلذلك عظمت فضيلته ، هذا مع مافيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول فى الدنيا ومن حسابه فى الآخرة . فقد قال الله تعالى : ﴿ مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ .

ويدلك على فضل لزوم الصمت أمر ، وهو أن الكلام أربعة أقسام : قسم هو ضرر محض ، وقسم هو نفع محض ، وقسم فيه ضرر ومنفعة ، وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة .

أما الذى هو ضرر محض فلا بدّ من السكوت عنه ، وكذلك مافيه ضرر ومنفعة لاتفى بالضرر

وأما مالا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران ، فلا يبقى إلا القسم الرابع ، فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقى ربع ، وهذا الربع فيه خطر إذ يمتزج بما فيه إثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى دركه فيكون الإنسان به مخاطرا . ومن عرف دقائق

= بشىء تدبره بقلبه ... الحديث » لم أجده مرفوعا وإنما رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من رواية الحسن البصرى قال « كانوا يقولون » (١) حديث « من كثر كلامه كثر سقطه . . الحديث » أخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد رواه أبو حاتم بن حبان فى روضة العقلاء والبيهقى فى الشعب موقوفا على عمر بن الخطاب .

آفات اللسان ـ على ماسنذكره ـ علم قطعا أن ماذكره صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال « من صمت نجا [١] » فلقد أوتى والله جواهر الحكم قطعا وجوامع الكلم [٢] ولا يعرف ماتحت آحاد كلماته من بحار المعانى إلا خواص العلماء وفيما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها مايعرفك حقيقة ذلك إن شاء الله تعالى . ونحن الآن نعدّ آفات اللسان ونبتدئ بأخفها ونترقى إلى الأغلظ قليلا ، ونؤخر الكلام فى الغيبة والنميمة والكذب فإن النظر فيها أطول وهى عشرون آفة فاعلم ذلك ترشد بعون الله تعالى .

الآفة الأولى . الكلام فيما لا يعنيك

اعلم أن أحسن أحوالك أن تحفظ ألفاظك من جميع الآفات التى ذكرناها من الغيبة والنميمة والكذب والمراء والجدال وغيرها ، وتتكلم فيما هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم أصلا إلا أنك تتكلم بما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك إليه ، فإنك مضيع به زمانك ومحاسب على عمل لسانك وتستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ، لأنك لو صرفت زمان الكلام إلى الفكر ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكر ما يعظم جدواه ، ولو هللت الله سبحانه وذكرته وسبحته لكان خيرا لك فكم من كلمة يبنى بها قصرا فى الجنة ؟ ومن قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز فأخذ مكانه مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا . وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا يعنيه فإنه وإن لم يأثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى ، فإنّ المؤمن لايكون صمته إلا فكرا ونظره إلا عبرة ونطقه إلا ذكرا [٣] هكذا قال النبى صلى الله عليه وسلم . بل رأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها إلى مالا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا فى الآخرة فقد ضيع رأس ماله . ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه [٤] » بل ورد ما هو أشدّ من هذا قال أنس : استشهد غلام منا يوم أحد فوجدنا على بطنه حجرا مربوطا من الجوع فمسحت أمه عن وجهه التراب وقالت هنيئا لك الجنة يا بنى ، فقال صلى الله عليه وسلم « وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره ؟ [٥] » وفى حديث آخر : أنّ النبى صلى الله عليه وسلم فقد كعباً فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشى حتى أتاه فلما دخل عليه قال « أبشر يا كعب » فقالت أمه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال صلى الله عليه وسلم « من هذه المتألية على الله » ؟ قال : هى أمى يارسول الله قال « وما يدريك ياأم كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه أو منع ما لا يغنيه [٦] » ومعناه أنه إنما تتهيأ الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه ، وإن كان كلامه غير مباح فلا تتهيأ الجنة مع المناقشة فى الحساب فإنه نوع من العذاب .

---

(١) حديث « من صمت نجا » تقدم (٢) حديث : أنه صلى الله عليه وسلم أوتى جوامع الكلم أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة وقد تقدم .

الآفة الأولى الكلام فيما لايعنيك

(٣) حديث « المؤمن لايكون صمته إلا فكرا ونظره إلا عبرة ونطقه إلا ذكرا » لم أجد له أصلا وروى محمد بن زكريا العلائى أحد الضعفاء عن ابن عائشة عن أبيه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « إن الله أمرنى أن يكون نطق ذكرا وصمتى فكرا ونظرى عبرة » (٤) حديث « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه » أخرجه الترمذى وقال غريب وابن ماجه من حديث أبى هريرة (٥) حديث : استشهد منا غلام يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع .. الحديث وفيه « لعله كان يتكلم بما لايعنيه ويمنع مالايضره » أخرجه الترمذى من حديث أنس مختصرا وقال غريب ورواه ابن أبى الدنيا فى الصمت بلفظ المصنف بسند ضعيف (٦) حديث : أن النبى صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض ... الحديث وفيه « لعل كعبا قال مالايعنيه أو منع مالا يغنيه » أخرجه ابن أبى الدنيا من حديث كعب بن عجرة بإسناد جيد إلا أن الظاهر انقطاعه بين الصحابى وبين الراوى عنه .

وعن محمد بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة » فدخل عبد الله بن سلام فقام إليه ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بذلك وقالوا : أخبرنا بأوثق عمل فى نفسك ترجو به فقال : إنى لضعيف وإن أوثق ما أرجو به الله سلامة الصدر وترك ما لا يعنينى[1] » وقال أبو ذرّ : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل فى الميزان » قلت : بلى يا رسول الله قال « هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك[2] » وقال مجاهد . سمعت ابن عباس يقول خمس لهنّ أحب إلى من الدهم الموقوفة : لا تتكلم فيما لا يعنيك فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر ، ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فإنه رب متكلم فى أمر يعنيه قد وضعه فى غير موضعه فعنت ، ولا تمار حليما ولا سفيها فإنّ الحليم يقليك والسفيه يؤذيك ، واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به ، وأعفه مما تحب أن يعفيك منه ، وعامل أخاك بما تحب أن يعاملك به ، واعمل عمل رجل يعلم أنه مجازى بالإحسان مأخوذ بالاحترام . وقيل للقمان الحكيم : ما حكمتك ؟ قال : لا أسأل عما كفيت ولا أتكلف ما لا يعنينى . وقال مورق العجلى : أمر أنا فى طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا : وما هو ؟ قال : السكوت عما لا يعنينى . وقال عمر رضى الله عنه لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم إلا الأمين ، ولا أمين إلا من خشى الله تعالى ، ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك ، واستشر فى أمرك الذين يخشون الله تعالى .

وحدّ الكلام فيما لا يعنيك أن تتكلم بكلام لو سكت عنه لم تأثم ولم تستضر به فى حال ولا مال ، مثاله أن تجلس مع قوم فتذكر لهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار ، وما وقع لك من الوقائع ، وما استحسنته من الأطعمة والثياب ، وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم . فهذه أمور لو سكت عنها لم تأثم ولم تستضر وإذا بالغت فى الجهاد حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان ، ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الأحوال العظيمة ، ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشىء مما خلقه الله تعالى فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك — وأنى تسلم من الآفات التى ذكرناها — ومن جملتها أن تسأل غيرك عما لا يعنيك فأنت بالسؤال مضيع وقتك وقد ألجأت صاحبك أيضاً بالجواب إلى التضييع ، هذا إذا كان الشىء مما يتطرق إلى السؤال عنه آفة ، وأكثر الأسئلة فيها آفات . فإنك تسأل غيرك عن عبادته مثلا فتقول له : هل أنت صائم ؟ فإن قال نعم ، كان مظهراً لعبادته فيدخل عليه الرياء ، وإن لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر ، وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات ، وإن قال : لا ، كان كاذبا ، وإن سكت كان مستحقراً لك وتأذيت به ، وإن احتال لمدافعة الجواب افتقر إلى جهد وتعب فيه . فقد عرضته بالسؤال إما للرياء أو للكذب أو للاستحقار أو للتعب فى حيلة الدفع ، وكذلك سؤالك عن سائر عباداته ، وكذلك سؤالك عن المعاصى وعن كل ما يخفيه ويستحى منه . وسؤالك عما حدّث به غيرك فتقول له : ماذا تقول ؟ وفيم أنت ؟ وكذلك ترى إنسانا فى الطريق فتقول : من أين ؟ فربما يمنعه مانع من ذكره ، وإن ذكره تأذى به واستحيا ، وإن لم يصدق وقع فى الكذب وكنت السبب فيه .. وكذلك تسأل عن مسألة لا حاجة بك إليها والمسئول ربما لم تسمح نفسه بأن يقول لا أدرى ، فيجيب عن غير بصيرة .

---

(١) حديث محمد بن كعب « إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة » فدخل عبد الله بن سلام الحديث . وفيه : إن أوثق ما أرجوه سلامة الصدر وترك مالا يعنينى . أخرجه ابن أبى الدنيا هكذا مرسلا وفيه أبو نجيح اختلف فيه .

(٢) حديث أبى ذر « ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ... الحديث » وفيه « هو الصمت وحسن الخلق وترك مالا يعنيك » أخرجه ابن أبى الدنيا بسند منقطع .

ولست أعنى بالتكلم فيما لا يعنى هذه الأجناس ، فإنّ هذا يتطرق إليه إثم أو ضرر . وإنما مثال ما لا يعنى ما روى أنّ لقمان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعا ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم، فجعل يتعجب مما رأى فأراد أن يسأله عن ذلك فمنعته حكمته فأمسك نفسه ولم يسأله ، فلما فرغ قام داود ولبسه ثم قال: نعم الدرع للحرب ، فقال لقمان : الصمت حكم وقليل فاعله ، أى حصل العلم به من غير سؤال فاستغنى عن السؤال . وقيل إنه كان يتردد إليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك من غير سؤال . فهذا وأمثاله من الأسئلة إذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط فى رياء وكذب هو مما لا يعنى وتركه من حسن الإسلام فهذا حدّه .

وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه أو المباسطة بالكلام على سبيل التودد أو تزجية الأوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها .

وعلاج ذلك كله أن يعلم أن الموت بين يديه وأنه مسئول عن كل كلمة ، وأن أنفاسه رأس ماله . وأن لسانه شبكة يقدر أن يقتنص بها الحور العين فإهماله ذلك وتضييعه خسران مبين . هذا علاجه من حيث العلم . وأما من حيث العمل فالعزلة أو أن يضع حصاة فى فيه وأن يلزم نفسه السكوت بها عن بعض ما يعنيه حتى يعتاد اللسان ترك ما لا يعنيه ، وضبط اللسان فى هذا على غير المعتزل شديد جدّا .

الآفة الثانية : فضول الكلام

وهو أيضا مذموم ، وهذا يتناول الخوض فيما لا يعنى والزيادة فيما يعنى على قدر الحاجة ، فإنّ من يعنيه أمر يمكنه أن يذكره بكلام مختصر ، ويمكنه أن يجسمه ويقرره ويكرره . ومهما تأدّى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول ـ أى فضل عن الحاجة ـ وهو أيضاً مذموم ـ لما سبق ـ وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر . قال عطاء بن أبى رباح : إنّ من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدّون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر ، أو أن تنطق بحاجتك فى معيشتك التى لابد لك منها ، أتنكرون أنّ عليكم حافظين كراماً كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ، أما يستحى أحدكم إذا نشرت صحيفته التى أملاها صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه . وعن بعض الصحابة قال : إنّ الرجل ليكلمنى بالكلام لجوابه أشهى إلى من الماء البارد إلى الظمآن فأترك جوابه خيفة أن يكون فضولا . وقال مطرف : ليعظم جلال الله فى قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب والحمار : اللهم اخزه وما أشبه ذلك

واعلم أنّ فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور فى كتاب الله تعالى قال الله عزوجل ﴿ لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله[1] » فانظر كيف قلب الناس الأمر فى ذلك فأمسكوا فضل المال وأطلقوا فضل اللسان وعن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رهط من بنى عامر

الآفة الثانيـــة فضول الكلام

(١) حديث « طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله » أخرجه البغوى وابن قانع فى معجمى الصحابة والبيهقى من حديث ركب المصرى وقال ابن عبد البر إنه حديث حسن وقال البغوى : لا أدرى سمع من النبى صلى الله عليه وسلم أم لا وقال ابن منده مجهول لا نعرف له صحبة ورواه البزار من حديث أنس بسند ضعيف .

فقالوا : أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا فضلا ، وأنت أطولنا علينا طولا ، وأنت الجفنة الغراء وأنت وأنت فقال « قولوا قولكم ولا يستهوينكم الشيطان [1] » إشارة إلى أن اللسان إذا أطنب بالثناء ولو بالصدق فيخشى أن يستهويه الشيطان إلى الزيادة المستغنى عنها . وقال ابن مسعود : أنذركم فضول كلامكم ؛ حسب امرئ من الكلام مابلغ به حاجته . وقال مجاهد : إن الكلام ليكتب حتى إن الرجل ليسكت ابنه فيقول ، أبتاع لك كذا وكذا ؟ فيكتب كذابا . وقال الحسن : يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بها ملكان كريمان يكتبان أعمالك فاعمل ما شئت وأكثر أو أقل . وروى أنّ سليمان عليه السلام بعث بعض عفاريته وبعث نفراً ينظرون ما يقول ويخبرونه ، فأخبروه بأنه مر فى السوق فرفع رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس وهز رأسه فسأله سليمان عن ذلك فقال : عجبت من الملائكة على رءوس الناس ماأسرع مايكتبون ! ومن الذين أسفل منهم ماأسرع مايملون ! وقال إبراهيم التيمى : إذا أراد المؤمن أن يتكلم نظر فإن كان له تكلم وإلا أمسك ، والفاجر إنما لسانه رسلا رسلا . وقال الحسن : من كثر كلامه كثر كذبه ، ومن كثر ماله كثرت ذنوبه ، ومن ساء خلقه عذب نفسه ، وقال عمر وبن دينار : تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال له صلى الله عليه وسلم « كم دون لسانك من حجاب » ؟ فقال : شفتاى وأسنانى ، قال « أفما كان لك مايرد كلامك؟ [2] » وفى رواية : أنه قال ذلك فى رجل أثنى عليه فاستهتر فى الكلام ثم قال : ماأوتى رجل شرا من فضل فى لسانه وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه : إنه ليمنعنى من كثير من الكلام خوف المباهاة . وقال بعض الحكماء : إذا كان الرجل فى مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وإن كان ساكتا فأعجبه السكوت فليتكلم . وقال يزيد بن أبى حبيب : من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع فإن وجد من يكفيه فإن فى الاستماع سلامة ، وفى الكلام تزيين وزيادة ونقصان . وقال ابن عمر : إن أحق ماطهر الرجل لسانه . ورأى أبو الدرداء امرأة سليطة فقال : لو كانت هذه خرساء كان خيراً لها . وقال إبراهيم : يهلك الناس خلتان : فضول المال وفضول الكلام . فهذه مذمة فضول الكلام وكثرته وسببه الباعث عليه . وعلاجه ماسبق فى الكلام فيما لايعنى .

الآفة الثالثة : الخوض فى الباطل

وهو الكلام فى المعاصى كحكاية أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الأغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة وأحوالهم المكروهة ، فإن كل ذلك مما لايحل الخوض فيه وهو حرام . وأما الكلام فيما لايعنى أو أكثر مما يعنى فهو ترك الأولى ولا تحريم فيه . نعم من يكثر الكلام فيما لا يعنى لا يؤمن عليه الخوض فى الباطل . وأكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه بأعراض الناس أو الخوض فى الباطل . وأنواع الباطل لايمكن حصرها لكثرتها وتفننها فلذلك لامخلص منها إلا بالاقتصار على مايعنى من مهمات الدين والدنيا . وفى هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها وهو يستحقرها ، فقد قال بلال بن الحارث : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله مايظن أن تبلغ به مابلغت فيكتب

---

(١) حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رهط من عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا ... الحديث أخرجه أبو داود والنسائى فى اليوم والليلة بلفظ آخر ورواه ابن أبى الدنيا بلفظ المصنف .

(٢) حديث عمرو بن دينار : تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال « كم دون لسانك من حجاب .. الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا هكذا مرسلا ورجاله ثقات .

الله بها رضوانه إلى يوم القيامة ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله مايظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة [١] » وكان علقمة يقول : كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحارث . وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا [٢] » وقال أبو هريرة إن الرجل ليتكلم بالكلمة مايلقى لها بالا يرفعه الله بها فى أعلى الجنة . وقال صلى الله عليه وسلم « أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا فى الباطل [٣] » وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ وكنا نخوض مع الخائضين ﴾ وبقوله تعالى ﴿ فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذاً مثلهم ﴾ وقال سلمان : أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلاما فى معصية الله . وقال ابن سيرين : كان رجل من الأنصار يمر بمجلس لهم فيقول لهم توضئوا فإن بعض ماتقولون شر من الحدث . فهذا هو الخوض فى الباطل وهو وراء ماسيأتى من الغيبة والنميمة والفحش وغيرها ، بل هو الخوض فى ذكر محظورات سبق وجودها أو تدبر للتوصل إليها من غير حاجة دينية إلى ذكرها . ويدخل فيه أيضا الخوض فى حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ماجرى من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن فى بعضهم . وكل ذلك باطل والخوض فيه خوض فى الباطل نسأل الله حسن العون بلطفه وكرمه .

الآفة الرابعة . المراء والجدال

وذلك منهى عنه قال صلى الله تعالى عليه وسلم « لاتمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه [٤] » وقال عليه السلام « ذروا المراء فإنه لاتفهم حكمته ولا تؤمن فتنته [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى أعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة [٦] » وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إن أول ماعهد إلى ربى ونهانى عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال [٧] » وقال أيضا « ماضل قوم بعد أن هداهم الله تعالى إلا أوتوا الجدل [٨] » وقال أيضا « لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وإن كان محقا [٩] » وقال أيضا « ست من كن فيه بلغ حقيقة

الآفة الثالثة : الخوض فى الباطل

(١) حديث بلال بن الحارث « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ... الحديث » أخرجه ابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح (٢) حديث « إن الرجل ليتكلم الكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا » أخرجه ابن أبى الدنيا من حديث أبى هريرة بسند حسن وللشيخين والترمذى « إن الرجل ليتكلم بالكلمة لايرى بها بأسا يهوى بها سبعين خريفا فى النار » لفظ الترمذى » وقال حسن غريب (٣) حديث « أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا فى الباطل » أخرجه ابن أبى الدنيا من حديث قتادة مرسلا ورجاله ثقات ورواه هو والطبرانى موقوفا على ابن مسعود بسند صحيح .

الآفة الرابعة : المراء والمجادلة

(٤) حديث « لاتمار أخاك ولاتمازحه ولاتعده موعدا فتخلفه » أخرجه الترمذى من حديث ابن عباس وقد تقدم .

(٥) حديث « ذروا المراء فإنه لاتفهم حكمته ولاتؤمن فتنته » أخرجه الطبرانى من حديث أبى الدرداء وأبى أمامة وأنس بن مالك وواثلة بن الأسقع باسناد ضعيف دون قوله « لاتفهم حكمته » ورواه بهذه الزيادة ابن أبى الدنيا موقوفا على ابن مسعود .

(٦) حديث « من ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى أعلى الجنة ... الحديث » تقدم فى العلم (٧) حديث أم سلمة « إن أول ماعهد الى ربى ونهانى عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت والطبرانى والبيهقى بسند ضعيف وقد رواه ابن أبى الدنيا فى المراسيل من حديث عروة بن رويم (٨) حديث « ماضل قوم إلا أوتوا الجدل » أخرجه الترمذى من حديث أبى أمامة وصححه وزاد « بعد هدى كانوا عليه » وتقدم فى العلم وهو عند ابن أبى الدنيا دون هذه الزيادة كما ذكره المصنف (٩) حديث « لايستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يذر المراء وإن كان محقا » أخرجه ابن أبى الدنيا من حديث أبى هريرة بسند ضعيف وهو عند أحمد بلفظ « لايؤمن العبد حتى يترك الكذب فى المزاحة والمراء وإن كان صادقا » .

الإيمان : الصيام فى الصيف ، وضرب أعداء الله بالسيف ، وتعجيل الصلاة فى اليوم الدجن ، والصبر على المصيبات ، وإسباغ الوضوء على المكاره ، وترك المراء وهو صادق [1] ، وقال الزبير لابنه : لا تجادل الناس بالقرآن فإنك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة . وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه : من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل . وقال مسلم بن يسار : إياكم والمراء فإنه ساعة جهل العالم وعندها يبتغى الشيطان زلته وقيل : ماضل قوم بعد إذ هداهم الله إلا بالجدل . وقال مالك بن أنس رحمة الله عليه : ليس هذا الجدال من الدين فى شىء . وقال أيضا : المراء يقسى القلوب ويورث الضغائن وقال لقمان لابنه : يابنى لا تجادل العلماء فيمقتوك وقال بلال بن سعد : إذا رأيت الرجل لجوجا ماريا معجباً برأيه فقد تمت خسارته . وقال سفيان : لو خالفت أخى فى رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بى إلى السلطان . وقال أيضا : صاف من شئت ثم أغضبه بالمراء فليرمينك بداهية تمنعك العيش . وقال ابن أبى ليلى : لا أمارى صاحبى فإما أن أكذبه وإما أن أغضبه . وقال أبو الدرداء : كفى بك إثما أن لا تزال ماريا . وقال صلى الله عليه وسلم « تكفير كل لحاء ركعتان [2] » وقال عمر رضى الله عنه : لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث . لا تتعلمه لتمارى به ، ولا لتباهى به ، ولا لترائى به . ولا تتركه حياء من طلبه ، ولا زهادة فيه ، ولا رضا بالجهل منه . وقال عيسى عليه السلام من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروءته ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه . وقيل لميمون بن مهران : مالك لا تترك أخاك عن قلى ؟ قال : لأنى لا أشاريه ولا أماريه . وماورد فى ذم المراء والجدال أكثر من أن يحصى .

وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه ؛ إما فى اللفظ وإما فى المعنى وإما فى قصد المتكلم . وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض . فكل كلام سمعته وإن كان حقا فصدق به ، وإن كان باطلا أو كذبا ولم يكن متعلقاً بأمور الدين فاسكت عنه .

والطعن فى كلام الغير تارة يكون فى لفظه بإظهار خلل فيه من جهة النحو أو من جهة اللغة أو من جهة العربية أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تأخير . وذلك يكون تارة من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان . وكيفما كان فلا وجه لإظهار خلله .

وأما فى المعنى : فبأن يقول ليس كما تقول ؛ وقد أخطأت فيه من وجه كذا وكذا .

وأما فى قصده فمثل أن يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وإنما أنت فيه صاحب غرض ، وما يجرى مجراه ، وهذا الجنس إن جرى فى مسألة علمية ربما خص باسم الجدل وهو أيضاً مذموم بل الواجب السكوت أو السؤال فى معرض الاستفادة لا على وجه العناد والنكارة ، أو التلطف فى التعريف لا فى معرض الطعن .

وأما المجادلة فعبارة عن قصد إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح فى كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه ، وآية ذلك أن يكون تنبيهه للحق من جهة أخرى مكروها عند المجادل ، يحب أن يكون هو المظهر له خطأ ليبين به فضل نفسه ونقص صاحبه ، ولا نجاة من هذا إلا بالسكوت عن كل مالا يأثم به لو سكت عنه .

وأما الباعث على هذا فهو الترفع بإظهار العلم والفضل ، والتهجم على الغير بإظهار نقصه . وهما شهوتان باطنتان

---

(١) حديث « ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان ... الحديث » وفيه « وترك المراء وهو صادق » أخرجه أبو منصور الديلمى من حديث أبى مالك الأشعرى بسند ضعيف بلفظ « خصال من الخير ... الحديث »

(٢) حديث « تكفير كل لحاء ركعتان » أخرجه الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف .

للنفس قويتان لها . أما إظهار الفضل : فهو من قبل تزكية النفس وهى من مقتضى مافى العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهى من صفات الربوبية . وأما تنقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية فإنه يقتضى أن يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه ، وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان ، وإنما قوتهما المراء والجدال . فالمواظب على المراء والجدال مقو لهذه الصفات المهلكة ، وهذا مجاوز حد الكراهة بل هو معصية مهما حصل فيه إيذاء الغير . ولا تنفك المماراة عن الإيذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل ، ويقدح فى قائله بكل مايتصور له ؛ فيثور الشجار بين المتماريين كما يثور الهراش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما أن يعض صاحبه بما هو أعظم نكاية وأقوى فى إلحامه وإلجامه .

وأما علاجه : فهو بأن يكسر الكبر الباعث له على إظهار فضله ، والسبعية الباعث له على تنقيص غيره ـ كما سيأتى ذلك فى كتاب ذم الكبر والعجب وكتاب ذم الغضب ـ فإن علاج كل علة بإماطة سببها . وسبب المراء والجدال ماذكرناه ، ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه .

روى أن أبا حنيفة رحمة الله عليه قال لداود الطائى : لم آثرت الانزواء ؟ قال : لأجاهد نفسى بترك الجدال ، فقال احضر المجالس واستمع مايقال ولا تتكلم ، قال : ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة أشد على منها . وهو كما قال لأن من سمع الخطأ من غيره وهو قادر على كشفه يعسر عليه الصبر عند ذلك جدا . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتاً فى أعلى الجنة» لشدة ذلك على النفس وأكثر مايغلب ذلك فى المذاهب والعقائد . فإن المراء طبع ؛ فإذا ظن أن له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع عليه ، وذلك خطأ محض . بل ينبغى للإنسان أن يكف لسانه عن أهل القبلة ، وإذا رأى مبتدعا تلطف فى نصحه فى خلوة لا بطريق الجدال فإن الجدال يخيل إليه أنها حيلة منه فى التلبيس وأن ذلك صنعة يقدر المجادلون من أهل مذهبه على أمثالها لو أرادوا ، فتستمر البدعة فى قلبه بالجدل وتتأكد فإذا عرف أن النصح لاينفع اشتغل بنفسه وتركه ، وقال صلى الله عليه وسلم «رحم الله من كف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن مايقدر عليه [1]» ، وقال هشام بن عروة : كان عليه السلام يردد قوله هذا سبع مرات : وكل من اعتاد المجادلة مدة وأثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولا قويت فيه هذه المهلكات ولا يستطيع عنها نزوعا إذا اجتمع عليه سلطان الغضب والكبر والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل . وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها ؟

الآفة الخامسة : الخصومة

وهى أيضاً مذمومة وهى وراء الجدال والمراء ؛ فالمراء طعن فى كلام الغير بإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير . وإظهار مزية الكياسة والجدال عبارة عن أمر يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها . والخصومة لجاج فى الكلام ليستوفى به مال أو حق مقصود ، وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا . والمراء لايكون إلا باعتراض على كلام سبق . فقد قالت عائشة رضى الله عنها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أبغض

(١) حديث «رحم الله من كف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن مايقدر عليه» أخرجه ابن أبى الدنيا بإسناد ضعيف من حديث هشام بن عروة عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من رواية هشام عن عائشة بلفظ «رحم الله امرأ كف لسانه عن أعراض المسلمين» وهو منقطع وضعيف جدا .

الرجال إلى الله الألد الخصم [١] » وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جادل فى خصومة بغير علم لم يزل فى سخط الله حتى ينزع [٢] » وقال بعضهم : إياك والخصومة فإنها تمحق الدين . ويقال : ماخاصم ورع قط فى الدين . وقال ابن قتيبة : مر بى بشر بن عبد الله بن أبى بكرة فقال : مايجلسك ههنا ؟ قلت : خصومة بينى وبين ابن عم لى ، فقال : إن لأبيك عندى يدا وإنى أريد أن أجزيك بها ، وإنى والله مارأيت شيئاً أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب من الخصومة ؟ قال : فقمت لأنصرف فقال لى خصمى : مالك ؟ قلت : لأخاصمك ، قال : إنك عرفت أن الحق لى ، قلت : لا ولكن أكرم نفسى عن هذا قال : فإنى لا أطلب منك شيئا هو لك .

فإن قلت . فإذا كان للإنسان حق فلا بد له من الخصومة فى طلبه أو فى حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته ؟ فاعلم أن هذا الذم يتناول الذى يخاصم بالباطل والذى يخاصم بغير علم ؛ مثل وكيل القاضى فإنه قبل أن يتعرف أن الحق فى أى جانب هو يتوكل فى الخصومة من أى جانب كان ؟ فيخاصم بغير علم ويتناول الذى يطلب حقه ، ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد فى الخصومة على قصد التسلط أو على قصد الإيذاء ويتناول الذى يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج إليها فى نصرة الحجة وإظهار الحق ، ويتناول الذى يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع أنه قد يستحقر ذلك القدر من المال ، وفى الناس من يصرح به ويقول : إنما قصدى عناده وكسر عرضه ، وإنى إن أخذت منه هذا المال ربما رميت به فى بئر ولا أبالى ، وهذا مقصوده اللدد والخصومة واللجاج وهو مذموم جدا . فأما المظلوم الذى ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف وزيادة لجاج على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد وإيذاء ففعله ليس بحرام ، ولكن الأولى تركه ماوجد إليه سبيلا ، فإن ضبط اللسان فى الخصومة على حد الاعتدال متعذر ، والخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب ، وإذا هاج الغضب نسى المتنازع فيه وبقى الحقد بين المتخاصمين ، حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق اللسان فى عرضه ، فمن بدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه المحذورات ، وأقل مافيه تشويش خاطره حتى إنه فى صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الأمر على حد الواجب ، فالخصومة مبدأ كل شر ، وكذا المراء والجدال ، فينبغى أن لا يفتح بابه إلا لضرورة ، وعند الضرورة ينبغى أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا ، فمن اقتصر على الواجب فى خصومته سلم من الإثم ولا تذم خصومته ، إلا أنه إن كان مستغنيا عن الخصومة فيما خاصم فيه لأن عنده مايكفيه فيكون تاركا للأولى ولا يكون آثما ، نعم أقل مايفوته فى الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام وماورد فيه من الثواب ؛ إذ أقل درجات طيب الكلام إظهار الموافقة ، ولا خشونة فى الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذى حاصله إما تجهيل وإما تكذيب ، فإن من جادل غيره أو ماراه أو خاصمه فقد جهله أو كذبه فيفوت به طيب الكلام . وقد قال صلى الله عليه وسلم « يمكنكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام [٣] »

الآفة الخامسة الخصومة

(١) حديث عائشة « إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم » أخرجه البخارى وقد تقدم . (٢) حديث أبى هريرة « من جادل فى خصومة بغير علم لم يزل فى سخط الله حتى ينزع » أخرجه ابن أبى الدنيا والأصفهانى فى الترغيب الترهيب وفيه رجاء أبو يحيى ضعفه الجمهور .

(٣) حديث « يمكنكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام » أخرجه الطبرانى من حديث جابر وفيه من لا أعرفه وله من حديث هانئ أبى شريح بإسناد جيد « يوجب الجنة إطعام الطعام وحسن الكلام » .

وقد قال الله تعالى ﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾ وقال ابن عباس رضى الله عنهما : من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه السلام وإن كان مجوسيا إن الله تعالى يقول ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ﴾ وقال ابن عباس أيضاً : لو قال لى فرعون خيرا لرددت عليه . وقال أنس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فى الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام[1] » وروى أن عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال . مر بسلام ، فقيل . ياروح الله اتقول هذا لخنزير ؟ فقال . أكره أن أعود لسانى الشر . وقال نبينا عليه السلام « الكلمة الطيبة صدقة[2] » وقال « اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة[3] » وقال عمر رضى الله عنه البر شىء هين وجه طليق وكلام لين . وقال بعض الحكماء : الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة فى الجوارح . وقال بعض الحكماء : كل كلام لا يسخط ربك إلا أنك ترضى به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا ، فإنه لعله يعوضك منه ثواب المحسنين . وهذا كله فى فضل الكلام الطيب وتضاده الخصومة والمراء والجدال واللجاج ، فإنه الكلام المستكره الموحش المؤذى للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر . نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه

الآفة السادسة

التقعر فى الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والمقدمات وما جرى به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة . وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا وأتقياء أمتى برءاء من التكلف » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أبغضكم إلى وأبعدكم منى مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون فى الكلام[4] » وقالت فاطمة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون فى الكلام[5] » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا هلك المتنطعون ـ ثلاث مرات ـ[6] » والتنطع هو التعمق والاستقصاء . وقال عمر رضى الله عنه : شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان . وجاء عمر بن سعد بن أبى وقاص إلى أبيه سعد يسأله حاجة ، فتكلم بين يدى حاجته بكلام فقال له سعد : ما كنت من حاجتك بأبعد منك اليوم ! إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يأتى على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخلل البقرة الكلأ بلسانها[7] » وكأنه أنكر عليه ماقدمه على الكلام من التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة . وهذا أيضا من آفات اللسان ، ويدخل فيه كل سجع متكلف ، وكذلك التفاصح الخارج عن حد العادة ، وكذلك التكلف بالسجع فى المحاورات « إذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة فى الجنين فقال بعض قوم الجانى : كيف ندى من لاشرب ولا أكل ولاصاح ولا استهل

---

(١) حديث أنس « إن فى الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها ... الحديث » أخرجه الترمذى وقد تقدم (٢) حديث « الكلمة الطيبة صدقة » أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث « اتقوا النار ولو بشق تمرة ... الحديث » متفق عليه من حديث عدى بن حاتم وقد تقدم .

الآفة السادسة : التقعر فى الكلام والتشدق

(٤) حديث « ان أبغضكم الى الله وأبعدكم منى مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون » أخرجه أحمد من حديث أبى ثعلبة وهو عند الترمذى من حديث جابر وحسنه بلفظ « ان أبغضكم الى » (٥) حديث فاطمة : شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم . الحديث وفيه « ويتشدقون » أخرجه ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب (٦) حديث « ألا هلك المتنطعون » من حديث ابن مسعود (٧) حديث سعد « يأتى على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخلل البقرة الكلأ بلسانها » رواه أحمد .

ومثل ذلك بطل ؟ فقال « أسجعاً كسجع الأعراب[١] » وأنكر ذلك لأن أثر التكلف والتصنع بين عليه ، بل ينبغى أن يقتصر فى كل شىء على مقصوده : ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم . ولا يدخل فى هذه تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير من غير إفراط وإغراب ، فإن المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ، فلرشاقة اللفظ تأثير فيه فهو لائق به . فاما المحاورات التى تجرى لقضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشدق والاشتغال به من التكلف المذموم ، ولا باعث عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه

الآفة السابعة : الفحش والسب وبذاءة اللسان

وهو مذموم ومنهى عنه ومصدره الخبث واللؤم قال صلى الله عليه وسلم « إياكم والفحش فإن الله تعالى لايحب الفحش ولا التفحش[٢] » ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن تسب قتلى بدر من المشركين فقال « لاتسبوا هؤلاء فإنه لا يخلص إليهم شىء مما تقولون وتؤذون الأحياء ألا إن البذاء لؤم[٣] » وقال صلى الله عليه وسلم ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذى[٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها[٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « أربعة يؤذون أهل النار فى النار على مابهم من الأذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور : رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له مابال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث[٦] » وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة ياعائشة « لوكان الفحش رجلا لكان رجل سوء[٧] » وقال صلى الله عليه وسلم « البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق[٨] » فيحتمل أن يراد بالبيان كشف مالا يجوز كشفه ، ويحتمل أيضا المبالغة فى الإيضاح حتى ينتهى إلى حد التكلف ، ويحتمل أيضاً البيان فى أمور الدين وفى صفات الله تعالى ، فإن إلقاء ذلك مجملا إلى أسماع العوام أولى من المبالغة فى بيانه ؛ إذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس فإذا أجملت بادرت القلوب إلى القبول ولم تضطرب ، ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه أن يكون المراد به المجاهرة بما يستحى الإنسان من بيانه ، فإن الأولى فى مثله الإغماض والتغافل دون الكشف والبيان ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله لا يحب الفاحش

---

(١) حديث : كيف ندى من لاشرب ولا أكل .. الحديث » أخرجه مسلم من حديث المغيرة بن شعبة وأبى هريرة وأصلها عند البخارى أيضا .

الآفة السابعة : الفحش والسب وبذاءة اللسان

(٢) حديث « إياكم والفحش ... الحديث » أخرجه النسائى فى الكبرى فى التفسير والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو ورواه ابن حبان من حديث أبى هريرة (٣) حديث : النهى عن سب قتلى بدر من المشركين الحديث أخرجه ابن أبى الدنيا من حديث محمد بن على الباقر مرسلا ورجاله ثقات وللنسائى من حديث ابن عباس باسناد صحيح : إن رجلا وقع فى أب للعباس كان فى الجاهلية فلطمه .. الحديث » وفيه « لاتسبوا أمواتنا فتؤذوا أحياءنا » (٤) حديث « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذى » أخرجه الترمذى باسناد صحيح من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب وصححه وروى موقوفا قال الدارقطنى فى العلل والموقوف أصح (٥) حديث « الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها » أخرجه ابن أبى الدنيا وأبو نعيم فى الحلية من حديث عبد الله بن عمرو (٦) حديث « أربعة يؤذون أهل النار على مابهم من الأذى .. الحديث » وفيه « ان الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث » أخرجه ابن أبى الدنيا من حديث شفى بن ماتع واختلف فى صحبته فذكره أبو نعيم فى الصحابة وذكره البخارى وابن حبان فى التابعين (٧) حديث « ياعائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء » أخرجه ابن أبى الدنيا من رواية ابن لهيعة عن أبى النضر عن أبى سلمة عنها . (٨) حديث « البذاء والبيان شعبتان من النفاق » أخرجه الترمذى وحسنه الحاكم وصححه على شرطهما من حديث أبى أمامة وقد تقدم .

المتفحش الصياح فى الأسواق [١] ، وقال جابر بن سمرة : كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم وأبى أمامى فقال صلى الله عليه وسلم « إن الفحش والتفاحش ليسا من الإسلام فى شىء وإن أحسن الناس إسلاما أحاسنهم أخلاقا [٢] » وقال إبراهيم بن ميسرة يقال يؤتى بالفاحش المتفحش يوم القيامة فى صورة كلب أو فى جوف كلب . وقال الأحنف بن قيس : ألا أخبركم بأدوإ الداء : اللسان البذى والخلق الدنى ،

فهذه مذمة الفحش فأما حده وحقيقته فهو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة ، وأكثر ذلك يجرى فى ألفاظ الوقاع وما يتعلق به ، فإن لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه ، وأهل الصلاح يتحاشون عنها بل يكنون عنها . ويدلون عليها بالرموز فيذكرون مايقاربها ويتعلق بها ، وقال ابن عباس : إن الله حيي كريم يعفو ويكنو ، كنى باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة . وهناك عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل أكثرها فى الشتم والتعيير ، وهذه العبارات متفاوتة فى الفحش وبعضها أفحش من بعض . وربما اختلف ذلك بعادة البلاد وأوائلها مكروهة وأواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها ، وليس يختص هذا بالوقاع ، بل بالكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط أولى من لفظ التغوط والخراء وغيرهما ، فإن هذا أيضا مما يخفى وكل مايخفى يستحيا منه فلا ينبغى أن يذكر ألفاظه الصريحة فإنه فحش ، وكذلك يستحسن فى العادة الكناية عن النساء فلا يقال : قالت زوجتك كذا بل يقال قيل فى الحجرة ، أو من وراء الستر ، أو قالت أم الأولاد . والتلطف فى هذه الألفاظ محمود والتصريح فيها يفضى إلى الفحش ، وكذلك من به عيوب يستحيا منها فلا ينبغى أن يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير . بل يقال العارض الذى يشكوه وما يجرى مجراه ، فالتصريح بذلك داخل فى الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان .

قال العلاء بن هرون : كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ فى منطقه : فخرج تحت إبطه خراج فأتيناه نسأله انرى مايقول ؟ فقلنا : من أين خرج ؟ فقال : من باطن اليد . والباعث على الفحش إما قصد الإيذاء وإما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق وأهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب . وقال أعرابى لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أوصنى فقال « عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيرك بشىء يعلمه فيك فلا تعيره بشىء فيه يكن وباله عليه وأجره لك ولا تسبن شيئا » قال : فما سببت شيئا بعده [٣] وقال عياض بن حمار : قلت يارسول الله إن الرجل من قومى يسبنى وهو دونى هل على من بأس أن أنتصر منه ؟ فقال « المتسابان شيطانان يتعاويان ويتهارجان [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « المستبان ماقالا فعلى البادئ منهما حتى يعتدى المظلوم [٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « ملعون من سب والديه [٧] » وفى رواية « من أكبر الكبائر أن يسب الرجل

---

(١) حديث « إن الله لايحب الفاحش ولا المتفحش الصياح فى الأسواق » أخرجه ابن أبى الدنيا من حديث جابر بسند ضعيف وله والطبرانى من حديث أسامة بن زيد « إن الله لايحب الفاحش المتفحش » وإسناده جيد (٢) حديث جابر بن سمرة « إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام فى شىء ... الحديث » أخرجه أحمد وابن أبى الدنيا باسناد صحيح .

(٣) حديث : قال أعرابى أوصنى فقال « عليك بتقوى الله وان امرؤ عيرك بشىء يعلمه فيك فلا تعيره بشىء تعلمه فيه . الحديث » أخرجه أحمد والطبرانى باسناد جيد من حديث أبى جرى الهجيمى قيل اسمه جابر بن سليم وقيل سليم بن جابر (٤) حديث عياض ابن حمار : قلت يارسول الله الرجل من قومى يسبنى وهو دونى هل على من بأس أن أنتصر منه ؟ فقال « المستبان شيطانان يتكاذبان ويتهاتران » أخرجه أبو داود والطيالسى وأصله عند أحمد (٥) حديث « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » متفق عليه من حديث ابن مسعود (٦) حديث « المستبان ماقالا فعلى البادئ حتى يعتدى المظلوم » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة وقال « مالم يعتد » (٧) حديث « ملعون من سب والديه » وفى رواية « من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه ... الحديث » أخرجه أحمد وأبو يعلى والطبرانى من حديث ابن عباس باللفظ الأول بإسناد جيد واتفق الشيخان على اللفظ الثانى من حديث عبد الله بن عمرو

والديه ، قالوا يارسول الله كيف يسب الرجل والديه ؟ قال « يسب أبا الرجل فيسب الآخر أباه » .

الآفة الثامنة : اللعن

إما لحيوان أو جماد أو إنسان وكل ذلك مذموم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن ليس بلعان [١] » وقال صلى الله عليه وسلم « لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم [٢] » وقال حذيفة : ماتلاعن قوم قط إلا حق عليهم القول . وقال عمران بن حصين : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه وسلم « خذوا ماعليها وأعروها فإنها ملعونة [٣] » قال : فكأنى أنظر إلى تلك الناقة تمشى بين الناس لايتعرض لها أحد . وقال أبو الدرداء : مالعن أحد الأرض إلا قالت : لعن الله أعصانا لله : وقالت عائشة رضى الله عنها : سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت إليه وقال « يا أبا بكر أصديقين ولعانين كلا ورب الكعبة - مرتين أو ثلاثا - [٤] » فأعتق أبو بكر يومئذ رقيقه وأتى النبى صلى الله عليه وسلم وقال : لاأعود . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن اللعانين لايكونون شفعاء ولاشهداء يوم القيامة [٥] » وقال أنس : كان رجل يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال صلى الله عليه وسلم « ياعبدالله لاتسر معنا على بعير ملعون [٦] » وقال ذلك إنكارا عليه . واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد من الله تعالى ، وذلك غير جائز إلا على من اتصف بصفة تبعده من الله عز وجل وهو الكفر والظلم ، بأن يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين ، وينبغى أن يتبع فيه لفظ الشرع فإن فى اللعنة خطرا لأنه حكم على الله عزوجل بأنه قد أبعد الملعون وذلك غيب لايطلع عليه غير الله تعالى ، ويطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أطلعه الله عليه .

والصفات المقتضية للعن ثلاثة : الكفر ، والبدعة ، والفسق . وللعن فى كل واحدة ثلاث مراتب :

الأولى : اللعن بالوصف الأعم كقولك لعنة الله الكافرين والمبتدعين والفسقة .

الثانية : اللعن بأوصاف أخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض ، أوعلى الزناة والظلمة وآكلى الربا ، وكل ذلك جائز . ولكن فى لعن أوصاف المبتدعة خطر لأن معرفة البدعة غامضة ولم يرد فيه لفظ مأثور ، فينبغى أن يمنع منه العوام لأن ذلك يستدعى المعارضة بمثله ويثير نزاعا بين الناس وفسادا .

الثالثة : اللعن للشخص المعين وهذا فيه خطر كقولك : زيد لعنه الله ، وهو كافر أوفاسق أومبتدع ، والتفصيل

الآفة الثامنة : اللعن

(١) حديث « المؤمن ليس بلعان » تقدم حديث ابن مسعود « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ... الحديث » قبل هذا بأحد عشر حديثا وللترمذى وحسنه من حديث ابن عمر « لايكون المؤمن لعانا » (٢) حديث « لاتلاعنوا بلعنة الله .. الحديث » أخرجه الترمذى وأبو داود من حديث سمرة بن جندب قال الترمذى : حسن صحيح (٣) حديث عمران بن حصين : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره إذا امرأة من الأنصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها ... الحديث » رواه مسلم .

(٤) حديث عائشة : سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه وهو يلعن رقيقه فالتفت إليه فقال « ياأبا بكر لعانين وصديقين ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت وشيخه بشار بن موسى الخفاف ضعفه الجمهور وكان أحمد حسن الرأى فيه . (٥) حديث « إن اللعانين لايكونون شفعاء ولاشهداء يوم القيامة » أخرجه مسلم من حديث أبى الدرداء

(٦) حديث أنس : كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال ياعبد الله لاتسر معنا على بعير ملعون » أخرجه ابن أبى الدنيا بإسناد جيد

فيه أن كل شخص ثبتت لعنته شرعا فتجوز لعنته كقولك . فرعون لعنه الله ، وأبو جهل لعنه الله ، لأنه قد ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا . وأما شخص بعينه فى زماننا كقولك زيد لعنه الله ، وهو يهودى مثلا فهذا فيه خطر فإنه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونا ؟ .

فإن قلت : يلعن لكونه كافرا فى الحال كما يقال للمسلم : رحمه الله ، لكونه مسلما فى الحال ، وإن كان يتصور أن يرتد ؟ فاعلم أن معنى قولنا رحمه الله : أى ثبته الله على الإسلام الذى هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ، ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فإن هذا سؤال للكفر وهو فى نفسه كفر ، بل الجائز أن يقال : لعنه الله إن مات على الكفر ، ولا لعنه الله إن مات على الاسلام . وذلك غيب لا يدرى ، والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر ، وليس فى ترك اللعن خطر . وإذا عرفت هذا فى الكافر فهو فى زيد الفاسق أو زيد المبتدع أولى ، فلعن الأعيان فيه خطر لأن الأعيان تتقلب فى الأحوال إلا من أعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر ، ولذلك عين قوما باللعن فكان يقول فى دعائه على قريش « اللهم عليك بأبى جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة [1] » وذكر جماعة قتلوا على الكفر حتى إن من لم يعلم عاقبته كان يلعنه فنهى عنه إذ روى : أنه كان يلعن الذى قتلوا أصحاب بئر معونة فى قنوته شهراً فنزل قوله تعالى « ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون [2] » يعنى أنهم ربما يسلمون فمن أين تعلم أنهم ملعونون ؟ وكذلك من بان لنا موته على الكفر جاز لعنه وجاز ذمه إن لم يكن فيه أذى على مسلم ، فإن كان لم يجز كما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبابكر رضى الله عنه عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال . هذا قبر رجل كان عاتيا على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص ، فغضب ابنه عمرو بن سعيد وقال : يارسول الله هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للهام من أبى قحافة فقال أبوبكر . يكلمنى هذا يارسول الله بمثل هذا الكلام ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « اكفف عن أبى بكر » فانصرف ثم أقبل على أبى بكر فقال « يا أبابكر إذا ذكرتم الكفار فعمموا فإنكم إذا خصصتم غضب الأبناء للآباء » فكف الناس عن ذلك [3] وشرب نعيمان الخمر فحد مرات فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة . لعنه الله ما أكثر مايؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم « لاتكن عونا للشيطان على أخيك [4] » وفى رواية « لاتقل هذا فإنه يحب الله ورسوله » فنهاه عن ذلك ، وهذا يدل على أن

---

(١) حديث « اللهم عليك بأبى جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة » وذكر جماعة متفق عليه من حديث ابن مسعود .

(٢) حديث : أنه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة فى قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ﴿ ليس لك من الأمر شىء ﴾ أخرجه الشيخان من حديث أنس : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا ... الحديث . وفى رواية لهما : قنت شهرا يدعو على رعل وذكوان . . الحديث . ولهما من حديث أبى هريرة : وكان يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه ... الحديث « اللهم العن لحيان ورعلا ... الحديث » وفيه « ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله ليس لك من الأمر شىء » لفظ مسلم .

(٣) حديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال : هذا قبر رجل كان عاتيا على الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه ... الحديث » أخرجه أبو داود فى المراسيل من رواية على بن ربيعة قال : لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة توجه من فوره ذلك إلى الطائف ومعه أبو بكر ومعه ابنا سعيد بن العاص فقال أبوبكر : لمن هذا القبر ؟ قالوا قبر سعيد بن العاص فقال أبوبكر : لعن الله صاحب هذا القبر فإنه كان يجاهد الله ورسوله ... الحديث . وفيه « فإذا سبيتم المشركين فسبوهم جميعا » (٤) حديث : شرب نعيمان الخمر فحد مرات فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة : لعنه الله ما أكثر مايؤتى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتكن عونا للشيطان على أخيك » وفى رواية : « لاتقل هذا فإنه يحب الله ورسوله » أخرجه ابن عبد البر فى الاستيعاب من طريق الزبير بن بكار من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلا ومحمد هذا ولد فى حياته صلى الله عليه وسلم وسماه محمدا وكناه عبد الملك وللبخارى من حديث عمر : أن رجلا على عهد =

لعن فاسق بعينه غير جائز . وعلى الجملة ففى لعن الأشخاص خطر فليجتنب ولاخطر فى السكوت عن لعن إبليس مثلا فضلا عن غيره .

فإن قيل . هل يجوز لعن يزيد لأنه قاتل الحسين أو آمر به ؟ قلنا . هذا لم يثبت أصلا فلايجوز أن يقال إنه قتله أو أمر به مالم يثبت ، فضلا عن اللعنة ، لأنه لاتجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق . نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم عليا وقتل أبو لؤلؤة عمر رضى الله عنهما فإن ذلك ثبت متواترا . فلا يجوز أن يرمى مسلم بفسق أوكفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم « لايرمى رجل رجلا بالكفر ولايرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « ماشهد رجل على رجل بالكفر إلا باء به أحدهما ، إن كان كافرا فهو كما قال . وإن لم يكن كافراً فقد كفر بتكفيره إياه [2] » وهذا معناه أن يكفره وهو يعلم أنه مسلم فإن ظن أنه كافر ببدعة أو غيرها كان مخطئا لا كافرا . وقال معاذ : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنهاك أن تشتم مسلماً أو تعصى إماما عادلا ، والتعرض للأموات أشد [3] » قال مسروق دخلت على عائشة رضى الله عنها فقالت . مافعل فلان لعنه الله ؟ قلت توفى قالت : رحمه الله ، قلت : وكيف هذا ؟ قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاتسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ماقدموا [4] » وقال عليه السلام «لاتسبوا الأموات فتؤذوا به الأحياء [5] » وقال عليه السلام « أيها الناس احفظونى فى أصحابى وإخوانى وأصهارى ولاتسبوهم ، أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيرا [6] » .

فإن قيل ؛ فهل يجوز أن يقال . قاتل الحسين لعنه الله ؟ أو الآمر بقتله لعنه الله ؟ قلنا . الصواب أن يقال . قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله ، لأنه يحتمل أن يموت بعد التوبة ، فإن وحشيا قاتل حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله وهو كافر ، ثم تاب عن الكفر والقتل جميعا ولايجوز أن يلعن ، والقتل كبيرة ولاتنتهى إلى رتبة الكفر ، فإذا لم يقيد بالتوبة وأطلق كان فيه خطر وليس فى السكوت خطر فهو أولى .

وإنما أوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة وإطلاق اللسان بها . والمؤمن ليس بلعان فلا ينبغى أن يطلق اللسان باللعنة إلا على من مات على الكفر ، أو على الأجناس المعروفين بأوصافهم دون الأشخاص المعينين . فالاشتغال

= رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد جلده فى الشراب ، فأتى به يوما فأمر به فجلد فقال رجل من القوم : اللهم العنه ما أكثر مايؤتى به ! فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لاتلعنوه فوالله ماعلمت إلا أنه يحب الله ورسوله » من حديث أبى هريرة فى رجل شرب ولم يسم وفيه « لاتعينوا عليه الشيطان » وفى رواية « لاتكونوا عون الشيطان على أخيكم » (١) حديث « لايرمى رجل رجلا بالكفر ولايرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك » متفق عليه والسياق للبخارى من حديث أبى ذر مع تقديم ذكر الفسق (٢) حديث « ماشهد رجل على رجل بالكفر إلا أتى أحدهما إن كان كافرا فهو كما قال ، وإن لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى سعيد بسند ضعيف .

(٣) حديث معاذ « أنهاك أن تشتم مسلما أو تعصى إماما عادلا » أخرجه أبو نعيم فى الحلية فى أثناء حديث له طويل (٤) حديث عائشة « لاتسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ماقدموا » أخرجه البخارى وذكر المصنف فى أوله قصة لعائشة وهو عند ابن المبارك فى الزهد والرقائق مع القصة (٥) حديث « لاتسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء » أخرجه الترمذى من حديث المغيرة بن شعبة ورجاله ثقات إلا أن بعضهم أدخل بين المغيرة وبين زياد بن علاقة رجل لم يسم (٦) حديث « أيها الناس احفظونى فى أصحابى وإخوانى وأصهارى ولاتسبوهم ، أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيرا » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث عياض الأنصارى « احفظونى فى أصحابى وأصهارى » وإسناده ضعيف وللشيخين من حديث أبى سعيد وأبى هريرة « لاتسبوا أصحابى » ولأبى داود والترمذى وقال غريب من حديث ابن عمر « اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم » وللنسائى من حديث عائشة « لاتذكروا موتاكم إلا بخير » وإسناده جيد .

بذكر الله أولى وإن لم يكن ففى السكوت سلامة .

قال مكى بن إبراهيم . كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن أبى بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا . يا ابن عون إنما نذكره لما ارتكب منك ، فقال : إنما هما كلمتان تخرجان من صحيفتى يوم القيامة : لا إله إلا الله ولعن الله فلانا ، فلأن يخرج من صحيفتى لا إله إلا الله ، أحب إلى من أن يخرج منها لعن الله فلانا . وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أوصنى فقال « أوصيك أن لا تكون لعانا [1] » وقال ابن عمر : إن أبغض الناس إلى الله كل طعان لعان . وقال بعضهم لعن المؤمن يعد قتله ، وقال حماد بن زيد بعد أن روى هذا لو قلت إنه مرفوع لم أبال ؟ وعن أبى قتادة قال : كان يقال « من لعن مؤمنا فهو مثل أن يقتله [2] » وقد نقل ذلك حديثا مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الإنسان مثلا : لا صحح الله جسمه ولا سلمه الله ومايجرى مجراه ، فإن ذلك مذموم . وفى الخبر « إن المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة [3] » .

الآفة التاسعة : الغناء والشعر

وقد ذكرنا فى كتاب السماع مايحرم من الغناء ومايحل فلا نعيده ، وأما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح إلا أن التجرد له مذموم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعرا [4] » وعن مسروق أنه سئل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل له فى ذلك فقال : أنا أكره أن يوجد فى صحيفتى شعر . وسئل بعضهم عن شىء من الشعر فقال : أجعل مكان هذا ذكرا فان ذكر الله خير من الشعر وعلى الجملة فإنشاد الشعر ونظمه ليس بحرام إذا لم يكن فيه كلام مستكره قال صلى الله عليه وسلم « إن من الشعر لحكمة [5] » نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب ، وقد يدخله الكذب ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت الأنصارى بهجاء الكفار والتوسع فى المدح [6] فإنه وإن كان كذبا فإنه لا يلتحق فى التحريم بالكذب كقول الشاعر :

ولو لم يكن فى كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

فإن هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء ، فإن لم يكن صاحبه سخياً كان كاذبا ، وإن كان سخيا فالمبالغة من صنعة الشعر فلا يقصد منه أن يعتقد صورته . وقد أنشدت أبيات بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك فلم يمنع منه . قالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت جالسة

---

(١) حديث قال رجل : أوصنى قال « أوصيك أن لا تكون لعانا » أخرجه أحمد والطبرانى وابن أبى عاصم فى الآحاد والثانى من حديث جرموز الهجيمى وفيه رجل لم يسم أسقط ذكره ابن أبى عاصم (٢) حديث « لعن المؤمن كقتله » متفق عليه من حديث ثابت بن الضحاك (٣) حديث « إن المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة » لم أقف له على أصل وللترمذى من حديث عائشة بسند ضعيف « من دعا على من ظلمه فقد انتصر » .

الآفة التاسعة : الغناء والشعر

(٤) حديث « لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير من أن يمتلئ شعرا » أخرجه مسلم من حديث سعد بن أبى وقاص واتفق عليه الشيخان من حديث أبى هريرة نحوه والبخارى من حديث ابن عمر ومسلم من حديث أبى سعيد (٥) حديث « إن من الشعر لحكمة » تقدم فى العلم وفى آداب السماع (٦) حديث أمره حسانا أن يهجو المشركين . متفق عليه من حديث البراء أنه صلى الله عليه وسلم قال لحسان « اهجهم وجبريل معك » .

أغزل ، فنظرت إليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا قالت : فبهت فنظر إلى فقال « مالك بهت ؟ » فقلت : يارسول الله نظرت إليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا ولو رآك أبو كبير الهذلى لعلم أنك أحق بشعره قال « وما يقول ياعائشة أبو كبير الهذلى » قلت : يقول هذين البيتين :

ومبرأ من كل غبر حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل
وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

قال فوضع صلى الله عليه وسلم ما كان بيده وقام إلى وقبل مابين عينى وقال « جزاك الله خيرا ياعائشة ماسررت منى كسرورى منك [1] » ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم يوم حنين أمر للعباس بن مرداس بأربع قلائص فاندفع يشكو فى شعر له وفى آخره :

وما كان بدر ولا حابس يسودان مرداس فى مجمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لايرفع

فقال صلى الله عليه وسلم « اقطعوا عنى لسانه » فذهب به أبو بكر الصديق رضى الله عنه حتى اختار مائة من الإبل ثم رجع وهو من أرضى الناس ، فقال له صلى الله عليه وسلم « أتقول فى الشعر ؟ » فجعل يعتذر إليه ويقول : بأبى أنت وأمى إنى لأجد للشعر دبيبا على لسانى كدبيب النمل ثم يقرصنى كما يقرص النمل فلا أجد بداً من قول الشعر ، فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال « لاتدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين [2] » .

الآفة العاشرة : المزاح

وأصله مذموم منهى عنه إلا قدراً يسيرا يستثنى منه قال صلى الله عليه وسلم « لاتمار أخاك ولاتمازحه [3] » فإن قلت : المماراة فيها إيذاء لأن فيها تكذيباً للأخ والصديق أو تجهيلا له وأما المزاح فطايبة وفيه انبساط وطيب

---

(١) حديث عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت أغزل قالت : فنظرت إليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا .. الحديث . وفيه إنشاد عائشة لشعر أبى كبير الهذلى :

ومبرأ من كل غبر حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل
فإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

إلى آخر الحديث رواه البيهقى فى دلائل النبوة .

(٢) حديث : لما قسم الغنائم أمر للعباس بن مرداس بأربع قلائص وفى آخره شعره :

وما كان بدر ولا حابس يفوقان مرداس فى مجمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم « اقطعوا عنى لسانه الحديث » أخرجه مسلم من حديث رافع بن خديج أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن بن بدر والأقرع بن حابس كل إنسان منهم مائة من الإبل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك ، فقال عباس بن مرداس :

أتجعل نهبى ونهب العبيد بين عيينة والأقرع
وما كان بدر ولا حابس يفوقان مرداس فى مجمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لايرفع

قال فأتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وزاد فى رواية أعطى علقمة بن علاثة مائة وأما زيادة «اقطعوا عنى لسانه» فليست فى شىء من الكتب المشهورة .

الآفة العاشرة : المزاح

(٣) حديث « لاتمار أخاك ولاتمازحه » أخرجه الترمذى وقد تقدم

قلب فلم ينهى عنه ؟ فاعلم أنّ المنهى عنه الإفراط فيه أو المداومة عليه . أما المداومة فلأنه اشتغال باللعب والهزل فيه واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة ، وأما الإفراط فيه فإنه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة فى بعض الأحوال ، وتسقط المهابة والوقار . فما يخلو عن هذه الأمور فلا يذم كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إنى لأمزح ولا أقول إلا حقا [1] » إلا أن مثله يقدر على أن يمزح ولا يقول إلا حقا ، وأما غيره إذا فتح باب المزاح كان غرضه أن يضحك الناس كيفما كان . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى فى النار أبعد من الثريا [2] » وقال عمر رضى الله عنه : من كثر ضحكه قلت هيبته ، ومن مزح استخف به ، ومن أكثر من شىء عرف به ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه . ولأنّ الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة قال صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا [3] » وقال رجل لأخيه : ياأخى هل أتاك أنك وارد النار ؟ قال : نعم ، قال : فهل أتاك أنك خارج منها ؟ قال : لا ، قال : ففيم الضحك؟ قيل فما رؤى ضاحكا حتى مات . وقال يوسف بن أسباط : أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك . وقيل أقام عطاء السلمى أربعين سنة لم يضحك ونظر وهيب بن الورد إلى قوم يضحكون فى عيد فطر فقال : إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين ؟ وإن كان لم يغفر لهم فما هـــذا فعل الخائفين ؟ وكان عبد الله بن أبى يعلى يقول : اتضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار ؟ وقال ابن عباس : من أذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكى . وقال محمد بن واسع : إذا رأيت فى الجنة رجلا يبكى ألست تعجب من بكائه ؟ قيل : بلى ، قال : فالذى يضحك فى الدنيا ولا يدرى إلى ماذا يصير هو أعجب منه ؟ فهذه آفة الضحك والمذموم منه أن يستغرق ضحكا ، والمحمود منه التبسم الذى ينكشف فيه السنّ ولا يسمع له صوت . وكذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم [4] قال القاسم مولى معاوية : أقبل أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم على قلوص له صعب فسلم فجعل كلما دنا من النبى صلى الله عليه وسلم ليسأله يفرّ به فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ، ففعل ذلك مراراً ثم وقصه فقتله فقيل : يارسول الله إن الأعرابى قد صرعه قلوصه وقد هلك ، فقال « نعم ، وأفواهكم ملأى من دمه [5] » وأما أداء المزاح إلى سقوط الوقار فقد قال عمر رضى الله عنه : من مزح استخف به . وقال محمد بن المنكدر : قالت لى أمى يابنى لا تمازح الصبيان فتهون عندهم وقال سعيد بن العاص لابنه : يابنى لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدنىء فيجترئ عليك . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : اتقوا الله وإياكم والمزاح فإنه يورث الضغينة ويجرّ إلى القبيح ، تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فإن ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال . وقال عمر رضى الله عنه : أتدرون لم سمى المزاح مزاحا ؟ قالوا لا ، قال : لأنه أزاح صاحبه عن الحق . وقيل : لكل شىء بذور وبذور العداوة المزاح . ويقال : المزاح مسلبة للنهى مقطعة للأصدقاء .

* فإن قلت : قد نقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فكيف ينهى عنه ؟ فأقول : إن قدرت

---

(١) حديث « إنى أمزح ولا أقول إلا حقا » تقدم (٢) حديث « إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها فى النار أبعد من الثريا » تقدم (٣) حديث « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » متفق عليه من حديث أنس وعائشة

(٤) حديث : كان ضحكه التبسم . تقدم (٥) حديث القاسم مولى معاوية : أقبل أعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم على قلوص صعب له فسلم فجعل كلما دنا الى النبى صلى الله عليه وسلم ليسأله يفر به وجعل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم وقصه فقتله ، فقيل يارسول الله ان الأعرابى قد صرعه قلوصه فهلك قال « نعم وأفواهكم ملأى من دمه » أخرجه ابن المبارك فى الزهد والرقائق وهو مرسل .

على ماقدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن تمزح ولاتقول إلا حقا ولاتؤذى قلبا ولاتفرط فيه وتقتصر عليه أحيانا على الندور فلا حرج عليك فيه ، ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة يواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم وهو كمن يدور نهاره مع الزنوج ينظر إليهم وإلى رقصهم ويتمسك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لعائشة فى النظر إلى رقص الزنوج فى يوم عيد ، وهو خطأ إذ من الصغائر مايصير كبيرة بالإصرار ، ومن المباحات مايصير صغيرة بالإصرار ، فلا ينبغى أن يغفل عن هذا [1] نعم روى أبو هريرة أنهم قالوا يارسول الله إنك تداعبنا فقال « إنى وإن داعبتكم لاأقول إلاحقا [2] » وقال عطاء : إن رجلا سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ؟ فقال : نعم ، قال : فما كان مزاحه ؟ قال: كان مزاحه أنه صلى الله عليه وسلم كسا ذات يوم امرأة من نسائه ثوبا واسعا فقال لها « البسيه واحمدى وجرى منه ذيلا كذيل العروس [3] » وقال أنس : إن النبى صلى الله عليه وسلم كان من أفكه الناس مع نسائه [4] وروى أنه كان كثير التبسم [5] وعن الحسن قال : أتت عجوز إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لها صلى الله عليه وسلم « لايدخل الجنة عجوز » فبكت فقال « إنك لست بعجوز يومئذ ، قال الله تعالى ﴿إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا﴾ [6] » وقال زيد بن أسلم : إن امرأة يقال لها أم أيمن جاءت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : إن زوجى يدعوك ، قال « ومن هو أهو الذى بعينه بياض ؟ » قالت : والله ما بعينه بياض ! فقال « بلى إن بعينه بياضا » فقالت : لا والله ، فقال صلى الله عليه وسلم « ما من أحد إلا وبعينه بياض » وأراد به البياض المحيط بالحدقة [7] وجاءت امرأة أخرى فقالت: يا رسول الله احملنى على بعير فقال « بل نحملك على ابن البعير » فقالت ماأصنع به إنه لايحملنى فقال صلى الله عليه وسلم « ما من بعير إلا وهو ابن بعير [8] » فكان يمزح به وقال أنس : كان لأبى طلحة ابن يقال له أبو عمير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيهم ويقول « يا أبا عمير مافعل النغير [9] » لنغير كان يلعب به وهو فرخ العصفور. وقالت عائشة رضى الله عنها : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر فقال « تعالى حتى أسابقك » فشددت درعى على بطنى ثم خططنا خطا فقمنا عليه واستبقنا فسبقنى وقال « هذه مكان ذى المجاز [10] » وذلك أنه جاء يوما ونحن بذى المجاز وأنا جارية قد بعثنى أبى بشىء فقال « اعطينيه » فأبيت وسعيت وسعى فى أثرى فلم يدركنى وقالت أيضاً : سابقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته ، فلما حملت اللحم سابقنى فسبقنى، وقال « هذه بتلك [11] » وقالت أيضاً رضى الله عنها . كان عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة بنت زمعة فصنعت حريرة وجئت به فقلت لسودة : كلى ، فقالت لا أحبه ، فقلت : والله لتأكلن أو لألطخن به وجهك ، فقالت : ما أنا بذائقته ، فأخذت

---

(١) حديث : إذنه لعائشة فى النظر الى رقص الزنوج فى يوم عيد تقدم . (٢) حديث أبي هريرة : قالوا إنك تداعبنا قال « إنى وإن داعبتكم فلا أقول إلا حقا » أخرجه الترمذى وحسنه . (٣) حديث عطاء : إن رجلا سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ؟ فقال ابن عباس : نعم ... الحديث فذكر منه قوله لامرأة من نسائه « البسيه واحمدى وجرى منه ذيلا كذيل العروس » لم أقف عليه (٤) حديث أنس: كان من أفكه الناس . تقدم (٥) حديث « أنه كان كثير التبسم » تقدم (٦) حديث الحسن « لايدخل الجنة عجوز » أخرجه الترمذى فى الشمائل هكذا مرسلا وأسنده ابن الجوزى فى الوفاء من حديث أنس بسند ضعيف . (٧) حديث زيد بن أسلم : فى قوله لامرأة يقال لها أم أيمن قالت إن زوجى يدعوك « أهو الذى بعينه بياض... الحديث » أخرجه الزبير بن بكار فى كتاب الفكاهة والمزاح ورواه ابن أبى الدنيا من حديث عبيدة بن سهم الفهرى مع اختلاف

(٨) حديث : قوله لامرأة استحملته « نحملك على ابن البعير ... الحديث » أخرجه أبو داود والترمذى وصححه من حديث أنس بلفظ « أنا حاملك على ولد الناقة » (٩) حديث أنس « أبا عمير مافعل النغير ؟ » متفق عليه وتقدم فى أخلاق النبوة

(١٠) حديث عائشة : فى مسابقته صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر فسبقها وقال « هذه مكان ذى المجاز » لم أجده أصلا ولم تكن عائشة معه فى غزوة بدر (١١) حديث عائشة : سابقنى فسبقته . أخرجه النسائى وابن ماجه وقد تقدم فى النكاح

بيدى من الصحفة شيئاً منه فلطخت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بينى وبينها، فخفض لها رسول الله ركبتيه لتستقيد منى فتناولت من الصحفة شيئاً فمسحت به وجهى وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك[1] وروى أن الضحاك بن سفيان الكلابى كان رجلا دميما قبيحا ، فلما بايعه النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن عندى امرأتين أحسن من هذه الحمراء ـ وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب ـ أفلا أنزل لك عن إحداهما فتتزوجها وعائشة جالسة تسمع ، فقالت : أهى أحسن أم أنت ؟ فقال : بل أنا أحسن منها وأكرم ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من سؤالها إياه لأنه كان دميما[2] . وروى علقمة عن أبى سلمة أنه كان صلى الله عليه وسلم يدلع لسانه للحسن ابن على عليهما السلام فيرى الصبى لسانه فيهش له فقال له عيينة بن بدر الفزارى : والله ليكونن لى الإبن قد تزوج وبقل وجهه وما قبلته قط ! فقال صلى الله عليه وسلم « إنّ من لا يرحم لا يرحم »[3] فأكثر هذه المطايبات منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل إلى هزل وقال صلى الله عليه وسلم مرة لصهيب وبه رمد وهو يأكل تمرا « أتأكل التمر وأنت رمد ؟ فقال : إنما آكل بالشق الآخر يارسول الله فتبسم صلى الله عليه وسلم »[4] قال بعض الرواة حتى نظرت إلى نواجذه . وروى أن خوات ابن جبير الأنصارى كان جالسا إلى نسوة من بنى كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا أبا عبد الله ما لك مع النسوة ؟ » فقال يفتلن ضفيرا لجمل لى شرود ، قال : فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم عاد فقال « يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد ؟ » قال : فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك أتفرز منه كلما رأيته حياء منه ، حتى قدمت المدينة وبعد ماقدمت المدينة قال : فرآنى فى المسجد يوما أصلى فجلس إلى فطولت فقال « لا تطول فإنى أنتظرك » فلما سلمت قال يا أبا عبدالله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد؟» قال : فسكت واستحييت ، فقام وكنت بعد ذلك أتفرز منه حتى لحقنى يوما وهو على حمار وقد جعل رجليه فى شق واحد. فقال « أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد ؟ » فقلت والذى بعثك بالحق ماشرد منذ أسلمت فقال « الله أكبر الله أكبر اللهم اهد أبا عبد الله » قال : فحسن إسلامه وهداه الله[5] وكان نعيمان الأنصارى رجلا مزاحا فكان يشرب الخمر فى المدينة فيؤتى به إلى النبى صلى الله عليه وسلم فيضربه بنعله ويأمر أصحابه فيضربونه بنعالهم ، فلما كثر ذلك منه

---

(١) حديث عائشه : فى لطخ وجه سودة بحريرة ولطخ سودة وجه عائشة فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك . أخرجه الزبير بن بكار فى كتاب الفكاهة وأبو يعلى بإسناد جيد (٢) حديث : إن الضحاك بن سفيان الكلابى قال عندى امرأتان أحسن من هذه الحمراء أفلا أنزل لك عن إحداهما فتتزوجها وعائشة جالسة ـ قبل أن يضرب الحجاب ـ فقالت أهى أحسن أم أنت ؟ فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك النبى صلى الله عليه وسلم لأنه كان دميما . أخرجه الزبير بن بكار فى الفكاهة من رواية عبد الله بن حسن مرسلا أو معضلا وللدارقطنى نحو هذه القصة مع عيينة بن حصن الفزارى بعد نزول الحجاب من حديث أبى هريرة .

(٣) حديث أبى سلمة عن أبى هريرة : أنه صلى الله عليه وسلم كان يدلع لسانه للحسن بن على فيرى الصبى فيهش إليه ، فقال عيينة بن بدر الفزارى : والله ليكون لى الابن رجلا قد خرج وجهه وما قبلته قط ! فقال « إن من لايرحم لايرحم » أخرجه أبو يعلى من هذا الوجه دون مافى آخره من قول عيينة بن حصن بن بدر ونسب إلى جده . وحكى الخطيب فى المبهمات قولين فى قائل ذلك أحدهما : أنه عيينة بن حصن ، والثانى : أنه الاقرع بن حابس . وعند مسلم من رواية الزهرى عن أبى سلمه عن أبى هريرة أن الأقرع بن حابس أبصر النبى صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن فقال ان لى عشرة من الولد ماقبلت واحدا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لايرحم لايرحم » (٤) حديث : قال لصهيب وبه رمد « أتأكل التمر وأنت رمد ؟ » فقال : انما آكل على الشق الآخر ، فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم . أخرجه ابن ماجه والحاكم من حديث صهيب ورجاله ثقات

(٥) حديث : ان خوات بن جبير كان جالسا الى نسوة من بنى كعب بطريق مكة فطلع عليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال « يا أبا عبد الله مالك مع النسوة ؟ » فقال يفتلن ضفيرا لجمل لى شرود ... الحديث ، أخرجه الطبرانى فى الكبير من رواية زيد بن أسلم عن خوات بن جبير مع اختلاف ورجاله ثقات ، وأدخل بعضهم بين زيد وبين خوات : ربيعة بن عمرو

قال له رجل من الصحابة : لعنك الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تفعل فإنه يحب الله ورسوله » وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة إلا اشترى منها ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول : يارسول الله هذا قد اشتريته لك وأهديته لك فإذا جاء صاحبها يتقاضاه بالثمن جاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يارسول الله أعطه ثمن متاعه ، فيقول له صلى الله عليه وسلم « أو لم تهده لنا » فيقول : يارسول الله إنه لم يكن عندى ثمنه وأحببت أن تأكل منه ، فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه [1] فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب .

الآفة الحادية عشر : السخرية والاستهزاء

وهذا محرم مهما كان مؤذيا كما قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ﴾ ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه : وقد يكون ذلك بالمحاكاة فى الفعل والقول ، وقد يكون بالإشارة والإيماء ، وإذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة . قالت عائشة رضى الله عنها : حاكيت إنسانا فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم « والله ما أحب أنى حاكيت إنسانا ولى كذا وكذا [2] » وقال ابن عباس فى قوله تعالى ﴿ يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾ إن الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن ، والكبيرة القهقهة بذلك . وهذا إشارة إلى أن الضحك على الناس من جملة الذنوب والكبائر . وعن عبدالله بن زمعة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فوعظهم فى ضحكهم من الضرطة فقال « علام يضحك أحدكم مما يفعل [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجىء بكربه وغمه فإذا أتاه أغلق دونه ، ثم يفتح له باب آخر فيقال هلم هلم فيجىء بكربه وغمه فإذا أتاه أغلق دونه فما يزال كذلك حتى إن الرجل ليفتح له الباب فيقال له هلم هلم فلا يأتيه [4] » وقال معاذ بن جبل : قال النبي صلى الله عليه وسلم « من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله [5] » وكل هذا يرجع إلى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغاراً له . وعليه نبه قوله تعالى ﴿ عسى أن يكونوا خيرا منهم ﴾ أى لا تستحقره استصغارا فلعله خير منك .

وهذا إنما يحرم فى حق من يتأذى به ، فأما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من أن يسخر به كانت السخرية فى حقه من جملة المزاح ـ وقد سبق مايذم منه وما يمدح ـ وإنما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به لما

---

(١) حديث : كان نعيمان رجلا مزاحا وكان يشرب الخمر فيؤتى به الى النبى صلى الله عليه وسلم فيضربه ... الحديث . وفيه : أنه كان يشترى الشىء ويهديه الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم يجىء بصاحبه فيقول أعطه ثمن متاعه .. الحديث . أخرجه الزبير بن بكار فى الفكاهة ومن طريقه ابن عبد البر من رواية محمد بن حزم مرسلا وقد تقدم أوله .

الآفة الحادية عشرة : السخرية والاستهزاء

(٢) حديث عائشة : حكيت انسانا فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم « مايسرنى أنى حاكيت انسانا ولى كذا وكذا » أخرجه أبو داود والترمذى وصححه (٣) حديث عبد الله بن زمعة : وعظهم فى الضحك من الضرطة وقال « علام يضحك أحدكم مما يفعل » متفق . (٤) حديث « ان المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال هلم فيجىء بكربه وغمه فإذا جاء أغلق دونه ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت من حديث الحسن مرسلا ورويناه فى تمانيات النجيب من رواية أبى هدبة أحد الهالكين عن أنس (٥) حديث معاذ بن جبل « من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله » أخرجه الترمذى دون قوله « قد تاب منه » وقال حسن غريب وليس اسناده بمتصل قال أحمد بن منيع قالوا « من ذنب قد تاب منه » ،

فيه من التحقير والتهاون . وذلك تارة بأن يضحك على كلامه إذا تخبط فيه ولم ينتظم، أو على أفعاله إذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته ، أو على صورته وخلقته إذا كان قصيرا أو ناقصا لعيب من العيوب . فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهى عنها

الآفة الثانية عشر : إفشاء السر

وهو منهى عنه لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء . قال النبي صلى الله عليه وسلم « إذا حدّث الرجل الحديث ثم التفت فهى أمانة [١] » وقال مطلقا « الحديث بينكم أمانة [٢] » وقال الحسن : إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك . ويروى أن معاوية رضى الله عنه أسر إلى الوليد بن عتبة حديثه فقال لأبيه : ياأبت إن أمير المؤمنين أسر إلى حديثا وما أراه يطوى عنك مابسطه إلى غيرك ؟ قال : فلا تحدثنى به فإن من كتم سره كان الخيار إليه ، ومن أفشاه كان الخيار عليه قال : فقلت يا أبت وإن هذا ليدخل بين الرجل وبين ابنه ؟ فقال : لا والله يابنى ولكن أحب أن لاتذلل لسانك بأحاديث السر ، قال : فأتيت معاوية فأخبرته فقال : ياوليد أعتقك أبوك من رق الخطأ فإفشاء السر خيانة .

وهو حرام إذا كان فيه إضرار . ولؤم إن لم يكن فيه إضرار . وقد ذكرنا مايتعلق بكتمان السر فى كتاب آداب الصحبة فأغنى عن الإعادة .

الآفة الثالثة عشر : الوعد الكاذب

فإن اللسان سباق إلى الوعد ، ثم النفس ربما لاتسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من أمارات النفاق قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم العدة عطية [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم الرأى مثل الدين أو أفضل [٤] » والرأى : الوعد . وقد أثنى الله تعالى على نبيه اسمعيل عليه السلام فى كتابه العزيز فقال ﴿ إنه كان صادق الوعد ﴾ قيل إنه وعد إنسانا فى موضع فلم يرجع إليه ذلك الإنسان بل نسى ، فبقى اسمعيل اثنين وعشرين يوما فى انتظاره . ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال : إنه كان خطب إلى ابنتى رجل من قريش وقد كان إليه منى شبه الوعد ، فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق ! أشهدكم أنى قد زوجته ابنتى . وعن عبد الله بن أبى الخنساء قال : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وبقيت له بقية فواعدته أن آتيه بها فى مكانه ذلك فنسيت يومى والغد فأتيته اليوم الثالث وهو فى مكانه ، فقال « يافتى لقد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك [٥] » وقيل

الآفة الثانية عشرة : إفشاء السر

(١) حديث « اذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهى أمانة » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه من حديث جابر .

(٢) حديث « الحديث بينكم أمانة » أخرجه ابن أبى الدنيا من حديث ابن شهاب مرسلا .

الآفة الثالثة عشرة : الوعد الكاذب

(٣) حديث « العدة عطية » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث قباث بن أشيم بسند ضعيف وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن مسعود ورواه ابن أبى الدنيا فى الصمت والخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث الحسن مرسلا (٤) حديث « الرأى مثل الدين أو أفضل » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت من رواية ابن لهيعة مرسلا وقال الرأى يعنى الوعد، ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على بسند ضعيف (٥) حديث عبد الله بن أبى الخنساء : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم فوعدته أن آتيه بها فى مكانه ذلك فنسيت يومى والغد فأتيته اليوم الثالث وهو فى مكانه فقال « يابنى قد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك » رواه أبو داود واختلف فى اسناده وقال ابن مهدى ما أظن ابراهيم بن طهمان الا أخطأ فيه .

لإبراهيم : الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجىء ، قال : ينتظره إلى أن يدخل وقت الصلاة التى تجىء . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وعد وعدا قال « عسى [1] » وكان ابن مسعود لا يعد وعدا إلا ويقول إن شاء الله وهو الأولى .

ثم إذا فهم مع ذلك الجزم فى الوعد فلا بد من الوفاء إلا أن يتعذر ، فإن كان عند الوعد عازما على أن لا يفى فهذا هو النفاق . وقال أبو هريرة : قال النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « ثلاث من كن فيه فهو منافق ، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان [2] » وقال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر [3] » وهذا ينزل على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر ، فأما من عزم على الوفاء فعن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وإن جرى عليه ماهو صورة النفاق ، ولكن ينبغى أن يحترز من صورة النفاق أيضاً كما يحترز من حقيقته ، ولا ينبغى أن يجعل نفسه معذوراً من غير ضرورة حاجزة فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما ؛ فأتى بثلاثة من السبى فأعطى اثنين وبقى واحدا ، فأتت فاطمة رضى الله عنها تطلب منه خادما وتقول : ألا ترى أثر الرحى بيدى ؟ فذكر موعده لأبى الهيثم فجعل يقول « كيف بموعدى لأبى الهيثم ؟ [4] » فآثره به على فاطمة ـ لما كان قد سبق من موعده له ـ مع أنها كانت تدير الرحى بيدها الضعيفة . ولقد كان صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال : إن لى عندك موعدا يارسول الله قال « صدقت ، فاحتكم ماشئت » فقال : أحتكم ثمانين ضائنة وراعيها ، قال « هى لك » وقال « احتكمت يسيرا [5] » ولصاحبة موسى عليه السلام التى دلته على عظام يوسف كانت أحزم منك وأجزل حكما منك حين حكمها موسى عليه السلام فقالت حكمى أن تردنى شابة وأدخل معك الجنة » قيل فكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جعلا مثلا فقيل : أشح من صاحب الثمانين والراعى . وقد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل وفى نيته أن يفى [6] » وفى لفظ آخر « إذا وعد الرجل أخاه وفى نيته أن يفى فلم يجد » فلا إثم عليه » .

الآفة الرابعة عشرة : الكذب فى القول واليمين

وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب . قال اسمعيل بن واسط : سمعت أبا بكر الصديق رضى الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ـ ثم بكى ـ

---

(١) حديث : كان إذا وعد وعدا قال « عسى » لم أجد له أصلا (٢) حديث أبى هريرة « ثلاث من كن فيه فهو منافق ... الحديث وفيه « إذا وعد أخلف » متفق عليه وقد تقدم .

(٣) حديث عبد الله بن عمرو « أربع من كن فيه كان منافقا ... الحديث » متفق عليه (٤) حديث : كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما ؛ فأتى بثلاثة من السبى فأعطى اثنين وبقى واحدا ، فجاءت فاطمة تطلب منه .. الحديث . وفيه فجعل يقول « كيف بموعدى لأبى الهيثم » فآثره به على فاطمة تقدم ذكر قصة أبى الهيثم فى آداب الأكل وهى عند الترمذى من حديث أبى هريرة وليس فيها ذكر لفاطمة (٥) حديث : أنه كان جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل فقال : إن لى عندك موعدا ، قال : « صدقت فاحتكم ماشئت ... الحديث » وفيه « لصاحبة موسى التى دلته على عظام يوسف كانت أحزم منك ... الحديث » أخرجه ابن حبان والحاكم فى المستدرك من حديث أبى موسى مع اختلاف قال الحاكم صحيح الإسناد وفيه نظر . (٦) حديث « ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل ومن نيته أن يفى » وفى لفظ آخر « إذا وعد الرجل أخاه وفى نيته أن يفى فلم يجد فلا إثم عليه » أخرجه أبو داود والترمذى وضعفه من حديث زيد بن أرقم باللفظ الثانى إلا أنهما قالا « فلم يف »

وقال « إياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما فى النار [١] » وقال أبو أمامة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الكذب باب من أبواب النفاق [٢] » وقال الحسن : كان يقال إن من النفاق اختلاف السر والعلانية ، والقول والعمل ، والمدخل والمخرج ، وإن الأصل الذى بنى عليه النفاق الكذب . وقال عليه السلام « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب [٣] » وقال ابن مسعود : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم « لايزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عندالله كذابا [٤] » ومر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان ، يقول أحدهما : والله لاأنقصك من كذا وكذا ، ويقول الآخر : والله لاأزيدك على كذا وكذا ، بالشاة وقد اشتراها أحدهما فقال « أوجب أحدهما بالإثم والكفارة [٥] » وقال عليه السلام « الكذب ينقص الرزق [٦] » وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « إن التجار هم الفجار » فقيل يارسول الله أليس قد أحل الله البيع ؟ قال « نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون [٧] » وقال صلى الله تعالى عليه وسلم « ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولاينظر إليهم : المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل إزاره [٨] » وقال صلى الله تعالى عليه وسلم « ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت نكتة فى قلبه إلى يوم القيامة [٩] » وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة يحبهم الله : رجل كان فى فئة فنصب نحره حتى يقتل أو يفتح الله عليه وعلى أصحابه ، ورجل كان له جار سوء يؤذيه فصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن ، ورجل كان معه قوم فى سفر أو سرية فأطالوا السرى حتى أعجبهم أن يمسوا الأرض فنزلوا . فتنحى يصلى حتى يوقظ أصحابه للرحيل . وثلاثة يشنؤهم الله : التاجر أو البياع الحلاف ، والفقير المختال والبخيل المنان [١٠] » وقال صلى الله عليه وسلم « ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له [١١]

الآفة الرابعة عشرة : الكذب فى القول واليمين

(١) حديث أبى بكر الصديق : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول — ثم بكى — وقال « اياكم والكذب الحديث » أخرجه ابن ماجه والنسائى فى اليوم والليلة وجعله المصنف من رواية إسماعيل بن أوسط عن أبى بكر وانما هو أوسط ابن إسماعيل بن أوسط واسناده حسن (٢) حديث أبى أمامة « ان الكذب باب من أبواب النفاق » أخرجه ابن عدى فى الكامل بسند ضعيف وفيه عمر بن موسى الوجيهى ضعيف جدا وينبى عنه قوله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه فهو منافق » وحديث « أربع من كن فيه كان منافقا » قال فى كل منهما « واذا حدث كذب » وهما فى الصحيحين وقد تقدما فى الآفة التى قبلها .

(٣) حديث « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب » أخرجه البخارى فى كتاب الأدب المفرد وأبو داود من حديث سفيان بن أسيد وضعفه ابن عدى ورواه أحمد والطبرانى من حديث النواس بن سمعان باسناد جيد .

(٤) حديث ابن مسعود « لايزال العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذابا » متفق عليه (٥) حديث « مر برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان ... الحديث ، وفيه فقال « أوجب أحدهما بالإثم والكفارة » أخرجه أبو الفتح الأزدى فى كتاب الأسماء المفردة من حديث ناسخ الحضرمى وهكذا رويناها فى أمالى ابن سمعون وناسخ ذكره البخارى هكذا فى التاريخ ، وقال أبو حاتم هو عبد الله ابن ناسخ (٦) حديث « الكذب ينقص الرزق » أخرجه أبو الشيخ فى طبقات الأصبهانيين من حديث أبى هريرة ورويناه كذلك فى مشيخة القاضى أبى بكر وإسناده ضعيف (٧) حديث « إن التجار هم الفجار ... الحديث » وفيه « ويحدثون فيكذبون » أخرجه أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد والبيهقى من حديث عبد الرحمن بن شبل (٨) حديث « ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ولاينظر اليهم : المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الكاذب والمسبل إزاره » أخرجه مسلم من حديث أبى ذر (٩) حديث « ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت نكتة فى قلبه إلى يوم القيامة » أخرجه الترمذى والحاكم وصحح إسناده من حديث عبد الله بن أنيس (١٠) حديث أبى ذر « ثلاثة يحبهم الله ... الحديث » وفيه « وثلاثة يشنؤهم الله التاجر أو البائع الحلاف » أخرجه أحمد واللفظ له وفيه ابن الأحمس ولايعرف حاله ورواه هو والنسائى بلفظ آخر بإسناد جيد وللنسائى من حديث أبى هريرة « أربعة يبغضهم الله البياع الحلاف .. الحديث » وإسناده جيد (١١) حديث « ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه والنسائى فى الكبرى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده

وقال صلى الله عليه وسلم « رأيت كأن رجلا جاءنى فقال لى قم فقمت معه ، فإذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس ، بيد القائم كلوب من حديد يلقمه فى شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ، ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمدّه فإذا مدّه رجع الآخر كما كان ، فقلت للذى أقامنى ماهذا ؟ فقال : هذا رجل كذاب يعذب فى قبره إلى يوم القيامة [1] » وعن عبدالله بن جراد قال : سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت يارسول الله هل يزنى المؤمن ؟ قال « قد يكون ذلك » قال : يانبى الله هل يكذب المؤمن ؟ قال « لا » ثم اتبعها صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بقول الله تعالى ﴿ إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ﴾ [2] وقال أبو سعيد الخدرى : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يدعو فيقول فى دعائه « اللهم طهر قلبى من النفاق وفرجى من الزنا ولسانى من الكذب [3] » وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر [4] » وقال عبد الله بن عامر : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبى صغير فذهبت لألعب فقالت أمى . ياعبدالله تعال حتى أعطيك فقال صلى الله عليه وسلم « وما أردت أن تعطيه » قالت تمراً ، فقال « أما إنك لو لم تفعلى لكتبت عليك كذبة [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « لو أفاء الله على نعما عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذابا ولا جبانا [6] » وقال صلى الله عليه وسلم وكان متكئا « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين » ثم قعد وقال « إلا وقول الزور [7] » وقال ابن عمر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليكذب الكذبة ليتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به [8] » وقال أنس . قال النبى صلى الله عليه وسلم « تقبلوا إلى بست اتقبل لكم بالجنة » فقالوا وما هن ؟ قال « إذا حدث أحدكم فلا يكذب وإذا وعد فلا يخلف وإذا ائتمن فلا يخن وغضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم [9] » وقال صلى الله تعالى عليه وسلم « إن للشيطان كلا ولعوقا ونشوقا : أما لعوقه فالكذب ، وأما نشوقه فالغضب . وأما كله فالنوم [10] » وخطب عمر رضى الله عنه يوما فقال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كقيامى هذا فيكم فقال « احسنوا إلى أصحابى

---

(١) حديث « رأيت كأن رجلا جاءني فقال لى قم فقمت معه فإذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقمه فى شدق الجالس ... الحديث » أخرجه البخارى من حديث سمرة بن جندب فى حديث طويل (٢) حديث عبدالله ابن جراد : أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم هل يزني المؤمن ؟ قال « قد يكون من ذلك » قال : هل يكذب؟ قال « لا » ... الحديث أخرجه ابن عبد البر فى التمهيد بسند ضعيف ورواه ابن أبى الدنيا فى الصمت مقتصرا على الكذب وجعل السائل أبا الدرداء .

(٣) حديث أبى سعيد « اللهم طهر قلبى من النفاق وفرجى من الزنا ولسانى من الكذب » هكذا وقع فى نسخ الإحياء عن أبي سعيد وانما هو عن أم معبد وكذا رواه الخطيب فى التاريخ دون قوله « وفرجى من الزنا » وزاد « وعملى من الرياء وعينى من الخيانة ولاسناده ضعيف (٤) حديث « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ... الحديث » وفيه « والإمام الكذاب » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة (٥) حديث عبد الله بن عامر : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتنا وأنا صبى صغير فذهبت لألعب فقالت أمى : ياعبد الله تعال أعطيك فقال « وما أردت أن تعطيه ؟ قالت تمرا فقال « إن لم تفعلى كتبت عليك كذبة » رواه أبو داود وفيه من لم يسم وقال الحاكم ابن عبد الله بن عامر ولد فى حياته صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه . قلت : وله شاهد من حديث أبى هريرة وابن مسعود ورجالهما ثقات الا أن الزهرى لم يسمع من أبي هريرة (٦) حديث «لو أفاء الله على نعما عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا » رواه مسلم وتقدم فى أخلاق النبوة (٧) حديث « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ... الحديث » وفيه ألا « وقول الزور » متفق عليه من حديث أبى بكرة (٨) حديث ابن عمر « ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به » أخرجه الترمذى وقال حسن غريب .

(٩) حديث أنس « تقبلوا إلى بست أتقبل لكم بالجنة اذا حدث أحدكم فلا يكذب ... الحديث » أخرجه الحاكم فى المستدرك والخرائطى فى مكارم الأخلاق وفيه سعد بن سنان ضعفه أحمد والنسائى ووثقه ابن معين ورواه الحاكم بنحوه من حديث عبادة بن الصامت وقال صحيح الإسناد .

(١٠) حديث « ان للشيطان كلا ولعوقا ... الحديث » أخرجه الطبرانى وأبو نعيم من حديث أنس بسند ضعيف وقد تقدم

ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف ويشهد ولم يستشهد [١] » وقال النبى صلى الله عليه وسلم « من حدث عنى بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « من حلف على يمين بإثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقى الله عز وجل وهو عليه غضبان [٣] » وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم « أنه رد شهادة رجل فى كذبة كذبها [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المسلم إلا الخيانة والكذب [٥] » وقالت عائشة رضى الله عنها : ما كان من خلق أشد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب فما ينجلى من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث توبة لله عز وجل منها [٦] . وقال موسى عليه السلام : يارب أى عبادك خير لك عملا ؟ قال من لايكذب لسانه ولايفجر قلبه ولايزنى فرجه . وقال لقمان لابنه : يابنى إياك والكذب فإنه شهى كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه . وقال عليه السلام فى مدح الصدق « أربع إذا كن فيك لايضرك مافاتك من الدنيا : صدق الحديث وحفظ الأمانة وحسن خلق وعفة طعمة [٧] » وقال أبو بكر رضى الله عنه فى خطبة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مقامى هذا عام أول - ثم بكى - وقال « عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما فى الجنة [٨] » وقال معاذ : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وبذل السلام وخفض الجناح [٩] » .

وأما الآثار : فقد قال على رضى الله عنه : أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيامة وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه : ما كذبت كذبة منذ شددت على إزارى . وقال عمر رضى الله عنه : أحبكم إلينا مالم نركم أحسنكم اسما فإذا رأيناكم فأحبكم إلينا أحسنكم خلقاً فإذا اختبرناكم فأحبكم إلينا أصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة . وعن ميمون بن أبى شبيب قال جلست أكتب كتابا فأتيت على حرف إن أنا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على تركه فنوديت من جانب البيت ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾ وقال الشعبى : ماأدرى أيهما ابعد غور فى النار الكذاب أو البخيل ؟ وقال ابن السماك : ما أرانى أوجر على ترك الكذب لأنى إنما أدعه أنفه . وقيل الخالدين صبيح : أيسمى الرجل كاذبا بكذبة واحدة ؟ قال : نعم وقال مالك بن دينار : فرأت فى بعض الكتب مامن خطيب إلا وتعرض خطبته على عمله فإن كان صادقا صدق وإن

---

(١) حديث : خطب عمر بالجابية ... الحديث . وفيه «ثم يفشو الكذب» أخرجه الترمذى وصححه والنسائى فى الكبرى من رواية ابن عمر عن عمر (٢) حديث « من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين » أخرجه مسلم فى مقدمة صحيحه من حديث سمرة بن جندب (٣) حديث « من حلف على يمين مأثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم ... الحديث » متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث : أنه رد شهادة رجل فى كذبة كذبها . أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت من رواية موسى بن شيبة مرسلا وموسى روى معمر عنه مناكير قاله أحمد بن حنبل (٥) حديث على « كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب » أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف من حديث أبى أمامة ورواه ابن عدى فى مقدمة الكامل من حديث سعد بن أبى وقاص وابن عمر أيضاً وأبى أمامه أيضاً ورواه ابن أبى الدنيا فى الصمت من حديث سعد مرفوعا وموقوفا والموقوف أشبه بالصواب قاله الدارقطنى فى العلل (٦) حديث : ما كان من خلق الله شىء أشد عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب فما ينجلى من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث لله منها توبة . أخرجه أحمد من حديث عائشة ورجاله ثقات إلا أنه قال عن ابن أبى مليكة أو غيره وقد رواه أبو الشيخ فى الطبقات فقال ابن أبى مليكة ولم يشك وهو صحيح (٧) حديث « أربع إذا كن فيك فلا يضرك مافاتك من الدنيا : صدق الحديث ... الحديث» أخرجه الحاكم والخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو وفيه ابن لهيعة (٨) حديث أبى بكر «عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما فى الجنة » أخرجه ابن ماجه والنسائى فى اليوم والليلة وقد تقدم بعضه فى أول هذا النوع (٩) حديث معاذ « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث » أخرجه أبو نعيم فى الحلية وقد تقدم .

كان كاذباً قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا . وقال مالك بن دينار : الصدق والكذب يعتركان فى القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبدالملك فى شيء فقال له : كذبت ، فقال عمر: والله ماكذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه .

بيان مارخص فيه من الكذب

أعلم أن الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره ، فإن أقل درجاته أن يعتقد المخبر الشيء على خلاف ماهو عليه فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ، ورب جهل فيه منفعة ومصلحة ، فالكذب محصل لذلك الجهل فيكون مأذونا فيه ، وربما كان واجبا .

قال ميمون بن مهران : الكذب فى بعض المواطن خير من الصدق ، أرأيت لو أن رجلا سعى خلف إنسان بالسيف ليقتله فدخل داراً فانتهى إليك فقال : أرأيت فلانا ؟ ماكنت قائلا ؟ ألست تقول : لم أره ؟ وما تصدق به . وهذا الكذب واجب .

فنقول : الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام ، وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك القصد مباحا، وواجب إن كان المقصود واجبا ، كما أن عصمة دم المسلم واجبة . فمهما كان فى الصدق سفك دم أمرئ مسلم قداختفى من ظالم فالكذب فيه واجب . ومهما كان لايتم مقصود الحرب أو إصلاح ذات البين أن استمالة قلب المجنى عليه إلا بكذب فالكذب مباح ، إلا أنه ينبغى أن يحترز منه ماأمكن ، لأنه إذافتح باب الكذب على نفسه فيخشى أن يتداعى إلى مايستغنى عنه وإلى مالا يقتصر على حد الضرورة ، فيكون الكذب حراما فى الأصل إلا لضرورة .

والذى يدل على الاستثناء ماروى عن أم كلثوم قالت : ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص فى شيء من الكذب إلا فى ثلاث : الرجل يقول القول يريد به الإصلاح ، والرجل يقول القول فى الحرب ، والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها [1] وقالت أيضاً : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيراً أو نمى خيراً [2] » وقالت أسماء بنت يزيد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين مسلمين ليصلح بينهما [3] » وروى عن أبى كامل قال : وقع بين اثنين من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فلقيت أحدهما فقلت : مالك ولفلان فقد سمعته يحسن عليك الثناء ؟ ثم لقيت الآخر فقلت له مثل ذلك حتى اصطلحا ، ثم قلت : أهلكت نفسى وأصلحت بين هذين ! فأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم فقال « ياأبا كاهل أصلح بين الناس [4] » اى ولو بالكذب . وقال عطاء بن يسار : قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم أكذب على أهلى ؟ قال « لاخير فى الكذب » قال : أعدها وأقول لها ، قال « لاجناح عليك [5] »

(١) حديث أم كلثوم : ماسمعته يرخص فى شيء من الكذب إلا فى ثلاث . أخرجه مسلم وقد تقدم (٢) حديث أم كلثوم أيضاً « ليس بكذاب من أصلح بين الناس ... الحديث » متفق عليه وقد تقدم ، والذى قبله عند مسلم بعض هذا (٣) حديث أسماء بنت يزيد « كل الكذب يكتب على ابن آدم الا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما » أخرجه أحمد بزيادة فيه وهو عند الترمذى مختصرا وحسنه . (٤) حديث أبى كاهل : وقع بين رجلين من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كلام ... الحديث . وفيه « ياأبا كاهل أصلح بين الناس » رواه الطبرانى ولم يصح (٥) حديث عطاء بن يسار : قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم أكذب على أهلى ؟ قال « لاخير فى الكذب » قال : أعدها وأقول لها ، قال « لاجناح عليك » أخرجه ابن عبدالبر فى التمهيد من رواية صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار مرسلا وهو فى الموطأ عن صفوان بن سليم معضلا من غير ذكر عطاء بن يسار

وروى أن ابن أبي عذرة الدؤلي وكان في خلافة عمر رضي الله عنه كان يخلع النساء اللاتي يتزوج بهن فطارت له في الناس من ذلك أحدوثة يكرهها ، فلما علم بذلك أخذ بيد عبد الله بن الأرقم حتى أتى به إلى منزله ، ثم قال لامرأته : أنشدك بالله هل تبغضيني ؟ قالت : لاتنشدني ، قال : فإني أنشدك الله ، قالت : نعم ، فقال لابن الأرقم : أتسمع؟ ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضي الله عنه فقال : إنكم لتحدثون إني أطلم النساء وأخلعهن فاسأل ابن الارقم ، فسأله فأخبره ، فأرسل إلى امرأة ابن أبي عذرة فجاءت هي وعمتها فقال : أنت التي تحدثين لزوجك أنك تبغضينه ؟ فقالت : إني أول من تاب وراجع أمر الله تعالى إنه ناشدني فتحرجت أن أكذب ، أفأكذب ياأمير المؤمنين ؟ قال : نعم فاكذبي فإن كانت إحداكن لاتحب أحدنا فلا تحدثه بذلك ، فإن أقل البيوت الذي يبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والأحساب .

وعن النواس بن سمعان الكلابي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مالي أراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار ؟ كل الكذب يكتب على ابن آدم لامحالة إلا أن يكذب الرجل في الحرب ، فإن الحرب خدعة ، أو يكون بين الرجلين شحناء فيصلح بينهما ، أو يحدث امرأته يرضيها[3] » وقال ثوبان الكذب كله إثم إلا مانفع به مسلما أو دفع عنه ضررا . وقال علي رضي الله عنه : إذا حدثتكم عن النبي صلى الله عليه وسلم فلأن أخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه ، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالحرب خدعة .

فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء ، وفي معناها ما عداها إذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره . أما ماله : فمثل أن يأخذه ظالم ويسأله عن ماله فله أن ينكره ، أو يأخذه سلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله أن ينكر ذلك ، فيقول : مازنيت وماسرقت . وقال صلى الله عليه وسلم « من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله[4] » وذلك أن إظهار الفاحشة فاحشة أخرى ، فللرجل أن يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وإن كان كاذبا .

وأما عرض غيره : فبأن يسأله عن سر أخيه فله أن ينكره ، وأن يصلح بين اثنين ، وأن يصلح بين الضرات من نسائه بأن يظهر لكل واحدة أنها أحب إليه ، وإن كانت امرأته لاتطاوعه إلا بوعد لايقدر عليه فيعدها في الحال تطييباً لقلبها ، أو يعتذر إلى إنسان وكان لايطيب قلبه إلا بإنكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس به . ولكن الحد فيه أن الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور . فينبغي أن يقابل أحدهما بالآخر ويزن بالميزان القسط ، فإذا علم أن المحذور الذي يحصل بالصدق أشد وقعاً في الشرع من الكذب فله الكذب ، وإن كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق فيجب الصدق ، وقد يتقابل الأمران بحيث يتردد فيهما ، وعند ذلك الميل إلى الصدق أولى لأن الكذب يباح لضرورة أو حاجة مهمة فإن شك في كون الحاجة مهمة فالأصل التحريم فيرجع إليه ، ولأجل غموض إدراك مراتب المقاصد ينبغي أن يحترز الإنسان من الكذب ماأمكنه ، وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له أن يترك أغراضه ويهجر الكذب ، فأما إذا تعلق بغرض غيره فلا تجوز المسامحة لحق الغير والإضرار به ؛ وأكثر كذب الناس إنما هو لحظوظ أنفسهم ، ثم هو لزيادات المال والجاه والأمور ليس فواتها

---

(١) حديث النواس بن سمعان « مالي أراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار ؟ كل الكذب مكتوب ... الحديث » أخرجه أبو بكر بن بلال في مكارم الأخلاق بلفظ « تتبايعون » الى قوله « في النار » دون مابعده فرواه الطبراني وفيهما شهرين حوشب . (٢) حديث « من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله » الحاكم من حديث عمر بلفظ « اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها فمن ألم بشيء منها فليستتر بستر الله » وإسناده حسن .

محذورا ، حتى إن المرأة لتحكى عن زوجها ما تفخر به وتكذب لأجل مراغمة الضرات ، وذلك حرام . وقالت أسماء سمعت امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : إن لى ضرة وإنى أتكثر من زوجى بما لم يفعل أضارها بذلك فهل على شيء فيه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « من تطعم بما لايطعم أو قال لى وليس له أو أعطيت ولم يعط فهو كلابس ثوبى زور يوم القيامة[2] » ويدخل فى هذا فتوى العالم بما لايتحققه ، وروايته الحديث الذى لايتثبته إذ غرضه أن يظهر فضل نفسه ، فهو لذلك يستنكف من أن يقول : لا أدرى ، وهذا حرم ، ومما يلتحق بالنساء الصبيان ، فإن الصبى إذا كان لايرغب فى المكتب إلا وعد أوعيد أوتخويف كاذب كان ذلك مباحا . نعم روينا فى الأخبار أن ذلك يكتب كذبا ، ولكن الكذب المباح أيضا قد يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه ، لأنه إنما أبيح بقصد الإصلاح ويتطرق إليه غرور كبير ، فإنه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذى هو مستغن عنه وإنما يتعلل ظاهراً بالإصلاح فلهذا يكتب . وكل من أتى بكذبة فقد وقع فى خطر الاجتهاد ليعلم أن المقصود الذى كذب لأجله هل هو أهم فى الشرع من الصدق أم لا ؟ وذلك غامض جدا والحزم تركه إلا أن يصير واجبا بحيث لايجوز تركه كما لو أدى إلى سفك دم أو ارتكاب معصية كيف كان .

وقد ظن ظانون أنه يجوز وضع الأحاديث فى فضائل الأعمال وفى التشديد فى المعاصى ، وزعموا أن القصد منه صحيح وهو خطأ محض . إذ قال صلى الله عليه وسلم « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار[3] » وهذا لا يرتكب إلا لضرورة ولا ضرورة إذ فى الصدق مندوحة عن الكذب ففيما ورد من الآيات والأخبار كفاية عن غيرها . وقول القائل : إن ذلك قد تكرر على الأسماع وسقط وقعه ، وما هو جديد فوقعه أعظم ، فهذا هوس إذ ليس هذا من الأغراض التى تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ويؤدى فتح بابه إلى أمور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذه شره أصلى . والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التى لا يقاومها شيء . نسأل الله العفو عنا وعن جميع المسلمين .

بيان الحذر من الكذب بالمعاريض

قد نقل عن السلف أن فى المعاريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضى الله عنه : أما فى المعاريض ما يكفى الرجل عن الكذب ؟ وروى ذلك عن ابن عباس وغيره . وإنما أرادوا بذلك إذا اضطر الإنسان إلى الكذب فأما إذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا ، ولكن التعريض أهون . ومثال التعريض ما روى أن مطرفاً دخل على زياد فاستبطأه فتعلل بمرض وقال : مارفعت جنبى مذفارقت الأمير إلا مارفعنى الله . وقال إبراهيم : إذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت أن تكذب فقل : إن الله تعالى ليعلم ماقلت من ذلك من شيء . فيكون قوله « ما » حرف نفى عند المستمع ، وعنده الإبهام . وكان معاذ بن جبل عاملا لعمر رضى الله عنه فلما رجع قالت له امرأته ما جئت به مما يأتى به العمال إلى أهلهم ؟ وما كان قد أتاها بشيء . فقال : كان عندى ضاغط ، قالت : كنت أميناً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند أبى بكر رضى الله عنه . فبعث عمر

---

(١) حديث أسماء : قالت امرأة : إن لى ضرة وانى أتكثر من زوجى بما لم يفعل.. الحديث . متفق عليه وهى أسماء بنت أبى بكر الصديق (٢) حديث « من تطعم بما لايطعم وقال لى وليس له وأعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبى زور يوم القيامة » لم أجده بهذا اللفظ (٣) حديث « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » متفق عليه من طرق وقد تقدم فى العلم .

معك ضاغطا ؟ وقامت بذلك بين نسائها واشتكت عمر ، فلما بلغه ذلك دعا معاذا وقال : بعثت معك ضاغطا ؟ قال : لم أجد ما أعتذر به إليها إلا ذلك ، فضحك عمر رضى الله عنه وأعطاه شيئا فقال . أرضها به - ومعنى قوله ضاغطا يعني رقيباً وأراد به الله تعالى - وكان النخعى لا يقول لابنته : أشترى لك سكراً بل يقول: أرأيت لو اشتريت لك سكرا ؟ فإنه ربما لا يتفق له ذلك . وكان إبراهيم إذا طلبه من يكره أن يخرج إليه وهو فى الدار قال للجارية : قولى له أطلبه فى المسجد ولا تقولى له ليس ههنا كيلا يكون كذباً . وكان الشعبي إذا طلب فى المنزل هو يكرهه خط دائرة وقال للجارية : ضعى الأصبع فيها وقولى ليس ههنا . وهذا كله فى موضع الحاجة فأما فى غير موضع الحاجة فلا ، لأن هذا تفهيم للكذب وإن لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روى عبدالله بن عتبة قال : دخلت مع أبى على عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فخرجت وعلى ثوب ، فجعل الناس يقولون هذا كساكه أمير المؤمنين ؟ فكنت أقول جزى الله أمير المؤمنين خيرا ، فقال لى أبى يا بنى اتق الكذب وما أشبهه ، فنهاه عن ذلك لأنّ فيه تقريرا لهم عن ظن كاذب لأجل غرض المفاخرة وهذا غرض باطل لافائدة فيه .

نعم المعاريض تباح لغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة عجوز [1] » وقوله للأخرى « الذى فى عين زوجك بياض » وللأخرى « نحملك على ولد البعير » وما أشبهه . وأما الكذب الصريح كما فعله نعمان الأنصارى مع عثمان فى قصة الضرير إذ قال له إنه نعيمان ، وكما يعتاده الناس من ملاعبة الحمقى بتغريرهم بأن امرأة قد رغبت فى تزويجك ؛ فإن كان فيه ضرر يؤدى إلى إيذاء قلب فهو حرام ، وإن لم يكن إلا لمطايبته فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة إيمانه . قال صلى الله عليه وسلم « لا يكمل المرء الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب فى مزاحه [2] » وأما قوله عليه السلام « إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوى بها فى النار أبعد من الثريا [3] » أراد به ما فيه غيبة مسلم أو إيذاء قلب دون محض المزاح .

ومن الكذب الذى لا يوجب الفسق ما جرت به العادة فى المبالغة كقوله طلبتك كذا وكذا مرة وقلت لك كذا مائة مرة ، فإنه لا يريد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة ، فإن لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذبا ، وإن كان طلبه مرات لا يعتاد مثلها فى الكثرة لا يأثم وإن لم تبلغ مائة ، وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب . ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به أن يقال : كل الطعام ، فيقول : لا أشتهيه ؛ وذلك منهى عنه وهو حرام ، وإن لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد : قالت أسماء بنت عميس ، كنت صاحبة عائشة فى الليلة التى هيأتها وأدخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعى نسوة قالت : فوالله ما وجدنا عنده قرى إلا قدحا من لبن ، فشرب ثم ناوله عائشة ، قالت : فاستحيت الجارية فقلت : لا تردّى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذى منه ، قالت : فأخذت منه على حياء فشربت منه ثم قال « ناولى صواحبك » فقلن : لا نشتهيه ، فقال « لا تجمعن جوعا وكذبا » قالت : فقلت يا رسول الله إن قالت إحدانا لشىء تشتهيه لا أشتهيه أيعد ذلك كذبا ؟ قال

---

(١) حديث « لا يدخل الجنة عجوز » وحديث « فى عين زوجك بياض » وحديث « نحملك على ولد البعير » تقدمت الثلاثة فى الآفة العاشرة (٢) حديث « لا يستكمل المؤمن إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب فى مزاحه » ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب من حديث أبى مليكة الدمارى وقال فيه نظر والشيخين من حديث أنس « لا يؤمن أحد منكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » والدارقطنى فى المؤتلف والمختلف من حديث أبى هريرة « لا يؤمن عبد الإيمان كله حتى يترك الكذب فى مزاحه » قال أحمد بن حنبل منكر (٣) حديث « إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها الناس يهوى بها أبعد من الثريا » تقدم فى الآفة الثالثة .

« إن الكذب ليكتب كذبا ، حتى تكتب الكذيبة كذيبة [١] » ، وقد كان أهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب .

قال الليث بن سعد : كانت عينا سعد بن المسيب ترمص حتى يبلغ الرمص خارج عينيه ، فيقال له : لو مسحت عينيك ؟ فيقول : وأين قول الطبيب : لا تمس عينيك فأقول : لا أفعل ؟ وهذه مراقبة أهل الورع . ومن تركه انسل لسانه فى الكذب عند حد اختياره فيكذب ولا يشعر . وعن خوات التيمى قال : جاءت أخت الربيع بن خثيم عائدة لابن له فانكبت عليه ، فقالت : كيف أنت يابنى ؟ فجلس الربيع وقال : أرضعتيه ؟ قالت : لا ، قال : ماعليك لو قلت ، ياابن أخى فصدقت ؟ ومن العادة أن يقول : يعلم الله ، فيما لا يعلمه . قال عيسى عليه السلام : إن من عظم الذنوب عند الله أن يقول العبد إن الله يعلم ، لما لا يعلم . وربما يكذب فى حكاية المنام ، والإثم فيه عظيم إذ قال عليه السلام « إن من أعظم الفرية أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عينيه فى المنام ما لم ير أو يقول على مالم أقل [٢] » وقال عليه السلام « من كذب فى حلم كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين وليس بعاقد بينهما أبدا [٣] » .

الآفة الخامسة عشرة : الغيبة

والنظر فيها طويل فلنذكر أولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع ، وقد نص الله سبحانه على ذمها فى كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة ، فقال تعالى ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ﴾ وقال عليه السلام « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه [٤] » والغيبة تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم ، وقال أبو برزة : قال عليه السلام « لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تفاحشوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله إخوانا [٥] » وعن جابر وأبى سعيد قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا ، فإن الرجل يزنى ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه [٦] » ، وقال أنس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت ليلة سرى بى على أقوام يخمشون وجوههم بأظافيرهم فقلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون فى أعراضهم [٧] » ، وقال سليم بن جابر : أتيت النبى عليه الصلاة والسلام فقلت علمنى خيراً أنتفع به ، فقال « لا تحقرن

---

(١) حديث مجاهد عن أسماء بنت عميس : كنت صاحبة عائشة التى هيأتها وأدخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم . الحديث وفيه « قال لا تجمعن جوعا وكذا » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت والطبرانى فى الكبير وله نحوه من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وهو الصواب ، فإن أسماء بنت عميس كانت إذ ذاك بالحبشة ، لكن فى طبقات الأصبهانيين لأبى الشيخ من رواية عطاء بن أبى رباح عن أسماء بنت عميس : زففنا إلى النبى صلى الله عليه وسلم بعض نسائه .. الحديث . فإذا كانت غير عائشة ممن تزوجها بعد خيبر فلا مانع من ذلك (٢) حديث « ان من أعظم الفرى أن يدعى الرجل الى غير أبيه أو يرى عينيه فى المنام مالم تريا أو يقول على ما لم أقل » أخرجه البخارى من حديث واثلة بن الأسقع وله من حديث ابن عمر « من أفرى الفرى أن يرى عينيه ما لم تريا » (٣) حديث « من كذب فى حلمه كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرة » أخرجه البخارى من حديث ابن عباس

الآفة الخامسة عشرة : الغيبة

(٤) حديث « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة (٥) « لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضاً وكونوا عباد الله إخوانا » متفق عليه من حديث أبى هريرة دون قوله « ولا يغتب بعضكم بعضاً » وقد تقدم فى آداب الصحبة (٦) حديث جابر وأبى سعيد « إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت وابن حبان فى الضعفاء وابن مردويه فى التفسير . (٧) حديث أنس « مررت ليلة أسرى بى على قوم يخمشون وجوههم بأظفارهم ... الحديث » أخرجه أبو داود مسندا ومرسلا والمسند أصح .

من المعروف شيئا ولو أن تصب من دلوك فى إناء المستقى ، وأن تلقى أخاك ببشر حسن وإن أدبر فلا تغتابنه[1] » وقال البراء : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق فى بيوتهن فقال « يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه فى جوف بيته[2] » وقيل أوحى الله إلى موسى عليه السلام : من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ، ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار . وقال أنس : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم فقال « لا يفطرن أحد حتى آذن له » فصام الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يجىء فيقول : يارسول الله ظللت صائما فائذن لى لأفطر فيأذن له ، والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال : يارسول الله فتاتان من أهلك ظلتا صائمتين وإنهما يستحيان أن يأتياك فائذن لهما أن يفطرا ! فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم ، ثم عاوده فأعرض عنه ، ثم عاوده فقال « إنهما لم يصوما وكيف يصوم من ظل نهاره يأكل لحم الناس ؟ اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن تستقيئا » فرجع إليهما فأخبرهما فاستقاءتا ، فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم ، فرجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال « والذى نفسى بيده لو بقيتا فى بطونهما لأكلتهما النار[3] » وفى رواية : أنه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك وقال يارسول الله والله إنهما قد ماتتا أو كادتا أن تموتا ، فقال صلى الله عليه وسلم « ائتونى بهما » فجاءتا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فقال لاحداهما « قيئى » فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح ، وقال للأخرى « قيئى » فقاءت كذلك ، فقال « إنّ هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما ، جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس[4] » وقال أنس : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال « إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله فى الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وأربى الربا عرض المسلم[5] » وقال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسير فأتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال « إنهما يعذبان وما يعذبان فى كبير ، أما أحدهما فكان يغتاب الناس ، وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله » فدعا بجريدة رطبة أو جريدتين فكسرهما ثم أمر بكل كسرة فغرست على قبر وقال « أما إنه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين - أو مالم ييبسا -[6] » . ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعزاً فى الزنا قال رجل لصاحبه هذا أقعص كما يقعص الكلب ، فمر صلى الله عليه وسلم وهما معه بجيفة فقال « انهشا منها » فقالا : يارسول الله ننهش

---

(١) حديث سليم بن جابر : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت علمنى خيرا ينفعنى الله به . . . الحديث . أخرجه أحمد فى المسند وابن أبى الدنيا فى الصمت واللفظ له ولم يقل فيه أحمد « وإذا أدبر فلا تغتابه » وفى إسنادها ضعف (٢) حديث البراء « يامعشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لاتغتابوا المسلمين . . الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا هكذا ورواه أبو داود من حديث أبى برزة بإسناد جيد (٣) حديث أنس : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم وقال « لايفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس . . . الحديث » فى ذكر المرأتين اللتين اغتابتا فى صيامهما فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت وابن مردويه فى التفسير من رواية يزيد الرقاشى عنه ويزيد ضعيف (٤) حديث المرأتين المذكورتين وقال فيه « إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما . . الحديث » أخرجه أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه رجل لم يسم ورواه أبو يعلى فى مسنده فأسقط منه ذكر الرجل المتهم (٥) حديث أنس : خطبنا فذكر الربا وعظم شأنه . . . الحديث . وفيه « وأربى الربا عرض الرجل المسلم » أخرجه ابن أبى الدنيا بسند ضعيف .

(٦) حديث جابر : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسير فأتى على قبرين يعذب صاحباها فقال « أما إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير ، أما أحدهما فكان يغتاب الناس . . . الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت وأبو العباس الدغولى فى كتاب الآداب باسناد جيد وهو فى الصحيحين من حديث ابن عباس إلا أنه ذكر فيه النميمة بدل الغيبة . وللطيالسى فيه « أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس » ولأحمد والطبرانى من حديث أبى بكرة نحوه باسناد جيد .

جيفة ؟ فقال « ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه » (١) وكان الصحابة رضى الله عنهم يتلاقون بالبشر ولايغتابون عند الغيبة ويرون ذلك أفضل الأعمال ويرون خلافه عادة المنافقين . وقال أبو هريرة : من أكل لحم أخيه فى الدنيا قرب إليه لحمه فى الآخرة وقيل له كله ميتا كما أكلته حيا ، فيأكله فينضج ويكلح (٢) وروى مرفوعا كذلك . وروى أن رجلين كانا قاعدين عند باب من أبواب المسجد فمر بهما رجل كان مختثا فترك ذلك . فقالا : لقد بقى فيه منه شىء وأقيمت الصلاة فدخلا فصليا مع الناس ، فحاك فى أنفسهما ماقالا فأتيا عطاء فسألاه فأمرهما أن يعيدا الوضوء والصلاة وأمرهما أن يقضيا الصيام إن كانا صائمين . وعن مجاهد أنه قال فى ﴿ ويل لكل همزة لمزة ﴾ الهمزة : الطعان فى الناس ، واللمزة : الذى يأكل لحوم الناس . وقال قتادة : ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث : ثلث من الغيبة ، وثلث من النميمة ، وثلث من البول . وقال الحسن : والله للغيبة أسرع فى دين الرجل المؤمن من الأكلة فى الجسد . وقال بعضهم : أدركنا السلف وهم لايرون العبادة فى الصوم ولافى الصلاة ولكن فى الكف عن أعراض الناس . وقال ابن عباس : إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك . وقال أبو هريرة يبصر أحدكم القذى فى عين أخيه ولايبصر الجذع فى عين نفسه . وكان الحسن يقول : ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لاتغيب الناس بعيب هو فيك ، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من ، فإذا فعلت ذلك كان شغلك فى خاصة نفسك ، وأحب العباد إلى الله من كان هكذا . وقال مالك بن دينار : مر عيسى عليه السلام ومعه الحواريون بجيفة كلب فقال الحواريون : ما أنتن ريح هذا الكلب ! فقال عليه الصلاة والسلام : ما أشد بياض أسنانه ! كأنه رضى الله عنهما رجلا يغتاب آخر فقال له : إياك والغيبة فإنها إدام كلاب الناس . وقال عمر رضى الله عنه : عليكم بذكر الله تعالى فإنه شفاء وإياكم وذكر الناس فإنه داء . نسأل الله حسن التوفيق لطاعته .

بيان معنى الغيبة وحدودها

أعلم أن حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه ، سواء ذكرته بنقص فى بدنه أو نسبه أو فى خلقه أو فى فعله أو فى قوله أو فى دينه أو فى دنياه ، حتى فى ثوبه وداره ودابته .

أما البدن : فكذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة ، وجميع مايتصور أن يوصف به مما يكرهه كيفما كان . وأما النسب : فبأن تقول أبوه نبطى أو هندى أو فاسق أو خسيس أو إسكاف أو زبال ، أو شىء مما يكرهه كيفما كان . وأما الخلق : فبأن تقول هو سيىء الخلق بخيل متكبر مراء شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجرى مجراه . وأما فى أفعاله المتعلقة بالدين : فكقولك هو سارق أو كذاب أو شارب خمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصلاة أو الزكاة أو لايحسن الركوع أو السجود أو لايحترز من النجاسات أو ليس باراً بوالديه أو لايضع الزكاة موضعها أو لايحسن قسمها أو لايحرس صومه عن الرفث والغيبة والتعرض لأعراض الناس . وأما فعله المتعلق بالدنيا : فكقولك إنه قليل الأدب متهاون بالناس ، أو لايرى لأحد

---

(١) حديث : قوله للرجل الذى قال لصاحبه فى حق المرجوم هذا أقعص كما يقعص الكلب فمر بجيفة فقال « انهشا منها ... الحديث » أخرجه أبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة نحوه بإسناد جيد (٢) حديث أبى هريرة « من أكل لحم أخيه فى الدنيا قرب إليه لحمه فى الآخرة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا ... الحديث » أخرجه ابن مردويه فى التفسير مرفوعا وموقوفا وفيه محمد بن إسحاق رواه بالعنعنة .

على نفسه حقاً أو يرى لنفسه الحق على الناس ، أو أنه كثير الكلام كثير الأكل نئوم ينام فى غيروقت النوم ويجلس فى غير موضعه . وأما فى ثوبه فكقولك إنه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب .

وقال قوم : لاغيبة فى الدين لأنه ذم ماذمه الله تعالى فذكره بالمعاصى وذمه بها يجوز ، بدليل ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له امرأة وكثرة صلاحها وصومها ولكنها تؤذى جيرانها بلسانها فقال « هى فى النار [1] » وذكرت عنده امرأة أخرى بأنها بخيلة فقال « فما خيرها إذن [2] » فهذا فاسد لأنهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم إلى تعرف الأحكام بالسؤال ، ولم يكن غرضهم التنقيص ولا يحتاج إليه فى غير مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم . والدليل عليه إجماع الأمة على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لأنه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حد الغيبة .

وكل هذا وإن كان صادقا فيه فهو به مغتاب عاص لربه وآكل لحم أخيه ، بدليل ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « هل تدرون ما الغيبة ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم قال « ذكرك أخاك بما يكرهه » قيل : أرأيت إن كان فى أخى ماأقوله ؟ قال « إن كان فيه ماتقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته [3] » وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ما أعجزه ! فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبتم أخاكم » قالوا يارسول الله قلنا ما فيه ، قال « إن قلتم ماليس فيه فقد بهتموه [4] » وعن حذيفة عن عائشة رضى الله عنها أنها ذكرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة فقالت : إنها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبتيها [5] » وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة الغيبة والبهتان والإفك ، وكل فى كتاب الله عزوجل ؛ فالغيبة أن تقول مافيه ، والبهتان أن تقول ماليس فيه ، والإفك أن تقول ما بلغك وذكر ابن سيرين رجلا فقال : ذاك الرجل الأسود ، ثم قال أستغفر الله إنى أرانى قد اغتبته . وذكر ابن سيرين إبراهيم النخعى فوضع يده على عينه ولم يقل الأعور . وقالت عائشة لايغتابن أحدكم أحدا فإنى قلت لامرأة مرة وأنا عند النبى صلى الله عليه وسلم إن هذه لطويلة الذيل فقال لى « الفظى الفظى » فلفظت مضغة لحم [6] » .

بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان

اعلم أن الذكر باللسان إنما حرم لأن فيه تفهيم الغير نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه ، فالتعريض به كالتصريح والفعل فيه كالقول ، والإشارة والإيماء والغمز والهمز والكتابة والحركة وكل مايفهم المقصود فهو داخل فى الغيبة وهو حرام . فمن ذلك قول عائشة رضى الله عنها : دخلت علينا امرأة فلما ولت أومات بيدى أنها قصيرة فقال عليه

---

(١) حديث : ذكر له امرأة وكثرة صومها وصلاتها لكن تؤذى جيرانها فقال « هى فى النار » أخرجه ابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة (٢) حديث : ذكر امرأة أخرى بأنها بخيلة قال « فما خيرها إذن » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث أبى جعفر محمد بن على مرسلا ورويناه فى أمالى ابن شمعون هكذا (٣) حديث « هل تدرون ماالغيبة ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم ، قال « ذكرك أخاك بما يكره ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة (٤) حديث معاذ : ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه ... الحديث . أخرجه الطبرانى بسند ضعيف (٥) حديث عائشة : أنها ذكرت امرأة فقالت إنها قصيرة فقال « اغتبتيها » رواه أحمد وأصله عند أبى داود والترمذى وصححه بلفظ آخر ووقع عند المصنف عن حذيفة عن عائشة وكذا هو فى الصمت لابن أبى الدنيا والصواب عن أبى حذيفة كما عند أحمد وأبى داود والترمذى واسم أبى حذيفة سلمة بن صهيب (٦) حديث عائشة : قلت لامرأة وإن هذه طويلة الذيل فقال صلى الله عليه وسلم « الفظى » فلفظت بضعة من لحم . أخرجه ابن أبى الدنيا وابن مردويه فى التفسير وفى اسناده امرأة لاأعرفها .

السلام » اغتبتيها [١] « ومن ذلك المحاكاة يمشى متعارجا أو كما يمشى فهو غيبة بل هو أشد من الغيبة لأنه أعظم فى التصوير والتفهيم ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة حاكت امرأة قال « مايسرنى أنى حاكيت إنسانا ولى كذا وكذا [٢] » . وكذلك الغيبة بالكتابة فإن القلم أحد اللسانين . وذكر المصنف شخصا معينا وتهجين كلامه فى الكتاب غيبة إلا أن يقترن به شىء من الأعذار المحوجة إلى ذكره ـ كما سيأتى بيانه ـ وأما قوله : قال قوم كذا : فليس ذلك غيبة ، وإنما الغيبة التعرض لشخص معين إما حى وإما ميت . ومن الغيبة أن تقول : بعض من مر بنا اليوم ، أو بعض من رأيناه ؛ إذا كان المخاطب يفهم منه شخصاً معيناً ؛ لأن المحذور تفهيمه دون مابه التفهيم فأما إذا لم يفهم عينه جاز . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كره من إنسان شيئا قال « ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا [٣] » فكان لايعين . وقولك : بعض من قدم من السفر ، أو بعض من يدعى العلم ، إن كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهى غيبة .

وأخبث أنواع الغيبة غيبة القراء المرائين فإنهم يفهمون المقصود على صيغة أهل الصلاح ليظهروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ، ولا يدرون بجهلهم أنهم جمعوا بين فاحشتين الغيبة والرياء ، وذلك مثل أن يذكر عنده إنسان فيقول : الحمد لله الذى لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل فى طلب الحطام ، أو يقول : نعوذ بالله من قلة الحياء نسأل الله أن يعصمنا منها ، وإنما قصده أن يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء ، وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول : ماأحسن أحوال فلان : ما كان يقصر فى العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلى بما يبتلى به كلنا وهو قلة الصبر . فيذكر نفسه ومقصوده أن يذم غيره فى ضمن ذلك ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين بأن يذم نفسه ، فيكون مغتابا ومرائياً ومزكياً نفسه ، فيجمع بين ثلاث فواحش وهو بجهله يظن أنه من الصالحين المتعففين عن الغيبة . ولذلك يلعب الشيطان بأهل الجهل إذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فإنه يتبعهم ويحبط بمكايده عملهم ويضحك عليهم ويسخر منهم . ومن ذلك أن يذكر عيب إنسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول : سبحان الله ماأعجب هذا ! حتى يصغى إليه ويعلم مايقول ، فيذكر الله تعالى ويستعمل الاسم آلة فى تحقيق خبثه ، وهو يمتن على الله عز وجل بذكره جهلا منه وغرورا « وكذلك يقول : ساءنى ماجرى على صديقنا من الاستخفاف به نسأل الله أن يروح نفسه ، فيكون كاذبا فى دعوى الاغتمام وفى إظهار الدعاء له ، بل لو قصد الدعاء لأخفاه فى خلوته عقيب صلاته ، ولو كان يغتم به لاغتم أيضا بإظهار ما يكرهه . وكذلك يقول : ذلك المسكين قد بلى بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه ، فهو فى كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفى قصده ، وهو لجهله لايدرى أنه قد تعرض لمقت أعظم مما تعرض له الجهال إذا جاهروا .

ومن ذلك الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجب فإنه إنما تظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب فى الغيبة فيندفع فيها وكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول : عجب ماعلمت أنه كذلك ! ماعرفته إلى الآن إلا بالخير : وكنت أحسب فيه غير هذا ، عافانا الله من بلائه ، فإن كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك

(١) حديث عائشة : دخلت علينا امرأة فأومأت بيدى أى قصيرة فقال النبى صلى الله عليه وسلم « قد اغتبتيها » أخرجه ابن أبى الدنيا وابن مردويه من رواية حسان بن مخارق عنها وحسان وثقه ابن حبان وباقيهم ثقات (٢) حديث « مايسرنى أنى حكيت ولى كذا وكذا » تقدم فى الآفة الحادية عشرة (٣) حديث كان إذا كره من إنسان شيئا قال « مابال أقوام يفعلون كذا وكذا ... الحديث » أخرجه أبو داود من حديث عائشة دون قوله « وكان لا يعيره » ورجاله رجال الصحيح .

المغتاب . قال صلى الله عليه وسلم « المستمع أحد المغتابين [١] » وقد روى عن أبي بكر وعمر رضى الله عنهما أن أحدهما قال لصاحبه : إن فلانا لئوم ثم إنهما طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأكلا به الخبز فقال صلى الله عليه وسلم « قد ائتدمتما ! » فقالا : ما نعلمه ؟ قال « بلى إنكما أكلتما من لحم أخيكما [٢] » فانظر كيف جمعهما وكان القائل أحدهما والآخر مستمعا . وقال للرجلين اللذين قال أحدهما . أقعص الرجل كما يقعص الكلب « انهشا من هذه الجيفة [٣] » فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلا أن ينكر بلسانه أو بقلبه إن خاف ، وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه ، وإن قال بلسانه اسكت ، وهو مشتهه لذلك بقلبه فذلك نفاق ، ولا يخرجه من الإثم مالم يكرهه بقلبه ، ولا يكفى فى ذلك أن يشير باليد أى اسكت ، أو يشير بحاجبه وجبينه ، فإن ذلك استحقار للمذكور بل ينبغى أن يعظم ذلك فيذب عنه صريحا وقال صلى الله عليه وسلم من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على نصره أذله الله يوم القيامة على رءوس الخلائق [٤] » وقال أبو الدرداء : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقاً على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة [٥] » وقال أيضاً « من ذب عن عرض أخيه بالغيب كان حقاً على الله أن يعتقه من النار [٦] » وقد ورد فى نصرة المسلم فى الغيبة وفى فضل ذلك أخبار كثيرة أوردناها فى كتاب آداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطول بإعادتها .

بيان الأسباب الباعثة على الغيبة

اعلم أن البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها أحد عشر سببا : ثمانية منها تطرد فى حق العامة ، وثلاثة تختص بأهل الدين والخاصة .

أما الثمانية ؛ فالأول أن يشفى الغيظ وذلك إذا جرى سبب غضب به عليه ، فإنه إذا هاج غضبه يشتفى بذكر مساوية فيسبق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن ثم دين وازع ، وقد يمتنع تشفى الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب فى الباطن فيصير حقداً ثابتاً فيكون سببا دائما لذكر المساوى ، فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة .

الثانى : موافقة الأقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام ، فإنهم إذا كانوا يتفكهون بذكر الأعراض فيرى أنه لو أنكر عليهم أو قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن أنه مجاملة فى الصحبة ، وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج إلى أن يغضب لغضبهم إظهارا للمساهمة فى السراء والضراء فيخوض معهم فى ذكر العيوب والمساوى .

الثالث : أن يستشعر من إنسان أنه سيقصده ويطول لسانه عليه أو يقبح حاله عند محتشم ، أو يشهد عليه بشهادة

---

(١) حديث « المستمع أحد المغتابين » أخرجه الطبرانى من حديث ابن عمر : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العينة وعن الاستماع إلى العينة . وهو ضعيف (٢) حديث : أن أبا بكر وعمر قال أحدهما لصاحبه إن فلانا لئوم ثم طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « قد ائتدمتما ؟ » فقالا : ما نعلم ؟ فقال بلى ما أكلتما من لحم صاحبكما » أخرجه أبو العباس الدغولى فى الآداب من رواية عبد الرحمن بن أبى ليلى مرسلا نحوه (٣) حديث « انهشا من هذه الميتة » قاله للرجلين اللذين قال أحدهما: اقعص كما يقعص الكلب . تقدم قبل هذا بإثنى عشر حديثا (٤) حديث « من أذل عنده مؤمن وهو قادر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله يوم القيامة على رءوس الخلائق » أخرجه الطبرانى من حديث سهل بن حنيف وفيه ابن لهيعة (٥) حديث أبى الدرداء « من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت وفيه شهر بن حوشب وهو عند الطبرانى من وجه آخر بلفظ « رد الله عن وجهه النار يوم القيامة » وفى رواية له « كان له حجابا من النار » وكلاهما ضعيف (٦) حديث « من ذب عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يعتقه من النار » أخرجه الطبرانى من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد .

فيبادره قبل أن يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط أثر شهادته ، أو يبتدئ بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروّج كذبه بالصدق الأول ويستشهد ويقول : ما من عادتى الكذب ، فإنى أخبرتكم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت .

الرابع : أن ينسب إلى شىء فيريد أن يتبرأ منه فيذكر الذى فعله ، وكان من حقه أن يبرئ نفسه ولا يذكر الذى فعل فلا ينسب غيره إليه ، أو يذكر غيره بأنه كان مشاركا له فى الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه فى فعله .

الخامس : إرادة التصنع والمباهاة ، وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف : وغرضه أن يثبت فى ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم أنه أعلم منه ، أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك .

السادس : الحسد وهو أنه ربما يحسد من يثنى الناس عليه ويحبونه ويكرمونه ، فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا إليه إلا بالقدح فيه ، فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه لأنه يثقل عليه أن يسمع كلام الناس وثناءهم عليه وإكرامهم له ، وهذا هو عين الحسد وهو غير الغضب والحقد ، فإنّ ذلك يستدعى جناية من المغضوب عليه ، والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والرفيق الموافق .

السابع : اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك ، فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة ومنشؤه التكبر والعجب .

الثامن : السخرية والاستهزاء استحقاراً له فإن ذلك قد يجرى فى الحضور ويجرى أيضا فى الغيبة ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزأ به .

وأما الأسباب الثلاثة التى هى فى الخاصة فهى أغمضها وأدقها ، لأنها شرور خبأها الشيطان فى معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر .

الأول : أن تنبعث من الدين داعية التعجب فى إنكار المنكر والخطأ فى الدين ، فيقول ما أعجب ما رأيت من فلان ! فإنه قد يكون به صادقا ويكون تعجبه من المنكر ، ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه فى إظهار تعجبه ، فصار به مغتابا وآثما من حيث لا يدرى . ومن ذلك قول الرجل: تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهى قبيحة ؟ وكيف يجلس بين يدى فلان وهو جاهل ؟ .

الثانى : الرحمة وهو أن يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول : مسكين فلان قد غمنى أمره وما ابتلى به ، فيكون صادقا فى دعوى الاغتمام ويلهيه الغم عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا ، وكذا تعجبه ولكن ساقه الشيطان إلى شر من حيث لا يدرى ، والترحم والاغتمام ممكن دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه .

الثالث : الغضب لله تعالى فإنه قد يغضب على منكر قارفه إنسان إذا رآه أو سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه ، وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا يظهره على غيره ، أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء ، فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء فضلا عن العوام ، فإنهم يظنون أنّ التعجب والرحمة والغضب إذا كان لله تعالى . كان عذرا فى ذكر الاسم وهو خطأ ، بل المرخص فى الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم - كما سيأتى ذكره - روى عن عامر بن واثلة : أنّ رجلا مرّ على قوم فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم

فسلم عليهم فردوا عليه السلام ، فلما جاوزهم قال رجل منهم : إنى لأبغض هذا فى الله تعالى فقال أهل المجلس : لبئس ما قلت والله لنبئنه ، ثم قالوا : يافلان لرجل منهم ـ قم فأدركه وأخبره بما قال فأدركه رسولهم فأخبره فأتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى له ماقال وسأله أن يدعوه له ، فدعاه وسأله فقال : قد قلت ذلك فقال صلى الله عليه وسلم « لم تبغضه ؟ » فقال : أنا جاره وأنا به خابر ، والله مارأيته يصلى صلاة قط إلا هذه المكتوبة ، قال : فاسأله يارسول الله هل رآنى أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو الركوع أو السجود فيها؟ فسأله فقال ؟لا، فقال : والله مارأيته يصوم شهرا قط إلا هذا الشهر الذى يصومه البر والفاجر ، قال : فاسأله يارسول الله هل رآنى قط أفطرت فيه أو نقصت من حقه شيئاً ؟ فسأله عنه فقال : لا ، فقال : والله مارأيته يعطى سائلا ولا مسكينا قط ولا رأيته ينفق شيئاً من ماله فى سبيل الله إلا هذه الزكاة التى يؤديها البر والفاجر ، قال : فاسأله يارسول الله هل رآنى نقصت منها أو ماكست فيها طالبها الذى يسألها ؟ فسأله فقال : لا ، فقال صلى الله عليه وسلم للرجل« قم فلعله خير منك [1] » .

بيان العلاج الذى يمنع اللسان عن الغيبة

اعلم أن مساوى الأخلاق كلها إنما تعالج بمعجون العلم والعمل ، وإنما علاج كل علة بمضادة سببها ،فلنفحص عن سببها . وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين : أحدهما على الجملة ، والآخر على التفصيل :

أما على الجملة : فهو أن يعلم تعرضه لسخط الله تعالى بغيبته بهذه الأخبار التى رويناها وأن يعلم أنها محبطة لحسناته يوم القيامة ، فإنها تنقل حسناته يوم القيامة إلى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه ، فإن لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئات خصمه ، وهو مع ذلك متعرض لمقت الله عز وجل ومشبه عنده بآكل الميتة ، بل العبد يدخل النار بأن ترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وربما تنقل إليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار ، وإنما أقل الدرجات أن تنقص من ثواب أعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب . قال صلى الله عليه وسلم « ما النار فى اليبس بأسرع من الغيبة فى حسنات العبد [2] » وروى أن رجلا قال للحسن : بلغنى أنك تغتابنى ، فقال : مابلغ من قدرك عندى أنى أحكمك فى حسناتى . فهما آمن العبد بما ورد من الأخبار فى الغيبة لم يطلق لسانه بها خوفا من ذلك ، وينفعه أيضاً أن يتدبر فى نفسه فإن وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس [3] » ومهما وجد عيبا فينبغى أن يستحى من أن يترك ذم نفسه ويذم غيره ، بل ينبغى أن يتحقق أن عجز غيره عن نفسه فى التنزه عن ذلك العيب كعجزه ، وهذا إن كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره ، وإن كان أمرا خلقيا فالذم له ذم للخالق فإن من ذم صنعة فقد ذم صانعها . قال رجل لحكيم : ياقبيح الوجه ، قال : ما كان خلق وجهى إلى فأحسنه . وإذا لم يجد العبد عيبا فى نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوثن نفسه بأعظم العيوب ، فإن ثلب الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب ، بل لو أنصف لعلم أن ظنه بنفسه أنه برىء من كل عيب جهل بنفسه وهو من أعظم العيوب ، وينفعه أن يعلم أن تألم غيره بغيبته كتألمه بغيبة غيره له ، فإذا كان لايرضى لنفسه أن يغتاب فينبغى أن لايرضى لغيره مالايرضاه لنفسه. فهذه معالجات جملية.

---

(١) حديث عامر بن واثلة : أن رجلا مر على قوم فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم : إنى لأبغض هذا فى الله ... الحديث بطوله . وفيه فقال « قم فلعله خير منك » أخرجه أحمد باسناد صحيح

(٢) حديث « ما النار فى اليبس بأسرع من الغيبة فى حسنات العبد » لم أجد له أصلا . (٣) حديث « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس » أخرجه البزار من حديث أنس بسند ضعيف .

أما التفصيل فهو أن ينظر فى السبب الباعث له على الغيبة فإن علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا الأسباب .

أما الغضب فيعالجه بما سيأتى فى كتاب آفات الغضب وهو أن يقول : إنى إذا أمضيت غضبى عليه فلعل الله تعالى يمضى غضبه على بسبب الغيبة إذ نهانى عنها فاجترأت على نهيه واستخففت بزجره وقد قال صلى الله عليه وسلم « إنّ لجهنم بابا لايدخل منه إلا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظا وهو يقدر على أن يمضيه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره فى أى الحور شاء [3] » وفى بعض الكتب المنزلة على بعض النبيين : يا ابن آدم اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق .

وأما الموافقة فبأن تعلم أن الله تعالى يغضب عليك إذا طلبت سخطه فى رضا المخلوقين ، فكيف ترضى لنفسك أن توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم إلا أن يكون غضبك لله تعالى ؟ وذلك لا يوجب أن تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغى أن تغضب لله أيضاً على رفقائك إذا ذكروه بالسوء ، فإنهم عصوا ربك بأفحش الذنوب وهى الغيبة .

وأما تنزيه النفس بنسبة الغير إلى الخيانة حيث يستغنى عن ذكر الغير ، فتعالجه بأن تعرف أن التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت المخلوقين وأنت بالغيبة متعرض لسخط الله يقينا ولا تدرى أنك تتخلص من سخط الناس أم لا ! فتخلص نفسك فى الدنيا بالتوهم وتهلك فى الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل لك ذم الله تعالى نقدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان .

وأما عذرك كقولك إن أكلت الحرام ففلان يأكله وإن قبلت مال السلطان ففلان يقبله فهذا جهل لأنك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به فإن من خالف أمر الله تعالى لا يقتدى به كائنا من كان ولو دخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته لسفه عقلك . ففيما ذكرته غيبة وزيادة معصية أضفتها إلى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وعباوتك وكنت كالشاة تنظر إلى المعزى تردى نفسها من قلة الجبل فهى أيضاً تردى نفسها ، ولو كان لها لسان ناطق بالعذر وصرخت بالعذر وقالت : العنز أكيس منى وقد أهلكت نفسها فكذلك أنا أفعل ، لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تعجب ولا تضحك من نفسك .

وأما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بأن تقدح فى غيرك فينبغى أن تعلم أنك بما ذكرته به أبطلت فضلك عند الله وأنت من اعتقاد الناس فضلك على خطر ، وربما نقص اعتقادهم فيك إذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوقين وهما ، ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئاً .

وأما الغيبة لأجل الحسد فهو جمع بين عذابين لأنك حسدته على نعمة الدنيا وكنت فى الدنيا معذبا بالحسد ، فما قنعت بذلك حتى أضفت إليه عذاب الآخرة ، فكنت خاسرا نفسك فى الدنيا فصرت أيضاً خاسرا فى الآخرة

---

(١) حديث « إن لجهنم بابا لايدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله » أخرجه البزار وابن أبى الدنيا وابن عدى والبيهقى والنسائى من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٢) حديث « من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف ورويناه فى الأربعين البلدانية للسانى (٣) حديث « من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه ... الحديث » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس .

لتجمع بين النكالين ، فقد قصدت محسودك فأصبت نفسك وأهديت إليه حسناتك . فإذا أنت صديقه وعدو نفسك إذ لاتضره غيبتك وتضرك ، وتنفعه إذ تنقل إليه حسناتك أو تنقل إليك سيئاته ولا تنفعك وقد جمعت إلى خبث الحسد جهل الحماقة . وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك كما قيل :

وإذا أراد الله نشر فضيله طويت أتاح لها لسان حسود

وأما الاستهزاء فمقصودك منه إخزاء غيرك عند الناس بإخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام ، فلو تفكرت فى حسرتك وجنايتك وخجلتك وخزيك يوم القيامة يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق إلى النار لأدهشك ذلك عن إخزاء صاحبك ! ولو عرفت حالك لكنت أولى أن تضحك منك ، فإنك سخرت به عند نفر قليل وعرّضت نفسك لأن يأخذ يوم القيامة بيدك على ملأ من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار إلى النار ، مستهزئا بك وفرحا بخزيك ومسرورا بنصرة الله تعالى إياه عليك وتسلطه على الانتقام منك .

وأما الرحمة له على إثمه فهو حسن ، ولكن حسدك إبليس فأضلك ، واستنطقك بما ينقل من حسناتك إليه ماهو أكثر من رحمتك ، فيكون جبرا لإثم المرحوم فيخرج عن كونه مرحوما ، وتنقلب أنت مستحقا لأن تكون مرحوما ، إذ حبط أجرك ونقصت من حسناتك ، وكذلك الغضب لله تعالى لايوجد الغيبة ، وإنما الشيطان حبب إليك الغيبة ليحبط أجر غضبك وتصير معرّضا لمقت الله عز وجل بالغيبة .

وأما التعجب إذا أخرجك إلى الغيبة فتعجب من نفسك أنت ؟ كيف أهلكت نفسك ودينك بدين غيرك أوبدنياه وأنت مع ذلك لاتأمن عقوبة الدنيا ! وهو أن يهتك الله سترك كما هتكت بالتعجب ستر أخيك . فإذن علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقق بهذه الأمور التى هى من أبواب الإيمان ، فمن قوى إيمانه بجميع ذلك انكف لسانه عن الغيبة لا محالة .

بيان تحريم الغيبة بالقلب

اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول ، فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوى الغير فليس لك أن تحدث نفسك وتسيء الظن بأخيك ، ولست أعنى به إلا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء . فأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك أيضا معفو عنه ، ولكن المنهى عنه أن يظن ، والظن عبارة عما تركن إليه النفس ويميل إليه القلب . فقد قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ﴾ وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يعلمها إلا علام الغيوب ، فليس لك أن تعتقد فى غيرك سوءا إلا إذا انكشف لك بعيان لايقبل التأويل ، فعند ذلك لايمكنك إلا أن تعتقد ماعلمته وشاهدته ، ومالم تشاهده بعينك ولم تسمعه بأذنك ثم وقع فى قلبك فإنما الشيطان يلقيه إليك ، فينبغى أن تكذبه فإنه أفسق الفساق ، وقد قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة ﴾ فلا يجوز تصديق إبليس ، وإن كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز أن تصدق به ، لأن الفاسق يتصور أن يصدق فى خبره ولكن لا يجوز لك أن تصدق به ، حتى إنّ من استنكه فوجد منه رائحة الخمر لا يجوز أن يحدّ ، إذ يقال يمكن أن يكون قد تمضمض بالخمر ومجها وماشربها ، أوحمل عليه قهرا ، فكل ذلك لامحالة دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب

وإساءة الظن بالمسلم بها ، وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم « إن الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء [١] » فلا يستباح ظن السوء إلا بما يستباح به المال وهو نفس مشاهدته أو بينة عادلة ، فإذا لم يكن كذلك وخطر لك وسواس سوء الظن فينبغي أن تدفعه عن نفسك وتقرر عليها أن حاله عندك مستور كما كان ، وأن مارأيته منه يحتمل الخير والشر .

فإن قلت : فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث ؟ فتقول : أمارة عقد سوء الظن أن يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفورا ما ، ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده وإكرامه والاغتمام بسببه ؛ فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه .

وقد قال صلى الله عليه وسلم « ثلاث فى المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن أن لا يحققه [٢] » أى لايحققه فى نفسه بعقد ولا فعل لا فى القلب ولا فى الجوارح . أما فى القلب : فبتغيره إلى النفرة والكراهة . وأما فى الجوارح : فبالعمل بموجبه . والشيطان قد يقرر على القلب بأدنى مخيلة مساءة الناس ، ويلقى إليه أن هذا من فطنتك وسرعة فهمك وذكائك وأن المؤمن ينظر بنور الله تعالى ، وهو على التحقيق ناظر بغرور الشيطان وظلمته .

وأما إذا أخبرك به عدل فمال ظنك إلى تصديقه كنت معذورا ، لأنك لو كذبته لكنت جانيا على هذا العدل إذ ظننت به الكذب ، وذلك أيضا من سوء الظن ، فلا ينبغى أن تحسن الظن بواحد وتسيء بالآخر . نعم ينبغى أن تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت فتتطرق التهمة بسببه ؟ فقد رد الشرع شهادة الأب العدل للولد للتهمة ورد شهادة العدو [٣] فلك عند ذلك أن تتوقف ، وإن كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ، ولكن تقول فى نفسك : المذكور حاله كان عندى فى ستر الله تعالى ، وكان أمره محجوبا عنى وقد بقى كما كان لم ينكشف لى شيء من أمره ، وقد يكون الرجل ظاهره العدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور ، ولكن قد يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساويهم ، فهذا قد يظن أنه عدل وليس بعدل ، فإن المغتاب فاسق ، وإن كان ذلك من عادته ردت شهادته إلا أن الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا فى أمر الغيبة ولم يكترثوا بتناول أعراض الخلق .

ومهما خطر لك خاطر بسوء على مسلم فينبغى أن تزيد فى مراعاته وتدعو له بالخير ، فإن ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقى إليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة . ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه فى السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه ، وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر إليك بعين التعظيم وتنظر إليه بعين الاستحقار وتترفع عليه ، بإيذاء الوعظ . وليكن قصدك تخليصه من الإثم وأنت حزين ، كما تحزن على نفسك إذا دخل عليلا نقصان فى دينك : وينبغى أن يكون تركه لذلك من غير نصحك أحب إليك من تركه بالنصيحة . فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ وأجر الغم بمصيبته وأجر الإعانة له على دينه .

---

(١) حديث « إن الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بسند ضعيف ولابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر . (٢) حديث « ثلاث فى المؤمن وله منهن مخرج » أخرجه الطبرانى من حديث حارثة بن النعمان بسند ضعيف (٣) حديث : رد الشرع شهادة الوالد العدل وشهادة العدو » أخرجه الترمذى من حديث عائشة وضعفه « لاتجوز شهادة خائن ولا خائنة ولامجلود حدا ولا ذى غمر لأخيه » وفيه « ولاظنين فى ولاء ولاقرابة » ولأبى داود وابن ماجه باسناد جيد من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد شهادة الخائن والخائنة وذى الغمر على أخيه .

ومن ثمرات سوء الظن التجسس ، فإن القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضا منهى عنه ، قال الله تعالى ﴿ولا تجسسوا﴾ فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهى عنه فى آية واحدة . ومعنى التجسس أن لا يترك عباد الله تحت ستر الله ، فيتوصل إلى الإطلاع وهتك الستر حتى ينكشف له مالو كان مستورا عنه كان أسلم لقلبه ودينه . وقد ذكرنا فى كتاب الأمر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته .

بيان الأعذار المرخصة فى الغيبة

اعلم أن المرخص فى ذكر مساوى الغير هو غرض صحيح فى الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا به فيدفع ذلك إثم الغيبة وهى ستة أمور :

الأول : التظلم فإن من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة وأخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا إن لم يكن مظلوما . أما المظلوم من جهة القاضى فله أن يتظلم إلى السلطان وينسبه إلى الظلم إذ لا يمكنه استيفاء حقه إلا به قال صلى الله عليه وسلم « إن لصاحب الحق مقالا [1] » وقال عليه السلام « مطل الغنى ظلم [2] » وقال عليه السلام « لى الواجد يحل عقوبته وعرضه [3] » .

الثانى : الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصى إلى منهج الصلاح ، كما روى أن عمر رضى الله عنه مر على عثمان ـ وقيل على طلحة ـ رضى الله عنه فسلم عليه فلم يرد السلام ، فذهب إلى أبى بكر رضى الله عنه فذكر له ذلك ، فجاء أبو بكر إليه ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم . وكذلك لما بلغ عمر رضى الله عنه أن أبا جندل قد عاقر الخمر بالشام كتب إليه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ﴾ الآية فتاب ، ولم ير ذلك عمر ممن أبلغه غيبة ، إذ كان قصده أن ينكر عليه ذلك فينفعه نصحه مالا ينفعه نصح غيره ، وإنما إباحة هذا بالقصد الصحيح فإن لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما .

الثالث : الاستفتاء كما يقول المفتى : ظلمنى أبى أو زوجتى أو أخى فكيف طريقى فى الخلاص ؟ والأسلم التعريض بأن يقول : ما قولك فى رجل ظلمه أبوه أو أخوه أو زوجته ؟ ولكن التعيين مباح بهذا القدر لما روى عن هند بنت عتبة أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم : « إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى ما يكفينى أنا وولدى أفآخذ من غير علمه فقال « خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف [4] » فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها صلى الله عليه وسلم إذ كان قصدها الاستفتاء .

الرابع : تحذير المسلم من الشر ، فإذا رأيت فقيها يتردد إلى مبتدع أو فاسق وخفت أن تتعدى إليه بدعته وفسقه فلك أن تكشف له بدعته وفسقه ، مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لا غيره ، وذلك موضع الغرور إذ قد يكون الحسد هو الباعث ويلبس الشيطان ذلك بإظهار الشفقة على الخلق ، وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة أو بالفسق أو بعيب آخر فلك أن تذكر ذلك ، فإن سكوتك ضرر المشترى وفى ذكرك ضرر العبد ، والمشترى أولى بمراعاة جانبه . وكذلك المزكى إذا سئل عن الشاهد فله الطعن فيه إن علم مطعنا ، وكذلك المستشار فى التزويج وإيداع الأمانة له أن يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد

---

(١) حديث « لصاحب الحق مقال » متفق عليه من حديث أبى هريرة . (٢) حديث « مطل الغنى ظلم » متفق عليه من حديثه
(٣) حديث « لى الواجد يحل عرضه وعقوبته » أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث الشريد باسناد صحيح
(٤) حديث : إن هندا قالت إن أبا سفيان رجل شحيح . متفق عليه من حديث عائشة .

الوقيعة . فإن علم أنه يترك التزويج بمجرد قوله : لا تصلح لك ، فهو الواجب وفيه الكفاية وإن علم أنه لاينزجر إلا بالتصريح بعيبه فله أن يصرح به ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أترعوون عن ذكر الفاجر اهتكوه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه حتى يحذره الناس [1] » وكانوا يقولون ثلاثة لاغيبة لهم : الإمام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه .

الخامس : أن يكون الإنسان معروفا بلقب يعرب عن عيبه كالأعرج والأعمش ، فلا إثم على من يقول روى أبو الزناد عن الأعرج ، وسلمان عن الأعمش ، ومايجرى مجراه فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ، ولأن ذلك قد صار بحيث لايكرهه صاحبه لو علمه بعد أن قد صار مشهورا به . نعم إن وجد عنه معدلا وأمكنه التعريف بعبارة أخرى فهو أولى ، ولذلك يقال للأعمى : البصير ، عدولا عن اسم النقص .

السادس : أن يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس ، وكان من يتظاهر به بحيث لايستنكف . من أن يذكر له ولايكره أن يذكر به ، فإذا ذكرت فيه مايتظاهر به فلا إثم عليك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلاغيبة له [2] » وقال عمر رضى الله عنه . ليس لفاجر حرمة وأراد به المجاهر بفسقه دون المستتر إذا المستتر لابد من مراعاة حرمته . وقال الصلت بن طريف: قلت للحسن : الرجل الفاسق المعلن بفجوره ذكرى له بما فيه غيبة له ؟ قال : لا ولا كرامة . وقال الحسن . ثلاثة لاغيبة لهم ؛ صاحب الهوى والفاسق المعلن بفسقه والإمام الجائر فهؤلاء الثلاثة يجمعهم انهم يتظاهرون به وربما يتفاخرون به ، فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون إظهاره ؟ نعم لو ذكره بغيرما يتظاهر به اثم . وقال عوف : دخلت على ابن سيرين فتناولت عنده الحجاج فقال : إن الله حكم عدل ، ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه ، وإنك إذا لقيت الله تعالى غدا كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج .

بيان كفارة الغيبة

اعلم أن الواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ويتأسف على مافعله ليخرج به من حق الله سبحانه ، ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج من مظلمته ! وينبغى أن يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله ؟ إذ المرائى قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفى الباطن لايكون نادما ، فيكون قد قارف معصية أخرى وقال الحسن . يكفيه الاستغفار دون الاستحلال . وربما استدل فى ذلك بما روى أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كفارة من اغتبته أن تستغفر له [3] ، وقال مجاهد كفارة أكلك لحم أخيك : أن تثنى عليه وتدعو له بخير . وسئل عطاء بن أبى رباح عن التوبة من الغيبة قال : أن تمشى إلى صاحبك فتقول له ؛ كذبت فيما قلت وظلمتك وأسأت فإن شئت أخذت بحقك وإن شئت عفوت ، وهذا هو الأصح ؛ وقول القائل : العرض لاعوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف ، إذ قد وجب فى العرض حد القذف وتثبت المطالبة به . بل فى الحديث الصحيح ماروى أنه صلى الله عليه وسلم قال « من كانت لأخيه عنده مظلمة فى عرض أو مال فليستحللها منه من قبل أن يأتى يوم ليس هناك دينار

---

(١) حديث « أترعوون عن ذكر الفاجر اهتكوه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس » أخرجه الطبرانى وابن حبان فى الضعفاء وابن عدى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده دون قوله « حتى يعرفه الناس » ورواه بهذه الزيادة ابن أبى الدنيا فى الصمت . (٢) حديث « من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له » أخرجه ابن عدى وأبو الشيخ فى كتاب ثواب الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف وقد تقدم (٣) حديث « كفارة من اغتبته أن تستغفر له » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت والحارث بن أبى أسامة فى مسنده من حديث أنس بسند ضعيف

ولادرهم ، إنما يؤخذ من حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته [١] » وقالت عائشة رضى الله عنها لامرأة قالت لأخرى إنها طويلة الذيل : قد اغتبتيها فاستحليها . فإذن لابد من الاستحلال إن قدر عليه ، فإن كان غائبا أو ميتا فينبغى أن يكثر له الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات .

فإن قلت : فالتحليل هل يجب ؟ . فأقول : لا ، لأنه تبرع والتبرع فضل ، وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر أن يبالغ فى الثناء عليه والتودد إليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه ، فإن لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة فى القيامة .

وكان بعض السلف لايحلل . قال سعيد بن المسيب . لاأحلل من ظلمنى . وقال ابن سيرين : إنى لم أحرمها عليه فأحللها له إن الله حرم الغيبة عليه وما كنت لأحلل ماحرم الله أبدا .

فإن قلت : فما معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم ينبغى أن يستحلها وتحليل ماحرمه الله تعالى غير ممكن ؟ فنقول : المراد به العفو عن المظلمة لا أن ينقلب الحرام حلالا ، وما قاله ابن سيرين حسن فى التحليل قبل الغيبة فإنه لايجوز له أن يحلل لغيره الغيبة .

فإن قلت : فما معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم « أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إنى قد تصدقت بعرضى على الناس [٢] » فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فإن كان لاتنفذ صدقته فما معنى الحث عليه ؟ فنقول : معناه إنى لاأطلب مظلمة فى القيامة منه ولاأخاصمه ، وإلا فلا تصير الغيبة حلالا به ولا تسقط المظلمة عنه ، لأنه عفو قبل الوجوب إلا أنه وعد ، وله العزم على الوفاء بأن لا يخاصم ، فإن رجع وخاصم كان القياس كسائر الحقوق أنّ له ذلك . بل صرح الفقهاء أن من أباح القذف لم يسقط حقه من حد القاذف ، ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا ، وعلى الجملة فالعفو أفضل .

قال الحسن إذا جثت الأمم بين يدى الله عز وجل يوم القيامة نودوا ليقم من كان له أجر على الله فلا يقوم إلا العافون عن الناس فى الدنيا . وقد قال الله تعالى ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ فقال النبى صلى الله عليه وسلم « ياجبريل ماهذا العفو ؟ ، فقال : إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك [٣] . وروى عن الحسن أن رجلا قال له : إن فلانا قد اغتابك فبعث إليه رطباً على طبق وقال : قد بلغنى أنك أهديت إلى من حسناتك فأردت أن أكافئك عليها فاعذرنى فإنى لاأقدر أن أكافئك على التمام .

الآفة السادسة عشرة : النميمة

قال الله تعالى ﴿ هماز مشاء بنميم ﴾ ثم قال ﴿ عتل بعد ذلك زنيم ﴾ قال عبدالله بن المبارك : الزنيم ولد الزنا الذى لايكتم الحديث ، وأشار به إلى أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد زنا استنباطا من قوله عز وجل ﴿ عتل بعد ذلك زنيم ﴾ والزنيم هو الدعى وقال تعالى ﴿ ويل لكل همزة لمزة ﴾ قيل الهمزة : النمام ،

---

(١) حديث « من كانت له عند أخيه مظلمة من عرض أو مال فليتحلله ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث « أيعجز أحدكم أن يكون كابى ضمضم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إنى تصدقت بعرضى على الناس » أخرجه البزار وابن السنى فى اليوم والليلة والعقيلى فى الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف وذكره ابن عبد البر من حديث ثابت مرسلا عند ذكر أبى ضمضم فى الصحابة قلت وإنما هو رجل ممن كان قبلنا كما عند البزار والعقيلى .

(٣) حديث . نزول ﴿ خذ العفو ﴾ الآية فقال ياجبريل « ما هذا » فقال ان الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك : تقدم فى رياضة النفس .

وقال تعالى ﴿ حمالة الحطب ﴾ قيل إنها كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعـــالى ﴿ فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا ﴾ قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان وامرأة نوح تخبر أنه مجنون وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة نمام [1] » وفى حديث آخر « لايدخل الجنة قتات » والقتات هو النمـام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أحبكم إلى الله أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون ، وإن أبغضكم إلى الله المشاءون بالنميمة ، المفرقون بين الإخوان ، الملتمسون للبرءاء العثرات [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بشراركم » قالوا : بلى ، قال « المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرءاء العيب [3] » وقال أبو ذر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها فى النار يوم القيامة [4] » وقال أبو الدرداء : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها برىء ليشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله أن يذيبه بها يوم القيامة فى النار [5] » وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من شهد على مسلم بشهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار [6] » ويقال : إن ثلث عذاب القبر من النميمة . وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم « إن الله لما خلق الجنة قال لها تكلمى فقالت سعد من دخلنى فقال الجبار جل جلاله وعزتى وجلالى لايسكن فيك ثمانية نفر من الناس ، لايسكنك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطى ولا مخنث ولاقاطع رحم ولا الذى يقول على عهد الله إن لم أفعل كذا وكذا ثم لم يف به [7] » وروى كعب الأحبار أن بنى إسرائيل أصابهم قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فاسقوا فأوحى الله تعالى إليه : إنى لاأستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد أصر على النميمة . فقال موسى : يارب من هو ؟ دلنى عليه حتى أخرجه من بيننا . قال : ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما ، فتابوا جميعا فسقوا . ويقال اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ فى سبع كلمات فلما قدم عليه قال : إنى جئتك للذى آتاك الله تعالى من العلم أخبرنى عن السماء وما أثقل منها ؟ وعن الأرض وما أوسع منها ؟ وعن الصخر وما أقسى منه ؟ وعن النار وما أحر منها ؟ وعن الزمهرير وما أبرد منه ؟ وعن البحر وما أغنى منه ؟ وعن اليتيم وما أذل منه ؟ فقال له الحكيم : البهتان على البرىء أثقل من السموات ، والحق أوسع من الأرض ، والقلب القانع أغنى من البحر ، والحرص والحسد أحر من النار ، والحاجة

الآفة السادسة عشرة : النميمة

(١) حديث « لايدخل الجنة نمام » وفى حديث آخر « قتات » متفق عليه من حديث حذيفة وقد تقدم (٢) حديث أبى هريرة « وأحبكم الى الله أحسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا » أخرجه الطبرانى فى الأوسط والصغير وتقدم فى آداب الصحبة (٣) حديث « ألا أخبركم بشراركم » قالوا بلى ، قال « المشاءون بالنميمة ... الحديث » أخرجه أحمد من حديث أبى مالك الأشعرى وقد تقدم

(٤) حديث أبى ذر « من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها فى النار يوم القيامة » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت والطبرانى فى مكارم الأخلاق وفيه عبدالله بن ميمون فإن يكن القداح فهو متروك الحديث (٥) حديث أبى الدرداء « أيما رجل أشاع على رجل كلمة هو منها برىء ليشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله أن يذيبه بها يوم القيامة فى النار... أخرجه ابن أبى الدنيا موقوفا على أبى الدرداء . ورواه الطبرانى بلفظ آخر مرفوعا من حديثه وقد تقدم

(٦) حديث أبى هريرة « من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار » أخرجه أحمد وابن أبى الدنيا وفى رواية أحمد رجل لم يسم أسقطه ابن أبى الدنيا فى الاسناد . (٧) حديث ابن عمر « إن الله لما خلق الجنة قال لها تكلمى قالت : سعد من دخلنى قال الجبار : وعزتى وجلالى لايسكن فيك ثمانية » فذكر منها « ولا قتات » وهو النمام ، لم أجده هكذا بتمامه ولأحمد « لايدخل الجنة عاق لوالديه ولا ديوث » وللنسائى من حديث عبد الله بن عمرو « لايدخل الجنة منان ولاعاق ولا مدمن خمر » وللشيخين من حديث حذيفة « لايدخل الجنة قتات » ولهما من حديث جبير بن مطعم « لايدخل الجنة قاطع » وذكر صاحب الفردوس من حديث ابن عباس « لما خلق الله الجنة قال لها : تكلمى تزينى فتزينت . فقالت : طوبى لمن دخلنى ورضى عنه الهى ، فقال الله عز وجل : لاسكنك مخنث ولانائحة »

إلى القريب إذا لم تنجح أبرد من الزمهرير ، وقلب الكافر أقسى من الحجر ، والنمام إذا بان أمره أذل من اليتيم .

بيان حد النميمة وما يجب فى ردها

اعلم أن اسم النميمة إنما يطلق فى الأكثر على من ينم قول الغير إلى المقول فيه ، كما تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا ، وليست النميمة مختصة به . بل حدها كشف مايكره كشفه ، سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه ، أو كرهه ثالث ، وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالإيماء ، وسواء كان المنقول من الأعمال أو من الأقوال ، وسواء كان ذلك عيباً ونقصا فى المنقول عنه أو لم يكن بل حقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه ، بل كل ما رآه الانسان من أحوال الناس مما يكره فينبغى أن يسكت عنه إلا ما فى حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية ، كما إذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود له ، فأما إذا رآه يخفى مالا لنفسه فذكره فهو نميمة وإفشاء للسر ، فإن كان ما ينم به نقصاً وعيباً فى المحكى عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة . فالباعث على النميمة إما إرادة السوء للمحكى عنه أو إظهار الحب للمحكى له ، أو التفرج بالحديث والخوض فى الفضول والباطل .

وكل من حملت إليه النميمة وقيل له إن فلانا قال فيك كذا وكذا أوفعل فى حقك كذا أو هو يدبر فى إفساد أمرك أو فى ممالأة عدوك أو تقبيح حالك أو مايجرى مجراه فعليه ستة أمور ، الأول : أن لايصدقه لأن النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة ﴾ الثانى : أن ينهاه عن ذلك وينصح له ويقبح عليه فعله قال الله تعالى ﴿ وأمر بالمعروف وانه عن المنكر ﴾ الثالث : أن يبغضه فى الله تعالى فإنه بغيض عند الله تعالى ويجب بغض من يبغضه الله تعالى . الرابع : أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى ﴿ اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ﴾ الخامس : أن لايحملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتحقق ، اتباعا لقول الله تعالى ﴿ ولا تجسسوا ﴾ السادس : أن لا ترضى لنفسك مانهيت النمام عنه ولاتحكى نميمته فتقول فلان قد حكى لى كذا وكذا ، فتكون به نماما ومغتابا وقد تكون قد أتيت ماعنه نهيت . وقد روى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئا فقال له عمر : إن شئت نظرنا فى أمرك فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية ﴿ إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ﴾ وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية ﴿ هماز مشاء بنميم ﴾ وإن شئت عفونا عنك ؟ فقال : العفو يا أمير المؤمنين لاأعود إليه أبدا . وذكر أن حكيما من الحكماء زاره بعض إخوانه فأخبره بخبر عن بعض أصدقائه فقال له الحكيم : قد أبطأت فى الزيارة وأتيت بثلاث جنايات ، بغضت أخى إلى ، وشغلت قلبي الفارغ ، واتهمت نفسك الأمينة . وروى أن سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهرى فجاءه رجل فقال له سليمان : بلغنى أنك وقعت فى وقلت كذا وكذا ، فقال الرجل : ما فعلت ولا قلت ؟ فقال سليمان : إن الذى أخبرنى صادق ، فقال له الزهرى : لا يكون النمام صادقا ، فقال سليمان : صدقت ، ثم قال للرجل : اذهب بسلام.

وقال الحسن من نم إليك نم عليك . وهذا إشارة إلى أن النمام ينبغى أن يبغض ولا يوثق بقوله ولابصداقته. وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والإفساد بين الناس والخديعة وهو ممن يسعون فى قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض ؟ وقال تعالى ﴿ إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق ﴾ والنمام منهم . وقال صلى الله عليه وسلم « إن من شرار الناس

من اتقاه الناس لشره [١] ، والنمام منهم . وقال « لا يدخل الجنة قاطع » قيل وما القاطع ؟ قال « قاطع بين الناس [٢] » وهو النمام وقيل قاطع الرحم .

وروى عن على رضى الله عنه أن رجلا سعى إليه برجل فقال له : يا هذا نحن نسأل عما قلت فإن كنت صادقا مقتناك وإن كنت كاذبا عاقبناك وإن شئت أن نقيلك أقلناك ، فقال : أقلنى يا أمير المؤمنين . وقيل لمحمد بن كعب القرظى أى خصال المؤمن أوضع له ؟ فقال : كثرة الكلام وإفشاء السر وقبول قول كل أحد . وقال رجل لعبدالله ابن عامر — وكان أميرا — بلغني أن فلانا أعلم الأمير أبي ذكرته بسوء ، قال : قد كان ذلك ، قال : فأخبرنى بما قال لك حتى أظهر كذبه عندك ؟ قال : ما أحب أن أشتم نفسى بلسانى وحسبى أنى لم أصدقه فيما قال ولا أقطع عنك الوصال .

وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال : ما ظنكم بقوم يحمد الصدق من كل طائفة من الناس إلا منهم ؟ وقال مصعب بن الزبير : نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة ، وليس من دل على شىء فأخبر به كمن قبله وأجازه ، فاتقوا الساعى فلو كان صادقا فى قوله لكان لئيما فى صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة . والسعاية هى النميمة إلا إنها إذا كانت إلى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال صلى الله عليه وسلم « الساعى بالناس إلى الناس اغير رشدة [٣] » يعنى ليس بولد حلال . ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه فى الكلام وقال : إنى مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله إن كرهته فإن وراءه ما تحب إن قبلته ، فقال : قل ، فقال : يا أمير المؤمنين إنه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم ، خافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك ، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا تصخ إليهم فيما استحفظك الله إياه فإنهم لن يألوا فى الأمة خسفا وفى الأمانة تضييعا والأعراض قطعاً وانتهاكا ، أعلى قربهم البغى والنميمة ، وأجل وسائلهم الغيبة والوقيعة وأنت مسئول عما أجرموا وليسوا المسئولين عما أجرمت ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غبناً من باع آخرته بدنيا غيره . وسعى رجل بزياد الأعجم إلى سليمان بن عبدالملك فجمع بينهما للموافقة فأقبل زياد على الرجل وقال :

فأنت امرؤ إما ائتمنتك خاليا ... فخنت وإما قلت قولا بلا علم
فأنت من الأمر الذى كان بيننا ... بمنزلة بين الخيانة والإثم

وقال رجل لعمرو بن عبيد : إن الأسوارى مايزال يذكرك فى قصصه بشر ، فقال له عمرو : ياهذا مارعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه ، ولا أديت حق حين أعلمتنى عن أخى ما أكره ولكن أعلمه أن الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين . ورفع بعض السعاة إلى الصاحب بن عباد رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على أخذه لكثرته ، فوقع على ظهرها : السعاية قبيحة وإن كانت صحيحة ، فإن كنت أجريتها مجرى النصح فخسرانك فيها أفضل من الربح ، ومعاذ الله أن نقبل مهتوكا فى مستور ، ولولا أنك فى خفارة شيبتك لقابلناك بما يقتضيه فعلك فى مثلك ، فتوق يا ملعون العيب فإن الله أعلم بالغيب ، الميت رحمه الله ، واليتيم جبره الله ، والمال ثمره الله ، والساعى لعنه الله . وقال لقمان لابنه : يابنى أوصيك بخلال إن تمسكت بهن لم تزل

---

(١) حديث « إن من شر الناس من اتقاه الناس لشره » متفق عليه من حديث عائشة نحوه (٢) حديث « لايدخل الجنة قاطع » متفق عليه من حديث جبير بن مطعم (٣) حديث « الساعى بالناس إلى الناس لغير رشدة » أخرجه الحاكم من حديث أبى موسى « من سعى بالناس فهو لغير رشدة » أو فيه شىء منها وقال : له أسانيد هذا أمثلها ، قلت فيه سهل بن عطية قال فيه ابن طاهر فى التذكرة منكر الرواية ، قال والحديث لاأصل له وقد ذكر ابن حبان فى الثقات سهل بن عطية ورواه الطبرانى بلفظ « لايسعى على الناس إلا ولد بغى وإلا من فيه عرق منه » وزاد بين سهل وبين بلال بن أبى بردة : أبا الوليد القرشى .

سيدا ابسط خلقك للقريب والبعيد ، وأمسك جهلك عن الكريم واللئيم ، واحفظ إخوانك وصل أقاربك وآمنهم من قبول قول ساع أوسماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك ، وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك . وقال بعضهم : النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهى أثافى الذل . وقال بعضهم : لو صح مانقله النمام إليك لكان هو المجترئ بالشتم عليك ، والمنقول عنه أولى بحلمك لأنه لم يقابلك بشتمك .

وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغى أن يتوقى . قال حماد بن سلمة : باع رجل عبدا وقال المشترى : ما فيه عيب إلا النميمة ، قال : رضيت ، فاشتراه ، فمكث الغلام أياما ثم قال لزوجة مولاه : إن سيدى لا يحبك وهو يريد إن يتسرى عليك ، فخذى الموسى واحلقى من شعر قفاه عند نومه شعرات حتى أسحره عليها فيحبك ، ثم قال للزوج : إن امرأتك اتخذت خليلا وتريد أن تقتلك ، فتناوم لها حتى تعرف ذلك ، فتناوم لها فجاءت المرأة بالموسى فظن أنها تريد قتله فقام إليها فقتلها . فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج ، ووقع القتال بين القبيلتين . فنسأل الله حسن التوفيق .

الآفة السابعة عشرة

كلام ذى اللسانين الذى يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه ، وقلما يخلو عنه من يشاهد متعاديين وذلك عين النفاق . قال عمار بن ياسر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة [1] » وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث [2] » وفى لفظ آخر « الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » وقال أبو هريرة : لاينبغى لذى الوجهين أن يكون أمينا عند الله . وقال مالك بن دينار : قرأت فى التوراة بطلت الأمانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين . وقال صلى الله عليه وآله وسلم « أبغض خليقة الله إلى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لإخوانهم فى صدورهم فإذا لقوهم تملقوا لهم والذين إذا دعوا إلى الله ورسوله كانوا بطاء وإذا دعوا إلى الشيطان وأمره كانوا سراعا [3] » وقال ابن مسعود : لايكونن أحدكم إمعة ، قالوا : وما الإمعة ؟ قال الذى يجرى مع كل ريح . واتفقوا على أن ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق ، وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها .

وقد روى أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال له عمر : يموت رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تصل عليه ؟ فقال : ياأمير المؤمنين إنه منهم ، فقال : نشدتك الله أنا منهم أم لا ؟ قال : اللهم لا ولا أؤمن منها أحداً بعدك .

فإن قلت : بماذا يصير الرجل ذا لسانين وما حد ذلك ؟ فأقول : إذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا لسانين ، فإن الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لاتنتهى إلى حد الأخوة ، إذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الأعداء ـ كما ذكرنا فى كتاب آداب الصحبة والأخوة ـ نعم لو نقل

الآفة السابعة عشرة . كلام ذى اللسانين

(١) حديث عمار بن ياسر « من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة » أخرجه البخارى فى كتاب الأدب المفرد وأبو داود بسند حسن . (٢) حديث أبى هريرة « تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين . . . الحديث » متفق عليه بلفظ « تجد من شر الناس » لفظ البخارى وهو عند ابن أبى الدنيا بلفظ المصنف (٣) حديث « أبغض خليقة الله إلى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لإخوانهم فى صدورهم ، فإذا لقوهم تملقوا لهم . . . الحديث » لم أقف له على أصل

كلام كل واحد منهما إلى الآخر فهو ذو لسانين وهو شر من النميمة ، إذ يصير نماما بأن ينقل من أحد الجانبين فقط فإذا نقل من الجانبين فهو شر من النمام ، وإن لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين ، وكذلك إذا وعد كل واحد منهما بأن ينصره ، وكذلك إذا أثنى على واحد منهما فى معاداته وكذلك إذا أثنى على أحدهما وكان إذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين . بل ينبغى أن يسكت أو يثنى على المحق من المتعاديين . ويثنى عليه فى غيبته وفى حضوره وبين يدى عدوه .

قيل لابن عمر رضى الله عنهما : إنا ندخل على أمرائنا فنقول القول فإذا خرجنا قلنا غيره فقال : كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول على الأمير وعن الثناء عليه ، فلو استغنى عن الدخول ولكن إذا دخل يخاف إن لم يثن فهو نفاق ، لأنه الذى أحوج نفسه إلى ذلك ، فإن كان مستغنيا عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى وأثنى فهو منافق . وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم « حب المال والجاه ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل [2] » لأنه يحوج إلى الأمراء وإلى مراعاتهم ومراءاتهم . فأما إذا ابتلى به لضرورة وخاف إن لم يثن فهو معذور ، فإن اتقاء الشر جائز . قال أبو الدرداء رضى الله عنه : إنا لنكشر فى وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم وقالت عائشة رضى الله عنها : استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو » ثم لما دخل ألان له القول ، فلما خرج قلت : يارسول الله قلت فيه ماقلت ثم ألنت له القول ، فقال » ياعائشة إن شر الناس الذى يكرم اتقاء شره [3] » ولكن هذا ورد فى الإقبال وفى الكشر والتبسم : فأما الثناء فهو كذب صراح ولا يجوز إلا لضرورة أو إكراه يباح الكذب بمثله - كما ذكرناه فى آفة الكذب - بل لايجوز الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس فى معرض التقرير على كل كلام باطل ، فإن فعل ذلك فهو منافق ، بل ينبغى أن ينكر ، فإن لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه .

الآفة الثامنة عشرة : المدح

وهو منهى عنه فى بعض المواضع . أما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها . والمدح يدخله ست آفات : أربع فى المادح ، واثنتان فى الممدوح

فأما المادح ، فالأولى : أنه قد يفرط فينتهى به إلى الكذب . قال خالد بن معدان : من مدح إماما أو أحدا بما ليس فيه على رءوس الأشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه .

والثانية : أنه قد يدخله الرياء فإنه بالمدح مظهر للحب ، وقد لايكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع مايقوله فيصير به مرائيا منافقا .

الثالثة : أنه قد يقول مالا يتحققه ولاسبيل له إلى الاطلاع عليه ، وروى أن رجلا مدح رجلا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام « ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح » ثم قال « إن كان أحدكم لابد مادحا

---

(١) حديث . قيل لابن عمر إنا ندخل على امرائنا . فنقول القول فإذا خرجنا قلنا غيره قال : كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . أخرجه الطبرانى من طرق (٢) حديث « حب الجاه والمال ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة بسند ضعيف إلا أنه قال « حب الثناء » وقال « العشب » مكان « البقل » (٣) حديث عائشة : استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ائذنوا له فبئس رجل العشيرة ... الحديث » وفيه « إن شر الناس الذى يكرم اتقاء لشره » متفق عليه وقد تقدم فى الآفة التى قبلها .

أخاه فليقل أحسب فلانا ولا أزكى على الله أحدا حسيبه الله إن كان يرى أنه كذلك [١] ، وهذه الآفة تتطرق إلى المدح بالأوصاف المطلقة التى تعرف بالأدلة كقوله إنه متق وورع وزاهد وخير وما يجرى مجراه ، فأما إذا قال رأيته يصلى بالليل ويتصدق ويحج فهذه أمور مستيقنة . ومن ذلك قوله إنه عدل رضا فإنّ ذلك خفى فلا ينبغى أن يجزم القول فيه إلا بعد خبرة باطنه . سمع عمر رضى الله عنه رجلا يثنى على رجل فقال : أسافرت معه ؟ قال : لا ، قال : أخالطته فى المبايعه والمعاملة ؟ قال : لا . قال : فأنت جاره صباحه ومساءه ؟ قال : لا . فقال : والله الذى لا إله إلا هو لاأراك تعرفه .

الرابعة : أنه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يغضب إذا مدح الفاسق [٢] » وقال الحسن : من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله تعالى فى أرضه ، والظالم الفاسق ينبغى أن يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح .

وأما الممدوح فيضره من وجهين ؛ أحدهما : أنه يحدث فيه كبرا وإعجابا وهما مهلكان . قال الحسن رضى الله عنه كان عمر رضى الله عنه جالسا ومعه الدرّة والناس حوله إذ أقبل الجارود بن المنذر ، فقال رجل : هذا سيد ربيعة ، فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود ، فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال : مالى ولك ياأمير المؤمنين ؟ قال: مالى ولك أما سمعتها ؟ قال : سمعتها فمه ، قال : خشيت أن يخالط قلبك منها شىء فأحببت أن أطأطئ منك .

الثانى : هو أنه إذا أثنى عليه بالخير فرح به وفتر ورضى عن نفسه ومن أعجب بنفسه قل تشمره وإنما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فأما إذا انطلقت الألسن بالثناء عليه ظن أنه قد أدرك ولهذا قال عليه السلام « قطعت عنق صاحبك لو سمعها ماأفلح » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مدحت أخاك فى وجهه فكأنما أمررت على حلقه موسى وميضا [٣] » وقال أيضا لمن مدح رجلا « عقرت الرجل عقرك الله [٤] » وقال مطرف : ماسمعت قط ثناء ولا مدحة إلا تصاغرت إلى نفسى . وقال زياد بن أبى مسلم : ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة إلا تراءى له الشيطان ، ولكن المؤمن يراجع ، فقال ابن المبارك : لقد صدق كلاهما أما ماذكره زياد فذلك قلب العوام ، وأما ماذكره مطرف فذلك قلب الخواص . وقال صلى الله عليه وسلم « لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من أن يثنى عليه فى وجهه [٥] » وقال عمر رضى الله عنه : المدح هو الذبح . وذلك لأن المذبوح هو الذى يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور ، أو لأن المدح يورث العجب والكبر وهما مهلكان كالذبح ؛ لذلك شبهه به . فإن سلم المدح من هذه الآفات فى حق المادح والممدوح لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبا إليه . ولذلك أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة فقال « لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان العالم لرجح [٦] » وقال فى عمر « لولم أبعث لبعثت

الآفة الثامنة عشرة : المدح

(١) حديث : إن رجلا مدح رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ويحك قطعت عنق صاحبك » متفق عليه من حديث أبى بكرة بنحوه وهو فى الصمت لابن أبى الدنيا بلفظ المصنف (٢) حديث « إن الله يغضب إذا مدح الفاسق » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت والبيهقى فى الشعب من حديث أنس وفيه أبو خلف خادم أنس ضعيف ، ورواه أبو يعلى الموصلى وابن عدى بلفظ « إذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز العرش » قال الذهبى فى الميزان : منكر ، وقد تقدم فى آداب الكسب .

(٣) حديث « إذا مدحت أخاك فى وجهه فكأنما أمررت على حلقه موسى وميضا » أخرجه ابن المبارك فى الزهد والرقائق من رواية يحيى بن جابر مرسلا (٤) حديث « عقرت الرجل عقرك الله » قاله لمن مدح رجلا ، لم أجد له أصلا (٥) حديث « لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من أن يثنى عليه فى وجهه » لم أجده أيضا (٦) حديث « لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان العالمين لرجح » تقدم فى العلم .

ياعمر[١] » وأى ثناء يزيد على هذا ؟ ولكنه صلى الله عليه وسلم قال عن صدق وبصيرة . وكانوا رضى الله عنهم أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا . بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر إذ قال صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم ولا فخر[٢] » أى لست أقول هذا تفاخرا كما يقصد الناس بالثناء على أنفسهم . وذلك لأن افتخاره صلى الله عليه وسلم كان بالله وبالقرب من الله لا بولد آدم وتقدمه عليهم ؛ كما أن المقبول عند الملك قبولا عظيما إنما يفتخر بقبوله إياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه . وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه قال صلى الله عليه وسلم « وجبت[٣] » لما أثنوا على بعض الموتى . وقال مجاهد : إن لبنى آدم جلساء من الملائكة فإذا ذكر الرجل المسلم أخاه المسلم بخير قالت الملائكة : ولك بمثله ، وإذا ذكره بسوء قالت الملائكة : يا ابن آدم المستور عورتك أربع على نفسك واحمد الله الذى ستر عورتك . فهذه آفات المدح .

بيان ما على الممدوح

اعلم أن على الممدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ، ولا ينجو منه إلا بأن يعرف نفسه ويتأمل ما فى خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الأعمال ، فإنه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع أسراره وما يجرى على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه أن يظهر كراهة المدح بإذلال المادح . قال صلى الله عليه وسلم « احثوا التراب فى وجوه المادحين[٤] » وقال سفيان بن عيينة : لا يضر المدح من عرف نفسه . وأثنى على رجل من الصالحين فقال : اللهم إنّ هؤلاء لا يعرفونى وأنت تعرفنى . وقال آخر لما اثنى عليه : اللهم إنّ عبدك هذا تقرب إلى بمقتك وأنا أشهدك على مقته . وقال على رضى الله عنه لما أثنى عليه : اللهم اغفر لى ما لا يعلمون ولا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى خيرا مما يظنون . وأثنى رجل على عمر رضى الله عنه فقال : أتهلكنى وتهلك نفسك ؟ وأثنى رجل على على كرم الله وجهه فى وجهه وكان قد بلغه أنه يقع فيه — فقال : أنا دون ما قلت وفوق ما فى نفسك .

الآفة التاسعة عشر

الغفلة عن دقائق الخطأ فى فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ، ويرتبط بأمور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ فى أمور الدين إلا العلماء الفصحاء ، فمن قصر فى علم أو فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله تعالى يعفو عنه لجهله . مثاله : ما قال حذيفة : قال النبى صلى الله عليه وسلم « لا يقل أحدكم ماشاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت[٥] » وذلك لأنّ فى العطف المطلق تشريكا وتسوية وهو على خلاف الاحترام . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه فى بعض الأمر فقال ماشاء الله وشئت ، فقال

---

(١) حديث « لولم أبعث لبعثت ياعمر » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة وهو منكر والمعروف من حديث عقبة بن عامر « لو كان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب » رواه الترمذى وحسنه .

(٢) حديث « أنا سيد ولد آدم ولافخر » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى والحاكم من حديث جابر وقال صحيح الإسناد وله من حديث عبادة بن الصامت « أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر » ولمسلم من حديث أبى هريرة « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة » (٣) حديث « وجبت » قاله لما أثنوا على بعض الموتى متفق عليه من حديث أنس

(٤) حديث « أحثوا فى وجوه المداحين التراب » أخرجه مسلم من حديث المقداد .

الآفة التاسعة عشرة : فى الغفلة عن دقائق الخطأ

(٥) حديث حذيفة « لايقل أحدكم ماشاء الله وشئت ... الحديث » أخرجه أبو داود والنسائى فى الكبرى بسند صحيح .

صلى الله عليه وسلم « أجعلتنى لله عديلا بل ما شاء الله وحده [١] » . وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال « قل : ومن يعص الله ورسوله فقد غوى [٢] » فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : ومن يعصهما ، لأنه تسوية وجمع . وكان إبراهيم يكره أن يقول الرجل : أعوذ بالله وبك ، ويجوز أن يقول : أعوذ بالله ثم بك . وأن يقول : لولا الله ثم فلان ؟ ولا يقول : لولا الله وفلان ؟ وكره بعضهم أن يقال : اللهم أعتقنا من النار ، وكان يقول : العتق يكون بعد الورود . وكانوا يستجيرون من النار ويتعوذون من النار وقال رجل : اللهم اجعلنى ممن تصيبه شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فقال حذيفة : إن الله يغنى المؤمنين عن شفاعة محمد وتكون شفاعته للمذنبين من المسلمين . وقال إبراهيم : إذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير ! قيل له يوم القيامة ، حماراً رأيتنى خلقته خنزيرا رأيتنى خلقته ؛ وعن ابن عباس رضى الله عنهما : إن أحدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه ، فيقول : لولاه لسرقنا الليلة . وقال عمر رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت [٣] » قال عمر رضى الله عنه : فوالله ما حلفت بها منذ سمعتها : وقال صلى الله عليه وسلم « لا تسموا العنب كرما إنما الكرم الرجل المسلم [٤] » وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يقولن أحدكم عبدى ولا أمتى كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله وليقل غلامى وجاريتى وفتاى وفتاتى ، ولا يقول المملوك ربى ولا ربتى وليقل سيدى وسيدتى فكلكم عبيد الله والرب الله سبحانه وتعالى » وقال صلى الله عليه وسلم « لا تقولوا للفاسق سيدنا فإنه إن يكن سيدكم فقد أسخطتم ربكم [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال أنا برىء من الإسلام فإن كان صادقا فهو كما قال وإن كان كاذبا فلن يرجع إلى الإسلام سالما [٦] » فهذا وأمثاله مما يدخل فى الكلام ولا يمكن حصره .

ومن تأمل جميع ما أوردنا من آفات اللسان علم أنه إذا أطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم « من صمت نجا [٧] » لأن هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب وهى على طريق المتكلم فإن سكت سلم من الكل ، وإن نطق وتكلم خاطر بنفسه إلا أن يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة ، ويقلل من الكلام فعساه يسلم عند ذلك ، وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر ، فإن كنت لا تقدر على أن تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة إحدى الغنيمتين .

الآفة العشرون

سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه ، وعن الحروف وأنها قديمة أو محدثة ؟ ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما فى القرآن إلا أن ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب . والعامى يفرح بالخوض فى العلم ، إذ الشيطان يخيل إليه أنك من العلماء وأهل الفضل ، ولا يزال يحبب إليه ذلك حتى يتكلم فى العلم بما هو كفر وهو

---

(١) حديث ابن عباس : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فكلمه فى بعض الأمر فقال : ما شاء الله وشئت فقال « أجعلتنى لله عدلا قل ماشاء الله وحده » أخرجه النسائى فى الكبرى بإسناد حسن وابن ماجه (٢) حديث : خطب رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال : من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى .. الحديث » أخرجه مسلم من حديث عدى بن حاتم

(٣) حديث عمر : إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم . متفق عليه (٤) حديث « لا تسموا العنب الكرم إنما الكرم الرجل المسلم » متفق عليه من حديث أبى هريرة .

(٥) حديث « لا تقولوا للمنافق سيدنا .. الحديث » أخرجه أبو داود من حديث بريدة بسند صحيح (٦) حديث « من قال أنا برىء من الإسلام فإن كان صادقا فهو كما قال ... الحديث » أخرجه النسائى وابن ماجه من حديث بريدة بإسناد صحيح .

(٧) حديث « من صمت نجا » أخرجه الترمذى وقد تقدم فى أول آفات اللسان .

لا يدرى . وكل كبيرة يرتكبها العامى فهى أسلم له من أن يتكلم فى العلم لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته. وإنما شأن العوام الاشتغال بالعبادات والإيمان بما ورد به القرآن ، والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث ، وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء أدب منهم يستحقون به المقت من الله عز وجل ويتعرضون لخطر الكفر، وهو كسؤال ساسة الدواب عن أسرار الملوك وهو موجب للعقوبة . وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم ، فإنه بالإضافة إليه عامى . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « ذرونى ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم [1] » وقال أنس : سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فأكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر وقال « سلونى لا تسألونى عن شىء إلا أنبأتكم به » فقام إليه رجل فقال : يارسول الله من أبى ؟ فقال « أبوك حذافة » فقام إليه شابان أخوان فقالا : يارسول الله من أبونا ؟ فقال : أبوكما الذى تدعيان إليه ، ثم قام إليه رجل آخر فقال : يارسول الله أفى الجنة أنا أم فى النار ؟ فقال « لا بل فى النار » فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسكوا فقام إليه عمر رضى الله عنه فقال : رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ، فقال « اجلس ياعمر رحمك الله إنك ماعلمت لموفق [2] » .

وفى الحديث : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال وإضاعة المال وكثرة السؤال [3] وقال صلى الله عليه وسلم « يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا قد خلق الله الخلق فمن خلق الله ؟ فإذا قالوا ذلك فقولوا ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد ﴾ حتى تختموا السورة ثم ليتفل أحدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم [4] » .

وقال جابر : ما نزلت آية المتلاعنين إلا لكثرة السؤال [5] . وفى قصة موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على المنع من السؤال قبل أوان استحقاقه إذ قال ﴿ فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا ﴾ فلما سأل عن السفينة أنكر عليه حتى اعتذر وقال ﴿ لاتؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا ﴾ فلم يصبر حتى سأل ثلاثاً قال ﴿ هذا فراق بينى وبينك ﴾ وفارقه .

فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهو من المثيرات للفتن ، فيجب قمعهم ومنعهم من ذلك . وخوضهم فى حروف القرآن يضاهى حال من كتب الملك إليه كتابا ورسم له فيه أمورا فلم يشتغل بشىء منها ، وضيع زمانه فى أن قرطاس الكتاب عتيق أم حديث ؟ فاستحق بذلك العقوبة لا محالة . فكذلك تضييع العامى حدود القرآن واشتغاله بحروفه أهى قديمة أم حديثة ؟ وكذلك سائر صفات الله سبحانه وتعالى . والله تعالى أعلم .

الآفة العشرون : سؤال العوام عن صفات الله تعالى

(١) حديث « ذرونى ماتركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة .
(٢) حديث : سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حتى أكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر فقال « سلونى فلا تسألونى عن شىء إلا أنبأتكم به ... الحديث » متفق عليه مقتصرا على سؤال عبد الله بن حذافة وقول عمر . ولمسلم من حديث أبى موسى : فقام آخر فقال من أبى ؟ فقال أبوك سالم مولى شيبة . (٣) حديث : النهى عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال : متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة .
(٤) حديث « يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا قد خلق الله الخلق ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم (٥) حديث جابر : مانزلت آية التلاعن إلا لكثرة السؤال . رواه البزار باسناد جيد .

كتاب ذم الغضب والحقد والحسد

وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى لايتكل على عفوه ورحمته إلا الراجون ، ولا يحذر سوء غضبه وسطوته إلا الخائفون ، الذى استدرج عباده من حيث لايعلمون ، وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون ، وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون ، ثم حفهم بالمكاره واللذات وأملى لهم لينظر كيف يعملون ، وامتحن بهم حبهم ليعلم صدقهم فيما يدعون ، وعرفهم أنه لايخفى عليه شىء مما يسرون وما يعلنون ، وحذرهم أن يأخذهم بغتة وهم لايشعرون فقال ﴿ ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ﴾ والصلاة والسلام على محمد رسوله الذى يسير تحت لوائه النبيون ، وعلى آله وأصحابه الأئمة المهديين ، والسادة المرضيين ، صلاة يوازى عددها عدد ما كان من خلق الله وما سيكون ، ويحظى ببركتها الأولون والآخرون ، وسلم تسليما كثيراً .

أما بعد فإن الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة ، وإنها لمستكنة فى طى الفؤاد . استكنان الجمر تحت الرماد ، ويستخرجها الكبر الدفين فى قلب كل جبار عنيد ، كاستخراج الحجر النار من الحديد ، وقد انكشف للناظرين بنور اليقين ، أن الإنسان ينزع منه عرق إلى الشيطان اللعين ، فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال ﴿ خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾ فإن شأن الطين السكون والوقار ، وشأن النار التلظى والاستعار ، والحركة والاضطراب ، ومن نتائج الغضب الحقد والحسد ، وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ، ومفيضهما مضغة إذا صلحت صلح معها سائر الجسد ، وإذا كان الحقد والحسد والغضب ، مما يسوق العبد إلى مواطن العطب ، فما أحوجه إلى معرفة معاطبه ومساويه ! ليحذر ذلك ويتقيه ، ويميطه عن القلب إن كان وينفيه ، ويعالجه إن رسخ فى قلبه ويداويه ، فإن من لا يعرف الشر يقع فيه ، ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه ، مالم يعرف الطريق الذى به يدفع الشر ويقصيه .

ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد فى هذا الكتاب ، ويجمعها بيان ذم الغضب ، ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا ؟ ثم بيان الأسباب المهيجة للغضب ، ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ، ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ، ثم بيان فضيلة الحلم ، ثم بيان القدر الذى يجوز الانتصار والتشفى به من الكلام ، ثم القول فى معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق ، ثم القول فى ذم الحسد وفى حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب فى إزالته ، ثم بيان السبب فى كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبنى العم والأقارب وتأكده وقلته فى غيرهم وضعفه ، ثم بيان الدواء الذى به ينفى مرض الحسد عن القلب ، ثم بيان القدر الواجب فى نفى الحسد عن القلب وبالله التوفيق .

بيان ذم الغضب

قال الله تعالى ﴿ إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى

المؤمنين ﴾ الآية . ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ، ومدح المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السكينة وروى أبو هريرة أن رجلا قال : يارسول الله مرني بعمل وأقلل ، قال . «لاتغضب » ثم أعاد عليه فقال « لاتغضب[1] » وقال ابن عمر : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : قل لى قولا وأقلله لعلى أعقله ، فقال « لاتغضب » فأعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع إلى « لا تغضب[2] » وعن عبد الله بن عمرو : أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ينقذنى من غضب الله ؟ قال « لاتغضب[3] » وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم « ماتعدون الصرعة فيكم ؟ » قلنا : الذى لاتصرعه الرجال ، قال « ليس ذلك ولكن الذى يملك نفسه عند الغضب[4] » وقال أبو هريرة : قال النبي صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب[5] » وقال ابن عمر : قال النبي صلى الله عليه وسلم « من كف غضبه ستر الله عورته[6] » وقال سليمان ابن داود عليهما السلام : يا بنى إياك وكثرة الغضب فإن كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم . وعن عكرمة فى قوله تعالى ﴿ وسيداً وحصورا ﴾ قال : السيد الذى لا يغلبه الغضب وقال أبو الدرداء : قلت يا رسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة ، قال : «لاتغضب[7] » وقال يحيى لعيسى عليهما السلام : لاتغضب ، قال : لا أستطيع أن لاأغضب إنما أنا بشر ، قال : لا تقتن مالا ، قال : هذا عسى . وقال صلى الله عليه وسلم « الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل[8] » وقال صلى الله عليه وسلم « ماغضب أحد إلا أشفى على جهنم[9] » وقال له رجل : أى شىء أشد على قال « غضب الله » قال : فما يبعدنى عن غضب الله ؟ قال « لا تغضب[10] » .

الآثار : قال الحسن : يا ابن آدم كلما غضبت وثبت ويوشك أن تثب وثبة فتقع فى النار . وعن ذى القرنين أنه لقى ملكا من الملائكة فقال : علمنى علما ازداد به إيمانا ويقينا ، قال : لاتغضب فإن الشيطان أقدر مايكون على ابن آدم حين يغضب ، فرد الغضب بالكظم ، وسكنه بالتؤدة . وإياك والعجلة فإنك إذا عجلت أخطأت حظك ، وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جباراً عنيداً . وعن وهب بن منبه : أن راهباً كان فى صومعته فأراد الشيطان أن يضله فلم يستطع ، فجاءه حتى ناداه فقال له : افتح ، فلم يجبه فقال : افتح فإنى إن ذهبت ندمت ، فلم يلتفت إليه فقال إنى أنا المسيح ، قال الراهب : وإن كنت المسيح فما أصنع بك ! أليس قد أمرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بغيره لم نقبله منك ؟ فقال : إنى الشيطان وقد أردت أن أضلك فلم أستطع ؟ فجئتك لتسألنى

كتاب الغضب والحقد والحسد

(١) حديث أبى هريرة : أن رجلا قال يارسول الله مرنى بعمل وأقلل قال « لاتغضب » ثم أعاد عليه فقال « لاتغضب » رواه البخارى (٢) حديث ابن عمر : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لى قولا وأقلل... الحديث . أخرج نحوه أبو يعلى باسناد حسن (٣) حديث عبد الله بن عمرو : سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبعدنى من غضب الله ؟ قال « لاتغضب » أخرجه الطبرانى فى مكارم الأخلاق وابن عبد البر فى التمهيد باسناد حسن ، وهو عند أحمد : وأن عبد الله بن عمرو هو السائل . (٤) حديث ابن مسعود « ماتعدون الصرعة ... الحديث » رواه مسلم (٥) حديث أبى هريرة « ليس الشديد بالصرعة ... الحديث » متفق عليه (٦) حديث ابن عمر « من كف غضبه ستر الله عورته » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب العفو وذم الغضب وفى الصمت ، وتقدم فى آفات اللسان (٧) حديث أبى الدرداء : دلنى على عمل يدخلنى الجنة ؟ قال « لاتغضب » أخرجه ابن أبى الدنيا والطبرانى فى الكبير والأوسط باسناد حسن (٨) حديث « الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل » أخرجه الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده بسند ضعيف (٩) حديث « ماغضب أحد إلا أشفى على جهنم » أخرجه البزار وابن عدى من حديث ابن عباس « للنار باب لايدخله إلا من شفى غيظه بمعصية الله » وإسناده ضعيف وتقدم فى آفات اللسان (١٠) حديث : قال رجل أى شىء أشد على ؟ قال « غضب الله » قال : فما يبعدنى من غضب الله ؟ قال « لاتغضب » أخرجه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالشطر الأخير منه وقد تقدم قبله بست أحاديث .

عما شئت فأخبرك ، فقال : ما أريد أن أسألك عن شيء ، قال : فولى مدبرا ، فقال الراهب : ألا تسمع ، قال : بلى ، قال : أخبرنى أى أخلاق بنى آدم أعون لك عليهم ؟ فقال : الحدّة إن الرجل إذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة . وقال خيثمة : الشيطان يقول كيف يغلبنى ابن آدم وإذا رضى جئت حتى أكون فى قلبه ؟ وإذا غضب طرت حتى أكون فى رأسه ؟ وقال جعفر بن محمد : الغضب مفتاح كل شر . وقال بعض الأنصار : رأس الحمق الحدّة وقائده الغضب ، ومن رضى بالجهل استغنى عن الحلم ، والحلم زين ومنفعة ، والجهل شين ومضرة ، والسكوت عن جواب الأحمق جوابه . وقال مجاهد : قال إبليس ما أعجزنى بنو آدم فلن يعجزونى فى ثلاث : إذا سكر أحدهم أخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما أحببنا ، وإذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ، ونبخله بما فى يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه . وقيل لحكيم . ما أملك فلانا لنفسه ! قال : إذاً لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب . وقال بعضهم : إياك والغضب فإنه يصيرك إلى ذلة الاعتذار . وقيل : اتقوا الغضب فإنه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل . وقال عبد الله بن مسعود : انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه ، وأمانته عند طمعه وما علمك بحلمه إذا لم يغضب ، وما علمك بأمانته إذا لم يطمع ؟ وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله أن لا تعاقب عند غضبك وإذا غضبت على رجل فاحبسه ، فإذا سكن غضبك فأخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ، ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا . وقال على بن زيد : أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فأطرق عمر زمانا طويلا ثم قال : أردت أن يستفزنى الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله منى غدا ؟ وقال بعضهم لابنه : يابنى لا يثبت العقل عند الغضب كما لا تثبت روح الحى فى التنانير المسجورة ، فأقل الناس غضبا أعقلهم ، فإن كان للدنيا كان دهاء ومكرا ، وإن كان للآخرة كان حلما وعلما ، فقد قيل : الغضب عدو العقل والغضب غول العقل . وكان عمر رضى الله عنه إذا خطب قال فى خطبته : أفلح منكم من حفظ من الطمع والهوى والغضب . وقال بعضهم : من أطاع شهوته وغضبه قاداه إلى النار . وقال الحسن : من علامات المسلم قوة فى دين وحزم فى لين وإيمان فى يقين وعلم فى حلم وكيس فى رفق وإعطاء فى حق وقصد فى غنى وتجمل فى فاقة وإحسان فى قدرة وتحمل فى رفاقة وصبر فى شدّة ، لا يغلبه الغضب ولا تجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته ، فينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف ولا يقتر ، يغفر إذا ظلم ويعفو عن الجاهل . نفسه منه فى عناء والناس منه فى رخاء . وقيل لعبد الله بن المبارك أجمل لنا حسن الخلق فى كلمة . فقال اترك الغضب . وقال نبى من الأنبياء لمن تبعه : من يتكفل لى أن لا يغضب فيكون معى فى درجتى ويكون بعدى خليفتى ؟ فقال شاب من القوم : أنا ، ثم أعاد عليه فقال الشاب : أنا أوفى به ، فلما مات كان فى منزلته بعده وهو ذو الكفل ، سمى به لأنه تكفل بالغضب ووفى به . وقال وهب بن منبه : للكفر أربعة أركان : الغضب ، والشهوة ، والخرق ، والطمع .

بيان حقيقة الغضب

اعلم أن الله تعالى لما خلق الحيوان معرّضا للفساد والموتان ، بأسباب فى داخل بدنه وأسباب خارجة عنه ؛ أنعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك إلى أجل معلوم سماه فى كتابه .

أما السبب الداخلى : فهو أنه ركبه من الحرارة والرطوبة ، وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة ، فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير أجزاؤها بخارا يتصاعد منها ، فلو لم يصل بالرطوبة مدد من الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من أجزائها لفسد الحيوان ، فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق فى

الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء ؛ كالموكل به فى جبرما انكسر وسدما انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب .

وأما الأسباب الخارجة التى يتعرض لها الإنسان : فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التى يقصد بها ، فافتقر إلى قوة وحمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه ، فخلق الله طبيعة الغضب من النار وغرزها فى الإنسان وعجنها بطينته . فهما صدّ عن غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارت ثورانا يغلى به دم القلب وينتشر فى العروق ويرتفع إلى أعالى البدن ، كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذى يغلى فى القدر ، فلذلك ينصب إلى الوجه فيحمر الوجه والعين ، والبشرة لصفائها تحكى لون ماوراءها من حمرة الدم كما تحكى الزجاجة لون مافيها . وإنما ينبسط الدم إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه ، فإن صدر الغضب على من فوقه وكان معه يأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب وصار حزنا ، ولذلك يصفرّ اللون ، وإن كان الغضب على نظير يشك فيه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمرّ ويصفرّ ويضطرب .

وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام وإنما تتوجه هذه القوة عند ثورانها إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها وإلى التشفى والانتقام بعد وقوعها . والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ، ولاتسكن إلا به . ثم إن الناس فى هذه القوة على درجات ثلاث فى أول الفطرة من التفريط والإفراط والاعتدال .

أما التفريط : فبفقد هذه القوة أوضعفها وذلك مذموم ، وهو الذى يقال فيه إنه لاحمية له . ولذلك قال الشافعى رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار . فمن فقد قوة الغضب والحمية أصلا فهو ناقص جدا ، وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بالشدة والحمية فقال ﴿ أشدّاء على الكفار رحماء بينهم ﴾ وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ الآية وإنما الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية وهو الغضب .

وأما الإفراط : فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ، ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولااختيار ، بل يصير فى صورة المضطر . وسبب غلبته أمور غريزية وأمور اعتيادية : فرب إنسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كأن صورته فى الفطرة صورة غضبان ، ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لأن الغضب من النار [1] كما قال صلى الله عليه وسلم . وإنما برودة المزاج تطفئه وتكسر سورته . وأما الأسباب الاعتيادية : فهو أن يخالط قوما يتبجحون بتشفى الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية ، فيقول الواحد منهم : أنا الذى لاأصبر على المكر والمحال ولاأحتمل من أحد أمرا ! ومعناه لاعقل فى ولاحلم . ثم يذكره فى معرض الفخر بجهله . فمن سمعه رسخ فى نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب . ومهما اشتدت نار الغضب وقوى اضطرامها أعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة ، فإذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضبا ، وإذا استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر إذ ينطفئ نور العقل وينمحى فى الحال بدخان الغضب ، فإن معدن الفكر الدماغ ، ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم إلى الدماغ يستولى على معادن الفكر ، وربما يتعدّى إلى معادن الحس فتظلم عينه حتى لايرى بعينه ، وتسود عليه الدنيا بأسرها ، ويكون دماغه على مثال كهف اضطرمت فيه نار . فاسودّ جوّه وحمى مستقره وامتلأ بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانمحى أو انطفأ نوره فلاتثبت فيه قدم ولايسمع فيه كلام ولاترى فيه صورة ، ولايقدر على إطفائه لامن داخل ولامن خارج ، بل ينبغى

(١) حديث « الغضب من النار » أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد بسند ضعيف « الغضب جمرة فى قلب ابن آدم » ولأبى داود من حديث عطية السعدى « إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار »

أن يصير إلى أن يحترق جميع مايقبل الاحتراق : فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ . وربما تقوى نار الغضب فتفنى الرطوبة التى بها حياة القلب ، فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار فى الكهف فينشق وتنهد أعاليه على أسفله ، وذلك لإبطال النار مافى جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لأجزائه ، فهكذا حال القلب عند الغضب . وبالحقيقة فالسفينة فى ملتطم الأمواج عند اضطراب الرياح فى لجة البحر أحسن حالا وأرجى سلامة من النفس المضطربة غيظا؛ إذ فى السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظرها ويسوسها ، وأما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته إذ أعماه الغضب وأصمه . ومن آثار هذا الغضب فى الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة فى الأطراف وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام ، حتى يظهر الزبد على الأشداق وتحمر الأحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ، ولو رأى الغضبان فى حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته ، وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره فإن الظاهر عنوان الباطن ، وإنما قبحت صورة الباطن أولا ثم انتشر قبحها إلى الظاهر ثانيا ، فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس الثمرة بالمثمرة فهذا أثره فى الجسد :

وأما أثره فى اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش من الكلام الذى يستحيي منه ذو العقل ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب ، وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ .

أما أثره على الأعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة ، فإن هرب منه المغضوب عليه أوفاته بسبب وعجز عن التشفى رجع الغضب على صاحبه فمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه ، وقد يضرب بيده على الأرض ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير ، وربما يسقط سريعا لايطيق العدو والنهوض بسبب شدة الغضب ويعتريه مثل الغشية ، وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة مثلا على الأرض وقد يكسر المائدة إذا غضب عليها . ويتعاطى أفعال المجانين فيشتم البهيمة والجمادات ويخاطبها ويقول : إلى متى منك هذا ياكيت وكيت ؟ كأنه يخاطب عاقلا ، حتى ربما رفسته دابة فيرفس الدابة ويقابلها بذلك .

وأما أثره فى القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد وإضمار السوء والشماتة بالمساءات والحزن بالسرور والعزم على إفشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح ، فهذه ثمرة الغضب المفرط .

وأما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الأنفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والأمة واحتمال الذل من الأخساء وصغر النفس والقماءة وهو أيضاً مذموم ، إذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرام وهو خنوثة قال صلى الله عليه وسلم « إن سعدا لغيور وأنا أغير من سعد وإن الله أغير منى [1] » وإنما خلقت الغيرة لحفظ الأنساب . ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب . ولذلك قيل كل أمة وضعت الغيرة فى رجالها وضعت الصيانة فى نسائها . ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم « خير أمتى أحداؤها [2] » يعنى فى الدين وقال تعالى ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله﴾ بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه ، إذ لا تتم الرياضة إلا بتسليط الغضب على الشهوة ، حتى يغضب على نفسه عند الميل إلى الشهوات الخسيسة . ففقد الغضب مذموم ، وإنما المحمود غضب ينتظر إشارة العقل والدين ، فينبعث حيث تجب الحمية وينطفئ حيث يحسن الحلم ، وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التى كلف الله بها عباده وهو الوسط الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه

---

(١) حديث « إن سعدا لغيور ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة وهو متفق عليه من حديث المغيرة بنحوه وتقدم فى النكاح . (٢) حديث « خير أمتى أحداؤها » أخرجه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب من حديث على بسند ضعيف وزاد « الذين إذا غضبوا رجعوا »

وسلم حيث قال « خير الأمور أوساطها »[1]، فمن مال غضبه إلى الفتور حتى أحس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس فى احتمال الذل والضيم فى غير محله فينبغى أن يعالج نفسه حتى يقوى غضبه . ومن مال غضبه إلى الإفراط حتى جره إلى التهور واقتحام الفواحش فينبغى أن يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين ، فهو الصراط المستقيم وهو أرق من الشعرة وأحد من السيف ؛ فإن عجز عنه فليطلب القرب منه قال تعالى ﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ﴾ فليس كل من عجز عن الإتيان بالخير كله ينبغى أن يأتى بالشر كله ؛ ولكن بعض الشر اهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض. فهذه حقيقة الغضب ودرجاته نسأله الله حسن التوفيق لما يرضيه إنه على مايشاء قدير .

بيان الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة : أم لا ؟

أعلم أنه ظن ظانون أنه يتصور محو الغضب بالكلية ، وزعموا أن الرياضة إليه تتوجه وإياه تقصد ، وظن اخرون أنه أصل لايقبل العلاج . وهذا رأى من يظن أن الخلق كالخلق وكلاهما لايقبل التغيير ، وكلا الرأيين ضعيف . بل الحق فيه ماذكره وهو أنه مابقى الإنسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو من الغيظ والغضب ، وما دام يوافقه شيء ويخالفه آخر فلا بد من أن يحب مايوافقه ويكره مايخالفه ، والغضب يتبع ذلك فإنه مهما أخذ منه محبوبه غضب لامحالة ، وإذا قصد بمكروه غضب لامحالة

إلا أن مايحبه الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام ، الأول : ماهو ضرورة فى حق الكافة كالقوت والمسكن والملبس وصحة البدن ، فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وأن يغضب ، وكذلك إذا أخذ منه ثوبه الذى يستر عورته ، وكذلك إذا أخرج من داره التى هى مسكنه أو أريق ماؤه الذى لعطشه ، فهذه ضرورات لايخلو الإنسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها .

القسم الثانى : ماليس ضرورياً لأحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب ، فإن هذه الأمور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الأمور ، حتى صار الذهب والفضة محبوبين فى أنفسهما فيكنزان ، ويغضب على من يسرقهما وإن كان مستغنياً عنهما فى القوت ، فهذا الجنس مما يتصور أن ينفك الإنسان عن أصل الغيظ عليه ، فإذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمه ظالم فيجوز أن لايغضب ، إذ يجوز أن يكون بصيراً بأمر الدنيا فيزهد فى الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها ، فإنه لايحب وجودها ولو أحب وجودها لغضب على الضرورة بأخذها وأكثر غضب الناس على ماهو غير ضرورى كالجاه والصيت والتصدر فى المجالس والمباهاة فى العلم ، فمن غلب هذا الحب عليه فلامحالة يغضب إذا زاحمه مزاحم على التصدر فى المحافل ، ومن لايحب ذلك فلا يبالى ولو جلس فى صف النعال ، فلا يغضب إذا جلس غيره فوقه . وهذه العادات الرديئة هى التى أكثرت محاب الإنسان ومكارهه فأكثرت غضبه ، وكلما كانت الارادات والشهوات أكثر كان صاحبها أحط رتبة وأنقص ، لأن الحاجة صفة نقص فهما كثرت كثر النقص ، والجاهل أبدا جهده فى أن يزيد فى حاجاته وفى شهواته ، وهو لايدرى أنه مستكثر من أسباب الغم والحزن ، حتى يفتى بعض الجهال بالعادات الرديئة ومخالطة قرناء السوء إلى أن يغضب لو قيل له: إنك لاتحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير ، ومايجرى مجراه من الرذائل ، فالغضب على هذا الجنس ليس بضرورى لأن حبه ليس بضرورى .

(١) حديث « خير الأمور أوسطها » أخرجه البيهقى فى الشعب مرسلا وقد تقدم .

القسم الثالث ؛ مايكون ضروريا فى حق بعض الناس دون البعض ، كالكتاب مثلا فى حق العالم لأنه مضطر إليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه ، وكذلك أدوات الصناعات فى حق المكتسب الذى لا يمكنه التوصل إلى القوت إلا بها ، فإنما هو وسيلة إلى الضرورى ، والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا ، وهذا يختلف بالأشخاص وإنما الحب الضرورى ماأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « من أصبح آمناً فى سربه معافى فى بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها [1] » ومن كان بصيراً بحقائق الأمور وسلم له هذه الثلاثه يتصور أن لايغضب فى غيرها فهذه ثلاثة أقسام فلنذكر غاية الرياضة فى كل واحد منها .

أما القسم الأول : فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب ولكن لكى يقدر على أن لايطيع الغضب ولا يستعمله فى الظاهر إلا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل ، وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة ، حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فأما قمع أصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لايشتد هيجان الغيظ فى الباطن ، وينتهى ضعفه إلى أن لايظهر أثره فى الوجه ، ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث أيضا لأن ماصار ضروريا فى حق شخص فلا يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه . فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه فى الباطن حتى لايشتد التألم بالصبر عليه .

وأما القسم الثانى : فيمكن التوصل بالرياضة إلى الانفكاك عن الغضب عليه إذ يمكن إخراج حبه من القلب ، وذلك بأن يعلم الإنسان أن وطنه القبر ومستقره الآخرة وأن الدنيا معبر يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة ، وما وراء ذلك عليه وبال فى وطنه ومستقره فيزهد فى الدنيا ويمحو حبها عن قلبه ، ولو كان للإنسان كلب لايحبه لايغضب إذا ضربه غيره ، فالغضب تبع للحب . فالرياضة فى هذا تنتهى إلى قمع أصل الغضب وهو نادر جدّا ، وقد تنتهى إلى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو أهون .

فإن قلت : الضرورى من القسم الأول التألم بفوات المحتاج إليه دون الغضب ، فمن له شاة مثلا وهى قوته فماتت لا يغضب على أحد وإن كان يحصل فيه كراهة ، وليس من ضرورة كل كراهة غضب ، فإن الإنسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الأشياء كلها بيد الله ومنه فلا يغضب على أحد من خلقه ؛ إذ يراهم مسخرين فى قبضة قدرته كالقلم فى يد الكاتب ، ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم ، فلا يغضب على من يذبح شاته التى هى قوته كما لا يغضب على موتها ، إذ يرى الذبح والموت من الله عز وجل فيندفع الغضب بغلبة التوحيد . ويندفع أيضا بحسن الظن بالله ، وهو أن يرى أن الكل من الله تعالى وأن الله لايقدر له إلا مافيه الخيرة ، وربما تكون الخيرة فى مرضه وجوعه وجرحه وقتله ، فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد والحجام لأنه يرى أن الخيرة فيه ، فيقول هذا على هذا الوجه غير محال ، ولكن غلبة التوحيد إلى هذا الحد إنما تكون كالبرق الخاطف ، تغلب فى أحوال مختلفة ولا تدوم ، ويرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسائط رجوعا طبيعياً لايندفع عنه ، ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه [2] حتى قال « اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأيما مسلم سببته

---

(١) حديث « من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث عبيد الله بن محصن دون قوله « بحذافيرها » قال الترمذى حسن غريب .

(٢) حديث : كان صلى الله عليه وسلم يغضب حتى تحمر وجنتاه . أخرجه مسلم من حديث جابر : كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه . وللحاكم : كان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه . وقد تقدم فى أخلاق النبوة .

أو لعنته أو ضربته فاجعلها منى صلاة عليه وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة [١] » وقال عبدالله بن عمرو بن العاص : يارسول الله أكتب عنك كل ماقلت فى الغضب والرضا فقال « اكتب فوالذى بعثنى بالحق نبيا ما يخرج منه إلا حق » وأشار إلى لسانه [٢] فلم يقل إنى لا أغضب ، ولكن قال إن الغضب لايخرجنى عن الحق ، أى لاأعمل بموجب الغضب . وغضبت عائشة رضى الله تعالى عنها مرة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « مالك ؟ جاءك شيطانك » فقالت : ومالى شيطان ؟ قال « بلى ولكنى دعوت الله فأعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بالخير [٣] » ولم يقل : لا شيطان لى ، واراد شيطان الغضب لكن قال : لا يحملنى على الشر . وقال على رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايغضب للدنيا فإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شىء حتى ينتصر له [٤] فكان يغضب على الحق ، وإن كان غضبه لله فهو التفات إلى الوسائط على الجملة ، بل كل من يغضب على من يأخذ ضرورة قوته وحاجته التى لابد له فى دينه منها فإنما غضب لله ، فلا يمكن الانفكاك عنه . نعم قد يفقد أصل الغضب فيما هو ضرورى إذا كان القلب مشغولا بضرورى أهم منه ، فلا يكون فى القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره ، فإن استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الإحساس بما عداه .

وهذا كما أن سلمان لما شتم قال : إن خفت موازينى فأنا شر مما تقول وإن ثقلت موازينى لم يضرنى ما تقول . فقد كان همه مصروفا إلى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم . وكذلك شتم الربيع بن خثيم فقال : ياهذا قد سمع الله كلامك وإن دون الجنة عقبة إن قطعتها لم يضرنى ماتقول ، وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول وسب رجل أبابكر رضى الله عنه فقال : ماستر الله عنك أكثر ؛ فكأنه كان مشغولا بالنظر فى تقصير نفسه عن أن يتقى الله حق تقاته ويعرفه حق معرفته ، فلم يغضبه نسبة غيره إياه إلى نقصان ، إذ كان ينظر إلى نفسه بعين النقصان ، وذلك لجلالة قدره . وقالت امرأة لمالك بن دينار : يامرائى ، فقال : ماعرفنى غيرك ! فكأنه كان مشغولا بأن ينفى عن نفسه آفة الرياء ، ومنكراً على نفسه مايلقيه الشيطان إليه فلم يغضب لما نسب إليه . وسب رجل الشعبى فقال : إن كنت صادقا فغفر الله لى ، وإن كنت كاذبا فغفر الله لك .

فهذه الأقاويل دالة فى الظاهر على أنهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ، ويحتمل أن يكون ذلك قد أثر فى قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الأغلب على قلوبهم ، فإذاً اشتغال القلب ببعض المهمات لايبعد أن يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب ؛ فإذاً يتصور فقد الغيظ إما باشتغال القلب بمهم ، أو بغلبة نظر التوحيد ، أو بسبب ثالث : وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لايغتاظ فيطفئ شدة حبه لله غيظه ، وذلك غير محال فى أحوال نادرة . وقد عرفت بهذا أن الطريق للخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها ـ كما سيأتى فى كتاب ذم الدنيا ـ ومن أخرج حب المزايا عن القلب تخلص من أكثر

---

(١) حديث « اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة دون قوله « أغضب كما يغضب البشر » وقال « جلدته » بدل « ضربته » وفى رواية « اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر » وأصله متفق عليه وتقدم ولمسلم من حديث أنس « إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر » ولأبى يعلى من حديث أبى سعيد أو ضربته

(٢) حديث عبد الله بن عمرو : يارسول الله أكتب عنك كل ماقلت فى الغضب والرضا ؟ قال « اكتب فوالذى بعثنى بالحق مايخرج منه إلا حق » وأشار الى لسانه . أخرجه أبو داود بنحوه

(٣) حديث : غضبت عائشة فقال النبى صلى الله عليه وسلم « مالك جاءك شيطانك ؟ ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث عائشة

(٤) حديث على : كان لايغضب للدنيا ... الحديث أخرجه الترمذى فى الشمائل وقد تقدم .

أسباب الغضب ، وما لايمكن محوه يمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه . نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه إنه على كل شيء قدير والحمد لله وحده .

بيان الاسباب المهيجة للغضب

قد عرفت أن علاج كل علة حسم مادتها وإزالة أسبابها فلا بد من معرفة أسباب الغضب . وقد قال يحي لعيسى عليهما السلام : أى شيء أشد ؟ قال : غضب الله ، قال فما يقرب من غضب الله ، قال أن تغضب ، قال : فما يبدى الغضب ومايثبته ؟ قال عيسى : الكبر والفخر والتعزز والحمية .

والأسباب المهيجة للغضب هى : الزهو والعجب والمزاح والهزل والهزء والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه ، وهى بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها .

فينبغى أن تميت الزهو بالتواضع . وتميت العجب بمعرفتك بنفسك - كما سيأتى بيانه فى كتاب الكبر والعجب - وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك إذ الناس يجمعهم فى الانتساب أب واحد ؛ وإنما اختلفوا فى الفضل أشتاتا فبنو آدم جنس واحد وإنما الفخر بالفضائل ؛ والفخر والعجب والكبر أكبر الرذائل وهى أصلها ورأسها ، فإذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك ، فلم تفتخر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والأعضاء الظاهرة والباطنة ؟ وأما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التى تستوعب العمر وتفضل عنه إذا عرفت ذلك . وأما الهزل فتزيله بالجد فى طلب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التى تبلغك إلى سعادة الآخرة . وأما الهزء فتزيله بالتكرم عن إيذاء الناس وبصيانة النفس عن أن يستهزأ بك . وأما التعيير فالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب . وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعاً عن ذل الحاجة .

وكل خلق من هذه الأخلاق وصمة من هذه الصفات يفتقر فى علاجه إلى رياضة وتحمل مشقة ، وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ، ثم المواظبة على مباشرة أضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة على النفس ، فإذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضاً عن الغضب الذى يتولد منها . ومن أشد البواعث على الغضب عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجوليه وعزة نفس وكبر همة ، وتلقيبه بالألقاب المحمودة غباوة وجهلا حتى تميل النفس إليه وتستحسنه . وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الأكابر فى معرض المدح بالشجاعة ، والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكابر فيهيج الغضب إلى القلب بسببه ، وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها ، وآية أنه لضعف النفس أن المريض أسرع غضباً من الصحيح ، والمرأة أسرع غضباً من الرجل ، والصبى أسرع غضبا من الرجل الكبير ، والشيخ الضعيف أسرع غضبا من الكهل ، وذو الخلق السيء والرذائل القبيحة أسرع غضبا من صاحب الفضائل . فالرذل يغضب لشهوته إذا فاتته اللقمة ، ولبخله إذا فاتته الحبة ، حتى أنه يغضب على أهله وولده وأصحابه . بل القوى من يملك نفسه عند الغضب كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب [1] » بل ينبغى أن يعالج هذا الجاهل بأن تتلى عليه

(١) حديث « ليس الشديد بالصرعة » تقدم قبله .

حكايات أهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ ، فإن ذلك منقول عن الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء وأكابر الملوك الفضلاء ، وضد ذلك منقول عن الأكراد والأتراك والجهلة والأغبياء الذين لاعقول لهم ولا فضل فيهم .

بيان علاج الغضب بعد هيجانه

ماذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لأسبابه حتى لايهيج ، فإذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لايضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه المذموم ، وإنما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل .

أما العلم فهو ستة أمور ؛ الأول: أن يتفكر فى الأخبار التى سنوردها فى فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب فى ثوابه ، فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفى والانتقام وينطفئ عنه غيظه ، قال مالك بن أوس ابن الحدثان : غضب عمر على رجل وأمر بضربه فقلت ياأمير المؤمنين ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ فكان عمر يقول ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ فكان يتأمل فى الآية وكان وقافا عند كتاب الله مهما تلى عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلى الرجل . وأمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾ فقال لغلامه خل عنه .

الثانى : أن يخوف نفسه بعقاب الله وهو أن يقول قدرة الله على أعظم من قدرتى على هذا الإنسان ، فلو أمضيت غضبى عليه لم آمن أن يمضى الله غضبه على يوم القيامة أحوج ماأكون إلى العفو . فقد قال تعالى فى بعض الكتب القديمة : ياابن آدم اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا امحقك فيمن أمحق . وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا إلى حاجة فأبطأ عليه فلما جاء قال « لولا القصاص لأوجعتك [1] » أى القصاص فى القيامة . وقيل ماكان فى بنى إسرائيل ملك إلا ومعه حكيم إذا غضب أعطاه صحيفة فيها : ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة ، فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه .

الثالث : أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعى فى هدم أغراضه والشماتة بمصائبه وهو لايخلو عن المصائب فيخوف نفسه بعواقب الغضب فى الدنيا إن كان لايخاف من الآخرة . وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الآخرة ولا ثواب عليه ، لأنه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض ، إلا أن يكون محذوره أن تتشوش عليه فى الدنيا فراغته للعلم والعمل ومايعينه على الآخرة فيكون مثابا عليه .

الرابع : أن يتفكر فى قبح صورته عند الغضب بأن يتذكر صورة غيره فى حالة الغضب ، ويتفكر فى قبح الغضب فى نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضارى والسبع العادى ، ومشابهة الحليم الهادى التارك للغضب للأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء ، ويخير نفسه بين أن يتشبه بالكلاب والسباع وأراذل الناس وبين أن يتشبه بالعلماء والأنبياء فى عادتهم لتميل نفسه إلى حب الاقتداء بهؤلاء إن كان قد بقى معه مسكة من عقل .

الخامس : أن يتفكر فى السبب الذى يدعوه إلى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ، ولا بد وأن يكون له سبب مثل قول الشيطان له : إن هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيراً فى أعين الناس ! فيقول لنفسه : ماأعجبك ! تأنفين من الاحتمال الآن ولا تأنفين من خزى يوم القيامة والافتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم

---

(١) حديث « لولا القصاص لأوجعتك » أخرجه أبو يعلى من حديث أم سلمة بسند ضعيف .

منك ؟ وتحذرين من أن تصغرى فى أعين الناس ولا تحذرين من أن تصغرى عند الله والملائكة والنبيين ؟ فهما كظم الغيظ فينبغى أن يكظمه لله ، وذلك يعظمه عند الله ، فما له وللناس ؟ وذل من ظلمه يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن ، أفلا يحب أن يكون هو القائم إذا نودى يوم القيامة : ليقم من أجره على الله ، فلا يقوم إلا من عفا ؟ فهذا وأمثاله من معارف الإيمان ينبغى أن يكرره على قلبه .

السادس : أن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشىء على وفق مراد الله لا على وفق مراده ، فكيف يقول مرادى أولى من مراد الله ؟ ويوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه .

وأما العمل فان تقول بلسانك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال عند الغيظ [1] وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضبت عائشة أخذ بأنفها وقال « ياعويش قولى اللهم رب النبى محمد اغفر لى ذنبى وأذهب غيظ قلبى وأجرنى من مضلات الفتن [2] » فيستحب أن تقول ذلك ، فإن لم يزل بذلك فاجلس إن كنت قائما واضجع إن كنت جالسا واقرب من الأرض التى منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك ، واطلب بالجلوس والاضجاع السكون فإن سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الغضب جمرة توقد فى القلب [3] » ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه ، فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئاً فإن كان قائما فليجلس وإن كان جالساً فلينم ، فإن لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل ، فإن النار لا يطفئها إلا الماء : فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فإنما الغضب من النار [4] » وفى رواية « إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » وقال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وإذا غضبت فاسكت [5] » وقال أبو هريرة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه [6] وقال أبو سعيد الخدرى : قال النبى صلى الله عليه وسلم « ألا إن الغضب جمرة فى قلب ابن آدم [7] ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن وجد من ذلك شيئاً فليلصق خده بالأرض » وكأن هذا إشارة إلى السجود وتمكين أعز الأعضاء من أذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذى هو سبب الغضب .

وروى أن عمر غضب يوما فدعا بماء فاستنشق وقال : إن الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب . وقال عروة

---

(١) حديث : الأمر بالتعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند الغيظ . متفق عليه من حديث سليمان بن صرد قال : كنت جالسا مع النبى صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبان فأحدهما أحمر وجهه وانتفخت أوداجه . . الحديث . وفيه « لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه مايجد » فقالوا له : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال « تعوذ بالله من الشيطان الرجيم ... الحديث »

(٢) حديث : كان إذا غضبت عائشة أخذ بأنفها وقال « ياعويش قولى اللهم رب النبى محمد اغفرلى ذنبى وأذهب غيظ قلبى . . . الحديث » أخرجه ابن السنى فى اليوم والليلة من حديثها وتقدم فى الأذكار والدعوات (٣) حديث « إن الغضب جمرة توقد فى القلب ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد دون قوله « توقد » وقد تقدم ورواه بهذا اللفظ البيهقى فى الشعب .

(٤) حديث « إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء البارد ... الحديث » أخرجه أبو داود من حديث عطية السعدى دون قوله « بالماء البارد » وهو بلفظ الرواية الثانية التى ذكرها المصنف وقد تقدم (٥) حديث ابن عباس : إذا غضبت فاسكت . أخرجه أحمد وابن أبى الدنيا والطبرانى واللفظ لهما والبيهقى فى شعب الإيمان وفيه ليث بن أبى سليم (٦) حديث أبى هريرة : كان إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه . أخرجه ابن أبى الدنيا وفيه من لم يسم ولأحمد باسناد جيد فى أثناء حديث فيه وكان أبو ذر قائما فجلس ثم اضطجع فقيل له : لم جلست ثم اضطجعت ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا « إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع » والمرفوع عند أبى داود وفيه عنده انقطاع سقط منه أبو الأسود (٧) حديث أبى سعيد « ألا إن الغضب جمرة فى قلب ابن آدم ... الحديث » أخرجه الترمذى وقال حسن .

ابن محمد : لما استعملت على اليمن قال لى أبى : أوليت ؟ قلت : نعم ، قال : فإذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك وإلى الأرض تحتك ثم عظم خالقهما . وروى أن أبا ذرّ قال لرجل : يا ابن الحمراء - فى خصومة بينهما - فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ياأبا ذرّ بلغنى أنك اليوم عيرت أخاك بأمه » فقال : نعم ، فانطلق أبو ذرّ ليرضى صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا أبا ذرّ ارفع رأسك فانظر ثم اعلم أنك لست بأفضل من أحمر فيها ولا أسود إلا أن تفضله بعمل » ثم قال « إذا غضبت فإن كنت قائما فاقعد وإن كنت قاعدا فاتكئ وإن كنت متكئاً فاضطجع [1] » وقال المعتمر بن سليمان : كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب صحائف وأعطى كل صحيفة رجلا وقال للأول : إذا غضبت فأعطنى هذه ، وقال للثانى : إذا سكن بعض غضبى فأعطنى هذه ، وقال للثالث : إذا ذهب غضبى فأعطنى هذه ، فاشتد غضبه يوما فأعطى الصحيفة الأولى فإذا فيها ما أنت وهذا الغضب إنك لست بإله إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا ، فسكن بعض غضبه ، فأعطى الثانية فإذا فيها : ارحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء ، فأعطى الثالثة فإذا فيها : خذ الناس بحق الله فإنه لا يصلهم إلا ذلك . أى لاتعطل الحدود . وغضب المهدى على رجل فقال شبيب : لاتغضب لله بأشد من غضبه لنفسه ، فقال : خلوا سبيله .

فضيلة كظم الغيظ

قال الله تعالى ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾ وذكر ذلك فى معرض المدح . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « أشدّكم من غلب نفسه عند الغضب وأحلمكم من عفا عند القدرة [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه لأمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا » وفى رواية « ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا [4] » وقال ابن عمر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جرع عبد جرعة أعظم أجراً من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى [5] » وقال ابن عباس رضى الله عنهما : قال صلى الله عليه وسلم « إن لجهنم بابا

---

(١) حديث أبى ذر : أنه قال لرجل : ياابن الحمراء فى خصومة بينهما فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ... الحديث . وفيه فقال : ياأبا ذر ارفع رأسك فانظر ...الحديث : وفيه ثم قال « إذا غضبت » إلى آخره . أخرجه ابن أبى الدنيا فى العفو وذم الغضب باسناد صحيح وفى الصحيحين من حديثه قال : كان بينى وبين رجل من إخوانى كلام وكانت أمه أعجمية فعيرته بأمه فشكانى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال « ياأبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية » ولأحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال له « انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى » ورجاله ثقات .

فضيلة كظم الغيظ

(٢) حديث « من كف غضبه كف الله عنه عذابه ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى شعب الإيمان واللفظ له من حديث أنس باسناد ضعيف ولابن أبى الدنيا من حديث ابن عمر « من ملك غضبه وقاه الله عذابه ... الحديث » وقد تقدم فى آفات اللسان (٣) حديث « أشدكم من ملك نفسه عند الغضب وأحلمكم من عفا عند القدرة » أخرجه ابن أبى الدنيا من حديث على بسند ضعيف والبيهقى فى الشعب بالشطر الأول من رواية عبد الرحمن بن عجلان مرسلا باسناد جيد ، وللبزار والطبرانى فى مكارم الأخلاق واللفظ له من حديث « أشدكم أملكم لنفسه عند الغضب » وفيه عمران القطان مختلف فيه . (٤) حديث « من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا » وفى رواية « أمنا وإيمانا » أخرجه ابن أبى الدنيا بالرواية الأولى من حديث ابن عمر وفيه سكين بن أبى سراج تكلم فيه ابن حبان وأبو داود بالرواية الثانية من حديث رجل من أبناء أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم عن أبيه ، ورواها ابن أبى الدنيا من حديث أبى هريرة وفيه من لم يسم (٥) حديث ابن عمر « ماجرع رجل جرعة أعظم أجراً من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله » أخرجه ابن ماجه .

لايدخله إلا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى [١] ، وقال صلى الله عليه وسلم « ما من جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها عبد إلا ملأ الله قلبه إيمانا [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رءوس الخلائق ويخيره من أى الحور شاء [٣] » .

الآثار : قال عمر رضى الله عنه : من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يشاء ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون . وقال لقمان لابنه : يابنى لا تذهب ماء وجهك بالمسألة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك . وقال ايوب : حلم ساعة يدفع شرا كثيرا . واجتمع سفيان الثورى وأبو خزيمة اليربوعى والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد ، فأجمعوا على أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الجزع . وقال رجل لعمر رضى الله عنه : والله ما تقضى بالعدل ولا تعطى الجزل ، فغضب عمر حتى عرف ذلك فى وجهه. فقال له رجل . يا أمير المؤمنين ألا تسمع إلى الله تعالى يقول ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ فهذا من الجاهلين ، فقال عمر : صدقت ، فكأنما كانت نارا فأطفئت . وقال محمد بن كعب : ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان بالله ، إذا رضى لم يدخله رضاه فى الباطل وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق وإذا قدر لم يتناول ما ليس له . وجاء رجل إلى سلمان فقال : ياعبد الله أوصنى ، قال : لاتغضب ، قال لا أقدر ، قال : فإن غضبت فأمسك لسانك ويدك .

بيان فضيلة الحلم

اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ ؛ لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم أى تكلف الحلم ، ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة ، ولكن إذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ ، وإن هاج فلا يكون فى كظمه تعب ، وهو الحلم الطبيعى ، وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ، ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفا . قال صلى الله عليه وسلم « إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتخير الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه [٤] » وأشار بهذا إلى أن اكتساب الحلم طريقه التحلم أولا وتكلفه كما أن اكتساب العلم طريقه التعلم . وقال أبو هريرة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم ، لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ، ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم حلمكم [٥] » وأشار بهذا إلى أن التكبر والتجبر هو الذى يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين . وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم أغننى بالعلم وزينى بالحلم وأكرمنى بالتقوى وجملنى بالعافية [٦] » وقال أبو هريرة : قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم « ابتغوا

---

(١) حديث ابن عباس « إن لجهنم بابا لايدخل منه الا من شفى غيظه بمعصية الله » تقدم فى آفات اللسان (٢) حديث « مامن جرعة أحب الى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها عبد الا ملأ الله قلبه ايمانا » أخرجه ابن أبى الدنيا من حديث ابن عباس وفيه ضعف ويتلفق من حديث ابن عمر وحديث الصحابى الذى لم يسم وقد تقدما (٣) حديث « من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رءوس الخلائق حتى يخيره من أى الحور شاء » تقدم فى آفات اللسان .

فضيلة الحلم

(٤) حديث « إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ... الحديث » أخرجه الطبرانى والدارقطنى فى العلل من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف (٥) حديث أبى هريرة « اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم ... الحديث » أخرجه ابن السنى فى رياضة المتعلمين بسند ضعيف (٦) حديث : كان من دعائه « اللهم أغننى بالعلم وزينى بالحلم وأكرمنى بالتقوى وجملنى بالعافية » لم أجد له أصلا

الرفعة عندالله . قالوا : وماهى يارسول الله ؟ قال « تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتحلم عمن جهل عليك [١] » وقال صلى الله عليه وسلم « خمس من سنن المرسلين : الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر [٢] » وقال على كرم الله وجهه : قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وإنه ليكتب جبارا عنيدا ولا يملك إلا أهل بيته [٣] » وقال أبو هريرة : إن رجلا قال يارسول الله إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى وأحسن إليهم ويسيئون إلى ويجهلون على واحلم عنهم ، قال « إن كان كما تقول فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير مادمت على ذلك [٤] » المل : يعنى به الرمل . وقال رجل من المسلمين : اللهم ليس عندى صدقة اتصدق بها فأيما رجل أصاب من عرضى شيئاً فهو عليه صدقة فأوحى الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وسلم إنى قد غفرت له [٥] وقال صلى الله عليه وسلم « أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم » قالوا : وما أبو ضمضم ؟ قال « رجل ممن كان قبلكم كان إذا أصبح يقول : اللهم إنى تصدقت اليوم بعرضى على من ظلمنى [٦] »

وقيل فى قوله تعالى ﴿ ربانيين ﴾ أى حلماء علماء . وعن الحسن فى قوله تعالى ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾ قال حلماء إن جهل عليهم لم يجهلوا . وقال عطاء بن أبى رباح ﴿ يمشون على الأرض هونا ﴾ أى حلماء . وقال ابن أبى حبيب فى قوله عز وجل ﴿ وكهلا ﴾ قاله : الكهل منتهى الحلم . وقال مجاهد ﴿ وإذا مروا باللغو مروا كراما ﴾ أى إذا أوذوا صفحوا .

وروى ان ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أصبح ابن مسعود وأمسى كريما [٧] » ثم تلا إبراهيم بن ميسرة وهو الراوى قوله تعالى ﴿ وإذا مروا باللغو مروا كراما ﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم لايدركنى ولا أدركه زمان لايتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم ، قلوبهم قلوب العجم وألسنتهم ألسنة العرب [٨] » وقال صلى الله عليه وسلم « ليلينى منكم ذوو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ، وإياكم وهيشات الأسواق [٩] » وروى أنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم الأشج فأناخ راحلته ثم عقلها وطرح عنه ثوبين كانا عليه وأخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما ، وذلك بعين رسول الله

---

(١) حديث « ابتغوا الرفعة عند الله » قالوا : وماهى ؟ قال « تصل من قطعك . . الحديث » أخرجه الحاكم والبيهقى وقد تقدم

(٢) حديث « خمس من سنن المرسلين : الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر » أخرجه أبو بكر بن أبى عاصم فى المثانى والآحاد والترمذى الحكيم فى نوادر الأصول من رواية مليح بن عبد الله الخطمى عن أبيه عن جده ، وللترمذى وحسنه من حديث أبى أيوب « أربع » فأسقط « الحلم والحجامة » وزاد « النكاح » (٣) حديث على « إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف (٤) حديث أبى هريرة : أن رجلا قال يارسول الله إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى وأحسن إليهم ويسيئون إلى ويجهلون على وأحلم عنهم ... الحديث . رواه مسلم (٥) حديث قال رجل من المسلمين اللهم ليس عندى صدقة أتصدق بها فأيما رجل أصاب من عرضى شيئا فهو صدقة عليه ... الحديث . أخرجه أبو نعيم فى الصحابة والبيهقى فى الشعب من رواية عبد المجيد بن أبى عبس بن جبر عن أبيه عن جده بإسناد لين ، زاد البيهقى عن علية بن زيد وعلية هو الذى قال ذلك كما فى أثناء الحديث وذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب أنه رواه ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبى صالح عن أبى هريرة : أن رجلا من المسلمين ولم يسمه وقال أظنه أبا ضمضم قلت وليس بأبى ضمضم إنما هو علية بن زيد وأبو ضمضم ليس له صحبة وإنما هو متقدم (٦) حديث « أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم ... الحديث » تقدم فى آفات اللسان

(٧) حديث أن ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أصبح ابن مسعود وأمسى كريما » أخرجه ابن المبارك فى البر والصلة (٨) حديث « اللهم لايدركنى ولا أدركه زمان لايتبعون فيه العليم ولايستحيون فيه من الحليم ... الحديث » أخرجه أحمد من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف (٩) حديث « ليلينى منكم أولو الأحلام والنهى ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود دون قوله « ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم » فهى عند أبى داود والترمذى وحسنه وهى عند مسلم فى حديث آخر لابن مسعود .

صلى الله عليه وسلم يرى مايصنع ، ثم أقبل يمشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام « إن فيك ياأشج خلقين يحبهما الله ورسوله » قال : ماهما بأبى أنت وأمى يارسول الله ؟ قال « الحلم والأناة » فقال : خلقان تخلقتهما أو خلقان جبلت عليهما ؟ فقال « بل خلقان جبلك الله عليهما » فقال : الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما الله ورسوله [1] وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الحليم الحيي الغنى المتعفف أباالعيال التقى ويبغض الفاحش البذى السائل الملحف الغبي [2] » وقال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم « ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلاتعتدوا بشى من عمله : تقوى تحجزه عن معاصى الله عزوجل . وحلم يكف به السفيه ، وخلق يعيش به فى الناس [3] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد : أين أهل الفضل ؟ فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فتقولون لهم إنا نراكم سراعا إلى الجنة فيقولون نحن أهل الفضل ، فيقولون لهم ما كان فضلكم ؟ فيقولون كنا إذا ظلمنا صبرنا وإذا أسىء إلينا عفونا وإذ جهل علينا حلمنا . فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين [4] » .

الآثار : قال عمر رضى الله عنه : تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم . وقال على رضى الله عنه : ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك ، وأن لاتباهى الناس بعبادة الله ، وإذا أحسنت حمدت الله تعالى ، وإذا أسأت استغفرت الله تعالى . وقال الحسن : اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم . وقال أكثم بن صيفى : دعامة العقل الحلم وجماع الأمر الصبر . وقال أبو الدرداء : أدركت الناس ورقا لاشوك فيه فأصبحوا شوكا لاورق فيه ، إن عرفتهم نقدوك وإن تركتهم لم يتركوك ، قالوا : كيف نصنع ؟ قال : تقرضهم عن عرضك ليوم فقرك . وقال على رضى الله عنه : إن أول ماعوض الحليم من حلمه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل . وقال معاوية رحمه الله تعالى : لايبلغ العبد مبلغ الرأى حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم ، وقال معاوية لعمرو بن الأهتم : أى الرجال أشجع ؟ قال : من رد جهله بحلمه قال : أى الرجال اسخى ؟ قال : من بذل دنياه لصلاح دينه . وقال أنس بن مالك فى قوله تعالى ﴿ فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ﴾ إلى قوله ﴿ عظيم ﴾ هو الرجل يشتمه أخوه فيقول : إن كنت كاذبا فغفر الله لك وإن كنت صادقاً فغفر الله لى . وقال بعضهم : شتمت فلانا من أهل البصرة فحلم على فاستعبدنى بها زمانا . وقال معاوية لعرابة بن أوس : بم سدت قومك ياعرابة ؟ قال : ياأمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم واعطى سائلهم وأسعى فى حوائجهم . فمن فعل فعلى فهو مثلى ومن جاوزنى فهو أفضل منى ومن قصر عنى فأنا خير منه . وسب رجل ابن عباس رضى الله عنهما فلما فرغ قال : ياعكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها ؟ فنكس الرجل رأسه واستحى . وقال رجل لعمر بن عبدالعزيز : أشهد أنك من الفاسقين ، فقال : ليس تقبل شهادتك . وعن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم أنه سبه رجل فرمى إليه بخميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم ، فقال بعضهم : جمع له خمس خصال محمودة : الحلم وإسقاط الأذى وتخليص الرجل مما يبعد من الله عزوجل وحمله على الندم والتوبة ورجوعه إلى مدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشىء من الدنيا يسير وقال رجل لجعفر بن محمد

---

(١) حديث « ياأشج ان فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة ... الحديث » متفق عليه (٢) حديث : إن الله يحب الحيى الحليم الغنى المتعفف ... الحديث » أخرجه الطبراني من حديث سعد « إن الله يحب العبد التقى الغنى الخفى (٣) حديث ابن عباس « ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتدوا بشىء من عمله » أخرجه أبو نعيم فى كتاب الإيجاز بإسناد ضعيف والطبرانى من حديث أم سلمة باسناد لين وقد تقدم فى آداب الصحبة (٤) حديث « إذا جمع الخلائق نادى مناد أين أهل الفضل ؟ فيقوم ناس ... الحديث » وفيه « إذا جهل علينا حلمنا » أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال البيهقى فى إسناده ضعف .

إنه قد وقع بينى وبين قوم منازعة فى أمر وإنى أريد أن أتركه فأخشى أن يقال لى : إن تركك له ذل ، فقال جعفر : إنما الذليل الظالم . وقال الخليل بن أحمد : كان يقال من أساء فأحسن إليه فقد جعل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل إساءته وقال الأحنف بن قيس : لست بحليم ولكننى أتحلم . وقال وهب بن منبه : من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ، ومن يجهل يغلب ، ومن يعجل يخطئ ، ومن يحرص على الشر لايسلم ، ومن لايدع المراء يشتم ، ومن لايكره الشر يأثم ، ومن يكره الشر يعصم ، ومن يتبع وصية الله يحفظ ، ومن يحذر الله يأمن ، ومن يتول الله يمنع ومن لايسأل الله يفتقر ، ومن يأمن مكر الله يخذل ، ومن يستعن بالله يظفر . وقال رجل لمالك بن دينار : بلغنى أنك ذكرتنى بسوء ، قال ، أنت إذن أكرم على من نفسى إنى إذا فعلت ذلك أهديت لك حسناتى . وقال بعض العلماء الحلم أرفع من العقل لأن الله تعالى تسمى به . وقال رجل لبعض الحكماء : والله لأسبنك سبا يدخل معك فى قبرك ، فقال : معك يدخل لامعى . ومر المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيراً فقيل له : إنهم يقولون شرا وأنت تقول خيراً ؟ فقال : كل ينفق مما عنده . وقال لقمان : ثلاثة لايعرفون إلا عند ثلاثة ؛ لايعرف الحليم إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلا عند الحرب ، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه . ودخل على بعض الحكماء صديق له فقدم إليه طعاما فخرجت امرأة الحكيم - وكانت سيئة الخلق - فرفعت المائدة وأقبلت على شتم الحكيم ، فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال له تذكر يوم كنا فى منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المائدة فأفسدت ماعليها فلم يغضب أحد منا ؟ قال : نعم ، قال فاحسب أن هذه مثل تلك الدجاجة ؛ فسرى عن الرجل غضبه وانصرف وقال : صدق الحكيم ، الحلم شفاء من كل ألم . وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه فلم يغضب فقيل له فى ذلك فقال : أقمته مقام حجر تعثرت به فذهبت الغضب . وقال محمود الوراق :

سالزم نفسى الصفح عن كل مذنب ... وإن كثرت منه على الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثلى مقاوم
فأما الذى فوقى فاعرف قدره ... وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فإن قال صنت عن ... إجابته عرضى وإن لام لائم
وأما الذى مثلى فإن زل أوهفا ... تفضلت إن الفضل بالحلم حاكم

بيان القدر الذى يجوز الانتصار والتشفى به من الكلام

اعلم أن كل ظلم صدر من شخص فلايجوز مقابلته بمثله ، فلاتجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا السب بالسب ، وكذلك سائر المعاصى . وإنما القصاص والغرامة على قدر ماورد الشرع به وقد فصلناه فى الفقه . وأما السب فلايقال بمثله إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن امرؤ عيرك بما فيك فلاتعيره بما فيه [1] » وقال « المستبان ماقالا فهو على البادئ مالم يعتد المظلوم » وقال « المستبان شيطانان يتهاتران [2] » وشتم رجل أبابكر الصديق رضى الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر : إنك كنت ساكتا لما شتمنى فلما تكلمت قمت قال « لأن الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم أكن لأجلس فى مجلس فيه الشيطان [3] » وقال قوم : تجوز المقابلة بما لا كذب فيه ، وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث « إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه » أخرجه أحمد من حديث جابر بن مسلم . وقد تقدم (٢) حديث المستبان شيطانان يتهاتران » تقدم (٣) حديث : شتم رجل أبابكر رضى الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام صلى الله عليه وسلم . الحديث . أخرجه أبو داود من حديث أبى هريرة متصلا ومرسلا قال البخارى المرسل أصح .

عن مقابلة التعبير بمثله نهى تنزيه ، والأفضل تركه ولكنه لايعصى به . والذى يرخص فيه أن تقول : من أنت ؟ وهل أنت إلا من بنى فلان ؟ كما قال سعد لابن مسعود : وهل أنت إلا من بنى هذيل ؟ وقال ابن مسعود : وهل أنت إلا من بنى أمية ؟ ومثل قوله : ياأحمق ، قال مطرف : كل الناس أحمق فيما بينه وبين ربه إلا أن بعض الناس أقل حماقة من بعض . وقال ابن عمر فى حديث طويل : حتى ترى الناس كلهم حمقى فى ذات الله تعالى [1] وكذلك قوله ياجاهل ، إذ مامن أحد إلا وفيه جهل ؛ فقد آذاه بما ليس بكذب . وكذلك قوله ياسيء الخلق ، ياصفيق الوجه ياثلايا للإعراض ، وكان ذلك فيه . وكذلك قوله : لوكان فيك حياء لما تكلمت ، وما أحقرك فى عينى بما فعلت ، وأخزاك الله وانتقم منك .

فأما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق ، لما روى أنه كان بين خالدبن الوليد وسعدكلام ، فذكر رجل خالدا عند سعد ، فقال سعد : مه إن مابيننا لم يبلغ ديننا . يعنى أن يأثم بعضنا فى بعض ، فلم يسمع السوء فكيف يجوز له أن يقوله ؟

والدليل على جواز ماليس بكذب ولا حرام كالنسبة إلى الزنا والفحش والسب : ماروت عائشة رضى الله عنها أن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم أرسلن إليه فاطمة ، فجاءت فقالت : يارسول الله أرسلنى إليك أزواجك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة ، والنبى صلى الله عليه وسلم نائم ، فقال « يابنية أتحبين ماأحب ؟ قالت : نعم ، قال « فأحبى هذه » فرجعت إليهن فأخبرتهن بذلك فقلن : ماأغنيت عنا شيئا : فأرسلن زينب بنت جحش ، قالت : وهى التى كانت تساميني فى الحب فجاءت فقالت : بنت أبى بكر وبنت أبى بكر ، فما زالت تذكرنى وأنا ساكتة أنتظر أن يأذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجواب فأذن لى ، فسببتها حتى جف لسانى فقال النبى صلى الله عليه وسلم « كلا إنها ابنة أبى بكر [2] » يعنى أنك لاتقاومينها فى الكلام قط وقولها : سببتها ، ليس المراد به الفحش بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق . وقال النبى صلى الله عليه وسلم « المستبان ماقالا فعلى البادئ منهما حتى يعتدى المظلوم [3] » فأثبت للمظلوم انتصار إلى أن يعتدى . فهذا القدر هو الذى أباحه هؤلاء وهو رخصة فى الإيذاء جزاء على إيذائه السابق . ولا تبعد الرخصة فى هذا القدر ولكن الأفضل تركه فإنه يجره إلى ماوراءه ولا يمكنه الاقتصار على قدر الحق فيه ، والسكوت عن أصل الجواب لعله أيسر من الشروع فى الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ، ولكن من الناس من لايقدر على ضبط نفسه فى فورة الغضب ولكن يعود سريعاً ، ومنهم من يكف نفسه فى الابتداء ولكن يحقد على الدوام . والناس فى الغضب أربعة : فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود ، وبعضهم كالغضا بطىء الوقود بطىء الخمود وبعضهم بطىء الوقود سريع الخمود وهو الأحمد مالم ينته إلى فتور الحمية والغيرة ، وبعضهم سريع الوقود بطىء الخمود وهذا هو شرهم . وفى الخبر « المؤمن سريع الغضب سريع الرضى فهذه بتلك [4] » وقال الشافعى رحمه الله : من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان . وقد قال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا إن بنى آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم بطىء الغضب سريع الفىء ، ومنهم سريع الغضب سريع الفىء ؛ فتلك بتلك ، ومنهم سريع الغضب بطىء الفىء ، ألا وإن خيرهم البطىء الغضب السريع الفىء وشرهم السريع الغضب البطىء الفىء [5] » ولما كان الغضب يهيج ويؤثر فى كل إنسان وجب على السلطان أن لايعاقب

---

(١) حديث ابن عمر فى حديث طويل « حتى ترى الناس كأنهم حمقى فى ذات الله عزوجل » تقدم فى العلم (٢) حديث عائشة إن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم أرسلن فاطمة فقالت : يارسول الله أرسلنى أزواجك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة . . . الحديث . رواه مسلم (٣) حديث « المستبان ماقالا فعلى البادى ... الحديث » رواه مسلم وقد تقدم (٤) حديث « المؤمن سريع الغضب سريع الرضى » تقدم (٥) حديث أبى سعيد الخدرى « ألا إن بنى آدم خلقوا على طبقات ... الحديث » تقدم

أحدا فى حال غضبه ، لأنه ربما يتعدى الواجب ، ولأنه ربما يكون متغيظا عليه فيكون متشفيا لغيظه ومريحا نفسه من ألم الغيظ ، فيكون صاحبه حظ نفسه ، فينبغى أن يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه . ورأى عمر رضى الله عنه سكران فأراد أن يأخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع عمر ، فقيل له : ياأمير المؤمنين لماشتمك تركته ؟ قال : لأنه أغضبنى ولو عزرته لكان ذلك لغضبى لنفسى ، ولم أحب أن أضرب مسلما حمية لنفسى . وقالى عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل أغضبه : لولا أنك أغضبتنى لعاقبتك .

القول فى معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق

اعلم أن الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفى فى الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ، ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه وأن يدوم ذلك ويبقى ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « المؤمن ليس بحقود [1] » فالحقد ثمرة الغضب .

والحقد يثمر ثمانية أمور (الأول) الحسد : وهو أن يحملك الحقد على أن تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة إن أصابها وتسر بمصيبة إن نزلت به ، وهذا من فعل المنافقين . وسيأتى ذمه إن شاء الله تعالى . (الثانى) أن تزيد على إضمار الحسد فى الباطن ، فتشمت بما أصابه من البلاء . (الثالث) أن تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وإن طلبك وأقبل عليك . (الرابع) وهو دونه أن تعرض عنه استصغاراً له . (الخامس) أن تتكلم فيه بما لايحل من كذب وغيبة وإفشاء سر وهتك ستر وغيره . (السادس) أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه . (السابع) إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه . (الثامن) أن تمنعه حقه من قضاء دين أو صلة رحم أو رد مظلمة . وكل ذلك حرام .

وأقل درجات الحقد أن تحترز من الآفات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد إلى ماتعصى الله به ، ولكن تستثقله فى الباطن ولا تنهى قلبك عن بغضه ، حتى تمتنع عما كنت تطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على المنفعة له ، أو بترك الدعاء له والثناء عليه أو التحريض على بره ومواساته . فهذا كله مما ينقص درجتك فى الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وإن كان لايعرضك لعقاب الله .

ولما حلف أبو بكر رضى الله عنه أن لاينفق على مسطح ـ وكان قريبه ـ لكونه تكلم فى واقعة الإفك نزل قوله تعالى ﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم ﴾ إلى قوله ﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ فقال أبو بكر : نعم نحب ذلك وعاد إلى الإنفاق عليه [2] .

والأولى أن يبقى على ماكان عليه ، فإن أمكنه أن يزيد فى الإحسان مجاهدة للنفس وإرغاما للشيطان فذلك مقام الصدّيقين وهو من فضائل أعمال المقرّبين . فللمحقود ثلاثة أحوال عند القدرة (أحدها) أن يستوفى حقه الذى يستحقه من غير زيادة أو نقصان وهو العدل . (الثانى) أن يحسن إليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل . (الثالث) أن يظلمه بما لايستحقه وذلك هو الجور ، وهو اختيار الأراذل ، والثانى : هو اختيار الصدّيقين ، والأول : هو منتهى درجات الصالحين ولنذكر الآن فضيلة العفو والإحسان .

فضيلة العفو

(١) حديث « المؤمن ليس بحقود » تقدم فى العلم (٢) حديث : لما حلف أبو بكر أن لاينفق على مسطح نزل قوله تعالى ﴿ ولا يأتل أولوا الفضل منكم ﴾ الآية متفق عليه من حديث عائشة .

فضيلة العفو والإحسان

اعلم أن معنى العفو أن يستحق حقا فيسقطه ويبرى عنه من قصاص أو غرامة ، وهو غير الحلم وكظم الغيظ ؛ فلذلك أفردناه . قال الله تعالى ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ وقال الله تعالى ﴿ وأن تعفوا أقرب للتقوى ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث والذى نفسى بيده لو كنت حلافا لحلفت عليهن : مانقص مال من صدقة فتصدقوا ، ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغى بها وجه الله إلا زاده الله بها عزاً يوم القيامة ، ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر [1] » وقال صلى الله عليه وسلم التواضع لايزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله ، والعفو لايزيد العبد إلا عزا فاعفوا يعزكم الله ، والصدقة لاتزيد المال إلا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله [2] » وقالت عائشة رضى الله عنها : مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط مالم ينتهك من محارم الله ، فإذا انتهك من محارم الله شىء كان أشدهم فى ذلك غضبا ، وماخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثما [3] » وقال عقبة « لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فابتدرته فأخذت بيده أو بدرنى فأخذ بيدى فقال « ياعقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة : تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « قال موسى عليه السلام يارب أى عبادك أعز عليك ؟ قال الذى إذا قدر عفا [5] » وكذلك سئل أبو الدرداء عن أعز الناس قال الذى يعفو إذا قدر فاعفوا يعزكم الله وجاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمة فأمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يجلس وأراد أن يأخذ له بمظلمته ، فقال له صلى الله عليه وسلم « إن المظلومين هم المفلحون يوم القيامة [6] » فأبى أن يأخذها حين سمع الحديث : وقالت عائشة رضى الله عنها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دعا على من ظلمه فقد انتصر » وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات : يامعشر الموحدين إن الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض [7] » وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتى الباب فقال « ماتقولون وما تظنون ؟ » فقالوا : نقول أخ وابن عم حليم رحيم ـ قالوا ذلك ثلاثا ـ فقال صلى الله عليه وسلم « أقول كما قال يوسف ﴿ لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم

---

(١) حديث « ثلاث والذى نفسى بيده ان كنت حالفا لحلفت عليهن : مانقصت صدقة من مال ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أبى كبشة الأنمارى ولمسلم وأبى داود نحوه من حديث أبى هريرة (٢) حديث « التواضع لايزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله » أخرجه الأصفهانى فى الترغيب والترهيب وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث عائشة : مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلمة ظلمها قط ... الحديث » أخرجه الترمذى فى الشمائل وهو عند مسلم بلفظ آخر وقد تقدم (٤) حديث عقبة بن عامر « ياعقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا والطبرانى فى مكارم الأخلاق والبيهقى فى الشعب باسناد ضعيف وقد تقدم (٥) حديث : قال موسى يارب أى عبادك أعز عليك ؟ قال الذى إذا قدر عفا : أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث أبى هريرة وفيه ابن لهيعة (٦) حديث « ان المظلومين هم المفلحون يوم القيامة » وفى أوله قصة رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العفو من رواية أبى صالح الحنفى مرسلا (٧) حديث أنس : اذا بعث الله عزوجل الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات : يامعشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض : أخرجه أبو سعيد أحمد بن ابراهيم المقرى فى كتاب التبصرة والتذكرة بلفظ « ينادى مناد من بطنان العرش يوم القيامة : ياأمة محمد ان الله تعالى يقول ماكان لى قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتى » واسناده ضعيف ورواه الطبرانى فى الأوسط بلفظ « نادى مناد ياأهل الجمع تتاركوا المظالم بينكم وثوابكم على » وله من حديث أم سلمة « ينادى مناد : ياأهل التوحيد ليعف بعضكم عن بعض وعلى الثواب »

الراحمين ﴾ [١] ، قال فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا فى الإسلام . وعن سهيل بن عمرو قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على باب الكعبة والناس حوله فقال « لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » ثم قال « يامعشر قريش ماتقولون وما تظنون ؟ » قال : قلت يارسول الله نقول خيرا ونظن خيرا أخ كريم وابن عم رحيم وقد قدرت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أقول كما قال أخى يوسف ﴿ لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ﴾ [٢] » وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا وقف العباد نادى مناد ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة ، قيل ومن ذا الذى له على الله أجر ؟ قال « العافون عن الناس ، فيقوم كذا وكذا ألفا فيدخلونها بغير حساب [٣] » وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لاينبغى لوالى أمر أن يؤتى بحد إلا أقامه والله عفو يحب العفو ثم قرأ ﴿ وليعفوا وليصفحوا ﴾ الآية [٤] » وقال جابر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل من أى أبواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء : من ادى دينا خفيا وقرأ فى دبر كل صلاة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ عشر مرات وعفا عن قاتله ، قال أبو بكر : أو إحداهن يارسول الله قال « أو إحداهن [٥] » .

الآثار : قال إبراهيم التيمى : إن الرجل ليظلمنى فأرحمه . وهذا إحسان وراء العفو لأنه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم وأنه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب . وقال بعضهم : إذا أراد الله أن يتحف عبدا قيض له من يظلمه . ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فجعل يشكو إليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر : إنك إن تلق الله ومظلمتك كما هى ، خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها . وقال يزيد بن ميسرة : إن ظللت تدعو على من ظلمك فإن الله تعالى يقول إنّ آخر يدعو عليك بأنك ظلمته فإن شئت استجبنا لك واجبنا عليك وإن شئت أخرتكما إلى يوم القيامة فيسعكما عفوى وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه : كل الظالم إلى ظلمه فإنه أسرع إليه من دعائك عليه إلا أن يتداركه بعمل وقمن أن لايفعل . وعن ابن عمر عن أبى بكر أنه قال : بلغنا أن الله تعالى يأمر مناديا يوم القيامة فينادى من كان له عند الله شىء فليقم فيقوم أهل العفو ، فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس . وعن هشام بن محمد قال أتى النعمان بن المنذر برجلين قد أذنب أحدهما ذنباً عظيما فعفا عنه والآخر أذنب ذنباً خفيفاً فعاقبه وقال :

تعفو الملوك عن العظيم من الذنوب بفضلها
ولقد تعاقب فى اليسير وليس ذاك لجهلها
إلا ليعرف حلمها ويخاف شدة دخلها

وعن مبارك بن فضالة قال : وفد سوار بن عبدالله فى وفد من أهل البصرة إلى أبى جعفر ، قال : فكنت عنده إذا أتى برجل فأمر بقتله فقلت يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر ، فقلت ياأمير المؤمنين ألا أحدثك حديثا سمعته

---

(١) حديث أبى هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتى الباب فقال « ماتقولون ... الحديث » رواه ابن الجوزى فى الوفاء من طريق ابن أبى الدنيا وفيه ضعف (٢) حديث سهيل بن عمرو: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يده على باب الكعبة الحديث بنحوه : لم أجده (٣) حديث أنس « اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة » قيل من ذا الذى أجره على الله ؟ قال « العافون عن الناس... الحديث » أخرجه الطبرانى فى مكارم الأخلاق وفيه الفضل بن يسار ولايتابع على حديثه (٤) حديث ابن مسعود « لاينبغى لوالى أمر أن يؤتى بحد الا أقامه والله عفو يحب العفو ... الحديث » أخرجه أحمد والحاكم وصححه وتقدم فى آداب الصحبة (٥) حديث جابر: ثلاث من جاء بهن مع ايمان دخل الجنة من أى أبواب الجنة شاء ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط فى الدعاء بسند ضعيف .

من الحسن ؟ قال : وما هو ؟ قلت سمعته يقول : إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس فى صعيد واحد حيث يسمعهم الداعى وينفذهم البصر ، فيقوم مناد فينادى من له عند الله يد فليقم ، فلا يقوم إلا من عفا ، فقال : والله لقد سمعته من الحسن ؟ فقلت والله لسمعته منه ، فقال : خلينا عنه . وقال معاوية : عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة ، فإذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والإفضال . وروى أن راهباً دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب : أرأيت ذا القرنين أكان نبياً ؟ فقال . لا ، ولكنه إنما أعطى ما أعطى بأربع خصال كن فيه : كان إذا قدر عفا ، وإذا وعد وفى ، وإذا حدث صدق ، ولا يجمع شغل اليوم لغد . وقال بعضهم : ليس الحليم من ظلم فحلم . حتى إذا قدر انتقم ، ولكن الحليم من ظلم فحلم حتى إذا قدر عفا . وقال زياد : القدرة تذهب الحفيظة يعنى الحقد والغضب وأتى هشام برجل بلغه عنه أمر فلما أقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام : وتتكلم أيضا ؟ فقال الرجل : يا أمير المؤمنين قال الله عز وجل ﴿ يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها ﴾ أفنجادل الله تعالى ولا نتكلم بين يديك كلاما ؟ قال هشام : بلى ويحك تكلم . وروى أن سارقا دخل خباء عمار بن ياسر بصفين فقيل له اقطعه فإنه من أعدائنا ، فقال بل أستر عليه لعل الله يستر على يوم القيامة . وجلس ابن مسعود فى السوق يبتاع طعاما فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت فى عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وإنها لمعى ، فجعلوا يدعون على من أخذها ويقولون : اللهم اقطع يد السارق الذى أخذها اللهم افعل به كذا ، فقال عبد الله : اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها وإن كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه . وقال الفضيل : ما رأيت أزهد من رجل من أهل خراسان جلس إلى فى المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكى فقلت أعلى الدنانير تبكى ؟ فقال : لا ، ولكن مثلتنى وإياه بين يدى الله عز وجل فأشرف عقلى على إدحاض حجته فبكائى رحمة له ؟ وقال مالك بن دينار : أتينا منزل الحكم بن أيوب ليلا وهو على البصرة أمير . وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا معه عليه فما كنا مع الحسن إلا بمنزله الفراريج ، فذكر الحسن قصه يوسف عليه السلام وما صنع به إخوته من بيعهم إياه وطرحهم له فى الجب فقال : باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم ، وذكر ما لقى من كيد النساء ومن الحبس ثم قال : أيها الأمير ماذا صنع الله به ؟ أداله منهم ورفع ذكره وأعلى كلمته وجعله على خزائن الأرض ، فماذا صنع حين اكمل له أمره وجمع له أهله ؟ ﴿ قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ﴾ يعرض للحكم بالعفو عن أصحابه . قال الحكم فأنا أقول لا تثريب عليكم اليوم ولو لم أجد إلا ثوبى هذا لواريتكم تحته . وكتب ابن المقفع إلى صديق له يسأله العفو عن بعض إخوانه : فلان هارب من زلته إلى عفوك لائذ منك بك . واعلم أنه لن يزداد الذنب عظما إلا ازداد العفو فضلا . وأتى عبد الملك بن مروان بأسارى ابن الأشعث فقال لرجاء بن حيوة . ماترى ؟ قال إن الله تعالى قد أعطاك ماتحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو فعفا عنهم . وروى أن زيادا أخذ رجلا من الخوارج فأفلت منه فأخذ أخا له فقال له . إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك ، فقال . أرأيت إن جئتك بكتاب من أمير المؤمنين تخلى سبيلى ؟ قال نعم قال فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى ثم تلا ﴿ أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وإبراهيم الذى وفى أن لا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ فقال زياد خلوا سبيله ، هذا رجل قد لقن حجته ، وقيل مكتوب فى الإنجيل . من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان .

فضيلة الرفق

اعلم أن الرفق محمود ويضاده العنف والحدة . والعنف نتيجه الغضب والفظاظة . والرفق واللين نتيجة حسن

الخلق والسلامة ، وقد يكون سبب الحدة الغضب ، وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاءه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت فالرفق فى الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق ، ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال . ولأجل هذا أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال « ياعائشة إنه من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة [١] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليعطى على الرفق مالا يعطى على الخرق وإذا أحب الله عبداً أعطاه الرفق وما من أهل بيت يحرمون الرفق إلا حرموا محبة الله تعالى [٣] » وقالت عائشة رضى الله عنها قال النبى صلى الله عليه وسلم « إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى عليه مالا يعطى على العنف [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « ياعائشة ارفقى فإن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « من يحرم الرفق يحرم الخير كله [٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « أيما وال ولى فرفق ولان رفق الله تعالى به يوم القيامة [٧] » وقال صلى الله عليه وسلم « تدرون من يحرم على النار يوم القيامة كل هين لين سهل قريب [٨] » وقال صلى الله عليه وسلم « الرفق يمن والخرق شؤم [٩] » وقال صلى الله عليه وسلم « التأنى من الله والعجلة من الشيطان [١٠] » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال يارسول الله « إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصنى منك بخير فقال « الحمد لله » مرتين أو ثلاثا ثم أقبل عليه فقال « هل أنت مستوص » مرتين أو ثلاثا قال . نعم . قال « إن أردت أمرا فتدبر عاقبته فإن كان رشداً فأمضه وإن كان سوى ذلك فانته [١١] » وعن عائشة رضى الله عنها . أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عائشة عليك بالرفق فانه لايدخل فى شىء إلا زانه ولا ينزع من شىء إلا شانه [١٢] » .

الآثار . بلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن جماعة من رعيته اشتكوا من عماله فأمرهم أن يوافوه ، فلما أتوه

فضيلة الرفق

(١) حديث « ياعائشة انه من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ... الحديث » رواه أحمد والعقيلى فى الضعفاء فى ترجمة عبد الرحمن بن أبى بكر المليكى وضعفه عن القاسم عن عائشة . وفى الصحيحين من حديثها « ياعائشة ان الله يحب الرفق فى الأمر كله » (٢) حديث « اذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق » أخرجه أحمد بسند جيد والبيهقى فى الشعب بسند ضعيف من حديث عائشة (٣) حديث « ان الله ليعطى على الرفق مالا يعطى على الخرق ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الكبير من حديث جرير باسناد ضعيف (٤) حديث « ان الله رفيق يحب الرفق ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث عائشة (٥) حديث « ياعائشة ارفقى ان الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق » أخرجه أحمد من حديث عائشة وفيه انقطاع ولأبى داود « ياعائشة ارفقى » (٦) حديث « من يحرم الرفق يحرم الخير كله » أخرجه مسلم من حديث جرير دون قوله « كله » فهى عند أبى داود (٧) حديث « أيما وال ولى فلان ورفق رفق الله به يوم القيامة » أخرجه مسلم من حديث عائشة وفى حديث فيه « ومن ولى من أمر أمتى شيئاً فرفق بهم فارفق به » (٨) حديث « تدرون على من تحرم النار على كل هين لين سهل قريب » أخرجه الترمذى من حديث ابن مسعود وتقدم فى آداب الصحبة (٩) حديث « الرفق يمن والخرق شؤم » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن مسعود والبيهقى فى الشعب من حديث عائشة وكلاهما ضعيف (١٠) حديث « التأنى من الله والعجلة من الشيطان » أخرجه أبو يعلى من حديث أنس ورواه الترمذى وحسنه من حديث سهل بن سعد بلفظ « الأناة من الله » وقد تقدم (١١) حديث : أتاه رجل فقال يارسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين فيك ... الحديث » وفيه « فإذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فأمضه . . الحديث » أخرجه ابن المبارك فى الزهد والرقائق من حديث أبى جعفر هو المسمى عبد الله بن مسور الهاشمى ضعيف جدا ولأبى نعيم فى كتاب الإيجاز من رواية إسماعيل الأنصارى عن أبيه عن جده « إذا هممت بأمر فاجلس فتدبر عاقبته » وإسناده ضعيف .

(١٢) حديث عائشة « عليك بالرفق فإنه لايدخل فى شىء إلا زانه ... الحديث » رواه مسلم

قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس أيتها الرعية إن لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير، أيتها الرعاة إن للرعية عليكم حقا فاعلموا أنه لاشيء أحب إلى الله ولا أعز من حلم إمام ورفقه ، ليس جهل أبغض إلى الله ولا أغم من جهل إمام وخرجه ، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية ممن هو دونه .

وقال وهب بن منبه : الرفق ثنى الحلم .

وفى الخبر موقوفا ومرفوعا « العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين أخوه والصبر أمير جنوده [1] . وقال بعضهم : ماأحسن الإيمان يزينه العلم وماأحسن العلم يزينه العمل وما أحسن العمل يزينه الرفق وما أضيف شيء إلى شيء مثل حلم إلى علم . وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله . ماالرفق ؟ قال : تكون ذا أناة فتلاين الولاة . قال فما الخرق ؟ قال : معاداة إمامك ومناوأة من يقدر على ضررك . وقال سفيان لأصحابه : تدرون ماالرفق ؟ قالوا : قل يا أبا محمد ، قال : أن تضع الأمور من مواضعها : الشدة فى موضعها واللين فى موضعه والسيف فى موضعه والسوط فى موضعه ؛ وهذه إشارة إلى أنه لابد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل .

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف فى موضع الندى

فالمحمود وسط بين العنف واللين كما فى سائر الأخلاق ، ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحدة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم فى جانب الرفق أكثر ، فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف ، وإن كان العنف فى محله حسنا كما أن الرفق فى محله حسن ، فإذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو ألذ من الزبد بالشهد وهكذا . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : روى أن عمرو بن العاص كتب إلى معاوية يعاتبه فى التأنى فكتب إليه معاوية . أما بعد ، فإن الفهم فى الخير زيادة رشد ، وإن الرشيد من رشد عن العجلة ، وإن الجانب من خاب عن الأناة ، وإن المتثبت مصيب أو كاد أن يكون مصيبا ، وإن العجل مخطئ أو كاد أن يكون مخطئا ، وأن من لاينفعه الرفق يضره الخرق ومن لاينفعه التجارب لايدرك المعالى . وعن أبى عون الانصارى قال : ماتكلم الناس بكلمة صعبة إلا وإلى جانبها كلمة ألين منها تجرى مجراها . وقال أبو حمزة الكوفى : لاتتخذ من الخدم إلا مالا بد منه فإن مع كل إنسان شيطانا . واعلم أنهم لايعطونك بالشدة شيئا إلا أعطوك باللين ماهو أفضل منه . وقال الحسن : المؤمن وقاف متأنّ وليس كحاطب ليل . فهذا ثناء أهل العلم على الرفق وذلك لأنه محمود ومفيد فى أكثر الأحوال وأغلب الأمور ، والحاجة إلى العنف قد تقع ولكن على الندور ، وإنما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطى كل أمر حقه فإن كان قاصر البصيرة أو اشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله إلى الرفق فإن النجح معه فى الأكثر ؛

القول فى ذم الحسد وفى حقيقته وأسبابه ومعالجته وغايه الواجب فى إزالته

بيان ذم الحسد

اعلم أن الحسد أيضاً من نتائج الحقد ، والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرعه والغضب أصل أصله ثم إن للحسد من الفروع الذميمة مالا يكاد يحصى . وقد ورد فى ذم الحسد خاصة اخبار كثيرة : قال رسول الله صلى الله

(١) حديث « العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قائده والرفق والده » أخرجه أبو الشيخ فى كتاب الثواب وفضائل الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف ورواه القضاعى فى مسند الشهاب من حديث أبى الدرداء وأبى هريرة وكلاهما ضعيف .

عليه وسلم « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب [١] » وقال صلى الله عليه وسلم فى النهى عن الحسد وأسبابه وثمراته « لاتحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا [٢] » وقال أنس : كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة » قال : فطلع رجل من الأنصار ينفض لحيته من وضوئه قد علق نعليه فى يده الشمال فسلم ، فلما كان الغد قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل ، وقاله فى اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل ، فلما قام النبى صلى الله عليه وسلم تبعه عبدالله بن عمرو بن العاص فقال له . إنى لاحيت أبى فأقسمت أن لاأدخل عليه ثلاثا فإن رأيت أن تؤوينى إليك حتى تمضى الثلاث فعلت ، فقال « نعم » فبات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ، ولم يقم لصلاة الفجر ، قال : غير أنى ماسمعته يقول إلا خيرا فلما مضت الثلاث وكدت أن أحتقر عمله قلت : ياعبد الله لم يكن بينى وبين والدى غضب ولا هجرة ، ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فأردت أن أعرف عملك فلم أرك تعمل عملا كثيرا فما الذى بلغ بك ذلك ؟ فقال : ماهو إلا مارأيت ، فلما وليت دعانى فقال : ماهو إلا مارأيت غير أنى لاأجد على أحد من المسلمين فى نفسى غشاً ولا حسدا على خير أعطاه الله إياه ، قال عبد الله : فقلت له هى التى بلغت بك وهى التى لانطيق [٣] . وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث لاينجو منهن أحد : الظن والطيرة والحسد ، وسأحدثكم بالمخرج من ذلك : إذا ظننت فلاتحقق ؛ وإذا تطيرت فامض ، وإذا حسدت فلا تبغ [٤] » وفى رواية « ثلاثة لاينجو منهن أحد وقل من ينجو منهن » فأثبت فى هذه الرواية إمكان النجاة . وقال صلى الله عليه وسلم « دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء ، والبغضة هى الحالقة لاأقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين ، والذى نفس محمد بيده لاتدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم أفشوا السلام بينكم [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلب القدر [٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنه سيصيب أمتى داء الأمم » قالوا . وما داء الأمم ؟ قال « الأشر والبطر والتكاثر والتنافس فى الدنيا والتباغض والتحاسد حتى يكون البغى ثم الهرج [٧] » وقال صلى الله عليه وسلم « لاتظهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله ويبتليك [٨] » وروى أن موسى عليك السلام لما تعجل إلى ربه تعالى

القول فى ذم الحسد

(١) حديث « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » أخرجه أبو داود من حديث أبى هريرة وابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث « لاتقاطعوا ولاتدابروا ولاتباغضوا ... الحديث » متفق عليه وقد تقدم . (٣) حديث أنس : كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة .. الحديث بطوله » وفيه : أن ذلك الرجل قال لاأجد على أحد من المسلمين فى نفسى غشا ولاحسدا على خير أعطاه الله رواه أحمد باسناد صحيح على شرط الشيخين ورواه البزار وسمى الرجل فى رواية له سعدا وفيها ابن لهيعة (٤) حديث « ثلاث لاينجو منهن أحد : الظن والطعن والحسد الحديث » وفى رواية « وقل من ينجو منهن أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب ذم الحسد من حديث أبى هريرة وفيه يعقوب بن محمد الزهرى وموسى بن يعقوب الزمعى ضعفهما الجمهور والرواية الثانية رواها ابن أبى الدنيا أيضاً من رواية عبدالرحمن بن معاوية وهو مرسل ضعيف وللطبرانى من حديث حارثة بن النعمان نحوه وتقدم فى آفات اللسان (٥) حديث « دب إليكم داء الأمم : الحسد والبغضاء ... الحديث أخرجه الترمذى من حديث مولى الزبير عن الزبير (٦) حديث « كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلب القدر » أخرجه أبو مسلم الكشى والبيهقى فى الشعب من رواية يزيد الرقاشى عن أنس ويزيد ضعيف ورواه الطبرانى فى الأوسط من وجه آخر بلفظ « كادت الحاجة أن تكون كفرا » وفيه ضعف أيضاً (٧) حديث « إنه سيصيب أمتى داء الأمم قبلكم » قالوا وماداء الأمم ؟ قال « الأشر والبطر .. الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الحسد والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة باسناد جيد (٨) حديث « لاتظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك » أخرجه الترمذى من حديث واثلة بن الأسقع وقال حسن غريب وفى رواية ابن أبى الدنيا فيرحمه الله .

رأى فى ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه فقال : إن هـذا لكريم على ربه ، فسأل ربه تعالى أن يخبره باسمه فلم يخبره وقال أحدثك من عمله بثلاث : كان لايحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ، وكان لايعق والديه، ولا يمشى بالنميمة. وقال زكريا عليه السلام : قال الله تعالى : الحاسد عدو لنعمتى متسخط لقضائى غير راض بقسمتى التى قسمت بين عبادى . وقال صلى الله عليه وسلم « أخوف ماأخاف على أمتى أن يكثر فيهم المال فيتحاسدون ويقتتلون [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن لنعم الله أعداء » فقيل ومن هم ؟ فقال « الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة » قيل يارسول الله من هم ؟ قال « الأمراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة ، وأهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد [4] ».

الآثار ، قال بعض السلف : أول خطيئة هى الحسد حسد إبليس آدم عليه السلام على رتبته فأبى أن يسجد له فحمله على الحسد والمعصية . وحكى أن عون بن عبدالله دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال : إنى أريد أن أعظك بشىء فقال : وما هو ؟ قال : إياك والكبر فإنه أول ذنب عصى الله به ، ثم قرأ ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ﴾ الآية ، وإياك والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والأرض يأكل منها إلا شجرة واحدة نهاه الله عنها فأكل منها فأخرجه الله تعالى منها ، ثم قرأ ﴿ اهبطوا منها ﴾ إلى آخر الآية وإياك والحسد فإنما قتل ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ ﴿ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق ﴾ ، الآيات وإذا ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك ، وإذا ذكر القدر فاسكت ، وإذا ذكرت النجوم فاسكت . وقال بكر بن عبد الله : كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول: أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسىء سيكفيكه إساءته ، فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به إلى الملك فقال: إن هذا الذى يقوم بحذائك ويقول مايقول زعم أن الملك أبخر ، فقال له الملك : وكيف يصح ذلك عندى؟ قال: تدعوه إليك فإنه إذا دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر ، فقال له : انصرف حتى أنظر ، فخرج من عند الملك فدعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك على عادته فقال : أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسىء سيكفيكه إساءته ، فقال له الملك : أدن منى فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه رائحة الثوم ، فقال الملك فى نفسه : ما أرى فلانا إلا قد صدق ؟ قال : وكان الملك لايكتب بخطه إلا بجائزة أو صلة فكتب له كتابا بخطه إلى عامل من عماله : إذا أتاك حامل كتابى هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به إلى فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذى سعى به فقال : ماهذا الكتاب قال خط الملك لى بصلة ، فقال : هبه لى !

---

(١) حديث « أخوف ما أخاف على أمتى أن يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب ذم الحسد من حديث أبى عامر الأشعرى وفيه ثابت بن أبى ثابت جهله أبو حاتم وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد « إن مما أخاف عليكم من بعدى مايفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها » ولهما من حديث عمرو بن عوف البدرى « والله ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى أن تبسط عليكم الدنيا . الحديث » ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو « إذا فتحت عليكم فارس والروم . الحديث » وفيه يتنافسون ثم يتحاسدون ثم يتدابرون الحديث . ولأحمد والبزار من حديث عمر « لاتفتح الدنيا على أحد إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة »

(٢) حديث « استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود » أخرجه ابن أبى الدنيا والطبرانى من حديث معاذ بسند ضعيف (٣) حديث « إن لنعم الله أعداء » قيل ومن أولئك ؟ قال « الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس « إن لأهل النعم حساد فاحذروهم » (٤) حديث « ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة » قيل يارسول الله ومن هم؟ قال « الأمراء بالجور ... الحديث » وفيه « والعلماء بالحسد » أخرجه أبو منصور الديلمى من حديث ابن عمر وأنس بسندين ضعيفين .

فقال : هو لك ، فأخذه ومضى به إلى العامل : فقال العامل :فى كتابك أن أذبحك وأسلخك ،قال:إن الكتاب ليس هو لى فالله الله فى أمرى حتى تراجع الملك ؛ فقال : ليس لكتاب الملك مراجعة ، فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته وقال مثل قوله ؛ فعجب الملك وقال : مافعل الكتاب ؟ فقال : لقينى فلان فاستوهبه منى فوهبته له ، قال له الملك : إنه ذكر لى أنك تزعم أنى أبخر ، قال : ماقلت ذلك ؟قال : فلم وضعت يدك على فيك ؟ قال : لأنه أطعمنى طعاما فيه ثوم فكرهت أن تشمه ، قال : صدقت ارجع إلى مكانك فقد كفى المسىء إساءته . وقال ابن سيرين رحمه الله : ما حسدت أحدا على شىء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهى حقيرة فى الجنة ؟ وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار؟ وقال رجل للحسن : هل يحسد المؤمن ؟ قال : ما أنساك بنى يعقوب ؟ نعم ، ولكن غمه فى صدرك فإنه لا يضرك مالم تعد به يدا ولا لسانا . وقال أبو الدرداء : ما أكثر عبد ذكر الموت إلا قل فرحه وقل حسده !وقال معاوية: كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمة فإنه لايرضيه إلا زوالها ولذلك قيل :

كل العداوات قد ترجى إماتتها إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال بعض الحكماء : الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسود مايلقى . وقال أعرابى : مارأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد ، إنه يرى النعمة عليك نقمة عليه . وقال الحسن : يا ابن آدم لم تحسد أخاك ؟ فإن كان الذى أعطاه لكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله ؟ وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار ؟ وقال بعضهم : الحاسد لاينال من المجالس إلا مذمه وذلا ، ولاينال من الملائكة إلا لعنة وبغضا ، ولا ينال من الخلق إلاجزعا وغما ، ولا ينال عند النزع إلا شدّة وهولا ، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالا .

بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه

اعلم أنه لاحسد إلا على نعمة ، فإذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان :

إحداهما : أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها ، وهذه الحالة تسمى حسدا . فالحسد حدّه كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه .

الحاله الثانية : أن لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشتهى لنفسك مثلها . وهذه تسمى غبطة ، وقد تختص باسم المنافسة .

وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة ويوضع أحد اللفظين موضع الآخر ، ولاحجر فى الأسامى بعد فهم المعانى . وقد قال صلى الله عليه وسلم « إنّ المؤمن يغبط والمنافق يحسد [1] » .

فأما الأوّل فهو حرام بكل حال ، إلانعمة أصابها فاجر أو كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وإفساد ذات البين وإيذاء الخلق ، فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها ، فإنك لاتحب زوالها من حيث هى نعمة بل من حيث هى آلة الفساد ، ولو أمنت فساده لم يغمك بنعمته ، ويدل على تحريم الحسد الأخبار التى نقلناها وأن هذه الكراهة تسخط لقضاء الله فى تفضيل بعض عباده على بعض ، وذلك لاعذر فيه ولارخصة ، وأى معصية تزيد على كراهتك

بيان حقيقه الحسد وحكمه

(١) حديث « المؤمن يغبط والمنافق يحسد » لم أجد له أصلا مرفوعا ، وإنما هو من قول الفضيل بن عياض ، كذلك رواه ابن أبي الدنيا فى ذم الحسد .

لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة ؟ وإلى هذا أشار القرآن بقوله ﴿ إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها ﴾ وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان . وقال تعالى ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم ﴾ فأخبر تعالى أن حبهم زوال نعمة الإيمان حسد . وقال عز وجل ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾ وذكر الله تعالى حسد إخوة يوسف عليه السلام وعبر عما فى قلوبهم بقوله تعالى ﴿ إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إنّ أبانا لفى ضلال مبين . اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم ﴾ فلما كرهوا حب أبيهم له وساءهم ذلك وأحبوا زواله عنه غيبوه عنه وقال تعالى ﴿ ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ﴾ أى لا تضيق صدورهم به ولا يغتمون فأثنى عليهم بعدم الحسد . وقال تعالى فى معرض الإنكار ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾ وقال تعالى ﴿ كان الناس أمة واحدة ﴾ إلى قوله ﴿ إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم ﴾ قيل فى التفسير : حسدا . وقال تعالى ﴿ وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ﴾ فأنزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته ، وأمرهم أن يتألفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا إذ أراد كل واحد منهم أن ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض . قال ابن عباس : كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا قوما قالوا نسألك بالنبي الذى وعدتنا أن ترسله وبالكتاب الذى تنزله إلا ما نصرتنا [1] . فكانوا ينصرون . فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد إسمعيل عليه السلام عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم إياه فقال تعالى ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ﴾ إلى قوله ﴿ أن يكفروا بما أنزل الله بغيا ﴾ أى حسدا . وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم : جاء أبى وعمى من عندك يوما ، فقال أبى لعمى : ما تقول فيه ؟ قال : أقول إنه النبي الذى بشر به موسى . قال : فما ترى ؟ قال : أرى معاداته أيام الحياة [2] فهذا حكم الحسد فى التحريم .

وأما المنافسة : فليست بحرام بل هى إما واجبة وإما مندوبة وإما مباحة ، وقد يستعمل لفظ الحسد بدل المنافسة والمنافسة بدل الحسد ، قال قثم بن العباس : لما أراد هو والفضل أن يأتيا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة ـ قالا لعلى حين قال لهما : لا تذهبا إليه فإنه لا يؤمركما عليها ـ فقالا له : ما هذا منك إلا نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك [3] أى هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه إياك فاطمة .

والمنافسة فى اللغة مشتقة من النفاسة . والذى يدل على إباحة المنافسة قوله تعالى ﴿ وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ وقال تعالى ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم ﴾ وإنما المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان إلى خدمة مولاهما ؛ إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها ،

---

(١) حديث ابن عباس : قوله كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا قوما قالوا : نسألك بالنبي الذى وعدتنا أن ترسله .. الحديث : فى نزول قوله تعالى ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ﴾ أخرجه ابن اسحاق فى السيرة فيما بلغه عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكره نحوه وهو منقطع (٢) حديث : قالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم جاء أبى وعمى من عندك يوما فقال أبى لعمى : ما تقول فيه ؟ قال أقول إنه النبى الذى بشر به موسى .. الحديث . أخرجه ابن اسحاق فى السيرة قال حدثنى أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال حديث عن صفية فذكره نحوه وهو منقطع أيضاً .

(٣) حديث قال قثم بن العباس : لما أراد هو والفضل أن يأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسألانه أن يؤمرهما على الصدقة قالا لعلى ... الحديث » هكذا وقع للمصنف أنه قثم والفضل وإنما هو الفضل والمطلب ابن ربيعة كما رواه مسلم من حديث المطلب بن ربيعة ابن الحارث قال : اجتمع ربيعة بن الحارث والعباس بن عبد المطلب فقالا والله لو بعثنا هذين الغلامين قال لى وللفضل بن عباس ائتيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلماه ؟ فذكر الحديث .

فكيف وقد صرح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال « لاحسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله تعالى علما فهو يعمل به ويعلمه الناس [1] » ثم فسر ذلك فى حديث أبى كبشة الأنمارى فقال « مثل هذه الأمة مثل أربعة : رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه فى ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو أن لى مالا مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما فى الأجر سواء - وهذا منه حب لأن يكون له مثل ماله فيعمل مايعمل من غير حب زوال النعمة عنه قال - ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو ينفقه فى معاصى الله ، ورجل لم يؤته علما ولم يؤته مالا فيقول لو أن لى مثل مال فلان لكنت أنفقه فى مثل ماأنفقه فيه من المعاصى فهما فى الوزر سواء [2] » فذمه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من جهة تمنية للمعصية لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله . فإذاً لا حرج على من يغبط غيره فى نعمة ويشتهى لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له . نعم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه المنافسة واجبة ، وهو أن يحب أن يكون مثله لأنه إذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضياً بالمعصية وذلك حرام ، وإن كانت النعمة من الفضائل كإنفاق الأموال فى المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب إليها ، وإن كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة ، وكل ذلك يرجع إلى إرادة مساواته واللحوق به فى النعمة وليس فيها كراهة النعمة ، وكان تحت هذه النعمة أمران ، أحدهما : راحة المنعم عليه ، والآخر . ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له .

ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها فى المباحات ، نعم ذلك ينقص من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان . وههنا دقيقة غامضة : وهو أنه إذا أيس من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان ، وإنما يزول نقصانه إما بأن ينال مثل ذلك أو بأن تزول نعمة المحسود ، فإذا انسد أحد الطريقين فيكاد القلب لاينفك عن شهوة الطريق الآخر ، حتى إذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشفى عنده من دوامها إذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره ، وهذا يكاد لاينفك القلب عنه فإن كان بحيث لو ألقى الأمر إليه ورد إلى اختياره لسعى فى إزالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما ، وإن كان تدعه التقوى عن إزالة ذلك ، فيعفى عما يجده فى طبعه من الارتياح إلى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه بعقله ودينه ، ولعله المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم « ثلاث لاينفك المؤمن عنهن : الحسد والظن والطيرة [3] » ثم قال وله منهن مخرج : «إذا حسدت فلا تبغ» أى إن وجدت فى قلبك شيئا فلا تعمل به . وبعيد أن يكون الانسان مريدا للحاق بأخيه فى النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل إلى زوال النعمة ؛ إذ يجد لامحالة ترجيحا له على دوامها . فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام فينبغى أن يحتاط فيه فإنه موضع الخطر ، وما من إنسان إلا وهو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه وأقرانه يحب مساواتهم ، ويكاد ينجر ذلك إلى الحسد المحظور إن لم يكن قوى الايمان رزين التقوى . ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره ذلك إلى الحسد المذموم وإلى ميل الطبع إلى زوال النعمة عن أخيه ، حتى ينزل هو إلى مساواته إذ لم يقدر هو أن يرتقى إلى مساواته بإدراك النعمة ، وذلك لا رخصة فيه أصلا بل هو حرام سواء كان فى مقاصد الدين أو مقاصد

---

(١) حديث « لاحسد إلا فى اثنتين ... الحديث » متفق عليه من حديث ابن عمرو وقد تقدم فى العلم (٢) حديث أبى كبشة : مثل هذه الأمة مثل اربعة : رجل آتاه الله مالا ... الحديث » رواه ابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح .

(٣) حديث « ثلاث لاينفك المؤمن عنهن : الحسد والظن والطيرة ... الحديث » تقدم غير مرة .

الدنيا ، ولكن يعفى عنه فى ذلك مالم يعمل به إن شاء الله تعالى ، وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له . فهذه هى حقيقة الحسد وأحكامه .

وأما مراتبه فأربع (الأولى) أن يحب زوال النعمة عنه وإن كان ذلك لاينتقل إليه وهذا غاية الخبث . (الثانية) أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته فى تلك النعمة ، مثل رغبته فى دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو سعة نالها غيره وهو يحب أن تكون له ، ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ، ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها (الثالثة) أن لايشتهى عينها لنفسه بل يشتهى مثلها ، فان عجز عن مثلها أحب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما . (الرابعة) أن يشتهى لنفسه مثلها فإن لم تحصل فلا يحب زوالها عنه .

وهذا الأخير هو المعفو عنه إن كان فى الدنيا ، والمندوب إليه إن كان فى الدين ، والثالثة فيها مذموم وغير مذموم ، والثانية أخف من الثالثة ، والأولى مذموم محض . وتسمية الرتبة حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم لقوله تعالى ﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ﴾ فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم ، وأما تمنيه عين ذلك فهو مذموم .

بيان أسباب الحسد والمنافسة

أما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة ، فإن كان ذلك أمرا دينياً فسببه حب الله تعالى وحب طاعته ، وإن كان دنيوياً فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها . وإنما نظرنا الآن فى الحسد المذموم ومداخله كثيرة جداً ، ولكن يحصر جملتها سبعة أبواب : العداوة ، والكبر ، والتعجب ، والخوف من فوت المقاصد المحبوبة ، وحب الرياسة ، وخبث النفس وبخلها . فإنه مما يكره النعمة على غيره إما لأنه عدوه فلا يريد له الخير ، وهذا لا يختص بالأمثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى أنه يحب زوال نعمته لكونه مبغضاً له بسبب إساءته إليه ، أو إلى من يحبه . وإما أن يكون من حيث يعلم أنه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه ، وهو المراد بالتعزز . وإما أن يكون فى طبعه أن يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه لنعمته وهو المراد بالتكبر . وإما أن تكون النعمة عظيمة والمنصب عظيم فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب . وإما أن يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بأن يتوصل بها إلى مزاحمته فى أغراضه . وإما أن يكون يحب الرياسة التى تنبنى على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها . وإما أن لايكون بسبب من هذه الأسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى . ولابد من شرح هذه الأسباب .

السبب الأول : العداوة والبغضاء ، وهذا أشد أسباب الحسد ، فإن من آذاه شخص بسبب من الأسباب وخالفه فى غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ فى نفسه الحقد . والحقد يقتضى التشفى والانتقام ، فإن عجز المبغض عن أن يتشفى بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان ، وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فهما أصابت عدوه بلية فرح بها وظنها مكافأة له من جهة الله على بغضه وأنها لأجله ، ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك لأنه ضد مراده ، وربما يخطر له أنه لامنزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذى آذاه بل أنعم عليه . وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما ، وإنما غاية التقى أن لايبغى وأن يكره ذلك من نفسه ، فأما أن يبغض إنسانا ثم يستوى عنده مسرته ومساءته ، فهذا غير ممكن ، وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به أعنى الحسد بالعداوة إذ قال الله تعالى ﴿ وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلو عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن

الله عليم بذات الصدور . إن تمسسكم حسنة تسؤهم ﴾ الآية . وكذلك قال ﴿ ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفى صدورهم أكبر ﴾ والحسد بسبب البغض ربما يفضى إلى التنازع والتقاتل واستغراق العمر فى إزالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر ومايجرى مجراه .

السبب الثانى : التعزز ؛ وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره . فإذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علما أو مالا خاف أن يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه ، وليس من غرضه أن يتكبر بل غرضه أن يدفع كبره ، فإنه قد رضى بمساواته مثلا ، ولكن لايرضى بالترفع عليه .

السبب الثالث : الكبر ؛ وهو أن يكون فى طبعه أن يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة فى أغراضه ، فإذا نال نعمة خاف أن لايحتمل تكبره ويترفع عن متابعته ، أوربما يتشوف إلى مساواته أوإلى أن يرتفع عليه فيعود متكبرا بعد أن كان متكبراً عليه . ومن التكبر والتعزز كان حسد أكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قالوا : كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطأطئ رءوسنا ؟ فقالوا ﴿ لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ (١) أى كان لايثقل علينا أن نتواضع له ونتبعه إذا كان عظيما وقال تعالى يصف قول قريش ﴿ أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا ﴾ كالاستحقار لهم والأنفة منهم .

السبب الرابع : التعجب ، كما أخبر الله تعالى عن الأمم السالفة إذ قالوا ﴿ ماأنتم إلابشر مثلنا ﴾ ﴿ وقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا ﴾ ﴿ ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون ﴾ فتعجبوا من أن يفوز برتبة الرسالة والوحى والقرب من الله تعالى بشر مثلهم فحسدوهم ، وأحبوا زوال النبوة عنهم جزعا أن يفضل عليهم من هو مثلهم فى الخلقة ، لاعن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة أوسبب آخر من سائر الأسباب ، وقالوا متعجبين ﴿ أبعث الله بشرا رسولا ﴾ وقالوا ﴿ لولا أنزل علينا الملائكة ﴾ وقال تعالى ﴿ أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم ﴾ الآية .

السبب الخامس : الخوف من فوت المقاصد ، وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد ، فإن كان واحد يحسد صاحبه فى كل نعمة تكون عونا له فى الانفراد بمقصوده ، ومن هذا الجنس تحاسد الضرات فى التزاحم على مقاصد الزوجية ، وتحاسد الإخوة فى التزاحم على نيل المنزلة فى قلب الأبوين للتوصل به إلى مقاصد الكرامة والمال ، وكذلك تحاسد التلميذين لأستاذ واحد على نيل المرتبة من قلب الأستاذ ، وتحاسد ندماء الملك وخواصه فى نيل المنزلة من قلبه للتوصل به إلى المال والجاه ، وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على أهل بلدة واحدة إذا كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم ، وكذلك تحاسد العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين ، إذ يطلب كل واحد منزلة فى قلوبهم للتوصل بهم إلى أغراض له

السبب السادس : حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل إلى مقصود . وذلك كالرجل الذى يريد أن يكون عديم النظير فى فن من الفنون إذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد الدهر

بيان أسباب الحسد والمنافسة

(١) حديث : سبب نزول قوله تعالى ﴿ لولانزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ ذكره ابن اسحاق فى السيرة ، وإن قائل ذلك الوليد بن المغيرة قال : أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفى سيد ثقيف فنحن عظماء القريتين ، فأنزل الله فيما بلغنى هذه الآية . ورواه أبو محمد بن أبى حاتم وابن مردويه فى تفسيريهما من حديث ابن عباس إلا أنهما قالا مسعود بن عمرو ، وفى رواية لابن مردويه حبيب بن عمير الثقفى وهو ضعيف .

وفريد العصر فى فنه وأنه لانظير له ، فإنه لوسمع بنظيرله فى أقصى العالم لساءه ذلك وأحب موته أوزوال النعمة عنه التى بها يشاركه المنزلة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده ، وليس السبب فى هذا عداوة ولا تعزز ولا تكبر على المحسود ولا خوف من فوات مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد . وهذا وراء مابين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة فى قلوب الناس للتوصل إلى مقاصد سوى الرياسة . وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولايؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم .

السبب السابع : خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى ، فإنك تجد من لايشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما أنعم الله به عليه يشق ذلك عليه ، وإذا وصف له اضطراب أمور الناس وإدبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به ، فهو أبداً يحب الإدبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزانته . ويقال البخيل من يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذى يبخل بمال غيره ، فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه وبينهم عداوة ولا رابطة ، هذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث فى النفس ورذالة فى الطبع عليه وقعت الجبلة ، ومعالجته شديدة لأن الحسد الثابت بسائر الأسباب أسبابه عارضة يتصور زوالها فيطمع فى إزالتها ، وهذا خبث فى الجبلة لاعن سبب عارض فتعسر إزالته إذ يستحيل فى العادة إزالته . فهذه هى أسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أوجميعها فى شخص واحد فيعظم فيه الحسد بذلك ، ويقوى قوة لايقدر معها على الإخفاء والمجاملة ، بل ينهتك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة . وأكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الأسباب ، وقلما يتجرد سبب واحد منها .

بيان السبب فى كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبنى العم والأقارب وتأكده وقلته فى غيرهم وضعفه

إعلم أن الحسد إنما يكثر بين قوم تكثر بينهم الأسباب التى ذكرناها ، وإنما يقوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الأسباب فيهم وتتظاهر ، إذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لأنه قد يمتنع عن قبول التكبر ولأنه يتكبر ولأنه عدو ولغير ذلك من الأسباب . وهذه الأسباب إنما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها فى مجالس المخاطبات ويتواردون على الأغراض ، فإذا خالف واحد منهم صاحبه فى غرض من الأغراض نفر طبعه عنه وأبغضه وثبت الحقد فى قلبه ، فعند ذلك يريد أن يستحقره ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ، ويكره تمكنه من النعمة التى توصله إلى أغراضه وتترادف جملة من هذه الأسباب ، إذ لارابطة بين شخصين فى بلدتين متنائيتين فلا يكون بينهما محاسدة ، وكذلك فى محلتين ، نعم إذا تجاورا فى مسكن أو سوق أومدرسة أو مسجد تواردا على مقاصد تتناقض فيها أغراضهما ، فيثور من التناقض التنافر والتباغض ، ومنه تثور بقية أسباب الحسد ، ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد ، والعابد يحسد العابد دون العالم ، والتاجر يحسد التاجر ، بل الإسكاف يحسد الإسكاف ولايحسد البزاز إلا بسبب آخر سوى الاجتماع فى الحرفة ، ويحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الأجانب والمرأة تحسد ضرتها وسرية زوجها أكثر مما تحسد أم الزوج وابنته . لأن مقصد البزاز غير مقصد الإسكاف فلايتزاحمون على المقاصد ، إذ مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها إلا بكثرة الزبون ، وإنما ينازعه فيه بزاز آخر ؛ إذ حريف البزاز لايطلبه

الإسكاف بل البزاز . ثم مزاحمة البزاز المجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه إلى طرف السوق ، فلا جرم يكون حسده للجار أكثر . وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لأن مقصده أن يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة ، ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع . ثم حسد الواعظ للواعظ أكثر من حسده للفقيه والطبيب ، لأن التزاحم بينهما على مقصود واحد أخص . فأصل هذه المحاسدات العداوة ، وأصل العداوة التزاحم بينهما على غرض واحد ، والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين ، فلذلك يكثر الحسد بينهما . نعم من اشتد حرصه على الجاه وأحب الصيت فى جميع أطراف العالم بما هو فيه فإنه يحسد كل من هو فى العالم وإن بعد ممن يساهمه فى الخصلة التى يتفاخر بها ، ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا ، فإنّ الدنيا هى التى تضيق على المتزاحمين : أما الآخرة فلا ضيق فيها ، وإنما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملكوت سمواته وأرضه لم يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضاً ، لأن المعرفة لا تضيق على العارفين . بل المعلوم الواحد يعلمه ألف ألف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ، ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره ، بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الأنس وثمرة الاستفادة والإفادة . فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لأن مقصدهم معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا ضيق فيه ، وغرضهم المنزلة عند الله ولا ضيق أيضا ، فيما عند الله تعالى لأن أجل ما عند الله سبحانه من النعيم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ومزاحمة ، ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الأنس بكثرتهم . نعم إذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لأن المال أعيان وأجسام إذا وقعت فى يد واحد خلت عنها يد الآخر ، ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو نقص عنه لا محالة : فيكون ذلك سببا للمحاسدة ، وإذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك أن يمتلئ قلب غيره بها وأن يفرح بذلك . والفرق بين العلم والمال أن المال لا يحل فى يد ما لم يرتحل عن اليد الأخرى والعلم فى قلب العالم مستقر ويحل فى قلب غيره بتعليمه من غير أن يرتحل من قلبه ، والمال أجسام وأعيان ولها نهاية فلو ملك الإنسان جميع ما فى الأرض لم يبق بعده مال يتملكه غيره ، والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه ، فمن عود نفسه الفكر فى جلال الله وعظمته وملكوت أرضه وسمائه صار ذلك ألذ عنده من كل نعيم ، ولم يكن ممنوعا منه ولا مزاحما فيه ، فلا يكون فى قلبه حسد لأحد من الخلق لأن غيره أيضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته ، فتكون لذة هؤلاء فى مطالعة عجائب الملكوت على الدوام أعظم من لذة من ينظر إلى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة ، فإن نعيم العارف وجنته معرفته التى هى صفة ذاته ، يأمن زوالها وهو أبدا يجنى ثمارها ؛ فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه وهى فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية ، فهو وإن غمض العين الظاهرة فروحه أبدا ترتع فى جنة عالية ورياض زاهرة ، فإن فرض كثرة فى العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين ﴿ ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين ﴾ فهذا حالهم وهم بعد فى الدنيا ، فماذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب فى العقبى ؟ فإذن لا يتصور أن يكون فى الجنة محاسدة ولا أن يكون بين أهل الدنيا فى الجنة محاسدة ، لأن الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة ، ولا تنال إلا بمعرفة الله تعالى التى لا مزاحمة فيها فى الدنيا أيضاً ، فأهل الجنة بالضرورة برءاء من الحسد فى الدنيا والآخرة جميعا ، بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين إلى مضيق سجين ، ولذلك وسم به الشيطان اللعين ، وذكر من صفاته أنه حسد آدم عليه السلام على ما خص به من الاجتباء ، ولما دعى إلى السجود استكبر وأبى وتمرد وعصى . فقد عرفت أنه لا حسد إلا للتوارد على مقصود

يضيق عن الوفاء بالكل . ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر إلى زينة السماء ويتحاسدون على رؤية البساتين التى هى جزء يسير من جملة الأرض ، وكل الأرض لا وزن لها بالإضافة إلى السماء ، ولكن السماء لسعة الأقطار وافية بجميع الأبصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد أصلا . فعليك إن كنت بصيراً وعلى نفسك مشفقا أن تطلب نعمة لا زحمة فيها ولذة لا كدر لها ؟ ولا يوجد ذلك فى الدنيا إلا فى معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته وأفعاله وعجائب ملكوت السمرات والأرض . ولا ينال ذلك فى الآخرة إلا بهذه المعرفة أيضاً . فإن كنت لا تشتاق إلى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وفتر عنها رأيك وضعفت فيها رغبتك فأنت فى ذلك معذور ؛ إذ العنين لا يشتاق إلى لذة الوقاع ، والصبى لا يشتاق إلى لذة الملك ، فإن هذه لذات يختص بادراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين . فكذلك لذة المعرفة يختص بادراكها الرجال ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ ولا يشتاق إلى هذه اللذة غيرهم ، لأن الشوق بعد الذوق ، ومن لم يذق لم يعرف ، ومن لم يعرف لم يشتق ، ومن لم يشتق لم يطلب ، ومن لم يطلب لم يدرك ، ومن لم يدرك بقى مع المحرومين فى أسفل السافلين ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ﴾ .

بيان الدواء الذى ينفى مرض الحسد عن القلب

اعلم أنّ الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ، ولا تداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل . والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقيقا أن الحسد ضرر عليك فى الدنيا والدين ، وأنه لا ضرر فيه على المحسود فى الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما . ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدوّ نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة. أما كونه ضررا عليك فى الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى ، وكرهت نعمته التى قسمها بين عباده ، وعدله الذى أقامه فى ملكه بخفى حكمته ، فاستنكرت ذلك واستبشعته . وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى فى عين الإيمان ، وناهيك بهما جناية على الدين . وقد انضاف إلى ذلك أنك غششت رجلا من المؤمنين وتركت نصيحته ، وفارقت أولياء الله وأنبياءه فى حبهم الخير لعباده تعالى ، وشاركت إبليس وسائر الكفار فى محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم . وهذه خبائث فى القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب ، وتمحوها كما يمحو الليل النهار . وأما كونه ضررا عليك فى الدنيا فهو أنك تتألم بحسدك فى الدنيا أو تتعذب به ، ولا تزال فى كمد وغم إذ أعداؤك لا يخليهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم ، فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم ، فتبقى مغموما محروما متشعب القلب ضيق الصدر قد نزل بك ما يشتهيه الأعداء لك وتشتهيه لأعدائك ، فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت فى الحال محنتك وغمك نقدا ، ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك . ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة إن كنت عاقلا أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءته مع عدم النفع ، فكيف وأنت عالم بما فى الحسد من العذاب الشديد فى الآخرة ؟ فما أعجب من العاقل كيف يتعرض لسخط الله تعالى من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله وألم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة ؟ وأما أنه لا ضرر على المحسود فى دينه ودنياه فواضح لأن النعمة لا تزول عنه بحسدك ، بل ما قدره الله تعالى من إقبال ونعمة فلا بدّ أن يدوم إلى أجل غير معلوم قدّره الله سبحانه فلا حيلة فى دفعه ، بل كل شىء عنده بمقدار ، ولكل أجل كتاب . ولذلك شكا نبى من الأنبياء من امرأة ظالمة مستولية على الخلق فأوحى الله إليه : فرّ من قدامها حتى تنقضى أيامها أى ما قدرناه فى الأزل لا سبيل إلى تغييره فاصبر حتى تنقضى المدّة التى سبق القضاء بدوام إقبالها فيها . ومهما

لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر فى الدنيا ولا يكون عليه إثم فى الآخرة ، ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدى . وهذا غاية الجهل فإنه بلاء تشتهيه أولا لنفسك ، فإنك أيضا لا تخلو عن عدو يحسدك ، فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق لله تعالى عليك نعمة ولا على أحد من الخلق ولا نعمة الإيمان أيضا، لأن الكفار يحسدون المؤمنين على الإيمان . قال الله تعالى ﴿ ودكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم ﴾ إذ ما يريد الحسود لا يكون . نعم هو يضل بإرادته الضلال لغيره فإن أراد الكفر كفر . فمن اشتهى أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكأنما يريد أن يسلب نعمة الإيمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم . وإن اشتهيت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة، فإن كل واحد من حمق الحساد أيضا يشتهى أن يخص بهذه الخاصية ولست بأولى من غيرك ، فنعمة الله تعالى عليك فى إن لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وأنت بجهلك تكرهها.

وأما أن المحسود ينتفع به فى الدين والدنيا فواضح . أما منفعته فى الدين : فهو أنه مظلوم من جهتك لاسيما إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه ، فهذه هدايا تهديها إليه؛ أعنى أنك بذلك تهدى إليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت فى الدنيا عن النعمة ، فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل . نعم كان لله عليه نعمة إذ وفقك للحسنات فنقلتها إليه فأضفت إليه نعمة إلى نعمة وأضفت إلى نفسك شقاوة إلى شقاوة .

وأما منفعته فى الدنيا فهو أن أهم أغراض الخلق مساءة الأعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ، ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد ، وغاية أمانى أعدائك أن يكونوا فى نعمة وأن تكون فى غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ، ولذلك لا يشتهى عدوك موتك بل يشتهى أن تطول حياتك ولكن فى عذاب الحسد لتنظر إلى نعمة الله عليه فيتقطع قلبك حسدا . ولذلك قيل :

لامات أعداؤك بل خلدوا حتى يروا فيك الذى يكمد
لازلت محسودا على نعمة فإنما الكامل من يحسد

ففرح عدوك بغمك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته ، ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان ذلك أعظم مصيبة وبلية عنده ، فما أنت فيما تلازمه من غم الحسد إلا كما يشتهيه عدوك ، فإذا تأملت هذا عرفت أنك عدو نفسك وصديق عدوك إذ تعاطيت ما تضررت به فى الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك فى الدنيا والآخرة . وصرت مذموما عند الخالق والخلائق شقيا فى الحال والمآل ، ونعمة المحسود دائمة شئت أم أبيت باقية ، ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت إلى إدخال أعظم سرور على إبليس الذى هو أعدى أعدائك ، لأنه لما رآك محروما من نعمة العلم والورع والجاه والمال الذى اختص به عدوك عنك خاف أن تحب ذلك له فتشاركه فى الثواب بسبب المحبة، لأن من أحب الخير للمسلمين كان شريكا فى الخير ، ومن فاته اللحاق بدرجة الأكابر فى الدنيا لم يفته ثواب الحب لهم مهما أحب ذلك ، فخاف إبليس أن تحب ما أنعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه إليك حتى لا تلحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك .

وقد قال أعرابى للنبى صلى الله عليه وسلم : يارسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبى صلى الله

عليه وسلم « المرء مع من أحب [١] » وقام أعرابى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقال : يارسول الله متى الساعة ؟ فقال « ماأعددت لها ؟ » قال : ماأعددت لها من كثير صلاة ولا صيام إلا إنى أحب الله ورسوله ، فقال صلى الله عليه وسلم « أنت مع من أحببت [٢] » قال أنس : فما فرح المسلمون بعد إسلامهم كفرحهم يومئذ . إشارة إلى أن أكبر بغيتهم كانت حب الله ورسوله . قال أنس . فنحن نحب رسول الله وأبا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو أن نكون معهم . وقال أبو موسى : قلت يارسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلى ويحب الصوام ولا يصوم ، حتى عدّ أشياء . فقال النبي صلى الله عليه وسلم « هو مع من أحب [٣] » وقال رجل لعمر بن عبدالعزيز : إنه كان يقال إن استطعت أن تكون عالما فكن عالما ، فإن لم تستطع أن تكون عالما فكن متعلما ، فإن لم تستطع أن تكون متعلما فأحبهم ، فإن لم تستطع فلا تبغضهم ، فقال : سبحان الله لقد جعل الله لنا مخرجا

فانظر الآن كيف حسدك إبليس ففوت عليك ثواب الحب ، ثم لم يقنع به حتى بغض إليك أخاك وحملك على الكراهة حتى أثمت ، وكيف لاوعساك تحاسد رجلا من أهل العلم وتحب أن يخطئ فى دين الله تعالى وينكشف خطؤه ليفتضح ؟ وتحب أن يخرس لسانه حتى لايتكلم أو يمرض حتى لايعلم ولا يتعلم وأى إثم يزيد على ذلك ؟ فليتك إذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الإثم وعذاب الآخرة وقد جاء فى الحديث « أهل الجنة ثلاثة : المحسن والمحب له والكاف عنه [٤] » أى من يكف عنه الأذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف أبعدك إبليس عن جميع المداخل الثلاثة حتى لاتكون من أهل واحد منها ألبتة ، فقد نفذ فيك حسد إبليس ومانفذ حسدك فى عدوك بل على نفسك ، بل لو كوشفت بحالك فى يقظة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد فى صورة من يرمى سهما إلى عدوه ليصيب مقتله فلا يصيبه بل يرجع إلى حدقته اليمنى فيقلعها ، فيزيد غضبه فيعود ثانية فيرمى أشد من الأولى فيرجع إلى عينه الأخرى فيعميها ، فيزداد غيظة فيعود على رأسه فيشجه ، وعدوه سالم فى كل حال وهو إليه راجع مرة بعد أخرى ، وأعداؤه حوله يفرحون به ويضحكون عليه . وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه ، بل حالك فى الحسد أقبح من هذا لأن الرمية العائدة لم تفوت إلا العينين ولو بقيتا لفاتتا بالموت لامحالة . والحسد يعود بالإثم والإثم لايفوت بالموت ، ولعله يسوقه إلى غضب الله وإلى النار ، فلأن تذهب عينه فى الدنيا خير له من أن تبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها لهيب النار . فانظر كيف انتقم الله من الحاسد إذا أراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه ثم أزالها عن الحاسد ؛ إذ السلامة من الإثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة قد زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى ﴿ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ﴾ وربما يبتلى بعين مايشتهيه لعدوه ، وقلما يشمت شامت بمساءة إلا ويبتلى بمثلها ، حتى قالت عائشة رضى الله عنها : ماتمنيت لعثمان شيئا إلا نزل بى ، حتى لو تمنيت له القتل لقتلت . فهذا إثم الحسد نفسه فكيف مايجر إليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق وإطلاق اللسان واليد بالفواحش فى التشفى من الأعداء ؟ وهو الداء الذى فيه هلك الأمم السالفة .

فهذه هى الأدوية العلمية فهما تفكر الإنسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفأت نار الحسد من قلبه ، وعلم

---

(١) حديث : الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم ، فقال « هو مع من أحب » متفق عليه من حديث ابن مسعود .

(٢) حديث : سؤال الأعرابى متى الساعة ؟ فقال « ماأعددت لها ... الحديث » متفق عليه من حديث أنس (٣) حديث أبى موسى : قلت يارسول الله الرجل يحب المصلين ولايصلى ... الحديث » وفيه « هو مع من أحب » متفق عليه من حديث بلفظ آخر مختصرا : الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم ، قال « المرء مع من أحب » (٤) حديث « أهل الجنة ثلاثة : المحسن والمحب له والكاف عنه » لم أجد له أصلا

أنه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه .

وأما العمل النافع فيه فهو أن يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغى أن يكلف نفسه نقيضه ، فإن حمله الحسد على القدح فى محسوده كلف لسانه المدح له والثناء عليه ، وإن حمله على التكبر عليه ألزم نفسه التواضع له والاعتذار إليه ، وإن بعثه على كف الإنعام عليه ألزم نفسه الزيادة فى الإنعام عليه ، فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه ، ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فأحبه ، وتولد من ذلك الموافقة التى تقطع مادة الحسد ، لأن التواضع والثناء والمدح وإظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب المنعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالإحسان، ثم ذلك الإحسان يعود إلى الأول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه أولا : طبعا آخرا ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له : لو تواضعت وأثنيت عليه حملك العدو على العجز أو على النفاق أو الخوف وأن ذلك مذلة ومهانة ، وذلك من خداع الشيطان ومكايده بل المجاملة ـ تكلفاً كانت أو طبعاً ـ تكسر سورة العداوة من الجانبين وتقل مرغوبها وتعود القلوب التآلف والتحاب ، وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباغض.

فهذه هى أدوية الحسد وهى نافعة جدا إلا أنها مرة على القلوب جدا ولكن النفع فى الدواء المر . فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء ؛ وإنما تهون مرارة هذا الدواء ، أعنى التواضع للأعداء والتقرب إليهم ، بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعانى التى ذكرناها وقوة الرغبة فى ثواب الرضا بقضاء الله تعالى وحب ما أحبه . وعزة النفس وترفعها عن أن يكون فى العالم شىء على خلاف مرادها جهل ، وعند ذلك يريد مالا يكون ، إذ لا مطمع فى أن يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخسة ؛ ولا طريق إلى الخلاص من هذا الذل إلا بأحد أمرين : إما بأن يكون ما تريد أو بأن تريد ما يكون ، والأول ليس إليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه .وأما الثانى: فللمجاهدة فيه مدخل ، وتحصيله بالرياضة ممكن ، فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلى .

فأما الدواء المفصل : فهو تتبع أسباب الحسد من الكبر وغيره وعزة النفس وشدة الحرص على مالا يغنى ـ وسيأتى تفصيل مداواة هذه الأسباب فى مواضعها إن شاء الله تعالى ـ فإنها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض إلا بقمع المادة ، فإن لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه إلا تسكين وتطفئة ، ولا يزال يعود مرة بعد أخرى ويطول الجهد فى تسكينه مع بقاء مواده ، فإنه مادام محباً للجاه فلا بد وأن يحسد من استأثر بالجاه والمنزلة فى قلوب الناس دونه ، ويغمه ذلك لا محالة ، وإنما غايته أن يهون الغم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده ، فأما الخلو عنه رأساً فلا يمكنه والله الموفق .

بيان القدر الواجب فى نفى الحسد عن القلب

اعلم أن المؤذى ممقوت بالطبع ، ومن آذاك فلا يمكنك أن لا تبغضه غالباً ، فإذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك أن لا تكرهها له حتى يستوى عندك حسن حال عدوك وسوء حاله ، بل لا تزال تدرك فى النفس بينهما تفرقة ، ولا يزال الشيطان ينازعك إلى الحسد له ، ولكن إن قوى ذلك فيك حتى بعثك على إظهار الحسد بقول أو فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بأفعالك الاختيارية فأنت حسود عاص بحسدك ، وإن كففت ظاهرك بالكلية إلا أنك بباطنك تحب زوال النعمة وليس فى نفسك كراهة لهذه الحالة فأنت أيضاً حسود عاص ، لأن الحسد صفة القلب لا صفة الفعل ، قال الله تعالى ﴿ ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ﴾ وقال عز وجل ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾ وقال ﴿ إن تمسسكم حسنة تسؤهم ﴾ أما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن

الحسد وليس هو عين الحسد ، بل محل الحسد القلب دون الجوارح . نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصيه بينك وبين الله تعالى ، وإنمـــا يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح ، فأما إذا كففت ظاهرك وألزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك تمقت نفسك على مافى طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل فى مقابلة الميل من جهة الطبع ، فقد أديت الواجب عليك ، ولا يدخل تحت اختيارك فى أغلب الأحوال أكثر من هذا ، فأما تغيير الطبع ليستوى عنده المؤذى والمحسن ويكون فرحه أوغمه بما تيسر لهما من نعمة أو تنصب عليهما من بلية سواء ، فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه مادام ملتفتا إلى حظوظ الدنيا ، إلا أن يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله ، فقد ينتهى أمره إلى أن لا يلتفت قلبه إلى تفاصيل أحوال العباد ، بل ينظر إلى الكل بعين واحدة وهى عين الرحمة ، ويرى الكل عباد الله وأفعالهم أفعال الله ، ويراهم مسخرين وذلك إن كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ، ثم يرجع القلب بعد ذلك إلى طبعه ويعود العدو إلى منازعته ـ أعنى الشيطان ـ فإنه ينازع بالوسوسة . فهما قابل ذلك بكراهته والزم قلبه هذه الحالة فقد أدى ما كلفه. وقد ذهب ذاهبون إلى أنه لا يأثم إذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روى عن الحسن أنه سئل عن الحسد فقال : غمه فإنه لا يضرك مالم تبده . وروى عنه موقوفا ومرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاثه لا يخلو منهن المؤمن وله منهن مخرج » فمخرجه من الحسد أن لا يبغى ، والأولى أن يحمل هذا على ماذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل فى مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو ، وتلك الكراهة تمنعه من البغى والإيذاء ، فإن جميع ما ورد من الأخبار فى ذم الحسد يدل ظاهره على ان كل حاسد آثم ، ثم الحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الأفعال . فكل من يحب إساءة مسلم فهو حاسد . فإذن كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو فى محل الاجتهاد ، والأظهر ماذكرناه من حيث ظواهر الآيات والأخبار ومن حيث المعنى ، إذ يبعد أن يعفى عن العبد فى إرادته إساءة مسلم واشتماله بالقلب على ذلك من غير كراهة .

وقد عرفت من هذا ان لك فى أعدائك ثلاثة أحوال ، أحدها : أن تحب مساءتهم بطبعك ، وتكره حبك لذلك وميل قلبك إليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة فى إزالة ذلك الميل منك ، وهذا معفو عنه قطعا لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه .

الثانى : أن تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته إما بلسانك أو بجوارحك ، فهذا هو الحسد المحظور قطعا .

الثالث : وهو بين الطرفين أن تحسد بالقلب من غير مقت لنفسك على حسدك ، ومن غير إنكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد فى مقتضاه ، وهذا فى محل الخلاف . والظاهر أنه لا يخلو عن إثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه . والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

كتاب ذم الدنيا

وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى عرف أولياءه غوائل الدنيا وآفاتها . وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا فى شواهدها وآياتها ، ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعلموا أنه يزيد منكرها على معروفها ولا يفى مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ، ولكنها فى صورة امرأة مليحة تستميل الناس بجمالها ، ولها أسرار سوء قبائح تهلك الراغبين فى وصالها ، ثم هى فرارة عن طلابها شحيحة بإقبالها ، وإذا أقبلت لم يؤمن شرها ووبالها ، إن أحسنت ساعة أساءت سنة . وإن أساءت مرة جعلتها سنة ، فدوائر إقبالها على التقارب دائرة ، وتجارة بنيها خاسرة بائرة ، وآفاتها على التوالى لصدور طلابها راشقة ، ومجارى أحوالها بذل طالبيها ناطقة . فكل مغرور بها إلى الذل مصيره . وكل متكبر بها إلى التحسر مسيره . شأنها الهرب من طالبها والطلب لهاربها ، ومن خدمها فاتته ، ومن أعرض عنها واتته لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن المنغصات ، سلامتها تعقب السقم ، وشبابها يسوق إلى الهرم ، ونعيمها لا يثمر إلا الحسرة والندم فهى خداعة مكارة ، طيارة فرارة ، لا تزال تتزين لطلابها حتى إذا صاروا من أحبابها ، كشرت لهم عن أنيابها ، وشوشت عليهم مناظم أسبابها ؛ وكشفت لهم عن مكنون عجائبها ، فأذاقتهم قواتل سمامها ؛ ورشقتهم بصوائب سهامها . بينما أصحابها منها فى سرور وإنعام إذ ولت عنها كأنها أضغاث أحلام . ثم عكرت عليهم بدواهيها فطحنتهم طحن الحصيد ووارتهم فى أكفانهم تحت الصعيد ، إن ملكت واحداً منهم جميع ما طلعت عليه الشمس جعلته حصيداً كأن لم يغن بالأمس . تمنى أصحابها سرورا وتعدهم غرورا حتى يأملون كثيراً ويبنون قصورا . فتصبح قصورهم قبورا وجمعهم بورا . وسعيهم هباء منثورا ودعاؤهم ثبورا ، هذه صفتها وكان أمر الله قدرا مقدوراً . والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله المرسل إلى العالمين بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا . وعلى من كان من أهله وأصحابه له فى الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيراً وسلم تسليما كثيراً .

أما بعد : فان الدنيا عدوة لله وعدوة لأولياء الله وعدوة لأعداء الله . أما عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله . ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها . وأما عداوتها لأولياء الله عز وجل : فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر فى مقاطعتها . وأما عداوتها لأعداء الله : فانها استدرجتهم بمكرها وكيدها فاقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها . وعولوا عليها فخذلتهم أحوج ما كانوا إليها . فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الأكباد . ثم حرمتهم السعادة أبد الآباد . فهم على فراقها يتحسرون ومن مكايدها يستغيثون ولا يغاثون . بل يقال لهم ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون . أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ﴾ .

وإذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلابد أولا من معرفة حقيقة الدنيا وما هى ؟ وما الحكمة فى خلقها مع عداوتها ؟ وما مدخل غرورها وشرورها ؟ فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك أن يقع فيه . ونحن نذكر ذم

الدنيا وأمثلتها ، وحقيقتها وتفصيل معانيها ، وأصناف الأشغال المتعلقة بها ، ووجه الحاجة إلى أصولها ، وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها إن شاء الله تعالى . وهو المعين على ما يرتضيه .

بيان ذم الدنيا

الآيات الواردة فى ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة . وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة . بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا إلا لذلك ، فلا حاجة إلى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها ، وإنما نورد بعض الأخبار الواردة فيها . فقد روى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرّ على شاة ميتة فقال « أترون هذه الشاة هينة على أهلها ؟ » قالوا : من هوانها ألقوها . قال « والذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عندالله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر [2] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا ملعونة ملعون مافيها إلا ما كان لله منها [3] » وقال أبو موسى الأشعرى : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا مايبقى على مايفنى [4] » وقال صلى الله عليه تعالى وآله وسلم « حب الدنيا رأس كل خطيئة [5] » وقال زيد بن أرقم : كنا مع أبى بكر الصديق رضى الله عنه فدعا بشراب فأتى بماء وعسل ، فلما أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه وسكتوا وما سكت : ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرون على مسألته قال : ثم مسح عينيه فقالوا : ياخليفة رسول الله ماأبكاك ؟ قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيئا ولم أر معه أحدا ؛ فقلت يارسول الله ماالذى تدفع عن نفسك ؟ قال « هذه الدنيا مثلت لى فقلت لها : إليك عنى ثم رجعت فقالت : إنك إن أفلت منى لم يفلت منى من بعدك [6] » وقال صلى الله عليه وسلم « ياعجباً كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور [7] » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة فقال « هلموا إلى الدنيا وأخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاماً قد نخرت فقال : هذه الدنيا [8] » وهذه إشارة إلى أن زينة الدنيا ستخلق مثل تلك الخرق وأن الأجسام التى ترى بهاستصير عظاما بالية . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون إن بنى إسرائيل لما

كتاب ذم الدنيا

(١) حديث : مر على شاة ميتة فقال « أترون هذه الشاة هينة على صاحبها ... الحديث » أخرجه ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث سهل بن سعد وآخره عند الترمذى وقال حسن صحيح ، ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث المستورد بن شداد دون هذه القطعة الأخيرة ، ولمسلم نحوه من حديث جابر (٢) حديث « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة (٣) حديث « الدنيا ملعونة ملعون مافيها » أخرجه الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى هريرة وزاد « إلا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم » (٤) حديث أبى موسى الأشعرى « من أحب دنياه أضر بآخرته ... الحديث » أخرجه أحمد والبزار والطبرانى وابن حبان والحاكم وصححه (٥) حديث « حب الدنيا رأس كل خطيئة » أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا والبيهقى فى شعب الإيمان من طريقه من رواية الحسن مرسلا .

(٦) حديث زيد بن أرقم : كنا مع أبى بكر فدعا بشراب فأتى بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى ... الحديث . وفيه : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيئاً ... الحديث . أخرجه البزار بسند ضعيف بنحوه والحاكم وصحح إسناده وابن أبى الدنيا والبيهقى من طريقه بلفظه (٧) حديث « ياعجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور » أخرجه ابن أبى الدنيا من حديث أبى جرير مرسلا (٨) حديث : أنه وقف على مزبلة فقال « هلموا الى الدنيا ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا والبيهقى فى شعب الإيمان من طريقه من رواية ابن ميمون اللخمى مرسلا ، وفيه بقية بن الوليد وقد عنعنه وهو مدلس .

بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا فى الحلية والنساء والطيب والثياب [١] » وقال عيسى عليه السلام : لاتتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لايضيعه فإن صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لايخاف عليه الآفة . وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : يامعشر الحواريين إنى قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدى فإن من خبث الدنيا أن عصى الله فيها وإن من خبث الدنيا أن الآخرة لاتدرك إلا بتركها ، ألافاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ، ورب شهوة ساعة أورثت أهلها حزنا طويلا . وقال أيضاً : بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعكم فيها الملوك والنساء ، فأما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فإنهم لن يعرضوا لكم ماتركتموهم ودنياهم ، وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة . وقال أيضا : الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه ، وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجىء الموت فيأخذ بعنقه . وقال موسى ابن يسار : قال النبى صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل لم يخلق خلقاً أبغض إليه من الدنيا وأنه منذ خلقها لم ينظر إليها [٢] » وروى أن سليمان بن داود عليهما السلام مر فى موكبه والطير تظله والجن والإنس عن يمينه وشماله قال : فمر بعابد من بنى إسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما ، قال : فسمع سليمان وقال : لتسبيحة فى صحيفة مؤمن خير مما أعطى ابن داود ، فإن ماأعطى ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى . وقال صلى الله عليه وسلم « ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت ؟ [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ، ولها يجمع من لاعقل له ، وعليها يعادى من لاعلم له ، وعليها يحسد من لافقه له ، ولها يسعى من لايقين له [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله فى شىء وألزم الله قلبه أربع خصال : هما لاينقطع عنه أبدا ، وشغلا لايتفرغ منه أبداً ، وفقرا لايبلغ غناه أبداً ، وأملا لايبلغ منتهاه أبدا [٥] » وقال أبو هريرة : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياأبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعها بما فيها » فقلت : بل يارسول الله ، فأخذ بيده وأتى بى واديا من أودية المدينة فإذا مزبلة فيها رءوس أناس وعذرات وخرق وعظام ، ثم قال « ياأبا هريرة هذه الرءوس كانت تحرص كحرصكم وتأمل كأملكم ثم هى اليوم عظام بلا جلد ثم هى صائرة رمادا ، وهذه العذرات هى ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها فى بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها ، وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقها ، وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد ؛ فمن كان باكيا على الدنيا فليبك » قال: فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا [٦] ويروى أن الله عز وجل لما أهبط آدم إلى الأرض قال له : ابن للخراب ولد للفناء.

---

(١) حديث « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ... الحديث » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أبي سعيد دون قوله « إن بنى إسرائيل ... الخ » والشطر الأول متفق عليه ورواه ابن أبى الدنيا من حديث الحسن مرسلا بالزيادة التى فى آخره (٢) حديث موسى بن يسار « إن الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وأنه منذ خلقها لم ينظر إليها » أخرجه ابن أبي الدنيا من هذا الوجه بلاغا وللبيهقى فى الشعب من طريقه وهو مرسل (٣) حديث « ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن الشخير .

(٤) حديث « الدنيا دار من لادار له .. الحديث » أخرجه أحمد من حديث عائشة مقتصرا على هذا وعلى قوله « ولها يجمع من لاعقل له » دون بقيته وزاد ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب من طريقه « ومال من لامال له » وإسناده جيد (٥) حديث « من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله فى شىء وألزم الله قلبه أربع خصال ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى ذر دون قوله « وألزم الله قلبه ... الخ » وكذلك رواه ابن أبي الدنيا من حديث أنس بإسناد ضعيف والحاكم من حديث حذيفة وروى هذه الزيادة منفردة صاحب الفردوس من حديث ابن عمر وكلاهما ضعيف (٦) حديث أبى هريرة « ألا أريك الدنيا جميعها بما فيها » قلت : بلى يارسول الله فأخذ بيدى وأتى بى واديا من أودية المدينة فإذا مزبلة ... الحديث لم أجد له أصلا

وقال داود بن هلال مكتوب فى صحف إبراهيم عليه السلام : يادنيا ما أهونك على الأبرار الذين تصنعت وتزينت لهم ، إنى قذفت فى قلوبهم بغضك والصدودعنك وماخلقت خلقا أهون على منك ، كل شأنك صغير وإلى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لاتدومى لأحدولا يدوم لك أحد ، وإن بخل بك صاحبك وشح عليك ، طوبى للأبرار الذين أطلعونى من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة ، طوبى لهم مالهم عندى من الجزاء إذاوفدوا إلى من قبورهم إلا النور يسعى أمامهم والملائكة حافون بهم حتى أبلغهم مايرجون من رحمتى . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا موقوفة بين السماء والأرض ، منذ خلقها الله تعالى لم ينظر إليها ، وتقول يوم القيامة يارب اجعلنى لأدنى أوليائك اليوم نصيبا فيقول اسكتى يالاشىء إنى لم أرضك لهم فى الدنيا أرضاك لهم اليوم[1] » وروى فى أخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ، ولم يكن ذلك مجعولا فى شىء من أطعمة الجنة إلا فى هذه الشجرة فلذلك نهيا عن أكلها ، قال فجعل يدور فى الجنة ، فأمر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له: قل له أى شىء تريد ؟ قال آدم : أريد أن أضع مافى بطنى من الأذى ، فقيل للملك : قل له فى أى مكان تريد أن تضعه أعلى الفرش أم على السرر أم على الأنهار أم تحت ظلال الأشجار هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك ؟ اهبط إلى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم « ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار » قالوا يارسول الله مصلين ؟ قال « نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فإذا عرض لهم شىء من الدنيا وثبوا عليه[2] » وقال صلى الله عليه وسلم فى بعض خطبه « المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لايدرى ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقى لايدرى ماالله قاض فيه ؟ فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فإن الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة ، والذى نفسى بيده مابعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار[3] » وقال عيسى عليه السلام : لايستقيم حب الدنيا والآخرة فى مؤمن كما لايستقيم الماء والنار فى إناء واحد . وروى أن جبريل عليه السلام قال لنوح عليه السلام : ياأطول الأنبياء عمرا كيف وجدت الدنيا ؟ فقال : كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر . قيل لعيسى عليه السلام : لو اتخذت بيتا يكنك : قال : يكفينا خلقان من كان قبلنا . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت[4] » وعن الحسن : قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فقال « هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيراً : ألا إنه من رغب فى الدنيا وطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ، ومن زهد فى الدنيا وقصر فيها أمله أعطاه الله علما بغير تعلم ، وهدى بغير هداية : ألا أنه سيكون بعدكم قوم لايستقيم لهم الملك إلا بالقتل والتجبر ، ولا الغنى إلا بالفخر والبخل ، ولا المحبة إلا باتباع الهوى ؛ إلا فمن أدرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى ، وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة ، وصبر على الذل وهو يقدر على العز لايريد بذلك إلا وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب خمسين صديقا[5] » وروى أن عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد

---

(١) حديث « الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله لاينظر إليها . . الحديث » تقدم بعضه من رواية موسى بن يسار مرسلا ولم أجد باقيه . (٢) حديث « ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار . . . الحديث » أخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث سالم مولى أبى حذيفة بسند ضعيف وأبو منصور الديلمى من حديث أنس وهو ضعيف أيضاً

(٣) حديث المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى . . . الحديث » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث الحسن عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وفيه انقطاع (٤) حديث « احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت » أخرجه ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب من طريقه من رواية أبى الدرداء الرهاوى مرسلا ، وقال البيهقى إن بعضهم قال عن أبى الدرداء عن رجل من الصحابة قال الذهبى لايدرى من أبو الدرداء قال وهكذا منكر لاأصل له (٥) حديث الحسن « هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى . . . الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب من طريقه هكذا مرسلا وفيه إبراهيم بن الأشعث تكلم فيه أبو حاتم .

والبرق يوما فجعل يطلب شيئاً يلجأ إليه فوقعت عينه على خيمه من بعيد فأتاها فإذا فيها امرأة فحاد عنها ، فإذا هو بكهف فى جبل فأتاه فإذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال : إلهى جعلت لكل شىء مأوى ولم تجعل لى مأوى ، فأوحى الله تعالى إليه : مأواك فى مستقر رحمتى لأزوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها بيدى ولأطعمن فى عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ، ولآمرن مناديا ينادى أين الزهاد فى الدنيا زوروا عرس الزاهد فى الدنيا عيسى ابن مريم . وقال عيسى ابن مريم عليه السلام : ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها ، وتغره ويأمنها ، ويثق بها وتخذله ، وويل للمغترين كيف أرتهم مايكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون ؟ وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه ؟ وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : ياموسى مالك ولدار الظالمين إنها ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعقلك ، فبئست الدار هى إلا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هى ، ياموسى إنى مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين ؛ فسمعت الأنصار بقدوم أبى عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا له ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال « أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشىء » قالوا : أجل يارسول الله ، قال « فأبشروا وأملوا مايسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم [1] » وقال أبو سعيد الخدرى : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « إن أكثر ما أخاف عليكم مايخرج الله لكم من بركات الأرض » فقيل مابركات الأرض ؟ قال « زهرة الدنيا [2] » . وقال صلى الله عليه وآله وسلم « لاتشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا [3] » فنهى عن ذكرها فضلا عن إصابة عينها . وقال عمار بن سعيد : مر عيسى عليه السلام بقرية فإذا أهلها موتى فى الأفنية والطرق ، فقال : يامعشر الحواريين إن هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا ، فقالوا : ياروح الله وددنا أن لو علمنا خبرهم . فسأل الله تعالى فأوحى إليه إذا كان الليل فنادهم يجيبوك ، فلما كان الليل أشرف على نشز ثم نادى : ياأهل القرية فأجابه مجيب لبيك ياروح الله ! فقال : ماحالكم وما قصتكم ؟ قال : بتنا فى عافية وأصبحنا فى الهاوية ، قال : وكيف ذاك ؟ قال . بحبنا الدنيا وطاعتنا أهل المعاصى ، قال : وكيف كان حبكم للدنيا ؟ قال : حب الصبى لأمه إذا أقبلت فرحنا بها وإذا أدبرت حزنا وبكينا عليها ، قال : فما بال أصحابك لم يجيبونى ؟ قال لأنهم ملجمون بلجم من نار بأيدى ملائكة غلاظ شداد ، قال : فكيف أجبتنى أنت من بينهم ؟ قال : لأنى كنت فيهم ولم أكن منهم ، فلما نزل بهم العذاب أصابنى معهم ، فأنا معلق على شفير جهنم لاأدرى أأنجوا منها أم أكبكب فيها ؟ فقال المسيح للحواريين : لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة . وقال أنس : كانت ناقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم العضباء لاتسبق فجاء أعرابى بناقة له فسبقها ، فشق ذلك على المسلمين فقال صلى الله تعالى عليه وسلم « إنه حق على الله أن لايرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه [4] » وقال عيسى عليه السلام : من الذى يبنى على موج البحر دارا ؟ تلكم الدنيا فلا

---

(١) حديث : بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبى عبيدة . متفق عليه من حديث عمرو ابن عوف البدرى (٢) حديث أبى سعيد « إن أكثر ما أخاف عليكم مايخرج الله لكم من بركات الأرض .. الحديث » متفق عليه (٣) حديث « لاتشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا » أخرجه البيهقى فى الشعب من طريق ابن أبى الدنيا من رواية محمد بن النضر الحارثى مرسلا (٤) حديث أنس : كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لاتسبق .. الحديث . وفيه « حق على الله أن لايرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه » أخرجه البخارى .

تتخذوها قرارا . وقيل لعيسى عليه السلام : علمنا علما واحدا يحبنا الله عليه ، قال : ابغضوا الدنيا يحبكم الله تعالى . وقال أبو الدرداء ؛ قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة [1] » ثم قال أبو الدرداء ـ من قبل نفسه ـ لو تعلمون ماأعلم لخرجتم إلى الصعدات تجأرون وتبكون على أنفسكم ، ولتركتم أموالكم لاحارس لها ولاراجع إليها إلا مالابدّ لكم منه ، ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة ، وحضرها الأمل فصارت الدنيا أملك بأعمالكم ، وصرتم كالذين لايعلمون فبعضكم شر من البهائم التى لاتدع هواها مخافة مما فى عاقبته ، مالكم لاتحابون ولا تناصحون وأنتم إخوان على دين الله مافرق بين أهوائكم إلا خبث سرائركم ، ولواجتمعتم على البرّ لتحاببتم ، مالكم تناصحون فى أمر الدنيا ولا تناصحون فى أمر الآخرة ؟ ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على أمر آخرته ، ما هذا إلا من قلة الإيمان فى قلوبكم ، لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لأنها أملك لأموركم . فإن قلتم : حب العاجلة غالب ؟ فإنا نراكم تدعون العاجلة من الدنيا للآجل منها ، تكدون أنفسكم بالمشقة والاحتراف فى طلب أمر لعلكم لاتدركونه ، فبئس القوم أنتم ماحققتم إيمانكم بما يعرف به الإيمان البالغ فيكم ! فإن كنتم فى شك مما جاء به محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فائتونا لنبين لكم ولنريكم من النور ماتطمئن إليه قلوبكم ! والله ماأنتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم إنكم تستبينون صواب الرأى فى دنياكم وتأخذون بالحزم فى أموركم ، مالكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم ، حتى يتبين ذلك فى وجوهكم ويظهر على ألسنتكم ، وتسمونها المصائب وتقيمون فيها المآتم ، وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لايتبين ذلك فى وجوهكم ولا يتغير حالكم ، إنى لأرى الله قد تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضاً بالسرور ، وكلكم يكره أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله فاصطحبتم على الغل ونبتت مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الآجل ، ولوددت أن الله تعالى أراحنى منكم وألحقنى بمن أحب رؤيته ولو كان حيا لم يصابركم ، فإن كان فيكم خير فقد أسمعتكم وإن تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا ، وبالله أستعين على نفسى وعليكم . وقال عيسى عليه السلام : يامعشر الحواريين ارضوا بدنىء الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بدنىء الدين مع سلامة الدنيا . وفى معناه قيل :

أرى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا وما أراهم رضوا فى العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام : ياطالب الدنيا لتبر تركك الدنيا أبر . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « لتأتينكم بعدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب [2] » وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : ياموسى لا تركنن إلى حب الدنيا فلن تأتينى بكبيرة هى أشد منها . ومر موسى عليه السلام برجل وهو يبكى ورجع وهو يبكى ، فقال موسى : يارب عبدك يبكى من مخافتك فقال : ياابن عمران لو سال دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا .

الآثار : قال على رضى الله عنه : من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا ؛ أولها : من

---

(١) حديث أبى الدرداء « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة » أخرجه الطبرانى دون قوله « ولهانت ... الخ » وزاد « ولخرجتم إلى الصعدات ... الحديث . وزاد الترمذى وابن ماجه من حديث أبى ذر « وما تلذذتم بالنساء على الفرش » وأول الحديث متفق عليه من حديث أنس وفى أفراد البخارى من حديث عائشة

(٢) حديث « لتأتينكم بعدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب » لم أجد له أصلا .

عرف الله وأطاعه ، وعرف الشيطان فعصاه ، وعرف الحق فاتبعه ، وعرف الباطل فاتقاه ، وعرف الدنيا فرفضها ، وعرف الآخرة فطلبها . وقال الحسن : رحم الله أقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها إلى من ائتمنهم عليها ، ثم راحوا خفافا . وقال أيضا رحمه الله : من نافسك فى دينك فنافسه ومن نافسك فى دنياك فألقها فى نحره . وقال لقمان عليه السلام لابنه : يابنى إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيه تقوى الله عز وجل ، وحشوها الإيمان بالله تعالى ، وشراعها التوكل على الله عز وجل ، لعلك تنجو وما أراك ناجيا . وقال الفضيل : طالت فكرتى فى هذه الآية ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ماعليها صعيدا جرزاً ﴾ وقال بعض الحكماء : إنك لن تصبح فى شىء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعدك ، وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغداء يوم ، فلا تهلك فى أكله ، وصم عن الدنيا وأفطر على الآخرة ، وإن رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار . وقيل لبعض الرهبان : كيف ترى الدهر ؟ قال : يخلق الأبدان ويجدد الآمال ويقرب المنية ويبعد الأمنية . قيل : فما حال أهله ؟ قال : من ظفر به تعب ومن فاته نصب . وفى ذلك قيل:

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره فسوف لعمرى عن قليل يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة وإن أقبلت كانت كثيراً همومها

وقال بعض الحكماء : كانت الدنيا ولم أكن فيها ، وتذهب الدنيا ولا أكون فيها ، فلا أسكن إليها فإن عيشها نكد وصفوها كدر وأهلها منها على وجل ، إما بنعمة زائلة أو بلية نازلة أو منية قاضية . وقال بعضهم من عيب الدنيا أنها لا تعطى أحدا مايستحق ، لكنها إما أن تزيد وإما أن تنقص . وقال سفيان : أما ترى النعم كأنها مغضوب عليها قد وضعت فى غير أهلها . وقال أبو سليمان الدارانى : من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيئاً إلا أراد أكثر . ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط منها شيئاً إلا أراد أكثر . وليس لهذا غاية . وقال رجل لأبى حازم : أشكو إليك حب الدنيا وليست لى بدار ، فقال : انظر ما آتاكه الله عز وجل منها فلا تأخذه إلا من حله ولا تضعه إلا فى حقه . ولا يضرك حب الدنيا . وإنما قال هذا لأنه لو آخذ نفسه بذلك لأتعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها وقال يحيى بن معاذ : الدنيا حانوت الشيطان ، فلا تسرق من حانوته شيئاً فيجىء فى طلبه فيأخذك . وقال الفضيل : لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى ؛ لكان ينبغى لنا أن نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى . فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى ؟ وقال أبو حازم : إياكم والدنيا فإنه بلغنى أنه يوقف العبد يوم القيامة إذا كان معظماً الدنيا فيقال : هذا عظم ماحقره الله . وقال ابن مسعود : ماأصبح أحد من الناس إلا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة . وفى ذلك قيل :

وما المال والأهلون إلا ودائع ولابد يوما أن ترد الودائع

وزار رابعة أصحابها ، فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها ، فقالت : اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها . ألا من أحب شيئاً أكثر من ذكره . وقيل لإبراهيم بن ادهم : كيف أنت ؟ فقال :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا مانرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع

وقيل أيضاً فى ذلك :

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ونال من الدنيا سرورا وأنعما

كبان بنى بنيانه فأقامه فلما استوى ما قد بناه تهدّما

وقيل أيضاً فى ذلك :

هب الدنيا تساق إليك عفوا أليس مصير ذاك إلى انتقال
وما دنياك إلا مثل فىء أظلك ثم آذن بالزوال

وقال لقمان لابنه : يابنى بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً ، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا . وقال مطرف ابن الشخير : لاتنظر إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ، ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم . وقال ابن عباس : إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء : جزء للمؤمن ، وجزء المنافق ، وجزء للكافر . فالمؤمن يتزوّد ، والمنافق يتزين ، والكافر يتمتع . وقال بعضهم : الدنيا جيفة ، فمن أراد منها شيئاً فليصبر على معاشرة الكلاب . وفى ذلك قيل :

يا خاطب الدنيا إلى نفسها تنح عن خطبتها تسلم
إن التى تخطب غدارة قريبة العرس من المأتم

وقال أبو الدرداء : من هوان الدنيا على الله أنه لايعصى إلا فيها ولاينال ماعنده إلا بتركها . وفى ذلك قيل :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق

وقيل أيضاً :

ياراقد الليل مسروراً بأوّله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا
أفنى القرون التى كانت منعمة كر الجديدين إقبالا وإدبارا
كم قد أبادت صروف الدهر من ملك قد كان فى الدهر نفاعا وضرارا
يامن يعانق دنيا لابقاء لها يمسى ويصبح فى دنياه سفارا
هلا تركت من الدنيا معانقة حتى تعانق فى الفردوس أبكارا
إن كنت تبغى جنان الخلد تسكنها فينبغى لك أن لا تأمن النارا

وقال أبو أمامة الباهلى رضى الله عنه : لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أتت إبليس جنوده فقالوا : قد بعث نبى وأخرجت أمة ، قال : يحبون الدنيا ؟ قالوا نعم ، قال : لئن كانوا يحبون الدنيا ما أبالى أن لايعبدوا الأوثان ، وإنما أغدو عليهم وأروح بثلاث : أخذ المال من غير حقه ، وإنفاقه فى غير حقه ، وإمساكه عن حقه ، والشر كله من هذا نبع . وقال رجل لعلى كرم الله وجهه : يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا ، قال : وماأصف لك من دار من صح فيها سقم ، ومن أمن فيها ندم ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن استغنى فيها افتتن ، فى حلالها الحساب ، وفى حرامها العقاب ، ومتشابهها العتاب . وقيل له ذلك مرة أخرى فقال : أطول أم أقصر ؟ فقيل : قصر فقال : حلالها حساب ، وحرامها عذاب . وقال مالك بن دينار : اتقوا السحارة فإنها تسحر قلوب العلماء يعنى الدنيا . وقال أبو سليمان الدارانى : إذا كانت الآخرة فى القلب جاءت الدنيا تزاحمها ، فإذا كانت الدنيا فى القلب لم تزاحمها الآخرة ، لأن الآخرة كريمة والدنيا لئيمة . وهذا تشديد عظيم ونرجو أن يكون ماذكره سيار بن الحكم أصح ، إذ قال : الدنيا والآخرة يجتمعان فى القلب فأيهما غلب كان الآخر تبعا له . وقال مالك بن دينار : بقدر ماتحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك ، وبقدر ماتحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك . وهذا اقتباس مماقاله على كرم الله وجهه حيث قال : الدنيا

والآخرة ضرتان ، فبقدر ماترضى إحداهما تسخط الأخرى . وقال الحسن : والله لقد أدركت أقواما كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذى تمشون عليه ، مايبالون أشرقت الدنيا أم غربت ، ذهبت إلى ذا أو ذهبت إلى ذا ؟ وقال رجل للحسن : ماتقول فى رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه ، أيحسن له أن يتعيش فيه ؟ - يعنى يتنعم - فقال : لا ، لوكانت له الدنيا كلها ما كان له منها إلا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره وقال الفضيل : لوأن الدنيا بحذافيرها عرضت على حلالا لا أحاسب عليها فى الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه وقيل : لما قدم عمر رضى الله عنه الشام فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على الناقة مخطومة بحبل، فسلم وسأله ، ثم أتى منزله فلم ير فيه إلا سيفه وترسه ورحله فقال له عمر رضى الله عنه : لواتخذت متاعا ؟ فقال : ياأمير المؤمنين إن هذا يبلغنا المقيل . وقال سفيان : خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك . وقال الحسن : والله لقد عبدت بنو إسرائيل الأصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم الدنيا . وقال وهب : قرأت فى بعض الكتب ، الدنيا غنيمة الأكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها ، فسألوا الرجعة فلم يرجعوا . وقال لقمان لابنه : يابنى إنك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة ، فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعد عنها . وقال سعيد بن مسعود : إذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك المغبون الذى يلعب بوجهه وهو لايشعر . وقال عمرو بن العاص على المنبر : والله مارأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم ، والله مامر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث إلا والذى عليه أكثر من الذى له [1] وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ﴾ من قال ذا ؟ قاله من خلقها ومن هو أعلم بها ، إياكم وما شغل من الدنيا فإن الدنيا كثيرة الأشغال ، لايفتح رجل على نفسه باب شغل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب . وقال أيضا : مسكين ابن أدم رضى بدار حلالها حساب وحرامها عذاب ، إن أخذه من حله حوسب به ، وإن أخذه من حرام عذب به ، ابن آدم يستقل ماله ولايستقل عمله ، يفرح بمصيبته فى دينه ويجزع من مصيبته فى دنياه . وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز : سلام عليك ، أما بعد : فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات . فأجابه عمر : سلام عليك ، كأنك بالدنيا ولم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل . وقال الفضيل بن عياض الدخول فى الدنيا هين ولكن الخروج منها شديد . وقال بعضهم . عجبا لمن يعرف أن الموت حق كيف يفرح ؟ وعجبا لمن يعرف أن النار حق كيف يضحك ؟ وعجبا لمن رأى تقلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها ؟ وعجبا لمن يعلم أن القدر حق كيف ينصب ! ؟ وقدم على معاوية رضى الله عنه رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها ؟ فقال : سنيات بلاء وسنيات رخاء ، يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك ، فلولا المولود لباد الخلق ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها . فقال له : سل ماشئت ، قال : عمر مضى فترده أو أجل حضر فتدفعه، قال : لاأملك ذلك ، قال : لاحاجة لى إليك . وقال داود الطائى رحمه الله : ياابن آدم فرحت ببلوغ أملك ، وإنما بلغته بانقضاء أجلك ، ثم سوفت بعملك كان منفعته لغيرك . وقال بشر : من سأل الله الدنيا فإنما يسأله طول الوقوف بين يديه . وقال أبو حازم : مافى الدنيا شىء يسرك إلا وقد ألصق الله إليه شيئا يسوءك . وقال الحسن : لاتخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث : أنه لم يشبع مما جمع ؛ ولم يدرك ماأمل ، ولم يحسن الزاد لما يقدم عليه . وقيل لبعض العباد ؛ قد نلت الغنى ، فقال : إنما نال الغنى من عتق من رق الدنيا . وقال أبو سليمان . لايصبر

---

(١) حديث عمرو بن العاص : والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم ... الحديث » أخرجه الحاكم وصححه ورواه أحمد وابن حبان بنحوه .

عن شهوات الدنيا إلا من كان فى قلبه ما يشغله بالآخرة . وقال مالك بن دينار : اصطلحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ، ولا يدعنا الله على هذا ، فليت شعرى أى عذاب الله ينزل علينا ؟ وقال أبو حازم: يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة ، وقال الحسن . أهينوا الدنيا فو الله ماهى لأحد بأهنأ منها لمن أهانها . وقال أيضا: إذا أراد الله بعبد خيرا أعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك ، فإذا نفد أعاد عليه ، وإذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا . وكان بعضهم يقول فى دعائه : يامسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنك أمسك الدنيا عنى . وقال محمد بن المنكدر : أرأيت لو أن رجلا صام الدهر لا يفطر ، وقام الليل لا ينام ، وتصدق بماله ، وجاهد فى سبيل الله ، واجتنب محارم الله ، غير أنه يؤتى به يوم القيامة فيقال : إن هذا عظم فى عينه ما صغره الله ، وصغر فى عينه ماعظمه الله كيف ترى يكون حاله ؟ فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا ؟ وقال أبو حازم : اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة ، فأما مؤنة الآخرة فإنك لا تجد عليها أعوانا ، وأما مؤنة الدنيا فإنك لا تضرب بيدك إلى شىء منها إلا وجدت فاجرا قد سبقك إليه . وقال أبو هريرة : الدنيا موقوفة بين السماء والأرض كالشن البالى تنادى ربها منذ خلقها إلى يوم يفنيها . يارب يارب لم تبغضنى ؟ فيقول لها : اسكتى يالاشىء . وقال عبد الله بن المبارك : حب الدنيا والذنوب فى القلب قد احتوشته ، فمتى يصل الخير إليه ؟ وقال وهب بن منبه: من فرح قلبه بشىء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ، ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ، ومن غلب علمه هواه فهو الغالب . وقيل لبشر : مات فلان فقال : جمع الدنيا وذهب إلى الآخرة ، ضيع نفسه قيل له : إنه كان يفعل ويفعل ـ وذكروا أبوابا من البر ـ فقال : وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا ؟ وقال بعضهم : الدنيا تبغض إلينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت إلينا ؟ وقيل لحكيم : الدنيا لمن هى قال : لمن تركها ؟ فقيل الآخرة لمن هى ؟ قال : لمن طلبها وقال حكيم : الدنيا دار خراب وأخرب منها قلب من يعمرها ، والجنه دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها . وقال الجنيد : كان الشافعى رحمه الله من المريدين الناطقين بلسان الحق فى الدنيا ، وعظ أخاله فى الله وخوفه بالله فقال : ياأخى إن الدنيا دحض مزلة ودار مذلة ، عمرانها إلى الخراب صائر ، وساكنها إلى القبور زائر ، شملها على الفرقة موقوف ، وغناها إلى الفقر مصروف ، الإكثار فيها إعسار ، والإعسار فيها يسار ، فافزع إلى الله وارض برزق الله لا تتسلف من دار بقائك إلى دار فنائك ، فإن عيشتك فى ء زائل وجدار مائل ، أكثر من عملك وأقصر من أملك وقال إبراهيم بن أدهم لرجل: أدرهم فى المنام أحب إليك أم دينار فى اليقظة . فقال دينار فى اليقظة فقال : كذبت ، لأن الذى تحبه فى الدنيا كأنك تحبه فى المنام ، والذى لا تحبه فى الآخرة كأنك لا تحبه فى اليقظة . وعن إسمعيل بن عياش قال : كان أصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون إليك عنا يا خنزيرة ، فلو وجدوا لها اسماء أقبح من هذا لسموها به . وقال كعب : لتحببن إليكم الدنيا حتى تعبدوها وأهلها . وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله: العقلاء ثلاثة ، من ترك الدنيا قبل أن تتركه ، وبنى قبره قبل أن يدخله ، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه. وقال أيضاً : الدنيا بلغ شؤمها أن تمنيك لما يلهيك عن طاعة الله ، فكيف الوقوع فيها . وقال بكر بن عبد الله : من أراد أن يستغنى عن الدنيا بالدنيا كان كمطفىء النار بالتبن . وقال بندار : إذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون فى الزهد فاعلم أنهم فى سخرة الشيطان . وقال أيضاً : من أقبل على الدنيا أحرقته نيرانها ـ يعنى الحرص ـ حتى يصير رمادا ، ومن أقبل على الآخرة صفته بنيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ، ومن أقبل على الله عز وجل أحرقته نيران التوحيد فصار جوهراً لا حد لقيمته . وقال على كرم الله وجهه : إنما الدنيا ستة أشياء ، مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب

ومنكوح ومشموم ، فأشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب ، وأشرف المشروبات الماء ويستوى فيه البر والفاجر ، وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة ، وأشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال، وأشرف المنكوحات المرأة وهى مبال فى مبال ، وإن المرأة لتزين أحسن شيء منها ويراد أقبح شيء منها، وأشرف المشمومات المسك وهو دم

بيان المواعظ فى ذم الدنيا وصفتها

قال بعضهم : يا أيها الناس اعملوا على مهل ، وكونوا من الله على وجل ، ولا تغتروا بالأمل ونسيان الأجل ، ولا تركنوا إلى الدنيا فإنها غدّارة خدّاعة ، قد تزخرف لكم بغرورها وفتنتكم بأمانيها ، وتزينت لخطابها فأصبحت كالعروس المجلية ، العيون إليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة ، فكم من عاشق لها قتلت ، ومطمئن إليها خذلت ، فانظروا إليها بعين الحقيقة فإنها دار كثير بوائقها وذمها خالقها ، جديدها يبلى ، وملكها يفنى ، وعزيزها يذل ، وكثيرها يقل ، ودها يموت ، وخيرها يفوت ، فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم ، وانتبهوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان عليل أو مدنف ثقيل ، فهل على الدواء من دليل ، وهل إلى الطبيب من سبيل ؟ فتدعى لك الأطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان أوصى ولماله أحصى ، ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم إخوانه ولا يعرف جيرانه ، وعرق عند ذلك جبينك ، وتتابع أنينك ، وثبت يقينك ، وطمحت جفونك ، وصدقت ظنونك ، وتلجلج لسانك ، وبكى إخوانك ، وقيل لك هذا ابنك فلان ، وهذا أخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تنطق ، وختم على لسانك فلا ينطلق ، ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الأعضاء ، ثم عرج بها إلى السماء ، فاجتمع عند ذلك إخوانك وأحضرت أكفانك ، فغسلوك وكفنوك ، فانقطع عوادك واستراح حسادك، وانصرف أهلك إلى مالك ، وبقيت مرتهنا بأعمالك . وقال بعضهم لبعض الملوك : إن أحق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها وأعطى حاجته منها ، لأنه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه أو على جمعه فتفرقه ، أو تأتى سلطانه فتهدمه من القواعد ، أو تدب إلى جسمه فتسقمه ، أو تفجعه بشيء هو ضنين به بين أحبابه ، فالدنيا أحق بالذم ، هى الآخذة ماتعطى ، الراجعة فيما تهب ، بينا هى تضحك صاحبها إذ أضحكت منه غيره ، وبينا تبكى له إذ أبكت عليه ، وبينا هى تبسط كفها بالإعطاء إذ بسطتها بالاسترداد ، فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتعفره بالتراب غدا ، سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقى ، تجد فى الباقى من الذاهب خلفا ، وترضى بكل من كل بدلا . وكتب الحسن البصرى إلى عمر بن عبد العزيز : أما بعد ، فإنّ الدنيا دار ظعن ليست بدار إقامة ، وإنما أنزل آدم عليه السلام من الجنة إلى عقوبة ، فاحذرها يا أمير المؤمنين فإنّ الزاد منها تركها . والغنى منها فقرها . لها فى كل حين قتيل . تذل من أعزها . وتفقر من جمعها . هى كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه . فكن فيها كالمداوى جراحه يحتمى قليلا مخافة ما يكره طويلا . ويصبر على شدة الدواء مخافة طول الداء . فاحذر هذه الدار الغدّارة الختالة الخدّاعة التى قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وحلت بآمالها وسوّفت بخطابها . فأصبحت كالعروس المجلية . العيون إليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهى لأزواجها كلهم قالية . فلا الباقى بالماضى معتبر ولا الآخر بالأوّل مزدجر . ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عنها مذكر . فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسى المعاد ، فشغل فيها لبه حتى زلت به قدمه ، فعظمت ندامته وكثرت حسرته ، واجتمعت عليه سكرات الموت وتألمه وحسرات الفوت بغصته . وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب ، فخرج بغير زاد وقدم

على غير مهاد ، فاحذرها يا أمير المؤمنين وكن أسر ما تكون فيها أحذر ماتكون لها ؛ فإنّ صاحب الدنيا كلما اطمأنّ منها إلى سرور أشخصته إلى مكروه ، السارّ فى أهلها غار ، والنافع فيها غدّار ضار ، وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها إلى فناء ، فسرورها مشوب بالأحزان لا يرجع منها ماولى وأدبر ، ولا يدرى ما هو آت فينتظر . أمانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر ، وعيشها نكد ، وابن آدم فيها على خطر ، إن عقل ونظر فهو من النعماء على خطر ومن البلاء على الحذر ، فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ونبهت الغافل ، فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ؟ فما لها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر إليها منذ خلقها ، ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها[1] ، إذ كره أن يخالف على الله أمره أو يحب ما أبغضه خالقه أو يرفع ما وضع مليكه ، فزواها عن الصالحين اختبارا وبسطها لأعدائه اغترارا ، فيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرم بها ؛ ونسى ماصنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شدّ الحجر على بطنه[2] ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه عز وجل أنه قال لموسى عليه السلام : إذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته ، وإذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحباً بشعار الصالحين ، وإن شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى ابن مريم عليه السلام فإنه كان يقول : إدامى الجوع ، وشعارى الخوف ، ولباسى الصوف ، وصلاتى فى الشتاء فى مشارق الشمس ، وسراجى القمر ، ودابتى رجلاى ، وطعامى وفاكهتى ما أنبتت الأرض ، أبيت وليس لى شىء ، وأصبح وليس لى شىء ، وليس على الأرض أحد أغنى منى . وقال وهب بن منبه : لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام إلى فرعون قال : لا يروعنكما لباسه الذى لبس من الدنيا ، فإن ناصيته بيدى ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس إلا بإذنى ، ولا يعجبنكما ما تمتع به منها فإنما هى زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين ، فلو شئت أن أزينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن قدرته تعجز عما أوتيتما لفعلت ، ولكنى أرغب بكما عن ذلك فأزوى ذلك عنكما ، وكذلك أفعل بأوليائى إنى لأذودهم عن نعيمها كما يذود الراعى الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة ، وإنى لأجنبهم ملاذها كما يجنب الراعى الشفيق إبله عن منازل الغرة ، وما ذاك لهوانهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتى سالما موفرا ، إنما يتزين لى أولياؤى بالذل والخوف والخضوع والتقوى تنبت فى قلوبهم وتظهر على أجسادهم ، فهى ثيابهم التى يلبسون ودثارهم الذى يظهرون ، وضميرهم الذى يستشعرون ، ونجاتهم التى بها يفوزون ، ورجاؤهم الذى إياه يأملون ، ومجدهم الذى به يفخرون ، وسيماهم التى بها يعرفون ، فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك ، وذلل لهم قلبك ولسانك ، واعلم أنه من أخاف لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ، ثم أنا الثائر له يوم القيامة .

وخطب على كرم الله وجهه يوما خطبة فقال فيها : اعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا فإنها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة ، وكل ما فيها إلى زوال وهى بين أهلها دول وسجال ، لا تدوم أحوالها ولا يسلم من شرها نزالها ، بينا أهلها منها فى رخاء

---

(١) حديث الحسن وكتب به إلى عمر بن عبد العزيز : عرضت أى الدنيا على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا هكذا مرسلا ورواه أحمد والطبرانى متصلا من حديث أبى موهبة فى أثناء حديث فيه « إنى قد أعطيت خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة ... الحديث » وسنده صحيح وللترمذى من حديث أبى أمامة « عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا ... الحديث » (٢) حديث الحسن مرسلا فى شده الحجر على بطنه . أخرجه ابن أبى الدنيا أيضاً هكذا وللبخارى من حديث أنس : رفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرين ، وقال حديث غريب .

وسرور إذا هم منها فى بلاء وغرور . أحوال مختلفة وتارات منصرفة . العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة . ترميهم بسهامها وتقصيهم بحمامها . وكل حتفه فيها مقدور وحظه فيها موفور . واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعمارا وأشد منكم بطشا وأعمر ديارا وأبعد آثارا . فأصبحت أصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية . واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة . الصخور والأحجار المسندة فى القبور اللاطئة الملحدة . فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين . لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والإخوان على ما بينهم من قرب المكان والجوار ودنو الدار . وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلا وأكلتهم الجنادل والثرى ؟ وأصبحوا بعد الحياة أمواتاً وبعد نضارة العيش رفاتا فجمعهم الأحباب وسكنوا تحت التراب ظعنوا فليس لهم إياب . هيهات هيهات ﴿ كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ فكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلاء والوحدة فى دار المثوى وارتهنتم فى ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع . فكيف بكم لو عاينتم الأمور وبعثرت القبور وحصل ما فى الصدور وأوقفتم للتحصيل بين يدى الملك الجليل فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والأستار وظهرت منكم العيوب والأسرار ؟ هنالك تجزى كل نفس بما كسبت إن الله عز وجل يقول ﴿ ليجزى الذى أساءوا بما عملوا ويجزى الذى أحسنوا بالحسنى ﴾ وقال تعالى ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ﴾ الآية جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه متبعين لأوليائه حتى يحلنا وإياكم دار المقامة من فضله إنه حميد مجيد .

وقال بعض الحكماء : الأيام سهام والناس أغراض ، والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك ، فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالى فى بدنك ؟ لو كشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتى عليك واستثقلت مر الساعة بك ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار ، وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها . وإنها لأمر من العلقم إذا عجنها الحكيم ، وقد أعيت الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها ، وما تأتى به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ ، اللهم أرشدنا إلى الصواب وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها فقال . الدنيا وقتك الذى يرجع إليك فيه طرفك ، لأن مامضى عنك فقد فاتك إدراكه ، ومالم يأت فلا علم لك به ، والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعاته ، وأحداثه تتوالى على الإنسان بالتغيير والنقصان ، والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول ، والأمل طويل والعمر قصير وإلى الله تصير الأمور .

وخطب عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فقال : يا أيها الناس إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون به فإنكم حمقى ، وإن كنتم تكذبون به فإنكم هلكى ، إنما خلقتم للأبد ولكنكم من دار إلى دار تنقلون ، عباد الله إنكم فى دار لكم فيها من طعامكم غصص ، ومن شرابكم شرق ، لا تصفو لكم نعمة تسرون بها إلا بفراق أخرى تكرهون فراقها ، فاعملوا لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه . ثم غلبه البكاء ونزل .

قال على كرم الله وجهه فى خطبته : أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وإن كنتم لا تحبون تركها ، المبلية أجسامكم وأنتم تريدون تجديدها ، فإنما مثلكم ومثلها كمثل قوم فى سفر سلكوا طريقاً وكأنهم قطعوه ، وأفضوا إلى علم فكأنهم بلغوه ، وكم عسى أن يجرى المجرى حتى ينتهى إلى الغاية ؟ وكم عسى أن يبقى من له يوم فى

الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها ؟ فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فإنه إلى انقطاع ، ولا تفرحوا بمتاعها ونعمائها فإنه إلى زوال ، عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس بمغفول عنه ،

وقال محمد بن الحسين : لما علم أهل الفضل والعلم والمعرفة والأدب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا ، وأنه لم يرضها لأوليائه ، وأنها عنده حقيرة قليلة ، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر أصحابه من فتنتها ، أكلوا منها قصداً وقدّموا فضلا ، وأخذوا منها مايكفى وتركوا مايلهى ، لبسوا من الثياب ماستر العورة ، وأكلوا من الطعام أدناه مماسدّ الجوعة ، ونظروا إلى الدنيا بعين أنها فانية ؛ وإلى الآخرة أنها باقية ، فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة ، ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم فعلموا أنهم سينظرون إليها بأعينهم فارتحلوا إليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم ، تعبوا قليلا وتنعموا طويلا ، كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم ، أحب ماأحب لهم وكرهوا ما كره لهم .

بيان صفة الدنيا بالأمثلة

اعلم أنّ الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء ، تعد بالبقاء ثم تخلف فى الوفاء ، تنظر إليها فتراها ساكنة مستقرة ، وهى سائرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ، ولكن الناظر إليها قد لايحس بحركتها فيطمئن إليها ، وإنما يحس عند انقضائها ، ومثالها الظل فإنه متحرك ساكن متحرك فى الحقيقة ساكن الظاهر ، لاتدرك حركته بالبصر الظاهر ، بل بالبصيرة الباطنة ، ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصرى رحمه الله أنشد وقال :

أحلام نوم أو كظل زائل إنّ اللبيب بمثلها لا يخدع

وكان الحسن بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه يتمثل كثيرا ويقول :

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها إن اغتراراً بظل زائل حمق

وقيل إن هذا من قوله . ويقال : إن أعرابياً نزل بقوم فقدموا إليه طعاما فأكل ، ثم قام إلى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة فأصابته الشمس فانتبه ، فقام وهو يقول :

ألا إنما الدنيا كظل ثنية ولا بد يوماً أن ظلك زائل

وكذلك قيل :

وإن امرأ دنياه أكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور

مثال آخر للدنيا من حيث التغرير بخيالاتها ثم الإفلاس منها بعد إفلاتها . تشبه خيالات المنام وأضغاث الأحلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعاقبون [1] » وقال يونس بن عبيد . ماشبهت نفسى فى الدنيا إلا كرجل نام فرأى فى منامه مايكره وما يحب فبينما هو كذلك إذ انتبه ، فكذلك الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ، فإذا ليس بأيديهم شىء مما ركنوا إليه وفرحوا به . وقيل لبعض الحكماء . أى شىء أشبه بالدنيا ؟ قال أسلام النائم .

مثال آخر للدنيا فى عداوتها لأهلها وإهلاكها لبنيها . اعلم أن طبع الدنيا التلطف فى الاستدراج أولا والتوصل إلى الإهلاك آخرا ، وهى كامرأة تتزين للخطاب حتى إذا نكحتهم ذبحتهم . وقد روى أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها فى صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة ، فقال لها . كم تزوجت ؟ قالت . لا أحصيهم ، قال

---

(١) حديث « الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعاقبون » لم أجد له أصلا .

فكلهم مات عنك أم كلهم طلقك ؟ قالت : بل كلهم قتلت ، فقال عيسى عليه السلام : بؤساً لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين ! كيف تهلكينهم واحدا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر ! ؟ .

مثال آخر للدنيا فى مخالفة ظاهرها لباطنها : اعلم أن الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهى شبه عجوز متزينة تخدع الناس بظاهرها ، فإذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم فى الاغترار بظاهرها . وقال العلاء بن زياد : رأيت فى المنام عجوزا كبيرة متعصبة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها معجبون ينظرون إليها ، فجئت ونظرت وتعجبت من نظرهم إليها وإقبالهم عليها فقلت لها : ويلك من أنت ؟ قالت : أو ما تعرفنى ؟ قلت : لا أدرى ! من أنت ؟ قالت : أنا الدنيا ، قلت : أعوذ بالله من شرك ! قالت : إن أحببت أن تعاذ من شرى فابغض الدرهم . قال أبو بكر بن عياش : رأيت الدنيا فى النوم عجوزا مشوهة شمطاء تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها ويصفقون ويرقصون ، فلما كانت بحذائى أقبلت على فقالت : لو ظفرت بك لصنعت بك مثل ما صنعت بهؤلاء . ثم بكى أبو بكر وقال : رأيت هذا قبل أن أقدم إلى بغداد وقال الفضيل بن عياض : قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيامة فى صورة عجوز شمطاء زرقاء ، أنيابها بادية ومشوه خلقها ، فتشرف على الخلائق فيقال لهم أتعرفون هذه ؟ فيقولون : نعوذ بالله من معرفة هذه ! فيقال : هذه الدنيا التى تناحرتم عليها ، بها تقاطعتم الأرحام ، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ، ثم يقذف بها فى جهنم فتنادى : أى رب أين أتباعى وأشياعى ؟ فيقول الله عز وجل ؟ ألحقوا بها أتباعها وأشياعها. وقال الفضيل : بلغنى أن رجلا عرج بروحه فإذا امرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة من الحلى والثياب ، وإذا لا يمر بها أحد إلا جرحته، فإذا هى أدبرت كانت أحسن شىء رآه الناس ، وإذا هى أقبلت كانت أقبح شىء رآه الناس ، عجوز شمطاء زرقاء عمشاء قال : فقلت : أعوذ بالله منك ! قالت : لا والله . لا يعيذك الله منى حتى تبغض الدرهم ! قال : فقلت من أنت ؟ قالت : أنا الدنيا .

مثال آخر للدنيا وعبور الإنسان بها : اعلم أن الأحوال ثلاثة : حالة لم تكن فيها شيئا وهى ماقبل وجودك إلى الأزل ، وحالة لاتكون فيها مشاهدا للدنيا وهى مابعد موتك إلى الأبد ، وحالة متوسطة بين الأبد والأزل وهى أيام حياتك فى الدنيا ؛ فانظر إلى مقدار طولها وانسبه إلى طرفى الأزل والأبد حتى تعلم إنه أقل من منزل قصير فى سفر بعيد . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « مالى وللدنيا ! وإنما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب سار فى يوم صائف فرفعت شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها [٢] » ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها ولم يبال كيف انقضت أيامه فى ضر وضيق أو فى سعة ورفاهية ، بل لايبنى لبنة على لبنة . توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة [١] ورأى بعض الصحابة يبنى بيتاً من جص فقال « أرى الأمر أعجل من هذا وأنكر ذلك [٢] » وإلى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال : الدنيا قنطرة فاعبروها ولاتعمروها . وهو مثال واضح فإن الحياة الدنيا معبر إلى الآخرة ، والمهد هو الميل الأول على رأس القنطرة ، واللحد هو الميل الآخر ،

---

(١) حديث « مالى وللدنيا إنما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب ... الحديث » أخرجه الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث ابن مسعود بنحوه ورواه أحمد والحاكم وصححه من حديث ابن عباس .

(٢) حديث : ماوضع لبنة على لبنة ... الحديث . أخرجه ابن حبان فى الثقات والطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف « من سأل عنى أو سره أن ينظر الى فلينظر الى أشعث شاحب مشمر لم يضع لبنة على لبنة .. الحديث » (٢) حديث: رأى بعض أصحابه يبنى بيتا من جص فقال « أرى الأمر أعجل من هذا » أخرجه أبو داود والترمذى من حديث عبد الله بن عمرو وقال حسن صحيح .

وبينهما مسافة محدودة ، فمن الناس من قطع نصف القنطرة ، ومنهم من قطع ثلثها ، ومنهم من قطع ثلثيها ، ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها . وكيفما كان فلابد له من العبور ، والبناء على القنطرة وتزيينها بأصناف الزينة وأنت عابر عليها غاية الجهل والخذلان .

مثال آخر للدنيا فى لين موردها وخشونة مصدرها : اعلم أن أوائل الدنيا تبدو هينة لينة يظن الخائض فيها أن حلاوة خفضها كحلاوة الخوض فيها وهيهات ! فإن الخوض فى الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد ، وقد كتب على رضى الله عنه إلى سلمان الفارسى بمثالها فقال : مثل الدنيا مثل الحية لين مسها ويقتل سمها ، فأعرض عما يعجبك منها لقلة مايصحبك منها ، وضع عنك همومها بما أيقنت من فراقها ، وكن أسر ماتكون فيها أحذر ماتكون لها ، فإن صاحبها كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصه عنه مكروه والسلام .

مثال آخر للدنيا فى تعذر الخلاص من تبعتها بعد الخوض فيها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما مثل صاحب الدنيا كالماشى فى الماء هل يستطيع الذى يمشى فى الماء أن لاتبتل قدماه [1] » وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا أنهم يخوضون فى نعيم الدنيا بأبدانهم وقلوبهم منها مطهرة ، وعلائقها عن بواطنهم منقطعة ، وذلك مكيدة من الشيطان بل لو أخرجوا عما هم فيه لكانوا من أعظم المتفجعين بفراقها ، فكما أن المشى على الماء يقتضى بللا لامحالة يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضى علاقة وظلمة فى القلب ، بل علاقة الدنيا مع القلب تمنع حلاوة العبادة. قال عيسى عليه السلام : بحق أقول لكم ، كما ينظر المريض إلى الطعام فلا يلتذ به من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لايلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع مايجد من حب الدنيا ، وبحق أقول لكم ، إن الدابة إذا لم تركب وتمتهن تصعب ويتغير خلقها كذلك القلوب إذا لم ترفق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ ، وبحق أقول لكم ، إن الزق مالم ينخرق أو يقحل يوشك أن يكون وعاء للعسل كذلك القلوب مالم تخرقها الشهوات أو يدنسها الطمع أو يقسيها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة . وقال النبى صلى الله عليه وسلم « إنما بقى من الدنيا بلاء وفتنة وإنما مثل عمل أحدكم كمثل الوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله وإذا خبث أعلاه خبث أسفله [2] » .

مثال آخر لما بقى من الدنيا وقلته بالإضافة لما سبق : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقى متعلقا بخيط فى آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع [3] »

مثال آخر لتأدية علائق الدنيا بعضها إلى بعض حتى الهلاك : قال عيسى عليه السلام : مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله .

مثال آخر لمخالفة آخر الدنيا أولها ولنضارة أوائلها وخبث عواقبها ، اعلم أن شهوات الدنيا فى القلب لذيذة كشهوات الأطعمة فى المعدة ، وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا فى قلبه من الكراهة والنتن والقبح مايجده للأطعمة اللذيذة إذا بلغت فى المعدة غايتها ، وكما أن الطعام كلما كان ألذ طعما وأكثر دسما وأظهر حلاوة كان رجيعه أقذر وأشد نتنا ، فكذلك كل شهوة فى القلب هى أشهى وألذ وأقوى ، فنتنها وكراهتها والتأذى بها عند الموت أشد

---

(١) حديث « إنما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشى فى الماء ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب من رواية الحسن قال : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره . ووصله البيهقى فى الشعب وفى الزهد من رواية الحسن عن أنس

(٢) حديث « إنما بقى من الدنيا بلاء وفتنة ... الحديث » أخرجه ابن ماجه من حديث معاوية فرقه فى موضعين ورجاله ثقات

(٣) حديث « مثل هذه الدنيا كمثل ثوب شق من أوله إلى آخره » أخرجه أبو الشيخ ابن حبان فى الثواب وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى شعب الإيمان من حديث أنس بسند ضعيف :

بل هى فى الدنيا مشاهدة ، فإن من نهبت داره وأخذ أهله وماله وولده ، فتكون مصيبته وألمه وتفجعه فى كل ما فقد بقدر لذته به وحبه له وحرصه عليه ، فكل ما كان عند الوجود أشهى عنده وألذ فهو عند الفقد أدهى وأمر ، ولا معنى للموت إلا فقد ما فى الدنيا . وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للضحاك بن سفيان الكلابى « ألست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والماء ؟ ، قال : بلى ؛ قال « فالإم يصير » قال : إلى ما قد علمت يارسول الله ، قال : « فإن الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير إليه طعام ابن آدم[1] » وقال أبى بن كعب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا ضربت مثلا لابن آدم فانظر إلى ما يخرج من ابن آدم وإن قزحه وملحه إلام يصير[2] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم بن آدم للدنيا مثلا وإن قزحه وملحه[3] » وقال الحسن : قد رأيتهم يطيبونه بالأفاويه والطيب ثم يرمون به حيث رأيتم وقد قال الله عز وجل ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾ قال ابن عباس إلى رجيعه وقال رجل لابن عمر إنى أريد أن أسألك وأستحيى قال فلا تستحى واسأل قال إذا قضى أحدنا حاجته فقام ينظر إلى ذلك منه قال نعم إن الملك يقول له انظر إلى ما بخلت به أنظر إلى ماذا صار . وكان بشر بن كعب يقول انطلقوا حتى أريكم الدنيا فيذهب بهم إلى مزبلة فيقول انظروا إلى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم .

مثال آخر فى نسبة الدنيا إلى الآخرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما الدنيا فى الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر أحدكم بم يرجع إليه[4] » .

مثال آخر للدنيا وأهلها فى اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها : اعلم أن أهل الدنيا مثلهم فى غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم إلى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج إلى قضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها ، فتفرقوا فى نواحى الجزيرة فقضى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة فصادف المكان خاليا فأخذ أوسع الأماكن وألينها وأوفقها لمراده ، وبعضهم توقف فى الجزيرة ينظر إلى أنوارها وأزهارها العجيبة وغياضها الملتفة ونغمات طيورها الطيبة وألحانها الموزونة الغريبة وصار يلحظ من بريتها أحجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الألوان والأشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة أعين الناظرين بحسن زبرجدها وعجائب صورها ، ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع إليها فلم يصادف إلا مكانا ضيقاً حرجا فاستقر فيه ؛ وبعضهم أكب على تلك الأصداف والأحجار وأعجبه حسنها ولم تسمح نفسه بإهمالها فاستصحب منها جملة ، فلم يجد فى السفينة إلا مكانا ضيقاً وزاده ما حمله من الحجارة ضيقا وصار ثقيلا عليه ووبالا ، فندم على أخذه ولم يقدر على رميه ولم يجد مكانا لوضعه ، فحمله فى السفينة على عنقه وهو متأسف على أخذه وليس ينفعه التأسف . وبعضهم تولج الغياض ونسى المركب وبعد فى متفرجه ومتنزهه منه حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله بأكل تلك الثمار واستشمام تلك الأنوار والتفرج بين تلك الأشجار ، وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات

---

(١) حديث : أنه قال للضحاك بن سفيان الكلابى ألست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح ... الحديث . وفيه « فإن الله ضرب مثل الدنيا لما يصير إليه طعام ابن آدم » أخرجه أحمد والطبرانى من حديثه بنحوه وفيه على بن زيد بن جدعان مختلف فيه (٢) حديث أبى بن كعب : إن الدنيا ضربت مثلا لابن آدم ... الحديث . أخرجه الطبرانى وابن حبان بلفظ : إن مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلا ورواه عبد الله بن أحمد فى زياداته بلفظ « جمل » (٣) حديث « إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا ... الحديث » الشطر الأول منه غريب والشطر الأخير هو الذى تقدم من حديث الضحاك بن سفيان « إن الله ضرب ما يخرج من بنى آدم مثلا للدنيا » (٤) حديث « ما الدنيا فى الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع إليه » أخرجه مسلم من حديث المستورد بن شداد .

والنكبات ، ولا منفك عن شوك ينشب بثيابه وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل فى رجله وصوت هائل يفزع منه وعوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه عن الانصراف لو أراده ، فلما بلغه نداء أهل السفينة انصرف مثقلا بما معه ولم يجد فى المركب موضعا فبقى فى الشط حتى مات جوعا . وبعضهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة فمنهم من افترسته السباع ، ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك ، ومنهم من مات فى الأوحال ، ومنهم من نهشته الحيات ، فتفرقوا كالجيف المنتنة .

وأما من وصل إلى المركب بثقل ما أخذه من الأزهار والأحجار ، فقد استرقته وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه ، فلم يلبث أن ذبلت تلك الأزهار وكمدت تلك الألوان والأحجار فظهر نتن رائحتها فصارت مع كونها مضيقة عليه مؤذية له بنتنها ووحشتها . فلم يجد حيلة إلا أن ألقاها فى البحر هربا منها ، وقد أثر فيه ما أكل منها فلم ينته إلى الوطن إلا بعد أن ظهرت عليه الأسقام بتلك الروائح فبلغ سقيما مدبرا . ومن رجع قريبا ما فاته إلا سعة المحل فتأذى بضيق المكان مدة ، ولكن لما وصل إلى الوطن استراح ، ومن رجع أولا وجد المكان الأوسع ووصل إلى الوطن سالما . فهذا مثال أهل الدنيا فى اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمورهم . وما أقبح من يزعم أنه بصير عاقل أن تغره أحجار الأرض وهى الذهب والفضه وهشيم النبت وهى زينة الدنيا ، وشىء من ذلك لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا ووبالا عليه وهو فى الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه . وهذه حال الخلق كلهم إلا من عصمه الله عز وجل .

مثال آخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف إيمانهم : قال الحسن رحمه الله بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه « إنما مثلى ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء ، حتى إذا لم يدروا ، ماسلكوا منها أكثر أو ما بقى ؟ أنفدوا الزاد وخسروا الظهر وبقوا بين ظهرانى المفازة ولا زاد ولا حمولة فأيقنوا بالهلكة ، فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم رجل فى حلة تقطر رأسه ، فقالوا : هذا قريب عهد بريف وماجاءكم هذا إلا من قريب ، فلما انتهى إليهم قال : ياهؤلاء : فقالوا : ياهذا ! فقال علام أنتم ؟ فقالوا : على ماترى ، فقال : أرأيتم إن هديتكم إلى ماء رواء ورياض خضر ماتعملون ؟ قالوا : لانعصيك شيئا ، قال : عهودكم ومواثيقكم بالله ، فأعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيئا قال : فأوردهم ماء رواء ورياضا خضرا فمكث فيهم ماشاء الله ثم قال : يا هؤلاء ! قالوا : ياهذا ! قال : الرحيل ! قالوا : إلى أين ؟ قال : إلى ماء ليس كمائكم وإلى رياض ليست كرياضكم ، فقال أكثرهم : والله ماوجدنا هذا حتى ظننا أنا لن نجده ومانصنع بعيش خير من هذا ؟ وقالت طائفة ـ وهم أقلهم ـ ألم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله أن لاتعصوه شيئا وقد صدقكم فى أول حديثه فوالله ليصدقنكم فى آخره ؟ فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبدرهم عدو فأصبحوا بين أسير وقتيل [1] » .

ومثال آخر لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها : اعلم أن مثل الناس فيما أعطوا من الدنيا مثل رجل هيأ دارا وزينها وهو يدعو إلى داره على الترتيب قوما ، واحداً بعد واحد ، فدخل واحد داره فقدم إليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه ، لا ليتملكه ويأخذه ، فجهل رسمه وظن أنه قد وهب ذلك فتعلق به قلبه لما ظن أنه له ، فلما استرجع منه ضجر وتفجع ، ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيب قلب

(١) حديث الحسن : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه « إنما مثلى ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا هكذا بطوله لأحمد والبزار والطبرانى من حديث ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فيما يرى النائم ملكان الحديث وفيه « فقال أى أحد الملكين إن مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى مفازة » فذكر نحوه أخصر منه وإسناده حسن .

وانشراح صدر ، وكذلك من عرف سنة الله فى الدنيا علم أنها دار ضيافة سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعوارى ، ولا يصرفون إليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها . فهذه أمثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها نسأل الله تعالى اللطيف الخبير حسن العون بكرمه وحلمه .

بيان حقيقة الدنيا وماهيتها فى حق العبد

اعلم أنّ معرفة ذم الدنيا لا تكفيك مالم تعرف الدنيا المذمومة ماهى ؟ وما الذى ينبغى أن يجتنب منها وما الذى لا يجتنب ؟ فلا بد وأن نبين الدنيا المذمومة المأمور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ماهى ؟ فنقول : دنياك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك ، فالقريب الدانى منها يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت ، والمتراخى المتأخر يسمى آخرة وهو مابعد الموت ، فكل مالك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة عاجل الحال قبل الوفاة فهى الدنيا فى حقك إلا أنّ جميع مالك إليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هو ثلاثة أقسام .

القسم الأول : مايصحبك فى الآخرة وتبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيئان : العلم والعمل فقط ؛ وأعنى بالعلم : العلم بالله وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت أرضه وسمائه والعلم بشريعة نبيه وأعنى بالعمل . العبادة الخالصة لوجه الله تعالى ، وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير ذلك ألذ الأشياء عنده فيهجر النوم والمطعم والمنكح فى لذته لأنه أشهى عنده من جميع ذلك فقد صار حظاً عاجلا فى الدنيا . ولكنا إذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا أصلا بل قلنا إنه من الآخرة ، وكذلك العابد قد يأنس بعبادته فيستلذها بحيث لو منع عنها لكان ذلك أعظم العقوبات عليه ، حتى قال بعضهم : ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بينى وبين قيام الليل ، وكان آخر يقول : اللهم ارزقنى قوة الصلاة والركوع والسجود فى القبر . فهذا قد صارت الصلاة عنده من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ، ولكنا لسنا نعنى بالدنيا المذمومة ذلك ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « حبب إلى من دنياكم ثلاث : النساء والطيب وقرة عينى فى الصلاة[1] » فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا . وكذلك كل مايدخل فى الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا ، والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود إنما يكون فى الدنيا فلذلك أضافها إلى الدنيا إلا أنا لسنا فى هذا الكتاب نتعرض إلا للدنيا المذمومة ، فنقول هذه ليست من الدنيا .

القسم الثانى : وهو المقابل له على الطرف الأقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له فى الآخرة أصلا ، كالتلذذ بالمعاصى كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الحاجات ، والضرورات الداخلة فى جملة الرفاهية والرعونات ، كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث والغلمان والجوارى والخيول والمواشى والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الأطعمة ، فحظ العبد من هذا كله هى الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولا أوفى محل الحاجة نظر طويل ، إذ روى عن عمر رضى الله عنه أنه استعمل أبا الدرداء على حمص فاتخذ كنيفا أنفق عليه درهمين ، فكتب إليه عمر : من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عويمر ، قد كان لك فى بناء فارس والروم ماتكتفى به عن عمران الدنيا حين أراد الله خرابها ، فإذا أتاك كتابى هذا فقد سيرتك إلى دمشق أنت وأهلك . فلم يزل بها حتى مات . فهذا رآه فضولا من الدنيا فتأمل فيه .

---

(١) حديث « حبب إلى من دنياكم ثلاث : الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة » أخرجه النسائى والحاكم من حديث أنس دون قوله « ثلاث » وتقدم فى النكاح .

القسم الثالث : وهو متوسط بين الطرفين كل حظ فى العاجل معين على أعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن ، وكل ما لا بد منه ليتأتى للإنسان البقاء والصحة التى بها يتوصل إلى العلم والعمل. وهذا ليس من الدنيا كالقسم الأول ، لأنه معين على القسم الأول ووسيلة إليه . فهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصر به من أبناء الدنيا ، وإن كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثانى وصار من جملة الدنيا . ولا يبقى مع العبد عند الموت إلا ثلاث صفات : صفاء القلب ؛ أعنى طهارته عن الأدناس ، وأنسه بذكر الله تعالى ، وحبه لله عز وجل . وصفاء القلب وطهارته لا يحصلان إلا بالكف عن شهوات الدنيا والأنس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله تعالى والمواظبة عليه والحب لا يحصل إلا بالمعرفة . ولا تحصل معرفة الله إلا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هى المنجيات المسعدات بعد الموت .

أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهى من المنجيات إذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله كما ورد فى الأخبار « إن أعمال العبد تناضل عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه وإذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه [1] » الحديث .

وأما الأنس والحب فهما من المسعدات وهما موصلان العبد إلى لذة اللقاء والمشاهدة ، وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت إلى أن يدخل أوان الرؤية فى الجنة ، فيصير القبر روضة من رياض الجنة ، وكيف لا يكون القبر عليه روضة من رياض الجنة ولم يكن له إلا محبوب واحد ؟ وكانت العوائق تعوقه عن دوام الأنس بدوام ذكره ومطالعة جماله ، فارتفعت العوائق وأفلت من السجن وخلى بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سليما من الموانع آمناً من العوائق ؟ وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب إلا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة فى الرجوع إليه ؟ ولذلك قيل :

ماحال من كان له واحـــد غيب عنه ذلك الواحـــد

وليس الموت عدما إنما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى . فإذا سالك طريق الآخرة هو المواظب على أسباب هذه الصفات الثلاث وهى الذكر والفكر والعمل الذى يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض إليه ملاذها ويقطعه عنها ، وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن ، وصحة البدن لا تنال إلا بقوت وملبس ومسكن ، ويحتاج كل واحد إلى أسباب . فالقدر الذى لابد منه من هذه الثلاثة إذا أخذه العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من أبناء الدنيا وكانت الدنيا فى حقه مزرعة للآخرة ، وإن أخذ ذلك لحظ النفس وعلى قصد التنعم صار من أبناء الدنيا والراغبين فى حظوظها ، إلا أن الرغبة فى حظوظ الدنيا تنقسم إلى مايعرض صاحبه لعذاب الآخرة ويسمى ذلك حراما ، وإلى مايحول بينه وبين الدرجات العلا ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا . والبصير يعلم أن طول الموقف فى عرصات القيامة لأجل المحاسبة أيضا عذاب فمن نوقش الحساب عذب [2] إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حلالها حساب وحرامها عذاب [3] » وقد قال أيضا « حلالها عذاب » إلا إنه عذاب أخف من عذاب الحرام،

---

(١) حديث : مناضلة أعمال العبد عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل فدفع عنه ... الحديث » أخرجه الطبرانى من حديث عبد الرحمن بن سمرة بطوله وفيه خالد بن عبد الرحمن المخزومى ضعفه البخارى وأبو حاتم ولأحمد من حديث أسماء بنت أبى بكر « إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمنا أحزبه عمله الصلاة والصيام ... الحديث » وإسناده صحيح (٢) حديث « من نوقش الحساب عذب » متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث « حلالها حساب وحرامها عذاب » أخرجه ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب من طريقه موقوفا على على بن أبى طالب بإسناد منقطع بلفظ « وحرامها النار » ولم أجده مرفوعا .

بل لو لم يكن الحساب لكان مايفوت من الدرجات العلا فى الجنة ومايرد على القلب من التحسر على تفوتها لحظوظ حقيرة خسيسة لابقاء لها هو أيضاً عذاب ، وقس به حالك فى الدنيا إذا نظرت إلى أقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرات مع علمك بأنها سعادات منصرمة لابقاء لها ؟ منغصة بمكدورات لاصفاء لها فما حالك فى فوات سعادة لايحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الدهور دون غايتها ؟ فكل من تنعم فى الدنيا ولو بسماع صوت من طائر أو بالنظر إلى خضرة أو شربة ماء بارد فإنه ينقص من حظه فى الآخرة أضعافه ، وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه « هذا من النعيم الذى تسئل عنه [1] » أشار به إلى الماء البارد . والتعرض لجواب ، السوال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار ، وكل ذلك من نقصان الحظ ، ولذلك قال عمر رضى الله عنه : اعزلوا عنى حسابها ، حين كان به عطش فعرض عليه ماء بارد بعسل فأداره فى كفه ثم امتنع عن شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حرامها وحلالها ملعونة إلا ماأعان على تقوى الله ، فإن ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته أقوى وأتقن كان حذره من نعيم الدنيا أشد ، حتى إن عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لما نام ثم رماه ، إذ تمثل له إبليس وقال : رغبت فى الدنيا ! وحتى إن سليمان عليه السلام فى ملكه كان يطعم الناس لذائذ الأطعمة وهو يأكل خبز الشعير ، فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتهانا وشدة ، فإن الصبر عن لذائذ الأطعمة مع القدرة عليها ووجودها أشد ولهذا روى أن الله تعالى زوى الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوى أياما [2] وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع [3] ، ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الأنبياء والأولياء ثم الأمثل فالأمثل ، كل ذلك نظراً لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الآخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ، ويلزم ألم الفصد والحجامة شفقة عليه وحباله لابخلا عليه . وقد عرفت بهذا أن كل ماليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا .

فإن قلت : فما الذى هو لله ؟ فأقول : الأشياء ثلاثة أقسام : منها مالا يتصور أن يكون لله وهو الذى يعبر عنه بالمعاصى والمحظورات وأنواع التنعمات فى المباحات ، وهى الدنيا المحضة المذمومة ، فهى الدنيا صورة ومعنى ومنها ماصورته لله ويمكن أن يجعل لغير الله وهو ثلاثة : الفكر والذكر والكف عن الشهوات فإن هذه الثلاثة إذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى أمر الله واليوم الآخر فهى لله وليست من الدنيا ، وإن كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرف به وطلب القبول بين الخلق بإظهار المعرفة أو كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال أو الحمية لصحة البدن والاشتهار بالزهد ، فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى وإن كان يظن بصورته أنه لله تعالى . ومنها ماصورته لحظ النفس ويمكن أن يكون معناه لله ، وذلك كالأكل والنكاح وكل مايرتبط به بقاؤه وبقاء ولده ، فإن كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا وإن كان القصد الاستعانة به على التقوى فهو لله بمعناه وإن كانت صورته صورة الدنيا . قال صلى الله عليه وسلم « من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقى الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر [4] » فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد ، فإذاً الدنيا حظ نفسك العاجل الذى لاحاجة إليه لأمر الآخرة ويعبر عنه بالهوى ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ ونهى النفس عن

---

(١) حديث هذا من النعيم الذى تسئل عنه تقدم فى الأطعمة (٢) حديث : زوى الله الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوى أياما أخرجه محمد بن خفيف فى شرف الفقراء من حديث عمر بن الخطاب قال : قلت يارسول الله عجبا لمن بسط الله لهم الدنيا وزواها عنك ... الحديث . وهو من طريق إسحاق معلقا وللترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يبيت الليالى المتتابعة طاويا وأهله ... الحديث . قال الترمذى حسن صحيح (٣) حديث : كان يشد الحجر على بطنه من الجوع . تقدم . (٤) حديث « من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقى الله وهو عليه غضبان ... الحديث » أخرجه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بسند ضعيف

الهوى فإنّ الجنة هى المأوى ﴾ ومجامع الهوى خمسة أمور : وهى ماجمعه الله تعالى فى قوله ﴿ إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ﴾ والأعيان التى تحصل منها هذه الخمسة سبعة : يجمعها قوله تعالى ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا ﴾ فقد عرفت أنّ كل ماهو لله فليس من الدنيا ، وقدر ضرورة القوت ومالابدّ منه من مسكن وملبس هو لله إن قصد به وجه الله ، والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله . وبين التنعم والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة . ولها طرفان وواسطة : طرف يقرب من حدّ الضرورة فلا يضر فإنّ الاقتصار على حدّ الضرورة غير ممكن ، وطرف يزاحم جانب التنعم ويقرب منه وينبغى أن يحذر منه ، وبينهما وسائط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه .

والحزم فى الحذر والتقوى والتقرب من حدّ الضرورة ماأمكن اقتداء بالأنبياء والأولياء عليهم السلام ؛ إذ كانوا يردون أنفسهم إلى حدّ الضرورة حتى إن أويسا القرنى كان يظن أهله أنه مجنون لشدة تضييقه على نفسه ، فبنوا له بيتا على باب دارهم فكان يأتى عليهم السنة والسنتان والثلاث لايرون له وجها ، وكان يخرج أوّل الأذان ويأتى إلى منزله بعد العشاء الآخرة ، وكان طعامه أن يلتقط النوى ، وكلما أصاب حشفة خبأها لإفطاره وإن لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى بثمنه مايقوته ، وكان لباسه مما يلتقط من المزابل من قطع الأكسية فيغسلها فى الفرات ويلفق بعضها إلى بعض ثم يلبسها ، فكان ذلك لباسه وكان ربما مر الصبيان فيرمونه ويظنون أنه مجنون ، فيقول لهم ياإخوتاه إن كنتم ولا بد أن ترمونى فارمونى بأحجار صغار فإنى أخاف أن تدموا عقبى ، فيحضر وقت الصلاة ولا أصيب الماء ، فهكذا كانت سيرته . ولقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره فقال « إنى لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن إشارة إليه رحمه الله [1] » ولما ولى الخلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال : أيها الناس من كان منكم من العراق فليقم ، قال : فقاموا . فقال : اجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة ، فجلسوا ، فقال: اجلسوا إلا من كان من مراد ، فجلسوا فقال : اجلسوا إلا من كان من قرن ، فجلسوا كلهم إلا رجلا واحدا فقال له عمر: أقرنى أنت ؟ فقال : نعم فقال : أتعرف أويس بن عامر القرنى ؟ فوصفه له ، فقال : نعم وما ذاك تسأل عنه ياأمير المؤمنين ! والله مافينا أحمق منه ولا أجن منه ولا أوحش منه ولا أدنى منه ، فبكى عمر رضى الله تعالى عنه ثم قال : ماقلت ماقلت إلا لأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « يدخل فى شفاعته مثل ربيعة ومضر [2] » فقال هرم بن حيان : لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لى هم إلا أن أطلب أويسا القرنى وأسأل عنه ، حتى سقطت عليه جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه ، قال : فعرفته بالنعت الذى نعت لى ، فإذا رجل لحيم شديد الأدمة محلوق الرأس كث اللحية متغير جدا كريه الوجه متهيب المنظر قال : فسلمت عليه فرد على السلام ونظر إلى ، فقلت : حياك الله من رجل ومددت يدى لأصافحه فأبى أن يصافحنى ، فقلت : رحمك الله يا أويس وغفر لك كيف أنت رحمك الله ؟ ثم خنقتنى العبرة من حبى إياه ورقتى عليه إذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى ، فقال : وأنت فحياك الله ياهرم بن حيان كيف أنت ياأخى ومن دلك على ؟ قال : قلت الله فقال :

---

(١) حديث « إنى لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن » أشار به إلى أويس القرنى تقدم فى قواعد العقائد لم أجد له أصلا .

(٢) حديث عمر « يدخل الجنة فى شفاعته مثل ربيعة ومضر » يريد أويسا وروياه فى جزء ابن السماك من حديث أبى أمامة « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من ربيعة ومضر » وإسناده حسن ، وليس فيه ذكر لأويس بل فى آخره : فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان .

لا إله إلا الله سبحان الله ﴿ إن كان وعد ربنا لمفعولا ﴾ قال : فعجبت حين عرفنى ولا والله مارأيته قبل ذلك ولا رآنى ! فقلت : من أين عرفت اسمى واسم أبى وما رأيتك قبل اليوم ؟ ﴿ قال نبأنى العليم الخبير ﴾ وعرفت روحى روحك حين كلمت نفسى نفسك ، إن الأرواح لها أنفس كأنفس الأجساد وإنّ المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا ، يتعارفون ويتكلمون وإن نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل ، قال : قلت حدثنى رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث أسمعه منك قال إنى لم أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن لى معه صحبة بأبى وأمى رسول الله ، ولكن رأيت رجالا قد صحبوه ويلغنى من حديثه كما بلغك ولست أحب أن أفتح على نفسى هذا الباب أن أكون محدثا أو مفتيا أو قاضيا فى نفسى شغل عن الناس ياهرم بن حيان ! فقلت : يا أخى اقرأ على آية من القرآن أسمعها منك وادع لى بدعوات وأوصنى بوصية أحفظها عنك فإنى أحبك فى الله حبا شديدا ، قال : فقام وأخذ بيدى على شاطئ الفرات ثم قال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، ثم بكى . ثم قال : قال ربى والحق قول ربى وأصدق الحديث حديثه وأصدق الكلام كلامه ، ثم قرأ ﴿ وما خلقنا السموات والأرض ومابينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لايعلمون ﴾ حتى انتهى إلى قوله ﴿ إنه هو العزيز الرحيم ﴾ فشهق شقهة ظننت أنه قد غشى عليه ثم قال : يا ابن حيان مات أبوك حيان ويوشك أن تموت فإما إلى جنة وإما إلى نار ، ومات أبوك آدم وماتت أمك حوّاء ومات نوح ومات إبراهيم خليل الرحمن ومات موسى نجى الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم وهو رسول رب العالمين ، ومات أبو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن الخطاب أخى وصفيى ، ثم قال : ياعمراه ياعمراه ، قال : فقلت رحمك الله إن عمر لم يمت ، قال : فقد نعاه إلى ربى ونعى إلى نفسى ! ثم قال : أنا وأنت فى الموتى كأنه قد كان ، ثم صلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم دعا بدعوات خفيات ، ثم قال . هذه وصيتى إياك ياهرم بن حيان كتاب الله ونهج الصالحين المؤمنين فقد نعيت إلى نفسى ونفسك ، عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت ، وأنذر قومك إذا رجعت إليهم وانصح للأمة جميعا ، وإياك أن تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق دينك وأنت لاتعلم فتدخل النار يوم القيامة ، ادع لى ولنفسك ، ثم قال : اللهم إن هذا يزعم أنه يحبنى فيك وزارنى من أجلك فعرفنى وجهه فى الجنة وأدخله على فى دارك دار السلام واحفظه مادام فى الدنيا حيثما كان وضم عليه ضيعته وأرضه من الدنيا باليسير وماأعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما أعطيته من نعمائك من الشاكرين وأجزه عنى خير الجزاء ثم قال : أستودعك الله ياهرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لاأراك بعد اليوم رحمك الله تطلبنى فإنى أكره الشهرة والوحدة أحب إلى إنى كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس مادمت حيا فلاتسأل عنى ولاتطلبنى ، واعلم أنك منى على بال وإن لم أرك ولم ترنى فاذكرنى وادع لى فإنى سأذكرك وأدعو لك إن شاء الله ، انطلق أنت ههنا حتى أنطلق أنا ههنا . فحرصت أن أمشى معه ساعة فأبى على وفارقته فبكى وأبكانى وجعلت أنظر فى قفاه حتى دخل بعض السكك ، ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت أحداً يخبرنى عنه بشىء رحمه الله وغفر له .

فهكذا كانت سيرة أبناء الآخرة المعرضين عن الدنيا .

وقد عرفت مما سبق فى بيان الدنيا ومن سيرة الأنبياء والأولياء أن حد الدنيا كل ما أظلته الخضراء وأقلته الغبراء إلا ما كان لله عز وجل من ذلك وضدّ الدنيا الآخرة وهو كل ما أريد به الله تعالى مما يؤخذ بقدر الضرورة من الدنيا لأجل قوة طاعة الله وذلك ليس من الدنيا . ويتبين هذا بمثال وهو أنّ الحاج إذ حاف أنه فى طريق الحج

لايشتغل بغير الحج بل يتجرد له ، ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية وكل مالا بد للحج منه لم يحنث فى يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن مركب النفس تقطع به مسافة العمر ، فتعهد البدن بما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الآخرة لا من الدنيا . نعم إذا قصد تلذذ البدن وتنعمه بشىء من هذه الأسباب كان منحرفا عن الآخرة ويخشى على قلبه القسوة قال الطنافسى : كنت على باب بنى شيبة فى المسجد الحرام سبعة أيام طاويا فسمعت فى الليلة الثامنة مناديا وأنا بين اليقظة والنوم ألا من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج إليه أعمى الله عين قلبه . فهذا بيان حقيقة الدنيا فى حقك . فاعلم ذلك ترشد إن شاء الله تعالى .

بيان حقيقة الدنيا فى نفسها وأشغالها التى استغرقت همم الخلق حتى أنستهم أنفسهم وخالقهم ومصدرهم ومواردهم

اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة وللإنسان فيها حظ وله فى إصلاحها شغل . فهذه ثلاثة أمور قد يظن أن الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك ، أما الأعيان الموجودة التى الدنيا عبارة عنها فهى الأرض وما عليها قال الله تعالى ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ﴾ فالأرض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر ، وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح .

ويجمع ما على الأرض ثلاثة أقسام : المعادن والنبات والحيوان . أما النبات: فيطلبه الآدمى للاقتيات والتداوى وأما المعادن : فيطلبها للآلات والأوانى ، كالنحاس والرصاص ، وللنقد ، كالذهب والفضة ، ولغير ذلك من المقاصد وأما الحيوان فينقسم إلى الإنسان والبهائم . أما البهائم : فيطلب منها لحومها للمآكل وظهورها للمركب والزينة . وأما الإنسان : فقد يطلب الآدمى : أن يملك أبدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان ؛ أو ليتمتع بهم كالجوارى والنسوان ؛ ويطلب قلوب الناس ليملكها بأن يغرس فيها التعظيم والإكرام وهو الذى يعبر عنه بالجاه ؛ إذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين . فهذه هى الأعيان التى يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى فى قوله ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ﴾ وهذا من الإنس ﴿ والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ﴾ وهذا من الجواهر والمعادن ؛ وفيه تنبيه على غيرها من اللآلئ واليواقيت وغيرها ﴿ والخيل المسومة والأنعام ﴾ وهى البهائم والحيوانات ﴿ والحرث ﴾ وهو النبات والزرع .

فهذه هى أعيان الدنيا ، إلا أن لها مع العبد علاقتين : علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه إليها ، حتى يصير قلبه كالعبد أو المحب المستهتر بالدنيا . ويدخل فى هذه العلاقة جميع صفات القلب المعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر ، وهذه هى الدنيا الباطنة . وأما الظاهرة فهى الأعيان التى ذكرناها .

العلاقة الثانية مع البدن ؛ وهو اشتغاله بإصلاح هذه الأعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره ، وهى جملة الصناعات والحرف التى الخلق مشغولون بها ، والخلق إنما نسوا أنفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين : علاقة القلب بالحب ، وعلاقة البدن بالشغل . ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم أن هذه الأعيان التى سميناها دنيا لم تخلق إلا لعلف الدابة التى يسير بها إلى الله تعالى ، وأعنى بالدابة البدن ، فإنه لا يبقى إلا بمطعم ومشرب وملبس ومسكن كما لا يبقى الجمل فى طريق الحج إلا بعلف وماء وجلال .

ومثال العبد فى الدنيا فى نسيانه نفسه ومقصده : مثال الحاج الذى يقف فى منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها ألوان الثياب ، ويحمل إليها أنواع الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج ، حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه فى البادية فريسة للسباع هو وناقته . والحاج البصير لا يهمه من أمر الجمل إلا القدر الذى يقوى به على المشى ، فيتعهده وقلبه إلى الكعبة والحج . وإنما يلتفت إلى الناقة بقدر الضرورة . فكذلك البصير فى السفر إلى الآخرة لا يشغل بتعهد البدن إلا بالضرورة كما لا يدخل بيت الماء إلا لضرورة ، ولا فرق بين إدخال الطعام فى البطن وبين إخراجه من البطن فى أن كل واحد منهما ضرورة البدن، ومن همته ما يدخل بطنه فقيمته ما يخرج منها . وأكثر ما شغل عن الله تعالى هو البطن ، فإن القوت ضرورى وأمر المسكن والملبس أهون ، ولو عرفوا سبب الحاجة إلى هذه الأمور واقتصروا عليه لم تستغرقهم أشغال الدنيا وإنما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت أشغال الدنيا عليهم واتصل بعضها ببعض وتداعت إلى غير نهاية محدودة ، فتاهوا فى كثرة الأشغال ونسوا مقاصدها .

ونحن نذكر تفاصيل أشغال الدنيا ، وكيفية حدوث الحاجة إليها ، وكيفية غلط الناس فى مقاصدها حتى تتضح لك اشغال الدنيا ، كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف أنستهم عاقبة أمورهم ؟ فنقول : الأشغال الدنيوية هى الحرف والصناعات والأعمال التى ترى الخلق منكبين عليها . وسبب كثرة الأشغال هو أن الإنسان مضطر إلى ثلاث : القوت ، والمسكن ، والملبس . فالقوت : للغذاء والبقاء . والملبس : لدفع الحر والبرد . والمسكن : لدفع الحر والبرد ، ولدفع أسباب الهلاك عن الأهل والمال . ولم يخلق الله القوت والمسكن والملبس مصلحا بحيث يستغنى عن صنعة الإنسان فيه .

نعم خلق ذلك للبهائم ، فإن النبات يغذى الحيوان من غير طبخ . والحر والبرد لا يؤثر فى بدنه فيستغنى عن البناء ويقنع بالصحراء ، ولباسها شعورها وجلودها ، فتستغنى عن اللباس .

والإنسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك إلى خمس صناعات هى أصول الصناعات ، وأوائل الأشغال الدنيوية، وهى الفلاحة ، والرعاية ، والاقتناص ، والحياكة ، والبناء . أما البناء فللمسكن . والحياكة وما يكتنفها من أمر الغزل والخياطة فللملبس . والفلاحة للمطعم . والرعاية للمواشى والخيل أيضا للمطعم والمركب . والاقتناص نعنى به تحصيل ما خلقه الله من صيد أو معدن أو حشيش أو حطب ، فالفلاح يحصل النباتات والراعى يحفظ الحيوانات ويستنتجها . والمقتنص يحصل ما نبت ونتج بنفسه من غير صنع آدمى ، وكذلك يأخذ من معادن الأرض ما خلق فيها من غير صنعة آدمى ، ونعنى بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات وأشغال عدة . ثم هذه الصناعات تفتقر إلى أدوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص ، والآلات إنما تؤخذ إما من النبات وهو الأخشاب ، أو من المعادن كالحديد والرصاص وغيرهما ، أو من جلود الحيوانات . فحدثت الحاجة إلى ثلاث أنواع أخر من الصناعات : النجارة ، والحدادة ، والخز . وهؤلاء هم عمال الآلات ، ونعنى بالنجارة ؛ كل عامل فى الخشب كيفما كان . وبالحداد ؛ كل عامل فى الحديد وجواهر المعادن حتى النحاس والإبرى وغيرهما . وغرضنا ذكر الأجناس فأما آحاد الحرف فكثيرة . وأما الخراز ؛ فنعنى به كل عامل فى جلود الحيوانات وأجزائها . فهذه أمهات الصناعات .

ثم إن الإنسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر إلى الاجتماع مع غيره من أبناء جنسه وذلك لسببين ؛ أحدهما : حاجته إلى النسل لبقاء جنس الإنسان ، ولا يكون ذلك إلا باجتماع الذكر والأنثى وعشرتهما . والثانى :

التعاون على تهيئة أسباب المطعم والملبس ولتربية الولد ، فإن الاجتماع يفضى إلى الولد لامحالة ، والواحد لايشتغل بحفظ الولد وتهيئة أسباب القوت . ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الأهل والولد فى المنزل بل لايمكنه أن يعيش كذلك مالم تجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة . فإن الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج إلى آلاتها ، وتحتاج الآلة إلى حداد ونجار ، ويحتاج الطعام إلى طحان وخباز ؟ وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر إلى حراسة القطن وآلات الحياكة والخياطة وآلات كثيرة ؟ فلذلك امتنع عيش الإنسان وحده وحدثت الحاجة إلى الاجتماع . ثم لو اجتمعوا فى صحراء مكشوفة لتأذوا بالحر والبرد والمطر واللصوص فافتقروا إلى أبنية محكمة ومنازل ينفرد كل أهل بيت به وبما معه من الآلات والأثاث والمنازل تدفع الحر والبرد والمطر وتدفع أذى الجيران من اللصوصية وغيرها ، لكن المنازل قد تقصدها جماعة من اللصوص خارج المنازل ، فافتقر أهل المنازل إلى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل ، فحدثت البلاد لهذه الضرورة .

ثم مهما اجتمع الناس فى المنازل والبلاد وتعاملوا تولدت بينهم خصومات ، إذ تحدث رياسة وولاية الزوج على الزوجة ، وولاية الأبوين على الولد لأنه ضعيف يحتاج إلى قوام به . ومهما حصلت الولاية على عاقل أفضى إلى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم ، إذ ليس لها قوة المخاصمة وإن ظلمت . فأما المرأة فتخاصم الزوج ، والولد يخاصم الأبوين . هذا فى المنزل .

وأما أهل البلد أيضا فيتعاملون فى الحاجات ويتنازعون فيها ، ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا ، وكذلك الرعاة وأرباب الفلاحة يتواردون على المراعى والأراضى والمياه وهى لاتفى بأغراضهم فيتنازعون لامحالة . ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى أو مرض أو هرم وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضائعا لهلك ، ولو وكل تفقده إلى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له ،

فحدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخرى . فمنها صناعة المساحة التى بها تعرف مقادير الأرض لتمكن القسمة بينهم بالعدل . ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم . ومنها صناعة الحكم والتوصل لفصل الخصومة ، ومنها الحاجة إلى الفقه وهو معرفة القانون الذى ينبغى أن يضبط به الخلق ، ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لايكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى فى المعاملات وشروطها . فهذه أمور سياسية لابد منها ولا يشتغل بها إلا مخصوصون بصفات مخصوصة من العلم والتمييز والهداية ، وإذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة أخرى ويحتاجون إلى المعاش ، ويحتاج أهل البلد إليهم إذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الأعداء مثلا تعطلت الصناعات ، ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس واستضر الناس ، فمست الحاجة إلى أن يصرف إلى معايشهم وأرزاقهم الأموال الضائعة التى لامالك لها إن كانت ، أو تصرف الغنائم إليهم إن كانت العداوة مع الكفار ، فإن كانوا أهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من أموال المصالح وإن أرادوا التوسع فتمس الحاجة لامحالة إلى أن يمدهم أهل البلد بأموالهم ليمدوهم بالحراسة ، فتحدث الحاجة إلى الخراج . ثم يتولد بسبب الحاجة إلى الخراج الحاجة لصناعات أخر ؛ إذ يحتاج إلى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وأرباب الأموال وهم العمال . وإلى من يستوفى منهم بالرفق وهم الجباة والمتخرجون ، وإلى من يجمع عنده ليحفظه إلى وقت التفرقة وهم الخزان ، وإلى من يفرق عليهم بالعدل وهو الفارض للعساكر . وهذه الأعمال لو تولاها عدد لاتجمعهم رابطة انخرم النظام فتحدث منه الحاجة إلى ملك يدبرهم وأمير مطاع يعين لكل عمل شخصا ، ويختار لكل واحد ما يليق به ويراعى النصفة فى أخذ الخراج وإعطائه ، واستعمال الجند فى الحرب وتوزيع أسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الأمير والقائد على كل

طائفة منهم إلى غير ذلك من صناعات الملك ، فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم أهل السلاح وبعد الملك الذى يراقبهم بالعين الكالئة ويدبرهم الحاجة إلى الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال . ثم هؤلاء أيضا يحتاجون إلى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فتحدث الحاجة إلى مال الفرع مع مال الأصل وهو المسمى فرع الخراج . وعند هذا يكون الناس فى الصناعات ثلاث طوائف ؛ الفلاحون والرعاة والمحترفون : والثانية : الجندية الحماة بالسيوف . والثالثة : المترددون بين الطائفتين فى الأخذ والعطاء وهم العمال والجباة وأمثالهم . فانظر كيف ابتدأ الأمر من حاجة القوت والملبس والمسكن وإلى ماذا انتهى . وهكذا أمور الدنيا لا يفتح منها باب إلا وينفتح بسببه أبواب أخر . وهكذا تتناهى إلى غير حد محصور كأنها هاوية لا نهاية لعمقها ، من وقع فى مهواة منها سقط منها إلى أخرى ، وهكذا على التوالى . فهذه هى الحرف والصناعات إلا أنها لا تتم إلا بالأموال والآلات . والمال عبارة عن أعيان الأرض وما عليها مما ينتفع به ، وأعلاها الأغذية ، ثم الأمكنة التى يأوى الإنسان إليها وهى الدور ، ثم الأمكنة التى يسعى فيها للتعيش كالحوانيت والأسواق والمزارع ، ثم الكسوة ثم أثاث البيت وآلاته ، ثم آلات الآلات ، وقد يكون من الآلات ما هو حيوان كالكلب آلة الصيد ، والبقر آلة الحراثة ، والفرس آلة الركوب فى الحرب . ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فإن الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة ، والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة . فبالضرورة يحتاج الفلاح إليهما ويحتاجان إلى الفلاح ، فيحتاج أحدهما أن يبذل ما عنده للآخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة ، إلا أن النجار مثلا إذا طلب من الفلاح الغذاء بآلته ربما لا يحتاج الفلاح فى ذلك الوقت إلى آلته فلا يبيعه ، والفلاح إذا طلب الآلة من النجار بالطعام ربما كان عنده طعام فى ذلك الوقت فلا يحتاج إليه فتتعوق الأغراض ، فاضطروا إلى حانوت يجمع آلة كل صناعة ليترصد بها صاحبها أرباب الحاجات ؛ وإلى أبيات يجمع إليها ما يحمل الفلاحون فيشتريه منهم صاحب الأبيات ليترصد به أرباب الحاجات ، فظهرت لذلك الأسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فإذا لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها فى انتظار أرباب الحاجات طمعاً فى الربح ، وكذلك فى جميع الأمتعة والأموال . ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشترون من القرى الأطعمة ومن البلاد الآلات ، وينقلون ذلك ويتعيشون به لتنتظم أمور الناس فى البلاد بسببهم ؛ إذ كل بلد ربما لا توجد فيه كل آلة ، وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام ، فالبعض يحتاج إلى البعض فيحوج إلى النقل ، فيحدث التجار المتكفلون بالنقل وباعثهم عليه حرص جمع المال لا محالة ، فيتعبون طول الليل والنهار فى الأسفار لغرض غيرهم ، ونصيبهم منها جمع المال الذى يأكله لا محالة غيرهم ؛ إما قاطع طريق وإما سلطان ظالم ، ولكن جعل الله تعالى فى غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد . بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة . ولو عقل الناس وارتفعت هممهم لزهدوا فى الدنيا ، ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش ، ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد أيضا .

ثم هذه الأموال التى تنقل لا يقدر الإنسان على حملها فتحتاج إلى دواب تحملها ، وصاحب المال قد لا تكون له دابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الإجارة ، ويصير الكراء نوعا من الاكتساب أيضاً ، ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة إلى النقدين فإن من يريد أن يشترى طعاما بثوب فمن أين يدرى المقدار الذى يساويه من الطعام كم هو ؟ والمعاملة تجرى فى أجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه أمور لا تتناسب ، فلابد من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل أحدهما بالآخر فيطلب ذلك العدل من أعيان الأموال ، ثم يحتاج إلى

مال يطول بقاؤه لأن الحاجة إليه تدوم . وأبقى الأموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس ، ثم مست الحاجة إلى الضرب والنقش والتقدير فمست الحاجة إلى دار الضرب والصيارفة . وهكذا تتداعى الأشغال والأعمال بعضها إلى بعض حتى انتهت إلى ماتراه . فهذه أشغال الخلق وهى معاشهم . وشى من هذه الحرف لايمكن مباشرته إلا بنوع تعلم وتعب فى الابتداء .

وفى الناس من يغفل عن ذلك فى الصبا فلا يشتغل به أو يمنعه عنه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب لعجزه عن الحرف فيحتاج إلى أن يأكل مما يسعى فيه غيره ، فيحدث منه حرفتان خسيستان : اللصوصية والكداية ؛ إذ يجمعها أنهما يأكلان من سعى غيرهما ثم الناس يحترزون من اللصوص والمكدين ويحفظون عنهم أموالهم فافتقروا إلى صرف عقولهم فى استنباط الحيل والتدابير .

أما اللصوص : فمنهم من يطلب أعوانا ويكون فى يديه شوكة وقوة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطريق كالأعراب والأكراد . وأما الضعفاء منهم فيفزعون إلى الحيل إما بالنقب أو التسلق عند انتهاز فرصة الغفلة ، وإما بأن يكون طرارا أو سلالا ، إلى غير ذلك من أنواع التلصص الحادثة بحسب ما تنتجه الأفكار المصروفة إلى استنباطها .

وأما المكدى فإنه إذا طلب ماسعى فيه غيره وقيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فمالك والبطالة فلا يعطى شيئاً ، فافتقروا إلى حيلة فى استخراج الأموال وتمهيد العذر لأنفسهم فى البطالة ، فاحتالوا للتعلل بالعجز إما بالحقيقة كجماعة يعمون أولادهم وأنفسهم بالحيلة ليعذروا بالعمى فيعطون ، وإما بالتعامى والتفالج والتجانن والتمارض ، وإظهار ذلك بأنواع من الحيل مع بيان أن تلك محنة أصابت من غير استحقاق ، ليكون ذلك سبب الرحمة ، وجماعة يلتمسون أقوالا وأفعالا يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها ، فيسخوا برفع اليد عن قليل من المال فى حال التعجب ، ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم . وذلك قد يكون بالتسخر والمحاكاة والشعبذة والأفعال المضحكة ، وقد يكون بالأشعار الغريبة والكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت . والشعر الموزون أشد تأثيرا فى النفس لاسيما إذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كأشعار مناقب الصحابة وفضائل أهل البيت ، أو الذى يحرك داعية العشق من أهل المجانة كصنعة الطبالين فى الأسواق ، وصنعة ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات ، والحشيش الذى يخيل بائعه أنها أدوية فيخدع بذلك الصبيان والجهال ، وكأصحاب القرعة والفأل من المنجمين . ويدخل فى هذا الجنس الوعاظ والمكدون على رءوس المنابر إذا لم يكن وراءهم طائل علمى وكان غرضهم استمالة قلوب العوام وأخذ أموالهم بأنواع الكدية ، وأنواعها تزيد على ألف نوع وألفين . وكل ذلك استنبط بدقيق الفكرة لأجل المعيشة . فهذه هى أشغال الخلق وأعمالهم التى أكبوا عليها ، وجرهم إلى ذلك كله الحاجة إلى القوت والكسوة ولكنهم نسوا فى أثناء ذلك أنفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآبهم فتاهوا وضلوا ، وسبق إلى عقولهم الضعيفة بعد أن كدرتها زحمة الاشتغالات بالدنيا خيالات فاسدة ، فانقسمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة أوجه :

فطائفة غلبهم الجهل والغفلة فلم تنفتح أعينهم للنظر إلى عاقبة أمورهم فقالوا : المقصود أن نعيش أياما فى الدنيا فنجتهد حتى نكسب القوت ثم نأكل حتى نقوى على الكسب ، ثم نكسب حتى نأكل ، فيأكلون ليكسبوا ثم يكسبون ليأكلوا ، وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم فى الدنيا ولا قدم فى الدين ؛ فإنه يتعب نهارا

ليأكل ليلا ويأكل ليلا ليتعب نهارا ، وذلك كسير السوانى فهو سفر لاينقطع إلا بالموت .

وطائفة أخرى زعموا أنهم تفطنوا الأمر وهو أنه ليس المقصود أن يشقى الإنسان بالعمل ولا يتنعم فى الدنيا ؛ بل السعادة فى أن يقضى وطره من شهوة الدنيا وهى شهوة البطن والفرج ، فهؤلاء نسوا أنفسهم وصرفوا هممهم إلى اتباع النسوان وجمع لذائذ الأطعمة يأكلون كما تأكل الأنعام ويظنون أنهم إذا نالوا ذلك فقد أدركوا غاية السعادة فشغلهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر .

وطائفة ظنوا أنّ السعادة فى كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز ، فأسهروا ليلهم وأتعبوا نهارهم فى الجمع ، فهم يتعبون فى الأسفار طول الليل والنهار ويترددون فى الأعمال الشاقة ويكتسبون ، ويجمعون ولا يأكلون إلا قدر الضرورة شحا وبخلا عليها أن تنقص ، وهذه لذتهم وفى ذلك دأبهم وحركتهم إلى أن يدركهم الموت ؛ فيبقى تحت الأرض أو يظفر به من يأكله فى الشهوات واللذات ؛ فيكون للجامع تعبه ووباله وللآكل لذته . ثم الذين يجمعون ينظرون إلى أمثال ذلك ولا يعتبرون .

وطائفة ظنوا أن السعادة فى حسن الاسم وانطلاق الألسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروءة ؛ فهؤلاء يتعبون فى كسب المعاش ويضيقون على أنفسهم فى المطعم والمشرب ويصرفون جميع مالهم إلى الملابس الحسنة والدواب النفيسة ، ويزخرفون أبواب الدور ومايقع عليها أبصار الناس حتى يقال إنه غنى وإنه ذو ثروة ويظنون أن ذلك هو السعادة ، فهمتهم فى نهارهم وليلهم فى تعهد موقع نظر الناس .

وطائفة أخرى ظنوا أن السعادة فى الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير ، فصرفوا هممهم إلى استجرار الناس إلى الطاعة لطلب الولايات وتقلد الأعمال السلطانية لينفذ أمرهم بها على طائفة من الناس ، ويرون أنهم إذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا سعادة عظيمة ، وأن ذلك غاية المطلب . وهذا أغلب الشهوات على قلوب الغافلين من الناس ، فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر فى آخرتهم ومعادهم .

ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد على نيف وسبعين فرقة ، كلهم قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل ، وإنما جرّهم إلى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن ونسوا ماتراد له هذه الأمور الثلاثة والقدر الذى يكفى منها . وانجرّت بهم أوائل أسبابها إلى أواخرها ، وتداعى بهم ذلك إلى مهاو لم يمكنهم الرقى منها ، فمن عرف وجه الحاجة إلى هذه الأسباب والأشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض فى شغل وحرفة وعمل إلا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه ، وأن غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لايهلك ، وذلك إن سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الأشغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهمة إلى الاستعداد له ، وإن تعدّى به قدر الضرورة كثرت الأشغال وتداعى البعض إلى البعض وتسلسل إلى غير نهاية ، فتتشعب به الهموم ومن تشعبت به الهموم فى أودية الدنيا فلا يبالى الله فى أى واد أهلكه منها . فهذا شأن المنهمكين فى أشغال الدنيا . وتنبه لذلك طائفة فأعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان ولم يتركهم ، وأضلهم فى الإعراض أيضاً حتى انقسموا إلى طوائف :

فظنت طائفة أن الدنيا دار بلاء ومحنة والآخرة دار سعادة لكل من وصل إليها سواء تعبد فى الدنيا أو لم يتعبد ، فرأوا أن الصواب فى أن يقتلوا أنفسهم للخلاص من محنة الدنيا ، وإليه ذهب طوائف من العباد من أهل الهند فهم يتهجمون على النار ويقتلون أنفسهم بالإحراق ، ويظنون أن ذلك خلاص لهم من محن الدنيا .

وظنت طائفة أخرى أن القتل لايخلص بل لابد أولا من إماتة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكلية ، وأنّ السعادة فى قطع الشهوة والغضب ، ثم أقبلوا على المجاهدة وشدّدوا على أنفسهم ، حتى هلك بعضهم بشدّة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن . وبعضهم مرض وانسد عليه الطريق فى العبادة . وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن أن ما كلفه الشرع محال وأن الشرع تلبيس لا أصل له فوقع فى الإلحاد . وظهر لبعضهم أن هذا التعب كله لله وأن الله تعالى مستغن عن عبادة العباد لاينقصه عصيان عاص ولا تزيده عبادة متعبد ، فعادوا إلى الشهوات وسلكوا مسلك الإباحة وطووا بساط الشرع والأحكام ، وزعموا أن ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا أن الله مستغن عن عبادة العباد .

وظن طائفة أنّ المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها إلى معرفة الله تعالى ، فإذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصول يستغنى عن الوسيلة والحيلة ، فتركوا السعى والعبادة وزعموا أنه ارتفع محلهم فى معرفة الله سبحانه عن أن يمتهنوا بالتكاليف ، وإنما التكليف على عوام الخلق .

ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول إحصاؤها إلى مايبلغ نيفاً وسبعين فرقة ، وإنما الناجى منها فرقة واحدة ؛ وهى السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه ، وهو أن لايترك الدنيا بالكلية ولايقمع الشهوات بالكلية . أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد . وأما الشهوات فيقمع منها مايخرج عن طاعة الشرع والعقل . ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة ، بل يتبع العدل ولا يترك كل شىء من الدنيا ، ولايطلب كل شىء من الدنيا بل يعلم مقصود كل ماخلق من الدنيا ويحفظه على حدّ مقصوده ، فيأخذ من القوت مايقوى به البدن على العبادة ومن المسكن مايحفظ عن اللصوص والحر والبرد ، ومن الكسوة كذلك ، حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله تعالى بكنه همته واشتغل بالذكر والفكر طول العمر ، وبقى ملازما لسياسة الشهوات ومراقباً لها حتى لايجاوز حدود الورع والتقوى ، ولا يعلم تفصيل ذلك إلا بالاقتداء بالفرقة الناجية وهم الصحابة فإنه عليه السلام لما قال « الناجى منها واحدة » قالوا : يارسول الله ومن هم ؟ قال « أهل السنة والجماعة » فقيل : ومن أهل السنة والجماعة ؟ قال « ما أنا عليه وأصحابى [1] » وقد كانوا على النهج القصد وعلى السبيل الواضح الذى فصلناه من قبل ، فإنهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين ، وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية ، وما كان لهم فى الأمور تفريط ولا إفراط ، بل كان أمرهم بين ذلك قواما ، وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو أحب الأمور إلى الله تعالى ـ كما سبق ذكره فى مواضع ـ والله أعلم .

تم كتاب ذم الدنيا والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

---

(١) حديث : افتراق الأمة وفيه « الناجى منهم واحدة » قالوا : ومن هم ؟ قال « أهل السنة والجماعة ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو وحسنه « تفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة كلهم فى النار إلا ملة واحدة » فقالوا : من هى يارسول الله ؟ قال « ماأنا عليه وأصحابى » ولأبى داود من حديث معاوية وابن ماجه من حديث أنس وعوف بن مالك وهى الجماعة وأسانيدها جياد .

كتاب ذم البخل وذم حب المال

وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط ، وكاشف الضر بعد القنوط ، الذى خلق الخلق ، ووسع الرزق ، وأفاض على العالمين أصناف الأموال ، وابتلاهم فيها بتقلب الأحوال ، ورددهم فيها بين العسر واليسر ، والغنى والفقر ، والطمع واليأس ، والثروة والإفلاس ، والعجز والاستطاعة ، والحرص والقناعة ، والبخل والجود ، والفرح بالموجود ، والأسف على المفقود ، والإيثار والإنفاق ، والتوسع والإملاق ، والتبذير والتقتير ، والرضا بالقليل واستحقار الكثير ، كل ذلك ليبلوهم أيهم أحسن عملا ، وينظر أيهم آثر الدنيا على الآخرة بدلا ، وابتغى عن الآخرة عدولا وحولا ، واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا ، والصلاة على محمد الذى نسخ بملته ملا ، وطوى بشريعته أديانا ونحلا ، وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللا ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد : فإن فتن الدنيا كثيرة الشعب والأطراف واسعة الأرجاء والأكناف ، ولكن الأموال أعظم فتنها وأطم محنها ، وأعظم فتنة فيها أنه لاغنى لأحد عنها ، ثم إذا وجدت فلا سلامة منها ، فإن فقد المال حصل منه الفقر الذى يكاد أن يكون كفرا ، وإن وجد حصل منه الطغيان الذى لاتكون عاقبة أمره إلا خسرا . وبالجملة فهى لاتخلو من الفوائد والآفات ، وفوائدها من المنجيات ، وآفاتها من المهلكات ، وتمييز خيرها عن شرها من المعوصات التى لايقوى عليها إلا ذوو البصائر فى الدين من العلماء الراسخين دون المسترسمين المغترين . وشرح ذلك مهم على الانفراد ، فإن ماذكرناه فى كتاب ذم الدنيا لم يكن نظراً فى المال خاصة بل فى الدنيا عامة ؛ إذ الدنيا تتناول كل حظ عاجل ، والمال بعض أجزاء الدنيا ، والجاه بعضها ، واتباع شهوة البطن والفرج بعضها ، وتشفى الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها ، والكبر وطلب العلو بعضها . ولها أبعاض كثيرة . ويجمعها كل ما كان للإنسان فيه حظ عاجل . ونظرنا الآن فى هذا الكتاب فى المال وحده ، إذ فيه آفات وغوائل . وللإنسان من فقده صفة الفقر ، ومن وجوده وصف الغنى . وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان .

ثم للفاقد حالتان : القناعة والحرص ، وإحداهما مذمومة والأخرى محمودة . وللحريص حالتان : طمع فيما فى أيدى الناس ، وتشمر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق ، والطمع شر الحالتين .

وللواجد حالتان : إمساك بحكم البخل والشح ، وإنفاق . وإحداهما مذمومة والأخرى محمودة . وللمنفق حالتان: تبذير واقتصاد ، والمحمود هو الاقتصاد .

وهذه أمور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم . ونحن نشرح ذلك فى أربعة عشر فصلا إن شاء الله تعالى وهو : بيان ذم المال ، ثم مدحه ثم تفصيل فوائد المال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع . ثم فضيلة السخاء . ثم حكايات الأسخياء ، ثم ذم البخل ، ثم حكايات البخلاء . ثم الإيثار وفضله . ثم حد السخاء والبخل . ثم علاج البخل . ثم مجموع الوظائف فى المال . ثم ذم الغنى ومدح الفقر ؛ إن شاء الله تعالى .

بيان ذم المال وكراهة حبه

قال الله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴾ وقال تعالى ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ﴾ فمن اختار ماله وولده على ما عند الله فقد خسر وغبن خسرانا عظيما وقال عزوجل ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ﴾ الآية . وقال تعالى ﴿ إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وقال تعالى ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب المال والشرف ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « ما ذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم بأكثر إفساداً فيها من حب الشرف والمال والجاه فى دين الرجل المسلم [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « هلك المكثرون إلا من قال به فى عباد الله هكذا وهكذا وقليل ماهم [3] » وقيل : يارسول الله أى أمتك شر ؟ قال « الأغنياء [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « سيأتى بعدكم قوم يأكلون أطايب الدنيا والوانها ويركبون فره الخيل وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون أجمل الثياب وألوانها ، لهم بطون من القليل لاتشبع وأنفس بالكثير لاتقنع ، عاكفون على الدنيا يغدون ويروحون إليها ، اتخذوها آلهة من دون إلههم وربا دون ربهم ، إلى أمرها ينتهون ولهواهم يتبعون ، فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن أدركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لايسلم عليهم ولايعود مرضاهم ولايتبع جنائزهم ولايوقر كبيرهم ، فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الإسلام [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « دعوا الدنيا لأهلها ، من أخذ من الدنيا فوق مايكفيه أخذ حتفه وهو لايشعر [6] » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت ؟ [7] » وقال رجل : يارسول الله مالى لاأحب الموت ! فقال « هل معك من مال ؟ » قال : نعم يارسول الله ؛ قال « قدم مالك فإن قلب المؤمن مع ماله ، إن قدمه

كتاب ذم البخل وحب المال

(١) حديث « حب المال والشرف ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل » لم أجده بهذا اللفظ وذكره بعد هذا بلفظ « الجاه » بدل « الشرف » (٢) حديث « ماذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم بأكثر إفسادا لها من حب المال والجاه فى دين الرجل المسلم » أخرجه الترمذى والنسائى فى الكبرى من حديث كعب بن مالك وقالا « جائعان » مكان « ضاريان » ولم يقولا « فى زريبة » وقالا « الشرف » بدل « الجاه » قال الترمذى حسن صحيح وللطبرانى فى الأوسط من حديث أبى سعيد « ماذئبان ضاريان فى زريبة غنم ... الحديث » وللبزار من حديث أبى هريرة « ضاريان جائعان » ولإسناد الطبرانى فيهما ضعيف (٣) حديث « هلك الأكثرون إلا من قال به فى عباد الله هكذا وهكذا ... الحديث » أخرجه الطبرانى من حديث عبد الرحمن ابن أبزى بلفظ « المكثرون » ولم يقل « فى عباد الله » ورواه أحمد من حديث أبى سعيد بلفظ « المكثرون » وهو متفق عليه من حديث أبى ذر بلفظ « هم الأخسرون » فقال أبو ذر : من هم ؟ فقال « هم الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا ... الحديث » (٤) حديث قيل يارسول الله أى أمتك شر ؟ قال « الأغنياء » غريب لم أجده بهذا اللفظ وللطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب من حديث عبد الله بن جعفر « شرار أمتى الذين ولدوا فى النعيم وغذوا به يأكلون من الطعام ألوانا » وفيه أصرم بن حوشب ضعيف ورواه هناد بن السرى فى الزهد له من رواية عروة بن رويم مرسلا وللبزار من حديث أبى هريرة بسند ضعيف « إن من شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم وتنبت عليه أجسامهم » (٥) حديث « سيأتى بعدكم قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها ... الحديث » بطوله أخرجه الطبرانى فى الكبير والأوسط من حديث أبى أمامة « سيكون رجال من أمتى يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب يتشدقون فى الكلام أولئك شرار أمتى » وسنده ضعيف ولم أجد لباقيه أصلا (٦) حديث « دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق مايكفيه أخذ حتفه وهو لايشعر » أخرجه البزار من حديث أنس وفيه هانئ بن المتوكل ضعفه ابن حبان (٧) حديث « يقول العبد مالى مالى .. الحديث » أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن الشخير وأبى هريرة وقد تقدم

أحب أن يلحقه وإن خلفه أحب أن يتخلف معه[1] » وقال صلى الله عليه وسلم « أخلاء ابن آدم ثلاثة . واحد يتبعه إلى قبض روحه ، والثانى إلى قبره ، والثالث إلى محشره . فالذى يتبعه إلى قبض روحه فهو ماله ، والذى يتبعه إلى قبره فهو أهله ، والذى يتبعه إلى محشره فهو عمله[2] » .

وقال الحواريون لعيسى عليه السلام : مالك تمشى على الماء ولا نقدر على ذلك ؟ فقال لهم : ما منزلة الدينار والدرهم عندكم ؟ قالوا : حسنة ، قال : لكنهما والمدر عندى سواء . وكتب سلمان الفارسى إلى أبى الدرداء رضى الله عنهما : يا أخى إياك أن تجمع من الدنيا مالا تؤدى شكره ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد أديت حق الله فى ، ثم يجاء بصاحب الدنيا الذى لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك ألا أديت حق الله فى فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور[3] » .

وكل ما أوردناه فى كتاب الزهد والفقر فى ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه إلى ذم المال ، فلا نطول بتكريره ، وكذا كل ما ذكرناه فى ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم ، لأن المال أعظم أركان الدنيا . وإنما نذكر الآن ما ورد فى المال خاصة .

قال صلى الله عليه وسلم « إذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف[4] » وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا[5] » .

الآثار : روى أن رجلا نال من أبى الدرداء وأراه سوءا فقال : اللهم من فعل بى سوءا فأصح جسمه وأطل عمره وأكثر ماله . فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر ؟ لأنه لا بد وأن يفضى إلى الطغيان ووضع على كرم الله وجهه درهماً على كفه ثم قال : أما إنك مالم تخرج عنى لا تنفعنى . وروى أن عمر رضى الله عنه أرسل إلى زينب بنت جحش بعطائها فقالت : ما هذا ؟ قالوا : أرسل إليك عمر بن الخطاب ، قالت : غفر الله له ، ثم سلت سترا كان لها فقطعته وجعلته صرراً وقسمته فى أهل بيتها ورحمها وأيتامها ، ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا يدركنى عطاء عمر بعد عامى هذا . فكانت أول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به . وقال الحسن : والله ما أعز الدرهم أحد إلا أذله الله . وقيل : إن أول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما إبليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال . من أحبكما فهو عبدى حقا . وقال سميط بن عجلان : إن الدراهم والدنانير أزمة المنافقين يقادون بها إلى النار . وقال يحيى بن معاذ : الدرهم عقرب فإن لم تحسن رقيته فلا تأخذه ، فإنه إن لدغك قتلك سمه ، قيل : وما رقيته ؟ قال : أخذه من حله ووضعه فى حقه . وقال العلاء بن زياد : تمثلت لى الدنيا وعليها من كل زينة فقلت : أعوذ

---

(١) حديث : قال رجل يارسول الله مالى لا أحب الموت ... الحديث . لم أقف عليه (٢) حديث « أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه ، والثانى إلى قبره ... الحديث » أخرجه أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط من حديث النعمان بن بشير بإسناد جيد نحوه ، ورواه أبو داود الطيالسى وأبو الشيخ فى كتاب الثواب والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس بسند جيد أيضاً وفى الكبير من حديث سمرة بن جندب وللشيخين من حديث أنس « يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد ... الحديث »

(٣) حديث : كتب سلمان إلى أبى الدرداء وفيه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه ... الحديث » قلت : ليس هو من حديث سلمان إنما هو من حديث أبى الدرداء أنه كتب إلى سلمان ؛ كذا رواه البيهقى فى الشعب وقال بدل « الدنيا » « المال » وهو منقطع (٤) حديث « إذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم ... الحديث » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة يبلغ به وقد تقدم فى آداب الصحبة .

(٥) حديث « لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا » أخرجه الترمذى والحاكم وصحح إسناده من حديث ابن مسعود بلفظ « فترغبوا

بالله من شرك فقالت : إن سرك أن يعيذك الله منى فابغض الدرهم والدينار . وذلك لأن الدرهم والدينار هما الدنيا كلها إذ يتوصل بهما إلى جميع أصنافها ، فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وفى ذلك قيل :

إنى وجدت فلا تظنوا غيره أن التورع عند هذا الدرهم
فإذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بأن تقاك تقوى المسلم

وفى ذلك قيل أيضاً :

لا يغرنك من المر * قميص رقعه * أو إزار فوق عظم الساق منه رفعه
أو جبين لاح فيه * أثر قد خلعه * أره الدرهم تعرف * حبه أو ورعه

ويروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته فقال : يا أمير المؤمنين صنعت صنيعاً لم يصنعه أحد قبلك ، تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار - وكان له ثلاثة عشر من الولد - فقال عمر : أقعدونى ! فأقعدوه فقال : أما قولك لم أدع لهم دينارا ولا درهما فإنى لم أمنعهم حقا لهم ولم أعطهم حقا لغيرهم ! وإنما ولدى أحد رجلين : إما مطيع لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين ، وإما عاص لله فلا أبالى على ماوقع . وروى أن محمد بن كعب القرظى أصاب مالا كثيرا فقيل له : لو ادخرته لولدك من بعدك ؟ قال : لا ولكنى ادخره لنفسى عند ربى وأدخر ربى لولدى . ويروى أن رجلا قال لأبى عبد ربه : ياأخى لاتذهب بشر وتترك أولادك بخير ! فأخرج أبو عبد ربه من ماله مائة ألف درهم . وقال يحيى بن معاذ : مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما للعبد فى ماله عند موته ، قيل : وماهما ؟ قال : يؤخذ منه كله ويسئل عنه كله .

بيـــان مدح المال والجمع بينه وبين الذم

اعلم أن الله تعالى قد سمى المال خيرا فى مواضع من كتابه العزيز فقال جل وعز ﴿ إن ترك خيرا ﴾ الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم المال الصالح للرجل الصالح [1] » وكل ماجاء فى ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال إذلا يمكن الوصول إليهما إلا به وقال تعالى ﴿ ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ﴾ وقال تعالى ممتنا على عباده ﴿ ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « كاد الفقر أن يكون كفرا [2] » وهو ثناء على المال . ولا تقف على وجه الجمع بعد الذم والمدح إلا بأن تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله ؛ حتى ينكشف لك أنه خير من وجه وشر من وجه ، وأنه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر ، فإنه ليس بخير محض ولا شر محض ، بل هو سبب للأمرين جميعا وما هذا وصفه فيمدح لاحالة تارة ويذم أخرى ، ولكن البصير المميز يدرك أن المحمود منه غير المذموم ، وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه فى كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم ، والقدر المقنع فيه هو أن مقصد الأكياس وأرباب البصائر سعادة الآخرة التى هى النعيم الدائم والملك والمقيم . والقصد إلى هذا دأب الكرام والأكياس ، إذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : من أكرم الناس وأكيسهم ؟ فقال « أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم له استعدادا [3] »

---

(١) حديث « نعم المال الصالح للرجل الصالح » أخرجه أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط من حديث عمرو بن العاص بسند صحيح بلفظ « نعما » وقالا « المرء » . (٢) حديث « كاد الفقر أن يكون كفرا » أخرجه أبو مسلم الكجى فى سننه والبيهقى فى شعب الإيمان من حديث أنس وتقدم فى كتاب ذم الغضب (٣) حديث : من أكرم الناس وأكيسهم ؟ قال « أكثرهم للموت ذكرا ... الحديث » أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ : أى المؤمنين أكيس ؟ ورواه ابن أبى الدنيا فى الموت بلفظ المصنف وإسناده جيد .

وهذه السعادة لاتنال إلا بثلاث وسائل فى الدنيا وهى الفضائل النفسية ، كالعلم وحسن الخلق ، والفضائل البدنية : كالصحة والسلامة ، والفضائل الخارجة عن البدن : كالمال وسائر الأسباب . وأعلاها النفسية ، ثم البدنية ، ثم الخارجة .

فالخارجة أخسها والمال من جملة الخارجات ، وأدناها الدراهم والدنانير ، فإنهما خادمان ولا خادم لهما ، ومرادان لغيرهما . ولا يرادان لذاتهما ؛ إذ النفس هى الجوهر النفيس المطلوب سعادتها ، وأنها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الأخلاق لتحصلها صفة فى ذاتها ، والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والأعضاء ، والمطاعم والملابس تخدم البدن . وقد سبق أن المقصود من المطاعم إبقاء البدن . ومن المناكح إبقاء النسل ، ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق . ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه ، وأنه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التى هى ضرورة بقاء البدن الذى هو ضرورة كمال النفس الذى هو خير ومن عرف فائدة الشىء وغايته ومقصده واستعمله لتلك الغاية ملتفتاً إليها غير ناس لها فقد أحسن وانتفع ، وكان ماحصل له الغرض محموداً فى حقه ، فإذا المال آلة ووسيلة إلى مقصود صحيح ، ويصلح أن يتخذ آلة ووسيلة إلى مقاصد فاسدة وهى المقاصد الصادة عن سعادة الآخرة وتسد سبيل العلم والعمل . فهو إذاً محمود مذموم ، محمود بالإضافة إلى المقصد المحمود ، ومذموم بالإضافة إلى المقصد المذموم . فمن أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حتفه وهو لا يشعر [1] كما ورد به الخبر .

ولما كانت الطباع مائلة إلى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلا لها وآلة إليها ، عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الأنبياء من شره حتى قال نبينا عليه الصلاة والسلام « اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا [2] » فلم يطلب من الدنيا إلا ما يتمحض خيره وقال « اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكيناً واحشرنى فى زمرة المساكين [3] » واستعاذ إبراهيم صلى الله عليه وسلم فقال ﴿ واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام ﴾ وعنى بها هذين الحجرين الذهب والفضة ، إذ رتبة النبوة أجل من أن يخشى عليها أن تعتقد الإلهية فى شىء من هذه الحجارة ، إذ قد كفى قبل النبوة مع الصغر ، وإنما معنى عبادتهما حبهما والاغترار بهما والركون إليهما قال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم تعس ولا انتعش وإذا شيك فلا انتقش [4] ، فبين أن محبهما عابدلهما ومن عبد حجرا فهو عابد صنم . بل كل من كان عبدا لغير الله فهو عابد صنم ، أى قطعه ذلك عن الله تعالى وعن أداء حقه فهو كعابد صنم ، وهو شرك إلا أن الشرك شركان : شرك خفى لا يوجب الخلود فى النار وقلما ينفك عنه المؤمنون فإنه أخفى من دبيب النمل ، وشرك جلى يوجب الخلود فى النار نعوذ بالله من الجميع .

بيان تفصيل آفات المال وفوائده

اعلم أن المال مثل حية فيها سم وترياق ، ففوائده ترياقه ، وغوائله سمومه . فمن عرف غوائله وفوائده أمكنه أن يحترز من شره ويستدر من خيره .

---

(١) حديث « من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حتفه وهو لا يشعر » تقدم قبله بتسعة أحاديث وهو بقية «احذروا الدنيا» (٢) حديث «اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا» متفق عليه من حديث أبى هريرة (٣) حديث « اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا » أخرجه الترمذى من حديث أنس وابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث أبى سعيد وقد تقدم

(٤) حديث : تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم ... الحديث . أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة ولم يقل «وانتقش» وإنما علق آخره بلفظ « تعس وانتكس » ووصل ذلك ابن ماجه والحاكم

أما الفوائد : فهى تنقسم إلى دنيوية ودينية : أما الدنيوية فلا حاجة إلى ذكرها فإن معرفتها مشهورة مشتركة بين أصناف الخلق ، ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها . وأما الدينية فتنحصر جميعها فى ثلاثة أنواع .

(النوع الأول) أن ينفقه على نفسه إما فى عبادة أو فى الاستعانة على عبادة . أما فى العبادة : فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فإنه لا يتوصل إليهما إلا بالمال ، وهما من أمهات القربات والفقير محروم من فضلهما . وأما فيما يقويه على العبادة : فذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة فإن هذه الحاجات إذا لم تتيسر كان القلب مصروفا إلى تدبيرها فلا يتفرغ للدين ، ومالا يتوصل إلى العبادة إلا به فهو عبادة ، فأخذ الكفاية من الدنيا لأجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية . ولا يدخل فى هذا التنعم والزيادة على الحاجة فإن ذلك من حظوظ الدنيا فقط .

(النوع الثانى) ما يصرفه إلى الناس ، وهو أربعة أقسام : الصدقة ، والمروءة ، ووقاية العرض ، وأجرة الاستخدام .

أما الصدقة فلا يخفى ثوابها وإنها لتطفئ غضب الرب تعالى ، وقد ذكرنا فضلها فيما تقدم .

وأما المروءة فنعنى بها صرف المال إلى الأغنياء والأشراف فى ضيافة وهدية وإعانة وما يجرى مجراها ، فإن هذه لا تسمى صدقة ، بل الصدقة مايسلم إلى المحتاج إلا أن هذا من الفوائد الدينية إذ به يكتسب العبد الإخوان والأصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الأسخياء . فلا يوصف بالجود إلا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل المروءة والفتوة ، وهذا أيضاً مما يعظم الثواب فيه فقد وردت أخبار كثيرة فى الهدايا والضيافات وإطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة فى مصارفها .

وأما وقاية العرض فنعنى به بذل المال لدفع هجو الشعراء ، ثلب السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم ، وهو أيضا مع تنجز فائدته فى العاجلة من الحظوظ الدينية . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة [1] » وكيف لا وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التى تحمل فى المكافأة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة .

وأما الاستخدام فهو أن الأعمال التى يحتاج إليها الإنسان لتهيئة أسبابه كثيرة ، ولو تولاها بنفسه ضاعت أوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذى هو أعلى مقامات السالكين ، ومن لامال له فيفتقر إلى أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطحنه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذى يحتاج إليه ، وكل مايتصور أن يقوم به غيرك ويحصل به غرضك فأنت متعوب إذا اشتغلت به ، إذ عليك من العلم والعمل والذكر والفكر مالا يتصور أن يقوم به غيرك فتضييع الوقت فى غيره خسران .

(النوع الثالث) مالا يصرفه إلى إنسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودور المرضى ونصب الجباب فى الطريق ، وغير ذلك من الأوقاف المرصدة للخيرات ، وهى من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة أدعية الصالحين إلى أوقات متمادية ، وناهيك بها خيرا . فهذه جملة فوائد المال فى الدين سوى مايتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر ، والوصول إلى العز والمجد بين الخلق ، وكثرة الإخوان والأعوان والأصدقاء ، والوقار والكرامة فى القلوب ، فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ الدنيوية .

---

(١) حديث « ماوقى المرء عرضه به فهو صدقة » رواه أبو يعلى من حديث جابر وقد تقدم .

وأما الآفات فدينية ودنيوية أما الدينية فثلاث .

(الأولى) أن تجرّ إلى المعاصى فإن الشهوات متفاضلة والعجز قد يحول بين المرء والمعصية ، ومن العصمة أن لايجد . ومهما كان الإنسان آيساً عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته ، فإذا استشعر القدرة عليها انبعثت داعيته والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصى وارتكاب الفجور ، فإن اقتحم ما اشتهاه هلك وإن صبر وقع فى شدّة ؛ إذ الصبر مع القدرة أشدّ ، وفتنة السراء أعظم من فتنة الضراء .

(الثانية) أنه يجر إلى التنعم فى المباحات ، وهذا أوّل الدرجات ، فمتى يقدر صاحب المال على أن يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الأطعمة كما كان يقدر عليه سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فى ملكه فأحسن أحواله أن لايتنعم بالدنيا ويمرن عليها نفسه ، فيصير التنعم مألوفا عنده ومحبوبا لايصبر عنه ، ويجرّه البعض منه إلى البعض ، فإذا اشتدّ أنسه به ربما لايقدر على التوصل إليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض فى المراءاة والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الأخلاق الرديئة ، لينتظم له أمر دنياه ويتيسر له تنعمه، فإن من كثر ماله كثرت حاجته إلى الناس ، ومن احتاج إلى الناس فلابد وأن ينافقهم ويعصى الله فى طلب رضاهم، فإن سلم الإنسان من الآفة الأولى وهى مباشرة الحظوظ فلا يسلم عن هـــذه أصلا . ومن الحاجة إلى الخلق تثور العداوة والصداقة ، وينشأ عنه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والنميمة والغيبة وسائر المعاصى التى تخص القلب واللسان ، ولايخلو عن التعدى أيضاً إلى سائر الجوارح . وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة إلى حفظه وإصلاحه .

(الثالثة) وهى التى لاينفك عنها أحد وهو أنه يلهيه إصلاح ماله عن ذكر الله تعالى ، وكل ماشغل العبد عن الله فهو خسران ، ولذلك قال عيسى عليه الصلاة والسلام : فى المال ثلاث آفات ، أن يأخذه من غير حله ، فقيل : إن أخذه من حله ؟ فقال : يضعه فى غير حقه ، فقيل : إن وضعه فى حقه ؟ فقال : يشغله إصلاحه عن الله تعالى . وهذا هو الداء العضال . فإن أصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله والتفكر فى جلاله ، وذلك يستدعى قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسى ويصبح متفكرا فى خصومة الفلاح ومحاسبته ، وفى خصومة الشركاء ومنازعتهم فى الماء والحدود ، وخصومة أعوان السلطان فى الخراج ، وخصومة الأجراء على التقصير فى العمارة ، وخصومة الفلاحين فى خيانتهم وسرقتهم . وصاحب التجارة يكون متفكرا فى خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره فى العمل وتضييعه للمال . وكذلك صاحب المواشى . وهكذا سائر أصناف الأموال . وأبعدها عن كثرة الشغل: النقد المكنوز تحت الأرض ، ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف إليه وفى كيفية حفظه وفى الخوف مما يعثر عليه وفى دفع أطماع الناس عنه . وأودية أفكار الدنيا لانهاية لها ، والذى معه قوت يومه فى سلامة من جميع ذلك . فهذه جملة الآفات الدنيوية سوى ما يقاسيه أرباب الأموال فى الدنيا من الخوف والحزن والغم والهم والتعب فى دفع الحساد وتجشم المصاعب فى حفظ المال وكسبه ، فإذن ترياق المال أخذ القوت منه وصرف الباقى إلى الخيرات وماعدا ذلك سموم وآفات . نسأل الله تعالى السلامة وحسن العون بلطفه وكرمه إنه على ذلك قدير .

بيان ذم الحرص والطمع ، ومدح القناعة واليأس مما فى أيدى الناس

اعلم أن الفقر محمود ـ كما أوردناه فى كتاب الفقر ـ ولكن ينبغى أن يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى مافى أيديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ، ولا يمكنه ذلك إلا بأن يقنع بقدر الضرورة

من المطعم والملبس والمسكن ، ويقتصر على أقله قدرا وأخسه نوعا ، ويرد أمله إلى يومه أو إلى شهره ، ولا يشغل قلبه بما بعد شهر . فإن تشوق إلى الكثير أو طول أمله فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص ، وجره الحرص والطمع إلى مساوئ الأخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروءات ، وقد جبل الآدمى على الحرص والطمع وقلة القناعة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يبتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب [1] » وعن أبى واقد الليثى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوحى إليه أتيناه يعلمنا مما أوحى إليه ، فجئته ذات يوم فقال « إن الله عز وجل يقول : إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، ولو كان لابن آدم واد من ذهب لأحب أن يكون له ثان ولو كان له الثانى لأحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب [2] » وقال أبو موسى الأشعرى : نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها : إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب [3] . وقال صلى الله عليه وسلم « منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان : الأمل وحب المال » أو كما قال [5] .

ولما كانت هذه جبلة للآدمى مضلة وغريزة مهلكة اثنى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به [6] » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من أحد فقير ولا غنى إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتى قوتا فى الدنيا [7] » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس [8] » ونهى عن شدة الحرص والمبالغة فى الطلب فقال « أيها الناس أجملوا فى الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهى راغمة [9] » وروى أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال : أى عبادك أغنى ؟ قال : أقنعهم بما أعطيته ، قال : فأيهم أعدل ؟ قال : من أنصف من نفسه . وقال ابن مسعود : قال رسول الله ﷺ « إن روح القدس نفث فى روعى إن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب » [10] وقال أبو هريرة : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة إذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار » وقال أبو هريرة رضى الله عنه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كن ورعا ، تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا [11] »

---

(١) حديث « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ... الحديث » متفق عليه من حديث ابن عباس وأنس

(٢) حديث أبى واقد الليثى « إن الله عز وجل يقول : إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة : ... الحديث » أخرجه أحمد والبيهقى فى الشعب بسند صحيح (٣) حديث أبى موسى : نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها : إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم لو أن لابن آدم واديين من مال ... الحديث » أخرجه مسلم مع اختلاف دون قوله « إن الله يؤيد هذا الدين » ورواه بهذه الزيادة الطبرانى وفيه على بن زيد متكلم فيه (٤) حديث « منهومان لا يشبعان ... الحديث » أخرجه الطبرانى من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٥) حديث يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان ... الحديث » متفق عليه من حديث أنس

(٦) حديث طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به » أخرجه الترمذى وصححه والنسائى فى الكبرى من حديث فضالة ابن عبيد ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو « وقد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه » (٧) حديث « ما من أحد غنى ولا فقير إلا وديوم القيامة أنه كان أوتى فى الدنيا قوتا » أخرجه ابن ماجه من رواية نفيع بن الحارث عن أنس ونفيع ضعيف

(٨) حديث « ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس » متفق عليه من حديث أبى هريرة (٩) حديث « ألا أيها الناس أجملوا فى الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له » أخرجه الحاكم من حديث جابر بنحوه وصحح إسناده ، وقد تقدم فى آداب الكسب والمعاش . (١٠) حديث ابن مسعود « إن روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى القناعة والحاكم مع اختلاف وقد تقدم فيه (١١) حديث أبى هريرة « كن ورعا تكن أعبد الناس ... الحديث » أخرجه ابن ماجه وقد تقدم .

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الأنصارى : أنّ اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله عظنى وأوجز فقال « إذا صليت فصل صلاة مودع ولاتحدثن بحديث تعتذر منه غدا ، وأجمع اليأس مما فى أيدى الناس [1] » وقال عوف بن مالك الأشجعى : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة ـ فقال « ألا تبايعون رسول الله » قلنا : أوليس قد بايعناك يارسول الله ؟ ثم قال « ألا تبايعون رسول الله » فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا : قد بايعتاك فعلى ماذا نبايعك ؟ قال « أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتصلوا الخمس ، وأن تسمعوا وتطيعوا » وأسر كلمة خفية « ولا تسألوا الناس شيئا [2] » قال : فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحداً أن يناوله إياه .

الآثار : قال عمر رضى الله عنه : إنّ الطمع فقر وإنّ اليأس غنى وإنه من ييأس عما فى أيدى الناس استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء : ما الغنى ؟ قال : قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك ، وفى ذلك قيل :

العيش ساعات تمـــرّ وخطوب أيام تكـرّ
اقنـع بعيشك ترضه واترك هواك تعيش حرّ
فلرب حتف ســاقه ذهب وياقـــوت ودرّ

وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكل ويقول : من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد . وقال سفيان : خير دنياكم مالم تبتلوا به وخير ماابتليتم به ماخرج من أيديكم وقال ابن مسعود : مامن يوم إلا ومـلك ينادى : ياابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك . وقال سميط بن عجلان : إنمـا بطنك يابن آدم شبر فى شبر فـلم يدخـلك النار ؟ وقيل لحكيم : ما مالك ؟ قال : التجمل فى الظاهر والقصد فى الباطن واليأس مما فى أيدى الناس . ويروى أن الله عزوجل قال : ياابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت ، وإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن . وقال ابن مسعود : إذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولايأتى الرجل فيقول : إنك وإنك فيقطع ظهره ، فإنمـا يأتيه ماقسم له من الرزق أو مارزق . وكتب بعض بنى أمية إلى إبى حازم ـ يعزم عليه إلا رفع إليه حوائجه ـ فكتب إليه : قد رفعت حوائجى إلى مولاى فما أعطانى منها قبلت وما أمسك عنى قنعت . وقيل لبعض الحكماء : أى شىء أسر للعاقل وإيمـا شىء أعون على دفع الحزن ؟ فقال : أسرها إليه ماقدّم من صالح العمل ، وأعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء وقال بعض الحكماء : وجدت أطول الناس غمـا الحسود ، وأهنـأهم عيشا القنوع ، وأصبرهم على الأذى الحريـص إذا طمع ، وأخفضهم عيشا أرفضهم للدنيا ، وأعظمهم ندامة العالم المفرّط . وفى ذلك قيل :

أرفه ببـال فتى أمسى على ثقـة أنّ الذى قسم الأرزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدنسه والوجه منه جديد ليس يخلقـه
إنّ القنـاعة من يحلـل بساحتها لم يـلق فى دهره شيئا يؤرّقه

(١) حديث أبي أيوب « إذا صليت فصل صلاة مودع ولاتحدثن بحديث تعتذر منه وأجمع اليأس مما فى أيدى الناس » أخرجه ابن ماجه وتقدم فى الصلاة وللحاكم نحوه من حديث سعد بن أبى وقاص وقال صحيح الإسناد (٢) حديث عوف بن مالك : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ سبعة أو ثمانية أو تسعة ـ فقال « ألا تبايعون ... الحديث » وفيه « ولا تسألوا الناس » أخرجه مسلم من حديثه ولم يقل : فقال قائل ولا قال : تسمعوا . وقال : سوط أحدهم . وهى عند أبي داود وابن ماجه كما ذكرها المصنف .

وقد قيل أيضا :

حتى متى أنا فى حل وترحال وطول سعى وإدبار وإقبال
ونازح الدار لاأنفك مغتربا عن الأحبة لايدرون ماحالى
بمشرق الأرض طورا ثم مغربها لايخطر الموت من حرصى على بالى
ولو قنعت أتانى الرزق فى دعه إنّ القنوع الغنى لاكثرة المال

وقال عمر رضى الله عنه : ألا أخبركم بما أستحل من مال الله تعالى : حلتان لشتائى وقيظى ، وما يسعنى من الظهر لحجى وعمرتى ، وقوتى بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرفعهم ولابأوضعهم ، فوالله ما أدرى أيحل ذلك أم لا ؟ كأنه شك فى أنّ هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التى تجب القناعة بها ؟ وعاتب أعرابى أخاه على الحرص فقال يا أخى أنت طالب ومطلوب ، يطلبك من لاتفوته وتطلب أنت ماقد كفيته ، وكأنّ ماغاب عنك قد كشف لك ، وماأنت فيه قد نقلت عنه ، كأنك ياأخى لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا . وفى ذلك قيل :

أراك يزيدك الإثراء حرصا على الدنيا كأنك لا تموت
فهل لك غاية إن صرت يوما إليها قلت حسبى قد رضيت

وقال الشعبى : حكى أنّ رجلا صاد قنبرة فقالت : ما تريد أن تصنع بى ؟ قال : أذبحك وآكلك ، قالت : والله ما أشفى من قرم ولا أشبع من جوع ولكن أعلمك ثلاث خصال هى خير لك من أكلى : أما واحدة : فأعلمك وأنا فى يدك ، وأما الثانية : فإذا صرت على الشجرة ، وأما الثالثة : فإذا صرت على الجبل ، قال : هات الأولى ، قالت : لاتلهفن على ما فاتك ، فخلاها فلما صارت على الشجرة قال : هات الثانية : لاتصدّقن بما لا يكون أنه يكون ، ثم طارت فصارت على الجبل فقالت : ياشقى لو ذبحتنى لأخرجت من حوصلتى درّتين زنة كل درّة عشرون مثقالا ، قال : فعض على شفته وتلهف وقال : هات الثالثة ، قالت : أنت قد نسيت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ؟ ألم أقل لك : لاتلهفن على مافاتك ولا تصدقن بما لايكون أن يكون ، أنا لحمى ودمى وريشى لايكون عشرين مثقالا فكيف يكون فى حوصلتى درتان كل واحدة عشرون مثقالا ؟ ثم طارت فذهبت . وهذا مثال لفرط طمع الآدمى فإنه يعميه عن درك الحق حتى يقدّر مالا يكون أنه يكون . وقال ابن السماك : إن الرجاء حبل فى قلبك وقيد فى رجلك فأخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك . وقال أبو محمد اليزيدى : دخلت على الرشيد فوجدته ينظر فى ورقة مكتوب فيها بالذهب ، فلما رآنى تبسم ، فقلت : فائدة أصلح الله أمير المؤمنين ؟ قال : نعم وجدت هذين البيتين فى بعض خزائن بنى أمية فاستحسنتهما وقد أضفت إليهما ثالثا . وأنشدنى :

إذا سدّ باب عنك من دون حاجة فدعه لأخرى ينفتح لك بابها
فإن قراب البطن يكفيك ملؤه ويكفيك سوءات الأمور اجتنابها
ولاتك مبذالا لعرضك واجتنب ركوب المعاصى يجتنبك عقابها

وقال عبد الله بن سلام لكعب : ما يذهب العلوم من قلوب العلماء إذ وعوها وعقلوها ؟ قال : الطمع وشره النفس وطلب الحوائج . وقال رجل للفضيل : فسر لى قول كعب ، قال : يطمع الرجل فى الشىء يطلبه فيذهب عليه دينه ، وأما الشره فشره النفس فى هذا حتى لا تحب أن يفوتها شىء ، ويكون لك إلى هذا حاجة وإلى هذا حاجة فإذا قضاها لك خرم أنفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له . فمن حبك للدنيا سلت عليه

إذا مررت به وعدته إذا مرض ؛ لم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله ، فلو لم يكن لك إليه حاجة كان خيراً لك . ثم قال : هذا خير لك من مائة حديث عن فلان عن فلان . قال بعض الحكماء : من عجيب أمر الإنسان انه لو نودى بدوام البقاء فى أيام الدنيا لم يكن فى قوى خلقته من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال . وقال عبد الواحد بن زيد : مررت براهب فقلت له : من أين تأكل ؟ قال : من بيدر اللطيف الخبير ، الذى خلق الرحا يأتيها بالطحين ـ وأومأ بيده إلى رحا أضراسه ـ فسبحان القدير الخبير .

بيان علاج الحرص والطمع ، والدواء الذى يكتسب به صفة القناعة

اعلم أنّ هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان : الصبر والعلم والعمل ، ومجموع ذلك خمسة أمور :

الأول : وهو العمل ؛ الاقتصاد فى المعيشة والرفق فى الإنفاق ، فمن أراد عز القناعة فينبغى أن يسدّ عن نفسه أبواب الخروج ما أمكنه ويرد نفسه إلا مالا بدّ له منه ، فمن كثر خرجه واتسع إنفاقه لم تمكنه القناعة ، بل إن كان وحده فينبغى أن يقنع بثوب واحد خشن ، ويقنع بأى طعام كان ؛ ويقلل من الإدام ما أمكنه ، ويوطن نفسه عليه وإن كان له عيال فيرد كل واحد إلى هذا القدر ؛ فإن هذا القدر يتيسر بأدنى جهد . ويمكن معه الإجمال فى الطلب والاقتصاد فى المعيشة وهو الأصل فى القناعة ؛ ونعنى به الرفق فى الإنفاق وترك الخرق فيه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الرفق الأمر كله » [1] وقال صلى الله عليه وسلم « ما عال من اقتصد [2] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث منجيات ؛ خشية الله فى السر والعلانية ، والقصد فى الغنى والفقر ، والعدل فى الرضا والغضب [3] » ، وروى أن رجلا أبصر أبا الدرداء يلتقط حبا من الأرض وهو يقول : إن من فقهك رفقك فى معيشتك . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : قال النبى صلى الله عليه وسلم « الاقتصاد وحسن السمت والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة [4] » .

وفى الخبر « التدبير نصف المعيشة [5] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « من اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله ومن ذكر الله عز وجل أحبه الله [6] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أردت أمراً فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا [7] » والتؤدة فى الإنفاق من أهم الأمور .

الثانى : أنه إذا تيسر له فى الحال ما يكفيه فلا ينبغى أن يكون شديد الاضطراب لأجل المستقبل ، ويعينه على ذلك قصر الأمل ، والتحقق بأن الرزق الذى قدر له لابدّ وأن يأتيه وإن لم يشتد حرصه ، فإن شدّة الحرص ليست هى السبب لوصول الأرزاق ، بل ينبغى أن يكون واثقاً بوعد الله تعالى إذ قال عز وجل ﴿ وما من دابة فى الأرض

---

(١) حديث « إن الله يحب الرفق فى الأمر كله » متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم (٢) حديث « ما عال من اقتصد » أخرجه أحمد والطبرانى من حديث ابن مسعود ورواه من حديث ابن عباس بلفظ « مقتصد » (٣) حديث « ثلاث منجيات : خشية الله فى السر والعلانية والقصد فى الغنى والفقر والعدل فى الرضا والغضب » أخرجه البزار والطبرانى وأبو نعيم والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث ابن عباس « الاقتصاد وحسن السمت والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة » أخرجه أبو داود من حديث ابن عباس مع تقديم وتأخير وقال « السمت الصالح » وقال « من خمسة وعشرين » ورواه الترمذى وحسنه من حديث عبد الله بن سرجس وقال « التؤدة » بدل « الهدى الصالح » وقال « من أربعة » (٥) حديث « التدبير نصف المعيشة » رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس وفيه خلاد بن عيسى جهله العقيلى ووثقه ابن معين . (٦) حديث « من اقتصد أغناه الله ... الحديث » أخرجه البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله « ومن ذكر الله أحبه الله » وشيخه فيه عمران بن هارون البصرى قال الذهبى : شيخ لا يعرف حاله أتى بخبر منكر أى هذا الحديث ، ولأحمد وأبى يعلى فى حديث لأبى سعيد « ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله » (٧) حديث « إذا أردت أمرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله فيه فرجا ومخرجا » رواه ابن المبارك فى البر والصلة وقد تقدم

إلا على الله رزقها ﴾ وذلك لأن الشيطان يعده الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول : إن لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج إلى احتمال الذل فى السؤال ، فلا يزال طول العمر يتعبه فى الطلب خوفا من الفقر ، ويضحك عليه فى احتماله التعب نقدا مع الغفلة عن الله لتوهم تعب فى ثانى الحال وربما لا يكون . وفى مثله قيل :

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله مخافة فقر فالذى فعل : الفقر

وقد دخلا ابنا خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما « لاتيأسا من الرزق ماتهزهزت رءوسكما فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى [1] » ومرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن مسعود وهو حزين فقال له « لا تكثر همك ما قدر يكن وما ترزق يأتك [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أيها الناس أجملوا فى الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهى راغمة [3] » ولا ينفك الإنسان عن الحرص إلا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى فى تقدير أرزاق العباد ، وأن ذلك يحصل لا محالة مع الإجمال فى الطلب ، بل ينبغى أن يعلم أن رزق الله للعبد من حيث لا يحتسب أكثر قال الله تعالى ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ فإذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغى أن يضطرب قلبه لأجله ، وقال صلى الله عليه وسلم « أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب [4] » وقال سفيان : اتق الله فما رأيت تقيا محتاجا . أى لا يترك التقى فاقدا لضرورته ، بل يلقى الله فى قلوب المسلمين أن يوصلوا إليه رزقه . وقال المفضل الضبى : قلت لأعرابى من أين معاشك ؟ قال نذر الحاج ، قلت : فإذا صدروا ، فبكى وقال : لولم نعش إلا من حيث ندرى لم نعش . وقال أبو حازم رضى الله عنه : وجدت الدنيا شيئين : شيئا منهما هو لى ، فلن أعجله قبل وقته ولو طلبته بقوة السماوات والأرض . وشيئا منهما هو لغيرى فلذلك لم أنله فيما مضى فلا أرجوه فيما بقى ، يمنع الذى لغيرى منى كما يمنع الذى لى من غيرى ، ففى أى هذين أفنى عمرى ؟ فهذا دواء من جهة المعرفة لابد منه لدفع تخويف الشيطان . وإنذاره بالفقر .

الثالث : أن يعرف ما فى القناعة من عز الاستغناء وما فى الحرص والطمع من الذل ، فإذا تحقق عنده ذلك انبعثت رغبته إلى القناعة لأنه فى الحرص لا يخلو من تعب ، وفى الطمع لا يخلو من ذل . وليس فى القناعة إلا ألم الصبر عن الشهوات والفضول . وهذا ألم لا يطلع عليه أحد إلا الله وفيه ثواب الآخرة . وذلك مما يضاف إليه نظر الناس وفيه الوبال والمأثم . ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فإن من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته إلى الناس فلا يمكنه دعوتهم إلى الحق ويلزمه المداهنة ، وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الإيمان ، قال صلى الله عليه وسلم « عز المؤمن استغناؤه عن الناس [5] » ففى القناعة الحرية

---

(١) حديث « لاتيأسا من الرزق ماتهزهزت رءوسكما ... الحديث » رواه ابن ماجه من حديث : حبة وسواء ابنى خالد ، وقد تقدم . (٢) حديث « لاتكثر همك ماقدر يكن وما ترزق يأتك » قاله لابن مسعود أخرجه أبو نعيم من حديث خالد بن رافع وقد اختلف فى صحبته ورواه الأصفهانى فى الترغيب والترهيب من رواية مالك بن عمرو المغافرى مرسلا

(٣) حديث « ألا أيها الناس أجملوا فى الطلب ... الحديث » تقدم قبل هذا بثلاثة عشر حديثا .

(٤) حديث « أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب » أخرجه ابن حبان فى الضعفاء من حديث على بإسناد رواه ، ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات . (٥) حديث « عز المؤمن استغناؤه عن الناس » أخرجه الطبرانى فى الأوسط والحاكم وصحح إسناده ، وأبو الشيخ فى كتاب الثواب ، وأبو نعيم فى الحلية من حديث سهل بن سعد : أن جبريل قاله للنبى صلى الله عليه وسلم فى أثناء حديث ، وفيه زفر بن سليمان عن محمد بن عيينة وكلاهما مختلف فيه وجعله القضاعى فى مسند الشهاب من قول النبى صلى الله عليه وسلم

والعز . ولذلك قيل : استغن عمن شئت تكن نظيره واحتج إلى من شئت تكن أسيره وأحسن إلى من شئت تكن أميره .

الرابع : أن يكثر تأمله فى تنعم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحمق من الأكراد والأعراب الأجلاف ومن لا دين لهم ولا عقل. ثم ينظر إلى أحوال الأنبياء والأولياء وإلى سمت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمع أحاديثهم ويطالع أحوالهم . ويخير عقله بين أن يكون على مشابهة أراذل الناس أو على الاقتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند الله ، حتى يهون عليه بذلك الصبر على الضنك والقناعة باليسير ، فإنه إن تنعم فى البطن فالحمار أكثر أكلا منه وإن تنعم فى الوقاع فالخنزير أعلى رتبة منه ، وإن تزين فى الملبس والحلى ففى اليهود من هو أعلى زينة منه ، وإن قنع بالقليل ورضى به لم يساهمه فى رتبته إلا الأنبياء والأولياء .

الخامس : أن يفهم ما فى جمع المال من الخطر ـ كما ذكرنا فى آفات المال ـ وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع ؛ وما فى خلو اليد من الأمن والفراغ ، ويتأمل ما ذكرناه فى آفات المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة إلى خمسمائة عام ، فإنه إذا لم يقنع بما يكفيه ألحق بزمرة الأغنياء وأخرج من جريدة الفقراء . ويتم ذلك بأن ينظر أبدا إلى من دونه فى الدنيا لا إلى من فوقه ، فإن الشيطان أبدا يصرف نظره فى الدنيا إلى من فوقه فيقول : لم تفتر عن الطلب وأرباب الأموال يتنعمون فى المطاعم والملابس ؟ ويصرف نظره فى الدين إلى من دونه فيقول : ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك وهو لا يخاف الله ؟ والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد أن تتميز عنهم ؟ قال أبو ذر : أوصانى خليلى صلوات الله عليه أن أنظر إلى من هو دونى لا إلى من هو فوق [1] أى فى الدنيا . وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه فى المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه [2] » فبهذه الأمور يقدر على اكتساب خلق القناعة . وعماد الأمر الصبر وقصر الأمل ، وأن يعلم أن غاية صبره فى الدنيا أيام قلائل للتمتع دهرا طويلا ، فيكون كالمريض الذى يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه فى انتظار الشفاء .

بيان فضيلة السخاء

اعلم أن المال إن كان مفقوداً فينبغى أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص ، وإن كان موجودا فينبغى أن يكون حاله الإيثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل ، فإن السخاء من أخلاق الأنبياء عليهم السلام وهو أصل من أصول النجاة . وعنه عبر النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال « السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية إلى الأرض فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن إلى الجنة [3] » وقال جابر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال جبريل عليه السلام . قال الله تعالى إن هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما استطعتما [4] » وفى رواية « فأكرموه بهما ما صحبتموه » وعن عائشة الصديقة رضى

---

(١) حديث أبى ذر : أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم أن أنظر إلى من هو دونى ولا أنظر لمن هو فوق » أخرجه أحمد وابن حبان فى أثناء حديث وقد تقدم (٢) حديث أبى هريرة « إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه فى المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه » متفق عليه وقد تقدم . (٣) حديث « السخاء شجرة فى الجنة .. الحديث » أخرجه ابن حبان فى الضعفاء من حديث عائشة وابن عدى والدارقطنى فى المستجاد من حديث أبى هريرة وسيأتى بعده وأبو نعيم من حديث جابر وكلاهما ضعيف ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات من حديثهم ومن حديث الحسين وأبى سعيد (٤) حديث جابر مرفوعا حكاية عن جبريل عن الله تعالى « إن هذا دين رضيته لنفسى ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق » أخرجه الدارقطنى فى المستجاد وقد تقدم

الله عنها قالت . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جبل الله تعالى وليا له إلا على حسن الخلق والسخاء [١] وعن جابر قال . قيل يارسول الله أى الأعمال أفضل ؟ قال « الصبر والسماحة [٢] » وقال عبد الله بن عمرو . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما الله عز وجل ، فأما اللذان يحبهما الله تعالى فحسن الخلق والسخاء ، وأما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل ، وإذا أراد الله بعبد خيرا استعمله فى قضاء حوائج الناس [٣] » وروى المقدام بن شريح عن أبيه عن جده قال قلت يارسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال « إن موجبات المغفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام [٤] » وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السخاء شجرة فى الجنة فمن كان سخيا أخذ بغصن منها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله الجنة [٥] » وقال أبو سعيد الخدرى . قال النبى صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى أطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى تعيشوا فى أكنافهم فإنى جعلت فيهم رحمتى ، ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فإنى جعلت فيهم سخطى [٦] » وعن ابن عباس قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تجافوا عن ذنب السخى فإن الله آخذ بيده كلما عثر [٧] » وقال ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم « الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعير وإن الله تعالى لباهى بمطعم الطعام الملائكة عليهم السلام [٨] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله جواد يحب الجود ويحب مكارم الأخلاق ويكره سفسافها [٩] » وقال أنس . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل على الإسلام شيئا إلا

---

(١) حديث عائشة « ماجبل الله وليا له إلا على السخاء وحسن الخلق » أخرجه الدارقطنى فى المستجاد دون قوله « وحسن الخلق » بسند ضعيف ومن طريقه ابن الجوزى فى الموضوعات وذكره بهذه الزيادة ابن عدى من رواية بقية عن يوسف بن أبى السفر عن الأوزاعى عن الزهرى عن عروة عن عائشة ، ويوسف ضعيف جدا (٢) حديث جابر : أى الإيمان أفضل ؟ قال « الصبر والسماحة » أخرجه أبو يعلى وابن حبان فى الضعفاء بلفظ : سئل عن الإيمان . وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر ضعفه الجمهور ورواه أحمد من حديث عائشة وعمرو بن عنبسة بلفظ : ما الإيمان؟ قال « الصبر والسماحة » وفيه شهر بن حوشب ورواه البيهقى فى الزهد بلفظ : أى الأعمال أفضل قال « الصبر والسماحة وحسن الخلق » وإسناده صحيح (٣) حديث عبد الله بن عمرو « خلقان يحبهما الله وخلقان يبغضهما الله ، فأما اللذان يحبهما الله فحسن الخلق والسخاء ... الحديث » أخرجه أبو منصور الديلمى دون قوله فى آخره « وإذا أراد الله بعبد خيرا » وقال فيه « الشجاعة » بدل « حسن الخلق » وفيه محمد بن يونس الكديمى كذبه أبو داود وموسى بن هرون وغيرهما ووثقه الخطيب ، وروى الأصفهانى جميع الحديث موقوفا على عبد الله بن عمرو ، وروى الديلمى أيضاً من حديث أنس « إذا أراد الله بعبده خيرا صير حوائج الناس إليه » وفيه يحيى بن شبيب ضعفه ابن حبان (٤) حديث المقدام بن شريح عن أبيه عن جده « إن من موجبات المغفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام » أخرجه الطبرانى بلفظ « بذل السلام وحسن الكلام » وفى رواية له « يوجب الجنة إطعام الطعام وإفشاء السلام » وفى رواية له « عليك بحسن الكلام وبذل الطعام » (٥) حديث أبى هريرة « السخاء شجرة فى الجنة ... الحديث » وفيه « والشح شجرة فى النار ... الحديث » أخرجه الدارقطنى فى المستجاد وفيه عبد العزيز ابن عمران الزهرى ضعيف جدا (٦) حديث أبى سعيد « يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى تعيشوا فى أكنافهم ... الحديث » أخرجه ابن حبان فى الضعفاء والخرائطى فى مكارم الأخلاق والطبرانى فى الأوسط وفيه محمد بن مروان السدى الصغير ضعيف ، ورواه العقيلى فى الضعفاء فجعله عبد الرحمن السدى وقال إنه مجهول ، وتابع محمد بن مروان السدى عليه عبد الملك ابن الخطاب وقد غمزه ابن القطان ، وتابعه عليه عبد الغفار بن الحسن بن دينار قال فيه أبو حاتم لا بأس بحديثه وتكلم فيه الجوزجانى والأزدى ، ورواه الحاكم من حديث على وقال إنه صحيح الإسناد وليس كما قال .

(٧) حديث ابن عباس « تجافوا عن ذنب السخى فإن الله آخذ بيده كلما عثر » أخرجه الطبرانى فى الأوسط والخرائطى فى مكارم الأخلاق . وقال الخرائطى « أقيلوا السخى زلته » وفيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه ورواه الطبرانى فيه وأبو نعيم من حديث ابن مسعود نحوه بإسناد ضعيف ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات من طريق الدارقطنى (٨) حديث ابن مسعود « الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعير .. الحديث » لم أجده من حديث ابن مسعود ورواه ابن ماجه من حديث أنس ومن حديث ابن عباس بلفظ « الخير أسرع إلى البيت الذى يغشى » وفى حديث ابن عباس « يؤكل فيه عن الشفرة إلى سنام البعير » ولأبى الشيخ فى كتاب الثواب من حديث جابر « الرزق إلى أهل البيت الذى فيه السخاء ... الحديث » وكلها ضعيفة (٩) حديث « إن الله جواد يحب الجود ويحب معالى الأمور ويكره سفسافها » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث طلحة بن عبيد الله ابن كريز وهذا مرسل والطبرانى فى الكبير والأوسط والحاكم والبيهقى من حديث سهل بن سعد « ان الله كريم يحب الكرم ويحب معالى الأمور » وفى الكبير والبيهقى « معالى الأخلاق .:. الحديث » وإسناده صحيح وتقدم آخر الحديث فى أخلاق النبوة

أعطاه ، وأتاه رجل فسأله فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة ، فرجع إلى قومه فقال : ياقوم أسلموا ؛ فإن محمدا يعطى عطاء من لايخاف الفاقة [١] » وقال ابن عمر : قال صلى الله عليه وآله وسلم « إن لله عبادا يخصهم بالنعم لمنافع العباد ، فمن بخل بتلك المنافع على العباد نقلها الله تعالى عنه وحولها إلى غيره [٢] » وعن الهلالى قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأسرى من بنى العنبر فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلا ، فقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : يارسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فمابال هذا من بينهم ؟ فقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « نزل على جبريل فقال « اقتل هؤلاء واترك هذا فإن الله تعالى شكر له سخاء فيه [٣] » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « إن لكل شيء ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح [٤] » وعن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه [٦] » فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال . وقال عيسى عليه السلام : استكثروا من شيء لاتأكله النار ، وقيل : وما هو ؟ قال : المعروف . وقالت عائشة رضى الله عنها . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجنة دار الأسخياء [٧] » وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إنّ السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار ، وإنّ البخيل بعيد من الله من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ، وجاهل سخى أحب إلى الله من عالم بخيل ، وأدوأ الداء البخل [٨] » وقال صلى الله عليه وسلم « اصنع المعروف إلى من هو أهله وإلى من ليس بأهله ، فإن أصبت أهله فقد أصبت أهله ، وإن لم تصب أهله فأنت من أهله [٩] » وقال صلى الله تعالى عليه وسلم « إنّ بدلاء أمتى لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين [١٠] » وقال أبو سعيد الخدرى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن

---

(١) حديث أنس : لم يسأل على الإسلام شيئا إلا أعطاه فأتاه رجل فسأله ، فأمر له بشاء كثير بين جبلين ... الحديث . أخرجه مسلم وتقدم فى أخلاق النبوة

(٢) حديث ابن عمر « إن لله عبادا يخصهم بالنعم لمنافع العباد ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الكبير والأوسط وأبو نعيم وفيه محمد بن حسان السمتى وفيه ابن ووثقه ابن معين يرويه عن أبى عثمان عبد الله بن زيد الحمصى ضعفه الأزدى (٣) حديث الهلالى : أتى النبى صلى الله عليه وسلم بأسرى من بنى العنبر فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلا ... الحديث » وفيه « فإن الله شكر له سخاء فيه » لم أجد له أصلا (٤) حديث « إن لكل شيء ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح » لم أقف له على أصل (٥) حديث نافع عن ابن عمر « طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء » أخرجه ابن عدى والدارقطنى فى غرائب مالك وأبو على الصدفى فى عواليه رجاله ثقات أئمة قال ابن القطان ولهم لمشاهير ثقات إلا مقدام بن داود فإن أهل مصر تكلموا فيه .

(٥) حديث « من عظمت نعمة الله عليه عظمت مؤنة الناس عليه » رواه ابن عدى وابن حبان فى الضعفاء من حديث معاذ بلفظ « ماعظمت نعمة الله على عبد إلا ذكره » وفيه أحمد بن مهران قال أبو حاتم مجهول والحديث باطل ورواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث عمر بإسناد منقطع ، وفيه حليس بن محمد أحد المتروكين ، ورواه العقيلى من حديث ابن عباس قال ابن عدى يروى من وجوه كلها غير محفوظة (٧) حديث عائشة « الجنة دار الأسخياء » أخرجه ابن عدى والدارقطنى فى المستجاد والخرائطى قال الدارقطنى لايصح ومن طريقه رواه ابن الجوزى فى الموضوعات . وقال الذهبى حديث منكر ما آفته سوى جحدر قلت رواه الدارقطنى فيه من طريق آخر وفيه محمد بن الوليد الموقرى وهو ضعيف جدا (٨) حديث أبى هريرة « إن السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة ... الحديث » أخرجه الترمذى وقال غريب ولم يذكر فيه « وأدوأ الداء البخل » ورواه بهذه الزيادة الدارقطنى فيه (٩) حديث « اصنع المعروف إلى أهله وإلى من ليس من أهله » أخرجه الدارقطنى فى المستجاد من رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرسلا وتقدم فى آداب المعيشة (١٠) حديث « ان بدلاء أمتى لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسماحة الأنفس ... الحديث » أخرجه الدارقطنى فى المستجاد وأبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق من حديث أنس ، وفيه محمد بن عبد العزيز المبارك الدينورى أورد ابن عدى له مناكير ، وفى الميزان انه ضعيف منكر الحديث ، ورواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث أبى سعيد نحوه وفيه صالح المرى متكلم فيه .

الله عز وجل جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب إليهم المعروف وحبب إليهم فعاله ووجه طلاب المعروف إليهم ويسر عليهم إعطاءه كما يسر الغيث إلى البلدة الجدبة فيحييها ويحيي به أهلها [١] » وقال صلى الله عليه وسلم « كل معروف صدقة وكل ماأنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة وما وقى به الرجل عرضه فهو له صدقة وماأنفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها [٢] » وقال صلى الله تعالى عليه وسلم « كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله الله يحب إغاثة اللهفان [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « كل معروف فعلته إلى غنى أو فقير صدقة [٤] » وروى أنّ الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام لاتقتل السامرى فإنه سخى وقال جابر : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثاً عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب فحدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم « إنّ الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت [٥] » . الآثار : قال على كرم الله وجهه : إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فإنها لاتفنى ، وإذا أدبرت عنك فأنفق منها فإنها لاتبقى وأنشد :

لاتبخلن بدنيا وهى مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف
وإن تولت فأحرى أن تجود بها فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف

وسأل معاوية الحسن بن على رضى الله عنهم عن المروءة والنجدة والكرم فقال : أما المروءة فحفظ الرجل دينه وحذره نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن المنازعة والإقدام فى الكراهية . وأما النجدة فالذب عن الجار والصبر فى المواطن وأما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والإطعام فى المحل والرأفة بالسائل مع بذل النائل . ورفع رجل إلى الحسن بن على رضى الله عنهما رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له ياابن رسول الله لو نظرت فى رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسألنى الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدى حتى أقرأ رقعته . وقال ابن السماك عجبت لمن يشترى المماليك بماله ولا يشترى الأحرار بمعروفه . وسئل بعض الأعراب من سيدكم فقال من احتمل شتمنا وأعطى سائلنا وأغضى عن جاهلنا وقال على بن الحسين رضى الله عنهما من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخيا وإنما السخى من يبتدئ بحقوق الله تعالى فى أهل طاعته ولا تنازعه نفسه إلى حب الشكر له إذا كان يقينه بثواب الله تعالى تاما . وقيل للحسن البصرى ما السخاء ؟ فقال أن تجود بمالك فى الله عز وجل . قيل فما الحزم ؟ قال أن تمنع مالك فيه قيل فما الإسراف ؟ قال الإنفاق لحب الرياسة . وقال جعفر الصادق رحمة الله عليه لا مال أعون من العقل ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشاورة ألا وإن الله عز وجل يقول : إنى جواد كريم لايجاورنى لئيم واللؤم من الكفر وأهل الكفر فى النار والجود والكرم من الايمان وأهل الإيمان فى الجنة . وقال حذيفة

---

(١) حديث أبى سعيد « ان الله جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف ... الحديث » أخرجه الدارقطنى فى المستجاد من رواية أبى هرون العبدى عنه وأبى هرون ضعيف ورواه الحاكم من حديث على وصححه (٢) حديث « كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة ... الحديث » أخرجه ابن عدى والدارقطنى فى المستجاد والخرائطى والبيهقى فى الشعب من حديث جابر وفيه عبد الحميد بن الحسن الهلالى وثقه ابن معين وضعفه الجمهور ، والجملة الأولى منه عند البخارى من حديث جابر وعند مسلم من حديث حذيفة (٣) حديث « كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان » أخرجه الدارقطنى فى المستجاد من رواية الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده والحجاج ضعيف وقد جاء مفرقا فالجملة الأولى تقدمت قبله والجملة الثانية تقدمت فى العلم من حديث أنس وغيره والجملة الثالثة رواها أبو يعلى من حديث أنس أيضا وفيها زياد النميرى ضعيف . (٤) حديث « كل معروف فعلته الى غنى أو فقير صدقة » أخرجه الدارقطنى فيه من حديث أبى سعيد وجابر والطبرانى والخرائطى كلاهما فى مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود وابن منيع من حديث ابن عمر باسنادين ضعيفين (٥) حديث جابر : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثاً عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم ... الحديث . وفيه « فقال إن الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت » أخرجه الدارقطنى فيه من رواية أبى حمزة الحيرى عن جابر ولا يعرف اسمه ولا حاله .

رضى الله عنه رب فاجر فى دينه أخرق فى معيشته يدخل الجنة بسماحته . وروى أنّ الأحنف بن قيس رأى رجلا فى يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لى فقال أما إنه ليس لك حتى يخرج من يدك وفى معناه قيل :

أنت للمال إذا امسكته فإذا أنفقته فالمال لك

وسمى واصل بن عطاء : الغزال ، لأنه كان يجلس إلى الغزالين ؛ فإذا رأى امرأة ضعيفة أعطاها شيئا . وقال الأصمعى كتب الحسن بن على إلى الحسين بن على رضوان الله عليهم يعتب عليه فى إعطاء الشعراء فكتب إليه خير المال ماوقى به العرض . وقيل لسفيان بن عيينة ما السخاء ؟ قال السخاء البر بالإخوان والجود بالمال . قال وورث أبى خمسين ألف درهم فبعث بها صررا إلى إخوانه . وقال قد كنت أسأل الله تعالى لأخوانى الجنة فى صلاتى أفأبخل عليهم بالمال ؟ وقال الحسن بذل المجهود فى بذل الموجود منتهى الجود . وقيل لبعض الحكماء من أحب الناس إليك ؟ قال : من كثرت أياديه عندى ، قيل : فإن لم يكن ، قال من كثرت أيادى عنده . وقال عبد العزيز بن مروان إذا الرجل أمكننى من نفسه حتى أضع معروفى عنده فيده عندى مثل يدى عنده . وقال المهدى لشبيب بن شبة كيف رأيت الناس فى دارى ؟ فقال ياأمير المؤمنين إنّ الرجل منهم ليدخل راجيا ويخرج راضيا وتمثل متمثل عند عبدالله بن جعفر فقال :

إن الصنيعة لاتكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع
فإذا اصطنعت صنيعة فاعمد بها لله أو لذوى القرابة أو دع

فقال عبد الله بن جعفر إن هذين البيتين ليبخلان الناس ، ولكن أمطر المعروف مطرا ، فإن أصاب الكرام كانوا له أهلا وإن أصاب اللئام كنت له أهلا .

حكايات الأسخياء

عن محمد بن المنكدر عن أم درّة - وكانت تخدم عائشة رضى الله عنها - قالت إن معاوية بعث إليها بمال فى غرارتين ثمانين ومائة ألف درهم ، فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس ، فلما أمست قالت ياجارية هلم فطورى فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها أم درة . ما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشترى لنا بدرهم لحما نفطر عليه ؟ فقالت لوكنت ذكرتينى لفعلت .

وعن أبان بن عثمان قال أراد رجل أن يضار عبيد الله بن عباس فأتى وجوه قريش فقال يقول لكم عبيد الله تغدوا عندى اليوم ، فأتوه حتى ملؤا عليه الدار ، فقال ماهذا ؟ فأخبر الخبر ، فأمر عبيد الله بشراء فاكهة ، وأمر قوما فطبخوا وخبزوا ، وقدمت الفاكهة إليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد فأكلوا حتى صدروا ، فقال عبيد الله لوكلائه أو موجود لنا هذا كل يوم ؟ قالوا نعم ، قال فليتغدّ عندنا هؤلاء فى كل يوم .

وقال مصعب بن الزبير حج معاوية فلما انصرف مر بالمدينة ، فقال الحسين بن على لأخيه الحسن لاتلقه ولا تسلم عليه ، فلما خرج معاوية ، قال الحسن إن علينا ديناً فلا بدّ لنا من إتيانه فركب فى أثره ولحقه فسلم عليه وأخبره بدينه ، فروا عليه ببختى عليه ثمانون ألف دينار وقد أعيا وتخلف عن الإبل وقوم يسوقونه ، فقال معاوية ماهذا ؟ فذكر له ، فقال اصرفوه بما عليه إلى أبى محمد .

وعن واقد بن محمد الواقدى قال حدّثنى أبى أنه رفع رقعة إلى المأمون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه ، فوقع المأمون على ظهر رقعته إنك رجل اجتمع فيك خصلتان ، السخاء والحياء ، فأما السخاء فهو الذى أطلق

مافى يديك ، وأما الحياء فهو الذى يمنعك عن تبليغنا ماأنت عليه ، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم فإن كنت قد أصبت فازدد فى بسط يدك ، وإن لم أكن قد أصبت فجنايتك على نفسك . وأنت حدثتنى وكنت على قضاء الرشيد ؛ عن محمد بن إسحق عن الزهرى عن أنس : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للزبير بن العوام « يازبير اعلم أنّ مفاتيح أرزاق العباد بإزاء العرش يبعث الله عز وجل إلى كل عبد بقدر نفقته ، فمن كثر كثر له ، ومن قلل قلل له وأنت أعلم [1] » قال الواقدى : فوالله لمذاكرة المأمون إياى بالحديث أحب إلى من الجائزة وهى مائة ألف درهم .

وسأل رجل الحسن بن على رضى الله عنهما حاجة فقال له : ياهذا حق سؤالك إياى يعظم لدى ومعرفتى بما يجب لك تكبر على ، ويدى تعجز عن نيلك بما أنت أهله ، والكثير فى ذات الله تعالى قليل ، وما فى ملكى وفاء لشكرك ، فإن قبلت الميسور ورفعت عنى مؤنة الاحتمال والاهتمام لما أتكلفه من واجب حقك فعلت ، فقال : ياابن رسول الله أقبل وأشكر العطية ، وأعذر على المنع ، فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال : هات الفضل من الثلثمائة ألف درهم ، فأحضر خمسين ألفا قال : فما فعلت بالخمسمائة دينار ؟ قال : هى عندى ، قال أحضرها ، فأحضرها فدفع الدنانير والدراهم إلى الرجل وقال : هات من يحملها لك ، فأتاه بحمالين فدفع إليه الحسن رداءه لكراء الحمالين ، فقال له مواليه : والله ماعندنا درهم ! فقال : أرجو أن يكون لى عند الله أجر عظيم .

واجتمع قراء البصرة إلى ابن عباس وهو عامل بالبصرة فقالوا : لنا جار صوام قوام يتمنى كل واحد منا أن يكون مثله ، وقد زوّج بنته من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده مايجهزها به ، فقام عبد الله بن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلها داره وفتح صندوقا فأخرج منه ست بدر فقال : احملوا ، فحملوا فقال : ابن عباس ماأنصفناه أعطيناه مايشغله عن قيامه وصيامه ، ارجعوا بنا نكن أعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر مايشغل مؤمناً عن عبادة ربه ، وما بنا من الكبر ما لانخدم أولياء الله تعالى ففعل وفعلوا .

وحكى أنه لما أجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد أميرهم فقال : والله لأعلمنّ الشيطان أنى عدوه ؛ فعال محاويجهم إلى أن رخصت الأسعار ، ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم ، فرهنهم بها حلى نسائه وقيمتها خمسمائة ألف ألف ، فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب إليهم ببيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم إلى من لم تنله صلاته .

وكان أبو طاهر بن كثير شيعيا فقال له رجل . بحق على بن أبى طالب لما وهبت لى نخلتك بموضع كذا وكذا ، فقال : قد فعلت ، وحقه لأعطينك مايليها ، وكان ذلك أضعاف ماطلب الرجل .

وكان أبو مرثد أحد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر : والله ماعندى ماأعطيك ولكن قدمنى إلى القاضى وادع على بعشرة آلاف درهم حتى أقولك بها ثم احبسنى ، فإن أهلى لايتركونى محبوسا ، ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع إليه عشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرثد من الحبس .

وكان معن بن زائدة عاملا على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فأقام مدّة وأراد الدخول على معن فلم يتهيأ له فقال يوما لبعض خدّام معن : إذا دخل الأمير البستان فعرّفنى ، فلما دخل الأمير البستان أعلمه ، فكتب الشاعر بيتاً على خشبة وألقاها فى الماء الذى يدخل البستان وكان معن على رأس الماء فلما بصر بالخشبة أخذها وقرأها فإذا مكتوب عليها .

---

(١) حديث أنس « يازبير اعلم أن مفاتيح أرزاق العباد بإزاء العرش ... الحديث » وفى أوله قصة مع المأمون أخرجه الدارقطنى فيه وفى اسناده الواقدى عن محمد بن اسحاق عن الزهرى بالعنعنة ولايصح .

أيا جود معن ناج معنا بحاجتى فما لى إلى معن سواك شفيع

فقال : من صاحب هذه ؟ فدعى بالرجل ، فقال له : كيف قلت ؟ فقال له ، فأمر له بعشر بدر،فأخذهاووضع الأمير الخشبة تحت بساطه ، فلما كان اليوم الثانى أخرجها من تحت البساط وقرأها ودعا بالرجل فدفع إليه مائة ألف درهم ، فلما أخذها الرجل تفكر وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج ، فلما كان فى اليوم الثالث قرأ ما فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن : حق على أن أعطيه حتى لايبقى فى بيت مالى ولا دينار .

وقال أبو الحسن المدائنى : خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا ففاتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا ، فمروا بعجوز فى خباء لها فقالوا : هل من شراب ؟ فقالت نعم ، فأناخوا إليها وليس لها إلا شويهة فى كسر الخيمة فقالت : احلبوها وامتذقوا لبنها . ففعلوا ذلك ثم قالوا لها : هل من طعام ؟ قالت : لا ، إلا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيئ لكم ما تأكلون ، فقام إليها أحدهم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا لها : نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه ، فإذا رجعنا سالمين فألمى بنا فإنا صانعون بك خيرا ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال : ويلك تذبحين شاتى لقوم لا تعرفينهم ، ثم تقولين نفر من قريش ؟ قال : ثم بعد مدة ألجأتهما الحاجة إلى دخول المدينة ، فدخلاها وجعلا ينقلان البعر إليها ويبيعانه ويتعيشان بثمنه ، فمرت العجوز ببعض سكك المدينة ، فإذا الحسن بن على جالس على باب داره فعرف العجوز وهى له منكرة ، فبعث غلامه فدعا بالعجوز وقال لها : يا أمة الله أتعرفينى ؟ قالت :لا قال : أنا ضيفك يوم كذا ويوم كذا ، فقالت العجوز : بأبى أنت وأمى أنت هو؟قال:نعم.ثم أمر الحسن فاشتروا لها من شياه الصدقة ألف شاة ، وأمر لها معها بألف دينار ، وبعث بها مع غلامه إلى الحسين فقال لها الحسين : بكم وصلك أخى ؟ قالت : بألف شاة وألف دينار ، فأمر لها الحسين أيضا بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر ، فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين ؟ قالت : بألفى شاة وألفى دينار ، فأمر لها عبد الله بألفى شاة وألفى دينار ، وقال لها : لو بدأت بى لأتعبتهما ، فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار .

وخرج عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده ، فقام إليه غلام من ثقيف فمشى إلى جانبه فقال له عبد الله : ألك حاجة يا غلام ؟ قال : صلاحك وفلاحك رأيتك تمشى وحدك فقلت أقيك بنفسى وأعوذ بالله إن طار بجنابك مكروه ؛ فأخذ عبد الله بيده ومشى معه إلى منزله ، ثم دعا بألف دينار فدفعها إلى الغلام وقال : استنفق هذه فنعم ما أدبك أهلك .

وحكى أن قوما من العرب جاءوا إلى قبر بعض أسخيائهم للزيارة ، فنزلوا عند قبره وباتوا عنده وقد كانوا جاءوا من سفر بعيد ؛ فرأى رجل منهم فى النوم صاحب القبر وهو يقول له : هل لك أن تبادل بعيرك بنجيبى ؟ وكان السخى الميت قد خلف نجيباً معروفا به ، ولهذا الرجل بعير سمين ، فقال له فى النوم : نعم ، فباعه فى النوم بعيره بنجيبه ، فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل إلى بعيره فنحره فى النوم ، فانتبه الرجل من نومه فإذا الدم يشج من نحر بعيره ، فقام الرجل فنحره وقسم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم منه ثم رحلوا وساروا ، فلما كان اليوم الثانى وهم فى الطريق استقبلهم ركب ، فقال رجل منهم : من فلان بن فلان منكم ؟ ـ باسم ذلك الرجل ـ فقال : أنا ، فقال له هل بعت من فلان بن فلان شيئا ؟ وذكر الميت صاحب القبر ، قال : نعم بعت بعيرى بنجيبه فى

النوم ، فقال : خذ هذا نجيبه ، ثم قال : هو أبي وقد رأيته في النوم وهو يقول : إن كنت ابني فادفع نجيبي إلى فلان بن فلان وسماه .

وقدم رجل من قريش من السفر فمر برجل من الأعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر وأضر به المرض ، فقال : ياهذا أعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه : مابقي معك من النفقة فادفعه إليه ، فصب الغلام في حجر الأعرابي أربعة آلاف درهم ، فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف ، فبكى فقال له الرجل مايبكيك لعلك استقللت ماأعطيناك ؟ قال : لا ، ولكن ذكرت ماتأكل الأرض من كرمك فأبكاني .

واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن أبي معيط داره التي في السوق بتسعين ألف درهم ، فلما كان الليل سمع بكاء أهل خالد فقال لأهله : ماهؤلاء ؟ قالوا يبكون لدارهم ، فقال ياغلام ائتهم فأعلمهم أنّ المال والدار لهم جميعا .

وقيل بعث هرون الرشيد إلى مالك بن أنس رحمه الله بخمسمائة دينار ؛ فبلغ ذلك الليث بن سعد فأنفذ إليه ألف دينار ، فغضب هرون وقال أعطيته خمسمائة وتعطيه ألفا وأنت من رعيتي ؟ فقال ياأمير المؤمنين إنّ لي من غلتي كل يوم ألف دينار ؛ فاستحييت أن أعطي مثله أقل من دخل يوم . وحكى أنه لم تجب عليه الزكاة مع أنّ دخله كل يوم ألف دينار . وحكى أنّ امرأة سألت الليث بن سعد رحمة الله عليه شيئا من عسل ، فأمر لها بزق من عسل ، فقيل له إنها كانت تقنع بدون هذا ؟ فقال . إنها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر النعمة علينا . وكان الليث ابن سعد لايتكلم كل يوم حتى يتصدّق على ثلثمائة وستين مسكينا .

وقال الأعمش : اشتكت شاة عندي فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسألني هل استوفت علفها ؟ وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها ؟ وكان تحتي لبد أجلس عليه فإذا خرج قال : خذ ماتحت اللبد ، حتى وصل إلى في علة الشاة أكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت أن الشاة لم تبرأ .

وقال عبد الملك بن مروان لأسماء بن خارجة : بلغني عنك خصال فحدّثني بها ، فقال : هي من غيري أحسن منها مني ، فقال : عزمت عليك إلا حدّثتني بها ؟ فقال : ياأمير المؤمنين مامددت رجلي بين يدي جليس لي قط ، ولا صنعت طعاما قط فدعوت عليه قوما إلا كانوا أمن على مني عليهم ، ولا نصب لي رجل وجهه قط يسألني شيئا فاستكثرت شيئا أعطيته إياه .

ودخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فإذا لم يجد شيئا كتب لمن سأله صكا على نفسه حتى يخرج عطاؤه ، فلما نظر إليه سليمان تمثل بهذا البيت فقال :

إني سمعت مع الصباح مناديا يامن يعين على الفتى المعوان

ثم قال : ما حاجتك ؟ قال : ديني ، قال : وكم هو ؟ قال : ثلاثون ألف دينار ، قال : لك دينك ومثله .

وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ إخوانه فقيل له : إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين ، فقال: أخزى الله مالا يمنع الإخوان من الزيارة ، ثم أمر مناديا فنادى من كان عليه لقيس بن سعد حق فهو منه بريء ، قال : فانكسرت درجته بالعشي لكثرة من زاره وعاده .

وعن أبي إسحق قال : صليت العصر في مسجد الأشعث بالكوفة أطلب غريما لي ، فلما صليت وضع بين يدي حلة ونعلان ، فقلت : لست من أهل هذا المسجد ، فقالوا : إنّ الأشعث بن قيس الكندي قدم البارحة من مكة فأمر لكل من صلى في المسجد بحلة ونعلين .

وقال الشيخ أبو سعد الحركوشي النيسابوري رحمه الله : سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول ، سمعت الشافعي المجاور بمكة يقول : كان بمصر رجل عرف بأن يجمع للفقراء شيئا ، فولد لبعضهم مولود قال : فجئت إليه وقلت له : ولدلى مولود وليس معى شيء فقام معى ودخل على جماعة فلم يفتح بشيء ، فجاء إلى قبر رجل وجلس عنده وقال : رحمك الله كنت تفعل وتصنع وإنى درت اليوم على جماعة فكلفتهم دفع شيء لمولود فلم يتفق لى شيء ، قال : ثم قام وأخرج دينارا وقسمه نصفين وناولنى نصفه ، وقال : هذا دين عليك إلى أن يفتح الله عليك بشيء ، قال : فأخذته وانصرفت فأصلحت ما اتفق لى به قال : فرأى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص فى منامه فقال : سمعت جميع ما قلت وليس لنا إذن فى الجواب ، ولكن احضر منزلى وقل لأولادى يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار فاحملها إلى هذا الرجل فلما كان من الغد تقدم إلى منزل الميت وقص عليهم القصة فقالوا له : اجلس وحفروا الموضع وأخرجوا الدنانير وجاءوا بها فوضعوها بين يديه ، فقال : هذا مالكم وليس لرؤياى حكم ، فقالوا : هو يتسخى ميتا ولا نتسخى نحن أحياء ؟ فلما ألحوا عليه حمل الدنانير إلى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة ، قال : فأخذ منها دينارا فكسره نصفين فأعطاه النصف الذى أقرضه وحمل النصف الآخر ، وقال : يكفينى هذا وتصدق به على الفقراء ، فقال أبو سعيد : فلا أدرى أى هؤلاء أسخى ؟

وروى أنّ الشافعى رحمه الله لما مرض مرض موته بمصر قال : مروا فلانا يغسلنى ، فلما توفى بلغه خبر وفاته فحضر وقال : ائتونى بتذكرته ، فأتى بها فنظر فيها فإذا على الشافعى سبعون ألف درهم دين ، فكتبها على نفسه وقضاها عنه ، وقال هذا غسلى إياه ؛ أى أراد به هذا . وقال أبو سعيد الواعظ الحركوشى لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلونى عليه ، فرأيت جماعة من أحفاده وزرتهم فرأيت فيهم سيما الخير وآثار الفضل فقلت بلغ أثره فى الخير إليهم وظهرت بركته فيهم مستدلا بقوله تعالى ﴿ وكان أبوهما صالحا ﴾ وقال الشافعى رحمه الله لا أزال أحب حماد بن أبى سليمان لشيء بلغنى عنه أنه كان ذات يوم راكبا حماره فحركه فانقطع زره ، فمر على خياط فأراد أن ينزل إليه ليسوى زره فقال الخياط والله لا نزلت فقام الخياط إليه فسوى زره فأخرج إليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها إلى الخياط واعتذر إليه من قلتها ، وأنشد الشافعى رحمه الله لنفسه :

يالهف قلبى على مال أجود به ... على المقلين من أهل المروءات
إنّ اعتذارى إلى من جاء يسألنى ... ماليس عندى لمن إحدى المصيبات

وعن الربيع بن سليمان قال أخذ رجل بركاب الشافعى رحمه الله فقال يا ربيع أعطه أربعة دنانير واعتذر إليه عنى وقال الربيع سمعت الحميدى يقول قدم الشافعى من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف دينار فضرب خباءه فى موضع خارج عن مكة ونثرها على ثوب ، ثم أقبل على كل من دخل عليه يقبض له قبضة ويعطيه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شيء . وعن أبى ثور قال أراد الشافعى الخروج إلى مكة ومعه مال ، وكان قلما يمسك شيئا من سماحته ، فقلت له ينبغى أن تشترى بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك ، قال فخرج ثم قدم علينا فسألته عن ذلك المال ، فقال ما وجدت بمكة ضيعة يمكننى أن أشتريها لمعرفتى بأصلها وقد وقف أكثرها ، ولكنى بنيت بمنى مضربا يكون لأصحابنا إذا حجوا أن ينزلوا فيه . وأنشد الشافعى رحمه الله لنفسه يقول .

أرى نفسى تتوق إلى أمور ... يقصر دون مبلغهن مالى
فنفسى لا تطاوعنى ببخل ... ومالى لا يبلغنى فعالى

وقال محمد بن عباد المهلبي . دخل أبي على المأمون فوصله بمائة ألف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فأخبر بذلك المأمون ، فلما عاد إليه عاتبه المأمون فى ذلك فقال : يا أمير المؤمنين منع الموجود سوء ظن بالمعبود ، فوصله بمائة ألف أخرى .

وقام رجل إلى سعيد بن العاص فسأله فأمر له بمائة ألف درهم فبكى ، فقال له سعيد : ما يبكيك ! قال . ابكى على الأرض أن تأكل مثلك ، فأمر له بمائة ألف أخرى .

ودخل أبو تمام على إبراهيم بن شكلة بأبيات امتدحه بها فوجده عليلا فقبل منه المدحة وأمر حاجبه بنيله ما يصلحه ، وقال . عسى أن أقوم من مرضى فأكافئه ، فأقام شهرين فوحشه طول المقام فكتب إليه يقول :

إن حراماً قبول مدحتنا وترك ما نرتجى من الصفد
كما الدراهم والدنانير فى البيع حرام إلا يدا بيد

فلما وصل البيتان إلى إبراهيم قال لحاجبه . كم أقام بالباب ؟ قال . شهرين ، قال . أعطه ثلاثين ألفا وجئنى بدواة ، فكتب إليه :

أعجلتنا فأتاك عاجل برنا قلا ولو أمهلتنا لم نقلل
فخذ القليل وكن كأنك لم تقل ونقول نحن كأننا لم نفعل

وروى أنه كان لعثمان على طلحة رضى الله عنهما خمسون ألف درهم ، فخرج عثمان يوما إلى المسجد فقال له طلحة . قد تهيأ مالك فاقبضه ، فقال . هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك . وقالت سعدى بنت عوف . دخلت على طلحة فرأيت منه ثقلا فقلت له مالك ؟ فقال اجتمع عندى مال وقد غمنى ، فقلت وما يغمك ادع قومك ؟ فقال ياغلام على بقومى ، فقسمه فيهم فسألت الخادم كم كان ؟ قال : أربعمائة ألف . وجاء أعرابى إلى طلحة فسأله وتقرب إليه برحم فقال : إنّ هذه الرحم ماسألنى بها أحد قبلك ، إنّ لى أرضا قد أعطانى بها عثمان ثلثمائة ألف فإن شئت فاقبضها ، وإن شئت بعتها من عثمان ودفعت إليك الثمن ، فقال : الثمن ، فباعها من عثمان ودفع إليه الثمن .

وقيل بكى على كرم الله وجهه يوما فقيل : مايبكيك ؟ فقال : لم يأتنى ضيف منذ سبعة أيام ، أخاف أن يكون الله قد أهاننى .

وأتى رجل صديقا له فدق عليه الباب فقال ، ماجاء بك ؟ قال على أربعمائة درهم دين ، فوزن أربعمائة درهم وأخرجها إليه وعاد يبكى ، فقالت امرأته لم أعطيته إذ شق عليك ؟ فقال إنما أبكى لأنى لم أتفقد حاله حتى احتاج إلى مفاتحتى فرحم الله من هذه صفاتهم وغفر لهم أجمعين .

بيان ذم البخل

قال الله تعالى ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ وقال تعالى ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة ﴾ وقال تعالى ﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم والشح

(١) حديث « اياكم والشح ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث جابر بلفظ « واتقوا الشح فإن الشح .. الحديث » ولأبي داود والنسائى فى الكبرى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو « اياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح =

فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم [١] » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيئ الملكة [٢] » وفى رواية « ولا جبار » وفى رواية « ولا منان » وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث مهلكات : شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يبغض ثلاثة : الشيخ الزانى ، والبخيل المنان ، والمعيل المختال [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما إلى تراقيهما ، فأما المنفق فلا ينفق شيئا إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه ، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى أخذت بتراقيه فهو يوسعها ولا تتسع [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن : البخل وسوء الخلق [٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم إنى أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى ارذل العمر [٧] » وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، وإياكم والفحش إن الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش ، وإياكم والشح فإنما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا [٨] » وقال صلى الله عليه وسلم « شر ما فى الرجل شح هالع وجبن خالع [٩] » وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكته باكية فقالت : واشهيداه ! فقال صلى الله عليه وسلم « وما يدريك أنه شهيد فلعله كان يتكلم فيما لا يعنيه أو يبخل بما لا ينقصه [١٠] » وقال جبير بن مطعم : بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفلة من خيبر إذ علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الأعراب يسألونه ، حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه ، فوقف صلى الله عليه وسلم فقال « أعطونى ردائى فوالذى نفسى بيده لو كان لى عدد هذه العضاة نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذابا ولا جبانا [١١] » وقال عمر رضى الله عنه : قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسما فقلت غير هؤلاء كان أحق به

= أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا » (١) حديث « إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم » أخرجه الحاكم من حديث أبى هريرة بلفظ « حرماتهم » مكان « أرحامهم » وقال صحيح على شرط مسلم (٢) حديث « لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيئ الملكة » وفى رواية « ولا منان » أخرجه أحمد والترمذى وحسنه من حديث أبى بكر واللفظ لأحمد دون قوله « ولا منان » فهى عند الترمذى وله ولابن ماجه « لا يدخل الجنة سيئ الملكة » (٣) حديث « ثلاث مهلكات ... الحديث » تقدم فى العلم (٤) حديث « ان الله يبغض ثلاثا : الشيخ الزانى والبخيل المنان والفقير المختال » أخرجه الترمذى والنسائى من حديث أبى ذر دون قوله « البخيل المنان » وقال فيه « الغنى الظلوم » وقد تقدم وللطبرانى فى الأوسط من حديث على « ان الله ليبغض الغنى الظلوم والشيخ الجهول والعائل المختال » وسنده ضعيف (٥) حديث « مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبة من حديد ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة (٦) حديث « خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن : البخل وسوء الخلق » أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد وقال غريب (٧) حديث « اللهم انى أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن .. الحديث » أخرجه البخارى من حديث سعد وتقدم فى الأذكار (٨) حديث « إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة .. الحديث » أخرجه الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله « أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا » قال عوضاً عنهما « وبالبخل فبخلوا وبالفجور ففجروا » وكذا رواه أبو داود على ذكر الشح وقد تقدم قبله بسبعة أحاديث ولمسلم من حديث جابر « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح » فذكره بلفظ آخر ولم يذكر الفحش .

(٩) حديث « شر ما فى الرجل شح هالع وجبن خالع » أخرجه أبو داود من حديث جابر بسند جيد (١٠) حديث « وما يدريك أنه شهيد فلعله كان يتكلم فيما لا يعنيه أو يبخل بما لا ينقصه » أخرجه أبو يعلى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف وللبيهقى فى الشعب من حديث أنس أن أمه قالت ليهنك الشهادة وهو عند الترمذى : الا أن رجلا قال له أبشر بالجنة (١١) حديث جبير بن مطعم . بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفلة من حنين علقت الأعراب به ... الحديث » أخرجه البخارى وتقدم فى أخلاق النبوة .

منهم ؟ فقال ، إنهم يخيرونى بين أن يسألونى بالفحش أو يبخلونى ولست بباخل [١] ، وقال أبو سعيد الخدرى : دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه ثمن بعير فأعطاهما دينارين ؛ فخرجا من عنده فلقيهما عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأثنيا وقالا معروفا وشكرا ماصنع بهما ، فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما قالا . فقال صلى الله عليه وسلم ، لكن فلان أعطيته مابين عشرة إلى مائة ولم يقل ذلك إن أحدكم ليسألنى فينطلق فى مسألته متأبطها وهى نار ؛ فقال عمر فلم تعطهم ما هو نار ؟ فقال « يأبون إلا أن يسألونى ويأبى الله لى البخل [٢] » وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله لكم ألا إن الله عز وجل خلق الجود فجعله فى صورة رجل وجعل رأسه راسخاً فى أصل شجرة طوبى ، وشدّ أغصانها بأغصان سدرة المنتهى ، ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا ، فمن تعلق بغصن منها أدخله الجنة ، ألا إنّ السخاء من الإيمان ، والإيمان فى الجنة . وخلق البخل من مقته وجعل رأسه راسخاً فى أصل شجرة الزقوم ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله النار ، ألا إنّ البخل من الكفر والكفر فى النار [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « السخاء شجرة تنبت فى الجنة فلا يلج الجنة إلا سخى ، والبخل شجرة تنبت فى النار فلا يلج النار إلا بخيل [٤] » وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد بنى لحيان « من سيدكم يابنى لحيان ؟ » قالوا : سيدنا جدّ بن قيس إلا أنه رجل فيه بخل ، فقال صلى الله عليه وسلم « وأى داء أدوأ من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح [٥] » وفى رواية أنهم قالوا : سيدنا جدّ بن قيس ، فقال « بم تسودونه ؟ » قالوا : إنه أكثر مالا وأنا على ذلك لنرى منه البخل ، فقال عليه السلام « وأى داء أدوأ من البخل ليس ذلك سيدكم » قالوا : فمن سيدنا يارسول الله ؟ قالوا « سيدكم بشر بن البراء » وقال على رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يبغض البخيل فى حياته السخى عند موته [٦] » وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخى الجهول أحب إلى الله من العابد البخيل [٧] » وقال أيضا : قال صلى الله عليه وسلم « الشح والإيمان لايجتمعان فى قلب عبد [٨] » وقال أيضاً « خصلتان لايجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق [٩] » وقال صلى الله عليه وسلم « لاينبغى لمؤمن أن يكون بخيلا ولا جبانا [١٠] » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول قائلكم الشحيح

---

(١) حديث عمر : قسم النبى صلى الله عليه وسلم قسما ... الحديث » وفيه « ولست بباخل » أخرجه مسلم

(٢) حديث أبى سعيد : فى الرجلين اللذين أعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارين فلقيهما عمر فأثنيا وقالا معروفا ... الحديث . وفيه « ويأبى الله لى البخل » رواه أحمد وأبو يعلى والبزار نحوه ولم يقل أحمد : إنهما سألاه ثمن بعير . ورواه البزار من رواية أبى سعيد عن عمر ورجال أسانيدهم ثقات (٣) حديث ابن عباس « الجود من جود الله فجودوا يجد الله لكم ... الحديث » بطوله ذكره صاحب الفردوس ولم يخرجه ولده فى مسنده ولم أقف له على اسناد (٤) حديث « السخاء شجرة تنبت فى الجنة فلا يلج فى الجنة إلا سخى .. الحديث » تقدم دون قوله « فلا يلج فى الجنة » إلى آخره وذكره بهذه الزيادة صاحب الفردوس من حديث على ولم يخرجه ولده فى مسنده .

(٥) حديث أبى هريرة « من سيدكم يابنى لحيان ؟ » قالوا : سيدنا جد بن قيس ... الحديث » أخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم بلفظ « يابنى سلمة » « وقال سيدكم بشر بن البراء » وأما الرواية التى قال فيها « سيدكم عمرو بن الجموح » فرواها الطبرانى فى الصغير من حديث كعب بن مالك بإسناد حسن (٦) حديث على « إن الله ليبغض البخيل فى حياته السخى عند موته » ذكره صاحب الفردوس ولم يخرجه ولده فى مسنده ولم أجد له اسنادا (٧) حديث أبى هريرة « السخى الجهول أحب إلى الله من العابد البخيل » أخرجه الترمذى بلفظ « والجاهل سخى » وهو بقية حديث « إن السخى قريب من الله » وقد تقدم (٨) حديث أبى هريرة « لايجتمع الشح والإيمان فى قلب عبد » أخرجه النسائى وفى اسناده اختلاف (٩) حديث « خصلتان لاتجتمعان فى مؤمن ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد وقد تقدم (١٠) حديث « لاينبغى لمؤمن أن يكون جبانا ولابخيلا » لم أره بهذا اللفظ .

أعذر من الظالم وأى ظلم أظلم عند الله من الشح ، حلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لايدخل الجنة شحيح ولا بخيل [1] » .

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول : بحرمة هذا البيت إلا غفرت لى ذنبى فقال صلى الله عليه وسلم « وما ذنبك صفه لى ؟ » فقال : هو أعظم من أن أصفه لك ! فقال « ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون ؟ » فقال : بل ذنبى أعظم يارسول الله ، قال « فذنبك أعظم أم الجبال ؟ » قال . بل ذنبى أعظم يارسول الله ، قال « فذنبك أعظم أم البحار ؟ » قال : بل ذنبى أعظم يارسول الله ، قال « فذنبك أعظم أم السموات ؟ » قال : بل ذنبى أعظم يارسول الله ، قال « فذنبك أعظم أم العرش ؟ » قال : بل ذنبى أعظم يارسول الله ، قال « فذنبك أعظم أم الله ؟ » قال : بل الله أعظم وأعلى ، قال « ويحك فصف لى ذنبك » قال . يارسول الله إنى رجل ذو ثروة من المال وإنّ السائل ليأتينى يسألنى فكأنما يستقبلنى بشعلة من نار ، فقال صلى الله عليه وسلم « إليك عنى لا تحرقنى بنارك فوالذى بعثنى بالهداية والكرامة لوقمت بين الركن والمقام ثم صلت ألفى ألف عام ثم بكيت حتى تجرى من دموعك الأنهار وتسقى بها الأشجار ثم مت وأنت لئيم لأكبك الله فى النار ، ويحك ! أما علمت أنّ البخل كفر وأنّ الكفر فى النار ، ويحك ! أما علمت أن الله تعالى يقول ﴿ ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه . . . ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ [2] » .

الآثار ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : لما خلق الله جنة عدن قال لها تزينى فتزينت ، ثم قال لها : أظهرى أنهارك فأظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها فى الجنان أنهار الخمر وأنهار العسل واللبن ثم قال لها أظهرى سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك وحور عينك فأظهرت فنظر إليها فقال تكلمى فقالت طوبى لمن دخلنى فقال الله تعالى وعزتى لا أسكنك بخيلا . وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز : أف للبخيل لو كان البخل قميصاً ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته . وقال طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه : إنا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء لكننا نتصبر . وقال محمد بن المنكدر : كان يقال إذا أراد الله بقوم شراً أمر الله عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدى بخلائهم . وقال على كرم الله وجهه فى خطبته : إنه سيأتى على الناس زمان عضوض يعض الموسر على ما فى يده ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ وقال عبد الله بن عمرو : الشح أشد من البخل لأن الشحيح هو الذى يشح على ما فى يد غيره حتى يأخذه ويشح بما فى يده فيحبسه ، والبخيل هو الذى يبخل بما فى يده . وقال الشعبى لا أدرى أيهما أبعد غورا فى نار جهنم البخل أو الكذب ؟ وقيل ورد على انوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندى : تكلم ، فقال : خير الناس من ألفى سخيا وعند الغضب وقورا وفى القول متأنيا وفى الرفعة متواضعا وعلى كل ذى رحم مشفقا . وقام الرومى فقال : من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح وأهل الكذب مذمومون وأهل النميمة يموتون فقراء ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه . وقال الضحاك فى قوله تعالى ﴿ إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا ﴾ قال : البخل ، أمسك الله تعالى أيديهم عن النفقة فى سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى . وقال كعب : ما من صباح إلا وقد وكل به ملكان يناديان اللهم عجل لممسك تلفا

---

(١) حديث « يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأى ظلم أظلم من الشح . . الحديث » وفيه « لايدخل الجنة شحيح ولا بخيل » لم أجده بتمامه وللترمذى من حديث أبى بكر « لايدخل الجنة بخيل » وقد تقدم (٢) حديث : كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت لى . . الحديث » فى ذم البخل وفيه قال « اليك عنى لاتحرقنى بنارك ... الحديث » بطوله وهو باطل لا أصل له .

وعجل لمنفق خلفا . وقال الأصمعى سمعت أعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان فى عينى لعظم الدنيا فى عينه ، وكأنما يرى السائل ملك الموت إذا أتاه . وقال أبو حنيفة رحمه الله لا أرى أن أعدل بخيلا لأن البخل يحمله على الاستقصاء فيأخذ فوق حقه خيفة من أن يغبن ، فمن كان هكذا لا يكون مأمون الأمانة . وقال على كرم الله وجهه والله ما استقصى كريم قط حقه . قال الله تعالى ﴿ عرّف بعضه وأعرض عن بعض ﴾ وقال الجاحظ ما بقى من اللذات إلا ثلاث ذم البخلاء ، وأكل القديد ، وحك الجرب . وقال بشر بن الحارث البخيل لا غيبة له قال النبى صلى الله عليه وسلم « إنك إذا لبخيل » ومدحت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا صوّامة قوامة إلا أنّ فيها بخلا قال « فما خيرها إذاً [1] » وقال بشر النظر إلى البخيل يقسى القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين . وقال يحيى بن معاذ ما فى القلب للأسخياء إلا حب ولو كانوا فجارا ، وللبخلاء إلا بغض ولو كانوا أبرارا . وقال ابن المعتز : أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه ولقى يحيى بن زكريا عليهما السلام . إبليس فى صورته فقال له : يا إبليس أخبرنى بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك قال : أحب الناس إلى المؤمن البخيل ، وأبغض الناس إلى الفاسق السخى ، قال له : لم ؟ قال : لأن البخيل قد كفانى بخله والفاسق السخى أتخوف أن يطلع الله عليه فى سخائه فيقبله ، ثم ولى وهو يقول لولا أنك يحيى لما أخبرتك .

حكايات البخلاء

قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل ، فدعاه بعض جيرانه وقدّم إليه طباهجة ببيض فأكل منه فأكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت ، فجعل يتلوى فلما جهده الأمر وصف حاله للطبيب فقال : لابأس عليك ؛ تقيأ ماأكلت ، فقال : هاه ! أتقيأ طباهجة ببيض ! ؟ الموت ولا ذلك . وقيل : أقبل أعرابى يطلب رجلا ، وبين يديه تين فغطى التين بكسائه ، فجلس الأعرابى فقال له الرجل : هل تحسن من القرآن شيئا ؟ قال : نعم ، فقرأ ﴿ . . . والزيتون وطورسينين ﴾ فقال : وأين التين ؟ قال : هو تحت كسائك . ودعا بعضهم أخاً له ولم يطعمه شيئاً ، فحبسه إلى العصر حتى اشتدّ جوعه وأخذه مثل الجنون ، فأخذ صاحب البيت العود وقال له : بحياتى أى صوت تشتهى أن أسمعك ؟ قال : صوت المقلى . ويحكى أن محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلا قبيح البخل ، فسئل نسيب له كان يعرفه عنه فقال له قائل : صف لى مائدته فقال : هى فتر فى فتر ، وصحافه منقورة من حب الخشخاش ، قيل فمن يحضرها ؟ قال : الكرام الكاتبون ! قال : فما يأكل معه أحد ؟ قال : بلى الذباب ، فقال : سوأتك بدت وأنت خاص به وثوبك مخرق ، قال أنا والله ما أقدر على إبرة أخيطه بها ، ولو ملك محمد بيتاً من بغداد إلى النوبة مملوءا إبرا ، ثم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبى عليه السلام يطلبون منه إبرة ويسألونه إعارتهم إياها ليخيط بها قميص يوسف الذى قدّ من دبر مافعل ويقال كان مروان بن أبى حفصة لايأكل اللحم بخلا حتى يقرم إليه فإذا قرم إليه أرسل غلامه فاشترى له رأساً فأكله فقيل له . نراك لاتأكل إلا الرءوس فى الصيف والشتاء فلم تختار ذلك ؟ قال نعم الرأس أعرف سعره فآمن خيانة الغلام ولايستطيع أن يغبننى فيه ، وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه ، إن مس عينا أو أذنا أو خدّا وقفت على ذلك ، وآكل منه ألوانا ، عينه لونا ، وأذنه لونا ، ولسانه لونا ، وغلصمته لونا ، ودماغه لونا ، وأكفى مؤونة

(١) حديث : مدحت امرأة عند النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : صوامة قوامة إلا أن فيها بخلا ... الحديث » تقدم فى آفات اللسان .

طبخه ؛ فقد اجتمعت لى فيه مرافق . وخرج يوماً يريد الخليفة المهدى فقالت له امرأة من أهله : مالى عليك إن رجعت بالجائزة ؟ فقال : إن أعطيت مائة ألف أعطيتك درهما ! فأعطى ستين ألفا فأعطاها أربعة دوانق . واشترى مرة لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم إلى القصاب بنقصان دانق ! وقال : أكره الإسراف . وكان للأعمش جار وكان لا يزال يعرض عليه المنزل ويقول : لو دخلت فأكلت كسرة وملحا ! فيأبى عليه الأعمش ، فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الأعمش فقال : سر بنا ، فدخل منزله فقرب إليه كسرة وملحا ، فجاء سائل فقال له رب المنزل : بورك فيك ، فأعاد عليه المسألة فقال له بورك فيك ، فلما سأل الثالثة قال له اذهب والله وإلا خرجت إليك بالعصا ! قال فناداه الأعمش وقال اذهب ويحك ! فلا والله مارأيت أحداً أصدق مواعيد منه ! هو منذ مدة يدعونى على كسرة وملح فوالله ما زادنى عليهما !

بيان الإيثار وفضله

اعلم أن السخاء والبخل كل منهما ينقسم إلى درجات . فأرفع درجة السخاء الإيثار ، وهو أن يجود بالمال مع الحاجة . وإنما السخاء عبارة عن بذل مالايحتاج إليه لمحتاج أو لغير محتاج ، والبذل مع الحاجة أشد . وكما أن السخاوة قد تنتهى إلى أن يسخو الإنسان على غيره مع الحاجة فالبخل قد ينتهى إلى أن يبخل على نفسه مع الحاجة ، فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلايتداوى ، ويشتهى الشهوة فلايمنعه منها إلا البخل بالثمن ؛ ولو وجدها مجانا لأكلها . فهذا بخيل على نفسه مع الحاجة ؛ وذلك يؤثر على نفسه غيره مع أنه محتاج إليه . فانظر ما بين الرجلين ؟ فإن الأخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الإيثار درجة فى السخاء وقد أثنى الله على الصحابة رضى الله عنهم به فقال ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ وقال النبى صلى الله عليه وسلم « أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له [1] » وقالت عائشة رضى الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ، ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا [2] ونزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند أهله شيئا ، فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب بالضيف إلى أهله ، ثم وضع بين يديه الطعام وأمر امرأته بإطفاء السراج ، وجعل يمد يده إلى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل ، حتى أكل الضيف ، فلما أصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد عجب الله من صنيعكم الليلة إلى ضيفكم » ونزلت ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة ﴾ [3] فالسخاء خلق من أخلاق الله تعالى ؛ والإيثار أعلى درجات السخاء . وكان ذلك من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سماه الله تعالى عظيما فقال تعالى ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ وقال سهل بن عبد الله التسترى قال موسى عليه السلام ، يارب أرنى بعض درجات محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ! فقال ياموسى إنك لن تطيق ذلك ، ولكن أريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلق ، قال فكشف له عن ملكوت السموات فنظر إلى منزلة كادت تتلف نفسه من أنوارها وقربها

---

(١) حديث « أيما رجل اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له » أخرجه ابن حبان فى الضعفاء وأبو الشيخ فى الثواب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد تقدم . (٢) حديث عائشة : ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متواليات ولوشئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا . أخرجه البيهقى فى الشعب بلفظ : ولكنه كان يؤثر على نفسه . وأول الحديث عند مسلم بلفظ : ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله . وللشيخين : ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة ثلاثة ليال تباعا حتى قبض زاد مسلم : من طعام (٣) حديث : نزل به ضيف فلم يجد عند أهله شيئا فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب به إلى أهله ... الحديث . فى نزول قوله تعالى ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة ﴾ متفق عليه من حديث أبى هريرة

من الله تعالى ، فقال : يارب بماذا بلغت به إلى هذه الكرامة ؟ قال؛ بخلق اختصصته به من بينهم وهو الإيثار ، ياموسى لا يأتينى أحد منهم قدعمل به وقتاً من عمره إلا استحييت من محاسبته ، وبوأته من جنتى حيث يشاء : وقيل خرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه ؛ إذ أتى الغلام بقوته ، فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى إليه الغلام بقرص فاكله ، ثم رمى إليه الثانى والثالث فاكله ، وعبد الله ينظر إليه فقال ياغلام كم قوتك كل يوم ؟ قال ما رأيت ! قال فلم آثرت به هذا الكلب ؟ قال ما هى بارض كلاب ، إنه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت أن أشبع وهو جائع قال ! قال فما أنت صانع اليوم ؟ قال: أطوى يومى هذا فقال عبد الله بن جعفر ألام على السخاء ! إنّ هذا الغلام لأسخى منى ، فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات فأعتق الغلام ووهبه منه . وقال عمر رضى الله عنه : أهدى إلى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال : إن أخى كان أحوج منى إليه فبعث به إليه ، فلم يزل واحد يبعث به إلى آخر حتى تداوله سبعة أبيات ورجع إلى الأول . وبات على كرم الله وجهه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام : إنى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة ؟ فاختارا كلاهما الحياة وأحباها ؛ فأوحى الله عز وجل إليهما أفلا كنتما مثل على بن أبى طالب آخيت بينه وبين نبى محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة ؟ اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل عليه السلام يقول : بخ بخ من مثلك يابن أبى طالب والله تعالى يباهى بك الملائكة ! فأنزل الله تعالى ﴿ ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد ﴾ [1] وعن أبى الحسن الأنطاكى : أنه اجتمع عنده نيف وثلاثون نفسا ـ وكانوا فى قرية بقرب الرىّ ـ ولهم أرغفة معدودة لم تشبع جميعهم ، فكسروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام ، فلما رفع فإذا الطعام بحاله ولم يأكل أحد منه شيئا إيثارا لصاحبه على نفسه . وروى أن شعبة جاءه سائل وليس عنده شىء ؛ فنزع خشبة من سقف بيته فأعطاه ثم اعتذر إليه . وقال حذيفة العدوى : انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى ومعى شىء من ماء وأنا أقول : إن كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه ، فإذا أنا به فقلت : أسقيك ؟ فأشار إلى أن نعم ، فإذا رجل يقول : آه ... فأشار ابن عمى إلى أن انطلق به إليه ، فجئته فإذا هو هشام بن العاص فقلت : أسقيك ؟ فسمع به آخر فقال : آه ... فأشار هشام انطلق به إليه ، فجئته فإذا هو قد مات فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات ، فرجعت إن ابن عمى فإذا هو قد مات رحمة الله عليهم أجمعين . وقال عباس بن دهقان : ماخرج أحد من الدنيا كما دخلها إلا بشر بن الحرث فإنه أتاه رجل فى مرضه فشكا إليه الحاجة فنزع قميصه وأعطاه إياه ، واستعار ثوبا فمات فيه . وعن بعض الصوفية قال : كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا إلى باب الجهاد ، فتبعنا كلب من البلد ، فلما بلغنا ظاهر الباب إذا نحن بدابة ميتة فصعدنا إلى موضع عال وقعدنا . فلما نظر الكلب إلى الميتة رجع إلى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا ، فجاء إلى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب فى الميتة ، فما زالت تأكلها وذلك الكلب قاعد ينظر إليها حتى أكلت الميتة وبقى العظم ورجعت الكلاب إلى البلد ، فقام ذلك الكلب

---

(١) حديث : بات على على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله الى جبريل وميكائيل انى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر ... الحديث . فى نزول قوله تعالى (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله) أخرجه أحمد مختصرا من حديث ابن عباس : شرى على نفسه فلبس ثوب النبى صلى الله عليه وسلم ثم نام مكانه ... الحديث . وليس فيه ذكر جبريل وميكائيل ولم أقف لهذه الزيادة على أصل ، وفيه أبو بلج مختلف فيه والحديث منكر .

وجاء إلى تلك العظام فأكل مما بقى عليها قليلا ثم انصرف .

وقد ذكرنا جملة من أخبار الإيثار وأحوال الأولياء فى كتاب الفقر والزهد فلا حاجة إلى الإعادة ههنا وبالله التوفيق وعليه التوكل فيما يرضيه عز وجل .

بيان حدّ السخاء والبخل وحقيقتهما

لعلك تقول : قد عرف بشواهد الشرع أن البخل من المهلكات ، ولكن ما حدّ البخل وبماذا يصير الإنسان بخيلا ؟ وما من إنسان إلا وهو يرى نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا ، وقد يصدر فعل من إنسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم : هذا بخل ويقول آخرون ليس هذا من البخل . وما من إنسان إلا ويجد من نفسه حبا للمال ولأجله يحفظ المال ويمسكه ، فإن كان يصير بإمساك المال بخيلا فإذاً لا ينفك أحد عن البخل . وإذا كان الإمساك مطلقا لا يوجب البخل ، ولا معنى للبخل إلا الإمساك فما البخل الذى يوجب الهلاك ؟ وما حدّ السخاء الذى يستحق به البعد صفة السخاوة وثوابها ؟ فنقول : قد قال قائلون حدّ البخل منع الواجب ، فكل من أدى مايجب عليه فليس ببخيل ، وهذا غير كاف ؛ فإن من يرد اللحم مثلا إلى القصاب والخبز للخباز بنقصان حبة أو نصف حبة فإنه يعدّ بخيلا بالاتفاق . وكذلك من يسلم إلى عياله القدر الذى يفرضه القاضى ثم يضايقهم فى لقمة ازدادوها عليه أو تمرة أكلوها من ماله يعد بخيلا . ومن كان بين يديه رغيف لحضر من يظن أنه يأكل معه فأخفاه عنه عدّ بخيلا . وقال قائلون البخيل هو الذى يستصعب العطية ، وهو أيضا قاصر ، فإنه إن أريد به أنه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ، ويستصعب ما فوق ذلك ؟ وإن أريد به أنه يستصعب بعض العطايا فما من جواد إلا وقد يستصعب بعض العطايا ؟ وهو مايستغرق جميع ماله أو المال العظيم . فهذا لايوجب الحكم بالبخل . وكذلك تكلموا فى الجود ، فقيل الجود عطاء بلا منّ وإسعاف من غير روية . وقيل : الجود عطاء من غير مسألة على رؤية التقليل . وقيل : الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما أمكن . وقيل : الجود عطاء على رؤية أن المال لله تعالى والعبد لله عز وجل فيعطى عبدالله مال الله على غير رؤية الفقر . وقيل : من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ، ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ، ومن قاسى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب إيثار ، ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل .

وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة الجود والبخل ، بل نقول : المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ، ويمكن إمساكه عن الصرف إلى ماخلق للصرف إليه ، ويمكن بذله بالصرف إلى ما لايحسن الصرف إليه ، ويمكن التصرف فيه بالعدل ، وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ ، ويبذل حيث يجب البذل . فالإمساك حيث يجب البذل بخل ، والبذل حيث يجب الإمساك تبذير . وبينهما وسط وهو المحمود وينبغى أن يكون السخاء والجود عبارة عنه ؛ إذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بالسخاء ، وقد قيل له ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ﴾ وقال تعالى ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾ فالجود وسط بين الإسراف والإقتار وبين البسط والقبض ، وهو أن يقدر بذله وإمساكه بقدر الواجب ، ولا يكفى أن يفعل ذلك بجوارحه مالم يكن قلبه طيباً به غير منازع له فيه . فإن بذل فى محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخ وليس بسخى ، بل ينبغى أن لايكون لقلبه علاقة مع المال إلا من حيث يراد المال له وهو صرفه إلى مايجب صرفه إليه .

فإن قلت : فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذى يجب بذله ؟ .

فأقول : إن الواجب قسمان : واجب بالشرع ، وواجب بالمروءة والعادة . والسخى هو الذى لايمنع واجب الشرع ولا واجب المروءة ، فإن منع واحداً منهما فهو بخيل ، ولكن الذى يمنع واجب الشرع أبخل كالذى يمنع أداء الزكاة ويمنع عياله وأهله النفقة ، أو يؤديها ولكنه يشق عليه ، فإنه بخيل بالطبع ، وإنما يتسخى بالتكلف ، أو الذى يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب قلبه أن يعطى من أطيب ماله ، أو من وسطه ، فهذا كله بخل .

وأما واجب المروءة فهو ترك المضايقة والاستقصاء فى المحقرات ، فإن ذلك مستقبح ، واستقباح ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص . فمن كثر ماله استقبح منه مالا يستقبح من الفقير من المضايقة ، ويستقبح من الرجل المضايقة مع أهله وأقاربه ومماليكه مالا يستقبح مع الأجانب ، ويستقبح من الجار مالا يستقبح مع البعيد ، ويستقبح فى الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح فى المعاملة ، فيختلف ذلك بما فيه من المضايقة فى ضيافة أو معاملة وبما به المضايقة من طعام أو ثوب ، إذ يستقبح فى الأطعمة ما لايستقبح فى غيرها ، ويستقبح فى شراء الكفن مثلا أو شراء الأضحية أو شراء خبز الصدقة مالا يستقبح فى غيره من المضايقة . وكذلك بمن معه المضايقة من صديق أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولد أو أجنبى . وبمن منه المضايقة من صبى أو امرأة أو شيخ أو شاب أو عالم أو جاهل أو موسر أو فقير . فالبخيل هو الذى يمنع حيث ينبغى أن لا يمنع إما بحكم الشرع وإما بحكم المروءة ، وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره . ولعل حد البخل هو إمساك المال عن غرض ، ذلك الغرض هو أهم من حفظ المال ، فإنّ صيانة الدين أهم من حفظ المال ، فمانع الزكاة والنفقة بخيل . وصيانة المروءة أهم من حفظ المال ، والمضايق فى الدقائق مع من لا تحسن المضايقة معه هاتك ستر المروءة لحب المال فهو بخيل . ثم تبقى درجة أخرى ، وهو أن يكون الرجل ممن يؤدى الواجب ويحفظ المروءة ولكن معه مال كثير قد جمعه ليس يصرفه إلى الصدقات وإلى المحتاجين ، فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدّة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجاته فى الآخرة ، وإمساك المال عن هذا الغرض بخل عند الأكياس وليس ببخل عند عوام الخلق ، وذلك لأن نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون إمساكه لدفع نوائب الزمان مهما ، وربما يظهر عند العوام أيضا سمة البخل عليه إن كان فى جواره محتاج فمنعه وقال : قد أديت الزكاة الواجبة وليس على غيرها . ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله ، وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاح دينه واستحقاقه . فمن أدى واجب الشرع وواجب المروءة اللائقة به فقد تبرأ من البخل . نعم لايتصف بصفة الجود والسخاء مالم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات ، فإذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا تتوجه إليه الملامة فى العادة فهو جواد بقدر ماتتسع له نفسه من قليل أو كثير . ودرجات ذلك لاتحصر وبعض الناس أجود من بعض ، فاصطناع المعروف وراء ماتوجبه العادة والمروءة هو الجود ، ولكن بشرط أن يكون عن طيب نفس ولا يكون طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء فإن من طمع فى الشكر والثناء فهو بياع وليس بجواد ، فإنه يشترى المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود فى نفسه ، والجود هو بذل الشىء من غير عوض . هذا هو الحقيقة ولايتصوّر ذلك إلا من الله تعالى ، أما الآدمى فاسم الجود عليه مجاز إذ لايبذل الشىء إلا لغرض ، ولكنه إذا لم يكن غرضه إلا

الثواب فى الآخرة أو اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا ، فإن كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلا أو من ملامة الخلق أو مايتوقعه من نفع يناله من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود ، لأنه مضطر إليه بهذه البواعث ، وهى أعواض معجلة له عليه فهو معتاض لاجواد ، كما روى عن بعض المتعبدات أنها وقفت على حبان بن هلال وهو جالس مع أصحابه فقالت : هل فيكم من أسأله عن مسألة ؟ فقالوا لها : سلى عما شئت ـ وأشاروا إلى حبان بن هلال ـ فقالت : ماالسخاء عندكم ؟ قالوا : العطاء والبذل والإيثار ، قالت : هذا السخاء فى الدنيا فما السخاء فى الدين ؟ قالوا : أن نعبد الله سبحانه سخية بها أنفسنا غير مكرهة ، قالت : فتريدون على ذلك أجرا ؟ قالوا . نعم ، قالت ولم ؟ قالوا لأن الله تعالى وعدنا بالحسنة عشر أمثالها ، قالت سبحان الله ! فإذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرة فبأى شىء تسخيتم عليه ؟ قالوا لها فما السخاء عندك يرحمك الله ؟ قالت السخاء عندى أن تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لاتريدون على ذلك أجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء ! ألا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئا بشىء ؟ إن هذا فى الدنيا لقبيح ! وقالت بعض المتعبدات أتحسبون أن السخاء فى الدرهم والدينار فقط ؟ قيل ففيم ؟ قالت السخاء عندى فى المهج . وقال المحاسبى السخاء فى الدين أن تسخو بنفسك تتلفها لله عز وجل ويسخو قلبك ببذل مهجتك وإهراق دمك لله تعالى بسماحة من غير إكراه ، ولا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا ، وإن كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على ظنك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله ، حتى يكون مولاك هو الذى يفعل لك مالاتحسن أن تختار لنفسك .

بيان علاج البخل

اعلم أن البخل سببه حب المال . ولحب المال سببان أحدهما حب الشهوات التى لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل ، فإن الإنسان لو علم أنه يموت بعد يوم ربما أنه كان لايبخل بماله ، إذ القدر الذى يحتاج إليه فى يوم أوفى شهر أو فى سنة قريب ، وإن كان قصير الأمل ولكن كان له أولاد أقام الولد مقام طول الأمل ، فإنه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لأجلهم . ولذلك قال عليه السلام « الولد مبخلة مجبنة مجهلة [1] » فإذا انضاف إلى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجىء الرزق قوى البخل لا محالة .

السبب الثانى : أن يحب عين المال ، فمن الناس من معه مايكفيه لبقية عمره إذا اقتصر على ماجرت به عادته بنفقته وتفضل آلاف وهو شيخ بلا ولد ومعه أموال كثيرة ولاتسمح نفسه بإخراج الزكاة ولا بمداواة نفسه عند المرض بل صار محبا للدنانير عاشقا لها يلتذ بوجودها فى يده وبقدرته عليها ، فيكنزها تحت الأرض وهو يعلم أنه يموت فتضيع أو يأخذها أعداؤه ، ومع هذا فلا تسمح نفسه بأن يأكل أو يتصدق منها بحبة واحدة ، وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج لا سيما فى كبر السن ، وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه . ومثال صاحبه : مثال رجل عشق شخصا فأحب رسوله لنفسه ثم نسى محبوبه واشتغل برسوله ، فإن الدنانير رسول يبلغ إلى الحاجات فصارت محبوبة لذلك ، لأن الموصل إلى اللذيذ لذيذ ، ثم قد تنسى الحاجات ويصير الذهب عنده كأنه محبوب فى نفسه وهو غاية الضلال ، بل من رأى بينه وبين الحجر فرقا فهو جاهل إلا من حيث قضاء حاجته به ، فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة . فهذه أسباب حب المال . وإنما علاج كل علة بمضادة سببها ، فتعالج حب الشهوات بالقناعة

(١) حديث « الولد مبخلة » زاد فى رواية « محزنة » ابن ماجه من حديث يعلى بن مرة دون قوله « محزنة » رواه بهذه الزيادة أبو يعلى والبزار من حديث أبى سعيد والحاكم من حديث الأسود بن خلف وإسناده صحيح .

باليسير وبالصبر ، وتعالج طول الأمل بكثرة ذكر الموت والنظر فى موت الأقران وطول تعبهم فى جمع المال وضياعه بعدهم . وتعالج التفات القلب إلى الولد بأن خالقه خلق معه رزقه ، وكم من ولد ولم يرث من أبيه مالا وحاله أحسن ممن ورث ؟ وبأن يعلم أنه يجمع المال لولده يريد أن يترك ولده بخير وينقلب هو إلى شر ، وأن ولده إن كان تقيا صالحا فالله كافيه ، وإن كان فاسقا فيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته إليه . ويعالج أيضاً قلبه بكثرة التأمل فى الأخبار الواردة فى ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله به على البخل من العقاب العظيم . ومن الأدوية النافعة : كثرة التأمل فى أحوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم له ، فإنه ما من بخيل إلا ويستقبح البخل من غيره ، ويستثقل كل بخيل من أصحابه ، فيعلم أنه مستثقل ومستقذر فى قلوب الناس مثل سائر البخلاء فى قلبه . ويعالج أيضا قلبه بأن يتفكر فى مقاصد المال ، وأنه لماذا خلق؟ ولا يحفظ من المال إلا بقدر حاجته إليه والباقى يدخره لنفسه فى الآخرة بأن يحصل له ثواب بذله . فهذه الأدوية من جهة المعرفة والعلم ، فإذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الإمساك فى الدنيا والآخرة هاجت رغبته فى البذل إن كان عاقلا ، فإن تحركت الشهوة فينبغى أن يجيب الخاطر الأول ولا يتوقف ، فإن الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه .

حكى أن أبا الحسن البوشنجى كان ذات يوم فى الخلاء فدعا تلميذا له وقال : أنزع عنى القميص وادفعه إلى فلان ، فقال : هلا صبرت حتى تخرج ؟ قال : لم آمن على نفسى أن تتغير ، وكان قد خطر لى بذله ! ولا تزول صفة البخل إلا بالبذل تكلفا كما لا يزول العشق إلا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره ؛ حتى إذا سافر وفارق تكلفاً وصبر عنه مدّة تسلى عنه قلبه ، فكذلك الذى يريد علاج البخل ينبغى أن يفارق المال تكلفا بأن يبذله ، بل لو رماه فى الماء كان أولى به من إمساكه إياه مع الحب له . ومن لطائف الحيل فيه أن يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء ، فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعاً فى حشمة الجود ، فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث الرياء ، ولكن ينعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه ، ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال ، كما يسلى الصبى عند الفطام عن الثدى باللعب بالعصافير وغيرها لا ليخلى واللعب ، ولكن لينفك عن الثدى إليه ، ثم ينقل عنه إلى غيره ، فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغى أن يسلط بعضها على بعض كما تسلط الشهوة على الغضب وتكسر سورته بها ، ويسلط الغضب على الشهوة وتكسر رعونتها به ، إلا أن هذا مفيد فى حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء ، فيبذل الأقوى بالأضعف ، فإن كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فائدة فيه فإنه يقلع من علة ويزيد فى أخرى مثلها ، إلا أن علامة ذلك أن لا يثقل عليه البذل لأجل الرياء ، فلذلك يتبين أن الرياء أغلب عليه ، فإن كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغى أن يبذل فإن ذلك يدل على أن مرض البخل أغلب على قلبه .

ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال إن الميت تستحيل جميع أجزائه دودا ثم يأكل بعض الديدان البعض ، حتى يقل عددها ثم يأكل بعضها بعضا حتى ترجع إلى اثنتين قويتين عظيمتين ، ثم لا تزالان تتقاتلان إلى أن تغلب إحداهما الأخرى فتأكلها وتسمن بها ، ثم لا تزال تبقى جائعة وحدها إلى أن تموت ، فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن أن يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها ، ويجعل الأضعف قوتا للأقوى إلى أن لا يبقى إلا واحدة ، ثم تقع العناية بمحوها وإذابتها بالمجاهدة وهو منع القوت عنها . ومنع القوت عن الصفات أن لا يعمل بمقتضاها ، فإنها تقتضى لا محالة أعمالا ، وإذا خولفت خمدت الصفات وماتت . مثل البخل فإنه يقتضى إمساك

المال فإذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد أخرى ماتت صفة البخل وصار البذل طبعا وسقط التعب فيه ، فإن علاج البخل بعلم وعمل ، فالعلم يرجع إلى معرفة آفة البخل وفائدة الجود ، والعمل يرجع إلى الجود والبذل على سبيل التكلف ، ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمى ويصم فيمنع تحقق المعرفة فيه ، وإذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة مزمنة ، كالمرض الذى يمنع معرفة الدواء وإمكان استعماله فإنه لا حيلة فيه إلا الصبر إلى الموت .

وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية فى معالجة علة البخل فى المريدين أن يمنعهم من الاختصاص بزواياهم . وكان إذا توهم فى مريد فرحه بزاويته وما فيها ، نقله إلى زاوية غيرها ، ونقل زاوية غيره إليه وأخرجه عن جميع ما ملكه ، وإذا رآه يلتفت إلى ثوب جديد يلبسه أو سجادة يفرح بها يأمره بتسليمها إلى غيره ويلبسه ثوبا خلقا لا يميل إليه قلبه .

فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا . فمن لم يسلك هذا السبيل أنس بالدنيا وأحبها ، فإن كان له ألف متاع كان له ألف محبوب ، ولذلك إذا سرق كل واحد منه ألمت به مصيبة بقدر حبه له ، فإذا مات نزل به ألف مصيبة دفعة واحدة لأنه كان يحب الكل وقد سلب عنه ، بل هو فى حياته على خطر المصيبة بالفقد والهلاك .

حمل إلى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظير ، ففرح الملك بذلك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده : كيف ترى هذا ؟ قال : اراه مصيبة أو فقرا ، قال : كيف ؟ قال : إن كسر كان مصيبة لا جبر لها وإن سرق صرت فقيرا إليه ولم تجد مثله ، وقد كنت قبل أن يحمل إليك فى أمن من المصيبة والفقر، ثم اتفق يوما أن كسر أو سرق وعظمت مصيبة الملك عليه فقال : صدق الحكيم ليته لم يحمل إلينا ! وهذا شأن جميع أسباب الدنيا فإن الدنيا عدوة لأعداء الله تسوقهم إلى النار ، وعدوة أولياء الله إذ تغمهم بالصبر عنها ، وعدوة الله إذ تقطع طريقه على عباده ، وعدوة نفسها فإنها تأكل نفسها ، فإن المال لا يحفظ إلا بالخزائن والحراس . والخزائن والحراس لا يمكن تحصيلها إلا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير ، فالمال يأكل نفسه ويضاد ذاته حتى يفنى ، ومن عرف آفة المال لم يأنس به ولم يفرح ولم يأخذ منه إلا بقدر حاجته ، ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لأن ما أمسكه لحاجته فليس ببخل ، ولا يحتاج إليه ، فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله ، بل هو كالماء على شط الدجلة إذ لا يبخل به أحد لقناعة الناس منه بمقدار الحاجة .

بيان مجموع الوظائف التى على العبد فى ماله

اعلم أن المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه . ومثاله مثال حية يأخذها الراقى ويستخرج منها الترياق ، ويأخذها الغافل فيقتله سمها من حيث لا يدرى ولا يخلو أحد عن سم المال إلا بالمحافظة على خمس وظائف

الأولى : أن يعرف مقصود المال وأنه لماذا خلق وأنه لم يحتج إليه حتى يكتسب ولا يحفظ إلا قدر الحاجة ، ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه .

الثانية : أن يراعى جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض ، وما الغالب عليه الحرام كمال السلطان ، ويجتنب الجهات المكروهة القادحة فى المروءة كالهدايا التى فيها شوائب الرشوة ، وكالسؤال الذى فيه الذلة وهتك المروءة وما يجرى مجراه .

الثالثة : فى المقدار الذى يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل ، بل القدر الواجب ومعياره الحاجة ، والحاجة

ملبس ومسكن ومطعم . ولكل واحد ثلاث درجات : أدنى ، وأوسط ، وأعلى . وما دام مائلا إلى جانب القلة ومتقربا من حد الضرورة كان محقا ويجيء من جملة المحقين ، وإن جاوز ذلك وقع فى هاوية لا آخر لعمقها . وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات فى كتاب الزهد .

الرابعة : أن يراعى جهة المخرج ويقتصد فى الإنفاق غير مبذر ولا مقترا كما ذكرناه ، فيضع ما اكتسبه من حله فى حقه ولا يضعه فى غير حقه ، فإن الإثم فى الأخذ من غير حقه والوضع فى غير حقه سواء .

الخامسة : أن يصلح نيته فى الأخذ والترك والإنفاق والإمساك ، فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة ، ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقاراً له إذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ، ولذلك قال على رضى الله عنه : لو أنّ رجلا أخذ جميع ما فى الأرض وأراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ، ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى فليس بزاهد . فلتكن جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة أو ما يعين على العبادة ، فإن أبعد الحركات عن العبادة الأكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة ، فإذا كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة فى حقك . وكذلك ينبغى إن تكون نيتك فى كل ما يحفظك من قميص وإزار وفراش وآنية ، لأن كل ذلك مما يحتاج إليه فى الدين ، وما فضل من الحاجة ينبغى أن يقصد به أن ينتفع به عبد من عباد الله ولا يمنعه منه عند حاجته ، فمن فعل ذلك فهو الذى أخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا تضره كثرة المال ، ولكن لا يتأتى ذلك إلا لمن رسخ فى الدين قدمه وعظم فيه علمه . والعامى إذا تشبه بالعالم فى الاستكثار من المال وزعم أنه يشبه أغنياء الصحابة شابه الصبى الذى يرى المعزم الحاذق يأخذ الحية ويتصرف فيها فيخرج ترياقها فيقتدى به ، ويظن أنه أخذها مستحسنا صورتها وشكلها ومستلينا جلدها ، فيأخذها اقتداء به فتقتله فى الحال ، إلا أنّ قتيل الحية يدرى أنه قتيل ، وقتيل المال قد لا يعرف . وقد شبهت الدنيا بالحية فقيل :

هى دنيا كحية تنفث السم وإن كانت المجسة لانت

وكما يستحيل أن يتشبه الأعمى بالبصير فى تخطى قلل الجبال وأطراف البحر والطرق المشوكة فمحال أن يتشبه العامى بالعالم الكامل فى تناول المال .

بيان ذم الغنى ومدح الفقر

اعلم أن الناس قد اختلفوا فى تفضيل الغنى الشاكر على الفقير الصابر ـ وقد أوردنا ذلك فى كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ـ ولكنا فى هذا الكتاب ندل على أن الفقر أفضل وأعلى من الغنى على الجملة من غير التفات إلى تفصيل الأحوال ، ونقتصر فيه على حكاية فصل ذكره الحارث المحاسبى رضى الله عنه فى بعض كتبه فى الرد على بعض العلماء من الأغنياء ، حيث احتج بأغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم والمحاسبى رحمه الله حبر الأمة فى علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال وأغوار العبادات ، وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه . وقد قال بعد كلام له فى الرد على علماء السوء : بلغنا أنّ عيسى ابن مريم عليه السلام قال : ياعلماء السوء تصومون وتصلون وتصدّقون ولا تفعلون ما تؤمرون ، وتدرسون ما لا تعملون فياسوء ما تحكمون ، تتوبون بالقول والأمانى وتعملون بالهوى ، وما يغنى عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة ، بحق أقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة ؛ كذلك أنتم

تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل فى صدوركم ؛ ياعبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لاتنقضى من الدنيا شهوته ولاتنقطع منها رغبته ؟ بحق أقول لكم إن قلوبكم تبكى من أعمالكم ، جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم ؛ بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة ؛ فأى الناس أخسر منكم لو تعلمون ؟ ويلكم حتام تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون فى محل المتحيرين ! كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم ، مهلا مهلا ! ويلكم ماذا يغنى عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم ؟ كذلك لايغنى عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة متعطلة ! ياعبيد الدنيا لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام ؛ توشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ، ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلمكم إلى الملك الديان عراة فرادى ، فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم . ثم قال الحارث رحمه الله : إخوانى فهؤلاء علماء السوء شياطين الإنس وفتنه على الناس ، رغبوا فى عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة ، وادلوا الدين للدنيا فهم فى العاجل عار وشين ، وفى الآخرة هم الخاسرون أو يعفو الكريم بفضله .

وبعد : فإنى رأيت الهالك المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص ، فيتفجر عنه أنواع الهموم وفنون المعاصى وإلى البوار والتلف مصيره ، فرح الهالك برجائه فلم تبق له دنياه ولم يسلم له دينه ﴿ خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ﴾ فيالها من مصيبة ماأفظعها ورزية ماأجلها ، ألا فراقبوا الله إخوانى ولا يغرنكم الشيطان وأولياؤه من الآنسين بالحجج الداحضة عند الله ، فإنهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لأنفسهم المعاذير والحجج ، ويزعمون أنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم أموال فيتزين المغرورون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال ، ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون . ويحك أيها المفتون إنّ احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك فتهلك ! لأنك متى زعمت أنّ أخيار الصحابة أرادوا المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم ، ومتى زعمت أنّ جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه فقد إزدريت محمداً والمرسلين ؟ ونسبتهم إلى قلة الرغبة والزهد فى هذا الخير الذى رغبت فيه أنت وأصحابك من جمع المال ، ونسبتهم إلى الجهل إذ لم يجمعوا المال كما جمعت ، ومتى زعمت أنّ جمع المال الحلال أعلى من تركه ، فقد زعمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصح للأمة إذ نهاهم عن جمع المال [1] وقد علم أنّ جمع المال خير للأمة ؟ فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال ، كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فلقد كان للأمة ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رءوفا . ومتى زعمت أنّ جمع المال أفضل فقد زعمت أنّ الله عز وجل لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أنّ جمع المال خير لهم ؟ أو زعمت أنّ الله تعالى لم يعلم أن الفضل فى الجمع فلذلك نهاهم عنه ، وأنت عليم بما فى المال من الخير والفضل لذلك رغبت فى الاستكثار كأنك أعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهلك أيها المفتون ؟ تدبر بعقلك مادهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ! ويحك ماينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف وقد ود عبد الرحمن بن عوف فى القيامة أنه لم يؤت من الدنيا إلا قوتا ؟

---

(١) حديث : النهى عن جمع المال . أخرجه ابن عدى من حديث ابن مسعود « ما أوحى الله الى أن أجمع المال وأكون من التاجرين ... الحديث » ولأبى نعيم والخطيب فى التاريخ والبيهقى فى الزهد من حديث الحارث بن سويد فى أثناء الحديث « لاتجمعوا مالا تأكلون » وكلاهما ضعيف .

وقد بلغنى أنه لما توفى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك ! فقال كعب : سبحان الله ! وماتخافون على عبد الرحمن كسب طيباً وأنفق طيبا وترك طيبا ! فبلغ ذلك ابا ذرّ فخرج مغضبا يريد كعبا فمر بعظم لحى بعير فأخذه بيده ثم انطلق يريد كعبا ، فقيل لكعب . إن ابا ذرّ يطلبك ، فخرج هارباً حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر ، واقبل أبو ذرّ يقص الأثر فى طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان ، فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من أبى ذرّ ، فقال له أبو ذرّ : هيه يا ابن اليهودية ! تزعم أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف ، ولقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو أحد وأنا معه فقال « ياأبا ذر » فقلت : لبيك يارسول الله فقال « الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدّامه وخلفه وقليل ماهم » ثم قال « يا أبا ذرّ » قلت : نعم يارسول الله بأبى أنت وأمى ، قال « ما يسرنى أن لى مثل أحد أنفقه فى سبيل الله أموت يوم أموت وأترك منه قيراطين » قلت أو قنطارين يا رسول الله ؟ قال « بل قيراطان » ثم قال « يا أبا ذرّ أنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل [1] » فرسول الله يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبدالرحمن بن عوف ؟ كذبت وكذب من قال ! فلم يرد عليه خوفا حتى خرج .

وبلغنا أن عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة رضى الله عنها : ماهذا ؟ قيل عير قدمت لعبد الرحمن ، قالت : صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فبلغ ذلك عبدالرحمن فسألها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنى رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيا ، ولم أر أحدا من الأغنياء يدخلها معهم إلا عبد الرحمن بن عوف يدخلها معهم حبوا [2] » فقال عبد الرحمن : إن العير وما عليها فى سبيل الله ، وإن ارقاءها أحرارا لعلى ادخلها معهم سعيا .

وبلغنا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف « أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتى وما كدت أن تدخلها إلا حبوا [3] » .

ويحك أيها المفتون ، فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن فى فضله وتقواه وصنائعه المعروف وبذله الأموال فى سبيل الله مع صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبشراه بالجنة [4] أيضا يوقف فى عرصات القيامة وأهوالها بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف ، وأنفق منه قصدا ، وأعطى فى سبيل الله سمحا ،

---

(١) حديث أبى ذر « الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا ... الحديث » متفق عليه وقد تقدم دون هذه الزيادة التى فى أوله من قول كعب حين مات عبد الرحمن بن عوف : كسب طيباً وترك طيبا . وانكار أبى ذر عليه ؛ فلم أقف على هذه الزيادة إلا فى قول الحارث بن أسد المحاسبى بلغنى كما ذكره المصنف ، وقد رواها أحمد وأبو يعلى أخصر من هذا ولفظ كعب : إذا كان قضى عنه حق الله فلا بأس به ، فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعباً وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أحب لو كان هذا الجبل لى ذهبا ...الحديث . وفيه ابن لهيعة (٢) حديث عائشة « رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيا .. الحديث » فى أن عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا رواه أحمد مختصرا فى كون عبدالرحمن يدخل حبوا دون ذكر فقراء المهاجرين والمسلمين ، وفيه عمارة بن زاذان مختلف فيه (٣) حديث : أنه قال « أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتى وما كدت تدخلها إلا حبوا » أخرجه البزار من حديث أنس بسند ضعيف والحاكم من حديث عبدالرحمن ابن عوف « ياابن عوف انك من الأغنياء ولن تدخل الجنة الا زحفا » وقال صحيح الإسناد قلت : بل ضعيف فيه خالد بن أبى مالك ضعفه الجمهور (٤) حديث : بشر النبى صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف بالجنة . أخرجه الترمذى والنسائى فى الكبرى من حديثه « أبو بكر فى الجنة ... الحديث » وفيه « وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة » وهو عند الأربعة من حديث سعيد بن زيد قال البخارى والترمذى وهذا أصح .

منع من السعى إلى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو فى آثارهم حبوا ؟ فما ظنك بأمثالنا الغرقى فى فتن الدنيا ؟ وبعد : فالعجب كل العجب لك يامفتون تتمرغ فى تخاليط الشبهات والسحت ، وتتكالب على أوساخ الناس ، وتتقلب فى الشهوات والزينة والمباهاة ، وتتقلب فى فتن الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن وتزعم أنك إن جمعت المال فقد جمعه الصحابة كأنك أشبهت السلف وفعلهم ؟ ويحك إن هذا من قياس إبليس ومن فتياه لأوليائه ! وسأصف لك أحوالك وأحوال السلف لتعرف فضائحك وفضل الصحابة . ولعمرى لقد كان لبعض الصحابة أموال أرادوها للتعفف والبذل فى سبيل الله ، فكسبوا حلالا وأكلوا طيبا وأنفقوا قصدا ، وقدموا فضلا ، ولم يمنعوا منها حقا ، ولم يبخلوا بها ، لكنهم جادوا لله بأكثرها ، وجاد بعضهم بجميعها ، وفى الشدة آثروا الله على أنفسهم كثيرا ، فبالله أكذلك أنت ؟ والله إنك لبعيد الشبه بالقوم .

وبعد : فإن أخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين ، ومن خوف الفقر آمنين ، وبالله فى أرزاقهم واثقين، وبمقادير الله مسرورين ، وفى البلاء راضين ، وفى الرخاء شاكرين ، وفى الضراء صابرين ، وفى السراء حامدين ، وكانوا لله متواضعين ، وعن حب العلو والتكاثر ورعين . لم ينالوا من الدنيا إلا المباح لهم بالبلغه منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا فى نعيمها وزهرتها . فبالله أكذلك أنت ؟

ولقد بلغنا أنهم كانوا إذا أقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا : ذنب عجلت عقوبته من الله ، وإذا رأوا الفقر مقبلا قالوا : مرحباً بشعار الصالحين . وبلغنا أن بعضهم كان إذا أصبح وعند عياله شىء أصبح كئيبا حزينا ، وإذا لم يكن عندهم شىء أصبح فرحا مسرورا ، فقيل له : إن الناس إذا لم يكن عندهم شىء حزنوا ، وإذا كان عندهم شىء فرحوا، وأنت لست كذلك ! قال : إنى إذا أصبحت وليس عند عيالى شىء فرحت إذ كان لى برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة ، وإذا كان عند عيالى شىء اغتممت إذ لم يكن لى بآل محمد أسوة . وبلغنا أنهم كانوا إذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا وأشفقوا وقالوا : مالنا وللدنيا وما يراد بها فكأنهم على جناح خوف ، وإذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا : الآن تعاهدنا ربنا . فهذه أحوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل أكثر مما وصفنا . فبالله أكذلك أنت ؟ إنك لبعيد الشبه بالقوم .

وسأصف لك أحوالك أيها المفتون ضدا لأحوالهم ، وذلك أنك تطغى عند الغنى ، وتبطر عند الرخاء ، وتمرح عند السراء ، وتغفل عن شكر ذى النعماء ، وتقنط عند الضراء ، وتسخط عند البلاء ، ولا ترضى بالقضاء . نعم وتبغض الفقر وتأنف من المسكنة ؛ وذلك فخر المرسلين وأنت تأنف من فخرهم . وأنت تدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله عز وجل وقلة اليقين بضمانه ، وكفى به إثما ، وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها . ولقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم فربت عليهم أجسامهم [1] » ، وبلغنا أن بعض أهل العلم قال : ليجىء يوم القيامة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال لهم ﴿ أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ﴾ وأنت فى غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا فيالها حسرة ومصيبة ! نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة فى الدنيا ، وقد بلغنا أنه من طلب الدنيا للتكاثر أو للتفاخر لقى الله وهو عليه غضبان ، وأنت غير مكترث بما حل بك من غضب ربك حين أردت التكاثر والعلو

(١) حديث « شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم ... الحديث » تقدم ذكره فى أوائل كتاب ذم البخل عند الحديث الرابع منه « من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة سنة » .

نعم وعساك المكث فى الدنيا أحب إليك من النقلة إلى جوار الله ، فأنت تكره لقاء الله والله للقائك أكره،وأنت فى غفلة وعساك تأسف على مافاتك من عرض الدنيا ؛ وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة شهر . وقيل سنة . » وأنت تأسف على مافاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله . نعم ولعلك تخرج من دينك أحيانا لتوفير دنياك وتفرح بإقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها ، وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه [1] » وبلغنا أنّ بعض أهل العلم قال إنك تحاسب على التحزن على مافاتك من الدنيا ، وتحاسب بفرحك فى الدنيا إذا قدرت عليها وأنت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى ، وعساك تعنى بأمور دنياك أضعاف ماتعنى بأمور آخرتك ، وعساك ترى مصيبتك فى معاصيك أهون من مصيبتك فى انتقاص دنياك ، ونعم وخوفك من ذهاب مالك أكثر من خوفك من الذنوب ، وعساك تبذل للناس ماجمعت من الأوساخ كلها للعلو والرفعة فى الدنيا ، وعساك ترضى المخلوقين مساخطا لله تعالى كيما تكرم وتعظم . ويحك ! فكأن احتقار الله تعالى لك فى القيامة أهون عليك من احتقار الناس إياك ، وعساك تخفى من المخلوقين مساويك ولا تكترث باطلاع الله عليك فيها فكأن الفضيحة عند الله أهون عليك من الفضيحة عند الناس ، فكأن العبيد أعلى عندك قدرا من الله ، تعالى الله عن جهلك ! فكيف تنطق عند ذوى الألباب وهذه المثالب فيك ؟ أف لك ! متلوثا بالأقذار وتحتج بمال الأبرار ؟ هيهات هيهات ماأبعدك عن السلف الأخيار ، والله لقد بلغنى أنهم كانوا فيما أحل لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم ، إن الذى لابأس به عندكم كان من الموبقات عندهم ، وكانوا للزلة الصغيرة أشدّ استعظاما منكم لكبائر المعاصى ، فليت أطيب مالك وأحله مثل شبهات أموالهم ؟ وليتك أشفقت من سيئاتك كما أشفقوا على حسناتهم أن لا تقبل؟ ليت صومك على مثال إفطارهم ؟ وليت اجتهادك فى العبادة مثل فتورهم ونومهم ؟ وليت جميع حسناتك مثل واحدة من سيئاتهم . وقد بلغنى عن بعض الصحابة أنه قال : غنيمة الصدّيقين مافاتهم من الدنيا ونهمتهم مازوى عنهم منها ، فمن لم يكن كذلك فليس معهم فى الدنيا ولا معهم فى الآخرة ، فسبحان الله ! كم بين الفريقين من التفاوت ؟ فريق خيار الصحابة فى العلو عند الله وفريق أمثالكم فى السفالة ، أو يعفو الله الكريم بفضله .

ويعد : فإنك إن زعمت أنك متأس بالصحابة بجمع المال للتعفف والبذل فى سبيل الله فتدبر أمرك ، ويحك هل تجد من الحلال فى دهرك كما وجدوا فى دهرهم ؟ أو تحسب أنك محتاط فى طلب الحلال كما احتاطوا ، لقد بلغنى أن بعض الصحابة قال : كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع فى باب من الحرام ، أفتطمع من نفسك فى مثل هذا الاحتياط ؟ لاورب الكعبة ما أحسبك كذلك ! ويحك ! كن على يقين أن جمع المال لأعمال البر مكر من الشيطان ليوقعك بسبب البر فى اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام ، وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من اجترأ على الشبهات أوشك أن يقع فى الحرام [2] » أيها المغرور ، أما علمت أنّ خوفك من اقتحام الشبهات أعلى وأفضل وأعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات ، وبذلها فى سبيل الله وسبيل البر ؟ بلغنا ذلك عن بعض أهل العلم قال : لأن تدع درهما واحدا مخافة أن لايكون حلالا خير لك من أن تتصدّق بألف دينار من شبهة لاتدرى

---

(١) حديث « من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه » لم أجده إلا بلاغا للحارث بن أسد المحاسبى كما ذكره المصنف عنه (٢) حديث « من اجترأ على الشبهات أوشك أن يقع فى الحرام » متفق عليه من حديث النعمان بن بشير نحوه وقد تقدم فى كتاب الحلال والحرام أول الحديث .

أيحل لك أم لا ؟ فإن زعمت أنك أتقى وأورع من أن تتلبس بالشبهات وإنما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل فى سبيل الله ! ويحك ! إن كنت كما زعمت بالغا فى الورع فلا تتعرض للحساب ، فإن خيار الصحابة خافوا المسألة، وبلغنا أن بعض الصحابة قال : ماسرنى أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وأنفقها فى طاعة الله ولم يشغلنى الكسب عن صلاة الجمعة ، قالوا : ولم ذاك رحمك الله ؟ قال : لأنى غنى عن مقام يوم القيامة فيقول عبدى من أين اكتسبت وفى أى شىء أنفقت ؟ فهولاء المتقون كانوا فى جدة الإسلام والحلال موجود لديهم ، تركوا المال وجلا من الحساب مخافة أن لايقوم خير المال بشره ، وأنت بغاية الأمن والحلال فى دهرك مفقود . تتكالب على الأوساخ ثم تزعم أنك تجمع المال من الحلال ، ويحك ! أين الحلال فتجمعه

وبعد : فلو كان الحلال موجودا لديك أما تخاف أن يتغير عند الغنى قلبك ، وقد بلغنا أن بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة أن يفسد قلبه ؟ أفتطمع أن يكون قلبك أنقى من قلوب الصحابة فلا يزول عن شىء من الخلق فى أمرك وأحوالك ؟ لئن ظننت ذلك لقد أحسنت الظن بنفسك الأمارة بالسوء ، ويحك ! إنى لك ناصح أرى لك أن تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لأعمال البر ولا تتعرض للحساب ، فإنه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من نوقش الحساب عذب [1] » وقال عليه السلام « يؤتى برجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وأنفقه فى حرام فيقال اذهبوا به إلى النار ، ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وأنفقه فى حرام فيقال اذهبوا به إلى النار ، ويؤتى برجل قد جمع مالا من حرام وأنفقه فى حلال فيقال اذهبوا به إلى النار ، ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وأنفقه فى حلال فيقال له : قف لعلك قصرت فى طلب هذا بشىء مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها ، وفرطت فى شىء من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول : لا يارب كسبت من حلال وأنفقت فى حلال ولم أضيع شيئا فرضت على ، فيقال : لعلك اختلت فى هذا المال فى شىء من مركب أو ثوب باهيت به فيقول : لايارب لم أختل ولم أباه فى شىء ، فيقال : لعلك منعت حق أحد أمرتك أن تعطيه من ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، فيقول : لا يارب كسبت من حلال وأنفقت فى حلال ولم أضيع شيئا مما فرضت على ولم أختل ولم أباه ولم أضيع حق أحد أمرتنى أن أعطيه ، قال : فيجىء أولئك فيخاصمونه فيقولون : يارب أعطيته وأغنيته وجعلته بين أظهرنا وأمرته أن يعطينا ، فإن كان أعطاهم وما ضيع من ذلك شيئا من الفرائض ولم يختل فى شىء فيقال : قف ، الآن هات شكر كل نعمة أنعمتها عليك من أكلة أو شربة أو لذة فلا يزال يسئل [2] » ويحك فمن ذا الذى يتعرض لهذه المسألة التى كانت لهذا الرجل الذى تقلب فى الحلال وقام بالحقوق كلها وأدى الفرائض بحدودها ، حوسب هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال أمثالنا الغرقى فى فتن الدنيا وتخاليطها وشبانها وشهواتها وزينتها ؟ ويحك ، لأجل هذه المسائل يخاف المتقون أن يتلبسوا بالدنيا فرضوا بالكفاف منها وعملوا بأنواع البر من كسب المال ، فلك ويحك بهؤلاء الأخيار أسوة ، فإن أبيت ذلك وزعمت أنك بالغ من الورع والتقوى ، ولم تجمع المال إلا من حلال - بزعمك - للتعفف والبذل فى سبيل الله ، ولم تنفق شيئا من الحلال إلا بحق ، ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله ، ولم تسخط الله فى شىء من سرائرك وعلانيتك ويحك فإن كنت كذلك ، ولست كذلك ، فقد ينبغى لك أن ترضى بالبلغة وتعتزل ذوى الأموال إذا وقفوا للسؤال وتسق مع الرعيل الأول فى

(١) حديث « من نوقش الحساب عذب » متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم (٢) حديث « يؤتى بالرجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وأنفقه فى حرام فيقال اذهبوا به إلى النار ... الحديث » بطوله لم أقف له على أصل

زمرة المصطفى ، لا حبس عليك للمسأله والحساب ، فإما سلامة وإما عطب. فإنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يدخل صعاليك المهاجرين قبل أغنيائهم الجنة بخمسمائة عام [1] » وقال عليه السلام « يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم فيأكلون ويتمتعون والآخرون جثاة على ركبهم فيقول قبلكم طلبتى أنتم حكام الناس وملوكهم فأرونى ماذا صنعتم فيما أعطيتكم [2] » .

وبلغنا أن بعض أهل العلم قال . ما سرنى أن لى حمر النعم ولا أكون فى الرعيل الأول مع محمد عليه السلام وحزبه . ياقوم فاستبقوا السباق مع المخفين فى زمرة المرسلين عليهم السلام ، وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجل المتقين . لقد بلغنى أن بعض الصحابة وهو أبو بكر رضى الله عنه عطش فاستسقى فأتى بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خنقته العبرة ثم بكى وأبكى ، ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد فى البكاء ، فلما أكثر البكاء قيل له: أكل هذا من أجل هذه الشربة؟ قال : نعم ، بينا أنا ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه أحد فى البيت غيرى ، فجعل يدفع عن نفسه وهو يقول « إليك عنى ! » فقلت له . فداك أبى وأمى ما أرى بين يديك أحدا فمن تخاطب ؟ فقال « هذه الدنيا تطاولت إلى بعنقها ورأسها فقالت لى . يا محمد خذنى ، فقلت . إليك عنى ، فقالت . إن تنج منى يا محمد فإنه لا ينجو منى من بعدك » فأخاف أن تكون هذه قد لحقتنى تقطعنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [3] ياقوم فهؤلاء الأخيار بكوا وجلا أن تقطعهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من حلال ! ويحك أنت فى أنواع من النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الانقطاع ؟ أف لك ما أعظم جهلك ! ويحك فإن تخلفت فى القيامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد المصطفى لتنظرن إلى أهوال جزعت منها الملائكة والأنبياء ، ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق ، ولئن أردت الكثرة لتصيرن إلى حساب عسير ، ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن إلى وقوف طويل وصراخ وعويل ؛ ولئن رضيت بأحوال المتخلفين لتقطعن عن أصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم المتنعمين ، ولئن خالفت أحوال المتقين لتكونن من المحتبسين فى أهوال يوم الدين . فتدبر ويحك ما سمعت وبعد . فإن زعمت أنك فى مثال خيار السلف ، قانع بالقليل ، زاهد فى الحلال ، بذول لمالك ، مؤثر على نفسك ، لا تخشى الفقر ولا تدخر شيئا لغدك ، مبغض للتكاثر والغنى ، راض بالفقر والبلاء ، فرح بالقلة والمسكنة ، مسرور بالذل والضعة ، كاره للعلو والرفعة قوى فى أمرك لا يتغير عن الرشد قلبك ، قد حاسبت نفسك فى الله ، وحكمت أمورك كلها على ما وافق رضوان الله ولن توقف فى المسألة ، ولن يحاسب مثلك من المتقين . وإنما تجمع المال الحلال للبذل فى سبيل الله ، ويحك أيها المغرور فتدبر الأمر وأمعن النظر ! أما علمت أن ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب للذكر والتذكر والتذكار والفكر والاعتبار . أسلم للدين وأيسر للحساب وأخف للمسألة وآمن من روعات القيامة وأحزل للثواب وأعلى لقدرك عند الله أضعافا . بلغنا عن بعض الصحابة أنه قال . لو أن رجلا فى حجره دنانير يعطيها والآخر يذكر الله لكان

---

(١) حديث « يدخل صعاليك المهاجرين قبل أغنيائهم الجنة بخمسمائة عام » أخرجه الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى سعيد بلفظ « فقراء » مكان « صعاليك » ولهما وللنسائى فى الكبرى من حديث أبى هريرة « يدخل الفقراء الجنة ... الحديث » ولمسلم من حديث عبد الله بن عمر « إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء إلى الجنة بأربعين خريفا » .

(٢) حديث « يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم فيتمتعون ويأكلون ... الحديث . لم أره أصلا (٣) حديث : إن بعض الصحابة عطش فاستسقى فأتى بشربة ماء وعسل ... الحديث . فى دفع النبى صلى الله عليه وسلم الدنيا عن نفسه وقوله « إليك عنى ... الحديث » أخرجه البزار والحاكم من حديث زيد بن أرقم قال : كنا عند أبى بكر فدعا بشراب فأتى بماء وعسل ... الحديث . قال الحاكم صحيح الإسناد ، قلت بل ضعيف وقد تقدم قبل هذا الكتاب .

الذاكر أفضل . وسئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر قال تركه أبر به . وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين ، أحدهما . طلب الدنيا حلالا فأصابها ، فوصل بها رحمه وقدم لنفسه . وأما الآخر . فإنه جانبها فلم يطلبها ولم يتناولها ، فأيهما أفضل ؟ قال . بعيد والله ما بينهما الذى جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها . ويحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ، ولك فى العاجل إن تركت الاستغال بالمال ، وإن ذلك أروح لبدنك وأقل لتعبك وأنعم لعيشك وأرضى لبالك وأقل لهمومك . فما عذرك فى جمع المال وأنت بترك المال أفضل ممن طلب المال لأعمال البر ؟ نعم وشغلك بذكر الله أفضل من بذل المال فى سبيل الله فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل فى الآجل .

وبعد . فلو كان فى جمع المال فضل عظيم لوجب عليك فى مكارم الأخلاق أن تتأسى بنبيك إذ هداك الله به ، وترضى ما اختاره لنفسه من مجانبة الدنيا . ويحك ! تدبر ما سمعت وكن على يقين أن السعادة والفوز فى مجانبة الدنيا ، فسر مع لواء المصطفى سابقا إلى جنة المأوى . فإنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سادات المؤمنين فى الجنة من إذا تغدى لم يجد عشاء ، وإذا استقرض لم يجد قرضا ، وليس له فضل كسوة إلا ما يواريه ، ولم يقدر على أن يكتسب ما يغنيه ، يمسى مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه ﴿ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ [1] » ألا يا أخى متى جمعت هذا المال بعد هذا البيان فإنك مبطل فيما ادعيت أنك للبر والفضل تجمعه ، لا ! ولكنك خوفا من الفقر تجمعه ، وللنعم والزينة والتكاثر والفخر والعلو والرياء والسمعة والتعظيم والتكرمة تجمعه ، ثم تزعم انك لأعمال البر تجمع المال : ويحك راقب الله واستحى من دعواك أيها المغرور . ويحك إن كنت مفتونا بحب المال والدنيا فكن مقرا أن الفضل والخير فى الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول ، نعم وكن عند جمع المال مزريا على نفسك معترفا بإساءتك وجلا من الحساب ، فذلك أنجى لك وأقرب إلى الفضل من طلب الحجج لجمع المال . إخوانى اعلموا أن دهر الصحابة كان الحال فيه موجودا وكانوا مع ذلك من أورع الناس وأزهدهم فى المباح لهم ، ونحن فى دهر الحلال فيه مفقودا ، وكيف لنا من الحلال مبلغ القوت وستر العورة . فأما جمع المال فى دهرنا فأعاذنا الله وإياكم منه .

وبعد : فأين لنا بمثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم ؟ وأين لنا مثل ضمائرهم وحسن نياتهم ؟ دهينا ورب السماء بادواء النفوس واهوائها ، وعن قريب يكون الورود ؛ فيا سعادة المخفين يوم النشور وحزن طويل لأهل التكاثر والتخاليط ، وقد نصحت لكم إن قبلتم والقابلون لهذا قليل . وفقنا الله وإياكم فكل خير برحمته آمين . هذا آخر كلامه وفيه كفاية فى إظهار فضل الفقر على الغنى ولا مزيد عليه . ويشهد لذلك جميع الأخبار التى أوردناها فى كتاب ذم الدنيا ، وفى كتاب الفقر والزهد .

ويشهد له أيضاً ما روى عن أبى أمامة الباهلى : أن ثعلبة بن حاطب قال : يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا ، قال « يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه » قال : يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا ، قال « يا ثعلبة أما لك فى أسوة أما ترضى أن تكون مثل نبى الله تعالى ؟ أما والذى نفسى بيده لو شئت أن تسير معى الجبال ذهبا وفضة لسارت » قال : والذى بعثك بالحق نبيا لئن دعوت الله أن يرزقنى مالا لأعطين كل ذى حق حقه ، ولأفعلن ولأفعلن ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم ارزق ثعلبة مالا » فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود ، فضاقت

---

(١) حديث « سادات المؤمنين فى الجنة من اذا تغدى لم يجد عشاء ... الحديث » عزاه صاحب مسند الفردوس للطبراني من رواية أبى حازم عن أبى هريرة مختصرا لفظ « سادة الفقراء فى الجنة ... الحديث » ولم أره فى معاجم الطبراني .

عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها ، حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى الجماعة ويدع ماسواهما، ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الجماعة إلا الجمعة ، وهى تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة ، وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الأخبار فى المدينة ، وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال « مافعل ثعلبة بن حاطب ؟ » فقيل : يارسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة ؛ وأخبر بأمره كله ، فقال « ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة » قال وأنزل الله تعالى ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم ﴾ وأنزل الله تعالى فرائض الصدقة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من جهينة ورجلا من بنى سليم على الصدقة ، وكتب لهما كتابا بأخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجا فيأخذا من المسلمين : وقال « مرا بثعلبة بن حاطب وبفلان - رجل من بنى سليم - وخذا صدقاتهما : فخرجا حتى أتيا ثعلبة ، فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه إلا جزية ماهذه إلا جزية ماهذه إلا أخت الجزية ! انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا إلى فانطلقا نحو السليمى فسمع بهما فقام إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ، ثم استقبلهما بها ؛ فلما رأوها قالوا : لايجب عليك ذلك ومانريد نأخذ هذا منك ، قال بلى خذوها ، فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال : أرونى كتابكما ، فنظر فيه فقال : هذه أخت الجزية ! انطلقا حتى أرى رأيى فانطلقا حتى أتيا النبى صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال « ياويح ثعلبة » قبل أن يكلماه ودعا للسليمى فأخبراه بالذى صنع ثعلبة وبالذى صنع السليمى فأنزل الله تعالى فى ثعلبة ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ، فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون ﴾ وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة ، فسمع ماأنزل الله فيه ، فخرج حتى أتى ثعلبة فقال : لاأم لك ياثعلبة ! قد أنزل الله فيك كذا ، فخرج ثعلبة حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال « إن الله منعنى أن أقبل منك صدقتك » فجعل يحثو التراب على رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا عملك أمرتك فلم تطعنى » فلما أبى أن يقبل منه شيئا رجع إلى منزله ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بها إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فأبى أن يقبلها منه ، وجاء بها إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأبى أن يقبلها منه ، وتوفى ثعلبة بعد فى خلافة عثمان [1] فهذا طغيان المال وشؤمه وقد عرفته من هذا الحديث ، ولأجل بركة الفقر وشؤم الغنى آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر لنفسه ولأهل بيته ، حتى روى عن عمران بن حصين رضى الله عنه أنه قال : كانت لى من رسول الله منزلة وجاه فقال « ياعمران إن لك عندنا منزلة وجاها فهل لك فى عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ » فقلت : نعم بأبى أنت وأمى يارسول الله ، فقام وقمت معه حتى وقفت بباب منزل فاطمة فقرع الباب وقال « السلام عليكم أأدخل ؟ » فقالت : ادخل يارسول الله قال أنا ومن معى ؟ » قالت ومن معك يارسول الله ؟ فقال عمران بن حصين » فقالت : والذى بعثك بالحق نبيا ما على إلا عباءة ! فقال ، اصنعى بها هكذا وهكذا » وأشار بيده ، فقالت : هذا جسدى فقد واريته ، فكيف برأسى ؟ فألقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال « شدى بها على رأسك » ثم أذنت له فدخل ، فقال « السلام عليك يابنتاه كيف أصبحت ؟ » قالت : أصبحت والله وجعة وزادنى وجعا على مابى أنى لست أقدر على طعام آكله ، فقد أجهدنى الجوع ، فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « لاتجزعى يابنتاه فوالله ماذقت طعاما منذ ثلاثة ، وإنى لأكرم على الله منك ولو سألت ربى لأطعمنى ، ولكنى آثرت الآخرة على الدنيا

(١) حديث أبى أمامة : أن ثعلبة بن حاطب قال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا قال « ياثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لاتطيقه ... الحديث بطوله » أخرجه الطبرانى بسند ضعيف .

ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها « أبشرى فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة » فقالت : فأين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران ؟ فقال « آسية سيدة نساء عالمها ، ومريم سيدة نساء عالمها ، وخديجة سيدة نساء عالمها ، وأنت سيدة نساء عالمك ، إنكن فى بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب » ثم قال لها « اقنعى بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا فى الدنيا سيدا فى الآخرة [1] » فانظر الآن إلى حال فاطمة رضى الله عنها وهى بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف آثرت الفقر وتركت المال . ؟ ومن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم وما ورد من أخبارهم وآثارهم ، لم يشك فى أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات ؛ إذ أقل ما فيه من أداء الحقوق والتوقى من الشبهات والصرف إلى الخيرات اشتغال الهم بإصلاحه وانصرافه عن ذكر الله ، إذ لا ذكر إلا مع الفراغ ، ولا فراغ مع شغل المال .

وقد روى عن جرير عن ليث قال : صحب رجل عيسى ابن مريم عليه السلام فقال : أكون معك وأصحابك ، فانطلقا فانتهيا إلى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة ، فأكلا رغيفين وبقى رغيف ثالث ، فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف ، فقال للرجل : من أخذ الرغيف ؟ فقال : لا أدرى ، قال : فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية ومعها خشفان لها ، قال : فدعا أحدهما فأتاه ، فذبحه فاشتوى منه فأكل هو وذلك الرجل ، ثم قال للخشف : قم بإذن الله فقام فذهب ، فقال للرجل : أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف ؟ فقال : لا أدرى ، ثم انتهيا إلى وادى ماء ، فأخذ عيسى بيد الرجل فمشيا على الماء ، فلما جاوزا قال له أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف ؟ فقال لا أدرى ، فانتهيا إلى مفازة فجلسا ، فأخذ عيسى عليه السلام يجمع ترابا وكثيبا ثم قال كن ذهبا بإذن الله تعالى ، فصار ذهبا ، فقسمه ثلاثة أثلاث ثم قال ثلث لى وثلث لك وثلث لمن أخذ الرغيف ، فقال أنا الذى أخذت الرغيف ، فقال كله لك ، وفارقه عيسى عليه السلام ، فانتهى إليه رجلان فى المفازة ومعه المال فأرادا أن يأخذاه منه ويقتلاه ، فقال هو بيننا أثلاثا ، فابعثوا أحدكم إلى القرية حتى يشترى لنا طعاما نأكله ، قال فبعثوا أحدهم فقال الذى بعث لأى شىء أقاسم هؤلاء هذا المال ؟ لكنى أضع فى هذا الطعام سما فأقتلهما وآخذ المال وحدى ، قال ففعل ، وقال ذانك الرجلان لأى شئ نجعل لهذا ثلث المال ؟ ولكن إذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا ، قال فلما رجع إليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا ، فبقى ذلك المال فى المفازة وأولئك الثلاثة عنده قتلى ، فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحالة فقال لأصحابه هذه الدنيا فاحذروها .

وحكى أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس بأيديهم شىء مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احفتروا قبورا ، فإذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم ، وقد قيض لهم فى ذلك معايش من نبات الأرض ، وأرسل ذو القرنين إلى ملكهم فقال له أجب ذو القرنين ، فقال مالى إليه حاجة ، فإن كان له حاجة فليأتنى ! فقال ذو القرنين صدق فأقبل إليه ذو القرنين وقال له أرسلت إليك لتأتينى فأبيت ، فها أنا قد جئت ، فقال لو كان لى إليك حاجة لأتيتك ، فقال له ذو القرنين مالى أراكم على حالة لم أر أحدا من الأمم عليها ؟ قال وما ذاك ؟ قال ليس لكم دنيا ولا شىء أفلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما ؟ قالوا إنما كرهناهما

---

(١) حديث عمران بن حصين : كانت لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاء فقال « فهل لك فى عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث بطوله وفيه « لقد زوجتك سيدا فى الدنيا وسيدا فى الآخرة » لم أجده من حديث عمران ، ولأحمد والطبرانى من حديث معقل بن يسار : وضأت النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال « هل لك فى فاطمة تعودها ... الحديث » وفيه « أما ترضين أن زوجتك أقدم أمتى سلما وأكثرهم علما وأعظمهم حلما وإسناده صحيح .

لأن أحدا لم يعط منهما شيئا إلا تاقت نفسه ودعته إلى ماهو أفضل منه . فقال ما بالكم قد احتفرتم قبورا فإذا أصبحتم تعاهدتموها فكنستموها وصليتم عندها ؟ قالوا أردنا إذا نظرنا إليها وأملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الأمل . قال وأراكم لاطعام لكم إلا البقل من الأرض ، أفلا اتخذتم البهائم من الأنعام فاحتلبتموها وركبتموها فاستمتعتم بها ؟ قالوا كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا فى نبات الأرض بلاغا وإنما يكفى ابن أدنى العيش من الطعام وإنما ماجاوز الحنك من الطعام لم نجد له طعما كائنا ما كان من الطعام ؟ ثم بسط ملك تلك الأرض يده خلف ذى القرنين فتناول جمجمة ؛ فقال : ياذا القرنين أتدرى من هذا ؟ قال : لا ؛ ومن هو ؟ قال : ملك من ملوك الأرض أعطاه الله سلطانا على أهل الأرض فغشم وظلم وعتا ؛ فلما رأى الله سبحانه ذلك منه جسمه بالموت فصار كالحجر الملقى ؛ وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى آخرته . ثم تناول جمجمة أخرى بالية فقال : ياذا القرنين هل تدرى من هذا ؟ قال : لاأدرى ومن هو ؟ قال : هـــذا ملك ملكه الله بعده ؛ قد كان يرى مايصنع الذى قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر ؛ فتواضع وخشع لله عز وجل وأمر بالعدل فى أهل مملكته ؛ فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله ، حتى يجزيه به فى آخرته . ثم أهوى إلى جمجمة ذى القرنين فقال . وهذه الجمجمة قد كانت كهذين فانظر ياذا القرنين ماأنت صانع ؟ فقال له ذو القرنين : هل لك فى صحبتى فاتخذك أخا ووزيرا وشريكا فيما آتانى الله من هذا المال ؟ قال : ماأصلح أنا وأنت فى مكان ولا أن نكون جميعا ، قال ذو القرنين : ولم ؟ قال : من أجل أن الناس كلهم لك عدو ولى صديق ، قال : ولم ؟ قال : يعادونك لما فى يديك من الملك والمال والدنيا ! ولا أجد أحداً يعادينى لرفضى لذلك ولما عندى من الحاجة وقلة الشىء ، قال : فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به ، فهذه الحكايات تدلك على آفات الغنى مع ماقدمناه من قبل وبالله التوفيق .

تم كتاب ذم المال والبخل بحمد الله تعالى وعونه ، ويليه كتاب ذم الجاه والرياء

كتاب ذم الجاه والرياء

وهو الكتاب الثامن من ربع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله علام الغيوب ، المطلع على سرائر القلوب ، المتجاوز عن كبائر الذنوب ، العالم بما تجنه الضمائر من خفايا الغيوب ، البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات ، الذى لايقبل من الأعمال إلا ما كمل ووفى ، وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفا ، فإنه المنفرد بالملكوت ، فهو أغنى الأغنياء عن الشرك . والصلاة والسلام على محمد وآله وأصحابه المبرئين من الخيانة والإفك ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد : فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ أخوف ماأخاف على أمتى الرياء والشهوة الخفية التى هى أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء [1] » ولذلك عجز عن الوقوف على غوائلها سماسرة

كتاب ذم الجاه والرياء

(١) حديث « إن أخوف ما أخاف على أمتى الرياء والشهوة الخفية » أخرجه ابن ماجه والحاكم من حديث شداد بن أوس وقالا « الشرك » بدل « الرياء » وفسراه بالرياء قال الحاكم صحيح الإسناد ، قلت بل ضعيف وهو عند ابن المبارك فى الزهد ومن طريقه عند البيهقى فى الشعب بلفظ المصنف .

العلماء فضلا عن عامة العباد والأتقياء ، وهو من أواخر غوائل النفس وبواطن مكايدها . وإنما يبتلى به العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة ، فإنهم مهما قهروا أنفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على أصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع فى المعاصى الظاهرة الواقعة على الجوارح ، فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير وإظهار العمل والعلم ؛ فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ونظرهم إليه بعين الوقار والتعظيم ، فسارعت إلى إظهار الطاعة وتوصلت إلى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق ، وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده ، وعلمت أنهم إذا عرفوا تركه الشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله مشاق العبادات أطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء وبالغوا فى التقريظ والإطراء ونظروا إليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا فى بركة دعائه ، وحرصوا على اتباع رأيه وفاتحوه بالخدمة والسلام ، وأكرموه فى المحافل غاية الإكرام ، وسامحوه فى البيع والمعاملات ، وقدموه فى المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس ، وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له فى أغراضه موقرين ، فأصابت النفس فى ذلك لذة هى أعظم اللذات وشهوة هى أغلب الشهوات ، فاستحقرت فيه ترك المعاصى والهفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لإدراكها فى الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات ، فهو يظن أن حياته بالله وبعبادته المرضية ، وإنما حياته بهذه الشهوة الخفية التى تعمى عن دركها العقول النافذة القوية ، ويرى أنه مخلص فى طاعة الله ومجتنب لمحارم الله ، والنفس قد أبطنت هذه الشهوة تزييناً للعباد وتصنعا للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة والوقار ، وأحبطت بذلك ثواب الطاعات وأجور الأعمال ، وقد أثبتت اسمه فى جريدة المنافقين وهو يظن أنه عند الله من المقربين . وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون ، ومهواة لا يرقى منها إلا المقربون ، ولذلك قيل : آخر ما يخرج من رءوس الصديقين حب الرياسة .

وإذا كان الرياء هو الداء الدفين الذى هو أعظم شبكة للشياطين ، وجب شرح القول فى سببه وحقيقته ودرجاته وأقسامه وطرق معالجته والحذر منه ، ويتضح الغرض منه فى ترتيب الكتاب على شطرين ؛ الشطر الأول : فى حب الجاه والشهرة ، وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول ، وبيان ذم الجاه ، وبيان معنى الجاه وحقيقته ، وبيان السبب فى كونه محبوبا أشد من حب المال ، وبيان أن الجاه كمال وهمى وليس بكمال حقيقى ، وبيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم ، وبيان السبب فى حب المدح والثناء وكراهية الذم . وبيان العلاج فى حب الجاه وبيان علاج حب المدح ، وبيان علاج كراهة الذم ، وبيان اختلاف أحوال الناس فى المدح والذم . فهى اثنا عشر فصلا منها تنشأ معانى الرياء ، فلا بد من تقديمها والله الموفق للصواب بلطفه ومنه وكرمه .

بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت

اعلم أصلحك الله أن أصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم ، بل المحمود الخمول إلا من شهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه . قال أنس رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسب امرئ من الشر أن يشير الناس إليه بالأصابع فى دينه ودنياه إلا من عصمه الله [1] » وقال جابر بن عبد الله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بحسب المرء من الشر إلا من عصمه الله من السوء أن يشير الناس إليه

(١) حديث أنس « حسب امرئ من الشر إلا من عصمه أن يشير الناس اليه بالأصابع فى دينه ودنياه » أخرجه البيهقى فى الشعب بسند ضعيف .

بالأصابع فى دينه ودنياه . إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم[1] » ولكن ذكر الحسن رحمه الله الحديث تأويلا ، ولا بأس به ، إذ روى هذا الحديث فقيل له : يا أبا سعيد إن الناس إذا رأوك أشاروا إليك بالأصابع ، فقال : إنه لم يعن هذا وإنما عنى به المبتدع فى دينه والفاسق فى دنياه وقال على كرم الله وجهه : تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر ، وتعلم واكتم ، واصمت تسلم ، تسر الأبرار وتغيظ الفجار . وقال إبراهيم ابن أدهم رحمه الله : ماصدق الله من أحب الشهرة . وقال أيوب السختيانى : والله ماصدق الله عبد إلا سره أن لايشعر بمكانه . وعن خالد بن معدان . أنه كان إذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة . وعن أبى العالية . أنه كان إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة قام . ورأى طلحة قوما يمشون معه نحواً من عشرة ، فقال : ذباب طمع وفراش نار . وقال سليم بن حنظلة : بينا نحن حول أبى بن كعب نمشى خلفه إذ رآه عمر فعلاه بالدرة . فقال انظر ياأمير المؤمنين ماتصنع ؟ فقال : إن هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وعن الحسن قال : خرج ابن مسعود يوما من منزله فاتبعه ناس فالتفت إليهم فقال : علام تتبعونى فوالله لو تعلمون ما أغلق عليه بابى ما اتبعنى منكم رجلان ؟ وقال الحسن : إن خفق النعال حول الرجال قلما تلبث عليه قلوب الحمق . وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال : هل لكم من حاجة ؟ وإلا فما عسى أن يبقى هذا من قلب المؤمن . وروى أن رجلا صحب ابن محيريز فى سفر فلما فارقه قال : أوصنى ، فقال : إن استطعت أن تعرف ولا تعرف وتمشى ولا يمشى إليك وتسأل ولا تسئل فافعل . وخرج أيوب فى سفر فشيعه ناس كثيرون فقال : لولا أنى أعلم أن الله يعلم من قلبى أنى لهذا كاره لخشيت المقت من الله عز وجل . وقال معمر : عاتبت أيوب على طول قميصه فقال . إن الشهرة فيما مضى كانت فى طوله وهى اليوم فى تشميره . وقال بعضهم : كنت مع أبى قلابة إذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال : إياكم وهذا الحمار الناهق ! يشير به إلى طلب الشهرة . وقال الثورى : كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والثياب الرديئة إذ الأبصار تمتد اليهما جميعا . وقال رجل لبشر بن الحارث . أوصنى ، فقال أخمل ذكرك وطيب مطعمك . وكان حوشب يبكى ويقول : بلغ اسمى مسجد الجامع . وقال بشر : ما أعرف رجلا أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضح . وقال أيضاً : لايجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس . رحمة الله عليه وعليهم أجمعين ،

بيان فضيلة الخمول

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رب أشعث أغبر ذى طمرين لايؤبه له لو أقسم على الله لأبره[2] منهم البراء بن مالك » وقال ابن مسعود : قال النبى صلى الله عليه وسلم « رب ذى طمرين لايؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إنى أسألك الجنة لأعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا[3] » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا

---

(١) حديث جابر « بحسب امرئ من الشر ... الحديث » مثله وزاد فى آخره « إن الله لاينظر إلى صوركم ... الحديث » هو غير معروف من حديث جابر معروف من حديث أبى هريرة رواه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب بسند ضعيف مقتصرين على أوله ورواه مسلم مقتصرا على الزيادة التى فى آخره ، وروى الطبرانى والبيهقى فى الشعب أوله من حديث عمران بن حصين بلفظ « كفى بالمرء إثما » ورواه ابن يونس فى تاريخ الغرباء من حديث ابن عمر بلفظ « هلاك بالرجل » وفسر دينه بالبدعة ودنياه بالفسق وإسنادهما ضعيف

(٢) حديث « رب أشعث أغبر ذى طمرين لايؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة « رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره » وللحاكم « رب أشعث أغبر ذى طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره » وقال صحيح الإسناد ولأبى نعيم فى الحلية من حديث أنس ضعيف « رب ذى طمرين لايؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك » وهو عند الحاكم نحوه بهذه الزيادة وقال صحيح الإسناد قلت بل ضعيف (٣) حديث ابن مسعود « رب ذى طمرين لايؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إنى أسألك الجنة لأعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا » أخرجه ابن أبى الدنيا ومن طريقه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس بسند ضعيف .

أدلكم على أهل الجنة : كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبرّه وأهل النار كل متكبر مستكبر جواظ [١] » وقال أبو هريرة : قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذى طمرين لايؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم وإذا خطبوا النساء لم ينكحوا وإذا قالوا لم ينصت لقولهم حوائج أحدهم تتخلل فى صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم » وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « إن من أمتى من لو أتى أحدكم يسأله دينارا لم يعطه إياه ولو سأله درهما لم يعطه إياه ولو سأله فلسا لم يعطه إياه ، ولو سأل الله الجنة لأعطاه إياها ، ولو سأله الدنيا لم يعطه إياها ، وما منعها إياه إلا لهوانها عليه ، رب ذى طمرين لايؤبه له لو أقسم على الله لأبره [٢] » وروى أن عمر رضى الله عنه دخل المسجد فرأى معاذ بن جبل يبكى عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مايبكيك فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنّ اليسير من الرياء شرك وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة [٣] »

وقال محمد بن سويد : قحط أهل المدينة وكان بها رجل صالح لايؤبه له ملازم لمسجد النبى صلى الله عليه وسلم ، فبينما هم فى دعائهم إذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين أوجز فيهما ثم بسط يديه فقال : يارب أقسمت عليك إلا أمطرت علينا الساعة ! فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشت السماء بالغمام ، وأمطروا حتى صاح أهل المدينة من مخافة الغرق ، فقال : يارب إن كنت تعلم أنهم قد اكتفوا فارفع عنهم ، وسكن ، وتبع الرجل صاحبه الذى استسقى حتى عرف منزله ، ثم بكر عليه فخرج إليه فقال إنى أتيتك فى حاجة ! فقال ماهى ؟ قال تخصنى بدعوة ، قال : سبحان الله ! أنت أنت وتسألنى أن أخصك بدعوة ؟ ثم قال ماالذى بلغك مارأيت ؟ قال : أطعت الله فيما أمرنى ونهانى فسألت الله فأعطانى . وقال ابن مسعود : كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى ، أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب ، تعرفون فى أهل السماء وتخفون فى أهل الأرض . وقال أبو أمامة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى . إن أغبط أوليائى عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه فى السر كان غامضا فى الناس لايشار إليه بالأصابع ثم صبر على ذلك » قال : ثم نقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فقال « عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه [٤] » وقال عبدالله بن عمر رضى الله تعالى عنهما . أحب عباد الله إلى الله الغرباء ، قيل : ومن الغرباء ، قال : الفارّون بدينهم يجتمعون يوم القيامة إلى المسيح عليه السلام . وقال الفضيل بن عياض : بلغنى أن الله تعالى يقول فى بعض مايمن به على عبده ؛ ألم أنعم عليك ! ألم أسترك ! ألم أخمل ذكرك ! وكان الخليل بن أحمد يقول : اللهم اجعلنى عندك من أرفع خلقك ، واجعلنى عند نفسى من أوضع خلقك ، واجعلنى عند الناس من أوسط خلقك . وقال الثورى : وجدت قلبى يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء أصحاب قوت وعناء . وقال إبراهيم بن أدهم : ماقرّت عينى يوما فى الدنيـــا قط إلا مرة ، بت ليلة فى بعض مساجد قرى الشام وكان بى البطن ، فجرّنى المؤذن برجلى حتى أخرجنى من المسجد . وقال الفضيل : إن قدرت على أن لاتعرف فافعل ،

---

(١) حديث « ألا أدلكم على أهل الجنة : كل ضعيف مستضعف ... الحديث » متفق عليه من حديث حارثة بن وهب

(٢) حديث « إن من أمتى من لو أتى أحدكم فسأله دينارا لم يعطه إياه ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث ثوبان بإسناد صحيح دون قوله « ولو سأله الدنيا لم يعطه إياها وما منعها إياه الا لهوانها عليه » .

(٣) حديث معاذ بن جبل « إن اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الأتقياء الأخفياء ... الحديث » أخرجه الطبرانى والحاكم واللفظ له وقال صحيح الإسناد ، قلت بل ضعيف فيه عيسى بن عبد الرحمن وهو الزرقى متروك (٤) حديث أبى أمامة « إن أغبط أوليائى عندى مؤمن خفيف الحاذ ... الحديث » أخرجه الترمذى وابن ماجه بإسنادين ضعيفين .

وما عليك أن لاتعرف وما عليك أن لايثنى عليك وما عليك أن تكون مذموما عند الناس إذا كنت محمودا عندالله تعالى ؟ فهذه الآثار والأخبار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول . وإنما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة فى القلوب ، وحب الجاه هو منشأ كل فساد .

فإن قلت : فأى شهرة تزيد على شهرة الأنبياء والخلفاء الراشدين وأئمة العلماء ! فكيف فاتهم فضيلة الخمول ؟ فاعلم أن المذموم طلب الشهرة ، فأما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من العبد فليس بمذموم . نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الأقوياء ، وهم كالغريق الضعيف إذا كان معه جماعة من الغرقى فالأولى به أن لايعرفه أحد منهم فإنهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم ، وأما القوى فالأولى أن يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب على ذلك .

بيان ذم الجاه ومعناه

قال الله تعالى ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا ﴾ جمع بين إرادة الفساد والعلو ، وبين أن الدار الآخرة للخالى عن الإرادتين جميعا . وقال عز وجل ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون . أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾ وهذا أيضا متناول بعمومه لحب الجاه فإنه أعظم لذة من لذات الحياة الدنيا وأكثر زينة من زينتها . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب المال والجاه ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « ماذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم بأسرع إفسادا من حب الشرف والمال فى دين الرجل المسلم [2] » وقال صلى الله عليه وسلم لعلى كرم الله وجهه « إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء [3] » نسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه .

بيان معنى الجاه وحقيقته

اعلم أن الجاه والمال هما ركنا الدنيا . ومعنى المال ملك الأعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها . وكما أن الغنى هو الذى يملك الدراهم والدنانير ، أى يقدر عليهما ليتوصل بهما إلى الأغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس ، فكذلك ذو الجاه هو الذى يملك قلوب الناس ، أى يقدر على أن يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها أربابها فى أغراضه ومآربه . وكما أنه يكتسب الأموال بأنواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بأنواع من المعاملات ، ولا تصير القلوب مسخرة إلا بالمعارف والاعتقادات ، فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من أوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاد القلب وبحسب درجة ذلك الكمال عنده ، وليس يشترط أن يكون الوصف كمالا فى نفسه بل يكفى أن يكون كمالا عنده وفى اعتقاده ، وقد يعتقد ماليس كمالا كمالا ، ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده ، فإن انقياد القلب حال للقلب . وأحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها ، وكما أن محب المال يطلب ملك الأرقاء والعبيد

---

(١) حديث « المال والجاه ينبتان النفاق ... الحديث » تقدم فى أول هذا الباب ولم أجده (٢) حديث « ماذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم ... الحديث » تقدم أيضاً هناك (٣) حديث « إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء » لم أره بهذا اللفظ وقد تقدم فى العلم من حديث أنس « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع ... الحديث » ولأبى منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس بسند ضعيف « حب الثناء من الناس يعمى ويصم »

فطالب الجاه يطلب أن يسترق الأحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم ، بل الرق الذى يطلبه صاحب الجاه أعظم ، لأن المالك يملك العبد قهرا والعبد متأب بطبعه ، ولو خلى ورأيه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبغى أن تكون له الأحرار عبيدا بالطبع والطوع ، مع الفرح بالعبودية والطاعة له ، فما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير . فإذاً معنى الجاه : قيام المنزلة فى قلوب الناس ، أى اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه ، فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم ، وبقدر إذعان القلوب تكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته على القلوب يكون فرحه وحبه للجاه . فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والإطراء ، فإن المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده ، فيثنى عليه ، وكالخدمة والإعانة فإنه لا يبخل ببذل نفسه فى طاعته بقدر اعتقاده فيكون مسخرة له مثل العبد فى أغراضه ، وكالإيثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر فى المحافل والتقديم فى جميع المقاصد ، فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه فى القلب ومعنى قيام الجاه فى القلب اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال فى الشخص إما بعلم أو عبادة أو حسن خلق أو نسب أو ولاية أو جمال فى صورة أو قوة فى بدن أو شىء مما يعتقده الناس كمالا ، فإن هذه الأوصاف كلها تعظم محله فى القلوب فتكون سببا لقيام الجاه والله تعالى أعلم .

بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب إلا بشديد المجاهدة

اعلم أن السبب الذى يقتضى كون الذهب والفضه وسائر أنواع الأموال محبوبا هو بعينه يقتضى كون الجاه محبوبا ، بل يقتضى أن يكون أحب من المال ، كما يقتضى أن يكون الذهب أحب من الفضة مهما تساويا فى المقدار ، وهو أنك تعلم أن الدراهم والدنانير لا غرض فى أعيانهما إذ لا تصلح لمطعم ولا مشرب ولا منكح ولا ملبس ، وإنما هى والحصباء بمثابة واحدة ، ولكنهما محبوبان لأنهما وسيلة إلى جميع المحاب وذريعة إلى قضاء الشهوات ، فكذلك الجاه لأن معنى الجاه ملك القلوب ، وكما أن ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الإنسان بها إلى سائر أغراضه ، فكذلك ملك القلوب من الأحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة على التوصل إلى جميع الأغراض ، فالاشتراك فى السبب اقتضى الاشتراك فى المحبة ، وترجيح الجاه على المال اقتضى أن يكون الجاه أحب من المال ، ولملك الجاه ترجيح على ملك المال من ثلاثة أوجه .

الأول : أن التوصل بالجاه إلى المال أيسر من التوصيل بالمال إلى الجاه ، فالعالم أو الزاهد الذى تقرر له جاه فى القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له ، فإن أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال ، وأما الرجل الخسيس الذى لا يتصف بصفة كمال إذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله وأراد أن يتوصل بالمال إلى الجاه لم يتيسر له ، فإذاً الجاه آلة ووسيلة إلى المال ، فمن ملك الجاه فقد ملك المال ، ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال ، فلذلك صار الجاه أحب .

الثانى : هو أن المال معرض للبلوى والتلف بأن يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ، ويحتاج فيه إلى الحفظة والحراس والخزائن ، ويتطرق إليه أخطار كثيرة ، وأما القلوب إذا ملكت فلا تتعرض لهذه الآفات فهى على التحقيق خزائن عتيدة ، لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها أيدى النهاب والغصاب ، وأثبت الأموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغنى عن المراقبة والحفظ ، وأما خزائن القلوب فهى محفوظة محروسة بأنفسها ، والجاه فى أمن وأمان من الغصب والسرقة فيها . نعم إنما تغصب القلوب بالتصريف وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من أوصاف الكمال ، وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاوله فعله .

الثالث : أن ملك القلوب يسرى وينمى ويتزايد من غير حاجة إلى تعب ومقاساة ، فإن القلوب إذا أذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم أو عمل أو غيره أفصحت الألسنة لا محالة بما فيها ، فيصف ما يعتقده لغيره ويقتنص ذلك القلب أيضاً له ، ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر . لأن ذلك إذا استطار فى الأقطار اقتنص القلوب ودعاها إلى الإذعان والتعظيم ، فلا يزال يسرى من واحد إلى واحد ويتزايد وليس له مردّ معين ، وأما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه ولا يقدر على استنمائه إلا بتعب ومقاساة ، والجاه أبداً فى النماء بنفسه ولا مرد لموقعه والمال واقف ، ولهذا إذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الألسنة بالثناء استحقرت الأموال فى مقابلته ، فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال . وإذا فصلت كثرت وجوه الترجيح .

فإن قلت فالإشكال قائم فى المال والجاه جميعا فلا ينبغى أن يحب الإنسان المال والجاه . نعم القدر الذى يتوصل به إلى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم، كالمحتاج إلى الملبس والمسكن والمطعم أو كالمبتلى بمرض أو بعقوبة إذا كان لا يتوصل إلى دفع العقوبة عن نفسه إلا بمال أو جاه ، فحبه المال والجاه معلوم ، إذ كل مالا يتوصل إلى المحبوب إلا به فهو محبوب ، وفى الطباع أمر عجيب وراء هذا وهو حب جمع الأموال وكنز الكنوز وادخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات ، حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لا يبتغى لهما ثالثا ، وكذلك يحب الإنسان اتساع الجاه وانتشار الصيت إلى أقاصى البلاد التى يعلم قطعا أنه لا يطؤها ولا يشاهد أصحابها ، ليعظموه أو ليبروه بمال أو ليعينوه على غرض من أغراضه ؛ ومع اليأس من ذلك فإنه يلتذ به غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت فى الطبع ، ويكاد يظن أن ذلك جهل فإنه حب لما لا فائدة فيه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ؟ فنقول : نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب . وله سببان ؟ أحدهما : جلى تدركه الكافة . والآخر : خفى وهو أعظم السببين ولكنه أدقهما وأخفاهما وأبعدهما عن أفهام الأذكياء فضلا عن الأغبياء ، وذلك لاستمداده من عرق خفى فى النفس وطبيعة مستكنة فى الطبع لا يكاد يقف عليها إلا الغواصون .

فأما السبب الأول : فهو دفع ألم الخوف ، لأن الشفيق بسوء الظن مولع ، والإنسان وإن كان مكفيا فى الحال فإنه طويل الأمل ويخطر بباله أنّ المال الذى فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج إلى غيره ، فإذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع ألم الخوف إلا الأمن الحاصل بوجود مال آخر يفزع إليه إن أصابت هذا المال جائحة، فهو أبدا لشفقته على نفسه وحبه للحياة يقدّر طول الحياة ؛ ويقدر هجوم الحاجات ؛ ويقدّر إمكان تطرق الآفات إلى الأموال ، ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال ، حتى إن أصيب بطائفة من ماله استغنى بالآخر ، وهذا خوف لا يوقف له على مقدار مخصوص من المال ، فلذلك لم يكن لمثله موقف إلى أن يملك جميع ما فى الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال [1] » ومثل هذه العلة تطرد فى حبه قيام المنزلة والجاه فى قلوب الأباعد عن وطنه وبلده ، فإنه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن أو يزعج أولئك عن أوطانهم إلى وطنه ، ويحتاج إلى الاستعانة بهم ؛ ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه إليهم مستحيلا لحالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه فى قلوبهم لما فيه من الأمن من هذا الخوف .

---

(١) حديث « منهومان لا يشبعان ... الحديث » أخرجه الطبرانى من حديث ابن مسعود بسند ضعيف والبزار والطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس بسند لين وقد تقدم

وأما السبب الثانى وهو الأقوى : لأن الروح أمر ربانى ، به وصفه الله تعالى إذ قال سبحانه ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ﴾ أو معنى كونه ربانيا أنه من أسرار علوم المكاشفة ولا رخصة فى إظهاره إذا لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم أن للقلب ميلا إلى صفات بهيمية كالأكل والوقاع ، وإلى صفات سبعية كالقتل والضرب والإيذاء ؛ وإلى صفات شيطانية كالمكر والخديعة والإغواء ، وإلى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلاء ، وذلك لأنه مركب من أصول مختلفة يطول شرحها وتفصيلها ، فهو لما فيه من الأمر الربانى يحب الربوبية بالطبع ، ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال . فصار الكمال من صفات الإلهية فصار محبوبا بالطبع للإنسان ، والكمال بالتفرد بالوجود فإن المشاركة فى الوجود نقص لامحالة ، فكمال الشمس فى أنها موجودة وحدها ، فلو كان معها شمس أخرى لكان ذلك نقصا فى حقها ، إذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية ، والمنفرد بالوجود هو الله تعالى إذ ليس معه موجود سواه ، فإن ماسواه أثر من آثار قدرته لاقوام له بذاته ، بل هو قائم به ، فلم يكن موجوداً معه لأن المعية توجب المساواة فى الرتبة ، والمساواة فى الرتبة نقصان فى الكمال ، بل الكامل من لا نظير له فى رتبته . وكما أن إشراق نور الشمس فى أقطار الآفاق ليس نقصانا فى الشمس بل هو من جملة كمالها ، وإنما نقصان الشمس بوجود شمس أخرى تساويها فى الرتبة مع الاستغناء عنها ، فكذلك وجود كل مافى العالم يرجع إلى إشراق أنوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون متبعا فإذن معنى الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال . وكل إنسان فإنه بطبعه محب لأن يكون هو المنفرد بالكمال ، ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية : مامن إنسان إلا وفى باطنه ماصرح به فرعون من قوله ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ ولكنه ليس يجد له مجالا وهو كما قال ، فإن العبودية قهر على النفس . والربوبية محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية التى أومأ اليها قوله تعالى ﴿ قل الروح من أمر ربى ﴾ ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال ، فهى محبة للكمال ومشتهية له وملتذة به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال ، وكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ؛ ومبغض للهلاك الذى هو عدم ذاته أو عدم صفات الكمال من ذاته . وإنما الكمال بعد أن يسلم التفرد بالوجود فى الاستيلاء على كل الموجودات ؛ فإن أكمل الكمال أن يكون وجود غيرك منك فان لم يكن منك فان تكون مستوليا عليه ، فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع ، لأنه نوع كمال . وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذ به ، إلا أن الاستيلاء على الشىء بالقدرة على التأثير فيه ، وعلى تغييره بحسب الإرادة وكونه مسخراً لك تردده كيف تشاء ، فأحب الإنسان أن يكون له استيلاء على كل الأشياء الموجودة معه . إلا أن الموجودات منقسمة إلى مالا يقبل التغيير فى نفسه كذات الله تعالى وصفاته . وإلى مايقبل التغيير ولكن لايستولى عليه قدرة الخلق ، كالأملاك والكواكب وملكوت السموات ونفوس الملائكة والجن والشياطين ؛ وكالجبال والبحار . وإلى مايقبل التغيير بقدرة العبد كالأرض وأجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس ، فانها قابلة للتأثير والتغيير مثل أجسادهم وأجساد الحيوانات .

وإذا انقسمت الموجودات إلى مايقدر الإنسان على التصرف فيه كالأرضيات ، وإلى ما لا يقدر عليه كذات الله تعالى والملائكة والسموات ، أحب الإنسان أن يستولى على السموات بالعلم والإحاطة والاطلاع على أسرارها فإن ذلك نوع استيلاء ؛ إذ المعلوم المحاط به كالداخل تحت العلم ، والعالم كالمستولى عليه ، فلذلك أحب أن يعرف

(١) حديث : أنه صلى الله عليه وسلم لم يظهر سر الروح أخرجه البخارى من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

الله تعالى والملائكة والأفلاك والكواكب ، وجميع عجائب السموات ،وجميع عجائب البحار والجبال وغيرها لأن ذلك نوع استيلاء عليها ، والاستيلاء نوع كمال . وهذا يضاهي اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة إلى معرفة طريق الصنعة فيها ، كمن يعجز عن وضع الشطرنج ، فأنه قد يشتهي أن يعرف اللعب به وأنه كيف وضع ؟ وكمن يرى صنعة عجيبة في الهندسة أو الشعبذة أو جر الثقيل أو غيره وهو مستشعر في نفسه بعض العجز والقصور عنه ولكنه يشتاق إلى معرفة كيفيته فهو متألم ببعض العجز متلذذ بكمال العلم إن علمه .

وأما القسم الثاني : وهو الأرضيات التي يقدر الإنسان عليها ، فانه يحب بالطبع أن يستولي عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان : أجساد وأرواح

(أما الأجساد) فهي الدراهم والدنانير والأمتعة فيحب أن يكون قادرا عليها يفعل فيها ماشاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع، فان ذلك قدرة والقدرة كمال ، والكمال من صفات الربوبية ، والربوبية محبوبة بالطبع ، فلذلك أحب الأموال وإن كان لايحتاج إليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه ، وبذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد الأشخاص الأحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف في أجسادهم وأشخاصهم بالاستسخار ، وإن لم يملك قلوبهم ، فإنها ربما لم تعتقد كماله حتى يصير محبوبا لها ويقوم القهر منزلته فيها ، فان الحشمة القهرية أيضاً لذيذة لما فيها من القدرة .

(القسم الثاني) نفوس الآدميين وقلوبهم وهي أنفس ماعلى وجه الأرض ، فهو يحب أن يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفة تحت إشارته وإرادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوبية ، والقلوب إنما تتسخر بالحب ولا تحب إلا باعتقاد الكمال ، فان كل كمال محبوب لأن الكمال من الصفات الإلهية والصفات الإلهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الإنسان ، وهو الذي لايبليه الموت فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله ، فإنه محل الإيمان والمعرفة وهو الواصل إلى لقاء الله تعالى والساعي إليه فإذن معنى الجاه تسخير القلوب ، ومن تسخرت له القلوب كانت له قدرة واستيلاء عليها ، والقدرة والاستيلاء كمال وهو من أوصاف الربوبية . فإذن محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة ، والمال والجاه من أسباب القدرة ، ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات ، وما دام يبقى معلوم ، أو مقدور فالشوق لايسكن والنقصان لايزول . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « منهومان لايشبعان » فإذن مطلوب القلوب الكمال ، والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور ، فسرور كل إنسان ولذته بقدر مايدركه من الكمال ، فهذا هو السبب في كون العلم والمال والجاه محبوبا ، وهو أمر وراء كونه محبوبا لأجل التوصل إلى قضاء الشهوات فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات ، بل يحب الإنسان من العلوم مالا يصلح للتوصل به الى الأغراض ، بل ربما يفوت عليه جملة من الأغراض والشهوات ، ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع العجائب والمشكلات ، لأن في العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من صفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع ، إلا أن في حب كمال العلم والقدرة أغاليط لابد من بيانها إن شاء الله تعالى .

بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لاحقيقة له

قد عرفت أنه لا كمال بعد فوات التفرد بالوجود إلا في العلم والقدرة ، ولكن الكمال الحقيقي فيه متلبس بالكمال الوهمي ، وبيانه أن كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة أوجه : (أحدها) من حيث كثرة المعلومات وسعتها ، فإنه محيط

بجميع المعلومات ، فلذلك كلما كانت علوم العبد أكثر كان أقرب إلى الله تعالى (الثانى) من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ماهو به ، وكون المعلوم مكشوفا به كشفا تاما ، فإن المعلومات مكشوفة لله تعالى بأتم أنواع الكشف على ماهى عليه ، فلذلك مهما كان علم العبد أوضح وأيقن وأصدق وأوفق للمعلوم فى تفاصيل صفات العلوم كان أقرب إلى الله تعالى (الثالث) من حيث بقاء العلم أبد الآباد بحيث لايتغير ولا يزول ، فإن علم الله تعالى باق لايتصور أن يتغير ، فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لايقبل التغير والانقلاب كان أقرب إلى الله تعالى .

والمعلومات قسمان : متغيرات وأزليات .

أما المتغيرات : فمثالها العلم بكون زيد فى الدار ، فإنه علم له معلوم ، ولكنه يتصور أن يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه فى الدار كما كان فينقلب جهلا ، فيكون نقصانا لا كمالا ، فكلما اعتقدت اعتقادا موافقا وتصور أن ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد أن ينقلب كمالك نقصا ، ويعود علمك جهلا . ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم ، كعلمك مثلا بارتفاع جبل ومساحة أرض ، وبعد البلاد وتباعد مابينها من الأميال والفراسخ ، وسائر مايذكر فى المسالك والممالك ، وكذلك العلم باللغات التى هى اصطلاحات تتغير بتغير الأعصار والأمم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل الزئبق تتغير من حال إلى حال ، فليس فيه كمال إلا فى الحال ولا يبقى كمالا فى القلب .

القسم الثانى : هو المعلومات الأزلية وهو جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات ، فإن هذه معلومات أزلية أبدية ، إذ لايستحيل الواجب قط جائزاً ولا الجائز محالا ولا المحال واجباً . فكل هذه الأقسام داخلة فى معرفة الله وما يجب له ، وما يستحيل فى صفاته ، ويجوز فى أفعاله ، فالعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وحكمته فى ملكوت السموات والأرض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقى الذى يقرب من يتصف به من الله تعالى ، ويبقى كمالا للنفس بعد الموت ، وتكون هذه المعرفة نور للعارفين بعد الموت ﴿يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا﴾ أى تكون هذه المعرفة رأس مال يوصل إلى كشف مالم ينكشف فى الدنيا ، كما أن من معه سراج خفى فانه يجوز أن يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه ، فيكمل النور الخفى على سبيل الاستتمام ، ومن ليس معه أصل السراج فلا مطمع له فى ذلك ، فمن ليس معه أصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع فى هذا النور ، فيبقى كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها بل (كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض) فإذن لاسعادة إلا فى معرفة الله تعالى وأما ماعدا ذلك من المعارف فمنها مالا فائدة له أصلا كمعرفة الشعر وأنساب العرب وغيرهما ، ومنها ماله منفعة فى الاعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والأخبار ، فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ، ومعرفة التفسير تعين على معرفة مافى القرآن من كيفية العبادات والأعمال التى تفيد تزكية النفس ، ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد استعداد النفس لقبول الهدايا إلى معرفة الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى (قد أفلح من زكاها) وقال عز وجل (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) فتكون جملة هذه المعارف كالوسائل إلى تحقيق معرفة الله تعالى ، وإنما الكمال فى معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله ، وينطوى فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات إذ الموجودات كلها من أفعاله ، فمن عرفها من حيث هى فعل الله تعالى . ومن حيث ارتباطها بالقدرة والإرادة والحكمة ، فهى من تكملة معرفة الله تعالى ، وهذا حكم كمال العلم ذكرناه وإن لم يكن لائقا بأحكام الجاه والرياء ولكن أوردناه لاستيفاء أقسام الكمال .

وأما القدرة فليس فيها كمال حقيقى للعبد ، بل للعبد علم حقيقى وليس له قدرة حقيقية ، وإنما القدرة الحقيقية لله وما يحدث من الأشياء عقيب إرادة العبد وقدرته وحركته فهى حادثة بإحداث الله - كما قررناه فى كتاب الصبر والشكر ، وكتاب التوكل وفى مواضع شتى من ربع المنجيات — فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله إلى الله تعالى فأما كمال القدرة فلا . نعم له كمال من جهة القدرة بالإضافة إلى الحال وهى وسيلة له إلى كمال العلم كسلامة أطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشى وحواسه للإدراك ، فإن هذه القوة آلة للوصول بها إلى حقيقة كمال العلم ، وقد يحتاج فى استيفاء هذه القوى إلى القدرة بالمال والجاه للتوصل به إلى المطعم والمشرب والملبس والمسكن ، وذلك إلى قدر معلوم ، فان لم يستعمله للوصول به إلى معرفة جلال الله فلا خير فيه ألبتة إلا من حيث اللذة الحالية التى تنقضى على القرب ، ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل ، فالخلق أكثرهم هالكون فى غمرة هذا الجهل ، فإنهم يظنون أنّ القدرة على الأجساد بقهر الحشمة ، وعلى أعيان الأموال بسعة الغنى ، وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه ؛ كمال ، فلما اعتقدوا ذلك أحبوه ولما أحبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقى الذى يوجب القرب من الله تعالى ومن ملائكته وهو العلم والحرية (أما العلم) فما ذكرناه من معرفة الله تعالى (وأما الحرية) فالخلاص من أسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا تستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب ، فإن دفع آثار الشهوة والغضب عن النفس من الكمال الذى هو من صفات الملائكة . ومن صفات الكمال لله تعالى استحالة التغير والتأثر عليه فمن كان عن التغير والتأثر بالعوارض أبعد كان إلى الله تعالى أقرب وبالملائكة أشبه ، ومنزلته عند الله أعظم . وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة ، وإنما لم نورده فى أقسام الكمال لأن حقيقته ترجع إلى عدم ونقصان ، فإنّ التغير نقصان إذ هو عبارة عن عدم صفة كائنة وهلاكها ، والهلاك نقص فى اللذات وفى صفات الكمال .

فإذن الكمالات ثلاثة — إن عددنا (عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد لها) كمالا كمال العلم وكمال الحرية ؛ وأعنى به عدم العبودية للشهوات وإرادة الأسباب الدنيوية — وكمال القدرة للعبد طريق إلى اكتساب كمال العلم ، وكمال الحرية ولا طريق له إلى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته ، إذ قدرته على أعيان الأموال وعلى استسخار القلوب والأبدان تنقطع بالموت ، ومعرفته وحريته لا ينعدمان بالموت بل يبقيان كمالا فيه ووسيله إلى القرب من الله تعالى . فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فأقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال ، وهو الكمال الذى لا يسلم وإن سلم فلا بقاء له ، وأعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذى إذا حصل كان أبديا لا انقطاع له ، وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ، وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) فالعلم والحرية هى الباقيات الصالحات التى تبقى كمالا فى النفس ، والمال والجاه هو الذى ينقضى على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض) الآية وقال تعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء) إلى قوله (فأصبح هشيما تذروه الرياح) وكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحياة الدنيا ، وكل ما لا يقطعه الموت فهو الباقيات الصالحات . فقد عرفت بهذا أن كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظنى لا أصل له ، وأن من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل ، وإليه أشار أبو الطيب بقوله :

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله مخافة فقر فالذى فعل : الفقر

إلا قدر البلغة منهما إلى الكمال الحقيقى اللهم اجعلنا ممن وفقته للخير وهديته بلطفك .

بيان مايحمد من حب الجاه وما يذم

مهما عرفت أنّ معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمه حكم ملك الأموال فإنه عرض من أعراض الحياة الدنيا ، وينقطع بالموت كالمال ، والدنيا مزرعة الآخرة ، فكل ماخلق فى الدنيا فيمكن أن يتزود منه للآخرة ، وكما أنه لابد من أدنى مال لضرورة المطعم والمشرب والملبس ، فلا بدّ من أدنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق ، والإنسان كما لايستغنى عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام أو المال الذى يبتاع به الطعام ، فكذلك لايخلو عن الحاجة إلى خادم يخدمه ، ورفيق يعينه ، وأستاذ يرشده ، وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الأشرار ، فحبه لأن يكون له فى قلب خادمه من المحل مايدعوه إلى الخدمة ليس بمذموم ، وحبه لأن يكون له فى قلب رفيقه من المحل مايحسن به مرافقته ومعاونته ليس بمذموم ، وحبه لأن يكون له فى قلب أستاذه من المحل مايحسن به إرشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم ، وحبه لأن يكون له من المحل فى قلب سلطانه مايحثه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم ، فإن الجاه وسيلة إلى الأعراض كالمال ، فلا فرق بينهما إلا أنّ التحقيق فى هذا يفضى إلى أن لايكون المال والجاه بأعيانهما محبوبين له ، بل ينزل ذلك منزلة حب الإنسان أن يكون له فى داره بيت ماء لأنه مضطر إليه لقضاء حاجته ، ويود أن لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغنى عن بيت الماء ، فهذا على التحقيق ليس محبا لبيت الماء فكل مايراد للتوصل به إلى محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوصل إليه . وتدرك التفرقة بمثال آخر وهو أنّ الرجل قد يحب زوجته من حيث إنه يدفع بها فضلة الشهوة ، كما يدفع بيت الماء فضلة الطعام ، ولو كفى مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته ، كما أنه لو كفى قضاء الحاجة لكان لايدخل بيت الماء ولا يدور به ، وقد يحب الإنسان زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفى الشهوة لبقى مستصحبا لنكاحها ؛ فهذا هو الحب دون الأول ، وكذلك الجاه والمال . وقد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين ، فحبهما لأجل التوصل بهما إلى مهمات البدن غير مذموم ، وحبهما لأعيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ، ولكنه لايوصف صاحبه بالفسق والعصيان مالم يحمل الحب على مباشرة معصية . وما يتوصل به إلى اكتساب بكذب وخداع وارتكاب محظور ومالم يتوصل إلى اكتسابه بعبادة ، فإنّ التوصل إلى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام ، وإليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سيأتى .

فإن قلت : طلبه المنزلة والجاه فى قلب أستاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به أمره مباح على الإطلاق كيفما كان ؛ أو يباح إلى حد مخصوص على وجه مخصوص ؟ فأقول : يطلب ذلك على ثلاثة أوجه ، وجهان مباحان ، ووجه محظور .

أما الوجه المحظور : فهو أن يطلب قيام المنزلة فى قلوبهم باعتقادهم فيه صفة وهو منفك عنها ، مثل العلم والورع والنسب ، فيظهر لهم أنه علوى أو عالم أو ورع وهو لايكون كذلك . فهذا حرام لأنه كذب وتلبيس أما بالقول أو بالمعاملة .

أما أحد المباحين : فهو أن يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه الرب تعالى ﴿ اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم ﴾ فإنه طلب المنزلة فى قلبه بكونه حفيظا عليما ، وكان

محتاجا إليه وكان صادقا فيه (والثانى) أن يطلب إخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه ، حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به ، فهذا أيضا مباح لأن حفظ الستر على القبائح جائز ، ولا يجوز هتك الستر وإظهار القبيح . وهذا ليس فيه تلبيس ، بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة فى العلم به ، كالذى يخفى عن السلطان أنه يشرب الخمر ولا يلقى إليه أنه ورع ، فإن قوله : إنى ورع ، تلبيس ، وعدم إقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشرب .

ومن جملة المحظورات تحسين الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده ، فإن ذلك رياء ، وهو ملبس إذ يخيل إليه أنه من المخلصين الخاشعين لله وهو مراء بما يفعله ، فكيف يكون مخلصا ؟ فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية ، وذلك يجرى مجرى اكتساب المال الحرام من غير فرق ، وكما لا يجوز له أن يتملك مال غيره بتلبيس فى عوض أو غيره فلا يجوز له أن يتملك قلبه بتزوير وخداع ، فإن ملك القلوب أعظم من ملك الأموال .

بيان السبب فى حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطبع إليه وبغضها للذم ونفرتها منه

اعلم أن لحب المدح والتذاذ القلب به أربعة أسباب :

السبب الأول ، وهو الأقوى : شعور النفس بالكمال فإنا بينا أن الكمال محبوب ، وكل محبوب فإدراكه لذيذ . فهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واعتزت وتلذذت ، والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها ، فإن الوصف الذى به مدح لا يخلو إما أن يكون جليا ظاهرا أو يكون مشكوكا فيه ، فإن كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة به أقل ، ولكنه لا يخلو عن لذة كثنائه عليه بأنه طويل القامة أبيض اللون فإن هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته ، فإذا استشعرته لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة ، وإن كان ذلك الوصف مما يتطرق إليه الشك فاللذة فيه أعظم كالثناء عليه بكمال العلم أو كمال الورع أو بالحسن المطلق ، فإن الإنسان ربما يكون شاكا فى كمال حسنه وفى كمال علمه وكمال ورعه ويكون مشتاقا إلى زوال هذا الشك بأن يصير مستيقنا لكونه عديم النظير فى هذه الأمور إذ تطمئن نفسه إليه ، فإذا ذكره غيره أورث ذلك طمأنينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذاته ، وإنما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير بهذه الصفات خبير بها لا يجازف فى القول إلا عن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء أستاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة الفضل فإنه فى غاية اللذة ، وإن صدر ممن يجازف فى الكلام أو لا يكون بصيرا بذلك الوصف ضعفت اللذة ، وبهذه العلة يبغض الذم أيضا ويكرهه لأنه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو بمقوت الشعور به مؤلم ، ولذلك يعظم الألم إذا صدر الذم من بصير موثوق به كما ذكرناه فى المدح .

السبب الثانى : أن المدح يدل على أن قلب المادح مملوك للممدوح وأنه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ ، وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والأكابر ، ويضعف مهما كان المادح ممن لا يؤبه له ولا يقدر على شىء ، فإن القدرة عليه بملك قلبه قدرة على أمر حقير فلا يدل المدح إلا على قدرة قاصرة ، وبهذه العلة أيضا يكره الذم ويتألم به القلب ، وإذا كان من الأكابر كانت نكايته أعظم لأن الفائت به أعظم .

السبب الثالث : أن ثناء المثنى ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه ، لاسيما إذ كان ذلك ممن يلتفت إلى قوله ويعتد بثنائه ، وهذا مختص بثناء يقع على الملأ فلا جرم كلما كان الجمع أكثر والمثنى أجدر بأن يلتفت إلى

قوله كان المدح ألذ والذم أشد على النفس .

السبب الرابع : أن المدح يدل على حشمة الممدوح ، واضطرار المادح إلى إطلاق اللسان بالثناء على الممدوح إما عن طوع وإما عن قهر ، فإن الحشمة أيضاً لذيذة لما فيها من القهر والقدرة ، وهذه اللذة تحصل وإن كان المادح لايعتقد فى الباطن مامدح به ، ولكن كونه مضطرا إلى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه ، فلا جرم تكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته ، فتكون لذة ثناء القوى الممتنع عن التواضع بالثناء أشد .

فهذه الأسباب الأربعة قد تجمع فى مدح مادح واحد فيعظم بها الالتذاذ ، وقد تفترق فتنقص اللذة بها. أما العلة الأولى وهى استشعار الكمال فتندفع بأن يعلم الممدوح أنه غير صادق فى قوله ، كما إذا مدح بأنه نسيب أو سخى أو عالم يعلم أو متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك ، فتزول اللذة التى سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات ، فإن كان يعلم أن المادح ليس يعتقد مايقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه ، وتبقى لذة الاستيلاء والحشمة على اضطرار لسانه إلى النطق بالثناء فإن لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه أصلا لذة لفوات الأسباب الثلاثة فهذا مايكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتألمها بسبب الذم . وإنما ذكرنا ذلك ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمة ، فإن مالا يعرف سببه لايمكن معالجته ، إذ العلاج عبارة عن حل أسباب المرض . والله الموفق بكرمه ولطفه وصلى الله على كل عبد مصطفى .

بيان علاج حب الجاه

اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد إليهم والمراءات لأجلهم ، ولايزال فى أقواله وأفعاله ملتفتا إلى مايعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق وأصل الفساد ، ويجر ذلك لامحالة إلى التساهل فى العبادات والمراءاة بها وإلى اقتحام المحظورات للتوصل إلى اقتناص القلوب ؛ ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وإفسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال عليه السلام « إنه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل » إذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول أو الفعل ، وكل من طلب المنزلة فى قلوب الناس فيضطر إلى النفاق معهم وإلى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها ، وذلك هو عين النفاق .

لحب الجاه إذن من المهلكات ، فيجب علاجه وإزالته عن القلب فإنه طبع جبل عليه القلب كما جبل على حب المال ؛ وعلاجه مركب من علم وعمل .

أما العلم : فهو أن يعلم السبب الذى لأجله أحب الجاه وهو كمال القدرة على أشخاص الناس وعلى قلوبهم ، وقد بينا أنّ ذلك إن صفا وسلم فآخره الموت ، فليس هو من الباقيات الصالحات ، بل لو سجد لك كل من على بسيط الأرض من المشرق إلى المغرب فإلى خمسين سنة لايبقى الساجد ولا المسجود له ، ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوى الجاه مع المتواضعين له . فهذا لاينبغى أن يترك به الدين الذى هو الحياة الأبدية التى لاانقطاع لها ، ومن فهم الكمال الحقيقى والكمال الوهمى ـ كما سبق ـ صغر الجاه فى عينه ، إلا أنّ ذلك إنما يصغر فى عين من ينظر إلى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ، ويكون حاله كحال الحسن البصرى حين كتب إلى عمر بن عبد العزيز (أما بعد : فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات) فانظر كيف مدّ نظره نحو المستقبل وقدره كائنا . وكذلك حال عمر بن عبد العزيز حين كتب فى جوابه (أما بعد : فكأنك بالدنيا لم تكن

وكأنك بالآخرة لم تزل) فهؤلاء كان التفاتهم إلى العاقبة ، فكان عملهم لها بالتقوى إذ علموا أنّ العاقبة للمتقين ، فاستحقروا الجاه والمال فى الدنيا . وأبصار أكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لايمتد نورها إلى مشاهدة العواقب ، ولذلك قال تعالى ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ﴾ وقال عزوجل ﴿ كلا بل تحبون العاجلة ، وتذرون الآخرة ﴾ فمن هذا حدّه فينبغى أن يعالج قلبه من حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة ، وهو أن يتفكر فى الأخطار التى يستهدف لها أرباب الجاه فى الدنيا ، فإن كل ذى جاه محسود ومقصود بالإيذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من أن تتغير منزلته فى القلوب ، والقلوب أشدّ تغيرا من القدر فى غليانها وهى مترددة بين الإقبال والإعراض ، فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهى مايبنى على أمواج البحر فإنه لاثبات له ، والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع أذى الأعداء كل ذلك غموم عاجلة ومكدرة للذة الجاه ، فلا يبقى فى الدنيا مرجوّها بخوفها فضلا عما يفوت فى الآخرة ، فبهذا ينبغى أن تعالج البصيرة الضعيفة . وأما من نفذت بصيرته وقوى إيمانه فلا يلتفت إلى الدنيا ، فهذا هو العلاج من حيث العلم .

وأما من حيث العمل : فإسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة أعمال يلام عليها حتى يسقط من أعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويأنس بالخمول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق . وهذا هو مذهب الملامتية ؛ إذ اقتحموا الفواحش فى صورتها ليسقطوا أنفسهم من أعين الناس فيسلموا من آفة الجاه ، وهذا غير جائز لمن يقتدى به فإنه يوهن الدين فى قلوب المسلمين ، وأما الذى لايقتدى به فلا يجوز له أن يقدم على محظور لأجل ذلك ، بل له أن يفعل من المباحات مايسقط قدره عند الناس ؛ كما روى أن بعض الملوك قصد بعض الزهاد ، فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا وأخذ يأكل بشره ويعظم اللقمة ، فلما نظر إليه الملك سقط من عينه وانصرف ، فقال الزاهد: الحمد لله الذى صرفك عنى . ومنهم من شرب شرابا حلالا فى قدح لونه لون الخمر حتى يظن به أنه يشرب الخمر فيسقط من أعين الناس . وهذا فى جوازه نظر من حيث الفقه إلا أنّ أرباب الأحوال ربما يعالجون أنفسهم بما لايفتى به الفقيه مهما رأوا إصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون مافرط منهم فيه من صورة التقصير ، كما فعل بعضهم ، فإنه عرف بالزهد وأقبل الناس عليه ، فدخل حماما ولبس ثياب غيره وخرج فوقف فى الطريق حتى عرفوه فأخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا : إنه طرّار وهجروه وأقوى الطرق فى قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة إلى موضع الخمول ، فانّ المعتزل فى بيته فى البلد الذى هو به مشهور لايخلو عن حب المنزلة التى ترسخ له فى القلوب بسبب عزلته ، فإنه ربما يظن أنه ليس محباً لذلك الجاه وهو مغرور ، وإنما سكنت نفسه لأنها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه فذموه أو نسبوه إلى أمر غير لائق به جزعت نفسه وتألمت ، وربما توصلت إلى الاعتذار عن ذلك وإماطة ذلك الغبار عن قلوبهم ، وربما يحتاج فى إزالة ذلك عن قلوبهم إلى كذب وتلبيس ولايبالى به ، وبه ويتبين بعد أنه محب للجاه والمنزلة . ومن أحب الجاه والمنزلة فهو كمن أحب المال بل هو شر منه فإنّ فتنة الجاه أعظم ، ولايمكنه أن لايحب المنزلة فى قلوب الناس مادام يطمع فى الناس ، فإذا أحرز قوته من كسبه أو من جهة أخرى وقطع طمعه عن الناس رأسا أصبح الناس كلهم عنده كالأرذال ، فلا يبالى أكان له منزلة فى قلوبهم أم لم يكن ، كما لايبالى بما فى قلوب الذين هم منه فى أقصى المشرق لأنه لايراهم ولايطمع فيهم ، ولايقطع الطمع عن الناس إلا بالقناعة ، فمن قنع استغنى عن الناس وإذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته فى القلوب عنده وزن ، ولايتم ترك الجاه إلا بالقناعة وقطع الطمع . ويستعين على جميع ذلك بالأخبار الواردة فى ذم

الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم : المؤمن لايخلو من ذلة أوقلة أو علة . وينظر فى أحوال السلف وإيثارهم للذل على العز ورغبتهم فى ثواب الآخرة رضى الله عنهم أجمعين .

بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم

اعلم أنّ أكبر الناس إنما هلكوابخوف مذمة الناس وحب مدحهم ، فصار حركاتهم كلها موقوفة على مايوافق رضا الناس رجاء للمدح وخوفا من الذم ، وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقة ملاحظة الأسباب التى لأجلها يحب المدح ويكره الذم .

أما السبب الأول : فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه أن ترجع إلى عقلك وتقول لنفسك : هذه الصفة التى يمدحك بها أنت متصف بها أم لا ؟ فإن كنت متصفا بها فهى إما صفة تستحق بها المدح كالعلم والورع ، وإماصفة لاتستحق المدح كالثروة والجاه والأعراض الدنيوية فان كانت من الأعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الأرض الذى يصير على القرب هشيما تذروه الرياح ، وهذا من قلة العقل ، بل العاقل يقول كما قال المتنبى:

أشدّ الغم عندى فى سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا

فلا ينبغى أن يفرح الإنسان بعروض الدنيا ، وإن فرح فلا ينبغى أن يفرح بمدح المادح بها بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها . وإن كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغى أن لايفرح بها لأن الخاتمة غير معلومة ، وهذا إنما يقتضى الفرح لأنه يقرب عند الله زلفى ، وخطر الخاتمة باق ففى الخوف من سوء الخاتمة شغل عن الفرح بكل مافى الدنيا ، بل الدنيا دار أحزان وغموم لادار فرح وسرور ثم إن كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغى أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لابمدح المادح ، فان اللذة فى استشعار الكمال والكمال موجود من فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلا ينبغى أن تفرح بالمدح ، والمدح لايزيدك فضلا وإن كانت الصفة التى مدحت بها أنت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون ، ومثالك مثال من يهزأ به إنسان ويقول سبحان الله ما أكثر العطر الذى فى أحشائه وما أطيب الروائح التى تفوح منه ؟ إذا قضى حاجته ، وهو يعلم ماتشتمل عليه أمعاؤه من الاقذار والأنتان ، ثم يفرح بذلك فكذلك إذا أثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خبائث باطنك وغوائل سريرتك وأقذار صفاتك ـ كان ذلك من غاية الجهل : فاذاً المادح إن صدق فليكن فرحك بصفتك التى هى من فضل الله عليك ، وإن كذب فينبغى أن يغمك ذلك ولا تفرح به .

وأما السبب الثانى : وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب آخر ، فهذا يرجع إلى حب الجاه والمنزلة فى القلوب ـ وقد سبق وجه معالجته ، وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المنزلة عند الله ، وبأن تعلم أن طلبك المنزلة فى قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله ! فكيف تفرح به ؟

وأما السبب الثالث : وهو الحشمة التى اضطرت المادح إلى المدح ، فهو أيضا يرجع إلى قدرة عارضة لاثبات لها ولاتستحق الفرح ، بل ينبغى أن يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به ـ كما نقل ذلك عن السلف ـ لأن آفة المدح على الممدوح عظيمة ـ كما ذكرناه فى كتاب آفات اللسان ـ قال بعض السلف : من فرح بمدح فقد مكن الشيطان من أن يدخل فى بطنه . وقال بعضهم : إذا قيل لك : نعم الرجل أنت ، فكان أحب إليك من أن يقال لك : بئس الرجل أنت ، فأنت والله بئس الرجل . وروى فى بعض الاخبار ـ فان صح فهو قاصم الظهور ـ

أنّ رجلا أثنى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال « لوكان صاحبك حاضرا فرضى الذى قلت فمات على ذلك دخل النار [١] » وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مرّة للمادح « ويحك قصمت ظهره لوسمعك ماأفلح إلى يوم القيامة [٢] » وقال عليه السلام « ألا لا تمادحوا وإذا رأيتم المادحين فاحثوا فى وجوههم التراب [٣] » فلهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور العظيم به ، حتى إن بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شىء فقال : أنت ياأمير المؤمنين خير منى وأعلم ، فغضب وقال : إنى لم آمرك بأن تزكينى وقيل لبعض الصحابة : لايزال الناس بخير ماأبقاك الله ، فغضب وقال : إنى لأحسبك عراقيا . وقال بعضهم ـ لما مدح ـ اللهم إن عبدك تقرّب إلى بمقتك فأشهدك على مقته . وإنما كرهوا المدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق ، فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله تعالى يبغض إليهم مدح الخلق ، لأن الممدوح هو المقرّب عندالله والمذموم بالحقيقه هو المبعد من الله الملقى فى النار مع الأشرار فهذا الممدوح إن كان عند الله من أهل النار فما أعظم جهله إذا فرح بمدح غيره ، وإن كان من أهل الجنة فلا ينبغى أن يفرح إلا بفضل الله تعالى وثنائه عليه إذ ليس أمره بيد الخلق . ومهما علم أن الأرزاق والآجال بيدالله تعالى قل التفاته إلى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من أمر دينه . والله الموفق للصواب برحمته .

بيان علاج كراهة الذم

قد سبق أن العلة فى كراهة الذم هو ضدّ العلة فى حب المدح ، فعلاجه أيضا يفهم منه . والقول الوجيز فيه أن من ذمك لايخلو من ثلاثة أحوال .

إما أن يكون قد صدق فيما قال وقصد به النصح والشفقة ؛ وإما أن يكون صادقا ولكن قصده الإيذاء والتعنت وإما أن يكون كاذبا .

فإن كان صادقا وقصده النصح فلا ينبغى أن تذمه وتغضب عليه وتحقد بسببه ، بل ينبغى أن تتقلد منته فإن من أهدى إليك عيوبك فقد أرشدك إلى المهلك حتى تتقيه ، فينبغى أن تفرح به وتشتغل بإزالة الصفة المذمومة عن نفسك إن قدرت عليها ، فأما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك إياه فإنه غاية الجهل ، وإن كان قصده التعنت فأنت قد انتفعت بقوله إذ أرشدك إلى عيبك إن كنت جاهلا به ، وأذكرك عيبك إن كنت غافلا عنه ، أو قبحه فى عينك ليبعث حرصك على إزالته إن كنت قد استحسنته . وكل ذلك أسباب سعادتك وقد استفدته منه فاشتغل بطلب السعادة فقد أتيح لك أسبابها بسبب ماسمعته من المذمة . فمهما قصدت الدخول على ملك وثوبك ملوث بالعذرة وأنت لاتدرى ، ولو دخلت عليه كذلك لخفت أن يحز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال قائل : أيها الملوث بالعذرة طهر نفسك ، فينبغى أن تفرح به لأن تنبيهك بقوله غنيمة ، وجميع مساوى الأخلاق مهلكة فى الآخرة والإنسان إنما يعرفها من قول أعدائه فينبغى أن يغتنمه . وأما قصد العدوّ التعنت لجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بقول انتفعت به أنت وتضرر هو به ؟

---

(١) حديث : أن رجلا أثنى على رجل خيرا فقال « لوكان صاحبك حاضرا فرضى الذى قلت ومات على ذلك دخل النار » لم أجد له أصلا (٢) حديث « ويحك قطعت ظهره ... الحديث » قاله للمادح تقدم (٣) حديث « ألا لاتمادحوا وإذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب » تقدم دون قوله « ألا لاتمادحوا » .

الحالة الثالثة : أن يفترى عليك بما أنت برىء منه عند الله تعالى فينبغى أن لاتكره ذلك ولا تشتغل بذمه ، بل تتفكر فى ثلاثة أمور (أحدها) أنك إن خلوت من ذلك العيب فلاتخلو عن أمثاله وأشباهه ، وما ستره الله من عيوبك أكثر ، فاشكر الله تعالى إذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ماأنت برىء عنه . (والثانى) أن ذلك كفارات لبقية مساويك وذنوبك فكأنه رماك بعيب أنت برىء منه وطهرك من ذنوب أنت ملوث بها وكل من اغتابك فقد أهدى إليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك . فما بالك تفرح بقطع الظهر وتحزن لهدايا الحسنات التى تقربك إلى الله تعالى وأنت تزعم أنك تحب القرب من الله . (وأما الثالث) فهو أن المسكين قد جنى على دينه حتى سقط من عين الله وأهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الأليم ، فلا ينبغى أن تغضب عليه مع غضب الله عليه فتشمت به الشيطان وتقول : اللهم أهلكه ، بل ينبغى أن تقول : اللهم أصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه ، كما قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر لقومى اللهم اهد قومى فإنهم لايعلمون [1] » لما أن كسروا ثنيته وشجوا وجهه وقتلوا عمه حمزة يوم أحد . ودعا إبراهيم بن أدهم لمن شج رأسه بالمغفرة فقيل له فى ذلك فقال : علمت أنى مأجور بسببه وما نالنى منه إلا خير فلا أرضى أن يكون هو معاقباً بسببى . ومما يهون عليك كراهة المذمة قطع الطمع فإن من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم أثر ذلك فى قلبه ، وأصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن المال والجاه ، وما دام الطمع قائما كان حب الجاه والمدح فى قلب من طمعت فيه غالبا ، وكانت همتك إلى تحصيل المنزلة فى قلبه مصروفة ، ولا ينال ذلك إلا بهدم الدين ، فلا ينبغى أن يطمع طالب المال والجاه ومحب المدح ومبغض الذم فى سلامة دينه فإن ذلك بعيد جدا .

بيان اختلاف أحوال الناس فى المدح والذم

اعلم أن للناس أربعة أحوال بالإضافة إلى الذام والمادح :

الحالة الأولى : أن يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافئه أو يحب مكافأته ، وهذا حال أكثر الخلق وهو غاية درجات المعصية فى هذا الباب .

الحالة الثانية : أن يمتعض فى الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته ويفرح باطنه ، ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن إظهار السرور ، وهذا من النقصان إلا أنه بالإضافة إلى ماقبله كمال .

الحالة الثالثة : وهى أول درجات الكمال أن يستوى عنده ذامه ومادحه فلا تغمه المذمة ولا تسره استثقالا . وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا إن لم يمتحن نفسه بعلاماته . وعلاماته أن لايجد فى نفسه استثقالا للذام عند تطويله الجلوس عنده أكثر مما يجده فى المادح ، وأن لايجد فى نفسه زيادة هزة ونشاط فى قضاء حوائج المادح فوق مايجده فى قضاء حاجة الذام ، وأن لايكون انقطاع الذام عن مجلسه أهون عليه من انقطاع المادح ، وأن لايكون موت المادح المطرى له أشد نكاية فى قلبه من موت الذام ، وأن لايكون غمه بمصيبة المادح وما يناله من أعدائه أكثر مما يكون بمصيبة الذام ، وأن لاتكون زلة المادح أخف على قلبه وفى عينه من زلة الذام . فمهما خف الذام على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما أبعد ذلك وما أشده على القلوب ! وأكثر العباد فرحهم بمدح الناس لهم مستبطن فى قلوبهم وهم لايشعرون حيث لايمتحنون

---

(١) حديث « اللهم اغفر لقومى فإنهم لايعلمون » قاله لما ضربه قومه . أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة وقد تقدم والحديث فى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قاله حكاية عن نبى من الأنبياء حين ضربه قومه .

أنفسهم بهذه العلامات ، وربمـــا شعر العابد بميل قلبه إلى المادح دون الذام ، والشيطان يحسن له ذلك ويقول : الذام قد عصى الله بمذمتك ، والمادح قد أطاع الله بمدحك ، فكيف تسوى بينهما ؟ وإنما استثقالك للذام من الدين المحض . وهنا محض التلبيس ، فإن العابد لو تفكر علم أن فى الناس من ارتكب كبائر المعاصى أكثر مما ارتكب الذام فى مذمته ، ثم إنه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم ، ويعلم أن المادح الذى مدح لا يخلو عن مذمة غيره . ولا يجد فى نفسه نفرة عنه بمذمة غيره كما يجد لمذمة نفسه ، والمذمة من حيث إنها معصية لاتختلف بأن يكون هو المذموم أو غيره . فإذا العابد المغرور لنفسه يغضب ولهواه يمتعض ، ثم إن الشيطان يخيل إليه أنه من الدين حتى يعتل على الله بهواه فيزيده ذلك بعدا من الله ، ومن لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات النفوس فأكثر عباداته تعب ضائع يفوت عليه الدنيا ويخسره فى الآخرة ، وفيهم قال الله تعالى ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ .

الحالة الرابعة : وهى الصدق فى العبادة ؛ أن يكره المدح ويمقت المادح ، إذا يعلم أنه فتنة عليه قاصمة للظهر مضرة له فى الدين ، ويحب الذام إذ يعلم أنه مهد إليه عيبه ومرشد له إلى مهمه ومهد إليه حسناته ، فقد قال صلى الله عليه وسلم « رأس التواضع أن تكره أن تذكر بالبر والتقوى [1] » وقد روى فى بعض الأخبار ما هو قاصم لظهور أمثالنا إن صح ، إذ روى أنه صلى الله عليه وسلم قال « ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف إلا من ... » فقيل يارسول الله إلا من ؟ فقال « إلا من تنزهت نفسه عن الدنيا وأبغض المدحة واستحب المذمة [2] » وهذا شديد جدا ، وغاية أمثالنا الطمع فى الحالة الثانية ، وهو أن يضمر الفرح والكراهة على الذام والمادح ، ولا يظهر ذلك بالقول والعمل ؛ فأما الحالة الثالثة وهى التسوية بين المادح والذام فلسنا نطمع فيها . ثم إن طالبنا أنفسنا بعلامة الحالة الثانية فإنها لاتفى بها ، لأنها لابد وأن تتسارع إلى إكرام المادح وقضاء حاجاته ، وتتثاقل على إكرام الذام والثناء عليه وقضاء حوائجه ، ولا نقدر على أن نسوى بينهما فى الفعل الظاهر كما لا نقدر عليه فى سريرة القلب ، ومن قدر على التسوية بين المادح والذام فى ظاهر الفعل فهو جدير بأن يتخذ قدوة فى هذا الزمان إن وجد فإنه الكبريت الأحمر يتحدث الناس به ولا يرى ، فكيف بما بعده من المرتبتين ؟ وكل واحدة من هذه الرتب أيضا فيها درجات . أما الدرجات فى المدح فهو أن من الناس من يتمنى المدحة والثناء وانتشار الصيت ، فيتوصل إلى نيل ذلك بكل ما يمكن حتى يرائى بالعبادات ، ولايبالى بمقارفة المحظورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق ألسنتهم بالمدح وهذا من الهالكين . ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولايطلبه بالعبادات ، ولا يباشر المحظورات ، وهذا على شرف جرف هار ، فإن حدود الكلام الذى يستميل به القلوب وحدود الأعمال لا يمكنه أن يضبطها فيوشك أن يقع فيما لا يحل لنيل الحمد ، فهو قريب من الهالكين جدا . ومنهم من لايريد المدحة ولا يسعى لطلبها ، ولكن إذا مدح سبق السرور إلى قلبه فإذا لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهية فهو قريب من أن يستجره فرط السرور إلى الرتبة التى قبلها وإن جاهد نفسه فى ذلك وكلف قلبه الكراهية وبغض السرور إليه بالتفكر فى آفات المدح ، فهو فى خطر المجاهدة فتارة تكون اليد له وتارة تكون عليه . ومنهم من إذا سمع المدح لم يسر به ولم يغتم به ولم يؤثر فيه وهذا على خير ، وإن كان قد بقى عليه بقية من الإخلاص . ومنهم من يكره المدح إذا سمعه ولكن

(١) حديث « رأس التواضع أن يكره أن يذكر بالبر والتقوى » لم أجد له أصلا (٢) حديث « ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف ... الحديث » لم أجده هكذا وذكر صاحب الفردوس من حديث أنس « ويل لمن لبس الصوف بخالف قلبه قوله » ولم يخرجه ولد فى مسنده .

لا ينتهى به إلى أن يغضب على المادح وينكر عليه ، وأقصى درجاته أن يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه ، لا أن يظهر الغضب وقلبه محب له فإن ذلك عين النفاق ، لأنه يريد أن يظهر من نفسه الإخلاص والصدق وهو مفلس عنه ؛ وكذلك بالضد من هذا تتفاوت الأحوال فى حق الذام ، وأول درجاته إظهار الغضب وآخرها إظهار الفرح ، ولا يكون الفرح وإظهاره إلا عن فى قلبه حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه وكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيساتها الخبيثة فيبغضها بغض العدو ، والإنسان يفرح بمن يذم عدوه ، وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح إذا سمع ذمها ويشكر الذام على ذلك ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها ، فيكون ذلك كالتشفى له من نفسه ويكون غنيمة عنده إذ صار بالمذمة أوضع فى أعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الناس ، وإذا سيقت إليه حسنات لم ينصب فيها فعساه يكون خيراً لعيوبه التى هو عاجز عن إماطتها ، ولو جاهد المريد نفسه طول عمره فى هذه الخصلة الواحدة وهو أن يستوى عنده ذامة ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه إحداها ، ولا يقطع شيئا منها إلا بالمجاهدة الشديدة فى العمر الطويل

الشطر الثانى من الكتاب : فى طلب الجاه والمنزلة بالعبادات

وهو الرياء : وفيه بيان ذم الرياء ، وبيان حقيقة الرياء وما يرائى ، وبيان درجات الرياء ؛ وبيان الرياء الخفى ؛ وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط ؛ وبيان دواء الرياء وعلاجه ؛ وبيان الرخصة فى إظهار الطاعات وبيان الرخصة فى كتمان الذنوب ؛ وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات ، وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادات بسبب رؤية الخلق ؛ وبيان ما يجب على المريد أن يلزمه قلبه قبل الطاعة وبعدها . وهى عشرة فصول وبالله التوفيق .

بيان ذم الرياء

اعلم أن الرياء حرام والمرائى عند الله ممقوت ، وقد شهدت لذلك الآيات والأخبار والآثار .

أما الآيات : فقوله تعالى ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ﴾ وقوله عز وجل ﴿ والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ﴾ قال مجاهد هم أهل الرياء . وقال تعالى ﴿ إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا ﴾ فمدح المخلصين ينفى كل إرادة سوى وجه الله ، والرياء ضده وقال تعالى ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا [1] ﴾ نزل بعد ذلك فيمن يطلب الأجر والحمد بعباداته وأعماله .

وأما الأخبار : فقد قال صلى الله عليه وسلم حين سأله رجل فقال : يارسول الله فيم النجاة ؟ فقال « أن لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس » وقال أبو هريرة فى حديث الثلاثة — المقتول فى سبيل الله والمتصدق بماله والقارئ لكتاب الله ، كما أوردناه فى كتاب الاخلاص — : وإن الله عز وجل يقول لكل واحد منهم : كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد ، كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع ، كذبت بل أردت أن يقال فلان قارئ . فأخبر صلى الله عليه

(١) حديث : نزول قوله تعالى ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ﴾ الآية فيمن يطلب الآخرة بعباداته وأعماله . أخرجه الحاكم من حديث طاوس : قال رجل إنى أقف الموقف أبتغى وجه الله وأحب أن يرى موطنى فلم يرد عليه حتى نزلت هذه الآية . هكذا فى نسخة من المستدرك ولعله سقط منه ابن عباس أو أبو هريرة ، وللبزار من حديث معاذ بسند ضعيف « من صام رياء فقد أشرك ... الحديث » وفيه : أنه صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية

وسلم أنهم لم يثابوا وأن رياءهم هو الذى أحبط أعمالهم [١] وقال ابن عمر رضى الله عنهما : قال النبي صلى الله عليه وسلم « من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به [٢] » وفى حديث آخر طويل « إن الله تعالى يقول لملائكته إن هذا لم يردنى بعمله فاجعلوه فى سجين [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » قالوا وما الشرك الأصغر يارسول الله ؟ « قال الرياء » يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « استعيذوا بالله عز وجل من جب الحزن » قيل وما هو يارسول الله ؟ قال « واد فى جهنم أعد للقراء المرائين [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله عزوجل : من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فهو له كله وأنا منه برىء وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك [٦] » وقال عيسى المسيح صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس أنه صائم ، وإذا أعطى بيمينه فليخف عن شماله ، وإذا صلى فليرخ ستر بابه فإن الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « لايقبل الله عز وجل عملا فيه مثقال ذرة من رياء [٧] » وقال عمر لمعاذ بن جبل حين رآه يبكى : مايبكيك ؟ قال : حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعنى النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن أدنى الرياء شرك [٨] » وقال صلى الله عليه وسلم « أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهرة الخفية [٩] » وهى أيضا ترجع إلى خطايا الرياء ودقائقه وقال صلى الله عليه وسلم « إن فى ظل العرش يوم لاظل إلا ظله رجلا تصدق بيمينه فكاد يخفيها عن شماله [١٠] » ولذلك ورد « أن فضل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفا [١١] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن المرائى ينادى عليه يوم القيامة يافاجر ياغادر يامرائى ضل عملك وحبط أجرك اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له [١٢] » وقال شداد بن أوس : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يبكى فقلت مايبكيك يارسول الله ؟

---

(١) حديث : أبى هريرة فى الثلاثة : المقتول فى سبيل الله والمتصدق بماله والقارئ لكتابه فإن الله تعالى يقول لكل واحد منهم كذبت . رواه مسلم وسيأتى فى كتاب الإخلاص (٢) حديث ابن عمر « من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به » متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله ، وأما حديث ابن عمر فرواه الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب من رواية شيخ يكنى أبا يزيد عنه بلفظ « من سمع الناس سمع الله به سامع خلقه وحقره وصغره » وفى الزهد لابن المبارك ومسند أحمد بن منيع له من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث « إن الله يقول للملائكة إن هذا لم يردني بعمله فاجعلوه فى سجين » أخرجه ابن المبارك فى الزهد ومن طريقه ابن أبى الدنيا فى الإخلاص وأبو الشيخ فى كتاب العظمة من رواية حمزة بن حبيب مرسلا ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات (٤) حديث « إن أخوف ماأخاف عليكم الشرك الأصغر ... الحديث » أخرجه أحمد والبيهقى فى الشعب من حديث محمود بن لبيد وله رواية ورجاله ثقات ورواه الطبرانى من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج (٥) حديث « استعيذوا بالله من جب الحزن » قيل وما هو ؟ قال « واد فى جهنم أعد للقراء المرائين » أخرجه الترمذى وقال غريب وابن ماجه من حديث أبى هريرة وضعفه ابن عدى (٦) حديث « يقول الله من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فهو له كله ... الحديث » أخرجه مالك واللفظ له من حديث أبى هريرة دون قوله « وأنا منه برىء » ومسلم مع تقديم وتأخير دونها أيضا وهى عند ابن ماجه بسند صحيح .

(٧) حديث « لايقبل الله عملا فيه مقدار ذرة من رياء » لم أجده هكذا (٨) حديث معاذ « إن أدنى الرياء شرك » أخرجه الطبرانى هكذا والحاكم بلفظ « إن اليسير من الرياء شرك » وقد تقدم (٩) حديث « أخوف ما أخاف عليكم الرياء ... الحديث » تقدم فى أول هذا الكتاب (١٠) حديث « إن فى ظل العرش يوم لاظل إلا ظله رجلا تصدق بيمينه فكاد أن يخفيها عن شماله » متفق عليه من حديث أبى هريرة بنحوه فى حديث « سبعة يظلهم الله فى ظله » (١١) حديث : تفضيل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ، ضعفه البيهقى فى الشعب من حديث أبى الدرداء « إن الرجل ليعمل العمل فيكتب له عمل صالح معمول به فى السر يضعف أجره سبعين ضعفا » قال البيهقى هذا من أفراد بقية عن شيوخه المجهولين ، وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب الإخلاص من حديث عائشة بسند ضعيف « يفضل الذكر الخفى الذى لاتسمعه الحفظة على الذكر الذى تسمعه الحفظة سبعين درجة »

(١٢) حديث « إن المرائى ينادى يوم القيامة يافاجر ياغادر يامرائى ضل عملك وحبط أجرك .... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا من رواية جبلة اليحصبى عن صحابى لم يسم وزاد « ياكافر ياخاسر » ولم يقل « يامرائى » وإسناده ضعيف .

قال « إنى تخوفت على أمتى الشرك أما إنهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمراً ولا حجراً ولكنهم يراءون بأعمالهم [1] »
وقال صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله الأرض مادت بأهلها فخلق الجبال فصيرها أوتاداً للأرض ، فقالت الملائكة : ماخلق ربنا خلقا هو أشد من الجبال ، فخلق الله الحديد فقطع الجبال ، ثم خلق النار فأذابت الحديد ، ثم أمر الله الماء بإطفاء النار ، وأمر الريح فكدرت الماء ، فاختلفت الملائكة فقالت : نسأل الله تعالى ، قالوا : يارب ما أشد ماخلقت من خلقك ؟ قال الله تعالى لم أخلق خلقا هو أشد على من قلب ابن آدم حين يتصدق بصدقة بيمينه فيخفيها عن شماله فهذا أشد خلقا خلقه [2] » وروى عبد الله بن المبارك بإسناده عن رجل أنه قال لمعاذ بن جبل : حدثنى حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فبكى معاذ حتى ظننت أنه لايسكت ثم سكت ثم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال لى « يامعاذ » قلت لبيك بأبى أنت وأمى يارسول الله قال « إنى محدثك حديثا إن أنت حفظته نفعك وإن أنت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيامة ، يامعاذ إنّ الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض ، ثم خلق السموات فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين أصبح إلى حين أمسى ، له نور كنور الشمس ، حتى إذا صعدت به إلى السماء الدنيا زكته فكثرته فيقول الملك للحفظة : اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ، أنا صاحب الغيبة أمرنى ربى أن لا أدع عمل من اغتاب الناس يجاوزنى إلى غيرى » قال « ثم تأتى الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد فتمر به فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به إلى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه أراد بعمله هذا عرض الدنيا أمرنى ربى أن لاأدع عمله يجاوزنى إلى غيرى إنه كان يفتخر به على الناس فى مجالسهم » قال « وتصعد الحفظة بعمل يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلاة قد أعجب الحفظة فيجاوزون به إلى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بها العمل وجه صاحبه ، أنا ملك الكبر أمرنى ربى أن لاأدع عمله يجاوزنى إلى غيرى إنه كان يتكبر على الناس فى مجالسهم » قال « وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدرى له دوى من تسبيح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به ظهره وبطنه ، أنا صاحب العجب أمرنى ربى أن لاأدع عمله يجاوزنى إلى غيرى إنه كان إذا عمل عملا أدخل العجب فى عمله » قال « وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به السماء الخامسة كأنه العروس المزفوفة إلى أهلها فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه أنا ملك الحسد إنه كان يحسد الناس من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى » قال « وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون بها إلى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه كان لايرحم إنسانا قط من عباد الله أصابه بلاء أو ضر أضر به بل كان يشمت به ، أنا ملك الرحمة أمرنى ربى أن لاأدع عمله يجاوزنى إلى غيرى » قال « وتصعد الحفظة بعمل العبد إلى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة وزكاة واجتهاد وورع له دوى كدوى الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به إلى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل

---

(١) حديث شداد بن أوس « إنى تخوفت على أمتى الشرك ... الحديث » أخرجه ابن ماجه والحاكم نحوه وقد تقدم قريبا

(٢) حديث « لما خلق الله الأرض مادت بأهلها . الحديث » وفيه « لم أخلق خلقاً هو أشد من ابن آدم يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله » أخرجه الترمذى من حديث أنس مع اختلاف وقال غريب .

وجه صاحبه ، اضربوا به جوارحه اقفلوا به على قلبه إنى أحجب عن ربى كل عمل لم يرد به وجه ربى إنه أراد بعمله غير الله تعالى ، إنه أراد رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا فى المدائن ، أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى ، وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائى » قال « وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله تعالى وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطعوا به الحجب كلها إلى الله عزوجل فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله» قال « فيقول الله لهم أنتم الحفظة على عمل عبدى وأنا الرقيب على نفسه إنه لم يردنى بهذا العمل وأراد به غيرى فعليه لعنتى ، فتقول الملائكة كلهم : عليه لعنتك ولعنتنا ، وتقول السماوات كلها : عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السماوات السبع والأرض ومن فيهن » قال معاذ : قلت يارسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ قال « اقتدبى وإن كان فى عملك نقص ، يامعاذ حافظ على لسانك من الوقيعة فى إخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا فى عمل الآخرة ولا تتكبر فى مجلسك لكى يحذر الناس من سوء خلقك ، ولا تناج رجلا وعندك آخر ، ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا ، ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة فى النار قال الله تعالى ﴿ والناشطات نشطا ﴾ أتدرى من هن يامعاذ» ؟ قلت : ماهن بأبى أنت وأمى يارسول الله؟ قال « كلاب فى النار تنشط اللحم والعظم » قلت : بأبى أنت وأمى يارسول الله فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها ؟ قال « يامعاذ إنه ليسير على من يسره الله عليه [1] » قال فما رأيت أكثر تلاوه للقرآن من معاذ للحذر مما فى هذا الحديث .

وأما الآثار : فيروى أنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى رجلا يطأطئ رقبته فقال : ياصاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع فى الرقاب إنما الخشوع فى القلوب ورأى أبو أمامة الباهلى رجلا فى المسجد يبكى فى سجوده فقال : أنت أنت لو كان هذا فى بيتك . وقال على كرّم الله وجهه : المرائى ثلاث علامات ، يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان فى الناس ويزيد فى العمل إذا أثنى عليه وينقص إذا ذم . وقال رجل لعبادة بن الصامت : أقاتل بسيفى فى سبيل الله أريد به وجه الله تعالى ومحمدة الناس ، قال : لاشىء لك ، فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول : لاشىء لك ، ثم قال فى الثالثة : إن الله يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشرك ... الحديث . وسأل رجل سعيد بن المسيب فقال : إن أحدنا يصطنع المعروف يحب أن يحمد ويؤجر ، فقال له : اتحب أن تمقت ؟ قال : لا ، قال : فإذا عملت لله عملا فأخلصه . وقال الضحاك . لايقولن أحدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولايقولن هذا لله وللرحم ، فإن الله تعالى لاشريك له . وضرب عمر رجلا بالدرة ثم قال له : اقتص منى ! فقال : لابل أدعها لله ولك . فقال له عمر : ماصنعت شيئا إما أن تدعها لى فأعرف ذلك أو تدعها لله وحده ، فقال : ودعتها لله وحده ، فقال : فنعم إذن . وقال الحسن : لقد صحبت أقواما إن كان أحدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت أصحابه وما يمنعه منها إلا مخافة الشهرة وإن كان أحدهم ليمر فيرى الأذى فى الطريق فما يمنعه أن ينحيه إلا مخافة الشهرة ويقال : إن المرائى ينادى يوم القيامة بأربعة أسماء : يامرائى ياغادر ياخاسر يافاجر اذهب فخذ أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا . وقال الفضيل بن عياض : كانوا يراءون بما يعملون وصاروا اليوم يراءون

(١) حديث معاذ الطويل « إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها ... الحديث بطوله فى صعود الحفظة بعمل العبد ورد الملائكة له من كل سماء ورد الله تعالى له بعد ذلك عزاه المصنف الى رواية عبد الله بن المبارك بإسناده عن رجل عن معاذ وهو كما قال رواه فى الزهد وفى إسناده كما ذكر من لم يسم ، ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات .

بما لا يعملون . وقال عكرمة : إن الله يعطى العبد على نيته مالا يعطيه على عمله لأنّ النية لارياء فيها . وقال الحسن رضى الله عنه : المرائى يريد أن يغلب قدر الله تعالى وهو رجل سوء يريد أن يقول الناس هو رجل صالح ، وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأردياء ؟ فلا بدّ لقلوب المؤمنين أن تعرفه . وقال قتادة : إذا راءى العبد يقول الله تعالى انظروا إلى عبدى يستهزئ بى . وقال مالك بن دينار القرّاء : ثلاثة قرّاء الرحمن وقرّاء الدنيا وقرّاء الملوك ، وأن محمد بن واسع من قرّاء الرحمن . وقال الفضل : من أراد أن ينظر إلى مراء فلينظر إلى . وقال محمد بن المبارك الصورى : أظهر السمت بالليل فإنه أشرف من سمتك بالنهار لأنّ السمت بالنهار للمخلوقين وسمت الليل لرب العالمين. وقال أبو سليمان : التوقى عن العمل أشدّ من العمل . وقال ابن المبارك : إن كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان ، فقيل له وكيف ذاك ؟ قال يحب أن لايذكر أنه مجاور بمكة . وقال إبراهيم بن أدهم : ماصدق الله من أراد أن يشتهر .

بيان حقيقة الرياء وما يراءى به

اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية ، والسمعة مشتقة من السماع ، وإنما الرياء أصله طلب المنزلة فى قلوب الناس بإيرائهم خصال الخير إلا أنّ الجاه والمنزلة تطلب فى القلب بأعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات . واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة فى القلوب بالعبادة وإظهارها فحدّ الرياء هو إرادة العباد بطاعة الله ، فالمرائى هو العابد والمراءى هو الناس المطلوب رؤيتهم بطلب المنزلة فى قلوبهم ، والمراءى به هو الخصال التى قصد المرائى إظهارها ، والرياء هو قصده إظهار ذلك ، والمراءى به كثير وتجمعه خمسة أقسام وهى مجامع ما يتزين به العبد للناس وهو : البدن ، والزى والقول ، والعمل ، والأتباع والأشياء الخارجة . وكذلك أهل الدنيا يراءون بهذه الأسباب الخمسة إلا أنّ طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهون من الرياء بالطاعات .

(القسم الأوّل) الرياء فى الدين بالبدن : وذلك بإظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدّة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة ، وليدل بالنحول على قلة الأكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن على الدين ، وكذلك يرائى بتشعيث الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرّغ لتسريح الشعر . وهذه الأسباب مهما ظهرت استدل الناس بها على هذه الأمور فارتاحت النفس لمعرفتهم ، فلذلك تدعوه النفس إلى إظهارها لنيل تلك الراحة . ويقرب من هذا خفض الصوت وإغارة العينين وذبول الشفتين ، ليستدل بذلك على أنه مواظب على الصوم ، وأنّ وقار الشرع هو الذى خفض من صوته أوضعف الجوع هو الذى ضعف من قوته . وعن هذا قال المسيح عليه السلام : إذا صام أحدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه. وكذلك روى عن أبى هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان بالرياء ؛ ولذلك قال ابن مسعود أصبحوا صياما مدهنين . فهذه مراءاة أهل الدين بالبدن .

فأما أهل الدنيا فيراءون بإظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوّة الأعضاء وتناسبها .

(الثانى) الرياء بالهيئة والزى : أما الهيئة فبتشعيث شعر الرأس وحلق الشارب وإطراق الرأس فى المشى والهدوء فى الحركة وإبقاء أثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها إلى قريب من الساق وتقصير الأكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا ، كل ذلك يرائى به ليظهر من نفسه أنه متبع للسنة فيه ومقتد فيه بعباد الله

الصالحين ، ومن ذلك لبس المرقعة والصلاة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الإفلاس من حقائق التصوف فى الباطن . ومنه التقنع بالإزار فوق العمامة وإسبال الرداء على العينين ليرى به أنه قد انتهى تقشفه إلى الحذر من غبار الطريق ، ولتنصرف إليه الأعين بسبب تميزه بتلك العلامة . ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه من هو خال عن العلم ليوهم أنه من أهل العلم .

والمراءون بالزى على طبقات : فمنهم من يطلب المنزلة عند أهل الصلاح بإظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليرائى بغلظها ووسخها وقصرها وتخرقها أنه غير مكترث بالدنيا ، ولو كلف أن يلبس ثوبا وسطا نظيفاً مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح ، وذلك لخوفه أن يقول الناس قد بدا له من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب فى الدنيا . وطبقة أخرى يطلبون القبول عند أهل الصلاح وعند أهل الدنيا من الملوك والوزراء والتجار ، ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردهم القراء ولو لبسوا الثياب المخرقة البذله أزدرتهم أعين الملوك والأغنياء ، فهم يريدون الجمع بين قبول أهل الدين والدنيا ، ولذلك يطلبون الأصواف الدقيقة والأكسية الرقيقة والمرقعات المصبوغة والفوط الرفيعة فيلبسونها ، ولعل قيمة ثوب أحد الأغنياء ولونه وهيأته لون ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول عند الفريقين ، وهؤلاء إن كلفوا لبس ثوب خشن أو وسخ لكان عندهم كالذبح خوفا من السقوط من أعين الملوك والأغنياء ، ولو كلفوا لبس الديبقى والكتان الدقيق الأبيض والمقصب المعلم - وإن كانت قيمته دون قيمة ثيابهم - لعظم ذلك عليهم خوفا من أن يقول أهل الصلاح قد رغبوا فى زى أهل الدنيا . وكل طبقة منهم رأى منزلته فى زى مخصوص فيثقل عليه الانتقال إلى مادونه أو إلى مافوقه وإن كان مباحا خيفة من المذمة .

وأما أهل الدنيا فراءاتهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة وأنواع التوسع والتجمل فى الملبس والمسكن وأثاث البيت وفره الخيول وبالثياب المصبغة والطيالسة النفيسة ، وذلك ظاهر بين الناس فإنهم يلبسون فى بيوتهم الثياب الخشنة ويشتد عليهم لو برزوا للناس على تلك الهيئة مالم يبالغوا فى الزينة .

(الثالث) الرياء بالقول : ورياء أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الأخبار والآثار ، لأجل الاستعمال فى المحاورة وإظهاراً لغزارة العلم ودلالة على شدة العناية بأحوال السلف الصالحين ، وتحريك الشفتين بالذكر فى محضر الناس والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بمشهد الخلق ، وإظهار الغضب للمنكرات وإظهار الأسف على مقارفة الناس للمعاصى وتضعيف الصوت فى الكلام وترقيق الصوت بقراءة القرآن ، ليدل بذلك على الخوف والحزن ، وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والدق على من يروى الحديث ببيان خلل فى لفظه ليعرف أنه بصير بالأحاديث والمبادرة إلى أن الحديث صحيح أو غير صحيح لإظهار الفضل فيه ، والمجادلة على قصد إفحام الخصم ليظهر للناس قوته علم الدين . والرياء بالقول كثير وأنواعه لاتنحصر .

وأما أهل الدنيا فراءاتهم بالقول بحفظ الأشعار والأمثال والتفاصح فى العبارات وحفظ النحو الغريب للأغراب على أهل الفضل وإظهار التودد إلى الناس لاستمالة القلوب .

(الرابع) الرياء بالعمل : كمراءاة المصلى بطول القيام ومد الظهر وطول السجود والركوع وإطراق الرأس وترك الالتفات وإظهار الهدوء والسكون وتسوية القدمين واليدين ، وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة وبإطعام الطعام ، وبالإخبات فى المشى عند اللقاء كإرخاء الجفون وتنكيس الرأس والوقار فى الكلام ، حتى إن المرائى قد يسرع فى المشى إلى حاجته فإذا اطلع عليه أحد من أهل الدين رجع إلى الوقار وإطراق الرأس خوفا من

أن ينسبه إلى العجلة وقلة الوقار ، فإن غاب الرجل عاد إلى عجلته ، فإذا رآه عاد إلى خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون يجدد الخشوع له ، بل هو لاطلاع إنسان عليه يخشى أن لا يعتقد فيه أنه من العباد والصلحاء ، ومنهم من إذا سمع هذا استحيا من أن تخالف مشيته فى الخلوة مشيته بمرأى من الناس ، فيكلف نفسه المشية الحسنة فى الخلوة حتى إذا رآه الناس لم يفتقر إلى التغيير ويظن أنه يتخلص به عن الرياء وقد تضاعف به رياؤه ، فإنه صار فى خلوته أيضا مرائيا ، فإنه إنما يحسن مشيته فى الخلوة ليكون كذلك فى الملأ لا لخوف من الله وحياء منه .

وأما أهل الدنيا فمراءاتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطا والأخذ بأطراف الذيل وإدارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة .

(الخامس) المراءاة بالأصحاب والزائرين والمخالطين : كالذى يتكلف أن يستزير عالما من العلماء ليقال إن فلانا قد زار فلانا ، أو عابدا من العباد ليقال إن أهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون إليه ، أو ملكا من الملوك أو عاملا من عمال السلطان ليقال إنهم يتبركون به لعظم رتبته فى الدين . وكالذى يكثر ذكر الشيوخ ليرى أنه لقى شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيباهى بشيوخه ومباهاته ومراءاته تترشح منه عند مخاصمته ، فيقول لغيره : من لقيت من الشيوخ وأنا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت الشيوخ ؟ وما يجرى مجراه فهذه مجامع ما يرائى به المراءون وكلهم يطلبون بذلك الجاه والمنزلة فى قلوب العباد . ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى إلى ديره سنين كثيرة ؟ وكم من عابد اعتزل إلى قلة جبل مدة مديدة ، وإنما خبأته من حيث علمه بقيام جاهه فى قلوب الخلق ولو عرف أنهم نسبوه إلى جريمة فى ديره أو صومعته لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله ببراءة ساحته ، بل يشتد لذلك غمه ويسعى بكل حيلة فى إزالة ذلك من قلوبهم ، مع أنه قد قطع طمعه من أموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه ـ فإنه لذيذ كما ذكرناه فى أسبابه ـ فإنه نوع قدرة وكمال فى الحال وإن كان سريع الزوال لا يغتر به إلا الجهال ولكن أكثر الناس جهال ، ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس من ذلك إطلاق اللسان بالثناء والحمد . ومنهم من يريد انتشار الصيت فى البلاد لتكثر الرحلة إليه . ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجز الحوائج على يده فيقوم له بذلك جاه عند العامة ، ومنهم من يقصد التوصل بذلك إلى جمع حطام وكسب مال ولو من الأوقاف وأموال اليتامى وغير ذلك من الحرام ، وهؤلاء شر طبقات المرائين الذين يراءون بالأسباب التى ذكرناها . فهذه حقيقة الرياء ومابه يقع الرياء .

فإن قلت : فالرياء حرام أو مكروه أو مباح أو فيه تفصيل ؟ فأقول فيه تفصيل فإن الرياء هو طلب الجاه ، وهو إما أن يكون بالعبادات أو بغير العبادات ، فإن كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث إنه طلب منزلة فى قلوب العباد ، ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات وأسباب محظورات فكذلك الجاه ، وكما أن كسب قليل من المال هو ما يحتاج إليه الإنسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات أيضا محمود ، وهو الذى طلبه يوسف عليه السلام حيث قال ﴿ إنى حفيظ عليم ﴾ وكما أن المال فيه سم ناقع ودرياق نافع فكذلك الجاه ، وكما أن كثير المال يلهى ويطغى وينسى ذكر الله والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل أشد ، وفتنة الجاه أعظم من فتنة المال ، وكما أنا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول أيضا تملك القلوب الكثيرة حرام إلا إذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة مالا يجوز . نعم انصراف الهم إلى سعة الجاه مبدأ الشرور كانصراف الهم إلى كثرة المال ، ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك معاصى القلب واللسان وغيرها ، وأما سعة

الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله إن زال فلا ضرر فيه ، فلا جاه أوسع من جاه ورسول الله صلى الله عليه وسلم وجاه الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ، ولكن انصراف الهم إلى طلب الجاه نقصان فى الدين ولا يوصف بالتحريم ، فعلى هذا نقول : تحسين الثوب الذى يلبسه الإنسان عند الخروج إلى الناس مراءاة وهو ليس بحرام لأنه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا ، وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم . والدليل عليه ماروى عن عائشة رضى الله عنها : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يخرج يوما إلى الصحابة فكان ينظر فى جب الماء ويسوى عمامته وشعره فقالت : أو تفعل ذلك يارسول الله ؟ قال « نعم إنّ الله تعالى يحب من العبد أن يتزين لإخوانه إذا خرج إليهم [1] » نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة لأنه كان مأمورا بدعوة الخلق وترغيبهم فى الاتباع واستمالة قلوبهم ، ولو سقط من أعينهم لم يرغبوا فى اتباعه ، فكان يجب عليه أن يظهر لهم محاسن أحواله لئلا تزدريه أعينهم ، فإنّ أعين عوام الخلق تمتدّ إلى الظواهر دون السرائر ، فكان ذلك قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لو قصد قاصد به أن يحسن نفسه فى أعينهم حذرا من ذمهم ولومهم واستروحا إلى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد أمرا مباحا ، إذ للإنسان أن يحترز من ألم المذمة ويطلب راحة الأنس بالإخوان . ومهما استثقلوه واستقذروه لم يأنس بهم .

فإذن المراءاة بما ليس من العبادات قد تكون مباحة ، وقد تكون طاعة ، وقد تكون مذمومة ، وذلك بحسب الغرض المطلوب بها . ولذلك نقول : الرجل إذا أنفق ماله على جماعة من الأغنياء لا فى معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس أنه سخى فهذا مراءاة وليس بحرام وكذلك أمثاله .

أما العبادات كالصدقة والصلاة والصيام والغزو والحج فللمرائى فيه حالتان إحداهما : أن لايكون له قصد إلا الرياء المحض دون الأجر ، وهذا يبطل عبادته لأنّ الأعمال بالنيات ، وهذا ليس بقصد العبادة ، لايقتصر ، على إحباط عبادته حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصى بذلك ويأثم كما دلت عليه الأخبار والآيات .

والمعنى فيه أمران (أحدهما) يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر لأنه خيل إليهم أنه مخلص مطيع لله وأنه من أهل الدين وليس كذلك ، والتلبيس فى أمر الدنيا حرام أيضاً ، حتى لو قضى دين جماعة وخيل للناس أنه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته أثم به لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر . (والثانى) يتعلق بالله وهو أنه مهما قصد بعبادة الله تعالى خلق الله فهو مستهزئ بالله . ولذلك قال قتادة : إذا راءى العبد قال الله لملائكته انظروا إليه كيف يستهزئ بى .

ومثاله أن يتمثل بين يدى ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وإنما وقوفه لملاحظة جارية من من جوارى الملك أو غلام من غلمانه ، فإن هذا استهزاء بالملك إذ لم يقصد التقريب إلى الملك بخدمته بل قصد بذلك عبدا من عبيده ، فأى استحقار يزيد على أن يقصد العبد بطاعة الله تعالى مراءاة عبد ضعيف لايملك له ضرا ولا نفعا ؟ وهل ذلك إلا لأنه يظن أن ذلك العبد أقدر على تحصيل أغراضه من الله ؟ وأنه أولى بالتقريب إليه من الله إذ آثره على ملك الملوك لجعله مقصود عبادته ؟ وأى استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى ؟ فهذا من كبائر المهلكات ولهذا

(١) حديث عائشة : أراد أن يخرج على أصحابه وكان ينظر فى جب الماء ويسوى عمامته وشعره ... الحديث أخرجه ابن عدى فى الكامل وقد تقدم فى الطهارة .

سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الأصغر [١] .

نعم بعض درجات الرياء أشد من بعض ـ كما سيأتى بيانه فى درجات الرياء إن شاء الله تعالى ـ ولايخلو شىء منه عن إثم غليظ أو خفيف بحسب ما به المراءاة ولولم يكن فى الرياء إلا أنه يسجد ويركع لغير الله لكان فيه كفاية ، فإنه وإن لم يقصد التقرب إلى الله فقد قصد غير الله ، ولعمرى لو عظم غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا، إلا أن الرياء هو الكفر الخفى لأن المرائى عظم فى قلبه الناس ، فاقتضت تلك العظمة أن يسجد ويركع فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ، ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقى تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك، إلا أنه قصد تعظيم نفسه فى قلب من عظم عنده بإظهاره من نفسه صورة التعظيم لله ، فمن هذا كان شركا خفيا لاشركا جليا ، وذلك غاية الجهل ولايقدم عليه إلا من خدعه الشيطان وأوهم عنده أن العباد يملكون من ضره ونفعه ورزقه وأجله ومصالح حاله ومآله أكثر مما يملكه الله تعالى ، فلذلك عدل بوجهه عن الله إليهم وأقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم ، ولو وكله الله تعالى إليهم فى الدنيا والآخرة لكان ذلك أقل مكافأة له على صنيعه ، فإن العباد كلهم عاجزون عن أنفسهم لايملكون لأنفسهم نفعاً ولاضرا فكيف يملكون لغيرهم هذا فى الدنيا ؟ فكيف فى يوم لايجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً بل تقول الأنبياء فيه نفسى نفسى ؟ فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله مايرتقبه بطمعه الكاذب فى الدنيا من الناس ؟ فلا ينبغى أن نشك فى أن المرائى بطاعة الله فى سخط الله من حيث النقل والقياس جميعا هذا إذا لم يقصد الأجر فأما إذا قصد الأجر والحمد جميعا فى صدقته أو صلاته فهو الشرك الذى يناقض الإخلاص . وقد ذكرنا حكمه فى كتاب الإخلاص، ويدل على مانقلناه من الآثار قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت : إنه لا أجر له فيه أصلا .

بيان درجات الرياء

اعلم أن بعض أبواب الرياء أشد وأغلظ من بعض ، واختلافه باختلاف أركانه وتفاوت الدرجات فيه . وأركانه ثلاثة : المراءى به والمراءى لأجله ونفس قصد الرياء .

الركن الأول : نفس قصد الرياء وذلك لايخلو إما أن يكون مجرداً دون إرادة عبادة الله تعالى والثواب ، وإما أن يكون مع إرادة الثواب ، فإن كان كذلك فلا يخلو إما أن تكون إرادة الثواب أقوى وأغلب أو أضعف أو مساوية لإرادة العبادة فتكون الدرجات أربعاً :

(الأولى) وهى أغلظها أن لايكون مراده الثواب أصلا ، كالذى يصلى بين أظهر الناس ولو انفرد لكان لايصلى ، بل ربما يصلى من غير طهارة مع الناس ، فهذا جرّد قصده إلى الرياء فهو الممقوت عند الله تعالى . وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لايقصد الثواب ولا خلا بنفسه لما أداها فهذه الدرجة العليا من الرياء .

(الثانية) أن يكون له قصد الثواب أيضا ولكن قصدا ضعيفاً ، بحيث لو كان فى الخلوة لكان لايفعله ، ولا يحمله ذلك القصد على العمل ، ولو لم يكن قصد الثواب لكان الرياء يحمله على العمل ، فهذا قريب مما قبله

(١) حديث : سمى الرياء الشرك الأصغر . أخرجه أحمد من حديث محمود بن لبيد وقد تقدم ورواه الطبرانى من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج لجعله فى مسند رافع وتقدم قريبا والحاكم وصحح إسناده من حديث شداد بن أوس : كنا نعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرياء الشرك الأصغر .

وما فيه من شائبة قصد ثواب لايستقل بحمله على العمل لاينفى عنه المقت والإثم .

(الثالثة) أن يكون له قصد الثواب وقصد الرياء متساويين ، بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة ، أو كان كل واحد منهما لو انفرد لاستقل بحمله على العمل ؛ فهذا قد أفسد مثل ما أصلح فنرجو أن يسلم رأسا برأس لا له ولا عليه ، أو يكون له من الثواب مثل ماعليه من العقاب وظواهر الأخبار تدل على أنه لايسلم ، وقد تكلمنا عليه فى كتاب الإخلاص .

(الرابعة) أن يكون إطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لايترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما أقدم عليه فالذى نظنه والعلم عند الله أنه لايحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب وأما قوله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى أنا أغنى الأغنياء عن الشرك » فهو محمول على ما إذا تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح .

الركن الثانى : المراءى به وهو الطاعات وذلك ينقسم إلى الرياء بأصول العبادات وإلى الرياء بأوصافها .

القسم الأول وهو الأغلظ : الرياء بالأصول وهو على ثلاث درجات .

(الأولى) الرياء بأصل الإيمان وهذا أغلظ أبواب الرياء وصاحبه مخلد فى النار ، وهو الذى يظهر كلمتى الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائى بظاهر الإسلام ، وهو الذى ذكره الله تعالى فى كتابه فى مواضع شتى كقوله عز وجل ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون ﴾ أى فى دلالتهم بقولهم على ضمائرهم وقال تعالى ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على مافى قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ﴾ الآية وقال تعالى ﴿ وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ﴾ وقال تعالى ﴿ يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مذبذبين بين ذلك ﴾ والآيات فيهم كثيرة . وكان النفاق يكثر فى ابتداء الإسلام ممن يدخل فى ظاهر الإسلام ابتداء لغرض ، وذلك مما يقل فى زماننا ، ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة ميلا إلى قول الملحدة ، أو يعتقد على بساط الشرع والأحكام ميلا إلى أهل الإباحة ، أو يعتقد كفراً أو بدعة وهو يظهر خلافه ، فهؤلاء من المنافقين والمراءين المخلدين فى النار ، وليس وراء هذا الرياء رياء ، وحال هؤلاء أشد حالا من الكفار المجاهرين ، فإنهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر .

(الثانية) الرياء بأصول العبادات مع التصديق بأصل الدين ، وهذا أيضا عظيم عند الله ولكنه دون الأول بكثير . ومثاله : أن يكون مال الرجل فى يد غيره فيأمره بأخراج الزكاة خوفا من ذمه ، والله يعلم منه أنه لو كان فى يده لما أخرجها ، أو يدخل وقت الصلاة وهو فى جمع وعادته ترك الصلاة فى الخلوة ، وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهى خلوة من الخلق ليفطر ، وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لكان لايحضرها ، أو يصل رحمه أو يبر والديه لاعن رغبة ولكن خوفا من الناس ، أو يغزو أو يحج كذلك . فهذا مراء معه أصل الإيمان بالله يعتقد أنه لامعبود سواه ، ولو كلف أن يعبد غير الله أو يسجد لغيره لم يفعل ، ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند إطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق أحب إليه من منزلته عند الخالق ، وخوفه من مذمة الناس أعظم من خوفه من عقاب الله ، ورغبته فى محمدتهم أشد من رغبته فى ثواب الله ، وهذا غاية الجهل وما أجدر صاحبه بالمقت وإن كان غير منسل عن أصل الإيمان من حيث الاعتقاد .

(الثالثة) أن لايرائى بالإيمان ولا بالفرائض ، ولكنه يرائى بالنوافل والسنن التى لو تركها لايعصى ، ولكنه يكسل عنها فى الخلوة لفتور رغبته فى ثوابها ولإيثار لذة الكسل على مايرجى من الثواب ، ثم يبعثه الرياء على فعلها ، وذلك كحضور الجماعة فى الصلاة وعيادة المريض واتباع الجنازة وغسل الميت ، وكالتهجد بالليل وصيام يوم عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس . فقد يفعل المرائى جملة ذلك خوفا من المذمة أو طلبا للمحمدة ، ويعلم الله تعالى منه أنه لو خلا بنفسه لما زاد على أداء الفرائض . فهذا أيضا عظيم ولكنه دون ماقبله ، فإن الذى قبله آثر حمد الخلق على حمد الخالق . وهذا أيضا قد فعل ذلك واتقى ذمّ الخلق دون ذم الخالق ، فكان ذم الخلق أعظم عنده من عقاب الله ، وأما هذا فلم يفعل ذلك لأنه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركها ، وكأنه على شطر من الأول وعقابه نصف عقابه . فهذا هو الرياء بأصول العبادات .

القسم الثانى : الرياء بأوصاف العبادات لابأصولها ، وهو أيضاً على ثلاثة درجات .

(الأولى) أن يرائى بفعل مافى تركه نقصان العبادة ، كالذى غرضه أن يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة ، فإذا رآه الناس أحسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين ، وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه عز وجل ؛ أى أنه ليس يبالى باطلاع الله عليه فى الخلوة ، فإذا اطلع عليه آدمى أحسن الصلاة ، ومن جلس بين يدى إنسان متربعا أو متكئا فدخل غلامه فاستوى وأحسن الجلسة كان ذلك منه تقديما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لامحالة وهذا حال المرائى بتحسين الصلاة فى الملأ دون الخلوة . وكذلك الذى يعتاد إخراج الزكاة من الدنانير الرديئة أو من الحب الردىء فإذا اطلع عليه غيره أخرجها من الجيد خوفا من مذمته ، وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث لأجل الخلق لا إكمالا لعبادة الصوم خوفا من المذمة ، فهذا أيضا من الرياء المحظور لأن فيه تقديما للمخلوقين على الخالق ، ولكنه دون الرياء بأصول التطوعات .

فإن قال المرائى : إنما فعلت ذلك صيانة لألسنتهم عن الغيبة ، فإنهم إذا رأوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات أطلقوا اللسان بالذم والغيبة ، وإنما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية ؟ فيقال له : هذه مكيدة للشيطان عندك وتلبيس ، وليس الأمر كذلك ، فإن ضررك من نقصان صلاتك وهى خدمة منك لمولاك أعظم من ضررك بغيبة غيرك ، فلو كان باعثك الدين لكان شفقتك على نفسك أكثر ، وماأنت فى هذا إلا كمن يهدى وصيفة إلى ملك لينال منه فضلا وولاية يتقلدها ، فيهديها إليه وهى عوراء قبيحة مقطوعة الأطراف ولا يبالى به إذا كان الملك وحده ، وإذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلمانه ؛ وذلك محال بل من يراعى جانب غلام الملك ينبغى أن تكون مراقبته للملك أكثر .

نعم للمرائى فيه حالتان : إحداهما أن يطلب بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعا . والثانية : أن يقول ليس يحضرنى الإخلاص فى تحسين الركوع والسجود ، ولو خففت كانت صلاتى عندهم ناقصة وآذانى الناس بذمهم وغيبتهم ، فأستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم ولا أرجو عليه ثوابا ، فهو خير من أن أترك تحسين الصلاة فيفوت الثواب وتحصل المذمة فهذا فيه أدنى نظر . والصحيح أن الواجب عليه أن يحسن ويخلص ، فإن لم تحضره النية فينبغى أن يستمر على عادته فى الخلوة فليس له أن يدفع الذم بالمراءاة بطاعة الله فإن ذلك استهزاء كما سبق .

(الدرجة الثانية) أن يرائى بفعل مالا نقصان فى تركه ولكن فعله فى حكم التكملة والتتمة لعبادته ، كالتطويل فى الركوع والسجود ومدّ القيام وتحسين الهيئة ورفع اليدين والمبادرة إلى التكبيرة الأولى وتحسين الاعتدال

والزيادة فى القراءة على السور المعتادة ، وكذلك كثرة الخلوة فى صوم رمضان وطول الصمت ، وكاختيار الأجود على الجيد فى الزكاة وإعتاق الرقبة الغالية فى الكفارة . وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه .

(الثالثة) أن يرائى بزيادات خارجة عن نفس النوافل أيضا كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده للصف الأول وتوجهه إلى يمين الإمام وما يجرى مجراه . وكل ذلك مما يعلم الله منه أنه لو خلا بنفسه لكان لا يبالى أين وقف ومتى يحرم بالصلاة ؟ فهذه درجات الرياء بالإضافة إلى مايرائى به وبعضه أشد من بعض . والكل مذموم .

الركن الثالث : المرائى لأجله ، فإن للمرائى مقصودا لامحالة ، وإنما يرائى لإدراك مال أو جاه أو غرض من الأغراض لا محالة ، وله أيضاً ثلاث درجات :

(الأولى) وهى أشدها وأعظمها أن يكون مقصوده التمكن من معصية ، كالذى يرائى بعبادته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن أكل الشبهات وغرضه أن يعرف بالأمانة فيولى القضاء أو الأوقاف أو الوصايا أو مال الأيتام فيأخذها أو يسلم إليه تفرقة الزكاة أو الصدقات ليستأثر بما قدر عليه منها ، أو يودع الودائع فيأخذها ويجحدها ، أو تسلم إليه الأموال التى تنفق فى طريق الحج فيختزل بعضها أو كلها ، أو يتوصل بها إلى استتباع الحجيج ويتوصل بقوتهم إلى مقاصدة الفاسدة فى المعاصى . وقد يظهر بعضهم زى التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وإنما قصده التحبب إلى امرأة أو غلام لأجل الفجور ، وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرون الرغبة فى سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النساء والصبيان ، أو يخرج إلى الحج ومقصوده الظفر بمن فى الرفقة من امرأة أو غلام . وهؤلاء أبغض المرائين إلى الله تعالى لأنهم جعلوا طاعة ربهم سلما إلى معصيته واتخذوها آلة ومتجرا وبضاعة لهم فى فسقهم ، ويقرب من هؤلاء وإن كان دونهم من هو مقترف جريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد أن ينفى التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفى التهمة كالذى جحد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال إنه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره وكذلك من ينسب إلى فجور بامرأة أو غلام فيدفع التهمه عن نفسه بالخشوع وإظهار التقوى .

(الثانية) أن يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال أو نكاح امرأة جميلة أو شريفة ، كالذى يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الأموال ويرغب فى نكاحه النساء ، فيقصد إما امرأة بعينها لينكحها أو امرأة شريفة على الجملة ، وكالذى يرغب أن يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب فى تزويجه ابنته . فهذا رياء محظور لأنه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الأول ، فإن المطلوب بهذا مباح فى نفسه .

(الثالثة) أن لا يقصد نيل حظ وإدراك مال أو نكاح ، ولكن يظهر عبادته خوفا من أن ينظر إليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد ويعتقد أنه من جملة العامة كالذى يمشى مستعجلا فيطلع عليه الناس فيحسن المشى ويترك العجلة كيلا يقال إنه من أهل اللهو والسهو لا من أهل الوقار ، وكذلك إن سبق إلى الضحك أو بدا منه المزاح فيخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وإظهار الحزن ، ويقول ما أعظم غفلة الآدمى عن نفسه ، والله يعلم منه أنه لو كان فى خلوة لما كان يثقل عليه ذلك ، وإنما يخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار لا بعين التوقير ، وكالذى يرى جماعة يصلون التراويح أو يتهجدون أو يصومون الخميس والاثنين أو يتصدقون فيوافقهم خيفة أن ينسب إلى الكسل ويلحق بالعوام ، ولو خلا بنفسه لكان

لايفعل شيئاً من ذلك ، وكالذى يعطش يوم عرفة أو عاشوراء أو فى الأشهر الحرم فلا يشرب خوفا من أن يعلم الناس أنه غير صائم ، فإذا ظنوا به الصوم امتنع عن الأكل لأجله ، أو يدعى إلى طعام فيمتنع ليظن أنه صائم وقد لايصرح بأنى صائم ولكن يقول : لى عذر ، وهو جمع بين خبيثين ، فإنه يرى أنه صائم ثم يرى أنه مخلص ليس بمراء ، وأنه يحترز من أن يذكر عبادته للناس فيكون مرائيا فيريد أن يقال إنه ساتر لعبادته ، ثم إن اضطر إلى شرب لم يصبر عن أن يذكر لنفسه فيه عذرا تصريحا أو تعريضا بأن يتعلل بمرض يقتضى فرط العطش ويمنع من الصوم ، أو يقول أفطرت تطييبا لقلب فلان ، ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه كى لايظن به أن يعتذر رياء ، ولكنه يصبر ثم يذكر عذره فى معرض حكاية عرضا ؛ مثل أن يقول : إن فلانا محب للإخوان شديد الرغبة فى أن يأكل الإنسان من طعامه وقد ألح على اليوم ولم أجد بدا من تطييب قلبه . ومثل أن يقول : إن أمى ضعيفة القلب مشفقة على تظن أنى لو صمت يوما مرضت فلا تدعنى أصوم ، فهذا وما يجرى مجراه من آفات الرياء فلا يسبق إلى اللسان إلا لرسوخ عرق الرياء فى الباطن . أما المخلص فإنه لا يبالى كيف نظر الخلق إليه ؟ فإن لم يكن له رغبة فى الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد أن يعتقد غيره مايخالف علم الله فيكون ملبسا ، وإن كان له رغبة فى الصوم لله قنع بعلم الله تعالى ولم يشرك فيه غيره ، وقد يخطر له أنّ فى إظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور ـ وسيأتى شرح ذلك وشروطه ـ .

فهذه درجات الرياء ومراتب أصناف المرائين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه ، وهو من أشد المهلكات وإن من شدّته أن فيه شوائب هى أخفى من دبيب النمل كما ورد به الخبر ، يزل فيه فحول العلماء فضلا عن العباد الجهلاء بآفات النفوس وغوائل القلوب والله أعلم .

بيان الرياء الخفى الذى هو أخفى من دبيب النمل

اعلم أنّ الرياء جلى وخفى ، فالجلى هو الذى يبعث على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو أجلاه ، وأخفى منه قليلا هو مالايحمل على العمل بمجرده ، إلا أنه يخفف العمل الذى يريد به وجه الله ، كالذى يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فإذا نزل عنده ضيف تنشط له وخف عليه وعلم أنه لولا رجاء الثواب لكان لايصلى لمجرد رياء الضيفان وأخفى من ذلك مالا يؤثر فى العمل ولا بالتسهيل والتخفيف أيضا ولكنه مع ذلك مستبطن فى القلب ، ومهما لم يؤثر فى الدعاء إلى العمل لم يمكن أن يعرف إلا بالعلامات ، وأجلى علاماته أن يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص فى عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده ويتمم العمل كذلك ، ولكن إذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروّح ذلك عن قلبه شدة العبادة ، وهذا السرور يدل على رياء خفى منه يرشح السرور ، ولولا التفات القلب إلى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس ، فلقد كان الرياء مستكنا فى القلب استكنان النار فى الحجر فأظهر عنه اطلاع الخلق أثر الفرح والسرور ، ثم إذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفى من الرياء حتى يتحرّك على نفسه حركة خفية ، فيتقاضى تقاضيا خفيا أن يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض وإلقاء الكلام عرضا وإن كان لايدعو إلى التصريح ، وقد يخفى فلا يدعو إلى الإظهار بالنطق تعريضا وتصريحا ولكن بالشمائل ، كإظهار النحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد ، وأخفى من ذلك أن يختفى بحيث لايريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ، ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أو يبدءوه بالسلام وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير وأن يثنوا عليه

وأن ينشطوا فى قضاء حوائجه وأن يسامحوه فى البيع والشراء وأن يوسعوا له فى المكان ، فإن قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادا فى نفسه كأنه يتقاضى الاحترام مع الطاعة التى أخفاها مع أنه لم يطلع عليه ، ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس فى حقه ، ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها فى كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يكن خاليا عن شوب خفى من الرياء أخفى من دبيب النمل[1] وكل ذلك يوشك أن يحبط الأجر ولا يسلم منه إلا الصديقون .

وقد روى عن على كرم الله وجهه أنه قال : إن الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة ، ألم يكن يرخص عليكم السعر ألم تكونوا تبتدءون بالسلام ألم تكونوا تقضى لكم الحوائج . وفى الحديث « لا أجر لكم قد استوفيتم أجوركم » وقال عبد الله بن المبارك . روى عن وهب بن منبه انه قال إن رجلا من السواح قال لأصحابه إنا إنما فارقنا الأموال والأولاد مخافة الطغيان فنخاف أن نكون قد دخل علينا فى أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الأموال فى أموالهم ، إن أحدنا إذا لقى أحب أن يعظم لمكان دينه وإن سأل حاجة أحب أن تقضى له لمكان دينه وإن اشترى شيئا أحب أن يرخص عليه لمكان دينه ، فبلغ ذلك ملكهم فركب فى موكب من الناس فإذا السهل والجبل قد امتلأ بالناس ، فقال السائح ما هذا ؟ قيل هذا الملك قد أظلك ، فقال للغلام ائتنى بطعام فأتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر ، فجعل يحشو شدقه ويأكل أكلا عنيفا فقال الملك أين صاحبكم؟ فقالوا هذا ، قال كيف أنت ؟ قال كالناس ، وفى حديث آخر : بخير ، فقال الملك ماعند هذا من خير ! فانصرف عنه ، فقال السائح الحمد لله الذى صرفك عنى وأنت لى ذام . فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفى يجتهدون لذلك فى مخادعة الناس عن أعمالهم الصالحة يحرصون على إخفائها أعظم مما يحرص الناس على إخفاء فواحشهم ، كل ذلك رجاء أن تخلص أعمالهم الصالحة فيجازيهم الله فى القيامة بإخلاصهم على ملأ من الخلق ، إذ علموا أن الله لا يقبل فى القيامة إلا الخالص وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم فى القيامة وانه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزى والد عن ولده ، ويشتغل الصديقون بأنفسهم فيقول كل واحد . نفسى نفسى ! فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله إذا توجهوا إلى مكة فإنهم يستصحبون مع أنفسهم الذهب المغربى الخالص لعلمهم أن أرباب البوادى لا يروج عندهم الزائف والبهرج ، والحاجة تشتد فى البادية ولا وطن يفزع إليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجى إلا الخالص من النقد ، فكذا يشاهد أرباب القلوب يوم القيامة والزاد الذى يتزودونه له من التقوى . فإذن شوائب الرياء الخفى كثيرة لا تنحصر ، ومهما أدرك من نفسه تفرقه بين أن يطلع على عبادته إنسان أو بهيمة ففيه شعبة من الرياء فإنه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضره البهائم أو الصبيان الرضع أم غابوا ، اطلعوا على حركته أم لم يطلعوا ، فلو كان مخلصا قانعا بعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم ، وعلم أن العقلاء لا يقدرون له على رزق ولا أجل ولا زيادة ثواب ونقصان عقاب كما لا يقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين ، فإذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفى ، ولكن ليس كل شوب محبطاً للأجر مفسدا للعمل بل فيه تفضيل .

فإن قلت : فما نرى أحداً ينفك عن السرور إذا عرفت طاعاته ، فالسرور مذموم كله أو بعضه محمود وبعضه مذموم ؟ فنقول . أولا ، كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم إلى محمود وإلى مذموم .

فأما المحمود فأربعة أقسام (الأول) أن يكون قصده إخفاء الطاعة والإخلاص لله ، ولكن لما اطلع عليه

---

(١) حديث « فى الرياء شوائب أخفى من دبيب النمل » أخرجه أحمد والطبرانى من حديث أبى موسى الأشعرى « اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل » ورواه ابن حبان فى الضعفاء من حديث أبى بكر الصديق وضعفه هو والدارقطنى .

الخلق علم أن الله أطلعهم وأظهر الجميل من أحواله ، فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره إليه وإلطافه به ، فإنه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة ، ولا لطف أعظم من ستر القبيح وإظهار الجميل ، فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة فى قلوبهم وقد قال تعالى ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ﴾ فكأنه ظهر له أنه عند الله مقبول ففرح به .

(الثانى) أن يستدل بإظهار الله الجميل وستره القبيح عليه فى الدنيا أنه كذلك يفعل فى الآخرة إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماستر الله على عبد ذنبا فى الدنيا إلا ستره عليه فى الآخرة [1] فيكون الأول فرحا بالقبول فى الحال من غير ملاحظة المستقبل ، وهذا التفات إلى المستقبل .

(الثالث) أن يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به فى الطاعة فيتضاعف بذلك أجره ، فيكون له أجر العلانية بما أظهر آخرا وأجر السر بما قصده أولا ، ومن اقتدى به فى طاعة فله مثل أجر أعمال المقتدين به من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، وتوقع ذلك جدير بأن يكون سبب السرور ، فإن ظهور مخايل الربح لذيذ وموجب للسرور لامحالة .

(الرابع) أن يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله فى مدحهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم إلى الطاعة ، إذا من أهل الإيمان من يرى أهل الطاعة فيمقته ويحسده أو يذمه ويهزأ به أو ينسبه إلى الرياء ولا يحمده عليه ، فهذا فرح بحسن إيمان عباد الله . وعلامة الإخلاص فى هذا النوع أن يكون فرحه بحمده غيره مثل فرحه بحمدهم إياه .

وأما المذموم وهو الخامس : فهو أن يكون فرحه لقيام منزلته فى قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالإكرام فى مصادره وموارده فهذا مكروه والله تعالى أعلم .

بيان مايحبط العمل من الرياء الخفى والجلى وما لايحبط

فنقول فيه : إذا عقد العبد العبادة على الإخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فلا يخلو إما أن يرد عليه بعد فراغه من العمل أو قبل الفراغ ، فإن ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير إظهار فهذا لايفسد العمل ، إذ العمل قد تم على نعت الإخلاص سالما عن الرياء فما يطرأ بعده فيرجو أن لاينعطف عليه أثر ، لاسيما إذا لم يتكلف هو إظهاره والتحدث به ولم يتمن إظهاره وذكره ولكن اتفق ظهوره وإظهار الله ، ولم يكن منه إلا مادخل من السرور والارتياح على قلبه . نعم لو تم العمل على الإخلاص من غير عقد رياء ولكن ظهرت له بعده رغبة فى الإظهار فتحدث به وأظهره فهذا مخوف .

وفى الآثار والأخبار مايدل على أنه يحبط فقد روى عن ابن مسعود أنه سمع رجلا يقول قرأت البارحة البقرة فقال ذلك حظه منها . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل قال له : صمت الدهر يارسول الله . فقال له « ماصمت ولا أفطرت [2] » فقال بعضهم إنما قال ذلك لأنه أظهره وقيل هو إشارة إلى كراهة صوم الدهر . وكيفما كان فيحتمل أن يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابن مسعود استدلالا على أن قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده له لما أن ظهر منه التحدث به ، إذ يبعد أن يكون مايطرأ بعد العمل مبطلا لثواب العمل بل الأقيس أن يقال إنه مثاب على عمله الذى مضى ومعاقب على مراءاته بطاعة الله بعد الفراغ منها ،

---

(١) حديث « ماستر الله على عبد ذنبا فى الدنيا إلا ستره عليه فى الآخرة » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة (٢) حديث قال لرجل قال : صمت الدهر « ماصمت ولا أفطرت » أخرجه مسلم من حديث أبى قتادة : قال عمر يارسول الله كيف بمن يصوم الدهر ؟ قال « لاصام ولا أفطر » وللطبرانى من حديث أسماء بنت يزيد فى أثناء حديث ، فيه : فقال رجل إنى صائم ، قال بعض القوم إنه لايفطر إنه يصوم كل يوم قال النبى صلى الله عليه وسلم « لاصام ولا أفطر من صام الأبد » ولم أجده بلفظ الخطاب .

بخلاف ما لو تغير عقده إلى الرياء قبل الفراغ من الصلاة فإن ذلك قد يبطل الصلاة ويحبط العمل . وأما إذا ورد وارد الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلا وكان قد عقد على الإخلاص ولكن ورد فى أثنائها وارد الرياء ، فلا يخلو إما أن يكون مجرد سرور لايؤثر فى العمل وإما أن يكون رياء باعثا على العمل ، فإن كان باعثا على العمل وختم العبادة به حبط أجره . ومثاله : أن يكون فى تطوع فتجددت له نظارة ، أو حضر ملك من الملوك وهو يشتهى أن ينظر إليه ، أو يذكر شيئا نسيه من ماله وهو يريد أن يطلبه ، ولولا الناس لقطع الصلاة فاستتمها خوفا من مذمة الناس ، فقد حبط أجره وعليه الإعادة إن كان فى فريضة وقد قال صلى الله عليه وسلم « العمل كالوعاء إذا طاب آخره طاب أوله »[1] أى النظر إلى خاتمته . وروى « أنه من راءى بعمل ساعة حبط عمله الذى كان قبله »[2] وهذا منزل على الصلاة فى هذه الصورة لاعلى الصدقة ولا على القراءة فإن كل جزء من ذلك مفرد ، فما يطرأ يفسد الباقى دون الماضى ، والصوم والحج من قبيل الصلاة . وأما إذا كان وارد الرياء بحيث لايمنعه من قصد الإتمام لأجل الثواب ، كما لو حضر جماعة فى أثناء الصلاة ففرح بحضورهم وعقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لأجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها أيضا ، فهذا رياء قد أثر فى العمل وانتهض باعثا على الحركات ، فإن غلب حتى انمحق معه الإحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورا ، فهذا أيضا ينبغى أن يفسد العبادة مهما مضى ركن من أركانها على هذا الوجه ، لأنا نكتفى بالنية السابقة عند الإحرام بشرط أن لايطرأ عليها مايغلبها ويغمرها ، ويحتمل أن يقال لايفسد العبادة نظرا إلى حالة العقد وإلى بقاء قصد أصل الثواب وإن ضعف بهجوم قصد هو أغلب منه .

ولقد ذهب الحارث المحاسبى رحمه الله تعالى إلى الإحباط فى أمر هو أهون من هذا وقال : إذا لم يرد إلا مجرد السرور باطلاع الناس ـ يعنى سرورا هو كحب المنزلة والجاه ـ قال ؛ قد اختلف الناس فى هذا ؛ فصارت فرقة إلى أنه محبط لأنه نقض العزم الأول وركن إلى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالإخلاص وإنما يتم العمل بخاتمته ، ثم قال ولاأقطع عليه بالحبط وإن لم يتزيد فى العمل ولا آمن عليه وقد كنت أقف فيه لاختلاف الناس ، والأغلب على قلبى أنه يحبط إذا ختم عمله بالرياء ثم قال : فإن قيل قد قال الحسن رحمه الله تعالى ؛ إنهما حالتان ، فإذا كانت الأولى لم تضره الثانية . وقد روى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله أسر العمل لاأحب أن يطلع عليه فيطلع عليه فيسرنى قال « لك أجران أجر السر وأجر العلانية »[3] ثم تكلم على الخبر والأثر فقال : أما الحسن فإنه أراد بقوله : لايضره ، أى لايدع العمل ولاتضره الخطرة وهو يريد الله ، ولم يقل إذا عقد الرياء بعد عقد الإخلاص لم يضره ، وأما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله إلى ثلاثة أوجه (أحدها) أنه يحتمل أنه أراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس فى الحديث أنه قبل الفراغ . (الثانى) أنه أراد أن يسر به للاقتداء به أو لسرور آخر محمود مما ذكرناه قبل لاسرورا بسبب حب المحمدة والمنزلة ، بدليل أنه جعل له به أجرا ، ولاذاهب من الأمة إلى أن للسرور بالمحمدة أجرا وغايته أن يعفى عنه ، فكيف يكون للمخلص أجر وللمرائى أجران؟ (والثالث) أنه قال: أكثر من يروى الحديث يرويه غير متصل إلى أبى هريرة بل أكثرهم يوقفه على أبى صالح ، ومنهم من يرفعه ، فالحكم

---

(١) حديث « العمل كالوعاء إذا طاب آخره طاب أوله » أخرجه ابن ماجه من حديث معاوية بن أبى سفيان بلفظ « إذا طاب أسفله طاب أعلاه » وقد تقدم (٢) حديث « من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذى كان قبله » لم أجده بهذا اللفظ وللشيخين من حديث جندب « من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به » ورواه مسلم من حديث ابن عباس (٣) حديث : أن رجلا قال أسر العمل لا أحب أن يطلع عليه فيطلع عليه فيسرنى فقال « لك أجران ... الحديث » أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان من رواية ذكوان عن ابن مسعود ورواه الترمذى وابن حبان من رواية ذكوان عن أبى هريرة : الرجل يعمل العمل فيسره فإذا اطلع عليه أعجبه قال « له أجر السر والعلانية » قال الترمذى غريب وقال إنه روى عن أبى صالح وهو ذكر أنه مرسل .

بالعمومات الواردة فى الرياء أولى . هذا ماذكره ولم يقطع به بل أظهر ميلا إلى الإحباط .

والأقيس عندنا : أن هذا القدر إذا لم يظهر أثره فى العمل بل بقى العمل صادرا عن باعث الدين وإنما انضاف إليه السرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لأنه لم ينعدم به أصل نيته وبقيت تلك النية باعثة على العمل وحاملة على الإتمام .

وأما الأخبار التى وردت فى الرياء فهى محمولة على ما إذا لم يرد به إلا الخلق ، وأما ماورد فى الشركة فهو محمول على ما إذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب أو أغلب منه ، أما إذا كان ضعيفا بالإضافة إليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الأعمال ، ولاينبغى أن يفسد الصلاة ، ولا يبعد أن يقال إن الذى أوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله ـ والخالص مالا يشوبه شىء ـ فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه . وقد ذكرنا فى كتاب الإخلاص كلاما أوفى مما أوردناه الآن فليرجع إليه ، فهذا حكم الرياء الطارئ بعد عقد العبادة إما قبل الفراغ أو بعد الفراغ .

القسم الثالث : الذى يقارن حال العقد بأن يبتدئ الصلاة على قصد الرياء ، فإن استمر عليه سلم فلا خلاف فى أنه يقضى ولايعتد بصلاته ، وإن ندم عليه فى أثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة أوجه (قالت فرقة) لم تنعقد صلاته مع قصد الرياء فليستأنف (وقالت فرقة) تلزمه إعادة الأفعال كالركوع والسجود وتفسد أفعاله دون تحريمة الصلاة لأن التحريم عقد ، والرياء خاطر فى قلبه لايخرج التحريم عن كونه عقدا (وقالت فرقة) لايلزم إعادة شىء بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الإخلاص والنظر إلى خاتمة العبادة كما لو ابتدأ بالإخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله .

وشبهوا ذلك بثوب أبيض لطخ بنجاسة عارضة فإذا أزيل العارض عاد إلى الأصل ، فقالوا إن الصلاة والركوع والسجود لاتكون إلا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ، ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار إلى حالة لايبالى بحمد الناس وذمهم فتصح صلاته . ومذهب الفريقين الآخرين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال يلزمه إعادة الركوع والسجود دون الافتتاح ، لأن الركوع والسجود إن لم يصح صارت أفعالا زائدة فى الصلاة فتفسد الصلاة . وكذلك قول من يقول لو ختم بالإخلاص صح نظرا إلى الآخر فهو أيضا ضعيف ، لأن الرياء يقدح فى النية وأولى الأوقات بمراعاة أحكام النية حال الافتتاح ، فالذى يستقيم على قياس الفقه هو أن يقال إن كان باعثه مجرد الرياء فى ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الأمر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح مابعده ، وذلك فيمن إذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحرم بالصلاة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا أيضا كان يصلى لأجل الناس ، فهذه صلاة لانية فيها إذ النية عبارة عن إجابة باعث الدين ، وههنا لاباعث ولا إجابة . فأما إذا كان بحيث لولا الناس أيضا لكان يصلى إلا أنه ظهر له الرغبة فى المحمدة أيضاً فاجتمع الباعثان ، فهذا إما أن يكون فى صدقة وقراءة وماليس فيه تحليل وتحريم أو فى عقد صلاة وحج ، فإن كان فى صدقة فقد عصى بإجابة باعث الرياء وأطاع بإجابة باعث الثواب ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولايحبط أحدهما الآخر . وإن كان فى صلاة تقبل الفساد بتطرق خلل إلى النية فلا يخلو إما أن تكون فرضا أو نفلا ، فإن كانت نفلا فحكمها أيضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه وأطاع من وجه ، إذ اجتمع فى قلبه الباعثان ، ولايمكن أن يقال صلاته فاسدة والاقتداء به باطل حتى إن من صلى

التراويح وتبين من قرائن حاله أن يصده الرياء بإظهار حسن القراءة ، ولولا اجتماع الناس خلفه وخلافى بيت وحده لما صلى لايصح الاقتداء به فإن المصير إلى هذا بعيد جدا ، بل يظن بالمسلم أنه يقصد الثواب أيضا بتطوعه فتصح باعتبار ذلك القصد صلاته ويصح الاقتداء به ، وإن اقترن به قصد آخر وهو به عاص ، فأما إذا كان فى فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لايستقل وإنما يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه ، لأن الإيجاب لم ينتهض باعثا فى حقه بمجرده واستقلاله ، وإن كان كل باعث مستقلا حتى لولم يكن باعث الرياء لأدى الفرائض ، ولولم يكن باعث الفرض لأنشأ صلاة تطوعا لأجل الرياء فهذا محل النظر ، وهو محتمل جدا ، فيحتمل أن يقال إن الواجب صلاة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص ، ويحتمل أن يقال الواجب امتثال الأمر بباعث مستقل بنفسه وقد وجد ، فاقتران غيره به لايمنع سقوط الفرض عنه ، كما لو صلى فى دار مغصوبة فإنه وإن كان عاصيا بإيقاع الصلاة فى الدار المغصوبة فإنه مطيع بأصل الصلاة ومسقط للفرض عن نفسه ، وتعارض الاحتمال فى تعارض البواعث فى أصل الصلاة ، أما إذا كان الرياء فى المبادرة مثلا دون أصل الصلاة مثل من بادر إلى الصلاة فى أول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لأخر إلى وسط الوقت ، ولولا الفرض لكان لايبتدئ صلاة لأجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلاته وسقوط الفرض به ، لأن باعث أصل الصلاة من حيث إنها صلاة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت ، فهذا أبعد من القدح فى النية ، هذا فى رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه ، وأما مجرد السرور باطلاع الناس عليه إذا لم يبلغ أثره إلى حيث يؤثر فى العمل فبعيد أن يفسد الصلاة . فهذا مانراه لائقا بقانون الفقه ، والمسألة غامضة من حيث أن الفقهاء لم يتعرضوا لها فى فن الفقه ، والذين خاضوا فيها وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء فى صحة الصلاة وفسادها ، بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الإخلاص على إفساد العبادات بأن الخواطر وما ذكرناه هو الأقصد فيما نراه والعلم عند الله عز وجل فيه وهو عالم الغيب والشهادة وهو الرحمن الرحيم .

بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه

قد عرفت مما سبق أن الرياء محبط للأعمال وسبب للمقت عند الله تعالى وأنه من كبائر المهلكات ، وما هذا وصفه لجدير بالتشمير عن ساق الجد فى إزالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق ، فلا شفاء إلا فى شرب الأدوية المرة البشعة ، وهذه مجاهدة يضطر اليها العباد كلهم ، إذ الصبى يخلق ضعيف العقل والتمييز ممتد العين إلى الخلق كثير الطمع فيهم ؛ فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويرسخ ذلك فى نفسه ، وإنما يشعر بكونه مهلكا بعد كمال عقله وقد انغرس الرياء فى قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه إلا بمجاهدة شديده ومكابدة لقوة الشهوات . فلا ينفك أحد عن الحاجة إلى هذه المجاهدة ، ولكنها تشق أولا وتخف آخراً وفى عزلاجه مقامان (أحدهما) قلع عروقه وأصوله التى منها انشعابه (والثانى) دفع مايخطر منه فى الحال .

(المقام الأول) فى قلع عروقه واستئصال أصوله : وأصله حب المنزلة والجاه . وإذا فصل رجع إلى ثلاثة أصول وهى لذة المحمدة ، والفرار من ألم الذم ، والطمع فيما فى أيدى الناس . ويشهد للرياء بهذه الأسباب وأنها الباعثة للمرائى ماروى أبو موسى أن أعرابيا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله الرجل يقاتل [1] حمية — ومعناه أنه يأنف أن يقهر أو يذم بأنه مقهور مغلوب — وقال : والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر

(١) حديث أبى موسى : أن أعرابيا قال يارسول الله الرجل يقاتل حمية ... الحديث » . متفق عليه

فى القلوب ـ والرجل يقاتل للذكر ـ وهذا هو الحمد باللسان ـ فقال صلى الله عليه وسلم « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » وقال ابن مسعود : إذا التقى الصفان نزلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم ؛ فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك ، والقتال للملك إشارة إلى الطمع فى الدنيا . وقال عمر رضى الله عنه : يقولون فلان شهيد ولعله يكون قد ملأ دفتى راحلته ورقا . وقال صلى الله عليه وسلم « من غزا لا يبغى إلا عقالا فله مانوى [1] » فهذا إشارة إلى الطمع . وقد لا يشتهى الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من ألم الذم كالبخيل بين الأسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فإنه يتصدق بالقليل كى لا يبخل ، وهو ليس يطمع فى الحمد وقد سبقه غيره ، وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفا من الذم وهو لا يطمع فى الحمد وقد هجم غيره على صف القتال . ولكن إذا أيس من الحمد كره الذم ، وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلى ركعات معدودة حتى لا يذم بالكسل وهو لا يطمع فى الحمد . وقد يقدر الإنسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على ألم الذم ، ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج إليه خيفة من أن يذم بالجهل ، ويفتى بغير علم ويدعى العلم بالحديث وهو به جاهل ، كل ذلك حذرا من الذم . فهذه الأمور الثلاثة هى التى تحرك المرائى إلى الرياء ، وعلاجه ماذكرناه فى الشطر الأول من الكتاب على الجملة .

ولكنا نذكر الآن مايخص الرياء وليس يخفى أن الإنسان إنما يقصد الشىء ويرغب فيه لظنه أنه خير له ونافع ولذيذ ، إما فى الحال وإما فى المآل ، فإن علم إنه لذيذ فى الحال ولكنه ضار فى المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه ، كمن يعلم أن العسل لذيذ ولكن إذا بان له أن فيه سما أعرض عنه ؛ فكذلك طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم مافيه من المضرة . ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه فى الحال من التوفيق وفى الآخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم والمقت الشديد والخزى الظاهر . حيث ينادى على رءوس الخلائق : يافاجر ياغادر يامرائى ، أما استحييت إذ اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا ، وراقبت قلوب العباد واستهزأت بطاعة الله ، وتحببت إلى العباد بالتبغض إلى الله ، وتزينت لهم بالشين عند الله ، وتقربت إليهم بالبعد من الله ، وتحمدت اليهم بالتذمم عند الله ، وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله ، أما كان أحد أهون عليك من الله ! فهما تفكر العبد فى هذا الخزى وقابل مايحصل له من العباد والتزين لهم فى الدنيا بما يفوته فى الآخرة وبما يحبط من ثواب الأعمال ، مع أن العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص ، فاذا فسد بالرياء حول إلى كفة السيئات فترجح به ويهوى إلى النار ، فلو لم يكن فى الرياء إلا إحباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا فى معرفة ضرره وإن كان مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله فى زمرة النبيين والصديقين ، وقد حط عنهم بسبب الرياء ، رد إلى صف النعال من مراتب الأولياء ، هذا مع مايتعرض له فى الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق ، فان رضا الناس غاية لا تدرك ، فكل مايرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم فى سخط بعضهم ، ومن طلب رضاهم فى سخط الله سخط الله عليه وأسخطهم أيضا عليه ، ثم أى غرض له فى مدحهم وإيثار ذم الله لأجل حمدهم ؟ ولا يزيده حمدهم رزقا ولا أجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيامة وأما الطمع فيما فى أيديهم فبأن يعلم أن الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والإعطاء ، وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق إلا الله ، ومن طمع فى الخلق لم يخل من الذل والخيبة ، وإن وصل إلى المراد لم يخل عن المنة والمهانة ، فكيف يترك ما عند الله برجاء

(١) حديث « من غزا لا يبغى إلا عقالا فله مانوى » أخرجه النسائى وقد تقدم .

كاذب ووهم فاسد قد يصيب وقد يخطئ وإذا أصاب فلا تفى لذته بألم منته ومذلته ؟ وأما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده ذمهم شيئا مالم يكتبه عليه الله ، ولا يعجل أجله ولا يؤخر رزقه ، ولا يجعله من أهل النار إن كان من أهل الجنة ، ولا يبغضه إلى الله إن كان محمودا عند الله ، ولا يزيده مقتا إن كان ممقوتا عند الله ، فالعباد كلهم عجزة لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا . فإذا قرر فى قلبه آفة هذه الأسباب وضررها فترت رغبته وأقبل على الله قلبه ، فان العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ، ويكفيه أن الناس لو علموا مافى باطنه من قصد الرياء وإظهار الإخلاص لمقتوه ، وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه إلى الناس ويعرفهم أنه مراء وممقوت عند الله ، ولو أخلص لله لكشف الله لهم إخلاصه وحببه إليهم وسخرهم له وأطلق ألسنتهم بالمدح والثناء عليه ، مع أنه لا كمال فى مدحهم ولا نقصان فى ذمهم كما قال شاعر بنى تميم : إن مدحى زين وإن ذمى شين ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « كذبت ؛ ذاك الله الذى لا إله إلا هو[1] » إذ لا زين إلا فى مدحه ولا شين إلا فى ذمه ، فأى خير لك فى مدح الناس . وأنت عند الله مذموم ومن أهل النار ؟ وأى شر لك من ذم الناس وأنت عند الله محمود فى زمرة المقربين ؟ فمن أحضر فى قلبه الآخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله استحقر ما يتعلق بالخلق أيام الحياة مع ما فيه من الكدورات والمنغصات ، واجتمع همه وانصرف إلى الله قلبه وتخلص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق ، وانعطف من إخلاصه أنوار على قلبه ينشرح بها صدره وينفتح بها له من لطائف المكاشفات مايزيد به أنسه بالله ووحشته من الخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للآخرة ، وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية الرياء وتذلل له منهج الإخلاص . فهذا وما قدمنا فى الشطر الأول هى الأدوية العلمية القالعة مغارس الرياء .

وأما الدواء العملى : فهو أن يعود نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب دونها ، كما تغلق الأبواب دون الفواحش ، حتى يقنع قلبه بعلم الله أو إطلاعه على عباداته ولا تنازعه النفس إلى طلب علم غير الله به . وقد روى أن بعض أصحاب أبى حفص الحداد ذم الدنيا وأهلها فقال : أظهرت ما كان سبيلك أن تخفيه لا تجالسنا بعد هذا . فلم يرخص فى إظهار هذا القدر لأن فى ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها ، فلا دواء الرياء مثل الإخفاء ، وذلك يشق فى بداية المجاهدة ، وإذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل ألطاف الله وما يمده به عباده من حسن التوفيق والتأييد والتسديد و ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية ، ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب ﴿ والله لا يضيع أجر المحسنين ؛ وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ﴾ .

(المقام الثانى) فى دفع العارض منه فى أثناء العبادة وذلك لا بد من تعلمه أيضا ، فإن من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع وإسقاط نفسه من أعين المخلوقين واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه فى أثناء العبادات ، بل يعارضه بخطرات الرياء ، ولا تنقطع عنه نزغاته وهوى النفس وميلها لا ينمحى بالكلية ، فلابد وأن يتشمر لدفع مايعرض من خاطر الرياء . وخواطر الرياء ثلاثة ـ قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترادف على التدريج ـ فالأول : العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم . ثم يتلوه هيجان الرغبة

(١) حديث : قال شاعر من بنى تميم إن مدحى زين وإن ذمى شين : فقال « كذبت ذاك الله » أخرجه أحمد من حديث الأقرع بن حابس وهو قائل « ذاك » دون قوله « كذبت » ورجاله ثقات إلا أنى لا أعرف لأبى سلمة بن عبد الرحمن سماعا من الأقرع ورواه الترمذى من حديث البراء وحسنه بلفظ فقال رجل « إن حمدى » .

من النفس فى حمدهم وحصول المنزلة عندهم . ثم يتلوه هيجان الرغبة فى قبول النفس له والركون إليه وعقد الضمير على تحقيقه . فالأول : معرفة . والثانى : حالة تسمى الشهوة والرغبة . والثالث : فعل يسمى العزم وتصميم العقد . وإنما كمال القوة فى دفع الخاطر الأول ورده قبل أن يتلوه الثانى ، فإذا خطر له معرفة اطلاع الخلق أو رجاء اطلاعهم دفع ذلك بأن قال : مالك وللخلق علموا أو لم يعلموا والله عالم بحالك فأى فائدة فى علم غيره ؟ فإن هاجت الرغبة إلى لذة الحمد يذكر ما رسخ فى قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرضه للمقت عند الله فى القيامة وخيبته فى أحوج أوقاته إلى أعماله ، فكما أن معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة فى الرياء فمعرفة آفة الرياء تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة ، إذ يتفكر فى تعرضه لمقت الله وعقابه الأليم ، والشهوة تدعوه إلى القبول ، والكراهة تدعوه إلى الإباء ، والنفس تطاوع لا محالة أقواهما وأغلبهما .

فإذن لا بد فى رد الرياء من ثلاثة أمور : المعرفة ، والكراهة والإباء . وقد يشرع العبد فى العبادة على عزم الإخلاص ، ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تحضره المعرفة ولا الكراهة التى كان الضمير منطويا عليها ، وإنما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحب الحمد واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى فى القلب متسع لغيره ، فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بآفات الرياء وشؤم عاقبته إذ لم يبق موضع فى القلب خال عن شهوة الحمد أو خوف الذم ، وهو كالذى يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب ، ويعزم على التحلم عند جريان سبب الغضب ثم يجرى من الأسباب مايشتد به غضبه فينسى سابقة عزمه ويمتلئ قلبه غيظا يمنع من تذكر آفة الغضب ويشغل قلبه عنه ، فكذلك حلاوة الشهوة تملأ القلب وتدفع نور المعرفة مثل مرارة الغضب . وإليه أشار جابر بقوله : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت فأنسيناها يوم حنين [1] حتى نودى : يا أصحاب الشجرة فرجعوا . وذلك لأن القلوب امتلأت بالخوف فنسيت العهد السابق حتى ذكروا ، وأكثر الشهوات التى تهجم فجأة هكذا تكون ، إذ ينسى معرفة مضرته الداخلة فى عقد الإيمان . ومهما نسى المعرفة لم تظهر الكراهة فإن الكراهة ثمرة المعرفة . وقد يتذكر الإنسان فيعلم أن الخاطر الذى خطر له هو خاطر الرياء الذى يعرضه لسخط الله ، ولكن يستمر عليه لشدة شهوته ، فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال ، فيسوف بالتوبة أو يتشاغل عن التفكر فى ذلك لشدة الشهوة ، فكم من عالم يحضره كلام لا يدعوه إلى فعله إلا رياء الخلق وهو يعلم ذلك ، ولكنه يستمر عليه فتكون الحجة عليه أوكد ؟ إذ قبل داعى الرياء مع علمه بغائلته وكونه مذموما عند الله ، ولا تنفعه معرفته إذا خلت المعرفة عن الكراهة . وقد تحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعى الرياء لكون الكراهة ضعيفة بالإضافة إلى قوة الشهوة ، وهذا أيضا لا ينتفع بكراهته إذ الغرض من الكراهة أن تصرف عن الفعل .

فإذن لا فائدة إلا فى اجتماع الثلاث : وهى المعرفة ، والكراهة ، والإباء . فالإباء ثمرة الكراهة ، والكراهة ثمرة المعرفة ، وقوة المعرفة بحسب قوة الإيمان ونور العلم ، وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكر فيما عند الله وقلة التأمل فى آفات الحياة الدنيا وعظيم نعيم الآخرة ، وبعض ذلك ينتج بعضا ويثمره ، وأصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة ومنبع كل ذنب ، لأن حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هى التى تغضب القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكر فى العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة وأنوار العلوم ،

---

(١) حديث جابر : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لانفر ... الحديث . أخرجه مسلم مختصرا دون ذكر « يوم حنين » فرواه مسلم من حديث العباس .

فإن قلت : فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحملته الكراهة على الإباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع إليه وحبه له ومنازعته إياه إلا أنه كاره لحبه ولميله إليه وغير محب إليه ، فهل يكون فى زمرة المرائين ؟ فاعلم أن الله لم يكلف العباد إلا ماتطيق وليس فى طـــاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل إلى الشهوات ولا ينزع إليها ، وإنما غايته أن يقابل شهوته بكراهة استثارها من معرفة العواقب وعلم الدين وأصول الإيمان بالله واليوم الآخر ، فإذا فعل ذلك فهو الغاية فى أداء ما كلف به . ويدل على ذلك من الأخبار ماروى أن أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شكوا إليه وقالوا : تعرض لقلوبنا أشياء لأن تخر من السماء فتخطفنا الطير أو تهوى بنا الريح فى مكان سحيق أحب إلينا من أن نتكلم بها ، فقال عليه السلام «أوقدوجدتموه» قالوا : نعم قال « ذلك صريح الإيمان [1] » ولم يجدوا إلا الوسواس والكراهة له ، ولايمكن أن يقال أراد بصريح الإيمان الوسوسة ، فلم يبق إلا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة ، والرياء وإن كان عظيما فهو دون الوسوسة فى حق الله تعالى ، فإذا اندفع ضرر الأعظم بالكراهة فبأن يندفع بها ضرر الأصغر أولى ، وكذلك يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث ابن عباس أنه قال « الحمد لله الذى رد كيد الشيطان إلى الوسوسة [2] » ، وقال أبو حازم : ما كان من نفسك وكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ماهو من عدوك ، وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه . فإذن وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لاتضرك مهما رددت مرادهما بالإباء والكراهة ، والخواطر التى هى العلوم والتذكرات والتخيلات للأسباب المهيجة للرياء هى من الشيطان ، والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من النفس ، والكراهة من الإيمان ومن آثار العقل ، إلا أن للشيطان ههنا مكيدة وهى أنه إذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل إليه أن صلاح قلبه فى الاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته فى الرد والجدال حتى يسلبه ثواب الإخلاص وحضور القلب ، لأن الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف عن سر المناجاة مع الله فيوجب ذلك نقصانا فى منزلته عند الله .

والمتخلصون عن الرياء فى دفع خواطر الرياء على أربع مراتب (الأولى) أن يرده على الشيطان فيكذبه ، ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه أن ذلك أسلم لقلبه ، وهو على التحقيق نقصان ، لأنه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذى هو بصدده وانصرف إلى قتال قطاع الطريق ، والتعريج على قتال قطاع الطريق نقصان فى السلوك . (الثانية) أن يعرف أن الجدال والقتال نقصان فى السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادلته (الثالثة) أن لا يشتغل بتكذيبه أيضا لأن ذلك وقفة وإن قلت ، بل يكون قد قرر فى عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبا للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة . (الرابعة) أن يكون قد علم أن الشيطان سيحسده عند جريان أسباب الرياء ، فيكون قد عزم على أنه مهما نزغ الشيطان زاد فيما هو فيه من الإخلاص والاشتغال بالله وإخفاء الصدقة والعبادة غيظا للشيطان ، وذلك هو الذى يغيظ الشيطان ويقمعه ويوجب يأسه وقنوطه حتى لايرجع . يروى عن الفضيل بن غزوان أنه قيل له : إن فلانا يذكرك ، فقال ، والله لأغيظن من أمره ، قيل : ومن أمره ؟ قال : الشيطان ، اللهم اغفر له . أى لأغيظنه بأن

---

(١) حديث : شكوى الصحابة مايعرض فى قلوبهم وقوله « ذلك صريح الإيمان » أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود مختصرا : سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة فقال « ذلك محض الإيمان » والنسائى فى اليوم والليلة وابن حبان فى صحيحه ورواه النسائى فيه من حديث عائشة . (٢) حديث ابن عباس « الحمد لله الذى رد كيد الشيطان الى الوسوسة » أخرجه أبو داود والنسائى فى اليوم والليلة بلفظ « كيده » .

أطع الله فيه . ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة من أن يزيد فى حسناته . وقال إبراهيم التيمى : إن الشيطان ليدعو العبد إلى الباب من الإثم ، فلا يطعه وليحدث عند ذلك خيرا ، فإذا رآه كذلك تركه: وقال أيضا : إذا رآك الشيطان مترددا طمع فيك ، وإذا رآك مداوما ملك وقلاك

وضرب الحارث المحاسبى رحمه الله لهذه الأربعة مثالا أحسن فيه فقال : مثالهم كأربعة قصدوا مجلسا من العلم والحديث لينالوا به فائدة وفضلا وهداية ورشدا ، فحسدهم على ذلك ضال مبتدع وخاف أن يعرفوا الحق ، فتقدم إلى واحد فمنعه وصرفه عن ذلك ودعاه إلى مجلس ضلال فأبى ، فلما عرف إباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن أن ذلك مصلحة له ، وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر تأخره . فلما مر الثانى عليه نهاه واستوقفه ، فوقف فدفع فى نحر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل ، ففرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه . ومر به الثالث فلم يلتفت إليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله ، بل استمر على ما كان ، فخاب منه رجاؤه بالكلية . فمر الرابع فلم يتوقف له ، وأراد أن يغيظه فزاد فى عجلته وترك التأنى فى المشى ، فيوشك إن عادوا ومروا عليه مرة أخرى أن يعاود الجميع إلا هذا الأخير فإنه لا يعاوده خيفة من أن يزداد فائدة باستعجاله .

فإن قلت : فإذا كان الشيطان لا تؤمن نزغاته فهل يجب الترصد له قبل حضوره للحذر منه انتظاراً لوروده ، أم يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له ، أو يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة عنه ؟ قلنا : اختلف الناس فيه على ثلاثة أوجه :فذهبت فرقة من أهل البصرة إلى أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لأنهم انقطعوا إلى الله واشتغلوا بحبه فاعتزلهم الشيطان وأيس منهم وخنس عنهم ـ كما أيس من ضعفاء العباد فى الدعوة إلى الخمر والزنا ـ فصارت ملاذ الدنيا عندهم ـ وإن كانت مباحة ـ كالخمر والخنزير ، فارتحلوا من حبها بالكلية فلم يبق للشيطان إليهم سبيل فلا حاجة بهم إلى الحذر . وذهبت فرقة من أهل الشام إلى أن الترصد للحذر منه إنما يحتاج إليه من قل يقينه ونقص توكله ، فمن أيقن بأن لاشريك لله فى تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم أن الشيطان ذليل مخلوق ليس له أمر ولا يكون إلا ما أراده الله فهو الضار والنافع ، والعارف يستحيى منه أن يحذر غيره ، فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر . وقالت فرقة من أهل العلم :لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية فهو وسيلة الشيطان يكاد يكون غرورا، إذ الأنبياء عليهم السلام لم يتخلصوا من وسواس الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص غيرهم ؟ وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا ، بل فى صفات الله تعالى وأسمائه ، وفى تحسين البدع والضلال وغير ذلك ، ولا ينجو أحد من الخطر فيه ولذلك قال تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته ﴾ وقال النبى صلى الله عليه وسلم « إنه ليغان على قلبى [1] » مع أن شيطانه قد أسلم ولا يأمره إلا بخير [2] فمن ظن أن اشتغاله بحب الله أكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام فهو مغرور ، ولم يؤمنهم ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه آدم وحواء فى الجنة التى هى دار الأمن والسرور بعد أن قال الله لهما ﴿ إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ﴾ ومع أنه لم ينه إلا عن شجرة واحدة وأطلق له وراء ذلك ما أراد فإذا لم يأمن نبى من الأنبياء وهو فى الجنة دار الأمن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره أن يأمن فى دار

(١) حديث « إنه ليغان على قلبى » تقدم (٢) حديث : إن شيطانه أسلم فلا يأمر إلا بخير . تقدم أيضا .

والدنيا وهى منبع المحن والفتن معدن الملاذ والشهوات المنهى عنها ؟ وقال موسى عليه السلام فيما أخبر عنه تعالى ﴿ هذا من عمل الشيطان ﴾ ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال الله تعالى ﴿ يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ﴾ وقال عز وجل ﴿ إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ﴾ والقرآن من أوله الى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدع الأمن منه ؟ وأخذ الحذر من حيث أمر الله به لا ينافى الاشتغال بحب الله ، فإن من الحب له امتثال أمره وقد أمر بالحذر من العدو كما أمر بالحذر من الكفار فقال تعالى ﴿ وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ﴾ وقال تعالى ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ﴾ فإذا لزمك بأمر الله الحذر من العدو الكافر وأنت تراه فبأن يلزمك الحذر من عدو يراك ولا تراه أولى . ولذلك قال ابن محيريز : صيد تراه ولا يراك يوشك أن تظفر به ، وصيد يراك ولا تراه يوشك أن يظفر بك . فأشار إلى الشيطان ، فكيف وليس فى الغفلة عن عداوة الكافر إلا قتل هو شهادة وفى إهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعقاب الأليم ؟ فليس من الاشتغال بالله الإعراض عما حذر الله . وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية فى ظنهم أن ذلك قادح فى التوكل ، فإن أخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح فى توكل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يقدح فى التوكل الخوف مما خوف الله به والحذر مما أمر بالحذر منه ؟ وقد ذكرنا فى كتاب التوكل ما يبين غلط من زعم أن معنى التوكل النزوع عن الأسباب بالكلية وقوله تعالى ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ﴾ لا يناقض امتثال التوكل ، مهما اعتقد القلب أن الضار والنافع والمحيي والمميت هو الله تعالى ، فكذلك يحذر الشيطان ويعتقد أن الهادى والمضل هو الله ، ويرى الأسباب وسائط مسخرة ـ كما ذكرناه فى التوكل .

وهذا ما اختاره الحارث المحاسبي رحمه الله وهو الصحيح الذى يشهد له نور العلم ، وما قبله يشبه أن يكون من كلام العباد الذين لم يغزر علمهم ، ويظنون أن ما يهجم عليهم من الأحوال فى بعض الأوقات من الاستغراق بالله يستمر على الدوام وهو بعيد .

ثم اختلفت هذه الفرقة على ثلاثة أوجه فى كيفية الحذر فقال قوم : إذا حذرنا الله تعالى العدو فلا ينبغى أن يكون شيء أغلب فى قلوبنا عن ذكره والحذر منه والترصد له ، فإنا إن غفلنا عنه لحظة فيوشك أن يهلكنا . وقال قوم : إن ذلك يؤدى إلى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال الهم كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان منا ، بل نشتغل بالعبادة وبذكر الله تعالى ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة إلى الحذر منه فنجمع بين الأمرين ، فإنا إن نسينا ربما عرض من حيث لا نحتسب ، وإن تجردنا لذكره كنا قد أهملنا ذكر الله ، فالجمع أولى . وقال العلماء المحققون : غلط الفريقان ؛ أما الأول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسى ذكر الله فلا يخفى غلطه ، وإنما أمرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره أغلب الأشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدو ؟ ثم يؤدى ذلك إلى خلو القلب عن نور ذكر الله تعالى ، فإذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله تعالى وقوة الاشتغال به فيوشك أن يظفر به ولا يقوى على دفعه ، فلم يأمرنا بانتظار الشيطان ولا بإدمان ذكره وأما الفرقة الثانية فقد شاركت الأولى إذ جمعت فى القلب بين ذكر الله والشيطان ، وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله ، وقد أمر الله الخلق بذكره ونسيان ما عداه ـ إبليس وغيره ـ فالحق أن يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على نفسه عداوته ، فإذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله ويكب عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله أمر الشيطان ، فإنه إذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له ،

وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لايمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف من أن يفوته مهم عند طلوع الصبح ، فيلزم نفسه الحذر وينام على أن يتنبه فى ذلك الوقت فيتنبه فى الليل مرات قبل أوانه لما أسكن فى قلبه من الحذر ، مع أنه بالنوم غافل عنه ، فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ؟ ومثل هذا القلب هو الذى يقوى على دفع العدو إذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى قد أمات منه الهوى وأحيا فيه نور العقل والعلم وأماط عنه ظلمة الشهوات ، فأهل البصيرة أشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصده وألزموها الحذر ، ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ، ودفعوا بالذكر شر العدو ، واستضاءوا بنور الذكر حتى صرفوا خواطر العدو . فمثال القلب مثال بئر أريد تطهيرها من الماء القذر ليتفجر منها الماء الصافى . فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها الماء القذر ، والذى جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله قد نزح الماء القذر من جانب ولكنه تركه جاريا إليها من جانب آخر فيطول تعبه ولا تجف البئر من الماء القذر ، والبصير هو الذى جعل لمجرى الماء القذر سدا وملأها بالماء الصافى فاذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب .

بيان الرخصة فى قصد إظهار الطاعات

إعلم أن فى الأسرار للأعمال فائدة الإخلاص والنجاة من الرياء ، وفى الإظهار فائدة الإقتداء وترغيب الناس فى الخير ولكن فيه آفة الرياء . قال الحسن : قد علم المسلمون أن السر أحرز العملين ، ولكن فى الإظهار أيضا فائدة ولذلك أثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال ﴿ إن تبدوا الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ﴾ .

والإظهار قسمان (أحدهما) فى نفس العمل (والآخر) التحدث بما عمل

القسم الأول : إظهار نفس العمل كالصدقة فى الملأ لترغيب الناس فيها كما روى عن الأنصارى الذى جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما رأوه فقال النبى صلى الله عليه وسلم « من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه [1] » وتجرى سائر الأعمال هذا المجرى من الصلاة والصيام والحج والغزو وغيرها ولكن الاقتداء فى الصدقة على الطباع أغلب . نعم الغازى إذا هم بالخروج فاستعد وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك أفضل له لأن الغزو فى أصله من أعمال العلانية لايمكن إسراره ، فالمبادرة إليه ليست من الإعلان بل هو تحريض مجرد ، وكذلك الرجل قد يرفع صوته فى الصلاة بالليل لينبه جيرانه وأهله فيقتدى به . فكل عمل لايمكن إسراره كالحج والجهاد والجمعة فالأفضل المبادرة إليه وإظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط أن لايكون فيه شوائب الرياء ، وأما مايمكن إسراره كالصدقة والصلاة فإن كان إظهار الصدقة يؤذى المتصدق عليه ويرغب الناس فى الصدقة فالسر أفضل لأن الإيذاء حرام . فإن لم يكن فيه إيذاء فقد اختلف الناس فى الأفضل فقال قوم : السر أفضل من العلانية وإن كان فى العلانية قدوة ، وقال قوم : السر أفضل من علانية لاقدوة فيها ، أما العلانية للقدوة فأفضل من السر . ويدل على ذلك أن الله عز وجل أمر الأنبياء بإظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ، ولا يجوز أن يظن بهم أنهم حرموا أفضل العملين . ويدل عليه قوله عليه السلام « فله أجرها وأجر من عمل بها » وقد روى فى الحديث

(١) حديث « من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه » وفى أوله قصة مسلم من حديث جرير بن عبدالله البجلى .

« إن عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفاً ويضاعف عمل العلانية إذا استن بعامله على عمل السر سبعين ضعفا[1] » وهذا لاوجه للخلاف فيه فإنه مهما انفك القلب عن شوائب الرياء وتم الإخلاص على وجه واحد فى الحالتين فما يقتدى به أفضل لامحالة ، وإنما يخاف من ظهور الرياء ، ومهما حصلت شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به ، فلا خلاف فى أن السر أفضل منه .

ولكن على من يظهر العمل وظيفتان (إحداهما) أن يظهره حيث يعلم أنه يقتدى به أو يظن ذلك ظنا ، ورب رجل يقتدى به أهله دون جيرانه ، وربما يقتدى به جيرانه دون أهل السوق ، وربما يقتدى به أهل محلته ، وإنما العالم المعروف هو الذى يقتدى به الناس كافة . فغير العالم إذا أظهر بعض الطاعات ربما نسب إلى الرياء والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الإظهار من غير فائدة ، وإنما يصح الإظهار بنية القدوة ممن هو فى محل القدوة على من هو فى محل الاقتداء به (والثانية) أن يراقب قلبه فإنه ربما يكون فيه حب الرياء الخفى فيدعوه الإظهار بعذر الاقتداء ، وإنما شهوته التجمل بالعمل وبكونه يقتدى به ، وهذا حال كل من يظهر أعماله إلا الأقوياء المخلصين وقليل ماهم . فلا ينبغى أن يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لايشعر ، فإن الضعيف مثاله مثال الغريق الذى يحسن سباحة ضعيفة فنظر إلى جماعة من الغرقى فرحمهم فأقبل عليهم حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك ، والغرق بالماء فى الدنيا ألمه ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله ، لابل عذابه دائم مدة مديدة ، وهذه منزلة أقدام العباد والعلماء فإنهم يتشبهون بالأقوياء فى الإظهار ولا تقوى قلوبهم على الإخلاص فتحبط أجورهم بالرياء ، والتفطن لذلك غامض ، ومحك ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو قيل له أخف العمل حتى يقتدى الناس بعابد آخر من أقرانك ويكون لك فى السر مثل أجر الإعلان ، فإن مال قلبه إلى أن يكون هو المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الرياء دون طلب الأجر واقتداء الناس به ورغبتهم فى الخير ، فإنهم قد رغبوا فى الخير بالنظر إلى غيره وأجره قد توفر عليه مع إسراره ، فما بال قلبه يميل إلى الإظهار لولا ملاحظته لأعين الخلق ومراءاتهم ؟ فليحذر العبد خدع النفس فإن النفس خدوع والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب ، وقلما تسلم الأعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغى أن يعدل بالسلامة شيئا والسلامة فى الإخفاء ، وفى الإظهار من الأخطار مالا يقوى عليه أمثالنا ، فالحذر من الإظهار أولى بنا وبجميع الضعفاء .

القسم الثانى : أن يتحدث بما فعله بعد الفراغ ، وحكمه حكم إظهار العمل نفسه والخطر فى هذا أشد لأن مؤنة النطق خفيفة على اللسان ، وقد تجرى فى الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة فى إظهار الدعاوى عظيمة ، إلا أنه لو تطرق إليه الرياء لم يؤثر فى إفساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها ، فهو من هذا الوجه أهون ، والحكم فيه أن من قوى قلبه وتم إخلاصه وصغر الناس فى عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم ، وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به والرغبة فى الخير بسببه فهو جائز ، بل هو مندوب إليه إن صفت النية وسلمت عن جميع الآفات ، لأنه ترغيب فى الخير ، والترغيب فى الخير خير ، وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الأقوياء . قال سعد بن معاذ :

---

(١) حديث « إن عمل السر يضاعف على عمل العلانية بسبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية إذا استن به على عمل السر سبعين ضعفا » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث أبى الدرداء مقتصرا على الشطر الأول بنحوه وقال هذا من أفراد بقية عن شيوخه المجهولين ، وقد تقدم قبل هذا بنحو ورقتين وله من حديث ابن عمر « عمل السر أفضل من عمل العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء » وقال تفرد به بقية عن عبد الملك بن مهران وله من حديث عائشة « يفضل ـ أو يضاعف ـ الذكر الخفى الذى لايسمعه الحفظة على الذى تسمعه بسبعين ضعفا » وقال تفرد به معاوية بن يحيى الصدفى وهو ضعيف .

ماصليت صلاة منذ أسلمت فحدثت نفسى بغيرها ، ولا تبعت جنازة فحدثت نفسى بغير ماهى قائلة وما هو مقول لها ، وما سمعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول قولا قط إلا علمت أنه حق . وقال عمر رضى الله عنه : ما أبالى أصبحت على عسر أو يسر لأنى لاأدرى أيهما خير لى ؟ وقال ابن مسعود : ماأصبحت على حال فتمنيت أن أكون على غيرها . وقال عثمان رضى الله عنه : ماتغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكرى بيمينى منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] وقال شداد بن أوس . ماتكلمت بكلمة منذ أسلمت حتى أزمها وأخطمها ، غير هذه ! وكان قد قال لغلامه : ائتنا بالسفرة لنبعث بها حتى ندرك الغداء . وقال أبو سفيان لأهله حين حضره الموت : لاتبكوا على فإنى ماأحدثت ذنبا منذ أسلمت وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : ماقضى الله فى بقضاء قط فسرنى أن يكون قضى لى بغيره ، وما أصبح لى هوى إلا فى مواقع قدر الله .

فهذا كله إظهار لأحوال شريفة ، وفيها غاية المراءاة إذا صدرت ممن يرائى بها ، وفيها غاية الترغيب إذا صدرت ممن يقتدى به . فذلك على قصد الاقتداء جائز للأقوياء بالشروط التى ذكرناها فلا ينبغى أن يسد باب إظهار الأعمال والطباع مجبولة على حب التشبه والاقتداء ، بل إظهار المرائى للعبادة إذ لم يعلم الناس أنه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرائى . فكم من مخلص كان سبب إخلاصه الاقتداء بمن هو مراء عند الله ؟ وقد روى أنه كان يجتاز الإنسان فى سكك البصرة عند الصبح فيسمع أصوات المصلين بالقرآن من البيوت ، فصنف بعضهم كتابا فى دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه ، فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف ! فإظهار المرائى فيه خير كثير لغيره إذا لم يعرف رياؤه . وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لاخلاق لهم [2] كما ورد فى الأخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم والله تعالى أعلم .

بيان الرخصة فى كتمان الذنوب وكراهة إطلاع الناس عليها وكراهة ذمهم له

اعلم أن الأصل فى الإخلاص استواء السريرة والعلانية كما قال عمر رضى الله عنه لرجل : عليك بعمل العلانية ، قال : ياأمير المؤمنين وما عمل العلانية ؟ قال . ما إذا اطلع عليك لم تستحى منه . وقال أبو مسلم الخولانى : ما عملت عملا أبالى أن يطلع الناس عليه إلا إتيانى أهلى والبول والغائط ، إلا أن هذه درجة عظيمة لا ينالها كل واحد . ولا يخلو الإنسان عن ذنوب بقلبه أو بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لا سيما ما تختلج به الخواطر فى الشهوات والأمانى ، والله مطلع على جميع ذلك فإرادة العبد لإخفائها عن العبيد ربما يظن أنه رياء محظور وليس كذلك بل المحظور أنه يستر ذلك ليرى الناس أنه ورع خائف من الله تعالى مع أنه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائى .

وأما الصادق الذى لايرائى فله ستر المعاصى ويصح قصده فيه ، ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه فى ثمانية أوجه :

(الأول) أن يفرح بستر الله عليه ، وإذا افتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف أن يهتك ستره فى القيامة ، إذ ورد فى الخبر « أن من ستر الله عليه فى الدنيا ذنباً ستره الله عليه فى الآخرة [3] » وهذا غم ينشأ من قوة الإيمان .

---

(١) حديث عثمان قوله : ماتغنيت ولاتمنيت ولامسست ذكرى بيمينى منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث » أخرجه أبو يعلى الموصلى فى معجمه بإسناد ضعيف من رواية أنس عنه فى أثناء حديث وان عثمان قال : يارسول الله ، فذكره بلفظ منذ بايعتك ، قال « هو ذاك ياعثمان » (٢) حديث « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لاخلاق لهم » هما حديثان فالأول متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم فى العلم والثانى رواه النسائى من حديث أنس بسند صحيح وتقدم أيضاً .

(٣) حديث « إن من ستر عليه فى الدنيا يستر عليه فى الآخرة » تقدم قبل هذا بورقة .

(الثانى) أنه قد علم أن الله تعالى يكره ظهور المعاصى ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم «من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله[1] » فهو وإن عصى الله بالذنب فلم يخل قلبه عن محبة ما أحبه الله . وهذا ينشأ من قوة الإيمان بكراهة الله لظهور المعاصى ، وأثر الصدق فيه أن يكره ظهور الذنب من غيره أيضا ويغتم بسببه .

(الثالث) أن يكره ذم الناس له به من حيث إن ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى ، فإن الطبع يتأذى بالذم وينازع العقل ويشغل عن الطاعة ، وبهذه العلة أيضا ينبغى أن يكره الحمد الذى يشغله عن ذكر الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر . وهذا أيضا من قوة الإيمان إذ صدق الرغبة فى فراغ القلب لأجل الطاعة من الإيمان .

(الرابع) أن يكون ستره ورغبته فيه لكراهته لذم الناس من حيث يتأذى طبعه ، فإن الذم مؤلم للقلب كما أن الضرب مؤلم للبدن ، وخوف تألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الإنسان به عاص وإنما يعصى إذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته إلى مالا يجوز حذرا من ذمهم ، وليس يجب على الإنسان أن لا يغتم بذم الخلق ولا يتألم به . نعم كمال الصدق فى أن تزول عنه رؤيته للخلق فيستوى عنده ذامه ومادحه لعلمه أن الضار والنافع هو الله وأن العباد كلهم عاجزون ؛ وذلك قليل جدا ، وأكثر الطباع تتألم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان ، ورب تألم بالذم محمود إذا كان الذام من أهل البصيرة فى الدين فإنهم شهداء الله ، وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان فى الدين فكيف لا يغتم به ؟ نعم الغم المذموم هو أن يغتم لفوات الحمد بالورع ، كأنه يحب أن يحمد بالورع ، ولا يجوز أن يحب أن يحمد بطاعة الله ، فيكون قد طلب بطاعة الله ثوابا من غيره ، فإن وجد ذلك فى نفسه وجب عليه أن يقابله بالكراهة والرد .

وأما كراهة الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذراً من ذلك ، ويتصور أن يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم . وإنما مراده أن يتركه الناس حمدا وذما ، فكم من صابر عن لذة الحمد لا يصبر على ألم الذم ؟ إذ الحمد بطلب اللذة ، وعدم اللذة لا يؤلم ، وأما الذم فإنه مؤلم ؛ فحب الحمد على الطاعة طلب ثواب على الطاعة فى الحال ، وأما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه إلا أمر واحد وهو أن يشغله غمه باطلاع الناس على ذنبه عن اطلاع الله فإن ذلك غاية النقصان فى الدين ، بل ينبغى أن يكون غمه باطلاع الله وذمه له أكثر .

(الخامس) أن يكره الذم من حيث إن الذام قد عصى الله تعالى به وهذا من الإيمان ، وعلامته أن يكره ذمه لغيره أيضا فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع .

(السادس) أن يستر ذلك كيلا يقصد بشر إذا عرف ذنبه وهذا وراء ألم الذم ، فإن الذم مؤلم من حيث يشعر القلب بنقصانه وخسته وإن كان ممن يؤمن شره ، وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الأسباب ، فله أن يستر ذلك حذرا منه .

(السابع) مجرد الحياء فإنه نوع ألم وراء ألم الذم والقصد بالشر ، وهو خلق كريم يحدث فى أول الصبا مهما أشرق عليه نور العقل فيستحيي من القبائح إذا شوهدت وهو منه وصف محمود إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحياء خير كله[2] » وقال صلى الله عليه وسلم « الحياء شعبة من الإيمان[3] » وقال صلى الله عليه وسلم « الحياء لا يأتى إلا بخير[4] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الحيي الحليم[5] » فالذى يفسق ولا يبالى أن يظهر فسقه

---

(١) حديث « من ارتكب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله » أخرجه الحاكم فى المستدرك وقد تقدم .

(٢) حديث « الحياء خير كله » أخرجه مسلم من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (٣) حديث « الحياء شعبة من الإيمان » متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم (٤) حديث « الحياء لا يأتى إلا بخير » متفق عليه من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (٥) حديث « إن الله يحب الحيى الحليم » أخرجه الطبرانى من حديث فاطمة ، وللبزار من حديث أبى هريرة « إن الله يحب العفى الحليم المتعفف » وفيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه .

للناس جمع إلى الفسق والتهتك والوقاحة وفقد الحياء ، فهو أشد حالا ممن يستتر ويستحي ، إلا أن الحياء ممتزج بالرياء ومشتبه به اشتباها عظيما قل من يتفطن له ، ويدعى كل مراء أنه مستحى وأن سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس ، وذلك كذب ، بل الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم وتهيج عقبه داعية الرياء وداعية الإخلاص ، ويتصور أن يخلص معه ويتصور أن يرائى معه .

وبيانه أن الرجل يطلب من صديق له قرضا ونفسه لا تسخو بإقراضه إلا أنه يستحي من رده ، وعلم أنه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحي ولا يقرض رياء ولا لطلب الثواب ، فله عند ذلك أحوال ؛ أحدها : أن يشافه بالرد الصريح ولا يبالى فينسب إلى قلة الحياء ، وهذا فعل من لا حياء له . فإن المستحي إما أن يتعلل أو يقرض .

فإن أعطى فيتصور له ثلاثة أحوال :

أحدها . أن يمزج الرياء بالحياء بأن يهيج الحياء فيقبح عنده الرد ، فيهيج خاطر الرياء ويقول : ينبغى أن تعطى حتى يثنى عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخاء ، أو ينبغى أن تعطى حتى لا يذمك ولا ينسبك إلى البخل . فإذا أعطى فقد أعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء .

الثانى : أن يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى فى نفسه البخل فيتعذر الإعطاء ، فيهيج داعى الإخلاص ويقول له : إنّ الصدقة بواحدة والقرض بثمان عشرة ففيه أجر عظيم وإدخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى ، فتسخو النفس بالإعطاء لذلك ، فهذا مخلص هيج الحياء إخلاصه .

الثالث : أن لا يكون له رغبة فى الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته ، لأنه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه فأعطاه بمحض الحياء ، وهو ما يجده فى قلبه من ألم الحياء ولولا الحياء لرده ، ولو جاءه من لا يستحى منه من الأجانب أو الأراذل لكان يرده وإن كثر الحمد والثواب فيه ، فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا إلا فى القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب . والمرائى يستحى من المباحات أيضا ، حتى إنه يرى مستعجلا فى المشى فيعود إلى الهدوء ، أو ضاحكا فيرجع إلى الانقباض ، ويزعم أن ذلك حياء وهو عين الرياء . وقد قيل إنّ بعض الحياء ضعف وهو صحيح ، والمراد به الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من وعظ الناس وإمامة الناس فى الصلاة ، وهو فى الصبيان والنساء محمود وفى العقلاء غير محمود . وقد تشاهد معصية من شيخ فتستحي من شيبته أن تنكر عليه لأن من إجلال الله إجلال ذى الشيبة المسلم ، وهذا الحياء حسن وأحسن منه أن يستحي من الله فلا تضيع الأمر بالمعروف ، فالقوى يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه فهذه هى الأسباب التى يجوز لأجلها ستر القبائح والذنوب .

(الثامن) أن يخاف من ظهور ذنبه أن يستجرئ عليه غيره ويقتدى به ، وهذا العلة الواحدة فقط هى الجارية فى إظهار الطاعة وهو القدوة ، ويختص ذلك بالأئمة أو بمن يقتدى به ، وبهذه العلة ينبغى أيضا أن يخفى العاصى أيضا معصيته من أهله وولده لأنهم يتعلمون منه .

فى ستر الذنوب : هذه الأعذار الثمانية ، وليس فى إظهار الطاعة عذر إلا هذا العذر الواحد ، ومهما قصد بستر المعصية أن يخيل إلى الناس أنه ورع كان مرائيا كما إذا قصد ذلك بإظهار الطاعة .

فإن قلت : فهل يجوز للعبد أن يحب حمد الناس له بالصلاح وحبهم إياه بسببه وقد قال رجل للنبى صلى الله عليه

وسلم : دلنى على مايحبنى الله عليه ويحبنى الناس قال « ازهد فى الدنيا يحبك الله وانبذ إليهم هذا الحطام يحبوك [1] » ؟ فنقول : حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمودا وقد يكون مذموما . فالمحمود أن تحب ذلك لتعرف به حب الله لك ، فإنه تعالى إذا أحب عبدا حببه فى قلوب عباده . والمذموم أن تحب حبهم وحمدهم على حجك وغزوك وصلاتك وعلى طاعة بعينها ، فإن ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجل سوى ثواب الله . والمباح أن تحب أن يحبوك لصفات محمودة سوى الطاعات المحمودة المعينة ؛ فحبك ذلك كحبك المال لأن ملك القلوب وسيلة إلى الأغراض كملك الأموال فلا فرق بينهما .

بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات

اعلم أن من الناس من يترك العمل خوفا من أن يكون مرائيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان ، بل الحق فيما يترك من الأعمال وما لايترك لخوف الآفات مانذكره ، وهو أن الطاعات تنقسم إلى : مالا لذة فى عينه ؛ كالصلاة والصوم والحج والغزو فإنها مقاساة ومجاهدات ، إنما تصير لذيذة من حيث إنها توصل إلى حمد الناس ، وحمد الناس لذيذ ، وذلك عند اطلاع الناس عليه . وإلى : ماهو لذيذ ؛ وهو أكثر مالا يقتصر على البدن ، بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء والولايات والحسبة وإمامة الصلاة والتذكير والتدريس وإنفاق المال على الخلق ، وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة .

القسم الأول : الطاعات اللازمة للبدن ـ التى لاتتعلق بالغير ولا لذة فى عينها ـ كالصوم والصلاة والحج ، فخطرات الرياء فيها ثلاث (إحداها) ما يدخل قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين ، فهذا مما ينبغى أن يترك لأنه معصية لاطاعة فيه ، فإنه تدرع بصورة الطاعة إلى طلب المنزلة ، فإن قدر الإنسان على أن يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها : ألا تستحيين من مولاك لاتسخين بالعمل لأجله وتسخين بالعمل لأجل عباده ؟ حتى يندفع باعث الرياء وتسخو النفس بالعمل لله عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة له فليشتغل بالعمل . (الثانية) أن ينبعث لأجل الله ولكن يعترض الرياء مع عقد العبادة وأولها ، فلا ينبغى أن يترك العمل لأنه وجد باعثا دينيا ، فليشرع فى العمل وليجاهد نفسه فى دفع الرياء وتحسين الإخلاص بالمعالجات التى ذكرناها من إلزام النفس كراهة الرياء والإباء عن القبول (الثالثة) أن يعقد على الإخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه ، فينبغى أن يجاهد فى الدفع ولا يترك العمل لكى يرجع إلى عقد الإخلاص ويرد نفسه إليه قهرا حتى يتمم العمل ، لأن الشيطان يدعوك أولا إلى ترك العمل ، فإذا لم تجب واشتغلت فيدعوك إلى الرياء ، فإذا لم تجب ودفعت بقى يقول لك : هذا العمل ليس بخالص وأنت مراء وتعبك ضائع فاى فائدة لك فى عمل لا إخلاص ؟ حتى يحملك بذلك على ترك العمل ، فإذا تركته فقد حصلت غرضه . ومثال من يترك العمل لخوفه أن يكون مرائيا كمن سلم إليه مولاه حنطة فيها زؤان وقال : خلصها من الزؤان ونقها منه تنقية بالغة ، فيترك أصل العمل ويقول : أخاف إن اشتغلت به لم تخلص خلاصا صافيا نقيا . فترك العمل من أجله هو ترك الإخلاص مع أصل العمل ، فلا معنى له . ومن هذا القبيل أن يترك العمل خوفا على الناس أن يقولوا إنه مراء فيعصون الله به . فهذا من مكايد الشيطان لأنه أولا أساء الظن بالمسلمين ، وما كان من حقه أن يظن بهم ذلك ، ثم إن كان فلا يضره قولهم ويفوته ثواب

---

(١) حديث : قال رجل دلنى على مايحبنى الله عليه ويحبنى الناس قال « ازهد فى الدنيا يحبك الله .ة. الحديث » أخرجه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بلفظ « وازهد فيما فى أيدى الناس » وقد تقدم

العبادة ، وترك العمل خوفا من قولهم إنه مراء هو عين الرياء ، فلولا حبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم فماله ولقولهم قالوا إنه مراء أو قالوا إنه مخلص ؟ وأى فرق بين أن يترك العمل خوفا من أن يقال إنه مراء ، وبين أن يحسن العمل خوفا من أن يقال إنه غافل مقصر ؟ بل ترك العمل أشد من ذلك . فهذه كلها مكايد الشيطان على العباد الجهال ، ثم كيف يطمع فى أن يتخلص من الشيطان بأن يترك العمل والشيطان لايخليه بل يقول له : الآن يقول الناس إنك تركت العمل ليقال إنه مخلص لايشتهى الشهرة . فيضطرك بذلك إلى أن تهرب ، فإن هربت ودخلت سربا تحت الأرض ألقى فى قلبك حلاوة معرفة الناس لتزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك فكيف تتخلص منه ؟ بل لانجاة منه إلا بأن تلزم قلبك معرفة آفة الرياء وهو أنه ضرر فى الآخرة ولا نفع فيه فى الدنيا ليلزم الكراهة والإباء قلبك ، وتستمر مع ذلك على العمل ولاتبالى ، وإن نزغ العدو نازغ الطبع فإن ذلك لاينقطع ، وترك العمل لأجل ذلك يجر إلى البطالة وترك الخيرات . فما دمت تجد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء ، وألزم قلبك الحياء من الله إذا دعتك نفسك إلى أن تستبدل بحمده حمد المخلوقين ، وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وأنك تريد حمدهم لمقتوك ، بل إن قدرت على أن تزيد فى العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل . فإن قال لك الشيطان : أنت مراء ، فاعلم كذبه وخدعه بما تصادف فى قلبك من كراهة الرياء وإبائه وخوفك منه وحيائك من الله تعالى ، وإن لم تجد فى قلبك له كراهية ومنه خوفا ولم يبق باعث دينى بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد ، فمن شرع فى العمل لله فلا بد أن يبقى معه أصل قصد الثواب .

فإن قلت : فقد نقل عن أقوام ترك العمل مخافة الشهرة . روى أن إبراهيم النخعى دخل عليه إنسان وهو يقرأ فأطبق المصحف وترك القراءة وقال : لايرى هذا أنا نقرأ كل ساعة . وقال إبراهيم التيمى : إذا أعجبك الكلام فاسكت وإذا أعجبك السكوت فتكلم . وقال الحسن : إن كان أحدهم ليمر بالأذى مايمنعه من دفعه إلا كراهة الشهرة ، وكان أحدهم يأتيه البكاء فيصرفه إلى الضحك مخافة الشهرة . وقد ورد فى ذلك آثار كثيرة ؟ قلنا : هذا يعارضه ماورد من إظهار الطاعات ممن لايحصى ، وإظهار الحسن البصرى هذا الكلام فى معرض الوعظ أقرب إلى خوف الشهرة من البكاء وإماطة الأذى عن الطريق ثم لم يتركه .

وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام فى الأفضل . والأفضل إنما يقدر عليه الأقوياء دون الضعفاء ، فالأفضل أن يتمم العمل ويجتهد فى الإخلاص ولايتركه ، وأرباب الأعمال قد يعالجون أنفسهم بخلاف الأفضل لشدة الخوف ، فالاقتداء ينبغى أن يكون بالأقوياء . وأما إطباق إبراهيم النخعى المصحف فيمكن أن يكون لعلمه بأنه سيحتاج إلى ترك القراءة عند دخوله واستئنافه بعد خروجه للاشتغال بمكالمته ، فرأى أن لايراه فى القراءة أبعد عن الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود إليه بعد ذلك . وأما ترك دفع الأذى فذلك ممن يخاف على نفسه آفة الشهرة وإقبال الناس عليه وشغلهم إياه عن عبادات هى أكبر من رفع خشبة من الطريق ، فيكون ترك ذلك للمحافظة على عبادات هى أكبر منها لا بمجرد خوف الرياء . وأما قول التيمى : إذا أعجبك الكلام فاسكت يجوز أن يكون قد أراد به مباحات الكلام كالفصاحة فى الحكايات وغيرها فإن ذلك يورث العجب ، وكذلك العجب بالسكوت المباح محذور فهو عدول عن مباح إلى مباح حذرا من العجب . فأما الكلام الحق المندوب إليه فلم ينص عليه ، على أن الآفة مما تعظم فى الكلام فهو واقع فى القسم الثانى ، وإنما كلامنا فى العبادات الخاصة ببدن

العبد مما لايتعلق بالناس ولاتعظم فيه الآفات ، ثم كلام الحسن فى تركهم البكاء وإماطة الأذى لخوف الشهرة ربما كان حكاية أحوال الضعفاء الذين لايعرفون الأفضل ولايدركون هذه الدقائق ، وإنما ذكره تخويفا للناس من آفة الشهرة وزجرا من طلبها .

القسم الثانى : مايتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والأخطار ، وأعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم إنفاق المال .

أما الخلافة والإمارة : فهى من أفضل العبادات إذا كان ذلك مع العدل والإخلاص ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما [1] » فأعظم بعبادة يوازى يوم منها عبادة ستين سنة ، وقال صلى الله عليه وسلم « أول من يدخل الجنة ثلاثة : الإمام المقسط [2] » أحدهم . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لاترد دعوتهم الإمام العادل [3] » أحدهم . وقال صلى الله عليه وسلم « أقرب الناس منى مجلسا يوم القيامة إمام عادل [4] » رواه أبو سعيد الخدرى . فالإمارة والخلافة من أعظم العبادات ، ولم يزل المتقون يتركونها ويحترزون منها ويهربون من تقلدها وذلك لما فيه من عظم الخطر ، إذ تتحرك بها الصفات الباطنة ويغلب النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء ونفاذ الأمر وهو أعظم ملاذ الدنيا : فإذا صارت الولاية محبوبة كان الوالى ساعيا فى حظ نفسه ، ويوشك أن يتبع هواه فيمتنع من كل مايقدح فى جاهه وولايته وإن كان حقا ، ويقدم على مايزيد فى مكانته وإن كان باطلا ، وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرا من فسق ستين سنة بمفهوم الحديث الذى ذكرناه . ولهذا الخطر العظيم كان عمر رضى الله عنه يقول : من يأخذها بما فيها ، وكيف لاوقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « مامن والى عشرة إلا جاء يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه أطلقه عدله أو أوبقه جوره [5] » رواه معقل بن يسار ، وولاه عمر ولاية فقال : ياأمير المؤمنين أشر على ، قال : اجلس واكتم على . وروى الحسن « أن رجلا ولاه النبى صلى الله عليه وسلم فقال للنبى : خر لى قال « اجلس [6] » وكذلك حديث عبد الرحمن بن سمرة إذ قال له النبى صلى الله عليه وسلم « ياعبد الرحمن لاتسأل الإمارة فإنك إن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها وإن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها [7] » وقال أبو بكر رضى الله عنه لرافع بن عمر : لاتأمر

---

(١) حديث « ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما ... الحديث » أخرجه الطبرانى والبيهقى من حديث ابن عباس وقد تقدم (٢) حديث « أول من يدخل الجنة ثلاثة : الإمام المقسط ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث عياض بن حماد « أهل الجنة ثلاث : ذو سلطان مقسط ... الحديث » ولم أر فيه ذكر الأولية (٣) حديث أبى هريرة « ثلاثة لاترد دعوتهم الإمام العادل » تقدم (٤) حديث أبى سعيد الخدرى « أقرب الناس منى مجلسا يوم القيامة إمام عادل » أخرجه الأصبهانى فى الترغيب والترهيب من رواية عطية العوفى وهو ضعيف عنه وفيه أيضا إسحق بن إبراهيم الديباجى ضعيف أيضاً

(٥) حديث « مامن والى عشرة إلا جاء يوم القيامة يده مغلولة إلى عنقه لايفكها إلا عدله » أخرجه أحمد من حديث عبادة بن الصامت ورواه أحمد والبزار من رواية رجل لم يسم عن سعد بن عبادة وفيهما يزيد بن أبى زياد متكلم فيه ورواه أحمد والبزار وأبو يعلى والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة ورواه البزار والطبرانى من حديث أبى هريرة ورواه البزار والطبرانى من حديث بريدة والطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس وثوبان وله من حديث أبى الدرداء « مامن والى ثلاثة إلا أتى الله مغلولة يمينه ... الحديث » وقد عزى المصنف هذا الحديث لرواية معقل بن يسار والمعروف من حديث معقل بن يسار « مامن عبد يسترعيه الله رعية لم يحطها بنصيحة إلا لم يرح رائحة الجنة » متفق عليه (٦) حديث الحسن : أن رجلا ولاه النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم : خر لى قال « اجلس » أخرجه الطبرانى موصولا من حديث عصمة هو ابن مالك وفيه الفضل بن المختار وأحاديثه منكرة يحدث بالأباطيل قاله أبو حاتم ورواه أيضاً من حديث ابن عمر بلفظ « الزم بيتك » وفيه الغراب بن أبى الغراب ضعفه ابن معين وابن عدى وقال أبو حاتم صدوق .

(٧) حديث عبد الرحمن بن سمرة « لاتسل الإمارة ... الحديث » متفق عليه .

على اثنين ، ثم ولى هو الخلافة فقام بها فقال له رافع : ألم تقل لى لاتأمر على اثنين وأنت قد وليت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : بلى وأنا أقول لك ذلك فمن لم يعدل فيها فعليه بهلة الله ، يعنى لعنة الله . ولعل القليل البصيرة يرى ماورد من فضل الإمارة مع ماورد من النهى عنها متناقضا وليس كذلك ، بل الحق فيه أنّ الخواص الأقوياء فى الدين لاينبغى أن يمتنعوا من تقلد الولايات ، وأنّ الضعفاء لاينبغى أن يدوروا بها فيهلكوا ، وأعنى بالقوى الذى لاتميله الدنيا ولا يستفزه الطمع ولاتأخذه فى الله لومة لائم ، وهم الذين سقط الخلق عن أعينهم وزهدوا فى الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا أنفسهم وملكوها وقمعوا الشيطان فأيس منهم ، فهؤلاء لايحركهم إلا الحق ولايسكنهم إلا الحق ولو زهقت فيهم أرواحهم ، فهم أهل نيل الفضل فى الإمارة والخلافة ومن علم أنه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض فى الولايات ، ومن جرّب نفسه فرآها صابرة على الحق كافة عن الشهوات فى غير الولايات ، ولكن خاف عليها أن تتغير إذا ذاقت لذة الولاية وأن تستحلى الجاه وتستلذ نفاذ الأمر فتكره العزل ، فيداهن خيفة من العزل ؛ فهذا قد اختلف العلماء فى أنه هل يلزمه الهرب من تقلد الولاية ؟ فقال قائلون : لايجب لأن هذا خوف أمر فى المستقبل وهو فى الحال لم يعهد نفسه إلا قوية فى ملازمة الحق وترك لذات النفس ، والصحيح أنّ عليه الاحتراز لأنّ النفس خدّاعة مدعية للحق واعدة بالخير ، فلو وعدت بالخير جزما لكان يخاف عليها أن تتغير عند الولاية فكيف إذا أظهرت التردد . ؟ والامتناع عن قبول الولاية أهون من العزل بعد الشروع ، فالعزل مؤلم وهو كما قيل العزل طلاق الرجال ، فإذا شرع لاتسمح نفسه بالعزل وتميل نفسه إلى المداهنة وإهمال الحق وتهوى به فى قعر جهنم ، ولايستطيع النزوع منه إلى الموت إلا أن يعزل قهرا ، وكان فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية . ومهما مالت النفس إلى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب فهو أمارة الشر ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إنا لانولى أمرنا من سألنا [1] » فإذا فهمت اختلاف حكم القوى والضعيف علمت أنّ نهى أبى بكر رافعا عن الولاية ثم تقلده لها ليس بمتناقض .

وأما القضاء : فهو وإن كان دون الخلافة والإمارة فهو فى معناهما ، فإن كل ذى ولاية أمير ـ أى له أمر نافذ ـ والإمارة محبوبة بالطبع ، والثواب فى القضاء عظيم مع اتباع الحق ، والعقاب فيه أيضا عظيم مع العدول عن الحق وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « القضاة ثلاثة : قاضيان فى النار وقاض فى الجنة [2] » وقال عليه السلام « من استقضى فقد ذبح بغير سكين [3] » فحكمه حكم الإمارة ينبغى أن يتركه الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها وزن فى عينه ، وليتقلده الأقوياء الذين لاتأخذهم فى الله لومة لائم . ومهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضى على القضاء إلا بمداهنتهم وإهمال بعض الحقوق لأجلهم ولأجل المتعلقين بهم ، إذ يعلم أنه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه أو لم يطيعوه ، فليس له أن يتقلد القضاء ، وإن تقلد فعليه أن يطالبهم بالحقوق ولايكون خوف العزل عذرا مرخصا له فى الإهمال أصلا ، بل إذا عزل سقطت العهدة عنه ، فينبغى أن يفرح بالعزل إن كان يقضى لله ، فإن لم تسمح نفسه بذلك فهو إذن يقضى لاتباع الهوى والشيطان ، فكيف يرتقب عليه ثوابا ؟ وهو مع الظلمة فى الدرك الأسفل من النار .

وأما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية الحديث وجمع الأسانيد العالية ـ وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به

---

(١) حديث « انا لانولى أمرنا من سألنا » متفق عليه من حديث أبى موسى (٢) حديث « القضاة ثلاثة ... الحديث » أخرجه أصحاب السنن من حديث بريدة وتقدم فى العلم واسناده صحيح (٣) حديث « من استقضى فقد ذبح بغير سكين » أخرجه أصحاب السنن من حديث أبى هريرة بلفظ « من جعل قاضيا » وفى رواية « من ولى القضاء » واسناده صحيح .

القدر : فآفته أيضا عظيمة مثل آفة الولايات ، وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ماوجدوا إليه سبيلا ، وكانوا يقولون : حدثنا ، باب من أبواب الدنيا ، ومن قال : حدثنا ، فقد قال أوسعوا لى . ودفن بشر كذا وكذا قطرا من الحديث وقال : يمنعنى من الحديث أنى أشتهى أن أحدث ، ولو اشتهيت أن لا أحدث لحدثت . والواعظ يجد فى وعظه وتأثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم وإقبالهم عليه لذة لاتوازيها لذة ، فإذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه إلى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وإن كان باطلا ، ويفر عن كل كلام يستثقله العوام وإن كان حقا ، ويصير مصروف الهمة بالكلية إلى مايحرك قلوب العوام ويعظم منزلته فى قلوبهم ، فلا يسمع حديثاً وحكمة إلا ويكون فرحه به من حيث إنه يصلح لأن يذكره على رأس المنبر ، وكان ينبغى أن يكون فرحه به من حيث إنه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به أولا ، ثم يقول : إذا أنعم الله على بهذه النعمة ونفعنى بهذه الحكمة فأقصها ليشاركنى فى نفعها إخوانى المسلمون . فهذا أيضا مما يعظم فيه الخوف والفتنة لحكمه حكم الولايات ، فمن لاباعث له إلا طلب الجاه والمنزلة والأكل بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغى أن يتركه ويخالف الهوى فيه ، إلى أن ترتاض نفسه وتقوى فى الدين همته ويأمن على نفسه الفتنة ، فعند ذلك يعود إليه .

فإن قلت : مهما حكم بذلك على أهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق ؟ فنقول قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طلب الإمارة وتوعد عليها [1] حتى قال « إنكم تحرصون على الإمارة وإنها حسرة وندامة يوم القيامة إلا من أخذها بحقها [2] » وقال « نعمت المرضعة وبئست الفاطمة [3] » ومعلوم أن السلطنة والإمارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الأمن وخربت البلاد وتعطلت المعايش فلم نهى عنها مع ذلك ؟ وضرب عمر رضى الله عنه أبى بن كعب — رأى قوما يتبعونه — وهو فى ذلك يقول : أبى سيد المسلمين ، وكان يقرأ عليه القرآن ، فمنع من أن يتبعوه وقال ذلك فتنة على المتبوع ومذلة على التابع ، وعمر كان بنفسه يخطب ويعظ ولا يمتنع منه واستأذن رجل عمر أن يعظ الناس إذا فرغ من صلاة الصبح فمنعه فقال : أتمنعنى من نصح الناس ؟ فقال : أخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا ، إذ رأى فيه مخايل الرغبة فى جاه الوعظ وقبول الخلق . والقضاء والخلافة مما يحتاج الناس إليه فى دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى ، وفى كل واحد منهما فتنة ولذة فلا فرق بينهما ، فأما قول القائل : نهيك عن ذلك يؤدى إلى اندراس العلم فهو غلط ، إذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضاء لم يؤد إلى تعطيل القضاء [4] بل الرياسة وحبها يضطر الخلق إلى طلبها ، وكذلك حب الرياسة لايترك العلوم تندرس ، بل لو حبس الخلق وقيدوا بالسلاسل والأغلال من طلب العلوم التى فيها القبول والرياسة لأفلتوا من الحبس وقطعوا السلاسل وطلبوها . وقد وعد الله أن يؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم فلا تشغل قلبك بأمر الناس فإن الله لايضيعهم وانظر لنفسك ، ثم إنى أقول مع هذا إذا كان فى البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس فى النهى عنه إلا امتناع بعضهم ، وإلا فليعلم أن كلهم لايمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فإن لم يكن فى البلد إلا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمعته فى الظاهر وتخييله إلى العوام أنه إنما

---

(١) حديث : النهى عن طلب الإمارة هو حديث عبد الرحمن بن سمرة « لاتسل الإمارة » وقد تقدم قبله بثلاثة أحاديث .

(٢) حديث « انكم تحرصون على الإمارة وانها حسرة يوم القيامة وندامة الا من أخذها بحقها » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة دون قوله « الا من أخذها بحقها » وزاد فى آخره « فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة » ودون قوله « حسرة » وهى فى صحيح ابن حبان

(٣) حديث « نعمت المرضعة وبئست الفاطمة » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة وهو بقية الحديث الذى قبله ورواه ابن حبان بلفظ « فبئست المرضعة وبئست الفاطمة »

(٤) حديث : النهى عن القضاء ... أخرجه مسلم من حديث أبى ذر « لاتؤمرن على اثنين ولاتلين مال يتيم » .

يريد الله بوعظه وأنه تارك للدنيا ومعرض عنها فلا نمنعه منه ونقول له اشتغل وجاهد نفسك ، فإن قال : لست أقدر على نفسى فنقول : اشتغل وجاهد ، لأنا نعلم أنه لو ترك ذلك لهلك الناس كلهم إذ لاقائم به غيره ، ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده ، وسلامة دين الجميع أحب عندنا من سلامة دينه وحده ، فنجعله فداء للقوم ونقول لعل هذا هو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم [1] » ثم الواعظ هو الذى يرغب فى الآخرة ويزهد فى الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته . فأما ماأحدثه الوعاظ فى هذه الأعصار من الكلمات المزخرفة والألفاظ المسجعة المقرونة بالأشعار مما ليس فيه تعظيم لأمر الدين وتخويف المسلمين ، بل فيه الترجية والتجرئة على المعاصى بطيارات النكت ، فيجب إخلاء البلاد منهم ، فإنهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان ، وإنما كلامنا فى واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يبطن فى نفسه حب القبول ولا يقصد غيره ، وفيما أوردناه فى كتاب العلم من الوعيد الوارد فى حق علماء السوء مايبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوائله . ولهذا قال المسيح عليه السلام ياعلماء السوء تصومون وتصلون وتتصدقون ولا تفعلون ماتأمرون ، وتدرسون مالا تعملون ، فياسوء ماتحكمون تتوبون بالقول والأمانى وتعملون بالهوى ، وما يغنى عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة ، بحق أقول لكم : لاتكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة ، كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل فى صدوركم ، ياعبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لاتنقضى من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته ؟ بحق أقول لكم : إن قلوبكم تبكى من أعمالكم ، جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم ، بحق أقول لكم : أفسدتم آخرتكم بصلاح دنياكم ، فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة ، فأى ناس أخس منكم لو تعلمون ، ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين ، وتقيمون فى محلة المتجبرين ! كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ! ويلكم ماذا يغنى عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم ! كذلك لايغنى عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة ! ياعبيد الدنيا ، لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام ، توشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ، ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ، ثم يدفعكم العلم من خلفكم ، ثم يسلمكم إلى الملك الديان حفاة عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ، ثم يجزيكم بسوء أعمالكم . وقد روى الحارث المحاسبى هذا الحديث فى بعض كتبه ثم قال : هؤلاء علماء السوء شياطين الإنس وفتنة على الناس رغبوا فى عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا ، فهم فى العاجل عار وشين وفى الآخرة هم الخاسرون .

فإن قلت : فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد فى العلم والوعظ رغائب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يهدى الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « أيما داع دعا إلى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه [3] » إلى غير ذلك من فضائل العلم ، فينبغى أن يقال للعالم اشتغل بالعلم واترك مراءاة الخلق كما يقال لمن خالجه الرياء فى الصلاة لاتترك العمل ولكن أتمم العمل وجاهد نفسك ؟ فاعلم أن فضل العلم كبير وخطره عظيم كفضل الخلافة والإمارة ، ولا نقول لأحد من عباد الله اترك العلم إذ ليس فى نفس العلم آفة وإنما الآفة فى إظهاره بالتصدى للوعظ والتدريس ورواية الحديث ، ولا نقول له أيضا اتركه مادام يجد

---

(١) حديث « إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم » أخرجه النسائى وقد تقدم قريبا (٢) حديث « لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا ومافيها » متفق عليه من حديث سهل بن سعد بلفظ « خير لك من حمر النعم » وقد تقدم فى العلم

(٣) حديث « أيما داع دعا إلى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه » أخرجه ابن ماجه من حديث أنس بزيادة فى أوله ولمسلم من حديث أبي هريرة « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ... الحديث » .

فى نفسه باعثا دينيا ممزوجا بباعث الرياء ، أما إذا لم يحركه إلا الرياء فترك الإظهار أنفع له وأسلم . وكذلك نوافل الصلوات إذا تجردفيها باعث الرياءوجب تركها ، أما إذا خطر له وساوس الرياء فى أثناء الصلاة وهو لها كاره فلا يترك الصلاة ، لأن آفة الرياء فى العبادات ضعيفة ، وإنما تعظم فى الولايات وفى التصدى للمناصب الكبيرة فى العلم .

وبالجملة فالمراتب ثلاث (الأولى) الولايات ؛ والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة (الثانية) الصوم والصلاة والحج والغزو ؛ وقد تعرض لها أقوياء السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لخوف الآفة . وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على نفيها مع إتمام العمل لله بأدنىقوة (الثالثة) وهى متوسطة بين الرتبتين ؛ وهو التصدى لمنصب الوعظ والفتوىوالروايةوالتدريس ، والآفات فيها أقل مما فى الولايات وأكثر مما فى الصلاة ، فالصلاة ينبغى أن لايتركهاالضعيفوالقوىولكنيدفع خاطرالرياء ، والولايات ينبغى أن يتركها الضعفاء رأسا دون الأقوياء ، ومناصب العلم بينهما،ومن جرب آفات منصب العلمعلم أنه بالولاة أشبه ، وأنالحذر منه فى حق الضعيف أسلم والله أعلم .

وهنا رتبة رابعة وهى : جمع المال وأخذه للتفرقة على المستحقين ، فإن فى الانفاق وإظهار السخاء استجلابا للثناء ، وفى إدخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس ، والآفات فيها أيضا كثيرة .

ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب القوت ثم أمسك ، وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال : القاعد أفضل لما يعرفون من قلة السلامة فى الدنيا ، وأن من الزهد تركها قربة إلى الله تعالى . وقال أبو الدرداء:مايسرنى أنى أقمت على درج مسجد دمشق أصيب كل يوم خمسين دينارا أتصدق بها ، أما إنى لاأحرم البيع والشراء ولكنى أريد أن أكون من الذين لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله .

وقد اختلف العلماء فقال قوم : إذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق بها فهو أفضل من أن يشتغل بالعبادات والنوافل ، وقال قوم : الجلوس فى دوام ذكر الله أفضل ، والأخذ والإعطاء يشغل عن الله وقد قال المسيح عليه السلام : يا طالب الدنيا ليبر بها ، تركك لها أبر ؛ وقال . أقل مافيه أن يشغله إصلاحه عن ذكر الله وذكر الله أكبر وأفضل . وهذا فيمن سلم من الآفات ، فأما من يتعرض لآفةالرياء فتركه لها أبر والاشتغال بالذكر لاخلاف فى أنه أفضل

وبالجملة : مايتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهومثار الآفات ، والأحب أن يعمل ويدفع الآفات ، فإن عجزفلينظر وليجتهد وليستفت قلبه ، وليزن مافيه من الخير بما فيه من الشر ، وليفعل مايدل عليه نور العلم دون مايميل إليه الطبع .

وبالجملة مايجده أخف على قلبه فهو فى الأكثر أضر عليه ، لأنالنفس لاتشير إلا بالشر وقلما تستلذ الخيروتميل إليه ، وإن كان لا يبعد ذلك أيضا فى بعض الأحوال ، وهذه أمور لايمكن الحكم على تفاصيلها بنفى وإثباتفهو موكول إلى اجتهاد القلب لينظر فيهلدينه ويدع مايريبه إلى مالا يريبه ، ثمقديقع مما ذكرناه غرور للجاهلفيمسك المال ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين البخل . ولا خلاف فى أنتفرقة المال فى المباحات فضلا عن الصدقات أفضل من إمساكه ، وإنما الخلاف فيمن يحتاج إلى الكسب : أن الأفضل الكسب والإنفاق ، أو التجرد للذكر؟ وذلك لما فى الكسب من الآفات ، فأما المال الحاصل من الحلال فتفرقته أفضل من إمساكه بكل حال .

فإن قلت فبأى علامة تعرف العالم والواعظ أنه صادق مخلص فى وعظه غير مريد رياء الناس ؟ فاعلم أن لذلك علامات (إحداها) أنه لو ظهر من هو أحسن منه وعظا أو أغزر منه علما والناس له أشد قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا بأس بالغبطة وهو أن يتمنى لنفسه مثل علمه (والأخرى) أن الأكابر إذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل بقى كما كان عليه ، فينظر إلى الخلق بعين واحدة (والأخرى) أن لا يحب اتباع الناس له فى الطريق والمشى خلفه فى الأسواق . ولذلك علامات كثيرة يطول إحصاؤها .

وقد روى عن سعيد بن أبى مروان قال : كنت جالسا إلى جنب الحسن إذ دخل علينا الحجاج من بعض أبواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون أصفر ، فدخل المسجد على برذونه ، فجعل يلتفت فى المسجد فلم ير حلقة أحفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريبا منها ، ثم ثنى وركه فنزل ومشى نحو الحسن ، فلما رآه الحسن متوجها إليه تجافى له عن ناحية مجلسه ، قال سعيد : وتجافيت له أيضا عن ناحية مجلسى حتى صار بينى وبين الحسن فرجة ومجلس للحجاج ، فجاء الحجاج حتى جلس بينى وبينه والحسن يتكلم بكلام له ـ يتكلم به فى كل يوم ـ فما قطع الحسن كلامه قال سعيد : فقلت فى نفسى : لأبلون الحسن اليوم ولأنظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج إليه أن يزيد فى كلامه يتقرب إليه ، أو يحمل الحسن هيبة الحجاج أن ينقص من كلامه ؟ فتكلم الحسن كلاما واحدا نحوا مما كان يتكلم به فى كل يوم حتى انتهى إلى آخر كلامه ، فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث به ، رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال : صدق الشيخ وبر فعليكم بهذه المجالس وأشباهها فاتخذوها حلقا وعادة فإنه بلغنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن مجالس الذكر رياض الجنة [1] » ولولا ماحملاه من أمر الناس ماغلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها ، قال : ثم افتر الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته ، فلما فرغ طفق فقام ، فجاء رجل من أهل الشام إلى مجلس الحسن ـ حين قام الحجاج ـ فقال : عباد الله المسلمين ألا تعجبون أنى رجل شيخ كبير ، وأنى أغزو فأكلف فرسا وبغلا ، وأكلف فسطاطا ، وأن لى ثلثمائة درهم من العطاء وأن لى سبع بنات من العيال ؟ فشكا من حاله حتى رق الحسن له ولأصحابه ، والحسن مكب ، فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه فقال : مالهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم ، فإذا غزا عدو الله غزا فى الفساطيط المبابة وعلى البغال السباقة ، وإذا أغزى أخاه أغزاه طاويا راجلا ؟ فما فتر الحسن حتى ذكرهم بأقبح العيب وأشده ، فقام رجل من أهل الشام كان جالسا إلى الحسن فسعى به إلى الحجاج وحكى له كلامه ، فلم يلبث الحسن أن أتته رسل الحجاج فقالوا : أجب الأمير ، فقام الحسن وأشفقنا عليه من شدة كلامه الذى تكلم به ، فلم يلبث الحسن أن رجع إلى مجلسه وهو يبتسم ، وقلما رأيته فاغرا فاه يضحك إنما كان يتبسم ، فأقبل حتى قعد فى مجلسه فعظم الأمانة وقال : إنما تجالسون بالأمانة كأنكم تظنون أن الخيانة ليست إلا فى الدينار والدرهم ، إن الخيانة أشد الخيانة أن يجالسنا الرجل فنطمئن إلى جانبه ثم ينطلق فيسعى بنا إلى شرارة من نار ! إنى أتيت هذا الرجل فقال : أقصر عليك من لسانك وقولك : إذا غزا عدو الله غزا كذا وكذا ، وإذا أغزى أخاه : أغزاه كذا ! لا أبالك ! تحرض علينا الناس ؟ أما إنا على ذلك لانتهم نصيحتك فأقصر عليك من لسانك ، قال : فدفعه الله عنى . وركب الحسن حمارا يريد المنزل فبينما هو يسير إذا التفت فرأى قوما يتبعونه فوقف فقال : هل لكم من حاجة أو تسألون عن شىء وإلا فارجعوا فما يبقى هذا من قلب العبد ؟ فبهذه

(١) حديث : أن مجالس الذكر رياض الجنة . تقدم فى الأذكار والدعوات .

العلامات وأمثالها تتبين سريرة الباطن . ومهما رأيت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ولا يتوانسون ولا يتعاونون فاعلم أنهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون . اللهم ارحمنا بلطفك ياأرحم الراحمين .

بيان مايصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لايصح

اعلم أنّ الرجل قد يبيت مع القوم فى موضع فيقومون للتهجد ، أو يقوم بعضهم فيصلون الليل كله أو بعضه ، وهو ممن يقوم فى بيته ساعة قريبة ، فإذا رآهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على ما كان يعتاده ، أو يصلى مع أنه كان لايعتاد الصلاة بالليل أصلا ، وكذلك قد يقع فى موضع يصوم فيه أهل الموضع فينبعث له نشاط فى الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط ، فهذا ربما يظن أنه رياء وأن الواجب ترك الموافقة ، وليس كذلك على الإطلاق بل له تفصيل ، لأن كل مؤمن راغب فى عبادة الله تعالى وفى قيام الليل وصيام النهار ، ولكن قد تعوقه العوائق ويمنعه الاشتغال ويغلبه التمكن من الشهوات أو تستهويه الغفلة ، فربما تكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة ، أو تندفع العوائق والأشغال فى بعض المواضع فينبعث له النشاط ، فقد يكون الرجل فى منزله فتقطعه الأسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير ، أو تمكنه من التمتع بزوجته ، أو المحادثة مع أهله وأقاربه ، أو الاشتغال بأولاده أو مطالعة حساب له مع معامليه ، فإذا وقع فى منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التى تفتر رغبته عن الخير وحصلت له أسباب باعثة على الخير ، كمشاهدته إياهم وقد أقبلوا على الله وأعرضوا عن الدنيا ، فإنه ينظر إليهم فينافسهم ويشق عليه أن يسبقوه بطاعة الله فتتحرك داعيته للدين لاللرياء ، أو ربما يفارقه النوم لاستنكاره الموضع أو سبب آخر فيغتنم زوال النوم ، وفى منزله ربما يغلبه النوم وربما ينضاف إليه أنه فى منزله على الدوام ، والنفس لاتسمح بالتهجد دائما وتسمح بالتهجد وقتا قليلا فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق ، وقد يعسر عليه الصوم فى منزله ومعه أطايب الأطعمة ويشق عليه الصبر عنها ، فإذا أعوزته تلك الأطعمة لم يشق عليه فتنبعث داعية الدين للصوم ، فإن الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين ، فإذا سلم منها قوى الباعث . فهذا وأمثاله من الأسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم ، والشيطان مع ذلك ربما يصد عن العمل ويقول : لاتعمل فإنك تكون مرائيا إذا كنت لاتعمل فى بيتك ولا تزد على صلاتك المعتادة ، وقد تكون رغبته فى الزيادة لأجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم إياه إلى الكسل ، لاسيما إذا كانوا يظنون به أنه يقوم الليل ، فإن نفسه لاتسمح بأن يسقط من أعينهم ويريد أن يحفظ منزلته ، وعند ذلك قد يقول الشيطان : صل فإنك مخلص ولست تصلى لأجلهم بل لله وإنما كنت لا تصلى كل ليلة لكثرة العوائق وإنما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم . وهذا أمر مشتبه إلا على ذوى البصائر ، فإذا عرف أنّ المحرك هو الرياء فلا ينبغى أن يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة ، لأنه يعصى الله بطلب محمدة الناس بطاعة الله ، وإن كان انبعاثه لدفع العوائق وتحرك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق . وعلامة ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو فى ذلك الموضع بعينه هل كانت نفسه تسخو بالصلاة وهم لا يرونه ؟ فإن سخت نفسه فليصل فإن باعثه الحق ، وإن كان ذلك يثقل على نفسه لوغاب عن أعينهم فليترك ، فإن باعثه الرياء . وكذلك قد يحضر الإنسان يوم الجمعة فى الجامع من نشاط الصلاة مالا يحضره كل يوم ، ويمكن أن يكون ذلك لحب حمدهم ، ويمكن أن يكون نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب إقبالهم على الله تعالى ، وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه نزوع النفس إلى حب الحمد ، فهما علم أن الغالب على قلبه إرادة الدين فلا

ينبغى أن يترك العمل بما يجده من حب الحمد ، بل ينبغى أن يرد ذلك على نفسه بالكراهية ويشتغل بالعبادة . وكذلك قد يبكى جماعة فينظر إليهم فيحضره البكاء خوفا من الله تعالى لا من الرياء ، ولو سمع ذلك الكلام وحده لما بكى ، ولكن بكاء الناس يؤثر فى ترقيق القلب ، وقد لا يحضره البكاء فيتباكى - تارة رياء وتارة مع الصدق - إذ يخشى على قلبه قساوة القلب حين يبكون ولا تدمع عينه فيتباكى تكلفا ، وذلك محمود . وعلامة الصدق فيه أن يعرض على نفسه أنه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة فيتباكى أم لا ؟ فإن لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن أعينهم فإنما خوفه من أن يقال إنه قاسى القلب فينبغى أن يترك التباكى . قال لقمان عليه السلام لابنه : لا ترى الناس أنك تخشى ليكرموك وقلبك فاجر . وكذلك الصيحة والتنفس والأنين عند القرآن أو الذكر أو بعض مجارى الأحوال ، تارة تكون من الصدق والحزن والخوف والندم والتأسف وتارة تكون لمشاهدته حزن غيره وقساوة قلبه ، فيتكلف التنفس والأنين ويتحازن وذلك محمود ، وقد تقترن به الرغبة فيه لدلالته على أنه كثير الحزن ليعرف بذلك ، فإن تجردت هذه الداعية فهى الرياء ، وإن اقترنت بداعية الحزن فإن أباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه ، وإن قبل ذلك وركن إليه بقلبه حبط أجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله تعالى به ، وقد يكون أصل الأنين عن الحزن ، ولكن يمده ويزيد فى رفع الصوت فتلك الزيادة رياء ، وهو محظور لأنها فى حكم الابتداء لمجرد الرياء ، فقد يهيج من الخوف مالا يملك العبد معه نفسه ، ولكن يسبقه خاطر الرياء فيقبله ، فيدعو إلى زيادة تحزين للصوت أو رفع له أو حفظ الدمعة على الوجه حتى تبصر بعد أن استرسلت لخشية الله ، ولكن يحفظ أثرها على الوجه لأجل الرياء . وكذلك قد يسمع الذكر فتضعف قواه من الخوف فيسقط ، ثم يستحى أن يقال له إنه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة ، فيزعق ويتواجد تكلفا ليرى أنه سقط لكونه مغشيا عليه وقد كان ابتداء السقطة عن صدق ، وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفيق سريعا فتجزع نفسه أن يقال حالته غير ثابتة ، وإنما هى كبرق خاطف ، فيستديم الزعقه والرقص ليرى دوام حاله ، وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سريعا فيجزع أن يقال لم تكن غشيته صحيحة ولو كان لدام ضعفه ، فيستديم إظهار الضعف والأنين فيتكئ على غيره يرى أنه يضعف عن القيام ويتمايل فى المشى ويقرب الخطا ليظهر أنه ضعيف عن سرعة المشى . فهذه كلها مكايد الشيطان ونزغات النفس . فإذا خطرت فعلاجها أن يتذكر أن الناس لو عرفوا نفاقه فى الباطن واطلعوا على ضميره لمقتوه ، وإن الله مطلع على ضميره وهو له أشد مقتا ، كما روى عن ذى النون رحمه الله أنه قام وزعق ، فقام معه شيخ آخر رأى فيه أثر التكلف فقال ياشيخ ! الذى يراك حين تقوم ؟ فجلس الشيخ . وكل ذلك من أعمال المنافقين .

وقد جاء فى الخبر « تعوذوا بالله من خشوع النفاق [1] » ، وإنما خشوع النفاق أن تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ، ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه ، فإن ذلك قد يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمراءاة . فهذه خواطر ترد على القلب متضادة مترادفة متقاربة ، وهى مع تقاربها متشابهة ، فراقب قلبك فى كل ما يخطر لك وانظر ما هو ومن أين هو ؟ فإن كان لله فامضه واحذر مع ذلك أن يكون قد خفى عليك شىء من الرياء الذى هو كدبيب النمل ، وكن على وجل من عبادتك أهى مقبولة أم لا ؟ لخوفك على الإخلاص فيها ، واحذر أن يتجدد لك خاطر الركون إلى حمدهم بعد الشروع بالإخلاص فإن ذلك مما يكثر جدا ،

(١) حديث « تعوذوا بالله من خشوع النفاق » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث أبى بكر الصديق وفيه الحارث بن عبيد الأيادى ضعفه أحمد وابن معين .

فإذا خطر لك فتفكر فى اطلاع الله عليك ومقته لك . وتذكر ماقاله أحد الثلاثة الذين حاجوا أيوب عليه السلام إذ قال : ياأيوب أما علمت أن العبد تضل عنه علانيته التى كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريرته . وقول بعضهم : أعوذ بك أن يرى الناس أنى أخشاك وأنت لى ماقت . وكان من دعاء على بن الحسين رضى الله عنهما : اللهم إنى أعوذ بك أن تحسن فى لامعة العيون علانيتى وتقبح لك فيما أخلو سريرتى ، محافظا على رياء الناس من نفسى مضيعاً لما أنت مطلع عليه منى ، أبدى للناس أحسن أمرى وأفضى إليك بأسوأ عملى ، تقرباً إلى الناس بحسناتى وفرارا منهم إليك بسيآتى ، فيحل بى مقتك ويجب على غضبك ، أعذنى من ذلك يارب العالمين . وقد قال أحد الثلاثة نفر لأيوب عليه السلام : ياأيوب ألم تعلم أن الذين حفظوا علانيتهم وأضاعوا سرائرهم عند طلب الحاجات إلى الرحمن تسود وجوههم فهذه جمل آفات الرياء . فليراقب العبد قلبه ليقف عليها ففى الخبر « إن للرياء سبعين بابا (١) » وقد عرفت أن بعضه أغمض من بعض ، حتى إن بعضه مثل دبيب النمل ، وبعضه أخفى من دبيب النمل ، وكيف يدرك ماهو أخفى من دبيب النمل إلا بشدة التفقد والمراقبة ؟ وليته أدرك بعد بذل المجهود فكيف يطمع فى إدراكه من غير تفقد للقلب وامتحان للنفس وتفتيش عن خدعها ؟ نسأل الله تعالى العافية بمنه وكرمه وإحسانه .

بيان ماينبغى للمريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه

اعلم أن أولى مايلزم المريد قلبه فى سائر أوقاته القناعة بعلم الله فى جميع طاعاته ، ولا يقنع بعلم الله إلا من لايخاف إلا الله ولا يرجو إلا الله ، فأما من خاف غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه على محاسن أحواله ، فإن كان فى هذه الرتبة فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والإيمان لما فيه من خطر التعرض للمقت ، وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التى لايقدر عليها غيره ، فإن النفس عند ذلك تكاد تغلى حرصا على الإفشاء وتقول : مثل هذا العمل العظيم أو الخوف العظيم أو البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك ! فما فى الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى بإخفائه فيجهل الناس محلك وينكرون قدرك ويحرمون الاقتداء بك ؟ ففى مثل هذا الأمر ينبغى أن يثبت قدمه ، ويتذكر فى مقابلة عظم عمله : عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامه أبد الآباد وعظم غضب الله ومقته على من طلب بطاعته ثوابا من عباده ، ويعلم أنّ إظهاره لغيره محبب إليه وسقوط عندالله وإحباط للعمل العظيم فيقول : وكيف أتبع مثل هذا العمل بحمد الخلق وهم عاجزون لايقدرون لى على رزق ولاأجل ؟ فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغى أن ييأس عنه فيقول : إنما يقدر على الإخلاص الأقوياء فأما المخلطون فليس ذلك من شأنهم ، فيترك المجاهدة فى الإخلاص ، لأن المخلط إلى ذلك أحوج من المتقى ، لأن المتقى إن فسدت نوافله بقيت فرائضه كاملة تامة ، والمخلط لاتخلو فرائضه عن النقصان والحاجة إلى الجبران بالنوافل فإن لم تسلم صار مأخوذا بالفرائض وهلك به ، فالمخلط إلى الإخلاص أحوج . وقد روى تميم الدارى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « يحاسب العبد يوم القيامة فإن نقص فرضه قيل انظروا هل له من تطوع ؟ فإن كان له تطوع أكمل به فرضه وإن لم يكن له تطوع أخذ

(١) حديث « الرياء سبعون بابا » هكذا ذكر المصنف هذا الحديث هنا وكأنه تصحف عليه أو على من نقله من كلامه أنه « الرياء » بالمثناة وإنما هو « الربا » بالموحدة والمرسوم كتابته بالواو ، والحديث رواه ابن ماجه من حديث أبى هريرة بلفظ « الربا سبعون حوبا أيسرها أن ينكح الرجل أمه » وفى إسناده أبو معشر واسمه نجيح مختلف فيه وروى ابن ماجه أيضاً من حديث ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الربا ثلاث وسبعون بابا » وإسناده صحيح هكذا ذكر ابن ماجه الحديثين فى أبواب التجارات وقد روى البزار حديث ابن مسعود بلفظ « الربا بضع وسبعون بابا والشرك مثل ذلك » وهذه الزيادة قد يستدل بها على أنه « الرياء » بالمثناة لاقترانه مع الشرك والله أعلم .

بطرفيه فألقى فى النار [1] ، فيأتى المخلط يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجتهاده فى جبر الفرائض وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك إلا بخلوص النوافل ، وأما المتقى فجهده فى زيادة الدرجات فإن حبط تطوعه بقى من حسناته مايترجح على السيئات فيدخل الجنة .

فإذن ينبغى أن يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه لتصح نوافله ، ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لايظهره ولا يتحدث به ، وإذا فعل جميع ذلك فينبغى أن يكون وجلا من عمله خائفا أنه ربما داخله من الرياء الخفى مالم يقف عليه ، فيكون شاكا فى قبوله ورده مجوزا أن يكون الله قد أحصى عليه من نيته الخفية مامقته بها ورد عمله بسببها ، ويكون هذا الشك والخوف فى دوام عمله وبعده إلا فى ابتداء العقد ، بل ينبغى أن يكون متيقنا فى الابتداء أنه مخلص مايريد بعمله إلا الله حتى يصح عمله ، فإذا شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شائبة خفية أحبطت عمله من رياء أو عجب أولى به ، ولكن يكون رجاؤه أغلب من خوفه لأنه استيقن أنه دخل بالإخلاص وشك فى أنه هل أفسده برياء ؟ فيكون رجاء القبول أغلب ، وبذلك تعظم لذته فى المناجاة والطاعات . فالإخلاص : يقين ، والرياء : شك . وخوفه لذلك الشك جدير بأن يكفر خاطر الرياء إن كان قد سبق وهو غافل عنه . والذى يتقرب إلى الله بالسعى فى حوائج الناس وإفادة العلم ينبغى أن يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ، ورجاء الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط ، دون شكر ومكافأة وحمد وثناء من المتعلم والمنعم عليه ، فإن ذلك يحبط الأجر . فهما توقع من المتعلم مساعدة فى شغل وخدمة ، أو مرافقه فى المشى فى الطريق ليستكثر باستتباعه ، أو ترددا منه فى حاجة فقد أخذ أجره ملا ثواب له غيره . نعم إن لم يتوقع هو ولم يقصد إلا الثواب على عمله بعلمه ليكون له مثل أجره ، ولكن خدمه التلميذ بنفسه فقبل خدمته ، فنرجو أن لايحبط ذلك أجره إذا كان لاينتظره ولا يريده منه ، ولا يستبعده منه لو قطعه . ومع هذا فقد كان العلماء يحذرون هذا ، حتى إن بعضهم وقع فى بئر فجاء قوم فأدلوا حبلا ليرفعوه فحلف عليهم أن لايقف معهم من قرأ عليه آية من القرآن أو سمع منه حديثا ، خيفة أن يحبط أجره . وقال شقيق البلخى : أهديت لسفيان الثورى ثوبا فرده على ، فقلت له : يا أبا عبد الله لست أنا ممن يسمع الحديث حتى ترده على قال : علمت ذاك ولكن أخوك يسمع منى الحديث فأخاف أن يلين قلبى لأخيك أكثر مما يلين لغيره . وجاء رجل إلى سفيان ببدرة أو بدرتين وكان أبوه صديقا لسفيان وكان سفيان يأتيه كثيرا ، فقال له : ياأبا عبدالله فى نفسك من أبى شىء ؟ فقال : يرحم الله أباك ـ كان وكان وأثنى عليه ـ فقال : ياأبا عبد الله قد عرفت كيف صار هـــذا المال إلى ، فأحب أن تأخذ هذه تستعين بها على عيالك (قال) فقبل سفيان ذلك (قال) فلما خرج قال لولده : يامبارك الحقه فرده على ، فرجع فقال : أحب أن تأخذ مالك ، فلم يزل به حتى رده عليه . وكأنه كانت أخوته مع أبيه فى الله تعالى فكره أن يأخذ ذلك . قال ولده : فلما خرج لم أملك نفسى أن جئت إليه فقلت : ويلك أى شىء قلبك هذا ! حجارة ؟ عد أنه ليس لك عيال ! أما ترحمنى ؟ أما ترحم إخوتك ؟ أما ترحم عيالنا ؟ فأكثرت عليه فقال لى : يامبارك تأكلها أنت هنيئا مريئا وأسأل عنها أنا .

فإذن يجب على العالم أن يلزم قلبه طلب الثواب من الله فى اهتداء الناس به فقط ، ويجب على المتعلم أن يلزم قلبه حمد الله وطلب ثوابه ونيل المنزلة عنده ، لاعند المعلم وعند الخلق . وربما يظن أن له أن يرائى بطاعته لينال عند المعلم رتبته ، فيتعلم منه ، وهو خطأ لأن إرادته بطاعته غير الله خسران فى الحال ، والعلم ربما يفيد وربما

(١) حديث تميم الدارى : فى إكمال فريضة الصلاة بالتطوع أخرجه أبو داود وابن ماجه وتقدم فى الصلاة .

لايفيد ؟ فكيف يخسر فى الحال عملا نقدا على توهم علم ! وذلك غير جائز ، بل ينبغى أن يتعلم لله ويعبد لله ويخدم المعلم لله ، لاليكون له فى قلبه منزلة ، إن كان يريد أن يكون تعلمه طاعة ، فإن العباد أمروا أن لايعبدوا إلا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره . وكذلك من يخدم أبويه لاينبغى أن يخدمهما لطلب المنزلة عندهما إلا من حيث إن رضا الله عنه فى رضا الوالدين ، ولا يجوز له أن يرائى بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين ، فإن ذلك معصية فى الحال وسيكشف الله عن ريائه وتسقط منزلته من قلوب الوالدين أيضاً . وأما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغى له أن يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بعلمه ، ولايخطر بقلبه معرفة الناس زهده واستعظامهم محله ، فإن ذلك يغرس الرياء فى صدره حتى تتيسر عليه العبادات فى خلوته به ، وإنما سكوته لمعرفة الناس باعتزاله واستعظامهم لمحله وهو لايدرى أنه المخفف للعمل عليه .

قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت عليه فى صومعته فقلت : ياسمعان منذ كم أنت فى صومعتك ؟ قال : منذ سبعين سنة ، قلت : فما طعامك ؟ قال : ياحنيفى وما دعاك إلى هذا ؟ قلت : أحببت أن أعلم ، قال : فى كل ليلة حمصة قلت . فما الذى يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة ؟ قال: ترى الدير الذى بحذائك ؟ قلت : نعم ، قال : إنهم يأتونى فى كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتى ويطوفون حولها ويعظمونى ، فكلما تثاقلت نفسى عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة ، فأنا أحتمل جهد سنة لعز ساعة ! فاحتمل ياحنيفى جهد ساعة لعز الأبد ، فوقر فى قلبى المعرفة ، فقال : حسبك أو أزيدك ؟ قلت : بلى ، قال : انزل عن الصومعة ، فنزلت فأدلى لى ركوة فيها عشرون حمصة فقال لى : ادخل الدير فقد رأوا ما أدليت إليك ، فلما دخلت الدير اجتمع على النصارى فقالوا : ياحنيفى ما الذى أدلى إليك الشيخ؟ قلت : من قوته قالوا : فما تصنع به ونحن أحق به؟ ثم قالوا : ساوم ! قلت : عشرون دينارا فأعطونى عشرين دينارا فرجعت إلى الشيخ فقال : ياحنيفى ما الذى صنعت ؟ قلت : بعته منهم ، قال : بكم ؟ قلت : بعشرين دينارا ، قال : أخطأت ! لو ساومتهم بعشرين ألف دينار لأعطوك ، هذا عز من لاتعبده فانظر كيف يكون عز من تعبده ؟ ياحنيفى أقبل على ربك ودع الذهاب والجيئة .

والمقصود أن استشعار النفس عز العظمة فى القلوب يكون باعثا فى الخلوة وقد لايشعر العبد به ، فينبغى أن يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته أن يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة واحدة ، فلو تغيروا عن اعتقادهم له لم يجزع ولم يضق به ذرعا إلا كراهة ضعيفة ، إن وجدها فى قلبه فيردها فى الحال بعقله وإيمانه ، فإنه لو كان فى عبادة واطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعا ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه ، فإن دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن إذا قدر على رده بكراهة العقل والإيمان وبادر إلى ذلك ولم يقبل ذلك السرور بالركون إليه فيرجى له أن لا يخيب سعيه ؛ إلا أن يزيد عند مشاهدتهم فى الخشوع والانقباض كى لا ينبسطوا إليه ، فذلك لابأس به ولكن فيه غرور ، إذ النفس قد تكون شهوتها الخفية إظهار الخشوع وتتعلل بطلب الانقباض فيطالبها فى دعواها قصد الانقباض بموثق من الله غليظ ، وهو أنه لو علم أن انقباضهم عنه إنما حصل بأن يعدو كثيرا أو يضحك كثيرا أو يأكل كثيرا فتسمح نفسه بذلك ؟ فإذا لم تسمح وسمحت بالعبادة فيشبه أن يكون مرادها المنزلة عندهم، ولاينجو من ذلك إلا من تقرر فى قلبه أنه ليس فى الوجود أحد سوى الله فيعمل عمل من لو كان على وجه الأرض وحده لكان يعمله ، فلا يلتفت قلبه إلى الخلق إلا خطرات ضعيفة لا يشق عليه إزالتها فإذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق . ومن علامة الصدق فيه أنه لو كان له صاحبان أحدهما غنى والآخر فقير فلا يجد عند إقبال الغنى زيادة هزة

فى نفسه ، لا كرامة إلا إذا كان فى الغنى زيادة علم أو زيادة ورع فيكون مكرما له بذلك الوصف لا بالغنى، فمن كان استرواحه إلى مشاهدة الأغنياء أكثر فهو مراء أو طماع ، وإلا فالنظر إلى الفقراء يزيد فى الرغبة إلى الآخرة ويحبب إلى القلب المسكنة ، والنظر إلى الأغنياء بخلافه ، فكيف استروح بالنظر إلى الغنى أكثر مما يستروح إلى الفقير ؟ وقد حكى أنه لم ير الأغنياء فى مجلس أذل منهم فيه فى مجلس سفيان الثورى ، كان يجلسهم وراء الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا يتمنون أنهم فقراء فى مجلسه . نعم لك زيادة إكرام للغنى إذا كان أقرب إليك أو كان بينك وبينه حق وصداقة سابقة ، ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة فى فقير لكنت لا تقدم الغنى عليه فى إكرام وتوقير ألبته ، فإن الفقير أكرم على الله من الغنى ، فإيثارك لا يكون إلا طمعا فى غناه ورياء له ، ثم إذا سويت بينهما فى المجالسة فيخشى عليك أن تظهر الحكمة والخشوع للغنى أكثر مما تظهره للفقير ، وإنما ذلك رياء خفى أو طمع خفى، كما قال ابن السماك لجارية له مالى إذا أتيت بغداد فتحت لى الحكمة ؟ فقالت : الطمع يشحذ لسانك وقد صدقت ! فإن اللسان ينطق عند الغنى بما لا ينطق به عند الفقير ، وكذلك يحضر من الخشوع عنده ما لا يحضره عند الفقير . ومكايد النفس وخفاياها فى هذا الفن لا تنحصر ولا ينجيك منها إلا أن تخرج ما سوى الله من قلبك ، وتتجرد بالشفقة على نفسك بقية عمرك ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منغصة فى أيام متقاربة ، وتكون فى الدنيا كالملك من ملوك الدنيا قد أمكنته الشهوات وساعدته اللذات ، ولكن فى بدنه سقم وهو يخاف الهلاك على نفسه فى كل ساعة لو اتسع فى الشهوات ، وعلم أنه لو احتمى وجاهد شهوته عاش ودام ملكه ، فلما عرف ذلك جالس الأطباء وحارف الصيادلة وعود نفسه شرب الأدوية المرة وصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها ، فبدنه كل يوم يزداد نحولا لقلة أكله ولكن سقمه يزداد كل يوم نقصانا لشدة احتمائه ، فهما نازعته نفسه إلى شهوة تفكر فى توالى الأوجاع والآلام عليه وأداه ذلك إلى الموت المفرق بينه وبين مملكته الموجب لشماتة الأعداء به ومهما اشتد عليه شرب دواء تفكر فيما يستفيده منه من الشفاء الذى هو سبب التمتع بملكه ونعيمه فى عيش هنىء وبدن صحيح وقلب رخى وأمر نافذ ، فيخف عليه مهاجرة اللذات ومصابرة المكروهات . فكذلك المؤمن المريد لملك الآخرة احتمى عن كل مهلك له فى آخرته وهى لذات الدنيا وزهرتها فاجتزى منها بالقليل ، واختار النحول والذبول والوحشة والحزن والخوف ، وترك المؤانسة بالخلق خوفا من أن يحل عليه غضب من الله فيهلك ، ورجاء أن ينجو من عذابه ، فخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وإيمانه بعاقبة أمره وبما أعد له من النعيم المقيم فى رضوان الله أبد الآباد ، ثم علم أن الله كريم رحيم لم يزل لعباده المريدين لمرضاته عونا وبهم رءوفا وعليهم عطوفا ولو شاء لأغناهم عن التعب ، ولكن أراد أن يبلوهم ويعرف صدق إرادتهم حكمة منه وعدلا ، ثم إذا تحمل التعب فى بدايته أقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الأعباء وسهل عليه الصبر ، وحبب إليه الطاعة ورزقه فيها من لذة المناجاة ما يلهيه عن سائر اللذات ويقويه على إماتة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وأمده بمعونته ، فإن الكريم لا يضيع سعى الراجى ولا يخيب أمل المحب وهو الذى يقول « من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا » ويقول تعالى « لقد طال شوق الأبرار إلى لقائى وإنى إلى لقائهم أشد شوقا » فليظهر العبد فى البداية جده وصدقه وإخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى على القرب ما هو اللائق بجوده وكرمه ورأفته ورحمته .

تم كتاب ذم الجاه والرياء والحمد لله وحده

كتاب ذم الكبر والعجب

وهو الكتاب التاسع من ربع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الخالق البارئ المصوّر العزيز الجبار المتكبر العلى الذى لايضعه عن مجده واضع ، الجبار الذى كل جبار له ذليل خاضع ، وكل متكبر فى جناب عزه مسكين متواضع ، فهو القهار الذى لايدفعه عن مراده دافع ، الغنى الذى ليس له شريك ولامنازع ، القادر الذى بهر أبصار الخلائق جلاله وبهاؤه ، وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه ، وحصر ألسن الأنبياء وصفه وثناؤه ، وارتفع عن حدّ قدرتهم إحصاؤه واستقصاؤه ، فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكته وأنبياؤه ، وكسر ظهور الأكاسرة عزه وعلاؤه ، وقصر أيدى القياصرة عظمته وكبرياؤه ، فالعظمة إزاره والكبرياء رداؤه ، ومن نازعه فيهما قصمه بداء الموت فأعجزه دواؤه ، جل جلاله وتقدّست أسماؤه ، والصلاة على محمد الذى أنزل عليه النور المنتشر ضياؤه ، حتى أشرقت بنوره أكناف العالم وأرجاؤه ، وعلى آله وأصحابه الذين هم أحباء الله وأولياؤه ، وخيرته وأصفياؤه وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد : فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى فيهما قصمته [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث مهلكات : شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه [2] » فالكبر والعجب داءان مهلكان ، والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان ، وهما عند الله ممقوتان بغيضان . وإذا كان القصد فى هذا الربع من كتاب إحياء علوم الدين شرح المهلكات وجب إيضاح الكبر والعجب فإنهما من قبائح المرديات ، ونحن نستقصى بيانهما من الكتاب فى شطرين : شطر فى الكبر ، وشطر فى العجب .

الشطر الأول من الكتاب : فى الكبر ؛ وفيه ؛ بيان ذم الكبر ، وبيان ذم الاختيال ، وبيان فضيلة التواضع ، وبيان حقيقة التكبر وآفته ، وبيان من يتكبر عليه ودرجات التكبر ، وبيان ما به التكبر ، وبيان البواعث على التكبر ، وبيان أخلاق المتواضعين ومافيه يظهر الكبر ، وبيان علاج الكبر . وبيان امتحان النفس فى خلق الكبر ، وبيان المحمود من خلق التواضع والمذموم منه .

بيان ذم الكبر

قد ذم الله الكبر فى مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى ﴿ سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ﴾ وقال عزوجل ﴿ كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ﴾ وقال تعالى ﴿ واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ﴾ وقال تعالى ﴿ إنه لايحب المستكبرين ﴾ وقال تعالى ﴿ لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا ﴾ وقال تعالى ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ﴾ وذم الكبر فى القرآن كثير وقد

كتاب ذم الكبر والعجب

(١) حديث « قال الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى فيهما قصمته » أخرجه الحاكم فى المستدرك دون ذكر « العظمة » وقال صحيح على شرط مسلم وتقدم فى العلم ، وسيأتى بعد حديثين بلفظ آخر (٢) حديث « ثلاث مهلكات .. الحديث » أخرجه البزار والطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بسند ضعيف وتقدم فيه أيضاً .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ، ولايدخل النار من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان [١] » وقال أبو هريرة رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته فى جهنم ولاأبالى [٢] » وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على الصفا فتواقفا ، فمضى ابن عمرو وأقام ابن عمر يبكى ، فقالوا مايبكيك ياأبا عبد الرحمن ؟ فقال : هذا - يعنى عبد الله بن عمرو - زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله فى النار على وجهه [٣] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب فى الجبارين فيصيبه ماأصابهم من العذاب [٤] » وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما - للطير والإنس والجن والبهائم : اخرجوا ، فخرجوا فى مائتى ألف من الإنس ومائتى ألف من الجن ، فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح فى السموات ، ثم خفض حتى مست أقدامه البحر ، فسمع صوتا : لوكان فى قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به أبعد مما رفعته . وقال صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول : وكلت بثلاثة : بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالمصورين [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « لايدخل الجنة بخيل ولا جبار ولاسيئ الملكة [٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « تحاجت الجنة والنار فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة : مالى لايدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم ؟ فقال الله للجنة : إنما أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى ، وقال للنار : إنما أنت عذابى أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها [٧] » وقال صلى الله عليه وسلم « بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الأعلى ، بئس العبد عبد تجبر واختال ونسى الكبير المتعال ، بئس العبد عبد غفل وسها ونسى المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا وبغى ونسى المبدأ والمنتهى [٨] » وعن ثابت أنه قال : بلغنا أنه قيل يارسول الله ما أعظم كبر فلان ! فقال « أليس بعده الموت [٩] » وقال عبد الله بن عمرو : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال : إنى آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين ، أنهاكما عن الشرك والكبر ، وآمركما بلا إله إلا الله . فإن السموات والأرضين ومافيهن لو وضعت فى كفة الميزان ووضعت لا إله إلا الله فى الكفة الأخرى كانت أرجح منهما ، ولو أن السموات والأرضين ومافيهن كانتا حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليها لقصمتها ، وآمركما بسبحان الله

---

(١) حديث « لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولايدخل النار رجل فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان » أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود . (٢) حديث أبى هريرة « يقول الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته فى جهنم » أخرجه مسلم وأبو داود وابن ماجه واللفظ له ، وقال أبو داود « قذفته فى النار » وقال مسلم « عذبته » وقال « رداؤه » و « ازاره » بالغيبة وزاد مع أبى هريرة أبا سعيد أيضاً (٣) حديث عبدالله بن عمرو « من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر كبه الله فى النار على وجهه » أخرجه أحمد والبيهقى فى شعب الإيمان من طريقه بإسناد صحيح (٤) حديث « لايزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب فى الجبارين ... الحديث » أخرجه الترمذى وحسنه من حديث سلمة بن الأكوع دون قوله « من العذاب »

(٥) حديث « يخرج من النار عنق له أذنان ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال حسن صحيح غريب

(٦) حديث « لايدخل الجنة جبار ولا بخيل ولاسيئ الملكة » تقدم فى أسباب الكسب والمعاش والمعروف « خائن » مكان « جبار » (٧) حديث « تحاجت الجنة والنار فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة (٨) حديث « بئس العبد عبد تجبر واعتدى . . الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أسماء بنت عميس بزيادة فيه مع تقديم وتأخير وقال غريب وليس إسناد بالقوى ورواه الحاكم فى المستدرك وصححه ورواه البيهقى فى الشعب من حديث نعيم بن عمار وضعفه (٩) حديث ثابت : بلغنا أنه قيل يارسول الله ما أعظم كبر فلان ؟ فقال « أليس بعده الموت » أخرجه البيهقى فى الشعب هكذا مرسلا بلفظ « تجبر » .

وبحمده فإنها صلاة كل شىء وبها يرزق كل شىء [١] » قال المسيح عليه السلام : طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جباراً . وقال صلى الله عليه وسلم « أهل النار كل جعظرى جوّاظ مستكبر جماع مناع ، وأهل الجنة الضعفاء المقلون [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحبكم إلينا وأقربكم منا فى الآخرة أحاسنكم أخلاقا ، وإن أبغضكم إلينا وأبعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون » قالوا : يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون ؟ المتكبرون [٣] » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « يحشر المتكبرون يوم القيامة فى مثل صور الذر تطؤهم الناس ، ذراً فى مثل صور الرجال يعلوهم كل شىء من الصغار ، ثم يساقون إلى سجن فى جهنم يقال له بولس يعلوهم نار الأنيار يسقون من طين الخبال عصارة أهل النار [٤] » وقال أبو هريرة : قال النبى صلى الله عليه وسلم « يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة فى صور الذر تطؤهم الناس لهوانهم على الله تعالى [٥] » وعن محمد بن واسع قال : دخلت على بلال بن أبى بردة فقلت له يابلال إن أباك حدثنى عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن فى جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله أن يسكنه كل جبار ، فإياك يابلال أن تكون ممن يسكنه [٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن فى النار قصراً يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم [٧] » وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم إنى أعوذ بك من نفخة الكبرياء [٨] » وقال « من فارق روحه جسده وهو برىء من ثلاث دخل الجنة : الكبر والدين والغلول [٩] » .

الآثار : قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : لايحقرن أحد أحداً من المسلمين ، فإن صغير المسلمين عند الله كبير . وقال وهب : لما خلق الله جنة عدن نظر إليها فقال أنت حرام على كل متكبر . وكان الأحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره ، فجاء يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما ، وقعد الأحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك فى وجهه فقال : عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين . وقال الحسن : العجب من ابن آدم ، يغسل الخرء بيده كل يوم مرة أو مرتين ثم يعارض جبار السموات . وقد قيل فى ﴿ وفى أنفسكم

---

(١) حديث عبد الله بن عمرو « إن نوحا لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال : إنى آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين ، أنهاكما عن الشرك والكبر ... الحديث » أخرجه أحمد والبخارى فى كتاب الأدب والحاكم بزيادة فى نقله قال صحيح الاسناد .

(٢) حديث « أهل النار كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع » وهذه الزيادة عندهما من حديث حارثة بن وهب الخزاعى « ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر » (٣) حديث « إن أحبكم الينا وأقربكم منا فى الآخرة أحاسنكم أخلاقا ... الحديث » أخرجه أحمد من حديث أبى ثعلبة الخشنى بلفظ « الى » و « منى » وفيه انقطاع ومكحول لم يسمع من أبى ثعلبة وقد تقدم فى رياضة النفس أول الحديث (٤) حديث « يحشر المتكبرون يوم القيامة ذرا فى صور الرجال ... الحديث » أخرجه الترمذى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال غريب .

(٥) حديث أبى هريرة « يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة فى صور الذر ... الحديث » أخرجه البزار هكذا مختصرا دون قوله « الجبارون » وإسناده حسن (٦) حديث أبى موسى « إن فى جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله أن يسكنه كل جبار » أخرجه أبو يعلى والطبرانى والحاكم وقال صحيح الإسناد ، قلت فيه أزهر بن سنان ضعفه ابن معين وابن حبان وأورد له فى الضعفاء هذا الحديث (٧) حديث « إن فى النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث أنس وقال « توابيت » مكان « قصرا » وقال « فيقفل » مكان « يطبق » وفيه أبان بن أبى عياش وهو ضعيف .

(٨) حديث « اللهم إنى أعوذ بك من نفخة الكبرياء » لم أره بهذا اللفظ ، وروى أبو داود وابن ماجه من حديث جبير بن مطعم عن النبى صلى الله عليه وسلم فى أثناء حديث « أعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه » قال : نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة ، ولأصحاب السنن من حديث أبى سعيد الخدرى نحوه ، تكلم فيه أبو داود وقال الترمذى هو أشهر حديث فى هذا الباب .

(٩) حديث « من فارق روحه جسده وهو برىء من ثلاثة دخل الجنة : الكبر والدين والغلول » أخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث ثوبان وذكر المصنف لهذا الحديث هنا موافق للمشهور فى الرواية أنه الكبر (بالموحدة والراء) لكن ذكر ابن الجوزى فى جامع المسانيد عن الدارقطنى قال إنما هو الكنز (بالنون والزاى) وكذلك أيضاً ذكر ابن مردويه الحديث فى تفسير (والذين يكنزون الذهب والفضة)

أفلا تبصرون ﴾ هو سبيل الغائط والبول . وقد قال محمد بن الحسين بن على : مادخل قلب امرئ شىء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر مادخل من ذلك قل أو كثر . وسئل سليمان عن السيئة التى لاتنفع معها حسنة فقال : الكبر وقال النعمان بن بشير — على المنبر — إن للشيطان مصالى ونخوخا ، وإن من مصالى الشيطان ونخوخه البطر بأنعم الله والفخر بإعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى فى غير ذات الله . نسأل الله تعالى العفو والعافية فى الدنيا والآخرة بمنه وكرمه .

بيان ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر فى المشى وجر الثياب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاينظر الله إلى رجل يجرّ إزاره بطرا[1] » وقال صلى الله عليه وسلم « بينما رجل يتبختر فى بردته إذ أعجبته نفسه فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « من جرّ ثوبه خيلاء لاينظر الله إليه يوم القيامة » وقال زيد بن أسلم : دخلت على ابن عمر فمرّ به عبد الله ابن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول : أى بنى ارفع إزارك فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لاينظر الله إلى من جرّ إزاره خيلاء[3] » وروى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما على كفه ووضع أصبعه عليه وقال « يقول الله تعالى : ابن آدم أتعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه ! حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد جمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقى قلت أتصدق ! وأنى أوان الصدقة [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مشت أمتى المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط الله بعضهم على بعض [5] » قال ابن الأعرابى : هى مشية فيها اختيال . وقال صلى الله عليه وسلم « من تعظم فى نفسه واختال فى مشيته لقى الله وهو عليه غضبان [6] » .

الآثار : عن أبى بكر الهذلى قال : بينما نحن مع الحسن إذ مر علينا ابن الأهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز ، قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشى يتبختر ، إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال : أف ... أف ... شامخ بأنفه ثانى عطفه مصعّر خده ينظر فى عطفيه ، أى حميق أنت تنظر فى عطفيك فى نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأخوذ بأمر الله فيها ولا المؤدى حق الله منها ، والله أن يمشى أحد طبيعته يتخلج تخلق المجنون فى كل عضو من أعضائه لله نعمة ، وللشيطان به لفتة ، فسمع ابن الأهتم فرجع يعتذر إليه فقال : لاتعتذر إلى وتب إلى ربك ، أما سمعت قول الله تعالى ﴿ ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ﴾؟ ومر بالحسن شاب عليه بزة له حسنة فدعاه فقال له : ابن آدم معجب بشبابه محب لشمائله ، كأن القبر قد وارى بدنك وكأنك قد لاقيت عملك ، ويحك ! داو قلبك فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم . وروى أن عمر

---

(١) حديث « لاينظر الله الى من جر ازاره بطرا » متفق عليه من حديث أبى هريرة .

(٢) حديث « بينما رجل يتبختر فى برديه قد أعجبته نفسه ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة .

(٣) حديث ابن عمر « لاينظر الله الى من جر ازاره خيلاء » رواه مسلم مقتصرا على المرفوع دون ذكر مرور عبد الله ابن واقد على ابن عمر وهو رواية لمسلم أن المار رجل من بنى ليث غير مسمى (٤) حديث : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما على كفه ووضع أصبعه عليها وقال « يقول الله : ابن آدم أتعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه ... الحديث » أخرجه ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث عمر بن جحاش (٥) حديث « اذا مشت أمتى المطيطاء .. الحديث » أخرجه الترمذى وابن حبان فى صحيحه من حديث ابن عمر : المطيطاء (بضم الميم وفتح الطاءين المهملتين بينهما مثناة من تحت) مصدر اولم يستعمل مكبرا

(٦) حديث « من تعظم فى نفسه واختال فى مشيه لقى الله وهو عليه غضبان » أخرجه أحمد والطبرانى والحاكم وصححه والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر .

ابن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف ؛ فنظر إليه طاوس وهو يختال فى مشيته فغمز جنبه بأصبعه ثم قال : ليست هذه مشية من فى بطنه خراء ؟ فقال عمر كالمعتذر : ياعم لقد ضرب كل عضو منى على هذه المشية حتى تعلمتها ورأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه وقال : أتدرى من أنت ؟ أما أمك فأشتريها بمائتى درهم وأما أبوك فلا أكثر الله فى المسلمين مثله ! ورأى ابن عمر رجلا يجر إزاره فقال : إنّ للشيطان إخوانا — كررها مرتين أو ثلاثا — ويروى أن مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب وهو يتبختر فى جبة خز ، فقال : ياعبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله ، فقال له المهلب : أما تعرفنى ؟ فقال بلى أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرتك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة ! فمضى المهلب وترك مشيته تلك . وقال مجاهد فى قوله تعالى ﴿ ثم ذهب إلى أهله يتمطى ﴾ أى يتبختر وإذ قد ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلنذكر فضيلة التواضع والله تعالى أعلم .

بيان فضيلة التواضع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مازاد الله عبداً بعفو إلا عزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه بها فإن هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وإن وضع نفسه قالا اللهم ارفعه [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن تواضع فى غير مسكنة وأنفق مالا جمعه فى غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة [3] » وعن أبى سلمة المدينى عن أبيه عن جده قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقباء وكان صائما فأتيناه عند إفطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيئا من عسل فلما رفعه وذاقه وجد حلاوة العسل فقال « ماهذا ؟ » قلنا يارسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل فوضعه وقال « أما إنى لا أحرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله [4] » وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى نفر من أصحابه فى بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فأذن له فلما دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال له « اطعم » فكأن رجلا من قريش اشمأز منه وتكره فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « خيرنى ربى بين أمرين أن أكون عبداً رسولا أو ملكا نبيا فلم أدر أيهما أختار وكان صفيى من الملائكة جبريل فرفعت رأسى إليه فقال : تواضع لربك فقلت عبداً رسولا [6] » وأوحى الله

---

(١) حديث « مازاد الله عبدا بعفو الا عزا ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة وقد تقدم .

(٢) حديث « مامن أحد الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه بها ... الحديث » أخرجه العقيلى فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة والبيهقى أيضا من حديث ابن عباس وكلاهما ضعيف . (٣) حديث « طوبى لمن تواضع فى غير مسكنة ... الحديث » أخرجه البغوى وابن قانع والطبرانى من حديث ركب المصرى والبزار من حديث أنس وقد تقدم بعضه فى العلم وبعضه فى آفات اللسان (٤) حديث أبى سلمة المدينى عن أبيه عن جده قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقباء وكان صائما الحديث » وفيه « من تواضع رفعه الله ... الحديث » رواه البزار من رواية طلحة بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده طلحة فذكر نحوه دون قوله ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله » ولم يقل « بقباء » وقال الذهبى فى الميزان إنه خبر منكر وقد تقدم ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة قالت أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فيه لبن وعسل ... الحديث » وفيه « أما إنى لاأزعم أنه حرام ... الحديث » وفيه « من أكثر ذكر الموت أحبه الله » وروى المرفوع منه أحمد وأبو يعلى من حديث أبى سعيد دون قوله « ومن بذر أفقره الله » وذكرا فيه قوله « ومن أكثر ذكر الله أحبه الله » وتقدم فى ذم الدنيا

(٥) حديث السائل الذى كان به زمانة منكرة وأنه صلى الله عليه وسلم أجلسه على فخذه ثم قال « اطعم » الحديث لم أجد له أصلا والموجود حديث أكله مع مجذوم رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث جابر وقال الترمذى غريب

(٦) حديث « خيرنى ربى بين أمرين عبدا رسولا وملكا نبيا ... الحديث » أخرجه أبو يعلى من حديث عائشة والطبرانى من حديث ابن عباس وكلا الحديثين ضعيف

تعالى إلى موسى عليه السلام : إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتى ولم يتعاظم على خلقى وألزم قلبه خوفى وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجلى وقال صلى الله عليه وسلم ، الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى [1] ، وقال المسيح عليه السلام : طوبى للمتواضعين فى الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس فى الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم فى الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة . وقال بعضهم : بلغنى أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا هدى الله عبداً للإسلام وحسن صورته وجعله فى موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « أربع لايعطيهم الله إلا من أحب : الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد فى الدنيا [3] » وقال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله [5] » ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم فجاء رجل أسود به جدرى قد تقشر فجعل لا يجلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبى صلى الله عليه وسلم إلى جنبه [6] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنه ليعجبنى أن يحمل الرجل الشىء فى يده يكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه [7] » وقال النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه يوما « مالى لا أرى عليكم حلاوة العبادة » قالوا : وما حلاوة العبادة ؟ قال « التواضع [8] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم المتواضعين من أمتى فتواضعوا لهم وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك مذلة لهم وصغار [9] » .

الآثار : قال عمر رضى الله عنه : إنّ العبد إذا تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش رفعك الله وإذا تكبر وعدا طوره رهصه الله فى الأرض وقال اخسأ خسأك الله ، فهو فى نفسه كبير وفى أعين الناس حقير حتى إنه لأحقر عندهم من الخنزير . وقال جرير بن عبدالله : انتهيت مرة إلى شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ، ثم إنّ الرجل استيقظ فإذا هو سلمان الفارسى ، فذكرت له ما صنعت فقال لى : ياجرير تواضع لله فى الدنيا فإنه من تواضع لله فى الدنيا رفعه الله يوم القيامة ياجرير أتدرى ما ظلمة النار يوم القيامة ؟ قلت : لا ، قال : إنه ظلم الناس بعضهم فى الدنيا . وقالت عائشة رضى الله عنها : إنكم لتغفلون عن أفضل العبادات ، التواضع .

---

(١) حديث « الكرم التقوى ، والشرف التواضع ، واليقين الغنى » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب اليقين مرسلا وأسند الحاكم أوله من رواية الحسن عن سمرة وقال صحيح الاسناد . (٢) حديث « إذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته ... الحديث » أخرجه الطبرانى موقوفا على ابن مسعود نحوه وفيه المسعودى مختلف فيه .

(٣) حديث « أربع لايعطيهن الله إلا من يحب : الصمت وهو أول العبادة ، والتوكل على الله والتواضع ، والزهد فى الدنيا » أخرجه الطبرانى والحاكم من حديث أنس « أربع لايصبن إلا بعجب الصمت وهو أول العبادة والتواضع وذكر الله وقلة الشىء » قال الحاكم صحيح الاسناد قلت فيه العوام بن جويرية قال ابن حبان يروى الموضوعات ثم روى له هذا الحديث

(٤) حديث ابن عباس « اذا تواضع العبد رفع الله رأسه الى السماء السابعة » أخرجه البيهقى فى الشعب نحوه وفيه زمعة بن صالح ضعفه الجمهور (٥) حديث « إن التواضع لايزيد العبد إلا رفعة ... الحديث » أخرجه فى الترغيب والترهيب من حديث أنس وفيه بشر بن الحسين وهو ضعيف جدا ورواه ابن عدى من حديث ابن عمر وفيه الحسن بن عبد الرحمن الاحتياطى وخارجة بن مصعب وكلاهما ضعيف (٦) حديث : كان يطعم فجاءه رجل أسود به جدرى فجعل لايجلس الى أحد الا قام من جنبه فأجلسه النبى صلى الله عليه وسلم الى جنبه . لم أجده هكذا والمعروف أكله مع مجذوم رواه أبو داود والترمذى وقال غريب وابن ماجه من حديث جابر كما تقدم (٧) حديث « انه ليعجبنى أن يحمل الرجل الشىء فى يده فيكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه » غريب

(٨) حديث « مالى لا أرى عليكم حلاوة العبادة » قالوا : وما حلاوة العبادة ؟ قال « التواضع » غريب أيضاً .

(٩) حديث « اذا رأيتم المتواضعين من أمتى فتواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك لهم مذلة وصغار » غريب أيضاً .

وقال يوسف بن أسباط : يجزى قليل الورع من كثير العمل ويجزى قليل التواضع من كثير الاجتهاد . وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع ماهو ؟ فقال : أن تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته ولو سمعته من أجهل الناس قبلته . وقال ابن المبارك : رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك فى نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل ، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك فى الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل . وقال قتادة : من أعطى مالا أو جمالا أو ثيابا أو علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيامه . وقيل أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : إذا أنعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة أتممها عليك . وقال كعب : ما أنعم الله على عبد من نعمة فى الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها فى الدنيا ورفع بها درجة فى الآخرة ، وما أنعم الله على عبد من نعمة فى الدنيا فلم يشكرها ولم يتواضع بها لله إلا منعه الله نفعها فى الدنيا وفتح له طبقا من النار يعذبه إن شاء الله أو يتجاوز عنه . وقيل لعبد الملك بن مروان : أى الرجال أفضل ؟ قال : من تواضع عن قدرة وزهد عن رغبة وترك النصرة عن قوة . ودخل ابن السماك على هرون فقال : ياأمير المؤمنين إنّ تواضعك فى شرفك أشرف لك من شرفك ، فقال : ماأحسن ماقلت ! فقال : ياأمير المؤمنين إنّ امرأ آتاه الله جمالا فى خلقته وموضعا فى حسبه وبسط له فى ذات يده فعف فى جماله وواسى من ماله وتوضع فى حسبه كتب فى ديوان الله من خالص أولياء الله ، فدعا هرون بدواة وقرطاس وكتبه بيده . وكان سليمان بن داود عليهما السلام إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف حتى يجىء إلى المساكين فيقعد معهم ويقول : مسكين مع مساكين . وقال بعضهم : كما تكره أن يراك الأغنياء فى الثياب الدون فكذلك فاكره أن يراك الفقراء فى الثياب المرتفعة . روى أنه خرج يونس وأيوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن : أتدون ماالتواضع ؟ التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلما إلا رأيت له عليك فضلا . وقال مجاهد . إنّ الله تعالى لما أغرق قوم نوح عليه السلام شمخت الجبال وتطاولت وتواضع الجودى فرفعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه . وقال أبو سليمان : إنّ الله عز وجل اطلع على قلوب الآدميين فلم يجد قلبا أشدّ تواضعا من قلب موسى عليه السلام فخصه من بينهم بالكلام . وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات : لم أشك فى الرحمة لولا أنى كنت معهم إنى أخشى أنهم حرموا بسببى . ويقال : أرفع مايكون المؤمن عند الله أوضع ما يكون عند نفسه ، وأوضع ما يكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسه . وقال زياد النمرى : الزاهد بغير تواضع كالشجرة التى لاتثمر . وقال مالك بن دينار : لو أن مناديا ينادى بباب المسجد ليخرج شركم رجلا والله ما كان أحد يسبقنى إلى الباب إلا رجلا بفضل قوة أو سعى قال : فلما بلغ ابن المبارك قوله قال : بهذا صار مالك مالكا . وقال الفضيل : من أحب الرياسة لم يفلح أبدا . وقال موسى بن القاسم : كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت إلى محمد بن مقاتل فقلت : يا أبا عبدالله أنت إمامنا فادع الله عز وجل لنا ، فبكى ثم قال : ليتنى لم أكن سبب هلاككم ، قال : فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال : إنّ الله عز وجل رفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل . وجاء رجل إلى الشبلى رحمه الله فقال له : ما أنت ؟ وكان هذا دأبه وعادته ، فقال : أنا النقطة التى تحت الباء فقال له الشبلى : أباد الله شاهدك أو تجعل لنفسك موضعا . وقال الشبلى فى بعض كلامه : ذلى عطل ذل اليهود . ويقال : من يرى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب . وعن أبى الفتح بن شخرف قال : رأيت على أبى طالب رضى الله عنه فى المنام فقلت له يا أبا الحسن عظنى ، فقال لى : ماأحسن التواضع بالأغنياء فى مجالس الفقراء رغبة منهم فى ثواب الله ! وأحسن من تيه الفقراء على الأغنياء ثقة منهم بالله عز وجل ، وقال أبو سليمان : لايتواضع العبد حتى يعرف

نفسه . وقال أبو يزيد : مادام العبد يظنّ أنّ فى الخلق من هو شر منه فهو متكبر ، فقيل له : فمتى يكون متواضعا ؟ قال : إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا ، وتواضع كل إنسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه . وقال أبو سليمان : لو اجتمع الخلق على أن يضعونى كاتضاعى عند نفسى ما قدروا عليه . وقال عروة بن الورد : التواضع أحد مصايد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها إلا التواضع . وقال يحيى بن خالد البرمكى : الشريف إذا تنسك تواضع ، والسفيه إذا تنسك تعاظم . وقال يحيى بن معاذ . التكبر على ذى التكبر عليك بماله تواضع ، ويقال : التواضع فى الخلق كلهم حسن ، وفى الأغنياء أحسن ، والتكبر فى الخلق كلهم قبيح ، وفى الفقراء أقبح . ويقال : لا عز إلا لمن تذلل لله عز وجل ، ولا رفعة إلا لمن تواضع لله عز وجل ، ولا أمن إلا لمن خاف الله عز وجل ، ولا ربح إلا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل . وقال أبو على الجوزجانى . النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد، فمن أراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة ، وإذا أراد الله تعالى به خيرا لطف به فى ذلك ، فإذا هاجت فى نفسه نار الكبر أدركها التواضع من نصرة الله تعالى ، وإذا هاجت نار الحسد فى نفسه أدركتها النصيحة مع توفيق الله عز وجل ، وإذا هاجت فى نفسه نار الحرص أدركتها القناعة مع عون الله عز وجل . وعن الجنيد رحمه الله أنه كان يقول يوم الجمعة فى مجلسه لولا أنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « يكون فى آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم [1] » ما تكلمت عليكم . وقال الجنيد أيضا : التواضع عند أهل التوحيد تكبر ، ولعل مراده أنّ التواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها أو يرفعها . وعن عمرو بن شيبة قال: كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان وإذا هم يعنفون الناس ، قال : ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر ، فإذا أنا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال : فجعلت أنظر إليه وأتأمله فقال لى : مالك تنظر إلى ؟ فقلت له : شبهتك برجل رأيته بمكة ، ووصفت له الصفة ، فقال له : أنا ذلك الرجل ، فقلت : مافعل الله بك ؟ فقال إنى ترفعت فى موضع يتواضع فيه الناس فوضعنى الله حيث يترفع الناس . وقال المغيرة كنا نهاب إبراهيم النخعى هيبة الأمير وكان يقول إن زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء . وكان عطاء السلمى إذا سمع صوت الرعد قام وقعد وأخذه بطنه كأنه امرأة ماخض ، وقال هذا من أجلى يصيبكم ، لو مات عطاء لاستراح الناس . وكان بشر الحافى يقول سلموا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم . ودعا رجل لعبد الله بن المبارك فقال أعطاك الله ماترجوه ، فقال إنّ الرجاء يكون بعد المعرفة فأين المعرفة ؟ وتفاخرت قريش عند سلمان الفارسى رضى الله عنه يوما فقال سلمان لكننى خلقت من نطفة قذرة ثم أعود جيفة منتنة ثم آتى الميزان فإن ثقل فأنا كريم وإن خف فأنا لئيم وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه وجدنا الكرم فى التقوى ، والغنى فى اليقين ، والشرف فى التواضع . نسأل الله الكريم حسن التوفيق .

بيان حقيقة الكبر وآفته

اعلم أنّ الكبر ينقسم إلى باطن وظاهر فالباطن هو خلق فى النفس ، والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح . واسم الكبر بالخلق الباطن أحق ، وأما الأعمال فإنها ثمرات لذلك الخلق . وخلق الكبر موجب للأعمال ولذلك إذا

---

(١) حديث « يكون فى آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم » أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة « اذا اتخذ الفىء دولا ... الحديث » وفيه « كان زعيم القوم أرذلهم ... الحديث » وقال غريب وله من حديث على بن أبى طالب « اذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء » فذكر منها « وكان زعيم القوم أرذلهم » ولأبى نعيم فى الحلية من حديث حذيفة « من اقتراب الساعة اثنان وسبعون خصلة » فذكرها منها وفيها فرج بن فضالة ضعيف .

ظهر على الجوارح يقال تكبر ، وإذا لم يظهر يقال فى نفسه كبر . فالأصل هو الخلق الذى فى النفس وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فإن الكبر يستدعى متكبرا عليه ومتكبرا به ، وبه ينفصل الكبر عن العجب - كما سيأتى - فإن العجب لايستدعى غير المعجب بل لولم يخلق الإنسان إلا وحده تصور أن يكون معجبا ، ولايتصور أن يكون متكبراً إلا أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير فى صفات الكمال ، فعند ذلك يكون متكبرا ، ولا يكفى أن يستعظم نفسه ليكون متكبرا فإنه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا يتكبر عليه ، ولا يكفى أن يستحقر غيره فإنه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر ، بل ينبغى أن يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ، ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره ، فعند هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خلق الكبر ، لاأن هذه الرؤية تنفى الكبر ، بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه ، فيحصل فى قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون إلى ما اعتقده وعز فى نفسه بسبب ذلك ، فتلك العزة والهزة والركون إلى العقيدة هو خلق الكبر . ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم « أعوذ بك من نفخة الكبرياء [1] » وكذلك قال عمر أخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا ، للذى استأذنه أن يعظ بعد صلاة الصبح . فكأن الإنسان مهما رأى نفسه بهذه العين - وهو الاستعظام - كبر وانتفخ وتعزز . فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة فى النفس من هذه الاعتقادات ، وتسمى أيضا عزة وتعظما ، ولذلك قال ابن عباس فى قوله تعالى ﴿ إن فى صدورهم إلا كبر ماهم ببالغيه ﴾ قال عظمة لم يبلغوها ، ففسر الكبر بتلك العظمة . ثم هذه العزة تقتضى أعمالا فى الظاهر والباطن هى ثمرات ويسمى ذلك تكبرا ، فإنه مهما عظم عنده قدره بالإضافة إلى غيره حقر من دونه وازدراه وأقصاه عن نفسه وأبعده وترفع عن مجالسته ومؤاكلته ، ورأى أن حقه أن يقوم ماثلا بين يديه إن اشتد كبره فإن كان أشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله أهلا للقيام بين يديه ولا بخدمة عتبته ، فإن كان دون ذلك فأنف من مساواته وتقدم عليه فى مضايق الطرق وارتفع عليه فى المحافل وانتظر أن يبدأه بالسلام واستبعد تقصيره فى قضاء حوائجه وتعجب منه ، وإن حاج أو ناظر أنف أن يرد عليه وإن وعظ استنكف من القبول ، وإن وعظ عنف فى النصح ، وإن رد عليه شىء من قوله غضب وإن علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم ، وينظر إلى العامة كأنه ينظر إلى الحمير استجهالا لهم واستحقارا . والأعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهى أكثر من أن تحصى فلا حاجة إلى تعدادها فإنها مشهورة . فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة ، وفيه يهلك الخواص من الخلق ، وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الخلق ، وكيف لا تعظم آفته وقد قال صلى الله عليه وسلم « لايدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر [2] » ؟ وإنما صار حجابا دون الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها ، وتلك الأخلاق هى أبواب الجنة ، والكبر وعزة النفس يغلق تلك الأبواب كلها ، لأنه لا يقدر على أن يحب للمؤمنين مايحب لنفسه وفيه شىء من العز ، ولا يقدر على التواضع وهو رأس أخلاق المتقين وفيه العز ، ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ، ولا يقدر أن يدوم على الصدق وفيه العز ، ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ، ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ، ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ، ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز ، ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ، ولا يسلم من الازدراء بالناس ومن اغتيابهم وفيه العز : ولا معنى للتطويل فما من خلق

(١) حديث « أعوذ بك من نفخة الكبرياء » تقدم فيه . (٢) حديث « لايدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر » تقدم فيه .

ذميم إلا وصاحب العز والكبر مضطر إليه ليحفظ عزه ، وما من خلق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفا من أن يفوته عزه ، فمن هذا لم يدخل الجنة من فى قلبه مثقال حبة منه . والأخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع إلى البعض لا محالة . وشر أنواع الكبر مايمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وفيه وردت الآيات التى فيها ذم الكبر والمتكبرين قال الله تعالى ﴿ والملائكة باسطو أيديهم ﴾ إلى قوله ﴿ وكنتم عن آياته تستكبرون ﴾ ثم قال ﴿ ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ﴾ ثم أخبر أن أشد أهل النار عذابا أشدهم عتيا على الله تعالى فقال ﴿ ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ﴾ وقال تعالى ﴿ فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ﴾ وقال عز وجل ﴿ يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين ﴾ وقال تعالى ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ﴾ وقال تعالى ﴿ سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ﴾ قيل فى التفسير : سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم ، وفى بعض التفاسير سأحجب قلوبهم عن الملكوت . وقال ابن جريج : سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا بها . ولذلك قال المسيح عليه السلام : إنّ الزرع ينبت فى السهل ولا ينبت على الصفا ، كذلك الحكمة تعمل فى قلب المتواضع ولا تعمل فى قلب المتكبر ، ألا ترون أنّ من شمخ برأسه إلى السقف شجه ، ومن طأطأ أظله وأكنه . فهذا مثل ضربه للمتكبرين وأنهم كيف يحرمون الحكمة ، ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم جحود الحق فى حد الكبر والكشف عن حقيقته وقال « من سفه الحق وغمص الناس [1] » .

بيان المتكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات الكبر فيه

اعلم أنّ المتكبر عليه هو الله تعالى أو رسله أو سائر خلقه ، وقد خلق الإنسان ظلوما جهولا ، فتارة يتكبر على الخلق وتارة يتكبر على الخالق ، فإذن التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلاثة أقسام :

الأول : التكبر على الله ؛ وذلك هو أفحش أنواع الكبر ، ولا مثار له إلا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمروذ فإنه كان يحدّث نفسه بأن يقاتل رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة . بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره ، فإنه لتكبره قال : أنا ربكم الأعلى ، إذ استنكف أن يكون عبداً لله ، ولذلك قال تعالى ﴿ إنّ الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ﴾ وقال تعالى ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ﴾ الآية وقال تعالى ﴿ وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا ﴾ .

القسم الثانى : التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها على الانقياد لبشر مثل سائر الناس ؛ وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى فى ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظانّ أنه محق فيه ، وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لاتطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسل ، كما حكى الله قولهم ﴿ أنؤمن لبشرين مثلنا ﴾ وقولهم ﴿ إن أنتم إلا بشر مثلنا . ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذاً لخاسرون وقال الذين لايرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا . وقالوا لولا أنزل عليه

(١) حديث الكبر من سفه الحق وغمص الناس » أخرجه من حديث ابن مسعود فى أثناء حديث وقال « بطر الحق وغمط الناس » ورواه الترمذى فقال « من بطر الحق وغمص الناس » وقال حسن صحيح ورواه أحمد من حديث عقبة عامر بلفظ المصنف ورواه البيهقى فى الشعب من حديث أبى ريحانة هكذا .

ملك ﴾ وقال فرعون فيما أخبر الله عنه ﴿ أو جاء معه الملائكة مقترنين ﴾ وقال الله تعالى ﴿ واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق ﴾ فتكبر هو على الله وعلى رسله جميعاً . قال وهب : قال له موسى عليه السلام آمن ولك ملكك ، قال : حتى أشاور هامان ، فشاور هامان فقال هامان : بينما أنت رب يعبد إذ صرت عبد تعبد فاستنكف عن عبودية الله وعن اتباع موسى عليه السلام . وقالت قريش فيما أخبر الله تعالى عنهم ﴿ لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ قال قتاده : عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفى ، طلبوا من هو أعظم رياسة من النبى صلى الله عليه وسلم إذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله إلينا ؟ فقال تعالى ﴿ أهم يقسمون رحمة ربك ﴾ وقال الله تعالى ﴿ ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا ﴾ أى استحقارا لهم واستبعادا لتقدمهم . وقالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف نجلس إليك وعندك هؤلاء ؟ وأشاروا إلى فقراء المسلمين فازدروهم بأعينهم لفقرهم ، وتكبروا عن مجالستهم فأنزل الله تعالى ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ﴾ إلى قوله ﴿ ماعليك من حسابهم ﴾ وقال تعالى ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا[1] ﴾ ثم أخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم إذ لم يروا الذين ازدروهم فقالوا ﴿ مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار ﴾ قيل يعنون عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد رضى الله عنهم ، ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة فجهل كونه صلى الله عليه وسلم محقا ، ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن الاعتراف قال الله تعالى مخبرا عنهم ﴿ فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به ﴾ وقال ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ﴾ وهذا الكبر قريب من التكبر على الله عز وجل وإن كان دونه ، ولكنه تكبر على قبول أمر الله والتواضع لرسوله .

القسم الثالث : التكبر على العباد ؛ وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحقر غيره ، فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه إلى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف عن مساواتهم ، وهذا وإن كان دون الأول والثانى فهو أيضا عظيم من وجهين ؛ أحدهما : أن الكبر والعز والعظمة والعلاء لايليق إلا بالملك القادر ، فأما العبد المملوك الضعيف العاجز الذى لايقدر على شىء فمن أين يليق بحاله الكبر ؟ فهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى فى صفة لاتليق إلا بجلاله ، ومثاله : أن يأخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على رأسه ويجلس على سريره ، فما أعظم استحقاقه للمقت وما أعظم تهدفه للخزى والنكال ! وما أشد استجراءه على مولاه وما أقبح ماتعاطاه ! وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله تعالى « العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما قصمته » أى إنه خاص صفتى ولا يليق إلا بى ، والمنازع فيه منازع فى صفة من صفاتى ، وإذا كان الكبر على عباده لايليق إلا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه ، إذ الذى يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستأثر بما حق الملك أن يستأثر به منهم فهو منازع له فى بعض أمره ، وإن لم يبلغ درجته درجة من أراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه ، فالخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم ، فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله فى حقه . نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمروذ وفرعون ، هو الفرق بين منازعة الملك فى استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته فى أصل الملك .

---

(١) حديث قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف نجلس اليك وعندك هؤلاء ... الحديث » فى نزول قوله تعالى ﴿ ولاتطرد الذين يدعون ربهم ﴾ أخرجه مسلم من حديث سعد بن أبى وقاص الا أنه قال « فقال المشركون » وقال ابن ماجه « قالت قريش » .

الوجه الثانى : الذى تعظم به رذيلة الكبر أنه يدعو إلى مخالفة الله تعالى فى أوامره ، لأن المتكبر إذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله وتشمر لجحده ، ولذلك ترى المناظرين فى مسائل الدين يزعمون أنهم يتباحثون عن أسرار الدين ثم إنهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين ، ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم أنف الآخر من قبوله ، وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك من أخلاق الكافرين والمنافقين ، إذ وصفهم الله تعالى فقال (وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) فكل من يناظر للغلبة والإفحام لا ليغتنم الحق إذا ظفر به فقد شاركهم فى هذا الخلق ، وكذلك يحمل ذلك على الأنفة من قبول الوعظ كما قال تعالى (وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم) وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قرأها فقال (إنا لله وإنا إليه راجعون) قام رجل يأمر بالمعروف فقتل ، فقام آخر فقال : يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ،فقتل المتكبر الذى خالفه والذى أمره كبرا . وقال ابن مسعود : كفى بالرجل إثما إذا قيل له اتق الله قال : عليك نفسك ! وقال صلى الله عليه وسلم لرجل « كل بيمينك » قال لاأستطيع ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « لا استطعت » فما منعه إلا كبره ، قال . فما رفعها بعد ذلك [1] أى اعتلت يده . فإذن تكبره على الخلق عظيم لأنه سيدعوه إلى التكبر على أمر الله ، وإنما ضرب إبليس مثلا لهذا ، وما حكاه من أحواله إلا ليعتبر به ، فإنه قال : أنا خير منه ، وهذا الكبر بالنسب لأنه قال : أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ، فحمله ذلك على أن يمتنع من السجود الذى أمره الله تعالى به ، وكان مبدؤه الكبر على آدم والحسد له فجره ذلك إلى التكبر على أمر الله تعالى ، فكان ذلك سبب هلاكه أبد الآباد ، فهذه آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة ، ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بهاتين الآفتين إذ سأله ثابت بن قيس بن شماس فقال : يارسول الله إنى امرؤ قد حبب إلى من الجمال ماترى أفمن الكبر هو ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس [2] » وفى حديث آخر « من سفه الحق [3] » وقوله « وغمص الناس » أى ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله أمثاله أو خير منه . وهذه الآفة الأولى « وسفه الحق » هو رده وهى الآفة الثانية ، فكل من رأى أنه خير من أخيه واحتقر أخاه وازدراه ونظر إليه بعين الاستصغار ، أو رد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ، ومن أنف من أن يخضع لله تعالى ويتواضع لله بطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه وبين الله تعالى ورسله .

بيان مابه التكبر

اعلم أنه لايتكبر إلا متى استعظم نفسه ، ولا يستعظمها إلا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال . وجماع ذلك يرجع إلى كمال دينى أو دنيوى ، فالدينى هو العلم والعمل ، والدنيوى هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار . فهذه سبعة أسباب .

الأول : العلم ؛ وما أسرع الكبر إلى العلماء ! ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « آفة العلم الخيلاء [4] » فلا يلبث

---

(١) حديث : قال لرجل « كل بيمينك » قال : لا أستطيع قال « لااستطعت » الحديث أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع .

(٢) حديث : قول ثابت بن قيس بن شماس انى امرؤ قد حبب الى من الجمال ماترى... الحديث » وفيه « الكبر من بطر الحق وغمص الناس » أخرجه مسلم والترمذى وقد تقدم قبله بحديثين

(٣) حديث « الكبر من سفه الحق وغمص الناس » تقدم معه

(٤) حديث « آفة العلم الخيلاء » قلت : : هكذا ذكره المصنف والمعروف « آفة العلم النسيان وآفة الجمال الخيلاء » هكذا رواه القضاعى فى مسند الشهاب من حديث على بسند ضعيف . وروى عنه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس « آفة الجمال الخيلاء » وفيه الحسن بن الحميد الكوفى لايدرى من هو حدث عن أبيه بحديث موضوع قاله صاحب الميزان .

العالم أن يتعزز بعزة العلم يستشعر فى نفسه جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر اليهم نظره إلى البهائم ويستجهلهم ويتوقع أن يبدءوه بالسلام ، فإن بدأه واحد منهم بالسلام أو رد عليه ببشر أو قام له أو أجاب له دعوة رأى ذلك صنيعة عنده ويداً عليه يلزمه شكرها ، واعتقد أنه أكرمهم وفعل بهم مالا يستحقون من مثله ، وأنه ينبغى أن يرقوا له ويخدموه شكراً له على صنيعه ، بل الغالب أنهم يبرونه فلا يبرهم ويزورونه فلا يزورهم ويعودونه فلا يعودهم ويستخدم من خالطه منهم ويستسخره فى حوائجه ، فإن قصر فيه استنكره كأنهم عبيده أو أجراؤه ، وكأن تعليمه العلم صنيعة منه إليهم ومعروف لديهم واستحقاق حق عليهم ، هذا فيما يتعلق بالدنيا . أما فى أمر الآخرة فتكبره عليهم بأن يرى نفسه عند الله تعالى أعلى وأفضل منهم ، فيخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم ، وهذا بأن يسمى جاهلا أولى من أن يسمى عالما ، بل العلم الحقيق هو الذى يعرف الإنسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه ـ كما سيأتى فى طريق معالجة الكبر بالعلم ـ وهذا العلم يزيد خوفا وتواضعا وتخشعا ، ويقتضى أن يرى كل الناس خيرا منه لعظم حجة الله عليه بالعلم ، وتقصيره فى القيام بشكر نعمة العلم . ولهذا قال أبو الدرداء : من ازداد علما ازداد وجعا وهو كما قال .

فإن قلت : فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وأمنا ؟

فاعلم أن لذلك سببين : (أحدهما) أن يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس علما حقيقيا ، وإنما العلم الحقيق مايعرف به العبد ربه ونفسه ، وخطر أمره فى لقاء الله والحجاب منه ، وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والأمن . قال الله تعالى ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ فأما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات ، فإذا تجرد الإنسان لها حتى امتلأ منها امتلأ بها كبرا ونفاقا ، وهذه بأن تسمى صناعات أولى من أن تسمى علوما ، بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة ، وهذه تورث التواضع غالبا .

(السبب الثانى) أن يخوض العبد فى العلم وهو خبيث الدخلة ردىء النفس سيئ الأخلاق ، فإنه لم يشتغل أولا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بأنواع المجاهدات ولم يرض نفسه فى عبادة ربه فبقى خبيث الجوهر ، فإذا خاض فى العلم ـ أى علم كان ـ صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر فى الخير أثره . وقد ضرب وهب لهذا مثلا فقال : العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الأشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة ، فكذلك العلم تحفظه الرجال فتحوله على قدر هممها وأهوائها ، فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا ، وهذا لأن من كانت همته الكبر وهو جاهل فإذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا ، وإذا كان الرجل خائفا مع جهله فازداد علما علم أن الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا وإشفاقا وذلا وتواضعا ، فالعلم من أعظم ما يتكبر به ؛ ولذلك قال تعالى لنبيه عليه السلام ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ وقال عز وجل ﴿ ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ ووصف أولياءه فقال ﴿ أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ وكذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس رضى الله عنه « يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون : قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا ومن أعلم منا » ثم التفت إلى أصحابه وقال « أولئك منكم أيها الأمة أولئك هم

وقود النار [١] ، ولذلك قال عمر رضى الله عنه لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يفى علمكم بجهلكم . ولذلك استأذن تميم الدارى عمر رضى الله عنه فى القصص فأبى أن يأذن له وقال : إنه الذبح ، واستأذنه رجل كان إمام قوم أنه إذا سلم من صلاته ذكرهم فقال : إنى أخاف أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا . وصلى حذيفة بقوم فلما سلم من صلاته قال : لتلتمسن إماما غيرى أو لتصلن وحدانا فإنى رأيت فى نفسى أنه ليس فى القوم أفضل منى . فإذا كان مثل حذيفة لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخرى هذه الأمة ؟ فما أعز على بسيط الأرض عالما يستحق أن يقال له عالم ثم إنه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه ، فإن وجد ذلك فهو صديق زمانه ، فلا ينبغى أن يفارق بل يكون النظر إليه عبادة فضلا عن الاستفادة من أنفاسه وأحواله ؛ لو عرفنا ذلك ولو فى أقصى الصين لسعينا إليه رجاء أن تشملنا بركته وتسرى إلينا سيرته وسجيته ، وهيهات ! فأنى يسمح آخر الزمان بمثلهم ؟ فهم أرباب الإقبال وأصحاب الدول قد انقرضوا فى القرن الأول ومن يليهم ، بل يعز فى زماننا عالم يختلج فى نفسه الأسف والحزن على فوات هذه الخصلة ، فذلك أيضا إما معدوم وإما عزيز . ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « سيأتى على الناس زمان من تمسك فيه بعشر ما أنتم عليه نجا [٢] » لكان جديرا بنا أن نقتحم والعياذ بالله تعالى ورطة اليأس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء أعمالنا ، ومن لنا أيضا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه ، وليتنا تمسكنا بعشر عشره . فنسأل الله تعالى أن يعاملنا بما هو أهله ويستر علينا قبائح أعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله .

الثانى : العمل والعبادة ، وليس يخلو عن رذيلة العز والكبر واستمالة قلوب الناس الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم فى الدين والدنيا .

(أما فى الدنيا) فهو أنهم يرون غيرهم بزيارتهم أولى منهم بزيارة غيرهم ، ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم فى المجالس وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم على سائر الناس فى الحظوظ - إلى جميع ما ذكرناه فى حق العلماء - وكأنهم يرون عبادتهم منة على الخلق .

(وأما فى الدين) فهو أن يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا - مهما رأى ذلك - قال صلى الله تعالى عليه وسلم « إذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم [٣] » وإنما قال ذلك لأن هذا القول منه يدل على أنه مزدر بخلق الله مغتر بالله آمن من مكره غير خائف من سطوته ، وكيف لا يخاف ؟ ويكفيه شرا احتقاره لغيره . قال صلى الله تعالى عليه وسلم « كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه المسلم [٤] » وكم من الفرق بينه وبين من يحبه لله ويعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجو له ما لا يرجوه لنفسه ، فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم إياه لله ، فهم يتقربون إلى الله تعالى بالدنو منه وهو يتمقت إلى الله بالتنزه والتباعد منهم ، كأنه مترفع عن مجالستهم ، فما أجدرهم إذ أحبوه لصلاحه أن ينقلهم الله إلى درجته فى العمل ! وما أجدره إذ ازدراهم بعينه أن ينقله الله إلى حد الإهمال ! كما روى أن رجلا فى بنى إسرائيل كان يقال له : خليع بنى إسرائيل - لكثرة فساده - مر برجل آخر يقال له عابد بنى إسرائيل ، وكان على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به فقال الخليع فى نفسه : أنا خليع بنى إسرائيل وهذا عابد بنى إسرائيل ،

---

(١) حديث العباس « يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا ... الحديث » أخرجه ابن المبارك فى الزهد والرقائق (٢) حديث « سيأتى على الناس زمان من تمسك بعشر ما أنتم عليه نجا » أخرجه أحمد من رواية رجل عن أبى ذر .

(٣) حديث « إذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة .

(٤) حديث « كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه المسلم » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة بلفظ « امرؤ من الشر » .

فلو جلست إليه لعل الله يرحمنى ! فجلس إليه فقال العابد : أنا عابد بنى إسرائيل وهذا خليع بنى إسرائيل فكيف يجلس إلى ؟ فأنف منه وقال له : قم عنى ! فأوحى الله إلى نبى ذلك الزمان : مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع وأحبطت عمل العابد . وفى رواية أخرى : فتحولت الغمامة إلى رأس الخليع .

وهذا يعرفك أنّ الله تعالى إنما يريد من العبيد قلوبهم ، فالجاهل العاصى إذا تواضع هيبة لله وذل خوفا منه فقد أطاع الله بقلبه ، فهو أطوع لله من العالم المتكبر والعابد المعجب . وكذلك روى أن رجلا فى بنى إسرائيل أتى عابدا من بنى إسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال : ارفع فوالله لايغفر الله لك [1] فأوحى الله إليه أيها المتألى بل أنت لايغفر الله لك وكذلك قال الحسن : وحتى أن صاحب الصوف أشد كبرا من صاحب المطرز الخز ، أى أن صاحب الخز يذل لصاحب الصوف ويرى الفضل وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآفة أيضا قلما ينفك عنها كثير من العباد ، وهو أنه لو استخف به مستخف أو آذاه مؤذ استبعد أن يغفر الله له ، ولا يشك فى أنه صار ممقوتا عند الله ، ولو آذى مسلما آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده ، وهو جهل وجمع بين الكبر والعجب واغترار بالله وقد ينتهى الحمق والغباوة ببعضهم إلى أن يتحدى ويقول : سترون مايجرى عليه ؟ وإذا أصيب بنكبة زعم أن ذلك من كراماته وأن الله ما أراد به إلا شفاء غليله والانتقام له منه ، مع أنه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله ، وعرف جماعة آذوا الأنبياء صلوات الله عليهم فمنهم من قتلهم ومنهم من ضربهم ، ثم إن الله أمهل أكثرهم ولم يعاقبهم فى الدنيا ، بل ربما أسلم بعضهم فلم يصبه مكروه فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ثم الجاهل المغرور يظن أنه أكرم على الله من أنبيائه وأنه قد انتقم له بما لا ينتقم لأنبيائه به . ولعله فى مقت الله بإعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين .

(وأما الأكياس من العباد) فيقولون ما كان يقوله عطاء السلمى حين كان تهب ريح أو تقع صاعقة : مايصيب الناس مايصيبهم إلا بسببى ولو مات عطاء لتخلصوا . وما قاله الآخر بعد انصرافه من عرفات : كنت أرجو الرحمة لجميعهم لولا كونى فيهم فانظر إلى الفرق بين الرجلين هذا يتقى الله ظاهراً وباطنا ؛ وهو وجل على نفسه مزدر لعمله وسعيه ، وذاك ربما يضمر من الرياء والكبر والحسد والغل ماهو ضحكة للشيطان به ، ثم إنه يمتن على الله بعمله . ومن اعتقد جزما أنه فوق أحد من عباد الله فقد أحبط بجهله جميع عمله ، فإن الجهل أفحش المعاصى وأعظم شىء يبعد العبد عن الله ، وحكمه لنفسه بأنه خير من غيره جهل محض وأمن من مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ولذلك روى أن رجلا ذكر بخير للنبى صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا : يارسول الله هذا الذى ذكرناه لك ، فقال « إنى أرى فى وجهه سفعة من الشيطان » فسلم ووقف على النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « أسألك بالله حدثتك نفسك أن ليس فى القوم أفضل منك » قال : اللهم نعم [2] فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور النبوة مااستكن فى قلبه سفعة فى وجهه . وهذه آفة لاينفك عنها أحد من العباد إلا من عصمه الله .

لكن العلماء والعباد فى آفة الكبر على ثلاث درجات :

(الدرجة الأولى) أن يكون الكبر مستقرا فى قلبه يرى نفسه خيرا من غيره ، إلا أنه يجتهد ويتواضع ويفعل

---

(١) حديث « الرجل من بنى إسرائيل الذى وطىء على رقبة عابد من بنى إسرائيل وهو ساجد فقال : ارفع فوالله لايغفر الله لك الحديث » أخرجه أبو داود والحاكم من حديث أبى هريرة فى قصة العابد الذى قال للعاصى « والله لايغفر الله لك أبدا » وهو بغير هذا السياق وإسناده حسن (٢) حديث : أن رجلا ذكر بخير للنبى صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يارسول الله هذا الذى ذكرناه لك فقال « إنى أرى فى وجهه سفعة من الشيطان » الحديث أخرجه أحمد والبزار والدارقطنى من حديث أنس

فعل من يرى غيره خيرا من نفسه ، وهذا قد رسخ فى قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع أغصانها بالكلية .

(الثانية) أن يظهر ذلك على أفعاله بالترفع فى المجالس والتقدم على الأقران وأظهار الإنكار على من يقصر فى حقه ، وأدنى ذلك فى العالم أن يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم ، وفى العابد أن يعبس وجهه ويقطب جبينه كأنه منزه عن الناس مستقذر لهم أو غضبان عليهم وليس يعلم المسكين أن الورع ليس فى الجبهة حتى تقطب ولا فى الوجه حتى يعبس ولا فى الخد حتى يصعر ولا فى الرقبة حتى تطأطأ ولا فى الذيل حتى يضم ؛ إنما الورع فى القلوب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « التقوى ههنا » وأشار إلى صدره [1] فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكرم الخلق وأتقاهم وكان أوسعهم خلقا وأكثرهم بشرا وتبسما وانبساطا [2] ولذلك قال الحارث بن جزء الزبيدى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم : يعجبنى من القراء كل طليق مضحاك ، فأما الذى تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعلمه ، فلا أكثر الله فى المسلمين مثله . ولو كان الله سبحانه وتعالى يرضى ذلك لما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ وهؤلاء الذين يظهر أثر الكبر على شمائلهم فأحوالهم أخف حالا ممن هو فى (الرتبة الثالثة) وهو الذى يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه إلى الدعوى والمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكايات الأحوال والمقامات والتشمر لغلبة الغير فى العلم والعمل .

أما العابد فإنه يقول فى معرض التفاخر لغيره من العباد . من هو وما عمله ومن أين زهده ؟ فيطول اللسان فيهم بالتنقص ، ثم يثنى على نفسه ويقول : إنى لم افطر منذ كذا وكذا ولا أنام الليل وأختم القرآن فى كل يوم ، وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة ، وما يجرى مجراه ، وقد يزكى نفسه ضمنا فيقول : قصدنى فلان بسوء فهلك ولده وأخذ ماله أو مرض ، أو مايجره مجراه ، يدعى الكرامة لنفسه . وأما مباهاته : فهو أنه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى أكثر مما كان يصلى ، وإن كانوا يصبرون على الجوع فيكلف نفسه الصبر ليغلبهم ويظهر له قوته وعجزهم ، وكذلك يشتد فى العبادة خوفا من أن يقال غيره أعبد منه أو أقوى منه فى دين الله .

وأما العالم فإنه يتفاخر ويقول : أنا متفنن فى العلوم ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ، ومن أنت وما فضلك ومن لقيت ؟ وما الذى سمعت من الحديث ؟ كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه . وأما مباهاته : فهو أنه يجتهد فى المناظرة أن يغلب ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار فى تحصيل علوم يتجمل بها فى المحافل ، كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الألفاظ ، وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الأقران ويتعظم عليهم ، ويحفظ الأحاديث ألفاظها وأسانيدها حتى يرد على من أخطأ فيها فيظهر فضله ونقصان أقرانه ، ويفرح مهما أخطأ واحد منهم ليرد عليه ويسوء إذا أصاب وأحسن خيفة من أن يرى أنه أعظم منه .

فهذا كله أخلاق الكبر وآثاره التى يثمرها التعزز بالعلم والعمل ، وأين من يخلو عن جميع ذلك أو عن بعضه ؟ فليت شعرى من الذى عرف هذه الأخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايدخل الجنة من فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر [3] » كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه من أهل النار ؟ وإنما العظيم من خلا عن هذا ، ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر ، والعالم هو الذى فهم أن الله تعالى قال له : إن لك عندنا قدرا مالم تر لنفسك قدرا فإن رأيت لها قدرا فلا قدر لك عندنا . ومن لم يعلم

---

(١) حديث « التقوى ههنا » وأشار إلى صدره . أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة وقد تقدم (٣) حديث « كان أكرم الخلق وأتقاهم ... الحديث » تقدم فى كتاب أخلاق النبوة . (٣) حديث « لايدخل الجنة من فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر » تقدم

هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ، ومن علمه لزمه أن لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا . فهذا هو التكبر بالعلم والعمل.

الثالث : التكبر بالحسب والنسب ، فالذى له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملا وعلما ، وقد يتكبر بعضهم فيرى أن الناس له أموال وعبيد ويأنف من مخالطتهم ومجالستهم ، وثمرته على اللسان التفاخر به فيقول لغيره : يانبطى ويا هندى ويا أرمنى من أنت ومن أبوك ؟ فأنا فلان ابن فلان ، وأين لمثلك أن يكلمنى أو ينظر إلى ؟ ومع مثلى تتكلم ؟ ومايجرى مجراه . وذلك عرق دفين فى النفس لاينفك عنه نسيب وإن كان صالحا وعاقلا ، إلا أنه قد لايترشح منه ذلك عند اعتدال الأحوال ، فإن غلبه غضب أطفأ ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روى عن أبى ذر أنه قال : قاولت رجلا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقلت له : يا ابن السوداء ! فقال النبى صلى الله عليه وسلم « يا أبا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل [1] » فقال أبو ذر رحمه الله : فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدى . فانظر كيف نبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى لنفسه فضلا بكونه ابن بيضاء وأن ذلك خطأ وجهل ؟ وانظر كيف تاب وقلع من نفسه شجرة الكبر بأخص قدم من تكبر عليه إذ عرف أن العز لايقمعه إلا الذل ؟ ومن ذلك ما روى أن رجلين تفاخرا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما للآخر : أنا فلان بن فلان فمن أنت لاأم لك ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم « افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان بن فلان حتى عد تسعة فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل للذى افتخر بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم [2] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما فى جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التى تدفع بأنفها القذر [3] » .

الرابع : التفاخر بالجمال وذلك أكثر مايجرى بين النساء ويدعو ذلك إلى التنقص والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس ومن ذلك ماروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : دخلت امرأة على النبى صلى الله عليه وسلم فقلت بيدى هكذا أى أنها قصيرة فقال النبى صلى الله عليه وسلم « قد اغتبتها [4] » وهذا منشؤه خفاء الكبر لأنها لو كانت أيضا قصيرة لما ذكرتها بالقصر ، فكأنها أعجبت بقامتها واستقصرت المرأة فى جنب نفسها فقالت ماقالت .

الخامس الكبر بالمال ؛ وذلك يجرى بين الملوك فى خزائنهم وبين التجار فى بضائعهم وبين الدهاقين فى أراضيهم وبين المتجملين فى لباسهم وخيولهم ومراكبهم ، فيستحقر الغنى الفقير ويتكبر عليه ويقول له : أنت مكد ومسكين وأنا لو أردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ، ومن أنت ؟ ومامعك وأثاث بيتى يساوى أكثر من جميع مالك ؟ وأنا أنفق فى اليوم مالا تأكله فى سنة ؟ وكل ذلك لاستعظامه للغنى واستحقاره للفقر ، وكل ذلك جهل منه بفضيلة الفقر وآفة الغنى ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ﴾ حتى أجابه فقال ﴿ إن ترنى أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربى أن يؤتينى خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا ﴾ وكان ذلك منه تكبرا بالمال والولد ،

---

(١) حديث أبى ذر : قاولت رجلا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقلت له يا ابن السوداء ... الحديث » أخرجه ابن المبارك فى البر والصلة مع اختلاف ولأحمد من حديثه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له « انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى » (٢) حديث « أن رجلين تفاخرا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما للآخر : أنا فلان بن فلان فمن أنت لاأم لك ؟ ... الحديث . أخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند من حديث أبى بن كعب باسناد صحيح ورواه أحمد موقوفا على معاذ بقصة موسى فقط (٣) حديث « ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما فى جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان ... الحديث » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه وابن حبان من حديث أبى هريرة . (٤) حديث عائشة : دخلت امرأة على النبى صلى الله عليه وسلم فقلت بيدى هكذا ، أى أنها قصيرة ... الحديث . تقدم فى آفات اللسان .

ثم بين الله عاقبة أمره بقوله ﴿ ياليتنى لم أشرك بربى أحدا ﴾ ومن ذلك تكبر قارون إذ قال تعالى إخبارا عن تكبره ﴿ فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم ﴾

السادس : الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على أهل الضعف .

السابع : التكبر بالأتباع والأنصار والتلامذة والغلمان وبالعشيرة والأقارب والبنين ، ويجرى ذلك بين الملوك فى المكاثرة بالجنود ، وبين العلماء فى المكاثرة بالمستفيدين .

وبالجملة فكل ماهو نعمة وأمكن أن يعتقد كمالا وإن لم يكن فى نفسه كمالا أمكن أن يتكبر به ، حتى إن المخنث ليتكبر على أقرانه بزيادة معرفته وقدرته فى صنعة المخنثين ، لأنه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وإن لم يكن فعله إلا نكالا ، وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه أن ذلك كمال وإن كان مخطئا فيه . فهذه مجامع مايتكبر به العباد بعضهم على بعض ، فيتكبر من يدلى بشىء منه على من لايدلى به ، أو على من يدلى بما هو دونه فى اعتقاده . وربما كان مثله أو فوقه عند الله تعالى ، كالعالم الذى يتكبر بعلمه على من هو أعلم منه لظنه أنه هو الأعلم ولحسن اعتقاده فى نفسه . نسأل الله العون بلطفه ورحمته إنه على كل شىء قدير .

بيان البواعث على التكبر وأسبابه المهيجة له

اعلم أن الكبر خلق باطن ، وأما مايظهر من الأخلاق والأفعال فهى ثمرة ونتيجة ، وينبغى أن تسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذى هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير ، وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب الذى يتعلق بالمتكبر ـ كما سيأتى معناه ـ فإنه إذا أعجب بنفسه وبعلمه وبعمله أو بشىء من أسبابه استعظم وتكبر .

وأما الكبر الظاهر فأسبابه ثلاثة : سبب فى المتكبر وسبب فى المتكبر عليه وسبب فيما يتعلق بغيرهما .

أما السبب الذى فى المتكبر فهو : العجب ، والذى يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد ، والحسد . والذى يتعلق بغيرهما هو الرياء ، فتصير الأسباب بهذا الاعتبار أربعة : العجب ، والحقد ، والحسد ، والرياء . (أما العجب) فقد ذكرنا أنه يورث الكبر الباطن والكبر يثمر التكبر الظاهر فى الأعمال والأقوال والأحوال . (وأما الحقد) فإنه يحمل على التكبر من غير عجب كالذى يتكبر على من يرى أنه مثله أو فوقه ، ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فأورثه الغضب حقدا ورسخ فى قلبه بغضه ، فهو لذلك لاتطاوعه نفسه أن يتواضع له وإن كان عنده مستحقا للتواضع ، فكم من رذل لاتطاوعه نفسه على التواضع لواحد من الأكابر لحقده عليه أو بغضه له ؟ ويحمله ذلك على رد الحق إذا جاء من جهته وعلى الأنفة من قبول نصحه وعلى أن يجتهد فى التقدم عليه ، وإن علم أنه لايستحق ذلك ، وعلى أن لايستحله وإن ظلمه ، فلا يعتذر إليه وإن جنى عليه ، ولايسأله عما هو جاهل به .

(وأما الحسد) فإنه أيضاً يوجب البغض للمحسود وإن لم يكن من جهته إيذاء وسبب يقتضى الغضب والحقد ، ويدعو الحسد أيضاً إلى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم ، فكم من جاهل يشتاق إلى العلم وقد بقى فى رذيلة الجهل لاستنكافه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه حسدا وبغيا عليه ؟ فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بأنه يستحق التواضع بفضل علمه ، ولكن الحسد يبعثه على أن يعامله بأخلاق المتكبرين ، وإن كان فى باطنه ليس يرى نفسه فوقه .

(وأما الرياء) فهو أيضاً يدعو إلى أخلاق المتكبرين ، حتى إن الرجل ليناظر من يعلم أنه أفضل منه وليس بينه

وبينه معرفة ولامحاسدة ولاحقد ، ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له فى الاستفادة خيفة من أن يقول الناس إنه أفضل منه ، فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد ، ولو خلا معه بنفسه لكان لايتكبر عليه . وأما الذى يتكبر بالعجب أو الحسد أو الحقد فإنه يتكبر أيضا عند الخلوة به مهما لم يكن معهما ثالث ، وكذلك قد ينتمى إلى نسب شريف كاذبا وهو يعلم أنه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب إلى ذلك النسب ويترفع عليه فى المجالس ويتقدم عليه فى الطريق ولايرضى بمساواته فى الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا بأنه لايستحق ذلك ، ولا كبر فى باطنه لمعرفته بأنه كاذب فى دعوى النسب ، ولكن يحمله الرياء على أفعال المتكبرين ، وكأن اسم المتكبر إنما يطلق فى الأكثر على من يفعل هذه الأفعال عن كبر فى الباطن صادر عن العجب والنظر إلى الغير بعين الاحتقار ، وهو إن سمى متكبرا فلأجل التشبه بأفعال الكبر . نسأل الله حسن التوفيق والله تعالى أعلم .

بيان أخلاق المتواضعين ومجامع مايظهر فيه أثر التواضع والتكبر

اعلم أن التكبر يظهر فى شمائل الرجل ، كصعر فى وجهه ونظره شزرا وإطراقه رأسه وجلوسه متربعا أو متكئا وفى أقواله حتى فى صوته ونغمته وصيغته فى الإيراد ، ويظهر فى مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وحركاته وسكناته ، وفى تعاطيه لأفعاله وفى سائر تقلباته فى أحواله وأقواله وأعماله . فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر فى بعض ويتواضع فى بعض .

فمنها التكبر بأن يحب قيام الناس له أو بين يديه . وقد قال على كرم الله وجهه : من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام . وقال أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك [1] .

ومنها أن لايمشى إلا ومعه غيره يمشى خلفه . قال أبو الدرداء : لايزال العبد يزداد من الله بعدا مامشى خلفه وكان عبد الرحمن بن عوف لايعرف من عبيده ، إذ كان لايتميز عنهم فى صورة ظاهرة . ومشى قوم خلف الحسن البصرى فمنعهم وقال : مايبقى هذا من قلب العبد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الأوقات يمشى مع بعض الأصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشى فى غمارهم [2] ، إما لتعليم غيره أو لينفى عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب كما أخرج الثوب الجديد فى الصلاة وأبدله بالخليع لأحد هذين المعنيين [3] .

ومنها أن لايزور غيره وإن كان يحصل من زيارته خير لغيره فى الدين وهو ضد التواضع . روى أن سفيان الثورى قدم الرملة فبعث إليه إبراهيم بن أدهم : أن تعال فحدثنا ، فجاء سفيان فقيل له : يا أبا إسحق تبعث إليه بمثل هذا ؟ فقال أردت أن أنظر كيف تواضعه ؟ .

ومنها أن يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه إلا أن يجلس بين يديه والتواضع خلافه . قال ابن وهب : جلست إلى عبد العزيز بن أبى رواد فمس فخذى فخذه فنحيت نفسى عنه فأخذ ثيابى فجرنى إلى نفسه وقال لى : لم تفعلون بى

---

(١) حديث أنس : لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له . الحديث تقدم فى آداب الصحبة وفى أخلاق النبوة (٢) حديث : كان فى بعض الأوقات يمشى مع الأصحاب فيأمرهم بالتقدم أخرجه منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى أمامة بسند ضعيف جدا : أنه خرج يمشى إلى البقيع فتبعه أصحابه فوقف فأمرهم أن يتقدموا ومشى خلفهم فسئل عن ذلك فقال « إنى سمعت خفق نعالكم فأشفقت أن يقع فى نفسى شىء من الكبر » وهو منكر فيه جماعة ضعفاء . (٣) حديث : إخراجه الثوب الجديد فى الصلاة وإبداله بالخليع قلت : المعروف نزع الشراك الجديد ورد الشراك الخلق أو نزع الخميصة ولبس الأنبجانية ، وكلاهما تقدم فى الصلاة

ماتفعلون بالجبابرة وإنى لا أعرف رجلا منكم شرا منى ؟ وقال أنس : كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث تشاء [1] .

ومنها أن يتوقى من مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم وهو الكبر : دخل رجل ـ وعليه جدرى قد تقشر ـ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ناس من أصحابه يأكلون ، فما جلس إلى أحد إلا قام من جنبه ، فأجلسه النبى صلى الله عليه وسلم إلى جنبه [2] وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لايحبس عن طعامه مجذوما ولا أبرص ولا مبتلى إلا أقعدهم على مائدته .

ومنها أن لايتعاطى بيده شغلا فى بيته ، والتواضع خلافه : روى أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ ، فقال الضيف : أقوم إلى المصباح فأصلحه ؟ فقال : ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه ، قال : أفأنبه الغلام ؟ فقال : هى أول نومة نامها ، فقام وأخذ البطة وملأ المصباح زيتا فقال الضيف : قمت أنت بنفسك ياأمير المؤمنين ؟ فقال : ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر مانقص منى شىء ! وخير الناس من كان عند الله متواضعا .

ومنها أن لايأخذ متاعه ويحمله إلى بيته ، وهو خلاف عادة المتواضعين ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك [3] وقال على كرم الله وجهه : لاينقص الرجل الكامل من كماله ماحمل من شىء إلى عياله وكان أبو عبيدة ابن الجراح وهو أمير يحمل سطلا له من خشب إلى الحمام . وقال ثابت بن أبى مالك : رأيت أبا هريرة أقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان ، فقال : أوسع الطريق للأمير يا ابن أبى مالك ! وعن الأصبغ بن نباتة قال : كأنى أنظر إلى عمر رضى الله عنه معلقا لحما فى يده اليسرى وفى يده اليمنى الدرة ، يدور فى الأسواق حتى دخل رحله . وقال بعضهم : رأيت عليا رضى الله عنه قد اشترى لحما بدرهم فحمله فى ملحفته ، فقلت له : أحمل عنك ياأمير المؤمنين فقال : لا ، أبو العيال أحق أن يحمل .

ومنها اللباس إذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « البذاذة من الإيمان [4] » فقال هرون : سألت معناً عن البذاذة فقال : هو الدون من اللباس . وقال زيد بن وهب : رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج إلى السوق وبيده الدرة وعليه إزار فيه أربع عشرة رقعة بعضها من أدم وهو تب على كرم الله وجهه فى إزار مرقوع فقال : يقتدى به المؤمن ويخشع له القلب . وقال عيسى عليه السلام : جودة الثياب خيلاء فى القلب وقال طاوس : إنى لأغسل ثوبى هذين فأنكر قلبى مادامما نقيين . ويروى أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان قبل أن يستخلف تشترى له الحلة بألف دينار فيقول : ما أجودها لولا خشونة فيها : فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما أجوده لولا لينه ! فقيل له : أين لباسك ومركبك وعطرك يا أمير المؤمنين ؟ فقال إن لى نفسا ذوّاقة وإنها لم تذق من الدنيا طبقة إلا تاقت إلى الطبقة التى فوقها ، حتى إذا ذاقت الخلافة وهى أرفع الطباق تاقت إلى ما عند الله عز وجل . وقال سعيد بن سويد : صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين إن الله قد أعطاك فلو لبست ؟ فنكس

---

(١) حديث أنس : كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث تقدم فى آداب المعيشة . (٢) حديث : الرجل الذى به جدرى وإجلاسه الى جنبه تقدم قريبا . (٣) حديث حمله متاعه الى بيته . أخرجه أبو يعلى من حديث أبى هريرة فى شمائله السراويل وحمله وتقدم . (٤) حديث « البذاذة من الإيمان » أخرجه أبو داود وابن ماجه حديث أبى أمامة بن ثعلبة وقد تقدم .

رأسه مليا ثم رفع رأسه فقال : إن أفضل القصد عند الجدة وإن أفضل العفو عند القدرة وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك زينة الله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء لمرضاته كان حقا على الله أن يدخر له عبقرى الجنة [1] »

فإن قلت : فقد قال عيسى عليه السلام : جودة الثياب خيلاء القلب . وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الجمال فى الثياب هل هو من الكبر فقال « لا ولكن من سفه الحق وغمص الناس [2] » فكيف طريق الجمع بينهما ؟ فاعلم أنّ الثوب الجديد ليس من ضرورته أن يكون من التكبر فى حق كل أحد فى كل حال ، وهو الذى أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حال ثابت بن قيس إذ قال : إنى امرؤ حبب إلى من الجمال ماترى [3] فعرف أنّ ميله إلى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره ، فإنه ليس من ضرورته أن يكون من الكبر ، وقد يكون ذلك من الكبر كما أنّ الرضا بالثوب الدون قد يكون من التواضع . وعلامة المتكبر أن يطلب التجمل إذا رآه الناس ولا يبالى إذا انفرد بنفسه كيف كان . وعلامة طالب الجمال أن يحب الجمال فى كل شىء ولو فى خلوته وحتى فى سنور داره ، فذلك ليس من التكبر . فإذا انقسمت الأحوال نزل قول عيسى عليه السلام على بعض الأحوال على أنّ قوله : خيلاء القلب ؛ يعنى قد تورث خيلاء فى القلب ، وقول نبينا صلى الله عليه وسلم « إنه ليس من الكبر » يعنى أنّ الكبر لا يوجبه ، ويجوز أن لا يوجبه الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر . وبالجملة فالأحوال تختلف فى مثل هذا والمحبوب الوسط من اللباس الذى لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرداءة . وقد قال صلى الله عليه وسلم « كلوا واشربوا والبسوا وتصدّقوا فى غير سرف ولا مخيلة [4] » . « إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده [5] » وقال بكر بن عبد الله المزنى : البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية ، وإنما خاطب بهذا قوما يطلبون التكبر بثياب أهل الصلاح . وقد قال عيسى عليه السلام : مالكم تأتونى وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضوارى ؟ البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية .

ومنها أن يتواضع بالاحتمال إذا سب وأوذى وأخذ حقه ، فذلك هو الأصل . وقد أوردنا مانقل عن السلف من احتمال الأذى فى كتاب الغضب والحسد . وبالجملة فجامع حسن الأخلاق والتواضع سيرة النبى صلى الله عليه وسلم فيه فينبغى أن يقتدى به ومنه ينبغى أن يتعلم . وقد قال أبو سلمة . قلت لأبى سعيد الخدرى ماترى فيما أحدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم ؟ فقال : يا ابن أخى كل لله واشرب لله والبس لله ، وكل شىء من ذلك دخله زهو أو مباهاة أو رياء أو سمعة فهو معصية وسرف ، وعالج فى بيتك من الخدمة ما كان يعالج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته ، كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطحن عنه إذا أعيا ، ويشترى الشىء من السوق ولا يمنعه الحياء أن يعلقه بيده أو يجعله فى طرف ثوبه ، وينقلب إلى أهله يصافح الغنى والفقير والكبير والصغير ، ويسلم مبتدئاً على كل من استقبله من صغير أو كبير أسود أو أحمر حر أو عبد من أهل الصلاة ، ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه ، لا يستحى من أن يجيب إذا دعى وإن كان أسعث أغبر ، ولا يحقر ما دعى إليه وإن لم يجد إلا حشف الدقل ، لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء ، هين المؤنة

---

(١) حديث « من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله .... الحديث » أخرجه أبو سعيد الماليني فى مسند الصوفية وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عباس « من ترك زينة لله ... الحديث » وفى إسناده نظر (٢) حديث : سئل عن الجمال فى الثياب هل هو من الكبر ؟ فقال « لا » الحديث تقدم غير مرة (٣) حديث : إن ثابت بن قيس قال للنبى صلى الله عليه وسلم : إنى امرؤ حبب إلى الجمال ... الحديث . هو الذى قبله سمى فيه السائل وقد تقدم (٤) حديث « كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير اسراف ولا مخيلة » أخرجه النسائى وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٥) حديث « ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » أخرجه الترمذى وحسنه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أيضا وقد جعلهما المصنف حديثا واحدا

لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس شديد فى غير عنف متواضع فى غير مذلة جواد من غير سرف رحيم لكل ذى قربى ومسلم ، رقيق القلب دائم الإطراق لم يهشم قط من شبع ولا يمد يده من طمع ، قال أبو سلمة فدخلت على عائشة رضى الله عنها فحدثتها بما قال أبو سعيد فى زهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : ماأخطأ منه حرفا ولقد قصر إذ ماأخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعا ولم يبث إلى أحد شكوى ، وإن كانت الفاقة لأحب إليه من اليسار والغنى ، وإن كان ليظل جائعا يلتوى ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء أن يسأل ربه فيؤتى بكنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها من مشارق الأرض ومغاربها لفعل ، وربما بكيت رحمة له مما اوتى من الجوع فأمسح بطنه بيدى واقول : نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع ؟ فيقول « ياعائشة إخوانى من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم وقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدنى أستحيي إن ترفهت فى معيشتى أن يقصر بى دونهم فأصبر أياما يسيرة أحب إلى من أن ينقص حظى غداً فى الآخرة وما من شىء أحب إلى من اللحوق بإخوانى وأخلائى » قالت عائشة رضى الله عنها : فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله عز وجل [1] .

فما نقل من أحواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة أخلاق المتواضعين ، فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق محله صلى الله عليه وسلم ولم يرض لنفسه بما رضى هو به فما أشد جهله ! فلقد كان أعظم خلق الله منصبا فى الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة إلا فى الاقتداء به ولذلك قال عمر رضى الله عنه : إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلن نطلب العز فى غيره ، لما عوتب فى بذاذة هيئته عند دخوله الشام . وقال أبو الدرداء : اعلم أنّ لله عبادا يقال لهم الأبدال خلف من الأنبياء هم أوتاد الأرض ، فلما انقضت النبوّة أبدل الله مكانهم قوما من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر من غير تجبن وتواضع فى غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه ، وهم أربعون صدّيقا أو ثلاثون رجلا قلوبهم على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام لايموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه ، واعلم ياأخى أنهم لايلعنون شيئا ولا يؤذونه ولايحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون أحدا ولا يحرصون على الدنيا ، هم أطيب الناس خيرا وألينهم عريكة وأسخاهم نفسا ، علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ، ليسوا اليوم فى خشية وغداً فى غفلة ولكن مدامين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لاتدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة ، قلوبهم تصعد ارتياحا إلى الله واشتياقا إليه وقدما فى استباق الخيرات ﴿ أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ قال الراوى : فقلت : ياأبا الدرداء ماسمعت بصفة أشدّ على من تلك الصفة وكيف لى أن أبلغها ؟ فقال : مابينك وبين أن تكون فى أوسعها إلا أن تكون تبغض الدنيا ، فإنك إذا أبغضت الدنيا أقبلت على حب الآخرة ، وبقدر حبك للآخرة تزهد فى الدنيا وبقدر ذلك تبصر ماينفعك ، وإذا علم الله من عبد حسن الطلب أفرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة ، واعلم ياابن أخى أنّ ذلك فى كتاب الله تعالى المنزل ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ قال يحيى بن كثير : فنظرنا

(١) حديث أبى سعيد الخدرى وعائشة : قال الخدرى لأبى سلمة عالج فى بيتك من الخدمة ماكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج فى بيته كان يعلف الناضح .. الحديث . وفيه : قال أبو سلمة فدخلت على عائشة فحدثتها بذلك عن أبى سعيد فقالت : ماأخطأ ولقد قصر أو ما أخبرك أنه لم يمتلئ قط شبعا .. الحديث بطوله لم أقف له على إسناد

فى ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته . اللهم اجعلنا من محبى المحبين لك يارب العالمين فإنه لايصلح لحبك إلا من ارتضيته . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

بيان الطريق فى معالجة الكبر واكتساب التواضع له

اعلم أن الكبر من المهلكات ولا يخلو أحد من الخلق عن شىء منه ، وإزالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمنى بل بالمعالجة واستعمال الأدوية القامعة له . وفى معالجته مقامان (أحدهما) استئصال أصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها فى القلب . (الثانى) دفع العارض منه بالأسباب الخاصة التى بها يتكبر الإنسان على غيره .

(المقام الأول) فى استئصال أصله ، وعلاجه علمى وعملى ، ولايتم الشفاء إلا بمجموعهما :

أما العلمى : فهو أن يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى ويكفيه ذلك فى إزالة الكبر ، فإنه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل ، وأنه لا يليق به إلا التواضع والذلة والمهانة ، وإذا عرف ربه علم أنه لا تليق العظمة والكبرياء إلا بالله ، أما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفة ، وأما معرفته نفسه فهو أيضا يطول ولكنا نذكر من ذلك ماينفع فى إثارة التواضع والمذلة ، ويكفيه أن يعرف معنى آية واحدة فى كتاب الله فإن فى القرآن علم الأولين والآخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال تعالى ﴿قتل الإنسان ما أكفره من أى شىء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره ﴾ فقد أشارت الآية إلى أول خلق الإنسان وإلى آخر أمره وإلى وسطه ، فلينظر الإنسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية أما أول الإنسان فهو أنه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان فى حيز العدم دهورا بل لم يكن لعدمه أول وأى شىء أخس وأقل من المحو والعدم ؟ وقد كان كذلك فى القدم ، ثم خلقه الله من أرذل الأشياء ، ثم من أقذرها إذ قد خلقه من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقه ، ثم من مضغة ، ثم جعله عظما ، ثم كسا العظم لحما ، فقد كان هذا بداية وجوده حيث كان شيئا مذكورا ، فما صار شيئا مذكورا إلا وهو على أخس الأوصاف والنعوت ! إذ لم يخلق فى ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لايسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم ، فبدأ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وبيكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته . فهذا معنى قوله ﴿ من أى شىء خلقه من نطفة خلقه فقدره ﴾ ومعنى قوله ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا خلقنا الإنسان من نطفة امشاج نبتليه ﴾ كذلك خلقه أولا ثم امتن عليه فقال ﴿ ثم السبيل يسره ﴾ وهذا إشارة إلى ما تيسر له فى مدة حياته إلى الموت . وكذلك قال ﴿ من نطفه أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ﴾ ومعناه أنه أحياه بعد أن كان جمادا ميتا ترابا أولا ونطفة ثانيا ، وأسمعه بعد ما كان أصم ، وبصره بعد ما كان فاقدا للبصر ، وقواه بعد الضعف ، وعلمه بعد الجهل ، وخلق له الأعضاء بما فيها من العجائب والآيات بعد الفقد لها ، وأغناه بعد الفقر ، وأشبعه بعد الجوع ، وكساه بعد العرى ، وهداه بعد الضلال . فانظر كيف دبره وصوره وإلى السبيل كيف يسره وإلى طغيان الإنسان ما أكفره وإلى جهل الإنسان كيف أظهره ؟ فقال ﴿ أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ﴾ فانظر إلى نعمة الله عليه كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة إلى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا بعد العدم وحيا بعد الموت وناطقا بعد البكم وبصيرا بعد العمى وقويا بعد الضعف وعالما بعد الجهل ومهديا بعد

الضلال وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر ؟ فكان فى ذاته لاشىء وأى شىء أخس من لاشىء ؟ وأى قلة أقل من العدم المحض ؟ ثم صار بالله شيئا . وإنما خلقه من التراب الذليل الذى يوطأ بالأقدام والنطفة القذرة بعد العدم المحض أيضا ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه ، وإنما أكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمته وجلاله وأنه لايليق الكبرياء إلا به جل وعلا . ولذلك امتن عليه فقال ﴿ ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين ﴾ وعرف خسته أولا فقال ﴿ ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة ﴾ ثم ذكر منته عليه فقال ﴿ فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ﴾ ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده أولا بالاختراع . فمن كان هذا بدؤه وهذه أحواله فمن أين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق أخس الأخساء وأضعف الضعفاء ؟ ولكن هذه عادة الخسيس إذا رفع من خسته شمخ بأنفه وتعظم ، وذلك لدلالة خسة أوله ولا حول ولا قوة إلا بالله . نعم لو أكمله وفوض إليه أمره وأدام له الوجود باختياره لجاز أن يطغى وينسى المبدأ والمنتهى ، ولكنه سلط عليه فى دوام وجوده الأمراض الهائلة والأسقام العظيمة والآفات المختلفة والطباع المتضادة ، من المرة والبلغم والريح والدم يهدم البعض من أجزائه البعض ، شاء أم أبى رضى أم سخط ، فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت كرها ، لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا ، يريد أن يعلم الشىء فيجهله ، ويريد أن يذكر الشىء فينساه ويريد أن ينسى الشىء ويغفل عنه فلا يغفل عنه ، ويريد أن يصرف قلبه إلى مايهمه فيجول فى أودية الوساوس والأفكار بالاضطرار ، فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه ، ويشتهى الشىء وربما يكون هلاكه فيه ، ويكره الشىء وربما تكون حياته فيه ، يستلذ الأطعمة وتهلكه وتورديه ، ويستبشع الأدوية وهى تنفعه وتحييه ، ولا يأمن فى لحظة من ليله أو نهاره أن يسلب سمعه وبصره وتفلج أعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع مايهواه فى دنياه ، فهو مضطر ذليل إن ترك بقى وإن اختطف فنى ، عبد مملوك لايقدر على شىء من نفسه ولا شىء من غيره ، فأى شىء أذل منه لو عرف نفسه ؟ وأنى يليق الكبر به لولا جهله؟ فهذا أوسط أحواله فليتأمله .

وأما آخره ومورده فهو الموت المشار إليه بقوله تعالى ﴿ ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره ﴾ ومعناه أنه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وإدراكه وحركته ، فيعود جمادا كما كان أول مرة ، لايبقى إلا شكل أعضائه وصورته لا حس فيه ولا حركة ، ثم يوضع فى التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان فى الأول نطفة مذرة ، ثم تبلى أعضاؤه وتتفتت أجزاؤه وتنخر عظامه ويصير رميما رفاتا ، ويأكل الدود أجزاءه فيبتدئ بحدقتيه فيقلعهما وبخديه فيقطعهما ، وبسائر أجزائه فيصير روثا فى أجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل إنسان ويهرب منه لشدة الإنتان ، وأحسن أحواله أن يعود إلى ما كان فيصير ترابا يعمل منه الكيزان ويعمل منه البنيان ، فيصير مفقودا بعد ما كان موجودا . وصار كأن لم يغن بالأمس حصيدا كما كان فى أول أمره أمدا مديدا ، وليته بقى كذلك فما أحسنه لو ترك ترابا . لابل يحييه بعد طول البلى ليقاسى شديد البلاء ، فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرقة ، ويخرج إلى أهوال القيامة فينظر إلى قيامة قائمة وسماء مشققة ممزقة وأرض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة وأحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجهنم تزفر وجنة ينظر إليها المجرم فيتحسر ، ويرى صحائف منشورة فيقال له ﴿ اقرأ كتابك ﴾ فيقول : وماهو ؟ فيقال: كان قد وكل بك فى حياتك التى كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر بأسبابها ملكان رقيبان يكتبان عليك

ما كنت تنطق به أو تعمله من قليل وكثير ونقير وقطمير وأكل وشرب وقيام وقعود ، قد نسيت ذلك وأحصاه الله عليك فهلم إلى الحساب واستعد للجواب أو تساق إلى دار العذاب ، فينقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب قبل أن تنتشر الصحيفة ويشاهد مافيها من مخازيه ، فإذا شاهده قال ﴿ ياويلتنا مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾ فهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى ﴿ ثم إذا شاء أنشره ﴾ فما لمن هذا حاله والتكبر والتعظم ؟ بل ماله وللفرح فى لحظة واحدة فضلا عن البطر والأشر ؟ فقد ظهر له أول حاله ووسطه ولو ظهر آخره والعياذ بالله تعالى ربما اختار أن يكون كلباً أو خنزيراً ليصير مع البهائم تراباً ولا يكون إنسانا يسمع خطابا أو يلقى عذابا ، وإن كان عند الله مستحقا للنار فالخنزير أشرف منه وأطيب وأرفع إذ أوله التراب وآخره التراب وهو بمعزل عن الحساب والعذاب ، والكلب والخنزير لايهرب منه الخلق . ولو رأى أهل الدنيا العبد المذنب فى النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ، ولو وجدوا ريحه لماتوا من نتنه ، ولو وقعت قطرة من شرابه الذى يسقى منه فى بحار الدنيا لصارت أنتن من الجيفة ، فمن هذا حاله فى العاقبة - إلا أن يعفو الله عنه وهو على شك من العفو - كيف يفرح ويبطر وكيف يتكبر ويتجبر وكيف يرى نفسه شيئا حتى يعتقد له فضلا ؟ وأى عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة إلا أن يعفو الله الكريم بفضله ويجبر الكسر بمنه ، والرجاء منه ذلك لكرمه وحسن الظن به ولاقوة إلا بالله . أرأيت من جنى على بعض الملوك فاستحق بجنايته ضرب ألف سوط فحبس إلى السجن وهو ينتظر أن يخرج إلى العرض وتقام عليه العقوبة على ملأ من الخلق وليس يدرى أيعفى عنه أم لا ؟ كيف يكون ذله فى السجن أفترى أنه يتكبر على من فى السجن ؟ ومامن عبد مذنب إلا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدرى كيف يكون آخر أمره ؟ فيكفيه ذلك حزنا وخوفا وإشفاقا ومهانة وذلا . فهذا هو العلاج العلمى القامع لأصل الكبر .

وأما العلاج العملى فهو التواضع لله بالفعل ولسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق المتواضعين ، كما وصفناه وحكيناه من أحوال الصالحين ومن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه « كان يأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد[1] » وقيل لسلمان . لم لاتلبس ثوبا جديداً ؟ فقال : إنما أنا عبد فإذا أعتقت يوما لبست جديداً أشار به إلى العتق فى الآخرة . ولا يتم التواضع بعد المعرفة إلا بالعمل ، ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالإيمان وبالصلاة جميعا ، وقيل الصلاة عماد الدين ، وفى الصلاة أسرار لأجلها كانت عماداً ، ومن جملتها مافيها من التواضع بالمثول قائما وبالركوع والسجود ، وقد كانت العرب قديما يأنفون من الإنحناء ، فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحنى لأخذه ، وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لإصلاحه ، حتى قال حكيم بن حزام : بايعت النبى صلى الله عليه وسلم على أن لاأخر إلا قائما فبايعه النبى صلى الله عليه وسلم عليه ، ثم فقه وكمل إيمانه بعد ذلك[2] فلما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة والضعة أمروا به لتنكسر بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع فى قلوبهم ، وبه أمر سائر الخلق ، فإن الركوع والسجود والمثول قائما هو العمل الذى يقتضيه التواضع ، فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل مايتقاضاه الكبر من الأفعال فليواظب على نقيضه حتى يصير التواضع له خلقا ، فإن القلوب لاتتخلق بالأخلاق المحمودة إلا بالعلم والعمل جميعا ، وذلك لخفاء العلاقة بين القلوب والجوارح وسر

---

(١) حديث : كان يأكل على الأرض ويقول « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد » تقدم فى آداب المعيشة .

(٢) حديث حكيم بن حزام : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا أخر إلا قائما . الحديث رواه أحمد مقتصرا على هذا وفيه إرسال خفى .

الارتباط الذى بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم الملكوت (المقام الثانى) فيما يعرض من التكبر بالأسباب السبعة المذكورة ، وقد ذكرنا فى كتاب ذم الجاه أن الكمال الحقيقى هو العلم والعمل ، فأما ماعداه مما يفنى بالموت فكمال وهمى فمن هذا يعسر على العالم أن لا يتكبر ، ولكنا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل فى جميع الأسباب السبعة .

الأول : النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداوقلبه بمعرفة أمرين (أحدهما) أن هذا جهل من حيث إنه تعزز بكمال غيره ، ولذلك قيل :

لئن فخرت بآباء ذوى شرف لقد صدقت ولكن بئس ماولدوا

فالمتكبر بالنسب إن كان خسيسا فى صفات ذاته فمن أين يجبر خسته بكمال غيره ؟ بل لو كان الذى ينسب إليه حيا لكان له أن يقول : الفضل لى : ومن أنت وإنما أنت دودة خلقت من بولى ؟ أفترى أن الدودة التى خلقت من بول إنسان أشرف من الدودة التى من بول فرس ؟ هيهات ! بل هما متساويان والشرف للانسان لا للدودة . (الثانى) أن يعرف نسبه الحقيقى ، فيعرف أباه وجده فإن أباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال (الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) فمن أصله التراب المهين الذى يداس بالأقدام ثم خمر طينة حتى صار حمأ مسنونا كيف يتكبر ؟ وأخس الأشياء ما إليه انتسابه إذ يقال يا أذل من التراب ويا أنتن من الحمأة ويا أقذر من المضغة .

فإن كان كونه من أبيه أقرب من كونه من التراب فنقول : افتخر بالقريب دون البعيد ، فالنطفة والمضغة أقرب إليه من الأب فليحقر نفسه بذلك ، ثم إن كان ذلك يوجب رفعة لقربه فالأب الأعلى من التراب فمن أين رفعته ؟ وإذا لم يكن له رفعة فمن أين جاءت الرفعه لولده ؟ فإذن أصله من التراب وفصله من النطفة فلا أصل له ولا فصل . وهذه غاية خسة النسب فالأصل يوطأ بالأقدام والفصل تغسل منه الأبدان . فهذا هو النسب الحقيقى للإنسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة أصله كرجل لم يزل عند نفسه من بنى هاشم وقد أخبره بذلك والداه فلم يزل فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك إذ أخبره عدول لا يشك فى قولهم أنه ابن هندى حجام يتعاطى القاذورات ، وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك فى صدقهم ، أفترى أن ذلك يبقى شيئا من كبره ؟ لا بل يصير عند نفسه أحقر الناس وأذلهم فهو من استشعار الخزى لخسته فى شغل عن أن يتكبر على غيره . فهذا حال البصير إذا تفكر فى أصله وعلم أنه من النطفة والمضغة والتراب ، إذ لو كان أبوه ممن يتعاطى نقل التراب أو يتعاطى الدم بالحجامة أو غيرها لكان يعلم به خسة نفسه لمماسة أعضاء أبيه للتراب والدم ، فكيف إذا عرف أنه فى نفسه من التراب والدم والأشياء القذرة التى يتنزه عنها هو فى نفسه ؟

السبب الثانى : التكبر بالجمال ، ودواؤه أن ينظر إلى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر إلى باطنه نظر البهائم . ومهما نظر إلى باطنه رأى من القبائح ما يكدر عليه تعززه بالجمال فإنه وكل به الأقذار فى جميع أجزائه : الرجيع فى أمعائه والبول فى مثانته والمخاط فى أنفه والبزاق فى فيه والوسخ فى أذنيه والدم فى عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت إبطه ، يغسل الغائط بيده كل يوم دفعة أو دفعتين ، ويتردد كل يوم إلى الخلاء مرة أو مرتين ليخرج من باطنه مالو رآه بعينه لاستقذره فضلا عن أن يمسه أو يشمه ، كل ذلك ليعرف قذارته وذله هذا فى حال توسطه .

وفى أول أمره خلق من الأقذار الشنيعة الصور ، من النطفة ودم الحيض ، وأخرج من مجرى الأقذار . إذ خرج من الصلب ثم من الذكر مجرى البول ثم من الرحم مفيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القذر قال أنس رحمه الله : كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يخطبنا فيقذر إلينا أنفسنا ويقول : خرج أحدكم من مجرى البول

مرتين : وكذلك قال طاوس لعمر بن عبدالعزيز . ما هذه مشية من فى بطنه خراء ؟ إذ رآه يتبختر ، وكان ذلك قبل خلافته وهذا أوله ووسطه .

ولو ترك نفسه فى حياته يوما لم يتعهدها بالتنظيف والغسل لثارت منه الأنتان والأقذار ، وصار أنتن وأقذر من الدواب المهملة التى لا تتعهد نفسها قط . فإذا نظر أنه خلق من أقذار وأسكن فى أقذار ، وسيموت فيصير جيفة أقذر من سائر الأقذار لم يفتخر بجماله الذى هو كخضراء الدمن وكلون الأزهار فى البوادى ، فبينما هو كذلك إذ صار هشيما تذروه الرياح ، كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه القبائح خاليا لكان يجب أن لا يتكبر به على القبيح ، إذ لم يكن قبح القبيح إليه فينفيه ولا كان جمال الجميل إليه حتى يحمد عليه ؟ كيف ولا بقاء له بل هو فى كل حين يتصور أن يزول بمرض أو جدرى أو قرحة أو سبب من الأسباب؟ فكم من وجوه جميلة قد سمجت بهذه الأسباب ؟ فمعرفة هذه الأمور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن أكثر تأملها .

السبب الثالث : التكبر بالقوة والأيدى ، ويمنعه من ذلك أن يعلم ما سلط عليه من العلل والأمراض ، وأنه لو توجع عرق واحد فى يده لصار أعجز من كل عاجز وأذل من كل ذليل ، وأنه لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه وأن بقة لو دخلت فى أنفه أو نملة دخلت فى أذنه لقتلته ، وأن شوكة لو دخلت فى رجله لأعجزته ، وأن حمى يوم تحلل من قوته مالا ينجبر فى مدة . فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على أن يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغى أن يفتخر بقوته ! ثم إن قوى الانسان فلا يكون أقوى من حمار أو بقرة أو فيل أو جمل وأى افتخار فى صفة يسبقك فيها البهائم ؟ .

السبب الرابع والخامس : الغنى وكثرة المال ، وفى معناه كثرة الأتباع والأنصار والتكبر بولاية السلاطين والتمكن من جهتهم ، وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الإنسان كالجمال والقوة والعلم . وهذا أقبح أنواع الكبر ، فإن المتكبر بماله كأنه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لعاد ذليلا ، والمتكبر بتمكين السلطان وولايته لا بصفة فى نفسه بنى أمره على قلب هو أشد غليانا من القدر ، فإن تغير عليه كان أذل الخلق ، وكل متكبر بأمر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل ، كيف والمتكبر بالغنى لو تأمل لرأى فى اليهود من يزيد عليه فى الغنى والثروة والتجمل ؟ فأف لشرف يسبقك به اليهودى ! وأف لشرف يأخذه السارق فى لحظة واحدة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا ؟ فهذه أسباب ليست فى ذاته ، وما هو فى ذاته ليس إليه دوام وجوده وهو فى الآخرة وبال ونكال ، فالتفاخر به غاية الجهل ، وكل ماليس إليك فليس لك ، وشىء من هذه الأمور ليس إليك بل إلى واهبه إن أبقاه لك وإن استرجعه زال عنك ، وما أنت إلا عبد مملوك لا تقدر على شىء . ومن عرف ذلك لابد وأن يزول كبره .

ومثاله : أن يفتخر الغافل بقوته وجماله وماله وحريته واستقلاله وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه ، إذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بأنه رقيق لفلان وأن أبويه كانا مملوكين له ، فعلم ذلك وحكم به الحاكم ، فجاء مالكه فأخذه وأخذ جميع ما فى يده ، وهو مع ذلك يخشى أن يعاقبه وينكل به لتفريطه فى أمواله وتقصيره فى طلب مالكه ليعرف أن له مالكا ، ثم نظر العبد فرأى نفسه محبوسا فى منزل قد أحدقت به الحيات والعقارب والهوام وهو فى كل حال على وجل من كل واحدة منها ، وقد بقى لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا فى الخلاص ألبتة ، أفترى من هذا حاله هل يفخر بقدرته وثروته وقوته وكماله أم يذل نفسه ويخضع ؟ وهذا حال كل عاقل بصير فإنه

برى نفسه كذلك فلا يملك رقبته وبدنه وأعضاءه وماله ، وهو مع ذلك بين آفات وشهوات وأمراض وأسقام هى كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك . فمن هذا حاله لايتكبر بقوته وقدرته إذ يعلم أنه لاقدرة له ولا قوة . فهذا طريق علاج التكبر بالأسباب الخارجة وهو أهون من علاج التكبر بالعلم والعمل ، فإنهما كالان فى النفس جديران بأن يفرح بهما ، ولكن التكبر بهما أيضا نوع من الجهل خفى كما سنذكره .

السبب السادس : الكبر بالعلم ، وهو أعظم الآفات وأغلب الأدواء وأبعدها عن قبول العلاج إلا بشدة شديدة وجهد جهيد ، وذلك لأن قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس ، وهو أعظم من قدر المال والجمال وغيرهما ، بل لا قدر لها أصلا إلا إذا كان معهما علم وعمل . ولذلك قال كعب الأحبار : إنّ للعلم طغيانا كطغيان المال . وكذلك قال عمر رضى الله تعالى عنه : العالم إذا زل زل بزلته عالم فيعجز العالم عن أن لا يستعظم نفسه بالإضافة إلى الجاهل لكثرة ما نطق الشرع بفضائل العلم . ولن يقدر العالم على دفع الكبر إلا بمعرفة أمرين : (أحدهما) أن يعلم أنّ حجة الله على أهل العلم آكد ، وأنه يحتمل من الجاهل مالايحتمل عشره من العالم ، فإن من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم فجنايته أفحش ، إذ لم يقض حق نعمة الله عليه فى العلم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به أهل النار فيقولون مالك ؟ فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه [1] » وقد مثل الله سبحانه وتعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال عز وجل ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾ أراد به علماء اليهود . وقال فى بلعم بن باعوراء ﴿ واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها ﴾ حتى بلغ ﴿ فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما : أوتى بلعم كتابا فأخلد إلى شهوات الأرض أى سكن حبه إليها فمثله بالكلب ﴿ إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾ أى سواء آتيته الحكمة أو لم أوته لايدع شهوته ، ويكفى العالم هذا الخطر فأى عالم لم يتبع شهوته وأى عالم لم يأمر بالخير الذى لايأتيه ؟ فهما خطر للعالم عظم قدره بالإضافة إلى الجاهل فليتفكر فى الخطر العظيم الذى هو بصدده ، فإن خطره أعظم من خطر غيره كما أنّ قدره أعظم من قدر غيره ، فهذا بذاك . وهو كالملك الخاطر بروحه فى ملكه لكثرة أعدائه فإنه إذا أخذ وقهر اشتهى أن يكون قد كان فقيرا ، فكم من عالم يشتهى فى الآخرة سلامة الجهال ؟ والعياذ بالله منه . فهذا الخطر يمنع من التكبر ، فإنه إن كان من أهل النار فالخنزير أفضل منه ، فكيف يتكبر من هذا حاله ؟ فلا ينبغى أن يكون العالم عند نفسه أكبر من الصحابة رضوان الله عليهم وقد كان بعضهم يقول : يا ليتنى لم تلدنى أمى ! ويأخذ الآخر تبنة من الأرض ويقول : ياليتنى كنت هذه التبنة ! ويقول الآخر : ليتنى كنت طيرا أوكل ! ويقول الآخر : ليتنى لم أك شيئا مذكورا ! كل ذلك خوفا من خطر العاقبة ، فكانوا يرون أنفسهم أسوأ حالا من الطير ومن التراب . ومهما أطال فكره فى الخطر الذى هو بصدده زال بالكلية كبره ، ورأى نفسه كأنه شر الخلق .

ومثاله مثال عبد أمره سيده بأمور فشرع فيها ، فترك بعضها وأدخل النقصان فى بعضها وشك فى بعضها أنه هل أداها على مايرتضيه سيده أم لا ؟ فأخبره مخبر أنّ سيده أرسل إليه رسولا يخرجه من كل ماهو فيه عريانا ذليلا ويلقيه على بابه فى الحر والشمس زمانا طويلا ، حتى إذا ضاق عليه الأمر وبلغ به المجهود أمر برفع حسابه

(١) حديث « يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه ... الحديث » متفق عليه من حديث أسامة بن زيد بلفظ « يؤتى بالرجل » وتقدم فى العلم .

وفتش عن جميع أعماله قليلها وكثيرها ثم أمر به إلى سجن ضيق وعذاب دائم لايروح عنه ساعة ، وقدعلم أنّ سيده قد فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لايدرى من أى الفريقين يكون ؟ فإذا تفكر فى ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على أحد من الخلق ، بل تواضع رجاء أن يكون هو من شفعائه عند نزول العذاب ، فكذلك العالم إذا تفكر فيما ضيعه من أوامر ربه بجنايات على جوارحه وبذنوب فى باطنه من الرياء والحقد والحسد والعجب والنفاق وغيره ، وعلم بما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لا محالة .

(الأمر الثانى) أن العالم يعرف أن الكبر لايليق إلا بالله عز وجل وحده ، وأنه إذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا ، وقد أحب الله منه أن يتواضع وقال له إن لك عندى قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فإن رأيت لنفسك قدرا فلا قدر لك عندى ، فلا بد وأن يكلف نفسه ما يحبه مولاه منه . وهذا يزيل التكبر عن قلبه وإن كان يستيقن أنه لاذنب له مثلا أو تصور ذلك . وبهذا زال التكبر عن الأنبياء عليهم السلام إذ علموا أن من نازع الله تعالى فى رداء الكبرياء قصمه ، وقد أمرهم الله بأن يصغروا أنفسهم حتى يعظم عند الله محلهم ، فهذا أيضا مما يبعثه على التواضع لامحالة .

فإن قلت : فكيف يتواضع للفاسق المتظاهر بالفسق وللمبتدع ، وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم عابد ، وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى ، وكيف يغنيه أن يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم أن خطر الفاسق والمبتدع أكثر ؟ فاعلم أن ذلك إنما يمكن بالتفكر فى خطر الخاتمة ، بل لو نظر إلى كافر لم يمكنه أن يتكبر عليه ، إذ يتصور أن يسلم الكافر فيختم له بالإيمان ويضل هذا العالم فيختم له بالكفر ، والكبير من هو كبير عند الله فى الآخرة ، والكلب والخنزير أعلى رتبة ممن هو عند الله من أهل النار وهو لايدرى ذلك ، فكم من مسلم نظر إلى عمر رضى الله عنه قبل إسلامه فاستحقره وازدراه لكفره وقد رزقه الله الإسلام وفاق جميع المسلمين ؟ إلا أبا بكر وحده فالعواقب مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل إلا إلى العاقبة ، وجميع الفضائل فى الدنيا تراد للعاقبة . فإذن من حق العبد أن لايتكبر على أحد . بل إن نظر إلى جاهل قال : هذا عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم فهو أعذر منى . وإن نظر إلى عالم قال : هذا قد علم مالم أعلم فكيف أكون مثله ؟ وإن نظر إلى كبير هو أكبر منه سناقال : هذا قد أطاع الله قبلى فكيف أكون مثله ؟ وإن نظر إلى صغير قال : إنى عصيت الله قبله فكيف أكون مثله ؟ وإن نظر إلى مبتدع أو كافر قال : مايدرينى لعله يختم له بالإسلام ويختم لى بما هو عليه الآن ، فليس دوام الهداية إلى ، كما لم يكن ابتداؤها إلى ؟ فبملاحظة الخاتمة يقدر على أن ينفى الكبر عن نفسه ، وكل ذلك بأن يعلم أن الكمال فى سعادة الآخرة والقرب من الله ، لافيما يظهر فى الدنيا مما لابقاء له ، ولعمرى هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ! ولكن حق على كل واحد أن يكون مصروف الهمة إلى نفسه مشغول القلب بخوفه لعاقبته ، لا أن يشتغل بخوف غيره ، فإن الشفيق بسوء الظن مولع ، وشفقة كل إنسان على نفسه . فإذا حبس جماعة فى جناية ووعدوا بأن تضرب رقابهم لم يتفرغوا لتكبر بعضهم على بعض وإن عمهم الخطر ، إذ شغل كل واحد نفسه عن الالتفات إلى هم غيره ، حتى كأن كل واحد هو وحده فى مصيبته وخطره .

فإن قلت : فكيف أبغض المبتدع فى الله وأبغض الفاسق وقد أمرت ببغضهما ، ثم مع ذلك أتواضع لهما والجمع بينهما متناقض ؟ فاعلم أن هذا أمر مشتبه يلتبس على أكثر الخلق ، إذ يمتزج غضبك لله فى إنكار البدعة والفسق

بكبر النفس والإدلال بالعلم والورع ، فكم من عابد جاهل وعالم مغرور إذا رأى فاسقا جلس بجنبه أزعجه من عنده وتنوه عند بكبر باطن فى نفسه وهو ظان أنه قد غضب لله ؛ كما وقع لعابد بنى إسرائيل مع خليعهم ؟ وذلك لأن الكبر على المطيع ظاهر كونه شرا والحذر منه ممكن ، والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فإن الغضبان أيضا يتكبر على من غضب عليه والمتكبر يغضب ، وأحدهما يثمر الآخر ويوجبه ، وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما إلا الموفقون .

والذى يخلصك من هذا أن يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع أو الفاسق أو عند أمرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلاثة أمور : (أحدها) التفاتك إلى ماسبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك فى عينك . (والثانى) أن تكون ملاحظتك لما أنت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث إنها نعمة من الله تعالى عليك ، فله المنة فيه لا لك ، فترى ذلك منه حتى لاتعجب بنفسك ، وإذا لم تعجب لم تتكبر . (والثالث) ملاحظة إبهام عاقبتك ، وعاقبتك أنه ربما يختم لك بالسوء ويختم له بالحسنى ، حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه .

فإن قلت : فكيف أغضب مع هذه الأحوال ؟ فأقول : تغضب لمولاك وسيدك ، إذ أمرك أن تغضب له لانفسك ، وأنت فى غضبك لاترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا ، بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك أكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة ، وأعرفك ذلك بمثال لتعلم أنه ليس من ضرورة الغضب لله أن تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره فأقول : إذا كان للملك غلام وولد هو قرة عينه ، وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه ، وأمره أن يضربه مهما أساء أدبه واشتغل بما لايليق به ، ويغضب عليه . فإن كان الغلام محبا مطيعا لمولاه فلا يجد بدا أن يغضب مهما رأى ولده قد أساء الأدب ، وإنما يغضب عليه لمولاه ولأنه أمره به ، ولأنه يريد التقرب بامتثال أمره إليه ، ولأنه جرى من ولده مايكره مولاه ، فيضرب ولده ويغضب عليه من غير تكبر عليه ، بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه ، لأن الولد أعز لاعلة من الغلام . فإذن ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع ؛ فكذلك يمكنك أن تنظر إلى المبتدع والفاسق وتظن أنه ربما كان قدرهما فى الآخرة عند الله أعظم ، لما سبق لهما من الحسنى فى الأزل ، ولما سبق لك من سوء القضاء فى الأزل وأنت غافل عنه ومع ذلك فتغضب بحكم الأمر محبة لمولاك إذ جرى مايكرهه مع التواضع لمن يجوز أن يكون عنده أقرب منك فى الآخرة . فهكذا يكون بعض العلماء الأكياس فينضم إليه الخوف والتواضع . وأما المغرور فإنه يتكبر ويرجو لنفسه أكثر مما يرجوه لغيره مع جهله بالعاقبة ، وذلك غاية الغرور . فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله أو اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الأمر .

السبب السابع : التكبر بالورع والعبادة ، وذلك أيضا فتنة عظيمة على العباد ، وسبيله أن يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو أن يعلم أن من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغى أن يتكبر عليه كيفما كان « لما عرفه من فضيلة العلم ، وقد قال تعالى ﴿ هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى [1] » إلى غير ذلك مما ورد فى فضل العلم .

---

(١) حديث « فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى » أخرجه الترمذى من حديث أبى أمامة وتقدم فى العلم .

فإن قال العابد : ذلك لعالم عامل بعلمه وهذا عالم فاجر ، فيقال له : أما عرفت أنّ الحسنات يذهبن السيئات ، وكما أنّ العلم يمكن أن يكون حجة على العالم فكذلك يمكن أن يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه ، وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الأخبار بما يشهد لذلك ، وإذا كان هذا الأمر غائبا عنه لم يجز له أن يحتقر عالما بل يجب عليه التواضع له .

فإن قلت : فإن صح هذا فينبغى أن يكون للعالم أن يرى نفسه فوق العابد لقوله عليه السلام « فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى » ؟ فاعلم أن ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة أمره ، وخاتمة الأمر مشكوك فيها ، فيحتمل أن يموت بحيث يكون حاله عند الله أشد من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان يحسبه هينا وهو عند الله عظيم وقد مقته به ، وإذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا ، فإذا كان كل واحد من العابد والعالم خائفا على نفسه وقد كلف أمر نفسه لا أمر غيره ، فينبغى أن يكون الغالب عليه فى حق نفسه الخوف وفى حق غيره الرجاء ، وذلك يمنعه من التكبر بكل حال . فهذا العابد مع العالم ، فأما مع غير العالم فهم منقسمون فى حقه إلى مستورين وإلى مكشوفين ، فينبغى أن لا يتكبر على المستور فلعله أقل عنه ذنوبا وأكثر منه عبادة وأشد منه حبا لله . وأما المكشوف حاله إن لم يظهر لك من الذنوب إلا ما تزيد عليه ذنوبك فى طول عمرك . فلا ينبغى أن تتكبر عليه ، ولا يمكن أن تقول هو أكثر منى ذنبا ، لأن عدد ذنوبك فى طول عمرك وذنوب غيرك فى طول العمر لا تقدر على إحصائها حتى تعلم الكثرة نعم يمكن أن تعلم أنّ ذنوبه أشد كما لو رأيت منه القتل والشرب والرياء ومع ذلك فلا ينبغى أن تتكبر عليه إذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والغل واعتقاد الباطل والوسوسة فى صفات الله تعالى وتخيل الخطأ فى ذلك كل ذلك شديد عند الله ، فربما جرى عليك فى باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله ممقوتا ، وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله وإخلاص وخوف وتعظيم ما أنت خال عنه ، وقد كفر الله بذلك عنه سيئاته ، فينكشف الغطاء يوم القيامة فتراه فوق نفسك بدرجات ، فهذا ممكن والإمكان البعيد فيما عليك ينبغى أن يكون قريبا عندك إن كنت مشفقا على نفسك ، فلا تتفكر فيما هو ممكن لغيرك بل فيما هو مخوف فى حقك ، فإنه لا تزر وازرة وزر أخرى ، وعذاب غيرك لا يخفف شيئا من عذابك ، فإذا تفكرت فى هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن أن ترى نفسك فوق غيرك .

وقد قال وهب بن منبه : ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال ، فعدّ تسعة حتى بلغ العاشر فقال : العاشرة ! وما العاشرة ! بها شاد مجده وبها علا ذكره ؛ أن يرى الناس كلهم خيرا منه . وإنما الناس عنده فرقتان : فرقة هى أفضل منه وأرفع ، وفرقة هى شر منه وأدنى . فهو يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه ، إن رأى من هو خير منه سره ذلك وتمنى أن يلحق به ، وإن رأى من هو شر منه قال : لعل هذا ينجو وأهلك أنا فلا تراه إلا خائفا من العاقبة ويقوم لعل بر هذا باطن فذلك خير له ، ولا أدرى لعل فيه خلقا كريما بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عليه ويختم له بأحسن الأعمال ، ويرى ظاهر فذلك شرلى . فلا يأمن فيما أظهره من الطاعة أن يكون دخلها الآفات فأحبطتها ، ثم قال : فحينئذ كمل عقله وساد أهل زمانه . فهذا كلامه . وبالجملة فمن جوز أن يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء فى الأزل بشقوته فماله سبيل إلى أن يتكبر بحال من الأحوال .

نعم إذا غلب عليه الخوف رأى كل أحد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة ، كما روى أن عابدا آوى إلى جبل فقيل له فى النوم : ائت فلانا الإسكاف فسله أن يدعو لك . فأتاه فسأله عن عمله فأخبره أنه يصوم النهار ، ويكتسب

فيتصدق ببعضه ويطعم عياله ببعضه ، فرجع وهو يقول : إن هـذا لحسن ، ولكن ليس هـذا كالتفرغ لطاعة الله فأتى فى النوم ثانيا فقيل له : ائت فلانا الإسكاف فقـل له : ماهـذا الصفار الذى بوجهك ؟ فأتاه فسأله فقال له : مارأيت أحداً من الناس إلا وقع لى : أنه سينجو وأهلك أنا ، فقال العابد : بهذه

والذى يدل على فضيلة هذه الخصلة قوله تعالى ﴿ يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ﴾ أى أنهم يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال تعالى ﴿ إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون ﴾ وقال تعالى ﴿ إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين ﴾ وقد وصف الله تعالى الملائكة عليهم السلام مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادات على الدءوب بالإشفاق فقال تعالى مخبرا عنهم ﴿ يسبحون الليل والنهار لايفترون وهم من خشيته مشفقون ﴾ فمتى زال الإشفاق والحذر مما سبق به القضاء فى الأزل — وينكشف عند خاتمة الأجل — غلب الأمن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك . فالكبر دليل الأمن والأمن مهلك . والتواضع دليل الخوف وهو مسعد ؛ فإذن مايفسده العابد بإضمار الكبر واحتقار الخلق والنظر إليهم بعين الاستصغار أكثر مما يصلحه بظاهر الأعمال . فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب لاغير ، إلا أن النفس بعد هذه المعرفة قد تضمر التواضع وتدعى البراءة من الكبر وهى كاذبة ، فإذا وقعت الواقعة عادت إلى طبعها ونسيت وعدها ، فعلى هذا لا ينبغى أن يكتفى فى المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغى أن تكمل بالعمل وتجرب بأفعال المتواضعين فى مواقع هيجان الكبر فى النفس .

وبيانه أن يمتحن النفس بخمس امتحانات هى أدلة على استخراج ما فى الباطن وإن كانت الامتحانات كثيرة .

الامتحان الأول : أن يناظر فى مسألة مع واحد من أقرانه ، فان ظهر شىء من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه وإخراجه الحق ، فذلك يدل على أن فيه كبرا دفينا فليتق الله فيه ويشتغل بعلاجه . أما من حيث العلم فبأن يذكر نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته وأن الكبر لايليق إلا بالله تعالى . وأما العمل فبأن يكلف نفسه ماثقل عليه من الاعتراف بالحق وأن يطاق اللسان بالحمد والثناء ، ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول : ما أحسن مافطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما نبهتنى له ! فالحكمة ضالة المؤمن فإذا وجدها ينبغى أن يشكر من دله عليها . فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعاً ، وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على أقرانه بما فيهم ففيه كبر ، فان كان ذلك لايثقل عليه فى الخلوة ويثقل عليه فى الملأ فليس فيه كبر وإنما فيه رياء ، فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس ، ويذكر القلب بأن منفعته فى كماله فى ذاته وعند الله لاعند الخلق ، إلى غير ذلك من أدوية الرياء . وإن ثقل عليه فى الخلوة والملأ جميعاً ففيه الكبر والرياء جميعاً ، ولا ينفعه الخلاص من أحدهما مالم يتخلص من الثانى . فليعالج كلا الداءين فإنهما جميعا مهلكان .

الامتحان الثانى : أن يجتمع مع الأقران والأمثال فى المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشى خلفهم ويجلس فى الصدور تحتهم ، فان ثقل عليه ذلك فهو متكبر ، فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزايله الكبر وههنا للشيطان مكيدة وهو أن يجلس فى صف النعال أو يجعل بينه وبين الأقران بعض الأرذال فيظن أن ذلك تواضع وهو عين الكبر ، فإن ذلك يخف على صدور المتكبرين إذ يوهمون أنهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل ، فيكون قد تكبر وتكبر بإظهار التواضع أيضاً ، بل ينبغى أن يقدم أقرانه ويجلس بينهم بجنبهم ولا ينحط عنهم إلى صف

النعال ، فذلك هو الذى يخرج خبث الكبر من الباطن .

الامتحان الثالث : أن يجيب دعوة الفقير ويمر إلى السوق فى حاجة الرفقاء والأقارب ، فإن ثقل ذلك عليه فهو كبر ، فإن هذه الأفعال من مكارم الأخلاق والثواب عليها جزيل ، فنفور النفس عنها ليس إلا لخبث فى الباطن ، فليشتغل بإزالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ماذكرناه من المعارف التى تزيل داء الكبر .

الامتحان الرابع : أن يحمل حاجة نفسه وحاجة أهله ورفقائه من السوق إلى البيت ، فإن أبت نفسه ذلك فهو كبر أو رياء ، فإن كان يثقل ذلك عليه مع خلو الطريق فهو كبر ، وإن كان لايثقل عليه إلا مع مشاهدة الناس فهو رياء ، وكل ذلك من أمراض القلب وعلله المهلكة له إن لم تتدارك ، وقد أهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الأجساد مع أن الأجساد قد كتب عليها الموت لامحالة ، والقلوب لاتدرك السعادة إلا بسلامتها إذ قال تعالى ﴿ إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ ويروى عن عبد الله بن سلام أنه حمل حزمة حطب فقيل له ياأبا يوسف قد كان فى غلمانك وبنتك مايكفيك ! قال : أجل ولكن أردت أن أجرب نفسى هل تنكر ذلك ؟ فلم يقنع منها بما أعطته من العزم على ترك الأنفة حتى جربها أهى صادقة أم كاذبة ؟ وفى الخبر « من حمل الفاكهة أو الشىء فقد برئ من الكبر [1] » .

الامتحان الخامس : أن يلبس ثيابا بذلة ، فإن نفور النفس عن ذلك فى الملأ رياء وفى الخلوة كبر . وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه له مسح يلبسه بالليل ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر [2] » وقال عليه الصلاة والسلام « إنما أنا عبد آكل بالأرض وألبس الصوف وأعتقل البعير وألعق أصابعى وأجيب دعوة المملوك ، فمن رغب عن سنتى فليس منى [3] » . وروى أن أبا موسى الأشعرى قيل له إن أقواما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم ، فلبس عباءة فصلى فيها بالناس . وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فما يختص بالملأ فهو الرياء ، وما يكون فى الخلوة فهو الكبر ؛ فاعرف فإن من لايعرف الشر لايتقيه ، ومن لايدرك المرض لايداويه ،

بيان غاية الرياضة فى خلق التواضع

اعلم أن هذا الخلق كسائر الأخلاق له طرفان وواسطة : فطرفه الذى يميل إلى الزيادة يسمى تكبرا ، وطرفه الذى يميل إلى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة ، والوسط يسمى تواضعا . والمحمود أن يتواضع فى غير مذلة ومن غير تخاسس ، فإن كلا طرفى الأمور ذميم وأحب الأمور إلى الله تعالى أوساطها . فمن يتقدم على أمثاله فهو متكبر ومن يتأخر عنهم فهو متواضع : أى وضع شيئا من قدره الذى يستحقه . والعالم إذا دخل عليه إسكاف فتنحى له عن مجلسه وأجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله وعدا إلى باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل ، وهذا أيضا غير محمود بل المحمود عند الله العدل ؛ وهو أن يعطى كل ذى حق حقه ، فينبغى أن يتواضع بمثل هذا لأقرانه ومن يقرب من درجته ، فأما تواضعه للسوقى فبالقيام والبشر فى الكلام والرفق فى السؤال وإجابة دعوته والسعى فى حاجته وأمثال ذلك وأن لايرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه أخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لايعرف خاتمة

---

(١) حديث « من حمل الشىء والفاكهة فقد برئ من الكبر » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث أبى أمامة وضعفه بلفظ « من حمل بضاعته » . (٢) حديث « من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بزيادة فيه وفى إسناده القاسم اليعمرى ضعيف جدا . (٣) حديث « إنما أنا عبد آكل بالأرض وألبس الصوف ... الحديث » تقدم بعضه ولم أجد بقيته .

أمره . فإذن سبيله فى اكتساب التواضع أن يتواضع للأقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود فى محاسن العادات ليزول به الكبر عنه ، فإن خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع ، وإن كان يثقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكلف لا متواضع ، بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية، فإن خف ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى أحب التملق والتخاسس فقد خرج إلى طرف النقصان فليرفع نفسه إذ ليس للمؤمن أن تذل نفسه إلى أن يعود إلى الوسط الذى هو الصراط المستقيم ، وذلك غامض فى هذا الخلق وفى سائر الأخلاق . والميل عن الوسط إلى طرف النقصان وهو التملق أهون من الميل إلى طرف الزيادة بالتكبر ، كما أن الميل إلى طرف التبذير فى المال أحمد عند الناس من الميل إلى طرف البخل ، فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان وأحدهما أفحش ، وكذلك نهاية التكبر ونهاية التنقص والتذلل مذمومان وأحدهما أقبح من الآخر . والمحمود المطلق هو العدل ووضع الأمور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب كما يعرف ذلك بالشرع والعادة ولنقتصر على هذا القدر من بيان أخلاق الكبر والتواضع .

الشطر الثانى : من الكتاب فى العجب ، وفيه بيان ذم العجب وآفاته ، وبيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما ، وبيان علاج العجب على الجملة ، وبيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه .

بيان ذم العجب وآفاته

اعلم أن العجب مذموم فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . قال الله تعالى ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا) ذكر ذلك فى معرض الإنكار وقال عز وجل (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) فرد على الكفار فى إعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ـ ، وهذا أيضا يرجع إلى العجب بالعمل . وقد يعجب الإنسان بالعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه . وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه[1]» وقال لأبى ثعلبة ـ حيث ذكر آخر هذه الأمة فقال ـ إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك نفسك [2] » . وقال ابن مسعود: الهلاك فى اثنتين القنوط والعجب . وإنما جمع بينهما لأن السعادة لا تنال إلا بالسعى والطلب والجد والتشمر ، والقانط لا يسعى ولا يطلب، والمعجب يعتقد أنه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسعى . فالموجود لا يطلب ، والمحال لا يطلب ، والسعادة موجودة فى اعتقاد المعجب حاصلة له ومستحيلة فى اعتقاد القانط ، فمن ههنا جمع بينهما . وقد قال تعالى : (فلا تزكوا أنفسكم) قال ابن جريج : معناه إذا عملت خيرا فلا تقل عملت . وقال زيد بن أسلم . لا تبروها ، أى لا تعتقدوا أنها بارة وهو معنى العجب . ووقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بنفسه فأكب عليه حتى أصيبت كفه ، فكأنه أعجبه فعله العظيم إذ فداه بروحه حتى جرح ، فتفرس ذلك عمر فيه فقال . مازال يعرف فى طلحة نأو منذ أصيبت أصبعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم [3] والنأو : هو العجب ـ فى اللغة ـ إلا أنه لم ينقل فيه أنه أظهره واحتقر مسلما ولما كان وقت الشورى قال له ابن عباس أين أنت من طلحة ؟ قال : ذلك رجل فيه نخوة . فإذا كان لا يتخلص من العجب أمثالهم فكيف يتخلص الضعفاء إن

(١) حديث « ثلاث مهلكات ... الحديث » تقدم غير مرة (٢) حديث أبى ثعلبة « إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك نفسك » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه وقد تقدم .

(٣) حديث « وقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وأكب عليه حتى أصيبت كفه » أخرجه البخارى من رواية قيس بن أبى حازم قال : رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبى صلى الله عليه وسلم .

لم يأخذوا حذرهم ؟ وقال مطرف : لأن أبيت نائما وأصبح نادما أحب إلى من أبيت قائما وأصبح معجبا . وقال صلى الله عليه وسلم « لولم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب [1] » فجعل العجب أكبر الذنوب . وكان بشر بن منصور من الذين إذا رءوا ذكر الله تعالى والدار الآخرة لمواظبته على العبادة ، فأطال الصلاة يوما ورجل خلفه ينظر ففطن له بشر ، فلما انصرف عن الصلاة قال له : لا يعجبنك ما رأيت منى ، فإن إبليس لعنه الله قد عبد الله تعالى مع الملائكة مدة طويلة ثم صار إلى ماصار إليه . وقيل لعائشة رضى الله عنها : متى يكون الرجل مسيئا : قالت ؟ إذا ظن أنه محسن ، وقد قال تعالى ﴿ لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ﴾ والمن نتيجة استعظام الصدقة ، واستعظام العمل هو العجب . فظهر بهذا أن العجب مذموم جدا .

بيان آفة العجب

اعلم أنّ آفات العجب كثيرة ، فإن العجب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه - كما ذكرناه - فيتولد من العجب الكبر ، ومن الكبر الآفات الكثيرة التى لا تخفى ، هذا مع العباد وأما مع الله تعالى فالعجب يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها ، فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه أنه مستغن عن تفقدها فينساها ، وما يتذكره منها فيستصغره ولا يستعظمه فلايجتهد فى تداركه وتلافيه بل يظن أنه يغفر له . وأماالعبادات والأعمال فإنه يستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها ، وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ، ثم إذا عجب بها عمى عن آفاتها . ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سعيه ضائعا ، فإنّ الأعمال الظاهرة إذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب قلما تنفع ، وإنما يتفقد من يغلب عليه الإشفاق والخوف دون العجب ، والمعجب يغتر بنفسه وبرأيه ويأمن مكر الله وعذابه ، ويظن أنه عند الله بمكان وأنّ له عند الله منة وحقا بأعماله التى هى نعمة وعطية من عطاياه ، ويخرجه العجب إلى أن يثنى على نفسه ويحمدها ويزكيها ، وإن أعجب برأيه وعمله وعقله منع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورأيه ويستنكف من سؤال من هو أعلم منه ، وربما يعجب بالرأى الخطأ الذى خطر له فيفرح بكونه من خواطره ، ولا يفرح بخواطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ولا وعظ واعظ ، بل ينظر إلى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطئه ، فإن كان رأيه فى أمر دنيوى فيحقق فيه ، وإن كان فى أمر دينى لاسيما فيما يتعلق بأصول العقائد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال أهل البصيرة لكان ذلك يوصله إلى الحق . فهذا وأمثاله من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات ، ومن اعظم آفاته أن يفتر فى السعى لظنه أنه قد فاز وأنه قد استغنى وهو الهلاك الصريح الذى لاشبهة فيه . نسأل الله تعالى العظيم حسن التوفيق لطاعته .

بيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما

اعلم أنّ العجب إنما يكون بوصف هو كمال لا محالة ، وللعالم بكمال نفسه فى علم وعمل ومال وغيره حالتان (إحداهما) أن يكون خائفا على زواله ومشفقا على تكدره أوسلبه من أصله فهذا ليس بمعجب (والأخرى) أن لايكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث إنه نعمة من الله تعالى عليه لامن حيث إضافته إلى نفسه

(١) حديث «ولو لم تذنبوا لخشيت عليكم ماهو أكبر من ذلك العجب العجب» أخرجه البزار وابن حبان فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من حديث أنس وفيه سلام بن أبى الصهباء قال البخارى منكر الحديث . وقال أحمد حسن الحديث ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى سعيد بسند ضعيف جدا .

وهذا أيضا ليس بمعجب (وله حالة ثالثة) هى العجب وهى أن يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا إليه ، ويكون فرحه به من حيث إنه كمال ونعمة وخير ورفعة لا من حيث إنه عطية من الله تعالى ونعمة منه ، فيكون فرحه من حيث إنه صفته ومنسوب إليه بأنه له لا من حيث إنه منسوب إلى الله تعالى بأنه منه ، فمهما غلب على قلبه أنه نعمة من الله مهما شاء سلبها عنه زال العجب بذلك عن نفسه . فإذن العجب هو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم ، فإن انضاف إلى ذلك أن غلب على نفسه أن له عند الله حقا وأنه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة فى الدنيا ، واستبعد أن يجرى عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده ما يجرى على الفساق سمى هذا إدلالا بالعمل ، فكأنه يرى لنفسه على الله دالة ، وكذلك قد يعطى غيره شيئا فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبا ، فإن استخدمه أو اقترح عليه الاقتراحات أو استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه .

وقال قتادة فى قوله تعالى ﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾ أى لا تدل بعملك وفى الخبر « إنّ صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه ، ولأن تضحك وأنت معترف بذنبك خير من أن تبكى وأنت مدل بعملك [1] » والإدلال وراء العجب ، فلا مدل إلا وهو معجب ورب معجب لا يدل ، إذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه ، والإدلال لا يتم إلا مع توقع جزاء ، فإن توقع إجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب منه كان مدلا بعمله ، لأنه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك . فهذا هو العجب والإدلال وهو من مقدمات الكبر وأسبابه ، والله تعالى أعلم .

بيان علاج العجب على الجملة

اعلم أن علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده ، وعلة العجب الجهل المحض ، فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط ، فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق وإصلاحهم ؛ فإن العجب بهذا أغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب ومالا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه .

فنقول : الورع والتقوى والعبادة والعمل الذى به يعجب إنما يعجب به من حيث إنه فيه فهو محله ومجراه ، أو من حيث إنه منه وبسببه وبقدرته وقوته ؛ فإن كان يعجب به من حيث إنه فيه وهو محله ومجراه يجرى فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل ، لأن المحل مسخر ومجرى لا مدخل له فى الإيجاد والتحصيل ، فكيف يعجب بما ليس إليه؟ وإن كان يعجب به من حيث إنه هو منه وإليه وباختياره حصل وبقدرته تم ، فينبغى أن يتأمل فى قدرته وإرادته وأعضائه وسائر الأسباب التى بها يتم عمله أنها من أين كانت له ؟ فإن كان جميع ذلك نعمة من الله عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلى بها فينبغى أن يكون إعجابه بجود الله وكرمه وفضله ، إذ أفاض عليه مالا يستحق وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فهما برز الملك لغلمانه ونظر إليهم وخلع من جملتهم على واحد منهم لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا لجماله ولا لخدمة ، فينبغى أن يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه وإيثاره من غير استحقاق وإعجابه بنفسه من أين وما سببه ؟ ولا ينبغى أن يعجب بنفسه . نعم يجوز أن يعجب العبد فيقول : الملك حكم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر إلا لسبب ، فلولا أنه تفطن فى صفة من الصفات المحمودة الباطنة لما اقتضى الإيثار بالخلعة ولما آثرنى بها ، فيقال : وتلك الصفة أيضا هى من خلعة الملك وعطيته التى خصصك بها من غيرك ، من غير وسيلة ، أو هى عطية غيره ؟ فإن كانت من عطية الملك أيضا لم يكن لك أن تعجب بها ، بل كان كما لو أعطاك فرسا

(١) حديث « إن صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه ... الحديث » لم أجد له أصلا .

فلم تعجب به . فأعطاك علاما فصرت تعجب به وتقول : إنما أعطانى غلاما لأنى صاحب فرس فأما غيرى فلا فرس له ، فيقال : وهو الذى أعطاك الفرس فلا فرق بين أن يعطيك الفرس والغلام معا أو يعطيك أحدهما بعد الآخر ! فإذا كان الكل منه فينبغى أن يعجبك جوده وفضله لانفسك . وأما إن كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد أن تعجب بتلك الصفة ، وهذا يتصور فى حق الملوك ولا يتصور فى حق الجبار القاهر ملك الملوك المنفرد باختراع الجميع المنفرد بإيجاد الموصوف والصفة ، فإنك إن أعجبت بعادتك وقلت : وفقنى للعبادة لحبى له ، فيقال : ومن خلق الحب فى قلبك ؟ فتقول : هو ، فيقال : فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتدأك بهما من غير استحقاق من جهتك إذ لا وسيلة لك ولا علاقة ، فيكون الإعجاب بجوده إذ أنعم بوجودك ووجود صفاتك وبوجود أعمالك وأسباب أعمالك ! فإذاً لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغنى بغناه ! لأن كل ذلك من فضل الله وإنما هو محل لفيضان فضل الله تعالى وجوده ، والمحل أيضا من فضله وجوده .

فإن قلت : لا يمكننى أن أجهل أعمالى وإنى أنا عملتها فإنى أنتظر عليها ثوابا ، ولولا أنها عملى لما انتظرت ثوابا ، فإن كانت الأعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن أين لى الثواب ؟ وإن كانت الأعمال منى وبقدرته فكيف لا أعجب بها ؟ فاعلم أن جوابك من وجهين (أحدهما) هو صريح الحق (والآخر) فيه مسامحة .

أما صريح الحق : فهو أنك وقدرتك وإرادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه ، فما عملت إذ عملت وما صليت إذ صليت ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ فهذا هو الحق الذى انكشف لأرباب القلوب بمشاهدة أوضح من إبصار العين ، بل خلقك وخلق أعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة ، وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الإرادة ، ولو أردت أن تنفى شيئا من هذا عن نفسك لم تقدر عليه ، ثم خلق الحركات فى أعضائك مستبدا باختراعها من غير مشاركة من جهتك معه فى الاختراع ، إلا أنه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة مالم يخلق فى العضو قوة وفى القلب إرادة ، ولم يخلق إرادة مالم يخلق علما بالمراد ، ولم يخلق علما مالم يخلق القلب الذى هو محل العلم ، فتدريجه فى الخلق شيئا بعد شىء هو الذى خيل لك أنك أوجدت عملك وقد غلطت . وإيضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله سيأتى تقريره فى كتاب الشكر فانه أليق به فارجع إليه .

ونحن الآن نزيل إشكالك بالجواب الثانى الذى فيه مسامحة ما ، وهو أن تحسب أن العمل حصل بقدرتك فمن أين قدرتك ؟ ولا يتصور العمل إلا بوجودك ووجود عملك وإرادتك وسائر أسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك ! فإن كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه وهذا المفتاح بيد الله ، ومهما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل ، فالعبادات خزائن بها يتوصل إلى السعادات ومفاتيحها القدرة والإرادة والعلم وهى بيد الله لا محالة . أرأيت لو رأيت خزائن الدنيا مجموعة فى قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن ، ولو جلست على بابها وحول حيطانها ألف سنة لم يمكنك أن تنظر إلى دينار مما فيها ، ولو أعطاك المفتاح لأخذته من قريب بأن تبسط يدك إليه فتأخذه فقط ، فإذا أعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها ومكنك منها فمددت يدك وأخذتها كان إعجابك بإعطاء الخازن المفاتيح أو بما إليك من مد اليد وأخذها ؟ فلا تشك فى أنك ترى ذلك نعمة من الخازن لأن المؤنة فى تحريك اليد بأخذ المال قريبة ، وإنما الشأن كله فى تسليم المفاتيح . فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الإرادة الجازمة وحركت الدواعى والبواعث وصرف عنك الموانع والصوارف ، حتى لم يبق صارف إلا دفع ولا باعث إلا وكل بك فالعمل هين عليك ، وتحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الأسباب كلها من الله ليس شىء منها إليك ، فمن العجائب أن تعجب بنفسك

ولا تعجب بمن إليه الأمر كله ، ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه فى إيثاره إياك على الفساق من عباده إذ سلط دواعى الفساد على الفساق وصرفها عنك ، وسلط أخدان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ، ومكنك من أسباب الشهوات واللذات وزواها عنك ، وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك ، حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر ! فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة من الفاسق العاصى ، بل آثرك وقدمك واصطفاك بفضله وأبعد العاصى وأشقاه بعدله فما أعجب إعجابك بنفسك إذا عرفت ذلك ! فإذن لا تتصرف قدرتك إلى المقدور إلا بتسليط الله عليك داعية لا تجد سبيلا إلى مخالفتها ، فكأنه الذى اضطرك إلى الفعل إن كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والمنة لا لك — وسيأتى فى كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الأسباب والمسببات ما تستبين به أنه لا فاعل إلا الله ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب — إذا رزقه الله عقلا وأفقره — ممن أفاض عليه المال من غير علم فيقول : كيف منعنى قوت يومى وأنا العاقل الفاضل وأفاض على هذا نعيم الدنيا وهو الغافل الجاهل ؟ حتى يكاد يرى هذا ظلما ، ولا يدرى المغرور أنه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم أشبه فى ظاهر الحال ، إذ يقول الجاهل الفقير : يارب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتنى منهما فهلا جمعتهما لى أو هلا رزقتنى أحدهما ؟ وإلى هذا أشار على رضى الله عنه حيث قيل له : ما بال العقلاء فقراء ؟ فقال : إنّ عقل الرجل محسوب عليه من رزقه . والعجب أنّ العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغنى أحسن حالا من نفسه ، ولو قيل له : هل تؤثر جهله وغناه عوضا عن عقلك وفقرك لامتنع عنه ! فإذن ذلك يدل على أنّ نعمة الله عليه أكبر ، فلم يتعجب من ذلك ؟ والمرأة الحسناء الفقيرة ترى الحلى والجواهر على الدميمة القبيحة فتعجب وتقول : كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخصص مثل ذلك القبح ؟ ولا تدرى المغرورة أنّ الجمال محسوب عليها من رزقها وأنها لو خيرت بين الجمال وبين القبح مع الغنى لآثرت الجمال ؟ فإذن نعمة الله عليها أكبر . وقول الحكيم الفقير العاقل بقلبه : يارب لم حرمتنى الدنيا وأعطيتها الجهال ؟ كقول من أعطاه الملك فرسا فيقول : أيها الملك لم لا تعطينى الغلام وأنا صاحب فرس ؟ فيقول : كنت لا تتعجب من هذا لو لم أعطك الفرس ! فهب أنى ما أعطيتك فرسا أصارت نعمتى عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة أخرى ؟ فهذه أوهام لا تخلو الجهال عنها ، ومنشأ جميع ذلك الجهل ، ويزال ذلك بالعلم المحقق بأنّ العبد وعمله وأوصافه كل ذلك من عند الله تعالى نعمة ابتدأه بها قبل الاستحقاق ، وهذا ينفى العجب والإدلال ويورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة . ومن عرف هذا لم يتصور أن يعجب بعلمه وعمله إذ يعلم أنّ ذلك من الله تعالى ولذلك قال داود عليه السلام : يارب ما تأتى ليلة إلا وإنسان من آل داود صائم — وفى رواية ما تمر ساعة من ليل أو نهار إلا وعابد من آل داود يعبدك إما يصلى وإما يصوم وإما يذكرك — فأوحى الله تعالى إليه : ياداود ومن أين لهم ذلك ! إنّ ذلك لم يكن إلا بى ولولا عونى إياك ما قويت وسأكلك إلى نفسك ، قال ابن عباس : إنما أصاب داود ما أصاب من الذنب بعجبه بعمله إذ أضافه إلى آل داود مدلا به حتى وكل إلى نفسه ، فأذنب ذنبا أورثه الحزن والندم . وقال داود : يارب إنّ بنى إسرائيل يسألونك بإبراهيم وإسحق ويعقوب ، فقال : إنى ابتليتهم فصبروا ، فقال : يارب وأنا إن ابتليتنى صبرت ، فأدل بالعمل قبل وقته فقال الله تعالى : فإنى لم أخبرهم بأى شىء أبتليهم ولا فى أى شهر ولا فى أى يوم ، وأنا مخبرك فى سنتك هذه وشهرك هذا أبتليك غداً بامرأة فاحذر نفسك ، فوقع فيما وقع فيه . وكذلك لما اتكل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم

ونسوا فضل الله تعالى عليهم وقالوا لانغلب اليوم من قلة [1] وكلوا إلى أنفسهم فقال تعالى ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ﴾ . روى ابن عيينه أن أيوب عليه السلام قال : إلهى إنك ابتليتنى بهذا البلاء وما ورد على أمر إلا آثرت هواك على هواى ، فنودى من غمامة بعشرة آلاف صوت . ياأيوب أنى لك ذلك ؛ أى من أين لك ذلك ؟ قال : فأخذ رمادا ووضعه على رأسه وقال : منك يارب منك يارب ، فرجع من نسيانه إلى إضافة ذلك إلى الله تعالى . ولهذا قال الله تعالى ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكا منكم من أحد أبدا ﴾ وقال النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهم خير الناس « مامنكم من أحد ينجيه عمله » قالوا : ولاأنت يارسول الله ؟ قال « ولاأنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته [2] » ولقد كان أصحابه من بعده يتمنون أن يكونوا ترابا وتبنا وطيرا مع صفاء أعمالهم وقلوبهم ، فكيف يكون لذى بصيرة أن يعجب بعمله أويدل به ولايخاف على نفسه ؟ فإذن هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب . ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الإعجاب بها ، بل هو ينظر إلى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الإيمان والطاعة بغير ذنب أذنبوه من قبل ، فيخاف من ذلك فيقول : إنّ من لايبالى أن يحرم من غير جناية ويعطى من غير وسيلة لايبالى أن يعود ويسترجع ما وهب ، فكم من مؤمن قد ارتدّ ومطيع قد فسق وختم له بسوء ! وهذا لايبقى معه عجب بحال ، والله تعالى أعلم .

بيان أقسام مابه العجب وتفصيل علاجه

اعلم أنّ العجب بالأسباب التى بها يتكبر ـ كما ذكرناه ـ وقد يعجب بما لايتكبر به كعجبه بالرأى الخطأ الذى يزين له بجهله . فما به العجب ثمانية أقسام :

(الأول) أن يعجب ببدنه فى جماله وهيئته وصحته وقوته وتناسب أشكاله وحسن صورته وحسن صوته ، وبالجملة تفصيل خلقته ، فيلتفت إلى جمال نفسه وينسى أنه نعمة من الله تعالى وهو بعرضة الزوال فى كل حال ، وعلاجه ماذكرناه فى الكبر بالجمال وهو التفكر فى أقذار باطنه وفى أول امره وفى آخره ، وفى الوجوه الجميلة والأبدان الناعمة أنها كيف تمزقت فى التراب وأنتنت فى القبور حتى استقذرتها الطباع .

(الثانى) البطش والقوة كما حكى عن قوم عاد حين قالوا فيما أخبر الله عنهم ﴿ من أشد منا قوة ﴾ وكما اتكل عوج على قوته وأعجب بها فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام ، فنقب الله تعالى تلك القطعة من الجبل بنقر هدهد ضعيف المنقار حتى صارت فى عنقه ، وقد يتكل المؤمن أيضا على قوته كما روى عن سليمان عليه السلام أنه قال : لأطوفن الليلة على مائة امرأة ! ولم يقل إن شاء الله تعالى ، فحرم ما أراد من الولد [1] وكذلك قول داود عليه السلام : إن ابتليتنى صبرت ، وكان إعجابا منه بالقوة ، فلما ابتلى بالمرأة لم يصبر ويورث العجب بالقوة الهجوم فى الحروب والقاء النفس فى التهلكة والمبادرة إلى الضرب والقتل لكل من قصده بالسوء ، وعلاجه ماذكرناه ، وهو أن يعلم أنّ حمى يوم تضعف قوته ! وأنه إذا أعجب بها ربما سلبها الله تعالى بأدنى آفة يسلطها عليه .

---

(١) حديث : قولهم يوم حنين لا نغلب اليوم من قلة . أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة من رواية الربيع بن أنس مرسلا : أن رجلا قال يوم حنين لن نغلب اليوم من قلة فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ﴾ ولابن مردويه فى تفسيره من حديث أنس : لما التقوا يوم حنين أعجبتهم كثرتهم فقالوا : اليوم نقاتل ؛ ففروا . فيه الفرج بن فضالة ضعفه الجمهور (٢) حديث « مامنكم من أحد ينجيه عمله ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٣) حديث : قال سليمان : لأطوفن الليلة بمائة امرأة ... الحديث » أخرجه البخارى من حديث أبي هريرة .

(الثالث) العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الأمور من مصالح الدين والدنيا ، وثمرته الاستبداد بالرأى وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له ولرأيه ، ويخرج إلى قلة الإصغاء إلى أهل العلم إعراضا عنهم بالاستغناء بالرأى والعقل واستحقارا لهم وإهانة ، وعلاجه أن يشكر الله تعالى على ما رزق من العقل ، ويتفكر أنه بأدنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك منه ! فلا يأمن أن يسلب عقله إن أعجب به ولم يقم بشكره ، وليستقصر عقله وعلمه ، وليعلم أنه ما أوتى من العلم إلا قليلا وإن اتسع علمه ، وأن ما جهله مما عرفه الناس أكثر مما عرفه ، فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى ؟ وأن يتهم عقله وينظر إلى الحق كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم ؟ فيحذر أن يكون منهم وهو لا يدرى . فإن القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله ، فينبغى أن يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ، ومن أعدائه لا من أصدقائه ، فإن من يداهنه يثنى عليه فيزيده عجبا وهو لا يظن بنفسه إلا الخير ولا يفطن لجهل نفسه فيزداد عجبا .

(الرابع) العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية ، حتى يظن بعضهم أنه ينجو بشرف نسبه ونجاة آبائه وأنه مغفور له ، ويتخيل بعضهم أن جميع الخلق له موال وعبيد ، وعلاجه أن يعلم أنه مهما خالف آباءه فى أفعالهم وأخلاقهم وظن أنه ملحق بهم فقد جهل ، وإن اقتدى بآبائه فما كان من أخلاقهم العجب بل الخوف والازدراء على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس ، ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب ، فليتشرف بما شرفوا به ، وقد ساواهم فى النسب وشاركهم فى القبائل من لم يؤمن بالله واليوم الآخر ، وكانوا عند الله شراً من الكلاب وأخس من الخنازير ، ولذلك قال تعالى ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾ أى لا تفاوت فى أنسابكم لاجتماعكم فى أصل واحد ، ثم ذكر فائدة النسب فقال ﴿ وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ﴾ ثم بين أن الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس ؟ من أكيس الناس ؟ لم يقل : من ينتمى إلى نسبى ولكن قال « أكرمهم أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم له استعدادا [1] » وإنما نزلت هذه الآية حين أذن بلال يوم الفتح على الكعبة : فقال الحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن أسيد : هذا العبد الأسود يؤذن على الكعبة ؟ فقال تعالى ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ وقال النبى صلى الله عليه وسلم « إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية — أى كبرها — كلكم بنو آدم وآدم من تراب [2] » ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم « يا معشر قريش لا تأتى الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد وأقول هكذا - أى أعرض عنكم - [3] » فبين أنهم إذا مالوا إلى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش . ولما نزل قوله تعالى ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ناداهم بطنا بعد بطن ، حتى قال « يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعملا لأنفسكما فإنى لا أغنى عنكما من الله شيئا [4] » فمن عرف هذه الأمور وعلم أن شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آبائه التواضع اقتدى بهم فى التقوى

---

(١) حديث : لما قيل له : من أكرم الناس من أكيس الناس ؟ قال « أكثرهم للموت ذكرا ... الحديث » أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر دون قوله « وأكرم الناس » وهو بهذه الزيادة عند ابن أبى الدنيا فى ذكر الموت آخر الكتاب .

(٢) حديث « إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية ... الحديث » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه من حديث أبى هريرة ورواه الترمذى أيضاً من حديث ابن عمر وقال غريب .

(٣) حديث « يا معشر قريش لا يأتى الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم .. الحديث » أخرجه الطبرانى من حديث عمران بن حصين إلا أنه قال : يا معشر بنى هاشم وسنده ضعيف .

(٤) حديث لما نزل قوله تعالى ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال « يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة ورواه مسلم من حديث عائشة .

والتواضع ، وإلا كان طاعنا فى نسب نفسه - بلسان حاله - مهما انتمى إليهم ولم يشبههم فى التواضع والتقوى والخوف والإشفاق .

فإن قلت : فقد قال صلى الله عليه وسلم بعد قوله لفاطمة وصفية « إنى لا أغنى عنكما من الله شيئا إلا أن لكم رحما سأبلها ببلالها[1] » وقد عليه الصلاة والسلام « أترجو سليم شفاعتى ولا يرجوها بنو عبد المطلب [2] » فذلك يدل على أنه سيخصص قرابته بالشفاعة ؟ فاعلم أن كل مسلم فهو منتظر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والنسيب أيضا جدير بأن يرجوها لكن بشرط أن يتقى الله أن يغضب عليه ، فإنه إن يغضب عليه فلا يأذن لأحد فى شفاعته ، لأن الذنوب منقسمة إلى ما يوجب المقت فلا يؤذن فى الشفاعة له ، وإلى مايعفى عنه بسبب الشفاعة، كالذنوب عند ملوك الدنيا فإن كل ذى مكانة عند الملك لايقدر على الشفاعة فيما اشتد عليه غضب الملك ، فمن الذنوب مالا تنجى منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ وبقوله ﴿ من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه ﴾ وبقوله ﴿ ولاتنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾وبقوله ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ وإذا انقسمت الذنوب إلا مايشفع فيه وإلى مالا يشفع فيه وجب الخوف والإشفاق لامحالة ، ولو كان ذنب تقبل فيه الشفاعة لما أمر قريشا بالطاعة ولما نهى رسول صلى الله عليه وسلم فاطمة رضى الله عنها عن المعصية ، ولكان يأذن لها فى اتباع الشهوات لتكمل لذاتها فى الدنيا ثم يشفع لها فى الآخرة لتكمل لذاتها فى الآخرة . فالانهماك فى الذنوب وترك التقوى اتكالا على رجاء الشفاعة يضاهى انهماك المريض فى شهواته اعتمادا على طبيب حاذق قريب مشفق من اب أو أخ أو غيره ، وذلك جهل لأن سعى الطبيب وهمته وحذقه تنفع فى إزالة بعض الأمراض لا فى كلها ، فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتمادا على مجرد الطب ، بل للطبيب أثر على الجملة ولكن فى الأمراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج . فهكذا ينبغى أن تفهم عناية الشفعاء من الأنبياء والصلحاء للأقارب والأجانب ، فإنه كذلك قطعا ، وذلك لا يزيل الخوف والحذر ، وكيف يزيل وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقد كانوا يتمنون أن يكونوا بهائم من خوف الآخرة مع كمال تقواهم وحسن أعمالهم وصفاء قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول صلى الله عليه وسلم إياهم بالجنة خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة عامة ولم يتكلوا عليه ولم يفارق الخوف والخشوع قلوبهم ؟ فكيف يعجب بنفسه ويتكل على الشفاعة من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم ؟

(الخامس) العجب بنسب السلاطين الظلمة وأعوانهم دون نسب الدين والعلم . وهذا غاية الجهل ، وعلاجه أن يتفكر فى مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد فى دين الله وأنهم الممقوتون عند الله تعالى ، ولو نظر إلى صورهم فى النار وأنتانهم وأقذارهم لاستنكف منهم ولتبرأ من الانتساب إليهم ، ولأنكر على من نسبه إليهم استقذارا واستحقار لهم ، ولو انكشف له ذلهم فى القيامة وقد تعلق الخصماء بهم والملائكة آخذون بنواصيهم يجرونهم على وجوههم إلى جهنم فى مظالم العباد لتبرأ إلى الله منهم ، ولكان انتسابه إلى الكلب والخنزير أحب إليه من الانتساب إليهم ، لحق أولاد الظلمة إن عصمهم الله من ظلمهم أن يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لآبائهم إن كانوا مسلمين ! فأما العجب لجهل محض .

---

(١) حديث : قوله بعد قوله المتقدم لفاطمة وصفية « ألا إن لكما رحما سأبلها ببلالها » أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ « غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها » (٢) حديث « أترجو سليم شفاعتى ولاترجوها بنو عبدالمطلب » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث عبد الله بن جعفر وفيه أصيرم بن حوشب عن إسحاق بن واصل وكلاهما ضعيف جدا .

(السادس) العجب بكثرة العدد من الأولاد والخدم والغلمان والعشيرة والأقارب والأنصار والأتباع كما قال الكفار ﴿نحن أكثر أموالا وأولادا﴾ وكما قال المؤمنون يوم حنين : لانغلب اليوم من قلة ، وعلاجه ماذكرناه فى الكبر وهو أن يتفكر فى ضعفه وضعفهم وأن كلهم عبيد عجزة لايملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا . ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾ ثم كيف يعجب بهم وأنهم سيفترقون عنه إذا مات فيدفن فى قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه أهل ولا ولد ولا قريب ولا حميم ولا عشير ، فيسلمونه إلى البلى والحيات والعقارب والديدان ولا يغنون عنه شيئا وفى أحوج أوقاته إليهم ، وكذلك يهربون منه يوم القيامة ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه﴾ الآية . فأى خير فيمن يفارقك فى أشد أحوالك ويهرب منك ؟ وكيف تعجب به ولا ينفعك فى القبر والقيامة وعلى الصراط إلا عملك وفضل الله تعالى ؟ فكيف تتكل على من لا ينفعك ، وتنسى نعم من يملك نفعك وضرك وموتك وحياتك .

(السابع) العجب بالمال كما قال تعالى إخبارا عن صاحب الجنتين إذ قال ﴿أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا﴾ ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فانقبض عنه وجمع ثيابه فقال عليه السلام « أخشيت أن يعدو إليك فقره [1] » وذلك للعجب بالغنى ، وعلاجه أن يتفكر فى آفات المال وكثرة حقوقه وعظيم غوائله ، وينظر إلى فضيلة الفقراء وسبقهم إلى الجنة فى القيامة ، وإلى أن المال غاد ورائح ولا أصل له ، وإلى أن فى اليهود من يزيد عليه فى المال وإلى قوله عليه الصلاة والسلام « بينما رجل يتبختر فى حلة له قد أعجبته نفسه إذ أمر الله الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة [2] » وأشار به إلى عقوبة إعجابه بماله ونفسه . وقال أبو ذر ، كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لى « يا أبا ذر ارفع رأسك » فرفعت رأسى فإذا رجل عليه ثياب جياد ثم قال « ارفع رأسك » فرفعت رأسى فإذا رجل عليه ثياب خلقة فقال لى « يا أبا ذر هذا عند الله خير من قراب الأرض مثل هذا [3] » وجميع ماذكرناه فى كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الأغنياء وشرف الفقراء عند الله تعالى ، فكيف يتصور من المؤمن أن يعجب بثروته ؟ بل لا يخلو المؤمن عن خوف من تقصيره فى القيام بحقوق المال فى أخذه من حله ووضعه فى حقه ، ومن لا يفعل ذلك فمصيره إلى الخزى والبوار فكيف يعجب بماله ؟

(الثامن) العجب بالرأى الخطأ . قال الله تعالى ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا﴾ وقال تعالى ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ذلك يغلب على آخر هذه الأمة [4] وبذلك هلكت الأمم السالفة إذ افترقت فرقا فكل معجب برأيه ﴿وكل حزب بما لديهم فرحون﴾ وجميع أهل البدع والضلال إنما أصروا عليها لعجبهم بآرائهم والعجب بالبدعة هو استحسان ما يسوق إليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا ، وعلاج هذا العجب أشد من علاج غيره لأن صاحب الرأى الخطأ جاهل بخطئه ولو عرفه لتركه ، ولا يعالج الداء الذى لا يعرف والجهل داء لا يعرف فتعسر مداواته جدا . لأن العارف يقدر على أن يبين للجاهل جهله ويزيله

---

(١) حديث : رأى النبى صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس لجنبه فقير فانقبض منه ... الحديث . رواه أحمد فى الزهد .

(٢) حديث « بينما رجل فى حلة قد أعجبته نفسه ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم .

(٣) حديث أبى ذر : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لى « ياأبا ذر ارفع رأسك » فرفعت رأسى ... الحديث . وفيه « هذا عند الله خير من قراب الأرض مثل هذا » أخرجه ابن حبان فى صحيحه .

(٤) حديث « أنه يغلب على آخر هذه الأمة الإعجاب بالرأى » هو حديث أبى ثعلبة المتقدم « فإذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك » وهو عند أبى داود والترمذى .

عنه ، إلا إذا كان معجبا برأيه وجهله فإنه لايصغى إلى العارف ويتهمه ، فقدسلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته فى اعتقاده ؟ وإنما علاجه على الجملة أن يكون متهما لرأيه أبدا لا يغتر به إلا أن يشهد له قاطع من كتاب أو سنة أو دليل عقلى صحيح جامع لشروط الأدلة ولن يعرف الإنسان أدلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها إلا بقريحة تامة وعقل ثاقب وجد وتشمر فى الطلب وممارسة للكتاب والسنة ومجالسة لأهل العلم طول العمر ومدارسة للعلوم ، ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط فى بعض الأمور ، والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره فى العلم أن لا يخوض فى المذاهب ولا يصغى إليها ولايسمعها ، ولكن يعتقد أن الله تعالى واحد لاشريك له وأنه ﴿ليس كمثله شىء وهو السميع البصير﴾ وأن رسوله صادق فيما أخبر به ويتبع سنة السلف ، ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتنقير وسؤال عن تفصيل ، بل يقول آمنا وصدقنا ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصى وأداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الأعمال ، فإن خاض فى المذاهب والبدع والتعصب فى العقائد هلك من حيث لا يشعر . هذا حق كل من عزم على أن يشتغل فى عمره بشىء غير العلم ، فأما الذى عزم على التجرد للعلم فأول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الأمر فيه ، والوصول إلى اليقين والمعرفة فى أكبر المطالب شديد لا يقدر عليه إلا الأقوياء المؤيدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا فنسأل الله تعالى العصمة من الضلال ونعوذ به من الاغترار بخيالات الجهال .

تم كتاب ذم الكبر والعجب والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتاب ذم الغرور

وهو الكتاب العاشر من ربع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى بيده مقاليد الأمور ، وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور ، مخرج أوليائه من الظلمات إلى النور ، ومورد أعدائه ورطات الغرور ، والصلاة على محمد مخرج الخلائق من الديجور ، وعلى آله وأصحابه الذين لم تغرهم الحياة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور ، صلاة تتوالى على ممر الدهور ومكر الساعات والشهور .

أما بعد : ففتاح السعادة التيقظ والفطنة ، ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة فلا نعمة لله على عباده أعظم من الإيمان والمعرفة ، ولاوسيلة إليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة ، ولانقمة أعظم من الكفر والمعصية ، ولاداعى إليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة . فالأكياس وأرباب البصائر قلوبهم ﴿كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولولم تمسسه نار نور على نور﴾ والمغترون قلوبهم ﴿كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ فالأكياس هم الذين أراد الله أن يهديهم فشرح صدورهم للإسلام والهدى ، والمغترون هم الذين أراد الله أن يضلهم فجعل صدرهم ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء . والمغرور هو الذى لم تتفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلا وبقى فى العمى فاتخذ الهوى قائدا والشيطان

دليلا ﴿ ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا ﴾ وإذا عرف أن الغرور هو أم الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل مايكثر من وقوع الغرور فيه ، ليحذره المريد بعد معرفته فيتقيه ، فالموفق من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد فأخذ منها حذره وبنى على الحزم والبصيرة أمره .

ونحن نشرح أجناس مجارى الغرور وأصناف المغترين من القضاة والعلماء والصالحين الذين اغتروا بمبادئ الأمور ، الجميلة ظواهرها القبيحة سرائرها ، ونشير إلى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها ، فإن ذلك وإن كان أكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على أمثلة تغنى عن الاستقصاء ، وفرق المغترين كثيرة ، ولكن يجمعهم أربعة أصناف (الصنف الأول) من العلماء (الصنف الثانى) من العباد (الصنف الثالث) من المتصوفة (الصنف الرابع) من أرباب الأموال . والمغتر من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة ، فنهم من رأى المنكر معروفا كالذى يتخذ المسجد ويزخرفها من المال الحرام ، ومنهم من لم يميز بين مايسعى فيه لنفسه وبين مايسعى فيه لله تعالى كالواعظ الذى غرضه القبول والجاه ، ومنهم من يترك الأهم ويشتغل بغيره ، ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ، ومنهم من يترك اللباب ويشتغل بالقشر ، كالذى يكون همه فى الصلاة مقصورا على تصحيح مخارج الحروف إلى غير ذلك من مداخل لاتتضح إلا بتفصيل الفرق وضرب الأمثلة . ولنبدأ أولا بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحده .

بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثلته

اعلم أن قوله تعالى ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ وقوله تعالى ﴿ ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى ﴾ الآية . كاف فى ذم الغرور ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الأرض من المغترين [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله [2] » وكل ماورد فى فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور ، لأن الغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل ، إذ الجهل هو أن يعتقد الشىء ويراه على خلاف ماهو به ، والغرور هو جهل إلا أن كل جهل ليس بغرور ، بل يستدعى الغرور : مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به وهو الذى يغره . فهما كان المجهول المعتقد شيئا يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن أنها دليل ولاتكون دليلا سمى الجهل الحاصل به غرورا . فالغرور هو سكون النفس إلى مايوافق الهوى ، ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد أنه على خير إما فى العاجل أو فى الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور ، وأكثر الناس يظنون بأنفسهم الخير وهم مخطئون فيه ، فأكثر الناس إذن مغرورون وإن اختلفت أصناف غرورهم واختلفت درجاتهم ، حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض ، وأظهرها وأشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفساق فنورد لها أمثلة لحقيقة الغرور .

كتاب ذم الغرور

(١) حديث « حبذا نوم الأكياس وفطرهم ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب اليقين من قول أبى الدرداء بنحوه وفيه انقطاع وفى بعض الروايات : أبى الورد ، موضع أبى الدرداء ولم أجده مرفوعا (٢) حديث « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ... الحديث » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث شداد بن أوس

(المثال الأول) غرور الكفار ، فهم من غرته الحياة الدنيا ومنهم من غره بالله الغرور ، أما الذين غرتهم الحياة الدنيا : فهم الذين قالوا : النقد خير من النسيئة والدنيا نقد والآخرة نسيئة فهى إذن خير فلا بد من إيثارها ، وقالوا : اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا نترك اليقين بالشك . وهذه أقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال ﴿ أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾ وإلى هؤلاء الإشارة بقوله تعالى ﴿ أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ﴾ وعلاج هذا الغرور إما بتصديق الإيمان وإما بالبرهان ؛ أما التصديق بمجرد الإيمان فهو أن يصدق الله تعالى فى قوله ﴿ ماعندكم ينفد وما عند الله باق ﴾ وفى قوله عز وجل (وما عند الله خير) وقوله (والآخرة خير وأبقى) وقوله (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) وقوله (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوائف من الكفار فقلدوه وصدقوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان [1] ، ومنهم من قال : نشدتك الله أبعثك الله رسولا ؟ فكان يقول « نعم » فيصدق [2] وهذا إيمان العامة وهو يخرج من الغرور ، وينزل هذا منزلة تصديق الصبى والده فى أن حضور المكتب خير من حضور الملعب مع أنه لا يدرى وجه كونه خيرا . وأما المعرفة بالبيان والبرهان فهو أن يعرف وجه فساد هذا القياس الذى نظمه فى قلبه الشيطان ، فإن كل مغرور فلغروره سبب ، وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع فى النفس ويورث السكون إليه وإن كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بألفاظ العلماء . فالقياس الذى نظمه الشيطان فيه أصلان (أحدهما) أن الدنيا نقد والآخرة نسيئة وهذا صحيح (والآخر) قوله : إن النقد خير من النسيئة ، وهذا محل التلبيس فليس الأمر كذلك ، بل إن كان النقد مثل النسيئة فى المقدار والمقصود فهو خير وإن كان أقل منها فالنسيئة خير ، فإن الكافر المغرور يبذل فى تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا أتركه ، وإذا حذره الطبيب الفواكه ولذائذ الأطعمة ترك ذلك فى الحال خوفا من ألم المرض فى المستقبل ؛ فقد ترك النقد ورضى بالنسيئة . والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون فى الأسفار نقداً لأجل الراحة والربح نسيئة ، فإن كان عشرة فى ثانى الحال خيرا من واحد فى الحال فأنسب لذة الدنيا من حيث مدتها إلى مدة الآخرة ، وإن أقصى عمر الإنسان مائة سنة وليس هو عشر عشير من جزء من ألف ألف جزء من الآخرة . فكأنه ترك واحدا ليأخذ ألف ألف بل ليأخذ مالا نهاية له ولا حد وإن نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا مكدرة مشوبة بأنواع المنغصات ولذات الآخرة صافية غير مكدرة ، فإذن قد غلط فى قوله : النقد خير من النسيئة ، فهذا غرور منشؤه قبول لفظ عام مشهور أطلق وأريد به خاص ، فغفل به المغرور عن خصوص معناه . فإن من قال : النقد خير من النسيئة ، أراد به خيرا من نسيئة هى مثله وإن لم يصرح به .

وعند هذا يفزع الشيطان إلى القياس الآخر وهو : أن اليقين خير من الشك إذاً الآخرة شك وهذا القياس أكثر فساداً من الأول لأن كلا أصليه باطل ، إذ اليقين خير من الشك إذا كان مثله ، وإلا فالتاجر فى تعبه على يقين

---

(١) حديث : تصديق بعض الكفار بما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيمانهم من غير مطالبة بالبرهان هو مشهور فى السنن ، من ذلك قصة إسلام الأنصار وبيعتهم وهى عند أحمد من حديث جابر وفيه : حتى بعثنا الله إليه من يثرب فآويناه وصدقناه فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه . . الحديث » وهى عند أحمد بإسناد جيد .

(٢) حديث : قول من قال له نشدتك الله أبعثك رسولا ؟ فيقول « نعم » فيصدق . متفق عليه من حديث أنس فى قصة ضمام ابن ثعلبة وقوله النبى صلى الله عليه وسلم آلله أرسلك الناس كلهم ؟ فقال « اللهم نعم » وفى آخره : فقال الرجل آمنت بما جئت به والطبرانى من حديث ابن عباس فى ضمام قال : نشدتك به أهو أرسلك بما أتتنا كتبك وأتتنا رسلك أن نشهد أن لا إله إلا الله وأن ندع اللات والعزى ؟ قال « نعم » الحديث .

وفى ربحه على شك ، والمتفقه فى جهاده على يقين وفى إدراكه رتبة العلم على شك والصياد فى تردده فى المقتنص على يقين وفى الظفر بالصيد على شك ، وكذا الحزم دأب العقلاء بالاتفاق وكل ذلك ترك اليقين بالشك ، ولكن التاجر يقول : إن لم أتجر بقيت جائعاً وعظم ضررى ، وإن اتجرت كان تعبى قليلا وربحى كثيرا ؛ وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ، ولكن يقول : ضرر مرارة الدواء قليل بالإضافة إلى ما أخافه من المرض والموت ، فكذلك من شك فى الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم أن يقول : أيام الصبر قلائل وهو منتهى العمر بالإضافة إلى مايقال من أمر الآخرة ، فان كان ماقيل فيه كذبا ؛ فما يفوتنى إلا التنعم أيام حياتى وقد كنت فى العدم من الأزل إلى الآن لا أتنعم ، فأحسب أنى بقيت فى العدم . وإن كان ماقيل صدقا ، فأبقى فى النار أبد الآباد وهذا لايطاق . ولهذا قال على كرم الله وجهه لبعض الملحدين : إن كان ماقلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا ، وإن كان ماقلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت : وما قال هذا عن شك منه فى الآخرة ولكن كلم الملحد على قدر عقله وبين له أنه وإن لم يكن متيقنا فهو مغرور .

وأما الأصل الثانى من كلامه : وهو أن الآخرة شك ، فهو أيضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان .

أحدهما : الإيمان والتصديق تقليداً للأنبياء والعلماء ، وذلك أيضا يزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام وأكثر الخواص ، ومثالهم مثال مريض لايعرف دواء علته ، وقد اتفق الأطباء وأهل الصناعة من عند آخرهم على أن دواءه النبت الفلانى فإنه يطمئن نفس المريض إلى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية ، بل يثق بقولهم ويعمل به ، ولو بقى سوادى أو معتوه يكذبهم فى ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن الأحوال أنهم أكثر منه عددا وأغزر منه فضلا وأعلم منه بالطب ، بل لاعلم له بالطب ، فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتقد كذبهم بقوله ، ولا يغتر فى علمهم بسببه ، ولو اعتمد قوله وترك قول الأطباء كان معتوها مغرورا ، فكذلك من نظر إلى المقرين بالآخرة والمخبرين عنها والقائلين بأن التقوى هو الدواء النافع فى الوصول إلى سعادتها ، وجدهم خير خلق الله وأعلاهم رتبة فى البصيرة والمعرفة والعقل ، وهم الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء واتبعهم عليه الخلق على أصنافهم ، وشذ منهم آحاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم إلى التمتع ، فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بأنهم من أهل النار فجحدوا الآخرة وكذبوا الأنبياء ، فكما أن قول الصبى وقول السوادى لايزيل طمأنينة القلب إلى ما اتفق عليه الأطباء فكذلك قول هذا الغبى الذى استرقته الشهوات لايشكك فى صحة أقوال الأنبياء والأولياء والعلماء . وهذا القدر من الإيمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لامحالة والغرور يزول به .

وأما المدرك الثانى لمعرفة الآخرة فهو الوحى للأنبياء والإلهام للأولياء ، ولا تظنن أن معرفة النبى عليه السلام لأمر الآخرة ولامور الدين تقليد لجبريل عليه السلام بالسماع منه ، كما أن معرفتك تقليد للنبى صلى الله عليه وسلم حتى تكون معرفتك مثل معرفته ، وإنما يختلف المقلد فقط وهيهات ! فإن التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والأنبياء عارفون ومعنى معرفتهم أنه كشف لهم حقيقة الأشياء كما هى عليها فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد أنت المحسوسات بالبصر الظاهر ، فيخبرون عن مشاهدة لاعن سماع وتقليد . وذلك بأن يكشف لهم عن حقيقة الروح وأنه من أمر الله تعالى وليس المراد بكونه من أمر الله الأمر الذى يقابل النهى ؟ لأن ذلك الأمر كلام والروح ليس بكلام ، وليس المراد بالأمر الشأن حتى يكون المراد به أنه من خلق الله فقط لأن ذلك عام فى جميع المخلوقات

بل العالم عالمان: عالم الأمر وعالم الخلق ، ولله الخلق والأمر ، فالأجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الأمر الخلق إذا الخلق عبارة عن التقدير فى وضع اللسان ، وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فإنه من عالم الأمر وشرح ذلك سر الروح ، ولا رخصة فى ذكره لاستضرار أكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذى منع من إفشائه. فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه ، وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه ، وإذا عرف نفسه وربه عرف أنه أمر ربانى بطبعه وفطرته ، وأنه فى العالم الجسمانى غريب وأن هبوطه إليه لم يكن بمقتضى طبعه فى ذاته بل بأمر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على آدم صلى الله عليه وسلم وعبر عنه بالمعصية وهى التى حطته عن الجنة التى هى أليق به بمقتضى ذاته فإنها فى جوار الرب تعالى ، وأنه أمر ربانى وحنينه إلى جواب الرب تعالى له طبعى ذاتى ، إلا أن يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه . ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه إذ قيل له ﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ﴾ أى الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم . يقال : فسقت الرطبة عن كمامها ؛ إذا خرجت عن معدنها الفطرى . وهذه إشارة إلى أسرار يهتز لاستنشاق روائحها العارفون وتشمئز من سماع ألفاظها القاصرون فإنها تضر بهم كما تضر رياح الورد بالجعل ، وتبهر أعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس أبصار الخفافيش . وانفتاح هذا الباب من سر القلب إلى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية ، ويسمى صاحبه وليا وعارفا ، وهى مبادى مقامات الأنبياء . وآخر مقامات الأولياء أول مقامات الأنبياء

ولنرجع إلى الغرض المطلوب فالمقصود أن غرور الشيطان بأن الآخرة شك يدفع إما بيقين تقليدى ، وأما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن ، والمؤمنين بألسنتهم وبعقائدهم إذا ضيعوا أوامر الله تعالى وهجروا الأعمال الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصى فهم مشاركون للكفار فى هذا الغرور لأنهم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة ، نعم أمرهم أخف لأن أصل الإيمان يعصمهم عن عقاب الأبد فيخرجون من النار ولو بعد حين ، ولكنهم أيضا من المغرورين فإنهم اعترفوا بأن الآخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا إلى الدنيا وآثروها ، ومجرد الإيمان لا يكفى للفوز قال تعالى ﴿ وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ﴾ وقال تعالى ﴿ إن رحمت الله قريب من المحسنين ﴾ ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه »[1] ، وقال تعالى ﴿ والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ فوعد المغفرة فى جميع كتاب الله تعالى منوط بالإيمان والعمل الصالح جميعا لا بالإيمان وحده ، فهؤلاء أيضا مغرورون أعنى المطمئنين إلى الدنيا الفرحين بها المترفين بنعيمها المحبين لها . الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة لما بعده فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا .

ولنذكر للغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين . فأما غرور الكفار بالله : فمثاله قول بعضهم فى أنفسهم وبألسنتهم : إنه لو كان لله من معاد فنحن أحق به من غيرنا ونحن أوفر حظا فيه وأسعد حالا ، كما أخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين المتحاورين إذ قال ﴿ وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا ﴾ وجملة أمرهما كما نقل فى التفسير : أن الكافر منهما بنى قصرا بألف دينار واشترى بستانا بألف دينار وخدما بألف دينار وتزوج امرأة على ألف دينار ، وفى ذلك كله يعظه المؤمن ويقول : اشتريت قصرا يفنى ويخرب ألا اشتريت قصرا فى الجنة لا يفنى ! واشتريت بستانا يخرب ويفنى ألا اشتريت بستانا فى الجنة لا يفنى وخدما لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا تموت ! وفى كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول : ماهناك شىء وما

(١) حديث « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه » متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم .

قيل من ذلك فهو أكاذيب ! وإن كان فليكونن لى فى الجنة خير من هذا . وكذلك وصف الله تعالى قول العاص ابن وائل إذ يقول ﴿ لأوتين مالا وولدا ﴾ فقال الله تعالى ردا عليه ﴿ أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا ﴾ وروى عن خباب بن الأرت أنه قال : كان لى على العاص بن وائل دين فجئت أتقاضاه فلم يقض لى فقلت : إنى آخذه فى الآخرة ؛ فقال لى : إذا صرت إلى الآخرة فإن لى هناك مالا وولدا أقضيك منه . فأنزل الله تعالى قوله ﴿ أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا [1] ﴾ وقال الله تعالى ﴿ ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربى إنّ لى عنده للحسنى ﴾ وهذا كله من الغرور بالله.

وسببه قياس من أقيسة إبليس نعوذ بالله منه ، وذلك أنهم ينظرون مرة إلى نعم الله عليهم فى الدنيا فيقيسون عليها نعمة الآخرة ، وينظرون مرة إلى تأخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى ﴿ ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ﴾ فقال تعالى جوابا لقولهم ﴿ حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ﴾ ومرة ينظرون إلى المؤمنين ؛ وهم فقراء شعث غبر فيزدرون بهم ويستحقرونهم ، فيقولون ﴿ أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا ﴾ ويقولون ﴿ لو كان خيرا ماسبقونا إليه ﴾ وترتيب القياس الذى نظمه فى قلوبهم أنهم يقولون : قد أحسن الله إلينا بنعيم الدنيا ، وكل محسن فهو محب ، وكل محب فإنه يحسن أيضا فى المستقبل كما قال الشاعر :

لقد أحسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقى

وإنما يقيس المستقبل على الماضى بواسطة الكرامة والحب إذ يقول : لولا أنى كريم عند الله ومحبوب لما أحسن إلى . والتلبيس تحت ظنه أن كل محسن محب ، لابل تحت ظنه أنّ إنعامه عليه فى الدنيا إحسان ، فقد اغتر بالله إذ ظن أنه كريم عنده بدليل لايدل على الكرامة بل عند ذوى البصائر يدل على الهوان . ومثاله : أن يكون للرجل عبدان صغيران يبغض أحدهما ويحب الآخر ، فالذى يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الأدب، ويمنعه من الفواكه وملاذ الأطعمة التى تضره ، ويسقيه الأدوية التى تنفعه . والذى يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولايدخل المكتب ويأكل كل مايشتهى ، فيظن هذا العبد المهمل أنه عند سيده محبوب كريم لأنه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع أغراضه فلا يمنعه ولم يحجر عليه ، وذلك محض الغرور ، وهكذا نعيم الدنيا ولذتها فإنها مهلكات ومبعدات من الله ، فإن الله يحمى عبده من الدنيا وهو يحبه كما يحمى أحدكم مريضه من الطعام والشراب وهو يحبه [2] ، هكذا ورد فى الخبر عن سيد البشر .

وكان أرباب البصائر إذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا : ذنب عجلت عقوبته ورأوا ذلك علامة المقت والإهمال ، وإذا أقبل عليهم الفقر قالوا : مرحبا بشعار الصالحين . والمغرور إذا أقبلت عليه الدنيا ظنّ أنها كرامة من الله ، وإذا صرفت عنه ظن أنها هوان ، كما أخبر الله تعالى عنه إذ قال ﴿ فأما الإنسان إذا ماابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن ﴾ فأجاب الله عن ذلك ﴿ كلا ﴾ أى ليس كما قال إنما هو ابتلاء نعوذ بالله من شر البلاء ونسأل الله التثبيت ، فبين أنّ ذلك غرور . قال الحسن كذبهما جميعا بقوله ﴿ كلا ﴾ يقول ليس هذا بإكرامى ولا هذا بهوانى ، ولكنّ الكريم من أكرمته بطاعتى غنيا كان أو فقيرا ، والمهان من أهنته بمعصيتى غنيا كان أو فقيرا .

---

(١) حديث : خباب بن الأرت ، قال كان لى على العاص بن وائل دين فجئت أتقاضاه . الحديث . فى نزول قوله تعالى ﴿ أفرأيت الذى كفر بآياتنا ﴾ الآية أخرجه البخارى ومسلم (٢) حديث « إن الله يحمى عبده من الدنيا وهو يحبه ... الحديث » أخرجه الترمذى وحسنه والحاكم وصححه من حديث قتادة بن النعمان .

وهذا الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان إما بالبصيرة أو بالتقليد (أما البصيرة) فبأن يعرف وجه كون الالتفات إلى شهوات الدنيا مبعد عن الله ووجه كون التباعد عنها مقربا إلى الله ويدرك ذلك بالإلهام فى منازل العارفين والأولياء ، وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة (وأما معرفته بطريق التقليد والتصديق) فهو أن يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله وقد قال تعالى ﴿ أيحسبون أن ما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لايشعرون ﴾ وقال تعالى ﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴾ وقال تعالى ﴿ فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذاهم مبلسون ﴾ وفى تفسير قوله تعالى ﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴾ أنهم كلما أحدثوا ذنبا أحدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى ﴿ إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ﴾ وقال تعالى ﴿ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ﴾ إلى غير ذلك مما ورد فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ، فمن آمن به تخلص من هذا الغرور فإن منشأ هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته ، فإن من عرفه لا يأمن مكره ولا يغتر بأمثال هذه الخيالات الفاسدة ، وينظر إلى فرعون وهامان وقارون وإلى ملوك الأرض وما جرى لهم كيف أحسن الله إليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا ! فقال تعالى ﴿ هل تحس منهم من أحد ﴾ الآية وقد حذر الله تعالى من مكره واستدراجه فقال ﴿ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ وقال تعالى ﴿ ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون ﴾ وقال عزوجل ﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ﴾ وقال تعالى ﴿ إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا ﴾ فكما لايجوز للعبد المهمل أن يستدل بإهمال السيد إياه وتمكينه من النعم على حب السيد ، بل ينبغى أن يحذر أن يكون ذلك مكرا منه وكيدا مع أنّ السيد لم يحذره مكر نفسه ، فبأن يجب ذلك فى حق الله تعالى مع تحذيره استدراجه أولى ، فإذن من أمن مكر الله فهو مغتر ، ومنشأ هذا الغرور أنه استدل بنعم الدنيا على أنه كريم عند ذلك المنعم ، واحتمل أن يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لايوافق الهوى ، فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب إلى مايوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حدّ الغرور .

(المثال الثانى) غرور العصاة من المؤمنين بقولهم : إن الله كريم وإنا نرجو عفوه ، واتكالهم على ذلك وإهمالهم الأعمال وتحسين ذلك بتسمية تمنيهم واغترارهم رجاء ، وظنهم أنّ الرجاء مقام محمود فى الدين وأنّ نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم ، وأين معاصى العباد فى بحار رحمته وإنا موحدون ومؤمنون ؟ فنرجوه بوسيلة الإيمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بصلاح الآباء وعلو رتبتهم ، كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفة سيرة آبائهم فى الخوف والتقوى والورع ، وظنهم أنهم أكرم على الله من آبائهم إذ آباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين ، وهم مع غاية الفسق والفجور آمنون . وذلك نهاية الاغترار بالله تعالى . فقياس الشيطان للعلوية . أنّ من أحب إنسانا أحب أولاده وأن الله قد أحب آباءكم فيحبكم فلا تحتاجون إلى الطاعة ، وينسى المغرور أنّ نوحا عليه السلام أراد أن يستصحب ولده معه فى السفينة فلم يرد فكان من المغرقين ﴿ فقال رب إن ابنى من أهلى ﴾ فقال تعالى ﴿ يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ﴾ وأن إبراهيم عليه السلام استغفر لأبيه فلم ينفعه . وأنّ نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفى استأذن ربه فى أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له فى الزيارة ولم يؤذن له فى الاستغفار ، فجلس يبكى على قبر أمه لرقته لها بسبب القرابة حتى أبكى من حوله [1] فهذا أيضاً اغترار بالله تعالى وهذا لأن الله

(١) حديث : أنه صلى الله عليه وسلم استأذن ان يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له فى الزيارة ولم يؤذن له الاستغفار . الحديث أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة .

تعالى يحب المطيع ويبغض العاصى ، فكما أنه لايبغض الأب المطيع ببغضه للولد العاصى فكذلك لايحب الولد العاصى بحبه للأب المطيع ، ولو كان الحب يسرى من الأب إلى الولد لأوشك أن يسرى البغض أيضا بل الحق أن لاتزر وازرة وزر أخرى . ومن ظن أنه ينجو بتقوى أبيه كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه ويروى بشرب أبيه ، ويصير عالما بتعلم أبيه ويصل إلى الكعبة ويراها بمشى أبيه . فالتقوى فرض عين فلا يجزى فيه والد عن ولده شيئا وكذا العكس ، وعند الله جزاء التقوى ﴿ يوم يفرّ المرء من أخيه وأمه وأبيه ﴾ إلا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتدّ غضب الله عليه فيأذن فى الشفاعة له ـ كما سبق فى كتاب الكبر والعجب .

فإن قلت : فأين الغلط فى قول العصاة والفجار إن الله كريم وإنا نرجو رحمته ومغفرته ، وقد قال أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى خيرا ، فما هذا إلا كلام صحيح مقبول الظاهر فى القلوب ؟ فاعلم أن الشيطان لايغوى الإنسان إلا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ، ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم كشف عن ذلك فقال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله [1] » وهذا هو التمنى على الله تعالى غير الشيطان اسمه فسماه : رجاء ، حتى خدع به الجهال . وقد شرح الله الرجاء فقال ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ﴾ يعنى أنّ الرجاء بهم أليق وهذا لأنه ذكر أنّ ثواب الآخرة أجر وجزاء على الأعمال قال الله تعالى ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ وقال تعالى ﴿ وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ﴾ أفترى أنّ من استؤجر على إصلاح أوان وشرط له أجرة عليها وكان الشارط كريما يفى بالوعد مهما وعد ولايخلف بل يزيد ، فجاء الأجير وكسر الأوانى وأفسد جميعها ثم جلس ينتظر الأجر ويزعم أنّ المستأجر كريم ، أفيراه العقلاء فى انتظاره متمنيا مغرورا أو راجيا ؟ وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء والغرّة . قيل للحسن : قوم يقولون نرجو الله ويضيعون العمل فقال : هيهات هيهات ! تلك أمانيهم يترجحون فيها ، من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه . وقال مسلم بن يسار : لقد سجدت البارحه حتى سقطت ثنيتاى ! فقال له رجل : إنا لنرجو الله ! فقال مسلم : هيهات هيهات ؟ من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه . وكما أن الذى يرجو فى الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح أو نكح ولم يجامع أو جامع ولم ينزل ! فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن أو آمن ولم يعمل صالحا أو عمل ولم يترك المعاصى فهو مغرور . فكما أنه إذا نكح ووطئ وأنزل بقى مترددا فى الولد يخاف ويرجو فضل الله فى خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الأم إلى أن يتم فهو كيس ، فكذلك إذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقى مترددا بين الخوف والرجاء يخاف أن لايقبل منه وأن لايدوم عليه وأن يختم له بالسوء ، ويرجو من الله تعالى أن يثبته بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ، ويحرس قلبه عن الميل إلى الشهوات بقية عمره حتى لايميل إلى المعاصى فهو كيس ، ومن عدا هؤلاء فهم المغرورون بالله ﴿ وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا ـ ولتعلمن نبأه بعد حين ﴾ وعند ذلك يقولون كما أخبر الله عنهم ﴿ ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون ﴾ أى علمنا أنه كما لايولد إلا بوقاع ونكاح ولاينبت زرع إلا بحراثة وبث بذر ، فكذلك لايحصل فى الآخرة ثواب وأجر إلا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الآن صدقك فى قولك ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ـ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير ﴾ أى ألم نسمعكم سنة الله فى عباده وأنه ﴿ توفى

(١) حديث : الكيس من دان نفسه تقدم قريبا .

كل نفس ما كسبت ﴾ وأن ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ فما الذى غركم بالله بعد أن سمعتم وعقلتم ؟ ﴿ قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير ﴾ .

فإن قلت : فأين مظنة الرجاء وموضعه المحمود ؟ فاعلم أنه محمود فى موضعين :

أحدهما : فى حق العاصى المنهمك إذا خطرت له التوبة فقال له الشيطان : وأنى تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله تعالى ﴿ فيجب عند هذا أن يقمع القنوط بالرجاء ويتذكر ﴿ إنّ الله يغفر الذنوب جميعا ﴾ وأنّ الله كريم يقبل التوبة عن عباده وأنّ التوبة طاعة تكفر الذنوب قال الله تعالى ﴿ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وانيبوا إلى ربكم ﴾ أمرهم بالإنابة وقال تعالى ﴿ وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ﴾ فإذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج ، وإن توقع المغفرة مع الإصرار فهو مغرور ، كما أن من ضاق عليه وقت الجمعة وهو فى السوق فخطر له أن يسعى إلى الجمعة فقال له الشيطان : إنك لاتدرك الجمعة فأقم على موضعك فكذب الشيطان ومر يعدو وهو يرجو أن يدرك الجمعة فهو راج ، وإن استمر على التجارة وأخذ يرجو تأخير الإمام للصلاة لأجله إلى وسط الوقت أو لأجل غيره أو لسبب من الأسباب التى لايعرفها فهو مغرور .

الثانى : أن تفتر نفسه عن فضائل الأعمال ويقتصر على الفرائض فيرجى نفسه نعيم الله تعالى وماوعد به الصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ﴾ إلى قوله ﴿ أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴾ فالرجاء الأول : يقمع القنوط المانع من التوبة ، والرجاء الثانى : يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمر ، فكل توقع حث على توبة أو على تشمر فى العبادة فهو رجاء ، وكل رجاء أوجب فتورا فى العبادة وركونا إلى البطالة فهو غرة ، كما إذا خطر له أن يترك الذنب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان : مالك ولإيذاء نفسك وتعذيبها ولك رب كريم غفور رحيم ؟ فيفتر بذلك عن التوبة والعبادة فهو غرة ، وعند هذا واجب على العبد أن يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه ويقول : إنه مع أنه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ، وإنه مع أنه كريم خلد الكفار فى النار أبدا الآباد ، مع أنه لم يضره كفرهم ، بل سلط العذاب والمحن والأمراض والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده فى الدنيا وهو قادر على إزالتها ، فمن هذه سنته فى عباده وقد خوفنى عقابه فكيف لا أخافه وكيف أغتر به ؟ .

فالخوف والرجاء قائدان وسائقان يبعثان الناس على العمل ، فما لايبعث على العمل فهو تمن وغرور . ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب إقبالهم على الدنيا وسبب إعراضهم عن الله تعالى وإهمالهم السعى للآخرة ، فذلك غرور فقد أخبر صلى الله عليه وسلم وذكر أن الغرور سيغلب على قلوب آخر هذه الأمة [1] وقد كان ماوعد به صلى الله عليه وسلم فقد كان الناس فى الأعصار الأول يواظبون على العبادات ويؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ، يخافون على أنفسهم وهم طول الليل والنهار فى طاعة الله يبالغون فى التقوى والحذر من الشبهات والشهوات ويبكون على أنفسهم فى الخلوات . وأما الآن فترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع إكبابهم على المعاصى وانهماكهم فى الدنيا وإعراضهم عن الله تعالى ، زاعمين أنهم واثقون بكرم الله تعالى وفضله ، راجون

(١) حديث « إن الغرور يغلب على آخر هذه الأمة » تقدم فى آخر ذم الكبر والعجب وهو حديث أبى ثعلبة . فى إعجاب كل ذى رأى برأيه .

لعفوه ومغفرته ، كأنهم يزعمون أنهم عرفوا من فضله وكرمه مالم يعرفه الأنبياء والصحابة والسلف الصالحون . فإن كان هذا الأمر يدرك بالمنى وينال بالهوينى فعلام إذن كان بكاء أولئك وخوفهم وحزنهم ؟ وقد ذكرنا تحقيق هذه الأمور فى كتاب الخوف والرجاء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه معقل بن يسار « يأتى على الناس زمان يخلق فيه القرآن فى قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الأبدان أمرهم كله يكون طمعا لا خوف معه ، إن أحسن أحدهم قال : يتقبل منى ، وإن أساء قال : يغفر لى [1] » فأخبر أنهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن وما فيه . وبمثله أخبر عن النصارى إذ قال تعالى ﴿ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا ﴾ ومعناه أنهم ﴿ ورثوا الكتاب ﴾ أى هم علماء ﴿ ويأخذون عرض هذا الأدنى ﴾ أى شهواتهم من الدنيا حراما كان أو حلالا . وقد قال تعالى ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ـ ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد ﴾ والقرآن من أوله إلى آخره تحذير وتخويف ، لا يتفكر فيه متفكر إلا ويطول حزنه ويعظم خوفه إن كان مؤمنا بما فيه . وترى الناس يهذونه هذا ، يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها وكأنهم يقرءون شعرا من أشعار العرب لا يهمهم الالتفات إلى معانيه والعمل بما فيه . وهل فى العالم غرور يزيد على هذا ؟ فهذه أمثلة الغرور بالله وبيان الفرق بين الرجاء والغرور ، ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاص إلا أن معاصيهم أكثر ، وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أنهم ترجح كفة حسناتهم مع أن ما فى كفة السيئات أكثر ، وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من أموال المسلمين والشبهات أضعافه ، ولعل ما تصدق به من أموال المسلمين ! وهو يتكل عليه ويظن أن أكل ألف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحرام أو الحلال ، وما هو إلا كمن وضع عشرة دراهم فى كفة ميزان وفى الكفة الأخرى ألفا وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله . نعم ومنهم من يظن أن طاعاته أكثر من معاصيه لأنه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه ، وإذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذى يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله فى اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق أعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ، ويكون نظره إلى عدد سبحته أنه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذى لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة أو ألف مرة ، وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعده الله بالعقاب على كل كلمة فقال ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ فهذا أبدا يتأمل فى فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت إلى ما ورد من عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين ، يظهرون من الكلام ما لا يضمرونه إلى غير ذلك من آفات اللسان . وذلك محض الغرور . ولعمرى لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذى زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته ، وما نطق به فى فتراته كان يعده ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته ، حتى لا يفضل عليه أجرة نسخه ! فيا عجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط يفوته فى الأجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا من فوت الفردوس الأعلى ونعيمه ! ما هذه إلا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها ! لقد دفعنا إلى أمر إن شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وإن صدقنا به كنا من الحمق المغرورين ! فما هذه أعمال من يصدق بما جاء به القرآن ، وإنا نبرأ إلى الله أن نكون من أهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان ،

---

(١) حديث : معقل بن يسار « يأتى على الناس زمان يخلق فيه القرآن فى قلوب الرجال الحديث » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس نحوه بسند فيه جهالة ولم أره من حديث معقل .

وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب أن يخشى ويتقى ولايغتر به اتكالا على أباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى ، والله أعلم .

بيان أصناف المغترين وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف

الصنف الأول : أهل العلم والمغترون منهم فرق :

(ففرقة) أحكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصى وإلزامها الطاعات ، واغتروا بعلمهم وظنوا أنهم عند الله بمكان وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغا لايعذب الله مثلهم، بل يقبل فى الخلق شفاعتهم ، وأنه لايطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون ، فإنهم لو نظروا بعين البصيرة علموا أنّ العلم علمان : علم معاملة ، وعلم مكاشفة ؛ وهو العلم بالله وبصفاته ، المسمى بالعادة : علم المعرفة .

فأما العلم بالمعاملة : كمعرفة الحلال والحرام ، ومعرفة أخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها ، فهى علوم لا تراد إلا للعمل ولولا الحاجة إلى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة ، وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل . فمثال هذا : كمريض به علة لا يزيلها إلا دواء مركب من أخلاط كثيرة لا يعرفها إلا حذاق الأطباء ، فيسعى فى طلب الطبيب بعد أن هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل له الأخلاط وأنواعها ومقاديرها ومعادنها التى منها تجتلب ، وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية خلطه وعجنه ، فتعلم ذلك وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع إلى بيته وهو يكررها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها ، أفترى أنّ ذلك يغنى عنه من مرضه شيئا ؟ هيهات هيهات ! لو كتب منه ألف نسخة وعلمه ألف مريض حتى شفى جميعهم وكرره كل ليلة ألف مرة لم يغنه ذلك من مرضه شيئا ، إلا أن يزن الذهب ويشترى الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ، ويكون شربه فى وقته وبعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه ، وإذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف إذا لم يشربه أصلا ؟ فمهما ظن أنّ ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره . وهكذا الفقيه الذى أحكم علم الطاعات ولم يعملها وأحكم علم المعاصى ولم يجتنبها وأحكم علم الأخلاق المذمومة ومازكى نفسه منها وأحكم علم الأخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور ، إذ قال تعالى ﴿قد أفلح من زكاها﴾ ولم يقل قد أفلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علم ذلك وعلمه الناس ! وعند هذا يقول له الشيطان : لا يغرنك هذا المثال فإنّ العلم بالدواء لا يزيل المرض ، وإنما مطلبك القرب من الله وثوابه والعلم يجلب الثواب ، ويتلو عليه الأخبار الواردة فى فضل العلم. فإن كان المسكين معتوها مغرورا وافق ذلك مراده وهواه فاطمأنّ إليه وأهمل العمل ، وإن كان كيسا فيقول للشيطان : أتذكرنى فضائل العالم وتنسينى ما ورد فى العالم الفاجر الذى لا يعمل بعلمه كقوله تعالى ﴿فمثله كمثل الكلب﴾ وكقوله تعالى ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾ فأى خزى أعظم من التمثيل بالكلب والحمار ؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم « من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعدا [1] » وقال أيضا « يلقى العالم فى النار فتندلق أقتابه فيدور بها فى النار كما يدور الحمار فى الرحى [2] » وكقوله عليه الصلاة والسلام « شر الناس العلماء السوء [3] » وقول أبى الدرداء : ويل للذى لا يعلم مرة ولو شاء الله لعلمه وويل للذى يعلم ولا يعمل سبع مرات ، أى أنّ العلم حجة عليه إذ يقال له : ماذا عملت فيما علمت وكيف قضيت شكر الله ؟

---

(١) حديث « من ازداد علما ولم يزدد هدى ... الحديث » تقدم فى العلم (٢) حديث « يلقى العالم فى النار فتندلق أقتابه ... الحديث » تقدم غير مرة (٣) حديث « شر الناس علماء السوء » تقدم فى العلم .

وقال صلى الله عليه وسلم « أشدّ الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه [١] » فهذا وأمثاله مما أوردناه فى كتاب العلم فى باب علامة علماء الآخرة أكثر من أن يحصى ، إلا أن هذا فيما لا يوافق هوى العالم الفاجر ، وما ورد فى فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه إلى ما يهواه وذلك عين الغرور ، فإنه إن نظر بالبصيرة فمثاله ماذكرناه، وإن نظر بعين الإيمان فالذى أخبره بفضيلة العلم هو الذى أخبره بذم العلماء السوء وأن حالهم عند الله أشدّ من حال الجهال . فبعد ذلك اعتقاده أنه على خير مع تأكد حجة الله عليه غاية الغرور .

وأما الذى يدعى علوم المكاشفة : كالعلم بالله وبصفاته وأسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع أمر الله وحدوده فغروره أشدّ ، ومثاله مثال من أراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف أخلاقه وأوصافه ولونه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يتعرف ما يحبه ويكرهه وما يغضب عليه وما يرضى به ، أو عرف ذلك إلا أنه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما يغضب به عليه ، وعاطل عن جميع مايحبه من زى وهيئة وكلام وحركة وسكون ، فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخاً بجميع ما يكرهه الملك ، عاطلا عن جميع مايحبه ، متوسلا إليه بمعرفته له ولنسبه واسمه وبلده وصورته وشكله وعادته فى سياسة غلمانه ومعاملة رعيته . فهذا مغرور جدا إذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمعرفته فقط ومعرفة ما يكرهه ويحبه لكان ذلك أقرب إلى نيله المراد من قربه والاختصاص به ، بل تقصيره فى التقوى واتباعه للشهوات يدل على أنه لم ينكشف له من معرفة الله إلا الأسامى دون المعانى ، إذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه واتقاه . فلا يتصوّر أن يعرف الأسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه ، وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : خفنى كما تخاف السبع الضارى . نعم من يعرف من الأسد لونه وشكله واسمه قد لا يخافه وكأنه ما عرف الأسد ، فمن عرف الله تعالى عرف من صفاته أنه يهلك العالمين ولا يبالى ، ويعلم أنه مسخر فى قدرة من لو أهلك مثله آلافا مؤلفة وأبد عليهم العذاب أبد الآباد لم يؤثر ذلك فيه أثرا ولم تأخذه عليه رقة ولا اعتراه عليه جزع . ولذلك قال تعالى ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وفاتحة الزبور « رأس الحكمة خشية الله » وقال ابن مسعود : كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا . واستفتى الحسن عن مسألة فأجاب فقيل له : إن فقهاءنا لا يقولون ذلك ، فقال : وهل رأيت فقيها قط ؟ الفقيه القائم ليلة الصائم نهاره الزاهد فى الدنيا . وقال مرة : الفقيه لا يدارى ولا يمارى ينشر حكمة الله فإن قبلت منه حمد الله وإن ردت عليه حمد الله . فإذن الفقيه من فقه عن الله أمره ونهيه وعلم من صفاته ما أحبه وما كرهه وهو العالم ﴿ ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ﴾ وإذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين .

(وفرقة أخرى) أحكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصى ، إلا أنهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا الصفات المذمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلاء وإرادة السوء للأقران والنظراء وطلب الشهرة فى البلاد والعباد ، وربما لم يعرف بعضهم أن ذلك مذموم فهو مكب عليها غير متحرز عنها ولا يلتفت إلى قوله صلى الله عليه وسلم « أدنى الرياء شرك [٢] » وإلى قوله عليه السلام « لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرّة من كبر [٣] » وإلى قوله عليه الصلاة والسلام « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب [٤] » وإلى قوله عليه الصلاة والسلام « حب الشرف والمال ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل [٥] » إلى

---

(١) حديث « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله تعالى بعلمه » تقدم فيه . (٢) حديث « أدنى الرياء شرك » تقدم فى ذم الجاه والرياء (٣) حديث لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر » تقدم غير مرة (٤) حديث « الحسد يأكل الحسنات ... الحديث » تقدم فى العلم وغيره (٥) حديث « حب الشرف والمال ينبتان النفاق فى القلب ... الحديث » تقدم

غير ذلك من الأخبار التي أوردناها في جميع ربع المهلكات في الأخلاق المذمومة . فهؤلاء زينوا ظواهرهم وأهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « إن الله لاينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم [1] » فتعهدوا الأعمال وما تعهدوا القلوب — والقلب هو الأصل — إذ لاينجو إلا من أتى الله بقلب سليم . ومثال هؤلاء كبئر الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ، أو كقبور الموتى ظاهرها مزين وباطنها جيفة ، أو كبيت مظلم باطنه وضع سراج على سطحه فاستنار ظاهره وباطنه مظلم ، أو كرجل قصد الملك ضيافته إلى داره فجصص باب داره وترك المزابل في صدر داره ، ولا يخفى أن ذلك غرور ، بل أقرب مثالي إليه : رجل زرع زرعا فنبت ونبت معه حشيش يفسده ، فأمر بتنقية الزرع عن الحشيش بقلعه من أصله ، فأخذ يجز رءوسه وأطرافه فلا تزال تقوى أصوله فتنبت ، لأن مغارس المعاصي هي الأخلاق الذميمة في القلب ، فمن لايطهر القلب منها لاتتم له الطاعات الظاهرة إلا مع الآفات الكثيرة . بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد أمر بالطلاء وشرب الدواء ، فالطلاء ليزيل ماعلى ظاهره والدواء ليقطع مادته من باطنه ، فقنع بالطلاء وترك الدواء ، وبقي يتناول مايزيد في المادة ، فلا يزال يطلي الظاهر والجرب دائم به يتفجر من المادة التي في الباطن .

(وفرقة أخرى) علموا أنّ هذه الأخلاق الباطنة مذمومة من جهة الشرع ، إلا أنهم لعجبهم بأنفسهم يظنون أنهم منفكون عنها وأنهم أرفع عند الله من أن يبتليهم بذلك ، وإنما يبتلي به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم ، فأما هم فأعظم عند الله من أن يبتليهم ، ثم إذا ظهر عليهم مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قالوا : ماهذا كبر وإنما هو طلب عز الدين وإظهار شرف العلم ونصرة دين الله وإرغام أنف المخالفين من المبتدعين ! وإني لو لبست الدون من الثياب وجلست في الدون من المجالس لشمت بي أعداء الدين وفرحوا بذلك ، وكان ذلي ذلا على الإسلام ونسي المغرور أن عدوه الذي حذره منه مولاه هو الشيطان ، وأنه يفرح بما يفعله ويسخر به ، وينسى أنّ النبي صلى الله عليه وسلم بماذا نصر الدين وبماذا أرغم الكافرين ؟ ونسي ماروي عن الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والمسكنة ، حتى عوتب عمر رضي الله عنه في بذاذة زيه عند قدومه إلى الشام فقال : إناقوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والديبق والإبريسم — المحرم — والخيول والمراكب ويزعم أنه يطلب به عز العلم وشرف الدين ! وكذلك مهما أطلق اللسان بالحسد في أقرانه أو فيمن رد عليه شيئا من كلامه لم يظنّ بنفسه أنّ ذلك حسد ولكن قال : إنما هذا غضب للحق ورد على المبطل في عدوانه وظلمه ، ولم يظن بنفسه الحسد ، حتى يعتقد أنه لو طعن في غيره من أهل العلم أو منع غيره من رياسة وزوحم فيها هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله ؟ أم لايغضب مهما طعن في عالم آخر ومنع ؟ بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لأقرانه من خبث باطنه ، وهكذا يرائي بأعماله وعلومه وإذا خطر له خاطر الرياء قال : هيهات ! إنما غرضي من إظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا إلى دين الله تعالى فيتخلصوا من عقاب الله تعالى ، ولا يتأمل المغرور أنه ليس يفرح باقتداء الخلق بغيره كما يفرح باقتدائه به ، فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان ـ كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم فإنه لا يفرق بين أن يحصل شفاؤهم على يده أو على يد طبيب آخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان أيضا ويقول : إنما ذلك لأنهم إذا اهتدوا بي كان الأجر لي والثواب لي فإنما فرحي بثواب الله لا بقبول الخلق قولي ! هذا مايظنه

(١) حديث « إن الله لاينظر إلى صوركم ... الحديث » تقدم

بنفسه والله مطلع من ضميره على أنه لو أخبره نبي بأن ثوابه في الخمول وإخفاء العلم أكثر من ثوابه في الإظهار ، وحبس مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل لاحتال في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع إلى موضعه الذي به تظهر رياسته من تدريس أو وعظ أو غيره ، وكذلك يدخل على السلطان ويتودد إليه ويثني عليه ويتواضع له، وإذا خطر له أن التواضع للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان : هيهات ! إنما ذلك عند الطمع في مالهم فأما أنت فغرضك أن تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر أعدائك عن نفسك ! والله يعلم من باطنه أنه لو ظهر لبعض أقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفعه في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين ثقل ذلك عليه ، ولو قدر على أن يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه والكذب عليه لفعل . وكذلك قد ينتهي غرور بعضهم إلى أن يأخذ من مالهم وإذا خطر له أنه حرام قال له الشيطان : هذا مال لامالك له وهو لمصالح المسلمين وأنت إمام المسلمين وعالمهم وبك قوام الدين ! أفلا يحل لك أن تأخذ قدر حاجتك ؟ .

فيغتر بهذا التلبيس في ثلاثة أمور (احدها) في أنه مال لامالك له فإنه يعرف أنه يأخذ الخراج من المسلمين وأهل السواد ، والذين أخذ منهم أحياء وأولادهم وورثتهم أحياء ، وغاية الأمر وقوع الخلط في أموالهم ، ومن غصب مائة دينار من عشرة أنفس وخالطها فلا خلاف في أنه مال حرام ، ولايقال هو مال لامالك له ، ويجب أن يقسم بين العشرة ويرد إلى كل واحد عشرة ، وإن كان مال كل واحد قد اختلط بالآخر (الثاني والثالث) في قوله إنك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ؛ ولعل الذين فسد دينهم واستحلوا أموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والإعراض عن الآخرة بسببه أكثر من الذين زهدوا في الدنيا ورفضوها وأقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا إمام الدين . إذ الإمام : هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الدنيا والإقبال على الله كالأنبياء عليهم السلام والصحابة وعلماء السلف . والدجال : هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الله والإقبال على الدنيا . فلعل موت هذا انفع للمسلمين من حياته وهو يزعم أنه قوام الدين . ومثله كما قال المسيح عليه السلام للعالم السوء : إنه كصخرة وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولاهي تترك الماء يخلص إلى الزرع . وأصناف غرور أهل العلم في هـــذه الأعصار المتأخرة خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير .

(وفرقة أخرى) أحكموا العلم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظواهر المعاصي ، وتفقدوا أخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والحقد والكبر وطلب العلو ، وجاهدوا أنفسهم في التبري منها وقلعوا من القلوب منابتها الجلية القوية ، ولكنهم بعد مغرورون ؛ إذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكايد الشيطان وخبايا خداع النفس مادق وغمض مدركه فلم يفطنوا لها واهملوها ، وإنما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش ، فدار عليه وفتش عن كل حشيش رآه فقلعه ، إلا أنه لم يفتش على مالم يخرج رأسه بعد من تحت الارض وظن أن الكل قد ظهر وبرز ، وكان قد نبت من أصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فأهملها وهو يظن أنه قد اقتلعها ، فإذا هو بها في غفلته وقد نبتت وقويت وأفسدت أصول الزرع من حيث لايدري . فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد للدفائن فتراه يسهر ليله ونهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين ألفاظها وجمع التصانيف فيها ، وهو يرى أنّ باعثه الحرص على إظهار دين الله ونشر شريعته . ولعل باعثه الخفي هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الأطراف ، وكثرة الرحلة إليه من الآفاق ، وانطلاق الألسنة عليه

بالثناء ، والمدح بالزهد والورع والعلم ، والتقديم له فى المهمات وإيثاره فى الأغراض ، والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الإصغاء عند حسن اللفظ والإيراد ، والتمتع بتحريك الرءوس إلى كلامه والبكاء عليه والتعجب منه ، والفرح بكثرة الأصحاب والأتباع والمستفيدين ، والسرور بالتخصص بهذه الخاصية من بين سائر الأقران والأشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد ، والتمكن به من إطلاق لسان الطعن فى الكافة المقبلين على الدنيا ، لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن إدلال بالتمييز واعتداد بالتخصيص . ولعل هذا المسكين المغرور حياته فى الباطن بما انتظم له من أمر وإمارة وعز وانقياد وتوقير وحسن ثناء ، فلو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من أعماله فعساه يتشوش عليه قلبه وتختلط أوراده ووظائفه . وعساه يعتذر بكل حيلة لنفسه ، وربما يحتاج إلى أن يكذب فى تغطية عيبه . وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وإن كان قد اعتقد فيه فوق قدره ، وينبو قلبه عمن عرف حد فضله وورعه وإن كان ذلك على وفق حاله وعساه يؤثر بعض أصحابه على بعض وهو يرى أنه يؤثره لتقدمه فى الفضل والورع ، وإنما ذلك لأنه أطوع له وأتبع لمراده وأكثر ثناء عليه وأشد إصغاء إليه وأحرص على خدمته ولعلهم يستفيدون منه ويرغبون فى العلم وهو يظن أن قبولهم له لإخلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه من منافع خلقه ، ويرى أن ذلك مكفر لذنوبه ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية فيه . وعساه لو وعد بمثل ذلك الثواب فى إيثاره الخمول والعزلة وإخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده فى العزلة ولاختفاء لذة القبول وعزة الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان : من زعم من بنى آدم أنه بعلمه امتنع منى فبجهله وقع فى حبائلى . وعساه يصنف ويجتهد فيه ظانا أنه يجمع علم الله لينتفع به وإنما يريد به استطارة اسمه بحسن التصنيف ، فلو ادعى مدع تصنيفه ومحا عنه اسمه ونسبه إلى نفسه ثقل عليه ذلك مع علمه بأن ثواب الاستفادة من التصنيف إنما يرجع إلى المصنف والله يعلم بأنه هو المصنف لا من ادعاه ، ولعله فى تصنيفه لا يخلو من الثناء على نفسه إما صريحا بالدعاوى الطويلة العريضة وإما ضمناً بالطعن فى غيره ، ليستبين من طعنه فى غيره ، أنه أفضل ممن طعن فيه وأعظم منه علما ولقد كان فى غنية عن الطعن فيه ، ولعله يحكى من الكلام المزيف ما يزيد تزييفه فيعزيه إلى قائله وما يستحسنه فلعله لا يعزيه إليه ليظن أنه من كلامه ، فينقله بعينه كالسارق له أو يغيره أدنى تغيير كالذى يسرق قميصا فيتخذه قباء حتى لا يعرف أنه مسروق ، ولعله يجتهد فى تزيين ألفاظه وتسجيعه وتحسين نظمه كيلا ينسب إلى الركاكة ويرى أن غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون أقرب إلى نفع الناس . وعساه غافلا عما روى أن بعض الحكماء وضع ثلثمائة مصحف فى الحكمة فأوحى الله إلى نبى زمانه قل له قد ملأت الأرض نفاقا وإنى لا أقبل من نفاقك شيئا . ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين إذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه فلو افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من أصحابه نظر كل واحد إلى كثرة من يتبعه وأنه أكثر تبعا أو غيره فيفرح إن كان أتباعه أكثر وإن علم أن غيره أحق بكثرة الأتباع منه ، ثم إذا تفرقوا واشتغلوا بالإفادة تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف إلى واحد منهم إذا انقطع عنه إلى غيره ثقل على قلبه ووجد فى نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه لإكرامه ولا يتشمر لقضاء حوائجه كما كان يتشمر من قبل ، ولا يحرص على الثناء عليه كما أثنى مع علمه بأنه مشغول بالاستفادة ، ولعل التحيز منه إلى فئة أخرى كان أنفع له فى دينه لآفة من الآفات كانت تلحقه فى هذه الفئة وسلامته عنها فى تلك الفئة ، ومع ذلك لا تزول النفرة عن قلبه ، ولعل واحدا منهم إذا تحركت فيه مبادئ الحسد لم يقدر على إظهاره فيتعلل بالطعن فى دينه وفى ورعه ليحمل غضبه على ذلك ، ويقول إنما غضبت لدين الله لا لنفسى . ومهما

ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح له وإن أثنى عليه ربما ساءه وكرهه ، وربما قطب وجهه إذا ذكرت عيوبه ـ يظهر أنه كاره لغيبة المسلمين ـ وسر قلبه راض به ومريد له ، والله مطلع عليه فى ذلك . فهذا وأمثاله من خفايا القلوب لا يفطن له إلا الأكياس ولا يتنزه عنه إلا الأقوياء ، ولا مطمع فيه لأمثالنا من الضعفاء ، إلا أنّ أقل الدرجات أن يعرف الإنسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على إصلاحه ، فإذا أراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه ، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجو الحال ، وأمره أقرب من المغرور المزكى لنفسه الممتن على الله بعمله وعلمه الظانّ أنه من خيار خلقه ، فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار ومن المعرفة بخفايا العيوب مع الإهمال . هذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا فى العمل بالعلم .

ولنذكر الآن غرور الذين قنعوا من العلوم بما لم يهمهم وتركوا المهم وهم به مغترون إما لاستغنائهم عن أصل ذلك العلم وإما لاقتصارهم عليه . فمنهم فرقة اقتصروا على علم الفتاوى فى الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح العباد ، وخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذاهب ، وربما ضيعوا مع ذلك الأعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يخرسوا اللسان عن الغيبة ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن المشى إلى السلاطين وكذا سائر الجوارح ، ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والحسد والرياء وسائر المهلكات . فهؤلاء مغرورون من وجهين (أحدهما) من حيث العمل (والآخر) من حيث العلم .

اما العمل : فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وأن مثالهم مثال المريض إذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه ، لا بل مثالهم مثال من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك ومحتاج إلى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم إدواء الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بأنه رجل لا يحيض ولا يستحاض ، ولكن يقول : ربما تقع علة الاستحاضة لامرأة وتسألنى عن ذلك ، وذلك غاية الغرور . فكذلك المتفقه المسكين قد يسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات الباطنة ، وربما يخطفه الموت قبل التوبة والتلافى فيلقى الله وهو عليه غضبان ، فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والإجارة والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوى والبينات وبكتاب الحيض وهو لا يحتاج إلى شىء من ذلك قط فى عمره لنفسه ، وإذا احتاج غيره كان فى المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والرياسة والمال ، وقد دهاه الشيطان وما يشعر ، إذ يظنّ المغرور بنفسه أنه مشغول بفرض دينه وليس يدرى أن الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين معصية . هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وقد كان قصد بالفقه وجه الله تعالى ، فإنه وإن قصد وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه فى جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل .

وأما غروره من حيث العلم : فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظنّ أنه علم الدين وترك كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وربما طعن فى المحدثين وقال : إنهم نقلة أخبار وحملة أسفار لا يفقهون ، وترك أيضا علم تهذيب الأخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بإدراك جلاله وعظمته وهو العلم الذى يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى ، فتراه آمنا من الله مغترا به متكلا على أنه لا بد وأن يرحمه فإنه قوم دينه ، وأنه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التى هى اهم وهو غافل مغرور ، وسبب غروره ما سمع فى الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر أن ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى ، إذ قال تعالى ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا

إليهم لعلهم يحذرون ﴾ والذى يحصل به الإنذار غير هذا العلم ، فإن مقصود هذا العلم : حفظ الأموال بشروط المعاملات وحفظ الأبدان بالأموال وبدفع القتل والجراحات ، والمال فى طريق الله آلة والبدن مركب . وإنما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التى هى الصفات المذمومة فهى الحجاب بين العبد وبين الله تعالى ، وإذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله . فمثاله فى الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ، ولا شك فى أنه لو لم يكن لتعطل الحج ، ولكن المقتصر عليه ليس من الحج فى شىء ولا بسبيله ـ وقد ذكرنا شرح ذلك فى كتاب العلم ـ ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه إلا تعلم طريق المجادلة والإلزام وإفحام الخصوم ودفع الحق لأجل الغلبة والمباهاة ، فهو طول الليل والنهار فى التفتيش عن مناقضات أرباب المذاهب والتفقد لعيوب الأقران والتلقف لأنواع التسبيبات المؤذية ، وهؤلاء هم سباع الإنس طبعهم الإيذاء وهمهم السفه ، ولا يقصدون العلم إلا لضرورة مايلزمهم لمباهاة الأقران ، فكل علم لايحتاجون إليه فى المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق إلى الله تعالى بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فإنهم يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ ، وإنما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التى تجرى بين المتصارعين فى الجدل . وهؤلاء قد جمعوا ماجمعه الذين من قبلهم فى علم الفتاوى لكن زادوا إذ اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات أيضا ، بل جميع دقائق الجدل فى الفقه بدعة لم يعرفها السلف ، وأما أدلة الأحكام فيشتمل عليها علم المذهب وهو كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيهما . وأما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية فإنما أبدعت لإظهار الغلبة والإفحام وإقامة سوق الجدل بها فغرور هؤلاء أشد كثيراً وأقبح من غرور من قبلهم .

(وفرقة أخرى) اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة فى الأهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم ، واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق فى مناظرة أولئك وإفحامهم ، وافترقوا فى ذلك فرقا كثيرة ، واعتقدوا أنه لا يكون لعبد عمل إلا بإيمان ولا يصح إيمان إلا بأن يتعلم جدلهم وما سموه أدلة عقائدهم ، وظنوا أنه لا أحد أعرف بالله وبصفاته منهم ، وأنه لا إيمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ، ودعت كل فرقة منهم إلى نفسها .

ثم هم فرقتان : ضالة ومحقة ؛ فالضالة هى التى تدعو إلى غير السنة ، والمحقة هى التى تدعو إلى السنة والغرور شامل لجميعهم . أما الضالة : فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة ، وهم فرق كثيرة يكفر بعضهم بعضا ، وإنما أتيت من حيث إنها لم تتهم رأيها ولم تحكم أولا شروط الأدلة ومنهاجها ، فرأى أحدهم الشبهة دليلا والدليل شبهة . وأما الفرقة المحقة : فإنما اغترارها من حيث إنها ظنت بالجدل أنه أهم الأمور وأفضل القربات فى دين الله وزعمت أنه لا يتم لأحد دينه ما لم يفحص ويبحث ، وأن من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن أو ليس كامل الإيمان ولا مقرب عند الله

فلهذا الظن الفاسد قطعت أعمارها فى تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم ، وأهملوا أنفسهم وقلوبهم حتى عميت عليهم ذنوبهم وخطاياهم الظاهرة والباطنة ، وأحدهم يظن أن اشتغاله بالجدل أولى وأقرب عند الله وأفضل ، ولكنه لالتذاذه بالغلبة والإفحام ولذة الرياسة وعز الانتماء إلى الذب عن دين الله تعالى عميت بصيرته فلم يلتفت إلى القرن الأول ، وإن النبى صلى الله عليه وسلم شهد لهم بأنهم خير الخلق ، وأنهم قد

أدركوا كثيرا من أهل البدع والهوى فما جعلوا أعمارهم ودينهم غرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم وأحوالهم ، بل لم يتكلموا فيه إلا من حيث رأوا حاجة وتوسموا مخايل قبول فذكروا بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلالته ، وإذا رأوا مصرا على ضلالة هجروه وأعرضوا عنه وأبغضوه فى الله ولم يلزموا الملاحاة معه طول العمر ، بل قالوا : إنّ الحق هو الدعوة إلى السنة ومن السنة ترك الجدل فى الدعوة إلى السنة . إذ روى أبو أمامة الباهلى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما ضل قوم قط بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل [1] » وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على أصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كأنه فقئ فى وجهه حب الرمان [2] - حمرة من الغضب - فقال « ألهذا بعثتم أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا إلى ما أمرتم به فاعملوا وما نهيتم عنه فانتهوا » فقد زجرهم عن ذلك وكانوا أولى خلق الله بالحجاج والجدال . ثم إنهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعث إلى كافة أهل الملل فلم يقعد معهم فى مجلس مجادلة لإلزام وإفحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وإيراد إلزام ، فما جادلهم إلا بتلاوة القرآن المنزل عليهم ولم يزد فى المجادلة عليه لأنّ ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها الإشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم ، وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقائق الأقيسة وأن يعلم أصحابه كيفيه الجدل والإلزام، ولكن الأكياس وأهل الحزم لم يغتروا بهذا وقالوا لو نجا أهل الأرض وهلكنا لم تنفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم ، وليس علينا فى المجادلة أكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى وأهل الملل ، وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلاتهم فما لنا نضيع العمر ولا نصرفه إلى ما ينفعنا فى يوم فقرنا وفاقتنا ؟ ولم نخوض فيما لا نأمن على انفسنا الخطأ فى تفاصيله ؟ ثم نرى أن المبتدع ليس يترك بدعته بجداله بل يزيده التعصب والخصومة تشددا فى بدعته ، فاشتغالى بمخاصمة نفسى ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للآخرة أولى ، هذا لو كنت لم أنه عن الجدل والخصومة فكيف وقد نهيت عنه ؟ وكيف أدعو إلى السنة بترك السنة ؟ فالأولى أتفقد نفسى وأنظر من صفاتها ما يبغضه الله تعالى وما يحبه لأتنزه عما يبغضه وأتمسك بما يحبه .

(وفرقة أخرى) اشتغلوا بالوعظ والتذكير ، وأعلاهم رتبة من يتكلم فى أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والإخلاص والصدق ونظائره ، وهم مغرورون يظنون بأنفسهم أنهم إذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق إليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله إلا عن قدر يسير لاينفك عنه عوام المسلمين ، وغرور هؤلاء أشد الغرور لأنهم يعجبون بأنفسهم غاية الإعجاب ويظنون أنهم ما تبحروا فى علم المحبة إلا وهم محبون لله ، وما قدروا على تحقيق دقائق الإخلاص إلا وهم مخلصون ، وما وقعوا على خفايا عيوب النفس إلا وهم عنها منزهون : ولولا أنه مقرب عند الله لما عرفه معنى القرب والبعد وعلم السلوك إلى الله وكيفية قطع المنازل فى طريق الله ! فالمسكين بهذه الظنون يرى أنه من الخائفين وهو أمن من الله تعالى ، ويرى أنه من الراجين وهو المغترين المضيعين ، ويرى أنه من الراضين بقضاء الله وهو من الساخطين ، ويرى أنه من المتوكلين على الله وهو من المتكلين على العز والجاه والمال والأسباب ، ويرى أنه من المخلصين وهو من المرائين . بل يصف الإخلاص فيترك الإخلاص فى الوصف ، ويصف الرياء ويذكره وهو يرائى بذكره ليعتقد فيه أنه لولا أنه مخلص لما اهتدى إلى دقائق الرياء ، ويصف الزهد فى الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها

(١) حديث « ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » تقدم فى العلم وفى آفات اللسان . (٢) حديث : خرج يوما على أصحابه وهم يجادلون ويختصمون ، فغضب حتى كأنه فقئ فى وجهه حب الرمان ... الحديث » تقدم .

فهو يظهر الدعاء إلى الله وهو منه فارّ ويخوف بالله تعالى وهو منه آمن . ويذكر بالله تعالى وهو له ناس ، ويقرب إلى الله وهو منه متباعد ، ويحث على الإخلاص وهو غير مخلص ، ويذم الصفات المذمومة وهو بها متصف ، ويصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق أشد حرصا ـ لو منع عن مجلسه الذى يدعو الناس فيه إلى الله لضاقت عليه الأرض بما رحبت ـ ويزعم أن غرضه إصلاح الخلق ولو ظهر من أقرانه من أقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا ، ولو أثنى أحد من المترددين إليه على بعض أقرانه لكان أبغض خلق الله إليه . فهؤلاء أعظم الناس غرة وأبعدهم عن التنبه والرجوع إلى السداد ، لأن المرغب فى الأخلاق المحمودة والمنفر عن المذمومة هو العلم بغوائلها وفوائدها ، وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب دعوة الخلق عن العمل به . فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه ؟ وإنما المخوف مايتلوه على عباد الله فيخافون وهو ليس بخائف نعم إن ظن نفسه أنه موصوف بهذه الصفات المحمودة يمكن أن يدل على طريق الامتحان والتجربة ، وهو أن يدعى مثلا حب الله فما الذى تركه من محاب نفسه لأجله ؟ ويدعى الخوف فما الذى امتنع منه بالخوف ؟ ويدعى الزهد فما الذى تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى؟ ويدعى الأنس بالله فمتى طابت له الخلوة ! ومتى استوحش من مشاهدة الخلق لابل يرى قلبه يمتلئ بالحلاوة إذا أحدق به المريدون وتراه يستوحش إذا خلا بالله تعالى فهل رأيت محبا يستوحش من محبوبه ويستروح منه إلى غيره فالأكياس يمتحنون أنفسهم بهذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموثق من الله غليظ والمغترون يحسنون بأنفسهم الظنون وإذا كشف الغطاء عنهم فى الآخرة يفتضحون بل يطرحون فى النار فتندلق أقتابهم فيدور بها أحدهم كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر لأنهم يأمرون بالخير ولا يأتونه وينهون عن الشر ويأتونه وإنما وقع الغرور لهؤلاء من حيث إنهم يصادفون فى قلوبهم شيئا ضعيفا من أصول هذه المعانى وهو حب الله والخوف منه والرضا بفعله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية فى هذه المعانى فظنوا أنهم ماقدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله علمه وما نفع الناس بكلامهم فيها إلا لاتصافهم بها وذهب عليهم أنّ القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة للعلم وأن كل ذلك غير الاتصاف بالصفة فلم يفارق آحاد المسلمين فى الاتصاف بصفة الحب والخوف بل فى القدرة على الوصف ، بل ربما زاد أمنه وقل خوفه وظهر إلى الخلق ميله وضعف فى قلبه حب الله تعالى ؛ وإنما مثاله مثال مريض يصف المرض ويصف دواءه بفصاحته ، ويصف الصحة والشفاء ، وغيره من المرضى لايقدر على وصف الصحة والشفاء وأسبابه ودرجاته وأصنافه ، فهو لايفارقهم فى صفة المرض والاتصاف به وإنما يفارقهم فى الوصف والعلم بالطب ، فظنه عند علمه بحقيقة الصحة أنه صحيح غاية الجهل ، فكذلك العلم بالخوف والحب والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بحقائقها . ومن التبس عليه وصف الحقائق بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور . فهذه حالة الوعاظ الذين لاعيب فى كلامهم بل منهاج وعظهم منهاج وعظ القرآن والأخبار ووعظ الحسن البصرى وأمثاله رحمة الله عليهم .

(وفرقة أخرى) منهم عدلوا عن المنهاج الواجب فى الوعظ وهم وعاظ أهل هذا الزمان كافة إلا من عصمه الله ، على الندور فى بعض أطراف البلاد إن كان ولسنا نعرفه ، فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبا للإغراب . وطائفة شغفوا بطيارات النكت وتسجيع الألفاظ وتلفيقها فأكثر هممهم بالأسجاع والاستشهاد بأشعار الوصال والفراق ، وغرضهم أن تكثر فى مجالستهم الزعقات والتواجد ولو على أغراض فاسدة ، فهؤلاء شياطين الإنس ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل ، فإنّ الأولين وإن لم يصلحوا أنفسهم فقد

أصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم . وأما هؤلاء فإنهم يصدّون عن سبيل الله ويجرون الخلق إلى الغرور بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جراءة على المعاصى ورغبة فى الدنيا ، لاسيما إذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمراكب فإنه تشهد هيئته من فرقه إلى قدمه بشدّة حرصه على الدنيا فما يفسده هذا المغرور أكثر مما يصلحه بل لايصلح أصلا ويضل خلقا كثيرا ولايخفى وجه كونه مغرورا .

(وفرقة أخرى) منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد وأحاديثهم فى ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير إحاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على المنابر ، وبعضهم فى المحاريب ، وبعضهم فى الأسواق مع الجلساء وكل منهم يظن أنه إذا تميز بهذا القدر عن السوقة والجندية ، إذ حفظ كلام الزهاد وأهل الدين دونهم فقد أفلح ونال الغرض ، وصار مغفورا له وأمن عقاب الله من غير أن يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام ، ولكنه يظن أن حفظه لكلام أهل الدين يكفيه . وغرور هؤلاء أظهر من غرور من قبلهم .

(وفرقة أخرى) استغرقوا أوقاتهم فى علم الحديث أعنى فى سماعه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الأسانيد الغريبة العالية فهمة أحدهم أن يدور فى البلاد ويرى الشيوخ ليقول : أنا أروى عن فلان ولقد رأيت فلانا ومعى من الإسناد ماليس مع غيرى . وغرورهم من وجوه : منها أنهم كحملة الأسفار فإنهم لايصرفون العناية إلى فهم معانى السنة فعلمهم قاصر وليس معهم إلا النقل ويظنون أنّ ذلك يكفيهم ومنها أنهم إذا لم يفهموا معانيها ولايعملون بها وقد يفهمون بعضها أيضا ولايعملون به . ومنها أنهم يتركون العلم الذى هو فرض عين وهو معرفة علاج القلب ويشتغلون بتكثير الأسانيد وطلب العالى منها ولا حاجة بهم إلى شىء من ذلك ومنها وهو الذى أكب عليه أهل الزمان أنهم أيضا لايقيمون بشرط السماع فإن السماع بمجرده وإن لم تكن له فائدة ولكنه مهم فى نفسه للوصول إلا إثبات الحديث إذ التفهم بعد الإثبات والعمل بعد التفهم ، فالأول السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع ثم تركوا حقيقة السماع ، فترى الصبى يحضر فى مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ ينام والصبى يلعب ، ثم يكتب اسم الصبى فى السماع فإذا كبر تصدّى ليسمع منه والبالغ الذى يحضر ربما يغفل ولايسمع ولايصغى ولايضبط وربما يشتغل بحديث أو نسخ ، والشيخ الذى يقرأ عليه لو صحف وغير مايقرأ عليه لم يشعر به ولم يعرفه ، وكل ذلك جهل وغرور . إذ الأصل فى الحديث أن يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحفظه كما سمعه ، ويرويه كما حفظه ، فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع . فإن عجزت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من الصحابة أو التابعين وصار سماعك عن الراوى كسماع من سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أن تصغى لتسمع فتحفظ وتروى كما حفظت ، وتحفظ كما سمعت بحيث لاتغير منه حرفا ولو غير غيرك منه حرفا أو اخطأ علمت خطأه .

ولحفظك طريقان (أحدهما) أن تحفظ بالقلب وتستديمه بالذكر والتكرار كما تحفظ ماجرى على سمعك فى مجارى الأحوال . (والثانى) أن تكتب كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه حتى لاتصل إليه يد من يغيره ، ويكون حفظك للكتاب معك وفى خزانتك ، فإنه لو امتدت إليه يد غيرك ربما غيره ، فإذا لم تحفظه لم تشعر بتغييره فيكون محفوظا بقلبك أو بكتابك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته وتأمن فيه من التغيير والتحريف .

فإذا لم تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ، ثم رأيت نسخة لذلك الشيخ وجوّزت أن يكون ما فيه مغيرا أو يفارق حرف منه للنسخة التى سمعتها لم يجز لك أن تقول : سمعت هذا الكتاب ، فإنك لاتدرى لعلك لم تسمع مافيه بل سمعت شيئا يخالف مافيه ولو فى كلمة . فإذا لم يكن معك حفظ

بقلبك ولانسخة صحيحة استوثقت عليها لتقابل بها فمن أين تعلم أنك سمعت ذلك ؟ وقد قال الله تعالى ﴿ ولاتقف ماليس لك به علم ﴾ وقول الشيوخ كلهم فى هذا الزمان إنا سمعنا مافى هذا الكتاب إذا لم يوجد الشرط الذى ذكرناه فهو كذب صريح . وأقل شروط السماع أن يجرى الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر معه بالتغيير ولو جاز أن يكتب سماع الصبى والغافل والنائم والذى ينسخ لجاز أن يكتب سماع المجنون والصبى فى المهد ، ثم إذا بلغ الصبى وأفاق المجنون يسمع عليه ولاخلاف فى عدم جوازه ، ولو جاز ذلك لجاز أن يكتب سماع الجنين فى البطن فإن كان لايكتب سماع الصبى فى المهد لأنه لايفهم ولايحفظ ، فالصبى الذى لايلعب والغافل والمشغول بالنسخ عن السماع ليس بينهم ولايحفظ ، وإن استجرأ جاهل فقال : يكتب سماع الصبى فى المهد فليكتب سماع الجنين فى البطن ، فإن فرق بينهما بأنّ الجنين لايسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فاينفع هذا وهو إنما ينقل الحديث دون الصوت ، فليقتصر إذا صار شيخا على أن يقول : سمعت بعد بلوغى أنى فى صباى حضرت مجلسا يروى فيه حديث كان يقرع سمعى صوته ولاأدرى ما هو ؟ فلاخلاف فى أن الرواية كذلك لاتصح ومازاد عليه فهو كذب صريح ولو جاز إثبات سماع التركى الذى لايفهم العربية لأنه سمع صوتا غفلا لجاز إثبات سماع صبى فى المهد وذلك غاية الجهل . ومن أين يأخذ هذا ؟ وهل للسماع مستند إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها [1] » وكيف يؤدى كما سمع من لايدرى ماسمع فهذا أفحش أنواع الغرور . وقد بلى بهذا أهل الزمان ولو اختلط أهل الزمان لم يجدوا شيوخا إلا الذين سمعوه فى الصبا على هذا الوجه مع الغفلة ، إلا أنّ للمحدّثين فى ذلك جاها وقبولا ، فخاف المساكين أن يشترطوا ذلك فيقل من يجتمع لذلك فى حلقهم فينقص جاههم ، وتقل أيضا أحاديثهم التى قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدموا ذلك وافتضحوا ، فاصطلحوا على أنه ليس يشترط إلا أن يقرع سمعه دمدمة وإن كان لايدرى مايجرى ؟ وصحة السماع لاتعرف من قول المحدثين لأنه ليس من علمهم بل من علم علماء الأصول بالفقه وماذكرناه مقطوع به فى قوانين أصول الفقه فهذا غرور هؤلاء ، ولو سمعوا على الشرط لكانوا أيضا مغرورين فى اقتصارهم على النقل وإفناء أعمارهم فى جمع الروايات والأسانيد وإعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معانى الأخبار ، بل الذى يقصد من الحديث سلوك طريق الآخرة وسالك طريقها ربما يكفيه الحديث الواحد عمره ، كما روى عن بعض الشيوخ أنه حضر مجلس السماع فكان أوّل حديث روى قوله عليه الصلاة والسلام « من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه [2] » فقام وقال : يكفينى هذا حتى أفرغ منه ثم أسمع غيره . فهكذا يكون سماع الأكياس الذين يحذرون الغرور .

(وفرقة أخرى) اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا أنهم قد غفر لهم وأنهم من علماء الأمة ، إذ قوام الدين بالكتاب والسنة ، وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو فأفنى هؤلاء أعمارهم فى دقائق النحو وفى صناعة الشعر وفى غريب اللغة ، ومثالهم كمن يفنى جميع العمر فى تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها ويزعم أنّ العلوم لايمكن حفظها إلا بالكتابة فلا بدّ من تعلمها وتصحيحها ، ولو عقل لعلم أنه يكفيه أن يتعلم أصل الخط بحيث يمكن أن يقرأ كيفما كان والباقى زيادة على الكفاية ، وكذلك الأديب لو عقل لعرف أنّ لغة العرب كلغة الترك والمضيع عمره فى معرفة لغة العرب كالمضيع له فى معرفة لغة الترك والهند ، وإنما فارقتها لغة

---

(١) حديث « نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها . . الحديث » أخرجه أصحاب السنن وابن حبان من حديث زيد بن ثابت والترمذى وابن ماجه من حديث ابن مسعود وقال الترمذى حديث حسن صحيح وابن ماجه فقط من حديث جبير بن مطعم وأنس

(٢) حديث من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه » أخرجه الترمذى وقال غريب وابن ماجه من حديث أبى هريرة وهو عند مالك من رواية على بن الحسين مرسلا وقد تقدم .

العرب لأجل ورود الشريعة بها ، فيكفى من اللغة علم الغريبين فى الأحاديث والكتاب ، ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب فأما التعمق فيه إلى درجات لاتتناهى فهو فضول مستغنى عنه ، ثم لو اقتصر عليه وأعرض عن معرفة معانى الشريعة والعمل بها فهذا أيضا مغرور ، بل مثاله مثال من ضيع عمره فى تصحيح مخارج الحروف فى القرآن واقتصر عليه وهو غرور ، إذ المقصود من الحروف المعانى وإنما الحروف ظروف وأدوات ، ومن احتاج إلى أن يشرب السكنجبين ليزول مابه من الصفراء وضيع أوقاته فى تحسين القدح الذى يشرب فيه السكنجبين فهو من الجهال المغرورين ، فذلك غرور أهل النحو واللغة والأدب والقراءات والتدقيق فى مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها وتجردوا لها وعرجوا عليها ـ أكثر مما يحتاج إليه فى تعلم العلوم التى هى فرض عين ـ فاللب الأقصى هو العمل والذى فوقه هو معرفة العمل ، وهو كالقشر للعمل وكاللب بالإضافة إلى مافوقه وما فوقه هو سماع الألفاظ وحفظها بطريق الرواية ، وهو قشر بطريق الإضافة إلى المعرفة ولب بالإضافة إلى مافوقه ، وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهو القشر الأعلى العلم بمخارج الحروف ، والقانعون بهذه الدرجات كلهم مغترون إلا من اتخذ هذه الدرجات منازل فلم يعرج عليها إلا بقدر حاجته ، فتجاوز إلى ماوراء ذلك حتى وصل إلى لباب العمل فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه ورجى عمره فى حمل النفس عليه وتصحيح الأعمال وتصفيتها عن الشوائب والآفات . فهذا هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل إليه وقشور له ومنازل بالإضافة إليه ، وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان فى المنزل القريب أو فى المنزل البعيد . وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها أربابها . فأما علم الطب والحساب والصناعات وما يعلم أنه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد أصحابها أنهم ينالون المغفرة بها من حيث إنها علوم فكان الغرور بها أقل من الغرور بعلوم الشرع ، لأن العلوم الشرعية مشتركة فى أنها محمودة كما يشارك القشر اللب فى كونه محمودا ولكن المحمود منه لعينه هو المنتهى . والثانى محمود للوصول به إلى المقصود الأقصى فمن اتخذ القشر مقصودا وعرج عليه فقد اغتر به .

(وفرقة أخرى) عظم غرورهم فى فن الفقه فظنوا أن حكم العبد بينه وبين الله يتبع حكمه فى مجلس القضاء فوضعوا الحيل فى دفع الحقوق وأساءوا تأويل الألفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر وأخطئوا فيها . وهذا من قبيل الخطأ فى الفتوى والغرور فيه والخطأ فى الفتاوى مما يكثر . ولكن هذا نوع عم الكافة إلا الأكياس منهم فنشير إلى أمثلة : فمن ذلك فتواهم بأن المرأة متى أبرأت من الصدق برئ الزوج بينه وبين الله تعالى ، وذلك خطأ بل الزوج قد يسيء إلى الزوجة بحيث يضيق عليها الأمور بسوء الخلق فتضطر إلى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتتخلص منه فهو إبراء لا على طيبة نفس وقد قال تعالى ﴿ فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ﴾ وطيبة النفس غير طيبة القلب ، فقد يريد الإنسان بقلبه ما لا تطيب به نفسه فإنه يريد الحجامة بقلبه ولكن تكرهها نفسه ، وإنما طيبة النفس أن تسمح نفسها بالإبراء لا عن ضرورة تقابله حتى إذا رددت بين ضررين اختارت أهونهما فهذه مصادرة على التحقيق بإكراه الباطن . نعم القاضى فى الدنيا لا يطلع على القلوب والأغراض ، فينظر إلى الإبراء الظاهر وأنها لم تكره بسبب ظاهر والإكراه الباطن ليس يطلع الخلق عليه ، ولكن مهما تصدى القاضى الأكبر فى صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مقيدا فى تحصيل الإبراء ، ولذلك لا يحل أن يؤخذ مال إنسان إلا بطيب نفس منه ، فلو طلب من الإنسان مالا على ملأ من الناس فاستحيا من الناس أن لا يعطيه وكان يود أن يكون سؤاله فى خلوة حتى لا يعطيه ، ولكن خاف ألم مذمة الناس وخاف ألم تسليم المال ، وردد نفسه بينهما

فاختار أهون الألمين وهو ألم التسليم فسلمه ، فلا فرق بين هذا وبين المصادرة إذ معنى المصادرة إيلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك أقوى من ألم القلب ببذل المال فيختار أهون الألمين ، والسؤال فى مظلمة الحياء والرياء ضرب للقلب بالسوط ، ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فإن الباطن عند الله تعالى ظاهر ، وإنما حاكم الدنيا هو الذى يحكم بالملك بظاهر قوله وهيئته لأنه لا يمكنه الوقوف على مافى القلب ، وكذلك من يعطى اتقاء لشر لسانه أو لشر سعايته فهو حرام عليه ، وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام . ألا ترى ما جاء فى قصة داود عليه السلام حيث قال — بعد أن غفر له — يارب كيف لى بخصمى ؟ فأمر بالاستحلال منه وكان ميتا فأمر بندائه فى صخرة بيت المقدس ، فنادى : يا أوريا ، فأجابه : لبيك يانبى الله أخرجتنى من الجنة فماذا تريد ؟ فقال : إنى أسأت إليك فى أمر فهبه لى ، قال : قد فعلت ذلك يا نبى الله ، فانصرف وقد ركن إلى ذلك فقال له جبريل عليه السلام : هل ذكرت له ماعملت ؟ قال : لا ، قال : فارجع فبين له ، فرجع فناداه فقال : لبيك يا نبى الله ، فقال : إنى أذنبت إليك ذنبا ، قال : ألم أهبه لك ؟ قال : ألا تسألنى ماذلك الذنب ؟ قال : ماهو يانبى الله ؟ قال : كذا وكذا ، وذكر شأن المرأة فانقطع الجواب ، فقال ياأوريا ألا تحيينى ؟ قال : يانبى الله ماهكذا يفعل الأنبياء حتى أقف معك بين يدى الله ، فاستقبل داود البكاء والصراخ من الرأس حتى وعده الله أن يستوهبه منه فى الآخرة . فهكذا ينبهك أن الهبة من غير طيبة قلب لاتفيد ، وأن طيبة القلب لاتحصل إلا بالمعرفة ، فكذلك طيبة القلب لاتكون فى الإبراء والهبة وغيرهما إلا إذا خلى الإنسان واختياره ، حتى تنبعث الدواعى من ذات نفسه لا أن تضطر بواعثه إلى الحركة بالحيل والإلزام . ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة فى آخر الحول من زوجته واتهابه مالها لإسقاط الزكاة ، فالفقيه يقول : سقطت الزكاة ، فإن أراد به أن مطالبة السلطان والساعى سقطت عنه فقد صدق فإن مطمح نظرهم ظاهر الملك وقد زال ، وإن ظن أنه يسلم فى القيامة ويكون كمن لم يملك المال ، أو كمن باع لحاجته إلى المبيع لا على هذا القصد فما أعظم جهله بفقه الدين وسر الزكاة ، فإن سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة البخل فإن البخل مهلك قال صلى الله عليه وسلم « ثلاث مهلكات شح مطاع [1] » وإنما صار شحه مطاعا بما فعله وقبله لم يكن مطاعا . فقد تم هلاكه بما يظن أنّ فيه خلاصه فإنّ الله مطلع على قلبه وحبه المال وحرصه عليه ، وأنه بلغ من حرصه على المال أن استنبط الحيل حتى يسدّ على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهل والغرور ، ومن ذلك إباحة الله مال المصالح للفقيه وغيره بقدر الحاجة ، والفقهاء المغرورون لايميزون بين الأمانى والفضول والشهوات وبين الحاجات ، بل كل مالاتتم دعوتهم إلا به يرونه حاجة وهو محض الغرور ، بل الدنيا خلقت لحاجة العباد إليها فى العبادة وسلوك طريق الآخرة ، فكل ماتناوله العبد للاستعانة به على الدين والعبادة فهو حاجته وماعدا ذلك فهو فضوله وشهوته ، ولو ذهبنا نصف غرور الفقهاء فى أمثال هذا لملأنا فيه مجلدات والغرض من ذلك التنبيه على أمثلة تعرف الأجناس دون الاستيعاب فإنّ ذلك يطول .

الصنف الثانى : أرباب العبادة والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره فى الصلاة . ومنهم من غروره فى تلاوة القرآن . ومنهم فى الحج . ومنهم فى الغزو . ومنهم فى الزهد وكذلك كل مشغول بمنهج من مناهج العمل فليس خاليا عن غرور إلا الأكياس وقليل ماهم .

(فمنهم فرقة) أهملوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل والنوافل وربما تعمقوا فى الفضائل حتى خرجوا إلى العدوان

(١) حديث « ثلاث مهلكات ... الحديث » تقدم غير مرة

والسرف ، كالذى تغلب عليه الوسوسة فى الوضوء فيبالغ فيه ولايرضى الماء المحكوم بطهارته فى فتوى الشرع ، ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة فى النجاسة ، وإذا آل الأمر إلى أكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما أكل الحرام المحض ، ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء إلى الطعام لكان أشبه بسيرة الصحابة ، إذ توضأ عمر رضى الله عنه بماء فى جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان مع هذا يدع أبوابا من الحلال مخافة من الوقوع فى الحرام . ثم من هؤلاء من يخرج إلى الإسراف فى صب الماء وذلك منهى عنه[1] ، وقد يطول الأمر حتى يضيع الصلاة ويخرجها عن وقتها ، وإن لم يخرجها أيضاً عن وقتها فهو مغرور لما فاته من فضيلة أول الوقت ، وإن لم يفته فهو مغرور لإسرافه فى الماء ، وإن لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذى هو أعز الأشياء فيما له مندوحة عنه ، إلا أن الشيطان يصد الخلق عن الله بطريق سنى ، ولايقدر على صد العباد إلا بما يخيل إليهم أنه عبادة فيصدهم عن الله بمثل ذلك .

(وفرقة أخرى) غلب عليها الوسوسة فى نية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلاة عن الوقت ، وإن تم تكبيره فيكون فى قلبه بعد تردد فى صحة نيته ، وقد يوسوسون فى التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه ، يفعلون ذلك فى أول الصلاة ثم يغفلون فى جميع الصلاة فلا يحضرون قلوبهم ، ويغترون بذلك ويظنون أنهم إذا أتعبوا أنفسهم فى تصحيح النية فى أول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم .

(وفرقة أخرى) تغلب عليهم الوسوسة فى إخراج حروف الفاتحة وسائر الأذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط فى التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف فى جميع صلاته ، لايهمه غيره ولايتفكر فيما سواه ذاهلا عن معنى القرآن والاتعاظ به وصرف الفهم إلى أسراره . وهذا من أقبح أنواع الغرور فإنه لم يكلف الخلق فى تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف إلا بما جرت به عادتهم فى الكلام .

ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة إلى مجلس سلطان وأمر أن يؤديها على وجهها ، فأخذ يؤدى الرسالة ويتأنق فى مخارج الحروف ويكررها ويعيدها مرة بعد أخرى وهو فى ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فما أحراه بأن تقام عليه السياسة ويرد إلى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل .

(وفرقة أخرى) اغتروا بقراءة القرآن فيهذونه هذا وربما يختمونه فى اليوم والليل مرة ، ولسان أحدهم يجرى به وقلبه يتردد فى أودية الأمانى إذ لايتفكر فى معانى القرآن لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند أوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار فيه إلى غير ذلك مما ذكرناه فى كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة ـ فهو مغرور يظن أن المقصود من إنزال القرآن الهمهمة به مع الغفلة عنه .

ومثاله : مثال عبد كتب إليه مولاه ومالكه كتاباً وأشار عليه فيه بالأوامر والنواهى ، فلم يصرف عنايته إلى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما أمره به مولاه ، إلا أنه يكرر الكتاب بصوته ونغمته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة ، ومهما ظن أن ذلك هو المراد منه فهو مغرور . نعم تلاوته إنما تراد لكيلا ينسى بعد لحفظه وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه ، وقد يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويلتذ به ويغتر باستلذاذه ويظن أن ذلك لذة مناجاة الله تعالى وسماع كلامه وإنما هى لذته فى صوته ،

---

(١) حديث : النهى عن الإسراف فى الوضوء . أخرجه الترمذى وضعفه وابن ماجه من حديث أبى بن كعب « ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان ... الحديث » وتقدم فى عجائب القلب .

ولو ردد ألحانه بشعر أو كلام آخر لالتذ به ذلك الالتذاذ ، فهو مغرور إذ لم يتفقد قلبه فيعرفه أن لذته بكلام الله تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه أو بصوته .

(وفرقة أخرى) اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر أو صاموا الأيام الشريفة وهم فيها لايحفظون ألسنتهم عن الغيبة وخواطرهم عن الرياء وبطونهم عن الحرام عند الإفطار وألسنتهم عن الهذيان بأنواع الفضول طول النهار ، وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيهمل الفرائض ويطلب النفل ثم لايقوم بحقه وذلك غاية الغرور .

(وفرقة أخرى) اغتروا بالحج فيخرجون إلى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال ، وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الإسلام ويضيعون فى الطريق الصلاة والفرائض ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ، ولايحذرون فى الطريق من الرفث والخصام ، وربما جمع بعضهم الحرام وأنفقه على الرفقاء فى الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فيعصى الله تعالى فى كسب الحرام أوّلا وفى إنفاقه بالرياء ثانيا فلا هو أخذه من حله ولا هو وضعه فى حقه ، ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذائل الأخلاق وذميم الصفات لم يقدّم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن أنه على خير من ربه فهو مغرور .

(وفرقة أخرى) أخذت فى طريق الحسبة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ينكر على الناس ويأمرهم بالخير وينسى نفسه ، وإذا أمرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعزة وإذا باشر منكرا ورد عليه غضب وقال: أنا المحتسب فكيف تنكر على ؟ وقد يجمع الناس إلى مسجده ومن تأخر عنه أغلظ القول عليه وإنما غرضه الرياء والرياسة ، ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه ، بل منهم من يؤذن ويظن أنه يؤذن لله ولو جاء غيره وأذن فى وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال : لم آخذ حقى وزوحمت على مرتبتى ، وكذلك قد يتقلد إمامة مسجد ويظن أنه على خير وإنما غرضه أن يقال إنه إمام مسجد فلو تقدّم غيره وإن كان أورع وأعلم منه ثقل عليه .

(وفرقة أخرى) جاوروا بمكة أو المدينة واغتروا بمكة ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم فقلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة إلى قول من يعرفه أنّ فلانا يجاور بذلك ، وتراه يتحدّى ويقول : قد جاورت بمكة كذا كذا سنة ، وإذا سمع أنّ ذلك قبيح ترك صريح التحدّى وأحب أن يعرفه الناس بذلك ثم إنه قد يجاور ويمدّ عين طمعه إلى أوساخ أموال الناس وإذا جمع من ذلك شيئا شح به وأمسكه لم تسمح نفسه بلقمة يتصدّق بها على فقير فيظهر فيه الرياء والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك المجاورة ، ولكن حب المحمدة وأن يقال إنه من المجاورين الزمه المجاورة مع التضمخ بهذه الرذائل فهو أيضاً مغرور ، وما من عمل من الأعمال وعبادة من العبادات إلا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتها واعتمد عليها فهو مغرور ، ولايعرف شرح ذلك إلا من جملة كتب إحياء علوم الدين ، فيعرف مداخل الغرور فى الصلاة من كتاب الصلاة ، وفى الحج من كتاب الحج ، والزكاة والتلاوة وسائر القربات من الكتب التى رتبناها فيها ، وإنما الغرض الآن الإشارة إلى مجامع ما سبق فى الكتب .

(وفرقة أخرى) زهدت فى المال وقنعت من اللباس والطعام بالدون ومن المسكن بالمساجد وظنت أنها أدركت رتبة الزهاد ، وهو مع ذلك راغب فى الرياسة والجاه إما بالعلم أو بالوعظ أو بمجرد الزهد ، فقد ترك أهون الأمرين وباء بأعظم المهلكين ، فإنّ الجاه أعظم من المال ولو ترك الجاه وأخذ المال كان إلى السلامة أقرب فهذا

مغرور إذ ظن أنه من الزهاد فى الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ، ولم يدر أنّ منتهى لذاتها الرياسة وأنّ الراغب فيها لابدّ وأن يكون منافقا وحسودا ومتكبرا ومرائيا ومتصفا بجميع خبائث الأخلاق . نعم وقد يترك الرياسة ويؤثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور إذ يتطول بذلك على الأغنياء ويخشن معهم الكلام وينظر إليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله ويتصف بجملة من خبائث القلوب وهو لايدرى ، وربما يعطى المال فلا يأخذه خيفة من أن يقال بطل زهده ، ولو قيل له إنه حلال فخذه فى الظاهر ورده فى الخفية لم تسمح به نفسه خوفا من ذم الناس ، فهو راغب فى حمد الناس وهو من ألذ أبواب الدنيا ، ويرى نفسه أنه زاهد فى الدنيا وهو مغرور ومع ذلك فربما لايخلو من توقير الأغنياء وتقديمهم على الفقراء والميل إلى المريدين له والمثنين عليه والنفرة عن المائلين إلى غيره من الزهاد ، وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان نعوذ بالله منه . وفى العباد من يشدّد على نفسه فى أعمال الجوارح حتى ربما يصلى فى اليوم والليلة مثلا ألف ركعة ويختم القرآن وهو فى جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات فلا يدرى أنّ ذلك مهلك ، وإن علم ذلك فلا يظن بنفسه ذلك ، وإن ظن بنفسه ذلك توهم أنه مغفور له لعمله الظاهر وأنه غير مؤاخذ بأحوال القلب ، وإن توهم فيظن أن العبادات الظاهرة تترجح بها كمة حسناته وهيهات ! وذرة من ذى تقوى وخلق واحد من أخلاق الأكياس أفضل من أمثال الجبال عملا بالجوارح ، ثم لايخلو هذا المغرور ـ مع سوء خلقه مع الناس وخشونته وتلوث باطنه ـ عن الرياء وحب الثناء ، فإذا قيل له أنت من أوتاد الأرض وأولياء الله وأحبابه فرح المغرور بذلك وصدق به وزاده ذلك غرورا ، وظن أن تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا يدرى أن ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه .

(وفرقة أخرى) حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض ، ترى أحدهم يفرح بصلاة الضحى وبصلاة الليل وأمثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتدّ حرصه على المبادرة بها فى أوّل الوقت ، وينسى قوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يرويه عن ربه « ماتقرّب المتقربون إلى بمثل أداء ما افترضت عليهم [1] » وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور . بل قد يتعين فى الإنسان فرضان : أحدهما يفوت والآخر لا يفوت ، أو فضلان أحدهما يضيق وقته والآخر يتسع وقته . فإن لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا . ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى ، فإن المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وإنما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض ، كتقديم الفرائض كلها على النوافل ، وتقديم فروض الأعيان على فروض الكفاية ، وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ما قام به غيره ، وتقديم الأهم من فروض الأعيان على مادونه ، وتقديم مايفوت على ما لا يفوت ، وهذا كما يجب تقديم حاجة الوالدة على حاجة الوالد إذ سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل له : من أبر يارسول الله ؟ قال « أمك » قال : ثم من ؟ قال « أمك » قال : ثم من ؟ قال « أمك » قال : ثم من ؟ قال « أباك » قال : ثم من ؟ قال « أدناك فأدناك [2] » فينبغى أن يبدأ فى الصلة بالأقرب ، فإن استويا فبالأحوج ، فإن استويا فبالأتقى والأورع . وكذلك من لايفى ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو مغرور بل ينبغى أن يقدّم حقهما على الحج ، وهذا من تقديم فرض أهم على فرض هو دونه . وكذلك إذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة فالجمعة تفوت والاشتغال

(١) حديث « ماتقرب المتقربون الى بمثل أداء ما افترضت عليهم » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة بلفظ « ماتقرب الى عبدى » . (٢) حديث : من أبر ؟ قال « أمك... الحديث » أخرجه الترمذى والحاكم وصححه من حديث زيد بن حكيم عن أبيه عن جده وقد تقدم فى آداب الصحبة .

بالوفاء بالوعد معصية وإن كان هو طاعة فى نفسه . وكذلك قد تصيب ثوبه النجاسة فيغلظ القول على أبويه وأهله بسبب ذلك فالنجاسة محذورة وإيذاؤهما محذور ، والحذر من الإيذاء أهم من الحذر من النجاسة . وأمثلة تقابل المحذورات والطاعات لاتنحصر . ومن ترك الترتيب فى جميع ذلك فهو مغرور . وهذا غرور فى غاية الغموض لأن المغرور فيه فى طاعة إلا أنه لايفطن لصيرورة الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هى أهم منها . ومن جملته الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه فى حق من بقى عليه شغل من الطاعات والمعاصى الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب لأن مقصود الفقه معرفة مايحتاج إليه غيره فى حوائجه . فمعرفة مايحتاج هو إليه فى قلبه أولى به إلا أن حب الرياسة والجاه ولذة المباهاة وقهر الأقران والتقدم عليهم يعمى عليه حتى يغتر به مع نفسه ويظن أنه مشغول بهم دينه .

الصنف الثالث : المتصوفة وماأغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق كثيرة .

(ففرقة منهم) وهم متصوفة أهل الزمان إلا من عصمه الله اغتروا بالزى والهيئة والمنطق ، فساعدوا الصادقين من الصوفية فى زيهم وهيئتهم وفى ألفاظهم وفى آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم ، وفى أحوالهم الظاهرة فى السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله فى الجيب كالمتفكر وفى تنفس الصعداء وفى خفض الصوت فى الحديث إلى غير ذلك من الشمائل والهيئات ، فلما تكلفوا هذه الأمور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضا صوفية ولم يتعبوا أنفسهم قط فى المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب ، وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية، وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ،ولوفرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم فى الصوفية ؟ كيف ولم يحوموا حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئا منها ؟ بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون فى الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم أعراض بعض مهما خالفه فى شىء من غرضه . وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امرأة عجوز سمعت أن الشجعان والأبطال من المقاتلين ثبت أسماؤهم فى الديوان ويقطع لكل واحد منهم قطر من أقطار المملكة ، فتاقت نفسها إلى أن يقطع لها مملكة فلبست درعا ووضعت على رأسها مغفرا وتعلمت من رجز الأبطال أبياتاً وتعودت إيراد تلك الأبيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيفية تبخترهم فى الميدان وكيف تحريكهم الأيدى وتلقفت جميع شمائلهم فى الزى والمنطق والحركات والسكنات ، ثم توجهت إلى المعسكر ليثبت اسمها فى ديوان الشجعان فلما وصلت إلى المعسكر أنفذت إلى ديوان العرض وأمر بأن تجرد عن المغفر والدرع وينظر ماتحته وتمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر عنائها فى الشجاعة ، فلما جردت عن المغفر والدرع فإذا هى عجوز ضعيفة زمنة لاتطيق حمل الدرع والمغفر؟فقيل لها أجئت للاستهزاء بالملك وللاستخفاف بأهل حضرته والتلبيس عليهم خذوها فألقوها قدام الفيل لسخفها فألقيت إلى الفيل . فكهذا يكون حال المدعين للتصوف فى القيامة إذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضى الأكبر الذى لا ينظر إلى الزى والمرقع بل إلى القلب .

(وفرقة أخرى) زادت على هؤلاء فى الغرور إذ شق عليها الاقتداء بهم فى بذاذة الثياب والرضا بالدون ، فأرادت أن تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزين بزيهم فتركوا الحرير والإبريسم وطلبوا المرقعات النفيسة والفوط الرقيقة والسجادات المصبغة ولبسوا من الثياب ماهو أرفع قيمة من الحرير والإبريسم ، وظن أحدهم مع ذلك أنه متصوف بمجرد لون الثوب وكونه مرقعا ، ونسى أنهم إنما لونوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة

لإزالة الوسخ ، وإنما لبسوا المرقعات إذ كانت ثيابهم مخرقة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد فأما تقطيع الفوط الرقيقة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن أين يشبه ما اعتادوه ؟ فهؤلاء أظهر حماقة من كافة المغرورين ، فإنهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الأطعمة ويطلبون رغد العيش ويأكلون أموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بأنفسهم الخير وشر هؤلاء مما يتعدى إلى الخلق إذ يهلك من يقتدى بهم، ومن لا يقتدى بهم تفسد عقيدته فى أهل التصوف كافة ويظن أن جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان فى الصادقين منهم ، وكل ذلك من شؤم المتشبهين وشرهم .

(وفرقة أخرى) ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والأحوال والملازمة فى عين الشهود والوصول إلى القرب ، ولا يعرف هذه الأمور إلا بالأسامى والألفاظ لأنه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن أن ذلك أعلى من علم الأولين والآخرين ، فهو ينظر إلى الفقهاء والمفسرين والمحدثين وأصناف العلماء بعين الإزراء فضلا عن العوام ، حتى إن الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم أياما معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فيرددها كأنه يتكلم عن الوحى ويخبر عن سر الأسرار ، ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء ، فيقول فى العباد إنهم أجراء متعبون ، ويقول فى العلماء إنهم بالحديث عن الله محجوبون ؛ ويدعى لنفسه أنه الواصل إلى الحق وأنه من المقربين ، وهو عند الله من الفجار المنافقين ، وعند أرباب القلوب من الحمق الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه .

(وفرقه أخرى) وقعت فى الإباحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الأحكام وسووا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم أن الله مستغن عن عملى فلم أتعب نفسى ، وبعضهم يقول: قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن ، وإنما يغتر به من لم يجرب ، وأما نحن فقد جربنا وأدركنا أن ذلك محال . ولا يعلم الأحمق أن الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من أصلهما بل إنما كلفوا قلع مادتهما بحيث ينقاد كل واحد منهما لحكم العقل والشرع . وبعضهم يقول : الأعمال بالجوارح لا وزن لها ، وإنما النظر إلى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصلة إلى معرفة الله وإنما نخوض فى الدنيا بأبداننا وقلوبنا عاكفة فى حضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ، ويزعمون إنهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية وأن الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها ، ويرفعون درجة أنفسهم على درجة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذ كانت تصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية ، وأصناف غرور أهل الإباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى ، وكل ذلك بناء على أغاليط ووساوس يخدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل إحكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن فى الدين والعلم صالح للاقتداء به وإحصاء أصنافهم يطول .

(وفرقة أخرى) : جاوزت حد هؤلاء واجتنبت الأعمال وطلقت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار أحدهم يدعى المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها . فمنهم من يدعى الوجد والحب لله تعالى ويزعم أنه واله بالله ولعله قد تخيل فى الله خيالات هى بدعة أو كفر فيدعى حب الله قبل معرفته ، ثم إنه لا يخلو عن مفارقة ما يكره الله عز وجل وعن إيثار هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الأمور حياء من الخلق ، ولو خلا لما تركه حياء من الله تعالى . وليس يدرى أكل ذلك يناقض

الحب وبعضهم ربما يميل إلى القناعة والتوكل فيخوض البوادى من غير زاد ليصحح دعوى التوكل ، وليس يدرى أن ذلك بدعة لم تنقل عن السلف والصحابة وقد كانوا أعرف بالتوكل منه ، فما فهموا أن التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد ، وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الأسباب واثق به ، وما من مقام من المقامات المنجيات إلا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات فى ربع المنجيات من الكتاب فلا يمكن إعادتها .

(وفرقة أخرى) ضيقت على نفسها فى أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص وأهملوا تفقد القلب والجوارح فى غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم من أهمل الحلال فى مطعمه وملبسه ومسكنه وأخذ يتعمق فى غير ذلك ، وليس يدرى المسكين أن الله تعالى لم يرض من عبد بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الأعمال دون طلب الحلال ، بل لا يرضيه إلا تفقد جميع الطاعات والمعاصى . فمن ظن أن بعض هذه الأمور يكفيه وينجيه فهو مغرور .

(وفرقة أخرى) ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك للرياسة وجمع المال ، وإنما غرضهم التكبر ، وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاع ، وهم يظهرون أن غرضهم الإرفاق وغرضهم الاستتباع ، وهم يظهرون أن غرضهم الخدمة والتبعية ثم إنهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم لتكثر أتباعهم وينشر بالخدمة اسمهم ، وبعضهم يأخذ أموال السلاطين ينفق عليهم ، وبعضهم يأخذها لينفق فى طريق الحج على الصوفية ويزعم أن غرضه البر والإنفاق ، وباعث جميعهم الرياء والسمعة ، وآية ذلك إهمالهم لجميع أوامر الله تعالى عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم بأخذ الحرام والإنفاق منه . ومثال من ينفق الحرام فى طريق الحج لإرادة الخير كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالعذرة ويزعم أن قصده العمارة .

(وفرقة أخرى) اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الأخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرفة ، فهم فى جميع أحوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام فى آفاتها ، فيقولون هذا فى النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب ، والالتفات إلى كونه عيبا عيب ، ويشغفون فيه بكلمات مسلسلة تضيع الأوقات فى تلفيقها ومن جعل طول عمره فى التفتيش عن عيوب النفس وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه .

(وفرقة أخرى) جاوزوا هذه الرتبة وابتدءوا سلوك الطريق وانفتح لهم أبواب المعرفة ، فكلما تشمموا من مبادئ المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها وأعجبتهم غرابتها فتقيدت قلوبهم بالالتفات إليها والتفكر فيها ، وفى كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم ، وكل ذلك غرور لأن عجائب طريق الله ليس لها نهاية ، فلو وقف مع كل أعجوبة وتقيد بها قصرت خطاه وحرم الوصول إلى المقصد وكان مثاله مثال من قصد ملكا فرأى على باب ميدانه روضة فيها أزهار وأنوار لم يكن قد رأى قبل ذلك مثلها ، فوقف ينظر إليها ويتعجب حتى فاته الوقت الذى يمكن فيه لقاء الملك .

(وفرقة أخرى) جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا إلى ما يفيض عليهم من الأنوار فى الطريق ولا إلى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات إليها جادين فى السير حتى قاربوا فوصلوا إلى حد القربة إلى الله تعالى ، فظنوا أنهم قد وصلوا إلى الله فوقفوا وغلطوا فإن لله تعالى سبعين حجابا من نور لا يصل السالك إلى حجاب من تلك الحجب فى الطريق إلا ويظن أنه قد وصل . وإليه الإشارة بقول إبراهيم عليه السلام إذ قال الله تعالى

إخبارا عنه ﴿ فلما جنّ عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى ﴾ وليس المعنى به هذه الأجسام المضيئة فإنه كان يراها فى الصغر ويعلم أنها ليست آلهة وهى كثيرة وليست واحدا ، والجهال يعلمون أن الكوكب ليس بإله فمثل إبراهيم عليه السلام لا يغرّه الكوكب الذى لا يغرّ السوادية . ولكن المراد به أنه نور من الأنوار التى هى من حجب الله عز وجل وهى على طريق السالكين ، ولا يتصوّر الوصول إلى الله تعالى إلا بالوصول إلى هذه الحجب ، وهى حجب من نور بعضها أكبر من بعض وأصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه وأعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر ، فلم يزل إبراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات حيث قال تعالى ﴿ وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ﴾ يصل إلى نور بعد نور ويتخيل إليه فى أوّل ما كان يلقاه أنه قد وصل ، ثم كان يكشف له أن وراءه أمرا فيترقى إليه ويقول : قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل إلى الحجاب الأقرب الذى لا وصول إلا بعده ، فقال ﴿ هذا أكبر ﴾ فلما ظهر له أنه مع عظمه غير خال عن الهوى فى حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال ﴿ قال لا أحب الآفلين ـ إلى أن قال ـ إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض ﴾ وسالك هذه الطريق قد يغتر فى الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الأول ، وأوّل الحجب بين الله وبين العبد هو نفسه فإنه أيضا أمر ربانى وهو نور من أنوار الله تعالى ؛ أعنى سر القلب الذى تتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى إنه ليتسع لجملة العالم ويحيط به وتتجلى فيه صورة الكل ، وعند ذلك يشرق نوره إشراقا عظيما إذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو فى أوّل الأمر محجوب بمشكاة هى كالساتر له فإذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد إشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب إلى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه ، وربما يسبق لسانه فى هذه الدهشة فيقول : أنا الحق فإن لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك ، وكان قد اغتر بكوكب صغير من أنوار الحضرة الإلهية ولم يصل بعد إلى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس ، إذ المتجلى يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يتراءى فى المرآة بالمرآة فيظن أنه لون المرآة ، وكما يلتبس ما فى الزجاج بالزجاج كما قيل :

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وبهذه العين نظر النصارى إلى المسيح فرأوا إشراق نور الله قد تلألأ فيه فغلطوا فيه كمن يرى كوكبا فى مرآة أو فى ماء فيظن أن الكوكب فى المرآة أو فى الماء فيمدّ يده إليه ليأخذه وهو مغرور ، وأنواع الغرور فى طريق السلوك إلى الله تعالى لا تحصى فى مجلدات ولا تستقصى إلا بعد شرح جميع علوم المكاشفة ، وذلك مما لا رخصة فى ذكره ، ولعل القدر الذى ذكرناه أيضا كان الأولى تركه إذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج إلى أن يسمعه من غيره ، والذى لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به إذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم ، ولكن فيه فائدة وهو إخراجه من الغرور الذى هو فيه بل ربما يصدّق بأنّ الأمر أعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجدله المزخرف ويصدّق أيضا بما يحكى له من المكاشفات التى أخبر عنها أولياء الله ، ومن عظم غروره ربما أصر مكذبا بما يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل .

الصنف الرابع : أرباب الأموال ؛ والمغترون منهم فرق : (ففرقة منهم) يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون أساميهم بالآجر عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت أثرهم ، وهم يظنون أنهم قد استحقوا المغفرة بذلك . وقد اغتروا فيه من وجهين :

أحدهما : أنهم يبنونها من أموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشا والجهات المحظورة ، فهم قد تعرضوا لسخط الله فى كسبها وتعرضوا لسخطه فى إنفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها ، فإذن قد عصوا الله بكسبها فالواجب عليهم التوبة والرجوع إلى الله وردها إلى ملاكها إما بأعيانها وإما بردبدلها عند العجز ، فإن عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها إلى الورثة فإن لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها إلى أهم المصالح ، وربما يكون الأهم التفرقة على المساكين ، وهم لايفعلون ذلك خيفة من أن لايظهر ذلك للناس فيبنون الأبنية بالآجر وغرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء أسمائهم المكتوبة فيها لالبقاء الخير .

والوجه الثانى : أنهم يظنون بأنفسهم الإخلاص وقصد الخير فى الإنفاق على الأبنية ولو كلف واحد منهم أن ينفق دينارا ولايكتب اسمه على الموضع الذى أنفق عليه لشق عليه ذلك ولم تسمح به نفسه ، والله مطلع عليه كتب اسمه أو لم يكتب ، ولولا أنه يريد به وجه الناس لاوجه الله لما افتقر إلى ذلك ،

(وفرقة أخرى) ربما اكتسبت المال من الحلال وأنفقت على المساجد وهى أيضا مغرورة من وجهين :

أحدهما . الرياء وطلب الثناء فإنه ربما يكون فى جواره أو بلده فقراء وصرف المال إليهم أهم وأفضل وأولى من الصرف إلى بناء المساجد وزينتها ، وإنما يخف عليهم الصرف إلى المساجد ليظهر ذلك بين الناس .

والثانى أنه يصرف إلى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التى هى منهى عنها وشاغلة قلوب المصلين ومختطفة أبصارهم [1] والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب ، وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك ، ووبال ذلك كله يرجع إليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى أنه من الخيرات ويعد ذلك وسيلة إلى الله تعالى ، وهو مع ذلك قد تعرض لسخط الله تعالى وهو يظن أنه مطيع له وممتثل لأمره ، وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم به إلى زخارف الدنيا ، فيشتهون مثل ذلك فى بيوتهم ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله فى رقبته ؛ إذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى . قال مالك بن دينار : أتى رجلان مسجداً فوقف أحدهما على الباب وقال : مثلى لايدخل بيت الله ، فكتبه الملكان عند الله صديقا . فهكذا ينبغى أن تعظم المساجد وهو أن يرى تلويث المسجد بدخوله فيه بنفسه جناية على المسجد لاأن يرى تلويث المسجد بالحرام أو بزخرف الدنيا منة على الله تعالى . وقال الحواريون للمسيح عليه السلام : انظر إلى هذا المسجد ما أحسنه ! فقال : أمنى أمنى بحق أقول لكم لايترك الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر إلا أهلكه بذنوب أهله ، إن الله لايعبأ بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التى تعجبكم شيئا ، وإن أحب الأشياء إلى الله تعالى القلوب الصالحة بها يعمر الله الأرض وبها يخرب إذا كانت على غير ذلك وقال أبو الدرداء : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم [2] » وقال الحسن « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبنى مسجد المدينة أتاه جبريل عليه السلام فقال له : ابنه سبعة أذرع طولا فى السماء لاتزخرفه ولا تنقشه [3] » فغرور هذا من حيث أنه رأى المنكر واتكل عليه .

(وفرقة أخرى) ينفقون الأموال فى الصدقات على الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة ، ومن

---

(١) حديث : النهى عن زخرفة المساجد وتزيينها بالنقوش . أخرجه البخارى من قول عمر بن الخطاب : أكن الناس ولاتحمر ولاتصفر (٢) حديث « اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم » أخرجه ابن المبارك فى الزهد وأبو بكر ابن أبى داود فى كتاب المصاحف موقوفا على أبى الدرداء (٣) حديث الحسن مرسلا : لما أراد أن يبنى مسجد المدينة أتاه جبريل فقال ابنه سبعة أذرع طولا فى السماء ولاتزخرفه ولاتنقشه لم أجده .

الفقراء من عادته الشكر والإفشاء للمعروف ويكرهون التصدّق فى السر ، ويرون إخفاء الفقير لما يأخذ منهم جناية عليهم وكفرانا ، وربما يحرصون على إنفاق المال فى الحج فيحجون مرة بعد أخرى ، وربما تركوا جيرانهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود : فى آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب ، يهون عليهم السفر ويبسط لهم فى الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين ، يهوى بأحدهم بعيره بين الرمال والقفار وجاره مأسور إلى جنبه لايواسيه . وقال أبو نصر التمار : إن رجلا جاء يودع بشر بن الحارث وقال : قد عزمت على الحج فتأمرنى بشىء ؟ فقال له : كم أعددت للنفقة ؟ فقال : ألفى درهم . قال بشر : فأى شىء تبتغى بحجك ؟ تزهدا أو اشتياقا إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله ؟ قال : ابتغاء مرضاة الله ، قال : فإن أصبت مرضاة الله تعالى وأنت فى منزلك وتنفق ألفى درهم وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى أتفعل ذلك ؟ قال : نعم ، قال : اذهب فأعطها عشرة أنفس : مديون يقضى دينه ، وفقير يرم شعثه ، ومعيل يغنى عياله ، ومربى يتيم يفرحه ، وإن قوى قلبك تعطيها واحدا فافعل فإن إدخالك السرور على قلب المسلم وإغاثة اللهفان وكشف الضر وإعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الإسلام ، قم فأخرجها كما أمرناك وإلا فقل لنا مافى قلبك ؟ فقال : ياأبا نصر سفرى أقوى فى قلبى ، فتبسم بشر رحمه الله وأقبل عليه وقال له : المال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس أن تقضى به وطرا فأظهرت الأعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل المتقين .

(وفرقة أخرى) من أرباب الأموال اشتغلوا بها يحفظون الأموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التى لايحتاج فيها إلى نفقة ، كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن ، وهم مغرورون لأن البخل المهلك قد استولى على بواطنهم فهو يحتاج إلى قمعه بإخراج المال ، فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها ، ومثاله مثال من دخل فى ثوبه حية وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفراء ، ومن قتلته الحية متى يحتاج إلى السكنجبين ؟ ولذلك قيل لبشر : إن فلانا الغنى كثير الصوم والصلاة فقال : المسكين ترك حاله ودخل فى حال غيره وإنما حال هذا إطعام الطعام للجياع والإنفاق على المساكين ، فهذا أفضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه من جمعه للدنيا ومنعه للفقراء .

(وفرقة أخرى) غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم إلا بأداء الزكاة فقط ، ثم إنهم يخرجون من المال الخبيث الردىء الذى يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد فى حاجاتهم ، ومن يحتاجون إليه فى المستقبل للاستسخار فى خدمة أو من لهم فيه على الجملة غرض ، أو يسلمون ذلك إلى من يعينه واحد من الأكابر ممن يستظهر بحشمه لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته . وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور ، ويظن أنه مطيع لله تعالى وهو فاجر إذ طلب بعبادة الله عوضا من غيره ، فهذا وأمثاله من غرور أصحاب الأموال أيضا لايحصى وإنما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على أجناس الغرور .

(وفرقة أخرى) من عوام الخلق وأرباب الأموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا أن ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ، ويظنون أنّ لهم على مجرّد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ أجرا ، وهم مغرورون لأن فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا فى الخير فإن لم يهيج الرغبة فلا خير فيه ، والرغبة محمودة لأنها تبعث على العمل فإن ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير فيها ، ومايراد لغيره فإذا قصر عن الأداء إلى ذلك الغير فلا قيمة له ، وربما يغتر بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل البكاء وربما تدخله رقة كرقة

النساء فيبكى ولا عزم ، وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على أن يصفق بيديه ويقول : ياسلام سلم ! أو نعوذ بالله أو سبحان الله ! ويظن أنه قد أتى بالخير كله وهو مغرور . وإنما مثاله مثال المريض الذى يحضر مجالس الأطباء فيسمع ما يجرى ، أو الجائع الذى يحضر عنده من يصف له الأطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف ، وذلك لايغنى عنه من مرضه وجوعه شيئا . فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل بها لايغنى من الله شيئا . فكل وعظ لم يغير منك صفة تغييرا يغير افعالك حتى تقبل على الله تعالى إقبالا قويا أو ضعيفا وتعرض عن الدنيا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك ، فإذا رأيته وسيلة لك كنت مغرورا .

فإن قلت : فما ذكرته من مداخل الغرور أمر لا يتخلص منه أحد ولا يمكن الاحتراز منه ، وهذ يوجب اليأس إذ لايقوى أحد من البشر على الحذر من خفايا هذه الآفات ؟ فأقول : الإنسان إذا افترقت همته فى شىء أظهر اليأس منه واستعظم الأمر واستوعر الطريق ، وإذا صح منه الهوى اهتدى إلى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق فى الوصول إلى الغرض ، حتى إن الإنسان إذا أراد أن يستنزل الطير المحلق فى جو السماء مع بعده منه استنزله وإذا أراد أن يخرج الحوت من أعماق البحار استخرجه ، وإذا أراد أن يستخرج الذهب أو الفضه من تحت الجبال استخرجه ، وإذا أراد أن يقنص الوحوش المطلقة فى البرارى والصحارى اقتنصها ، وإذا أراد أن يستسخر السباع والفيلة وعظيم الحيوانات استسخرها وإذا أراد أن يأخذ الحيات والأفاعى ويعبث بها أخذها واستخرج الدرياق من أجوافها ، وإذا أراد أن يتخذ الديباج الملون المنقش من ورق التوت اتخذه ، وإذا أراد أن يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها استخراج بدقيق الهندسة ذلك وهو مستقر على الأرض ، وكل ذلك باستنباط الحيل وإعداد الآلات ، فسخر الفرس للركوب والكلب للصيد وسخر البازى لاقتناص الطيور وهيأ الشبكة لاصطياد السمك ، إلى غير ذلك من دقائق حيل الآدمى . كل ذلك لأن همه أمر دنياه وذلك معين له على دنياه، فلو همه أمر آخرته فليس عليه إلا شغل واحد وهو تقويم قلبه فعجز عن تقويم قلبه وتخاذل ، وقال هذا محال ومن الذى يقدر عليه ؟ وليس ذلك بمحال لو أصبح وهمه هذا الهم الواحد بل هو كما يقال * لو صح منك الهوى أرشدت للحيل * فهذا شىء لم يعجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم بإحسان . فلا يعجز عنه أيضا من صدقت إرادته وقويت همته ، بل لا يحتاج إلى عشر تعب الخلق فى استنباط حيل الدنيا ونظم أسبابها .

فإن قلت : قد قربت الأمر فيه مع أنك أكثرت فى ذكر مداخل الغرور فبم ينجو العبد من الغرور؟ فاعلم أنه ينجو منه بثلاثة أمور : بالفعل والعلم والمعرفة . فهذه ثلاثة أمور لا بد منها . أما العقل : فأعنى به الفطرة الغريزية والنور الأصلى الذى به يدرك الإنسان حقائق الأشياء فالفطنة والكيس فطرة ، والحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على التحفظ عن الغرور ، فصفاء العقل وذكاء الفهم لابد منه فى أصل الفطرة ، فهذا إن لم يفطر عليه الإنسان فاكتسابه غير ممكن . نعم إذا حصل أصله أمكن تقويته بالممارسة فأساس السعادات كلها العقل والكياسة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تبارك الله الذى قسم العقل بين عباده أشتاتا [1] » إن الرجلين ليستوى عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان فى العقل كالذرة فى جنب احد ، وماقسم الله لخلقه حظاهو أفضل من العقل واليقين . وعن أبى الدرداء أنه قيل : يارسول الله أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق

(١) حديث « تبارك الذى قسم العقل بين عباده ... الحديث » أخرجه الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول من رواية طاوس مرسلا وفى أوله قصة وإسناده ضعيف ورواه بنحوه من حديث أبى حميد وهو ضعيف أيضا .

ويغزو فى سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويعين الضعيف ولا يعلم منزلته عند الله يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما يجزى على قدر عقله [١] » وقال أنس : أثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف عقله ؟ » قالوا : يارسول الله نقول من عبادته وفضله وخلقه فقال « كيف عقله فإن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر . وإنما يقرب الناس يوم القيامة على قدر عقولهم [٢] » وقال أبو الدرداء : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله فإذا قالوا حسن قال « أرجوه » وإن قالوا غير ذلك قال « لن يبلغ [٣] » وذكر له شدة عبادة رجل فقال « كيف عقله » قالوا : ليس بشىء قال « لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون » فالذكاء صحيح وغريزة العقل نعمة من الله تعالى فى أصل الفطرة فإن فاتت ببلادة وحماقة فلا تدارك لها .

الثانى . المعرفة ؛ وأعنى بالمعرفة أن يعرف أربعة أمور : يعرف نفسه ، ويعرف ربه ، ويعرف الدنيا ، ويعرف الآخرة : فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريبا فى هذا العالم وأجنبيا من هذه الشهوات البهيمية ، وإنما الموافق له طبعا هو معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه فقط ، فلا يتصور أن يعرف هذا مالم يعرف نفسه ولم يعرف ربه فليستعن على هذا بما ذكرناه فى كتاب المحبة وفى كتاب شرح عجائب القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر ، إذ فيها إشارات إلى وصف النفس وإلى وصف جلال الله ، ويحصل به التنبه على الجملة وكمال المعرفة وراءه ، فإن هذا من علوم المكاشفة ، ولم نطنب فى هذا الكتاب إلا فى علوم المعاملة . وأما معرفة الدنيا والآخرة فيستعين عليها بما ذكرناه فى كتاب ذم الدنيا وكتاب ذكر الموت ليتبين له أن لا نسبة للدنيا إلى الآخرة ، فإذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والآخرة ثار من قلبه بمعرفة الله حب الله ، وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها ، وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها ويصير أهم أموره مايوصله إلى الله تعالى وينفعه فى الآخرة ، وإذا غلبت هذه الإرادة على قلبه صحت نيته فى الأمور كلها ، فإن أكل مثلا أو اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الآخرة . وصحت نيته واندفع عنه كل غرور منشؤه تجاذب الأغراض والنزوع إلى الدنيا والجاه والمال فإن ذلك هو المفسد للنية . ومادامت الدنيا أحب إليه من الآخرة وهوى نفسه أحب إليه من رضا الله تعالى فلا يمكنه الخلاص من الغرور .

فإذا غلب حب الله على قلبه بمعرفته بالله وبنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج إلى المعنى الثالث وهو العلم : أعنى العلم بمعرفة كيفية سلوك الطريق إلى الله ، والعلم بما يقربه من الله ومايبعده عنه ، والعلم بآفات الطريق وعقباته وغوائله (وجميع ذلك قد أودعناه كتب إحياء علوم الدين ، فيعرف من ربع العبادات شروطها فيراعيها وآفاتها فيتقيها ، ومن ربع العادات أسرار المعايش وما هو مضطر إليه فيأخذه بأدب الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه ، ومن ربع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة فى طريق الله فإن المانع من الله الصفات المذمومة فى الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق علاجه ، ويعرف من ربع المنجيات الصفات المحمودة التى لابد وأن توضع خلفا عن المذمومة بعد محوها) فإذا أحاط بجميع ذلك أمكنه الحذر من الأنواع التى أشرنا إليها من الغرور وأصل ذلك كله أن يغلب

---

(١) حديث أبى الدرداء « أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ... الحديث » وفيه « إنما يجزى على قدر عقله » أخرجه الخطيب فى التاريخ وفى أسماء من روى عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه ولم أره من حديث أبى الدرداء .

(٢) حديث أنس : أثنى على رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال « كيف عقله ؟ . . الحديث » أخرجه داود بن المحبر فى كتاب العقل وهو ضعيف وتقدم فى العلم (٣) حديث أبى الدرداء : كان إذا بلغه عن رجل شدة عبادة ، سأل عن عقله .. الحديث . أخرجه الترمذى الحكيم فى النوادر وابن عدى ومن طريقه البيهقى فى الشعب وضعفه .

حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الإرادة وتصح به النية ، ولا يحصل ذلك إلا بالمعرفة التى ذكرناها .

فإن قلت : فإذا فعل جميع ذلك فما الذى يخاف عليه ؟ فأقول يخاف عليه أن يخدعه الشيطان ويدعوه إلى نصح الخلق اونشر العلم ودعوته الناس إلى ماعرفه من دين الله ، فإن المريد المخلص إذا فرغ من تهذيب نفسه وأخلاقه وراقب القلب حتى صفاه من جميع المكدرات واستوى على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا فى عينه فتركها ، وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت إليهم ، ولم يبق إلا هم واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق إلى لقائه ، وقد عجز الشيطان عن إغرائه إذ يأتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فيأتيه من جهة الدين ويدعوه إلى الرحمة على خلق الله والشفقة على دينهم والنصح لهم والدعاء إلى الله ، فينظر العبد برحمته إلى العبيد فيراهم حيارى فى أمرهم سكارى فى دينهم صما عميا قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وفقدوا الطبيب وأشرفوا على العطب ، فغلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم إلى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومؤنة ولزوم غرامة ، فكان مثله كمثل رجل كان به داء عظيم لا يطاق ألمه ، وقد كان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الألم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة فى تناوله فاستعمله فبرئ وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدأ بالنهار بعد شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية الكدر وأصاب لذة العافية بعد طول السقام ، ثم نظر إلى عدد كثير من المسلمين وإذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع إلى السماء أنينهم فتذكر أن دواءهم هو الذى يعرفه ويقدر على شفائهم بأسهل مايكون وفى أرجى زمان ، فأخذته الرحمة والرأفة ولم يجد فسحة من نفسه فى التراخى عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد أن اهتدى إلى الطريق وشفى من أمراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم وأعضل داؤهم وقرب هلاكهم وإشفاؤهم ، وسهل عليه دواؤهم فانبعث من ذات نفسه عزم جازم فى الاشتغال بنصحهم وحرضه الشيطان على ذلك رجاء أن يجد مجالا للفتنة ، فلما اشتغل بذلك وجد الشيطان مجالا للفتنة فدعاه إلى الرياسة دعاء خفيا أخفى من دبيب النمل لا يشعر به المريد ، فلم يزل ذلك الدبيب فى قلبه حتى دعاه إلى التصنع والتزين للخلق بتحسين الألفاظ والنغمات والحركات والتصنع فى الزى والهيئة ، فأقبل الناس إليه يعظمونه ويبجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك إذ رأوه شافيا لأدوائهم بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم وأقاربهم ، فآثروه بأبدانهم وأموالهم وصاروا له خولا كالعبيد والخدم فخدموه وقدموه فى المحافل وحكموه على الملوك والسلاطين ، فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت لذة يالها من لذة أصابت من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة ، فكان قد ترك الدنيا فوقع فى أعظم لذاتها ، فعند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت إلى قلبه يده فهو يستعمله فى كل مايحفظ عليه تلك اللذة . وأمارة انتشار الطبع وركون النفس إلى الشيطان أنه لو أخطأ فرد عليه بين يدى الخلق غضب ، فإذا أنكر على نفسه ماوجده من الغضب بادر الشيطان فخيل إليه أن ذلك غضب لله لأنه إذا لم يحسن اعتقاد المريدين فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع فى الغرور ، فربما أخرجه ذلك إلى الوقيعة فيمن رد عليه فوقع فى الغيبة المحظورة بعد تركه الحلال المتسع ، ووقع فى الكبر الذى هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد أن يحذر من طوارق الخطرات ، وكذلك إذا سبقه الضحك أو فتر عن بعض الأوراد جزعت النفس أن يطلع عليه فيسقط قبوله فأتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء ،

وربما زاد فى الأعمال والأوراد لأجل ذلك والشيطان يخيل إليه إنك إنما تفعل ذلك كيلا يفتر رأيهم عن طريق الله فيتركون الطريق بتركه ، وإنما ذلك خدعة وغرور بل هو جزع من النفس خيفة فوت الرياسة ، ولذلك لا تجزع نفسه من اطلاع الناس على مثل ذلك من أقرانه ، بل ربما يحب ذلك ويستبشر به ، ولو ظهر من أقرانه من مالت القلوب إلى قبوله وزاد أثر كلامه فى القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا أن النفس قد استبشرت واستلذات الرياسة لكان يغتنم ذلك ، إذ مثاله أن يرى الرجل جماعة من إخوانه قد وقعوا فى بئر وتغطى رأس البئر بحجر كبير فعجزوا عن الرقى من البئر بسببه ، فرق قلبه لإخوانه فجاء ليرفع الحجر من رأس البئر فشق عليه فجاءه من أعانه على ذلك حتى تيسر عليه أو كفاه ذلك ونحاه بنفسه ، فيعظم بذلك فرحه لا محالة إذ غرضه خلاص إخوانه من البئر ، فإن كان غرض الناصح خلاص إخوانه المسلمين من النار فإذا ظهر من أعانه أو كفاه ذلك لم يثقل عليه ، أرأيت لو اهتدوا جميعهم من أنفسهم أكان ينبغى أنه يثقل ذلك عليه إن كان غرضه هدايتهم ؟ فإذا اهتدوا بغيره فلم يثقل عليه ؟ ومهما وجد ذلك فى نفسه دعاه الشيطان إلى جميع كبائر القلوب وفواحش الجوارح وأهلكه فنعوذ بالله من زيغ القلوب بعد الهدى ومن أعوجاج النفس بعد الاستواء .

وإن قلت : فمتى يصح له أن يشتغل بنصح الناس ؟ فأقول إذا لم يكن له قصد إلا هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد من يعينه ، أو لو اهتدوا بأنفسهم وانقطع بالكلية طمعه عن ثنائهم وعن أموالهم ، فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم إذا كان الله يحمده ولم يفرح بحمدهم إذا لم يقترن به حمد الله تعالى ، ونظر إليهم كما ينظر إلى السادات وإلى البهائم . أما إلى السادات : فمن حيث إنه لا يتكبر عليهم ويرى كلهم خيرا منه لجهله بالخاتمة . وأما إلى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة فى قلوبهم فإنه لا يبالى كيف تراه البهائم فلا يتزين لها ولا يتصنع ! بل راعى الماشية إنما غرضه رعاية الماشية ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية إليه . فما لم ير سائر الناس كالماشية التى لا يلتفت إلى نظرها ولا يبالى بها لا يسلم من الاشتغال بإصلاحهم . نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه بإصلاحهم فيكون كالسراج يضىء لغيره ويحترق فى نفسه .

فإن قلت : فلو ترك الوعاظ الوعظ إلا عند نيل هذه الدرجة لخلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب ؟ فأقول قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب الدنيا رأس كل خطيئة »[1] ، ولو لم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعايش وهلكت القلوب والأبدان جميعا ، إلا أنه صلى الله عليه وسلم علم أن حب الدنيا مهلك وأن ذكر كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلوب الأكثرين لا الأقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم ، ولم يترك النصح وذكر ما فى حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من أن يترك نفسه بالشهوات المهلكة التى سلطها الله على عباده ليسوقهم بها إلى جهنم تصديقا لقوله تعالى ﴿ ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ فكذلك لا تزال ألسنة الوعاظ مطلقة لحب الرياسة ولا يدعونها بقول من يقول : إن الوعظ لحب الرياسة حرام ، كما لا يدع الخلق الشرب والزنا والسرقة والرياء والظلم وسائر المعاصى بقول الله تعالى ورسوله إن ذلك حرام ، فانظر لنفسك وكن فارغ القلب من حديث الناس ، فإن الله تعالى يصلح خلقا كثيرا بإفساد شخص واحد وأشخاص ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾ وإن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ،

(١) حديث «حب الدنيا رأس كل خطيئة» أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث الحسن مرسلا وقد تقدم فى كتاب ذم الدنيا .

فإنما يخشى أن يفسد طريق الاتعاظ ، فأما أن تخرس ألسنة الوعاظ ووراءهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك أبدا .

فإن قلت : فإن علم المريد هذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح أو نصح وراعى شرط الصدق والإخلاص فيه فما الذى يخاف عليه وما الذى بقى بين يديه من الأخطار وحبائل الاغترار ؟ فاعلم أنه بقى عليه أعظمه وهو أنّ الشيطان يقول له : قد أعجزتنى وأفلت منى بذكائك وكمال عقلك وقد قدرت على جملة من الأولياء والكبراء وما قدرت عليك فما أصبرك ! وما أعظم عند الله قدرك ومحلك إذ قواك على قهرى ومكنك من التفطن لجميع مداخل غرورى ! فيصغى إليه ويصدّقه ويعجب بنفسه فى فراره من الغرور كله ، فيكون إعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الأكبر ، فالعجب أعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان : ياابن آدم إذا ظننت أنك بعلمك تخلصت منى فبجهلك قد وقعت فى حبائلى .

فإن قلت : فلو لم يعجب بنفسه إذ علم أنّ ذلك من الله تعالى لامنه وإنّ مثله لايقوى على دفع الشيطان إلا بتوفيق الله ومعونته ، ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن أقل القليل فإذا قدر على مثل هذا الأمر العظيم علم أنه لم يقو عليه بنفسه بل بالله تعالى فما الذى يخاف عليه بعد نفى العجب ؟ فأقول : يخاف عليه الغرور بفضل الله والثقة بكرمه والأمن من مكره حتى يظن أنه يبقى على هذه الوتيرة فى المستقبل ولايخاف من الفترة والانقلاب ، فيكون حاله الاتكال على فضل الله فقط دون أن يقارنه الخوف من مكره ، ومن أمن مكر الله فهو خاسر جدّا ، بل سبيله أن يكون مشاهدا جملة ذلك من فضل الله ثم خائفا على نفسه أن يكون قد سدّت عليه صفة من صفات قلبه من حب دنيا ورياء وسوء خلق والتفات إلى غير وهو غافل عنه ، ويكون خائفا أن يسلب حاله فى كل طرفة عين غير آمن من مكر الله ولاغافل عن خطر الخاتمة . وهذا خطر لامحيص عنه وخوف لانجاة منه إلا بعد مجاوزة الصراط . ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الأولياء فى وقت النزع وكان قد بقى له نفس فقال : أفلت منى يا فلان ؟ فقال : لا ، بعد . ولذلك قيل : الناس كلهم هالكى إلا العالمون ، والعالمون كلهم هالكى إلا العاملون ، والعاملون كلهم هالكى إلا المخلصون ، والمخلصون على خطر عظيم . فإذن المغرور هالك والمخلص الفارّ من الغرور على خطر فلذلك لايفارق الخوف والحذر قلوب أولياء الله أبدا .

فنسأل الله تعالى العون والتوفيق وحسن الخاتمة ، فإنّ الأمور بخواتيمها .

تم كتاب ذم الغرور ، وبه تم ربع المهلكات ، ويتلوه فى أوّل ربع المنجيات « كتاب التوبة » والحمد لله أوّلا وآخرا وصلى الله وسلم على من لانبى بعده وهو حسبى ونعم الوكيل ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلى العظيم .

تم الجزء الثالث من كتاب إحياء علوم الدين
ويليه الجزء الرابع ، وأوله : كتاب التوبة

فهرس

الجزء الثالث من إحياء علوم الدين

صحيفة

٢ كتاب شرح عجائب القلب
وهو الكتاب الأول من ربع المهلكات
٣ بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الأسامى
٥ بيان جنود القلب
٦ بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة
٧ بيان خاصية قلب الإنسان
١٠ بيان مجامع أوصاف القلب وأمثلته
١٣ بيان مثل القلب بالإضافة إلى العلوم خاصة
١٦ بيان حال القلب بالإضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والأخروية
١٨ بيان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية فى استكشاف الحق وطريق النظار
٢٠ بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس
٢٣ بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف فى اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد
٢٦ بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها
٣٢ بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب
٤١ بيان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به
٤٣ بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا
٤٥ بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب فى التغير والثبات

صحيفة

٤٨ كتاب رياضة النفس
وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب
وهو الكتاب الثانى من ربع المهلكات
٤٩ بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق
٥٢ بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق
٥٦ بيان قبول الأخلاق للتغيير بطريق الرياضة
٥٨ بيان السبب الذى به ينال حسن الخلق على الجملة
٦٠ بيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق
٦٢ بيان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها إلى الصحة
٦٤ بيان الطريق الذى يعرف به الانسان عيوب نفسه
٦٥ بيان شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق فى معالجة أمراض القلوب ترك الشهوات وأن مادة أمراضها هى اتباع الشهوات
٦٩ بيان علامات حسن الخلق
٧٢ بيان الطريق فى رياضة الصبيان فى أول نشوهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم
٧٤ بيان شروط الإرادة ومقدمات المجاهدين وتدريج المريد فى سلوك سبيل الرياضة
٧٩ كتاب كسر الشهوتين
وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات
٨٠ بيان فضيلة الجوع وذم الشبع
٨٤ بيان فوائد الجوع وآفات الشبع
٨٩ بيان طريق الرياضة فى كسر شهوة البطن

صحيفة

٩٦ بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه
٩٨ بيان آفة الرياء المتطرق إلى من ترك الشهوات وقلل الطعام
٩٩ القول فى شهوة الفرج
١٠١ بيان ماعلى المريد فى ترك التزويج وفعله
١٠٤ بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين
١٠٧ كتاب آفات اللسان
وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات
١٠٨ بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت
١١٢ الآفة الأولى من آفات اللسان الكلام فيما لايعنيك
١١٤ الآفة الثانية فضول الكلام
١١٥ الآفة الثالثة الخوض فى الباطل
١١٦ الآفة الرابعة المراء والجدال
١١٨ الآفة الخامسة الخصومة
١٢٠ الآفة السادسة التقعر فى الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة الخ
١٢١ الآفة السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان
١٢٣ الآفة الثامنة اللعن
١٢٦ الآفة التاسعة الغناء والشعر
١٢٧ الآفة العاشرة المزاح
١٣١ الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء
الآفة الثانية عشرة إفشاء السر
١٣٢ الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب
١٣٣ الآفة الرابعة عشرة الكذب فى القول واليمين
١٣٧ بيان مارخص فيه من الكذب
١٣٩ بيان الحذر من الكذب بالمعاريض
١٤١ الآفة الخامسة عشرة الغيبة
١٤٣ بيان معنى الغيبة وحدودها
١٤٤ بيان أن الغيبة لاتقتصر على اللسان
١٤٦ بيان الأسباب الباعثة على الغيبة
١٤٨ بيان العلاج الذى به يمنع اللسان عن الغيبة

صحيفة

١٥٠ بيان تحريم الغيبه بالقلب
١٥٢ بيان الأعذار المرخصة فى الغيبة
١٥٣ بيان كفارة الغيبة
١٥٤ الآفة السادسة عشرة النميمة
١٥٦ بيان حد النميمة وما يجب فى ردها
١٥٨ الآفة السابعة عشرة كلام ذى اللسانين
١٥٩ الآفة الثامنة عشرة المدح
١٦١ بيان ماعلى الممدوح
١٦١ الآفة التاسعة عشرة الغفلة عن دقائق الخطأ فى فحوى الكلام
١٦٢ الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف الخ
١٦٤ كتاب ذم الغضب والحقد والحسد
وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات
١٦٤ بيان ذم الغضب
١٦٦ بيان حقيقة الغضب
١٦٩ بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا
١٧٢ بيان الأسباب المهيجة للغضب
١٧٣ بيان علاج الغضب بعد هيجانه
١٧٥ بيان فضيلة كظم الغيظ
١٧٦ بيان فضيلة الحلم
١٧٩ بيان القدر الذى يجوز الانتصار والتشفى به من الكلام
١٨١ القول فى معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق
١٨٢ فضيله العفو والإحسان
١٨٤ فضيلة الرفق
١٨٦ القول فى ذم الحسد وفى حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب فى إزالته
بيان ذم الحسد
١٨٩ بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه

صحيفة

١٩٢ بيان أسباب الحسد والمنافسة
١٩٤ بيان السبب فى كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبنى العم والأقارب وتأكده وقلته فى غيرهم وضعفه
١٩٦ بيان الدواء الذى ينفى مرض الحسد عن القلب
١٩٩ بيان القدر الواجب فى نفى الحسد عن القلب
٢٠٢ كتاب ذم الدنيا
وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات
٢٠٢ بيان ذم الدنيا
٢١١ بيان المواعظ فى ذم الدنيا وصفتها
٢١٤ بيان صفة الدنيا بالأمثلة
٢١٩ بيان حقيقة الدنيا وماهيتها فى حق العبد
٢٢٤ بيان حقيقة الدنيا فى نفسها وأشغالها التى استغرقت هم الخلق حتى أنستهم أنفسهم وخالقهم ومصدرهم ومواردهم
٢٣١ كتاب ذم البخل وذم حب المال
وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات
٢٣٢ بيان ذم المال وكراهة حبه
٢٣٤ بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم .
٢٣٥ بيان تفصيل آفات المال وفوائده
٢٣٧ بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس مما فى أيدى الناس
٢٤١ بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذى يكتسب به صفة القناعة
٢٤٣ بيان فضيلة السخاء
٢٤٧ حكايات الأسخياء
٢٥٢ بيان ذم البخل
٢٥٦ حكايات البخلاء
٢٥٧ بيان الإيثار وفضله
٢٥٩ بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما
٢٦١ بيان علاج البخل

صحيفة

٢٦٢ بيان مجموع الوظائف التى على العبد فى ماله
٢٦٤ بيان ذم الغنى ومدح الفقر
٢٧٤ كتاب ذم الجاه والرياء
وهو الكتاب الثامن من ربع المهلكات وفيه شطران
٢٧٤ الشطر الأول فى حب الجاه والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول الخ
بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت
٢٧٦ بيان فضيلة الخمول
٢٧٨ بيان ذم حب الجاه
٢٧٨ بيان معنى الجاه وحقيقته
٢٢٩ بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لايخلو عنه قلب إلا بشديد المجاهدة
٢٨٢ بيان الكمال الحقيقى والكمال الوهمى الذى لاحقيقة له
٢٨٥ بيان مايحمد من حب الجاه وما يذم
٢٨٦ بيان السبب فى حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطبع إليه وبغضها للذم ونفرتها منه
٢٨٧ بيان علاج حب الجاه
٢٨٩ بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم
٢٩٠ بيان علاج كراهة الذم
٢٩١ بيان اختلاف أحوال الناس فى المدح والذم
٢٩٣ الشطر الثانى من الكتاب فى طلب الجاه والمنزلة بالعبادات وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء إلى آخره
٢٩٣ بيان ذم الرياء
٢٩٧ بيان حقيقة الرياء وما يراءى به
٣٠١ بيان درجات الرياء
٣٠٥ بيان الرياء الخفى الذى هو أخفى من دبيب النمل

صحيفة

٣٠٧ بيان مايحبط العمل من الرياء الخفى والجلى وما لا يحبط
٣١٠ بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه
٣١٧ بيان الرخصة فى قصد إظهار الطاعات
٣١٩ بيان الرخصة فى كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليها وكراهة ذمهم لها
٣٢٢ بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات
٣٣٠ بيان مايصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح
٣٣٢ بيان مايبغى للمريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه
٣٣٦ كتاب ذم الكبر والعجب
٣٣٦ بيان ذم الكبر والعجب
٣٣٩ بيان ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر فى المشى وجر الثياب
٣٤٠ بيان فضيلة التواضع
٣٤٣ بيان حقيقة الكبر وآفته

صحيفة

٣٤٥ بيان المتكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات الكبر فيه
٣٤٧ بيان مابه التكبر
٣٥٣ بيان البواعث على التكبر وأسبابه المهيجة له
٣٥٤ بيان أخلاق المتواضعين وجوامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر
٣٥٨ بيان الطريق فى معالجة الكبر واكتساب التواضع له
٣٦٨ بيان غاية الرياضة فى خلق التواضع
٣٦٩ بيان ذم العجب وآفاته
٣٧٠ بيان آفة العجب
٣٧١ بيان علاج العجب على الجملة
٣٧٤ بيان أقسام مابه العجب وتفصيل علاجه
٣٧٨ كتاب ذم الغرور
٣٧٩ بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثلته
٣٨٨ بيان أصناف المغترين وأقسام فرق كل صنف

﴿ تم فهرست الجزء الثالث ﴾

إحياء علوم الدين

تصنيف

الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي

المتوفى سنة ٥٠٥ هـ

المجلد الرابع

دار المعرفة

بيروت - لبنان

إحياء علوم الدين

تصنيف

الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي

المتوفى في ٥٠٥ هـ

وبذيله كتاب

المغني عن حمل الأسفار في الأسفار

في تخريج ما في الإحياء من الأخبار

للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي

المتوفى في ٨٠٦ هـ

وتماماً للنفع ألحقنا بالكتاب في آخره ثلاثة كتب:

الأول: تعريف الأحياء بفضائل الإحياء للعلامة عبد القادر بن شيخ بن عبد الله ابن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوي

الثاني: الإملاء عن إشكالات الإحياء للإمام الغزالي، رد به اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من الإحياء.

الثالث: عوارف المعارف: للعارف بالله تعالى الإمام السهروردي

الجزء الرابع

دار المعرفة

بيروت - لبنان

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التوبة

وهو الكتاب الأول من ربع المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى بتحميده يستفتح كل كتاب ، وبذكره يصدّر كل خطاب ، وبحمده يتنعم أهل النعيم فى دار الثواب ، وباسمه يتسلى الأشقياء وإن أرخى دونهم الحجاب ، وضرب بينهم وبين السعداء بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ونتوب إليه توبة من يوقن أنه رب الأرباب ومسبب الأسباب ، ونرجوه رجاء من يعلم أنه الملك الرحيم الغفور التواب ، ونمزج الخوف برجائنا مزج من لا يرتاب ، أنه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب .

ونصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه صلاة تنقذنا من هول المطلع يوم العرض والحساب . وتمهد لنا عند الله زلفى وحسن مآب .

أما بعد ؛ فإن التوبة عن الذنوب بالرجوع إلى ستار العيوب وعلام الغيوب ، مبدأ طريق السالكين ، ورأس مال الفائزين ، وأول أقدام المريدين ، ومفتاح استقامة المائلين ، ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين ، ولأبينا آدم عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الأنبياء أجمعين ، وما أجدر بالأولاد ، الاقتداء بالآباء والأجداد ، فلا غرو إن أذنب الآدمى واجترم ، فهى شنشنة نعرفها من أخزم ، ومن أشبه أباه فما ظلم . ولكن الأب إذا جبر بعد ما كسر وعمر بعد أن هدم ، فليكن النزوع إليه فى كلا طرفى النفى والإثبات والوجود والعدم ، ولقد قرع آدم سن الندم ، وتندّم على ماسبق منه وتقدم . فمن اتخذه قدوة فى الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم ، بل التجرد لمحض الخير دأب الملائكة المقربين ، والتجرد للشر دون التلافى سجية الشياطين ، والرجوع إلى الخير بعد الوقوع فى الشر ضرورة الآدميين ؛ فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان ، والمتجرد للشر شيطان ، والمتلافى للشر بالرجوع إلى الخير بالحقيقة إنسان ؛ فقد ازدوج فى طينة الإنسان شائبتان ، واصطحب فيه سجيتان . وكل عبد مصحح نسبه إما إلى الملك أو إلى آدم أو إلى الشيطان ؛ فالتائب قد أقام البرهان ، على صحة نسبه إلى آدم بملازمة حد الإنسان ، والمصر على الطغيان مسجل على نفسه بنسب الشيطان ؛ فإما تصحيح النسب إلى الملائكة بالتجرد

لمحض الخير الخارج عن حيز الإمكان ؛ فإن الشر معجون مع الخير فى طينة آدم عجنا محكما لايخلصه إلا إحدى النارين : نار الندم أو نار جهنم ، فالإحراق بالنار ضرورى فى تخليص جوهر الإنسان من خبائث الشيطان وإليك الآن اختيار أهون النارين ، والمبادرة إلى أخف الشرين قبل أن يطوى بساط الاختيار ، ويساق إلى دار الاضطرار ، إما إلى الجنة وإما إلى النار . وإذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع وجب تقديمها فى صدر ربع المنجيات بشرح حقيقتها وشروطها وسببها وعلامتها وثمرتها والآفات المانعة منها والأدوية الميسرة لها ، ويتضح ذلك بذكر أربعة أركان : (الركن الأول) فى نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها وأنها واجبة على الفور وعلى جميع الأشخاص وفى جميع الأحوال ، وأنها إذا صحت كانت مقبولة . (الركن الثانى) : فيما عنه التوبة وهو الذنوب وبيان انقسامها إلى صغائر وكبائر وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله تعالى وبيان كيفية توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات وبيان الأسباب التى بها تعظم الصغائر . (الركن الثالث) : فى بيان شروط التوبة ودوامها وكيفية تدارك مامضى من المظالم وكيفية تكفير الذنوب وبيان أقسام التائبين فى دوام التوبة . (الركن الرابع) : فى السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج فى حل عقدة الإصرار من المذنبين .

ويتم المقصود بهذه الأركان الأربعة إن شاء الله عز وجل

الركن الأول : فى نفس التوبة

بيان حقيقة التوبة وحدها

اعلم أن التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة أمور مرتبة : علم ، وحال ، وفعل . فالعلم الأول والحال الثانى ، والفعل الثالث . والأول موجب للثانى ، والثانى موجب للثالث إيجابا اقتضاه إطراد سنة الله فى الملك والملكوت . أما العلم ، فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب ، فإذا عرف ذلك معرفة محققة بيقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب ، فإن القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألم ، فإن كان فواته بفعله تأسف على الفعل المفوت ، فيسمى تألمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ندما ، فإذا غلب هذا الألم على القلب واستولى وانبعث من هذا الألم فى القلب حالة أخرى تسمى إرادة وقصدا إلى فعل له تعلق بالحال والماضى وبالاستقبال ، أما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذى كان ملابسا ، وأما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب إلى آخر العمر ، وأما بالماضى فبتلافى مافات بالجبر والقضاء إن كان قابلا للجبر ، فالعلم هو الأول وهو مطلع هذه الخيرات وأعنى بهذا العلم الإيمان واليقين ، فإن الإيمان عبارة عن التصديق بأن الذنوب سموم مهلكة واليقين عبارة عن تأكد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب فيثمر نور هذا الإيمان مهما أشرق على القلب نار الندم فيتألم بها القلب حيث يبصر بإشراق نور الإيمان أنه صار محجوبا عن محبوبه ، كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان فى ظلمة فيسطع النور عليه بانقشاع سحاب أو انحسار حجاب فرأى محبوبه وقد أشرف على الهلاك فتشعل نيران الحب فى قلبه وتنبعث تلك النيران بإرادته للانتهاض للتدارك ، فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك فى الحال والاستقبال والتلافى للماضى ثلاثة معان مرتبة فى الحصول ، فيطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع المتأخر ، وبهذا الاعتبار قال عليه الصلاة والسلام « الندم توبة[1] » إذ لا يخلو الندم عن علم

(١) حديث « الندم توبة » أخرجه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصحح إسناده من حديث ابن مسعود ، ورواه ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين .

أوجبه وأثمره ، وعن عزم يتبعه ويتلوه ؛ فيكون الندم محفوفا بطرفيه أعنى ثمرته ومثمره ؛ وبهذا الاعتبار قيل فى حد التوبة إنه ذوبان الحشا لما سبق من الخطأ ؛ فإن هذا يعرض لمجرد الألم ، ولذلك قيل : هو نار فى القلب تلتهب ، وصدع فى الكبد لا ينشعب ، وباعتبار معنى الترك قيل فى حد التوبة إنه خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء . وقال سهل ابن عبد الله التسترى : التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ، ولا يتم ذلك إلا بالخلوة والصمت وأكل الحلال وكأنه أشار إلى المعنى الثالث من التوبة ، والأقاويل فى حدود التوبة لا تنحصر ؛ وإذا فهمت هذه المعانى الثلاثة وتلازمها وترتيبها عرفت أن جميع ما قيل فى حدودها قاصر عن الإحاطة بجميع معانيها ، وطلب العلم بحقائق الأمور أهم من طلب الألفاظ المجردة .

بيان وجوب التوبة وفضلها

اعلم أن وجوب التوبة ظاهر بالأخبار (١) والآيات ، وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته وشرح الله بنور الإيمان صدره حتى اقتدرت على أن يسعى بنوره الذى بين يديه فى ظلمات الجهل مستغنيا عن قائد يقوده فى كل خطوة . فالسالك إما أعمى لا يستغنى عن القائد فى خطوه ، وإما بصير يهدى إلى أول الطريق ثم يهتدى بنفسه ، وكذلك الناس فى طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام ، فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد فى خطوه فيفتقر إلى أن يسمع فى كل قدم نصا من كتاب الله أو سنة رسوله ، وربما يعوزه ذلك فيتحير ؛ فسير هذا وإن طال عمره وعظم جده مختصر وخطاه قاصرة . ومن سعيد شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فيتنبه بأدنى إشارة لسلوك طريق معوصة وقطع عقبات متعبة ويشرق فى قلبه نور القرآن ونور الإيمان ، وهو لشدة نور باطنه يحتوى بأدنى بيان ، فكأنه يكاد زيته يضىء ولو لم تمسسه نار ؛ فإذا مسته نار فهو نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ، وهذا لا يحتاج إلى نص منقول فى كل واقعة ، فمن هذا حاله إذا أراد أن يعرف وجوب التوبة فينظر أولا بنور البصيرة إلى التوبة ما هى ، ثم إلى الوجوب ما معناه ، ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك فى ثبوته لها ، وذلك بأن يعلم بأن معنى الواجب ما هو واجب فى الوصول إلى سعادة الأبد والنجاة من هلاك الأبد ، فإنه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشىء وتركه لم يكن لوصفه بكونه واجبا معنى . وقول القائل : صار واجبا بالإيجاب ، حديث محض فإن ما لا غرض لنا آجلا وعاجلا فى فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به ، أوجبه علينا غيرنا أو لم يوجبه؟ فإذا عرف معنى الوجوب وأنه الوسيلة إلى سعادة الأبد ، وعلم أن لا سعادة فى دار البقاء إلا فى لقاء الله تعالى ، وأن كل محجوب عنه يشقى لا محالة بحول بينه وبين ما يشتهى محترق بنار الفراق ونار الجحيم . وعلم أنه لا مبعد عن لقاء الله إلا اتباع الشهوات والأنس بهذا العالم الفانى والإكباب على حب ما لا بد من فراقه قطعا ، وعلم أنه لا مقرب من لقاء الله إلا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والإقبال بالكلية على الله طلبا للأنس به بدوام ذكره والمحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته ، وعلم أن الذنوب التى هى إعراض عن الله واتباع لمحاب الشياطين أعداء الله المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوبا مبعدا عن الله تعالى فلا يشك فى أن الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول إلى القرب ، وإنما يتم الانصراف بالعلم والندم والعزم ، فإنه ما لم يعلم أن الذنوب أسباب البعد عن المحبوب لم يندم ولم يتوجع بسبب سلوكه فى طريق البعد ، وما لم يتوجع فلا يرجع ، ومعنى الرجوع الترك والعزم ، فلا يشك فى أن المعانى الثلاثة ضرورية فى الوصول

(١) الأخبار الدالة على وجوب التوبة : اخرج مسلم من حديث الأغر المزنى « يا أيها الناس توبوا الى الله .. الحديث » ولابن ماجه من حديث جابر « يا أيها الناس توبوا الى ربكم قبل أن تموتوا ... الحديث » وسنده ضعيف .

إلى المحبوب ، وهكذا يكون الإيمان الحاصل عن نور البصيرة ، وأما من لم يترشح لمثل هذا المقام المرتفع ذروته عن حدود أكثر الخلق ، ففي التقليد والاتباع له مجال رحب يتوصل به إلى النجاة من الهلاك ، فليلاحظ فيه قول الله وقول رسوله وقول السلف الصالحين فقد قال الله تعالى ﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ وهذا أمر على العموم وقال الله تعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا . .﴾ الآية ومعنى النصوح : الخالص لله تعالى خاليا عن الشوائب مأخوذ من النصح . ويدل على فضل التوبة قوله تعالى ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ وقال عليه السلام « التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له [1] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت ، فوضع رأسه على ساعده ليموت ، فاستيقظ وإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه ؛ فالله تعالى أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته [2] » وفي بعض الألفاظ « قال من شدة فرحه إذ أراد شكر الله : أنا ربك وأنت عبدي » ويروى عن الحسن قال : لما تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام هنأته الملائكة وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا : يا آدم قرت عينك بتوبة الله عليك ، فقال آدم عليه السلام : ياجبريل فإن كان بعد هذه التوبة سؤال فأين مقامي ؟ فأوحى الله إليه : يا آدم ورثت ذويك التعب والنصب وورثتهم التوبة ، فمن دعاني منهم لبيته كما لبيتك ، ومن سألني المغفرة لم أبخل عليه لأني قريب مجيب يا آدم وأحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم مستجاب . والأخبار والآثار في ذلك لا تحصى ، والإجماع منعقد من الأمة على وجوبها ؛ إذ معناه العلم بأن الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدات من الله تعالى ، وهذا داخل في وجوب الإيمان ، ولكن قد تدهش الغفلة عنه ، فمعنى هذا العلم إزالة هذه الغفلة ، ولا خلاف في وجوبها . ومن معانيها : ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير في سابق الأحوال ، وذلك لا يشك في وجوبه . وأما التندم على ما سبق والتحزن عليه فواجب ، وهو روح التوبة ، وبه تمام التلافي ، فكيف لا يكون واجبا ، بل هو نوع ألم يحصل لا محالة عقيب حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع في سخط الله .

فإن قلت : تألم القلب أمر ضروري لا يدخل تحت الاختيار ، فكيف يوصف بالوجوب ؟ فاعلم أن سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله سبيل إلى تحصيل سببه ، وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لا بمعنى أن العلم يخلقه العبد ويحدثه في نفسه فإن ذلك محال ، بل العلم والندم والفعل والإرادة والقدرة والقادر الكل من خلق الله وفعله ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ هذا هو الحق عند ذوي الأبصار وما سوى هذا ضلال .

* فإن قلت : أفليس للعبد اختيار في الفعل والترك ؟ قلنا : نعم وذلك لا يناقض قولنا : إن الكل من خلق الله تعالى ، بل الاختيار أيضا من خلق الله ، والعبد مضطر في الاختيار الذي له ، فإن الله إذا خلق اليد الصحيحة

---

(١) حديث « التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لاذنب له » أخرجه ابن ماجه من حديث ابن مسعود بالشطر الثاني دون الأول ، وأما الشطر الأول فروى ابن أبي الدنيا في التوبة وأبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أنس بسند ضعيف « ان الله يحب الشاب التائب » ولعبد الله بن أحمد في زوائد المسند وأبي يعلى بسند ضعيف من حديث علي « ان الله يحب العبد المؤمن المفتن التواب »

(٢) حديث « لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض فلاة دوية مهلكة . . . الحديث » متفق عليه من حديث ابن مسعود وأنس . زاد مسلم في حديث أنس « ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح » ورواه مسلم بهذه الزيادة من حديث النعمان بن بشير ومن حديث أبي هريرة مختصرا .

وخلق الطعام اللذيذ وخلق الشهوة للطعام فى المعدة وخلق العلم فى القلب بأن هذا الطعام يسكن الشهوة ، وخلق الخواطر المتعارضة فى أن هذا الطعام هل فيه مضرة مع أنه يسكن الشهوة ، وهل دون تناوله مانع يتعذر معه تناوله أم لا ، ثم خلق العلم بأنه لا مانع ثم عند اجتماع هذه الأسباب تنجزم الارادة الباعثة على التناول ؛ فانجزام الإرادة بعد تردد الخواطر المتعارضة وبعد وقوع الشهوة للطعام يسمى اختيارا ، ولا بد من حصوله عند تمام أسبابه ؛ فإذا حصل انجزام الإرادة بخلق الله تعالى إياها تحركت اليد الصحيحة إلى جهة الطعام لا محالة ، إذ بعد تمام الإرادة والقدرة يكون حصول الفعل ضروريا ، فتحصل الحركة ، فتكون الحركة بخلق الله بعد حصول القدرة وانجزام الإرادة ، وهما أيضا من خلق الله ، وانجزام الإرادة يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم الموانع ، وهما أيضا من خلق الله تعالى ، ولكن بعض هذه المخلوقات يترتب على البعض ترتيبا جرت به سنة الله تعالى فى خلقه ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ فلا يخلق الله حركة اليد بكتابة منظومة ما لم يخلق فيها صفة تسمى قدرة وما لم يخلق فيها حياة وما لم يخلق إرادة مجزومة ، ولا يخلق الإرادة المجزومة ما لم يخلق شهوة وميلا فى النفس ، ولا ينبعث هذا الميل انبعاثا تاماً ما لم يخلق علما بأنه موافق للنفس إما فى الحال أو فى المآل ، ولا يخلق العلم أيضا إلا بأسباب أخر ترجع إلى حركة وإرادة وعلم ؛ فالعلم والميل الطبيعى أبدا يستتبع الإرادة الجازمة ، والقدرة والإرادة أبداً تستردف الحركة ، وهكذا الترتيب فى كل فعل ، والكل من اختراع الله تعالى ، ولكن بعض مخلوقاته شرط لبعض ، فلذلك يجب تقدم البعض وتأخر البعض ، كما لا تخلق الإرادة إلا بعد العلم ، ولا يخلق العلم إلا بعد الحياة ، ولا تخلق الحياة إلا بعد الجسم ؛ فيكون خلق الجسم شرطا لحدوث الحياة لا أن الحياة تتولد من الجسم ، ويكون خلق الحياة شرطا لخلق العلم لا أن العلم يتولد من الحياة ، ولكن لا يستعد المحل لقبول العلم إلا إذا كان حيا ويكون خلق العلم شرطا لجزم الإرادة لا أن العلم يولد الإرادة ، ولكن لا يقبل الإرادة إلا جسم حى عالم ، ولا يدخل فى الوجود إلا ممكن ، والإمكان ترتيب لا يقبل التغيير لأن تغييره محال ، فهما وجد شرط الوصف استعد المحل به لقبول الوصف فحصل ذلك الوصف من الجود الإلهى والقدرة الأزلية عند حصول الاستعداد ، ولما كان للاستعداد بسبب الشروط ترتيب كان لحصول الحوادث بفعل الله تعالى ترتيب ، والعبد يجرى هذه الحوادث المرتبة ؛ وهى مرتبة فى قضاء الله تعالى الذى هو واحد كلمح البصر ترتيبا كليا لا يتغير ، وظهورها بالتفصيل مقدر بقدر لا يتعداها وعنه العبارة بقوله تعالى ﴿ إنا كل شىء خلقناه بقدر ﴾ وعن القضاء الكلى الأزلى العبارة بقوله تعالى ﴿ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ﴾ وأما العباد فإنهم مسخرون تحت مجارى القضاء والقدر ، ومن جملة القدر خلق حركة فى يد الكاتب بعد خلق صفة مخصوصة فى يده تسمى القدرة ، وبعد خلق ميل قوى جازم فى نفسه يسمى القصد ، وبعد علم بما إليه ميله يسمى الإدراك والمعرفة ، فإذا ظهرت من باطن الملكوت هذه الأمور الأربعة على جسم عبد مسخر تحت قهر التقدير سبق أهل عالم الملك والشهادة المحجوبون عن عالم الغيب والملكوت ، وقالوا يا أيها الرجل قد تحركت ورميت وكتبت ، ونودى من وراء حجاب الغيب وسرادقات الملكوت : وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى . وما قتلت إذ قتلت . ولكن قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم . وعند هذا تتحير عقول القاعدين فى بحبوحة عالم الشهادة ؛ فمن قائل إنه جبر محض ، ومن قائل إنه اختراع صرف ، ومن متوسط مائل إلى أنه كسب ، ولو فتح لهم أبواب السماء فنظروا إلى عالم الغيب والملكوت لظهر لهم أن كل واحد صادق من وجه ، وأن القصور شامل لجميعهم . فلم يدرك واحد منهم كنه هذا الأمر ولم يحط علمه بجوانبه ، وتمام علمه ينال بإشراق النور من كوة نافذة إلى عالم الغيب ، وأنه تعالى عالم الغيب والشهادة لا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول . وقد يطلع على الشهادة

من لم يدخل فى حيز الارتضاء ، ومن حرّك سلسلة الأسباب والمسببات وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط مناط سلسلتها بمسبب الأسباب انكشف له سر القدر وعلم علما يقينا أن لا خالق إلا الله ولا مبدع سواه .

* فإن قلت : قد قضيت على كل واحد من القائلين بالجبر والاختراع والكسب أنه صادق من وجه وهو مع صدقه قاصر وهذا تناقض ، فكيف يمكن فهم ذلك ؟ وهل يمكن إيصال ذلك إلى الأفهام بمثال ؟ فاعلم أنّ جماعة من العميان قد سمعوا أنه حمل إلى البلدة حيوان عجيب يسمى الفيل وما كانوا قط شاهدوا صورته ولا سمعوا اسمه ، فقالوا لا بدّ لنا من مشاهدته ومعرفته باللمس الذى نقدر عليه ، فطلبوه ، فلما وصلوا إليه لمسوه فوقع يد بعض العميان على رجليه ووقع يد بعضهم على نابه ووقع يد بعضهم على أذنه ، فقالوا قد عرفنا انصرفوا سألهم بقية العميان فاختلفت أجوبتهم ، فقال الذى لمس الرجل : إنّ الفيل ماهو إلا مثل أسطوانة خشنة الظاهر إلا أنه ألين منها ، وقال الذى لمس الناب : ليس كما يقول بل هو صلب لا لين فيه وأملس لا خشونة فيه وليس فى غلظ الأسطوانة أصلا بل هو مثل عمود ، وقال الذى لمس الأذن : لعمرى هو لين وفيه خشونة ، فصدق أحدهما فيه ولكن قال : ما هو مثل عمود ولا هو مثل اسطوانة وإنما هو مثل جلد عريض غليظ ، فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه إذ أخبر كل واحد عما أصابه من معرفة الفيل ، ولم يخرج واحد فى خبره عن وصف الفيل ، ولكنهم بجملتهم قصروا عن الإحاطة بكنه صورة الفيل ، فاستبصر بهذا المثال واعتبر به فإنه مثال أكثر مااختلف الناس فيه ، وإن كان هذا كلاما يناطح علوم المكاشفة ويحرّك أمواجها وليس ذلك من غرضنا ، فلنرجع إلى ما كنا بصدده وهو بيان أنّ التوبة واجبة بجميع أجزائها الثلاثة : العلم والندم والترك ، وأنّ الندم داخل فى الوجوب لكونه واقعا فى جملة أفعال الله المحصورة بين علم العبد وإرادته وقدرته المتخللة بينها ، وما هذا وصفه فاسم الوجوب يشمله .

بيان أن وجوب التوبة على الفور

أما وجوبها على الفور فلا يستراب فيه ، إذ معرفة كون المعاصى مهلكات من نفس الإيمان ، وهو واجب على الفور المتقصى عن وجوبه هو الذى عرفه معرفة زجره ذلك عن الفعل المكروه ، فإنّ هذه المعرفة ليست من علوم المكاشفات التى لا تتعلق بعمل ، بل هى من علوم المعاملة وكل علم يراد ليكون باعثا على عمل فلا يقع التقصى عن عهدته ما لم يصر باعثا عليه ؛ فالعلم بضرر الذنوب إنما أريد ليكون باعثا لتركها ، فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الإيمان ، وهو المراد بقوله عليه السلام « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن [1] » وماأرادبه نفى الإيمان الذى يرجع إلى علوم المكاشفة كالعلم بالله ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله ، فإنّ ذلك لا ينفيه الزنا والمعاصى ، وإنما أراد به نفى الإيمان لكون الزنا مبعدا عن الله تعالى موجبا للمقت ، كما إذا قال الطبيب : هذا سم فلا تتناوله ، فإذا تناوله يقال تناول وهو غير مؤمن لا بمعنى أنه غير مؤمن بوجود الطبيب وكونه طبيبا وغير مصدّق به ، بل المراد أنه غير مصدّق بقوله إنه سم مهلك ؛ فإن العالم بالسم لا يتناوله أصلا ، فالعاصى بالضرورة ناقص الإيمان وليس الإيمان بابا واحدا بل هو نيف وسبعون بابا أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، ومثاله قول القائل : ليس الإنسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا أعلاها القلب والروح وأدناها إماطة الأذى عن البشرة بأن يكون مقصوص الشارب مقلوم الأظافر نقى البشرة عن

(١) حديث « لايزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن » متفق عليه من حديث أبي هريرة .

الخبث حتى يتميز عن البهائم المرسلة الملوثة بأروائها المستكرهة الصور بطول مخالبها وأظلافها ، وهذا مثال مطابق ، فالإيمان كالإنسان وفقد شهادة التوحيد يوجد البطلان بالكلية كفقد الروح ، والذى ليس له إلا شهادة التوحيد والرسالة هو كإنسان مقطوع الأطراف مفقوع العينين فاقد لجميع أعضائه الباطنة والظاهرة لا أصل الروح ،وكما أن من هذا حاله قريب من أن يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التى تخلف عنها الأعضاء التى تمدها وتقويها ؛ فكذلك من ليس له إلا أصل الإيمان وهو مقصر فى الأعمال قريب من أن تقتلع شجرة إيمانه إذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة للإيمان فى مقدمة قدوم ملك الموت وروده ؛ فكل إيمان لم يثبت فى اليقين أصله ولم تنتشر فى الأعمال فروعه لم يثبت على عواصف الأهوال عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة لا مايسق بالطاعات على توالى الأيام والساعات حتى رسخ وثبت . وقول العاصى للمطيع إنى مؤمن كما أنك مؤمن كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر : أنا شجرة وأنت شجرة ، وما أحسن جواب شجرة الصنوبر إذ قالت : ستعرفين اغترارك بشمول الاسم إذا عصفت رياح الخريف ، فعند ذلك تنقطع أصولك وتتناثر أوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة فى اسم الشجرة مع الغفلة عن أسباب ثبوت الأشجار :

سوف ترى إذا انجلى الغبار * أفرس تحتك أم حمار

وهذا أمر يظهر عند الخاتمة ، وإنما انقطع نياط العارفين خوفا من دواعى الموت ومقدماته الهائلة التى لا يثبت عليها إلا الأقلون ؛ فالعاصى إذا كان لا يخاف الخلود فى النار بسبب معصيته كالصحيح المنهمك فى الشهوات المضرة إذا كان لا يخاف الموت بسبب صحته وأن الموت غالبا لا يقع فجأة ، فيقال له : الصحيح يخاف المرض ثم إذا مرض خاف الموت ، وكذلك العاصى يخاف سوء الخاتمة ثم إذا ختم له بالسوء والعياذ بالله وجب الخلود فى النار ؛ فالمعاصى للإيمان كالمأكولات المضرة للأبدان ، فلا تزال تجتمع فى الباطن حتى تغير مزاج الأخلاط وهو لا يشعر بها ، إلى أن يفسد المزاج فيمرض دفعة ثم يموت دفعة ، فكذلك المعاصى ، فإذا كان الخائف من الهلاك فى هذه الدنيا المنقضية يجب عليه ترك السموم وما يضره من المأكولات فى كل حال وعلى الفور ، فالخائف من هلاك الأبد أولى بأن يجب عليه ذلك ، وإذا كان متناول السم إذا ندم يجب عليه أن يتقيأ ويرجع عن تناوله بإبطاله وإخراجه عن المعدة على سبيل الفور والمبادرة تلافيا لبدنه المشرف على هلاك لا يفوت عليه إلا هذه الدنيا الفانية ،فمتناول سموم الدين وهى الذنوب أولى بأن يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن مادام يبقى للتدارك مهلة وهو العمر ، فإن المخوف من هذا السم فوات الآخرة الباقية التى فيها النعيم المقيم والملك العظيم ، وفى فواتها نار الجحيم والعذاب المقيم الذى تتصرم أضعاف أعمار الدنيا دون عشر عشير مدته ، إذ ليس لمدته آخر ألبتة ؛ فالبدار البدار إلى التوبة قبل أن تعمل سموم الذنوب بروح الإيمان عملا يجاوز الأمر فيه الأطباء واختيارهم ولا ينفع بعده الاحتماء فلا ينجح بعد ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين وتحق الكلمة عليه بأنه من الهالكين ، ويدخل تحت عموم قوله تعالى ﴿ إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون . وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ ولا يغرنك لفظ الإيمان ، فنقول: المراد بالآية الكافر ، إذ بين لك أن الإيمان بضع وسبعون بابا وأن الزانى لايزنى حين يزنى وهو مؤمن ، فالمحجوب عن الإيمان الذى هو شعب وفروع سيحجب فى الخاتمة عن الإيمان الذى هو أصل ، كما أن الشخص الفاقد لجميع الأطراف التى هى حروف وفروع سيساق إلى الموت المعدم للروح التى هى أصل ؛ فلا بقاء للأصل دون الفرع ،

ولا وجود للفرع دون الأصل ، ولا فرق بين الأصل والفرع إلا فى شىء واحد : وهو أن وجود الفرع وبقاءه جميعا يستدعى وجود الأصل ، وأما وجود الأصل فلا يستدعى وجود الفرع ، فبقاء الأصل بالفرع ، ووجود الفرع بالأصل ، فعلوم المكاشفة وعلوم المعاملة متلازمة كتلازم الفرع والأصل فلا يستغنى أحدهما عن الآخر وإن كان أحدهما فى رتبة الأصل والآخر فى رتبة التابع ، وعلوم المعاملة إذا لم تكن باعثة على العمل فعدمها خير من وجودها ، فإن هى لم تعمل عملها الذى تراد له قامت مؤيدة للحجة على صاحبها ، ولذلك يزاد فى عذاب العالم الفاجر على عذاب الجاهل الفاجر ، كما أوردنا من الأخبار فى كتاب العلم .

بيان أن وجوب التوبة عام فى الأشخاص والأحوال فلا ينفك عنه أحد ألبتة

اعلم أن ظاهر الكتاب قد دل على هذا إذ قال تعالى ﴿ وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ فعمم الخطاب . ونور البصيرة أيضا يرشد إليه ، إذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله المقرب إلى الشيطان ، ولا يتصور ذلك إلا من عاقل ، ولا تكمل غريزة العقل إلا بعد كمال غريزة الشهوة والغضب وسائر الصفات المذمومة التى هى وسائل الشيطان إلى إغواء الإنسان . إذ كمال العقل إنما يكون عند مقاربة الأربعين ، وأصله إنما يتم عند مراهقة البلوغ ، ومباديه تظهر بعد سبع سنين ، والشهوات جنود الشيطان ، والعقول جنود الملائكة ، فإذا اجتمعا قام القتال بينهما بالضرورة ، إذ لا يثبت أحدهما الآخر لأنهما ضدان ، فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة ، ومهما غلب أحدهما أزعج الآخر بالضرورة ، وإذا كانت الشهوات تكمل فى الصبا والشباب قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان ووقع للقلب به أنس وإلف لامحالة مقتضيات الشهوات بالعادة وغلب ذلك عليه ويعسر عليه النزوع عنه ، ثم يلوح العقل الذى هو حزب الله وجنده ومنقذ أوليائه من أيدى أعدائه شيئا فشيئا على التدريج ، فإن لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان وأنجز اللعين موعده حيث قال ﴿ لأحتنكن ذريته إلا قليلا ﴾ وإن كمل العقل وقوى كان أول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع على سبيل القهر إلى العبادات ، ولا معنى للتوبة إلا هذا ، وهو الرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيره الشيطان ، إلى طريق الله تعالى ، وليس فى الوجود آدمى إلا وشهوته سابقة على عقله وغريزته التى هى عدة الشيطان متقدمة على غريزته التى هى عدة الملائكة ، فكان الرجوع عما سبق إليه على مساعدة الشهوات ضروريا فى حق كل إنسان نبيا كان أو غبيا ، فلا تظنن أن هذه الضرورة اختصت بآدم عليه السلام ، وقد قيل :

فلا تحسبن هندا لها الغدر وحدها سجية نفس ، كل غانية هند

بل هو حكم أزلى مكتوب على جنس الإنس لا يمكن فرض خلافه مالم تتبدل السنة الإلهية التى لامطمع فى تبديلها ، فإذن كل من بلغ كافرا جاهلا فعليه التوبة من جهله وكفره ، فإذا بلغ مسلما تبعا لأبويه غافلا عن حقيقة إسلامه فعليه التوبة من غفلته بتفهم معنى الإسلام ، فإنه لا يغنى عنه إسلام أبويه شيئا مالم يسلم بنفسه ، فإن فهم ذلك فعليه الرجوع عن عادته وإلفه للاسترسال وراء الشهوات من غير صارف بالرجوع إلى قالب حدود الله فى المنع والإطلاق والانفكاك والاسترسال ، وهو من أشق أبواب التوبة ، وفيه هلك الأكثرون إذ عجزوا عنه ، وكل هذا رجوع وتوبة . فدل على أن التوبة فرض عين فى حق كل شخص يتصور أن يستغنى عنها أحد من البشر كما لم يستغن آدم ، فخلقة الولد لاتتسع لما لم يتسع له خلقة الوالد أصلا . وأما بيان وجوبها على الدوام وفى كل حال فهو

أنّ كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه ، إذ لم يخل عنه الأنبياء كما ورد فى القرآن والأخبار من خطايا الأنبياء وتوبتهم وبكائهم على خطاياهم ، فإن خلا فى بعض الأحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب ؟ فإن خلا فى بعض الأحوال عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بإيراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله، فإن خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور فى العلم بالله وصفاته وأفعاله ، وكل ذلك نقص وله أسباب ، وترك أسبابه بالتشاغل بأضدادها رجوع عن طريق إلى ضدّه والمراد بالتوبة الرجوع ، ولا يتصوّر الخلو فى حق الآدمى عن هذا النقص ، وإنما يتفاوتون فى المقادير ، فأما الأصل فلا بدّ منه ، ولهذا قال عليه السلام « إنه ليغان على قلبى حتى أستغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة [1] » الحديث ، ولذلك أكرمه الله تعالى بأن قال ﴿ ليغفر لك الله ماتقدّم من ذنبك وما تأخر ﴾ وإذا كان هذا حاله فكيف حال غيره ؟ .

فإن قلت : لايخفى أن مايطرأ على القلب من الهموم والخواطر نقص ، وأنّ الكمال فى الخلو عنه ، وأن القصور عن معرفة كنه جلال الله نقص ، وإنه كلما ازدادت المعرفة زاد الكمال ، وأنّ الانتقال إلى الكمال من أسباب النقصان رجوع ، والرجوع توبة ، ولكن هذه فضائل لافرائض ، وقد أطلقت القول بوجوب التوبة فى كل حال ، والتوبة عن هذه الأمور ليست بواجبة ، إذ إدراك الكمال غير واجب فى الشرع : فما المراد بقولك : التوبة واجبة فى كل حال ؟ فاعلم انه قد سبق أنّ الإنسان لايخلو فى مبدإ خلقته من اتباع الشهوات أصلا ، وليس معنى التوبة تركها فقط ، بل تمام التوبة بتدارك مامضى ، وكل شهوة اتبعها الإنسان ارتفع منها ظلمة إلى قلبه كما يرتفع عن نفس الإنسان ظلمة إلى وجه المرآة الصقيلة ، فإن تراكمت ظلمة الشهوات صار رينا كما يصير بخار النفس فى وجهه المرآة عند تراكمه خبثا ، كما قال تعالى ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ فإذا تراكم الرين صار طبعا فيطبع على قلبه ، كالخبث على وجه المرآة إذا تراكم وطال زمانه غاص فى جرم الحديد وأفسده وصار لايقبل الصقل بعده وصار كالمطبوع من الخبث ، ولا يكفى فى تدارك اتباع الشهوات تركها فى المستقبل ، بل لابد من محو تلك الآريان التى انطبعت فى القلب ، كما لايكفى فى ظهور الصور فى المرآة قطع الانفاس والبخارت المسودة لوجهها فى المستقبل مالم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الآريان ، وكما يرتفع إلى القلب ظلمة من المعاصى والشهوات فيرتفع إليه نور من الطاعات وترك الشهوات ، فتنمحى ظلمة المعصية بنور الطاعة ، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام « أتبع السيئة الحسنة تمحها [2] » ، فإذن لايستغنى العبد فى حال من أحواله عن محو آثار السيئات عن قلبه بمباشرة حسنات تضاد آثارها آثار تلك السيئات ؛ هذا فى قلب حصل أولا صفاؤه وجلاؤه ثم أظلم بأسباب عارضة ؛ فأما التصقيل الأول ففيه يطول الصقل ؛ إذ ليس شغل الصقل فى إزالة الصدإ عن المرآة كشغله فى عمل أصل المرآة ؛ فهذه أشغال طويلة لاتنقطع أصلا ، وكل ذلك يرجع إلى التوبة ، فأما قولك : إن هذا لايسمى واجبا بل هو فضل وطلب كمال ، فاعلم أنّ الواجب له معنيان : أحدهما مايدخل فى فتوى الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهو القدر الذى لو اشتغل به كافة الخلق لم يخرب العالم ، فلو كلف الناس كلهم أن يتقوا الله حق تقاته لتركوا المعايش ورفضوا الدنيا بالكلية ، ثم يؤدى ذلك إلى بطلان التقوى بالكلية ، فإنه مهما فسدت المعايش لم يتفرّغ أحد للتقوى ، بل شغل الحياكة

(١) حديث « إنه ليغان على قلبى فأستغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة » أخرجه مسلم من حديث الأغر المزنى ، إلا أنه قال « فى اليوم مائة مرة » وكذا عند أبى داود ، وللبخارى من حديث أبى هريرة « انى لأستغفر الله فى اليوم أكثر من سبعين مرة » وفى رواية البيهقى فى الشعب « سبعين » لم يقل « أكثر » وتقدم فى الأذكار والدعوات (٢) حديث « أتبع السيئة الحسنة تمحها » أخرجه الترمذى من حديث أبى ذر بزيادة فى أوله وآخره وقال حسن صحيح ، وقد تقدم فى رياضة النفس .

والحراثة والخبز يستغرق جميع العمر من كل واحد فيما يحتاج إليه ، فجميع هذه الدرجات ليست واجبة بهذا الاعتبار ، والواجب الثانى هو الذى لابدّ منه للوصول به إلى القرب المطلوب من رب العالمين والمقام المحمود بين الصدّيقين ، والتوبة عن جميع ماذكرناه واجبة فى الوصول إليه كما يقال : الطهارة واجبة فى صلاة التطوّع أى لمن يريدها. فإنه لايتوصل إليه إلا بها . فأما من رضى بالنقصان والحرمان عن فضل صلاة التطوّع فالطهارة ليست واجبة عليه لأجلها، كما يقال : العين والأذن واليد والرجل شرط فى وجود الإنسان ، يعنى أنه شرط لمن يريد أن يكون إنسانا كاملا ينتفع بإنسانيته ويتوصل بها إلى درجات العلا فى الدنيا ، فأما من قنع بأصل الحياة ورضى أن يكون كلحم على وضم وكخرقة مطروحة فليس يشترط لمثل هذه الحياة عين ويد ورجل ، فأصل الواجبات الداخلة فى فتوى العامة لايوصل إلا إلى أصل النجاة ، وأصل النجاة كأصل الحياة ، وما وراء أصل النجاة من السعادات التى بها تنتهى الحياة يجرى مجرى الأعضاء والآلات التى بها تتهيأ الحياة وفيه سعى الأنبياء والأولياء والعلماء والأمثل فالأمثل ، وعليه كان حرصهم ، وحواليه كان تطوافهم ، ولأجله كان رفضهم لملاذ الدنيا بالكلية ، حتى انتهى عيسى عليه السلام إلى أن توسد حجرا فى منامه ، فجاء إليه الشيطان وقال أما كنت تركت الدنيا للآخرة؟ فقال: نعم، وما الذى حدث فقال : توسدك لهذا الحجر تنعم فى الدنيا فلم لا تضع رأسك على الأرض ؟ فرمى عيسى عليه السلام بالحجر ووضع رأسه على الأرض ، وكان رميه للحجر توبة عن ذلك التنعم ، أفترى أن عيسى عليه السلام لم يعلم أن وضع الرأس على الأرض لايسمى واجبا فى فتاوى العامة ؟ أفترى أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم لما شغله الثوب الذى كان عليه علم فى صلاته حتى نزعه [1] وشغله شراك نعله الذى جدّده حتى أعاد الشراك الخلق [2] لم يعلم أن ذلك ليس واجبا فى شرعه الذى شرعه لكافة عباده ، فإذا علم ذلك فلم تاب عنه بتركه وهل كان ذلك إلا لأنه رآه مؤثرا فى قلبه أثرا يمنعه عن بلوغ المقام المحمود الذى قد وعد به ؟ أفترى أن الصديق رضى الله عنه بعد أن شرب اللبن وعلم أنه على غير وجه أدخل أصبعه فى حلقه ليخرجه حتى كاد يخرج معه روحه ما علم من الفقه هذا القدر ؟ وهو أن ما أكله عن جهل فهو غير آثم به ولا يجب فى فتوى الفقه إخراجه ؟ فلم تاب عن شرابه بالتدارك على حسب إمكانه بتخلية المعدة عنه؟ وهل كان ذلك إلا لسر وقر فى صدره عرّفه ذلك السر أن فتوى العامة حديث آخر ، وأن خطر طريق الآخرة لايعرفه إلا الصدّيقون ، فتأمل أحوال هؤلاء الذين هم أعرف خلق الله بالله وبطريق الله وبمكر الله وبمكامن الغرور بالله ، وإياك مرة واحدة أن تغرّك الحياة الدنيا ، وإياك ثم إياك ألف ألف مرة أن يغرك بالله الغرور ، فهذه أسرار من استنشق مبادئ روائحها علم أن لزوم التوبة النصوح ملازم للعبد السالك فى طريق الله تعالى فى كل نفس من أنفاسه ولو عمر عمر نوح ، وأن ذلك واجب على الفور من غير مهلة ، ولقد صدق أبو سليمان الدارانى حيث قال لولم يبك العاقل فيما بقى من عمره إلا على تفويت ما مضى منه فى غير الطاعة لكان خليقا أن يحزنه ذلك إلى الممات ، فكيف من يستقبل مابقى من عمره بمثل ما مضى من جهله ؟ وإنما قال هذا لأن العاقل إذا ملك جوهرة نفيسة وضاعت منه بغير فائدة بكى عليها لا محالة ، وإن ضاعت منه وصار ضياعها سبب هلاكه كان بكاؤه منها أشد ، وكل ساعة من العمر بل كل نفس جوهرة نفيسة لا خلف لها ولا بدل منها ، فإنها صالحة لأن توصلك إلى سعادة الأبد وتنقذك من شقاوة الأبد ، وأى جواهر أنفس من هذا ؟ فإذا ضيعتها فى الغفلة فقد خسرت خسرانا مبينا ، وإن صرفتها إلى معصية

---

(١) حديث نزعه صلى الله عليه وسلم الثوب الذى كان عليه فى الصلاة : تقدم فى الصلاة أيضاً (٢) حديث نزعه الشراك الجديد وإعادة الشراك الخلق : تقدم فى الصلاة أيضاً .

فقد هلكت هلاكا فاحشا . فإن كنت لاتبكى على هذه المعصية فذلك لجهلك ، ومصيبتك بجهلك أعظم من كل مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف المصاب بها أنه صاحب مصيبة ، فإنّ نوم الغفلة يحول بينه وبين معرفته . والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ، فعند ذلك ينكشف لكل مفلس إفلاسه ولكل مصاب مصيبته ، وقد رفع الناس عن التدارك .

قال بعض العارفين : إن ملك الموت عليه السلام إذا ظهر للعبد أعلمه أنه بقى من عمرك ساعة وإنك لاتستأخر عنها طرفة عين ، فيبدو للعبد من الأسف والحسرة مالو كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج منها على أن يضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى ليستعتب فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد إليه سبيلا ، وهو أول ما يظهر من معانى قوله تعالى ﴿ وحيل بينهم وبين مايشتهون ﴾ وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين . ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها ﴾ فقيل : الأجل القريب الذى يطلبه : معناه أنه يقول عند كشف الغطاء للعبد ياملك الموت أخرنى يوما أعتذر فيه إلى ربى وأتوب وأتزود صالحا لنفسى ، فيقول : فنيت الأيام فلا يوم ، فيقول : فأخرنى ساعة فيقول : فنيت الساعات فلاساعة ، فيغلق عليه باب التوبة فيتغرغر روحه وتتردد أنفاسه فى شراسفه ، ويتجرع غصة اليأس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر ، فيضطرب أصل إيمانه فى صدمات تلك الأحوال ، فإذا زهقت نفسه فإن كان سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة ، وإن سبق له القضاء بالشقوة والعياذ بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة ، ولمثل هذا يقال ﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ﴾ وقوله ﴿ إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ﴾ ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة بأن يتندم عليها ويمحو أثرها بحسنة يردفها بها قبل أن يتراكم الرين على القلب فلايقبل المحو ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أتبع السيئة الحسنة تمحها » ولذلك قال لقمان لابنه : يا بنى لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتى بغتة ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين (أحدهما) أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصى حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو (الثانى) أن يعاجله المرض أو الموت فلايجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد فى الخبر « إن أكثر صياح أهل النار من التسويف[1] » فما هلك من هلك إلا بالتسويف . فيكون تسويده القلب نقدا وجلاؤه بالطاعة نسيئة إلى أن يختطفه الموت فيأتى الله بقلب غير سليم ، ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم ، فالقلب أمانة الله تعالى عند عبده والعمر أمانة الله عنده وكذا سائر أسباب الطاعة ، فمن خان فى الأمانة ولم يتدارك خيانته فأمره مخطر .

قال بعض العارفين : إن لله تعالى إلى عبده سرين يسرهما إليه على سبيل الإلهام : (أحدهما) إذا خرج من بطن أمه يقول له : عبدى قد أخرجتك إلى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك وائتمنتك عليه ، فانظر كيف تحفظ الأمانة وانظر إلى كيف تلقانى . (والثانى) عند خروج روحه يقول : عبدى ماذا صنعت فى أمانتى عندك هل حفظتها حتى تلقانى على العهد فألقاك على الوفاء ، أو أضعتها فألقاك بالمطالبة والعقاب . وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ أوفوا بعهدى أوف بعهدكم ﴾ وبقوله تعالى ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾ .

---

(١) حديث « إن أكثر صياح أهل النار من التسويف » لم أجد له أصلا .

بيان أن التوبة إذا استجمعت شرائطها فهى مقبولة لا محالة

اعلم أنك إذا فهمت معنى القبول لم تشك فى أن كل توبة صحيحة فهى مقبولة ، فالناظرون بنور البصائر المستمدون من أنوار القرآن علموا أن كل قلب سليم مقبول عند الله ومتنعم فى الآخرة فى جوار الله تعالى ومستعد لأن ينظر بعينه الباقية إلى وجه الله تعالى ، وعلموا أن القلب خلق سليما فى الأصل ، وكل مولود يولد على الفطرة وإنما تفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها وعلموا أن نار الندم تحرق تلك الغبرة ، وأن نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة ، وأنه لا طاقة لظلام المعاصى مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون ، وكما أن الثوب الوسخ لا يقبله الملك لأن يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله تعالى لأن يكون فى جواره ، وكما أن استعمال الثوب فى الأعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة ، فاستعمال القلب فى الشهوات يوسخ القلب ، وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره ويزكيه ، وكل قلب زكى طاهر فهو مقبول ، كما أن كل ثوب نظيف فهو مقبول ، فإنما عليك التزكية والتطهير . وأما القبول فمبذول قد سبق به القضاء الأزلى الذى لا مرد له ، وهو المسمى فلاحا فى قوله ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾ ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة أقوى وأجلى من المشاهدة بالبصر أن القلب يتأثر بالمعاصى والطاعات تأثرا متضادا يستعار لأحدهما لفظ الظلمة كما يستعار للجهل ، ويستعار للآخر لفظ النور كما يستعار للعلم ، وأن بين النور والظلمة تضادا ضروريا لا يتصور الجمع بينهما ، فكأنه لم يتلق من الدين إلا قشوره ولم يعلق به إلا أسماؤه وقلبه فى غطاء كثيف عن حقيقة الدين بل عن حقيقة نفسه وصفات نفسه ، ومن جهل نفسه فهو بغيره أجهل وأعنى به قلبه ، إذ بقلبه يعرف غير قلبه ، فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه ، فمن يتوهم أن التوبة تصح ولا تقبل كمن يتوهم أن الشمس تطلع والظلام لا يزول ، والثوب يغسل بالصابون والوسخ لا يزول إلا أن يغوص الوسخ لطول تراكمه فى تجاويف الثوب وخلله فلا يقوى الصابون على قلعه ، فمثال ذلك أن تتراكم الذنوب حتى تصير طبعا ورينا على القلب فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب ، نعم قد يقول باللسان تبت فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب أصلا ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن به ، فهذا حال امتناع أصل التوبة ، وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين عن الله بالكلية ، فهذا البيان كاف عند ذوى البصائر فى قبول التوبة ، ولكنا نعضد جناحه بنقل الآيات والأخبار والآثار فكل استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة لا يوثق به ، وقد قال تعالى ﴿ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ﴾ وقال تعالى ﴿ غافر الذنب وقابل التوب ﴾ إلى غير ذلك من الآيات . وقال صلى الله عليه وسلم « لله أفرح بتوبة أحدكم ... الحديث » والفرح وراء القبول ، فهو دليل على القبول وزيادة . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسىء الليل إلى النهار ولمسىء النهار إلى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها [1] » وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل ، فرب قابل ليس بطالب ولا طالب إلا وهو قابل . وقال صلى الله عليه وسلم « لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم [2] » وقال أيضا « إن العبد ليذنب

---

(١) حديث « إن الله يبسط يده بالتوبة لمسىء الليل الى النهار ... الحديث » رواه مسلم من حديث أبى موسى بلفظ « يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ... الحديث » وفى رواية الطبرانى « لمسىء الليل أن يتوب بالنهار . الحديث » (٢) حديث « لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم » أخرجه ابن ماجه من حديث أبى هريرة واسناده حسن بلفظ « لو أخطأتم » وقال « ثم تبتم » .

الذنب فيدخل به الجنة ، فقيل : كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : يكون نصب عينه تائبا منه فارّا حتى يدخل الجنة [١] ، وقال صلى الله عليه وسلم « كفارة الذنب الندامة [٢] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

ويروى « أن حبشيا قال : يارسول الله إنى كنت أعمل الفواحش فهل لى من توبة ؟ قال « نعم » فولى ثم رجع فقال : يارسول الله أكان يرانى وأنا أعملها ؟ قال « نعم » فصاح الحبشى صيحة خرجت فيها روحه [٣] » .

ويروى أن الله عز وجل لما لعن إبليس سأله النظرة فأنظره إلى يوم القيامة ، فقال : وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح ، فقال الله تعالى : وعزتى وجلالى لا حجبت عنه التوبة ما دام الروح فيه [٤] .

وقال صلى الله عليه وسلم « إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ [٥] » والأخبار فى هذا لاتحصى .

وأما الآثار : فقد قال سعيد بن المسيب أنزل قوله تعالى ﴿ إنه كان للأوابين غفورا ﴾ فى الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب .

وقال الفضيل : قال الله تعالى : بشر المذنبين بأنهم إن تابوا قبلت منهم ، وحذر الصدّيقين أنى إن وضعت عليهم عدلى عذبتهم .

وقال طاق بن حبيب : إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العبد ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين .

وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : من ذكر خطيئة ألم بها فوجل منها قلبه محيت عنه فى أم الكتاب .

ويروى أن نبيا من أنبياء بنى إسرائيل أذنب فأوحى الله تعالى إليه : وعزتى لئن عدت لأعذبنك فقال يارب أنت أنت وأنا أنا وعزتك إن لم تعصمنى لأعودن فعصمه الله تعالى .

وقال بعضهم : إن العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول إبليس : ليتنى لم أوقعه فى الذنب .

وقال حبيب بن ثابت : تعرض على الرجل ذنوبه يوم القيامة فيمر بالذنب فيقول . أما إنى قد كنت مشفقا منه ، : فيغفر له .

ويروى أن رجلا سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به هل له من توبة ؟ فأعرض عنه ابن مسعود ثم التفت إليه فرأى عينيه تذرفان ؛ فقال له : إن للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فإن عليه ملكا موكلا به لا يغلق فاعمل ولا تيأس .

وقال عبد الرحمن بن أبى القاسم : تذاكرنا مع عبد الرحيم توبة الكافر وقول الله تعالى ﴿ إن ينتهوا

---

(١) حديث « إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة ... الحديث » أخرجه ابن المبارك فى الزهد عن المبارك بن فضالة عن الحسن مرسلا ، ولأبى نعيم فى الحلية من حديث أبى هريرة « إن العبد ليذنب الذنب فإذا ذكره أحزنه ، فإذا نظر الله إليه أنه أحزنه غفر له .. الحديث » وفيه صالح المرى ، وهو رجل صالح لكنه مضعف فى الحديث . ولابن أبى الدنيا فى التوبة عن ابن عمر « إن الله لينفع العبد بالذنب يذنبه » والحديث غير محفوظ ، قاله العقيلى (٢) حديث « كفارة الذنب الندامة » أخرجه أحمد والطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس ، وفيه يحيى بن عمرو بن مالك البشكرى ضعيف .

(٣) حديث : أن حبشيا قال يارسول الله إنى كنت أعمل الفواحش فهل لى من توبة قال « نعم » الحديث لم أجد له أصلا

(٤) حديث « إن الله لما لعن ابليس سأله النظرة فأنظره الى يوم القيامة فقال: وعزتك لاخرجت من قلب ابن آدم مادام فيه الروح ... الحديث » أخرجه أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه من حديث أبى سعيد أن الشيطان قال : وعزتك يارب لاأزال أغوى عبادك مادامت أرواحهم فى أجسادهم ، فقال : وعزتى وجلالى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى ، أورده المصنف بصيغة : ويروى كذا ولم يعزه الى النبى صلى الله عليه ، فذكرته احتياطا (٥) حديث « ان الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ » لم أجده بهذا اللفظ ، وهو صحيح المعنى ، وهو بمعنى « أتبع السيئة الحسنة تمحها » رواه الترمذى وتقدم قريبا .

يغفر لهم ما قد سلف ﴾ فقال إنى لأرجو أن يكون المسلم عند الله أحسن حالا ، ولقد بلغنى أن توبة المسلم كإسلام بعد إسلام .

وقال عبد الله بن سلام : لا أحدثكم إلا عن نبى مرسل أو كتاب منزل ، إن العبد إذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه أسرع من طرفة عين .

قال عمر رضى الله عنه : اجلسوا إلى التوابين فإنهم أرق أفئدة .

وقال بعضهم : أنا أعلم متى يغفر الله لى . قيل : ومتى ؟ قال : إذا تاب على .

وقال آخر : أنا من أن أحرم التوبة أخوف من أن أحرم المغفرة ، أى المغفرة من لوازم التوبة وتوابعها لامحالة .

ويروى أنه كان فى بنى إسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ، ثم نظر فى المرآة فرأى الشيب فى لحيته فساءه ذلك فقال : إلهى أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة ، فإن رجعت إليك أتقبلنى ؟ فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصا : أحببتنا فأحببناك ، وتركتنا فتركناك ، وعصيتنا فأمهلناك ، وإن رجعت إلينا قبلناك .

وقال ذو النون المصرى رحمه الله تعالى : إن لله عبادا نصبوا أشجار الخطايا نصب رواق القلوب، وسقوها بماء التوبة فأثمرت ندما وحزنا ، فجنوا من غير جنون وتبلدوا من غير عى ولا بكم ، وإنهم هم البلغاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله ، ثم شربوا بكأس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء ، ثم تولهت قلوبهم فى الملكوت وجالت أفكارهم بين سرايا حجب الجبروت ، واستظلوا تحت رواق الندم وقرءوا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا إلى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة ، وسرحت أرواحهم فى العلا حتى أناخوا فى رياض النعيم وخاضوا فى بحر الحياة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة وأقلعوا بريح النجاة فى بحر السلامة حتى وصلوا إلى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة ، فهذا القدر كاف فى بيان أن كل توبة صحيحة مقبولة لا محالة .

فإن قلت : أفتقول ما قالته المعتزلة من أنّ قبول التوبة واجب على الله ؟ فأقول : لا أعنى بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله إلا ما يريده القائل بقوله : إن الثوب إذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ ، وإن العطشان إذا شرب الماء وجب زوال العطش ، وأنه إذا منع الماء مدّة وجب العطش ، وأنه إذا دام العطش وجب الموت ، وليس فى شىء من ذلك ما يريده المعتزلة بالإيجاب على الله تعالى ، بل أقول : خلق الله تعالى الطاعة مكفرة للمعصية ، والحسنة ماحية للسيئة ، كما خلق الماء مزيلا للعطش ، والقدرة متسعة بخلافه لو سبقت به المشيئة ، فلا واجب على الله تعالى ، ولكن ماسبقت به إرادته الأزلية فواجب كونه لا محالة

فإن قلت : فما من تائب إلا وهو شاك فى قبول توبته ، والشارب للماء لا يشك فى زوال عطشه فلم يشك فيه ؟ فأقول شكه فى القبول كشكه فى وجود شرائط الصحة ، فإنّ للتوبة أركانا وشروطا دقيقة كما سيأتى ، وليس يتحقق وجود جميع شروطها كالذى يشك فى دواء شربه للإسهال فإنه هل يسهل وذلك لشكه فى حصول شروط الإسهال فى الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء وطبخه وجودة عقاقيره وأدويته ، فهذا وأمثاله موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك فى قبولها لا محالة على ما سيأتى فى شروطها إن شاء الله تعالى ،

الركن الثانى فيما عنه التوبة وهى الذنوب صغائرها وكبائرها

اعلم أنّ التوبة ترك الذنب ، ولا يمكن ترك الشيء إلا بعد معرفته ، وإذا كانت التوبة واجبة كان مالا يتوصل إليها إلا بهواجبا ، فمعرفة الذنوب إذن واجبة ، والذنب عبارة عن كل ماهو مخالف لأمر الله تعالى فى ترك أوفعل وتفصيل ذلك يستدعى شرح التكليفات من أوّلها إلى آخرها ، وليس ذلك من غرضنا ، ولكنا نشير إلى مجامعها وروابط أقسامها ، والله الموفق للصواب برحمته .

بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات العبد

اعلم أنّ للإنسان أوصافا وأخلاقا كثيرة على ما عرف شرحه فى كتاب عجائب القلب وغوائله ، ولكن تنحصر مثارات الذنوب فى أربع صفات : صفات ربوبية ، وصفات شيطانية ، وصفات بهيمية ، وصفات سبعية . وذلك لأن طينة الإنسان عجنت من أخلاط مختلفه ، فاقتضى كل واحد من الأخلاط فى المعجون منه أثرا من الآثار كما يقتضى السكر والخل والزعفران فى السكنجبين آثارا مختلفة ، فأما ما يقتضى النزوع إلى الصفات الربوبية فمثل الكبر والفخر والجبرية وحب المدح والثناء والغنى وحب دوام البقاء وطلب الاستعلاء على الكافة حتى كأنه يريد أن يقول : أنا ربكم الأعلى ، وهذا يتشعب منه جملة من كبائر الذنوب غفل عنها الخلق ولم يعدّوها ذنوبا وهى المهلكات العظيمة التى هى كالأمهات لأكثر المعاصى كما استقصيناه فى ربع المهلكات (الثانية) هى الصفة الشيطانية التى منها يتشعب الحسد والبغى والحيلة والخداع والأمر بالفساد والمكر وفيه يدخل الغش والنفاق والدعوة إلى البدع والضلال . (الثالثة) الصفة البهيمية ومنها يتشعب الشره والكلب والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ، ومنه يتشعب الزنا واللوط والسرقة وأكل مال الأيتام وجمع الحطام لأجل الشهوات . (الرابعة) الصفة السبعية ، ومنها يتشعب الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الأموال ، ويتفرّع عنها جمل من الذنوب ، وهذه الصفات لها تدريج فى الفطرة ، فالصفة البهيمية هى التى تغلب أوّلا ثم تتلوها الصفة السبعية ثانيا ، ثم إذا اجتمعا استعملا العقل فى الخداع والمكر والحيلة وهى الصفة الشيطانية ، ثم بالآخرة تغلب الصفات الربوبية وهى الفخر والعز والعلو وطلب الكبرياء وقصد الاستيلاء على جميع الخلق . فهذه أمهات الذنوب ومنابعها ثم تنفجر الذنوب من هذه المنابع على الجوارح ، فبعضها فى القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق وإضمار السوء للناس ، وبعضها على العين والسمع ، وبعضها على اللسان ، وبعضها على البطن والفرج ، وبعضها على اليدين والرجلين وبعضها على جميع البدن ، ولا حاجة إلى بيان تفصيل ذلك فإنه واضح .

قسمة ثانية : أعلم أنّ الذنوب تقسم إلى مابين العبد وبين الله تعالى وإلى ما يتعلق بحقوق العباد . فما يتعلق بالعبد خاصة كترك الصلاة والصوم والواجبات الخاصة به ومايتعلق بحقوق العباد كتركه الزكاة وقتله النفس وغصبه الأموال وشتمه الأعراض وكل متناول من حق الغير ، فإما نفس أو طرف أو مال أو عرض أو دين أو جاه ، وتناول الدين بالإغواء والدعاء إلى البدعه والترغيب فى المعاصى وتهييج أسباب الجراءة على الله تعالى كما يفعله بعض الوعاظ بتغليب جانب الرجاء على جانب الخوف وما يتعلق بالعباد فالأمر فيه أغلظ ، وما بين العبد وبين الله تعالى إذا لم يكن شركا فالعفو فيه أرجى وأقرب ، وقد جاء فى الخبر ، الدواوين ثلاثة : ديوان يغفر ، وديوان لايغفر ، وديوان لا يترك : فالديوان الذى يغفر : ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى : وأما الديوان الذى لايغفر : **فالشرك**

بالله تعالى . وأما الديوان الذى لا يترك . فظالم العباد [١] ، أى لابد وأن يطالب بها حتى يعفى عنها .

قسمة ثالثة : اعلم أنّ الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر ، وقد كثر اختلاف الناس فيها ، فقال قائلون : لا صغيرة ولا كبيرة ، بل كل مخالفة لله فهى كبيرة ، وهذا ضعيف ، إذ قال تعالى ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ﴾ وقال تعالى ﴿ الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة يكفرن ما بينهن إن اجتنبت الكبائر [٢] » وفى لفظ آخر « كفارات لما بينهن إلا الكبائر » وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص « الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس [٣] » واختلف الصحابة والتابعون فى عدد الكبائر من أربع إلى سبع إلى تسع إلى إحدى عشرة فما فوق ذلك ، فقال ابن مسعود : هن أربع . وقال ابن عمر : هن سبع . وقال عبد الله بن عمرو : هن تسع . وكان ابن عباس إذا بلغه قول ابن عمر : الكبائر سبع ، يقول : هن إلى سبعين أقرب منها إلى سبع ، وقال مرة : كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة : وقال غيره : كل ما أوعد الله عليه بالنار فهو من الكبائر . وقال بعض السلف : كل ما أوجب عليه الحدّ فى الدنيا فهو كبيرة ، وقيل : إنها مبهمة لا يعرف عددها كليلة القدر وساعة يوم الجمعة ، وقال ابن مسعود لما سئل عنها : اقرأ من أول سورة النساء إلى رأس ثلاثين آية منها عند قوله ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ﴾ فكل ما نهى الله عنه فى هذه السورة إلى هنا فهو كبيرة . وقال أبو طالب المكى : الكبائر سبع عشر جمعتها من جملة الأخبار [٤] ، وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر

---

(١) حديث « الدواوين ثلاثة : ديوان يغفر ... الحديث » أخرجه أحمد والحاكم وصححه من حديث عائشة ، وفيه صدقة بن موسى الدقيقى ضعفه ابن معين وغيره ، وله شاهد من حديث سلمان ، رواه الطبرانى . (٢) حديث « الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة تكفر ما بينهن ان اجتنبت الكبائر » رواه مسلم من حديث أبى هريرة . (٣) حديث عبد الله بن عمرو « الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس » رواه البخارى .

(٤) الأخبار الواردة فى الكبائر حكى المصنف عن أبى طالب المكى أنه قال : الكبائر سبع عشرة جمعها من جملة الأخبار ، وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم . الشرك بالله ، والإصرار على معصيته ، والقنوط من رحمته ، والأمن من مكره ، وشهادة الزور ، وقذف المحصن ، واليمين الغموس ، والسحر ، وشرب الخمر والمسكر ، وأكل مال اليتيم ظلما وأكل الربا ، والزنا ، واللواط ، والقتل ، والسرقة ، والفرار من الزحف ، وعقوق الوالدين . انتهى . وسأذكر ما ورد منها مرفوعا ، وقد تقدم أربعة منها فى حديث عبد الله بن عمرو . وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا : يارسول الله وما هى ؟ قال « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات » ولهما من حديث أبى بكرة « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قال « الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور — أو قال قول الزور — » ولهما من حديث أنس : سئل عن الكبائر قال « الشرك بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين » وقال « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قال : قول الزور ، أو قال شهادة الزور » ولهما من حديث ابن مسعود : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الذنب أعظم : قال « أن تجعل لله ندا وهو خلقك » قلت ثم أى ؟ قال « أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك » قلت ثم أى ؟ قال « أن تزانى حليلة جارك » . وللطبرانى من حديث سلمة بن قيس : « أنهاك أربع : لاتشركوا بالله شيئا ، ولاتقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ولاتزنوا ، ولاتسرقوا » وفى الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت : « بايعونى على أن لاتشركوا بالله شيئا ، ولاتزنوا ، ولاتسرقوا » وفى الأوسط للطبرانى من حديث ابن عباس « الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر » وفيه موقوفا على عبد الله بن عمرو « أعظم الكبائر شرب الخمر » وكلاهما ضعيف . وللبزار من حديث ابن عباس بإسناد حسن : أن رجلا قال يارسول الله ما الكبائر ؟ قال « الشرك بالله ، والإياس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله » وله من حديث بريدة « أكبر الكبائر الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، ومنع فضل الماء ومنع الفحل » وفيه صالح ابن حبان ضعفه ابن معين والنسائى وغيرهما ، وله من حديث أبى هريرة « الكبائر أولهن الاشراك بالله » وفيه « والانتقال الى الأعراب بعد هجرته » وفيه خالد بن يوسف السمين ضعيف والطبرانى فى الكبير من حديث سهل بن أبى حثمة فى الكبائر « والتعرب بعد الهجرة » وفيه ابن لهيعة ، وله فى الأوسط من حديث أبى سعيد الخدرى « الكبائر سبع » وفيه « والرجوع الى الأعرابية بعد الهجرة » وفيه أبو بلال الأشعرى ضعفه الدارقطنى ، وللحاكم من حديث عبيد بن عمير عن أبيه « الكبائر تسع » فذكر منها

وغيرهم : أربعة فى القلب وهى الشرك بالله ، والإصرار على معصيته ، والقنوط من رحمته ، والأمن من مكره . وأربع فى اللسان ، وهى : شهادة الزور ، وقذف المحصن ، واليمين الغموس ـ وهى التى يحق بها باطلا أو يبطل بها حقا ، وقيل هى التى يقتطع بها مال امرئ مسلم باطلا ولو سواكا من أراك . وسميت غموسا لأنها تغمس صاحبها فى النار . والسحر : وهو كل كلام يغير الإنسان وسائر الأجسام عن موضوعات الخلقة . وثلاث فى البطن : وهى شرب الخمر والسكر من كل شراب ، وأكل مال اليتيم ظلما ، وأكل الربا وهو يعلم واثنتان فى الفرج وهما : الزنا واللواط . واثنتان فى اليدين وهما : القتل والسرقة وواحدة فى الرجلين : وهى الفرار من الزحف الواحد من اثنتين والعشرة من العشرين . وواحدة فى جميع الجسد وهى عقوق الوالدين ، قال : وجملة عقوقهما أن يقسما عليه فى حق فلا يبر قسمهما ، وإن سألاه حاجة فلا يعطيهما ، وأن يسباه فيضربهما ، ويجوعان فلا يطعمهما : هذا ما قاله وهو قريب ، ولكن ليس يحصل به تمام الشفاء ، إذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه ، فإنه جعل أكل الربا ومال اليتيم من الكبائر ، وهى جناية على الأموال ، ولم يذكر فى كبائر النفوس إلا القتل ، فأما فقء العين وقطع اليدين وغير ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وأنواع العذاب فلم يتعرض له ، وضرب اليتيم وتعذيبه وقطع أطرافه لا شك فى أنه أكبر من أكل ماله ، كيف وفى الخبر « من الكبائر السبتان بالسبة ومن الكبائر استطالة الرجل فى عرض أخيه المسلم [1] » وهذا زائد على قذف المحصن . وقال أبو سعيد الخدرى وغيره من الصحابة : إنكم لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر [2] . وقالت طائفة كل عمد كبيرة وكل ما نهى الله عنه فهو كبيرة ، وكشف الغطاء عن هذا أن نظر الناظر فى السرقة أهى كبيرة

= واستحلال البيت الحرام » وللطبراني من حديث واثلة « إن من أكبر الكبائر أن يقول الرجل على ما لم أقل » وله أيضا من حديثه « إن من أكبر الكبائر أن ينتفى الرجل من ولده » ولمسلم من حديث جابر « بين الرجل وبين الشرك ـ أو الكفر ترك الصلاة » ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو « من الكبائر شتم الرجل والديه » ولأبي داود من حديث سعيد بن زيد « من أربى الربا الاستطالة فى عرض المسلم بغير حق » وفى الصحيحين من حديث ابن عباس : أنه صلى الله عليه وسلم مر على قبرين فقال إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير وإنه لكبير ، أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله » الحديث ولأحمد فى هذه القصة من حديث أبي بكرة « أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس » الحديث ولأبى داود والترمذى من حديث أنس « عرضت على ذنوب أمتى فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها » سكت عليه أبو داود واستغربه البخارى والترمذى وروى ابن أبى شيبة فى التوبة من حديث ابن عباس « لا صغيرة مع إصرار » وفيه أبو شيبة الخراسانى والحديث منكر يعرف به . وأما الموقوفات فروى الطبرانى والبيهقى فى الشعب عن ابن مسعود قال الكبائر الإشراك بالله ، والأمن من مكر الله ، والقنوط من رحمة الله ، واليأس من روح الله . وروى البيهقى فيه عن ابن عباس قال : الكبائر الإشراك بالله ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس التى حرم الله ، وقذف المحصنات ، وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف ، وأكل الربا ، والسحر ، والزنا ، واليمين الغموس الفاجرة ، والغلول ، ومنع الزكاة . وشهادة الزور ، وكتمان الشهادة وشرب الخمر ، وترك الصلاة متعمدا وأشياء مما فرضها الله ، ونقض العهد ، وقطيعة الرحم . وروى ابن أبى الدنيا فى التوبة عن ابن عباس : كل ذنب أصر عليه العبد كبيرة ، وفيه الربيع بن صبيح مختلف فيه . وروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس عن أنس قوله : لا صغيرة مع الإصرار ، وإسناده جيد ؛ فقد اجتمع من المرفوعات والموقوفات ثلاثة وثلاثون أو اثنان وثلاثون ، إلا أن بعضها لا يصح إسناده كما تقدم ، وإنما ذكرت الموقوفات حتى يعلم ما ورد فى المرفوع وما ورد فى الموقوف . وللبيهقى فى الشعب عن ابن عباس أنه قيل له : الكبائر سبع ، فقال : هى إلى السبعين أقرب . وروى البيهقى أيضا فيه عن ابن عباس قال : كل ما نهى الله عنه كبيرة والله أعلم .

(١) حديث « من الكبائر السبتان بالسبة ومن الكبائر استطالة الرجل فى عرض أخيه المسلم » عزاه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس لأحمد وأبى داود من حديث سعيد بن زيد ، والذى عندهما من حديثه « من أربى الربا استطالة الرجل فى عرض المسلم بغير حق » كما تقدم . (٢) حديث أبى سعيد الخدرى وغيره من الصحابة : إنكم تعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر . أخرجه أحمد والبزار بسند صحيح وقال « من الموبقات » بدل الكبائر . ورواه البخارى من حديث أنس وأحمد والحاكم من حديث عبادة بن قرص وقال . صحيح الاسناد .

أم لا : لا يصح ، ما لم يفهم معنى الكبيرة ، والمراد بها كقول القائل : السرقة حرام أم لا ؟ ولا مطمع فى تعريفه إلا بعد تقرير معنى الحرام أولا ثم البحث عن وجوده فى السرقة ؛ فالكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص فى اللغة ولا فى الشرع ، وذلك لأنّ الكبير والصغير من الإضافات ، وما من ذنب إلا وهو كبير بالإضافة إلى مادونه ، وصغير بالإضافة إلى ما فوقه ، فالمضاجعة مع الأجنبية كبيرة بالإضافة إلى النظرة ، صغيرة بالإضافة إلى الزنا ، وقطع يد المسلم كبيرة بالإضافة إلى ضربه ، صغيرة بالإضافة إلى قتله . نعم للإنسان أن يطلق على ما توعد بالنار على فعله خاصة اسم الكبيرة ، ونعنى بوصفه بالكبيرة : أنّ العقوبة بالنار عظيمة ، وله أن يطلق على ما أوجب الحدّ عليه مصيرا إلى أنّ ما عجل عليه فى الدنيا عقوبة واجبة عظيم ، وله أن يطلق على ما ورد فى نص الكتاب النهى عنه فيقول : تخصيصه بالذكر فى القرآن يدل على عظمه ، ثم يكون عظيما وكبيرة لا محالة بالإضافة ، إذ منصوصات القرآن أيضاً تتفاوت درجاتها ، فهذه الإطلاقات لا حرج فيها ، وما نقل من ألفاظ الصحابة يتردّد بين هذه الجهات ، ولا يبعد تنزيلها على شىء من هذه الاحتمالات ، نعم من المهمات أن تعلم معنى قول الله تعالى ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلوات كفارات لما بينهن إلا الكبائر » فإن هذا إثبات حكم الكبائر . والحق فى ذلك أن الذنوب منقسمة فى نظر الشرع إلى ما يعلم استعظامه إياها ، وإلى ما يعلم إنها معدودة فى الصغائر ، وإلى ما يشك فيه ، فلا يدرى حكمه ، فالطمع فى معرفة حدّ حاصر أو عدد جامع مانع طلب لما لم يمكن فإن ذلك لا يمكن إلا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول : إنى أردت بالكبائر عشرا أو خمسا ويفصلها فإن لم يرد هذا ـ بل ورد فى بعض الألفاظ « ثلاث من الكبائر[1] » وفى بعضها « سبع من الكبائر[2] » ثم ورد « أن السبعين بالنسبة الواحدة من الكبائر » وهو خارج عن السبع والثلاث : علم أنه لم يقصد به العدد بما يحصر ، فكيف يطمع فى عدد ما لم يعده الشرع؟ وربما قصد الشرع ابهامه ليكون العباد منه على وجل ، كما أبهم ليلة القدر ليعظم جدّ الناس فى طلبها ، نعم لنا سبيل كلى يمكننا أن نعرف به أجناس الكبائر وأنواعها بالتحقيق . وأما أعيانها فنعرفها بالظن والتقريب ، ونعرف أيضا أكبر الكبائر ، فأما أصغر الصغائر فلا سبيل إلى معرفته . وبيانه أنا نعلم بشواهد الشرع وأنوار البصائر جميعا أن مقصد الشرائع كلها سياق الخلق إلى جوار الله تعالى وسعادة لقائه ، وأنه لا وصول لهم إلى ذلك إلا بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وكتبه ورسله ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ أى ليكونوا عبيد لى ، ولا يكون العبد عبدا ما لم يعرف ربه بالربوبيه ونفسه بالعبودية ولا بدّ أن يعرف نفسه وربه ، فهذا هو المقصود الأقصى بعثة الأنبياء ، ولكن لا يتم هذا إلا فى الحياة الدنيا ، وهو المعنى بقوله عليه الصلاة والسلام « الدنيا مزرعة الآخرة[3] » فصار حفظ الدنيا أيضا مقصودا تابعا للدين لأنه وسيلة إليه . والمتعلق من الدنيا بالآخرة شيئان : النفوس والأموال ، فكل ما يسدّ باب معرفة الله تعالى فهو أكبر الكبائر ويليه ما يسدّ باب حياة النفوس ويليه باب ما يسدّ المعايش التى بها حياة الناس ، فهذه ثلاث مراتب ، فحفظ

---

(١) حديث « ثلاث من الكبائر » أخرجه الشيخان من حديث أبى بكرة ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ـ ثلاث ـ الحديث » وقد تقدم . (٢) حديث « سبع من الكبائر » رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى سعيد « الكبائر سبع » وقد تقدم وله فى الكبير من حديث عبد الله بن عمر « من صلى الصلوات الخمس واجتنب الكبائر ... الحديث » ثم عدهن سبعا . وتقدم عن الصحيحين حديث أبى هريرة « اجتنبوا السبع الموبقات » . (٣) حديث « الدنيا مزرعة الآخرة » لم أجده بهذا اللفظ مرفوعا وروى العقيلى فى الضعفاء وأبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق من حديث طارق بن أشيم « نعمت الدار الدنيا لمن تزودمنها لآخرته » الحديث ، وإسناده ضعيف .

المعرفة على القلوب ، والحياة على الأبدان ، والأموال على الأشخاص ضرورى فى مقصود الشرائع كلها ، وهذه ثلاثة أمور لا يتصور أن تختلف فيها الملل ، فلا يجوز أنّ الله تعالى يبعث نبيا يريد ببعثه إصلاح الخلق فى دينهم ودنياهم ثم يأمرهم بما يمنعهم عن معرفته ومعرفة رسله ؛ أو يأمرهم بإهلاك النفوس وإهلاك الأموال ، فحصل من هذا أن الكبائر على ثلاث مراتب : (الأولى) ما يمنع من معرفة الله تعالى ومعرفة رسله وهو الكفر ، فلا كبيرة فوق الكفر ، إذ الحجاب بين الله وبين العبد هو الجهل ، والوسيلة المقربة له إليه هو العلم والمعرفة ، وقربه بقدر معرفته ، وبعده بقدر جهله ، ويتلو الجهل الذى يسمى كفرا الأمن من مكر الله والقنوط من رحمته ، فإن هذا أيضا عين الجهل ، فمن عرف الله لم يتصور أن يكون آمنا ولا أن يكون آيسا ، ويتلو هذه الرتبة البدع كلها المتعلقة بذات الله وصفاته وأفعاله وبعضها أشدّ من بعض ، وتفاوتها على حسب تفاوت الجهل بها وعلى حسب تعلقها بذات الله سبحانه بأفعاله وشرائعه وبأوامره ونواهيه ، ومراتب ذلك لا تنحصر ، وهى تنقسم إلى ما يعلم أنها داخلة تحت ذكر الكبائر المذكورة فى القرآن ، وإلى ما يعلم أنه لا يدخل ؛ وإلى ما يشك فيه وطلب دفع الشك فى القسم المتوسط طمع فى غير مطمع . (المرتبة الثانية) النفوس إذ ببقائها وحفظها تدوم الحياة وتحصل المعرفة بالله ، فقتل النفس لا محالة من الكبائر وإن كان دون الكفر ، لأن ذلك يصدم عين المقصود وهذا يصدم وسيلة المقصود ، إذ حياة الدنيا لا تراد إلا للآخرة والتوصل إليها بمعرفة الله تعالى ، ويتلو هذه الكبيرة قطع الأطراف وكل ما يفضى إلى الهلاك حتى الضرب وبعضها أكبر من بعض ، ويقع فى هذه الرتبة تحريم الزنا واللواط ، لأنه لو اجتمع الناس على الاكتفاء بالذكور فى قضاء الشهوات انقطع النسل ، ودفع الموجود قريب من قطع الوجود . وأما الزنا فإنه لا يفوت أصل الوجود ولكن يشوش الأنساب ويبطل التوارث والتناصر وجملة من الأمور التى لا ينتظم العيش إلا بها ، بل كيف يتم النظام مع إباحة الزنا ولا ينتظم أمور البهائم مالم يتميز الفحل منها بإناث يختص بها عن سائر الفحول ، ولذلك لا يتصور أن يكون الزنا مباحا فى أصل شرع قصد به الإصلاح ، وينبغى أن يكون الزنا فى الرتبة دون القتل ، لأنه ليس يفوت دوام الوجود ولا يمنع أصله ولكنه يفوت تمييز الأنساب ويحرك من الأسباب ما يكاد يفضى إلى التقاتل وينبغى أن يكون أشدّ من اللواط لأن الشهوة داعية إليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويعظم أثر الضرر بكثرته . (المرتبة الثالثة) الأموال فإنها معايش الخلق فلا يجوز تسلط الناس على تناولها كيف شاءوا حتى بالاستيلاء والسرقة وغيرهما ، بل ينبغى أن تحفظ لتبقى ببقائها النفوس ، إلا أن الأموال إذا أخذت أمكن استردادها وإن أكلت أمكن تغريمها فليس يعظم الأمر فيها . نعم إذا جرى تناولها بطريق يعسر التدارك له فينبغى أن يكون ذلك من الكبائر ، وذلك بأربع طرق : أحدها الخفية ، وهى السرقة فإنه إذا لم يطلع عليه غالبا كيف يتدارك . الثانى : أكل مال اليتيم ، وهذا أيضا من الخفية وأعنى به فى حق الولى والقيم فإنه مؤتمن فيه وليس له خصم سوى اليتيم وهو صغير لا يعرفه فتعظيم الأمر فيه واجب ، بخلاف الغصب فإنه ظاهر يعرف ، وبخلاف الخيانة فى الوديعة فإن المودع خصم فيه ينتصف لنفسه . الثالث : تفويتها بشهادة الزور . الرابع : أخذ الوديعة وغيرها باليمين الغموس فإن هذه طريق لا يمكن فيها التدارك ولا يجوز أن تختلف الشرائع فى تحريمها أصلا ، وبعضها أشدّ من بعض وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس : وهذه الأربعة جديرة بأن تكون مرادة بالكبائر وإن لم يوجب الشرع الحد فى بعضها ، ولكن أكثر الوعيد عليها وعظم فى مصالح الدنيا تأثيرها . وأما أكل الربا فليس إلا أكل مال الغير بالتراضى مع الإخلال بشرط وضعه الشرع ولا يبعد أن تختلف الشرائع

فى مثله ، وإذا لم يجعل الغصب الذى هو أكل مال الغير بغيره رضاه وبغير رضا الشرع من الكبائر فأكل الربا أكل برضا المالك ولكن دون رضا الشرع ، وإن عظم الشرع الزنا بالزجر عنه فقد عظم أيضا الظلم بالغصب وغيره وعظم الخيانة ، والمصير إلى أنّ أكل دانق بالخيانة أو الغصب من الكبائر فيه نظر ، وذلك واقع فى مظنة الشك وأكثر ميل الظنّ إلى أنه غير داخل تحت الكبائر ، بل ينبغى أن تختص الكبيرة بما لا يجوز اختلاف الشرع فيه ليكون ضروريا فى الدين ، فيبقى مما ذكره أبوطالب المكى القذف والشرب والسحر والفرار من الزحف وحقوق الوالدين . أما الشرب لما يزيل العقل فهو جدير بأن يكون من الكبائر ، وقد دل عليه تشديدات الشرع وطريق النظر أيضا ، لأن العقل محظوظ كما أنّ النفس محظوظة ، بل لا خير فى النفس دون العقل ، فإزالة العقل من الكبائر ولكن هذا لايجرى فى قطرة من الخمر ، فلاشك فى أنه لو شرب ماء فيه قطرة من الخمر ، لم يكن ذلك كبيرة وإنما هو شرب ماء نجس ، والقطرة وحدها فى محل الشك ، وإيجاب الشرع الحدّ به يدل على تعظيم أمره ، فيعد ذلك من الكبائر بالشرع ، وليس فى قوّة البشرية الوقوف على جميع أسرار الشرع ، فإن ثبت إجماع فى أنه كبيرة وجب الاتباع ، ولا فللتوقف فيه مجال . وأما القذف فليس فيه إلا تناول الأعراض ، والأعراض دون الأموال فى الرتبة ، ولتناولها مراتب ، وأعظمها التناول بالقذف بالإضافة إلى فاحشة الزنا ، وقد عظم الشرع أمره ، وأظن ظنا غالباً أن الصحابة كانوا يعدّون كل مايجب به الحدّ كبيرة ، فهو بهذا الاعتبار لاتكفره الصلوات الخمس ، وهو الذى نريده بالكبيرة الآن ، ولكن من حيث إنه يجوز أن تختلف فيه الشرائع فالقياس بمجرّده لا يدل على كبره وعظمته ، بل كان يجوز أن يرد الشرع بأنّ العدل الواحد إذا رأى إنسانا يزنى فله أن يشهد ويجلد المشهود عليه بمجرّد شهادته ، فإن لم تقبل شهادته فحدّه ليس ضروريا فى مصالح الدنيا وإن كان على الجملة من المصالح الظاهرة الواقعة فى رتبة الحاجات ، فإذن هذا أيضا يلحق بالكبائر فى حق من عرف حكم الشرع ، فأما من ظن أنّ له أن يشهد وحده ، أوظن أنه يساعده على شهادة غيره فلا ينبغى أن يجعل فى حقه من الكبائر . وأما السحر فإن كان فيه كفر فكبيرة ، وإلا فعظمته بحسب الضرر الذى يتولد منه من هلاك نفس أو مرض أو غيره وأما الفرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا أيضا ينبغى أن يكون من حيث القياس فى محل التوقف ، وإذا قطع بأن سب الناس بكل شىء سوى الزنا ، وضربهم ، والظلم لهم بغصب أموالهم ، وإخراجهم من مساكنهم وبلادهم ، وإجلائهم من أوطانهم ليس من الكبائر ـ إذ لم ينقل ذلك فى السبع عشرة كبيرة وهو أكبر ماقيل فيه ـ فالتوقف فى هذا أيضا غير بعيد ، ولكن الحديث يدل على تسميته كبيرة فليلحق بالكبائر . فإذا رجع حاصل الأمر إلى أنا نعنى بالكبيرة مالاتكفره الصلوات بحكم الشرع . وذلك مما انقسم إلى ما علم أنه لا تكفره قطعا وإلى مايبغى أن تكفره وإلى ما يتوقف فيه ، والمتوقف فيه بعضه مظنون للنفى والإثبات وبعضه مشكوك فيه وهو شك لا يزيله إلا نص كتاب أو سنة ، وإذن لامطمع فيه ـ فطلب رفع الشك فيه محال .

* فإن قلت . فهذا إقامة برهان على استحالة معرفة حدّها ، فكيف يردّ الشرع بما يستحيل معرفة حدّه ؟ فاعلم أنّ كل مالا يتعلق به حكم فى الدنيا فيجوز أن يتطرّق إليه الإبهام ، لأن دار التكليف هى دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها فى الدنيا من حيث إنها كبيرة ، بل كل موجبات الحدود معلومة بأسمائها كالسرقة والزنا وغيرهما ، وإنما حكم الكبيرة أنّ الصلوات الخمس لا تكفرها ، وهذا أمر يتعلق بالآخرة ، والإبهام أليق به حتى يكون الناس على وجل وحذر فلا يتجرءون على الصغائر اعتمادا على الصلوات الخمس ، وكذلك اجتناب الكبائر

يكفر الصغائر بموجب قوله تعالى ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ ولكن اجتناب الكبيرة إنما يكفر الصغيرة إذا اجتنبها مع القدرة والإرادة، كمن يتمكن من امرأة ومن مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع فيقتصر على نظر أو لمس ، فإن مجاهدة نفسه بالكف عن الوقاع أشد تأثيرا فى تنوير قلبه من إقدامه على النظر فى إظلامه ؛ فهذا معنى تكفيره ، فإن كان عنينا أو لم يكن امتناعه إلا بالضرورة للعجز أو كان قادرا ولكن امتنع لخوف أمر آخر فهذا لا يصلح للتكفير أصلا ، وكل من يشتهى الخمر بطبعه ولو أبيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التى هى مقدماته كسماع الملاهى والأوتار . نعم من يشتهى الخمر وسماع الأوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة عن الخمر ويطلقها فى السماع فمجاهدته النفس بالكف ربما تمحو عن قلبه الظلمة التى ارتفعت إليه من معصية السماع ، فكل هذه أحكام أخروية ، ويجوز أن يبقى بعضها فى محل الشك وتكون من المتشابهات فلا يعرف تفصيلها إلا بالنص ولم يرد النص بعد ولا حد جامع ، بل ورد بألفاظ مختلفات ، فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلاة إلى الصلاة كفارة ، ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث : إشراك بالله ، وترك السنة ، ونكث الصفقة [1] » قيل ما ترك السنة ؟ قيل الخروج عن الجماعة . ونكث الصفقة : أن يبايع رجلا ثم يخرج عليه بالسيف يقاتله ، فهذا وأمثاله من الألفاظ لا يحيط بالعدد كله ولا يدل على حد جامع فيبقى لا محالة مبهما .

* فإن قلت : الشهادة لا تقبل إلا ممن يجتنب الكبائر ، والورع عن الصغائر ليس شرطا فى قبول الشهادة ، وهذا من أحكام الدنيا ! فاعلم أنا لا نخصص رد الشهادة بالكبائر ، فلا خلاف فى أن من يسمع الملاهى ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب ويشرب فى أوانى الذهب والفضة لا تقبل شهادته ، ولم يذهب أحد إلى أن هذه الأمور من الكبائر . وقال الشافعى رضى الله عنه : إذا شرب الحنفى النبيذ حددته ولم أرد شهادته، فقد جعله كبيرة بإيجاب الحد ولم يرد به الشهادة ؛ فدل على أن الشهادة نفيا وإثباتا لا تدور على الصغائر والكبائر ، بل كل الذنوب تقدح فى العدالة إلا ما لا يخلو الإنسان عنه غالبا بضرورة مجارى العادات . كالغيبة ، والتجسس ، وسوء الظن ، والكذب فى بعض الأقوال ، وسماع الغيبة ، وترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأكل الشبهات ، وسب الولد والغلام وضربهما بحكم الغضب زائدا على المصلحة ، وإكرام السلاطين الظلمة ، ومصادقة الفجار ، والتكاسل عن تعليم الأهل والولد جميع ما يحتاجون إليه من أمر الدين ، فهذه ذنوب لا يتصور أن ينفك الشاهد عن قليلها أو كثيرها إلا بأن يعتزل الناس ويتجرد لأمور الآخرة ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على سمعته مع المخالطة بعد ذلك ، ولو لم يقبل إلا قول مثله لعز وجوده وبطلت الأحكام والشهادات . وليس لبس الحرير وسماع الملاهى واللعب بالنرد ومجالسة أهل الشرب فى وقت الشرب والخلوة بالأجنبيات وأمثال هذه الصغائر من هذا القبيل، فإلى مثل هذا المنهاج ينبغى أن ينظر فى قبول الشهادة وردها لا إلى الكبيرة والصغيرة ، ثم آحاد هذه الصغائر التى لا ترد الشهادة بها لو واظب عليها لأثر فى رد الشهادة كمن اتخذ الغيبة وثلب الناس عادة ، وكذلك مجالسة الفجار ومصادقتهم ، والصغيرة تكبر بالمواظبة كما أن المباح يصير صغيرة بالمواظبة ، كاللعب بالشطرنج والترنم بالغناء على الدوام وغيره فهذا بيان حكم الصغائر والكبائر .

---

(١) حديث « الصلاة إلى الصلاة كفارة ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث إشراك بالله وترك السنة ونكث الصفقة ... الحديث أخرجه الحاكم من حديث أبى هريرة نحوه وقال صحيح الإسناد .

بيان كيفية توزع الدرجات والدركات فى الآخرة
على الحسنات والسيئات فى الدنيا

اعلم أنّ الدنيا من عالم الملك والشهادة ، والآخرة من عالم الغيب والملكوت ، وأعنى بالدنيا حالتك قبل الموت، وبالآخرة حالتك بعد الموت ، فدنياك وآخرتك صفاتك وأحوالك ، يسمى القريب الدانى منها دنيا ، والمتأخر آخرة . ونحن الآن نتكلم من الدنيا فى الآخرة ، فإنا الآن نتكلم فى الدنيا وهو عالم الملك وغرضنا شرح الآخرة وهى عالم الملكوت ، ولا يتصور شرح عالم الملكوت فى عالم الملك إلا بضرب الأمثال ، ولذلك قال تعالى ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ وهذا لأنّ عالم الملك نوم بالإضافة إلى عالم الملكوت ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا [1] » وما سيكون فى اليقظة لا يتبين لك فى النوم إلا الأمثال المحوجة إلى التعبير ، فكذلك ماسيكون فى يقظة الآخرة لا يتبين فى نوم الدنيا إلا فى كثرة الأمثال ، وأعنى بكثرة الأمثال مانعرفه من علم التعبير ، ويكفيك منه إن كنت فطناً ثلاثة أمثلة .

فقد جاء رجل إلى ابن سيرين فقال : رأيت كأن فى يدى خاتما أختم به أفواه الرجال وفروج النساء فقال : إنك مؤذن تؤذن فى رمضان قبل طلوع الفجر ، قال : صدقت . وجاء رجل آخر فقال : رأيت كأنى أصب الزيت فى الزيتون ، فقال : إن كان تحتك جارية اشتريتها ففتش عن حالها فإن أمك سبيت فى صغرك ، لأن الزيتون أصل الزيت فهو يرد إلى الأصل ، فنظر فإذا جاريته كانت أمه وقد سبيت فى صغره . وقال له آخر رأيت كأنى أقلد الدر فى أعناق الخنازير ، فقال : إنك تعلم الحكمة غير أهلها فكان كما قال ، والتعبير من أوله إلى آخره أمثال تعرفك طريق ضرب الأمثال ، وإنما نعنى بالمثل أداء المعنى فى صورة إن نظر إلى معناه وجده صادقا ، وإن نظر إلى صورته وجده كاذبا : فالمؤذن إن نظر إلى صورة الخاتم والختم به على الفروج رآه كاذبا ، فإنه لم يختم به قط ، وإن نظر إلى معناه وجده صادقا إذ صدر منه روح الختم ومعناه وهو المنع الذى يراد الختم له ، وليس للأنبياء أن يتكلموا مع الخلق إلا بضرب الأمثال ، لأنهم كلفوا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم ، وقدر عقولهم أنهم فى النوم ، والنائم لا ينكشف له عن شىء إلا بمثل ، فإذا ماتوا انتبهوا ، وعرفوا أن المثل صادق ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن [2] » وهو من المثال الذى لا يعقله إلا العالمون ، فأما الجاهل فلا يجاوز قدره ظاهر المثال لجهله بالتفسير الذى يسمى تأويلا ، كما يسمى تفسير مايرى من الأمثلة فى النوم تعبيراً فيثبت لله تعالى يداً وأصبعاً ـ تعالى الله عن قوله علوا كبيرا . وكذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم على صورته [3] » فإنه لا يفهم من الصورة إلا اللون والشكل والهيئة فيثبت لله تعالى مثل ذلك ـــ تعالى الله عن قوله علوا كبيرا . من ههنا زل من زلّ فى صفات إلهية حتى فى الكلام وجعلوه صوتا وحرفا إلى غير ذلك من الصفات ، والقول فيه يطول ، وكذلك قد يرد فى أمر الآخرة ضرب أمثله يكذب بها الملحد بجمود نظره على ظاهر المثال وتناقضه عنده ، كقوله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالموت يوم القيامة فى صورة كبش أملح فيذبح [4] » فيثور الملحد الأحمق ويكذب ويستدل به على كذب الأنبياء ويقول : ياسبحان الله . الموت عرض والكبش جسم فكيف ينقلب العرض جسما ؟ وهل هذا إلا

---

(١) حديث « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » لم أجده مرفوعا ، وإنما يعزى الى على بن أبى طالب .
(٢) حديث « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » تقدم (٣) حديث « ان الله خلق آدم على صورته » تقدم .
(٤) حديث « يؤتى بالموت يوم القيامة فى صورة كبش أملح فيذبح ... » الحديث متفق عليه من حديث أبى سعيد .

محال ، ولكن الله تعالى عزل هؤلاء الحمقى عن معرفة أسراره فقال ﴿ وما يعقلها إلا العالمون ﴾ ولا يدرى المسكين أن من قال رأيت فى منامى أنه جىء بكبش وقيل هذا هو الوباء الذى فى البلد وذبح فقال المعبر: صدقت والأمر كما رأيت وهذا يدل على أن هذا الوباء ينقطع ولا يعود قط ، لأن المذبوح وقع اليأس منه ، فإذن المعبر صادق فى تصديقه وهو صادق فى رؤيته ، وترجع حقيقة ذلك إلى أن الموكل بالرؤيا وهو الذى يطلع الأرواح عند النوم على ما فى اللوح المحفوظ عرفه بما فى اللوح المحفوظ بمثال ضربه له ، لأن النائم إنما يحتمل المثال فكان مثاله صادقا وكان معناه صحيحا ؛ فالرسل أيضا إنما يكلمون الناس فى الدنيا وهى بالإضافة إلى الآخرة نوم ، فيوصلون المعانى إلى أفهامهم بالأمثلة حكمة من الله ولطفا بعباده وتيسيرا لإدراك ما يعجزون عن إدراكه دون ضرب المثل ، فقوله « يؤتى بالموت فى صورة كبش أملح » مثال ضربه ليوصل إلى الأفهام حصول اليأس من الموت ، وقد جبلت القلوب على التأثر بالأمثلة وثبوت المعانى فيها بواسطتها ، ولذلك عبر القرآن بقوله ﴿ كن فيكون ﴾ عن نهاية القدرة ، وعبر صلى الله عليه وسلم بقوله « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » عن سرعة التقليب . وقد أشرنا إلى حكمة ذلك فى « كتاب قواعد العقائد » من ربع العبادات فلنرجع الآن إلى الغرض ، فالمقصود أن تعريف توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات لا يمكن إلا بضرب المثال فلنفهم من المثل الذى نضربه معناه لا صورته . فنقول : الناس فى الآخرة ينقسمون أصنافا وتتفاوت درجاتهم ودركاتهم فى السعادة والشقاوة تفاوتا لا يدخل تحت الحصر كما تفاوتوا فى سعادة الدنيا وشقاوتها ولا تفارق الآخرة فى هذا المعنى أصلا ألبتة ، فإن مدبر الملك والملكوت واحد لا شريك له . وسنته الصادرة عن إرادته الأزلية مطردة لا تبديل لها ، إلا أنا إن عجزنا عن إحصاء آحاد الدرجات فلا نعجز عن إحصاء الأجناس . فنقول : الناس ينقسمون فى الآخرة بالضرورة إلى أربعة أقسام : هالكين ، ومعذبين ، وناجين ، وفائزين . ومثاله فى الدنيا أن يستولى ملك من الملوك على إقليم فيقتل بعضهم فهم الهالكون ، ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم المعذبون ، ويخلى بعضهم فهم الناجون ، ويخلع على بعضهم فهم الفائزون ، فإن كان الملك عادلا لم يقسمهم كذلك إلا باستحقاق ، فلا يقتل إلا جاحدا لاستحقاق الملك معاندا له فى أصل الدولة ، ولا يعذب إلا من قصر فى خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته ، ولا يخلى إلا معترفا له برتبة الملك لكنه لم يقصر ليعذب ولم يخدم ليخلع عليه ، ولا يخلع إلا على من أبلى عمره فى الخدمة والنصرة ، ثم ينبغى أن تكون خلع الفائزين متفاوتة الدرجات بحسب درجاتهم فى الخدمة ، وإهلاك الهالكين إما تحقيقا بجز الرقبة أو تنكيلا بالمثلة بحسب درجاتهم فى المعاندة ، وتعذيب المعذبين فى الخفة والشدة وطول المدة وقصرها واتحاد أنواعها واختلافها بحسب درجات تقصيرهم ، فتنقسم كل رتبة من هذه الرتب إلى درجات لا تحصى ولا تنحصر ، فكذلك فافهم أن الناس فى الآخرة هكذا يتفاوتون ، فمن هالك ، ومن معذب مدة ، ومن ناج يحل فى دار السلامة ومن فائز . والفائزون ينقسمون إلى من يحلون فى جنات عدن أو جنات المأوى أو جنات الفردوس ، والمعذبون ينقسمون إلى من يعذب قليلا وإلى من يعذب ألف سنة إلى سبعة آلاف سنة ، وذلك آخر من يخرج من النار كما ورد فى الخبر (١) ، وكذلك الهالكون الآيسون من رحمة الله تتفاوت دركاتهم ، وهذه الدرجات بحسب اختلاف الطاعات والمعاصى ، فلنذكر كيفية توزعها عليها .

---

(١) حديث « ان آخر من يخرج من النار يعذب سبعة آلاف سنة » أخرجه الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول من حديث أبى هريرة بسند ضعيف فى حديث قال فيه وأطولهم مكثا فيه مثل الدنيا من يوم خلقت الى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة .

(الرتبة الأولى) وهى رتبة الهالكين ونعنى بالهالكين الآيسين من رحمة الله تعالى ، إذ الذى قتله الملك فى المثال الذى ضربناه آيس من رضا الملك وإكرامه فلا تغفل عن معانى المثال ، وهذه الدرجة لاتكون إلا للجاحدين والمعرضين المتجردين للدنيا المكذبين بالله ورسله وكتبه ، فإن السعادة الأخروية فى القرب من الله والنظر إلى وجهه وذلك لا ينال أصلا إلا بالمعرفة التى يعبر عنها بالإيمان والتصديق ، والجاحدون هم المنكرون ، والمكذبون هم الآيسون من رحمة الله تعالى أبد الآباد وهم الذين يكذبون برب العالمين وبأنبيائه المرسلين ، إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا محالة وكل محجوب من محبوبه فحول بينه وبين ما يشتهيه لا محالة فهو لا محالة يكون مخترقا نار جهنم بنار الفراق ، ولذلك قال العارفون : ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاؤنا للحور العين وإنما مطالبنا اللقاء ومهربنا من الحجاب فقط ، وقالوا من يعبد الله بعوض فهو لئيم كأن يعبده لطلب جنته أو لخوف ناره ، بل العارف يعبده لذاته فلا يطلب إلا ذاته فقط ، فأما الحور العين والفواكه فقد لا يشتهيها وأما النار فقد لا يتقيها . إذ نار الفراق إذا استولت ربما غلبت النار المحرقة للأجسام ، فإن نار الفراق نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة ، ونار جهنم لاشغل لها إلا مع الأجسام ، وألم الأجسام يستحقر مع ألم الفؤاد ، ولذلك قيل :

وفى فؤاد المحب نار جوى أحر نار الجحيم أبردها

ولاينبغى أن تنكر هذا فى عالم الآخرة إذ له نظير مشاهد فى عالم الدنيا ، فقد رؤى من غلب عليه الوجد فقدا على النار وعلى أصول القصب الجارحة القدم وهو لا يحس به لفرط غلبة ما فى قلبه ، وترى الغضبان يستولى عليه الغضب فى القتال فتصيبه جراحات وهو لايشعر بها فى الحال لأن الغضب نار فى القلب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الغضب قطعة من النار [1] » واحتراق الفؤاد أشد من احتراق الأجساد ، والأشد يبطل الإحساس بالأضعف كما تراه فليس الهلاك من النار والسيف إلا من حيث إنه يفرق بين جزءين يرتبط أحدهما بالآخر برابطة التأليف الممكن فى الأجسام ، فالذى يفرق بين القلب وبين محبوبه الذى يرتبط به برابطة تأليف أشد إحكاما من تأليف الأجسام فهو أشد إيلاما إن كنت من أرباب البصائر وأرباب القلوب ولا يبعد أن لا يدرك من لا قلب له شدة هذا الألم ويستحقره بالإضافة إلى ألم الجسم ، فالصبى لو خير بين ألم الحرمان على الكرة والصولجان وبين ألم الحرمان عن رتبة السلطان لم يحس بألم الحرمان عن رتبة السلطان أصلا ولم يعد ذلك ألما وقال : العدو فى الميدان مع الصولجان أحب إلى من ألف سرير للسلطان مع الجلوس عليه ، بل من تغلبه شهوة البطن لو خير بين الهريسة والحلواء وبين فعل جميل يقهر به الأعداء ويفرح به الأصدقاء لآثر الهريسة والحلواء ، وهذا كله لفقد المعنى الذى بوجوده يصير الجاه محبوبا . ووجود المعنى الذى بوجوده يصير الطعام لذيذا ، وذلك لمن استرقته صفات البهائم والسباع ولم تظهر فيه صفات الملائكة التى لايناسبها ولا يلذها إلا القرب من رب العالمين ولا يؤلمها إلا البعد والحجاب ، وكما لايكون الذوق إلا فى اللسان والسمع إلا فى الآذان ، فلا تكون هذه الصفة إلا فى القلب ، فمن لا قلب له ليس له هذا الحس ، كمن لا سمع له ولا بصر ليس له لذة الألحان وحسن الصور والألوان ، وليس لكل إنسان قلب ؛ ولو كان لما صح قوله تعالى ﴿ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ﴾ فجعل من لم يتذكر بالقرآن مفلسا من القلب ، ولست أعنى بالقلب هذا الذى تكتنفه عظام الصدر بل أعنى به السر الذى هو من عالم الأمر ، واللحم الذى هو من عالم الخلق عرشه والصدر كرسيه ، وسائر الأعضاء

(١) حديث « الغضب قطعة من النار » أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد نحوه ، وقد تقدم .

عالمه ومملكته ، ولله الخلق والأمر جميعا ، ولكن ذلك السر الذى قال الله تعالى فيه ﴿قل الروح من أمر ربى﴾ هو الأمير والملك لأن بين عالم الأمر وعالم الخلق ترتيبا ، وعالم الأمر أمير على عالم الخلق ، وهو اللطيفة التى إذا صلحت صلح لها سائر الجسد ؛ من عرفها فقد عرف نفسه ، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه ، وعند ذلك يشم العبد مبادئ روائح المعنى المطوى تحت قوله صلى الله عليه وسلم « إنّ الله خلق آدم على صورته » ونظر بعين الرحمة إلى الحاملين له على ظاهر لفظه وإلى المتعسفين فى طريق تأويله ، وإن كانت رحمته للحاملين على اللفظ أكثر من رحمته للمتعسفين فى التأويل ، لأن الرحمة على قدر المصيبة ومصيبة أولئك أكثر ، وإن اشتركوا فى مصيبة الحرمان من حقيقة الأمر ، فالحقيقة فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وحكمته يختص بها من يشاء ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ﴾ ولنعد إلى الغرض فقد أرخينا الطول وطولنا النفس فى أمر هو أعلى من علوم المعاملات التى نقصدها فى هذا الكتاب ، فقد ظهر أنّ رتبة الهلاك ليس إلا للجهال المكذبين ، وشهادة ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لاتدخل تحت الحصر فلذلك لم نوردها .

(الرتبة الثانية) رتبة المعذبين وهذه رتبة من تحلى بأصل الإيمان ولكن قصر فى الوفاء بمقتضاه ، فإنّ رأس الإيمان هو التوحيد : وهو أن لايعبد إلا الله ، ومن اتبع هواه فقد اتخذ إلهه هواه ، فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة ، بل معنى قولك لا إله إلا الله معنى قوله تعالى ﴿ قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ﴾ وهو أن تذر بالكلية غير الله ، ومعنى قوله تعالى ﴿ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ ولما كان الصراط المستقيم الذى لايكمل التوحيد إلا بالاستقامة عليه أدق من الشعر وأحد من السيف مثل الصراط الموصوف فى الآخرة . فلا ينفك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو فى أمر يسير ، إذ لا يخلو عن اتباع الهوى ولو فى فعل قليل ، وذلك قادح فى كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم ، فذلك يقتضى لامحالة نقصانا فى درجات القرب ، ومع كل نقصان ناران : نار الفراق لذلك الكمال الفائت بالنقصان ، ونار جهنم كما وصفها القرآن ، فيكون كل مائل عن الصراط المستقيم معذبا مرتين من وجهين ، ولكن شدّة ذلك العذاب وخفته وتفاوته بحسب طول المدّة إنما يكون بسبب أمرين ، أحدهما : قوة الإيمان وضعفه ، والثانى : كثرة اتباع الهوى وقلته ، وإذ لا يخلو بشر فى غالب الأمر عن واحد من الأمرين قال الله تعالى ﴿ وإنّ منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا * ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ ولذلك قال الخائفون من السلف : إنما خوفنا لأنا تيقنا أنا على النار واردون وشككنا فى النجاة ، ولما روى الحسن الخبر الوارد فيمن يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادى ياحنان يامنان [1] قال الحسن : ياليتنى كنت ذلك الرجل . واعلم أن فى الأخبار مايدل على أنّ آخر من يخرج من النار بعد سبعة آلاف سنة ، وأن الاختلاف فى المدّة بين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة حتى قد يجوز بعضهم على النار كبرق خاطف ولا يكون له فيها لبث ، وبين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة درجات متفاوته من اليوم والأسبوع والشهر وسائر المدد وأنّ الاختلاف بالشدّة لا نهاية لأعلاه ، وأدناه التعذيب بالمناقشة فى الحساب ، كما أن الملك قد يعذب بعض المقصرين فى الأعمال بالمناقشة فى الحساب ثم يعفو ؛ وقد يضرب بالسياط ، وقد يعذب بنوع آخر من العذاب ، ويتطرق إلى العذاب اختلاف ثالث فى غير المدّة والشدّة وهو اختلاف الأنواع ، إذ ليس من يعذب بمصادرة المال فقط كمن يعذاب بأخذ المال وقتل الولد واستباحة الحريم وتعذيب الأقارب والضرب وقطع اللسان واليد

(١) حديث « من يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادى ياحنان يامنان » أخرجه أحمد وأبو يعلى من رواية أبى ظلال القعملى عن أنس وأبو ظلال ضعيف واسمه هلال بن ميمون .

والأنف والأذن وغيره ؛ فهذه الاختلافات ثابتة فى عذاب الآخرة دل عليها قواطع الشرع ، وهى بحسب اختلاف قوة الإيمان وضعفه وكثرة الطاعات وقلتها وكثرة السيئات وقلتها . أما شدة العذاب فبشدة قبح السيئات وكثرتها وأما كثرته فبكثرتها ، وأما اختلاف أنواعه فباختلاف أنواع السيئات ؛ وقد انكشف هذا لأرباب القلوب مع شواهد القرآن بنور الإيمان وهو المعنى بقوله تعالى ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ وبقوله تعالى ﴿ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ﴾ وبقوله تعالى ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ وبقوله تعالى ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ إلى غير ذلك مما ورد فى الكتاب والسنة من كون العقاب والثواب جزاء على الأعمال ، وكل ذلك بعدل لا ظلم فيه ، وجانب العفو والرحمة أرجح ؛ إذ قال تعالى فيما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم « سبقت رحمتى غضبى [1] » ، وقال تعالى ﴿ وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ﴾ فإذن هذه الأمور الكلية من ارتباط الدرجات والدركات بالحسنات والسيئات معلومة بقواطع الشرع ونور المعرفة ، فأما التفصيل فلا يعرف إلا ظناً ومستنده ظواهر الأخبار ونوع حدس يستمد من أنوار الاستبصار بعين الاعتبار ، فنقول : كل من أحكم أصل الإيمان واجتنب جميع الكبائر وأحسن جميع الفرائض - أعنى الأركان الخمسة - ولم يكن منه إلا صغائر متفرقة لم يصر عليها ، فيشبه أن يكون عذابه المناقشة فى الحساب فقط ، فإنه إذا حوسب رجحت حسناته على سيئاته ، إذ ورد فى الأخبار أن الصلوات الخمسة والجمعة وصوم رمضان كفارات لما بينهن ، وكذلك اجتناب الكبائر بحكم نص القرآن مكفرا للصغائر ، وأقل درجات التكفير أن يدفع العذاب إن لم يدفع الحساب ، وكل من هذا حاله فقد ثقلت موازينه ، فينبغى أن يكون بعد ظهور الرجحان فى الميزان وبعد الفراغ من الحساب فى عيشه راضية ، نعم التحاقه بأصحاب اليمين أو بالمقربين ونزوله فى جنات عدن أو فى الفردوس الأعلى ، فكذلك يتبع أصناف الإيمان ، لأن الإيمان إيمانان : تقليدى كإيمان العوام يصدقون بما يستمعون ويستمرون عليه ، وإيمان كشفى يحصل بانشراح الصدر بنور الله حتى ينكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه ، فيتضح أن الكل إلى الله مرجعه ومصيره ، إذ ليس فى الوجود إلا الله تعالى وصفاته وأفعاله ، فهذا الصنف هم المقربون النازلون فى الفردوس الأعلى ، وهم على غاية القرب من الملأ الأعلى ، وهم أيضا على أصناف : فمنهم السابقون ومنهم من دونهم ؛ وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى : ودرجات العارفين فى المعرفة بالله تعالى لا تنحصر ، إذ الإحاطة بكنه جلال الله غير ممكنة وبحر المعرفة ليس له ساحل وعمق وإنما يغوص فيه الغواصون بقدر قواهم وبقدر ما سبق لهم من الله تعالى فى الأزل ؛ فالطريق إلى الله تعالى لا نهاية لمنازله ؛ فالسالكون سبيل الله لا نهاية لدرجاتهم . وأما المؤمن إيمانا تقليديا فمن أصحاب اليمين ودرجته دون درجة المقربين ، وهم أيضا على درجات ؛ فالأعلى من درجات أصحاب اليمين تقارب رتبته رتبة الأدنى من درجات المقربين ، هذا حال من اجتنب كل الكبائر وأدى الفرائض كلها — أعنى الأركان الخمسة التى هى النطق بكلمة الشهادة باللسان والصلاة والزكاة والصوم والحج ؛ فأما من ارتكب كبيرة أو كبائر أو أهمل بعض أركان الإسلام ، فإن تاب توبة نصوحا قبل قرب الأجل التحق بمن لم يرتكب ، لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والثوب المغسول كالذى لم يتوسخ أصلا ، وإن مات قبل التوبة فهذا أمر مخطر عند الموت ، إذ ربما يكون موته على الإصرار سبباً لتزلزل إيمانه فيختم له بسوء الخاتمة ، لا سيما إذا كان إيمانه تقليديا ، فإن التقليد وإن كان جزما فهو قابل للانحلال

(١) حديث « سبقت رحمتى غضبى » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة .

بأدنى شك وخيال ، والعارف البصير أبعد أن يخاف عليه سوء الخاتمة وكلاهما إن ماتا على الإيمان يعذبان إلا أن يعفو الله عذابا يزيد على عذاب المناقشة فى الحساب ، ، وتكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب كثرة مدة الإصرار ، ومن حيث الشدة بحسب قبح الكبائر ، ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف أصناف السيئات ، وعند انقضاء مدة العذاب ينزل البله المقلدون فى درجات أصحاب اليمين ، والعارفون المستبصرون فى أعلى عليين ؛ ففى الخبر « آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف [1] » فلا تظن أن المراد به تقديره بالمساحة لأطراف الأجسام ، كأن يقابل فرسخ بفرسخين أو عشرة بعشرين ؛ فإن هذا جهل بطريق ضرب الأمثال ، بل هذا كقول القائل : أخذمنه جملا وأعطاه عشرة أمثاله ، وكان الجمل يساوى عشرة دنانير فأعطاه مائة دينار ؛ فإن لم يفهم من المثل إلا المثل فى الوزن والثقل فلا تكون مائة دينار لو وضعت فى كفة الميزان والجمل فى الكفة الأخرى عشر عشيره ، بل هو موازنة معانى الأجسام وأرواحها دون أشخاصها وهياكلها ؛ فإن الجمل لا يقصد لثقله وطوله وعرضه ومساحته بل لماليته ، فروحه المالية وجسمه اللحم والدم ومائة دينار عشرة أمثاله بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسمانية ، وهذا صادق عند من يعرف روح المالية من الذهب والفضة ، بل لو أعطاه جوهرة وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال : أعطيته عشرة أمثاله ، كان صادقا ، ولكن لا يدرك صدقه إلا الجوهريون ؛ فإن روح الجوهرية لا تدرك بمجرد البصر بل بفطنة أخرى وراء البصر ، فلذلك يكذب به الصبى بل القروى والبدوى ويقول : ما هذه الجوهرة إلا حجر وزنه مثقال ؛ ووزن الجمل ألف ألف مثقال فقد كذب فى قوله : إنى أعطيته عشرة أمثاله ، والكاذب بالتحقيق هو الصبى ولكن لا سبيل إلى تحقيق ذلك عنده إلا بأن ينتظر به البلوغ والكمال وأن يحصل فى قلبه النور الذى يدرك به أرواح الجواهر وسائر الأموال ، فعند ذلك ينكشف له الصدق ، والعارف عاجز عن تفهيم المقلد القاصر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الموازنة ، إذ يقول صلى الله عليه وسلم « الجنة فى السموات [2] » كما ورد فى الأخبار والسموات من الدنيا فكيف يكون عشرة أمثال الدنيا فى الدنيا ، وهذا كما يعجز البالغ عن تفهيم الصبى تلك الموازنة ، وكذلك تفهيم البدوى وكما أن الجوهرى مرحوم إذا بلى بالبدوى والقروى فى تفهيم تلك الموازنة ، فالعارف مرحوم إذا بلى بالبليد الأبله فى تفهيم هذه الموازنة ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « ارحموا ثلاثة : عالما بين الجهال ، وغنى قوم افتقر ، وعزيز قوم ذل [3] » والأنبياء مرحومون بين الأمة بهذا السبب ، ومقاساتهم لقصور عقول الأمة فتنة لهم وامتحان وابتلاء من الله وبلاء موكل بهم سبق بتوكيله القضاء الأزلى ، وهو المعنى بقوله عليه الصلاة والسلام « البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل [4] » فلا تظنن أن البلاء بلاء أيوب عليه السلام وهو الذى ينزل بالبدن ؛ فإن بلاء نوح عليه السلام أيضا من البلاء العظيم ، إذ بلى بجماعة كان لا يزيدهم دعاؤه إلى الله إلا فرارا ، ولذلك لما تأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام بعض الناس قال « رحم الله أخى موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر [5] » فإذن لا تخلو الأنبياء

---

(١) حديث « آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف » متفق عليه من حديث ابن مسعود .

(٢) حديث كون الجنة فى السموات : أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة فى أثناء حديث فيه « فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن » (٣) حديث « ارحموا ثلاثة : عالما بين الجهال ... الحديث » أخرجه ابن حبان فى الضعفاء من رواية عيسى بن طهمان عن أنس ، وعيسى ضعيف ، ورواه فيه من حديث ابن عباس إلا أنه قال « عالم تلاعب به الصبيان » وفيه أبو البحترى واسمه وهب بن وهب أحد الكذابين . (٤) حديث « البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل » أخرجه الترمذى وصححه ، والنسائى فى الكبرى ، وابن ماجه من حديث سعد بن أبى وقاص وقال : قلت يارسول الله أى الناس أشد بلاء ؟ فذكره دون ذكر الأولياء والطبرانى من حديث فاطمة « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ... الحديث » . (٥) حديث « رحم الله أخى موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر » أخرجه البخارى من حديث ابن مسعود .

عن الابتلاء بالجاحدين ، ولا تخلو الأولياء والعلماء عن الابتلاء بالجاهلين ، ولذلك قلما ينفك الأولياء عن ضروب من الإيذاء وأنواع البلاء بالإخراج من البلاد والسعاية بهم إلى السلاطين والشهادة عليهم بالكفر والخروج عن الدين ؛ وواجب أن يكون أهل المعرفة عند أهل الجهل من الكافرين ، كما يجب أن يكون المعتاض عن الجمل الكبير جوهرة صغيرة عند الجاهلين من المبذرين المضيعين ، فإذا عرفت هذه الدقائق فآمن بقوله عليه الصلاة والسلام « إنه يعطى آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات » وإياك أن تقتصر بتصديقك على ما يدركه البصر والحواس فقط فتكون حمارا برجلين ، لأن الحمار يشاركك فى الحواس الخمس وإنما أنت مفارق للحمار بسر إلهى عرض على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنه وأشفقن منه ، فإدراك ما يخرج عن عالم الحواس الخمس لا يصادف إلا فى عالم ذلك السر الذى فارقت به الحمار وسائر البهائم ؛ فمن ذهل عن ذلك وعطله وأهمله وقنع بدرجة البهائم ولم يجاوز المحسوسات فهو الذى أهلك نفسه بتعطيلها ونسيها بالإعراض عنها ، فلا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، فكل من لم يعرف إلا المدرك بالحواس فقد نسى الله ، إذ ليس ذات الله مدركا فى هذا العالم بالحواس الخمس ، وكل من نسى الله أنساه الله ـ لامحالة ـ نفسه ونزل إلى رتبة البهائم وترك الترقى إلى الأفق الأعلى وخان فى الأمانة التى أودعه الله تعالى وأنعم عليه كافرا لانعمه ومتعرضا لنقمته إلا أنه أسوأ حالا من البهيمة ، فإن البهيمة تتخلص بالموت . وأما هذا فعنده أمانة سترجع لا محالة إلى مودعها ، فإليه مرجع الأمانة ومصيرها وتلك الأمانة كالشمس الزاهرة وإنما هبطت إلى هذه القالب الفانى وغربت فيه ، وستطلع هذه الشمس عند خراب هذا القالب من مغربها وتعود إلى بارئها وخالقها إما مظلمة منكسفة وإما زاهرة مشرقة . والزاهرة المشرقة غير محجوبة عن حضرة الربوبية ، والمظلمة أيضا راجعة إلى الحضرة ، إذ المرجع والمصير للكل إليه إلا أنها ناكسة رأسها عن جهة أعلى عليين إلى جهة أسفل سافلين ، ولذلك قال تعالى ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ﴾ فبين أنهم عند ربهم إلا أنهم منكوسون قد انقلبت وجوههم إلى أقفيتهم وانتكست رءوسهم عن جهة فوق إلى جهة أسفل ، وذلك حكم الله فيمن حرمه توفيقه ولم يهده طريقه ؛ فنعوذ بالله من الضلال والنزول إلى منازل الجهال ؛ فهذا حكم انقسام من يخرج من النار ويعطى مثل عشرة أمثال الدنيا أو أكثر ، ولا يخرج من النار إلا موحد . ولست أعنى بالتوحيد أن يقول بلسانه لاإله إلا الله ، فإن اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينفع إلا فى عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته وأيدى الغانمين عن ماله ، ومدة الرقبة والمال مدة الحياة ، فحيث لاتبقى رقبة ولا مال لاينفع القول باللسان ، وإنما ينفع الصدق فى التوحيد وكمال التوحيد أن لايرى الأمور كلها إلا من الله . وعلامته أن لايغضب على أحد من الخلق بما يجرى عليه ، إذ لايرى الوسائط وإنما يرى مسبب الأسباب كما سيأتى تحقيقه فى التوكل ، وهذا التوحيد متفاوت ، فمن الناس من له من التوحيد مثل الجبال ، ومنهم من له مثقال . ومنهم من له مقدار خردلة وذرة ، فمن فى قلبه مثقال دينار من إيمان فهو أول من يخرج من النار . وفى الخبر يقال « أخرجوا من النار من فى قلبه مثقال دينار من إيمان »[1] ، وآخر من يخرج من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان ، وما بين المثقال والذرة على قدر تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقال وبين طبقة الذرة ، والموازنة بالمثقال والذرة على سبيل ضرب المثل كما ذكرنا فى الموازنة بين أعيان الأموال وبين النقود ، وأكثر مايدخل الموحدين النار مظالم العباد ، فديوان العباد هو الديوان الذى لايترك ، فأما بقية السيئات فيتسارع العفو والتكفير إليها ، فى الأثر « إن العبد

(١) حديث « أخرجوا من النار من فى قلبه مثقال دينار من إيمان » الحديث تقدم .

ليوقف بين يدى الله تعالى وله من الحسنات أمثال الجبال لو سلمت له لكان من أهل الجنة ، فيقوم أصحاب المظالم فيكون قد سب عرض هذا وأخذ مال هذا وضرب هذا فيقضى من حسناته حتى لاتبقى له حسنة ، فتقول الملائكة يارينا هذا قد فنيت حسناته وبقى طالبون كثير ، فيقول الله تعالى : ألقوا من سيئاتهم على سيئاته وصكوا له صكا إلى النار ، وكما يهلك هو بسيئة غيره بطريق القصاص فكذلك ينجو المظلوم بحسنة الظالم ، إذ ينقل إليه عوضا عما ظلم به وقد حكى عن ابن الجلاء أن بعض إخوانه اغتابه ثم أرسل إليه يستحله فقال : لاأفعل ، ليس فى صحيفتى حسنة أفضل منها فكيف أمحوها . وقال هو وغيره : ذنوب إخوانى من حسناتى أريد أن أزين بها صحيفتى ، فهذا ماأردنا أن نذكره من اختلاف العباد فى المعاد فى درجات السعادة والشقاوة ، وكل ذلك حكم بظاهر أسباب يضاهى حكم الطبيب على مريض بأنه يموت لامحالة ولا يقبل العلاج ، وعلى مريض آخر بأن عارضه خفيف وعلاجه هين ، فإن ذلك ظن يصيب فى أكثر الأحوال ، ولكن قد تثوب إلى المشرف على الهلاك نفسه من حيث لايشعر الطبيب ، وقد يساق إلى ذى العارض الخفيف أجله من حيث لايطلع عليه ، وذلك من أسرار الله تعالى الخفية فى أرواح الأحياء وغموض الأسباب التى رتبها مسبب الأسباب بقدر معلوم ، إذ ليس فى قوة البشر الوقوف على كنهها ، فكذلك النجاة والفوز فى الآخرة لها أسباب خفية ليس فى قوة البشر الاطلاع عليها ، يعبر عن ذلك السبب الخفى المفضى إلى النجاة بالعفو والرضا وعما يفضى إلى الهلاك بالغضب والانتقام ، ووراء ذلك سر المشيئة الإلهية الأزلية التى لايطلع الخلق عليها ، فلذلك يجب علينا أن نجوز العفو عن العاصى وإن كثرت سيئاته الظاهرة والغضب على المطيع وإن كثرت طاعاته الظاهرة ؛ فإن الاعتماد على التقوى والتقوى فى القلب ، وهو أغمض من أن يطلع عليه صاحبه فكيف غيره ، ولكن قد انكشف لأرباب القلوب أنه لاعفو عن عبد إلا بسبب خفى فيه يقتضى العفو ، ولا غضب إلا بسبب باطن يقتضى البعد عن الله تعالى ، ولولا ذلك لم يكن العفو والغضب جزاء على الأعمال والأوصاف ، ولو لم يكن جزاء لم يكن عدلا ، ولو لم يكن عدلا لم يصح قوله تعالى ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ ولا قوله تعالى ﴿ إن الله لايظلم مثقال ذرة ﴾ وكل ذلك صحيح ، فليس للإنسان إلا ماسعى ، وسعيه هو الذى يرى ، وكل نفس بما كسبت رهينه ، فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ، ولما غيروا ما بأنفسهم غير الله مابهم ، تحقيقا لقوله تعالى ﴿ إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ وهذا كله قد انكشف لأرباب القلوب انكشافا أوضح من المشاهدة بالبصر ، إذ للبصر يمكن الغلط فيه ، إذ قد يرى البعيد قريبا والكبير صغيرا . ومشاهدة القلب لايمكن الغلط فيها ، وإنما الشأن فى انفتاح بصيرة القلب ، وإلا فما يرى بها بعد الانفتاح فلا يتصور فيه الكذب ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ ما كذب الفؤاد مارأى ﴾ .

(الرتبة الثالثة) رتبة الناجين ، وأعنى بالنجاة السلامة فقط دون السعادة والفوز ، وهم قوم لم يخدموا فيخلع عليهم ولم يقصروا فيعذبوا ، ويشبه أن يكون هذا حال المجانين والصبيان من الكفار والمعتوهين والذين لم تبلغهم الدعوة فى أطراف البلاد ، وعاشوا على البله وعدم المعرفة فلم يكن لهم معرفة ولا جحود ولا طاعة ولا معصية فلا وسيلة تقربهم ولا جناية تبعدهم ، فهم من أهل الجنة ولا من أهل النار ، بل ينزلون فى منزلة بين المنزلتين ومقام بين المقامين عبر الشرع عنه بالأعراف ؛ وحلول طائفة من الخلق [1] فيه معلوم يقينا من الآيات والأخبار ومن

---

(١) حديث حلول طائفة من الخلق الأعراف : أخرجه البزار من حديث أبى سعيد الخدرى : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال « هم رجال قتلوا فى سبيل الله وهم عصاة لآبائهم فمنعتهم الشهادة أن يدخلوا النار ومنعتهم المعصية أن يدخلوا الجنة ، وهم على سور بين الجنة والنار ... الحديث » وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف. ورواه الطبرانى من رواية =

أنوار الاعتبار ، فأما الحكم على العين كالحكم مثلا بأن الصبيان منهم ؛ فهذا مظنون وليس بمستيقن ؛ والاطلاع عليه تحقيقا فى عالم النبوة ؛ ويبعد أن ترتقى إليه رتبة الأولياء والعلماء ، والأخبار فى حق الصبيان أيضا متعارضة . حتى قالت عائشة رضى الله عنها لما مات بعض الصبيان : عصفور من عصافير الجنة ، فأنكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « وما يدريك » (١) فإذن الإشكال والاشتباه أغلب فى هذا المقام .

(الرتبة الرابعة) رتبة الفائزين وهم العارفون دون المقلدين ، وهم المقربون السابقون ؛ فإن المقلد وإن كان له فوز على الجملة بمقام فى الجنة فهو من أصحاب اليمين وهؤلاء هم المقربون وما يلقى هؤلاء يجاوز حد البيان ، والقدر الممكن ذكره مافصله القرآن ، فليس بعد بيان الله بيان ، والذى لايمكن التعبير عنه فى هذا العالم فهو الذى أجمله قوله تعالى ﴿ فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين ﴾ وقوله عز وجل « أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » والعارفون مطلبهم تلك الحاله التى لايتصور أن تخطر على قلب بشر فى هذا العالم وأما الحور والقصور والفاكهة واللبن والعسل والخمر والحلى والأساور فإنهم لايحرصون عليها ولو اعطوها لم يقنعوا بها ، ولا يطلبون إلا لذة النظر إلى وجه الله تعالى الكريم فهى غاية السعادات ونهاية اللذات ولذلك قيل لرابعة العدوية رحمة الله عليها : كيف رغبتك فى الجنة ؟ فقالت : الجار ثم الدار ؛ فهؤلاء قوم شغلهم حب رب الدار عن الدار وزينتها ، بل عن كل شىء سواه حتى عن أنفسهم ، ومثالهم مثال العاشق المستهتر بمعشوقه المستوفى همه بالنظر إلى وجهه والفكر فيه ، فإنه فى حال الاستغراق غافل عن نفسه لايحس بما يصيبه فى بدنه ، ويعبر على هذه الحالة بأنه فنى عن نفسه ، ومعناه أنه صار مستغرقا بغيره وصارت همومه هما واحداً وهو محبوبه ، ولم يبق فيه متسع لغير محبوبه حتى يلتفت إليه لانفسه ولا غير نفسه ، وهذه الحاله هى التى توصل فى الآخرة إلى قرة عين لايتصور أن

= أبى معشر عن يحيى بن شبل عن عمر بن عبد الرحمن المدنى عن أبيه مختصرا ، وأبو معشر نجيح السندى ضعيف ، ويحيى بن شبل لايعرف . وللحاكم عن حذيفة قال : « أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت سيئاتهم عن الجنة ... الحديث وقال صحيح على شرط الشيخين . وروى الثعلبى عن ابن عباس قال : الأعراف موضع عال فى الصراط عليه العباس وحمزة وعلى وجعفر ... الحديث ، هذا كذب موضوع وفيه جماعة من الكذابين .

(١) حديث عائشة أنها قالت لما مات بعض الصبيان : عصفور من عصافير الجنة فأنكر ذلك رسول الله وقال « ماأدريك » رواه مسلم ، قال المصنف : والأخبار فى حق الصبيان متعارضة . قلت : روى البخارى من حديث سمرة بن جندب فى رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم ، وفيه « وأما الرجل الطويل الذى فى الروضة فإبراهيم عليه السلام ، وأما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة » فقيل : يارسول الله ، وأولاد المشركين ؟ قال وأولاد المشركين » وللطبرانى من حديثه : سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال « هم خدمة أهل الجنة » وفيه عباد بن منصور الناجى قاضى البصرة ، وهو ضعيف يرويه عن عيسى ابن شعيب ، وقد ضعفه ابن حبان . وللنسائى من حديث الأسود بن سريع . كنا فى غزاة لنا .. الحديث فى قتلى الذرية ، وفيه « ألا إن خياركم أبناء المشركين » ثم قال « لاتقتلوا ذرية وكل نسمة تولد على الفطرة ... الحديث » وإسناده صحيح ، وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة « كل مولود يولد على الفطرة ... الحديث » وفى رواية لأحمد « ليس مولود يولد إلا على هذه الملة » ولأبى داود فى آخر الحديث : يارسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير ؟ فقال « الله أعلم بما كانوا عاملين » وفى الصحيحين من حديث ابن عباس : سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال « الله أعلم بما كانوا عاملين » وللطبرانى من حديث ثابت بن الحارث الأنصارى : كانت يهودى إذا هلك لهم صبى صغير قالوا . هو صديق ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « كذبت يهود ، مامن نسمة يخلقها الله فى بطن أمه إلا أنه شقى أو سعيد ... الحديث » وفيه عبدالله بن لهيعة ، ولأبى داود من حديث ابن مسعود الوائدة والموءودة فى النار » وله من حديث عائشة : قلت يارسول الله ذرارى المؤمنين ؟ فقال « مع آبائهم » قلت : بلا عمل ؟ قال « الله أعلم بما كانوا عاملين » قلت : فذرارى المشركين ؟ قال « مع آبائهم » قلت : بلا عمل ؟ قال « الله أعلم بما كانوا عاملين » وللطبرانى من حديث خديجة : قلت يارسول الله أين أطفالى منك ؟ قال « فى الجنة » قلت : بلا عمل ؟ قال « الله أعلم بما كانوا عاملين » قلت : أطفالى قبلك ؟ قال « فى النار » قلت : بلا عمل ؟ قال « لقد علم الله ما كانوا عاملين » وإسناده منقطع بين عبد الله بن الحارث وخديجة . وفى الصحيحين من حديث الصعب بن جثامة فى أولاد المشركين « هم من آبائهم » وفى رواية « هم منهم »

تخطر فى هذا العالم على قلب بشر ، كما لايتصور أن تخطر صورة الألوان والألحان على قلب الأصم والأكمه ، إلا أن يرفع الحجاب عن سمعه وبصره ، فعند ذلك يدرك حاله ويعلم قطعاً أنه لم يتصور أن تخطر بباله قبل ذلك صورته فالدنيا حجاب على التحقيق ، وبرفعه ينكشف الغطاء ، فعند ذلك يدرك ذوق الحياة الطيبة ﴿ وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ فهذا القدر كاف فى بيان توزع الدرجات على الحسنات ، والله الموفق بلطفه .

بيان ماتعظم به الصغائر من الذنوب

اعلم أن الصغيرة تكبر بأسباب : منها الإصرار والمواظبة ، ولذلك قيل : لاصغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار ، فكبيرة واحدة تنصرم ولايتبعها مثلها لو تصور ذلك كان العفو عنها أرجى من صغيرة يواظب العبد عليها ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على توال فتؤثر فيه ، وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة واحدة لم يؤثر ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير الأعمال أدومها وإن قل [1] » والأشياء تستبان بأضدادها وإن كان النافع من العمل هو الدائم وإن قل فالكثير المنصرم قليل النفع فى تنوير القلب وتطهيره ، فكذلك القليل من السيئات إذا دام عظم تأثيره فى إظلام القلب ، إلا أن الكبيرة قلما يتصور الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغائر ، فقلما يزنى الزانى بغتة من غير مراودة ومقدمات ، وقلما يقتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة ، فكل كبيرة تكتنفها صغائر سابقة ولاحقة ، ولو تصورت كبيرة وحدها بغتة ولم يتفق إليها عود ربما كان العفو فيها أرجى من صغيرة واظب الإنسان عليها عمره . ومنها أن يستصغر الذنب فإن الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله تعالى ، لأن استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهيته له ، وذلك النفور يمنع من شدة تأثره به ، واستصغاره يصدر عن الألف به وذلك يوجب شدة الأثر فى القلب ، والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات ، والمحذور تسويده بالسيئات ، ولذلك لايؤاخذ بما يجرى عليه فى الغفلة فإن القلب لايتأثر بما يجرى فى الغفلة ، وقد جاء فى الخبر « المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه ، والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فأطاره [2] » وقال بعضهم : الذنب الذى لايغفر قول العبد : ليت كل ذنب عملته مثل هذا ، وإنما يعظم الذنب فى قلب المؤمن لعلمه بجلال الله ، فإذا نظر إلى عظم من عصى به رأى الصغيرة كبيرة ، وقد أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه : لاتنظر إلى قلة الهدية وانظر إلى عظم مهديها ، ولا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها ، وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين : لاصغيرة ، بل كل مخالفة فهى كبيرة ، وكذلك قال بعض الصحابة رضى الله عنهم للتابعين : وإنكم لتعملون أعمالا هى فى أعينكم أدق من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات ، إذ كانت معرفة الصحابة بجلال الله أتم ، فكانت الصغائر عندهم بالإضافة إلى جلال الله تعالى من الكبائر ، وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ، ويتجاوز عن العامى فى أمور لا يتجاوز فى أمثالها عن العارف ، لأن الذنب والمخالفة يكبر بقدر معرفة المخالف . ومنها السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة ، فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم أثرها فى تسويد قلبه ، حتى إن من المذنبين من يتمدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه بمقارفته إياه ،

---

(١) حديث « خير الأعمال أدومها وإن قل » متفق عليه من حديث عائشة بلفظ « أحب » وقد تقدم .

(٢) حديث « المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه ... الحديث » أخرجه البخارى . من رواية الحارث بن سويد قال حدثنا عبد الله ابن مسعود حديثين : أحدهما عن النبى صلى الله عليه وسلم ، والآخر عن نفسه ، فذكر هذا وحديث « لله أفرح بتوبة العبد » ولم يبين المرفوع من الموقوف ، وقد رواه البيهقى فى الشعب من هذا .

كما يقول : أما رأيتنى كيف مزقت عرضه ، ويقول المناظر إفى مناظرته : أما رأيتنى كيف فضحته وكيف ذكرت مساويه حتى أخجلته وكيف استخففت به وكيف لبست عليه ؟ ويقول المعامل فى التجارة : أمارأيت كيف روجت عليه الزائف وكيف خدعته وكيف غبنته فى ماله وكيف استحمقته ؟ فهذا وأمثاله تكبر به الصغائر فإن الذنوب مهلكات ، وإذا دفع العبد إليها وظفر الشيطان به فى الحمل عليها فينبغى أن يكون فى مصيبة وتأسف بسبب غلبة العدو عليه وبسبب بعده من الله تعالى ، فالمريض الذى يفرح بأن ينكسر إناؤه الذى فيه دواؤه حتى يتخلص من ألم شربه لايرجى شفاؤه ومنها أن يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وإمهاله إياه ولا يدرى أنه إنما يمهل مقتا ليزداد بالإمهال إثما ، فيظن أن تمكنه من المعاصى عناية من الله تعالى به ، فيكون ذلك لأمنه من مكر الله وجهله بمكامن الغرور بالله ، كما قال تعالى ﴿ ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ﴾ ومنها أن يأتى الذنب ويظهره بأن يذكره بعد إتيانه أو يأتيه فى مشهد غيره فإن ذلك جناية منه على ستر الله الذى سدله عليه وتحريك لرغبة الشر فيمن أسمعه ذنبه أو أشهده فعله ، فهما جنايتان انضمتا إلى جنايته فغلظت به ، فإن انضاف إلى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الأسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الأمر ، وفى الخبر « كل الناس معافى إلا المجاهرين بيت أحدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله ويتحدث بذنبه [1] » وهذا لأن من صفات الله ونعمه أنه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستر ؟ فالإظهار كفران لهذه النعمة . وقال بعضهم : لاتذنب فإن كان ولا بد فلا ترغب غيرك فيه فتذنب ذنبين ، ولذلك قال تعالى ﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ﴾ وقال بعض السلف : ما انتهك المرء من أخيه حرمة أعظم من أن يساعده على معصية ثم يهونها عليه . ومنها أن يكون المذنب عالما يقتدى به فإذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الإبريسم وركوبه مراكب الذهب ، وأخذه مال الشبهة من أموال السلاطين ، ودخوله على السلاطين وتردده عليهم ومساعدته إياهم بترك الإنكار عليهم وإطلاق اللسان فى الأعراض وتعديه باللسان فى المناظرة وقصده الاستخفاف واشتغاله من العلوم بما لايقصد منه إلا الجاه كعلم الجدل والمناظرة ، فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت العالم ويبقى شره مستطيرا فى العالم آماد متطاولة ، فطوبى لمن إذا مات ماتت ذنوبه معه . وفى الخبر « من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لاينقص من أوزارهم شيئاً [2] » قال تعالى ﴿ ونكتب ماقدموا وآثارهم ﴾ والآثار ما يلحق من الأعمال بعد انقضاء العمل والعامل . وقال ابن عباس : ويل للعالم من الأتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها فى الآفاق . وقال بعضهم : مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق ويغرق أهلها . وفى الإسرائيليات : أن عالما كان يضل الناس بالبدعة ثم أدركته توبة فعمل فى الإصلاح دهرا ، فأوحى الله تعالى إلى نبيهم : قل له إن ذنبك لو كان فيما بينى وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن أضللت من عبادى فأدخلتهم النار ، فبهذا يتضح أن أمر العلماء مخطر فعليهم وظيفتان : إحداهما ترك الذنب ، والأخرى إخفاءه ، وكما تتضاعف أوزارهم على الذنوب فكذلك يتضاعف ثوابهم على الحسنات إذا اتبعوا ، فإذا ترك التجمل والميل إلى الدنيا وقنع منها باليسير ومن الطعام بالقوت ومن الكسوة بالخلق فيتبع عليه ويقتدى به العلماء والعوام فيكون له مثل ثوابهم ، وإن مال إلى التجمل مالت طباع من دونه إلى التشبه به ، ولايقدرون على التجمل إلا بخدمة السلاطين

(١) حديث « كل الناس معافى إلا المجاهرين ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ « كل أمتى » وقد تقدم

(٢) حديث « من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث جرير بن عبد الله وقد تقدم فى آداب الكسب .

وجمع الحطام من الحرام ويكون هو السبب فى جميع ذلك ، لحركات العلماء فى طورى الزيادة والنقصان تتضاعف آثارها إما بالربح وإما بالخسران ، وهذا القدر كاف فى تفاصيل الذنوب التى التوبة توبة عنها .

الركن الثالث : فى تمام التوبة وشروطها ودوامها إلى آخر العمر

قد ذكرنا أن التوبة عبارة عن ندم يورث عزما وقصدا ، وذلك الندم أورثه العلم بكون المعاصى حائلا بينه وبين محبوبه ، ولكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وتمام ، ولتمامها علامة ، ولدوامها شرط فلا بد من بيانها : أما العلم فالنظر فيه نظر فى سبب التوبة وسيأتى . وأما الندم فهو توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب وعلامته طول الحسرة والحزن وانسكاب الدمع وطول البكاء والفكر ، فمن استشعر عقوبة نازلة بولده أو ببعض أعزته طال عليه مصيبته وبكاؤه ، وأى عزيز أعز عليه من نفسه وأى عقوبة أشد من النار وأى شىء أدل على نزول العقوبة من المعاصى وأى مخبر أصدق من الله ورسوله ؟ ولو حدثه إنسان واحد يسمى طبيبا : أن مرض ولده المريض لا يبرأ وأنه سيموت منه ، لطال فى الحال حزنه ، فليس ولده بأعز من نفسه ولا الطبيب بأعلم ولا أصدق من الله ورسوله ولا الموت بأشد من النار ولا المرض بأدل على الموت من المعاصى على سخط الله تعالى والتعرض بها للنار ، فألم الندم كلما كان أشد كان تكفير الذنوب به أرجى ، فعلامة صحة الندم رقة القلب وغزارة الدمع وفى الخبر « جالسوا التوابين فإنهم أرق أفئدة [1] » ومن علامته أن تتمكن مرارة تلك الذنوب فى قلبه بدلا عن حلاوتها فيستبدل بالميل كراهية وبالرغبة نفرة . وفى الإسرائيليات : إن الله سبحانه وتعالى قال لبعض أنبيائه ـ وقد سأله قبول توبة عبد بعد أن اجتهد سنين فى العبادة ولم ير قبول توبته فقال ـ وعزتى وجلالى لو شفع فيه أهل السموات والأرض ماقبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذى تاب منه فى قلبه .

فإن قلت : فالذنوب هى أعمال مشتهاة بالطبع فكيف يجد مرارتها ؟ فأقول : من تناول عسلا كان فيه سم ولم يدركه بالذوق واستلذه ثم مرض وطال مرضه وألمه وتناثر شعره وفلجت أعضاؤه فإذا قدم إليه عسل فيه مثل ذلك السم وهو فى غاية الجوع والشهوة للحلاوة فهل تنفر نفسه عن ذلك العسل أم لا ؟ فإن قلت : لا ، فهو جحد للمشاهدة والضرورة ، بل ربما تنفر عن العسل الذى ليس فيه سم أيضا لشبهه به ، فوجدان التائب مرارة الذنب كذلك يكون ، وذلك لعلمه بأن كل ذنب فذوقه ذوق العسل وعمله عمل السم ، ولا تصح التوبة ولا تصدق إلا بمثل هذا الإيمان . ولما عز مثل هذا الإيمان عزت التوبة والتائبون ، فلا ترى إلا معرضا عن الله تعالى متهاونا بالذنوب مصرا عليها ، فهذا شرط تمام الندم وينبغى أن يدوم إلى الموت وينبغى أن يجد هذه المرارة فى جميع الذنوب وإن لم يكن قد ارتكبها من قبل ، كما يجد متناول السم فى العسل النفرة من الماء البارد مهما علم أن فيه مثل ذلك السم ، إذ لم يكن ضرره من العسل بل مما فيه ، ولم يكن ضرر التائب من سرقته وزناه من حيث إنه سرقة وزنا بل من حيث إنه من مخالفة أمر الله تعالى وذلك جار فى كل ذنب . وأما القصد الذى ينبعث منه وهو إرادة التدارك فله تعلق بالحال ؛ وهو يوجب ترك كل محظور هو ملابس له وأداء كل فرض هو متوجه عليه فى الحال . وله تعلق بالماضى ؛ وهو تدارك ما فرط . وبالمستقبل ؛ وهو دوام الطاعة ودوام ترك المعصية إلى الموت .

وشرط صحتها فيما يتعلق بالماضى أن يرد فكره إلى أول يوم بلغ فيه بالسن أو الاحتلام ويفتش عما مضى من

---

(١) حديث « جالسوا التوابين فإنهم أرق أفئدة » لم أجده مرفوعا وهو من قول عون بن عبد الله رواه ابن أبى الدنيا فى التوبة قال « جالسوا التوابين فإن رحمة الله إلى النادم أقرب » وقال أيضا « فالموعظة إلى قلوبهم أسرع وهم إلى الرقة أقرب » وقال أيضا « التائب أسرع دمعة وأرق قلبا » .

عمره سنة سنة وشهرا شهرا ويوما يوما ونفسا نفسا ، وينظر إلى الطاعات ما الذى قصر فيه منها ؟ وإلى المعاصى ما الذى قارفه منها ؟

فإن كان قد ترك صلاة أو صلاها فى ثوب نجس أو صلاها بنية غير صحيحة لجهلة بشرط النية فيقضيها عن آخرها ، فإن شك فى عدد مافاته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذى يستيقن أنه أداه ويقضى الباقى وله أن يأخذ فيه بغالب الظن ويصل إليه على سبيل التحرى والاجتهاد .

وأما الصوم فإن كان قد تركه فى شفر ولم يقضه أو أفطر عمدا أو نسى النية بالليل ولم يقض ؛ فيتعرف مجموع ذلك بالتحرى والاجتهاد ويشتغل بقضائه .

وأما الزكاة فيحسب جميع ماله وعدد السنين من أول ملكه - لا من زمان البلوغ فإن الزكاة واجبة فى مال الصبى - فيؤدى ما علم بغالب الظن أنه فى ذمته ، فإن أداه لا على وجه يوافق مذهبه بأن لم يصرف إلى الأصناف الثمانية أو أخرج البدل وهو على مذهب الشافعى رحمه الله تعالى فيقضى جميع ذلك ، فإن ذلك لا يجزيه أصلا ، وحساب الزكاة ومعرفة ذلك يطول ويحتاج فيه إلى تأمل شاف ويلزمه أن يسأل عن كيفية الخروج عنه من العلماء .

وأما الحج فإن كان قد استطاع فى بعض السنين ولم يتفق له الخروج والآن قد أفلس فعليه الخروج ، فإن لم يقدر مع الإفلاس فعليه أن يكتسب من الحلال قدر الزاد ، فإن لم يكن له كسب ولا مال فعليه أن يسأل الناس ليصرف إليه من الزكاة أو الصدقات مايحج به ، فإنه إن مات قبل الحج مات عاصيا قال عليه السلام « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا »[1] ، والعجز الطارئ بعد القدرة لا يسقط عنه الحج . فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها .

وأما المعاصى فيجب أن يفتش من أول بلوغه عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وسائر جوارحه ، ثم ينظر فى جميع أيامه وساعاته ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطلع على جميعها صغائرها وكبائرها ثم ينظر فيها فما كان من ذلك بينه وبين الله تعالى من حيث لا يتعلق بمظلمة العباد ، كنظر إلى غير محرم وقعود فى مسجد مع الجنابة ومس مصحف بغير وضوء واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع ملاه وغيره ذلك مما لا يتعلق بمظالم العباد ، فالتوبة عنها بالندم والتحسر عليها وبأن يحسب مقدارها من حيث الكبر ومن حيث المدة ويطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها فيأتى من الحسنات بمقدار تلك السيئات أخذا من قوله صلى الله عليه وسلم « اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها »[2] ، بل من قوله تعالى ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ فيكفر سماع الملاهى بسماع القرآن وبمجالس الذكر ، ويكفر القعود فى المسجد جنبا بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة ، ويكفر مس المصحف محدثا بإكرام المصحف وكثرة قراءة القرآن منه وكثرة تقبيله بأن يكتب مصحفا ويجعله وقفا ، ويكفر شرب الخمر بالتصدق بشراب حلال هو أطيب منه وأحب إليه ، وعد جميع المعاصى غير ممكن وإنما المقصود سلوك الطريق المضادة فإن المرض يعالج بضده ، فكل ظلمة ارتفعت إلى القلب بمعصية فلا يمحوها إلا نور يرتفع إليها بحسنة تضادها ، والمتضادات هى المتناسبات فلذلك ينبغى أن تمحى كل سيئة بحسنة من جنسها لكن تضادها ، فإن البياض يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة ، وهذا التدريج والتحقيق من التلطف فى طريق المحو فالرجاء فيه أصدق والثقة

---

(١) حديث «من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا ... الحديث» تقدم فى الحج (٢) حديث «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها» أخرجه الترمذى من حديث أبى ذر وصححه وتقدم أوله فى آداب الكسب وبعضه فى أوائل التوبة وتقدم فى رياضة النفس .

به أكثر من أن يواظب على نوع واحد من العبادات وإن كان ذلك أيضا مؤثرا فى المحو فهذا حكم مابينه وبين الله تعالى ويدل على أن الشيء يكفر بضده أن حب الدنيا رأس كل خطيئة وأثر اتباع الدنيا فى القلب السرو بها والحنين إليها فلا جرم كان كل أذى يصيب المسلم ينبو بسببه قلبه عن الدنيا يكون كفارة له ، إذ القلب يتجافى بالهموم والغموم عن دار الهموم قال صلى الله عليه وسلم « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهموم [1] » وفى لفظ آخر « إلا الهم بطلب المعيشة » وفى حديث عائشة رضى الله عنها « إذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له أعمال تكفرها أدخل الله تعالى عليه الهموم فتكون كفارة لذنوبه [2] » ويقال إنّ الهم الذى يدخل على القلب والعبد لا يعرف هو ظلمة الذنوب والهم بها ، وشعور القلب بوقفة الحساب وهول المطلع .

فإن قلت : هم الإنسان غالبا بماله وولده وجاهه وهو خطيئة فكيف يكون كفارة ؟ فاعلم أن الحب له خطيئة والحرمان عنه كفارة ولو تمتع به لتمت الخطيئة فقد روى أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه السلام فى السجن فقال له : كيف تركت الشيخ الكئيب ؟ فقال قد حزن عليك حزن مائة ثكلى قال : فماله عند الله ؟ قال : أجر مائة شهيد . فإذن الهموم أيضا مكفرات حقوق الله فهذا حكم مابينه وبين الله تعالى .

وأما مظالم العباد ففيها أيضا معصية وجناية على حق الله تعالى فإن الله تعالى نهى عن ظلم العباد أيضا ، فما يتعلق منه بحق الله تعالى تداركه بالندم والتحسر وترك مثله فى المستقبل والإتيان بالحسنات التى هى أضدادها ، فيقابل إيذاءه الناس بالإحسان إليهم ، ويكفر غصب أموالهم بالتصدق بملكه الحلال ، ويكفر تناول أعراضهم بالغيبة والقدح فيهم بالثناء على أهل الدين وإظهار مايعرف من خصال الخير من أقرانه وأمثاله ، ويكفر قتل النفوس بإعتاق الرقاب - لأن تلك إحياء إذ العبد مفقود لنفسه موجود لسيده والإعتاق إيجاد لا يقدر الإنسان على أكثر منه فيقابل الإعدام بالإيجاد وبهذا تعرف أن ماذكرناه من سلوك طريق المضادة فى التكفير والمحو مشهود له فى الشرع حيث كفر القتل بإعتاق رقبة ، ثم إذا فعل ذلك كله لم يكفه مالم يخرج عن مظالم العباد ومظالم العباد إما فى النفوس أو الأموال أو الأعراض أو القلوب أعنى به الإيذاء المحض .

أما النفوس فإن جرى عليه قتل خطأ فتوبته بتسليم الدية ووصولها إلى المستحق إما منه أو من عاقلته وهو فى عهدة ذلك قبل الوصول . وإن كان عمدا موجبا للقصاص فبالقصاص ، فإن لم يعرف فيجب عليه أن يتعرف عند ولى الدم ويحكمه فى روحه فإن شاء عفا عنه وإن شاء قتله ولا تسقط عهدته إلا بهذا . ولا يجوز له الإخفاء وليس هذا كما لو زنى أو شرب أو سرق أو قطع الطريق أو باشر ما يجب عليه فيه حد الله تعالى فإنه لا يلزمه فى التوبة أن يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس من الوالى استيفاء حق الله تعالى ، بل عليه أن يتستر بستر الله تعالى ويقيم حد الله على نفسه بأنواع المجاهدة والتعذيب ، فالعفو فى محض حقوق الله تعالى قريب من التائبين النادمين ، فإن أمر هذه إلى الوالى حتى أقام عليه الحد وقع موقعه وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله تعالى بدليل ماروى أن ماعز بن مالك أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله إنى قد ظلمت نفسى وزنيت وإنى أريد أن تطهرنى ! فرده فلما كان من الغد أتاه فقال : يا رسول الله إنى قد زنيت ! فرده الثانية فلما كان فى الثالثة أمر به فحفر له حفرة ثم أمر به

---

(١) حديث « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهموم » وفى لفظ آخر « إلا الهم فى طلب المعيشة » أخرجه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الحلية والخطيب فى التلخيص من حديث أبى هريرة بسند ضعيف تقدم فى النكاح .

(٢) حديث « إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له أعمال تكفرها أدخل الله عليه الغموم » وتقدم أيضا فى النكاح وهو عند أحمد من حديث عائشة بلفظ « ابتلاه الله بالحزن » .

فرجم ، فكان الناس فيه فريقين : فقائل يقول لقد هلك وأحاطت به خطيئته وقائل يقول ماتوبة أصدق من توبته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم [1] » وجاءت الغامدية فقالت : يارسول الله إنى قد زنيت فطهرنى ! فردها فلما كان من الغد قالت : يا رسول الله لم تردنى لعلك تريد أن تردنى كما رددت ماعزا ، فوالله إنى لحبلى : فقال صلى الله عليه وسلم « أما الآن فاذهبى حتى تضعى » فلما ولدت أتت بالصبى فى خرقة فقالت : هذا قد ولدته قال « اذهبى فأرضعيه حتى تفطميه » فلما فطمته أتت بالصبى وفى يده كسرة خبز فقالت : يانبى الله قد فطمته وقد أكل الطعام ! فدفع الصبى إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها ، فأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضح الدم على وجهه فسبها . فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبه إياها فقال « مهلا يا خالد فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له » ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت . [2] »

وأما القصاص وحد القذف : فلا بد من تحليل صاحبه المستحق فيه ، وإن كان المتناول مالا تناوله بغصب أو خيانة أو غبن فى معاملة بنوع تلبيس كترويج زائف أو ستر عيب من المبيع أو نقص أجرة أجير أو منع أجرته فكل ذلك يجب أن يفتش عنه لا من حد بلوغه بل من أول مدة وجوده ، فإن ما يجب فى مال الصبى يجب على الصبى إخراجه بعد البلوغ إن كان الولى قد قصر فيه فإن لم يفعل كان ظالما مطالباً به ، إذ يستوى فى الحقوق المالية الصبى والبالغ ، وليحاسب نفسه على الحبات والدوانق من أول يوم حياته إلى يوم توبته قبل أن يحاسب فى القيامة ، وليناقش قبل أن يناقش فمن لم يحاسب نفسه فى الدنيا طال فى الآخرة حسابه ، فإن حصل مجموع ما عليه بظن غالب ونوع من الاجتهاد ممكن فليكتبه وليكتب أسامى أصحاب المظالم واحداً واحدا وليطف فى نواحى العالم وليطلبهم وليستحلهم أو ليؤد حقوقهم ، وهذه التوبة تشق على الظلمة وعلى التجار فإنهم لا يقدرون على طلب المعاملين كلهم ولا على طلب ورثتهم ولكن على كل واحد منهم أن يفعل منه ما يقدر عليه فإن عجز فلا يبقى له طريق إلا أن يكثر من الحسنات حتى تفيض عنه يوم القيامة فتؤخذ حسناته وتوضع فى موازين أرباب المظالم ، ولكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فإنه إن لم تف بها حسناته حمل من سيئات أرباب المظالم فيهلك بسيئات غيره . فهذا طريق كل تائب فى رد المظالم وهذا يوجب استغراق العمر فى الحسنات لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف وذلك مما لا يعرف ؟ وربما يكون الأجل قريبا ؟ فينبغى أن يكون تشميره للحسنات والوقت ضيق أشد من تشميره الذى كان فى المعاصى فى متسع الأوقات . هذا حكم المظالم الثابتة فى ذمته .

أما أمواله الحاضرة فليرد إلى المالك ما يعرف له مالكا معينا وما لا يعرف له مالكا فعليه أن يتصدق به ، فإن اختلط الحلال بالحرام فعليه أن يعرف قدر الحرام بالاجتهاد ويتصدق بذلك المقدار كما سبق تفصيله فى كتاب الحلال والحرام .

وأما الجناية على القلوب بمشافهة الناس بما يسوؤهم أو يعيبهم فى الغيبة فيطلب كل من تعرض له بلسان أو آذى قلبه بفعل من أفعاله وليستحل واحدا واحدا منهم ومن مات أو غاب فقد فات أمره ولا يتدارك إلا بتكثير الحسنات لتؤخذ منه عوضا فى القيامة ، وأما من وجده وأحله بطيب قلب منه فذلك كفارته وعليه أن يعرفه قدر جنايته

---

(١) حديث : اعتراف ماعز بالزنا ورده صلى الله عليه وسلم حتى اعترف أربعا وقوله « لقد تاب توبة ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث بريدة بن الحصيب (٢) حديث الغامدية واعترافها بالزنا ورجمها وقوله صلى الله عليه وسلم « لقد تابت توبة ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث بريدة وهو بعض الذى قبله .

وتعرضه له فالاستحلال المبهم لا يكفى ، وربما لو عرف ذلك وكثرة تعديه عليه لم تطب نفسه بالإحلال وادخر ذلك فى القيامة ذخيرة يأخذها من حسناته أو يحمله من سيئاته ، فإن كان فى جملة جنايته على الغير مالو ذكره وعرفه لتأذى بمعرفته كزناه بجاريته أو أهله أو نسبته باللسان إلى عيب من خفايا عيوبه يعظم أذاه مهما شوفه به فقد انسد عليه طريق الاستحلال ، فليس له إلا أن يستحل منها ثم تبقى له مظلمة فليجبرها بالحسنات كما يجبر مظلمة الميت والغائب .

وأما الذكر والتعريف فهو سيئة جديدة يجب الاستحلال منها ، ومهما ذكر جنايته وعرفه المجنى عليه فلم تسمح نفسه بالاستحلال بقيت المظلمة عليه فإن هذا حقه ، فعليه أن يتلطف به ويسعى فى مهماته وأغراضه ويظهر من حبه والشفقة عليه ما يستميل به قلبه ، فإن الإنسان عبد الإحسان ، وكل من نفر بسيئة مال بحسنة فإذا طاب قلبه بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالإحلال ، فإن أبى إلا الإصرار فيكون تلطفه به واعتذاره إليه من جملة حسناته التى يمكن أن يجبر بها فى القيامة جنايته ، وليكن قدر سعيه فى فرحه وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه فى اذاه ، حتى إذا قاوم أحدهما الآخر أو زاد عليه أخذ ذلك منه عوضا فى القيامة بحكم الله به عليه ، كمن أتلف فى الدنيا مالا فجاء بمثله فامتنع من له المال من القبول وعن الإبراء فإن الحاكم يحكم عليه بالقبض منه شاء أم أبى ، فكذلك يحكم فى صعيد القيامة أحكم الحاكمين وأعدل المقسطين . وفى المتفق عليه من الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة ؟ قال : لا فقتله فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال له : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ قال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله عز وجل فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائباً مقبلا بقلبه الى الله وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط ، فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه حكما بينهم فقال قيسوا مابين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة (١) » وفى رواية « فكان إلى القرية الصالحة أقرب منها بشبر فجعل من أهلها » وفى رواية « فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدى وإلى هذه أن تقربى وقال قيسوا مابينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له » فبهذا تعرف أنه لاخلاص إلا برجحان ميزان الحسنات ولو بمثقال ذرة فلا بد للتائب من تكثير الحسنات هذا حكم القصد المتعلق بالماضى .

وأما العزم المرتبط بالاستقبال فهو أن يعقد مع الله عقدا مؤكدا ويعاهده بعهد وثيق أن لايعود إلى تلك الذنوب ولا إلى أمثالها ، كالذى يعلم فى مرضه أن الفاكهة تضره مثلا فيعزم عزما جزما أنه لايتناول الفاكهة مالم يزل مرضه ، فإن هذا العزم يتأكد فى الحال وإن كان يتصور أن تغلبه الشهوة فى ثانى الحال ، ولكن لايكون تائباً مالم يتأكد عزمه فى الحال ، ولا يتصور أن يتم ذلك للتائب فى أول أمره إلا بالعزلة والصمت وقلة الأكل والنوم وإحراز قوت حلال ، فإن كان له مال موروث حلال أو كانت له حرفة يكتسب بها قدر الكفاية فليقتصر عليه ،

(١) حديث أبى سعيد الخدرى المتفق عليه « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين فسأل عن أعلم أهل الأرض .. الحديث » هو متفق عليه كما قال المصنف من حديث أبى سعيد .

فإن رأس المعاصى أكل الحرام فكيف يكون تائباً مع الإصرار عليه ولايكتفى بالحلال وترك الشبهات من لايقدر على ترك الشهوات فى المأكولات والملبوسات ؟ وقد قال بعضهم من صدق فى ترك شهوة وجاهد نفسه لله سبع مرار لم يبتل بها . وقال آخر . من تاب من ذنب واستقام سبع سنين ، لم يعد إليه أبدا . ومن مهمات التائب إذا لم يكن عالما أن يتعلم مايجب عليه فى المستقبل ومايحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة ، وإن لم يؤثر العزلة لم تتم له الاستقامة المطلقة إلا أن يتوب عن بعض الذنوب ، كالذى يتوب عن الشرب والزنا والغصب مثلا ، وليست هذه توبة مطلقة

وقد قال بعض الناس إنّ هذه التوبة لاتصح ، وقال قائلون تصح ، ولفظ الصحة فى هذا المقام مجمل ، بل نقول لمن قال لاتصح : إن عنيت به أن تركه بعض الذنوب لايفيد أصلا بلا وجوده كعدمه فما أعظم خطأك ! فإنا نعلم أن كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب وقلتها سبب لقلته . ونقول لمن قال تصح إن أردت به أن التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولا يوصل إلى النجاة أو الفوز فهذا أيضا خطأ ! بل النجاة والفوز بترك الجميع . هذا حكم الظاهر ولسنا نتكلم فى خفايا أسرار عفو الله فإن قال من ذهب إلى أنها لاتصح إنى أردت به أن التوبة عبارة عن الندم . وإنما يندم على السرقة مثلا لكونها معصية لالكونها سرقة ؛ ويستحيل أن يندم عليها دون الزنا إن كان توجعه لأجل المعصية فإنّ العلة شاملة لهما إذ من يتوجع على قتل ولده بالسيف يتوجع على قتله بالسكين لأنّ توجعه بفوات محبوبه سواء كان بالسيف أو بالسكين ، فكذلك توجع العبد بفوات محبوبه وذلك بالمعصية سواء عصى بالسرقة أو الزنا فكيف يتوجع على البعض دون البعض ؟ فالندم حالة يوجبها العلم بكون المعصية مفوّتة للمحبوب من حيث إنها معصية فلا يتصوّر أن يكون على بعض المعاصى دون البعض ، ولو جاز هذا لجاز أن يتوب من شرب الخمر من أحد الدنين دون الآخر فإن استحال ذلك من حيث إن المعصية فى الخمرين واحد وإنما الدنان ظروف فكذلك أعيان المعاصى آلات للمعصية والمعصية من حيث مخالفة الأمر واحدة ، فإذن معنى عدم الصحة أن الله تعالى وعد التائبين رتبة وتلك الرتبة لاتنال إلا بالندم ولايتصوّر الندم على بعض المتماثلات ، فهو كالملك المرتب على الإيجاب والقبول فإنه إذا لم يتم الإيجاب والقبول نقول إن العقد لايصح أى لم تترتب عليه الثمرة وهو الملك ، وتحقيق هذا أنّ ثمرة مجرّد الترك أن ينقطع عنه عقاب ماتركه وثمرة الندم تكفير ما سبق ، فترك السرقة لايكفر السرقة بل الندم عليها ولايتصوّر الندم إلا لكونها معصية وذلك يعم جميع المعاصى ، وهو كلام مفهوم واقع يستنطق المنصف بتفصيل به ينكشف الغطاء .

فنقول : التوبة عن بعض الذنوب لاتخلو إما أن تكون عن الكبائر دون الصغائر ، أو عن الصغائر دون الكبائر ، أو عن كبيرة دون كبيرة . أما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فأمر ممكن لأنه يعلم أن الكبائر أعظم عند الله وأجلب لسخط الله ومقته ، والصغائر أقرب إلى تطرّق العفو إليها فلايستحيل أن يتوب عن الأعظم ويتندم عليه ، كالذى يجنى على أهل الملك وحرمه ويجنى على دابته فيكون خائفا من الجناية على الأهل مستحقرا للجناية على الدابة ، والندم بحسب استعظام الذنب واعتقاد كونه مبعدا عن الله تعالى . وهذا ممكن وجوده فى الشرع فقد كثر التائبون فى الأعصار الخالية ولم يكن أحد منهم معصوما فلا تستدعى التوبة العصمة . والطبيب قد يحذر المريض العسل تحذيرا شديدا ، ويحذره السكر تحذيرا أخف منه على وجه يشعر معه أنه ربما لايظهر ضرر السكر أصلا ، فيتوب المريض بقوله عن العسل دون السكر فهذا غير محال وجوده وإن أكلهما جميعا بحكم شهوته ندم على أكل العسل دون السكر .

الثانى : أن يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا أيضا ممكن لاعتقاده أنّ بعض الكبائر أشدّ وأغلظ عند

الله ، كالذى يتوب عن القتل والنهب والظلم ومظالم العباد لعلمه أن ديوان العباد لايترك وما بينه وبين الله يتسارع العفو إليه ، فهذا أيضاً ممكن كما فى تفاوت الكبائر والصغائر ، لأنّ الكبائر أيضا متفاوتة فى أنفسها وفى اعتقاد مرتكبها ، ولذلك قد يتوب عن بعض الكبائر التى لاتتعلق بالعباد كما يتوب عن شرب الخمر دون الزنا مثلا ، إذ يتضح له أنّ الخمر مفتاح الشرور وأنه إذا زال عقله ارتكب جميع المعاصى وهو لايدرى فبحسب ترجح شرب الخمر عنده ينبعث منه خوف يوجب ذلك تركا فى المستقبل وندما على الماضى .

الثالث : أن يتوب عن صغيرة أو صغائر وهو مصر على كبيرة يعلم أنها كبيرة ، كالذى يتوب عن الغيبة أوعن النظر إلى غير المحرم أو مايجرى مجراه وهو مصر على شرب الخمر ، فهو أيضا ممكن ووجه إمكانه أنه مامن مؤمن إلا وهو خائف من معاصيه ونادم على فعله ندما إما ضعيفا وإما قويا ، ولكن تكون لذة نفسه فى تلك المعصية أقوى من ألم قلبه فى الخوف منها لأسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والغفلة ، وأسباب توجب قوة الشهوة فيكون الندم موجودا ولكن لايكون مليا بتحريك العزم ولاقويا عليه ، فإن سلم عن شهوة أقوى منه بأن لم يعارضه إلا ماهو أضعف قهر الخوف الشهوة وغلبها وأوجب ذلك ترك المعصية ، وقد تشتدّ ضراوة الفاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر عنه ، وتكون له ضراوة ما بالغيبة وثلب الناس والنظر إلى غير المحرم ، وخوفه من الله قدبلغ مبلغا يقمع هذه الشهوة الضعيفة دون القوية فيوجب عليه جند الخوف انبعاث العزم للترك ؟ بل يقول هذا الفاسق فى نفسه ؛ إن قهرنى الشيطان بواسطة غلبة الشهوة فى بعض المعاصى فلاينبغى أن أخلع العذار وأرخى العنان بالكلية بل أجاهده فى بعض المعاصى ، فعسانى أغلبه فيكون قهرى له فى البعض كفارة لبعض ذنوبى . ولولم يتصوّر هذا لما تصوّر من الفاسق أن يصلى ويصوم ، ولقيل له إن كانت صلاتك لغير الله فلا تصح ، وإن كانت لله فاترك الفسق لله فإن أمر الله فيه واحد ، فلا يتصوّر أن تقصد بصلاتك التقرّب إلى الله تعالى مالم تتقرّب بترك الفسق؛ وهذا محال بأن يقول لله تعالى على أمران ولى على المخالفة فيهما عقوبتان ، وأناملى فى أحدهما بقهر الشيطان عاجز عنه فى الآخر ، فأنا أقهره فيما أقدر عليه ، وأرجو بمجاهدتى فيه أن يكفر عنى بعض ماعجزت عنه بفرط شهوتى فكيف لايتصوّر هذا وهو حال كل مسلم ؟ إذ لامسلم إلا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته ولاسبب له إلاهذا ، وإذا فهم هذا فهم أنّ غلبة الخوف للشهوة فى بعض الذنوب ممكن وجودها ، والخوف إذا كان من فعل ماض أورث الندم والندم يورث العزم وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « الندم توبة » ولم يشترط الندم على كل ذنب وقال « التائب من الذنب كمن لاذنب له » ولم يقل التائب من الذنوب كلها ، وبهذه المعانى تبين سقوط قول القائل إنّ التوبة عن بعض الذنوب غير ممكنة لأنها متماثلة فى حق الشهوة وفى حق التعرّض إلى سخط الله تعالى ، نعم يجوز أن يتوب عن شرب الخمر دون النبيذ لتفاوتهما فى اقتضاء السخط ، ويتوب عن الكثير دون القليل لأنّ لكثرة الذنوب تأثيرا فى كثرة العقوبة فيساعد الشهوة بالقدر الذى يعجز عنه ويترك بعض شهوته لله تعالى ، كالمريض الذى حذره الطبيب الفاكهة فإنه قد يتناول قليلها ولكن لايستكثر منها ، فقد حصل من هذا أنه لايمكن أن يتوب عن شىء ولايتوب عن مثله بل لابدّ وأن يكون ماتاب عنه مخالفا لما بقى عليه إما فى شدّة المعصية وإما فى غلبة الشهوة ، وإذا حصل هذا التفاوت فى اعتقاد التائب تصوّر اختلاف حاله فى الخوف والندم ، فيتصوّر اختلاف حاله فى الترك فندمه على ذلك الذنب ووفاؤه بعزمه على الترك يلحقه بمن لم يذنب وإن لم يكن قد أطاع الله فى جميع الأوامر والنواهى .

فإن قلت هل تصح توبة العنين من الزنا الذى قارفه قبل طريان العنة ؟ فأقول لا ، لأنّ التوبة عبارة عن ندم

يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله ، ومالا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لابتركه إياه ، ولكنى أقول لو طرأ عليه بعد العنة كشف ومعرفة تحقق به ضرر الزنا الذى قارفه وثار منه احتراق وتحسر وندم بحيث لو كانت شهوة الوقاع به باقية لكانت حرقة الندم تقمع تلك الشهوة وتغلبها فإنى أرجو أن يكون ذلك مكفرا لذنبه وماحيا عنه سيئته ، إذ لاخلاف فى أنه لو تاب قبل طريان العنة ومات عقيب التوبة كان من التائبين وإن لم يطرأ عليه حالة تهيج فيها الشهوة وتتيسر أسباب قضاء الشهوة ، ولكنه تائب باعتبار أنّ ندمه بلغ مبلغا أوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده ، فإذن لايستحيل أن تبلغ قوة الندم فى حق العنين هذا المبلغ إلا أنه لايعرفه من نفسه ، فإن كل من لايشتهى شيئا يقدّر نفسه قادرا على تركه بأدنى خوف ، والله تعالى مطلع على ضميره وعلى مقدار ندمه فعساه يقبله منه ، بل الظاهر أنه يقبله .

والحقيقة فى هذا كله ترجع إلى ظلمة المعصية تنمحى عن القلب بشيئين ، أحدهما : حرقة الندم . والآخر : شدة المجاهدة بالترك فى المستقبل . وقد امتنعت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس محالا أن يقوى الندم بحيث يقوى على محوها دون المجاهدة ، ولولا هذا لقلنا إن التوبة لاتقبل مالم يعش التائب بعد التوبة مدة يجاهد نفسه فى عين تلك الشهوة مرات كثيرة ، وذلك مما لايدل ظاهر الشرع على اشتراطه أصلا .

فإن قلت : إذا فرضنا تائبين أحدهما سكنت نفسه عن النزوع إلى الذنب والآخر بقى فى نفسه نزوع إليه وهو يجاهدها ويمنعها فأيهما أفضل ؟ فاعلم أن هذا مما اختلف العلماء فيه ، فقال أحمد بن أبى الحوارى وأصحاب أبى سليمان الدارانى : إن المجاهد أفضل لأن له مع التوبة فضل الجهاد : وقال علماء البصرة : ذلك الآخر أفضل لأنه لو فتر فى توبته كان أقرب إلى السلامة من المجاهد الذى هو فى عرضة الفتور عن المجاهدة . وما قاله كل واحد من الفريقين لايخلو عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة .

والحق فيه أن الذى انقطع نزوع نفسه له حالتان (إحداهما) أن يكون انقطاع نزوعه إليها بفتور فى نفس الشهوة فقط ، فالمجاهد أفضل من هذا إذ تركه بالمجاهدة قد دل على قوة نفسه واستيلاء دينه على شهوته فهو دليل قاطع على قوة اليقين وعلى قوة الدين ؛ وأعنى بقوة الدين قوة الإرادة التى تنبعث بإشارة اليقين وتقمع الشهوة المنبعثة بإشارة الشياطين ، فهاتان قوتان تدل المجاهدة عليهما قطعا . وقول القائل إن هذا أسلم إذ لو فتر لا يعود إلى الذنب فهذا صحيح ، ولكن استعمال لفظ الأفضل فيه خطأ . وهو كقول القائل : العنين أفضل من الفحل لأنه فى أمن من خطر الشهوة ، والصبى أفضل من البالغ لأنه أسلم ، والمفلس أفضل من الملك القاهر القامع لأعدائه لأن المفلس لاعدّو له والملك ربما يغلب مرّة وإن غلب مرّات ، وهذا كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر غير عالم بأن العز فى الأخطار وأن العلو شرطه اقتحام الأغرار . بل كقول القائل : الصياد الذى ليس له فرس ولا كلب أفضل فى صناعة الاصطياد وأعلى رتبة من صاحب الكلب والفرس ، لأنه آمن من أن يجمح به فرسه فتنكسر أعضاؤه عند السقوط على الأرض وآمن من أن يعضه الكلب ويعتدى عليه ، وهذا خطأ بل صاحب الفرس والكلب إذا كان قويا عالما بطريق تأديبها أعلى رتبة وأحرى بدرك سعادة الصيد .

(الحالة الثانية) أن يكون بطلان النزوع بسبب قوة اليقين وصدق المجاهدة السابقة إذ بلغ مبلغا قمع هيجان الشهوة حتى تأدبت بأدب الشرع ، فلا تهيج إلا بالإشارة من الدين وقد سكنت بسبب استيلاء الدين عليها . فهذا أعلى رتبة من المجاهد المقاسى لهيجان الشهوة وقمعها . وقول القائل : ليس لذلك فضل الجهاد قصور عن الإحاطة بمقصود

الجهاد فإن الجهاد كان مقصودا لعينه ، بل المقصود قطع ضراوة العدو حتى لا يستجرك إلى شهواته وإن عجز عن استجرارك فلا يصدك عن سلوك طريق الدين ، فإذا قهرته وحصلت المقصود فقد ظفرت وما دمت فى المجاهدة فأنت بعد فى طلب الظفر . ومثاله كمثال من قهر العدو واسترقه بالإضافة إلى من هو مشغول بالجهاد فى صف القتال ولا يدرى كيف يسلم . ومثاله أيضا مثال من علم كلب الصيد وراض الفرس فهما نائمان عنده بعد ترك الكلب الضراوة والفرس الجماح بالإضافة إلى من هو مشغول بمقاساة التأديب بعد ، ولقد زل فى هذا فريق فظنوا أن الجهاد هو المقصود الأقصى ولم يعلموا أن ذلك طلب للخلاص من عوائق الطريق . وظن آخرون أن قمع الشهوات وإماطتها بالكلية مقصود حتى جرب بعضهم نفسه فعجز عنه فقال : هذا محال ، فكذب بالشرع وسلك سبيل الإباحة واسترسل فى اتباع الشهوات . وكل ذلك جهل وضلال وقد قررنا ذلك فى كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات .

فإن قلت : فما قولك فى تائبين أحدهما نسى الذنب ولم يشتغل بالتفكر فيه والآخر جعله نصب عينه ولا يزال يتفكر فيه ويحترق ندما عليه فأيهما أفضل ؟ فاعلم أن هذا أيضا قد اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : حقيقة التوبة أن تنصب ذنبك بين عينيك . وقال آخر : حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك . وكل واحد من المذنبين عندنا على حق ولكن بالإضافة إلى حالين .

وكلام المتصوفة أبدا يكون قاصرا ، فإن عادة كل واحد منهم أن يخبر عن حال نفسه فقط ولا يهمه حال غيره فتختلف الأجوبة لاختلاف الأحوال ، وهذا نقصان بالإضافة إلى الهمة والإرادة والجد حيث يكون صاحبه مقصور النظر على حال نفسه لا يهمه أمر غيره ، إذ طريقه إلى الله نفسه ومنازله أحواله . وقد يكون طريق العبد إلى الله العلم فالطرق إلى الله تعالى كثيرة وإن كانت مختلفة فى القرب والبعد ، والله أعلم بمن هو أهدى سبيلا مع الاشتراك فى أصل الهداية ؟

فأقول : تصور الذنب وذكره والتفجع عليه كمال فى حق المبتدئ ، لأنه إذا نسيه لم يكثر احتراقه فلا تقوى إرادته وانبعاثه لسلوك الطريق ، لأن ذلك يستخرج منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع إلى مثله . فهو بالإضافة إلى الغافل كمال ولكنه بالإضافة إلى سالك الطريق نقصان فإنه شغل مانع عن سلوك الطريق . بل سالك الطريق ينبغى أن لا يعرج على غير السلوك ، فإن ظهر له مبادئ الوصول وانكشف له أنوار المعرفة ولوامع الغيب استغرقه ذلك ولم يبق فيه متسع للالتفات إلى ما سبق من أحواله وهو الكمال . بل لو عاق المسافر عن الطريق إلى بلد من البلاد نهر حاجز طال تعب المسافر فى عبوره مدة من حيث إنه كان قد خرب جسره من قبل ، ولو جلس على شاطئ البحر بعد عبوره يبكى متأسفا على تخريبه الجسر كان هذا مانعا آخر اشتغل به بعد الفراغ من ذلك المانع . نعم إن لم يكن الوقت وقت الرحيل بأن كان ليلا فتعذر السلوك أو كان على طريقه أنهار وهو يخاف على نفسه أن يمر بها فليطل بالليل بكاؤه وحزنه على تخريب الجسر ليتأكد بطول الحزن عزمه على أن لا يعود إلى مثله ، فإن حصل له من التنبية ما وثق بنفسه أنه لا يعود إلى مثله فسلوك الطريق أولى به من الاشتغال بذكر تخريب الجسر والبكاء عليه ، وهذا لا يعرفه إلا من عرف الطريق والمقصد والعائق وطريق السلوك — وقد أشرنا إلى تلويحات منه فى كتاب العلم وفى ربع المهلكات — بل نقول شرط دوام التوبة أن يكون كثير الفكر فى النعيم فى الآخرة لتزيد رغبته ، ولكن إن كان شابا فلا ينبغى أن يطيل فكره فى كل ماله نظير فى الدنيا كالحور والقصور فإن ذلك الفكر ربما يحرك رغبته فيطلب العاجلة ولا يرضى بالآجلة . بل ينبغى أن يتفكر فى لذة النظر إلى وجه الله تعالى فقط فذلك لا نظير له فى الدنيا .

فكذلك تذكر الذنب قد يكون محركا للشهوة ،فالمبتدى أيضا قد يستضر به فيكون النسيان أفضل له عند ذلك . ولا يصدّنك عن التصديق بهذا التحقيق ما يحكى لك من بكاء داود ونياحته عليه السلام ، فإن قياسك نفسك على الأنبياء قياس فى غاية الاعوجاج لأنهم قد ينزلون فى أقوالهم وأفعالهم إلى الدرجات اللائقة بأممهم ، فإنهم ما بعثوا إلا لإرشادهم فعليهم التلبس بما تنتفع أممهم بمشاهدته وإن كان ذلك نازلا عن ذروة مقامهم ، فلقد كان فى الشيوخ من لا يشير على مريده بنوع رياضة إلا ويخوض معه فيها وقد كان مستغنيا عنها لفراغه عن المجاهدة وتأديب النفس تسهيلا للأمر على المريد . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أما إنى لا أنسى ولكنى أنسى لأشرع [1] »وفى لفظ «إنما أسهو لأسن » . ولا تعجب من هذا فإن الأمم فى كنف شفقة الأنبياء كالصبيان فى كنف شفقة الآباء ، وكالمواشى فى كنف الرعاة . أما ترى الأب إذا أراد أن يستنطق ولده الصبى كيف ينزل إلى درجة نطق الصبى كما قال صلى الله عليه وسلم للحسن « كخ كخ [2] » لما أخذ تمرة من تمر الصدقة ووضعها فى فيه ؟ وما كانت فصاحته تقصر عن أن يقول ارم هذه التمرة فإنها حرام ، ولكنه لما علم أنه لا يفهم منطقه ترك الفصاحة ونزل إلى لكنته . بل الذى يعلم شاة أو طائرا يصوّت به رغاء أو صفيرا تشبها بالبهيمة والطائر تلطفا فى تعليمه . فإياك أن تغفل عن أمثال هذه الدقائق فإنها مزلة أقدام العارفين فضلا عن الغافلين . نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه .

بيان أقسام العباد فى دوام التوبة

اعلم أن التائبين فى التوبة على أربع طبقات (الطبقة الأولى) أن يتوب العاصى ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره، فيتدارك مافرط من أمره ولا يحدّث نفسه بالعود إلى ذنوبه إلا الزلات التى لاينفك البشر عنها فى العادات مهما لم يكن فى رتبة النبوّة ، فهذا هو الاستقامة على التوبة ، وصاحبه هو السابق بالخيرات المستبدل بالسيئات حسنات واسم هذه التوبة : التوبة النصوح . واسم هذه النفس الساكنة : النفس المطمئنة ، التى ترجع إلى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين إليهم الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « سبق المفردون المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا [3] » فإن فيه إشارة إلى أنهم كانوا تحت أوزار وضعها الذكر عنهم . وأهل هذه الطبقة على رتب من حيث النزوع إلى الشهوات . فمن تائب سكنت شهواته تحت قهر المعرفة فمتر نزاعها ولم يشغله عن السلوك صرعها ، وإلى من لا ينفك عن منازعة النفس ولكنه ملى بمجاهدتها وردها . ثم تتفاوت درجات النزاع أيضا بالكثرة والقلة وباختلاف المدة وباختلاف الأنواع . وكذلك يختلفون من حيث طول العمر : فمن مختطف يموت قريبا من توبته يغبط على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة . ومن ممهل طال جهاده وصبره وتمادت استقامته وكثرت حسناته . وحال هذا أعلى وأفضل إذ كل سيئة فإنما تمحوها حسنة حتى قال بعض العلماء : إنما يكفر الذنب الذى ارتكبه العاصى أن يتمكن منه عشر مرات مع صدق الشهوة ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفا من الله تعالى ، واشتراط هذا بعيد وإن كان لا ينكر عظم أثره لو فرض . ولكن لاينبغى للمريد الضعيف أن يسلك هذا الطريق فتهيج الشهوة وتحضر الأسباب حتى يتمكن ثم يطمع فى الانكفاف ، فإنه لا يؤمن خروج عنان الشهوة عن

---

(١) حديث « أما إنى لا أنسى ولكن أنسى لأشرع » ذكره مالك بلاغا بغير إسناد وقال ابن عبد البر لايوجد فى الموطأ إلا مرسلا لاإسناد له وكذا قال حمزة الكنانى إنه لم يرد من غير طريق مالك وقال أبو طاهر الأنماطى : وقد طال بحثى عنه وسؤالى عنه للأئمة والحفاظ فلم أظفر به ولا سمعت عن أحد أنه ظفر به قال وادعى بعض طلبة الحديث أنه وقع له مسندا

(٢) حديث أنه قال للحسن « كخ كخ » لما أخذ تمرة من الصدقة ووضعها فى فيه : أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة وتقدم فى كتاب الحلال والحرام . (٣) حديث « سبق المفردون المستهترون بذكر الله ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة وحسنه وقد تقدم .

اختياره فيقدم على المعصية وينقض توبته . بل طريقها الفرار من ابتداء أسبابه الميسرة له حتى يسد طرقها على نفسه، ويسعى مع ذلك فى كسر شهوته بما يقدر عليه فبه تسلم توبته فى الابتداء .

(الطبقة الثانية) تائب سلك طريق الاستقامة فى أمهات الطاعات وترك كبائر الفواحش كلها ، إلا أنه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وتجريد قصد ولكن يبتلى بها فى مجارى أحواله من غير أن يقدم عزما على الإقدام عليها ، ولكنه كلما أقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف وجدد عزمه على أن يتشمر للاحتراز من أسبابها التى تعرضه لها . وهذه النفس جديرة بأن تكون هى النفس اللوامة ، إذ تلوم صاحبها على ما تستهدف له من الأحوال الذميمة لا عن تصميم عزم وتخمين رأى وقصد ، وهذه أيضا رتبة عالية وإن كانت نازلة عن الطبقة الأولى ، وهى أغلب احوال التائبين لأن الشر معجون بطينة الآدمى قلما ينفك عنه ، وإنما غاية سعيه أن يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه فترجح كفة الحسنات ، فأما أن تخلو بالكلية كفة السيئات فذلك فى غاية البعد . وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى إذ قال تعالى ﴿ الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة ﴾ فكل إلمام يقع بصغيرة لا عن توطين نفسه عليه فهو جدير بأن يكون من اللمم المعفو عنه . قال تعالى ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ﴾ فأثنى عليهم مع ظلمهم لأنفسهم لتندمهم ولومهم أنفسهم عليه . وإلى مثل هذه الرتبة الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه على كرم الله وجهه « خياركم كل مفتن تواب [1] » وفى خبر آخر « المؤمن كالسنبلة يفىء أحيانا ويميل أحيانا [2] » وفى الخبر « لابد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة [3] » أى الحين بعد الحين فكل ذلك أدلة قاطعة على أن هذا القدر لا ينقض التوبة ولا يلحق صاحبها بدرجة المصرين . ومن يؤيس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذى يؤيس الصحيح عن دوام الصحة بما يتناوله من الفواكه والأطعمة الحارة مرة بعد أخرى من غير مداومة واستمرار ، وكالفقيه الذى يؤيس المتفقه عن نيل درجة الفقهاء بفتوره عن التكرار والتعليق فى أوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة . وذلك يدل على نقصان الطبيب والفقيه . بل الفقيه فى الدين هو الذى لا يؤيس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومقارفة السيئات المختطفات قال النبى صلى الله عليه وسلم « كل بنى آدم خطاءون وخير الخطائين التوابون المستغفرون [4] » وقال تعالى ﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ﴾ فما وصفهم بعدم السيئة أصلا .

(الطبقة الثالثة) أن يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ، ثم تغلبه الشهوات فى بعض الذنوب فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة لعجزه عن قهر الشهوة ، إلا أنه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة ، وإنما قهرته هذه الشهوة الواحدة أو الشهوتان وهو يود لو أقدره الله تعالى على قمعها وكفاه شرها ، هذا أمنيته فى حال قضاء الشهوة عند الفراغ يتندم ويقول ليتنى لم أفعله وسأتوب عنه وأجاهد نفسى

---

(١) حديث على « خياركم كل مفتن تواب » أخرجه البيهقى فى الشعب بسند ضعيف (٢) حديث « المؤمن كالسنبلة تفىء أحيانا وتميل أحيانا » أخرجه أبو يعلى وابن حبان فى الضعفاء من حديث أنس والطبرانى من حديث عمار بن ياسر والبيهقى فى الشعب من حديث الحسن مرسلا وكلها ضعيفة وقالوا « تقوم » بدل « تفىء » وفى الأمثال للرامهرمزى إسناد جيد لحديث أنس .

(٣) حديث « لابد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة » أخرجه الطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بأسانيد حسنة (٤) حديث « كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين المستغفرون » أخرجه الترمذى واستغربه والحاكم وصحح إسناده من حديث أنس وقال « التوابون » بدل « المستغفرون » قلت فيه على بن مسعدة ضعفه البخارى (٥) حديث « المؤمن واه راقع فخيرهم من مات على رقعه » أخرجه الطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث جابر بسند ضعيف وقالا « فسعيدهم » بدل « فخيرهم »

فى قهرها ، لكنه تسوّل نفسه ويسوف توبته مرة بعد أخرى ويوما بعد يوم . فهذه النفس هى التى تسمى : النفس المسوّلة ، وصاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ﴾ فأمره من حيث مواظبته على الطاعات وكراهته لما تعاطاه مرجو فعسى الله أن يتوب عليه ، وعاقبته مخطرة من حيث تسويفه وتأخيره ، فربما يختطف قبل التوبة ويقع أمره فى المشيئة فإن تداركه الله بفضله وجبر كسره وامتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين ، وإن غلبته شقوته وقهرته شهوته فيخشى أن يحق عليه فى الخاتمة ما سبق عليه من القول فى الأزل ، لأنه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاحتراز عن شواغل التعلم دل تعذره على أنه سبق له فى الأزل أن يكون من الجاهلين فيضعف الرجاء فى حقه ، وإذا يسرت له اسباب المواظبة على التحصيل دل على أنه سبق له فى الأزل أن يكون من جملة العالمين . فكذلك ارتباط سعادات الآخرة ودركاتها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الأسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الأغذية والأدوية ، وارتباط حصول فقه النفس الذى به تستحق المناصب العلية فى الدنيا بترك الكسل والمواظبة على تفقيه النفس ، فكما لايصلح لمنصب الرياسة والقضاء والتقدم بالعلم إلا نفس صارت فقيهة بطول التفقيه فلا يصلح لملك الآخرة ونعيمها ولا القرب من رب العالمين إلا قلب سليم صار طاهرا بطول التزكية والتطهير . هكذا سبق فى الأزل بتدبير رب الأرباب . ولذلك قال تعالى ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ فهما وقع العبد فى ذنب فصار الذنب نقدا والتوبة نسيئة كان هذا من علامات الخذلان . قال صلى الله عليه وسلم « إنّ العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس إنه من أهلها ولا يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها [1] » فإذن الخوف من الخاتمة قبل التوبة . وكل نفس فهو خاتمة ماقبله إذ يمكن أن يكون الموت متصلا به ، فليراقب الأنفاس وإلا وقع فى المحذور ودامت الحسرات حين لاينفع التحسر .

(الطبقة الرابعة) أن يتوب ويجرى مدة على الاستقامة ثم يعود إلى مقارفة الذنب أو الذنوب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة ومن غير أنّ يتأسف على فعله ، بل ينهمك انهماك الغافل فى اتباع شهواته فهذا من جملة المصرين ، وهذه النفس هى : النفس الأمارة بالسوء ، الفرارة من الخير ؛ ويخاف على هذا سوء الخاتمة وأمره فى مشيئة الله ، فإن ختم له بالسوء شقى شقاوة لا آخر لها وإن ختم له بالحسنى حتى مات على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين ، ولا يستحيل أن يشمله عموم العفو بسبب خفى لا تطلع عليه ، كما لا يستحل أن يدخل الإنسان خرابا ليجد كنزا فيتفق أن يجده ، وأن يجلس فى البيت ليجعله الله عالما بالعلوم من غير تعلم كما كان الأنبياء صلوات الله عليهم . فطلب المغفرة بالطاعات كطلب العلم بالجهد والتكرار ، وطلب المال بالتجارة وركوب البحار وطلبها بمجرد الرجاء مع خراب الأعمال كطلب الكنوز فى المواضع الخربة وطلب العلوم من تعليم الملائكة ، وليت من اجتهد تعلم وليت من اتجر استغنى وليت من صام وصلى غفر له ، فالناس كلهم محرومون إلا العالمون والعالمون كلهم محرومون إلا العاملون والعاملون كلهم محرومون إلا المخلصون و المخلصون على خطر عظيم . وكما أن من خرب بيته وضيع ماله وترك نفسه وعياله جياعا يزعم أنه ينتظر فضل الله بأن يرزقه كنزا يجده تحت الأرض فى بيته الخرب يعدّ عنه ذوى البصائر من الحمق والمغرورين ـ وإن كان ماينتظره غير مستحيل فى قدرة الله تعالى وفضله ـ فكذلك من ينتظر

(١) حديث « إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة .. الحديث » متفق عليه من حديث سهل بن سعد دون قوله « سبعين سنة » ولمسلم من حديث أبى هريرة « إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ... الحديث » ولأحمد من رواية شهر بن حوشب عن أبى هريرة « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة » وشهر مختلف فيه .

المغفرة من فضل الى تعالى وهو مقصر عن الطاعة مصر على الذنوب غير سالك سبيل المغفرة يعدّ عند أرباب القلوب من المعتوهين . والعجب من عقل هذا المعتوه وترويجه حماقته فى صيغة حسنة إذ يقول : إن الله كريم وجنته ليست تضيق على مثلى ومعصيتى ليست تضره ، ثم تراه يركب البحار ويقتحم الأوعار فى طلب الدينار وإذا قيل له إن الله كريم ودنانير خزائنه ليست تقصر على فقرك ، وكسلك بترك التجارة ليس يضرك فاجلس فى بيتك فعساه يرزقك من حيث لاتحتسب فيستحمق قائل هذا الكلام ويستهزئ به ويقول : ماهذا الهوس ! السماء لاتمطر ذهبا ولافضة وإنما ينال ذلك بالكسب ، هكذا قدّره مسبب الأسباب وأجرى به سنته ولاتبديل لسنة الله ، ولايعلم المغرور أن رب الآخرة ورب الدنيا واحد وأنّ سنته لاتبديل لها فيهما جميعا ، وأنه قد أخبر إذ قال ﴿ وأنّ ليس للإنسان إلا ماسعى ﴾ فكيف يعتقد أنه كريم فى الآخرة وليس بكريم فى الدنيا ؟ وكيف يقول ليس مقتضى الكرم الفتور عن كسب المال ومقتضاه الفتور عن العمل للملك المقيم والنعيم الدائم ، وأنّ ذلك بحكم الكرم يعطيه من غير جهد فى الآخرة وهذا يمنعه مع شدّة الاجتهاد فى غالب الأمر فى الدنيا ؟ وينسى قوله تعالى ﴿ وفى السماء رزقكم وما توعدون ﴾ فنعوذ بالله من العمى والضلال فما هذا إلا انتكاس على أم الرأس وانغماس فى ظلمات الجهل وصاحب هذا جدير بأن يكون داخلا تحت قوله تعالى ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا ﴾ أى أبصرنا أنك صدقت إذ قلت ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ فارجعنا نسعى وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب ويحق عليه العذاب فنعوذ بالله من دواعى الجهل والشك والارتياب السائق بالضرورة إلى سوء المنقلب والمآب .

بيان ما ينبغى أن يبادر إليه التائب إن جرى عليه ذنب
إما عن قصد وشهوة غالبة أو عن إلمام بحكم الاتفاق

اعلم أنّ الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضاده كما ذكرنا طريقه ، فإن لم تساعده النفس على العزم على الترك لغلبة الشهوة فقد عجز عن أحد الواجبين فلا ينبغى أن يترك الواجب الثانى وهو أن يدرأ بالحسنة السيئة ليمحوها فيكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا ، فالحسنات المكفرة للسيئات إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح ، ولتكن الحسنة فى محل السيئة وفيما يتعلق بأسبابها .

فأما بالقلب فليكفره بالتضرع إلى الله تعالى فى سؤال المغفرة والعفو ، ويتذلل تذلل العبد الآبق ، ويكون ذله بحيث يظهر لسائر العباد وذلك بنقصان كبره فيما بينهم ، فما للعبد الآبق المذنب وجه للتكبر على سائر العباد ، وكذلك يضمر بقلبه الخيرات للمسلمين والعزم على الطاعات .

وأما باللسان فبالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول : رب ظلمت نفسى وعملت سوءا فاغفر لى ذنوبى ، وكذلك يكثر من ضروب الاستغفار ـ كما أوردناه فى كتاب الدعوات والأذكار .

وأما بالجوارح فبالطاعات والصدقات وأنواع العبادات . وفى الآثار مايدل على أنّ الذنب إذا أتبع بثمانية أعمال كان العفو عنه مرجوا ؛ أربعة من أعمال القلوب وهى : التوبة أو العزم على التوبة ، وحب الإقلاع عن الذنب وتخوف العقاب عليه ، ورجاء المغفرة له . وأربعة من أعمال الجوارح وهى : أن تصلى عقيب الذنب ركعتين ثم تستغفر الله تعالى بعدهم سبعين مرة وتقول : سبحان الله العظيم وبحمده ، مائة مرة ثم تتصدّق بصدقة ثم تصوم

يوما ، وفى بعض الآثار : تسبغ الوضوء وتدخل المسجد وتصلى ركعتين [١] وفى بعض الأخبار : تصلى أربع ركعات [٢] وفى الخبر « إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تكفرها ، السر بالسر والعلانية بالعلانيه [٣] » ولذلك قيل صدقة السر تكفر ذنوب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار . وفى الخبر الصحيح « أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى عالجت امرأة فأصبت منها كل شىء إلا المسيس فاقض على بحكم الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم « أو ماصليت معنا صلاة الغداة » قال : بلى ، فقال صلى الله عليه وسلم « إن الحسنات يذهبن السيئات [٤] » وهذا يدل على أنّ مادون الزنا من معالجة النساء صغيرة إذ جعل الصلاة كفارة له بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم « الصلوات الخمس كفارات لما بينهن إلا الكبائر » فعلى الأحوال كلها ينبغى أن يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته ويجتهد فى دفعها بالحسنات .

فإن قلت : فكيف يكون الاستغفار نافعا من غير حل عقدة الإصرار ، وفى الخبر « المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات الله [٥] » وكان بعضهم يقول أستغفر الله من قولى أستغفر الله ، وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين . وقالت رابعة العدوية : استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير ! فاعلم أنه قد ورد فى فضل الاستغفار أخبار خارجة عن الحصر - ذكرناها فى كتاب الأذكار والدعوات - حتى قرن الله الاستغفار ببقاء الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ فكان بعض الصحابة يقول : كان لنا أمانان ذهب أحدهما وهو كون الرسول فينا وبقى الاستغفار معنا فإن ذهب هلكنا [٦] فنقول : الاستغفار الذى هو توبة الكذابين هو الاستغفار بمجرّد اللسان من غير أن يكون للقلب فيه شركة ، كما يقول الإنسان بحكم العادة وعن رأس الغفلة أستغفر الله ، وكما يقول إذا سمع صفة النار نعوذ بالله منها من غير أن يتأثر به قلبه ، وهذا يرجع إلى مجرّد حركة اللسان ولا جدوى له ، فأما إذا انضاف إليه تضرع القلب إلى الله تعالى وابتهاله فى سؤال المغفرة عن صدق إرادة وخلوص نية ورغبة فهذه حسنة فى نفسها فتصلح لأن تدفع بها السيئة ، وعلى هذا تحمل الأخبار الواردة فى فضل الاستغفار حتى قال صلى الله عليه وسلم « ما أصر من استغفر ولو عاد فى اليوم سبعين مرة [٧] »

---

(١) أثر « إن من مكفرات الذنب أن تسبغ الوضوء وتدخل المسجد وتصلى ركعتين » أخرجه أصحاب السنن من حديث أبى بكر الصديق رضى الله عنه « مامن عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ثم يستغفر الله إلا غفر الله له » لفظ أبى داود وهو فى الكبرى للنسائى مرفوعا وموقوفا فلعل المصنف عبر بالأثر لإرادة الموقوف فذكرته احتياطا والآثار ليست من شرط كتابى

(٢) حديث : التكفير بصلاة أربع ركعات : أخرجه ابن مردويه فى التفسير والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس قال كان رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يهوى امرأة ... الحديث وفيه : فلما رآها جلس منها مجلس الرجل من امرأته وحرك ذكره فإذا هو مثل الهدبة فقام نادما فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « صل أربع ركعات » فأنزل الله عزوجل (وأقم الصلاة طرفى النهار) الآية وإسناده جيد .

(٣) حديث « إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث معاذ وفيه رجل لم يسم ورواه الطبرانى من رواية عطاء بن يسار عن معاذ ولم يلقه بلفظ « وما عملت من سوء فأحدث لله فيه توبة السر بالسر ... الحديث » (٤) حديث : أن رجلا قال يارسول الله إنى عالجت امرأة فأصبت منها كل شىء إلا المسيس ... الحديث فى نزول (إن الحسنات يذهبن السيئات) متفق عليه من حديث ابن مسعود دون قوله « أو ماصليت معنا صلاة الغداة » ورواه مسلم من حديث أنس وفيه « هل حضرت معنا الصلاة » قال : نعم ، ومن حديث أبى أمامة وفيه « ثم شهدت الصلاة معنا » قال : نعم ... الحديث (٥) حديث « المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات الله » أخرجه ابن أبى الدنيا فى التوبة ومن طريقه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بلفظ « كالمستهزئ بربه » وسنده ضعيف .

(٦) حديث بعض الصحابة فى قوله تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) الآية « كان لنا أمانان ذهب أحدهما » أخرجه أحمد من قول أبى موسى الأشعرى ورفعه الترمذى من حديثه « أنزل الله على أمانين ... الحديث » وضعفه وابن مردويه فى تفسيره من قول ابن عباس (٧) حديث « ما أصر من استغفر ... الحديث » تقدم فى الدعوات .

وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب . وللتوبة والاستغفار درجات وأوائلها لاتخلو عن الفائدة وإن لم تنته إلى أواخرها ولذلك قال سهل : لابدّ للعبد فى كل حال من مولاه ، فأحسن أحواله أن يرجع إليه فى كل شىء فإن عصى قال يارب استر على ، فإذا فرغ من المعصية قال يارب تب على ، فإذا تاب قال يارب ارزقنى العصمة ، وإذا عمل قال يارب تقبل منى وسئل أيضا عن الاستغفار الذى يكفر الذنوب فقال : أوّل الاستغفار الاستجابة ثم الإنابة ثم التوبة ، فالاستجابة أعمال الجوارح والإنابة أعمال القلوب والتوبة إقباله على مولاه بأن يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذى هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر ، فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ثم التنقل إلى الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم الفكر ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو الخلة ، ولا يستقرّ هذا فى قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضا زاده والتوكل صاحبه ، ثم ينظر الله إليه فيرفعه إلى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش . وسئل أيضا عن قوله صلى الله عليه وسلم « التائب حبيب الله » فقال: إنما يكون حبيبا إذا كان فيه جميع ماذكر فى قوله تعالى ﴿ التائبون العابدون ﴾ الآية . وقال : الحبيب هو الذى لايدخل فيما يكرهه حبيبه .

والمقصود أن للتوبة ثمرتين (إحداهما) تكفير السيئات حتى يصير كمن لاذنب له (والثانية) نيل الدرجات حتى يصير حبيبا . وللتكفير أيضا درجات : فبعضه محو لأصل الذنب بالكلية وبعضه تخفيف له ، ويتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة ، فالاستغفار بالقلب والتدارك بالحسنات ـ وإن خلا عن حل عقدة الإصرار . من أوائل الدرجات ـ فليس يخلو عن الفائدة أصلا ، فلا ينبغى أن تظن أن وجودها كعدمها . بل عرف أهل المشاهدة وأرباب القلوب معرفة لاريب فيها أن قول الله تعالى ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ﴾ صدق وأنه لاتخلو ذرة من الخير عن أثر ، كما لا تخلو شعيرة تطرح فى الميزان عن أثر ، ولو خلت الشعيرة الأولى عن أثر لكانت الثانية مثلها ولكان لايرجح الميزان بأحمال الذرّات وذلك بالضرورة محال ، بل ميزان الحسنات يرجح بذرات الخير إلى أن يثقل فترفع كفة السيئات ، فإياك أن تستصغر ذرات الطاعات فلا تأتيها وذرات المعاصى فلا تتقيها كالمرأة الخرقاء تكسل عن الغزل تعللا بأنها لاتقدر فى كل ساعة إلا على خيط واحد وتقول : أى غنى يحصل بخيط وماوقع ذلك فى الثياب ؟ ولاتدرى المعتوهة أن ثياب الدنيا اجتمعت خيطا خيطا وأن أجسام العالم مع اتساع أقطاره اجتمعت ذرة ذرة . فإذن التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لاتضيع عند الله أصلا . بل أقول : الاستغفار باللسان أيضا حسنة إذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان فى تلك الساعة بغيبة مسلم أو فضول كلام ، بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالإضافة إلى السكوت عنه وإنما يكون نقصانا بالإضافة إلى عمل القلب . ولذلك قال بعضهم لشيخه أبى عثمان المغربى : إن لسانى فى بعض الأحوال يجرى بالذكر والقرآن وقلبى غافل . فقال : اشكر الله إذ استعمل جارحة من جوارحك فى الخير وعوّده الذكر ولم يستعمله فى الشر ولم يعوده الفضول . وماذكره حق فإن تعوّد الجوارح للخير حتى يصير لها ذلك كالطبع يدفع جملة من المعاصى . فمن تعوّد لسانه الاستغفار إذا سمع من غيره كذبا ؛ سبق لسانه إلى ماتعوّد فقال: استغفر الله . ومن تعوّد الفضول سبق لسانه إلى قول ما أحمقك وما أقبح كذبك ! ومن تعوّد الاستعاذة إذا حدث بظهور مبادئ الشر من شرير قال بحكم سبق اللسان : نعوذ بالله ، وإذا تعوّد الفضول قال : لعنه الله ، فيعصى فى إحدى الكلمتين ويسلم فى الأخرى ، وسلامته أثر اعتياد لسانه الخير وهو من جملة معانى قوله تعالى ﴿ إن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ ومعانى قوله تعالى ﴿ وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه

أجرا عظيما ﴾ فانظر كيف ضاعفها إذ جعل الاستغفار فى الغفلة عادة اللسان ، حتى دفع بتلك العادة شر العصيان بالغيبة واللعن والفضول ، هذا تضعيف فى الدنيا لأدنى الطاعات ، وتضعيف الآخرة ﴿ أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ فإياك وأن تلمح فى الطاعات مجرد الآفات فتفتر رغبتك عن العبادات ، فإن هذه مكيدة روجها الشيطان بلعنته على المغرورين وخيل إليهم أنهم أرباب البصائر وأهل التفطن للخفايا والسرائر ، فأى خير فى ذكرنا باللسان مع غفلة القلب ؟ فانقسم الخلق فى هذه المكيدة إلى ثلاثة أقسام : ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات . أما السابق فقال صدقت يا ملعون ولكن هى كلمة حق أردت بها باطلا . فلا جرم أعذبك مرتين وأرغم أنفك من وجهين فأضيف إلى حركة اللسان حركة القلب ، فكان كالذى داوى جرح الشيطان بنثر الملح عليه وأما الظالم المغرور : فاستشعر فى نفسه خيلاء الفطنة لهذه الدقيقة ثم عجز عن الإخلاص بالقلب فترك مع ذلك تعويد اللسان بالذكر فأسعف الشيطان وتدلى بحبل غروره فتمت بينهما المشاركة والموافقة كما قيل : وافق شنّ طبقه وافقه فاعتنقه . وأما المقتصد : فلم يقدر على إرغامه بإشراك القلب فى العمل وتفطن لنقصان حركة اللسان بالإضافة إلى القلب ، ولكن اهتدى إلى كماله بالإضافة إلى السكوت والفضول فاستمر عليه وسأل الله تعالى أن يشرك القلب مع اللسان فى اعتياد الخير . فكان السابق كالحائك الذى ذمت حياكته فتركها وأصبح كاتبا ، والظالم المتخلف كالذى ترك الحياكة أصلا وأصبح كناسا ، والمقتصد كالذى عجز عن الكتابة فقال : لا أنكر مقدمة الحياكة ولكن الحائك مذموم بالإضافة إلى الكاتب لا بالإضافة إلى الكناس فإذا عجزت عن الكتابة فلا أترك الحياكة . ولذلك قالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير . فلا تظن أنها تذم حركة اللسان من حيث إنه ذكر الله ، بل تذم غفلة القلب فهو محتاج إلى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه ، فإن سكت عن الاستغفار باللسان أيضا احتاج إلى استغفارين لا إلى استغفار واحد فهكذا ينبغى أن تفهم ذم ما يذم وحمد ما يحمد وإلا جهلت معنى ما قال القائل الصادق : حسنات الأبرار سيئات المقربين . فإن هذه أمور تثبت بالإضافة فلا ينبغى أن تؤخذ من غير إضافة ، بل ينبغى أن لا تستحقر ذرات الطاعات والمعاصى . ولذلك قال جعفر الصادق : إن الله تعالى خبأ ثلاثا فى ثلاث ؛ رضاه فى طاعته فلا تحقروا منها شيئا فلعل رضاه فيه ، وغضبه فى معاصيه فلا تحقروا منها شيئا فلعل غضبه فيه ، وخبأ ولايته فى عباده فلا تحقروا منهم أحدا فلعله ولى الله تعالى . وزاد : وخبأ إجابته فى دعائه فلا تتركوا الدعاء فربما كانت الإجابة فيه .

الركن الرابع

فى دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الإصرار

اعلم أن الناس قسمان : شاب لا صبوة له نشأ على الخير واجتناب الشر وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعجب ربك من شاب ليست له صبوة [1] » وهذا عزيز نادر . والقسم الثانى : هو الذى لا يخلو عن مقارفة الذنوب ، ثم هم ينقسمون إلى مصرين وإلى تائبين ، وغرضنا أن نبين العلاج فى حل عقدة الإصرار ونذكر الدواء فيه . فاعلم أن شفاء التوبة لا يحصل إلا بالدواء ولا يقف على الدواء من لا يقف على الداء ، إذ لا معنى للدواء إلا مناقضة أسباب الداء فكل داء حصل من سبب فدواؤه حل ذلك السبب ورفعه وإبطاله . ولا يبطل الشىء إلا بضده . ولا سبب للإصرار إلا الغفلة والشهوة ولا يضاد الغفلة إلا العلم ولا يضاد الشهوة إلا الصبر على قطع

(١) حديث « يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة » أخرجه أحمد والطبرانى من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة .

الأسباب المحركة للشهوة والغفلة رأس الخطايا قال الله تعالى ﴿ وأولئك هم الغافلون لاجرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون ﴾ فلا دواء إذن للتوبة إلا معجون يعجن من حلاوة العلم ومرارة الصبر ، وكما يجمع السكنجبين بين حلاوة السكر وحموضة الخل ويقصد بكل منهما غرض آخر فى العلاج بمجموعهما فيقمع الأسباب المهيجة للصفراء فهكذا ينبغى أن تفهم علاج القلب مما به من مرض الإصرار . فإن لهذا الدواء أصلان : أحدهما العلم والآخر الصبر ولا بد من بيانهما .

فإنْ قلت : أينفع كل علم لحل الإصرار أم لابد من علم مخصوص ؟ فاعلم أن العلوم بجملتها أدوية لأمراض القلوب ولكن لكل مرض علم يخصه ، كما أن علم الطب نافع فى علاج الأمراض بالجملة ولكن يخص كل علة علم مخصوص فكذلك دواء الإصرار . فلنذكر خصوص ذلك العلم على موازنة مرض الأبدان ليكون أقرب إلى الفهم فنقول : يحتاج المريض إلى التصديق بأمور :

(الأول) أن يصدق على الجملة بأن للمرض والصحة أسبابا يتوصل إليها بالاختيار على مارتبه مسبب الأسباب ، وهذا هو الإيمان بأصل الطب فإنّ من لايؤمن به لايشتغل بالعلاج ويحق عليه الهلاك . وهذا وزانه مما نحن فيه الإيمان بأصل الشرع وهو أنّ للسعادة فى الآخرة سببا هو الطاعة وللشقاوة سببا هو المعصية وهذا هو الإيمان بأصل الشرائع ، وهذا لابدّ من حصوله إما عن تحقيق أو تقليد وكلاهما من جملة الإيمان .

(الثانى) أنه لابد أن يعتقد المريض فى طبيب معين أنه عالم بالطب حاذق فيه صادق فيما يعبر عنه لايلبس ولا يكذب ، فإنّ إيمانه بأصل الطب لا ينفعه بمجرده دون هذا الإيمان . ووزانه مما نحن فيه : العلم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم والإيمان بأن كل مايقوله حق وصدق لا كذب فيه ولاخلف .

(الثالث) أنه لابد أن يصغى إلى الطبيب فيما يحذره عنه من تناول الفواكه والأسباب المضرة على الجملة حتى يغلب عليه الخوف فى ترك الاحتماء فتكون شدّة الخوف باعثه له على الاحتماء . ووزانه من الدين : الإصغاء إلى الآيات والأخبار المشتملة على الترغيب فى التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى ، والتصديق بجميع مايلقى إلى سمعه من ذلك من غير شك واستراية حتى ينبعث به الخوف المقوى على الصبر الذى هو الركن الآخر فى العلاج

(الرابع) أن يصغى إلى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما يلزمه فى نفسه الاحتماء عنه ليعرّفه أوّلا تفصيل مايضره من أفعاله وأحواله ومأكوله ومشروبه ، فليس على كل مريض الاحتماء عن كل شىء ولا ينفعه كل دواء بل لكل علة خاصة علم خاص وعلاج خاص . ووزانه من الدين : أن كل عبد فليس يبتلى بكل شهوة وارتكاب ذنب بل لكل مؤمن ذنب مخصوص أو ذنوب مخصوصة ؟ وإنما حاجته فى الحال مرهقة إلى العلم بأنها ذنوب ، ثم إلى العلم بآفاتها وقدر ضررها ، ثم العلم بكيفية التوصل إلى الصبر عنها ، ثم إلى العلم بكيفية تكفير ماسبق منها .

فهذه علوم يختص بها أطباء الدين وهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، فالعاصى إن علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم ، وإن كان لايدرى أنّ مايرتكبه ذنب فعلى العالم أن يعرّفه ذلك ، وذلك بأن يتكفل كل عالم بإقليم أو بلدة أو محلة أو مسجد أو مشهد فيعلم أهله دينهم ويميز مايضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم ، ولا ينبغى أن يصبر إلى أن يسئل عنه ، بل ينبغى أن يتصدّى لدعوة الناس إلى نفسه فإنهم ورثة الأنبياء ، والأنبياء ماتركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم فى مجامعهم ويدورون على أبواب دورهم فى الابتداء ويطلبون واحدا واحدا فيرشدونهم ، فإنّ مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم ، كما أنّ الذى ظهر على وجهه برص

ولا مرآة معه لايعرف برصه مالم يعرفه غيره ، وهذا فرض عين على العلماء كافة . وعلى السلاطين كافة أن يرتبوا فى كل قرية وفى كل محلة فقيها متدينا يعلم الناس دينهم فإنّ الخلق لايولدون إلا جهالا فلا بدّ من تبليغ الدعوة إليهم فى الأصل والفرع . والدنيا دار المرضى إذ ليس فى بطن الأرض إلا ميت ولا على ظهرها إلا سقيم . ومرضى القلوب أكثر من مرضى الأبدان ، والعلماء أطباء والسلاطين قوام دار المرضى . فكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم يسلم إلى السلطان ليكف شره كما يسلم الطبيب المريض الذى لايحتمى أو الذى غلب عليه الجنون إلى القيم ليقيده بالسلاسل والأغلال ويكف شره عن نفسه وعن سائر الناس .

وإنما صار مرض القلوب أكثر من مرض الأبدان لثلاث علل ؛ إحداها : أنّ المريض به لايدرى أنه مريض .

والثانية : أنّ عاقبته غير مشاهدة فى هذا العالم بخلاف مرض البدن فإنّ عاقبته موت مشاهد تنفر الطباع منه ، وما بعد الموت غير مشاهد . وعاقبة الذنوب موت القلب وهو غير مشاهد فى هذا العالم فقلت النفرة عن الذنوب وإن علمها مرتكبها ، فلذلك تراه يتكل على فضل الله فى مرض القلب ويجتهد فى علاج مرض البدن من غير اتكال .

والثالثة : وهو الداء العضال ؛ فقد الطبيب ، فإنّ الأطباء هم العلماء وقد مرضوا فى هذه الأعصار مرضا شديدا عجزوا عن علاجه ، وصارت لهم سلوة فى عموم المرض حتى لايظهر نقصانهم ، فاضطروا إلى إغواء الخلق والإشارة عليهم بما يزيدهم مرضا ، لأنّ الداء المهلك هو حب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الأطباء فلم يقدروا على تحذير الخلق منه استنكافا من أن يقال لهم : فما بالكم تأمرون بالعلاج وتنسون أنفسكم ؟ فبهذا السبب عم على الخلق الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء وهلك الخلق لفقد الأطباء ، بل اشتغل الأطباء بفنون الإغواء فليتهم إذ لم ينصحوا لم يغشوا وإذا لم يصلحوا لم يفسدوا ! وليتهم سكتوا وما نطقوا فإنهم إذا تكلموا لم يهمهم فى مواعظهم إلا مايرغب العوام ويستميل قلوبهم ، ولا يتوصلون إلى ذلك إلا بالإرجاء وتغليب أسباب الرجاء وذكر دلائل الرحمة لأن ذلك ألذ فى الأسماع وأخف على الطباع ، فتنصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد جراءة على المعاصى ومزيد ثقة بفضل الله :

ومهما كان الطبيب جاهلا أو خائبا أهلك بالدواء حيث يضعه فى غير موضعه . فالرجاء والخوف دواءان ولكن لشخصين متضادى العلة . أما الذى غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية وكلف نفسه ما لاتطيق وضيق العيش على نفسه بالكلية : فتكسر سورة إسرافه فى الخوف بذكر أسباب الرجاء ليعود إلى الاعتدال . وكذلك المصر على الذنوب المشتهى للتوبة الممتنع عنها بحكم القنوط واليأس استعظاما لذنوبه التى سبقت : يعالج أيضا بأسباب الرجاء حتى يطمع فى قبول التوبة فيتوب . فأما معالجة المغرور المسترسل فى المعاصى بذكر أسباب الرجاء فيضاهى معالجة المحرور بالعسل طلبا للشفاء وذلك من دأب الجهال والأغبياء . فإذن فساد الأطباء هى المعضلة الزباء التى لاتقبل الدواء أصلا .

فإن قلت : فاذكر الطريق الذى ينبغى أن يسلكه الواعظ فى طريق الوعظ مع الخلق ؟ فاعلم أنّ ذلك يطول ولا يمكن استقصاؤه . نعم نشير إلى الأنواع النافعة فى حل عقدة الإصرار وحمل الناس على ترك الذنوب وهى أربعة أنواع .

(الأول) أن يذكر ما فى القرآن من الآيات المخوفة للمذنبين والعاصين ، وكذلك ماورد من الأخبار والآثار

مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم « مامن يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها إلا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات يقول أحدهما : ياليت هذا الخلق لم يخلقوا ! ويقول الآخر : ياليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ! فيقول الآخر : ياليتهم إذ علموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا [1] » وفى بعض الروايات « ليتهم تجالسوا فتذكروا ماعلموا ! ويقول الآخر : ياليتهم إذلم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا » وقال بعض السلف إذا أذنب العبد أمر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو أمير عليه أن يرفع القلم عنه ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتبها عليه وإن لم يستغفر كتبها . وقال بعض السلف : مامن عبد يعصى إلا استأذن مكانه من الأرض أن يخسف به واستأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه كسفا ؛ فيقول الله تعالى للأرض والسماء كفا عن عبدى وأمهلاه فإنكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه ولعله يتوب إلى فأغفر له ولعله يستبدل صالحا فأبدله له حسنات فذلك معنى قوله تعالى ﴿ إنّ الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ﴾ وفى حديث عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه « الطابع معلق بقائمة العرش فإذا انتهكت الحرمات واستحلت المحارم أرسل الله الطابع فيطبع على القلوب بمافيها [2] » وفى حديث مجاهد « القلب مثل الكف المفتوحة كلما أذنب العبد ذنبا انقبضت أصبع حتى تنقبض الأصابع كلها فيسدّ على القلب فذلك هو الطبع [3] » وقال الحسن : إنّ بين العبد وبين الله حدّا من المعاصى معلوما إذا بلغه العبد طبع الله على قلبه فلم يوفقه بعدها لخير .

والأخبار والآثار فى ذم المعاصى ومدح التائبين لا تحصى فينبغى أن يستكثر الواعظ منها إن كان وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه ما خلف دينارا ولا درهما إنما خلف العلم والحكمة وورثه كل عالم بقدر ما أصابه [4] .

(النوع الثانى) حكايات الأنبياء والسلف الصالحين وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم فذلك شديد الوقع ظاهر النفع فى قلوب الخلق ، مثل أحوال آدم صلى الله عليه وسلم فى عصيانه وما لقيه من الإخراج من الجنة ، حتى روى أنه لما أكل من الشجرة تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته ، فاستحيا التاج والإكليل من وجهه أن يرتفعا عنه فجاءه جبريل عليه السلام فأخذ التاج عن رأسه وحل الإكليل عن جبينه ، ونودى من فوق العرش : اهبطا من جوارى فإنه لايجاورنى من عصانى . قال : فالتفت آدم إلى حوّاء باكيا وقال : هذا أول شؤم المعصية أخرجنا من جوار الحبيب . وروى أن سليمان بن داود عليهما السلام لما عوقب على خطيئته لأجل التمثال الذى عبد فى داره أربعين يوما ، وقيل : لأنّ المرأة سألته أن يحكم لأبيها فقال نعم ولم يفعل ، وقيل : بل أحب بقلبه أن

---

(١) حديث « مامن يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها الا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات فيقول أحدهما ياليت هذا الخلق لم يخلقوا ... الحديث » غريب لم أجده هكذا . وروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف « إن لله ملكا ينادى فى كل ليلة أبناء الأربعين زرع قد دنا حصاده .. الحديث » وفيه « ليت الخلائق لم يخلقوا وليتهم إذخلقوا علموا لماذا خلقوا فتجالسوا بينهم فتذاكروا ... الحديث » .

(٢) حديث عمر « الطابع معلق بقائمة من قوائم العرش فإذا انتهكت الحرمات ... الحديث » أخرجه ابن عدى وابن حبان فى الضعفاء من حديث ابن عمر وهو منكر (٣) حديث مجاهد « القلب مثل الكف المفتوحة » قلت هكذا قال المصنف : وفى حديث مجاهد ، وكأنه أراد به قول مجاهد وكذا ذكره المفسرون من قوله وليس بمرفوع وقد رويناه فى شعب الإيمان للبيهقى من قول حذيفة (٤) حديث : أنه صلى الله عليه وسلم ما خلف دينارا ولا درهما إنما خلف العلم والحكمة أخرجه البخارى من حديث عمرو بن الحارث قال : ماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة . ولمسلم من حديث عائشة ماترك دينارا ولا درهما ولاشاة ولا بعيرا . وفى حديث أبى الدرداء : إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم .. الحديث وقد تقدم فى العلم .

يكون الحكم لأبيها على خصمه لمكانها منه فسلب ملكه أربعين يوما فهرب تائها على وجهه فكان يسأل بكفه فلا يطعم فإذا قال أطعمونى فإنى سليمان بن داودر شج وطرد وضرب . وحكى أنه استطعم من بيت لامرأته فطردته وبصقت فى وجهه . وفى رواية : أخرجت عجوز جرة فيها بول فصبته على رأسه إلى أن أخرج الله الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الأربعين - أيام العقوبة - قال : فجاءت الطيور فعكفت على رأسه وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله فاعتذر إليه بعض من كان جنى عليه فقال : لا ألومكم فيما فعلتم من قبل ولا أحمدكم فى عذركم الآن إنّ هذا أمر كان من السماء ولا بد منه . وروى فى الإسرائيليات : أنّ رجلا تزوج امرأة من بلدة أخرى فأرسل عبده ليحملها إليه فراودته نفسه وطالبته بها ، فجاهدها واستعصم ، قال : فنبأه الله ببركة تقواه فكان نبيا فى بنى إسرائيل . وفى قصص موسى عليه السلام أنه قال للخضر عليه السلام : بم أطلعك الله على علم الغيب؟ قال: بتركى المعاصى لأجل الله تعالى . وروى أن الريح كانت تسير بسليمان عليه السلام فنظر إلى قميصه نظرة وكان جديدا فكأنه أعجبه ! قال : فوضعته الريح ، فقال لم فعلت هذا ولم آمرك ؟ قالت : إنما نطيعك إذا أطعت الله . وروى أنّ الله تعالى أوحى إلى يعقوب عليه السلام : أتدرى لم فرّقت بينك وبين ولدك يوسف ؟ قال : لا ، قال : لقولك لإخوته ﴿أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون﴾ لم خفت عليه الذئب ولم ترجنى ، ولم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظى له ؟ وتدرى لم رددته عليك ؟ قال : لا ، قال : لأنك رجوتنى وقلت ﴿عسى الله أن يأتينى بهم جميعا﴾ وبما قلت ﴿ اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا ﴾ وكذلك لما قال يوسف لصاحب الملك ﴿ اذكرنى عند ربك ﴾ قال الله تعالى ﴿ فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين ﴾ .

وأمثال هذه الحكايات لا تنحصر ولم يرد بها القرآن والأخبار ورود الأسمار ، بل الغرض بها الاعتبار والاستبصار لتعلم أنّ الأنبياء عليهم السلام لم يتجاوز عنهم فى الذنوب الصغار فكيف يتجاوز عن غيرهم فى الذنوب الكبار ؟ نعم كانت سعادتهما فى أن عوجلوا بالعقوبة ولم يؤخروا إلى الآخرة والأشقياء يمهلون ليزدادوا إثما ولأن عذاب الآخرة أشدّ وأكبر . فهذا أيضا مما ينبغى أن يكثر جنسه على أسماع المصرين فإنه نافع فى تحريك دواعى التوبة .

(النوع الثالث) أن يقرّر عندهم أن تعجيل العقوبة فى الدنيا متوقع على الذنوب وأن كل مايصيب العبد من المصائب فهو بسبب جناياته ، فرب عبد يتساهل فى أمر الآخرة ويخاف من عقوبة الله فى الدنيا أكثر لفرط جهله ، فينبغى أن يخوف به فإن الذنوب كلها يتعجل فى الدنيا شؤمها فى غالب الأمر ، كما حكى فى قصة داود وسليمان عليهما السلام حتى إنه قد يضيق على العبد رزقه بسبب ذنوبه وقد تسقط منزلته من القلوب ويستولى عليه أعداؤه ، قال صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه [1] » وقال ابن مسعود : إنى لأحسب أن العبد ينسى العلم بالذنب يصيبه ؛ وهو معنى قوله عليه السلام « من قارف ذنبا فارقه عقل لايعود إليه أبدا [2] » وقال بعض السلف : ليست اللعنة سوادا فى الوجه ونقصا فى المال إنما اللعنة أن لاتخرج من ذنب إلا وقعت فى مثله أو شر منه ، وهو كما قال لأن اللعنة هى الطرد والإبعاد فإذا لم يوفق للخير ويسر له الشر فقد أبعد ، والحرمان عن رزق التوفيق أعظم حرمان ، وكل ذنب فإنه يدعو إلى ذنب آخر ويتضاعف فيحرم العبد به عن رزقه النافع من مجالسة

(١) حديث « إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » أخرجه ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده واللفظ له إلا أنه قال « الرجل » بدل « العبد » من حديث ثوبان (٢) حديث « من قارف ذنبا فارقه عقل لايعود إليه أبدا » تقدم .

العلماء المنكرين للذنوب ومن مجالسة الصالحين بل يمقته الله تعالى ليمقته الصالحون . وحكى عن بعض العارفين أنه كان يمشى فى الوحل جامعاً ثيابه محترزا عن زلقة رجله حتى زلقت رجله وسقط ، فقام وهو يمشى فى وسط الوحل ويبكى ويقول : هذا مثل العبد لايزال يتوقى الذنوب ويجانبها حتى يقع فى ذنب وذنبين فعندها يخوض فى الذنوب خوضا . وهو إشارة إلى أنّ الذنب تتعجل عقوبته بالانجرار إلى ذنب آخر ، ولذلك قال الفضيل : ماأنكرت من تغير الزمان وجفاء الإخوان فذنوبك ورثتك ذلك . وقال بعضهم إنى لأعرف عقوبة ذنبى فى سوء خلق حمارى . وقال آخر : أعرف العقوبة حتى فى فأر بيتى . وقال بعض صوفية الشام : نظرت إلى غلام نصرانى حسن الوجه فوقفت أنظر إليه فمرّ بى ابن الجلاء الدمشقى فأخذ بيدى فاستحييت منه فقلت : ياأبا عبدالله سبحان الله تعجبت من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت للنار ! فغمز يدى وقال : لتجدنّ عقوبتها بعد حين ، قال : فعوقبت بها بعد ثلاثين سنة . وقال أبو سليمان الدارانى : الاحتلام عقوبة . وقال : لايفوت أحداً صلاة جماعة إلا بذنب يذنبه . وفى الخبر « ما أنكرتم من زمانكم فيما غيرتم من أعمالكم [1] » وفى الخبر « يقول الله تعالى إن أدنى ماأصنع بالعبد إذا آثر شهوته على طاعتى أن أحرمه لذيذ مناجاتى [2] » . وحكى عن أبى عمرو بن علوان ـ فى قصة يطول ذكرها ـ قال فيها : كنت قائما ذات يوم أصلى فخامر قلبى هوى طاولته بفكرتى حتى تولد منه شهوة الرجال ، فوقعت إلى الأرض واسود جسدى كله فاستترت فى البيت فلم أخرج ثلاثة أيام ، وكنت أعالج غسله فى الحمام بالصابون فلا يزداد إلا سوادا حتى انكشف بعد ثلاث ، فلقيت الجنيد وكان قد وجه إلى فأشخصنى من الرقة ، فلما أتيته قال لى : أما استحييت من الله تعالى كنت قائما بين يديه فسارت نفسك بشهوة حتى استولت عليك برقة وأخرجتك من بين يدى الله تعالى فلولا أنى دعوت الله لك وتبت إليه عنك للقيت الله بذلك اللون ، قال فعجبت كيف علم بذلك وهو ببغداد وأنا بالرقة ؟ .

واعلم أنه لايذنب العبد ذنبا إلا ويسود وجه قلبه فإن كانّ سعيدا أظهر السواد على ظاهره لينزجر ، وإن كان شقيا أخفى عنه حتى ينهمك ويستوجب النار . والأخبار كثيرة فى آفات الذنوب فى الدنيا من الفقر والمرض وغيره . بل من شؤم الذنب فى الدنيا على الجملة أن يكسب مابعده صفته ، فإن ابتلى بشىء كان عقوبة له ويحرم جميل الرزق حتى يتضاعف شقاؤه ، وإن أصابته نعمة كانت استدراجا له ويحرم جميل الشكر حتى يعاقب على كفرانه . وأما المطيع فمن بركة طاعته أن تكون كل نعمة فى حقه جزاء على طاعته ويوفق لشكرها وكل بلية كفارة لذنوبه وزيادة فى درجاته .

(النوع الرابع) ذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد ، وكل ذلك مما لايمكن حصره ، وذكره مع غير أهله وضع الدواء فى غير موضعه ، بل ينبغى أن يكون العالم كالطبيب الحاذق فيستدل أوّلا بالنبض والسحنة ووجود الحركات على العلل الباطنة ويشتغل بعلاجها ، فيستدل بقرائن الأحوال على خفايا الصفات وليتعرّض لما وقف عليه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال له واحد أوصنى يارسول الله ولا تكثر على قال « لاتغضب [3] » وقال له آخر أوصنى يارسول الله فقال

(١) حديث « ما أنكرتم من زمانكم فيما أنكرتم من أعمالكم » أخرجه البيهقى فى الزهد من حديث أبى الدرداء وقال غريب تفرد به هكذا العقيلى وهو عبد الله بن هانئ . قلت : هو متهم بالكذب قال ابن أبى حاتم روى عن أبيه أحاديث بواطيل .
(٢) حديث « يقول الله إنى أدنى ماأصنع بالعبد إذا آثر شهوته على طاعتى أن أحرمه لذة مناجاتى » غريب لم أجده .
(٣) حديث : قال رجل أوصنى ولاتكثر على قال « لاتغضب » تقدم .

عليك السلام « عليك باليأس مما فى أيدى الناس فإن ذلك هو الغنى ، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وصل صلاة مودع ، وإياك وما يعتذر منه [1] » وقال رجل لمحمد بن واسع : أوصنى ، فقال : أوصيك أن تكون ملكا فى الدنيا والآخرة قال : وكيف لى بذلك ؟ قال : الزم الزهد فى الدنيا . فكأنه صلى الله عليه وسلم توسم فى السائل الأول مخايل الغضب فنهاه عنه ، وفى السائل الآخر مخايل الطمع فى الناس وطول الأمل . وتخيل محمد بن واسع فى السائل مخايل الحرص على الدنيا . وقال رجل لمعاذ : أوصنى ، فقال : كن رحيما أكن لك بالجنة زعيما . فكأنه تفرّس فيه آثار الفظاظة والغلظة . وقال رجل لإبراهيم بن أدهم ، أوصنى فقال : إياك والناس وعليك بالناس ولا بدّ من الناس فانّ الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ذهب الناس وبقى النسناس وما أراهم بالناس بل غمسوا فى ماء الياس . فكأنه تفرّس فيه آفة المخالطة وأخبر عما كان هو الغالب على حاله فى وقته ، وكان الغالب أذاه بالناس . والكلام على قدر حال السائل أولى من أن يكون بحسب حال القائل . وكتب معاوية رحمه الله إلى عائشة رضى الله عنها : أن اكتبى لى كتابا توصينى فيه ولا تكثرى ، فكتبت إليه : من عائشة إلى معاوية سلام عليك أما بعد فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن التمس سخط الله برضا الناس وكله الله إلى الناس [2] » والسلام عليك . فانظر إلى فقهها كيف تعرضت للآفة التى تكون الولاة بصددها ؟ وهى مراعاة الناس وطلب مرضاتهم . وكتبت إليه مرة أخرى . أما بعد، فاتق الله فإنك إذا اتقيت الله كفاك الناس، وإذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا والسلام .

فإذن على كل ناصح أن تكون عنايته مصروفة إلى تفرس الصفات الخفية وتوسم الأحوال اللائقة ليكون اشتغاله بالمهم فإن حكاية جميع مواعظ الشرع مع كل واحد غير ممكنة والاشتغال بوعظه بما هو مستغن عن التوعظ فيه تضييع زمان .

فإن قلت : فإن كان الواعظ يتكلم فى جمع أو سأله من لا يدرى باطن حاله أن يعظه فكيف يفعل ؟ فاعلم أن طريقه فى ذلك أن يعظه بما يشترك كافة الخلق فى الحاجة إليه إما على العموم وإلا على الأكثر ، فإن فى علوم الشرع أغذية وأدوية فالأغذية للكافة والأدوية لأرباب العلل .

ومثاله ما روى أن رجلا قال لأبى سعيد الخدرى : أوصنى ، قال : عليك بتقوى الله عزوجل فإنها رأس كل خير وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بالقرآن فإنه نور لك فى أهل الأرض وذكر لك فى أهل السماء ، وعليك بالصمت إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان وقال رجل للحسن : أوصنى ، فقال : أعز أمر الله يعزك الله . وقال لقمان لابنه : يابنى زاحم العلماء بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتوك ، وخذ من الدنيا بلاغك ، وأنفق فضول كسبك لآخرتك ، ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا وعلى أعناق الرجال كلا ، وصم صوما يكسر شهوتك ولا تصم صوما يضر بصلاتك فإن الصلاة أفضل من الصوم ، ولا تجالس السفيه ولا تخالط ذا الوجهين . وقال أيضا لابنه: يابنى لا تضحك من غير عجب ولا تمش فى غير أرب ولا تسأل عما لا يعنيك ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك فإن مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت ، يابنى إن من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الشر يأثم ومن لا يملك لسانه يندم . وقال رجل لأبى حازم : أوصنى ، فقال : كل مالو جاءك الموت عليه فرأيته غنيمة

(١) حديث قال له آخر : أوصنى قال « عليك باليأس ... الحديث » أخرجه ابن ماجه والحاكم وقد تقدم .

(٢) حديث عائشة « من التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس ... الحديث » أخرجه الترمذى والحاكم وفى مسند الترمذى من لم يسم .

فالزمه وكل مالو جاءك الموت عليه فرأيته مصيبة فاجتنبه . وقال موسى للخضر عليهما السلام : أوصنى ، فقال : كن بساما ولاتكن غضابا وكن نفاعا ولا تكن ضرارا وانزع عن اللجاجة ولاتمش فى غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران . وقال رجل لمحمد بن كرام : أوصنى ، فقال : اجتهد فى رضا خالقك بقدر ماتجتهد فى رضا نفسك وقال رجل لحامد اللفاف : أوصنى فقال : اجعل لدينك غلافا كغلاف المصحف أن تدنسه الآفات ، قال . وما غلاف الدين ؟ قال . ترك طلب الدنيا إلا مالا بد منه وترك كثرة الكلام إلا فيما لابد منه وترك مخالطة الناس إلا فيما لابد منه . وكتب الحسن إلى عمر بن عبدالعزيز رحمهم الله تعالى أما بعد ، فخف مما خوفك الله واحذر مما حذرك الله وخذ مما فى يديك لما بين يديك ، فعند الموت يأتيك الخبر اليقين والسلام . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن يسأل أن يعظه فكتب إليه : أما بعد ؛ فإن الهول الأعظم والأمور المفظعات أمامك ولا بد لك من مشاهدة ذلك إما بالنجاة وإما بالعطب ، واعلم أن من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظر فى العواقب نجا ومن أطاع هواه ضل ومن حلم غنم ومن خاف أمن ومن أمن اعتبر ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم ، فإذا زللت فارجع وإذا ندمت فاقلع وإذا جهلت فاسأل وإذا غضبت فأمسك . وكتب مطرف بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله أما بعد ، فإن الدنيا دار عقوبة ولها يجمع من من لاعقل له وبها يغتر من لاعلم عنده فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوى جرحه يصبر على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الداء . وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه إلى عدى بن أرطاة . أما بعد ، فإن الدنيا عدوة أولياء الله وعدوة أعداء الله فأما أولياؤه فغمتهم وأما أعداؤه فغرتهم . وكتب أيضا إلى بعض عماله . أما بعد ؛ فقد أمكنتك القدرة من ظلم العباد فإذا هممت بظلم أحد فاذكر قدرة الله عليك ، واعلم أنك لاتأتى إلى الناس شيئا إلا كان زائلا عنهم باقيا عليك ، واعلم أن الله عزوجل آخذ للمظلومين من الظالمين والسلام .

فهكذا ينبغى أن يكون وعظ العامة ووعظ من لا يدرى خصوص واقعته فهذه المواعظ مثل الأغذية التى يشترك الكافة فى الانتفاع بها . ولأجل فقد مثل هؤلاء الوعاظ انحسم باب الاتعاظ وغلبت المعاصى واستسرى الفساد ، وبلى الخلق بوعاظ يزخرفون أسجاعا وينشدون أبياتا ويتكلفون ذكر ما ليس فى سعة علمهم ويتشبهون بحال غيرهم فسقط عن قلوب العامة وقارهم ولم يكن كلامهم صادرا من القلب ليصل إلى القلب ، بل القائل متصلف والمستمع متكلف وكل واحد منهما مدبر ومتخلف .

فإذن كان طلب الطبيب أول علاج المرضى ، وطلب العلماء أول علاج العاصين . فهذا أحد أركان العلاج وأصوله . (الأصل الثانى) الصبر : ووجه الحاجة إليه أن المريض إنما يطول مرضه لتناوله مايضره ، وإنما يتناول ذلك : إما لغفلته عن مضرته ، وإما لشدة غلبة شهوته ؛ فله سببان فما ذكرناه هو علاج الغفلة . فيبقى علاج الشهوة ـ وطريق علاجها قد ذكرناه فى كتاب رياضة النفس ـ وحاصله أن المريض إذا اشتدت ضراوته لمأكول مضر فطريقه أن يستشعر عظم ضرره ثم يغيب ذلك عن عينه فلايحضره ثم يتسلى عنه بما يقرب منه فى صورته ولايكثر ضرره ثم يصبر بقوة الخوف على الألم الذى يناله فى تركه ، فلا بد على كل حال من مرارة الصبر فكذلك يعالج الشهوة فى المعاصى ، كالشاب مثلا إذا غلبته الشهوة فصار لايقدر على حفظ عينه ولاحفظ قلبه أو حفظ جوارحه فى السعى وراء شهوته فينبغى أن يستشعر ضرر ذنبه بأن يستقرى المخلوقات التى جاءت فيه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإذا اشتد خوفه تباعد من الأسباب المهيجة لشهوته . ومهيج الشهوة من خارج . هو

حضور المشتهى والنظر إليه ، وعلاجه الهرب والعزلة . ومن داخل : تناول لذائذ الأطعمة ، وعلاجه الجوع والصوم الدائم . وكل ذلك لايتم إلا بصبر ولا يصبر إلا عن خوف ولايخاف إلا عن علم ولا يعلم إلا عن بصيرة وافتكار أو عن سماع وتقليد ، فأول الأمر حضور مجالس الذكر ثم الاستماع من قلب مجرد عن سائر الشواغل مصروف إلى السماع ثم التفكر فيه لتمام الفهم ، وينبعث من تمامه لامحالة خوفه وإذا قوى الخوف تيسر بمعونته الصبر وانبعثت الدواعى لطلب العلاج ، وتوفيق الله وتيسيره من وراء ذلك . فمن أعطى من قلبه حسن الإصغاء واستشعر الخوف فاتق وانتظر الثواب وصدق بالحسنى فسييسره الله تعالى لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسييسره الله للعسرى فلا يغنى عنه ما اشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك وتردى . وما على الأنبياء إلا شرح طرق الهدى وإنما الله الآخرة والأولى .

فإن قلت : فقد رجع الأمر كله إلى الإيمان لأن ترك الذنب لايمكن إلا بالصبر عنه والصبر لايمكن إلا بمعرفة الخوف ، والخوف لا يكون إلا بالعلم والعلم لا يحصل إلا بالتصديق بعظم ضرر الذنوب ، والتصديق بعظم ضرر الذنوب هو تصديق الله ورسوله وهو الإيمان ؛ فكأن من أصر على الذنب لم يصر عليه إلا لأنه غير مؤمن ؟ فاعلم أن هذا لايكون لفقد الإيمان بل يكون لضعف الإيمان ، إذ كل مؤمن مصدق بأن المعصية سبب البعد من الله تعالى وسبب العقاب فى الآخرة . ولكن سبب وقوعه فى الذنب أمور .

(أحدها) أن العقاب الموعود غيب ليس بحاضر ، والنفس جبلت متأثرة بالحاضر ، فتأثرها بالموعود ضعيف بالإضافة إلى تأثرها بالحاضر .

(الثانى) أن الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجزة وهى فى الحال آخذة بالمخنق وقد قوى ذلك واستولى عليها بسبب الاعتياد والإلف ـ والعادة طبيعة خامسة ـ والنزوع عن العاجل لخوف الآجل شديد على النفس ولذلك قال تعالى ﴿ كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة ﴾ وقال عز وجل ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا ﴾ وقد عبر عن شدة الأمر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات [1] » وقوله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى خلق النار فقال لجبريل عليه السلام : اذهب فانظر إليها ، فنظر فقال وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها ! فحفها بالشهوات ثم قال اذهب فانظر إليها ، فنظر فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها . وخلق الجنة فقال لجبريل عليه السلام اذهب فانظر إليها ، فنظر فقال وعزتك لايسمع بها أحد إلا دخلها فحفها بالمكاره ثم قال اذهب فانظر إليها ، فنظر إليها فقال وعزتك لقد خشيت أن لايدخلها أحد [2] » فإذاً كون الشهوة مرهقة فى الحال وكون العقاب متأخرا إلى المآل سببان ظاهران فى الاسترسال مع حصول أصل الإيمان فليس كل من يشرب فى مرضه ماء الثلج لشدة عطشه مكذبا بأصل الطب ولا مكذبا بأن ذلك مضر فى حقه ولكن الشهوة تغلبه وألم الصبر عنه ناجز فيهون عليه الألم المنتظر .

(الثالث) أنه ما من مذنب مؤمن إلا وهو فى الغالب عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحسنات ، وقد وعد بأن ذلك يجبره إلا أن طول الأمل غالب على الطباع فلا يزال يسوف التوبة والتكفير ، فمن حيث رجاؤه التوفيق للتوبة ربما يقدم عليه مع الإيمان .

(الرابع) أنه ما من مؤمن موقن إلا وهو معتقد أن الذنوب لا توجب العقوبة إيجابا لا يمكن العفو عنها ،

---

(١) حديث « حفت الجنة بالمكاره . . الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة (٢) حديث « ان الله خلق النار فقال لجبريل اذهب فانظر اليها .. الحديث » أخرجه أبو داود والترمذى والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة وقدم فيه ذكر الجنة

فهو يذنب وينتظر العفو عنها اتكالا على فضل الله تعالى . فهذه أسباب أربعة موجبة للإصرار على الذنب مع بقاء أصل الإيمان .

نعم قد يقدم المذنب بسبب خامس يقدح فى أصل إيمانه وهو كونه شاكا فى صدق الرسل وهذا هو الكفر ، كالذى يحذره الطبيب عن تناول مايضره فى المرض فإن كان المحذر ممن لا يعتقد فيه أنه عالم بالطب فيكذبه أو يشك فيه فلا يبالى به فهذا هو الكفر .

فإن قلت فما علاج الأسباب الخمسة ؟ فأقول هو الفكر ، وذلك بأن يقرر على نفسه فى السبب الأول وهو تأخر العقاب ، أن كل ماهو آت آت وأن غدا للناظرين قريب وأن الموت أقرب إلى كل أحد من شراك نعله فما يدريه لعل الساعة قريب ، والمتأخر إذا وقع صار ناجزا ويذكر نفسه أنه أبدا فى دنياه يتعب فى الحال لخوف أمر فى الاستقبال ، إذ يركب البحار ويقاسى الأسفار لأجل الربح الذى يظن أنه قد يحتاج إليه فى ثانى الحال بل لو مرض فأخبره طبيب نصرانى بأن شرب الماء البارد يضره ويسوقه إلى الموت وكان الماء البارد ألذ الأشياء عنده تركه ، مع أن الموت ألمه لحظة إذا لم يخف مابعده ، ومفارقته للدنيا لابد منها ، فكم نسبة وجوده فى الدنيا إلى عدمه أزلا وأبدا ؟ فلينظر كيف يبادر إلى ترك ملاذه بقول ذمى لم تقم معجزة على طبه فيقول : كيف يليق بعقلى أن يكون قول الأنبياء المؤيدين بالمعجزات عندى دون قول نصرانى يدعى الطب لنفسه بلا معجزة على طبه ولا يشهد له إلا عوام الخلق ؟ وكيف يكون عذاب النار عندى أخف من عذاب المرض وكل يوم فى الآخرة بمقدار خمسين ألف سنة من أيام الدنيا ؟ وبهذا التفكر بعينه يعالج اللذة الغالبة عليه ويكلف نفسه تركها ويقول : إذا كنت لا أقدر على ترك لذاتى أيام العمر وهى أيام قلائل فكيف أقدر على ذلك أبد الآباد ؟ وإذا كنت لا أطيق ألم الصبر فكيف أطيق ألم النار ؟ وإذا كنت لا أصبر عن زخارف الدنيا مع كدوراتها وتنغصها وامتزاج صفوها بكدرها فكيف أصبر عن نعيم الآخرة ؟ وأما تسويف التوبة فيعالجه بالفكر فى أن أكثر صياح أهل النار من التسويف ، لأن المسوف يبنى الأمر على ماليس إليه وهو البقاء فلعله لا يبقى وإن بقى فلا يقدر على الترك غدا كما لا يقدر عليه اليوم ، فليت شعرى هل عجز فى الحال إلا لغلبة الشهوة والشهوة ليست تفارقه غدا بل تتضاعف إذ تتأكد بالاعتياد ! فليست الشهوة التى أكدها الإنسان بالعادة كالتى لم يؤكدها . وعن هذا هلك المسوفون لأنهم يظنون الفرق بين المتماثلين ولا يظنون أن الأيام متشابهة فى أن ترك الشهوات فيها أبدا شاق . وما مثال المسوف إلا مثاله من احتاج إلى قلع شجرة فرآها قوية لا تنقلع إلا بمشقة شديدة فقال أؤخرها سنة ثم أعود إليها ، وهو يعلم أن الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها ، وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه ، فلا حماقة فى الدنيا أعظم من حماقته إذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف فأخذ ينتظر الغلبة عليه إذا ضعف هو فى نفسه وقوى الضعيف .

وأما المعنى الرابع : وهو انتظار عفو الله تعالى ، فعلاجه ماسبق وهو كمن ينفق جميع أمواله ويترك نفسه وعياله فقراء منتظرا من فضل الله تعالى أن يرزقه العثور على كنز فى أرض خربة ، فإن إمكان العفو عن الذنب مثل هذا الإمكان ، وهو مثل من يتوقع النهب من الظلمة فى بلده وترك ذخائر أمواله فى صحن داره ، وقدر على دفنها وإخفائها فلم يفعل ، وقال : أنتظر من فضل الله تعالى أن يسلط غفلة أو عقوبة على الظالم الناهب حتى لا يتفرغ إلى دارى أو إذا انتهى إلى دارى مات على باب الدار ! فإن الموت ممكن والغفلة ممكنة ! وقد حكى فى الأسمار أن مثل ذلك وقع فأنا أنتظر من فضل الله مثله . فمنتظر هذا منتظر أمر ممكن ولكنه فى غاية الحماقة والجهل ، إذ قد لا يمكن ولا يكون .

وأما الخامس وهو شك فهذا كفر ، وعلاجه الأسباب التى تعرفه صدق الرسل وذلك يطول . ولكن يمكن أن يعالج بعلم قريب يليق بحدّ عقله ، فيقال له : ما قاله الأنبياء المؤيدون بالمعجزات هل صدقه ممكن أو تقول أعلم أنه محال كما أعلم استحالة شخص واحد فى مكانين فى حالة واحدة ؟ فإن قال : أعلم استحالته كذلك فهو أخرق معتوه وكأنه لا وجود لمثل هذا فى العقلاء . وإن قال : أنا شاك فيه ، فيقال : لو أخبرك شخص واحد مجهول عند تركك طعامك فى البيت لحظة أنه ولغت فيه حية وألقت سمها فيه وجوزت صدقه فهل تأكله أو تتركه وإن كان ألذ الأطعمة ؟ فيقول : أتركه لا محالة لأنى أقول إن كذب فلا يفوتنى إلا هذا الطعام ، والصبر عنه وإن كان شديدا فهو قريب ، وإن صدق فتفوتنى الحياة ، والموت بالإضافة إلى ألم الصبر عن الطعام وإضاعته شديد . فيقال له : ياسبحان الله كيف تؤخر صدق الأنبياء كلهم مع ما ظهر لهم من المعجزات وصدق كافة الأولياء والعلماء والحكماء بل جميع أصناف العقلاء — ولست أعنى بهم جهال العوام بل ذوى الألباب — عن صدق رجل واحد مجهول لعل له غرضا فيما يقول ؟ فليس فى العقلاء إلا من صدّق باليوم الآخر وأثبت ثوابا وعقابا وإن اختلفوا فى كيفيته ، فإن صدقوا فقد أشرفت على عذاب يبقى أبد الآباد ، وإن كذبوا فلا يفوتك إلا بعض شهوات هذه الدنيا الفانية المكدرة . فلا يبقى له توقف إن كان عاقلا مع هذا الفكر إذ لا نسبة لمدة العمر إلى أبد الآباد ، بل لو قدرنا الدنيا مملوءة بالذرة وقدرنا طائرا يلتقط فى كل ألف ألف سنة حبة واحدة منها لفنيت الذرة ولم ينقص أبد الآباد شيئا ، فكيف يفتر رأى العاقل فى الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلا لأجل سعادة تبقى أبد الآباد ؟ ولذلك قال أبو العلاء أحمد بن سليمان التنوخى المعرى :

قال المنجم والطبيب كلاهما لا تبعث الأموات قلت إليكما
إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولى فالخسار عليكما

لذلك قال على رضى الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الأمور وكان شاكا : إن صح ما قلت فقد تخلصنا جميعا وإلا فقد تخلصت وهلكت ! أى العاقل يسلك طريق الأمن فى جميع الأحوال .

فإن قلت : هذه الأمور جلية ولكنها ليست تنال إلا بالفكر فما بال القلوب هجرت الفكر فيها واستثقلته ؟ وما علاج القلوب لردها إلى الفكر لا سيما من آمن بأصل الشرع وتفصيله ؟ فاعلم أنّ المانع من الفكر أمران (أحدهما) أنّ الفكر النافع هو الفكر فى عقاب الآخرة وأهوالها وشدائدها وحسرات العاصين فى الحرمان عن النعيم المقيم ، وهذا فكر لداغ مؤلم للقلب فينفر القلب عنه ويتلذذ بالفكر فى أمور الدنيا على سبيل التفرج والاستراحة . (والثانى) أنّ الفكر شغل فى الحال مانع من لذائذ الدنيا وقضاء الشهوات ، وما من إنسان إلا وله فى كل حالة من أحواله ونفس من أنفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقته فصار عقله مسخرا لشهوته فهو مشغول بتدبير حيلته ، وصارت لذته فى طلب الحيلة فيه أو فى مباشرة قضاء الشهوة والفكر يمنعه من ذلك .

أما علاج هذين المانعين : فهو أن يقول لقلبه ما أشد غباوتك فى الاحتراز من الفكر فى الموت وما بعده تألما بذكره مع استحقار ألم مواقعته ، فكيف تصبر على مقاساته إذا وقع وأنت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده ومتألم به ؟ وأما الثانى وهو كون الفكر مفوتا للذات الدنيا ؛ فهو أن يتحقق أن فوات لذات الآخرة أشد وأعظم فإنها لا آخر لها ولا كدورة فيها ، ولذات الدنيا سريعة الدثور وهى مشوبة بالمكدرات فما فيها لذة صافية عن كدر . وكيف وفى التوبة عن المعاصى والإقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى واستراحة بمعرفته وطاعته

وطول الأنس به ؟ ولو لم يكن للمطيع جزاء على عمله إلا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الأنس بمناجاة الله تعالى لكان ذلك كافيا ، فكيف بما ينضاف إليه من نعيم الآخرة ؟ نعم هذه اللذة لاتكون فى ابتداء التوبة ولكنها بعد ما يصبر عليها مدة مديدة وقد صار الخير ديدنا كما كان الشر ديدنا ، فالنفس قابلة — ما عودتها تتعود — والخير عادة والشر لجاجة .

فإذن هذه الأفكار هى المهيجة للخوف المهيج لقوة الصبر عن اللذات ، ومهيج هذه الأفكار وعظ الوعاظ وتنبيهات تقع للقلب بأسباب تتفق لا تدخل فى الحصر ، فيصير الفكر موافقا للطبع فيميل القلب إليه . ويعبر عن السبب الذى أوقع الموافقة بين الطبع والفكر الذى هو سبب الخير بالتوفيق ، إذ التوفيق هو التأليف بين الإرادة وبين المعنى الذى هو طاعة نافعة فى الآخرة . وقد روى فى حديث طويل : أنه قام عمار بن ياسر فقال لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الكفر على ماذا بنى ؟ فقال على رضى الله عنه : بنى على أربع دعائم : على الجفاء والعمى والغفلة والشك ، فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء ، ومن عمى نسى الذكر ، ومن غفل حاد عن الرشد ، ومن شك غرته الأمانى فأخذته الحسرة والندامة وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب . فما ذكرناه بيان لبعض آفات الغفلة عن التفكر وهذا القدر فى التوبة كاف . وإذا كان الصبر ركنا من أركان دوام التوبة فلا بد من بيان الصبر فنذكره فى كتاب مفرد إن شاء الله تعالى .

كتاب الصبر والشكر

وهو الكتاب الثانى من ربع المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أهل الحمد والثناء ، المنفرد برداء الكبرياء ، المتوحد بصفات المجد والعلاء ، المؤيد صفوة الأولياء بقوة الصبر على السراء والضراء والشكر على البلاء والنعماء ، والصلاة على محمد سيد الأنبياء وعلى أصحابه سادة الأصفياء وعلى آله قادة البررة الأتقياء صلاة محروسة بالدوام عن الفناء : ومصونة بالتعاقب عن التصرم والانقضاء .

أما بعد : فإن الإيمان نصفان : نصف صبر ونصف شكر [1] كما وردت به الآثار وشهدت له الأخبار . وهما أيضا وصفان من أوصاف الله تعالى واسمان من أسمائه الحسنى إذ سمى نفسه صبورا وشكورا ، فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطرى الإيمان ثم هو غفلة عن وصفين من أوصاف الرحمن ولا سبيل إلى الوصول إلى القرب من الله تعالى إلا بالإيمان ، وكيف يتصور سلوك سبيل الإيمان دون معرفة ما به الايمان ومن به الإيمان؟ والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به الإيمان وعن إدراك ما به الإيمان ، فما أحوج كلا الشطرين إلى الإيضاح والبيان . ونحن نوضح كلا الشطرين فى كتاب واحد لارتباط أحدهما بالآخر إن شاء الله تعالى . (الشطر الأول) فى الصبر وفيه بيان فضيلة الصبر ، وبيان حده وحقيقته ، وبيان كونه نصف الإيمان وبيان اختلاف

كتاب الصبر والشكر

(١) حديث « الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من رواية يزيد الرقاشى عن أنس ويزيد ضعيف .

أساميه باختلاف متعلقاته ، وبيان أقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف ، وبيان مظان الحاجة إلى الصبر ، وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه . فهى سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده إن شاء الله تعالى .

بيان فضيلة الصبر

وقد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف وذكر الصبر فى القرآن فى نيف وسبعين موضعا ، وأضاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ﴾ وقال تعالى ﴿ وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ﴾ وقال تعالى ﴿ ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ وقال تعالى ﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ﴾ وقال تعالى ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ فما من قربة إلا وأجرها بتقدير وحساب إلا الصبر ، ولأجل كون الصوم من الصبر وأنه نصف الصبر قال الله تعالى « الصوم لى وأنا أجزى به » فأضافه إلى نفسه من بين سائر العبادات ووعد الصابرين بأنه معهم فقال تعالى ﴿ واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ وعلق النصرة على الصبر فقال تعالى ﴿ بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ﴾ وجمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين . واستقصاء جميع الآيات فى مقام الصبر يطول

وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم « الصبر نصف الإيمان [1] » على ما سيأتى وجه كونه نصفا وقال صلى الله عليه وسلم « من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار ، ولأن تصبروا على ما أنتم عليه أحب إلى من أن يوافينى كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكنى أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدى فينكر بعضكم بعضا وينكركم أهل السماء عند ذلك ، فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم [2] » الآية وروى جابر أنه سئل صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال « الصبر والسماحة [3] » وقال أيضاً « الصبر كنز من كنوز الجنة [4] » وسئل مرة « ما الإيمان ؟ فقال : الصبر [5] » وهذا يشبه قوله صلى الله عليه وسلم « الحج عرفة [6] » معناه معظم الحج عرفة وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس [7] » وقيل : أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : تخلق بأخلاقى وأن من أخلاقى أنى أنا الصبور وفى حديث عطاء عن ابن عباس : لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأنصار فقال « أمؤمنون أنتم » فسكتوا ، فقال عمر : نعم يارسول الله قال « وما علامة إيمانكم ؟ » قالوا : نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء ، فقال صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث « الصبر نصف الإيمان » أخرجه أبو نعيم والخطيب من حديث ابن مسعود وتقدم فى الصوم

(٢) حديث « من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ... الحديث » بطوله تقدم فى العلم مختصرا ولم أجده هكذا بطوله

(٣) حديث جابر : سئل عن الإيمان فقال « الصبر والسماحة » أخرجه الطبرانى فى مكارم الأخلاق وابن حبان فى الضعفاء وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر ضعيف ورواه الطبرانى فى الكبير من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده

(٤) حديث « الصبر كنز من كنوز الجنة » غريب لم أجده . (٥) حديث : سئل مرة عن الإيمان فقال « الصبر » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من رواية يزيد الرقاشى عن أنس مرفوعا « الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد » ويزيد ضعيف (٦) حديث « الحج عرفة » تقدم فى الحج .

(٧) حديث « أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس » لا أصل له مرفوعا وإنما هو من قول عمر بن عبد العزيز هكذا رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب محاسبة النفس .

« مؤمنون ورب الكعبة [١] » وقال صلى الله عليه وسلم « فى الصبر على ماتكره خير كثير [٢] » وقال المسيح عليه السلام : إنكم لاتدركون ماتحبون إلا بصبركم على ماتكرهون . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين [٣] » والأخبار فى هذا لاتحصى .

وأما الآثار . فقد وجد فى رسالة عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى عليك بالصبر واعلم أن الصبر صبران أحدهما أفضل من الآخر . الصبر فى المصيبات حسن وأفضل منه الصبر عماحرم الله تعالى. واعلم أن الصبر ملاك الإيمان وذلك بأن التقوى أفضل البر والتقوى بالصبر وقال على كرم الله وجهه . بنى الإيمان على أربع دعائم : اليقين والصبر والجهاد والعدل . وقال أيضا . الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولاجسد لمن لارأس له ولاإيمان لمن لاصبرله . وكان عمر رضى الله عنه يقول . نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين ؛ يعنى بالعدلين الصلاة والرحمة ، وبالعلاوة الهدى . والعلاوة مايحمل فوق العدلين على البعير وأشاربه إلى قوله تعالى ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ وكان حبيب بن أبى حبيب إذا قرأ هذه الآية ﴿ إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب ﴾ بكى وقال . واعجباه أعطى واثنى أى هو المعطى للصبر وهو المثنى . وقال أبو الدرداء . ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر . هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل ، وأما من حيث النظر بعين الاعتبار فلا تفهمه إلا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه ، إذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل قبل معرفة الموصوف فلنذكر حقيقته ومعناه وبالله التوفيق .

بيان حقيقة الصبر ومعناه

اعلم أن الصبر مقام من مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين ، وجميع مقامات الدين إنما تنتظم من ثلاثة أمور . معارف وأحوال وأعمال . فالمعارف هى الأصول وهى تورث الأحوال والأحوال تثمر الأعمال فالمعارف كالأشجار ، والأحوال كالأغصان ، والأعمال كالثمار . وهذا مطرد فى جميع منازل السالكين إلى الله تعالى . واسم الإيمان تارة يختص بالمعارف وتارة يطلق على الكل ـ كما ذكرناه فى اختلاف اسم الإيمان والإسلام فى كتاب قواعد العقائد ـ وكذلك الصبر لايتم إلا بمعرفة سابقة وبحالة قائمة . فالصبر على التحقيق عبارة عنها والعمل هو كالثمرة يصدر عنها ، ولايعرف هذا إلا بمعرفة كيفية الترتيب بين الملائكة والإنس والبهائم . فإن الصبر خاصية الإنس ولايتصور ذلك فى البهائم والملائكة . أما فى البهائم فلنقصانها . وأما فى الملائكة فلكمالها .

وبيانه أن البهائم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها فلا باعث لها على الحركة والسكون إلا الشهوة ، وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة فى مقابلة مقتضى الشهوة صبرا .

وأما الملائكة عليهم السلام فإنهم جردوا للشوق إلى حضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم تسلط عليهم شهوة صارفة صادة عنها حتى يحتاج إلى مصادمة مايصرفها عن حضرة الجلال بجند آخر يغلب الصوارف .

وأما الإنسان فإنه خلق فى ابتداء الصبا ناقصا مثل البهيمة لم يخلق فيه إلا شهوة الغذاء الذى هو محتاج إليه ، ثم تظهر فيه شهوة اللعب والزينة ، ثم شهوة النكاح ، على الترتيب ، وليس له قوة الصبر ألبتة ؛ إذ الصبر عبارة عن

---

(١) حديث عطاء عن ابن عباس : دخل على الأنصار فقال « أمؤمنون أنتم ؟ » فسكتوا ، فقال عمر : نعم يارسول الله . . الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من رواية يوسف بن ميمون وهو منكر الحديث عن عطاء .

(٢) حديث « فى الصبر على ماتكره خير كثير » أخرجه الترمذى من حديث ابن عباس وقد تقدم

(٣) حديث « لو كان الصبر رجلا » لكان كريما أخرجه الطبرانى من حديث عائشة وفيه صبيح بن دينار ضعفه العقيلى

ثبات جند فى مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما ، وليس فى الصبي إلا جند الهوى كما فى البهائم ، ولكنّ الله تعالى بفضله وسعة جوده أكرم بنى آدم ورفع درجتهم عن درجة البهائم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين ؛ أحدهما يهديه ، والآخر يقويه ، فتميز بمعونة الملكين عن البهائم . واختص بصفتين : إحداهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله ، ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذى إليه الهداية والتعريف . فالبهيمة لامعرفة لها ولا هداية إلى مصلحة العواقب بل إلى مقتضى شهواتها فى الحال فقط ، فلذلك لاتطلب إلا اللذيذ . وأما الدواء النافع مع كونه مضرا فى الحال فلا تطلبه ولاتعرفه ، فصار الإنسان بنور الهداية يعرف أن اتباع الشهوات له مغبات مكروهة فى العاقبة ، ولكن لم تكن هذه الهداية كافية مالم تكن له قدرة على ترك ماهو مضر ، فكم من مضر يعرفه الإنسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لاقدرة له على دفعه ؟ فافتقر إلى قدرة وقوة يدفع بها فى نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه ، فوكل الله تعالى به ملكا آخر يسدده ويؤيده ويقويه بجنود لم تروها ، وأمر هذا الجند بقتال جندالشهوة ، فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى ذلك بحسب إمداد الله تعالى عبده بالتأييد ، كما أن نور الهداية أيضا يختلف فى الخلق اختلافا لاينحصر .

فلنسم هذه الصفة التى بها فارق الإنسان البهائم فى قمع الشهوات وقهرها : باعثا دينيا ، ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها : باعث الهوى . وليفهم أن القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد . ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى ، ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لأعداء الله تعالى . فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين فى مقابلة باعث الشهوة . فإن ثبت حتى قهره واستمرّ على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين ، وإن تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر فى دفعها التحق بأتباع الشياطين .

فإن ترك الأفعال المشتهاة عمل يثمره حال يسمى : الصبر ، وهو ثبات باعث الدين الذى هو فى مقابلة باعث الشهوة . وثبات باعث الدين حال تثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضاداتها لأسباب السعادات فى الدنيا والآخرة . فإذا قوى يقينه ـ أعنى المعرفة التى تسمى إيمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله تعالى ـ قوى ثبات باعث الدين ، وإذا قوى ثباته تمت الأفعال على خلاف ماتتقاضاه الشهوة ، فلايتم ترك الشهوة إلابقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة . وقوة المعرفة والإيمان تقبح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها . وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجندين بإذن الله تعالى وتسخيره إياهما وهما من الكرام الكاتبين وهما الملكان الموكلان بكل شخص من الآدميين . وإذا عرفت أن رتبة الملك الهادى أعلى من رتبة الملك المقوّى لم يخف عليك أنّ جانب اليمين هو أشرف الجانبين من جنبتى الدست ، الذى ينبغى أن يكون مسلما له . فهو إذن صاحب اليمين والآخر صاحب الشمال .

وللعبد طوران فى الغفلة والفكر وفى الاسترسال والمجاهدة . فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسىء إليه فيكتب أعراضه سيئة ، وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب إقباله له حسنة . وكذا بالاسترسال هو معرض عن صاحب اليسار تارك للاستمداد منه فهو به مسىء إليه فيثبت عليه سيئة ، وبالمجاهدة مستمدّ من جنوده فيثبت له به حسنة . وإنما ثبتت هذه الحسنات والسيئات بإثباتهما فلذلك سميا كراما كاتبين .

أما الكرام فلانتفاع العبد بكرمهما ولأن الملائكة كلهم كرام بررة ، وأما الكاتبون فلإثباتهما الحسنات والسيئات وإنما يكتبان فى صحائف مطوية فى سر القلب ، ومطوية عن سر القلب حتى لايطلع عليه فى هذا العالم ، فإنهما وكتبتهما وخطهما وصحائفهما وجملة ماتعلق بهما من جملة عالم الغيب والملكوت لامن عالم الشهادة ، وكل شيء من عالم الملكوت لا تدركه الأبصار فى هذا العالم ، ثم تنشر هذه الصحائف المطوية عنه مرتين : مرة فى القيامة الصغرى ومرة فى القيامة الكبرى ، وأعنى بالقيامة الصغرى حالة الموت ، إذ قال صلى الله عليه وسلم « من مات فقد قامت قيامته[1] » وفى هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ﴾ وفيها يقال ﴿ كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ أما فى القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق فلا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملأ من الخلق ، وفيها يساق المتقون إلى الجنه والمجرمون إلى النار زمرا لا آحادا . والهول الأول هو هول القيامة الصغرى . ولجميع أهوال القيامة الكبرى نظير فى القيامة الصغرى مثل زلزلة الأرض مثلا فإن أرضك الخاصة بك تزلزل فى الموت ، فإنك تعلم أن الزلزلة إذا نزلت ببلدة صدق أن يقال قد زلزلت أرضهم وإن لم تزلزل البلاد المحيطة بها ، بل لو زلزل مسكن الإنسان وحده فقد حصلت الزلزلة فى حقه ، لأنه إنما يتضرر عند زلزلة جميع الأرض بزلزلة مسكنه لابزلزلة مسكن غيره ، فحصته من الزلزلة قد توفرت من غير نقصان . واعلم أنك أرضى مخلوق من التراب ، وحظك الخاص من التراب بدنك فقط ، فأما بدن غيرك فليس بحظك . والأرض التى أنت جالس عليها بالإضافة إلى بدنك ظرف ومكان وإنما تخاف من تزلزله أن يتزلزل بدنك بسببه ، وإلا فالهواء أبدا متزلزل وأنت لاتخشاه إذ ليس يتزلزل به بدنك ، فحظك من زلزلة الأرض كلها زلزلة بدنك فقط ، فهى أرضك وترابك الخاص بك ، وعظامك جبال أرضك ، ورأسك سماء أرضك ، وقلبك شمس أرضك ، وسمعك وبصرك وسائر حواسك نجوم سمائك ، ومفيض العرق من بدنك بحر أرضك ، وشعورك نبات أرضك ، وأطرافك أشجار أرضك ، وهكذا إلى جميع أجزائك ، فإذا انهدم بالموت أركان بدنك فقد زلزلت الأرض زلزالها ، فإذا انفصلت العظام من اللحوم فقد حملت الأرض والجبال فدكتادكة واحدة ، فإذا رمت العظام فقد نسفت الجبال نسفا ، فإذا أظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكويرا ، فإذا بطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارا ، فإذا انشق دماغك فقد انشقت السماء انشقاقا ، فإذا انفجرت من هول الموت عرق جبينك فقد فجرت البحار تفجيرا ، فإذا التفت إحدى ساقيك بالأخرى وهما مطيتاك فقد عطلت العشار تعطيلا ، فإذا فارقت الروح الجسد فقد حملت الأرض فدت حتى ألقت مافيها وتخلت ، ولست أطول بجميع موازنة الأحوال والأهوال ولكنى أقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة الصغرى ، ولايموتك من القيامة الكبرى شيء مما يخصك بل مايخص غيرك . فإن بقاء الكواكب فى حق غيرك ماذا ينفعك وقد انتثرت حواسك التى بها تنتفع بالنظر إلى الكواكب ، والأعمى يستوى عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها لأنها قد كسفت فى حقه دفعة واحدة ، وهو حصته منها فالانجلاء بعد ذلك حصة غيره ، ومن انشق رأسه فقد انشقت سماؤه إذ السماء عبارة عما يلى جهة الرأس فمن لارأس له لاسماء له فمن أين ينفعه بقاء السماء لغيره ؟ فهذه هى القيامة الصغرى . والخوف بعد أسفل والهول بعد مؤخر وذلك إذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السموات والأرض ونسفت الجبال ونمت الأهوال .

---

(١) حديث « من مات فقد قامت قيامته » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت من حديث أنس بسند ضعيف .

واعلم أنّ هذه الصغرى وإن طولنا فى وصفها فإنا لم نذكر عشير أوصافها وهى بالنسبة إلى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة إلى الولادة الكبرى ؛ فإن للإنسان ولادتين (إحداهما) الخروج من الصلب والترائب إلى مستودع الأرحام فهو فى الرحم فى قرار مكين إلى قدر معلوم ، وله فى سلوكه إلى الكمال منازل وأطوار من نطفة وعلقة ومضغة وغيرها إلى أن يخرج من مضيق الرحم إلى فضاء العالم . فنسبة عموم القيامة الكبرى إلى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم إلى سعة فضاء الرحم ، ونسبة سعة العالم الذى يقدم عليه العبد بالموت إلى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا أيضا إلى الرحم ، بل أوسع وأعظم . فقس الآخرة بالأولى فما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة . وما النشأة الثانية إلا على قياس النشأة الأولى بل أعداد النشآت ليست محصورة فى اثنتين . وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ وننشئكم فيما لاتعلمون ﴾ فالمقرّ بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والملكوت . والمقرّ بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء إلى أحد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والاقتداء بالأعور الدجال .

فما أعظم غفلتك يا مسكين ـ وكلنا ذلك المسكين ـ وبين يديك هذه الأهوال فإن كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال أفلا تكفيك دلالة القيامة الصغرى ؟ أو ما سمعت قول سيد الأنبياء « كفى بالموت واعظا [1] » أو ما سمعت بكربه عليه السلام عند الموت حتى قال صلى الله عليه وسلم « اللهم هوّن على محمد سكرات الموت [2] » أو ما تستحى من استبطائك هجوم الموت اقتداء برعاع الغافلين الذين لا ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلايستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ؟ فيأتيهم المرض نذيرا من الموت فلا ينزجرون ويأتيهم الشيب رسولا منه فما يعتبرون فياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ، أفيظنون أنهم فى الدنيا خالدون ؟ ﴿ أو لم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون ﴾ أم يحسبون أنّ الموتى سافروا من عندهم فهم معدومون كلا ﴿ وإن كل لما جميع لدينا محضرون ﴾ ولكن ﴿ ما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ﴾ وذلك لأنا ﴿ جعلنا من بين أيديهم سدّا ومن خلفهم سدّا فأغشيناهم فهم لايبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون ﴾

ولنرجع إلى الغرض فإن هذه تلويحات تشير إلى أمور هى أعلى من علوم المعاملة فنقول : ظهر أن الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين فى مقاومة باعث الهوى ، وهذه المقاومة من خاصة الآدميين لما وكل بهم من الكرام الكاتبين ولايكتبان شيئا عن الصبيان والمجانين ، إذ قد ذكرنا أن الحسنة فى الإقبال على الاستفادة منهما والسيئة فى الإعراض عنهما ، وما للصبيان والمجانين سبيل إلى الاستفادة فلا يتصوّر منهما إقبال وإعراض ، وهما لايكتبان إلا الإقبال والإعراض من القادرين على الإقبال والإعراض . ولعمرى إنه قد تظهر مبادئ إشراق نور الهداية عند سنّ التمييز وتنمو على التدريج إلى سنّ البلوغ كما يبدو نور الصبح إلى أن يطلع قرص الشمس ، ولكنها هداية قاصرة لا ترشد إلى مضارّ الآخرة بل إلى مضارّ الدنيا ، فلذلك يضرب على ترك الصلوات ناجزا ولا يعاقب على تركها فى الآخرة ، ولا يكتب عليه من الصحائف ما ينشر فى الآخرة ، بل على القيم العدل والولى البر الشفيق

(١) حديث « كفى بالموت واعظا » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث عائشة وفيه الربيع بن بدر ضعيف ورواه الطبرانى من حديث عقبة بن عامر وهو معروف من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقى فى الزهد . (٢) حديث « اللهم هون على محمد سكرات الموت » أخرجه الترمذى وقال غريب والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه من حديث عائشة بلفظ « اللهم أعنى على سكرات الموت . »

ـ إن كان من الأبرار وكان على سمت الكرام الكاتبين البررة الأخيار ـ أن يكتب على الصبي سيئته وحسنته على صحيفة قلبه ، فيكتبه عليه بالحفظ ثم ينشره عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه بالضرب . فكل ولى هذا سمته فى حق الصبي فقد ورث أخلاق الملائكة واستعملها فى حق الصبي . فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته الملائكة فيكون مع النبيين والمقربين والصديقين . وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة [1] » وأشار إلى أصبعيه الكريمتين صلى الله عليه وسلم .

بيان كون الصبر نصف الإيمان

اعلم أنّ الإيمان تارة يختص فى إطلاقه بالتصديقات بأصول الدين وتارة يختص بالأعمال الصالحة الصادرة منها وتارة يطلق عليهما جميعا ، وللمعارف أبواب وللأعمال أبواب ، ولاشتمال لفظ الإيمان على جميعها كان الإيمان نيفا وسبعين بابا . واختلاف هذه الإطلاقات ذكرناه فى كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات . ولكن الصبر نصف الإيمان باعتبارين وعلى مقتضى إطلاقين .

أحدهما : أن يطلق على التصديقات والأعمال جميعا . فيكون الإيمان ركنان : (أحدهما) اليقين (والآخر) الصبر . والمراد باليقين . المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده إلى أصول الدين . والمراد بالصبر : العمل بمقتضى اليقين إذ اليقين يعرفه أن المعصية ضارة والطاعة نافعة ، ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر وهو استعمال باعث الدين فى قهر باعث الهوى والكسل . فيكون الصبر نصف الإيمان بهذا الاعتبار . ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال « من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ... الحديث » إلى آخره

الاعتبار الثانى : أن يطلق على الأحوال المثمرة للأعمال لا على المعارف ، وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقيه العبد إلى ماينفعه فى الدنيا والآخرة أو يضره فيهما ، وله بالإضافه إلى مايضره حال الصبر ، وبالإضافة إلى ما ينفعه حال الشكر . فيكون الشكر أحد شطرى الإيمان بهذا الاعتبار كما أن اليقين أحد الشطرين بالاعتبار الأول . وبهذا النظر قال ابن مسعود رضى الله عنه : الإيمان نصفان ، نصف صبر ونصف شكر . وقد يرفع أيضا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما كان الصبر صبرا عن باعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين ، باعث من جهة الشهوة ، وباعث من جهة الغضب ؛ فالشهوة لطلب اللذيذ والغضب للهرب من المؤلم ، وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهى شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب : قال صلى الله عليه وسلم بهذا الاعتبار « الصوم نصف الصبر » لأن كمال الصبر بالصبر عن دواعى الشهوة ودواعى الغضب جميعا ، فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الإيمان . فهكذا ينبغى أن تفهم تقديرات الشرع بحدود الأعمال والأحوال ونسبتها إلى الإيمان : والأصل فيه أن تعرف كثرة أبواب الإيمان فإن اسم الإيمان يطلق على وجوه مختلفة .

بيان الأسامى التى تتجدد للصبر بالإضافة إلى ماعنه الصبر

أعلم أن الصبر ضربان ؛ أحدهما : ضرب بدنى ، كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها . وهو إما بالفعل : كتعاطى

---

(١) حديث « أنا وكافل اليتيم كهاتين » أخرجه البخارى من حديث سهل بن سعد وتقدم .

الأعمال الشاقة إما من العبادات أو من غيرها . وإما بالاحتمال : كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة . وذلك قد يكون محمودا إذا وافق الشرع .

ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر : وهو الصبر النفسى عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى . ثم هذا الضرب إن كان صبرا على شهوة البطن والفرج سمى عفة ، وإن كان على احتمال مكروه اختلفت أساميه عند الناس باختلاف المكروه الذى غلب عليه الصبر . فإن كان فى مصيبة اقتصر على اسم الصبر ، وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع وهو إطلاق داعى الهوى ليسترسل فى رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرهما . وإن كان فى احتمال الغنى سمى ضبط النفس ، وتضاده حالة تسمى البطر . وإن كان فى حرب ومقاتلة سمى شجاعة ويضاده الجبن . وإن كان فى كظم الغيظ والغضب سمى حلما ويضاده التذمر . وإن كان فى نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمى سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر . وإن كان فى إخفاء كلام سمى كتمان السر وسمى صاحبه كتوما . وإن كان عن فضول العيش سمى زهدا ويضاده الحرص . وإن كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمى قناعة ويضاده الشره فأكثر أخلاق الإيمان داخل فى الصبر . ولذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الإيمان قال « هو الصبر » لأنه أكثر أعماله وأعزها كما قال « الحج عرفة »[1] ، وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك وسمى الكل صبرا فقال تعالى ﴿ والصابرين فى البأساء ﴾ أى المصيبة ﴿ والضراء ﴾ أى الفقر ﴿ وحين البأس ﴾ أى المحاربة ﴿ أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ فإذن هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ، ومن يأخذ المعانى من الأسامى يظن أن هذه الأحوال مختلفة فى ذواتها وحقائقها من حيث رأى الأسامى مختلفة ، والذى يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله تعالى يلحظ المعانى أولا فيطلع على حقائقها ثم يلاحظ الأسامى فإنها وضعت دالة على المعانى . فالمعانى هى الأصول والألفاظ هى التوابع . ومن يطلب الأصول من التوابع لابد وأن يزل . وإلى الفريقين الإشارة بقوله تعالى ﴿ أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم ﴾ فإن الكفار لم يغلطوا فيما غلطوا فيه إلا بمثل هذه الانعكاسات ، نسأل الله حسن التوفيق بكرمه ولطفه .

بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف

اعلم أن باعث الدين بالإضافة إلى باعث الهوى له ثلاثة أحوال ؛ أحدها : أن يقهر داعى الهوى فلا تبقى له قوة المنازعة ويتوصل إليه بدوام الصبر ، وعند هذا يقال من صبر ظفر . والواصلون إلى هذه الرتبة هم الأقلون فلا جرم هم الصديقون المقربون ﴿ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى باعث الدين . وإياهم ينادى المنادى ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية ﴾ .

الحالة الثانية : أن تغلب دواعى الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه إلى جند الشياطين ، ولا يجاهد ليأسه من المجاهدة ، وهؤلاء هم الغافلون وهم الأكثرون ، وهم الذين استرقتهم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم فحكموا أعداء الله فى قلوبهم التى هى سر من أسرار الله تعالى وأمر من أمور الله . وإليهم الإشارة بقوله تعالى ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فخسرت صفقتهم ، وقيل لمن قصد إرشادهم ﴿ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا

(١) حديث « الحج عرفة » أخرجه أصحاب السنن من حديث عبد الرحمن بن يعمر وتقدم فى الحج .

ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ﴾ وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالأماني وهو غاية الحمق كما قال صلى الله عليه وآله وسلم « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله [1] » وصاحب هذه الحالة إذا وعظ قال : أنا مشتاق إلى التوبة ولكنها قد تعذرت على فلست أطمع فيها ، أو لم يكن مشتاقا إلى التوبة ولكن قال : إنّ الله غفور رحيم كريم فلا حاجة به إلى توبتي . وهذا المسكين قد صار عقله رقيقا لشهوته ، فلا يستعمل عقله إلا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل إلى قضاء شهوته ، فقد صار عقله في يد شهواته كمسلم أسير في أيدي الكفار فهم يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها ، ومحله عندالله تعالى محل من يقهر مسلما ويسلمه إلى الكفار ويجعله أسيرا عندهم ، لأنه بفاحش جنايته يشبه أنه سخر ما كان حقه أن لايستسخر ، وسلط ماحقه أن لايتسلط عليه ، وإنما استحق المسلم أن يكون متسلطا لما فيه من معرفة الله وباعث الدين وإنما استحق الكافر أن يكون مسلطا عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه أوجب من حق غيره عليه . فهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشياطين المبعدين عن الله تعالى كان كمن أرق مسلما لكافر ، بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه فأخذ أعز أولاده وسلمه إلى أبغض أعدائه ، فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستيجابه لنقمته ! لأن الهوى أبغض إله عبد في الأرض عندالله تعالى . والعقل أعز موجود خلق على وجه الأرض .

الحالة الثالثة : أن يكون الحرب سجالا بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه ، وهذا من المجاهدين يعد مثله لامن الظافرين ، وأهل هذه الحالة هم الذين ﴿ خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ﴾ هذا باعتبار القوة والضعف . ويتطرق إليه أيضا ثلاثة أحوال باعتبار عدد مايصبر عنه : فإنه إما أن يغلب جميع الشهوات أو لايغلب شيئا منها ، أو يغلب بعضها دون بعض . وتنزيل قوله تعالى ﴿ خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ﴾ على من عجز عن بعض الشهوات دون بعض أولى . والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقا يشبهون بالأنعام بل هم أضل سبيلا ، إذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها تجاهد مقتضى الشهوات ، وهذا قد خلق ذلك له وعطله فهو الناقص حقا المدبر يقينا ، ولذلك قيل :

ولم أر في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام

وينقسم الصبر أيضا باعتبار اليسر والعسر إلى مايشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه إلا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبرا ، وإلى مايكون من غير شدة تعب بل يحصل بأدنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر . وإذا دامت التقوى وقوى التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر ولذلك قال تعالى ﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ﴾ ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره ، فإنّ الرجل القوي يقدر على أن يصرع الضعيف بأدنى حيلة وأيسر قوة بحيث لايلقاه في مصارعته إعياء ولا لغوب ولا تضطرب فيه نفسه ولا يتبهر . ولا يقوى على أن يصرع الشديد إلا بتعب ومزيد جهد وعرق جبين . فهكذا تكون المصارعة بين باعث الدين وباعث الهوى فإنه على التحقيق صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين . ومهما أذعنت الشهوات وانقمعت وتسلط باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول المواظبة أورث ذلك مقام الرضا ـ كما سيأتي في كتاب الرضا ـ فالرضا

(١) حديث « الكيس من دان نفسه ... الحديث » تقدم في ذم الغرور .

أعلى من الصبر ، ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم « اعبد الله على الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ماتكره خير كثير [1] » .

وقال بعض العارفين : أهل الصبر على ثلاثة مقامات (أولها) ترك الشهوة وهذه درجة التائبين . (وثانيها) الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين . (وثالثها) المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين .

وسنبين فى كتاب المحبة أن مقام المحبة أعلى من الرضا ، كما أن مقام الرضا أعلى من مقام الصبر . وكأن هذا الانقسام يجرى فى صبر خاص وهو الصبر على المصائب والبلايا .

واعلم أن الصبر أيضا ينقسم باعتبار حكمه إلى فرض ونفل ومكروه ومحرم . فالصبر عن المحظورات فرض . وعلى المكاره نفل . والصبر على الأذى المحظور محظور كمن تقطع يده أو يد ولده وهو يصبر عليه ساكتا . وكمن يقصد حريمه بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيصبر عن إظهار الغيرة ويسكت على مايجرى على أهله فهذا الصبر محرم . والصبر المكروه هو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة فى الشرع فليكن الشرع محك الصبر . فكون الصبر نصف الإيمان لاينبغى أن يخيل إليك أن جميعه محمود بل المراد به أنواع من الصبر مخصوصة .

بيان مظان الحاجة إلى الصبر وأن العبد لايستغنى عنه فى حال من الأحوال

اعلم أن جميع مايلقى العبد فى هذه الحياة لايخلو من نوعين (أحدهما) هو الذى يوافق هواه . (والآخر) هو الذى لايوافقه بل يكرهه . وهو محتاج إلى الصبر فى كل واحد منهما وهو فى جميع الأحوال لايخلو عن أحد هذين النوعين أو عن كليهما . فهو إذن لايستغنى قط عن الصبر .

(النوع الأول) مايوافق الهوى : وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الأسباب وكثرة الأتباع والأنصار وجميع ملاذ الدنيا . وما أحوج العبد إلى الصبر على هذه الأمور فإنه إن لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون إليها والانهماك فى ملاذها المباحة منها أخرجه ذلك إلى البطر والطغيان ، فإن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى حتى قال بعض العارفين : البلاء يصبر عليه المؤمن ، والعوافى لايصبر عليها إلا صديق . وقال سهل : الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء ولما فتحت أبواب الدنيا على الصحابة رضى الله عنهم قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ، ولذلك حذر الله عباده من فتنة المال . والزوج والولد فقال تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ﴾ وقال عز وجل ﴿ إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « الولد مبخلة مجبنة محزنة [2] » . ولما نظر عليه السلام إلى ولده الحسن رضى الله عنه يتعثر فى قميصه نزل عن المنبر واحتضنه ثم قال « صدق الله ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ إنى لما رأيت ابنى يتعثر لم أملك نفسى أن أخذته [3] » ففى ذلك عبرة لأولى الأبصار .

فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ، ومعنى الصبر عليها أن لايركن إليها ويعلم أن كل ذلك مستودع عنده وعسى أن يسترجع على القرب وأن لايرسل نفسه فى الفرح بها ولاينهمك فى التنعم واللذة واللهو واللعب ، وأن يرعى حقوق الله فى ماله بالإنفاق وفى بدنه ببذل المعونة للخلق وفى لسانه ببذل الصدق ، وكذلك فى سائر ماأنعم الله به عليه

---

(١) حديث « اعبد الله على الرضا فإن لم تستطع ففى الصبر على ماتكره خير كثير » أخرجه الترمذى من حديث ابن عباس وقد تقدم . (٣) حديث « الولد مجبنة مبخلة محزنة » أخرجه أبو يعلى الموصلى من حديث أبي سعيد وتقدم (٣) حديث « لما نظر إلى ابنه الحسن يتعثر فى قميصه نزل عن المنبر .. الحديث » أخرجه أصحاب السنن من حديث بريدة وقالوا الحسن والحسين وقال الترمذى حسن غريب .

وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم إلا بالقيام بحق الشكر — كما سيأتى — وإنما كان الصبر على السراء أشد لأنه مقرون بالقدرة ومن العصمة أن لا تقدر ، والصبر على الحجامة والفصد إذا تولاه غيرك أيسر من الصبر على فصدك نفسك وحجامتك نفسك ؛ والجائع عند غيبة الطعام أقدر على الصبر منه إذا حضرته الأطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها ، فلهذا عظمت فتنة السراء .

(النوع الثانى) مالا يوافق الهوى والطبع ، وذلك لا يخلو إما أن يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصى ، أو لا يرتبط باختياره كالمصائب والنوائب . أولا يرتبط باختياره ولكن له اختيار فى إزالته كالتشفى من المؤذى بالانتقام منه فهذه ثلاثة أقسام :

(القسم الأول) ما يرتبط باختياره وهو سائر أفعاله التى توصف بكونها طاعة أو معصيه وهما ضربان:

(الضرب الأول) الطاعة ، والعبد يحتاج إلى الصبر عليها ، فالصبر على الطاعة شديد لأن النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهى الربوبية ، ولذلك قال بعض العارفين : ما من نفس إلا وهى مضمرة ما أظهر فرعون من قوله ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ ولكن فرعون وجد له مجالا وقبولا فأظهره إذ استخف قومه فأطاعوه ، وما من أحد إلا وهو يدعى ذلك مع عبده وخادمه وأتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته ، وإن كان ممتنعا من إظهاره فإن استشاطته وغيظه عند تقصيرهم فى خدمته واستبعاده ذلك ليس يصدر إلا عن إضمار الكبر ومنازعة الربوبية فى رداء الكبرياء.

فإذن العبودية شاقة على النفس مطلقا . ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة. ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة . ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد . فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد .

ويحتاج المطيع إلى الصبر على طاعته فى ثلاث أحوال : الأولى قبل الطاعة ، وذلك فى تصحيح النية والإخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعى الآفات وعقد العزم على الإخلاص والوفاء . وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والإخلاص وآفات الرياء ومكايد النفس . وقد نبه عليه صلوات الله عليه إذ قال « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى[1] » ، وقال تعالى ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ ولهذا قدم الله تعالى الصبر على العمل فقال تعالى ﴿ إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات ﴾.

الحالة الثانية : حالة العمل ، كى لا يغفل عن الله فى أثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ويدوم على شرط الأدب إلى آخر العمل الأخير فيلازم الصبر عن دواعى الفتور إلى الفراغ ، وهذا أيضا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى ﴿ نعم أجر العاملين الذين صبروا ﴾ أى صبروا إلى تمام العمل .

الحالة الثالثة : بعد الفراغ من العمل ، إذ يحتاج إلى الصبر عن إفشائه والتظاهر به للسمعة والرياء والصبر عن النظر إليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط أثره كما قال تعالى ﴿ ولا تبطلوا أعمالكم ﴾ وكما قال تعالى ﴿ لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ﴾ فمن لا يصبر بعد الصدقة عن المن والأذى فقد أبطل عمله .

والطاعات تنقسم إلى فرض ونفل وهو محتاج إلى الصبر عليهما جميعا وقد جمعهما الله تعالى فى قوله ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ﴾ فالعدل هو الفرض ، والإحسان هو النفل، وإيتاء ذى القربى هو المروءة وصلة الرحم . وكل ذلك يحتاج إلى صبر .

(الضرب الثانى) المعاصى : فما أحوج العبد إلى الصبر عنها ، وقد جمع الله تعالى أنواع المعاصى فى قوله تعالى ﴿ وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « المهاجر من هجر السوء ، والمجاهد من جاهد هواه[2] » ،

---

(١) حديث « إنما الأعمال بالنيات » متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم (٢) حديث « المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه » أخرجه ابن ماجه بالشطر الأول والنسائى فى الكبرى بالشطر الثانى كلاهما من حديث فضالة بن عبيد الله بإسنادين جيدين وقد تقدما

والمعاصى مقتضى باعث الهوى.

وأشد أنواع الصبر : الصبر عن المعاصى التى صارت مألوفة بالعادة فإن العادة طبيعة خامسة ، فإذا انضافت العادة إلى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعها ، ثم إن كان ذلك الفعل مما تيسر فعله كان الصبر عنه أثقل على النفس ، كالصبر عن معاصى اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعريضا وتصريحا . وأنواع المزح المؤذى للقلوب وضروب الكلمات التى يقصد بها الإزراء والاستحقار وذكر الموتى والقدح فيهم وفى علومهم وسيرهم ومناصبهم ، فإن ذلك فى ظاهره غيبة وفى باطنه ثناء على النفس . فللنفس فيه شهوتان : إحداهما نفى الغير والأخرى إثبات نفسه . وبها تتم له الربوبية التى هى فى طبعه، وهى ضد ما أمر به من العبودية . ولاجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتادا فى المحاورات يعسر الصبر عنها ، وهى أكبر الموبقات حتى بطل استنكارها واستقباحها من القلوب لكثرة تكريرها وعموم الأنس بها، فترى الإنسان يلبس حريرا مثلا فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار فى أعراض الناس ولا يستنكر ذلك مع ماورد فى الخبر من أن الغيبة أشد من الزنا [1] ومن لم يملك لسانه فى المحاورات ولم يقدر على الصبر عن ذلك فيجب عليه العزلة والانفراد فلا ينجيه غيره ، فالصبر على الانفراد أهون من الصبر على السكوت مع المخالطة .

وتختلف شدة الصبر فى آحاد المعاصى باختلاف داعية تلك المعصية فى قوتها وضعفها . وأيسر من حركة اللسان حركة الخواطر باختلاف الوساوس ، فلا حرج فى حديث النفس فى العزلة ولا يمكن الصبر عنه أصلا إلا بأن يغلب على القلب هم آخر فى الدين يستغرقه ، كمن أصبح وهمومه هم واحد ، وإلا فإن لم يستعمل الفكر فى شىء معين لم يتصور فتور الوسواس عنه .

(القسم الثانى) مالا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار فى دفعه ، كما لو أوذى بفعل أو قول وجنى عليه فى نفسه أو ماله فالصبر على ذلك بترك المكافأة تارة يكون واجبا وتارة يكون فضيلة . قال بعض الصحابة رضوان الله عليهم : ما كنا نعد إيمان الرجل إيمانا إذا لم يصبر على الأذى . وقال تعالى ﴿ ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾ وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة مالا ، فقال بعض الأعراب من المسلمين؟ هذه قسمة ما أريد بها وجه الله ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحمرت وجنتاه ثم قال « يرحم الله أخى موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر [2] » وقال تعالى ﴿ ودع أذاهم وتوكل على الله ﴾ وقال تعالى ﴿ واصبر على مايقولون واهجرهم هجرا جميلا ﴾ وقال تعالى ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك ﴾ الآية وقال تعالى ﴿ ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ أى تصبروا عن المكافأة . ولذلك مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم فى القصاص وغيره فقال تعالى ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير الصابرين ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك [3] » ورأيت فى الإنجيل : قال عيسى بن مريم عليه السلام ، لقد قيل لكم من قبل إن السن بالسن والأنف بالأنف ، وأنا أقول لكم لاتقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الأيمن فحول إليه

(١) حديث « إن الغيبة أشد من الزنا » تقدم فى آفات اللسان (٢) حديث : قسمه من مالا وقول بعض الأعراب : هذه قسمة ما أريد بها وجه الله ... الحديث » متفق عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم

(٣) حديث « صل من قطعك ... الحديث » تقدم

الخدّ الأيسر ومن أخذ رداءك فأعطه إزارك ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين . وكل ذلك أمر بالصبر على الأذى . فالصبر على أذى الناس من أعلى مراتب الصبر لأنه يتعاون فيه باعث الدين وباعث الشهوة والغضب جميعا .

(القسم الثالث) مالا يدخل تحت حصر الاختيار أوله وآخره ؛ كالمصائب : مثل موت الأعزة وهلاك الأموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين وفساد الأعضاء . وبالجملة سائر أنواع البلاء ، فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر . قال ابن عباس رضى الله عنهما . الصبر فى القرآن على ثلاثة أوجه ؛ صبر على أداء فرائض الله تعالى فله ثلثمائة درجة ، وصبر عن محارم الله تعالى فله ستمائة درجة ، وصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعمائة درجة . وإنما فضلت هذه الرتبة مع أنها من الفضائل على ما قبلها وهى من الفرائض لأن كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم.

فأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه إلا الأنبياء لأنه بضاعة الصدّيقين فإنّ ذلك شديد على النفس . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «أسألك من اليقين ماتهوّن على به مصائب الدنيا[1]» فهذا صبر مستنده حسن اليقين .

وقال أبو سليمان : والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره؟ وقال النبى صلى الله عليه وسلم «قال الله عز وجل إذا وجهت إلى عبد من عبيدى مصيبة فى بدنه أو ماله وولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا [2] » ، وقال صلى الله عليه وسلم «انتظار الفرج بالصبر عبادة [3] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد مؤمن أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله تعالى ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ اللهم اؤجرنى بمصيبتى وأعقبنى خيرا منها إلا فعل الله به ذلك [4] » ، وقال أنس : حدّثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنّ الله عز وجل قال ياجبريل ماجزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا قال الله تعالى جزاؤه الخلود فى دارى والنظر إلى وجهى [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل إذا ابتليت عبدى ببلاء فصبر ولم يشكنى إلى عواده أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه فإذا أبرأته أبرأته ولا ذنب له وإن توفيته فإلى رحمتى [6] » ، وقال داود عليه السلام : يارب ماجزاء الحزين الذى يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه أن ألبسه لباس الإيمان فلا أنزعه عنه أبدا . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله فى خطبته : ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوّضه منها الصبر إلا كان ما عوّضه منها أفضل مما انتزع منه وقرأ ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ وسئل فضيل عن الصبر فقال : هو

---

(١) حديث « أسألك من اليقين ماتهون به على مصائب الدنيا » أخرجه الترمذى والنسائى والحاكم وصححه من حديث ابن عمر وحسنه الترمذى وقد تقدم فى الدعوات (٢) حديث « قال الله إذا وجهت الى عبد من عبيدى مصيبة فى بدنه أو ولده أو ماله ثم استقبل ذلك بصبر جميل ... الحديث » أخرجه ابن عدى من حديث أنس بسند ضعيف .

(٣) حديث « انتظار الفرج بالصبر عبادة » أخرجه القضاعى فى مسند الشهاب من حديث ابن عمر وابن عباس وابن أبى الدنيا فى الفرج بعد الشدة من حديث على دون قوله « بالصبر » وكذلك رواه أبو سعيد الماليني فى مسند الصوفية من حديث ابن عمر وكلها ضعيفة وللترمذى من حديث ابن مسعود « أفضل العبادة انتظار الفرج » وتقدم فى الدعوات (٤) حديث « مامن عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله (إنا لله وإنا إليه راجعون) ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أم سلمة

(٥) حديث أنس « إن الله قال ياجبريل ماجزاء من سلبت كريمتيه ... الحديث » أخرجه الطبراني فى الأوسط من رواية أبى ظلال القسملى واسمه هلال أحد الضعفاء عن أنس ورواه البخارى بلفظ « إن الله عزوجل قال إذا ابتليت عبدى بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة » رواه ابن عدى وأبو يعلى بلفظ « إذا أخذت كريمتى عبدى لم أرض له ثوابا دون الجنة » قلت يارسول الله وإن كانت واحدة قال « وإن كانت واحدة » وفيه سعيد بن سليم قال ابن عدى ضعيف (٦) حديث « يقول الله إذا ابتليت عبدى ببلاء فصبر ولم يشكنى الى عواده أبدلته لحما خيرا من لحمه ... الحديث » أخرجه مالك فى الموطأ من حديث عطاء بن يسار عن أبى سعيد انتهى وعباد بن كثير ضعيف ورواه البيهقى موقوفا على أبى هريرة .

الرضا بقضاء الله ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : الراضى لايتمنى فوق منزلته . وقيل حبس الشبلى رحمه الله فى المارستان فدخل عليه جماعة فقال : من أنتم ؟ قالوا : أحباؤك جاءوك زائرين ، فأخذ يرميهم بالحجارة فأخذوا يهربون فقال : لوكنتم أحبائى لصبرتم على بلائى . وكان بعض العارفين فى جيبه رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها وكان فيها ﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ﴾ ويقال إنّ امرأة فتح الموصلى عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها : أما تجدين الوجع ؟ فقالت : إنّ لذة ثوابه أزالت عن قلبى مرارة وجعه . وقال داود لسليمان عليهما السلام : يستدل على تقوى المؤمن بثلاث : حسن التوكل فيما لم ينل ، وحسن الرضا فيما قد نال ، وحسن الصبر فيما قد فات . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك[1] » ويروى عن بعض الصالحين أنه خرج يوما وفى كمه صرة فافتقدها فإذا هى قد أخذت من كمه فقال : بارك الله له فيها لعله أحوج إليها منى . وروى عن بعضهم أنه قال : مررت على سالم مولى أبى حذيفة فى القتلى وبه رمق فقلت له : أسقيك ماء ؟ فقال : جرّنى قليلا إلى العدو واجعل الماء فى الترس فإنى صائم فإن عشت إلى الليل شربته . فهكذا كان صبر سالكى طريق الآخرة على بلاء الله تعالى .

فإن قلت : فبماذا تنال درجة الصبر فى المصائب وليس الأمر إلى اختياره ، فهو مضطر شاء أم أبى ، فإن كان المراد به أن لا تكون فى نفسه كراهية المصيبة فذلك غير داخل فى اختيار ؟ فاعلم أنه إنما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة فى الشكوى وإظهار الكآبة وتغيير العادة فى الملبس والمفرش والمطعم ، وهذه الأمور داخلة تحت اختياره فينبغى أن يجتنب جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمرّا على عادته ، ويعتقد أنّ ذلك كان وديعة فاسترجعت . كما روى عن الرميصاء أم سليم رحمها الله ، أنها قالت : توفى ابن لى وزوجى أبو طلحة غائب فقمت فسجيته فى ناحية البيت فقدم أبو طلحة فقمت فهيأت له إفطاره فجعل يأكل ، فقال : كيف الصبى ؟ قلت : بأحسن حال بحمد الله ومنه فإنه لم يكن منذ اشتكى بأسكن منه الليلة ، ثم تصنعت له أحسن ما كنت أتصنع له قبل ذلك حتى أصاب منى حاجته ، ثم قلت : ألا تعجب من جيراننا ! قال : مالهم ؟ قلت : أعيروا عارية فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا ، فقال : بئس ما صنعوا ! فقلت : هذا ابنك كان عارية من الله تعالى وإن الله قد قبضه إليه ، فحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال « اللهم بارك لهما فى ليلتهما[2] » قال الراوى : فلقد رأيت لهم بعد ذلك فى المسجد سبعة كلهم قد قرءوا القرآن وروى جابر أنه عليه السلام قال « رأيتنى دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبى طلحة » وقد قيل : الصبر الجميل هو أن لايعرف صاحب المصيبة من غيره ، ولا يخرجه عن حدّ الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع ، إذ يكون من جميع الحاضرين لأجل الموت سواء ، ولأنّ البكاء توجع القلب على الميت فإن ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الإنسان إلى الموت ولذلك لما مات إبراهيم ولد النبى صلى الله عليه وسلم فاضت عيناه فقيل له : أمانهيتنا عن هذا ؟ فقال « إنّ هذه رحمة وإنما يرحم الله من عباده الرحما » بل ذلك أيضا لايخرج عن مقام الرضا ، فالمقدم على الحجامة والفصد راض به وهو متألم بسببه لا محالة وقد تفيض عيناه إذا عظم ألمه ـ وسيأتى

(١) حديث « من إجلال الله ومعرفة حقه أن لاتشكو وجعك ولاتذكر مصيبتك » لم أجده مرفوعا وإنما رواه ابن أبى الدنيا فى المرض والكفارات من رواية سفيان عن بعض الفقهاء قال « من الصبر أن لاتتحدث بمصيبتك ولا بوجعك ولاتزكى نفسك »

(٢) حديث الرميصاء أم سليم : توفى ابن لى وزوجى أبوطلحة غائب فقمت فسجيته فى ناحية البيت . الحديث » أخرجه الطبرانى ومن طريقه أبو نعيم فى الحلية والقصة فى الصحيحين من حديث أنس مع اختلاف .

ذلك فى كتاب الرضا إن شاء الله تعالى ـ وكتب ابن أبى نجيح يعزى بعض الخلفاء : إنّ أحق من عرف حق الله تعالى فيما أخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما أبقاه له : واعلم أنّ الماضى قبلك هو الباقى لك والباقى بعدك هو المأجور فيك . واعلم أنّ أجر الصابرين به فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه .

فإذن مهما دفع الكراهة بالتفكر فى نعمة الله تعالى عليه بالثواب نال درجة الصابرين . نعم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر وسائر المصائب . وقد قيل : من كنوز البر كتمان المصائب والأوجاع والصدقة . فقد ظهر لك بهذه التقسيمات أنّ وجوب الصبر عام فى جميع الأحوال والأفعال ، فإنّ الذى كفى الشهوات كلها واعتزل وحده لايستغنى عن الصبر على العزلة والانفراد ظاهرا ، وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا . فإن اختلاج الخواطر لايسكن . وأكثر جولان الخواطر إنما يكون فى فائت لا تدارك له أو فى مستقبل لابدّ وأن يحصل منه ماهو مقدّر ، فهو كيفما كان تضييع زمان . وآلة العبد قلبه وبضاعته عمره فإذا غفل القلب فى نفس واحد عن ذكر يستفيد به أنسا بالله تعالى أو عن فكر يستفيد به معرفة بالله تعالى ليستفيد بالمعرفة محبة الله تعالى فهو مغبون ، هذا إن كان فكره ووسواسه فى المباحات مقصورا عليه ، ولا يكون ذلك غالبا ، بل يتفكر فى وجوه الحيل لقضاء الشهوات ، إذ لايزال ينازع كل من تحرّك على خلاف غرضه فى جميع عمره ، أو من يتوهم أنه ينازعه ويخالف أمره أو غرضه بظهور أماره له منه ، بل يقدر المخالفة من أخلص الناس فى حبه حتى فى أهله وولده ، ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر فى كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم عما يتعللون به فى مخالفته ، ولا يزال فى شغل دائم ، فللشيطان جندان : جند يطير وجند يسير ، والوسواس عبارة عن حركة جنده الطيار ، والشهوة عبارة عن حركة جنده السيار . وهذا لأن الشيطان خلق من النار وخلق الإنسان من صلصال كالفخار ، والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين ، والطين طبيعته السكون والنار طبيعتها الحركة ، فلا يتصوّر نار مشتعلة لا تتحرّك بل لا تزال تتحرّك بطبعها . وقد كلف الملعون المخلوق من النار أن يطمئن عن حركته ساجدا لما خلق الله من الطين فأبى واستكبر واستعصى وعبر عن سبب استعصائه بأن قال ﴿ خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾ .

فإذن حيث لم يسجد الملعون لأبينا آدم صلوات الله عليه وسلامه فلا ينبغى أن يطمع فى سجوده لأولاده . ومهما كف عن القلب وسواسه وعدوانه وطيرانه وجولانه فقد أظهر انقياده وإذعانه . وانقياده بالإذعان سجود منه ـ فهو روح السجود ـ وإنما وضع الجبهة على الأرض قالبه وعلامته الدالة عليه بالاصطلاح . ولو جعل وضع الجبهة على الأرض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصوّر ذلك ، كما أنّ الانبطاح بين يدى المعظم المحترم يرى استخفافا بالعادة ، فلا ينبغى أن يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب ! فتكون ممن قيده عالم الشهادة بالكلية عن عالم الغيب وتحقق أن الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس إلى يوم الدين إلا أن تصبح وهمومك هم واحد ، فتشغل قلبك بالله وحده فلا يجد الملعون مجالا فيك ، فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين الداخلين فى الاستثناء عن سلطنة هذا اللعين .

ولا تظن أنه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، وسيلانه مثل الهواء فى القدح فإنك إن أردت أن يخلو القدح عن الهواء من غير أن تشغله بالماء أو بغيره فقد طمعت فى غير مطمع ، بل بقدر ما يخلو من الماء يدخل فيه الهواء لامحالة ، فكذلك القلب المشغول بفكر مهم فى الدين لايخلو عن جولان الشيطان ، وإلا فمن غفل عن الله تعالى ولو فى لحظة فليس له فى تلك اللحظة قرين إلا الشيطان . ولذلك قال تعالى

﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾ وقال صلى الله تعالى عليه وسلم « إن الله تعالى يبغض الشاب الفارغ [1] » وهذا لأن الشاب إذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به على دينه كان ظاهره فارغا ولم يبق قلبه فارغا ، بل يعشش فيه الشيطان ويبيض ويفرخ ، ثم تزدوج أفراخه أيضا وتبيض مرة أخرى وتفرخ ، وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا أسرع من توالد سائر الحيوانات لأن طبعه من النار ، وإذا وجد الحلفاء اليابسة كثر توالده ، فلا يزال تتوالد النار من النار ولا تنقطع ألبتة بل تسرى شيئا فشيئا على الاتصال . فالشهوة فى نفس الشاب للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار ، وكما لاتبقى النار إذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبقى للشيطان مجال إذا لم تكن شهوة ، فإذن إذا تأملت علمت أن أعدى عدوك شهوتك وهى صفة . نفسك ، ولذلك قال الحسين بن منصور الحلاج - حين كان يصلب وقد سئل عن التصوف ماهو ؟ فقال : هى نفسك إن لم تشغلها شغلتك .

فإذن حقيقة الصبر وكماله : الصبر عن كل حركة مذمومة ، وحركة الباطن أولى بالصبر عن ذلك ، وهذا صبر دائم لايقطعه إلا الموت . نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه .

بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه

اعلم أن الذى أنزل الداء أنزل الدواء ووعد الشفاء ، فالصبر وإن كان شاقا أو ممتنعا فتحصيله ممكن بمعجون العلم والعمل . فالعلم والعمل هما الأخلاط التى منها تركب الأدوية لأمراض القلوب كلها ، ولكن يحتاج كل مرض إلى علم آخر وعمل آخر ، وكما أن أقسام الصبر مختلفة فأقسام العلل المانعة منه مختلفة ، وإذا اختلفت العلل اختلف العلاج إذ معنى العلاج مضادة العلة وقمعها . واستيفاء ذلك مما يطول ولكنا نعرف الطريق فى بعض الأمثلة .

فنقول : إذا افتقر إلى الصبر عن شهوة الوقاع مثلا وقد غلبت عليه الشهوة بحيث ليس يملك معها فرجه ، أو يملك فرجه ولكن ليس يملك عينه ، أو يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه إذ لاتزال تحدثه بمقتضيات الشهوات ويصرفه ذلك عن المواظبة على الذكر والفكر والأعمال الصالحة ، فنقول ، قد قدمنا أن الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى ، وكل متصارعين أردنا أن يغلب أحدهما الآخر فلا طريق لنا فيه إلا تقوية من أردنا أن تكون له اليد العليا وتضعيف الآخر ؛ فلزمنا ههنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة .

فأما باعث الشهوة فسبيل تضعيفه ثلاثة أمور .

(أحدها) أن تنظر إلى مادة قوتها وهى الأغذية الطيبة المحركة للشهوة - من حيث نوعها ومن حيث كثرتها - فلا بد من قطعها بالصوم الدائم مع الاقتصاد عند الافطار على طعام قليل فى نفسه ضعيف فى جنسه ، فيحترز عن اللحم والأطعمة المهيجة للشهوة .

(الثانى) قطع أسبابه المهيجة فى الحال فإنه إنما يهيج بالنظر إلى مظان الشهوة ، إذ النظر يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة ، وهذا يحصل بالعزلة والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور المشتهاة والفرار منها بالكلية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النظرة سهم من سهام إبليس [2] » وهو سهم يسدده الملعون ولا ترس يمنع منه إلا تغميض الأجفان أو الهرب من صوب رميه . فإنه إنما يرمى هذا السهم عن قوس الصور فإذا انقلبت عن صوب الصور لم يصبك سهمه .

(الثالث) : تسلية النفس بالمباح من الجنس الذى تشتهيه وذلك بالنكاح ، فإن كل مايشتهيه الطبع فى المباحات

---

(١) حديث « إن الله يبغض الشاب الفارغ » لم أجده . (٢) حديث النظرة سهم مسموم من سهام إبليس » تقدم تخريجه

من جنسه مايغنى عن المحظورات منه : وهذا هو العلاج الأنفع فى حق الأكثر ، فإنّ قطع الغذاء يضعف عن سائر الأعمال ، ثم قد لايقمع الشهوة فى حق أكثر الرجال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء » .[1]

فهذه ثلاثة أسباب ، فالعلاج الأول وهو قطع الطعام : يضاهى قطع العلف عن البهيمة الجموح وعن الكلب الضارى ليضعف فتسقط قوته . الثانى : يضاهى تغيب اللحم عن الكلب وتغييب الشعير عن البهيمة حتى لاتتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها . والثالث : يضاهى تسليتها بشىء قليل مما يميل إليه طبعها حتى يبقى معها من القوة ماتصبر به على التأديب .

وأما تقوية باعث الدين فإنما تكون بطريقين ، أحدهما : إطلاعه فى فوائد المجاهدة وثمراتها فى الدين والدنيا ، وذلك بأن يكثر فكره فى الأخبار التى أوردناها فى فضل الصبر وفى حسن عواقبه فى الدنيا والآخرة (وفى الأثر) إن ثواب الصبر على المصيبة أكثر مما فات وإنه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة ، إذ فاته مالايبقى معه إلا مدة الحياة وحصل له مايبقى بعد موته أبد الدهر . ومن أسلم خسيسا فى نفيس فلا ينبغى أن يحزن لفوات الخسيس فى الحال . وهذا من باب المعارف وهو من الإيمان فتارة يضعف وتارة يقوى ، فإن قوى قوى باعث الدين وهيجه تهييجا شديدا وإن ضعف ضعفه . وإنما قوة الإيمان يعبر عنها باليقين وهو المحرك لعزيمة الصبر ، وأقل ماأوتى الناس اليقين وعزيمة الصبر .

والثانى : أن يعود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجا قليلا قليلا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجرئ عليها وتقوى منته فى مصارعتها ، فإن الاعتياد والممارسة للأعمال الشاقة تؤكد القوى التى تصدر منها تلك الأعمال ، ولذلك تزيد قوة الحالين والفلاحين والمقاتلين . وبالجملة فقوة الممارسين للأعمال الشاقة تزيد على قوة الخياطين والعطارين والفقهاء والصالحين ، وذلك لأن قواهم لم تتأكد بالممارسة .

فالعلاج الأول : يضاهى إطماع المصارع بالخلعة عند الغلبة ووعده بأنواع الكرامة كما وعد فرعون سحرته عند إغرائه إياهم بموسى حيث قال ﴿ وإنكم إذاً لمن المقربين ﴾ .

والثانى : يضاهى تعويد الصبى الذى يراد منه المصارعة والمقاتلة بمباشرة أسباب ذلك منذ الصبا حتى يأنس به ويستجرئ عليه وتقوى فيه منته . فمن ترك بالكلية المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وإن ضعفت ، ومن عوّد نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما أراد .

فهذا منهاج العلاج فى جميع أنواع الصبر ولا يمكن استيفاؤه ، وإنما أشدها كف الباطن عن حديث النفس ، وإنما يشتد ذلك على من تفرّغ له بأن قمع الشهوات الظاهرة وآثر العزلة وجلس المراقبة والذكر والفكر ، فإنّ الوسواس لايزال يجاذبه من جانب إلى جانب . وهذا لاعلاج له ألبتة إلا قطع العلائق كلها ظاهراً وباطنا بالفرار عن الأهل والولد والمال والجاه والرفقاء والأصدقاء ، ثم الاعتزال إلى زاوية بعد إحراز قدر يسير من القوت وبعد القناعة به ، ثم كل ذلك لايكفى مالم تصر الهموم هما واحدا وهو الله تعالى . ثم إذا غلب ذلك على القلب فلا يكفى ذلك مالم يكن له مجال فى الفكر وسير بالباطن فى ملكوت السموات والأرض وعجائب صنع الله تعالى وسائر أبواب معرفة الله تعالى ، حتى إذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان ووسواسه وإن

(١) حديث « عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم ... الحديث » تقدم فى النكاح .

لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه إلا الأوراد المتواصلة المترتبة فى كل لحظة : من القراءة والأذكار والصلوات ، ويحتاج مع ذلك إلى تكليف القلب الحضور فإنّ الفكر بالباطن هو الذى يستغرق القلب دون الأوراد الظاهرة ، ثم إذا فعل ذلك كله لم يسلم له من الأوقات إلا بعضها ؛ إذ لايخلو فى جميع أوقاته عن حوادث تتجدّد فتشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وإيذاء من إنسان وطغيان من مخالط ، إذ لايستغنى عن مخالطة من يعينه فى بعض أسباب المعيشة . فهذا أحد الأنواع الشاغلة .

وأما النوع الثانى : فهو ضرورى أشدّ ضرورة من الأوّل وهو اشتغاله بالمطعم والملبس وأسباب المعاش ، فإن تهيئة ذلك أيضا تحوج إلى شغل إن تولاه بنفسه ، وإن تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلب بمن يتولاه . ولكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له أكثر الأوقات إن لم تهجم به ملمة أو واقعة ، وفى تلك الأوقات يصفو القلب ويتيسر له الفكر ، وينكشف فيه من أسرار الله تعالى فى ملكوت السموات والأرض مالايقدر على عشر عشيره فى زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق ، والانتهاء إلى هذا هو أقصى المقامات التى يمكن أن تنال بالاكتساب والجهد فأما مقادير ما ينكشف مبالغ مايرد من لطف الله تعالى فى الأحوال والأعمال فذلك يجرى مجرى الصيد وهو بحسب الرزق . فقد يقل الجهد ويجل الصيد وقد يطول الجهد ويقل الحظ ، والمعوّل وراء هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فإنها توازى أعمال الثقلين وليس ذلك باختيار العبد . نعم اختيار العبد فى أن يتعرّض لتلك الجذبة بأن يقطع عن قلبه جواذب الدنيا ، فإنّ المجذوب إلى أسفل سافلين لا ينجذب إلى أعلى عليين . وكل مهموم بالدنيا فهو منجذب إليها ، فقطع العلائق الجاذبة هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم « إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرّضوا لها » وذلك لأن تلك النفحات والجذبات لها أسباب سماوية إذ قال الله تعالى ﴿ وفى السماء رزقكم وما توعدون ﴾ وهذا من أعلى أنواع الرزق . والأمور السماوية غائبة عنا فلا ندرى متى ييسر الله تعالى أسباب الرزق . فما علينا إلا تفريغ المحل والانتظار لنزول الرحمة وبلوغ الكتاب أجله كالذى يصلح الأرض وينقيها من الحشيش ويبث البذر فيها ، وكل ذلك لا ينفعه إلا بمطر ولا يدرى متى يقدّر الله أسباب المطر ، إلا أنه يثق بفضل الله تعالى ورحمته أنه لا يخلى سنة عن مطر ، فكذلك فلما تجلو سنة وشهر ويوم عن جذبة من الجذبات ونفحة من النفحات : فينبغى أن يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيه بذر الإرادة والإخلاص وعرّضه لمهاب رياح الرحمة ، وكما يقوى انتظار الأمطار فى أوقات الربيع وعند ظهور الغيم فيقوى انتظار تلك النفحات فى الأوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم و تساعد القلوب كما فى يوم عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان ، فإن الهمم والأنفاس أسباب . بحكم تقدير الله تعالى لاستدرار رحمته حتى تستدرّ بها الأمطار فى أوقات الاستسقاء ، وهى لاستدرار أمطار المكاشفات ولطائف المعارف من خزائن الملكوت أشد مناسبة منها لاستدرار قطرات الماء واستجرار الغيوم من أقطار الجبال والبحار ، بل الأحوال والمكاشفات حاضرة معك فى قلبك ، وإنما أنت مشغول عنها بعلائقك وشهواتك فصار ذلك حجابا بينك وبينها ، فلا تحتاج إلا إلى أن تنكسر الشهوة ويرفع الحجاب فتشرق أنوار المعارف من باطن القلب . وإظهار ماء الأرض بحفر القنى أسهل وأقرب من الاسترسال إليها من مكان بعيد منخفض عنها . ولكونه حاضرا فى القلب ومنسيا بالشغل عنه سمى الله تعالى جميع معارف الإيمان تذكرا ، فقال تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ وقال تعالى ﴿ وليتذكر أولو الألباب ﴾ وقال تعالى ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر ﴾

فهذا هو علاج الصبر عن الوساوس والشواغل وهو آخر درجات الصبر وإنما الصبر عن العلائق كلها مقدم على الصبر عن الخواطر .

قال الجنيد رحمه الله : السير من الدنيا إلى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق فى حب الحق شديد ، والسير من النفس إلى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله أشد فذكر شدة الصبر عن شواغل القلب ثم شدة هجران الخلق .

وأشد العلائق على النفس علاقة الخلق وحب الجاه . فإنّ لذة الرياسة والغلبة والاستعلاء والاستتباع أغلب اللذات فى الدنيا على نفوس العقلاء ، وكيف لا تكون أغلب اللذات ومطلوبها صفة من صفات الله تعالى وهى الربوبية ؟ والربوبية محبوبة ومطلوبة بالطبع للقلب لما فيه من المناسبة لأمور الربوبية ، وعنه العبارة بقوله تعالى ﴿ قل الروح من أمر ربى ﴾ وليس القلب مذموما على حبه ذلك وإنما هو مذموم على غلط وقع له بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الأمر إذ حسده على كونه من عالم الأمر . فأضله وأغواه ، وكيف يكون مذموما عليه وهو يطلب سعادة الآخرة ؟ فليس يطلب إلا بقاء لا فناء فيه . وعزا لاذل فيه وأمنا لاخوف فيه وغنى لا فقر فيه وكمالا لا نقصان فيه ؟ وهذه كلها من أوصاف الربوبية . وليس مذموما على طلب ذلك ، بل حق كل عبد أن يطلب ملكا عظيما لا آخر له . وطالب الملك طالب للعلو والعز والكمال لا محالة . ولكن الملك ملكان : ملك مشوب بأنواع الآلام وملحوق بسرعة الانصرام ولكنه عاجل وهو فى الدنيا وملك مخلد دائم لايشوبه كدر ولا ألم ولا يقطعه قاطع ولكنه آجل ... وقد خلق الإنسان عجولا راغباً فى العاجلة فجاء الشيطان وتوسل إليه بواسطة العجلة - التى فى طبعه - فاستغواه بالعاجلة وزين له الحاضرة ، وتوسل إليه بواسطة الحق فوعده بالغرور فى الآخرة ومناه مع ملك الدنيا ملك الآخرة كما قال صلى الله عليه وسلم « والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » فانخدع المخذول بغروره واشتغل بطلب عز الدنيا وملكها على قدر إمكانه . ولم يتدل الموفق بحبل غروره إذ علم مداخل مكره فأعرض عن العاجلة . فعبر عن المخذولين بقوله تعالى ﴿ كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة ﴾ وقال تعالى ﴿ إنّ هؤلاء يحبون العاجله ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ﴾ وقال تعالى ﴿ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ﴾ .

ولما استطار مكر الشيطان فى كافة الخلق أرسل الله الملائكة إلى الرسل وأوحوا إليهم ماتم على الخلق من إهلاك العدو وإغوائه ، فاشتغلوا بدعوة الخلق إلى الملك الحقيقى عن الملك المجازى الذى لاأصل له إن سلم ولادوام له أصلا فنادوا فيهم ﴿ يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل ﴾ .

فالتوراة والإنجيل والزبور والفرقان وصحف موسى وإبراهيم وكل كتاب منزل ما أنزل إلا لدعوة الخلق إلى الملك الدائم المخلد ، والمراد منهم أن يكونوا ملوكا فى الدنيا ملوكا فى الآخرة . أما ملك الدنيا : فالزهد فيها والقناعة باليسير منها . وأما ملك الآخرة : فبالقرب من الله تعالى يدرك بقاء لا فناء فيه وعزا لاذل فيه وقرة عين أخفيت فى هذا العالم لاتعلمها نفس من النفوس .

والشيطان يدعوهم إلى ملك الدنيا لعلمه بأن ملك الآخرة يفوت به إذ الدنيا والآخرة ضرتان ، ولعلمه بأن الدنيا لاتسلم له أيضا ولو كانت تسلم له لكان يحسده أيضا ، ولكن ملك الدنيا لايخلو عن المنازعات والمكدرات وطول

الهموم فى التدبيرات وكذا سائر أسباب الجاه . ثم مهما تسلم وتتم الأسباب ينقضى العمر ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظنّ أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس﴾ فضرب الله تعالى لها مثلا فقال تعالى ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح ﴾ والزهد فى الدنيا لما أن كان ملكا حاضرا حسده الشيطان عليه فصده عنه .

ومعنى الزهد أن يملك العبد شهوته وغضبه فينقادان لباعث الدين وإشارة الإيمان ، وهذا ملك بالاستحقاق إذ به يصير صاحبه حرا . وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبداً لفرجه وبطنه وسائر أغراضه ، فيكون مسخرا مثل البهيمة مملوكا يستجره زمام الشهوة آخذا بمختنقه إلى حيث يريد ويهوى . فما أعظم اغترار الإنسان إذ ظن أنه ينال الملك بأنه يصير مملوكا ! وينال الربوبية بأن يصير عبدا ! ومثل هذا هل يكون إلا معكوسا فى الدنيا منكوسا فى الآخرة ؟ ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد : هل من حاجة ؟ قال كيف أطلب منك حاجة وملكى أعظم من ملكك ؟ فقال كيف ؟ قال : من أنت عبده فهو عبد لى ! فقال كيف ذلك ؟ قال . أنت عبد شهوتك وغضبك وفرجك وبطنك ، وقد ملكت هؤلاء كلهم فهم عبيدلى . فهذا إذن هو الملك فى الدنيا وهو الذى يسوق إلى الملك فى الآخرة . فالمخدوعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعا ، والذين وفقوا للاشتداد على الصراط المستقيم فازوا بالدنيا والآخرة جميعا .

فإذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخير والعبودية ومدخل الغلط فى ذلك وكيفية تعمية الشيطان وتلبيسه يسهل عليك النزوع عن الملك والجاه والإعراض عنه والصبر عند فواته ؛ إذ تصير بتركه ملكا فى الحال وترجو به ملكا فى الآخرة .

ومن كوشف بهذه الأمور بعد أن ألف الجاه وأنس به ورسخت فيه بالعادة مباشرة أسبابه فلا يكفيه فى العلاج مجرد العلم والكشف ؛ بل لابدّ وأن يضيف إليه العمل . وعمله فى ثلاثة أمور (أحدها) أن يهرب عن موضع الجاه كى لايشاهد أسبابه فيعسر عليه الصبر مع الأسباب كما يهرب من غلبته الشهوة من مشاهدة الصور المحركة ومن لم يفعل هذا فقد كفر نعمة الله فى سعة الأرض إذ قال تعالى ﴿ ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ﴾ (الثانى) أن يكلف نفسه فى أعماله أفعالا تخالف مااعتاده ، فيبدل التكلف بالتبذل وزى الحشمة بزى التواضع ، وكذلك كل هيئة وحال وفعل : فى مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاء بمقتضى جاهه ، فينبغى أن يبدلها بنقائضها حتى يرسخ باعتياد ذلك ضد مارسخ فيه من قبل باعتياد ضده . فلا معنى للمعالجة إلا المضادة (الثالث) أن يراعى فى ذلك التلطف والتدريج فلا ينتقل دفعة واحدة إلى الطرف الأقصى من التبذل ، فإن الطبع نفور ولايمكن نقله عن أخلاقه إلا بالتدريج ، فيترك البعض ويسلى نفسه بالبعض ، ثم إذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتدأ بترك البعض من ذلك البعض ، إلى أن يقنع بالبقية . وهكذا يفعل شيئا فشيئا إلى أن يقمع تلك الصفات التى رسخت فيه . وإلى هذا التدريج الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولاتبغض إلى نفسك عبادة الله فإن المنبت لا أرضا قطع ولاظهرا أبقى [1] » وإليه الإشارة بقوله عليه السلام « لاتشادوا هذا الدين فإن من يشاده يغلبه [2] » .

---

(١) حديث « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق » الحديث أخرجه أحمد من حديث أنس والبيهقى من حديث جابر وتقدم فى الأوراد (٢) حديث « لاتشادوا هذا الدين فإنه من شاده يغلبه » تقدم فيه .

فإذن ماذكرناه من علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه أضفه إلى ماذكرناه من قوانين طرق المجاهدة فى كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات ، فاتخذه دستورك لتعرف به علاج الصبر فى جميع الأقسام التى فصلناها من قبل، فإن تفصيل الآحاد يطول . ومن راعى التدريج ترقى به الصبر إلى حال يشق عليه الصبر دونه كما كان يشق عليه الصبر معه ، فتنعكس أموره فيصير ما كان محبوبا عنده ممقوتا وما كان مكروها عنده مشربا هنيئا لايصبر عنه . وهذا لايعرف إلا بالتجربة والذوق وله نظير فى العادات ، فإن الصبى يحمل على التعلم فى الابتداء قهرا . فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم ، حتى إذا انفتحت بصيرته وأنس بالعلم انقلب الأمر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب . وإلى هذا يشير ماحكى عن بعض العارفين أنه سأل الشبلى عن الصبر أيه أشد ؟ فقال: الصبر فى الله تعالى ، فقال : لا ، فقال : الصبر لله ، فقال : لا ، فقال : الصبر مع الله ، فقال : لا ، فقال : فأيش ؟ قال : الصبر عن الله ؛ فصرخ الشبلى صرخة كادت روحه تتلف . وقد قيل فى معنى قوله تعالى ﴿ اصبروا وصابروا ورابطوا ﴾ اصبروا فى الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله . وقيل الصبر لله غناء والصبر بالله بقاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء . وقد قيل فى معناه :

والصبر عنك فمذموم عواقبه والصبر فى سائر الأشياء محمود

وقيل أيضا : الصبر يجمل فى المواطن كلها إلا عليك فإنه لايجمل

هذا آخر ما أردنا شرحه من علوم الصبر وأسراره .

الشطر الثانى من الكتاب فى الشكر

وله ثلاثة أركان : (الأول) فى فضيلة الشكر وحقيقته وأقسامه وأحكامه (الثانى) فى حقيقة النعمة وأقسامها الخاصة والعامة (الثالث) فى بيان الأفضل من الشكر والصبر .

الركن الأول : فى نفس الشكر

بيان فضيلة الشكر

اعلم أن الله تعالى قرن الشكر بالذكر فى كتابه مع أنه قال ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ فقال تعالى ﴿ فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولاتكفرون ﴾ وقال تعالى ﴿ مايفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم ﴾ وقال تعالى ﴿ وسنجزى الشاكرين ﴾ وقال عزوجل إخبارا عن إبليس اللعين ﴿ لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم ﴾ قيل هو طريق الشكر ، ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين فى الخلق فقال : ولاتجد أكثرهم شاكرين . وقال تعالى ﴿ وقليل من عبادى الشكور ﴾ وقد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال تعالى ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ واستثنى فى خمسة أشياء فى الإغناء والإجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى ﴿ فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء ﴾ وقال ﴿ فيكشف ماتدعون إليه إن شاء ﴾ وقال ﴿ يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ وقال ﴿ ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ وقال ﴿ ويتوب الله على من يشاء ﴾ وهو خلق من أخلاق الربوبية إذ قال تعالى ﴿ والله شكور حليم ﴾ وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة فقال تعالى ﴿ وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده ﴾ وقال ﴿ وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾ .

وأما الأخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر [١] » وروى عن عطاء أنه قال : دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت : أخبرينا بأعجب مارأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت : وأى شأنه لم يكن عجبا ؟ أتانى ليلة فدخل معى فى فراشى - أو قالت فى لحافى - حتى مس جلدى جلده ثم قال « ياابنة أبى بكر ذرينى أتعبد لربى » فقالت : قلت إنى أحب قربك لكنى أوثر هواك فأذنت له ، فقام إلى قربة ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء ، ثم قام يصلى فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك يبكى حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة ، فقلت يارسول الله مايبكيك وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر ؟ قال « أفلا أكون عبدا شكورا ولم لاأفعل ذلك وقد أنزل الله تعالى على ﴿ إن فى خلق السموات والأرض ﴾ الآية [٢] » وهذا يدل على أنّ البكاء ينبغى أن لا ينقطع أبدا . وإلى هذا السر يشير ماروى أنه مر بعض الأنبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه فأنطقه الله تعالى فقال : منذ سمعت قوله تعالى ﴿ وقودها الناس والحجارة ﴾ فأنا أبكى من خوفه ، فسأله أن يجيره من النار فأجاره ، ثم رآه بعد مدّة على مثل ذلك فقال : لم تبكى الآن ؟ فقال : ذاك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور ! وقلب العبد كالحجارة أو أشدّ قسوة ولاتزول قسوته إلا بالبكاء فى حال الخوف والشكر جميعا . وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ينادى يوم القيامة ليقم الحامدون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة » قيل : ومن الحامدون ؟ قال « الذين يشكرون الله تعالى على كل حال [٣] » وفى لفظ آخر « الذين يشكرون الله على السراء والضراء » وقال صلى الله عليه وسلم « الحمد رداء الرحمن [٤] » وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام : إنى رضيت بالشكر مكافأة من أوليائى - فى كلام طويل - وأوحى الله تعالى إليه أيضاً فى صفة الصابرين : أن دارهم دار السلام إذا دخلوها ألهمتهم الشكر وهو خير الكلام ، وعند الشكر أستزيدهم ، وبالنظر إلى أزيدهم . ولما نزل فى الكنوز مانزل ؛ قال عمر رضى الله عنه : أى المال نتخذ ؟ فقال عليه السلام « ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا [٥] » فأمر باقتناء القلب الشاكر بدلا عن المال . وقال ابن مسعود : الشكر نصف الإيمان .

بيان حدّ الشكر وحقيقته

اعلم أن الشكر من جملة مقامات السالكين ، وهو أيضاً ينتظم من علم وحال وعمل ، فالعلم هو الأصل فيورث الحال والحال يورث العمل فأما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم ، والحال هو الفرح الحاصل بإنعامه ، والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه . ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه الإحاطة بحقيقة الشكر فإن كل ماقيل فى حد الشكر قاصر عن الإحاطة بكمال معانيه .

---

(١) حديث « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر » علقه البخارى وأسنده الترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة ورواه ابن ماجه من حديث سنان بن سنة وفى إسناده اختلاف .

(٢) حديث عطاء : دخلت على عائشة فقلت لها : أخبرينا بأعجب مارأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : وأى أمره لم يكن عجبا ... الحديث فى بكائه فى صلاة الليل . أخرجه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن طريقه ابن الجوزى فى الوفا وفيه أبو جناب واسمه يحيى بن أبى حية ضعفه الجمهور ورواه ابن حبان فى صحيحه من رواية عبد الملك ابن أبى سليمان عن عطاء دون قولها : وأى أمره لم يكن عجبا . وهو عند مسلم من رواية عروة عن عائشة مقتصرا على آخر الحديث

(٣) حديث . ينادى يوم القيامة « ليقم الحامدون ... الحديث » أخرجه الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بلفظ « أول من يدعى الى الجنة الحامدون ... الحديث » وفيه قيس بن الربيع ضعفه الجمهور .

(٤) حديث « الحمد رداء الرحمن » لم أجد له أصلا وفى الصحيح من حديث أبى هريرة « الكبر رداؤه .. الحديث » وتقدم فى العلم

(٥) حديث عمر : ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا .. الحديث » تقدم فى النكاح .

(فالأصل الأول) العلم : وهو علم بثلاثة أمور : بعين النعمة ، ووجه كونها نعمة فى حقه ، وبذات المنعم ووجود صفاته التى بها يتم الإنعام ويصدر الإنعام منه عليه . فإنه لا بد من : نعمة ، ومنعم ، ومنعم عليه، تصل إليه النعمة من المنعم بقصد وإرادة ، فهذه الأمور لا بد من معرفتها . هذا فى حق غير الله تعالى فأما فى حق الله تعالى فلا يتم إلا بأن يعرف أن النعم كلها من الله وهو المنعم ، والوسائط مسخرون من جهته .

وهذه المعرفة وراء التوحيد والتقديس إذ دخل التقديس والتوحيد فيها . بل الرتبة الأولى فى معارف الإيمان: التقديس . ثم إذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف أنه لا مقدس إلا واحد وما عداه غير مقدس : وهو التوحيد . ثم يعلم أن كل ما فى العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط ، فالكل نعمة منه ، فتقع هذه المعرفة فى الرتبة الثالثة ، إذ ينطوى فيها مع التقديس والتوحيد : كمال القدرة والانفراد بالفعل . وعن هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا إله إلا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة[1] » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله[2] » وقال « ليس شىء من الأذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله[3] » ولا تظنن أن هذه الحسنات بإزاء تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها فى القلب « فسبحان الله » كلمة تدل على التقديس و « لا إله إلا الله » كلمة تدل على التوحيد و « الحمد لله » كلمة تدل على النعمة من الواحد الحق . فالحسنات بإزاء هذه المعارف التى هى من أبواب الإيمان واليقين .

واعلم أن تمام هذه المعرفة ينفى الشرك فى الأفعال ، فمن أنعم عليه ملك من الملوك بشىء فإن رأى لوزيره أو وكيله دخلا فى تيسير ذلك وإيصاله إليه فهو إشراك به فى النعمة ، فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه ، بل منه بوجه ومن غيره بوجه ، فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون موحدا فى حق الملك . نعم لا يغض من توحيده فى حق الملك وكمال شكره أن يرى النعمة الواصلة إليه بتوقيعه الذى كتبه بقلمه وبالكاغد الذى كتبه عليه ، فإنه لا يفرح بالقلم والكاغد ولا يشكرهما ، لأنه لا يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان بأنفسهما بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك . وقد يعلم أن الوكيل الموصل والخازن أيضا مضطران من جهة الملك فى الإيصال ، وأنه لو رد الأمر إليه ولم يكن من جهة الملك إرهاق وأمر جزم يخاف عاقبته لما سلم إليه شيئا ، فإذا عرف ذلك كان نظره إلى الخازن الموصل كنظره إلى القلم والكاغد ، فلا يورث ذلك شركا فى توحيده من إضافة النعمة إلى الملك .

وكذلك من الكاتب وأن الحيوانات التى لها اختيار مسخرات فى نفس اختيارها ، فإن الله تعالى هو المسلط للدواعى عليها لتفعل ـ شاءت أم أبت ـ كالخازن المضطر الذى لا يجد سبيلا إلى مخالفة الملك ولو خلى ونفسه لما أعطاك ذرة مما فى يده . فكل من وصل إليك نعمة من الله تعالى على يده فهو مضطر إذ سلط الله عليه الإرادة وهيج عليه الدواعى ! وألقى فى نفسه أن خيره فى الدنيا والآخرة أن يعطيك ما أعطاك ، وأن غرضه المقصود عنده فى الحال والمآل لا يحصل إلا به . وبعد أن خلق الله له هذا الاعتقاد لا يجد سبيلا إلى تركه ، فهو إذن إنما يعطيك

---

(١) حديث « من قال سبحان الله فله عشر حسنات » . الحديث تقدم فى الدعوات (٢) حديث « أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله » أخرجه الترمذى وحسنه والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه وابن حبان من حديث جابر

(٣) حديث « ليس شىء من الأذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله » لم أجده مرفوعا وإنما رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الفكر عن إبراهيم النخعى . يقال إن الحمد أكثر الكلام تضعيفا .

لغرض نفسه لا لغرضك ولو لم يكن غرضه فى العطاء لما أعطاك ، ولو لم يعلم أن منفعته فى منفعتك لما نفعك فهو إذن إنما يطلب نفع نفسه بنفعك فليس منعما عليك بل اتخذك وسيلة إلى نعمة أخرى وهو يرجوها . وإنما الذى أنعم عليك هو الذى سخره لك وألقى فى قلبه من الاعتقادات والإرادات ماصار به مضطرا إلى الإيصال إليك . فإن عرفت الأمور كذلك فقد عرفت الله تعالى وعرفت فعله ، وكنت موحدا وقدرت على شكره ، بل كنت بهذه المعرفة بمجردها شاكرا .

ولذلك قال موسى عليه السلام فى مناجاته إلهى خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك ؟ فقال الله عز وجل : علم أن كل ذلك منى فكانت معرفته شكرا .

فإذن لا تشكر إلا بأن تعرف أن الكل منه ، فإن خالجك ريب فى هذا لم تكن عارفا لا بالنعمة ولا بالمنعم ، فلا تفرح بالمنعم وحده بل وبغيره ، فبنقصان معرفتك ينقص حالك فى الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك : فهذا بيان هذا الأصل .

(الأصل الثانى) الحال المستمدة من أصل المعرفة : وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع، وهو أيضا فى نفسه شكر على تجرده كما أن المعرفة شكر ولكن إنما يكون شكرا إذا كان حاويا شرطه، وشرطه أن يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالإنعام ، ولعل هذا يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثلا فنقول : الملك الذى يريد الخروج إلى سفره فأنعم بفرس على إنسان يتصور أن يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلاثة أوجه (أحدها) أن يفرح بالفرس من حيث أنه فرس وإنه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وإنه جواد نفيس ، وهذا فرح من لاحظ له فى الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده فى صحراء فأخذه لكان فرحه مثل ذلك الفرح (الوجه الثانى) أن يفرح به لا من حيث إنه فرس بل من حيث تستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه ، لو وجد هذا الفرس فى صحراء أو أعطاه غير الملك لكان لا يفرح به أصلا لاستغنائه عن الفرس أصلا أو استحقاره له بالإضافة إلى مطلوبه من نيل المحل فى قلب الملك (الوجه الثالث) أن يفرح به ليركبه ليخرج فى خدمة الملك ويتحمل مشقة السفر لينال بخدمته القرب منه ، وربما يرتقى إلى درجة الوزارة من حيث إنه ليس يقنع بأن يكون محله فى قلب الملك أن يعطيه فرسا ويعتنى به هذا القدر من العناية ، بل هو طالب لأن لا ينعم الملك بشىء من ماله على أحد إلا بواسطته، ثم إنه ليس يريد من الوزارة الوزارة بل يريد مشاهدة الملك والقرب منه ، حتى لو خير بين القرب منه دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب ، فهذه ثلاث درجات ، فالأولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلا لأن نظر صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطى ، وهذا حال كل من فرح بنعمة من حيث إنها لذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر ، والثانية داخلة فى معنى الشكر من حيث إنه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التى تستحثه على الإنعام فى المستقبل ، وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه ، وإنما الشكر التام فى الفرح الثالث ، وهو أن يكون فرح العبد بنعمة الله تعالى من حيث إنه يقدر بها على التوصل إلى القرب منه تعالى والنزول فى جواره والنظر إلى وجهه على الدوام ، فهذا هو الرتبة العليا ، وأمارته أن لا يفرح من الدنيا إلا بما هو مزرعة للآخرة ويعينه عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتصده عن سبيله ، لأنه ليس يريد النعمة لأنها لذيذة كما يريد صاحب الفرس الفرس لأنه جواد ومهملج بل من حيث إنه يحمله فى صحبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه ، ولذلك قال الشبلى رحمه الله : الشكر رؤية المنعم

لا رؤية النعمة وقال الخواص رحمه الله : شكر العامة على المطعم والملبس والمشرب . وشكر الخاصة على واردات القلوب ، وهذه رتبة لايدركها كل من انحصرت عنده اللذات فى البطن والفرج ومدركات الحواس من الألوان والأصوات وخلا عن لذة القلب ، فإنّ القلب لايلتذ فى حال الصحة إلا بذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه ، وإنما يلتذ بغيره إذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس بأكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الأشياء الحلوة ويستحلى الأشياء المرّة ، كما قيل : ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا

فإذن هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى ، فإن لم تكن إبل فمعزى ، فإن لم يكن هذا فالدرجة الثانية ، أما الأولى فخارجة عن كل حساب ، فكم من فرق بين من يريد الملك للفرس ومن يريد الفرس للملك ، وكم من فرق بين من يريد الله لينعم عليه وبين من يريد نعم الله ليصل بها إليه .

الأصل الثالث : العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم . وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح أما بالقلب فقصد الخير وإضماره لكافة الخلق . وأما باللسان فإظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه ، وأما بالجوارح : فاستعمال نعم الله تعالى فى طاعته والتوقى من الاستعانة بها على معصيته ، حتى إن شكر العينين : أن تستر كل عيب تراه لمسلم ، وشكر الأذنين : أن تستر كل عيب تسمعه فيه ، فيدخل هذا فى جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الأعضاء والشكر باللسان : لإظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به ؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل « كيف أصبحت ؟ » قال بخير ، فأعاد صلى الله تعالى عليه وسلم السؤال حتى قال فى الثالثة : بخير أحمد الله وأشكره ، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم « هذا الذى أردت منك [1] » وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء بإظهار الشوق ، وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت ؛ فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من أهل الدين ، وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك وبيده كل شيء إلى عبد مملوك لا يقدر على شيء ؛ فالأحرى بالعبد إن لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وأفضى به الضعف إلى الشكوى أن تكون شكواه إلى الله تعالى ، فهو المبلى والقادر على إزالة البلاء . وذل العبد لمولاه عز ، والشكوى إلى غيره ذل ؛ وإظهار الذل للعبد مع كونه عبدا مثله ذل قبيح . قال الله تعالى ﴿ إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له ﴾ وقال تعالى ﴿ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ﴾ فالشكر باللسان من جملة الشكر . وقد روى أن وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، فقام شاب ليتكلم ، فقال عمر : الكبر الكبر ! فقال : يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالسن لكان فى المسلمين من هو أسن منك ! فقال : تكلم ، فقال : لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة ، أما الرغبة فقد أوصلها إلينا فضلك ، وأما الرهبة فقد آمننا منها عدلك ، وإنما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان ونتصرف . فهذه هى أصول معانى الشكر المحيطة بمجموع حقيقته .

فأما قول من قال إن الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع فهو نظر إلى فعل اللسان مع بعض أحوال القلب . وقول من قال إن الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه نظر إلى مجرد عمل اللسان . وقول القائل:

---

(١) حديث قال صلى الله عليه وسلم لرجل « كيف أصبحت ؟ » فقال : بخير ، فأعاد السؤال حتى قال فى الثالثة : بخير أحمد الله وأشكره ، فقال « هذا الذى أردت منك » أخرجه الطبرانى فى الدعاء من رواية الفضيل بن عمرو مرفوعا نحوه ، قال فى الثالثة : أحمد الله . وهذا معضل ، ورواه فى المعجم الكبير من حديث عبد الله بن عمرو ليس فيه تكرار السؤال وقال : أحمد الله إليك ، وفيه راشد بن سعد ضعفه الجمهور لسوء حفظه ، ورواه مالك فى الموطأ موقوفا على عمر بإسناد صحيح

إن الشكر هو الاعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة : جامع لأكثر معانى الشكر لا يشذ منه إلا عمل اللسان . وقول حمدون القصار شكر النعمة : أن ترى نفسك فى الشكر طفيليا ، إشارة إلى أن معنى المعرفة من معانى الشكر فقط وقول الجنيد الشكر : أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة : إشارة إلى حال من أحوال القلب على الخصوص وهؤلاء أقوالهم تعرب على أحوالهم ؛ فلذلك تختلف أجوبتهم ولا تتفق ، ثم قد يختلف جواب كل واحد فى حالتين لأنهم لا يتكلمون إلا عن حالتهم الراهنة الغالبة عليهم اشتغالا بما يهمهم عما لا يهمهم ، أو يتكلمون بما يرونه لائقا بحالة السائل ، اقتصارا على ذكر القدر الذى يحتاج إليه ، وإعراضا عما لا يحتاج إليه ؛ فلا ينبغى أن تظن أن ماذكرناه طعن عليهم وأنه لو عرض عليهم جميع المعانى التى شرحناها كانوا ينكرونها ، بل لا يظن ذلك بعاقل أصلا إلا أن تعرض منازعة من حيث اللفظ فى أن اسم الشكر فى وضع اللسان هل يشمل جميع المعانى ، أم يتناول بعضها مقصودا وبقية المعانى تكون من توابعه ولوازمه ؟ ولسنا نقصد فى هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم طريق الآخرة فى شىء ، والله الموفق برحمته .

بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر فى حق الله تعالى

لعلك يخطر ببالك أنّ الشكر إنما يفعل فى حق منعم هو صاحب حظ فى الشكر ، فإنا نشكر الملوك إما بالثناء ليزيد محلهم فى القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم ، أو بالخدمة التى هى إعانة لهم على بعض أغراضهم أو بالمثول بين أيديهم فى صورة الخدم ، وذلك تكثير لسوادهم وسبب لزيادة جاههم ، فلا يكونون شاكرين لهم إلا بشىء من ذلك ، وهذا محال فى حق الله تعالى من وجهين : (أحدهما) أن الله تعالى منزه عن الحظوظ والأغراض ، مقدس عن الحاجة إلى الخدمة والإعانة ، وعن نشر الجاه والحشمة بالثناء والإطراء ، وعن تكثير سواد الخدم بالمثول بين يديه ركعا سجدا ؛ فشكرنا إياه بما لا حظ فيه يضاهى شكرنا الملك المنعم علينا بأن ننام فى بيوتنا أو نسجد أو نركع ، إذ لا حظ للملك فيه وهو غائب لا علم له ، ولا حظ لله تعالى فى أفعالنا كلها (الوجه الثانى) أن كل ما نتعاطاه باختيارنا فهو نعمة أخرى من نعم الله علينا ، إذ جوارحنا وقدرتنا وإرادتنا وداعيتنا وسائر الأمور التى هى أسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته فكيف نشكر نعمة بنعمة ، ولو أعطانا الملك مركوبا فأخذنا مركوبا آخر له وركبناه ، أو أعطانا الملك مركوبا آخر لم يكن الثانى شكر للأول منا بل كان الثانى يحتاج إلى شكر كما يحتاج الأول ، ثم لا يمكن شكر الشكر إلا بنعمة أخرى فيؤدى إلى أن يكون الشكر محالا فى حق الله تعالى من هذين الوجهين . ولسنا نشك فى الأمرين جميعا ، والشرع قد ورد به فكيف السبيل إلى الجمع ؟ فاعلم أن هذا الخاطر قد خطر لداود عليه السلام ، وكذلك لموسى عليه السلام فقال : يارب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك ؟ وفى لفظ آخر : وشكرى لك نعمة أخرى منك توجب على الشكر لك ؟ فأوحى الله تعالى إليه : إذا عرفت هذا فقد شكرتنى . وفى خبر آخر : إذا عرفت أنّ النعمة منى رضيت منك بذلك شكرا .

فإن قلت : فقد فهمت السؤال وفهمى قاصر عن إدراك معنى ما أوحى إليهم ؛ فإنى أعلم استحالة الشكر لله تعالى ، فأما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا أفهمه ، فإنّ هذا العلم أيضا نعمة منه فكيف صار شكرا ؟ وكأنّ الحاصل يرجع إلى أنّ من لم يشكر فقد شكر ، وأنّ قبول الخلعة الثانية من الملك شكر للخلعة الأولى ، والفهم قاصر عن درك السر فيه فإن أمكن تعريف ذلك بمثال فهو مهم فى نفسه * فاعلم أنّ هذا فرع باب من المعارف وهى أعلى

من علوم المعاملة ، ولكنا نشير منها إلى ملامح ونقول : ههنا نظران : نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعا أنه الشاكر وأنه المشكور وأنه المحب وأنه المحبوب ، وهذا نظر من عرف أنه ليس فى الوجود غيره وأن كل شىء هالك إلا وجهه وأن ذلك صدق فى كل حال أزلا وأبدا ، لأن الغير هو الذى يتصور أن يكون له بنفسه قوام ، ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال أن يوجد ، إذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه . وما ليس له بنفسه قوام وليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره ؛ فإن اعتبر ذاته ولم يلتفت إلى غيره لم يكن له وجود ألبتة ، وإنما الموجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذى لو قدر عدم غيره بقى موجودا فإن كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ، ولا قيوم إلا واحد ، ولا يتصور أن يكون غير ذلك ؛ فإذن ليس فى الوجود غير الحى القيوم وهو الواحد الصمد ؛ فإذا نظرت من هذا المقام عرفت أن الكل منه مصدره وإليه مرجعه ، فهو الشاكر وهو المشكور ، وهو المحب وهو المحبوب ، ومن ههنا نظر حبيب بن أبى حبيب حيث قرأ ﴿ إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أوّاب ﴾ فقال واعجباه أعطى وأثنى إشارة إلى أنه إذا أثنى على إعطائه فعلى نفسه أثنى ، فهو المثنى وهو المثنى عليه ، ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد الميهنى حيث قرئ بين يديه ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ فقال : لعمرى يحبهم ودعه يحبهم فبحق يحبهم لأنه إنما يحب نفسه ، أشار به إلى أنه المحب وأنه المحبوب ، وهذه رتبة عالية لا تفهمها إلا بمثال على حدّ عقلك ، فلا يخفى عليك أنّ المصنف إذا أحب تصنيفه لقد أحب نفسه ، والصانع إذا أحب صنعته فقد أحب نفسه ، والوالد إذا أحب ولده من حيث إنه ولده فقد أحب نفسه ، وكل ما فى الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وصنعته ؛ فإن أحبه فما أحب إلا نفسه ، وإذا لم يحب إلا نفسه فبحق أحب ما أحب ؛ وهذا كله نظر بعين التوحيد ، وتعبر الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس أى فنى عن نفسه وعن غير الله فلم ير إلا الله تعالى ، فمن لم يفهم هذا ينكر عليهم ويقول : كيف فنى وطول ظله أربعة أذرع ولعله يأكل فى كل يوم أرطالا من الخبز ، فيضحك عليهم الجهال لجهلهم بمعانى كلامهم ، وضرورة قول العارفين أن يكونوا ضحكة للجاهلين ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ إنّ الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون * وإذا مروا بهم يتغامزون * وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين * وإذ رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون * وما أرسلوا عليهم حافظين ﴾ ثم بين أن ضحك العارفين عليهم غدا أعظم ، إذ قال تعالى ﴿ فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون * على الأرائك ينظرون ﴾ وكذلك أمة نوح عليه السلام كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة قال ﴿ إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون ﴾ فهذا أحد النظرين . النظر الثانى : نظر من لم يبلغ إلى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسمان : قسم لم يثبتوا إلا وجود أنفسهم وأنكروا أن يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون وعماهم فى كلتا العينين لأنهم نفوا ما هو الثابت تحقيقا وهو القيوم الذى هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فقائم به ، ولم يقتصروا على هذا حتى أثبتوا أنفسهم ، ولو عرفوا لعلموا أنهم من حيث هم هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم ، وإنما وجودهم من حيث أوجدوا لا من حيث وجدوا ، وفرق بين الموجود وبين الموجد ، وليس فى الوجود إلا موجود واحد وموجد ، فالموجود حق والموجد باطل من حيث هو هو ، والموجود قائم وقيوم والموجد هالك وفان ، وإذا كان كل من عليها فان ، فلا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام . الفريق الثانى : ليس بهم عمى ولكن بهم عور ، لأنهم يبصرون بإحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه ، والعين الأخرى إن تم عماها لم يبصر بها فناء غير الموجود الحق ؛ فأثبت موجودا آخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقا كما

أنّ الذى قبله جاحد تحقيقا : فإن جاوز حد العمى إلى العمش أدرك تفاوتاً بين الموجودين ، فأثبت عبداً وربا ، فبهذا القدر من إثبات التفاوت والنقص من الموجود الآخر دخل فى حد التوحيد ، ثم إن كحل بصره بما يزيد فى أنواره فيقل عمشه وبقدر مايزيد فى بصره يظهر له نقصان ما أثبته سوى الله تعالى ؛ فإن بقى فى سلوكه كذلك فلا يزال يفضى به النقصان إلى المحو ، فينمحى عن رؤية ماسوى الله فلا يرى إلا الله ، ليكون قد بلغ كمال التوحيد ، وحيث أدرك نقصا فى وجود ماسوى الله تعالى دخل فى أوائل التوحيد ، وبينهما درجات لاتحصى ،فبهذا تتفاوت درجات الموحدين ، وكتب الله المنزلة على ألسنة رسله هى الكحل الذى به يحصل أنوار الأبصار ، والأنبياء هم الكحالون ، وقد جاءوا داعين الى التوحيد المحض ، وترجمته قول « لا إله إلا الله » ومعناه أن لايرى إلا الواحد الحق ، والواصلون إلى كمال التوحيد هم الأقلون ، والجاحدون والمشركون أيضاً قليلون ، وهم على الطرف الأقصى المقابل لطرف التوحيد ، إذ عبدة الأوثان قالوا ﴿ مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ فكانوا داخلين فى أوائل أبواب التوحيد دخولا ضعيفاً ، والمتوسطون هم الأكثرون ، وفيهم من تنفتح بصيرته فى بعض الأحوال فتلوح له حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لايثبت ، وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ولكن لايدوم والدوام فيه عزيز .

لكل إلى شأو العلا حركات ولكن عزيز فى الرجال ثبات

ولما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب القرب فقيل له ﴿ واسجد واقترب ﴾ قال فى سجوده « أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك [1] » فقوله صلى الله عليه وسلم « أعوذ بعفوك من عقابك » كلام عن مشاهدة فعل الله فقط ، فكأنه لم ير إلا الله وأفعاله ، فاستعاذ بفعله من فعله « ثم اقترب ففنى عن مشاهدة الأفعال، وترقى إلى مصادر الأفعال وهى الصفات فقال « أعوذ برضاك من سخطك » وهما صفتان ، ثم رأى ذلك نقصانا فى التوحيد فاقترب ورقى من مقام مشاهدة الصفات إلى مشاهدة الذات فقال « وأعوذ بك منك » وهذا فرار منه اليه من غير رؤية فعل وصفة ، ولكنه رأى نفسه فارّا منه إليه ومستعيذا ومثنيا ، ففنى عن مشاهدة نفسه إذ رأى ذلك نقصانا واقترب فقال « لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » فقوله صلى الله عليه وسلم « لاأحصى » خبر عن فناء نفسه وخروج عن مشاهدتها ، وقوله « أنت كما أثنيت على نفسك » بيان أنه المثنى والمثنى عليه وأن الكل منه بدا وإليه يعود وأن كل شىء هالك إلا وجهه ؛ فكان أول مقاماته نهاية مقامات الموحدين وهو أن لايرى إلا الله تعالى وأفعاله ، فيستعيذ بفعل من فعل : فانظر إلى ماذا انتهت نهايته إذ انتهى الى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات الحق ، ولقد كان صلى الله عليه وسلم لايرقى من رتبة الى أخرى إلا ويرى الأولى بعداً بالإضافة الى الثانية ، فكان يستغفر الله من الأولى ويرى ذلك نقصاً فى سلوكه وتقصيرا فى مقامه ، واليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « انه ليغان على قلبى حتى استغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة [2] » فكان ذلك لترقيه الى سبعين مقاما بعضها فوق البعض : أولها وان كان مجاوزاً أقصى غايات الخلق ولكن كان نقصانا بالإضافة الى آخرها ، فكان استغفاره لذلك . ولما قالت عائشة رضى الله عنها : أليس قد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا البكاء فى السجود وماهذا الجهد الشديد ؟

---

(١) حديث قال فى سجوده « أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث عائشة : أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك ... الحديث (٢) حديث « إنه ليغان على قلبى ... الحديث » تقدم فى التوبة ، وقبله فى الدعوات .

قال « أفلا أكون عبداً شكوراً[1] » معناه . أفلا أكون طالباً المزيد فى المقامات . فإن الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾

وإذا تغلغنا فى بحار المكاشفة فلنقبض العنان ، ولنرجع إلى ما يليق بعلوم المعاملة : فنقول الأنبياء عليهم السلام بعثوا لدعوة الحق إلى كمال التوحيد الذى وصفناه ، ولكن بينهم وبين الوصول إليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة ، وإنما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة أخرى ومقام آخر فيظهر فى ذلك المقام بإضافة إلى تلك المشاهدة الشكر والشاكر والمشكور ، ولا يعرف ذلك إلا بمثال فأقول : يمكنك أن تفهم أن ملكا من الملوك أرسل إلى عبد قد بعد منه مركوبا وملبوسا ونقدا لأجل زاده فى الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك ، ثم يكون له حالتان : (إحداهما) أن يكون قصده من وصول العبد إلى حضرته أن يقوم ببعض مهماته ويكون له عناية فى خدمته (والثانية) أن لا يكون للملك حظ فى العبد ولا حاجة به إليه ، بل حضوره لا يزيد فى ملكه لأنه لا يقوى على القيام بخدمة تغنى فيه غناء ، وغيبته لا تنقص من ملكه ؛ فيكون قصد من الإنعام عليه بالمركوب والزاد أن يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو فى نفسه لا لينتفع الملك به وبانتفاعه ، فمنزل العباد من الله تعالى فى المنزلة الثانية لا فى المنزلة الأولى فإن الأولى محال على الله تعالى ، والثانية غير محال . ثم اعلم أن العبد لا يكون شاكرا فى الحالة الأولى بمجرد الركوب والوصول إلى حضرته مالم يقم بخدمته التى أرادها الملك منه . وأما فى الحالة الثانية فلا يحتاج إلى الخدمة أصلا ، ومع ذلك يتصور أن يكون شاكرا وكافرا ويكون شكره بأن يستعمل ما أنفذه إليه مولاه فيما أحبه لأجله لا لأجل نفسه ، وكفره أن لا يستعمل ذلك فيه بأن يعطله أو يستعمله فيما يزيد فى بعده منه ؛ فهما لبس العبد الثوب وركب الفرس ولم ينفق الزاد إلا فى الطريق فقد شكره مولاه إذ استعمل نعمته فى محبته : أى فيما أحبه لعبده لا لنفسه ، وإن ركبه واستدبر حضرته وأخذ يبعد منه فقد كفر نعمته : أى استعملها فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه ، وإن جلس ولم يركب لا فى طلب القرب ولا فى طلب البعد فقد كفر أيضا نعمته إذا أهملها وعطلها ، وإن كان هذا دون ما لو بعد منه ، فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم فى ابتداء فطرتهم يحتاجون إلى استعمال الشهوات لتكمل بها أبدانهم فيبعدون بها عن حضرته ، وإنما سعادتهم فى القرب منه فأعد لهم من النعم ما يقدرون على استعماله فى نيل درجة القرب ، وعن بعدهم وقربهم عبر الله تعالى إذ قال ﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا ﴾ الآية ، فإذن نعم الله تعالى آلات يترقى العبد بها عن أسفل السافلين ، خلقها الله تعالى لأجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب ، والله تعالى غنى عنه قرب أم بعد ، والعبد فيها بين أن يستعملها فى الطاعة فيكون قد شكر لموافقة محبة مولاه وبين أن يستعملها فى معصيته فقد كفر لاقتحامه ما يكرهه مولاه ولا يرضاه له ؛ فإن الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية ، وإن عطلها ولم يستعملها فى طاعة ولا معصية فهو أيضا كفران للنعمة بالتضييع ، وكل ما خلق فى الدنيا إنما خلق آلة للعبد ليتوصل به إلى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله تعالى ؛ فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمة الله فى الأسباب التى استعملها فى الطاعة ، وكل كسلان ترك الاستعمال أو عاص استعملها فى طريق البعد فهو كافر جار فى غير محبة الله تعالى ؛ فالمعصية والطاعة تشملهما المشيئة ولكن لا تشملها المحبة والكراهة ، بل رب مراد

---

(١) حديث عائشة لما قالت له : غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا البكاء .. الحديث . رواه أبو الشيخ وهو بقية حديث عطاء عنها المتقدم قبل هذا بتسعة أحاديث ، وهو عند مسلم من رواية عروة عنها مختصرا وكذلك هو فى الصحيحين مختصرا من حديث المغيرة بن شعبة .

محبوب ورب مراد مكروه . ووراء بيان هذه الدقيقة سر القدر الذى منع من إفشائه ، وقد انحل بهذا الإشكال الأول : وهو أنه إذا لم يكن للمشكور حظ فكيف يكون الشكر ؛ وبهذا أيضا ينحل الثانى ؛ فإنا لم نعن بالشكر إلا انصراف نعمة الله فى جهة محبة الله فإذا انصرفت النعمة فى جهة المحبة بفعل الله فقد حصل المراد ، وفعلك عطاء من الله تعالى ، ومن حيث أنت محله فقد أثنى عليك ، وثناؤه نعمة أخرى منه إليك ؛ فهو الذى أعطى وهو الذى أثنى وصار أحد فعليه سببا لانصراف فعله الثانى إلى جهة محبته ، فله الشكر على كل حال ، وأنت موصوف بأنك شاكر بمعنى أنك محل المعنى الذى الشكر عبارة عنه لا بمعنى أنك موجب له ، كما أنك موصوف بأنك عارف وعالم لا بمعنى أنك خالق للعلم وموجده ، ولكن بمعنى أنك محل له ، وقد وجد بالقدرة الأزلية فيك ؛ فوصفك بأنك شاكر إثبات شيئية لك وأنت شىء ، إذ جعلك خالق الأشياء شيئا وإنما أنت لاشىء إذا كنت أنت ظانا لنفسك شيئا من ذاتك ؛ فأما باعتبار النظر إلى الذى جعل الأشياء شيئا فأنت شىء إذ جعلك شيئا ؛ فإن قطع النظر عن جعله كنت لاشىء تحقيقيا ، وإلى هذا أشار صلى الله عليه وسلم حيث قال « اعملوا فكل ميسر لما خلق له [1] » لما قيل له : يارسول الله ففيم العمل إذا كانت الأشياء قد فرغ منها من قبل ؟ فتبين أن الخلق مجارى قدرة الله تعالى ومحل أفعاله وإن كانوا هم أيضا من أفعاله ولكن بعض أفعاله محل للبعض . وقوله « اعملوا » وإن كان جاريا على لسان الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فهو فعل من أفعاله ، وهو سبب لعلم الخلق أن العمل نافع ، وعلمهم فعل من أفعال الله تعالى ، والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة إلى الحركة والطاعة ، وانبعاث الداعية أيضا من أفعال الله تعالى ، وهو سبب لحركة الأعضاء وهى أيضا من أفعال الله تعالى ، ولكن بعض أفعاله سبب للبعض أى الأول شرط للثانى كما كان خلق الجسم سبباً لخلق العرض إذ لا يخلق العرض قبله ، وخلق الحياة شرط لخلق العلم وخلق العلم شرط لخلق الإرادة والكل من أفعال الله تعالى وبعضها سبب للبعض : أى هو شرط ، ومعنى كونه شرطا أنه لا يستعد لقبول فعل الحياة إلا جوهر ولا يستعد لقبول العلم إلا ذو حياة ولا لقبول الإرادة إلا ذو علم ، فيكون بعض أفعاله سبباً للبعض بهذا المعنى لا بمعنى أن بعض أفعاله موجد لغيره بل ممهد شرط الحصول لغيره ، وهذا إذا حقق ارتقى إلى درجة التوحيد الذى ذكرناه .

فإن قلت : فلم قال الله تعالى اعملوا وإلا فأنتم معاقبون مذمومون على العصيان ، وما إلينا شىء فكيف نذم وإنما الكل إلى الله تعالى ؟ فاعلم أن هذا القول من الله تعالى سبب لحصول اعتقاد فينا ، والاعتقاد سبب لهيجان الخوف ، وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافى عن دار الغرور ، وذلك سبب للوصول إلى جوار الله ، والله تعالى مسبب الأسباب ومرتبها ، فمن سبق له فى الأزل السعادة يسر له هذه الأسباب حتى يقوده بسلسلتها إلى الجنة ، ويعبر عن مثله بأن كلا ميسر لما خلق له ، ومن لم يسبق له من الله الحسنى بعد عن سماع كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام العلماء ؛ فإذا لم يسمع لم يعلم ، وإذا لم يعلم لم يخف ، وإذا لم يخف لم يترك الركون إلى الدنيا ، وإذا لم يترك الركون إلى الدنيا بقى فى حزب الشيطان ، وإن جهنم لموعدهم أجمعين ؛ فإذا عرفت هذا تعجبت من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل ؛ فما من أحد إلا وهو مقود إلى الجنة بسلاسل الأسباب ، وهو تسليط العلم والخوف عليه . وما من مخذول إلا وهو مقود إلى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والأمن والغرور عليه ، فالمتقون يساقون إلى الجنة قهرا ، والمجرمون يقادون إلى النار قهرا ، ولا قاهر إلا الله الواحد القهار ،

(١) حديث « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » من حديث على وعمران بن حصين .

ولا قادر إلا الملك الجبار ، وإذا انكشف الغطاء عن أعين الغافلين فشاهدوا الأمر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادى ﴿ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾ ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لاذلك اليوم على الخصوص ، ولكن الغافلين لا يسمعون هذا النداء إلا ذلك اليوم ، فهو نبأ عما يتجدد للغافلين من كشف الأحوال حيث لاينفعهم الكشف ؛ فنعوذ بالله الحليم الكريم من الجهل والعمى فإنه أصل أسباب الهلاك .

بيان تمييز مايحبه الله تعالى عما يكرهه

اعلم أنّ فعل الشكر وترك الكفر لايتم إلا بمعرفة مايحبه الله تعالى عما يكرهه ، إذ معنى الشكر استعمال نعمه تعالى فى محابه ، ومعنى الكفر نقيض ذلك إما بترك الاستعمال أو باستعمالها فى مكارهه . ولتمييز مايحبه الله تعالى عما يكرهه مدركان (أحدهما) السمع ، ومستنده الآيات والأخبار (والثانى) بصيرة القلب ، وهو النظر بعين الاعتبار ، وهذا الأخير عسير ، وهو لأجل ذلك عزيز ، ولذلك أرسل الله تعالى الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ، ومعرفة ذلك تنبنى على معرفة جميع أحكام الشرع فى أفعال العباد ، فمن لايطلع على أحكام الشرع فى جميع أفعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر أصلا . وأما الثانى وهو النظر بعين الاعتبار فهو إدراك حكمة الله تعالى فى كل موجود خلقه ، إذ ماخلق شيئا فى العالم إلا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب ، وتلك الحكمة منقسمة إلى جلية وخفية . أما الجلية فكالعلم بأن الحكمة فى خلق الشمس أن يحصل بها الفرق بين الليل والنهار ، فيكون النهار معاشا والليل لباسا فتتيسر الحركة عند الإبصار ، والسكون عند الاستتار ، فهذا من جملة حكم الشمس لا كل الحكم فيها بل فيها حكم أخرى كثيرة دقيقة ، وكذلك معرفة الحكمة فى الغيم ونزول الأمطار وذلك لانشقاق الأرض بأنواع النبات مطعما للخلق ومرعى للأنعام ، وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الجلية التى تحتملها أفهام الخلق دون الدقيق الذى يقصرون عن فهمه ، إذ قال تعالى ﴿ أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا ﴾ الآية . وأما الحكمة فى سائر الكواكب السيارة منها والثوابت فخفية لايطلع عليها كافة الخلق ، والقدر الذى يحتمله فهم الخلق أنها زينة للسماء لتستلذ العين بالنظر إليها ، وأشار إليه قوله تعالى ﴿ إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ﴾ فجميع أجزاء العالم سماؤه وكواكبه ورياحه وبحاره وجباله ومعادنه ونباته وحيواناته وأعضاء حيواناته لاتخلو ذرة من ذراته عن حكم كثيرة من حكمة واحدة إلى عشرة إلى ألف إلى عشرة آلاف ، وكذا أعضاء الحيوان تنقسم إلا ما يعرف حكمتها كالعلم بأن العين للإبصار لا للبطش ، واليد للبطش لا للمشى ، والرجل للمشى لا للشم ، فأما الأعضاء الباطنة من الأمعاء والمرارة والكبد والكلية وآحاد العروق والأعصاب والعضلات وما فيها من التجاويف والالتفاف والاشتباك والانحراف والدقة والغلظ وسائر الصفات فلا يعرف الحكمة فيها سائر الناس ، والذين يعرفونها لا يعرفون منها إلا قدرا يسيرا بالإضافة إلى ما فى علم الله تعالى ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ فإذن كل من استعمل شيئا فى جهة غير الجهة التى خلق لها ولا على الوجه الذى أريد به فقد كفر فيه نعمة الله تعالى ، فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد إذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه مايهلكه ويأخذ ماينفعه لا ليهلك بها غيره ، ومن نظر إلى وجه غير المحرم فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس ، إذ الإبصار يتم بهما ، وإنما خلقتا ليبصر بهما ماينفعه فى دينه ودنياه ويتقى بهما ما يضره فيهما ، فقد استعملها فى غير ما أريدتا به ، وهذا لأنّ المراد من خلق الخلق وخلق الدنيا وأسبابها أن يستعين الخلق بهما على الوصول إلى الله تعالى ولا وصول إليه إلا بمحبته والأنس به فى الدنيا والتجافى عن غرور الدنيا ، ولا أنس

إلا بدوام الذكر ولا محبة إلا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ، ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر إلا بدوام البدن ، ولا يبقى البدن إلا بالغذاء ، ولا يتم الغذاء إلا بالأرض والماء والهواء ، ولا يتم ذلك إلا بخلق السماء والأرض وخلق سائر الأعضاء ظاهراً وباطنا ، فكل ذلك لأجل البدن والبدن مطية النفس ، والراجح إلى الله تعالى هى النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة ، فلذلك قال تعالى ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق ﴾ الآية ، فكل من استعمل شيئا فى غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله فى جميع الأسباب التى لابدّ منها لإقدامه على تلك المعصية . ولنذكر مثالا واحداً للحكم الخفية التى ليست فى غاية الخفاء حتى تعتبر بها وتعلم طريقة الشكر والكفران على النعم فنقول : من نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وبهما قوام الدنيا وهما حجران لامنفعة فى أعيانهما ولكن يضطر الخلق إليهما من حيث إن كل إنسان محتاج إلى أعيان كثيرة فى مطعمه وملبسه وسائر حاجاته ، وقد يعجز عما يحتاج إليه ويملك مايستغنى عنه . كمن يملك الزعفران مثلا وهو محتاج إلى جمل يركبه ، ومن يملك الجمل ربما يستغنى عنه ويحتاج إلى الزعفران ، فلا بد بينهما من معاوضة ولا بدّ فى مقدار العوض من تقدير ، إذ لايبذل صاحب الجمل جمله بكل مقدار من الزعفران ، ولامناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطى منه مثله فى الوزن أو الصورة . وكذا من يشترى داراً بثياب أو عبداً بخف أو دقيقا بحمار فهذه الأشياء لاتتناسب فيها ، فلا يدرى أن الجمل كم يسوى بالزعفران فتتعذر المعاملات جدا ، فافتقرت هذه الأعيان المتنافرة المتباعدة إلى متوسط بينها يحكم بينهما بحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته ومنزلته حتى إذا تقررت المنازل وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوى من غير المساوى ، فخلق الله تعالى الدنانير والدراهم حاكمين ومتوسطين بين سائر الأموال حتى تقدّر الأموال بهما ، فيقال : هذا الجمل يسوى مائة دينار وهذا القدر من الزعفران يسوى مائة ، فهما من حيث إنهما مساويان بشىء واحد إذن متساويان ، وإنما أمكن التعديل بالنقدين إذ لاغرض فى أعيانهما ولو كان فى أعيانهما غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض فى حق صاحب الغرض ترجيحاً ولم يقتض ذلك فى حق من لاغرض له فلا ينتظم الأمر ، فإذن خلقهما الله تعالى لتتداولهما الأيدى ويكونا حاكمين بين الأموال بالعدل ولحكمة اخرى وهى التوسل بهما إلى سائر الأشياء لأنهما عزيزان فى أنفسهما ولا غرض فى أعيانهما ونسبتهما إلى سائر الأحوال نسبة واحدة فمن ملكهما فكأنه ملك كل شىء ، لا كمن ملك ثوبا فإنه لم يملك إلا الثوب ، فلو احتاج إلى طعام ربما لم يرغب صاحب الطعام فى الثوب لأن غرضه فى دابة مثلا فاحتيج إلى شىء وهو فى صورته كأنه ليس بشىء وهو فى معناه كأنه كل الأشياء ، والشىء إنما تستوى نسبته إلى المختلفات إذا لم تكن له صورة خاصة يفيدها بخصوصها ، كالمرآة لا لون لها ، وتحكى كل لون فكذلك النقد لاغرض فيه وهو وسيلة إلى كل غرض ، وكالحرف لا معنى له نفسه وتظهر به المعانى فى غيره ، فهذه هى الحكمة الثانية ، وفيهما أيضا حكم يطول ذكرها فكل من عمل فيهما عملا لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمة الله تعالى فيهما ، فإذن من كنزهما فقد ظلمهما وأبطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين فى سجن يمتنع عليه الحكم بسببه . لأنه إذا كنز فقد ضيع الحكم ولا يحصل الغرض المقصود به ، وما خلقت الدراهم والدنانير لزيد خاصة ولا لعمرو خاصة إذ لاغرض للآحاد فى أعيانهما فإنهما حجران ، وإنما خلقا لتتداولها الأيدى فيكونا حاكمين بين الناس وعلامة معرفة المقادير مقوّمة للمراتب ، فأخبر الله تعالى الذين يعجزون عن قراءة الأسطر الإلهية المكتوبة فى صفحات الموجودات بخط إلهى لاحرف فيه ولا صوت الذى لايدرك بعين البصر بل بعين البصيرة ـ أخبر هؤلاء العاجزين

بكلام سمعوه من رسوله صلى الله عليه وسلم حتى وصل اليهم بواسطة الحرف والصوت المعنى الذى عجزوا عن إدراكه ، فقال تعالى ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾ وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير آنية من ذهب أو فضة فقد كفر النعمة وكان أسوأ حالا ممن كنز لان مثال هذا مثال من استسخر حاكم البلد فى الحياكة والمكس والأعمال التى يقوم بها أخساء الناس ، والحبس أهون منه، وذلك أن الخزف والحديد والرصاص والنحاس تنوب مناب الذهب والفضة فى حفظ المائعات عن أن تتبدد ، وإنما الأوانى لحفظ المائعات ، ولا يكفى الخزف والحديد فى المقصود الذى أريد به النقود فمن لم ينكشف له هذا انكشف له بالترجمة الإلهية وقيل له : من شرب فى آنية من ذهب أو فضة فكأنما يجرجر فى بطنه نار جهنم [1] ، وكل من عامل معاملة الربا على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم لأنهما خلقا لغيرهما لا لنفسهما إذ لاغرض فى عينهما ، فإذا اتجر فى عينهما فقد اتخذهما مقصودا على خلاف وضع الحكمة ، إذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا نقد معه فقد لايقدر على أن يشترى به طعاما ودابة ، إذ ربما لايباع الطعام والدابة بالثوب ، فهو معذور فى بيعه بنقد آخر ليحصل النقد فيتوصل به إلى مقصوده فانهما وسيلتان إلى الغير لاغرض فى أعيانهما ، وموقعهما فى الأموال كموقع الحرف من الكلام ، كما قال النحويون : إنّ الحرف هو الذى جاء لمعنى فى غيره ، وكموقع المرآة من الألوان ؛ فأما من معه نقد فلو جاز له أن يبيعه بالنقد فيتخذ التعامل على النقد غاية عمله فيبقى النقد مقيدا عنده وينزل منزلة المكنوز ، وتقييد الحاكم والبريد الموصل إلى الغير ظلم ، كما أن حبسه ظلم ، فلا معنى لبيع النقد بالنقد إلا اتخاذ النقد مقصوداً للادخار وهو ظلم

فإن قلت فلم جاز بيع أحد النقدين بالآخر ؛ ولما جاز بيع الدرهم بمثله ؟ فاعلم أن أحد النقدين يخالف الآخر فى مقصود التوصل ، إذ قد يتيسر التوصل بأحدهما من حيث كثرته كالدراهم تتفرق فى الحاجات قليلا قليلا ، ففى المنع منه مايشوش المقصود الخاص به ؛ وهو تيسر التوصل به إلى غيره : وأما بيع الدرهم بدرهم يماثله فجائز من حيث إن ذلك لايرغب فيه عاقل مهما تساويا ولا يشتغل به تاجر فإنه عبث يجرى مجرى وضع الدرهم على الأرض وأخذه بعينه ، ونحن لانخاف على العقلاء أن يصرفوا أوقاتهم إلى وضع الدرهم على الأرض وأخذه بعينه ، فلا نمنع مما لاتتشوق النفوس إليه إلا أن يكون أحدهما أجود من الآخر ، وذلك أيضا لايتصور جريانه ؛ إذ صاحب الجيد لايرضى بمثله من الردىء فلا ينتظم العقد ، وإن طلب زيادة فى الردىء فذلك مما قد يقصده فلا جرم نمنعه منه ونحكم بأن جيدها ورديئها سواء ، لأن الجودة والرداءة ينبغى أن ينظر اليهما فيما يقصد فى عينه ، وما لاغرض فى عينه فلا ينبغى أن ينظر إلا مضافات دقيقة فى صفاته ، وإنما الذى ظلم هو الذى ضرب النقود مختلفة فى الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة فى أعيانها وحقها أن لاتقصد . وأما إذا باع درهما بدرهم مثله نسيئة فإنما لم يجز ذلك لأنه لايقدم على هذا إلا مسامح قاصد الإحسان فى القرض وهو مكرمة مندوحة عنه لتبقى صورة المسامحة فيكون له حمد وأجر. والمعاوضة لاحمد فيها ولا أجر ، فهو أيضا ظلم لأنه إضاعة خصوص المسامحة وإخراجها فى معرض المعارضة ، وكذلك الأطعمة خلقت ليتغذى بها أو يتداوى بها فلا ينبغى أن تصرف على جهتها فإن فتح باب المعاملة فيها يوجب تقييدها فى الأيدى ويؤخر عنها الأكل الذى أريدت له ، فما خلق الله الطعام إلا ليؤكل والحاجة إلى الأطعمة شديدة فينبغى أن تخرج عن يد المستغنى عنها إلى المحتاج ولا يعامل على الأطعمة إلا مستغن عنها ؛ إذ من معه طعام فلم

(١) حديث « من شرب فى آنية من ذهب أو فضة فكأنما يجرجر فى بطنه نار جهنم » متفق عليه من حديث أم سلمة ، ولم يصرح المصنف بكونه حديثا .

لا يأكله إن كان محتاجا ولم يجعله بضاعة تجارة ، وإن جعله بضاعة تجارة فليبعه ممن يطلبه بعوض غير الطعام يكون محتاجا إليه ، فأما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو أيضا مستغن عنه ، ولهذا ورد فى الشرع لعن المحتكر ، ووردفيه من التشديدات ماذكرناه فى كتاب آداب الكسب ؛ نعم بائع البر بالتمر معذور ، إذ أحدهما لايسد مسد الآخر فى الغرض وبائع صاع من البر بصاع منه غير معذور ولكنه عابث فلا يحتاج إلى منع لأن النفوس لاتسمح به إلا عند التفاوت فى الجودة ؛ ومقابلة الجيد بمثله من الردىء لايرضى بها صاحب الجيد وأما جيد برديئين فقد يقصد ، ولكن لما كانت الأطعمة من الضروريات والجيد يساوى الردىء فى أصل الفائدة ويخالفه فى وجوه التنعم أسقط الشرع غرض التنعم فيما هو القوام ، فهذه حكمة الشرع فى تحريم الربا ، وقد انكشف لنا هذا بعد الإعراض عن فن الفقه فلنلحق هذا بفن الفقهيات فإنه أولى من جميع ماأوردناه فى الخلافيات ، وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعى رحمه الله فى التخصص بالأطعمة دون المكيلات ، إذ لو دخل الجص فيه لكانت الثياب والدواب أولى بالدخول ؛ ولولا الملح لكان مذهب مالك رحمه الله أقوم المذاهب فيه إذ خصصه بالأوقات ، ولكن كل معنى يرعاه الشرع فلا بد أن يضبط بحد وتحديد هذا كان ممكنا بالقوت وكان ممكنا بالمطعوم فرأى الشرع التحديد بجنس المطعوم أخرى لكل ما هو ضرورة البقاء ؛ وتحديدات الشرع قد تحيط بأطراف لايقوى فيها أصل المعنى الباعث على الحكم ؛ ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولو لم يحد لتحير الخلق فى أتباع جوهر المعنى مع اختلافه بالأحوال والأشخاص. فعين المعنى بكمال قوته يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص فيكون الحد ضروريا ، فلذلك قال الله تعالى ﴿ ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ﴾ ولأن أصول هذه المعانى لا تختلف فيها الشرائع وإنما تختلف فى وجوه التحديد ، كما يحد شرع عيسى ابن مريم عليه السلام تحريم الخمر بالسكر ، وقد حده شرعنا بكونه من جنس المسكر ؛ لأن قليله يدعو إلى كثير ، والداخل فى الحدود داخل فى التحريم بحكم الجنس كما دخل أصل المعنى بالجملة الأصلية ، فهذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم التقدين ، فينبغى أن يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق لحكمة فينبغى أن يصرف عنها ، ولا يعرف هذا إلا من قد عرف الحكمة ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ﴾ ولكن لا تصادف جواهر الحكم فى قلوب هى مزابل الشهوات وملاعب الشياطين ، بل لايتذكر إلا أولوا الألباب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماء[1] » وإذ عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكوتك ، وكل فعل صادر منك فإنه إما شكر وإما كفر إذ لا يتصور أن ينفك عنهما ، وبعض ذلك نصفه فى لسان الفقه الذى تناطق به عوام الناس بالكراهة وبعضه بالخطر وكل ذلك عند أرباب القلوب موصوف بالخطر ، فأقول مثلا : لو أستنجيت باليمنى فقد كفرت نعمة اليدين، إذ خلق الله لك اليدين وجعل إحداهما أقوى من الأخرى ، فاستحق الأقوى بمزيد رجحانه فى الغالب التشريف والتفضيل، وتفضيل الناقص عدول عن العدل ، والله لا يأمر بالعدل ، ثم أحوجك من أعطاك اليدين إلى أعمال : بعضها شريف كأخذ المصحف ، وبعضها خسيس كإزالة النجاسة ، فإذا أخذت المصحف باليسار وأزلت النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بما هو خسيس فغضضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل ، وكذلك إذا بصقت مثلا فى جهة القبلة أو استقبلتها فى قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله تعالى فى خلق الجهات وخلق سعة العالم لأنه خلق الجهات لتكون متسعك فى حركتك وقسم الجهات إلى مالم يشرفها وإلى ما شرفها بأن وضع فيها بيتاً أضافه إلى نفسه استمالة

---

(١) حديث « لولا أن الشياطين يحومون على بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماء » تقدم فى الصوم .

لقلبك إليه ليتقيد به قلبك فيتقيد بسببه بدنك فى تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار إذا عبدت ربك ، وكذلك انقسمت أفعالك إلى ما هى شريفة كالطاعات وإلى ما هى خسيسة كقضاء الحاجة ورمى البصاق ، فإذا رميت بصاقك إلى جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله تعالى عليك بوضع القبلة التى بوضعها كمال عبادتك ، وكذلك إذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت ؛ لأن الخف وقاية الرجل ، فللرجل فيه حظ ، والبداءة فى الحظوظ ينبغى أن تكون بالأشرف فهو العدل والوفاء بالحكمة ، ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الخف والرجل ، وهذا عند العارفين كبيرة وإن سماه الفقيه مكروها ، حتى إن بعضهم كان قد جمع إكرارا من الحنطة وكان يتصدق بها ، فسئل عن سببه فقال: لبست المداس مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهوا فأريد أن أكفره بالصدقة ، نعم الفقيه لايقدر على تفخيم الأمر فى هذه الأمور لأنه مسكين ، بل بإصلاح العوام الذين تقرب درجتهم من درجة الإنعام وهم مغموسون فى ظلمات أطم وأعظم من أن تظهر أمثال هذه الظلمات بالإضافة إليها ؛ فقبيح أن يقال : الذى شرب الخمر وأخذ القدح بيساره قد تعدى من وجهين : أحدهما الشرب والآخر الأخذ باليسار ، ومن باع خمرا فى وقت النداء يوم الجمعة فقبيح أن يقال خان من وجهين (أحدهما) بيع الخمر ، والآخر البيع فى وقت النداء . ومن قضى حاجته فى محراب المسجد مستدبر القبلة فقبيح أن يذكر تركه الأدب فى قضاء الحاجة من حيث إنه لم يجعل القبلة عن يمينه ، فالمعاصى كلها ظلمات بعضها فوق بعض ، فيمنحق بعضها فى جنب البعض ، فالسيد قد يعاقب عبده إذا استعمل سكينه بغير إذنه ، ولكن لو قتل بتلك السكين أعز أولاده لم يبق لاستعمال السكين بغير إذنه حكم ونكاية فى نفسه ، فكل ماراعاه الأنبياء والأولياء من الآداب وتسامحنا فيه فى الفقه مع العوام فسببه هذه الضرورة ، وإلا فكل هذه المكاره عدول عن العدل وكفران للنعمة ونقصان عن الدرجة المبلغة للعبد إلى درجات القرب ، بعضها يؤثر فى العبد بنقصان القرب وانحطاط المنزلة وبعضها يخرج بالكلية عن حدود القرب إلى عالم البعد الذى هو مستقر الشياطين ، وكذلك من كسر غصنا من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمة ومن غير حاجة غرض صحيح فقد كفر نعمة الله تعالى فى خلق الأشجار وخلق اليد أما اليد فإنها لم تخلق للعبث بل للطاعة والأعمال المعينة على الطاعة . وأما الشجر فإنه خلقه الله تعالى وخلق له العروق وساق إليه الماء وخلق فيه قوة الاغتذاء والنماء ليبلغ منتهى نشوه فينتفع به عباده ، فكسره قبل منتهى نشوة لا على وجه ينتفع به عباده مخالفة لمقصود الحكمة وعدول عن العدل ، فإن كان له غرض صحيح فله ذلك ، إذ الشجر والحيوان جعلا فداء لأغراض الإنسان ، فإنهما جميعا فانيان هالكان ، فإفناء الأخس فى بقاء الأشرف مدة ما أقرب إلى العدل من تضييعهما جميعا وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض جميعا منه ﴾ نعم إذا كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم أيضا وإن كان محتاجا ، لأن كل شجرة بعينها لاتفى بحاجات عباد الله كلهم بل تفى بحاجة واحدة ، ولو خصص واحد بها من غير رجحان واختصاص كان ظلما ، فصاحب الاختصاص هو الذى حصل البذر ووضعه فى الأرض وساق إليه الماء وقام بالتعهد فهو أولى به من غيره فيرجع جانبه بذلك ، فإن نبت ذلك فى موات الأرض لا بسعى آدمى اختص بمغرسه أو بغرسه ، فلا بد من طلب اختصاص آخر وهو السبق إلى أخذه ، فللسابق خاصية السبق ، فالعدل هو أن يكون أولى به وعبر الفقراء عن هذا الترجيح بالملك ، وهو مجاز محض ، إذ لا ملك إلا لملك الملوك الذى له مافى السموات والأرض ، وكيف يكون العبد مالكا وهو فى نفسه ليس يملك نفسه بل هو ملك غيره ، نعم الخلق عباد الله والأرض مائدة الله وقد أذن لهم فى الأكل من مائدته بقدر حاجتهم ، كالملك ينصب مائدة لعبيده ، فمن أخذ لقمة بيمينه واحتوت عليها براجمه فجاء عبد آخر وأراد انتزاعها

من يده لم يمكن منه لا لأن اللقمة صارت ملكا له بالأخذ باليد — فإن اليد وصاحب اليد أيضا مملوك — ولكن إذا كانت كل لقمة بعينها لا تفي بحاجة كل العبيد فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص، والأخذ اختصاص ينفرد به العبد فمنع من لا يدلي بذلك الاختصاص عن مزاحمته، فهكذا ينبغي أن تفهم أمر الله في في عباده، ولذلك نقول: من أخذ من أموال الدنيا أكثر من حاجته وكنزه وأمسكه وفي عباد الله من يحتاج إليه فهو ظالم، وهو من الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، وإنما سبيل الله طاعته وزاد الخلق في طاعته أموال الدنيا، إذ بها تندفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم، نعم لا يدخل هذا في حد فتاوى الفقه لأن مقادير الحاجات خفية والنفوس في استشعار الفقر في الاستقبال مختلفة، وأواخر الأعمار غير معلومة، فتكليف العوام ذلك يجري مجرى تكليف الصبيان الوقار والتؤدة والسكوت عن كلام غير مهم، وهو بحكم نقصانهم لا يطيقونه، فتركنا الاعتراض عليهم في اللعب واللهو وإباحتنا ذلك إياهم لا يدل على أن اللهو واللعب حق، فكذلك إباحتنا للعوام حفظ الأموال والاقتصار في الإنفاق على قدر الزكاة لضرورة ماجبلوا عليه من البخل لا يدل على أنه غاية الحق وقد أشار القرآن إليه، إذ قال تعالى ﴿ إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ﴾ بل الحق الذي لا كدورة فيه والعدل الذي لا ظلم فيه أن لا يأخذ أحد من عباد الله من مال الله إلا بقدر زاد الراكب، فكل عباد الله ركاب لمطايا الأبدان إلى حضرة الملك الديان، فمن أخذ زيادة عليه ثم منعه عن راكب آخر محتاج إليه فهو ظالم تارك للعدو وخارج عن مقصود الحكمة وكافر نعمة الله تعالى عليه بالقرآن والرسول والعقل وسائر الأسباب التي بها عرف أن ماسوى زاد الراكب وبال عليه في الدنيا والآخرة فمن فهم حكمة الله تعالى في جميع أنواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر، واستقصاء ذلك يحتاج إلى مجلدات ثم لا تفي إلا بالقليل، وإنما أوردنا هذا القدر ليعلم علة الصدق في قوله تعالى ﴿ وقليل من عبادي الشكور ﴾ وفرح إبليس لعنه الله بقوله ﴿ ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف معنى هذا كله وأمورا أخر وراء ذلك تقتضي الأعمار دون استقصاء مباديها؛ فأما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة، وبهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير.

* فإن قلت: فقد رجع حاصل هذا الكلام إلى أن الله تعالى حكمة في كل شيء، وأنه جعل بعض أفعال العباد سبباً لتمام الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض أفعالها مانعاً من تمام الحكمة، فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساقت الحكمة إلى غايتها فهو شكر وكل ما خالف ومنع الأسباب من أن تنساق إلى الغاية المرادة بها فهو كفران، وهذا كله مفهوم، ولكن الإشكال باق: وهو أنّ فعل العبد المنقسم إلى مايتمم الحكمة وإلى مايرفعها هو أيضا من فعل الله تعالى، فأين العبد في البين حتى يكون شاكراً مرة وكافراً أخرى؟ فاعلم أنّ تمام التحقيق في هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات، وقد رمزنا فيما سبق إلى تلويحات بمباديها، ونحن الآن نعبر بعبارة وجيزة عن آخرها وغايتها يفهمها من عرف منطق الطير ويجحدها من عجز عن الإيضاع في السير فضلا عن أن يجول في جو الملكوت جولان الطير فنقول: إن الله عز وجل في جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة أعلى وأجل من أن تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها، فلم يكن لها في العالم عبارة لعلو شأنها وانحطاط رتبة واضعي اللغات عن أن يمتد طرف فهمهم إلى مبادي إشراقها، فانخفضت عن ذروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الخفافيش عن نور الشمس، لا لغموض

فى نور الشمس ولكن لضعف فى أبصار الخفافيش ، فاضطر الذين فتحت أبصارهم لملاحظة جلالها إلى أن يستعيروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات عبارة تفهم من مبادى حقائقها شيئا ضعيفا جدّا ، فاستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا لله تعالى صفة هى القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع ، ثم الخلق بنقسم فى الوجود إلى أقسام وخصوص صفات ، ومصدر انقسام هذه الأقسام واختصاصها بخصوص صفاتها صفة أخرى استعير لها بمثل الضرورة التى سبقت عبارة المشيئة ، فهى توهم منها أمرا مجملا عند المتناطقين باللغات التى هى حروف وأصوات المتفاهمين بها ، وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدر ثم انقسمت الأفعال الصادرة من القدرة إلى ماينساق إلى المنتهى الذى هو غاية حكمتها وإلى مايقف دون الغاية ، وكان لكل واحد نسبة إلى صفة المشيئة لرجوعها إلى الاختصاصات التى بها تتم القسمة والاختلافات ، فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبة ، واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة ، وقيل : إنهما جميعاً داخلان فى وصف المشيئة ، ولكن لكل واحد خاصية أخرى فى النسبة يوهم لفظ المحبة والكراهة ، منهما أمرا مجملا عند طالبى الفهم من الألفاظ واللغات ، ثم انقسم عباده الذين هم أيضاً من خلقه واختراعه إلى من سبقت له المشيئة الأزلية أن يستعمله لاستيفاء حكمته دون غايتها ، ويكون ذلك قهراً فى حقهم بتسليط الدواعى والبواعث عليهم وإلى من سبقت لهم فى الأزل أن يستعملهم لسياقة حكمته إلى غايتها فى بعض الأمور ، فكان لكل واحد من الفريقين نسبة إلى المشيئة خاصة ، فاستعير لنسبة المستعملين فى إتمام الحكمة بهم عبارة الرضا ، واستعير للذين استوقف بهم أسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب ، فظهر على من غضب عليه فى الأزل فعل وقفت الحكمة به دون غايتها . فاستعير له الكفران ، وأردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة فى النكال ، وظهر على من ارتضاه فى الأزل فعل انساقت بسببه الحكمة إلى غايتها ، فاستعير له عبارة الشكر وأردف بخلعة الثناء والإطراء زيادة فى الرضا والقبول والإقبال فكان الحاصل أنه تعالى أعطى الجمال ثم أثنى ، وأعطى النكال ثم قبح وأردى ، وكان مثاله أن ينظف الملك عبده الوسخ عن أوساخه ثم يلبسه من محاسن ثيابه ، فإذا تم زينته قال ياجميل ما أجملك وأجمل ثيابك وأنظف وجهك ، فيكون بالحقيقة هو المجمل وهو المثنى على الجمال فهو المثنى عليه بكل حال ، وكأنه لم يثنى من حيث المعنى إلا على نفسه ، وإنما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة ، فهكذا كانت الأمور فى الأزال ، وهكذا تتسلسل الأسباب والمسببات بتقدير رب الأرباب ومسبب الأسباب ، ولم يكن ذلك على اتفاق وبحث بل عن إرادة وحكمة وحكم حق وأمر جزم استعير له لفظ القضاء ، وقيل إنه كلمح بالبصر أو هو أقرب ، لفاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم بما سبق به التقدير ، فاستعير لترتب آحاد المقدورات بعضها على بعض لفظ القدر فكان لفظ القضاء بإزاء الأمر الواحد الكلى ، ولفظ القدر بإزاء التفصيل المتمادى إلى غير نهاية . وقيل : إنّ شيئا من ذلك ليس خارجا عن القضاء والقدر ، فخطر لبعض العباد أن القسمة لماذا اقتضت هذا التفصيل ، وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفضيل ، وكان بعضهم لقصوره لايطيق ملاحظة كنه هذا الأمر والاحتواء على مجامعه ، فألجموا عما لم يطيقوا خوض غمرته بلجام المنع وقيل لهم اسكنوا فما لهذا خلقتم ﴿ لايسئل عما يفعل وهم يسئلون ﴾ وامتلأت مشكاة بعضهم نورا مقتبسا من نور الله تعالى فى السموات والأرض ، وكان زيتهم أولا صافيا يكاد يضىء ولولم تمسسه نار ، فمسته نار فاشتعل نورا على نور ، فأشرقت أقطار الملكوت بين أيديهم بنور ربها فأدركوا الأمور كلها كما هى عليه فقيل لهم : تأدبوا بآداب الله تعالى واسكنوا ، وإذا

ذكر القدر فأمسكوا [1] فإن للحيطان آذانا وحواليكم ضعفاء الأبصار ، فسيروا بسير أضعفكم ولاتكشفوا حجاب الشمس لأبصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم ، فتخلقوا بأخلاق الله تعالى وانزلوا إلى سماء الدنيا من منتهى علوكم ليأنس بكم الضعفاء ويقتبسوا من بقايا أنواركم المشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب فى جنح الليل ، فيحيا به حياة يحتملها شخصه وحاله وإن كان لايحيا به حياة المترددين فى كمال نور الشمس ، وكونوا كمن قيل فيهم :

شربنا شرابا طيبا عند طيب كذاك شراب الطيبين يطيب
شربنا وأهرقنا على الأرض فضله وللأرض من كاس الكرام نصيب

فهكذا كان أول هذا الأمر وآخره ، ولا تفهمه إلا إذا كنت أهلا له ، وإذا كنت أهلا له فتحت العين وأبصرت فلا تحتاج إلى قائد يقودك ، والأعمى يمكن أن يقاد ولكن إلى حد ما ؛ فإذا ضاق الطريق وصار أحد من السيف وأدق من الشعر قدر الطائر على أن يطير عليه ولم يقدر على أن يستجر وراءه أعمى ، وإذا دق المجال ولطف لطف الماء مثلا ولم يكن العبور إلا بالسباحة ، فقد يقدر الماهر بصنعة السباحة أن يعبر بنفسه وربما لم يقدر على أن يستجر وراءه آخر ، فهذه أمور نسبة السير عليها إلى السير على ماهو مجال جماهير الخلق كنسبة المشى على الماء إلى المشى على الأرض ، والسباحة يمكن أن تتعلم ؛ فأما المشى على الماء فلايكتسب بالتعليم بل ينال بقوة اليقين ؛ ولذلك قيل للنبى صلى الله عليه وسلم : إن عيسى عليه السلام يقال إنه مشى على الماء ! فقال صلى الله عليه وسلم « لو ازداد يقينا لمشى على الهواء [2] » فهذه رموز وإشارات إلى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران ، لايليق بعلم المعاملة أكثر منها ، وقد ضرب الله تعالى مثلا لذلك تقريبا إلى أفهام الخلق إذ عرف أنه ماخلق الجن والإنس إلا ليعبدوه ، فكانت عبادتهم غاية الحكمة فى حقهم ، ثم أخبر أن له عبدين يحب أحدهما واسمه جبريل وروح القدس والأمين ، وهو عنده محبوب مطاع أمين مكين : ويبغض الآخر واسمه إبليس وهو اللعين المنظر إلى يوم الدين ، ثم أحال الإرشاد إلى جبريل فقال تعالى ﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ﴾ وقال تعالى ﴿ يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾ وأحال الإغواء على إبليس فقال تعالى ﴿ ليضل عن سبيله ﴾ والإغواء هو استيقاف العباد دون بلوغ غاية الحكمة ، فانظر كيف نسبه إلى العبد الذى غضب عليه ، والإرشاد سياقه لهم إلى الغاية فانظر كيف نسبه إلى العبد الذى أحبه ، وعندك فى العادة له مثال ، فالملك إذا كان محتاجا إلى من يسقيه الشراب وإلى من يحجمه وينظف فناء منزله عن القاذورات وكان له عبدان فلا يعين للحجامة والتنظيف إلا أقبحهما وأخسهما ولايفوض حمل الشراب والطيب إلا إلى أحسنهما وأكملهما وأحبهما إليه ولاينبغى أن تقول « هذا فعلى ، ولم يكون فعله دون فعلى ؟ » فإنك أخطأت إذ أضفت ذلك إلى نفسك ، بل هو الذى صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب إتماما للعدل ، فإن عدله تارة يتم بأمور لامدخل لك فيها ، وتارة يتم فيك فإنك أيضا من أفعاله ، فداعيتك وقدرتك وعلمك وعملك وسائر أسباب

(١) حديث « إذا ذكر القدر فأمسكوا » رواه الطبرانى من حديث ابن مسعود ، وقد تقدم فى العلم ، ولم يصرح المصنف بكونه حديثا . (٢) حديث قيل له : يقال إن عيسى مشى على الماء قال « لوازداد يقينا لمشى على الهواء » هذا حديث منكر لايعرف هكذا ، والمعروف . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب اليقين من قول بكر بن عبدالله المزنى قال : فقد الحواريون نبيهم فقيل لهم توجه نحو البحر فانطلقوا يطلبونه ، فلما انتهوا إلى البحر إذا هو قد أقبل يمشى على الماء ، فذكر حديثا فيه أن عيسى قال : لو أن لابن آدم من اليقين شعرة مشى على الماء . وروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس بسند ضعيف من حديث معاذ بن جبل « لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال » .

حركاتك فى التعبير هو فعله الذى رتبه بالعدل ترتيبا تصدر منه الأفعال المعتدلة ، إلا أنك لاترى إلانفسك فتظن أنّ مايظهر عليك فى عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والملكوت ، فلذلك تضيفه إلى نفسك ، وإنما أنت مثل الصبي الذى ينظر ليلا إلى لعب المشعبذ الذى يخرج صورا من وراء حجاب ترقص وتزعق وتقوم وتقعد وهى مؤلفة من خرق لاتتحرك بأنفسها وإنما تحركها خيوط شعرية دقيقة لاتظهر فى ظلام الليل ورءوسها فى يد المشعبذ وهو محتجب عن أبصار الصبيان ، فيفرحون ويتعجبون لظنهم أن تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقعد . وأما العقلاء فإنهم يعلمون أن ذلك تحريك وليس بتحرك ، ولكنهم ربما لايعلمون كيف تفصيله ، والذى يعلم بعض تفصيله لايعلمه كما يعلمه المشعبذ الذى الأمر إليه والجاذبة بيده ، فكذلك صبيان أهل الدنيا والخلق كلهم صبيان بالنسبة إلى العلماء ، ينظرون إلى هذه الأشخاص فيظنون أنها المتحركة فيحيلون عليها ، والعلماء يعلمون أنهم محركون إلا أنهم لايعرفون كيفية التحريك وهم الأكثرون ، إلا العارفون والعلماء الراسخون فإنهم أدركوا بحدة أبصارهم خيوطا دقيقة عنكبوتية بل أدق منها بكثير معلقة من السماء متشبثة الأطراف بأشخاص أهل الأرض لاتدرك تلك الخيوط لدقتها بهذه الأبصار الظاهرة ، ثم شاهدوا رءوس تلك الخيوط فى مناطات لها هى معلقة بها ، وشاهدوا لتلك المناطات مقابض هى فى أيدى الملائكة المحركين للسموات ، وشاهدوا أيضا ملائكة السموات مصروفة إلى حملة العرش ينتظرون منهم ماينزل عليهم من الأمر من حضرة الربوبية كى لايعصوا الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون ، وعبر عن هذه المشاهدات فى القرآن وقيل ﴿ وفى السماء رزقكم وما توعدون ﴾ وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل إليهم من القدر والأمر فقيل ﴿ خلق سبع سموات، ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أنّ الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ﴾ وهذه أمور لايعلم تأويلها إلا الله والراسخون فى العلم . وعبر ابن عباس رضى الله عنهما عن اختصاص الراسخين فى العلم بعلوم لاتحتملها أفهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى ﴿ يتنزل الأمر بينهن ﴾ فقال : لو ذكرت ما أعرفه من معنى هذه الآية لرجمتمونى ، وفى لفظ آخر : لقلتم إنه كافر .

ولنقتصر على هذا القدر فقد خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار وامتزج بعلم المعاملة ماليس منه ، فلنرجع إلى مقاصد الشكر فنقول :

إذا رجع حقيقة الشكر إلى كون العبد مستعملا فى إتمام حكمة الله تعالى ، فأشكر العباد أحبهم إلى الله وأقربهم إليه وأقربهم إلى الله الملائكة ولهم أيضا ترتيب ، وما منهم إلا وله مقام معلوم ، وأعلاهم فى رتبة القرب ملك اسمه إسرافيل عليه السلام ، وإنما علو درجتهم لأنهم فى أنفسهم كرام بررة ، وقد أصلح الله تعالى بهم الأنبياء عليهم السلام ، وهم أشرف مخلوق على وجه الأرض ، ويلى درجتهم درجة الأنبياء فإنهم فى أنفسهم أخيار ، وقد هدى الله بهم سائر الخلق وتمم بهم حكمته ، وأعلاهم رتبة نبينا صلى الله عليه وسلم وعليهم ، إذ أكمل الله به الدين وختم به النبيين ، ويليهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء فإنهم فى أنفسهم صالحون ، وقد أصلح الله بهم سائر الخلق ، ودرجة كل واحد منهم بقدر ما أصلح من نفسه ومن غيره ، ثم يليهم السلاطين بالعدل لأنهم أصلحوا دنيا الخلق كما أصلح العلماء دينهم ، ولأجل اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان أفضل من سائر الأنبياء فإنه أكمل الله به صلاح دينهم ودنياهم ولم يكن السيف والملك لغيره من الأنبياء ، ثم يلى العلماء والسلاطين الصالحون الذين أصلحوا دينهم ونفوسهم فقط ، فلم تتم حكمة الله بهم بل فيهم ، ومن عدا هؤلاء فهمج رعاع .

واعلم أن السلطان به قوام الدين فلا ينبغى أن يستحقر وإن كان ظالما فاسقا . قال عمرو بن العاص رحمه الله : إمام غشوم خير من فتنة تدوم . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون ، ويفسدون وما يصلح الله بهم أكثر ، فإن أحسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر ، وإن أساءوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر [1] » . وقال سهل : من أنكر إمامة السلطان فهو زنديق ، ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع ، ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل . وسئل : أى الناس خير ؟ فقال : السلطان ، فقيل : كنا نرى أن شر الناس السلطان ! فقال مهلا ، إن الله تعالى له كل يوم نظرتين : نظرة إلى سلامة أموال المسلمين ، ونظرة إلى سلامة أبدانهم ، فيطلع فى صحيفته فيغفر له جميع ذنبه ، وكان يقول : الخشبات السود المعلقة على أبوابهم خير من سبعين قاصا يقصون .

الركن الثانى من أركان الشكر : ما عليه الشكر

وهو النعمة ، فلنذكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأصنافها ومجامعها فيما يخص ويعم فإن إحصاء نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر ، كما قال تعالى ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ فنتقدم أمورا كلية تجرى مجرى القوانين فى معرفة النعم ، ثم نشتغل بذكر الآحاد ، والله الموفق للصواب .

بيان حقيقة النعمة وأقسامها

اعلم أن كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فإنه يسمى نعمة ، ولكن النعمة بالحقيقة هى السعادة الأخروية ، وتسمية ماسواها نعمة وسعادة إما غلط وإما مجاز ، كتسمية السعادة الدنيوية التى لا تعين على الآخرة نعمة فإن ذلك غلط محض ، وقد يكون اسم النعمة للشىء صدقا ولكن يكون إطلاقه على السعادة الأخروية أصدق فكل سبب يوصل إلى سعادة الآخرة ويعين عليها إما بوسطة واحدة أو بوسائط فإن تسميته نعمة صحيحة وصدق لأجل أنه يفضى إلى النعمة الحقيقية . والأسباب المعينة واللذات المسماة نعمة نشرحها بتقسيمات :

(القسمة الأولى) أن الأمور كلها بالإضافة إلينا تنقسم إلى ماهو نافع فى الدنيا والآخرة جميعا : كالعلم وحسن الخلق وإلى ماهو ضار فيهما جميعا كالجهل وسوء الخلق ، وإلى ماينفع فى الحال ويضر فى المآل : كالتلذذ باتباع الشهوة ، وإلى مايضر فى الحال ويؤلم ولكن ينفع فى المآل : كقمع الشهوات ومخالفة النفس ، فالنافع فى الحال والمآل هو النعمة تحقيقا كالعلم وحسن الخلق والضار فيهما هو البلاء تحقيقا وهو ضدهما والنافع فى الحال المضر فى المآل بلاء محض عند ذوى البصائر وتظنه الجهال نعمة ومثاله الجائع إذا وجد عسلا فيه سم فإنه يعده نعمة إن كان جاهلا ، وإذا علمه علم أن ذلك بلاء سيق إليه . والضار فى الحال النافع فى المآل نعمة عند ذوى الألباب بلاء عند الجهال : ومثاله الدواء البشع فى الحال مذاقه إلا أنه شاف من الأمراض والأسقام وجالب للصحة والسلامة ، فالصبى الجاهل إذا كلف شربه ظنه بلاء والعاقل يعده نعمة ويتقلد المنة ممن يهديه إليه ويقربه منه ويهيئ له أسبابه ، فلذلك تمنع الأم ولدها من الحجامة والأب يدعوه إليها ، فإن الأب لكمال عقله يلمح العاقبة ، والأم لفرط حبها وقصورها تلحظ الحال ، والصبى لجهله يتقلد منة من أمه دون أبيه

(١) حديث « سيكون عليكم أمراء يفسدون ومايصلح الله بهم أكثر ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أم سلمة « يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون » ورواه الترمذى بلفظ « سيكون عليكم أئمة » وقال حسن صحيح ، والبزار بسند ضعيف من حديث ابن عمر « السلطان ظل الله فى الأرض يأوى إليه كل مظلوم من عباده ، فإن عدل كان له الأجر وكان على الرعية الشكر ، وإن جار أو حاف أو ظلم كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر » وأما قوله « ومايصلح الله بهم أكثر » فلم أجده بهذا اللفظ ، إلا أنه يؤخذ من حديث ابن مسعود حين فزع إليه الناس لما أنكروا سيرة الوليد بن عقبة فقال عبد الله : اصبروا فإن جور إمامكم خمسين سنة خير من هرج شهر ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول — فذكر حديثا فيه « والإمارة الفاجرة خير من الهرج » رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد لا بأس به .

ويأنس إليها وإلى شفقتها ويقدر الأب عدوا له ؛ ولو عقل لعلم أن الأم عدوا باطنا فى سورة صديق ، لأن منعها إياه من الحجامة يسوقه إلى أمراض وآلام أشد من الحجامة ، ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل ، وكل إنسان فإنه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل ، فلذلك تعمل به مالا يعمل به العدو .

(قسمة ثانية) اعلم أن الأسباب الدنيوية مختلطة قد امتزج خيرها بشرها ، فقلما يصفو خيرها كالمال والأهل والولد والأقارب والجاه وسائر الأسباب ، ولكن تنقسم إلى مانفعه أكثر من ضره كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر الأسباب ، وإلى ماضره أكثر من نفعه فى حق أكثر الأشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع ، وإلى مايكافئ ضرور نفعه وهذه أمور تختلف بالأشخاص ؛ فرب إنسان صالح ينتفع بالمال الصالح وإن كثر فينفقه فى سبيل الله ويصرفه إلى الخيرات ، فهو مع هذه التوفيق نعمة فى حقه ، ورب انسان يستضر بالقليل أيضا إذ لا يزال مستصغرا له شاكيا من ربه طالبا للزيادة عليه ، فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء فى حقه .

(قسمة ثالثه) اعلم أن الخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى ما هو مؤثر لذاته لا لغيره ، وإلى مؤثر لغيره ، وإلى مؤثر لذاته ولغيره ، فالأول : مايؤثر لذاته لا لغيره : كلذة النظر إلى وجه الله تعالى وسعادة لقائه ، وبالجملة سعادة الآخرى التى لا انقضاء لها فإنها لا تطلب ليتوصل بها إلى غاية أخرى مقصودة وراءها ، بل تطلب لذاتها . الثانى : مايقصد لغيره ولا غرض أصلا فى ذاته : كالدراهم والدنانير فإن الحاجة لو كانت لاتنقضى بها لكانت هى والحصباء بمثابه واحدة ، ولكن لما كانت وسيلة إلى اللذات سريعة الإيصال إليها صارت عند الجهال محبوبة فى نفسها حتى يجمعونها ويكنزونها ويتصارفوا عليها بالربا ويظنون أنها مقصودة ، ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصا فيحب بسببه رسوله الذى يجمع بينه وبينه ثم ينسى فى محبة الرسول محبة الأصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولا بتعهد الرسول ومراعاته وتفقده ، وهو غاية الجهل والضلال الثالث : ما يقصد لذاته ولغيره : كالصحة والسلامة فإنها تقصد ليقدر بسببها على الذكر والفكر الموصلين إلى لقاء الله تعالى ، أو ليتوصل بها إلى استيفاء لذات الدنيا ، وتقصد أيضا لذاتها فإن الإنسان وإن استغنى عن الشىء الذى تراد سلامة الرجل لأجله فيريد أيضا سلامة الرجل من حيث إنها سلامة ، فإذن المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقا ، وما يؤثر لذاته ولغيره أيضا فهو نعمة ولكن دون الأول ، فأما مالا يؤثر إلا لغيره كالنقدين فلا يوصفان أنفسهما من حيث إنهما جوهران بأنهما نعمة ، بل من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة فى حق من يقصد أمر ليس يمكنه أن يتوصل إليه إلا بهما ، فلو كان مقصده العلم والعبادة ومعه الكفاية التى هى ضرورة حياته ، استوى عنده الذهب والمدر ، فكان وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة ، بل ربما شغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء فى حقه ولا يكونان نعمة .

(قسمة رابعة) اعلم أن الخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى نافع ولذيذ وجميل ، فاللذيذ هو الذى تدرك راحته فى الحال ، والنافع هو الذى يفيد فى المآل ، والجميل هو الذى يستحسن فى سائر الأحوال : والشرور أيضا تنقسم إلى ضار وقبيح ومؤلم ، وكل واحد من القسمين ضربان : مطلق ومقيد ، فالمطلق هو الذى اجتمع فيه الأوصاف الثلاثة أما فى الخير فكالعلم والحكمة فإنها نافعة وجميلة ولذيذة عند أهل العلم والحكمة ، وأما فى الشر فكالجهل فإنه ضار وقبيح ومؤلم ، وإنما يحس الجاهل بألم جهله إذا عرف أنه جاهل ، وذلك بأن يرى غيره عالما ويرى نفسه جاهلا فيدرك ألم النقص فتنبعث منه شهوة العلم اللذيذة ، ثم قد يمنع الحسد والكبر والشهوات البدنية عن التعلم فيتجاذبه متضادان فيعظم ألمه ، فإنه إن ترك التعلم تألم بالجهل ودرك النقصان ، وإن اشتغل بالتعلم تألم بترك الشهوات أو بترك

الكبر وذل التعلم ، ومثل هذا الشخص لا يزال فى عذاب دائم لا محالة . الضرب الثانى : المفيد ، وهو الذى جمع بعض هذه الأوصاف دون بعض ، فرب نافع مؤلم كقطع الأصبع المتأكلة والسلعة الخارجة من البدن ، ورب نافع قبيح كالحق فإنه بالإضافة إلى بعض الأحوال نافع ، فقد قيل : استراح من لاعقل له فإنه لا يتهم بالعاقبة فيستريح فى الحال إلى أن يحين وقت هلاكه ، ورب نافع من وجه ضارّ من وجه : كإلقاء المال فى البحر عند خوف الغرق ، فإنه ضارّ للمال نافع للنفس فى نجاتها . والنافع قسمان : ضرورى كالإيمان وحسن الخلق فى الإيصال إلى سعادة الآخرة وأعنى بهما العلم والعمل إذ لا يقوم مقامهما ألبتة غيرهما ، وإلى ما لا يكون ضروريا كالسكنجبين مثلا فى تسكين الصفراء ؛ فإنه قد يمكن تسكينها أيضا بما يقوم مقامه .

(قسمة خامسة) اعلم أنّ النعمة يعبر بها عن كل لذيذ ، واللذات بالإضافة إلى الإنسان من حيث اختصاصه بها أو مشاركته لغيره ثلاثة أنواع : عقلية ، وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات ، وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات . أما العقلية فكلذة العلم والحكمة ، إذ ليس يستلذها السمع والبصر والشم والذوق ولا البطن ولا الفرج ، وإنما يستلذها القلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها بالعقل ، وهذه أقل اللذات وجودا وهى أشرفها ، أما قلتها فلأن العلم لا يستلذه إلا عالم ، والحكمة لا يستلذها إلا حكيم ، وما أقل أهل العلم والحكمة ، وما أكثر المتسمين باسمهم والمترسمين برسومهم . وأما شرفها فلأنها لازمة لاتزول أبدا لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ودائمة لا تمل ، فالطعام يشبع منه فيمل ، وشهوة الوقاع يفرغ منها فتستثقل ، والعلم والحكمة قط لا يتصوّر أن تمل وتستثقل ، ومن قدر على الشريف الباقى أبد الآباد إذا رضى بالخسيس الفانى فى أقرب الآماد فهو مصاب فى عقله محروم لشقاوته وإدباره وأقل أمر فيه : أن العلم والعقل لا يحتاج إلى أعوان وحفظة بخلاف المال ، إذ العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم يزيد بالإنفاق والمال ينقص بالإنفاق ، والمال يسرق والولاية يعزل عنها ، والعلم لا تمتدّ إليه أيدى السراق بالأخذ ولا أيدى السلاطين بالعزل ، فيكون صاحبه فى روح الأمن أبدا ؛ وصاحب المال والجاه فى كرب الخوف أبدا ، ثم العلم نافع ولذيذ وجميل فى كل حال أبدا ، والمال تارة يجذب إلى الهلاك وتارة يجذب إلى النجاة ، ولذلك ذم الله تعالى المال فى القرآن فى مواضع وإن سماه خيرا فى مواضع . وأما قصور أكثر الخلق عن إدراك لذة العلم . فإما لعدم الذوق فمن لم يذق لم يعرف ولم يشتق ، إذ الشوق تبع الذوق ، وإما لفساد أمزجتهم ومرض قلوبهم بسبب أتباع الشهوات ، كالمريض الذى لا يدرك حلاوة العسل ويراه مرّاً ، وإما لقصور فطنتهم ، إذ لم تخلق لهم بعد الصفة التى بها يستلذ العلم ، كالطفل الرضيع الذى لا يدرك لذة العسل والطيور السمان ولا يستلذ إلا اللبن ، وذلك لا يدل على أنها ليست لذيذة ، ولا استطابته اللبن تدل على أنه ألذ الأشياء ، فالقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلاثة ، إما من لم يحى باطنه كالطفل ، وإما من مات بعد الحياة باتباع الشهوات ، وإما من مرض بسبب اتباع الشهوات : وقوله تعالى ﴿ فى قلوبهم مرض ﴾ إشارة إلى مرض العقول . وقوله عز وجل ﴿ لينذر من كان حيا ﴾ إشارة إلى من لم يحى حياة باطنة ، وكل حى بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتى وإن كان عند الجهال من الأحياء ، ولذلك كان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فرحين وإن كانوا موتى بالأبدان الثانية : لذة يشارك الإنسان فيها بعض الحيوانات كلذة الرياسة والغلبة والاستيلاء ، وذلك موجود فى الأسد والنمر وبعض الحيوانات . الثالثة . مايشارك فيها سائر الحيوانات كلذة البطن والفرج ، وهذه أكثرها وجودا وهى أخسها ، ولذلك اشترك فيها كل سامت ودرج حتى الديدان والحشرات ، ومن جاوز هذه الرتبة تشبثت به لذة الغلبة ، وهو

أشدّها التصاقا بالمتغافلين ، فإن جاوز ذلك ارتقى إلى الثالثة فصار أغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة ، لاسيما لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله ، وهذه رتبة الصدّيقين ، ولا ينال تمامها إلا بخروج استيلاء حب الرياسة من القلب ، وآخر مايخرج من رءوس الصدّيقين حب الرياسة . وأما شره البطن والفرج فكسره مما يقوى عليه الصالحون وشهوة الرياسة لايقوى على كسرها إلا الصدّيقون : فأما قمعها بالكلية ـ حتى لا يقع بها الإحساس على الدوام وفى اختلاف الأحوال فيشبه أن يكون خارجا عن مقدور البشر . نعم تغلب لذة معرفة الله تعالى فى أحوال لا يقع معها الإحساس بلذة الرياسة والغلبة ، ولكن ذلك لايدوم طول العمر بل تعتريه الفترات فتعود إلى الصفات البشرية فتكون موجودة ولكن تكون مقهورة لا تقوى على حمل النفس على العدول عن العدل ، وعند هذا تنقسم القلوب إلى أربعة أقسام : قلب لا يحب إلا الله تعالى ولا يستريح إلا بزيادة المعرفة به والفكر فيه ، وقلب لايدرى ما لذة المعرفة وما معنى الأنس بالله وإنما لذته بالجاه والرياسة والمال وسائر الشهوات البدنية وقلب أغلب أحواله الأنس بالله سبحانه والتلذذ بمعرفته والفكر فيه ولكن قد يعتريه فى بعض الأحوال الرجوع إلى أوصاف البشرية . وقلب أغلب أحواله التلذذ بالصفات البشرية ويعتريه فى بعض الأحوال تلذذ بالعلم والمعرفة . أما الأول فإن كان ممكناً فى الوجود فهو فى غاية البعد . وأما الثانى فالدنيا طافحة به . وأما الثالث والرابع فموجودان ولكن على غاية الندور ، ولا يتصوّر أن يكون ذلك نادراً شاذاً ، وهو مع الندور يتفاوت فى القلة والكثرة ، وإنما تكون كثرته فى الأعصار القريبة من أعصار الأنبياء عليهم السلام ، فلا يزال يزداد العهد طولا وتزداد مثل هذه القلوب قلة ، إلى أن تقرب الساعة ويقضى الله أمراً كان مفعولا ، وإنما وجب أن يكون هذا نادراً لأنه مبادى ملك الآخرة والملك عزيز والملوك لايكثرون ، فكما لا يكون الفائق فى الملك والجمال إلا نادراً وأكثر الناس من دونهم ، فكذا فى ملك الآخرة ، فإنّ الدنيا مرآة الآخرة ، فإنها عبارة عن عالم الشهادة ، والآخرة عبارة عن عالم الغيب ، وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب ، كما أنّ الصورة فى المرآة تابعة لصورة الناظر فى المرآة ، والصورة فى المرآة وإن كانت هى الثانية فى رتبة الوجود فإنها أولى فى حق رؤيتك ، فإنك لاترى نفسك ، وترى صورتك فى المرآة أوّلا فتعرف بها صورتك التى هى قائمة بك ثانياً على سبيل المحاكاة ؛ فالقلب التابع فى الوجود متبوعا فى حق المعرفة والقلب المتأخر متقدّما ؛ وهذا نوع من الانعكاس ولكن الانعكاس والانتكاس ضرورة هذا العالم، فكذلك عالم الملك والشهادة محاك لعالم الغيب والملكوت ، فمن الناس من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر فى شىء من عالم الملك إلا ويعبر به إلى عالم الملكوت فيسمى عبوره عبرة ، وقد أمر الحق به فقال ﴿ فاعتبروا يا أولى الأبصار ﴾ ومنهم من عميت بصيرته فلم يعتبر فاحتبس فى عالم الملك والشهادة وستنفتح إلى حبسه أبواب جهنم وهذا الحبس مملوء ناراً من شأنها أن تطلع على الأفئدة ، إلا أن بينه وبين إدراك ألمها حجابا ، فإذا رفع ذلك الحجاب بالموت أدرك ، وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم استنطقهم بالحق فقالوا الجنة والنار مخلوقتان ، ولكن الجحيم تدرك مرة بإدراك يسمى علم اليقين ، ومرة بإدراك آخر يسمى عين اليقين ، وعين اليقين لايكون إلا فى الآخرة ، وعلم اليقين قد يكون فى الدنيا ولكن للذين قد وفوا حظهم من نور اليقين ، فلذلك قال الله تعالى ﴿ كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ﴾ أى فى الدنيا ﴿ ثم لترونها عين اليقين ﴾ أى فى الآخرة ، فإذن قد ظهر أن القلب الصالح لملك الآخرة لا يكون إلا عزيزا كالشخص الصالح لملك الدنيا .

(قسمة سادسة) حاوية لمجامع النعم : اعلم أنّ النعم تنقسم إلى ماهى غاية مطلوبة لذاتها وإلى ماهى مطلوبة لأجل

الغاية ؛ أما الغاية فإنها سعادة الآخرة ويرجع حاصلها إلى أربعه أمور : بقاء لا فناء له ، وسرور لاغم فيه ، وعلم لا جهل معه ، وغنى لا فقر بعده ، وهى النعمة الحقيقية ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا عيش إلا عيش الآخرة [1] » وقال ذلك مرة فى الشدة تسلية للنفس ، وذلك فى وقت حفر الخندق فى شدّة الضر ؛ وقال ذلك مرة فى السرور منعا للنفس من الركون إلى سرور الدنيا ؛ وذلك عند إحداق الناس به فى حجة الوداع [2] . وقال رجل : اللهم إنى أسألك تمام النعمة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « وهل تعلم ماتمام النعمة ؟ قال : لا . قال « تمام النعمة دخول الجنة [3] » .

وأما الوسائل فتنقسم إلى الأقرب الأخص كفضائل النفس ؛ وإلى مايليه فى القرب كفضائل البدن وهو الثانى ، وإلى مايليه فى القرب ويجاوز إلى غير البدن كالأسباب المطيفة بالبدن من المال والأهل والعشيرة ؛ وإلى مايجمع بين هذه الأسباب الخارجة عن النفس وبين الحاصلة للنفس كالتوفيق والهداية ، فهى إذن أربعة أنواع : (النوع الأوّل) وهو الأخص الفضائل النفسية ويرجع حاصلها مع انشعاب أطرافها إلى الإيمان وحسن الخلق ، وينقسم الإيمان إلى علم المكاشفة وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته ورسله ، وإلى علوم المعاملة . وحسن الخلق ينقسم إلى قسمين : ترك مقتضى الشهوات والغضب واسمه العفة ومراعاة العدل فى الكف عن مقتضى الشهوات والإقدام حتى لايمتنع أصلا ولايقدم كيف شاء ، بل يكون إقدامه وإحجامه بالميزان العدل الذى أنزله الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، إذ قال تعالى ﴿أن لاتطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولاتخسروا الميزان﴾ فمن خصى نفسه ليزيل شهوة النكاح ، أو ترك النكاح مع القدرة والأمن من الآفات ، أو ترك الأكل حتى ضعف عن العبادة والذكر والفكر فقد أخسر الميزان . ومن انهمك فى شهوة البطن والفرج فقد طغى فى الميزان ، وإنما العدل أن يخلو وزنه وتقديره عن الطغيان والخسران فتعتدل به كفتا الميزان ، فإذن الفضائل الخاصة بالنفس المقرّبة إلى الله تعالى أربعة : علم مكاشفة ، وعلم معاملة ، وعفة ، وعدالة . ولايتم هذا فى غالب الأمر إلا بالنوع الثانى وهو الفضائل البدنية وهى أربعة : الصحة ، والقوّة ، والجمال ، وطول العمر ولاتتهيأ هذه الأمور الأربعة إلا بالنوع الثالث وهى النعم الخارجة المطيفة بالبدن وهى أربعة : المال والأهل ، والجاه ، وكرم العشيرة ، ولاينتفع بشىء من هذه الأسباب الخارجة والبدنية إلا بالنوع الرابع وهى الأسباب التى تجمع بينها وبين ماينا سب الفضائل النفسية الداخلة وهى أربعة هداية الله ، ورشده ، وتسديده ، وتأييده . فمجموع هذه النعم ستة عشر إذا قسمناها إلى أربعة وقسمنا كل واحدة من الأربعة إلى أربعة وهذه الجملة يحتاج البعض منها إلى البعض إما حاجة ضرورية أو نافعة . أما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الآخرة إلى الإيمان وحسن الخلق إذ لاسبيل إلى الوصول إلى سعادة الآخرة ألبتة إلا بهما ، فليس للإنسان إلا ماسعى وليس لأحد فى الآخرة إلا ماتزوّد من الدنيا ، فكذلك حاجة الفضائل النفسية التى تكسب هذه العلوم وتهذيب الأخلاق إلى صحة البدن ضرورى : وأما الحاجة النافعة على الجملة فكحاجة هذه النعم النفسية والبدنية إلى النعم الخارجة مثل المال والعز والأهل ، فإن ذلك لو عدم ربما تطرق الخلل إلى بعض النعم الداخلة .

* فإن قلت : فما وجه الحاجة لطريق الآخرة إلى النعم الخارجة من المال والاهل والجاه والعشيرة ؟ فاعلم أنّ هذه الاسباب جارية مجرى الجناح المبلغ والآلة المسهلة للمقصود . أما المال فالفقير فى طلب العلم والكمال وليس

(١) حديث قوله عند حفر الخندق « لاعيش إلا عيش الآخرة » متفق عليه من حديث أنس .
(٢) حديث قوله فى حجة الوداع « لاعيش إلا عيش الآخرة » رواه الشافعى مرسلا ، والحاكم متصلا وصححه ، وتقدم فى الحج
(٣) حديث قال رجل : اللهم إنى أسألك تمام النعمه ... الحديث ، أخرجه الترمذى من حديث معاذ بسند حسن .

له كفاية : كساع إلى الهيجا بغير سلاح ، وكبازى يروم الصيد بلا جناح ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « نعم المال الصالح للرجل الصالح [١] » وقال صلى الله عليه وسلم « نعم العون على تقوى الله المال [٢] » وكيف لا ومن عدم المال صار مستغرق الاوقات فى طلب الاقوات وفى تهيئة اللباس والمسكن وضرورات المعيشة ، ثم يتعرض لانواع من الاذى تشغله عن الذكر والفكر ولا تندفع إلا بسلاح المال ، ثم مع ذلك يحرم عن فضيلة الحج والزكاة والصدقات وإفاضة الخيرات .

وقال بعض الحكماء ـ وقد قيل له ما النعيم ؟ فقال : الغنى فإنى رأيت الفقير لا عيش له . قيل : زدنا ! قال : الامن ، فإنى رأيت الخائف لا عيش له . قيل : زدنا ! قال : العافية ، فإنى رأيت المريض لا عيش له . قيل : زدنا ! قال : الشباب ، فإنى رأيت الهرم لا عيش له . وكأن ماذكره إشارة إلى نعيم الدنيا ولكن من حيث إنه معين على الآخرة فهو نعمة ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من أصبح معافى فى بدنه آمنا فى سربه عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها [٣] » وأما الاهل والولد الصالح فلا يخفى وجه الحاجة إليهما ، إذ قال صلى الله عليه وسلم « نعم العون على الدين المرأة الصالحة [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم فى الولد « إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث : ولد صالح يدعو له ... الحديث » [٥] وقد ذكرنا فوائد الأهل والولد فى كتاب النكاح . وأما الأقارب فهما كثر أولاد الرجل وأقاربه كانوا له مثل الأعين والأيدى فيتيسر له بسببهم من الأمور الدنيوية المهمة فى دينه مالو انفرد به لطال شغله ، وكل مايفرغ قلبك من ضرورات الدنيا فهو معين لك على الدين ، فهو إذن نعمة . وأما العز والجاه ، فبه يدفع الإنسان عن نفسه الذل والضيم ، ولا يستغنى عنه مسلم فإنه لاينفك عن عدو يؤذيه وظالم يشوش عليه علمه وعمله وفراغه ويشغل قلبه ، وقلبه رأس ماله ، وإنما تندفع هذه الشواغل بالعز والجاه ، ولذلك قيل : الدين والسلطان توأمان . قال تعالى ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾ ولا معنى للجاه إلا ملك القلوب ، كما لامعنى للغنى إلا ملك الدراهم ، ومن ملك الدراهم تسخرت له أرباب القلوب لدفع الأذى عنه ، فكما يحتاج إلى سقف يدفع عنه المطر ، وجبة تدفع عنه البرد ، وكلب يدفع الذئب عن ماشيته ، فيحتاج أيضا إلى من يدفع الشر به عن نفسه ، وعلى هذا القصد كان الأنبياء الذين لاملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه ، وكذلك علماء الدين لا على قصد التناول من خزائنهم والاستئثار والاستكثار فى الدنيا بمتابعتهم ، ولا تظن أن نعمة الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم حيث نصره وأكمل دينه وأظهره على جميع أعدائه ومكن فى القلوب حبه حتى اتسع به عزه وجاهه كانت أقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر إلى الهرب والهجرة [٦]

---

(١) حديث « نعم المال الصالح للرجل الصالح » رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى من حديث عمرو بن العاص بسند جيد .

(٢) حديث « نعم العون على تقوى الله المال » رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من رواية محمد بن المنكدر عن جابر . ورواه أبو القاسم البغوى من رواية ابن المنكدر مرسلا : ومن طريقه رواه القضاعى فى مسند الشهاب هكذا مرسلا

(٣) حديث « من أصبح معافى فى بدنه آمنا فى سربه ... الحديث » أخرجه الترمذى وحسنه ، وابن ماجه من حديث عبيد الله ابن محصن الأنصارى ، وقد تقدم . (٤) حديث « نعم العون على الدين المرأة الصالحة » لم أجد له إسنادا ، ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو « الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » . (٥) حديث « إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة ، وتقدم فى النكاح .

(٦) حديث مانالم صلى الله عليه وسلم من الأذى ونحوه حتى افتقر إلى الهرب والهجرة . رواه البخارى ومسلم من حديث عائشة أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم : هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد ؟ قال « لقد لقيت من قومك وكان أشد مالقيت يوم العقبة إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل ... الحديث » وللترمذى وصححه وابن ماجه من حديث أنس « لقد أخفت فى الله ومايخاف أحد =

فإن قلت : كرم العشيرة وشرف الأهل هو من النعم أم لا ؟ فأقول : نعم ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأئمة من قريش [١] » ، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس أرومة فى نسب آدم عليه السلام [٢] وقال صلى الله عليه وسلم « تخيروا لنطفكم الأكفاء [٣] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم وخضراء الدمن » فقيل : وما خضراء الدمن ؟ قال « المرأة الحسناء فى المنبت السوء [٤] » ، فهذا أيضا من النعم ولست أعنى به الانتساب إلى الظلمة وأرباب الدنيا ، بل الانتساب إلى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أئمة العلماء وإلى الصالحين والأبرار المتوسمين بالعلم والعمل .

فإن قلت : فما معنى الفضائل البدنية ؟ فأقول : لاخفاء بشدة الحاجة إلى الصحة والقوة وإلى طول العمر إذ لا يتم علم وعمل إلا بهما ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أفضل السعادات طول العمر فى طاعة الله تعالى [٥] » ، وإنما يستحقر من جملته أمر الجمال ، فيقال يكفى أن يكون البدن سليما من الأمراض الشاغلة عن تحرى الخيرات ، ولعمرى الجمال قليل الغناء ولكنه من الخيرات أيضا : أما فى الدنيا فلا يخفى نفعه فيها ، وأما فى الآخرة فمن وجهين (أحدهما) أن القبيح مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجميل إلى الإجابة أقرب وجاهه فى الصدور أوسع ، فكأنه من هذا الوجه جناح مبلغ كالمال والجاه ، إذ هو نوع قدرة ، إذ يقدر الجميل الوجه على تنجيز حاجات لا يقدر عليها القبيح ، وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فمعين على الآخرة بواسطتها . والثانى : أن الجمال فى الأكثر يدل على فضيلة النفس ؛ لأن نور النفس إذا تم إشراقه تأدى إلى البدن ، فالمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان ، ولذلك عول أصحاب الفراسة فى معرفة مكارم النفس على هيآت البدن فقالوا : الوجه والعين مرآة الباطن . ولذلك يظهر فيه أثر الغضب والسرور والغم ، ولذلك قيل : طلاقة الوجه عنوان مافى النفس . وقيل : مافى الأرض قبيح إلا ووجهه أحسن مافيه . واستعرض المأمون جيشاً فعرض عليه رجل قبيح ، فاستنطقه فإذا هو ألكن ، فأسقط اسمه من الديوان وقال : الروح إذا أشرقت على الظاهر فصباحة ، أو على الباطن فمصاحة ، وهذا ليس له ظاهر ولا باطن ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « اطلبوا الخير عند صباح الوجوه [٦] » ، وقال عمر

= ولقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد ولقد أتى على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالى ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شىء يواريه إبط بلال » قال الترمذى : معنى هذا حين خرج النبى صلى الله عليه وسلم هاربا من مكة ومعه بلال . وللبخارى عن عروة قال : سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رأيت عقبة بن أبى معيط جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فوضع رداءه فى عنقه فخنقه خنقا شديدا ، فجاء أبو بكر فدفعه عنه ... الحديث . وللبزار وأبى يعلى من حديث أنس قال : لقد ضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غشى عليه ، فقام أبو بكر فجعل ينادى : ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله . وإسناده صحيح على شرط مسلم : (١) حديث « الأئمة من قريش » رواه النسائى والحاكم من حديث أنس بإسناد صحيح

(٢) حديث : كان صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس أرومة فى نسب آدم . الأرومة الأصل ، هذا معلوم ، فروى مسلم من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعا « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسمعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » وفى رواية الترمذى « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسمعيل » وله من حديث العباس وحسنه وابن عباس والمطلب ابن ربيعة وصححه والمطلب بن أبى وداعة وحسنه « ان الله خلق الخلق فجعلنى من خيرهم » وفى حديث ابن عباس « مابال أقوام يبتذلون أصلى ، فوالله لأنا أفضلهم أصلا وخيرهم موضعا » (٣) حديث « تخيروا لنطفكم » أخرجه ابن ماجه من حديث عائشة ، وتقدم فى النكاح . (٤) حديث « اياكم وخضراء الدمن » تقدم فيه أيضاً .

(٥) حديث « أفضل السعادة طول العمر فى عبادة الله » غريب بهذا اللفظ ، والترمذى من حديث أبى بكرة أن رجلا قال : يارسول الله ، أى الناس خير ؟ قال « من طال عمره وحسن عمله » وقال حسن صحيح .

(٦) حديث « اطلبوا الخير عند حسان الوجوه » أخرجه أبو يعلى من رواية اسمعيل بن عياش عن خيرة بنت محمد بن ثابت بن سماع عن أمها عائشة ، وخيرة وأمها لا أعرف حالها . ورواه ابن حبان من وجه آخر فى الضعفاء ، والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر ، وله طرق كلها ضعيفة .

رضى الله تعالى عنه : إذا بعثتم رسولا فاطلبوه حسن الوجه حسن الاسم . وقال الفقهاء : إذا تساوت درجات المصلين فأحسنهم وجها أولاهم بالإمامة ، وقال تعالى ممتنا بذلك ﴿ وزاده بسطة فى العلم والجسم ﴾ ولسنا نعنى بالجمال مايحرك الشهوة فإن ذلك أنوثة ، وإنما نعنى به ارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال فى اللحم وتناسب الأعضاء وتناصف خلقة الوجه بحيث لاتنبو الطباع عن النظر إليه .

* فإن قلت . فقد أدخلت المال والجاه والنسب والأهل والولد فى حيز النعم ، وقد ذم الله تعالى المال والجاه ، وكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] وكذا العلماء . قال تعالى ﴿ إنّ من أزواجكم وأولادكم عدوّا لكم فاحذروهم ﴾ وقال عز وجل ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ وقال على كرّم الله وجهه فى ذم النسب : الناس أبناء مايحسنون وقيمة كل امرئ مايحسنه . وقيل : المرء بنفسه لابأبيه . فما معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعا ؟ فاعلم أن من يأخذ العلوم من الألفاظ المنقولة المؤوّلة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه أغلب مالم يهتد بنور الله تعالى إلى إدراك العلوم على ماهى عليه ، ثم يُنزل النقل على وفق ماظهر له منها بالتأويل مرة وبالتخصيص أخرى ؛ فهذه نعم معينة على أمر الآخرة لاسبيل إلى جحدها ، إلا أنّ فيها فتنا ومخاوف ؛ فمثال المال مثال الحية التى فيها ترياق نافع وسم ناقع ، فإن أصابها المعزم الذى يعرف وجه الاحتراز عن سمها وطريق استخراج ترياقها النافع كانت نعمة ، وإن أصابها السوادى الغر فهى عليه بلاء وهلاك ، وهو مثل البحر الذى تحته أصناف الجواهر واللآلئ ، فمن ظفر بالبحر فإن كان عالما بالسباحة وطريق الغوص وطريق الاحتراز عن مهلكات البحر فقد ظفر بنعمه ، وإن خاضه جاهلا بذلك فقد هلك ، فلذلك مدح الله تعالى المال وسماه خيرا ، ومدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « نعم العون على تقوى الله تعالى المال » وكذلك مدح الجاه والعز ، إذ من الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بأن أظهره على الدين كله وحببه فى قلوب الخلق ، وهو المعنى بالجاه ، ولكن المنقول فى مدحهما قليل ، والمنقول فى ذم المال والجاه كثير ، وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه ، إذ الرياء مقصوده اجتلاب القلوب . ومعنى الجاه ملك القلوب ، وإنما كثر هذا وقل ذاك لأن الناس أكثرهم جهال بطريق الرقية لحية المال وطريق الغوص فى بحر الجاه ، فوجب تحذيرهم فإنهم يهلكون بسم المال قبل الوصول إلى ترياقه ، ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره ، ولو كانا فى أعيانهما مذمومين بالإضافة إلى كل أحد لما تصور أن ينضاف إلى النبوة الملك كما كان لرسولنا صلى الله عليه وسلم ، ولا أن ينضاف إليها الغنى كما كان لسليمان عليه السلام : فالناس كلهم صبيان والأموال حيات والأنبياء والعارفون معزمون ، فقد يضر الصبى مالا يضر المعزم . نعم المعزم لو كان له ولد يريد بقاءه وصلاحه وقد وجد حية وعلم أنه لو أخذها لأجل ترياقها لاقتدى به ولده وأخذ الحية إذا رآها ليلعب بها فيهلك ، فله غرض فى الترياق وله غرض فى حفظ الولد ، فواجب عليه أن يزن غرضه فى الترياق بغرضه فى حفظ الولد ، فإذا كان يقدر على الصبر عن الترياق ولا يستضر به ضررا كثيرا ، ولو أخذها لأخذها الصبى ويعظم ضرره بهلاكه فواجب عليه أن يهرب عن الحية إذا رآها ويشير على الصبى بالهرب ويقبح صورتها فى عينه ويعرفه أنّ فيها سما قاتلا لاينجو منه أحد ولا يحدثه أصلا بما فيها من نفع الترياق ، فإنّ ذلك ربما يغتره فيقدم عليه من غير تمام المعرفة . وكذلك الغوّاص إذا علم أنه لو غاص فى البحر بمرأى من ولده لاتبعه وهلك .

(١) حديث ذم المال والجاه . أخرجه الترمذى من حديث كعب بن مالك « ماذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حب المال والشرف لدينه » وقد تقدم فى ذم المال والبخل .

فواجب عليه أن يحذر الصبي ساحل البحر والنهر . فإن كان لا ينزجر الصبي بمجرد الزجر مهما رأى والده يحوم حول الساحل . فواجب عليه أن يبعد من الساحل مع الصبي ولا يقرب منه بين يديه . فكذلك الأمة في حجر الأنبياء عليهم السلام كالصبيان الأغبياء . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إنما أنا لكم مثل الوالد لولده[1] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما تتهافتون على النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم[2] » وحظهم الأوفر في حفظ أولادهم عن المهالك ، فإنهم لم يبعثوا إلا لذلك ، وليس لهم في المال حظ إلا بقدر القوت ، فلا جرم اقتصروا على قدر القوت وما فضل فلم يمسكوه بل أنفقوه ، فإن الإنفاق فيه الترياق ، وفي الإمساك السم ، ولو فتح للناس باب كسب المال ورغبوا فيه لمالوا إلى سم الإمساك ورغبوا عن ترياق الإنفاق ، فلذلك قبحت الأموال ، والمعنى به تقبيح إمساكها والحرص عليها للاستكثار منها والتوسع في نعيمها بما يوجب الركون إلى الدنيا ولذتها ؛ فأما أخذها بقدر الكفاية وصرف الفاضل إلى الخيرات فليس بمذموم ، وحق كل مسافر أن لا يحمل إلا بقدر زاده في السفر إذا صمم العزم على أن يختص بما يحمله ؛ فأما إذا سمحت نفسه بإطعام الطعام وتوسيع الزاد على الرفقاء فلا بأس بالاستكثار . وقوله عليه الصلاة والسلام « ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب[3] » معناه لأنفسكم خاصة ولا فقد كان فيمن يروى هذا الحديث ويعمل به من يأخذ مائة ألف درهم في موضع واحد ويفرقها في موضعه وإلا يمسك منها حبة . ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الأغنياء يدخلون الجنة بشدة استأذنه عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه في أن يخرج عن جميع ما يملكه ، فأذن له فنزل جبريل عليه السلام ، وقال : مره بأن يطعم المسكين ويكسو العاري ويقري الضيف[4] ... الحديث فإذن النعم الدنيوية مشوبة قد امتزج دواؤها بدائها ومرجوها بمخوفها ونفعها بضرها ؛ فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته فله أن يقرب منها متقيا دامها ومستخرجا دواءها ومن لا يثق بها فالبعد البعد والفرار الفرار عن مظان الأخطار ، فلا تعدل بالسلامة شيئا في حق هؤلاء وهم الخلق كلهم إلا من عصمه الله تعالى وهداه لطريقه .

* فإن قلت : فما معنى النعم التوفيقية الراجعة إلى الهداية والرشد والتأييد والتسديد ؟ فاعلم أن التوفيق لا يستغنى عنه أحد : وهو عبارة عن التأليف والتلفيق بين إرادة العبد وبين قضاء الله وقدره ، وهذا يشمل الخير والشر وما هو سعادة وما هو شقاوة ، ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله تعالى وقدره ، كما أن الإلحاد عبارة عن الميل فخصص بمن مال إلى الباطل عن الحق ، وكذا الارتداد ، ولا خفاء بالحاجة إلى التوفيق ولذلك قيل :

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجني عليه اجتهاده

فأما الهداية فلا سبيل لأحد إلى طلب السعادة إلا بها ، لأن داعية الإنسان قد تكون مائلة إلى ما فيه صلاح آخرته

---

(١) حديث « إنما أنا لكم مثل الوالد لولده » أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله « لولده » وقد تقدم .

(٢) حديث « إنكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم » متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ « مثلي ومثل الناس » وقال مسلم « ومثل أمتي كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيه » ولمسلم من حديث جابر « وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي » (٣) حديث « ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد راكب » أخرجه ابن ماجه والحاكم من حديث سلمان لفظ الحاكم وقال « بلغة » وقال « مثل زاد الراكب » وقال صحيح الإسناد قلت : هو من رواية أبي سفيان عن أشياخه غير مسمين وقال ابن ماجه « عهد الى أن يكفي أحدكم مثل زاد الراكب » .

(٤) حديث استئذان عبد الرحمن بن عوف أن يخرج عن جميع ما يملكه لما ذكر أن الأغنياء يدخلون الجنة بشدة فأذن له فنزل جبريل فقال : مره أن يطعم المسكين ... الحديث أخرجه الحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف وقال صحيح الاسناد ، قلت . كلا ، فيه خالد بن أبي مالك ضعيف جدا .

ولكن إذا لم يعلم مافيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحا فمن أين ينفعه مجرد الإرادة ؟ فلا فائدة فى الإرادة والقدرة والأسباب إلا بعد الهداية ، ولذلك قال تعالى ﴿ ربنا الذى أعطى كل شى خلقه ثم هدى ﴾ وقال تعالى ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى من يشاء ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « ما من أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى » أى بهدايته ، فقيل : ولا أنت يارسول الله ؟ قال « ولا أنا[1] » وللهداية ثلاث منازل (الأولى) معرفة طريق الخير والشر المشار إليه بقوله تعالى ﴿ وهديناه النجدين ﴾ وقد أنعم الله تعالى به على كافة عباده بعضه بالعقل وبعضه على لسان الرسل ، ولذلك قال تعالى ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ فأسباب الهدى هى الكتاب والرسل وبصائر العقول ، وهى مبذولة ولا يمنع منها إلا الحسد والكبر وحب الدنيا ، والأسباب التى تعمى القلوب وإن كانت لا تعمى الأبصار ، قال تعالى ﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾ ومن جملة المعميات : الإلف والعادة وحب استصحابهما ، وعنه العبارة بقوله تعالى ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة ﴾ الآية . وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ وقوله تعالى ﴿ أبشرا منا واحدا نتبعه ﴾ فهذه المعميات هى التى منعت الاهتداء ، والهداية الثانية وراء هذه الهداية العامة وهى التى يمد الله تعالى بها العبد حالا بعد حال ، وهى ثمرة المجاهدة حيث قال تعالى ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ وهو المراد بقوله تعالى : ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾ والهداية الثالثة وراء الثانية : وهو النور الذى يشرق فى عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة ، فيهتدى بها إلا مالا يهتدى إليه بالعقل الذى يحصل به التكليف وإمكان تعلم العلوم وهو الهوى المطلق وما عداه حجاب له ومقدمات ؛ وهو الذى شرفه الله تعالى بتخصيص الإضافة إليه وإن كان الكل من جهته تعالى ، فقال تعالى ﴿ قل إن هدى الله هو الهدى ﴾ وهو المسمى حياة فى قوله تعالى ﴿ أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس ﴾ والمعنى بقوله تعالى ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾ وأما الرشد فنعنى به العناية الإلهية التى تعين الإنسان عند توجهه إلى مقاصده فتقوبه على مافيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده ، ويكون ذلك من الباطن كما قال تعالى ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ﴾ فالرشد عبارة عن هداية باعثة إلى جهة السعادة محركة إليها ، فالصبى إذا بلغ خبيراً بحفظ المال وطرق التجارة والاستنماء ولكنه مع ذلك يبذر ولا يريد الاستنماء لايسمى رشيدا لالعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته ، فكم من شخص يقدم على ما يعلم أنه يضره فقد أعطى الهداية وميزبها عن الجاهل الذى لايدرى أنه يضره ولكن ماأعطى الرشد ، فالرشد بهذا الاعتبار أكمل من مجرد الهداية إلى وجوه الأعمال وهى نعمة عظيمة . وأما التسديد فهو توجيه حركاته إلى صوب المطلوب وتيسرها عليه ليشتد فى صوب الصواب فى أسرع وقت ، فإن الهداية بمجردها لا تكفى ، بل لابد من هداية محركة للداعية وهى الرشد والرشد لايكفى ، بل لابد من تيسر الحركات بمساعدة الأعضاء والآلات حتى يتم المراد مما انبعثت الداعية إليه فالهداية محض التعريف ، والرشد هو تنبيه الداعية لتستقيظ وتتحرك ، والتسديد إعانة ونصرة بتحريك الأعضاء فى صوب السداد ، وأما التأييد فكأنه جامع للكل ، وهو عبارة عن تقوية أمره بالبصيرة من داخل وتقوية البطش ومساعدة الأسباب من خارج ، وهو المراد بقوله عزوجل ﴿ إذ أيدتك بروح القدس ﴾ وتقرب منه العصمة ، وهى

---

(١) حديث « مامن أحد يدخل الجنة الا برحمة الله » متفق عليه من حديث أبى هريرة « لن يدخل أحدكم عمله الجنة » قالوا ولاأنت يارسول الله ؟ قال « ولاأنا الا أن يتغمدنى الله بفضل منه ورحمة » وفى رواية لمسلم « مامن أحد يدخله عمله الجنة ... الحديث » واتفقا عليه من حديث عائشة ، وانفرد به مسلم من حديث جابر وقد تقدم .

عبارة عن وجود إلهى يسبح فى الباطن يقوى به الإنسان على تحرى الخير وتجنب الشر يصير كمانع من باطنه غير محسوس ، وإياه عنى بقوله تعالى ﴿ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾ فهذه هى مجامع النعم ، ولن تثبت إلا بما يخوله الله من الفهم الصافى الثاقب والسمع الواعى والقلب البصير المراعى المتواضع والمعلم الناصح والمال الزائد على مايقصر عن المهمات بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذى يصونه عن سفه السفهاء وظلم الأعداء ، ويستدعى كل واحد من هذه الأسباب الستة عشر أسبابا ، وتستدعى تلك الأسباب أسبابا إلى أن تنتهى بالآخرة إلى دليل المتحيرين وملجأ المضطرين وذلك رب الأرباب ومسبب الأسباب ، وإذا كانت تلك الأسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاءها فلنذكر منها أنموذجا ليعلم به معنى قوله تعالى ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ وبالله التوفيق .

بيان وجه الأنموذج فى كثرة نعم الله تعالى
وتسلسلها وخروجها عن الحصر والإحصاء

اعلم أنا جمعنا النعم فى ستة عشر ضربا ، وجعلنا صحة البدن نعمة من النعم الواقعة فى الرتبة المتأخرة ، فهذه النعمة الواحدة لو أردنا أن نستقصى الأسباب التى بها تمت هذه النعمة لم نقدر عليها ، ولكن الأكل أحد أسباب الصحة فلنذكر نبذة من جملة الأسباب التى بها تتم نعمة الأكل فلا يخفى أن الأكل فعل ، وكل فعل من هذا النوع فهو حركة ، وكل حركة لابدلها من جسم متحرك هو آلتها ، ولابد لها من قدرة على الحركة ، ولابد من إرادة للحركة ، ولابد من علم بالمراد وإدراك له ، ولا بد للآكل من مأكول ، ولا بد للمأكول من أصل منه يحصل ، ولا بد له من صانع يصلحه ؛ فلنذكر أسباب الإدراك ، ثم أسباب الإرادات ، ثم أسباب القدرة ، ثم أسباب المأكول على سبيل التلويح لا على سبيل الاستقصاء

الطرف الأول : فى نعم الله تعالى فى خلق أسباب الإدراك

اعلم أنّ الله تعالى خلق النبات وهو أكمل وجودا من الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التى لا تنمى ولا تغذى ؛ فإنّ النبات خلق فيه قوة بها يجتذب الغذاء إلى نفسه من جهة أصله وعروقه التى فى الأرض ، وهى له آلات ، فبها يجتذب الغذاء وهى العروق الدقيقة التى تراها فى كل ورقة ، ثم تغلظ أصولها ، ثم تتشعب ، ولا تزال تستدق وتتشعب إلى عروق شعرية تنبسط فى أجزاء الورقة حتى تغيب عن البصر ، إلا أنّ النبات مع هذا الكمال ناقص ، فإنه إذا أعوزه غذاء يساق إليه ويماس أصله جف ويبس ولم يمكنه طلب الغذاء من وضع آخر ، فإنّ الطلب إنما يكون بمعرفة المطلوب وبالانتقال إليه والنبات عاجز عن ذلك ، فمن نعمة الله تعالى عليك أن خلق لك آلات الإحساس وآلة الحركة فى طلب الغذاء ، فانظر إلى ترتيب حكمة الله تعالى فى خلق الحواس الخمس التى هى آلة الإدراك ، فأولها حاسة اللمس وإنما خلقت لك حتى إذا مستك نار محرقة أو سيف جارح تحس به فتهرب منه ، وهذا أول حس يخلق للحيوان ، ولا يتصور حيوان إلا ويكون له هذا الحس ، لأنه إذا لم يحس أصلا فليس بحيوان ، وأنقص درجات الحس أن يحس بما لا يلاصقه ويماسه ، فإن الإحساس بما يبعد منه إحساس أتم لا محالة ، وهذا الحس موجود لكل حيوان ، حتى الدودة التى فى الطين فإنها إذا غرز فيها إبرة انقبضت للهرب ، لا كالنبات فإنّ النبات يقطع فلا ينقبض إذ لا يحس بالقطع ، إلا أنك لو لم يخلق لك إلا هذا الحس لكنت

ناقصاً كالدودة لا تقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما يمس بدنك فتحس به فتجذبه إلى نفسك فقط ، فافتقرت إلى حس تدرك به ما بعد عنك ، فخلق لك الشم إلا أنك تدرك به الرائحة ولا تدرى أنها جاءت من أى ناحية ، فتحتاج إلى أن تطوف كثيرا من الجوانب فربما تعثر على الغذاء الذى شممت ريحه ، وربما لم تعثر فتكون فى غاية النقصان لولم يخلق لك إلا هذا ، فخلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصد تلك الجهة بعينها ، إلا أنه لولم يخلق لك إلا هذا لكنت ناقصا ، إذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران والحجب ، فتبصر غذاء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدوا لا حجاب بينك وبينه ؛ وأما ما بينك وبينه حجاب فلا تبصره ، وقد لا ينكشف الحجاب إلا بعد قرب العدو فتعجز عن الهرب ، فخلق لك السمع حتى تدرك به الأصوات من وراء الجدران والحجب عند جريان الحركات ، لأنك لاتدرك بالبصر إلا شيئا حاضرا ، وأما الغائب فلايمكنك معرفته إلا بكلام ينتظم من حروف وأصوات تدرك بحس السمع ، فاشتدت إليه حاجتك فخلق لك ذلك ، وميزت بفهم الكلام عن سائر الحيوانات ، وكل ذلك ما كان يغنيك لولم يكن لك حس الذوق ، إذ يصل الغذاء إليك فلاتدرك أنه موافق لك أو مخالف فتأكله فتهلك ، كالشجرة يصب فى أصلها كل مائع ولا ذوق لها فتجذبه ، وربما يكون ذلك سبب جفافها ، ثم كل ذلك لايكفيك لولم يخلق فى مقدمة دماغك إدراك آخر يسمى حسا مشتركا تتأدى إليه هذه المحسوسات الخمس وتجتمع فيه ، ولولاه لطال الأمر عليك ؛ فإنك إذا أكلت شيئا أصفر مثلا فوجدته مرا مخالفا لك فتركته ، فإذا رأيته مرة أخرى فلا تعرف أنه مر مضر ما لم تذقه ثانيا لولا الحس المشترك، إذ العين تبصر الصفرة ولا تدرك المرارة فكيف تمتنع والذوق يدرك المرارة ولايدرك الصفرة ، فلا بد من حاكم تجتمع عنده الصفرة والمرارة جميعاً ، حتى إذا أردت الصفرة حكم أنه مر فيمتنع عن تناوله ثانيا ، وهذا كله تشاركك فيه الحيوانات ، إذ للشاة هذه الحواس كلها ؛ فلو لم يكن لك إلا هذا لكنت ناقصا ؛ فإن البهيمة يحتال عليها فتؤخذ فلاتدرى كيف تدفع الحيلة عن نفسها وكيف تتخلص إذا قيدت ، وقد تلقى نفسها فى بئر ولا تدرى أن ذلك يهلكها، ولذلك قد تأكل البهيمة ما تستلذه فى الحال ويضرها فى ثانى الحال فتمرض وتموت ، إذ ليس لها إلا الإحساس بالحاضر ، فأما إدراك العواقب فلا، فيزك الله تعالى وأكرمك بصفة أخرى وهى أشرف من الكل وهو العقل ، فبه تدرك مضرة الأطعمة ومنفعتها فى الحال والمآل، وبه تدرك كيفية طبخ الأطعمة وتأليفها وإعداد أسبابها ، فتنتفع بعقلك فى الأكل الذى هو سبب صحتك وهو أحسن فوائد العقل، وأقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله ومعرفة الحكمة فى عالمه ، وعند ذلك تنقلب فائدة الحواس الخمس فى حقك ، فتكون الحواس الخمس كالجواسيس وأصحاب الأخبار الموكلين بنواحى المملكة ، وقد وكلت كل واحدة منها بأمر تختص به ، فواحدة منها بأخبار الألوان ، والأخرى بأخبار الأصوات ، والأخرى بأخبار الروائح ، والأخرى بأخبار الطعوم ، والأخرى بأخبار الحر والبرد والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها ، وهذه البرد والجواسيس يقتنصون الأخبار من أقطار المملكة ويسلمونها إلى الحس المشترك ، والحس المشترك قاعد فى مقدمة الدماغ ، مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة من نواحى العالم فيأخذها وهى مختومة ويسلمها ، إذ ليس له إلا أخذها وجمعها وحفظها ؛ فأما معرفة حقائق ما فيها فلا ، ولكن إذا صادف القلب العاقل الذى هو الأمير والملك سلم الإنهاءات إليه مختومة ، فيفتشها الملك ويطلع منها على أسرار المملكة ويحكم فيها بأحكام عجيبة لايمكن استقصاؤها فى هذا المقام وبحسب ما يلوح له من الأحكام والمصالح يحرك الجنود وهى الأعضاء : مرة فى الطلب ومرة فى الهرب ومرة فى إتمام التدبيرات التى تعن له ،

فهذه سياقة نعمة الله عليك فى الإدراكات ، ولا تظن أنا استوفيناها ؛ فإنّ الحواس الظاهرة هى بعض الإدراكات ، والبصر واحد من جملة الحواس ، والعين آلة واحدة له ، وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها أغشية ، وبعض الأغشية كأنها نسج العنكبوت وبعضها كالمشيمة ، وبعض تلك الرطوبات كأنه بياض البيض وبعضها كأنه الجمد ، ولكل واحدة من هذه الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدوير وتركيب ، ولو اختلت طبقة واحدة من جملة العشر أو صفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وعجز عنه الأطباء والكحالون كلهم ، فهذا فى حس واحد ، فقس به حاسة السمع وسائر الحواس ؛ بل لا يمكن أن تستوفى حكم الله تعالى وأنواع نعمه فى جسم البصر وطبقاته فى مجلدات كثيرة ، مع أنّ جملته لا تزيد على جوزة صغيرة ؛ فكيف ظنك بجميع البدن وسائر أعضائه وعجائبه ، فهذه مرامز إلى نعم الله تعالى بخلق الإدراكات .

الطرف الثانى : فى أصناف النعم فى خلق الإرادات

اعلم أنه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذاء من بعد ولم يخلق لك ميل فى الطبع وشوق إليه وشهوة له تستحثك على الحركة لكان البشر معطلا ، فكم من مريض يرى الطعام وهو أنفع الأشياء له وقد سقطت شهوته فلا يتناوله ، فيبقى البصر والإدراك معطلا فى حقه ، فاضطررت إلى أن يكون لك ميل إلى ما يوافقك يسمى شهوة ونفرة عما يخالفك تسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة ؛ فخلق الله تعالى فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكلها بك كالمتقاضى الذى يضطرك إلى التناول حتى تتناول وتغتذى فتبقى بالغذاء ، وهذا مما يشاركك فيه الحيوانات دون النبات . ثم هذه الشهوة لم تسكن إذا أخذت مقدار الحاجة أسرفت وأهلكت نفسك ، فخلق الله لك الكراهة عند الشبع لتترك الأكل بها ، لا كالزرع فإنه لا يزال يجتذب الماء إذا انصب فى أسفله حتى يفسد فيحتاج إلى آدمى يقدّر غذاءه بقدر الحاجة ، فيسقيه مرة ويقطع عنه الماء أخرى ، وكما خلقت لك هذه الشهوة حتى تأكل فيبقى به بدنك خلق لك شهوة الجماع حتى تجامع فيبقى به نسلك ، ولو قصصنا عليك عجائب صنع الله تعالى فى خلق الرحم وخلق دم الحيض ، وتأليف الجنين من المنى ودم الحيض ، وكيفية خلق الأنثيين والعروق السالكة إليها من الفقار الذى هو مستقر النطفة ، وكيفية انصباب ماء المرأة من الترائب بواسطة العروق وكيفية انقسام مقعر الرحم إلى قوالب تقع النطفة فى بعضها فتتشكل بشكل الذكور وتقع فى بعضها فتتشكل بشكل الإناث ، وكيفية إدارتها فى أطوار خلقها مضغة وعلقة ثم عظما ولحما ودما ، وكيفية قسمة أجزائها إلى رأس ويد ورجل وبطن وظهر وسائر الأعضاء : لقضيت من أنواع نعم الله تعالى عليك فى مبدأ خلقك كل العجب ، فضلا عما تراه الآن ، ولكنا لسنا نريد أن نتعرض إلا لنعم الله تعالى فى الأكل وحده كى لا يطول الكلام ؛ فإذن شهوة الطعام أحد ضروب الإرادات ، وذلك لا يكفيك ، فإنه تأتيك المهلكات من الجوانب : فلو لم يخلق فيك الغضب الذى به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك ، لبقيت عرضة للآفات ولأخذ منك كل ما حصلته من الغذاء ، فإن كل واحد يشتهى ما فى يديك فتحتاج إلى داعية فى دفعه ومقاتلته وهى داعية الغضب الذى به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك ، ثم هذا لا يكفيك إذ الشهوة والغضب لا يدعوان إلى إلا ما يضر وينفع فى الحال ، وأما فى المآل فلا تكفى فيه هذه الإرادة ، فخلق الله تعالى لك إرادة أخرى مسخرة تحت إشارة العقل المعرّف للعواقب ، كما خلق الشهوة والغضب مسخرة تحت إدراك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل ، إذ كان مجرّد المعرفة بأن هذه الشهوة مثلا تضرك لا يغنيك فى الاحتراز عنها ما لم يكن لك ميل إلى العمل بموجب المعرفة ، وهذه

الإرادة أفردت بها عن البهائم إكراماً لبنى آدم كما أفردت بمعرفة العواقب ، وقد سمينا هذه الإرادة باعثاً دينيا ، وفصلناه فى كتاب الصبر تفصيلا أوفى من هذا .

الطرف الثالث : فى نعم الله تعالى فى خلق القدرة وآلات الحركة

اعلم أن الحس لا يفيد إلا الإدراك ، والإرادة لا معنى لها إلا الميل إلى الطلب والهرب وهذا لا كفاية فيه مالم تكن فيك آلة الطلب والهرب ، فكم من مريض مشتاق إلى شيء بعيد عنه مدرك له ولكنه لا يمكنه أن يمشى إليه لفقدرجله ، أو لا يمكنه أن يتناوله لفقد يده أو لفلج وخدر فيهما ، فلا بد من آلات للحركة وقدرة فى تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلبا وبمقتضى الكراهية هربا ، فلذلك خلق الله تعالى لك الأعضاء التى تنظر إلى ظاهرها ولا تعرف أسرارها ؛ فمنها ماهو للطلب والهرب كالرجل للإنسان والجناح للطير والقوائم للدواب ، ومنها ماهو للدفع كالأسلحة للإنسان والقرون للحيوان ، وفى هذا تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا ؛ فمنها مايكثر أعداؤه ويبعد غذاؤه فيحتاج إلى سرعة الحركة فخلق له الجناح ليطير بسرعة ، ومنها ماخلق له أربع قوائم ؛ ومنها ماله رجلان ، ومنها مايدب وذكر ذلك يطول فلنذكر الأعضاء التى بها يتم الأكل فقط ليقاس عليها غيرها فنقول : رؤيتك الطعام من بعد وحركتك إليه لا تكفى مالم تتمكن من أن تأخذه ؛ فافتقرت إلى آلة باطشة ؛ فأنعم الله تعالى عليك بخلق اليدين وهما طويلتان ممتدتان إلى الأشياء ومشتملتان على مفاصل كثيرة لتتحرك فى الجهات فتمتد وتنثنى إليك فلا تكون كخشبة منصوبة : ثم جعل رأس اليد عريضا بخلق الكف ؛ ثم قسم رأس الكف بخمسة أقسام هى الأصابع وجعلها فى صفين بحيث يكون الإبهام فى جانب ويدور على الأربعة الباقية ، ولو كانت مجتمعة أو متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعها وضعا إن بسطتها كانت لك مجرفة وإن ضممتها كانت لك مغرفة ، وإن جمعتها كانت لك آلة للضرب ، وإن نشرتها ثم قبضتها كانت لك آلة فى القبض ، ثم خلق لها أظفارا وأسند إليها رءوس الأصابع حتى لا تتفتت وحتى تلتقط بها الأشياء الدقيقة التى لا تحويها الأصابع فتأخذها برءوس أظفارك ، ثم هب أنك أخذت الطعام باليدين فمن أين يكفيك هذا مالم يصل إلى المعدة وهى فى الباطن ، فلابد وأن يكون من الظاهر مدخل إليها حتى يدخل الطعام منه ، فجعل الفم منفذا إلى المعدة مع ما فيه من الحكم الكثيرة سوى كونه منفذا للطعام إلى المعدة ، ثم إن وضعت الطعام فى الفم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فتحتاج إلى طاحونة تطحن بها الطعام ، فخلق لك اللحيين من عظمتين وركب فيهما الأسنان وطبق الأضراس العليا على السفلى لتطحن بهما الطعام طحنا ، ثم الطعام تارة يحتاج إلى الكسر وتارة إلى القطع ثم يحتاج إلى طحن بعد ذلك ، فقسم الأسنان إلى عريضة طواحين كالأضراس ، وإلى حادة قواطع كالرباعيات وإلى ما يصلح للكسر كالأنياب ، ثم جعل مفصل اللحيين متخلخلا بحيث يتقدم الفك الأسفل ويتأخر حتى يدور على الفك الأعلى دوران الرحى ، ولولا ذلك لما تيسر إلا ضرب أحدهما على الآخر مثل تصفيق اليدين مثلا ، وبذلك لا يتم الطحن . فجعل اللحى الأسفل متحركا حركة دورية ، واللحى الأعلى ثابتا لا يتحرك فانظر إلى عجيب صنع الله تعالى فإن كل رحى صنعه الخلق فيثبت منه الحجر الأسفل ويدور الأعلى إلا هذا الرحى الذى صنعه الله تعالى ، إذ يدور منه الأسفل على الأعلى ، فسبحانه ماأعظم شأنه وأعز سلطانه وأتم برهانه وأوسع امتنانه ثم هب أنك وضعت الطعام فى فضاء الفم فكيف يتحرك الطعام إلى ماتحت الأسنان ، أو كيف تستجره الأسنان إلى نفسها ، وكيف يتصرف باليد فى داخل الفم ؟ فانظر كيف أنعم الله عليك بخلق اللسان ، فإنه يطوف فى جوانب الفم ويرد الطعام من الوسط إلى الأسنان بحسب الحاجة كالمجرفة التى ترد الطعام إلى الرحى ،

هذا مع مافيه من فائدة الذوق وعجائب قوة النطق والحكم التى لسنا نطنب بذكرها ، ثم هب أنك قطعت الطعام وطحنته وهو يابس فلاتقدر على الابتلاع إلا بأن ينزلق إلى الحلق بنوع رطوبة ، فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عينا يفيض اللعاب منها وينصب بقدر الحاجة حتى يتعجن به الطعام ، فانظر كيف سخرها لهذا الأمر فإنك ترى الطعام من بعد فيثور الحنكان للخدمة وينصب اللعاب حتى تتحلب أشداقك والطعام بعد بعيد عنك ، ثم هذا الطعام المطحون المتعجن من يوصله إلى المعدة وهو فى الفم ولا تقدر على أن تدفعه باليد ولا يد فى المعدة حتى تمتد فتجذب الطعام ، فانظر كيف هيأ الله تعالى المرىء والحنجرة وجعل على رأسها طبقات تنفتح لأخذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى يتقلب الطعام بضغطه فيهوى إلى المعدة فى دهليز المرىء ، فإذا ورد الطعام على المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لأن يصير لحما وعظما ودما على هذه الهيئة بل لابد وأن يطبخ طبخا تاما حتى تتشابه أجزاؤه ، فخلق الله تعالى المعدة على هيئة قدر فيقع فيها الطعام فتحتوى عليه وتغلق عليه الأبواب ، فلا يزال لابثا فيها حتى يتم الهضم والنضج بالحرارة التى تحيط بالمعدة من الأعضاء الباطنة ، إذ من جانبها الأيمن الكبد ومن الأيسر الطحال ، ومن قدام الترائب ، ومن خلف لحم الصلب فتتعدى الحرارة إليها من تسخين هذه الأعضاء من الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير مائعا متشابها يصلح للنفوذ فى تجاويف العروق ، وعند ذلك يشبه ماء الشعير فى تشابه أجزائه ورقته ، وهو بعد لايصلح للتغذية ؛ فخلق الله تعالى بينها وبين الكبد مجارى من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهى إلى الكبد ، والكبد معجون من طينة الدم حتى كأنه دم ، وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة فى أجزاء الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر فى أجزائها حتى تستولى عليه قوة الكبد فتصبغه بلون الدم ، فيستقر فيها ريثما يحصل له نضج آخر ويحصل له هيئة الدم الصافى الصالح لغذاء الأعضاء ، إلا أن حرارة الكبد هى التى تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد فى جميع مايطبخ : إحداهما شبيهة بالدردى والعكر وهو الخلط السوداوى ، والأخرى شبيهة بالرغوة وهى الصفراء ، ولو لم تفصل عنها الفضلتان فسد مزاج الأعضاء ، فخلق الله تعالى المرارة والطحال وجعل لكل واحد منهما عنقا ممدودا إلى الكبد داخلا فى تجويفه ، فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجذب الطحال العكر السوداوى ، فيبقى الدم صافيا ليس فيه إلا زيادة رقة ورطوبة لما فيه من المائية ، ولولاها لما انتشر فى تلك العروق الشعرية ولاخرج منها متصاعدا إلى الأعضاء ، فخلق الله سبحانه الكليتين وأخرج من كل واحدة منهما عنقا طويلا إلى الكبد . ومن عجائب حكمة الله تعالى أن عنقهما ليس داخلا فى تجويف الكبد بل متصل بالعروق الطالعة من حدبة الكبد حتى يجذب مايليها بعد الطلوع من العروق الدقيقة التى فى الكبد ، إذ لو اجتذب قبل ذلك لغلظ ولم يخرج من العروق ، فإذا انفصلت منه المائية فقد صار الدم صافيا من الفضلات الثلاث نقيا من كل مايفسد الغذاء ، ثم إن الله تعالى أطلع من الكبد عروقا ، ثم قسمها بعد الطلوع أقساما ، وشعب كل قسم بشعب ، وانتشر ذلك فى البدن كله من الفرق إلى القدم ظاهرا وباطنا ، فيجرى الدم الصافى فيها ويصل إلى سائر الأعضاء حتى تصير العروق المنقسمة شعرية كعروق الاوراق والاشجار بحيث لاتدرك بالابصار ، فيصل منها الغذاء بالرشح إلى سائر الاعضاء ، ولو حلت بالمرارة آفة فلم تجذب الفضلة الصفراوية فسد الدم وحصل منه الامراض الصفراوية كاليرقان والبثور والحمرة ، وإن حلت بالطحال آفة فلم يجذب الخلط السوداوى حدثت الامراض السوداوية كالبهق والجذام والماليخوليا وغيرها ، وإن لم تندفع المائية نحو الكلى حدث منه الاستسقاء وغيره . ثم انظر إلى حكمة الفاطر الحكيم كيف رتب المنافع على هذه الفضلات الثلاث الخسيسة : أما المرارة فإنها تجذب بأحد عنقيها وتقذف

بالعنق الآخر إلى الأمعاء ليحصل له فى ثفل الطعام رطوبة مزلقة ويحدث فى الأمعاء لذع يحركها للدفع، فتنضغط حتى يندفع الثفل وينزلق وتكون صفرته لذلك . وأما الطحال فإنه يحيل تلك الفضلة إحالة يحصل بها فيه حموضة وقبض ، ثم يرسل منها كل يوم شيئا إلى فم المعدة فيحرك الشهوة بحموضته وينبهها ويثيرها ويخرج الباقى مع الثفل ، وأما الكلية فإنها تغتذى بما فى تلك المائية من دم وترسل الباقى إلى المثانة ولنقتصر على هذا القدر من بيان نعم الله تعالى فى الأسباب التى أعدت للأكل . ولو ذكرنا كيفية احتياج الكبد إلى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الأعضاء الرئيسية إلى صاحبه وكيفية انشعاب العروق الضوارب من القلب إلى سائر البدن وبواسطتها يصل الحس وكيفية انشعاب العروق السواكن من الكبد إلى سائر البدن وبواسطتها يصل الغذاء ، ثم كيفية تركب الأعضاء وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها وأوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها ـ لطال الكلام ، وكل ذلك محتاج إليه للأكل ولأمور أخر سواه ، بل فى الآدمى آلاف من العضلات والعروق والأعصاب مختلفة بالصغر والكبر والدقة والغلظ وكثرة الانقسام وقلته ، ولاشىء منها إلا وفيه حكمة أو اثنتان أو ثلاث أو أربع إلى عشر وزيادة وكل ذلك نعم من الله تعالى عليك لو سكن من جملتها عرق متحرك أو تحرك عرق ساكن ، لهلكت يامسكين ، فانظر إلى نعمة الله تعالى عليك أولا لتقوى بعدها على الشكر ، فإنك لاتعرف من نعمة الله سبحانه إلا الأكل وهو أخسها ، ثم لاتعرف منها إلا أنك تجوع فتأكل ، والحمار أيضا يعلم أنه يجوع فيأكل ويتعب فينام ويشتهى فيجامع ويستنهض فينهض ويرح ، فإذا لم تعرف أنت من نفسك إلا مايعرف الحمار فكيف تقوم بشكر نعمة الله عليك ؟ وهذا الذى رمزنا إليه على الإيجاز قطرة من بحر واحد من بحار نعم الله فقط ، فقس على الإجمال ماأهملناه من جملة ماعرفناه حذرا من التطويل ، وجملة ماعرفناه وعرفه الخلق كلهم بالإضافة إلى مالم يعرفوه من نعم الله تعالى أقل من قطرة من بحر ، إلا أن من علم شيئا من هذا أدرك شمة من معانى قوله تعالى ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها ﴾ ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الأعضاء وقوام منافعها وإدراكاتها وقواها ببخار لطيف يتصاعد من الأخلاط الأربعة ومستقره القلب ، ويسرى فى جميع البدن بواسطة العروق الضوارب فلا ينتهى إلى جزء من أجزاء البدن إلا ويحدث عند وصوله فى تلك الأجزاء مايحتاج إليه من قوة حس وإدراك وقوة حركة وغيرها ، كالسراج الذى يدار فى أطراف البيت فلا يصل إلى جزء إلا ويحصل بسبب وصوله ضوء على أجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه، ولكنه جعل السراج سببا له بحكمته ؛ وهذا البخار اللطيف هو الذى تسميه الأطباء الروح ؛ ومحله القلب ، ومثاله جرم نار السراج والقلب له كالمسرجة ، والدم الأسود الذى فى باطن القلب له كالفتيلة ، والغذاء له كالزيت ، والحياة الظاهرة فى سائر أعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج فى جملة البيت وكما أن السراج إذا انقطع زيته انطفأ فسراج الروح أيضا ينطفئ مهما انقطع غذاؤه ، وكما أن الفتيلة قد تحترق فتصير رمادا بحيث لاتقبل الزيت فينطفئ السراج مع كثرة الزيت فكذلك الدم الذى تشبث به هذا البخار فى القلب قد يحترق بفرط حرارة القلب فينطفئ مع وجود الغذاء ؛ فإنه لايقبل الغذاء الذى يبقى به الروح كما لايقبل الرماد الزيت قبولا تتشبث النار به ؛ وكما أن السراج تارة ينطفئ بسبب من داخل كما ذكرناه وتارة بسبب من خارج كريح عاصف فكذلك الروح تارة تنطفئ بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج وهو القتل ؛ وكما أن انطفاء السراج بفناء الزيت أو بفساد الفتيلة أو بريح عاصف أو بإطفاء إنسان لايكون إلا بأسباب مقدرة فى علم الله مرتبة ويكون كل ذلك بقدر ؛ فكذلك انطفاء الروح ، وكما أن انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك أجله الذى أجل له فى أم الكتاب ، فكذلك انطفاء الروح ؛ وكما أن السراج إذا انطفأ أظلم البيت كله فالروح إذا انطفأ أظلم

البدن كله وفارقته أنواره التى كان يستفيدها من الروح وهى أنوار الإحساسات والقدر والإرادات وسائر مايجمعها معنى لفظ الحياة ، فهذا أيضا رمز وجيز إلى عالم آخر من عوالم نعم الله تعالى وعجائب صنعه وحكمته ليعلم أنه ﴿ لوكان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ﴾ عز وجل : فتعسا لمن كفر بالله تعسا ؛ وسحقا لمن كفر نعمته سحقا .

فإن قلت : فقد وصفت الروح ومثلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الروح فلم يزد عن أن قال «قل الروح من أمر ربى [1] » فلم يصفه لهم على هذا الوجه ؟ فاعلم أن هذه غفلة عن الاشتراك الواقع فى لفظ الروح ، فإنّ الروح يطلق لمعان كثيرة لانطول بذكرها نحن إنما وصفنا من جملتها جسما لطيفا تسميه الأطباء روحا ، وقد عرفوا صفته ووجوده وكيفية سريانه فى الأعضاء وكيفية حصول الإحساس والقوى فى الأعضاء به . حتى إذا خدر بعض الأعضاء علموا أن ذلك لوقوع سدّة فى مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر بل منابت الأعصاب ومواقع السدّة فيها ويعالجونها بما يفتح السدّة ، فإن هذا الجسم بلطفه ينفذ فى شباك العصب وبواسطته يتأدى من القلب إلى سائر الأعضاء ومايرتقى إليه معرفة الأطباء فأمره سهل نازل . وأما الروح التى هى الأصل وهى التى إذا فسدت فسد لها سائر البدن ، فذلك سر من أسرار الله تعالى لم نصفه ، ولارخصة فى وصفه إلا بأن يقال : هو أمر ربانى كما قال تعالى ﴿ قل الروح من أمر ربى ﴾ والأمور الربانية لا تحتمل العقول وصفها بل تتحير فيها عقول أكثر الخلق ، وأما الأوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن إدراك الأصوات ، وتتزلزل فى ذكر مبادئ وصفها معاقد العقول المقيدة بالجوهر والعرض المحبوسة فى مضيقها ، فلا يدرك بالعقل شىء من وصفه بل بنور آخر أعلى وأشرف من العقل يشرق ذلك النور فى عالم النبوّة والولاية ، نسبته إلى العقل نسبة العقل إلى الوهم والخيال ، وقد خلق الله تعالى الخلق أطوارا ، فكما يدرك الصبى المحسوسات ولا يدرك المعقولات لأن ذلك طور لم يبلغه بعد ، فكذلك يدرك البالغ المعقولات ولا يدرك ماوراءها ؛ لأنّ ذلك طور لم يبلغه بعد ، وإنه لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية ، فيها يلحظ جناب الحق بنور الإيمان واليقين ، وذلك المشرب أعز من أن يكون شريعة لكل وارد ، بل لا يطلع عليه إلا واحد بعد واحد ، ولجناب الحق صدر وفى مقدمة الصدر مجال وميدان رحب ، وعلى أوّل الميدان عتبة هى مستقر ذلك الأمر الربانى ؛ فمن لم يكن له على هذه العتبة جواز ولا لحافظ العتبة مشاهدة واستحال أن يصل الميدان ، فكيف بالانتهاء إلى ماوراءه من المشاهدات العالية ، ولذلك قيل : من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه . وأنى يصادف هذا خزانة الأطباء ؟ ومن أين للطبيب أن يلاحظه ؟ بل المعنى المسمى روحا عند الطبيب بالإضافة إلى هذا الأمر الربانى كالكرة التى يحركها صولجان الملك بالإضافة إلى الملك فمن عرف الروح الطبى فظنّ أنه أدرك الأمر الربانى كان كمن رأى الكرة التى يحرّكها صولجان الملك فظن أنه رأى الملك ، ولا يشك فى أنّ خطأه فاحش ، وهذا الخطأ أفحش منه جدّا ، ولما كانت العقول التى بها يحصل التكليف وبها تدرك مصالح الدنيا عقولا قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الأمر لم يأذن الله تعالى لرسول صلى الله عليه وسلم أن يتحدّث عنه ، بل أمره أن يكلم الناس على قدر عقولهم ، ولم يذكر الله تعالى فى كتابه من حقيقة هذا الأمر شيئا ، ولكن ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته ، أما نسبته فى قوله تعالى ﴿ من أمر ربى ﴾ وأما فعله فقد ذكر فى قوله تعالى ﴿ ياأيها النفس

(١) حديث : أنه سئل عن الروح فلم يزد على أن قال « الروح من أمر ربى » متفق عليه من حديث ابن مسعود ، وقد تقدم فى شرح عجائب القلب .

المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ﴾ ولنرجع الآن إلى الغرض ، فإن المقصود ذكر نعم الله تعالى فى الأكل ، فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى فى آلات الأكل .

الطرف الرابع : فى نعم الله تعالى فى الأصول التى يحصل منها الأطعمة وتصير صالحة لأن يصلحها الآدمى بعد ذلك بصنعته

اعلم أن الأطعمة كثيرة ، ولله تعالى فى خلقها عجائب كثيرة لا تحصى وأسباب متوالية لا تتناهى ، وذكر ذلك فى كل طعام مما يطول ، فإن الأطعمة إما أدوية وإما فواكه وإما أغذية ، فلنأخذ الأغذية فإنها الأصل ، ولنأخذ من جملتها حبة من البر ولندع سائر الأغذية فنقول : إذا وجدت حبة أو حبات فلو أكلتها فنيت وبقيت جائعا ، فاأحوجك إلى أن تنمو الحبة فى نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تفى بتمام حاجتك ! فخلق الله تعالى فى حبة الحنطة من القوى ما يغتذى به كما خلق فيك ، فإن النبات إنما يفارقك فى الحس والحركة ولا يخالفك فى الاغتذاء لأنه يغتذى بالماء ويجتذب إلى باطنه بواسطة العروق كما تغتذى أنت وتجتذب ، ولسنا نطنب فى ذكر آلات النبات فى اجتذاب الغذاء إلى نفسه ، ولكن نشير إلى غذائه فنقول : كما أن الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج إلى طعام مخصوص ، فكذلك الحبة لا تغتذى بكل شىء بل تحتاج إلى شىء مخصوص ، بدليل أنك لو تركتها فى البيت لم تزد لأنه ليس يحيط بها إلا هواء ، ومجرد الهواء لا يصلح لغذائها ، ولو تركتها فى الماء لم تزد ، ولو تركتها فى أرض لا ماء فيها لم تزد ، بل لا بد من أرض فيها ماء يمتزج ماؤها بالأرض فيصير طينا ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه : أنا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شقا . فأنبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا ... ﴾ الآية ؛ ثم لا يكفى الماء والتراب ، إذ لو تركت فى أرض ندية صلبة متراكمة لم تنبت لفقد الهواء ، فيحتاج إلى تركها فى أرض رجوة متخلخلة يتغلغل الهواء إليها ، ثم الهواء لا يتحرك إليها بنفسه فيحتاج إلى ريح تحرك الهواء وتضربه بقهر وعنف على الأرض حتى ينفذ فيها ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ وإنما إلقاحها فى إيقاع الازدواج بين الهواء والماء والأرض ، ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان فى برد مفرط وشتاء شات ، فتحتاج إلى حرارة الربيع والصيف ؛ فقد بان احتياج غذائه إلى هذه الأربعة ، فانظر إلى ماذا يحتاج كل واحد ، إذ يحتاج الماء لينساق إلى أرض الزراعة من البحار والعيون والأنهار والسواقى ، فانظر كيف خلق الله البحار وفجر العيون وأجرى منها الأنهار ، ثم الأرض ربما تكون مرتفعة والمياه لا ترتفع إليها ، فانظر كيف خلق الله تعالى الغيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها بإذنه إلى أقطار الأرض وهى سحب ثقال حوامل بالماء ، ثم انظر كيف يرسله مدرارا على الأراضى فى وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة ، وانظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه تتفجر منها العيون تدريجا ، فلو خرجت دفعة لغرقت البلاد وهلك الزرع والمواشى ؛ ونعم الله فى الجبال والسحاب والبحار والأمطار لا يمكن إحصاؤها ، وأما الحرارة فإنها لا تحصل بين الماء والأرض وكلاهما باردان ، فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الأرض مسخنة للأرض فى وقت دون وقت ، ليحصل البرد عند الحاجة إلى البرد ، والحر عند الحاجة إلى الحر ! فهذه إحدى حكم الشمس ـ والحكم فيها أكثر من أن تحصى ، ثم النبات إذا ارتفع عن الأرض كان فى الفواكه انعقاد وصلابة فتفتقر إلى رطوبة تنضجها ، فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين ، فهو ينضج الفواكه ويصبغها بتقدير الفاطر الحكيم ! . ولذلك لو كانت الأشجار فى ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر

الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة ، حتى إن الشجرة الصغيرة تفسد إذا ظللتها شجرة كبيرة ، وتعرف ترطيب القمر بأن تكشف رأسك له بالليل فتغلب على رأسك الرطوبة التى يعبر عنها بالزكام فكما يرطب رأسك يرطب الفاكهة أيضا ، ولانطول فيما لامطمع فى استقصائه ، بل نقول : كل كوكب فى السماء فقد سخر لنوع فائدة كما سخرت الشمس للتسخين والقمر للترطيب ، فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لاتفى قوة البشر بإحصائها ، ولو لم يكن كذلك لكان خلقها عبثا وباطلا ولم يصح قوله تعالى ﴿ ربنا ماخلقت هذا باطلا ﴾ وقوله عزوجل ﴿ وماخلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ﴾ وكما أنه ليس فى أعضاء بدنك عضو إلا لفائدة فليس فى أعضاء بدن العالم عضو إلا لفائدة ، والعالم كله كشخص واحد ، وآحادأجسامه كالأعضاء لهوهى متعاونة تعاون أعضاء بدنك فى جملة بدنك ، وشرح ذلك يطول ، ولاينبغى أن تظن أنّ الإيمان بأن النجوم والشمس والقمر مسخرات بأمر الله سبحانه فى أمور جعلت أسبابا لها بحكم الحكمة ـ مخالف للشرع لما ورد فيه من النهى عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم [1] ، بل المنهى عنه فى النجوم أمران (أحدهما) أن تصدّق بأنها فاعلة لآثارها مستقلة بها وأنها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها : وهذا كفر (والثانى) تصديق المنجمين فى تفصيل مايخبرون عنه من الآثار التى لايشترك كافة الخلق فى دركها ، لأنهم يقولون ذلك عن جهل ، فإن علم أحكام النجوم كان معجزة لبعض الأنبياء عليهم السلام ثم اندرس ذلك العلم فلم يبق إلا ماهو مختلط لايتميز فيه الصواب عن الخطإ ؛ فاعتقاد كون الكواكب أسبابا لآثار تحصل بخلق الله تعالى فى الأرض وفى النبات وفى الحيوان ليس قادحا فى الدين بل هو حق ، ولكن دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قادح فى الدين ، ولذلك إذا كان معك ثوب غسلته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك : أخرج الثوب وابسطه فإن الشمس قدطلعت وحمى النهار والهواء لايلزمك تكذيبه ولايلزمك الإنكار عليه بحوالته حمى الهواء على طلوع الشمس ، وإذا سألت عن تغيير وجه الإنسان فقال : قرعتنى الشمس فى الطريق فاسود وجهى لم يلزمك تكذيبه بذلك ، وقس بهذا سائر الآثار ، إلا أن الآثار بعضها معلوم وبعضها مجهول . فالمجهول لايجوز دعوى العلم فيه ، والمعلوم بعضه معلوم للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطلوع الشمس ، وبعضه لبعض الناس كحصول الزكام بشروق القمر ؛ فإذن الكواكب ماخلقت عبثا ، بل فيها حكم كثيرة لاتحصى ، ولهذا نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء وقرأ قوله تعالى ﴿ ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ ثم قال صلى الله عليه وسلم « ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته [2] » ومعناه أن يقرأ ويترك التأمل ، ويقتصر من فهم ملكوت السموات على أن يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم أيضا ، فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذى مسح بها سبلته ، فلله تعالى فى ملكوت السموات والآفاق والأنفس والحيوانات عجائب يطلب معرفتها المحبون لله تعالى ؛ فإن من أحب عالما فلا يزال مشغولا بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجائب علمه حبا له ، فكذلك الأمر فى عجائب صنع الله تعالى ، فإن العالم

---

(١) حديث النهى عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم . أخرجه أبو داود وابن ماجه بسند صحيح من حديث ابن عباس « من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر ، زاد مازاد » والطبرانى من حديث ابن مسعود وثوبان « إذا ذكرت النجوم فأمسكوا » وإسنادهما ضعيف ، وقد تقدم فى العلم . ولمسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمى قال : قلت يارسول الله ، أمورا كنا نصنعها فى الجاهلية كنا نأتى الكهان ! قال « فلا تأتوا الكهان ... الحديث » .

(٢) حديث قرأ قوله تعالى ﴿ ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ ثم قال « ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته » أى ترك تأملها . أخرجه الثعلبى من حديث ابن عباس بلفظ « ولم يتفكر فيها » وفيه أبو جناب يحيى بن أبى حية ضعيف .

كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذى صنفه بواسطة قلوب عباده ، فإن تعجبت من تصنيف فلا تتعجب من المصنف ، بل من الذى سخر المصنف لتصنيفه بما أنعم عليه من هدايته وتسديده وتعريفه ، كما إذا رأيت لعب المشعوذ ترقص وتتحرك حركات موزونة متناسبة فلا تعجب من اللعب فإنها خرق محركة لا متحركة ، ولكن تعجب من حذق المشعوذ المحرك لها بروابط دقيقة خفية عن الأبصار ، فإذن المقصود أن غذاء النبات لا يتم إلا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ، ولا يتم ذلك إلا بالأفلاك التى هى مركوزة فيها ، ولا تتم الأفلاك إلا بحركاتها ، ولا تتم حركاتها إلا بملائكة سماوية يحركونها ، وكذلك يتمادى ذلك إلى أسباب بعيدة تركنا ذكرها تنبيها بما ذكرناه على ما أهملناه ، ولنقتصر على هذا من ذكر أسباب غذاء النبات .

الطرف الخامس : فى نعم الله تعالى فى الأسباب الموصلة للأطعمة إليك

اعلم أنّ هذه الأطعمة كلها لا توجد فى كل مكان بل لها شروط مخصوصة لأجلها توجد فى بعض الأماكن دون بعض ، والناس منتشرون على وجه الأرض وقد تبعد عنهم الأطعمة ويحول بينهم وبينها البحار والبرارى ، فانظر كيف سخر الله تعالى التجار وسلط عليهم حرص حب المال وشهوة الربح مع أنهم لا يغنيهم فى غالب الأمر شىء ، بل يجمعون فإما أن تغرق بها السفن أو تنهبها قطاع الطريق أو يموتوا فى بعض البلاد فيأخذها السلاطين ، وأحسن أحوالهم أن يأخذها ورثتهم وهم أشدّ أعدائهم لو عرفوا ، فانظر كيف سلط الله الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسوا الشدائد فى طلب الربح ويركبوا الأخطار ويغترروا بالأرواح فى ركوب البحر فيحملون الأطعمة وأنواع الحوائج من أقصى الشرق والغرب إليك ! وانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن وكيفية الركوب فيها ! وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب والحمل فى البرارى ، وانظر إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى الفرس كيف أمدت بسرعة الحركة ، وإلى الحمار كيف جعل صبورا على التعب ، وإلى الجمال كيف تقطع البرارى وتطوى المراحل تحت الأعباء الثقيلة على الجوع والعطش ، وانظر كيف سيرهم الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات فى البر والبحر ليحملوا إليك الأطعمة وسائر الحوائج ! وتأمل ما يحتاج إليه الحيوانات من أسبابها وأدواتها وعلفها وما تحتاج إليه السفن فقد خلق الله تعالى جميع ذلك إلى حدّ الحاجة وفوق الحاجة وإحصاء ذلك غير ممكن ، ويتمادى ذلك إلى أمور خارجة عن الحصر نرى تركها طلبا للإيجاز .

الطرف السادس : فى إصلاح الأطعمة

اعلم أنّ الذى ينبت فى الأرض من النبات وما يخلق من الحيوانات لا يمكن أن يقضم ويؤكل ، وهو كذلك ، بل لا بدّ فى كل واحد من إصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بإلقاء البعض وإبقاء البعض إلى أمور أخر لا تحصى ، واستقصاء ذلك فى كل طعام يطول ، فلنعين رغيفاً واحدا ، ولننظر إلى ما يحتاج إليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للأكل من بعد إلقاء البذر فى الأرض ، فأوّل ما يحتاج إليه الحارث ليزرع ويصلح الأرض ، ثم الثور الذى يثير الأرض والفدان وجميع أسبابه ، ثم بعد ذلك التعهد بسقى الماء مدّة ، ثم تنقية الأرض من الحشيش ، ثم الحصاد ، ثم الفرك والتنقية ، ثم الطحن ، ثم العجين ثم الخبز ؛ فتأمل عدد هذه الأفعال التى ذكرناها وما لم نذكره ، وعدد الأشخاص القائمين بها ، وعدد الآلات التى يحتاج إليها من الحديد والخشب والحجر وغيره ! وانظر إلى أعمال الصناع فى إصلاح آلات الحراثة والطحن والخبز من نجار ، وحدّاد وغيرهما ! وانظر إلى حاجة الحدّاد إلى الحديد والرصاص والنحاس ! وانظر كيف خلق الله تعالى

الجبال والأحجار والمعادن ! وكيف جعل الأرض قطعاً متجاورات مختلفة ! فإن فتشت علمت أنّ رغيفاً واحداً لايستدير بحيث يصلح لأكلك يامسكين مالم يعمل عليه أكثر من ألف صانع ، فابتدئ من الملك الذى يزجى السحاب لينزل الماء إلى آخر الأعمال من جهة الملائكة حتى تنتهى النوبة إلى عمل الإنسان فإذا استدار طلبه قريب من سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصنائع التى بها تتم مصلحة الخلق ، ثم تأمل كثرة أعمال الإنسان فى تلك الآلات ، حتى إن الإبرة التى هى آلة صغيرة فائدتها خياطة اللباس الذى يمنع البرد عنك لاتكمل صورتها من حديدة تصلح للإبرة إلا بعد أن تمر على يد الإبرى خمساً وعشرين مرة ويتعاطى فى كل مرة منها عملا، فلولم يجمع الله تعالى البلاد ولم يسخر العباد وافتقرت إلى عمل المنجل الذى تحصد به البر مثلا بعد نباته لنفذ عمرك وعجزت عنه أفلا ترى كيف هدى الله عبده الذى خلقه من نطفة قذرة لأن يعمل هذه الأعمال العجيبة والصنائع الغريبة ! فانظر إلى المقراض مثلا وهما جلمان متطابقان ينطبق أحدهما على الآخر فيتناولان الشىء معاً ويقطعانه بسرعة ، ولو لم يكشف الله تعالى طريق اتخاذه بفضله وكرمه لمن قبلنا وافتقرنا إلى استنباط الطريق فيه بفكرنا ثم إلى استخراج الحديد من الحجر وإلى تحصيل الآلات التى بها يعمل المقراض وعمر الواحد منا عمر نوح وأوتى أكمل العقول لقصر عمره عن استنباط الطريق فى إصلاح هذه الآلة وحدها فضلا عن غيرها ؛ فسبحان من ألحق ذوى الأبصار بالعميان وسبحان من منع النبيين مع هذا البيان ، فانظر الآن لوخلا بلدك عن الطحان مثلا ، أوعن الحداد ، أو عن الحجام الذى هو أخس العمال ، أو عن الحائك ، أو عن واحد من جملة الصناع ماذا يصيبك من الأذى وكيف تضطرب عليك أمورك كلها ! فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى نفذت به مشيئته وتمت به حكمته ولنوجز القول فى هذه الطبقة أيضا فإن الغرض التنبيه على النعم دون الاستقصاء .

الطرف السابع : فى إصلاح المصلحين

إعلم أن هؤلاء الصناع المصلحين الأطعمة وغيرها لو تفرقت آراؤهم وتنافرت طباعهم تنافر طباع الوحش لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض بل كانوا كالوحوش لايحويهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد فانظر كيف ألف الله تعالى بين قلوبهم وسلط الأنس والمحبة عليهم ﴿لو أنفقت مافى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾ فلأجل الإلف وتعارف الأرواح اجتمعوا وائتلفوا وبنوا المدن والبلاد ورتبوا المساكن والدور متقاربة متجاورة ورتبوا الأسواق والخانات وسائر أصناف البقاع مما يطول إحصاؤه ، ثم هذه المحبة تزول بأغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها ، ففى جبلة الإنسان الغيظ والحسد والمنافسة ، وذلك مما يؤدى إلى التقاتل والتنافر ، فانظر كيف سلط الله تعالى السلاطين وأمدهم بالقوة والعدة والأسباب وألقى رعبهم فى قلوب الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعا وكرها ، وكيف هدى السلاطين إلى طريق إصلاح البلاد حتى رتبوا أجزاء البلد كأنها أجزاء شخص واحد تتعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها بالبعض ، فرتبوا الرؤساء والقضاة والسجن وزعماء الأسواق ، واضطروا الخلق إلى قانون العدل وألزموهم التساعد والتعاون حتى صار الحداد ينتفع بالقصاب والخباز وسائر أهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد ، وصار الحجام ينتفع بالحراث، والحراث بالحجام ، وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه ، كما يتعاون جميع أعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض . وانظر كيف بعث الأنبياء عليهم السلام حتى أصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع فى حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة فى ضبطهم وكشفوا من أحكام الإمامة والسلطنة وأحكام الفقه

ما اهتدوا به إلى إصلاح الدنيا فضلا عما أرشدوهم إليه من إصلاح الدين ! وانظر كيف أصلح الله تعالى الانبياء بالملائكة وكيف أصلح الملائكة بعضهم ببعض إلى أن ينتهى إلى الملك المقرب الذى لاواسطة بينه وبين الله تعالى فالخباز يخبز العجين والطحان يصلح الحب بالطحن والحراث يصلحه بالحصاد ، والحداد يصلح آلات الحراثة والنجار يصلح آلات الحداد وكذا جميع أرباب الصناعات المصلحين لآلات الأطعمة ، والسلطان يصلح الصناع ، والأنبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم ، والعلماء يصلحون السلاطين ، والملائكة يصلحون الأنبياء إلى أن ينتهى إلى حضرة الربوبية التى هى ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل ترتيب وتأليف ، وكل ذلك نعم من رب الأرباب ومسبب الأسباب ، ولولا فضله وكرمه إذ قال تعالى ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ لما اهتدينا إلى هذه النبذة اليسيرة من نعم الله تعالى ، ولولا عزله إيانا عن أن نطمح بعين الطمع إلى الإحاطة بكنه نعمه لتشوفنا إلى طلب الإحاطة والاستقصاء ، ولكنه تعالى عزلنا بحكم القهر والقدرة فقال تعالى ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها ﴾ فإن تكلمنا فبإذنه انبسطنا ، وإن سكنا فبقهره انقبضنا ؛ إذ لامعطى لما منع ولا مانع لما أعطى ، لأنا فى كل لحظة من لحظات العمر قبل الموت نسمع بسمع القلوب نداء الملك الجبار ﴿ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾ فالحمد لله الذى ميزنا عن الكفار وأسمعنا هذا النداء قبل انقضاء الأعمار .

الطرف الثامن : فى بيان نعمة الله تعالى فى خلق الملائكة : عليهم السلام

ليس يخفى عليك ماسبق من نعمة الله فى خلق الملائكة بإصلاح الأنبياء عليهم السلام وهدايتهم وتبليغ الوحى إليهم ، ولا تظنن أنهم مقتصرون فى أفعالهم على ذلك القدر بل طبقات الملائكة مع كثرتها وترتيب مراتبها تنحصر بالجملة فى ثلاث طبقات : الملائكة الأرضية والسماوية وحملة العرش ، فانظر كيف وكلهم الله تعالى بك فيما يرجع إلى الأكل والغذاء الذى ذكرناه دون مايجاوز ذلك من الهداية والإرشاد وغيرها . واعلم أن كل جزء من أجزاء بدنك بل من أجزاء النبات لايغتذى إلا بأن يوكل به سبعة من الملائكة هو أقله إلى عشرة إلى مائة إلى ماوراء ذلك وبيانه أن معنى الغذاء أن يقوم جزء من الغذاء مقام جزء وقد تلف ، وذلك الغذاء يصير دما فى آخر الأمر ، ثم يصير لحماً وعظما ، وإذا صار لحماً وعظما تم اغتذاؤك ، والدم واللحم أجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار ، فهى لاتتحرك بأنفسها ولا تتغير بأنفسها ، ومجرد الطبع لايكفى فى ترددها فى أطوارها كما أن البر بنفسه لايصير طحينا ثم عجيناً ثم خبزا مستديراً مخبوزاً إلا بصناع ، فكذلك الدم بنفسه لايصير لحماً وعظما وعروقا وعصباً إلا بصناع والصناع فى الباطن هم الملائكة كما أن الصناع فى الظاهر هم أهل البلد ، وقد أسبغ الله تعالى عليك نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغى أن تغفل عن نعمه الباطنة ، فأقول : لا بد من ملك يجذب الغذاء إلى جوار اللحم والعظم ، فان الغذاء لايتحرك بنفسه ، ولا بد من ملك آخر يمسك الغذاء فى جواره ، ولا بد من ثالث يخلع عليه صورة الدم ، ولا بد من رابع يكسوه صورة اللحم والعروق أو العظم ، ولا بد من خامس يدفع الفضل الفاضل عن حاجة الغذاء ، ولا بد من سادس يلصق ما اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لايكون منفصلا ، ولا بد من سابع يرعى المقادير فى الإلصاق فيلحق بالمستدير مالا يبطل استدارته وبالعريض مالا يزيل عرضه وبالمجوف مالا يبطل تجويفه ، ويحفظ على كل واحد قدر حاجته ، فإنه لو جمع مثلا من الغذاء على أنف الصبى مايجمع على فخذه لكبر أنفه وبطل تجويفه وتشوهت صورته وخلقته ، بل ينبغى أن يسوق إلى الأجفان مع رقتها وإلى الحدقة مع صفائها وإلى الأفخاذ مع غلظها وإلى العظم مع صلابته مايليق بكل واحد منها من حيث القدر والشكل وإلا بطلت الصورة

وربا بعض المواضع وضعف بعض المواضع ، بل لو لم يراع هذا الملك العادل فى القسمة والتقسيط فساق إلى رأس الصبي وسائر بدنه من الغذاء ماينمو به إلا إحدى الرجلين مثلا لبقيت تلك الرجل كما كانت فى حدّ الصغر وكبر جميع البدن ، فكنت ترى شخصا فى ضخامة رجل وله رجل واحدة كأنها رجل صبي فلا ينتفع بنفسه ألبتة ، فراعاة هذه الهندسة فى هذه القسمة مفوّضة إلى ملك من الملائكة ، ولا تظنن أنّ الدم بطبعه يهندس شكل نفسه فإنّ محيل هذه الأمور على الطبع جاهل لايدرى مايقول ؛ فهذه هى الملائكة الأرضية وقد شغلوا بك وأنت فى النوم تستريح وفى الغفلة تتردد ، وهم يصلحون الغذاء فى باطنك ولا خبر لك منهم وذلك فى كل جزء من أجزائك الذى لايتجزأ حتى يفتقر بعض الأجزاء كالعين والقلب إلى أكثر من مائة ملك ، تركنا تفصيل ذلك للايجاز ، والملائكة الأرضية مددهم من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لايحيط بكنهه إلا الله تعالى ، ومدد الملائكة السماوية من حملة العرش والمنعم على جملتهم بالتأييد والهداية والتسديد المهيمن القدوس المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت جبار السموات والأرض مالك الملك ذو الجلال والإكرام ، والأخبار الواردة فى الملائكة الموكلين بالسموات والأرض وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب ينجز من جانب إلى جانب [1] أكثر من أن تحصى فلذلك تركنا الاستشهاد به .

* فإن قلت : فهلا فوضت هذه الأفعال إلى ملك واحد ولم افتقر إلى سبعة أملاك ، والحنطة أيضا تحتاج إلى من يطحن أولا ثم إلى من يميز عنه النخالة ويدفع الفضلة ثانيا ، ثم إلى من يصب الماء عليه ثالثا ، ثم إلى من يعجن رابعا ، ثم إلى من يقطعه كرات مدورة خامسا ، ثم إلى من يرقها رغفانا عريضة سادسا ، ثم إلى من يلصقها بالتنور سابعا ، ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد يستقل به فهلا كانت أعمال الملائكة باطنا كأعمال الإنس ظاهراً ؟ فاعلم أن خلقة الملائكة تخالف خلقة الإنس ، وما من واحد منهم إلا وهو وحدانى الصفة ليس فيه خلط وتركيب ألبتة ، فلا يكون لكل واحد منهم إلا فعل واحد ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ وما منا إلا وله مقام معلوم ﴾ فلذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مثالهم فى تعين مرتبة كل واحد منهم وفعله مثال الحواس الخمس ، فإنّ البصر لايزاحم السمع فى إدراك الأصوات ولا الشم يزاحمها ولا هما يتنازعان الشم ؛ وليس كاليد والرجل فإنك قد تبطش بأصابع الرجل بطشا ضعيفاً فتزاحم به اليد ، وقد تضرب غيرك برأسك فتزاحم اليد التى هى آلة الضرب ولا كالإنسان الواحد الذى يتولى بنفسه الطحن والعجن والخبز ، فإن هذا نوع من الاعوجاج والعدول عن العدل سببه اختلاف صفات الإنسان واختلاف دواعيه ، فإنه ليس وحدانى الصفة فلم يكن وحدانى الفعل ، ولذلك نرى الإنسان يطيع الله مرة ويعصيه أخرى لاختلاف دواعيه وصفاته ، وذلك غير ممكن فى طباع الملائكة ، بل هم مجبولون على الطاعة

---

(١) حديث الأخبار الواردة فى الملائكة الموكلين بالسموات والأرضين وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب ينجز من جانب إلى جانب ... ؛ ففى الصحيحين من حديث أبى ذر فى قصة الإسراء قال جبريل لخازن السماء الدنيا : افتح ، وفيه : أتى السماء الثانية فقال لخازنها : افتح ... الحديث ، ولهما من حديث أبي هريرة « إن لله ملائكة سياحين يبلغونى عن أمتى السلام » وفى الصحيحين من حديث عائشة فى قصة عرضه نفسه على عبد يالبل « فنادانى ملك الجبال إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين .. الحديث » ولهما من حديث أنس « إن الله وكل بالرحم ملكا .. الحديث » وروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث بريدة الأسلمى « مامن نبت ينبت إلا وتحته ملك موكل حتى يحصد ... الحديث » وفيه محمد بن صالح الطبرى وأبو بحر البكراوى واسمه عثمان بن عبد الرحمن وكلاهما ضعيف . والطبرانى من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف « إن لله ملائكة ينزلون فى كل ليلة يحسون الكلال عن دواب الغزاة الا دابة فى عنقها جرس » والترمذى وحسنه من حديث ابن عباس : قالت اليهود يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد قال « ملك من الملائكة موكل بالسحاب » ولمسلم من حديث أبى هريرة : « بينما رجل بفلاة من الأرض سمع صوتا من سحابة : اسق حديقة فلان ، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه فى حرة .. الحديث » .

لامجال للمعصية فى حقهم ، فلا جرم لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون ، ويسبحون الليل والنهار لايفترون ، والراكع منهم راكع أبدا ، والساجد منهم ساجد أبدا ، والقائم قائم أبدا لا اختلاف فى أفعالهم ولا فتور ، ولكل واحد مقام معلوم لايتعداه ، وطاعتهم لله تعالى من حيث لامجال المخالفة فيهم يمكن أن تشبه بطاعة أطرافك لك ، فإنك مهما جزمت الإرادة بفتح الأجفان لم يكن للجفن الصحيح تردد واختلاف فى طاعتك مرة ومعصيتك أخرى ، بل كأنه منتظر لأمرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلا بإشارتك ، فهذا يشبهه من وجه ولكن يخالفه من وجه ، إذ الجفن لاعلم له بما يصدر منه من الحركة فتحا وإطباقا والملائكة أحياء عالمون بما يعملون ؛ فإذن هذه نعمة الله عليك فى الملائكة الأرضية والسماوية وحاجتك إليهما فى غرض الأكل فقط دون ماعداها من الحركات والحاجات كلها ؛ فإنا لم نطول بذكرها ؛ فهذه طبقة أخرى من طبقات النعم ومجامع الطبقات لايمكن إحصاؤها ، فكيف آحاد مايدخل تحت مجامع الطبقات ، فإذن قد أسبغ الله تعالى نعمه عليك ظاهرة وباطنة ، ثم قال ﴿ وذروا ظاهر الإثم وباطنه ﴾ فترك باطن الإثم مما لايعرفه الخلق من الحسد وسوء الظن والبدعة واضمار الشر للناس إلى غير ذلك من آثام القلوب هو الشكر للنعم الباطنة ، وترك الإثم الظاهر بالجوارح شكر للنعمة الظاهرة بل أقول : كل من عصى الله تعالى ولو فى تطريفة واحدة بأن فتح جفنه مثلا حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى عليه فى السموات والأرض وما بينهما ، فإن كل ماخلقه الله تعالى حتى الملائكة والسموات والأرض والحيوانات والنبات بجملته نعمة على كل واحد من العباد قد تم به انتفاعه وإن انتفع غيره أيضاً به فإن لله تعالى فى كل تطريفة بالجفن نعمتين فى نفس الجفن ، إذ خلق تحت كل جفن عضلات ولها أوتار ورباطات متصلة بأعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الأعلى وارتفاع الجفن الأسفل وعلى كل جفن شعور سود ، ونعمة الله تعالى فى سوادها أنها تجمع ضوء العين ، إذ البياض يفرق الضوء والسواد يجمعه ، ونعمة الله تعالى فى ترتيبها صفا واحداً أن يكون مانعا للهوام من الدبيب إلى باطن العين ومتشبثا للأقذاء التى تتناثر فى الهواء ، وله فى كل شعرة منها نعمتان من حيث لين أصلها ومع اللين قوام نصبها ، وله فى اشتباك الأهداب نعمة أعظم من الكل : وهو أن غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو طبق لم يبصر ، فيجمع الأجفان مقدار ماتتشابك الأهداب فينظر من وراء شباك الشعر ، فيكون شباك الشعر مانعا من وصول القذى من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل ، ثم إن أصاب الحدقة غبار فقد خلق أطراف الاجفان خادمة منطبقة على الحدقة كالمصقلة للمرآة فيطبقها مرة أو مرتين وقد انصقلت الحدقة من الغبار وخرجت الاقذاء إلى زوايا العين والاجفان ، والذباب لما لم يكن لحدقته جفن خلق له يدين ، فتراه على الدوام يمسح بهما حدقتيه ليصقلهما من الغبار وإذ تركنا الاستقصاء لتفاصيل النعم لافتقاره إلى تطويل يزيد على أصل هذا الكتاب ، ولعلنا نستأنف له كتابا مقصودا فيه إن أمهل الزمان وساعد التوفيق نسميه عجائب صنع الله تعالى ، فلنرجع إلى غرضنا فنقول : من نظر إلى غير محرم فقد كفر بفتح العين نعمة الله تعالى فى الأجفان ، ولاتقوم الأجفان إلا بعين ، ولاالعين إلا برأس : ولا الرأس إلا بجميع البدن ، ولاالبدن إلا بالغذاء ، ولاالغذاء إلا بالماء والأرض والهواء والمطر والغيم والشمس والقمر ، ولايقوم شيء من ذلك إلا بالسموات ، ولاالسموات إلا بالملائكة ، فإن الكل كالشيء الواحد يرتبط البعض منه بالبعض ارتباط أعضاء البدن بعضها ببعض ، فإذن قد كفر كل نعمة فى الوجود من منتهى الثريا إلى منتهى الثرى فلم يبق فلك ولاملك ولاحيوان ولانبات ولاجماد إلا ويلعنه ، ولذا ورد فى الأخبار أن البقعة التى يجتمع فيها الناس إما أن تلعنهم إذا تفرقوا أو تستغفر لهم (١) وكذلك ورد أن العالم يستغفر

(١) حديث « ان البقعة التى اجتمع فيها الناس تلعنهم أو تستغفر لهم » لم أجد له أصلا .

له كل شيء حتى الحوت فى البحر[1] وأن الملائكة يلعنون العصاة[2] فى ألفاظ كثيرة لا يمكن إحصاؤها ، وكل ذلك إشارة إلى أن العاصى بتطريفة واحدة جنى على جميع ما فى الملك والملكوت ، وقد أهلك نفسه إلا أن يتبع السيئة بحسنة تمحوها ، فيتبدل اللعن بالاستغفار ، فعسى الله أن يتوب عليه ويتجاوز عنه . وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام « ياأيوب مامن عبدلى من الآدميين إلا ومعه ملكان ، فإذا شكرنى على نعمائى قال الملكان : اللهم زده نعما على نعم ، فإنك أهل الحمد والشكر ، فكن من الشاكرين قريبا فكفى بالشاكرين علو رتبة ، وعندى أنى أشكر شكرهم وملائكتى يدعون لهم والبقاع تحبهم والآثار تبكى عليهم » .

وكما عرفت أن فى كل طرفة عين نعما كثيرة ، فاعلم أن فى كل نفس ينبسط وينقبض نعمتين ، إذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم يخرج لهلك ، وبانقباضه يجمع روح الهواء إلى القلب ولو سد متنفسه لاحترق قلبه بانقطاع روح الهواء وبرودته عنه وهلك ، بل اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة وفى كل ساعة قريب من ألف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات ، فعليك فى كل لحظة آلاف آلاف نعمة فى كل جزء من أجزاء بدنك ، بل فى كل جزء من أجزاء العالم ، فانظر هل يتصور إحصاء ذلك أم لا ؟ ولما انكشف لموسى عليه السلام حقيقة قوله تعالى ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها ﴾ قال : إلهى كيف أشكرك ولك فى كل شعرة من جسدى نعمتان : أن لينت أصلها ، وأن طمست رأسها ؟ وكذا ورد فى الأثر : أن من لم يعرف نعم الله فى مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه .

وجميع ماذكرناه يرجع إلى المطعم والمشرب فاعتبر ماسواه من النعم به ، فإن البصير لاتقع عينه فى العالم على شيء ولايلم خاطره بموجود إلا ويتحقق أن لله فيه نعمة عليه ، فلنترك الاستقصاء والتفصيل فإنه طمع فى غير مطمع .

بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر

اعلم أنه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة إلا الجهل والغفلة ، فإنهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ، ولايتصور شكر النعمة إلا بعد معرفتها ، ثم إنهم إن عرفوا نعمة ظنوا أن الشكر عليها أن يقول بلسانه : الحمد لله ، الشكر لله . ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة فى إتمام الحكمة التى أريدت بها وهى طاعة الله عزوجل فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين إلا غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان .

أما الغفلة عن النعم فلها أسباب ، وأحد أسبابها أن الناس بجهلهم لا يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم فى جميع أحوالهم نعمة ، فلذلك لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من النعم لأنها عامة للخلق مبذولة لهم فى جميع أحوالهم ، فلا يرى كل واحد لنفسه منهم اختصاصا به فلا يعده نعمة ، ولا تراهم يشكرون الله على روح الهواء ، ولو أخذ بمختنقهم لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ماتوا ولو حبسوا فى بيت حمام فيه هواء حار أو فى بئر فيه هواء ثقل برطوبة المساء ماتوا غما ؛ فإن ابتلى واحد منهم بشيء من ذلك ثم نجا ربما قدر ذلك نعمة وشكر الله عليها ، وهذا غاية الجهل إذ صار شكرهم موقوفا على أن تسلب عنهم النعمة ثم ترد عليهم فى بعض الأحوال ، والنعمة فى جميع الأحوال أولى بأن تشكر فى بعضها ؛ فلا ترى البصير يشكر صحة بصره إلا أن تعمى عينيه ، فعند ذلك لو أعيد عليه بصره

(١) حديث « إن العالم ليستغفر له كل شيء حتى الحوت فى البحر » تقدم فى العلم (٢) حديث « ان الملائكة يلعنون العصاة » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة الملائكة تلعن أحدكم اذا أشار الى أخيه بحديدة وان كان أخاه لأبيه وأمه .

أحس به وشكره وعدّه نعمة ، ولما كانت رحمة الله واسعة عمم الخلق وبذل لهم فى جميع الأحوال فلم يعدّه الجاهل نعمة ، وهذا الجاهل مثل العبد السوء حقه أن يضرب دائما ، حتى إذا ترك ضربه ساعة تقلد به منة ، فإن ترك ضربه على الدوام غلبه البطر وترك الشكر ، فصار الناس لا يشكرون إلا المال الذى يتطرق الاختصاص إليه من حيث الكثرة والقلة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم ، كما شكا بعضهم فقره إلى بعض أرباب البصائر وأظهر شدة اغتمامه به فقال له : أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم ؟ فقال : لا فقال : أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال لا : فقال : أيسرك أن أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفا ؟ فقال : لا ، فقال: أيسرك أنك مجنون ولك عشر آلاف درهم ؟ فقال : لا ، فقال : أما تستحى أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفا !

وحكى أن بعض القراء اشتد به الفقر حتى ضاق به ذرعا ، فرأى فى المنام كأنّ قائلا يقول له : تود أنا أنسيناك من القرآن سورة الأنعام وأن لك ألف دينار ؟ قال : لا ، قال : فسورة هود ؟ قال : لا ، قال : فسورة يوسف؟ قال : لا ، فعدّد عليه سوراً ثم قال : فمعك قيمة مائة ألف دينار وأنت تشكو ، فأصبح وقد سرى عنه .

ودخل ابن السماك على بعض الخلفاء وبيده كوز ماء يشربه ، فقال له : عظنى ! فقال: لو لم تعط هذه الشربة إلا ببذل جميع أموالك وإلا بقيت عطشان فهل كنت تعطيه ؟ قال : نعم ، فقال : لو لم تعط إلا بملكك كله فهل كنت تتركه ؟ قال : نعم . قال : فلا تفرح بملك لا يساوى شربة ماء .

فهذا تبين أن نعمة الله تعالى على العبد فى شربة ماء عند العطش أعظم من ملك الأرض كلها ، وإذا كانت الطباع مائلة إلى اعتداد النعمة الخاصة دون العامة — وقد ذكرنا النعم العامة — فلنذكر إشارة وجيزة إلى النعم الخاصة فنقول : مامن عبد إلا ولو أمعن النظر فى أحواله رأى من الله نعمة أو نعما كثيرة تخصه لا يشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس وربما لا يشاركه فيها أحد ، وذلك يعترف به كل عبد فى ثلاثة أمور : فى العقل ، والخلق ، والعلم .

أما العقل . فما من عبد لله تعالى إلا وهو راض عن الله فى عقله يعتقد أنه أعقل الناس ، وقل من يسأل الله العقل، وإنّ من شرف العقل أن يفرح به الخالى عنه كما يفرح به المتصف به ، فإذا كان اعتقاده أنه أعقل الناس فواجب عليه أن يشكره ، لأنه إن كان كذلك فالشكر واجب عليه ، وإن لم يكن ولكنه يعتقد أنه كذلك فهو نعمة فى حقه، فمن وضع كنزا تحت الأرض فهو يفرح به ويشكره عليه ، فإن أخذ الكنز من حيث لا يدرى فيبقى فرحه بحسب اعتقاده ويبقى شكره لأنه فى حقه كالباقى .

وأما الخلق فما من عبد إلا ويرى من غيره عيوبا يكرهها وأخلاقا يذمها ، وإنما يذمها من حيث يرى نفسه بريئا عنها ، فإذا لم يشتغل بذم الغير فينبغى أن يشتغل بشكر الله تعالى إذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيء .

وأما العلم فما من أحد إلا ويعرف بواطن أمور نفسه وخفايا أفكاره وما هو منفرد به ، ولو كشف الغطاء حتى اطلع عليه أحد من الخلق لافتضح ، فكيف لو اطلع الناس كافة ! فإذن لكل عبد علم بأمر خاص لا يشاركه فيه أحد من عباد الله ، فلم لا يشكر ستر الله الجميل الذى أرسله على وجه مساويه فأظهر الجميل وستر القبيح وأخفى ذلك عن أعين الناس وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه أحد ؛ فهذه ثلاثة من النعم خاصة يعترف بها كل عبد إما مطلقا . وأما فى بعض الأمور فلننزل عن هذه الطبقة إلى طبقة أخرى أعم منها قليلا ، فنقول : مامن عبد إلا وقد رزقه الله تعالى فى صورته أو شخصه أو أخلاقه أو صفاته أو أهله أو ولده أو مسكنه أو بلده أو رفيقه أو أقاربه أو عزه أو جاهه أو فى سائر محابه أموراً

لو سلب ذلك منه وأعطى ماخصص به غيره لكان لايرضى به ، وذلك مثل أن جعله مؤمنا لا كافرا وحيا لا جمادا وإنسانا لا بهيمة وذكرا لا أنثى وصحيحا لا مريضا وسليما لامعيبا ؛ فإن كل هذه خصائص ، وإن كان فيها عموم أيضا فإن هذه الأحوال لو بدلت بأضدادها لم يرض بها ، بل له أمور لا يبدلها بأحوال الآدميين أيضا ، وذلك إما أن يكون بحيث لايبدله بما خص به أحد من الخلق أو لا يبدله بما خص به الأكثر ؛ فإذا كان لايبدل حال نفسه بحال غيره فإذن حاله أحسن من حال غيره وإذا كان لايعرف شخص يرتضى لنفسه حالة بدلا عن حال نفسه إما على الجملة وإما فى أمر خاص ؛ فإذن لله تعالى عليه نعم ليست له على أحد من عباده سواه ، وإن كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فلينظر إلى عدد المغبوطين عنده فإنه لا محالة يراهم أقل بالإضافة إلى غيرهم ، فيكون من دونه فى الحال أكثر بكثير مما هو فوقه ، فما باله ينظر إلى من فوقه ليزدرى نعم الله تعالى على نفسه ، ولا ينظر إلى من دونه ليستعظم نعم الله عليه ، وما باله لا يسوى دنياه بدينه ، أليس إذا لامته نفسه على سيئة يقارفها يعتذر إليها بأن فى الفساق كثرة ! فينظر أبدا فى الدين إلى من دونه لا إلى من فوقه ، فلم لا يكون نظره فى الدنيا كذلك ؟ فإذا كان حال أكثر الخلق فى الدين خير منه ، وحاله فى الدنيا خير من حال أكثر الخلق ، فكيف لا يلزمه الشكر ولذا قال صلى الله عليه وسلم « من نظر فى الدنيا إلى من هو دونه ونظر فى الدين إلى من هو فوقه كتبه الله صابرا وشاكرا . ومن نظر فى الدنيا إلى من هو فوقه ونظر فى الدين إلى من هو دونه لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا [1] » فإذن كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد لله تعالى على نفسه نعما كثيرة لا سيما من خص بالسنة والإيمان والعلم والقرآن ثم الفراغ والصحة والأمن وغير ذلك ، ولذلك قيل :

من شاء عيشا رحيبا يستطيل به ... فى دينه ثم فى دنياه إقبالا
فلينظرن إلى من فوقه ورعا ... ولينظرن إلى من دونه مالا

وقال صلى الله عليه وسلم « من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله [2] » وهذا إشارة إلى نعمة العلم . وقال عليه السلام « إن القرآن هو الغنى الذى لا غنى بعده ولا فقر معه [3] » وقال عليه السلام « من أتاه الله القرآن فظن أن أحدا أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يتغن بالقرآن [5] » وقال عليه السلام « كفى باليقين غنى [6] » وقال بعض السلف : يقول الله تعالى فى بعض الكتب المنزلة « إن عبدا أغنيته عن ثلاثة لقد أتممت عليه نعمتى : عن سلطان يأتيه ، وطبيب يداويه ، وعما فى يد أخيه » وعبر الشاعر عن هذا فقال :

إذا ما القوت يأتيك كذا ... الصحة والأمن
وأصبحت أخا حزن ... فلا فارقك الحزن

---

(١) حديث « من نظر فى الدنيا الى من هو دونه ونظر فى الدين الى من هو فوقه كتبه الله صابرا شاكرا ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو وقال غريب ، وفيه المثنى بن الصباح ضعيف . (٢) حديث « من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله » لم أجده بهذا اللفظ . (٣) حديث « ان القرآن هو الغناء الذى لاغناء بعده ولا فقر معه » أخرجه أبو يعلى والطبرانى من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ « ان القرآن غنى لافقر بعده ولاغنى دونه » قال الدارقطنى رواه أبو معاوية عن الأعمش عن يزيد الرقاشى عن الحسن مرسلا ، وهو أشبه بالصواب .

(٤) حديث « من آتاه الله القرآن فظن أن أحدا أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله » أخرجه البخارى فى التاريخ من حديث رجاء الغنوى بلفظ « من آتاه الله حفظ كتابه وظن أن أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد صغر أعظم النعم » وقد تقدم فى فضل القرآن ، ورجاء مختلف فى صحبته . وورد من حديث عبد الله بن عمرو وجابر والبراء نحوه وكلها ضعيفة (٥) حديث « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » تقدم فى آداب التلاوة . (٦) حديث « كفى باليقين غنى » رواه الطبرانى من حديث عقبة بن عامر ، ورواه ابن أبى الدنيا فى القناعة موقوفا عليه ، وقد تقدم .

بل أرشق العبارات وأفصح الكلمات كلام أفصح من نطق بالضاد حيث عبر صلى الله عليه وسلم عن هذا المعنى فقال من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه : فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها [1] » ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور وراء هذه الثلاث ؛ مع أنها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله فى هذه الثلاث ولا يشكرون نعمة الله عليهم فى الإيمان الذى به وصولهم إلى النعيم المقيم والملك العظيم ، بل البصير ينبغى أن لايفرح إلا بالمعرفة واليقين والإيمان ، بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم إليه جميع مادخل تحت قدرة ملوك الأرض من المشرق إلى المغرب من أموال وأتباع وأنصار وقيل له خذها عوضا عن علمك بل عن عشر عشير علمك : لم يأخذه ، وذلك لرجائه أن نعمة العلم تفضى به إلى قرب الله تعالى فى الآخرة ، بل لو قيل له لك فى الآخرة ما ترجوه بكماله ، فخذ هذه اللذات فى الدنيا بدلا عن التذاذك بالعلم فى الدنيا وفرحك به ، لكان لايأخذه، لعلمه بأن لذة العلم دائمة لاتنقطع وباقية لا تسرق ولا تغصب ولا ينافس فيها وأنها صافية لا كدورة فيها ، ولذات الدنيا كلها ناقصة مكدرة مشوشة لايفى مرجوها بمخوفها ولالذتها بألمها ولافرحها بغمها ، هكذا كانت إلى الآن ، وهكذا تكون مابقى من الزمان إذ ماخلقت لذات الدنيا إلا لتجلب بها العقول الناقصة وتخدع ، حتى إذا انخدعت وتقيدت بها أبت عليها واستعصت ، كالمرأة الجميل ظاهرها تتزين للشاب الشبق الغنى ، حتى إذا تقيد بها قلبه استعصت عليه واحتجبت عنه فلا يزال معها فى تعب قائم وعناء دائم ، وكل ذلك باغتراره بلذة النظر إليها فى لحظة ، ولو عقل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم جميع عمره ، فهكذا وقعت أرباب الدنيا فى شباك الدنيا وحبائلها ، ولا ينبغى أن نقول إن المعرض عن الدنيا متألم بالصبر عنها ، فإن المقبل عليها أيضا متألم بالصبر عليها وحفظها وتحصيلها ودفع اللصوص عنها ، وتألم المعرض يفضى إلى لذة فى الآخرة وتألم المقبل يفضى إلى الالم فى الآخرة ، فليقرأ المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى ﴿ ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ، إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون ﴾ فإذن إنما انسد طريق الشكر على الخلق لجهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة .

* فإن قلت : فما علاج هذه القلوب الغافلة حتى تشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر ؟ فأقول : أما القلوب البصيرة فعلاجها التأمل فيما رمزنا إليه من أصناف نعم الله تعالى العامة . وأما القلوب البليدة التى لاتعد النعمة نعمة إلا إذا خصتها أو شعرت بالبلاء معها ، فسبيله أن ينظر أبدا إلى من دونه ويفعل ما كان يفعله بعض الصوفية ، إذ كان كل يوم يحضر دار المرضى والمقابر والمواضع التى تقام فيها الحدود ، فكان يحضر دار المرضى ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم ثم يتأمل فى صحته وسلامته فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره ببلاء الأمراض ويشكر الله تعالى ، ويشاهد الجناة الذين يقتلون وتقطع أطرافهم ويعذبون بأنواع العذاب ليشكر الله تعالى على عصمته من الجنايات ومن تلك العقوبات ويشكر الله تعالى على نعمة الأمن ، ويحضر المقابر فيعلم أن أحب الأشياء إلى الموتى أن يردوا إلى الدنيا ولو يوما واحدا ، أما من عصى الله تعالى فليتدارك ، وأما من أطاع فليزد فى طاعته، فإن يوم القيامة يوم التغابن ، فالمطيع مغبون إذ يرى جزاء طاعته فيقول : كنت أقدر على أكثر من هذه الطاعات فما أعظم غبنى إذ ضيعت بعض الأوقات فى المباحات ، وأما العاصى فغبنه ظاهر ، فإذا شاهد المقابر وعلم أن أحب الأشياء إليهم أن يكون قد بقى لهم من العمر مابقى له ، فيصرف بقية العمر إلى ما يشتهى أهل القبور العود لاجله ليكون ذلك معرفة لنعم الله تعالى فى بقية العمر ، بل فى الإمهال فى كل نفس من الأنفاس ، وإذا عرف تلك النعمة شكر بأن يصرف العمر إلى ما خلق العمر لأجله وهو التزود من الدنيا للآخرة ، فهذا علاج هذه القلوب الغافلة لتشعر بنعم الله تعالى

(١) حديث « من أصبح آمنا فى سربه ... الحديث » تقدم غير مرة .

فعساها تشكر . وقد كان الربيع بن خيثم مع تمام استبصاره يستعين بهذه الطريق تأكيدا للمعرفة ، فكان قد حفر في داره قبرا فكان يضع غلا في عنقه وينام في لحده ثم يقول ﴿ رب ارجعون لعلي أعمل صالحا ﴾ ثم يقوم ويقول: يا ربيع قد أعطيت ما سألت ، فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا ترد .

ومما ينبغي أن تعالج به القلوب البعيدة عن الشكر : أن تعرف أن النعمة إذا لم تشكر زالت ولم تعد ، ولذلك كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول : عليكم بملازمة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم. وقال بعض السلف : النعم وحشية فقيدوها بالشكر . وفي الخبر « ماعظمت نعمة الله تعالى على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال [1] » وقال الله سبحانه وتعالى ﴿ إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ فهذا تمام هذا الركن .

الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر

فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط أحدهما بالآخر

بيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد

لعلك تقول : ماذكرته في النعم إشارة إلى أن لله تعالى في كل موجود نعمة ، وهذا يشير إلى أن البلاء لاوجود له أصلا فما معنى الصبر إذن . وإن كان البلاء موجودا فما معنى الشكر على البلاء . وقد ادعى مدعون أنا نشكر على البلاء فضلا عن الشكر على النعمة ، فكيف يتصور الشكر على البلاء ، وكيف يشكر على مايصبر عليه والصبر على البلاء يستدعي ألما والشكر يستدعي فرحا وهما يتضادان ، وما معنى ماذكرتموه من أن الله تعالى في كل ما أوجده نعمة على عباده ؟ فاعلم أن البلاء موجود كما أن النعمة موجودة ، والقول بإثبات النعمة يوجب القول بإثبات البلاء لأنهما متضادان فنقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء ، ولكن قد سبق أن النعمة تنقسم إلى نعمة مطلقة من كل وجه : أما في الآخرة فكسعادة العبد بالنزول في جوار الله تعالى ، وأما في الدنيا فكالإيمان وحسن الخلق ومايعين عليهما ، وإلى نعمة مقيدة من وجه دون وجه : كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه ، فكذلك البلاء ينقسم إلى مطلق ومقيد : أما المطلق في الآخرة فالبعد من الله تعالى إما مدة وأما أبدا . وأما في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي تفضي إلى البلاء المطلق . وأما المقيد فكالفقر والمرض والخوف وسائر أنواع البلاء التي لاتكون بلاء في الدين بل في الدنيا ، فالشكر المطلق للنعمة المطلقة . وأما البلاء المطلق في الدنيا فقد لايؤمر بالصبر عليه لأن الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذا المعصية ، بل حق الكافر أن يترك كفره وكذا حق العاصي ، نعم الكافر قد لايعرف أنه كافر فيكون كمن به علة وهو لايتألم بسبب غشية أو غيرها فلا صبر عليها ، والعاصي يعرف أنه عاص فعليه ترك المعصية ، بل كل بلا ويقدر الإنسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه ، فلو ترك الإنسان الماء مع طول العطش حتى عظم تألمه فلا يؤمر بالصبر عليه بل يؤمر بإزالة الألم ، وإنما الصبر على ألم ليس إلى العبد إزالته ، فإذن يرجع الصبر في الدنيا إلى ماليس ببلاء مطلق ، بل يجوز أن يكون نعمة من وجه فلذلك يتصور أن يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر ؛ فإن الغنى مثلا يجوز أن يكون

---

(١) حديث « ماعظمت نعمة الله على عبد الا كثرت حوائج الناس اليه .:. الحديث » أخرجه ابن عدى وابن حبان في الضعفاء من حديث معاذ بن جبل بلفظ « الا عظمت مؤنة الناس عليه ، فمن لم يحتمل تلك المؤنة... الحديث » ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عباس وقال : انه موضوع على حجاج الأعور .

سببا لهلاك الإنسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل وتقتل أولاده ، والصحة أيضا كذلك ؛ فما من نعمة من هذه النعم الدنيوية إلا ويجوز أن تصير بلاء ولكن بالإضافة إليه ، فكذلك ما من بلاء إلا ويجوز أن يصير نعمة ولكن بالإضافة إلى حالة ؛ فرب عبد تكون الخيرة له فى الفقر والمرض ، ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبغى ؛ قال الله تعالى ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ﴾ وقال تعالى ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليحمى عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما يحمى أحدكم مريضه [1] » وكذلك الزوجة والولد والقريب ، وكل ما ذكرناه فى الأقسام الستة عشر من النعم سوى الإيمان وحسن الخلق فإنها يتصور أن تكون بلاء فى حق بعض الناس فتكون أضدادها إذن نعما فى حقهم ، إذ سبق أن المعرفة كمال ونعمة فإنها صفة من صفات الله تعالى ، ولكن قد تكون على العبد فى بعض الأمور بلاء ويكون فقدها نعمة ، مثاله : جهل الإنسان بأجله فإنه نعمة عليه ، إذ لو عرفه ربما تنغص عليه العيش وطال بذلك غمه ؛ وكذلك جهله بما يضمره الناس عليه من معارفه وأقاربه نعمة عليه ، إذ لو رفع الستر واطلع عليه لطال ألمه وحقده وحسده واشتغاله بالانتقام ؛ وكذلك جهله بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه ، إذ لو عرفها أبغضه وآذاه وكان ذلك وبالا عليه فى الدنيا والآخرة ، بل جهله بالصفات المحمودة فى غيره قد يكون نعمة عليه فإنه ربما يكون وليا لله تعالى وهو يضطر إلى إيذائه وإهانته ، ولو عرف ذلك وآذى كان إثمه لا محالة أعظم ، فليس من آذى نبيا أو وليا وهو يعرف كمن آذى وهو لا يعرف . ومنها : إبهام الله تعالى أمر القيامة ، وإبهامه ليلة القدر ، وساعة يوم الجمعة ، وإبهامه بعض الكبائر ، فكل ذلك نعمة لأن هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد ، فهذه وجوه نعم الله تعالى فى الجهل فكيف فى العلم . وحيث قلنا إن لله تعالى فى كل موجود نعمة فهو حق ، وذلك مطرد فى حق كل أحد ، ولا يستثنى عنه بالظن إلا الآلام التى يخلقها فى بعض الناس ، وهى أيضا قد تكون نعمة فى حق المتألم بها ، فإن لم تكن نعمة فى حقه كالألم الحاصل من المعصية كقطعه يد نفسه ووشمه بشرته فإنه يتألم به وهو عاص به ، وألم الكفار فى النار فهو أيضا نعمة ولكن فى حق غيرهم من العباد لا فى حقهم ، لأن مصائب قوم عند قوم فوائد . ولولا أن الله تعالى خلق العذاب وعذب به طائفة لما عرف المتنعمون قدر نعمه ولو كثر فرحهم بها ، ففرح أهل الجنة إنما يتضاعف إذا تفكروا فى آلام أهل النار . أما ترى أهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم إليه من حيث إنها عامة مبذولة ، ولا يشتد فرحهم بالنظر إلى زينة السماء وهى أحسن من كل بستان لهم فى الأرض يجتهدون فى عمارته ، ولكن زينة السماء لما عمت لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها ، فإذن قد صح ما ذكرناه من أن الله تعالى لم يخلق شيئا إلا وفيه حكمة ، ولا خلق شيئا إلا وفيه نعمة إما على جميع عباده أو على بعضهم ، فإذن فى خلق الله تعالى البلاء نعمة أيضا إما على المبتلى أو على غير المبتلى ، فإذن كل حالة لا توصف بأنها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة ، فيجتمع فيها على العبد وظيفتان : الصبر والشكر جميعا .

* فإن قلت : فهما متضادان فكيف يجتمعان ؟ إذ لا صبر إلا على غم ، ولا شكر إلا على فرح ؟ فاعلم أن الشيء الوحيد قد يغتم به من وجه ويفرح به من وجه آخر ، فيكون الصبر من حيث الاغتمام ، والشكر من حيث الفرح . وفى كل فقر ومرض وخوف وبلاء فى الدنيا خمسة أمور ينبغى أن يفرح الغافل بها ويشكر عليها . (أحدها) أن كل مصيبة ومرض فيتصور أن يكون أكبر منها ، إذ مقدورات الله تعالى لا تتناهى فلو ضعفها الله

(١) حديث « إن الله ليحمى عبده من الدنيا ... الحديث » أخرجه الترمذى وحسنه والحاكم وصححه ، وقد تقدم .

تعالى وزادها ماذا كان يرده ويحجزه ، فليشكر إذ لم تكن أعظم منها فى الدنيا . (الثانى) أنه كان يمكن أن تكون مصيبته فى دينه : قال رجل لسهل رضى الله تعالى عنه : دخل اللص بيتى وأخذ متاعى ! فقال : اشكر الله تعالى ، لو دخل الشيطان قلبك فأفسد التوحيد ماذا كنت تصنع ؟ ولذلك استعاذ عيسى عليه الصلاة والسلام فى دعائه إذ قال : اللهم لا تجعل مصيبتى فى دينى . وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : ما ابتليت ببلاء إلا كان لله تعالى على فيه أربع نعم : إذ لم يكن فى دينى ، وإذ لم يكن أعظم منه ، وإذ لم أحرم الرضا به ، وإذ أرجو الثواب عليه. وكان لبعض أرباب القلوب صديق لحبسه السلطان ، فأرسل إليه يعلمه ويشكو إليه ، فقال له : اشكر الله فضربه ؛ فأرسل إليه يعلمه ويشكو إليه ، فقال : اشكر الله ، فجىء بمجوسى لحبس عنده وكان مبطونا فقيد وجعل حلقة من قيده فى رجله وحلقة فى رجل المجوسى ، فأرسل إليه فقال : اشكر الله ، فكان المجوسى يحتاج إلى أن يقوم مرات وهو يحتاج إلى أن يقوم معه ويقف على رأسه حتى يقضى حاجته ، فكتب إليه بذلك ، فقال : اشكر الله ، فقال : إلى متى هذا ، وأى بلاء أعظم من هذا ؟ فقال : لو جعل الزنار الذى فى وسطه على وسطك ماذا كنت تصنع؟ فإذن ما من إنسان أصيب ببلاء إلا ولو تأمل حق التأمل فى سوء أدبه ظاهرا وباطنا فى حق مولاه لكان يرى أنه يستحق أكثر مما أصيب به عاجلا وآجلا ، ومن استحق عليك أن يضربك مائة سوط فاقتصر على عشرة فهو مستحق للشكر ، ومن استحق عليك أن يقطع يديك فترك إحداهما فهو مستحق للشكر . ولذلك مر بعض الشيوخ فى شارع فصب على رأسه طشت من رماد ، فسجد لله تعالى سجدة الشكر ، فقيل له : ما هذه السجدة ؟ فقال : كنت أنتظر أن تصب على النار ، فالاقتصار على الرماد نعمة ، وقيل لبعضهم : لا تخرج إلى الاستسقاء فقد احتبست الأمطار ! فقال : أنتم تستبطئون المطر وأنا أستبطئ الحجر .

* فإن قلت : كيف أفرح وأرى جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتى ولم يصابوا بما أصبت به حتى الكفار ؟ فاعلم أن الكافر قد خبئ له ما هو أكثر ، وإنما أمهل حتى يستكثر من الإثم ويطول عليه العقاب ، كما قال تعالى ﴿ إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ﴾ وأما المعاصى فمن أين تعلم أن فى العالم من هو أعصى منه ، ورب خاطر بسوء أدب فى حق الله تعالى وفى صفاته أعظم وأطم من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصى بالجوارح ، ولذلك قال تعالى فى مثله ﴿ وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ﴾ فمن أين تعلم أن غيرك أعصى منك ، ثم لعله قد أخرت عقوبته إلى الآخرة وعجلت عقوبتك فى الدنيا فلم لا تشكر الله تعالى على ذلك . وهذا هو الوجه الثالث فى الشكر : وهو أنه ما من عقوبة إلا وكان يتصور أن تؤخر إلى الآخرة ومصائب الدنيا يتسلى عنها بأسباب أخر تهون المصيبة فيخف وقعها ، ومصيبة الآخرة تدوم ، وإن لم تدم فلا سبيل إلى تخفيفها بالتسلى ، إذ أسباب التسلى مقطوعة بالكلية فى الآخرة عن المعذبين ، ومن عجلت عقوبته فى الدنيا فلا يعاقب ثانيا ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد إذا أذنب ذنبا فأصابته شدة أو بلاء فى الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه ثانيا [1] » . (الرابع) أن هذه المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه فى أم الكتاب وكان لا بد من وصولها إليه وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها أو من جميعها ، فهذه نعمة . (الخامس) أن ثوابها

(١) حديث « إن العبد إذا اذنب ذنبا فأصابه شدة وبلاء فى الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه ثانيا » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث على « من أصاب فى الدنيا ذنبا عوقب به فالله أعدل من أن يثنى عقوبته على عبده ... الحديث » لفظ ابن ماجه . وقال الترمذى « من أصاب حدا فعجل عقوبته فى الدنيا » وقال حسن . وللشيخين من حديث عبادة بن الصامت « ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له ... الحديث » .

أكثر منها فإن مصائب الدنيا طرق إلى الآخرة من وجهين ، أحدهما : الوجه الذى يكون به الدواء الكريه نعمة فى حق المريض ويكون المنع من أسباب اللعب نعمة حق الصبى ، فإنه لو خلى واللعب كان يمنعه ذلك عن العلم والأدب ، فكان يخسر جميع عمره ، فكذلك المال والأهل والأقارب والأعضاء حتى العين التى هى أعز الأشياء قد تكون سبباً لهلاك الإنسان فى بعض الأحوال ، بل العقل الذى هو أعز الأمور قد يكون سببا لهلاكه ، فالملحدة غدا يتمنون لو كانوا مجانين أو صبيانا ولم يتصرفوا بعقولهم فى دين الله تعالى ، فما من شيء من هذه الأسباب يوجد من العبد إلا ويتصور أن يكون له فيه خيرة دينية ، فعليه أن يحسن الظن بالله تعالى ويقدر فيه الخيرة ويشكره عليه ، فإن حكمة الله واسعة وهو بمصالح العباد أعلم من العباد ، وغدا يشكره العباد على البلايا إذا رأوا ثواب الله على البلايا ، كما يشكر الصبى بعد العقل والبلوغ أستاذه وأباه على ضربه وتأديبه ، إذ يدرك ثمرة ما استفاده من التأديب ، والبلاء من الله تعالى تأديب وعنايته بعباده أتم وأوفر من عناية الآباء بالأولاد ، فقد روى أنّ رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أوصنى قال « لا تتهم الله فى شيء قضاه عليك »[1] ، ونظر صلى الله عليه وسلم إلى السماء فضحك ، فسئل فقال « عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن : إن قضى له بالسراء رضى وكان خيرا له وإن قضى له بالضراء رضى وكان خيرا له »[2] . الوجه الثانى : أنّ رأس الخطايا المهلكة حب الدنيا ، ورأس أسباب النجاة التجافى بالقلب عن دار الغرور ، ومواتاة النعم على وفق المراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة تورث طمأنينة القلب إلى الدنيا وأسبابها وأنسه بها حتى تصير كالجنة فى حقه ، فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقته ، وإذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن إليها ولم يأنس بها وصارت سجنا عليه ، وكانت نجاته منها غاية اللذة كالخلاص من السجن ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر »[3] ، والكافر كل من أعرض عن الله تعالى ولم يرد إلا الحياة الدنيا ورضى بها واطمأنّ إليها ، والمؤمن كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الحنين إلى الخروج منها ، والكفر بعضه ظاهر وبعضه خفى ، وبقدر حب الدنيا فى القلب يسرى فيه الشرك الخفى ، بل الموحد المطلق هو الذى لا يحب إلا الواحد الحق ؛ فإذن فى البلاء نعم من هذا الوجه فيجب الفرح به ، وأما التألم فهو ضرورى ، وذلك يضاهى فرحك عند الحاجة إلى الحجامة بمن يتولى حجامتك مجانا ، أو يسقيك دواء نافعا بشعا مجانا ، فإنك تتألم وتفرح فتصبر على الألم وتشكره على سبب الفرح ، فكل بلاء فى الأمور الدنيوية مثاله الدواء الذى يؤلم فى الحال وينفع فى المآل ، بل من دخل دار ملك للنضارة وعلم أنه يخرج منها لامحالة ، فرأى وجها حسنا لايخرج معه من الدار كان ذلك وبالا وبلاء عليه لأنه يورثه الأنس بمنزل لا يمكنه المقام فيه ولو كان عليه فى المقام خطر من أن يطلع عليه الملك فيعذبه فأصابه ما يكره حتى نفره عن المقام كان ذلك نعمة عليه ، والدنيا منزل وقد دخلها الناس من باب الرحم وهم خارجون عنها من باب اللحد ؛ فكل ما يحقق أنسهم بالمنزل فهو بلاء ، وكل مايزعج قلوبهم عنها ويقطع أنسهم بها فهو نعمة ؛ فمن عرف هذا تصور منه أن يشكر على البلايا ، ومن لم يعرف هذه النعم فى البلاء لم يتصور منه الشكر ؛ لأنّ الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة ،

---

(١) حديث : قال له رجل أوصنى قال « لاتتهم الله فى شيء قضاه عليك » رواه أحمد والطبرانى من حديث عبادة بزيادة فى أوله ، وفى إسناده ابن لهيعة . (٢) حديث : نظر الى السماء فضحك . فسئل فقال « عجبت لقضاء الله للمؤمن ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث صهيب دون نظره الى السماء ، وضحكه « عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » وللنسائى فى اليوم والليلة من حديث سعد بن أبى وقاص « عجبت من رضا الله للمؤمن إن أصابه خير حمد ربه وشكر .. الحديث » (٣) حديث « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة ، وقد تقدم .

ومن لا يؤمن بأن ثواب المصيبة أكبر من المصيبة لم يتصوّر منه الشكر على المصيبة . وحكى أن أعرابيا عزى ابن عباس على أبيه فقال :

اصبر نكن بك صابرين فإنما * صبر الرعية بعد صبر الراس
خير من العباس أجرك بعده * والله خير منك للعباس

فقال ابن عباس : ماعزانى أحد أحسن من تعزيته .

والأخبار الواردة فى الصبر على المصائب كثيرة : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من يرد الله به خيرا يصب منه [1] » وقال صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى « إذا وجهت إلى عبد من عبيدى مصيبة فى بدنه أوماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا » وقال عليه السلام « ما من عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله تعالى ﴿ إنا لله وإنه إليه راجعون ﴾ اللهم أجرنى فى مصيبتى وأعقبنى خيرا منها إلا فعل الله ذلك به » وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى « من سلبته كريمتيه فجزاؤه الخلود فى دارى والنظر إلى وجهى » وروى أن رجلا قال يارسول الله ذهب مالى وسقم جسمى فقال صلى الله عليه وسلم لا خير فى عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه ، إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه وإذا ابتلاه صبره [2] » وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « إن الرجل لتكون له الدرجة عند الله تعالى لايبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء فى جسمه فيبلغها بذلك [3] » وعن خباب بن الأرت قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردائه فى ظل الكعبة فشكونا إليه فقلنا : يارسول الله ، ألا تدعو الله تستنصره لنا ؟ فجلس محمرا لونه ثم قال « إن من كان قبلكم ليؤتى بالرجل فيحفر له فى الأرض حفيرة ويجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل فرقتين مايصرفه ذلك عن دينه [4] » وعن على كرم الله وجهه قال : أيما رجل حبسه السلطان ظلما فمات فهو شهيد ، وإن ضربه فمات فهو شهيد وقال عليه السلام « من إجلال الله ومعرفة حقه أن لاتشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك » وقال أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه : تولدون للموت وتعمرون للخراب وتحرصون على مايفنى وتذرون مايبقى ، ألا حبذا المكروهات الثلاث : الفقر والمرض والموت . وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « إذا أراد الله تعالى بعبد خيرا وأراد أن يصافيه صب عليه البلاء صبا وتجه عليه تجا ، فإذا دعاه قالت الملائكة : صوت معروف وإن دعاه ثانيا فقال يارب قال الله تعالى : لبيك عبدى وسعديك لا تسألنى شيئا إلا أعطيتك أو دفعت عنك ما هو خير وادخرت لك عندى ماهو أفضل منه ، فإذا كان يوم القيامة جىء بأهل الأعمال فوفوا أعمالهم بالميزان : أهل

---

(١) حديث « من يرد الله به خير يصب منه » رواه البخارى من حديث أبى هريرة .

(٢) حديث أن رجلا قال يارسول الله ذهب مالى وسقم جسدى فقال « لاخير فى عبد لايذهب ماله ولايسقم جسده ، إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه ، وإذا ابتلاه صبره » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب المرض والكفارات من حديث أبى سعيد الخدرى بإسناد فيه لين (٣) حديث « إن الرجل ليكون له الدرجة عند الله لايبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء فى جسمه فيبلغها بذلك » رواه أبو داود فى رواية ابن داسه ، وابن العبد من حديث محمد بن خالد السلمى عن أبيه عن جده ، وليس فى رواية اللؤلؤى . ورواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى من هذا الوجه ، ومحمد بن خالد لم يرو عنه إلا أبو المليح الحسن بن عمر الرقى ، وكذلك لم يروعن خالد إلا ابنه محمد ، وذكر أبو نعيم أن ابن منده سمى جده اللجلاج بن سليم ، فالله أعلم . وعلى هذا فابنه خالد بن اللجلاج العامرى ذاك مشهور روى عنه جماعة . ورواه ابن منده وأبو نعيم وابن عبد البر فى الصحابة من رواية عبد الله بن أبى لياس بن أبى فاطمة عن أبيه عن جده . ورواه البيهقى من رواية إبراهيم السلمى عن أبيه عن جده فالله أعلم .

(٤) حديث خباب بن الأرت : أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برداء فى ظل الكعبة فشكونا إليه الحديث ... تقدم .

الصلاة والصيام والصدقة والحج ، ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ، يصب عليهم الأجر صبا كما كان يصب عليهم البلاء صبا فيود أهل العافية فى الدنيا لو أنهم كانت تقرض أجسادهم بالمقاريض لما يرون مايذهب به أهل البلاء من الثواب (١) ، فذلك قوله تعالى ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : شكا نبى من الأنبياء عليهم السلام إلى ربه فقال : يارب ، العبد المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك تزوى عنه الدنيا وتعرض له البلاء ، ويكون الكافر لا يطيعك ويجترئ عليك وعلى معاصيك تزوى عنه البلاء وتبسط له الدنيا ؛ فأوحى الله تعالى إليه « إنّ العباد لى والبلاء لى وكل يسبح بحمدى ، فيكون المؤمن عليه من الذنوب ، فأزوى عنه الدنيا وأعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه ، حتى يلقانى فأجزيه بحسناته . ويكون الكافر له الحسنات فأبسط له فى الرزق وأزوى عنه البلاء فأجزيه بحسناته فى الدنيا ، حتى يلقانى فأجزيه بسيئاته .

وروى أنه لما نزل قوله تعالى ﴿ من يعمل سوءا يجز به ﴾ قال أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه : كيف الفرح بعد هذه الآية ؟ فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « غفر الله لك يا أبا بكر ، ألست تمرض ؟ ألست يصيبك الأذى ؟ ألست تحزن ؟ فهذا مما تجزون به (٢) » يعنى أن جميع مايصيبك يكون كفارة لذنوبك . وعن عقبة بن عامر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « إذا رأيتم الرجل يعطيه الله مايحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا أن ذلك استدراج » ثم قرأ قوله تعالى ﴿ فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء ﴾ (٣) » يعنى لما تركوا ما أمروا به فتحنا عليهم أبواب الخير ﴿ حتى إذا فرحوا بما أوتوا ﴾ أى بما أعطوا من الخير أخذناهم بغتة .

وعن الحسن البصرى رحمه الله : أن رجلا من الصحابة رضى الله عنهم رأى امرأة كان يعرفها فى الجاهلية ، فكلمها ثم تركها ، فجعل الرجل يلتفت إليها وهو يمشى فصدمه حائط فأثر فى وجهه فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه فى الدنيا (٤) » وقال على كرم الله وجهه : ألا أخبركم بأرجى آية فى القرآن ؟ قالوا : بلى ، فقرأ عليهم ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ فالمصائب فى الدنيا بكسب الأوزار ؛ فإذا عاقبه الله فى الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه ثانيا ، وإن عفا عنه فى الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه يوم القيامة . وعن أنس رضى الله تعالى منه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال « ماتجرع عبد قط جرعتين أحب إلى الله من جرعة غيظ ردها بحلم ، وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها . ولا قطرت قطرة أحب إلى الله من قطرة دم أهريقت فى سبيل الله ، أو قطرة دمع فى سواد الليل وهو ساجد ولا يراه إلا الله . وما خطا عبد

---

(١) حديث أنس « إذا أراد الله بعبد خيرا وأراد أن يصافيه صب عليه البلاء صبا .. الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب المرض من رواية بكر بن خنيس عن يزيد الرقاشى عن أنس أخصر منه دون قوله « فإذا كان يوم القيامة ... إلى آخره » وبكر بن خنيس والرقاشى ضعيفان . ورواه الأصفهانى فى الترغيب والترهيب بتمامه وأدخل بين بكر وبين الرقاشى ضرار بن عمرو وهو أيضا ضعيف . (٢) حديث لما نزل قوله تعالى (من يعمل سوءا يجز به) قال أبو بكر الصديق : كيف الفرح بعد هذه الآية ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غفر الله لك ياأبا بكر ، ألست تمرض ... الحديث » ، من رواية من لم يسم عن أبى بكر ورواه الترمذى من وجه آخر بلفظ آخر وضعفه . قال : وليس له إسناد صحيح . وقال الدارقطنى : وروى أيضا من حديث عمر ومن حديث الزبير ، قال : وليس فيها شىء يثبت . (٣) حديث عقبة بن عامر « إذا رأيتم الرجل يعطيه الله مايحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا أن ذلك استدراج ... الحديث » رواه أحمد والطبرانى والبيهقى فى الشعب بسند حسن .

(٤) حديث الحسن البصرى فى الرجل الذى رأى امرأة فجعل يلتفت إليها وهو يمشى فصدمه حائط ... الحديث ، وفيه « إذا أراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه فى الدنيا » أخرجه أحمد والطبرانى بإسناد صحيح من رواية الحسن عن عبد الله بن مغفل مرفوعا ومتصلا . ووصله الطبرانى أيضاً من رواية الحسن عن عمار بن ياسر ، ورواه أيضاً من حديث ابن عباس ، وقد روى الترمذى وابن ماجه المرفوع منه من حديث أنس وحسنه الترمذى .

خطوتين أحب إلى الله تعالى من خطوة إلى صلاة الفريضة ، وخطوة إلى صلة الرحم [١] » .

وعن أبي الدرداء قال : توفى ابن لسليمان بن داود عليهما السلام فوجد عليه وجدا شديدا فأتاه ملكان فجثيا بين يديه في زي الخصوم ، فقال أحدهما : بذرت بذرا فلما استحصد مر به هذا فأفسده ، فقال للآخر : ماتقول ؟ فقال : أخذت الجادة فأتيت على زرع فنظرت يمينا وشمالا فإذا الطريق عليه . فقال سليمان عليه السلام : ولم بذرت على الطريق ، أما علمت أن لابد للناس من الطريق ؟ قال : فلم تحزن على ولدك ، أما علمت أن الموت سبيل الآخرة ؟ فتاب سليمان إلى ربه ولم يجزع على ولد بعد ذلك .

ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له مريض ، فقال : يابني ، لأن تكون في ميزاني أحب إلى من أن أكون في ميزانك ، فقال ياأبت ، لأن يكون ماتحب أحب إلى من أن يكون ماأحب .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نعى إليه ابنة له ، فاسترجع وقال : عورة سترها الله تعالى ، ومؤنة كفاها الله وأجر قد ساقه الله تعالى ، ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال : قد صنعنا ماأمر الله تعالى : قال تعالى ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ .

وعن ابن المبارك أنه مات له ابن ، فعزاه مجوسي يعرفه ؛ فقال له : ينبغي للعاقل أن يفعل اليوم مايفعله الجاهل بعد خمسة أيام ، فقال ابن المبارك : اكتبوا عنه هذه .

وقال بعض العلماء إن الله ليبتلي العبد بالبلاء بعد البلاء حتى يمشي على الأرض وماله ذنب .

وقال الفضيل إن الله عز وجل ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالخير .

وقال حاتم الأصم إن الله عز وجل يحتج يوم القيامة على الخلق بأربعة أنفس على أربعة أجناس على الأغنياء بسليمان ، وعلى الفقراء بالمسيح ، وعلى العبيد بيوسف ، وعلى المرضى بأيوب صلوات الله عليهم .

وروي أن زكريا عليه السلام لما هرب من الكفار من بني إسرائيل واختفى في الشجرة فعرفوا ذلك ، فجيء بالمنشار فنشرت الشجرة حتى بلغ المنشار إلى رأس زكريا ، فأنّ منه أنة ؛ فأوحى الله تعالى إليه يازكريا لئن صعدت منك أنة ثانية لأمحونك من ديوان النبوة ، فعض زكريا عليه السلام على أصبعه حتى قطع شطرين .

وقال أبو مسعود البلخي : من أصيب بمصيبة فمزق ثوبا أو ضرب صدرا فكأنما أخذ رمحا يريد أن يقاتل به ربه عز وجل .

وقال لقمان رحمه الله لابنه : يابني إن الذهب يجرب بالنار والعبد الصالح يجرب بالبلاء ، فإذا أحب الله قوما ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط .

وقال الأحنف بن قيس : أصبحت يوما اشتكي ضرسي ، فقلت لعمي : ما نمت البارحة من وجع الضرس حتى قاتها ثلاثا ، فقال : لقد أكثرت من ضرسك في ليلة واحدة ، وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلاثين سنة ما علم بها أحد . وأوحى الله تعالى إلى عزير عليه السلام « إذا نزلت بك بلية فلا تشكني إلى خلق وأشك إلى

---

(١) حديث أنس « ماتجرع عبد قط جرعتين أحب إلى الله من جرعة غيظ ردها بحلم ، وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها ... الحديث » أخرجه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث علي بن أبي طالب دون ذكر الجرعتين ، وفيه محمد بن صدقة وهو الفلكي منكر الحديث . وروى ابن ماجه من حديث ابن عمر بإسناد جيد : مامن جرعة أعظم عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله . وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة « ماقطر في الأرض قطرة أحب إلى الله عزوجل من دم رجل مسلم في سبيل الله ، أو قطرة دمع في سواد الليل ... الحديث » وفيه محمد بن صدقة ، وهو الفلكي المنكر الحديث .

كما لا أشكوك إلى ملائكتى إذا صعدت مساويك وفضائحك » نسأل الله من عظيم لطفه وكرمه ستره الجميل فى الدنيا والآخرة .

بيان فضل النعمة على البلاء

لعلك تقول : هذه الأخبار تدل على أن البلاء خير فى الدنيا من النعم ، فهل لنا أن نسأل الله البلاء ؟ فأقول : لا وجه لذلك ، لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه كان يستعيذ فى دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة [١] وكان يقول هو والأنبياء عليهم السلام « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة [٢] » وكانوا يستعيذون من شماتة الأعداء وغيرها [٣] .

وقال على كرم الله وجهه . اللهم إنى أسألك الصبر ، فقال صلى الله عليه وسلم « لقد سألت البلاء فاسأله العافية [٤] » وروى الصدّيق رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « سلوا الله العافية ، فما أعطى أحد أفضل من العافية إلا اليقين [٥] » وأشار باليقين إلى عافية القلب عن مرض الجهل والشك ، فعافية القلب أعلى من عافية البدن .

وقال الحسن رحمه الله الخير الذى لا شر فيه : العافية مع الشكر فكم من منعم عليه غير شاكر .

وقال مطرّف بن عبد الله : لأن أعافى فأشكر ، أحب إلى من أن أبتلى فأصبر .

وقال صلى الله عليه وسلم فى دعائه « وعافيتك أحب إلى [٦] » .

وهذا أظهر من أن يحتاج فيه إلى دليل واستشهاد ، وهذا لأن البلاء صار نعمة باعتبارين : أحدهما بالإضافة إلى ما هو أكثر منه إما فى الدنيا أو فى الدين ، والآخر بالإضافة إلى ما يرجى من الثواب ؛ فينبغى أن نسأل الله تمام النعمة فى الدنيا ودفع ما فوقه من البلاء ، ونسأله الثواب فى الآخرة على الشكر على نعمته فإنه قادر على أن يعطى على الشكر ما لا يعطيه على الصبر .

فإن قلت : فقد قال بعضهم : أود أن أكون جسرا على النار يعبر على الخلق كلهم فينجون وأكون أنا فى النار . وقال سمنون رحمه الله تعالى :

وليس لى فى سواك حظ فكيفما شئت فاختبرنى

---

(١) حديث : أنه صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ فى دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة رواه أحمد من حديث بشر بن أبى أرطاة بلفظ « أجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة » وإسناده جيد . ولأبى داود من حديث عائشة « اللهم إنى أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة » وفيه بقية وهو مدلس ، ورواه بالعنعنة .

(٢) حديث : كان يقول هو والأنبياء عليهم السلام « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » أخرجه البخارى ومسلم من حديث أنس : كان أكثر دعوة يدعو بها النبى صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم آتنا فى الدنيا ... الحديث » ولأبى داود والنسائى من حديث عبد الله بن السائب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين الركنين « ربنا آتنا ... الحديث » (٣) حديث : كان يستعيذ من شماتة الأعداء : تقدم فى الدعوات (٤) حديث قال على رضى الله عنه : اللهم إنى أسألك الصبر ، فقال صلى الله عليه وسلم « لقد سألت الله البلاء فسله العافية » رواه الترمذى من حديث معاذ فى أثناء حديث وحسنه ، ولم يسم عليا وإنما قال : سمع رجلا . وله وللنسائى فى اليوم والليلة من حديث على : كنت ساكنا فربى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول .. الحديث . وفيه : فإن كان بلاء فصبرنى ، فضربه برجله وقال « اللهم عافه واشفه » وقال حسن صحيح .

(٥) حديث أبى بكر الصديق « سلوا الله العافية ... الحديث » أخرجه ابن ماجه والنسائى فى اليوم والليلة بإسناد جيد ، وقد تقدم . (٦) حديث « وعافيتك أحب إلى » ذكره ابن اسحق فى السيرة فى دعائه يوم خرج إلى الطائف بلفظ « وعافيتك أوسع لى » وكذا رواه ابن أبى الدنيا فى الدعاء من رواية حسان بن عطية مرسلا ، ورواه أبو عبد الله بن منده من حديث عبد الله بن جعفر مسندا وفيه من يجهل .

فهذا من هؤلاء سؤال للبلاء ! فاعلم أنه حكى عن سمنون المحب رحمه الله أنه بلى بعد هذا البيت بعلة الحصر ، فكان بعد ذلك يدور على أبواب المكاتب ويقول للصبيان : ادعوا لعمكم الكذاب وأما محبة الإنسان لينكون هو فى النار دون سائر الخلق فغير ممكنة ، ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظنّ المحب بنفسه حبالمثل ذلك ، فمن شرب كأس المحبة سكر ، ومن سكر توسع فى الكلام ، ولو زايله سكره علم أن ماغلب عليه كان حالةلاحقيقة لها ، فما سمعته من هذا الفن فهو من كلام العشاق الذين أفرط حبهم ، وكلام العشاق يستلذ سماعه ولايعوّل عليه ، كماحكى أن فاختة كان يراودها زوجها فتمنعه ، فقال : ما الذى يمنعك عنى ـ ولو أردت أن أقلب لك الكونين مع ملك سليمان ظهرا لبطن لفعلته لأجلك ؟ فسمعه سليمان عليه السلام فاستدعاه وعاتبه فقال : يانبى الله كلام العشاق لايحكى ، وهو كما قال ، وقال الشاعر :

أريد وصاله ويريد هجرى فأترك ماأريد لما يريد

وهو أيضا محال ، ومعناه أنى أريد مالايريد ، لأن من أراد الوصال ماأراد الهجر ، فكيف أراد الهجر الذى لم يرده ، بل لايصدق هذا الكلام إلا بتأويلين (أحدهما) أن يكون ذلك فى بعض الأحوال حتى يكتسب به رضاه الذى يتوصل به إلى الوصال فى الاستقبال فيكون الهجران وسيلة إلى الرضا والرضا وسيلة إلى وصال المحبوب ، والوسيلة إلى المحبوب محبوبة ، فيكون مثاله مثال محب المال إذا أسلم درهما فى درهمين فهو يحب الدرهمين يترك الدرهم فى الحال (الثانى) أن يصير رضاه عنده مطلوبا من حيث إنه رضاه فقط ، ويكون له لذة فى استشعاره رضا محبوبه منه تزيد تلك اللذة على لذته فى مشاهدته مع كراهته ، فعند ذلك يتصوّر أن يريد مافيه الرضا ، فلذلك قد انتهى حال بعض المحبين إلى أن صارت لذتهم فى البلاء مع استشعارهم رضا الله عنهم أكثر من لذتهم فى العافية من غير شعور الرضا ، فهؤلاء إذا قدروا رضاه فى البلاء صار البلاء أحب إليهم من العافية ، وهذه حالة لايبعد وقوعها فى غلبات الحب ولكنها لاتثبت ، وإن ثبتت مثلا فهل هى حالة صحيحة أم حالة اقتضتها حالة أخرى وردت على القلب فمالت به عن الاعتدال ؟ هذا فيه نظر ، وذكر تحقيقه لايليق بما نحن فيه ، وقد ظهر بما سبق أن العافية خير من البلاء فنسأل الله تعالى المانّ بفضله على جميع خلقه العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة لنا ولجميع المسلمين .

بيان الأفضل من الصبر والشكر

اعلم أنّ الناس اختلفوا فى ذلك ، فقال قائلون : الصبر أفضل من الشكر . وقال آخرون : الشكر افضل . وقال آخرون : هما سيان . وقال آخرون يختلف ذلك باختلاف الأحوال ، واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب بعيد عن التحصيل ، فلا معنى للتطويل بالنقل ، بل المبادرة إلى إظهار الحق أولى . فنقول . فى بيان ذلك مقامان :

(المقام الأوّل) البيان على سبيل التساهل : وهو أن ينظر إلى ظاهر الأمر ولايطلب التفتيش بحقيقته وهو البيان الذى ينبغى أن يخاطب به عوام الخلق لقصور أفهامهم عن درك الحقائق الغامضة ، وهذا الفن من الكلام هو الذى ينبغى أن يعتمده الوعاظ ، إذ مقصود كلامهم من مخاطبة العوام إصلاحهم ، والظئر المشفقة لاينبغى أن تصلح الصبى الطفل بالطيور السمان وضروب الحلاوات ، بل باللبن اللطيف ، وعليها أن تؤخر عنه أطايب الأطعمة إلى أن يصير محتملا لها بقوته ، ويفارق الضعف الذى هو عليه فى بنيته فنقول : هذا المقام فى البيان يأبى البحث والتفصيل ومقتضاه النظر إلى الظاهر المفهوم من موارد الشرع ، وذلك يقتضى تفضيل الصبر ، فإن الشكر وإن وردت أخبار كثيرة فى فضله فإذا أضيف إليه ماورد فى فضيلة الصبر كانت فضائل الصبر أكثر ، بل فيه ألفاظ

صريحة فى التفضيل كقوله صلى الله عليه وسلم « من أفضل ماأوتيتم اليقين وعزيمة الصبر [١] » وفى الخبر يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ، ويؤتى بأصبر أهل الأرض فيقال له : أماترضى أن يجزيك كما جزينا هذا الشاكر ، فيقول : نعم يارب ، فيقول الله تعالى : كلا ، أنعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت ، لأضعفن لك الأجر عليه ، فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين [٢] » وقد قال الله تعالى ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ وأما قوله « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر [٣] » فهو دليل على أنّ الفضيلة فى الصبر إذ ذكر ذلك فى معرض المبالغة لرفع درجة الشكر ، فألحقه بالصبر فكان هذا منتهى درجته ، ولولا أنه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان إلحاق الشكر به مبالغة فى الشكر ، وهو كقوله صلى الله عليه وسلم « الجمعة حج المساكين وجهاد المرأة حسن التبعل [٤] » وكقوله صلى الله عليه وسلم « شارب الخمر كعابد الوثن [٥] » وأبدا المشبه به ينبغى أن يكون أعلى رتبة ، فكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « الصبر نصف الإيمان » لايدل على أنّ الشكر مثله ، وهو كقوله عليه السلام « الصوم نصف الصبر » فإنّ كل ماينقسم قسمين يسمى أحدهما نصفا وإن كان بينهما تفاوت ، كما يقال : الإيمان هو العلم والعمل ؛ فالعمل هو نصف الإيمان فلا يدل ذلك على أنّ العمل يساوى العلم . وفى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم « آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه . وآخر أصحابى دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه [٦] » وفى خبر آخر « يدخل سليمان بعد الأنبياء بأربعين خريفا [٧] » وفى الخبر « أبواب الجنة كلها مصراعان إلا باب الصبر فإنه مصراع واحد ، وأوّل من يدخله أهل البلاء أمامهم أيوب عليه السلام [٨] » .

وكل ماورد فى فضائل الفقر يدل على فضيلة الصبر ؛ لأنّ الصبر حال الفقير ، والشكر حال الغنى ، فهذا هو المقام الذى يقنع العوام ويكفيهم فى الوعظ اللائق والتعريف لما فيه صلاح دينهم .

(المقام الثانى) هو البيان الذى نقصد به تعريف أهل العلم والاستبصار بحقائق الأمور بطريق الكشف

---

(١) حديث « من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر » تقدم (٢) حديث : يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ، ويؤتى بأصبر أهل الأرض ... الحديث . لم أجد له أصلا . (٣) حديث « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر » أخرجه الترمذى وحسنه ، وابن ماجه من حديث أبى هريرة ، وقد تقدم .

(٤) حديث « الجمعة حج المساكين وجهاد المرأة حسن التبعل » أخرجه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده بالشطر الأول من حديث ابن عباس بسند ضعيف ، أو الطبرانى بالشطر الثانى من حديثه بسند ضعيف أيضا أن امرأة قالت : كتب الله الجهاد على الرجال فما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة ؟ قال : طاعة أزواجهن . وفى رواية : ماجزاء غزوة المرأة ؟ قال طاعة الزوج ... الحديث » وفيه القاسم بن فياض ، وثقه أبو داود وضعفه ابن معين وباقى رجاله ثقات . (٥) حديث « شارب الخمر كعابد الوثن » أخرجه ابن ماجه من حديث أبى هريرة بلفظ « مدمن الخمر » ورواه بلفظ « شارب » الحارث بن أبى أسامة من حديث عبد الله بن عمر ، وكلاهما ضعيف وقال ابن عدى : إن حديث أبى هريرة أخطأ فيه محمد بن سليمان بن الأصبهانى .

(٦) حديث « آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه ، وآخر أصحابى دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث معاذ بن جبل « يدخل الأنبياء كلهم قبل داود وسليمان الجنة بأربعين عاما » وقال : لم يروه إلا شعيب بن خالد وهو كوفى ثقة . وروى البزار من حديث أنس « أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتى عبد الرحمن ابن عوف » وفيه أغلب بن تميم ضعيف . (٧) حديث « يدخل سليمان بعد الأنبياء بأربعين خريفا » تقدم حديث معاذ قبله . ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من رواية دينار عن أنس بن مالك ، ودينار الحبشى أحد الكذابين على أنس . والحديث منكر : (٨) حديث « أبواب الجنة كلها مصراعان إلا باب الصبر فإنه باب واحد .. الحديث » لم أجد له أصلا ولا في الأحاديث الواردة فى مصاريع أبواب الجنة تفرقة ؛ فروى مسلم من حديث أنس فى الشفاعة والذى نفس محمد بيده إن مابين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وبصرى وفى الصحيحين فى خطبة عتبة بن غزوان : ولقد ذكرنا أن مابين المصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام .

والإيضاح فنقول فيه : كل أمرين مبهمين لا تمكن الموازنة بينهما مع الإبهام مالم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما ، وكل مكشوف يشتمل على أقسام لا تمكن الموازنة بين الجملة والجملة ، بل يجب أن تفرد الآحاد بالموازنة حتى يتبين الرجحان . والصبر والشكر أقسامهما وشعبهما كثيرة فلا يتبين حكمهما فى الرجحان والنقصان مع الإجمال فنقول : قد ذكرنا أن هذه المقامات تنتظم من أمور ثلاثة : علوم ، وأحوال ، وأعمال ، والشكر والصبر وسائر المقامات هى كذلك ، وهذه الثلاثة إذا وزن البعض منها بالبعض لاح للناظرين فى الظواهر أن العلوم تراد للأحوال ، والأحوال تراد للأعمال ، والأعمال هى الأفضل ؛ وأما أرباب البصائر فالأمر عندهم بالعكس من ذلك ؛ فإن الأعمال تراد للأحوال والأحوال تراد للعلوم ؛ فالأفضل العلوم ثم الأحوال ثم الأعمال ؛ لأن كل مراد لغيره فذلك الغير لا محالة أفضل منه : وأما آحاد هذه الثلاثة فالأعمال قد تتساوى وقد تتفاوت إذا أضيف بعضها إلى بعض ، وكذا آحاد الأحوال إذا أضيف بعضها إلى بعض ، وكذا آحاد المعارف ، وأفضل المعارف علوم المكاشفة وهى أرفع من علوم المعاملة ، بل علوم المعاملة دون المعاملة لأنها تراد المعاملة ؛ ففائدتها إصلاح العمل ، وإنما فضل العالم بالمعاملة على العابد إذا كان علمه مما يعم نفعه فيكون بالإضافة إلى عمل خاص أفضل ؛ وإلا فالعلم القاصر بالعمل ليس بأفضل من العمل القاصر ؛ فنقول : فائدة إصلاح العمل إصلاح حال القلب ، وفائدة إصلاح حال القلب أن ينكشف له جلال الله تعالى فى ذاته وصفاته ، وأفعاله ، فأرفع علوم المكاشفة معرفة الله سبحانه ، وهى الغاية التى تطلب لذاتها ، فإن السعادة تنال بها بل هى عين السعادة ، ولكن قد لا يشعر القلب فى الدنيا بأنها عين السعادة وإنما يشعر بها فى الآخرة ، فهى المعرفة الحرة التى لا قيد عليها فلا تتقيد بغيرها . وكل ما عداها من المعارف عبيد وخدم بالإضافة إليها ، فإنها إنما تراد لأجلها . ولما كانت مرادة لأجلها كان تعاونها بحسب نفعها فى الإفضاء إلى معرفة الله تعالى : فإن بعض المعارف يفضى إلى بعض إما بواسطة أو بوسائط كثيرة ، فكما كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله تعالى أقل فهى أفضل وأما الأحوال فنعنى بها أحوال القلب فى تصفيته وتطهيره عن شوائب الدنيا وشواغل الخلق ، حتى إذا طهر وصفا اتضح له حقيقة الحق ، فإذن فضائل الأحوال بقدر تأثيرها فى إصلاح القلب وتطهيره وإعداده لأن تحصل له علوم المكاشفة ، وكما أن تصقيل المرآة يحتاج إلى أن يتقدم على تمامه أحوال المرآة بعضها أقرب إلى الصقالة من بعض ، فكذلك أحوال القلب ، فالحالة القريبة أو المقربة من صفاء القلب هى أفضل مما دونها لا محالة بسبب القرب من المقصود ، وهكذا ترتيب الأعمال فإن تأثيرها فى تأكيد صفاء القلب وجلب الأحوال إليه ، وكل عمل إما أن يجلب إليه حالة مانعة من المكاشفة موجبة لظلمة القلب جاذبة إلى زخارف الدنيا ، وإما أن يجلب إليه حالة مهيئة المكاشفة موجبة لصفاء القلب وقطع علائق الدنيا عنه . واسم الأول المعصية ، واسم الثانى الطاعة ، والمعاصى من حيث التأثير فى ظلمة القلب وقساوته متفاوتة ، وكذا الطاعات فى تنوير القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات تأثيرها وذلك يختلف باختلاف الأحوال ، وذلك أنا بالقول المطلق ربما نقول الصلاة النافلة أفضل من كل عبادة نافلة ، وأن الحج أفضل من الصدقة ، وأن قيام الليل أفضل من غيره ، ولكن التحقيق فيه أن الغنى الذى معه مال وقد غلبه البخل وحب المال على إمساكه فإخراج الدرهم له أفضل من قيام ليال وصيام أيام ، لأن الصيام يليق بمن غلبته شهوة البطن فأراد كسرها ، أو منعه الشبع عن صفاء الفكر من علوم المكاشفة فأراد تصفية القلب بالجوع ، فأما هذا المدبر إذا لم تكن حاله هذه الحال فليس يستضر بشهوة بطنه ولا هو مشتغل بنوع فكر يمنعه الشبع منه ، فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله إلى حال غيره ، وهو كالمريض الذى يشكو وجع البطن إذا استعمل دواء الصداع لم ينتفع به ، بل حقه أن ينظر فى المهلك الذى استولى عليه ، والشح المطاع من جملة

المهلكات ، ولا يزيل صيام مائة سنة وقيام ألف ليلة منه ذرة ، بل لايزيله إلا إخراج المال ؛ فعليه أن يتصدق بما معه ، وتفصيل هذه مما ذكرناه فى ربع المهلكات فليرجع إليه ؛ فإذن باعتبار هذه الأحوال يختلف ، وعند ذلك يعرف البصير أن الجواب المطلق فيه خطأ ، إذ لو قال لنا قائل : الخبز أفضل أم الماء ؟ لم يكن فيه جواب حق إلا أن الخبز للجائع أفضل ، والماء للعطشان أفضل ، فإن اجتمعا فلينظر إلى الأغلب ؛ فإن كان العطش هو الأغلب فالماء أفضل ، وإن كان الجوع أغلب فالخبز أفضل ، فإن تساويا فهما متساويان ، وكذا إذا قيل : السكنجبين أفضل أم شراب النيوفر ؟ لم يصح الجواب عنه مطلقا أصلا ، نعم لو قيل لنا : السكنجبين أفضل أم عدم الصفراء ؟ فنقول : عدم الصفراء ، لأن السكنجبين مراد له ، وما يراد لغيره فلذلك أفضل منه لامحالة ، فإذن فى بذل المال عمل وهو الإنفاق ويحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب ، ويتهيأ القلب بسبب خروج حب الدنيا منه لمعرفة الله تعالى وحبه ، فالأفضل المعرفة ، ودونها الحال ، ودونها العمل .

* فإن قلت : فقد حث الشرع على الأعمال وبالغ فى ذكر فضلها حتى طلب الصدقات بقوله ﴿ من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا ﴾ وقال تعالى ﴿ ويأخذ الصدقات ﴾ فكيف لايكون الفعل والإنفاق هو الأفضل ؟ فاعلم أن الطبيب إذا أثنى على الدواء لم يدل على أن الدواء مراد لعينه ، أو على أنه أفضل من الصحة والشفاء الحاصل به ، ولكن الأعمال علاج لمرض القلوب ، ومرض القلوب مما لا يشعر به غالبا فهو كبرص على وجه من لامرآة معه ، فإنه لايشعر به ، ولو ذكر له لايصدق به . والسبيل معه المبالغة فى الثناء على غسل الوجه بماء الورد مثلا إن كان ماء الورد يزيل البرص ، حتى يستحثه فرط الثناء على المواظبة عليه فيزول مرضه ، فإنه لو ذكر له أن المقصود زوال البرص عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم أن وجهه لاعيب فيه .

ولنضرب مثلا أقرب من هذا : من له ولد علمه العلم والقرآن وأراد أن يثبت ذلك فى حفظه بحيث لايزول عنه ، وعلم أنه لو أمره بالتكرار والدراسة ليبقى له محفوظا لقال إنه محفوظ ولا حاجة بى إلى تكرار ودراسة ، لأنه يظن أن مايحفظه فى الحال يبقى كذلك أبدا ، وكان له عبيد فأمر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك بالجميل لتتوفر داعيته على كثرة التكرار بالتعليم ، فربما يظن الصبى المسكين أن المقصود تعليم العبيد القرآن وأنه قد استخدم لتعليمهم ، فيشكل عليه الأمر فيقول : مابالى قد استخدمت لأجل العبيد وأنا أجل منهم وأعز عند الوالد ، وأعلم أن أبى لو أراد تعليم العبيد لقدر عليه دون تكليفى به ، وأعلم أن لانقصان لأبى بفقد هؤلاء العبيد فضلا عن عدم علمهم بالقرآن ، فربما يتكاسل هذا المسكين فيترك تعليمهم اعتمادا على استغناء أبيه وعلى كرمه فى العفو عنه فينسى العلم والقرآن ويبقى مدبرا محروما من حيث لايدرى ، وقد انخدع بمثل هذا الخيال طائفة وسلكوا طريق الإباحة وقالوا : إن الله تعالى غنى عن عبادتنا وعن أن يستقرض منا ، فأى معنى لقوله ﴿ من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا ﴾ ولو شاء الله اطعام المساكين لأطعمهم فلا حاجة بنا إلى صرف أموالنا إليهم ، كما قال تعالى حكاية عن الكفار ﴿ وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ﴾ وقالوا أيضا ﴿ لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ﴾ فانظر كيف كانوا صادقين فى كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم ، فسبحان من إذا شاء أهلك بالصدق وإذا شاء أسعد بالجهل ﴿ يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا ﴾ فهؤلاء لما ظنوا أنهم استخدموا لأجل المساكين والفقراء أو جل الله تعالى ثم قالوا لاحظ لنا فى المساكين ولا حظ لله فينا وفى أموالنا سواء أنفقنا أو أمسكنا : هلكوا كما هلك الصبى لما ظن أن مقصود الوالد استخدامه لأجل

العبيد ولم يشعر بأنه كان المقصود ثبات صفة العلم فى نفسه وتأكده فى قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته فى الدنيا ، وإنما كان ذلك من الوالد تلطفا به فى استجراره إلى مافيه سعادته ، فهذا المثال يبين لك ضلال من ضل من هذا الطريق ، فإذن هذا المسكين الآخذ لمالك يستوفى بواسطة المال خبث البخل وحب الدنيا من باطنك ، فإنه مهلك لك فهو كالحجام يستخرج الدم منك ليخرج بخروج الدم العلة المهلكة من باطنك ؛ فالحجام خادم لك لا أنت خادم للحجام . ولا يخرج الحجام عن كونه خادما بأن يكون له غرض فى أن يصنع شيئا بالدم ، ولما كانت الصدقات مطهرة للبواطن ومزكية لها عن خبائث الصفات امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذها وانتهى عنها [1] ، كما نهى عن كسب الحجام وسماها أوساخ أموال الناس ، وشرف أهل بيته بالصيانة عنها [2] ، والمقصود أن الأعمال مؤثرات فى القلب كما سبق فى ربع المهلكات ، والقلب بحسب تأثيرها مستعد لقبول الهداية ونور المعرفة ، فهذا هو القول الكلى والقانون الأصلى الذى ينبغى أن يرجع إليه فى معرفة فضائل الأعمال والأحوال والمعارف ، وارجع الآن إلى خصوص مانحن فيه من الصبر والشكر فنقول : فى كل واحد منهما معرفة وحال وعمل ، فلا يجوز أن تقابل المعرفة فى أحدهما بالحال ، أو العمل فى الآخر ، بل يقابل كل واحد منها بنظيره حتى يظهر التناسب ، وبعد التناسب يظهر الفضل ، ومهما قوبلت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر ربما رجعا إلى معرفة واحدة ، إذ معرفة الشاكر : أن يرى نعمة العينين مثلا من الله تعالى . ومعرفة الصابر : أن يرى العمى من الله ، وهما معرفتان متلازمتان متساويتان هذا إن اعتبرنا فى البلاء والمصائب . وقد بينا أن الصبر قد يكون على الطاعة وعن المعصية ، وفيهما يتحد الصبر والشكر لأن الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة ، لأن الشكر يرجع إلى صرف نعمة الله تعالى إلى ما هو المقصود منها بالحكمة والصبر يرجع إلى ثبات باعث الدين فى مقابلة باعث الهوى ، فالصبر والشكر فيه اسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين فثبات باعث الدين فى مقاومة باعث الهوى يسمى صبراً بالإضافة إلى باعث الهوى ، ويسمى شكرا بالإضافة إلى باعث الدين ، إذ باعث الدين إنما خلق لهذه الحكمة : وهو أن يصرغ به باعث الشهوة ، وقد صرفه إلى مقصود الحكمة ، فهما عبارتان عن معنى واحد ، فكيف يفضل الشيء على نفسه ؛ فإذن مجارى الصبر ثلاثة : الطاعة ، والمعصية ، والبلاء وقد ظهر حكمهما فى الطاعة والمعصية ، وأما البلاء فهو عبارة عن فقد نعمة ، والنعمة إما أن تقع ضرورية كالعينين مثلا ، وإما أن تقع فى محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال ، أما العينان فصبر الأعمى عنهما بأن لا يظهر الشكوى ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب العمى فى بعض المعاصى ، وشكر البصير عليهما من حيث العمل بأمرين : أحدهما أن لا يستعين بهما على معصية ، والآخر أن يستعملهما فى الطاعة ، وكل أحد من الأمرين لا يخلو عن الصبر ؛ فإن الأعمى كفى الصبر عن الصور الجميلة لأنه لا يراها ، والبصير إذا وقع بصره على جميل فصبر كان شاكرا لنعمة العينين ؛ وإن أتبع النظر كفر نعمة العينين ؛ فقد دخل الصبر فى شكره ، وكذا إذا استعان بالعينين على الطاعة فلا بد أيضا فيه من صبر على الطاعة ، ثم قد يشكرها بالنظر إلى عجائب صنع الله تعالى ليتوصل به إلى معرفة الله سبحانه وتعالى ، فيكون هذا الشكر أفضل من الصبر ، ولولا هذا لكانت رتبة شعيب عليه السلام مثلا وقد كان ضريرا من الأنبياء فوق رتبة موسى عليه السلام وغيره من الأنبياء ، لأنه صبر على فقد البصر وموسى عليه السلام لم يصبر مثلا ، ولكان الكمال فى أن يسلب الإنسان الأطراف كلها ويترك كلحم على وضم وذلك محال جدا

---

(١) حديث النهى عن كسب الحجام : تقدم : (٢) حديث امتنع من الصدقة وسماها أوساخ الناس وشرف أهل بيته بالصيانة عنها . أخرجه مسلم من حديث عبد المطلب بن ربيعة « ان هذه الصدقة لا تحل لنا انما هى أوساخ القوم وانها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد » وفى رواية له « أوساخ الناس » .

لأنّ كل واحد من هذه الأعضاء آلة فى الدين يفوت بفوتها ذلك الركن من الدين ، وشكرها باستعمالها فيما هى آلة فيه من الدين ، وذلك لا يكون إلا بصبر ، وأما مايقع فى محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فإنه إذا لم يؤت إلا قدر الضرورة وهو محتاج إلى ماوراءه ، ففى الصبر عنه مجاهدة وهو جهاد الفقر ، ووجود الزيادة نعمة ، وشكرها أن تصرف إلى الخيرات ، أو أن لا تستعمل فى المعصية ، فإن أضيف الصبر إلى الشكر الذى هو صرف إلى الطاعة فالشكر أفضل ، لأنه تضمن الصبر أيضا ، وفيه فرح بنعمة الله تعالى ، وفيه احتمال ألم فى صرفه إلى الفقراء وترك صرفه إلى التنعم المباح ، وكان الحاصل يرجع إلى أن شيئين أفضل من شىء واحد ، وأن الجملة أعلى رتبة من البعض ، وهذا فيه خلل إذ لا تصح الموازنة بين الجملة وبين أبعاضها ، وأما إذا كان شكره بأن لا يستعين به على معصية بل يصرفه إلى التنعم المباح فالصبر ههنا أفضل من الشكر ، والفقير الصابر أفضل من الغنى الممسك ماله الصارف إياه إلى المباحات لا من الغنى الصارف ماله إلى الخيرات ، لأنّ الفقير قد جاهد نفسه وكسر نهمتها وأحسن الرضا على بلاء الله تعالى ، وهذه الحالة تستدعى لامحالة قوة ؛ والغنى أتبع نهمته وأطاع شهوته ولكنه اقتصر على المباح ، والمباح فيه مندوحة عن الحرام ، ولكن لابدّ من قوة فى الصبر عن الحرام أيضا ، إلا أن القوة التى عنها يصدر صبر الفقير أعلى وأتم من هذه القوة التى يصدر عنها الاقتصار فى التنعم على المباح والشرف لتلك القوة التى يدل العمل عليها ، فإنّ الأعمال لاتراد إلا لأحوال القلوب ، وتلك القوة حالة للقلب تختلف بحسب قوة اليقين والإيمان ، فما دل على زيادة قوة فى الإيمان فهو أفضل لامحالة ، وجميع ماورد من تفضيل أجر الصبر على أجر الشكر فى الآيات والأخبار إنما أريد به هذه الرتبة على الخصوص لأنّ السابق إلى أفهام الناس من النعمة والأموال الغنى بها ، والسابق إلى الأفهام من الشكر أن يقول الإنسان : الحمد لله ولايستعين بالنعمة على المعصية ، لا أن يصرفها إلى الطاعة ، فإذن الصبر أفضل من الشكر ، أى الصبر الذى تفهمه العامة أفضل من الشكر الذى تفهمه العامة ، وإلى هذا المعنى على الخصوص أشار الجنيد رحمه الله حيث سئل عن الصبر والشكر : أيهما أفضل ؟ فقال : ليس مدح الغنى بالوجود ولامدح الفقير بالعدم ، وإنما المدح فى الاثنين قيامهما بشروط ماعليهما ، فشرط الغنى يصحبه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتمتعها وتلذذها ، والفقير يصحبه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتقبضها وتزعجها ، فإذا كان الاثنان قائمين لله تعالى بشرط ماعليهما كان الذى لم صفته وأزعجها أتم حالا ممن متع صفته ونعمها . والأمر على ماقاله ، وهو صحيح من جملة أقسام الصبر والشكر فى القسم الأخير الذى ذكرناه ، وهو لم يرد سواه . ويقال : كان أبو العباس بن عطاء قد خالفه فى ذلك وقال : الغنى الشاكر أفضل من الفقير الصابر ، فدعا عليه الجنيد فأصابه ما أصابه من البلاء من قتل أولاده وإتلاف أمواله وزوال عقله أربع عشرة سنة ، فكان يقول : دعوة الجنيد أصابتنى ، ورجع إلى تفضيل الفقير الصابر على الغنى الشاكر .

ومهما لاحظت المعانى التى ذكرناها علمت أنّ لكل واحد من القولين وجها فى بعض الأحوال ، فرب فقير صابر أفضل من غنى شاكر كما سبق ، ورب غنى شاكر أفضل من فقير صابر ، وذلك هو الغنى الذى يرى نفسه مثل الفقير ، إذ لايمسك لنفسه من المال إلا قدر الضرورة والباقى يصرفه إلى الخيرات أو يمسكه ، على اعتقاد أنه خازن للمحتاجين والمساكين ، وإنما ينتظر حاجة تسنح حتى يصرف إليها ، ثم إذا صرف لم يصرفه لطلب جاه وصيت ولالتقليد منه ، بل أداء لحق الله تعالى فى تفقد عباده ، فهذا أفضل من الفقير الصابر .

* فإن قلت : فهذا لا يثقل على النفس والفقير يثقل عليه الفقر ؛ لأن هذا يستشعر لذة القدرة وذاك يستشعر ألم الصبر ؛ فإن كان متألما بفراق المال فينجبر ذلك بلذته فى القدرة على الإنفاق * فاعلم أنّ الذى تراه أنّ من ينفق ماله عن رغبة وطيب نفس أكمل حالا ممن ينفقه وهو بخيل به وإنما يقتطعه عن نفسه قهرا . وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة ، فإيلام النفس ليس مطلوبا لعينه بل لتأديبها ، وذلك يضاهى ضرب كلب الصيد ، والكلب المتأدب أكمل من الكلب المحتاج إلى الضرب وإن كان صابرا على الضرب ، ولذلك يحتاج إلى الإيلام والمجاهدة فى البداية ولا يحتاج إليهما فى النهاية ، بل النهاية أن يصير ما كان مؤلما فى حقه لذيذا عنده ، كما يصير التعلم عند الصبى العاقل لذيذا . وقد كان مؤلما له أوّلا ، ولكن لما كان الناس كلهم إلا الأقلين فى البداية - بل قبل البداية بكثير - كالصبيان ، أطلق الجنيد القول بأن الذى يؤلم صفته أفضل ، وهو كما قال صحيح فيما أراده من عموم الخلق ، فإذن إذا كنت لا تفصل الجواب وتطلقه لإرادة الأكثر فأطلق القول بأن الصبر أفضل من الشكر فإنه صحيح بالمعنى السابق إلى الأفهام ؛ فإذا أردت التحقيق ففصل ، فإنّ للصبر درجات أقلها ترك الشكوى مع الكراهية ، ووراءها الرضا وهو الرضا وهو مقام وراء الصبر ، ووراء الشكر على البلاء وهو وراء الرضا ؛ إذ الصبر مع التألم والرضا يمكن بما لا ألم فيه ولا فرح ، والشكر لا يمكن إلا على محبوب مفروح به ، وكذلك الشكر درجات كثيرة ذكرنا أقصاها ، ويدخل فى جملتها أمور دونها ؛ فإنّ حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر ، ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر ، والاعتذار من قلة الشكر شكر ، والمعرفة بعظيم حلم الله وكنف ستره شكر ، والاعتراف بأنّ النعم ابتداء من الله تعالى من غير استحقاق شكر ، والعلم بأنّ الشكر أيضا نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر ، وحسن التواضع للنعم والتذلل فيها شكر ، وشكر الوسائط شكر ؛ إذ قال عليه السلام « من لم يشكر الناس لم يشكر الله [1] » وقد ذكرنا حقيقة ذلك فى كتاب أسرار الزكاة ، وقلة الاعتراض وحسن الأدب بين يدى المنعم شكر ، وتلقى النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر . وما يندرج من الأعمال والأحوال تحت اسم الشكر والصبر لا تنحصر آحادها ؛ وهى درجات مختلفة ؛ فكيف يمكن إجمال القول بتفضيل أحدهما على الآخر إلا على سبيل إرادة الخصوص باللفظ العام كما ورد فى الأخبار والآثار .

وقد روى عن بعضهم أنه قال : رأيت فى بعض الأسفار شيخا كبيرا قد طعن فى السن فسألته عن حاله فقال : إنى كنت فى ابتداء عمرى أهوى ابنة عم لى وهى كذلك كانت تهوانى ؛ فاتفق أنها زوجت منى ، فليلة زفافها قلت : تعالى حتى نحيى هذه الليلة شكرا لله تعالى على ما جمعنا ، فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ أحدنا إلى صاحبه ؛ فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك ، فصلينا طول الليل ، فمنذ سبعين أو ثمانين سنة نحن على تلك الحالة كل ليلة ، أليس كذلك يا فلانة ؟ قالت العجوز : هو كما يقول الشيخ ؛ فانظر إليهما لو صبرا على بلاء الفرقة ، أولو لم يجمع الله بينهما ، وانسب صبر الفرقة إلى شكر الوصال على هذا الوجه ، فلا يخفى عليك أنّ هذا الشكر أفضل ؛ فإذن لا وقوف على حقائق المفضلات إلا بتفصيل كما سبق . والله أعلم .

---

(١) حديث « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » تقدم فى الزكاة .

كتاب الخوف والرجاء

وهو الكتاب الثالث من ربع المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المرجو لطفه وثوابه ، المخوف مكره وعقابه ، الذى عمر قلوب أوليائه بروح رجائه حتى ساقهم بلطائف آلائه إلى النزول بفنائه ، والعدول عن دار بلائه التى هى مستقر أعدائه . وضرب بسياط التخويف وزجره العنيف وجوه المعرضين عن حضرته إلى دار ثوابه وكرامته ، وصدهم عن التعرض لأثمته والتهدف لسخطه ونقمته ، قودا لأصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وأزمة الرفق واللطف إلى جنته . والصلاة والسلام على محمد سيد أنبيائه وخير خليقته وعلى آله وأصحابه وعترته .

(أما بعد) فإن الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود ، ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كئود ، فلا يقود إلى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الأرجاء ثقيل الأعباء محفوفا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء ـ إلا أزمة الرجاء . ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الأليم ـ مع كونه محفوفا بلطائف الشهوات وعجائب اللذات ـ إلا سياط التخويف وسطوات التعنيف ، فلا بد إذن من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسبيل التوصل إلى الجمع بينها مع تضادهما وتعاندهما . ونحن نجمع ذكرهما فى كتاب واحد يشمل على شطرين : الشطر الأول فى الرجاء ، والشطر الثانى فى الخوف .

أما الشطر الأول فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء ، وبيان فضيلة الرجاء وبيان دواء الرجاء ، والطرق الذى يجتلب به الرجاء .

بيان حقيقة الرجاء

اعلم أن الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين ، وأنما يسمى الوصف مقاما إذا ثبت وأقام ، وإنما يسمى حالا إذا كان عارضا سريع الزوال ، وكما أن الصفرة تنقسم إلى ثابتة كصفرة الذهب ، وإلى سريعة الزوال كصفرة الوجل ، وإلى ماهو بينهما كصفرة المريض ، فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الأقسام ، فالذى هو غير ثابت يسمى حالا لأنه يحول على القرب وهذا جار فى كل وصف من أوصاف القلب ؛ وغرضنا الآن حقيقة الرجاء ، فالرجاء أيضا يتم من حال وعلم وعمل ، فالعلم سبب يثمر الحال . والحال يقتضى العمل ، وكان الرجاء اسما من جملة الثلاثة ، وبيانه : أن كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم إلى موجود فى الحال وإلى موجود فيما مضى وإلى منتظر فى الاستقبال ، فإذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمى ذكرا وتذكرا ، وإن كان ماخطر بقلبك موجودا فى الحال سمى وجدا وذوقا وإدراكا ، وإنما سمى وجدا لأنها حالة تجدها من نفسك ، وإن كان قد خطر ببالك وجود شىء فى الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمى انتظارا وتوقعا ، فإن كان المنتظر مكروها حصل منه ألم فى القلب سمى خوفا وإشفاقا ، وإن كان محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به وإخطار وجوده بالبال لذة فى القلب وارتياح سمى ذلك الارتياح رجاء ، فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ماهو محبوب عنده ، ولكن ذلك

المحبوب المتوقع لابدّ وأن يكون له سبب ، فإن كان انتظاره لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق ، وإن كان ذلك انتظارا مع انخرام أسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحمق عليه أصدق من اسم الرجاء ، وإن لم تكن الأسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التمنى أصدق على انتظاره لأنه انتظار من غير سبب . وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف إلا على مايتردد فيه ، أما مايقطع به فلا ، إذ لايقال : أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع وأخاف غروبها وقت الغروب ، لأنّ ذلك مقطوع به ، نعم يقال : أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه .

وقد علم أرباب القلوب أنّ الدنيا مزرعة الآخرة ، والقلب كالأرض ، والإيمان كالبذر فيه ، والطاعات جارية مجرى تقليب الأرض وتطهيرها ومجرى حفر الأنهار وسياقه الماء إليها ، والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالأرض السبخة التى لاينمو فيها البذر ، ويوم القيامة يوم الحصاد ، ولا يحصد أحد إلا مازرع ، ولاينمو زرع إلا من بذر الإيمان ، وقلما ينفع إيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه ، كما لاينمو بذر فى أرض سبخة ، فينبغى أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع ، فكل من طلب أرضا طيبة وألقى فيها بذرا جيدا غير عفن ولا مسوس ، ثم أمدّه بما يحتاج إليه وهو سوق الماء إليه فى أوقاته ، ثم نقى الشوك عن الأرض والحشيش وكل مايمنع نبات البذر أو يفسده ، ثم جلس منتظرا من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات المفسدة إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته : سمى انتظاره رجاء . وإن بث البذر فى أرض صلبة سبخة مرتفعة لاينصب إليها الماء ولم يشتغل بتعهد البذر أصلا ، ثم انتظر الحصاد منه : سمى انتظاره حمقا وغرورا لا رجاء . وإن بث البذر فى أرض طيبة ولكن لاماء لها وأخذ ينتظر مياه الأمطار حيث لا تغلب الأمطار ولا تمتنع أيضا : سمى انتظاره تمنيا لارجاء ؛ فإذن اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلا ماليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات ؛ فالعبد إذا بث بذر الإيمان ، وسقاه بماء الطاعات ، وطهر القلب عن شوك الأخلاق الرديئة ، وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك إلى الموت وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة : وكان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا فى نفسه باعثا له على المواظبة والقيام بمقتضى أسباب الإيمان فى إتمام أسباب المغفرة إلى الموت : وإن قطع عن بذر الإيمان تعهده بماء الطاعات ، وترك القلب مشحونا برذائل الأخلاق وانهمك فى طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة ، فانتظاره حمق وغرور ، قال صلى الله عليه وآله وسلم « الأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الجنه [1] » وقال تعالى ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ﴾ وقال تعالى ﴿ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا ﴾ وذم الله تعالى صاحب البستان إذ دخل جنته وقال ﴿ ماأظن أن تبيد هذه أبدا وما أظنّ الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لأجدنّ خيرا منها منقلبا ﴾ فإذن العبد المجتهد فى الطاعات المجتنب للمعاصى حقيق بأن ينتظر من فضل الله تمام النعمة ، وما تمام النعمة إلا بدخول الجنة . وأما العاصى فإذا تاب وتدارك جميع مافرط منه من تقصير فحقيق بأن يرجو قبول التوبة . وأما قبل التوبة إذا كان كارها للمعصية تسوءه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهى التوبة ويشتاق إليها ، فحقيق بأن يرجو من الله التوفيق للتوبة ؛ لأنّ كراهيته المعصية وحرصه على التوبة يجرى مجرى السبب الذى قد يفضى إلى التوبة ، وإنما الرجاء بعد تأكد الأسباب ، ولذلك قال تعالى ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ﴾ معناه أولئك يستحقون أن يرجوا رحمة الله ، وما أراد به تخصيص وجود

(١) حديث « الأحمق من اتبع نفسه هواها .. الحديث » تقدم غير مرة .

الرجاء لأن غيرهم أيضا قد يرجو ؛ ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء ، فأما من ينهمك فيما يكرهه الله تعالى ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع ، فرجاؤه المغفرة حمق كرجاء من بث البذر فى أرض سبخة وعزم على أن لا يتعهده بسقى ولا تنقية . قال يحيى بن معاذ : من أعظم الاغترار عندى التمادى فى الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة ، وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة ، وانتظار زرع الجنة ببذر النار ، وطلب دار المطيعين بالمعاصى ، وانتظار الجزاء بغير عمل ، والتمنى على الله عز وجل مع الإفراط :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليبس

فإذا عرفت حقيقة الرجاء ومظنته فقد علمت أنها حالة أثمرها العلم بجريان أكثر الأسباب ، وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الأسباب على حسب الإمكان ، فإن من حسن بذره وطابت أرضه وغزر ماؤه صدق رجاؤه ، فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تفقد الأرض وتعهدها وتنحية كل حشيش ينبت فيها فلا يفتر عن تعهدها أصلا إلى وقت الحصاد ، وهذا لأن الرجاء يضاده اليأس ، واليأس يمنع من التعهد ، فمن عرف أن الأرض سبخة وأن الماء معوز وأن البذر لا ينبت : فيترك لا محالة تفقد الأرض والتعب فى تعهدها ، والرجاء محمود لأنه باعث ، واليأس مذموم وهو ضده لأنه صارف عن العمل ، والخوف ليس بضد للرجاء بل هو رفيق له كما سيأتى بيانه ، بل هو باعث آخر بطريق الرهبة كما أن الرجاء باعث بطريق الرغبة ، فإذن حال الرجاء يورث طول المجاهدة بالأعمال والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الأحوال ، ومن آثاره التلذذ بدوام الإقبال على الله تعالى والتنعم بمناجاته والتلطف فى التملق له ، فإن هذه الأحوال لابد وأن تظهر على كل من يرجو ملكا من الملوك أو شخصا من الأشخاص ، فكيف لا يظهر ذلك فى حق الله تعالى ؟ فإن كان لا يظهر فليستدل به على الحرمان عن مقام الرجاء والنزول فى حضيض الغرور والتمنى فهذا هو البيان لحال الرجاء ولما أثمره من العلم ولما استثمر منه من العمل ، ويدل على إثماره لهذه الأعمال حديث زيد الخيل ، إذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد ؟ فقال « كيف أصبحت ؟ » قال : أصبحت أحب الخير وأهله ، وإذا قدرت على شىء منه سارعت إليه وأيقنت بثوابه ، وإذا فاتنى منه شىء حزنت عليه وحننت إليه . فقال « هذه علامة الله فيمن يريد ولو أرادك للأخرى هيأك لها ثم لا يبالى فى أى أوديتها هلكت » فقد ذكر صلى الله عليه وسلم علامة من أريد به الخير ، فمن ارتجى أن يكون مرادا بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور [1] » .

بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه

اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف ، لأن أقرب العباد إلى الله تعالى أحبهم له ، والحب يغلب الرجاء ، واعتبر ذلك بملكين يخدم أحدهما خوفا من عقابه والآخر رجاء لثوابه ، ولذلك ورد فى الرجاء وحسن الظن رغائب لاسيما فى وقت الموت : قال تعالى ﴿ لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ فحرم أصل اليأس ، وفى أخبار يعقوب عليه السلام أن الله تعالى أوحى إليه . أتدرى لم فرقت بينك وبين يوسف ؟ لأنك قلت أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لم خفت الذئب ولم ترجنى ؟ ولم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظى له . وقال صلى الله عليه وسلم « لا يموتن

(١) حديث : قال زيد الخيل جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد ... الحديث . أخرجه الطبرانى فى الكبير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ، وفيه أنه قال « أنت زيد الخير » وكذا قال ابن أبى حاتم سماه النبى صلى الله عليه وسلم زيد الخير يروى عنه حديث ، وذكره فى حديث يروى : فقام زيد الخير فقال : يارسول الله ... الحديث ، سمعت أبى يقول ذلك

أحدكم إلا وهو يحسن بالله تعالى [١] » وقال صلى الله عليه وسلم ؟ يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء [٢] » . ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو فى النزع فقال « كيف تجدك ؟ » فقال : أجدنى أخاف ذنوبى وأرجو رحمة ربى . فقال صلى الله عليه وسلم « ما اجتمعا فى قلب عبد فى هذا الموطن إلا أعطاه الله مارجا وأمنه مما يخاف [٣] » وقال على رضى الله عنه لرجل أخرجه الخوف إلى القنوط لكثرة ذنوبه : ياهذا يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك . وقال سفيان : من أذنب ذنبا فعلم أن الله تعالى قدره عليه ورجاء غفرانه غفر الله له ذنبه ، قال : لأن الله عز وجل عيرقوما فقال ﴿ وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أردا كم ﴾ وقال تعالى ﴿ وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة : مامنعك إذ رأيت المنكر أن تنكره ؟ فإن لقنه الله حجته قال : يارب رجوتك وخفت الناس . قال : فيقول الله تعالى . قد غفرته لك [٤] » وفى الخبر الصحيح : أن رجلا كان يداين الناس فيسامح الغنى ويتجاوز عن المعسر فلقى الله ولم يعمل خيرا قط ، فقال الله عز وجل : من أحق بذلك منا [٥] » فعفا عنه لحسن ظنه ورجائه أن يعفو عنه مع إفلاسه عن الطاعات . وقال تعالى ﴿ إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ﴾ ولما قال صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم إلى الصعدات تلدمون صدوركم وتجأرون إلى ربكم » فهبط جبريل عليه السلام فقال : إن ربك يقول لك لم تقنط عبادى ؟ فخرج عليهم ورجاهم وشوقهم [٦] . وفى الخبر : إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام . أحبنى وأحب من يحبنى وحببنى إلى خلقى . فقال : يارب ، كيف أحببك إلى خلقك ؟ : اذكرنى بالحسن الجميل واذكر آلائى وإحسانى وذكرهم ذلك فإنهم لا يعرفون منى إلا الجميل [٧] ورئى أبان بن أبى عياش فى النوم وكان يكثر ذكر أبواب الرجاء فقال : أوقفنى الله تعالى بين يديه فقال : ما الذى حملك على ذلك ؟ فقلت : أردت أن أحببك إلى خلقك ، فقال : قد غفرت لك . ورئى يحيى بن أكثم بعد موته فى النوم ، فقيل له : مافعل الله بك ؟ فقال : أوقفنى الله بين يديه وقال . ياشيخ السوء ، فعلت وفعلت ، وقال : فأخذنى من الرعب مايعلم الله ، ثم قلت : يارب ماهكذا حدثت عنك ، فقال : وماحدثت عنى ؟ فقلت : حدثنى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن أنس عن نبيك صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام أنك قلت : أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ماشاء ، وكنت أظن بك أن لا تعذبنى ، فقال الله عز وجل : صدق جبريل وصدق نبيى ، وصدق أنس ، وصدق الزهرى ، وصدق معمر ، وصدق عبد الرزاق وصدقت قال فألبست ومشى بين

---

(١) حديث « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله » أخرجه مسلم من حديث جابر .

(٢) حديث أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ماشاء » أخرجه ابن حبان من حديث واثلة بن الأسقع وهو فى الصحيحين من حديث أبى هريرة دون قوله « فليظن بى ماشاء » . (٣) حديث : دخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو فى النزع فقال : « كيف تجدك ؟ الحديث » رواه الترمذى وقال غريب ، والنسائى فى الكبرى ، وابن ماجه من حديث أنس وقال النووى : إسناده جيد

(٤) حديث « إن الله يقول للعبد يوم القيامة : مامنعك إذ رأيت المنكر أن تنكره ... الحديث » أخرجه ابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى بإسناد جيد ، وقد تقدم فى الأمر بالمعروف .

(٥) حديث : إن رجلا كان يداين الناس فيسامح الغنى ويتجاوز عن المعسر ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى مسعود « حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شىء الا انه كان يخالط الناس وكان موسرا فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر قال الله عز وجل : نحن أحق بذلك ، تجاوزوا عنه . واتفقا عليه من حديث حذيفة وأبى هريرة بنحوه .

(٦) حديث « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ... الحديث » وفيه « فهبط جبريل ... الحديث » أخرجه ابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة ، فأوله متفق عليه من حديث أنس ، ورواه بزيادة « ولخرجتم الى الصعدات » أخرجه أحمد والحاكم ، وقد تقدم . (٧) حديث « ان الله تعالى أوحى الى عبده داود عليه السلام أحبنى وأحب من يحبنى ... الحديث » لم أجد له أصلا ، وكأنه من الإسرائيليات كالتى قبله .

يدى الولدان إلى الجنة ، فقلت : يالها من فرحة . وفى الخبر « أنّ رجلا من بنى إسرائيل كان يقنط الناس ويشدّد عليهم ، قال : فيقول له الله تعالى يوم القيامة . اليوم أويسك من رحمتى كما كنت تقنط عبادى منها [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ رجلا يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادى : ياحنان يامنان ، فيقول الله تعالى لجبريل : اذهب فائتنى بعبدى . قال فيجىء به فيوقفه على ربه فيقول الله تعالى : كيف وجدت مكانك ؟ فيقول : شر مكان . قال : فيقول ردّوه إلى مكانه . قال : فيمشى ويلتفت إلى ورائه ، فيقول الله عزوجل : إلى أى شىء تلتفت ! فيقول : لقد رجوت أنّ لاتعيدنى إليها بعد إذ أخرجتنى منها ، فيقول الله تعالى : اذهبوا به إلى الجنة [2] » فدل هذا على أن رجاءه كان سبب نجاته ، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه .

بيان دواء الرجاء والسبيل الذى يحصل منه حال الرجاء ويغلب

اعلم أنّ هذا الدواء يحتاج إليه أحد رجلين : إما رجل غلب عليه اليأس فترك العبادة ، وإما رجل غلب عليه الخوف فأسرف فى المواظبة على العبادة حتى أضر بنفسه وأهله ، وهذان رجلان مائلان عن الاعتدال إلى طرفى الإفراط والتفريط ، فيحتاجان إلى علاج يردهما إلى الاعتدال ؛ فأما العاصى المغرور المتمنى على الله مع الإعراض عن العبادة واقتحام المعاصى فأدوية الرجاء تنقلب سموما مهلكة فى حقه وتنزل منزلة العسل الذى هو شفاء لمن غلب عليه البرد ، وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة ، بل المغرور لايستعمل فى حقه إلا أدوية الخوف والأسباب المهيجة له ، فلهذا يجب أن يكون واعظ الخلق متلطفاً ناظرا إلى مواقع العلل معالجاً لكل علة بما يضادها لا بما يزيد فيها ، فإنّ المطلوب هو العدل والقصد فى الصفات والأخلاق كلها وخير الأمور أوساطها ؛ وإذا جاوز الوسط إلى أحد الطرفين عولج بما يرده إلى الوسط لا بما يزيد فى ميله عن الوسط ، وهذا الزمان زمان لا ينبغى أن يستعمل فيه مع الخلق أسباب الرجاء ، بل المبالغة فى التخويف أيضا تكاد أن لا تردهم إلى جادة الحق وسنن الصواب ، فأما ذكر أسباب الرجاء فيهلكهم ويرديهم بالكلية ، ولكنها لما كانت أخف على القلوب وألذ عند النفوس ، ولم يكن غرض الوعاظ إلا استمالة القلوب واستنطاق الخلق بالثناء كيفما كانوا مالوا إلى الرجاء حتى ازداد الفساد فسادا وازداد المنهمكون فى طغيانهم تماديا . قال على كرّم الله وجهه إنما العالم الذى لا يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم من مكر الله .

ونحن نذكر أسباب الرجاء لتستعمل فى حق الآيس أو فيمن غلب عليه الخوف اقتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإنهما مشتملان على الخوف والرجاء جميعا لأنهما جامعان لأسباب الشفاء فى حق أصناف المرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورثة الأنبياء بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لا استعمال الأخرق الذى يظن أنّ كل شىء من الأدوية صالح لكل مريض كيفما كان . وحال الرجاء يغلب بشيئين ، أحدهما . الاعتبار ، والآخر . استقراء الآيات والأخبار والآثار .

أما الاعتبار ، فهو أن يتأمل جميع ماذكرناه فى أصناف النعم من كتاب الشكر حتى إذا علم لطائف نعم الله تعالى لعباده فى الدنيا وعجائب حكمه التى راعاها فى فطرة الإنسان حتى أعدّ له فى الدنيا كل ما هو ضرورى له فى دوام

---

(١) حديث : أن رجلا من بنى إسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم ... الحديث ، رواه البيهقى فى الشعب عن زيد بن أسلم ، فذكره مقطوعا . (٢) حديث إن رجلا يدخل « النار فيمكث فيها ألف سنة ينادى ياحنان يامنان ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب حسن الظن بالله ، والبيهقى فى الشعب وضعفه من حديث أنس .

الوجود كآلات الغذاء وماهو محتاج إليه كالأصابع والأظفار وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين واختلاف ألوان العينين وحمرة الشفتين وغير ذلك مما كان لاينثلم بفقده غرض مقصود ؛ وإنما كان يفوت به مزية جمال ، فالعناية الإلهية إذا لم تقصر عن عباده فى أمثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده أن تفوتهم المزايد والمزايا فى الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقهم إلى الهلاك المؤبد ، بل إذا نظر الإنسان نظرا شافيا علم أنّ أكثر الخلق قد هيئ له أسباب السعادة فى الدنيا ، حتى إنه يكره الانتقال من الدنيا بالموت ، وإن أخبر بأنه لايعذب بعد الموت أبدا مثلا أولايحشر أصلا فليست كراهتهم للعدم إلا لأنّ أسباب النعم أغلب لامحالة ، وإنما الذى يتمنى الموت نادر ، ثم لايتمناه إلا فى حال نادرة وواقعة هاجمة غريبة ، فإذا كان حال أكثر الخلق فى الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة فسنة الله لاتجد لها تبديلا ، فالغالب أنّ أمر الآخرة هكذا يكون لأن مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم ، فهذا إذا تؤمل حق التأمل قوى به أسباب الرجاء ، ومن الاعتبار أيضا النظر فى حكمة الشريعة وسنتها فى مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها ، حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة فى البقرة من أقوى أسباب الرجاء . فقيل له : ومافيها من الرجاء ؟ فقال : الدنيا كلها قليل ، ورزق الإنسان منها قليل ، والدين قليل عن رزقه ، فانظر كيف أنزل الله تعالى فيه أطول آية ليهدى عبده إلى طريق الاحتياط فى حفظ دينه ، فكيف لايحفظ دينه الذى لاعوض له منه ؟

الفن الثانى : استقراء الآيات والأخبار ، فما ورد فى الرجاء خارج عن الحصر ، أما الآيات فقد قال تعالى ﴿ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ وفى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ولايبالى إنه هو الغفور الرحيم ﴾ [1] وقال تعالى ﴿ والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض ﴾ وأخبر تعالى أنّ النار أعدها لأعدائه ، وإنما خوف بها أولياءه فقال ﴿ لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده ﴾ وقال تعالى ﴿ واتقوا النار التى أعدت للكافرين ﴾ وقال تعالى ﴿ فأنذرتكم ناراً تلظى لايصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى ﴾ وقال عز وجل ﴿ وإنّ ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ ويقال : إن النبى صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل فى أمته حتى قيل له : أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية ﴿ وإنّ ربك لذو مغفرة للناس ظلمهم [2] ﴾ . وفى تفسير قوله تعالى ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ قال « لايرضى محمد وواحد من أمته فى النار » وكان أبو جعفر محمد بن على يقول : أنتم أهل العراق تقولون أرجى آية فى كتاب الله عز وجل قوله ﴿ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ﴾ الآية ، ونحن أهل البيت نقول : أرجى آية فى كتاب الله تعالى قوله تعالى ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ وأما الأخبار فقد روى أبو موسى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « أمتى أمة مرحومة لاعذاب عليها فى الآخرة عجل الله عقابها فى الدنيا : الزلازل والفتن ، فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمتى رجل من أهل الكتاب فقيل : هذا فداؤك من النار [3] »

---

(١) حديث : قرأ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى أخرجه الترمذى من حديث أسماء بنت يزيد وقال حسن غريب . (٢) حديث إن النبى صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل فى أمته حتى قيل له : أما ترضى وقد أنزل عليك ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ لم أجده بهذا اللفظ . وروى ابن أبى حاتم والثعلبى فى تفسيرهما من رواية على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب قال : لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا عفو الله وتجاوزه ماهنأ أحدا العيش ... الحديث » . (٣) حديث أبى موسى « أمتى أمة مرحومة لاعذاب عليها عجل الله عقابها فى الدنيا الزلازل والفتن .. الحديث » أخرجه أبو داود دون قوله « فإذا كان يوم القيامة ... الخ » فرواها ابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف ، وفى صحيحه من حديث أبى موسى كما سيأتى ذكره فى الحديث الذى يليه .

وفى لفظ آخر « يأتى كل رجل من هذه الأمة بيهودى أو نصرانى إلى جهنم فيقول : هذا فداؤك من النار فيلقى فيها[١] » وقال صلى الله عليه وسلم « الحمى من فيح جهنم وهى حظ المؤمن من النار[٢] » وروى فى تفسير قوله تعالى ﴿ يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه ﴾ أنّ الله تعالى أوحى إلى نبيه عليه الصلاة السلام : إنى أجعل حساب أمتك إليك . قال « لايارب أنت أرحم بهم منى » فقال « إذن لانخزيك فيهم[٣] » . وروى عن أنس : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه فى ذنوب أمته فقال « يارب اجعل حسابهم إلى لئلا يطلع على مساويهم غيرى » فأوحى الله تعالى إليه : هم أمتك وهم عبادى ، وأنا أرحم بهم منك ، لاأجعل حسابهم إلى غيرى لئلا تنظر إلى مساويهم أنت ولاغيرك[٤] . وقال صلى الله عليه وسلم « حياتى خير لكم وموتى خير لكم ، أما حياتى فأسن لكم السنن وأشرع لكم الشرائع . وأما موتى فإنّ أعمالكم تعرض على فما رأيت منها حسناً حمدت الله عليه ، ومارأيت منها سيئا استغفرت الله تعالى لكم[٥] » وقال صلى الله عليه وسلم يوما « ياكريم العفو » فقال جبريل عليه السلام : أتدرى ما تفسير : ياكريم العفو ؟ هو إن عفا عن السيئات برحمته بدّلها حسنات بكرمه[٦] . وسمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يقول : اللهم إنى أسألك تمام النعمة . فقال « هل تدرى ماتمام النعمة ؟ » قال لا . قال « دخول الجنة[٧] » قال العلماء : قد أتم الله علينا نعمته برضاه الإسلام لنا إذ قال تعالى ﴿ وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ وفى الخبر « إذا أذنب العبد ذنبا فاستغفر الله يقول الله عزوجل لملائكته : انظروا إلى عبدى أذنب ذنبا فعلم أنّ له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب ، أشهدكم أنى قد غفرت له[٨] » وفى الخبر « لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها له مااستغفرنى ورجانى[٩] » وفى الخبر « لولقينى عبدى بقراب الأرض ذنوبا لقيته بقراب الأرض مغفرة[١٠] » وفى الحديث « إنّ الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات ، فإن تاب واستغفر لم يكتبه عليه وإلا كتبها سيئة[١١] » وفى لفظ آخر : « فإذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب

---

(١) حديث « يأتى كل رجل من هذه الأمة بيهودى أو نصرانى الى جهنم ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى موسى « إذا كان يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول : هذا فداؤك من النار » وفى رواية له « لايموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه فى النار يهوديا أو نصرانيا » . (٢) حديث « الحمى من فيح جهنم وهى حظ المؤمن من النار » أخرجه أحمد من رواية أبى صالح الأشعرى عن أبى أمامة ، وأبو صالح لايعرف ولايعرف اسمه . (٣) حديث « إن الله أوحى الى نبيه صلى الله عليه وسلم إنى أجعل حساب أمتك اليك . فقال « لايارب أنت خير لهم منى .. الحديث » فى تفسير قوله تعالى ﴿ يوم لايخزى الله النبى ﴾ أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب حسن الظن بالله . (٤) حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم سأل ربه فى ذنوب أمته فقال « يارب اجعل حسابهم الى . الحديث » لم أقف له على أصل . (٥) حديث حياتى خير لكم وموتى خير لكم .. الحديث أخرجه البزار من حديث عبدالله بن مسعود ورجاله رجال الصحيح ، إلا أن عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى داود وإن أخرج له مسلم ووثقه ابن معين والنسائى فقد ضعفه كثيرون ، ورواه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده من حديث أنس بنحوه بإسناد ضعيف .

(٦) حديث قال صلى الله عليه وسلم يوما « ياكريم العفو » فقال جبريل . أتدرى ماتفسير ياكريم العفو ؟ الحديث : لم أجده من النبى صلى الله عليه وسلم ، والموجود أن هذا كان بين إبراهيم الخليل وبين جبريل ، هكذا رواه أبو الشيخ فى كتاب العظمة من قول عتبة بن الوليد . ورواه البيهقى فى الشعب من رواية عتبة بن الوليد قال : حدثنى بعض الزهاد ... فذكره .

(٧) حديث سمع رجلا يقول : اللهم إنى أسألك تمام النعمة ... الحديث : تقدم . (٨) حديث « إذا أذنب العبد فاستغفر يقول الله تعالى لملائكته انظروا الى عبدى أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ « إن عبدا أصاب ذنبا فقال : أى رب أذنبت ذنبا فاغفر لى ... الحديث » وفى رواية « أذنب عبد ذنبا فقال ... الحديث »

(٩) حديث « لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أنس « ياابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك » وقال : حسن . (١٠) حديث « لولقينى عبدى بقراب الأرض ذنوبا لقيته بقرابها مغفرة » أخرجه مسلم من حديث أبى ذر « ومن لقينى بقراب الأرض خطيئة لايشرك بى شيئا لقيته بمثلها مغفرة » والترمذى من حديث أنس الذى قبله « ياابن آدم لو لقيتنى ... الحديث . (١١) حديث « إن الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات ، فإن تاب واستغفر لم يكتبه عليه . . الحديث » قال : وفى لفظ آخر « فإذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال =

الشمال وهو أمير عليه : ألق هذه السيئة حتى ألقى من حسناته واحدة تضعيف العشر وأرفع له تسع حسنات ، فتلقى عنه السيئة » وروى أنس فى حديث أنه عليه الصلاة والسلام قال « إذا أذنب العبد ذنبا كتب عليه » فقال أعرابى: وإن تاب عنه ؟ قال « محى عنه » قال : فإن عاد ؟ قال النبى صلى الله عليه وسلم « يكتب عليه » قال الأعرابى : فإن تاب ؟ قال « محى من صحيفته » قال : إلى متى ؟ قال « إلى أن يستغفر ويتوب إلى الله عز وجل ، إن الله لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار ؛ فإذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل أن يعملها ، فإن عملها كتبت عشر حسنات ثم يضاعفها الله سبحانه وتعالى إلى سبعمائة ضعف ، وإذا هم بخطيئة لم تكتب عليه فإذا عملها كتبت خطيئة واحدة ووراءها حسن عفو الله عز وجل[1] » .

وجاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، إنى لا أصوم إلا الشهر لا أزيد عليه ، ولا أصلى إلا الخمس لا أزيد عليها ، وليس لله فى مالى صدقة ولا حج ولا تطوع : أين أنا إذا مت؟ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « نعم معى ، إذا حفظت قلبك من اثنتين : الغل ، والحسد ؛ ولسانك من اثنتين: الغيبة، والكذب؛ وعينيك من اثنتين : النظر إلى ماحرم الله ، وأن تزدرى بهما مسلما - دخلت معى الجنة على راحتى هاتين[2] » وفى الحديث الطويل لأنس : أنّ الأعرابى قال : يارسول الله ، من يلى حساب الخلق ؟ فقال « الله تبارك وتعالى » قال : هو بنفسه ؟ قال « نعم » فتبسم الأعرابى ؛ فقال صلى الله عليه وسلم « مم ضحكت يا أعرابى ؟ » فقال : إنّ الكريم إذا قدر عفا ، وإذا حاسب سامح ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « صدق الأعرابى » ، ألا لا كريم أكرم من الله تعالى ، هو أكرم الأكرمين » ثم قال « فقه الأعرابى[3] » وفيه أيضا « إنّ الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولو أن عبدا هدمها حجرا حجرا ثم أحرقها ما بلغ جرم من استخف بولى من أولياء الله تعالى » قال الأعرابى : ومن أولياء الله تعالى ؟ قال « المؤمنون كلهم أولياء الله تعالى ، أما سمعت قول الله عز وجل ﴿ الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ » وفى بعض الأخبار « المؤمن أفضل من الكعبة[4] » و « المؤمن طيب

= وهو أمير عليه : ألق هذه السيئة حتى ألقى من حسناته واحدة من تضعيف العشر ... الحديث » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث أبى أمامة بسند فيه لين باللفظ الأول ورواه أيضا أطول منه وفيه « إن صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال » وليس فيه : أنه يأمر صاحب الشمال بإلقاء السيئة حتى يلقى من حسناته واحدة ، ولم أجد لذلك أصلا .

(١) حديث أنس « إذا أذنب العبد ذنبا كتب عليه » فقال أعرابى : فإن تاب عنه ؟ قال « محى عنه » قال : فإن عاد ؟ .. الحديث . وفيه « إن الله لا يمل من التوبة حتى يمل العبد من الاستغفار » الحديث أخرجه البيهقى فى الشعب بلفظ: فقال : يارسول الله إنى أذنبت ذنبا . قال « استغفر ربك » قال : فأستغفر ثم أعود . قال « فإذا عدت فاستغفر ربك » ثلاث مرات أو أربعا . قال : فاستغفر ربك حتى يكون الشيطان هو المسجور المحسور » وفيه أبو بدر يسار بن الحكم المصرى منكر الحديث . وروى أيضا من حديث عقبة بن عامر : أحدنا يذنب ؟ قال « يكتب عليه » قال: ثم يستغفر ويتوب ؟ قال « يغفر له ويتاب عليه » قال: فيعود .. الحديث . وفيه « لا يمل الله حتى تملوا » وليس فى الحديثين قوله فى آخره « فإذا هم العبد بحسنة . . الخ » وهو فى الصحيحين بنحوه من حديث ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه « فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فإن هم بها وعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة » زاد مسلم فى رواية « أو محاها الله ولا يهلك على الله إلا هالك » ولهما نحوه من حديث أبى هريرة .

(٢) حديث : جاء رجل فقال : يارسول الله إنى لا أصوم الا الشهر لا أزيد عليه ، ولا أصلى الا الخمس لا أزيد عليها ، وليس لله فى مالى صدقة ولا حج ولا تطوع ... الحديث تقدم . (٣) حديث أنس الطويل : قال أعرابى : يارسول الله، من يلى حساب الخلق ؟ قال « الله تبارك وتعالى » فقال هو بنفسه ؟ قال « نعم » فتبسم الأعرابى .. الحديث ، لم أجد له أصلا .

(٤) حديث « المؤمن أفضل من الكعبة » أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ « ما أعظمك وأعظم حرمتك ، والذى نفسى بيده لحرمة المؤمن أعظم حرمة منك ماله ودمه وأن يظن به الا خيرا » وشيخه نصر بن محمد بن سليمان الحمصى ضعفه أبو حاتم ووثقه ابن حبان ، وقد تقدم .

طاهر [١] ، و « المؤمن أكرم على الله تعالى من الملائكة [٢] » وفى الخبر « خلق الله تعالى جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله به عباده إلى الجنة [٣] » . وفى خبر آخر « يقول الله عز وجل : إنما خلقت الخلق ليربحوا على ولم أخلقهم لأربح عليهم [٤] » وفى حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما خلق الله تعالى شيئا إلا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه [٥] » وفى الخبر المشهور « إن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة قبل أن يخلق الخلق : إن رحمتى تغلب غضبى [٦] » وعن معاذ بن جبل وأنس بن مالك أنه صلى الله عليه وسلم قال « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة [٧] » . و « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تمسه النار [٨] » و « من لقى الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار [٩] » . و « لا يدخلها من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان [١٠] » وفى خبر آخر « لو علم الكافر سعة رحمة الله ما آيس من جنته أحد [١١] » ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ﴿ إن زلزلة الساعة شىء عظيم ﴾ قال « أتدرون أى يوم هذا ؟ هذا يوم يقال لآدم عليه الصلاة والسلام : قم فابعث بعث النار من ذريتك ، فيقول : كم ؟ فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة » قال : فأبلس القوم وجعلوا يبكون وتعطلوا يومهم عن الاشتغال والعمل ، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « مالكم لا تعملون » فقالوا : ومن يشتغل بعمل بعد ما حدثتنا بهذا ؟ فقال « كم أنتم فى الأمم ؟ أين تاويل وثاريث ومنسك ويأجوج ومأجوج أمم لا يحصيها إلا الله تعالى ، إنما أنتم فى سائر الأمم كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود ، وكالرقمة فى ذراع الدابة [١٢] » فانظر كيف كان الخوف يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم بأزمة

---

(١) حديث « المؤمن طيب طاهر » لم أجده بهذا اللفظ ، وفى الصحيحين من حديث حذيفة « المؤمن لا ينجس » .

(٢) حديث « المؤمن أكرم على الله من الملائكة » أخرجه ابن ماجه من رواية أبى المهزم يزيد بن سفيان عن أبى هريرة بلفظ « المؤمن أكرم على الله من بعض الملائكة » وأبو المهزم تركه شعبة وضعفه ابن معين ورواه ابن حبان فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من هذا الوجه بلفظ المصنف . (٣) حديث « خلق الله من فضل رحمته سوطا يسوق به عباده إلى الجنة » لم أجده هكذا ، ويغنى عنه ما رواه البخارى من حديث أبى هريرة « عجب ربنا من قوم يجاء بهم إلى الجنة فى السلاسل » .

(٤) حديث « قال الله إنما خلقت الخلق ليربحوا على ولم أخلقهم لأربح عليهم » لم أقف له على أصل .

(٥) حديث أبى سعيد « ما خلق الله شيئا إلا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه » أخرجه أبو الشيخ ابن حبان فى الثواب ، وفيه عبد الرحمن بن كردم جهله أبو حاتم ، وقال صاحب الميزان : ليس بواه ولا بمجهول .

(٦) حديث « إن الله كتب على نفسه بنفسه قبل أن يخلق الخلق : إن رحمتى تغلب غضبى » متفق عليه من حديث أبى هريرة ، وقد تقدم . (٧) حديث معاذ وأنس « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة » أخرجه الطبرانى فى الدعاء بلفظ « من مات يشهد . » وتقدم من حديث معاذ ، وهو فى اليوم والليلة للنسائى بلفظ « من مات يشهد ... » وقد تقدم من حديث معاذ ، ومن حديث أنس أيضا ، وتقدم فى الأذكار . (٨) حديث « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تمسه النار » أخرجه أبو داود والحاكم وصححه من حديث معاذ بلفظ « دخل الجنة » . (٩) حديث « من لقى الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار » أخرجه الشيخان من حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ « ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار » وزاد البخارى « صادقا من قلبه » وفى رواية له « من لقى الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة » ورواه أحمد من حديث معاذ بلفظ « جعله الله فى الجنة » وللنسائى من حديث أبى عمرة الانصارى فى أثناء حديث فقال « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنى رسول الله لا يلقى الله عبد يؤمن بهما إلا حجب عن النار يوم القيامة » . (١٠) حديث « لا يدخلها من فى قلبه وزن ذرة من إيمان » أخرجه أحمد من حديث سهل بن بيضاء « من شهد أن لا إله إلا الله حرمه الله على النار » وفيه انقطاع ، وله من حديث عثمان ابن عفان « إنى لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه إلا حرم على النار » قال عمر بن الخطاب : هى كلمة الإخلاص ، وإسناده صحيح ولكن هذا ونحوه شاذ مخالف لما ثبت فى الأحاديث الصحيحة من دخول جماعة من الموحدين النار وإخراجهم بالشفاعة ، ثم لا يبقى فى النار من فى قلبه ذرة من إيمان كما هو متفق عليه من حديث أبى سعيد ، وفيه « فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه » وقال مسلم « من خير » بدل « من إيمان » . (١١) حديث « لو علم الكافر سعة رحمة الله ما آيس من جنته أحد » متفق عليه من حديث أبى هريرة . (١٢) حديث : لما تلا ﴿ إن زلزلة الساعة شىء عظيم ﴾ قال « أتدرون أى يوم هذا ؟ ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث عمران بن حصين وقال : حسن صحيح . قلت : هو من رواية الحسن البصرى عن عمران ولم يسمع منه ، وفى الصحيحين نحوه من حديث أبى سعيد .

الرجاء إلى الله تعالى ، إذ ساقهم بسياط الخوف أولا ، فلما خرج ذلك بهم عن حد الاعتدال إلى إفراط اليأس داواهم بدواء الرجاء وردهم إلى الاعتدال ، والقصد والآخر لم يكن مناقضا للأول ولكن ذكر فى الأول ما رآه سببا للشفاء واقتصر عليه ، فلما احتاجوا إلى المعالجة بالرجاء ذكر تمام الأمر ، فعلى الواعظ أن يقتدى بسيد الوعاظ فيتلطف فى استعمال أخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة بعد ملاحظة العلل الباطنة ، وإن لم يراع ذلك كان ما يفسد بوعظه أكثر مما يصلحه ، وفى الخبر « لو لم تذنبوا لخلق الله خلقا يذنبون فيغفر لهم [1] » ، وفى لفظ آخر « لذهب بكم وجاء بخلق يذنبون فيغفر لهم إنه هو الغفور الرحيم » ، وفى الخبر « لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب قيل : وما هو ؟ قال : العجب [2] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها [3] » ، وفى الخبر « ليغفرنّ الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب أحد ، حتى إن إبليس ليتطاول لها رجاء أن تصيبه [4] » ، وفى الخبر « إن لله تعالى مائة رحمة ادخر منها عنده تسعا وتسعين رحمة وأظهر منها فى الدنيا رحمة واحدة فبها يتراحم الخلق ، فتحنّ الوالدة على ولدها وتعطف البهيمة على ولدها . فإذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة إلى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والأرض . قال : فلا يهلك على الله يومئذ إلا هالك [5] » ، وفى الخبر « ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال « ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته [6] » ، وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « اعملوا وابشروا واعلموا أن أحدا لن ينجيه عمله [7] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « إنى اختبأت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى أترونها للمطيعين المتقين بل هى للمتلوثين المخلطين [8] » ، وقال عليه الصلاة والسلام « بعثت بالحنيفية السمحة السهلة [9] » ، وقال صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفى « أحب أن يعلم أهل الكتابين أنّ فى ديننا سماحة [10] » ، ويدل على معناه استجابة الله تعالى للمؤمنين فى قولهم ﴿ ولا تحمل علينا إصرا ﴾ وقال تعالى ﴿ ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ﴾ وروى محمد بن الحنفية عن على رضى الله تعالى عنهما أنه قال . لما نزل قوله تعالى ﴿ فاصفح الصفح الجميل ﴾ قال « يا جبريل ، وما الصفح الجميل » ؟ قال عليه السلام : « إذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه » فقال « يا جبريل فالله تعالى أكرم من أن يعاتب من عفا عنه » فبكى جبريل وبكى النبى صلى الله عليه وسلم ، فبعث الله تعالى

---

(١) حديث « لو لم تذنبوا لخلق الله خلقا يذنبون فيغفر لهم » . وفى لفظ « لذهب بكم ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى أيوب ، واللفظ الثانى من حديث أبى هريرة قريبا منه . (٢) حديث « لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب » قيل ما هو ؟ قال « العجب » أخرجه البزار وابن حبان فى الضعفاء ، والبيهقى فى الشعب من حديث أنس ، وتقدم فى ذم الكبر والعجب

(٣) حديث « والذى نفسى بيده لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها » متفق عليه من حديث عمر بنحوه .

(٤) حديث « ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب أحد ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب حسن الظن بالله من حديث ابن مسعود بإسناد ضعيف . (٥) حديث « ان لله تعالى مائة رحمة ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة . (٦) حديث « ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة ، وقد تقدم .

(٧) حديث « اعملوا وأبشروا واعلموا أن أحدا لن ينجيه عمله » تقدم أيضا .

(٨) حديث « انى اختبأت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى ... الحديث » أخرجه الشيخان من حديث أبى هريرة « لكل نبى دعوة وانى خبأت دعوتى شفاعة لأمتى » . ورواه مسلم من حديث أنس ، والترمذى من حديثه . وصححه ، وابن ماجه من حديث جابر « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » ولابن ماجه من حديث أبى موسى ، ولأحمد من حديث ابن عمر « خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتى الجنة ، فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى ، أترونها للمتقين ... الحديث » وفيه من لم يسم .

(٩) حديث « بعثت بالحنيفية السمحة السهلة » أخرجه أحمد من حديث أبى أمامة بسند ضعيف دون قوله « السهلة » وله والطبرانى من حديث ابن عباس « أحب الدين الى الله الحنيفية السمحة » وفيه محمد بن اسحق رواه بالعنعنة .

(١٠) حديث « أحب أن يعلم أهل الكتاب أن فى ديننا سماحة » رواه أبو عبيد فى غريب الحديث ، وأحمد .

إليهما ميكائيل عليه السلام وقال : إن ربكما يقرئكما السلام ويقول : كيف أعاتب من عفوت عنه ، هذا ما لا يشبه كرمى [1]

والأخبار الواردة فى أسباب الرجاء أكثر من أن تحصى . وأما الآثار فقد قال على كرم الله وجهه : من أذنب ذنبا فستره الله عليه فى الدنيا فالله أكرم من أن يكشف ستره فى الآخرة ، ومن أذنب ذنبا فعوقب عليه فى الدنيا فالله تعالى أعدل من أن يثنى عقوبته على عبده فى الآخرة وقال الثورى : ما أحب أن يجعل حسابى إلى أبوى لأنى أعلم أن الله تعالى أرحم بى منهما . وقال بعض السلف : المؤمن إذا عصى الله تعالى ستره عن أبصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه . وكتب محمد بن صعب إلى أسود بن سالم بخطه : إن العبد إذا كان مسرفا على نفسه فرفع يديه يدعو ويقول يارب حجبت الملائكة صوته ، وكذا الثانية والثالثة ، حتى إذا قال الرابعة : يارب ، قاله الله تعالى . حتى متى تحجبون عنى صوت عبدى ، قد علم عبدى أنه ليس له رب يغفر له الذنوب غيرى ، أشهدكم أنى قد غفرت له وقال إبراهيم بن أدهم رحمة الله عليه : خلالى الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة ، فوقفت فى الملتزم عند الباب فقلت : يارب اعصمنى حتى لا أعصيك أبدا ، فهتف بى هاتف من البيت : يا إبراهيم أنت تسألنى العصمة وكل عبادى المؤمنين يطلبون منى ذلك ، فإذا عصمتهم فعلى من أتفضل ؟ ولمن أغفر ؟ وكان الحسن يقول : لو لم يذنب المؤمن لكان يطير فى ملكوت السماوات ولكن الله تعالى قمعه بالذنوب . وقال الجنيد رحمه الله تعالى : إن بدت عين من الكرم ألحقت المسيئين بالمحسنين . وأتى مالك بن دينار أبانا فقال له : إلى كم تحدث الناس بالرخص ؟ فقال : يا أبا يحيى ، إنى لأرجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ما تخرق له كساءك هذا من الفرح . وفى حديث ربعى بن حراش عن أخيه ـ وكان من خيار التابعين ، وهو ممن تكلم بعد الموت ـ قال : لما مات أخى سجى بثوبه وألقيناه على نعشه ، فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا ، وقال : إنى لقيت ربى عز وجل فحيانى بروح وريحان وربى غير غضبان ، وإنى رأيت الأمر أيسر مما تظنون فلا تفترروا ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظرنى وأصحابه حتى أرجع إليهم . قال : ثم طرح نفسه فكأنها كانت حصاة وقعت فى طشت ، فحملناه ودفناه .

وفى الحديث أن رجلين من بنى إسرائيل تواخيا فى الله تعالى ، فكان أحدهما يسرف على نفسه ، وكان الآخر عابدا وكان يعظه ويزجره ، فكان يقول : دعنى وربى ، أبعثت على رقيبا ، حتى رآه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال : لا يغفر الله لك . قال : فيقول الله تعالى يوم القيامة : أيستطيع أحد أن يحظر رحمتى على عبادى ، اذهب أنت فقد غفرت لك ، ثم يقول للعابد : وأنت فقد أوجبت لك النار . قال : فوالذى نفسى بيده لقد تكلم بكلمة أهلكت دنياه وآخرته [2] .

وروى أيضا أن لصا كان يقطع الطريق فى بنى إسرائيل أربعين سنة ، فمر عليه عيسى عليه السلام وخلفه عابد من عباد بنى إسرائيل من الحواريين ، فقال اللص فى نفسه : هذا نبى الله يمر وإلى جنبه حواريه لو نزلت فكنت معهما ثالثا ، قال : فنزل فجعل يريد أن يدنو من الحوارى ويزدرى نفسه تعظيما للحوارى ويقول فى نفسه : مثلى لا يمشى إلى جنب هذا العابد . قال : وأحس الحوارى به ، فقال فى نفسه : هذا يمشى إلى جانبى ، فضم نفسه ومشى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام ، فمشى بجنبه فبقى اللص خلفه ، فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه الصلاة

(١) حديث محمد بن الحنفية عن على : لما نزل قوله تعالى ﴿ فاصفح الصفح الجميل ﴾ قال : « ياجبريل وما الصفح الجميل ؟ » قال : إذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه ... الحديث » أخرجه ابن مردويه فى تفسيره موقوفا على على مختصرا ، قال : الرضا بغير عتاب ، ولم يذكر بقية الحديث ، وفى إسناده نظر . (٢) حديث « ان رجلين من بنى اسرائيل تواخيا فى الله عز وجل فكان أحدهما يسرف على نفسه وكان الآخر عابدا ... الحديث » رواه أبو داود من حديث أبى هريرة بإسناد جيد .

والسلام . قال لهما ليستأنفا العمل فقد أحبطت ماسلف من أعمالهما ؛ أما الحوارى فقد أحبطت حسناته لعجبه بنفسه ، وأما الآخر فقد أحبطت سيئاته بما ازدرى على نفسه ، فأخبرهما بذلك وضم اللص إليه فى سياحته وجعله من حوارييه .

وروى عن مسروق أن نبيا من الأنبياء كان ساجدا فوطئ عنقه بعض العصاة حتى ألزق الحصى بجبهته ، قال: فرفع النبي عليه الصلاة والسلام رأسه مغضبا فقال « اذهب فلن يغفر الله لك » فأوحى الله تعالى إليه : تتألى على فى عبادى ، إنى قد غفرت له .

ويقرب من هذا ماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقنت على المشركين ويلعنهم فى صلاته ، فنزل عليه قوله تعالى ﴿ ليس لك من الأمر شىء ﴾ الآية ، فترك الدعاء عليهم وهدى الله تعالى عامة أولئك للاسلام [1]

وروى فى الأثر أن رجلين كانا من العابدين متساويين فى العبادة ، قال : فاذا أدخلا الجنة رفع أحدهما فى الدرجات العلى على صاحبه ، فيقول : يارب ما كان هذا فى الدنيا بأكثر منى عبادة فرفعته على فى عليين ، فيقول الله سبحانه : إنه كان يسألنى فى الدنيا الدرجات العلى وأنت كنت تسألنى النجاة من النار ، فأعطيت كل عبد سؤله ،

• وهذا يدل على أن العبادة على الرجاء أفضل ، لأن المحبة أغلب على الراجى منها على الخائف فكم من فرق فى الملوك بين من يخدم اتقاء لعقابه وبين من يخدم ارتجاء لإنعامه وإكرامه . ولذلك أمر الله تعالى بحسن الظن ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « سلوا الله الدرجات العلى فإنما تسألون كريما [2] » وقال « إذا سألتم الله فأعظموا الرغبة واسألوا الفردوس الأعلى ؛ فإن الله تعالى لايتعاظمه شىء [3] » .

وقال بكر بن سليم الصواف .دخلنا على مالك بن أنس فى العشية التى قبض فيها فقلنا : يا أبا عبد الله ، كيف تجدك ؟ قال : لا أدرى ما أقول لكم إلا أنكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم فى حساب ، ثم مابرحنا حتى أغمضناه .

وقال يحيى بن معاذ فى مناجاته : يكاد رجائى لك من الذنوب يغلب رجائى إياك مع الأعمال ؛ لأنى أعتمد فى الأعمال على الإخلاص وكيف أحرزها وأنا بالآفة معروف ، وأجدنى فى الذنوب أعتمد على عفوك وكيف لاتغفرها وأنت بالجود موصوف .

وقيل إن مجوسيا استضاف إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقال إن أسلمت أضفتك ؛ فمر المجوسى ،

---

(١) حديث ابن عباس : كان يقنت على المشركين ويلعنهم فى صلاته ، فنزل قوله تعالى ﴿ ليس لك من الأمر شىء ﴾ فترك الدعاء عليهم ... الحديث ، أخرجه البخارى من حديث ابن عمر أنه كان اذا رفع رأسه من الركوع فى الركعة الأخيرة من الفجر يقول «اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا» بعد مايقول «سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد» فأنزل الله عزوجل (ليس لك من الأمر شىء) الى قوله ﴿ فإنهم ظالمون ﴾ ورواه الترمذى وسماهم أبا سفيان والحارث بن هشام وصفوان بن أمية وزاد «فتاب عليهم فأسلموا فحسن اسلامهم» وقال حسن غريب . وفى رواية له « أربعة نفر » ولم يسمهم وقال « فهداهم الله للاسلام » وقال حسن غريب صحيح .

(٢) حديث « سلوا الله الدرجات العلى فإنما تسألون كريما » لم أجده بهذا اللفظ . وللترمذى من حديث ابن مسعود « سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسئل » وقال : هكذا روى حماد بن واقد وليس بالحافظ .

(٣) حديث « اذا سألتم الله فأعظموا الرغبة واسألوا الفردوس الأعلى فإن الله لايتعاظمه شىء » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة « اذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لى ان شئت ، ولكن ليعزم وليعظم الرغبة ، فإن الله عزوجل لايتعاظمه شىء أعطاه » والبخارى من حديث أبى هريرة فى أثناء حديث « فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة » ورواه الترمذى من حديث معاذ وعبادة بن الصامت .

فأوحى الله تعالى اليه : يا إبراهيم لم تطعمه إلا بتغيير دينه ونحن من سبعين سنة نطعمه على كفره ، فلو أضفته ليلة ماذا كان عليك ؛ فمر إبراهيم يسعى خلف المجوسى فرده وأضافه ؛ فقال له المجوسى ما السبب فيما بدا لك ؟ فذكر له ؛ فقال له المجوسى : أهكذا يعاملنى ثم قال : اعرض على الإسلام فأسلم .

ورأى الأستاذ أبو سهل الصعلوكى أبا سهل الزجاجى فى المنام وكان يقول بوعيد الأبد ، فقال له : كيف حالك ؟ فقال وجدنا الأمر أهون مما توهمنا .

ورأى بعضهم أبا سهل الصعلوكى فى المنام على هيئة حسنة لا توصف ، فقال له : يا أستاذ ، بم نلت هذا ؟ فقال : بحسن ظنى بربى .

وحكى أن أبا العباس بن سريج رحمه الله تعالى رأى فى مرض موته فى منامه كأن القيامة قد قامت ، وإذا الجبار سبحانه يقول : أين العلماء ؟ قال : فجاءوا ، ثم قال : ماذا عملتم فيما علمتم ؟ قال : فقلنا يارب قصرنا وأسأنا : قال : فأعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب وأراد جوابا غيره ، فقلت . أما أنا فليس فى صحيفتى الشرك وقد وعدت أن تغفر مادونه ، فقال : اذهبوا به فقد غفرت لكم ، ومات بعد ذلك بثلاث ليال .

وقيل : كان رجل شريب جمع قوما من ندمائه ودفع إلى غلامه أربعة دراهم وأمره أن يشترى شيئا من الفواكه للمجلس ، فمر الغلام بباب مجلس منصور بن عمـــار وهو يسأل لفقير شيئا ويقول : من دفع إليه أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات ، قال : فدفع الغلام إليه الدراهم ، فقـال منصور : ماالذى تريد أن أدعو لك ؟ فقال : لى سيد أريد أن أتخلص منه ، فدعا منصـور وقال : الأخرى . قال : أن يخلف الله على دراهمى ، فـدعا ، ثم قال : الأخرى . قال : أن يتوب الله على سيدى ، فدعا ، ثم قال : الأخرى ، فقـال : أن يغفر الله لى ولسيدى ولك وللقوم ، فدعا منصور ، فرجع الغلام فقال له سيده : لم أبطأت ؟ فقص عليه القصة . قال : وبم دعا ، فقال : سألت لنفسى العتق . فقال له : اذهب فأنت حر . قال : وأيش الثانى ؟ قال : أن يخلف الله على الدراهم ، قال : لك أربعة آلاف درهم ، وأيش الثـالث ؟ قال : أن يتوب الله عليك . قال تبت إلى الله تعـالى . قال : وأيش الرابع ؟ قال : أن يغفر الله لى ولك وللقوم ، قال . هذا الواحد ليس إلى ، فلما بات تلك الليلة رأى فى المنام كأن قائلا يقول له : أنت فعلت ما كان إليك ، أفترى أنى لا أفعـل ما إلى ، قـد غفرت لك وللغلام ولمنصـور بن عمـار وللقوم الحاضرين أجمعين .

وروى عن عبـد الوهاب بن عبـد الحميد الثقفى قال : رأيت ثلاثة من الرجال وامرأة يحمـلون جنـازة ، قال : فأخذت مـكان المرأة وذهبنا إلى المقبرة وصلينا عليها ودفنا الميت ، فقلت المرأة : من كان هذا الميت منك ؟ قالت ابنى . قلت ولم يـكن لـكم جيران ؟ قالت بلى ولـكن صغروا أمره قلت : وأيش كان هـذا ؟ قالت : مخنثـا ، فمن فرحتها وذهبت بهـا إلى منزلى وأعطيتها دراهم وحنطة وثيـابا ، قال فرأيت تلك الليلة كأنه أتانى آت كأنه القمر ليلة البـدر وعليه ثيـاب بيض فجعـل يتشكرنى ، فقلت من أنت ؟ فقـال المخنث الذى دفنتمونى اليوم رحمنى ربى باحتقار الناس إياى

وقال إبراهيم الأطروش : كنـا قعودا ببغـداد مع معروف الكرخى على دجلة ، إذ مر أحـداث فى زورق يضربون بالدف ويشربون ويلعبون ، فقالوا لمعروف أما تراهم يعصون الله مجـاهرين ، ادع الله عليهم ، فرفع يديه وقال إلهى كما فرحتهم فى الدنيـا ففرحهم فى الآخرة ، فقـال القوم : إنمـا سألناك أن تدعو عليهم ! فقـال : إذا

فرحهم فى الآخرة تاب عليهم ، وكان بعض السلف يقول فى دعائه : يارب وأى أهل دهر لم يعصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابغة ورزقك عليهم دارا سبحانك ما أحلمك وعزتك إنك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدرّ الرزق حتى كأنك ياربنا لاتغضب .

فهذه هى الأسباب التى بها يجلب روح الرجاء إلى قلوب الخائفين والآيسين ، فأما الحمقى المغرورون فلا ينبغى أن يسمعوا شيئا من ذلك ، بل يسمعون ماسنورده فى أسباب الخوف فإنّ أكثر الناس لا يصلح إلا على الخوف ، كالعبد السوء والصبى العرم لا يستقيم إلا بالسوط والعصا وإظهار الخشونة فى الكلام . وأما ضدّ ذلك فيسدّ عليهم باب الصلاح فى الدين والدنيا .

الشطر الثانى من الكتاب : فى الخوف

وفيه بيان حقيقة الخوف ، وبيان درجاته ، وبيان أقسام المخاوف ، وبيان فضيلة الخوف ، وبيان الأفضل من الخوف والرجاء ، وبيان دواء الخوف ، وبيان معنى سوء الخاتمة ، وبيان أحوال الخائفين من الأنبياء صلوات الله عليهم والصالحين رحمة الله عليهم ، ونسأل الله حسن التوفيق .

بيان حقيقة الخوف

اعلم أنّ الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه فى الاستقبال ، وقد ظهر هذا فى بيان حقيقة الرجاء ، ومن أنس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجمال الحق على الدوام : لم يبق له التفات إلى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله أعلى من الخوف والرجاء فإنهما زمامان يمنعان النفس عن الخروج إلى رعوناتها ، وإلى هذا أشار الواسطى حيث قال : الخوف حجاب بين الله تعالى وبين العبد . وقال أيضا : إذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا لخوف ؛ وبالجملة فالمحب إذا شغل قلبه فى مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصا فى الشهود ، وإنما دوام الشهود غاية المقامات ، ولكنا الآن إنما نتكلم فى أوائل المقامات فنقول : حال الخوف ينتظم أيضا من علم وحال وعمل . أما العلم فهو العلم بالسبب المفضى إلى المكروه وذلك كمن جنى على ملك ثم وقع فى يده فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والإفلات ، ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالأسباب المفضية إلى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك فى نفسه حقودا غضوبا منتقما وكونه محفوفا بمن يحثه على الانتقام حاليا عمن يتشفع إليه فى حقه ، وكان هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة وحسنة تمحو أثر جنايته عند الملك ، فالعلم بتظاهر هذه الأسباب سبب لقوة الخوف وشدّة تألم القلب ، وبحسب ضعف هذه الأسباب يضعف الخوف ، وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية قارفها الخائف بل عن صفة المخوف كالذى وقع فى مخالب سبع فإنه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهى حرصه وسطوته على الافتراس غالبا وإن كان افتراسه بالاختيار ، وقد يكون من صفة جبلية للمخوف منه ، كخوف من وقع فى مجرى سيل أو جوار حريق فإنّ الماء يخاف لأنه بطبعه مجبول على السيلان والإغراق ، وكذا النار على الإحراق ؛ فالعلم بأسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لإحراق القلب وتألمه ، وذلك الإحراق هو الخوف ، فكذلك الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته ، وأنه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع ، وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصى ، وتارة يكون بهما جميعا . وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى واستغنائه وأنه ﴿لا يسئل عما يفعل وهم

يسئلون ﴾ فتكون قوة خوفه ؛ فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه ؛ ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم «أنا أخوفكم لله [1] » وكذلك قال الله تعالى ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ ثم إذا كملت المعرفة أورثت جلال الخوف واحتراق القلب ، ثم يفيض أثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات . أما فى البدن فبالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكاء ، وقد تنشق به المرارة فيفضى إلى الموت ، أو يصعد إلى الدماغ فيفسد العقل ، أو يقوى فيورث القنوط واليأس . وأما فى الجوارح فبكفها عن المعاصى وتقييدها بالطاعات تلافيا لما فرط واستعدادا للمستقبل ، ولذلك قيل : ليس الخائف من يبكى ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه وقال أبو القاسم الحكيم : من خاف شيئا هرب منه ، ومن خاف الله هرب إليه . وقيل لذى النون : متى يكون العبد خائفا : قال إذا نزل نفسه منزلة السقيم الذى يحتمى مخافة طول السقام . وأما فى الصفات فبأن يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصى المحبوبة عنده مكروهة ، كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه إذا عرف أن فيه سما ، فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ، ويحصل فى القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ، ويفارقه الكبر والحقد والحسد ، بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر فى خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالأنفاس واللحظات ومؤاخذة النفس بالخطرات والخطوات والكلمات ، ويكون حاله حال من وقع فى مخالب سبع ضار لا يدرى أنه يغفل عنه فيفلت أو يهجم عليه فيهلك ، فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره : هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه ، وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين وقوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذى هو تألم القلب واحتراقه ، وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله وصفاته وأفعاله وبعيوب النفس وما بين يديها من الأخطار والأهوال ، وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره فى الأعمال : أن يمنع عن المحظورات ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعا ، فإن زادت قوته كف عما يتطرق إليه إمكان التحريم فيكف أيضا عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى ، إذ التقوى : أن يترك ما يريبه إلى ما لا يريبه وقد يحمله على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق فى التقوى ، فإذا انضم إليه التجرد للخدمة فصار لا يبنى ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنها تفارقه ولا يصرف إلى غير الله تعالى نفسا من أنفاسه فهو الصدق ، وصاحبه جدير بأن يسمى صديقا ، ويدخل فى الصدق التقوى ، ويدخل فى التقوى الورع ، ويدخل فى الورع العفة فإنها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة ؛ فإذن الخوف يؤثر فى الجوارح بالكف والإقدام ويتجدد له بسبب الكف اسم العفة ، وهو كف عن مقتضى الشهوة وأعلى منه الورع فإنه أعم لأنه كف عن كل محظور ، وأعلى منه التقوى فإنه اسم للكف عن المحظور والشبهة جميعا ، ووراءه اسم الصديق والمقرب ، وتجرى الرتبة الآخرة مما قبلها مجرى الأخص من الأعم ؛ فإذا ذكرت الأخص فقد ذكرت الكل ، كما أنك تقول : الإنسان إما عربى وإما عجمى ، والعربى إما قرشى أو غيره ، والقرشى إما هاشمى أو غيره ، والهاشمى إما علوى أو غيره ، والعلوى إما حسنى أو حسينى ، فإذا ذكرت أنه حسنى مثلا فقد وصفته بالجميع ، وإن وصفته بأنه علوى وصفته بما هو فوقه مما هو أعم منه ، فكذلك إذا قلت صديق فقد قلت : إنه تقى وورع وعفيف ، فلا ينبغى أن تظن أن كثرة هذه الأسامى تدل على معان كثيرة متباينة ، فيختلط عليك كما اختلط

(١) حديث « أنا أخوفكم لله » أخرجه البخارى من حديث أنس « والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له » والشيخين من حديث عائشة « والله انى لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية » .

على من طلب المعانى من الألفاظ ولم يتبع الألفاظ المعانى ، فهذه إشارة إلى مجامع معانى الخوف وما يكتنفه من جانب العلو كالمعرفة الموجبة له ومن جانب السفل كالأعمال الصادرة منه كفا وإقداما .

بيان درجات الخوف واختلافه فى القوة والضعف

اعلم أن الخوف محمود ، وربما يظن أن كل ما هو خوف محمود ، فكل ما كان أقوى وأكثر كان أحمد ! وهو غلط ، بل الخوف سوط الله يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى ، والأصلح للبهيمة أن لاتخلو عن سوط وكذا الصبي ، ولكن ذلك لايدل على أنّ المبالغة فى الضرب محمودة ، وكذلك الخوف له قصور وله إفراط وله اعتدال . والمحمود هو الاعتدال والوسط ؛ فأما القاصر منه فهو الذى يجرى مجرى رقة النساء يخطر بالبال عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء وتفيض الدموع ، وكذلك عند مشاهدة سبب هائل ، فإذا غاب ذلك السبب عن الحس ورجع القلب إلى الغفلة ، فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضيب الضعيف الذى تضرب به دابة قوية لا يؤلمها ألما مبرحا فلا يسوقها إلى المقصد ولا يصلح لرياضتها ، وهكذا خوف الناس كلهم إلا العارفين والعلماء ، ولست أعنى بالعلماء المترسمين برسوم العلماء والمتسمين بأسمائهم فإنهم أبعد الناس عن الخوف ، بل أعنى العلماء بالله وبأيامه وأفعاله ، وذلك مما قد عز وجوده الآن ؛ ولذلك قال الفضيل بن عياض : إذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت ، فإنك إن قلت « لا » كفرت ، وإن قلت « نعم » كذبت ، وأشار به إلى أنّ الخوف هو الذى يكف الجوارح عن المعاصى ويقيدها بالطاعات ومالم يؤثر فى الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق أن يسمى خوفا . وأما المفرط فإنه الذى يقوى ويجاوز حدّ الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط ، وهو مذموم أيضا لأنه يمنع من العمل ، وقد يخرج الخوف أيضا إلى المرض والضعف وإلى الوله والدهشة وزوال العقل ؛ فالمراد من الخوف ماهو المراد من السوط وهو الحمل على العمل ، ولولاه لما كان الخوف كمالا لأنه بالحقيقة نقصان لأن منشأه الجهل والعجز . أما الجهل فإنه ليس يدرى عاقبة أمره ولو عرف لم يكن خائفا لأنّ الخوف هو الذى يتردد فيه . وأما العجز فهو أنه متعرض لمحذور لايقدر على دفعه ؛ فإذن هو محمود بالإضافة إلى نقص الآدمى ، وإنما المحمود فى نفسه وذاته هو العلم والقدرة ، وكل مايجوز أن يوصف الله تعالى به وما لا يجوز وصف الله تعالى به فليس بكمال فى ذاته ، وإنما يصير محمودا بالإضافة إلى نقص هو أعظم منه ، كما يكون احتمال ألم الدواء محمودا لأنه أهون من ألم المرض والموت ، فما يخرج إلى القنوط فهو مذموم ، وقد يخرج الخوف أيضا إلى المرض والضعف وإلى الوله والدهشة وزوال العقل ، وقد يخرج إلى الموت ، وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذى يقتل الصبي والسوط الذى يهلك الدابة أو يمرضها أو يكسر عضوا من أعضائها ، وإنما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسباب الرجاء وأكثر منها ليعالج به صدمة الخوف المفرط المفضى إلى القنوط أو أحد هذه الأمور ، فكل ما يراد لأمر فالمحمود منه ما يفضى إلى المراد المقصود منه ، وما يقصر عنه أو يجاوزه فهو مذموم ، وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والفكر والذكر وسائر الأسباب الموصلة إلى الله تعالى ، وكل ذلك يستدعى الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل ، فكل مايقدح فى هذه الأسباب فهو مذموم .

* فإن قلت : من خاف فمات من خوفه فهو شهيد ، فكيف يكون حاله مذموما ! فاعلم أنّ معنى كونه شهيدا أنّ له رتبة بسبب موته من الخوف كان لاينالها لو مات فى ذلك الوقت لابسبب الخوف ، فهو بالإضافة إليه فضيلة ، فأما بالإضافة إلى تقدير بقائه وطول عمره فى طاعة الله وسلوك سبله فليس بفضيلة ، بل للسالك إلى الله تعالى بطريق

الفكر والمجاهدة والترقى فى درجات المعارف فى كل لحظة رتبة شهيد وشهداء ، ولولا هذا لكانت رتبة صبى يقتل أو مجنون يفترسه سبع أعلى من رتبة نبى أو ولى يموت حتف أنفه ، وهو محال ، فلا ينبغى أن يظن هذا ، بل أفضل السعادات طول العمر فى طاعة الله تعالى ؛ فكل ما أبطل العمر أو العقل أو الصحة التى يتعطل العمر بتعطيلها فهو خسران ونقصان بالإضافة إلى أمور ، وإن كان بعض أقسامها فضيلة بالإضافة إلى أمور أخر ؛ كما كانت الشهادة فضيلة بالإضافة إلى ما دونها لا بالإضافة إلى درجة المتقين والصديقين ، فإذن الخوف إن لم يؤثر فى العمل فوجوده كعدمه ، مثل السوط الذى لا يزيد فى حركة الدابة ، وإن أثر فله درجات بحسب ظهور أثره ، فإن لم يحمل إلا على العفة وهى الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة ، فإذا أثمر الورع فهو أعلى ، وأقصى درجاته أن يثمر درجات الصديقين : وهو أن يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى حتى لا يبقى لغير الله تعالى فيه متسع ؛ فهذا أقصى ما يحمد منه ، وذلك مع بقاء الصحة والعقل ؛ فإن جاوز هذا إلى إزالة العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه إن قدر عليه ، ولو كان محمودا لما وجب علاجه بأسباب الرجاء وبغيره حتى يزول ، ولذلك كان سهل رحمه الله يقول للمريدين الملازمين للجوع أياما كثيرة : احفظوا عقولكم فإنه لم يكن لله تعالى ولى ناقص العقل .

بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى مايخاف منه

اعلم أن الخوف لا يتحقق إلا بانتظار مكروه ، والمكروه أما أن يكون مكروها فى ذاته كالنار وإما أن يكون مكروها لأنه يفضى إلى المكروه ، كما تكره المعاصى لأدائها إلى مكروه فى الآخرة وكما يكره المريض الفواكه المضرة لأدائها إلى الموت ، فلابد لكل خائف من أن يتمثل فى نفسه مكروها من أحد القسمين ويقوى انتظاره فى قلبه حتى يحرق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه ، ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة ، فالذين يغلب على قلوبهم ماليس مكروها لذاته بل لغيره : كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة ، أو خوف نقض التوبة ونكث العهد ، أو خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله تعالى ، أو خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة . أو خوف الميل عن الاستقامة ، أو خوف استيلاء العادة فى اتباع الشهوات المألوفة ، أو خوف أن يكله الله تعالى إلى حسناته التى أتكل عليها وتعززبها فى عباد الله ، أو خوف البطر بكثرة نعم الله عليه ، أو خوف الاشتغال عن الله بغير الله أو خوف الاستدراج بتواتر النعم : أو خوف انكشاف غوائل طاعاته حيث يبدو له من الله مالم يكن يحتسب ، أو خوف تبعات الناس عنده فى الغيبة والخيانة والغش وإضمار السوء ، أو خوف مالا يدرى أنه يحدث فى بقية عمره أو خوف تعجيل العقوبة فى الدنيا والافتضاح قبل الموت ، أو خوف الاغترار بزخارف الدنيا ، أو خوف اطلاع الله على سريرته فى حال غفلته عنه . أو خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء ، أو خوف السابقة التى سبقت له فى الأزل . فهذه كلها مخاوف ، ولكل واحد خصوص فائدة : وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضى إلى المخوف ، فمن يخاف استيلاء العادة عليه فيواظب على الفطام عن العادة ، والذى يخاف من اطلاع الله تعالى على سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوساوس ، وهكذا إلى بقية الأقسام . وأغلب هذه المخاوف على اليقين خوف الخاتمة ، فإن الأمر فيه مخطر ، وأعلى الأقسام وأدلها على كمال المعرفة خوف السابقة ؛ لأن الخاتمة تتبع السابقة وفرع يتفرع عنها بعد تخلل أسباب كثيرة ، فالخاتمة تظهر ماسبق به القضاء فى أم الكتاب ، والخائف من الخاتمة بالإضافة إلى الخائف من السابقة كرجلين وقع الملك فى حقهما بتوقيع يحتمل أن يكون فيه حز الرقبة ويحتمل أن يكون فيه تسليم الوزارة إليه ولم يصل التوقيع إليهما بعد ، فيرتبط قلب أحدهما بحالة وصول التوقيع ونشره وأنه

عماذا يظهر ، ويرتبط قلب الآخر بحالة توقيع الملك وكيفيته وأنه ماالذى خطر له فى حال التوقيع من رحمة أو غضب وهذا التفات إلى السبب فهو أعلى من الالتفات إلى ماهو فرع ، فكذلك الالتفات إلى القضاء الأزلى الذى جرى بتوقيعه القلم أعلى من الالتفات إلى مايظهر فى الأبد ؛ وإليه أشار النبى صلى الله عليه وسلم حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال : « هذا كتاب الله كتب فيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص » ثم قبض كفه اليسرى وقال « هذا كتاب الله كتب فيه أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص وليعملن أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ، ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة . وليعملن أهل الشقاوة بعمل أهل السعادة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ، ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة ، السعيد من سعد بقضاء الله ، والشقى من شقى بقضاء الله ، والأعمال بالخواتيم [1] » وهذا كانقسام الخائفين إلى من يخاف معصيته وجنايته ، وإلى من يخاف الله تعالى نفسه لصفته وجلاله وأوصافه التى تقتضى الهيبة لامحالة ، فهذا أعلى رتبة ، ولذلك يبقى خوفه وإن كان فى طاعة الصديقين ، وأما الآخر فهو فى عرصة الغرور والأمن . إن واظب على الطاعات فالخوف من المعصية خوف الصالحين ، والخوف من الله خوف الموحدين والصديقين ، وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى ، وكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ماهو جدير بأن يخاف من غير جناية ؛ بل العاصى لو عرف الله حق المعرفة لخاف الله ولم يخف معصيته ، ولولا أنه مخوف فى نفسه لما سخره للمعصية ويسر له سبيلها ومهد له أسبابها ، فإن تيسير أسباب المعصية إبعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها أن يسخر للمعصية وتجرى عليه أسبابها ولا سبق قبل الطاعة وسيلة توسل بها من يسرت له الطاعات ومهد له سبيل القربات ، فالعاصى قد قضى عليه بالمعصية شاء أم أبى ، وكذا المطيع فالذى يرفع محمدا صلى الله عليه وسلم إلى أعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ويضع أبا جهل فى أسفل سافلين من غير جناية سبقت منه قبل وجوده جدير بأن يخاف منه لصفة جلاله ، فإن من أطاع الله أطاع بأن سلط عليه إرادة الطاعة وآتاه القدرة وبعد خلق الإرادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا ، والذى عصى عصى لأنه سلط عليه إرادة قوية جازمة وآتاه الأسباب والقدرة ، فكان الفعل بعد الإرادة والقدرة ضروريا ، فليت شعرى ماالذى أوجب إكرام هذا وتخصيصه بتسليط إرادة الطاعات عليه ، وماالذى أوجب إهانة الآخر وإبعاده بتسليط دواعى المعصية عليه ، وكيف يحال ذلك على العبد ؟ وإذا كانت الحوالة ترجع إلى القضاء الأزلى من غير جناية ولا وسيلة فالخوف ممن يقضى بما يشاء ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل ، ووراء هذا المعنى سر القدر لايجوز إفشاؤه ولا يمكن أن تفهم الخوف منه فى صفاته جل جلاله إلا بمثال لولا إذن الشرع لم يستجرئ على ذكره ذو بصيرة ، فقد جاء فى الخبر : إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام : ياداود خفنى كما تخاف السبع الضارى [2] . فهذا المثال يفهمك حاصل المعنى وإن كان لا يقف بك على سببه فإن الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ، ولا يكشف ذلك إلا لأهله . والحاصل أن السبع يخاف لا لجناية سبقت إليه منك بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته ، ولأنه يفعل مايفعل ولا يبالى ، فإن قتلك لم يرق قلبه ولا يتألم بقتلك وإن خلاك لم يخلك شفقة عليك وإبقاء على روحك بل أنت عنده أخس من أن يلتفت إليك حيا كنت أو ميتا بل إهلاك ألف مثلك وإهلاك نملة عنده على وتيرة واحدة ، إذ لا يقدح

(١) حديث « هذا كتاب من الله كتب فيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص وقال : حسن صحيح غريب . (٢) حديث « ان الله تعالى أوحى الى داود : ياداود ، خفنى كما يخاف السبع الضارى » لم أجد له أصلا ، ولعل المصنف قصد بإيراده أنه من الإسرائيليات ، فانه عبر عنه بقوله : جاء فى الخبر ، وكثيرا مايعبر بذلك عن الإسرائيليات التى هى غير مرفوعة

ذلك فى عالم سبعيته وماهو موصوف به من قدرته وسطوته ، ولله المثل الأعلى ، ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التى هى أقوى وأوثق وأجلى من المشاهدة الظاهرة أنه صادق فى قوله « هؤلاء إلى الجنة ولا أبالى وهؤلاء إلى النار ولا أبالى » ويكفيك من موجبات الهيبة والخوف المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة . الطبقة الثانية من الخائفين : أن يتشمل فى أنفسهم ماهو المكروه ، وذلك مثل سكرات الموت وشدّته ، أوسؤال منكر ونكير ، أوعذاب القبر ، أو هول المطلع ، أو هيبة الموقف بين يدى الله تعالى والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير ، أو الخوف من الصراط وحدّته وكيفية العبور عليه ، أوالخوف من النار وأغلالها وأهوالها ، أو الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم والملك المقيم وعن نقصان الدرجات ، أوالخوف من الحجاب عن الله تعالى ، وكل هذه الأسباب مكروهة فى نفسها فهى لامحالة مخوفة وتختلف أحوال الخائفين فيها . وأعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين وماقبل ذلك هو خوف العاملين والصالحين والزاهدين وكافة العالمين ، ومن لم تكمل معرفته ولم تنفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بألم البعد والفراق ، وإذا ذكر له أن العارف لايخاف النار وإنما يخاف الحجاب وجد ذلك فى باطنه منكرا وتعجب منه فى نفسه ، وربما أنكر لذة النظر إلى وجه الله الكريم لولا منع الشرع إياه من إنكاره ، فيكون اعترافه به باللسان عن ضرورة التقليد ، وإلا فباطنه لايصدّق به لأنه لايعرف إلا لذة البطن والفرج والعين بالنظر إلى الألوان والوجوه الحسان ، وبالجملة كل لذة تشاركه فيها البهائم ؛ فأما لذة العارفين فلا يدركها غيرهم ، وتفصيل ذلك وشرحه حرام مع من ليس أهلا له ، ومن كان أهلا له استبصر بنفسه واستغنى عن أن يشرحه له غيره ، فإلى هذه الأقسام يرجع خوف الخائفين ، نسأل الله تعالى حسن التوفيق بكرمه .

بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه

اعلم أنّ فضل الخوف تارة يعرف بالتأمل والاعتبار ، وتارة بالآيات والأخبار .

أما الاعتبار فسبيله أنّ فضيلة الشىء بقدر غنائه فى الإفضاء إلى سعادة لقاء الله تعالى فى الآخرة ، إذ لامقصود سوى السعادة ، ولا سعادة للعبدَ إلا فى لقاء مولاه والقرب منه ؛ فكل ما أعان عليه فله فضيلة ، وفضيلته بقدر غايته ، وقد ظهر أنه لاوصول إلى سعادة لقاء الله فى الآخرة إلا بتحصيل محبته والأنس به فى الدنيا ، ولا تحصل المحبة إلا بالمعرفة ، ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر ، ولا يحصل الأنس إلا بالمحبة ودوام الذكر ، ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر إلا بانقطاع حب الدنيا من القلب ، ولا ينقطع ذلك إلا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات إلا بقمع الشهوات ، ولا تنقمع الشهوة بشىء كما تنقمع بنار الخوف ؛ فالخوف هو النار المحرقة للشهوات ؛ فإن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات وبقدر ما يكف عن المعاصى ويحث على الطاعات ، ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق ، وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهى الأعمال الفاضلة المحمودة التى تقرّب إلى الله زلفى .

وأما بطريق الاقتباس من الآيات والأخبار فما ورد فى فضيلة الخوف خارج عن الحصر ، وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهى مجامع مقامات أهل الجنان ، وقال الله تعالى ﴿ وهدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ﴾ وقال تعالى ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وصفهم بالعلم لخشيتهم . وقال عز وجل ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه ﴾ وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف ، لأنّ الخوف ثمرة العلم ، ولذلك جاء فى خبر موسى عليه أفضل الصلاة والسلام: وأما الخائفون

فإنّ لهم الرفيق الأعلى لا يشاركون فيه ، فانظر كيف أفردهم بمرافقة الرفيق الأعلى ، وذلك لأنهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الأنبياء لأنهم ورثة الأنبياء ومرافقة الرفيق الأعلى للأنبياء ومن يلحق بهم ، ولذلك لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرض موته بين البقاء فى الدنيا وبين القدوم على الله تعالى كان يقول « أسألك الرفيق الأعلى [1] » فإذن إن نظر إلى مثمره فهو العلم ، وإن نظر إلى ثمرته فالورع والتقوى ، ولا يخفى ما ورد فى فضائلهما ، حتى إنّ العاقب صارت موسومة بالتقوى مخصوصة بها ، كما صار الحمد مخصوصا بالله تعالى والصلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى يقال : الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله أجمعين . وقد خصص الله تعالى التقوى بالإضافة إلى نفسه فقال تعالى ﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ﴾ وإنما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف - كما سبق - ولذلك قال تعالى ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ ولذلك أوصى الله تعالى الأولين والآخرين بالتقوى فقال تعالى ﴿ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ﴾ وقال عز وجل ﴿ وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ فأمر بالخوف وأوجبه وشرطه فى الإيمان . فلذلك لا يتصور أن ينفك مؤمن عن خوف وإن ضعف ، ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فضيلة التقوى « وإذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم فإذا هم بصوت يسمع أقصاهم كما يسمع أدناهم فيقول : يا أيها الناس إنى قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا فأنصتوا إلى اليوم ، إنما هى أعمالكم ترد عليكم ، أيها الناس : إنى قد جعلت نسبا وجعلتم نسبا ، فوضعتم نسبى ورفعتم نسبكم ، قلت ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ وأبيتم إلا أن تقولوا فلان بن فلان وفلان أغنى من فلان ، فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبى ، أين المتقون ؟ فيرفع للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم إلى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب [2] » وقال عليه الصلاة والسلام « رأس الحكمة مخافة الله [3] » وقال عليه الصلاة والسلام لابن مسعود « إن أردت أن تلقانى فأكثر من الخوف بعدى [4] » وقال الفضيل : من خاف الله دله الخوف على كل خير . وقال الشبلى رحمه الله : ما خفت الله يوما إلا رأيت له بابا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط . وقال يحيى بن معاذ : ما من مؤمن يعمل السيئة إلا ويلحقها حسنتان : خوف العقاب ورجاء العفو كثعلب بين أسدين . وفى خبر موسى عليه الصلاة والسلام وأما الورعون فإنه لا يبقى أحد إلا ناقشته الحساب وفتشت عما فى يديه إلا الورعين فإنى أستحى منهم وأجلهم أن أوقفهم للحساب .

والورع والتقوى أسام اشتقت من معان شرطها الخوف ، فإن خلت عن الخوف لم تسم بهذه الأسامى ، وكذلك ما ورد فى فضائل الذكر لا يخفى ، وقد جعله الله تعالى مخصوصا بالخائفين فقال ﴿ سيذكر من يخشى ﴾

---

(١) حديث : لما خير فى مرض موته كان يقول « أسألك الرفيق الأعلى » متفق عليه من حديث عائشة قالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح « إنه لم يقبض نبى حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير » فلما نزل به ورأسه فى حجرى غشى عليه ثم أفاق فأشخص ببصره إلى سقف البيت ثم قال « اللهم الرفيق الأعلى » فعلمت أنه لا يختارنا ، وعرفت أنه الحديث الذى كان يحدثنا وهو صحيح ... الحديث . (٢) حديث « إذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم فإذا هم بصوت يسمعه أقصاهم كما يسمعه أدناهم فيقول : يا أيها الناس إنى قد أنصت إليكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا فأنصتوا إلى اليوم ، إنما هى أعمالكم ترد عليكم ، أيها الناس إنى جعلت نسبا ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط والحاكم فى المستدرك بسند ضعيف والثعلبى فى التفسير مقتصرا على آخره « إنى جعلت نسبا ... الحديث » من حديث أبى هريرة .

(٣) حديث « رأس الحكمة مخافة الله » رواه أبو بكر بن لال الفقيه فى مكارم الأخلاق ، والبيهقى فى الشعب ، وضعفه من حديث ابن مسعود ، ورواه فى دلائل النبوة من حديث عقبة بن عامر ولا يصح أيضا .

(٤) حديث « إن أردت أن تلقانى فأكثر من الخوف بعدى » قاله لابن مسعود : لم أقف له على أصل .

وقال تعالى ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل : وعزتى لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين فإن أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة ، وإن خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « من خاف الله تعالى خافه كل شىء ، ومن خاف غير الله خوّفه الله من كل شىء [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « أتمكم عقلا أشدّكم خوفا لله تعالى ، وأحسنكم فيما أمر الله تعالى به ونهى عنه نظراً [3] » وقال يحيى بن معاذ رحمة الله عليه : مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة . وقال ذو النون رحمه الله تعالى : من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد حبه وصح له لبه . وقال ذو النون أيضا : ينبغى أن يكون الخوف أبلغ من الرجاء فإذا غلب الرجاء تشوش القلب وكان أبو الحسين الضرير يقول : علامة السعادة خوف الشقاوة ، لأنّ الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده ، فإذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين . وقيل ليحيى بن معاذ من آمن الخلق غدا ؟ فقال : أشدهم خوفا اليوم . وقال سهل رحمه الله : لا تجد الخوف حتى تأكل الحلال . وقيل للحسن ، يا أبا سعيد ، كيف نصنع ؟ نجالس أقواما يخوّفونا حتى تكاد قلوبنا تطير ! فقال : والله إنك إن تخالط أقواما يخوّفونك حتى يدركك أمن ؛ خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى يدركك الخوف . وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله ما فارق الخوف قلبا إلا خرب . وقالت عائشة رضى الله عنها : قلت يارسول الله ﴿ الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ﴾ هو الرجل يسرق ويزنى ؟ قال « لا ، بل الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه [4] » والتشديدات الواردة فى الأمن من مكر الله وعذابه لا تنحصر ، وكل ذلك ثناء على الخوف ، لأنّ مذمة الشىء ثناء على ضدّه الذى ينفيه ، وضدّ الخوف الأمن ، كما أن ضدّ الرجاء اليأس ، وكما دلت مذمة القنوط على فضيلة الرجاء فكذلك تدل مذمة الأمن على فضيلة الخوف المضاد له بل نقول : كل ما ورد فى فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لأنهما متلازمان ، فإنّ كل من رجا محبوبا فلا بدّ وأن يخاف فوته ، فإن كان لا يخاف فوته فهو إذاً لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجيا ، فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل انفكاك أحدهما عن الآخر ، نعم يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر وهما مجتمعان ، ويجوز أن يشتغل القلب بأحدهما ولا يلتفت إلى الآخر فى الحال لغفلته عنه ، وهذا لأن من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه ، إذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف ؛ فإذن المحبوب الذى يجوز وجوده يجوز عدمه لا محالة ؛ فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء ؛ وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف ، والتقديران يتقابلان لا محالة إذا كان ذلك الأمر المنتظر مشكوكا فيه ، نعم أحد طرفى الشك قد يترجح على الآخر بحضور بعض الأسباب ويسمى ذلك ظنا ، فيكون ذلك سبب غلبة أحدهما على الآخر ، فإذا غلب على الظن وجود المحبوب قوى الرجاء وخفى الخوف بالإضافة إليه ، وكذا بالعكس ، وعلى كل حال فهما متلازمان ، ولذلك قال تعالى ﴿ ويدعوننا رغبا ورهبا ﴾ وقال عز وجل ﴿ يدعون ربهم خوفا وطمعا ﴾ ولذلك عبر العرب عن الخوف

---

(١) حديث « لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين » أخرجه ابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة ، ورواه ابن المبارك فى الزهد وابن أبى الدنيا فى كتاب الخائفين من رواية الحسن مرسلا .

(٢) حديث « من خاف الله خافه كل شىء ... الحديث » رواه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب من حديث أبى أمامة بسند ضعيف جدا . ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الخائفين بإسناد ضعيف معضل ، وقد تقدم .

(٣) حديث « أتمكم عقلا أشدكم لله خوفا ... الحديث » لم أقف له على أصل ، ولم يصح فى فضل العقل شىء .

(٤) حديث عائشة : قلت يارسول الله ﴿ الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ﴾ هو الرجل يسرق ويزنى ؟ قال « لا ... الحديث » رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد . قلت : بل منقطع بين عائشة وبين عبد الرحمن بن سعد بن وهب قال الترمذى وروى عن الرحمن بن حازم عن أبى هريرة .

بالرجاء ، فقال تعالى ﴿ مالكم لاترجون لله وقارا ﴾ أى لاتخافون ، وكثيرا ماورد فى القرآن الرجاء بمعنى الخوف وذلك لتلازمهما ، إذ عادة العرب التعبير عن الشىء بما يلازمه ، بل أقول : كل ماوردفى فضل البكاء من خشية الله فهو إظهار لفضيلة الخشية ، فإنّ البكاء ثمرة الخشية فقد قال تعالى ﴿ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ﴾ وقال تعالى ﴿ يبكون ويزيدهم خشوعا ﴾ وقال عز وجل ﴿ أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولاتبكون وأنتم سامدون ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد مؤمن تخرج من عينيه دمعة وإن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيئا من حرّ وجهه إلا حرّمه الله على النار [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجرة ورقها [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « لايلج النار أحد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن فى الضرع [3] » وقال عقبة بن عامر : ما النجاة يارسول الله ؟ قال « أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك [4] » وقالت عائشة رضى الله عنها : قلت يارسول الله أيدخل أحد من أمتك الجنة بغير حساب ؟ قال « نعم من ذكر ذنوبه فبكى [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله تعالى أو قطرة دم أهريقت فى سبيل الله سبحانه وتعالى [6] » وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم ارزقنى عينين هطالتين تشفيان القلب بذروف الدمع مع خشيتك قبل أن تصير الدموع دما والأضراس جمراً [7] » وقال صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله يوم لاظل إلا ظله » وذكر منهم « رجلا ذكر الله خاليا ففاضت عيناه [8] » .

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : من استطاع أن يبكى فليبك ومن لم يستطع فليتباك .

وكان محمد بن المنكدر رحمه الله إذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول . بلغنى أن النار لاتأكل موضعا مسته الدموع .

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما : ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا ، فوالذى نفسى بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته ، وصلى حتى ينكسر صلبه .

وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله : ماتغرغرت عين بمائها إلا لم يرهق وجه صاحبها قتر ولاذلة يوم القيامة ،

---

(١) حديث « مامن مؤمن يخرج من عينه دمعة ولو كانت مثل رأس الذباب ... الحديث » أخرجه الطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث ابن مسعود بسند ضعيف . (٢) حديث « إذا اقشعر جلد المؤمن من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه ... الحديث » أخرجه الطبرانى والبيهقى فيه من حديث العباس بسند ضعيف . (٣) حديث « لايلج النار عبد بكى من خشية الله ... الحديث » أخرجه الترمذى وقال : حسن صحيح ، والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة .

(٤) حديث قال عقبة بن عامر : ما النجاة يارسول الله ؟ قال « أمسك عليك لسانك ... الحديث » تقدم .

(٥) حديث عائشة : قلت أيدخل الجنة أحد من أمتك بغير حساب ؟ قال « نعم من ذكر ذنوبه فبكى » لم أقف له على أصل .

(٦) حديث « مامن قطرة أحب إلى الله من قطرة دمعة من خشية الله ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أبى أمامة وقال : حسن غريب ، وقد تقدم . (٧) حديث « اللهم ارزقنى عينين هطالتين يشفيان القلب بذروف الدمع .. الحديث » أخرجه الطبرانى فى الكبير فى الدعاء وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر بإسناد حسن ، ورواه الحسين المروزى فى زياداته على الزهد والرقائق لابن المبارك من رواية سالم بن عبد الله مرسلا دون ذكر « الله » وذكر الدارقطنى فى العلل أن من قال فيه « عن أبيه » وهم ، وإنما هو عن سالم بن عبد الله مرسلا ، قال : وسالم هذا يشبه أن يكون سالم بن عبد الله المحاربى وليس بابن عمر انتهى ، وماذكره من أنه سالم المحاربى هو الذى يدل عليه كلام البخارى فى التاريخ ومسلم فى الكنى وابن أبى حاتم عن أبيه وأبى أحمد الحاكم فإن الراوى له عن سالم عبد الله أبو سلمة ، وإنما ذكروا له رواية عن سالم المحاربى والله أعلم . نعم حكى ابن عساكر فى تاريخه الخلاف فى أن الذى يروى عن سالم المحاربى أو سالم بن عبد الله بن عمر . (٨) حديث « سبعة يظلهم الله فى ظله ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة ، وقد تقدم .

فإن سالت دموعه أطفأ الله بأول قطرة منها بحارا من النيران ، ولو أن رجلا بكى فى أمة ماعذبت تلك الأمة .

وقال أبو سليمان البكاء من الخوف ، والرجاء والطرب من الشوق .

وقال كعب الأحبار رضى الله عنه . والذى نفسى بيده ؛ لأن أبكى من خشية الله حتى تسيل دموعى على وجنتى أحب إلى من أن أتصدق بجبل من ذهب .

وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما . لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إلى من أن أتصدق بألف دينار .

وروى عن حنظلة قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعت إلى أهلى فدنت منى المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذنا فى الدنيا ، ثم تذكرت ما كنا فيه فقلت فى نفسى . قد نافقت حيث تحول عنى ما كنت فيه من الخوف والرقة ، فخرجت وجعلت أنادى . نافق حنظلة ، فاستقبلنى أبو بكر الصديق رضى الله عنه فقال . كلا لم ينافق حنظلة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول . نافق حنظلة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « كلا لم ينافق حنظلة » فقلت يارسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا ، فرجعت إلى أهلى فأخذنا فى حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك عليه . فقال صلى الله عليه وسلم « ياحنظلة لو أنكم كنتم أبدا على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة فى الطريق وعلى فراشكم ؛ ولكن ياحنظلة ساعة وساعة [1] »

فإذن كل ماورد فى فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومذمة الأمن فهو دلالة على فضل الخوف ؛ لأن جملة ذلك متعلقة به إما تعلق السبب أو تعلق المسبب .

بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما

اعلم أن الأخبار فى فضل الخوف والرجاء قد كثرت وربما ينظر الناظر اليها فيعتريه شك فى أن الأفضل أيهما ، وقول القائل . الخوف أفضل أم الرجاء ؟ سؤال فاسد يضاهى قول القائل : الخبز أفضل أم الماء ؟ وجوابه أن يقال : الخبز أفضل للجائع ، والماء أفضل للعطشان ، فإن اجتمعا نظر إلى الأغلب : فإن كان الجوع أغلب فالخبز أفضل ، وإن كان العطش أغلب فالماء أفضل ، وإن استويا فهما متساويان ، وهذا لأن كل مايراد لمقصود ففضله يظهر بالإضافة إلى مقصوده لا إلى نفسه ، والخوف والرجاء دواءان يداوى بهما القلوب ؛ ففضلهما بحسب الداء الموجود ؛ فإن كان الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله تعالى والاغترار به فالخوف أفضل ، وإن كان الأغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء أفضل ، وكذلك إن كان الغالب على العبد المعصية فالخوف أفضل ، ويجوز أن يقال مطلقا : الخوف أفضل على التأويل الذى يقال فيه الخبز أفضل من السكنجبين ، إذ يعالج بالخبز مرض الجوع ، وبالسكنجبين مرض الصفراء ، ومرض الجوع أغلب وأكثر فالحاجة إلى الخبز أكثر فهو أفضل ، فبهذا الاعتبار غلبة الخوف أفضل ؛ لأن المعاصى والاغترار على الخلق أغلب ، وإن نظر إلى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء أفضل لأنه مستق من بحر الرحمة ، ومستق الخوف من بحر الغضب ، ومن لاحظ من صفات الله تعالى مايقتضى اللطف والرحمة كانت المحبة عليه أغلب ، وليس وراء المحبة مقام . وأما الخوف فمستنده الالتفات إلى الصفات التى تقتضى العنف فلا تمازجه المحبة ممازجتها للرجاء .

---

(١) حديث حنظلة : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا ... الحديث ، وفيه « نافق حنظلة الحديث » وفيه « ولكن ياحنظلة ساعة وساعة » أخرجه مسلم مختصرا .

وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغى أن يستعمل فيه لفظ الأصلح لا لفظ الأفضل فنقول : أكثر الخلق الخوف لهم أصلح من الرجاء ، وذلك لأجل غلبة المعاصى . فأما التقى الذى ترك ظاهر الإثم وباطنه وخفيه وجليه فالأصلح أن يعتدل خوفه ورجاؤه ، ولذلك قيل : لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا . وروى أنّ عليا كرّم الله وجهه قال لبعض ولده : يابنى خف الله خوفا ترى أنك لو أتيته بحسنات أهل الأرض لم يتقبلها منك ، وارج الله رجاء ترى أنك لو أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك ، ولذلك قال عمر رضى الله عنه : لو نودى ليدخل النار كل الناس إلا رجلا واحدا لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ، ولو نودى ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلا واحدا لخشيت أن أكون أنا ذلك الرجل ، وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوى ؛ فمثل عمر رضى الله عنه ينبغى أن يستوى خوفه ورجاؤه ؛ فأما العاصى إذا ظن أنه الرجل الذى استثنى من الذين أمروا بدخول النار كان ذلك دليلا على اغتراره .

* فإن قلت : مثل عمر رضى الله عنه لا ينبغى أن يتساوى خوفه ورجاؤه ، بل ينبغى أن يغلب رجاؤه كما سبق فى أول كتاب الرجاء ، وأن قوته ينبغى أن تكون بحسب قوة أسبابه كما مثل بالزرع والبذر ، ومعلوم أن من بث البذر الصحيح فى أرض نقية وواظب على تعهدها وجاء بشروط الزراعة جميعها غلب على قلبه رجاء الإدراك ولم يكن خوفه مساويا لرجائه . فهكذا ينبغى أن تكون أحوال المتقين ! فاعلم أن من يأخذ المعارف من الألفاظ والأمثلة يكثر زلله ، وذلك وإن أوردناه مثالا فليس يضاهى مانحن فيه من كل وجه ، لأن سبب غلبة الرجاء العلم الحاصل بالتجربة ، إذ علم بالتجربة صحة الأرض ونقاؤها ، وصحة البذر وصحة الهواء وقلة الصواعق المهلكة فى تلك البقاع وغيرها ، وإنما مثال مسألتنا بذر لم يجرّب جنسه وقد بث فى أرض غريبة لم يعهدها الزارع ولم يختبرها ، وهى فى بلاد ليس يدرى أتكثر الصواعق فيها أم لا ، فمثل هذا الزارع وإن أدى كنه مجهوده وجاء بكل مقدوره فلا يغلب رجاؤه على خوفه ، والبذر فى مسألتنا هو الإيمان ـ وشروط صحته دقيقة ، والأرض القلب ـ وخفايا خبثه وصفائه من الشرك الخفى والنفاق والرياء وخفايا الأخلاق فيه غامضة ، والآفات هى الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب إليها فى مستقبل الزمان وإن سلم فى الحال ، وذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة ، إذ قد يعرض من الأسباب مالا يطاق مخالفته ولم يجرب مثله ، والصواعق هى أهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده ، وذلك مما لم يجرّب مثله ، ثم الحصاد والإدراك عند المنصرف من القيامة إلى الجنة وذلك لم يجرّب ، فمن عرف حقائق هذه الأمور فإن كان ضعيف القلب جبانا فى نفسه غلب خوفه على رجائه لامحالة كما سيحكى فى أحوال الخائفين من الصحابة والتابعين ، وإن كان قوى القلب ثابت الجأش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه ، فأما أن يغلب رجاؤه فلا ، ولقد كان عمر رضى الله عنه يبالغ فى تفتيش قلبه حتى كان يسأل حذيفة رضى الله عنه أنه هل يعرف به من آثار النفاق شيئا ، إذ كان قد خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم المنافقين[1] ، فمن ذا الذى يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفى ، وإن اعتقد نقاء قلبه عن ذلك فمن أين يأمن مكر الله تعالى بتلبيس حاله عليه وإخفاء عيبه عنه ؟ وإن وثق به فمن أين يثق ببقائه على ذلك إلى تمام حسن الخاتمة ؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم إنّ الرجل ليعمل عمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر[2] » . وفى رواية « إلا قدر فواق

(١) حديث : أن حذيفة كان خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم المنافقين أخرجه مسلم من حديث حذيفة « فى أصحابى اثنا عشر منافقا » تمامه « لايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ... الحديث » .

(٢) حديث « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لايبقى بينه وبين الجنة الا شبر » وفى رواية « الاقدرفواق =

ناقة فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار » وقدر فواق الناقة لايحتمل عملا بالجوارح إنما هو بمقدار خاطر يختلج فى القلب عند الموت فيقتضى خاتمة السوء ، فكيف يؤمن ذلك ؟ فإذن أقصى غايات المؤمن أن يعتدل خوفه ورجاؤه ، وغلبة الرجاء فى غالب الناس تكون مستندة الاغترار وقلة المعرفة ، ولذلك جمع الله تعالى بينهما فى وصف من أثنى عليهم فقال تعالى ﴿ يدعون ربهم خوفا وطمعاً ﴾ وقال عز وجل ﴿ ويدعوننا رغبا ورهبا ﴾ وأين مثل عمر رضى الله عنه ؟ فالخلق الموجودة فى هذا الزمان كلهم الأصلح لهم غلبة الخوف ، بشرط أنّ لايخرجهم إلى اليأس وترك العمل وقطع الطمع من المغفرة فيكون ذلك سببا للتكاسل عن العمل وداعيا إلى الانهماك فى المعاصى فإن ذلك قنوط وليس بخوف ، إنما الخوف هو الذى يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون إلى الدنيا ويدعوه إلى التجافى عن دار الغرور فهو الخوف المحمود ، دون حديث النفس الذى لايؤثر فى الكف والحث ودون اليأس الموجب للقنوط .

وقد قال يحيى بن معاذ : من عبد الله تعالى بمحض الخوف غرق فى بحار الأفكار ، ومن عبده بمحض الرجاء تاه فى مفازة الاغترار ، ومن عبده بالخوف والرجاء استقام فى محجة الادّكار .

وقال مكحول الدمشقى : من عبد الله بالخوف فهو حرورى ، ومن عبده بالرجاء فهو مرجئ ، ومن عبده بالمحبة فهو زنديق ، ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد .

فإذن لابد من الجمع بين هذه الأمور ، وغلبة الخوف هو الأصلح ولكن قبل الإشراف على الموت ، أما عند الموت فالأصلح غلبة الرجاء وحسن الظن ، لأن الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل ، فالمشرف على الموت لايقدر على العمل ثم لايطيق أسباب الخوف ، فإن ذلك يقطع نياط قلبه ويعين على تعجيل موته ، وأما روح الرجاء فإنه يقوى قلبه ويحبب إليه ربه الذى إليه رجاؤه ، ولا ينبغى أن يفارق أحد الدنيا إلا محباً لله تعالى ليكون محبا للقاء الله تعالى ، فإنّ من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه ، والرجاء تقارنه المحبة فمن ارتجى كرمه فهو محبوب ، والمقصود من العلوم والأعمال كلها معرفة الله تعالى حتى تثمر المعرفة المحبة ، فإن المصير إليه والقدوم بالموت عليه ، ومن قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته ، ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه ، فهما كان القلب الغالب عليه عند الموت حب الأهل والولد والمال والمسكن والعقار والرفقاء والأصحاب : فهذا رجل محابه كلها فى الدنيا ، فالدنيا جنته ، إذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب ، فموته خروج من الجنة وحيلولة بينه وبين مايشتهيه ، ولا يخفى حال من يحال بينه وبين مايشتهيه ، فإذا لم يكن له محبوب سوى الله تعالى وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه والدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا إذن سجنه ، لأن السجن عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس عن الاسترواح إلى محابه ، فموته قدوم على محبوبه وخلاص من السجن ولا يخفى حال من أفلت من السجن وخلى بينه وبين محبوبه بلا مانع ولا مكدر ، فهذا أول مايلقاه كل من فارق الدنيا عقيب موته من الثواب والعقاب فضلا عما أعده الله لعباده الصالحين مما لم تره عين ولا تسمعه أذن ولاخطر على قلب بشر ، وفضلا عما أعده الله تعالى للذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ورضوا بها واطمأنوا إليها من

= ناقة ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة « ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له بعمل أهل النار » والبزار والطبرانى فى الأوسط « سبعين سنة » واسناده حسن . والشيخين فى أثناء حديث لابن مسعود « ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع ... الحديث » ليس فيه تقدير زمن العمل بخمسين سنة ولاذكر « شبر » ولا « فواق ناقة » .

الأنكال والسلاسل والأغلال وضروب الخزى والنكال ، فنسأل الله تعالى أن يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين، ولا مطمع فى إجابة هذا الدعاء إلا باكتساب حب الله تعالى ، ولا سبيل إليه إلا بإخراج حب غيره من القلب وقطع العلائق عن كل ماسوى الله تعالى من جاه ومال ووطن ، فالأولى أن تدعو بما دعا به نبينا صلى الله عليه وسلم إذ قال « اللهم ارزقنى حبك وحب من أحبك وحب مايقربنى إلى حبك واجعل حبك أحب إلى من الماء البارد [1] » والغرض أن غلبة الرجاء عند الموت أصلح لأنه أجلب للمحبة ، وغلبة الخوف قبل الموت أصلح لأنه أحرق لنار الشهوات وأقمع لمحبة الدنيا عن القلب ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لايموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه [2] » وقال تعالى « أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ماشاء » ولما حضرت سليمان التيمى الوفاة قال لابنه : يابنى حدثنى بالرخص واذكر لى الرجاء حتى ألقى الله على حسن الظن به ، وكذلك لما حضرت الثورى الوفاة واشتد جزعه جمع العلماء حوله يرجونه . وقال أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه لابنه عند الموت : اذكر لى الأخبار التى فيها الرجاء وحسن الظن ، والمقصود من ذلك كله أن يحبب الله تعالى إلى نفسه ، ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام : أن حببنى إلى عبادى . فقال : بماذا ؟ قال : بأن تذكر لهم آلائى ونعمائى ، فإذن غاية السعادة أن يموت محبا لله تعالى ، وإنما تحصل المحبة بالمعرفة بإخراج حب الدنيا من القلب حتى تصير الدنيا كلها كالسجن المانع من المحبوب ، ولذلك رأى بعض الصالحين أبا سليمان الدارانى فى المنام وهو يطير ، فسأله ؟ فقال : الآن أفلت ، فلما أصبح سأل عن حاله فقيل له : إنه مات البارحة .

بيان الدواء الذى به يستجلب حال الخوف

اعلم أن ماذكرناه فى حال الصبر وشرحناه فى كتاب الصبر والشكر هو كاف فى هذا الغرض ، لأن الصبر لا يمكن إلا بعد حصول الخوف والرجاء ، لأن أول مقامات الدين اليقين الذى هو عبارة عن قوة الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر والجنة والنار ، وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجاء للجنة والرجاء والخوف يقويان على الصبر ، فإن الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها إلا بقوة الرجاء ؛ والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها إلا بقوة الخوف ، ولذلك قال على كرم الله وجهه . من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ، ثم يؤدى مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء إلى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله تعالى والفكر فيه على الدوام ، ويؤدى دوام الذكر إلى الأنس ودوام الفكر إلى كمال المعرفة ، ويؤدى كمال المعرفة والأنس إلى المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات ، فهذا هو الترتيب فى سلوك منازل الدين ، وليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء ، ولا بعدهما مقام سوى الصبر ، وبه المجاهدة والتجرد لله ظاهرا وباطنا ، ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق إلا الهداية والمعرفة ، ولا مقام بعد المعرفة إلا المحبة والأنس ، ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته وهو التوكل ، فإذن فيما ذكرناه فى علاج الصبر كفاية ، ولكنا نفرد الخوف بكلام جلى فنقول : الخوف يحصل بطريقين مختلفين أحدهما أعلى من الآخر ، ومثاله : أن الصبى إذا كان فى بيت فدخل عليه سبع أو حية ربما كان لا يخاف ، وربما مد اليد إلى الحية ليأخذها ويلعب بها ، ولكن إذا كان معه أبوه وهو عاقل خاف من الحية وهرب منها ، فإذا نظر الصبى إلى أبيه

(١) حديث « اللهم ارزقنى حبك وحب من أحبك . . . الحديث » أخرجه الترمذى من حديث معاذ ، وتقدم فى الأذكار والدعوات .. (٢) حديث « لايموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بربه » أخرجه مسلم من حديث جابر ، وقد تقدم .

وهو ترتعد فرائصه ويحتال فى الهرب منها قام معه وغلب عليه الخوف ووافقه فى الهرب ؛ فخوف الأب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها وسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته . وأما خوف الابن فإيمانه بمجرد التقليد لأنه يحسن الظن بأبيه ويعلم أنه لايخاف إلا من سبب مخوف فى نفسه ، فيعلم أنّ السبع مخوف ولا يعرف وجهه ، وإذا عرفت هذا المثال فاعلم أن الخوف من الله تعالى على مقامين : أحدهما الخوف من عذابه ، والثانى الخوف منه ؛ فأما الخوف منه فهو خوف العلماء وأرباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضى الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر قوله تعالى ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ وقوله عز وجل ﴿ اتقوا الله حق تقاته ﴾ وأما الأوّل فهو خوف عموم الخلق ، وهو حاصل بأصل الإيمان بالجنة والنار ، وكونهما جزاءين على الطاعة والمعصية وضعفه بسبب الغفلة وسبب ضعف الإيمان ، وإنما تزول الغفلة بالتذكير والوعظ وملازمة الفكر فى أهوال يوم القيامة وأصناف العذاب فى الآخرة ، وتزول أيضا بالنظر إلى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة أحوالهم ؛ فإن فاتت المشاهدة فالسماع لا يخلو عن تأثير ، وأما الثانى وهو الأعلى فأن يكون الله هو المخوف ، أعنى أن يخاف العبد الحجاب عنه ويرجو القرب منه . قال ذو النون رحمه الله تعالى : خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت فى بحر لجى ، وهذه خشية العلماء حيث قال تعالى ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ ولعموم المؤمنين أيضا حظ من هذه الخشية ، ولكن هو بمجرد التقليد أيضا هى خوف الصبى من الحية تقليدا لأبيه ، وذلك لا يستند إلى بصيرة فلا جرم يضعف ويزول على قرب ، حتى إن الصبى ربما يرى المعزم يقدم على أخذ الحية فينظر إليه ويغتر به فيتجرأ على أخذها تقليدا له كما احترز من أخذها تقليدا لأبيه ، والعقائد التقليدية ضعيفة فى الغالب إلا إذا قويت بمشاهدة أسبابها المؤكدة لها على الدوام وبالمواظبة على مقتضاها فى تكثير الطاعات واجتناب المعاصى مدّة طويلة على الاستمرار ؛ فإذن من ارتقى إلى ذروة المعرفة وعرف الله تعالى خافه بالضرورة فلا يحتاج إلى علاج لجلب الخوف ، كما أن من عرف السبع ورأى نفسه واقعا فى مخالبه لايحتاج إلى علاج لجلب الخوف إلى قلبه بل يخافه بالضرورة شاء أم أبى ، ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام : خفنى كما تخاف السبع الضارى . ولا حيلة فى جلب الخوف من السبع الضارى إلا معرفة السبع ومعرفة الوقوع فى مخالبه فلا يحتاج إلى حيلة سواه فمن عرف الله تعالى عرف أنه يفعل مايشاء ولا يبالى ، ويحكم ما يريد ولا يخاف ، قرّب الملائكة من غير وسيلة سابقة ، وأبعد إبليس من غير جريمة سالفة ، بل صفته ماترجمه قوله تعالى : هؤلاء فى الجنة ولا أبالى وهؤلاء فى النار ولا أبالى . وإن خطر ببالك أنه لا يعاقب إلا على معصية ولا يثيب إلا على طاعة فتأمل أنه لم يمد المطيع بأسباب الطاعة حتى يطيع شاء أم أبى ولم يمد العاصى بدواعى المعصية حتى يعصى شاء أم أبى ، فإنه مهما خلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعا بها بالضرورة ، فإن كان أبعده لأنه عصاه فلم حمله على المعصية هل ذلك لمعصية سابقة حتى يتسلسل إلى غير نهاية أو يقف لا محالة على أوّل لا علة له من جهة العبد بل قضى عليه فى الأزل ، وعن هذا المعنى عبر صلى الله عليه وسلم إذ قال « احتج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام عند ربهما ، فحج آدم موسى عليه السلام ، قال موسى أنت آدم الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته ، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض . فقال آدم : أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شىء وقربك نجيا ، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق ؟ قال موسى : بأربعين عاما . قال آدم : فهل وجدت فيها ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾ قال نعم . قال : أفتلومنى على

أن عملت عملا كتبه الله على قبل أن أعمله وقبل أن يخلقني بأربعين سنة ، قال صلى الله عليه وسلم « فحج آدم موسى (١) » فمن عرف السبب في هذا الأمر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص العارفين المطلعين على سر القدر ، ومن سمع هذا فآمن به وصدّق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين ، ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف ، فإن كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في مخالب السبع ، والسبع قد يغفل بالاتفاق فيخليه ، وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب ما يتفق ، ولذلك الاتفاق أسباب مرتبة بقدر معلوم ، ولكن إذا أضيف إلى من لا يعرفه سمي اتفاقا ، وإن أضيف إلى علم الله لم يجز أن يسمى اتفاقا ، والواقع في مخالب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع ؛ لأنّ السبع مسخر : إن سلط عليه الجوع افترس ، وإن سلط عليه الغفلة خلي وترك ، فإنما يخاف خالق السبع وخالق صفاته ، فلست أقول مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع ، بل إذا كشف الغطاء علم أنّ الخوف من السبع هو عين الخوف من الله تعالى ، لأنّ المهلك بواسطة السبع هو الله فاعلم أنّ سباع الآخرة مثل سباع الدنيا ، وأن الله تعالى خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب وخلق لكل واحد أهلا يسوقه القدر المتفرع عن القضاء الجزم الأزلي إلى ما خلق له ، فخلق الجنة وخلق لها أهلا سخروا لأسبابها شاءوا أم أبوا ، وخلق النار وخلق لها أهلا سخروا لأسبابها شاءوا أم أبوا ، فلا يرى أحد نفسه في ملتطم أمواج القدر إلا غلبه الخوف بالضرورة ، فهذه مخاوف العارفين بسر القدر ، فمن قعد به القصور عن الارتفاع إلى مقام الاستبصار فسبيله أن يعالج نفسه بسماع الأخبار والآثار ، فيطالع أحوال الخائفين العارفين وأقوالهم ، وينسب عقولهم ومناصبهم إلى مناصب الراجين المغرورين ، فلا يتمارى في أن الاقتداء بهم أولى لأنهم الأنبياء والأولياء والعلماء . وأما الآمنون فهم الفراعنة والجهال والأغبياء . أما رسولنا صلى الله عليه وسلم فهو سيد الأولين والآخرين (٢) وكان أشدّ الناس خوفا (٣) حتى روى أنه كان يصلي على طفل : ففي رواية أنه سمع في دعائه يقول «اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار (٤) » وفي رواية ثانية : أنه سمع قائلا يقول : هنيئا لك ، عصفور من عصافير الجنة ، فغضب وقال « ما يدريك أنه كذلك ، والله إني رسول الله ، وما أدري ما يصنع بي ! إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم (٥) » وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك أيضا على جنازة عثمان بن مظعون وكان من المهاجرين الأولين لما قالت أم سلمة : هنيئا لك الجنة ، فكانت تقول أم سلمة بعد ذلك : والله لا أزكي أحدا بعد عثمان (٦) ، وقال محمد بن خولة الحنفية : والله لا أزكي أحدا غير رسول الله صلى الله عليه

---

(١) حديث « احتج آدم وموسى عند ربهما ، فحج آدم موسى . . . الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ، وهو متفق عليه بألفاظ أخر .

(٢) حديث : كان سيد الأولين والآخرين . أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة «أنا سيد ولد آدم ولا فخر . . . الحديث » .

(٣) حديث : كان أشد الناس خوفا . تقدم قبل هذا بخمسة وعشرين حديثا . قوله « والله إني لأخشاكم لله » وقوله « والله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية » .

(٤) حديث انه كان يصلي على طفل فسمع في دعائه يقول « اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار » أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على صبي أو صبية وقال « لو كان أحد نجا من ضمة القبر لنجا هذا الصبي » واختلف في اسناده ، فرواه في الكبير من حديث أبي أيوب أن صبيا دفن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي » (٥) حديث : انه سمع قائلة تقول لطفل مات : هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة ، فغضب وقال « ما يدريك . . الحديث » أخرجه مسلم من حديث عائشة قالت : توفي صبي فقلت طوبى له عصفور من عصافير الجنة . . . الحديث وليس فيه فغضب ، وقد تقدم . (٦) حديث : لما توفي عثمان بن مظعون قالت أم سلمة : هنيئا لك الجنة . . . الحديث . أخرجه البخاري من حديث أم العلاء الأنصارية وهي القائلة رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله ، قال «وما يدريك الحديث » وورد أن التي قالت ذلك أم خارجة بن زيد ، ولم أجد فيه ذكر أم سلمة .

وسلم ولا أبى الذى ولدنى ، قال : فثارت الشيعة عليه ، فأخذ يذكر من فضائل على ومناقبه ، وروى فى حديث آخر عن رجل من أهل الصفة استشهد فقالت أمه هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت فى سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم « وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا ينفعه ويمنع مالايضره [1] » وفى حديث آخر « أنه دخل صلى الله عليه وسلم على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول : هنيئا لك الجنة ، فقال صلى الله عليه وسلم « من هذه المتألية على الله تعالى ؟ » فقال المريض : هى أمى يارسول الله ، فقال « وما يدريك ، لعل فلانا كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بمالا يغنيه [2] » ، وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم ، وهو صلى الله عليه وسلم يقول شيبتنى هود وأخواتها [3] » سورة الواقعة وإذا الشمس كورت وعم يتساءلون فقال العلماء لعل ذلك لما فى سورة هود من الإبعاد كقوله تعالى ﴿ ألا بعدا لعاد قوم هود ﴾ ﴿ ألا بعدا لثمود ﴾ ﴿ ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود ﴾ مع علمه صلى الله عليه وسلم بأنه لو شاء الله ما أشركوا ، إذ لو شاء لآتى كل نفس هداها وفى سورة الواقعة ﴿ ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة ﴾ أى جف القلم بما هو كائن وتمت السابقة حتى نزلت الواقعة : إما خافضة قوما كانوا مرفوعين فى الدنيا ، وإما رافعة قوما كانوا مخفوضين فى الدنيا . وفى سورة التكوير أهوال يوم القيامة وانكشاف الخاتمة ، وهو قوله تعالى ﴿ وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلفت علمت نفس ما احضرت ﴾ وفى عم يتساءلون ﴿ يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ﴾ الآية ، وقوله تعالى ﴿ لايتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا ﴾ والقرآن من أوله إلى آخره مخاوف لمن قرأه بتدبر ، ولو لم يكن فيه إلا قوله تعالى ﴿ وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ﴾ لكان كافيا ، إذ علق المغفرة على أربعة شروط يعجز العبد عن آحادها ، وأشد منه قوله تعالى ﴿ فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين ﴾ وقوله تعالى ﴿ ليسأل الصادقين عن صدقهم ﴾ وقوله تعالى ﴿ سنفرغ لكم أيه الثقلان ﴾ وقوله عز وجل ﴿ أفأمنوا مكر الله ﴾ الآية . وقوله ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ وقوله تعالى ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ﴾ الآيتين . وقوله تعالى ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ الآية وقوله ﴿ اعملوا ماشئتم ﴾ الآية : وقوله ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ﴾ الآية . وقوله ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ﴾ الآيتين . وقوله تعالى ﴿ وقدمنا إلى ماعملوا من عمل ﴾ الآية . وكذلك قوله تعالى ﴿ والعصر إن الإنسان لفى خسر ﴾ إلى آخر السورة فهذه أربعة شروط للخلاص من الخسران ، وإنما كان خوف الأنبياء مع ما قاص عليهم من النعم لأنهم لم يأمنوا مكر الله تعالى ﴿ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ حتى روى أن النبى وجبريل عليهما الصلاة والسلام بكيا خوفا من الله تعالى ، فأوحى الله إليهما لم تبكيان وقد أمنتكما ؟ فقالا : ومن يأمن مكرك ؟ [4] وكأنهما إذ علما أن الله هو علام الغيوب وأنه لاوقوف لهما على غاية الأمور لم يأمنا أن يكون قوله « قد أمنتكما » ابتلاء وامتحانا لهما ومكرا بهما ، حتى إن سكن خوفهما ظهر أنهما قد أمنا من المكر وما وفيا بقولهما

---

(١) حديث : إن رجلا من أهل الصفة استشهد فقالت أمه : هنيئا لك يا بنى الجنة . رواه البيهقى فى الشعب ، إلا أنه قال فقالت أمه : هنيئا لك الشهادة وهو عند الترمذى ، إلا أنه قال : إن رجلا قال له : أبشر بالجنة ، وقد تقدم فى ذم المال والبخل مع اختلاف . (٢) حديث : دخل على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول : هنيئا له الجنة ... الحديث ، تقدم أيضا .

(٣) حديث « شيبتنى هود وأخواتها ... الحديث » أخرجه الترمذى وحسنه ، والحاكم وصححه من حديث ابن عباس ، وهو فى الصحائح من حديث أبى جحيفة وقد تقدم فى كتاب السماع . (٤) حديث : أنه وجبريل صلى الله عليهما وسلم بكيا خوفا من الله عز وجل ، فأوحى الله إليهما : لم تبكيان ؟ الحديث ، أخرجه ابن شاهين فى شرح السنة من حديث عمر ، ورويناه فى مجلس من أمالى أبى سعيد النقاش . بسند ضعيف

كما أنّ إبراهيم صلى الله عليه وسلم لما وضع فى المنجنيق قال : حسبى الله ، وكانت هذه من الدعوات العظام فامتحن وعورض بجبريل فى الهواء ، حتى قال : ألك حاجة ؟ فقال : أما إليك فلا ، فكان ذلك وفاء بحقيقة قوله حسبى الله ، فأخبر الله تعالى عنه فقال ﴿ وإبراهيم الذى وفى ﴾ أى بموجب قوله : حسبى الله ، وبمثل هذا أخبر عن موسى صلى الله عليه وسلم حيث قال ﴿ إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى ، قال لاتخافا إننى معكما أسمع وأرى ﴾ ومع هذا لما ألقى السحرة سحرهم أوجس موسى فى نفسه خيفة ؛ إذا لم يأمن مكر الله والتبس الأمر عليه حتى جدّد عليه الأمن وقيل له ﴿ لا تخف إنك أنت الأعلى ﴾ ولما ضعفت شوكة المسلمين يوم بدر قال صلى الله عليه وسلم « اللهم إن تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الأرض أحد يعبدك [1] » فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : دع عنك مناشدتك ربك فإنه واف لك بما وعدك ، فكان مقام الصدّيق رضى الله عنه مقام الثقة بوعد الله ، وكان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام الخوف من مكر الله وهو أتم لأنه لايصدر إلا عن كمال المعرفة بأسرار الله تعالى وخفايا أفعاله ومعانى صفاته التى يعبر عن بعض مايصدر عنها بالمكر ؛ وما لأحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله تعالى ، ومن عرف حقيقة المعرفة قصور معرفته عن الإحاطة بكنه الأمور عظم خوفه لامحالة ، ولذلك قال المسيح صلى الله عليه وسلم لما قيل له ﴿ أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ؟ قال سبحانك مايكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك ﴾ وقال ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم ﴾ الآية ، فوّض الأمر الى المشيئة وأخرج نفسه بالكلية من البين ، لعلمه بأنه ليس له من الأمر شىء وأن الأمور مرتبطة بالمشيئة ارتباطا يخرج عن حدّ المعقولات والمألوفات فلا يمكن الحكم عليها بقياس ولاحدس ولا حسبان فضلا عن التحقيق والاستيقان ، وهذا هو الذى قطع قلوب العارفين ، إذ الطامة الكبرى هى ارتباط أمرك بمشيئة من لايبالى بك إن أهلكك فقد أهلك أمثالك ممن لا يحصى ولم يزل فى الدنيا يعذبهم بأنواع الآلام والأمراض ، ويمرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ، ثم يخلد العقاب عليهم أبد الآباد ، ثم يخبر عنه ويقول ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأنّ جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ وقال تعالى ﴿ وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم ﴾ الآية ؛ فكيف لايخاف ماحق من القول فى الأزل ولا يطمع فى تداركه ولو كان الأمر أنفا لكانت الأطماع تمتدّ إلى حيلة فيه ، ولكن ليس إلا التسليم فيه واستقراء خفى السابقة من جلى الأسباب الظاهرة على القلب والجوارح ؛ فمن يسرت له أسباب الشر وحيل بينه وبين أسباب الخير وأحكمت علاقته من الدنيا فكأنه كشف له على التحقيق سر السابقة التى سبقت له بالشقاوة ، إذ كل ميسر لما خلق له ، وإن كانت الخيرات كلها ميسرة والقلب بالكلية عن الدنيا منقطعا وبظاهره وباطنه على الله مقبلا : كان هذا يقتضى تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك موثوقا به ؛ ولكنّ خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف إشعالا ولا يمكنها من الانطفاء ، وكيف يؤمن تغير الحال وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن وأن القلب أشدّ تقلبا من القدر فى غليانها ، وقد قال مقلب القلوب عز وجل ﴿ إنّ عذاب ربهم غير مأمون ﴾ فأجهل الناس من أمنه وهو ينادى بالتحذير من الأمن ، ولولا أن الله لطف بعباده العارفين إذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف . فأسباب الرجاء رحمة لخواص الله وأسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق من وجه ؛ إذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف مقلب القلوب . قال بعض العارفين : لو حالت بينى وبين من عرفته بالتوحيد خمسين

(١) حديث قال يوم بدر « اللهم إن تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الأرض أحد يعبدك » : أخرجه البخارى من حديث ابن عباس بلفظ « اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم ... الحديث » .

سنة أسطوانة فمات لم أقطع له بالتوحيد ، لأنى لا أدرى ماظهر له من التقلب . وقال بعضهم : لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الإسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت على الإسلام ، لأنى لا أدرى مايعرض لقلبى بين باب الحجرة وباب الدار . وكان أبو الدرداء يحلف بالله ما أحد أمن على إيمانه أن يسلبه عند الموت إلا سابه . وكان سهل يقول : خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وعند كل حركة ، وهم الذين وصفهم الله تعالى إذ قال ﴿وقلوبهم وجلة﴾ .

ولما احتضر سفيان جعل يبكى ويجزع ، فقيل له : يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فإنّ عفو الله أعظم من ذنوبك ، فقال : أو على ذنوبى أبكى لو علمت أنى أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا .

وحكى عن بعض الخائفين أنه أوصى بعض إخوانه فقال : إذا حضرتنى الوفاة فاقعد عند رأسى ، فإن رأيتنى مت على التوحيد فخذ جميع ما أملكه فاشتر به لوزا وسكرا وانثره على صبيان أهل البلد ، وقل هذا عرس المنفلت ، وإن مت على غير التوحيد فأعلم الناس بذلك حتى لا يغتروا بشهود جنازتى ليحضر جنازتى من أحب على بصيرة لئلا يلحقنى الرياء بعد الوفاة . قال : وبم أعلم ذلك ؟ فذكر له علامة ، فرأى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر واللوز وفرقه .

وكان سهل يقول : المريد يخاف أن يبتلى بالمعاصى ، والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر

وكان أبو زيد يقول : إذا توجهت إلى المسجد فكأن فى وسطى زنارا أخاف أن يذهب بى إلى البيعة وبيت النار حتى أدخل المسجد فينقطع عنى الزنار ، فهذا لى فى كل يوم خمس مرات .

وروى عن المسيح عليه الصلاة والسلام أنه قال : يامعشر الحواريين ، أنتم تخافون المعاصى ، ونحن معاشر الأنبياء نخاف الكفر .

وروى فى أخبار الأنبياء أنّ نبيا شكى إلى الله تعالى الجوع والقمل والعرى سنين وكان لباسه الصوف ، فأوحى الله تعالى إليه : عبدى ، أما رضيت أن عصمت قلبك أن تكفر بى حتى تسألنى الدنيا ؟ فأخذ التراب فوضعه على رأسه وقال : بلى قد رضيت يارب فاعصمنى من الكفر .

فإذا كان خوف العارفين مع رسوخ أقدامهم وقوة إيمانهم من سوء الخاتمة فكيف لايخافه الضعفاء .

ولسوء الخاتمة أسباب تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات المذمومة ، ولذلك اشتد خوف الصحابة من النفاق حتى قال الحسن : لو أعلم أنى برىء من النفاق كان أحب إلى مما طلعت عليه الشمس وماعنوا به النفاق الذى هو ضدّ أصل الإيمان بل المراد به ما يجتمع مع أصل الإيمان فيكون مسلما منافقا ، وله علامات كثيرة : قال صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم ، وإن كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها : من إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان ، وإذا خاصم فجر [1] » وفى لفظ آخر « وإذا عاهد غدر » .

وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لايخلو عن شىء منه إلا صديق ، إذ قال الحسن : إنّ من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب واختلاف المدخل والمخرج ، ومن الذى يخلو عن هذه المعانى

(١) حديث « أربع من كن فيه فهو منافق ... الحديث » متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو وقد تقدم فى قواعد العقائد.

بل صارت هذه الأمور مألوفة بين الناس معتادة ونسى كونها منكر بالكلية ، بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة ، فكيف الظن بزماننا ! حتى قال حذيفة رضى الله تعالى عنه : إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيصير بها منافقا إنى لأسمعها من أحدكم فى اليوم عشر مرات [1] . وكان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقولون : إنكم لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الكبائر [2] . وقال بعضهم : علامة النفاق أن تكره من الناس ما تأتى مثله ، وأن تحب على شىء من الجور ، وأن تبغض على شىء من الحق . وقيل من النفاق : أنه إذا مدح بشىء ليس فيه أعجبه ذلك . وقال رجل لابن عمر رحمه الله : إنا ندخل على هؤلاء الأمراء فنصدقهم فيما يقولون ، فإذا خرجنا تكلمنا فيهم ، فقال : كنا نعدّ هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم [3] . وروى أنه سمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه ، فقال : أرأيت لو كان الحجاج حاضرا أكنت تتكلم بما تكلمت به ؟ قال : لا . قال : كنا نعدّ هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم [4] . وأشدّ من ذلك ما روى أنّ نفرا قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه ، فكانوا يتكلمون فى شىء من شأنه ، فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه ، فقال : تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا ؛ فقال : كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم [5] . وهذا حذيفة كان قد خص بعلم المنافقين وأسباب النفاق ، وكان يقول : إنه يأتى على القلب ساعة يمتلئ بالإيمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز إبرة ، ويأتى عليه ساعة يمتلئ بالنفاق حتى لا يكون للإيمان فيه مغرز إبرة ، فقد عرفت بهذا أنّ خوف العارفين من سوء الخاتمة ، وأنّ سببه أمور تتقدمه : منها البدع . ومنها المعاصى ، ومنها النفاق ، ومتى يخلو العبد عن شىء من جملة ذلك ! وإن ظنّ أنه خلا عنه فهو النفاق ، إذ قيل : من أمن النفاق فهو منافق . وقال بعضهم لبعض العارفين : إنى أخاف على نفسى النفاق ، فقال : لو كنت منافقا لما خفت النفاق ، فلا يزال العارف بين الالتفات إلى السابقة والخاتمة خائفا منهما ، ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم « العبد المؤمن بين مخافتين : بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه ، وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه ، فوالذى نفسى بيده ما بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار [6] » ، والله المستعان .

بيان معنى سوء الخاتمة

* فإن قلت : إن أكثر هؤلاء يرجع خوفهم إلى سوء الخاتمة ، فما معنى سوء الخاتمة ؟ فاعلم أن سوء الخاتمة على رتبتين : إحداهما أعظم من الأخرى ، فأما الرتبة العظيمة الهائلة : فأن يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله : إما الشك ، وإما الجحود ، فتقبض الروح على حال غلبة الجحود أو الشك ، فيكون ما غلب على

---

(١) حديث حذيفة : إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيصير بها منافقا . . الحديث ، أخرجه أحمد من حديث حذيفة ، وقد تقدم فى قواعد العقائد .

(٢) حديث أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنكم لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر . . . الحديث » أخرجه البخارى من حديث أنس وأحمد ، والبزار من حديث أبى سعيد ، وأحمد والحاكم من حديث عبادة بن فرص وصحح إسناده ، وتقدم فى التوبة . (٣) حديث : قال رجل لابن عمر : إنا ندخل على هؤلاء الأمراء فنصدقهم بما يقولون . . . الحديث ، رواه أحمد والطبرانى ، وقد تقدم فى قواعد العقائد . (٤) حديث سمع ابن عمر رجلا يذم الحجاج ويقع فيه فقال : أرأيت لو كان الحجاج حاضرا . . . الحديث ، تقدم هناك ولم أجد فيه ذكر الحجاج . (٥) حديث : إن نفرا قعدوا عند باب حذيفة ينتظرونه ، فكانوا يتكلمون فى شىء من شأنه ، فلما خرج سكتوا . . . الحديث ، لم أجد له أصلا . (٦) حديث « العبد المؤمن بين مخافتين : بين أجل قد مضى . . . الحديث » أخرجه البيهقى فى الشعب من رواية الحسن عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم فى ذم الدنيا : ذكره ابن المبارك فى كتاب الزهد بلاغا ، وذكره صاحب الفردوس من حديث جابر ولم يخرجه ولده فى مسند الفردوس

القلب من عقدة الجحود حجابا بينه وبين الله تعالى أبدا ، وذلك يقتضى البعد الدائم والعذاب المخلد . والثانية وهى دونها أن يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا وشهوة من شهواتها ، فيتمثل ذلك فى قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى فى تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه فى تلك الحال فيكون استغراق قلبه به منكسا رأسه إلى الدنيا وصارفاً وجهه إليها . ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب . ومهما حصل الحجاب نزل العذاب إذ نار الله الموقدة لا تأخذ إلا المحجوبين عنه ؛ فأما المؤمن السليم قلبه من حب الدنيا المصروف همه إلى الله تعالى فتقول له النار : جز يامؤمن فإنّ نورك أطفأ لهبى ، فهما اتفق قبض الروح فى حالة غلبة حب الدنيا ، فالأمر مخطر ، لأن المرء يموت على ماعاش عليه ، ولا يمكن اكتساب صفة أخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه ، إذ لا تصرف فى القلوب إلا بأعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الأعمال ؛ فلا مطمع فى عمل ولا مطمع فى رجوع إلى الدنيا ليتدارك ، وعند ذلك تعظم الحسرة ، إلا أن أصل الإيمان وحب الله تعالى إذا كان قد رسخ فى القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالأعمال الصالحة فإنه يمحو عن القلب هذه الحالة التى عرضت له عند الموت ، فإن كان إيمانه فى القوة إلى حدّ مثقال أخرجه من النار فى زمان أقرب ، وإن كان أقل من ذلك طال مكثه فى النار ، ولو لم يكن إلا مثقال حبة فلا بدّ وأن يخرجه من النار ولو بعد آلاف سنين .

* فإن قلت : فما ذكرته يقتضى أن تسرع النار إليه عقيب موته ، فما باله يؤخر إلى يوم القيامة ويمهل طول هذه المدة ؟ فاعلم أنّ كل من أنكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الله تعالى وعن نور القرآن ونور الإيمان ، بل الصحيح عند ذوى الأبصار ماصحت به الأخبار وهو : أنّ القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة[1] وأنه قد يفتح إلى قبر المعذب سبعون بابا من الجحيم[2] ، كما وردت به الأخبار ، فلا تفارقه روحه إلا وقد نزل به البلاء إن كان قد شقى بسوء الخاتمة . وإنما تختلف أصناف العذاب باختلاف الأوقات ، فيكون سؤال منكر ونكير عند الوضع فى القبر[3] والتعذيب بعده[4] ، ثم المناقشة فى الحساب[5] والافتضاح على ملأ من الأشهاد فى القيامة[6] ، ثم بعد ذلك خطر الصراط[7] وهول الزبانية[8] . . . إلى آخر ماوردت به الأخبار ، فلا يزال الشقى مترددا فى جميع أحواله بين أصناف العذاب وهو فى جملة الأحوال معذب إلا أن يتغمده الله برحمته * ولا تظنن أن محل الايمان لا يأكله التراب ، بل التراب يأكل جميع الجوارح ويبددها إلى أن يبلغ الكتاب أجله فتجتمع الاجزاء المتفرقة وتعاد إليها الروح التى هى محل الإيمان ، وقد كانت من وقت الموت إلى الإعادة إما فى حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش إن كانت سعيدة ، وإما على حالة تضاد هذه الحال إن كانت والعياذ بالله شقية .

---

(١) حديث « القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة » أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد وقال غريب ، وتقدم فى الأذكار (٢) حديث « إنه يفتح إلى قبر المعذب سبعون بابا من الجحيم » لم أجد له أصلا . (٣) حديث سؤال منكر ونكير عند الوضع فى القبر : تقدم فى قواعد العقائد . (٤) حديث عذاب القبر : تقدم فيه : (٥) حديث المناقشة فى الحساب : تقدم فيه . (٦) حديث الافتضاح على ملأ الأشهاد فى القيامة : رواه أحمد والطبرانى من حديث ابن عمر بإسناد جيد « من انتقى من ولده ليفضحه فى الدنيا فضحه الله على رءوس الأشهاد » وفى الصحيحين من حديث ابن عمر « وأما الكافر والمنافق فينادى بهم على رءوس الخلائق : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم » والطبرانى والعقيلى فى الضعفاء من حديث الفضيل بن عياض « فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة » وهو حديث طويل منكر . (٧) حديث خطر الصراط : تقدم فى قواعد العقائد (٨) حديث هول الزبانية أخرجه الطبرانى من حديث أنس « الزبانية يوم القيامة أسرع الى فسقة حملة القرآن منها الى عبدة الأوثان والنيران » قال صاحب الميزان : حديث منكر . وروى ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم معضلا فى خزنة جهنم مابين منكبى أحدهم كما بين المشرق والمغرب .

* فإن قلت : فما السبب الذى يفضى إلى سوء الخاتمة ؟ فاعلم أنّ أسباب هذه الأمور لا يمكن إحصاؤها على التفصيل ، ولكن يمكن الإشارة إلى مجامعها : أما الختم على الشك والجحود فينحصر سببه فى شيئين :

(أحدهما) يتصوّر مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح فى الأعمال : كالمبتدع الزاهد فإنّ عاقبته مخطرة جدا ، وإن كانت أعماله صالحة ولست أعنى مذهبا فأقول إنه بدعة ؛ فإنّ بيان ذلك يطول القول فيه ، بل أعنى بالبدعة : أن يعتقد الرجل فى ذات الله وصفاته وأفعاله خلاف الحق فيعتقده على خلاف ماهو عليه ، إما برأيه ومعقوله ونظره الذى به يجادل الخصم وعليه يعوّل وبه يغتر ، وإما أخذاً بالتقليد ممن هذا حاله ؛ فإذا قرب الموت وظهرت له ناصية ملك الموت واضطرب القلب بما فيه ربما ينكشف له فى حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا ، إذ حال الموت حال كشف الغطاء ومبادئ سكراته منه ، فقد ينكشف به بعض الأمور ؛ فهما بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعاً به متيقناً له عند نفسه لم يظن بنفسه أنه أخطأ فى هذا الاعتقاد خاصة لالتجائه فيه إلى رأيه الفاسد وعقله الناقص ، بل ظن أنّ كل ما اعتقده لا أصل له ، إذ لم يكن عنده فرق فى إيمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد ، فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته أو لشكه فيها ، فإن اتفق زهوق روحه فى هذه الخطرة قبل أن يثبت ويعود إلى أصل الإيمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعياذ بالله منه ، فهؤلاء هم المرادون بقوله تعالى ﴿وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون﴾ وبقوله عز وجل ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا * الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ وكما أنه ينكشف فى النوم ماسيكون فى المستقبل وذلك بسبب خفة أشغال الدنيا عن القلب فكذلك ينكشف فى سكرات الموت بعض الأمور ، إذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هى المانعة للقلب من أن ينظر إلى الملكوت ، فيطالع مافى اللوح المحفوظ لتنكشف له الأمور على ماهى عليه ، فيكون مثل هذه الحال سببا للكشف ، ويكون الكشف سبب الشك فى بقية الاعتقادات ، وكل من اعتقد فى الله تعالى وفى صفاته وأفعاله شيئا على خلاف ماهو به إما تقليداً وإما نظرا بالرأى والمعقول ، فهو فى هذا الخطر والزهد والصلاح لايكفى لدفع هذا الخطر ، بل لاينجى منه إلا الاعتقاد الحق ، والبله بمعزل عن هذا الخطر ، أعنى الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر إيمانا مجملا راسخاً كالأعراب والسوادية وسائر العوام الذين لم يخوضوا فى البحث والنظر ولم يشرعوا فى الكلام استقلالا ولا صغوا إلى أصناف المتكلمين فى تقليد أقاويلهم المختلفة ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله[1] ، ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض فى الكلام والتفتيش عن هذه الأمور ، وأمروا الخلق أن يقتصروا على أن يؤمنوا بما أنزل الله عز وجل جميعاً وبكل ماجاء من الظواهر مع اعتقاده نفى التشبيه ، ومنعوهم عن الخوض فى التأويل لأن الخطر فى البحث عن الصفات عظيم وعقباته كئودة ومسالكه وعرة ، والعقول عن درك جلال الله تعالى قاصرة ، وهداية الله تعالى بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة ، وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطرب ومتعارض ، والقلوب لما ألقى إليها فى مبدأ النشأة آلفة وبه متعلقة ، والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة أو المأخوذة بحسن الظن من المعلمين فى أول الأمر ، ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة ، وشهوات الدنيا بمختقها آخذة وعن تمام الفكر صارفة ، فإذا فتح باب الكلام فى الله وفى صفاته بالرأى والمعقول مع تفاوت الناس فى قرائحهم واختلافهم فى طبائعهم وحرص كل جاهل منهم على

(١) حديث « أكثر أهل الجنة البله » أخرجه البزار من حديث أنس ؛ وقد تقدم .

أن يدعى الكمال أو الإحاطة بكنه الحق انطلقت ألسنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين إليهم ، وتأكد ذلك بطول الألف فيهم ، فانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم ، فكانت سلامة الخلق فى أن يشتغلوا بالأعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حدّ طاقتهم : ولكن الآنَ قد استرخى العنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ماوافق طبعه بظنّ وحسبان ، وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان وأنه صفو الإيمان ، ويظن أن ماوقع به من حدس وتخمين علم اليقين وعين اليقين ﴿ ولتعلمن نبأه بعد حين ﴾ وينبغى أن ينشد فى هؤلاء عند كشف الغطاء :

أحسنت ظنك بالايام إذ حسنت ولم تخف سوء مايأتى به القدر

وسالمتك الليالى فاغتررت بها وعند صفو الليالى يحدث الكدر

واعلم يقينا أن كل من فارق الإيمان الساذج بالله ورسوله وكتبه وخاض فى البحث ، فقد تعرّض لهذا الخطر ومثاله مثال من انكسرت سفينته وهو فى ملتطم الأمواج يرميه موج إلى موج ، فربما يتفق أن يلقيه إلى الساحل وذلك بعيد ، والهلاك عليه أغلب . وكل نازل على عقيدة تلقفها من الباحثين بضاعة عقولهم إما مع الادلة التى حرّروها فى تعصباتهم أو دون الأدلة ، فإن كان شاكا فيه فهو فاسد الدين وإن كان واثقا فهو آمن من مكر الله مغتر بعقله الناقص ، وكل خائض فى البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين ، إلا إذا جاوز حدود المعقول إلى نور المكاشفة الذى هو مشرق فى عالم الولاية والنبوّة وذلك هو الكبريت الأحمر ، وإنى يتيسر ، وإنما يسلم عن هذا الخطر البله من العوام أو الذين شغلهم خوف النار بطاعة الله فلم يخوضوا فى هذا الفضول فهذا أحد الأسباب المخطرة فى سوء الخاتمة .

(وأما السبب الثانى) فهو ضعف الإيمان فى الأصل ، ثم استيلاء حب الدنيا على القلب . ومهما ضعف الإيمان ضعف حب الله تعالى وقوى حب الدنيا ، فيصير بحيث لا يبقى فى القلب موضع لحب الله تعالى إلا من حيث حديث النفس ، ولا يظهر له أثر فى مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان ، فيورث ذلك الانهماك فى اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة النفوس على القلب ، فلا يزال يطفئ مافيه من نور الإيمان على ضعفه حتى يصير طبعا ورينا ، فإذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب أعنى حب الله ضعفا لما يبدو من استشعار فراق الدنيا وهى المحبوب الغالب على القلب ، فيتألم القلب باستشعار فراق الدنيا ، ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بإنكار ماقدر عليه من الموت وكراهة ذلك . من حيث إنه من الله ، فيخشى أن يثور فى باطنه بغض الله تعالى بدل الحب ، كما أنّ الذى يحب ولده حبا ضعيفا إذا أخذ ولده أمواله التى هى أحب إليه من ولده وأحرقها انقلب ذلك الحب الضعيف بغضا ، فإن اتفق زهوق روحه فى تلك اللحظة التى خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكا مؤبدا ، والسبب الذى يفضى إلى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون إليها والفرح بأسبابها مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب الله تعالى ؛ فمن وجد فى قلبه حب الله أغلب من حب الدنيا وإن كان يحب الدنيا أيضا فهو أبعد عن هذا الخطر ، وحب الدنيا رأس كل خطيئة ، وهو الداء العضال ، وقد عم أصناف الخلق وذلك كله لقلة المعرفة بالله تعالى ، إذ لايحبه إلا من عرفه ؟ ولهذا قال تعالى ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ﴾ فإذن كل من فارقته روحه فى حالة خطرة الإنكار على الله تعالى بباله وظهر بغض فعل الله بقلبه فى تفريقه بينه وبين أهله وماله وسائر محابه ؟ فيكون موته قدوما على ما أبغضه وفراقا

لما أحبه ، فيقدم على الله قدوم العبد المبغض الآبق إذا قدم به على مولاه قهرا ، فلا يخفى مايستحقه من الخزى والنكال ، وأما الذى يتوفى على الحب فإنه يقدم على الله تعالى قدوم العبد المحسن المشتاق إلى مولاه الذى تحمل مشاق الأعمال ووعثاء الأسفار طمعا فى لقائه ، فلا يخفى مايلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطائف الإكرام وبدائع الإنعام .

وأما الخاتمة الثانية التى هى دون الأولى وليست مقتضية للخلود فى النار ، فلها أيضا سببان :

(أحدهما) كثرة المعاصى وإن قوى الإيمان ، والآخر ضعف الإيمان وإن قلت المعاصى ، وذلك لأن مقارفة المعاصى سببها غلبة الشهوات ورسوخها فى القلب بكثرة الإلف والعادة . وجميع ما ألفه الإنسان فى عمره يعود ذكره إلى قلبه عند موته ، فإن كان ميله الأكثر إلى الطاعات كان أكثر مايحضره ذكر طاعة الله ، وإن كان ميله الأكثر إلى المعاصى غلب ذكرها على قلبه عند الموت ؟ فربما تقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصى ، فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله تعالى ، فالذى لايقارف الذنب إلا الفينة بعد الفينة فهو أبعد عن هذا الخطر ، والذى لم يقارف ذنبا أصلا فهو بعيد جدا عن هذا الخطر ، والذى غلبت عليه المعاصى وكانت أكثر من طاعاته وقلبه بها أفرح منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم فى حقه جدا ، ونعرف هذا بمثال : وهو أنه لايخفى عليك أن الإنسان يرى فى منامه جملة من الأحوال التى عهدها طول عمره ، حتى إنه لا يرى إلا مايماثل مشاهدته فى اليقظة ، وحتى إن المراهق الذى يحتلم لايرى صورة الوقاع إذا لم يكن قد واقع فى اليقظة ، ولو بقى كذلك مدة لما رأى عند الاحتلام صورة الوقاع ، ثم لايخفى أن الذى قضى عمره فى الفقه يرى من الأحوال المتعلقة بالعلم والعلماء أكثر مما يراه التاجر الذى قضى عمره فى التجارة ، والتاجر يرى من الأحوال المتعلقة بالتجارة وأسبابها أكثر مما يراه الطبيب والفقيه ؟ لأنه إنما يظهر فى حال النوم ماحصل له مناسبة مع القلب بطول الإلف أو بسبب آخر من الأسباب ، والموت شبيه النوم ولكنه فوقه ، ولكن سكرات الموت وما يتقدمه من الغشية قريب من النوم ، فيقتضى ذلك تذكر المألوف وعوده إلى القلب ، وأحد الأسباب المرجحة لحصول ذكره فى القلب طول الإلف ، فطول الإلف بالمعاصى والطاعات أيضا مرجح ، وكذلك تخالف أيضا منامات الصالحين منامات الفساق ، فتكون غلبة الإلف سبب لأن تتمثل صورة فاحشة فى قلبه وتميل إليها نفسه ، فربما تقبض عليها روحه فيكون ذلك سبب سوء خاتمته ، وإن كان أصل الإيمان باقيا بحيث يرجى له الخلاص منها ، وكما أن مايخطر فى اليقظة إنما يخطر بسبب خاص يعلمه الله تعالى ، فكذلك آحاد المنامات لها أسباب عند الله تعالى نعرف بعضها ولا نعرف بعضها ، كما أنا نعلم أن الخاطر ينتقل من الشىء إلى ماينا سبه إما بالمشابهة وإما بالمضادة وإما بالمقارنة بأن يكون قد ورد على الحس منه . أما بالمشابهة فبأن ينظر إلى جميل فيتذكر جميلا آخر ، وأما بالمضادة فبأن ينظر إلى جميل فيتذكر قبيحا ويتأمل فى شدة التفاوت بينهما ، وأما بالمقارنة فبأن ينظر إلى فرس قد رآه من قبل مع إنسان فيتذكر ذلك الإنسان ، وقد ينتقل الخاطر من شىء إلى شىء ولا يدرى وجه مناسبته له ، وإنما يكون ذلك بواسطة وواسطتين ، مثل أن ينتقل من شىء ثان ، ومنه إلى شىء ثالث ، ثم ينسى الثانى ، ولا يكون بين الثالث والأول مناسبة ، ولكن يكون بينه وبين الثانى مناسبة وبين الثانى والأول مناسبة ، فكذلك لانتقالات الخواطر فى المنامات أسباب من هذا الجنس ، وكذلك عند سكرات الموت ، فعلى هذا ـ والعلم عند الله ـ من كانت الخياطة أكثر أشغاله ، فإنك تراه يومئ إلى رأسه كأنه يأخذ إبرته ليخيط بها ويبل أصبعه التى لها عادة بالكستبان ويأخذ الإزار من فوقه ويقدره ويشبره كأنه يتعاطى تفصيله ، ثم يمد يده إلى المقراض ،

ومن أراد أن يكف خاطره عن الانتقال عن المعاصي والشهوات فلا طريق له إلا المجاهدة طول العمر فى فطامه نفسه عنها وفى قمع الشهوات عن القلب ، فهذا هو القدر الذى يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشر عدّة وذخيرة لحالة سكرات الموت ، فإنه يموت المرء على ماعاش عليه ويحشر على ما مات عليه ، ولذلك نقل عن بقال أنه كان يلقن عند الموت كلمتى الشهادة فيقول : خمسة ستة أربعة ، فكان مشغول النفس بالحساب الذى طال إلفه له قبل الموت . وقال بعض العارفين من السلف : العرش جوهرة تتلألأ نورا ، فلايكون العبد على حال إلا انطبع مثاله فى العرش على الصورة التى كان عليها ، فإذا كان فى سكرات الموت كشف له صورته من العرش ؛ فربما يرى نفسه على صورة معصية ، وكذلك يكشف له يوم القيامة فيرى أحوال نفسه فيأخذه من الحياء والخوف مايجل عن الوصف ، وما ذكره صحيح ، وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك ، فإن النائم يدرك مايكون فى المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهى جزء من أجزاء النبوة ، فإذا رجع سوء الخاتمة إلى أحوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله ، والاتفاقات المقتضية لسوء الخواطر غير داخلة تحت الاختيار دخولا كليا وإن كان لطول الإلف فيه تأثير ، فبهذا عظم خوف العارفين من سوء الخاتمة ، لأنه لو أراد الإنسان أن لايرى فى المنام إلا أحوال الصالحين وأحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وإن كانت كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ، ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط ، وإن كان الغالب مناسبة ما يظهر فى النوم لما غلب فى اليقظة ، حتى سمعت الشيخ أبا على الفارمذى رحمة الله عليه يصف لى وجوب حسن أدب المريد لشيخه وأن لايكون فى قلبه إنكار لكل ما يقوله ولا فى لسانه مجادلة عليه فقال : حكيت لشيخى أبى القاسم الكرمانى مناما لى وقلت : رأيتك قلت لى كذا . فقلت : لم ذاك ؟ قال : فهجرنى شهرا ولم يكلمنى وقال : لولا أنه كان فى باطنك تجويز المطالبة وإنكار ما أقوله لك لما جرى ذلك على لسانك فى النوم وهو كما قال ؛ إذ قلما يرى الإنسان فى منامه خلاف مايغلب فى اليقظة على قلبه ؛ فهذا هو القدر الذى نسمح بذكره فى علم المعاملة من أسرار أمر الخاتمة ، وما وراء ذلك فهو داخل فى علم المكاشفة ، وقد ظهر لك بهذا أنّ الأمن من سوء الخاتمة بأن ترى الأشياء كما هى عليه من غير جهل وتزجى جميع العمر فى طاعة الله من غير معصية ؛ فإن كنت تعلم أنّ ذلك محال أو عسير فلا بدّ وأن يغلب عليك من الخوف ما غلب على العارفين حتى يطول بسببه بكاؤك ونياحتك ويدوم به حزنك وقلقك ، كما سنحكيه من أحوال الأنبياء والسلف الصالحين ليكون ذلك أحد الأسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك ، وقد عرفت بهذا أنّ أعمال العمر كلها ضائعة إن لم يسلم فى النفس الأخير الذى عليه خروج الروح ، وإن سلامته مع اضطراب أمواج الخواطر مشكلة جداً ، ولذلك كان مطرف بن عبد الله يقول : إنى لاأعجب ممن هلك كيف هلك ، ولكنى أعجب ممن نجا كيف نجا ! ولذلك قال حامد اللفاف : إذا صعدت الملائكة بروح العبد المؤمن وقد مات على الخير والإسلام تعجبت الملائكة منه وقالوا : كيف نجا هذا من دنيا فسد فيها خيارنا . وكان الثورى يوما يبكى فقيل له علام تبكى ؟ فقال : بكينا على الذنوب زمانا . فالآن نبكى على الإسلام . وبالجملة من وقعت سفينته فى لجة البحر وهجمت عليه الرياح العاصفة واضطربت الأمواج كانت النجاة فى حقه أبعد من الهلاك ، وقلب المؤمن أشدّ اضطرابا من السفينة ، وأمواج الخواطر أعظم التطاما من أمواج البحر ، وإنما المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط ، وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لايبق بينه وبين الجنة إلا فواق ناقة فيختم له بما سبق به الكتاب [1] » ، ولا يتسع

(١) حديث « ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة ... الحديث » تقدم .

فواق الناقة لأعمال توجب الشقاوة ، بل هي الخواطر التي تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف . وقال سهل : رأيت كأني أدخلت الجنة ، فرأيت ثلثمائة نبي فسألتهم : ما أخوف ما كنتم تخافون في الدنيا ؟ قالوا : سوء الخاتمة ولأجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطا عليها ، وكان موت الفجأة مكروها ، أما الموت فجأة فلانه ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب لا يخلو عن أمثاله إلا أن يدفع بالكراهة أو بنور المعرفة . وأما الشهادة فلأنها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله تعالى وخرج حب الدنيا والأهل والمال والولد وجميع الشهوات عن القلب ، إذ لا يهجم على صف القتال موطنا نفسه على الموت إلا حبا لله وطلبا لمرضاته وبائعا دنياه بآخرته وراضيا بالبيع الذي بايعه الله به ، إذ قال تعالى ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ والبائع راغب عن المبيع لا محالة ومخرج حبه عن القلب ؛ وبمجرد حب العوض المطلوب في قلبه ، ومثل هذه الحالة قد يغلب على القلب في بعض الأحوال ولكن لا يتفق زهوق الروح فيها ، فصف القتال سبب لزهوق الروح على مثل هذه الحالة ، هذا فيمن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة ، فإن من هذا حاله وإن قتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه الأخبار [1] .

وإذ بان لك معنى سوء الخاتمة وما هو مخوف فيها فاشتغل بالاستعداد لها ، فواظب على ذكر الله تعالى وأخرج من قلبك حب الدنيا ، واحرس عن فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك ، واحترز عن مشاهدة المعاصي ومشاهدة أهلها جهدك ، فإن ذلك أيضا يؤثر في قلبك ويصرف إليه فكرك وخواطرك ، وإياك أن تسوف وتقول : سأستعد لها إذا جاءت الخاتمة ، فإن كل نفس من أنفاسك خاتمتك ، إذ يمكن أن تختطف فيه روحك فراقب قلبك في كل تطريفة ، وإياك أن تهمله لحظة فلعل تلك اللحظة خاتمتك ، إذ يمكن أن تختطف فيها روحك ، هذا مادمت في يقظتك ، وأما إذا نمت فإياك أن تنام إلا على طهارة الظاهر والباطن وأن يغلبك النوم إلا بعد غلبة ذكر الله على قلبك ، لست أقول على لسانك فإن حركة اللسان بمجردها ضعيفة الأثر . واعلم قطعا أنه لا يغلب عند النوم على قلبك إلا ما كان قبل النوم غالبا عليه ، وأنه لا يغلب في النوم إلا ما كان غالبا قبل النوم ، ولا ينبعث عن نومك إلا ما غلب على قلبك في نومك ، والموت والبعث شبيه النوم واليقظة ، فكما لا ينام العبد إلا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ إلا على ما كان عليه في نومه ، فكذلك لا يموت المرء إلا على ما عاش عليه ولا يحشر إلا على ما مات عليه ، وتحقق قطعا ويقينا أن الموت والبعث حالتان من أحوالك كما أن النوم واليقظة حالتان من أحوالك ، وآمن بهذا تصديقا باعتقاد القلب إن لم تكن أهلا لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة ، وراقب أنفاسك ولحظاتك ، وإياك أن تغفل عن الله طرفة عين فإنك إذا فعلت ذلك كله كنت مع ذلك في خطر عظيم ، فكيف إذا لم تفعل . والناس كلهم هلكى إلا العالمون ، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون ، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون ، والمخلصون على خطر عظيم . واعلم أن ذلك لا يتيسر لك ما لم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك ، وضرورتك مطعم وملبس ومسكن والباقي كله فضول ، والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك ويسد رمقك ، فينبغي أن يكون تناولك تناول مضطر كاره له ، ولا تكون رغبتك فيه أكثر من رغبتك في قضاء حاجتك ،

(١) حديث « المقتول في الحرب إذا كان قصده الغلبة والغنيمة وحسن الصيت فهو بعيد عن رتبة الشهادة » متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري « إن رجلا قال : يارسول الله ، الرجل يقاتل المغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله ؟ فقال « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » وفي رواية : الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء . وفي رواية غضبا .

إذ لافرق بين إدخال الطعام فى البطن وإخراجه ، فهما ضرورتان فى الجبلة ، وكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك التى يشتغل بها قلبك فلا ينبغى أن يكون تناول الطعام من همتك . واعلم أنه إن كان همتك ما يدخل بطنك فقيمتك ما يخرج من بطنك . وإذا لم يكن قصدك من الطعام إلا التقوى على عبادة الله تعالى كقصدك من قضاء حاجتك ، فعلامة ذلك تظهر فى ثلاثة أمور : من مأكولك فى وقته وقدره وجنسه ، أما الوقت فأقله أن يكتفى فى اليوم والليلة بمرة واحد فيواظب على الصوم ، وأما قدره فبأن لايزيد على ثلث البطن ، وأما جنسه فأن لا يطلب لذائذ الأطعمة بل يقنع بما يتفق ، فإن قدرت على هذه الثلاث وسقطت عنك مئونة الشهوات واللذائذ قدرت بعد ذلك على ترك الشبهات وأمكنك أن لاتأكل إلامن حله ، فإنّ الحلال يعز ولا يفى بجميع الشهوات ، وأما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحرّ والبرد وستر العورة ؛ فكل ما دفع البرد عن رأسك ولو قلنسوة يدانق فطلبك غيره فضول منك يضيع فيه زمانك ويلزمك الشغل الدائم والعناء القائم فى تحصيله بالكسب مرة والطمع أخرى من الحرام والشبهة ، وقس بهذا ما تدفع به الحرّ والبرد عن بدنك ؛ فكل ماحصل مقصود اللباس إن لم تكتف به فى خساسة قدره وجنسه لم يكن لك موقف ومرد بعده . بل كنت ممن لا يملأ بطنه إلا التراب ، وكذلك المسكن إن اكتفيت بمقصوده كفتك السماء سقفا والأرض مستقرا ؛ فإن غلبك حر أوبرد فعليك بالمساجد ، فإن طلبت مسكنا خاصا طال عليك وانصرف إليه أكثر عمرك ، وعمرك هو بضاعتك ، ثم إن تيسر لك فقصدت من الحائط سوى كونه حائلا بينك وبين الأبصار ، ومن السقف سوى كونه دافعا للأمطار ، فأخذت ترفع الحيطان وتزين السقوف فقد تورّطت فى مهواة يبعد رقيك منها ، وهكذا جميع ضرورات أمورك إن اقتصرت عليها تفرّغت لله وقدرت على التزود لآخرتك والاستعداد لخاتمتك ، وإن جاوزت حدّ الضرورة إلى أودية الأمانى تشعبت همومك ولم يبال الله فى أى واد أهلكك ؛ فاقبل هذه النصيحة ممن هو أحوج إلى النصيحة منك . واعلم أنّ متسع التدبير والتزود والاحتياط هذا العمر القصير ، فإذا دفعته يوما بيوم فى تسويفك أو غفلتك اختطفت فجأة فى غير وقت إرادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك ، فإن كنت لا تقدر على ملازمة ما أرشدت إليه بضعف خوفك إذا لم يكن فيما وصفناه من أمر الخاتمة كفاية فى تخويفك فإنا سنورد عليك من أحوال الخائفين ما نرجو أن يزيل بعض القساوة عن قلبك ، فإنك تتحقق أنّ عقل الأنبياء والأولياء والعلماء وعملهم ومكانهم عند الله تعالى لم يكن دون عقلك وعملك ومكانك ، فتأمل مع كلال بصيرتك وعمش عين قلبك فى أحوالهم : لم اشتدّ بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يصعق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشيا عليه وبعضهم يخرّ ميتا إلى الأرض ، ولا غرو إن كان ذلك لايؤثر فى قلبك فإنّ قلوب الغافلين مثل الحجارة أوأشدّ قسوة ﴿ وإنّ من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإنّ منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون ﴾ .

بيان أحوال الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام فى الخوف

روت عائشة رضى الله عنها : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه فيقوم ويتردد فى الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله[1] . وقرأ صلى الله عليه وسلم آية فى سورة الواقعة فصعق[2] ، وقال تعالى ﴿ وخرّ موسى صعقا ﴾ ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة جبريل

(١) حديث عائشة : كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة تغير وجهه ... الحديث ، متفق عليه من حديث عائشة .

(٢) حديث : قرأ فى سورة الحاقة فصعق ، المعروف فيما يروى من هذه القصة أنه قرئ عنده (إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما) فصعق ، كما رواه ابن عدى والبيهقى فى الشعب مرسلا ، وهكذا ذكره المصنف على الصواب فى كتاب السماع كما تقدم

عليه السلام بالأبطح فصعق [١] . وروى أنه عليه السلام كان إذا دخل فى الصلاة يسمع لصدره أزيزا كأزيز المرجل [٢] . وقال صلى الله عليه وسلم « ما جاءنى جبريل قط إلا وهو يرعد فرقا من الجبار [٣] » وقيل : لما ظهر على إبليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان ، فأوحى الله إليهما : مالكما تبكيان كل هذا البكاء ؟ فقالا : يارب ، ما نأمن مكرك ؛ فقال الله تعالى : هكذا كونا ، لاتأمنا مكرى ،

وعن محمد بن المنكدر قال : لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة من أماكنها ، فلما خلق بنو آدم عادت .

وعن أنس أنه عليه السلام سأل جبريل « مالى لا أرى ميكائيل يضحك ؟ » فقال جبريل : ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار [٤] .

ويقال : إنّ لله تعالى ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النار مخافة أن يغضب الله عليهم فيعذبهم بها .

وقال ابن عمر رضى الله عنهما : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الأنصار ، فجعل يلتقط من التمر ويأكل ، فقال ، « يا ابن عمر ، مالك لا تأكل : » فقلت : يا رسول الله لا أشتهيه ، فقال « لكنى أشتهيه وهذا صبح رابعة لم أذق طعاما ولم أجده ولو سألت ربى لأعطانى ملك قيصر وكسرى فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت فى قوم يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين فى قلوبهم ؟ » قال فوالله ما برحنا ولا قمنا حتى نزلت ﴿ وكأين من دابة لاتحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم ﴾ قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنّ الله لم يأمركم بكنز المال ولا باتباع الشهوات ، من كنز دنانير يريد بها حياة فانية فإنّ الحياة بيد الله ، ألا وإنى لا أكنز دينارا ولا درهما ولا أخبأ رزقا لغد [٥] » .

وقال أبو الدرداء : كان يسمع أزيز قلب إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم إذا قام فى الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه

وقال مجاهد : بكى داود عليه السلام أربعين يوما ساجدا لايرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه وحتى غطى رأسه ، فنودى : ياداود أجائع أنت فتطعم ؟ أم ظمآن فتسقى ؟ أم عار فتكسى ؟ فنحب نحبة هاج العود فاحترق من حرّ جوفه ، ثم أنزل الله تعالى عليه التوبة والمغفرة فقال : يارب اجعل خطيئتى فى كفى فصارت خطيئته فى كفه مكتوبة ، فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيره إلا رآها فأبكته ، قال : وكان يؤتى بالقدح ثلثاه فإذا

---

(١) حديث : انه رأى صورة جبريل بالأبطح فصعق : أخرجه البزار من حديث ابن عباس بسند جيد : سأل النبى صلى الله عليه وسلم جبريل أن يراه فى صورته ؟ فقال : ادع ربك ، فدعا ربه فطلع عليه من قبل المشرق فجعل يرتفع ويسير ، فلما رآه صعق . ورواه ابن المبارك من رواية الحسن مرسلا بلفظ : فغشى عليه . وفى الصحيحين عن عائشة : رأى جبريل فى صورته مرتين وسلما عن ابن مسعود : رأى جبريل له ستمائة جناح .

(٢) حديث : كان اذا دخل فى الصلاة سمع لصدره أزيز كأزيز المرجل . رواه أبو داود والترمذى فى الشمائل ، والنسائى من حديث عبد الله بن الشخير ، وتقدم فى كتاب السماع . (٣) حديث « ماجاءنى جبريل قط الا وهو ترتعد فرائصه من الجبار » لم أجد هذا اللفظ . وروى أبو الشيخ فى كتاب العظمة عن ابن عباس قال: ان جبريل عليه السلام يوم القيامة لقائم بين يدى الجبار تبارك وتعالى ترتعد فرائصه فرقا من عذاب الله ... الحديث » وفيه زميل بن سماك الحنفى يحتاج الى معرفته .

(٤) حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل « مالى لاأرى ميكائيل يضحك » فقال : ماضحك ميكائيل منذ خلقت النار . رواه أحمد وابن أبى الدنيا فى كتاب الخائفين من رواية ثابت عن أنس بإسناد جيد ، ورواه ابن شاهين فى السنة من حديث ثابت مرسلا ، وورد ذلك أيضا فى حق اسرافيل . رواه البيهقى فى الشعب ، وفى حق جبريل رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الخائفين .

(٥) حديث ابن عمر : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل على حيطان الأنصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل الحديث . أخرجه ابن مردويه فى التفسير والبيهقى فى الزهد من رواية رجل لم يسم عن ابن عمر . قال البيهقى : هذا اسناد مجهول ، والجراح بن منهال ضعيف .

تناوله أبصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه . ويروى عنه عليه السلام أنه ما رفع رأسه إلى السماء حتى مات حياء من الله عز وجل ، وكان يقول فى مناجاته : إلهى إذا ذكرت خطيئتى ضاقت على الأرض برحبها ، وإذا ذكرت رحمتك ارتدت إلى روحى ، سبحانك إلهى أتيت أطباء عبادك ليداووا خطيئتى فكلهم عليك يدلنى ، فبؤسا للقانطين من رحمتك .

وقال الفضيل : بلغنى أن داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صارخا واضعاً يده على رأسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت إليه السباع فقال : ارجعوا لا أريدكم ، إنما أريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلنى إلا البكاء ، ومن لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود الخطاء . وكان يعاتب فى كثرة البكاء فيقول ، دعونى أبكى قبل خروج يوم البكاء قبل تخريق العظام واشتغال الحشا وقبل أن يؤمر بى ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون . وقال عبد العزيز بن عمر : لما أصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال : إلهى بح صوتى فى صفاء أصوات الصديقين . وروى أنه عليه السلام لما طال بكاؤه ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعه واشتد غمه ، فقال : يارب أما ترحم بكائى ؟ فأوحى الله تعالى إليه : ياداود ، نسيت ذنبك وذكرت بكاءك ، فقال : إلهى وسيدى كيف أنسى ذنبى وكنت إذا تلوت الزبور كف الماء الجارى عن جريه وسكن هبوب الريح وأظلنى الطير على رأسى وأنست الوحوش إلى محرابى ، إلهى وسيدى فما هذه الوحشة التى بينى وبينك ، فأوحى الله تعالى إليه : يا داود ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية ، ياداود آدم خلق من خلق خلقته بيدى ونفخت فيه من روحى وأسجدت له ملائكتى وألبسته ثوب كرامتى وتوجته بتاج وقارى ، وشكا لى الوحدة فزوجته حواء أمتى وأسكنته جنتى ، عصانى فطردته عن جوارى عريانا ذليلا ، ياداود اسمع منى والحق أقول : أطعتنا فأطعناك ، وسألتنا فأعطيناك ، وعصيتنا فأمهلناك ، وإن عدت إلينا على ما كان منك قبلناك . وقال يحيى بن أبى كثير : بلغنا أن داود عليه السلام كان إذا أراد أن ينوح مكث قبل ذلك سبعا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء ، فإذا كان قبل ذلك بيوم أخرج له المنبر إلى البرية ، فأمر سليمان أن ينادى بصوت يستقرى البلاد وما حولها من الغياض والآكام والجبال والبرارى والصوامع والبيع ، فينادى فيها : ألا من أراد أن يسمع نوح داود على نفسه فليأت ، قال : فتأتى الوحوش من البرارى والآكام وتأتى السباع من الغياض وتأتى الهوام من الجبال وتأتى الطير من الأوكار وتأتى العذارى من خدورهن ، وتجتمع الناس لذلك اليوم ، ويأتى داود حتى يرقى المنبر ويحيط به بنو إسرائيل وكل صنف على حدته محيطون به وسليمان عليه السلام قائم على رأسه ، فيأخذ فى الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ ، ثم يأخذ فى ذكر الجنة والنار فتموت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس ، ثم يأخذ فى أهوال القيامة وفى النياحة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة ، فإذا رأى سليمان كثرة الموتى قال : يا أبتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طوائف من بنى إسرائيل ومن الوحوش والهوام ، فيأخذ فى الدعاء ، فبينا هو كذلك إذ ناداه بعض عباد بنى إسرائيل : ياداود عجلت بطلب الجزاء على ربك ! قال فيخر داود مغشيا عليه ، فإذا نظر سليمان إلى ما أصابه أتى بسرير فحمله عليه ثم أمر مناديا ينادى ألا من كان له مع داود حميم أو قريب فليأت بسرير فليحمله فإن الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار فكانت المرأة تأتى بالسرير وتحمل قريبها وتقول : يامن قتله ذكر النار ، يامن قتله خوف الله ثم إذا أفاق داود قام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأغلق بابه ويقول : يا إله داود أغضبان أنت على داود ولا يزال يناجى ربه ، فيأتى سليمان ويقعد على الباب ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص من شعير فيقول : يا أبتاه تقو بهذا على ما تريد ، فيأكل من

ذلك القرص ماشاء الله ثم يخرج إلى بنى إسرائيل فيكون بينهم . وقال يزيد الرقاشى . خرج داود ذات يوم بالناس يعظهم ويخوفهم ، فخرج فى أربعين ألفا فمات منهم ثلاثون ألفا ومارجع إلا فى عشرة آلاف ، قال : وكان له جاريتان اتخذهما ، حتى إذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب قعدتا على صدره وعلى رجليه مخافة أن تتفرق أعضاؤه ومفاصله فيموت .

وقال ابن عمر رضى الله عنهما : دخل يحيى بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج ، فنظر إلى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ، ونظر إلى مجتهديهم قد خرقوا التراقى وسلكوا فيها السلاسل وشدّوا أنفسهم إلى أطراف بيت المقدس ، فهاله ذلك ، فرجع إلى أبويه فمر بصبيان يلعبون ، فقالوا له : يايحيى ، هلم بنا نلعب فقال : إنى لم أخلق للعب ، قال : فأتى أبويه فسألهما أن يدرعاه الشعر ففعلا ، فرجع إلى بيت المقدس وكان يخدمه نهارا ويصبح فيه ليلا ، حتى أتت عليه خمس عشرة سنة ، فخرج ولزم أطواد الأرض وغيران الشعاب ، فخرج أبواه فى طلبه فأدركاه على بحيرة الأردن وقد أنقع رجليه فى الماء حتى كاد العطش يذبحه وهو يقول : وعزتك وجلالك لا أذوق بارد الشراب حتى أعلم أين مكانى منك ، فسأله أبواه أن يفطر على قرص كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن يمينه ، فمدح بالبر ، فرده أبواه إلى بيت المقدس ، فكان إذا قام يصلى بكى حتى يبكى معه الشجر والمدر ، ويبكى زكريا عليه السلام لبكائه حتى يغمى عليه ، فلم يزل يبكى حتى خرقت دموعه لحم خدّيه وبدت أضراسه للناظرين ، فقالت له أمه : يابنى لو أذنت لى أن أتخذ لك شيئا توارى به أضراسك عن الناظرين فأذن لها ، فعمدت إلى قطعتى لبود فألصقتهما على خدّية ، فكان إذا قام يصلى بكى فإذا استنقعت دموعه فى القطعتين أتت إليه أمه فعصرتهما ، فإذا رأى دموعه تسيل على ذراعى أمه قال : اللهم هذه دموعى وهذه أمى وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين ، فقال له زكريا يوما . يابنى إنما سألت ربى أن يهبك لى لتقر عيناى بك ، فقال يحيى ، ياأبت إن جبريل عليه السلام أخبرنى أن بين الجنة والنار مفازة لايقطعها إلا كل بكاء . فقال زكريا عليه السلام : يابنى فابك .

وقال المسيح عليه السلام : معاشر الحواريين ، خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقه ويباعدان من الدنيا . بحق أقول لكم : إن أكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب فى طلب الفردوس قليل .

وقيل : كان الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا فى ميل ، فيأتيه جبريل فيقول له : ربك يقرئك السلام ويقول : هل رأيت خليلا يخاف خليله ؟ فيقول ياجبريل إنى إذا ذكرت خطيئتى نسيت خلتى ، فهذه أحوال الأنبياء عليهم السلام فدونك والتأمل فيها فإنهم أعرف خلق الله بالله وصفاته ، صلوات الله عليهم أجمعين وعلى كل عباد الله المقربين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف والصالحين فى شدة الخوف

روى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال لطائر ليتنى مثلك ياطائر ولم أخلق بشراً .

وقال أبو ذرّ رضى الله عنه : وددت لو أنى شجرة تعضد وكذلك قال طلحة .

وقال عثمان رضى الله عنه : وددت إنى إذا مت لم أبعث .

وقالت عائشة رضى الله عنها وددت أنى كنت نسيا منسيا .

وروى أن عمر رضى الله عنه كان يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه ، فكان يعاد أياما . وأخذ يوما تبنة من الأرض فقال ياليتنى كنت هذه التبنة ، ياليتنى لم أك شيئا مذكوراً ، ياليتنى كنت نسيا منسيا ،

ياليتنى لم تلدنى أمى . وكان فى وجه عمر رضى الله عنه خطان أسودان من الدموع وقال رضى الله عنه : من خاف الله لم يشف غيظه ، ومن اتقى الله لم يصنع مايريد ، ولولا يوم القيامة لكان غير ماترون . ولما قرأ عمر رضى الله عنه ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ وانتهى إلى قوله تعالى ﴿ وإذا الصحف نشرت ﴾ خرّ مغشيا عليه . ومر يوما بدار إنسان وهو يصلى ويقرأ سورة (والطور) فوقف يستمع ، فلما بلغ قوله تعالى ﴿ إنّ عذاب ربك لواقع * ماله من دافع ﴾ نزل عن حماره واستند إلى حائط ومكث زمانا ، ورجع إلى منزله فمرض شهرا يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه .

وقال على كرّم الله وجهه وقد سلم من صلاة الفجر وقد علاه كآبة وهو يقلب يده : لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلم أر اليوم شيئا يشبههم ، لقد كانوا يصبحون شعثا صفرا غبرا بين أعينهم أمثال ركب المعزى قد باتوا لله سجداً وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم ، فإذا أصبحوا ذكروا الله فمادوا كما يميد الشجر فى يوم الريح ، وهملت أعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم ، والله فكأن بالقوم باتوا غافلين ، ثم قام ، فمارؤى بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم .

وقال عمران بن حصين : وددت أن أكون رماداً تنسفنى الرياح فى يوم عاصف ،

وقال أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه . وددت أنى كبش فيذبحنى أهلى فيأكلون لحمى ويحسون مرقى

وكان على بن الحسين رضى الله عنه إذا توضأ اصفر لونه ، فيقولون له أهله : ماهذا الذى يعتادك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم ؟

وقال موسى بن مسعود : كنا إذا جلسنا إلى الثورى كأن النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه .

وقرأ مضر القارئ يوما ﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق . . . الآية ﴾ فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشى عليه ، فلما أفاق قال : وعزتك لأعصينك جهدى أبداً ، فأعنى بتوفيقك على طاعتك .

وكان المسور بن مخرمة لايقوى أن يسمع شيئا من القرآن : لشدّة خوفه ، ولقد كان يقرأ عنده الحرف والآية فيصيح الصيحة فما يعقل أياما ، حتى أتى عليه رجل من خثعم فقرأ عليه ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا * ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا ﴾ فقال أنا من المجرمين ولست من المتقين ، أعد على القول أيها القارئ ، فأعادها عليه فشهق شهقة فلحق بالآخرة .

وقرئ عند يحيى البكاء ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على ربهم ﴾ فصاح صيحة مكث منها مريضاً أربعة أشهر يعاد من أطراف البصرة .

وقال مالك بن دينار : بينما أنا أطوف بالبيت إذ أنا بجويرية متعبدة متعلقة بأستار الكعبة وهى تقول: يارب كم شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها ! يارب أما كان لك أدب وعقوبة إلا النار ؟ وتبكى ؛ فما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر ، قال مالك : فلما رأيت ذلك وضعت يدى على رأسى صارخا أقول : ثكلت مالكا أمه .

وروى أن الفضيل رؤى يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكى بكاء الثكلى المحترقة ، حتى إذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : واسوأتاه منك وإن غفرت ، ثم انقلب مع الناس .

وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن الخائفين ؟ فقال : قلوبهم بالخوف فرحة ، وأعينهم باكية ، يقولون : كيف نفرح والموت من ورائنا ، والقبر أمامنا ، والقيامة موعدنا ، وعلى جهنم طريقنا ، وبين يدى الله ربنا موقفنا .

ومرّ الحسن بشاب وهو مستغرق فى ضحكه وهو جالس مع قوم فى مجلس ؛ فقال له الحسن : يافتى ، هل مررت بالصراط ؟ قال : لا . قال : فهل تدرى إلى الجنة تصير أم إلى النار ؟ قال : لا . قال فما هذا الضحك ؟ قال فما رؤى ذلك الفتى بعدها ضاحكا .

وكان حماد بن عبد ربه إذا جلس جلس مستوفزا على قدميه ، فيقال له : لو اطمأننت ؟ فيقول : تلك جلسة الآمن ، وأنا غير آمن إذ عصيت الله تعالى .

وقال عمر بن عبد العزيز : إنما جعل الله هذه الغفلة فى قلوب العباد رحمة كيلا يموتوا من خشية الله تعالى .

وقال مالك بن دينار : لقد هممت إذا أنا مت آمرهم أن يقيدونى ويغلونى ثم ينطلقوا بى إلى ربى كما ينطلق بالعبد الآبق إلى سيده ،

وقال حاتم الأصم : لاتغتر بموضع صالح ، فلا مكان أصلح من الجنة وقد لقى آدم عليه السلام فيها مالقى : ولا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول تعبده لقى مالقى ! ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام كان يحسن اسم الله الأعظم فانظر ماذا لقى ! ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر منزلة عند الله من المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه !

وقال السرى : إنى لأنظر إلى أنفى كل يوم مرات مخافة أن يكون قد اسود وجهى . وقال أبو حفص منذ أربعين سنة اعتقادى فى نفسى أن الله ينظر إلى نظر السخط وأعمالى تدل على ذلك .

وخرج ابن المبارك يوما على أصحابه فقال : إنى احتقرت البارحة على الله سألته الجنة .

وقالت أم محمد بن كعب القرظى لابنها : يابنى إنى أعرفك صغيرا طيبا وكبيراً طيباً ، وكانك أحدثت حدثاً موبقا لما أراك تصنع فى ليلك ونهارك ! فقال : يا أماه ، مايؤمننى أن يكون الله تعالى قد اطلع على وأنا على بعض ذنوبى فمقتنى وقال : وعزتى وجلالى لاغفرت لك

وقال الفضيل : إنى لا أغبط نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا ولا عبداً صالحا ، أليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة ، إنما أغبط من لم يخلق .

وروى : أن فتى من الأنصار دخلته خشية النار ، فكان يبكى حتى حبسه ذلك فى البيت ، فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فدخل عليه واعتنقه فخر ميتا ، فقال صلى الله عليه وسلم « جهزوا صاحبكم فإن الفرق من النار فتت كبده [1] »

وروى عن ابن أبى ميسرة أنه كان إذا أوى إلى فراشه يقول : ياليت أمى لم تلدنى ، فقالت له أمه : يامسيرة ، إن الله تعالى قد أحسن إليك : هداك إلى الإسلام ، قال : أجل ولكن الله قد بين لنا أنا واردو النار ولم يبين لنا أنا صادرون عنها ،

وقيل لفرقد السبخى : أخبرنا بأعجب شىء بلغك عن بنى إسرائيل ! فقال : بلغنى أنه دخل بيت المقدس خمسمائة عذراء لباسهن الصوف والمسوح ، فتذاكرن ثواب الله وعقابه فمتن جميعا فى يوم واحد .

وكان عطاء السلمى من الخائفين ولم يكن يسأل الله الجنة أبداً إنما كان يسأل الله العفو . وقيل له فى مرضه : ألا تشتهى شيئا ؟ فقال : إن خوف جهنم لم يدع فى قلبى موضعا للشهوة : إنه مارفع رأسه إلى السماء ولا ضحك

(١) حديث : أن فتى من الأنصار دخلته خشية من النار حتى حبسه خوفه فى البيت ... الحديث . أخرجه ابن أبى الدنيا فى الخائفين من حديث حذيفة ، والبيهقى فى الشعب من حديث سهل بن سعد بإسنادين فيهما نظر .

أربعين سنة . وأنه رفع رأسه يوما ففزع فسقط فانفتق فى بطنه فتق ، وكان يمس جسده فى بعض الليلة مخافة أن يكون قد مسخ . وكان إذا أصابتهم ريح أو برق أو غلاء طعام قال : هذا من أجلى يصيبهم ، لو مات عطاء لاستراح الناس . وقال عطاء : خرجنا مع عتبة الغلام وفينا كهول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهور العشاء قد تورمت أقدامهم من طول القيام وغارت أعينهم فى رءوسهم ولصقت جلودهم على عظامهم وبقيت العروق كأنها الأوتار ، يصبحون كأن جلودهم قشور البطيخ وكأنهم قد خرجوا من القبور يخبرون كيف أكرم الله المطيعين وكيف أهان العاصين ، فبينما هم يمشون إذ مر أحد بمكان فخر مغشيا عليه ، فجلس أصحابه حوله يبكون فى يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقا ، فجاءوا بماء فمسحوا وجهه فأفاق وسألوه عن أمره ؟ فقال : إنى ذكرت أنى كنت عصيت الله فى ذلك المكان .

وقال صالح المرى : قرأت على رجل من المتعبدين ﴿ يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ﴾ فصعق ثم أفاق فقال : زدنى ياصالح فإنى أجد غما ، فقرأت ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ﴾ فخر ميتا .

وروى أن زرارة بن أبى أوفى صلى بالناس الغداة فلما قرأ ﴿ فإذا نقر فى الناقور ﴾ خر مغشيا عليه ، فحمل ميتا .

ودخل يزيد الرقاشى على عمر بن عبد العزيز فقال : عظنى يا يزيد : فقال يا أمير المؤمنين ، اعلم أنك لست أول خليفة يموت ، فبكى ثم قال : زدنى ، قال : ياأمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم أب إلا ميت ، فبكى ثم قال : زدنى يايزيد ، فقال : يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين الجنة والنار منزل ، فخر مغشيا عليه .

وقال ميمون بن مهران : لما نزلت هذه الآية ﴿ وإنّ جهنم لموعدهم أجمعين ﴾ صاح سلمان الفارسى ووضع يده على رأسه وخرج هاربا ثلاثة أيام لايقدرون عليه [1] .

ورأى داود الطائى امرأة تبكى على رأس قبر ولدها وهى تقول : يا ابناه ، ليت شعرى أى خديك بدأ به الدود أولا ؟ فصعق داود وسقط مكانه .

وقيل : مرض سفيان الثورى فعرض دليله على طبيب ذمى فقال : هذا رجل قطع الخوف كبده ، ثم جاء وجس عروقه ثم قال : ماعلمت أن فى الملة الحنيفية مثله .

وقال أحمد بن حنبل رحمة الله عليه : سألت الله عز وجل أن يفتح على بابا من الخوف ، ففتح فخفت على عقلى ؛ فقلت : يارب على قدر ما أطيق ، فسكن قلبى .

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا ، فوالذى نفسى بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته ، وصلى حتى ينكسر صلبه ، وكأنه أشار إلى معنى قوله صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا [2] »

وقال العنبرى : اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكى ولحيته ترجف ، فقال : عليكم بالقرآن ، عليكم بالصلاة ، ويحكم ! ليس هذا زمان حديث ، إنما هذا زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق ، إنما هذا زمان : احفظ لسانك وأخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر .

---

(١) حديث ميمون بن مهران : لما نزلت هذه الآية (وان جهنم لموعدهم أجمعين) صاح سلمان الفارسى : لم أقف له على أصل

(٢) حديث « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » تقدم فى قواعد العقائد .

ورؤى الفضيل يوما وهو يمشى ، فقيل له : إلى أين ؟ قال : لا أدرى ، وكان يمشى والهامن الخوف .

وقال ذر بن عمر لأبيه عمر بن ذر : ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكى أحد ، فإذا تكلمت أنت سمعت البكاء من كل جانب ، فقال : يابنى ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة .

وحكى أنّ قوما وقفوا بعابد وهو يبكى فقالوا : ما الذى يبكيك يرحمك الله ؟ قال : قرحة يجدها الخائفون فى قلوبهم قالوا : وما هى ؟ قال : روعة النداء بالعرض على الله عز وجل .

وكان الخواص يبكى ويقول فى مناجاته : قد كبرت وضعف جسمى عن خدمتك فأعتقنى .

وقال صالح المرى : قدم علينا ابن السماك مرة فقال : أرنى شيئا من بعض عجائب عبادكم ، فذهبت به إلى رجل فى بعض الأحياء فى خص له ، فاستأذنا عليه ، فإذا رجل يعمل خوصا ، فقرأت عليه ﴿ إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون ، فى الحميم ثم فى النار يسجرون ﴾ فشهق الرجل شهقة وخر مغشيا عليه ، فخرجنا من عنده وتركناه على حاله ، وذهبنا إلى آخر فدخلنا عليه فقرأت هذه الآية فشهق شهقة وخر مغشيا عليه ، فذهبنا واستأذنا على ثالث ، فقال : ادخلوا إن لم تشغلونا عن ربنا ، فقرأت ﴿ ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد ﴾ فشهق شهقة فبدا الدم من منخريه وجعل يتشحط فى دمه حتى يبس . فتركناه على حاله وخرجنا فأدرته على ستة أنفس كل يخرج من عنده ونتركه مغشيا عليه ؛ ثم أتيت به إلى السابع فاستأذنا . فإذا امرأة من داخل الخص تقول : ادخلوا ، فدخلنا فإذا شيخ فان جالس فى مصلاه ، فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا ، فقلت بصوت عال : ألا إنّ للخلق غدا مقاما ، فقال الشيخ : بين يدى من ويحك ! ثم بقى مبهوتا فاتحا فاه شاخصا ببصره يصيح بصوت له ضعيف أوه أوه حتى انقطع ذلك الصوت ، فقالت امرأته : اخرجوا فإنكم لاتنتفعون به الساعة ، فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم ؟ فإذا ثلاثة قد أفاقوا ، وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى . وأما الشيخ فإنه مكث ثلاثة أيام على حالته مبهوتا متحيرا لا يؤدى فرضا فلما كان بعد ثلاث عقل .

وكان يزيد بن الأسود يرى أنه من الأبدال ، وكان قد حلف أن لا يضحك أبدا ولا ينام مضطجعا ولا يأكل سمنا أبدا ، فما رؤى ضاحكا ولا مضطجعا ولا أكل سمنا حتى مات رحمه الله .

وقال الحجاج لسعيد بن جبير : بلغنى أنك لم تضحك قط ! فقال . كيف أضحك وجهنم قد سعرت والأغلال قد نصبت والزبانية قد أعدّت .

وقال رجل للحسن : ياأباسعيد كيف أصبحت ؟ قال : بخير ، قال : كيف حالك ؟ فتبسم الحسن وقال تسألنى عن حالى ؟ ماظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق كل إنسان منهم بخشبة ؟ على أى حال يكون ؟ قال الرجل : على حال شديدة . قال الحسن : حالى أشد من حالهم .

ودخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز عليه فسلمت عليه ثم قامت إلى مسجد فى بيته فصلت فيه ركعتين وغلبتها عيناها : فرقدت فاستبكت فى منامها ، ثم انتبهت فقالت : يا أمير المؤمنين ، إنى والله رأيت عجبا ، قال ، وما ذلك ؟ قالت : رأيت النار وهى تزفر على أهلها ثم جىء بالصراط ووضع على متنها ، فقال : هيه ، قالت : فجىء بعبد الملك بن مروان فحمل عليه فما مضى عليه إلا يسير حتى انكفأ به الصراط ، فهوى إلى جهنم فقال عمر هيه ، قالت : ثم جىء بالوليد بن عبد الملك فحمل عليه فما مضى إلا يسير حتى انكفأ به الصراط فهوى إلى جهنم ، فقال عمر : هيه قالت : ثم جىء بسليمان بن عبد الملك فما مضى عليه إلا يسير حتى انكفأ به الصراط فهوى كذلك ، فقال عمر : هيه قالت : ثم جىء بك والله ياأمير المؤمنين : فصاح عمر رحمة الله عليه صيحة خر مغشيا عليه ،

فقامت إليه فجعلت تنادى فى أذنه : يا أمير المؤمنين ، إنى رأيتك والله قد نجوت ! إنى رأيتك والله قد نجوت ! قال : وهى تنادى وهو يصيح ويفحص برجليه . ويحكى أنّ أويسا القرنى رحمه الله كان يحضر عند القاص فيبكى من كلامه ، فإذا ذكر النار صرخ أويس ثم يقوم منطلقا فيتبعه الناس فيقولون مجنون مجنون .

وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه : إنّ المؤمن لايسكن روعه حتى يترك جسر جهنم وراءه .

وكان طاوس يفرش له الفرش فيضطجع ويتقلى كما تتقلى الحبة فى المقلى ، ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول : طير ذكر جهنم نوم الخائفين .

وقال الحسن البصرى رحمه الله : يخرج من النار رجل بعد ألف عام ، ياليتنى كنت ذلك الرجل ، وإنما قال ذلك لخوفه من الخلود وسوء الخاتمة . وروى أنه ما ضحك أربعين سنة ؛ قال : وكنت إذا رأيته قاعدا كأنه أسير قد قدم لتضرب عنقه ، وإذا تكلم كأنه يعاين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها ، فإذا سكت كأنّ النار تسعر بين عينيه . وعوتب فى شدّة حزنه وخوفه فقال : ما يؤمننى أن يكون الله تعالى قد اطلع فى على بعض مايكره فمقتنى فقال : اذهب فلا غفرت لك ؛ فأنا أعمل فى غير معتمل .

وعن ابن السماك قال : وعظت يوما فى مجلس ، فقام شاب من القوم فقال : يا أبا العباس ، لقد وعظت اليوم بكلمة ما كنا نبالى أن لا نسمع غيرها . قلت : وما هى رحمك الله ؟ قال قولك : لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلود إما فى الجنة أو فى النار . ثم غاب عنى ففقدته فى المجلس الآخر فلم أره ، فسألت عنه فأخبرت أنه مريض يعاد ، فأتيته أعوده فقلت : يا أخى ما الذى أرى بك ؟ فقال : يا أبا العباس ذلك من قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلود إما فى الجنة أو فى النار . قال : ثم مات رحمه الله فرأيته فى المنام فقلت : يا أخى مافعل الله بك؟ قال : غفر لى ورحمنى وأدخلنى الجنة . قلت بماذا ؟ قال بالكلمة .

فهذه مخاوف الأنبياء والأولياء والعلماء والصالحين ، ونحن أجدر بالخوف منهم ، لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكمال المعرفة ، وإلا فليس أمننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا ، بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدّتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا وقسوتنا ، فلا قرب الرحيل ينبهنا ، ولا كثرة الذنوب تحرّكنا ، ولا مشاهدة أحوال الخائفين تخوّفنا ، ولا خطر الخاتمة يزعجنا ؛ فنسأل الله تعالى أن يتدارك بفضله وجوده أحوالنا فيصلحنا ، إن كان تحريك اللسان بمجرّد السؤال دون الاستعداد ينفعنا .

ومن العجائب أنا إذا أردنا المال فى الدنيا زرعنا وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبرارى وخاطرنا . وإن أردنا طلب رتبة العلم فقهنا وتعبنا فى حفظه وتكراره وشهرنا ، ونجتهد فى طلب أرزاقنا ولا نثق بضمان الله لنا ولا نجلس فى بيوتنا فنقول : اللهم ارزقنا ، ثم إذا طمعت أعيننا نحو الملك الدائم المقيم قنعنا بأن نقول بألسنتنا : اللهم اغفر لنا وارحمنا ، والذى إليه رجاؤنا وبه اعتزازنا ينادينا ويقول ﴿ وإن ليس للإنسان إلا ماسعى ﴾ ﴿ ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ ﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ﴾ ثم كل ذلك لا ينبهنا ولا يخرجنا عن أودية غرورنا وأمانينا ، فما هذه إلا محنة هائلة إن لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح يتداركنا بها ويجيرنا ، فنسأل الله تعالى أن يتوب علينا ، بل نسأله أن يشوّق إلى التوبة سرائر قلوبنا ، وأن لايجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حظنا فنكون ممن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل ، إذا سمعنا الوعظ بكينا ، وإذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصينا ؛ علامة للخذلان أعظم من هذا ؛ فنسأل الله تعالى أن يمن علينا بالتوفيق والرشد بمنه وفضله .

ولنقتصر من حكاية أحوال الخائفين على ما أوردناه فإنّ القايل من هذا يصادف القلب القابل فيكفى ، والكثير منه وإن أفيض على القلب الغافل فلا يغنى . ولقد صدق الراهب الذى حكى عنه عيسى بن مالك الخولانى ـ وكان من خيار العباد ـ أنه رآه على باب بيت المقدس واقفا كهيئة المحزون من شدّة الوله ما يكاد يرقأ دمعه من كثرة البكاء، فقال عيسى : لما رأيته هالنى منظره ، فقلت : أيها الراهب أوصنى بوصية أحفظها عنك ، فقال : يا أخى بماذا أوصيك، إن استطعت أن تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام فهو خائف حذر يخاف أن يغفل فتفترسه السباع أو يسهو فتنهشه الهوام فهو مذعور القلب وجل ، فهو فى المخالفة ليله وإن أمن المغترون ، وفى الحزن نهاره وإن فرح البطالون . ثم ولى وتركنى فقلت : لو زدتنى شيئا عسى أن ينفعنى ؟ فقال الظمآن يجزيه من الماء أيسره ، وقد صدق فإنّ القلب الصافى يحركه أدنى مخافة ، والقلب الجامد تنبو عنه كل المواعظ ، وما ذكره من تقديره أنه احتوشته السباع والهوام فلا ينبغى أن يظن أنه تقدير بل هو تحقيق ؛ فإنك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرأيته مشحونا بأصناف السباع وأنواع الهوام مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها ، وهى التى لا تزال تفترسك وتنهشك إن غفلت عنها لحظة ، إلا أنك محجوب العين عن مشاهدتها ؛ فإذا انكشف الغطاء ووضعت فى قبرك عاينتها وقد تمثلت لك بصورها وأشكالها الموافقة لمعانيها ، فترى بعينك العقارب والحيات وقد أحدقت بك فى قبرك وإنما هى صفاتك الحاضرة الآن قد انكشفت لك صورها ، فإن أردت أن تقتلها وتقهرها وأنت قادر عليها قبل الموت فافعل ، وإلا فوطن نفسك على لدغها ونهشها لصميم قلبك فضلا عن ظاهر بشرتك ، والسلام .

كتاب الفقر والزهد

وهو الكتاب رابع من ربع المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تسبح له الرمال ، وتسجد له الظلال ، وتتدكدك من هيبته الجبال ، خلق الإنسان من الطين اللازب والصلصال ، وزين صورته بأحسن تقويم وأتم اعتدال ، وعصم قلبه بنور الهداية عن ورطات الضلال ، وأذن له فى قرع باب الخدمة بالغدوّ والآصال ، ثم كحل بصيرة المخلص فى خدمته بنور العبرة حتى لاحظ بضيائه حضرة الجلال ، فلاح له من البهجة والبهاء والكمال ، ما استقبح دون مبادى إشراقه كل حسن وجمال ، واستثقل كل ماصرفه عن مشاهدته وملازمته غاية الاستثقال ، وتمثل له ظاهر الدنيا فى صورة امرأة جميلة تميس وتختال ، وانكشف له باطنها عن تجور شوهاء عجنت من طينة الخزى وضربت فى قالب النكال ، وهى متلفلفة بجلبابها لتخفى قبائح أسرارها بلطائف السحر والاحتيال ، وقد نصبت حبائلها فى مدارج الرجال ، فهى تقتنصهم بضروب المكر والاغتيال ، ثم لاتجتزئ معهم بالخلف فى مواعيد الوصال ، بل تقيدهم مع قطع الوصال بالسلاسل والأغلال ، وتبليهم بأنواع البلايا والأنكال ، فلما انكشف للعارفين منها قبائح الأسرار والأفعال ، زهدوا فيها زهد المبغض لها فتركوها وتركوا التفاخر والتكاثر بالأموال ، وأقبلوا بكنه هممهم على حضرة الجلال ، واثقين منها بوصال ليس دونه انفصال ، ومشاهدة أبدية لا يعتريها فناء ولا زوال ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأنبياء وعلى آله خير آل .

(أما بعد) فإنّ الدنيا عدوّة لله عز وجل بغرورها ضل من ضل ، وبمكرها زل من زل ، فحبها رأس الخطايا والسيئات ، وبغضها أم الطاعات وأس القربات . وقد استقصينا مايتعلق بوصفها وذم الحب لها فى كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات ، ونحن الآن نذكر فضل البغض لها والزهد فيها فإنه رأس المنجيات . فلا مطمع فى النجاة إلا بالانقطاع عن الدنيا والبعد منها لكن مقاطعتها إما أن تكون بانزوائها عن العبد ويسمى ذلك فقرا ، وإما بانزواء العبد عنها ويسمى ذلك زهدا ، ولكل واحد منهما درجة فى نيل السعادات وحظ فى الإعانة على الفوز والنجاة . ونحن الآن نذكر حقيقة الفقر والزهد ودرجاتهما وأقسامهما وشروطهما وأحكامهما ونذكر الفقر فى شطر من الكتاب والزهد فى شطر آخر منه ، ونبدأ بذكر الفقر فنقول :

الشطر الأول من الكتاب فى الفقر

وفيه بيان حقيقة الفقر ، وبيان فضيلة الفقر مطلقا ، وبيان خصوص فضيلة الفقراء ، وبيان فضيلة الفقير على الغنى ، وبيان أدب الفقير فى فقره ، وبيان أدبه فى قبوله العطاء ، وبيان تحريم السؤال بغير ضرورة ، وبيان مقدار الغنى المحرّم للسؤال ، وبيان أحوال السائلين ، والله الموفق بلطفه وكرمه .

بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميه

اعلم أنّ الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج إليه ، أما فقد مالا حاجة إليه فلا يسمى فقرا ، وإن كان المحتاج إليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج فقيرا ، وإذا فهمت هذا لم تشك فى أنّ كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لأنه محتاج إلى دوام الوجود فى ثانى الحال ودوام وجود مستفاد من فضل الله تعالى وجوده ؛ فإن كان فى الوجود موجود ليس وجوده مستفاد له من غيره فهو الغنى المطلق ، ولا يتصوّر أن يكون مثل هذا الموجود إلا واحدا ، فليس فى الوجود إلا غنى واحد ، وكل من عداه فإنهم محتاجون إليه ليمدّوا وجودهم بالدوام ، وإلى هذا الحصر الإشارة بقوله تعالى ﴿ والله الغنى وأنتم الفقراء ﴾ هذا معنى الفقر مطلقا ، ولكنا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص ، وإلا ففقر العبد بالإضافة إلى أصناف حاجاته لاينحصر ؛ لأنّ حاجاته لاحصر لها . ومن جملة حاجاته مايتوصل إليه بالمال ، وهو الذى نريد الآن بيانه فقط ، فنقول : كل فاقد للمال فإنا نسميه فقيرا بالإضافة إلى المال الذى فقده إذا كان ذلك المفقود محتاجا إليه فى حقه ، ثم يتصوّر أن يكون له خمسة أحوال عند الفقر . ونحن نميزها ونخصص كل حال باسم لنتوصل بالتمييز إلى ذكر أحكامها :

(الحالة الأولى) وهى العليا : أن يكون بحيث لو أتاه المال لكرهه وتأذى به وهرب من أخذه مبغضا له ومحترزا من شره وشغله وهو الزهد ، واسم صاحبه الزاهد .

(الثانية) أن يكون بحيث لايرغب فيه رغبة يفرح لحصوله ولايكرهه كراهة يتأذى بها ويزهد فيه لو أتاه ، وصاحب هذه الحالة يسمى راضيا .

(الثالثة) أن يكون وجود المال أحب إليه من عدمه لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته أن ينهض لطلبه ، بل إن أتاه صفوا عفوا أخذه وفرح به ، وإن افتقر إلى تعب فى طلبه لم يشتغل به ، وصاحب هذه الحالة نسميه قانعا ، إذ قنع نفسه بالموجود حتى ترك الطلب مع مافيه من الرغبة الضعيفة .

(الرابعة) أن يكون تركه الطلب لعجزه ، وإلا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيلا إلى طلبه ولو بالتعب لطلبه ، أوهو مشغول بالطلب وصاحب هذه الحالة نسميه بالحريص .

(الخامسة) أن يكون مافقده من المال مضطرا إليه كالجائع الفاقد للخبز والعارى الفاقد للثوب ، ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كيفما كانت رغبته فى الطلب إما ضعيفة وإما قوية ، وقلما تنفك هذه الحالة عن الرغبة ، فهذه خمسة أحوال : أعلاها الزهد والاضطرار إن انضم إليه الزهد وتصور ذلك فهو أقصى درجات الزهد كما سيأتى بيانه ، ووراء هذه الأحوال الخمسة حالة هى أعلى من الزهد وهى أن يستوى عنده وجود المال وفقده ؛ فإن وجده لم يفرح به ولم يتأذ ، وإن فقده فكذلك ، بل حاله كما كان حال عائشة رضى الله تعالى عنها إذ أتاها مائة ألف درهم من العطاء فأخذتها وفرقتها من يومها فقالت خادمتها : ما استطعت فيما فرقت اليوم أن تشترى لنا بدرهم لحما نفطر عليه ، فقالت : لو ذكرتينى لفعلت ، فمن هذا حاله لو كانت الدنيا بحذافيرها فى يده وخزائنه لم تضره ، إذ هو يرى الأموال فى خزانة الله تعالى لافى يد نفسه ، فلا يفرق بين أن تكون فى يده أو فى يد غيره ؛ وينبغى أن يسمى صاحب هذه الحالة المستغنى ، لأنه غنى عن فقد المال ووجوده جميعا ، وليفهم من هذا الاسم معنى يفارق اسم الغنى المطلق على الله تعالى وعلى كل من كثر ماله من العباد ؛ فإن من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير إلى بقاء المال فى يده ، وإنما هو هو غنى عن دخول المال فى يده لاعن بقائه ؛ فهو إذن فقير من وجه ، وأما هذا الشخص فهو غنى عن دخول المال فى يده وعن بقائه فى يده وعن خروجه من يده أيضا ، فإنه ليس يتأذى به ليحتاج إلى إخراجه ، وليس يفرح به ليحتاج إلى بقائه . وليس فاقدا له ليحتاج إلى الدخول فى يديه ، فغناه إلى العموم أميل ، فهو إلى الغنى الذى هو وصف الله تعالى أقرب ، وإنما قرب العبد من الله تعالى بقرب الصفات لابقرب المكان ، ولكنا لانسمى صاحب هذه الحالة غنيا بل مستغنيا ، ليبقى الغنى اسما لمن له الغنى المطلق عن كل شىء وأما هذا العبد فإن استغنى عن المال وجودا أو عدما فلم يستغن عن أشياء أخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله له ليبقى استغناؤه الذى زين الله به قلبه ؛ فإن القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغنى عنه حر ، والله تعالى هو الذى استغنى من هذا الرق فهو محتاج إلى دوام هذا العتق ، والقلوب متقلبة بين الرق والحرية فى أوقات متقاربة ، لأنها بين أصبعين من أصابع الرحمن ، فلذلك لم يكن اسم الغنى مطلقا عليه مع هذا الكمال إلا مجازا .

واعلم أن الزهد درجة هى كمال الأبرار وصاحب هذه الحالة من المقربين ، فلا جرم صار الزهد فى حقه نقصانا ، إذ حسنات الأبرار سيئات المقربين ، وهذا لأن الكاره للدنيا مشغول بالدنيا ، كما أن الراغب فيها مشغول بها ، والشغل بما سوى الله تعالى حجاب عن الله تعالى ، إذ لابعد بينك وبين الله تعالى حتى يكون البعد حجابا ، فإنه أقرب إليك من حبل الوريد ، وليس هو فى مكان حتى تكون السماوات والأرض حجابا بينك وبينه ، فلاحجاب بينك وبينه إلا شغلك بغيره ، وشغلك بنفسك وشهواتك شغل بغيره ، وأنت لاتزال مشغولا بنفسك وبشهوات نفسك فكذلك لاتزال محجوبا عنه ، فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله تعالى ، والمشغول ببغض نفسه أيضا مشغول عن الله تعالى بكل ماسوى الله ، مثاله مثال الرقيب الحاضر فى مجلس يجمع العاشق والمعشوق ، فإن التفت قلب العاشق إلى الرقيب وإلى بغضه واستثقاله وكراهة حضوره فهو فى حال اشتغال قلبه ببغضه مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه ، ولو استغرقه العشق لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت إليه ، فكما أن النظر إلى غير المعشوق لحبه عند حضور المعشوق شرك فى العشق ونقص فيه فكذا النظر إلى غير المحبوب لبغضه شرك فيه ونقص ، ولكن أحدهما أخف من الآخر ، بل الكمال فى أن لايلتفت القلب إلى غير المحبوب بغضا وحبا ، فإنه كما لايجتمع فى القلب حبان

فى حالة واحدة فلا يجتمع أيضاً بغض وحب فى حالة واحدة ؛ فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله كالمشغول بحبها ، إلا أن المشغول بحبها غافل وهو فى غفلته سالك فى طريق البعد ، والمشغول ببغضها غافل وهو فى غفلته سالك فى طريق القرب ، إذ يرجى له أن ينتهى حاله إلى أن تزول هذه الغفلة وتتبدل بالشهود ؛ فالكمال له مرتقب لأن بغض الدنيا مطية توصل إلى الله فالمحب والمبغض كرجلين فى طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها وتسييرها، ولكن أحدهما مستقبل الكعبة والآخر مستدبر لها فهما ، سيان بالإضافة إلى الحال فى أن كل واحد منهما محجوب عن الكعبة ومشغول عنها ، ولكن حال المستقبل محمود بالإضافة إلى المستدبر إذ يرجى له الوصول إليها ، وليس محمودا بالإضافة إلى المعتكف فى الكعبة الملازم لها الذى لا يخرج منها حتى يفتقر إلى الاشتغال بالدابة فى الوصول إليها ، فلا ينبغى أن تظن أن بغض الدنيا مقصود فى عينه ، بل الدنيا عائق عن الله تعالى ، ولا وصول إليه إلا بدفع العائق ، ولذلك قال أبو سليمان الدارانى رحمه الله : من زهد فى الدنيا واقتصر عليه فقد استعجل الراحة ، بل ينبغى أن يشتغل بالآخرة ؛ فبين أن سلوك طريق الآخرة وراء الزهد كما أن سلوك طريق الحج وراء دفع الغريم العائق عن الحج ، فإذن قد ظهر أن الزهد فى الدنيا إن أريد به عدم الرغبة فى وجودها وعدمها فهو غاية الكمال ، وإن أريد به الرغبة فى عدمها فهو كمال بالإضافة إلى درجة الراضى والقانع والحريص ، ونقصان بالإضافة إلى درجة المستغنى ، بل الكمال فى حق المال أن يستوى عندك المال والماء ، وكثرة الماء فى جوارك لا تؤذيك بأن تكون على شاطئ البحر ، ولا قلته تؤذيك إلا فى قدر الضرورة ، مع أن المال محتاج إليه كما أن الماء محتاج إليه فلا يكون قلبك مشغولا بالفرار عن جوار الماء الكثير ولا ببغض الماء الكثير ، بل تقول : أشرب منه بقدر الحاجة وأسقى منه عباد الله بقدر الحاجة ولا أبخل به على أحد ، فهكذا ينبغى أن يكون المال ؛ لأن الخبز والماء واحد فى الحاجة ، وإنما الفرق بينهما فى قلة أحدهما وكثرة الآخر ، وإذا عرفت الله تعالى ووثقت بتدبيره الذى دبر به العالم : علمت أن قدر حاجتك من الخبز يأتيك لا محالة مادمت حيا كما يأتيك قدر حاجتك من الماء ، على ما سيأتى بيانه فى كتاب التوكل إن شاء الله تعالى.

قال أحمد بن أبى الحوارى : قلت لأبى سليمان الدارانى : قال مالك بن دينار للمغيرة : اذهب إلى البيت فخذ الركوة التى أهديتها لى فإن العدو يوسوس لى أن اللص قد أخذها ، قال أبو سليمان : هذا من ضعف قلوب الصوفية: قد زاده فى الدنيا ما غلبه من أخذها ، فبين أن كراهية كون الركوة فى بيته التفات إليها سببه الضعف والنقصان .

فإن قلت : فما بال الأنبياء والأولياء هربوا من المال ونفروا منه كل النفار ؟ فأقول : كما هربوا من الماء على معنى أنهم ما شربوا أكثر من حاجتهم ففروا عما وراءه ولم يجمعوه فى القرب والروايا يدبرونه مع أنفسهم ، بل تركوه فى الأنهار والآبار والبرارى للمحتاجين إليه ، لا أنهم كانت قلوبهم مشغولة بحبه أو بغضه وقد حملت خزائن الأرض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فأخذوها ووضعوها فى مواضعها وما هربوا منها [1] ، إذ كان يستوى عندهم المال والماء والذهب والحجر ، وما نقل عنهم من امتناع فإما أن ينقل عمن خاف

(١) حديث : إن خزائن الأرض حملت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبى بكر وعمر فأخذوها ووضعوها فى مواضعها هذا معروف ، وقد تقدم فى آداب المعيشة من عند البخارى تعليقا مجزوما به من حديث أنس : أتى النبى صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين وكان أكثر مال أتى به ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة ولم يلتفت إليه ، فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه ، فقلما كان يرى أحدا إلا أعطاه . ووصله عمر بن محمد البحيرى فى صحيحه من هذا الوجه . وفى الصحيحين من حديث عمرو ابن عوف : قدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدومه ... الحديث ، ولهما من حديث جابر : لو جاءنا مال البحرين أعطيتك هكذا ثلاثا ، فلم يقدم حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر أبو بكر مناديا فنادى : من كان له على رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أو دين فليأتنا ، فقلت : إن النبى صلى الله عليه وسلم وعدنى ، فحثا لى ثلاثا ،

أن لو أخذه أن يخدعه المال ويقيد قلبه فيدعوه إلى الشهوات ، وهذا حال الضعفاء ، فلا جرم البغض للمال والهرب منه فى حقهم كمال ؛ وهذا حكم جميع الخلق ، لأن كلهم ضعفاء إلا الأنبياء والأولياء ، وإما أن ينقل عن قوى بلغ الكمال ولكن أظهر الفرار والنفار نزولا إلى درجة الضعفاء ليقتدوا به فى الترك ؛ إذ لو اقتدوا به فى الأخذ لهلكوا ، كما يفر الرجل المعزم بين يدى أولاده من الحية لا لضعفه عن أخذها ولكن لعلمه أنه لو أخذها أخذها أولاده إذا رأوها فيهلكون ، والسير بسير الضعفاء ضرورة الأنبياء والأولياء والعلماء ، فقد عرفت إذن أن المراتب ست وأعلاها رتبة المستغنى ثم الزاهد ثم الراضى ثم القانع ثم الحريص . وأما المضطر فيتصور فى حقه أيضا الزهد والرضا والقناعة ودرجه تختلف بحسب اختلاف هذه الأحوال ، واسم الفقير يطلق على هذه الخمسة . أما تسمية المستغنى فقيراً فلا وجه لها بهذا المعنى ، بل إن سمى فقيرا فبمعنى آخر وهو معرفته بكونه محتاجا إلى الله تعالى فى جميع أموره عامة وفى بقاء استغنائه عن المال خاصة ، فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية وأقر بها ؛ فانه أحق باسم العبد من الغافلين . وإن كان اسم العبد عاما للخلق فكذلك اسم الفقير عام، ومن عرف نفسه بالفقر إلى الله تعالى فهو أحق باسم الفقير ، فاسم الفقير مشترك بين هذين المعنيين ، وإذا عرفت هذا الاشتراك فهمت أن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعوذ بك من الفقر [1] » وقوله عليه السلام « كاد الفقر أن يكون كفراً [2] » لا يناقض قوله « أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا [3] » إذ فقر المضطر هو الذى استعاذ منه ، والفقر الذى هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار إلى الله تعالى هو الذى سأله فى دعائه صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء .

بيان فضيلة الفقر مطلقا

أما من الآيات فيدل عليه قوله تعالى ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ﴾ الآية . وقال تعالى ﴿ للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض ﴾ ساق الكلام فى معرض المدح ، ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والإحصار ، وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر .

وأما الأخبار فى مدح الفقر فأكثر من أن تحصى : روى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « أى الناس خير ؟ » فقالوا : موسر من المال يعطى حق الله من نفسه وماله . فقال « نعم الرجل هذا وليس به » قالوا : فمن خير الناس يارسول الله ؟ قال « فقير يعطى جهده [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « لبلال الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال [6] » وفى الخبر المشهور « يدخل فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام [7] » وفى حديث آخر

(١) حديث « أعوذ بك من الفقر » تقدم فى الأذكار والدعوات .

(٢) حديث « كاد الفقر أن يكون كفرا » تقدم فى ذم الحسد . (٣) حديث « اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا » رواه الترمذى من حديث أنس وحسنه ، وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبى سعيد وقد تقدم . (٤) حديث ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : أى الناس خير ؟ فقالوا . موسر من المال يعطى حق الله من نفسه وماله . فقال : نعم الرجل هذا وليس به قالوا : فمن خير الناس ؟ قال : فقير يعطى جهده ، أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس بسند ضعيف مقتصرا على المرفوع منه دون سؤاله لأصحابه وسؤالهم له . (٥) حديث : قال لبلال « الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا » أخرجه الحاكم فى كتاب علامات أهل التحقيق من حديث بلال . ورواه الطبرانى من حديث أبى سعيد بلفظ « مت فقيرا ولا تمت غنيا » وكلاهما ضعيف .

(٦) حديث « إن يحب الفقير المتعفف أبا العيال » أخرجه ابن ماجة من حديث عمران بن حصين ، وقد تقدم

(٧) حديث « يدخل فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام » أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال : حسن صحيح وقد تقدم .

« بأربعين خريفا [١] » أى أربعين سنة ، فيكون المراد به تقدير تقدم الفقير الحريص على الغنى الحريص ، والتقدير بخمسمائة عام تقدير تقدم الفقير الزاهد على الغنى الراغب، وما ذكرناه من اختلاف درجات الفقر يعرفك بالضرورة تفاوتا بين الفقراء فى درجاتهم، وكأن الفقير الحريص على درجة من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد، إذ هذه نسبة الأربعين إلى خمسمائة ، ولا تظنن أن تقدير رسول الله صلى الله عليه وسلم يجرى على لسانه جزافا وبالاتفاق ، بل لا يستنطق صلى الله عليه وسلم إلا بحقيقة الحق فإنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ، وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة [٢] » فإنه تقدير تحقيق لا محالة ، لكن ليس فى قوة غيره أن يعرف علة تلك النسبة إلا بتخمين ، فأما بالتحقيق فلا ، إذ يعلم أن النبوة عبارة عما يختص به النبى ويفارق به غيره ، وهو يختص بأنواع من الخواص : أحدها أن يعرف حقائق الأمور المتعلقة بالله وصفاته والملائكة والدار الآخرة ، لا كما يعلمه غيره بل مخالفا له بكثرة المعلومات وبزيادة اليقين والتحقيق والكشف . والثانى : أن له فى نفسه صفة بها تتم له الأفعال الخارقة للعادات كما أن لنا صفة بها تتم الحركات المقرونة بإرادتنا وباختيارنا وهى القدرة وإن كانت القدرة والمقدور جميعاً من فعل الله تعالى . والثالث . أن له صفة بها يبصر الملائكة ويشاهدهم كما أن للبصير صفة بها يفارق الأعمى حتى يدرك بها المبصرات . والرابع أن له صفة بها يدرك ما سيكون فى الغيب إما فى اليقظة أو فى المنام إذ بها يطالع اللوح المحفوظ فيرى ما فيه من الغيب ، فهذه كمالات وصفات يعلم ثبوتها للأنبياء وبعلم انقسام كل واحد منها إلى أقسام ، وربما يمكننا أن نقسمها إلى أربعين وإلى خمسين وإلى ستين ، ويمكننا أيضاً أن نتكلف تقسيمها إلى ستة وأربعين بحيث تقع الرؤيا الصحيحة جزءا واحدا من جملتها ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات الممكنة لا يمكن إلا بظن وتخمين فلا ندرى تحقيقا أنه الذى أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا ، وإنما المعلوم مجامع الصفات التى بها تتم النبوة وأصل انقسامها ، وذلك لا يرشدنا إلى معرفة علة التقدير ، فكذلك نعلم أن الفقراء لهم درجات كما سبق ، فأما لم كان هذا الفقير الحريص مثلا على نصف سدس درجة الفقير الزاهد حتى لم يبق له التقدم بأكثر من أربعين سنة إلى الجنة واقتضى ذلك التقدم بخمسمائة عام فليس فى قوة البشر غير الأنبياء الوقوف على ذلك إلا بنوع من التخمين ولا وثوق به ، والغرض التنبيه على منهاج التقدير فى أمثال هذه الأمور ، فإن الضعيف الإيمان قد يظن أن ذلك يجرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاتفاق ، وحاشا منصب النبوة عن ذلك ولنرجع إلى نقل الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم أيضا « خير هذه الأمة فقراؤها وأسرعها تضجعا فى الجنة ضعفاؤها [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن لى حرفتين اثنتين فمن أحبهما فقد أحبنى ومن أبغضهما فقد أبغضنى : الفقر والجهاد [٤] » وروى أن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد . إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول . أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا [٥] »

---

(١) حديث دخولهم قبلهم بأربعين خريفا : أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو ، إلا أنه قال : فقراء المهاجرين، والترمذى من حديث جابر وأنس . (٢) حديث « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة » أخرجه البخارى من حديث أبى سعيد ، ورواه هو ومسلم من حديث أبى هريرة وعبادة بن الصامت وأنس بلفظ « رؤيا المؤمن جزء ... الحديث » وقد تقدم .

(٣) حديث « خير الأمة فقراؤها ، وأسرعها تضجعا فى الجنة ضعفاؤها » لم أجد له أصلا . (٤) حديث إن لى حرفتين اثنتين .. الحديث » وفيه « الفقر والجهاد » لم أجد له أصلا . (٥) حديث : أن جبريل نزل فقال: إن الله يقرأ عليك السلام ويقول : أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا .. الحديث ، وفيه « إن الدنيا دار من لا دار له . . الحديث » هذا ملفق من حديثين فروى الترمذى من حديث أبى أمامة « عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا ، قلت : لا يارب ، ولكن أشبع يوما وأجوع يوما » الحديث وقال . حسن ولأحمد من حديث عائشة « الدنيا دار من لا دار له ... الحديث » وقد تقدم فى ذم الدنيا .

وتكون معك أينما كنت ، فأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « ياجبريل ، إن الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها يجمع من لاعقل له » فقال له جبريل : يامحمد ثبتك الله بالقول الثابت

وروى أن المسيح صلى الله عليه وسلم مر فى سياحته برجل نائم ملتف فى عباءة ، فأيقظه وقال : يانائم قم فاذكر الله تعالى ، فقال ماتريد منى ؟ إنى قد تركت الدنيا لأهلها ، فقال له قم إذن ياحبيبى .

ومر موسى صلى الله عليه وسلم برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته فى التراب وهو متزر بعباءة ، فقال : يارب عبدك هذا فى الدنيا ضائع ، فأوحى الله تعالى إليه : ياموسى أما علمت أنى إذا نظرت إلى عبد بوجهى كله زويت عنه الدنيا كلها .

وعن أبى رافع أنه قال : ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده مايصلحه ، فأرسلنى إلى رجل من يهود خيبر وقال « قل له يقول لك محمد أسلفنى أو بعنى دقيقا إلى هلال رجب » قال فأتيته فقال : لا والله إلا برهن ، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال « أما والله إنى لأمين فى أهل السماء أمين فى أهل الأرض ولو باعنى أو أسلفنى لأديت إليه ، اذهب بدرعى هذا إليه فارهنه » فلما خرجت نزلت هذه الآية ﴿ ولا تمدن عينيك إلى مامتعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا [1] ﴾ الآية ، وهذه الآية تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدنيا ، وقال صلى الله عليه وسلم « الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « من أصبح منكم معافى فى جسمه آمنا فى سربه عنده قوت يومه ؛ فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها [3] »

وقال كعب الأحبار : قال الله تعالى لموسى عليه السلام : يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين .

وقال عطاء الخراسانى : مر نبى من الأنبياء بساحل فإذا هو برجل يصطاد حيتانا ، فقال : بسم الله وألقى الشبكة فلم يخرج فيها شىء ، ثم مر بآخر فقال باسم الشيطان وألقى شبكته فخرج فيها من الحيتان ما كان يتقاعس من كثرتها . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : يارب ماهذا وقد علمت أن كل ذلك بيدك ، فقال الله تعالى للملائكة اكشفوا له عن منزلتيهما ، فلما رأى ما أعد الله تعالى لهذا من الكرامة ولذاك من الهوان قال : رضيت يارب .

وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء » وفى لفظ آخر « فقلت أين الأغنياء ؟ حبسهم الجد » وفى حديث آخر « فرأيت أكثر أهل النار النساء فقلت ماشأنهن ؟ فقيل شغلهن الأحمران الذهب والزعفران [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « تحفة المؤمن فى الدنيا الفقر [5] » وفى الخبر « آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر أصحابى دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لأجل غناه [6] » وفى حديث آخر « رأيته يدخل الجنة زحفا [7] » .

---

(١) حديث أبى رافع : ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده مايصلحه ، فأرسلنى إلى رجل من يهود خيبر .. الحديث فى نزول قوله تعالى ﴿ ولاتمدن عينيك إلى مامتعنا به أزواجا منهم » أخرجه الطبرانى بسند ضعيف .

(٢) حديث « الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس » رواه الطبرانى من حديث شداد بن أوس بسند ضعيف والمعروف أنه من كلام عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، رواه ابن عدى فى الكامل هكذا (٣) حديث « من أصبح منكم معافى فى جسمه ... الحديث أخرجه الترمذى وقد تقدم (٤) حديث « اطلعت فى النار فرأيت أكثر اهلها النساء ... الحديث » تقدم فى آداب النكاح مع الزيادة التى فى آخره . (٥) حديث « تحفة المؤمن فى الدنيا الفقر » رواه محمد بن خفيف الشيرازى فى شرف الفقر ، وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث معاذ بن جبل بسند لابأس به ، ورواه أبو منصور أيضا فيه من حديث ابن عمر بسند ضعيف جدا . (٦) حديث « آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان . الحديث » تقدم ، وهو فى الأوسط للطبرانى بإسناد فرد ، وفيه نكارة . (٧) حديث . رأيته يعنى عبد الرحمن بن عوف دخل الجنة زحفا تقدم وهو ضعيف .

وقال المسيح صلى الله عليه وسلم بشدة يدخل الغنى الجنة .

وفى خبر آخر عن أهل البيت رضى الله عنهم أنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا أحب الله عبدا ابتلاه ، فإذا أحبه الحب البالغ اقتناه . قيل : وما اقتناه ؟ قال : لم يترك له أهلا ولا مالا [1] » .

وفى الخبر « إذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين ، وإذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته [2] » .

وقال موسى عليه السلام : يارب من أحباؤك من خلقك حتى أحبهم لأجلك ؟ فقال . كل فقير فقير ، فيمكن أن يكون الثانى للتوكيد ، ويمكن أن يراد به الشديد الضر .

وقال المسيح صلوات الله عليه وسلامه : إنى لأحب المسكنة وأبغض النعماء ، وكان أحب الأسامى إليه صلوات الله عليه أن يقال له يامسكين . ولما قالت سادات العرب وأغنياؤهم للنبى صلى الله عليه وسلم : اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون إليك ولا نجيء ، ونجيء إليك ولا يجيئون ، يعنون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وأبى ذر وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وأبى هريرة وأصحاب الصفة من الفقراء رضى الله عنهم أجمعين أجابهم النبى صلى الله عليه وسلم إلى ذلك ، وذلك لأنهم شكوا إليه التأذى برائحتهم وكان لباس القوم الصوف فى شدة الحر ، فإذا عرقوا فاحت الروائح من ثيابهم ، فاشتد ذلك على الأغنياء منهم الأقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى وعباس بن مرداس السلمى وغيرهم ، فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجمعهم وإياهم مجلس واحد ؛ فنزل عليه قوله تعالى ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم ﴾ يعنى الفقراء ﴿ تريد زينة الحياة الدنيا ﴾ يعنى الأغنياء ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ﴾ يعنى الأغنياء إلى قوله تعالى ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر [3] ﴾ الآية .

واستأذن ابن أم مكتوم على النبى صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من أشراف قريش ، فشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى ﴿ عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى ﴾ يعنى ابن مكتوم ﴿ أما من استغنى فأنت له تصدى [4] ﴾ يعنى هذا الشريف .

وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله تعالى إليه كما يعتذر الرجل للرجل فى الدنيا ، فيقول : وعزتى وجلالى ما زويت الدنيا عنك لهوانك على ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة ، اخرج يا عبدى إلى هذه الصفوف ، فمن أطعمك فى أو كساك فى يريد بذلك وجهى فخذ بيده فهو لك ؛ والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به فيأخذ بيده ويدخله الجنة [5] » .

---

(١) حديث « إذا أحب الله عبدا ابتلاه ... الحديث » أخرجه الطبرانى من حديث أبى عتبة الخولانى .

(٢) حديث « إذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين ، وإذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من رواية مكحول عن أبى الدرداء ولم يسمع منه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام . ياموسى ... » فذكره بزيادة فى أوله . ورواه أبو نعيم فى الحلية من قول كعب الأحبار غير مرفوع بإسناد ضعيف .

(٣) حديث : قال سادات العرب وأغنياؤهم للنبى صلى الله عليه وسلم . اجعل لنا يوما ولهم يوما ... الحديث فى نزول قوله تعالى ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم ... ﴾ الآية ، تقدم من حديث خباب ، وليس فيه أنه كان لباسهم الصوف ويفوح ريحهم إذا عرقوا ، وهذه الزيادة من حديث سلمان . (٤) حديث استئذان ابن أم مكتوم على النبى صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من أشراف قريش ونزول قوله تعالى ﴿ عبس وتولى ﴾ أخرجه الترمذى من حديث عائشة وقال غريب قلت : ورجاله رجال الصحيح

(٥) حديث « يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله إليه كما يعتذر الرجل إلى الرجل فى الدنيا ، فيقول وعزتى وجلالى ما زويت =

وقال عليه السلام « أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادى فإنّ لهم دولة » قالوا : يارسول الله ، وما دولتهم ؟ قال « إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوبا فخذوا بيده ثم امضوا به إلى الجنة [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « دخلت الجنة فسمعت حركة أمامى فنظرت فإذا بلال ، ونظرت فى أعلاها فإذا فقراء أمتى وأولادهم ، ونظرت فى أسفلها فإذا فيه من الأغنياء والنساء قليل ؛ فقلت يارب ما شأنهم ؟ قال : أما النساء فأضربهن الأحمران الذهب والحرير ، وأما الأغنياء فاشتغلوا بطول الحساب ، وتفقدت أصحابى فلم أر عبد الرحمن بن عوف ، ثم جاءنى بعد ذلك وهو يبكى ، فقلت : ما خلفك عنى ؟ قال : يارسول الله والله ما وصلت إليك حتى لقيت المشيبات وظننت أنى لا أراك ، فقلت : ولم ؟ قال : كنت أحاسب بمالى [2] » فانظر إلى هذا وعبد الرحمن صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المخصوصين بأنهم من أهل الجنة [3] ، وهو من الأغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « إلا من قال بالمال هكذا وهكذا [4] » ومع هذا فقد استضر بالغنى إلى هذا الحد .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل فقير فلم ير له شيئا فقال : لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم [5] » .

وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بملوك أهل الجنة ؟ قالوا : بلى يارسول الله قال : كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره [6] » .

وقال عمران بن حصين : كانت لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه ، فقال « يا عمران ، إن لك عندنا منزلة وجاها ، فهل لك فى عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت نعم بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة ، فقرع الباب وقال « السلام عليكم ، أأدخل ؟ » فقالت : ادخل يارسول الله . قال « أنا ومن معى ؟ » قالت : ومن معك يا رسول الله ؟ قال « عمران » فقالت فاطمة : والذى بعثك بالحق نبيا ما على إلا عباءة قال « اصنعى بها هكذا وهكذا » وأشار بيده ، فقالت : هذا جسدى قد واريته فكيف برأسى ؟ فألقى إليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال « شدى على رأسك » ثم أذنت له فدخل فقال

= عنك الدنيا لهوانك على » الحديث أخرجه أبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث أنس بإسناد ضعيف « يقول الله عز وجل يوم القيامة أدنوا منى أحبائى ، فتقول الملائكة : ومن أحباؤك ؟ فيقول : فقراء المسلمين ، فيدنون منه فيقول : أما إنى لم أزو الدنيا عنكم لهوان كان بكم على ولكن أردت بذلك أن أضعف لكم كرامتى اليوم ، فتمدوا على ماشئتم اليوم . . . الحديث دون آخر الحديث ، وأما أول الحديث فرواه أبو نعيم فى الحلية ، وسيأتى فى الحديث الذى بعده .

(١) حديث « أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادى فإن لهم دولة . . . الحديث » أخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث الحسين بن على بسند ضعيف « اتخذوا عند الفقراء أيادى ، فإن لهم دولة يوم القيامة ، فإذا كان يوم القيامة نادى مناد : سيروا إلى الفقراء ، فيعتذر إليهم كما يعتذر أحدكم إلى أخيه فى الدنيا .

(٢) حديث « دخلت الجنة فسمعت حركة أمامى ، فنظرت فإذا بلال ، ونظرت إلى أعلاها فإذا فقراء أمتى وأولادهم . . . الحديث » أخرجه الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف نحوه ، وقصة بلال فى الصحيح من طريق آخر .

(٣) حديث سلمان عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المخصوصين بأنهم من أهل الجنة رواه أصحاب السنن الأربعة من حديث سعيد بن زيد ، قال الترمذى : حسن صحيح . (٤) حديث « إلا من قال بالمال هكذا وهكذا » متفق عليه من حديث أبى ذر فى أثناء حديث تقدم . (٥) حديث : دخل على رجل فقير ولم ير له شيئا فقال « لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم » لم أجده . (٦) حديث « ألا أخبركم عن ملوك الجنة . . . الحديث » متفق عليه من حديث حارثة بن وهب مختصرا ولم يقل « ملوك » وقد تقدم ، ولابن ماجه بسند جيد من حديث معاذ « ألا أخبركم عن ملوك الجنة . . الحديث » دون قوله « أغبر أشعث » .

« السلام عليكم يا ابنتاه ، كيف أصبحت ؟ » قالت : أصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي أني لست أقدر على طعام آكله فقد أضر بي الجوع ، فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « لا تجزعي يا ابنتاه فوالله ماذقت طعاما منذ ثلاث ، وإني لأكرم على الله منك ، ولو سألت ربي لأطعمني ولكني آثرت الآخرة على الدنيا » ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها « أبشري فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة » قالت . فأين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران ؟ قال « آسيه سيدة نساء عالمها ، ومريم سيدة نساء عالمها ، وأنت سيدة نساء عالمك ، إنكن في بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ولا نصب » ثم قال لها « اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيداً في الآخرة [1] » .

وروى عن علي كرم الله وجهه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم رماهم الله بأربع خصال : بالقحط من الزمان ، والجور من السلطان ، والخيانة من ولاة الأحكام ، والشوكة من الأعداء [2] » .

وأما الآثار : فقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه : ذو الدرهمين أشد حبسا أو قال أشد حسابا من ذي الدرهم .

وأرسل عمر رضي الله عنه إلى سعيد بن عامر بألف دينار ، فجاء حزينا كئيبا فقالت امرأته : أحدث أمر ؟ قال : أشد من ذلك ، ثم قال : أريني درعك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه ، ثم قام يصلي ويبكي إلى الغداة ، ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام ، حتى إنّ الرجل من الأغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج [3] » .

وقال أبو هريرة : ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب : رجل يريد أن يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ، ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ، ورجل دعا بشرابه فلا يقال له أيها تريد .

وقيل : جاء فقير إلى مجلس الثوري رحمه الله فقال له : تخط ، لو كنت غنيا لما قربتك ، وكان الأغنياء من أصحابه يودون أنهم فقراء لكثرة تقريبه للفقراء وإعراضه عن الأغنياء . وقال المؤمل : ما رأيت الغني أذل منه في مجلس الثوري ، ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري رحمه الله .

وقال بعض الحكماء : مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ، ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بهما جميعا ، ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعا

وقال ابن عباس : ملعون من أكرم بالغنى وأهان بالفقر .

وقال يحيى بن معاذ : حبك الفقراء من أخلاق المرسلين ، وإيثارك مجالستهم من علامة الصالحين ، وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين .

وفي الأخبار عن الكتب السالفة : أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه عليهم السلام . احذر أن أمقتك فتسقط

---

(١) حديث عمران بن حصين . كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه ، فقال « يا عمران ، إن لك عندنا منزلة وجاها ، فهل لك في عيادة فاطمة ؟ الحديث » تقدم (٢) حديث « إذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا ... الحديث » أخرجه أبو منصور الديلمي بإسناد فيه جهالة ، وهو منكر (٣) حديث سعيد بن عامر « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام .. الحديث » وفي أوله قصة أن عمر بعث إلى سعيد بألف دينار فجاء كئيبا حزينا وفرقها ، وقد روى أحمد في الزهد القصة إلا أنه قال « تسعين عاما » وفي إسناده يزيد بن أبي زياد تكلم فيه ، وفي رواية له « بأربعين سنة » وأما دخولهم قبلهم بخمسمائة عام فهو عند الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه ، وقد تقدم .

من عيني فأصب الدنيا عليك صبا .

ولقد كانت عائشة رضى الله عنها تفرق مائة ألف درهم فى يوم واحد يوجهها إليها معاوية وابن عامر وغيرهما ، وإنّ درعها لمرقوع ، وتقول لها الجارية : لو اشتريت لك بدرهم لحما تفطرين عليه ! وكانت صائمة ، فقالت : لو ذكرتينى لفعلت ، وكان قد أوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « إن أردت اللحوق بى فعليك بعيش الفقراء ، وإياك ومجالسة الأغنياء ، ولا تنزعى درعك حتى ترقعيه [1] » .

وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم ، فأبى عليه أن يقبلها ، فألح عليه الرجل ، فقال له إبراهيم : أتريد أن أمحو اسمى من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم ؟ لا أفعل ذلك أبدا ـ رضى الله عنه .

بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن هدى إلى الإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به [2] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « يامعشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا [3] » فالأول القانع وهذا الراضى ، ويكاد يشعر هذا بمفهومه : أنّ الحريص لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة فى فضل الفقر تدل على أنّ له ثوابا كما سيأتى تحقيقه ، فلعل المراد بعدم الرضا هو الكراهة لفعل الله فى حبس الدنيا عنه ، ورب راغب فى المال لا يخطر بقلبه إنكار على الله تعالى ولا كراهة فى فعله ، فتلك الكراهة هى التى تحبط ثواب الفقر .

وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إنّ لكل شىء مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء لصبرهم ، هم جلساء الله تعالى يوم القيامة [4] » .

وروى عن على كرم الله وجهه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « أحب العباد إلى الله تعالى الفقير القانع برزقه الراضى عن الله تعالى [5] » . وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا [6] » ، وقال « مامن أحد غنى ولا فقير إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتى قوتا فى الدنيا [7] » ، وأوحى الله تعالى إلى إسماعيل عليه السلام : اطلبنى عند المنكسرة قلوبهم . قال : ومن هم ؟ قال : الفقراء الصادقون . وقال صلى الله عليه وسلم « لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضيا [8] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى يوم القيامة : أين صفوتى من خلقى ؟ فتقول الملائكة : ومن هم يا ربنا ؟ فيقول : فقراء المسلمين القانعون بعطائى الراضون بقدرى ،

---

(١) حديث : قال لعائشة « إن أردت اللحوق بى فعليك بعيش الفقراء ، وإياك ومجالسة الأغنياء ... الحديث » أخرجه الترمذى وقال غريب ، والحاكم وصححه نحوا من حديثها ، وقد تقدم .

(٢) حديث « طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به » رواه مسلم ، وقد تقدم .

(٣) حديث « يامعشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم .. الحديث » رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة ، وهو ضعيف جدا ، فيه أحمد بن الحسن بن أبان المصرى متهم بالكذب ووضع الحديث .

(٤) حديث « إن لكل شىء مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين ... الحديث » رواه الدارقطنى فى غرائب مالك ، وأبو بكر ابن لال فى مكارم الأخلاق ، وابن عدى فى الكامل ، وابن حبان فى الضعفاء من حديث ابن عمر .

(٥) حديث « أحب العباد إلى الله الفقير القانع برزقه الراضى عن الله » لم أجده بهذا اللفظ ، وتقدم عند ابن ماجه حديث « إن الله يحب الفقير المتعفف » (٦) حديث « اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة ، وهو متفق عليه بلفظ « قوتا » وقد تقدم (٧) حديث « مامن أحد غنى ولا فقير إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتي قوتا فى الدنيا » أخرجه ابن ماجه من حديث أنس ، وقد تقدم (٨) حديث « لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضيا » لم أجده بهذا اللفظ

أدخلوهم الجنة . فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس فى الحساب يترددون [1] ، فهذا فى القانع والراضى . وأما الزاهد فسنذكر فضله فى الشطر الثانى من الكتاب إن شاء الله تعالى .

وأما الآثار فى الرضا والقناعة فكثيرة ، ولايخفى أنّ القناعة يصادها الطمع . وقد قال عمر رضى الله تعالى عنه : إن الطمع فقر واليأس غنى ، وإنه من يئس عما فى أيدى الناس وقنع استغنى عنهم .

وقال أبو مسعود رضى الله تعالى عنه : مامن يوم إلا وملك ينادى من تحت العرش : يا ابن آدم ، قليل يكفيك خير من كثير يطغيك .

وقال أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه : مامن أحد إلا وفى عقله نقص ، وذلك أنه إذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دائبان فى هدم عمره ثم لايحزنه ذلك ، ويح ابن آدم ماينفع مال يزيد وعمر ينقص .

وقيل لبعض الحكماء : ما الغنى ؟ قال : قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك .

وقيل : كان إبراهيم بن أدهم من أهل النعم بخراسان ؛ فبينما هو يشرف من قصر له ذات يوم إذ نظر إلى رجل فى فناء القصر وفى يده رغيف يأكله ، فلما أكل نام ، فقال لبعض غلمانه : إذا قام فجئنى به ، فلما قام جاء به إليه ، فقال إبراهيم : أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع ؟ قال نعم . قال فشبعت ؟ قال نعم ، قال ثم نمت طيبا ؟ قال نعم . فقال إبراهيم فى نفسه ، فما أصنع أنا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر .

ومر رجل بعامر بن عبد القيس وهو يأكل ملحا وبقلا ، فقال له : ياعبدالله أرضيت من الدنيا بهذا ؟ فقال : ألا أدلك على من رضى بشر من هذا ؟ قال : بلى . قال من رضى بالدنيا عوضا عن الآخرة .

وكان محمد بن واسع رحمة الله عليه يخرج خبزا يابسا فيبله بالماء ويأكله بالملح ويقول : من رضى من الدنيا بهذا لم يحتج إلى أحد .

وقال الحسن رحمه الله : لعن الله أقواما أقسم لهم الله تعالى ثم لم يصدقوه ، ثم قرأ ﴿ وفى السماء رزقكم وماتوعدون ، فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴾ .

وكان أبو ذرّ رضى الله عنه يوما جالسا فى الناس فأتته امرأته فقالت له : اتجلس بين هؤلاء ؟ والله مافى البيت هفة ولاسفة ، فقال : ياهذه ، إن بين أيدينا عقبة كئودا لاينجو منها إلا كل مخف ، فرجعت وهى راضية .

وقال ذو النون رحمه الله : أقرب الناس إلى الكفر ذو فاقة لاصبر له .

وقيل لبعض الحكماء : ما مالك ؟ فقال : التجمل فى الظاهر والقصد فى الباطن واليأس مما فى أيدى الناس .

وروى أنّ الله عزوجل قال فى بعض الكتب السالفة المنزلة : ياابن آدم ، لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت ، فإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا محسن إليك .

وقد قيل فى القناعة :

اضرع إلى الله لاتضرع إلى الناس ... واقنع بيأس فإن العز فى اليأس
واستغن عن كل ذى قربى وذى رحم ... إن الغنى من استغنى عن الناس

---

(١) حديث « يقول الله يوم القيامة : أين صفوتى من خلقى ؟ فتقول الملائكة : ومن هم ياربنا ؟ فيقول : فقراء المسلمين ... الحديث » رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس .

وقد قيل فى هذا المعنى أيضا :

يا جامعاً مانعاً والدهر يرمقه ... مقدرا أى باب منه يغلقه
مفكرا كيف تأتيه منيته ... أغاديا أم بها يسرى فتطرقه
جمعت مالا فقل لى هل جمعت له ... يا جامع المال أياماً تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه ... ما المال مالك إلا يوم تنفقه
أرفه ببال فتى يغدو على ثقة ... أنّ الذى قسم الأرزاق يرزقه
فالعرض منه مصون مايدنسه ... والوجه منه جديد ليس يخلقه
إن القناعة من يحلل بساحتها ... لم يبق فى ظلها هم يؤرقه

بيان فضيلة الفقر على الغنى

اعلم أنّ الناس قد اختلفوا فى هذا ، فذهب الجنيد والخواص والأكثرون إلى تفضيل الفقر وقال ابن عطاء . الغنى الشاكر القائم بحقه أفضل من الفقير الصابر . ويقال إن الجنيد دعا على ابن عطاء لمخالفته إياه فى هذا فأصابته محنة ، وقد ذكرنا ذلك فى كتاب الصبر وبينا أوجه التفاوت بين الصبر والشكر — ومهدنا سبيل طلب الفضيلة فى الأعمال والأحوال وأنّ ذلك لا يمكن إلا بتفصيل .

فأما الفقر والغنى إذا أخذا مطلقا لم يستريب من قرأ الأخبار والآثار فى تفضيل الفقر ، ولا بدّ فيه من تفصيل فنقول إنما يتصوّر الشك فى مقامين (أحدهما) فقير صابر ليس بحريص على الطلب ، بل هو قانع أو راض بالإضافة إلى غنى منفق ماله فى الخيرات ليس حريصا على إمساك المال (والثانى) فقير حريص مع غنى حريص ، إذ لا يخفى أنّ الفقير القانع أفضل من الغنى الحريص الممسك ، وأن الغنى المنفق ماله فى الخيرات أفضل من الفقير الحريص ، أما الأوّل فربما يظن أن الغنى أفضل من الفقير ، لأنهما تساويا فى ضعف الحرص على المال ، والغنى متقرب بالصدقات والخيرات والفقير عاجز عنه ، وهذا هو الذى ظنه ابن عطاء فيما نحسبه ، فأما الغنى المتمتع بالمال وإن كان فى مباح فلا يتصوّر أن يفضل على الفقير القانع ، وقد يشهد له ماروى فى الخبر : أنّ الفقراء شكوا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سبق الأغنياء بالخيرات والصدقات والحج والجهاد ، فعلمهم كلمات فى التسبيح ، وذكر لهم أنهم ينالون بها فوق مانالته الأغنياء ، فتعلم الأغنياء ذلك فكانوا يقولونه ، فعاد الفقراء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه ، فقال عليه السلام « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء [1] » .

وقد استشهد ابن عطاء أيضا لما سئل عن ذلك فقال : الغنى أفضل لأنه وصف الحق ، أما دليله الأوّل ففيه نظر ؛ لأنّ الخبر قد ورد مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك : وهو أنّ ثواب الفقير فى التسبيح يزيد على ثواب الغنى ، وأنّ فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء ، فقد روى زيد بن أسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : بعث الفقراء رسولا إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنى رسول الفقراء إليك ؛ فقال « مرحبا بك وبمن جئت من عندهم قوم أحبهم » قال : قالوا يارسول الله إنّ الأغنياء ذهبوا بالخير يحجون ولا نقدر عليه ، ويعتمرون ولا نقدر عليه ، وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم ؛ فقال النبى صلى الله عليه وسلم « بلغ عنى

(١) حديث . شكى الفقراء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الأغنياء بالخيرات والصدقات ... الحديث ، وفى آخر : فقال « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » متفق عليه من حديث أبى هريرة نحوه .

الفقراء أنّ لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للأغنياء : أما خصلة واحدة : فإن فى الجنة غرفا ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم السماء ، لايدخلها إلا نبى فقير ، أو شهيد فقير ، أو مؤمن فقير ، والثانية : يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام ، والثالثة : إذا قال الغنى : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغنى بالفقير ولو أنفق فيها عشرة آلاف درهم ، وكذلك أعمال البر كلها ، فرجع إليهم فأخبرهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : رضينا رضينا [1] فهذا يدل على أنّ قوله « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » أى مزيد ثواب الفقراء على ذكرهم . وأما قوله : إنّ الغنى وصف الحق ، فقد أجابه بعض الشيوخ فقال : أترى أنّ الله تعالى غنى بالأسباب والأعراض ، فانقطع ولم ينطق ، وأجاب آخرون فقالوا . إنّ التكبر من صفات الحق فينبغى أن يكون أفضل من التواضع ، ثم قالوا : بل هذا يدل على أنّ الفقر أفضل لأن صفات العبودية فضل للعبد كالخوف والرجاء ، وصفات الربوبية لاينبغى أن ينازع فيها ، ولذلك قال تعالى فيما روى عنه نبينا صلى الله عليه وسلم « الكبرياء ردائى والعظمة إزارى ، فمن نازعنى واحدا منهما قصمته [2] » .

وقال سهل : حب العز والبقاء شرك فى الربوبية ومنازعة فيها لأنهما من صفات الرب تعالى ؛ فمن هذا الجنس تكلموا فى تفضيل الغنى والفقر ، وحاصل ذلك تعلق بعمومات تقبل التأويلات وبكلمات قاصرة لا تبعد مناقضتها ؛ إذ كما يناقض قول من فضل الغنى بأنه صفة الحق بالتكبر ، فكذلك يناقض قول من ذم الغنى لأنه وصف للعبد بالعلم والمعرفة فإنه وصف الرب تعالى ، والجهل والغفلة وصف العبد ، وليس لأحد أن يفضل الغفلة على العلم ، فكشف الغطاء عن هذا هو ماذكرناه فى كتاب الصبر : وهو أن ما لايراد لعينه بل يراد لغيره فينبغى أن يضاف إلى مقصوده ، إذ به يظهر فضله ، والدنيا ليست محذورة لعينها ولكن لكونها عائقة عن الوصول إلى الله تعالى ، ولا الفقر مطلوبا لعينه لكن لأنّ فيه فقد العائق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه ، وكم من غنى لم يشغله الغنى عن الله عز وجل مثل سليمان عليه السلام وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنهما ، وكم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد ، وغاية المقصد فى الدنيا هو حب الله تعالى والأنس به ، ولا يكون ذلك إلا بعد معرفته ، وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن ، والفقر قد يكون من الشواغل كما الغنى قد يكون من الشواغل ، وإنما الشاغل على التحقيق حب الدنيا ، إذ لا يجتمع معه حب الله تعالى فى القلب ، والمحب للشىء مشغول به سواء كان فى فراقه أو فى وصاله ، وربما يكون شغله فى الفراق أكثر ، وربما يكون شغله فى الوصال أكثر ، والدنيا معشوقة الغافلين ، المحروم منها مشغول بطلبها ، والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها ؛ فإذن إن فرضت فارغين عن حب المال بحيث صار المال فى حقهما كالماء استوى الفاقد والواجد ، إذ كل واحد غير متمتع إلا بقدر الحاجة ، ووجود قدر الحاجة أفضل من فقده ، إذ الجائع يسلك سبيل الموت لاسبيل المعرفة . وإن أخذت الأمر باعتبار الأكبر فالفقير عن الخطر أبعد ؛ إذ فتنة السراء أشد من فتنة الضراء ، ومن العصمة أن لايقدر ، ولذلك قال الصحابة رضى الله تعالى عنهم : بلينا بفتنة الضراء فصبرنا ، وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر . وهذه خلقة الآدميين كلهم إلا الشاذ الفذ الذى لا يوجد فى الأعصار الكثيرة إلا نادرا .

---

(١) حديث زيد بن أسلم عن أنس : بعث الفقراء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا : ان الأغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر عليه ... الحديث ، وفيه « بلغ عنى الفقراء أن لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للاغنياء . . . الحديث » لم أجده هكذا بهذا السياق ، والمعروف فى هذا المعنى مارواه ابن ماجه من حديث ابن عمر : اشتكى فقراء المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مافضل الله به عليهم أغنياءهم ، فقال « يامعشر الفقراء ألا أبشركم ان فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم خمسمائة عام » واسناده ضعيف . (٢) حديث « قال الله تعالى : الكبرياء ردائى والعظمة إزارى » تقدم فى العلم وغيره .

ولما كان خطاب الشرع مع الكل لا مع ذلك النادر — والضراء أصلح للكل دون ذلك النادر — زجر الشرع عن الغنى وذمه ، وفضل الفقر ومدحه ، حتى قال المسيح عليه السلام : لا تنظروا إلى أموال أهل الدنيا فإن بريق أموالهم يذهب بنور إيمانكم .

وقال بعض العلماء : تقليب الأموال يمص حلاوة الإيمان .

وفى الخبر « إنّ لكل أمة عجلا وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم [1] » ، وكان أصل عجل قوم موسى من حلية الذهب والفضة أيضا ، واستواء المال والماء ، والذهب والحجر إنما يتصوّر للأنبياء عليهم السلام والأولياء ؛ ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله تعالى بطول المجاهدة ، إن كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول للدنيا « إليك عنى [2] » إذ كانت تتمثل له بزينتها . وكان على كرم الله وجهه يقول : ياصفراء غرى غيرى ، ويابيضاء غرى غيرى ، وذلك لاستشعاره فى نفسه ظهور مبادئ الاغترار بها لولا أن رأى برهان ربه ، وذلك هو الغنى المطلق ، إذ قال عليه الصلاة والسلام « ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس [3] » ، وإذا كان ذلك بعيدا فإذن الأصلح لكافة الخلق فقد المال وإن تصدّقوا به وصرفوه إلى الخيرات ، لأنهم لا ينفكون فى القدرة على المال عن أنس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستشعار راحة فى بذلها ، وكل ذلك يورث الأنس بهذا العالم ، وبقدر ما يأنس العبد بالدنيا يستوحش من الآخرة ؟ وبقدر ما يأنس بصفة من صفاته سوى صفة المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه ، ومهما انقطعت أسباب الأنس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها ، والقلب إذا تجافى عما سوى الله تعالى وكان مؤمنا بالله انصرف لامحالة إلى الله ، إذ لا يتصوّر قلب فارغ ، وليس فى الوجود إلا الله تعالى وغيره ، فمن أقبل على غيره فقد تجافى عنه ومن أقبل عليه تجافى عن غيره ، ويكون إقباله على أحدهما بقدر تجافيه عن الآخر ، وقربه من أحدهما بقدر بعده من الآخر ، ومثلهما مثل المشرق والمغرب فإنهما جهتان ، فالمتردد بينهما بقدر ما يقرب من أحدهما يبعد عن الآخر ، بل عين القرب من أحدهما هو عين البعد من الآخر ، فعين حب الدنيا هو عين بغض الله تعالى ، فينبغى أن يكون مطمح نظر العارف قلبه فى عزوبه عن الدنيا وأنسه بها ، فإذن فضل الفقير والغنى بحسب تعلق قلبيهما بالمال فقط ، فإن تساويا فيه تساوت درجتهما ، إلا أن هذا مزلة قدم وموضع غرور ، فإنّ الغنى ربما يظنّ أنه منقطع القلب عن المال ، ويكون حبه دفينا فى باطنه وهو لا يشعر به ، وإنما يشعر به إذا فقده ، فليجرّب نفسه بتفريقه أو إذا سرق منه ، فإن وجد لقلبه إليه التفاتا فليعلم أنه كان مغرورا ، فكم من رجل باع سرية له لظنه أنه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار التى كنت مستكنه فيه ، فتحقق إذن أنه كان مغرورا ، وأنّ العشق كان مستكنا فى الفؤاد استكنان النار تحت الرماد ، وهذا حال كل الأغنياء إلا الأنبياء والأولياء ، وإذا كان ذلك محالا أو بعيدا فلنطلق القول بأنّ الفقر أصلح لكافة الخلق وأفضل ، لأنّ علاقة الفقير وأنسه بالدنيا أضعف وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته ، فإنّ حركات اللسان ليست مرادة لأعيانها بل ليتأكد بها الأنس بالمذكور ، ولا يكون تأثيرها فى إثارة الأنس فى قلب فارغ من غير المذكور كتأثيرها فى قلب مشغول ، ولذلك قال بعض السلف : مثل من تعبد وهو فى طلب الدنيا مثل من يطفئ النار بالحلفاء ومثل من يغسل يده من الغمر بالسمك .

---

(١) حديث « لكل أمة عجل ، وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم » رواه أبو منصور الديلمى من طريق أبى عبد الرحمن السلمى من حديث حذيفة بإسناد فيه جهالة . (٢) حديث : كان يقول للدنيا « إليك عنى .. الحديث » رواه الحاكم مع اختلاف . وقد تقدم (٣) حديث « ليس الغنى عن كثرة العرض .. الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة ، وقد تقدم .

وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى : تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها : أفضل من عبادة غنى ألف عام .

وعن الضحاك قال : من دخل السوق فرأى شيئا يشتهيه فصبر واحتسب ، كان خيرا له من ألف دينار ينفقها كلها فى سبيل الله تعالى .

وقال رجل لبشر بن الحارث رحمه الله : ادع الله لى فقد أضربى العيال فقال : إذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله لى فى ذلك الوقت ، فإنّ دعاءك أفضل من دعائى . وكان يقول : مثل الغنى المتعبد مثل روضة على مزبلة ، ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر فى جيد الحسناء . وقد كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الأغنياء وقد قال أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه : اللهم إنى أسألك الذل عند النصف من نفسى ، والزهد فيما جاوز الكفاف . وإذا كان مثل الصدّيق رضى الله عنه فى كماله يحذر من الدنيا ووجودها فكيف يشك فى أنّ فقد المال أصلح من وجوده هذا ، مع أن أحسن أحوال الغنى أن يأخذ حلالا وينفق طيبا ، ومع ذلك فيطول حسابه فى عرصات القيامة ويطول انتظاره ، ومن نوقش الحساب فقد عذب ، ولهذا تأخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة إذ كان مشغولا بالحساب كما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا قال أبو الدرداء رضى الله عنه : ما أحب أنّ لى حانوتا على باب المسجد ولا تخطئنى فيه صلاة وذكر وأربح كل يوم خمسين دينارا وأتصدّق بها فى سبيل الله تعالى : قيل : وما تكره ؟ قال : سوء الحساب ، ولذلك قال سفيان رحمه الله : اختار الفقراء ثلاثة أشياء ، واختار الأغنياء ثلاثة أشياء : اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب ، واختار الأغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدّة الحساب ، وماذكره ابن عطاء من أن الغنى وصف الحق فهو بذلك أفضل فهو صحيح ، ولكن إذا كان العبد غنيا عن وجود المال وعدمه جميعا بأن يستوى عنده كلاهما ، فأما إذا كان غنيا بوجوده ومفتقرا إلى بقائه فلا يضاهى غناه غنى الله تعالى ، لأن الله تعالى غنى بذاته لا بما يتصوّر زواله والمال يتصوّر زواله بأن يسرق ، وماذكر من الرد عليه بأن الله ليس غنيا بالأعراض والأسباب صحيح فى ذم غنى يريد بقاء المال ، وما ذكر من أن صفات الحق لاتليق بالعبد غير صحيح ، بل العلم من صفاته وهو أفضل شىء للعبد ، بل منتهى العبد أن يتخلق بأخلاق الله تعالى ، وقد سمعت بعض المشايخ يقول : إن سالك الطريق إلى الله تعالى قبل أن يقطع الطريق تصير الأسماء التسعة والتسعون أوصافا له : أى يكون له من كل واحد نصيب ، وأما التكبر فلا يليق بالعبد ، فإن التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله تعالى ، وأما التكبر على من يستحقه كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع على العاصى فيليق به نعم قد يراد بالتكبر الزهو والصلف والإيذاء وليس ذلك من وصف الله تعالى ، وإنما وصف الله تعالى أنه أكبر من كل شىء وأنه يعلم أنه كذلك ، والعبد مأمور به بأنه يطلب أعلى المراتب إن قدر عليه ، ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتلبيس ، فعلى العبد أن يعلم أن المؤمن أكبر من الكافر ، والمطيع أكبر من العاصى ، والعالم أكبر من الجاهل ، والإنسان أكبر من البهيمة والجماد والنبات ، وأقرب إلى الله تعالى منها فلو رأى نفسه بهذه الصفة رؤية محققة لاشك فيها لكانت صفة التكبر حاصلة له ولائقة به وفضيلة فى حقه ، إلا أنه لاسبيل له إلى معرفته فإن ذلك موقوف على الخاتمة ، وليس يدرى الخاتمة كيف تكون وكيف تتفق؟ فلجهله بذلك وجب أن لا يعتقد لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر ، إذ ربما يختم للكافر بالإيمان ، وقد يختم له بالكفر ، فلم يكن ذلك لائقا به لقصور علمه عن معرفة العاقبة ولما تصوّر أن يعلم الشىء على ماهو به كان العلم كمالا فى حقه لأنه

فى صفات الله تعالى ، ولما كانت معرفة بعض الأشياء قد تضره صار ذلك العلم نقصانا فى حقه إذ ليس من أوصاف الله تعالى علم يضره ، فمعرفة الأمور التى لا ضرر فيها هى التى تتصور فى العبد من صفات الله تعالى ، فلا جرم هو منتهى الفضيلة وبه فضل الأنبياء والأولياء والعلماء ، فإذن لو استوى عنده وجود المال وعدمه فهذا نوع من الغنى يضاهى بوجه من الوجوه الغنى الذى يوصف به الله سبحانه وتعالى فهو فضيلة، أما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه أصلا، فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع إلى حال الغنى الشاكر .

المقام الثانى فى نسبة حال الفقير الحريص إلى حال الغنى الحريص

ولنفرض هذا فى شخص واحد هو طالب للمال وساع فيه وفاقد له ثم وجده ، فله حالة الفقد وحالة الوجود، فأى حالتيه أفضل ؟ فنقول : ننظر فإن كان مطلوبه ما لابد منه فى المعيشة وكان قصده أن يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه فحال الوجود أفضل ، لأن الفقر يشغله بالطلب ، وطالب القوت لا يقدر على الفكر والذكر إلا قدرة مدخولة بشغل ؛ والمكفى هو القادر ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا » وقال « كاد الفقر أن يكون كفرا » أى الفقر مع الاضطرار فيما لا بد منه ، وإن كان المجلوب فوق الحاجة أو كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين ؛ فحالة الفقر أفضل وأصلح ، لأنهما استويا فى الحرص وحب المال ، واستويا فى أن كل واحد منهما ليس يقصد به الاستعانة على طريق الدين ، واستويا فى أن كل واحد منهما ليس يتعرض لمعصية بسبب الفقر والغنى ؛ ولكن افترقا فى أن الواجد يأنس بما وجده فيتأكد حبه فى قلبه ويطمئن إلى الدنيا ، والفاقد المضطر يتجافى قلبه عن الدنيا وتكون الدنيا عنده كالسجن الذى يبغى الخلاص منه ، ومهما استوت الأمور كلها وخرج من الدنيا رجلان أحدهما أشد ركونا إلى الدنيا ؛ فحاله أشد لا محالة ؛ إذ يلتفت قلبه إلى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر تأكد أنسه بالدنيا ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن روح القدس نفث فى روعى : أحبب من أحببت فإنك مفارقه [1] » وهذا تنبيه على أن فراق المحبوب شديد ، فينبغى أن تحب من لا يفارقك وهو الله تعالى ، ولا تحب ما يفارقك وهو الدنيا ، فإنك إذا أحببت الدنيا كرهت لقاء الله تعالى، فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه ، وفراقك لما تحبه ؛ وكل من فارق محبوبا فيكون أذاه فى فراقه بقدر حبه وقدر أنسه وأنس الواجد للدنيا القادر عليها أكثر من أنس الفاقد لها وإن كان حريصا عليها ، فإذن قد انكشف بهذا التحقيق أن الفقر هو الأشرف والأفضل والأصلح لكافة الخلق إلا فى موضعين: أحدهما غنى مثل غنى عائشة رضى الله عنها يستوى عنده الوجود والعدم ، فيكون الوجود مزيدا له ؛ إذ يستفيد به أدعية الفقراء والمساكين وجمع همهم ؛ والثانى الفقر عن مقدار الضرورة فإن ذلك يكاد أن يكون كفرا ، ولا خير فيه بوجه من الوجوه إلا إذا كان وجوده يبقى حياته ثم يستعين بقوته وحياته على الكفر والمعاصى ؛ ولو مات جوعا لكانت معاصيه أقل ؛ فالأصلح له أن يموت جوعا ولا يجد ما يضطر إليه أيضا ؛ فهذا تفصيل القول فى الغنى والفقر . ويبقى النظر فى فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له هم سواه ، وفى غنى دونه فى الحرص على حفظ المال ، ولم يكن تفجعه بفقد المال لو فقده كتفجع الفقير بفقره ، فهذا فى محل النظر ، والأظهر أن بعدهما عن الله تعالى بقدر قرب تفجعهما لفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفجعهما بفقده ؛ والعلم عند الله تعالى فيه .

---

(١) حديث « إن روح القدس نفث فى روعى أحبب من أحببت فإنك مفارقه » تقدم .

بيان آداب الفقير فى فقره

اعلم أنّ للفقير آدابا فى باطنه وظاهره ومخالطته وأفعاله ينبغى أن يراعيها .

فأما أدب باطنه فأن لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر ، أعنى أنه لا يكون كارها فعل الله تعالى من حيث إنه فعله - وإن كان كارها للفقر - كالمحجوم يكون كارها للحجامة لتألمه بها ولا يكون كارها فعل الحجام ولا كارها للحجام ، بل ربما يتقلد منه منة ، فهذا أقل درجاته وهو واجب ، ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر ، وهو معنى قوله عليه السلام « يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا » وأرفع من هـــذا أن لا يكون كارها للفقر بل يكون راضيا به ، وأرفع منه أن يكون طالبا له وفرحا به لعلمه بغوائل الغنى ، ويكون متوكلا فى باطنه على الله تعالى واثقا به فى قدر ضرورته أنه يأتيه لا محالة ويكون كارها للزيادة على الكفاف وقد قال على كرّم الله وجهه : إنّ لله تعالى عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر ؛ من علامات الفقر إذا كان مثوبة أن يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو حاله ، ويشكر الله تعالى على فقره ، ومن علاماته - إذا كان عقوبة - أن يسوء عليه خلقه ويعصى ربه بترك طاعته ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء ، وهذا يدل أنّ كل فقير فليس بمحمود ، بل المحمود الذى لا يتسخط ويرضى أو يفرح بالفقر ويرضى لعلمه بثمرته ، إذ قيل: ما أعطى عبد شيئا من الدنيا إلا قيل له : خذه على ثلاثة أثلاث : شغل وهم وطول حساب .

وأما أدب ظاهره : فأن يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر ، بل يستر فقره ويستر أنه يستره ففى الحديث « إن الله تعالى يحب الفقير المتعفف أبا العيال » وقال تعالى ﴿ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ﴾ وقال سفيان : أفضل الأعمال التجمل عند المحنة . وقال بعضهم : ستر الفقر من كنوز البر .

وأما فى الأعمال فأدبه : أن لا يتواضع لغنى لأجل غناه ، بل يتكبر عليه . قال على كرّم الله وجهه : ما أحسن تواضع الغنى للفقير رغبة فى ثواب الله تعالى ، وأحسن منه تيه الفقير على الغنى ثقة بالله عز وجل ، فهذه رتبة ، وأقل منها أن لا يخالط الأغنياء ولا يرغب فى مجالستهم لأن ذلك من مبادئ الطمع . قال الثورى رحمه الله : إذا خالط الفقير الأغنياء فاعلم أنه مراء ، وإذا خالط السلطان فاعلم أنه لص . وقال بعض العارفين : إذا خالط الفقير الأغنياء انحلت عروته ، فإذا طمع فيهم انقطعت عصمته ، فإذا سكن إليهم ضل . وينبغى أن لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للأغنياء وطمعاً فى العطاء .

وأما أدبه فى أفعاله : فأ لا يفتر بسبب الفقر عن عبادة ، ولا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه ، فإنّ ذلك جهد المقل ، وفضله أكثر من أموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى : روى زيد بن أسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف درهم » قيل : وكيف ذلك يارسول الله ؟ قال « أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف درهم فتصدّق بها ، وأخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه ، فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب المائة ألف [1] » وينبغى أن لا يدّخر مالا بل يأخذ قدر الحاجة ويخرج الباقى وفى الادخار ثلاث درجات (إحداها) أن لا يدّخر إلا ليومه وليلته وهى درجة الصدّيقين (والثانية) أن يدّخر لأربعين يوما فإنّ مازاد عليه داخل فى طول الأمل ، وقد فهم العلماء ذلك من ميعاد الله تعالى لموسى عليه السلام

---

(١) حديث زيد بن أسلم « درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف » قيل : وكيف يارسول الله ؟ قال « أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف ... الحديث » أخرجه النسائى من حديث أبى هريرة متصلا ، وقد تقدم فى الزكاة ، ولا أصل له من رواية زيد بن أسلم مرسلا .

ففهم منه الرخصة فى أمل الحياة أربعين يوما . وهذه درجة المتقين (والثالثة) أن يدخر لسنته وهى أقصى المراتب وهى رتبة الصالحين ، ومن زاد فى الادخار على هذا فهو واقع فى غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية ، فغنى الصالح الضعيف فى طمأنينة قلبه فى قوت سنته ، وغنى الخصوص فى أربعين يوما ، وغنى خصوص الخصوص فى يوم وليلة وقد قسم النبى صلى الله عليه وسلم نساءه على مثل هذه الأقسام ، فبعضهن كان يعطيها قوت سنة عند حصول مايحصل ، وبعضهن قوت أربعين يوما وليلة وهو قسم عائشة وحفصة .

بيان آداب الفقير فى قبول العطاء إذا جاءه بغير سؤال

ينبغى أن يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلاثة أمور : نفس المال . وغرض المعطى ، وغرضه فى الأخذ .

أما نفس المال فينبغى أن يكون حلالا خاليا عن الشبهات كلها ، فإن كان فيه شبهة فليحترز من أخذه ، وقد ذكرنا فى كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب .

وأما غرض المعطى فلا يخلو : إما أن يكون غرضه تطييب قلبه وطلب محبته وهو الهدية ، أو الثواب وهو الصدقة والزكاة ، والذكر والرياء والسمعة إما على التجرد وإما ممزوجا ببقية الأغراض .

أما الأول ـ وهو الهديه ـ فلا بأس بقبولها فإن قبولها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] ، ولكن ينبغى أن لا يكون فيها منة . فإن كان فيها منة فالأولى تركها ، فإن علم أن بعضها مما تعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض ؛ فقد أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سمن وأقط وكبش ، فقبل السمن والأقط ورد الكبش [2] ، وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من بعض الناس ويرد على بعض [3] . وقال « لقد هممت أن لا أتهب إلا من قرشى أو ثقفى أو أنصارى أو دوسى [4] » وفعل هذا جماعة من التابعين . وجاءت إلى فتح الموصلى صرة فيها خمسين درهما فقال : حدثنا عطاء عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أتاه رزق من غير مسألة فرده فإنما يرده على الله [5] » ثم فتح الصرة فأخذ منها درهما ورد سائرها . وكان الحسن يروى هذا الحديث أيضا ولكن حمل إليه رجل كيسا ورزمة من رقيق ثياب خراسان ، فرد ذلك وقال : من جلس مجلسى هذا وقبل من الناس مثل هذا لقى الله عز وجل يوم القيامة وليس له خلاق . وهذا يدل على أن أمر العالم والواعظ أشد فى قبول العطاء . وقد كان الحسن يقبل من أصحابه . وكان إبراهيم التيمى يسأل من أصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه ويعرض عليه غيرهم المئين فلا يأخذها . وكان بعضهم إذا أعطاه صديقه شيئا يقول . اتركه عندك وانظر إن كنت بعد قبوله فى قلبك أفضل منى قبل القبول فأخبرنى

---

(١) حديث أن قبول الهدية سنة : تقدم أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية .

(٢) حديث : أهدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم سمن وأقط وكبش فقبل السمن والأقط ورد الكبش . أخرجه أحمد فى أثناء حديث لبعلى بن مرة : وأهدت إليه كبشين وشيئاً من سمن وأقط ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « خذ الأقط والسمن وأحد الكبشين ورد عليها الآخر » وإسناده جيد . وقال وكيع . مرة عن يعلى بن مرة عن أبيه .

(٣) حديث : كان يقبل من بعض الناس ويرد على بعض رواه أبو داود والترمذى من حديث أبى هريرة « وايم الله لا أقبل بعد يومى هذا من أحد هدية إلا أن يكون مهاجريا .. الحديث » فيه محمد بن إسحق ورواه بالعنعنة .

(٤) حديث « لقد هممت أن لا أتهب إلا من قرشى أو ثقفى أو أنصارى أو دوسى » أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال : روى من غير وجه عن أبى هريرة ، قلت : ورجاله ثقات . (٥) حديث عطاء مرسلا « من أتاه رزق من غير وسيلة فرده فإنما يرد على الله عز وجل » لم أجده مرسلا هكذا ، ولأحمد وأبى يعلى والطبرانى بإسناد جيد من حديث خالد بن عدى الجهنى « من بلغه معروف من أخيه من غير مسئلة ولا إشراف نفس فليقبله ولا يرده فإنما هو رزق ساقه الله عز وجل إليه » ولأحمد وأبى داود الطيالسى من حديث أبى هريرة « من آتاه الله من هذا المال شيئا من غير أن يسأله فليقبله » وفى الصحيحين من حديث عمر « ما أتاك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه . الحديث » .

حتى آخذه وإلا فلا ، وأمارة هذا أن يشق عليه الرد لو رده ويفرح بالقبول ويرى المنة على نفسه فى قبول صديقه هديته ، فإن علم أنه يمازجه منة فأخذه مباح ولكنه مكروه عند الفقراء الصادقين . وقال بشر : ماسألت أحداقط شيئا إلا سريا السقطى لأنه قد صح عندى زهده فى الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء من يده ويتبرم ببقائه عنده فأكون عونا له على ما يحب . وجاء خراسانى إلى الجنيد رحمه الله بمال وسأله أن يأكله فقال : أفرقه على الفقراء، فقال : ما أريد هذا . قال ومتى أعيش حتى آكل هذا ؟ قال : ما أريد أن تنفقه فى الخل والبقل بل فى الحلاوات والطيبات ، فقبل ذلك منه ، فقال الخراسانى : ما أجد فى بغداد أمن على منك ، فقال الجنيد : ولا ينبغى أن يقبل إلا من مثلك .

الثانى : أن يكون للثواب المجرد وذلك صدقة أو زكاة ، فعليه أن ينظر فى صفات نفسه هل هو مستحق للزكاة ؟ فإن اشتبه عليه فهو محل شبهة ، وقد ذكرنا تفصيل ذلك فى كتاب أسرار الزكاة . وإن كانت صدقة وكان يعطيه لدينه فلينظر إلى باطنه ، فإن كان مقارفا لمعصية فى السر يعلم أن المعطى لو علم ذلك لنفر طبعه ولما تقرب إلى الله بالتصدق عليه ، فهذا حرام أخذه كما لو أعطاه لظنه أنه عالم أو علوى ولم يكن ، فإن أخذه حرام محض لاشبهة فيه .

الثالث : أن يكون غرضه السمعة والرياء والشهرة ، فينبغى أن يرد عليه قصده الفاسد ولا يقبله ، إذ يكون معينا له على غرضه الفاسد . وكان سفيان الثورى يرد ما يعطى ويقول : لو علمت أنهم لايذكرون ذلك افتخارا به لأخذت وعوتب بعضهم فى رد ما كان يأتيه من صلة فقال : إنما أرد صلتهم إشفاقا عليهم ونصحا لهم لأنهم يذكرون ذلك ويحبون أن يعلم به فتذهب أموالهم وتحبط أجورهم .

وأما غرضه فى الأخذ فينبغى أن ينظر : أهو محتاج إليه فيما لابد منه أو هو مستغن عنه ، فإن كان محتاجا إليه وقد سلم من الشبهة والآفات التى ذكرناها فى المعطى فالأفضل له الأخذ ، قال النبى صلى الله عليه وسلم « ما المعطى من سعة بأعظم أجرا من الآخذ إذا كان محتاجا [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « من أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فإنما هو رزق ساقه الله إليه [2] » وفى لفظ آخر « فلا يرده » . وقال بعض العلماء : من أعطى ولم يأخذ سأل ولم يعط . وقد كان سرى السقطى يوصل إلى أحمد بن حنبل رحمة الله عليهما شيئا فرده مرة ، فقال له السرى : يا أحمد ، احذر آفة الرد وإنها أشد من آفة الأخذ ، فقال له أحمد : أعد على ماقلت ! فأعاده ، فقال أحمد : ما رددت عليك إلا لأن عندى قوت شهر ، فاحبسه لى عندك ، فإذا كان بعد شهر فأنفذه إلى ، وقد قال بعض العلماء يخاف فى الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع أو دخول فى شبهة أو غيره ؛ فأما إذا كان ما أتاه زائدا على حاجته فلا يخلو : إما أن يكون حاله الاشتغال بنفسه أو التكفل بأمور الفقراء والانفاق عليهم لما فى طبعه من الرفق والسخاء، فإن كان مشغولا بنفسه فلا وجه لأخذه وإمساكه إن كان طالبا طريق الآخرة ، فإن ذلك محض اتباع الهوى ، وكل عمل ليس لله فهو سبيل الشيطان أو داع إليه ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، ثم له مقامان (أحدهما) أن يأخذ فى العلانية ويرد فى السر ، أو يأخذ فى العلانية ويفرق فى السر ، وهذا مقام الصديقين ، ؛ وهو شاق على النفس لايطيقه إلا من اطمأنت نفسه بالرياضة (والثانى) أن يترك ولا يأخذ ليصرفه صاحبه إلى من هو أحوج منه . أو يأخذ ويوصل إلى من هو أحوج منه ، فيفعل كليهما فى السر أو كليهما فى العلانية ؛ وقد ذكرنا هل الأفضل إظهار

---

(١) حديث « ما المعطى من سعة بأعظم أجرا من الآخذ إذا كان محتاجا » رواه الطبرانى من حديث ابن عمر ، وقد تقدم فى الزكاة . (٢) حديث « من أتاه شيء من هذا المال من غير مسئلة ولا استشراف فإنما هو رزق ساقه الله إليه » وفى لفظ آخر « فلا يرده » تقدما قبل هذا بحديث .

الأخذ أو إخفاؤه ؟ فى كتاب أسرار الزكاة مع جملة من أحكام الفقر فليطلب من موضعه . وأما امتناع أحمد بن حنبل عن قبول عطاء سرى السقطى رحمهما الله ، فإنما كان لاستغنائه عنه ، إذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه أن يشتغل بأخذه وصرفه إلى غيره ؛ فإن فى ذلك آفات وأخطارا ، والورع يكون حذراً من مظان الآفات إذ لم يأمن مكيده الشيطان على نفسه . وقال بعض المجاورين بمكة . كانت عندى دراهم أعددتها للإنفاق فى سبيل الله ، فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفى : أنا جائع كما ترى عريان كما ترى ، فما ترى فيما ترى يامن يرى ولا يرى ، فنظرت فإذا عليه خلقان لا تكاد تواريه ، فقلت فى نفسى : لا أجد لدراهمى موضعا أحسن من هذا ؛ فحملتها إليه ، فنظر إليها ثم أخذ منها خمسة دراهم وقال : أربعة ثمن مئزرين ، ودرهم أنفقه ثلاثة فلا حاجة بى إلى الباقى فرده . قال : فرأيته الليلة الثانية وعليه مئزران جديدان ، فهجس فى نفسى منه شىء . فالتفت إلى فأخذ بيدى فأطافنى معه أسبوعا كل شوط منها على جوهر من معادن الأرض يتخشخش تحت أقدامنا إلى الكعبتين : منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ، ولم يظهر ذلك للناس ، فقال . هذا كله قد أعطانيه فزهدت فيه وأخذ من أيدى الخلق لأن هذه أثقال وفتنة ، وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة ، والمقصود من هذا : أن الزيادة على قدر الحاجة إنما تأتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله إليك ماذا تعمل فيه ، وقدر الحاجة يأتيك رفقا بك ، فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء ، قال الله تعالى ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ﴾ وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا حق لابن آدم إلا فى ثلاث : طعام يقيم صلبه ، وثوب يوارى عورته ، وبيت يكنه ، فما زاد فهو حساب » [1] ، فإذن أنت فى أخذ قدر الحاجة من هذه الثلاث مثاب ، وفيما زاد عليه إن لم تعص الله متعرض للحساب ، وإن عصيت الله فأنت متعرض للعقاب . ومن الاختبار أيضاً : أن تعزم على ترك لذة من اللذات تقربا إلى الله تعالى وكسراً لصولة النفس فتأتيك عفوا صفوا لتمتحن بها قوة عقلك ، فالأولى الامتناع عنها فإن النفس إذا رخص لها فى نقض العزم ألفت نقض العهد وعادت لعادتها ولا يمكن قهرها ، فرد ذلك مهم وهو الزهد ، فإن أخذته وصرفته إلى محتاج فهو غاية الزهد ، ولا يقدر عليه إلا الصديقون : وأما إذا كانت حالك السخاء والبذل والتكفل بحقوق الفقراء وتعهد جماعة من الصلحاء فخذ ما زاد على حاجتك فإنه غير زائد على حاجة الفقراء ، وبادر به إلى الصرف إليهم ولا تدخره ، فإن إمساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة واختبار ، فربما يحلو فى قلبك فتمسكه فيكون فتنة عليك وقد تصدى لخدمة الفقراء جماعة اتخذوها وسيلة إلى التوسع فى المال والتنعم فى المطعم والمشرب وذلك هو الهلاك ومن كان غرضه الرفق وطلب الثواب به فله أن يستقرض على حسن الظن بالله لا على اعتماد السلاطين الظلمة ، فإن رزقه الله من حلال قضاه ، وإن مات قبل القضاء قضاه الله تعالى عنه وأرضى غرماءه ، وذلك بشرط أن يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يغر المقرض ولا يخدعه بالمواعيد بل يكشف حاله عنده ليقدم على إقراضه على بصيرة ، ودين مثل هذا الرجل واجب أن يقضى من مال بيت المال ومن الزكاة ، وقد قال تعالى ﴿ ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ﴾ قيل معناه : ليبع أحد ثوبيه . وقيل معناه : فليستقرض بجاهه ، فذلك مما آتاه الله . وقال بعضهم : إن لله تعالى عباداً ينفقون على قدر بضائعهم ، ولله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى . ومات بعضهم فأوصى بماله لثلاث طوائف : الأقوياء ، والأسخياء ، والأغنياء ، فقيل : من هؤلاء ؟ فقال : أما الأقوياء فهم أهل

(١) حديث « لا حق لابن آدم إلا فى ثلاث : طعام يقيم صلبه ، وثوب يوارى عورته ، وبيت يكنه فما زاد فهو حساب » أخرجه الترمذى من حديث عثمان بن عفان وقال « وجاف الخبز والماء » بدل قوله « طعام يقيم صلبه » وقال صحيح .

التوكل على الله تعالى ، وأما الأسخياء فهم أهل حسن الظن بالله تعالى ، وأما الأغنياء فهم أهل الانقطاع إلى الله تعالى ، فإذن مهما وجدت هذه الشروط فيه وفى المال وفى المعطى فليأخذه ، وينبغى أن يرى ما يأخذه من الله لا من المعطى ؛ لأن المعطى واسطة قد سخر للعطاء ، وهو مضطر إليه بما سلط عليه من الدواعى والإرادات والاعتقادات وقد حكى أن بعض الناس دعا شقيقا فى خمسين من أصحابه ، فوضع الرجل مائدة حسنة ، فلما قعد قال لأصحابه : إن هذا الرجل يقول : من لم يرن صنعت هذا الطعام وقدمته فطعامى عليه حرام ، فقاموا كلهم وخرجوا إلا شابا منهم كان دونهم فى الدرجة . فقال صاحب المنزل لشقيق : ماقصدت بهذا ؟ قال أردت أن أختبر توحيد أصحابى كلهم . وقال موسى عليه السلام : يارب جعلت رزقى هكذا على أيدى بنى إسرائيل يغدينى هذا يوما ويعشينى هذا ليلة فأوحى الله تعالى إليه هكذا أصنع بأوليائى ، أجرى أرزاقهم على أيدى البطالين من عبادى ليؤجروا فيهم. فلا ينبغى أن يرى المعطى إلا من حيث إنه مسخر مأجور من الله تعالى ، نسأل الله حسن التوفيق لما يرضاه .

بيان تحريم السؤال من غير ضرورة ؛ وآداب الفقير المضطر فيه

اعلم أنه قد وردت مناه كثيرة فى السؤال وتشديدات، وورد فيه أيضاً مايدل على الرخصة إذ قال صلى الله عليه وسلم « للسائل حق ولو جاء على فرس[1] » وفى الحديث « ردوا السائل ولو بظلف محرق[2] » ولو كان السؤال حراما مطلقا لما جاز إجابة المتعدى على عدوانه والإعطاء إعانة . فالكاشف للغطاء فيه أن السؤال حرام فى الأصل وإنما يباح بضرورة أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة ، وإن كان عنها بمعزل فهو حرام ، وإنما قلنا إن الأصل فيه التحريم لأنه لاينفك عن ثلاثة أمور محرمة .

(الأول) إظهار الشكوى من الله تعالى ، إذ السؤال إظهار الفقر وذكر لقصور نعمة الله تعالى عنه وهو عين الشكوى ، وكما أن العبد المملوك لو سأل لكان سؤاله تشنيعاً على سيده ، فكذلك سؤال العباد تشنيع على الله تعالى ، وهذا ينبغى أن يحرم ولا يحل إلا لضرورة كما تحل الميتة .

(الثانى) أن فيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى وليس للمؤمن أن يذل نفسه لغير الله ، بل عليه أن يذل نفسه لمولاه فإن فيه عزه ، فأما سائر الخلق فإنهم عباد أمثاله فلا ينبغى أن يذل لهم إلا لضرورة، وفى السؤال ذل للسائل بالإضافة إلى المسئول .

(الثالث) أنه لاينفك عن إيذاء المسئول غالبا ؛ لأنه ربما لاتسمح نفسه بالبذل عن طيب قلب منه ، فإن بذل حياء من السائل أو رياء فهو حرام على الآخذ ، وإن منع ربما استحيا وتأذى فى نفسه بالمنع إذ يرى نفسه فى صورة البخلاء ، ففى البذل نقصان ماله وفى المنع نقصان جاهه ، وكلاهما مؤذيان ، والسائل هو السبب فى الإيذاء والإيذاء حرام إلا بضرورة ، ومهما فهمت هذه المحذورات الثلاث فقد فهمت قوله صلى الله عليه وسلم « مسألة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها[3] » فانظر كيف سماها فاحشة ، ولا يخفى أن الفاحشة إنما تباح

---

(١) حديث « للسائل حق وإن جاء على فرس » رواه أبو داود من حديث الحسين بن على ، ومن حديث على ، وفى الأول يعلى بن أبى يحيى جهله أبو حاتم ووثقه ابن حبان ، وفى الثانى شيخ لم يسم وسكت عليهما أبو داود ، وماذكره ابن الصلاح فى علوم الحديث أنه بلغه عن أحمد بن حنبل قال : أربعة أحاديث تدور فى الأسواق ليس لها أصل منها « للسائل حق .. الحديث » فإنه لايصح عن أحمد ، فقد أخرج حديث الحسين فى على فى مسنده . (٢) حديث « ردوا السائل ولو بظلف محرق » رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح ، والنسائى والحاكم من حديث أم بجيد . وقال ابن عبد البر . حديث مضطرب .

(٣) حديث « مسألة الناس من الفواحش ، وما أحل الله من الفواحش غيرها » لم أجد له أصلا .

لضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لايجد غيره . وقال صلى الله عليه وسلم « من سأل عن غنى فإنما يستكثر من جمر جهنم [١] » « ومن سأل وله مايغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع وليس عليه لحم » وفى لفظ آخر « كانت مسألته خدوشاً وكدوحا فى وجهه [٢] » وهذه الألفاظ صريحة فى التحريم والتشديد . وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الإسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال لهم كلمة خفية « ولا تسألوا الناس شيئاً [٣] » وكان صلى الله عليه وسلم يأمر كثيراً بالتعفف عن السؤال ويقول « من سألنا أعطيناه ؛ ومن استغنى أغناه الله ، ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « استغنوا عن الناس وماقل من السؤال فهو خير » قالوا : ومنك يارسول الله ؟ قال « ومنى [٥] » وسمع عمر رضى الله عنه سائلا يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه : عش الرجل ، فعشاه ثم سمعه ثانيا يسأل فقال : ألم أقل لك عش الرجل ؟ قال : قد عشيته ، فنظر عمر فإذا تحت يده مخلاه مملوءة خبزا فقال : لست سائلا ولكنك تاجر ، ثم أخذ المخلاة ونثرها بين يدى إبل الصدقة وضربه بالدرة وقال : لاتعد . ولولا أنّ سؤاله كان حراما لما ضربه ولا أخذ مخلاته ، ولعل الفقيه الضعيف المنة الضيق الحوصلة يستبعد هذا من فعل عمر ويقول : أما ضربه فهو تأديب وقد ورد الشرع بالتعزير ، وأما أخذه ماله فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة بأخذ المال فكيف استجازه ؟ وهو استبعاد مصدره القصور فى الفقه ، فأين يظهر فقه الفقهاء كلهم فى حوصلة عمر بن الخطاب رضى الله عنه واطلاعه على أسرار دين الله ومصالح عباده ؟ أفترى أنه لم يعلم أنّ المصادرة بالمال غير جائزة أو علم ذلك ولكن أقدم عليه غضبا فى معصية الله وحاشاه ، أو أراد الزجر بالمصلحة بغير طريق شرعها نبى الله ، وهيهات ؛ إن ذلك أيضاً معصية ، بل الفقه الذى لاح له فيه أنه رآه مستغنيا عن السؤال ، وعلم أن من أعطاه شيئا فإنما أعطاه على اعتقاد أنه محتاج ، وقد كان كاذبا فلم يدخل فى ملكه بأخذه مع التلبيس وعسر تمييز ذلك ورده إلى أصحابه ، إذ لايعرف أصحابه بأعيانهم ، فبقى مالا لامالك له ، فوجب صرفه إلى المصالح ، وإبل الصدقة وعلفها من المصالح ، ويتنزل أخذ السائل مع إظهار الحاجة كاذبا كأخذ الملوى بقوله إنى علوى وهو كاذب . فإنه لايملك مايأخذه ، كأخذ الصوفى الصالح الذى يعطى لصلاحه وهو فى الباطن مقارف لمعصية لو عرفها المعطى لما أعطاه — وقد ذكرنا فى مواضع أن ما أخذوه على هذا الوجه لايملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد إلى مالكه فاستدل بفعل عمر رضى الله عنه على صحة هذا المعنى الذى يغفل عنه كثير من الفقهاء ، وقد قررناه فى مواضع ، ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر .

فإذا عرفت أن السؤال يباح لضرورة ، فاعلم أن الشىء . إما أن يكون مضطراً إليه ، أو محتاجا إليه حاجة

---

(١) حديث « من سأل عن غنى فإنما يستكثر من جمر جهنم ... الحديث » رواه أبو داود وابن حبان من حديث سهل ابن الحنظلية مقتصرا على ماذكر منه وتقدم فى الزكاة ، ولمسلم من حديث أبى هريرة « من يسأل الناس أموالهم تكثرا فإنما يسأل جمرا ... الحديث . وللبزار والطبرانى من حديث مسعود بن عمر « ولايزال العبد يسأل وهو غنى حتى يخلى وجهه » وفى إسناده لين وللشيخين من حديث ابن عمر « مازال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة وليس على وجهه مزعة لحم » وإسناده جيد .

(٢) حديث « من سأل وله مايغنيه كانت مسئلته خدوشا وكدوحا فى وجهه » رواه أصحاب السنن من حديث ابن مسعود ، وتقدم فى الزكاة (٣) حديث : بايع قوما على الإسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال كلمة خفية « ولا تسألوا الناس شيئاً » أخرجه مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعى (٤) حديث « من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا » أخرجه ابن أبى الدنيا فى القناعة ، والحارث بن أبى أسامة فى مسنده من حديث أبى سعيد الخدرى ، وفيه حسن بن هلال لم أر من تكلم فيه ، وباقيهم ثقات . (٥) حديث « استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير ... الحديث » أخرجه البزار والطبرانى من حديث ابن عباس « استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك » وإسناده صحيح ، وله فى حديث « تعففوا ولو بحزم الحطب » وفيه من لم يسم ، وليس فيه : وماقل من السؤال ... الخ .

مهمة أو حاجة خفيفة . أو مستغنى عنه ؛ فهذه أربعة أحوال .

أما المضطر إليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا أو مرضا وسؤال العارى وبدنه مكشوف ليس معه ما يواريه ، وهو مباح مهما وجدت بقية الشروط فى المسئول بكونه مباحا ، والمسئول منه بكونه راضيا فى الباطن ، وفى السائل بكونه عاجزا عن الكسب ، فإن القادر على الكسب وهو بطال له السؤال إلا إذا استغرق طلب العلم أوقاته ، وكل من له خط فهو قادر على الكسب بالوراقة .

وأما المستغنى فهو الذى يطلب شيئا وعنده مثله وأمثاله ، فسؤاله حرام قطعا ، وهذان طرفان واضحان .

وأما المحتاج حاجة مهمة فكالمريض الذى يحتاج إلى دواء ليس يظهر خوفه لولم يستعمله ولكن لا يخلو عن خوف ، وكمن له جبة لا قميص تحتها فى الشتاء وهو يتأذى بالبرد تأذيا لا ينتهى إلى حد الضرورة ، وكذلك من يسأل لأجل الكراء وهو قادر على المشى بمشقة ، فهذا أيضا ينبغى أن تسترسل عليه الإباحة لأنها أيضا حاجة محققة ولكن الصبر عنه أولى وهو بالسؤال تارك للأولى ولايسمى سؤاله مكروها مهما صدق فى السؤال وقال ليس تحت جبتى قميص والبرد يؤذينى أذى أطيقه ولكن يشق على ، فإذا صدق فصدقه يكون كفارة لسؤاله إن شاء الله تعالى.

وأما الحاجة الخفيفة فمثل سؤال قميصا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه ليستر الخروق من ثيابه عن أعين الناس ، وكمن يسأل لأجل الأدم وهو واجد للخبز ، وكمن يسأل الكراء لفرس فى الطريق وهو واجد كراء الحمار ، أو يسأل كراء المحمل وهو قادر على الراحلة ، فهذا ونحوه إن كان فيه تلبيس حال بإظهار حاجة غير هذه فهو حرام ، وإن لم يكن وكان فيه شىء من المحذورات الثلاثة من الشكوى والذل وإيذاء المسئول فهو حرام ، لأن مثل هذه الحاجة لاتصلح لأن تباح بها هذه المحذورات ، وإن لم يكن فيها شىء من ذلك فهو مباح مع الكراهة .

* فإن قلت : فكيف يمكن إخلاء السؤال عن هذه المحذورات ؟ فاعلم أن الشكوى تندفع بأن يظهر الشكر لله والاستغناء عن الخلق ولا يسأل سؤال محتاج ، ولكن يقول : أنا مستغن بما أملكه ولكن تطالبنى رعونة النفس بثوب فوق ثيابى وهو فضلة عن الحاجة وفضول من النفس ، فيخرج به عن حد الشكوى ، وأما الذل فبأن يسأل أباه أو قريبه أو صديقه الذى يعلم أنه لاينقصه ذلك فى عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله ، أو الرجل السخى الذى قد أعد ماله لمثل هذه المكارم فيفرح بوجود مثله ويتقلد منه منة بقبوله فيسقط عنه الذل بذلك ، فإن الذل لازم للمنة لا محالة . وأما الإيذاء فسبيل الخلاص عنه أن لايعين شخصا بالسؤال بعينه بل يلقى الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل إلا متبرع بصدق الرغبة ، وإن كان فى القوم شخص مرموق لولم يبذل لكان يلام ، فهذا إيذاء ، فإنه ربما يبذل كرها خوفا من الملامة ، ويكون الأحب إليه فى الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير الملامة . وأما إذا كان يسأل شخصا معينا فينبغى أن لايصرح بل يعرض تعريضا يبقى له سبيلا إلى التغافل إن أراد ، فإذا لم يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته وأنه غير متأذ به ، وينبغى أن يسأل من لايستحيا منه لو رده أو تغافل عنه ، فإن الحياء من السائل يؤذى كما أن الرياء مع غير السائل يؤذى .

* فإن قلت : فإذا أخذ مع العلم بأن باعث المعطى هو الحياء منه أو من الحاضرين ولولاه لما ابتدأه به فهل هو حلال أو شبهة ؟ فأقول : ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الأمة ، وحكمه حكم أخذ مال الغير بالضرب والمصادرة ، إذ لافرق بين أن يضرب ظاهر جلده بسياط الخشب أو يضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف الملام ، وضرب الباطن أشد نكاية فى قلوب العقلاء ، ولا يجوز أن يقال هو فى الظاهر قد رضى به وقد قال صلى الله

عليه وسلم « إنما أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر [1] » فإنّ هذه ضرورة القضاء فى فصل الخصومات ، إذ لا يمكن ردهم إلى البواطن وقرائن الأحوال ، فاضطروا إلى الحكم بظاهر القول باللسان مع أنه ترجمان كثير الكذب، ولكن الضرورة دعت إليه ، وهذا سؤال عما بين العبد وبين الله تعالى ، والحاكم فيه أحكم الحاكمين ، والقلوب عنده كالألسنة عند سائر الحكام فلا تنظر فى مثل هذا إلا إلى قلبك وإن أفتوك وأفتوك ، فإنّ المفتى معلم للقاضى والسلطان ليحكموا فى عالم الشهادة ، ومفتى القلوب هم علماء الآخرة ، وبفتواهم النجاة من سلطان الآخرة ، كما أنّ بفتوى الفقيه النجاة من سطوة سلطان الدنيا ، فإذا ما أخذه مع الكراهة لا يملكه بينه وبين الله تعالى ويجب عليه رده إلى صاحبه ، فإن كان يستحيى من أن يسترده ولم يسترده فعليه أن يثيبه على ذلك بما يساوى قيمته فى معرض الهدية والمقابلة ليتفصى عن عهدته ، فإن لم يقبل هديته فعليه أن يرد ذلك إلى ورثته ، فإن تلف فى يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالى وهو عاص بالتصرف فيه وبالسؤال الذى حصل به الأذى .

* فإن قلت : فهذا أمر باطن يعسر الاطلاع عليه ، فكيف السبيل إلى الخلاص منها فربما يظن السائل أنه راض ولا يكون هو فى الباطن راضيا ؟ فأقول : لهذا ترك المتقون السؤال رأسا فما كانوا يأخذون من أحد شيئا أصلا فكان بشر لا يأخذ من أحد أصلا إلا من السرى رحمة الله عليهما وقال : لأنى علمت أنه يفرح بخروج المال من يده فأنا أعينه على ما يحب ، وإنما عظم النكير فى السؤال وتأكد الأمر بالتعفف لهذا ، لأنّ الأذى إنما يحل بضرورة : وهو أن يكون السائل مشرفا على الهلاك ولم يبق له سبيل إلى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة وأذى ، فيباح له ذلك كما يباح له أكل لحم الخنزير وأكل لحم الميتة ، فكان الامتناع طريق الورعين، ومن أرباب القلوب من كان واثقا ببصيرته فى الاطلاع على قرائن الأحوال ، فكانوا يأخذون من بعض الناس دون البعض ، ومنهم من كان لا يأخذ إلا من أصدقائه ، ومنهم من كان يأخذ مما يعطى بعضا ويرد بعضا ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكبش والسمن والأقط ، وكان هذا يأتيهم من غير سؤال ، فإن ذلك لا يكون إلا عن رغبة ، ولكن قد تكون رغبته طمعا فى جاه أو طلبا للرياء والسمعة فكانوا يحترزون من ذلك ، فأما السؤال فقد امتنعوا عنه رأسا إلا فى موضعين : أحدهما الضرورة فقد سأل ثلاثة من الأنبياء فى موضع الضرورة : سليمان ، وموسى ، والخضر عليهم السلام . ولا شك فى أنهم ما سألوا إلا من علموا أنه يرغب فى إعطائهم . والثانى : السؤال من الأصدقاء والإخوان فقد كانوا يأخذون مالهم بغير سؤال واستئذان ، لأنّ أرباب القلوب علموا أنّ المطلوب رضا القلب لا نطق اللسان ، وقد كانوا وثقوا بإخوانهم أنهم كانوا يفرحون بمباسطتهم ، فإذا كانوا يسألون الإخوان عند شكهم فى اقتدار إخوانهم على ما يريدونه وإلا فكانوا يستغنون عن السؤال ، وحد إباحة السؤال أن تعلم أنّ المسئول بصفة لو علم ما بك من الحاجة لابتدأك دون السؤال ، فلا يكون لسؤالك تأثير إلا بتعريف حاجتك ، فأما فى تحريكه بالحياء وإثارة داعيته بالحيل فلا ، ويتصدى للسائل حالة لا يشك فيها فى الرضا بالباطن ، وحالة لا يشك فى الكراهة ، ويعلم ذلك بقرينة الأحوال ، فالأخذ فى الحالة الأولى حلال طاق ، وفى الثانية سحت ، ويتردد بين الحالتين أحوال يشك فيها فليستفت قلبه فيها وليترك حزاز القلب فإنه الإثم ، وليدع ما يريبه إلى ما لا يريبه ، وإدراك ذلك بقرائن الأحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه وشهوته ، فإن قوى الحرص وضعفت الفطنة تراءى له ما يوافق غرضه ، فلا يتفطن للقرائن الدالة على الكراهة ، وبهذه الدقائق يطلع على سر قوله

(١) حديث « إنما نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر » لم أجد له أصلا ، وكذا قال المزى لما سئل عنه

صلى الله عليه وسلم « إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه »[1] ، وقد أوتى جوامع الكلم ، لأنّ من لا كسب له ولا مال ورثه من كسب أبيه أو أحد قرابته قليأكل من أيدى الناس ، وإن أعطى بغير سؤال فإنما يعطى بدينه ، ومتى يكون باطنه بحيث لو انكشف لا يعطى بدينه فيكون ما يأخذه حراما ، وإن أعطى بسؤال فأين من يطيب قلبه بالعطاء إذا سئل ؟ وأين من يقتصر فى السؤال على حدّ الضرورة ، فإذا فتشت أحوال من يأكل من أيدى الناس علمت أنّ جميع ما يأكله أو أكثره سحت وأنّ الطيب هو الكسب الذى اكتسبته بحلالك أنت أو مورّثك ، فإذن بعيد أن يجتمع الورع مع الأكل من أيدى الناس ، فنسأل الله تعالى أن يقطع طمعنا عن غيره ، وأن يغنينا بحلاله عن حرامه ، وبفضله عمن سواه بمنه وسعة جوده ، فإنه على ما يشاء قدير .

بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال

اعلم أن قوله صلى الله عليه وسلم « من سأل عن ظهر غنى فإنما يسأل جمرا فليستقل منه أو ليستكثر » صريح فى التحريم ، ولكن حدّ الغنى مشكل وتقديره عسير ، وليس إلينا وضع المقادير ، بل يستدرك ذلك بالتوقيف ، وقد ورد فى الحديث « استغنوا بغنى الله تعالى عن غيره . قالوا : وما هو قال : غداء يوم وعشاء ليلة »[2] ، وفى حديث آخر « من سأل وله خمسون درهما أو عدلها من الذهب فقد سأل إلحافا »[3] ، وورد فى لفظ آخر « أربعون درهما » ومهما اختلفت التقديرات وصحت الأخبار فينبغى أن يقطع بورودها على أحوال مختلفة ، فإنّ الحق فى نفسه لا يكون إلا واحدا والتقدير ممتنع ، وغاية الممكن فيه تقريب ، ولا يتم ذلك إلا بتقسيم محيط بأحوال المحتاجين ، فنقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا حق لابن آدم إلا فى ثلاث : طعام يقيم صلبه ، وثوب يوارى به عورته ، وبيت يكنه فما زاد فهو حساب » فلنجعل هذه الثلاث أصلا فى الحاجات لبيان أجناسها والنظر فى الأجناس والمقادير والأوقات ، فأما الأجناس فهى هذه الثلاث ويلحق بها ما فى معناها حتى يلحق بها الكراء للمسافر إذا كان لا يقدر على المشى وكذلك ما يجرى مجراه من المهمات ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من تحت كفالته كالدابة أيضا . وأما المقادير فالثوب يراعى فيه ما يليق بذوى الدين وهو ثوب واحد وقميص ومنديل وسراويل ومداس وأما الثانى من كل جنس فهو مستغن عنه وليقس على هذا أثاث البيت جميعا ، ولا ينبغى أن يطلب رقة الثياب وكون الأوانى من النحاس والصفر فيما يكفى فيه الخزف ، فإن ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على واحد ومن النوع على أخس أجناسه مالم يكن فى غاية البعد عن العادة . وأما الطعام فقدره فى اليوم مدّ وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو كان من الشعير . والأدم على الدوام فضلة ، وقطعة بالكلية إضرار ، ففى طلبه فى بعض الأحوال رخصة . وأما المسكن فأقله ما يجزئ من حيث المقدار وذلك من غير زينة ، فأما السؤال للزينة والتوسع فهو سؤال عن ظهر غنى ، وأما بالإضافة إلى الأوقات فما يحتاج إليه فى الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه ومأوى يكنه فلا شك فيه فأما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات (إحداها) ما يحتاج إليه فى غد (والثانية) ما يحتاج إليه فى أربعين يوما أو خمسين يوما . (والثالثة) ما يحتاج إليه فى السنة ، ولنقطع بأن من معه ما يكفيه له ولعياله إن كان له عيال

---

(١) حديث « إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه » تقدم .

(٢) حديث « استغنوا بغنى الله » قالوا : وماهو ؟ قال « غداء يوم وعشاء ليلة » تقدم فى الزكاة من حديث سهل ابن الحنظلية قالوا مايغنيه ؟ قال « مايعديه أو يعشيه » ولأحمد من حديث على بإسناد حسن : قالوا وما ظهر غنى ؟ قال « عشاء ليلته » وأما اللفظ الذى ذكره المصنف فذكره صاحب الفردوس من حديث أبى هريرة (٣) حديث « من سأل وله خمسون درهما أو عدلها من الذهب فقد سأل إلحافا » وفى لفظ آخر « أربعون درهما » تقدما فى الزكاة .

لسنه فسؤاله حرام ، فإن ذلك غاية الغنى وعليه ينزل التقدير بخمسين درهما فى الحديث ، فإن خمسة دنانير تكفى المنفرد فى السنة إذا اقتصد ، أما المعيل فربما لا يكفيه ذلك وإن كان يحتاج إليه قبل السنة ، فإن كان قادرا على السؤال ولا تفوته فرصته فلا يحل له السؤال لأنه مستغن فى الحال وربما لا يعيش إلى الغد فيكون قد سأل مالا يحتاج فيكفيه غداء يوم وعشاء ليلة ، وعليه ينزل الخبر الذى ورد فى التقدير بهذا القدر . وإن كان يفوته فرصة السؤال ولا يجد من يعطيه لو أخر فيباح له السؤال ، لأنّ أمل البقاء سنة غير بعيد فهو بتأخير السؤال خائف أن يبقى مضطرا عاجزا عما يعينه ، فإن كان خوف العجز عن السؤال فى المستقبل ضعيفا وكان مالأجله السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهية ، وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطرار وخوف الفوت وتراخى المدّة التى فيها يحتاج إلى السؤال ، وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله تعالى ، فيستفتى فيه قلبه ويعمل به إن سالكا طريق الآخرة ، وكل من كان يقينه أقوى وثقته بمجىء الرزق فى المستقبل أتم وقناعته بقوت الوقت أظهر فدرجته عند الله تعالى أعلى ، فلا يكون خوف الاستقبال وقد آتاك الله قوت يومك لك ولعيالك إلا من ضعف اليقين والإصغاء إلى تخويف الشيطان ، وقد قال تعالى ﴿ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ وقال عز وجل ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ﴾ والسؤال من الفحشاء التى أبيحت بالضرورة ، وحال من يسأل لحاجة متراخية عن يومه وإن كان مما يحتاج إليه فى السنة أشدّ من حال من ملك مالا موروثا وادخره لحاجة وراء السنة ، وكلاهما مباحان فى الفتوى الظاهرة ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول الأمل وعدم الثقة بفضل الله ، وهذه الخصلة من أمهات المهلكات ، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه

بيان أحوال السائلين

كان بشر رحمه الله يقول الفقراء ثلاثة : فقير لا يسأل وإن أعطى لا يأخذ ، فهذا مع الروحانيين فى عليين . وفقير لا يسأل وإن أعطى أخذ ، فهذا مع المقربين فى جنات الفردوس . وفقير يسأل عند الحاجة ، فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمين .

فإذن قد اتفق كلهم على ذم السؤال وعلى أنه مع الفاقة يحط المرتبة والدرجة .

قال شقيق البلخى لإبراهيم بن أدهم حين قدم عليه من خراسان : كيف تركت الفقراء من أصحابك ؟ قال : تركتهم إن أعطوا شكروا ، وإن منعوا صبروا ـ وظن أنه لما وصفهم بترك السؤال قد أثنى عليهم غاية الثناء ، فقال شقيق ، هكذا تركت كلاب بلخ عندنا ، فقال له إبراهيم : فكيف الفقراء عندك يا أبا إسحاق ؟ فقال : الفقراء عندنا إن منعوا شكروا ، وإن أعطوا آثروا . فقبل رأسه وقال : صدقت يا أستاذ .

فإذن درجات أرباب الأحوال فى الرضا والصبر والشكر والسؤال كثيرة ، فلا بدّ لسالك طريق الآخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها واختلاف درجاتها ، فإنه إذا لم يعلم لم يقدر على الرقى من حضيضها إلى قلاعها ، ومن أسفل سافلين إلى أعلى أعلين ، وقد خلق الإنسان فى أحسن تقويم ، ثم رد إلى أسفل سافلين ، ثم أمر أن يترقى إلى أعلى عليين ، ومن لا يميز بين السفل والعلو لا يقدر على الرقى قطعا ، وإنما الشك فيمن عرف ذلك ، فإنه ربما لا يقدر عليه ، وأرباب الأحوال قد تغلبهم حالة تقتضى أن يكون السؤال مزيدا لهم فى درجاتهم ولكن بالإضافة إلى حالهم فإنّ مثل هذه الأعمال بالنيات ، وذلك كما روى أنّ بعضهم رأى أبا إسحاق النورى رحمه الله يمدّ يده ويسأل الناس فى بعض المواضع ، قال : فاستعظمت ذلك واستقبحته له ، فأتيت الجنيد رحمه الله فأخبرته بذلك فقال : لا يعظم هذا

عليك ، فإنّ النورى لم يسأل الناس إلا ليعطيهم ، وإنما سألهم ليثيبهم فى الآخرة فيؤجرون من حيث لايضرهم . وكأنه أشار به إلى قوله صلى الله عليه وسلم « يد المعطى هى العليا[1] » فقال بعضهم : يد المعطى هى يد الآخذ للمال لأنه يعطى الثواب والقدر له لالما يأخذه ، ثم قال الجنيد : هات الميزان ، فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فألقاها على المائة ثم قال : احملها إليه ، فقلت فى نفسى : إنما يوزن الشىء ليعرف مقداره ، فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم ؟ واستحييت أن أسأله ، فذهبت بالصرة إلى النورى فقال : هات الميزان ، فوزن مائة درهم وقال : ردها عليه وقل له : أنا لاأقبل منك أنت شيئا وأخذ مازاد على المائة قال : فزاد تعجبي ، فسألته فقال . الجنيد رجل حكيم ، يريد أن يأخذ الحبل بطرفيه : وزن المائة لنفسه طلبا لثواب الآخرة ، وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عزوجل ، فأخذت ما كان لله تبارك وتعالى ورددت ماجعله لنفسه . قال : فرددتها إلى الجنيد فبكى وقال : أخذ ماله وردمالنا الله المستعان ، فانظر الآن كيف صفت قلوبهم وأحوالهم وكيف خلصت لله أعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد منهم قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتناجى الأسرار ، وذلك نتيجة أكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والإقبال على الله تعالى بكنه الهمة ، فمن أنكر ذلك قبل تجربة طريقه فهو جاهل ، كمن ينكر مثلا كون الدواء مسهلا قبل شربه . ومن أنكره بعد أن طال اجتهاده حتى بذل كنه مجهوده ولم يصل فأنكر ذلك لغيره كان كمن شرب المسهل فلم يؤثر فى حقه خاصة لعلة فى باطنه فأخذ ينكر كون الدواء مسهلا ، وهذا وإن كان فى الجهل دون الأول ولكنه ليس خاليا عن حظ واف من الجهل ، بل البصير أحد رجلين : إما رجل سالك الطريق فظهر له مثل ماظهر لهم فهو صاحب الذوق والمعرفة وقد وصل إلى عين اليقين ، وإما رجل لم يسلك الطريق أو سلك ولم يصل ولكنه آمن بذلك وصدق به فهو صاحب علم اليقين وإن لم يكن واصلا إلى عين اليقين . ولعلم اليقين أيضا رتبة وإن كان دون عين اليقين ، ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين ويحشر يوم القيامة فى زمرة الجاحدين المستكبرين الذين هم قتلى القلوب الضعيفة وأتباع الشياطين . فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من الراسخين فى العلم القائلين ﴿ آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب ﴾ .

الشطر الثانى من الكتاب فى الزهد

وفيه بيان حقيقة الزهد ، وبيان فضيلة الزهد ، وبيان درجات الزهد واقسامه ، وبيان تفصيل الزهد فى المطعم والملبس والمسكن والأثاث وضروب المعيشة ، وبيان علامة الزهد .

بيان حقيقة الزهد

اعلم أن الزهد فى الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين ، وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات ، لأن أبواب الإيمان كلها كما قال السلف ترجع إلى عقد وقول وعمل ، وكأن القول لظهوره أقيم مقام الحال إذ به يظهر الحال الباطن وإلا فليس القول مرادا لعينه ، وإن لم يكن صادرا عن حال سمى إسلاما ولم يسم إيمانا والعلم هو السبب فى حال يجرى مجرى المثمر ، والعمل يجرى من الحال مجرى الثمرة ، فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل : أما الحال فنعنى بها مايسمى زهدا وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشىء إلى ماهو خير منه ، فكل من عدل عن شىء إلى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فإنما عدل عنه لرغبته عنه ، وإنما عدل إلى غيره لرغبته

(١) حديث « يد المعطى هى العليا » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة .

فى غيره ؛ فحاله بالإضافة إلى المعدول عنه يسمى زهدا ، وبالإضافة إلى المعدول إليه يسمى رغبة وحبا ، فإذن يستدعى حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه هو خير من المرغوب عنه ، وشرط المرغوب عنه أن يكون هو أيضا مرغوبا فيه بوجه من الوجوه ، فمن رغب عما ليس مطلوبا فى نفسه لايسمى زاهدا ، إذ تارك الحجر والتراب وما أشبهه لايسمى زاهدا ، وإنما يسمى زاهدا من ترك الدراهم والدنانير لأن التراب والحجر ليسا فى مظنة الرغبة ، وشرط المرغوب فيه أن يكون عنده خيرا من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة ، فالبائع لايقدم على البيع إلا والمشترى عنده خير من المبيع ، فيكون حاله بالإضافة إلى المبيع زهدا فيه ، وبالإضافة إلى العوض عنه رغبة فيه وحبا ، ولذلك قال الله تعالى ﴿وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين﴾ معناه باعوه ، فقد يطلق الشراء بمعنى البيع ووصف إخوة يوسف بالزهد فيه ، إذ طمعوا أن يخلو لهم وجه أبيهم ؛ وكان ذلك عندهم أحب إليهم من يوسف فباعوه طمعا فى العوض ، فإذن كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد فى الدنيا ، وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضا زاهد ولكن فى الآخرة ؛ ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن يزهد فى الدنيا ، كما خصص اسم الإلحاد بمن يميل إلى الباطل خاصة وإن كان هو المميل فى وضع اللسان . ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجملة لم يتصور إلا بالعدول إلى شىء هو أحب منه ، وإلا فترك المحبوب بغير الأحب محال ، والذى يرغب عن كل ماسوى الله تعالى حتى الفراديس ولايحب إلا الله تعالى فهو الزاهد المطلق ، والذى يرغب عن كل حظ ينال فى الدنيا ولم يزهد فى مثل تلك الحظوظ فى الآخرة بل طمع فى الحور والقصور والأنهار والفواكه فهو أيضا زاهد ولكنه دون الأول ، والذى يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذى يترك المال دون الجاه أو يترك التوسع فى الأكل ولا يترك التجمل فى الزينة فلا يستحق اسم الزاهد مطلقا ، ودرجته فى الزهد درجة من يتوب عن بعض المعاصى فى التائبين ، وهو زهد صحيح ، كما أن التوبة عن بعض المعاصى صحيحة ؛ فإن التوبة عبارة عن ترك المحظورات ، والزهد عبارة عن ترك المباحات التى هى حظ النفس ، ولا يبعد أن يقدر على ترك بعض المباحات دون بعض كما لا يبعد ذلك فى المحظورات ، والمقتصر على ترك المحظورات لايسمى زاهدا وإن كان قد زهد فى المحظور وانصرف عنه ، ولكن العادة تخصص هذا الاسم بترك المباحات ، فإذن الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولا إلى الآخرة ، أو عن غير الله تعالى عدولا إلى الله تعالى وهى الدرجة العليا ، وكما يشترط فى المرغوب فيه أن يكون خيرا عنده فيشترط فى المرغوب عنه أن يكون مقدورا عليه ، فإن ترك ما لايقدر عليه محال ، وبالترك يتبين زوال الرغبة ، ولذلك قيل لابن المبارك : يازاهد ، فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز إذ جاءته الدنيا راغمة فتركها ، وأما أنا ففيماذا زهدت ؟ . وأما العلم الذى هو مثمر لهذه الحال فهو العلم بكون المتروك حقيرا بالإضافة إلى المأخوذ كعلم التاجر بأن العوض خير من المبيع فيرغب فيه ، وما لم يتحقق هذا العلم لم يتصور أن تزول الرغبة عن المبيع ، فكذلك من عرف أن ما عند الله باق وأن الآخرة خير وأبقى ، أى لذاتها خير فى أنفسها وأبقى ، كما تكون الجواهر خيرا وأبقى من الثلج مثلا . ولا يعسر على مالك الثلج بيعه بالجواهر واللآلئ ، فهكذا مثال الدنيا والآخرة ، فالدنيا كالثلج الموضوع فى الشمس لايزال فى الذوبان إلى الانقراض ، والآخرة كالجوهر الذى لافناء له ، فبقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة تقوى الرغبة فى البيع والمعاملة ، حتى إن من قوى يقينه يبيع نفسه وماله ، كما قال الله تعالى ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ ثم بين أن صفقتهم رابحة فقال تعالى ﴿ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ﴾ فليس يحتاج من العلم فى الزهد إلا إلى هذا القدر : وهو أن الآخرة

خير وأبقى وقد يعلم ذلك من لايقدر على ترك الدنيا ، إما لضعف علمه ويقينه ، وإما لاستيلاء الشهوة فى الحال عليه وكونه مقهورا فى يد الشيطان ، وإما لاغتراره بمواعيد الشيطان فى التسويف يوما بعد يوم إلى أن يختطفه الموت ولا يبقى معه إلا الحسرة بعد الفوت : وإلى تعريف خساسة الدنيا الإشارة بقوله تعالى ﴿ قل متاع الدنيا قليل ﴾ وإلى تعريف نفاسة الآخرة الإشارة بقوله عز وجل ﴿ وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير ﴾ فنبه على أن العلم بنفاسة الجوهر هو المرغب عن عوضه ، ولما لم يتصور الزهد إلا بمعاوضة ورغبة عن المحبوب فى أحب منه قال رجل فى دعائه : اللهم أرنى الدنيا كما تراها ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « لاتقل هكذا ، ولكن قل : أرنى الدنيا كما أريتها الصالحين من عبادك [1] » وهذا لأن الله تعالى يراها حقيرة كما هى ، وكل مخلوق فهو بالإضافة إلى جلاله حقير . والعبد يراها حقيرة فى نفسه بالإضافة إلى ماهو خير له ، ولايتصور أن يرى بائع الفرس وإن رغب عنه فرسه كما يرى حشرات الأرض مثلا ، لأنه مستغن عن الحشرات أصلا وليس مستغنيا عن الفرس ، والله تعالى غنى بذاته عن كل ما سواه ، فيرى الكل فى درجة واحدة بالإضافة إلى جلاله ، ويراه متفاوتا بالإضافة إلى غيره ، والزاهد هو الذى يرى تفاوته بالإضافة إلى نفسه لا إلى غيره وأما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك واحد لأنه بيع ومعاملة واستبدال للذى هو خير بالذى هو أدنى ، فكما أن العمل الصادر من عقد البيع هو ترك المبيع وإخراجه من اليد وأخذ العوض ، فكذلك الزهد يوجب ترك المزهود فيه بالكلية وهى الدنيا بأسرها مع أسبابها ومقدماتها وعلائقها ، فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات ويخرج من العين واليد ما أخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات ، وإلا كان كمن سلم المبيع ولم يأخذ الثمن ؛ فإذا وفى بشرط الجانبين فى الأخذ والترك فليستبشر ببيعه الذى بايع به ؛ فإن الذى بايعه بهذا البيع وفى بالعهد ، فمن سلم حاضرا فى غائب وسلم الحاضر وأخذ يسعى فى طلب الغائب سلم إليه الغائب حين فراغه من سعيه إن كان العاقد ممن يوثق بصدقه وقدرته ووفائه بالعهد ، وما دام ممسكا الدنيا لا يصح زهده أصلا ، ولذلك لم يصف الله تعالى إخوة يوسف بالزهد فى بنيامين وإن كانوا قد قالوا ﴿ ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ﴾ وعزموا على إبعاده كما عزموا على يوسف حتى تشفع فيه أحدهم فترك ، ولا وصفهم أيضا بالزهد فى يوسف عند العزم على إخراجه ، بل عند التسليم والبيع ، فعلامة الرغبة الإمساك ، وعلامة الزهد الإخراج : فإن أخرجت عن اليد بعض الدنيا دون البعض فأنت زاهد فيما أخرجت فقط واست زاهدا مطلقا ، وإن لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد ، لأن ما لايقدر عليه لايقوى على تركه ، وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل إليك أن الدنيا وإن لم تأتك فأنت زاهد فيها ، فلا ينبغى أن تتدلى بحبل غروره دون أن تستوثق وتستظهر بموثق غليظ من الله ، فإنك إذا لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها ، فكم من ظان بنفسه كراهة المعاصى عند تعذرها ، فلما تيسرت له أسبابها من غير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها ، وإذا كان هذا غرور النفس فى المحظورات ، فإياك أن تثق بوعدها فى المباحات ، والموثق الغليظ الذى تأخذه عليها ، أن تجربها مرة بعد مرة فى حال القدرة ، فإذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والأعذار ظاهرا وباطنا فلا بأس أن تثق بها وثوقا ما ، ولكن تكون من تغيرها أيضا على حذر ، فإنها سريعة النقض للعهد ، قريبة الرجوع إلى مقتضى الطبع وبالجملة فلا أمان منها إلا عند الترك بالإضافة إلى ماترك فقط وذلك عند القدرة . قال ابن أبى ليلى لابن شبرمة : ألا ترى إلى ابن الحسائك هذا

(١) حديث : قال رجل : اللهم أرنى الدنيا كما تراها ، فقال له « لاتقل هكذا ، ولكن قل : أرنى الدنيا كما أريتها الصالحين من عبادك » ذكره صاحب الفردوس مختصرا « اللهم أرنى الدنيا كما تريها صالح عبادك » من حديث أبى القصير ولم يخرجه ولده

لانفتى فى مسألة إلا رد علينا — يعنى أبا حنيفة ، فقال ابن شبرمة : لا أدرى أهو ابن الحائك أم ماهو ؟ لكن أعلم أن الدنيا غدت إليه فهرب منها ، وهربت منا فطلبناها ، وكذلك قال جميع المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا نحب ربنا ولو علمنا فى أى شىء محبته لفعلناه حتى نزل قوله تعالى ﴿ ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم مافعلوه إلا قليل منهم [1] ﴾ . قال ابن مسعود رحمه الله : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم . أنت منهم — يعنى من القليل . قال : وما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى ﴿ منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة [2] ﴾ . واعلم أنه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والفتوة وعلى سبيل استمالة القلوب وعلى سبيل الطمع ، فذلك كله من محاسن العادات ولكن لامدخل لشىء منه فى العبادات ؛ وإنما الزهد أن تترك الدنيا لعلمك بحقارتها بالإضافة إلى نفاسة الآخرة ؛ فأما كل نوع من الترك فإنه يتصور ممن لايؤمن بالآخرة ؛ فذلك قد يكون مروءة وفتوة وسخاء وحسن خلق ، ولكن لا يكون زهدا ؛ إذ حسن الذكر وميل القلوب من حظوظ العاجلة وهى ألذ وأهنأ من المال ، وكما أن ترك المال على سبيل السلم طمعا فى العوض ليس من الزهد ، فكذلك تركه طمعا فى الذكر والثناء والاشتهار بالفتوة والسخاء واستثقالا له لما فى حفظ المال من المشقة والعناء . والحاجة إلى التذلل للسلاطين والأغنياء ليس من الزهد أصلا ، بل هو استعجال حظ آخر للنفس ؛ بل الزاهد من أتته الدنيا راغمة صفوا عفوا وهو قادر على التنعم بها من غير نقصان جاه وقبح اسم ولا فوات حظ للنفس ، فتركها خوفا من أن يأنس بها ، فيكون آنسا بغير الله ومحباً لما سوى الله ، ويكون مشركا فى حب الله تعالى غيره . أو تركها طمعاً فى ثواب الله فى الآخرة فترك التمتع بأشربة الدنيا طمعاً فى أشربة الجنة ، وترك التمتع بالسرارى والنسوان طمعاً فى الحور العين ، وترك التفرج فى البساتين طمعاً فى بساتين الجنة وأشجارها ، وترك التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعاً فى زينة الجنة ، وترك المطاعم اللذيذة طمعاً فى فواكه الجنة وخوفا من أن يقال له ﴿ أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا ﴾ فآثر فى جميع ذلك ماوعد به فى الجنة على ماتيسر له فى الدنيا عفواً صفواً لعلمه بأن مافى الآخرة خير وأبقى ، وأن ماسوى هذا فمعاملات دنيوية لاجدوى لها فى الآخرة أصلا .

بيان فضيلة الزهد

قال الله تعالى ﴿ فخرج على قومه فى زينته ... إلى قوله تعالى ... وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن ﴾ فنسب الزهد إلى العلماء ووصف أهله بالعلم وهو غاية الثناء ، وقال تعالى ﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ﴾ وجاء فى التفسير على الزهد فى الدنيا وقال عز وجل ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ﴾ قيل : معناه أيهم أزهد فيها ، فوصف الزهد بأنه من أحسن الأعمال . وقال تعالى ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب ﴾ وقال تعالى ﴿ ولا تمدن عينيك إلى مامتعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ﴾ وقال تعالى ﴿ الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ﴾ فوصف الكفار بذلك ، ففهومه أن المؤمن هو الذى يتصف بنقيضه وهو أن يستحب الآخرة على الحياة الدنيا .

---

(١) حديث قال المسلمون . إنا نحب ربنا ولو علمنا فى أى شىء محبته لفعلناه ، حتى نزل قوله تعالى ﴿ ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم ﴾ الآية : لم أقف له على أصل . (٢) حديث ابن مسعود . ماعرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى ﴿ منكم من يريد الدنيا ﴾ الآية أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة بإسناد حسن .

وأما الأخبار : فما ورد منها فى ذم الدنيا كثير ، وقد أوردنا بعضها فى كتاب ذم الدنيا مع ربع المهلكات ، إذ حب الدنيا من المهلكات ونحن الآن نقتصر على فضيلة بغض الدنيا فإنه من المنجيات ، وهو المعنى بالزهد ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ، ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته ، وجعل غناه فى قلبه ، وأتته الدنيا وهى راغمة [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم العبد وقد أعطى صمتا وزهدا فى الدنيا فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة [2] » وقال تعالى ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيرا ﴾ ولذلك قيل من زهد فى الدنيا أربعين يوما أجرى الله ينابيع الحكمة فى قلبه وأنطق بها لسانه . وعن بعض الصحابة أنه قال قلنا يارسول الله ، أى الناس خير ؟ قال كل مؤمن مخموم القلب صدوق اللسان ، قلنا يارسول الله وما مخموم القلب؟ قال « التقى النقى الذى لاغل فيه ولا غش ولا بغى ولا حسد » قلنا : يارسول الله ، فمن على أثره ؟ قال « الذى يشنأ الدنيا ويحب الآخرة [3] » ومفهوم هذا أن شر الناس الذى يحب الدنيا . وقال صلى الله عليه وسلم « إن أردت أن يحبك الله فازهد فى الدنيا [4] » فجعل الزهد سببا للمحبة ، فمن أحبه الله تعالى فهو فى أعلى الدرجات ، فينبغى أن يكون الزهد فى الدنيا من أفضل المقامات ، ومفهومه أيضا أن من محب الدنيا متعرض لبغض الله تعالى وفى خبر من طريق أهل البيت « الزهد والورع يجولان فى القلوب كل ليلة ، فإن صادفا قلبا فيه الإيمان والحياء أقاما فيه وإلا ارتحلا [5] » ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا مؤمن حقا قال « وما حقيقة إيمانك ؟ » قال : عزفت نفسى عن الدنيا فاستوى عندى حجرها وذهبها ، وكأنى بالجنة والنار ، وكأنى بعرش ربى بارزا ، فقال صلى الله عليه وسلم « عرفت فالزم عبد نور الله قلبه بالإيمان [6] » فانظر كيف بدأ فى إظهار حقيقة الإيمان بعزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين ، وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال : عبد نور الله قلبه بالإيمان . ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح فى قوله تعالى ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ وقيل له : ماهذا الشرح ؟ قال « إن النور إذا دخل فى القلب انشرح له الصدر وانفسح » قيل يارسول الله . وهل لذلك من علامة؟ قال « نعم ، التجافى عن دار الغرور ؛ والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله [7] » فانظر كيف جعل الزهد شرطا للاسلام وهو التجافى عن دار الغرور ؟ وقال صلى الله عليه وسلم « استحيوا من الله حق الحياء » قالوا : إنا لنستحيي منه تعالى ، فقال « ليس كذلك تبنون مالا تسكنون ، وتجمعون مالا تأكلون [8] » فبين أن ذلك ينافض الحياء من الله تعالى ولما قدم عليه بعض الوفود قالوا : إنا مؤمنون . قال « وما علامة إيمانكم ؟ » فذكروا

---

(١) حديث « من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره ... الحديث » أخرجه ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت بسند جيد ، والترمذى من حديث أنس بسند ضعيف نحوه .

(٢) حديث « إذا رأيتم العبد قد أوتى صمتا وزهدا فى الدنيا فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة » رواه ابن ماجه من حديث أبى خلاد بسند فيه ضعف (٣) حديث : قلنا يارسول الله وما مخموم القلب ؟ قال « التقى النقى ... الحديث » رواه ابن ماجه بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله : يارسول الله فمن على أثره ، وقد تقدم ، ورواه بهذه الزيادة بالإسناد المذكور الخرائطى فى مكارم الأخلاق (٤) حديث « إن أردت أن يحبك الله فازهد فى الدنيا » رواه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف نحوه ، وقد تقدم . (٥) حديث « الزهد والورع يجولان فى القلب كل ليلة ، فإن صادفا قلبا فيه الإيمان والحياء أقاما فيه وإلا ارتحلا » لم أجد له أصلا . (٦) حديث : لما قال له حارثة : أنا مؤمن حقا ، فقال « وما حقيقة إيمانك .. الحديث » أخرجه البزار من حديث أنس ، والطبرانى من حديث الحارث بن مالك ، وكلا الحديثين ضعيف .

(٧) حديث : سئل عن قوله تعالى ﴿ فمن يرد الله أن يهديه ﴾ ... الحديث . أخرجه الحاكم ، وقد تقدم .

(٨) حديث « استحيوا من الله حق الحياء ... الحديث » رواه الطبرانى من حديث أم الوليد بنت عمر بن الخطاب بإسناد ضعيف

الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة إذا نزلت بالأعداء ، فقال عليه الصلاة والسلام « إن كنتم كذلك فلا تجمعوا مالا تأكلون ولا تبنوا مالا تسكنون ، ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون[1] » لجعل الزهد تكملة لإيمانهم . وقال جابر رضى الله عنه : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « من جاء بلا إله إلا الله لايخلط بها غيرها وجبت له الجنة » فقام إليه على كرم الله وجهه ، فقال : بأبى أنت وأمى يارسول الله مالا يخلط بها غيرها ؟ صفه لنا فسره لنا ، فقال « حب الدنيا طلبا لها واتباعا لها ، وقوم يقولون قول الأنبياء ويعملون عمل الجبابرة ، فمن جاء بلا إله إلا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة[2] » . وفى الخبر « السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن ، والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك[3] » . وقال أيضاً « السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار[4] » والبخل ثمرة الرغبة فى الدنيا ، والسخاء ثمرة الزهد . والثناء على الثمرة ثناء على المثمر لامحالة . وروى عن ابن المسيب عن أبى ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من زهد فى الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه فأنطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالما إلى دار السلام[5] » وروى أنه صلى الله عليه وسلم مر فى أصحابه بعشار من النوق حفل وهى الحوامل وكانت من أحب أموالهم إليهم وأنفسها عندهم لأنها تجمع الظهر واللحم واللبن والوبر ، وإنما بها فى قلوبهم قال الله تعالى ﴿ وإذا العشار عطلت ﴾ قال : فأعرض عنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وغض بصره ، فقيل له : يارسول الله هذه أنفس أموالنا لم لاتنظر إليها ؟ فقال « قد نهانى الله عن ذلك » ثم تلا قوله تعالى ﴿ ولا تمدن عينيك إلى مامتعنابه ﴾ الآية[6] وروى مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يارسول الله ؛ ألا تستطعم لله فيطعمك ؟ قالت : وبكيت لما رأيت به من الجوع ؛ فقال ياعائشة ؛ والذى نفسى بيده لو سألت ربى أن يجرى معى جبال الدنيا ذهبا لأجرها حيث شئت من الأرض ؛ ولكن اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها ؛ ياعائشة إن الدنيا لاتنبغى لمحمد ولا لآل محمد ؛ ياعائشة إن الله لم يرض لأولى العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ، ثم لم يرض إلا أن يكلفنى ما كلفهم ، فقال ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ والله مالى بد من طاعته وإنى والله لأصبرن كما صبروا بجهدى ولا قوة إلا بالله[7] » . وروى عن عمر رضى الله عنه : أنه حين فتح عليه الفتوحات قالت له ابنته حفصة رضى الله عنها .

---

(١) حديث : لما قدم عليه بعض الوفود قالوا . إنا مؤمنون . قال « وماعلامة إيمانكم . الحديث » رواه الخطيب وابن عساكر فى تاريخهما بإسناد ضعيف من حديث جابر . (٢) حديث جابر « من جاء بلا إله إلا الله لايخلط معها شيئاً وجبت له الجنة » لم أره من حديث جابر ، وقد رواه الترمذى الحكيم فى النوادر من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف . (٣) حديث السخاء من اليقين ولايدخل النار موقن ... الحديث » ذكره صاحب الفردوس من حديث أبى الدرداء ولم يخرجه ولده فى مسنده .

(٤) حديث « السخى قريب من الله ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة ، وقد تقدم .

(٥) حديث أبى ذر « من زهد الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه ... الحديث » لم أره من حديث أبى ذر ، ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب ذم الدنيا من حديث صفوان بن سليم مرسلا ، ولابن عدى فى الكامل من حديث أبى موسى الأشعرى « من زهد فى الدنيا أربعين يوما وأخلص فيها العبادة أجرى الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » وقال حديث منكر . وقال الذهبى باطل : ورواه أبو الشيخ فى كتاب الثواب وأبو نعيم فى الحلية مختصرا من حديث أبى أيوب « من أخلص لله » وكلها ضعيفة .

(٦) حديث مر فى أصحابه بعشار من النوق حفل .. الحديث . وفيه : ثم تلا قوله تعالى (ولاتمدن عينيك) الآية : لم أجد له أصلا

(٧) حديث مسروق عن عائشة قلت يارسول الله ، ألا تستطعم ربك فيطعمك ، قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع . . الحديث . وفيه « ياعائشة ، إن الله لم يرض لأولى العزم من الرسل إلا الصبر ... الحديث » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبى عبد الرحمن السلمى من رواية عباد بن عباد عن مجالد عن الشعبى عن مسروق مختصرا « ياعائشة إن الله لم يرض من أولى العزم من الرسل إلا الصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ثم لم يرض إلا أن كلفنى ماكلفهم ، فقال تعالى (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) ومجالد مختلف فى الاحتجاج به .

البس ألين الثياب إذا وفدت عليك الوفود من الآفاق ، ومر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضر ، فقال عمر : ياحفصة ، ألست تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته ؟ فقالت : بلى . قال ناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث فى النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوة إلا جاعوا عشية ولا شبعوا عشية إلا جاعوا غدوة ، وناشدتك الله ، هل تعلمين أن النبى صلى الله عليه وسلم لبث فى النبوة كذا كذا سنة لم يشبع من التمر وهو وأهله حتى فتح الله عليه خيبر ؟ وناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرب إليه يوما طعاما على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ثم أمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك أو وضع على الأرض ؟ وناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينام على عباءة مثنية ثنيت له ليلة أربع طاقات فنام عليها فلما استيقظ قال « منعتمونى قيام الليلة بهذه العباءة اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها » ؟ وناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع ثيابه لتغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فما يجد ثوبا يخرج به إلى الصلاة حتى تجف ثيابه فيخرج بها إلى الصلاة ؟ وناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صنعت له امرأة من بنى ظفر كساءين إزارا ورداء وبعثت إليه بأحدهما قبل أن يبلغ الآخر فخرج إلى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره وقد عقد طرفيه إلى عنقه فصلى كذلك ؟ فما زال يقول حتى أبكاها وبكى عمر رضى الله عنه وانتحب حتى ظننا أن نفسه ستخرج [1] . وفى بعض الروايات زيادة من قول عمر وهو أنه قال : كان لى صاحبان سلكا طريقا ، فإن سلكت غير طريقهما سلك بى طريق غير طريقهما ، وإنى والله سأصبر على عيشهما الشديد لعلى أدرك معهما عيشهما الرغيد .

وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لقد كان الأنبياء قبلى يبتلى أحدهم بالفقر فلا يلبس إلا العباءة ، وإن كان أحدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان ذلك أحب إليهم من العطاء إليكم [2] » .

وعن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين كانت خضرة البقل ترى فى بطنه من الهزال ، فهذا ما كان قد اختاره أنبياء الله ورسله وهم أعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز فى الآخرة .

وفى حديث عمر رضى الله عنه أنه قال : لما نزل قوله تعالى ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها

---

(١) حديث : أن عمر لما فتحت عليه الفتوحات قالت له حفصة : ألبس لين الثياب إذا قدمت عليك الوفود ... الحديث بطوله ، وفيه : ناشدتك الله هل تعلمين كذا : يذكرها ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم حتى أبكاها وبكى ... الخ . لم أجده هكذا مجموعا فى حديث ، وهو مفرق فى عدة أحاديث ؛ فروى البزار من حديث عمران بن حصين قال : ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله غداء وعشاء من خبز شعير حتى لقى ربه ، وفيه عمرو بن عبد الله القدرى متروك الحديث ، وللترمذى من حديث عائشة قالت : ماأشبع من طعام وأشاء أن أبكى إلا بكيت ، قلت : لم ؟ قالت : أذكر الحال التى فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا عليها ، والله ماشبع من خبز ولحم مرتين فى يوم . وقال حديث حسن ، وللشيخين من حديثها : ماشبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام ثلاث ليال تباعا حتى قبض . وللبخارى من حديث أنس : كان لايأكل على خوان ... الحديث ، وتقدم فى آداب الأكل ، وللترمذى فى الشمائل من حديث حفصة أنها لما سئلت : ما كان فراش النبى صلى الله عليه وسلم ؟ مسح نثنيه ثنتين فينام عليه ... الحديث . ولابن سعد فى الطبقات من حديث عائشة : أنها كانت تفرش للنبى صلى الله عليه وسلم عباءة باثنتين ... الحديث ، وتقدما فى آداب المعيشة . وللبزار من حديث أبى الدرداء قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لاينخل له الدقيق ولم يكن له إلا قميص واحد . وقال : لانعلم يروى بهذا اللفظ إلا بهذا الإسناد . قال يونس بن بكير : قد حدث عن سعيد بن ميسرة البكرى بأحاديث لم يتابع عليها واحتملت على مافيها . قلت : فيه سعيد بن ميسرة فقد كذبه يحيى القطان وضعفه البخارى وابن حبان وابن عدى وغيرهم . ولابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت صلى فى شملة قد عقد عليها زاد النطرنى فى جزئه المشهور : فعقدها فى عنقه ماعليه غيرها وإسناده ضعيف ، وتقدم فى آداب المعيشة . (٢) حديث أبى سعيد الخدرى : كان الأنبياء يبتلى أحدهم بالفقر فلا يجد إلا العباء . الحديث ... بإسناد صحيح فى أثناء حديث أوله : دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يوعك دون قوله : وإن كان أحدهم ليبتلى بالقمل

فى سبيل الله﴾ قال صلى الله عليه وسلم ، تباً للدنيا تبا للدينار والدرهم ، فقلنا : يارسول الله نهانا الله عن كنز الذهب والفضة ، فأى شيء ندخر ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على أمر آخرته [1] » .

وفى حديث حذيفة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث : هما لايفارق قلبه أبدا وفقرا لايستغنى أبدا وحرصا لا يشبع أبدا [2] » .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون أن لايعرف أحب إليه من أن يعرف ؛ وحتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرته [3] » .

وقال المسيح صلى الله عليه وسلم الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها . وقيل له : يانبي الله لو أمرتنا أن نبنى بيتا نعبد الله فيه ؟ قال : اذهبوا فابنوا بيتا على الماء ، فقالوا : كيف يستقيم بنيان على الماء ؟ قال : وكيف تستقيم عبادة مع حب الدنيا ؟ .

وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « إن ربى عز وجل عرض على أن يجعل لى بطحاء مكة ذهبا ، فقلت لا يارب ولكن أجوع يوما وأشبع يوما ، فأما اليوم الذى أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك ، وأما اليوم الذى أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم يمشى وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « ياجبريل ، والذى بعثك الحق ما أمسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق ، فلم يكن كلامه أسرع من أن سمع هدة من السماء أفظعته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمر الله القيامة أن تقوم ؟ » قال : لا ، ولكن هذا إسرافيل عليه السلام قد نزل إليك حين سمع كلامك ، فأتاه إسرافيل فقال : إن الله عز وجل سمع ماذكرت فبعثنى بمفاتيح الأرض وأمرنى أن أعرض عليك إن أحببت أن أسير معك جبال تهامه زمرذا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت ، وإن شئت نبيا ملكا ، وإن شئت نبيا عبدا . فأومأ إليه جبريل أن تواضع لله فقال « نبيا عبدا » ثلاثا [4] .

وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله بعبد خيرا زهده فى الدنيا ورغبه فى الآخرة وبصره بعيوب نفسه [5] » .

---

(١) حديث عمر : لما نزل قوله تعالى ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ﴾ الآية ، قال « تبا للدينار والدرهم ... الحديث » وفيه : فأى شيء ندخر ؟ أخرجه الترمذى وابن ماجه وتقدم فى النكاح دون قوله « تبا للدينار والدرهم » والزيادة رواها الطبرانى فى الأوسط وهو من حديث ثوبان ، وإنما قال المصنف إنه حديث عمر لأن عمر هو الذى سأل النبي صلى الله عليه وسلم : أى المال يتخذ ؟ كما فى رواية ابن ماجه ، وكما رواه البزار من حديث ابن عباس .

(٢) حديث حذيفة « من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث . الحديث » لم أجده من حديث حذيفة ، أخرجه الطبرانى من حديث ابن مسعود بسند حسن : من أشرق فى قلبه حب الدنيا التاط منها بثلاث : شقاء لاينفد عناه ، وحرص لايبلغ غناه ، وأمل لايبلغ منتهاه ، وفى آخره زيادة . (٣) حديث « لايستكمل عبد الإيمان حتى يكون أن لايعرف أحب إليه من أن يعرف ، وحتى يكون قلته أحب إليه من كثرته » لم أجد له إسنادا ، وذكره صاحب الفردوس من رواية على بن أبى طلحة مرسلا « لايستكمل عبد الإيمان حتى يكون قله الشيء أحب إليه من كثرته ، وحتى يكون أن يعرف فى ذات الله أحب إليه من أن يعرف فى غير ذات الله » ولم يخرجه ولده فى مسند الفردوس ، وعلى بن أبى طلحة أخرج له مسلم . وروى عن ابن عباس ، لكن روايته عنه مرسلة ، فالحديث اذن معضل (٤) حديث ابن عباس : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل معه فصعد على الصفا ... الحديث فى نزول إسرافيل . وقوله : إن أحببت أن أسير معك جبال تهامة زمرذا وياقوتا وذهبا وفضة . الحديث تقدم مختصرا . (٥) حديث « إذا أراد الله بعبد خيرا زهده فى الدنيا ورغبه فى الآخرة وبصره بعيوب نفسه » رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس دون قوله « ورغبه فى الآخرة » وزاد « فقهه فى الدين » وإسناده ضعيف .

وقال صلى الله عليه وسلم لرجل « ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس [١] » .

وقال صلوات الله عليه « من أراد أن يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد فى الدنيا [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ، ومن خاف من النار لهما عن الشهوات ، ومن ترقب الموت ترك اللذات ، ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات [٣] » .

ويروى عن نبينا وعن المسيح عليهما السلام « أربع لا يدركن إلا بتعب : الصمت وهو أول العبادة ، والتواضع ، وكثرة الذكر ، وقلة الشيء [٤] » وإيراد جميع الأخبار الواردة فى مدح بغض الدنيا وذم حبها لايمكن ، فإنّ الأنبياء مابعثوا إلا لصرف الناس عن الدنيا إلى الآخرة وإليه يرجع أكثر كلامهم مع الخلق ، وفيما أوردناه كفاية والله المستعان .

وأما الآثار : فقد جاء فى الأثر : لاتزال لا إله إلا الله تدفع عن العباد سخط الله عز وجل ما لم يسألوا مانقص من دنياهم . وفى لفظ آخر : مالم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم ، فإذا فعلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى : كذبتم ، لستم بها صادقين .

وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم أنه قال : تابعنا الأعمال كلها فلم نر فى أمر الآخرة أبلغ من زهد فى الدنيا .

وقال بعض الصحابة لصدر من التابعين : أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا خيرا منكم . قيل : ولم ذلك ؟ قال : كانوا أزهد فى الدنيا منكم

وقال عمر رضى الله عنه : الزهادة فى الدنيا راحة القلب والجسد .

وقال بلال بن سعد : كفى به ذنبا أنّ الله تعالى يزهدنا فى الدنيا ونحن نرغب فيها .

وقال رجل لسفيان : أشتهى أن أرى عالما زاهدا ، فقال : ويحك : تلك ضالة لاتوجد .

وقال وهب بن منبه : إنّ للجنة ثمانية أبواب ، فإذا صار أهل الجنة إليها جعل البوّابون يقولون : وعزة ربنا لايدخلها أحد قبل الزاهدين فى الدنيا العاشقين للجنة .

وقال يوسف بن أسباط رحمه الله : إنى لأشتهى من الله ثلاث خصال : أن أموت حين أموت وليس فى ملكى درهم ، ولا يكون على دين ولا على عظمى لحم فأعطى ذلك كله .

وروى أن بعض الخلفاء أرسل إلى الفقهاء بجوائز فقبلوها ، وأرسل إلى الفضيل بعشرة آلاف فلم يقبلها ، فقال له بنوه : قد قبل الفقهاء وأنت ترد على حالتك هذه فبكى الفضيل وقال : أتدرون مامثلى ومثلكم ؟ كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها ، فلما هرمت ذبحوها لأجل أن ينتفعوا بجلدها ، كذلك أنتم أردتم ذبحى على كبرسنى ، موتوا يا أهلى جوعا خير لكم من أن تذبحوا فضيلا !

وقال عبيد بن عميرة كان المسيح ابن مريم عليه السلام يلبس الشعر ويأكل الشجر ، وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر لغد ، أينما أدركه المساء نام ،

وقالت امرأة أبى حازم لأبى حازم . هذا الشتاء قد هجم علينا ولا بد لنا من الطعام والثياب والحطب !

---

(١) حديث « ازهد فى الدنيا يحبك الله ... الحديث » تقدم . (٢) حديث « من أراد أن يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد فى الدنيا » لم أجد له أصلا . (٣) حديث « من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ... الحديث » رواه ابن حبان فى الضعفاء من حديث على بن أبى طالب . (٤) حديث « أربع لايدركن الا بتعب : الصمت وهو أول العبادة ... الحديث » رواه الطبرانى والحاكم من حديث أنس وقد تقدم .

فقال لها أبو حازم : من هذا كله بد ، ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدى الله تعالى ثم الجنة أو النار .

وقيل للحسن : لم لا تغسل ثيابك ؟ قال : الأمر أعجل من ذلك .

وقال ابراهيم ابن أدهم : قد حجبت قلوبنا بثلاثة أغطية ، فلن يكشف العبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب: الفرح بالموجود ، والحزن على المفقود ، والسرور بالمدح ، فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص ، وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط والساخط معذب ، وإذا سررت بالمدح فأنت معجب والعجب يحبط العمل .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : ركعتين من زاهد قلبه خير له وأحب إلى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبدا سرمدا .

وقال بعض السلف : نعمة الله علينا فيما صرف عنا أكثر من نعمته فيما صرف إلينا ، وكأنه التفت إلى معنى قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحمى عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه [1] » فإذا فهم هذا علم أن النعمة فى المنع المؤدى إلى الصحة أكبر منها فى الإعطاء المؤدى إلى السقم .

وكان الثورى يقول : الدنيا دار التواء لا دار استواء ، ودار ترح لا دار فرح ، من عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن على شقاء .

وقال سهل : لا يخلص العمل لمتعبد حتى يفرغ من أربعة أشياء : الجوع ، والعرى ، والفقر والذل .

وقال الحسن البصرى : أدركت أقواما وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشى من الدنيا أقبل ، ولا يأسفون على شى منها أدبر ، ولهى كانت فى أعينهم أهون من التراب : كان أحدهم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة لم يطول له ثوب ولم ينصب له قدر ، ولم يجعل بينه وبين الأرض شيئا ، ولا أمر من فى بيته بصنعة طعام قط ، فإذا كان الليل فقيام على أقدامهم ، يفترشون وجوههم ، تجرى دموعهم على خدودهم ، يناجون ربهم فى فكاك رقابهم . كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا فى شكرها وسألوا الله أن يقبلها ، وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك ، ووالله ماسلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة رحمة الله عليهم ورضوانه .

بيان درجات الزهد وأقسامه بالإضافة إلى نفسه ؛ وإلى المرغوب عنه ، وإلى المرغوب فيه

اعلم أن الزهد فى نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلاث: (الدرجة الأولى) وهى السفلى منها : أن يزهد فى الدنيا وهو لها مشته وقلبه إليها مائل ونفسه إليها ملتفتة ، ولكنه يجاهدها ويكفها ، وهذا يسمى المتزهد ، وهو مبدأ الزهد فى حق من يصل إلى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد ، والمتزهد يذيب أولا نفسه ثم كيسه والزاهد أولا يذيب كيسه ثم يذيب نفسه فى الطاعات لا فى الصبر على مافارقه ، والمتزهد على خطر ، فإنه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود إلى الدنيا وإلى الاستراحة بها فى قليل أو كثير . (الدرجة الثانية) : الذى يترك الدنيا طوعا لاستحقاره إياها بالإضافة إلى ما طمع فيه ، كالذى يترك درهما لأجل درهمين ، فإنه لا يشق عليه ذلك وإن كان يحتاج إلى انتظار قليل ، ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت إليه ، كما يرى البائع المبيع ويلتفت إليه فيكاد يكون معجباً بنفسه وبزهده ، ويظن فى نفسه أنه ترك شيئا له قدر لما هو أعظم قدرا منه ، وهذا أيضا نقصان (الدرجة الثالثة) وهى العليا : أن يزهد طوعا ويزهد فى زهده فلا يرى زهده ، إذ لا يرى أنه ترك شيئا . إذ عرف أن الدنيا لاشىء

(١) حديث « ان الله يحمى عبده المؤمن من الدنيا ... الحديث » تقدم .

فيكون كمن ترك خزفه وأخذ جوهرة ، فلا يرى ذلك معاوضة ، ولا يرى نفسه تاركا شيئا، والدنيا بالإضافة إلى الله تعالى ، ونعيم الآخرة أخس من خزفة بالإضافة إلى جوهرة ، فهذا هو الكمال فى الزهد . وسببه كمال المعرفة ، ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات إلى الدنيا ، كما أنّ تارك الخزفة بالجوهرة امن من طلب الإقالة فى البيع .

قال أبو يزيد رحمه الله تعالى لأبى موسى عبد الرحيم : فى أى شىء تتكلم ؟ قال : فى الزهد ، قال : فى أى شىء ؟ قال فى الدنيا : فنفض يده وقال : ظننت أنه يتكلم فى شىء ، والدنيا لاشىء ، إيش يزهد فيها .

ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب المعمورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه من باب الملك كلب على بابه فألقى إليه لقمة من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ أمره فى جميع مملكته ، أفترى أنه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز ألقاها إلى كلبه فى مقابلة ماقدناله ؟ فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع ، والدنيا كلقمة خبز إن أكلت فلذتها فى حال المضغ وتنقضى على القرب بالابتلاع ، ثم يبقى ثفلها فى المعدة ، ثم تنتهى إلى النتن والقذر ، ثم يحتاج بعد ذلك إلى إخراج ذلك الثفل فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت إليها ونسبة الدنيا كلها أعنى مايسلم لكل شخص منها وإن عمر مائة سنة بالإضافة إلى نعيم الآخرة أقل من لقمة بالإضافة إلى ملك الدنيا ، إذ لا نسبة للمتناهى إلى مالا نهاية له ، والدنيا متناهية على القرب ، ولو كانت تتمادى ألف ألف سنة صافية عن كل كدر لكان لانسبة لها إلى نعيم الأبد ، فكيف ومدة العمر قصيرة ولذات الدنيا مكدرة غير صافية ، فأى نسبة لها إلى نعيم الأبد ، فإذن لايلتفت الزاهد إلى زهده إلا إذا التفت إلى مازهد فيه ، ولا يلتفت إلى مازهد فيه إلا لأنه يراه شيئاً معتدا به ، ولا يراه شيئا معتدا به إلا لقصور معرفته ، فسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة ، فهذا تفاوت درجات الزهد ، وكل درجة من هذه أيضا لها درجات ، إذ تصبر المتزهد يختلف ويتفاوت أيضا باختلاف قدر المشقة فى الصبر ، وكذلك درجة المعجب بزهده بقدر التفاته إلى زهده .

وأما انقسام الزهد بالإضافة إلى المرغوب فيه فهو أيضا على ثلاث درجات : (الدرجة السفلى) أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر مابين يدى العبد من الأهوال كما وردت به الأخبار ، إذ فيها « إن الرجل ليوقف فى الحساب حتى لو وردت مائة بعير عطاشا على عرقه لصدرت رواء [1] » فهذا هو زهد الخائفين وكأنهم رضوا بالعدم لو أعدموا ، فإنّ الخلاص من الألم يحصل بمجرد العدم . (الدرجة الثانية) أن يزهد رغبة فى ثواب الله ونعيمه واللذات الموعودة فى جنته من الحور والقصور وغيرها ، وهذا زهد الراجين ، فإنّ هؤلاء ماتركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الألم بل طمعوا فى وجود دائم ونعيم سرمد لا آخر له (الدرجة الثالثة) وهى العليا : أن لايكون له رغبة إلا فى الله وفى لقائه ، فلا يلتفت قلبه إلى الآلام ليقصد الخلاص منها ولا إلى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها ، بل هو مستغرق الهم بالله تعالى ؛ وهو الذى أصبح وهمومه هم واحد ؛ وهو الموحد الحقيقى الذى لايطلب غير الله تعالى ؛ لأن من طلب غير الله فقد عبده ، وكل مطلوب معبود ؛ وكل طالب عبد بالإضافة إلى مطلبه ، وطلب غير الله من الشرك الخفى ، وهذا زهد

(١) حديث « ان الرجل ليوقف فى الحساب حتى لو وردت مائة بعير عطاشا على عرقه لصدرت رواء » أخرجه أحمد من حديث ابن عباس « التقى مؤمنان على باب الجنة : مؤمن غنى ، ومؤمن فقير ... الحديث ، وفيه : « انى حبست بعدك محبسا فظيعا كربها ماوصلت اليك حتى سال منى العرق ما لوورده ألف بعير أكلة حمض لصدرت عنه رواء » وفيه دريد غير منسوب يحتاج الى معرفته قال أحمد : حديثه مثله .

المحبين وهم العارفون لأنه لا يحب الله تعالى خاصة إلا من عرفه ، وكما أنّ من عرف الدينار والدرهم وعلم أنه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب إلا الدينار ، فكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر إلى وجهه الكريم وعرف أنّ الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالحور العين والنظر إلى نقش القصور وخضرة الأشجار غير ممكن ، فلا يحب إلا لذة النظر ولا يؤثر غيره ، ولا تظنن أنّ أهل الجنة عند النظر إلى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور والقصور متسع فى قلوبهم ، بل تلك اللذة بالإضافة إلى لذة نعيم أهل الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الأرض ورقاب الخلق بالإضافة إلى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به ، والطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب كالصبى الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك ، وذلك لقصوره عن إدراك لذة الملك لا لأن اللعب بالعصفور فى نفسه أعلى وألذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق .

وأما انقسامه بالإضافة إلى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الأقاويل ، ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول فلا نشتغل بنقل الأقاويل ، ولكن نشير إلى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح أنّ أكثر ما ذكر فيه قاصر عن الإحاطة بالكل . فنقول : المرغوب عنه بالزهد له إجمال وتفصيل ، ولتفصيله مراتب بعضها أشرح لآحاد الأقسام وبعضها أجمل للحمل . أما الإجمال فى الدرجة الأولى : فهو كل ماسوى الله ، فينبغى أن يزهد فيه حتى يزهد فى نفسه أيضا ، والإجمال فى الدرجة الثانية : أن يزهد فى كل صفة للنفس فيها متعة ، وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها . وفى الدرجة الثالثة : أن يزهد فى المال والجاه وأسبابهما إذ إليهما ترجع جميع حظوظ النفس . وفى الدرجة الرابعة : أن يزهد فى العلم والقدرة والدينار والدرهم والجاه إذ الأموال وإن كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وإن كثرت أسبابه فيرجع إلى العلم والقدرة وأعنى به كل علم وقدرة مقصودها ملك القلوب ، إذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها ، كما أنّ معنى المال ملك الأعيان والقدرة عليها فإن جاوزت هذا التفصيل إلى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر . وقد ذكر الله تعالى فى آية واحدة سبعة منها فقال ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا ﴾ ثم رده فى آية أخرى إلى خمسه فقال عزوجل ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ﴾ ثم رده تعالى فى موضع آخر إلى اثنين فقال تعالى ﴿ وإنما الحياة الدنيا لعب ولهو ﴾ ثم رد الكل إلى واحد فى موضع آخر فقال ﴿ ونهى النفس عن الهوى فإنّ الجنة هى المأوى ﴾ فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس فى الدنيا ، فينبغى أن يكون الزهد فيه . وإذا فهمت طريق الإجمال والتفصيل عرفت أنّ البعض من هذه لا يخالف البعض وإنما يفارقه فى الشرح مرة والإجمال أخرى .

فالحاصل أنّ الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ، ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء فى الدنيا فقصر أمله لامحالة ، لأنه إنما يريد البقاء ليتمتع ويريد التمتع الدائم بإرادة البقاء ؛ فإنّ من أراد شيئا أراد دوامه ، ولامعنى لحب الحياة إلا حب دوام ماهو موجود أو ممكن فى هذه الحياة ، فإذا رغب عنها لم يردها ، ولذلك لما كتب عليهم القتال ﴿ قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب ﴾ فقال تعالى ﴿ قل متاع الدنيا قليل ﴾ أى لستم تريدون البقاء إلا لمتاع الدنيا ، فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين . أما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا فى سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص وانتظروا إحدى الحسنيين ، وكانوا إذا دعوا إلى القتال يستنشقون رائحة الجنة ويبادرون إليه مبادرة الظمآن إلى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله

أو نيل رتبة الشهادة ، وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة ، حتى إنّ خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه لما احتضر للموت على فراشه كان يقول : كم غررت بروحى وهجمت على الصفوف طمعا فى الشهادة وأنا الآن أموات موت العجائز ، فلما مات عدّ على جسده ثمانمائة ثقب من آثار الجراحات ، هكذا كان حال الصادقين فى الإيمان رضى الله تعالى عنهم أجمعين . وأما المنافقون ، ففرّوا من الزحف خوفا من الموت فقيل لهم ﴿ إنّ الموت الذين تفرّون منه فانه ملاقيكم ﴾ فإيثارهم البقاء على الشهادة استبدال الذى هو أدنى بالذى هو خير ، فأولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين . وأما المخلصون ، فإنّ الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة ، فلما رأوا أنهم تركوا تمتع عشرين سنة مثلا أو ثلاثين سنة بتمتع الأبد استبشروا ببيعهم الذى بايعوا به ، فهذا بيان المزهود فيه .

وإذا فهمت هذا علمت أنّ ما ذكره المتكلمون فى حدّ الزهد لم يشيروا به إلا إلى بعض أقسامه فذكر كل واحد منهم ما رآه غالبا على نفسه أو على من كان يخاطبه ، فقال بشر رحمه الله تعالى : الزهد فى الدنيا هو الزهد فى الناس ، وهذا إشارة إلى الزهد فى الجاه خاصة . وقال قاسم الجوعى : الزهد فى الدنيا هو الزهد فى الجوف ، فبقدر ما تملك من بطنك كذلك تملك من الزهد ، وهذا إشارة إلى الزهد فى شهوة واحدة ، ولعمرى هى أغلب الشهوات على الأكثر وهى المهيجة لأكثر الشهوات . وقال الفضيل : الزهد فى الدنيا هو القناعة ، وهذا إشارة إلى المال خاصة . وقال الثورى : الزهد هو قصر الأمل ، وهو جامع لجميع الشهوات ، فإنّ من يميل إلى الشهوات يحدّث نفسه بالبقاء فيطول أمله ، ومن قصر أمله فكأنه رغب عن الشهوات كلها . وقال أويس : إذا خرج الزاهد يطلب ذهب الزهد عنه ، وما قصد بهذا حدّ الزهد ولكن جعل التوكل شرطا فى الزهد . وقال أويس أيضا : الزهد هو ترك الطلب للمضمون ، وهو إشارة إلى الرزق وقال أهل الحديث : حب الدنيا هو العمل بالرأى والمعقول ، والزهد إنما هو أتباع العلم ولزوم السنة ، وهذا إن أريد به الرأى الفاسد والمعقول الذى يطلب به الجاه فى الدنيا فهو صحيح ، ولكنه إشارة إلى بعض أسباب الجاه خاصة أو إلى بعض ما هو من فضول الشهوات ، فإنّ من العلوم ما لا فائدة فيه فى الآخرة ، وقد طوّلوها حتى ينقضى عمر الإنسان فى الاشتغال بواحد منها ، فشرط الزاهد أن يكون الفضول أوّل مرغوب عنه عنده ، وقال الحسن : الزاهد الذى إذا رأى أحدا قال ، هذا أفضل منى ، فذهب إلى أنّ الزهد هو التواضع ، وهذا إشارة إلى نفى الجاه والعجب وهو بعض أقسام الزهد . وقال بعضهم : الزهد هو طلب الحلال ، وأين هذا ممن يقول : الزهد هو ترك الطلب كما قال أويس ، ولا شك فى أنه أراد به ترك طلب الحلال وقد كان يوسف بن أسباط يقول : من صبر على الأذى وترك الشهوات وأكل الخبز من الحلال فقد أخذ بأصل الزهد .

وفى الزهد أقاويل وراء ما نقلناه فلم نر فى نقلها فائدة ، فإن من طلب كشف حقائق الأمور من أقاويل الناس رآها مختلفة فلا يستفيد إلا الحيرة ، وأما من انكشف له الحق فى نفسه وأدركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف من سمعه ، فقد وثق بالحق واطلع على قصور من قصر لقصور بصيرته ، وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته ، وهؤلاء كلهم اقتصروا لا لقصور فى البصيرة لكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة ، فلا جرم ذكروه بقدر الحاجة ، والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف ، وقد يكون سبب الاقتصار الإخبار عن الحالة الراهنة التى هى مقام العبد فى نفسه والأحوال تختلف ، فلا جرم الأقوال المخبرة عنها تختلف ، وأما الحق فى نفسه

فلا يكون إلا واحدا ولا يتصوّر أن يختلف ، وإنما الجامع من هذه الأقاويل الكامل فى نفسه وإن لم يكن فيه تفصيل : ما قاله أبو سليمان الدارانى إذ قال : سمعنا فى الزهد كلاما كثيرا ، والزهد عندنا ترك كل شىء يشغلك عن الله عز وجل ، وقد فصل مرة وقال : من تزوّج أو سافر فى طلب المعيشة أو كتب الحديث فقد ركن إلى الدنيا فجعل جميع ذلك ضدّا للزهد ، وقد قرأ أبو سليمان قوله تعالى ﴿ إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ فقال : هو القلب الذى ليس فيه غير الله تعالى وقال : إنما زهدوا فى الدنيا لتفرغ قلوبهم من همومها للآخرة ، فهذا بيان انقسام الزهد بالإضافة إلى أصناف المزهود فيه ؛ فأما بالإضافة إلى أحكامه فينقسم إلى فرض ونفل وسلامة ، كما قاله إبراهيم بن أدهم ، فالفرض : هو الزهد فى الحرام . والنفل : هو الزهد فى الحلال . والسلامة : هو الزهد فى الشبهات . وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع فى كتاب الحلال والحرام وذلك من الزهد ، إذ قيل لمالك بن أنس : ما الزهد ؟ قال : التقوى ، وأما بالإضافة إلى خفايا مايتركه فلا نهاية للزهد فيه ، إذ لا نهاية لما تتمتع به النفس فى الخطرات واللحظات وسائر الحالات ، لاسيما خفايا الرياء فإنّ ذلك لايطلع عليه إلا سماسرة العلماء ، بل الأحوال الظاهرة أيضا درجات الزهد فيها لا تتناهى ، فمن أقصى درجاته زهد عيسى عليه السلام إذ توسد حجرا فى نومه فقال له الشيطان : أما كنت تركت الدنيا فما الذى بدا لك ؟ قال : وما الذى تجدد ؟ قال : توسدك الحجر : أى تنعمت برفع رأسك عن الأرض فى النوم ، فرمى الحجر وقال : خذه مع ما تركته لك . وروى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام أنه لبس المسوح حتى ثقب جلده تركا للتنعم بلين اللباس واستراحة حس اللمس ، فسألته أمه أن يلبس مكان المسح جبة من صوف ففعل ، فأوحى الله تعالى إليه : يا يحيى ، آثرت على الدنيا ، فبكى ونزع الصوف وعاد إلى ما كان عليه . وقال أحمد رحمه الله تعالى : الزهد زهد أويس ، بلغ من العرى أن جلس فى قوصرة . وجلس عيسى عليه السلام فى ظل حائط إنسان فأقامه صاحب الحائط ، فقال : ما أقمتنى أنت إنما أقامنى الذى لم يرض لى أن أتنعم بظل الحائط ، فإذن درجات الزهد ظاهرا وباطنا لاحصر لها ، وأقل درجاته : الزهد فى كل شبهة ومحظور . وقال قوم : الزهد هو الزهد فى الحلال لافى الشبهة والمحظور ، فليس ذلك من درجاته فى شىء ، ثم رأوا أنه لم يبق حلال فى أموال الدنيا فلايتصوّر الزهد الآن .

* فإن قلت : مهما كان الصحيح هو أنّ الزهد ترك ماسوى الله فكيف يتصوّر ذلك مع الأكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وكل ذلك اشتغال بما سوى الله تعالى ؟ فاعلم أنّ معنى الانصراف عن الدنيا إلى الله تعالى هو الإقبال بكل القلب عليه ذكرا وفكرا ، ولايتصوّر ذلك إلا مع البقاء ، ولابقاء إلا بضروريات النفس ؛ فمهما اقتصرت من الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشتغلا بغير الله ؛ فإنّ مالايتوصل إلى الشىء إلا به فهو منه ؛ فالمشتغل بعلف الناقة وبسقيها فى طريق الحج ليس معرضا عن الحج ، ولكن ينبغى أن يكون بدنك فى طريق الله مثل ناقتك فى طريق الحج ، ولاغرض لك فى تنعم ناقتك باللذات ، بل غرضك مقصور على دفع المهلكات عنها حتى تسيربك إلى مقصدك ، فكذلك ينبغى أن تكون فى صيانة بدنك عن الجوع والعطش المهلك بالأكل والشرب ، وعن الحرّ والبرد المهلك باللباس والمسكن ، فتقصر على قدر الضرورة ولاتقصد التلذذ بل التقوى على طاعة الله تعالى ، فذلك لايناقض الزهد ، بل هو شرط الزهد ، وإن قلت : فلا بدّ وأن أتلذذ بالأكل عند الجوع ؛ فاعلم أن ذلك لايضرك إذا لم يكن قصدك التلذذ ، فإنّ شارب الماء البارد قد يستلذ الشرب ويرجع حاصله إلى زوال ألم العطش ، ومن يقضى حاجته قد يستريح بذلك

ولكن لايكون ذلك مقصودا عنده ومطلوبا بالقصد ، فلا يكون القلب منصرفا إليه ؛ فالإنسان قد يستريح فى قيام الليل بتنسم الأسحار وصوت الأطيار ، ولكن إذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة فما يصيبه من ذلك بغير قصد لايضره ، ولقد كان فى الخائفين من طلب موضعا لايصيبه فيه نسيم الأسحار خيفة من الاستراحة به وأنس القلب معه ، فيكون فيه أنس بالدنيا ونقصان فى الأنس بالله بقدر وقوع الأنس بغير الله ، ولذلك كان داود الطائى له جب مكشوف فيه ماؤه فكان لايرفعه من الشمس ، ويشرب الماء الحار ويقول : من وجد لذة الماء البارد شق عليه مفارقة الدنيا ، فهذه مخاوف المحتاطين والحزم فى جميع ذلك الاحتياط ، فإنه وإن كان شاقا فمدته قريبة والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التأبيد ، لايثقل على أهل المعرفة القاهرين لأنفسهم بسياسة الشرع المعتصمين بعروة اليقين فى معرفة المضادة التى بين الدنيا والدين ، رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة

اعلم أن ما الناس منهمكون فيه ينقسم إلى فضول وإلى مهم ؛ فالفضول كالخيل المسومة مثلا ، إذ غالب الناس إنما يقتنيها للترفه بركوبها وهو قادر على المشى والمهم كالأكل والشرب ، ولسنا نقدر على تفصيل أصناف الفضول فإن ذلك لاينحصر ، وإنما ينحصر المهم الضرورى ، والمهم أيضا يتطرق إليه فضول فى مقداره وجنسه وأوقاته ، فلابد من بيان وجه الزهد فيه ، والمهمات ستة أمور : المطعم ، والملبس ، والمسكن ، وأثاثه ، والمنكح ، والمال . والجاه يطلب لأغراض . وهذه الستة من جملتها ، وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق وكيفية الاحتراز منه فى كتاب الرياء من ربع المهلكات ، ونحن الآن نقتصر على بيان هذه المهمات الستة .

(الأول المطعم) ولا بد للإنسان من قوت حلال يقيم صلبه ولكن له طول وعرض ، فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد ؛ فأما طوله فبالإضافة إلى جملة العمر ، فإن من يملك طعام يومه فلا يقنع به ، وأما عرضه فى مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله ؛ أما طوله فلا يقصر إلا بقصر الأمل ، وأقل درجات الزهد فيه الاقتصار على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ، ومن هذا حاله فإذا استقل بما تناوله لم يدخر من غدائه لعشائه ، وهذه هى الدرجة العليا . (الدرجة الثانية) أن يدخر لشهر أو أربعين يوما . (الدرجة الثالثة) أن يدخر لسنة فقط ، وهذه رتبة ضعفاء الزهاد ، ومن ادخر لأكثر من ذلك فتسميته زاهدا محال ؛ لأن من أمل بقاء أكثر من سنة فهو طويل الأمل جدا فلا يتم منه الزهد إلا إذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الأخذ من أيدى الناس ، كداود الطائى فإنه ورث عشرين دينارا فأمسكها وأنفقها فى عشرين سنة ؛ فهذا لا يضاد أصل الزهد إلا عند من جعل التوكل شرط الزهد ، وأما عرضه فبالإضافة إلى المقدار ، وأقل درجاته فى اليوم والليلة نصف رطل ، وأوسطه رطل ، وأعلاه مد واحد : وهو ماقدره الله تعالى فى إطعام المسكين فى الكفارة ، وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن والاشتغال به ، ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن له من الزهد فى البطن نصيب ، وأما بالإضافة إلى الجنس فأقله كل ما يقوت ، ولو الخبز من النخالة ، وأوسطه خبز الشعير والذرة ، وأعلاه خبز البر غير منخول ، فإذا ميز من النخالة وصار حوارى فقد دخل فى التنعم وخرج عن آخر أبواب الزهد فضلا عن أوائله . وأما الأدم: فأقله الملح أو البقل والخل ، وأوسطه الزيت أو يسير من الأدهان أى دهن كان ، وأعلاه اللحم أى لحم كان ، وذلك فى الأسبوع مرة أو مرتين ، فإن صار دائما أو أكثر من مرتين فى الأسبوع خرج عن آخر أبواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهدا فى البطن أصلا ، وأما بالإضافة إلى الوقت فأقله فى اليوم والليلة مرة وهو أن يكون صائما ، وأوسطه

أن يصوم ويشرب ليلة ولا يأكل ، ويأكل ليلة ولا يشرب ، وأعلاه أن ينتهى إلى أن يطوى ثلاثة أيام أو أسبوعا وما زاد عليه ، وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرهه فى ربع المهلكات ، ولينظر إلى أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم فى كيفية زهدهم فى المطاعم وتركهم الأدم :

قالت عائشة رضى الله تعالى عنها : كانت تأتى علينا أربعون ليلة وما يوقد فى بيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مصباح ولا نار . قيل لها : فبم كنتم تعيشون ؟ قالت : بالأسودين التمر والماء [1] . وهذا ترك اللحم والمرقة والأدم .

وقال الحسن : كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف وينتعل المخصوف ويلعق أصابعه ويأكل على الأرض . ويقول « إنما أنا عبد آكل كما تأكل العبيد ، وأجلس كما تجلس العبيد [2] » .

وقال المسيح عليه السلام : بحق أقول لكم ، إنه من طلب الفردوس فخبز الشعير له والنوم على المزابل مع الكلاب كثير .

وقال الفضيل ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر [3] .

وكان المسيح صلى الله عليه وسلم يقول : يا بنى إسرائيل ، عليكم بالماء القراح والبقل البرى وخبز الشعير ، وإياكم وخبز البر ، فإنكم لن تقوموا بشكره . وقد ذكرنا سيرة الأنبياء والسلف فى المطعم والمشرب فى ربع المهلكات فلا نعيده .

ولما أتى النبى صلى الله عليه وسلم أهل قباء أتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل ، فوضع القدح من يده وقال « أما إنى لست أحرمه ولكن أتركه تواضعا لله تعالى [4] » .

وأتى عمر رضى الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل فى يوم صائف فقال : اعزلوا عنى حسابها . وقد قال يحيى ابن معاذ الرازى : الزاهد الصادق قوته ما وجد ، ولباسه ما ستر ، ومسكنه حيث أدرك ، الدنيا سجنه ، والقبر مضجعه ، والخلوة مجلسه ، والاعتبار فكرته ، والقرآن حديثه ، والرب أنيسه ، والذكر رفيقه ، والزهد قرينه ، والحزن شأنه ، والحياء شعاره ، والجوع إدامه ، والحكمة كلامه ، والتراب فراشه ، والتقوى زاده ، والصمت غنيمته والصبر معتمده ، والتوكل حسبه ، والعقل دليله ؛ والعبادة حرفته والجنة مبلغه إن شاء الله تعالى .

(المهم الثانى) الملبس . وأقل درجته : ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة . وهو كساء يتغطى به . وأوسطه : قميص وقلنسوة ونعلان وأعلاه . أن يكون معه منديل وسراويل . وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حد الزهد . وشرط الزاهد : أن لا يكون له ثوب يلبسه إذا غسل ثوبه . بل يلزمه القعود فى البيت . فإذا صار صاحب قميصين وسراويلين ومنديلين فقد خرج من جميع ألوان الزهد من حيث المقدار . أما الجنس فأقله المسوح

---

(١) حديث عائشة : كانت تأتى أربعون ليلة وما يوقد فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار ... الحديث » أخرجه ابن ماجه من حديث عائشة : كان يأتى على آل محمد الشهر مايرى فى بيت من بيوته دخان ... الحديث . وفى رواية له : مايوقد فيه بنار . ولأحمد : كان يمر بنا هلال وهلال مايوقد فى بيت من بيوته نار . وفى رواية له : ثلاثة أهلة .

(٢) حديث الحسن : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار الحديث ، تقدم دون قوله « انما أنا عبد » فإنه ليس من حديث الحسن ، انما هو من حديث عائشة وقد تقدم .

(٣) حديث : ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر ، تقدم .

(٤) حديث : لما أتى أهل قباء أتوه بشربة من لبن بعسل فوضع القدح من يده ... الحديث ، تقدم .

الخشنة وأوسطه الصوف الخشن وأعلاه القطن الغليظ . وأما من حيث الوقت ، فأقصاه مايستر سنة ، وأقله مايبقى يوما ، حتى رقع بعضهم ثوبه بورق الشجر وإن كان يتسارع الجفاف إليه ، وأوسطه مايتماسك عليه شهرا ومايقاربه فطلب ما يبقى أكثر من سنة خروج إلى طول الأمل وهو مضاد للزهد ، وإلا إذا كان المطلوب خشونته ، ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه ؛ فمن وجد زيادة من ذلك فينبغى أن يتصدق به ، فإن أمسكه لم يكن زاهدا بل كان محبا للدنيا ، ولينظر فيه إلى أحوال الأنبياء والصحابة كيف تركوا الملابس : قال أبو بردة : أخرجت لنا عائشة رضى الله تعالى عنها كساء ملبدا وإزارا غليظا فقالت : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذين [1] وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يحب المتبذل الذى لا يبالى ما لبس [2] » وقال عمرو بن الأسود العنسى : لا ألبس مشهورا أبدا ، ولا أنام بليل أبدا على دثار أبدا ، ولا أركب على مأثور أبدا ، ولا املأ جوفى من طعام أبدا فقال عمر : من سره أن ينظر إلى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى عمرو بن الأسود [3] . وفى الخبر « ما من عبد لبس ثوب شهرة إلا أعرض الله عنه حتى ينزعه وإن كان عنده حبيبا [4] » واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا بأربعة دراهم . [5]

وكانت قيمة ثوبيه عشرة [6] وكان إزاره أربعة أذرع ونصفا [7] واشترى سراويل بثلاثة دراهم [8] . وكان يلبس شملتين بيضاوين من صوف [9] وكانت تسمى حلة لأنها ثوبان من جنس واحد ، وربما كان يلبس بردين يمانيين أو سحوليين من هذه الغلاظ . وفى الخبر : كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قميص زيات [10] . ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما واحدا ثوبا سيراء من سندس قيمته مائتا درهم [11] فكان أصحابه يلمسونه ويقولون

---

(١) حديث أخرجت عائشة كساء ملبدا وازارا غليظا فقالت . قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذين . رواه الشيخان وقد تقدم فى آداب المعيشة . (٢) حديث « ان الله يحب المتبذل لايبالى مالبس » لم أجد له أصلا .

(٣) حديث عمر « من سره أن ينظر الى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر الى هدى عمرو بن الأسود » رواه أحمد بإسناد جيد . (٤) حديث « مامن عبد لبس ثوب شهرة ... الحديث » رواه ابن ماجه من حديث أبى ذر بإسناد جيد دون قوله « وان كان عنده حبيبا » . (٥) حديث . اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا بأربعة دراهم . أخرجه أبو يعلى من حديث أبى هريرة ، قال دخلت يوما السوق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس الى البزازين فاشترى سراويل بأربعة دراهم ... الحديث ، واسناده ضعيف .

(٦) حديث : كان قيمة ثوبيه عشرة دراهم ، لم أجده . (٧) حديث : كان ازاره أربعة أذرع ونصفا . أخرجه أبو الشيخ فى كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عروة بن الزبير مرسلا : كان رداء رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أذرع ، وعرضه ذراعان ونصف ... الحديث ، وفيه ابن لهيعة . وفى طبقات ابن سعد من حديث أبى هريرة : كان له ازار من نسج عمان طوله أربعة أذرع وشبر فى ذراعين وشبر ، وفيه محمد بن عمر الواقدى .

(٨) حديث : اشترى سراويل بثلاثة دراهم ، المعروف أنه اشتراه بأربعة دراهم تقدم عند أبى يعلى ، وشراؤه السراويل عند أصحاب السنن من حديث سويد بن قيس إلا أنه لم يذكر فيه مقدار ثمنه ، قال الترمذى : حسن صحيح .

(٩) حديث : كان يلبس شملتين بيضاوين من صوف وكانت تسمى حلة لأنها ثوبان من جنس واحد ، وربما كان يلبس بردين يمانيين أو سحوليين من هذه الغلاظ ، تقدم فى آداب وأخلاق النبوة لبسه للشملة والبرد والحبرة . وأما لبسه الحلة ففى الصحيحين من حديث البراء : رأيته فى حلة حمراء ولأبى داود من حديث ابن عباس حين خرج الى الحرورية وعليه أحسن مايكون من حلل اليمن وقال : رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلل . وفى الصحيحين من حديث عائشة : أنه صلى الله عليه وسلم قبض فى ثوبين أحدهما ازار غليظ مما يصنع باليمن ، وتقدم فى آداب المعيشة . ولأبى داود والترمذى والنسائى من حديث أبى رمثة : وعليه بردان أخضران ، سكت عليه أبو داود واستغربه الترمذى . وللبزار من حديث قدامة الكلابى : وعليه حلة حبرة وفيه عريف بن إبراهيم لايعرف ، قاله الذهبى .

(١٠) حديث : كان قميصه كأنه قميص زيات . أخرجه الترمذى من حديث أنس بسند ضعيف : كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته حتى كأن ثوبه ثوب زيات . (١١) حديث : لبس يوما واحدا ثوبا سيراء من سندس قيمته مائتا درهم اهداه له المقوقس ثم نزعه ... الحديث .

يارسول الله أنزل عليك هذا من الجنة تعجبا ـ وكان قد أهداه إليه المقوقس ملك الإسكندرية ، فأراد أن يكرمه بلبسه ، ثم نزعه وأرسل به إلى رجل من المشركين وصله به ، ثم حرم لبس الحرير والديباج . وكأنه إنما لبسه أولا تأكيدا للتحريم ، كما لبس خاتما من ذهب يوما ثم نزعه[1] فحرم لبسه على الرجال ، وكما قال لعائشة فى شأن بريرة « اشترطى لأهلها الولاء[2] » فلما اشترطته صعد عليه السلام المنبر فحرمه ، وكما أباح المتعة ثلاثا ثم حرمها لتأكيد أمر النكاح[3] وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خميصة لها علم ، فلما سلم قال : شغلنى النظر إلى هذه ، اذهبوا بها إلى أبى جهم وائتونى بأنبجانيته[4] يعنى كساءه ، فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم ، وكان شراك نعله قد أخلق فأبدل بسير جديد فصلى فيه ، فلما سلم قال « أعيدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الجديد فإنى نظرت إليه فى الصلاة » ولبس خاتما من ذهب ونظر إليه على المنبر نظرة فرمى به فقال « شغلنى هذا عنكم ، نظرة إليه ونظرة إليكم[5] » وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى مرة نعلين جديدين ؛ فأعجبه حسنهما ، فخر ساجدا وقال « أعجبنى حسنهما فتواضعت لربى خشية أن يمقتنى » ثم خرج بهما فدفعهما إلى أول مسكين رآه[6] . وعن سنان بن سعد قال : حيكت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من صوف أنمار وجعلت حاشيتها سوداء فلما لبسها قال « انظروا ما أحسنها ! ما ألينها ! » قال : فقام إليه أعرابى فقال يا رسول الله هبها لى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سئل شيئا لم يبخل به ، قال : فدفعها إليه وأمر أن يحاك له واحدة أخرى ، فمات صلى الله عليه وسلم وهى فى المحاكة[7] . وعن جابر قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة رضى الله تعالى عنها وهى تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الإبل ، فلما نظر إليها بكى وقال « يافاطمة ؛ تجرعى مرارة الدنيا لنعيم الأبد » فأنزل الله عليه ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى[8] ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ من خيار أمتى فيما أنبأنى الملأ الأعلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله تعالى ، ويبكون سرا من خوف عذابه ، مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة ، يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان ؛ أجسامهم فى الأرض وأفئدتهم عند العرش[9] » فهذه كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الملابس وقد أوصى أمته عامة باتباعه ، إذ قال « من أحبنى فليستن بسنتى[10] » وقال « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ[11] » وقال تعالى ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ﴾ وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضى الله عنها خاصة وقال « إن أردت اللحوق بى فإياك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعى ثوبا حتى ترقعيه[12] » وعدّ على قميص عمر رضى الله عنه اثنتا عشرة رقعة بعضها من أدم .

---

(١) حديث : لبس يوما خاتما من ذهب ثم نزعه . متفق عليه وقد تقدم . (٢) حديث قال لعائشة فى شأن بريرة « اشترطى لأهلها ... الحديث » متفق عليه من حديثها . (٣) حديث : أباح المتعة ثلاثا ثم حرمها . أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع . (٤) حديث : صلى فى خميصة لها علم ... الحديث ، متفق عليه ، وقد تقدم فى الصلاة .

(٥) حديث : لبس خاتما فنظر إليه على المنبر فرمى به وقال « شغلنى هذا عنكم ... الحديث » تقدم .

(٦) حديث : احتذى نعلين جديدين فأعجبه حسنهما ... الحديث ، تقدم . (٧) حديث سنان بن سعد : حيكت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة صوف من صوف أنمار ... الحديث ، رواه أبو داود الطيالسى والطبرانى من حديث سهل بن سعد دون قوله : وأمر أن يحاك له أخرى ، فهى عند الطبرانى فقط ، وفيه زمعة بن صالح ضعيف ، ويقع فى كثير من نسخ الإحياء : سيار بن سعد وهو غلط . (٨) حديث جابر : دخل على فاطمة وهى تطحن بالرحى .. الحديث . أخرجه أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق بإسناد ضعيف . (٩) حديث أن من خيار أمتى فيما آتانى الملأ الأعلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ، ويبكون سرا من خوف عذابه ... الحديث ، تقدم ، وهو عند الحاكم والبيهقى فى الشعب وضعفه .

(١٠) حديث « من أحبنى فليستن بسنتى » تقدم فى النكاح . (١١) حديث « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين ... الحديث » رواه أبو داود والترمذى وصححه ، وابن ماجه من حديث العرباض بن سارية . (١٢) حديث قال لعائشة « إن أردت اللحوق بى فإياك ومجالسة الأغنياء » أخرجه الترمذى وقال غريب ، والحاكم وصححه من حديث عائشة ، وقد تقدم .

واشترى على بن أبى طالب كرم الله وجهه ثوبا بثلاثة دراهم ولبسه وهو فى الخلافة وقطع كميه من الرسغين وقال الحمد لله الذى كسانى هذا من رياشه . وقال الثورى وغيره : ألبس من الثياب مالا يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال ، وكان يقول : إن الفقير ليمرّ بى وأنا أصلى فأدعه يجوز ، ويمرّ بى واحد من أبناء الدنيا وعليه هذه البزة فأمقته ولا أدعه يجوز . وقال بعضهم قومت ثوبى سفيان ونعليه بدرهم وأربعة دوانق . وقال ابن شبرمة : خير ثيابى ماخدمنى وشرها ماخدمته . وقال بعض السلف : البس من الثياب مايخلطك بالسوقة ، ولا تلبس منها مايشهرك فينظر إليك . وقال أبو سليمان الدارانى : الثياب ثلاثة : ثوب لله وهو مايستر العورة ، وثوب للنفس وهو مايطلب لينه ، وثوب للناس وهو مايطلب جوهره وحسنه . وقال بعضهم : من رق ثوبه رق دينه . وكان جمهور العلماء من التابعين قيمة ثيابهم مابين العشرين إلى الثلاثين درهما ، وكان الخواص لايلبس أكثر من قطعتين قميص ومئزر تحته ، وربما يعطف ذيل قميصه على رأسه . وقال بعض السلف : أول النسك الزى ، وفى الخبر « البذاذة من الإيمان » وفى الخبر « من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعاً لله تعالى وابتغاء لوجهه كان حقا على الله أن يدخر له من عبقرى الجنة فى تخات الياقوت » وأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه : قل لأوليائى لايلبسوا ملابس أعدائى ولا يدخلوا مداخل أعدائى فيكونوا أعدائى كما هم أعدائى . ونظر رافع بن خديج إلى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو يعظ ، فقال : انظروا إلى أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق — وكان عليه ثياب رقاق، وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة إلى أبى ذرّ فى بزته ، فجعل يتكلم فى الزهد ، فوضع أبى ذرّ راحته على فيه وجعل يضرط به ، فغضب ابن عامر ، فشكاه إلى عمر فقال : أنت صنعت بنفسك ، تتكلم فى الزهد بين يديه بهذه البزة وقال على كرّم الله وجهه : إن الله تعالى أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا فى مثل أدنى أحوال الناس ليقتدى بهم الغنى ولا يزرى بالفقير فقره . ولما عوتب فى خشونة لباسه قال : هو أقرب إلى التواضع وأجدر أن يقتدى به المسلم . ونهى صلى الله عليه وسلم عن التنعم وقال « إن لله تعالى عبادا ليسوا بالمتنعمين[1] » ورؤى فضالة بن عبيد وهو والى مصر أشعث حافيا فقيل له : أنت الأمير وتفعل هذا ؟ فقال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإرفاه ، وأمرنا أن نحتفى أحيانا [2] . وقال على لعمر رضى الله عنهما : إن أردت أن تلحق بصاحبيك فارفع القميص ونكس الإزار واخصف النعل وكل دون الشبع . وقال عمر : اخشوشنوا وإياكم وزى العجم كسرى وقيصر ، وقال على كرم الله وجهه : من تزيا بزى قوم فهو منهم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ من شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب ويتشدقون فى الكلام [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « أزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه ، ولاجناح عليه فيما بينه وبين الكعبين ، وما أسفل من ذلك ففى النار ، ولا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرّ إزاره بطرا [4] » وقال أبو سليمان الدارانى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايلبس الشعر من أمتى إلا مراء أو أحمق [5] » وقال الأوزاعى : لباس الصوف فى السفر سنة ، وفى الحضر بدعة . ودخل محمد بن واسع

---

(١) حديث : نهى عن التنعم وقال « إن لله عبادا ليسوا بالمتنعمين » أخرجه أحمد من حديث معاذ ، وقد تقدم .

(٢) حديث فضالة بن عبيد : نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإرفاه ، وأمرنا أن نحتفى أحيانا . أخرجه أبو داود بإسناد جيد .

(٣) حديث « إن من شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم ... الحديث » رواه الطبرانى من حديث أبى أمامة بإسناد ضعيف « سيكون رجال من أمتى يأكلون ألوان الطعام ... الحديث » وآخره « أولئك شرار أمتى » وقد تقدم .

(٤) حديث « أزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه ... الحديث » رواه مالك وأبو داود والنسائى وابن حبان من حديث أبى سعيد ورواه أيضاً النسائى من حديث أبى هريرة قال محمد بن يحيى الذهلى : كلا الحديثين محفوظ .

(٥) حديث أبى سليمان « لايلبس الشعر من أمتى إلا مراء أو أحمق » لم أجد له إسنادا .

على قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوف ؛ فقال له قتيبة : مادعاك إلى مدرعة الصوف ؟ فسكت فقال : أكلمك ولاتجيبني! فقال أكره أن أقول زهدا فأزكى نفسي ، أو فقراً فأشكو ربي . وقال أبو سليمان : لما اتخذ الله إبراهيم خليلا أوحى إليه : أن وار عورتك من الأرض ، وكان لايتخذ من كل شيء إلا واحداً سوى السراويل؛ فإنه كان يتخذ سراويلين ! فاذا غسل أحدهما لبس الآخر حتى لايأتي عليه حال إلا وعورته مستورة ، وقيل لسلمان الفارسي رضي الله عنه : مالك لاتلبس الجيد من الثياب ؟ فقال وما للعبد والثوب الحسن ، فإذا عتق فله والله ثياب لاتبلى أبدا . ويروى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه كان له جبة شعر وكساء شعر يلبسهما من الليل إذا قام يصلي . وقال الحسن لفرقد السبخي : تحسب أن لك فضلا على الناس بكسائك ، بلغني أنّ أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية نفاقا . وقال يحيى بن معين : أرأيت أبا معاوية الأسود وهو يلتقط الخرق من المزابل ويغسلها ويلفقها ويلبسها ، فقلت : إنك تكسى خيرا من هذا ! فقال : ماضرهم ما أصابهم في الدنيا جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة ، فجعل يحيى ابن معين يحدث بها ويبكي .

﴿ المهم الثالث ﴾ المسكن ، وللزهد ، فيه أيضا ثلاث درجات (أعلاها) أن لا يطلب موضعا خاصا لنفسه فيقنع بزوايا المساجد كأصحاب الصفة . (وأوسطها) أن يطلب موضعا خاصا لنفسه مثل كوخ مبني من سعف أو خص أو مايشبهه (وأدناها) أن يطلب حجرة مبنية إما بشراء أو إجارة ؛ فإن كان قدر سعة المسكن على قدر حاجته من غير زيادة ولم يكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن آخر درجات الزهد ، فإن طلب التشييد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف أكثر من ستة أذرع فقد جاوز بالكلية حدّ الزهد في المسكن ؛ فاختلاف جنس البناء بأن يكون من الجص أو القصب أو بالطين أو بالآجر ، واختلاف قدره بالسعة والضيق ، واختلاف طوله بالإضافة إلى الأوقات بأن يكون مملوكا أو مستأجراً أو مستعاراً ، والزهد مدخل في جميع ذلك . وبالجملة كل مايراد للضرورة فلا ينبغي أن يجاوز حدّ الضرورة ، وقدر الضرورة من الدنيا آلة الدين ووسيلته ، وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من المسكن دفع المطر والبرد ودفع الأعين والأذى ، وأقل الدرجات فيه معلوم ، وما زاد عليه فهو الفضول والفضول كله من الدنيا وطالب الفضول والساعي له بعيد من الزهد جدّاً ، وقد قيل : أوّل شيء ظهر من طول الأمل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم التدريز والتشييد ، يعني بالتدريز : كف دروز الثياب فإنها كانت تشل شلا والتشييد : هو البنيان بالجص والآجر ، وإنما كانوا يبنون بالسعف والجريد[1] . وقد جاء في الخبر «يأتي على الناس زمان يوشون ثيابهم كما توشى البرود اليمانية ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس أن يهدم علية كان قد علا بها[2] . ومر عليه السلام بجنبذة معلاة فقال « لمن هذه ؟ » قالوا لفلان ، فلما جاءه الرجل أعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسأل الرجل أصحابه عن تغيير وجهه صلى الله عليه وسلم فأخبر ، فذهب فهدمها ؛ فمر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالموضع فلم يرها . فأخبر بأنه هدمها فدعا له بخير[3]

---

(١) حديث : كانت الثياب تشل شلا وكانوا يبنون بالسعف والجريد . أما شل الثياب من غير كف فروى الطبراني والحاكم أن عمر قطع مافضل عن الأصابع من غير كف وقال . هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما البناء ففي الصحيحين من حديث أنس في قصة بناء مسجد المدينة : فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه الحجارة ... الحديث ، ولهما من حديث أبي سعيد : كان المسجد على عريش فوكف المسجد ؟ (٢) حديث : أمر العباس أن يهدم علية له كان قد علاها . رواه الطبراني من رواية أبي العالية أن العباس بنى غرفة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « اهدمها ... الحديث » وهو منقطع .

(٣) حديث : مر بجنبذة معلاة فقال « لمن هذه ؟ » فقالوا : لفلان ، فلما جاءه الرجل أعرض عنه ... الحديث . أخرجه أبو داود من حديث أنس بإسناد جيد بلفظ : فرأى قبة مشرفة الحديث ، والجنبذة القبة .

وقال الحسن : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة [١] . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله بعبد شراً أهلك ماله فى الماء والطين [٢] » وقال عبد الله بن عمر : مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا ، فقال « ماهذا ؟ » قلنا خص لنا قد وهى فقال : أرى الأمر أعجل من ذلك [٣] » واتخذ نوح عليه السلام بيتا من قصب ، فقيل له : لو بنيت ؟ فقال : هذا كثير لمن يموت. وقال الحسن دخلنا على صفوان بن محيريز وهو فى بيت من قصب قد مال عليه ، فقيل له : لو أصلحته ؟ فقال : كم من رحل قدمات وهذا قائم على حاله . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من بنى فوق مايكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة [٤] » وفى الخبر « كل نفقة فى الأرض يؤجر عليها إلا ما أنفقه فى الماء والطين [٥] » وفى قوله تعالى ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الأرض ولا فسادا ﴾ إنه الرياسة والتطاول فى البنيان . وقال صلى الله عليه وسلم كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما أكنّ من حرّ أو برد [٦] » وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذى شكا إليه ضيق منزله « اتسع فى السماء [٧] » أى فى الجنة ، ونظر عمر رضى الله عنه فى طريق الشام إلى صرح قد بنى بجص وآجر ، فكبر وقال : ما كنت أظنّ أن يكون فى هذه الأمة من يبنى بنيان هامان لفرعون ؛ يعنى قول فرعون ﴿ فأوقد لى ياهامان على الطين ﴾ يعنى به الآجر ، ويقال : إنّ فرعون هو أوّل من بنى له بالجص والآجر ، وأوّل من عمله هامان ، ثم تبعهما الجبابرة ، وهذا هو الزخرف ورأى بعض السلف جامعا فى بعض الأمصار فقال : أدركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف ، ثم رأيته من رهص ، ثم رأيته الآن مبنيا باللبن ، فكان أصحاب السعف خيراً من أصحاب الرهص ، وكان أصحاب الرهص خير من أصحاب اللبن . وكان من السلف من يبنى داره مرارا فى مدة عمره لضعف بنائه وقصر أمله وزهده فى إحكام البنيان ، وكان منهم من إذا حج أو غزا نزع بيته أو وهبه لجيرانه ، فإذا رجع أعاده ، وكانت بيوتهم من الحشيش والجلود وهى عادة العرب الآن ببلاد اليمن ، وكان ارتفاع بناء السقف قامة وبسطة . قال الحسن : كنت إذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدى إلى السقف . وقال عمرو بن دينار : إذا أعلى العبد البناء فوق ستة أذرع ناداه ملك : إلى أين يا أفسق الفاسقين ؟ وقد نهى سفيان عن النظر إلى بناء مشيد وقال : لولا نظر الناس لما شيدوا فالنظر إليه معين عليه . وقال الفضيل : إنى لم أعجب ممن بنى وترك ، ولكن أعجب ممن نظر إليه ولم يعتبر . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : يأتى قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البرازين ، يصلون إلى قبلتكم ويموتون على غير دينكم .

---

(١) حديث الحسن : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة . الحديث ، رواه ابن حبان فى الثقات ، وأبو نعيم فى الحلية هكذا مرسلا . والطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة « من سأل عن أوسره أن ينظر الى فلينظر الى أشعث شاحب مشمر لم يضع لبنة على لبنة .. الحديث » وإسناده ضعيف .

(٢) حديث « إذا أراد الله بعبد شرا أهلك ماله فى الماء والطين » رواه أبو داود من حديث عائشة بإسناد جيد « خضرله فى الطين واللبن حتى يبنى » . (٣) حديث عبد الله بن عمر : مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا لنا قد وهى الحديث . رواه أبو داود والترمذى وصححه وابن ماجه .

(٤) حديث « من بنى فوق مايكفيه كلف يوم القيامة أن يحمله » رواه الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد فيه لين وانقطاع

(٥) حديث « كل نفقة العبد يؤجر عليهم إلا ماأنفقه فى الماء والطين » رواه ابن ماجه من حديث خباب بن الأرت بإسناد جيد بلفظ : إلا فى التراب أو قال فى البناء . (٦) حديث « كل بناء وبال على صاحبه إلا ما أكن من حر أو برد » رواه أبو داود من حديث أنس بإسناد جيد بلفظ « إلا مالا » يعنى مالابد منه .

(٧) حديث قال للرجل الذى شكى اليه ضيق منزله « اتسع فى السماء » قال المصنف : أى فى الجنة . رواه أبو داود فى المراسيل من رواية اليسع بن المنيرة قال : شكى خالد بن الوليد فذكره ، وقد وصله الطبرانى فقال عن اليسع بن المنيرة عن أبيه عن خالد الوليد ، إلا أنه قال : ارفع إلى السماء واسأل الله السعة ، وفى إسناده لين .

(المهم الرابع) أثاث البيت ، وللزهد فيه أيضا درجات (أعلاها) حال عيسى المسيح صلوات الله عليه وسلامه وعلى كل عبد مصطفى ، إذ كان لا يصحبه إلا مشط وكوز فرأى إنسانا يمشط لحيته بأصابعه، فرمى بالمشط ،ورأى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى بالكوز ، وهذا حكم كل أثاث ، فإنه إنما يراد لمقصود ، فإذا استغنى عنه فهو وبال فى الدنيا والآخرة . وما لا يستغنى عنه فيقتصر فيه على أقل الدرجات وهو الخزف فى كل ما يكفى فيه الخزف ولا يبالى بأن يكون مكسور الطرف إذا كان المقصود يحصل به (وأوسطها) أن يكون له أثاث بقدر الحاجة صحيح فى نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة فى مقاصد ، كالذى معه قصعة يأكل فيها ويشرب فيها ويحفظ المتاع فيها ، وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة فى أشياء للتخفيف (وأعلاها) أن يكون له بعدد كل حاجة آلة من الجنس النازل الخسيس ، فإن زاد فى العدد أو فى نفاسة الجنس خرج عن جميع أبواب الزهد وركن إلى طلب الفضول، ولينظر إلى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، فقد قالت عائشة رضى الله عنها : كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه وسادة من أدم حشوها ليف [1] . وقال الفضيل : ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عباءة مثنية ووسادة من أدم حشوها ليف [2] . وروى : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بشريط ، فجلس ، فرأى أثر الشريط فى جنبه عليه السلام ، فدمعت عينا عمر ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « ما الذى أبكاك يا ابن الخطاب ؟ » قال : ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك ، وذكرتك وأنت حبيب الله وصفيه ورسوله نائم على سرير مرمول بالشريط ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « أما ترضى يا عمر أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة » قال : بلى يارسول الله ؟ قال « فذلك كذلك [3] » ودخل رجل على أبى ذر فجعل يقلب بصره فى بيته فقال : ياأباذر، ما أرى فى بيتك متاعا ولا غير ذلك من الأثاث فقال : إن لنا بيتا نوجه إليه صالح متاعنا ، فقال : إنه لابد لك من متاع ما دمت ههنا ، فقال : إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه . ولما قدم عمير بن سعيد أمير حمص على عمر رضى الله عنهما قال له : مامعك من الدنيا ؟ فقال : معى عصاى أتوكأ عليها وأقتل بها حية إن لقيتها ، ومعى جرابى أحمل فيه طعامى ، ومعى قصعتى آكل فيها وأغسل فيها رأسى وثوبى . ومعى مطهرتى أحمل فيها شرابى وطهورى للصلاة، فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معى ، فقال عمر : صدقت رحمك الله وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة رضى الله عنها فرأى على باب منزلها ستر وفى يديها قلبين من فضة ، فرجع ، فدخل عليها أبو رافع وهى تبكى ، فأخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله أبو رافع فقال « من أجل الستر والسوارين » فأرسلت بهما بلالا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالت : قد تصدقت بهما فضعهما حيث ترى ، فقال « اذهب فبعه وادفعه إلى أهل الصفة » فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق بها عليهم ، فدخل عليها صلى الله عليه وسلم فقال « بأبى أنت قد أحسنت [4] » ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب عائشة سترا فهتكه

---

(١) حديث عائشة : كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه وسادة من أدم حشوها ليف . رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح ، وابن ماجه . (٢) حديث : ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عباءة مثنية ووسادة من أدم حشوها ليف . رواه الترمذى فى الشمائل من حديث حفصة بقصة العباءة ، وقد تقدم ، ومن حديث عائشة بقصة الوسادة وقد تقدم قبله بعض طرقه . (٣) حديث دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بشريط النخل فجلس فرأى أثر الشريط فى جنبه ... الحديث ، متفق عليه من حديثه ، وقد تقدم .

(٤) حديث : قدم من سفره فدخل على فاطمة فرأى على منزلها سترا وفى يديها قلبين من فضة فرجع ... الحديث، لم أره بهذا ولأبى داود وابن ماجه من حديث سفينة باسناد جيد : أنه صلى الله عليه وسلم جاء فوضع يديه على عضادتى الباب فرأى القرام قد ضرب فى ناحية البيت فرجع ، فقالت فاطمة لعلى : انظر فأرجعه .. الحديث رواه النسائى من حديث ثوبان باسناد جيد قال : ==

وقال « كلما رأيته ذكرت الدنيا أرسلى به إلى آل فلان [١] » وفرشت له عائشة ذات ليلة فراشا جديدا وقد كان صلى الله عليه وسلم ينام على عباءة مثنية ؛ فما زال يتقلب ليلته ، فلما أصبح قال لها « أعيدى العباءة الخلقة ونحى هذا الفراش عنى قد أسهرنى الليلة [٢] » وكذلك أتته دنانير خمسة أو ستة ليلا فبيتها ، فسهر ليلته حتى أخرجها من آخر الليل . قالت عائشة رضى الله عنها : فنام حينئذ حتى سمعت غطيطه ثم قال « ماظن محمد بربه لو لقى الله وهذه عنده [٣] » وقال الحسن : أدركت سبعين من الأخيار مالأحدهم إلا ثوبه وماوضع أحدهم بينه وبين الأرض ثوبا قط : كان إذا أراد النوم باشر الأرض بجسمه وجعل ثوبه فوقه .

(المهم الخامس) المنكح ، وقد قال قائلون : لامعنى للزهد فى أصل النكاح ولافى كثرته ، وإليه ذهب سهل ابن عبد الله وقال : قد حبب إلى سيد الزاهدين النساء فكيف نزهد فيهن ؟ ووافقه على هذا القول ابن عيينة وقال : كان أزهد الصحابة على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان له أربع نسوة وبضع عشرة سرية . والصحيح ماقاله أبو سليمان الدارانى رحمه الله إذ قال : كل ماشغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشئوم ، والمرأة قد تكون شاغلا عن الله . وكشف الحق فيه : أنه قد تكون العزوبة أفضل فى بعض الأحوال كما سبق فى كتاب النكاح ، فيكون ترك النكاح من الزهد ، وحيث يكون النكاح أفضل لدفع الشهوة الغالبة فهو واجب ، فكيف يكون تركه من الزهد ؟ وإن لم يكن عليه آفة فى تركه ولافعله ولكن ترك النكاح احترازا عن ميل القلب إليهن والأنس بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله فترك ذلك من الزهد ، فإن علم أن المرأة لاتشغله عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازا من لذة النظر والمضاجعة والمواقعة فليس هذا من الزهد أصلا ، فإنّ الولد مقصود لبقاء نسله ، وتكثير أمة محمد صلى الله عليه وسلم من القربات ، واللذة التى تلحق الإنسان فيما هو من ضرورة الوجود لاتضره ، إذ لم تكن هى المقصد والمطلب ، وهذا كمن ترك أكل الخبز وشرب الماء احترازا من لذة الأكل والشرب وليس ذلك من الزهد فى شىء ، لأن فى ترك ذلك فوات بدنه ، فكذلك فى ترك النكاح انقطاع نسله ، فلا يجوز أن يترك النكاح زهدا فى لذته من غير خوف آفة أخرى ، وهذا ماعناه سهل لامحالة ، ولأجله نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإذا ثبت هذا فمن حاله حال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أنه لايشغله كثرة النسوة ولااشتغال القلب بإصلاحهن والإنفاق عليهن [٤] فلامعنى لزهده فيهن حذرا من مجرّد لذة الوقاع والنظر ، ولكن أنى يتصور ذلك لغير الأنبياء والأولياء ، فأكثر الناس يشغلهم

= جاءت ابنة هبيرة إلى النبى صلى الله عليه وسلم وفى يدها فتخ من ذهب .. الحديث . وفيه : أنه وجد فى يد فاطمة سلسلة من ذهب . وفيه « يقول الناس فاطمة بنت محمد فى يدها سلسلة من نار » وأنه خرج ولم يقعد ، فأمرت بالسلسلة فبيعت فاشترت بثمنها عبد فأعتقته ، فلما سمع قال « الحمد لله الذى نجى فاطمة من النار » .

(١) حديث : رأى على باب عائشة سترا فهتكه ... الحديث . أخرجه الترمذى وحسنه ، والنسائى فى الكبرى من حديثها .

(٢) حديث : فرشت له عائشة ذات ليلة فراشا جديدا . وفيه : كان ينام على عباءة مثنية ... الحديث ، رواه ابن حبان فى كتاب أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم من حديثها قالت : دخلت على امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة مثنية فانطلقت فبعثت إلى بفراش حشوه صوف ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ما هذا... الحديث » وفيه : أنه أمرها برده ثلاث مرات فردته ، وفيه مجالد بن سعيد مختلف فيه ، والمعروف حديث حفصة المتقدم ذكره من الشمائل .

(٣) حديث : أتته دنانير خمسة أوستة عشاء فبيتها فسهر ليله .. الحديث ، وفيه « ماظن محمد بربه لولقى الله وهذه عنده » أخرجه أحمد من حديث عائشة بإسناد حسن أنه قال فى مرضه الذى مات فيه « ياعائشة ، مافعلت بالذهب » فجاء مابين الخمسة إلى الثمانية إلى التسعة فجعل يقلبها بيده ويقول « ماظن محمد ...الحديث » وزاد « انفقها » وفى رواية : سبعة أوتسعة دنانير ، وله من حديث أم سلمة بإسناد صحيح : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شاهم الوجه ، قالت : فحسبت ذلك من وجع ، فقلت : يانبى الله ، مالك شاهم الوجه ؟ فقال « من أجل الدنانير السبعة التى أتتنا أمس أمسينا وهى فى خصم الفراش » وفى رواية « أمسينا ولم ننفقها » (٤) حديث : كان لايشغله كثرة النسوة ولااشتغال القلب بإصلاحهن والإنفاق عليهن ، تقدم فى النكاح

كثرة النسوان ، فينبغى أن يترك الأصل إن كان يشغله ، وإن لم يشغله وكان يخاف من أن تشغله الكثرة منهن أو جمال المرأة فلينكح واحدة غير جميلة وليراع قلبه فى ذلك .

قال أبو سليمان : الزهد فى النساء : أن يختار المرأة الدون أو اليتيمة على المرأة الجميلة والشريفة .

وقال الجنيد رحمه الله : أحب للمريد المبتدى أن لا يشغل قلبه بثلاث وإلا تغير حاله : التكسب ، وطلب الحديث والتزوج . وقال : أحب للصوفى أن لا يكتب ولا يقرأ لأنه أجمع لهمه ؛ فإذا ظهر أن لذة النكاح كلذة الأكل فما شغل عن الله فهو محذور فيهما جميعا .

(المهم السادس) مايكون وسيلة إلى هذه الخمسة ، وهو المال والجاه : أما الجاه فمعناه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل به إلى الاستعانة فى الأغراض والأعمال ، وكل من لا يقدر على القيام بنفسه فى جميع حاجته وافتقر إلى من يخدمه افتقر إلى جاه لا محالة فى قلب خادمه ، لأنه إن لم يكن له عنده محل وقدر لم يقم بخدمته ، وقيام القدر والمحل فى القلوب هو الجاه ؛ وهذا له أول قريب ولكن يتمادى به إلى هاوية لا عمق لها ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، وإنما يحتاج إلى المحل فى القلوب إما لجلب نفع أو لدفع ضر أو لخلاص من ظلم ، فأما النفع فيغنى عنه المال فإن من يخدم بأجرة يخدم وإن لم يكن عنده المستأجر قدر ، وإنما يحتاج إلى الجاه فى قلب من يخدم بغير أجرة ، وأما دفع الضر فيحتاج لأجله إلى الجاه فى بلد لا يكمل فيه العدل ، أو يكون بين جيران يظلمونه ولا يقدر على دفع شرهم إلا بمحل له فى قلوبهم أو محل له عند السلطان ، وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لاسيما إذا انضم إليه الخوف وسوء الظن بالعواقب ، والخائض فى طلب الجاه سالك طريق الهلاك ، بل حق الزاهد أن لا يسعى لطلب المحل فى القلوب أصلا فإن اشتغاله بالدين والعبادة يمهد له من المحل فى القلوب مايدفع به عنه الأذى ولو كان بين الكفار ، فكيف بين المسلمين ، فأما التوهمات والتقديرات التى تحوج إلى زيادة فى الجاه على الحاصل بغير كسب فهى أوهام كاذبة ، إذ من طلب الجاه أيضا لم يخل عن أذى فى بعض الأحوال ، فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر أولى من علاجه بطلب الجاه ، فإذن طلب المحل فى القلوب لا رخصة فيه أصلا ، واليسير منه داع إلى الكثير ، وضراوته أشد من ضراوة الخمر فليحترز من قليله وكثيره . وأما المال فهو ضرورى فى المعيشة أعنى القليل منه ، فإن كان كسوبا فإذا اكتسب حاجة يومه فينبغى أن يترك الكسب ، كان بعضهم إذا اكتسب حبتين رفع سفطه وقام ، هذا شرط الزهد ؛ فإن جاوز ذلك إلى مايكفيه أكثر من سنة فقد خرج عن حد ضعفاء الزهاد وأقويائهم جميعا ، وإن كانت له ضيعة ولم يكن له قوة يقين فى التوكل فأمسك منها مقدار مايكفى ريعه لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر عن الزهد بشرط أن يتصدق بكل مايفضل عن كفاية سنته ، ولكن يكون من ضعفاء الزهاد ، فإن شرط التوكل فى الزهد كما شرطه أويس القرنى رحمه الله ، فلا يكون هذا من الزهاد وقولنا : إنه خرج من حد الزهاد نعنى به أن ماوعد للزاهدين فى الدار الآخرة من المقامات المحمودة لا يناله ، وإلا فاسم الزهد قد لا يفارقه بالإضافة إلى مازهد فيه من الفضول والكثرة ، وأمر المنفرد فى جميع ذلك أخف من أمر المعيل ، وقد قال أبو سليمان : لا ينبغى أن يرهق الرجل أهله إلى الزهد بل يدعوهم إليه ، فإن أجابوا وإلا تركهم وفعل بنفسه ماشاء : معناه أن التضييق المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه . كل ذلك فى عياله ، نعم لا ينبغى أن يحببهم أيضا فيما يخرج عن حد الاعتدال ، وليتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذ انصرف من بيت فاطمة رضوان الله عليها بسبب ستر وقلبين ، لأن ذلك من الزينة لا من الحاجة ، فإذاً مايضطر الإنسان إليه من جاه ومال ليس بمحذور ، بل الزائد على الحاجة سم قاتل ، والمقتصر على الضرورة دواء

نافع ، وما بينهما درجات متشابهة ، فما يقرب من الزيادة وإن لم يكن سما قاتلا فهو مضر ، وما يقرب من الضرورة فهو وإن لم يكن دواء نافعا لكنه قليل الضرر والسم محظور شربه ، والدواء فرض تناوله ، ومابينهما مشتبه أمره ، فمن احتاط فإنما يحتاط لنفسه ، ومن تساهل فإنما يتساهل على نفسه ، ومن استبرأ لدينه وترك ما يريبه إلى مالايريبه ورد نفسه إلى مضيق الضرورة فهو الآخذ بالحزم ، وهو من الفرق الناجية لا محالة . والمقتصر على قدر الضرورة والمهم لايجوز أن ينسب إلى الدنيا ، بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لأنه شرط الدين والشرط من جملة المشروط . ويدل عليه ماروى أنّ إبراهيم الخليل عليه السلام أصابته حاجة فذهب إلى صديق له يستقرضه شيئا فلم يقرضه ، فرجع مهموما ، فأوحى الله تعالى إليه : لو سألت خليلك لأعطاك ، فقال : يارب عرفت مقتك للدنيا فخفت أن أسألك منها شيئا ، فأوحى الله تعالى إليه : ليس الحاجة من الدنيا . فإذن قدر الحاجة من الدين ، وما وراء ذلك وبال فى الآخرة ، وهو فى الدنيا أيضا كذلك يعرفه من يخبر أحوال الأغنياء وما عليهم من المحنة فى كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال الذل فيه ، وغاية سعادته به أن يسلم لورثته فيأكلونه ، وربما يكونون أعداء له ، وقد يستعينون به على المعصية فيكون هو معينالهم عليها ، ولذلك شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز لايزال ينسج على نفسه حيا ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصا فيموت ويهلك بسبب عمله الذى عمله بنفسه ، فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فإنما يحكم على قلبه بسلاسل تقيده بما يشتهيه حتى تتظاهر عليه السلاسل فيقيده المال والجاه والأهل والولد وشماتة الأعداء ومراءاة الأصدقاء وسائر حظوظ الدنيا ، فلو خطر له أنه قد أخطأ فيه فقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيدا بسلاسل وأغلال لايقدر على قطعها ، ولو ترك محبوبا من محابه باختياره كاد أن يكون قاتلا لنفسه وساعيا فى هلاكه إلى أن يفرق ملك الموت بينه وبين جميعها دفعة واحدة . فتبقى السلاسل فى قلبه معلقة بالدنيا التى فاتته وخلفها فهى تجاذبه إلى الدنيا ، ومخالب ملك الموت قد علقت بعروق قلبه تجذبه إلى الآخرة ، فيكون أهون أحواله عند الموت أن يكون كشخص ينشر بالمنشار ويفصل أحد جانبيه عن الآخر بالمجاذبة من الجانبين ، والذى ينشر بالمنشار إنما ينزل المؤلم ببدنه ويؤلم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث أثره ، فما ظنك بألم يتمكن أولا من صميم القلب مخصوصا به لابطريق السراية إليه من غيره ، فهذا أول عذاب يلقاه قبل مايراه من حسرة فوت النزول فى أعلى عليين وجوار رب العالمين ، فبالنزوع إلى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى ، وعند الحجاب تتسلط عليه نار جهنم ، إذ النار غير مسلطة إلا على محجوب . قال الله تعالى ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * ثم إنهم لصالو الجحيم ﴾ فرتب العذاب بالنار على ألم الحجاب ، وألم الحجاب كاف من غير علاوة النار ، فكيف إذا أضيفت العلاوة إليه ؟ فنسأل الله تعالى أن يقرّر فى أسماعنا مانفث فى روع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث قيل له : أحبب من أحببت فإنك مفارقه (١) . وفى معنى ماذكرناه من المثال قول الشاعر :

كدود كدود القز ينسج دائما ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

ولما انكشف لأولياء الله تعالى أنّ العبد مهلك نفسه بأعماله واتباعه هوى نفسه إهلاك دود القز نفسه : رفضوا الدنيا بالكلية ، حتى قال الحسن : رأيت سبعين بدريا كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم . وفى لفظ آخر : كانوا بالبلاء أشد فرحا منكم بالخصب والرخاء لو رأيتموهم قلتم مجانين ، ولو رأوا خياركم قالوا

(١) حديث : نفث فى روعه أحبب من أحببت فانك مفارقه ، تقدم .

ما لهؤلاء من خلاق ، ولو رأوا اشراركم قالوا مايؤمن هؤلاء بيوم الحساب وكان أحدهم يعرض لهم المال الحلال فلا يأخذه ويقول : أخاف أن يفسد على قلبي ، فمن كان له قلب فهو لا محالة يخاف من فساده ، والذين أمات حب الدنيا قلوبهم فقد أخبر الله عنهم إذ قال تعالى ﴿ ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون ﴾ وقال عز وجل ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ . وقال تعالى ﴿ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ، ذلك مبلغهم من العلم ﴾ فأحال ذلك كله على الغفلة وعدم العلم ، ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام : احملني معك في سياحتك ، فقال: أخرج مالك والحقني . فقال : لا أستطيع ، فقال عيسى عليه السلام : بعجب يدخل الغني الجنة — أو قال بشدة . وقال بعضهم : ما من يوم ذر شارقه إلا وأربعة أملاك ينادون في الآفاق بأربعة أصوات : ملكان بالمشرق وملكان بالمغرب ، يقول أحدهم بالمشرق : يا باغي الخير هلم ، ويا باغي الشر أقصر ، ويقول الآخر : اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا . ويقول اللذان بالمغرب ، أحدهما : لدوا للموت وابنوا للخراب . ويقول الآخر : كلوا وتمتعوا لطول الحساب .

بيان علامات الزهد

اعلم أنه قد يظن أن تارك المال زاهد ، وليس كذلك ؛ فإن ترك المال وإظهار الخشونة سهل على من أحب المدح بالزهد ، فكم من الرهابين من ردوا أنفسهم كل يوم إلى قدر يسير من الطعام ولازموا ديرا لا باب له ، وإنما مسرة أحدهم معرفة الناس حاله ونظرهم إليه ومدحهم له ، فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة ، بل لا بد من الزهد في المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعي جماعة الزهد مع لبس الأصواف الفاخرة والثياب الرفيعة ، كما قال الخواص في وصف المدعين إذ قال : وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموهون بذلك على الناس ليهدى إليهم مثل لباسهم ، لئلا ينظر إليهم بالعين التي ينظر بها إلى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما تعطى المساكين ، ويحتجون لنفوسهم بأتباع العلم وأنهم على السنة ، وأن الأشياء داخلة إليهم وهم خارجون منها وإنما يأخذون بعلة غيرهم . هذا إذا طولبوا بالحقائق وألجئوا إلى المضايق ، وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية أسرارهم ولا بتهذيب أخلاق نفوسهم ، فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها حالا لهم ، فهم مائلون إلى الدنيا متبعون للهوى . فهذا كله كلام الخواص رحمه الله ؛ فإذن معرفة الزهد أمر مشكل ، بل حال الزهد على الزاهد مشكل .

وينبغي أن يعول في باطنه على ثلاث علامات (العلامة الأولى) أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود ، كما قال تعالى ﴿ لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾ بل ينبغي أن يكون بالضد من ذلك : وهو أن يحزن بوجود المال ويفرح بفقده (العلامة الثانية) أن يستوي عنده ذامه ومادحه ، فالأول علامة الزهد في المال والثاني علامة الزهد في الجاه (العلامة الثالثة) أن يكون أنسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة إذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة إما محبة الدنيا وإما محبة الله ، وهما في القلب كالماء والهواء في القدح ، فالماء إذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان ، وكل من أنس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره ، ولذلك قيل لبعضهم : إلى ماذا أفضى بهم الزهد؟ فقال : إلى الأنس بالله ؛ فأما الأنس بالدنيا وبالله فلا يجتمعان .

وقد قال أهل المعرفة : إذا تعلق الإيمان بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة جميعا وعمل لهما ، وإذا بطن الإيمان في سويداء القلب وباشره أبغض الدنيا فلم ينظر إليها ولم يعمل لها ، ولهذا ورد في دعاء آدم عليه السلام :

اللهم إنى أسألك إيمانا يباشر قلبي .

وقال أبو سليمان : من شغل بنفسه شغل عن الناس — وهذا مقام العاملين . ومن شغل بربه شغل عن نفسه — وهذا مقام العارفين . والزاهد لا بد وأن يكون فى أحد هذين المقامين ، ومقامه الأول أن يشغل نفسه بنفسه ، وعند ذلك يستوى عنده المدح والذم والوجود والعدم ، ولا يستدل بإمساكه قليلا من المال على فقد زهده أصلا .

قال ابن أبى الحوارى : قلت لأبى سليمان : أكان داود الطائى زاهدا ؟ قال : نعم . قلت : قد بلغنى أنه ورث عن أبيه عشرين دينارا فأنفقها فى عشرين سنة ، فكيف كان زاهدا وهو يمسك الدنانير ؟ فقال : أردت منه أن يبلغ حقيقة الزهد ، وأراد بالحقيقة الغاية ، فإنّ الزهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس . ولا يتم الزهد إلا بالزهد فى جميعها فكل من ترك من الدنيا شيئا مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل فى الزهد بقدر ما تركه، وآخره أن يترك كل ماسوى الله حتى لا يتوسد حجرا كما فعله المسيح عليه السلام ، فنسأل الله تعالى أن يرزقنا من مباديه نصيبا وإن قل ، فإن أمثالنا لا يستجرئ على الطمع فى غاياته وإن كان قطع الرجاء عن فضل الله غير مأذون فيه. وإذا لاحظنا عجائب نعم الله تعالى علينا علمنا أن الله تعالى لا يتعاظمه شىء فلا بعد فى أن نعظم السؤال اعتمادا على الجود المجاوز لكل كمال .

فإذن علامة الزهد استواء الفقر والغنى والعز والذل والمدح والذم ، وذلك لغلبة الأنس بالله . ويتفرع عن هذه العلامات علامات أخرى لامحالة : مثل أن يترك الدنيا ولا يبالى من أخذها .

وقيل : علامته أن يترك الدنيا كما هى فلا يقول أبنى رباطا أو أعمر مسجدا .

وقال يحيى بن معاذ . علامة الزهد : السخاء بالموجود .

وقال ابن خفيف : علامته وجود الراحة فى الخروج من الملك . وقال أيضا : الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف .

وقال أبو سليمان : الصوف علم من أعلام الزهد فلا ينبغى أن يلبس صوفا بثلاثة دراهم وفى قلبه رغبة خمسة دراهم .

وقال أحمد بن حنبل وسفيان رحمهما الله : علامة الزهد قصر الأمل . وقال سرى : لا يطيب عيش الزاهد إذا اشتغل عن نفسه . ولا يطيب عيش العارف إذا اشتغل بنفسه .

وقال النصراباذى : الزاهد غريب فى الدنيا ، والعارف غريب فى الآخرة .

وقال يحيى بن معاذ : علامة الزهد ثلاث : عمل بلا علاقة ، وقول بلا طمع ، وعز بلا رياسة. وقال أيضا الزاهد لله يسعطك الخل والخردل ، والعارف يشمك المسك والعنبر . وقال له رجل : متى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزهد وأقعد مع الزاهدين ؟ فقال : إذا صرت من رياضتك لنفسك فى السر إلى حدّ لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف فى نفسك ، فأما مالم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك أن تفتضح وقال أيضا : الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها ، والعارف يشتغل بالله تعالى ولا يلتفت إليها . وقال السرى : مارست كل شىء من أمر الزهد فنلت منه ما أريد إلا الزهد فى الناس فإنى لم أبلغه ولم أطقه .

وقال الفضيل رحمه الله : جعل الله الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا ، وجعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا .

فهذا ما أردنا أن نذكره من حقيقة الزهد وأحكامه وإذا كان الزهد لايتم إلا بالتوكل فلنشرع فى بيانه إن شاء الله تعالى .

كتاب التوحيد والتوكل

وهو الكتاب الخامس من ربع المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مدبر الملك والملكوت ، المنفرد بالعزة والجبروت . الرافع السماء بغير عماد ، المقدر فيها أرزاق العباد . الذى صرف أعين ذوى القلوب والألباب ، عن ملاحظة الوسائط والأسباب إلى مسبب الأسباب ، ورفع هممهم عن الالتفات إلى ماعداه والاعتماد على مدبر سواه ، فلم يعبدوا إلا إياه علما بأنه الواحد الفرد الصمد الإله وتحقيقا بأن جميع أصناف الخلق عباد أمثالهم لايبتغى عندهم الرزق ، وأنه مامن ذرة إلا إلى الله خلقها ، ومامن دابة إلا على الله رزقها ؛ فلما تحققوا أنه لرزق عباده ضامن وبه كفيل توكلوا عليه فقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل .

والصلاة على محمد قامع الأباطيل ، الهادى إلى سواء السبيل ، وعلى آله وسلم تسليما كثيرا .

(أما بعد) فإن التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين ، بل هو من معالى درجات المقربين وهو فى نفسه غامض من حيث العلم ، ثم هو شاق من حيث العمل ، ووجه غموضه من حيث الفهم أنّ ملاحظة الأسباب والاعتماد عليها شرك فى التوحيد ، والتثاقل عنها بالكلية طعن فى السنة وقدح فى الشرع ، والاعتماد على الأسباب من غير أن ترى أسبابا تغيير فى وجه العقل ، وانغماس فى غمرة الجهل ، وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والنقل والشرع فى غاية الغموض والعسر ، ولايقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة الخفاء إلا سماسرة العلماء الذين اكتحلوا من فضل الله تعالى بأنوار الحقائق فأبصروا وتحققوا ثم نطقوا بالإعراب عما شاهدوه من حيث استنطقوا . ونحن الآن نبدأ بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة ، ثم نردفه بالتوحيد فى الشطر الأول من الكتاب ، ونذكر حال التوكل وعمله فى الشطر الثانى .

بيان فضيلة التوكل

أما من الآيات ، فقد قال تعالى ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ وقال عز وجل ﴿ وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾ وقال تعالى ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ وقال سبحانه وتعالى ﴿ إنّ الله يحب المتوكلين ﴾ وأعظم بمقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه ، ومضمون كفاية الله تعالى ملابسه ، فمن الله تعالى حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه : فقد فاز الفوز العظيم ، فإنّ المحبوب لايعذب ولايبعد ولايحجب . وقال تعالى ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾ فطالب الكفاية من غيره والتارك للتوكل : هو المكذب لهذه الآية . فإنه سؤال فى معرض استنطاق بالحق ، كقوله تعالى ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ﴾ وقال عز وجل ﴿ ومن يتوكل على الله فإنّ الله عزيز حكيم ﴾ أي عزيز لايذل من استجار به ، ولايضيع من لاذ بجنابه والتجأ إلى

ذمامه وحماه ، وحكيم لايقصر عن تدبير من توكل على تدبيره . وقال تعالى ﴿ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ﴾ بين أن كل ماسوى الله تعالى عبد مسخر . حاجته مثل حاجتكم فكيف يتوكل عليه . وقال تعالى ﴿ إن الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه ﴾ وقال عز وجل ﴿ ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون ﴾ وقال عز وجل ﴿ يدبر الأمر مامن شفيع إلا من بعد إذنه ﴾ وكل ماذكر فى القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الأغيار والتوكل على الواحد القهار .

وأما الأخبار ، فقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود أريت الأمم فى الموسم فرأيت أمتى قد ملأوا السهل والجبل فأعجبتنى كثرتهم وهيأتهم ، فقيل لى : أرضيت ؟ قلت : نعم ، قيل : ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب . قيل : من هم يارسول الله ، قال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة وقال . يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اللهم اجعله منهم » فقام آخر فقال : يارسول الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم « سبقك بها عكاشة [1] » وقال صلى الله تعالى عليه وسلم « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا [2] » وقال صلى الله تعالى عليه وسلم « من انقطع إلى الله عز وجل كفاه الله تعالى كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب : ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها [3] » وقال صلى الله تعالى عليه وسلم « من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما فى يديه [4] » ويروى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : أنه كان إذا أصاب أهله خصاصة قال « قوموا إلى الصلاة » ويقول « بهذا أمرنى ربى عز وجل » قال عز وجل ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ [5] الآية . وقال صلى الله عليه وسلم « لم يتوكل من استرقى واكتوى [6] » .

وروى أنه لما قال جبريل لإبراهيم عليهما السلام وقد رمى إلى النار بالمنجنيق : ألك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا ، وفاء بقوله حسبى الله ونعم الوكيل ، إذ قال ذلك حين أخذ ليرمى ، فأنزل الله تعالى ﴿ وإبراهيم الذى وفى ﴾ .

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : ياداود ، مامن عبد يعتصم بى دون خلقى فتكيده السموات والأرض إلا جعلت له مخرجا .

وأما الآثار . فقد قال سعيد بن جبير : لدغتنى عقرب فأقسمت على أمى المسترقين ، فناولت الراقى يدى التى لم تلدغ .

---

(١) حديث ابن مسعود « أريت الأمم فى الموسم فرأيت أمتى قد ملأوا السهل والجبل . . . الحديث » رواه ابن منيع بإسناد حسن ، واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس .

(٢) حديث « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير . . الحديث » أخرجه الترمذى والحاكم وصححاه من حديث عمر ، وقد تقدم (٣) حديث « من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة . الحديث » أخرجه الطبرانى فى الصغير وابن أبى الدنيا ، ومن طريقه البيهقى فى الشعب من رواية الحسن عن عمران بن حصين ولم يسمع منه ، وفيه إبراهيم بن الأشعث تكلم فيه أبو حاتم

(٤) حديث « من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما فى يده » رواه الحاكم والبيهقى فى الزهد من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف .

(٥) حديث : كان إذا أصاب أهله خصاصة قال « قوموا إلى الصلاة » ويقول « بهذا أمرنى ربى » قال تعالى ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث محمد بن حمزة عن عبد الله بن سلام قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا نزل بأهله الضيق أمرهم بالصلاة ثم قرأ هذه الآية . ومحمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام إنما ذكروا له روايته عن أبيه عن جده فيبعد سماعه من جد أبيه . (٦) حديث « لم يتوكل من استرقى واكتوى » أخرجه الترمذى وحسنه والنسائى فى الكبير والطبرانى واللفظ له ، إلا أنه قال : أو من حديث المغيرة بن شعبة ، وقال الترمذى « من اكتوت أو استرقى فقد برئ من التوكل » وقال النسائى : ماتوكل من اكتوى أو استرقى .

وقرأ الخواص قوله تعالى ﴿ وتوكل على الحى الذى لايموت ﴾ إلى آخر ، فقال : ماينبغى للعبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله تعالى .

وقيل لبعض العلماء فى منامه : من وثق بالله تعالى فقد أحرز قوته . وقال بعض العلماء : لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا إلا ما قد كتب الله لك .

وقال يحيى بن معاذ : فى وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على أنّ الرزق مأمور بطلب العبد .

وقال إبراهيم بن أدهم : سألت بعض الرهبان : من أين تأكل ؟ فقال لى : ليس هذا العلم عندى ولكن سل ربى من أين يطعمنى ؟ .

وقال هرم بن حيان لأويس القرنى : أين تأمرنى أن أكون ؟ فأومأ إلى الشام . قال هرم : كيف المعيشة ؟ قال أويس : أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة .

وقال بعضهم : متى رضيت بالله وكيلا وجدت إلى كل خير سبيلا . نسأل الله تعالى حسن الأدب .

بيان حقيقة التوحيد الذى هو أصل التوكل

اعلم أن التوكل من باب الإيمان ، وجميع أبواب الإيمان لاتنتظم إلا بعلم وحال وعمل ، والتوكل كذلك ينتظم من ـ علم هو الأصل و ـ عمل ـ هو الثمرة و ـ حال ـ هو المراد باسم التوكل .

فلنبدأ ببيان العلم الذى هو الأصل وهو المسمى إيمانا فى أصل اللسان إذ الإيمان هو التصديق ، وكل تصديق بالقلب فهو علم ، وإذا قوى سمى يقينا ، ولكن أبواب اليقين كثيرة ، ونحن إنما نحتاج منها إلى مانبنى عليه التوكل وهو التوحيد الذى يترجمه قولك (لاإله إلا الله وحده لاشريك له) والإيمان بالقدرة التى يترجم عنها قولك (له الملك) والإيمان بالجود والحكمة الذى يدل عليه قولك (وله الحمد) فمن قال (لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير) تم له الإيمان الذى هو أصل التوكل ، أعنى أن يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه ، فأما التوحيد فهو الأصل والقول فيه يطول ، وهو من علم المكاشفة ؛ ولكن بعض علوم المكاشفات متعلق بالأعمال بواسطة الأحوال ، ولا يتم علم المعاملة إلا بها ، فإذن لانتعرض إلا للقدر الذى يتعلق بالمعاملة ، وإلا فالتوحيد هو البحر الخضم الذى لا ساحل له ، فنقول .

للتوحيد أربع مراتب ، وينقسم إلى لب ، وإلى لب اللب ، وإلى قشر ، وإلى قشر القشر . ولنمثل ذلك تقريبا إلى الأفهام الضعيفة بالجوز فى قشرته العليا فإنّ له قشرتين ، وله لب ، وللب دهن هو لب اللب ، فالرتبة الأولى من التوحيد : هى أن يقول الإنسان بلسانه (لا إله إلا الله) وقلبه غافل عنه أو منكر له كتوحيد المنافقين . والثانية : أن يصدّق بمعنى اللفظ قلبه كما صدّق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام . والثالثة : أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين ، وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار . والرابعة : أن لايرى فى الوجود إلا واحداً ، وهى مشاهدة الصدّيقين وتسميه الصوفية الفناء فى التوحيد ، لأنه من حيث لايرى إلا واحداً فلا يرى نفسه أيضا ، وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالتوحيد كان فانيا عن نفسه فى توحيده ، بمعنى أنه فنى عن رؤية نفسه والخلق ؛ فالأول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه فى الدنيا عن السيف والسنان . والثانى موحد بمعنى أنه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفساح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب فى الآخرة إن توفى عليه ولم تضعفه

بالمعاصى عقدته ، ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة ، وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصد بها أيضا إحكام هذه العقدة وشدّها على القلب وتسمى كلاما ، والعارف به يسمى متكلما ، وهو فى مقابلة المبتدع ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام ، وقد يخص المتكلم باسم الموحد من حيث إنه يحمى بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تنحل عقدته . والثالث موحد بمعنى أنه لم يشاهد إلا فاعلا واحداً إذا انكشف له الحق كما هو عليه . ولا يرى فاعلا بالحقيقة إلا واحدا وقد انكشفت له الحقيقة كما هى عليه ، لأنه كلف قلبه أن يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فإنّ تلك رتبة العوام والمتكلمين ، إذلم يفارق المتكلم العامى فى الاعتقاد بل فى صنعة تلفيق الكلام الذى به حيل المبتدع عن تحليل هذه العقدة . والرابع موحد بمعنى أنه لم يحضر فى شهوده غير الواحد ، فلا يرى الكل من حيث إنه كثير بل من حيث إنه واحد ، وهذه هى الغاية القصوى فى التوحيد ؛ فالأوّل كالقشرة العليا من الجوز ، والثانى كالقشرة السفلى ، والثالث كاللب ، والرابع كالدهن المستخرج من اللب . وكما أنّ القشرة العليا من الجوز لاخير فيها بل إن أكل فهو مرّ المذاق ، وإن نظر إلى باطنه فهو كريه المنظر ، وإن اتخذ حطبا اطفأ النار وأكثر الدخان ، وإن ترك فى البيت ضيق المكان فلا يصلح إلا أن يترك مدّة على الجوز للصون ثم يرمى به عنه فكذلك التوحيد بمجرّد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن ؛ لكنه ينفع مدّة فى حفظ القشرة السفلى إلى وقت الموت : والقشرة السفلى هى القلب والبدن . وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف الغزاة فإنهم لم يؤمروا بشق القلوب ، والسيف إنما يصيب جسم البدن وهو القشرة وإنما يتجرّد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده ، وكما أن القشرة السفلى ظاهرة النفع بالإضافة إلى القشرة العليا فإنها تصون اللب وتحرسه عن الفساد عند الادخار ، وإذا فصلت أمكن أن ينتفع بها حطبا لكنها نازلة القدر بالإضافة إلى اللب ، وكذلك مجرّد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالإضافة إلى مجرّد نطق اللسان ناقص القدر بالإضافة إلى الكشف والمشاهدة التى تحصل بانشراح الصدر وانفساحه وإشراق نور الحق فيه ، إذ ذاك الشرح هو المراد بقوله تعالى ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ وبقوله عز وجل ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾ وكما أنّ اللب نفيس فى نفسه بالإضافة إلى القشر وكله المقصود ، ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالإضافة إلى الدهن المستخرج منه ، فكذلك توحيد الفعل مقصد عال للسالكين لكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات إلى الكثرة بالإضافه إلى من لا يشاهد سوى الواحد الحق .

* فإن قلت . كيف يتصوّر أن لا يشاهد إلا واحد وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهى كثيرة : فكيف يكون الكثير واحدا ؟ فاعلم أنّ هذه غاية علوم المكاشفات . وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر فى كتاب ، فقد قال العارفون : إفشاء سر الربوبية كفر ، ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة ، نعم ذكر مايكسر سورة استبعادك ممكن . وهو أنّ الشىء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ، ويكون واحدا بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار ، وهذا كما أنّ الإنسان كثير إن التفت إلى روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه ، وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد إذ نقول إنه إنسان واحد ؛ فهو بالإضافة إلى الإنسانية واحد ، وكم من شخص يشاهد إنسانا ولا يخطر بباله كثرة أمعائه وعروقه وأطرافه وتفصيل روحه وجسده وأعضائه ، والفرق بينهما أنه فى حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفريق وكأنه فى عين الجمع ، والملتفت إلى الكثرة فى تفرقه ، فكذلك كل مافى الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة ، فهو باعتبار واحد من

الاعتبارات واحد , وباعتبارات أخر سواه كثير ، وبعضها أشد كثرة من بعض ، ومثاله الإنسان وإن كان لا يطابق الغرض ولكنه ينبه فى الجملة على كيفية مصير الكثرة فى حكم المشاهدة واحدا ، ويستبين بهذا الكلام ترك الإنكار والجحود لمقام لم تبلغه وتؤمن به إيمان تصديق ، فيكون لك من حيث إنك مؤمن بهذا التوحيد نصيب ، وإن لم يكن ما آمنت به صفتك كما أنك إذا آمنت بالنبوة وإن لم تكن نبيا كان لك نصيب منه بقدر قوة إيمانك . وهذه المشاهدة التى لا يظهر فيها إلا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الأكثر ، والدوام نادر عزيز وإلى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخواص يدور فى الأسفار فقال : فبماذا أنت ؟ فقال : أدور فى الأسفار لأصحح حالتى فى التوكل وقد كان من المتوكلين ؛ فقال الحسين : قد أفنيت عمرك فى عمران باطنك ، فأين الفناء فى التوحيد ؟ فكأنّ الخواص كان فى تصحيح المقام الثالث فى التوحيد ، فطالبه بالمقام الرابع ، فهذه مقامات الموحدين فى التوحيد على سبيل الإجمال .

* فإن قلت : فلا بدّ لهذا من شرح بمقدار ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه ! فأقول : أما الرابع فلا يجوز الخوض فى بيانه ، وليس التوكل أيضا مبنيا عليه ، بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث . وأما الأول وهو النفاق فواضح وأما الثانى وهو الاعتقاد فهو موجود فى عموم المسلمين ، وطريق تأكيده بالكلام ودفع حيل المبتدعة فيه مذكور فى علم الكلام ، وقد ذكرنا فى كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد القدر المهم منه . وأما الثالث : فهو الذى يبنى عليه التوكل ، فلنذكر منه القدر الذى يرتبط التوكل به دون تفصيله الذى لا يحتمله أمثال هذا الكتاب . وحاصله : أن ينكشف لك أن لا فاعل إلا الله تعالى ، وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقر إلى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم فالمنفرد بإبداعه واختراعه هو الله عزوجل لا شريك له فيه ، وإذا انكشف لك هذا لم تنظر إلى غيره ، بل كان منه خوفك وإليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك ، فإنه الفاعل على الانفراد دون غيره ، وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والأرض ، وإذا انفتحت لك أبواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا أتم من المشاهدة بالبصر ، وإنما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد فى مقام يبتغى به أن يطرق إلى قلبك شائبة الشرك بسببين : أحدهما الالتفات إلى اختيار الحيوانات . والثانى الالتفات إلى الجمادات , أما الالتفات إلى الجمادات فكاعتمادك على المطر فى خروج الزرع ونباته ونمائه ، وعلى الغيم فى نزول المطر ، وعلى البرد فى اجتماع الغيم ، وعلى الريح فى استواء السفينة وسيرها : وهذا كله شرك فى التوحيد وجهل بحقائق الأمور ، ولذلك قال تعالى ﴿ فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾ قيل : معناه أنهم يقولون لولا استواء الريح لما نجونا . ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه علم أنّ الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه ما لم يحركه محرك ، وكذلك محركه ، وهكذا إلى أن ينتهى إلى المحرك الأول الذى لا محرك له ولا هو متحرك فى نفسه عزوجل ؛ فالتفات العبد فى النجاة إلى الريح يضاهى التفات من أخذ لتحز رقبته فكتب الملك توقيعا بالعفو عنه وتخليته ، فأخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذى به كتب التوقيع يقول . لولا القلم لما تخلصت ، فيرى نجاته من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل . ومن علم أنّ القلم لا حكم له فى نفسه وإنما هو مسخر فى يد الكاتب لم يلتفت إليه ولم يشكر إلا الكاتب ، بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك والكاتب من أن يخطر بباله القلم والحبر والدواة والشمس والقمر والنجوم والمطر والغيم والأرض ، وكل حيوان وجماد مسخرات فى قبضة القدرة كتسخير القلم فى يد الكاتب ، بل هذا تمثيل فى حقك لاعتقادك أنّ الملك

الموقع هو الكاتب التوقيع ، والحق أنّ الله تبارك وتعالى هو الكاتب لقوله تعالى ﴿ وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى ﴾ فإذا انكشف لك أنّ جميع ما فى السموات والأرض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائبا وأيس عن مزج توحيدك بهذا الشرك ، فأتاك فى المهلكة الثانية وهى الالتفات إلى اختيار الحيوانات فى الأفعال الاختيارية ويقول : كيف ترى الكل من الله وهذا الإنسان يعطيك رزقك باختياره ؛ فإن شاء أعطاك وإن شاء قطع عنك ، وهذا الشخص هو الذى يحز رقبتك بسيفه وهو قادر عليك إن شاء حزن رقبتك وإن شاء عفا عنك ، فكيف لا تخافه ، وكيف لا ترجوه وأمرك بيده وأنت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ، ويقول له أيضا نعم إن كنت لا ترى القلم لأنه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له ، وعند هذا زل أقدام الأكثرون إلا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان اللعين فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا ، كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرا ، وعرفوا أنّ غلط الضعفاء فى ذلك كغلط النملة مثلا لو كانت تدب على الكاغد فترى رأس القلم يسوّد الكاغد ، ولم يمتد بصرها إلى اليد والأصابع فضلا عن صاحب اليد فغلطت وظنت أنّ القلم هو المسوّد للبياض ، وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة رأس القلم لضيق حدقتها ، فكذلك من لم ينشرح بنور الله تعالى صدره للإسلام قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والأرض ومشاهدة كونه قاهرا وراء الكل فوقف فى الطريق على الكاتب وهو جهل محض ، بل أرباب القلوب والمشاهدات قد أنطق الله تعالى فى حقهم كل ذرة فى السموات والأرض بقدرته التى بها نطق كل شىء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله تعالى وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان ذلق تتكلم بلا حرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع معزلون ، ولست أعنى به السمع الظاهر الذى لا يجاوز بالأصوات ، فإنّ الحمار شريك فيه ، ولا قدر لما يشارك فيه البهائم ، وإنما أريد به سمعا يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربى ولا عجمى .

فإن قلت : فهذه أعجوبة لا يقبلها العقل فصف لى كيفية نطقها وأنها كيف نطقت وبماذا نطقت ، وكيف سبحت وقدست ، وكيف شهدت على نفسها بالعجز ؟ فاعلم أنّ لكل ذرّة فى السماوات والأرض مع أرباب القلوب مناجاة فى السر ، وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى ، فإنها كلمات تستمدّ من بحر كلام الله تعالى الذى لا نهاية له ﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر ﴾ الآية ، ثم إنها تتناجى بأسرار الملك والملكوت ، وإفشاء السر لؤم ، بل صدور الأحرار قبور الأسرار ، وهل رأيت قط أمينا على أسرار ملك قد نوجى بخفاياه فنادى بسره على ملأ من الخلق ، ولو جاز إفشاء كل سر لنا لما قال صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ! [1] » بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكون ولا يضحكون . ولما نهى عن إفشاء سر القدر [2] ولما قال « إذا ذكر النجوم فأمسكوا ، وإذا ذكر القدر فأمسكوا ، وإذا ذكر أصحابى فأمسكوا [3] » ، ولما خص حذيفة رضى الله عنه ببعض الأسرار [4] . فإذن عن حكايات مناجاة ذرات الملك والملكوت لقلوب أرباب المشاهدات مانعان (أحدهما) استحالة إفشاء السر (والثانى) خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ، ولكنا فى المثال الذى كنا فيه - وهى حركة القلم -

(١) حديث « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ... الحديث » تقدم غير مرة (٢) حديث النهى عن إفشاء سر القدر : رواه ابن عدى وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر « القدر سر الله فلا تفشوا لله عزوجل سره » لفظ أبى نعيم ، وقال ابن عدى « لا تتكلموا فى القدر فإنه سر الله الحديث » وهو ضعيف ، وقد تقدم .

(٣) حديث « إذا ذكر النجوم فأمسكوا ، وإذا ذكر القدر فأمسكوا الحديث » أخرجه الطبرانى وابن حبان فى الضعفاء ، وتقدم فى العلم (٤) حديث : أنه خص حذيفة ببعض الأسرار ، تقدم .

نحكى من مناجاتها قدرا يسيرا يفهم به على الإجمال كيفية ابتناء التوكل عليه ؛ ونرد كلماتها إلى الحروف والأصوات وإن لم تكن حروفا وأصواتا ، ولكن هى ضرورة التفهيم فنقول : قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغد وقد رآه اسود وجهه بالحبر : ما بال وجهك كان أبيض مشرقا والآن قد ظهر عليه السواد ؟ فلم سودت وجهك ؟ وما السبب فيه ؟ فقال الكاغد : ما أنصفتنى فى هذه المقالة ! فإنى ماسودت وجهى بنفسى ولكن سل الحبر فإنه كان مجموعا فى المحبرة التى هى مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهى ظلما وعدوانا ! فقال : صدقت ، فسأل الحبر عن ذلك ؟ فقال : ماأنصفتنى فإنى كنت فى المحبرة وادعا ساكنا عازما على أن لا أبرح منها ، فاعتدى على القلم بطمعه الفاسد ، واختطفنى من وطنى وأجلانى عن بلادى وفرق جمعى وبددنى كما ترى على ساحة بيضاء ، فالسؤال عليه لاعلى ! فقال صدقت ، ثم سأل القلم عن السبب فى ظلمه وعدوانه وإخراج الحبر من أوطانه فقال : سل اليد والأصابع فإنى كنت قصبا نابتا على شط الأنهار متنزها بين خضرة الأشجار ، فجاءتنى اليد بسكين فنحت عنى قشرى ومزقت عنى ثيابى واقتلعتنى من أصلى وفصلت بين أنابيبى ، ثم برتنى وشقت رأسى ، ثم غمستنى فى سواد الحبر ومرارته وهى تستخدمنى وتمشينى على قمة رأسى ، ولقد نثرت الملح على جرحى بسؤالك وعتابك ، فتنح عنى وسل من قهرنى ، فقال : صدقت ، ثم سأل اليد عن ظلمها وعدوانها على القلم واستخدامها له ، فقالت اليد : ماأنا إلا لحم وعظم ودم ، وهل رأيت لحما يظلم أو جسما يتحرك بنفسه ؟ وإنما أنا مركب مسخر ركبنى فارس يقال له القدرة والعزة ، فهى التى ترددنى ، وتجول بى فى نواحى الأرض ، أما ترى المدر والحجر والشجر لايتعدى شىء منها مكانه ولا يتحرك بنفسه إذ لم يركبه مثل هذا الفارس القوى القاهر ، أما ترى أيدى الموتى تساوينى فى صورة اللحم والعظم والدم ، ثم لا معاملة بينها وبين القلم ، فأنا أيضا من حيث أنا لامعاملة بينى وبينه القلم ، فسل القدرة عن شأنى فإنى مركب أزعجنى من ركبنى ، فقال صدقت ، ثم سأل القدرة عن شأنها فى استعمالها اليد وكثرة استخدامها وترديدها ، فقالت : دع عنك لومى ومعاتبتى ، فكم من لائم ملوم ، وكم من ملوم لاذنب له ، وكيف خفى عليك أمرى ؟ وكيف ظننت أنى ظلمت اليد لما ركبتها وقد كنت لها راكبة قبل التحريك ، وما كنت أحركها ولا استسخرها ، بل كنت نائمة ساكنة نوما ظن الظانون بى أنى ميتة أو معدومة ، لأنى ما كنت أتحرك ولا أحرك حتى جاءنى موكل أزعجنى وأرهقنى إلى ما تراه منى ، فكانت لى قوة على مساعدته ، ولم تكن لى قوة على مخالفته ، وهذا الموكل يسمى الإرادة ، ولا أعرفه إلا باسمه وهجومه وصياله ، إذ أزعجنى من غمرة النوم وأرهقنى إلى ما كان لى مندوحة عنه لو خلانى ورأيى ، فقال : صدقت ، ثم سأل الإرادة ما الذى جرأك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها إلى التحريك وأرهقتها إليه إرهاقا لم تجد عنه مخلصا ولا مناصا ، فقالت الإرادة : لا تعجل على فلعل لنا عذرا وأنت تلوم ، فإنى ما انتهضت بنفسى ولكن أنهضت وماأنا بعثت ولكنى بعثت بحكم قاهر وأمر جازم ، وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد على من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالإشخاص للقدرة فأشخصتها باضطراز فإنى مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ، ولاأدرى بأى جرم وقفت عليه وعرفت له وألزمت طاعته ، لكنى أدرى أنى فى دعة وسكون ما لم يرد على هذا الوارد القاهر ، وهذا الحاكم العادل أوالظالم وقد وقفت عليه وقفا وألزمت طاعته إلزاما ، بل لايبقى لى معه مهما جزم حكمه طاقة على المخالفة ، لعمرى مادام هو فى التردد مع نفسه والتحير فى حكمه ، فأنا ساكنة لكن مع استشعار وانتظار لحكمه ، فإذا انجزم حكمه أزعجت بطبع وقهر تحت طاعته وأشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه ، فسل العلم عن شأنى ودع عنى عتابك ،

فإنى كما قال القائل :

متى ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون هم

فقال صدقت، وأقبل على العلم والعقل والقلب مطالبا لهم ومعاتبا إياهم على استنهاض الإرادة وتسخيرها لإشخاص القدرة ، فقال العقل : أما أنا فسراج ما اشتعلت بنفسى ولكن أشعلت ، وقال القلب : أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسى ولكن بسطت ، وقال العلم : أما أنا فنقش نقشت فى بياض لوح القلب لما أشرق سراج العقل وما انخططت بنفسى ، فكم كان هذا اللوح قبل خاليا عنى ، فسل القلم عنى لأنّ الخط لايكون إلا بالقلم ، فعند ذلك تتعتع السائل ولم يقنعه جواب وقال : قد طال تعبى فى هذا الطريق وكثرت منازلى ولا يزال يحيلنى من طمعت فى معرفة هذا الأمر منه على غيره ، ولكى كنت أطيب نفسا بكثرة الترداد لما كنت أسمع كلاما مقبولا لا فى الفؤاد وعذرا ظاهرا فى دفع السؤال : فأما قولك : إنى خط ونقش ، وإنما خطى قلم فلست أفهمه فإنى لا أعلم قلما إلا من القصب ، ولا لوحا إلا من الحديد أو الخشب ، ولاخطا إلا بالحبر ، ولاسراجا إلا من النار ، وإنى لاسمع فى هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا أشاهد من ذلك شيئا : أسمع جعجعة ولا أرى طحنا : فقال له القلم : إن صدقت فيما قلت فبضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف ، واعلم أن المهالك فى الطريق التى توجهت إليها كثيرة : فالصواب لك أن تنصرف وتدع ما أنت فيه ، فما هذا بعشك ، فادرج عنه فكل ميسر لما خلق له ، وإن كنت راغبا فى استتمام الطريق إلى المقصد فألق سمعك وأنت شهيد . واعلم أنّ العوالم فى طريقك هذا ثلاثة : عالم الملك والشهادة أولها ، ولقد كان الكاغد والحبر والقلم واليد من هذا العالم ، وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة ، والثانى عالم الملكوت وهو ورائى ؛ فإذا جاوزتنى انتهيت إلى منازله وفيه المهامة الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة ، ولا أدرى كيف تسلم فيها ، والثالث هو عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ، ولقد قطعت منها ثلاث منازل فى أوائلها منزلة القدرة والإرادة والعلم ، وهو واسطة بين عالم الملك والشهادة والملكوت ؛ لأنّ عالم الملك أسهل منه طريقا ، وعالم الملكوت أوعر منه منهجا ، وإنما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التى هى فى الحركة بين الارض والماء ، فلا هى فى حدّ اضطراب الماء ، ولا هى فى حدّ سكون الأرض وثبوتها ، وكل من يمشى على الأرض يمشى فى عالم الملك والشهادة ؛ فإن جاوزت قوته إلى أن يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشى فى عالم الجبروت ؛ فإن انتهى إلى أن يمشى على الماء من غير سفينة مشى فى عالم الملكوت من غير تتعتع ؛ وإن كنت لا تقدر على المشى على الماء فانصرف فقد جاوزت الأرض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك إلا الماء الصافى ، وأوّل عالم الملكوت مشاهدة القلم الذى يكتب به العلم فى لوح القلب وحصول اليقين الذى يمشى به على الماء ، أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عيسى عليه السلام « لو ازداد يقينا لمشى على الهواء »(١) ، لما قيل له إنه كان يمشى على الماء ، فقال السالك السائل : قد تحيرت فى أمرى واستشعر قلبى خوفا مما وصفته من خطر الطريق ، ولست أدرى أطيق قطع هذه المهامة التى وصفتها أم لا ؟ فهل لذلك من علامة ؟ قال : نعم ، افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدّقه نحوى فإن ظهر لك القلم الذى به أكتب فى لوح القلب فيشبه أن تكون أهلا لهذا الطريق ، فإن كل من جاوز عالم الجبروت وقرع بابا من أبواب الملكوت كوشف بالقلم ، أما ترى أنّ النبى صلى الله عليه وسلم فى أول أمره كوشف بالقلم إذ أنزل عليه ﴿ اقرأ وربك

(١) حديث : قيل له إن عيسى يمشى على الماء ، قال « لو ازداد يقينا لمشى على الهواء » تقدم .

الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان مالم يعلم ﴾ فقال السالك : لقد فتحت بصرى وحدقته ، فوالله ما أرى قصبا ولا خشبا ، ولا أعلم قلما إلا كذلك ، فقال العلم : لقد أبعدت النجعة ، أما سمعت أنّ متاع البيت يشبه رب البيت ، أما علمت أنّ الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات ، فكذلك لا تشبه يده الأيدى ولا قلمه الأقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط ، وهذه أمور إلهية من عالم الملكوت ، فليس الله تعالى فى ذاته بجسم ولا هو فى مكان بخلاف غيره ، ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الأيدى ، ولا قلمه من قصب ، ولا لوحه من خشب ، ولا كلامه بصوت وحرف ، ولا خطه رقم ورسم ، ولا حبره زاج وعفص ، فإن كنت لا تشاهد هذا هكذا فما أراك إلا مخنثا بين فحولة التنزيه وأنوثة التشبيه ، مذبذبا بين هذا وذا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، فكيف نزهت ذاته وصفاته تعالى عن الأجسام وصفاتها ؟ ونزهت كلامه عن معانى الحروف والأصوات وأخذت تتوقف فى يده وقلمه ولوحه وخطه ؟ فإن كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم على صورته » الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبها مطلقا ، كما يقال : كن يهوديا صرفا وإلا فلا تلعب بالتوراة ، وإن فهمت منه الصورة الباطنة التى تدرك بالبصائر لا بالأبصار فكن منزها صرفا ومقدسا خلا ، واطو الطريق فإنك بالواد المقدس طوى ، واستمع بسر قلبك لما يوحى ، فلعلك تجد على النار هدى ، ولعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودى به موسى ﴿ إنى أنا ربك ﴾ فلما سمع السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وأنه مخنث بين التشبيه والتنزيه ، فاشتعل قلبه نارا من حدّة غضبه على نفسه لما رآها بعين النقص ، ولقد كان زيته الذى فى مشكاة قلبه يكاد يضىء ولو لم تمسسه نار ، فلما نفخ فيه العلم بحدّته اشتعل زيته فأصبح نورا على نور ، فقال له العلم : اغتنم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك لعلك تجد على النار هدى ، ففتح بصره فانكشف له القلم الإلهى ، فإذا هو كما وصفه العلم فى التنزيه ، ماهو من خشب ولا قصب ، ولا له رأس ولا ذنب ، وهو يكتب على الدوام فى قلوب البشر كلهم أصناف العلوم ، وكأن له فى كل قلب رأسا ولا رأس له ، فقضى منه العجب وقال : نعم الرفيق العلم ، فجزاه الله تعالى عنى خيرا ، إذ الآن ظهر لى صدق أنبائه عن أوصاف القلم ؛ فإنى أراه قلما لا كالأقلام ؛ فعند هذا ودع العلم وشكره وقال : قد طال مقامى عندك ومرادّتى لك ، وأنا عازم على أن أسافر إلى حضرة القلم وأسأله عن شأنه ، فسافر إليه وقال له : ما بالك أيها القلم تخط على الدوام فى القلوب من العلوم ماتبعث به الإرادات إلى إشخاص القدر وصرفها إلى المقدورات ؟ فقال : أو قد نسيت مارأيت فى عالم الملك والشهادة وسمعت من جواب القلم إذ سألته فأحالك على اليد ؟ قال : لم أنس ذلك . قال : فجوابى مثله جوابه . قال : كيف وأنت لاتشبهه ؟ قال القلم : أما سمعت أنّ الله تعالى خلق آدم على صورته ؟ قال نعم . قال فسل عن شأنى الملقب بيمين الملك فانى فى قبضته ، وهو الذى يرددنى وأنا مقهور مسخر ؛ فلا فرق بين القلم الإلهى وقلم الآدمى فى معنى التسخير ، وإنما الفرق فى ظاهر الصورة . فقال : فمن يمين الملك ؟ فقال القلم : أما سمعت قوله تعالى ﴿ والسموات مطويات بيمينه ﴾ ؟ قال : نعم . قال : والأقلام أيضا فى قبضة يمينه هو الذى يرددها ، فسافر السالك من عنده إلى اليمين حتى شاهده ورأى من عجائبه مايزيد على عجائب القلم ولايجوز وصف شىء من ذلك ولا شرحه ، بل لاتحوى مجلدات كثيرة عشر عشير وصفه ، والجملة فيه أنه يمين لا كالإيمان ، ويد لا كالأيدى ، وأصبع لا كالأصابع ؛ فرأى القلم محركا فى قبضته ، فظهر له عذر القلم ، فسأل اليمين عن شأنه وتحريكه للقلم ؟ فقال : جوابى مثل ماسمعته من اليمين التى رأيتها فى عالم الشهادة وهى الحوالة على القدرة ، إذ اليد لاحكم لها فى نفسها وإنما

محركها القدرة لامحالة ، فسافر السالك إلى عالم القدرة ورأى فيه من العجائب ما استحقر عندها ماقبله وسألها عن تحريك اليمين فقالت : إنما أنا صفة فاسأل القادر ، إذ العمدة على الموصوفات لاعلى الصفات ، وعند هذا كاد أن يزيغ ويطلق بالجراءة لسان السؤال ، فثبت بالقول الثابت ونودى من وراء حجاب سرادقات الحضرة ﴿ لايسئل عما يفعل وهم يسئلون ﴾ فغشيته هيبة الحضرة ، فخر صعقا يضطرب فى غشيته ، فلما أفاق قال : سبحانك ما أعظم شأنك تبت إليك وتوكلت عليك وآمنت بأنك الملك الجبار الواحد القهار ، فلا أخاف غيرك ولا أرجو سواك ولا أعوذ إلا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك ، وما لى إلا أن أسألك وأتضرع إليك وأبتهل بين يديك ، فأقول : اشرح لى صدرى لأعرفك واحلل عقدة من لسانى لأثنى عليك ؛ فنودى من وراء الحجاب : إياك أن تطمع فى الثناء وتزيد على سيد الأنبياء ، بل إرجع إليه فما آتاك فخذه وما نهاك عنه فانته عنه ، وماقاله لك فقله ، فإنه مازادنى هذه الحضرة على أن قال « سبحانك لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »[1] ، فقال . إلهى ، إن لم يكن للسان جراءة على الثناء عليك فهل للقلب مطمع فى معرفتك ، فنودى : إياك أن تتخطى رقاب الصديقين ، فارجع إلى الصديق الأكبر فاقتد به ؛ فإن أصحاب سيد الأنبياء كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ، أما سمعته يقول : العجز عن درك الإدراك إدراك ؛ فيكفيك نصيبا من حضرتنا أن تعرف أنك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا ؛ فعند ذلك رجع السالك واعتذر عن أسئلته ومعاتباته وقال لليمين والقلم والعلم والإرادة والقدرة وما بعدها : اقبلوا عذرى فإنى كنت غريبا حديث العهد بالدخول فى هذه البلاد والكل داخل دهشة ، فما كان إنكارى عليكم إلا عن قصور وجهل ، والآن قد صح عندى عذركم وانكشف لى أن المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار ، فما أنتم إلا مسخرون تحت قهره وقدرته ، مرددون فى قبضته وهو الأول والآخر والظاهر والباطن ؛ فلما ذكر ذلك فى عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل له : كيف يكون هو الأول والآخر وهما وصفان متناقضان ، وكيف يكون هو الظاهر والباطن ؛ فالأول ليس بآخر ، والظاهر ليس بباطن ؛ فقال : هو الأول بالإضافة إلى الموجودات ، إذ صدر منه الكل على ترتيبه واحداً بعد واحد ، وهو الآخر بالإضافة إلى سير السائرين إليه فإنهم لايزالون مترقين من منزل إلى منزل إلى أن يقع الانتهاء إلى تلك الحضرة ، فيكون ذلك آخر السفر ، فهو آخر فى المشاهدة أول فى الوجود ، وهو باطن بالإضافة إلى العاكفين فى عالم الشهادة الطالبين لإدراكه بالحواس الخمس ، ظاهر بالإضافة إلى من يطلبه فى السراج الذى اشتعل فى قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة فى عالم الملكوت ، فهذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد فى الفعل : أعنى من انكشف له أن الفاعل واحد .

* فإن قلت : قد انتهى هذا التوحيد إلى أنه يبتنى على الإيمان بعالم الملكوت ، فمن لم يفهم ذلك أو يجحده فما طريقه ؟ فأقول : أما الجاحد فلا علاج له إلا أن يقال له : إنكارك لعالم الملكوت كإنكار السمنية لعالم الجبروت ، وهم الذين حصروا العلوم فى الحواس الخمس ، فأنكروا القدرة والإرادة والعلم لأنها لاندرك بالحواس الخمس ، فلازموا حضيض عالم الشهادة بالحواس الخمس ، فإن قال : وأنا منهم فإنى لا أهتدى إلا إلى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا أعلم شيئا سواه ، فيقال : إنكارك لما شاهدناه مما وراء الحواس الخمس كإنكار السوفسطائية للحواس الخمس ، فإنهم قالوا : مانراه لانثق به ، فلعلنا نراه فى المنام . فإن قال . وأنا من جملتهم فإنى شاك أيضا فى

(١) حديث « سبحانك لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » تقدم .

المحسوسات فيقال : هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه ، فيترك أياما قلائل ، وما كل مريض يقوى على علاجه الأطباء : هذا حكم الجاحد . وأما الذى لا يجحد ولكن لا يفهم ، فطريق السالكين معه أن ينظروا إلى عينه التى يشاهد بها عالم الملكوت ، فإن وجدوها صحيحة فى الأصل وقد نزل فيها ماء أسود يقبل الإزالة والتنقية اشتغلوا بتنقيته اشتغال الكحال بالأبصار الظاهرة ، فإذا استوى بصره أرشد إلى الطريق ليسلكها كما فعل ذلك صلى الله عليه وسلم بخواص أصحابه ؛ فإن كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه أن يسلك الطريق الذى ذكرناه فى التوحيد ولم يمكنه أن يسمع كلام ذرات الملك والملكوت بشهادة التوحيد كلموه بحرف وصوت وردوا ذروة التوحيد إلى حضيض فهمه فإنّ فى عالم الشهادة أيضاً توحيدا ، إذ يعلم كل أحد أنّ المنزل يفسد بصاحبين ، والبلد يفسد بأميرين ، فيقال له على حدّ عقله . إله العالم واحد والمدبر واحد ، إذ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، فيكون ذلك على ذوق ما رآه فى عالم الشهادة ، فينغرس اعتقاد التوحيد فى قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر عقله ، وقد كلف الله الأنبياء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم ، ولذلك نزل القرآن بلسان العرب على حدّ عادتهم فى المحاورة .

* فإن قلت : فمثل هذا التوحيد الاعتقادى هل يصلح أن يكون عماداً للتوكل وأصلا فيه ؟ فأقول : نعم ؛ فإن الاعتقاد إذا قوى عمل عمل الكشف فى إثارة الأحوال إلا أنه فى الغالب يضعف ويتسارع إليه الاضطراب والتزلزل غالباً ، ولذلك يحتاج صاحبه إلى متكلم يحرسه بكلامه ، أو إلى أن يتعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة التى تلقنها من أستاذه أو من أبويه أو من أهل بلده . وأما الذى شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شىء من ذلك بل لو كشف الغطاء لما ازداد يقينا وإن كان يزداد وضوحا ، كما أنّ الذى يرى إنسانا فى وقت الإسفار لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بأنه إنسان ولكن يزداد وضوحا فى تفصيل خلقته ، وما مثال المكاشفين والمعتقدين إلا كسحرة فرعون مع أصحاب السامرى ؛ فإن سحرة فرعون لما كانوا مطلعين على منتهى تأثير السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم رأوا من موسى عليه السلام اجاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الأمر فلم يكترثوا بقول فرعون ﴿ لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ﴾ بل ﴿ قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا ﴾ فإنّ البيان والكشف يمنع التغيير وأما أصحاب السامرى لما كان إيمانهم عن النظر إلى ظاهر الثعبان ، فلما نظروا إلى عجل السامرى وسمعوا خواره تغيروا وسمعوا قوله ﴿ هذا إلهكم وإله موسى ﴾ ونسوا أنه لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا : فكل من آمن بالنظر إلى ثعبان يكفر لا محالة إذا نظر الى عجل ، لأنّ كليهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد فى عالم الشهادة كثير . وأما عالم الملكوت فهو من عند الله تعالى فلذلك لا نجد فيه اختلافا وتضادا أصلا .

فإن قلت : ما ذكرته من التوحيد ظاهر مهما ثبت أنّ الوسائط والأسباب مسخرات ؛ وكل ذلك ظاهر إلا فى حركات الإنسان فإنه يتحرك إن شاء ويسكن إن شاء ، فكيف يكون مسخرا ؟ فاعلم أنه لو كان مع هذا يشاء إن أراد أن يشاء ، ولا يشاء إن لم يرد أن يشاء ، لكان هذا منزلة القدم وموقع الغلط ، ولكن علم أنه يفعل ما يشاء إذا شاء أن يشأ أم لم يشأ فليست المشيئة إليه ، إذ لو كانت إليه لافتقرت إلى مشيئة أخرى وتسلسل إلى غير نهاية ، وإذا لم تكن إليه المشيئة فهما وجدت المشيئة التى تصرف القدرة إلى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل إلى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة متحركة ضرورة عند انجزام المشيئة . فالمشيئة تحدث ضرورة فى القلب . فهذا ضرورات ترتب بعضها على بعض . وليس للعبد أن يدفع وجود المشيئة ولا انصراف

القدرة إلى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة للقدرة ، فهو مضطر فى الجميع .

فإن قلت : فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار ، وأنت لاتنكر الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا؟ فأقول: لو انكشف الغطاء لعرفت أنه فى عين الاختيار مجبور ، فهو إذن مجبور على الاختيار ، فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا وجيزا يليق بما ذكر متطفلا وتابعا فإنّ هذا الكتاب لم نقصد به إلا علم المعاملة ، ولكنى أقول لفظ الفعل فى الإنسان يطلق على ثلاثة أوجه ، إذ يقال : الإنسان يكتب بالأصابع ويتنفس بالرئة والحنجرة ويخرق الماء إذا وقف عليه بجسمه فينسب إليه الخرق فى الماء والتنفس والكتابة ، وهذه الثلاثة فى حقيقة الاضطرار والجبر واحدة ، ولكنها تختلف وراء ذلك فى أمور فأعرب لك عنها بثلاث عبارات : فنسمى خرقه للماء عند وقوعه على وجهه فعلا طبيعيا ، ونسمى تنفسه فعلا إراديا ، ونسمى كتابته فعلا اختياريا ، والجبر ظاهر فى الفعل الطبيعى لأنه مهما وقف على وجه الماء أو تخطى من السطح للهواء انخرق الهواء لا محالة وقد يكون الخرق بعد التخطى ضروريا ، والتنفس فى معناه فإنّ نسبة حركة الحنجرة إلى إرادة التنفس كنسبة انخراق الماء إلى ثقل البدن ؛ فهما كان الثقل موجودا وجد الانخراق بعده وليس الثقل إليه ، وكذلك الإرادة ليست إليه ، ولذلك لو قصد عين الإنسان بإبرة طبق الأجفان اضطرارا ، ولو أراد أن يتركها مفتوحة لم يقدر مع أنّ تغميض الأجفان اضطرارا فعل إرادى ، ولكنه إذا تمثل صورة الإبرة فى مشاهدته بالإدراك حدثت الإرادة بالتغميض ضرورة ، وحدثت الحركة بها ، ولو أراد أن يترك ذلك لم يقدر عليه مع أنه فعل بالقدرة والإرادة ، فقد التحق هذا بالفعل الطبيعى فى كونه ضروريا . وأما الثالث ـ وهو الاختيار ـ فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق ، وهو الذى يقال فيه إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل ، وتارة لا يشاء ، ؛ فيظن من هذا أنّ الأمر إليه ، وهذا للجهل بمعنى الاختيار فلنكشف عنه وبيانه : أنّ الإرادة تبع للعلم الذى يحكم بأن الشىء موافق لك ، والأشياء تنقسم إلى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة أو الباطنة بأنه يوافقك من غير تحير وتردد ، وإلى ما قد يتردد العقل فيه ؛ فالذى نقطع به من غير تردد أن من يقصد عينك مثلا بإبرة أو بدنك بسيف ، فلا يكون فى علمك تردد فى أن دفع ذلك خير لك وموافق ، فلا جرم تنبعث الإرادة بالعلم . والقدرة بالإرادة ، وتحصل حركة الأجفان بالدفع ، وحركة اليد بدفع السيف ولكن من غير روية وفكرة ، ويكون ذلك بالإرادة ، ومن الأشياء ما يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدرى أنه موافق أم لا فيحتاج إلى روية فكر حتى يتميز أن الخير فى الفعل أو الترك ، فإذا حصل بالفكر والروية العلم بأن أحدهما خير التحق ذلك بالذى يقطع به من غير روية فكر ، فانبعثت الإرادة ههنا كما تنبعث لدفع السيف والسنان ؛ فإذا انبعثت لفعل ما ظهر للعقل أنه خير سميت هذه الإرادة اختيارا مشتقا من الخير ، أى هو انبعاث إلى ما ظهر للعقل أنه خير وهو عين تلك الإرادة ، ولم ينتظر فى انبعاثها إلى ما انتظرت تلك الإرادة وهو ظهور خيرية الفعل فى حقه ، إلا أن الخيرية فى دفع السيف ظهرت من غير روية بل على البديهة وهذا افتقر إلى الروية ، فالاختيار عبارة عن إرادة خاصة وهى التى انبعثت بإشارة العقل فيما له فى إدراكه توقف ، وعن هذا قيل إن العقل يحتاج إليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ، ولا يتصور أن تنبعث الإرادة إلا بحكم الحس والتخيل أو بحكم جزم من العقل ، ولذلك لو أراد الإنسان أن يحز رقبة نفسه مثلا لم يمكنه لا لعدم القدرة فى اليد ولا لعدم السكين ولكن لفقد الإرادة الداعية المشخصة للقدرة وإنما فقدت الإرادة لأنها تنبعث بحكم العقل أو الحس بكون الفعل موافقا ، وقتله نفسه ليس موافقا له فلا يمكنه مع قوة الأعضاء أن يقتل نفسه إلا إذا كان فى عقوبة مؤلمة لا تطاق ؛ فإنّ العقل هنا يتوقف فى الحكم ويتردد؛ لأن

تردده بين شر الشرين ؛ فإن ترجح له بعد الروية أن ترك القتل أقل شرا لم يمكنه قتل نفسه وإن حكم بأن القتل أقل شرا وكان حكمه جزما لاميل فيه ولاصارف منه انبعثت الإرادة والقدرة وأهلك نفسه ، كالذى يتبع بالسيف للقتل فإنه يرمى بنفسه من السطح مثلا وإن مهلكا ولايبالى ولايمكنه أن لايرمى نفسه ، فإن كان يتبع بضرب خفيف فإن انتهى إلى طرف السطح حكم العقل بأن الضرب أهون من الرمى فوقفت أعضاؤه فلا يمكنه أن يرمى نفسه ولاتنبعث له داعية ألبتة ، لأنّ داعية الإرادة مسخرة بحكم العقل والحس ، والقدرة مسخرة للداعية، والحركة مسخرة للقدرة ، والكل مقدّر بالضرورة فيه من حيث لايدرى ، فإنما هو محل ومجرى لهذه الأمور ، فأما أن يكون منه فكلا ولا ، فإذن معنى كونه مجبورا أن جميع ذلك حاصل فيه من غيره لامنه ، ومعنى كونه مختارا أنه محل لإرادة حدثت فيه جبرا بعد حكم العقل بكون الفعل خيرا محضا موافقا وحدث الحكم أيضا جبرا فإذاهو مجبور على الاختيار ، ففعل النار فى الإحراق مثلا جبر محض ، وفعل الله تعالى اختيار محض ، وفعل الإنسان على منزلة بين المنزلتين فإنه جبر على الاختيار ، فطلب أهل الحق لهذا عبارة ثالثة ، لأنه لما كان فنا ثالثا وائتموا فيه بكتاب الله تعالى فسموه كسبا وليس مناقضا للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه ، وفعل الله تعالى يسمى اختيارا بشرط أن لايفهم من الاختيار إرادة بعد تحير وتردد ، فإنّ ذلك فى حقه محال ، وجميع الألفاظ المذكورة فى اللغات لايمكن أن تستعمل فى حق الله تعالى إلا على نوع من الاستعارة والتجوز ، وذكر ذلك لايليق بهذا العلم ويطول القول فيه ،

* فإن قلت : فما تقول إن العلم ولد الإرادة ، والإرادة ولدت القدرة ، والقدرة ولدت الحركة ، وأن كل متأخر حدث من المتقدّم ؟ فإن قلت ذلك فقد حكمت بحدوث شىء لامن قدرة الله تعالى ، وإن أبيت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض فاعلم أن القول بأن بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض ، سواء عبر عنه بالتولد أو بغيره بل حوالة جميع ذلك على معنى الذى يعبر عنه بالقدرة الأزلية ، وهو الأصل الذى لم يقف كافة الخلق عليه إلا الراسخون فى العلم فإنهم وقفوا على كنه معناه ، والكافة وقفوا على مجرّد لفظه مع نوع تشبيه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق ، وبيان ذلك يطول ، ولكن بعض المقدورات مترتب على البعض فى الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا تصدر من القدرة الأزلية إرادة إلا بعد علم ولاعلم إلا بعد حياة ولاحياة إلا بعد محل الحياة ، وكما لايجوز أن يقال الحياة تحصل من الجسم الذى هو شرط الحياة فكذلك فى سائر درجات الترتيب ، ولكن بعض الشروط ربما ظهرت للعامة وبعضها لم يظهر إلا للخواص المكاشفين بنور الحق وإلا فلا يتقدّم متقدّم ولايتأخر متأخر إلا بالحق واللزوم ، وكذلك جميع أفعال الله تعالى ، ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثا يضاهى فعل المجانين - تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا . وإلى هذا أشار قوله تعالى ﴿ وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ وقوله تعالى ﴿ وماخلقنا السموات والأرض ومابينهما لاعبين . ماخلقناهما إلا بالحق ﴾ فكل مابين السماء والأرض حادث على ترتيب واجب وحق لازم لايتصور أن يكون إلا كما حدث ، وعلى هذا الترتيب الذى وجد فما تأخر متأخر إلا لانتظار شرطه ، والمشروط قبل الشرط محال ، والمحال لايوصف بكونه مقدورا ، فلا يتأخر العلم عن النطفة إلا لفقد شرط الحياة ، ولاتتأخر عنها الإرادة بعد العلم إلا لفقد شرط العلم ، وكل ذلك منهاج الواجب وترتيب الحق ، ليس فى شىء من ذلك لعب واتفاق ، بل كل ذلك بحكمة وتدبير ، وتفهيم ذلك عسير ، ولكنا نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثالا يقرب مبادئ الحق من الأفهام الضعيفة ، وذلك بأن

نقدر إنسانا محدثا قد انغمس فى الماء إلى رقبته ، فالحدث لا يرتفع عن أعضائه وإن كان الماء هو الرافع وهو ملاق له ، فقدر القدرة الأزلية حاضرة ملاقية للمقدورات متعلقة بها ملاقاة الماء للأعضاء ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء انتظارا للشرط وهو غسل الوجه ، فإذا وضع الواقف فى الماء وجهه على الماء عمل الماء فى سائر أعضائه وارتفع الحدث ، فربما يظن الجاهل أن الحدث ارتفع عن اليدين برفعه عن الوجه لأنه حدث عقيبه ، إذ يقول : كان الماء ملاقيا ولم يكن رافعا والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه مالم يحصل من قبل ، بل حصل ارتفاع الحدث عن اليدين عند غسل الوجه ، فإذن غسل الوجه هو الرافع للحدث عن اليدين وهو جهل يضاهى ظن من يظن أن الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالإرادة والإرادة بالعلم ، وكل ذلك خطأ بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالماء الملاقى لها لا بغسل الوجه ، والماء لم يتغير واليد لم تتغير ولم يحدث فيهما شىء ، ولكن حدث وجود الشرط فظهر أثر العلة ، فهكذا ينبغى أن تفهم صدور المقدرات عن القدرة الأزلية مع أن القدرة قديمة والمقدورات حادثة ، وهذا فرع باب آخر لعالم آخر من عوالم المكاشفات ، فلنترك جميع ذلك فإن مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد فى الفعل ، فإن الفاعل بالحقيقة واحد فهو المخوف والمرجو وعليه التوكل والاعتماد ، ولم نقدر على أن نذكر من بحار التوحيد إلا قطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد ، واستيفاء ذلك فى عمر نوح محال ، كاستيفاء ماء البحر بأخذ القطرات منه ، وكل ذلك ينطوى تحت قول لا إله إلا الله ، وما أخف مؤنته على اللسان ! وما أسهل اعتقاد مفهوم لفظه على القلب ! وما أعز حقيقته ولبه عند العلماء الراسخين فى العلم فكيف عند غيرهم .

« فإن قلت : فكيف الجمع بين التوحيد والشرع : ومعنى التوحيد : أن لا فاعل إلا الله تعالى ؛ ومعنى الشرع إثبات الأفعال للعباد ؛ فإن كان العبد فاعلا فكيف يكون الله تعالى فاعلا ؟ وإن كان الله تعالى فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ؟ ومفعول بين فاعلين غير مفهوم ؟ فأقول نعم ذلك غير مفهوم إذا كان للفاعل معنى واحد ، وإن كان له معنيان ويكون الاسم مجملا مرددا بينهما لم يتناقض ، كما يقال : قتل الأمير فلانا ، ويقال : قتله الجلاد ، ولكن الأمير قاتل بمعنى ، والجلاد قاتل بمعنى آخر ، فكذلك العبد فاعل بمعنى ، والله عز وجل فاعل بمعنى آخر ؛ فمعنى كون الله تعالى فاعلا أنه المخترع الموجد . ومعنى كون العبد فاعلا أنه المحل الذى خلق فيه القدرة بعد أن خلق فيه الإرادة بعد أن خلق فيه العلم ، فارتبطت القدرة بالإرادة ، والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط ، وارتبط بقدرة الله ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع ، وكل ماله ارتباط بقدرة فإن محل القدرة يسمى فاعلا له كيفما كان الارتباط ، كما يسمى الجلاد قاتلا والأمير قاتلا ؛ لأن القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين ، فلذلك سمى فعلا لهما ، فكذلك ارتباط المقدورات بالقدرتين ، ولأجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الأفعال فى القرآن مرة إلى الملائكة ومرة إلى العباد ، ونسبها بعينها مرة أخرى إلى نفسه ، فقال الله تعالى فى الموت ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت ﴾ ثم قال عز وجل ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴾ وقال تعالى ﴿ أفرأيتم ما تحرثون ﴾ أضاف إلينا ثم قال تعالى ﴿ أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا ﴾ وقال عز وجل ﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ﴾ ثم قال تعالى ﴿ فنفخنا فيها من روحنا ﴾ وكان النافخ جبريل عليه السلام ، وكما قال تعالى ﴿ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴾ قيل فى التفسير : معناه إذا قرأه عليك جبريل . وقال تعالى ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ﴾ فأضاف القتل إليهم والتعذيب إلى نفسه ، والتعذيب هو عين

القتل ، بل صرح وقال تعالى ﴿ فلم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم ﴾ وقال تعالى ﴿ وما رميت إذا رميت ولكن الله رمى ﴾ وهو جمع بين النفى والإثبات ظاهرا ، ولكن معناه : وما رميت بالمعنى الذى يكون الرب به راميا إذ رميت بالمعنى الذى يكون العبد به راميا ، إذ هما معنيان مختلفان . وقال الله تعالى ﴿ الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ ثم قال ﴿ الرحمن علم القرآن ﴾ وقال ﴿ علمه البيان ﴾ وقال ﴿ ثم إنّ علينا بيانه ﴾ وقال ﴿ أفرأيتم ما تمنون ؟ أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ﴾ ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وصف ملك الأرحام « إنه يدخل الرحم فيأخذ النطفة فى يده ثم يصوّرها جسدا ، فيقول ، يارب ، أذكر أم أنثى ، أسوى أم معوّج ؟ فيقول الله تعالى ما شاء ويخلق الملك [1] » وفى لفظ آخر « ويصوّر الملك ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة أو بالشقاوة » . وقد قال بعض السلف : إنّ الملك الذى يقال له الروح هو الذى يولج الأرواح فى الأجساد ، وأنه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من أنفاسه روحا يلج فى جسم،ولذلك سمى روحا ، وماذكره فى مثل هذا الملك وصفته فهو حق شاهده أرباب القلوب ببصائرهم ، فأما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن أن يعلم إلا بالنقل والحكم به دون النقل تخمين مجرّد ، وكذلك ذكر الله تعالى فى القرآن من الأدلة والآيات فى الأرض والسموات ، ثم قال ﴿ أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ﴾ وقال ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو ﴾ فبين أنه الدليل على نفسه وذلك ليس متناقضا بل طرق الاستدلال مختلفة . فكم من طالب عرف الله تعالى بالنظر إلى الموجودات ، وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله تعالى كما قال بعضهم : عرفت ربى بربى ، ولولا ربى لما عرفت ربى ، وهو معنى قوله تعالى ﴿ أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ﴾ وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه المحيى والمميت ، ثم فوّض الموت والحياة إلى ملكين ، ففى الخبر « أنّ ملكى الموت والحياة تناظرا ، فقال ملك الموت : أنا أميت الأحياء ، وقال ملك الحياة . أنا أحيى الموتى ، فأوحى الله تعالى إليهما : كونا على عملكما وما سخرتكما له من الصنع ، وأنا المميت والمحيى لا يميت ولا يحيى سواى [2] » فإذن الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تتناقض هذه المعانى إذا فهمت ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الذى ناوله التمرة « خذها ، لو لم تأتها لأتتك [3] » أضاف الإتيان إليه وإلى التمرة ، ومعلوم أنّ التمرة لا تأتى على الوجه الذى يأتى الإنسان إليها ، وكذلك لما قال التائب : أتوب إلى الله تعالى ولا أتوب إلى محمد ، فقال صلى الله عليه وسلم « عرف الحق لأهله [4] » فكل من أضاف الكل إلى الله تعالى فهو المحقق الذى عرف الحق والحقيقة ، ومن أضافه إلى غيره فهو المتجوّز والمستعير فى كلامه ، وللتجوّز وجه كما أنّ للحقيقة وجها ، واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع ، ولكن ظن أنّ الإنسان مخترع بقدرته فسماه فاعلا بحركته وظن أنه تحقيق ، وتوهم أنّ نسبته إلى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل إلى الأمير فإنه مجاز بالإضافة إلى نسبته إلى الجلاد ، فلما انكشف الحق لأهله عرفوا أنّ الأمر بالعكس

---

(١) حديث : وصف ملك الأرحام أنه يدخل الرحم فيأخذ النطفة بيده ثم يصورها جسدا . . الحديث ، رواه البزار وابن عدى من حديث عائشة « إن الله تبارك وتعالى حين يريد أن يخلق الخلق يبعث ملكا فيدخل الرحم فيقول : يارب ماذا ... الحديث » وفى آخره « فما من شىء إلا وهو يخلق معه فى الرحم » وفى سنده جهالة . وقال ابن عدى : إنه منكر ، وأصله متفق عليه من حديث ابن مسعود بنحوه . (٢) حديث « إن ملك الموت والحياة تناظرا فقال ملك الموت : أنا أميت الأحياء ، وقال ملك الحياة أنا أحيى الأموات ، فأوحى الله إليهما : أن كونا على عملكما ... الحديث » لم أجد له أصلا .

(٣) حديث : قال الذى ناوله التمرة « خذها لو لم تأتها لأتتك » أخرجه ابن حبان فى كتاب روضة العقلاء من رواية هذيل ابن شرحبيل ، ووصله الطبرانى عن هذيل عن ابن عمر ورجاله رجال الصحيح . (٤) حديث إنه قال الذى قال أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمد « عرف الحق لأهله » تقدم فى الزكاة .

وقالوا : إنّ الفاعل قد وضعته أيها اللغوى للمخترع فلا فاعل إلا الله ، فالاسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز . أى تتجوّز به عما وضعه اللغوى له ، ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الأعراب قصداً أو اتفاقا صدّقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد : * ألا كل شىء ما خلا الله باطل * [1] » أى كل ما لا قوام له بنفسه ـ وإنما قوامه بغيره ـ فهو باعتبار نفسه باطل ، وإنما حقيته وحقيقته بغيره لا بنفسه ، فإذن لاحق بالحقيقة إلى الحى القيوم الذى ليس كمثله شىء ، فإنه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته ، فهو الحق وما سواه باطل ، ولذلك قال سهل : يامسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون ، فلما كنت اليوم صرت تقول أنا وأنا : كن الآن كما لم تكن فإنه اليوم كما كان .

فإن قلت : فقد ظهر الآن أن الكل جبر ، فما معنى الثواب والعقاب والغضب والرضا ، وكيف غضبه على فعل نفسه ؟ فاعلم أن معنى ذلك قد أشرنا إليه فى كتاب الشكر فلا نطول بإعادته ، فهذا هو القدر الذى رأينا الرمز إليه من التوحيد الذى يورث حال التوكل ولا يتم هذا إلا بالإيمان بالرحمة والحكمة ، فإن التوحيد يورث النظر إلى مسبب الأسباب ، والإيمان بالرحمة وسعتها هو الذى يورث الثقة بمسبب الأسباب ، ولا يتم حال التوكل كما سيأتى إلا بالثقة بالوكيل وطمأنينة القلب إلى حسن نظر الكفيل ، وهذا الإيمان أيضا باب عظيم من أبواب الإيمان وحكاية طريق المكاشفين فيه تطول ، فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقادا قاطعا لا يستريب فيه . وهو أن يصدّق تصديقا يقينيا لاضعف فيه ولا ريب أن الله عز وجل لوخلق الخلق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وأفاض عليهم من الحكمة مالا منتهى لوصفها ، ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عن عواقب الأمور وأطلعهم على أسرار الملكوت وعرّفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر ، ثم أمرهم أن يدبروا الملك والملكوت بما أعطوا من العلوم والحكم ، لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه أن يزاد فيما دبر الله سبحانه الخلق به فى الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولا أن ينقص منها جناح بعوضة ، ولا أن يرفع منها ذرّة ولا أن يخفض منها ذرّة ، ولا أن يدفع مرض أو عيب أو نقص أو فقر أو ضر عمن بلى به ، ولا أن يزال صحة أو كمال أو غنى أو نفع عمن أنعم الله به عليه ، بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والأرض ـ إن رجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر ـ ما رأوا فيها من تفاوت ولا فطور ، وكل ماقسم الله تعالى بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وإيمان وكفر وطاعة ومعصية ، فكله عدل محض لاجور فيه ، وحق صرف لا ظلم فيه ، بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغى وكما ينبغى وبالقدر الذى ينبغى ، وليس فى الإمكان أصلا أحسن منه ولا أتم ولا أكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يتفضل بفعله لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ، ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الإلهية ، بل كل فقر وضر فى الدنيا فهو نقصان من الدنيا وزيادة فى الآخرة وكل نقص فى الآخرة بالإضافة إلى شخص فهو نعيم بالإضافة إلى غيره ، إذ لولا الليل لما عرف قدر النهار ، ولولا المرض لما تنعم الأصحاء بالصحة ، ولولا النار لما عرف أهل الجنة قدر النعمة ، وكما أن فداء أرواح الإنس بأرواح البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم ، بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل ، فكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على أهل النيران ، وفداء

(١) حديث « أصدق بيت قالته العرب بيت لبيد : * ألا كل شىء ماخلا الله باطل * متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ « قاله الشاعر » وفى رواية لمسلم « أشعر كلمة تكلمت بها العرب » .

أهل الإيمان بأهل الكفران عين العدل ، وما لم يخلق الناقص لايعرف الكامل ، ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الإنس ، فإنّ الكمال والنقص يظهر بالإضافة ، فمقتضى الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعا ، وكما أن قطع اليد إذا تأكلت إبقاء على الروح عدل لأنه فداء كامل بناقص ، فكذلك الأمر فى التفاوت الذى بين الخلق فى القسمة فى الدنيا والآخرة ، فكل ذلك عدل لاجور فيه وحق لا لعب فيه ، وهذا الآن بحر آخر عظيم العمق واسع الأطراف مضطرب الأمواج قريب فى السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين ، ولم يعلموا أن ذلك غامض لا يعقله إلا العالمون ، ووراء هذا البحر سر القدر الذى تحير فيه الأكثرون ومنع من إفشاء سره المكاشفون.

والحاصل أنّ الخير والشر مقضى به ، وقد كان ما قضى به واجب الحصول بعد سبق المشيئة فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وأمره ، بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر ، وما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

ولنقتصر على هذه المرامز من علوم المكاشفة التى هى أصول مقام التوكل ، ولنرجع إلى علم المعاملة إن شاء الله تعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الشطر الثانى من الكتاب

فى أحوال التوكل وأعماله

وفيه بيان حال التوكل ، وبيان ماقاله الشيوخ فى حد التوكل ، وبيان التوكل فى الكسب للمنفرد والمعيل ، وبيان التوكل بقدر الادخار وبيان التوكل فى دفع المضار ، وبيان التوكل فى إزالة الضرر بالتداوى وغيره ، والله الموفق برحمته

بيان حال التوكل

قد ذكرنا أنّ مقام التوكل ينتظم من : علم ، وحال ، وعمل . وذكرنا العلم .

فأما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه ، وإنما العلم أصله والعمل ثمرته ، وقد أكثر الخائضون فى بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم ، وتكلم كل واحد عن مقام نفسه وأخبر عن حده كما جرت عادة أهل التصوف به ، ولا فائدة فى النقل والإكثار ، فلنكشف الغطاء عنه ونقول :

التوكل مشتق من الوكالة ، يقال : وكل أمره إلى فلان أى فوضه إليه واعتمد عليه فيه ، ويسمى الموكول إليه وكيلا ، ويسمى المفوض إليه متكلا عليه ومتوكلا عليه مهما اطمأنت إليه نفسه ووثق به ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا ، فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده . ولنضرب للوكيل فى الخصومة مثلا فنقول : من ادعى عليه دعوى باطلة بتلبيس فوكل للخصومة من يكشف ذلك التلبيس لم يكن متوكلا عليه ولا واثقا به ولا مطمئن النفس بتوكيله إلا إذا اعتقد فيه أربعة أمور : منتهى الهداية ، ومنتهى القوة ، ومنتهى الفصاحة ، ومنتهى الشفقة . أما الهداية فليعرف بها مواقع التلبيس حتى لايخفى عليه من غوامض الحيل شىء أصلا . وأما القدرة والقوة فليستجرئ على التصريح بالحق فلا يداهن ولا يخاف ولا يستحى ولا يجبن ، فإنه ربما يطلع على وجه تلبيس خصمه فيمنعه الخوف أو الجبن أو الحياء أو صارف آخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به : وأما الفصاحة فهى أيضا من القدرة إلا أنها قدرة فى اللسان على الافصاح عن كل ما استجرأ القلب عليه وأشار إليه : فلا كل عالم بمواقع التلبيس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدة التلبيس : وأما منتهى الشفقة فيكون باعثا له على بذل كل ما يقدر

عليه فى حقه من المجهود ، فإنّ قدرته لاتغنى دون العناية به إذا كان لايهمه أمره ولا يبالى به ظفر خصمه أو لم يظفر هلك به حقه أو لم يهلك ؛ فإن كان شاكا فى الأربعة أو فى واحدة منها أو جوّز أن يكون خصمه فى هذه الأربعة أكمل منه لم تطمئن نفسه إلى وكيله ، بل بقى منزعج القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذره من قصور وكيله وسطوة خصمه ويكون تفاوت درجة أحواله فى شدّة الثقة والطمأنينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الخصال فيه ، والاعتقادات والظنون فى القوة والضعف تتفاوت تفاوتا لا ينحصر ، فلا جرم تتفاوت أحوال المتوكلين فى قوة الطمأنينة والثقة تفاوتا لاينحصر إلى أن ينتهى إلى اليقين الذى لاضعف فيه ، كما لو كان الوكيل والد الموكل وهو الذى يسعى لجمع الحلال والحرام لاجله ، فإنه يحصل له يقين بمنتهى الشفقة والعناية ، فتصير خصلة واحدة من الخصال الأربعة قطعية ، وكذلك سائر الخصال يتصور أن يحصل القطع به ، وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الأخبار بأنه أفصح الناس لسانا وأقدرهم بيانا وأقدرهم على نصرة الحق بل على تصوير الحق بالباطل والباطل بالحق فإذا عرفت التوكل فى هذا المثال فقس عليه التوكل على الله تعالى ، فإن ثبت فى نفسك كشف او باعتقاد جازم أنه لا فاعل إلا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العناية والعطف والرحمة بجملة العباد والآحاد وأنه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولاوراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة ، اتكل لامحالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت إلى غيره بوجه ولا إلى نفسه وحوله وقوته ، فإنه لاحول ولا قوة إلا بالله كما سبق فى التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة ، فإنّ الحول عبارة عن الحركة ، والقوة عبارة عن القدرة ، فإن كنت لاتجد هذه الحالة من نفسك فسببه أحد أمرين : إما ضعف اليقين بإحدى هذه الخصال الأربعة ، وإما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الأوهام الغالبة عليه ، فإن القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له عن غير نقصان فى اليقين ، فإنّ من يتناول عسلا فشبه بين يديه بالعذرة ربما نفر طبعه وتعذر عليه تناوله ، ولو كلف العاقل أن يبيت مع الميت فى قبر أو فراش أو بيت نفر طبعه عن ذلك وإن كان متيقنا بكونه ميتا وأنه جماد فى الحال وأنّ سنة الله تعالى مطردة بأنه لا يحشره الآن ولا يحييه وإن كان قادرا عليه ، كما أنها مطردة بأن لايقلب القلم الذى فى يده حية ولا يقلب السنور أسدا وإن كان قادرا عليه ، ومع أنه لايشك فى هذا اليقين ينفر طبعه عن مضاجعة الميت فى فراش أو المبيت معه فى البيت ولا ينفر عن سائر الجمادات ، وذلك جبن فى القلب وهو نوع ضعيف قلما يخلو الإنسان عن شىء منه وإن قل ، وقد يقوى فيصير مرضا حتى يخاف أن يبيت فى البيت وحده مع إغلاق الباب وإحكامه ، فإذن لايتم التوكل إلا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا ، إذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته ، فالسكون فى القلب شىء واليقين شىء آخر فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى لإبراهيم عليه السلام ﴿ أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى ﴾ فالتمس أن يكون مشاهدا إحياء الميت بعينه ليثبت فى خياله فإن النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين فى ابتداء أمرها إلى أن تبلغ بالآخرة إلى درجة النفس المطمئنة ؛ وذلك لا يكون فى البداية أصلا ، وكم من مطمئن لايقين له كسائر أرباب الملل والمذاهب ، فإنّ اليهودى مطمئن القلب إلى تهوّده ، وكذا النصرانى ولا يقين لهم أصلا ، وإنما يتبعون الظنّ وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين ، إلا أنهم معرضون عنه ، فإذن الجبن والجراءة غرائز ولا ينفع اليقين معها ، فهى أحد الأسباب التى تضاد حال التوكل ، كما أنّ ضعف اليقين بالخصال الأربعة أحد الأسباب ، وإذا اجتمعت هذه الأسباب حصلت الثقة بالله تعالى ؛ وقد قيل : مكتوب فى التوراة : ملعون من ثقته إنسان مثله ، وقد قال صلى الله عليه وسلم

« من استعز بالعبيد أذله الله تعالى [1] » وإذا انكشف لك معنى التوكل وعلمت الحالة التى سميت توكلا فاعلم أنّ تلك الحالة لها فى القوة والضعف ثلاث درجات :

(الدرجة الأولى) ماذكرناه : وهو أن يكون حاله فى حق الله تعالى والثقة بكفالته وعنايته كحاله فى الثقة بالوكيل (الثانية) وهى أقوى : أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه فإنه لايعرف غيرها ولا يفزع إلى أحد سواها ولا يعتمد إلا إياها ، فإذا رآها تعلق فى كل حال بذيلها ولم يخلها ، وإن نابه أمر فى غيبتها كان أول سابق إلى لسانه : يا أماه ، وأول خاطر يخطر فى قلبه أمه فإنها مفزعه ، فإنه قد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها ثقة ليست خالية عن نوع إدراك بالتمييز الذى له ، ويظن أنه طبع من حيث إنّ الصبى لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر على تلقين لفظه ولا على إحضاره مفصلا فى ذهنه ، ولكن كل ذلك وراء الإدراك ، فمن كان باله إلى الله عز وجل ونظره إليه واعتماده عليه كاف به كما يكاف الصبى بأمه فيكون متوكلا حقا : فانّ الطفل متوكل على أمه . والفرق بين هذا وبين الأول : أن هذا متوكل وقد فنى فى توكله عن توكله إذ ليس يلتفت قلبه إلى التوكل وحقيقته ، بل إلى المتوكل عليه فقط ، فلا مجال فى قلبه لغير المتوكل عليه . وأما الأول فيتوكل بالتكاف والكسب وليس فانيا عن توكله لأنّ له التفاتا إلى توكله وشعورا به ، وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده ، وإلى هذه الدرجة أشار سهل حيث سئل عن التوكل : ما أدناه ؟ قال : ترك الأمانى . قيل : وأوسطه ؟ قال ترك الاختيار ، وهو إشارة إلى الدرجة الثانية . وسئل عن أعلاه فلم يذكره وقال : لايعرفه إلا من بلغ أوسطه (الثالثة) وهى أعلاها : أن يكون بين يدى الله تعالى فى حركاته وسكناته مثل الميت بين يدى الغاسل لايفارقه إلا فى أنه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الأزلية كما تحرك يد الغاسل الميت ، وهو الذى قوى يقينه بأنه مجرى للحركة والقدرة والإرادة والعلم وسائر الصفات ، وأن كلا يحدث جبرا فيكون بائنا عن الانتظار لما يجرى عليه ، ويفارق الصبى فإنّ الصبى يفزع إلى أمه ويصيح ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها ، بل هو مثل صبى علم أنه وإن لم يزعق بأمه فالأم تطلبه وأنه وإن لم يتعلق بذيل أمه فالأم تحمله ، وإن لم يسألها اللبن فالأم تفاتحه وتسقيه ، وهذا المقام فى التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته ، وأنه يعطى ابتداء أفضل مما يسئل ، فكم من نعمة ابتدأها قبل السؤال والدعاء وبغير الاستحقاق ، والمقام الثانى لايقتضى ترك الدعاء والسؤال منه وإنما يقتضى ترك السؤال من غيره فقط .

* فإن قلت : فهذه الأحوال هل يتصور وجودها . فاعلم أن ذلك ليس بمحال ولكنه عزيز نادر ، والمقام الثانى والثالث أعزها ، والأول أقرب إلى الإمكان ، ثم إذا وجد الثالث والثانى فداومه أبعد منه ، بل يكاد لايكون المقام الثالث فى دوامه إلا كصفرة الوجل ، فإنّ انبساط القلب إلى ملاحظة الحول والقوة والأسباب طبع وانقباضه عارض ، كما إنّ انبساط الدم إلى جميع الأطراف طبع وانقباضه عارض . والوجل عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة إلى الباطن حتى تنمحى عن ظاهر البشرة الحمرة التى كانت ترى من وراء الرقيق من ستر البشرة ، فإنّ البشرة ستر رقيق تتراءى من ورائه حمرة الدم ، وانقباضه يوجب الصفرة وذلك لايدوم ، وكذا انقباض القلب بالكلية عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الأسباب الظاهرة لايدوم ، وأما المقام الثانى فيشبه صفرة المحموم فإنه قد يدوم يوما ويومين ، والأول يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد أن يدوم ولا يبعد أن يزول .

---

(١) حديث « من اعتز بالعبيد أذله الله » أخرجه العقيلى فى الضعفاء ، وأبو نعيم فى الحلية من حديث عمر ، أورده العقيلى فى ترجمة عبد الله بن عبد الله الأموى وقال : لايتابع على حديثه ، وقد ذكره ابن حبان فى الثقات وقال : يخالف فى روايته .

* فإن قلت : فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالأسباب فى هذه الأحوال ؟ فاعلم إنّ المقام الثالث ينفى التدبير رأسا مادامت الحالة باقية ، بل يكون صاحبها كالمبهوت . والمقام الثانى ينفى كل تدبير إلا من حيث الفزع إلى الله بالدعاء والابتهال كتدبير الطفل فى التعلق بأمه فقط . والمقام الأول لاينفى أصل التدبير والاختيار ولكن ينفى بعض التدبيرات كالمتوكل على وكيله فى الخصومة فإنه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لايترك التدبير الذى أشار إليه وكيله به أو التدبير الذى عرفه من عادته وسننه دون صريح إشارته ، فأما الذى يعرفه بإشارته بأن يقول له : لست أتكلم إلا فى حضورك فيشتغل لامحالة بالتدبير للحضور ، ولا يكون هذا مناقضا توكله عليه ، إذ ليس هو فزعا منه إلى حول نفسه وقوته فى إظهار الحجة ولا إلى حول غيره ، بل من تمام توكله عليه أن يفعل مارسمه له ؛ إذ لو لم يكن متوكلا عليه ولا معتمداً له فى قوله لما حضر ؛ فقوله وأما المعلوم من عادته واطراد سننه : فهو أن يعلم من عادته أن لايحاج الخصم إلا من السجل ، فتمام توكله إن كان متوكلا عليه : أن يكون معولا على سنته وعادته ووافيا بمقتضاها : وهو أن يحمل السجل مع نفسه إليه عند مخاصمته ؛ فإذن لايستغنى عن التدبير فى الحضور وعن التدبير فى إحضار السجل ، ولو ترك شيئا من ذلك كان نقصا فى توكله فكيف يكون فعله نقصا فيه ، نعم بعد أن حضر وفاء باشارته وأحضر السجل وفاء بسنته وعادته وقعد ناظراً إلى محاجته فقد ينتهى إلى المقام الثانى والثالث فى حضوره حتى يبقى كالمبهوت المنتظر لايفزع إلى حوله وقوته إذ لم يبق له حول ولا قوة ، وقد كان فزعه إلى حوله وقوته فى الحضور وإحضار السجل بإشارة الوكيل وسننه ، وقد انتهى نهايته فلم يبق إلا طمأنينة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجرى ، وإذا تأملت هذا اندفع عنك كل إشكال فى التوكل وفهمت أنه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وأنّ كل تدبير وعمل لايجوز أيضا مع التوكل بل هو على الانقسام وسيأتى تفصيله فى الأعمال ، فإذا فزع المتوكل إلى حوله وقوته فى الحضور والإحضار لايناقض التوكل لأنه يعلم أنه لولا الوكيل لكان حضوره وإحضاره باطلا وتعباً محضا بلا جدوى ؛ فإذن لايصير مفيداً من حيث إنه حوله وقوته بل من حيث إنّ الوكيل جعله معتمداً لحاجته ، وعرّفه ذلك بإشارته وسننه ، فإذن لاحول ولا قوة إلا بالوكيل ، إلا أن هذه الكلمة لايكمل معناها فى حق الوكيل لأنه ليس خالقا حوله وقوته ، بل هو جاعل لهما مفيدين فى أنفسهما ولم يكونا مفيدين لولا فعله ، وإنما يصدق ذلك فى حق الوكيل الحق وهو الله تعالى إذ هو خالق الحول والقوة كما سبق فى التوحيد وهو الذى جعلهما مفيدين إذ جعلهما شرطا لما سيخلقه من بعدهما من الفوائد والمقاصد ، فإذن لاحول ولا قوة إلا بالله حقاً وصدقا ، فمن شاهد هذا كله كان له الثواب العظيم الذى وردت به الأخبار فيمن يقول لاحول ولا قوة إلا بالله [1] ، وذلك قد يستبعد فيقال : كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب بمفهوم لفظها ؟ وهيهات فإنما ذلك جزاء على هذه المشاهدة التى ذكرناها فى التوحيد ، ونسبة هذه الكلمة وثوابها إلى كلمة (لاإله إلا الله) وثوابها كنسبة معنى إحداهما إلى الأخرى ، إذ فى هذه الكلمة إضافة إلى شيئين إلى الله تعالى فقط وهما الحول والقوة ، وأما كلمة لا إله إلا الله فهو نسبة الكل اليه ، فانظر الى التفاوت بين الكل وبين شيئين لتعرف به ثواب (لا إله إلا الله) بالإضافة إلى هذا ، وكما ذكرنا من قبل أن للتوحيد قشرين ولبين ، فكذلك لهذه الكلمة ولسائر الكلمات ، وأكثر الخلق قيدوا بالقشرين وما طرقوا إلى اللبين ، وإلى اللبين الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « من قال لا إله إلا الله

(١) أحاديث ثواب قول لاحول ولاقوة الا بالله : تقدمت فى الدعوات .

صادقا من قلبه مخلصا وجبت له الجنة [1] ، وحيث أطلق من غير الصدق والإخلاص أراد بالمطلق هذا المقيد كما أضاف المغفرة إلى الإيمان والعمل الصالح فى بعض المواضع ، وأضافها إلى مجرد الإيمان فى بعض المواضع ، والمراد به المقيد بالعمل الصالح ، فالملك لاينال بالحديث وحركة اللسان حديث وعقد القلب أيضا حديث ولكنه حديث نفس ، وإنما الصدق والإخلاص وراءهما ، ولا ينصب سرير الملك إلا للمقربين وهم المخلصون ، نعم لمن يقرب منهم فى الرتبة من أصحاب اليمين أيضا درجات عند الله تعالى وإن كانت لاتنتهى إلا بالملك ، أما ترى أن الله سبحانه لما ذكر فى سورة الواقعة المقربين السابقين تعرض لسرير الملك فقال ﴿ على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين ﴾ ولما انتهى إلى أصحاب اليمين مازاد فى ذكر الماء والظل والفواكه والأشجار والحور العين ، وكل ذلك من لذات المنظور والمشروب والمأكول والمنكوح ، ويتصور ذلك للبهائم على الدوام ، وأين لذات البهائم من لذة الملك ، والنزول فى أعلى عليين فى جوار رب العالمين ، ولوكان لهذه اللذات قدر لما وسعت على البهائم ولما رفعت عليها درجة الملائكة ، أفترى أن أحوال البهائم - وهى مسيبة فى الرياض متنعمة بالماء والأشجار وأصناف المأكولات متمتعة بالنزوان والسفاد - أعلى وألذ وأشرف وأجدر بأن تكون عند ذوى الكمال مغبوطة - من أحوال الملائكة فى سرورهم بالقرب من جوار رب العالمين فى أعلى عليين ، هيهات هيهات ماأبعد عن التحصيل من إذا خير بين أن يكون حمارا أو يكون فى درجة جبريل عليه السلام فيختار درجة الحمار على درجة جبريل عليه السلام ! وليس يخفى أن شبه كل شىء منجذب إليه ، وأن النفس التى نزوعها إلى صنعة الأساكفة أكثر من نزوعها إلى صنعة الكتابة ، فهو بالأساكفه أشبه فى جوهره منه بالكتاب ، وكذلك من نزوع نفسه إلى نيل لذات البهائم أكثر من نزوعها إلى نيل لذات الملائكة ، فهو بالبهائم أشبه منه بالملائكة لامحالة ، وهؤلاء هم الذين يقال فيهم ﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل ﴾ وإنما كانوا أضل لأن الأنعام ليس فى قوتها طلب درجة الملائكة ، فتركها الطلب للعجز . وأما الإنسان ففى قوته ذلك ، والقادر على نيل الكمال أحرى بالذم وأجدر بالنسبة إلى الضلال مهما تقاعد عن طلب الكمال . وإذا كان هذا كلاما معترضا فلنرجع إلى المقصود فقد بينا معنى قول (لا إله إلا الله) ومعنى قول (لاحول ولاقوة إلا بالله) وإن من ليس قائلا بهما عن مشاهدة فلا يتصور منه حال التوكل .

* فإن قلت : ليس فى قولك (لاحول ولاقوة إلا بالله) إلا نسبة شيئين إلى الله ، فلوقال قائل ، السماء والأرض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه ؟ فأقول : لا ، لأن الثواب على قدر درجة المثاب عليه ولامساواة بين الدرجتين ولاينظر إلى عظم السماء والأرض وصغر الحول والقوة إن جاز وصفهما بالصغر تجوزا ، فليست الأمور بعظم الأشخاص بل كل عامى يفهم أن الأرض والسماء ليستا من جهة الآدميين بل هما من خلق الله تعالى ، فأما الحول والقوة فقد أشكل أمرهما على المعتزلة والفلاسفة وطوائف كثيرة ممن يدعى أنه يدقق النظر فى الرأى والمعقول حتى يشق الشعر بحدة نظره ، فهى مهلكة مخطرة ومزلة عظيمة هلك فيها الغافلون إذ أثبتوا لأنفسهم أمرا وهو شرك فى التوحيد وإثبات خالق سوى الله تعالى ، فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله تعالى إياه فقد علت رتبته وعظمت درجته فهو الذى يصدق قول لاحول ولاقوة إلا بالله ، وقد ذكرنا أنه ليس فى التوحيد إلا عقبتان (إحداهما) النظر

---

(١) حديث « من قال لااله إلا الله صادقا مخلصا من قلبه وجبت له الجنة » رواه الطبرانى من حديث زيد بن أرقم ، وأبو يعلى من حديث أبى هريرة ، وقد تقدم .

إلى السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والغيم والمطر وسائر الجمادات (والثانية) النظر إلى اختيار الحيوانات وهى أعظم العقبتين وأخطرهما وبقطعهما كمال سر التوحيد فلذلك عظم ثواب هذه الكلمة أعنى ثواب المشاهدة التى هذه الكلمة ترجمتها ؛ فإذاً رجع حال التوكل إلى التبرى من الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق ، وسيتضح عند ذكرنا تفصيل أعمال التوكل إن شاء الله تعالى .

بيان ماقاله الشيوخ فى أحوال التوكل

ليتبين أنّ شيئا منها لايخرج عما ذكرنا ولكن كل واحد يشير إلى بعض الأحوال ، فقد قال أبو موسى الديلى : قلت لأبى يزيد : ما التوكل ؟ فقال : ماتقول أنت ؟ قلت : إن أصحابنا يقولون : لو أن السباع والأفاعى عن يمينك ويسارك ماتحرّك لذلك سرك . فقال أبو يزيد : نعم هذا قريب ولكن لو أن أهل الجنة فى الجنة يتنعمون وأهل النار فى النار يعذبون ثم وقع بك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل ، فما ذكره أبو موسى فهو خبر عن أجل أحوال التوكل وهو المقام الثالث ، وما ذكره أبو يزيد عبارة عن أعز أنواع العلم الذى هو من أصول التوكل وهو العلم بالحكمة ، وأن ما فعله الله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين أهل النار وأهل الجنة بالإضافة إلى أصل العدل والحكمة وهذا أغمض أنواع العلم ووراءه سر القدر ، وأبو يزيد قلما يتكلم إلا عن أعلى المقامات وأقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن الحيات شرطا فى المقام الأوّل من التوكل ؛ فقد احترز أبو بكر رضى الله عنه فى الغار إذ سدّ منافذ الحيات [1] إلا أن يقال فعل ذلك برجله ولم يتغير بسببه سره ، أو يقال : إنما فعل ذلك شفقة فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم لافى حق نفسه ، وإنما يزول التوكل بتحرّك سره وتغيره لأمر يرجع إلى نفسه ، وللنظر فى هذا مجال ، ولكن سيأتى بيان أن أمثال ذلك وأكثر منه لايناقض التوكل ، فإنّ حركة السر من الحيات هو الخوف ، وحق المتوكل أن يخاف مسلط الحيات ، إذ لاحول للحيات ولا قوة لها إلا بالله ، فإن احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته فى الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير .

وسئل ذو النون المصرى عن التوكل ؟ فقال : خلع الأرباب وقطع الأسباب ، فخلع الأرباب إشارة إلى علم التوحيد ، وقطع الأسباب إشارة إلى الأعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وإن كان اللفظ يتضمنه فقيل له : زدنا ! فقال : إلقاء النفس فى العبودية وإخراجها من الربوبية ، وهذا إشارة إلى التبرى من الحول والقوة فقط .

وسئل حمدون القصار عن التوكل ؟ فقال : إن كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانق دين لم تأمن أن تموت ويبقى دينك فى عنقك ، ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وفاء لاتيأس من الله تعالى أن يقضيها عنك ، وهذا إشارة إلى مجرّد الإيمان بسعة القدرة ، وأن فى المقدورات أسبابا خفية سوى هذه الأسباب الظاهرة .

وسئل أبو عبد الله القرشى عن التوكل ؟ فقال : التعلق بالله تعالى فى كل حال ، فقال السائل : زدنى ! فقال : ترك كل سبب يوصل إلى سبب حتى يكون الحق هو المتولى لذلك ، فالأوّل عام للمقامات الثلاث ، والثانى إشارة إلى المقام الثالث خاصة ، وهو مثل توكل إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال له جبريل عليه السلام : ألك حاجة ؟ فقال : أما إليك فلا ، إذ كان سؤاله سببا يفضى إلى سبب وهو حفظ جبريل له ، فترك ذلك ثقة بأن الله تعالى إن أراد سخر جبريل لذلك ، فيكون هو المتولى لذلك ، وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بالله تعالى فلم يرمعه غيره ،

(١) حديث : إن أبا بكر سد منافذ الحيات فى الغار شفقة على النبى صلى الله عليه وسلم . تقدم .

وهو حال عزيز فى نفسه ، ودوامه إن وجد أبعد منه وأعز .

وقال أبو سعيد الخراز : التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ، ولعله يشير إلى المقام الثانى ، فسكونه بلا اضطراب : إشارة إلى سكون القلب إلى الوكيل وثقته به ، واضطراب بلا سكون : إشارة إلى فزعه إليه وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيديه إلى أمه وسكون قلبه إلى تمام شفقتها .

وقال أبو على الدقاق . التوكل ثلاث درجات : التوكل ، ثم التسليم ، ثم التفويض ، فالمتوكل يسكن إلى وعده ، والمسلم يكتفى بعلمه ، وصاحب التفويض يرضى بحكمه . وهذا إشارة إلى تفاوت درجات نظره بالإضافة إلى المنظور إليه ، فإنّ العلم هو الأصل ، والوعد يتبعه ، والحكم يتبع الوعد ، ولا يبعد أن يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شىء من ذلك ؛ وللشيوخ فى التوكل أقاويل سوى ماذكرناه فلا نطول بها فإن الكشف أنفع من الرواية والنقل ، فهذا مايتعلق بحال التوكل ، والله الموفق برحمته ولطفه .

بيان أعمال المتوكلين

اعلم أن العلم يورث الحال ، والحال يثمر الأعمال ، وقد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة وكاللحم على الوضم وهذا ظن الجهال ، فإنّ ذلك حرام فى الشرع ، والشرع قد أثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين ، بل نكشف الغطاء عنه ونقول إنما يظهر تأثير التوكل فى حركة العبد وسعيه بعلمه إلى مقاصده ، وسعى العبد باختياره إما أن يكون لأجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب ، أو لحفظ نافع هو موجود عنده كالادّخار ، أو لدفع ضارّ لم ينزل به كدفع الصائل والسارق والسباع ، أو لإزالة ضارّ قد نزل به كالتداوى من المرض ، فمقصود حركات العبد لا تعدو هذه الفنون الأربعة وهو جلب النافع أو حفظه ، أو دفع الضارّ أو قطعه ، فلنذكر شروط التوكل ودرجاته فى كل واحد منها مقرونا بشواهد الشرع .

(الفن الأوّل : فى جلب النافع) فنقول فيه : الأسباب التى بها يجلب النافع على ثلاث درجات : مقطوع به ، ومظنون ظنا يوثق به ، وموهوم وهما لاتثق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن إليه .

(الدرجة الأولى) المقطوع به ، وذلك مثل الأسباب التى ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطردا لايختلف ، كما أنّ الطعام إذا كان موضوعا بين يديك وأنت جائع محتاج ولكنك لست تمدّ اليد إليه وتقول أنا متوكل ، وشرط التوكل ترك السعى ومدّ اليد إليه سعى وحركة وكذلك مضغه بالأسنان وابتلاعه بإطباق أعالى الحنك على أسافله ، فهذا جنون محض وليس من التوكل فى شىء ، فإنك إن انتظرت أن يخلق الله تعالى فيك شبعا دون الخبز ، أو يخلق فى الخبز حركة إليك ، أو يسخر ملكا ليمضغه لك ويوصله إلى معدتك : فقد جهلت سنة الله تعالى ، وكذلك لو لم تزرع الأرض وطمعت فى أن يخلق الله تعالى نباتا من غير بذر ، أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام : فكل ذلك جنون وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن إحصاؤه ، أليس التوكل فى هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم . أما العلم : فهو أن تعلم أن الله تعالى خلق الطعام واليد والأسنان وقوة الحركة وأنه هو الذى يطعمك ويسقيك . وأما الحال فهو أن يكون سكون قلبك واعتمادك على فعل الله تعالى لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف فى الحال وتفلج ؟ وكيف تعول على قدرتك وربما يطرأ عليك فى الحال مايزيل عقلك ويبطل قوة حركتك ؟ وكيف تعول على حضور الطعام ، وربما يسلط الله تعالى

من يغلبك عليه أو يبعث حية تزعجك عن مكانك وتفرق بينك وبين طعامك . وإذا احتمل أمثال ذلك ولم يكن لها علاج إلا بفضل الله تعالى فبذلك فلتفرح وعليه فلتعول ، فإذا كان هذا حاله وعلمه فليمدّ اليد فإنه متوكل .

(الدرجة الثانية) الأسباب التى ليست متيقنة ولكن الغالب أنّ المسببات لاتحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا ، كالذى يفارق الأمصار والقوافل ويسافر فى البوادى التى لايطرقها الناس إلا نادرا ويكون سفره من غير استصحاب زاد ، فهذا ليس شرطا فى التوكل ، بل استصحاب الزاد فى البوادى سنة الأوّلين ، ولا يزول التوكل به بعد أن يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق ، ولكن فعل ذلك جائز . وهو من أعلى مقامات التوكل ولذلك كان يفعله الخوّاص .

وإن قلت : فهذا سعى فى الهلاك وإلقاء النفس فى التهلكة . فاعلم أنّ ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين (أحدهما) أن يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدها وسواها على الصبر عن الطعام أسبوعا وما يقاربه بحيث يصبر عنه بلا ضيق قلب وتشوّش خاطر وتعذر فى ذكر الله تعالى (والثانى) أن يكون بحيث يقوى على التقوت بالحشيش ومايتفق من الأشياء الخسيسة ؛ فبعد هذين الشرطين لايخلو فى غالب الأمر فى البوادى فى كل أسبوع عن أن يلقاه آدمى أو ينتهى إلى حلة أو قرية أو إلى حشيش يجتزئ به فيحيا به مجاهدا نفسه . والمجاهدة عماد التوكل ، وعلى هذا كان يعول الخوّاص ونظراؤه من المتوكلين . والدليل عليه أنّ الخواص كان لا تفارقه الإبرة والمقراض والحبل والركوة ويقول : هذا لا يقدح فى التوكل . وسببه أنه علم أنّ البوادى لايكون الماء فيها على وجه الأرض ، وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البئر بغير دلو ولا حبل ولا يغلب وجود الحبل والدلو فى البوادى كما يغلب وجود الحشيش ، والماء يحتاج إليه لوضوئه كل يوم مرات ولعطشه فى كل يوم أو يومين مرة ؛ فإنّ المسافر مع حرارة الحركة لايصبر عن الماء وإن صبر عن الطعام ، وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق فتنكشف عورته ولايوجد المقراض والإبرة فى البوادى غالبا عند كل صلاة ، ولايقوم مقامهما فى الخياطة والقطع شىء مما يوجد فى البوادى ، فكل مافى معنى هذه الأربعة أيضا يلتحق بالدرجة الثانية . لأنه مظنون ظنا ليس مقطوعا به ، لأنه يحتمل أن لايتحرق الثوب أو يعطيه إنسان ثوبا أو يجد على رأس البئر من يسقيه ، ولا يحتمل أنّ يتحرك الطعام ممضوغا إلى فيه ، فبين الدرجتين فرقان ولكن الثانى فى معنى الأوّل ، ولهذا نقول : لو انحاز إلى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلا ، فهو آثم به ساع فى هلاك نفسه ، كما روى أنّ زاهدا من الزهاد فارق الأمصار وأقام فى سفح جبل سبعا وقال : لا أسأل أحدا شيئا حتى يأتينى ربى برزقى ، فقعد سبعة فكاد يموت ولم يأته رزق ، فقال : يارب إن أحييتنى فائتنى برزقى الذى قسمت لى وإلا فاقبضنى إليك ، فأوحى الله جل ذكره إليه . وعزتى لاأرزقنك حتى تدخل الأمصار وتقعد بين الناس . فدخل المصر وقعد ، فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب ، فأكل وشرب وأوجس فى نفسه من ذلك ، فأوحى الله تعالى إليه . أردت أن تذهب حكمتى بزهدك فى الدنيا ! أما علمت أنى أرزق عبدى بأيدى عبادى أحب إلى من أن أرزقه بيد قدرتى ، فإذن التباعد عن الأسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الأسباب لايناقض التوكل كما ضربناه مثلا فى الوكيل بالخصومة من قبل ، ولكنّ الأسباب تنقسم إلى ظاهرة وإلى خفية ، فمعنى التوكل الاكتفاء بالأسباب الخفية عن الأسباب الظاهرة مع سكون النفس إلى مسبب السبب لا إلى السبب .

فإن قلت: ما قولك فى القعود فى البلد بغير كسب، أهو حرام أو مباح أو مندوب ؟ فاعلم أن ذلك ليس بحرام لأنه كفعل صاحب السياحة فى البادية إذا لم يكن مهلكا نفسه فهذا كيف كان لم يكن مهلكا نفسه حتى يكون فعله حراما ، بل لا يبعد أن يأتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتأخر عنه ، والصبر ممكن إلى أن يتفق ، ولكن لو أغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لأحد إليه ففعله ذلك حرام ، وإن فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة فالكسب والخروج أولى له ، ولكن ليس فعله حراما إلا أن يشرف على المرت : فعند ذلك يلزمه الخروج والسؤال والكسب ، وإن كان مشغول القلب بالله غير مستشرف إلى الناس ولا متطلع إلى من يدخل من الباب فيأتيه برزقه ، بل تطلعه إلى فضل الله تعالى واشتغاله بالله ، فهو أفضل ، وهو من مقامات التوكل ؛ وهو أن يشتغل بالله تعالى ولا يهتم برزقه ، فإن الرزق يأتيه لا محالة ، وعند هذا يصح ما قاله بعض العلماء : وهو أن العبد لو هرب من رزقه لطلبه ، كما لو هرب من الموت لأدركه ، وأنه لو سأل الله تعالى أن لا يرزقه لما استجاب وكان عاصيا ، ولقال له : يا جاهل ، كيف أخلقك ولا أرزقك ؟ ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما : اختلف الناس فى كل شىء إلا فى الرزق والأجل ، فإنهم أجمعوا على أن لا رزاق ولا مميت إلا الله تعالى . وقال صلى الله عليه وسلم « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعائكم الجبال [1] » وقال عيسى عليه السلام : انظروا إلى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يوما بيوم ؛ فإن قلتم نحن أكبر بطونا فانظروا إلى الأنعام كيف قيض الله تعالى لها هذا الحق للرزق . وقال أبو يعقوب السوسى : المتوكلون تجرى أرزاقهم على أيدى العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون . وقال بعضهم : العبيد كلهم فى رزق الله تعالى ، لكن بعضهم يأكل بذل كالسؤال ، وبعضهم بتعب وانتظار كالتجار ، وبعضهم بامتهان كالصناع ، وبعضهم بعز كالصوفية يشهدون العزيز فيأخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة (الدرجة الثالثة) ملابسة الأسباب التى يتوهم إفضاؤها إلى المسببات من غير ثقة ظاهرة ، كالذى يستقصى فى التدبيرات الدقيقة فى تفصيل الاكتساب ووجوهه ، وذلك يخرج بالكلية عن درجات التوكل كلها ، وهو الذى فيه الناس كلهم : أعنى من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا مباحا لمال مباح ، فأما أخذ الشبهة أو اكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الأسباب ، فلا يخفى أن ذلك يبطل التوكل وهذا مثل الأسباب التى نسبتها إلى جلب النافع مثل نسبة الرقية والطير والكى بالإضافة إلى إزالة الضار ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم وصف المتوكلين بذلك ولم يصفهم بأنهم لا يكتسبون ولا يسكنون الأمصار ولا يأخذون من أحد شيئا ، بل وصفهم بأنهم يتعاطون هذه الأسباب ، وأمثال هذه الأسباب التى يوثق بها فى المسببات مما يكثر فلا يمكن إحصاؤها . وقال سهل فى التوكل : إنه ترك التدبير وقال : إن الله خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه ، وإنما حجابهم بتدبيرهم ، ولعله أراد به استنباط الأسباب البعيدة بالفكر فهى التى تحتاج إلى التدبير دون الأسباب الجلية ، فإذن قد ظهر أن الأسباب منقسمة إلى ما يخرج التعلق بها عن التوكل وإلى ما لا يخرج ، وأن الذى يخرج ينقسم إلى مقطوع به وإلى مظنون ، وأن المقطوع به لا يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الأسباب ، فالتوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل . وأما المظنونات

---

(١) حديث « لو توكلتم على الله حق توكله ... الحديث » وزاد فى آخره « ولزالت بدعائكم الجبال » وقد تقدما قريبا دون هذه الزيادة ، فرواها الإمام محمد بن نصر فى كتاب تعظيم قدر الصلاة من حديث معاذ بن جبل بإسناد فيه لين « لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال » ورواه البيهقى فى الزهد من رواية وهيب المكى مرسلا دون قوله « لمشيتم على البحور » وقال : هذا منقطع .

فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعا ، والمتوكلون فى ملابسة هذه الأسباب على ثلاثة مقامات :

(الأول) مقام الخواص ونظرائه ، وهو الذى يدور فى البوادى بغير زاد ثقة بفضل الله تعالى عليه فى تقويته على الصبر أسبوعا وما فوقه ، أو تيسير حشيش له أو قوت ، أو تثبيته على الرضا بالموت إن لم يتيسر شىء من ذلك ، فإن الذى يحمل الزاد قد يفقد الزاد أو يضل بعيره ويموت جوعا ، فذلك ممكن مع الزاد كما أنه يمكن مع فقده .

(المقام الثانى) أن يقعد فى بيته أو فى مسجد ولكنه فى القرى والأمصار ، وهذا أضعف من الأول ، لكنه أيضا متوكل لأنه تارك للكسب والأسباب الظاهرة ، معول على فضل الله تعالى فى تدبير أمره من جهة الأسباب الخفية ، ولكنه بالقعود فى الأمصار متعرض لأسباب الرزق ، فإن ذلك من الأسباب الجالبة ، إلا أن ذلك لا يبطل توكله إذا كان نظره إلى الذى يسخر له سكان البلد لإيصال رزقه إليه لا إلى سكان البلد ، إذ يتصور أن يغفل جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله تعالى بتعريفهم وتحريك دواعيهم .

(المقام الثالث) أن يخرج ويكتسب اكتسابا على الوجه الذى ذكرناه فى الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب ، وهذا السعى لا يخرجه أيضا عن مقامات التوكل إذا لم يكن طمأنينة نفسه إلى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته ، فإن ذلك ربما يهلكه الله تعالى جميعه فى لحظة ، بل يكون نظره إلى الكفيل الحق بحفظ جميع ذلك وتيسير أسبابه له ، بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالإضافة إلى قدرة الله تعالى كما يرى القلم فى يد الملك الموقع ، فلا يكون نظره إلى القلم بل إلى قلب الملك أنه بماذا يتحرك ؟ وإلى ماذا يميل ؟ وبم يحكم ؟ ثم إن كان هذا المكتسب مكتسبا لعياله أو ليفرق على المساكين فهو ببدنه مكتسب وبقلبه عنه منقطع ؛ فحال هذا أشرف من حال القاعد فى بيته ، والدليل على أن الكسب لا ينافى حال التوكل إذا روعيت فيه الشروط وانضاف إليه الحال والمعرفة كما سبق أن الصديق رضى الله عنه لما بويع بالخلافة أصبح آخذا الأثواب تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادى ، حتى كرهه المسلمون وقالوا : كيف تفعل ذلك وقد أقمت لخلافة النبوة ؟ فقال : لا تشغلونى عن عيالى فإنى إن أضعتهم كنت لما سواهم أضيع حتى فرضوا له قوت أهل بيت من المسلمين ، فلما رضوا بذلك رأى مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين أولى ، ويستحيل أن يقال : لم يكن الصديق فى مقام التوكل ! فمن أولى بهذا المقام منه ؟ فدل على أنه كان متوكلا لا باعتبار ترك الكسب والسعى بل باعتبار قطع الالتفات إلى قوته وكفايته والعلم بأن الله هو ميسر الاكتساب ومدبر الأسباب وبشروط كان يراعيها فى طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار ومن غير أن يكون درهمه أحب إليه من درهم غيره ، فمن دخل السوق ودرهمه أحب إليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب لها ، ولا يصح التوكل إلا مع الزهد فى الدنيا ، نعم يصح الزهد دون التوكل فإن التوكل مقام وراء الزهد . وقال أبو جعفر الحداد ـ وهو شيخ الجنيد رحمة الله عليهما وكان من المتوكلين : أخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق : كنت أكتسب فى كل يوم دينارا ولا أبيت منه دانقا ولا أستريح منه إلى قيراط أدخل به الحمام ، بل أخرجه كله قبل الليل . وكان الجنيد لا يتكلم فى التوكل بحضرته وكان يقول : أستحى أن أتكلم فى مقامه وهو حاضر عندى . واعلم أن الجلوس فى رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل ، فإن لم يكن معلوم ووقف وأمروا الخادم بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل إلا على ضعف ، ولكن يقوى بالحال والعلم ، كتوكل المكتسب ؛ وإن لم يسألوا بل قنعوا بما يحمل

إليهم فهذا أقوى فى توكلهم ، لكنه بعد اشتهار القوم بذلك فقد صار لهم سوقا ، فهو كدخول السوق ، ولايكون داخل السوق متوكلا إلا بشروط كثيرة كما سبق .

* فإن قلت : فما الأفضل أن يقعد فى بيته ، أويخرج ويكتسب ؟ فاعلم أنه إن كان يتفرغ بترك الكسب لفكر وذكر وإخلاص واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لاتستشرف نفسه إلى الناس فى انتظار من يدخل عليه فيحمل إليه شيئا بل يكون قوى القلب فى الصبر والاتكال على الله تعالى ، فالقعود له أولى . وإن كان يضطرب قلبه فى البيت ويستشرف إلى الناس فالكسب أولى ، لأن استشراف القلب إلى الناس سؤال بالقلب ، وتركه أهم من ترك الكسب ، وماكان المتوكلون يأخذون ماتستشرف إليه نفوسهم : كان أحمد بن حنبل قد أمر أبا بكر المروزى أن يعطى بعض الفقراء شيئا فضلا عما كان استأجره عليه ، فرده ، فلما ولى قال له أحمد : الحقه وأعطه فإنه يقبل ، فلحقه وأعطاه فأخذه ، فسأل أحمد عن ذلك ؟ فقال : كان قد استشرفت نفسه فرد ، فلما خرج انقطع طمعه وأيس فأخذ . وكان الخواص رحمه الله إذا نظر إلى عبد فى العطاء أوخاف اعتياد النفس لذلك لم يقبل منه شيئا . وقال الخواص بعد أن سئل عن أعجب مارآه فى أسفاره : رأيت الخضر ورضى بصحبتى ولكنى فارقته خيفة أن تسكن نفسى إليه فيكون نقصا فى توكلى ، فإذن المكتسب إذا راعى آداب الكسب وشروط نيته كما سبق فى كتاب الكسب وهو أن لا يقصد به الاستكثار ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته كان متوكلا .

* فإن قلت : فما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية ؟ فأقول : علامته أنه إن سرقت بضاعته أوخسرت تجارته أو تعوق أمر من أموره كان راضيا به ولم تبطل طمأنينته ولم يضطرب قلبه ، بل كان حال قلبه فى السكون قبله وبعده واحدا ، فإن من لم يسكن إلى شىء لم يضطرب لفقده ، ومن اضطرب لفقد شىء فقد سكن إليه ، وكان بشر يعمل المغازل فتركها ، وذلك لأن البعادى كاتبه قال : بلغنى أنك استعنت على رزقك بالمغازل ، أرأيت إن أخذ الله سمعك وبصرك الرزق على من ؟ فوقع ذلك فى قلبه فأخرج آلة المغازل من يده وتركها . وقيل : تركها لما نوهت باسمه رقصد لأجلها . وقيل : فعل ذلك لما مات عياله ، كما كان لسفيان خمسون دينارا يتجر فيها ، فلما مات عياله فرقها .

* فإن قلت : فكيف يتصور أن يكون له بضاعة ولايسكن إليها وهو يعلم أن الكسب بغير بضاعة لايمكن ؟ فأقول : بأن يعلم أن الذين يرزقهم الله تعالى بغير بضاعة فيهم كثرة ، وأن الذين كثرت بضاعتهم فسرقت وهلكت فيهم كثرة ، وأن يوطن نفسه على أن الله لايفعل به إلا مافيه صلاحه ، فإن أهلك بضاعته فهو خير له فلعله لو تركه كان سببا لفساد دينه وقد لطف الله تعالى به ، وغايته أن يموت جوعا ، فينبغى أن يعتقد أن الموت جوعا خيرله فى الآخرة مهما قضى الله تعالى عليه بذلك من غير تقصير من جهته ، فإذا اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة وعدمها ، ففى الخبر « إن العبد ليهم من الليل بأمر من أمور التجارة مما لو فعله لكان فيه هلاكه فينظر الله تعالى إليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا يتطير بجاره وابن عمه : من سبقنى ؟ من دهانى ؟ وماهى إلا رحمة رحمه الله بها[1] » ولذلك قال عمر رضى الله عنه : لاأبالى أصبحت غنيا أو فقيرا : فإنى

(١) حديث « إن العبد ليهم من الليل بأمر من أمور التجارة مما لو فعله لكان فيه هلاكه فينظر الله إليه من فوق عرشه فيصرفه عنه ... الحديث » أخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف جدا نحوه ، إلا أنه قال « إن العبد ليعرف على حاجة من حاجات الدنيا ... الحديث » بنحوه .

لا أدرى أيهما خير لى ، ومن لم يتكامل يقينه بهذه الأمور لم يتصور منه التوكل ؛ ولذلك قال أبو سليمان الدارانى لأحمد بن أبى الحوارى : لى من كل مقام نصيب إلا من هذا التوكل المبارك فإنى ماشممت منه رائحة ، هذا كلامه مع علو قدره ، ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال : ما أدركته ، ولعله أراد إدراك أقصاه ، وما لم يكمل الإيمان بأن لا فاعل إلا الله ولا رازق سواه وأن كل ما يقدّره على العبد من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه العبد : لم يكمل حال التوكل ؛ فبناء التوكل على قوة الإيمان بهذه الأمور - كما سبق - وكذا سائر مقامات الدين من الأقوال والأعمال تنبنى على أصولها من الإيمان . وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعى قوة القلب وقوة اليقين ، ولذلك قال سهل : من طعن على التكسب فقد طعن على السنة ، ومن طعن على ترك التكسب فقد طعن على التوحيد .

* فإن قلت : فهل من دواء ينتفع به فى صرف القلب عن الركون إلى الأسباب الظاهرة وحسن الظنّ بالله تعالى فى تيسير الأسباب الخفية ؟ فأقول : نعم ، هو أن تعرف أنّ سوء الظنّ تلقين الشيطان ، وحسن الظن تلقين الله تعالى : قال الله تعالى ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ﴾ فإنّ الإنسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف الشيطان ، ولذلك قيل : الشفيق بسوء الظن مولع ، وإذا انضم إليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلين على الأسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظن وبطل التوكل بالكلية ، بل رؤية الرزق من الأسباب الخفية أيضا تبطل التوكل ، فقد حكى عن عابد أنه عكف فى مسجد ولم يكن له معلوم ، فقال له الإمام : لو اكتسبت لكان أفضل لك ، فلم يجبه حتى أعاد عليه ثلاثا ، فقال فى الرابعة : يهودى فى جوار المسجد قد ضمن لى كل يوم رغيفين ، فقال : إن كان صادقا فى ضمانه فعكوفك فى المسجد خير لك ، فقال : يا هذا لو لم تكن إماما تقف بين يدى الله وبين العباد مع هذا النقص فى التوحيد كان خيرا لك إذ فضلت وعد يهودى على ضمان الله تعالى بالرزق وقال إمام المسجد لبعض المصلين : من أين تأكل ؟ فقال : يا شيخ اصبر حتى أعيد الصلاة التى صليتها خلفك ثم أجيبك .

وينفع حسن الظن بمجىء الرزق من فضل الله تعالى بواسطة الأسباب الخفية : أن تسمع الحكايات التى فيها عجائب صنع الله تعالى فى وصول الرزق إلى صاحبه ، وفيها عجائب قهر الله تعالى فى إهلاك أموال التجار والأغنياء وقتلهم جوعا ، كما روى عن حذيفة المرعشى وقد كان خدم إبراهيم بن أدهم ، فقيل له : ما أعجب مارأيت منه ؟ فقال : بقينا فى طريق مكة أياما لم نجد طعاما ، ثم دخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خراب ، فنظر إلى إبراهيم وقال : ياحذيفة ، أرى بك الجوع ، فقلت : هو مارأى الشيخ ، فقال : على بدواة وقرطاس ، فجئت به إليه فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، أنت المقصود إليه بكل حال ، والمشار إليه بكل معنى ، وكتب شعرا :

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر أنا جائع أنا ضائع أنا عارى
هى ستة وأنا الضمين لنصفها فكن الضمين لنصفها يا بارى
مدحى لغيرك لهب نار خضتها فأجر عبيدك من دخول النار

ثم دفع إلى الرقعة فقال : اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى ، وادفع الرقعة إلى أول من يلقاك ، فخرجت فأول من لقينى كان رجلا على بغلة . فناولته الرقعة فأخذها ، فلما وقف عليها بكى وقال : ما فعل صاحب هذه الرقعة ؟ فقلت : هو فى المسجد الفلانى ، فدفع إلى صرة فيها ستمائة دينار ، ثم لقيت رجلا آخر فسألته عن راكب البغلة

فقال : هذا نصرانى ، فجئت إلى إبراهيم وأخبرته بالقصة فقال : لا تمسها فإنه يجىء الساعة ، فلما كان بعد ساعة دخل النصرانى وأكب على رأس إبراهيم يقبله وأسلم .

وقال أبو يعقوب الأقطع البصرى : جعت مرة بالحرم عشرة أيام فوجدت ضعفا ، فحدثتنى نفسى بالخروج فخرجت إلى الوادى لعلى أجد شيئا يسكن ضعفى ، فرأيت سلجمة مطروحة فأخذتها ، فوجدت فى قلبى منها وحشة وكأنّ قائلا يقول لى : جعت عشرة أيام وآخره يكون حظك سلجمة متغيرة ، فرميت بها ودخلت المسجد وقعدت ، فإذا أنا برجل أعجمى قد أقبل حتى جلس بين يدى ووضع قطرة وقال : هذه لك ، فقلت كيف خصصتنى بها ؟ قال : اعلم أنا كنا فى البحر منذ عشرة أيام وأشرفت السفينة على الغرق ، فنذرت إن خلصنى الله تعالى أن أتصدق بهذه على أول من يقع عليه بصرى من المجاورين ، وأنت أول من لقيته ، فقلت : افتحها ، ففتحها فإذا فيها سميد مصرى ولوز مقشور وسكر كعاب ، فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقى إلى أصحابك هدية منى إليكم ، وقد قبلتها ، ثم قلت فى نفسى : رزقك يسير إليك من عشرة أيام وأنت تطلبه من الوادى .

وقال ممشاد الدينورى ، كان على دين فاشتغل قلبى بسببه ، فرأيت فى النوم كأن قائلا يقول : يابخيل ، أخذت علينا هذا المقدار من الدين ، خذ عليك الأخذ وعلينا العطاء ، فما حاسبت بعد ذلك بقالا ولا قصابا ولا غيرهما .

وحكى عن بنان الحمال قال : كنت فى طريق مكة أجىء من مصر ومعى زاد ؛ فجاءتنى امرأة وقالت لى : يابنان ، أنت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم أنه لا يرزقك ، قال فرميت بزادى ثم أتى على ثلاث لم آكل ، فوجدت خلخالا فى الطريق فقلت فى نفسى : أحمله حتى يجىء صاحبه فربما يعطينى شيئا فأرده عليه ، فإذا أنا بتلك المرأة فقالت لى : أنت تاجر تقول عسى يجىء صاحبه فآخذ منه شيئا ! ثم رمت لى شيئا من الدراهم وقالت : أنفقها ، فاكتفيت بها إلى قريب مكة .

وحكى أن بنانا احتاج إلى جارية تخدمه ، فانبسط إلى إخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا : هو ذا يجىء النفير فنشترى مايوافق ، فلما ورد النفير اجتمع رأيهم على واحدة وقالوا : إنها تصلح له ، فقالوا لصاحبها . بكم هذه ، فقال : إنها ليست للبيع ، فألحوا عليه فقال : إنها لبنان الحمال أهدتها إليه امرأة من سمرقند ، فحملت إلى بنان وذكرت له القصة .

وقيل : كان فى الزمان الأول رجل فى سفر ومعه قرص فقال : إن أكلته مت ، فوكل الله عز وجل به ملكا وقال : إن أكله فارزقه وإن لم يأكله فلا تعطه غيره ، فلم يزل القرص معه إلى أن مات ولم يأكله وبقى القرص عنده .

وقال أبو سعيد الخراز : دخلت البادية بغير زاد فأصابتنى فاقة ، فرأيت المرحلة من بعيد فسررت بأن وصلت ثم فكرت فى نفسى أنى سكنت واتكلت على غيره وآليت أن لا أدخل المرحلة إلا أن أحمل إليها ، فحفرت لنفسى فى الرمل حفرة وواريت جسدى فيها إلى صدرى ، فسمعت صوتا فى نصف الليل عاليا : يا أهل المرحلة ، إن لله تعالى وليا حبس نفسه فى هذا الرمل فألحقوه ، فجاء جماعة فأخرجونى وحملونى إلى القرية .

وروى أنّ رجلا لازم باب عمر رضى الله عنه فإذا هو بقائل يقول : ياهذا هاجرت إلى عمر أو إلى الله تعالى ؟ اذهب فتعلم القرآن وإنه سيغنيك عن باب عمر ، فذهب الرجل وغاب حتى افتقده عمر ، فإذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة ، فجاءه عمر فقال له . إنى قد اشتقت إليك فما الذى شغلك عنى ؟ فقال : إنى قرأت القرآن فاغنانى

عن عمر وآل عمر ، فقال عمر . رحمك الله فما الذى وجدت فيه ، فقال وجدت فيه ﴿ وفى السماء رزقكم وما توعدون ﴾ فقلت رزق فى السماء وأنا أطلبه فى الأرض ، فبكى عمر وقال ، صدقت ، فكان عمر بعد ذلك يأتيه ويجلس إليه ،

وقال أبو حمزة الخراسانى : حججت سنة من السنين فبينا أنا أمشى فى الطريق إذ وقعت فى بئر فنازعتنى نفسى أن أستغيث ، فقلت لا والله لا أستغيث ، فما استتممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان، فقال أحدهما للآخر تعالى حتى نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيه أحد ، فأتوا بقصب وبارية وطموا رأس البئر ، فهممت أن أصيح فقلت فى نفسى : إلى من أصيح هو أقرب منهما وسكنت فبينا أنا بعد ساعة إذ أنا بشىء جاء وكشف عن رأس البئر وأدلى رجله وكأنه يقول تعلق بى فى همهمة له كنت أعرف ذلك ، فتعلقت به فأخرجنى ، فإذا هو سبع ، فمر وهتف بى هاتف : ياأبا حمزة أليس هذا أحسن ، نجيناك من التلف بالتلف ، فمشيت وأنا أقول :

نهانى حيائى منك أن أكشف الهوى وأغنيتنى بالفهم منك عن الكشف
تلطفت فى أمرى فأبديت شاهدى إلى غائبى واللطف يدرك باللطف
تراءيت لى بالغيب حتى كأنما تبشرنى بالغيب أنك فى الكف
أراك وبى من هيبتى لك وحشة فتؤنسنى باللطف منك وبالعطف
وتحيى محبا أنت فى الحب حتفه وذا عجب كون الحياة مع الحتف

وأمثال هذه الوقائع مما يكثر ، وإذا قوى الإيمان به وانضم إليه القدرة على الجوع قدر أسبوع من غير ضيق صدر ، وقوى الإيمان بأنه إن لم يسق إليه رزقه فى أسبوع فالموت خير له عند الله عز وجل ولذلك حبسه عنه : تم التوكل بهذه الأحوال والمشاهدات ، وإلا فلا يتم أصلا .

بيان توكل المعيل

اعلم أن من له عيال فحكمه يفارق المنفرد ، لأن المنفرد لايصح توكله إلا بأمرين (أحدهما) قدرته على الجوع أسبوعا من غير استشراف وضيق نفس (والآخر) أبواب من الإيمان ذكرناها ، من جملتها : أن يطيب نفسا بالموت إن لم يأته رزقه ، علما بأن رزقه الموت والجوع ، وهو إن كان نقصا فى الدنيا فهو زيادة فى الآخرة ، فيرى أنه سيق إليه خير الرزقين له : وهو رزق الآخرة ، وأن هذا هو المرض الذى به يموت ويكون راضيا بذلك وأنه كذا قضى وقدر له ، وبهذا يتم التوكل المنفرد ، ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ، ولا يمكن أن يقرر عندهم الإيمان بالتوحيد وأن الموت على الجوع رزق مغبوط عليه فى نفسه إن اتفق ذلك نادرا ، وكذا سائر أبواب الإيمان ، فإذن لا يمكنه فى حقهم إلا توكل المكتسب وهو المقام الثالث ، كتوكل أبى بكر الصديق رضى الله عنه إذ خرج للكسب ، فأما دخول البوادى وترك العيال توكلا فى حقهم أو القعود عن الاهتمام بأمرهم توكلا فى حقهم فهذا حرام ، وقد يفضى إلى هلاكهم ويكون هو مؤاخذا بهم ، بل التحقيق أنه لافرق بينه وبين عياله، فإنه إن ساعده العيال على الصبر على الجوع مدة وعلى الاعتداد بالموت على الجوع رزقا وغنيمة فى الآخرة ، فله أن يتوكل فى حقهم ونفسه أيضا عيال عنده ، ولا يجوز له أن يضيعها إلا أن تساعده على الصبر على الجوع مدة ، فإن كان لايطيقه ويضطرب عليه قلبه وتتشوش عليه عبادته لم يجز له التوكل ، ولذلك روى أن أبا تراب النخشبى نظر إلى صوفى مديده إلى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة أيام . فقال له . لا يصلح لك التصوف . الزم السوق أى لاتصوف إلا مع التوكل .

ولا يصح التوكل إلا لمن يصبر عن الطعام أكثر من ثلاثة أيام ، وقال أبو على الروذبارى : إذا قال الفقير بعد خمسة أيام : أنا جائع فألزموه السوق ومروه بالعمل والكسب ، فإذن بدنه عياله وتوكله فيما يضر ببدنه كتوكله فى عياله ؛ وإنما يفارقهم فى شىء واحد : وهو أن له تكليف نفسه الصبر على الجوع وليس له ذلك فى عياله ، وقد انكشف لك من هذا أن التوكل ليس انقطاعا عن الأسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالموت إن تأخر الرزق نادرا وملازمة البلاد والأمصار أو ملازمة البوادى التى لاتخلو عن حشيش وما يجرى مجراه ، فهذه كلها أسباب البقاء ولكن مع نوع من الأذى ، إذ لا يمكن الاستمرار عليه إلا بالصبر ، والتوكل فى الأمصار أقرب إلى الأسباب من التوكل فى البوادى ، وكل ذلك ذلك من الأسباب إلا أن الناس عدلوا إلى أسباب أظهر منها فلم يعدوا تلك أسبابا ، وذلك لضعف إيمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الأذى فى الدنيا لأجل الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم بإساءة الظن وطول الأمل ، ومن نظر فى ملكوت السموات والأرض انكشف له تحقيقا أن الله تعالى دبر الملك والملكوت تدبيرا لا يجاوز العبد رزقه وإن ترك الاضطراب ، فإن العاجز عن الاضطراب لم يجاوزه رزقه ، أما ترى الجنين فى بطن أمه لما أن كان عاجزا عن الاضطراب كيف وصل سرته بالأم حتى تنتهى إليه فضلات غذاء الأم بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين ، ثم لما انفصل سلط الحب والشفقة على الأم لتتكفل به شاءت أم أبت اضطرارا من الله تعالى إليه بما أشعل فى قلبها من نار الحب ، ثم لما لم يكن له سن يمضغ به الطعام جعل رزقه من اللبن الذى لايحتاج إلى المضغ ، ولأنه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف فأدر له اللبن اللطيف فى ثدى الأم عند انفصاله على حسب حاجته ، أفكان هذا بحيلة الطفل أو بحيلة الأم ! إذا صار بحيث يوافقه الغذاء الكثيف أنبت له أسنانا قواطع وطواحين لأجل المضغ ، فإذا كبر واستقل يسر له أسباب التعلم وسلوك سبيل الآخرة ، فجنه بعد البلوغ جهل محض لأنه ما نقصت أسباب معيشته ببلوغه بل زادت ، فإنه لم يكن قادرا على الاكتساب ، فالآن قد قدر فزادت قدرته ، نعم كان المشفق عليه شخصا واحدا وهى الأم أو الأب وكانت شفقته مفرطة جدا فكان يطعمه ويسقيه فى اليوم مرتين وكان إطعامه بتسليط الله تعالى الحب والشفقة على قلبه ، فكذلك قد سلط الله الشفقة والمودة والرحمة والرقة على قلوب المسلمين بل أهل البلد كافة ، حتى إن كل واحد منهم إذا أحس بمحتاج تألم قلبه ورق عليه وانبعثت له داعية إلى إزالة حاجته ، فقد كان المشفق عليه واحدا والآن المشفق عليه ألف وزيادة ، وقد كانوا لايشفقون عليه لأنهم رأوه فى كفالة الأم والأب وهو مشفق خاص فما رأوه محتاجا ، ولو رأوه يتيما لسلط الله داعية الرحمة على واحد من المسلمين أو على جماعة حتى يأخذونه ويكفلونه ، فما رؤى إلى الآن فى سنى الخصب يتيم قد مات جوعا مع أنه عاجز عن الاضطراب وليس له كافل خاص ، والله تعالى كافله بواسطة الشفقة التى خلقها فى قلوب عباده فلماذا ينبغى أن يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل فى الصبا وقد كان المشفق واحدا والمشفق الآن ألف ، نعم كانت شفقة الأم أقوى وأحظى ولكنها واحدة ، وشفقة آحاد الناس وإن ضعفت فيخرج من مجموعها مايفيد الغرض ، فكم من يتيم قد يسر الله تعالى له حالا هو أحسن من حال من له أب وأم ! فينجبر ضعف شفقة الآحاد بكثرة المشفقين وبترك التنعم والاقتصار على قدر الضرورة ، ولقد أحسن الشاعر حيث يقول :

جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون
جنون منك أن تسعى لرزق ويرزق فى غشاوته الجنين

* فإن قلت : الناس يكفلون اليتيم لأنهم يرونه عاجزا بصباه ، وأما هذا فبالغ قادر على الكسب فلا يلتفتون إليه ويقولون : هو مثلنا فليجتهد لنفسه ؟ فأقول : إن كان هذا القادر بطالا فقد صدقوا فعليه الكسب ولا معنى للتوكل فى حقه فإنّ التوكل من مقامات الدين يستعان به على التفرّغ لله تعالى ؛ فما للبطال والتوكل ؟ وإن كان مشتغلا بالله ملازما لمسجد أو بيت وهو مواظب على العلم والعبادة فالناس لايلومونه فى ترك الكسب ولا يكلفونه ذلك ، بل اشتغاله بالله تعالى يقرّر حبه فى قلوب الناس حتى يحملون إليه فوق كفايته ، وإنما عليه أن لا يغلق الباب ولا يهرب إلى جبل من بين الناس ، وما رؤى إلى الآن عالم أو عابد استغرق الأوقات بالله تعالى وهو فى الأمصار فمات جوعا ولا يرى قط ، بل لو أراد أن يطعم جماعة من الناس بقوله لقدر عليه ، فإن من كان لله تعالى كان الله عز وجل له ، ومن اشتغل بالله عزوجل ألقى الله حبه فى قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الأم لولدها ، فقد دبر الله تعالى الملك والملكوت تدبيرا كافيا لأهل الملك والملكوت . فمن شاهد هذا التدبير وثق بالمدبر واشتغل به وآمن ونظر إلى مدبر الأسباب لا إلى الأسباب ، نعم مادبره تدبيرا يصل إلى المشتغل به الحلو والطيور السمان والثياب الرقيقة والخيول النفيسة على الدوام لامحالة ، وقد يقع ذلك أيضا فى بعض الأحوال لكن دبره تدبيرا يصل إلى كل مشتغل بعبادة الله تعالى فى كل أسبوع قرص شعير أو حشيش يتناوله لا محالة ، والغالب أنه يصل أكثر منه بل يصل ما يزيد على قدر الحاجة والكفاية ، فلا سبب لترك التوكل إلا رغبة النفس فى التنعم على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الأغذية اللطيفة ، وليس ذلك من طريق الآخرة ، وذلك قد لايحصل بغير اضطراب ، وهو فى الغالب أيضا ليس يحصل مع الاضطراب وإنما يحصل نادرا ، وفى النادر أيضا قد يحصل بغير اضطراب : فأثر الاضطراب ضعف عند من انفتحت بصيرته ، فلذلك لايطمئن إلى اضطرابه بل إلى مدبر الملك والملكوت تدبيرا لايجاوز عبدا من عباده رزقه وإن سكن إلا نادرا ندورا عظيما يتصور مثله فى حق المضطرب ؛ فإذا انكشفت هذه الأمور وكان معه قوة فى القلب وشجاعة فى النفس أثمر ماقاله الحسن البصرى رحمه الله إذ قال : وددت أن أهل البصرة فى عيالى ، وأن حبة بدينار . وقال وهيب بن الورد : لو كانت السماء نحاسا والأرض رصاصا واهتممت برزقى لظننت أنى مشرك . فإذا فهمت هذه الأمور فهمت أنّ التوكل مقام مفهوم فى نفسه ويمكن الوصول إليه لمن قهر نفسه ، وعلمت أن من أنكر أصل التوكل وإمكانه أنكره عن جهل ، فإياك أن تجمع بين الإفلاسين : الإفلاس عن وجود المقام ذوقا ، والإفلاس عن الإيمان به علما ؛ فإذن عليك بالقناعة بالنزر القليل والرضا بالقوت فإنه يأتيك لامحالة وإن فررت منه ، وعند ذلك على الله أن يبعث إليك رزقك على يدى من لاتحتسب ، فإن اشتغلت بالتقوى والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب ﴾ الآية ، إلا أنه لم يتكفل له أن يرزقه لحم الطير ولذائذ الأطعمة ؛ فما ضمن إلا الرزق الذى تدوم به حياته ، وهذا المضمون مبذول لكل من اشتغل بالضامن واطمأنّ إلى ضمانه ؛ فإن الذى أحاط به تدبير الله من الأسباب الخفية للرزق أعظم مما ظهر للخلق ، بل مداخل الرزق لاتحصى ومجاريه لايهتدى إليها ، وذلك لأن ظهوره على الأرض وسببه فى السماء . قال الله تعالى ﴿ وفى السماء رزقكم وما توعدون ﴾ وأسرار السماء لايطلع عليها ، ولهذا دخل جماعة على الجنيد فقال : ماذا تطلبون ؟ قالوا : نطلب الرزق ، فقال : إن علمتم فى أى موضع هو فاطلبوه . قالوا : نسأل الله . قال : إن علمتم أنه ينساكم فذكروه ، فقالوا : ندخل البيت ونتوكل وننظر مايكون . فقال : التوكل على التجربة شك قالوا فما الحيلة ؟ قال : ترك الحيلة . وقال أحمد بن عيسى

الخراز : كنت فى البادية فنالنى جوع شديد فغلبتنى نفسى أن أسأل الله تعالى طعاما ، فقلت : ليس هذا من أفعال المتوكلين ، فطالبتنى أن أسأل الله صبرا ، فلما هممت بذلك سمعت هاتفا يهتف بى ويقول :

ويزعم أنه منا قريب وأنا لانضيع من أتانا
ويسألنا على الإقتار جهداً كأنا لانراه ولا يرانا

فقد فهمت أنّ من انكسرت نفسه وقوى قلبه ولم يضعف بالجبن باطنه وقوى إيمانه بتدبير الله تعالى : كان مطمئن النفس أبداً واثقا بالله عز وجل؛ فإنّ أسوأ أحواله أن يموت، ولابد أن يأتيه الموت كما يأتى من ليس مطمئنا فإذن تمام التوكل بقناعة من جانب ووفاء بالمضمون من جانب، والذى ضمن رزق القانعين بهذه الأسباب التى دبرها صادق ، فاقنع وجرب تشاهد صدق الوعد تحقيقا بما يرد عليك من الأرزاق العجيبة التى لم تكن فى ظنك وحسابك، ولاتكن فى توكلك منتظراً للأسباب بل لمسبب الأسباب ، كما لاتكون منتظرا لقلم الكاتب بل لقلب الكاتب فإنه أصل حركة القلم ، والمحرك الأول واحد فلا ينبغى أن يكون النظر إلا إليه ، وهذا شرط توكل من يخوض البوادى بلا زاد أو يقعد فى الأمصار وهو خامل . وأما الذى له ذكر بالعبادة والعلم فإذا قنع فى اليوم والليلة بالطعام مرة واحدة كيف كان وإن لم يكن من اللذائذ ، وثوب خشن يليق بأهل الدين فهذا يأتيه من حيث يحتسب ولا يحتسب على الدوام ، بل يأتيه أضعافه ، فتركه التوكل واهتمامه بالرزق غاية الضعف والقصور ، فإن اشتهاره بسبب ظاهر يجلب الرزق إليه أقوى من دخول الأمصار فى حق الخامل مع الاكتساب ، فالاهتمام بالرزق قبيح بذوى الدين وهو بالعلماء أقبح لأنّ شرطهم القناعة والعالم القانع يأتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة إن كانوا معه إلا إذا أراد أن لا يأخذ من أيدى الناس ويأكل من كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل الذى سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن: فإنّ الكسب يمنع عن السير بالفكر الباطن ، فاشتغاله بالسلوك مع الأخذ من يد من يتقرب إلى الله تعالى بما يعطيه أولى لأنه تفرغ لله عز وجل وإعانة للمعطى على نيل الثواب ، ومن نظر إلى مجارى سنة الله تعالى علم أنّ الرزق ليس على قدر الأسباب ، ولذلك سأل بعض الأكاسرة حكيما عن الأحمق المرزوق والعاقل المحروم فقال : أراد الصانع أن يدل على نفسه ، إذ لو رزق كل عاقل وحرم كل أحمق لظن أنّ العقل رزق صاحبه : فلما رأوا خلافه علموا أن الرازق غيرهم ولا ثقة بالأسباب الظاهرة لهم ، قال الشاعر :

ولو كانت الأرزاق تجرى على الحجا هلكن إذن من جهلهنّ البهائم

بيان أحوال المتوكلين فى التعلق بالأسباب بضرب مثال

اعلم أن مثال الخلق مع الله تعالى مثل طائفة من السؤال وقفوا فى ميدان على باب قصر الملك وهم محتاجون إلى الطعام فأخرج إليهم غلمانا كثيرة ومعهم أرغفة من الخبز وأمرهم أن يعطوا بعضهم رغيفين رغيفين وبعضهم رغيفا رغيفا ويجتهدوا فى أن لايغفلوا عن واحد منهم ، وأمر مناديا حتى نادى فيهم أن اسكتوا ولا تتعلقوا بغلمانى إذا خرجوا إليكم ، بل ينبغى أن يطمئن كل واحد منكم فى موضعه فإن الغلمان مسخرون وهم مأمورون بأن يوصلوا إليكم طعامكم : فمن تعلق بالغلمان وآذاهم وأخذ رغيفين فاذا فتح باب الميدان وخرج اتبعته بغلام يكون موكلا به إلى أن أتقدم لعقوبته فى ميعاد معلوم عندى ولكن أخفيه ، ومن لم يؤذ الغلمان وقنع برغيف واحد أتاه من يد الغلام وهو ساكن فإنى أختصه بخلعة سنية فى الميعاد المذكور لعقوبة الآخر ، ومن ثبت فى مكانه ولكنه اخذ رغيفين فلا عقوبة عليه ولا خلعة له ، ومن أخطأه غلمانى فما أوصلوا إليه شيئا فبات الليلة جائعاً غير متسخط للغلمان

ولا قائلا ليته أوصل إلى رغيفا فإنى غدا أستوزره وأفوض ملكى إليه فانقسم السؤال إلى أربعة أقسام : قسم غلبت عليهم بطونهم فلم يلتفتوا إلى العقوبة الموعودة ؛ وقالوا : من اليوم إلى غد فرج ! ونحن الآن جائعون فبادروا إلى الغلمان فآذوهم وأخذوا الرغيفين ، فسبقت العقوبة إليهم فى الميعاد المذكور فندموا ولم ينفعهم الندم ، وقسم تركوا التعلق بالغلمان خوف العقوبة ولكن أخذوا رغيفين لغلبة الجوع فسلموا من العقوبة وما فازوا بالخلعة ، وقسم قالوا : إنا نجلس بمرأى من الغلمان حتى لا يخطئونا ولكن نأخذ إذا أعطونا رغيفا واحدا ونقنع به ؛ فلعلنا نفوز بالخلعة ففازوا بالخلعة ؛ وقسم رابع اختفوا فى زوايا الميدان وانحرفوا عن مرأى أعين الغلمان وقالوا : إن اتبعونا وأعطونا قنعنا برغيف واحد ، وإن أخطأونا قاسينا شدة الجوع الليلة ، فلعلنا نقوى على ترك التسخط فننال رتبة الوزارة ودرجة القرب عند الملك ، فما نفعهم ذلك ، إذ اتبعهم الغلمان فى كل زاوية وأعطوا كل واحد رغيفا واحدا ، وجرى مثل ذلك أياما حتى اتفق على الندور أن اختفى ثلاثة فى زاوية ولم تقع عليهم أبصار الغلمان وشغلهم شغل صارف عن طول التفتيش ، فباتوا فى جوع شديد ، فقال اثنان منهم : ليتنا تعرضنا للغلمان وأخذنا طعامنا فلسنا نطيق الصبر ، وسكت الثالث إلى الصباح فنال درجة القرب والوزارة ، فهذا مثال الخلق ، والميدان هو الحياة فى الدنيا ، وباب الميدان الموت ، والميعاد المجهول يوم القيامة ، والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة المتوكل إذا مات جائعا راضيا من غير تأخير ذلك إلى ميعاد القيامة ، لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ، والمتعلق بالغلمان هو المعتدى فى الأسباب ، والغلمان المسخرون هم الأسباب ، والجالس فى ظاهر الميدان بمرأى الغلمان هم المقيمون فى الأمصار فى الرباطات والمساجد على هيئة السكون ، والمختفون فى الزوايا هم السائحون فى البوادى على هيئة التوكل والأسباب تتبعهم والرزق يأتيهم إلا على سبيل الندور ، وإن مات واحد منهم جائعا راضيا فله الشهادة والقرب من الله تعالى ، وقد انقسم الخلق إلى هذه الأقسام الأربعة ، ولعل من كل مائة تعلق بالأسباب تسعون وأقام سبعة من العشرة الباقية فى الأمصار متعرضين للسبب بمجرد حضورهم واشتهارهم ، وساح فى البوادى ثلاثة ، وتسخط منهم اثنان ، وفاز بالقرب واحد ، ولعله كان كذلك فى الأعصار السالفة ، وأما الآن فالتارك للأسباب لا ينتهى إلى واحد من عشرة آلاف .

(الفن الثانى فى التعرض لأسباب الادخار) فمن حصل له مال بإرث أو كسب أو سؤال أو سبب من الأسباب ، فله فى الادخار ثلاثة أحوال (الأولى) أن يأخذ قدر حاجته فى الوقت فيأكل إن كان جائعا ، ويلبس إن كان عاريا ، ويشترى مسكنا مختصرا إن كان محتاجا ، ويفرق الباقى فى الحال ، ولا يأخذه ولا يدخره إلا بالقدر الذى يدرك به من يستحقه ويحتاج إليه فيدخره على هذه النية ، فهذا هو الوفى بموجب التوكل تحقيقا وهى الدرجة العليا (الحالة الثانية) المقابلة لهذه المخرجة له عن حدود التوكل : أن يدخر لسنة فما فوقها ، فهذا ليس من المتوكلين أصلا ؛ وقد قيل . لا يدخر من الحيوانات إلا ثلاثة : الفأرة ، والنملة ، وابن آدم (الحالة الثالثة) أن يدخر لأربعين يوما فما دونها ، فهذا : هل يوجب حرمانه من المقام المحمود الموعود فى الآخرة للمتوكلين ؟ اختلفوا فيه : فذهب سهل إلى أنه يخرج عن حد التوكل . وذهب الخواص إلى أنه لا يخرج بأربعين يوما ويخرج بما يزيد على الأربعين . وقال أبو طالب المكى : لا يخرج عن حد التوكل بالزيادة على الأربعين أيضا ، وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجويز أصل الادخار ، نعم يجوز أن يظن ظان أن أصل الادخار يناقض التوكل ، فأما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له ، وكل ثواب موعود على رتبة فإنه يتوزع على تلك الرتبة ، وتلك الرتبة لها بداية

ونهاية ، ويسمى أصحاب النهايات : السابقين ، وأصحاب البدايات : أصحـــاب اليمين ، ثم أصحاب اليمين أيضا على درجات ، وكذلك السابقون ، وأعالى درجات أصحاب اليمين تلاصق أسافل درجات السابقين ، فلا معنى للتقدير فى مثل هذا ؛ بل التحقيق أنّ التوكل بترك الادخار لا يتم إلا بقصر الأمل ؛ وأما عدم آمال البقاء فيبعد اشتراطه ولو فى نفس ، فإنّ ذلك كالممتنع وجوده ؛ أما النـاس فمتفـاوتون فى طول الأمل وقصره ، وأقل درجات الأمل يوم وليلة فما دونه من الساعات ، وأقصاه ما يتصوّر أن يكون عمر الإنسان ، وبينهما درجات لاحصر لها ، فمن لم يؤمل أكثر من شهر أقرب إلى المقصود ممن يؤمل سنة ، وتقييده بأربعين لأجل ميعاد موسى عليه السلام : بعيد ؛ فإنّ تلك الواقعة ما قصد بها بيـان مقدار مارخص الأمل فيـه ، ولـكن استحقاق موسى لنيل الموعود كان لايتم إلا بعد أربعين يوما لسر جرت به وبأمثاله سنـة الله تعـالى فى تدريج الأمور ، كما قال عليه السلام « إنّ الله خمر طينة آدم بيده أربعين صباحا [1] » لأنّ استحقـاق تلك الطينة التخمر كان موقوفا على مدّة مبلغها ماذكر ، فإذن ماوراء السنة لايدّخر له إلا بحكم ضعف القلب والركون إلى ظاهر الأسباب ، فهو خارج عن مقـام التوكل غير واثق بإحاطة التدبير من الوكيل الحق بخفايا الأسباب ، فإنّ أسباب الدخل فى الارتفاعات والزكوات تتكرر بتكرّر السنين غالبا ، ومن ادخر لأقل من سنة فله درجة بحسب قصر أمله ، ومن كان أمله شهرين لم تكن درجته كدرجة من أمل شهرا ولا درجة من أمـل ثلاثة أشهر ، بل هو بينهما فى الرتبة ، ولا يمنع من الادخار إلا قصر الأمل ، فالأفضل أن لايدّخر أصلا ، وإن ضعف قلبه فكلما قل ادخاره كان فضله أكثر ، وقـد روى فى الفقير الذى أمر صلى الله عليه وسلم عليا كرّم الله وجهه وأسامة أن يغسلاه فغسلاه وكفناه ببردته ، فلما دفنه قال لأصحابه « إنه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ، ولولا خصلة كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضـاحية » قلنا : وما هى يارسول الله ؟ قال « كان صوّاما قوّاما كثير الذكر لله تعالى غير أنه كان إذا جاء الشتـاء ادخر حلة الصيف لصيفه ، وإذا جاء الصيف ادخر حلة الشتاء لشتائه ، ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم ، بل أقل ماأوتيتم اليقين وعزيمة الصبر [2] » الحديث ، وليس الكوز والشفرة وما يحتاج إليه على الدوام فى معنى ذلك ، فإنّ ادخاره لاينقص الدرجة ، وأما ثوب الشتاء فلا يحتاج إليه فى الصيف ، وهذا فى حق من لاينزعج قلبه بترك الادخار ولاتستشرف نفسه إلى أيدى الخلق بل لا يلتفت قلبه إلا إلى الوكيـل الحق ، فإن كان يستشعر فى نفسه اضطرابا يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر فالادخار له أولى ، بل لو أمسك ضيعة يكون دخلها وافيا بقدر كفايته وكان لا يتفرغ قلبه إلا به فذلك له أولى ، لأنّ المقصود إصلاح القلب ليتجرّد لذكر الله ، ورب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه ، والمحذور مايشغل عن الله عز وجل ، وإلا فالدنيا فى عينها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها ، ولذلك بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى أصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون وأهـل الحرف والصناعات ، فلم يأمر التجار بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا أمر التارك لهما بالاشتغال بهما ، بل دعا الكل إلى الله تعالى وأرشدهم إلى أنّ فوزهم ونجـاتهم فى انصراف قلوبهم عن الدنيا إلى الله تعـالى ، وعمدة الاشتغال بالله عز وجل القلب ، فصواب الضعيف ادخار قدر حاجته ، كما أنّ صواب القوى ترك الادخار ،

---

(١) حديث « خمر طينة آدم بيده أربعين صباحا » رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن مسعود وسلمان الفارسى بإسناد ضعيف جدا وهو باطل .

(٢) حديث : أنه قال فى حق الفقير الذى أمر عليا أو أسامة فغسله وكفنه ببردته : أنه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ... الحديث . وفى آخره « من أقل ماأوتيتم اليقين وعزيمة الصبر » لم أجد له أصلا ، وتقدم آخر الحديث قبل هذا .

وهذا كله حكم المنفرد ؛ فأما المعيل فلا يخرج عن حدّ التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم ، وادخار أكثر من ذلك مبطل للتوكل ، لأنّ الأسباب تتكرر عند تكرر السنين ؛ فادخاره ما يزيد عليه سببه ضعف قلبه ، وذلك يناقض قوة التوكل ، فالمتوكل عبارة عن موحد قوى القلب مطمئن النفس إلى فضل الله تعالى، واثق بتدبيره دون وجود الأسباب الظاهرة . وقد ادخر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لعياله قوت سنة(١) ، ونهى أم أيمن وغيرها أن تدّخر له شيئا لغد ، (٢) ونهى بلالا عن الادخار فى كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها ، فقال صلى الله عليه وسلم « أنفق بلالا ولا تخش من ذى العرش إقلالا (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سئلت فلا تمنع وإذا أعطيت فلا تخبأ (٤) » اقتداء بسيد المتوكلين صلى الله عليه وسلم ، وقد كان تصرأمله بحيث كان إذا بال تيمم مع قرب الماء ويقول « مايدرينى لعلى لا أبلغه (٥) » وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لو ادخر لم ينقص ذلك من توكله إذ كان لا يثق بما ادخره ، ولكنه عليه السلام ترك ذلك تعليما للأقوياء من أمته ، فإنّ أقوياء أمته ضعفاء بالإضافة إلى قوته ، وادخر عليه السلام لعياله سنة لا لضعف قلب فيه وفى عياله ، ولكن ليسن ذلك للضعفاء من أمته ، بل أخبر : « إنّ الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه (٦) » تطييبا لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهى بهم الضعف إلى اليأس والقنوط فيتركون الميسور من الخير عليهم بعجزهم عن منتهى الدرجات ، فما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رحمة للعالمين كلهم عليه اختلاف أصنافهم ودرجاتهم ، وإذا فهمت هذا علمت أن الادخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضر ، ويدل على ما روى أبو أمامة الباهلى : أن بعض أصحاب الصفة توفى فما وجد له كفن ، فقال صلى الله عليه وسلم « فتشوا ثوبه » فوجدوا فيه دينارين فى داخل إزاره فقال صلى الله عليه وسلم « كيتان (٧) » . وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف أموالا ولا يقول ذلك فى حقه ، وهذا يحتمل وجهين لأن حاله يحتمل حالين : (أحدهما) أنه أراد كيتين من النار ، كما قال تعالى ﴿ تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ﴾ وذلك إذا كان حاله إظهار الزهد والفقر والتوكل مع الإفلاس عنه فهو نوع تلبيس (والثانى) أن لا يكون ذلك عن تلبيس ، فيكون المعنى به النقصان عن درجة كماله كما ينقص من جمال الوجه أثر كيتين فى الوجه ، وذلك لا يكون عن تلبيس ، فإن كل ما يخلفه الرجل فهو نقصان عن درجته فى الآخرة ، إذ لا يؤتى أحد من الدنيا شيئا إلا نقص بقدره من الآخرة . وأما بيان أن الادخار مع فراغ القلب عن المدّخر ليس من ضرورته بطلان التوكل ، فيشهد له ماروى عن بشر . قال الحسين المغازلى من أصحابه : كنت عنده ضحوة من النهار ، فدخل عليه رجل كهل أسمر خفيف العارضين ، فقام إليه بشر ، قال : وما رأيته قام لأحد غيره ، قال : ودفع إلى كفا من دراهم وقال : اشتر لنا من أطيب ما تقدر عليه من الطعام الطيب ، وما قال لى قط

---

(١) حديث : ادخر لعياله قوت سنة ، متفق عليه ، وتقدم فى الزكاة . (٢) حديث : نهى أم أيمن وغيرها أن تدخر شيئاً لغد : تقدم نهيه لأم أيمن وغيرها . (٣) حديث : نهى بلالا عن الادخار وقال « أنفق بلالا ولا تخش من ذى العرش إقلالا » رواه البزار من حديث ابن مسعود وأبى هريرة وبلال : دخل عليه النبى صلى الله عليه وسلم وعنده صبر من تمر ، فقال ذلك . وروى أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط حديث أبى هريرة ، وكلها ضعيفة . وأما ماذكره المصنف من أنه ادخر كسرة خبز ، فلم أره

(٤) حديث قال لبلال « إذا سئلت فلا تمنع ، وإذا أعطيت فلا تخبأ » رواه الطبرانى والحاكم من حديث أبى سعيد وهو ثقة .

(٥) حديث أنه صلى الله عليه وسلم بال وتيمم مع قرب الماء ويقول « مايدرينى لعلى لا أبلغه » أخرجه ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل من حديث ابن عباس بسند ضعيف . (٦) حديث « إن الله يحب أن تؤتى رخصه ... الحديث » أخرجه أحمد والطبرانى والبيهقى من حديث أم عمر وقد تقدم . (٧) حديث أبى أمامة : توفى بعض أصحاب الصفة فوجدوا دينارين فى داخلة إزاره ، فقال صلى الله عليه وسلم « كيتان » رواه أحمد من رواية شهر بن حوشب عنه .

مثل ذلك ، قال : فجئت بالطعام فوضعته فأكل معه وما رأيته أكل مع غيره ، قال : فأكلنا حاجتنا وبقى من الطعام شىء كثير ، فأخذه الرجل وجمعه فى ثوبه وحمله معه وانصرف ، فعجبت من ذلك وكرهته له ، فقال لى بشر : لعلك أنكرت فعله ؟ قلت : نعم أخذ بقية الطعام من غير إذن ، فقال : ذاك أخونا فتح الموصلى زارنا اليوم من الموصل فإنما أراد أن يعلمنا أنّ التوكل إذا صح لم يضر معه الادخار .

(الفن الثالث فى مباشرة الأسباب الدافعة للضرر المعرّض للخوف) اعلم أنّ الضرر قد يعرض للخوف فى نفس أو مال وليس من شروط التوكل ترك الأسباب الدافعة رأسا ؛ أما فى النفس فكالنوم فى الأرض المسبعة أو فى مجارى السيل من الوادى أو تحت الجدار المائل والسقف المنكسر ، فكل ذلك منهى عنه ، وصاحبه قد عرّض نفسه للهلاك بغير فائدة ، نعم تنقسم هذه الأسباب إلى مقطوع بها ، ومظنونة ، وإلى موهومة فترك الموهوم منها من شرط التوكل وهى التى نسبتها إلى دفع الضرر نسبة الكى والرقية ؛ فإنّ الكى والرقية قد تقدم به على المحذور دفعا لما يتوقع ، وقد يستعمل بعد نزول المحذور للإزالة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصف المتوكلين إلا بترك الكى والرقية والطيرة ، ولم يصفهم بأنهم إذا خرجوا إلى موضع بارد لم يلبسوا جبة ، والجبة تلبس دفعا للبرد المتوقع ، وكذلك كل ما فى معناها من الأسباب ، نعم الاستظهار بأكل الثوم مثلا عند الخروج إلى السفر فى الشتاء تهييجا لقوة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعمق فى الأسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب من الكى بخلاف الجبة ، ولترك الأسباب الدافعة وإن كانت مقطوعة وجه إذا ناله الضرر من إنسان ، فإنه إذا أمكنه الصبر وأمكنه الدفع والتشفى فشرط التوكل الاحتمال والصبر ، قال الله تعالى ﴿ فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون ﴾ وقال تعالى ﴿ ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾ وقال عز وجل ﴿ ودع أذاهم وتوكل على الله ﴾ وقال سبحانه وتعالى ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ وقال تعالى ﴿ نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ وهذا فى أذى الناس ، وأما الصبر على أذى الحيات والسباع والعقارب ، فترك دفعها ليس من التوكل فى شىء إذ لا فائدة فيه ، ولا يراد السعى ولا يترك السعى لعينه بل لإعانته على الدين ، وترتب الأسباب ههنا كترتبها فى الكسب وجلب المنافع فلا نطول بالإعادة ، وكذلك فى الأسباب الدافعة عن المال ، فلا ينقص التوكل بإغلاق باب البيت عند الخروج ولا بأن يعقل البعير ، لأن هذه أسباب عرفت سنة الله تعالى إما قطعا وإما ظنا ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للأعرابى لما أن أهمل البعير وقال توكلت على الله « اعقلها وتوكل [1] » ، وقال تعالى ﴿ خذوا حذركم ﴾ وقال فى كيفية صلاة الخوف ﴿ وليأخذوا أسلحتهم ﴾ وقال سبحانه ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ﴾ وقال تعالى لموسى عليه السلام ﴿ فأسر بعبادى ليلا ﴾ والتحصن بالليل اختفاء عن أعين الأعداء ونوع تسبب ، واختفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار اختفاء عن أعين الأعداء دفعا للضرر [2] ، وأخذ السلاح فى الصلاة فليس دافعا قطعا كقتل الحية والعقرب فإنه دافع قطعا ، ولكن أخذ السلاح سبب مظنون ، وقد بينا أن المظنون كالمقطوع ، وإنما الموهوم هو الذى يقتضى التوكل تركه .

* فإن قلت : فقد حكى عن جماعة أن منهم من وضع الأسد يده على كتفه ولم يتحرك . فأقول : وقد حكى عن جماعة أنهم ركبوا الأسد وسخروه فلا ينبغى أن يغرك ذلك المقام ؛ فإنه وإن كان صحيحا فى نفسه فلا يصلح للاقتداء

---

(١) حديث « اعقلها وتوكل » أخرجه الترمذى من حديث أنس ، قال يحيى القطان : منكر . ورواه ابن خزيمة فى التوكل ، والطبرانى من حديث عمرو بن أمية الضمرى بإسناد جيد « قيدها » . (٢) حديث : اختفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعين الأعداء دفعا للضرر ، تقدم فى قصة اختفائه فى الغار عند إرادة الهجرة .

بطريق التعلم من الغير ، بل ذلك مقام رفيع فى الكرامات وليس ذلك شرطا فى التوكل ، وفيه أسرار لا يقف عليها من لم ينته إليها .

* فإن قلت : وهل من علامة أعلم بها أنى قد وصلت إليها ؟ . فأقول : الواصل لا يحتاج إلى طلب العلامات ولكن من العلامات على ذلك المقام السابقة عليه : أن يسخر لك كلب هو معك فى إهابك يسمى الغضب ، فلا يزال يعضك ويعض غيرك ، فإن سخر لك هذا الكلب بحيث إذا هيج وأشلى لم يستشل إلا بإشارتك وكان مسخرا لك ، فربما ترتفع درجتك إلى أن يسخر لك الأسد الذى هو ملك السباع ، وكلب دارك أولى أن يكون مسخرا لك من كلب البوادى ، وكلب إهابك أولى بأن يتسخر من كلب دارك ، فإذا لم يسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع فى استسخار الكلب الظاهر .

* فإن قلت : فإذا أخذ المتوكل سلاحه حذرا من العدو وأغلق بابه حذرا من اللص وعقل بعيره حذرا من أن ينطلق ، فبأى اعتبار يكون متوكلا فأقول : يكون متوكلا بالعلم والحال ، فأما العلم فهو أن يعلم أن اللص إن اندفع لم يندفع بكفايته فى إغلاق الباب ، بل لم يندفع إلا بدفع الله تعالى إياه ؛ فكم من باب يغلق ولا ينفع ، وكم من بعير يعقل ويموت أو يفلت ، وكم من آخذ سلاحه يقتل أو يغلب ؛ فلا تتكل على هذه الأسباب أصلا بل على مسبب الأسباب ، كما ضربنا المثل فى الوكيل فى الخصومة فإنه إن حضر وأحضر السجل فلا يتكل على نفسه وسجله بل يتكل على كفاية الوكيل وقوته ، وأما الحال فهو أن يكون راضيا بما يقضى الله تعالى به فى بيته ونفسه ويقول : اللهم إن سلطت على ما فى البيت من يأخذه فهو فى سبيلك وأنا راض بحكمك ، فإنى لا أدرى أن ما أعطيتنى هبة فلا تسترجعها ، أو عارية ووديعة فتستردها ، ولا أدرى أنه رزق أو سبقت مشيئتك فى الأزل بأنه رزق غيرى ، وكيفما قضيت فأنا راض به ، وما أغلقت الباب تحصنا من قضائك وتسخطا له ، بل جريا على مقتضى سنتك فى ترتيب الأسباب ، فلا ثقة إلا بك يا مسبب الأسباب ؛ فإذا كان هذا حاله وذلك الذى ذكرناه علمه لم يخرج عن حدود التوكل بعقل البعير وأخذ السلاح وإغلاق الباب ، ثم إذا عاد فوجد متاعه فى البيت فينبغى أن يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله تعالى ، وإن لم يجده بل وجده مسروقا نظر إلى قلبه ، فإن وجده راضيا أو فرحا بذلك عالما أنه ما أخذ الله تعالى ذلك منه إلا ليزيد رزقه فى الآخرة فقد صح مقامه فى التوكل وظهر له صدقه ، وإن تألم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له أنه ما كان صادقا فى دعوى التوكل ؛ لأن التوكل مقام بعد الزهد ، ولا يصح الزهد إلا ممن لا يتأسف على ما فات من الدنيا ولا يفرح بما يأتى ، بل يكون على العكس منه ، فكيف يصح له التوكل ؟ نعم قد يصح له مقام الصبر إن أخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه فى الطلب والتجسس ، وإن لم يقدر على ذلك حتى تأذى بقلبه وأظهر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب ببدنه ، فقد كانت السرقة مزيدا له فى ذنبه من حيث إنه ظهر له قصوره عن جميع المقامات وكذبه فى جميع الدعاوى ؛ فبعد هذا ينبغى أن يجتهد حتى لا يصدق نفسه فى دعاويها ولا يتدلى بحبل غرورها ؛ فإنها خداعة أمارة بالسوء مدعية للخير .

* فإن قلت : فكيف يكون للمتوكل مال حتى يؤخذ ؟ فأقول : المتوكل لا يخلو بيته من متاع كقصعة يأكل فيها وكوز يشرب منه وإناء يتوضأ منه وجراب يحفظ به زاده وعصا يدفع بها عدوه وغير ذلك من ضرورات المعيشة من أثاث البيت ، وقد يدخل فى يده مال وهو يمسكه ليجد محتاجا فيصرفه إليه ، فلا يكون ادخاره على هذه النية مبطلا لتوكله ، وليس من شرط التوكل إخراج الكوز الذى يشرب منه والجراب الذى فيه زاده ، وإنما ذلك فى

المأكول وفى كل مال زائد على قدر الضرورة ؛ لأنّ سنة الله جارية بوصول الخير إلى الفقراء المتوكلين فى زوايا المساجد ، وما جرت السنة بتفرقة الكيزان والأمتعة فى كل يوم ولا فى كل أسبوع ، والخروج عن سنة الله عز وجل ليس شرطا فى التوكل ، ولذلك كان الخواص يأخذ فى السفر الحبل والركوة والمقراض والإبرة دون الزاد ، لكن سنة الله تعالى جارية بالفرق بين الأمرين .

* فإن قلت : فكيف يتصوّر أن لا يحزن إذا أخذ متاعه الذى هو محتاج إليه ولا يتأسف عليه ، فإن كان لايشتهيه فلم أمسكه وأغلق الباب عليه ، وإن كان أمسكه لأنه يشتهيه لحاجته إليه فكيف لايتأذى قلبه ولا يحزن وقد حيل بينه وبين مايشتهيه ؟ فأقول : إنما كان يحفظه ليستعين به على دينه إذ كان يظن أن الخيرة له فى أن يكون له ذلك المتاع ، ولولا أن الخيرة له فيه لما رزقه الله تعالى ولما أعطاه إياه ، فاستدل على ذلك بتيسير الله عز وجل وحسن الظن بالله تعالى مع ظنه أن ذلك معين له على أسباب دينه ولم يكن ذلك عنده مقطوعا به ، إذ يحتمل أن تكون خيرته فى أن يبتلى بفقده ذلك حتى ينصب فى تحصيل غرضه ويكون ثوابه فى النصب والتعب أكثر ؛ فلما أخذه الله تعالى منه بتسليط اللص تغير ظنه ، لأنه فى جميع الأحوال واثق بالله حسن الظن به ، فيقول : لولا أنّ الله عز وجل علم أنّ الخيرة كانت لى فى وجودها إلى الآن والخيرة لى الآن فى عدمها لما أخذها منى ، فبمثل هذا الظن يتصوّر أن يندفع عنه الحزن ، إذ به يخرج عن أن يكون فرحه بأسباب من حيث إنها أسباب ، بل من حيث إنه يسرها مسبب الأسباب عناية وتلطفا ، وهو كالمريض بين يدى الطبيب الشفيق يرضى بما يفعله ، فإن قدّم إليه الغذاء فرح وقال : لولا أنه يعرف أنّ الغذاء ينفعنى وقد قويت على احتماله لما قرّبه إلى ، وإن أخر عنه الغذاء بعد ذلك أيضا فرح وقال : لولا أنّ الغذاء يضرنى ويسوقنى إلى الموت لما حال بينى وبينه ، وكل من لا يعتقد لطف الله تعالى ما يعتقده المريض فى الوالد المشفق الحاذق لعلم الطب فلا يصح منه التوكل أصلا . ومن عرف الله تعالى وعرف أفعاله وعرف سنته فى إصلاح عباده لم يكن فرحه بالأسباب ، فإنه لا يدرى أى الأسباب خير له ، كما قال عمر رضى الله عنه : لا أبالى أصبحت غنيا أو فقيرا ؛ فإنى لا أدرى أيهما خير لى ؛ فكذلك ينبغى أن لا يبالى المتوكل يسرق متاعه أو لايسرق فإنه لايدرى أيهما خير له فى الدنيا أو فى الآخرة ، فكم من متاع فى الدنيا يكون سبب هلاك الإنسان ! وكم من غنى يبتلى بواقعة لأجل غناه يقول ياليتنى كنت فقيرا !

بيان آداب المتوكلين إذا سرق متاعهم

للمتوكل آداب فى متاع بيته إذا خرج عنه (الأوّل) أن يغلق الباب ولا يستقصى فى أسباب الحفظ كالتماسك من الجيران الحفظ مع الغلق ، وكجمعه أغلاقا كثيرة ؛ فقد كان مالك بن دينار لا يغلق بابه ولكن يشدّه بشريط ويقول : لولا الكلاب ما شددته أيضا (الثانى) أن لايترك فى البيت متاعا يحرض عليه السراق فيكون هو سبب معصيتهم أو إمساكه يكون سبب هيجان رغبتهم ، ولذلك لما أهدى المغيرة إلى مالك بن دينار ركوة قال : خذها لا حاجة لى إليها . قال : لم ؟ قال : يوسوس إلى العدوّ أن اللص يأخذها ، فكأنه احترز من أن يعصى السارق : ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقتها ، ولذلك قال أبو سليمان : هذا من ضعف قلوب الصوفية هذا قد زهد فى الدنيا فما عليه من أخذها (الثالث) أن مايضطرّ إلى تركه فى البيت ينبغى أن ينوى عند خروجه الرضا بما يقضى الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول : مايأخذه السارق فهو منه فى حل أو فى سبيل الله تعالى ، وإن كان فقيرا فهو عليه صدقة ، وإن لم يشترط الفقر فهو أولى ، فيكون له نيتان لو أخذه غنى أو فقير (إحداهما) أن يكون

ماله مانعا من المعصية ، فإنه ربما يستغنى به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصيانه بأكل الحرام لما أن جعله فى حل (والثانية) أن لا يظلم مسلما آخر فيكون ماله فداء لمال مسلم آخر ، ومهما ينوى حراسة مال غيره بمال نفسه أو ينوى دفع المعصية عن السارق أو تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامتثل قوله صلى الله عليه وسلم « انصر أخاك ظالما أو مظلوما [1] » ونصر الظالم : أن تمنعه من الظلم ، وعفوه عنه إعدام للظلم ومنع له ، وليتحقق أن هذه النية لا تضره بوجه من الوجوه إذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الأزلى . ولكن يتحقق بالزهد نيته ، فإن أخذ ماله كان له بكل درهم سبعمائة درهم لأنه نواه وقصده ، وإن لم يؤخذ حصل له الأجر أيضا ، كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل فأقر النطفه قرارها أن له أجر غلام ولد له من ذلك الجماع وعاش فقتل فى سبيل الله تعالى وإن لم يولد له [2] » لأنه ليس أمر الولد إلا الوقاع ، فأما الخلق والحياة والرزق والبقاء فليس إليه ، فلو خلق لكان ثوابه على فعله ، وفعله لم ينعدم ، فكذلك أمر السرقة (الرابع) أنه إذا وجد المال مسروقا فينبغى أن لا يحزن بل يفرح إن أمكنه ويقول : لولا أن الخيرة كانت فيه لما سلبه الله تعالى ، ثم إن لم يكن قد جعله فى سبيل الله عز وجل ، فلا يبالغ فى طلبه وفى إساءة الظن بالمسلمين ؛ وإن كان قد جعله فى سبيل الله فيترك طلبه ، فإنه قد قدمه ذخيرة لنفسه إلى الآخرة ، فإن أعيد عليه ، فالأولى أن لا يقبله بعد أن كان قد جعله فى سبيل الله عز وجل ، وإن قبله فهو فى ملكه فى ظاهر العلم ، لأن الملك لا يزول بمجرد تلك النية ، ولكنه غير محبوب عند المتوكلين .

وقد روى أن ابن عمر سرقت ناقته فطلبها حتى أعيا ، ثم قال . فى سبيل الله تعالى ، فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين فجاءه رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن ، إن ناقتك فى مكان كذا فلبس نعله وقام ، ثم قال : استغفر الله وجلس ، فقيل له : ألا تذهب فتأخذها ! فقال : إنى كنت قلت فى سبيل الله .

وقال بعض الشيوخ : رأيت بعض إخوانى فى النوم بعد موته فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى وأدخلنى الجنة وعرض على منازلى فيها فرأيتها ، قال : وهو مع ذلك كئيب حزين ! فقلت : قد غفر لك ودخلت الجنة وأنت حزين ! فتنفس الصعداء ثم قال : نعم إنى لا أزال حزينا إلى يوم القيامة . قلت : ولم ؟ قال إنى لما رأيت منازلى فى الجنة رفعت لى مقامات فى عليين ما رأيت مثلها فيما رأيت ، ففرحت بها ، فلما هممت بدخولها نادى منادى من فوقها اصرفوه عنها فليست هذه له إنما هى لمن أمضى السبيل ، فقلت وما إمضاء السبيل ؟ فقيل لى كنت تقول للشىء إنه فى سبيل الله ثم ترجع فيه ، فلو كنت أمضيت السبيل لأمضينا لك .

وحكى عن بعض العباد بمكة أنه كان نائما إلى جنب رجل معه هميانه ، فانتبه الرجل ففقد هميانه فاتهمه به ، فقال له كم كان فى هميانك ؟ فذكر له ، فحمله من البيت ووزنه من عنده ، ثم بعد ذلك أعلمه أصحابه أنهم كانوا أخذوا الهميان مزحا معه ، فجاء هو وأصحابه معه وردوا الذهب ، فأبى وقال خذه حلالا طيبا ، فما كنت لأعود فى مال أخرجته فى سبيل الله عز وجل ، فلم يقبل ، فألحوا عليه ، فدعا ابنه وجعل يصره صررا ويبعث به إلى الفقراء حتى لم يبق منه شىء .

فهكذا كانت أخلاق السلف ، وكذلك من أخذ رغيفا ليعطيه فقيرا فغاب عنه كان يكره رده إلى البيت بعد إخراجه فيعطيه فقيرا آخر ، وكذلك يفعل فى الدراهم والدنانير وسائر الصدقات (الخامس) وهو أقل الدرجات

---

(١) حديث « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » متفق عليه من حديث أنس ، وقد تقدم . (٢) حديث « من ترك العزل وأقر النطفة قرارها كان له أجر غلام ... الحديث » لم أجد له أصلا .

أن لايدعو على السارق الذى ظلمه بالأخذ ، فإن فعل بطل توكله ودل ذلك على كراهته وتأسفه على مافات ، وبطل زهده ، ولو بالغ بطل أجره أيضا فيما أصيب به ؛ ففى الخبر « من دعا على ظالمه فقد انتصر [1] » .

وحكى أنّ الربيع بن خثيم سرق فرس له وكان قيمته عشرين ألفا وكان قائما يصلى ، فلم يقطع صلاته ولم ينزعج لطلبه ، فجاءه قوم يعزونه فقال : أما إنى قد كنت رأيته وهو يحله : قيل : ومامنعك أن تزجره ؟ قال : كنت فيما هو أحب إلى من ذلك - يعنى الصلاة - فجعلوا يدعون عليه فقال : لاتفعلوا وقولوا خيرا فإنى قد جعلتها صدقة عليه .

وقيل لبعضهم فى شىء قد كان سرق له : ألا تدعو على ظالمك ! قال : ماأحب أن أكون عونا للشيطان عليه . قيل : أرأيت لو رد عليك ؟ قال : لا آخذه ولاأنظر إليه لأنى كنت قد أحللته له .

وقيل لآخر : ادع الله على ظالمك ، فقال : ماظلمنى أحد ، ثم قال : إنما ظلم نفسه ، ألا يكفيه المسكين ظلم نفسه حتى أزيده شرا .

وأكثر بعضهم شتم الحجاج عند بعض السلف فى ظلمه ، فقال : لاتغرق فى شتمه ، فإنّ الله تعالى ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينتصف منه لمن أخذ ماله ودمه .

وفى الخبر « إنّ العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ماظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتص له من المظلوم [2] » (السادس) أن يغتم لأجل السارق وعصيانه وتعرّضه لعذاب الله تعالى ، ويشكر الله تعالى إذ جعله مظلوما ولم يجعله ظالما وجعل ذلك نقصا فى دنياه لانقصا فى دينه ، فقد شكا بعض الناس إلى عالم أنه قطع عليه الطريق وأخذ ماله فقال : إن لم يكن لك غم أنه قد صار فى المسلمين من يستحل هذا أكثر من غمك بمالك فما نصحت للمسلمين .

وسرق من على بن الفضيل دنانير وهو يطوف بالبيت ، فرآه أبوه وهو يبكى ويحزن ، فقال : أعلى الدنانير تبكى ؟ فقال : لاوالله ولكن على المسكين أن يسئل يوم القيامة ولاتكون له حجة .

وقيل لبعضهم : ادع على من ظلمك ، فقال : إنى مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه ، فهذه أخلاق السلف رضى الله عنهم أجمعين .

(الفن الرابع : فى السعى فى إزالة الضرر كمداواة المرض وأمثاله) اعلم أنّ الأسباب المزيلة للمرض أيضاً تنقسم إلى مقطوع به كالماء المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع ، وإلى مظنون كالفصد والحجامة وشرب الدواء المسهل وسائر أبواب الطب ، أعنى معالجة البرودة بالحرارة والحرارة بالبرودة وهى الأسباب الظاهرة فى الطب ، وإلى موهوم كالكى والرقية . أما المقطوع فليس من التوكل تركه ، بل تركه حرام عند خوف الموت . وأما الموهوم فشرط التوكل تركه إذ به وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين ، وأقواها الكى ، ويليه الرقية ، والطيرة آخر درجاتها ، والاعتماد عليها والاتكال إليها غاية التعمق فى ملاحظة الأسباب ، وأما الدرجة المتوسطة وهى المظنونة كالمداواة بالأسباب الظاهرة عند الأطباء ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم ، وتركه ليس محظورا بخلاف المقطوع ، بل قد يكون أفضل من فعله فى بعض الأحوال وفى بعض الأشخاص فهى على درجة بين الدرجتين ، ويدل على أنّ التداوى غير مناقض للتوكل فعل رسول الله صلى الله عليه

---

(١) حديث « من دعا على من ظلمه فقد انتصر » تقدم . (٣) حديث « إن العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ماظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة ... الحديث » تقدم .

وسلم وقوله وأمره به ؛ أما قوله فقد قال صلى الله عليه وسلم « مامن داء إلا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله إلا السام [١] » يعنى الموت . وقال عليه السلام « تداووا عباد الله فإنّ الله خلق الداء والدواء [٢] » . وسئل عن الدواء والرقى هل ترد من قدر الله شيئا ؟ قال : « هى من قدر الله [٣] » وفى الخبر المشهور « مامررت بملأ من الملائكة إلا قالوا مرأمتك بالحجامة [٤] » وفى الحديث أنه أمر بها وقال « احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين لايتبيغ بكم الدم فيقتلكم [٥] » فذكر أنّ تبيغ الدم سبب الموت وأنه قاتل بإذن الله تعالى ، وبين أنّ إخراج الدم خلاص منه ، إذ لافرق بين إخراج الدم المهلك من الإهاب وبين إخراج العقرب من تحت الثياب وإخراج الحية من البيت ، وليس من شرط التوكل ترك ذلك ، بل هو كصب الماء على النار لإطفائها ودفع ضررها عند وقوعها فى البيت ، وليس من التوكل الخروج عن سنة الوكيل أصلا . وفى خبر مقطوع « من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة [٦] » وأما امره صلى الله عليه وسلم فقد أمر غير واحد من الصحابة بالتداوى وبالحمية [٧] ، وقطع لسعد بن معاذ عرقا [٨] أى فصده ، وكوى سعد بن زرارة [٩] ، وقال لعلى رضى الله تعالى عنه وكان رمد العين « لاتأكل من هذا » يعنى الرطب «وكل من هذا فإنه أوفق لك [١٠] » يعنى سلقا قد طبخ بدقيق شعير . وقال لصهيب وقد رآه يأكل التمر وهو وجع العين «تأكل تمرا وأنت أرمد » فقال : «إنى آكل من الجانب الآخر » فتبسم صلى الله عليه وسلم [١١] » . وأما فعله عليه الصلاة والسلام فقد روى فى حديث من طريق أهل البيت أنه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة [١٢] قيل : السنا المكى .

---

(١) حديث « مامن داء إلا له دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله إلا السام » رواه أحمد والطبرانى من حديث ابن مسعود دون قوله « إلا السام » وهو عند ابن ماجه مختصرا دون قوله « عرفه ... إلى آخره » وإسناده حسن ، وللترمذى وصححه من حديث أسامة بن شريك « إلا الهرم » وللطبرانى فى الأوسط والبزار من حديث أبى سعيد الخدرى والطبرانى فى الكبير من حديث ابن عباس وسندهما ضعيف ، والبخارى من حديث أبى هريرة « ماأنزل الله داء إلا أنزل له شفاء » ولمسلم من حديث جابر « لكل داء دواء » . (٢) حديث « تداووا عباد الله ... » رواه الترمذى وصححه ، وابن ماجه واللفظ له من حديث أسامة ابن شريك . (٣) حديث : سئل عن الدواء والرقى هل يرد من قدر الله فقال « هى من قدر الله ... » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى خزامة ، وقيل عن أبى خزامة عن أبيه ، قال الترمذى : وهذا أصح . (٤) حديث «مامررت بملأ من الملائكة إلا قالوا مرأمتك بالحجامة » رواه الترمذى من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب ، ورواه ابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف . (٥) حديث « احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة ولإحدى وعشرين ... الحديث » أخرجه البزار من حديث ابن عباس بسند حسن موقوفا ، ورفعه الترمذى بلفظ « إن خير ماتحتجمون فيه سبع عشرة ... الحديث » دون ذكر التبيغ ، وقال : حسن غريب ، وقال البزار : إن طريقه المتقدمة أحسن من هذا الطريق ، ولابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف «من أراد الحجامة فليتحر سبعة عشر ... الحديث » .

(٦) حديث « من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة » رواه الطبرانى من حديث معقل بن يسار ، وابن حبان فى الضعفاء من حديث أنس وإسنادهما واحد اختلف على راويه فى الصحابى ، وكلاهما فيه زين العمى وهو ضعيف . (٧) حديث أمره بالتداوى لغير واحد من الصحابة . أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أسامة بن شريك أنه قال للأعراب حين سألوه « تداووا ... الحديث » وسيأتى فى قصة على وصهيب فى الحمية بعده . (٨) حديث : قطع عرقا لسعد ابن معاذ ، أخرجه مسلم من حديث جابر قال : رمى سعد فى أكحله فحسمه النبى صلى الله عليه وسلم بيده بمشقص . . . الحديث .

(٩) حديث أنه كوى أسعد بن زرارة ، رواه الطبرانى من حديث سهل بن حنيف بسند ضعيف ، ومن حديث أبى أسامة بن سهل بن حنيف دون ذكر سهل . (١٠) حديث قال لعلى وكان رمدا « لاتأكل من هذا . . . الحديث » رواه أبو داود والترمذى وقال : حسن غريب ، وابن ماجه من حديث أم المنذر . (١١) حديث قال لصهيب وقد رآه يأكل التمر وهو وجع العين « تأكل تمرا وأنت رمد ... الحديث » تقدم فى آفات اللسان . (١٢) حديث من طريق أهل البيت أنه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة ، أخرجه ابن عدى من حديث عائشة وقال : إنه منكر ، وفيه سيف بن محمد كذبه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين .

وتداوى صلى الله عليه وسلم غير مرة من العقرب وغيرها [١] . وروى أنه كان إذا نزل عليه الوحى صدع رأسه فكان يغلفه بالحناء [٢] . وفى خبر : أنه كان إذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء ، وقد جعل على قرحة خرجت به ترابا [٣] ، وما روى فى تداويه وأمره بذلك كثير خارج عن الحصر ، وقد صنف فى ذلك كتاب وسمى طب النبى صلى الله عليه وسلم . وذكر بعض العلماء فى الإسرائيليات، أن موسى عليه السلام اعتل بعلة فدخل عليه بنو إسرائيل فعرفوا علته ؛ فقالوا له : لو تداويت بكذا لبرئت ، فقال : لا أتداوى حتى يعافينى هو من غير دواء ، فطالت علته فقالوا له : إن دواء هذه العلة معروف مجرب ، وإنا نتداوى به فنبرأ ، فقال : لا أتداوى ، وأقامت علته ، فأوحى الله تعالى إليه : وعزتى وجلالى لا أبرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك ، فقال لهم : داوونى بما ذكرتم ، فداووه فبرأ ، فأوجس فى نفسه من ذلك ، فأوحى الله تعالى إليه : أردت أن تبطل حكمتى بتوكلك على من أودع العقاقير منافع الأشياء غيرى ؟ .

وروى فى خبر آخر أنّ نبيا من الأنبياء عليهم السلام شكا علة يجدها ، فأوحى الله تعالى إليه : كل البيض. وشكا نبى آخر الضعف ، فأوحى الله تعالى إليه : كل اللحم باللبن فإن فيهما القوة ، قيل هو الضعف عن الجماع .

وقد روى أنّ قوما شكوا إلى نبيهم قبح أولادهم ، فأوحى الله تعالى إليه : مرهم أن يطعموا نساءهم الحبلى السفرجل فإنه يحسن الولد ويفعل ذلك فى الشهر الثالث والرابع ، إذ فيه يصور الله تعالى الولد، وقد كانوا يطعمون الحبلى السفرجل، والنفساء الرطب .

فبهذا تبين أن مسبب الأسباب أجرى سنته بربط المسببات بالأسباب إظهاراً للحكمة ، والأدوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الأسباب ، فكما أن الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش فالسكنجبين دواء الصفراء ، والسقمونيا دواء الإسهال لا يفارقه إلا فى أحد أمرين (أحدهما) أن معالجة الجوع والعطش بالماء والخبز جلى واضح يدركه كافة الناس ، ومعالجة الصفراء بالسكنجبين يدركه بعض الخواص ، فمن أدرك ذلك بالتجربة التحق فى حقه بالأول (والثانى) أن الدواء يسهل ، والسكنجبين يسكن الصفراء بشروط أخر فى الباطن وأسباب فى المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها ، وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الإسهال . وأما زوال العطش فلا يستدعى سوى الماء شروطا كثيرة ، وقد يتفق من العوارض ما يوجب داء العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر واختلال الأسباب أبدا يقصر فى هذين الشيئين ، وإلا فالمسبب يتلو السبب لا محالة مهما تمت شروط السبب ، وكل ذلك بتدبير مسبب الأسباب وتسخيره ، وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته ، فلا يضر المتوكل استعماله مع النظر إلى مسبب الأسباب دون الطبيب والدواء ؛ فقد روى عن موسى صلى الله عليه وسلم أنه قال : يارب ، ممن الداء والدواء ؟ فقال تعالى : منى . قال : فما يصنع الأطباء ؟ قال : يأكلون أرزاقهم ويطيبون نفوس

---

(١) حديث أنه تداوى غير مرة من العقرب وغيرها ، رواه الطبرانى بإسناد حسن من حديث جبلة بن الأزرق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لدغته عقرب فنفى عليه فرقاه الناس ... الحديث ، وله فى الأوسط من رواية سعيد بن ميسرة وهو ضعيف عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى تفجع كفا من شونيز ويشرب عليه ماء وعسلا ، ولأبى يعلى والطبرانى فى الكبير من حديث عبد الله بن جعفر أن النبى صلى الله عليه وسلم احتجم بعد ماسم ، وفيه جابر الجعفى ضعفه الجمهور .

(٢) حديث : كان إذا نزل عليه الوحى صدع رأسه فيغلفه بالحناء ، أخرجه البزار وابن عدى فى الكامل من حديث أبى هريرة ، وقد اختلف فى إسناده على الأحوص بن حكيم : كان إذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء ، رواه الترمذى وابن ماجه من حديث سلمى ، قال الترمذى : غريب .

(٣) حديث : جعل على قرحة خرجت بيده ترابا ، رواه البخارى ومسلم من حديث عائشة : كان إذا اشتكى الإنسان الشىء منه أو كانت قرحة أو جرح قال النبى صلى الله عليه وسلم بيده هكذا ، ووضع سفيان بن عيينة الراوى سبابته بالأرض ثم رفعها وقال « بسم الله تربة أرضنا وريقة بعضنا يشفى سقيمنا » .

عبادى حتى يأتى شفائى أو قضائى ؛ فإذن معنى التوكل مع التداوى التوكل بالعلم والحال ، كما سبق فى فنون الأعمال الدافعة للضرر الجالبة للنفع ، فأما ترك التداوى رأسا فليس شرطا فيه .

، فإن قلت : فالكى أيضا من الأسباب الظاهرة النفع . فأقول : ليس كذلك، إذ الأسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب المسهل وسقى المبردات للمحرور . وأما الكى فلو كان مثلها فى الظهور لما خلت البلاد الكثيرة عنه ، وقلما يعتاد الكى فى أكثر البلاد ، وإنما ذلك عادة بعض الأتراك والأعراب ؛ فهذا من الأسباب الموهومة كالرقى ، إلا أنه يتميز عنها بأمر وهو أنه احراق النار فى الحال مع استغناء عنه فإنه مامن وجع يعالج بالكى إلا وله دواء يغنى عنه ليس فيه إحراق ، فالإحراق بالنار جرح مخرب للبنية محذور السراية مع الاستغناء عنه ، بخلاف الفصد والحجامة فإن سرايتهما بعيدة ولا يسدّ مسدّهما غيرهما ، ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكى دون الرقى (١) . وكل واحد منهما بعيد عن التوكل . وروى أن عمران بن الحصين اعتل فأشاروا عليه بالكى فامتنع ، فلم يزالوا به وعزم عليه الأمر حتى اكتوى ، فكان يقول . كنت أرى نوراً وأسمع صوتا وتسلم على الملائكة ، فلما اكتويت انقطع ذلك عنى ، وكان يقول اكتوينا كيات فوالله ما أفلحت ولا أنجحت ، ثم تاب من ذلك وأناب إلى الله تعالى ، فرد الله تعالى عليه ما كان يجد من أمر الملائكة . وقال لمطرف بن عبد الله : ألم تر إلى الملائكة التى كان أكرمنى الله بها قد ردها الله تعالى على ! بعد أن كان أخبره بفقدها ؛ فإذن الكى وما يجرى مجراه هو الذى لا يليق بالمتوكل لأنه يحتاج فى استنباطه إلى تدبير ، ثم هو مذموم ، ويدل ذلك على شدة ملاحظة الأسباب وعلى التعمق فيها ، والله أعلم

بيان أن ترك التداوى قد يحمد فى بعض الأحوال ويدل على قوة التوكل وأن ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

اعلم أن الذين تداووا من السلف لا ينحصرون ، ولكن قد ترك التداوى أيضا جماعة من الأكابر ، فربما يظن أن ذلك نقصان ، لأنه لو كان كمالا لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ لا يكون حال غيره فى التوكل أكمل من حاله .

وقد روى عن أبى بكر رضى الله عنه أنه قيل له : لو دعونا لك طبيبا ؟ فقال : الطبيب قد نظر إلى وقال : إنى فعال لما أريد . وقيل لأبى الدرداء فى مرضه : ماتشتكى ؟ قال : ذنوبى . قيل : فما تشتهى ؟ قال : مغفرة ربى . قالوا ألا ندعو لك طبيبا ؟ قال : الطبيب أمرضنى

وقيل لأبى ذر وقد رمدت عيناه : لو داويتهما ؟ قال : إنى عنهما مشغول ؛ فقيل : لو سألت الله تعالى أن يعافيك ؟ فقال : أسأله فيما هو أهم على منهما .

وكان الربيع بن خثيم أصابه فالج ، فقيل له لو تداويت ؟ فقال : قد هممت ثم ذكرت عادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكان فيهم الأطباء ، فهلك المداوى والمدواى ، ولم تغن الرقى شيئا .

وكان أحمد بن حنبل يقول : أحب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوى من شرب الدواء وغيره وإن كان به علل فلا يخبر المتطبب بها أيضا إذا سأله .

---

(١) حديث : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكى دون الرقى ، رواه البخارى من حديث ابن عباس « وأنهى أمتى عن الكى » وفى الصحيحين من حديث عائشة : رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرقية من كل ذى حمة .

وقيل لسهل : متى يصح للعبد التوكل ؟ قال : إذا دخل عليه الضرر فى جسمه والنقص فى ماله فلم يلتفت إليه شغلا بحاله وينظر إلى قيام الله تعالى عليه .

فإذا منهم من ترك التداوى وراءه ، ومنهم من كرهه ، ولا يتضح وجه الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعالهم إلا بحصر الصوارف عن التداوى . فنقول : إن لترك التداوى أسبابا (السبب الأول) أن يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف بأنه انتهى أجله وأن الدواء لاينفعه ، ويكون ذلك معلوما عنده تارة برؤيا صادقة ، وتارة بحدس وظن ، وتارة بكشف محقق ، ويشبه أن يكون ترك الصديق رضى الله عنه التداوى من هذا السبب ، فإنه كان من المكاشفين ، فإنه قال لعائشة رضى الله عنها فى أمر الميراث : إنما هن أختاك ، وإنما كان لها أخت واحدة ولكن كانت امرأته حاملا فولدت أنثى ، فعلم أنه كان قد كوشف بأنها حامل بأنثى ، فلا يبعد أن يكون قد كوشف أيضا بانتهاء أجله ، وإلا فلا يظن به إنكار التداوى وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تداوى وأمر به (السبب الثانى) أن يكون المريض مشغولا بحاله وبخوف عاقبته واطلاع الله تعالى عليه ، فينسيه ذلك ألم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوى شغلا بحاله ، وعليه يدل كلام أبى ذر إذ قال : إنى عنهما مشغول وكلام أبى الدرداء إذ قال : إنما أشتكى ذنوبى ، فكان تألم قلبه خوفا من ذنوبه أكثر من تألم بدنه بالمرض ، ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من أعزته ، أو كالخائف الذى يحمل إلى ملك من الملوك ليقتل إذا قيل له : ألا تأكل وأنت جائع ؟ فيقول : أنا مشغول عن ألم الجوع ، فلايكون ذلك إنكارا لكون الأكل نافعاً من الجوع ولا طعنا فيمن أكل ، ويقرب من هذا استعمال سهل حيث قيل له : ما القوت ؟ فقال : هو ذكر الحى القيوم ، فقيل : إنما سألناك عن القوام ؟ فقال : القوام هو العلم . قيل : سألناك عن الغذاء ؟ قال : الغذاء هو الذكر . قيل : سألناك عن طعمة الجسد ؟ قال : مالك وللجسد . دع من تولاه أولا يتولاه آخرا : إذا دخل عليه علة فرده إلى صانعه ، أما رأيت الصنعة إذا عيبت ردوها إلى صانعها حتى يصلحها (السبب الثالث) أن تكون العلة مزمنة والدواء الذى يؤمر به بالإضافة إلى علته موهوم النفع جار مجرى الكى والرقية ، فيتركه المتوكل ، وإليه يشير قول الربيع بن خثيم إذ قال : ذكرت عادا وثمود وفيهم الأطباء فهلك المداوى والمداوى . أى أن الدواء غير موثوق به ، وهذا قد يكون كذلك فى نفسه ، وقد يكون عند المريض كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة تجربته له ، فلا يغلب على ظنه كونه نافعا ، ولا شك فى أن الطبيب المجرب أشد اعتقادا فى الأدوية من غيره ، فتكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد ، والاعتقاد بحسب التجربة ، وأكثر من ترك التداوى من العباد والزهاد ، هذا مستندهم لأنه يبقى الدواء عنده شيئا موهوما لا أصل له ، وذلك صحيح فى بعض الأدوية عند من عرف صناعة الطب ، غير صحيح فى البعض ، ولكن غير الطبيب قد ينظر إلى الكل نظرا واحدا ، فيرى التداوى تعمقا فى الأسباب كالكى والرقى ، فيتركه (السبب الرابع) أن يقصد العبد بترك التداوى استبقاء المرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى ، أو ليجرب نفسه فى القدرة على الصبر . فقد ورد فى ثواب المرض ما يكثر ذكره . فقد قال صلى الله عليه وسلم « نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى العبد على قدر إيمانه فإن كان صلب الإيمان شدد عليه البلاء . وإن كان فى إيمانه ضعف خفف عنه البلاء [1] » وفى الخبر « إن الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار

(١) حديث « نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل ... الحديث » رواه أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه على شرط مسلم نحوه مع اختلاف ، وقد تقدم مختصرا ، ورواه الحاكم أيضا من حديث سعد بن أبى وقاص وقال : صحيح على شرط الشيخين .

فنهم من يخرج كالذهب الإبريز ، لا يزيد ، ومنهم دون ذلك ، ومنهم من يخرج أسود محترقا [١] » وفى حديث من طريق أهل البيت « إن الله تعالى إذا أحب عبدا ابتلاه ، فإن صبر اجتباه ، فإن رضى اصطفاه [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « تحبون أن تكونوا كالحمر الضالة لا تمرضون ولا تسقمون [٣] » وقال ابن مسعود رضى الله عنه ، تجد المؤمن أصح شيء قلبا وأمرضه جسما ، وتجد المنافق أصح شيء جسما وأمرضه قلبا ، فلما عظم الثناء على المرض والبلاء أحب قوم المرض واغتنموه لينالوا ثواب الصبر عليه ، فكان منهم من له علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب ويقاسى العلة ويرضى بحكم الله تعالى ويعلم أن الحق أغلب على قلبه من أن يشغله المرض عنه ، وإنما يمنع المرض جوارحه ، وعلموا أن صلاتهم قعودا مثلا مع الصبر على قضاء الله تعالى أفضل من الصلاة قياما مع العافية والصحة ، ففى الخبر « إن الله تعالى يقول لملائكته : اكتبوا لعبدى صالح ما كان يعمله فإنه فى وثاقى إن أطلقته أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ، وإن توفيته توفيته إلى رحمتى [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس [٥] » فقيل : معناه ما دخل عليه من الأمراض والمصائب ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ﴾ وكان سهل يقول : ترك التداوى وإن ضعف عن الطاعات وقصر عن الفرائض أفضل من التداوى لأجل الطاعات . وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها ، وكان يداوى الناس منها ، وكان إذا رأى العبد يصلى من قعود ولا يستطيع أعمال البر من الأمراض ، فيتداوى للقيام إلى الصلاة والنهوض إلى الطاعات يعجب من ذلك ويقول : صلاته من قعود مع الرضا بحاله أفضل من التداوى للقوة والصلاة قائما ، وسئل عن شرب الدواء فقال : كل من دخل فى شيء من الدواء فإنما هو سعة من الله تعالى لأهل الضعف ، ومن لم يدخل فى شيء فهو أفضل ، لأنه إن أخذ شيئا من الدواء ولو كان هو الماء البارد يسئل عنه لم أخذه ؟ ومن لم يأخذ فلا سؤال عليه . وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لعلمهم بأن ذرة من أعمال القلوب : مثل الصبر والرضا والتوكل أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح ، والمرض لا يمنع من أعمال القلوب إلا إذا كان ألمه غالبا مدهشا . وقال سهل رحمه الله علل الأجسام رحمة الله وعلل القلوب عقوبة .

السبب الخامس : أن يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف منها عاجز عن تكفيرها ، فيرى المرض إذا طال تكفيرا فيترك التداوى خوفا من أن يسرع زوال المرض فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى يمشى على الأرض كالبردة ما عليه ذنب ولا خطيئة [٦] » وفى الخبر « حمى يوم كفارة سنة [٧] » فقيل لأنها تهد قوة سنة وقيل للإنسان ثلثمائة وستون مفصلا فتدخل الحمى جميعها ويجد من كل واحد ألما فيكون كل

---

(١) حديث « إن الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه ... الحديث » رواه الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف . (٢) حديث : من طريق أهل البيت : إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه ... الحديث ، ذكره صاحب الفردوس من حديث على ولم يخرجه ولده فى مسنده ، وللطبرانى من حديث أبى عنبة « إذ أراد الله بعبد خيرا ابتلاه ، وإذا ابتلاه اقتناه لا يترك له مالا ولا ولدا » وسنده ضعيف . (٣) حديث « تحبون أن تكونوا كالحمر الضالة لا تمرضون ولا تسقمون » أخرجه ابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى ، وأبو نعيم وابن عبد البر فى الصحابة ، والبيهقى فى الشعب من حديث أبى فاطمة ، وهو صدر حديث « إن الرجل تكون له المنزلة عند الله ... الحديث ، وقد تقدم . (٤) حديث « إن الله يقول للملائكة : اكتبوا لعبدى صالح ما كان يعمل فإنه فى وثاق ... الحديث » أخرجه الطبرانى من حديث عبد الله بن عمر ، وقد تقدم . (٥) حديث « أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس » تقدم ولم أجده مرفوعا .

(٦) حديث « لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى يمشى على الأرض كالبردة ما عليه خطيئة » أخرجه أبو يعلى وابن عدى من حديث أبى هريرة ، والطبرانى من حديث أبى الدرداء نحوه وقال « الصداع » بدل « الحمى » وللطبرانى فى الأوسط من حديث أنس « مثل المريض إذا صح وبرأ من مرضه كمثل البردة تقع من السماء تقع فى صفائها ولونها » وأسانيده ضعيفة . (٧) حديث « حمى يوم كفارة سنة » رواه القضاعى فى مسند الشهاب من حديث ابن مسعود بسند ضعيف وقال « ليلة » بدل « يوم » .

ألم كفارة يوم . ولما ذكر صلى الله عليه وسلم كفارة الذنوب بالحمى ، سأل زيد بن ثابت ربه عز وجل أن لايزال محموما فلم تكن الحمى تفارقه حتى مات رحمه الله ، وسأل ذلك طائفة من الأنصار فكانت الحمى لاتزايلهم [1] ولما قال صلى الله عليه وسلم « من أذهب الله كريمتيه لم يرض له ثوابا دون الجنة [2] » قال فلقد كان من الأنصار من يتمنى العمى . وقال عيسى عليه السلام ، لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب والأمراض على جسده وماله لما يرجو فى ذلك من كفارة خطاياه . وروى أنّ موسى عليه السلام نظر إلى عبد عظيم البلاء فقال : يارب ارحمه فقال تعالى : كيف أرحمه فيما به أرحمه — أى به أكفر ذنوبه — وأزيد فى درجاته .

السبب السادس : أن يستشعر العبد فى نفسه مبادى البطر والطغيان بطول مدة الصحة فيترك التداوى خوفا من أن يعاجله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر والطغيان ، أو طول الأمل والتسويف فى تدارك الفائت وتأخير الخيرات ، فإنّ الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها ينبعث الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو إلى المعاصى ، وأقلها أن تدعو إلى التنعم فى المباحات ، وهو تضييع الأوقات وإهمال للربح العظيم فى مخالفة النفس وملازمة الطاعات ، وإذا أراد الله بعبد خيراً لم يخله عن التنبه بالأمراض والمصائب ، ولذلك قيل : لايخلو المؤمن من علة أو قلة أو زلة . وقد روى « أن الله تعالى يقول : الفقر سجنى والمرض قيدى أحبس به من أحب من خلقى » فإذا كان فى المرض حبس عن الطغيان وركوب المعاصى فأى خير يزيد عليه ؟ ولم ينبغ أن يشتغل بعلاجه من يخاف ذلك على نفسه فالعافية فى ترك المعاصى ، فقد قال بعض العارفين لإنسان : كيف كنت بعدى ؟ قال . فى عافية ، قال : إن كنت لم تعص الله عز وجل فأنت فى عافية وإن كنت قد عصيته فأى داء أدوأ من المعصية ؟ ماعوفى من عصى الله وقال على كرم الله وجهه لما رأى زينة النبط بالعراق فى يوم عيد : ماهذا الذى أظهروه ؟ قالوا : ياأمير المؤمنين هذا يوم عيد لهم ، فقال : كل يوم لايعصى الله عز وجل فيه فهو لنا عيد .

وقال تعالى ﴿ من بعد ماأراكم ماتحبون ﴾ قيل العوافى ﴿ إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ وكذلك إذا استغنى بالعافية . قال بعضهم : إنما قال فرعون : أنا ربكم الأعلى لطول العافية ، لأنه لبث أربعمائة سنة لم يصدع له رأس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية — لعنه الله — ولو أخذته الشقيقة يوما لشغلته عن الفضول فضلا عن دعوى الربوبية . وقال صلى الله عليه وسلم « أكثروا من ذكر هاذم اللذات [3] » وقيل : الحمى رائد الموت فهو مذكر له ودافع للتسويف .

وقال تعالى ﴿ أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لايتوبون ولا هم يذكرون ﴾ قيل يفتنون بأمراض يختبرون بها . ويقال . إنّ العبد إذا مرض مرضتين ثم لم يتب قال له ملك الموت : ياغافل جاءك منى رسول بعد رسول فلم تجب .

---

(١) حديث لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة الذنوب بالحمى سأل زيد بن ثابت أن لا يزال محموما ... الحديث ، وسأل ذلك طائفة من الأنصار : أخرجه أحمد وأبو يعلى من حديث أبى سعيد الخدرى بإسناد جيد : أن رجلا من المسلمين قال يا رسول الله : أرأيت هذه الأمراض تصيبنا مالنا فيها قال « كفارات » قال أبى : وإن قلت ؟ قال « فإن شوكة فما فوقها » قال : فدعا أبى أن لايفارقه الوعك حتى يموت ... الحديث ، وللطبرانى فى الأوسط من حديث أبى بن كعب أنه قال : يارسول الله ، ماجزاء الحمى ؟ قال : تجرى الحسنات على صاحبها ما اختلج عليه قدم أو ضرب عليه عرق ، فقال : اللهم إنى أسألك حمى لاتمنعنى خروجا فى سبيلك ولاخروجا إلى بيتك ولا لمسجد نبيك . . . الحديث ، والإسناد مجهول ، قاله على بن المدينى . (٢) حديث « من أذهب الله كريمتيه لم يرض له ثوابا دون الجنة » تقدم المرفوع منه دون قوله : فلقد كان فى الأنصار من يتمنى العمى .

(٣) حديث « أكثروا ذكر هاذم اللذات » أخرجه الترمذى وقال : حسن غريب ، والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة وقد تقدم .

وقد كان السلف لذلك يستوحشون إذا خرج عام ولم يصابوا فيه بنقص فى نفس أو مال . وقالوا : لا يخلو المؤمن فى كل أربعين يوما أن يروع روعة أو يصاب ببلية حتى روى أنّ عمار بن ياسر تزوّج امرأة فلم تكن تمرض فطلقها ، وأنّ النبى صلى الله عليه وسلم « عرض عليه امرأة فحكى من وصفها حتى هم أن يتزوجها ، فقيل وإنها ما مرضت قط ، فقال لاحاجة لى فيها [1] » . وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراض والأوجاع كالصداع وغيره ، فقال رجل : وما الصداع ما أعرفه ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم « إليك عنى من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا وهذا [2] » ، لأنه ورد فى الخبر « الحمى حظ كل مؤمن من النار [3] » .

وفى حديث أنس وعائشة رضى الله عنهما : قيل يارسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم ؟ فقال « نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة [4] » ، وفى لفظ آخر « الذى يذكر ذنوبه فتحزنه » ، ولا شك فى أن ذكر الموت على المريض أغلب ، فلما أن كثرت فوائد المرض رأى جماعة ترك الحيلة فى زوالها إذ رأوا لأنفسهم مزيدا فيها لامن حيث رأوا التداوى نقصانا ؟ وكيف يكون نقصانا وقد فعل ذلك صلى الله عليه وسلم ؟ .

بيان الرد على من قال : ترك التداوى أفضل بكل حال

فلو قال قائل : إنما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسنّ لغيره وإلا فهو حال الضعفاء ، ودرجة الأقوياء توجب التوكل بترك الدواء ؟ فيقال : ينبغى أن يكون من شروط التوكل ترك الحجامة والفصد عند تبيغ الدم .

فإن قيل : إنّ ذلك أيضا شرط فليكن من شرطه أن تلدغه العقرب أو الحية فلا ينحيها عن نفسه ، إذ الدم يلدغ الباطن والعقرب تلدغ الظاهر فأى فرق بينهما ؟ . فإن قال : وذلك أيضا شرط التوكل ؟ فيقال : ينبغى أن لا يزيل لدغ العطش بالماء ولدغ الجوع بالخبز ولدغ البرد بالجبة وهذا لاقائل به .

ولا فرق بين هذه الدرجات فإن جميع ذلك أسباب رتبها مسبب الأسباب سبحانه وتعالى وأجرى بها سنته . ويدل على أنّ ذلك ليس من شرط التوكل ماروى عن عمر رضى الله عنه وعن الصحابة فى قصة الطاعون ، فإنهم لما قصدوا الشام وانتهوا إلى الجابية بلغهم الخبر أن به موتا عظيما ووباء ذريعا ، فافترق الناس فرقتين ، فقال بعضهم : لاندخل على الوباء فنلقى بأيدينا إلى التهلكة ، وقالت طائفة أخرى : بل ندخل ونتوكل ولا نهرب من قدر الله تعالى ولا نفرّ من الموت فنكون كمن قال الله تعالى فيهم ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت﴾ فرجعوا إلى عمر فسألوه عن رأيه ، فقال : نرجع ولا ندخل على الوباء ، فقال له المخالفون فى رأيه : أنفرّ من قدر الله تعالى ، قال عمر : نعم نفرّ من قدر الله إلى قدر الله ، ثم ضرب لهم مثلا ، فقال : أرأيتم لو كان لأحدكم غنم فهبط واديا له شعبتان : إحداهما مخصبة : والأخرى مجدبة ، أليس إن رعى المخصبة رعاها بقدر الله تعالى وإن رعى المجدبة رعاها بقدر الله تعالى ؟ فقالوا : نعم ، ثم طلب عبد الرحمن بن عوف ليسأله عن رأيه ـ وكان غائبا ـ فلما أصبحوا جاء

---

(١) : حديث عرضت عليه امرأة فذكر من وصفها حتى هم أن يتزوجها ، فقيل : فإنها ما مرضت قط ، فقال « لاحاجة لى فيها » أخرجه أحمد من حديث أنس بنحوه بإسناد جيد . (٢) حديث : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراض والأوجاع كالصداع وغيره ، فقال رجل : وما الصداع ، ما أعرفه ؟ فقال « إليك عنى » . الحديث » رواه أبو داود من حديث عامر البرام أخى الخضر بنحوه ، وفى إسناده من لم يسم . (٣) حديث « الحمى حظ كل مؤمن من النار » رواه البزار من حديث عائشة ، وأحمد من حديث أبى أمامة والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس ، وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن مسعود ، وحديث أنس ضعيف وبانيها حسان . (٤) حديث أنس وعائشة : قيل يارسول الله ، هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم ؟ فقال « نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة » لم أقف له على إسناد .

عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك ، فقال : عندى فيه ياأمير المؤمنين شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : الله أكبر ، فقال عبد الرحمن : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا سمعتم بالوباء فى أرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع فى أرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه (١) » ، ففرح عمر رضى الله عنه بذلك وحمدالله تعالى إذ وافق رأيه ، ورجع من الجابية بالناس . فإذن كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من أعلى المقامات إن كان أمثال هذا من شروط التوكل ؟ .

* فإن قلت : فلم نهى عن الخروج من البلد الذى فيه الوباء ، وسبب الوباء فى الطب الهواء ، وأظهر طرق التداوى الفرار من المضر ، والهواء هو المضر وترك التوكل فى أمثال هذا مباح ، وهذالايدل على المقصود ، ولكن الذى ينقدح فيه ـ والعلم عند الله تعالى ـ أن الهواء لا يضر من حيث إنه يلاقى ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له ، فإنه إذا كان فيه عفونة ووصل إلى الرئة والقلب وباطن الأحشاء أثر فيها بطول الاستنشاق فلايظهر الوباء على الظاهر إلا بعد طول التأثير فى الباطن ، فالخروج من البلد لايخلص غالبا من الأثر الذى استحكم من قبل ، ولكن يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقى والطيرة وغيرهما ، ولو تجرد هذا المعنى لكان مناقضا للتوكل ولم يكن منهيا عنه ، ولكن صار منهيا عنه لأنه انضاف إليه أمر آخر وهو أنه لو رخص للأصحاء فى الخروج لما بقى فى البلد إلا المرضى الذين أقعدهم الطاعون فانكسرت قلوبهم وفقدوا المتعهدين ، ولم يبق فى البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرتهما بأنفسهم فيكون ذلك سعيا فى إهلاكهم تحقيقا ، وخلاصهم منتظر كما أن خلاص الأصحاء منتظر ؛ فلو أقاموا لم تكن الإقامة قاطعة بالموت ، ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا بالخلاص وهو قاطع فى إهلاك الباقين ، والمسلمون كالبنيان يشد بعضه بعضا والمؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى إليه سائر أعضائه . فهذا هو الذى ينقدح عندنا فى تعليل النهى وينعكس هذا فيمن لم يقدم بعد على البلد فإنه لم يؤثر الهواء فى باطنهم ولا بأهل البلد حاجة إليهم . نعم لو لم يبق بالبلد إلا مطعونون وافتقروا إلى المتعهدين وقدم عليهم قوم فربما كان ينقدح استحباب الدخول ههنا لأجل الإعانة ، ولا ينهى عن الدخول لأنه تعرض لضرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن بقية المسلمين ، وبهذا شبه الفرار من الطاعون فى بعض الأخبار بالفرار من الزحف (٢) لأن فيه كسرا لقلوب بقية المسلمين وسعيا فى إهلاكهم . فهذه أمور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر إلى ظواهر الأخبار والآثار يتناقض عنده أكثر ماسمعه ، وغلط العباد والزهاد فى مثل هذا كثير وإنما شرف العلم وفضيلته لأجل ذلك .

فإن قلت : فى ترك التداوى فضل كما ذكرت فلم لم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم التداوى لينال الفضل ؟ فنقول : فيه فضل بالإضافة إلى من كثرت ذنوبه ليكفرها ، أو خاف على نفسه طغيان العافية وغلبة الشهوات ، أو احتاج إلى ما يذكره الموت لغلبة الغفلة ، أو احتاج إلى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين والمتوكلين ، أو قصرت بصيرته عن الاطلاع على ما أودع الله تعالى فى الأدوية من لطائف المنافع حتى صار فى حقه موهوما كالرقى ، أو كان شغله بحاله يمنعه عن التداوى وكان التداوى يشغله عن حاله لضعفه عن الجمع ؛ فإلى هذه المعانى رجعت الصوارف فى ترك التداوى ، وكل ذلك كمالات بالإضافة إلى بعض الخلق ونقصان بالإضافة إلى درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل كان مقامه أعلى من هذه المقامات كلها إذ كان حاله يقتضى أن تكون

---

(١) حديث عبد الرحمن بن عوف « إذا سمعتم بالوباء فى أرض فلا تقدموا عليه ... الحديث » وفى أوله قصة خروج عمر بالناس إلى الجابية وأنه بلغهم أن بالشام وباء ... الحديث ، رواه البخارى . (٢) حديث تشبيه الفرار من الطاعون بالفرار من الزحف: رواه أحمد من حديث عائشة بإسناد جيد ، ومن حديث جابر بإسناد ضعيف ، وقد تقدم .

مشاهدته على وتيرة واحدة عند وجود الأسباب وفقدها ، فإنه لم يكن له نظر فى الأحوال إلا إلى مسبب الأسباب ، ومن كان هذا مقامه لم تضره الأسباب كما أنّ الرغبة فى المال نقص ، والرغبة عن المال كراهية له وإن كانت كمالا فهى أيضا نقص بالإضافة إلى من يستوى عنده وجود المال وعدمه ، فاستواء الحجر والذهب أكمل من الهرب من الذهب دون الحجر ، وكان حاله صلى الله عليه وسلم استواء المدر والذهب عنده ، وكان لايمسكه لتعليم الخلق مقام الزهد فإنه منتهى قوتهم لا لخوفه على نفسه من إمساكه ، فإنه كان أعلى رتبة من أن تغره الدنيا وقد عرضت عليه خزائن الأرض فأبى أن يقبلها [1] فكذلك يستوى عنده مباشرة الأسباب وتركها لمثل هذه المشاهدة ، وإنما لم يترك استعمال الدواء جريا على سنة الله تعالى وترخيصا لأمته فيما تمس إليه حاجتهم مع أنه لاضرر فيه بخلاف ادخار الأموال فإنّ ذلك يعظم ضرره . نعم التداوى لا يضر إلا من حيث رؤية الدواء نافعا دون خالق الدواء وهذا قد نهى عنه ، ومن حيث إنه يقصد به الصحة ليستعان بها على المعاصى وذلك منهى عنه ، والمؤمن فى غالب الأمر لا يقصد ذلك ، وأحد من المؤمنين لا يرى الدواء نافعا بنفسه بل من حيث إنه جعله الله تعالى سببا للنفع كما لا يرى الماء مرويا ولا الخبز مشبعا ، فحكم التداوى فى مقصوده كحكم الكسب ، فإنه إن اكتسب للاستعانة على الطاعة أو على المعصية كان له حكمها ، وإن اكتسب للتنعم المباح فله حكمه ، فقد ظهر بالمعانى التى أوردناها أن ترك التداوى قد يكون أفضل فى بعض الأحوال ، وأن التداوى قد يكون أفضل فى بعض ، وأن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والنيات ، وأن واحدا من الفعل والترك ليس شرطا فى التوكل إلا ترك الموهومات كالكى والرقى فإن ذلك تعمق فى التدبيرات لا يليق بالمتوكلين .

بيان أحوال المتوكلين فى إظهار المرض وكتمانه

اعلم أن كتمان المرض وإخفاء الفقر وأنواع البلاء من كنوز البر وهو من أعلى المقامات : لأن الرضا بحكم الله والصبر على بلائه معاملة بينه وبين الله عز وجل فكتمانه أسلم عن الآفات .

ومع هذا فالإظهار لا بأس به إذا صحت فيه النية والمقصد . ومقاصد الإظهار ثلاثة :

الأول : أن يكون غرضه التداوى فيحتاج إلى ذكره للطبيب ، فيذكره لا فى معرض الشكاية بل فى معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدرة الله تعالى . فقد كان بشر يصف لعبد الرحمن المطبب أوجاعه ، وكان أحمد بن حنبل يخبر بأمراض يجدها ويقول : إنما أصف قدرة الله تعالى فى .

الثانى : أن يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدى به وكان مكينا فى المعرفة ، فأراد من ذكره أن يتعلم منه حسن الصبر فى المرض بل حسن الشكر بأن يظهر أنه يرى أن المرض نعمة فيشكر عليها ، فيتحدّث به كما يتحدّث بالنعم . قال الحسن البصرى : إذا حمد المريض الله تعالى وشكره ثم ذكر أوجاعه لم يكن ذلك شكوى ،

الثالث : أن يظهر بذلك عجزه وافتقاره إلى الله تعالى ، وذلك يحسن ممن تليق به القوّة والشجاعة ويستبعد منه العجز ، كما روى أنه قيل لعلى فى مرضه رضى الله عنه كيف أنت ؟ قال : بشرّ ، فنظر بعضهم إلى بعض كأنهم كرهوا ذلك وظنوا أنه شكاية ، فقال : أتجلد على الله ؟ فأحب أن يظهر عجزه وافتقاره مع ما علم به من القوّة والضراوة وتأدب فيه بأدب النبى صلى الله عليه وسلم إياه حيث مرض على كرّم الله وجهه فسمعه

(١) حديث : أنه عرضت عليه خزائن الأرض فأبى أن يقبلها . تقدم ، ولفظه : عرضت عليه مفاتيح خزائن السماء وكنوز الأرض فردها .

عليه السلام وهو يقول : اللهم صبرنى على البلاء ، فقال له صلى الله عليه وسلم « لقد سألت الله تعالى البلاء فسل الله العافية [1] » .

فبهذه النيات يرخص فى ذكر المرض ، وإنما يشترط ذلك لأن ذكره شكاية والشكوى من الله تعالى حرام ـ كما ذكرته فى تحريم السؤال على الفقراء إلا بضرورة ـ ويصير الإظهار شكاية بقرينة السخط وإظهار الكراهة لفعل الله تعالى ، فإن خلا عن قرينة السخط وعن النيات التى ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بأن الأولى تركه ، لأنه ربما يوهم الشكاية ، ولأنه ربما يكون فيه تصنع ومزيد فى الوصف على الموجود من العلة ، ومن ترك التداوى توكلا فلا وجه فى حقه للإظهار لأن الاستراحة إلى الدواء أفضل من الاستراحة إلى الإفشاء ، وقد قال بعضهم : من بث لم يصبر ، وقيل فى معنى قوله ﴿ فصبر جميل ﴾ لاشكوى فيه . وقيل ليعقوب عليه السلام : ماالذى أذهب بصرك ؟ قال : مر الزمان وطول الأحزان ! فأوحى الله تعالى إليه . تفرغت لشكواى إلى عبادى ، فقال : يارب أتوب إليك : وروى عن طاوس ومجاهد أنهما قالا : يكتب على المريض أنينه فى مرضه ، وكانوا يكرهون أنين المرض لأنه إظهار معنى يقتضى الشكوى حتى قيل : ما أصاب إبليس لعنه الله من أيوب عليه السلام إلا أنينه فى مرضه ، فجعل الأنين حظه منه .

وفى الخبر « إذا مرض العبد أوحى الله تعالى إلى الملكين انظرا ما يقول لعواده فإن حمد الله وأثنى بخير دعوا له وإن شكا وذكر شرا قالا كذلك تكون [2] » وإنما كره بعض العباد العيادة خشية الشكاية وخوف الزيادة فى الكلام ، فكان بعضهم إذا مرض أغلق بابه فلم يدخل عليه أحد حتى يبرأ فيخرج إليهم ، منهم : فضيل ووهيب وبشر ، وكان فضيل يقول : أشتهى أن أمرض بلا عواد ، وقال : لا أكره العلة إلا لأجل العواد . رضى الله عنه وعنهم أجمعين .

كمل كتاب التوحيد والتوكل بعون الله وحسن توفيقه . يتلوه إن شاء الله تعالى : كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا . والله سبحانه وتعالى الموفق .

كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا

وهو الكتاب السادس من ربع المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى نزه قلوب أوليائه عن الالتفات إلى زخرف الدنيا ونضرته ، وصفى أسرارهم من ملاحظة غير حضرته ، ثم استخلصها للعكوف على بساط عزته ، ثم تجلى لهم بأسمائه وصفاته حتى أشرقت بأنوار معرفته ، ثم

---

(١) حديث : مرض على فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : اللهم صبرنى على البلاء ، فقال « لقد سألت الله البلاء فسل الله العافية » تقدم مع اختلاف . (٢) حديث « إذا مرض العبد أوحى الله إلى الملكين انظرا مايقول لعواده ... الحديث » تقدم .

كشف لهم عن سبحات وجهه حتى احترقت بنار محبته ، ثم احتجب عنها بكنه جلاله حتى تاهت فى بيداء كبريائه وعظمته، فكلما اهتزت لملاحظة كنه الجلال غشيها من الدهش ما اغبر فى وجه العقل وبصيرته، وكلما همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا أيها الآيس عن نيل الحق بجهله وعجلته ، فبقيت بين الرد والقبول والصد والوصول غرقى فى بحر معرفته ، ومحترقة بنار محبته ، والصلاة على محمد خاتم الأنبياء بكمال نبوته ، وعلى آله وأصحابه سادة الخلق وأئمته ، وقادة الحق وأزمته وسلم كثيراً .

أما بعد : فانّ المحبة لله هى الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات ، فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والأنس والرضا وأخواتها ، ولا قبل المحبة مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها ، وسائر المقامات إن عز وجودها فلم تخل القلوب عن الإيمان بإمكانها، وأما محبة الله تعالى فقد عز الإيمان بها حتى أنكر بعض العلماء إمكانها وقال : لا معنى لها إلا المواظبة على طاعة الله تعالى وأما حقيقة المحبة فمحال إلا مع الجنس والمثال . ولما أنكروا المحبة أنكروا الأنس والشوق ولذة المناجاة وسائر لوازم الحب وتوابعه . ولا بدّ من كشف الغطاء عن هذا الأمر .

ونحن نذكر فى هذا الكتاب : بيان شواهد الشرع فى المحبة ، ثم بيان حقيقتها وأسبابها ، ثم بيان أن لا مستحق للمحبة إلا الله تعالى ، ثم بيان أنّ أعظم اللذات لذة النظر إلى وجه الله تعالى ، ثم بيان سبب زيادة لذة النظر فى الآخرة على المعرفة فى الدنيا ، ثم بيان الأسباب المقوية لحبّ الله تعالى ، ثم بيان السبب فى تفاوت الناس فى الحب ، ثم بيان السبب فى قصور الأفهام عن معرفة الله تعالى ، ثم بيان معنى الشوق ، ثم بيان محبة الله تعالى للعبد ، ثم القول فى علامات محبة العبد لله تعالى ، ثم بيان معنى الأنس بالله تعالى ، ثم بيان معنى الانبساط فى الأنس ، ثم القول فى معنى الرضا وبيان فضيلته ، ثم بيان حقيقته ، ثم بيان أنّ الدعاء وكراهة المعاصى لا تناقضه وكذا الفرار من المعاصى، ثم بيان حكايات وكلمات للمحبين متفرقة ، فهذه جميع بيانات هذا الكتاب .

بيان شواهد الشرع فى حب العبد لله تعالى

اعلم أنّ الأمة مجمعة على أنّ الحب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فرض ، وكيف يفرض مالا وجود له وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته ؟ فلا بدّ وأن يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من أحب . ويدل على إثبات الحب لله تعالى قوله عز وجل ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ وقوله تعالى ﴿ والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ وهو دليل على إثبات الحب وإثبات التفاوت فيه . وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله من شرط الإيمان فى أخبار كثيرة ؛ إذ قال أبو رزين العقيلى : يارسول الله ما الإيمان ؟ قال « أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما [1] » وفى حديث آخر « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما [2] » وفى حديث آخر « لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين [3] » وفى رواية « ومن

(١) حديث أبي رزين العقيلى : أنه قال يارسول الله ما الإيمان ؟ قال « أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما » أخرجه أحمد بزيادة فى أوله . (٢) حديث « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » متفق عليه من حديث أنس بلفظ ، لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى أكون أحب إليه من أهله وماله » وذكره بزيادة . (٣) حديث « لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين » وفى رواية « ومن نفسه » متفق عليه من حديث أنس ، واللفظ لمسلم دون قوله « ومن نفسه » وقال البخارى « من والده وولده » وله من حديث عبد الله بن هشام : قال عمر يارسول الله لأنت أحب إلى من كل شىء إلا نفسى ، فقال « لا والذى نفسى بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك » فقال عمر : فأنت الآن والله أحب إلى من نفسى ، فقال « الآن ياعمر » .

نفسه ، كيف وقد قال تعالى ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم ﴾ الآية . وإنما أجرى ذلك فى معرض التهديد والإنكار . وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحبة فقال « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى لحب الله إياى [1] » ويروى أنّ رجلا قال : يارسول الله إنى أحبك ، فقال صلى الله عليه وسلم « استعدّ للفقر » فقال إنى أحب الله تعالى ، فقال استعدّ للبلاء [2] » وعن عمر رضى الله عنه قال : نظر النبى صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تنطق به ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « انظروا إلى هذا الرجل الذى نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله إلى ماترون[3] » .

وفى الخبر المشهور « إن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت إذ جاءه لقبض روحه : هل رأيت خليلا يميت خليله؟ فأوحى الله تعالى إليه : هل رأيت محبا يكره لقاء حبيبه ؟ فقال ياملك الموت الآن فاقبض[4] » وهذا لايجده إلا عبد يحب الله بكل قلبه فإذا علم أن الموت سبب اللقاء انزعج قلبه إليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت إليه .

وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم فى دعائه « اللهم ارزقنى حبك وحب من أحبك وحب مايقرّبنى إلى حبك واجعل حبك أحب إلى من الماء البارد[5] » وجاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله متى الساعة ؟ قال « ما أعددت لها » فقال : ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام إلا أنى أحب الله ورسوله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « المرء مع من أحب[6] » قال أنس : فما رأيت المسلمين فرحوا بشىء بعد الإسلام فرحهم بذلك . وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه من ذاق من خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر . وقال الحسن : من عرف ربه أحبه ، ومن عرف الدنيا زهد فيها ، والمؤمن لايلهو حتى يغفل فإذا تفكر حزن . وقال أبو سليمان الدارانى : إن من خلق الله خلقا مايشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا ؟ .

ويروى أن عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم فقال لهم : ما الذى بلغ بكم ما أرى ؟ فقالوا الخوف من النار ، فقال : حق على الله أن يؤمن الخائف . ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فاذا هم أشدّ نحولا وتغيرا فقال : ما الذى بلغ بكم ما أرى ؟ قالوا : الشوق إلى الجنة ، فقال حق على الله أن يعطيكم ماترجون ، ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فإذا هم أشد نحولا وتغيراً كأن وجوههم المرائى من النور ، فقال : ما الذى بلغ بكم ما أرى ؟ قالوا : نحب الله عز وجل ، فقال أنتم المقرّبون أنتم المقرّبون أنتم المقرّبون . وقال عبد الواحد بن زيد : مررت برجل قائم فى الثلج فقلت أما تجد البرد ؟ فقال من شغله حب الله لم يجد البرد . وعن سرى السقطى : تدعى الأمم يوم القيامة بأنبيائها عليهم السلام فيقال يا أمة موسى ويا أمة عيسى ويا أمة محمد غير المحبين لله تعالى فإنهم ينادون يا أولياء الله هلموا إلى الله سبحانه ، فتكاد قلوبهم تنخلع فرحا .

---

(١) حديث « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه » الحديث . أخرجه الترمذى من حديث ابن عباس وقال حسن غريب .

(٢) حديث إن رجلا قال يارسول الله انى أحبك ، فقال « استعد للفقر .. الحديث » أخرجه الترمذى من حديث عبد الله بن مغفل بلفظ « فأعد للفقر تجفافا » دون آخر الحديث وقال حسن غريب . (٣) حديث عمر قال : نظر النبى صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تنطق به ... الحديث ، أخرجه أبو نعيم فى الحلية بإسناد حسن .

(٤) حديث : إن إبراهيم قال لملك الموت إذ جاءه ليقبض روحه هل رأيت خليلا يقبض خليله ... الحديث ، لم أجد له أصلا .

(٥) حديث « اللهم ارزقنى حبك وحب من يحبك . . . الحديث » تقدم . (٦) حديث قال أعرابى يارسول الله متى الساعة ؟ قال « ماأعددت لها ... الحديث » متفق عليه من حديث أنس ومن حديث أبى موسى وابن مسعود بنحوه .

وقال هرم بن حيان : المؤمن إذا عرف ربه عزوجل أحبه وإذا أحبه أقبل إليه ، وإذا وجد حلاوة الإقبال إليه لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بعين الفترة وهى تحسره فى الدنيا وترويحه فى الآخرة . وقال يحيى ابن معاذ : عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ؟ ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه ؟ وحبه يدهش العقول فكيف وده ؟ ووده ينسى مادونه فكيف لطفه ؟ وفى بعض الكتب : عبدى أنا وحقك لك محب فبحقى عليك كن لى محباً . وقال يحيى بن معاذ : مثقال خردلة من الحب أحب إلى من عبادة سبعين سنة بلا حب . وقال يحيى بن معاذ : إلهى إنى مقيم بفنائك مشغول بثنائك ، صغيرا أخذتنى إليك وسربلتنى بمعرفتك وأمكنتنى من لطفك ونقلتنى فى الأحوال وقلبتنى فى الأعمال سترا وتوبة وزهدا وشوقا ورضا وحبا تسقينى من حياضك وتهمانى فى رياضك ملازما لأمرك ومشغوفا بقولك، ولماطر شاربى ولاح طائرى فكيف أنصرف اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت هذا منك صغيرا ، فلى مابقيت حولك دندنة وبالضراعة إليك همهمة لأنى محب وكل محب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف .

وقد ورد فى حب الله تعالى من الأخبار والآثار مالا يدخل فى حصر حاصر وذلك أمر ظاهر ، وإنما الغموض فى تحقيق معناه فلنشتغل به .

بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى

اعلم أنّ المطلب من هذا الفصل لاينكشف إلا بمعرفة حقيقة المحبة فى نفسها ، ثم معرفة شروطها وأسبابها ، ثم النظر بعد ذلك فى تحقيق معناها فى حق الله تعالى :

فأوّل ماينبغى أن يتحقق ؛ أنه لايتصور محبة إلا بعد معرفة وإدراك ، إذ لايحب الإنسان إلا مايعرفه ، ولذلك لم يتصوّر أن يتصف بالحب جمادبل هو من خاصية الحى المدرك . ثم المدركات فى انقسامها تنقسم إلى مايوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذه ، وإلى ماينافيه وينافره ويؤلمه ، وإلى مالا يؤثر فيه بإيلام وإلذاذ . فكل مافى إدراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك ، ومافى إدراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب ألم ولذة لا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها . فإذن كل لذيذ محبوب عند الملتذ به ، ومعنى كونه محبوبا أن فى الطبع ميلا إليه ، ومعنى كونه مبغوضا أن فى الطبع نفرة عنه . فالحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشىء الملذ ، فإن تأكد ذلك الميل وقوى سمى عشقا . والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب ، فإذا قوى سمى مقتا فهذا أصل فى حقيقة معنى الحب لابد من معرفته

(الأصل الثانى) أن الحب لما كان تابعا للإدراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل حاسة إدراك لنوع من المدركات ، ولكل واحد منها لذة فى بعض المدركات ، وللطبع بسبب تلك اللذة ميل إليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم . فلذة العين فى الإبصار وإدراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة ، ولذة الأذن فى النغمات الطيبة الموزونة ، ولذة الشم فى الروائح الطيبة ، ولذة الذوق فى الطعوم ، ولذة اللمس فى اللين والنعومة .

ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذة كانت محبوبة ، أى كان للطبع السليم ميل إليها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حبب إلى من دنياكم ثلاث : الطيب والنساء وجعل قرة عينى فى الصلاة [1] » فسمى الطيب محبوبا ومعلوم أنه لاحظ للعين والسمع فيه ؛ بل للشم فقط ، وسمى النساء محبوبات ولا حظ فيهن إلا للبصر واللمس دون

(١) حديث « حبب إلى من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنساء ... الحديث » أخرجه النسائى من حديث أنس دون قوله « ثلاث » وقد تقدم .

الشم والذوق والسمع ، وسمى الصلاة قرة عين وجعلها أبلغ المحبوبات ومعلوم أنه ليس تحظى بها الحواس الخمس ، بل حس سادس مظنته القلب لايدركه إلا من كان له قلب . ولذات الحواس الخمس تشارك فيها البهائم الإنسان ، فإن كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس ـ حتى يقال إن الله تعالى لايدرك بالحواس ولا يتمثل فى الخيال فلا يحب ـ فإذن قد بطلت خاصية الإنسان وما تميز به من الحس السادس الذى يعبر عنه إما بالعقل أو بالنور أو بالقلب أو بما شئت من العبارات ، فلا مشاحة فيه وهيهات ، فالبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر ، والقلب أشد إدراكا من العين ، وجمال المعانى المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للأبصار ، فتكون لامحالة لذة القلب بما يدركه من الأمور الشريفة الإلهية التى تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ ، فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح إليه أقوى ، ولا معنى للحب إلا الميل إلى مافى إدراكه لذة ـ كما سيأتى تفصيله ـ فلا ينكر إذن حب الله تعالى إلا من قعد به القصور فى درجة البهائم فلم يجاوز إدراك الحواس أصلا .

(الأصل الثالث) أن الإنسان لايخفى أنه يحب نفسه ولا يخفى أنه قد يحب غيره لأجل نفسه ، وهل يتصور أن يحب غيره لذاته لا لأجل نفسه ؟ هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون أنه لا يتصور أن يحب الإنسان غيره لذاته مالم يرجع منه حظ إلى المحب سوى إدراك ذاته . والحق أن ذلك متصور وموجود ، فلنبين أسباب المحبة وأقسامها ، وبيانه أن المحبوب الأول عند كل حى : نفسه وذاته ، ومعنى حبه لنفسه أن فى طبعه ميلا إلى دوام وجوده ، ونفرة عن عدمه وهلاكه ، لأن المحبوب بالطبع هو الملائم للمحب ، وأى شىء أتم ملاءمة من نفسه ودوام وجوده؟ وأى شىء أعظم مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه ؟ فلذلك يحب الإنسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل ، لا لمجرد ما يخافه بعد الموت ولا لمجرد الحذر من سكرات الموت ، بل لو اختطف من غير ألم وأميت من غير ثواب ولا عقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ، ولا يحب الموت والعدم المحض إلا لمقاساة ألم فى الحياة . ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء ، فإن أحب العدم لم يحبه لأنه عدم بل لأن فيه زوال البلاء ، فالهلاك والعدم ممقوت ودوام الوجود محبوب . وكما أن دوام الوجود محبوب فكمال الوجود أيضا محبوب لأن الناقص فاقد للكمال . والنقص عدم بالإضافة إلى القدر المفقود وهو هلاك بالنسبة إليه . والهلاك والعدم ممقوت فى الصفات . وكمال الوجود كما أنه ممقوت فى أصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب ، كما أن دوام أصل الوجود محبوب . وهذه غريزة فى الطباع بحكم سنة الله تعالى ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ .

فإذن المحبوب الأول الإنسان ذاته ، ثم سلامة أعضائه ، ثم ماله وولده وعشيرته وأصدقائه . فالأعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لأن كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها ، والمال محبوب لأنه أيضا آلة فى دوام الوجود وكماله وكذا سائر الأسباب . فالإنسان يحب هذه الأشياء لا لأعيانها بل لارتباط حظه فى دوام الوجود وكماله بها ، حتى إنه ليحب ولده وإن كان لا يناله منه حظ بل يتحمل المشاق لأجله لأنه يخلفه فى الوجود بعد عدمه ، فيكون فى بقاء نسله نوع بقاء له ، فلفرط حبه فى بقاء نفسه يحب بقاء من هو قائم مقامه وكأنه جزء منه لما عجز عن الطمع فى بقاء نفسه أبدا نعم لو خير بين قتله وقتل ولده ـ وكان طبعه باقيا على اعتداله ـ آثر بقاء نفسه على بقاء ولده ، لأن بقاء ولده يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاءه المحقق ، وكذلك حبه لأقاربه وعشيرته يرجع إلى حبه لكمال نفسه فإنه يرى نفسه كثيرا بهم قويا بسببهم متجملا بكمالهم ، فإن العشيرة والمال والأسباب الخارجة كالجناح المكمل للإنسان ، وكمال الوجود ودوامه محبوب بالطبع لا محالة . فإذن المحبوب الأول عند كل حى ذاته وكمال ذاته ودوام

ذلك كله ، والمكروه عنده ضد ذلك فهذا هو أول الأسباب .

السبب الثانى : الإحسان ، فإن الإنسان عبد الإحسان ، وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم لاتجعل لفاجر على يدا فيحبه قلبي [1] » إشارة إلى أن حب القلب للمحسن اضطرارا لايستطاع دفعه ، وهو جبلة وفطرة لاسبيل إلى تغييرها . وبهذا السبب قد يحب الإنسان الأجنبي الذى لاقرابة بينه وبينه ولا علاقة . وهذا إذا حقق رجع إلى السبب الأول ، فإن المحسن من أمد بالمال والمعونة وسائر الأسباب الموصلة إلى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ التى بها يتهيأ الوجود ، إلا أنّ الفرق أن أعضاء الإنسان محبوبة لأن بها كمال وجوده وهى عين الكمال المطلوب ؛ فأما المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا له كالطبيب يكون سببا فى دوام صحة الأعضاء ، ففرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذى هو سبب الصحة ، إذ الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب لالذاته بل لأنه سبب الصحة وكذلك العلم محبوب والأستاذ محبوب ، ولكن العلم محبوب لذاته والأستاذ محبوب لكونه سبب العلم المحبوب . وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوبة ، لكن الطعام محبوب لذاته والدنانير محبوبة لأنها وسيلة إلى الطعام . فإذن يرجع الفرق إلى تفاوت الرتبة ، وإلا فكل واحد يرجع إلى محبة الإنسان نفسه . فكل من أحب المحسن لإحسانه فما أحب ذاته تحقيقا بل أحب إحسانه وهو فعل من أفعاله لوزال زال الحب مع بقاء ذاته تحقيقا ، ولو نقص نقص الحب ولو زاد زاد ، ويتطرق إليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الإحسان ونقصانه .

السبب الثالث : أن يحب الشيء لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته ، بل تكون ذاته عين حظه ، وهذا هو الحب الحقيقى البالغ الذى يوثق بدوامه ، وذلك كحب الجمال والحسن ، فإن كل جمال محبوب عندمدرك الجمال وذلك لعين الجمال ، لأنّ إدراك الجمال فيه عين اللذة ، واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها . ولا تظنن أن حب الصور الجميلة لا يتصور إلا لأجل قضاء الشهوة فإن قضاء الشهوة لذة أخرى قد تحب الصور الجميلة لأجلها ، وإدراك نفس الجمال أيضا لذيذ فيجوز أن يكون محبوبا لذاته ، وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجارى محبوب لاليشرب الماء وتؤكل الخضرة أو ينال منها حظ سوى نفس الرؤية ؟ وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الخضرة والماء الجارى [2] والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر إلى الأنوار والأزهار والأطيار المليحة الالوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل ، حتى إن الإنسان لتنفرج عنه الغموم والهموم بالنظر إليها لا لطلب حظ وراء النظر . فهذه الاسباب ملذة وكل لذيذ محبوب ، وكل حسن وجمال فلا يخلو إدراكه عن لذة ، ولا أحد ينكر كون الجمال محبوبا بالطبع ، فإن ثبت أن الله جميل كان لامحالة محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله جميل يحب الجمال [3] » .

(الاصل الرابع) فى بيان معنى الحسن والجمال : اعلم أن المحبوس فى مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن أنه لامعنى للحسن والجمال إلا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون ، وكون البياض مشربا بالحمرة وامتداد القامة إلى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الإنسان ، فإنّ الحسن الاغلب على الخلق حسن الإبصار ، وأكثر التفاتهم

---

(١) حديث « اللهم لاتجعل لكافر على يدا فيحبه قلبي » رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس : من حديث معاذ بن جبل بسند ضعيف منقطع ، وقد تقدم . (٢) حديث : كان يعجبه الخضرة والماء الجارى ... أخرجه أبو نعيم فى الطب النبوى من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب أن ينظر الى الخضرة والى الماء الجارى ، وإسناده ضعيف .

(٣) حديث « إن الله جميل يحب الجمال » رواه مسلم فى أثناء حديث لابن مسعود .

إلى صور الأشخاص فيظن أن ما ليس مبصرا ولا متخيلا ولا متشكلا ولا ملونا مقدر فلا يتصور حسنه ، وإذا لم يتصور حسنه لم يكن فى إدراكه لذة فلم يكن محبوبا . وهذا خطأ ظاهر فإن الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالحمرة . فإنا نقول هذا خط حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن، بل نقول هذا ثوب حسن وهذا إناء حسن ، فأى معنى لحسن الصوت والخط وسائر الأشياء إن لم يكن الحسن إلا فى الصورة ؟ ومعلوم أن العين تستلذ بالنظر إلى الخط الحسن ، والأذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة . وما من شىء من المدركات إلا وهو منقسم إلى حسن وقبيح ، فما معنى الحسن الذى تشترك فيه هذه الأشياء ؟ فلا بد من البحث عنه . وهذا البحث يطول ، ولا يليق بعلم المعاملة الإطناب فيه ، فنصرح بالحق ونقول : كل شىء فجماله وحسنه فى أن يحضر كماله اللائق به الممكن له ، فإذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو فى غاية الجمال ، وإن كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر ، فالفرس الحسن هو الذى جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كر وفر عليه ، والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ، ولكل شىء كمال يليق به وقد يليق بغيره ضده ، فحسن كل شىء فى كماله الذى يليق به . فلا يحسن الانسان بما يحسن به الفرس ، ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ، ولا تحسن الأوانى بما تحسن به الثياب ، وكذلك سائر الأشياء .

وإن قلت : فهذه الأشياء وإن لم تدرك جميعها بحس البصر مثل الأصوات والطعوم فإنها لا تنفك عن إدراك الحواس لها فهى محسوسات ، وليس ينكر الحسن والجمال المحسوسات ، ولا ينكر حصول اللذة بإدراك حسنها ، وإنما ينكر ذلك فى غير المدرك بالحواس ؟ فاعلم أن الحسن والجمال موجود فى غير المحسوسات إذ يقال : هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه أخلاق جميلة ، وإنما الأخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروءة وسائر خلال الخير ، وشىء من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة ، وكل هذه الخلال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته . وآية ذلك وأن الأمر كذلك أن الطباع مجبولة على حب الأنبياء صلوات الله عليهم وعلى حب الصحابة رضى الله تعالى عنهم مع أنهم لم يشاهدوا ، بل حب أرباب المذاهب مثل الشافعى وأبى حنيفة ومالك وغيرهم ؛ حتى أن الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على أن تنفق جميع ماله فى نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه فى قتال من يطعن فى إمامه ومتبوعه . فكم من دم أريق فى نصرة أرباب المذاهب ، وليت شعرى من يحب الشافعى مثلا فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته ؟ ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته ، فاستحسانه الذى حمله على إفراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة ، وإن صورته الظاهرة قد انقلبت ترابا مع التراب ، وإنما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والإحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لإفادة علم الشرع ولنشره هذه الخيرات فى العالم ، وهذه أمور جميلة لا يدرك جمالها إلا بنور البصيرة . فأما الحواس فقاصرة عنها وكذلك من يحب أبا بكر الصديق رضى الله عنه ويفضله على غيره ، أو يحب عليا رضى الله تعالى عنه ويفضله ويتعصب له ، فلا يحبهم إلا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره . فمعلوم أن من يحب الصديق رضى الله تعالى عنه مثلا ليس يحب عظمه ولحمه وجلده وأطرافه وشكله إذ كل ذلك زال وتبدل وانعدم ، ولكن بقى ما كان الصديق به صديقا وهى الصفات المحمودة التى هى مصادر السير الجميلة ، فكان

الحب باقيا ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور . وتلك الصفات ترجع جملتها إلى العلم والقدرة إذا علم حقائق الأمور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته ، فجميع خلال الخير يتشعب على هذين الوصفين ، وهما غير مدركين بالحس ، ومحلهما من جملة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة . وليس للجزء الذى لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى يكون محبوبا لأجله فإذن الجمال موجود فى السير ، ولو صدرت السيرة الجميلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حبا فالمحبوب مصدر السير الجميلة ، وهى الأخلاق الحميدة والفضائل الشريفة ، وترجع جملتها إلى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس ، حتى إن الصبى المخلى وطبعه إذ أردنا أن نحبب إليه غائبا أو حاضرا حيا أو ميتا لم يكن لنا سبيل إلا بالإطناب فى وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الحميدة . فهما اعتقد ذلك لم يتمالك فى نفسه ولم يقدر أن لا يحبه ، فهل غلب الصحابة رضى الله تعالى عنهم وبغض أبى جهل وبغض إبليس لعنه الله إلا بالإطناب فى وصف المحاسن والمقابح التى لا تدرك بالحواس ؟ بل لما وصف الناس حاتما بالسخاء ووصفوا خالدا بالشجاعة أحبتهم القلوب حبا ضروريا ، وليس ذلك عن نظر إلى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهم ، بل إذا حكى من سيرة بعض الملوك فى بعض أقطار الأرض العدل والإحسان وإفاضة الخير غلب حبه على القلوب مع اليأس من انتشار إحسانه إلى المحبين لبعد المزار ونأى الديار . فإذن ليس حب الإنسان مقصورا على من أحسن إليه ، بل المحسن فى نفسه محبوب وإن كان لا ينتهى قط إحسانه إلى المحب ، لأن كل جمال وحسن فهو محبوب ، والصورة ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما ، وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة ؛ فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل إليها ، ومن كانت الباطنة أغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعانى الباطنة أكثر من حبه للمعانى الظاهرة ، فشتان بين من يحب نقشا مصورا على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبيا من الأنبياء لجمال صورته الباطنة .

السبب الخامس : المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب ، إذ رب شخصين تتأكد المحبة بينهما لا بسبب جمال أو حظ ولكن بمجرد تناسب الأرواح كما قال صلى الله عليه وسلم « فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف [1] » وقد حققنا ذلك فى كتاب آداب الصحبة عند ذكر الحب فى الله فليطلب منه لأنه أيضا من عجائب أسباب الحب فإذن ترجع أقسام الحب إلى خمسة أسباب : وهو حب الإنسان وجود نفسه وكماله وبقائه . وحبه من أحسن إليه فيما يرجع إلى دوام وجوده ويعين على قائه ودفع المهلكات عنه . وحبه من كان محسنا فى نفسه إلى الناس وإن لم يكن محسنا إليه . وحبه لكل ما هو جميل فى ذاته ؛ سواء كان من الصور الظاهرة أو الباطنة . وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية فى الباطن . فلو اجتمعت هذه الأسباب فى شخص واحد تضاعف الحب لا محالة ، كما لو كان للإنسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن إلى الخلق ومحسن إلى الوالد كان محبوبا لا محالة غاية الحب ، وتكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال فى نفسها ، فإن كانت هذه الصفات فى أقصى درجات الكمال كان الحب لا محالة فى أعلى الدرجات . فلقد بين الآن أن هذه الأسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها إلا فى حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة إلا الله سبحانه وتعالى .

بيان أن المستحق للمحبة هو الله وحده

وأن من أحب غير الله لا من حيث نسبته إلى الله فذلك لجهله وقصوره فى معرفة الله تعالى ، وحب الرسول

(١) حديث « فما تعارف منها ائتلف » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة ، وقد تقدم فى آداب الصحبة .

صلى الله عليه وسلم محمود لأنه عين حب الله تعالى ، وكذلك حب العلماء والأتقياء ، لأنّ محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب ومحب المحبوب محبوب ، وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل فلا يتجاوزه إلى غيره ، فلا محبوب بالحقيقة عند ذوى البصائر إلا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه . وإيضاحه بأن نرجع إلى الأسباب الخمسة التى ذكرناها ، ونبين أنها مجتمعة فى حق الله تعالى بجملتها ولا يوجد فى غيره إلا آحادها ، وأنها حقيقة فى حق الله تعالى ، ووجودها فى حق غيره وهم وتخيل وهو مجاز محض لا حقيقة له . ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذى بصيرة ضدّ ماتخيله ضعفاء العقول والقلوب من استحالة حب الله تعالى تحقيقا ، وبان أن التحقيق يقتضى أن لا تحب أحدا غير الله تعالى .

فأما السبب الأوّل : وهو حب الإنسان نفسه وبقاءه وكماله ودوام وجوده ، وبغضه لهلاكه وعدمه ونقصانه وقواطع كماله فهذه جبلة كل حى ، ولا يتصوّر أن ينفك عنها ، وهذا يقتضى غاية المحبة لله تعالى فإن من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعا أنه لا وجود له من ذاته وإنما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله وإلى الله وبالله ، فهو المخترع الموجد له وهو المبقى له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الأسباب الموصلة إليه ذو خلق الهداية إلى استعمال الأسباب ، وإلا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته ، بل هو محو محض وعدم صرف لولا فضل الله تعالى عليه بالإيجاد ، وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالإبقاء ، وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته وبالجملة فليس فى الوجود شىء له بنفسه قوام إلا القيوم الحى الذى هو قائم بذاته ، وكل ما سواه قائم به فإن أحب العارف ذاته ووجود ذاته مستفاد من غيره ، فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمديم له إن عرفه خالقا موجدا ومخترعا مبقيا وقيوما بنفسه ومقوما لغيره ، فإن كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه وبربه ، والمحبة ثمرة المعرفة فتنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها ، ولذلك قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى : من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها . وكيف يتصوّر أن يحب الإنسان نفسه ولا يحب ربه الذى به قوام نفسه ؟ ومعلوم أن المبتلى بحرّ الشمس لما كان يحب الظل فيحب بالضرورة الأشجار التى بها قوام الظل ، وكل ما فى الوجود بالإضافة إلى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالإضافة إلى الشجر والنور بالإضافة إلى الشمس فإنّ الكل من آثار قدرته ، ووجود الكل تابع لوجوده ، كما أن وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشجر ، بل هذا المثال صحيح بالإضافة إلى أوهام العوام إذ تخيلوا أنّ النور أثر الشمس وفائض منها وموجود بها ، وهو خطأ محض إذا انكشف لأرباب القلوب انكشافا أظهر من مشاهدة الأبصار أن النور حاصل من قدرة الله تعالى اختراعا عند وقوع المقابلة بين الشمس والأجسام الكثيفة ، كما أن نور الشمس وعينها وشكلها وصورتها أيضا حاصل من قدرة الله تعالى ، ولكن الغرض من الأمثلة التفهيم فلا يطلب فيها الحقائق . فإذن إن كان حب الإنسان نفسه ضروريا فحبه لمن به قوامه أوّلا ودوامه ثانيا فى أصله وصفاته وظاهره وباطنه وجواهره وأعراضه أيضا ضرورى ، إن عرف ذلك كذلك ، ومن خلا عن الحب هذا فلأنه اشتغل بنفسه وشهواته وذهل عن ربه وخالقه فلم يعرفه حق معرفته وقصر نظره على شهواته ومحسوساته ، وهو عالم الشهادة الذى يشاركه البهائم فى التنعم به والاتساع فيه دون عالم الملكوت الذى لا يطأ أرضه إلا من يقرب إلى شبه من الملائكة ، فينظر فيه بقدر قربه فى الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه إلى حضيض عالم البهائم ،

وأما السبب الثانى : وهو حبه من أحسن عليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه وأمدّه بمعونته وانتدب لنصرته

وقمع أعداءه وقام بدفع شر الأشرار عنه وانتهض وسيلة إلى جميع حظوظه وأغراضه فى نفسه وأولاده وأقاربه فإنه محبوب لا محالة عنده . وهذا بعينه يقتضى أن لا يحب إلا الله تعالى فإنه لو عرف حق المعرفة لعلم أنّ المحسن إليه هو الله تعالى فقط ، فأما أنواع إحسانه إلى كل عبيده فلست أعدّها إذ ليس يحيط بها حصر حاصر كما قال تعالى ﴿ وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ وقد أشرنا إلى طرف منه فى كتاب الشكر ، ولكنا نقتصر الآن على بيان أنّ الإحسان من الناس غير متصوّر إلا بالمجاز ، وإنما المحسن هو الله تعالى . ولنفرض ذلك فيمن أنعم عليك بجميع خزائنه ومكّنك منها لتتصرف فيها كيف تشاء فإنك تظن أنّ هذا الإحسان منه ، وهو غلط فإنه إنما تم إحسانه به وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال إليك ، فمن الذى أنعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق إرادته وداعيته ومن الذى حببك إليه وصرف وجهه إليك وألقى فى نفسه أنّ صلاح دينه أو دنياه فى الإحسان إليك ؟ ولولا كل ذلك لما أعطاك حبة من ماله . ومهما سلط الله عليه الدواعى وقرّر فى نفسه أنّ صلاح دينه أو دنياه فى أن يسلم إليك ماله كان مقهورا مضطرا فى التسليم لا يستطيع مخالفته ، فالمحسن هو الذى اضطرّه لك وسخره وسلط عليه الدواعى الباعثة المرهقة إلى الفعل ، وأما يده فواسطة يصل بها إحسان الله إليك وصاحب اليد مضطرّ فى ذلك اضطرارا مجرى الماء فى جريان الماء فيه ، فإن اعتقدته محسنا أو شكرته من حيث هو بنفسه محسن لامن حيث هو واسطة كنت جاهلا بحقيقة الأمر ، فإنه لا يتصوّر الإحسان من الإنسان إلا إلى نفسه ، أما الإحسان إلى غيره فمحال من المخلوقين ، لأنه لا يبذل ماله إلا لغرض له البذل إما آجل وهو الثواب وإما عاجل وهو المنة والاستسخار أو الثناء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم أو جذب قلوب الخلق إلى الطاعة والمحبة ، وكما أنّ الإنسان لا يلقى ماله فى البحر إذ لا غرض له فيه فلا يلقيه فى يد إنسان إلا لغرض له فيه ، وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده ، وأما أنت فلست مقصوداً بل يدك آلة له فى القبض حتى يحصل غرضه من الذكر والثناء أو الشكر أو الثواب بسبب قبضك المال ، فقد استسخرك فى القبض للتوصل إلى غرض نفسه فهو إذن محسن إلى نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضا هو أرجح عنده من ماله ، ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لأجلك أصلا ألبتة . فإذن هو غير مستحق للشكر والحب من وجهين .

(أحدهما) أنه مضطرّ بتسليط الله الدواعى عليه فلا قدرة له على المخالفة ، فهو جار مجرى خازن الأمير فإنه لا يرى محسنا بتسليم خلعة الأمير إلى من خلع عليه ، لأنه من جهة الأمير مضطرّ إلى الطاعة والامتثال لما يرسمه ولا يقدر على مخالفته ، ولو خلاه الأمير ونفسه لما سلم ذلك فكذلك كل محسن لو خلاه الله ونفسه لم يبذل حبة من ماله حتى سلط الله الدواعى عليه وألقى فى نفسه أنّ حظه دينا ودنيا فى بذله فبذله لذلك . (والثانى) أنه معتاض عما بذله حظا هو أوفى عنده وأحب مما بذله ، فكما لا يعد البائع محسنا لأنه بذل بعوض هو أحب عنده مما بذله ، فكذلك الواهب اعتاض الثواب أو الحمد والثناء أو عوضا آخر ، وليس من شرط العوض أن يكون عينا متمولا بل الحظوظ كلها أعواض تستحقر الأموال والأعيان بالإضافة إليها ، فالإحسان فى الجود ، والجود هو بذل المال من غير عوض وحظ يرجع الى الباذل ، وذلك محال من غير الله سبحانه فهو الذى أنعم على العالمين احسانا اليهم ولأجلهم لا لحظ وغرض يرجع اليه فإنه يتعالى عن الأغراض فلفظ الجود والإحسان فى حق غيره كذب أو مجاز ، ومعناه فى حق غيره محال وممتنع امتناع الجمع بين السواد والبياض ، فهو المنفرد بالجود والإحسان والطول والامتنان ، فان كان فى الطبع حب المحسن فينبغى أن لا يحب العارف إلا الله تعالى ، إذ الإحسان

من غيره محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده ، وأما غيره فيستحق المحبة على الإنسان بشرط الجهل بمعنى الإحسان وحقيقته .

وأما السبب الثالث : وهو حبك المحسن فى نفسه وإلى لم يصل إليك إحسانه . وهذا أيضا موجود فى الطباع . فإنه إذا بلغك خبر ملك عابد عادل عالم رفيق بالناس متلطف بهم متواضع لهم وهو فى قطر من أقطار الأرض بعيد عنك وبلغك خبر ملك آخر ظالم متكبر فاسق متهتك شرير وهو أيضا بعيد عنك ؛ فإنك تجد فى قلبك تفرقة بينهما إذ تجد فى القلب ميلا إلى الأول وهو الحب ، ونفرة عن الثانى وهو البغض، مع أنك آيس من خير الأول وآمن من شر الثانى لانقطاع طمعك عن التوغل إلى بلادهما : فهذا حب المحسن من حيث إنه محسن فقط لا من حيث إنه محسن إليك ، وهذا أيضا يقتضى حب الله تعالى بل يقتضى أن لا يحب غيره أصلا إلا من حيث يتعلق منه بسبب ، فإن الله هو المحسن إلى الكافة والمتفضل على جميع أصناف الخلائق ؛ أولا : بإيجادهم ، وثانيا : بتكميلهم بالأعضاء والأسباب التى هى من ضروراتهم ، وثالثاً : بترفيههم وتنعيمهم بخلق الأسباب التى هى فى مظان حاجاتهم وإن لم تكن فى مظان الضرورة ، ورابعاً . بتجميلهم بالمزايا والزوائد التى هى فى مظنة زينتهم وهى خارجة عن ضروراتهم وحاجاتهم .

ومثال الضرورى من الأعضاء : الرأس والقلب والكبد ومثال المحتاج إليه : العين واليد والرجل . ومثال الزينة استقواس الحاجبين وحمرة الشفتين وتلون العينين إلى غير ذلك مما لو فات لم تتخرم به حاجة ولا ضرورة .

ومثال الضرورى من النعم الخارجة عن بدن الإنسان . الماء والغذاء . ومثال الحاجة : الدواء واللحم والفواكه ومثال المزايا والزوائد : خضرة الأشجار وحسن أشكال الأنوار والأزهار ولذائذ الفواكه والأطعمة التى لا تتخرم بعدمها حاجة ولا ضرورة .

وهذه الأقسام الثلاثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل صنف من أصناف الخلق من ذروة العرش إلى منتهى الفرش . فإذن هو المحسن ؛ فكيف يكون غيره محسنا وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته ؟ فإنه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الإحسان وخالق أسباب الإحسان ، فالحب بهذه العلة لغيره أيضا جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه العلة إلا الله تعالى .

وأما السبب الرابع : وهو حب كل جميل لذات الجمال لا لحظ ينال من وراء إدراك الجمال : فقد بينا أن ذلك مجبول فى الطباع ، وأن الجمال ينقسم إلى جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين الرأس وإلى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة ، والأول يدركه الصبيان والبهائم ، والثانى يختص بدركه أرباب القلوب ولا يشاركهم فيه من لا يعلم إلا ظاهراً من الحياة الدنيا . وكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال ، فإن كان مدركاً بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا فى المشاهدة حب الأنبياء والعلماء وذوى المكارم السنية والأخلاق المرضية ، فإن ذلك متصور مع تشوش صورة الوجه وسائر الأعضاء وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدرك . نعم يدرك بحسن آثاره الصادرة منه الدالة عليه ، حتى إذا دل القلب عليه مال القلب إليه فأحبه ، فمن يحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو الصديق رضى الله تعالى عنه أو الشافعى رحمة الله عليه فلا يحبهم إلا لحسن ماظهر له منهم ، وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن أفعالهم ، بل دل حسن أفعالهم على حسن الصفات التى هى مصدر الأفعال إذ الأفعال آثار صادرة عنها ودالة عليها فمن رأى حسن تصنيف المصنف وحسن شعر الشاعر بل

حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه الأفعال صفاتها الجميلة الباطنة التى يرجع حاصلها عند البحث إلى العلم والقدرة ، ثم كلما كان المعلوم أشرف وأتم جمالا وعظمة كان العلم أشرف وأجمل ، وكذا المقدور كلما كان أعظم رتبة وأجل منزلة كانت القدرة عليه أجل رتبة وأشرف قدرا . وأجل المعلومات هو الله تعالى ، فلا جرم أحسن العلوم وأشرفها معرفة الله تعالى ، وكذلك مايقاربه ويختص به فشرفه على قدر تعلقه به .

فإذن جمال صفات الصديقين الذين تحبهم القلوب طبعا ترجع إلى ثلاثة أمور (أحدها) علمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائع أنبيائه . (والثانى) قدرتهم على إصلاح أنفسهم وإصلاح عباد الله بالإرشاد والسياسة (والثالث) تنزههم عن الرذائل والخبائث والشهوات الغالبة الصارفة عن سنن الخير الجاذبة إلى طريق الشر ، وبمثل هذا يحب الأنبياء والعلماء والخلفاء والملوك الذين هم أهل العدل والكرم فأنسب هذه الصفات إلى صفات الله تعالى .

أما العلم : فأين علم الأولين والآخرين من علم الله تعالى الذى يحيط بالكل إحاطة خارجة عن النهاية حتى لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ؟ وقد خاطب الخلق كلهم فقال عز وجل ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ بل لو اجتمع أهل الأرض والسماء على أن يحيطوا بعلمه وحكمته فى تفصيل خلق نملة أو بعوضة لم يطلعوا على عشر عشير ذلك ﴿ ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء ﴾ والقدر اليسير الذى علمه الخلائق كلهم فبتعليمه علموه كما قال تعالى ﴿ خلق الإنسان علمه البيان ﴾ فإن كان جمال العلم وشرفه أمرا محببا وكان هو فى نفسه زينة وكمالا الموصوف به فلا ينبغى أن يحب بهذا السبب إلا الله تعالى . فعلوم العلماء جهل بالإضافة الى علمه ، بل من عرف أعلم أهل زمانه وأجهل أهل زمانه استحال أن يحب بسبب العلم الأجهل ويترك الأعلم وإن كان الأجهل لايخلو عن علم ماتتقاضاه معيشته . والتفاوت بين علم الله وبين علم الخلائق أكثر من التفاوت بين علم أعلم الخلائق وأجهلهم ، لأن الأعلم لا يفضل الأجهل إلا بعلوم معدودة متناهية يتصور فى الإمكان أن ينالها الأجهل بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله تعالى على علوم الخلائق كلهم خارج عن النهاية إذ معلوماته لا نهاية لها ومعلومات الخلق متناهية .

وأما صفة القدرة : فهى أيضا كمال والعجز نقص ، فكل كمال وبهاء وعظمة ومجد واستيلاء فإنه محبوب وإدراكه لذيذ ، حتى إن الإنسان ليسمع فى الحكاية شجاعة على وخالد رضى الله عنهما وغيرهما من الشجعان وقدرتهما واستيلاءهما على الأقران فيصرف فى قلبه اهتزازا وفرحا وارتياحا ضروريا بمجرد لذة السماع فضلا عن المشاهدة ويورث ذلك حبا فى القلب ضروريا للمتصف به فإنه نوع كمال ، فانسب الآن قدرة الخلق كلهم إلى قدرة الله تعالى ، فأعظم الأشخاص قوة وأوسعهم ملكا وأقواهم بطشا وأقهرهم للشهوات وأقمعهم لخبائث النفس وأجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره — مامنتهى قدرته ؟ وإنما غايته أن يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض أشخاص الإنس فى بعض الأمور وهو مع ذلك لايملك لنفسه موتا ولا حياة ولا نشورا ولا ضرا ولا نفعا ، بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى ولسانه من الخرس وأذنه من الصمم وبدنه من المرض ، ولا يحتاج إلى عد مايعجز عنه فى نفسه وغيره مما هو على الجملة متعلق قدرته ، فضلا عما لاتتعلق به قدرته من ملكوت السموات وأفلاكها وكواكبها والارض وجبالها وبحارها ورياحها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيواناتها وجميع أجزائها ، فلاقدرة له على ذرة منها . وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق أسبابه والممكن له من ذلك . ولو سلط بعوضا على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لأهلكه ، فليس للعبد

قدرة إلا بتمكين مولاه كما قال فى أعظم ملوك الأرض ذى القرنين إذ قال ﴿ إنا مكنا له فى الأرض ﴾ فلم يكن جميع ملكه وسلطنته إلا بتمكين الله تعالى إياه فى جزء من الأرض ، والأرض كلها مدرة بالإضافة إلى أجسام العالم وجميع الولايات التى يحظى بها الناس من الأرض غبرة من تلك المدرة ، ثم تلك الغبرة أيضا من فضل الله تعالى وتمكينه ، فيستحيل أن يحب عبدا من عباد الله تعالى لقدرته وسياسته وتمكينه واستيلائه وكمال قوته ولا يحب الله تعالى لذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فهو الجبار القاهر والعليم القادر ، السموات مطويات بيمينه والأرض وملكها وما عليها فى قبضته وناصية جميع المخلوقات فى قبضة قدرته ، إن أهلكهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة . وإن خلق أمثالهم ألف مرة لم يعى بخلقها ولا يمسه لغوب ولا فتور فى اختراعها ، فلا قدرة ولا قادر إلا وهو أثر من آثار قدرته فله الجمال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء ، فإن كان يتصور أن يحب قادر لكمال قدرته فلا يستحق الحب بكمال القدرة سواه أصلا .

وأما صفة التنزه عن العيوب والنقائص والتقدس عن الرذائل والخبائث فهو أحد موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال فى الصور الباطنة ، والأنبياء والصديقون وإن كانوا منزهين عن العيوب والخبائث فلا يتصور كمال التقدس والتنزه إلا للواحد الحق الملك والقدوس ذى الجلال والإكرام

وأما كل مخلوق فلا يخلو عن نقص وعن نقائص بل كونه عاجزا مخلوقا مسخرا مضطرا هو عين العيب والنقص فالكمال لله وحده وليس لغيره كمال إلا بقدر ما أعطاه الله ، وليس فى المقدور أن ينعم بمنتهى الكمال على غيره فإن منتهى الكمال أقل درجاته أن لا يكون عبدا مسخرا لغيره قائما بغيره وذلك محال فى حق غيره ، فهو المنفرد بالكمال المنزه عن النقص المقدس عن العيوب . وشرح وجوه التقدس والتنزه فى حقه عن النقائص يطول وهو من أسرار علوم المكاشفات فلا نطول بذكره فهذا الوصف أيضا إن كان كمالا وجمالا محبوبا فلا تتم حقيقته إلا له ، وكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقا بل بالإضافة إلى ما هو أشد منه نقصانا ، كما أن للفرس كمالا بالإضافة إلى الحمار وللإنسان كمالا بالإضافة إلى الفرس . وأصل النقص شامل للكل وإنما يتفاوتون فى درجات النقصان .

فإذن الجميل محبوب والجميل المطلق هو الواحد الذى لا ند له ، الفرد الذى لا ضد له ، الصمد الذى لا منازع له ، الغنى الذى لا حاجة له ، القادر الذى يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ، العالم الذى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السموات والأرض ، القاهر الذى لا يخرج عن قبضة قدرته أعناق الجبابرة ولا ينفلت من سطوته وبطشه رقاب القياصرة ، الأزلى الذى لا أول لوجوده ، الأبدى الذى لا آخر لبقائه ، الضرورى الوجود الذى لا يحوم إمكان العدم حول حضرته ، القيوم الذى يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به ، جبار السموات والأرض ، خالق الجماد والحيوان والنبات ، المنفرد بالعزة والجبروت ، والمتوحد بالملك والملكوت ، ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال ، الذى تتحير فى معرفة جلاله العقول وتخرس فى وصفه الألسنة ، الذى كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الأنبياء الإقرار بالقصور عن وصفه ، كما قال سيد الأنبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين « لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك »[1] ، وقال سيد الصديقين رضى الله تعالى عنه : العجز عن درك الإدراك إدراك . سبحان من لم يجعل للخلق طريقا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته فليت شعرى من ينكر إمكان حب الله تعالى تحقيقا ويجعله مجازا ؟ أينكر أن هذه الأوصاف من أوصاف الجمال

(١) حديث « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » تقدم .

والمحامد ونعوت الكمال والمحاسن أن ينكر كون الله تعالى موصوفا بها أو ينكر كون الكمال والجمال والبهاء والعظمة محبوبا بالطبع عند من أدركه ؟ فسبحان من احتجب عن بصائر العميان غيرة على جماله وجلاله أن يطلع عليه إلا من سبقت له منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون ، وترك الخاسرين فى ظلمات العمى يتيهون وفى مسارح المحسوسات وشهوات البهائم يترددون ؛ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون . الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون .

فالحب بهذا السبب أقوى من الحب بالإحسان لأن الإحسان يزيد وينقص . ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : إنّ أود الأوداء إلى من عبدنى بغير نوال لكن ليعطى الربوبية حقها . وفى الزبور : من أظلم ممن عبدنى لجنة أو نار لو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا أن أطاع . ومرّ عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد نحلوا فقالوا : نخاف النار ونرجو الجنة فقال لهم : مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم . ومر بقوم آخرين كذلك فقالوا : نعبده حبا له وتعظيما لجلاله فقال : أنتم أولياء الله حقا معكم أمرت أن أقيم . وقال أبو حازم : إنى لأستحى أن أعبده للثواب والعقاب فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل ، وكالأجير السوء إن لم يعط لم يعمل . وفى الخبر « لا يكونن أحدكم كالأجير السوء إن لم يعط أجرا لم يعمل ، ولا كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل [1] » .

وأما السبب الخامس للحب فهو المناسبة والمشاكلة لأن شبه الشيء منجذب إليه والشكل إلى الشكل أميل . ولذلك ترى الصبي يألف الصبي والكبير يألف الكبير ، ويألف الطير نوعه وينفر من غير نوعه ، وأنس العالم بالعالم أكثر منه بالمحترف ، وأنس النجار بالنجار أكثر من أنسه بالفلاح . وهذا أمر تشهد به التجربة وتشهد له الأخبار والآثار كما استقصيناه فى باب الأخوة فى الله من كتاب آداب الصحبة فليطلب منه . وإذا كانت المناسبة سبب المحبة فالمناسبة قد تكون فى معنى ظاهر كمناسبة الصبي الصبي فى معنى الصبا ، وقد يكون خفيا حتى لا يطلع عليه كما ترى من الاتحاد الذى يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال أو طمع فى مال أو غيره كما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » فالتعارف هو التناسب ، والتناكر هو التباين وهذا السبب أيضاً يقتضى حب الله تعالى لمناسبة باطنة لا ترجع إلى المشابهة فى الصور والأشكال بل إلى معان باطنة ، يجوز أن يذكر بعضها فى الكتب وبعضها لا يجوز أن يسطر بل يترك تحت غطاء الغبرة حتى يعثر عليه السالكون للطريق إذا استكملوا شرط السلوك .

فالذى يذكر هو قرب العبد من ربه عزوجل فى الصفات التى أمر فيها بالاقتداء والتخلق بأخلاق الربوبية ، حتى قيل تخلقوا بأخلاق الله ، وذلك فى اكتساب محامد الصفات التى هى من صفات الإلهية من العلم والبر والإحسان واللطف وإفاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وإرشادهم إلى الحق ومنعهم من الباطل ، إلى غير ذلك من مكارم الشريعة . فكل ذلك يقرب إلى الله سبحانه وتعالى لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات .

وأما ما لا يجوز أن يسطر فى الكتب من المناسبة الخاصة التى اختص بها الآدمى فهى التى يومئ إليها قوله تعالى ﴿ ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ﴾ إذ بين أنه أمر ربانى خارج عن حدّ عقول الخلق . وأوضح من ذلك قوله تعالى ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحى ﴾ ولذلك أسجد له ملائكته . ويشير إليه قوله تعالى ﴿ إنا جعلناك خليفة فى الأرض ﴾ إذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى إلا بتلك المناسبة وإليه يرمز قوله صلى الله

(١) حديث « لا يكونن أحدكم كالأجير السوء إن لم يعط أجرا لم يعمل » لم أجد له أصلا .

عليه وآله وسلم « إنّ الله خلق آدم على صورته [١] » حتى ظن القاصرون أن لا صورة إلا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس فشبهوا وجسموا وصوروا ، تعالى الله رب العالمين عما يقول الجاهلون علوا كبيرا . وإليه الإشارة بقوله تعالى لموسى عليه السلام « مرضت فلم تعدنى فقال يارب وكيف ذاك ؟ قال مرض عبدى فلان فلم تعده ولو عدته وجدتنى عنده [٢] » وهذه المناسبة لاتظهر إلا بالمواظبة على النوافل بعد إحكام الفرائض كما قال الله تعالى « لايزال يتقرب العبد إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به [٣] » وهذا موضع يجب قبض عنان القلم فيه فقد تحزب الناس فيه إلى قاصرين مالوا إلى التشبيه الظاهر وإلى غالين مسرفين جاوزوا حدّ المناسبة إلى الاتحاد وقالوا بالحلول ، حتى قال بعضهم : أنا الحق . وضل النصارى فى عيسى عليه السلام فقالوا : هو الإله وقال آخرون منهم تذرع الناسوت باللاهوت وقال آخرون : اتحد به . وأما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة الاتحاد والحلول واتضح لهم مع ذلك حقيقة السر فهم الأقلون . ولعل أبا الحسن النورى عن هذا المقام كان ينظر إذا غلبه الوجد فى قول القائل :

لا زلت أنزل من ودادك منزلا تتحير الألباب عند نزوله

فلم يزل يعدو فى وجده على أجمة قد قطع قصبها وبقى أصوله حتى تشققت قدماه وتورّمتا ومات من ذلك . وهذا هو أعظم أسباب الحب وأقواها وهو أعزها وأبعدها وأقلها وجودا . فهذه هى المعلومة من أسباب الحب وجملة ذلك متظاهرة فى حق الله تعالى تحقيقا لا مجازا وفى أعلى الدرجات لافى أدناها ، فكان المعقول المقبول عند ذوى البصائر حب الله تعالى فقط كما أن المعقول الممكن عند العميان حب غير الله تعالى فقط ، ثم كل من يحب من الخلق بسبب من هذه الأسباب يتصور أن يحب غير لمشاركه إياه فى السبب ، والشركة نقصان فى الحب وغض من كماله . ولا ينفرد أحد بوصف محبوب إلا وقد يوجد له شريك فيه ، فإن لم يوجد فيمكن أن يوجد ، إلا الله تعالى فإنه موصوف بهذه الصفات التى هى نهاية الجلال والكمال ولا شريك له فى ذلك وجودا ، ولا يتصور أن يكون ذلك إمكانا ، فلا جرم لايكون فى حبه شركة فلا يتطرق النقصان إلى حبه كما لا تتطرق الشركة إلى صفاته . فهو المستحق ـ إذاً لأصل المحبة ـ ولكمال المحبة استحقاقا لايساهم فيه أصلا .

بيان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم وأنه لايتصور أن لايؤثر عليها لذة أخرى إلا من حرم هذه اللذة

اعلم أن اللذات تابعة للإدراكات ، والإنسان جامع لجملة من القوى والغرائز ، ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها فى نيلها المقتضى طبعها الذى خلقت له فإن هذه الغرائز ما ركبت فى الإنسان عبثا بل ركبت كل قوة وغريزة لأمر من الأمور هو مقتضاها بالطبع . فغريزة الغضب خلقت للتشفى والانتقام فلا جرم لذتها فى الغلبة والانتقام الذى هو مقتضى طبعها . وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذى به القوام فلا جرم لذتها فى نيل هذا الغذاء الذى هو مقتضى طبعها ، وكذلك لذة السمع والبصر والشم فى الإبصار والاستماع والشم ، فلا تخلو غريزة من هذه الغرائز عن ألم ولذة بالإضافة إلى مدركاتها . فكذلك فى القلب غريزة تسمى النور الإلهى لقوله تعالى ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى

---

(١) حديث « إن الله خلق آدم على صورته » تقدم . (٢) حديث قوله تعالى « مرضت فلم تعدنى ، فقال : وكيف ذاك ! قال : مرض فلان ... الحديث » تقدم . (٣) حديث قوله تعالى « لايزال يتقرب العبد إلى بالنوافل حتى أحبه ... الحديث » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة وقد تقدم .

نور الإيمان واليقين ، ولا معنى للاشتغال بالأسامى فإنّ الاصطلاحات مختلفة ، والضعيف يظنّ أن الاختلاف واقع فى المعانى لأن الضعيف يطلب المعانى من الألفاظ وهو عكس الواجب ، فالقلب مفارق لسائر أجزاء البدن بصفة بها يدرك المعانى التى ليست متخيلة ولا محسوسة ، كإدراكه خلق العالم أوافتقاره إلى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات إلهية ، ولنسم تلك الغريزة عقلا بشرط أن لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة ، فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذمه بعض الصوفية ، وإلا فالصفة التى فارق الإنسان بها البهائم وبها يدرك معرفة الله تعالى أعز الصفات فلا ينبغى أن تذم ، وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقائق الأمور كلها فمقتضى طبعها المعرفة والعلم وهى لذتها ، كما أن مقتضى سائر الغرائز هو لذتها وليس يخفى أن فى العلم والمعرفة لذة حتى إن الذى ينسب إلى العلم والمعرفة ولو فى شىء خسيس يفرح به ، والذى ينسب إلى الجهل ولو فى شىء حقير يغتم به ، وحتى أن الإنسان لا يكاد يصبر عن التحدّى بالعلم والتمدح به فى الأشياء الحقيرة . فالعالم باللعب بالشطرنج على خسته لايطيق السكوت فيه عن التعليم وينطلق لسانه بذكر ما يعلمه ، وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته به ، فإن العلم من أخص صفات الربوبية وهى منتهى الكمال ، ولذلك يرتاح الطبع إذا أثنى عليه بالذكاء وغزارة العلم لأنه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وكمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به ، ثم ليست لذة العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك وتدبير أمر الخلق ، ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وملكوت السموات والأرض ، بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف المعلوم ، حتى إن الذى يعلم بواطن أحوال الناس ويخبر بذلك يجد له لذة وإن جهله تقاضاه طبعه أن يفحص عنه ، فإن علم بواطن أحوال رئيس البلد وأسرار تدبيره فى رياسته كان ذلك ألذ عنده وأطيب من علمه بباطن حال فلاح أوحائك ، فإن اطلع على أسرار الوزير وتدبيره وماهو عازم عليه فى أمور الوزارة فهو أشهى عنده وألذ من علمه بأسرار الرئيس ، فإن كان خبيرا بباطن أحوال الملك والسلطان الذى هو المستولى على الوزير كان ذلك أطيب عنده وألذ من علمه بباطن أسرار الوزير ، وكان تمدحه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشد وحبه له أكثر لأن لذته فيه أعظم . فبهذا استبان أن ألذ المعارف أشرفها ، وشرفها بحسب شرف المعلوم ، فإن كان فى المعلومات ماهو الأجل والأكمل والأشرف والأعظم فالعلم به ألذ العلوم لا محالة وأشرفها وأطيبها . وليت شعرى هل فى الوجود شىء أجل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الأشياء كلها ومكملها ومزينها ومبدئها ومعيدها ومدبرها ومرتبها ؟ وهل يتصور أن تكون حضرة فى الملك والكمال والجمال والبهاء والجلال أعظم من الحضرة الربانية التى لايحيط بمبادى جلالها وعجائب أحوالها وصف الواصفين ؟ فإن كنت لاتشك فى ذلك فلا ينبغى أن تشك فى أن الاطلاع على أسرار الربوبية والعلم بترتب الأمور الإلهية المحيطة بكل الموجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات وألذها وأطيبها وأشهاها ؟ وأحرى ماتستشعر به النفوس عند الاتصاف به كمالها وجمالها ، وأجدر ما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار وبهذا تبين أنّ العلم لذيذ ، وأن ألذ العلوم العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وتدبيره فى مملكته - من منتهى عرشه إلى تخوم الأرضين - فينبغى أن يعلم أنّ لذة المعرفة أقوى من سائر اللذات أعنى لذة الشهوات والغضب ولذة سائر الحواس الخمس ، فإنّ اللذات مختلفة بالنوع أوّلا ، كمخالفة لذة الوقاع للذة السماع ، ولذة المعرفة للذة الرياسة . وهى مختلفة بالضعف والقوة ، كمخالفة لذة الشبق المغتلم من الجماع للذة الفاتر للشهوة ، وكمخالفة لذة النظر إلى الوجه الجميل الفائق الجمال للذة النظر إلى ما دونه فى الجمال . وإنما تعرف أقوى

اللذات بأن تكون مؤثرة على غيرها ، فإن المخير بين النظر إلى صورة جميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة إذا اختار النظر إلى الصورة الجميلة علم أنها ألذ عنده من الروائح الطيبة ، وكذلك إذا حضر الطعام وقت الأكل واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الأكل ، فيعلم به أنّ لذة الغلبة فى الشطرنج أقوى عنده من لذة الأكل . فهذا معيا صادق فى الكشف عن ترجيح اللذات فنعود ونقول :

اللذات تنقسم إلى ظاهرة كلذة الحواس الخمس ، وإلى باطنة كلذة الرياسة والغلبة والكرامة والعلم وغيرها ، إذ ليست هذه اللذة للعين ولا للأنف ولا الأذن ولا للمس ولا للذوق ، والمعانى الباطنة أغلب على ذوى الكمال من اللذات الظاهرة ، فلو خير الرجل بين لذة الدجاج السمين واللوزينج وبين لذة الرياسة وقهر الأعداء ونيل درجة الاستيلاء ، فإن كان المخير خسيس الهمة ميت القلب شديد النهمة اختار اللحم والحلاوة ، وإن كان على الهمة كامل العقل اختار الرياسة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت أياما كثيرة : فاختياره للرياسة يدل على أنها ألذ عنده من المطعومات الطيبة . نعم الناقص الذى لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبى ، أو كالذى ماتت قواه الباطنة كالمعتوه لا يبعد أن يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياسة وكما أنّ لذة الرياسة والكرامه أغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبا والعته فلذة معرفة الله تعالى ومطالعة جمال حضرة الربوبية والنظر إلى أسرار الأمور الإلهية ألذ من الرياسة التى هى أعلى اللذات الغالبة على الخلق ، وغاية العبارة عنه أن يقال ﴿ فلا نعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾ وأنه أعد لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وهذا الآن لا يعرفه إلا من ذاق اللذتين جميعا ، فإنه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد والفكر والذكر ويتغمس فى بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحقر الخلق الذين يرأسهم لعلمه بفناء رياسته وفناء من عليه رياسته ، وكونه مشوبا بالكدورات التى لا يتصور الخلو عنها ، وكونه مقطوعا بالموت الذى لابد من إتيانه مهما أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها فيستعظم بالإضافة إليها لذة معرفة الله ومطالعة صفاته وأفعاله ونظام مملكته من أعلى عليين إلى أسفل السافلين ، فإنها خالية من المزاحمات والمكدرات متسعة للمتواردين عليها لا تضيق عنهم بكبرها ، وإنما عرضها من حيث التقدير السموات والأرض ، وإذا خرج النظر عن المقدرات فلا نهاية لعرضها ، فلا يزال العارف بمطالعتها فى جنة عرضها السموات والأرض يرتع فى رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع من حياضها وهو آمن من انقطاعها ، إذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ، ثم هى أبدية سرمدية لا يقطعها الموت ، إذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى ومحلها الروح الذى هو أمر ربانى سماوى ، وإنما الموت يغير أحوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخليها من حبسها فأما أن يعدمها فلا ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ﴾ الآية . ولا تظنن أنّ هذا مخصوص بالمقتول فى المعركة فإن للعارف بكل نفس درجة ألف شهيد وفى الخبر « إنّ الشهيد يتمنى فى الآخرة أن يرد إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وإن الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء [1] » .

فإذن جميع أقطار ملكوت السموات والأرض ميدان العارف يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة إلى أن يتحرك إليها بجسمه وشخصه ، فهو من مطالعة جمال الملكوت فى جنة عرضها السموات والأرض . وكل عارف فله مثلها من غير أن يضيق بعضهم على بعض أصلا ، إلا أنهم يتفاوتون فى سعة منتزهاتهم بقدر تفاوتهم فى اتساع نظرهم

---

(١) حديث « ان الشهيد يتمنى أن يرد فى الآخرة إلى الدنيا ليقتل مرة أخرى ... الحديث » متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم ، وليس فيه « وان الشهداء يتمنون أن يكونوا علماء ... الحديث »

وسعة معارفهم ، وهم درجات عند الله ولا يدخل فى الحصر تفاوت درجاتهم ، فقد ظهر أن لذة الرياسة وهى باطنة أقوى فى ذوى الكمال من لذات الحواس كلها ، وأن هذه اللذة لا تكون لبهيمة ولا لصبى ولا لمعتوه ، وأن لذة المحسوسات والشهوات تكون لذوى الكمال مع لذة الرياسة ولكن يؤثرون الرياسة ، فأما معنى كون معرفة الله وصفاته وأفعاله وملكوت سمواته وأسرار ملكه أعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفته من نال رتبة المعرفة وذاقها ، ولا يمكن إثبات ذلك عند من لا قلب له لأن القلب معدن هذه القوة ، كما أنه لا يمكن إثبات رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ، ولا رجحانه على لذة شم البنفسج عند العنين ، لأنه فقد الصفة التى بها تدرك هذه اللذة ، ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة شمه أدرك التفاوت بين اللذتين ، وعند هذا لا يبقى إلا أن يقال من ذاق عرف . ولعمرى طلاب العلوم وإن لم يشتغلوا بطلب معرفة الأمور الإلهية فقد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التى قوى حرصهم على طلبها ، فإنها أيضا معارف وعلوم وإن كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الإلهية ، فأما من طال فكره فى معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من أسرار ملك الله ولو الشىء اليسير فإنه يصادف فى قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ، ويتعجب من نفسه فى ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره ، وهذا مما لا يدرك إلا بالذوق ، والحكاية فيه قليلة الجدوى . فهذا القدر ينبهك على أن معرفة الله سبحانه ألذ الأشياء وأنه لا لذة فوقها .

ولهذا قال أبو سليمان الدارانى : إن لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله ؟ ولذلك قال بعض إخوان معروف الكرخى له : أخبرنى يا أبا محفوظ أى شىء هاجك إلى العبادة والانقطاع عن الخلق ؟ فسكت فقال : ذكر الموت ، فقال : وأى شىء الموت ؟ فقال : ذكر القبر والبرزخ ، فقال : وأى شىء القبر ؟ فقال : خوف النار ورجاء الجنة ، فقال : وأى شىء هذا ؟ إن ملكا هذا كله بيده إن أحببته أنساك جميع ذلك وإن كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا . وفى أخبار عيسى عليه السلام : إذا رأيت الفتى مشغوفا بطلب الرب تعالى فقد ألهاه ذلك عما سواه . ورأى بعض الشيوخ بشر بن الحارث فى النوم فقال : ما فعل أبو نصر التمار وعبد الوهاب الوراق ؟ فقال : تركتهما الساعة بين يدى الله تعالى يأكلان ويشربان ، قلت : فأنت ؟ قال : علم الله قلة رغبتى فى الأكل والشرب فأعطانى النظر إليه . وعن على بن الموفق قال : رأيت فى النوم كأنى ادخلت الجنة ، فرأيت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو يأكل ، ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه الناس فيدخل بعضا ويرد بعضا ، قال : ثم جاوزتهما إلى حديقة القدس فرأيت فى سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر إلى الله تعالى لا يطرف ، فقلت لرضوان : من هذا ؟ قال : معروف الكرخى عبد الله لا خوفا من ناره ولا شوقا إلى جنته بل حبا له فأباحه النظر إليه إلى يوم القيامة . وذكر أن الآخرين : بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل . ولذلك قال أبو سليمان : من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ، ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه . وقال الثورى لرابعة : ما حقيقة إيمانك ؟ قالت : ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته فأكون كالأجير السوء ، بل عبدته حبا له وشوقا إليه وقالت فى معنى المحبة نظما :

أحبك حبين حب الهوى وحبا لأنك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى فشغلى بذكرك عمن سواكا
وأما الذى أنت أهل له فكشفك لى الحجب حتى أراكا

فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

ولعلها أرادت بحب الهوى : حب الله لإحسانه إليها وإنعامه عليها بحظوظ العاجلة ، وبحبه لما هو أهل له : الحب لجماله وجلاله الذى انكشف لها ؛ وهو أعلى الحبين وأقواهما ، ولذة مطالعة جمال الربوبية هى التى عبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال حاكيا عن ربه تعالى « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر (١) » وقد تعجل بعض هذه اللذات فى الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه إلى الغاية ، ولذلك قال بعضهم : إنى أقول يارب يا الله فأجد ذلك على قلبى أثقل من الجبال لأن النداء يكون من وراء حجاب ؛ وهل رأيت جليسا ينادى جليسه ؟ وقال : إذا بلغ الرجل فى هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة ؛ أى يخرج كلامه عن حدّ عقولهم فيرون ما يقوله جنونا أو كفرا . فمقصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط ، فهى قرة العين التى لا تعلم نفس ماأخفى لهم منها ، وإذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بنعيمها ، فلو ألقى فى النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت إليه لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التى ليس فوقها غاية ، وليت شعر من لم يفهم إلا حب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر إلى وجه الله تعالى وماله صورة ولا شكل ؟ وأى معنى لوعدّ الله تعالى به عباده وذكره أنه أعظم النعم ؟ بل من عرف الله عرف أنّ اللذات المفرقة بالشهوات المختلفة كلها تنطوى تحت هذه اللذة كما قال بعضهم :

كانت لقلبى أهواء مفرقة فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائى
فصار يحسدنى من كنت أحسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائى
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا دينى ودنيائى

ولذلك قال بعضهم :

وهجره أعظم من ناره ووصله أطيب من جنته

وما أرادوا بهذا إلا إيثار لذة القلب فى معرفة الله تعالى على لذة الأكل والشرب والنكاح ، فإنّ الجنة معدن تمتع الحواس ، فأما القلب فلذته فى لقاء الله فقط .

ومثال أطوار الخلق فى لذتهم ما نذكره : وهو أن الصبى فى أوّل حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو ، حتى يكون ذلك عنده ألذ من سائر الأشياء ، ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها لذة اللعب ، ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها فى الوصول إليها ، ثم تظهر لذة الرياسة والعلو والتكاثر ، وهى آخر لذات الدنيا وأعلاها وأقواها كما قال تعالى ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر ﴾ الآية . ثم بعد هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله فيستحقر معها جميع ماقبلها ، فكل متأخر فهو أقوى ، وهذا هو الأخير ، إذ يظهر حب اللعب فى سنّ التمييز ، وحب النساء والزينة فى سنّ البلوغ ، وحب الرياسة بعد العشرين ، وحب العلوم بقرب الأربعين ، وهى الغاية العليا وكما أن الصبى يضحك على من يترك اللعب ويشتغل بملاعبة النساء وطلب الرياسة ؛ فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة ويشتغل بمعرفة الله تعالى . والعارفون يقولون ﴿ إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون ﴾ .

---

(١) حديث قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه تعالى « أعددت لعبادى الصالحين مالاعين رأت . . . الحديث » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة .

بيان السبب فى زيادة النظر فى لذة الآخرة على المعرفة فى الدنيا

اعلم أن المدركات تنقسم إلى ما يدخل فى الخيال ؛ كالصور المتخيلة والأجسام المتلونة والمتشكلة من أشخاص الحيوان والنبات ، وإلى مالا يدخل فى الخيال ، كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والإرادة وغيرها . ومن رأى إنسانا ثم غض بصره وجد صورته حاضرة فى خياله كأنه ينظر إليها ، ولكن إذا فتح العين وأبصر أدرك تفرقة بينهما ، ولا ترجع التفرقة إلى اختلاف بين الصورتين لأن الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة ، وإنما الافتراق بمزيد الوضوح والكشف ، فإن صورة المرئى صارت بالرؤية أتم انكشافا ووضوحا ، وهو كشخص يرى فى وقت الإسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم رؤى عند تمام الضوء ؛ فإنه لا تفارق إحدى الحالتين الأخرى إلا فى مزيد الانكشاف . فإذن الخيال أول الإدراك والرؤية هو الاستكمال لإدراك الخيال وهو غاية الكشف ، وسمى ذلك رؤية لأنه غاية الكشف لا لأنه فى العين ، بل لو خلق الله هذا الإدراك الكامل المكشوف فى الجبهة أو الصدر مثلا أستحق أن يسمى رؤية .

وإذا فهمت هذا فى المتخيلات فاعلم أن المعلومات التى لا تتشكل أيضا فى الخيال لمعرفتها وإدراكها درجتان (إحداهما) أولى (والثانية) استكمال لها . وبين الأولى والثانية من التفاوت فى مزيد الكشف والإيضاح ما بين المتخيل والمرئى ، فيسمى الثانى أيضا بالإضافة إلى الأول مشاهدة ولقاء ورؤية . وهذه التسمية حق لأن الرؤية سميت رؤية لأنها غاية الكشف ، وكما أن سنة الله تعالى جارية بأن تطبيق الأجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئى ، ولا بد من ارتفاع الحجب لحصول الرؤية ، وما لم ترتفع كان الإدراك الحاصل بمجرد التخيل فكذلك مقتضى سنة الله تعالى أن النفس مادامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وما غاب عليها من الصفات البشرية ، فإنها لا تنتهى إلى المشاهدة واللقاء فى المعلومات الخارجة عن الخيال ، بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الأجفان عن رؤية الأبصار . والقول فى سبب كونها حجابا يطول ولا يليق بهذا العلم . ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلام ﴿ لن ترانى ﴾ وقال تعالى ﴿ لاتدركه الأبصار ﴾ أى فى الدنيا والصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مارأى الله تعالى ليلة المعراج [1] . فإذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا ، غير منفكة عنها بالكلية وإن كانت متفاوتة ، فمنها ما تراكم عليه الخبث والصدأ فصار كالمرآة التى فسد بطول تراكم الخبث جوهرها فلا تقبل الإصلاح والتصقيل ، وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم أبد الآباد ـ نعوذ بالله من ذلك ـ ومنها ما لم ينته إلى حد الرين والطبع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصقيل فيعرض على النار عرضا يقمع منه الخبث الذى هو متدنس به ، ويكون العرض على النار بقدر الحاجة إلى التزكية ، وأقلها لحظة خفيفة وأقصاها فى حق المؤمنين ـ كما وردت به الأخبار ـ سبعة آلاف سنة [2] ولن ترتحل نفس عن

---

(١) حديث : أنه صلى الله عليه وسلم ما رأى الله تعالى ليلة المعراج فى الصحيح ، هذا الذى صححه المصنف هو قول عائشة ، وفى الصحيحين : أنها قالت من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ولمسلم من حديث أبى ذر : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك ؟ قال « نورانى أراه » وذهب ابن عباس وأكثر العلماء الى اثبات رؤيته له وعائشة لم ترو ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وحديث أبى ذر قال فيه أحمد : مازلت له منكرا . وقال ابن خزيمة : فى القلب من صحة اسناده شىء ، مع أن فى رواية لأحمد فى حديث أبى ذر « رأيته نورا انى أراه » ورجال اسنادها رجال الصحيح . (٢) حديث « ان أقصى المكث فى النار فى حق المؤمنين سبعة آلاف سنة » أخرجه الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول من حديث أبى هريرة « انما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتى ... الحديث » وفيه « وأطولهم مكثا فيها مثل الدنيا من يوم خلقت الى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة » واسناده ضعيف .

هذا العالم إلا ويصحبها غبرة وكدورة ما ، وإن قلت . ولذلك قال الله تعالى ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدور عنها ، فإذا أكمل الله تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب أجله ووقع الفراغ عن جملة ماوعد به الشرع من الحساب والعرض وغيره ووافى استحقاق الجنة ـ وذلك وقت مبهم لم يطلع الله عليه أحدا من خلقه فإنه واقع بعد القيامة ؛ ووقت القيامة مجهول ـ فعند ذلك يشتغل بصفائه ونقائه عن الكدورات حيث لايرهق وجهه غبرة ولا قترة لأنّ فيه يتجلى الحق سبحانه وتعالى ، فيتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالإضافة إلى ما عليه كانكشاف تجلى المرآة بالإضافة إلى ماتخيله . وهذه المشاهدة والتجلى هى التى تسمى رؤية ، فإذن الرؤية حق ، بشرط أن لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال فى متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان ، فإن ذلك مما يتعالى عنه رب الأرباب علوا كبيرا ، بل كما عرفته فى الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل وتصور وتقدير شكل وصورة ، فتراه فى الآخرة كذلك . بل أقول : المعرفة الحاصلة فى الدنيا بعينها هى التى تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة ، ولا يكون بين المشاهدة فى الآخرة ، والمعلوم فى الدنيا اختلاف إلا من حيث زيادة الكشف والوضوح ، كما ضربناه من المثال فى استكمال الخيال بالرؤية . فإذا لم يكن فى معرفة الله تعالى إثبات صورة وجهة فلا يكون فى استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيها فى الوضوح إلى غاية الكشف أيضا جهة وصورة لأنها هى بعينها لاتفترق منها إلا فى زيادة الكشف ، كما أن الصورة المرئية هى المتخيلة بعينها إلا فى زيادة الكشف ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا ﴾ إذ تمام النور لا يؤثر إلا فى زيادة الكشف ، ولهذا لايفوز بدرجة النظر والرؤية إلا العارفون فى الدنيا ، لأن المعرفة هى البذر الذى ينقلب فى الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة والحب زرعا ، ومن لانواة فى أرضه كيف يحصل له نخل ؟ ومن لم يزرع الحب فكيف يحصد الزرع ؟ فكذلك من لم يعرف الله تعالى فى الدنيا فكيف يراه فى الآخرة ؟ ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلى أيضا على درجات متفاوتة ، فاختلاف التجلى بالإضافة إلى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالإضافة إلى اختلاف البذر ، إذ تختلف لامحالة بكثرتها وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها ، ولذلك قال النبى عليه الصلاة والسلام « إن الله يتجلى للناس عامة ولأبى بكر خاصة [1] » فلا ينبغى أن يظنّ أنّ غير أبى بكر ممن هو دونه يجد من لذة النظر والمشاهدة ما يجده أبو بكر ، بل لا يجد إلا عشر عشيره إن كانت معرفته فى الدنيا عشر عشيره ، ولما فضل من الناس بسر وقر فى صدره فضل لامحالة بتجل انفرد به ، وكما أنك ترى فى الدنيا من يؤثر لذة الرياسة على المطعوم والمنكوح ؛ وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف مشكلات ملكوت السموات والأرض وسائر الأمور الإلهية على الرياسة وعلى المنكوح والمطعوم والمشروب جميعا ؛ فكذلك يكون فى الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر إلى وجه الله تعالى على نعيم الجنة ، إذ يرجع نعيمها إلى المطعوم والمنكوح ، وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم فى الدنيا ما وصفنا من إيثار لذة العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على لذة المنكوح والمطعوم والمشروب ؛ وسائر الخلق مشغولون به . ولذلك لما قيل لرابعة : ماتقولين فى الجنة ؟ فقالت الجار ثم الدار . فبينت أنه ليس فى قلبها التفات إلى الجنة بل إلى رب الجنة . وكل من لم يعرف الله فى الدنيا فلا يراه

(١) حديث « ان الله يتجلى للناس عامة ولأبى بكر خاصة » أخرجه ابن عدى من حديث جابر . وقال باطل بهذا الإسناد وفى الميزان للذهبى أن الدارقطنى رواه عن المحاملى عن على بن عبدة وقال الدارقطنى ان على بن عبدة كان يضع الحديث ورواه ابن عساكر فى تاريخ دمشق وابن الجوزى فى الموضوعات من حديث جابر وأبى بردة وعائشة .

فى الآخرة ، وكل من لم يجد لذة المعرفة فى الدنيا فلا يجد لذة النظر فى الآخرة ، إذ ليس يستأنف لأحد فى الآخرة مالم يصحبه من الدنيا ، ولا يحصد أحد إلا ما زرع ، ولا يحشر المرء إلا على ما مات عليه ، ولا يموت إلا على ما عاش عليه ، فما صحبه من المعرفة هو الذى يتنعم به بعينه فقط ، إلا أنه ينقلب مشاهدة بكشف الغطاء فتتضاعف اللذة به ؛ كما تتضاعف لذة العاشق إذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤية صورته فإنّ ذلك منتهى لذته ، وإنما طيبة الجنة أن لكل أحد فيها ما يشتهى ، فمن لا يشتهى إلا لقاء الله تعالى فلا لذة له فى غيره ، بل ربما يتأذى به . فإذن نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله تعالى بقدر معرفته ؛ فأصل السعادات هى المعرفة التى عبر الشرع عنها بالإيمان .

فإن قلت : فلذة الرؤية إن كان لها نسبة إلى لذة المعرفة فهى قليلة وإن كان أضعافها ، لأنّ لذة المعرفة فى الدنيا ضعيفة فتضاعفها إلى حدّ قريب لاينتهى فى القوة إلى أن يستحقر سائر لذات الجنة فيها ؟ فاعلم أن هذا الاستحقار للذة المعرفة صدر من الخلو عن المعرفة ، فمن خلا عن المعرفة كيف يدرك لذتها ؟ وإن انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلائق الدنيا فكيف يدرك لذتها ؟ فللعارفين فى معرفتهم وفكرتهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة فى الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها لذة الجنة ، ثم هذه اللذة مع كمالها لانسبة لها أصلا إلى لذة اللقاء والمشاهدة ، كما لا نسبة للذة خيال المعشوق إلى رؤيته ، ولا لذة استنشاق روائح الأطعمة الشهية إلى ذوقها ، ولا للذة اللمس باليد إلى لذة الوقاع .

وإظهار عظم التفاوت بينهما لا يمكن إلا بضرب مثال فنقول : لذة النظر إلى وجه المعشوق فى الدنيا تتفاوت بأسباب (أحدها) كمال جمال المعشوق ونقصانه ، فإنّ اللذة فى النظر إلى الأجمل أكمل لا محالة . (والثانى) كمال قوة الحب والشهوة والعشق ؛ فليس التذاذ من اشتدّ عشقه كالتذاذ من ضعفت شهوته وحبه . (والثالث) كمال الإدراك ، فليس التذاذ برؤية المعشوق فى ظلمة أو من وراء ستر رقيق أو من بعده كالتذذاه بإدراكه على قرب من غير ستر وعند كمال الضوء ، ولا إدراك لذة المضاجعة مع ثوب حائل كإدراكها مع التجرد . (والرابع) اندفاع العوائق المشوشة والآلام الشاغلة للقلب ؛ فليس التذاذ الصحيح الفارغ المتجرد للنظر إلى المعشوق كالتذاذ الخائف المذعور أو المريض المتألم أو المشغول قلبه بمهم من المهمات .

فقدّر عاشقا ضعيف العشق ينظر إلى وجه معشوقه من وراء ستر رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته فى حالة اجتمع عليه عقارب وزنابير تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه ، فهو فى هذه الحالة لايخلو عن لذة مامن مشاهدة معشوقه ، فلو طرأت على الفجأة حالة انهتك بها الستر وأشرق بها الضوء واندفع عنه المؤذيات وبقى سليما فارغا وهجمت عليه الشهوة القوية والعشق المفرط حتى بلغ أقصى الغايات ، فانظر كيف تتضاعف اللذة حتى لا يبقى للأولى إليها نسبة يعتدّ بها ، فكذلك فافهم نسبة لذة النظر إلى لذة المعرفة . فالستر الرقيق مثال البدن والاشتغال به ، والعقارب والزنابير مثال الشهوات المتسلطة على الإنسان من الجوع والعطش والغضب والغم والحزن ، وضعف الشهوة والحب مثال لقصور النفس فى الدنيا ونقصانها عن الشوق إلى الملأ الأعلى والتفاتها إلى أسفل السافلين وهو مثل قصور الصبى عن ملاحظة لذة الرياسة والتفاته إلى اللعب بالعصفور ، والعارف وإن قويت فى الدنيا معرفته فلايخلو عن هذه المشوشات ولا يتصور أن يخلو عنها ألبتة . نعم قد تضعف هذه العوائق فى بعض الأحوال ولا تدوم ، فلا جرم يلوح من جمال المعرفة ما يبهت العقل وتعظم لذته بحيث يكاد القلب يتفطر لعظمته ، ولكن يكون ذلك

كالبرق الخاطف وقلما يدوم ؛ بل يعرض من الشواغل والأفكار والخواطر ما يشوّشه وينغصه ، وهذه ضرورة دائمة فى هذه الحياة الفانية فلا تزال هذه اللذة منغصة إلى الموت ، وإنما الحياة الطيبة بعد الموت وإنما العيش عيش الآخرة ﴿ وإنّ الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ وكل من انتهى إلى هذه الرتبة فإنه يحب لقاء الله تعالى فيحب الموت ، ولا يكره إلا من حيث ينتظر زيادة استكمال فى المعرفة فإنّ المعرفة كالبذر وبحر المعرفة لا ساحل له ، فالإحاطة بكنه جلال الله محال ، فكلما كثرت المعرفة بالله وبصفاته وأفعاله وبأسرار مملكته وقويت؛ كثر النعيم فى الآخرة وعظم ، كما أنه كلما كثر البذر وحسن ، كثر الزرع وحسن ، ولا يمكن تحصيل هذا البذر إلا فى الدنيا ، ولا يزرع إلا فى صعيد القلب ، ولا حصاد إلا فى الآخرة . ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل السعادات طول العمر فى طاعة الله [1] » لأنّ المعرفة إنما تكمل وتكثر وتتسع فى العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبة على المجاهدة والانقطاع عن علائق الدنيا والتجرّد للطلب ، ويستدعى ذلك زمانا لا محالة ، فمن أحب الموت أحبه لأنه رأى نفسه واقفا فى المعرفة بالغا إلى منتهى ما يسر له ، ومن كره الموت كرهه لأنه كان يؤمل مزيد معرفة تحصل له بطول العمر ورأى نفسه مقصرا عما تحتمله قوته لو عمر ، فهذا سبب كراهة الموت وحبه عند أهل المعرفة .

وأما سائر الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا إن اتسعت أحبوا البقاء وإن ضاقت تمنوا الموت . وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة . فالجهل والغفلة مغرس كل شقاوة . والعلم والمعرفة أساس كل سعادة فقد عرفت بما ذكرناه معنى المحبة ، ومعنى العشق فإنه المحبة المفرطة القوية ، ومعنى لذة المعرفة ، ومعنى الرؤية ، ومعنى لذة الرؤية ، ومعنى كونها ألذ من سائر اللذات عند ذوى العقول والكمال وإن لم تكن كذلك عند ذوى النقصان ، كما لم تكن الرياسة ألذ من المطعومات عند الصبيان .

* فإن قلت : فهذه الرؤيا محلها القلب أو العين فى الآخرة ؟ فاعلم أنّ الناس قد اختلفوا فى ذلك وأرباب البصائر لا يلتفتون إلى هذا الخلاف ولا ينظرون فيه ، بل العاقل يأكل البقل ولا يسأل عن المبقلة ، ومن يشتهى رؤية معشوقه يشغله عشقه عن أن يلتفت إلى أن رؤيته تحلق فى عينه أو جبهته ، بل يقصد الرؤيا ولذتها سواء كان ذلك بالعين أو غيرها ، فإن العين محل وظرف لا نظر إليه ولا حكم له ، والحق فيه أنّ القدرة الأزلية واسعة فلا يجوز أن نحكم عليها بالقصور عن أحد الأمرين ، هذا فى حكم الجواز ، فأما الواقع فى الآخرة من الجائزين فلا يدرك إلا بالسمع [2] والحق ماظهر لأهل السنة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق فى العين ليكون لفظ الرؤية والنظر، وسائر الألفاظ الواردة فى الشرع مجرى على ظاهره ، إذ لا يجوز إزالة الظواهر إلا لضرورة والله تعالى أعلم .

بيان الأسباب المقوية لحب الله تعالى

اعلم أن أسعد الخلق حالا فى الآخرة أقواهم حبا لله تعالى ، فإن الآخرة معناها القدوم على الله تعالى ودرك سعادة لقائه ، وما أعظم نعيم المحب إذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه ! وتمكن من دوام مشاهدته أبد الآباد من

---

(١) حديث « أفضل السعادات طول العمر فى طاعة الله » أخرجه ابراهيم الحربى فى كتاب ذكر الموت من رواية ابن لهيعة عن ابن الهاد عن المطلب عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « السعادة كل السعادة طول العمر فى طاعة الله » ووالد المطلب عبد الله بن حوطب مختلف فى صحبته ولأحمد من حديث جابر « ان من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الإنابة » والترمذى من حديث أبى بكرة : أن رجلا قال يارسول الله أى الناس خير ؟ قال « من طال عمره وحسن عمله » قال هذا حديث حسن صحيح وقد تقدم . (٢) حديث « رؤية الله فى الآخرة حقيقة » متفق عليه من حديث أبى هريرة : أن الناس قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال « هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ... الحديث » .

غير منغص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع ! إلا أن هذا النعيم على قدر قوة الحب فكلما ازدادت المحبة ازدادت اللذة ، وإنما يكتسب العبد حب الله تعالى فى الدنيا وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لأنه لاينفك عن أصل المعرفة ، وأما قوة الحب واستيلاؤه حتى ينتهى إلى الاستهتار الذى يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الأكثرون ، وإنما يحصل ذلك بسببين (أحدهما) قطع علائق الدنيا وإخراج حب غير الله من القلب ، فإن القلب مثل الإناء لا يتسع للخل مثلا ما لم يخرج منه الماء ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ﴾ وكمال الحب فى أن يحب الله عز وجل بكل قلبه . وما دام يلتفت إلى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره ، فبقدر ما يشغل بغير الله ينقص منه حب الله ، وبقدر ما يبقى من الماء فى الإناء ينقص من الخل المصبوب فيه . وإلى هذا التفريد والتجريد الإشارة بقوله تعالى ﴿ قل الله ثم ذرهم فى خوضهم ﴾ وبقوله تعالى ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ بل هو معنى قولك « لا إله إلا الله » أى لا معبود ولا محبوب سواه ، فكل محبوب فإنه معبود ، فإن العبد هو المقيد والمعبود هو المقيد به . وكل محب فهو مقيد بما يحبه . ولذلك قال الله تعالى ﴿ أرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « أبغض إله عبد فى الأرض الهوى » ولذلك قال عليه السلام « من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة [1] » ومعنى الإخلاص أن يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه شرك لغير الله ، فيكون الله محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط ، ومن هذا حاله فالدنيا سجنه لأنها مانعة له من مشاهدة محبوبه وموته خلاص من السجن وقدوم على المحبوب ، فما حال من ليس له إلا محبوب واحد وقد طال إليه شوقه وتمادى عنه حبسه فخلى من السجن ومكن من المحبوب وروح بالأمن أبد الآباد ، فأحد أسباب ضعف حب الله فى القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الأهل والمال والولد والأقارب والعقار والدواب والبساتين والمتنزهات حتى إن المنفرج بطيب أصوات الطيور وروح نسم الأسحار ملتفت إلى نعيم الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله تعالى بسببه ، فبقدر ما أنس بالدنيا فينقص أنسه بالله ، ولا يؤتى أحد من الدنيا شيئا إلا وينقص بقدره من الآخرة بالضرورة ، كما أنه لا يقرب الإنسان من المشرق إلا ويبعد بالضرورة من المغرب بقدره ، ولا يطيب قلب امرأته إلا ويضيق به قلب ضرتها ، فالدنيا والآخرة ضرتان وهما كالمشرق والمغرب ، وقد انكشف ذلك لذوى القلوب انكشافا أوضح من الإبصار بالعين ، وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والانقياد إليهما بزمام الخوف والرجاء . فما ذكرناه من المقامات كالتوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هى مقدمات ليكتسب بها أحد ركنى المحبة وهو تخلية القلب عن غير الله ، وأوله الإيمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار ، ثم يتشعب منه الخوف والرجاء ، ويتشعب منهما التوبة والصبر عليهما . ثم ينجر ذلك إلى الزهد فى الدنيا وفى المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله فقط ، حتى يتسع بعده لنزول معرفة الله وحبه فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو أحد ركنى المحبة . وإليه الإشارة بقوله عليه السلام ، الطهور شطر الإيمان [2] » كما ذكرناه فى أول كتاب الطهارة .

(السبب الثانى) لقوة المحبة « قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب ، وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلائقها يجرى مجرى وضع البذر فى الأرض بعد تنقيتها من الحشيش وهو الشطر الثانى . ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهى الكلمة الطيبة التى ضرب الله بها مثلا حيث قال ﴿ ضرب الله مثلا كلمة

(١) حديث « من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة » تقدم . (٢) حديث « الطهور شطر الإيمان » أخرجه مسلم حديث أبى مالك من الأشعرى وقد تقدم .

طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ﴾ وإليها الإشارة بقوله تعالى ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ أى المعرفة ﴿ والعمل الصالح يرفعه ﴾ فالعمل الصالح كالجمال لهذه المعرفة وكالخادم وإنما العمل الصالح كله فى تطهير القلب أولا من الدنيا ثم إدامة طهارته ، فلا يراد العمل إلا لهذه المعرفة ، وأما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل ، فالعلم هو الأول وهو الآخر ، وإنما الأول علم المعاملة وغرضه العمل ، وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جلية الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعتها المحبة بالضرورة ، كما أن من كان معتدل المزاج إذا أبصر الجميل وأدركه بالعين الظاهرة أحبه ومال إليه ، ومهما أحبه حصلت اللذة ، فاللذة تبع المحبة بالضرورة ، والمحبة تبع المعرفة بالضرورة ، ولا يوصل إلى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب إلا بالفكر الصافى والذكر الدائم والجد البالغ فى الطلب والنظر المستمر فى الله تعالى وفى صفاته وفى ملكوت سمواته وسائر مخلوقاته .

والواصلون إلى هذه الرتبة ينقسمون إلى (الأقوياء) ويكون أول معرفتهم بالله تعالى ، ثم به يعرفون غيره . وإلى (الضعفاء) ويكون أول معرفتهم بالأفعال ثم يترقون منها إلى الفاعل . وإلى الأول الإشارة بقوله تعالى ﴿ أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ﴾ وبقوله تعالى ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو ﴾ ومنه نظر بعضهم حيث قيل له : بم عرفت ربك ؟ قال : عرفت ربى ولولا ربى لما عرفت ربى ، وإلى الثانى الإشارة بقوله تعالى ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ الآية وبقوله عز وجل ﴿ أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض ﴾ وبقوله تعالى ﴿ قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ﴾ وبقوله تعالى ﴿ الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير ﴾ وهذا الطريق هو الأسهل على الأكثرين وهو الأوسع على السالكين ، وإليه أكثر دعوة القرآن عند الأمر بالتدبر والتفكر والاعتبار والنظر فى آيات خارجة عن الحصر .

فإن قلت : كلا الطريقين مشكل فأوضح لنا منهما مايستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل به إلى المحبة فاعلم أن الطريق الأعلى هو الاستشهاد بالحق سبحانه على سائر الخلق فهو غامض ، والكلام فيه خارج عن حد فهم أكثر الخلق فلا فائدة فى إيراده فى الكتب ، وأما الطريق الأسهل الأدنى فأكثره غير خارج عن حد الأفهام ؛ وإنما قصرت الأفهام عنه لإعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحظوظ النفس ، والمانع من ذكر هذا اتساعه وكثرته وانشعاب أبوابه الخارجة عن الحصر والنهاية ، إذ ما من ذرة من أعلى السموات إلى تخوم الأرضين إلا وفيها عجائب آيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته ومنتهى جلاله وعظمته ، وذلك مما لا يتناهى ﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ﴾ فالخوض فيه انغماس فى بحار علوم المكاشفة ولا يمكن أن يتطفل به على علوم المعاملة ، ولكن يمكن الرمز إلى مثال واحد على الإيجاز ليقع التنبيه لجنسه فنقول :

أسهل الطريقين النظر إلى الأفعال فلنتكلم فيها ولنترك الأعلى ، ثم الأفعال الإلهية كثيرة فنطلب أقلها وأحقرها وأصغرها ولننظر فى عجائبها ، فأقل المخلوقات هو الأرض وما عليها - أعنى بالإضافة إلى الملائكة وملكوت السموات - فإنك إن نظرت فيها من حيث الجسم والعظم فى الشخص فالشمس على ماترى من صغر حجمها هى مثل الأرض مائة ونيفا وستين مرة ، فانظر إلى صغر الأرض بالإضافة إليها ، ثم انظر إلى صغر الشمس بالإضافة إلى

فلكها الذى هى مركوزة فيه ، فإنه لانسبة لها إليه وهى فى السماء الرابعة ، وهى صغيرة بالإضافة إلى مافوقها من السموات السبع ، ثم السموات السبع فى الكرسى كحلقة فى فلاة ، والكرسى فى العرش كذلك . فهذا نظر إلى ظاهر الأشخاص من حيث المقادير ، وما أحقر الأرض كلها بالإضافة إليها ! بل ما أصغر الأرض بالإضافة إلى البحار ! فقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم « الأرض فى البحر كالاصطبل فى الأرض [1] » ومصداق هذا عرف بالمشاهدة والتجربة ، وعلم أن المكشوف من الأرض عن الماء كجزيرة صغيرة بالإضافة إلى كل الأرض ، ثم انظر إلى الآدمى المخلوق من التراب ـ الذى هو جزء من الأرض ـ وإلى سائر الحيوانات وإلى صغره بالإضافة إلى الأرض ، ودع عنك جميع ذلك ، فأصغر مانعرفه من الحيوانات البعوض والنحل ومايجرى مجراه ، فانظر فى البعوض على قدر صغر قدره وتأمله بعقل حاضر وفكر صاف ، فانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل الفيل الذى هو أعظم الحيوانات ! إذ خلق له خرطوما مثل خرطومه ، وخلق له على شكله الصغير سائر الأعضاء كما خلقه للفيل بزيادة جناحين ، وانظر كيف قسم أعضاءه الظاهرة فأنبت جناحه ، وأخرج يده ورجله ، وشق سمعه وبصره ؟ ودبر فى باطنه من أعضاء الغذاء وآلاته ما دبره فى سائر الحيوانات ، وركب فيها من القوى الغاذية والجاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة ماركب فى سائر الحيوانات ، هذا فى شكله وصفاته ، ثم انظر إلى هدايته كيف هداه الله تعالى إلى غذائه وعرفه أنّ غذاءه دم الإنسان ثم انظر كيف أنبت له آلة الطيران إلى الإنسان ! وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو محدّد الرأس ! وكيف هداه إلى مسام بشرة الإنسان حتى يضع خرطومه فى واحدمنها ! ثم كيف قواه حتى يغرز فيه الخرطوم ! وكيف علمه المص والتجرع للدم ! وكيف خلق الخرطوم مع دقته مجوّفا حتى يجرى فيه الدم الرقيق وينتهى إلى باطنه وينتشر فى سائر أجزائه ويغذيه ! ثم كيف عرّفه أن الإنسان يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب واستعداد آلته ! وخلق له السمع الذى يسمع به خفيف حركة اليد وهى بعد بعيدة منه فيترك المص ويهرب ! ثم إذا سكنت اليد يعود ! ثم انظر كيف خلق له حدقتين حتى يبصر موضع غذائه فيقصده مع صغر حجم وجهه

وانظر إلى أن حدقة كل حيوان صغير لما لم تحتمل حدقته الأجفان لصغره وكانت الأجفان مصقلة لمرآة الحدقة عن القذى والغبار ـ خلق للبعوض والذباب يدين فتنظر إلى الذباب فتراه على الدوام يمسح حدقتيه بيديه . وأما الإنسان والحيوان الكبير فخلق لحدقتيه الأجفان حتى ينطبق أحدهما على الآخر ، وأطرافهما حادة فيجمع الغبار الذى يلحق الحدقة ويرميه إلى أطراف الأهداب ، وخلق الأهداب السود لتجمع ضوء العين وتعين على الإبصار وتحسن صورة العين وتشبكها عند هيجان الغبار فينظر من وراء شباك الأهداب ، واشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع الإبصار . وأما البعوض فخلق لها حدقتين مصقلتين من غير أجفان وعلمها كيفية التصقيل باليدين ، ولأجل ضعف أبصارها تراها تتهافت على السراج لأنّ بصره ضعيف فهى تطلب ضوء النهار ، فإذا رأى المسكين ضوء السراج بالليل ظنّ أنه فى بيت مظلم وأنّ السراج كوّة من البيت المظلم إلى الموضع المضىء ، فلايزال يطلب الضوء ويرمى بنفسه إليه فإذا جاوزه ورأى الظلام ظن أنه لم يصب الكوة ولم يقصدها على السداد فيعود إليه مرة أخرى إلى أن يحترق ولعلك تظن أن هذا لنقصانها وجهلها ، فاعلم أنّ جهل الإنسان أعظم من جهلها ، بل صورة الآدمى فى الإكباب على الشهوات الدنيا صورة الفراش فى التهافت على النار ، إذ تلوح للآدمى أنوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولايدرى أنّ تحتها السم الناقع القاتل ، فلايزال يرمى نفسه عليها إلى أن ينغمس فيها ويتقيد بها ويهلك

(١) حديث « الأرض فى البحر كالاصطبل فى الأرض » لم أجد له أصلا .

هلاكا مؤبدا ، فليت كان جهل الآدمى كجهل الفراش ! فإنها باغترارها بظاهر الضوء إن احترقت تخلصت فى الحال والآدمى يبقى فى النار أبد الآباد أو مدة مديدة ، ولذلك كان ينادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول « إنى ممسك بحجزكم عن النار وأنتم تتهافتون فيها تهافت الفراش [1] » فهذه لمعة عجيبة من عجائب صنع الله تعالى فى أصغر الحيوانات ، وفيها من العجائب ما لو اجتمع الأولون والآخرون على الإحاطة بكنهه عجزوا عن حقيقته ولم يطلعوا على أمور جلية من ظاهر صورته ، فأما خفايا معانى ذلك فلا يطلع عليها إلا الله تعالى .

ثم فى كل حيوان ونبات أعجوبة وأعاجيب تخصه لا يشاركه فيها غيره ، فانظر إلى النحل وعجائبها وكيف أوحى الله تعالى إليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ، وكيف استخرج من لعابها الشمع والعسل وجعل أحدهما ضياء وجعل الآخر شفاء ، ثم لو تأملت عجائب أمرها فى تناولها الأزهار والأنوار واحترازها عن النجاسات والأقذار ، وطاعتها لواحد من جملتها هو أكبرها شخصا وهو أميرها ، ثم ما سخر الله تعالى له أميرها من العدل والإنصاف بينها - حتى إنه ليقتل على باب المنفذ كل ماوقع منها على نجاسة - لقضيت منها عجبا آخر العجب إن كنت بصيرا فى نفسك وفارغا من هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك فى معاداة أقرانك وموالاة إخوانك . ثم دع عنك جميع ذلك وانظر إلى بنائها بيوتها من الشمع ، واختيارها من جملة الأشكال الشكل المسدس ، فلا تبنى بيتا مستديرا ولا مربعا ولا مخمسا بل مسدسا ، لخاصية فى الشكل المسدس يقصر فهم المهندسين عن دركها ، وهو أن أوسع الأشكال وأحواها : المستديرة وما يقرب منها ، فإن المربع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لاتضيع الزوايا فتبقى فارغة ، ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضائعة فإن الأشكال المستديرة إذا جمعت لم تجتمع متراصة ، ولا شكل فى الأشكال ذوات الزوايا يقرب فى الاحتواء من المستدير ثم تتراص الجملة منه بحيث لايبقى بعد اجتماعها فرجة إلا المسدس ، وهذه خاصية هذه الشكل ، فانظر كيف ألهم الله تعالى النحل على صغر جرمه ولطافة قده لطفا به وعناية بوجوده وما هو محتاج إليه ليتهنأ بعيشه ، فسبحانه ماأعظم شأنه وأوسع لطفه وامتنانه !

فاعتبر بهذه اللمعة اليسيرة من محقرات الحيوانات ودع عنك عجائب ملكوت الأرض والسموات ، فإن القدر الذى بلغه فهمنا القاصر منه تنقضى الأعمار دون إيضاحه ، ولا نسبة لما أحاط به علمنا إلى ما أحاط به العلماء والأنبياء ، ولا نسبة لما أحاط به علم الخلائق كلهم إلى ما استأثر الله تعالى بعلمه ، بل كل ماعرفه الخلق لا يستحق أن يسمى علما فى جنب علم الله تعالى ، فبالنظر فى هذا وأمثاله تزداد المعرفة الحاصلة بأسهل الطريقين ، وبزيادة المعرفة تزداد المحبة ، فإن كنت طالبا سعادة لقاء الله تعالى فانبذ الدنيا وراء ظهرك ، واستغرق العمر فى الذكر الدائم والفكر اللازم فعساك تحظى منها بقدر يسير ، ولكن تنال بذلك اليسير ملكا عظيما لا آخر له .

بيان السبب فى تفاوت الناس فى الحب

اعلم أن المؤمنين مشتركون فى أصل الحب لاشتراكهم فى أصل المحبة ، ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم فى المعرفة وفى حب الدنيا ، إذ الأشياء إنما تتفاوت بتفاوت أسبابها ، وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى إلا الصفات

(١) حديث « انى ممسك بحجزكم عن النار وأنتم تهافتون فيها تهافت الفراش » متفق عليه من حديث أبى هريرة « مثلى ومثل أمتى كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش يقعن فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيه » لفظ مسلم واقتصر البخارى على أوله ولمسلم من حديث جابر « وأنا آخذ بحجزكم وأنتم تفلتون من يدى » .

والأسماء التى قرعت سمعهم فتلقنوها وحفظوها ، وربما تخيلوا لها معانى يتعالى عنها رب الأرباب ، وربما لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسدا بل آمنوا بها إيمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث ، وهؤلاء هم أهل السلامة من أصحاب اليمين ، والمتخيلون هم الضالون ، والعارفون بالحقائق هم المقربون . وقد ذكر الله حال الأصناف الثلاثة فى قوله تعالى ﴿ فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ﴾ الآية . فإن كنت لاتفهم الأمور إلا بالأمثلة فانضرب لتفاوت الحب مثالا فنقول : أصحاب الشافعى مثلا يشتركون فى حب الشافعى — رحمه الله — الفقهاء منهم والعوام ، لأنهم مشتركون فى معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله ، ولكن العامى يعرف علمه مجملا والفقيه يعرفه مفصلا ، فتكون معرفة الفقيه به أتم وإعجابه به وحبه له أشد ، فإن من رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله أحبه لامحالة ومال إليه قلبه ، فإن رأى تصنيفا آخر أحسن منه وأعجب تضاعف لامحالة حبه لأنه تضاعفت معرفته بعلمه ، وكذلك يعتقد الرجل فى الشاعر أنه حسن الشعر فيحبه ، فإذا سمع من غرائب شعره ماعظم فيه حذقه وصنعته ازداد به معرفة وازداد له حبا ، وكذا سائر الصناعات والفضائل . والعامى قد يسمع أن فلانا مصنف وأنه حسن التصنيف ولكن لا يدرى مافى التصنيف فيكون له معرفة مجملة ويكون له بحسبه ميل مجمل ، والبصير إذا فتش عن التصانيف واطلع على مافيها من العجائب تضاعف حبه لا محالة ، لأن عجائب الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم بجملته صنع الله تعالى وتصنيفه ، والعامى يعلم ذلك ويعتقده : وأما البصير فإنه يطالع تفصيل صنع الله تعالى فيه ، حتى يرى فى البعوض — مثلا — من عجائب صنعه ما ينبهر به عقله ويتحير فيه لبه ويزداد بسببه لامحالة عظمة الله وجلاله وكمال صفاته فى قلبه فيزداد له حبا ، وكلما ازداد على أعاجيب صنع الله اطلاعا استدل بذلك على عظمة الله الصانع وجلاله ، وازداد به معرفة وله حبا . وبحر هذه المعرفة — أعنى معرفة عجائب صنع الله تعالى — بحر لاساحل له ، فلا جرم تفاوت أهل المعرفة فى الحب لاحصر له ، ومما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الأسباب الخمسة التى ذكرناها للحب ، فإن من يحب الله مثلا لكونه محسنا إليه منعما عليه ولم يحبه لذاته ضعفت محبته ، إذ تتغير بتغير الإحسان ، فلا يكون حبه فى حالة البلاء كحبه فى حالة الرضا والنعماء . وأما من يحبه لذاته ولأنه مستحق للحب بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فإنه لايتفاوت حبه بتفاوت الإحسان إليه . فهذا وأمثاله هو سبب تفاوت الناس فى المحبة . والتفاوت فى المحبة هو السبب للتفاوت فى سعادة الآخرة . ولذلك قال تعالى ﴿ وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ﴾ .

بيان السبب فى قصور أفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه

اعلم أن أظهر الموجودات وأجلاها هو الله تعالى ، وكان هذا يقتضى أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها إلى الأفهام وأسهلها على العقول ، وترى الأمر بالضد من ذلك ، فلا بد من بيان السبب فيه . وإنما قلنا إنه أظهر الموجودات وأجلاها لمعنى لاتفهمه إلا بمثال : وهو أنا إذا رأينا إنسانا يكتب أو يخيط مثلا كان كونه حيا عندنا من أظهر الموجودات ، فحياته وعلمه وقدرته وإرادته للخياطة أجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة ، إذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لانعرفه ، وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته . أما حياته وقدرته وإرادته وعلمه وكونه حيوانا فإنه جلى عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وإرادته ، فإن هذه الصفات

لاتحس بشيء من الحواس الخمس ، ثم لا يمكن أن نعرف حياته وقدرته وإرادته إلا بخياطته وحركته ، فلو نظرنا إلى كل مافى العالم سواه لم نعرف به صفته ، فما عليه إلا دليل واحد وهو مع ذلك جلى واضح ، ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وأرض وكوكب وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض ، بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا فى حركاتنا وسكناتنا ، وأظهر الأشياء فى علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة ـ وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد ، وجميع مافى العالم شواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ، ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته . والموجودات المدركة لا حصر لها ، فإن كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس لها يشهد إلا شاهد واحد وهو ماأحسسنا به من حركة يده ؛ فكيف لايظهر عندنا مالا يتصور فى الوجود شيء داخل نفوسنا وخارجها إلا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله ؟ إذ كل ذرة فإنها تنادى بلسان حالها أنه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وأنها تحتاج إلى موجد ومحرك لها ، يشهد بذلك أولا تركيب أعضائنا وائتلاف عظامنا ولحومنا وأعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة ، فإنه نعلم أنها لم تأتلف بأنفسها كما نعلم أن يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ، ولكن لما لم يبق فى الوجود شيء مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب إلا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره فانبهرت العقول ودهشت عن إدراكه .

فإن ما تقصر عن فهمه عقولنا فله سببان (أحدهما) خفاؤه فى نفسه وغموضه وذلك لايخفى مثاله (والآخر) ما يتناهى وضوحه ، وهذا كما أن الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار ، لا لخفاء النهار واستتاره ولكن لشدة ظهوره فإن بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس إذا أشرقت ، فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع إبصاره فلا يرى شيئا إلا إذا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره .

فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الإلهية فى نهاية الإشراق والاستنارة وفى غاية الاستغراق والشمول ، حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والأرض فصار ظهوره سبب خفائه ، فسبحان من احتجب بإشراق نوره واختفى عن البصائر والأبصار بظهوره ، ولا يتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور ، فإن الأشياء تستبان بأضدادها وما عم وجوده حتى أنه لاضد له عسر إدراكه ، فلو اختلفت الأشياء فدل بعضها دون بعض أدركت التفرقة على قرب ، ولما اشتركت فى الدلالة على نسق واحد أشكل الأمر . ومثاله : نور الشمس المشرق على الأرض ، فإنا نعلم أنه عرض من الأعراض يحدث فى الأرض ويزول عند غيبة الشمس ، فلو كانت الشمس دائمة الإشراق لاغروب لها لكنا نظن أنه لاهيئة فى الأجسام إلا ألوانها وهى السواد والبياض وغيرهما ، فإنا لا نشاهد فى الأسود إلا السواد وفى الأبيض إلا البياض ، فأما الضوء فلا ندركه وحده ، ولكن لما غابت الشمس وأظلمت المواضع أدركنا تفرقة بين الحالين ، فعلمنا أن الأجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب ، فعرفنا وجود النور بعدمه ، وما كنا نطلع عليه لولا عدمه إلا بعسر شديد ، وذلك لمشاهدتنا الأجسام متشابهة غير مختلفة فى الظلام والنور ، هذا مع أن النور أظهر المحسوسات إذ به تدرك سائر المحسوسات ، فما هو ظاهر فى نفسه وهو مظهر لغيره ، انظر كيف تصور استبهام أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضده ؟ فالله تعالى هو أظهر الأمور وبه ظهرت الأشياء كلها ، ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهدت السموات والأرض وبطل الملك

والملكوت ، ولأدرك بذلك التفرقة بين الحالين . ولو كان بعض الأشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لأدركت التفرقة بين الشيئين فى الدلالة ، ولكن دلالته عامة فى الأشياء على نسق واحد . ووجوده دائم فى الأحوال يستحيل خلافه ، فلا جرم أورثت شدّة الظهور خفاء ، فهذا هو السبب فى قصور الأفهام .

وأما من قويت بصيرته ولم تضعف منته فإنه فى حال اعتدال أمره لا يرى إلا الله تعالى ولا يعرف غيره ، يعلم أنه ليس فى الوجود إلا الله . وأفعاله أثر من الآثار قدرته فهى تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دونه ، وإنما الوجود للواحد الحق الذى به وجود الأفعال كلها . ومن هذه حاله فلا ينظر فى شىء من الأفعال إلا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث إنه سماء وأرض وحيوان وشجر ، بل ينظر فيه من حيث أنه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزا له إلى غيره ، كمن نظر فى شعر إنسان أو خطه أو تصنيفه ورأى فيها الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث أثره لا من حيث إنه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض ، فلا يكون قد نظر إلى غير المصنف . وكل العالم تصنيف الله تعالى ، فمن نظر إليه من حيث إنه فعل الله وعرفه من حيث إنه فعل الله وأحبه من حيث إنه فعل الله لم يكن ناظرا إلا فى الله ولا عارفا إلا بالله ولا محبا إلا له ، وكان هو الموحد الحق الذى لا يرى إلا الله ، بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه بل من حيث إنه عبد الله ، فهذا الذى يقال فيه إنه فنى فى التوحيد وإنه فنى عن نفسه . وإليه الإشارة بقول من قال : كنا بنا ففنينا عنا فبقينا بلا نحن . فهذه أمور معلومة عند ذوى البصائر ، أشكلت لضعف الأفهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن إيضاحها وبيانها بعبارة مفهمة موصلة للغرض إلى الأفهام ، أو باشتغالهم بأنفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك اغيرهم مما لا يعنيهم . فهذا هو السبب فى قصور الأفهام عن معرفة الله تعالى ، وانضم إليه أن المدركات كلها التى هى شاهدة على الله إنما يدركها الإنسان فى الصبا عند فقد العقل ، ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهواته وقد أنس بمدركاته ومحسوساته وألفها فسقط وقعها عن قلبه بطول الأنس ، ولذلك إذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا أو نباتا غريبا أو فعلا من أفعال الله تعالى خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعا فقال « سبحان الله » ، وهو يرى طول النهار نفسه وأعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة لا يحس بشهادتها لطول الأنس بها ، ولو فرض أكمه بلغ عاقلا ثم انقشعت غشاوة عينه فامتد بصره إلى السماء والأرض والأشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة لخيف على عقله أن يذهب لعظم تعجبه من شهادة العجائب لخالقها .

فهذا وأمثاله من الأسباب مع الانهماك فى الشهوات هو الذى سدّ على الخلق سبيل الاستضاءة بأنوار المعرفة والسباحة فى بحارها الواسعة ، فالناس فى طلبهم معرفة الله كالمدهوش الذى يضرب به المثل إذا كان راكبا لحماره وهو يطلب حماره ، والجليات إذا صارت مطلوبة صارت معتاصة . فهذا سر هذا الأمر فليحقق . ولذلك قيل :

فقد ظهرت فما تخفى على أحد ... إلا على أكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما أظهرت محتجبا ... فكيف يعرف من بالعرف قد سترا

بيان معنى الشوق إلى الله تعالى

اعلم أنّ من أنكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بدّ وأن ينكر حقيقة الشوق ، إذ لا يتصوّر الشوق إلا إلى محبوب ونحن نثبت وجود الشوق إلى الله تعالى ، وكون العارف مضطرا إليه بطريق الاعتبار والنظر بأنوار البصائر وبطريق الأخبار والآثار . أما الاعتبار فيكفى فى إثباته ماسبق فى إثبات الحب ، فكل محبوب يشتاق إليه فى غيبته

لامحالة ، فأما الحاصل الحاضر فلا يشتاق إليه ، فإن الشوق طلب وتشوف إلى أمر والموجود لايطلب . ولكن بيانه أنّ الشوق لا يتصوّر إلا إلى شيء أدرك من وجه ولم يدرك من وجه ، فأما مالايدرك أصلا فلا يشتاق إليه، فإنّ من لم ير شخصا ولم يسمع وصفه ولا يتصوّر أن يشتاق إليه ، وما أدرك بكماله لا يشتاق إليه ، وكمال الإدراك بالرؤية فمن كان فى مشاهدة محبوبه مداوما للنظر إليه لا يتصوّر أن يكون له شوق ، ولكن الشوق إنما يتعلق بما أدرك من وجه ولم يدرك من وجه ، وهو من وجهين لاينكشف إلا بمثال من المشاهدات .

فنقول مثلا : من غاب عنه معشوقه وبقى فى قلبه خياله فيشتاق إلى استكمال خياله بالرؤية ، فلو انمحى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى نسيه لم يتصوّر أن يشتاق إليه ، ولو رآه لم يتصور أن يشتاق فى وقت الرؤية ، فمعنى شوقه تشوق نفسه إلى استكمال خياله ، فكذلك قد يراه فى ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق إلى استكمال رؤيته ، وتمام الانكشاف فى صورته بإشراق الضوء عليه (والثانى) أن يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره مثلا ولا سائر محاسنه فيشتاق لرؤيته ، وإن لم يرها قط ولم يثبت فى نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم أن له عضوا وأعضاء جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق إلى أن ينكشف له مالم يره قط .

والوجهان جميعا متصوران فى حق الله تعالى ، بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين ، فإن ماانضح للعارفين من الأمور الإلهية — وإن كان فى غاية الوضوح فكأنه من وراء ستر رقيق فلا يكون متضحا غاية الانضاح، بل يكون مشوبا بشوائب التخيلات ، فإنّ الخيالات لا تفتر فى هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات ، وهى مكدرات للمعارف ومنغصات ، وكذلك ينضاف إليها شواغل الدنيا ، فإنما كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام إشراق التجلى ولايكون ذلك إلا فى الآخرة ، وذلك بالضرورة يوجب الشوق فإنه منتهى محبوب العارفين . فهذا أحد نوعى الشوق وهو استكمال الوضوح فيما انضح انضاحا ما (الثانى) أن الأمور الإلهية لانهاية لها وإنما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى أمور لانهاية لها غامضة . والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى ، ويعلم أن ماغاب عن علمه من المعلومات أكثر مما حضر ، فلا يزال متشوقا إلى أن يحصل له أصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقى من المعلومات التى لم يعرفها أصلا ، لامعرفة واضحة ولامعرفة غامضة .

والشوق الأول ينتهى فى الدار الآخرة بالمعنى الذى يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ، ولايتصور أن يسكن فى الدنيا . وقد كان إبراهيم بن أدهم من المشتاقين فقال : قلت ذات يوم : يارب إن أعطيت أحدا من المحبين لك مايسكن به قلبه قبل لقائك فأعطنى ذلك فقد أضربنى القلق ، قال : فرأيت فى النوم أنه أوقفنى بين يديه وقال ياإبراهيم أما استحييت منى أن تسألنى أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائى وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه ، فقلت يارب تهت فى حبك فلم أدر ماأقول فاغفر لى وعلمنى ماأقول ، فقال قل اللهم رضنى بقضائك وصبرنى على بلائك وأوزعنى شكر نعمائك . فإن هذا الشوق يسكن فى الآخرة .

وأما الشوق الثانى فيشبه : أن لايكون له نهاية لافى الدنيا ولافى الآخرة ، إذ نهايته أن ينكشف للعبد فى الآخرة من جلال الله تعالى وصفاته وحكمته وأفعاله ماهو معلوم لله تعالى وهو محال لأن ذلك لانهاية له . ولايزال العبد عالما بأنه بقى من الجمال والجلال مالم يتضح له فلا يسكن قط شوقه ، لاسيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة ، إلا أنه تشوق إلى استكمال الوصال مع حصول أصل الوصال ، فهو يجد لذلك شوقا لذيذا لايظهر فيه ألم ولايبعد أن تكون ألطاف الكشف والنظر متوالية إلى غير نهاية ، فلا يزال النعيم واللذة متزايدا أبدالآباد ،

وتكون لذة مايتجدد من لطائف النعيم شاغلة عن الإحساس بالشوق إلى ما لم يحصل : وهذا بشرط أن يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل فيه كشف فى الدنيا أصلا ، فإن كان ذلك غير مبذول فيكون النعيم واقفا على حد لايتضاعف ولكن يكون مستمرا على الدوام . وقوله سبحانه وتعالى ﴿ نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا ﴾ محتمل لهذا المعنى . وهو أن ينعم عليه بإتمام النور مهما تزود من الدنيا أصل النور ، ويحتمل أن يكون المراد به إتمام النور فى غير ما استنار فى الدنيا استنارة محتاجة إلى مزيد الاستكمال والإشراق ، فيكون هو المراد بتمامه . وقوله تعالى ﴿ انظرونا نقتبس من نوركم - قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ﴾ يدل على أن الأنوار لابد وأن يتزود أصلها فى الدنيا ثم يزداد فى الآخرة إشراقا ، فأما أن يتجدد نور فلا ، والحكم فى هذا برجم الظنون مخطر ، ولم ينكشف لنا فيه بعد مايوثق به ، فنسأل الله تعالى أن يزيدنا علما ورشدا ويرينا الحق حقا . فهذا القدر من أنوار البصائر كاشف لحقائق الشوق ومعانيه .

وأما شواهد الأخبار والآثار فأكثر من أن تحصى ، فما اشتهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : « اللهم إنى أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك (١) » وقال أبو الدرداء لكعب : أخبرنى عن أخص آية - يعنى فى التوراة - فقال : يقول الله تعالى : طال شوق الأبرار إلى لقائى وإنى إلى لقائهم لأشد شوقا . قال : ومكتوب إلى جانبها : من طلبنى وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى ، فقال أبو الدرداء : أشهد أنى لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا . وفى أخبار داود عليه السلام : إن الله تعالى قال ياداود أبلغ أهل أرضى أنى حبيب لمن أحبنى وجليس لمن جالسنى ومؤنس لمن أنس بذكرى وصاحب لمن صاحبنى ومختار لمن اختارنى ومطيع لمن أطاعنى ، ماأحبنى عبد أعلم ذلك يقينا من قلبه إلا قبلته لنفسى وأحببته حبا لايتقدمه أحد من خلقى ، من طلبنى بالحق وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى ؛ فارفضوا ياأهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها وهلموا إلى كرامتى ومصاحبتى ومجالستى ، وائتنسوا بى أؤانسكم وأسارع إلى محبتكم ، فإنى خلقت طينة أحبائى من طينة إبراهيم خليلى وموسى نجيى ومحمد صفيى ، وخلقت قلوب المشتاقين من نورى ونعمتها بجلالى

وروى عن بعض السلف : أن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين إن لى عبادا من عبادى يحبونى وأحبهم ويشتاقون إلى وأشتاق إليهم ويذكرونى وأذكرهم وينظرون إلى وأنظر إليهم ، فإن حذوت طريقهم أحببتك وإن عدلت عنهم مقتك ، قال : يارب وما علامتهم ؟ قال : يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى الشفيق غنمه ، ويحنون إلى غروب الشمس كما يحن الطائر إلى وكره عند الغروب ، فإذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الأسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا إلى أقدامهم وافترشوا إلى وجوههم وناجونى بكلامى وتملقوا إلى بإنعامى فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد ، بعينى مايتحملون من أجلى ، وبسمعى مايشتكون من حبى ، أول ما أعطيهم ثلاث : أقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم . والثانية : لو كانت السموات والأرض وما فيها فى موازينهم لاستقللتها لهم . والثالثة : أقبل بوجهى عليهم ، فترى من أقبلت عليه يعلم أحد ماأريد أن أعطيه ؟ .

وفى أخبار داود عليه السلام : إن الله تعالى أوحى إليه : ياداود إلى كم تذكر الجنة ولاتسألنى الشوق إلى ،

---

(١) حديث : أنه كان يقول فى دعائه « اللهم انى أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ... الحديث » أخرجه أحمد والحاكم وتقدم فى الدعوات .

قال : يارب من المشتاقون إليك ؟ قال : إن المشتاقين إلى الذين صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم إلى خرقا ينظرون إلى ، وإنى لأحمل قلوبهم بيدى فأضعها على سمائى ، ثم أدعو نجباء ملائكتى فإذا اجتمعوا سجدوا لى ، فأقول إنى لم أدعكم لتسجدوا لى ولكنى دعوتكم لأعرض عليكم قلوب المشتاقين إلى وأباهى بكم أهل الشوق إلى فإن قلوبهم لتضىء فى سمائى لملائكتى كما تضىء الشمس لأهل الأرض ، ياداود إنى خلقت قلوب المشتاقين من رضوانى ونعمتها بنور وجهى فاتخذتهم لنفسى محدثى ، وجعلت أبدانهم موضع نظرى إلى الأرض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به إلى يزدادون فى كل يوم شوقا ، قال داود : يارب أرنى أهل محبتك ، فقال : ياداود ائت جبل لبنان فإن فيه أربعة عشر نفسا فيهم شبان وفيهم شيوخ وفيهم كهول ، فإذا أتيتهم فأقرئهم منى السلام وقل لهم إن ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم ألا تسألون حاجة فإنكم أحبائى وأصفيائى وأوليائى أفرح لفرحكم وأسارع إلى محبتكم . فأتاهم داود عليه السلام فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون فى عظمة الله عزوجل ، فلما نظروا إلى داود عليه السلام نهضوا ليتفرقوا عنه ، فقال داود : إنى رسول الله إليكم جئتكم لأبلغكم رسالة ربكم فأقبلوا نحوه وألقوا أسماعهم نحو قوله وألقوا أبصارهم إلى الأرض ، فقال داود : إنى رسول الله إليكم يقرئكم السلام ويقول لكم ألا تسألون حاجة ؟ ألا تنادونى أسمع صوتكم وكلامكم فإنكم أحبائى وأصفيائى وأوليائى أفرح لفرحكم وأسارع إلى محبتكم وأنظر إليكم فى كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة ؟ قال : فجرت الدموع على خدودهم ، فقال شيخهم : سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من أعمارنا . وقال الآخر : سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك . وقال الآخر : سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيد أفنجترئ على الدعاء وقد علمت أنه لاحاجة لنا فى شىء من أمورنا فأدم لنا لزوم الطريق إليك وأتم بذلك المنة علينا . وقال الآخر : نحن مقصرون فى طلب رضاك فأعنا علينا بجودك . وقال الآخر : من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر فى عظمتك أفيجترئ على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر فى جلالك ؟ وطلبتنا الدنو من نورك . وقال الآخر : كلت ألسنتنا عن دعائك ؛ لعظم شأنك ، وقربك من أوليائك ، وكثرة منتك على أهل محبتك . وقال الآخر : أنت هديت قلوبنا لذكرك ؛ وفرغتنا للاشتغال بك ، فاغفر لنا تقصيرنا فى شكرك . وقال الآخر : قد عرفت حاجتنا إنما هى النظر إلى وجهك . وقالو الآخر : كيف يجترئ العبد على سيده ؟ إذ أمرتنا بالدعاء بجودك - فهب لنا نورا نهتدى به فى الظلمات من أطباق السموات وقال آخر : ندعوك أن تقبل علينا وتديمه عندنا . وقال الآخر : نسألك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا . وقال الآخر : لا حاجة لنا فى شىء من خلقك فامنن علينا بالنظر إلى جمال وجهك وقال الآخر : أسألك من بينهم أن تعمى عينى عن النظر إلى الدنيا وأهلها وقلبى عن الاشتغال بالآخرة . وقال الآخر قد عرفت تباركت وتعاليت أنك تحب أولياءك فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل شىء دونك . فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : قل لهم قد سمعت كلامكم وأجبتكم إلى ما أحببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فإنى كاشف الحجاب فيما بينى وبينكم حتى تنظروا إلى نورى وجلالى . فقال داود : يارب بم نالوا هذا منك ؟ قال : بحسن الظن والكف عن الدنيا وأهلها والخلوات بى ومناجاتهم لى وإن هذا منزل لا يناله إلا من رفض الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشىء من ذكرها وفرغ قلبه لى واختارنى على جميع خلقى ، فعند ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه وأكشف الحجاب فيما بينى وبينه حتى ينظر إلى نظر الناظر

بعينه إلى الشيء وأريه كرامتي في كل ساعة وأقربه من نور وجهي ، إن مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشفيقة ولدها ، وإن عطش أرويته وأذيقه طعم ذكرى ، فإذا فعلت ذلك به ياداود عميت نفسه عن الدنيا وأهلها ولم أحببها إليه لا يفتر عن الاشتغال بي ، يستعجلني القدوم وأنا أكره أن أميته لأنه موضع نظري من بين خلقي لا يرى غيري ولا أرى غيره ، فلو رأيته ياداود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه وتهشمت أعضاؤه وانخلع قلبه إذا سمع بذكري أباهي به ملائكتي وأهل سمواتي يزداد خوفا وعبادة ، وعزتي وجلالي ياداود لأقعدنه في الفردوس ولأشفين صدره من النظر إلى حتى يرضى وفوق الرضا .

وفي أخبار داود أيضا . قل لعبادي المتوجهين إلى محبتي ماضركم إذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى بعيون قلوبكم ، وما ضركم مازويت عنكم من الدنيا إذا بسطت ديني لكم ، وما ضركم مسخطة الخلق إذا التمستم رضائي . وفي أخبار داود أيضا : إن الله تعالى أوحى إليه تزعم أنك تحبني ، فإن كنت تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك فإن حبي وحبها لا يجتمعان في قلب . ياداود خالص حبيبي مخالصة وخالط أهل الدنيا مخالطة ودينك فقلدنيه ولا تقلد دينك الرجال ، أما ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به ، وأما ما أشكل عليك فقلدنيه حقا على أني أسارع إلى سياستك وتقويمك وأكن قائدك ودليلك ، أعطيك من غير أن تسألني وأعينك على الشدائد وإني قد حلفت على نفسي أني لا أثيب إلا عبدا قد عرفت من طلبته وإرادته إلفاء كنفه بين يدي وأنه لا غنى به عني . فإذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك وأسكن الغنى قلبك فإني قد حلفت على نفسي أنه لا يطمئن عبد لي إلى نفسه ينظر إلى فعالها إلا وكلته إليها ، أضف الأشياء إلى لا تضاد عملك فتكون متغنيا ولا ينتفع بك من يصحبك ولا تجد لمعرفتي حدا فليس لها غاية ، ومتى طلبت مني الزيادة أعطك ولا تجد للزيادة مني حدا ، ثم أعلم بني إسرائيل أنه ليس بيني وبين أحد من خلقي نسب ، فلتعظم رغبتهم وإرادتهم عندي أبح لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ضعني بين عينيك وانظر إلى ببصر قلبك ولا تنظر بعينك التي في رأسك إلى الذين حجبت عقولهم عني فأمرجوها وسخت بانقطاع ثوابي عنها فإني حلفت بعزتي وجلالي لأفتحن ثوابي لعبد دخل في طاعتي للتجربة والتسويف ، تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين ، فلو علم أهل محبتي منزلة المريدين عندي لكانوا لهم أرضا يمشون عليها . ياداود لأن تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذه فأكتبك عندي جهيدا ، ومن كتبته عندي جهيدا لا تكون عليه وحشة ولا فاقة إلى المخلوقين . ياداود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فأحجب عنك محبتي لا تؤيس عبادي من رحمتي ، اقطع شهوتك لي فإنما أبحت الشهوات لضعفة خلقي مابال الأقوياء أن ينالوا الشهوات فإنها تنقص حلاوة مناجاتي ، وإنما عقوبة الأقوياء عندي في موضع التناول أدنى مايصل إليهم أن أحجب عقولهم عني فإني لم أرض الدنيا لحبيبي ونزهته عنها . ياداود لا تجعل بيني وبينك عالما يحجبك بسكره عن محبتي ، أولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين ، استعن على ترك الشهوات بإدمان الصوم ، وإياك والتجربة في الإفطار فإن محبتي للصوم إدمانه . ياداود تحبب إلي بمعاداة نفسك امنعها الشهوات أنظر إليك وترى الحجب بيني وبينك مرفوعة إنما أداريك مداراة لتقوى على ثوابي إذا مننت عليك به وإني أحبسه عنك وأنت متمسك بطاعتي .

أوحى الله تعالى إلى داود : ياداود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقا إلي وتقطعت أوصالهم من محبتي . ياداود هذه إرادتي في المدبرين عني فكيف إرادتي في المقبلين علي

يا داود أحوج ما يكون العبد إلىّ إذا استغنى عنى ، وأرحم ما أكون بعبدى إذا أدبر عنى ، وأجل ما يكون عندى إذا رجع إلى ، فهذه الأخبار ونظائرها مما لا يحصى تدل على إثبات المحبة والشوق والأنس ، وإنما تحقيق معناها ينكشف بما سبق .

بيان محبة الله للعبد ومعناها

اعلم أنّ شواهد القرآن متظاهرة على أنّ الله تعالى يحب عبده فلا بدّ من معرفة معنى ذلك ، ولنقدم الشواهد على محبته فقد قال الله تعالى ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ وقال تعالى ﴿ إنّ الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا ﴾ وقال تعالى ﴿ إنّ الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ ولذلك رد سبحانه على من ادعى أنه حبيب الله فقال ﴿ قل فلم يعذبكم بذنوبكم ﴾ وقد روى أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا أحب الله تعالى عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له . ثم تلا ﴿ إن الله يحب التوابين ﴾ [1] » ومعناه أنه إذا أحبه تاب عليه قبل الموت فلم تضره الذنوب الماضية وإن كثرت ، كما لا يضر الكفر الماضى بعد الإسلام ، وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنب فقال ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الإيمان إلا من يحب [2] » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله [3] » ، وقال عليه السلام « قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به [4] » الحديث . وقال زيد بن أسلم : إن الله ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول : اعمل ما شئت فقد غفرت لك . وما ورد من ألفاظ المحبة خارج عن الحصر .

وقد ذكرنا أنّ محبة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمجاز ، إذ المحبة فى وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى الشىء الموافق ، والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط . وقد بينا أنّ الإحسان موافق للنفس ، والجمال موافق أيضاً ، وأن الجمال والإحسان تارة يدرك بالبصر وتارة يدرك بالبصيرة ، والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر .

فأما حب الله للعبد فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلا ، بل الأسامى كلها إذا أطلقت على الله تعالى وعلى غير الله لم تنطلق عليهما بمعنى واحد أصلا ، حتى إن اسم « الوجود » الذى هو أعم الأسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد ، بل كل ما سوى الله تعالى فوجوده مستفاد من وجود الله تعالى ، فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع . وإنما الاستواء فى إطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر فى اسم الجسم ، إذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابهة فيهما من غير استحقاق أحدهما ، لأن يكون فيه أصلا ، فليست الجسمية لأحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولا لخلقه ، وهذا التباعد فى سائر الأسامى أظهر كالعلم والإرادة

---

(١) حديث أنس « اذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لاذنب له » ذكره صاحب الفردوس ولم يخرجه ولده فى مسنده وروى ابن ماجه الشطر الثانى من حديث ابن مسعود وتقدم فى التوبة . (٢) حديث « ان الله يعطى الدنيا من يحب ومن لايحب . . الحديث » أخرجه الحاكم وصحح اسناده والبيهقى فى الشعب من حديث ابن مسعود . (٣) حديث « من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله » أخرجه ابن ماجه من حديث أبى سعيد بإسناد حسن دون قوله « ومن أكثر ... إلى آخره » ورواه أبو يعلى وأحمد بهذه الزيادة وفيه ابن لهيعة . (٤) حديث « قال الله تعالى لايزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ... الحديث » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة وقد تقدم .

والقدرة وغيرها فكل ذلك لايشبه فيه الخالق الخلق . وواضع اللغة إنما وضع هذه الأسامى أولا للخلق فإنّ الخلق أسبق إلى العقول والأفهام من الخالق ، فكان استعمالها فى حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل . والمحبة فى وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملائم ، وهذا إنما يتصور فى نفس ناقصة فاتها مايوافقها فتستفيد بنيله كمالا فتلتذ بنيله ، وهذا محال على الله تعالى ، فإن كل كمال وجمال وبهاء وجلال ممكن فى حق الإلهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول أبدا وأزلا ، ولايتصور تجدده ولازواله ، فلا يكون له إلى غيره نظر من حيث إنه غيره بل نظره إلى ذاته وأفعاله فقط ، وليس فى الوجود إلا ذاته وأفعاله ، ولذلك قال الشيخ أبو سعيد المهنى رحمه الله تعالى لما قرئ عليه قوله تعالى ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ فقال بحق يحبهم فإنه ليس يحب إلا نفسه ، على معنى أنه الكل وأن ليس فى الوجود غيره ، فمن لايحب إلا نفسه وأفعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هى متعلقة بذاته ، فهو إذن لايحب إلا نفسه ، وما ورد من الألفاظ فى حبه لعباده فهو مؤوّل ويرجع معناه إلى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه وإلى تمكينه إياه من القرب منه وإلى إرادته ذلك به فى الأزل ، فحبه لمن أحبه أزلى مهما أضيف إلى الإرادة الأزلية التى اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طرق هذا القرب ، وإذا أضيف إلى فعله الذى يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضى له كما قال تعالى « لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه » فيكونّ تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله فى درجة القرب من ربه ، فكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه .

ولايفهم هذا إلا بمثال وهو أن الملك قد يقرّب عبده من نفسه ويأذن له فى كل وقت فى حضور بساطه لميل الملك إليه ، إما لينصره بقوته أو ليستريح بمشاهدته أو ليستشيره فى رأيه أو لبهيّ أسباب طعامه وشرابه ، فيقال : إن الملك يحبه ، ويكون معناه ميله إليه لما فيه من المعنى الموافق الملائم له . وقد يقرب عبدا ولايمنعه من الدخول عليه لا للانتفاع به ولا للاستنجاد به ولكن لكون العبد فى نفسه موصوفا من الأخلاق المرضية والخصال الحميدة بما يليق به أن يكون قريبا من حضرة الملك وافر الحظ من قربه ، مع أن الملك لاغرض له فيه أصلا ، فإذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال : قد أحبه ، وإذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال : قد توصل وحبب نفسه إلى الملك . فحب الله للعبد إنما يكون بالمعنى الثانى لا بالمعنى الأول . وإنما يصح تمثيله بالمعنى الثانى بشرط أن لايسبق إلى فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب ، فإنّ الحبيب هو القريب من الله تعالى ، والقرب من الله فى البعد من صفات البهائم والسباع والشياطين ، والتخلق بمكارم الأخلاق التى هى الأخلاق الإلهية ، فهو قرب بالصفة لابالمكان ، ومن لم يكن قريبا فصار قريبا فقد تغير ، فربما يظن بهذا أن القرب لما تجدّد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا إذ صار قريبا بعد أن لم يكن وهو محال فى حق الله تعالى ، إذ التغير عليه محال ، بل لايزال فى نعوت الكمال والجلال على ما كان عليه فى أزل الآزال .

ولا ينكشف هذا إلا بمثال فى القرب بين الأشخاص ، فإن الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا ، وقد يكون أحدهما ثابتا فيتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير فى أحدهما من غير تغير فى الآخر ، بل القرب فى الصفات أيضا كذلك ، فإنّ التلميذ يطلب القرب من درجة أستاذه فى كمال العلم وجماله والأستاذ واقف فى كمال علمه غير متحرك بالنزول إلى درجة تلميذه ، والتلميذ متحرك مترق من حضيض الجهل إلى ارتفاع العلم ، فلا يزال دائبا

فى التغـــير والترقى إلى أن يقرب من أستاذه ، والأستاذ ثابت غير متغير ، فكذلك ينبغى أن يفهم ترقى العبد فى فى درجات القرب ، فكلما صار أكمل صفة وأتم علما وإحاطة بحقائق الأمور وأثبت قوة فى قهر الشيطان وقمع الشهوات وأظهر نزاهة عن الرذائل صار أقرب من درجة الكمال ، ومنتهى الكمال لله وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله . نعم قد يقدر التلميذ على القرب من الأستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذلك فى حق الله محال ، فإنه لانهاية لكماله ، وسلوك العبد فى درجات الكمال متناه ولا ينتهى إلا إلى حدّ محدود فلا مطمع له فى المساواة ، ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتا لانهاية له أيضا لأجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال .

فإذن محبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصى عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه .

وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى درك هذا الكمال الذى هو مفلس عنه فاقد له ، فلا جرم يشتاق إلى ما فاته ، وإذا أدرك منه شيئا يلتذ به ، والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى .

فإن قلت : محبة الله للعبد أمر ملتبس فبم يعرف العبد أنه حبيب الله ؟ فأقول : يستدل عليه بعلاماته . وقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا أحب الله عبدا ابتلاه فإذا أحبه الحب البالغ اقتناه » قيل : وما اقتناه ؟ قال « لم يترك له أهلا ولا مالا [1] » فعلامة محبة الله للعبد أن يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره . قيل لعيسى عليه السلام : لم لانشترى حمارا فتركبه ؟ فقال : أنا أعز على الله تعالى من أن يشغلنى عن نفسه بحمار . وفى الخبر « إذا أحب الله تعالى عبدا ابتلاه فإن صبر اجتباه فإن رضى اصطفاه [2] » وقال بعض العلماء إذا رأيتك تحبه ورأيته يبتليك فاعلم أنه يريد أن يصافيك . وقال بعض المريدين لأستاذه : قد طولعت بشىء من المحبة ، فقال : يابنى هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه إياه ؟ قال : لا ، قال : فلا تطمع فى المحبة فإنه لايعطيها عبدا حتى يبلوه . وقد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « إذ أحب الله تعالى عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يأمره وينهاه [3] » وقد قال « إذا أراد الله تعالى بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه [4] » فأخص علاماته حبه لله تعالى فإنّ ذلك يدل على حب الله تعالى له .

وأما الفعل الدال على كونه محبوبا فهو أن يتولى الله تعالى أمره ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لأمره والمزين لأخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدّد لظاهره وباطنه والجاعل همومه هما واحدا والمبغض للدنيا فى قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بلذة المناجاة فى خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته . فهذا وأمثاله هو علامة حب الله للعبد . فلنذكر الآن علامة محبة العبد لله تعالى فإنها أيضا من علامات حب الله تعالى للعبد .

القول فى علامات محبة العبد لله تعالى

اعلم أنّ المحبة يدّعيها كل أحد وما أسهل الدعوى وما أعز المعنى ، فلا ينبغى أن يغتر الإنسان بتلبيس الشيطان

---

(١) حديث « اذا أحب الله عبدا ابتلاه ... الحديث » أخرجه الطبرانى من حديث أبى عتبة الخولانى وقد تقدم .

(٢) حديث « اذا أحب الله عبدا ابتلاه فإن صبر اجتباه ... الحديث » ذكره صاحب الفردوس من حديث على بن أبى طالب ولم يخرجه ولده فى مسنده . (٣) حديث « اذا أحب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه ... الحديث » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أم سلمة بإسناد حسن بلفظ « اذا أراد الله بعبد خيرا » . (٤) حديث « اذا أراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بزيادة فيه بإسناد ضعيف .

وخدع النفس مهما ادعت محبة الله تعالى مالم يمتحنها بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين والأدلة . والمحبة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء وثمارها تظهر فى القلب واللسان والجوارح . وتدل تلك الآثار الفائضة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الأشجار وهى كثيرة فمنها حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة فى دار السلام ، فلا يتصور أن يحب القلب محبوبا إلا ويحب مشاهدته ولقاءه ، وإذا علم أنه لا وصول إلا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت فينبغى أن يكون محبا الموت غير فار منه ، فإنّ المحب لايثقل عليه السفر عن وطنه إلى مستقر محبوبه ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول إلى المشاهدة . قال صلى الله عليه وآله وسلم « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه [1] » وقال حذيفة عند الموت : حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم . وقال بعض السلف : ما من خصلة أحب إلى الله أن تكون فى العبد بعد حب لقاء الله من كثرة السجود فقدم حب لقاء الله على السجود . وقد ربط الله سبحانه لحقيقة الصدق فى الحب القتل فى سبيل الله ، حيث قالوا إنا نحب الله لجعل القتل فى سبيل الله وطلب الشهادة علامته فقال تعالى ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا ﴾ وقال عز وجل ﴿ يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ﴾ وفى وصية أبى بكر لعمر رضى الله تعالى عنهما : الحق ثقيل وهو مع ثقله مرىء والباطل خفيف وهو مع خفته وبىء ، فإن حفظت وصيتى لم يكن غائب أحب إليك من الموت وهو مدركك ، وإن ضيعت وصيتى لم يكن غائب أبغض إليك من الموت ولن تعجزه . ويروى عن إسحق بن سعد بن أبى وقاص قال : حدثنى أبى أنّ عبد الله بن جحش قال له يوم أحد : ألا ندعو الله ؟ فخلوا فى ناحية فدعا عبدالله بن جحش فقال : يارب إنى أقسمت عليك إذا لقيت العدو غدا فلقنى رجلا شديدا بأسه شديدا حرده أقاتله فيك ويقاتلنى ، ثم يأخذنى فيجدع أنفى وأذنى ويبقر بطنى ، فإذا لقيتك غدا قلت ياعبدالله من جدع أنفك وأذنك ، فأقول : فيك يارب وفى رسولك ، فتقول صدقت قال سعد : فلقد رأيته آخر النهار وإنّ أنفه وأذنه لمعلقتان فى خيط [2] قال سعيد بن المسيب : أرجو أن يبر الله آخر قسمه كما أبر أوله . وقد كان الثورى وبشر الحافى يقولان : لا يكره الموت إلا مريب ، لأنّ الحبيب على كل حال لا يكره لقاء حبيبه . وقال البويطى لبعض الزهاد : أتحب الموت ؟ فكأنه توقف فقال لو كنت صادقا لأحببته ، وتلا قوله تعالى ﴿ فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾ فقال الرجل : فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « لا يتمنين أحدكم الموت [3] » فقال : إنما قاله لضر نزل به لأنّ الرضا بقضاء الله تعالى أفضل من طلب الفرار منه .

فإن قلت : من لايحب الموت فهل يتصور أن يكون محبا لله ؟ فأقول : كراهة الموت قد تكون لحب الدنيا والتأسف على فراق الأهل والمال والولد ، وهذا ينافى كمال حب الله تعالى لأنّ الحب الكامل هو الذى يستغرق كل القلب ، ولكن لايبعد أن يكون له مع حب الأهل والولد شائبة من حب الله تعالى ضعيفة ، فإنّ الناس متفاوتون فى الحب . ويدل على التفاوت ما روى أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لما زوج أخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش فى ذلك وقالوا : أنكحت عقيلة من عقائل قريش لمولى ؟ فقال : والله لقد أنكحته إياها

---

(١) حديث « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه » متفق عليه من حديث أبى هريرة وعائشة . (٢) حديث اسحق بن سعد ابن أبى وقاص قال : حدثنى أبى أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد . ألاندعو الله ؟ فخلوا فى ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال : يارب انى أقسم عليك اذا لقيت العدو غدا فلقنى رجلا شديدا بأسه شديدا حرده أقاتله فيك ويقاتلنى ويجدع أنفى وأذنى .. الحديث » أخرجه الطبرانى ومن طريقه أبو نعيم فى الحلية واسناده جيد . (٣) حديث « لايتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ... الحديث » متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم .

وإنى لأعلم أنه خير منها ، فكان قوله ذلك أشد عليهم من فعله ، فقالوا : وكيف وهى أختك وهو مولاك ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من أراد أن ينظر إلى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر إلى سالم [1] » فهذا يدل على أن من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب أيضا غيره فلا جرم يكون نعيمه بلقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه ، وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها .

وأما السبب الثانى للكراهة : فهو أن يكون العبد فى ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وإنما يكره عجلته قبل أن يستعد للقاء الله ، فذلك لايدل على ضعف الحب وهو كالمحب الذى وصله الخبر بقدوم حبيبه عليه فأحب أن يتأخر قدومه ساعة ليهيئ له داره ويعد له أسبابه فيلقاه كما يهواه فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظهر عن العوائق ، فالكراهة بهذا السبب لا تنافى كمال الحب أصلا ، وعلامته الدءوب فى العمل واستغراق الهم فى الاستعداد .

ومنها أن يكون مؤثرا ماأحبه الله تعالى على مايحبه فى ظاهره وباطنه فيلزم مشاق العمل ويجتنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ، ولا يزال مواظبا على طاعة الله ومتقربا إليه بالنوافل وطالبا عنده مزايا الدرجات كما يطلب المحب مزيد القرب فى قلب محبوبه . وقد وصف الله تعالى المحبين بالإيثار فقال ﴿ يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ ومن بقى مستقرا على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه ، بل يترك المحب هوى نفسه كما قيل :

أريد وصاله ويريد هجرى فأترك ما أريد لما يريد

بل الحب إذا غلب قمع الهوى فلم يبق له تنعم بغير المحبوب ، كما روى أن زليخا لما آمنت وتزوج بها يوسف عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت إلى الله تعالى ، فكان يدعوها إلى فراشه نهارا فتدافعه إلى الليل ، فإذا دعاها ليلا سوفت به إلى النهار وقالت : يا يوسف إنما كنت أحبك قبل أن أعرفه فأما إذ عرفته فما أبقت محبته محبة لسواه وما أريد به بدلا ، حتى قال لها : إن الله جل ذكره أمرنى بذلك وأخبرنى أنه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين ، فقالت : أما إذا كان الله تعالى أمرك بذلك وجعلنى طريقا إليه فطاعة لأمر الله تعالى ، فعندها سكنت إليه . فإذن من أحب الله لايعصيه ، ولذلك قال ابن المبارك فيه :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى فى الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

وفى هذا المعنى قيل أيضا :

وأترك ما أهوى لما قد هويته فأرضى بما ترضى وإن سخطت نفسى

وقال سهل رحمه الله تعالى : علامة الحب إيثاره على نفسك وليس كل من عمل بطاعة الله عزوجل صار حبيبا ، وإنما الحبيب من اجتنب المناهى : وهو كما قال ، لأن محبته لله تعالى سبب محبة الله له كما قال تعالى ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ وإذا أحبه الله تولاه ونصره على أعدائه ، وإنما عدوه نفسه وشهواته فلا يخذله الله ولا يكله إلى هواه وشهواته .

---

(١) حديث أبى حذيفة بن عتبة : أنه لما زوج أخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش فى ذلك . وفيه : فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من أراد أن ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم » لم أره من حديث حذيفة وروى أبو نعيم فى الحلية المرفوع منه من حديث عمر « أن سالما يحب الله حقا من قلبه » وفى رواية له « ان سالما شديد الحب لله عزوجل لو لم يخف الله عزوجل ماعصاه » وفيه عبد الله بن لهيعة .

ولذلك قال تعالى ﴿ والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ﴾ .

فإن قلت : فالعصيان هل يضاد أصل المحبة ؟ فأقول : إنه يضاد كمالها ولا يضاد أصلها ، فكم من إنسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة ويأكل مايضره مع العلم بأنه يضره ؟ وذلك لايدل على عدم حبه لنفسه . ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة . ويدل عليه ماروى أنّ نعيمان كان يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل قليل فيحده فى معصية يرتكبها إلى أن أتى به يوما فحده ، فلعنه رجل وقال : ما أكثر مايؤتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « لاتلعنه فإنه يحب الله ورسوله [1] » ، فلم يخرجه بالمعصية عن المحبة نعم تخرجه المعصية عن كمال الحب وقد قال بعض العارفين : إذا كان الإيمان فى ظاهر القلب أحب الله تعالى حبا متوسطا ، فإذا دخل سويداء القلب أحبه الحب البالغ وترك المعاصى . وبالجملة فى دعوى المحبة خطر ، ولذلك قال الفضيل : إذا قيل لك أتحب الله تعالى ؟ فاسكت ، فإنك إن قلت : لا ، كفرت وإن قلت : نعم ، فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت . ولقد قال بعض العلماء : ليس فى الجنة نعيم أعلى من نعيم أهل المعرفة والمحبة ولا فى جهنم عذاب أشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشىء من ذلك .

ومنها أن يكون مستهترا بذكر الله تعالى لايفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه ، فمن أحب شيئا أكثر بالضرورة من ذكره وذكر مايتعلق به ، فعلامة حب الله : حب ذكره وحب القرآن الذى هو كلامه وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب كل من ينسب إليه ، فإنّ من يحب إنسانا يحب كلب محلته . فالمحبة إذا قويت تعدت من المحبوب إلى كل مايكتنف بالمحبوب ويحيط به ويتعلق بأسبابه ، وذلك ليس شركة فى الحب فإنّ من أحب رسول المحبوب لأنه رسوله ، وكلامه لأنه كلامه ، فلم يجاوز حبه إلى غيره بل هو دليل على كمال حبه ، ومن غلب حب الله على قلبه أحب جميع خلق الله لأنهم خلقه ، فكيف لايحب القرآن والرسول وعباد الله الصالحين ؟ وقد ذكرنا تحقيق هذا فى كتاب الأخوة والصحبة ولذلك قال تعالى ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى لله تعالى [2] » ، وقال سفيان : من أحب من يحب الله تعالى فإنما أحب الله ، ومن أكرم من يكرم الله تعالى فإنما يكرم الله . وحكى عن بعض المريدين قال : كنت قد وجدت حلاوة المناجاة فى سن الإرادة فأدمنت قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتنى فترة فانقطعت عن التلاوة قال : فسمعت قائلا يقول فى المنام : إن كنت تزعم أنك تحبنى فلم جفوت كتابى أما تدبرت مافيه من لطيف عتابى ، قال : فانتبهت وقد أشرب فى قلبى محبة القرآن فعاودت إلى حالى . وقال ابن مسعود : لاينبغى أن يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن ، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وإن لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله . وقال سهل ـ رحمة الله تعالى عليه ـ علامة حب الله حب القرآن ، وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبى صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبى صلى الله عليه وسلم حب السنة ، وعلامة حب السنة حب الآخرة ، وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا ، وعلامة بغض الدنيا أن لايأخذ منها إلا زادا وبلغة إلى الآخرة .

ومنها أن يكون أنسه بالخلوة ومناجاته لله تعالى وتلاوة كتابه ، فيواظب على التهجد ويغتنم هدء الليل وصفاء الوقت بانقطاع العوائق ، وأقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته ، فمن كان النوم والاشتغال بالحديث ألذ عنده وأطيب من مناجاة الله كيف تصح محبته ؟ قيل لإبراهيم بن أدهم وقد نزل من الجبل : من أين أقبلت ؟

---

(١) حديث : أتى بنعيمان يوما فحده فلعنه رجل قال : ما أكثر مايؤتى به ؟ فقال « لاتلعنه فإنه يحب الله ورسوله » أخرجه البخارى وقد تقدم . (٢) حديث « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ... الحديث » تقدم .

فقال : من الأنس بالله . وفى أخبار داود عليه السلام : لاتستأنس إلى أحد من خلق ، فإنى إنما أقطع عنى رجلين رجل استبطأ ثوابى فانقطع ورجلا نسينى فرضى بحاله ، وعلامة ذلك أن أكله إلى نفسه وأن أدعه فى الدنيا حيران ، ومهما أنس بغير الله كان بقدر أنسه بغير الله مستوحشا من الله تعالى ساقطا عن درجة محبته . وفى قصة برخ ـ وهو العبد الأسود الذى استسقى به موسى عليه السلام ـ أنّ الله تعالى قال لموسى عليه السلام : إنّ برخا نعم العبد هو لى إلا أنّ فيه عيبا ، قال : يارب وماعيبه ؟ قال : يعجبه نسيم الأسحار فيسكن إليه ومن أحبنى لم يسكن إلى شىء وروى أنّ عابدا عبد الله تعالى فى غيضة دهرا طويلا فنظر إلى طائر وقد عشش فى شجرة يأوى إليها ويصفر عندها ، فقال : لو حولت مسجدى إلى تلك الشجرة فكنت آنس بصوت هذا الطائر قال : ففعل ، فأوحى الله تعالى إلى نبى ذلك الزمان قل لفلان العابد : استأنست بمخلوق لأحطنك درجة لاتنالها بشىء من عملك أبدا . فإذن علامة المحبة كمال الأنس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به وكمال الاستيحاش من كل ماينغص عليه الخلوة ويعوق عن لذة المناجاة . وعلامة الأنس مصير العقل والفهم كله مستغرقا بلذة المناجاة ، كالذى يخاطب معشوقه ويناجيه ، وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان فى صلاته ووقع الحريق فى داره فلم يشعر به ، وقطعت رجل بعضهم بسبب علة أصابته وهو فى الصلاة فلم يشعر به ومهما غلب عليه الحب والأنس صارت الخلوة والمناجاة قرة عينه يدفع بها جميع الهموم ، بل يستغرق الأنس والحب قلبه حتى لايفهم أمور الدنيا مالم تكرر على سمعه مرارا ، مثل العاشق الولهان فإنه يكلم الناس بلسانه وأنسه فى الباطن بذكر حبيبه . فالمحب من لايطمئن إلا بمحبوبه . وقال قتادة فى قوله تعالى ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ قال : هشت إليه واستأنست به . وقال الصدّيق رضى الله تعالى عنه : من ذاق من خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر . وقال مطرف بن أبى بكر : الحب لايسأم من حديث حبيبه وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : قد كذب من ادّعى محبتى إذا جنه الليل نام عنى أليس كل محب يحب لقاء حبيبه فها أنا ذا موجود لمن طلبنى . وقال موسى عليه السلام : يارب أين أنت فأقصدك ؟ فقال : إذا قصدت فقد وصلت . وقال يحيى بن معاذ : من أحب الله أبغض نفسه وقال أيضاً : من لم تكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب : يؤثر كلام الله تعالى على كلام الخلق ، ولقاء الله تعالى على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق .

ومنها أن لايتأسف على مايفوته مما سوى الله عزوجل ويعظم تأسفه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله تعالى وطاعته ، فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف والاستعتاب والتوبة . قال بعض العارفين : إنّ لله عبادا أحبوه واطمأنوا إليه فذهب عنهم التأسف على الفائت فلم يتشاغلوا بحظ أنفسهم إذ كان ملك مليكهم تاما ، وماشاء كان ، فما كان لهم فهو واصل إليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم . وحق المحب إذا رجع من غفلته فى لحظته أن يقبل على محبوبه ويشتغل بالعتاب ، ويسأله ويقول : رب بأى ذنب قطعت برك عنى وأبعدتنى عن حضرتك وشغلتنى بنفسى وبمتابعة الشيطان ؟ فيستخرج ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب يكفر عنه ماسبق من الغفلة ، وتكون هفوته سببا لتجدد ذكره وصفاء قلبه . ومهما لم ير المحب إلا المحبوب ولم ير شيئا إلا منه لم يتأسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضا وعلم أنّ المحبوب لم يقدّر له إلا مافيه خيرته ، ويذكر قوله ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ﴾ .

ومنها أن يتنعم بالطاعة ولايستثقلها ويسقط عنه تعبها كما قال بعضهم : كابدت الليل عشرين سنة . ثم تنعمت به

عشرين سنة . وقال الجنيد : علامة المحب دوام النشاط والدءوب بشهوة تفتر بدنه ولاتفتر قلبه . وقال بعضهم : العمل على المحبة لايدخله الفتور . وقال بعض العلماء : والله ماالشتغى محب لله من طاعته ولوحل بعظيم الوسائل . فكل هذا وأمثاله موجود فى المشاهدات ، فإنّ العاشق لايستثقل السعى فى هوى معشوقه ويستلذ خدمته بقلبه وإن كان شاقا على بدنه . ومهما عجز بدنه كان أحب الأشياء إليه أن تعاوده القدرة وأن يفارقه العجز حتى يشغل به ، فهكذا يكون حب الله تعالى ، فإن كل حب صار غالبا قهر لامحالة ماهو دونه ، فمن كان محبوبه أحب إليه من الكسل ترك الكسل فى خدمته ، وإن كان أحب إليه من المال ترك المال فى حبه . وقيل لبعض المحبين ـ وقدكان بذل نفسه وماله حتى لم يبق له شىء ـ ما كان سبب حالك هذه فى المحبة ؟ فقال : سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول : أنا والله أحبك بقلبى كله وأنت معرض عنى بوجهك كله ! فقال له المحبوب : إن كنت تحبنى فأيش تنفق على ؟ قال : ياسيدى أملكك ما أملك ثم أنفق عليك روحى حتى تهلك فقلت : هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بعبيد لمعبود ؟ فكل هذا بسببه .

ومنها أن يكون مشفقا على جميع عباد الله رحيما بهم شديدا على جميع أعداء الله وعلى كل من يقارف شيئاً مما يكرهه كما قال الله تعالى ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ ولا تأخذه لومة لائم ولايصرفه عن الغضب لله صارف ، وبه وصف الله أولياءه إذ قال الذين يكلفون بحبى كما يكلف الصبى بالشىء ويأوون إلى ذكرى كما يأوى النسر إلى وكره ، ويغضبون لمحارمه كما يغضب النمر إذا حرد فإنه لايبالى قل الناس أو كثروا ، فانظر إلى هذا المثال فإنّ الصبى إذا كلف بالشىء لم يفارقه أصلا ، وإن أخذ منه لم يكن له شغل إلا البكاء والصياح حتى يرد إليه ، فإن نام أخذه معه فى ثيابه ، فإذا انتبه عاد وتمسك به ومهما فارقه بكى ومهما وجده ضحك ، ومن نازعه فيه أبغضه ومن أعطاه أحبه . وأما النمر فإنه لايملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدّة غضبه أنه يهلك نفسه . فهذه علامات المحبة ، فمن تمت فيه هذه العلامات فقد تمت محبته وخلص حبه فصفا فى الآخرة شرابه وعذب مشربه ، ومن امتزج بحبه حب غير الله تنعم فى الآخرة بقدر حبه ، إذ يمزج شرابه بقدر من شراب المقربين كما قال تعالى فى الأبرار ﴿ إنّ الأبرار لفى نعيم ﴾ ثم قال ﴿ يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ﴾ فإذا طاب شراب الأبرار لشوب الشراب الصرف الذى هو المقربين . والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان ، كما الكتاب عبر به عن جميع الأعمال فقال ﴿ إن كتاب الأبرار لفى عليين ﴾ ثم قال ﴿ يشهده المقربون ﴾ فكان أمارة علو كتابهم أنه ارتفع إلى حيث يشهده المقربون ، وكما أنّ الأبرار يجدون المزيد فى حالهم ومعرفتهم بقربهم من المقربين ومشاهدتهم لهم ، فكذلك يكون حالهم فى الآخرة ﴿ ماخلقكم ولابعثكم إلا كنفس واحدة . كما بدأنا أوّل خلق نعيده ﴾ وكما قال تعالى ﴿ جزاء وفاقا ﴾ أى وافق الجزاء أعمالهم فقوبل الخالص بالصرف من الشراب وقوبل المشوب بالمشوب . وشوب كل شراب على قدر ماسبق من الشوب فى حبه وأعماله ﴿ فمن يعمل مثقال ذرّة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرا يره ـ وإن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم ـ إن الله لايظلم مثقال ذرّة وإن تك حسنة يضاعفها ـ وإن كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ فمن كان حبه فى الدنيا رجاءه لنعيم الجنة والحور العين والقصور : مكن من الجنة ليتبوأ منها حيث يشاء فيلعب مع الولدان ويتمتع بالنسوان ؛ فهناك تنتهى لذته فى الآخرة لأنه إنما يعطى كل إنسان فى المحبة ماتشتهيه نفسه وتلذ عينه . ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك ولم يغلب عليه إلا حبه بالإخلاص والصدق : أنزل ﴿ فى مقعد

صدق عند مليك مقتدر ﴾ فالأبرار يرتعون فى البساتين ويتنعمون فى الجنان مع الحور العين والولدان . والمقربون ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالإضافة إلى ذرة منها فقوم بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون ، وللمجالسة أقوام آخرون ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوى الألباب [1] » ولما قصرت الأفهام عن درك معنى عليين عظم أمره فقال ﴿ وما أدراك ما عليون ﴾ كما قال تعالى ﴿ القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة ﴾ .

ومنها أن يكون فى حبه خائفا متضائلا تحت الهيبة والتعظيم ، وقد يظن أن الخوف يضاد الحب وليس كذلك ، بل إدراك العظمة يوجب الهيبة كما أن إدراك الجمال يوجب الحب ولخصوص المحبين مخاوف فى مقام المحبة ليست لغيرهم ، وبعض مخاوفهم أشد من بعض ، فأولها خوف الإعراض ، وأشد منه خوف الحجاب ، وأشد منه خوف الإبعاد ، وهذا المعنى فى سورة هود هو الذى شيب سيد المحبين [2] إذ سمع قوله تعالى ﴿ ألا بعدا لثمود ـ ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ﴾ وإنما تعظم هيبة البعد وخوفه فى قلب من ألف القرب وذاقه وتنعم به ، فحديث البعد فى حق المبعدين يشيب سماعه أهل القرب فى القرب ، ولا يحن إلى القرب من ألف البعد ، ولا يبكى لخوف البعد من لم يمكن من بساط القرب ، ثم خوف الوقوف وسلب المزيد ، فإذا قدمنا أن درجات القرب لا نهاية لها وحق العبد أن يجتهد فى كل نفس حتى يزداد فيه قربا ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون [3] » وكذلك قال عليه السلام « إنه ليغان على قلبى فى اليوم والليلة حتى أستغفر الله سبعين مرة [4] » وإنما كان استغفاره من القدم الأول فإنه كان بعدا بالإضافة إلى القدم الثانى ، ويكون ذلك عقوبة لهم على الفتور فى الطريق والالتفات إلى غير المحبوب ، كما روى أن الله تعالى يقول : إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوات الدنيا على طاعتى أن أسلبه لذيذ مناجاتى . فسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبة للعموم ، فأما الخصوص فيحجبهم عن المزيد بمجرد الدعوى والعجب والركون إلى ما ظهر من مبادئ اللطف ، وذلك هو المكر الخفى الذى لا يقدر على الاحتراز منه إلا ذوو الأقدام الراسخة ، ثم خوف فوت ما لا يدرك بعد فوته سمع إبراهيم بن أدهم قائلا يقول وهو فى سياحة وكان على الجبل :

كل شىء منك مغفو ر سوى الإعراض عنا
قـــد وهبنا لك ما فا ت فهب لنا ما فات منا

فاضطرب وغشى عليه فلم يفق يوما وليلة وطرأت عليه أحوال ثم قال : سمعت النداء من الجبل يا إبراهيم كن عبدا فكنت عبدا واسترحت .

ثم خوف السلو عنه فإن المحب يلازمه الشوق والطلب الحثيث فلا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلى إلا بلطف جديد ، فإن تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه أو سبب رجعته . والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل عليه الحب من حيث لا يشعر ، فإن هذه التقلبات لها أسباب خفية سماوية ليس فى قوة البشر الاطلاع عليها ، فإذا

(١) حديث « أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوى الألباب » أخرجه البزار من حديث أنس بسند ضعيف مقتصرا على الشطر الأول ، وقد تقدم ، والشطر الثانى من كلام أحمد بن أبى الحوارى ولعله أدرج فيه .

(٢) حديث « شيبتنى هود » أخرجه الترمذى وقد تقدم غير مرة . (٤) حديث « من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون » لا أعلم هذا إلا فى منام لعبد العزيز بن أبى رواد قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقلت : يارسول الله أوصنى ، فقال ذلك بزيادة فى آخره رواه البيهقى فى الزهد . (٤) حديث « إنه ليغان على قلبى » متفق عليه من حديث الأغر وقد تقدم .

أراد الله المكر به واستدراجه أخفى عنه ماورد عليه من السلو فيقف مع الرجاء ويغتر بحسن النظر أو بغلبة الغفلة أو الهوى أو النسيان ، فكل ذلك من جنود الشيطان التى تغلب جنود الملائكة من العلم والعقل والذكر والبيان ، وكما أنّ من أوصاف الله تعالى مايظهر فيقتضى هيجان الحب وهى أوصاف اللطف والرحمة والحكمة ، فمن أوصافه مايلوح فيورث السلو كأوصاف الجبرية والعزة والاستغناء وذلك من مقدمات المكر والشقاء والحرمان . ثم خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه إلى حب غيره ، وذلك هو المقت والسلو عنه مقدمة هذا المقام والإعراض والحجاب مقدمة السلو وضيق الصدر بالبر وانقباضه عن دوام الذكر وملاله لوظائف الأوراد أسباب هذه المعانى ومقدماتها . وظهور هذه الأسباب دليل على النقل عن مقام الحب إلى مقام المقت ـ نعوذ بالله منه ـ وملازمة الخوف لهذه الأمور وشدة الحذر منها بصفاء المراقبة دليل صدق الحب ، فإنّ من أحب شيئا خاف لا محالة فقده فلا يخلو المحب عن خوف إذا كان المحبوب مما يمكن فواته . وقد قال بعض العارفين : من عبدالله تعالى بمحبة من غير خوف هلك بالبسط والإدلال ، ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ، ومن عبده من طريق المحبة والخوف أحبه الله تعالى فقربه ومكنه وعلمه ، فالمحب لايخلو عن خوف والخائف لايخلو عن محبة ، ولكن الذى غلبت عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف إلا يسير يقال هو فى مقام المحبة ويعد من المحبين ، وكان شوب الخوف يسكن قليلا من سكر الحب ، فلو غلب الحب واستولت المعرفة لم تثبت لذلك طاقة البشر ، فإنما الخوف يعدله ويخفف وقعه على القلب . فقد روى فى بعض الأخبار : أنّ بعض الصديقين سأله بعض الأبدال أن يسأل الله تعالى أن يرزقه ذرّة من معرفته ، ففعل ذلك ، فهام فى الجبال وحار عقله وولّه قلبه وبقى شاخصا سبعة أيام لا ينتفع بشىء ولا ينتفع به شىء ، فسأل له الصديق ربه تعالى فقال : يارب أنقصه من الذرّة بعضها ، فأوحى الله تعالى إليه إنما أعطيناه جزءا من مائة ألف جزء من المعرفة ، وذلك أنّ مائة ألف عبد سألونى شيئا من المحبة فى الوقت الذى سألنى هذا ، فأخرت إجابتهم إلى أن شفعت أنت لهذا ، فلما أجبتك فيما سألت أعطيتهم كما أعطيته ، فقسمت ذرّة من المعرفة بين مائة ألف عبد ، فهذا ماأصابه من ذلك ، فقال : سبحانك ياأحكم الحاكمين أنقصه مما أعطيته ! فأذهب الله عنه جملة الجزء ، وبقى معه عشر معشاره وهو جزء من عشرة آلاف جزء من مائة ألف جزء من ذرة ، فاعتدل خوفه وحبه ورجاؤه وسكن وصار كسائر العارفين ، وقد قيل فى وصف حال العارف :

قريب الوجد ذو مرمى بعيد ... عن الأحرار منهم والعبيد
غريب الوصف ذو علم غريب ... كأن فؤاده زبر الحديد
لقد عزت معانيه وجلت ... عن الأبصار إلا للشهيد
يرى الأعياد فى الأوقات تجرى ... له فى كل يوم ألف عيد
وللأحباب أفراح بعيد ... ولا يجد السرور له بعيد

وقد كان الجنيد رحمه الله ينشد أبياتا يشير بها إلى أسرار أحوال العارفين وإن كان ذلك لا يجوز إظهاره . وهى هذه الأبيات :

سرت بأناس فى الغيوب قلوبهم ... فحلوا بقرب الماجد المتفضل
عراصا بقرب الله فى ظل قدسه ... تجول بها أرواحهم وتنقل
مواردهم فيها على العز والنهى ... ومصدرهم عنها لما هو أكمل

تروح بعز مفرد من صفاته وفى حلل التوحيد تمشى وترفل
ومن بعد هذا ماتدق صفاته وما كتمه أولى لديه وأعدل
سأكتم من علمى به ما يصونه وأبذل منه ماأرى الحق يبذل
وأعطى عباد الله منه حقوقهم وأمنع منه ما أرى المنع يفضل
على أن للرحمن سرا يصونه إلى أهله فى السر والصون أجمل

وأمثال هذه المعارف التى إليها الإشارة لايجوز أن يشترك الناس فيها ، ولا يجوز أن يظهرها من انكشف له شىء من ذلك لمن لم ينكشف له ، بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا ، فالحكمة تقتضى شمول الغفلة لعمارة الدنيا ، بل لو أكل الناس كلهم الحلال أربعين يوما لخربت الدنيا لزهدهم فيها ، وبطلت الأسواق والمعايش ، بل لو أكل العلماء الحلال لاشتغلوا بأنفسهم ولوقفت الألسنة والأقلام عن كثير مما انتشر من العلوم ، ولكن لله تعالى فيما هو شر فى الظاهر أسرار وحكم ، كما أن له فى الخير أسراراً وحكما ، ولا منتهى لحكمته كما لاغاية لقدرته .

ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقى من إظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب وإجلالا له وهيبة منه وغيرة على سره ، فإن الحب سر من أسرار الحبيب ولأنه قد يدخل فى الدعوى ما يتجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء وتعظم العقوبة عليه فى العقبى وتتعجل عليه البلوى فى الدنيا . نعم قد يكون للمحب سكرة فى حبه حتى يدهش فيه وتضطرب أحواله فيظهر عليه حبه ، فإن وقع ذلك من غير تمحل أو اكتساب فهو معذور لأنه مقهور ، وربما تشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه . فالقادر على الكتمان يقول :

وقالوا : قريب ، قلت : ماأنا صانع بقرب شعاع الشمس لو كان فى حجرى ؟
فمالى منه غير ذكر بخاطر يهيج نار الحب والشوق فى صدرى !

والعاجز عنه يقول :

يخفى فيبدى الدمع أسراره ويظهر الوجد عليه النفس

ويقول أيضا :

ومن قلبه مع غيره كيف حاله ومن سره فى جفنه كيف يكتم ؟

وقد قال بعض العارفين : أكثر الناس من الله بعدا أكثرهم إشارة به . كأنه أراد : من يكثر التعريض به فى كل شىء ويظهر التصنع بذكره عند كل أحد فهو ممقوت عند المحبين والعلماء بالله عز وجل . ودخل ذو النون المصرى على بعض إخوانه - ممن كان يذكر المحبة - فرآه مبتلى ببلاء فقال : لايحبه من وجد ألم ضره ! فقال الرجل : لكنى أقول لايحبه من لم يتنعم بضره ، فقال ذو النون : ولكنى أقول : لايحبه من شهر نفسه بحبه ، فقال الرجل : أستغفر الله وأتوب إليه .

فإن قلت : المحبة منتهى المقامات وإظهارها إظهار للخير فلماذا يستنكر ؟ فاعلم أن المحبة محمودة وظهورها محمود أيضا وإنما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيها من الدعوى والاستكبار ، وحق المحب أن ينم على حبه الخفى أفعاله وأحواله دون أقواله وأفعاله . وينبغى أن يظهر حبه من غير قصد منه إلى إظهار الحب ولا إلى إظهار الفعل الدال على الحب ، بل ينبغى أن يكون قصد المحب اطلاع الحبيب فقط ، فأما إرادته اطلاع غيره فشرك فى الحب

وقادح فيه ، كما ورد فى الإنجيل: إذا تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم شمالك ماصنعت يمينك . فالذى يرى الخفيات يجزيك علانية وإذا صمت فاغسل وجهك وادهن رأسك لئلا يعلم بذلك غير ربك . فإظهار القول والفعل كله مذموم إلا إذا غلب سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الأعضاء فلا يلام فيه صاحبه . حكى أن رجلا رأى من بعض المجانين ما استجهله فيه فأخبر بذلك معروفا الكرخى رحمه الله فتبسم ثم قال : يا أخى له محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين ! فهذا الذى رأيته من مجانينهم . ومما يكره : التظاهر بالحب ، بسبب أنّ المحب إن كان عارفا ـ وعرف أحوال الملائكة فى حبهم الدائم وشوقهم اللازم الذى به يسبحون الليل والنهار لايفترون ولايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ـ لاستنكف من نفسه ومن إظهار حبه وعلم قطعا أنه من أخس المحبين فى مملكته وأنّ حبه أنقص من حب كل محب لله . قال بعض المكاشفين من المحبين : عبدت الله تعالى ثلاثين سنة بأعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت أنّ لى عند الله شيئا ، فذكر أشياء من مكاشفات آيات السموات فى قصة طويلة قال فى آخرها : فبلغت صفا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شىء ، فقلت : من أنتم فقالوا : نحن المحبون لله عز وجل نعبده ههنا منذ ثلثمائة ألف سنة ما خطر على قلوبنا قط سواه ولا ذكرنا غيره ، قال : فاستحييت من أعمالى فوهبتها لمن حق عليه الوعيد تخفيفا عنه فى جهنم .

فإذن من عرف نفسه وعرف ربه واستحيا منه حق الحياء خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى . نعم يشهد على حبه حركاته وسكناته وإقدامه وإحجامه وترددانه ؛ كما حكى عن الجنيد أنه قال : مرض أستاذنا السرى رحمه الله فلم نعرف لعلته دواء ولا عرفنا لها سببا ، فوصف لنا طبيب حاذق . فأخذ قارورة مائة فنظر إليها الطبيب وجعل ينظر إليه مليا ثم قال لى : أراه بول عاشق ! قال الجنيد : فصعقت وغشى على ووقعت القارورة من يدى ، ثم رجعت إلى السرى فأخبرته ، فتبسم قال : قاتله الله ما أبصره ! قلت : يا أستاذ وتبين المحبة فى البول ! قال : نعم . وقد قال السرى مرة : لو شئت أقول : ما أيبس جلدى على عظمى ولاسل جسمى إلا حبه ! ثم غشى عليه . وتدل الغشية على أنه أفصح فى غلبة الوجد ومقدمات الغشية . فهذه مجامع علامات الحب وثمراته .

ومنها . الأنس والرضا ـ كما سيأتى .

وبالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الأخلاق ثمرة الحب ، ومالا يثمره الحب فهو اتباع الهوى وهو من رذائل الأخلاق . نعم قد يحب الله لإحسانه إليه وقد يحبه لجلاله وجماله وإن لم يحسن إليه . والمحبون لا يخرجون عن هذين القسمين ، ولذلك قال الجنيد : الناس فى محبة الله تعالى عام وخاص ، فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم فى دوام إحسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا أن أرضوه إلا أنهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والإحسان ؛ فأما الخاصة فنالوا المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك . ولما عرفوا صفاته الكاملة وأسماءه الحسنى لم يمتنعوا أن أحبوه إذ استحق عندهم المحبة بذلك لأنه أهل لها ولو أزال عنهم جميع النعم ، نعم من الناس من يحب هواه . وعدو الله إبليس ـ وهو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الغرور والجهل ـ فيظن أنه محب لله عز وجل وهو الذى فقدت فيه هذه العلامات ، أو يلبس بها نفاقا ورياء وسمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف ذلك ، كعلماء السوء وقراء السوء أولئك بغضاء الله فى أرضه . وكان سهل إذا تكلم مع إنسان قال : يا دوست ـ أى يا حبيب ـ فقيل له : قد لا يكون حبيبا فكيف تقول هذا ؟ فقال فى أذن القائل سرا : لا يخلو إما أن يكون مؤمنا أو منافقا : فإن كان مؤمنا فهو حبيب الله عز وجل ، وإن كان منافقا فهو حبيب إبليس : وقد

قال أبو تراب النخشبي - فى علامات المحبة - أبياتا :

لا تخدعن فللحبيب دلائل ... ولديه من تحف الحبيب وسائل
منهـا تنعمه بمر بلائه ... وسروره فى كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة ... والفقر إكرام وبر عاجل
ومن الدلائل أى ترى من عزمه ... طوع الحبيب وإن ألح العاذل
ومن الدلائل أن يرى متجسما ... والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلائل أن يرى متفهما ... لكلام من يحظى لديه السائل
ومن الدلائل أن يرى متقشفا ... متحفظا من كل ما هو قائل

وقال يحيى بن معاذ :

ومن الدلائل أن تراه مشمرا ... فى خرقتين على شطوط الساحل
ومن الدلائل حزنه ونحيبه ... جوف الظلام فما له من عاذل
ومن الدلائل أن تراه مسافرا ... نحو الجهاد وكل فعل فاضل
ومن الدلائل زهده فيما يرى ... من دار ذل والنعيم الزائل
ومن الدلائل أن تراه باكيا ... أن قد رآه على قبيح فعائل
ومن الدلائل أن تراه مسلما ... كل الأمور إلى المليك العادل
ومن الدلائل أن تراه راضيا ... بمليكه فى كل حكم نازل
ومن الدلائل ضحكه بين الورى ... والقلب محزون كقلب الثاكل

بيان معنى الأنس بالله تعالى

قد ذكرنا أنّ الأنس والخوف والشوق من آثار المحبة ، إلا أن هذه آثار مختلفة تختلف على المحب بحسب نظره وما يغلب عليه فى وقته ، فإذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب إلى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب إلى الطلب وانزعج له وهاج إليه ، وتسمى هذه الحالة فى الانزعاج شوقا وهو بالإضافة إلى أمر غائب ، وإذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت إلى مالم يدركه بعد ؛ استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره أنسا ، وإن كان نظره إلى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر إمكان الزوال والبعد تألم القلب بهذا الاستشعار فيسمى تألمه خوفا . وهذه الأحوال تابعة لهذه الملاحظات ، والملاحظات تابعة لأسباب تقتضيها لا يمكن حصرها ، فالأنس معناه استبشار القلب فرحه بمطالعة الجمال ، حتى إنه إذا غلب وتجرد عن ملاحظة ماغاب عنه وما يتطرق إليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ، ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له : أنت مشتاق ؟ فقال : لا إنما الشوق إلى غائب ، فإذا كان الغائب حاضرا فإلى من يشتاق ؟ وهذا كلام مستغرق بالفرح بما ناله غير ملتفت إلى مابقى فى الإمكان من مزايا الألطاف .

ومن غلب عليه حال الأنس لم تكن شهوته إلا فى الانفراد والخلوة ، كما حكى أنّ إبراهيم بن أدهم نزل من الجبل فقيل له : من أين أقبلت ؟ فقال : من الأنس بالله ، وذلك لأن الأنس بالله يلازمه التوحش من غير الله ، بل كل

ما يعوق عن الخلوة فيكون من أثقل الأشياء على القلب ، كما روى أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام أحد من الناس إلا أخذه الغشيان ، لأن الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ماسواه . ولذلك قال بعض الحكماء فى دعائه : يامن آنسنى بذكره وأوحشنى من خلقه ، وقال الله عز وجل لداود عليه السلام : كن لى مشتاقا وبى متأنسا ومن سواى مستوحشا وقيل لرابعة : بم نلت هذه المنزلة ؟ قالت : بتركى مالا يعنينى وأنسى بمن لم يزل . وقال عبدالواحد بن زيد : مررت براهب فقلت له ياراهب لقد أعجبتك الوحدة ؟ فقال : ياهذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت إليها من نفسك ، الوحدة رأس العبادة ، فقلت ياراهب ما أقل ما تجده فى الوحدة ؟ قال : الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم ، قلت ياراهب متى يذوق العبد حلاوة الأنس بالله تعالى ؟ قال : إذا صفا الود وخلصت المعاملة ، قلت : ومتى يصفو الود ؟ قال : إذا اجتمع الهم فصارهما واحد فى الطاعة ، وقال بعض الحكماء : عجبا للخلائق كيف أرادوا بك بدلا ؟ عجبا للقلوب كيف استأنست بسواك عنك ؟ .

فإن قلت : فما علامة الأنس ؟ فاعلم أن علامته الخاصة ضيق الصدر من معاشرة الخلق والتبرم بهم واستهتاره بعذوبة الذكر ، فإن خالط فهو كمنفرد فى جماعة ومجتمع فى خلوة ، وغريب فى حضر وحاضر فى سفر ، وشاهد فى غيبة وغائب فى حضور ، مخالط بالبدن منفرد بالقلب ، مستغرق بعذوبة الذكر ، كما قال على كرم الله وجهه فى وصفهم : هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعر المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى ، أولئك خلفاء الله فى أرضه والدعاة إلى دينه . فهذا معنى الأنس بالله وهذه علامته وهذه شواهده .

وقد ذهب بعض المتكلمين إلى انكار الأنس والشوق والحب لظنه أن ذلك يدل على التشبيه ، وجهله بأن جمال المدركات بالبصائر أكمل من جمال المبصرات ، ولذة معرفتها أغلب على ذوى القلوب ومنهم أحمد بن غالب ، يعرف بغلام الخليل أنكر على الجنيد وعلى أبى الحسن النورى والجماعة حديث الحب والشوق والعشق حتى أنكر بعضهم مقام الرضا ، وقال : ليس إلا الصبر فأما الرضا فغير متصور . وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين إلا على القشور فظن أنه لا وجود إلا للقشر ، فإن المحسوسات وكل ما يدخل فى الخيال من طريق الدين قشر مجرد ووراءه اللب المطلوب ، فمن لم يصل من الجوز إلا إلى قشره يظن أن الجوز خشب كله ، ويستحيل عنده خروج الدهن منه لا محالة وهو معذور ولكن عذره غير مقبول وقد قيل :

الأنس بالله لا يحويه بطال ... وليس يدركه بالحول محتال
والآنسون رجال كلهم نجب ... وكلهم صفوة لله عمال

بيان معنى الانبساط والإدلال الذى تثمره غلبة الأنس

اعلم أن الأنس إذا دام وغلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف التغير والحجاب فإنه يثمر نوعا من الانبساط فى الأقوال والأفعال والمناجاة مع الله تعالى ، وقد يكون منكر الصورة لما فيه من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن أقيم فى مقام الأنس ، ومن لم يقم فى ذلك المقام ويتشبه بهم فى الفعل والكلام هلك به وأشرف على الكفر .

ومثاله : مناجاة برخ الأسود الذى أمر الله تعالى كليمه موسى عليه السلام أن يسأله ليستسقى لبنى إسرائيل ؛

بعد أن قحطوا سبع سنين وخرج موسى عليه السلام ليستسقى لهم فى سبعين ألفا ، فأوحى الله عز وجل إليه : كيف أستجيب لهم وقد أظلمت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعوننى على غير يقين ويأمنون مكرى ، ارجع إلى عبد من عبادى يقال له برخ فقل له يخرج حتى أستجيب له ، فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يعرف ، فبينما موسى ذات يوم يمشى فى طريق إذا بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود ، فى شملة قد عقدها على عنقه ، فعرفه موسى عليه السلام بنور الله عز وجل فسلم عليه وقال له : ما اسمك ؟ فقال : اسمى برخ ، قال : فأنت طلبتنا منذ حين أخرج فاستسق لنا . فخرج فقال فى كلامه : ماهذا من فعالك ولا هذا من حلمك ؟ وما الذى بدا لك ؟ أنقصت عليك عيونك أم عاندت الرياح عن طاعتك أم نفد ماعندك أم اشتد غضبك على المذنبين ؟ ألست كنت غمارا قبل خلق الخطائين ؟ خلقت الرحمة وأمرت بالعطف ، أم ترينا أنك ممتنع أم تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة ، قال فما برح حتى اخضلت بنو إسرائيل بالقطر وأنبت الله تعالى العشب فى نصف يوم حتى بلغ الركب ، قال : فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال : كيف رأيت حين عاصمت ربى كيف أنصفنى ؟ فهم موسى عليه السلام به ، فأوحى الله تعالى إليه : إن برخا يضحكنى كل يوم ثلاث مرات .

وعن الحسن قال : احترقت أخصاص بالبصرة فبقى فى وسطها خص لم يحترق ، وأبو موسى يومئذ أمير البصرة ، فأخبر بذلك فبعث إلى صاحب الخص ، قال : فأتى بشيخ فقال : ياشيخ ما بال خصك لم يحترق ؟ قال : إنى أقسمت على ربى عز وجل أن لا يحرقه ، فقال أبو موسى رضى الله عنه : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يكون فى أمتى قوم شعثة رءوسهم ، دنسة ثيابهم لو أقسموا على الله لأبرهم [1] » قال : ووقع حريق بالبصرة فجاء أبو عبيدة الخواص فجعل يتخطى النار ، فقال له أمير البصرة : انظر لا تحترق بالنار ، فقال : إنى أقسمت على ربى عز وجل أن لا يحرقنى بالنار ، قال : فاعزم على النار أن تطفأ ، قال : فعزم عليها فطفئت . وكان أبو حفص يمشى ذات يوم فاستقبله رستاق مدهوش فقال له أبو حفص : ماأصابك ؟ فقال : ضل حمارى ولا أملك غيره ، قال : فوقف أبو حفص وقال : وعزتك لا أخطو خطوة مالم ترد عليه حماره ، قال : فظهر حماره فى الوقت ومر أبو حفص رحمه الله .

فهذا وأمثاله يجرى لذوى الأنس وليس لغيرهم أن يتشبه بهم . قال الجنيد رحمه الله : أهل الأنس يقولون فى كلامهم ومناجاتهم فى خلواتهم أشياء هى كفر عند العامة . وقال مرة . لو سمعها العموم لكفروهم وهم يجدون المزيد فى أحوالهم بذلك . وذلك يحتمل منهم ويليق بهم وإليه أشار القائل :

قوم تخالجهم زهـــو بسيدهم والعبد يزهو على مقدار مولاه
تاهوا برؤيتـــه عما سواه له يا حسن رؤيتهم فى عز ما تاهوا

ولا تستبعدون رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف مقامهما ، فى القرآن تنبيهات على هذه المعانى لو فطنت وفهمت ، فجميع قصص القرآن تنبيهات لأولى البصائر والأبصار حتى ينظروا إليها بعين الاعتبار ، فإنما هى عند ذوى الاعتبار من الأسماء .

فأول القصص . قصة آدم عليه السلام وإبليس أما تراهما كيف اشتركا فى اسم المعصية والمخالفة ثم تباينا فى الاجتباء والعصمة . أما إبليس فأبلس عن رحمته ، وقيل إنه من المبعدين . وأما آدم عليه السلام فقيل فيه ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ .

---

(١) حديث الحسن عن أبى موسى « يكون فى أمتى قوم شعثة رءوسهم دنسة ثيابهم لو أقسموا على الله لأبرهم » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الأولياء وفيه انقطاع وجهالة .

وقد عاتب الله نبيه صلى الله عليه وسلم فى الإعراض عن عبد والإقبال على عبد ، وهما فى العبودية سيان ولكن فى الحال مختلفان ، فقال ﴿ وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنده تلهى ﴾ وقال فى الآخر ﴿ أما من استغنى فأنت له تصدى ﴾ وكذلك أمره بالقعود مع طائفة ، فقال عز وجل ﴿ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم ﴾ وأمره بالإعراض عن غيرهم ، فقال ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم ﴾ حتى قال ﴿ فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ وقال تعالى ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ﴾ .

فكذلك الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون بعض . فمن انبساط الأنس قول موسى عليه السلام ﴿ إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء ﴾ وقوله فى التعليل والاعتذار لما قيل له ﴿ اذهب إلى فرعون ﴾ فقال ﴿ ولهم على ذنب ﴾ وقوله ﴿ إنى أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى ﴾ وقوله ﴿ إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى ﴾ وهذا من غير موسى عليه السلام من سوء الأدب لأن الذى أقيم مقام الأنس يلاطف ويحتمل ، ولم يحتمل ليونس عليه السلام مادون هذا لما أقيم مقام القبض والهيبة ، فعوقب بالسجن فى بطن الحوت ـ فى ظلمات ثلاث ـ ونودى عليه إلى يوم القيامة ﴿ لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ﴾ . قال الحسن : العراء هو القيامة . ونهى نبينا صلى الله عليه وسلم أن يقتدى به . وقيل له ﴿ فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم ﴾ .

وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الأحوال والمقامات وبعضها لما سبق فى الأزل من التفاضل والتفاوت فى القسمة بين العباد ، وقد قال تعالى ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ﴾ وقد قال ﴿ منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ﴾ فكان عيسى عليه السلام من المفضلين ولإدلاله سلم على نفسه ، فقال ﴿ والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ﴾ وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف فى مقام الأنس .

وأما يحيى بن زكريا عليه السلام فإنه أقيم مقام الهيبة والحياء فلم ينطق حتى أثنى عليه خالقه ، فقال ﴿ وسلام عليه ﴾ .

وانظر كيف احتمل لإخوة يوسف مافعلوه بيوسف وقد قال بعض العلماء : قد عددت من أول قوله تعالى ﴿ إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ﴾ إلى رأس العشرين من إخباره تعالى عن زهدهم فيه نيفا وأربعين خطيئة بعضها أكبر من بعض ، وقد يجتمع فى الكلمة الواحدة الثلاث والأربع ـ فغفر لهم وعفا عنهم ولم يحتمل العزير فى مسألة واحدة سأل عنها فى القدر ، حتى قيل محى من ديوان النبوة ! وكذلك كان بلعام بن باعوراء من أكابر العلماء فأكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك . وكان آصف من المسرفين وكانت معصيته فى الجوارح فعفا عنه . فقد روى أن الله تعالى أوحى إلى سليمان عليه السلام : يارأس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين إلى كم يعصينى ابن خالتك آصف وأنا أحلم عليه مرة بعد مرة فوعزتى وجلالى لئن أخذته عصفة من عصفاتى عليه لأتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن بعده ، فلما دخل آصف على سليمان عليه السلام أخبره بما أوحى الله تعالى إليه فخرج حتى علا كثيبا من رمل ، ثم رفع رأسه ويديه نحو السماء وقال : إلهى وسيدى أنت أنت وأنا أنا فكيف أتوب إن لم تتب على وكيف أستعصم ؟ إن لم تعصمنى لأعودن ، فأوحى الله تعالى إليه : صدقت يا آصف أنت أنت وأنا أنا استقبل التوبة وقد تبت عليك وأنا التواب الرحيم ، وهذا كلام مدل به عليه وهارب منه إليه وناظر به إليه .

وفى الخبر : إنّ الله تعالى أوحى إلى عبد تداركه بعد أن كان أشفى على الهلكة كم من ذنب واجهتنى به غفرته لك قد أهلكت فى دونه أمة من الأمم . فهذه سنة الله تعالى فى عباده بالتفضيل والتقديم والتأخير على ما سبقت به المشيئة الأزلية .

وهذه القصص وردت فى القرآن لتعرف بها سنة الله فى عباده الذين خلوا من قبل ، فما فى القرآن شىء إلا وهو هدى ونور وتعرف من الله تعالى إلى خلقه ، فتارة يتعرف إليهم بالتقديس فيقول ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴾ وتارة يتعرف إليهم بصفات جلاله فيقول ﴿ الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ﴾ وتارة يتعرف إليهم فى أفعاله المخوفة والمرجوة فيتلو عليهم سنته فى أعدائه وفى أنبيائه فيقول ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد ـ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ﴾ .

ولايعدو القرآن هذه الأقسام الثلاثة وهى : الإرشاد إلى معرفة ذات الله وتقديسه ، أو معرفة صفاته وأسمائه ، أو معرفة أفعاله وسنته مع عباده . ولما اشتملت سورة الإخلاص على أحد هذه الأقسام الثلاثة وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن فقال « من قرأ سورة الإخلاص فقد قرأ ثلث القرآن [1] » لأنّ منتهى التقديس أن يكون واحدا فى ثلاثة أمور ؛ لايكون حاصلا منه من هو نظيره وشبهه . ودل عليه قوله ﴿ لم يلد ﴾ ولايكون حاصلا عن هو نظيره وشبهه . ودل عليه قوله ﴿ ولم يولد ﴾ ولايكون فى درجته وإن لم يكن أصلا له ولافرعا من هو مثله . ودل عليه قوله ﴿ ولم يكن له كفوا أحد ﴾ ويجمع جميع ذلك قوله تعالى ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وجملته تفصيل قول « لا إله إلا الله » فهذه أسرار القرآن ولاتتناهى أمثال هذه الأسرار فى القرآن ﴿ ولارطب ولايابس إلا فى كتاب مبين ﴾ ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه : نوّروا القرآن والتمسوا غرائبه ففيه علم الأولين والآخرين ، وهو كما قال ، ولا يعرفه إلا من طال فى آحاد كلماته فكره وصفا له فهمه حتى تشهد له كل كلمة منه بأنه كلام جبار قاهر مليك قادر وأنه خارج عن حدّ استطاعة البشر . وأكثر أسرار القرآن معبأة فى طى القصص والأخبار ، فكن حريصاً على استنباطها ليكشف لك فيه من العجائب ماتستحقر معه العلوم المزخرفة الخارجة عنه . فهذا ما أردنا ذكره من معنى الأنس والانبساط الذى هو ثمرته وبيان تفاوت عباد الله فيه والله سبحانه وتعالى أعلم .

القول فى معنى الرضا بقضاء الله تعالى وحقيقته وماورد فى فضيلته

اعلم أنّ الرضا ثمرة من ثمار المحبة وهو من أعلى مقامات المقربين وحقيقته غامضة على الأكثرين ، ومايدخل عليه من التشابه والإبهام غير منكشف إلا لمن علمه الله تعالى التأويل وفهمه وفقهه فى الدين ، فقد أنكر منكرون تصوّر الرضا بما يخالف الهوى ثم قالوا : إن أمكن الرضا بكل شىء لأنه فعل الله فينبغى أن يرضى بالكفر والمعاصى وانخدع بذلك قوم فرأوا الرضا بالفجور والفسوق وترك الاعتراض والإنكار من باب التسليم لقضاء الله تعالى . ولو انكشفت هذه الأسرار لمن اقتصر على سماع ظواهر الشرع لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل [2] » فلنبدأ ببيان فضيلة الرضا ، ثم بحكايات أحوال الراضين ،

(١) حديث « من قرأ سورة الإخلاص فقد قرأ ثلث القرآن » أخرجه أحمد من حديث أبى بن كعب بإسناد صحيح ورواه البخارى من حديث أبى سعيد ومسلم من حديث أبى الدرداء نحوه . (٢) حديث دعائه لابن عباس « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » متفق عليه دون قوله « وعلمه التأويل » ورواه أحمد بهذه الزيادة وتقدم فى العلم .

ثم نذكر حقيقة الرضا وكيفية تصوره فيما يخالف الهوى ، ثم نذكر مايظن أنه من تمام الرضا وليس منه كترك الدعاء والسكوت على المعاصى .

بيان فضيلة الرضا

أما من الآيات فقوله تعالى ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ وقد قال تعالى ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ ومنتهى الإحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عن الله تعالى . وقال تعالى ﴿ ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ﴾ فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ﴾ فكما أن مشاهدة المذكور فى الصلاة أكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية مطلب سكان الجنان .

وفى الحديث « إن الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلونى فيقولون رضاك [1] » فسؤالهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل . وأما رضا العبد فسنذكر حقيقته ، وأما رضوان الله تعالى عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه فى حب الله للعبد ، ولايجوز أن يكشف عن حقيقته إذتقصر أفهام الخلق عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل بإدراكه من نفسه . وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر إليه فإنما سألوه الرضا لأنه سبب دوام النظر ، فكأنهم رأوه غاية الغايات وأقصى الأمانى لما ظفروا بنعيم النظر ، فلما امروا بالسؤال لم يسألوا إلا دوامه وعلموا أن الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب . وقال الله تعالى ﴿ ولدينا مزيد ﴾ قال بعض المفسرين : يأتى أهل الجنة فى وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين ؛ إحداها : هدية من عند الله تعالى ليس عندهم فى الجنان مثلها فذلك قوله تعالى ﴿ فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين ﴾ والثانية : السلام عليهم من ربهم ، فيزيد ذلك على الهدية فضلا وهو قوله تعالى ﴿ سلام قولا من رب رحيم ﴾ والثالثة : يقول الله تعالى : إنى عنكم راض فيكون ذلك أفضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ أى من النعيم الذى هم فيه فهذا فضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا العبد .

وأما من الأخبار : فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من أصحابه « ماأنتم » فقالوا : مؤمنون ، فقال « ما علامة إيمانكم » فقالوا : نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء ، فقال « مؤمنون ورب الكعبة [2] » وفى خبر آخر أنه قال « حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء [3] » وفى الخبر « طوبى لمن هدى للإسلام وكان رزقه كفافا ورضى به [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « من رضى من الله تعالى بالقليل من الرزق رضى الله تعالى منه بالقليل من العمل [5] » وقال أيضاً « إذا أحب الله تعالى عبدا ابتلاه فإن صبر اجتباه فإن رضى اصطفاه » وقال أيضاً « إذا كان يوم القيامة أنبت الله تعالى لطائفة من أمتى أجنحة فيطيرون من قبورهم إلى

---

(١) حديث « إن الله يتجلى للمؤمنين فيقول سلونى فيقولون رضاك » أخرجه البزار والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس فى حديث طويل بسند فيه لين وفيه « فيتجلى لهم يقول أنا الذى صدقتكم وعدى وأتممت عليكم نعمتى وهذا محل إكرامى فسلونى فيسألونه الرضا ... الحديث » ورواه أبو يعلى بلفظ « ثم يقول ماذا تريدون فيقولون رضاك ... الحديث » ورجاله رجال الصحيح

(٢) حديث : سأل طائفة من أصحابه « ماأنتم » فقالوا : مؤمنون فقال « ماعلامة إيمانكم ... الحديث » تقدم .

(٣) حديث : أنه قال فى حديث آخر « حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء » تقدم أيضا . (٤) حديث « طوبى لمن هدى للاسلام وكان رزقه كفافا ورضى به » أخرجه الترمذى من حديث فضالة بن عبيد بلفظ « وقنع » وقال صحيح وقد تقدم

(٥) حديث « من رضى من الله بالقليل من الرزق رضى منه بالقليل من العمل » رويناه فى أمالى المحاملى بإسناد ضعيف من حديث على بن أبى طالب ومن طريق المحاملى رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس .

الجنان يسرحون فيها ويتنعمون فيها كيف شاءوا ، فتقول لهم الملائكة : هل رأيتم الحساب ؟ فيقولون : مارأينا حسابا ، فتقول لهم : هل جزتم الصراط ؟ فيقولون : مارأينا صراطا ، فتقول لهم : هل رأيتم جهنم ؟ فيقولون : مارأينا شيئا ، فتقول الملائكة : من أمة من أنتم ؟ فيقولون : من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فتقول : ناشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم فى الدنيا ، فيقولون : خصلتان كانتا فينا فبلغنا هذه المنزلة بفضل رحمة الله ، فيقولون : وماهما ؟ فيقولون : كنا إذا خلونا نستحى أن نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا ، فتقول الملائكة : يحق لكم هذا [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « يامعشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا [2] » .

وفى أخبار موسى عليه السلام : إنّ بنى إسرائيل قالوا له : سل لنا ربك أمرا إذا نحن فعلناه يرضى به عنا ، فقال موسى عليه السلام . إلهى قد سمعت ماقالوا ، فقال : ياموسى قل لهم يرضون عنى حتى أرضى عنهم . ويشهد لهذا ماروى عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أحب أن يعلم ماله عند الله عزوجل فلينظر ما لله عزوجل عنده ، فإنّ الله تبارك وتعالى ينزل العبد منه حيث أنزله العبد من نفسه [3] » .

وفى أخبار داود عليه السلام : ما لأوليائى والهم بالدنيا ، إن الهم يذهب حلاوة مناجاتى من قلوبهم ، ياداود إنّ محبتى من أوليائى أن يكونوا روحانيين لايقتمون .

وروى أنّ موسى عليه السلام قال : يارب دلنى على أمر فيه رضاك حتى أعمله ، فأوحى الله تعالى إليه : إن رضاى فى كرهك وأنت لاتصبر على ماتكره ، قال : يارب دلنى عليه ، قال : فإنّ رضاى فى رضاك بقضائى . وفى مناجاة موسى عليه السلام : أى رب أى خلقك أحب إليك ؟ قال : من إذا أخذت منه المحبوب سالمنى ، قال . فأى خلقك أنت عليه ساخط ؟ قال : من يستخيرنى فى الأمر فإذا قضيت له سخط قضائى . وقد روى ماهو أشد من ذلك وهو أنّ الله تعالى قال « أنا الله لاإله إلا أنا من لم يصبر على بلائى ولم يشكر نعمائى ولم يرض بقضائى فليتخذ ربا سوائى [4] » ومثله فى الشدّة قوله تعالى فيما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال : قال الله تعالى قدرت المقادير ودبرت التدبير وأحكمت الصنع ، فمن رضى فله الرضا منى حتى يلقانى ومن سخط فله السخط منى حتى يلقانى [5] ، وفى الخبر المشهور « يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه ، وويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يديه ، وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف [6] » .

وفى الأخبار السالفة أن نبيا من الأنبياء شكا إلى الله عزوجل الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما أجيب إلى ماأراد ، ثم أوحى الله تعالى إليه كم تشكو ، هكذا كان بدؤك عندى فى أم الكتاب قبل أن أخلق السموات

---

(١) حديث « إذا كان يوم القيامة أنبت الله لطائفة من أمتى أجنحة فيطيرون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها » رواه ابن حبان فى الضعفاء وأبو عبد الرحمن السلمى من حديث أنس مع اختلاف ، وفيه حميد بن على القيسى ساقطهالك والحديث منكر مخالف للقرآن ، وللأحاديث الصحيحة فى الورود وغيره . (٢) حديث « أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا » تقدم . (٣) حديث « من أحب أن يعلم ماله عند الله فلينظر ماالله عنده ... الحديث » أخرجه الحاكم من حديث جابر وصححه بلفظ « منزلته » و « منزلة الله » . (٤) حديث « قال الله أنا الله لااله إلاأنا من لم يصبر على بلائى ... الحديث أخرجه الطبرانى فى الكبير وابن حبان فى الضعفاء من حديث أبى هند الدارى مقتصرا على قوله « من لم يرض بقضائى ويصبر على بلائى فليلتمس ربا سواى » واسناده ضعيف . (٥) حديث « قال الله تعالى قدرت المقادير ودبرت التدبير وأحكمت الصنع فمن رضى فله الرضا ... الحديث » لم أجده بهذا اللفظ ، والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى أمامة « خلق الله الخلق وقضى القضية وأخذ ميثاق النبيين ... الحديث » واسناده ضعيف . (٦) حديث « يقول الله خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه .. الحديث » أخرجه ابن شاهين فى شرح السنة عن أبى أمامة بإسناد ضعيف .

والأرض وهكذا سبق لك مني وهكذا قضيت عليك قبل أن أخلق الدنيا ، أفتريد أن أعيد خلق الدنيا من أجلك أم تريد أن أبدل ما قدرته عليك فيكون ما تحب فوق ما أحب ويكون ما تريد فوق ما أريد ، وعزتي وجلالي لئن تاجلج هذا في صدرك مرة أخرى لأمحونك من ديوان النبوة . وروى أن آدم عليه السلام كان بعض أولاده الصغار يصعدون على بدنه وينزلون - يجعل أحدهم رجله على أضلاعه كهيئة الدرج فيصعد إلى رأسه ، ثم ينزل على أضلاعه كذلك وهو مطرق إلى الأرض لا ينطق ولا يرفع رأسه - فقال له بعض ولده : يا أبت ! أما ترى ما يصنع هذا بك لو نهيته عن هذا ! فقال : يا بني إني رأيت ما لم تروا ، وعلمت ما لم تعلموا ، إني تحركت حركة واحدة فأهبطت من دار الكرامة إلى دار الهوان ومن دار النعيم إلى دار الشقاء ، فأخاف أن أتحرك أخرى فيصيبني ما لا أعلم . وقال أنس بن مالك رضي الله عنه : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ، ولا لشيء لم أفعله لم لا فعلته ، ولا قال في شيء كان ليته لم يكن ، ولا في شيء لم يكن ليته كان ، وكان إذا خاصمني مخاصم من أهله يقول دعوه لو قضي شيء لكان (١) . ويروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام : يا داود إنك تريد وأريد وإنما يكون ما أريد ، فإن سلمت لما أريد كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد .

وأما الآثار : فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما . أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله تعالى على كل حال . وقال عمر بن عبد العزيز : ما بقي لي سرور إلا في مواقع القدر ، وقيل له : ما تشتهي ؟ فقال : ما يقضي الله . وقال ميمون بن مهران : من لم يرض بالقضاء فليس لحقه دواء . وقال الفضيل : إن لم تصبر على تقدير الله لم تصبر على تقدير نفسك وقال عبد العزيز بن أبي رواد : ليس الشأن في أكل خبز الشعير والخل ولا في لبس الصوف والشعر ، ولكن الشأن في الرضا عن الله عز وجل وقال عبد الله بن مسعود : لأن ألحس جمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب إلي من أن أقول لشيء كان ليته لم يكن أو لشيء لم يكن ليته كان . ونظر رجل إلى قرحة في رجل محمد بن واسع . فقال : إني لأرحمك من هذه القرحة ، فقال : إني لأشكرها منذ خرجت إذ لم تخرج في عيني .

وروى في الإسرائيليات : أن عابدا عبد الله دهرا طويلا فأرى في المنام : فلانة الراعية رفيقتك في الجنة ؛ فسأل عنها إلى أن وجدها فاستضافها ثلاثا لينظر إلى عملها ، فكان يبيت قائما وتبيت نائمة ويظل صائما وتظل مفطرة . فقال : أما لك عمل غير ما رأيت ؟ فقالت : ما هو والله إلا ما رأيت لا أعرف غيره ، فلم يزل يقول : تذكري ، حتى قالت : خصيلة واحدة هي في ؛ إن كنت في شدة لم أتمن أن أكون في رخاء ، وإن كنت في مرض لم أتمن أن أكون في صحة ، وإن كنت في الشمس لم أتمن أن أكون في الظل ، فوضع العابد يده على رأسه وقال : أهذه خصيلة ؟ هذه والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد .

وعن بعض السلف : إن الله تعالى إذا قضى في السماء قضاء أحب من أهل الأرض أن يرضوا بقضائه . وقال أبو الدرداء : ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر . وقال عمر رضي الله عنه . ما أبالي على أي حال أصبحت وأمسيت من شدة أو رخاء . وقال الثوري يوما عند رابعة : اللهم ارض عني ، فقالت : أما تستحي من الله أن تسأله الرضا وأنت عنه غير راض ؟ فقال : أستغفر الله ، فقال جعفر بن سليمان الضبعي : فمتى يكون العبد راضيا عن الله

(١) حديث أنس : خدمت النبي صلى الله عليه وسلم فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ... الحديث . متفق عليه وقد تقدم .

تعالى ؟ قالت : إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة . وكان الفضيل يقول : إذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضى عن الله تعالى . وقال أحمد بن أبي الحواري : قال أبو سليمان الداراني إنّ الله عزوجل من كرمه قد رضى من عبيده بما رضى العبيد من مواليهم قلت : وكيف ذاك ؟ قال : أليس مراد العبد من الخلق أن يرضى عنه مولاه قلت : نعم ، قال : فإن محبة الله من عبيده أن يرضوا عنه . وقال سهل : حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله عز وجل . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح فى الرضا واليقين ، وجعل الغم والحزن فى الشك والسخط [1] » .

بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى

اعلم أنّ من قال : ليس فيما يخالف الهوى وأنواع البلاء إلا الصبر فأما الرضا فلا يتصوّر ؟ فإنما أتى من ناحية إنكار المحبة ، فأما إذا ثبت تصوّر الحب لله تعالى واستغراق الهم به فلا يخفى أنّ الحب يورث الرضا بأفعال الحبيب ، ويكون ذلك من وجهين .

(أحدهما) أن يبطل الإحساس بالألم حتى يجرى عليه المؤلم ولا يحس ، وتصيبه جراحة ولا يدرك ألمها . ومثاله : الرجل المحارب فإنه فى حال غضبه أو فى حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لايحس بألم ذلك لشغل قلبه . بل الذى يحجم أو يحلق رأسه بحديدة كالة يتألم به ، فإن كان مشغول القلب بمهم من مهماته فرغ المزين والحجام وهو لا يشعر به . وكل ذلك لأنّ القلب إذا صار مستغرقا بأمر من الأمور مستوفى به لم يدرك ما عداه ، فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه أو بحبه قد يصيبه ما كان يتألم به أو يعتم له لولا عشقه ، ثم لايدرك غمه وألمه لفرط استيلاء الحب على قلبه . هذا إذا أصابه من غير حبيبه ! فكيف إذا أصابه من حبيبه ؟ وشغل القلب بالحب والعشق من أعظم الشواغل ، وإذا تصور هذا فى ألم يسير بسبب حب خفيف تصوّر فى الألم العظيم بالحب العظيم ، فإنّ الحب أيضا يتصوّر تضاعفه فى القوّة كما يتصوّر تضاعف الألم ، وكما يقوى حب الصور الجميلة المدركة بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة ، وجمال حضرة الربوبية وجلالها لايقاس به جمال ولا جلال ، فمن ينكشف له شيء منه فقد يبهره بحث يدهش ويغشى عليه فلا يحس بما يجرى عليه . فقد روى أن امرأة فتح الموصلى عثرت فانقطع ظفرها فضحكت ، فقيل لها : أما تجدين الوجع ؟ فقالت : إن لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه . وكان سهل رحمه الله تعالى به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه ، فقيل له فى ذلك فقال : يادوست ضرب الحبيب لايوجع !

(وأما الوجه الثانى) فهو أن يحس به ويدرك ألمه ولكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له - أعنى بعقله - وإن كان كارها بطبعه ، كالذى يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فإنه يدرك ألم ذلك إلا أنه راض به وراغب فيه ومتقلد من الفصاد به منة بفعله ، فهذا حال الراضى بما يجرى عليه من الألم . وكذلك كل من يسافر فى طلب الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة سفره طيب عنده مشقة السفر وجعله راضيا بها . ومهما أصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين بأن ثوابه الذى ادخر له فوق مافاته رضى به ورغب فيه وأحبه وشكر الله عليه . هذا إن كان

(١) حديث « إن الله بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح فى الرضا ... الحديث » أخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود إلا أنه قال « بقسطه » وقد تقدم .

يلاحظ الثواب والإحسان الذى يجازى به عليه ، ويجوز أن يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب فى مراد محبوبه ورضاه لا لمعنى آخر وراءه ، فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا ، وكل ذلك موجود فى المشاهدات فى حب الخلق وقد تواصفها المتواصفون فى نظمهم ونثرهم ، ولا معنى له إلا ملاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر ، فإن نظر إلى الجمال فما هو إلا جلد ولحم ودم مشحون بالأقذار والأخباث بدايته من نطفة مذرة ونهايته جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة . وإن نظر إلى المدرك للجمال فهى العين الخسيسة التى تغلط فيما ترى كبيرا ، فترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا ، فإذا تصور استيلاء هذا الحب فمن أين يستحيل ذلك فى حب الجمال الأزلى الأبدى الذى لامنتهى لكماله المدرك بعين البصيرة التى لا يعتريها الغلط ولا يدور بها الموت بل تبقى بعد الموت ؟ حية عند الله فرحة برزق الله تعالى مستفيدة بالموت مزيد تنبيه واستكشاف ؟ فهذا أمر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار ، ويشهد لذلك الوجود وحكايات أحوال المحبين وأقوالهم .

فقد قال شقيق البلخى : من يرى ثواب الشدة لا يشتهى المخرج منها ؟ وقال الجنيد : سألت سريا السقطى هل يجد المحب ألم البلاء ؟ قال : لا ، قلت وإن ضرب بالسيف ! قال : نعم وإن ضرب بالسيف سبعين ضربة - ضربة على ضربة . وقال بعضهم : أحببت كل شىء يحبه حتى لو أحب النار أحببت دخول النار . وقال بشر بن الحارث : مررت برجل وقد ضرب ألف سوط فى شرقية بغداد ولم يتكلم ثم حمل إلى الحبس ، فتبعته فقلت له : لم ضربت؟ فقال لأنى عاشق ، فقلت له ولم سكت ؟ قال لأنّ معشوقى كان بحذائى ينظر إلى ، فقلت فلو نظرت إلى المعشوق الأكبر ! قال فزعق زعقة خرّ ميتا . وقال يحيى بن معاذ الرازى - رحمه الله تعالى - إذا نظر أهل الجنة إلى الله تعالى ذهبت عيونهم فى قلوبهم من لذة النظر إلى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع إليهم ، فما ظنك بقلوب وقعت بين جماله وجلاله ؟ إذا لاحظت جلاله هابت وإذا لاحظت جماله تاهت ! وقال بشر : قصدت عبادان فى بدايتى فإذا برجل أعمى مجذوم مجنون قد صرع والنمل يأكل لحمه ، فرفعت رأسه فوضعته فى حجرى وأنا أردد الكلام ، فلما أفاق قال من هذا الفضولى الذى يدخل بينى وبين ربى لو قطعنى إربا إربا ما ازددت له إلا حبا ؟ قال بشر فما رأيت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين ربه فأنكرتها . وقال أبو عمرو محمد بن الأشعث إنّ أهل مصر مكثوا أربعة أشهر لم يكن لهم غذاء إلا النظر إلى وجه يوسف الصدّيق عليه السلام ، كانوا إذا جاعوا نظروا إلى وجهه فشغلهم جماله عن الإحساس بألم الجوع . بل فى القرآن ما هو أبلغ من ذلك وهو قطع النسوة أيديهنّ لاستهتارهنّ بملاحظة جماله حتى ما أحسسن بذلك . وقال سعيد بن يحيى رأيت بالبصرة فى بحان عطاء بن مسلم شابا وفى يده مدية وهو ينادى بأعلى صوته والناس حوله وهو يقول :

يوم الفراق من القيامة أطول والموت من ألم التفرق أجمل
قالوا الرحيل فقلت لست براحل لكن مهجتى التى تترحل

ثم بقر بالمدية بطنه وخرّ ميتا ، فسألت عنه وعن أمره فقيل لى إنه كان يهوى فتى لبعض الملوك حجب عنه يوما واحدا . ويروى أنّ يونس عليه السلام قال لجبريل دلنى على أعبد أهل الأرض ؟ فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره فسمعه وهو يقول إلهى متعتنى بهما ما شئت أنت ، وسلبتنى ما شئت أنت ، وأبقيت لى فيك الأمل يا بر يا وصول . ويروى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه اشتكى له ابن فاشتد

وجده عليه حتى قال بعض القوم : لقد خشينا على هذا الشيخ إن حدث بهذا الغلام حدث ، فمات الغلام فخرج ابن عمر فى جنازته وما رجل أشد سروراً أبدا منه ، فقيل له فى ذلك فقال ابن عمر : إنما كان حزنى رحمة له ، فلما وقع أمر الله رضينا به . وقال مسروق . كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك ، فالديك يوقظهم للصلاة والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خباءهم والكلب يحرسهم ، قال : فجاء الثعلب فأخذ الديك ، فحزنوا له وكان الرجل صالحا فقال : عسى أن يكون خيرا ، ثم جاء ذئب فخرق بطن الحمار فقتله فحزنوا عليه فقال الرجل :عسى أن يكون خيرا ، ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال عسى أن يكون خيرا ، ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا فإذا قد سبى من حولهم وبقوا هم ، قال : وإنما أخذوا أولئك لما كان عندهم من أصوات الكلاب والحمير والديكة ، فكانت الخيرة لهؤلاء فى هلاك هذه الحيوانات كما قدره الله تعالى . فإذن من عرف خفىّ لطف الله تعالى رضى بفعله على كل حال . ويروى أنّ عيسى عليه السلام مرّ برجل أعمى أبرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيرا من خلقه ، فقال له عيسى : يا هذا أى شىء من البلاء أراه مصروفا عنك ؟ فقال : ياروح الله أنا خير ممن لم يجعل الله فى قلبه ما جعل فى قلبى من معرفته ، فقال له : صدقت هات يدك ، فناوله يده فإذا هو أحسن الناس وجها وأفضلهم هيئة ! وقد أذهب الله عنه ما كان به ، فصحب عيسى عليه السلام وتعبد معه . وقطع عروة بن الزبير رجله — من ركبته — من أكلة خرجت بها ثم قال : الحمد لله الذى أخذ منى واحدة وأبقى لئن كنت أخذت لقد أبقيت ، ولئن كنت ابتليت لقد عافيت ، ثم لم يدع ورده تلك الليلة . وكان ابن مسعود يقول : الفقر والغنى مطيتان ما أبالى أيتهما ركبت ؟ إن كان الفقر فإنّ فيه الصبر وإن كان الغنى فإن فيه البذل . وقال أبو سليمان الدارانى : قلت قد نلت من كل مقام حالا إلا الرضا فمالى منه إلا مشام الريح ، وعلى ذلك لو أدخل الخلائق كلهم الجنة وأدخلنى النار كنت بذلك راضيا . وقيل لعارف آخر : هل نلت غاية الرضا عنه ؟ فقال : أما الغاية فلا ، ولكن مقام الرضا قد نلته ، لو جعلنى جسرا على جهنم يعبر الخلائق علىّ إلى الجنة ثم ملأ بى جهنم — تحلة لقسمه وبدلا من خليقته — لأحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه . وهذا كلام من علم أنّ الحب قد استغرق همه حتى منعه الإحساس بألم النار ، فإن بقى إحساس فيغمره ما يحصل من لذته فى استشعاره حصول رضا محبوبه بإلقائه إياه فى النار . وا مبلاء هذه الحالة غير محال فى نفسه وإن كان بعيدا من أحوالنا الضعيفة ، ولكن لا ينبغى أن يستنكر الضعيف المحروم أحوال الأقوياء ويظنّ أنّ ما هو عاجز عنه يعجز عنه الأولياء . وقال الروذبارى : قلت لأبى عبد الله بن الجلاء الدمشقى : قول فلان ؛ وددت أنّ جسدى قرض بالمقاريض وأن هذا الخلق أطاعوه ؛ ما معناه ؟ فقال : ياهذا إن كان هذا من طريق التعظيم والإجلال فلا أعرف وإن كان هذا من طريق الإشفاق والنصح للخلق فأعرف ، قال : ثم غشى عليه . وقد كان عمران بن الحصين قد استسقى بطنه فبقى ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد — قد نقب له فى سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته — فدخل عليه مطرف وأخوه العلاء فجعل يبكى لما يراه من حاله ، فقال : لم تبكى ؟ قال : لأنى أراك على هذه الحالة العظيمة ! قال : لاتبك فإنّ أحبه إلى الله تعالى أحبه إلى ! ثم قال : أحدثك شيئا لعل الله أن ينفعك به ، واكتم على حتى أموت ، إنّ الملائكة تزورنى فآنس بها وتسلم على فأسمع تسليمها فأعلم بذلك أن هذا البلاء ليس بعقوبة إذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة ! فمن يشاهد هذا فى بلائه كيف لايكون راضيا به ؟ قال : ودخلنا على سويد بن متعبة نعوده ، فرأينا ثوبا ملقى فما ظننا أن تحته شيئا حتى كشف ، فقالت له امرأته : أهلى

فداؤك ما نطعمك . ما نسقيك ؟ فقال : طالت الضجعة ودبرت الحراقيف وأصبحت نضوا لا أطعم طعاما ولا أسيغ شرابا منذ كذا ، فذكر أياما ، وما يسرني أني نقصت من هذا قلامة ظفر ولما قدم سعد بن أبي وقاص إلى مكة - وقد كان كف بصره - جاءه الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له ، فيدعو لهذا ولهذا - وكان مجاب الدعوة - قاله عبد الله بن السائب : فأتيته وأنا غلام فتعرفت إليه فعرفني وقال : أنت قارئ أهل مكة ؟ قلت : نعم. فذكر قصة قال في آخرها : فقلت له : ياعم أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك ! فتبسم وقال : يابني قضاء الله سبحانه عندي أحسن من بصري ! وضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة أيام لم يعرف له خبر ، فقيل له لو سألت الله تعالى أن يرده عليك ، فقال : اعتراضي عليه فيما قضى أشد علي من ذهاب ولدي . وعن بعض العباد أنه قال : إني أذنبت ذنبا عظيما فأنا أبكي عليه منذ ستين سنة - وكان قد اجتهد في العبادة لأجل التوبة من الذنب - فقيل له : وما هو ؟ قال : قلت مرة لشيء كان ، ليته لم يكن . وقال بعض السلف : لو قرض جسمي بالمقاريض لكان أحب إلي من أن أقول لشيء قضاه الله تعالى سبحانه ليته لم يقضه . وقيل لعبد الواحد بن زيد : ههنا رجل قد تعبد خمسين سنة ، فقصده فقال له : ياحبيبي أخبرني عنك هل قنعت به ؟ قال : لا ، قال أنست به ؟ قال : لا ، قال فهل رضيت عنه ؟ قال : لا ، قال فإنما مزيدك منه الصوم والصلاة ؟ قال نعم ، قال لولا أني أستحيي منك لأخبرتك بأن معاملتك خمسين سنة مدخولة ! ومعناه أنك لم يفتح لك باب القلب فتترقى إلى درجات القرب بأعمال القلب ، وإنما أنت تعد في طبقات أصحاب اليمين ، لأن مزيدك منه في أعمال الجوارح التي هي مزيد أهل العموم . ودخل جماعة من الناس على الشبلي رحمه الله تعالى في مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة ، فقال من أنتم ؟ فقالوا محبوك ، فأقبل عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال ما بالكم ادعيتم محبتي إن صدقتم فاصبروا على بلائي !

وللشبلي رحمه الله تعالى :

إن المحبة للرحمن أسكرني وهل رأيت محبا غير سكران ؟

وقال بعض عباد أهل الشام كلكم يلقى الله عز وجل مصدقا ولعله قد كذبه ، وذلك أن أحدكم لو كان له أصبع من ذهب ظل يشير بها ، ولو كان بهاشلل ظل يواريها ؛ يعني بذلك أن الذهب مذموم عند الله والناس يتفاخرون به ، والبلاء زينة أهل الآخرة وهم يستنكفون منه . وقيل إنه وقع الحريق في السوق فقيل للسري ، احترق السوق وما احترق دكانك ! فقال الحمد لله ، ثم قال كيف قلت الحمد لله على سلامتي دون المسلمين ! فتاب من التجارة وترك الحانوت بقية عمره توبة واستغفارا من قوله الحمد لله .

فإذا تأملت هذه الحكايات عرفت قطعا أن الرضا بما يخالف الهوى ليس مستحيلا بل هو مقام عظيم من مقامات أهل الدين . ومهما كان ذلك ممكنا في حب الخلق وحظوظهم كان ممكنا في حق حب الله تعالى وحظوظ الآخرة قطعا . وإمكانه من وجهين (أحدهما) الرضا بالألم لما يتوقع من الثواب الموجود كالرضا بالفصد والحجامة وشرب الدواء انتظارا للشفاء . (والثاني) الرضا به لا لحظ وراءه بل لكونه مراد المحبوب ورضا له ، فقد يغلب الحب بحيث ينغمر مراد المحب في مراد المحبوب ، فيكون ألذ الأشياء عنده سرور قلب محبوبه ورضاه ونفوذ إرادته ولو في هلاك روحه . كما قيل : * فما الجرح إذا أرضاكم ألم *

وهذا ممكن مع الإحساس بالألم ، وقد يستولي الحب بحيث يدهش عن إدراك الألم ، فالقياس والتجربة والمشاهدة

دالة على وجوده ، فلا ينبغى أن ينكره من فقده من نفسه ! لأنه إنما فقده لفقد سببه وهو فرط حبه ، ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف عجائبه فللمحبين عجائب أعظم مما وصفناه .

وقد روى عن عمرو بن الحارث الرافعى قال : كنت فى مجلس بالرقة عند صديق لى ، وكان معنا فتى يتعشق جارية مغنية ، وكانت معنا فى المجلس فضربت بالقضيب وغنت :

علامة ذل الهوى على العاشقين البكا
ولا سيما عاشق إذا لم يجد مشتكى

فقال لها الفتى : أحسنت والله ياسيدتى أفتأذنين لى أن أموت ! فقالت : مت راشدا ! قال : فوضع رأسه على الوسادة وأطبق فمه وغمض عينيه ، فحركناه فإذا هو ميت . وقال الجنيد : رأيت رجلا متعلقا بكم صبى وهو يتضرع إليه ويظهر له المحبة ، فالتفت إليه الصبى وقال له : إلى متى ذا النفاق الذى تظهر لى ؟ فقال : قد علم الله أنى صادق فيما أورده ، حتى لو قلت لى مت لمت ، فقال : إن كنت صادقا فمت ، قال : فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتا . وقال سمنون المحب : كان فى جيراننا رجل وله جارية يحبها غاية الحب ، فاعتلت الجارية فجلس الرجل ليصلح لها حيسا ، فبينا هو يحرك القدر إذ قالت الجارية آه ! قال فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل يحرك ما فى القدر بيده حتى ستلطت أصابعه ! فقالت الجارية ما هذا ؟ قال هذا مكان قولك ـ آه . وحكى عن محمد ابن عبدالله البغدادى قال : رأيت بالبصرة شابا على سطح مرتفع وقد أشرف على الناس وهو يقول :

من مات عشقا فليمت هكذا لا خير فى عشق بلا موت !

ثم رمى بنفسه إلى الأرض ، فحملوه ميتا . فهذا وأمثاله قد يصدق به فى حب المخلوق والتصديق به فى حب الخالق أولى ، لأن البصيرة الباطنة أصدق من البصر الظاهر ، وجمال الحضرة الربانية أولى من كل جمال ، بل كل جمال فى العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال . نعم الذى فقد البصر ينكر جمال الصور ، والذى فقد السمع ينكر لذة الألحان والنغمات الموزونة ، فالذى فقد القلب لابد وأن ينكر أيضا هذه اللذات التى لا مظنة لها سوى القلب .

بيان أن الدعاء غير مناقض للرضا

ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا ، وكذلك كراهة المعاصى ومقت أهلها ومقت أسبابها والسعى فى إزالتها بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يناقضه أيضا . وقد غلط فى ذلك بعض البطالين المغترين وزعم أن المعاصى والفجور والكفر من قضاء الله وقدره عز وجل فيجب الرضا به ، وهذا جهل بالتأويل وغفلة عن أسرار الشرع .

فأما الدعاء فقد تعبدنا به ، وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام ـ على ما نقلناه فى كتاب الدعوات ـ تدل عليه . ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعلى المقامات من الرضا . وقد أثنى الله تعالى على بعض عباده بقوله ﴿ ويدعوننا رغبا ورهبا ﴾ وأما إنكار المعاصى وكراهتها وعدم الرضا بها فقد تعبد الله به عباده وذمهم على الرضا به فقال ﴿ ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ﴾ وقال تعالى ﴿ رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم ﴾ وفى الخبر المشهور « من شهد منكرا فرضى به فكأنه قد فعله » وفى الحديث « الدال على الشر كفاعله [٢] » وعن ابن مسعود إن العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه وقيل وكيف ذلك ؟ قال يبلغه فيرضى به وفى الخبر « لو أن عبدا قتل بالمشرق ورضى بقتله آخر بالمغرب كان

(١) حديث « الدال على الشر كفاعله » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بإسناد ضعيف جدا .

شريكا فى قتله [١] » وقد أمر الله تعالى بالحسد والمنافسة فى الخيرات وتوقى الشرور فقال تعالى ﴿ وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لاحسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله حكمة فهو يبثها فى الناس ويعلمها ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق [٢] » وفى لفظ آخر « ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار فيقول الرجل لو آتانى الله مثل ما آتى هذا لفعلت مثل ما يفعل »

وأما بغض الكفار والفجار والإنكار عليهم ومقتهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والأخبار لا يحصى مثل قوله تعالى ﴿ لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾ وقال تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾ وقال تعالى ﴿ وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا ﴾ وفى الخبر « إن الله تعالى أخذ الميثاق على كل مؤمن أن يبغض كل منافق وعلى كل منافق أن يبغض كل مؤمن [٣] » وقال عليه السلام « المرء مع من أحب [٤] » وقال « من أحب قوما ووالاهم حشر معهم يوم القيامة [٥] » وقال عليه السلام « أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله [٦] » وشواهد هذا قد ذكرناها فى بيان الحب والبغض فى الله تعالى من كتاب آداب الصحبة ، وفى كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ فلا نعيده .

فإن قلت : فقد وردت الآيات والأخبار بالرضا بقضاء الله تعالى [٧] فإن كانت المعاصى بغير قضاء الله تعالى فهو محال وهو قادح فى التوحيد ، وإن كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله تعالى ، وكيف السبيل إلى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة فى شىء واحد ؟ فاعلم أن هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على أسرار العلوم ، وقد التبس على قوم حتى رأوا السكوت عن المنكر مقاما من مقامات الرضا وسموه حسن الخلق وهو جهل محض ، بل نقول الرضا والكراهة يتضادان إذا تواردا على شىء واحد من جهة واحدة على وجه واحد ، فليس من التضاد فى شىء واحد أن يكرهه من وجه ويرضى به من وجه ؛ إذ قد يموت عدوك الذى هو أيضا عدو بعض أعدائك وساع فى إهلاكه ، فتكره موته من حيث إنه مات عدو عدوك وترضاه من حيث إنه مات عدوك . وكذلك المعصية لها وجهان وجه إلى الله تعالى من حيث إنه فعله واختياره وإرادته ؛ فيرضى به من هذا الوجه تسليما للملك إلى مالك الملك ورضا بما يفعله فيه ، ووجه إلى العبد من حيث إنه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا عند الله وبغيضا عنده حيث سلط عليه أسباب البعد والمقت ، فهو من هذا الوجه منكر ومذموم . ولا ينكشف هذا لك إلا بمثال :

---

(١) حديث « لو أن رجلا قتل بالمشرق ورضى بقتله آخر فى المغرب كان شريكا فى قتله » لم أجد له أصلا بهذا اللفظ ولابن عدى من حديث أبى هريرة « من حضر معصية فكرهها فكأنما غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكأنما حضرها » وتقدم فى كتاب الأمر بالمعروف . (٢) حديث « لاحسد إلا فى اثنتين ... الحديث » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة ومسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم فى العلم . (٣) حديث « إن الله أخذ الميثاق على كل مؤمن أن يبغض كل منافق ... الحديث » لم أجد له أصلا . (٤) حديث « المرء مع من أحب » تقدم . (٥) حديث « من أحب قوما ووالاهم حشر معهم » أخرجه الطبرانى من حديث أبى قرصافة وابن عدى من حديث جابر « من أحب قوما على أعمالهم حشر فى زمرتهم » زاد ابن عدى « يوم القيامة » وفى طريقه إسماعيل بن يحيى التيمى ضعيف .

(٦) حديث « أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله » رواه أحمد وتقدم فى آداب الصحبة . (٧) الأخبار الواردة فى الرضا بقضاء الله رواها الترمذى من حديث سعد بن أبى وقاص « من سعادة ابن آدم رضاه بما قسم الله عز وجل ... الحديث » وقال غريب وتقدم حديث « ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » وحديث « إن الله بقسطه جعل الروح والفرح فى الرضا » وتقدم فى حديث الاستخارة « واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به » وحديث « من رضى من الله بالقليل من الرزق رضى منه بالقليل من العمل وحديث « أسألك الرضا بالقضاء ... الحديث » وغير ذلك .

فلنفرض محبوبا من الخلق قال بين يدى محبيه . إنى أريد أن أميز بين من يحبنى ويبغضنى ، وأنصب فيه معيارا صادقا وميزانا ناطقا وهو أنى أقصد إلى فلان فأوذيه وأضربه ضربا يضطره ذلك إلى الشتم لى . حتى إذا شتمنى أبغضته واتخذته عدوا لى ، فكل من أحبه أعلم أيضاً أنه عدوى ، وكل من أبغضه أعلم أنه صديق ومحبى . ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذى هو سبب البغض وحصل البغض الذى هو سبب العداوة . فحق على كل من هو صادق فى محبته وعالم بشروط المحبة أن يقول : أما تدبيرك فى إيذاء هذا الشخص وضربه وإبعاده وتعريضك إياه للبغض والعداوة ـ فأنا محب له وراض به فإنه رأيك وتدبيرك وفعلك وإرادتك ! وأما شتمه إياك فإنه عدوان من جهته إذ كان حقه أن يصبر ولا يشتم ، ولكنه كان مرادك منه ؛ فإنك قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت ، فهو من حيث إنه حصل على وفق مرادك وتدبيرك الذى دبرته فأنا راض به ، ولو لم يحصل لكان ذلك نقصانا فى تدبيرك وتعويقا فى مرادك ، وأنا كاره لفوات مرادك ، ولكنه من حيث إنه وصف لهذا الشخص وكسب له وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف مايقتضيه جمالك إذ كان ذلك يقتضى أن يحتمل منك الضرب ولا يقابل بالشتم ، فأنا كاره له من حيث نسبته إليه ومن حيث هو وصف له لا من حيث هو مرادك ومقتضى تدبيرك وأما بغضك له بسبب شتمك فأنا راض به ومحب له لأنه مرادك وأنا على موافقتك أيضا مبغض له ، لأن شرط المحب أن يكون لحبيب المحبوب حبيبا ولعدوه عدوا . وأما بغضه لك فإنى أرضاه من حيث إنك أردت أن يبغضك إذ أبعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعى البغض ، ولكنى أبغضه من حيث إنه وصف ذلك المبغض وكسبه وفعله وأمقته لذلك ، فهو ممقوت عندى لمقته إياك ، وبغضه ومقته لك أيضاً عندى مكروه من حيث أنه وصفه وكل ذلك من حيث إنه مرادك فهو مرضى . وإنما التناقض أن يقول : هو من حيث إنه مرادك مرضى ومن حيث إنه مرادك مكروه ، وأما إذا كان مكروها لا من حيث إنه فعله ومراده بل من حيث إنه وصف غيره وكسبه فهذا لا تناقض فيه ، ويشهد لذلك كل مايكره من وجه ويرضى به من وجه ، ونظائر ذلك لا تحصى .

فإذن تسليط الله دواعى الشهوة والمعصية عليه حتى يجره ذلك إلى حب المعصية ويجره الحب إلى فعل المعصية يضاهى ضرب المحبوب للشخص الذى ضربناه مثلا ؛ ليجره الضرب إلى الغضب والغضب إلى الشتم . ومقت الله تعالى لمن عصاه وإن كانت معصيته بتدبيره ، يشبه بغض المشتوم لمن شتمه وإن كان شتمه إنما يحصل بتدبيره واختياره لأسبابه وفعل الله تعالى ذلك بكل عبد من عبيده ـ أعنى تسليط دواعى المعصية عليه ـ يدل على أنه سبقت مشيئته بإبعاده ومقته . فواجب على كل عبد محب لله أن يبغض من أبغضه الله ويمقت من مقته الله ويعادى من أبعده الله عن حضرته ـ وإن اضطره بقهره وقدرته إلى معاداته ومخالفته ـ فإنه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة ، وإن كان بعيدا بإبعاده قهرا ومطرودا بطرده واضطراره . والمبعد عن درجات القرب ينبغى أن يكون مقيتا بغيضا إلى جميع المحبين ـ موافقة للمحبوب بإظهار الغضب على من أظهر المحبوب الغضب عليه بإبعاده .

بهذا يتقرر جميع ماوردت به الأخبار من البغض فى الله والحب فى الله والتشديد على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة فى مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث إنه قضاء الله عز وجل . وهذا كله يستمد من سر القدر ـ الذى لا رخصة فى إفشائه ـ وهو أن الشر والخير كلاهما داخلان فى المشيئة والإرادة ، ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضى به . فمن قال : ليس الشر من الله ، فهو جاهل وكذا من قال : إنهما جميعا منه ـ من غير افتراق فى الرضا والكراهة ـ فهو أيضا مقصر . وكشف الغطاء عنه غير مأذون فيه ؛ فالأولى السكوت والتأدب بأدب

الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم « القدر سر الله فلا تفشوه [1] » وذلك يتعلق بعلم المكاشفة . وغرضنا الآن بيان الإمكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضا بقضاء الله تعالى ومقت المعاصى مع أنها من قضاء الله تعالى ، وقد ظهر الغرض من غير حاجة إلى كشف السر فيه .

وبهذا يعرف أيضا أنّ الدعاء بالمغفرة والعصمة من المعاصى وسائر الأسباب المعينة على الدين غير مناقض للرضا بقضاء الله تعالى ، فإن الله تعبد العباد بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ، ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف وسببا لتواتر مزايا اللطف . كما أنّ حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضا للرضا بقضاء الله تعالى فى العطش ، وشرب الماء طلبا لإزالة العطش مباشرة سبب رتبه مسبب الأسباب فكذلك الدعاء سبب رتبه الله تعالى وأمر به . وقد ذكرنا أن التمسك بالأسباب جريا على سنة الله تعالى لايناقض التوكل ـ واستقصيناه فى كتاب التوكل ـ فهو أيضاً لا يناقض الرضا لأن الرضا مقام ملاصق للتوكل ويتصل به نعم إظهار البلاء فى معرض الشكوى ، وإنكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا ، وإظهار البلاء على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لايناقض . وقد قال بعض السلف : من حسن الرضا بقضاء الله تعالى أن لايقول هذا يوم حار ـ أى فى معرض الشكاية ـ وذلك فى الصيف فأما الشتاء فهو شكر ، والشكوى تناقض الرضا بكل حال وذم الأطعمة وعيبها يناقض الرضا بقضاء الله تعالى لأن مذمة الصنعة مذمة للصانع ، والكل من صنع الله تعالى . وقول القائل : الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب والاحتراف كد ومشقة ، كل ذلك قادح فى الرضا ، بل ينبغى أن يسلم التدبير لمدبره والمملكة لمالكها ويقول ماقاله عمر رضى الله عنه : لاأبالى أصبحت غنيا أو فقيرا فإنى لاأدرى أيهما خير لى .

بيان أن الفرار من البلاد التى هى مظان المعاصى ومذمتها لايقدح فى الرضا

اعلم أنّ الضعيف قد يظن أن نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بلد ظهر به الطاعون [2] يدل على النهى عن الخروج من بلد ظهرت فيه المعاصى ، لأن كل واحد منهما فرار من قضاء الله تعالى وذلك محال ؛ بل العلة فى النهى عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون أنه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الأصحاء وبقى فيه المرضى مهملين لامتعهد لهم فيهلكون هزالا وضرا ، ولذلك شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الأخبار بالفرار من الزحف [3] ولو كان ذلك للفرار من القضاء لما أذن لمن قارب البلدة فى الانصراف ـ وقد ذكرنا حكم ذلك فى كتاب التوكل ـ وإذا عرف المعنى ظهر أن الفرار من البلاد التى هى مظان المعاصى ليس فرارا من القضاء بل من القضاء الفرار مما لابد من الفرار منه . وكذلك مذمة المواضع التى تدعو إلى المعاصى والأسباب التى تدعو إليها ـ لأجل التنفير عن المعصية ـ ليست مذمومة . فما زال السلف الصالح يعتادون ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بغداد وإظهارهم ذلك وطلب الفرار منها ، فقال ابن المبارك : قد طفت الشرق والغرب فما رأيت بلدا شرا من بغداد ! قيل : وكيف ؟ قال : هو بلد تزدرى فيه نعمة الله وتستصغر فيه معصية الله . ولما قدم خراسان قيل له : كيف رأيت بغداد ؟ قال : مارأيت بها إلا شرطيا غضبان أو تاجرا لهفان أو قارئا حيران ! ولاينبغى أن تظن أن ذلك

---

(١) حديث « القدر سر الله فلا تفشوه » أخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر وابن عدى فى الكامل من حديث عائشة وكلاهما ضعيف .

(٢) حديث : النهى عن الخروج من بلد الطاعون . تقدم فى آداب السفر . (٣) حديث : إنه شبه الخروج من بلد الطاعون بالفرار من الزحف . تقدم فيه .

من الغيبة ؛ لأنه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستحضر ذلك الشخص به وإنما قصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج إلى مكة - وقد كان مقامه ببغداد - يرقب استعداد القافلة ستة عشر يوما ، فكان يتصدق بستة عشر دينار لكل يوم دينار كفارة لمقامه . وقد ذم العراق جماعة . كعمر بن عبد العزيز وكعب الأحبار . وقال ابن عمر رضى الله عنهما لمولى له : أين تسكن ؟ فقال : العراق ، قال : فما تصنع به ؟ بلغنى أن مامن أحد يسكن العراق إلا قيض الله قرينا من البلاء . وذكر كعب الأحبار يوما العراق فقال : فيه تسعة أعشار الشر وفيه الداء العضال . وقد قيل : قسم الخير عشرة أجزاء ؛ فتسعة أعشاره بالشام وعشره بالعراق ، وقسم الشر عشرة أجزاء ؛ على العكس من ذلك . وقال بعض أصحاب الحديث : كنا يوما عند الفضيل بن عياض فجاءه صوفى متدرع بعباءة ، فأجلسه إلى جانبه وأقبل عليه ثم قال: أين تسكن ؟ فقال : بغداد : فأعرض عنه وقال : يأتينا أحدهم فى زى الرهبان فإذا سألناه أين تسكن قال فى عش الظلمة ؟ وكان بشر بن الحارث يقول : مثال المتعبد ببغداد مثال المتعبد فى الحش . وكان يقول : لا تقتدوا بى فى المقام بها ! من أراد أن يخرج فليخرج . وكان أحمد بن حنبل يقول لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد آثر فى نفسى ! قيل وأين تختار السكنى ؟ قال بالثغور . وقال بعضهم وقد سئل عن أهل بغداد زاهدهم زاهد وشريرهم شرير .

فهذا يدل على أن من بلى ببلدة تكثر فيها المعاصى ويقل فيها الخير فلا عذر له فى المقام بها ، بل ينبغى أن يهاجر قال الله تعالى ﴿ ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ﴾ فإن منعه عن ذلك عيال أو علاقة فلا ينبغى أن يكون راضيا بحاله مطمئن النفس إليه ، بل ينبغى أن يكون منزعج القلب منها قائلا على الدوام ﴿ ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ﴾ وذلك لأن الظلم إذا عم نزل البلاء ودمر الجميع وشمل المطيعين قال الله تعالى ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ فإذن ليس فى شىء من أسباب نقص الدين ألبتة رضا مطلق إلا من حيث إضافتها إلى فعل الله تعالى ، فأما هى فى نفسها فلا وجه للرضا بها بحال .

وقد اختلف العلماء فى الأفضل من أهل المقامات الثلاث رجل يحب الموت شوقا إلى لقاء الله تعالى ، ورجل يحب البقاء لخدمة المولى ، ورجل قال لا أختار شيئا بل أرضى بما اختاره الله تعالى ؛ ورفعت هذه المسألة إلى بعض العارفين فقال صاحب الرضا أفضلهم لأنه أقلهم فضولا . واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثورى ويوسف بن أسباط ، فقال الثورى كنت أكره موت الفجأة قبل اليوم ، واليوم وددت أنى مت ، فقال له يوسف لم ؟ قال لما أتخوف من الفتنة ، فقال يوسف لكنى لا أكره طول البقاء ، فقال سفيان لم ؟ قال لعلى أصادف يوما أتوب فيه وأعمل صالحا ، فقيل لوهيب إيش تقول أنت ؟ فقال أنا لا أختار شيئا ، أحب ذلك إلى أحبه إلى الله سبحانه وتعالى ، فقبله الثورى بين عينيه وقال روحانية ورب الكعبة .

بيان جملة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم

قيل لبعض العارفين إنك محب فقال لست محبا إنما أنا محبوب والمحب متعوب . وقيل له أيضا : الناس يقولون إنك واحد من السبعة ؟ فقال أنا كل السبعة . وكان يقول إذا رأيتمونى فقد رأيتم أربعين بدلا ، قيل وكيف وأنت شخص واحد ؟ قال لأنى رأيت أربعين بدلا وأخذت من كل بدل خلقا من أخلاقه . وقيل له بلغنا أنك ترى الخضر عليه السلام ؟ فتبسم وقال ليس العجب ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر أن يراه فيحتجب عنه ! وحكى عن الخضر عليه السلام أنه قال ماحدثت نفسى يوما قط أنه لم يبق ولى لله تعالى إلا عرفته

إلا ورأيت فى ذلك اليوم وليا لم أعرفه . وقيل لأبى يزيد البسطامى مرة حدثنا عن مشاهدتك من الله تعالى ، فصاح ثم قال ويلكم لايصلح لكم أن تعلموا ذلك ! قيل فحدثنا بأشد مجاهدتك لنفسك فى الله تعالى . فقال وهذا أيضاً لايجوز أن أطلعكم عليه . قيل فحدثنا عن رياضة نفسك فى بدايتك ، فقال نعم ، دعوت نفسى إلى الله فجمحت على فعزمت عليها أن لاأشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لى بذلك . ويحكى عن يحيى بن معاذ أنه رأى أبايزيد ـ فى بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر ـ مستوفزا على صدور قدميه رافعا أخصيه مع عقبيه عن الأرض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لايطرف ، قال ثم سجد عند السحر فأطاله ثم قعد فقال اللهم إنّ قوما طلبوك فأعطيتهم المشى على الماء والمشى فى الهواء فرضوا بذلك وإنى أعوذ بك من ذلك ، وإن قوما طلبوك فأعطيتهم طى الأرض فرضوا بذلك وإنى أعوذبك من ذلك ، وإن قوما طلبوك فأعطيتهم كنوز الأرض فرضوا بذلك وإنى أعوذبك من ذلك . حتى عدّ نيفا وعشرين مقاما من كرامات الأولياء ، ثم التفت فرآنى فقال : يحيى ! قلت : نعم ياسيدى ، فقال : مذ متى أنت ههنا ؟ قلت : منذ حين ، فسكت ، فقلت : ياسيدى حدثنى بشىء فقال : أحدثك بما يصلح لك ، أدخلنى فى الفلك الأسفل فدورنى فى الملكوت السفلى وأرانى الأرضين وماتحتها إلى الثرى ، ثم أدخلنى فى الفلك العلوى فطوف بى فى السموات وأرانى مافيها من الجنان إلى العرش ، أوقفنى بين يديه فقال : سلنى أى شىء رأيت حتى أهبه لك ؟ فقلت : ياسيدى مارأيت شيئا استحسنته فأسألك إياه ! فقال : أنت عبدى حقا تعبدنى لأجلى صدقا لأفعلن بك ولأفعلن فذكر أشياء . قال يحيى : فهالنى ذلك وامتلأت به وعجبت منه فقلت : ياسيدى لم لا سألته المعرفة به ؟ وقد قال لك ملك الملوك سلنى ماشئت ، قال : فصاح بى صيحة وقال : اسكت ويلك ! غرت عليه منى حتى لا أحب أن يعرفه سواه . وحكى أنّ أبا تراب النخشبى كان معجبا ببعض المريدين فكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجدته فقال له أبو تراب يوما لو رأيت أبا يزيد ؟ فقال : إنى عنه مشغول ، فلما أكثر عليه أبو تراب من قوله « لو رأيت أبا يزيد » هاج وجد المريد فقال : ويحك ما أصنع بأبى يزيد قد رأيت الله تعالى فأغناني عن أبى يزيد ؟ قال أبو تراب : فهاج طبعى ولم أملك نفسى ، فقلت : ويلك تغتر بالله عز وجل لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة ! قال : فبهت الفتى من قوله وأنكره فقال : وكيف ذلك ؟ قال له : ويلك أما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك وترى أبا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره ؟ فعرف ماقلت ، فقال : احملنى إليه ، فذكر قصة قال فى آخرها : فوقفنا على تل تنتظره ليخرج إلينا من الغيضة ـ وكان يأوى إلى غيضة فيها سباع ـ قال : فمر بنا وقد قلب فروة على ظهره فقلت للفتى : هذا أبو يزيد فانظر إليه ! فنظر إليه الفتى فصعق ، فحركناه فإذا هو ميت ، فتعاونا على دفنه فقلت لأبى يزيد : ياسيدى نظره إليك قتله ، قال : لا ولكن كان صاحبكم صادقا واستكن فى قلبه سر لم ينكشف له بوصفه ، فلما رآنا انكشف له سر قلبه فضاق عن حمله ، لأنه فى مقام الضعفاء المريدين ، فقتله ذلك . ولما دخل الزنج البصرة وقتلوا الأنفس ونهبوا الاموال اجتمع إلى سهل إخوانه فقالوا : لو سألت الله تعالى دفعهم ؟ فسكت ثم قال : إنّ لله عبادا فى هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الأرض ظالم إلا مات فى ليلة واحدة ؛ ولكن لايفعلون ، قيل لم ؟ قال لأنهم لايحبون مالا يحب ، ثم ذكر من إجابة الله تعالى أشياء لايستطاع ذكرها ، حتى قال : ولو سألوه أن لايقيم الساعة لم يقمها . وهذه أمور ممكنة فى أنفسها فمن لم يحظ بشىء منها ، فلا ينبغى أن يخلو عن التصديق والإيمان بإمكانها ، فإن القدرة واسعة والفضل عميم وعجائب الملك والملكوت

كثيرة ، ومقدورات الله تعالى لا نهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لاغاية له . ولذلك كان أبو يزيد يقول إن أعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة إبراهيم فاطلب ماوراء ذلك ، فإنّ عنده فوق ذلك أضعافا مضاعفة ، فإن سكنت إلى ذلك حجبك به ، وهذا بلاء مثلهم ومن هو فى مثل حالهم لأنهم الأمثل فالأمثل . وقد قال بعض العارفين : كوشفت بأربعين حوراء رأيتهن يتساعين فى الهواء ، عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرت إليهن نظرة فعوقبت أربعين يوما ، ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن فى الحسن والجمال ، وقيل لى : انظر إليهن ، قال : فسجدت وغمضت عينى فى سجودى لئلا أنظر إليهن وقلت : أعوذ بك مما سواك ! لا حاجة لى بهذا ، فلم أزل أتضرع حتى صرفهن الله عنى .

فأمثال هذه المكاشفات لا ينبغى أن ينكرها المؤمن لإفلاسه عن مثلها ، فلو لم يؤمن كل واحد إلا بما يشاهده من نفسه المظلمة وقلبه القاسى لضاق مجال الإيمان عليه ، بل هذه أحوال تظهر بعد مجاوزة عقبات ونيل مقامات كثيرة أدناها الإخلاص وإخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الأعمال ظاهرا وباطنا ، ثم مكاتمة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى متحصنا بحصن الخمول : فهذه أوائل سلوكهم وأقل مقاماتهم وهى أعز موجود فى الأتقياء من الناس . وبعد تصفية القلب عن كدورة الالتفات إلى الخلق بفيض عليه نور اليقين وينكشف له مبادى الحق ، وإنكار ذلك دون التجربة وسلوك الطريق يجرى مجرى إنكار من أنكر إمكان انكشاف الصورة فى الحديدة إذا شكلت ونقيت وصقلت وصورت بصورة المرآة ، فنظر المنكر إلى ما فى يده من زبرة حديد مظلم قد استولى عليه الصدأ والخبث وهو لا يحكى صورة من الصور فأنكر إمكان انكشاف المرئى فيها عند ظهور جوهرها ، وإنكار ذلك غاية الجهل والضلال .

فهذا حكم كل من أنكر كرامات الأولياء إذ لا مستند له إلا قصوره عن ذلك وقصور من رآه ، وبئس المستند ذلك فى إنكار قدرة الله تعالى ، بل إنما يشم روائح المكاشفة من سلك شيئا ولو من مبادى الطريق ، كما قيل لبشر : بأى شىء بلغت هذه المنزلة ؟ قال : كنت أكاتم الله تعالى حالى . معناه : أسأله أن يكتم على ويخفى أمرى . وروى أنه رأى الخضر عليه السلام فقال له : ادع الله تعالى لى ، فقال : يسر الله عليك طاعته ، قلت زدنى ، قال وسترها عليك . فقيل معناه سترها عن الخلق ، وقيل معناه سترها عنك حتى لا تلتفت أنت إليها . وعن بعضهم أنه قال أقلقنى الشوق إلى الخضر عليه السلام فسألت الله تعالى مرة أن يرينى إياه ليعلمنى شيئا كان أهم الأشياء على ، قال فرأيته فما غلب على همى ولا همتى إلا أن قلت له ياأبا العباس علمنى شيئا إذا قلته حجبت عن قلوب الخليقة فلم يكن لى فيها قدر ولا يعرفنى أحد بصلاح ولا ديانة ، فقال قل اللهم أسبل على كثيف سترك وحط على سرادقات حجبك واجعلنى فى مكنون غيبك واحجبنى عن قلوب خلقك ، قال ثم غاب فلم أره ولم أشتق إليه بعد ذلك ، فزلت أقول هذه الكلمات فى كل يوم ، فحكى أنه صار بحيث كان يستذل ويمتهن - حتى كان أهل الذمة يسخرون به ويستسخرونه فى الطرق يحمل الأشياء لهم لسقوطه عندهم وكان الصبيان يلعبون به - فكانت راحته ركود قلبه ، واستقامة حاله فى ذله وخموله . فهكذا حال أولياء الله تعالى ، ففى أمثال هؤلاء ينبغى أن يطلبوا ، والمغرورون إنما يطلبونهم تحت المرقعات والطيالسة وفى المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرياسة وغيرة الله تعالى على أوليائه تأبى إلا إخفاءهم كما قال تعالى أولياءى تحت قبابى لا يعرفهم غيرى . وقال صلى الله عليه وسلم « رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره [1] » .

(١) حديث « رب أشعث أغبر ذى طمرين » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة وقد تقدم .

وبالجملة فأبعد القلوب عن مشام هذه المعانى القلوب المتكبرة المعجبة بأنفسها المستبشرة بعملها وعلمها . وأقرب القلوب إليها القلوب المنكسرة المستشعرة ذل نفسها استشعارا إذا ذل واهتضم لم يحس بالذل ، كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولاه ، فإذا لم يحس بالذل ولم يشعر أيضا بعدم التفاته إلى الذل ، بل كان عند نفسه أخس منزلة من أن يرى جميع أنواع الذل ذلا فى حقه بل يرى نفسه دون ذلك ، حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاته . فمثل هذا القلب يرجى له أن يستنشق مبادئ هذه الروائح ، فإن فقدنا مثل هذا القلب وحرمنا مثل هذا الروح فلا ينبغى أن يطرح الإيمان بإمكان ذلك لأهله ، فمن لايقدر أن يكون من أولياء الله فليكن محبا لأولياء الله مؤمنا بهم فعسى أن يحشر مع من أحب . ويشهد لهذا ماروى أن عيسى عليه السلام قال لبنى إسرائيل أين ينبت الزرع ؟ قالوا فى التراب ، فقال بحق أقول لكم لا تنبت الحكمة إلا فى قلب مثل التراب . ولقد انتهى المريدون لولاية الله تعالى فى طلب شروطها بإذلال النفس إلى منتهى الضعة والخسة ، حتى روى أن ابن الكريبى وهو أستاذ الجنيد دعاه رجل إلى طعام ثلاث مرات ، ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع إليه بعد ذلك حتى أدخله فى المرة الرابعة ، فسأله عن ذلك ، فقال : قد رضت نفسى على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرجع له عظم فيعود ، ولو رددتنى خمسين مرة ثم دعوتنى بعد ذلك لأجبت . وعنه أيضا أنه قال نزلت فى محلة فعرفت فيها بالصلاح ، فتشتت على قلبى ، فدخلت الحمام وعدلت إلى ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتى فوقها وخرجت ، وجعلت أمشى قليلا قليلا . فلحقونى فنزعوا مرقعتى وأخذوا الثياب وصفعونى وأوجعونى ضربا ، فصرت بعد ذلك أعرف بلص الحمام فسكنت نفسى .

فهكذا كانوا يروضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر إلى الخلق ثم من النظر إلى النفس ، فإن الملتفت إلى نفسه محجوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب له ، فليس بين القلب وبين الله حجاب بعد وتخلل حائل ، وإنما بعد القلوب شغلها بغيره أو بنفسها وأعظم الحجب شغل النفس . ولذلك حكى أن شاهدا عظيم القدر من أعيان أهل بسطام كان لايفارق مجلس أبى يزيد ، فقال له يوما : أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر لا أفطر وأقوم الليل لا أنام ولا أجد فى قلبى من هذا العلم الذى تذكر شيئا وأنا أصدق به وأحبه ، فقال أبو يزيد : ولو صمت ثلثمائة سنة وقمت ليلها ماوجدت من هذا ذرة ! قال : ولم ؟ قال : لأنك محجوب بنفسك ، قال فلهذا دواء ؟ قال : نعم ، قال : قل لى حتى أعمله ، قال : لاتقبله ، قال : فاذكره لى حتى أعمـــل ، قال : اذهب الساعة إلى المزين فاحلق رأسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق فى عنقك مخلاة مملوءة جوزا ، واجمع الصبيان حولك وقل : كل من صفعنى صفعة أعطيته جوزة ، وادخل السوق وطف الأسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك وأنت على ذلك ، فقال الرجل : سبحان الله ! تقول لى مثل هذا ! فقال أبو يزيد : قولك « سبحان الله » شرك ، قال : وكيف ؟ قال : لأنك عظمت نفسك فسبحتها وما سبحت ربك ! فقال : هذا لا أفعله ولكن دلنى على غيره ! فقال : ابتدئ بهذا قبل كل شىء . فقال : لا أطيقه ، قال : قد قلت لك إنك لاتقبل ؟ . فهذا الذى ذكره أبو يزيد هو دواء من اعتل بنظره إلى نفسه ومرض بنظر الناس إليه ، ولا ينجى من هذا المرض دواء سوى هذا وأمثاله ، فمن لا يطيق الدواء فلا ينبغى أن ينكر إمكان الشفاء فى حق من داوى نفسه بعد المرض أو لم يمرض بمثل هذا المرض أصلا . فأقل درجات الصحة الإيمان بإمكانها ، فويل لمن حرم هذا القدر القليل أيضا .

وهذه أمور جلية فى الشرع واضحة وهى مع ذلك مستبعدة عند من يعد نفسه من علماء الشرع فقد قال صلى الله

عليه وآله وسلم « لايستكمل العبد الإيمان حتى تكون قلة الشيء أحب إليه من كثرته وحتى يكون أن لايعرف أحب من أن يعرف [١] » وقد قال عليه السلام « ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه : لايخاف فى الله لومة لائم ولايرائى بشيء من عمله وإذا عرض عليه أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر أمر الآخرة على الدنيا [٢] » وقال عليه السلام « لايكمل إيمان عبد حتى يكون فيه ثلاث خصال : إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق ، وإذا رضى لم يدخله رضاه فى باطل ، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له [٣] » وفى حديث آخر « ثلاث من أوتيهن فقد أوتى مثل ما أوتى آل داود : العدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر ، وخشية الله فى السر والعلانية [٤] » فهذه شروط ذكرها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأولى الإيمان فالعجب ممن يدعى علم الدين ولا يصادف فى نفسه ذرة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله أن يجحد مالا يكون إلا بعد مجاوزة مقامات عظيمة علية وراء الإيمان ؛ وفى الأخبار أن الله تعالى أوحى إلى بعض انبيائه : إنما اتخذ الخلق من لايفتر عن ذكرى ولايكون لهم غيرى ولا يؤثر على شيئا من خلقى وإن - ق بالنار لم يجد لحرق النار وجعا وإن قطع بالمناشير لم يجد لمس الحديد ألما . فمن لم يبلغ إلى أن يغلبه الحب إلى هذا الحد فمن أين يعرف ماوراء الحب من الكرامات والمكاشفات ؟ وكل ذلك وراء الحب والحب وراء كمال الإيمان ، ومقامات الإيمان وتفاوته فى الزيادة والنقصان لا حصر له . ولذلك قال عليه السلام للصديق رضى الله تعالى عنه « إن الله تعالى قد أعطاك مثل إيمان كل من آمن بى من أمتى وأعطانى مثل إيمـــان كل من آمن به من ولد آدم [٥] » وفى حديث آخر « إن لله تعالى ثلثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة » فقال أبو بكر : يارسول الله هل فى منها خلق فقال « كلها فيك يا أبا بكر وحبها إلى الله تعالى السخاء [٦] » وقال عليه السلام « رأيت ميزانا دلى من السماء فوضعت فى كفة ووضعت أمتى فى كفة فرجحت بهم ووضع أبو بكر فى كفة وجيء بأمتى فوضعت فى كفة فرجح بهم [٧] » ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال « لو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله تعالى [٨] » يعنى نفسه .

---

(١) « حديث لا يستكمل عبد الإيمان حتى يكون قلة الشيء أحب اليه من كثرته وحتى يكون أن لايعرف أحب اليه من أن يعرف » ذكره صاحب الفردوس من حديث على بن أبى طلحة ، وعلى هذا فهو معضل فعلى بن أبى طلحة إنما سمع من التابعين ولم أجد له أصلا . (٢) حديث « ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه : لايخاف فى الله لومة لائم ... الحديث » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة وفيه سالم المرادى ضعفه ابن معين والنسائى ووثقه ابن حبان واسم أبيه عبد الواحد . (٣) حديث « لايكمل إيمان العبد حتى يكون فيه ثلاث خصال : إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق .. الحديث أخرجه الطبرانى فى الصغير بلفظ « ثلاث من أخلاق الإيمان » وإسناده ضعيف . (٤) حديث « ثلاث من أوتيهن فقد أوتى ما أوتى آل داود : العدل فى الرضا والغضب » غريب بهذا اللفظ ، والمعروف « ثلاث منجيات » فذكرهن بنحوه وقد تقدم . (٥) حديث : إنه قال للصديق « إن الله قد أعطاك مثل إيمان كل من آمن بى من أمتى . . الحديث » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من رواية الحارث الأعور عن على مع تقديم وتأخير والحارث ضعيف . (٦) حديث « إن لله تعالى ثلثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس مرفوعا عن الله « خلقت بضعة عشر وثلثمائة خلق من جاء بخلق منها مع شهادة أن لااله إلا الله دخل الجنة » ومن حديث ابن عباس « الإسلام ثلثمائة شريعة وثلاثة عشر شريعة وفيه وفى الكبير من رواية المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده نحوه بلفظ « الإيمان والبزار من حديث عثمان بن عفان « إن الله تعالى مائة وسبعة عشر شريعة ... الحديث » وليس فيها كلها تعرض لسؤال أبى بكر وجوابه وكلها ضعيفة .

(٧) حديث « رأيت ميزانا دلى من السماء فوضعت فى كفة ووضعت أمتى فى كفة فرجحت بهم ... الحديث » أخرجه أحمد من حديث أبى أمامة بسند ضعيف . (٧) حديث « لو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت أبابكر خليلا ... الحديث » متفق عليه وقد تقدم .

خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة ينتفع بها

قال سفيان : المحبة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقال غيره : دوام الذكر ، وقال غيره إيثار المحبوب وقال بعضهم : كراهية البقاء فى الدنيا . وهذا كله إشارة إلى ثمرات المحبة فأما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها . وقال بعضهم : المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب عن إدراكه وتمتنع الألسن عن عبارته . وقال الجنيد : حرّم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة . وقال : كل محبة تكون بعوض فإذا زال العوض زالت المحبة . وقال ذو النون : قل لمن أظهر حب الله احذر أن تذل لغير الله . وقيل للشبلى رحمه الله : صف لنا العارف والمحب ؛ فقال : العارف إن تكلم هلك ، والمحب إن سكت هلك ، وقال الشبلى رحمه الله :

يا أيها السيد الكريم حبك بين الحشا مقيم
يا رافع النوم عن جفونى أنت بما مر بى عليم

ولغيره :

عجبت لمن يقول ذكرت إلفى وهل أنسى فأذكر ما نسيت
أموت إذا ذكرتك ثم أحيا ولولا حسن ظنى ما حييت
فأحيا بالمنى وأموت شوقا فكم أحيا عليك وكم أموت
شربت الحب كأسا بعد كأس فما نفد الشرب وما رويت؟
فليت خياله نصب لعينى ! فإن قصرت فى نظرى عميت

وقالت رابعة العدوية يوما : من يدلنا على حبيبنا ، فقالت خادمة لها : حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه . وقال ابن الجلاء رحمه الله تعالى : أوحى الله إلى عيسى عليه السلام إنى إذا اطلعت على سر عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبى وتوليته بحفظى . وقيل : تكلم سمنون يوما فى المحبة فإذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الأرض حتى سال الدم منه فمات . وقال إبراهيم بن أدهم : إلهى إنك تعلم أنّ الجنة لا تزن عندى جناح بعوضة فى جنب ما أكرمتنى من محبتك وآنستنى بذكرك وفرغتنى للتفكر فى عظمتك ، وقال السرى رحمه الله : من أحب الله عاش ، ومن مال إلى الدنيا طاش ، والأحمق يغدو ويروح فى لاش ، والعاقل عن عيوبه فتاش . وقيل لرابعة : كيف حبك للرسول صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : والله إنى لأحبه حبا شديدا ولكن حب الخالق شغلنى عن حب المخلوقين . وسئل عليه السلام عن أفضل الأعمال فقال : الرضا عن الله تعالى والحب له . وقال أبو يزيد : المحب لا يحب الدنيا ولا الآخرة : إنما يحب من مولاه مولاه . وقال الشبلى : الحب دهش فى لذة وحيرة فى تعظيم . وقيل المحبة أن تمحو أثرك عنك حتى لا يبقى فيك شىء راجع منك إليك ، وقيل المحبة قرب القلب من المحبوب بالاستبشار والفرح . وقال الخواص : المحبة محو الإرادات واحتراق الصفات والحاجات . وسئل سهل عن المحبة فقال عطف الله بقلب عبده لمشاهدته بعد الفهم للمراد منه . وقيل معاملة المحب على أربع منازل ؛ على المحبة والهيبة والحياء والتعظيم ، وأفضلها التعظيم والمحبة لأنّ هاتين المنزلتين ببقيان مع أهل الجنة فى الجنة ويرفع عنهم غيرهما . وقال هرم بن حبان المؤمن إذا عرف ربه عز وجل أحبه ، وإذا أحبه أقبل عليه ، وإذا وجد حلاوة الإقبال عليه لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بعين الفترة ، وهى تحسره فى الدنيا وترجوه فى الآخرة : وقال عبد الله بن محمد سمعت امرأة من المتعبدات تقول ـ وهى باكية والدموع على خدها جارية ـ والله لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا إلى الله تعالى وحبا للقائه ، قال

فقلت لها : فعلى ثقة أنت من عملك ؟ قالت لا ولكن لحبي إياه وحسن ظني به أفتراه يعذبني وأنا أحبه ؟ وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقا إلي وتقطعت أوصالهم من محبتي . يا داود هذه إرادتي في المدبرين علي فكيف إرادتي في المقبلين علي ، يا داود أحوج ما يكون العبد إلي إذا استغنى عني وأرحم ما أكون بعبدي إذا أدبر عني وأجل ما يكون عبدي إذا رجع إلي : وقال أبو خالد الصفار لقي نبي من الأنبياء عابدا فقال له : إنكم معاشر العباد تعملون على أمر لسنا معشر الأنبياء نعمل عليه ، أنتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق . وقال الشبلي رحمه الله : أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود ذكري للذاكرين ، وجنتي للمطيعين ، وزيارتي للمشتاقين ، وأنا خاصة للمحبين وأوحى الله تعالى إلى آدم عليه السلام يا آدم من أحب حبيبا صدق قوله من أنس بحبيبه رضي فعله ومن اشتاق إليه جد في مسيره . وكان الخواص رحمه الله يضرب على صدره ويقول واشوقاه لمن يراني ولا أراه . وقال الجنيد رحمه الله بكى يونس عليه السلام حتى عمي ، وقام حتى انحنى ، وصلى حتى أقعد ، وقال وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك بحر من نار لخضته إليك شوقا مني إليك . وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال « المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي وذكر الله أنيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة [1] » وقال ذو النون سبحان من جعل الأرواح جنود مجندة فأرواح العارفين جلالية قدسية فلذلك اشتاقوا إلى الله تعالى ، وأرواح المؤمنين روحانية فلذلك حنوا إلى الجنة ، وأرواح الغافلين هوائية فلذلك مالوا إلى الدنيا وقال بعض المشايخ رأيت في جبل اللكام رجلا أسمر اللون ضعيف البدن وهو يقفز من حجر إلى حجر ويقول :

الشوق والهوى صيراني كما ترى

ويقال الشوق نار الله أشعلها في قلوب أوليائه حتى يحرق بها ما في قلوبهم من الخواطر والإرادات والعوارض والحاجات ، فهذا القدر كاف في شرح المحبة والأنس والشوق والرضا ، فلنقتصر عليه والله الموفق للصواب .

تم كتاب المحبة والشوق والأنس ، يتلوه كتاب النية والإخلاص والصدق .

كتاب النية والإخلاص والصدق

وهو الكتاب السابع من ربع المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله حمد الشاكرين ، ونؤمن به إيمان الموقنين ، ونقر بوحدانيته إقرار الصادقين ، ونشهد أن لا إله

(١) حديث علي : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال « المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني ... الحديث » ذكره القاضي عياض من حديث علي بن أبي طالب ولم أجد له إسنادا .

إلا الله رب العالمين ، وخالق السموات والأرضين ، ومكلف الجن والإنس والملائكة المقربين أن يعبدوه عبادة المخلصين ، فقال تعالى ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ فما لله إلا الدين الخالص المتين ، فإنه أغنى الأغنياء عن شركة المشاركين ، والصلاة على نبيه محمد سيد المرسلين وعلى جميع النبيين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

أما بعد : فقد انكشف لأرباب القلوب ببصيرة الإيمان وأنوار القرآن أن لا وصول إلى السعادة إلا بالعلم والعبادة ، فالناس كلهم هلكى إلا العالمون ؛ والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون ، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون ، والمخلصون على خطر عظيم . فالعمل بغير نية عناء ، والنية بغير إخلاص رياء ، وهو للنفاق كفاء ، ومع العصيان سواء ، والإخلاص من غير صدق وتحقيق هباء ، وقد قال الله تعالى فى كل عمل كان بإرادة غير الله مشوبا مغمورا ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ﴾ وليت شعرى كيف يصحح نيته من لا يعرف حقيقة النية ؟ أو كيف يخلص من صحح النية إذا لم يعرف حقيقة الإخلاص ؟ أو كيف تطالب المخلص نفسه بالصدق إذا لم يتحقق معناه ؟ فالوظيفة الأولى على كل عبد أراد طاعة الله تعالى أن يتعلم النية أولا لتحصل المعرفة ، ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والإخلاص اللذين هما وسيلتا العبد إلى النجاة والخلاص .

ونحن نذكر معانى الصدق والإخلاص فى ثلاثة أبواب :

(الباب الأول) فى حقيقة النية ومعناها .

(الباب الثانى) فى الإخلاص وحقائقه .

(الباب الثالث) فى الصدق وحقيقته .

الباب الأول فى حقيقة النية ومعناها

وفيه بيان فضيلة النية ، وبيان حقيقة النية ، وبيان كون النية خيرا من العمل ، وبيان تفضيل الأعمال المتعلقة بالنفس ، وبيان خروج النية عن الاختيار .

بيان فضيلة النية

قال الله تعالى ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ﴾ والمراد بتلك الإرادة هى النية . وقال صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه [1] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « أكثر شهداء أمتى أصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته [2] » ، وقال تعالى ﴿ إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما ﴾ فجعل النية سبب التوفيق . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم [3] » ، وإنما نظر إلى القلوب لأنها مظنة النية : وقال صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليعمل أعمالا حسنة فتصعد الملائكة فى صحف مختمة فتلقى بين يدى الله تعالى فيقول ألقوا هذه الصحيفة

---

(١) حديث « إنما الأعمال بالنيات ... الحديث » متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم . (٢) حديث « أكثر شهداء أمتى أصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته » أخرجه أحمد من حديث ابن مسعود وفيه عبد الله بن لهيعة .

(٣) حديث « إن الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم . . الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة وقد تقدم .

فإنه لم يرد بما فيها وجهى ثم ينادى الملائكة اكتبوا له كذا وكذا اكتبوا له كذا وكذا فيقولون يا ربنا إنه لم يعمل شيئا من ذلك فيقول الله تعالى إنه نواه [1] ، وقال صلى الله عليه وسلم « الناس أربعة : رجل أتاه الله عز وجل علما ومالا فهو يعمل بعلمه فى ماله فيقول رجل لو آتانى الله تعالى مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فهما فى الأجر سواء ، ورجل آتاه الله تعالى مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله فى ماله فيقول رجل لو آتانى الله مثل ما آتاه عملت كما يعمل فهما فى الوزر سواء [2] » ألا ترى كيف شركه بالنية فى محاسن عمله ومساويه . وكذلك فى حديث أنس بن مالك : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك قال « إن بالمدينة أقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا أنفقنا نفقة ولا أصابتنا مخمصة إلا شركونا فى ذلك وهم بالمدينة ! » قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا ؟ قال ، حبسهم العذر فشركوا بحسن النية [3] » وفى حديث ابن مسعود « من هاجر يبتغى شيئا فهو له » فهاجر رجل فتزوج امرأة منا فكان يسمى مهاجر أم قيس [4] » وكذلك جاء فى الخبر « إن رجلا قتل فى سبيل الله وكان يدعى قتيل الحمار [5] » لأنه قاتل رجلا ليأخذ سلبه وحماره فقتل على ذلك فأضيف إلى نيته . وفى حديث عبادة عن النبى صلى الله عليه وسلم « من غزا وهو لا ينوى إلا عقالا فله مانوى [6] » وقال أبى : استعنت رجلا يغزو معى فقال : لا حتى تجعل لى جعلا ، فجعلت له ، فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال « ليس له من دنياه وآخرته إلا ماجعلت له [7] » وروى فى الإسرائيليات ، أن رجلا مر بكثبان من رمل فى مجاعة فقال فى نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس ، فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أن قل له إن الله تعالى قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك وأعطاك ثواب مالو كان طعاما فتصدقت به » وقد ورد فى أخبار كثيرة « من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة [8] » وفى حديث عبد الله بن عمرو « من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها أرغب مايكون فيها ومن تكن الآخرة نيته جعل الله تعالى غناه فى قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها أزهد مايكون فيها [9] » وفى حديث أم سلمة : أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر جيشا يخسف بهم البيداء فقلت : يارسول الله يكون فيهم المكره والأجير فقال « يحشرون على نياتهم [10] » وقال عمر رضى الله

---

(١) حديث « إن العبد ليعمل أعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة ... الحديث » أخرجه الدارقطنى من حديث أنس بإسناد حسن

(٢) حديث « الناس أربعة : رجل آتاه الله علما ومالا ... الحديث » أخرجه ابن ماجه من حديث أبى كبشة الأنمارى بسند جيد بلفظ « مثل هذه الأمة كمثل أربعة نفر ... الحديث » وقد تقدم ورواه الترمذى بزيادة وفيه « وإنما الدنيا لأربعة نفر ... الحديث » وقال حسن صحيح .

(٣) حديث أنس « إن بالمدينة أقواما ماقطعنا واديا ... الحديث » أخرجه البخارى مختصرا وأبو داود . (٤) حديث ابن مسعود « من هاجر يبتغى شيئا فهو له » هاجر رجل فتزوج امرأة منا وكان يسمى مهاجر أم قيس : أخرجه الطبرانى بإسناد جيد . (٥) حديث « إن رجلا قتل فى سبيل الله فكان يدعى قتيل الحمار » لم أجد له أصلا فى الموصولات ، وإنما رواه أبو إسحق الفزارى فى السنن من وجه مرسل . (٦) حديث « من غزا وهو لاينوى إلا عقالا فله مانوى » أخرجه النسائى من حديث عبادة بن الصامت وتقدم غير مرة ، (٧) حديث أبى : استعنت رجلا يغزو معى فقال لاحتى تجعل لى جعلا فجعلت له فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال « ليس له من دنياه وآخرته إلا ماجعلت له » أخرجه الطبرانى فى مسند الشاميين ولأبى داود من حديث يعلى بن أمية أنه استأجر أجيرا للغزو وسمى له ثلاثة دنانير فقال النبى صلى الله عليه وسلم « ما أجد له فى غزوته هذه فى الدنيا والآخرة إلا دنانيره التى سمى » . (٨) حديث « من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة » متفق عليه وقد تقدم . (٩) حديث عبد الله بن عمرو « من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه ... الحديث » أخرجه ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت بإسناد جيد دون قوله « وفارقها أرغب مايكون فيها » ودون قوله « وفارقها أزهد مايكون فيها » وفيه زيادة ولم أجده من حديث عبد الله بن عمرو . (١٠) حديث أم سلمة إ: فى الجيش الذى يخسف بهم « يحشرون على نياتهم » أخرجه مسلم وأبو داود وقد تقدم .

عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنما يقتتل المقتتلون على النيات [١] » وقال عليه السلام « إذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل حمية فلان يقاتل عصبية ألا فلا تقولوا فلان قتل فى سبيل الله فمن قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله [٢] » وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « يبعث كل عبد على ما مات عليه [٣] » وفى حديث الأحنف عن أبى بكرة « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار » قيل يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال « لأنه أراد قتل صاحبه [٤] » وفى حديث أبى هريرة « من تزوج امرأة على صداق وهو لاينوى أداءه فهو زان ، ومن ادان دينا وهو لاينوى قضاءه فهو سارق [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ، ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة [٦] » .

وأما الآثار : فقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أفضل الأعمال أداء ما افترض الله تعالى والورع عما حرّم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله تعالى . وكتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز : اعلم أنّ عون الله تعالى للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وإن نقصت نقص بقدره . وقال بعض السلف : رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية . وقال داود الطائى : البر همته التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما إلى نية صالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك . وقال الثورى : كانوا يتعلمون النية للعمل كما تتعلمون العمل . وقال بعض العلماء اطلب النية للعمل قبل العمل ، وما دمت تنوى الخير فأنت بخير . وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول من يدلنى على عمل لا أزال فيه عاملا لله تعالى فإنى لا أحب أن يأتى على ساعة من ليل أو نهار إلا وأنا عامل من عمال الله ، فقيل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فإذا فترت أو تركته فهم بعمله فإنّ الهام بعمل الخير كعامله . وكذلك قال بعض السلف وإنّ نعمة الله عليكم أكثر من أن تحصوها وإنّ ذنوبكم أخفى من أن تعلموها ولكن أصبحوا توابين وأمسوا توابين يغفر لكم مابين ذلك . وقال عيسى عليه السلام طوبى لعين نامت ولاتهم بمعصية وانتبهت إلى غير إثم . وقال أبو هريرة يبعثون يوم القيامة على قدر نياتهم وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ﴾ يبكى ويرددها ويقول إنك إن بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا . وقال الحسن إنما خلد أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار بالنيات وقال أبو هريرة مكتوب فى التوراة ما أريد به وجهى فقليله كثير ، وما أريد به غيرى فكثيره قليل . وقال بلال بن سعد إنّ العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه الله عز وجل وقوله حتى ينظر فى عمله ، فإذا عمل لم يدعه الله حتى ينظر فى ورعه ، فإن تورّع لم يدعه حتى ينظر ماذا نوى ، فإن صلحت نيته فبالحرى أن يصلح ما دون ذلك

---

(١) حديث « إنما يقتتل المقتتلون على النيات » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الإخلاص والنية من حديث عمر بإسناد ضعيف بلفظ « إنما يبعث » ورويناه فى فوائد تمام بلفظ « إنما يبعث المسلمون على النيات » ولابن ماجه من حديث أبى هريرة « إنما يبعث الناس على نياتهم » وفيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه .

(٢) حديث « إذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم : فلان يقاتل الدنيا ... الحديث » أخرجه ابن المبارك فى الزهد موقوفا على ابن مسعود وآخر الحديث مرفوع ففى الصحيحين من حديث أبى موسى « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » . (٣) حديث جابر « يبعث كل عبد على مامات عليه » رواه مسلم . (٤) حديث الأحنف عن أبى بكرة « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار » متفق عليه . (٥) حديث أبى هريرة « من تزوج امرأة على صداق وهو لاينوى أداءه فهو زان » أخرجه أحمد من حديث صهيب ورواه ابن ماجه مقتصرا على قصة : الدين ، دون ذكر : الصداق . (٦) حديث « من تطيب لله جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ... الحديث » أخرجه أبو الوليد الصفار فى كتاب الصلاة من حديث اسحق بن أبى طلحة مرسلا .

فإذن عماد الأعمال النيات فالعمل مفتقر إلى النية ليصير بها خيرا ، والنية فى نفسها خير وإن تعذر العمل بعائق .

بيان حقيقة النية

اعلم أنّ النية والإرادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد ، وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها أمران : علم ، وعمل (العلم) يقدمه لأنه أصله وشرطه (والعمل) يتبعه لأنه ثمرته وفرعه ، وذلك لأنّ كل عمل أعنى كل حركة وسكون اختيارى فإنه لايتم إلا بثلاثة أمور : علم ، وإرادة ، وقدرة . لأنه لا يريد الإنسان مالا يعلمه فلابدّ وأن يعلم ، ولايعمل مالم يرد فلابدّ من إرادة . ومعنى الإرادة انبعاث القلب إلى مايراه موافقا للغرض إما فى الحال أوفى المآل ، فقد خلق الإنسان بحيث يوافقه بعض الأمور ويلائم غرضه ، ويخالفه بعض الأمور ، فيحتاج إلى جلب الملائم الموافق إلى نفسه ودفع الضارّ المنافى عن نفسه ، فافتقر بالضرورة إلى معرفة وإدراك للشىء المضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من هذا ، فإن من لايبصر الغذاء ولا يعرفه لايمكنه أن يتناول ، ومن لايبصر النار لايمكنه الهرب منها ، فخلق الله الهداية والمعرفة وجعل لها أسبابا وهى الحواس الظاهرة والباطنة ـ وليس ذلك من غرضنا ـ ثم لو أبصر الغذاء وعرف أنه موافق له فلايكفيه ذلك للتناول مالم يكن فيه ميل إليه ورغبة فيه ، شهوة له باعثة عليه ، إذا المريض يرى الغذاء ويعلم أنه موافق ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة والميل ولفقد الداعية المحرّكة إليه ، فخلق الله تعالى له الميل والرغبة والإرادة ـ وأعنى به نزوعا فى نفسه إليه وتوجها فى قلبه إليه ـ ثم ذلك لايكفيه فكم من مشاهد طعاما راغب فيه مريد تناوله عاجز عنه لكونه زمنا ؟ فخلقت له القدرة والأعضاء المتحركة حتى يتم به التناول ، والعضو لا يتحرك إلا بالقدرة ، والقدرة تنتظر الداعية الباعثة ، والداعية تنتظر العلم والمعرفة أوالظن والاعتقاد وهو أن يقوى فى نفسه كون الشىء موافقا له ، فإذا جزمت المعرفة بأنّ الشىء موافق ولابدّ وأن يفعل ، وسمت عن معارضة باعث آخر صارف عنه انبعثت الإرادة وتحقق الميل ، فإذا انبعثت الإرادة انتهضت القدرة لتحريك الأعضاء بالقدرة خادمة للإرادة ، والإرادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة . فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهى الإرادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة والميل إلى ما هو موافق للغرض إما فى الحال وإما فى المآل . فالمحرك الأول هو الغرض المطلوب وهو الباعث ، والغرض الباعث هو المقصد المنوى ، والانبعاث هو القصد والنية ، وانتهاض القدرة لخدمة الإرادة بتحريك الأعضاء هو العمل ، إلا أنّ انتهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد وقد يكون بباعثين اجتمعا فى عمل واحد ، وإذا كان بباعثين فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد لكان مليا بإنهاض القدرة ، وقد يكون كل واحد قاصرا عنه إلا بالاجتماع ؟ وقد يكون أحدهما كافيا لولا الآخر لكن الآخر انتهض عاضدا له ومعاونا . فيخرج من هذا القسم أربعة أقسام : فلنذكر لكل واحد مثالا واسما .

أما الأول : فهو أن ينفرد الباعث الواحد ويتجرد ، كما إذا هجم على الإنسان سبع فكلما رآه قام من موضعه ، فلا مزعج له إلا غرض الهرب من السبع فإنه رأى السبع وعرفه ضارّا فانبعثت نفسه إلى الهرب ورغبت فيه ، فانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث ، فيقال : نيته للفرار من السبع لا نية له فى القيام لغيره وهذه النية تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها « إخلاصا » بالإضافة إلى الغرض الباعث ، ومعناه أنه خلص عن مشاركة غيره ومزاحمته .

وأما الثانى : فهو أن يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالإنهاض لو انفرد . ومثاله من المحسوس أن يتعاون رجلان على حمل شىء بمقدار من القوة كان كافيا فى الحمل لو انفرد . ومثاله فى غرضنا أن يسأله قريبه الفقير حاجة

فيقضيها لفقره وقرابته ، وعلم أنه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة وأنه لولا قرابته لكان يقضيها بمجرد الفقر ، وعلم ذلك من نفسه بأنه يحضره قريب غني فيرغب ، في قضاء حاجته ، وفقير أجنبي فيرغب أيضا فيه . وكذلك من أمره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة فصام وهو يعلم أنه لو لم يكن يوم عرفة لكان يترك الطعام حمية ، ولولا الحمية لكان يتركه لأجل أنه يوم عرفة ، وقد اجتمعا جميعا فأقدم على الفعل وكان الباعث الثاني رفيق الأول . فلنسم هذا « مرافقة للبواعث »

والثالث : أن لا يستقل كل واحد لو انفرد ولكل قوى بمجموعهما على إنهاض القدرة . ومثاله في المحسوس أن يتعاون ضعيفان على حمل مالا ينفرد أحدهما به . ومثاله في غرضنا أن يقصده قريبه الغني فيطلب درهما فلا يعطيه ، ويقصده الأجنبي الفقير فيطلب درهما فلا يعطيه ، ثم يقصده القريب الفقير فيعطيه ، فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهو القرابة والفقر . وكذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس لغرض الثواب ولغرض الثناء ، ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لا يبعثه مجرد قصد الثواب على العطاء ، ولو كان الطالب فاسقا لا ثواب في التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الرياء على العطاء ، ولو اجتمعا أورثا بمجموعهما تحريك القلب . ولنسم هذا الجنس « مشاركة »

والرابع : أن يكون أحد الباعثين مستقلا لو انفرد بنفسه والثاني لا يستقل . ولكن لما انضاف إليه لم ينفك عن تأثير بالإعانة والتسهيل . ومثاله في المحسوس أن يعاون الضعيف الرجل القوى على الحمل ، ولو انفرد القوى لاستقل ولو انفرد الضعيف لم يستقل ، فإن ذلك بالجملة يسهل العمل ويؤثر في تخفيفه . ومثاله في غرضنا أن يكون للإنسان ورد في الصلاة وعادة في الصدقات فاتفق أن حضر في وقتها جماعة من الناس ، فصار الفعل أخف علة بسبب مشاهدتهم ، وعلم من نفسه أنه لو كان منفردا خاليا لم يفتر عن عمله ، وعلم أن عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء يحمله عليه ، فهو شوب تطرق إلى النية . ولنسم هذا الجنس « المعاونة »

فالباعث الثاني إما أن يكون رفيقا أو شريكا أو معينا . وسنذكر حكمها في باب الإخلاص . والغرض الآن بيان أقسام النيات ، فإن العمل تابع للباعث عليه فيكتسب الحكم منه . ولذلك قيل « إنما الأعمال بالنيات » لأنها تابعة لا حكم لها في نفسها وإنما الحكم للمتبوع :

بيان سر قوله صلى الله عليه وسلم « نية المؤمن خير من عمله[1] »

اعلم أنه قد يظن أن سبب هذا الترجيح أن النية سر لا يطلع عليه إلا الله تعالى ، والعمل ظاهر ، ولعمل السر فضل . وهذا صحيح ولكن ليس هو المراد ؛ لأنه لو نوى أن يذكر الله بقلبه أو يتفكر في مصالح المسلمين فيقتضي عموم الحديث أن تكون نية التفكر خيرا من التفكر ، وقد يظن أن سبب الترجيح أن النية تدوم إلى آخر العمل والأعمال لا تدوم وهو ضعيف ، لأن ذلك يرجع معناه إلى أن العمل الكثير خير من القليل ، بل ليس كذلك فإن نية أعمال الصلاة قد لا تدوم إلا في لحظات معدودة والأعمال تدوم ، والعموم يقتضي أن تكون نيته خيرا من عمله . وقد يقال : إن معناه أن النية بمجردها خير من العمل بمجرده دون النية ، وهو كذلك ولكنه بعيد أن يكون هو المراد ، إذ العمل بلا نية أو على الغفلة لا خير فيه أصلا ، والنية بمجردها خير ؛ وظاهر الترجيح للمشتركين في أصل الخير ، بل المعنى أن كل طاعة تنتظم بنية وعمل وكانت النية من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعة خير من العمل ، أي لكل واحد منهما أثر في المقصود وأثر النية أكثر من أثر العمل ،

(١) حديث « نية المؤمن خير من عمله » أخرجه الطبراني من حديث سهل بن سعد ومن حديث النواس بن سمعان ، وكلاهما ضعيف .

فمعناه : نية المؤمن من جملة طاعته خير من عمله الذى هو من جملة طاعته ، والغرض أن للعبد اختيارا فى النية وفى العمل ، فهما عملان والنية من الجملة خيرهما ؛ فهذا معناه .

وأما سبب كونها خيرا ومترجحة على العمل فلا يفهمه إلا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ أثر الطريق فى الاتصال إلى المقصد وقاس بعض الآثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الأرجح بالإضافة إلى المقصود . فمن قال : الخبز خير من الفاكهة ، فإنما يعنى به أنه خير بالإضافة إلى مقصود القوت والاغتذاء ، ولا يفهم ذلك إلا من فهم أنّ للغذاء مقصدا وهو الصحة والبقاء ، وأنّ الأغذية مختلفة الآثار فيها ، وفهم أثر كل واحد وقاس بعضها بالبعض فالطاعات غذاء للقلوب ، والمقصود شفاؤها وبقاؤها وسلامتها فى الآخرة ، وسعادتها وتنعمها بلقاء الله تعالى ، فالمقصد لذة السعادة بلقاء الله فقط ، ولن يتنعم بلقاء الله إلا من مات محبا لله تعالى عارفا بالله ، ولن يحبه إلا من عرفه ولن يأنس بربه إلا من طال ذكره له . فالأنس يحصل بدوام الذكر ، والمعرفة تحصل بدوام الفكر ، والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ، ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر إلا إذا فرغ من شواغل الدنيا ، ولن يتفرغ من شواغلها إلا إذا انقطع عنه شهواتها حتى يصير مائلا إلى الخير مريدا له نافرا عن الشر مبغضا له ، وإنما يميل إلى الخيرات والطاعات إذا علم أنّ سعادته فى الآخرة منوطة بها ، كما يميل العاقل إلى الفصد والحجامة لعلمه بأن سلامته فيهما . وإذا حصل أصل الميل بالمعرفة فإنما يقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبة عليه ، فإنّ المواظبة على مقتضى صفات القلب وإرادتها بالعمل تجرى مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى تترشح الصفة وتقوى بسببها . فالمائل إلى طلب العلم أو طلب الرياسة لا يكون ميله فى الابتداء إلا ضعيفا ، وإن اتبع مقتضى الميل واشتغل بالعلم وتربية الرياسة والأعمال المطلوبة لذلك تأكد ميله ورسخ وعسر عليه النزوع ، وإن خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر وربما زال وانمحق . بل الذى ينظر إلى وجه حسن مثلا فيميل إليه طبعه ميلا ضعيفا ، لو تبعه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة والمحاورة تأكد ميله حتى يخرج أمره عن اختياره فلا يقدر على النزوع عنه ، ولو فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت والتغذاء عن صفة الميل ، ويكون ذلك زبراً ودفعا فى وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه وينقمع وينمحى . وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها هى التى تراد بها الآخرة ، والشرور كلها هى التى تراد بها الدنيا لا الآخرة . وميل النفس إلى الخيرات الأخروية وانصرافها عن الدنيوية هو الذى يفرغها للذكر والفكر ، ولن يتأكد ذلك إلا بالمواظبة على أعمال الطاعة وترك المعاصى بالجوارح ، لأنّ بين الجوارح وبين القلب علاقة حتى إنه يتأثر كل واحد منهما بالآخر ، فترى العضو إذا أصابته جراحة تألم بها القلب ، وترى القلب إذا تألم بعلمه بموت عزيز من أعزته أو بهجوم أمر مخوف تأثرت به الأعضاء وارتعدت الفرائص وتغير اللون ، إلا أنّ القلب هو الأصل المتبوع فكأنه الامير والراعى والجوارح كالخدم والرعايا والأتباع . فالجوارح خادمة للقلب بتأكيد صفاتها فيه ، فالقلب هو المقصود والأعضاء آلات موصلة إلى المقصود ، ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم « إنّ فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد [1] » ، وقال عليه الصلاة والسلام « اللهم أصلح الراعى والرعية [2] » ، وأراد بالراعى القلب وقال الله تعالى ﴿ لن ينال لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى

(١) حديث « إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد » متفق عليه من حديث النعمان بن بشير وقد تقدم .
(٢) حديث « اللهم أصلح الراعى والرعية » تقدم ولم أجده .

منكم ﴾ وهى صفة القلب . فمن هذا الوجه يجب لا محالة أن تكون أعمال القلب على الجملة أفضل من حركات الجوارح . ثم يجب أن تكون النية من جملتها أفضل لأنها عبارة عن ميل القلب إلى الخير وإرادته له .

وغرضنا من الأعمال بالجوارح أن يعود القلب إرادة الخير ويؤكد فيه الميل إليه ليفرغ من شهوات الدنيا ويكب على الذكر والفكر ، فبالضرورة يكون خيرا بالإضافة إلى الغرض لأنه متمكن من نفس المقصود ، وهذا كما أنّ المعدة إذا تألمت فقد تداوى بأن يوضع الطلاء على الصدر وتداوى بالشرب والدواء الواصل إلى المعدة ، فالشرب خير من طلاء الصدر لأنّ طلاء الصدر أيضا إنما أريد به أن يسرى منه الأثر إلى المعدة ، فما يلاقى عين المعدة فهو خير وأنفع .

فهكذا ينبغى أن تفهم تأثير الطاعات كلها ، إذ المطلوب منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها فقط دون الجوارح ، فلا تظنن أنّ فى وضع الجبهة على الأرض غرضا من حيث إنه جمع بين الجبهة والأرض ، بل من حيث إنه بحكم العادة يؤكد صفة التواضع فى القلب ، فإنّ من يجد فى نفسه تواضعا ، فإذا استكان بأعضائه وصورها بصورة التواضع تأكد تواضعه ، ومن وجد فى قلبه رقة على يتيم فإذا مسح رأسه وقبله تأكد الرقة فى قلبه ، ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيدا أصلا ، لأنّ من يمسح رأس يتيم وهو غافل بقلبه أو ظانّ أنه يمسح ثوبا - لم ينتشر من أعضائه أثر إلى قلبه لتأكيد الرقة ، وكذلك من يسجد غافلا وهو مشغول الهم بأعراض الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعها على الأرض أثر إلى قلبه يتأكد به التواضع ، فكان وجود ذلك كعدمه ، وما ساوى وجوده عدمه بالإضافة إلى الغرض المطلوب منه يسمى باطلا ، فيقال : العبادة بغير نية باطلة وهذا معناه إذا فعل عن غفلة ، فإذا قصد به رياء أو تعظيم شخص آخر لم يكن وجوده كعدمه بل زاده شرا ، فإنه لم يؤكد الصفة المطلوب تأكيدها حتى أكد الصفة المطلوب قمعها وهى صفة الرياء التى هى من الميل إلى الدنيا . فهذا وجه كون النية خير من العمل .

وبهذا أيضا يعرف معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة » لأنّ هم القلب هو ميله إلى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهى غاية الحسنات ، وإنما الإتمام بالعمل يزيدها تأكيدا ، فليس المقصود من إراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها إيثارا لوجه الله تعالى ، وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة وإن عاق عن العمل عائق فـ﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ﴾ والتقوى ههنا صفة القلب ؛ ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم « إنّ قوما بالمدينة قد شركونا فى جهادنا » - كما تقدم ذكره - لأنّ قلوبهم فى صدق ارادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة فى طلب الشهادة وإعلاء كلمة الله تعالى كقلوب الخارجين فى الجهاد وإنما فارقوهم بالأبدان لعوائق تخص الأسباب الخارجة عن القلب وذلك غير مطلوب إلا لتأكيد هذه الصفات . وبهذه المعانى تفهم جميع الأحاديث التى أوردناها فى فضيلة النية فاعرضها عليها لينكشف لك أسرارها فلا نطول بالإعادة .

بيان تفصيل الأعمال المتعلقة بالنية

اعلم أنّ الأعمال وإن انقسمت أقساما كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفكر وذكر وغير ذلك مما لا يتصور إحصاؤه واستقصاؤه - فهى ثلاثة أقسام : معاص وطاعات ومباحات .

(القسم الأول) المعاصى ، وهى لا تتغير عن موضعها بالنية ، فلا ينبغى أن يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عليه السلام « إنما الأعمال بالنيات » فيظن أنّ المعصية تنقلب طاعة بالنية ، كالذى يغتاب إنسانا مراعاة لقلب

غيره ، أو يطعم فقيرا من مال غيره ، أو يبنى مدرسة أو مسجدا أو رباطا بمال حرام ؛ وقصده الخير . فهذا كله جهل ، والنية لاتؤثر فى إخراجه عن كونه ظلما وعدوانا ومعصية . بل قصده الخير بالشر - على خلاف مقتضى الشرع - شر آخر ، فإن عرفه فهو معاند للشرع ، وإن جهله فهو عاص بجهله إذ طلب العلم فريضة على كل مسلم ، والخيرات إنما يعرف كونها خيرات للشرع ، فكيف يمكن أن يكون الشر خير ؟ هيهات ، بل المروّج لذلك على القلب خفى الشهوة وباطن الهوى ؛ فإنّ القلب إذا كان مائلا إلى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس وسائر حظوظ النفس توسل الشيطان به إلى التلبيس على الجاهل ، ولذلك قال سهل رحمه الله تعالى : ماعصى الله تعالى بمعصية أعظم من الجهل ! قيل : ياأبامحمد هل تعرف شيئا أشدّ من الجهل ؟ قال : نعم الجهل بالجهل . وهو كما قال ، لأنّ الجهل بالجهل يسدّ بالكلية باب التعلم ، فمن يظن بالكلية بنفسه أنه عالم فكيف يتعلم ؟ وكذلك أفضل ما أطيع الله تعالى به العلم ، ورأس العلم : العلم بالعلم ، كما أنّ رأس الجهل : الجهل بالجهل . فإنّ من لايعلم العلم النافع من العلم الضارّ اشتغل بما أكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التى هى وسائلهم إلى الدنيا ، وذلك هومادةالجهل ومنبع فسادالعالم ؛ والمقصود أنّ من قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير معذور إلا إذا كان قريب العهد بالإسلام ولم يجد بعد مهلة للتعلم . وقد قال الله سبحانه ﴿ فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون ﴾ وقال النبى صلى الله عليه وسلم « لايعذر الجاهل على الجهل ، ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله ، ولا للعالم أن يسكت على علمه [1] » .

ويقرب من تقرب السلاطين ببناء المساجد والمدارس بالمال الحرام تقرّب العلماء السوء بتعليم العلم للسفهاء والأشرار ؛ المشغولين بالفسق والفجور القاصرين هممهم على مماراة العلماء ومباراة السفهاء واستمالة وجوه الناس وجمع حطام الدنيا وأخذ أموال السلاطين واليتامى والمساكين ، فإن هؤلاء إذا تعلموا كانوا قطاع طريق الله تعالى ، وانتهض كل واحد منهم فى بلدته نائبا عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى ويستجرى الناس بسبب مشاهدته على معاصى الله تعالى ، ثم قد ينتشر ذلك العلم إلى مثله وأمثاله ويتخذونه أيضا آلة ووسيلة فى الشر واتباع الهوى ، ويتسلسل ذلك ، ووبال جميعه يرجع إلى المعلم الذى علمه العلم مع علمه بفساد نيته وقصده ، ومشاهدته أنواع المعاصى من أقواله وأفعاله وفى مطعمه وملبسه ومسكنه ، فيموت هذا العالم وتبقى آثار شره منتشرة فى العالم ألف سنة مثلا وألفى سنة ، وطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه ، ثم العجب من جهله حيث يقول « إنما الأعمال بالنيات ، وقد قصدت بذلك نشر علم الدين ؛ فإن استعمله هو فى الفساد فالمعصية منه لا منى وما قصدت به إلا أن يستعين به على الخير . وإنما حب الرياسة والاستتباع والتفاخر بعلو العلم يحسن ذلك فى قلبه ، والشيطان بواسطة حب الرياسة يلبس عليه : وليت شعرى ماجوابه عمن وهب سيفا من قاطع طريق وأعدّ له خيلا وأسبابا يستعين بها على مقصوده ؛ ويقول إنما أردت البذل والسخاء والتخلق بأخلاق الله الجميلة ، وقصدت به أن يغزو بهذا السيف والفرس فى سبيل الله تعالى ، فإن إعداد الخيل والرباط والقوة للغزاة من أفضل القربات ، فإن هو صرفه إلى قطع الطريق فهو العاصى . وقد أجمع الفقهاء على أن ذلك حرام مع أن السخاء هو أحب الأخلاق إلى الله تعالى حتى قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « إن لله تعالى ثلثمائة خلق من تقرّب إليه

(١) حديث « لايعذر الجاهل على الجهل ولايحل للجاهل أن يسكت على جهله . . الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط وابن السنى وأبو نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف دون قوله « لايعذر الجاهل على الجهل » وقال « لاينبغى » بدل « ولايحل » وقد تقدم فى العلم .

بواحد منها دخل الجنة وأحبها إليه السخاء [١] ، فليت شعرى لم حرم هذا السخاء ؟ ولم وجب عليه أن ينظر إلى قرينة الحال من هذا الظالم فإذا لاح له من عادته أنه يستعين بالسلاح على الشر فينبغى أن يسعى فى سلب سلاحه لأن يمده بغيره ؟ والعلم سلاح يقاتل به الشيطان وأعداء الله تعالى وقد يعاون به أعداء الله عز وجل وهو الهوى ! فمن لا يزال مؤثرا لدنياه على دينه ولهواه على آخرته وهو عاجز عنها لقلة فضله فكيف يجوز إمداده بنوع علم يتمكن به من الوصول إلى شهواته ؟ بل لم يزل علماء السلف رحمهم الله تعالى يتفقدون أحوال من يتردد إليهم ، فلو رأوا منه تقصيرا فى نفل من النوافل أنكروه وتركوا إكرامه ، وإذا رأوا منه فجورا واستحلال حرام هجروه ونفوه عن مجالسهم وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه ، لعلمهم بأن من تعلم مسألة ولم يعمل بها وجاوزها إلى غيرها فليس يطلب إلا آلة الشر ، وقد تعوذ جميع السلف بالله تعالى من الفاجر العالم بالسنة وما تعوذوا من الفاجر الجاهل ، حكى عن بعض أصحاب أحمد بن حنبل رحمه الله أنه كان يتردد إليه سنين ، ثم اتفق أن أعرض عنه أحمد وهجره وصار لا يكلمه ، فلم يزل يسأله عن تغيره عليه وهو لا يذكره ، حتى قال . بلغنى أنك طينت حائط دارك من جانب الشارع وقد أخذت قدر سمك الطين وهو أنملة من شارع المسلمين فلا تصلح لنقل العلم . فهكذا كانت مراقبة السلف لأحوال طلاب العلم . وهذا وأمثاله مما يلتبس على الأغبياء وأتباع الشيطان وإن كانوا أرباب الطيالسة والأكمام الواسعة وأصحاب الألسنة الطويلة والفضل الكثير ، أعنى الفضل من العلوم التى لا تشتمل على التحذير من الدنيا والزجر عنها والترغيب فى الآخرة والدعاء إليها ، بل هى العلوم التى تتعلق بالخلق ويتوصل بها إلى جمع الحطام واستتباع الناس والتقدم على الأقران .

فإذن قوله عليه السلام « إنما الأعمال بالنيات » يختص من الأقسام الثلاثة بالطاعات والمباحات دون المعاصى ؛ إذ الطاعة تنقلب معصية بالقصد ، والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد ، فأما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد أصلا نعم للنية دخل فيها وهو أنه إذا انضاف إليها قصود خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها - كما ذكرنا ذلك فى كتاب التوبة .

(القسم الثانى) الطاعات وهى مرتبطة بالنيات فى أصل صحتها وفى تضاعف فضلها . أما الأصل : فهو أن ينوى بها عبادة الله تعالى لا غير ، فإن نوى الرياء صارت معصية . وأما تضاعف الفضل : فبكثرة النيات الحسنة فإن الطاعة الواحدة يمكن أن ينوى بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب ، إذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر أمثالها [٢] ، كما ورد به الخبر .

ومثاله القعود فى المسجد فإنه طاعة ويمكن أن ينوى فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضائل أعمال المتقين ويبلغ به درجات المقربين (أولها) أن يعتقد أنه بيت الله وأن داخله زائر الله ، فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعده به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال « من قعد فى المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور أن يكرم زائره [٣] » (وثانيها) أن ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون فى جملة انتظاره فى الصلاة وهو معنى قوله تعالى ﴿ورابطوا﴾ (وثالثها) الترهب بكف السمع والبصر والأعضاء عن الحركات والترددات ، فإن الاعتكاف كف - وهو فى معنى

---

(١) حديث « إن لله ثلثمائة خلق من تقرب إليه بواحد منها دخل الجنة وأحبها إليه السخاء » تقدم فى كتاب المحبة والشوق .

(٢) حديث : تضعيف الحسنة بعشر أمثالها ، تقدم . (٣) حديث « من قعد فى المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور إكرام زائره » أخرجه ابن حبان فى الضعفاء من حديث سلمان وللبيهقى فى الشعب نحوه من رواية جماعة من الصحابة لم يسموا بإسناد صحيح وقد تقدما فى الصلاة .

الصوم - وهو نوع ترهب ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رهبانية أمتي القعود في المساجد [1] » (ورابعها) عكوف الهم على الله ولزوم السر للفكر في الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال إلى المسجد (وخامسها) التجرد لذكر الله أو لاستماع ذكره وللتذكر به كما روى في الخبر « من غدا إلى المسجد ليذكر الله تعالى أو يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله تعالى [2] » (وسادسها) أن يقصد إفادة العلم بأمر بمعروف ونهي عن منكر ، إذ المسجد لايخلو عمن يسيء في صلاته أو يتعاطى مالا يحل له فيأمره بالمعروف ويرشده إلى الدين فيكون شريكا معه في خيره الذي يعلم منه فتتضاعف خيراته (وسابعها) أن يستفيد أخا في الله فإن ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة ، والمسجد معشش أهل الدين المحبين لله وفي الله (وثامنها) أن يترك الذنوب حياء من الله تعالى وحياء من أن يتعاطى في بيت الله مايقتضي هتك الحرمة ، وقد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما : من أدمن الاختلاف إلى المسجد رزقه الله إحدى سبع خصال : أخا مستفادا في الله ، أو رحمة مستنزلة ، أو علما مستطرفا ، أوكلمة تدل على هدى ، أو تصرفه عن ردى ، أو يترك الذنوب خشية أو حياء .

فهذا طريق تكثير النيات ، وقس به سائر الطاعات والمباحات إذ ما من طاعة إلا وتحتمل نيات كثيرة ، وإنما تحضر في قلب العبد المؤمن بقدر جده في طلب الخير وتشمره له وتفكر فيـــه . فبهذا تزكوا الأعمال وتتضاعف الحسنات .

(القسم الثالث) المباحات : وما من شيء من المباحات إلا ويحتمل نية أو نيات يصير بها من محاسن القربات وينال بها معالي الدرجات ، فما أعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي البهائم المهملة عن سهو وغفلة ، ولا ينبغي أن يستحقر العبد شيئا من الخطرات والخطوات واللحظات فكل ذلك يسئل عنه يوم القيامة أنه لم فعله وما الذي قصد به ؟ هذا في مباح محض لايشوبه كراهة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « حلالها حساب وحرامها عقاب [3] » وفي حديث معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إنّ العبد ليسأل يوم القيامة عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة بأصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه [4] » وفي خبر آخر « من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لغير الله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة » فاستعمال الطيب مباح ولكن لابد فيه من نية .

فإن قلت : فما الذي يمكن أن ينوى بالطيب وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله ؟ فاعلم أنّ من يتطيب مثلا يوم الجمعة وفي سائر الأوقات يتصور أن يقصد التنعم بلذات الدنيا ، أو يقصد به إظهار التفاخر بكثرة المال ليحسده الأقران ، أو يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه في قلوبهم ويذكر بطيب الرائحة ، أوليتودد به إلى قلوب النساء الأجنبيات إذا كان مستحلا للنظر إليهن ، ولأمور أخرى لاتحصى. وكل هذا يجعل التطيب معصية فبذلك يكون أنتن من الجيفة في القيامة إلا القصد الأول وهو التلذذ والتنعم فإنّ ذلك ليس بمعصية إلا أنه يسئل عنه ، ومن

---

(١) حديث « رهبانية أمتي القعود في المساجد » لم أجد له أصلا . (٢) حديث « من غدا الى المسجد يذكر الله أو يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله تعالى » هو معروف من قول كعب الأحبار رويناه في جزء ابن طوق والطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة « من غدا الى المسجد لايريد إلا أن يتعلم خيرا أو يعلمه كان له كأجر حاج تاما حجه » وإسناده جيد وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة « من غدا الى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح » . (٣) حديث « حلالها حساب وحرامها عذاب » تقدم . (٤) حديث معاذ « إن العبد ليسأل يوم القيامة عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطين بأصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه » لم أجد له إسنادا .

نوقش الحساب عذب . ومن أتى شيئا من مباح الدنيا لم يعذب عليه فى الآخرة ولكن ينقص من نعيم الآخرة له بقدره ، وناهيك خسرانا بأن يستعجل مايفنى ويخسر زيادة نعيم لا يفنى . وأما النية الحسنة فإنه ينوى به اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة [1] ، وينوى بذلك أيضا تعظيم المسجد واحترام بيت الله فلا يرى أن يدخله زائرا لله إلا طيب الرائحة ، وأن يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا فى المسجد عند مجاورته بروائحه ، وأن يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه التى تؤدى إلى إيذاء مخالطيه ، وأن يقصد حسم باب الغيبة عن المغتابين إذا اغتابوه بالروائح الكريهة فيعصون الله بسببه ، فمن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك فى تلك المعصية كما قيل :

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فالراحلون هم

وقال الله تعالى ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾ أشار به إلى أن التسبب إلى الشر شر ، وأن يقصد به معالجة دماغه لتزيد به فطنته وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمات دينه بالفكر ، فقد قال الشافعى رحمه الله من طاب ريحه زاد عقله . فهذا وأمثاله من النيات لا يعجز الفقيه عنها إذا كانت تجارة الآخرة وطلب الخير غالبة على قلبه . وإذا لم يغلب على قلبه إلا نعيم الدنيا لم تحضره هذه النيات وإن ذكرت له لم ينبعث لها قلبه فلا يكون معه منها إلا حديث النفس وليس ذلك من النية فى شىء .

والمباحات كثيرة ولا يمكن إحصاء النيات فيها فقس بهذا الواحد ما عداه ، ولهذا قال بعض العارفين من السلف : إنى أستحب أن يكون لى فى كل شىء نية حتى فى أكلى وشربى ونومى ودخولى إلى الخلاء ، وكل ذلك مما يمكن أن يقصد به التقرب إلى الله تعالى ، لأن كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو معين على الدين ، فمن قصده من الأكل التقوى على العبادة ، ومن الوقاع تحصين دينه وتطييب قلب أهله والتوصل به إلى نسل صالح يعبد الله تعالى بعده فتكثر به أمة محمد صلى الله عليه وسلم كان مطيعا بأكله ونكاحه ، وأغلب حظوظ النفس الأكل والوقاع وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم الآخرة ، ولذلك ينبغى أن يحسن نيته مهما ضاع له مال ويقول هو فى سبيل الله ، وإذا بلغه اغتياب غيره له فليطيب قلبه بأنه سيحمل سيآته وستنقل إلى ديوانه حسناته ، وليتوى ذلك بسكوته عن الجواب . فنى الخبر « إن العبد ليحاسب فتبطل أعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ، ثم ينشر له من الأعمال الصالحة ما يستوجب به الجنة فيتعجب ويقول : يارب هذه أعمال ماعملتها قط ؟ فيقال : هذه أعمال الذين اغتابوك وآذوك وظلموك [2] » وفى الخبر « إن العبد ليوافى القيامة بحسنات أمثال الجبال لو خلصت له لدخل الجنة فيأتى وقد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته ولهذا من حسناته حتى لا يبقى له حسنة . فتقول الملائكة : قد فنيت حسناته وبقى طالبون فيقول الله تعالى ألقوا عليه من

---

(١) حديث « إن لبس الثياب الحسنة يوم الجمعة سنة » أخرجه أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب إن كان عنده ولبس أحسن ثيابه ... الحديث » ولأبى داود وابن ماجه من حديث عبد الله ابن سلام « ماعلى أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبى مهنته » وفى إسناده اختلاف وفى الصحيحين : أن عمر رأى حلة سيراء عند باب المسجد فقال يارسول الله لو اشتريت هذه فلبستها يوم الجمعة ... الحديث » . (٢) حديث « ان العبد ليحاسب فتبطل أعماله لدخول الآفه فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من الأعمال الحسنة مايستوجب به الجنة ... الحديث » وفيه « هذه أعمال الذين اغتابوك ... الحديث » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبى نعيم من حديث شبث بن سعد البلوى مختصرا « ان العبد ليلقى كتابة يوم القيامة منتشرا فينظر فيه فيرى حسنات لم يعملها فيقول هذا لى ولم أعملها فيقال بما اغتابك الناس وأنت لاتشعر » وفيه ابن لهيعة .

سيآتهم ثم صكوا له صكا إلى النار [1] ، وبالجملة فإياك ثم إياك أن تستحقر شيئا من حركاتك فلا تحترز من غرورها وشرورها ولا تعدّ جوابها يوم السؤال والحساب فإنّ الله تعالى مطلع عليك وشهيد ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ وقال بعض السلف : كتبت كتابا وأردت أن أتربه من حائط جار لى فتحرجت ثم قلت : تراب وما تراب ! فتربته فهتف بى هاتف : سيعلم من استخف بتراب جاره مايلقى غدا من سوء الحساب . وصلى رجل مع الجورى فرآه مقلوب الثوب فعرّفه فمدّ يده ليصلحه ثم قبضها فلم يسوّه ، فسأله عن ذلك فقال : إنى لبسته لله تعالى ولا أريد أنّ أسويه لغير الله . وقد قال الحسن : إن الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة فيقول : بينى وبينك الله ! فيقول : والله ما أعرفك ؟ فيقول بلى أنت أخذت لبنة من حائطى وأخذت خيطا من ثوبى !

فهذا وأمثاله من الأخبار قطع قلوب الخائفين ، فإن كنت من أولى العزم والنهى ولم تكن من المغترين فانظر لنفسك الآن ودقق الحساب على نفسك قبل أن يدقق عليك ، وراقب أحوالك ولا تسكن ولا تتحرك ما لم تتأمل أوّلا أنك لم تتحرك ، وماذا تقصد ، وما الذى تنال به من الدنيا ، وما الذى يفوتك من الآخرة ، وبماذا ترجح الدنيا على الآخرة ؟ فإذا علمت أنه لا باعث إلا الدين فأمض عزمك وما خطر ببالك وإلا فأمسك ، ثم راقب أيضا قلبك فى إمساكك وامتناعك فإن ترك الفعل فعل ولا بدّ له من نية صحيحة ، فلا ينبغى أن يكون الداعى هوى خفى لا يطلع عليه ، ولا يغرنك ظواهر الأمور ومشهورات الخيرات وافطن للأغوار والأسرار تخرج من حيز أهل الاغترار

فقد روى عن زكريا عليه السلام أنه كان يعمل فى حائط بالطين ، وكان أجيرا لقوم فقدّموا له رغيفا - إذ كان لا يأكل إلا من كسب يده - فدخل عليه قوم فلم يدعهم إلى الطعام حتى فرغ ، فتعجبوا منه لما علموا من سخائه وزهده وظنوا أنّ الخير فى طلب المساعدة فى الطعام ، فقال : إنى أعمل لقوم بالأجرة وقدّموا إلى الرغيف لأتقوّى به على عملهم ، فلو أكلتم معى لم يكفكم ولم يكفنى وضعفت عن عملهم فالبصير هكذا ينظر فى البواطن بنور الله ، فإنّ ضعفه عن العمل نقص فى فرض وترك الدعوة إلى الطعام نقص فى فضل ، ولا حكم للفضائل مع الفرائض وقال بعضهم : دخلت على سفيان وهو يأكل فما كلمنى حتى لعق أصابعه ثم قال : لولا أنى أخذته بدين لأحببت أن تأكل منه . وقال سفيان : من دعا رجلا إلى طعامه وليس له رغبة أن يأكل منه فإن أجابه فأكل فعليه وزران وإن لم يأكل فعليه وزر واحد ، وأراد بأحد الوزرين النفاق وبالثانى تعريضه أخاه لما يكره لو علمه . فهكذا ينبغى أن يتفقد العبد نيته فى سائر الأعمال فلا يقدم ولا يحجم إلا بنية ، فإن لم تحضره النية توقف فإنّ النية لا تدخل تحت الاختيار .

بيان أن النية غير داخلة تحت الاختيار

اعلم أنّ الجاهل يسمع ماذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع قوله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات » فيقول فى نفسه عند تدريسه أو تجارته أو أكله : نويت أن أدرّس لله أو آكل لله . ويظنّ ذلك نية وهيهات ! فذلك حديث نفس وحديث لسان وفكر أو انتقال من خاطر إلى خاطر ، والنية بمعزل من جميع ذلك . وإنما النية انبعاث النفس وتوجهها وميلها إلى ماظهر لها أنّ فيه غرضها إما عاجلا وإما آجلا .

والميل إذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الإرادة ، بل ذلك كقول الشبعان : نويت أن أشتهى الطعام وأميل إليه ، أو قول الفارغ : نويت أن أعشق فلانا وأحبه وأعظمه بقلبى ، فذلك محال . بل لا طريق إلى اكتساب

(١) حديث « ان العبد ليوافى القيامة بحسنات أمثال الجبال » وفيه « ويأتى قد ظلم هذا وشتم هذا ... الحديث » تقدم مع اختلاف

صرف القلب إلى الشيء وميله إليه وتوجهه نحوه إلا باكتساب أسبابه وذلك مما قدم يقدر عليه وقد لا يقدر عليه . وإنما تنبعث النفس إلى الفعل إجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملائم لها ، ومالم يعتقد الإنسان أنّ غرضه منوط بفعل من الأفعال فلا يتوجه نحوه قصده . وذلك مما لا يقدر على اعتقاده فى كل حين ، وإذا اعتقد فإنما يتوجه القلب إذا كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل أقوى منه وذلك لا يمكن فى كل وقت ، والدواعى والصوارف لها أسباب كثيرة بها تجتمع ، ويختلف ذلك بالأشخاص وبالأحوال وبالأعمال . فإذا غلبت شهوة النكاح مثلا ولم يعتقد غرضا صحيحا فى الولد دينا ولا دنيا لا يمكنه أن يواقع على نية الولد بل لا يمكن إلا على نية قضاء الشهوة ، إذ النية هى إجابة الباعث ولا باعث إلا الشهوة ، فكيف ينوى الولد ؟ وإذا لم يغلب على قلبه أن إقامة سنة النكاح [1] اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعظم فضلها لا يمكن أن ينوى بالنكاح اتباع السنة إلا أن يقول ذلك بلسانه وقلبه ، وهو حديث محض ليس بنية . نعم طريق اكتساب هذه النية مثلا أن يقوى أولا إيمانه بالشرع ويقوى إيمانه بعظم ثواب من سعى فى تكثير أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤنة وطول التعب وغيره ، فإذا فعل ذلك ربما انبعث من قلبه رغبة إلى تحصيل الولد للثواب فتحرّكه تلك الرغبة وتتحرّك أعضاؤه لمباشرة العقد ، فإذا انتهضت القدرة المحرّكة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناويا ، فإن لم يكن كذلك فما يقدّره فى نفسه ويردده فى قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان .

ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة من الطاعات إذ لم تحضرهم النية وكانوا يقولون ليس تحضرنا فيه نية ، حتى إن ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصرى وقال : ليس تحضرنى نية . ونادى بعضهم امرأته وكان يسرح شعره أن هات المدرى ، فقالت : أجيء بالمرآة ؟ فسكت ساعة ثم قال : نعم ، فقيل له فى ذلك فقال : كان لى فى المدرى نية ولم تحضرنى فى المرآة نية فتوقفت حتى هيأها الله تعالى . ومات حماد بن سليمان - وكان أحد علماء أهل الكوفة - فقيل للثورى : ألا تشهد جنازته ؟ فقال : لو كان لى نية لفعلت . وكان أحدهم إذا سئل عملا من أعمال البر يقول : إن رزقنى الله تعالى نية فعلت . وكان طاوس لا يحدّث إلا بنية ، وكان يسئل أن يحدّث فلا يحدّث ، ولا يسئل فيبتدئ ! فقيل له فى ذلك قال . أفتحبون أن أحدّث بغير نية ؟ إذا حضرتنى نية فعلت . وحكى أنّ داود بن المحبر لما صنف : كتاب العقل ، جاءه أحمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه أحمد صفحا ورده فقال : مالك ؟ قال : فيه أسانيد ضعاف ، فقال له داود : أنا لم أخرجه على الأسانيد ، فانظر فيه بعين الخبر إنما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت ، قال أحمد : فرده على حتى أنظر فيه بالعين التى نظرت فأخذه ومكث عنده طويلا ثم قال : جزاك الله خيرا فقد انتفعت به . وقيل لطاوس : ادع لنا ! فقال : حتى أجد له نية . وقال بعضهم : أنا فى طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لى بعد . وقال عيسى بن كثير : مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى إلى باب داره انصرفت فقال ابنه : ألا تعرض عليه العشاء ؟ قال : ليس من نيتى .

وهذا لأن النية تتبع النظر فإذا تغير النظر تغيرت النية ، وكانوا لا يرون أن يعملوا عملا إلا بنية لعلمهم بأن النية روح العمل وأن العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب ، وعلموا أن النية ليست هى قول القائل بلسانه : نويت ، بل هو انبعاث القلب يجرى مجرى الفتوح من الله تعالى ، فقد تتيسر فى بعض

(١) حديث « ان النكاح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم » تقدم فى آداب النكاح .

الأوقات وقد تتعذر فى بعضها . نعم من كان الغالب على قلبه أمر الدين تيسر عليه فى أكثر الأحوال إحضار النية للخيرات فإن قلبه مائل بالجملة إلى أصل الخير فينبعث إلى التفاصيل غالبا . ومن مال قلبه إلى الدنيا وغلبت عليه لم يتيسر له ذلك بل لايتيسر له فى الفرائض إلابجهد جهيد ، وغايته أن يتذكر النار ويحذر نفسه عقابها أو نعيم الجنة ويرغب نفسه فيها فربما تنبعث له داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته . وأما الطاعة على نية إجلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية فلا تتيسر للراغب فى الدنيا ، وهذه أعز النيات وأعلاها ، ويعز على بسيط الأرض من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها . ونيات الناس فى الطاعات أقسام : إذ منهم من يكون عمله إجابة لباعث الخوف فإنه يتقى النار . ومنهم من يعمل إجابة لباعث الرجاء وهو الرغبة فى الجنة ، وهذا وإن كان نازلا بالإضافة إلى قصد طاعة الله وتعظيمه لذاته ولجلاله لا لأمر سواه ، فهو من جملة النيات الصحيحة لأنه ميل إلى الموعود فى الآخرة وإن كان من جنس المألوفات فى الدنيا ، وأغلب البواعث باعث الفرج والبطن وموضع قضاء وطرهما الجنة ، فالعامل لأجل الجنة عامل لبطنه وفرجه ـ كالأجير السوء ـ ودرجته درجة البله وإنه لينالها بعمله إذ أكثر أهل الجنة البله . وأما عبادة ذوى الألباب فإنها لاتجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه حبا لجماله وجلاله وسائر الأعمال تكون مؤكدات وروادف ، وهؤلاء أرفع درجة من الالتفات إلى المنكوح والمطعوم فى الجنة فإنهم لم يقصدوها ، بل هم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه فقط ، وثواب الناس بقدر نياتهم فلا جرم يتنعمون بالنظر إلى وجهه الكريم ، ويسخرون ممن يلتفت إلى وجه الحور العين كما يسخر المتنعم بالنظر إلى الحور العين ممن يتنعم بالنظر إلى وجه الصور المصنوعة من الطين ! بل أشد ، فإن التفاوت بين جمال حضرة الربوبية وجمال الحور العين أشد وأعظم كثيرا من التفاوت بين جمال الحور العين والصور المصنوعة من الطين ، بل استعظام النفوس البهيمية الشهوانية لقضاء الوطر من مخالطة الحسان وإعراضهم عن جمال وجه الله الكريم يضاهى استعظام الخنفساء لصاحبتها وإلفها لها وإعراضها عن النظر إلى جمال وجوه النساء ، فعمى أكثر القلوب عن ابصار جمال الله وجلاله يضاهى عمى الخنفساء عن ادراك جمال النساء بأنها لا تشعر به أصلا ولاتلتفت اليه ، ولوكان لها عقل وذكرن لها لاستحسنت عقل من يلتفت اليهن ﴿ ولايزالون مختلفين ـ كل حزب بما لديهم فرحون ـ ولذلك خلقهم ﴾ . حكى أن أحمد بن خضرويه رأى ربه عز وجل فى المنام فقال له : كل الناس يطلبون منى الجنة إلا أبا يزيد فإنه يطلبنى ، ورأى أبو يزيد ربه فى المنام فقال : يا رب كيف الطريق إليك ؟ فقال : اترك نفسك وتعال إلى . وروى الشبلى بعد موته فى المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : لم يطالبنى على الدعاوى بالبرهان إلا على قول واحد : قلت يوما أى خسارة أعظم من خسران الجنة ؟ فقال أى خسارة أعظم من خسران لقائى .

والغرض أن هذه النيات متفاوتة الدرجات ومن غلب على قلبه واحدة منها ربما لا يتيسر له العدول إلى غيرها . ومعرفة هذه الحقائق تورث أعمالا وأفعالا لا يستنكرها الظاهريون من الفقهاء ، فإنا نقول : من حضرت له نية فى مباح ولم تحضر فى فضيلة فالمباح أولى وانتقلت الفضيلة إليه وصارت الفضيلة فى حقه نقيصة لأن الأعمال بالنيات . وذلك مثل العفو فإنه أفضل من الانتصار فى الظلم ، وربما تحضره نية فى الانتصار دون العفو فيكون ذلك أفضل . ومثل أن يكون له نية فى الأكل والشرب والنوم ليريح نفسه ويتقوى على العبادات فى المستقبل وليس تنبعث نيته فى الحالين للصوم والصلاة فالأكل والشرب والنوم هو الأفضل له . بل لو مل العبادة

لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعفت رغبته وعلم أنه لو ترفه ساعة بلهو وحديث عاد نشاطه فاللهو أفضل له من الصلاة . قال أبو الدرداء : إنى لأستجم نفسى بشىء من اللهو فيكون ذلك عونا لى على الحق . وقال على كرم الله وجهه : روّحوا القلوب فإنها إذا أكرهت عميت . وهذه دقائق لا يدركها إلا سماسرة العلماء دون الحشوية منهم، بل الحاذق بالطب قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعده القاصر فى الطب وإنما يبتغى به أن يعيد أولا قوته ليحتمل المعالجة بالضد ، والحاذق فى لعب الشطرنج مثلا قد ينزل عن الرخ والفرس مجانا ليتوصل بذلك إلى الغلبة ، والضعيف البصيرة قد يضحك به ويتعجب منه . وكذلك الخبير بالقتال قد يفر بين يدى قرينه ويوليه دبره حيلة منه ليستجره إلى مضيق فيكر عليه فيقهره . فكذلك سلوك طريق الله تعالى كله قتال مع الشيطان ومعالجة للقلب والبصير الموفق يقف فيها على لطائف من الحيل يستبعدها الضعفاء ، فلا ينبغى للمريد أن يضمر إنكارا على ما يراه من شيخه ولا للمتعلم أن يعترض على أستاذه ، بل ينبغى أن يقف عند حدّ بصيرته وما لا يفهمه من أحوالهما يسلمه لهما إلى أن ينكشف له أسرار ذلك بأن يبلغ رتبتهما وينال درجتهما ومن الله حسن التوفيق .

الباب الثانى : فى الاخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته .

فضيلة الإخـــلاص

قال الله تعالى ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ وقال ﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾ وقال تعالى ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله ﴾ وقال تعالى ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ نزلت فيمن يعمل لله ويحب أن يحمد عليه وقال النبى صلى الله عليه وسلم « ثلاث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم إخلاص العمل لله [1] » وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال : ظنّ أبى أنّ له فضلا على من هو دونه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم « إنما نصر الله عز وجل هذه الأمة بضعفائها ودعوتهم وإخلاصهم [2] » وعن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى الإخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببت من عبادى [3] » وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فإن النبى صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل « أخلص العمل يجزك منه القليل [4] » وقال عليه السلام « ما من عبد يخلص لله العمل أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه [5] »

الباب الثانى فى الإخلاص

(١) حديث « ثلاث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم : اخلاص العمل لله » أخرجه الترمذى وصححه من حديث النعمان بن بشير .

(٢) حديث مصعب بن سعد عن أبيه : أنه ظن أن له فضلا على من دونه من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم «انما نصر الله هذه الأمة بضعفائها ودعوتهم واخلاصهم» رواه النسائى وهو عند البخارى بلفظ « هل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم » . (٣) حديث الحسن مرسلا « يقول الله تعالى الإخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببت من عبادى » رويناه فى جزء من مسلسلات القزوينى مسلسلا يقول كل واحد من رواته : سألت فلانا عن الإخلاص فقال وهو من رواية أحمد بن عطاء الهجيمى عن عبد الواحد بن زيد عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله تعالى ، وأحمد بن عطاء وعبد الواحد كلاهما متروك وهما من الزهاد ورواه أبو القاسم القشيرى فى الرسالة من حديث على بن أبى طالب بسند ضعيف . (٤) حديث أنه قال لمعاذ « أخلص العمل يجزك منه القليل » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث معاذ واسناده منقطع . (٥) حديث «ما من عبد يخلص لله أربعين يوما » أخرجه ابن عدى ومن طريقه ابن الجوزى فى الموضوعات عن أبى موسى وقد تقدم .

وقال عليه الصلاة والسلام « أول من يسئل يوم القيامة ثلاثة : رجل آتاه الله العلم فيقول الله تعالى ما صنعت فيما علمت فيقول : يارب كنت أقوم آناء الليل وأطراف النهار ، فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم ألا فقد قيل ذلك . ورجل آتاه الله مالا فيقول الله تعالى لقد أنعمت عليك فماذا صنعت فيقول : يارب كنت أتصدق به آناء الليل وأطراف النهار ، فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد ألا فقد قيل ذلك . ورجل قتل فى سبيل الله تعالى فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيقول ، يارب أمرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت ، فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع ألا فقد قيل ذلك » قال أبو هريرة ، ثم خبط رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذى وقال « يا أبا هريرة أولئك أول خلق تسعر نار جهنم بهم يوم القيامة [1] » فدخل راوى هذا الحديث على معاوية وروى له ذلك فبكى حتى كادت نفسه تزهق ثم قال : صدق الله إذ قال ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ﴾ الآية

وفى الإسرائيليات أن عابدا كان يعبد الله دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا : إنّ ههنا قوما يعبدون شجرة من دون الله تعالى ، فغضب لذلك وأخذ فأسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها ، فاستقبله إبليس فى صورة شيخ فقال : أين تريد رحمك الله ؟ قال : أريد أن أقطع هذه الشجرة ، قال : وما أنت وذاك ! تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك ! فقال : إنّ هذا من عبادتى ، قال : فإنى لا أتركك أن تقطعها ، فقاتله فأخذه العابد فطرحه إلى الأرض وقعد على صدره فقال له إبليس : أطلقنى حتى أكلمك ، فقام عنه فقال إبليس : ياهذا إنّ الله تعالى قد أسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك ! وما تعبدها أنت وما عليك من غيرك ولله تعالى أنبياء فى أقاليم الأرض ولو شاء لبعثهم إلى أهلها وأمرهم بقطعها ! فقال العابد لا بدّ لى من قطعها ، فنابذه للقتال فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره فعجز إبليس فقال له : هل لك فى أمر فصل بينى وبينك وهو خير لك وأنفع ؟ قال : وما هو ؟ قال : أطلقنى حتى أقول لك ، فأطلقه فقال إبليس : أنت رجل فقير لا شىء لك إنما أنت كل على الناس يعولونك ، ولعلك تحب أن تتفضل على إخوانك وتواسى جيرانك وتشبع وتستغنى عن الناس ! قال : نعم ، قال : فارجع عن هذا الأمر ولك على أن أجعل عند رأسك فى كل ليلة دينارين إذا أصبحت أخذتهما فأنفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على إخوانك ، فيكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التى يغرس مكانها ولا يضرهم قطعها شيئا ولا ينفع إخوانك المؤمنين قطعك إياها ! فتفكر العابد فيما قال وقال : صدق الشيخ ! لست بنبى فيلزمنى قطع هذه الشجرة ولا أمرنى الله أن أقطعها فأكون عاصيا بتركها ، وما ذكره أكثر منفعة ، فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له ، فرجع العابد إلى متعبده فبات ، فلما أصبح رأى دينارين عند رأسه فأخذهما وكذلك الغد ، ثم أصبح اليوم الثالث ومابعده فلم ير شيئا . فغضب وأخذ فأسه على عاتقه فاستقبله إبليس فى صورة شيخ فقال له : إلى أين ؟ قال : أقطع تلك الشجرة فقال : كذبت والله ما أنت بقادر على ذلك ولا سبيل لك إليها ، قال : فتناوله العابد ليفعل به كما فعل أول مرة فقال : هيهات ، فأخذه إبليس وصرعه ، فإذا هو كالعصفور بين رجليه وقعد إبليس على صدره وقال : لتنتهين عن هذا الأمر أو لأذبحنك ؟ فنظر العابد فإذا لا طاقة له به ، قال : يا هذا غلبتنى فخل عنى وأخبرنى كيف غلبتك أولا وغلبتنى الآن ؟ فقال : لأنك غضبت أول مرة لله وكانت نيتك الآخرة فسخرنى الله لك ، وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك .

---

(١) حديث « أول من يسئل يوم القيامة ثلاثة : رجل آتاه الله العلم ... الحديث » قد تقدم .

هذه الحكايات تصديق قوله تعالى ﴿ إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ إذ لا يتخلص العبد من الشيطان إلا بالإخلاص ، ولذلك كان معروف الكرخي رحمه الله تعالى يضرب نفسه ويقول : يا نفس أخلصي تتخلصي . وقال يعقوب المكفوف : المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته . وقال سليمان : طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله تعالى . وكتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى أبي موسى الأشعري : من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس ، وكتب بعض الأولياء إلى أخ له : أخلص النية في أعمالك يكفك القليل من العمل وقال أيوب السختياني ، تخليص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال . وكان مطرف يقول : من صفا صفي له ومن خلط خلط عليه . ورؤي بعضهم في المنام فقيل له : كيف وجدت أعمالك فقال : كل شيء عملته لله وجدته ، حتى حبة رمان لقطتها من طريق وحتى هرة ماتت لنا رأيتها في كفة الحسنات ، وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرأيته في كفة السيئات ، وكان قد نفق حمار لي قيمته مائة دينار فما رأيت له ثوابا فقلت : موت سنور في كفة الحسنات وموت حمار ليس فيها ؟ فقيل لي : إنه قد وجه حيث بعثت به ، فإنه لما قيل لك : قدمات ، قلت : في لعنة الله ، فبطل أجرك فيه ، ولو قلت : في سبيل الله ، لوجدته في حسناتك . وفي رواية قال : وكنت قد تصدقت بصدقة بين الناس فأعجبني نظرهم إلي فوجدت ذلك لا علي ولا لي . قال سفيان ـ لما سمع هذا ـ ما أحسن حاله ؟ إذ لم يكن عليه فقد أحسن إليه . وقال يحيى بن معاذ ، الإخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم . وقيل : كان رجل يخرج في زي النساء ويحضر كل موضع يجتمع فيه النساء من عرس أو مأتم ، فاتفق أن حضر يوما موضعا فيه مجمع للنساء فسرقت درة فصاحوا أن أغلقوا الباب حتى نفتش ، فكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت النوبة إلى الرجل وإلى امرأة معه ، فدعا الله تعالى بالإخلاص وقال : إن نجوت من هذه الفضيحة لا أعود إلى مثل هذا ، فوجدت الدرة مع تلك المرأة فصاحوا : أن أطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة . وقال بعض الصوفية : كنت قائما مع أبي عبيد التستري وهو يحرث أرضه بعد العصر من يوم عرفة ، فمر به بعض إخوانه من الأبدال فساره بشيء فقال أبو عبيد : لا ، فمر كالسحاب يمسح الأرض حتى غاب عن عيني ، فقلت لأبي عبيد : ماقال لك ؟ فقال : سألني أن أحج معه ، قلت : لا ، قلت : فهلا فعلت ؟ قال : ليس لي في الحج نية وقد نويت أن أتم هذه الأرض العشية فأخاف إن حججت معه لأجله تعرضت لمقت الله تعالى ، لأني أدخل في عمل الله شيئا غيره فيكون ما أنا فيه أعظم عندي من سبعين حجة . ويروى عن بعضهم قال : غزوت في البحر فعرض بعضنا مخلاة ، فقلت أشتريها فأنتفع بها في غزوي فإذا دخلت مدينة كذا بعتها فربحت فيها ، فاشتريتها فرأيت تلك الليلة في النوم كأن شخصين قد نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه : اكتب الغزاة ، فأملى عليه ، خرج فلان متنزها وفلان مرائيا وفلان تاجرا وفلان في سبيل الله ، ثم نظر إلي وقال : اكتب فلان خرج تاجرا ، فقلت . الله الله في أمري ! ما خرجت أتجر وما معي تجارة أتجر فيها ما خرجت إلا للغزو ، فقال : ياشيخ قد اشتريت أمس مخلاة تريد أن تربح فيها فبكيت وقلت : لا تكتبوني تاجرا فنظر إلى صاحبه وقال ما ترى ؟ فقال : اكتب خرج فلان غازيا إلا أنه اشترى في طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله عز وجل فيه بما يرى . وقال سري السقطي رحمه الله تعالى : لأن تصلي ركعتين في خلوة تخلصهما خير لك من أن تكتب سبعين حديثا أو سبعمائة بعلو وقال بعضهم : في إخلاص ساعة نجاة الأبد ولكن الإخلاص عزيز . ويقال : العلم بذر والعمل زرع وماؤه الإخلاص . وقال بعضهم : إذا أبغض الله عبدا أعطاه ثلاثا ومنعه ثلاثا ، أعطاه صحبة الصالحين ومنعه القبول منهم ، وأعطاه الأعمال الصالحة ومنعه

الإخلاص فيها ، وأعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها . وقال السوسى : مراد الله من عمل الخلائق الإخلاص فقط . وقال الجنيد : إنّ لله عبادا عقلوا فلما عقلوا عملوا فلما عملوا أخلصوا فاستدعاهم الإخلاص إلى أبواب البر أجمع . وقال محمد بن سعيد المروزى : الأمر كله يرجع إلى أصلين : فعل منه بك ، وفعل منك له ، فترضى ما فعل وتخلص فيما تعمل . فإذن أنت سعدت بهذين وفزت فى الدارين .

بيان حقيقة الإخلاص

اعلم أنّ كل شيء يتصوّر أن يشوبه غيره ، فإذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمى خالصا ، ويسمى الفعل المصفى المخلص : إخلاصا . قال الله تعالى ﴿ من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ﴾ فإنما خلوص اللبن أن لا يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمكن أن يمتزج به ، والإخلاص يضاده الإشراك ، فمن ليس مخلصا فهو مشرك إلا أن الشرك درجات ، فالإخلاص فى التوحيد يضاده التشريك فى الإلهية . والشرك ـ منه خفى ومنه جلى وكذا الإخلاص . والإخلاص وضده يتواردان على القلب فمحله القلب وإنما يكون ذلك فى القصود والنيات . وقد ذكر حقيقة النية وأنها ترجع إلى إجابة البواعث ، فهما كان الباعث واحد على التجرد سمى الفعل الصادر عنه إخلاصا بالإضافة إلى المنوى ، فمن تصدّق وغرضه محض الرياء فهو مخلص ، ومن كان غرضه محض التقرب إلى الله تعالى فهو مخلص . ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الإخلاص بتجريد قصد التقرب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب ، كما أنّ الإلحاد عبارة عن الميل ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق ، ومن كان باعثه مجرد الرياء فهو معرض للهلاك ـ ولسنا نتكلم فيه إذ قد ذكرنا ما يتعلق به فى كتاب الرياء من ربع المهلكات ـ وأقل أموره ما ورد فى الخبر من « إن المرائى يدعى يوم القيامة بأربع أسام : يامرائى يامخادع يامشرك ياكافر [1] » .

وإنما نتكلم الآن فيمن انبعث لقصد التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث باعث آخر إما من الرياء أو من غيره من حظوظ النفس . ومثال ذلك أن يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب . أو يعتق عبدا ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه ، أو يحج ليصح مزاجه بحركة السفر ، أو يتخلص من شر يعرض له فى بلده ، أو ليهرب عن عدوّ له فى منزله ، أو يتبرم بأهله وولده ، أو يشغل هو فيه فأراد أن يستريح منه أياما . أو ليغزو وليمارس الحرب ويتعلم أسبابه ويقدر به على تهيئة العساكر وجرها . أو يصلى بالليل وله غرض فى دفع النعاس عن نفسه به ليراقب أهله أو رحله . أو يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال أو ليكون عزيزا بين العشيرة ، أو ليكون عقاره أو ماله محروسا بعز العلم عن الأطماع . أو اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص عن كرب الصمت ويتفرج بلذة الحديث . أو تكفل بخدمة العلماء الصوفية لتكون حرمته وافرة عندهم وعند الناس ، أو لينال به رفقا فى الدنيا . أو كتب مصحفا ليجوّد بالمواظبة على الكتابة خطه . أو حج ماشيا ليخفف عن نفسه الكراء . أو توضأ ليتنظف أو يتبرد . أو اغتسل لتطيب رائحته . أو روى الحديث ليعرف بعلو الإسناد أو اعتكف فى المسجد ليخف كراء المسكن . أو صام ليخفف عن نفسه التردد فى طبخ الطعام أو ليتفرغ لأشغاله فلا يشغله الأكل عنها . أو تصدّق على السائل ليقطع إبرامه فى السؤال عن نفسه . أو يعود مريضا ليعاد إذا مرض . أو يشيع جنازة ليشيع جنائز أهله أو يفعل شيئا من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به وينظر إليه بعين الصلاح والوقار فهما كان باعثه هو التقرب إلى الله تعالى

(١) حديث : « ان المرائى يدعى يوم القيامة : يامرائى يامخادع ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب السنة والإخلاص وقد تقدم .

ولكن انضاف إليه خطرة من هذه الخطرات ، حتى صار العمل أخف عليه بسبب هذه الأمور ، فقد خرج عمله عن حد الإخلاص وخرج عن أن يكون خالصا لوجه الله تعالى وتطرق إليه الشرك . وقد قال تعالى « أنا أغنى الشركاء عن الشركة » وبالجملة ، كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس ويميل إليه القلب ـ قل أم كثر ـ إذا تطرق إلى العمل تكدر به صفوه وزال به إخلاصه . والإنسان مرتبط فى حظوظه منغمس فى شهواته قلما ينفك فعل من أفعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ وأغراض عاجلة من هذه الأجناس فلذلك قيل : من سلم له من عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله نجا . وذلك لعزة الإخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب ، بل الخالص هو الذى لا باعث عليه إلا طلب القرب من الله تعالى . وهذه الحظوظ إن كانت هى الباعثة وحدها فلا يخفى شدة الأمر على صاحبه فيها ، وإنما نظرنا فيما إذا كان القصد الأصلى هو التقرب وانضافت إليه هذه الأمور ، ثم هذه الشوائب إما أن تكون فى رتبة الموافقة أو فى رتبة المشاركة أو فى رتبة المعاونة ـ كما سبق فى النية ـ وبالجملة ؛ فإما أن يكون الباعث النفسى مثل الباعث الدينى أو أقوى منه أو أضعف ، ولكل واحد حكم آخر ـ كما سنذكره ـ وإنما الإخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها ـ قليلها وكثيرها ـ حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه . وهذا لا يتصور إلا من محب لله مستهتر بالله مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا فى قلبه قرار حتى لا يحب الأكل والشرب أيضا ، بل تكون رغبته فيه كرغبته فى قضاء الحاجة من حيث إنه ضرورة الجبلة ، فلا يشتهى الطعام لأنه طعام بل لأنه يقويه على عبادة الله تعالى ، ويتمنى أن لو كفى شر الجوع حتى لا يحتاج إلى الأكل فلا يبقى فى قلبه حظ من الفضول الزائدة على الضرورة ، ويكون قدر الضرورة مطلوبا عنده لأنه ضرورة دينه فلا يكون له هم إلا الله تعالى . فمثل هذا الشخص لو أكل أو شرب أو قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية فى جميع حركاته وسكناته ، فلو نام مثلا حتى يريح نفسه ليتقوى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه ، ومن ليس كذلك فباب الإخلاص فى الأعمال مسدود عليه إلا على الندور ، وكما أن من غلب عليه حب الله وحب الآخرة فاكتسبت حركاته الاعتيادية صفة همه وصارت إخلاصا ؛ فالذى يغلب على نفسه : الدنيا والعلو والرياسة ـ وبالجملة غير الله ـ فقد اكتسبت جميع حركاته تلك الصفة ، فلا تسلم له عباداته من صوم وصلاة وغير ذلك إلا نادرا . فإذن علاج الإخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب ، فإذ ذاك يتيسر الإخلاص . وكم من أعمال يتعب الإنسان فيها ويظن أنها خالصة لوجه الله ويكون فيها مغرور لأنه لا يرى وجه الآفة فيها كما حكى عن بعضهم أنه قال قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها فى المسجد فى الصف الأول لأنى تأخرت يوما لعذر فصليت فى الصف الثانى فاعترتنى خجلة من الناس حيث رأونى فى الصف الثانى ، فعرفت أن نظر الناس إلى فى الصف الأول كان مسرتى وسبب استراحة قلبى من حيث لا أشعر . وهذا دقيق غامض قلما تسلم الأعمال من أمثاله وقل من يتنبه له إلا من وفقه الله تعالى ، والغافلون يرون حسناتهم كلها فى الآخرة سيئات وهم المرادون بقوله تعالى ﴿ وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ـ وبدا لهم سيئات ما كسبوا ﴾ وبقوله تعالى ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ وأشد الخلق تعرضا لهذه الفتنة العلماء ، فإن الباعث للأكثرين على نشر العلم لذة الاستيلاء والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد والثناء ، والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول : غرضكم نشر دين الله والنضال عن الشرع الذى شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وترى الواعظ يمن على الله تعالى بنصيحة الخلق ووعظه للسلاطين ويفرح بقبول الناس قوله وإقبالهم عليه ،

وهو يدعى أنه يفرح بما يسر له من نصرة الدين ولو ظهر من أقرانه من هو أحسن منه وعظا وانصرف الناس عنه وأقبلوا عليه ساءه ذلك وغمه ، ولو كان باعثه الدين لشكر الله تعالى إذ كفاه الله تعالى هذا المهم بغيره . ثم الشيطان مع ذلك لايخليه ويقول : إنما غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس عنك إلى غيرك إذ لو اتعظوا بقولك لكنت أنت المثاب واغتمامك لفوات الثواب محمود ، ولا يدرى المسكين أن انقياده للحق وتسليمه الأمر أفضل وأجزل ثوابا وأعود عليه فى الآخرة من انفراده . وليت شعرى لو اغتم عمر رضى الله عنه بتصدى أبى بكر رضى الله تعالى عنه للإمامة أكان غمه محمودا أو مذموما ؟ ولا يستريب ذو دين أن لوكان ذلك لكان مذموما . لأن انقياده للحق وتسليمه الأمر إلى من هو أصلح منه أعود عليه فى الدين من تكفله بمصالح الخلق مع مافيه من الثواب الجزيل ، بل فرح عمر رضى الله تعالى عنه باستقلال من هو أولى منه بالأمر . فما بال العلماء لايفرحون بمثل ذلك ؟ وقد ينخدع بعض أهل العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بأنه لو ظهر من هو أولى منه بالأمر لفرح به ، وإخباره بذلك عن نفسه قبل التجربة والامتحان محض الجهل والغرور ، فإن النفس سهلة القياد فى الوعد بأمثال ذلك قبل نزول الأمر ، ثم إذا دهاه الأمر تغير ورجع ولم يف بالوعد . وذلك لايعرفه إلا من عرف مكايد الشيطان والنفس وطال اشتغاله بامتحانها ، فمعرفة حقيقة الإخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع إلا الشاذ النادر والفرد الفذ وهو المستثنى فى قوله تعالى ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق وإلا التحق بأتباع الشياطين وهو لايشعر .

بيان أقاويل الشيوخ فى الإخلاص

قال السوسى : الإخلاص فقد رؤية الإخلاص ، فإن من شاهد فى إخلاصه الإخلاص فقد احتاج إخلاصه إلى إخلاص . وما ذكره إشاره إلى تصفية العمل عن العجب بالفعل فإن الالتفات إلى الإخلاص والنظر إليه عجب ؛ وهو من جملة الآفات . والخالص : ما صفا عن جميع الآفات ، فهذا تعرض لآفة واحدة وقال سهل رحمه الله تعالى : الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة ، وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض ، وفى معناه قول إبراهيم بن أدهم : الإخلاص صدق النية مع الله تعالى . وقيل لسهل : أى شىء أشد على النفس ؟ فقال : الإخلاص إذ ليس لها فيه نصيب وقال رويم : الإخلاص فى العمل هو أن لا يريد صاحبه عليه عوضا فى الدارين . وهذا إشارة إلى أن حظوظ النفس آفة آجلا وعاجلا . والعابد لأجل التنعم بالشهوات فى الجنة معلول ، بل الحقيقة أن لا يراد بالعمل إلا وجه الله تعالى وهو إشارة إلى إخلاص الصديقين وهو الإخلاص المطلق . فأما من يعمل لرجاء الجنة وخوف النار فهو مخلص بالإضافة إلى الحظوظ العاجلة وإلا فهو فى طلب حظ البطن والفرج ، وإنما المطلوب الحق لذوى الألباب وجه الله تعالى فقط ، وهو القائل لايتحرك الإنسان إلا لحظ ، والبراءة من الحظوظ صفة الإلهية ، ومن ادعى ذلك فهو كافر . وقد قضى القاضى أبو بكر الباقلانى بتكفير من يدعى البراءة من الحظوظ وقال : هذا من صفات الإلهية وما ذكره حق ، ولكن القوم إنما أرادوا به البراءة عما يسميه الناس حظوظا ، وهو الشهوات الموصوفة فى الجنة فقط . فأما التلذذ بمجرد المعرفة والمناجاة والنظر إلى وجه الله تعالى فهذا حظ هؤلاء ، وهذا لا يعده الناس حظا بل يتعجبون منه . وهؤلاء لو عوضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والمناجاة وملازمة السجود للحضرة الإلهية سرا وجهرا جميع نعيم الجنة لاستحقروه ولم يلتفتوا إليه ؛ فحركتهم لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره . وقال أبو عثمان : الإخلاص نسيان رؤية

الخلق بدوام النظر إلى الخالق فقط . وهذا إشارة إلى آفة الرياء فقط ؛ ولذلك قال بعضهم : الإخلاص فى العمل أن لايطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه ؛ فإنه إشارة إلى مجرّد الإخفاء . وقد قيل : الإخلاص مااستتر عن الخلق وصفا عن العلائق . وهذا أجمع للمقاصد . وقال المحاسبي : الإخلاص هو إخراج الخلق عن معاملة الرب . وهذا إشارة إلى مجرّد نفى الرياء . وكذلك قول الخوّاص : من شرب من كأس الرياسة فقد خرج عن إخلاص العبودية . وقال الحواريون لعيسى عليه السلام : ما الخالص من الأعمال ؟ فقال : الذى يعمل لله تعالى لايحب أن يحمده عليه أحد . وهذا أيضا تعرّض لترك الرياء وإنما خصه بالذكر لأنه أقوى الأسباب المشوّشة للإخلاص . وقال الجنيد : الإخلاص تصفية العمل من الكدورات . وقال الفضيل : ترك العمل من أجل الناس رياء ، والعمل من أجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما . وقيل : الإخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها . وهذا هو البيان الكامل والأقاويل فى هذا كثيرة ولا فائدة فى تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة .

وإنما البيان الشافى بيان سيد الأوّلين والآخرين صلى الله عليه وسلم إذ سئل عن الإخلاص فقال « أن تقول ربى الله ثم تستقيم كما أمرت [1] » أى لاتعبد هواك ونفسك ولا تعبد إلا ربك وتستقيم فى عبادته كما أمرت وهذا إشارة إلى قطع ماسوى الله عن مجرى النظر وهو الإخلاص حقا .

بيان درجات الشوائب والآفات المكدرة للإخلاص

اعلم أن الآفات المشوّشة للإخلاص بعضها جلى وبعضها خفى وبعضها ضعيف مع الجلاء وبعضها قوى مع الخفاء ، ولا يفهم اختلاف درجاتها فى الخفاء والجلاء إلا بمثال . وأظهر مشوّشات الإخلاص الرياء فلنذكر منه مثالا .

فنقول : الشيطان يدخل الآفة على المصلى مهما كان مخلصا فى صلاته ؛ ثم نظر إليه جماعة أو دخل عليه داخل فيقول له : حسن صلاتك حتى ينظر إليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك ! فتخشع جوارحه ، وتسكن أطرافه ، وتحسن صلاته ؛ وهذا هو الرياء الظاهر ؛ ولا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين .

الدرجة الثانية : يكون المريد قد فهم هذه الآفة وأخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت إليه ويستمرّ فى صلاته كما كان . فيأتيه فى معرض الخير ويقول : أنت متبوع ومقتدى بك ومنظور إليك وما تفعله يؤثر عنك ويتأسى بك غيرك ، فيكون لك ثواب أعمالهم إن أحسنت وعليك الوزر إن أسأت ، فأحسن عملك بين يديه فعساه يقتدى بك فى الخشوع وتحسين العبادة ! وهذا أغمض من الأوّل وقد ينخدع به من لا ينخدع بالأوّل ، وهو أيضا عين الرياء ومبطل للإخلاص ، فإنه إن كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيرا لا يرضى لغيره تركه فلم لم يرتض لنفسه ذلك فى الخلوة ولا يمكن أن تكون نفس غيره أعز عليه من نفسه ؟ فهذا محض التلبيس ، بل المقتدى به هو الذى استقام فى نفسه واستنار قلبه فانتشر نوره إلى غيره فيكون له ثواب عليه

(١) حديث : سئل عن الإخلاص فقال « أن تقول : ربى الله ثم تستقيم كما أمرت » لم أره بهذا اللفظ والترمذى وصححه وابن ماجه من حديث سفيان بن عبد الله الثقفى قلت : يارسول الله حدثنى بأمر أعتصم به قال « قل ربى الله ثم استقم » وهو عند مسلم بلفظ : قل لى فى الإسلام قولا لاأسأل عنه أحدا بعدك قال « قل آمنت بالله ثم استقم » .

فأما هذا فمحض النفاق والتلبيس ، فمن اقتدى به أثيب عليه وأما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على إظهاره من نفسه ما ليس متصفا به .

الدرجة الثالثة : وهى أدق مما قبلها ، أن يجرب العبد نفسه فى ذلك ويتنبه لكيد الشيطان ويعلم أن مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الرياء ، ويعلم أن الإخلاص فى أن تكون صلاته فى الخلوة مثل صلاته فى الملأ ، ويستحيي من نفسه ومن ربه أن يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعا زائدا على عادته ، فيقبل على نفسه فى الخلوة ويحسن صلاته على الوجه الذى يرتضيه فى الملأ ، ويصلى فى الملأ أيضا كذلك . فهذا أيضا من الرياء الغامض لأنه حسن صلاته فى الخلوة لتحسن فى الملأ فلا يكون قد فرق بينهما ، فالتفاته فى الخلوة والملأ إلى الخلق . بل الإخلاص أن تكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة ، فكأنّ نفس هذا ليست تسمح بإساءة الصلاة بين أظهر الناس ثم يستحيي من نفسه أن يكون فى صورة المرائين ، ويظن أن ذلك يزول بأن تستوى صلاته فى الخلا والملا وهيهات ! بل زوال ذلك بأن لا يلتفت إلى الخلق كما لا يلتفت إلى الجمادات فى الخلا والملأ جميعا ، وهذا من شخص مشغول الهم بالخلق فى الملا والخلا جميعا ، وهذا من المكايد الخفية للشيطان .

الدرجة الرابعة : وهى أدق وأخفى ، أن ينظر إليه الناس وهو فى صلاته فيعجز الشيطان عن أن يقول له : اخشع لأجلهم ، فإنه قد عرف أنه قد تفطن لذلك فيقول له الشيطان : تفكر فى عظمة الله تعالى وجلاله ومن أنت واقف بين يديه واستحى من أن ينظر الله إلى قلبك وهو غافل عنه ، فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه ويظن أنّ ذلك عين الإخلاص وهو عين المكر والخداع ، فإنّ خشوعه لو كان لنظره إلى جلاله لكانت هذه الخطرة تلازمه فى الخلوة ولكان لا يحتمل حضورها بحالة حضور غيره ، وعلامة الأمن من هذه الآفة أن يكون هذا الخاطر مما يألفه فى الخلوة كما يألفه فى الملأ ، ولا يكون حضور الغير هو السبب فى حضور الخاطر كما لا يكون حضور البهيمة سببا فما دام يفرق فى أحواله بين مشاهدة إنسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن صفو الإخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفى من الرياء ، وهذا الشرك أخفى فى قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصخرة الصماء [1] ، كما ورد فى الخبر ، ولا يسلم من الشيطان إلا من دق نظره وسعد بعصمة الله تعالى وتوفيقه وهدايته ، وإلا فالشيطان ملازم للمتشمرين لعبادة الله تعالى لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء فى كل حركة من الحركات حتى فى كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب ، فإنّ هذه سنن فى أوقات مخصوصة وللنفس فيها حظ خفى لارتباط نظر الخلق بها ولاستئناس الطبع بها ، فيدعوه الشيطان إلى فعل ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغى أن تتركها ، ويكون انبعاث القلب باطنا لها لأجل تلك الشهوة الخفية ، أو مشوبة بها شوبا يخرج عن حدّ الإخلاص بسببه ، وما لا يسلم عن هذه الآفات كلها فليس بخالص ، بل من يتعكف فى مسجد معمور نظيف حسن العمارة يأنس إليه الطبع فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف ، وقد يكون المحرك الخفى فى سره هو الأنس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع إليه ، ويتبين ذلك فى ميله إلى أحد المسجدين أو أحد الموضعين إذا كان أحسن من الآخر ، وكل ذلك امتزاج بشوائب الطبع وكدورات النفس ومبطل حقيقة الإخلاص لعمرى الغش الذى يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة . فمنها ما يغلب ومنها ما يقل لكن يسهل دركه . ومنها ما يدق بحيث لا يدركه إلا الناقد البصير . وغش القلب ودغل الشيطان وخبث النفس أغمض من ذلك وأدق كثيرا .

---

(١) حديث « الشرك أخفى فى قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصخرة » تقدم فى العلم وفى ذم الجاه والرياء .

ولهذا قيل : ركعتان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل ، وأريد به العالم البصير بدقائق آفات الأعمال حتى يخلص عنها ، فإنّ الجاهل نظره إلى ظاهر العبادة واغترارهبها كنظر السوادى إلى حمرة الدينار المموّه واستدارته وهو مغشوش زائف فى نفسه ، وقيراط من الخالص الذى يرتضيه الناقد البصير خير من دينار يرتضيه الغرّ الغبى . فهكذا يتفاوت أمر العبادات بل أشدّ وأعظم . ومداخل الآفات المتطرّقة إلى فنون الأعمال لا يمكن حصرها وإحصاؤها فلينتفع بما ذكرناه مثالا ، والفطن يغنيه القليل عن الكثير والبليد لا يغنيه التطويل أيضا فلا فائدة فى التفصيل .

بيان حكم العمل المشوب واستحقاق الثواب به

اعلم أنّ العمل إذا لم يكن خالصا لوجه الله تعالى بل امتزج به شوب من الرياء أوحظوظ النفس فقد اختلف الناس فى أنّ ذلك هل يقتضى ثوابا أم يقتضى عقابا أم لايقتضى شيئا أصلا فلا يكون له ولا عليه ؟ أما الذى لم يردبه إلا الرياء فهو عليه قطعاوهو سبب المقت والعقاب . وأما الخالص لوجه الله تعالى فهوسبب الثواب وإنما النظر فى المشوب ، وظاهر الأخبارتدل على أنه لاثواب له [1] ، وليس تخلو الأخبارعن تعارض فيه . والذى ينقدح لما فيه ـ والعلم عند الله ـ أن ينظر إلى قدر قوّة الباعث . فإن كان الباعث الدينى مساويا للباعث النفسى تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه ، وإن كان باعث الرياء أغلب وأقوى فهو ليس بنافع وهو مع ذلك مضر ومفض للعقاب . نعم العقاب الذى فيه أخف من عقاب العمل الذى تجرّد للرياء ولم يمتزج به شائبة التقرّب . وإن كان قصد التقرّب أغلب بالإضافة إلى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوّة الباعث الدينى وهذا لقوله تعالى ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ ولقوله تعالى ﴿ إنّ الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ﴾ فلا ينبغى أن يضيع قصد الخير ، بل إن كان غالبا على قصد الرياء حبط منه القدر الذى يساويه وبقيت زيادة ، وإن كان مغلوبا سقط بسببه شىء من عقوبة القصد الفاسد . وكشف الغطاء عن هذا أنّ الأعمال تأثيرها فى القلوب بتأكيد صفاتها . فداعية الرياء من المهلكات وإنما غذاء هذا المهلك وقوّته العمل على وفقه ، وداعية الخير من المنجيات وإنما قوتها بالعمل على وفقها . فإذا اجتمعت الصفتان فى القلب فهما متضادتان ، فإذا عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوّى تلك الصفة ، وإذا كان العمل على وفق مقتضى التقرّب فقد قوّى أيضا تلك الصفة ، وأحدهما مهلك والآخر منج ، فإن كان تقوية هذا بقدر تقوية الآخر فقد تقاوما . فكان كالمستضر بالحرارة إذا تناول ما يضره ثم تناول من المبردات ما يقاوم قدر قوّته ، فيكون بعد تناولهما كأنه لم يتناولهما ، وإن كان أحدهما غالبا لم يخل الغالب عن أثر ، فكما لا يضيع مثقال ذرّة من الطعام والشراب والأدوية ولا ينفك عن أثر فى الجسد بحكم سنة الله تعالى ، فكذلك لا يضيع مثقال ذرّة من الخير والشر ولا ينفك عن تأثير فى إنارة القلب أو تسويده وفى تقريبه من الله أو إبعاده ، وإذا جاء بما يقرّبه شبرا مع مايبعده شبرا فقد عاد إلى ما كان

(١) الأخبار التى يدل ظاهرها على أن العمل المشوب لاثواب له قال : وليس تخلو الأخبار عن تعارض رواه أبو داود من حديث أبى هريرة : أن رجلا قال يارسول الله رجل يبتغى الجهاد فى سبيل الله وهو يبتغى عرضا من عرض الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاأجر له ... الحديث » وللنسائى من حديث أبى أمامة بإسناد حسن : أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ماله ؟ فقال « لاشىء له » فأعادها ـ ثلاث مرات يقول « لا شىء له » ثم قال « إن الله لايقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغى به وجهه » والترمذى وقال غريب وابن حبان من حديث أبى هريرة : الرجل يعمل العمل فيسره فإذا اطلع عليه أعجبه قال « له أجران أجر السر وأجر العلانية » وقد تقدم فى ذم الجاه والرياء .

فلم يكن له ولا عليه ، وإن كان الفعل مما يقربه شبرين والآخر يبعده شبرا واحدا فضل له لا محالة شبر ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « أتبع السيئة الحسنة تمحها [1] » فإذا كان الرياء المحض يمحوه الإخلاص المحض عقيبه ، فإذا اجتمعا جميعا فلا بد وأن يتدافعا بالضرورة . ويشهد لهذا إجماع الأمة على أن من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه وأثيب عليه ، وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس . نعم يمكن أن يقال : إنما يثاب على أعمال الحج عند انتهائه إلى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص ، وإنما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة . ولكن الصواب أن يقال : مهما كان الحج هو المحرك الأصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب ما . وعندي : أن الغزاة لا يدركون في أنفسهم تفرقة بين غزو الكفار في جهة تكثر فيها الغنائم وبين جهة لا غنيمة فيها ، وبعد أن يقال : إدراك هذه التفرقة يحبط بالكلية ثواب جهادهم . بل العدل أن يقال : إذا كان الباعث الأصلي والمزعج القوي هو إعلاء كلمة الله تعالى وإنما الرغبة في الغنيمة على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب . نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت قلبه إلى الغنيمة أصلا ؛ فإن هذا الالتفات نقصان لا محالة .

فإن قلت : فالآيات والأخبار تدل على أن شوب الرياء محبط للثواب ، وفي معناه شوب طلب الغنيمة والتجارة وسائر الحظوظ فقد روى طاوس وغيره من التابعين : أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عمن يصطنع المعروف - أو قال يتصدق - فيحب أن يحمد ويؤجر فلم يدر ما يقول له حتى نزلت ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ [2] وقد قصد الأجر والحمد جميعا وروى معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أدنى الرياء شرك [3] » وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « يقال لمن أشرك في عمله خذ أجرك ممن عملت له [4] » وروى عن عبادة « أن الله عز وجل يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشركة من عمل لي عملا فأشرك معي غيري ودعت نصيبي لشريكي » وروى أبو موسى : أن أعرابيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه فأيهم في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله [5] » وقال عمر رضي الله عنه : تقولون فلان شهيد ولعله أن يكون قد ملأ دفتي راحلته ورقا . وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فهو له [6] » ؟ فنقول : هذه الأحاديث لا تناقض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد بذلك إلا الدنيا كقوله « من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا » وكان ذلك هو الأغلب على همه وقد ذكرنا أن ذلك عصيان وعدوان لا لأن طلب الدنيا حرام ولكن طلبها بأعمال الدين حرام لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن موضعها ، وأما لفظ الشركة حيث ورد فمطلق للتساوي وقد بينا أنه إذا تساوى القصدان تقاوما ولم يكن له

---

(١) حديث « أتبع السيئة الحسنة تمحها » تقدم في رياضة النفس وفي التوبة . (٢) حديث طاوس وعدة من التابعين : أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عمن يصطنع المعروف - أو قال يتصدق - فيحب أن يحمد ويؤجر فنزلت ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ﴾ أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب السنة والحاكم نحوه من رواية طاوس مرسلا وقد تقدم في ذم الجاه والرياء .

(٣) حديث معاذ « أدنى الرياء شرك » أخرجه الطبراني والحاكم وتقدم . (٤) حديث أبي هريرة « يقال لمن أشرك في عمله خذ أجرك ممن عملت له » تقدم فيه من حديث محمود بن لبيد بنحوه وتقدم فيه حديث أبي هريرة « من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشريكه » وفي رواية مالك في الموطأ « فهو له كله » . (٥) حديث أبي موسى « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » تقدم فيه . (٦) حديث ابن مسعود « من هاجر يبتغي شيئاً من الدنيا فهو له » تقدم في الباب الذي قبله .

ولاعليه ، فلا ينبغى أن يرجى عليه ثواب . ثم إن الإنسان عند الشركة أبدا فى خطر فإنه لايدرى أى الأمرين أغلب على قصده فربما يكون عليه وبالا ولذلك قال تعالى ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ أى لايرجى اللقاء مع الشركة التى أحسن أحوالها التساقط ، ويجوز أن يقال أيضاً : منصب الشهادة لاينال إلا بالإخلاص فى الغزو . وبعيد أن يقال : من كانت داعيته الدينية بحيث ترجحه إلى مجرد الغزو - وإن لم يكن غنيمة - وقدر على غزو طائفتين من الكفار إحداهما غنية والأخرى فقيرة فمال إلى جهة الأغنياء - لإعلاء كلمة الله وللغنيمة - لاثواب له على غزوه البتة ، ونعوذ بالله أن يكون الأمر كذلك فإن هذا حرج فى الدين ومدخل لليأس على المسلمين ، لأن أمثال هذه الشوائب التابعة قط لاينفك الإنسان عنها إلا على الندور ، فيكون تأثير هذا فى نقصان الثواب ، فأما أن يكون فى إحباطه فلا . نعم الإنسان فيه على خطر عظيم لأنه ربما يظن أن الباعث الأقوى هو قصد التقرب إلى الله ويكون الأغلب على سره الحظ النفسى ، وذلك مما يخفى غاية الخفاء . فلا يحصل الأجر إلا بالإخلاص والإخلاص قلما يستيقنه العبد من نفسه وإن بالغ فى الاحتياط . فلذلك ينبغى أن يكون أبدا بعد كمال الاجتهاد مترددا بين الرد والقبول خائفا أن تكون فى عبادته آفة يكون وبالها أكثر من ثوابها . وهكذا كان الخائفون من ذوى البصائر ، وهكذا ينبغى أن يكون كل ذى بصيرة . ولذلك قال سفيان رحمه الله : لاأعتد بما ظهر من عملى . وقال عبد العزيز بن أبى رواد . جاورت هذا البيت ستين سنة وحججت ستين حجة فما دخلت فى شىء من أعمال الله تعالى إلا وحاسبت نفسى فوجدت نصيب الشيطان أوفى من نصيب الله ، ليته لا لى ولا على . ومع هذا فلا ينبغى أن يترك العمل عند خوف الآفة والرياء فإن ذلك منتهى بغية الشيطان منه إذ المقصود أن لايفوت الإخلاص . ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والإخلاص جميعا . وقد حكى أن بعض الفقراء كان يخدم أبا سعيد الخراز ويحف فى أعماله فتكلم أبو سعيد فى الإخلاص يوما - يريد إخلاص الحركات - فأخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة ويطالبه بالإخلاص فتعذر عليه قضاء الحوائج واستضر الشيخ بذلك ، فسأله عن أمره فأخبره بمطالبته نفسه بحقيقة الإخلاص وأنه يعجز عنها فى أكثر أعماله فيتركها ، فقال أبو سعيد : لاتفعل إذ الإخلاص لايقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد فى تحصيل الإخلاص ، فما قلت لك اترك العمل وإنما قلت لك أخلص العمل ؟ وقد قال الفضيل : ترك العمل بسبب الخلق رياء وفعله لأجل الخلق شرك .

الباب الثالث : فى الصدق وفضيلته وحقيقته

فضيلة الصدق

قال الله تعالى ﴿ رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه ﴾ وقال النبى صلى الله عليه وسلم « إن الصدق يهدى إلى البر والبر يهدى إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإن الكذب يهدى إلى الفجور والفجور يهدى إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا [1] » ويكفى فى فضيلة الصدق أن الصديق مشتق منه والله تعالى وصف الأنبياء به فى معرض المدح والثناء فقال ﴿ واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا ﴾ وقال

الباب الثالث فى الصدق

(١) حديث « إن الصدق يهدى إلى البر ... الحديث » متفق عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم . .

﴿ واذكر فى الكتاب إسمعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ﴾ وقال تعالى ﴿ واذكر فى الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا ﴾ وقال ابن عباس : أربع من كن فيه فقد ربح ؛ الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر. وقال بشر ابن الحارث : من عامل الله بالصدق استوحش من الناس . وقال أبو عبدالله الرملى رأيت منصورا الدينورى فى المنام فقلت له : مافعل الله بك ؟ قال : غفرلى ورحمنى وأعطانى مالم أؤمل ، فقلت له : أحسن ماتوجه العبد به إلى الله ماذا ؟ قال : الصدق وأقبح ماتوجه به الكذب . وقال أبو سليمان : اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى غاية طلبتك وقال رجل لحكيم : مارأيت صادقا ! فقال له : لو كنت صادقا لعرفت الصادقين . وعن محمد بن على الكتانى قال : وجدنا بين الله تعالى مبنيا على ثلاثة أركان ، على الحق والصدق والعدل ، فالحق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على العقول . وقال الثورى فى قوله تعالى ﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ﴾ قال : هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا بها صادقين . وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : ياداود من صدقنى فى سريرته صدقته عند المخلوقين فى علانيته . وصاح رجل فى مجلس الشبلى ورمى نفسه فى دجلة ، فقال الشبلى : إن كان صادقا فالله تعالى ينجيه كما نجى موسى عليه السلام وإن كان كاذبا فالله تعالى يغرقه كما أغرق فرعون . وقال بعضهم : أجمع الفقهاء والعلماء على ثلاث خصال أنها إذا صحت ففيها النجاة - ولا يتم بعضها إلا ببعض - الإسلام الخالص عن البدعة والهوى ، والصدق لله تعالى فى الأعمال ، وطيب المطعم . وقال وهب بن منبه: وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفا كان صلحاء بنى إسرائيل يجتمعون فيقرءونها ويتدارسونها : لا كنز أنفع من العلم ، ولا مال أربح من الحلم ، ولا حسب أوضع من الغضب ، ولا قرين أزين من العمل ، ولا رفيق أشين من الجهل ، ولا شرف أعز من التقوى ، ولا كرم أوفى من ترك الهوى ، ولا عمل أفضل من الفكر ، ولا حسنة أعلى من الصبر ، ولا سيئة أخزى من الكبر ، ولا دواء ألين من الرفق ، ولا داء أوجع من الخرق ، ولا رسول أعدل من الحق ، ولا دليل أنصح من الصدق ، ولا فقر أذل من الطمع ، ولا غنى أشق من الجمع ، ولا حياة أطيب من الصحة ، ولا معيشة أهنأ من العفة ، ولا عبادة أحسن من الخشوع ، ولا زهد خير من القنوع ، ولا حارس أحفظ من الصمت ، ولا غائب أقرب من الموت . وقال محمد بن سعيد المروزى : إذا طلبت الله بالصدق آتاك الله تعالى مرآة بيدك حتى تبصر كل شىء من عجائب الدنيا والآخرة . وقال أبو بكر الورّاق : احفظ الصدق فيما بينك وبين الله تعالى والرفق فيما بينك وبين الخلق . وقيل لذى النون : هل للعبد إلى صلاح أموره سبيل ؟ فقال :

قد بقينا من الذنوب حيارى نطلب الصدق ما إليه سبيل
فدعاوى الهوى تخف علينا وخلاف الهوى علينا ثقيل

وقيل لسهل : ما أصل هذا الأمر الذى نحن عليه ؟ فقال : الصدق والسخاء والشجاعة . فقيل : زدنا ، فقال: التقى والحياء وطيب الغذاء . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الكمال فقال: قول الحق والعمل بالصدق [1] ، وعن الجنيد فى قوله تعالى ﴿ ليسأل الصادقين عن صدقهم ﴾ قال : يسأل الصادقين عند أنفسهم عن صدقهم عند ربهم ، وهذا أمر على خطر .

بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه

اعلم أن لفظ الصدق يستعمل فى ستة معان : صدق فى القول ، وصدق فى النية والإرادة ، وصدق فى العزم ،

(١) حديث ابن عباس : سئل عن الكمال فقال : قول الحق والعمل بالصدق . لم أجده بهذا اللفظ .

وصدق فى الوفاء بالعزم ، وصدق فى العمل ، وصدق فى تحقيق مقامات الدين كلها ، فمن اتصف بالصدق فى جميع ذلك فهو صديق لأنه مبالغة فى الصدق . ثم هم أيضا على درجات فمن كان له حظ فى الصدق فى شىء من الجملة فهو صادق بالإضافة إلى ما فيه صدقه . (الصدق الأول) صدق اللسان وذلك لا يكون إلا فى الإخبار أو فيما يتضمن الإخبار وينبه عليه ، والخبر إما أن يتعلق بالماضى أو بالمستقبل ، وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه . وحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه فلا يتكلم إلا بالصدق ، وهذا هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها . فمن حفظ لسانه عن الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هى عليه فهو صادق ولكن لهذا الصدق كمالان :

(أحدهما) الاحتراز عن المعاريض ؛ فقد قيل : فى المعاريض مندوحة عن الكذب وذلك لأنها تقوم مقام الكذب ، إذ المحذور من الكذب تفهيم الشىء على خلاف ما هو عليه فى نفسه ، إلا أنّ ذلك مما تمس إليه الحاجة وتقتضيه المصلحة فى بعض الأحوال وفى تأديب الصبيان والنسوان ومن يجرى مجراهم وفى الحذر عن الظلمة وفى قتال الأعداء والاحتراز عن اطلاعهم على أسرار الملك ، فمن اضطرّ إلى شىء من ذلك فصدقه فيه أن يكون نطقه فيه لله فيما يأمره الحق به ويقتضيه الدين ، فإذا نطق به فهو صادق وإن كان كلامه مفهما غير ما هو عليه ، لأنّ الصدق ما أريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعاء إليه فلا ينظر إلى صورته بل إلى معناه ، نعم فى مثل هذا الموضع ينبغى أن يعدل إلى المعاريض ما وجد إليه سبيلا ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توجه إلى سفر ورّى بغيره[1] » وذلك كى لا ينتهى الخبر إلى الأعداء فيقصد ، وليس هذا من الكذب فى شىء ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو أنمى خيرا [2] » ورخص فى النطق على وفق المصلحة فى ثلاثة مواضع : من أصلح بين اثنين ، ومن كان له زوجتان ، ومن كان فى مصالح الحرب . والصدق ههنا يتحول إلى النية فلا يراعى فيه إلا صدق النية وإرادة الخير ، فهما صح قصده وصدقت نيته وتجردت للخير إرادته صار صادقا وصديقا كيفما كان لفظه ، ثم التعريض فيه أولى . وطريقه ما حكى عن بعضهم ، أنه كان يطلبه بعض الظلمة وهو فى داره فقال لزوجته : خطى بأصبعك دائرة وضعى الأصبع على الدائرة وقولى ليس هو ههنا ، واحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه ، فكان قوله صدق وأفهم الظالم أنه ليس فى الدار . فالكمال الأول فى اللفظ أن يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض أيضا إلا عند الضرورة (والكمال الثانى) أن يراعى معنى الصدق فى ألفاظه التى يناجى بها ربه كقوله ﴿ وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض ﴾ فإنّ قلبه إن كان منصرفا عن الله تعالى مشغولا بأمانى الدنيا وشهواته فهو كذب . وكقوله ﴿ إياك نعبد ﴾ وقوله : أنا عبد الله ، فإنه إذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صدقا ، ولو طولب يوم القيامة بالصدق فى قوله : أنا عبد الله ، لعجز تحقيقه فإنه إن كان عبدا لنفسه أو عبدا لدنيا أو عبدا لشهواته لم يكن صادقا فى قوله . وكل ما تقيد العبد به فهو عبد له كما قال عيسى عليه السلام : ياعبيد الدنيا ! وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة[3] » فسمى كل من تقيد قلبه بشىء عبدا له .

وإنما العبد الحق ـ لله عز وجل ـ من أعتق أولا من غير الله تعالى فصار حرا مطلقا ، فإذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فحلت فيه العبودية لله فتشغله بالله وبمحبته وتقيد باطنه وظاهره بطاعته فلا يكون له مراد

(١) حديث : كان إذا أراد سفرا ورى بغيره : متفق عليه من حديث كعب بن مالك . (٢) حديث « ليس بكاذب من أصلح بين الناس . . . الحديث » متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط وقد تقدم . (٣) حديث « تعس عبد الدينار ... الحديث » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة وقد تقدم .

إلا الله تعالى ، ثم تجاوز هذا إلى مقام آخر أسنى منه يسمى الحرية وهو أن يعتق أيضا عن إرادته لله من حيث هو بل يقنع بما يريد الله له من تقريب أو إبعاد فتفنى إرادته فى إرادة الله تعالى . وهذا عبد عتق عن غير الله فصار حرا ، ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حرا . وصار مفقودا لنفسه موجودا لسيده ومولاه إن حركه تحرك وإن سكنه سكن وإن ابتلاه رضى ، لم يبق فيه متسع لطلب والتماس واعتراض ، بل هو بين يدى الله كالميت بين يدى الغاسل وهذا منتهى الصدق فى العبودية لله تعالى . فالعبد الحق هو الذى وجوده لمولاه لا لنفسه وهذه درجة الصديقين . وأما الحرية عن غير الله فدرجات الصادقين ، وبعدها تتحقق العبودية لله تعالى ، وما قبل هذا فلا يستحق صاحبه أن يسمى صادقا ولا صديقا : فهذا هو معنى الصدق فى القول .

(الصدق الثانى) فى النية والإرادة ! ويرجع ذلك إلى الإخلاص وهو أن لا يكون له باعث فى الحركات والسكنات إلا الله تعالى ، فإن مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز أن يسمى كاذبا - كما روينا فى فضيلة الإخلاص من حديث الثلاثة حين يسئل العالم ما عملت فيما علمت ؟ فقال : فعلت كذا وكذا ، فقال الله تعالى : كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم [1] - فإنه لم يكذبه ولم يقل له لم تعمل ولكنه كذبه فى إرادته ونيته . وقد قال بعضهم : الصدق صحة التوحيد فى القصد . وكذلك قول الله تعالى ﴿ والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون ﴾ وقد قالوا إنك لرسول الله وهذا صدق ، ولكن كذبهم لا من حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب وكان التكذيب يتطرق إلى الخبر . وهذا القول يتضمن إخبارا بقرينة الحال إذ صاحبه يظهر من نفسه أن يعتقد ما يقول فكذب فى دلالته بقرينة الحال على ما فى قلبه ، فإنه كذب فى ذلك ولم يكذب فيما يلفظ به ، فيرجع أحد معانى الصدق إلى خلوص النية وهو الإخلاص فكل صادق فلا بد وأن يكون مخلصا .

(الصدق الثالث) صدق العزم ؛ فإن الإنسان قد يقدّم العزم على العمل فيقول فى نفسه . إن رزقنى الله مالا تصدقت بجميعه - أو بشطره ، أو إن لقيت عدوّا فى سبيل الله تعالى قاتلت ولم أبال وإن قتلت ، وإن أعطانى الله تعالى ولاية عدلت فيها ولم أعص الله تعالى بظلم وميل إلى خلق . فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهى عزيمة جازمة صادقة ، وقد يكون فى عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق فى العزيمة ، فكان الصدق ههنا عبارة عن التمام والقوة كما يقال : لفلان شهوة صادقة . ويقال : هذا المريض شهوته كاذبة ، مهما لم تكن شهوته عن سبب ثابت قوى أو كانت ضعيفة ، فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى . والصادق والصديق هو الذى تصادف عزيمته فى الخيرات كلها قوة تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد : بل تسخو نفسه أبدا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات وهو كما قال عمر رضى الله عنه : لأن أقدم فتضرب عنقى أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر - رضى الله عنه - فانه قد وجد من نفسه العزم الجازم ، والمحبة الصادقة بأنه لا يتأمر مع وجود أبى بكر رضى الله عنه ، وأكد ذلك بما ذكره من القتل .

ومراتب الصديقين فى العزائم تختلف ؛ فقد يصادف العزم ولا ينتهى به إلى أن يرضى بالقتل فيه ولكن إذا خلى ورأيه لم يقدّم ، ولو ذكر له حديث القتل لم ينقض عزمه ، بل فى الصادقين والمؤمنين من لو خير بين أن يقتل هو أو أبو بكر كانت حياته أحب من حياة أبى بكر الصديق .

(الصدق الرابع) فى الوفاء بالعزم ، فإنّ النفس قد تسخو بالعزم فى الحال إذ لا مشقة فى الوعد والعزم

---

(١) « حديث الثلاثة : حين سأل العالم ماذا عملت فيما علمت ... الحديث » تقدم .

والمؤنة فيه خفيفة ، فإذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوات ولم يتفق الوفاء بالعزم ، وهذا يضاد الصدق فيه ، ولذلك قال الله تعالى ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ فقد روى عن أنس : أن عمه أنس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك على قلبه وقال : أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه أما والله لئن أرانى الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع ! قال : فشهد أحدا فى العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال . يا أبا عمرو إلى أين ؟ فقال : واها لريح الجنة ! إنى أجد ريحها دون أحد . فقاتل حتى قتل فوجد فى جسده بضع وثمانون مابين رمية وضربة وطعنة فقالت أخته بنت النضر : ماعرفت أخى إلا بثيابه ، فنزلت هذه الآية ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ [1] ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب بن عمير ـ وقد سقط على وجهه يوم أحد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ﴿ رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ﴾ [2] وقال فضالة بن عبيد : سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الشهداء أربعة : رجل مؤمن جيد الإيمان لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذى يرفع الناس إليه أعينهم يوم القيامة هكذا ، ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته ـ قال الراوى : فلا أدرى قلنسوة عمر أو قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ « ورجل جيد الإيمان إذا لقى العدو فكأنما يضرب وجهه بشوك الطلح أتاه سهم غائر فقتله فهو فى الدرجة الثانية ، ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذلك فى الدرجة الثالثة ، ورجل أسرف على نفسه لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذاك فى الدرجة الرابعة [3] » وقال مجاهد : رجلان خرجا على ملأ من الناس قعود فقالا إن رزقنا الله تعالى مالا لنتصدقن فبخلوا به فنزلت ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ﴾ وقال بعضهم : إنما هو شىء نووه فى أنفسهم لم يتكلموا به فقال ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ﴾ فجعل العزم عهدا وجعل الخلف فيه كذبا والوفاء به صدقا . وهذا الصدق أشد من الصدق الثالث ، فإن الناس قد تسخو بالعزم ثم تكيع عند الوفاء لشدته عليها ولهيجان الشهوة عند التمكن وحصول الأسباب . ولذلك استثنى عمر رضى الله عنه فقال : لأن أقدم فتضرب عنقى أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر اللهم إلا أن تسول لى نفسى عند القتل شيئا لا أجده الآن لأنى لا آمن أن يثقل عليها ذلك فتتغير عن عزمها . أشار بذلك إلى شدة الوفاء بالعزم . وقال أبو سعيد الخراز : رأيت فى المنام كأن ملكين نزلا من السماء فقالا لى : ما الصدق ؟ قلت : الوفاء بالعهد ، فقالا لى : صدقت ، وعرجا إلى السماء .

(الصدق الخامس) فى الأعمال ، وهو أن يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر فى باطنه لا يتصف هو به ، لا بأن يترك الأعمال ولكن بأن يستجر الباطن إلى تصديق الظاهر ، وهذا مخالف ما ذكرناه من ترك الرياء لأن

---

(١) حديث أنس : أن عمه أنس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث . فى قتاله بأحد حتى قتل فوجد فى جسده بضع وثمانون من بين رمية وضربة وطعنة ونزول (رجال صدقوا) الآية أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى فى الكبرى وهو عند البخارى مختصرا ان هذه الآية نزلت فى أنس بن النضر . (٢) حديث : وقف على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم أحد وقرأ هذه الآية . أخرجه أبو نعيم فى الحلية من رواية عبيد بن عمير مرسلا . (٣) حديث فضالة بن عبيد عن عمر بن الخطاب « الشهداء أربعة : رجل مؤمن جيد الإيمان ... الحديث » أخرجه الترمذى وقال حسن .

المرائى هو الذى يقصد ذلك ، ورب واقف على هيئة الخشوع فى صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة ، فمن ينظر إليه يراه قائما بين يدى الله تعالى وهو بالباطن قائم فى السوق بين يدى شهوة من شهواته فهذه أعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن إعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق فى الأعمال وكذلك قد يمشى الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار ، فهذا غير صادق فى عمله وإن لم يكن ملتفتا إلى الخلق ولا مرائيا إياهم ، ولا ينجو من هذا إلا باستواء السريرة والعلانية بأن يكون باطنه مثل ظاهره أو خيرا من ظاهره . ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر ولبس ثياب الأشرار كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا فى دلالة الظاهر على الباطن .

إذن مخالفة الظاهر للباطن إن كانت عن قصد سميت رياء ويفوت بها الإخلاص ، وإن كانت عن غير قصد فيفوت بها الصدق .

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل سريرتى خيرا من علانيتى واجعل علانيتى صالحة [1] » وقال يزيد بن الحارث : إذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف ، وإن كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل ، وإن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور . وأنشدوا :

إذا السر والإعلان فى المؤمن استوى ... فقد عزّ فى الدارين واستوجب الثنا
فإن خالف الإعلان سرا فما له ... على سعيه فضل سوى الكد والعنا
فما خالص الدينار فى السوق نافق ... ومغشوشه المردود لا يقتضى المنا

وقال عطية بن عبد الغافر : إذا وافقت سريرة المؤمن علانيته باهى الله به الملائكة يقول هذا عبدى حقا . وقال معاوية بن قرة : من يدلنى على بكاء بالليل بسام بالنهار . وقال عبد الواحد بن زيد : كان الحسن إذا أمر بشىء كان من أعمل الناس به وإذا نهى عن شىء كان من أترك الناس له . ولم أر أحدا قط أشبه سريرة بعلانية منه . وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول : إلهى عاملت الناس فيما بينى وبينهم بالأمانة ، وعاملتك فيما بينى وبينك بالخيانة - ويبكى . وقال أبو يعقوب النهرجورى : الصدق موافقة الحق فى السر والعلانية .

فإذن مساواة السريرة للعلانية أحد أنواع الصدق .

(الصدق السادس) وهو أعلى الدرجات وأعزها : الصدق فى مقامات الدين ، كالصدق فى الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب وسائر هذه الأمور . فإن هذه الأمور لها مبادئ ينطلق الاسم بظهورها ، ثم لها غايات وحقائق والصادق المحقق من نال حقيقتها ، وإذا غلب الشىء وتمت حقيقته سمى صاحبه صادقا فيه ، كما يقال : فلان صدق القتال . ويقال : هذا هو الخوف الصادق ، وهذه هى الشهوة الصادقة . وقال الله تعالى ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ إلى قوله ﴿ أولئك هم الصادقون ﴾ وقال تعالى ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ إلى قوله ﴿ أولئك الذين صدقوا ﴾ وسئل أبو ذر عن الإيمان فقرأ هذه الآية فقيل له : سألناك عن الإيمان ؟ فقال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقرأ هذه الآية [2] .

ولنضرب للخوف مثلا : فما من عبد يؤمن بالله واليوم الآخر إلا وهو خائف من الله خوفا ينطلق عليه الاسم ،

---

(١) حديث « اللهم اجعل سريرتى خيرا من علانيتى ... الحديث » تقدم ولم أجده . (٢) حديث أبى ذر : سألته عن الإيمان فقرأ قوله تعالى ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ إلى قوله ﴿ أولئك الذين صدقوا ﴾ رواه محمد بن نصر المروزى فى تعظيم قدر الصلاة بأسانيد منقطعة لم أجد له اسنادا .

ولكنه خوف غير صادق أى غير بالغ درجة الحقيقة ، أما تراه إذا خاف ، سلطانا أو قاطع طريق فى سفره كيف يصفر لونه وترتعد فرائصه ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه أكله ونومه وينقسم عليه فكره ، حتى لاينتفع به أهله وولده ، وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالأنس الوحشة ، وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للأخطار ، كل ذلك خوفا من درك المحذور . ثم إنه يخاف النار ولايظهر عليه شىء من ذلك عند جريان معصية عليه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لم أر مثل النار نام هاربها ولامثل الجنة نام طالبها [1] » فالتحقيق فى هذه الأمور عزيز جدا ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها ، ولكن لكل عبد منه حظ بحسب حاله إما ضعيف وإما قوى ، فإذا قوى سمى صادقا فيه . فمعرفة الله تعالى وتعظيمه والخوف منه لانهاية لها ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام « أحب أن أراك فى صورتك التى هى صورتك » فقال لاتطيق ذلك قال « بل أرنى » فواعده البقيع فى ليلة مقمرة فأتاه فنظر النبى صلى الله عليه وسلم فإذا هو به قد سد الأفق - يعنى جوانب السماء - فوقع النبى صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فأفاق وقد عاد جبريل لصورته الأولى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « ماظننت أن أحدا من خلق الله هكذا » قال : وكيف لو رأيت إسرافيل ؟ إن العرش لعلى كاهله ، وإن رجليه قد مرقتا تحت تخوم الأرض السفلى وإنه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوصع [2] يعنى كالعصفور الصغير ، فانظر ما الذى يغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع إلى ذلك الحد ؟ وسائر الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم فى المعرفة فهذا هو الصدق فى التعظيم . وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت ليلة أسرى بى وجبريل بالملأ الأعلى كالحلس البالى من خشية الله تعالى [3] » يعنى الكساء الذى يلقى على ظهر البعير ، وكذلك الصحابة كانوا خائفين وما كانوا بلغوا خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولذلك قال ابن عمر رضى الله عنهما : لن تبلغ حقيقة الإيمان حتى تنظر الناس كلهم حمقى فى دين الله . وقال مطرف : مامن الناس أحد إلا وهو أحمق فيما بينه وبين ربه إلا أن بعض الحمق أهون من بعض وقال النبى صلى الله عليه وسلم « لايبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى ينظر إلى الناس كالأباعر فى جنب الله ثم يرجع إلى نفسه فيجدها أحقر حقير [4] » فالصادق إذن فى جميع هذه المقامات عزيز . ثم درجات الصدق لانهاية لها وقد يكون للعبد صدق فى بعض الأمور دون بعض ، فإن كان صادقا فى الجميع فهو الصديق حقا . قال سعد بن معاذ : ثلاثة أنا فيهن قوى وفيما سواهن ضعيف ؛ ماصليت صلاة منذ أسلمت فحدثت نفسى حتى أفرغ منها ، ولاشيعت جنازة فحدثت نفسى بغير ماهى قائلة وماهو مقول لها حتى يفرغ من دفنها ، وماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قولا إلا علمت أنه حق ، فقال ابن المسيب : ماظننت أن هذه الخصال تجتمع إلا فى النبى عليه السلام . فهذا صدق فى هذه الأمور ، وكم قوم من جلة الصحابة قد ادوا الصلاة واتبعوا الجنائز ولم يبلغوا هذا المبلغ ؟ فهذه هى درجات الصدق ومعانيه . والكلمات المأثورة عن المشايخ فى حقيقة الصدق فى الأغلب لاتتعرض إلا لآحاد هذه المعانى نعم قد قال أبو بكر الوراق : الصدق ثلاثة ؛ صدق التوحيد ، وصدق الطاعة ، وصدق المعرفة . فصدق التوحيد لعامة المؤمنين قال الله تعالى ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون ﴾ وصدق الطاعة لأهل العلم

---

(١) حديث « لم أر مثل النار نام هاربها الحديث » تقدم . (٢) حديث : قال لجبريل « أحب أن أراك فى صورتك التى هى صورتك » فقال : لاتطيق ذلك ... الحديث . تقدم فى كتاب الرجاء والخوف أخصر من هذا ، والذى ثبت فى الصحيح أنه رأى جبريل فى صورته مرتين . (٣) حديث « مررت ليلة أسرى بى وجبريل بالملأ الأعلى كالحلس البالى من خشية الله ... الحديث » أخرجه محمد بن نصر فى كتاب تعظيم قدر الصلاة والبيهقى فى دلائل النبوة من حديث أنس وفيه الحارث بن عبيد الإيادى ضعفه الجمهور وقال البيهقى ورواه حماد بن سلمة عن أبى عمران الجونى عن محمد بن عمير بن عطارد وهذا مرسل . (٤) حديث « لايبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى ينظر الى الناس كالأباعر فى جنب الله ثم يرجع الى نفسه فيجدها أحقر حقير » لم أجد له أصلا فى حديث مرفوع .

والورع ، وصدق المعرفة لأهل الولاية الذين هم أوتاد الأرض - وكل هذا يدور على ماذكرناه فى الصدق السادس ، ولكنه ذكر أقسام مافيه الصدق وهو أيضاً غير محيط بجميع الأقسام - وقال جعفر الصادق : الصدق هو المجاهدة وأن لاتختار على الله غيره كما لم يختر عليك غيرك فقال تعالى ﴿ هو اجتباكم ﴾ وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : إنى إذا أحببت عبدا ابتليته ببلايا لاتقوم لها الجبال لأنظر كيف صدقه ، فإن وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا ، وإن وجدته جزوعا يشكونى إلى خلق خذلته ولاأبالى . فإذن من علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليها .

تم كتاب الصدق والإخلاص ، يتلوه كتاب المراقبة والمحاسبة ، والحمد لله .

كتاب المراقبة والمحاسبة

وهو الكتاب الثامن من ربع المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت ، الرقيب على كل جارحة بما اجترحت ، المطلع على ضمائر القلوب إذا هجست ، الحسيب على خواطر عباده إذا اختلجت ، الذى لايعزب عن علمه مثقال ذرة فى السموات والأرض تحركت أوسكنت ، المحاسب على النقير والقطمير والقليل والكثير من الأعمال وإن خفيت ، المتفضل بقبول طاعات العباد وإن صغرت ، المتطول بالعفو عن من معاصيهم وإن كثرت ، وإنما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما أحضرت وتنظر فيما قدمت وأخرت ، فتعلم أنه لولا لزومها للمراقبة والمحاسبة فى الدنيا لشقيت فى صعيد القيامة وهلكت ، وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لولا فضله بقبول بضاعتها المزجاة لخابت وخسرت ، فسبحان من عمت نعمته كافة العباد وشملت ، واستغرقت رحمته الخلائق فى الدنيا والآخرة وغمرت ، فبنفحات فضله اتسعت القلوب للإيمان وانشرحت ، وبيمن توفيقه تقيدت الجوارح بالعبادات وتأدبت ، وبحسن هدايته انجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت ، وبتأييده ونصرته انقطعت مكايد الشيطان واندفعت ، وبلطف عنايته ترجح كفة الحسنات إذا ثقلت ، وبتيسيره تيسرت من الطاعات ماتيسرت ، فمنه العطاء والجزاء والإبعاد والإدناء والإسعاد والإشقاء والصلاة والسلام على محمد سيد الأنبياء وعلى آله سادة الأصفياء وعلى أصحابه قادة الأتقياء .

أما بعد : فقد قال الله تعالى ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ وقال تعالى ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضرا ولايظلم ربك أحدا ﴾ وقال تعالى ﴿ يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شىء شهيد ﴾ وقال تعالى ﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ وقال تعالى ﴿ ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم يظلمون ﴾ وقال تعالى ﴿ يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه ﴾ وقال تعالى ﴿ واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه ﴾ فعرف أرباب البصائر من جملة العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد ، وأنهم سيناقشون

فى الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات ، وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس فى الأنفاس والحركات ومحاسبتها فى الخطرات واللحظات ، فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف فى القيامة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت فى عرصات القيامة وقفاته وقادته إلى الخزى والمقت سيئاته ، فلما انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينجيهم منه إلا طاعة الله وقد أمرهم بالصبر والمرابطه فقال عزمن قائل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ﴾ فرابطوا أنفسهم أولا بالمشارطة ، ثم بالمراقبة ، ثم بالمحاسبة ، ثم بالمعاقبة ، ثم بالمجاهدة . ثم بالمعاتبة . فكانت لهم فى المرابطة ست مقامات ، ولا بد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الأعمال فيها وأصل ذلك المحاسبة ، ولكن كل حساب فبعد مشارطة ومراقبة ويتبعه عند الخسران المعاتبة والمعاقبة . فلنذكر شرح هذه المقامات وبالله التوفيق .

المقام الأول من المرابطة : المشارطة

اعلم أنّ مطالب المتعاملين فى التجارات المشتركين فى البضائع عند المحاسبة سلامة الربح وكما أنّ التاجر يستعين بشريكه فيسلم إليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه ، فكذلك العقل هو التاجر فى طريق الآخرة وإنما مطلبه وربحه تزكية النفس لأن بذلك فلاحها قال الله تعالى ﴿ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ وإنما فلاحها بالأعمال الصالحة . والعقل يستعين بالنفس فى هذه التجارة إذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذى يتجر فى ماله ، وكما أنّ الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه فى الربح فيحتاج إلى أن يشارطه أولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاقبه أو يعاتبه رابعا ؛ فكذلك العقل يحتاج إلى مشارطة النفس أولا فيوظف عليها الوظائف ويشرط عليها الشروط ويرشدها إلى طريق الفلاح ويجزم عليها الأمر بسلوك تلك الطرق ، ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة ، فإنه لو أهملها لم يرمنها إلا الخيانة وتضييع رأس المال كالعبد الخائن إذا خلا له الجو وانفرد بالمال . ثم بعد الفراغ ينبغى أن يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها فإن هذه تجارة ربحها الفردوس الأعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الأنبياء والشهداء ، فتدقيق الحساب فى هذا مع النفس أهم كثيرا من تدقيقه فى أرباح الدنيا مع أنها محتقرة بالإضافة إلى نعيم العقبى ، ثم كيفما كانت فمصيرها إلى التصرم والانقضاء ، ولا خير فى خير لايدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم ، لأن الشر الذى لا يدوم إذا انقطع بقى الفرح بانقطاعه دائما وقد انقضى الشر ، والخير الذى لا يدوم يبقى الأسف على انقطاعه دائما وقد انقضى الخير . ولذلك قيل :

أشدّ الغم عندى فى سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا

فحتم على كل ذى حزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها فى حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها . وإنّ كل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن أن يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد ، فانقباض هذه الأنفاس ضائعة أو مصروفة إلى مايجلب الهلاك خسران عظيم هائل لا تسمح به نفس عاقل . فإذا أصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغى أن يفرّغ قلبه ساعة لمشارطة النفس كما أنّ التاجر عند تسليم البضاعة إلى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته . فيقول للنفس : مالى بضاعة إلا العمر ومهما فنى فقد فنى رأس المال ووقع اليأس عن التجارة وطلب الربح ، وهذا اليوم الجديد قد أمهلنى الله فيه وأنسأ فى أجلى وأنعم على به ولو توفانى لكنت أتمنى أن يرجعنى إلى الدنيا يوما واحدا حتى أعمل فيه صالحا ، فاحسبى

أنك قد توفيت ثم قد رددت فإياك ثم إياك أن تضيعى هذا اليوم فإنّ كل نفس من الأنفاس جوهرة لا قيمة لها واعلمى يانفس أنّ اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة ، وقد ورد فى الخبر « أنه ينشر للعبد بكل يوم وليلة أربع وعشرون خزانة مصفوفة ، فيفتح له منها خزانة فيراها مملوءة نورا من حسناته التى عملها فى تلك الساعة فيناله من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الأنوار التى هى وسيلته عند الملك الجبار ما لو وزع على أهل النار لأدهشهم ذلك الفرح عن الإحساس بألم النار ، ويفتح له خزانة أخرى سوداء مظلمة يفوح نتنها ويغشاه ظلامها وهى الساعة التى عصى فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على أهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة أخرى فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوءه [1] » وهى الساعة التى نام فيها أو غفل أو اشتغل بشىء من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها وبناله من غبن ذلك ما ينال القادر على الربح الكثير والملك الكبير إذا أهمله وتساهل فيه حتى فاته ، وناهيك به حسرة وغبنا . وهكذا تعرض عليه خزائن أوقاته طول عمره فيقول لنفسه : اجتهدى اليوم فى أن تعمرى خزانتك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التى هى أسباب ملكك ولا تميلى إلى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرة لاتفارقك وإن دخلت الجنة ، فألم الغبن وحسرته لا يطاق وإن كان دون ألم النار . وقد قال بعضهم : هب أنّ المسىء قد عفى عنه أليس قد فاته ثواب المحسنين ؟ أشار به إلى الغبن والحسرة وقال الله تعالى ﴿ يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ﴾ فهذه وصيته لنفسه فى أوقاته .

ثم ليستأنف لها وصية فى أعضائه السبعة وهى العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل ، وتسليمها إليها فإنها رعايا خادمة لنفسه فى هذه التجارة وبها تتم أعمال هذه التجارة . وإنّ لجهنم سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ، وإنما تتعين تلك الأبواب لمن عصى الله تعالى بهذه الأعضاء ، فيوصيها بحفظها عن معاصيها (أما العين) فيحفظها عن النظر إلى وجه من ليس له بمحرم ، أو إلى عورة مسلم ، أو النظر إلى مسلم بعين الاحتقار ، بل عن كل فضول مستغنى عنه ، فإنّ الله تعالى يسأل عبده عن فضول النظر كما يسأله عن فضول الكلام ، ثم إذا صرفها عن هذا لم تقنع به حتى يشغلها بما فيه تجارتها وربحها ؛ وهو ما خلقت له من النظر إلى عجائب صنع الله بعين الاعتبار ، والنظر إلى أعمال الخير للاقتداء ، والنظر فى كتاب الله وسنة رسوله ومطالعة كتب الحكمة للاتعاظ والاستفادة .

وهكذا ينبغى أن يفصل الأمر عليها فى عضو عضو لا سيما اللسان والبطن (أما اللسان) فلأنه منطلق بالطبع ولا مؤنة عليه فى الحركة وجنايته عظيمة بالغيبة والكذب والنميمة وتزكية النفس ومذمة الخلق والأطعمة واللعن والدعاء على الأعداء والمماراة فى الكلام وغير ذلك ـ مما ذكرناه فى كتاب آفات اللسان فهو بصدد ذلك كله ـ مع أنه خلق للذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم وإرشاد عباد الله إلى طريق الله وإصلاح ذات البين وسائر خيراته فليشترط على نفسه أن لايحرك اللسان طول النهار إلا فى الذكر : فنطق المؤمن ذكر ونظره عبرة وصمته فكرة و ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ (وأما البطن) فيكلفه ترك الشره وتقليل الأكل من الحلال

كتاب المحاسبة والمراقبة

(١) حديث « ينشر للعبد كل يوم وليلة أربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوءة من حسناته ... » الحديث بطوله لم أجد له أصلا .

واجتناب الشبهات ، ويمنعه من الشهوات ، ويقتصر على قدر الضرورة . ويشرط على نفسه أنها إن خالفت شيئا من ذلك عاقبها بالمنع عن شهوات البطن ليفوتها أكثر مما نالته بشهواتها . هكذا يشرط عليها فى جميع الأعضاء . واستقصاء ذلك يطول ولا تخفى معاصى الأعضاء وطاعاتها .

ثم يستأنف وصيتها فى وظائف الطاعات التى تتكرر عليه فى اليوم والليلة ، ثم النوافل التى يقدر عليها ويقدر على الاستكثار منها ، ويرتب لها تفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد لها بأسبابها . وهذه شروط يفتقر إليها فى كل يوم ولكن إذا تعود الإنسان شرط ذلك على نفسه أياما وطاوعته نفسه فى الوفاء بجميعها استغنى عن المشارطة فيها ، وإن أطاعت فى بعضها بقيت الحاجة إلى تجديد المشارطة فيما بقى ، ولكن لا يخلو كل يوم عن مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد ، ولله عليه فى ذلك حق . ويكثر هذا على من يشتغل بشىء من أعمال الدنيا من ولاية أو تجارة أو تدريس إذ قلما يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج إلى أن يقضى حق الله فيها ، فعليه أن يشترط على نفسه الاستقامة فيها والانقياد للحق فى مجاريها ويحذرها مغبة الإهمال ويعظها كما يوعظ العبد الآبق المتمرد : فإن النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية ولكن الوعظ والتأديب يؤثر فيها ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ فهذا وما يجرى مجراه هو أول مقام المرابطة مع النفس وهى محاسبة قبل العمل . والمحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة قبله للتحذير قال الله تعالى ﴿ واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه ﴾ وهذا للمستقبل . وكل نظر فى كثرة ومقدار لمعرفة زيادة ونقصان فإنه يسمى محاسبة . فالنظر فيما بين يدى العبد فى نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة وقد قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ وقال تعالى ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ﴾ ذكر ذلك تحذيرا وتنبيها للاحتراز منه فى المستقبل . وروى عبادة بن الصامت: أنه عليه السلام قال لرجل سأله أن يوصيه ويعظه « إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فامضه وإن كان غيا فانته عنه [1] » . وقال بعض الحكماء : إذا أردت أن يكون العقل غالبا للهوى فلا تعمل بقضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فإن مكث الندامة فى القلب أكثر من مكث خفة الشهوة وقال لقمان : إن المؤمن إذا أبصر العاقبة أمن الندامة . وروى شداد بن أوس عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله [2] » دان نفسه : أى حاسبها . ويوم الدين : يوم الحساب . وقوله ﴿ أئنا لمدينون ﴾ أى لمحاسبون . وقال عمر رضى الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتهيئوا للعرض الأكبر : وكتب إلى أبى موسى الأشعرى : حاسب نفسك فى الرخاء قبل حساب الشدة . وقال لكعب : كيف تجدها فى كتاب الله؟ قال : ويل لديان الأرض من ديان السماء ؛ فعلاه بالدرة وقال : إلا من حاسب نفسه ، فقال كعب : يا أمير المؤمنين إنها إلى جنبها فى التوراة ما بينهما حرف إلا من حاسب نفسه . وهذا كله إشارة إلى المحاسبة للمستقبل إذ قال : من دان نفسه يعمل لما بعد الموت . ومعناه : وزن الأمور أولا وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم أقدم عليها فباشرها .

المرابطة الثانية : المراقبة

إذا أوصى الإنسان نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى إلا المراقبة لها عند الخوض فى الأعمال وملاحظاتها

(١) حديث عبادة بن الصامت « اذا أردت أمرا فتدبر عاقبته ... الحديث » تقدم .
(٢) حديث « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ... الحديث » تقدم .

بالعين الكالئة فإنها إن تركت طغت وفسدت . ولنذكر فضيلة المراقبة ثم درجاتها .

(أما الفضيلة) فقد سأل جبريل عليه السلام عن الإحسان فقال « أن تعبد الله كأنك تراه [1] » وقال عليه السلام « اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك [2] » وقد قال تعالى ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾ وقال تعالى ﴿ ألم يعلم بأنّ الله يرى ﴾ وقال الله تعالى ﴿ إنّ الله كان عليكم رقيبا ﴾ وقال تعالى ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون ﴾ وقال ابن المبارك لرجل : راقب الله تعالى ؛ فسأله عن تفسيره فقال : كن أبدا كأنك ترى الله عز وجل . وقال عبد الواحد بن زيد : إذا كان سيدى رقيبا على فلا أبالى بغيره . وقال أبو عثمان المغربى : أفضل مايلزم الإنسان نفسه فى هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم . وقال ابن عطاء : أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات . وقال الجريرى : أمرنا هذا مبنى على أصلين ؛ أن تلزم نفسك المراقبة لله عز وجل ويكون العلم على ظاهرك قائما . وقال أبو عثمان : قال لى أبو حفص ، إذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فإنهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك . وحكى أنه كان لبعض المشايخ من هذه الطائفة تلميذ شاب وكان يكرمه ويقدمه فقال له بعض أصحابه : كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ ؟ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طائرا وسكينا وقال : ليذبح كل واحد منكم طائره فى موضع لا يراه أحد ودفع إلى الشاب مثل ذلك وقال له كما قال لهم ، فرجع كل واحد بطائره مذبوحا ورجع الشاب والطائر حى فى يده ، فقال : مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك ؟ فقال : لم أجد موضعا لا يرانى فيه أحد إذ الله مطلع على فى كل مكان ، فاستحسنوا منه هذه المراقبة وقالوا : حق لك أن تكرم . وحكى أنّ زليخا لما سمت بيوسف عليه السلام قامت فغطت وجه صنم كان لها فقال يوسف : مالك ؟ أتستحيين من مراقبة جماد ولا أستحيى من مراقبة الملك الجبار ! وحكى عن بعض الأحداث أنه راود جارية عن نفسها فقالت له : ألا تستحيى ؟ فقال : ممن أستحيى وما يرانا إلا الكواكب ؟ قالت : فأين مكوكبها ؟ وقال رجل للجنيد بم أستعين على غض البصر ؟ فقال : بعلمك أن نظر الناظر إليك أسبق من نظرك إلى المنظور إليه . وقال الجنيد : إنما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه عز وجل . وعن مالك بن دينار قال : جنات عدن من جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد الجنة ، قيل له : ومن يسكنها ؟ قال : يقول الله عز وجل وإنما يسكن جنات عدن الذين إذا هموا بالمعاصى ذكروا عظمتى فراقبونى ، والسين انثنت أصلابهم من خشيتى ، وعزتى وجلالى إنى لأهم بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتى صرفت عنهم العذاب . وسئل المحاسبى عن المراقبة فقال : أولها علم القلب بقرب الله تعالى . وقال المرتعش : المراقبة مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة . ويروى أنّ الله تعالى قال لملائكته : أنتم موكلون بالظاهر وأنا الرقيب على الباطن . وقال محمد بن على الترمذى اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك ، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك ، واجعل طاعتك لمن لا تستغنى عنه واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه . وقال سهل : لم يتزين القلب بشىء أفضل ولا أشرف من علم العبد بأنّ الله شاهده حيث كان . وسئل بعضهم عن قوله تعالى ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه ﴾ فقال معناه . ذلك لمن راقب ربه عز وجل وحاسب نفسه وتزود لمعاده وسئل ذو النون : بم ينال العبد الجنة ؟ فقال بخمس استقامة ليس فيها روغان واجتهاد ليس معه سهو ومراقبة الله تعالى فى السر والعلانية وانتظار الموت بالتأهب

---

(١) حديث : سأله جبريل عن الإحسان فقال « أن تعبد الله كأنك تراه » متفق عليه من حديث أبى هريرة ورواه مسلم من حديث عمر وقد تقدم . (٢) حديث « اعبد الله كأنك تراه ... الحديث » تقدم .

له ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب وقد قيل :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفيه عنه يغيب
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب وأن غدا للناظرين قريب

وقال حميد الطويل لسليمان بن على : عظنى ، فقال : لئن كنت إذا عصيت الله خاليا ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت . وقال سفيان الثورى عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية ، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء . وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة وقال فرقد السنجى إن المنافق ينظر فإذا لم ير أحدا دخل مدخل السوء وإنما يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى . وقال عبد الله بن دينار خرجت مع عمر ابن الخطاب رضى الله عنه إلى مكة فعرسنا فى بعض الطريق فانحدر عليه راع من الجبل فقال له ياراعى بعنى شاة من هذه الغنم ، فقال إنى مملوك . فقال قل لسيدك أكلها الذئب ؟ قال فأين الله ؟ قال فبكى عمر رضى الله عنه ثم غدا إلى المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه وقال أعتقتك فى الدنيا بهذه الكلمة وأرجو أن تعتقك فى الآخرة .

بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها

اعلم أن حقيقة المراقبة هى ملاحظة الرقيب والصراف الهم إليه ، فمن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره يقال إنه يراقب فلانا ويراعى جانبه ، ويعنى بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة ، وتثمر تلك الحالة أعمالا فى الجوارح وفى القلب . أما الحالة فهى مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته إليه وملاحظته إياه وانصرافه إليه . وأما المعرفة التى تثمر هذه الحالة فهو العلم بأن الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت ، وأن سر القلب فى حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشد من ذلك . فهذه المعرفة إذا صارت يقينا - أعنى أنها خلت عن الشك - ثم استولت بعد ذلك على القلب قهرته ؛ فرب علم لا شك فيه لا يغلب على القلب كالعلم بالموت ، فإذا استولت على القلب استجرت القلب إلى مراعاة ساتر الرقيب وصرفت همه إليه ، والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون ، وهم ينقسمون إلى الصديقين وإلى أصحاب اليمين ، فمراقبتهم على درجتين .

(الدرجة الأولى) مراقبة المقربين من الصديقين ؛ وهى مراقبة التعظيم والإجلال ، وهو أن يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات إلى الغير أصلا ، وهذه مراقبة لا تطول النظر فى تفصيل أعمالها فإنها مقصورة على القلب . أما الجوارح فإنها تتعطل عن التلفت إلى المباحات فضلا عن المحظورات ، وإذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعملة بها فلا تحتاج إلى تدبير وتثبيت فى حفظها على سنن السداد . بل يسدد الرعية من ملك كلبة الراعى ، والقلب هو الراعى ، فإذا صار مستغرقا بالمعبود صارت الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف ، وهذا هو الذى صار همه هما واحدا فكفاه الله سائر الهموم . ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ، ولا يسمع ما يقال له مع أنه لا صمم به وقد يمر على ابنه مثلا فلا يكلمه ، حتى كان بعضهم يجرى عليه ذلك فقال لمن عاتبه : إذا مررت بى فحركنى . ولا تستبعد هذا فإنك تجد نظير هذا فى القلوب المعظمة لملوك الأرض ، حتى إن خدم الملك قد لا يحسون بما يجرى عليهم فى مجالس الملوك لشدة استغراقهم بهم ، بل قد يشتغل القلب بهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص

الرجل فى الفكر فيه ويمشى فربما يجاوز الموضع الذى قصده وينسى الشغل الذى نهض له . وقد قيل لعبد الواحد ابن زيد : هل تعرف فى زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق ؟ فقال : ما أعرف إلا رجلا سيدخل عليكم الساعة ! فما كان إلا سريعا حتى دخل عتبة الغلام ، فقال له عبد الواحد بن زيد : من أين جئت ياعتبة ؟ فقال من موضع كذا - وكان طريقه على السوق - فقال : من لقيت فى الطريق ؟ فقال : مارأيت أحدا . ويروى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام : أنه مر بامرأة فدفعها فسقطت على وجهها فقيل له : لم فعلت هذا ؟ فقال : ما ظننتها إلا جدارا . وحكى عن بعضهم أنه قال : مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا منهم . فتقدمت إليه فأردت أن أكلمه فقال : ذكر الله تعالى أشهى ! فقلت وحدك ؟ فقال : معى ربى وملكاى ! فقلت : من سبق من هؤلاء ؟ فقال : من غفر الله له ، فقلت : أين الطريق ؟ فأشار نحو السماء وقام ومشى وقال : أكثر خلقك شاغل عنك . فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لايتكلم إلا منه ولايسمع إلا فيه . فهذا لا يحتاج إلى مراقبة لسانه وجوارحه فإنها لا تتحرك إلا بما هو فيه . ودخل الشبلى على أبى الحسين النورى وهو معتكف فوجده ساكنا حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره شىء فقال له : من أين أخذت هذه المراقبة والسكون ؟ فقال : من سنور كانت لنا ، فكانت إذا أرادت الصيد رابطت رأس الجحر لاتتحرك لها شعرة . وقال أبو عبد الله بن خفيف : خرجت من مصر أريد الرملة للقاء أبى على الروذبارى فقال لى عيسى بن يونس المصرى - المعروف بالزاهد - وكان فى صور شابا وكهلا قد اجتمعا على حال المراقبة ، فلو نظرت إليهما نظرة لعلك تستفيد منهما ؟ فدخلت صورا وأنا جائع عطشان وفى وسطى خرقة وليس على كتفى شىء ، فدخلت المسجد فإذا بشخصين قاعدين مستقبلى القبلة فسلمت عليهما فما أجابانى ، فسلمت ثانية وثالثة فلم أسمع الجواب ، فقلت : نشدتكما بالله إلا رددتما على السلام ! فرفع الشاب رأسه من مرقعته فنظر إلى وقال : يا ابن خفيف الدنيا قليل وما بقى من القليل إلا القليل فخذ من القليل الكثير ، يا ابن خفيف : ما أقل شغلك حتى تتفرغ إلى لقائنا ؛ قال : فأخذ بكليتى ثم طأطأ رأسه فى المكان فبقيت عندهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب جوعى وعطشى وعنائى ، فلما كان وقت العصر قلت : عظنى ! فرفع رأسه إلى وقال : يا ابن خفيف نحن أصحاب المصائب ليس لنا لسان العظة ، فبقيت عندهما ثلاثة أيام لا آكل ولا أشرب ولا أنام ولا رأيتهما أكلا شيئا ولا شربا ، فلما كان اليوم الثالث قلت فى سرى : أحلفهما أن يعظانى لعلى أن أنتفع اضطرارا ، فرفع الشاب رأسه وقال لى : يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته وتقع هيبته على قلبك ، يعظك بلسان فعله ولايعظك بلسان قوله ، والسلام ؛ قم عنا ! فهذه درجة المراقبين الذين غلب على قلوبهم الإجلال والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لغير ذلك .

(الدرجة الثانية) مراقبة الورعين من أصحاب اليمين ؛ وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهرهم وباطنهم وعلى قلوبهم ، ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت إلى الأحوال والأعمال ، إنها مع ممارسة الأعمال لا تخلو عن المراقبة . نعم غلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون ولا يحجمون إلا بعد التثبت فيه ، ويمتنعون عن كل مايفتضحون به فى القيامة فإنهم يرون الله فى الدنيا مطلعا عليهم فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة .

وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات ؛ فإنك فى خلوتك قد تتعاطى أعمالا فيحضرك صبى أو امرأة فتعلم أنه مطلع عليك فتستحيى منه فتحسن جلوسك وتراعى أحوالك ، لا عن إجلال وتعظيم بل عن حياء ، فإن

مشاهدته وإن كانت لاتدهشك ولا تستغرقك فإنها تهيج الحياء منك . وقد يدخل عليك ملك من الملوك أو كبير من الأكابر فيستغرقك التعظيم حتى تترك كل ما أنت فيه شغلا به ، لا حياء منه فهكذا تختلف مراتب العباد فى مراقبة الله تعالى .

ومن كان فى هذه الدرجة فيحتاج أن يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته وبالجملة جميع اختياراته ، وله فيها نظران : نظر قبل العمل ، ونظر فى العمل (أما قبل العمل) فلينظر أن ما ظهر له وتحرك بفعله خاطره أهو لله خاصة أو هو فى هوى النفس ومتابعة الشيطان ؟ فيتوقف فيه ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق ، فإن كان لله تعالى أمضاه ، وإن كان لغير الله استحيا من الله وانكف عنه ثم لام نفسه على رغبته فيه وهمه به وميله إليه وعرفها سوء فعلها وسعيها فى فضيحتها وأنها عدوة نفسها إن لم يتداركها الله بعصمته . وهذا التوقف فى بداية الأمور إلى حد البيان واجب محتوم لامحيص لأحد عنه ، فإن فى الخبر : إنه ينشر للعبد فى كل حركة من حركاته وإن صغرت ثلاثة دواوين: الديوان الأول : لم ؟ والثانى كيف ؟ والثالث: لمن؟ [1] ومعنى « لم » أى لم فعلت هذا أكان عليك أن تفعله لمولاك أو ملت إليه بشهوتك وهواك ؟ فإن سلم منه بأن كان عليه أن يعمل ذلك لمولاه سئل عن الديوان الثانى فقيل له : كيف فعلت هذا ، فإن لله فى كل عمل شرطا وحكما لايدرك قدره ووقته وصفته إلا بعلم فيقال له : كيف فعلت أبعلم محقق أم بجهل وظن ؟ فإن سلم من هذا نشر الديوان الثالث وهو المطالبة بالإخلاص فيقال له . لمن عملت ألوجه الله خالصا وفاء بقولك « لا إله إلا الله » فيكون أجرك على الله ؟ أو لمراءاة خلق مثلك فخذ أجرك منه ؟ أم عملته لتنال عاجل دنياك فقد وفيناك نصيبك من الدنيا ؟ أم عملته بسهو وغفلة فقد سقط أجرك وحبط عملك وخاب سعيك ؟ وإن عملت لغيرى فقد استوجبت مقتى وعقابى إذ كنت عبدا لى تأكل رزقى وتترفه بنعمتى ثم تعمل لغيرى أما سمعتنى أقول ﴿إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم - إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه﴾ ويحك أما سمعتنى أقول ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ فإذا عرف العبد أنه بصدد هذه المطالبات والتوبيخات طالب نفسه قبل أن تطالب وأعد للسؤال جوابا وليكن الجواب صوابا ، فلا يبدئ ولا يعيد إلا بعد التثبت ، ولا يحرك جفنا ولا أنملة إلا بعد التأمل . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لمعاذ « إن الرجل ليسئل عن كحل عينيه وعن فتة الطين بأصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه [1] » وقال الحسن ، كان أحدهم إذا أراد أن يتصدق بصدقة نظر وتثبت فإن كان لله أمضاه . وقال الحسن : رحم الله تعالى عبدا وقف عند همه فإن كان لله مضى وإن كان لغيره تأخر . وقال فى حديث سعد حين أوصاه سلمان « اتق الله عند همك إذا هممت [2] » وقال محمد بن على : إن المؤمن وقاف متأن يقف عند همه ليس كحاطب ليل . فهذا هو النظر الأول فى هذه المراقبة ولا يخلص من هذا إلا العلم المتين والمعرفة الحقيقة بأسرار الأعمال وأغوار النفس ومكايد الشيطان ، فمتى لم يعرف نفسه وربه وعدوه إبليس ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحبه الله ويرضاه فى نيته وهمته وفكرته وسكونه وحركته ، فلا يسلم فى هذه المراقبة . بل الأكثرون يرتكبون الجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ولا تظنن أن الجاهل بما يقدر على التعلم فيه يعذر هيهات ! بل طلب العلم فريضة على كل مسلم ، ولهذا كانت ركعتان من عالم

---

(١) حديث « ينشر للعبد فى كل حركة من حركاته وان صغرت ثلاثة دواوين : الأول لم . والثانى كيف . والثالث لمن » لم أقف له على أصل .

(٢) حديث : قال لمعاذ « ان الرجل ليسأل عن كحل عينيه ... الحديث » تقدم فى الذى قبله . (٣) حديث سعد حين أوصاه سلمان أن : اتق الله عند همك اذا هممت » أخرجه أحمد والحاكم وصححه وهذا القدر منه موقوف وأوله مرفوع تقدم .

أفضل من ألف ركعة من غير عالم ، لأنه يعلم آفات النفوس ومكايد الشيطان ومواضع الغرور فيتقى ذلك ، والجاهل لا يعرفه فكيف يحترز منه ؟ فلا يزال الجاهل فى تعب والشيطان منه فى فرح وشماتة ، فنعوذ بالله من الجهل والغفلة فهو رأس كل شقاوة وأساس كل خسران . فحكم الله تعالى على كل عبد أن يراقب نفسه عند همه بالفعل وسعيه بالجارحة ، فيتوقف عن الهم وعن السعى حتى ينكشف له بنور العلم أنه لله تعالى فيمضيه أو هو لهوى النفس فيتقيه ويزجر القلب عن الفكر فيه وعن الهم به ، فإن الخطوة الأولى فى الباطل إذا لم تدفع أورثت الرغبة ؛ والرغبة تورث الهم والهم يورث جزم القصد ، والقصد يورث الفعل ، والفعل يورث البوار والمقت ، فينبغى أن تحسم مادة الشر من منبعه الأول وهو الخاطر فإن جميع ماوراءه يتبعه . ومهما أشكل على العبد ذلك وأظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيتفكر فى ذلك بنور العلم ويستعيذ بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى ، فإن عجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه فيستضىء بنور علماء الدين ، وليفر من العلماء المضلين المقبلين على الدنيا فراره من الشيطان بل أشد ؛ فقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : لاتسأل عنى عالما أسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتى أولئك قطاع الطريق على عبادى . فالقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدة الشره والتكالب عليها محجوبة عن نور الله تعالى ، فإن مستضاء أنوار القلوب حضرة الربوبية فكيف يستضىء بها من استدبرها وأقبل على عدوها وعشق بغيضها ومقيتها وهى شهوات الدنيا ؟ فلتكن همة المريد أولا فى أحكام العلم ، أو فى طلب عالم معرض عن الدنيا أو ضعيف الرغبة فيها إن لم يجد من هو عديم الرغبة فيها . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات [1] » جمع بين الأمرين وهما متلازمان حقا فمن ليس له عقل وازع عن الشهوات فليس له بصر ناقد فى الشبهات . ولذلك قال عليه السلام « من فارق ذنبا فارقه عقل لا يعود إليه أبدا [2] » فما قدر العقل الضعيف الذى سعد الآدمى به حتى يعمد إلى محوه ومحقه بمفارقة الذنوب ، ومعرفة آفات الأعمال قد اندرست فى هذه الأعصار ، فإن الناس كلهم قد هجروا هذه العلوم واشتغلوا بالتوسط بين الخلق فى الخصومات الثائرة فى اتباع الشهوات وقالوا هذا هو الفقه ، وأخرجوا هذا العلم الذى هو فقه الدين عن جملة العلوم وتجردوا لفقه الدنيا الذى ماقصد به إلا دفع الشواغل عن القلوب ليتفرغ لفقه الدين ، فكان فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه . وفى الخبر « أنتم اليوم فى زمان خيركم فيه المسارع وسيأتى عليكم زمان خيركم فيه المتثبت [3] » ولهذا توقف طائفة من الصحابة فى القتال مع أهل العراق وأهل الشام لما أشكل عليهم الأمر كسعد بن أبى وقاص وعبدالله بن عمر وأسامة ومحمد بن مسلمة وغيرهم . فمن لم يتوقف عند الاشتباه كان متبعا لهواه معجبا برأيه وكان ممن وصفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذ قال « فإذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك وكل من خاض فى شبهة بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى ﴿ ولاتقف ماليس لك به علم [4] ﴾ وقوله عليه السلام « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث [5] » وأراد به ظنا بغير دليل كما يستفتى بعض العوام قلبه فيما أشكل عليه ويتبع ظنه . ولصعوبة هذا الأمر وعظمه كان دعاء الصديق رضى الله تعالى عنه : اللهم أرنى الحق حقا وارزقنى اتباعه وأرنى الباطل باطلا وارزقنى اجتنابه ولاتجعله متشابها على فأتبع الهوى وقال عيسى عليه

---

(١) حديث « ان الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات ... الحديث » أخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث عمران بن حصين وفيه حفص بن عمر العدنى ضعفه الجمهور . (٢) حديث « من فارق ذنبا فارقه عقل لايعود اليه أبدا » تقدم ولم أجده .
(٣) حديث « أنتم اليوم فى زمان خيركم فيه المسارع وسيأتى عليكم زمان خيركم فيه المتثبت » لم أجده . (٤) حديث « فإذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ... الحديث » تقدم . (٥) حديث « اياكم والظن ... الحديث » تقدم .

السلام « الأمور ثلاثة : أمر استبان رشده فاتبعه وأمر استبان غيه فاجتنبه وأمر أشكل عليك فكله إلى عالمه [١] » وقد كان من دعاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « اللهم إنى أعوذ بك أن أقول فى الدين بغير علم [٢] » فأعظم نعمة الله على عباده هو العلم وكشف الحق ، والإيمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تعالى امتنانا على عبده ﴿ وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ وأراد به العلم وقال تعالى ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ وقال تعالى ﴿ إنّ علينا للهدى ﴾ وقال ﴿ ثم إن علينا بيانه ﴾ وقال ﴿ وعلى الله قصد السبيل ﴾ .

وقال على كرم الله وجهه : الهوى شريك العمى ، ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ، ونعم طارد الهم اليقين ، وعاقبة الكذب الندم ، وفى الصدق السلامة ، رب بعيد أقرب من قريب ، وغريب من لم يكن له حبيب ، والصديق من صدق غيبه ، ولا يعدمك من حبيب سوء ظن ، نعم الخلق التكرم ، والحياء سبب إلى كل جميل ، وأوثق العرا التقوى ، وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله تعالى إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك ، والرزق رزقان : رزق تطلبه ورزق يطلبك فإن لم تأته أتاك ، وإن كنت جازعا على ما أصيب مما فى يديك فلا تجزع على مالم يصل إليك ، واستدل على مالم يكن بما كان فإنما الأمور أشباه ، والمرء يسره درك مالم يكن ليفوته ويسوءه فوت مالم يكن ليدركه ، فما نالك من دنياك فلا تكثرن به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك أسفا ، وليكن سرورك بما قدمت وأسفك على ماخلفت وشغلك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت . وغرضنا من نقل هذه الكلمات قوله « ومن التوفيق التوقف عند الحيرة » فإذن النظر الأول للمراقب نظره فى الهم والحركة أهى لله أم للهوى ؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه : لا يخاف فى الله لومة لائم ، ولا يرائى بشىء من عمله ، وإذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا [٣] » وأكثر ما ينكشف له فى حركاته أن يكون مباحا ولكن لا يعنيه فيتركه لقوله صلى الله عليه وسلم « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه [٤] » .

النظر الثانى للمرقبة عند الشروع فى العمل ، وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضى حق الله فيه ويحسن النية فى إتمامه ويكمل صورته ويتعاطاه على أكمل مايمكنه ، وهذا ملازم له فى جميع أحواله فإنه لا يخلو فى جميع أحواله عن حركة وسكون فإذا راقب الله تعالى فى جميع ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الأدب . فإن كان قاعدا مثلا فينبغى أن يقعد مستقبل القبلة لقوله صلى الله عليه وسلم « خير المجالس ما استقبل به القبلة [٥] » ولا يجلس متربعا إذ لا يجالس الملوك كذلك وملك الملوك مطلع عليه ، قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله : جلست مرة متربعا فسمعت هاتفا يقول : هكذا تجالس الملوك ؟ فلم أجلس بعد ذلك متربعا وإن كان ينام . فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة ـ مع سائر الآداب التى ذكرناها فى موضعها ـ فكل ذلك داخل فى المراقبة بل لو كان فى قضاء الحاجة فمراعاته لآدابها وفاء بالمراقبة .

فإذن لا يخلو العبد إما أن يكون فى طاعة ، أو فى معصية ، أو فى مباح .

فمراقبته فى الطاعة بالإخلاص والإكمال ومراعاة الأدب وحراستها عن الآفات .

---

(٢) حديث « قال عيسى الأمور ثلاثة ... الحديث » أخرجه الطبرانى من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف .

(٢) حديث « اللهم إنى أعوذ بك أن أقول فى الدين بغير علم » لم أجده . (٣) حديث « ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف فى الله لومة لائم ... الحديث » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة وقد تقدم .

(٤) حديث « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه » تقدم . (٥) حديث « خير المجالس ما استقبل به القبلة » أخرجه الحاكم من حديث ابن عباس وقد تقدم .

وإن كان فى معصية فمراقبته بالتوبة والندم والإقلاع والحياء والاشتغال بالتفكر .

وإن كان فى مباح فمراقبته بمراعاة الأدب ثم بشهود المنعم فى النعمة وبالشكر عليها .

ولا يخلو العبد فى جملة أحواله عن بلية لابدّ له من الصبر عليها ونعمة لابدّ له من الشكر عليها وكل ذلك من المراقبة . بل لاينفك العبد فى كل حال من فرض لله تعالى عليه إما فعل يلزمه مباشرته أو محظور يلزمه تركه أو ندب حث عليه ليسارع به إلى مغفرة الله تعالى ويسابق به عباد الله أو مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعته . ولكل واحد من ذلك حدود لابدّ من مراعاتها بدوام المراقبة ﴿ ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه ﴾ فينبغى أن يتفقد العبد نفسه فى جميع أوقاته فى هذه الأقسام الثلاثة فإذا كان فارغا من الفرائض وقدر على الفضائل فينبغى أن يلتمس أفضل الأعمال ليشتغل بها فإنّ من فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مغبون ، والأرباح تنال بمزايا الفضائل فبذلك يأخذ العبد من دنياه لآخرته كما قال تعالى ﴿ ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ .

وكل ذلك إنما يمكن بصبر ساعة واحدة . فإنّ الساعات ثلاث : ساعة مضت لاتعب فيها على العبد كيفما انقضت فى مشقة أو رفاهية . وساعة مستقبلة لم تأت بعد لايدرى العبد أيعيش إليها أم لا ولا يدرى ما يقضى الله فيها ؟ وساعة راهنة ينبغى أن يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه . فإن لم تأته الساعة الثانية لم يتحسر على فوات هذه الساعة وإن أتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الأولى . ولا يطول أمله خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون ابن وقته كأنه فى آخر أنفاسه فلعله آخر أنفاسه وهو لايدرى ، وإذا أمكن أن يكون آخر أنفاسه فينبغى أن يكون على وجه لا يكره أن يدركه الموت وهو على تلك الحالة ، وتكون جميع أحواله مقصورة على مارواه أبو ذر رضى الله تعالى عنه من قوله عليه السلام « لايكون المؤمن ظاعنا إلا فى ثلاث : تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة فى غير محرم [1] » وما روى عنه أيضا فى معناه « وعلى العاقل أن تكون له أربعة ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها فى صنع الله تعالى وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب [2] » فإن فى هذه الساعة عونا له على بقية الساعات . ثم هذه الساعات التى هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لاينبغى أن يخلو عن عمل هو أفضل الأعمال وهو الذكر والفكر ، فإن الطعام الذى يتناوله مثلا فيه من العجائب مالو تفكر فيه وفطن له كان ذلك أفضل من كثير من أعمال الجوارح . والناس فيه أقسام :

قسم ينظرون إليه بعين التبصر والاعتبار ، فينظرون فى عجائب صنعته وكيفية ارتباط قوام الحيوانات به وكيفية تقدير الله لأسبابه ، وخلق الشهوات الباعثة عليه وخلق الآلات المسخرة للشهوة فيه ـ كما فصلنا بعضه فى كتاب الشكر ـ وهذا مقام ذوى الألباب .

وقسم ينظرون فيه بعين المقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطرار إليه وبودهم لو استغنوا عنه ولكن يرون أنفسهم مقهورين فيه مسخرين لشهواته ، وهذا مقام الزاهدين .

وقوم يرون فى الصنعة الصانع ويترقون منها إلى صفات الخالق ، فتكون مشاهدة ذلك سببا لتذكر أبواب من الفكر تنفتح عليهم بسببه ، وهو أعلى المقامات وهو من مقامات العارفين وعلامات المحبين ، إذ المحب إذا رأى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسى الصنعة واشتغل قلبه بالصانع ، وكل مايتردد العبد فيه صنع الله تعالى فله فى النظر منه إلى

---

(١) حديث أبى ذر « لايكون المؤمن ظاعنا إلا فى ثلاث : تزود لمعاد ... الحديث » أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه أ صلى الله عليه وسلم قال إنه فى صحف موسى وقد تقدم . (٢) حديث « وعلى العاقل أن يكون له ثلاث ساعات: ساعة يناجى ربه .. الحديث » وهى بقية حديث أبى ذر الذى قبله .

الصانع بحال رحب إن فتحت له أبواب الملكوت وذلك عزيز جدا .

وقسم رابع ينظرون إليه بعين الرغبة والحرص ، فيتأسفون على ماقاتهم منه ويفرحون بما حضرهم من جملته ، ويذمون منه مالا يوافق هواهم ويعيبونه ويذمون فاعله فيذمون الطبيخ والطباخ ، ولا يعلمون أن الفاعل للطبيخ والطباخ ولقدرته ولعلمه هو الله تعالى ، وأن من ذم شيئا من خلق الله بغير إذن فقد ذم الله ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « لاتسبوا الدهر فإن الله هو الدهر [1] » فهذه المرابطة الثانية بمراقبة الأعمال على الدوام والاتصال وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المنهاج لمن أحكم الأصول .

المرابطة الثالثة

محاسبة النفس بعد العمل . ولنذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها

أما الفضيلة : فقد قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾ وهذه إشارة إلى المحاسبة على مامضى من الأعمال ، ولذلك قال عمر رضى الله تعالى عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا ، وفى الخبر : أنه عليه السلام جاءه رجل فقال يا رسول الله أوصنى فقال « أمستوص أنت ؟ » فقال نعم ، قال « إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فامضه وإن كان غيا فانته عنه » وفى الخبر وينبغى للعاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه . وقال تعالى ﴿ وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ والتوبة نظر فى الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه . وقد قال صلى الله عليه وسلم « إنى لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه فى اليوم مائة مرة [2] » وقال تعالى ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ وعن عمر رضى الله عنه ، أنه كان يضرب قدميه بالدرة إذا جنه الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم؟ وعن ميمون ابن مهران أنه قال لايكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه ، والشريكان يتحاسبان بعد العمل . وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن أبا بكر رضوان الله عليه قال لها عند الموت ما أحد من الناس أحب إلى من عمر ، ثم قال لها كيف قلت ؟ فأعادت عليه ما قال فقال لا أحد أعز على من عمر . فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها ! وحديث أبى طلحة حين شغله الطائر فى صلاته - فتدبر ذلك - فجعل حائطه صدقة لله تعالى، ندما ورجاء للعوض عما فاته [3] » .

وفى حديث ابن سلام أنه حمل حزمة من حطب فقيل له ياأبا يوسف قد كان فى بنيك وغلمانك مايكفونك هذا ، فقال أردت أن أجرب نفسى هل تنكره ؟ وقال الحسن المؤمن قوام على نفسه يحاسبها لله ، وإنما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم فى الدنيا ، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة . ثم فسر المحاسبة فقال إن المؤمن يفجؤه الشىء يعجبه فيقول والله إنك لتعجبنى وإنك من حاجتى ولكن هيهات حيل بينى وبينك ! وهذا حساب قبل العمل ، ثم قال ويفرط منه الشىء فيرجع إلى نفسه فيقول ماذا أردت بهذا ؟ والله لاأعذر بهذا والله لا أعود لهذا أبدا إن شاء الله ! وقال أنس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يوما وقد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطا فسمعته يقول - وبينى وبينه جدار - وهو فى الحائط : عمر

---

(١) حديث « لاتسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة . (٢) حديث « إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم مائة مرة » تقدم غير مرة . (٣) حديث أبى طلحة : حين شغله الطائر عن صلاته فجعل حديقته صدقة . تقدم غير مرة .

ابن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ ! والله لتتقين الله أو ليعذبنك . وقال الحسن فى قوله تعالى ﴿ ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ قال : لايلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه ؛ ماذا أردت بكلمتى ؟ ماذا أردت بأكلتى ؟ ماذا أردت بشربتى ؟ والفاجر يمضى قدما لايعاتب نفسه وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى : رحم الله عبدا قال لنفسه ؛ ألست صاحبة كذا ، ألست صاحبة كذا ؟ ثم ذمها ثم خطمها ، ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائدا وهذا من معاتبة النفس كما سيأتى فى موضعه ، وقال ميمون بن مهران : التقى أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح . وقال إبراهيم التيمى : مثلت نفسى فى الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها ، ثم مثلت نفسى فى النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلالها ، فقلت لنفسى يانفس أى شىء تريدين ؟ فقالت : أريد أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحا ! قلت : فأنت فى الأمنية فاعملى . وقال مالك بن دينار : سمعت الحجاج يخطب وهو يقول ؛ رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب إلى غيره ، رحم الله امرأ أخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به رحم الله امرأ نظر فى مكياله ، رحم الله امرأ نظر فى ميزانه ، فما زال يقول حتى أبكانى . وحكى صاحب للأحنف ابن قيس قال : كنت أصحبه فكان عامة صلاته بالليل ، الدعاء ، وكان يجىء إلى المصباح فيضع أصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه : ياحنيف ماحملك على ماصنعت يوم كذا ؟ ماحملك على ماصنعت يوم كذا ؟ .

بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل

اعلم أنّ العبد كما يكون له وقت فى أوّل النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوصية بالحق فينبغى أن يكون له فى آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها ـ كما يفعل التجار فى الدنيا مع الشركاء فى آخر كل سنة أو شهر أو يوم حرصا منهم على الدنيا ، وخوفا من أن يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة لهم فى فواته ! ولو حصل ذلك لهم فلا يبقى إلا أياما قلائل ، فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة أبد الآباد ؟ ماهذه المساهلة إلا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله من ذلك . ومعنى المحاسبة مع الشريك أن ينظر فى رأس المال وفى الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان ، فإن كان من فضل حاصل استوفاه وشكره ، وإن كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه فى المستقبل . فكذلك رأس مال العبد فى دينه الفرائض ، وربحه النوافل والفضائل ، وخسرانه المعاصى . وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعامله نفسه الأمارة بالسوء ، فيحاسبها على الفرائض أوّلا فإن أداها على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها فى مثلها ، وإنّ فوتها من أصلها طالبها بالقضاء ، وإن أداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل ، وإن ارتكب معصية اشتغل بعقوبتها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفى منها ما يتدارك به مافرط ـ كما يصنع التاجر بشريكه ـ وكما أنه يفتش فى حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن فى شىء منها فينبغى أن يتقى غبينة النفس ومكرها فإنها خداعة ملبسة مكارة ، فليطالبها أوّلا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره ، وليتكفل بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره فى صعيد القيامة ، وهكذا عن نظره بل عن خواطره وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه ، حتى عن سكوته أنه لم سكت ؟ وعن سكونه لم سكن ؟ فإذا عرف مجموع الواجب على النفس . وصح عنده قدر أدىّ الواجب فيه ، كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقى على نفسه فليثبته عليها وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقى الذى على شريكه على قلبه وفى جريدة حسابه .

ثم النفس غريم يمكن أن يستوفى منه الديون . أما بعضها : فبالغرامة والضمان ، وبعضها : برد عينه . وبعضها

بالعقوبة لها على ذلك . ولا يمكن شيء من ذلك إلا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه ،فإذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء . ثم ينبغي أن يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الأعضاء الظاهرة والباطنة - كما نقل عن توبة ابن الصمة وكان بالرقة وكان محاسبا لنفسه ؛ فحسب يوما فإذا هو ابن ستين سنة ، فحسب أيامها فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم ، فصرخ وقال ياويلتي ألقى الملك بأحد وعشرين ألف ذنب ! فكيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب ؟ ثم خرّ مغشيا عليه فإذا هو ميت ، فسمعوا قائلا يقول يالك ركضة إلى الفردوس الأعلى! فهكذا ينبغي أن يحاسب نفسه على الأنفاس وعلى معصيته بالقلب والجوارح في كل ساعة ؛ ولو رمى العبد بكل معصية حجرا في داره لامتلأت داره في مدة يسيرة قريبة من عمره ، ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي والملكان يحفظان عليه ذلك ﴿أحصاه الله ونسوه﴾ .

المرابطة الرابعة

في معاقبة النفس على تقصيرها

مهما حاسب نفسه فلم تسلم عن مقارفة معصية وارتكاب تقصير في حق الله تعالى فلا ينبغي أن يهملها فإنه إن أهملها سهل عليه مقارفة المعاصي وأنست بها نفسه وعسر عليه فطامها ، وكان ذلك سبب هلاكها ، بل ينبغي أن يعاقبها ، فإذا أكل لقمة شبهة بشهوة نفس ينبغي أن يعاقب البطن بالجوع ، وإذا نظر إلى غير محرم ينبغي أن يعاقب العين بمنع النظر ، وكذلك يعاقب كل طرف من أطراف بدنه بمنعه عن شهواته . هكذا كانت عادة سالكي طريق الآخرة فقد روى عن منصور بن إبراهيم : أن رجلا من العباد كلم امرأة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها ثم ندم فوضع يده على النار حتى يبست . وروى أنه كان في بني إسرائيل رجل يتعبد في صومعته فمكث كذلك زمانا طويلا فأشرف ذات يوم فإذا هو بامرأة فافتتن بها وهم بها ، فأخرج رجله لينزل إليها فأدركه الله بسابقة فقال : ما هذا الذي أريد أن أصنع ؟ فرجعت إليه نفسه وعصمه الله تعالى فندم ، فلما أراد أن يعيد رجله إلى الصومعة قال : هيهات هيهات ! رجل خرجت تريد أن تعصي الله تعود في صومعتي لا يكون والله ذلك أبدا ! فتركها معلقة في الصومعة تصيبها الأمطار والرياح والثلج والشمس حتى تقطعت فسقطت ؛ فشكر الله له ذلك وأثنى في بعض كتبه ذكره . ويحكى عن الجنيد قال : سمعت ابن الكريبي يقول : أصابتني ليلة جنابة فاحتجت أن أغتسل وكانت ليلة باردة ، فوجدت في نفسي تأخرا وتقصيرا فحدثتني نفسي بالتأخير حتى أصبح وأسخن الماء أو أدخل الحمام ولا أعني على نفسي فقلت : واعجبا أنا أعامل الله في طول عمري فيجب له علي حق فلا أجد في المسارعة وأجد الوقوف والتأخر ! آليت أن لا أغتسل إلا في مرقعتي هذه ! وآليت أن لا أنزعها ولا أعصرها ولا أجففها في الشمس ، ويحكى أن غزوان وأبا موسى كانا في بعض مغازيهما فتكشفت جارية فنظر إليها غزوان ، فرفع يده فلطم عينه حتى بقرت وقال: إنك للحاظة إلى ما يضرك . ونظر بعضهم نظرة واحدة امرأة فجعل على نفسه أن لا يشرب الماء البارد طول حياته فكان يشرب الماء الحار لينغص على نفسه العيش . ويحكى أن حسان بن أبي سنان مر بغرفة فقال : متى بنيت هذه ؟ ثم أقبل على نفسه فقال : تسألين عما لا يعنيك ؟ لأعاقبنك بصوم سنة فصامها . وقال مالك بن ضيغم : جاء رباح القيسي يسأل عن أبي بعد العصر فقلنا : إنه نائم ، فقال : أنوم هذه الساعة ! هذا وقت نوم ؟ ثم ولى منصرفا فأتبعناه رسولا وقلنا له: ألا نوقظه لك ! فجاء الرسول وقال : هو أشغل من أن يفهم عني شيئا ، أدركته وهو يدخل المقابر وهو يعاتب نفسه ويقول : أقلت وقت نوم هذه الساعة ؟ أفكان هذا عليك ؟ ينام الرجل متى شاء ! وما يدريك أنّ هذا ليس وقت

نوم ؟ تتكلمين بما لا تعلمين ؟ أما إن لله على عهدا لا أنقضه أبدا ! لا أوسدك الأرض لنوم حولا إلا لمرض حائل أو لعقل زائل ، سوأة لك أما تستحين ! كم توبخين ؟ وعن غيك لا تنتهين ؟ قال : وجعل يبكى وهو لا يشعر بمكانى، فلما رأيت ذلك انصرفت وتركته . ويحكى عن تميم الدارى أنه نام ليلة لم يقم فيها يتهجد ؛ فقام سنة لم ينم فيها ، عقوبة للذى صنع . وعن طلحة رضى الله تعالى عنه قال : انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ فى الرمضاء فكان يقول لنفسه : ذوقى ! ونار جهنم أشد حرا ! أجيفة بالليل بطالة بالنهار ؟ فبينما هو كذلك إذ أبصر النبى صلى الله عليه وسلم فى ظل شجرة فأتاه فقال : غلبتنى نفسى ! فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « ألم يكن لك بد من الذى صنعت أما لقد فتحت لك أبواب السماء ولقد باهى الله بك الملائكة » ثم قال لأصحابه « تزودوا من أخيكم » فجعل الرجل يقول له : يافلان ادع لى ! يافلان ادع لى فقال ! النبى صلى الله عليه وسلم « عمهم » فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى أمرهم . فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم سدده » فقال الرجل : اللهم اجعل الجنة مآبهم [1] وقال حذيفة بن قتادة : قيل لرجل كيف تصنع بنفسك فى شهواتها ؟ فقال : ما على وجه الأرض نفس أبغض إلى منها فكيف أعطيها شهواتها ؟ ودخل ابن السماك على داود الطائى حين مات ـ وهو فى بيته على التراب ـ فقال : يا داود سجنت نفسك قبل أن تسجن وعذبت نفسك قبل أن تعذب ، فاليوم ترى ثواب من كنت تعمل له . وعن وهب بن منبة : أن رجلا تعبد زمانا ، ثم بدت له إلى الله تعالى حاجة فقام سبعين سبتا يأكل فى كل سبت إحدى عشرة تمرة ، ثم سأل حاجته فلم يعطها، فرجع إلى نفسه وقال : منك أتيت لو كان فيك خير لأعطيت حاجتك ! فنزل إليه ملك وقال : يا ابن آدم ؛ ساعتك هذه خير من عبادتك التى مضت وقد قضى الله حاجتك . وقال عبد الله بن قيس : كنا فى غزاة لنا فحضر العدو ، فصبح فى الناس فقاموا إلى المصاف فى يوم شديد الريح ، وإذا رجل أمامى وهو يخاطب نفسه ويقول : أى نفسى ألم أشهد مشهد كذا فقلت لى ؛ أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت ! ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت لى ؛ أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت ! والله لأعرضنك اليوم على الله أخذك أو تركك ! فقلت لأرمقنه اليوم ، فرمقته فحمل الناس على عدوهم فكان فى أوائلهم ، ثم إن العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان فى موضعه ، حتى انكشفوا مرات وهو ثابت يقاتل ، فو الله مازال ذاك دأبه حتى رأيته صريعا ، فعددت به وبدابته ستين أو أكثر من ستين طعنة . وقد ذكرنا حديث أبى طلحة : لما اشتغل قلبه فى الصلاة بطائر فى حائطه فتصدق بالحائط كفارة لذلك . وإن عمر كان يضرب قدميه بالدرة كل ليلة ويقول : ماذا عملت اليوم ؟ وعن مجمع : أنه رفع رأسه إلى السطح فوقع بصره على امرأة فجعل على نفسه أن لا يرفع رأسه إلى السماء مادام فى الدنيا . وكان الأحنف بن قيس لا يفارقه المصباح بالليل فكان يضع أصبعه عليه ويقول لنفسه : ما حملك على أن صنعت يوم كذا كذا ؟ وأنكر وهيب بن الورد شيئا على نفسه فنتف شعرات على صدره حتى عظم ألمه ثم جعل يقول لنفسه : ويحك ! إنما أريد بك الخير . ورأى محمد بن بشر داود الطائى ، وهو يأكل عند إفطاره خبزا بغير ملح ! فقال له : لو أكلته بملح ! فقال : إن نفسى لتدعونى إلى الملح منذ سنة ، ولا ذاق داود ملحا مادام فى الدنيا .

فكذا كانت عقوبة أولى الحزم لأنفسهم والعجب أنك تعاقب عبدك وأمتك وأهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير فى أمر وتخاف أنك لو تجاوزت عنهم لخرج أمرهم عن الاختيار وبغوا عليك ، ثم تهمل

---

(١) حديث طلحة : انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ فى الرمضاء وكان يقول لنفسه : ونار جهنم أشد حرا ... الحديث بطوله أخرجه ابن أبى الدنيا فى محاسبة النفس من رواية ليث بن أبى سليم عنه وهذا منقطع أو مرسل ، ولا أدرى من طلحة هذا .

نفسك وهى أعظم عدو لك وأشد طغيانا عليك ، وضررك من طغيانها أعظم من ضررك من طغيان أهلك ، فإن غايتهم أن يشوشوا عليك معيشة الدنيا ، ولو عقلت لعلمت أن العيش عيش الآخرة وأن فيه النعيم المقيم الذى لا آخر له ونفسك هى التى تنغص عليك عيش الآخرة فهى بالمعاقبة أولى من غيرها .

المرابطة الخامسة : المجاهدة

وهو أنه إذا حاسب نفسه فرآها قد قارفت معصية فينبغى أن يعاقبها بالعقوبات التى مضت ، وإن رآها تتوانى بحكم الكسل فى شىء من الفضائل أو ورد من الأوراد فينبغى أن يؤدبها بتثقيل الأوراد عليها ويلزمها فنونا من الوظائف جبرا لما فات منه وتداركا لما فرط ؛ فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى ، فقد عاقب عمر بن الخطاب نفسه حين فاتته صلاة العصر فى جماعة بأن تصدق بأرض كانت له قيمتها مائتا ألف درهم وكان ابن عمر إذا فاتته صلاة فى جماعة أحيا تلك الليلة ، وأخر ليلة صلاة المغرب حتى طلع كوكبان فأعتق رقبتين . وفات ابن أبى ربيعة ركعتا الفجر فأعتق رقبة . وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة أو الحج ماشيا أو التصدق بجميع ماله . كل ذلك مرابطة النفس ومؤاخذة لها بما فيه نجاتها .

فإن قلت : إن كانت نفسى لا تطاوعنى على المجاهدة والمواظبة على الأوراد فما سبيل معالجتها ؟ فأقول : سبيلك فى ذلك أن تسمعها ماورد فى الأخبار من فضل المجتهدين [1] ومن أنفع أسباب العلاج أن تطلب صحبة عبد من عباد الله مجتهد فى العبادة فتلاحظ أقواله وتقتدى به . وكان بعضهم يقول : كنت إذا اعترتنى فترة فى العبادة نظرت إلى أحوال محمد بن واسع وإلى اجتهاده فعملت على ذلك أسبوعا . إلا أن هذا العلاج قد تعذر إذ قد فقد فى هذا الزمان من يجتهد فى العبادة اجتهاد الأولين ، فينبغى أن يعدل من المشاهدة إلى السماع فلا شىء أنفع من سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد ، وقد انقضى تعبهم وبقى ثوابهم ونعيمهم أبد الآباد لا ينقطع ، فما أعظم ملكهم وما أشد حسرة من لا يقتدى بهم فيمتع نفسه أياما قلائل بشهوات مكدرة ! ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين كل مايشتهيه أبد الآباد ! نعوذ بالله تعالى من ذلك .

ونحن نورد من أوصاف المجتهدين وفضائلهم مايحرك رغبة المريد فى الاجتهاد اقتداء بهم ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رحم الله أقواما يحسبهم الناس مرضى وماهم بمرضى [2] » ، قال الحسن : أجهدتهم العبادة ! قال الله تعالى ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ﴾ قال الحسن : يعملون ماعملوا من أعمال البر ويخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله ! وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن طال عمره وحسن عمله [3] » ، ويروى أن الله تعالى يقول للملائكة : مابال عبادى مجتهدين ، فيقولون : إلهنا خوفتهم شيئا فخافوه وشوقتهم إلى شىء فاشتاقوا إليه ! فيقول الله تبارك وتعالى : فكيف لو رآنى عبادى لكانوا أشد اجتهادا ، وقال الحسن : أدركت أقواما وصحبت

---

(١) الأخبار الواردة فى حق المجتهدين أخرجها أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص « من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين » وله وللنسائى وابن ماجة من حديث أبى هريرة بإسناد صحيح « رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته » وللترمذى من حديث بلال « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ... الحديث » وقال غريب ولا يصح وقد تقدم فى الأوراد مع غيره من الأخبار فى ذلك .

(٢) حديث « رحم الله أقواما تحسبهم مرضى وما بمرضى » لم أجد له أصلا فى حديث مرفوع لكن رواه أحمد فى الزهد موقوفا على على فى كلام له قال فيه : ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض . (٣) حديث « طوبى لمن طال عمره وحسن عمله » أخرجه الطبرانى من حديث عبد الله بن بشر وفيه بقية رواه بصيغة «عن» وهو مدلس والترمذى من حديث أبى بكرة « خير الناس من طال عمره وحسن عمله » وقال حسن صحيح وقد تقدم

طوائف منهم ، ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل ، ولا يتأسفون على شيء منها أدبر ، وهي كانت أهون في أعينهم من هذا التراب الذي تطئونه بأرجلكم ، إن كان أحدهم ليعيش عمره كله ماطوى له ثوب ولا أمر أهله بصنعة طعام قط ، ولا جعل بينه وبين الأرض شيئا قط ، وأدركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم إذا جنهم الليل فقيام على أطرافهم ، يفترشون وجوههم ، تجرى دموعهم على خدودهم ، يناجون ربهم في فكاك رقابهم ، إذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا في شكرها وسألوا الله أن يتقبلها ، وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله تعالى أن يغفرها لهم ، والله مازالوا كذلك وعلى ذلك ووالله ماسلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة . ويحكى أنّ قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه ، وإذا فيهم شاب ناحل الجسم ، فقال عمر له : يافتى ماالذى بلغ بك ما أرى ؟ فقال : ياأمير المؤمنين أسقام وأمراض ، فقال : سألتك بالله إلا صدقتنى ! فقال : ياأمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندى زهرتها وحلاوتها واستوى عند ذهبها وحجرها ، وكأنى أنظر إلى عرش ربى والناس يساقون إلى الجنة والنار فأظمأت لذلك نهارى وأسهرت ليلى ، وقليل حقير كل ما أنا فيه في جنب ثواب الله وعقابه . وقال أبو نعيم : كان داود الطائى يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز فقيل له في ذلك فقال : بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية . ودخل رجل عليه يوما فقال : إنّ في سقف بيتك جذعا مكسورا فقال : يا ابن أخى إن لى في البيت منذ عشرين سنة ما نظرت إلى السقف . وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام . وقال محمد بن عبد العزيز : جلسنا إلى أحمد بن رزين من غدوة إلى العصر فما التفت يمنة ولا يسرة ! فقيل له في ذلك فقال إن الله عز وجل خلق العينين لينظر بهما العبد إلى عظمة الله تعالى . فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة . وقالت امرأة مسروق : ما كان يوجد مسروق إلا وساقاه منتفختان من طول الصلاة ! وقالت : والله إن كنت لأجلس خلفه فأبكى رحمة له . وقال أبو الدرداء : لولا ثلاث ما أحببت العيش يوما واحدا : الظمأ لله بالهواجر ، والسجود لله في جوف الليل ، ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب الثمر وكان الأسود بن يزيد يجتهد في العبادة ويصوم في الحر حتى يخضر جسده ويصفر ، فكان علقمة بن قيس يقول له : لم تعذب نفسك ؟ فيقول : كرامتها أريد . وكان يصوم حتى يخضر جسده ويصلى حتى يسقط ، فدخل عليه أنس بن مالك والحسن فقالا له : إن الله عز وجل لم يأمرك بكل هذا ؟ فقال : إنما أنا عبد مملوك لا أدع من الاستكانة شيئا إلا جئت به . وكان بعض المجتهدين يصلى كل يوم ألف ركعة ، حتى أقعد من رجليه فكان يصلى جالسا ألف ركعة ، فإذا صلى العصر احتبى ثم قال : عجبت للخليقة كيف أرادت بك بدلا منك ! عجبت للخليقة كيف أنست بسواك ! بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك ! وكان ثابت البنانى قد حببت إليه الصلاة فكان يقول : اللهم إن كنت أذنت لأحد أن يصلى لك في قبره فأذن لى أن أصلى في قبرى . وقال الجنيد : مارأيت أعبد من السرى ! أتت عليه ثمان وتسعون سنة مارؤى مضطجعا إلا في علة الموت . وقال الحارث بن سعد : مر قوم براهب فرأوا مايصنع بنفسه من شدة اجتهاده ، فكلموه في ذلك فقال : وما هذا عند مايراد بالخلق من ملاقاة الأهوال وهم غافلون ، قد اعتكفوا على حظوظ أنفسهم ونسوا حظهم الأكبر من ربهم ؟ فبكى القوم عن آخرهم . وعن أبى محمد المغازلى قال : جاور أبو محمد الجريرى بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند إلى عمود ولا إلى حائط ولم يمد رجليه ، فعبر عليه أبو بكر الكتانى فسلم عليه وقال له يا أبا محمد بم قدرت على اعتكافك هذا ؟ فقال : علم صدق باطنى فأعانى على ظاهرى ، فأطرق الكتانى ومشى مفكرا . وعن بعضهم قال : دخلت على فتح الموصلى فرأيته قد مد كفيه

يبكى ـ حتى رأيت الدموع تنحدر من بين أصابعه ـ فدنوت منه فإذا دموعه قد خالطها صفرة ! فقلت : ولم بالله يافتح بكيت الدم ؟ فقال : لولا أنك أحلفتنى بالله ماأخبرتك ، نعم بكيت دما فقلت له : على ماذا بكيت الدموع ؟ فقال : على تخلفى عن واجب حق الله تعالى وبكيت الدم على الدموع لئلا يكون ماصحت لى الدموع ؟ قال : فرأيته بعد موته فى المنام فقلت : ماصنع الله بك ؟ قال : غفر لى . فقلت له : فماذا صنع فى دموعك ؟ فقال : قربنى ربى عز وجل وقال لى : يافتح الدمع على ماذا ؟ قلت : يارب على تخلفى عن واجب حقك ، فقال : والدم على ماذا ؟ فقلت على دموعى أن لا تصح لى ، فقال لى يافتح ما أردت بهذا كله ، وعزتى وجلالى لقد صعد حافظاك أربعين سنة بصحيفتك مافيها خطيئة . وقيل إنّ قوما أرادوا سفرا فحادوا عن الطريق ، فانتهوا إلى راهب منفرد عن الناس فنادوه فأشرف عليهم من صومعته ، فقالوا يا راهب إنا قد أخطأنا الطريق فكيف الطريق ؟ فأومأ برأسه إلى السماء ، فعلم القوم ما أراد ، فقالوا يا راهب إنا سائلوك فهل أنت مجيبنا ؟ فقال سلوا ولا تكثروا فإنّ النهار لن يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث ، فعجب القوم من كلامه فقالوا ياراهب علام الحلق غدا عند مليكهم ؟ فقال على نياتهم ، فقالوا أوصنا ، فقال تزودوا على قدر سفركم فإنّ خير الزاد مابلغ البغية . ثم أرشدهم إلى الطريق وأدخل رأسه فى صومعته . وقال عبد الواحد بن زيد مررت بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته ياراهب فلم يجبنى فناديته الثانية فلم يجبنى فناديته الثالثة فأشرف على وقال ياهذا ما أنا براهب إنما الراهب من رهب الله فى سمائه وعظمه فى كبريائه وصبر على بلائه ورضى بقضائه وحمده على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته ، وفكر فى حسابه وعقابه فنهاره صائم وليله قائم ، قد أسهره ذكر النار ومسألة الجبار ، فذلك هو الراهب ، وأما أنا فكلب عقور حبست نفسى فى هذه الصومعة عن الناس لئلا أعقرهم ! فقلت ياراهب فما الذى قطع الخلق عن الله تعالى بعد أن عرفوه ؟ فقال ياأخى لم يقطع الخلق عن الله تعالى إلا حب الدنيا وزينتها لأنها محل المعاصى والذنوب ، والعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب إلى الله تعالى من ذنبه وأقبل على ما يقربه من ربه وقيل لداود الطائى لو سرحت لحيتك فقال إنى إذن لفارغ . وكان أويس القرنى يقول هذه ليلة الركوع فيحيي الليل كله فى ركعة ، وإذا كانت الليلة الآتية قال هـذه ليلة السجود فيحيي الليل كله فى سجدة . وقيل لما تاب عتبة الغلام كان لايتهنأ بالطعام والشراب فقالت له أمه لو رفقت بنفسك ! قال الرفق أطلب ! دعينى أتعب قليلا وأتنعم طويلا وحج مسروق فما نام قط إلا ساجدا . وكان سفيان الثورى يقول عند الصباح يحمد القوم السرى وعند الممات يحمد القوم التقى . وقال عبد الله بن داود كان أحدهم إذا بلغ أربعين سنة طوى فراشه أى كان لاينام طول الليل . وكان كهمس بن الحسن يصلى كل يوم ألف ركعة ثم يقول لنفسه قومى يا مأوى كل شر ! فلما ضعف اقتصر على خمسمائة ، ثم كان يبكى ويقول ذهب نصف عملى . وكانت ابنة الربيع بن خثيم تقول له ياأبت مالى أرى الناس ينامون وأنت لا تنام ؟ فيقول ياابنتاه إنّ أباك يخاف البيات . ولما رأت أم الربيع ما يلقى الربيع من البكاء والسهر نادته يابنى لعلك قتلت قتيلا ! قال نعم ياأماه، قالت : فمن هو حتى نطالب أهله فيعفو عنك ؟ فوالله لو يعلمون ما أنت فيه لرحموك وعفوا عنك ، فيقول : ياأماه هى نفسى . وعن عمر ـ ابن أخت بشر بن الحارث ـ قال سمعت خالى بشر بن الحارث يقول لأمى ، ياأختى جوفى وخواصرى تضرب على ، فقالت له أمى يا أخى أتأذن لى حتى أصلح لك قليل حساء بكف دقيق عندى تتحساه يرم جوفك ! فقال لها ويحك ! أخاف أن يقول أين لك هذا الدقيق ؟ فلا أدرى إيش

أقول له . فبكت أمى وبكى معهما وبكيت معهم . قال عمر : ورأت أمى ما يبشر من شدّة الجوع وجعل يتنفس نفسا ضعيفا فقالت له أمى : ياأخى ليت أمك لم تلدنى فقد والله تقطعت كبدى مما أرى بك ! فسمعته يقول لها وأنا فليت أمى لم تلدنى وإذ ولدتنى لم يدر ثديها على . قال عمر وكانت أمى تبكى عليه الليل والنهار . وقال الربيع . أتيت أويسا فوجدته جالسا حتى صلى الفجر ، ثم جلس فجلست فقلت لا أشغله عن التسبيح فمكث مكانه حتى صلى الظهر ، ثم قام إلى الصلاة حتى صلى العصر ، ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب ، ثم ثبت مكانه حتى صلى العشاء ، ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح ، ثم جلس فغلبته عيناه فقال اللهم إنى أعوذ بك من عين نوّامة ومن بطن لا تشبع ! فقلت حسبى هذا منه ، ثم رجعت . ونظر رجل إلى أويس فقال ياأبا عبدالله مالى أراك كأنك مريض ؟ فقال وما لأويس أن لايكون مريضا يطعم المريض وأويس غير طاعم وينام المريض وأويس غير نائم . وقال أحمد بن حرب ياعجبا لمن يعرف أنّ الجنة تزين فوقه وأنّ النار تسعر تحته كيف ينام بينهما ، وقال رجل من النساك أتيت إبراهيم ابن أدهم فوجدته قد صلى العشاء فقعدت أرقبه فلف نفسه بعباءة ثم رمى بنفسه فلم ينقلب من جنب إلى جنب الليل كله حتى طلع الفجر وأذن المؤذن فوثب إلى الصلاة ولم يحدث وضوءا فحاك ذلك فى صدرى فقلت له رحمك الله قد نمت الليل كله مضطجعا ثم لم تجدد الوضوء فقال كنت الليل كله جائلا فى رياض الجنة أحيانا وفى أودية النار أحيانا فهل فى ذلك نوم . وقال ثابت البنانى أدركت رجالا كان أحدهم يصلى فيعجز عن أن يأتى فراشه إلا حبوا ، وقيل مكث أبو بكر بن عياش أربعين سنة لايضع جنبه على فراش ونزل الماء فى إحدى عينيه فمكث عشرين سنة لايعلم به أهله وقيل كان ورد سمنون فى كل يوم خمسمائة ركعة . وعن أبى بكر المطوعى قال كان وردى فى شبيبتى كل يوم وليلة أقرأ فيه قل هو الله أحد ، إحدى وثلاثين ألف مرة أو أربعين ألف مرة ـ شك الراوى ، وكان منصور بن المعتمر إذا رأيته قلت رجل أصيب بمصيبة منكسر الطرف منخفض الصوت رطب العينين إنّ حركته جاءت عيناه بأربع ولقد قالت له أمه ما هذا الذى تصنع بنفسك تبكى الليل عامته لاتسكت لعلك يابنى أصبت نفسا لعلك قتلت قتيلا ؟ فيقول ياأمه أنا أعلم بما صنعت بنفسى ، وقيل لعامر ابن عبدالله كيف صبرك على سهر الليل وظمأ الهواجر فقال هل هو إلا أنى صرفت طعام النهار إلى الليل ونوم الليل إلى النهار وليس فى ذلك خطير أمر وكان يقول مارأيت مثل الجنة نام طالبها ولا مثل النار نام هاربها وكان إذا جاء الليل قال أذهب حرّ النار النوم فما ينام حتى يصبح فإذا جاء النهار قال أذهب حرّ النار النوم فما ينام حتى يمسى فإذا جاء الليل قال من خاف أدلج وعند الصباح يحمد القوم السرى . وقال بعضهم صحبت عامر بن عبد القيس أربعة أشهر فما رأيته نام بليل ولا نهار . ويروى عن رجل من أصحاب على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال صليت خلف على رضى الله تعالى عنه الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يده وقال والله لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما أرى اليوم شيئا يشبههم كانوا يصبحون شعثا غبرا صفرا قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم وكانوا إذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر فى يوم الريح وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم وكأن القوم باتوا غافلين ـ يعنى من كان حوله وكان أبو مسلم الخولانى قد علق سوطا فى مسجد بيته يخوّف به نفسه وكان يقول لنفسه قومى فوالله لأزحفن بك زحفا حتى يكون الكلل منك لامنى فإذا دخلت الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول أنت أولى بالضرب من دابتى وكان يقول أيظن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يستأثروا به دوننا كلا والله لنزاحمهم عليه زحاما

حتى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالا . وكان صفوان بن سليم قد تعقدت ساقاه من طول القيام وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له القيامة غدا ما وجد متزايدا . وكان إذا جاء الشتاء اضطجع على السطح ليضربه البرد ، وإذا كان فى الصيف اضطجع داخل البيوت ليجد الحرّ فلا ينام ، وأنه مات وهو ساجد ، وأنه كان يقول : اللهم إنى أحب لقاءك فأحب لقائى . وقال القاسم بن محمد : غدوت يوما ، وكنت إذا غدوت بدأت بعائشة رضى الله عنها أسلم عليها ، فغدوت يوما إليها فإذا هى تصلى صلاة الضحى ، وهى تقرأ ﴿ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ﴾ وتبكى وتدعو وتردد الآية ، فقمت حتى مللت وهى كما هى ، فلما رأيت ذلك ذهبت إلى السوق فقلت : أفرغ من حاجتى ثم أرجع ففرغت من حاجتى ثم رجعت وهى كما هى تردد الآية وتبكى وتدعو . وقال محمد بن إسحاق : لما ورد علينا عبد الرحمن ابن الأسود حاجا اعتلت إحدى قدميه فقام يصلى على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء العشاء . وقال بعضهم : ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بينى وبين قيام الليل . وقال على بن أبى طالب كرّم الله وجهه : سيما الصالحين صفرة الألوان من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاه من الصوم ، عليهم غبرة الخاشعين ، وقيل للحسن : ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوها ؟ فقال : لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وكان عامر بن عبد القيس يقول : إلهى خلقتنى ولم تؤامرنى ، وتميتنى ولا تعلمنى ، وخلقت معى عدوا وجعلته يجرى منى مجرى الدم وجعلته يرانى ولا أراه ، ثم قلت لى : استمسك ، إلهى كيف أستمسك إن لم تمسكنى ؟ إلهى فى الدنيا الهموم والأحزان وفى الآخرة العقاب والحساب فأين الراحة والفرح ؟ وقال جعفر بن محمد : كان عتبة الغلام يقطع الليل بثلاث صيحات ، كان إذا صلى العتمة وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فإذا مضى ثلث الليل صاح صيحة ، ثم وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فإذا مضى الثلث الثانى صاح صيحة ، ثم وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فإذا كان السحر صاح صيحة ، قال جعفر بن محمد : فحدثت به بعض البصريين فقال . لا تنظر إلى صياحه ولكن انظر إلى ما كان فيه بين الصيحتين حتى صاح ! وعن القاسم بن راشد الشيبانى قال : كان زمعة نازلا عندنا بالمحصب ـ وكان له أهل وبنات ـ وكان يقوم فيصلى ليلا طويلا فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته : أيها الركب المعرسون أكل هذا الليل ترقدون ! أفلا تقومون فترحلون ؟ فيتوائبون فيسمع من ههنا باك ومن ههنا داع ومن ههنا قارئ ومن ههنا متوضئ ، فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته : عند الصباح يحمد القوم السرى . وقال بعض الحكماء : إنّ لله عبادا أنعم عليهم فعرفوه ، وشرح صدورهم فأطاعوه ، وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والأمر إليه فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة ، فهم بين الخلق مقبلون ومدبرون ، وقلوبهم تجول فى الملكوت وتلوذ بمحجوب الغيوم ، ثم ترجع ومعها طوائف من لطائف الفوائد وما لا يمكن واصفا أن يصفه فهم فى باطن أمورهم كالديباج حسنا وهم الظاهر مناديل ، مبذولون لمن أرادهم تواضعا . وهذه طريقة لا يبلغ إليها بالتكلف وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء . وقال بعض الصالحين : بينما أنا أسير فى بعض جبال بيت المقدس إذ هبطت إلى واد هناك ، فإذا أنا بصوت قد علا وإذا تلك الجبال تجيبه لها دوى عال فاتبعت الصوت فإذا أنا بروضة عليها شجر ملتف ، وإذا أنا برجل قائم فيها يردد هذه الآية ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ﴾ إلى قوله ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ قال فجلست خلفه أسمع كلامه وهو يردد هذه الآية إذ صاح صيحة خرّ مغشيا عليه ، فقلت : وا أسفاه هذا لشقائى . ثم انتظرت إفاقته فأفاق بعد ساعة فسمعته وهو يقول : أعوذ بك من مقام الكذابين أعوذ بك من أعمال البطالين أعوذ بك من إعراض الغافلين . ثم قال : لك خشعت قلوب الخائفين وإليك

فزعت آمال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ، ثم نفض يده فقال مالى وللدنيا وماللدنيا ومالى ؟ عليك يادنيا بأبناء جنسك وألاف نعيمك ! إلى محبيك فاذهبي ! وإياهم فاخدعى ! ثم قال : أين القرون الماضية وأهل الدهور السالفة ، فى التراب يبلون ، وعلى الزمان يفنون ، فناديته : ياعبد الله أنا منذ اليوم خلفك أنتظر فراغك ! فقال · وكيف يفرغ من يبادر الأوقات وتبادره يخاف سبقها بالموت إلى نفسه ؟ أم كيف يفرغ من ذهبت أيامه ؟ وبقيت آثامه ؟ ثم قال : أنت لها ولكل شدة أتوقع نزولها ، ثم لها عنى ساعة وقرأ ﴿ وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ﴾ ثم صاح صيحة أخرى أشد من الأولى وخر مغشيا عليه ! فقلت : قد خرجت روحه فدنوت منه فإذا هو يضطرب ، ثم افاق وهو يقول : من أنا ، ماخطرى ؟ هب لى إساءتى من فضلك ! وجللنى بسترك واعف عن ذنوبى بكرم وجهك إذا وقفت بين يديك ! فقلت له : بالذى ترجوه لنفسك ! وتثق به إلا كلمتنى ! فقال : عليك بكلام من ينفعك كلامه ، ودع كلام من أو بقته ذنوبه ، إنى لفى هذا الموضع مذ شاء الله أجاهد إبليس ويجاهدنى فلم يجد عونا على ليخرجنى مما أنا فيه غيرك ؟ فإليك عنى ياخدوع فقد عطلت على لسانى وميلت إلى حديثك شعبة من قلبى ! وأنا أعوذ بالله من شرك ، ثم أرجو أن يعيذنى من سخطه ويتفضل على برحمته . قال : فقلت هذا ولى الله أخاف أن أشغله فأعاقب فى موضعى هذا ! فانصرفت وتركته . وقال بعض الصالحين : بينما أنا أسير فى مسير لى إذ ملت إلى شجرة لأستريح تحتها ، فإذا أنا بشيخ قد أشرف على فقال لى : ياهذا قم فإن الموت لم يمت ، ثم هام على وجه فاتبعته فسمعته وهو يقول ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ اللهم بارك لى فى الموت ، فقلت : وفيما بعد الموت ، فقال : من أيقن بما بعد الموت شمر مئزر الحذر ولم يكن له فى الدنيا مستقر ، ثم قال : يامن لوجهه عنت الوجوه بيض وجوهى بالنظر إليك واملأ قلبى من المحبة لك وأجرنى من ذلك التوبيخ غدا عندك فقد آن لى الحياء منك وحان لى الرجوع عن الإعراض عنك ، ثم قال : لولا حلمك لم يسعنى أجلى ولولا عفوك لم ينبسط فيما عندك أملى ، ثم مضى وتركنى . وقد أنشدوا فى هذا المعنى :

نحيل الجسم مكتئب الفؤاد ... تراه بقمة أو بطن وادى
ينوح على معاص فاضحات ... يكدر ثقلها صفو الرقاد
فإن هاجت مخاوفه وزادت ... فدعوته : أغثنى ياعمادى
فأنت بما ألاقيه عليم ... كثير الصفح عن زلل العباد

وقيل أيضا :

ألذ من التلذذ بالغوانى ... إذا أقبلن فى حال حسان
منيب فر من أهل ومال ... يسيح إلى مكان من مكان
ليخمل ذكره ويعيش فردا ... ويظهر فى العبادة بالأمانى
تلذذه التلاوة أين ولى ... وذكر بالفؤاد وباللسان
وعند الموت يأتيه بشير ... يبشر بالنجاة من الهوان
فيدرك ما أراد وما تمنى ... من الراحات فى غرف الجنان

وكان كرز بن وبرة يختم القرآن فى كل يوم ثلاث مرات ويجاهد نفسه فى العبادات غاية المجاهدة فقيل له : قد أجهدت نفسك ! فقال : كم عمر الدنيا ؟ فقيل سبعة آلاف سنة ، فقال : كم مقدار يوم القيامة ؟ فقيل : خمسون ألف سنة ، فقال : كيف يعجز أحدكم أن يعمل سبع يوم حتى يأمن ذلك اليوم ؟ يعنى أنك لو عشت عمر الدنيا واجتهدت

سبعة آلاف سنة وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين ألف سنة لكان ربحك كثيرا وكنت بالرغبة فيه جديرا ، فكيف وعمرك قصير والآخرة لاغاية لها ؟ فهكذا كانت سيرة السلف الصالحين فى مرابطة النفس ومراقبتها . فهما تمردت نفسك عليك وامتنعت من المواظبة على العبادة فطالع أحوال هؤلاء فإنه قد عز الآن وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم فهو أنجع فى القلب وأبعث على الاقتداء فليس الخبر كالمعاينة ، وإذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع أحوال هؤلاء ، فإن لم تكن إبل فمعزى ، وخير نفسك بين الاقتداء بهم والكون فى زمرتهم وغمارهم وهم العقلاء والحكماء وذوو البصائر فى الدين وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من أهل عصرك ، ولا ترض لها أن تنخرط فى سلك الحمق وتقنع بالتشبه بالأغبياء وتؤثر مخالفة العقلاء .

فإن حدثتك نفسك بأن هؤلاء رجال أقوياء لايطاق الاقتداء بهم فطالع أحوال النساء المجتهدات وقل لها : يانفس لاتستنكفى أن تكونى أقل من امرأة فأخسس برجل يقصر عن امرأة فى أمر دينها ودنياها ! ولنذكر الآن نبذة من أحوال المجتهدات ؛ فقد روى عن حبيبة العدوية أنها كانت إذا صلت العتمة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت : إلهى قد غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامى بين يديك ، ثم تقبل على صلاتها فإذا طلع الفجر قالت : إلهى هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعرى أقبلت منى ليلتى فأهنا أم رددتها على فأعزى ؟ وعزتك لهذا دأبى ودأبك ماأبقيتنى ، وعزتك لو انتهرتنى عن بابك ما برحت لما وقع فى نفسى من جودك وكرمك . ويروى عن عجزة أنها كانت تحيى الليل وكانت مكفوفة البصر فإذا كان فى السحر نادت بصوت لها محزون : إليك قطع العابدون دجى الليالى يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك فبك يا إلهى أسألك لا بغيرك أن تجعلنى فى أول زمرة السابقين وأن ترفعنى لديك فى عليين فى درجة المقربين وأن تلحقنى بعبادك الصالحين فأنت أرحم الرحماء وأعظم العظماء وأكرم الكرماء يا كريم ، ثم تخر ساجدة فيسمع لها وجبة ثم لاتزال تدعو وتبكى إلى الفجر . وقال يحيى بن بسطام : كنت أشهد مجلس شعوانة فكنت أرى ماتصنع من النياحة والبكاء ، فقلت لصاحب لى : لو أتيناها إذا خلت فأمرناها بالرفق بنفسها ؟ فقال : أنت وذاك ، قال فأتيناها فقلت لها : لو رفقت بنفسك وأقصرت عن هذا البكاء شيئا فكان لك أقوى على ماتريدين ؟ قال فبكت ثم قالت والله لوددت أنى أبكى حتى تنفد دموعى ثم أبكى دما حتى لاتبقى قطرة من دم فى جارحة من جوارحى وأنى لى بالبكاء وأنى لى بالبكاء . فلم تزل تردد « وأنى لى بالبكاء » حتى غشى عليها . وقال محمد بن معاذ حدثتنى امرأة من المتعبدات قالت رأيت فى منامى كأنى أدخلت الجنة فإذا أهل الجنة قيام على أبوابهم ، فقلت ما شأن أهل الجنة قيام ؟ فقال لى قائل خرجوا ينظرون إلى هذه المرأة التى زخرفت الجنان لقدومها ! فقلت ومن هذه المرأة ؟ فقيل أمة سوداء من أهل الأيكة يقال لها شعوانة . قالت فقلت أختى والله ، قالت فبينما أنا كذلك إذ أقبل بها على نجيبة تطير بها فى الهواء فلما رأيتها ناديت : يا أختى أما ترين مكانى من مكانك فلو دعوت لى مولاك فألحقنى بك ؟ قالت فتبسمت إلى وقالت لم يأن لقدومك ولكن احفظى عنى اثنتين ألزمى الحزن قلبك وقدمى محبة الله على هواك ولايضرك متى مت وقال عبد الله بن الحسن كانت لى جارية رومية وكنت بها معجبا فكانت فى بعض الليالى نائمة إلى جنبى فانتبهت فالتمستها فلم أجدها ، فقمت أطلبها فإذا هى ساجدة وهى تقول بحبك لى إلا ماغفرت لى ذنوبى ، فقلت لها لا تقولى بحبك لى ولكن قولى بحبى لك ، فقالت : يامولاى بحبه لى أخرجنى من الشرك إلى الإسلام وبحبه لى أيقظ عينى وكثير من خلقه نيام . وقال أبو هاشم القرشى : قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها سرية فنزلت فى بعض

ديارنا ، قال : فكنت أسمع لها من الليل أنينا وشهيقا ، فقلت يوما لخادم لى : أشرف على هذه المرأة ، ماذا تصنع قال : فأشرف عليها فما رآها تصنع شيئا غير أنها لا ترد طرفها عن السماء وهى مستقبلة القبلة تقول : خلقت سرية ثم غذيتها بنعمتك من حال إلى حال ، وكل أحوالك لها حسنة وكل بلائك عندها جميل ، وهى مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلتة بعد فلتة أتراها تظن أنك لا ترى فعالها وأنت عليم خبير وأنت على كل شىء قدير وقال ذو النون المصرى : خرجت ليلة من وادى كنعان فلما علوت الوادى إذا سواد مقبل على وهو يقول : ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ ويبكى فلما قرب منى السواد إذا هى امرأة عليها جبة صوف وبيدها ركوة ، فقالت لى : من أنت ؟ غير فزعة منى ، فقلت : رجل غريب ، فقالت : ياهذا وهل يوجد مع الله غربة ؟ قال : فبكيت لقولها فقالت : ما الذى أبكاك ؟ فقلت : قد وقع الدواء على داء قد قرح فأسرع فى نجاحه ، قالت : فإن كنت صادقا فلم بكيت ؟ قلت يرحمك الله والصادق لا يبكى ؟ قالت لا ، قلت ولم ذاك ؟ قالت لأن البكاء راحة القلب ، فسكت متعجبا من قولها . وقال أحمد بن على استأذنا على عفيرة لحجبتنا فلازمنا الباب ، فلما علمت ذلك قامت لتفتح الباب لنا فسمعتها وهى تقول اللهم إنى أعوذ بك ممن جاء يشغلنى عن ذكرك ، ثم فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا لها يا أمة الله ادعى لنا ، فقالت جعل الله قراءكم فى بيتى المغفرة ، ثم قالت لنا مكث عطاء السلمى أربعين سنة فكان لا ينظر إلى السماء ، فحانت منه نظرة فخر مغشيا عليه فأصابه فتق فى بطنه ، فياليت عفيرة إذا رفعت رأسها لم تعص ! وياليتها إذا عصت لم تعد ! وقال بعض الصالحين خرجت يوما إلى السوق ومعى جارية حبشية فاحتبستها فى موضع بناحية السوق وذهبت فى بعض حوائجى وقلت لا تبرحى حتى أنصرف إليك ، قال فانصرفت فلم أجدها فى الموضع ، فانصرفت إلى منزلى وأنا شديد الغضب عليها ، فلما رأتنى عرفت الغضب فى وجهى فقالت يامولاى لا تعجل على إنك أجلستنى فى موضع لم أرفيه ذاكرا لله تعالى فخفت أن يخسف بذلك الموضع ! فعجبت لقولها وقلت لها أنت حرة . فقالت ما صنعت كنت أخدمك فيكون لى أجران ، وأما الآن فقد ذهب عنى أحدهما . وقال ابن العلاء السعدى كانت لى ابنة عم يقال لها بريرة ، تعبدت وكانت كثيرة القراءة فى المصحف ، فكلما أتت على آية فيها ذكر النار بكت ، فلم تزل تبكى حتى ذهبت عيناها من البكاء فقال بنو عمها انطلقوا بنا إلى هذه المرأة حتى نعذلها فى كثرة البكاء فان دخلنا عليها فقلنا يابريرة كيف أصبحت ! قالت أصبحنا أضيافا منيخين بأرض غربة ننتظر متى ندعى فنجيب ، فقلنا لها ماهذا البكاء قد ذهبت عيناك منه ؟ فقالت إن يكن لعينى عند الله خير فما يضرهما ما ذهب منهما فى الدنيا ، وإن كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكاء أطول من هذا ؟ ثم أعرضت . قال فقال القوم قوموا بنا فهى والله فى شىء غير مانحن فيه وكانت معاذة العدوية إذا جاء النهار تقول هذا يومى الذى أموت فيه فما تطعم حتى تمسى ، فإذا جاء الليل تقول هذه الليلة التى أموت فيها فتصلى حتى تصبح : وقال أبو سليمان الدارانى بت ليلة عند رابعة فقامت إلى محراب لها وقمت أنا إلى ناحية من البيت ، فلم تزل قائمة إلى السحر فلما كان السحر قلت ما جزاء من قوانا على قيام هذه الليلة ؟ قالت جزاؤه أن تصوم له غدا وكانت شعوانة تقول فى دعائها إلهى ما أشوقنى إلى لقائك وأعظم رجائى لجزائك وأنت الكريم الذى لا يخيب لديك أمل الآملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين ، إلهى إن كان دنا أجلى ولم يقربنى منك عمل فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عللى ؛ فإن عفوت فمن أولى منك بذلك وإن عذبت فمن أعدل منك هنالك ، إلهى قد جرت على نفسى فى النظر لها وبقى لها حسن نظرك فالويل لها إن لم تسعدها ، إلهى إنك لم تزل بى برا أيام حياتى فلا تقطع عنى برك بعد مماتى

ولقد رجوت ممن تولاني في حياتي بإحسانه أن يسعفني عند مماتي بغفرانه ، إلهي كيف أيأس من حسن نظرك بعد مماتي ولم تولني إلا الجميل في حياتي ، إلهي إن كانت ذنوبي قد أخافتني فإن محبتي لك قد أجارتني فتول من أمري ما أنت أهله وعد بفضلك على من غره جهله ، إلهي لو أردت إهانتي لما هديتني ولو أردت فضيحتي لم تسترني فتغني بما له هديتني وأدم لي مابه سترتني ، إلهي ماأظنك تردني في حاجة أفنيت فيها عمري ، إلهي لولا ماقارفت من الذنوب ما خفت عقابك ، ولولا ماعرفت من كرمك مارجوت ثوابك ، وقال الخواص : دخلنا على رحلة العابدة ، وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عميت وصلت حتى أقعدت ـ وكانت تصلي قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرناها شيئاً من العفو ليهون عليها الأمر ، قال : فشهقت ثم قالت : علمي بنفسي قرح فؤادي وكلم كبدي والله لوددت أن الله لم يخلقني ولم أك شيئاً مذكورا ، ثم أقبلت على صلاتها .

فعليك إن كنت من المرابطين المراقبين لنفسك أن تطالع أحوال الرجال والنساء من المجتهدين لينبعث نشاطك ويزيد حرصك ، وإياك أن تنظر إلى أهل عصرك فإنك إن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله . وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيما ذكرناه كفاية للمعتبر . وإن أردت مزيداً فعليك بالمواظبة على مطالعة كتاب « حلية الأولياء » فهو مشتمل على شرح أحوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبالوقوف عليه يستبين لك بعدك وبعد أهل عصرك من أهل الدين . فإن حدثتك نفسك بالنظر إلى أهل زمانك وقالت : إنما تيسر الخير في ذلك الزمان لكثرة الأعوان والآن فإن خالفت أهل زمانك رأوك مجنونا وسخروا بك فوافقهم فيما هم فيه وعليه ؛ فلا يجري عليك إلا ما يجري عليهم والمصيبة إذا عمت طابت ـ فإياك أن تتدلى بحبل غرورها وتنخدع بتزويرها ، وقل لها : أرأيت لو هجم سيل جارف يغرق أهل البلد وثبتوا على مواضعهم ولم يأخذوا حذرهم لجهلهم بحقيقة الحال : وقدرت أنت على أن تفارقيهم وتركبي في سفينة تتخلصين بها من الغرق فهل يختلج في نفسك : أن المصيبة إذا عمت طابت ؟ أم تتركين موافقتهم وتستجهلينهم في صنيعهم وتأخذين حذرك مما دهاك ، فإذا كنت تتركين موافقتهم خوفا من الغرق وعذاب الغرق لا يتمادى إلا ساعة فكيف لا تهربين من عذاب الأبد وأنت متعرضة له في كل حال ؟ ومن أين تطيب المصيبة إذا عمت ولأهل النار شغل شاغل عن الالتفات إلى العموم والخصوص ؟ ولم يهلك الكفار إلا بموافقة أهل زمانهم حيث قالوا ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ فعليك إذا اشتغلت بمعاتبة نفسك وحملها على الاجتهاد فاستعصت أن لا تترك معاتبتها وتوبيخها وتعريفها سوء نظرها لنفسها فعساها تنزجر عن طغيانها .

المرابطة السادسة : في توبيخ النفس ومعاتبتها

اعلم أن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ، وقد خلقت أمارة بالسوء ميالة إلى الشر فرارة من الخير ، وأمرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها ، فإن أهملتها جمحت وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك ، وإن لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي أقسم الله بها ورجوت أن تصير النفس المطمئنة المدعوة إلى أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية ، فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغل أولا بوعظ نفسك أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس إلا فاستحي مني ، وقال تعالى ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ وسبيلك أن تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وغباوتها وأنها أبدا تتعزز بفطنتها وهدايتها ، ويشتد أنفها واستنكافها إذا نسبت إلى الحق فتقول لها : يانفس ماأعظم جهلك تدعين الحكمة

والذكاء والفطنة وأنت أشد الناس غباوة وحمقا ! أما تعرفين مابين يديك من الجنة والنار وأنك صائرة إلى إحداهما على القرب ؟ فمالك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وأنت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين أو غدا ، فأراك ترين الموت بعيدا ويراه الله قريباً ؟ أما تعلمين أن كل ما هو آت قريب وأن البعيد ماليس بآت ؟ أما تعلمين أن الموت يأتى بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطأة وأنه لايأتى فى شىء دون شىء ولا فى شتاء دون صيف ولا فى صيف دون شتاء ولا فى نهار دون ليل ولا فى ليل دون نهار ولا يأتى فى الصبا دون الشباب ولا فى الشباب دون الصبا بل كل نفس من الأنفاس يمكن أن يكون فيه الموت فجأة فإن لم يكن الموت فجأة فيكون المرض فجأة ثم يفضى إلى الموت فمالك لا تستعدين للموت وهو أقرب إليك من كل قريب ؟ أما تتدبرين قوله تعالى ﴿ اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ﴾ ويحك يانفس إن كانت جراءتك على معصية الله لاعتقادك أن الله لايراك فما أعظم كفرك وإن كان مع علمك باطلاعه عليك فما أشد وقاحتك وأقل حياءك ، ويحك يانفس لو واجهك عبد من عبيدك بل أخ من إخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك عليه ومقتك له فبأى جسارة تتعرضين لمقت الله وغضبه وشديد عقابه أفتظنين أنك تطيقين عذابه ؟ هيهات هيهات ! جربى نفسك ! إن ألهاك البطر عن ألم عذابه فاحتبسى ساعة فى الشمس أو فى بيت الحمام أو قربى أصبعك من النار ليتبين قدر طاقتك ؟ أم تغترين بكرم الله وفضله واستغنائه عن طاعتك وعبادتك فمالك لا تعولين على كرم الله تعالى فى مهمات دنياك ، فإذا قصدك عدو فلم تستنبطين الحيل فى دفعه ولا تكلينه إلى كرم الله تعالى ، وإذا أرهقتك حاجة إلى شهوة من شهوات الدنيا مما لا ينقضى إلا بالدينار والدرهم فمالك تنزعين الروح فى طلبها وتحصيلها من وجوه الحيل فلا تعولين على كرم الله تعالى حتى يعثر بك على كنز أو يسخر عبداً من عبيده فيحمل إليك حاجتك من غير سعى منك ولا طلب ؟ أفتحسبين أن الله كريم فى الآخرة دون الدنيا ! وقد عرفت أن سنة الله لا تبديل لها وأن رب الآخرة والدنيا واحد وأن ليس للإنسان إلا ماسعى . ويحك يا نفس ما أعجب نفاقك ودواعيك الباطلة فإنك تدعين الإيمان بلسانك وأثر النفاق ظاهر عليك ألم يقل لك سيدك ومولاك ﴿ وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ﴾ وقال فى أمر الآخرة ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ماسعى ﴾ فقد تكفل لك بأمر الدنيا خاصة وصرفك عن السعى فيها فكذبته بأفعالك وأصبحت تتكالبين على طلبها تكالب المدهوش المستهتر ، ووكل أمر الآخرة إلى سعيك فأعرضت عنها إعراض المغرور المستحقر ! ما هذا من علامات الإيمان ؟ لو كان الإيمان باللسان فلم كان المنافقون فى الدرك الأسفل من النار ؟ ويحك يانفس كأنك لاتؤمنين بيوم الحساب وتظنين أنك إذا مت انفلت وتخلصت وهيهات ! أتحسبين أنك تتركين سدى ! ألم تكونى نطفة من منى يمنى ثم كنت علقة فخلق فسوى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ؟ فإن كان هذا من إضمارك فما أكفرك وأجهلك ! أما تتفكرين أنه مما ذا خلقك ؟ من نطفة خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك ثم أماتك فأقبرك أفتكذبينه فى قوله . ثم إذا شاء أنشرك ؟ فإن لم تكونى مكذبة فمالك لاتأخذين حذرك ولو أن يهوديا أخبرك فى ألذ أطعمتك بأنه يضرك فى مرضك لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه ، أفكان قول الأنبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله تعالى فى كتبه المنزلة أقل عندك تأثيرا من قول يهودى يخبرك عن حدس وتخمين وظن مع نقصان عقل وقصور علم ؟ والعجب أنه لو أخبرك طفل بأن فى ثوبك عقربا لرميت ثوبك فى الحال من غير مطالبة له بدليل وبرهان ! أفكان قول الأنبياء والعلماء والحكماء وكافة

الأولياء أقل عندك من قول صبي من جملة الأغبياء ! أم صار حر جهنم وأغلالها وأنكالها وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها وأفاعيها وعقاربها أحقر عندك من عقرب لا تحسين بألمها إلا يوماً أو أقل منه ! ما هذه أفعال العقلاء ! بل لو انكشف للبهائم حالك لضحكوا منك وسخروا من عقلك فإن كنت يا نفس قد عرفت جميع ذلك وآمنت به فما لك تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد ولعله يختطفك من غير مهلة فبماذا أمنت استعجال الأجل ؟ وهبك أنك وعدت بالإمهال مائة سنة أفتظنين أن من يطمع الدابة فى حضيض العقبة يفلح ويقدر على قطع العقبة بها؟ إن ظننت ذلك فما أعظم جهلك أرأيت لو سافر رجل ليتفقه فى الغربة فأقام فيها سنين متعطلا بطالا يعد نفسه بالتفقه فى السنة الأخيرة عند رجوعه إلى وطنه هل كنت تضحكين من عقله وظنه أن تفقيه النفس مما يطمع فيه بمدة قريبة أو حسبانه أن مناصب الفقهاء تنال من غير تفقه اعتماداً على كرم الله سبحانه وتعالى ! ثم هبي أن الجهد فى آخر العمر نافع وأنه موصل إلى الدرجات العلا فلعل اليوم آخر عمرك فلم تشتغلين فيه بذلك ؟ فإن أوحى إليك بالإمهال فما المانع من المبادرة وما الباعث لك على التسويف هل له سبب إلا عجزك عن مخالفة شهواتك لما فيها من التعب والمشقة ؟ أفتنتظرين يوماً يأتيك لا تعسر فيه مخالفة الشهوات ؟ هذا يوم لم يخلقه الله قط ولا يخلقه ؛ فلا تكون الجنة قط إلا محفوفة بالمكاره ولا تكون المكاره قط خفيفة على النفوس ، وهذا محال وجوده ، أما تتأملين مذ كم تعدين نفسك وتقولين : غدا غدا ؛ فقد جاء الغد وصار يوما فكيف وجدته ؟ أما علمت أن الغد الذى جاء وصار يوما كان له حكم الأمس لا بل الذى تعجزين عنه اليوم فأنت غدا عنه أعجز وأعجز ؛ لأن الشهوة كالشجرة الراسخة التى تعبد العبد بقلعها ، فإذا عجز العبد عن قلعها للضعف وأخرها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوى فأخرها إلى سنة أخرى ، مع العلم بأن طول المدة يزيد الشجرة قوة ورسوخا ويزيد القالع ضعفا ووهنا ، فما لا يقدر عليه فى الشباب لا يقدر عليه قط فى المشيب . بل من العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب . والقضيب الرطب يقبل الانحناء فإذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك ، فإذا كنت أيتها النفس لا تفهمين هذه الأمور الجلية وتركنين إلى التسويف فما بالك تدعين الحكمة وأية حماقة تزيد على هذه الحماقة ؟ .

ولعلك تقولين ما يمنعنى عن الاستقامة إلا حرصى على لذة الشهوات وقلة صبرى على الآلام والمشقات فما أشد غباوتك وأقبح اعتذارك ! إن كنت صادقة فى ذلك فاطلبى التنعم بالشهوات الصافية عن الكدورات الدائمة أبد الآباد ولا مطمع فى ذلك إلا فى الجنة ، فإن كنت ناظرة لشهوتك فالنظر لها فى مخالفتها قرب أكلة تمنع أكلات . وما قولك فى عقل مريض أشار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة أيام ليصح ويهنأ بشربه طول عمره ، وأخبره أنه إن شرب ذلك مرض مرضا مزمنا وامتنع عليه شربه طول العمر ، فما مقتضى العقل فى قضاء حق الشهوة ؟ أيصبر ثلاثة أيام ليتنعم طول العمر أم يقضى شهوته فى الحال خوفا من ألم المخالفة ثلاثة أيام ؛ حتى يلزمه ألم المخالفة ثلثمائة يوم وثلاثة آلاف يوم ؟ وجميع عمرك بالإضافة إلى الأبد الذى هو مدة نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أقل من ثلاثة أيام بالإضافة إلى جميع العمر وإن طالت مدته . وليت شعرى ألم الصبر عن الشهوات أعظم شدة وأطول مدة أو ألم النار فى دركات جهنم فمن لا يطيق الصبر على ألم المجاهدة كيف يطيق ألم عذاب الله ؟ ما أراك تتوانين عن النظر لنفسك إلا لكفر خفى أو لحق جلى . أما الكفر الخفى : فهو ضعف إيمانك بيوم الحساب وقلة معرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب . وأما الحق الجلى : فاعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه من غير التفات إلى مكره واستدراجه واستغنائه عن عبادتك ـ مع أنك لا تعتمدين على كرمه فى لقمة من الخبز أو حبة من المال أو كلمة واحدة تسمعينها

من الخلق ، بل تتوصلين إلى غرضك فى ذلك بجميع الحيل . وبهذا الجهل تستحقين لقب الحماقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » .

ويحك يانفس لا ينبغى أن تغرك الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور فانظرى لنفسك فما أمرك بمهم لغيرك ولا تضيعى أوقاتك فالأنفاس معدودة ؛ فإذا مضى منك نفس فقد ذهب بعضك ، فاغتنمى الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر والشباب قبل الهرم والحياة قبل الموت واستعدى للآخرة على قدر بقائك فيها ، يانفس أما تستعدين للشتاء بقدر طول مدته ؛ فتجمعين له القوت والكسوة والحطب وجميع الأسباب ، ولا تتكلين فى ذلك على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولبد وحطب وغير ذلك فإنه قادر على ذلك ، أفتظنين أيتها النفس أن زمهرير جهنم أخف بردا وأقصر مدة من زمهرير الشتاء أم تظنين أن ذلك دون هذا ؟ كلا أن يكون هذا كذلك أو أن يكون بينهما مناسبة فى الشدة والبرودة ؟ أفتظنين أن العبد ينجو منها بغير سعى وهيهات ! كما لا يندفع برد الشتاء إلا بالجبة والنار وسائر الأسباب فلا يندفع حر النار وبردها إلا بحصن التوحيد وخندق الطاعات ، وإنما كرم الله تعالى فى أن عرفك طريق التحصن ويسر لك أسبابه لا فى أن يندفع عنك العذاب دون حصنه ، كما أن كرم الله تعالى فى دفع برد الشتاء أن خلق النار وهداك لطريق استخراجها من بين حديدة وحجر حتى تدفعى بها برد الشتاء عن نفسك ، وكما أن شراء الحطب والجبة مما يستغنى عنه خالقك ومولاك وإنما تشترينه لنفسك إذ خلقه سببا لاستراحتك فطاعاتك ومجاهداتك أيضا هو مستغن عنها وإنما هى طريقك إلى نجاتك فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها والله غنى عن العالمين . ويحك يانفس انزعى عن جهلك وقيسى آخرتك بدنياك ﴿ فما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ﴾ و ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾ و ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ وسنة الله تعالى لا تجدين لها تبديلا ولا تحويلا ويحك يا نفس ما أراك إلا ألفت الدنيا وأنست بها فعسر عليك مفارقتها وأنت مقبلة على مقاربتها وتؤكدين فى نفسك مودتها ، فاحسبى أنك غافلة عن عقاب الله وثوابه وعن أهوال القيامة وأحوالها فما أنت مؤمنة بالموت المفرق بينك وبين محابك ، أفترين أن من يدخل دار ملك ليخرج من الجانب الآخر قد بصره إلى وجه مليح يعلم أنه يستغرق ذلك قلبه ثم يضطر لامحالة إلى مفارقته أهو معدود من العقلاء أم من الحمقى ؟ أما تعلمين أن الدنيا دار لملك الملوك ومالك فيها إلا مجاز وكل ما فيها لا يصحب المجتازين بها بعد الموت ، ولذلك قال سيد البشر صلى الله عليه وسلم « إن روح القدس نفث فى روعى أحبب من أحببت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجزى به وعش ما شئت فإنك ميت [1] » . ويحك يانفس أتعلمين أن كل من يلتفت إلى ملاذ الدنيا ويأنس بها مع أن الموت من ورائه فإنما يستكثر من الحسرة عند المفارقة وإنما يتزود من السم المهلك وهو لا يدرى ؟ أو ما تنظرين إلى الذين مضوا كيف بنوا وعلوا ثم ذهبوا وخلوا وكيف أورث الله أرضهم وديارهم أعداءهم أما ترينهم كيف يجمعون مالا يأكلون ويبنون ما لا يسكنون ويؤملون ما لا يدركون : يبنى كل واحد قصرا مرفوعا إلى جهة السماء ومقره قبر محفور تحت الأرض فهل فى الدنيا حمق وانتكاس أعظم من هذا ؟ يعمر الواحد دنياه وهو مرتحل عنها يقينا ويخرب آخرته وهو صائر إليها قطعا . أما تستحيين يانفس من مساعدة هؤلاء الحمقى على حماقتهم ، واحسبى أنك لست ذات بصيرة تهتدى إلى هذه الأمور وإنما تميلين بالطبع إلى التشبه والاقتداء فقيسى عقل الأنبياء والعلماء

(١) حديث « إن روح القدس نفث فى روعى أحبب من من أحببت فإنك مفارقه ... الحديث » تقدم فى العلم وغيره .

والحكماء بعقل هؤلاء المنكبين على الدنيا واقتدى من الفريقين بمن هو أعقل عندك إن كنت تعتقدين فى نفسك العقل والذكاء . يانفس ما أعجب أمرك وأشد جهلك وأظهر طغيانك ، عجبا لك كيف تعمين عن هذه الأمور الواضحة الجليلة ! ولعلك يانفس أسكرك حب الجاه وأدهشك عن فهمها ، أو ما تتفكرين أن الجاه لامعنى له إلا ميل القلوب من بعض الناس إليك ، فاحسبي أن كل من على وجه الأرض سجد لك وأطاعك . أفما تعرفين أنه بعد خمسين سنة لا تبقين أنت ولا أحد ممن على وجه الأرض ممن عبدك وسجد لك ، وسيأتى زمان لا يبقى ذكرك ولا ذكر من ذكرك كما أتى على الملوك الذين كانوا من قبلك فـ ﴿ هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ﴾ فكيف تبيعين يانفس مايبقى أبد الآباد بما لايبقى أكثر من خمسين سنة إن بقى ؟ هذا إن كنت ملكا من ملوك الأرض سلم لك الشرق والغرب حتى أذعنت لك الرقاب وانتظمت لك الأسباب كيف ويأبى إدبارك وشقاوتك أن يسلم لك أمر محلتك بل أمر دارك فضلا عن محلتك ؟ فإن كنت يانفس لاتتركين الدنيا رغبة فى الآخرة لجهلك وعمى بصيرتك فمالك لاتتركينها ترفعا عن خسة شركائها وتنزها عن كثرة عنائها وتوقيا من سرعة فنائها ؟ أم مالك لاتزهدين فى قليلها بعد أن زهد فيك كثيرها ومالك تفرحين بدنيا إن ساءتك فلا تخلو بلدك من جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها ويزيدون عليك فى نعيمها وزينتها ، فأف لدنيا يسبقك بها هؤلاء الأخساء ! فما أجهلك وأخس همتك وأسقط رأيك إذ رغبت عن أن تكونى فى زمرة المقربين من النبيين والصديقين فى جوار رب العالمين أبد الآبدين لتكونى فى صف النعال من جملة الحمق الجاهلين أياما قلائل فيا حسرة عليك إن خسرت الدنيا والدين ! فبادرى ويحك يا نفس فقد أشرفت على الهلاك واقترب الموت وورد النذير فمن ذا يصلى عنك بعد الموت ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ومن ذا يترضى عنك ربك بعد الموت . ويحك يا نفس مالك إلا أيام معدودة هى بضاعتك إن اتجرت فيها وقد ضيعت أكثرها ، فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيعت منها لكنت مقصرة فى حق نفسك فكيف إذا ضيعت البقية وأصررت على عادتك ؟ أما تعلمين يا نفس أن الموت موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك والدود أنيسك والفزع الأكبر بين يديك ؟ أما علمت يا نفس أن عسكر الموتى عندك على باب البلد ينتظرونك وقد آلوا على أنفسهم كلهم بالأيمان المغلظة أنهم لا يبرحون من مكانهم ما لم يأخذوك معهم ؟ أما تعلمين يا نفس أنهم يتمنون الرجعة إلى الدنيا يوما ليشتغلوا بتدارك ما فرط منهم وأنت فى أمنيتهم ويوم من عمرك لو بيع منهم بالدنيا بحذافيرها لاشتروه لو قدروا عليه وأنت تضيعين أيامك فى الغفلة والبطالة ؟ ويحك يا نفس أما تستحيين تزينين ظاهرك للخلق وتبارزين الله فى السر بالعظائم أفتستحيين من الخلق ولا تستحيين من الخالق ؟ ويحك أهو أهون الناظرين عليك أتأمرين الناس بالخير وأنت متلطخة بالرذائل تدعين إلى الله وأنت عنه فارة وتذكرين بالله وأنت له ناسية ؟ أما تعلمين يا نفس أن المذنب أنتن من العذرة وأن العذرة لا تطهر غيرها فلم تطمعين فى تطهير غيرك وأنت غير طيبة فى نفسك ؟ ويحك يا نفس لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت أن الناس ما يصيبهم بلاء إلا بشؤمك ! ويحك يا نفس قد جعلت نفسك حمارا لإبليس يقودك إلى حيث يريد ويسخر بك ، ومع هذا فتعجبين بعملك وفيه من الآفات ما لو نجوت منه رأسا برأس لكان الربح فى يديك ، وكيف تعجبين بعملك مع كثرة خطاياك وزللك وقد لعن الله إبليس بخطيئة واحدة بعد أن عبده مائتى ألف سنة ، وأخرج آدم من الجنة بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه ؟ ويحك يا نفس ما أغدرك ويحك يا نفس ما أوقحك ويحك يا نفس ما أجهلك وما أجرأك على المعاصى ! ويحك كم تعقدين فتنقضين ويحك كم تعهدين فتغدرين ويحك يا نفس أتشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك كأنك غير

مرتحلة عنها ؟ أما تنظرين إلى أهل القبور كيف كانوا جمعوا كثيرا وبنوا مشيدا وأملوا بعيدا فأصبح جمعهم بورا وبنيانهم قبورا وأملهم غرورا ؟ ويحك يا نفس أما لك بهم عبرة أما لك إليهم نظرة أتظنين أنهم دعوا إلى الآخرة وأنت من الخالدين ؟ هيهات هيهات ساء ما تتوهمين ! ما أنت إلا فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك فابنى على وجه الأرض قصرك فإن بطنها عن قليل يكون قبرك ! أما تخافين إذا بلغت النفس منك التراقى أن تبدو رسل ربك منحدرة إليك بسواد الألوان وكلح الوجوه وبشرى بالعذاب فهل ينفعك حينئذ الندم أو يقبل منك الحزن أو يرحم منك البكاء ؟ والعجب كل العجب منك يا نفس أنك مع هذا تدعين البصيرة والفطنة ومن فطنتك أنك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك ! وما نفع مال يزيد وعمر ينقص ؟ ويحك يا نفس تعرضين عن الآخرة وهى مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا وهى معرضة عنك ! فكم من مستقبل يوما لا يستكمله وكم من مؤمل لغد لا يبلغه فأنت تشاهدين ذلك فى إخوانك وأقاربك وجيرانك فترين تحسرهم عند الموت ثم لا ترجعين عن جهالتك ؟ فاحذرى أيتها النفس المسكينة يوما آلى الله فيه على نفسه أن لا يترك عبدا أمره فى الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله دقيقه وجليله سره وعلانيته فانظرى يانفس بأى بدن تقفين بين يدى الله وبأى لسان تجيبين وأعدى للسؤال جوابا وللجواب صوابا واعملى بقية عمرك فى أيام قصار لأيام طوال وفى دار زوال لدار مقامة وفى دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود ، اعملى قبل أن لا تعملى اخرجى من الدنيا اختيارا خروج الأحرار قبل أن تخرجى منها على الاضطرار ولا تفرحى بما يساعدك من زهرات الدنيا فرب مسرور مغبون ورب مغبون لايشعر ، فويل لمن له الويل ثم لا يشعر ، يضحك ويفرح ويلهو ويمرح ويأكل ويشرب وقد حق له فى كتاب الله أنه من وقود النار ، فليكن نظرك يا نفس إلى الدنيا اعتبارا وسعيك لها اضطرارا ورفضك لها اختيارا وطلبك للآخرة ابتدارا ، ولا تكونى ممن يعجز عن شكر ماأوتى ، ويبتغى الزيادة فيما بقى ، وينهى الناس ولا ينتهى ، واعلمى يانفس أنه ليس للدين عوض ولا للإيمان بدل ولا للجسد خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فإنه يسار به وإن لم يسر . فاتعظى يا نفس بهذه الموعظة واقبلى هذه النصيحة فإن من أعرض عن الموعظة فقد رضى بالنار وما أراك بها راضية ولا لهذه الموعظة واعية ، فإن كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة فاستعينى عليها بدوام التهجد والقيام ، فإن لم تزل فى المواظبة على الصيام ، فإن لم يزل فبقلة المخالطة والكلام ، فإن لم تزل فبصلة الأرحام واللطف بالأيتام ، فإن لم تزل فاعلمى أن الله قد طبع على قلبك وأقفل عليه ، وأنه قد تراكمت ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه ، فوطنى نفسك على النار فقد خلق الله الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا فكل ميسر لما خلق له ، فإن لم يبق فيك مجال للوعظ فاقنطى من نفسك ـ والقنوط كبيرة من الكبائر نعوذ بالله من ذلك ـ فلا سبيل لك إلى القنوط ولا سبيل لك إلى الرجاء مع انسداد طرق الخير عليك فإن ذلك اغترار وليس برجاء ، فانظرى الآن هل يأخذك حزن على هذه المصيبة التى ابتليت بها وهل تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك فإن سمحت ـــ فستقى الدمع من بحر الرحمة فقد بقى فيك موضع الرجاء فواظبى على النياحة والبكاء واستعينى بأرحم الراحمين واشتكى إلى أكرم الأكرمين وأدمنى الاستغاثة ولا تملى طول الشكاية لعله أن يرحم ضعفك ويغيثك ، فإن مصيبتك قد عظمت وبليتك قد تفاقمت وتماديك قد طال وقد انقطعت منك الحيل وراحت عنك العلل ، فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا ملجأ ولا منجا إلا إلى مولاك فافزعى إليه بالتضرع واخشعى فى تضرعك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك لأنه يرحم المتضرع الذليل ويغيث الطالب المتلهف ويجيب دعوة

المضطر ، وقد أصبحت إليه اليوم مضطرة وإلى رحمته محتاجة وقد ضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق وانقطعت منك الحيل ولم تنجع فيك العظات ولم يكسرك التوبيخ ، فالمطلوب منه كريم والمسئول جواد والمستغاث به بر رءوف والرحمة واسعة والكرم فائض والعفو شامل وقولى يا أرحم الراحمين يارحمن يارحيم ياحليم ياعظيم ياكريم أنا المذنب المصر أنا الجرىء الذى لاأقلع أنا المتمادى الذى لا أستحى هذا مقام المتضرع المسكين والبائس الفقير والضعيف الحقير والهالك الغريق فعجل إغاثتى وفرجى وأرنى آثار رحمتك وأذقنى برد عفوك ومغفرتك وارزقنى قوة عظمتك يا أرحم الراحمين . اقتداء بأبيك آدم عليه السلام ؛ فقد قال وهب بن منبه لما أهبط الله آدم من الجنة إلى الأرض مكث لاترقأ له دمعة فاطلع الله عز وجل عليه فى اليوم السابع وهو محزون كئيب كظيم منكس رأسه فأوحى الله تعالى إليه : يا آدم ماهذا الجهد الذى أرى بك ؟ قال : يارب عظمت مصيبتى وأحاطت بى خطيئتى وأخرجت من ملكوت ربى فصرت فى دار الهوان بعد الكرامة وفى دار الشقاء بعد السعادة وفى دار النصب بعد الراحة وفى دار البلاء بعد العافية وفى دار الزوال بعد القرار وفى دار الموت والفناء بعد الخلود والبقاء فكيف لاأبكى على خطيئتى ؟ فأوحى الله تعالى إليه : يا آدم ألم أصطفك لنفسى وأحللتك دارى وخصصتك بكرامتى وحذرتك سخطى ، ألم أخلقك بيدى ونفخت فيك من روحى وأسجدت لك ملائكتى فعصيت أمرى ونسيت عهدى وتعرضت لسخطى فوعزتى وجلالى لو ملأت الأرض رجالا كلهم مثلك يعبدوننى ويسبحوننى ثم عصونى لأنزلتهم منازل العاصين . فبكى آدم عليه السلام عند ذلك المائة عام . وكان عبيدالله البجلى كثير البكاء يقول فى بكائه طول ليله : إلهى أنا الذى كلما طال عمرى زادت ذنوبى أنا الذى كلما هممت بترك خطيئة عرضت لى شهوة أخرى واعبيداه خطيئة لم تبل وصاحبها فى طلب أخرى واعبيداه إن كانت النار لك مقيلا ومأوى ! واعبيداه إن كانت المقامع لرأسك تهيأ ! واعبيداه قضيت حوائج الطالبين ولعل حاجتك لاتقضى . وقال منصور بن عمار : سمعت فى بعض الليالى بالكوفة عابدا يناجى ربه وهو يقول يارب وعزتك ماأرد بمعصيتك مخالفتك ولا عصيتك إذ عصيتك وأنا بمكانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا لنظرك مستخف ولكن سولت لى نفسى وأعانى على ذلك شقوتى وغرنى سترك المرخى على فعصيتك بجهلى وخالفتك بفعلى ؛ فمن عذابك الآن من يستنقذنى أو بحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عنى ؟ واسوأتاه من الوقوف بين يديك غدا إذا قيل للمخفين جوزوا وقيل للمثقلين حطوا أمع المخفين أجوز أم مع المثقلين أحط ؟ ويلى كلما كبرت سنى كثرت ذنوبى ويلى كلما طال عمرى كثرت معاصى فإلى متى أتوب وإلى متى أعود ؟ أما آن لى أن أستحيي من ربى ! .

فهذه طرق القوم فى مناجاة مولاهم وفى معاتبة نفوسهم وإنما مطلبهم من المناجاة الاسترضاء ومقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعاء فمن أهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعيا ويوشك أن لايكون الله تعالى عنه راضيا والسلام تم كتاب المحاسبة والمراقبة . يتلوه كتاب التفكر إن شاء الله تعالى والحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه .

كتاب التفكر

وهو الكتاب التاسع من ربع المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى لم يقدر لانتهاء عزته نحوا ولاقطرا ، ولم يجعل لمراقى أقدام الأوهام ومرمى سهام الأفهام إلى حمى عظمته مجرى ، بل ترك قلوب الطالبين فى بيداء كبريائه والهة حيرى ، كلما اهتزت لنيل مطلوبها ردتها سبحات الجلال قسرا ، وإذا همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا صبرا ، ثم قيل لها أجيلى فى ذل العبودية منك فكرا لأنك لو تفكرت فى جلال الربوبية لم تقدرى له قدرا ، وإن طلبت وراء الفكر فى صفاتك أمرا فانظرى فى نعم الله تعالى وأياديه كيف توالت عليك تترى ، وجددى لكل نعمة منها ذكرا وشكرا ، وتأملى فى بحار المقادير كيف فاضت على العالمين خيرا وشرا ، ونفعا وضرا ، وعسرا ويسرا ، وفوزا وخسرا ، وجبرا وكسرا ، وطيا ونشرا ، وإيماناً وكفرا ، وعرفانا ونكرا ، فإن جاوزت النظر فى الأفعال إلى النظر فى الذات فقد حاولت أمرا إمرا ، وخاطرت بنفسك مجاوزة حد طاقة البشر ظلما وجورا ، فقد انبهرت العقول دون مبادى إشراقه وانتكصت على أعقابها اضطرارا وقهرا ، والصلاة على محمد سيد ولد آدم وإن كان لم يعد سيادته فخرا ، صلاة تبقى لنا فى عرصات القيامة عدة وذخرا ، وعلى آله وأصحابه الذين أصبح كل واحد منهم فى سماء الدين بدرا ولطوائف المسلمين صدرا ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد : فقد وردت السنة بأن « تفكر ساعة خير من عبادة سنة [1] » ، وكثر الحث فى كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار ، ولا يخفى أن الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم ، وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته ، ولم يعلم أنه كيف يتفكر وفيماذا يتفكر ولماذا يتفكر وما الذى يطلب به أهو مراد لعينه أم لثمرة تستفاد منه ؟ فإن كان لثمرة فما تلك الثمرة أهى من العلوم أو من الأحوال أو منها جميعا ؟ وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر أولا فضيلة التفكر . ثم حقيقة التفكر وثمرته . ثم مجارى الفكر ومسارحه . إن شاء الله تعالى .

فضيلة التفكر

قد أمر الله تعالى بالتفكر والتدبر فى كتابه العزيز فى مواضع لا تحصى وأثنى على المتفكرين فقال تعالى ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا﴾ وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : إن قوما تفكروا فى الله عز وجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم « تفكروا فى

كتاب الفكر

(١) حديث « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » أخرجه ابن حبان فى كتاب العظمة من حديث أبى هريرة بلفظ ستين سنة بإسناد ضعيف ومن طريقه ابن الجوزى فى الموضوعات ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بلفظ « ثمانين سنة » وإسناده ضعيف جدا ورواه أبو الشيخ من قول ابن عباس بلفظ « خير من قيام ليلة » .

خلق الله ولاتتفكروا فى الله فإنكم لن تقدروا قدره [1] » وعن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال « مالكم لا تتكلمون ؟ » فقالوا : نتفكر فى خلق الله عز وجل قال « فكذلك فافعلوا ، تفكروا فى خلقه ولاتتفكروا فيه فإن بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها وبياضها نورها ، مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله طرفة عين » قالوا : يارسول الله فأين الشيطان منهم ؟ قال « مايدرون خلق الشيطان أم لا قالوا : من ولد آدم ؟ قال « لا يدرون خلق آدم أم لا [2] » وعن عطاء قال : انطلقت يوما أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة رضى الله عنها فكلمتنا وبيننا وبينها حجاب فقالت : ياعبيد مايمنعك من زيارتنا ؟ قال : قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « زر غبا تزدد حبا » قال ابن عمير : فأخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فبكت وقالت كل أمره كان عجبا ، أتانى فى ليلتى حتى مس جلده جلدى ثم قال « ذرينى أتعبد لربى عز وجل » فقام إلى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلى فبكى حتى بل لحيته ، ثم سجد حتى بل الأرض ، ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح ، فقال يارسول الله مايبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال « ويحك يابلال ومايمنعنى أن أبكى وقد أنزل الله تعالى على فى هذه الليلة ﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ﴾ ثم قال « ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها [3] » فقيل للأوزاعى ماغاية التفكر فيهن قال يقرؤهن ويعقلهن . وعن محمد بن واسع أن رجلا من أهل البصرة ركب إلى أم ذر - بعد موت أبى ذر - فسألها عن عبادة أبى ذر فقالت كان نهاره أجمع فى ناحية البيت يتفكر . وعن الحسن قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة . وعن الفضيل قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك . وقيل لإبراهيم إنك تطيل الفكرة ، فقال الفكرة مخ العقل ، وكان سفيان بن عيينة كثيرا مايتمثل بقول القائل :

إذا المرء كانت له فكرة ففى كل شيء له عبرة

وعن طاوس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم : ياروح الله هل على الأرض اليوم مثلك ؟ فقال نعم ، من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فإنه مثلى . وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ، ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ، ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو ، وفى قوله تعالى ﴿ سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ﴾ قال أمنع قلوبهم التفكر فى أمرى . وعن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعطوا أعينكم حظها من العبادة ، فقالوا يارسول الله وما حظها من العبادة ؟ قال « النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه [4] » وعن امرأة كانت تسكن البادية قريبا من مكة أنها قالت لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها إلى ماقد ادخر لها فى حجب الغيب من خير الآخرة لم يصف لهم فى الدنيا عيش ولم تقر لهم فى الدنيا عين . وكان لقمان يطيل الجلوس وحده ، فكان يمر به مولاه فيقول يالقمان إنك تديم الجلوس وحدك فلو

---

(١) حديث ابن عباس : لن قوما تفكروا فى الله عزوجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم « تفكروا فى خلق الله ولاتتفكروا فى الله فإنكم لن تقدروا قدره » أخرجه أبو نعيم فى الحلية بالمرفوع منه بإسناد ضعيف ورواه الأصبهانى فى الترغيب والترهيب من وجه آخر أصح منه ، ورواه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر وقال هذا إسناد فيه نظر قلت فيه الوازع بن نافع متروك . (٢) حديث : خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال « مالكم لاتتكلمون » فقالوا : نتفكر فى خلق الله ... الحديث « رويناه فى جزء من حديث عبد الله بن سلام . (٣) حديث عطاء : انطلقت أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة الحديث ... » قال ابن عمير : فأخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث فى نزول ﴿ إن فى خلق السموات والأرض ﴾ وقال « ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها » تقدم فى الصبر والشكر وأنه فى صحيح ابن حبان من رواية عبد الملك بن أبى سليمان عن عطاء . (٤) حديث أبى سعيد الخدرى « أعطوا أعينكم حظها من العبادة ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا ومن طريقه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب العظمة بإسناد ضعيف .

جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان : إنّ طول الوحدة أفهم للفكر وطول الفكر دليل على طريق الجنة وقال وهب بن منبه : ما طالت فكرة امرئ قط إلا علم وما علم امرؤ قط إلا عمل . وقال عمر بن عبد العزيز : الفكرة فى نعم الله عز وجل من أفضل العبادة . وقال عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن على ورآه ساكتا متفكرا أين بلغت ! قال : الصراط . وقال بشر : لو تفكر الناس فى عظمة الله ما عصوا الله عز وجل . وعن ابن عباس : ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب . وبينا أبو شريح يمشى إذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكى فقيل له : مايبكيك ؟ قال : تفكرت فى ذهاب عمرى وقلة عملى واقتراب أجلى . وقال أبو سليمان : عوّدوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكر . وقال أبو سليمان : الفكر فى الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لأهل الولاية ، والفكر فى الآخرة يورث الحكمة ويحيى القلوب ، وقال حاتم : من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف . وقال ابن عباس : التفكر فى الخير يدعو إلى العمل به ، والندم على الشر يدعو إلى تركه . ويروى أنّ الله تعالى قال فى بعض كتبه : إنى لست أقبل كلام كل حكيم ولكن أنظر إلى همه وهواه فإذا كان همه وهواه لى جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وإن لم يتكلم . وقال الحسن : إنّ أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة . وقال إسحاق بن خلف كان داود الطائى رحمه الله تعالى على سطح فى ليلة قمراء ، فتفكر فى ملكوت السموات والأرض وهو ينظر إلى السماء ويبكى حتى وقع فى دار جاره ، قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف وظن أنه لص ، فلما نظر إلى داود رجع ووضع السيف وقال ، من ذا الذى طرحك من السطح ؟ قال ما شعرت بذلك . وقال الجنيد أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة فى ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن لله عز وجل ، ثم قال يالها من مجالس ما أجلها ومن شراب ما ألذه طوبى لمن رزقه . وقال الشافعى رحمه الله تعالى استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر . وقال أيضا صحة النظر فى الأمور نجاة من الغرور ، والعزم فى الرأى سلامة من التفريط والندم : والروية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ، ومشاورة الحكماء ثبات فى النفس وقوة فى البصيرة ففكر قبل أن تعزم ، وتدبر قبل أن تهجم ، وشاور قبل أن تقدم . وقال أيضا الفضائل أربع (إحداها) الحكمة وقوامها الفكرة . (والثانية) العفة وقوامها فى الشهوة . (والثالثة) القوة وقوامها فى الغضب ، (والرابعة) العدل وقوامه فى اعتدال قوى النفس . فهذه أقاويل العلماء فى الفكرة وما شرع أحد منهم فى ذكر حقيقتها وبيان مجاريها .

بيان حقيقة الفكر وثمرته

اعلم أنّ معنى الفكر هو إحضار معرفتين فى القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة . ومثاله أنّ من مال إلى العاجلة وآثر الحياة الدنيا وإراد أن يعرف أنّ الآخرة أولى بالإيثار من العاجلة فله طريقان (أحدهما) ان يسمع من غيره أن الآخرة أولى بالإيثار من الدنيا ، فيقلده ويصدّقه من غير بصيرة بحقيقة الأمر فيميل بعمله إلى إيثار الآخرة اعتمادا على مجرّد قوله ، وهذا يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة . (والطريق الثانى) أن يعرف أنّ الأبقى أولى بالإيثار ، ثم يعرف أنّ الآخرة أبقى . فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو أن الآخرة أولى بالإيثار ، ولا يمكن تحقق المعرفة بأنّ الآخرة أولى بالإيثار إلا بالمعرفتين السابقتين .

فإحضار المعرفتين السابقتين فى القلب للتوصل به إلى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا

وتأملا وتدبرا . أما التدبر والتأمل والتفكر : فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معان مختلفة . وأما اسم التذكر والاعتبار والنظر : فهى مختلفة المعانى وإن كان أصل المسمى واحد ؛ كما أنّ اسم : الصارم ، والمهند ، والسيف ؛ يتوارد على شيء واحد ولكن باعتبارات مختلفة . فالصارم يدل على السيف من حيث هو قاطع ، والمهند يدل عليه من حيث نسبته إلى موضعه والسيف يدل دلالة مطلقة من غير إشعار بهذه الزوائد .

فكذلك الاعتبار : ينطلق على إحضار المعرفتين من حيث إنه يعبر منهما إلى معرفة ثالثة ، وإن لم يقع العبور ولم يمكن إلا الوقوف على المعرفتين فينطلق عليه اسم : التذكر ، لا اسم : الاعتبار . وأما النظر والتفكر : فيقع عليه من حيث إن فيه طلب معرفة ثالثة ، فمن ليس يطلب المعرفة الثالثة لا يسمى ناظرا ، فكل متفكر فهو متذكر ، وليس كل متذكر متفكرا . وفائدة التذكار تكرار المعارف على القلب لترسخ ولا تنمحى عن القلب . وفائدة التفكر : تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة . فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكر .

والمعارف إذا اجتمعت فى القلب وازدوجت فى القلب على ترتيب مخصوص أثمرت معرفة أخرى ، فالمعرفة نتاج المعرفة . فإذا حصلت معرفة أخرى وازدوجت مع معرفة أخرى حصل من ذلك نتاج آخر . وهكذا يتمادى النتاج وتتمادى العلوم ويتمادى الفكر إلى غير نهاية ، وإنما تنسد طريق زيادة المعارف بالموت . أو بالعوائق وهذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدى إلى طريق التفكير . وأما أكثر الناس فإنما منعوا الزيادة فى العلوم لفقدهم رأس المال وهو المعارف التى بها تستثمر العلوم ، كالذى لا بضاعة له فإنه لا يقدر على الربح ، وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن صناعة التجارة فلا يربح شيئا ، فكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو رأس مال العلوم ولكن ليس يحسن استعمالها وتأليفها وإيقاع الازدواج المفضى إلى النتاج فيها .

ومعرفة طريق الاستعمال والاستثمار تارة تكون بنور إلهى فى القلب يحصل بالفطرة كما كان للأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ـ وذلك عزيز جدا ـ وقد تكون بالتعلم والممارسة وهو الأكثر . ثم المتفكر قد تحضره هذه المعارف وتحصل له الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصولها ، ولا يقدر على التعبير عنها لقلة ممارسته لصناعة التعبير فى الإيراد . فكم من إنسان يعلم أنّ الآخرة أولى بالإيثار علما حقيقيا ، ولو سئل عن سبب معرفته لم يقدر على إيراده والتعبير عنه مع أنه لم تحصل معرفته إلا عن المعرفتين السابقتين : وهو أنّ الأبقى أولى بالإيثار وأنّ الآخرة أبقى من الدنيا ، فتحصل له معرفة ثالثة وهو أنّ الآخرة أولى بالإيثار ، فرجع حاصل حقيقة التفكر إلى إحضار معرفتين للتوصل بهما إلى معرفة ثالثة .

وأما ثمرة الفكر : فهى العلوم والأحوال والأعمال ، ولكن ثمرته الخاصة . العلم ، لا غير . نعم إذا حصل العلم فى القلب تغير حال القلب وإذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح . فالعمل تابع الحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر . فالفكر إذن هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها ، وهذا هو الذى يكشف لك فضيلة التفكر وأنه خير من الذكر والتذكر لأنّ الفكر ذكر وزيادة . وذكر القلب خير من عمل الجوارح ، بل شرف العمل لما فيه من الذكر . فإذن التفكر أفضل من جملة الأعمال . ولذلك قيل : تفكر ساعة خير من عبادة سنة ، فقيل هو الذى ينقل من المكاره إلى المحاب ومن الرغبة والحرص إلى الزهد والقناعة ، وقيل هو الذى يحدث مشاهدة وتقوى ، ولذلك قال تعالى ﴿ لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا ﴾ وإنّ أردت أن تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فمثاله ماذكرناه من أمر الآخرة ، فإنّ الفكر يعرفنا أنّ الآخرة أولى بالإيثار ، فإذا رسخت هذه المعرفة يقينا

فى قلوبنا تغيرت القلوب إلى الرغبة فى الآخرة والزهد فى الدنيا . وهذا ما عنيناه بالحال ، إذ كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل إليها، والنفرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها .

وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت إرادته ورغبته . ثم أثمر تغير الإرادة أعمال الجوارح فى اطراح الدنيا والإقبال على أعمال الآخرة . فههنا خمس درجات : (أولاها) التذكر وهو إحضار المعرفتين فى القلب . (وثانيتها) التفكر وهو طلب المعرفة المقصودة منهما . (والثالثة) حصول المعرفة المطلوبة وانتارة القلب بها . (والرابعة) تغير حال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة . (والخامسة) خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له من الحال .

فكما يضرب الحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضىء بها الموضع فتصير العين مبصرة بعد أن لم تكن مبصرة وتنتهض الأعضاء للعمل ، فكذلك زناد نور المعرفة هو الفكر فيجمع بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد، ويؤلف بينهما تأليفا مخصوصا كما يضرب الحجر على الحديد ضربا مخصوصا ، فينبعث نور المعرفة كما تنبعث النار من الحديد ، ويتغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل إلى مالم يكن يميل إليه كما يتغير البصر بنور النار فيرى ما لم يكن يراه . ثم تنتهض الأعضاء للعمل بمقتضى حال القلب كما ينتهض العاجز عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند إدراك البصر ما لم يكن يبصره . فإذن ثمرة الفكر : العلوم والأحوال ، والعلوم لا نهاية لها ، والأحوال التى تتصور أن تتقلب على القلب لا يمكن حصرها . ولهذا لو أراد مريد أن يحصر فنون الفكر ومجاريه وأنه فيماذا يتفكر لم يقدر عليه لأن مجارى الفكر غير محصورة وثمراته غير متناهية . نعم نحن نجتهد فى ضبط مجاريه بالإضافة إلى مهمات العلوم الدينية وبالإضافة إلى الأحوال التى هى مقامات السالكين ، ويكون ذلك ضبطا جمليا فإن تفصيل ذلك يستدعى شرح العلوم كلها ، وجملة هذه الكتب كالشرح لبعضها ، فإنها مشتملة على علوم ، تلك العلوم تستفاد من أفكار مخصوصة . فلنشر إلى ضبط الجامع فيها ليحصل الوقوف على مجارى الفكر .

بيان مجارى الفكر

اعلم أن الفكر قد يجرى فى أمر يتعلق بالدين وقد يجرى فيما يتعلق بغير الدين، وإنما غرضنا مايتعلق بالدين فلنترك القسم الآخر . ونعنى بالدين المعاملة التى بين العبد وبين الرب تعالى ؛ فجميع أفكار العبد : إما أن تتعلق بالعبد وصفاته وأحواله ، وإما أن تتعلق بالمعبود وصفاته وأفعاله ؛ لا يمكن أن يخرج عن هذين القسمين . ومايتعلق بالعبد : إما أن يكون نظرا فيما هو محبوب عند الرب تعالى ، أو فيما هو مكروه ، ولاحاجة إلى الفكر فى غير هذين القسمين . وما يتعلق بالرب تعالى : إما أن يكون نظرا فى ذاته وصفاته وأسمائه الحسنى ، وإما أن يكون فى أفعاله وملكه وملكوته وجميع ما فى السموات والأرض وما بينهما .

وينكشف لك انحصار الفكر فى هذه الأقسام بمثال ، وهو أن حال السائرين إلى الله تعالى والمشتاقين إلى لقائه يتعلق بمعشوقه أو يتعلق بنفسه .

فإن تفكر فى معشوقه ، فإما أن يتفكر فى جماله وحسن صورته فى ذاته ليتنعم بالفكر فيه وبمشاهدته ، وإما أن يتفكر فى أفعاله اللطيفة الحسنة الدالة على أخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضعفا للذة ومقويا لمحبته .

وإن تفكر فى نفسه ؛ فيكون فكره فى صفاته التى تسقطه من عين محبوبه حتى يتنزه عنها ، أو فى الصفات التى تقربه منه وتحببه إليه حتى يتصف بها .

فإن تفكر فى شىء خارج عن هذه الأقسام فذلك خارج عن حدّ العشق ، وهو نقصان فيه ، لأن العشق التام الكامل ؛ ما يستغرق العاشق ويستوفى القلب حتى لا يترك فيه متسعا لغيره . فمحب الله تعالى ينبغى أن يكون كذلك فلا يعدو نظره وتفكره محبوبه . ومهما كان تفكره محصورا فى هذه الأقسام الأربعة لم يكن خارجا عن مقتضى المحبة أصلا . فلنبدأ بالقسم الأول وهو تفكره فى صفات نفسه وأفعال نفسه ليميز المحبوب منها عن المكروه ، فإن هذا الفكر هو الذى يتعلق بعلم المعاملة الذى هو المقصود بهذا الكتاب ، وأما القسم الآخر فيتعلق بعلم المكاشفة .

ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله أو محبوب ينقسم إلى ظاهر ، كالطاعات والمعاصى . وإلى باطن ، كالصفات المنجيات والمهلكات التى محلها القلب ـ وذكرنا تفصيلها فى ربع المهلكات والمنجيات .

والمعاصى : تنقسم إلى ما يتعلق بالأعضاء السبعة وإلى ما ينسب إلى جميع البدن ، كالفرار من الزحف وعقوق الوالدين والسكون فى المسكن الحرام . ويجب فى كل واحد من المكاره التفكر فى ثلاثة أمور (الأول) التفكر فى أنه هل هو مكروه عند الله أم لا ، فرب شىء لا يظهر كونه مكروها بل يدرك بدقيق النظر (والثانى) التفكر فى أنه إن كان مكروها فما طريق الاحتراز عنه ؟ (والثالث) أن هذا المكروه هل هو متصف به فى الحال فيتركه أو هو متعرض له فى الاستقبال فيحترز عنه ؟ أو قارفه فيما مضى من الأحوال فيحتاج إلى تداركه ؟ وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم إلى هذه الانقسامات فإذا جمعت هذه الأقسام زادت مجارى الفكر فى الأقسام على مائة ، والعبد مدفوع إلى الفكر إما فى جميعها أو فى أكثرها . وشرح آحاد هذه الانقسامات يطول ، ولكن انحصر هذا القسم فى أربعة أنواع : الطاعات والمعاصى والصفات المهلكات والصفات المنجيات . فلنذكر فى كل نوع مثالا ليقيس به المريد سائرها وينفتح له باب الفكر ويتسع عليه طريقه .

(النوع الأول : المعاصى) ينبغى أن يفتش الإنسان صبيحة كل يوم جميع أعضائه السبعة تفصيلا ، ثم بدنه على الجملة هل هو فى الحال ملابس لمعصية بها فيتركها ؟ أو لابسها بالأمس فيتداركها بالترك والندم ؟ أو هو متعرض لها فى نهاره فيستعدّ للاحتراز والتباعد عنها ؟

فينظر فى اللسان ويقول إنه متعرض للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء بالغير والمماراة والمازحة والخوض فيما لا يعنى ، إلى غير ذلك من المكاره ، فيقرر أولا فى نفسه أنها مكروهة عند الله تعالى ويتفكر فى شواهد القرآن والسنة على شدّة العذاب فيها ، ثم يتفكر فى أحواله أنه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ، ثم يتفكر أنه كيف يحترز منه ويعلم أنه لا يتم له ذلك إلا بالعزلة والانفراد ، أو بأن لا يجالس إلا صالحا تقيا ينكر عليه مهما تكلم بما يكرهه الله ، وإلا فيضع حجرا فى فيه إذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرا له : فهكذا يكون الفكر فى حيلة الاحتراز .

ويتفكر فى سمعه يصغى به إلى الغيبة والكذب وفضول الكلام وإلى اللهو والبدعة ، وأن ذلك إنما يسمعه من زيد وعمرو ، وأنه ينبغى أن يحترز عنه بالاعتزال أو بالنهى عن المنكر ؛

فمهما كان ذلك فيتفكر فى بطنه ؛ أنه إنما يعصى الله تعالى فيه بالأكل والشرب ، إما بكثرة الأكل من الحلال

فإن ذلك مكروه عند الله ومقوى للشهوة التى هى سلاح الشيطان عدو الله ، وإما بأكل الحرام أو الشبهة فينظر من أين مطعمه وملبسه ومسكنه ومكسبه وما مكسبه ؟ ويتفكر فى طريق الحلال ومداخله . ثم يتفكر فى طريق الحيلة فى الاكتساب منه والاحتراز من الحرام ، ويقرر على نفسه أن العبادات كلها ضائعة مع أكل الحرام ، وأن أكل الحلال هو أساس العبادات كلها ، وأن الله تعالى لا يقبل صلاة عبد فى ثمن ثوبه درهم حرام [1] كما ورد الخبر به .

فهكذا يتفكر فى أعضائه ففى هذا القدر كفاية عن الاستقصاء . فهما حصل بالتفكر حقيقة المعرفة بهذه الأحوال اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الأعضاء عنها .

وأما النوع الثانى : وهو الطاعات فينظر أولا فى الفرائض المكتوبة عليه أنه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير أو كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ؟ ثم يرجع إلى عضو عضو ، فيتفكر فى الأفعال التى تتعلق بها مما يحبه الله تعالى فيقول مثلا :

إن العين خلقت للنظر فى ملكوت السموات والأرض عبرة ، ولتستعمل فى طاعة الله تعالى وتنظر فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأنا قادر على أن أشغل العين بمطالعة القرآن والسنة فلم لا أفعله ؟ وأنا قادر على أن أنظر إلى فلان المطيع بعين التعظيم فأدخل السرور على قلبه وأنظر إلى فلان الفاسق بعين الازدراء فأزجره بذلك عن معصيته فلم لا أفعله ؟

وكذلك يقول فى سمعه : إنى قادر على استماع كلام ملهوف أو استماع حكمة وعلم أو استماع قراءة وذكر ، فالى أعطله وقد أنعم الله على به وأودعنيه لأشكره ؟ فالى أكفر نعمة الله فيه بتضييعه أو تعطيله ؟

وكذلك يتفكر فى اللسان ، يقول : إنى قادر على أن أتقرب إلى الله تعالى بالتعليم والوعظ والتودد إلى قلوب أهل الصلاح وبالسؤال عن أحوال الفقراء وإدخال السرور على قلب زيد الصالح وعمرو العالم بكلمة طيبة ، وكل كلمة طيبة فإنها صدقة .

وكذلك يتفكر فى ماله فيقول : أنا قادر على أن أتصدق بالمال الفلانى فإنى مستغن عنه ، ومهما احتجت إليه رزقنى الله تعالى مثله ، وإن كنت محتاجا الآن فأنا إلى ثواب الإيثار أحوج منى إلى ذلك المال .

وهكذا يفتش عن جميع أعضائه وجملة بدنه وأمواله ، بل عن دوابه وغلمانه وأولاده ، فإن كل ذلك أدواته وأسبابه ، ويقدر على أن يطيع الله تعالى بها ، فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها ، ويتفكر فيما يرغبه فى البدار إلى تلك الطاعات ، ويتفكر فى إخلاص النية فيها ويطلب لها مظان الاستحقاق حتى يزكو بها عمله وقس على هذا سائر الطاعات .

(وأما النوع الثالث : فهى الصفات المهلكة التى محلها القلب) فيعرفها مما ذكرناه فى ربع المهلكات : وهى استيلاء الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب والرياء والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور وغير ذلك ، ويتفقد من قلبه هذه الصفات : فإن ظن أن قلبه منزه عنها فيتفكر فى كيفية امتحانه والاستشهاد بالعلامات عليه ، فإن النفس أبدا تعد بالخير من نفسها وتخلف ، فإذا ادعت التواضع والبراءة من الكبر فينبغى أن تجرب بحمل حزمة حطب فى السوق ، كما كان الأولون يجربون به أنفسهم . وإذا ادعت الحلم تعرض لغضب يناله من غيره ثم يجربها فى كظم الغيظ وكذلك فى سائر الصفات . وهذا تفكر فى أنه هل هو موصوف بالصفة المكروهة أم لا ؟ ولذلك علامات ذكرناها

---

(١) حديث « إن الله لا يقبل صلاة عبد فى ثوبه درهم حرام » أخرجه أحمد من حديث ابن عمر بسند فيه مجهول وقد تقدم .

فى ربع المهلكات،فإذا دلت العلامة على وجودها فكر فى الأسباب التى تقبح تلك الصفات عنده وتبين أن منشأها من الجهل والغفلة وخبث الدخلة .

كالو رأى فى نفسه عجبا بالعمل ، فيتفكر ويقول : إنما عمل ببدنى وجارحتى وبقدرتى وإرادتى ، وكل ذلك ليس منى ولا إلى وإنما هو من خلق الله وفضله على ، فهو الذى خلقنى وخلق جارحتى وخلق قدرتى وإرادتى ، وهو الذى حرك أعضائى بقدرته وكذلك قدرتى وإرادتى فكيف أعجب بعملى أو بنفسى ولا أقوم لنفسى بنفسى ؟

فإذا أحس فى نفسه بالكبر قرر على نفسه مافيه من الحماقة ويقول لها : لم ترين نفسك أكبر ؟ والكبير من هو عند الله كبير وذلك ينكشف بعد الموت ، وكم من كافر فى الحال يموت مقربا إلى الله تعالى بنزوعه عن الكفر،وكم من مسلم يموت شقيا بتغير حاله عند الموت بسوء الخاتمة ؟

فإذا عرف أن الكبر مهلك وأن أصله الحماقة فيتفكر فى علاج إزالة ذلك بأن يتعاطى أفعال المتواضعين

وإذا وجد فى نفسه شهوة الطعام وشرهه تفكر فى أن هذه صفة البهائم ، ولو كان فى شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من صفات الله وصفات الملائكة كالعلم والقدرة ، ولما اتصف به البهائم ، ومهما كان الشره عليه أغلب كان بالبهائم أشبه وعن الملائكة المقربين أبعد . وكذلك يقرر على نفسه فى الغضب ، ثم يتفكر فى طريق العلاج، وكل ذلك ذكرناه فى هذه الكتب . فمن يريد أن يتسع له طريق الفكر فلا بد له من تحصيل ما فى هذه الكتب .

(وأما النوع الرابع : وهو المنجيات) فهو التوبة ، والندم على الذنوب ، والصبر على البلاء ، والشكر على النعماء ، والخوف ، والرجاء ، والزهد فى الدنيا ، والإخلاص ، والصدق فى الطاعات ، ومحبة الله وتعظيمه والرضا بأفعاله والشوق إليه والخشوع والتواضع له . وكل ذلك ذكرناه فى هذا الربع وذكرنا أسبابه وعلاماته . فليتفكر العبد كل يوم فى قلبه ما الذى يعوزه من هذه الصفات التى هى المقربة إلى الله تعالى ؟ فإذا افتقر إلى شىء منها فليعلم أنها أحوال لا يثمرها إلا علوم ، وأن العلوم لا يثمرها إلا أفكار . فإذا أراد أن يكتسب لنفسه أحوال التوبة والندم : فليفتش ذنوبه أولا وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها فى قلبه . ثم لينظر فى الوعيد والتشديد الذى ورد فى الشرع فيها وليتحقق عند نفسه أنه متعرض لمقت الله تعالى ، حتى ينبعث له حال الندم . وإذا أراد أن يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر فى إحسان الله إليه وأياديه عليه وفى إرساله جميل ستره عليه - على ماشرحنا بعضه فى كتاب الشكر فليطالع ذلك . وإذا أراد حال المحبة والشوق : فليتفكر فى جلال الله وجماله وعظمته وكبرياته وذلك بالنظر فى عجائب حكمته وبدائع صنعه - كما سنشير إلى طرف منه فى القسم الثانى من الفكر - وإذا أراد حال الخوف : فلينظر أولا فى ذنوبه الظاهرة والباطنة ، ثم لينظر فى الموت وسكراته ، ثم فيما بعده من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه وديدانه ، ثم فى هول النداء عند نفخة الصور ، ثم فى هول المحشر عند جمع الخلائق على صعيد واحد ، ثم فى المناقشة فى الحساب فى النقير والقطمير ، ثم فى الصراط ودقته وحدته ، ثم فى خطر الأمر عنده أنه يصرف إلى الشمال فيكون من أصحاب النار ، أو يصرف إلى اليمين فينزل دار القرار ، ثم ليحضر بعد أهوال القيامة فى قلبه صورة جهنم ودركاتها ومقامعها وأهوالها وسلاسلها وأغلالها وزقومها وصديدها ، وأنواع العذاب فيها وقبح صور الزبانية الموكلين بها ، وأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها . وأنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ، وأنهم إذا رأوها من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وهلم جرا ، إلى جميع ماورد فى القرآن من شرحها . وإذا أراد أن يستجلب حال الرجاء : فلينظر إلى الجنة ونعيمها وأشجارها وأنهارها وحورها وولدانها ونعيمها المقيم وملكها الدائم .

فهكذا طريق الفكر الذى يطلب به العلوم التى تثمر اجتلاب أحوال محبوبة أو التنزه عن صفات مذمومة . وقد ذكرنا فى كل واحد من هذه الأحوال كتابا مفردا يستغنى به على تفصيل الفكر ، أما بذكر مجامعه فلا يوجد فيه أنفع من قراءة القرآن بالتفكر ، فإنه جامع لجميع المقامات والأحوال وفيه شفاء للعالمين ، وفيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الأحوال ، وفيه ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة ، فينبغى أن يقرأه العبد ويردد الآية التى هو محتاج إلى التفكر فيها مرة بعد أخرى ولو مائة مرة ! فقراءة آية بتفكر وفهم خير من ختمة بغير تدبر وفهم ، فليتوقف فى التأمل فيها ولو ليلة واحدة ، فإن تحت كل كلمة منها أسرارا لا تنحصر ولا يوقف عليها إلا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة . وكذلك مطالعة أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قد أوتى جوامع الكلم [1] وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة ولو تأملها العالم حق التأمل لم ينقطع فيها نظره طول عمره . وشرح آحاد الآيات والأخبار يطول فانظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم « إن روح القدس نفث فى روعى : أحبب من أحببت فإنك مفارقه وعش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزى به [2] » فإن هذه الكلمات جامعة حكم الأولين والآخرين وهى كافية للمتأملين فيها طول العمر ، إذ لو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم ولحال ذلك بينهم وبين التلفت إلى الدنيا بالكلية .

فهذا هو طريق الفكر فى علوم المعاملة وصفات العبد من حيث هى محبوبة عند الله تعالى أو مكروهة . والمبتدئ ينبغى أن يكون مستغرق الوقت فى هذه الأفكار حتى يعمر قلبه بالأخلاق المحمودة والمقامات الشريفة وينزه باطنه وظاهره عن المكاره ، وليعلم أن هذا مع أنه أفضل من سائر العبادات فليس هو له غاية المطلب ، بل المشغول به محجوب عن مطلب الصديقين وهو التنعم بالفكر فى جلال الله تعالى وجماله واستغراق القلب بحيث يفنى عن نفسه ، أى ينسى نفسه وأحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق الهم بالمحبوب ؛ كالعاشق المستهتر عند لقاء الحبيب فإنه لا يتفرغ للنظر فى أحوال نفسه وأوصافها ، بل يترك كالمبهوت الغافل عن نفسه وهو منتهى لذة العشاق .

فأما ما ذكرناه فهو تفكر فى عمار الباطن ليصلح للقرب والوصال ، فإذا ضيع جميع عمره فى إصلاح نفسه فمتى يتنعم بالقرب ؟ ولذلك كان الخواص يدور فى البوادى فلقيه الحسين بن منصور وقال : فيم أنت ؟ قال : أدور فى البوادى أصلح حالى فى التوكل ، فقال الحسين : أفنيت عمرك فى عمران باطنك فأين الفناء فى التوحيد ؟ فالفناء فى الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين . وأما التنزه عن الصفات المهلكات فيجرى مجرى الخروج عن العدة فى النكاح . وأما الاتصاف بالصفات المنجيات وسائر الطاعات فيجرى مجرى تهيئة المرأة وجهازها وتنظيفها وجهها ومشطها شعرها لتصلح بذلك للقاء زوجها ؛ فإن استغرقت جميع عمرها ، فى تبرئة الرحم وتزيين الوجه كان ذلك حجابا لها عن لقاء المحبوب .

فهكذا ينبغى أن تفهم طريق الدين إن كنت من أهل المجالسة ، وإن كنت كالعبد السوء لا يتحرك إلا خوفا من الضرب وطمعا فى الأجرة فدونك وإتعاب البدن بالأعمال الظاهرة ، فإن بينك وبين القلب حجابا كثيفا ، فإذا قضيت حق الأعمال كنت من أهل الجنة ولكن للمجالسة أقوم آخرون . وإذا عرفت مجال الفكر فى علوم المعاملة التى بين العبد وبين ربه فينبغى أن تتخذ ذلك عادتك وديدنك صباحا ومساء ، فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك المبعدة من الله تعالى وأحوالك المقربة إليه سبحانه وتعالى . بل كل مريد فينبغى أن يكون له جريدة يثبت فيها

---

(١) حديث : أنه صلى الله عليه وسلم أوتى جوامع الكلم . تقدم .

(٢) حديث « إن روح القدس نفث فى روعى : أحبب من أحببت فإنك مفارقه ... الحديث » تقدم غير مرة .

جملة الصفات المهلكات وجملة الصفات المنجيات وجملة المعاصى والطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم .

ويكفيه من المهلكات النظر فى عشرة - فإنه إن سلم منها سلم من غيرها - وهى : البخل ، والكبر ، والعجب ، والرياء ، والحسد ، وشدّة الغضب ، وشره الطعام ، وشره الوقاع ، وحب المال ، وحب الجاه . ومن المنجيات عشرة : الندم على الذنوب ، والصبر على البلاء والرضا بالقضاء ، والشكر على النعماء ، واعتدال الخوف الرجاء ، والزهد فى الدنيا ، والإخلاص فى الأعمال ، وحسن الخلق مع الخلق ، وحب الله تعالى ، والخشوع له .

فهذه عشرون خصلة ؛ عشرة مذمومة ، وعشرة محمودة فهما كفى من المذمومات واحدة فيخط عليها فى جريدته ، ويدع الفكر فيها ، ويشكر الله تعالى على كفايته إياها وتنزيه قلبه عنها ، ويعلم أنّ ذلك لم يتم إلا بتوفيق الله تعالى وعونه ولو وكله إلى نفسه لم يقدر على محو أقل الرذائل عن نفسه ، فيقبل على التسعة الباقية ، وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع ، وكذا يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات ؛ فإذا اتصف بواحدة منها كالتوبة والندم مثلا خط عليها واشتغل بالباقى ، وهذا يحتاج إليه المريد المشمر .

وأما أكثر الناس من المعدودين من الصالحين فينبغى أن يثبتوا فى جرائدهم المعاصى الظاهرة ؛ كأكل الشبهة ، وإطلاق اللسان بالغيبة والنميمة والمراء والثناء على النفس ، والإفراط فى معاداة الأعداء وموالاة الأولياء والمداهنة مع الخلق فى ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإنّ أكثر من يعد نفسه من وجوه الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصى فى جوارحه ، وما لم يظهر الجوارح عن الآثام لا يمكن الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره . بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصية فينبغى أن يكون تفقدهم لها وتفكرهم فيها لا فى معاص هم بمعزل عنها . مثاله : العالم الورع ، فإنه لا يخلو فى غالب الأمر عن إظهار نفسه بالعلم وطلب الشهرة وانتشار الصيت إما بالتدريس أو بالوعظ ، ومن فعل ذلك تصدى لفتنة عظيمة لا ينجو منها إلا الصديقون ، فإنه إن كان كلامه مقبولا حسن الوقع فى القلوب لم ينفك عن الإعجاب والخيلاء والتزين والتصنع ؛ وذلك من المهلكات . وإنّ رد كلامه لم يخل عن غيظ وأنفة وحقد على من يرده ، وهو أكثر من غيظه على من يرد كلام غيره ، وقد يلبس الشيطان عليه ويقول : إنّ غيظك من حيث إنه رد الحق وأنكره ، فإن وجد تفرقة بين أن يرد عليه كلامه أو رد على عالم آخر فهو مغرور وضحكة للشيطان ، ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالثناء واستنكاف من الرد أو الإعراض لم يخل عن تكلف وتصنع لتحسين اللفظ والإيراد ، حرصا على استجلاب الثناء والله لا يحب المتكلفين ، والشيطان قد يلبس عليه ويقول : إنما حرصك على تحسين الألفاظ والتكلف فيها لينتشر الحق ويحسن موقعه فى القلب إعلاء لدين الله . فإن كان فرحه بحسن ألفاظه وثناء الناس عليه أكثر من فرحه بثناء الناس على واحد من أقرانه فهو مخدوع ، وإنما يدور حول طلب الجاه وهو يظن أن مطلبه الدين ! ومهما اختلج ضميره بهذه الصفات ظهر على ظاهره ذلك ، حتى يكون للموقر له المعتقد لفضله أكثر احتراما ويكون بلقائه أشد فرحا واستبشارا ممن يغلو فى موالاة غيره وإن كان ذلك الغير مستحقا للموالاة ، وربما ينتهى الأمر بأهل العلم إلى أن يتغايروا تغاير النساء ، فيشق على أحدهم أن يختلف بعض تلامذته إلى غيره وإن كان يعلم أنه ينتفع بغيره ومستفيد منه فى دينه . وكل ذلك رشح الصفات المهلكات المستكنة فى سر القلب التى قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها ، وإنما ينكشف ذلك بهذه العلامات ، ففتنة العالم عظيمة وهو إما هالك وإما هالك ، ولا مطمع له فى سلامة العوام .

فمن أحس فى نفسه بهذه الصفات فالواجب عليه العزلة والانفراد وطلب الخمول والمدافعة للفتاوى مهما سئل .

فقد كان المسجد يحوى فى زمن الصحابة رضى الله تعالى عنهم جميعا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مفتون ، وكانوا يتدافعون الفتوى . وكل من كان يفتى كان يود أن يكفيه غيره . وعندهذا ينبغى أن يتقى شياطين الإنس إذا قالوا لاتفعل هذا ؛ فإنّ هذا الباب لوفتح لاندرست العلوم من بين الخلق ، وليقل لهم : إن دين الإسلام مستغن عنى ، فإنه قد كان معمورا قبلى وكذلك يكون بعدى ، ولو مت لاتهدم أركان الإسلام فإنّ الدين مستغن عنى ، وأما أنا فلست مستغنيا عن إصلاح قلبى . وأما أداء ذلك إلى اندراس العلم فخيال يدل على غاية الجهل ، فإن الناس لوحبسوا فى السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان حب الرياسة والعلو يحملهم على كسر القيود وهدم حيطان الحصون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم . فالعلم لايندرس مادام الشيطان يحبب إلى الخلق الرياسة ، والشيطان لايفتر عن عمله إلى يوم القيامة . بل ينتهض لمنع العلم أقوام لانصيب لهم فى الآخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم [1] » و « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر [2] » فلا ينبغى أن يغتر العالم بهذه التلبيسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يترسخ فى قلبه حب الجاه والثناء والتعظيم فإن ذلك بذر النفاق . قال صلى الله عليه وسلم « حب الجاه والمال ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل [3] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم بأكثر إفساد فيها من حب الجاه والمال فى دين المرء المسلم [4] » ولاينقلع حب الجاه من القلب إلا بالاعتزال عن الناس والهرب من مخالطتهم وترك كل مايزيد جاهه فى قلوبهم .

فليكن فكر العالم فى التفطن لخفايا هذه الصفات من قلبه وفى استنباط طريق الخلاص منها ، وهذه وظيفة العالم المتقى . فأما أمثالنا فينبغى أن يكون تفكرنا فيما يقوى إيماننا بيوم الحساب ، إذ لو رآنا السلف الصالحون لقالوا قطعا : إن هؤلاء لايؤمنون بيوم الحساب ، فما أعمالنا أعمال من يؤمن بالجنة والنار ! فإن من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئاً طلبه : وقد علمنا أن الهرب من النار بترك الشبهات والحرام وبترك المعاصى ونحن منهمكون فيها ، وأن طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات ونحن مقصرون فى الفرائض منها . فلم يحصل لنا من ثمرة العلم إلا أنه يقتدى بنا فى الحرص على الدنيا والتكالب عليها ، ويقال ! لوكان هذا مذموما لكان العلماء أحق وأولى باجتنابه منا . فليتنا كنا كالعوام إذا متنا ماتت معنا ذنوبنا . فما أعظم الفتنة التى تعرضنا لها لو تفكرنا . فنسأل الله تعالى أن يصلحنا ويصلح بنا ويوفقنا للتوبة قبل أن يتوفانا إنه الكريم اللطيف بنا المنعم علينا .

فهذه مجارى أفكار العلماء والصالحين فى علم المعاملة ، فإن فرغوا منها انقطع التفاتهم عن أنفسهم وارتقوا منها إلى التفكر فى جلال الله وعظمته والتنعم بمشاهدته بعين القلب ، ولايتم ذلك إلا بعد الانفكاك من جميع المهلكات والاتصاف بجميع المنجيات ، وإن ظهر شىء منه قبل ذلك كان مدخولا معلولا مكدرا مقطوعا ، وكان ضعيفا كالبرق الخاطف لايثبت ولايدوم ، ويكون كالعاشق الذى خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه حيات وعقارب تلدغه مرة بعد أخرى فتنغص عليه لذة المشاهدة ، ولاطريق له فى كمال التنعم إلا بإخراج العقارب والحيات من ثيابه . وهذه الصفات المذمومة عقارب وحيات وهى مؤذيات ومشوشات ، وفى القبر يزيد ألم لدغها على

(١) حديث « إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم » تقدم . (٢) حديث « إن الله يؤيدهذا الدين بالرجل الفاجر » تقدم أيضاً فى العلم . (٣) حديث « حب المال والجاه ينبت النفاق فى القلب . . الحديث » تقدم .
(٤) حديث « ماذئبان جائعان أرسلا فى زريبة غنم ... الحديث » تقدم .

لدغ العقارب والحيات . فهذا القدر كاف فى التنبيه على مجارى فكر العبد فى صفات نفسه المحبوبة والمكروهة عنه وربه تعالى .

(القسم الثانى) الفكر فى جلال الله وعظمته وكبريائه . وفيه مقامان : المقام الأعلى الفكر فى ذاته وصفاته ومعانى أسمائه ، وهذا مما منع منه حيث قيل تفكروا فى خلق الله تعالى ولاتفكروا فى ذات الله ، وذلك لأنّ العقول تتحير فيه فلا يطيق مدّ البصر إليه - إلا الصدّيقون ثم لايطيقون دوام النظر . بل سائر الخلق أحوال أبصارهم بالإضافة إلى جلال الله تعالى كحال بصر الخفاش بالإضافة إلى نور الشمس ، فإنه لايطيقه ألبتة ، بل يختفى نهارا وإنما يتردد ليلا ينظر فى بقية نور الشمس إذا وقع على الأرض . وأحوال الصدّيقين كحال الإنسان فى النظر إلى الشمس فإنه يقدر على النظر إليها ولايطيق دوامه ، ويخشى على بصره لوأدام النظر ، ونظره المختطف إليها يورث العمش ويفرق البصر . وكذلك النظر إلى ذات الله تعالى يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل ، فالصواب إذن أن لايتعرّض لمجارى الفكر فى ذات الله سبحانه وصفاته ، فإنّ أكثر العقول لا تحتمله ، بل القدر اليسير الذى صرح به بعض العلماء وهو : أنّ الله تعالى مقدّس عن المكان ومنزه عن الأقطار والجهات وأنه ليس داخل العالم ولاخارجه ولاهو متصل بالعالم ولاهو منفصل عنه ؛ قد حير عقول أقوام حتى أنكروه إذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته . بل ضعفت طائفة عن احتمال أقل من هذا إذ قيل لهم : إنه يتعاظم ويتعالى عن أن يكون له رأس ورجل ويدوعين وعضو ، وأن يكون جسما مشخصا له مقدار وحجم . فأنكروا هذا وظنوا أن ذلك قدح فى عظمة الله وجلاله ، حتى قال بعض الحمق من العوام : إن هذا وصف بطيخ هندى لاوصف الإله ! لظنّ المسكين أن الجلالة والعظمة فى هذه الأعضاء . وهذا لأن الإنسان لايعرف إلا نفسه فلا يستعظم إلا نفسه ، فكل مالايساويه فى صفاته فلا يفهم العظمة فيه : نعم غايته أن يقدر نفسه جميل الصورة جالسا على سريره وبين يديه غلمان يمتثلون أمره ، فلا جرم غايته أن يقدّر ذلك فى حق الله - تعالى وتقدّس - حتى يفهم العظمة . بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس لخالقك جناحان ولايد ولارجل ولا له طيران لأنكر ذلك وقال : كيف يكون خالقى أنقص منى ؟ أفيكون مقصوص الجناح أو يكون زمنا لايقدر على الطيران ؟ أو يكون لى آلة وقدرة لايكون له مثلها وهو خالقى ومصورى ؟ وعقول أكثر الخلق قريب من هذا العقل ، وإن الإنسان لجهول ظلوم كفار ، ولذلك أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه : لاتخبر عبادى بصفاتى فينكرونى ولكن أخبرهم عنى بما يفهمون .

ولما كان النظر فى ذات الله تعالى وصفاته خطرا من هذا الوجه اقتضى أدب الشرع وصلاح الخلق أن لايتعرض لمجارى الفكر فيه ، لكنا نعدل إلى المقام الثانى وهو النظر فى أفعاله ومجارى قدره وعجائب صنعه وبدائع أمره فى خلقه فإنها تدل على جلاله وكبريائه وتقدّسه وتعاليه ، وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيئته وقدرته . فينظر إلى صفاته من آثار صفاته ، فإنا لانطيق النظر إلى صفاته كما أنا نطيق النظر إلى الأرض مهما استنارت بنور الشمس . ونستدل بذلك على عظم نور الشمس بالإضافة إلى نور القمر وسائر الكواكب ، لأن نور الأرض من آثار نور الشمس ، والنظر فى الآثار يدل على المؤثر دلالة ماوإن كان لايقوم مقام النظر فى نفس المؤثر . وجميع موجودات الدنيا أثر من آثار قدرة الله تعالى ونور من أنوار ذاته ، بل لاظلمة أشد من العدم ولانور أظهر من الوجود . ووجود الأشياء كلها نور من أنوار ذاته - تعالى وتقدس - إذ قوام وجود الأشياء بذاته القيوم بنفسه، كما أن قوام

نور الأجسام بنور الشمس المضيئة بنفسها ، ومهما انكشف بعض الشمس فقد جرت العادة بأن يوضع طشت ماء حتى ترى الشمس فيه ويمكن النظر إليها ، فيكون الماء واسطة يغض قليلا من نور الشمس حتى يطاق النظر إليها فكذلك الأفعال واسطة نشاهد فيها صفات الفاعل ولانبهر بأنوار الذات بعد أن تباعدنا عنها بواسطة الأفعال . فهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم « تفكروا فى خلق الله ولاتتفكروا فى ذات الله تعالى » .

بيان كيفية التفكر فى خلق الله تعالى

اعلم أن كل مافى الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله وخلقه ، وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته ، وإحصاء ذلك غير ممكن لأنه لو كان البحر مدادا لذلك لنفد البحر قبل أن ينفد عشر عشيره . ولكنا نشير إلى جمل منه ليكون ذلك كالمثال لما عداه .

فنقول : الموجودات المخلوقة منقسمة إلى (مالا يعرف أصلها) فلا يمكننا التفكر فيها وكم من الموجودات التى لانعلمها كما قال الله تعالى ﴿ ويخلق مالاتعلمون ـ سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون ﴾ وقال ﴿ وننشئكم فيما لاتعلمون ﴾ وإلى (مايعرف أصلها وجملتها ، ولايعرف تفصيلها) فيمكننا أن نتفكر فى تفصيلها. وهى منقسمة إلى ما أدركناه بحس البصر ، وإلى مالا ندركه بالبصر أما الذى لاندركه بالبصر . فكالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسى وغير ذلك . ومجال الفكر فى هذه الأشياء مما يضيق ويغمض . فلنعدل إلى الأقرب إلى الأفهام وهى المدركات بحس البصر : وذلك هو السموات السبع والأرض ومابينهما فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركتها ودورانها فى طلوعها وغروبها ، والأرض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وأنهارها وبحارها وحيوانها ونباتها ، ومابين السماء والأرض وهو الجو مدرك بغيومها وأمطارها وثلوجها ورعدها وبرقها وصواعقها وشهبها وعواصف رياحها .

فهذه هى الأجناس المشاهدة من السموات والأرض ومابينهما ، وكل جنس منها ينقسم إلى أنواع ، وكل نوع ينقسم إلى أقسام ، ويتشعب كل قسم إلى أصناف . ولانهاية لانشعاب ذلك وانقسامه فى اختلاف صفاته وهيآته ومعانيه الظاهرة والباطنة . وجميع ذلك مجال الفكر . فلا تتحرك ذرة فى السموات والأرض من جماد ولانبات ولا حيوان ولا فلك ولا كوكب إلا والله تعالى هو محركها وفى حركتها حكمة أو حكمتان أو عشر أو ألف حكمة كل ذلك شاهد لله تعالى بالوحدانية ودال على جلاله وكبريائه ، وهى الآيات الدالة عليه .

وقد ورد القرآن بالحث على التفكر فى هذه الآيات كما قال الله تعالى ﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ﴾ وكما قال تعالى ﴿ ومن آياته ﴾ من أول القرآن إلى آخره . فلنذكر كيفية الفكر فى بعض الآيات .

(فمن آياته) الإنسان المخلوق من النطفة ـ وأقرب شىء إليك نفسك ـ وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله تعالى ماتنقضى الأعمار فى الوقوف على عشر عشيره وأنت غافل عنه . فيامن هو غافل عن نفسه وجاهل بها كيف تطمع فى معرفة غيرك ؟ وقد أمرك الله تعالى بالتدبر فى نفسك فى كتابه العزيز فقال ﴿ وفى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ وذكر أنك مخلوق من نطفة قذرة فقال ﴿ قتل الإنسان ما أكفره من أى شىء خلقه ، من نطفة خلقه فقدره ، ثم السبيل يسره ، ثم أماته فأقبره ، ثم إذا شاء أنشره ﴾ وقال تعالى ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ﴾ وقال تعالى

﴿ ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى ﴾ وقال تعالى ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين إلى قدر معلوم ﴾ وقال ﴿ أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾ وقال ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج ﴾ ثم ذكر : كيف جعل النطفة علقة ، والعلقة مضغة ، والمضغة عظاما ، فقال تعالى ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ﴾ الآية .

فتكرير ذكر النطفة فى الكتاب العزيز ليس ليسمع لفظه ويترك التفكر فى معناه ، فانظر الآن إلى النطفة - وهى قطرة من الماء قذرة لو تركت ساعة ليضربها الهواء فسدت وأنتنت - كيف أخرجها رب الأرباب من الصلب والترائب وكيف جمع بين الذكر والأنثى وألقى الألفة والمحبة فى قلوبهم ، وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة إلى الاجتماع ، وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع ، وكيف استجلب دم الحيض من أعماق العروق وجمعه فى الرحم ؟ .

ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه بماء الحيض وغذاه حتى نما وربا وكبر ، وكيف جعل النطفة وهى بيضاء مشرقة علقة حمراء ، ثم كيف جعلها مضغة ، ثم كيف قسم أجزاء النطفة وهى متساوية متشابهة إلى العظام والأعصاب والعروق والأوتار واللحم ؟ ثم كيف ركب من اللحوم والأعصاب والعروق : الأعضاء الظاهرة ، فدور الرأس وشق السمع والبصر والأنف والفم وسائر المنافذ ، ثم مد اليد والرجل وقسم رءوسها بالأصابع وقسم الأصابع بالأنامل ؟ ثم كيف ركب الأعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والأمعاء ، كل واحد على شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص ! ثم كيف قسم كل عضو من هذه الأعضاء بأقسام أخر ؛ فركب العين من سبع طبقات ، لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقة منها أو زالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن الإبصار ، فلو ذهبنا إلى أن نصف ما فى آحاد هذه الأعضاء من العجائب والآيات لانقضى فيه الأعمار .

فانظر الآن إلى العظام وهى أجسام صلبة قوية كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة ، ثم جعلها قواما للبدن وعمادا له ، ثم قدرها بمقادير مختلفة وأشكال مختلفة فمنه صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق . ولما كان الإنسان محتاجا إلى الحركة بجملة بدنه وببعض أعضائه ، مفتقرا للتردد فى حاجاته ، لم يجعل عظمه عظما واحدا بل عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة ، وقدر شكل كل واحدة منها على وفق الحركة المطلوبة بها ، ثم وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض بأوتار أنبتها من أحد طرفى العظم وألصقه بالعظم الآخر كالرباط له ، ثم خلق فى أحد طرفى العظم زوائد خارجة منه وفى الآخر حفرا غائصة فيه موافقة لشكل الزوائد لتدخل فيها وتنطبق عليها ، فصار العبد إن أراد تحريك جزء من بدنه لم يمتنع عليه ، ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك .

ثم انظر كيف خلق عظام الرأس وكيف جمعها وركبها ، وقد ركبها من خمسة وخمسين عظما مختلفة الأشكال والصور فألف بعضها إلى بعض بحيث استوى به كرة الرأس - كما تراه - فمنها ستة تخص القحف ، وأربعة عشر للحى الأعلى ، واثنان للحى الأسفل ، والبقية هى الأسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع وهى الأنياب والأضراس والثنايا : ثم جعل الرقبة مركبا للرأس وركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات ، فيها تحريفات

وزيادات ونقصانات لينطبق بعضها على بعض ـ ويطول ذكر وجه الحكمة فيها .

ثم ركب الرقبة على الظهر ، وركب الظهر من أسفل الرقبة إلى منتهى عظم العجز من أربع وعشرين خرزة ، وركب عظم العجز من ثلاثة أجزاء مختلفة ، فيتصل به من أسفله عظم العصعص وهو أيضا مؤلف من ثلاثة أجزاء .

ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام اليدين وعظام العانة وعظام العجز وعظام الفخذين والساقين وأصابع الرجلين ، فلا نطول بذكر عدد ذلك . ومجموع عدد العظام فى بدن الإنسان مائتا عظم وثمانية وأربعون عظما ، سوى العظام الصغيرة التى حشى بها خلل المفاصل . فانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفة سخيفة رقيقة .

وليس المقصود من ذكر أعداد العظام أن يعرف عددها ، فإن هذا علم قريب يعرفه الأطباء والمشرحون ، إنما الغرض أن ينظر منها فى مدبرها وخالقها أنه كيف قدرها ودبرها وخالف بين أشكالها وأقدارها ، وخصصها بهذا العدد المخصوص لأنه لو زاد عليها واحدا لكان وبالا على الإنسان يحتاج إلى قلعه ، ولو نقص منها واحدا لكان نقصانا يحتاج إلى جبره ، فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج فى جبرها وأهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلالة خالقها ومصورها ، فشتان بين النظرين .

ثم انظر كيف خلق الله تعالى آلات لتحريك العظام وهى العضلات فخلق فى بدن الإنسان خمسمائة عضلة وتسعا وعشرين عضلة ـ والعضلة مركبة من لحم وعصب ورباط وأغشية ـ وهى مختلفة المقادير والأشكال بحسب اختلاف مواضعها وقدر حاجاتها . فأربع وعشرون عضلة منها هى لتحريك حدقة العين وأجفانها لو نقصت واحدة من جملتها اختل أمر العين . وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص . وأمر الأعصاب والعروق والأوردة والشرايين وعددها ومنابتها وانشعاباتها أعجب من هذا كله ـ وشرحه يطول ـ فللفكر مجال فى آحاد هذه الأجزاء ، ثم فى جملة البدن فكل ذلك نظر إلى عجائب أجسام البدن وعجائب المعانى والصفات التى لا تدرك بالحواس أعظم ، فانظر الآن إلى ظاهر الإنسان وباطنه وإلى بدنه وصفاته فترى به من العجائب والصنعة مايقضى به العجب ، وكل ذلك صنع الله فى قطرة ماء قذرة ، فترى من هذا صنعه فى قطرة ماء فما صنعه فى ملكوت السموات وكواكبها وماحكمته فى أوضاعها وأشكالها ومقاديرها وأعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها ؟ فلا تظنن أن ذرة من ملكوت السموات تنفك عن حكمة وحكم بل هى أحكم خلقا وأتقن صنعا وأجمع للعجائب من بدن الإنسان . بل لا نسبة لجميع ما فى الأرض إلى عجائب السموات ولذلك قال تعالى ﴿ أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ﴾ .

فارجع الآن إلى النطفة وتأمل حالها أولا وماصارت إليه ثانيا ، وتأمل أنه لو اجتمع الجن والإنس على أن يخلقوا للنطفة سمعا أو بصرا أو عقلا أو قدرة أو علما أو روحا أو يخلقوا فيها عظما أو عرقا أو عصبا أو جلدا أو شعرا هل يقدرون على ذلك ؟ بل لو أرادوا أن يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقته بعد أن خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عنه فالعجب منك لو نظرت إلى صورة إنسان مصور على حائط تأنق النقاش فى تصويرها حتى قرب ذلك من صورة الإنسان وقال الناظر إليها : كأنه إنسان ! عظم تعجبك من صنعة النقاش وحذقه وخفة يده وتمام فطنته وعظم فى قلبك محله ، مع أنك تعلم أن تلك الصورة إنما تمت بالصبغ والقلم واليد وبالقدرة وبالعلم وبالإرادة . وشىء من ذلك ليس من

فعل النقاش ولا خلقه بل هو من خلق غيره ، وإنما منتهى فعله الجمع بين الصبغ والخائط على ترتيب مخصوص ، فيكثر تعجبك منه وتستعظمه .

وأنت ترى النطفة القذرة كانت معدومة فخلقها خالقها فى الأصلاب والترائب ، ثم أخرجها منها وشكلها فأحسن تشكيلها وقدرها فأحسن تقديرها وتصويرها . وقسم أجزاءها المتشابهة إلى أجزاء مختلفة فأحكم العظام فى أرجائها وحسن أشكال أعضائها وزين ظاهرها وباطنها ورتب عروقها وأعصابها وجعلها مجرى لغذائها ليكون ذلك سبب بقائها ، وجعلها سميعة بصيرة عالمة ناطقة . وخلق لها الظهر أساسا لبدنها والبطن حاويا لآلات غذائها والرأس جامعا لحواسها ، ففتح العينين ورتب طبقاتها وأحسن شكلها ولونها وهيئاتها ، ثم حماها بالأجفان لتسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع الأقذاء عنها ، ثم أظهر فى مقدار عدسة منها صورة السموات مع اتساع أكنافها وتباعد أقطارها فهو ينظر إليها . ثم شق أذنيه وأودعهما ماء مرا ليحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها وحوّطها بصدفة الأذن لتجمع الصوت فترده إلى صماخها ولتحس بدبيب الهوام إليها ، وجعل فيها تحريفات واعوجاجات لتكثر حركة مايدب فيها ويطول طريقه فيتنبه من النوم صاحبها إذا قصدها دابة فى حال النوم . ثم رفع الأنف من وسط الوجه وأحسن شكله ، وفتح منخريه وأودع فيه حاسه الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطاعمه وأغذيته ، وليستنشق بمنفذ المنخرين روح الهواء غذاء لقلبه وترويحا لحرارة باطنه . وفتح الفم وأودعه اللسان ناطقا وترجمانا ومعربا عما فى القلب . وزين الفم بالأسنان لتكون آلة الطحن والكسر والقطع فأحكم أصولها وحدّد رءوسها وبيض لونها ، ورتب صفوفها متساوية الرءوس متناسقة الترتيب كأنها الدرّ المنظوم . وخلق الشفتين وحسن لونها وشكلها لتنطبق على الفم فتسدّ منفذه وليتم بها حروف الكلام . وخلق الحنجرة وهيأها لخروج الصوت وخلق للسان قدرة للحركات والتقطيعات لتقطع الصوت فى مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع بها طريق النطق بكثرتها . ثم خلق الحناجر مختلفة الأشكال فى الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر ، حتى اختلفت بسببها الأصوات ، فلا يتشابه صوتان ، بل يظهر بين كل صوتين فرقا حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرّد الصوت فى الظلمة . ثم زين الرأس بالشعر والأصداغ . وزين الوجه باللحية والحاجبين ، وزين الحاجب برقة الشعر واستقواس الشكل . وزين العينين بالأهداب .

ثم خلق الأعضاء الباطنة وسخر كل واحد لفعل مخصوص . فسخر المعدة لنضج الغذاء ، والكبد لإحالة الغذاء إلى الدم ، والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد . فالطحال يخدمها بجذب السوداء عنها . والمرارة تخدمها بجذب الصفراء عنها . والكلية تخدمها بجذب المائية عنها . والمثانة تخدم الكلية بقبول الماء عنها ، ثم تخرجه فى طريق الإحليل : والعروق تخدم الكبد فى إيصال الدم إلى سائر أطراف البدن . ثم خلق اليدين وطوّلهما لتمتدّ إلى المقاصد ، وعرّض الكف ، وقسم الأصابع الخمس ، وقسم كل أصبع بثلاث أنامل ، ووضع الأربعة فى جانب والإبهام فى جانب لتدور الإبهام على الجميع . ولو اجتمع الأوّلون والآخرون على أن يستنبطوا بدقيق الفكر وجها آخر فى وضع الأصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الإبهام عن الأربع وتفاوت الأربع فى الطول وترتيبها فى صف واحد لم يقدروا عليه ؛ إذ بهذا الترتيب صلحت اليد للقبض والإعطاء ، فإن بسطها كانت له طبقا يضع عليها مايريد وإن جمعها كانت له آلة للضرب ، وإن ضمها ضما غير تام كانت مغرفة له ، وإن بسطها وضم أصابعها كانت مجرفة له . ثم خلق الأظفار على رءوسها زينة للأنامل وعمادا لها من ورائها حتى لا تنقطع ، وليلتقط بها الأشياء الدقيقة التى

لا تتناولها الأنامل ، وليحك بها بدنه عند الحاجة ، فالظفر الذى هو أخس الأعضاء لوعدمه الإنسان وظهر به حكه لكان أعجز الخلق وأضعفهم ، ولم يقم أحد مقامه فى حك بدنه . ثم هدى اليد إلى موضع الحك حتى تمتد إليه ولو فى النوم والغفلة من غير حاجة إلى طلب ، ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك إلا بعد تعب طويل . ثم خلق هذا كله من النطفة وهى فى داخل الرحم فى ظلمات ثلاث ، ولو كشف الغطاء والغشاء وامتد إليه البصر لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيئا فشيئا ولا يرى المصور ولا آلته ! فهل رأيت مصورا أو فاعلا لا يمس آلته ومصنوعه ولا يلاقيه وهو يتصرف فيه ؟ فسبحانه ما أعظم شأنه وأظهر برهانه .

ثم انظر مع كمال قدرته إلى تمام رحمته فإنه لما ضاق الرحم عن الصبى لما كبر كيف هداه السبيل حتى تنكس وتحرك ، وخرج من ذلك المضيق وطلب المنفذ كأنه عاقل بصير بما يحتاج إليه .

ثم لما خرج واحتاج إلى الغذاء كيف هداه إلى التقام الثدى ؟ ثم لما كان بدنه سخيفا لا يحتمل الأغذية الكثيفة كيف دبر له فى خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث والدم سائغا خالصا ، وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن ، وأنبت منهما حلمتين على قدر ما ينطبق عليهما فم الصبى ، ثم فتح فى حلمة الثدى ثقبا ضيقا جدا حتى لا يخرج اللبن منه إلا بعد المص تدريجا ، فإن الطفل لا يطيق منه إلا القليل ، ثم كيف هداه للامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع ؟ .

ثم انظر إلى عطفه ورحمته ورأفته كيف أخر خلق الأسنان إلى تمام الحولين لأنه فى الحولين لا يتغذى إلا باللبن فيستغنى عن السن ، وإذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج إلى طعام غليظ ، ويحتاج الطعام إلى المضغ والطحن فأنبت له الأسنان عند الحاجة لا قبلها ولا بعدها ، فسبحانه كيف أخرج تلك العظام الصلبة فى تلك اللثات اللينة ! ثم حنن قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره فى الوقت الذى كان عاجزا عن تدبير نفسه . فلو لم يسلط الله الرحمة على قلوبهما لكان الطفل أعجز الخلق عن تدبير نفسه .

ثم انظر كيف رزقه القدرة والتمييز والعقل والهداية تدريجا حتى بلغ وتكامل ، فصار مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا ؛ إما كفورا أو شكورا مطيعا أو عاصيا مؤمنا أو كافرا تصديقا لقوله تعالى ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ﴾ فانظر إلى اللطف والكرم ثم إلى القدرة والحكمة تبهرك عجائب الحضرة الربانية .

والعجب كل العجب ممن يرى خطا حسنا أو نقشا حسنا على حائط فيستحسنه ، فيصرف جميع همه إلى التفكر فى النقاش والخطاط وأنه كيف نقشه وخطه وكيف اقتدر عليه ! ولا يزال يستعظمه فى نفسه ويقول : ما أحذقه وما أكمل صنعته وأحسن قدرته ! ثم ينظر إلى هذه العجائب فى نفسه وفى غيره ثم يغفل عن صانعه ومصوره فلا تدهشه عظمته ولا يحيره جلاله وحكمته ؟ فهذه نبذة من عجائب بدنك التى لا يمكن استقصاؤها ، فهو أقرب مجال لفكرك وأجلى شاهد على عظمة خالقك وأنت غافل عن ذلك مشغول ببطنك وفرجك ولا تعرف من نفسك إلا أن تجوع فتأكل وتشبع فينام ، وتشتهى فتجامع ، وتغضب فتقاتل . والبهائم كلها تشاركك فى معرفة ذلك ، وإنما خاصية الإنسان التى حجبت البهائم عنها معرفة الله تعالى بالنظر فى ملكوت السموات والأرض وعجائب الآفاق والأنفس ؛ إذ بها يدخل العبد فى زمرة الملائكة المقربين ويحشر فى زمرة النبيين والصديقين مقربا من حضرة رب العالمين . وليست هذه المنزلة للبهائم ولا لإنسان رضى من الدنيا بشهوات البهائم فإنه شر من البهائم بكثير ،

إذ لا قدرة للبهيمة على ذلك وأما هو فقد خلق الله له القدرة ثم عطلها وكفر نعمة الله فيها ، فأولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا .

وإذا عرفت طريق الفكر فى نفسك فتفكر فى الأرض التى هى مقرك ، ثم فى أنهارها وجبالها ومعادنها ثم ارتفع منها إلى ملكوت السموات . أما الأرض : فمن آياته أن خلق الأرض فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا فجاجا وجعلها ذلولا لتمشوا فى مناكبها ، وجعلها قارة لا تتحرك ، وأرسى فيها الجبال أوتادا لها تمنعها من أن تميد . ثم وسع أكنافها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها وإن طالت أعمارهم وكثر تطوافهم ، فقال تعالى ﴿ والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون والأرض فرشناها فنعم الماهدون ﴾ وقال تعالى ﴿ هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها ﴾ وقال تعالى ﴿ الذى جعل لكم الأرض فراشا ﴾ وقد أكثر فى كتابه العزيز من ذكر الأرض ليتفكر فى عجائبها فظهرها مقر للأحياء وبطنها مرقد للأموات قال الله تعالى ﴿ ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا ﴾ .

فانظر إلى الأرض وهى ميتة فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت واخضرت وأنبتت عجائب النبات ، وخرجت منها أصناف الحيوانات . ثم انظر كيف أحكم جوانب الأرض بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب وكيف أودع المياه تحتها ففجر العيون وأسال الأنهار تجرى على وجهها ، وأخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر ماء رقيقا عذبا صافيا زلالا ، وجعل به كل شىء حى ، فأخرج به فنون الأشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان ، وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الأشكال والألوان والطعوم والصفات والأرايح ، يفضل بعضها على بعض فى الأكل ، تسقى بماء واحد وتخرج من أرض واحدة .

فإن قلت : إنّ اختلافها باختلاف بذورها وأصولها ؟ فمتى كان فى النواة نخلة مطوقة لعناقيد الرطب ؟ ومتى كان فى حبة واحدة سبع سنابل فى كل سنبلة مائة . ثم انظر إلى أرض البوادى وفتش ظاهرها وباطنها فتراها ترابا متشابها ، فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ألوانا مختلفة ونباتا متشابها وغير متشابه ، لكل واحد طعم وريح ولون وشكل يخالف الآخر فانظر إلى كثرتها واختلاف أصنافها وكثرة أشكالها ، ثم اختلاف طبائع النبات وكثرة منافعه وكيف أودع الله تعالى العقاقير المنافع الغريبة ؟ فهذا النبات يغذى وهذا يقوى وهذا يحيى وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يسخن ، وهذا إذا حصل فى المعدة قمع الصفراء من أعماق العروق وهذا يستحيل إلى الصفراء وهذا يقمع البلغم والسوداء وهذا يستحيل إليهما وهذا يصفى الدم وهذا يستحل دما وهذا يفرح وهذا ينوم وهذا يقوى وهذا يضعف ! فلم تنبت من الأرض ورقة ولا تبنة إلا وفيها منافع لا يقوى البشر على الوقوف على كنهها . وكل واحد من هذا النبات يحتاج الفلاح فى تربيته إلى عمل مخصوص ؛ فالنخل تؤبر والكرم يكسح والزرع ينقى عنه الحشيش والدغل ، وبعض ذلك يستنبت ببث البذر فى الأرض وبعضه بغرس الأغصان وبعضه يركب فى الشجر . ولو أردنا أن نذكر اختلاف أجناس النبات وأنواعه ومنافعه وأحواله وعجائبه لانقضت الأيام فى وصف ذلك ؛ فيكفيك من كل جنس نبذة يسيرة تدلك على طريق الفكر فهذه عجائب النبات .

(ومن آياته) الجواهر المودعة تحت الجبال ، والمعادن الحاصلة من الأرض : فى الأرض قطع متجاورات مختلفة ، فانظر إلى الجبال كيف يخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج واللعل وغيرها ، بعضها منطبعة تحت المطارق كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد ، وبعضها لا ينطبع كالفيروزج واللعل ؟

وكيف هدى الله الناس إلى استخراجها وتنقيتها واتخاذ الأوانى والآلات والنقود والحلى منها . ثم انظر إلى معادن الأرض من النفط والكبريت والقار وغيرها ، وأقلها الملح ولا يحتاج إليه إلا لتطييب الطعام ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك إليها ! فانظر إلى رحمة الله تعالى كيف خلق بعض الأراضى سبخة بجوهرها بحيث يجتمع فيها الماء الصافى من المطر ، فيستحيل ملحا مالحا محرقا لا يمكن تناول مثقال منه ، ليكون ذلك تطييبا لطعامك إذا أكلته فيتهنأ عيشك . وما من جماد ولا حيوان ولا نبات إلا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس . ما خلق شيء منها عبثا ولا لعبا ولا هزلا ، بل خلق الكل بالحق كما ينبغى وعلى الوجه الذى ينبغى وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه . ولذلك قال تعالى ﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ماخلقناهما إلا بالحق ﴾ .

(ومن آياته) أصناف الحيوانات : وانقسامها إلى ما يطير وإلى مايمشى . وانقسام مايمشى : إلى مايمشى على رجلين ، وإلى مايمشى على أربع ، وعلى عشر ، وعلى مائة ، كما يشاهد فى بعض الحشرات . ثم انقسامها فى المنافع والصور والأشكال والأخلاق والطباع . فانظر إلى طيور الجو وإلى وحوش البر والبهائم الأهلية ترى فيها من العجائب ولا تشك معه فى عظمة خالقها وقدرة مقدرها وحكمة مصورها ، وكيف يمكن أن يستقصى ذلك ؟ بل لو أردنا أن نذكر عجائب البقة أو النملة أو النحلة أو العنكبوت - وهى من صغار الحيوانات - فى بنائها بيتها وفى جمعها غذاءها وفى إلفها لزوجها وفى ادخارها لنفسها وفى حذقها فى هندسة بيتها وفى هدايتها إلى حاجاتها لم نقدر على ذلك . فترى العنكبوت يبنى بيته على طرف نهر فيطلب أولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنه أن يصل بالخيط بين طرفيه ، ثم يبتدئ ويلقى اللعاب الذى هو خيطه على جانب ليلتصق به ، ثم يغدو إلى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط ، ثم كذلك يتردد ثانيا وثالثا ويجعل بعد ما بينهما متناسبا تناسبا هندسيا ، حتى إذا أحكم معاقد القمط ورتب الخيوط كالسدى اشتغل باللحمة ، فيضع اللحمة على السدى ويضيف بعضه إلى بعض ويحكم العقد على موضع التقاء اللحمة بالسدى ، ويراعى فى جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب ، ويقعد فى زاوية مترصدا لوقوع الصيد فى الشبكة ، فإذا وقع الصيد بادر إلى أخذه وأكله فإن عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفى الزاوية بخيط ، ثم علق نفسه فيها بخيط آخر وبقى منكسا فى الهواء ينتظر ذبابة تطير ؛ فإذا طارت رمى بنفسه إليه فأخذه ولف خيطه على رجليه وأحكمه ثم أكله . وما من حيوان صغير ولا كبير إلا وفيه من العجائب مالا يحصى . أفترى أنه تعلم هذه الصنعة من نفسه أو تكون بنفسه أو كونه آدمى أو علمه أو لا هادى له ولا معلم ؟ أفيشك ذو بصيرة فى أنه مسكين ضعيف عاجز ؟ بل الفيل العظيم شخصه ، الظاهرة قوته ، عاجز عن أمر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف ؟ أفلا يشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته وعجائب صنعته لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم . فالبصير يرى فى هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ماتتحير فيه الألباب والعقول فضلا عن سائر الحيوانات . وهذا الباب أيضا لا حصر له فإن الحيوانات وأشكالها وأخلاقها وطباعها غير محصورة ، وإنما سقط تعجب القلوب منها لأنسها بكثرة المشاهدة . نعم إذا رأى حيوانا غريبا ولو دودا تجدد تعجبه وقال : سبحان الله ما أعجبه ! والإنسان أعجب الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر إلى الأنعام التى ألفها ونظر إلى أشكالها وصورها ، ثم إلى منافعها وفوائدها من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها التى جعلها الله لباسا لخلقه وأكنانا لهم فى ظعنهم وإقامتهم وآنية لأشربتهم وأوعية لأغذيتهم وصوانا لأقدامهم وجعل

ألبانها ولحومها أغذية لهم ، ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للأثقال قاطعة للبوادى والمفازات البعيدة لأكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصورها ، فإنه ما خلقها إلا بعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه إياها فسبحان من الأمور مكشوفة فى علمه من غير تفكر ومن غير تأمل وتدبر ومن غير استعانة بوزير أو مشير فهو العليم الخبير الحكيم القدير ، فلقد استخرج بأقل القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيده ، فما للخلق إلا الإذعان لقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته والإقرار بالعجز عن معرفة جلاله وعظمته ، فمن ذا الذى يحصى ثناء عليه ؟ بل هو كما أثنى على نفسه ، وإنما غاية معرفتنا الاعتراف بالعجز عن معرفته فنسأل الله تعالى أن يكرمنا بهدايته بمنه ورأفته

(ومن آياته) البحار العميقة المكتنفة لأقطار الأرض ، التى هى قطع من البحر الأعظم المحيط بجميع الأرض ، حتى إن جميع المكشوف من البوادى والجبال والأرض بالإضافة إلى الماء كجزيرة صغيرة فى بحر عظيم وبقية الأرض مستورة بالماء قال النبى صلى الله عليه وسلم « الأرض فى البحر كالاصطبل فى الأرض [1] » فانسب اصطبلا إلى جميع الأرض . واعلم أن الأرض بالإضافة إلى البحر مثله .

وقد شاهدت عجائب الأرض ومافيها فتأمل الآن عجائب البحر ، فإن عجائب مافيه من الحيوان والجواهر أضعاف عجائب ماتشاهده على وجه الأرض ، كما أن سعته أضعاف سعة الأرض ، ولعظم البحر كان فيه من الحيوانات العظام ماترى ظهورها فى البحر فتظن أنها جزيرة فينزل الركاب عليها فربما تحس بالنيران إذا اشتعلت فتتحرك ويعلم أنها حيوان . وما من صنف من أصناف حيوان البر من فرس أوطير أو بقر أو إنسان إلا وفى البحر أمثاله وأضعافه ، وفيه أجناس لايعهد لها نظير فى البر : وقد ذكرت أوصافها فى مجلدات وجمعها أقوام عنوا بركوب البحر وجمع عجائبه .

ثم انظر كيف خلق الله اللؤلؤ ودوره فى صدفه تحت الماء . وانظر كيف أنبت المرجان من صم الصخور تحت الماء ، وإنما هو نبات على هيئة شجر ينبت من الحجر . ثم تأمل ماعداه من العنبر وأصناف النفائس التى يقذفها البحر وتستخرج منه ! ثم انظر إلى عجائب السفن كيف أمسكها الله تعالى على وجه الماء وسير فيها التجار وطلاب الأموال وغيرهم ، وسخر لهم الفلك لتحمل أثقالهم ، ثم أرسل الرياح لتسوق السفن ، ثم عرف الملاحين موارد الرياح ومهابها ومواقيتها . ولايستقصى على الجملة عجائب صنع الله فى البحر فى مجلدات . وأعجب من ذلك كله ماهو أظهر من كل ظاهر ! وهو كيفية قطره الماء : وهو جسم رقيق لطيف سيال مشف ، متصل الاجزاء كأنه شىء واحد ، لطيف التركيب سريع القبول للتقطيع كأنه منفصل ، مسخر للتصرف قابل للانفصال والاتصال ، به حياة كل ماعلى وجه الأرض من حيوان ونبات ، فلو احتاج العبد إلى شربة ماء ومنع منها لبذل جميع خزائن الأرض وملك الدنيا فى تحصيلها لو ملك ذلك ، ثم لو شربها ومنع من إخراجها لبذل جميع خزائن الأرض وملك الدنيا فى إخراجها ! فالعجب من الآدمى كيف يستعظم الدينار والدرهم ونفائس الجواهر ويغفل عن نعمة الله فى شربة ماء إذا احتاج إلى شربها أو الاستفراغ عنها بذل جميع الدنيا فيها ! فتأمل فى عجائب المياه والأنهار والآبار والبحار ففيها متسع للفكر ومجال . وكل ذلك شواهد متظاهرة وآيات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال بارئها معربة عن كمال حكمته فيها ، منادية أرباب القلوب بنغماتها قائلة لكل ذى لب ، أما ترانى وترى صورتى وتركيبى

(١) حديث « الأرض فى البحر كالاصطبل فى الأرض » تقدم ولم أجده .

وصفاتى ومنافعى واختلاف حالاتى وكثرة فوائدى ؟ أتظنّ أنى كوّنت نفسى أوخلقنى أحد من جنسى ؟ أو ماتستحيى أن تنظر فى كلمة مرقومة من ثلاثة أحرف فتقطع بأنها من صنعة آدمى عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر إلى عجائب الخطوط الإلهية المرقومة على صفحات وجهى بالقلم الإلهى الذى لاتدرك الأبصار ذاته ولاحركته ولااتصاله بمحل الخط . ثم ينفك قلبك عن جلالة صانعه .

وتقول النطفة لأرباب السمع والقلب لا للذين هم عن السمع معزولون : توهمنى فى ظلمة الأحشاء مغموسة فى دم الحيض فى الوقت الذى يظهر التخطيط والتصوير على وجهى ، فينفش النقاش حدقتى وأجفانى وجبهتى وخدّى وشفتى ، فترى التقويس يظهر شيئا فشيئا على التدريج ولاترى داخل النطفة نقاشا ولاخارجها ، ولاداخل الرحم ولاخارجه ، ولاخبر منها للأم ولا للأب ولا للنطفة ولا للرحم ! فما هذا النقاش بأعجب مما نشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت إليها مرة أو مرتين لتعلمته ، فهل تقدر على أن تتعلم هذا الجنس من النقش والتصوير الذى يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع أجزائها من غير ملامسة للنطفة ومن غير اتصال بها لامن داخل ولامن خارج ؟ فإن كنت لاتتعجب من هذه العجائب ولاتفهم بها أنّ الذى صوّر ونقش وقدر لانظير له ولايساويه نقاش ولا مصوّر ، كما أنّ نقشه وصنعه لايساويه نقش وصنع - فبين الفاعلين من المباينة والتباعد مابين الفعلين - فإن كنت لاتتعجب من هذا فتعجب من عدم تعجبك فإنه أعجب من كل عجب ؟ فإن الذى أعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك من التبيين مع هذا البيان جدير بأن تتعجب منه ، فسبحان من هدى وأضل وأغوى وأرشد وأشقى وأسعد وفتح بصائر أحبابه فشاهدوه فى جميع ذرّات العالم وأجزائه ، وأعمى قلوب أعدائه واحتجب عنهم بعزه وعلائه ، فله الخلق والأمر والامتنان والفضل واللطف والقهر لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه .

(ومن آياته) الهواء اللطيف المحبوس بين مقعر السماء ومحدب الأرض : يدرك بحس اللمس عند هبوب الرياح جسمه ، ولايرى بالعين شخصه ، وجملته مثل البحر الواحد والطيور محلقة فى جو السماء ومستبقة سباحة فيه بأجنحتها كما تسبح حيوانات البحر فى الماء ، وتضطرب جوانبه وأمواجه عند هبوب الرياح كما تضطرب أمواج البحر ، فإذا حرّك الله الهواء وجعله ريحا هابة فإن شاء جعله نشرا بين يدى رحمته كما قال سبحانه ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ فيصل بحركته روح الهواء إلى الحيوانات والنباتات فتستعد للنماء ، وإن شاء جعله عذابا على العصاة من خليقته كما قال تعالى ﴿ إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر ﴾ ثم انظر إلى لطف الهواء ، ثم شدّته وقوّته مهما ضغط فى الماء ، فالزق المنفوخ يتحامل عليه الرجل القوى ليغمسه فى الماء فيعجز عنه ، والحديد الصلب تضعه على وجه الماء فيرسب فيه . فانظر كيف ينقبض الهواء من الماء بقوّته مع لطافته ؟ وبهذه الحكمة أمسك الله تعالى السفن على وجه الماء ، وكذلك كل مجوف فيه هواء لايغوص فى الماء لأنّ الهواء ينقبض عن الغوص فى الماء فلا ينفصل عن السطح الداخل من السفينة ، فتبقى السفينة الثقيلة مع قوّتها وصلابتها معلقة فى الهواء اللطيف ، كالذى يقع فى بئر فيتعلق بذيل رجل قوى يمتنع عن الهوى فى البئر . فالسفينة بمقعرها تتشبث بأذيال الهواء القوى حتى تمتنع من الهوى والغوص فى الماء ! فسبحان من علق المركب الثقيل فى الهواء اللطيف من غير علاقة تشاهد وعقدة تشد .

ثم انظر إلى عجائب الجو وما يظهر فيه من الغيوم والرعود والبروق والأمطار والثلوج والشهب والصواعق ؛ فهى عجائب مابين السماء والأرض ، وقد أشار القرآن إلى جملة ذلك فى قوله تعالى ﴿ وما خلقنا السموات والأرض

ومابينهما لاعبين ﴾ وهذا هو الذى بينهما . وأشار إلى تفصيله فى مواضع شتى حيث قال تعالى ﴿ والسحاب المسخر بين السماء والأرض ﴾ وحيث تعرض للرعد والبرق والسحاب والمطر ، فإذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة إلا أن ترى المطر بعينك وتسمع الرعد بأذنك فالبهيمة تشاركك فى هذه المعرفة ! فارتفع من حضيض عالم البهائم إلى عالم الملأ الأعلى فقد فتحت عينيك فأدركت ظاهرها ، فغمض عينك الظاهرة وانظر ببصيرتك الباطنة لترى عجائب باطنها وغرائب أسرارها وهذا أيضا باب يطول الفكر فيه إذ لا مطمع فى استقصائه . فتأمل السحاب الكثيف المظلم كيف تراه يجتمع فى جو صاف لا كدورة فيه وكيف يخلقه الله تعالى إذا شاء ومتى شاء ، وهو مع رخاوته حامل الماء الثقيل ويمسكه له فى جو السماء إلى أن يأذن الله فى إرسال الماء وتقطيع القشرات كل قطرة بالقدر الذى أراده الله تعالى وعلى الشكل الذى شاءه فترى السحاب يرش الماء على الأرض ويرسله قطرات متفاصلة لا تدرك قطرة منها قطرة ولا تتصل واحدة بأخرى ، بل تنزل كل واحدة فى الطريق الذى رسم لها لا تعدل عنه فلا يتقدم المتأخر ولا يتأخر المتقدم حتى يصيب الأرض قطرة قطرة فلو اجتمع الأولون والآخرون على أن يخلقوا منها قطرة أو يعرفوا عدد ما ينزل منها فى بلدة واحدة أو قرية واحدة لعجز حساب الجن والإنس عن ذلك ، فلا يعلم عددها إلا الذى أوجدها . ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء من الأرض ولكل حيوان فيها من طير ووحش وجميع الحشرات والدواب ، ومكتوب على تلك القطرة بخط إلهى لا يدرك بالبصر الظاهر أنها رزق الدودة الفلانية التى فى ناحية الجبل الفلانى تصل إليها عند عطشها فى الوقت الفلانى ! هذا مع ما فى انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وفى تناثر الثلوج كالقطن المندوف من العجائب التى لا تحصى . كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر ما لأحد من الخلق فيه شرك ولا مدخل ، بل ليس للمؤمنين من خلقه إلا الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته ، ولا للعميان الجاحدين إلا الجهل بكيفيته ورجم الظنون بذكر سببه وعلته ، فيقول الجاهل المغرور إنما ينزل الماء لأنه ثقيل بطبعه وإنما هذا سبب نزوله ، ويظن أن هذه معرفة انكشفت له ويفرح بها ، ولو قيل له : ما معنى الطبع وما الذى خلقه ؟ ومن الذى خلق الماء الذى طبعه الثقل ؟ وما الذى رقى الماء المصبوب فى أسافل الشجر إلى أعالى الأغصان وهو ثقيل بطبعه ؟ فكيف هوى إلى أسفل ثم ارتفع إلى فوق فى داخل تجاويف الأشجار شيئاً فشيئاً بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر فى جميع أطراف الأوراق ، فيغذى كل جزء من كل ورقة ، ويجرى إليها فى تجاويف عروق شعرية صغار يروى منه العرق الذى هو أصل الورقة ، ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير الممدود فى طول الورقة عروق صغار ـ فكأن الكبير نهر وما انشعب عنه جداول ، ثم ينشعب من الجداول سوق أصغر منها ، ثم ينتشر منها خيوط عنكبوتية دقيقة تخرج عن إدراك البصر حتى تنبسط فى جميع عرض الورقة ـ فيصل الماء فى أجوافها إلى سائر أجزاء الورقة ليغذيها وينميها ويزينها وتبقى طراوتها ونضارتها ، وكذلك إلى سائر أجزاء الفواكه . فإن كان الماء يتحرك بطبعه إلى أسفل فكيف تحرك إلى فوق ؟ فإن كان ذلك بجذب جاذب فما الذى سخر ذلك الجاذب ؟ وإن كان ينتهى بالآخرة إلى خالق السموات والأرض وجبار الملك والملكوت فلم لا يحال عليه من أول الأمر ؟ فنهاية الجاهل بداية العاقل .

(ومن آياته) ملكوت السموات والأرض وما فيها من الكواكب : وهو الأمر كله ، ومن أدرك الكل وفاته عجائب السموات فقد فاته الكل تحقيقا . فالأرض والبحار والهواء وكل جسم سوى السموات بالإضافة إلى السموات قطرة فى بحر وأصغر . ثم انظر كيف عظم الله أمر السموات والنجوم فى كتابه ، فما من سورة إلا وتشتمل على تفخيمها فى مواضع ، وكم من قسم فى القرآن بها كقوله تعالى ﴿ والسماء ذات البروج ـ والسماء والطارق ـ والسماء

ذات الحبك ـ والسماء وما بناها ﴾ وكقوله تعالى ﴿والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها ﴾ وكقوله تعالى ﴿فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس﴾ وقوله تعالى ﴿والنجم إذا هوى ـ فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ فقد علمت أن عجائب النطفة القذرة عجز عن معرفتها الأولون والآخرون ـ وما أقسم الله بها ـ فما ظنك بما أقسم الله تعالى به وأحال الأرزاق عليه وأضافها إليه فقال تعالى ﴿وفى السماء رزقكم وما توعدون﴾ وأثنى على المفكرين فيه فقال ﴿ ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته [1] » أى تجاوزها من غير فكر . وذم المعرضين عنها فقال ﴿ وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون ﴾ فأى نسبة لجميع البحار والأرض إلى السماء وهى متغيرات على القرب ، والسموات صلاب شداد محفوظات عن التغير إلى أن يبلغ الكتاب أجله ، ولذلك سماه الله تعالى محفوظا فقال ﴿ وجعلنا السماء سقفا محفوظا ﴾ وقال سبحانه ﴿ وبنينا فوقكم سبعا شدادا ﴾ وقال ﴿ أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها ﴾ فانظر إلى الملكوت لترى عجائب العز والجبروت . ولا تظنن أن معنى النظر إلى الملكوت بأن تمد البصر إليه فترى زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرقها فإن البهائم تشاركك فى هذا النظر . فإن كان هذا هو المراد فلم مدح الله تعالى إبراهيم بقوله ﴿ وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ﴾ لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن يعبر عنه بالملك والشهادة ، وما غاب عن الأبصار فيعبر عنه بالغيب والملكوت ، والله تعالى عالم الغيب والشهادة وجبار الملك والملكوت ولا يحيط أحد بشىء من علمه إلا بما شاء ، وهو ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول ﴾ .

فأجل أيها العاقل فكرك فى الملكوت فعسى يفتح لك أبواب السماء فتجول بقلبك فى أقطارها إلى أن يقوم قلبك بين يدى عرش الرحمن ، فعند ذلك ربما يرجى لك أن تبلغ رتبة عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث قال : رأى قلبى ربى . وهذا لأن بلوغ الأقصى لا يكون إلا بعد مجاوزة الأدنى وأدنى شىء إليك نفسك ، ثم الأرض التى هى مقرك ، ثم الهواء المكتنف لك ، ثم النبات والحيوان وما على وجه الأرض ، ثم عجائب الجو وهو ما بين السماء والأرض ، ثم السموات السبع بكواكبها ، ثم الكرسى ، ثم العرش ، ثم الملائكة الذين هم حملة العرش وخزان السموات ، ثم منه تجاوز إلى النظر إلى رب العرش والكرسى والسموات والأرض وما بينهما . فبينك وبين هذه المفاوز العظيمة والمسافات الشاسعة والعقبات الشاهقة ، وأنت بعد لم تفرغ من العقبة القريبة النازلة ، وهى معرفة ظاهر نفسك ، ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك وتدعى معرفة ربك وتقول : قد عرفته وعرفت خلقه ففيماذا أتفكر إلى ماذا أتطلع ؟

فارفع الآن رأسك إلى السماء وانظر فيها وفى كواكبها وفى دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها ودؤوبها فى الحركة على الدوام ـ من غير فتور فى حركتها ومن غير تغير فى سيرها ، بل تجرى جميعا فى منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص إلى أن يطويها الله تعالى طى السجل للكتاب ـ وتدبر عدد كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها فبعضها يميل إلى الحمرة وبعضها إلى البياض وبعضها إلى اللون الرصاصى . ثم انظر كيفية أشكالها : فبعضها على صورة العقرب وبعضها على صورة الحمل والثور والأسد والإنسان ، وما من صورة فى الأرض إلا ولها مثال فى السماء . ثم انظر إلى مسير الشمس فى فلكها فى مدة سنة ، ثم هى تطلع فى كل يوم وتغرب

(١) حديث « ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته » أى قوله تعالى ﴿ ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ﴾ تقدم .

بسير آخر سخرها له خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرف المواقيت ولا طبق الظلام على الدوام أو الضياء على الدوام ، فكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة ، فانظر كيف جعل الله تعالى الليل لباسا والنوم سباتا والنهار معاشا ، وانظر إلى إيلاجه الليل فى النهار والنهار فى الليل وإدخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص . وانظر إلى إمالته مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف والشتاء والربيع والخريف فإذا انخفضت الشمس من وسط السماء فى مسيرها برد الهواء وظهر الشتاء ، وإذا استوت فى وسط السماء اشتد القيظ وإذا كانت فيما بينهما اعتدل الزمان . وعجائب السموات لا مطمع فى إحصاء عشر عشير جزء من أجزائها ، وإنما هذا تنبيه على طريق الفكر ، واعتقد على طريق الجملة أنه ما من كوكب من الكواكب إلا ولله تعالى حكم كثيرة فى خلقه ثم فى مقداره ، ثم فى شكله ، ثم فى لونه ثم فى وضعه من السماء ، وقربه من وسط السماء وبعده ، وقربه من الكواكب التى بجنبه وبعده وقس على ذلك ما ذكرناه من أعضاء بدنك ، إذ ما من جزء إلا وفيه حكمة بل حكم كثيرة ، وأمر السماء أعظم ، بل لا نسبة لعالم الأرض إلى عالم السماء لا فى كبر جسم ولا فى كثرة معانيه . وقس التفاوت الذى بينهما فى كثرة المعانى بما بينهما من التفاوت فى كبر الأرض ، فأنت تعرف من كبر الأرض واتساع أطرافها أنه لا يقدر آدمى على أن يدركها ويدور بجوانبها ، وقد اتفق الناظرون على أن الشمس مثل الأرض مائة ونيفا وستين مرة ، وفى الأخبار ما يدل على عظمتها [1] ثم الكواكب التى تراها أصغرها مثل الأرض ثمانى مرات ، وأكبرها ينتهى إلى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الأرض . وبهذا تعرف ارتفاعها وبعدها ؛ إذ للبعد صارت ترى صغارا ولذلك أشار الله تعالى إلى بعدها فقال ﴿رفع سمكها فسواها﴾ .

وفى الأخبار : أن ما بين كل سماء إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام [2] فإذا كان مقدرا كوكب واحد مثل الأرض أضعافا فانظر إلى كثرة الكواكب . ثم انظر إلى السماء التى الكواكب مركوزة فيها وإلى عظمها . ثم انظر إلى سرعة حركتها وأنت لا تحس بحركتها فضلا عن أن تدرك سرعتها ، لكن لا تشك أنها فى لحظة تسير مقدار عرض كوكب ، لأن الزمان من طلوع أول جزء من كوكب إلى تمامه يسير وذلك الكوكب هو مثل الأرض مائة مرة وزيادة ، فقد دار الفلك فى هذه اللحظة مثل الأرض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام وأنت غافل عنه . وانظر كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركته إذ قال له النبى صلى الله عليه وسلم « هل زالت الشمس ؟ » فقال : لا ... نعم ، فقال « كيف تقول لا ... نعم » فقال . من حين قلت لا إلى أن قلت نعم سارت الشمس خمسمائة عام [3] فانظر إلى عظم شخصها ثم إلى خفة حركتها ، ثم انظر إلى قدرة الفاطر الحكيم كيف أثبت صورتها مع اتساع أكنافها فى حدقة العين مع صغرها حتى تجلس على الأرض وتفتح عينيك نحوها فترى جميعها . فهذه السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر إليها بل انظر إلى بارئها كيف خلقها ، ثم أمسكها من غير عمد ترونها ومن غير علاقة من فوقها وكل العالم

---

(١) الحديث الدال على عظم الشمس رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمر : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الشمس حين غربت فقال « فى نار الله الحامية لولا ما نزعها من أمر الله لأهلكت ما على الأرض » والطبرانى فى الكبير من حديث أبى أمامة « وكل بالشمس تسعة أملاك يرمونها بالثلج كل يوم لولا ذلك ما أتت على شىء إلا أحرقته » .

(٢) حديث « بين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام » أخرجه الترمذى من رواية الحسن عن أبى هريرة وقال غريب ، قال ويروى من أيوب ويونس بن عبيد وعلى بن زيد قالوا ولم يسمع الحسن من أبى هريرة ، ورواه أبو الشيخ فى العظمة من رواية أبى نضرة من أبى ذر ورجاله ثقات إلا أنه لا يعرف لأبى نضرة سماع من أبى ذر .

(٣) حديث : أنه قال لجبريل « هل زالت الشمس؟ » فقال : لا ... نعم ، فقال : كيف تقول لا ... نعم ؟ فقال : من حين قلت : لا ، إلى أن قلت : نعم ، سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام » لم أجد له أصلا .

كبيت واحد والسماء سقفه فالعجب منك أنك تدخل بيت غنى فتراه مزوقا بالصبغ مزوقا بالذهب فلا ينقطع تعجبك منه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك ! وأنت أبدا تنظر إلى هذا البيت العظيم وإلى أرضه وإلى سقفه وإلى هوائه وإلى عجائب أمتعته وغرائب حيواناته وبدائع نقوشه ثم لا تتحدث فيه ولا تلتفت بقلبك إليه ! فما هذا البيت دون ذلك البيت الذى تصفه بل ذلك البيت هو أيضا جزء من الأرض التى هى أخس أجزاء هذا البيت ! ومع هذا فلا تنظر إليه ؛ ليس له سبب إلا أنه بيت ربك هو الذى انفرد ببنائه وترتيبه وأنت قد نسيت نفسك وربك وبيت ربك واشتغلت ببطنك وفرجك ؟ ليس لك هم إلا شهوتك أو حشمتك . وغاية شهوتك أن تملأ بطنك ، ولا تقدر على أن تأكل عشر ما تأكله بهيمة فتكون البهيمة فوقك بعشر درجات . وغاية حشمتك أن تقبل عليك عشرة أو مائة من معارفك فينافقون بألسنتهم بين يديك ، ويضمرون خبائث الاعتقادات عليك ، وإن صدقوك فى مودتهم إياك فلا يملكون لك ولا لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، وقد يكون فى بلدك من أغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك ، وقد اشتغلت بهذا الغرور وغفلت عن النظر فى جمال ملكوت السموات والأرض ثم غفلت عن التنعم بالنظر إلى جلال مالك الملكوت والملك . وما مثلك ومثل عقلك إلا كمثل النملة تخرج من جحرها الذى حفرته فى قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنيان حصين الأركان مزين بالجوارى والغلمان وأنواع الذخائر والنفائس ، فإنها إذا خرجت من جحرها ولقيت صاحبتها لم تتحدث لو قدرت على النطق إلا عن بيتها وغذائها وكيفية ادخارها . فأما حال القصر والملك الذى فى القصر فهى بمعزل عنه وعن التفكر فيه ، بل لا قدرة لها على المجاوزة بالنظر عن نفسها وغذائها وبيتها إلى غيره . وكما غفلت النملة عن القصر وعن أرضه وسقفه وحيطانه وسائر بنيانه وغفلت أيضا عن سكانه ، فأنت أيضا غافل عن بيت الله تعالى وعن ملائكته الذين هم سكان سمواته ، فلا تعرف من السماء إلا ما تعرفه النملة من سقف بيتك ، ولا تعرف من ملائكة السموات إلا ما تعرف النملة منك ومن سكان بيتك . نعم ليس للنملة سرعة إلى أن تعرفك وتعرف عجائب قصرك وبدائع صنعة الصانع فيه ، وأما أنت فلك قدرة على أن تجول فى الملكوت وتعرف من عجائبه ما الخلق غافلون عنه . ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط فإنه مجال لا آخر له ، ولو استقصينا أعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله تعالى علينا بمعرفته ، وكل ما عرفناه قليل نزر حقير بالإضافة إلى ما عرفه جملة العلماء والأولياء ، وما عرفوه قليل نزر حقير بالإضافة إلى ما عرفه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وجملة ما عرفوه قليل بالإضافة إلى ما عرفه محمد نبينا صلى الله عليه وسلم . وما عرفه الأنبياء كلهم قليل بالإضافة إلى ما عرفته الملائكة المقربون كإسرافيل وجبريل وغيرهما ثم جميع علوم الملائكة والجن والإنس إذا أضيف إلى علم الله سبحانه وتعالى لم يستحق أن يسمى علما ، بل هو إلى أن يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا أقرب . فسبحان من عرف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ .

فهذا بيان معاقد الجهل التى تجول فيها فكر المتفكرين فى خلق الله تعالى وليس فيها فكر فى ذات الله تعالى ، ولكن يستفاد من الفكر فى الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته ، وكلما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله تعالى كانت معرفتك بجلاله وعظمته أتم . وهذا كما أنك تعظم عالما بسبب معرفتك بعلمه ، فلا تزال تطلع على غريبة من تصنيفه أو شعره فتزداد به معرفة وتزداد بحسنه له توقيرا وتعظيما واحتراما ، حتى إن كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب من أبيات شعره يزيده محلا من قلبك يستدعى التعظيم له فى نفسك . فهكذا تأمل فى خلق الله تعالى وتصنيفه وتأليفه ، وكل ما فى الوجود من خلق الله وتصنيفه والنظر والفكر فيه لا يتناهى أبدا ، وإنما لكل عبد

منهما بقدر مارزق . فلنقتصر على ماذكرناه ولنضف إلى هذا مافصلناه فى كتاب الشكر ، فإنا نظرنا فى ذلك الكتاب فى فعل الله تعالى من حيث هو إحسان إلينا وإنعام علينا . وفى هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث إنه فعل الله فقط ، وكل مانظرنا فيه فإن الطبيعى ينظر فيه ويكون نظره سبب ضلاله وشقاوته ، والموفق ينظر فيه فيكون سبب هدايته وسعادته . ومامن ذرة فى السماء والأرض إلا والله سبحانه وتعالى يضل بها من يشاء ويهدى بها من يشاء ، فمن نظر فى هذه الأمور من حيث إنها فعل الله تعالى وصنعه استفاد منه المعرفة بجلال الله تعالى وعظمته واهتدى به ، ومن نظر فيها قاصرا النظر عليها من حيث تأثير بعضها فى بعض لامن حيث ارتباطها بمسبب الأسباب فقد شقى وارتدى فنعوذ بالله من الضلال ، ونسأله أن يجنبنا مزلة أقدام الجهال بمنه وكرمه وفضله وجوده ورحمته .

تم الكتاب التاسع من ربع المنجيات والحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله وسلامه ، يتلوه كتاب ذكر الموت وما بعده ، وبه كمل جميع الديوان بحمد الله تعالى وكرمه .

كتاب ذكر الموت وما بعده

وهو الكتاب العاشر من ربع المنجيات ، وبه اختتام كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى قصم بالموت رقاب الجبابرة ، وكسر به ظهور الأكاسرة وقصر به آمال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة ، حتى جاءهم الوعد الحق وأرداهم فى الحافرة ، فنقلوا من القصور إلى القبور ، ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحود ، ومن ملاعبة الجوارى والغلمان إلى مقاساة الهوام والديدان ، ومن التنعم بالطعام والشراب إلى التمرغ فى التراب ، ومن أنس العشرة إلى وحشة الوحدة ، ومن المضجع الوثير إلى المصرع الوبيل ، فانظر هل وجدوا من الموت حصنا وعزا ، واتخذوا من دونه حجابا وحرزا ، وانظر ﴿ هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ﴾ فسبحان من انفرد بالقهر والاستيلاء ، واستأثر باستحقاق البقاء ، وأذل أصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء ، ثم جعل الموت مخلصا للأتقياء وموعدا فى حقهم للقاء ، وجعل القبر سجنا للأشقياء وحبسا ضيقا عليهم إلى يوم الفصل والقضاء ، فله الإنعام بالنعم المتظاهرة ، وله الانتقام بالنقم القاهرة ، وله الشكر فى السموات والأرض وله الحمد فى الأولى والآخرة ، والصلاة على محمد ذى المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد . فجدير بمن الموت مصرعه ، والتراب مضجعه ، والدود أنيسه ، ومنكر ونكير جليسه ، والقبر مقره وبطن الأرض مستقره والقيامة موعده ، والجنة أو النار مورده أن لا يكون له فكر إلا فى الموت ولا ذكر إلا له ، ولا استعداد إلا لأجله ، ولا تدبير إلا فيه ، ولا تطلع إلا إليه ، ولا تعريج إلا عليه ، ولا اهتمام إلا به ، ولا حول إلا حوله ، ولا انتظار وتربص إلا له ، وحقيق بأن يعد نفسه من الموتى ويراها فى أصحاب القبور ، فإن كل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الكيس من دان نفسه وعمل

لما بعد الموت [1] ، ولن يتيسر الاستعداد للشيء إلا عند تجدد ذكره على القلب ، ولا يتجدد ذكره إلا عند التذكر بالإصغاء إلى المذكرات له والنظر فى المنبهات عليه . ونحن نذكر من أمر الموت ومقدماته ولواحقه وأحوال الآخرة والقيامة والجنة والنار ما لا بد للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار ، ليكون ذلك مستحثا على الاستعداد فقد قرب لما بعد الموت الرحيل فما بقى من العمر إلا القليل والخلق عنه غافلون ﴿ اقترب الناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ﴾ ونحن نذكر ما يتعلق بالموت فى شطرين :

الشطر الأول

فى مقدماته وتوابعه إلى نفخة الصور ، وفيه ثمانية أبواب

(الباب الأول) فى فضل ذكر الموت والترغيب فيه . (الباب الثانى) فى ذكر طول الأمل وقصره . (الباب الثالث) فى سكرات الموت وشدته وما يستحب من الأحوال عند الموت . (الباب الرابع) فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده . (الباب الخامس) فى كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين . (الباب السادس) فى أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور . (الباب السابع) فى حقيقة الموت ومايلقاه الميت فى القبر إلى نفخة الصور (الباب الثامن) فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة فى المنام .

الباب الأول : فى ذكر الموت والترغيب فى الإكثار من ذكره

اعلم أن المنهمك فى الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره . وإذا ذكر به كرهه ونفر منه أولئك هم الذين قال الله فيهم ﴿ قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ ثم الناس : إما منهمك ، وإما تائب مبتدئ ، أو عارف منته . أما المنهمك : فلا يذكر الموت ، وإن ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ويشتغل بمذمته ، وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا . وأما التائب : فإنه يكثر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفى بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من أن يختطفه قبل تمام التوبة وقبل إصلاح الزاد ، وهو معذور فى كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم « من كره لقاء الله كره الله لقاءه [2] » فإن هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وإنما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره ، وهو كالذى يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقائه . وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه وإلا التحق بالمنهمك فى الدنيا ، وأما العارف : فإنه يذكر الموت دائما لأنه موعد لقائه لحبيبه ، والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب ، وهذا فى غالب الأمر يستبطئ مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل إلى جوار رب العالمين . كما روى عن حذيفة أنه لما حضرته الوفاة قال : حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم ؛ اللهم إن كنت تعلم

كتاب ذكر الموت ومابعده

(١) حديث « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت » تقدم غير مرة .
الباب الأول : فى ذكر الموت والترغيب فيه

(٢) حديث « من كره لقاء الله كره الله لقاءه » متفق عليه من حديث أبي هريرة .

أنّ الفقر أحب إلى من الغنى والسقم أحب إلى من الصحة والموت أحب إلى من العيش فسهل على الموت حتى ألقاك فإذن التائب معذور فى كراهة الموت ، وهذا معذور فى حب الموت وتمنيه ، وأعلى منهما رتبة من فوّض أمره إلى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حياة ، بل يكون أحب الأشياء إليه أحبها إلى مولاه . فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء إلى مقام التسليم والرضا وهو الغاية والمنتهى . وعلى كل حال ففى ذكر الموت ثواب وفضل ، فإن المنهمك أيضا يستفيد بذكر الموت التجافى عن الدنيا إذ ينغص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذته . وكل ما يكدر على الإنسان اللذات والشهوات فهو من أسباب النجاة .

بيان فضل ذكر الموت كيفما كان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثروا من ذكر هاذم اللذات [1] » ومعناه نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم إليها فتقبلوا على الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم « لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم منها سمينا [2] » وقالت عائشة رضى الله عنها : يارسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد ؟ قال « نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة [3] » وإنما سبب هذه الفضيلة كلها أنّ ذكر الموت يوجب التجافى عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للآخرة ، والغفلة عن الموت تدعو إلى الانهماك فى شهوات الدنيا . وقال صلى الله عليه وسلم « تحفة المؤمن الموت [4] » وإنما قال هذا لأن الدنيا سجن المؤمن إذ لا يزال فيها فى عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه ، فالموت إطلاق له من هذا العذاب ، والإطلاق تحفة فى حقه . وقال صلى الله عليه وسلم « الموت كفارة لكل مسلم [5] » وأراد بهذا : المسلم حقا المؤمن صدقا الذى يسلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصى الا باللمم والصغائر ، فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر وإقامته الفرائض : قال عطاء الخراسانى : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلى فيه الضحك فقال « شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات » قالوا : وما مكدر اللذات ؟ قال « الموت [6] » وقال أنس رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثروا من ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا [7] » وقال صلى الله عليه وسلم « كفى بالموت مفرقا [8] » وقال عليه السلام « كفى بالموت واعظا [9] » وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون ، فقال « اذكروا الموت أما والذى نفسى بيده لو تعلمون

---

(١) حديث « أكثروا من ذكر هاذم اللذات » أخرجه الترمذى وقال حسن والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة وقد تقدم . (٢) حديث « لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم منها سمينا » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث أم حبيبة الجهنية وقد تقدم . (٣) حديث . قالت عائشة هل يحشر مع الشهداء أحد ؟ قال « نعم من ذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة » تقدم . (٤) حديث « تحفة المؤمن الموت » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت والطبرانى والحاكم من حديث عبد الله بن عمر مرسلا بسند حسن .

(٥) حديث « الموت كفارة لكل مسلم » أخرجه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب والخطيب فى التاريخ من حديث أنس قال ابن العربى فى سراج المريدين إنه حسن صحيح وضعفه ابن الجوزى وقد جمعت طرقه فى جزء . (٦) حديث عطاء الخراسانى : مر النبى صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلاه الضحك فقال « شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الموت هكذا مرسلا ورويناه فى أمالى الجلال من حديث أنس ولا يصح . (٧) حديث أنس « أكثروا من ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الموت بإسناد ضعيف جدا . (٨) حديث « كفى بالموت مفرقا » أخرجه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده من حديث أنس وعراك بن مالك بسند ضعيف ، ورواه ابن أبى الدنيا فى البر والصلة من رواية أبى عبد الرحمن الحبلى مرسلا . (٩) حديث « كفى بالموت واعظا » أخرجه الطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث عمار ابن ياسر بسند ضعيف وهو مشهور من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقى فى الزهد .

ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا [١] » وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فأحسنوا الثناء عليه ، فقال « كيف ذكر صاحبكم الموت ؟ » قالوا : ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت ! قال « فإنّ صاحبكم ليس هنالك [٢] » وقال ابن عمر رضى الله عنهما : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم - عاشر عشرة - فقال رجل من الأنصار : من أكيس الناس وأكرم الناس يارسول الله ؟ فقال « أكثرهم ذكرا للموت وأشدهم استعدادا له أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة [٣] » .

أما الآثار ؛ فقد قال الحسن رحمه الله تعالى فضح الموت الدنيا فلم يترك لذى لب فرحا . وقال الربيع بن خثيم . ما غائب ينتظره المؤمن خيرا له من الموت . وكان يقول : لا تشعروا بى أحدا وسلونى إلى ربى سلا . وكتب بعض الحكماء إلى رجل من إخوانه : يا أخى احذر الموت فى هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده . وكان ابن سيرين إذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه . وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ، ثم يبكون حتى كأنّ بين أيديهم جنازة . وقال إبراهيم التيمى : شيئان قطعا عنى لذة الدنيا ؛ ذكر الموت والوقوف بين يدى الله عز وجل . وقال كعب : من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها . وقال مطرف : رأيت فيما يرى النائم كأنّ قائلا يقول - فى وسط مسجد البصرة - قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما تراهم إلا والهين . وقال أشعث : كنا ندخل على الحسن فإنما هو النار وأمر الآخرة وذكر الموت . وقالت صفية رضى الله تعالى عنها : إنّ امرأة اشتكت إلى عائشة رضى الله عنها قساوة قلبها فقالت : أكثرى ذكر الموت يرق قلبك ، ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضى الله عنها . وكان عيسى عليه السلام إذا ذكر الموت عنده يقطر جلده دما . وكان داود عليه السلام إذا ذكر الموت والقيامة يبكى حتى تنخلع أوصاله ، فإذا ذكر الرحمة رجعت إليه نفسه . وقال الحسن : ما رأيت عاقلا قط إلا أصبته من الموت حذرا وعليه حزينا . وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء : عظنى ؛ فقال : لست أول خليفة تموت ؟ قال ؛ زدنى ، قال : ليس من آبائك أحد إلى آدم إلا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك ، فبكى عمر لذلك وكان الربيع بن خثيم قد حفر قبرا فى داره فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول : لو فارق ذكر الموت قلبى ساعة واحدة لفسد . وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير : إنّ هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لاموت فيه . وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة : أكثر ذكر الموت فإن كنت واسع العيش ضيقه عليك وإن كنت ضيق العيش وسعه عليك . وقال أبو سليمان الدارانى : قلت لأم هرون ، أتحبين الموت ؟ قالت : لا ، قلت : لم ؟ قالت : لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته .

بيان الطريق فى تحقيق ذكر الموت

اعلم أن الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له ، ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا فلا ينجع ذكر الموت فى قلبه . فالطريق فيه أن يفرغ العبد قلبه عن كل

---

(١) حديث : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال « اذكروا الموت ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الموت من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف . (١) حديث : ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فأحسنوا الثناء عليه فقال « كيف كان ذكر صاحبكم للموت ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الموت من حديث أنس بسند ضعيف وابن المبارك فى الزهد قال أخبرنا مالك بن منول فذكره بلاغا بزيادة فيه . (٣) حديث ابن عمر : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم - عاشر عشرة - فقال رجل من الأنصار : من أكيس الناس ... الحديث » أخرجه ابن ماجه مختصرا وابن أبى الدنيا بكماله بإسناد جيد .

شيء إلا عن ذكر الموت الذى هو بين يديه ، كالذى يريد أن يسافر إلى مفازة مخطرة أو يركب البحر فإنه لا يتفكر إلا فيه ، فإذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك أن يؤثر فيه وعندذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه . وأنجع طريق فيه أن يكثر ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ، ويتذكر صورهم فى مناصبهم وأحوالهم ، ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم . وكيف تبددت أجزاؤهم فى قبورهم وكيف أرملوا نساءهم وأيتموا أولادهم وضيعوا أموالهم . وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم ، وانقطعت آثارهم ، فهما تذكر رجل رجلا وفصل فى قلبه حاله ، وكيفية موته وبرهم صورته ، وتذكر نشاطه وتردده وتأمله للعيش والبقاء ، ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة الأسباب ، وركونه إلى القوة والشباب ، وميله إلى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع . وأنه كيف كان يتردد والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله . وأنه كيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه . وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه . وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه - إلى عشر سنين - فى وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر وهو غافل عما يراد به ، حتى جاءه الموت فى وقت لم يحتسبه ، فانكشف له صورة الملك وقرع سمعه النداء إما بالجنة أو بالنار ، فعند ذلك ينظر فى نفسه أنه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم .

قال أبو الدرداء رضى الله عنه . إذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : السعيد من وعظ بغيره . وقال عمر بن عبد العزيز : ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غادياً أو رائحاً إلى الله عز وجل تضعونه فى صدع من الأرض قد توسد التراب وخلف الأحباب وقطع الأسباب .

فلازمة هذه الأفكار وأمثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذى يجدد ذكر الموت فى القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه ، فعند ذلك يوشك أن يستعد له ويتجافى عن دار الغرور ، وإلا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى فى التحذير والتنبيه ، ومهما طالب قلبه بشيء من الدنيا ينبغى أن يتذكر فى الحال ، أنه لا بد له من مفارقته . نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنها ثم بكى فقال : والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا ، ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته .

البـاب الثـــانى

فى طول الأمل وفضيلة قصر الأمل ، وسبب طوله وكيفية معالجته

فضيـــلة قصر الأمل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر « إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فإنك يا عبد الله لا تدرى ما اسمك غدا[1] » وروى على كرم الله وجهه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان . اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق ، وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا » ثم قال « ألا إن الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ويبغض ، وإذا أحب عبدا أعطاه الإيمان ، ألا إن للدين أبناء وللدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا

الباب الثانى فى طول الأمل

(١) حديث : قال لعبد الله بن عمر « إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ... الحديث » أخرجه ابن حبان ورواه البخارى من قول ابن عمر فى آخر حديث « كن فى الدنيا كأنك غريب » .

من أبناء الدنيا ، ألا إن الدنيا قد ارتحلت مولية ألا إن الآخرة قد ارتحلت مقبلة ، ألا وإنكم فى يوم عمل ليس فيه حساب ألا وإنكم توشكون فى يوم حساب ليس فيه عمل [١] » وقالت أم المنذر : اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية إلى الناس فقال « أيها الناس أما تستحون من الله » قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال « تجمعون مالا تأكلون وتأملون مالا تدركون وتبنون مالا تسكنون [٢] » وقال أبو سعيد الخدرى : اشترى أسامة بن زيد من زيد ابن ثابت وليدة بمائة دينار - إلى شهر - فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ألا تعجبون من أسامة المشترى إلى شهر ، إن أسامة لطويل الأمل والذى نفسى بيده ما طرفت عيناى إلا ظننت أن شفرى لا يلتقيان حتى يقبض الله روحى ولا رفعت طرفى فظننت أنى واضعه حتى أفيض ، ولا لقمت لقمة إلا ظننت أنى لا أسيغها حتى أغص بها من الموت » ثم قال « يا بنى آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذى نفسى بيده ﴿ إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين ﴾ [٣] » وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج بهريق الماء فيتمسح بالتراب ، فأقول له : يا رسول الله إن الماء منك قريب فيقول « ما يدرينى لعلى لا أبلغه [٤] » وروى أنه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلاثة أعواد فغرز عوداً بين يديه ، والآخر إلى جنبه ، وأما الثالث فأبعده ، فقال « هل تدرون ما هذا » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال « هذا الإنسان وهذا الأجل وذاك الأمل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الأجل دون الأمل [٥] » وقال عليه السلام « مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية إن أخطأته المنايا وقع فى الهرم [٦] » قال ابن مسعود : هذا المرء وهذه الحتوف حوله شوارع إليه ، والهرم وراء الحتوف ، والأمل وراء الهرم ، فهو يؤمل وهذه الحتوف شوارع إليه فأيها أمر به أخذه فإن أخطأته الحتوف قتله الهرم وهو ينتظر الأمل . قال عبد الله خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعاً ، وخط وسطه خطا ، وخط خطوطا إلى جنب الخط ، وخط خطا خارجا وقال « أتدرون ما هذا ؟ » قلنا الله ورسوله أعلم ، قال « هذا الإنسان - للخط الذى فى الوسط - وهذا الأجل محيط به ، وهذه الأعراض - للخطوط التى حوله - تنهشه إن أخطأه هذا نهشه هذا ، وذاك الأمل - يعنى الخط الخارج [٧] » وقال أنس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والأمل [٨] » وفى رواية « ويشب معه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث على « إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الأمل ... الحديث » بطوله أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب قصر الأمل ورواه أيضا من حديث جابر بنحوه وكلاهما ضعيف . (٢) حديث أم المنذر « أيها الناس أما تستحيون من الله تعالى » قالوا : وماذاك يارسول الله ؟ قال « تجمعون مالا تأكلون . . . الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا ومن طريقه البيهقى فى الشعب بإسناد ضعيف وقد تقدم . (٣) حديث أبى سعيد : اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار - إلى شهر - فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ألا تعجبون من أسامة ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل والطبرانى فى مسند الشاميين وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب بسند ضعيف . (٤) حديث ابن عباس : كان يخرج بهريق الماء فيمسح بالتراب فأقول الماء منك قريب فيقول « مايدرينى لعلى لا أبلغه » أخرجه ابن المبارك فى الزهد وابن أبى الدنيا فى قصر الأمل والبزار بسند ضعيف .

(٥) حديث : أنه أخذ ثلاثة أعواد فغرز عودا بين يديه ... الحديث . أخرجه أحمد وابن أبى الدنيا فى قصر الأمل واللفظ له والرامهرمزى فى الأمثال من رواية أبى المتوكل الناجى عن أبى سعيد الخدرى وإسناده حسن ورواه ابن المبارك فى الزهد وابن أبى الدنيا أيضا من رواية أبى المتوكل مرسلا . (٦) حديث : مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث عبد الله بن الشخير وقال حسن . (٧) حديث ابن مسعود : خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط وسطه خطا ... الحديث » رواه البخارى . (٨) حديث أنس : يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنان : الحرص والأمل » وفى رواية « ويشب معه اثنان : الحرص على المال والحرص على العمر » ورواه مسلم بلفظ الثانى وابن أبى الدنيا فى قصر الأمل باللفظ الأول بإسناد صحيح .

« نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل [1] » وقيل بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الأرض ، فقال عيسى : اللهم انزع منه الأمل ، فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة ، فقال عيسى اللهم اردد إليه الأمل ، فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال : بينما أنا أعمل إذ قالت لى نفسى : إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير ! فألقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لى نفسى : والله لابد لك من عيش ما بقيت ، فقمت إلى مسحاتى . وقال الحسن : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكلكم يحب أن يدخل الجنة ؟ » قالوا : نعم يا رسول الله قال « قصروا من الأمل وثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء [2] » وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه « اللهم إنى أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة ، وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات ، وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل » [3]

الآثار : قال مطرف بن عبد الله : لو علمت متى أجلى لخشيت على ذهاب عقلى ؟ ولكن الله تعالى منّ على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ماتهنأوا بعيش ولا قامت بينهم الأسواق . وقال الحسن : السهو والأمل نعمتان عظيمتان على بنى آدم ولولاهما ما مشى المسلمون فى الطرق وقال الثورى بلغنى أن الإنسان خلق أحمق ولولا ذلك لم يهنأه العيش : وقال أبو سعيد بن عبد الرحمن : إنما عمرت الدنيا بقلة عقول أهلها ، وقال سلمان الفارسى رضى الله عنه . ثلاث أعجبتنى حتى أضحكتنى ، مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس يغفل عنه وضاحك ملء فيه ولا يدرى أساخط رب العالمين عليه أم راض ، وثلاث أحزنتنى حتى أبكتنى ، فراق الأحبة ـ محمد وحزبه ـ وهول المطلع والوقوف بين يدى الله ولا أدرى إلى الجنة يؤمر بى أو إلى النار . وقال بعضهم : رأيت زرارة بن أبى أوفى بعد موته فى المنام فقلت : أى الأعمال أبلغ عندكم ؟ قال : التوكل وقصر الأمل . وقال الثورى : الزهد فى الدنيا قصر الأمل ، ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباءة . وسأل المفضل بن فضالة ربه أن يرفع عنه الأمل فذهبت عن شهوة الطعام والشراب ، ثم دعا ربه فرد عليه الأمل ، فرجع إلى الطعام والشراب ، وقيل للحسن : ياأبا سعيد ألا تغسل قميصك ؟ فقال الأمر أعجل من ذلك . وقال الحسن : الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم . وقال بعضهم أنا كرجل ماد عنقه والسيف عليه ينتظر متى تضرب عنقه . وقال داود الطائى : لو أملت أن أعيش شهرا لرأيتنى قد أتيت عظيما ، وكيف أؤمل ذلك وأرى الفجائع تغشى الخلائق فى ساعات الليل والنهار ؟ وحكى أنه جاء شقيق البلخى إلى أستاذ له يقال له أبو هاشم الرمانى ـ وفى طرف كسائه شىء مصرور ـ فقال له استاذه : إيش هذا معك ؟ فقال : لوزات دفعها إلى أخ لى وقال : أحب أن تفطر عليها ، فقال ياشقيق وأنت تحدث نفسك أنك تبقى إلى الليل لا كلمتك أبدا ، قال : فأغلق فى وجهى الباب ودخل . وقال عمر بن عبد العزيز فى خطبته : إن لكل سفر زادا لامحالة فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى ، وكونوا كمن عاين ماأعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم ، فإنه والله مابسط أمل من لايدرى لعله لايصبح بعد مسائه ولا يمسى بعد صباحه ، وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا ، وكم رأيت ورأيتم من كان بالدنيا مغترا ، وإنما تقر عين من

---

(١) حديث « نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد وهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل » أخرجه ابن أبى الدنيا فيه من رواية ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

(٢) حديث الحسن « أكلكم يحب أن يدخل الجنة ؟ » قالوا : نعم يارسول الله قال « قصروا من الأمل ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فيه هكذا من حديث الحسن مرسلا .

(٣) حديث : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه : اللهم إنى أعوذ بك من أمل يمنع خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل » أخرجه ابن أبى الدنيا فيه من رواية حوشب عن النبى صلى الله عليه وسلم وفى إسناده ضعف وجهالة ولا أدرى من حوشب .

وثق بالنجاة من عذاب الله تعالى ، وإنما يفرح من أمن أهوال القيامة فأما من لايداوى كلما إلا أصابه جرح من ناحية أخرى فكيف يفرح ؟ أعوذ بالله من أن آمركم بما لاأنهى عنه نفسى فتخسر صفقتى وتظهر عيبتى وتبدو مسكنتى فى يوم يبدو فيه الغنى والفقر والموازين فيه منصوبة ، لقد عنيتم بأمر لو عنيت به النجوم لانكدرت ولو عنيت به الجبال لذابت ولو عنيت به الأرض لتشققت ، أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة وإنكم صائرون إلى إحداهما . وكتب رجل إلى أخ له : أمابعد ؛ فإن الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن فى أضغاث أحلام والسلام . وكتب آخر إلى أخ له : إن الحزن على الدنيا طويل والموت من الإنسان قريب وللنقص فى كل يوم منه نصيب ، وللبلاء فى جسمه دبيب ، فبادر قبل أن تنادى بالرحيل والسلام . وقال الحسن : كان آدم عليه السلام ـ قبل أن يخطئ ـ أمله خلف ظهره وأجله بين عينيه فلما أصاب الخطيئة حول فجعل أمله بين عينيه وأجله خلف ظهره . وقال عبد الله بن سميط : سمعت أبى يقول ، أيها المغتر بطول صحته أما رأيت ميتا قط من غير سقم ، أيها المغتر بطول المهلة أما رأيت مأخوذا قط من غير عدة ، إنك لو فكرت فى طول عمرك لنسيت ماقد تقدم من لذاتك أبالصحة تغترون أم بطول العافية تمرحون ، أم الموت تأمنون أم على ملك الموت تجترئون إن ملك الموت إذا جاء لايمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك ، أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على التفريط ، ثم يقال رحم الله عبدا عمل لما بعد الموت ، رحم الله عبدا نظر لنفسه قبل نزول الموت ، وقال أبو زكريا التيمى : بينما سليمان بن عبد الملك فى المسجد الحرام إذ أتى بحجر منقور ، فطلب من يقرؤه ، فأتى بوهب بن منبه فإذا فيه : ابن آدم إنك لو رأيت قرب مابقى من أجلك لزهدت فى طول أملك ولرغبت فى الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك ، وإنما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وفارقك الوالد والقريب ورفضك الولد والنسيب ، فلا أنت إلى دنياك عائد ولا فى حسناتك زائد ، فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة ، فبكى سليمان بكاء شديدا ، وقال بعضهم : رأيت كتابا من محمد بن يوسف إلى عبد الرحمن بن يوسف ، سلام عليك فإنى أحمد الله إليك الذى لاإله إلا هو أما بعد فإنى أحذرك متحولك من دار مهلتك إلى دار إقامتك وجزاء أعمالك ، فتصير فى قرار باطن الأرض بعد ظاهرها فيأتيك منكر ونكير فيقعدانك وينتهرانك فإن يكن الله معك فلا يأس ولا وحشة ولافاقة ، وإن يكن غير ذلك فأعاذنى الله وإياك من سوء مصرع وضيق مضجع ، ثم تبلغك صيحة الحشر ونفخ الصور وقيام الجبار لفصل قضاء الخلائق وخلاء الأرض من أهلها والسموات من سكانها فباحت الأسرار وأسعرت النار ووضعت الموازين وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ، فكم من مفتضح ومستور وكم من هالك وناج وكم من معذب ومرحوم ، فياليت شعرى ماحالى وحالك يومئذ فنى هذا ما هدم اللذات وأسلى عن الشهوات وقصر عن الأمل وأيقظ النائمين وحذر الغافلين ، أعاننا الله وإياكم على هذا الخطر العظيم وأوقع الدنيا والآخرة من قلبى وقلبك موقعهما من قلوب المتقين ، فإنما نحن به وله والسلام وخطب عمر بن عبد العزيز ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى ، وإن لكم معادا يجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم ، فخاب وشقى غدا عبد أخرجه الله من رحمته التى وسعت كل شىء وجنته التى عرضها السموات والأرض ، وإنما يكون الأمان غدا لمن خاف واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا بباق وشقوة بسعادة ، ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين وسيخلف بعدكم الباقون ألا ترون أنكم فى كل يوم تشيعون غاديا ورائحا إلى الله عزوجل قد قضى نحبه وانقطع أمله فتضعونه فى بطن صدع من الأرض غير موسد ولامهد ،

قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وواجه الحساب ، وايم الله إنى لأقول مقالتى هذه ولا أعلم عند أحدكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسى ، ولكنها سنن من الله عادلة آمر فيها بطاعته وأنهى فيها عن معصيته واستغفر الله ووضع كفه على وجهه وجعل يبكى حتى بلت دموعه لحيته وما عاد إلى مجلسه حتى مات . وقال القعقاع بن حكيم : قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة فلو أتانى ما أحببت تأخير شىء عن شىء . وقال الثورى : رأيت شيخا فى مسجد الكوفة يقول : أتانى هذا المسجد منذ ثلاثين سنة أنتظر الموت أن ينزل بى ، ولو أتانى ما أمرته بشىء ولا نهيته عن شىء ، ولا لى على أحد شىء ولا لأحد عندى شىء . وقال عبد الله بن ثعلبة : تضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار . وقال أبو محمد بن على الزاهد : خرجنا فى جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطائى فانتبذ فقعد ناحية وهى تدفن ، فجئت فقعدت قريبا منه فتكلم فقال : من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ، ومن طال أمله ضعف عمله وكل ما هو آت قريب واعلم يا أخى أن كل شىء يشغلك عن ربك فهو عليك مشئوم ، واعلم أن أهل الدنيا جميعا من أهل القبور إنما يندمون على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون ، فما ندم عليه أهل القبور أهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يختصمون ، وروى أن معروفا الكرخى رحمه الله تعالى أقام الصلاة ، قال محمد بن أبى توبة فقال لى تقدم ، فقلت : إنى إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غيرها ، فقال معروف : وأنت تحدث نفسك أن تصلى صلاة أخرى نعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع من خير العمل . وقال عمر بن عبد العزيز فى خطبته : إن الدنيا ليست بدار قراركم دار كتب الله عليها الفناء ، وكتب على أهلها الظعن عنها ، فكم من عامر موثق عما قليل يخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن ، فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما بحضرتكم من النقلة وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، إنما الدنيا كفىء ظلال قلص فذهب ، بينا ابن آدم فى الدنيا ينافس وهو قرير العين إذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه ، وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه ، إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر إنها تسر قليلا وتحزن طويلا . وعن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أنه كان يقول فى خطبته : أين الوضاء الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم ؟ أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان ؟ أين الذين كانوا يعطون الغلبة فى مواطن الحرب ؟ قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا فى ظلمات القبور الوحا الوحا ثم النجا النجا !

بيان السبب فى طول الامل وعلاجه

اعلم أنّ طول الأمل له سببان ، أحدهما : الجهل ، والآخر : حب الدنيا .

أما حب الدنيا : فهو أنه إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها ، فامتنع قلبه من الفكر فى الموت الذى هو سبب مفارقتها ، وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه . والإنسان مشغوف بالأمانى الباطلة فيمنى نفسه أبدا بما يوافق مراده ، وإنما يوافق مراده البقاء فى الدنيا ، فلا يزال يتوهمه ويقدّره فى نفسه ويقدّر توابع البقاء وما يحتاج إليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب وسائر أسباب الدنيا ، فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه ، فيلهو عن ذكر الموت فلا يقدّر قربه ، فإن خطر له فى بعض الأحوال أمر الموت والحاجة إلى الاستعداد له سوّف ووعد نفسه وقال : الأيام بين يديك إلى أن تكبر ثم تتوب ، وإذا كبر فيقول : إلى أن تصير شيخا . فإذا صار شيخا قال : إلى أن تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة ، أو ترجع من هذه السفرة ، أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له ، أو تفرغ من قهر هذا العدوّ الذى يشمت بك . فلا يزال يسوّف ويؤخر ، ولا يخوض فى شغل إلا ويتعلق بإتمام ذلك الشغل عشرة أشغال أخر ، وهكذا على التدريج

يؤخر يوما بعد يوم ويفضى به شغل إلى شغل بل إلى أشغال إلى أن تختطفه المنية فى وقت لايحتسبه ، فتطول عند ذلك حسرته وأكثر أهل النار وصياحهم من سوف يقولون : واحزناه من سوف . والمسوف المسكين لايدرى أنّ الذى يدعوه إلى التسويف اليوم هو معه غدا ، وإنما يزداد بطول المدّة قوة ورسوخا ، ويظنّ أنه يتصوّر أن يكون للخائض فى الدنيا والحافظ لها فراغ قط وهيهات ! فما يفرغ منها إلا من طرحها .

فما قضى أحد منها لبانته وما انتهى أرب إلا إلى أرب

وأصل هذه الأمانى كلها حب الدنيا والأنس بها والغفلة عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم « أحبب من أحببت فإنك مفارقه (١) » .

وأما الجهل : فهو أن الإنسان قد يعوّل على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب ، وليس يتفكر المسكين أن مشايخ بلده لو عدّوا لكانوا أقل من عشر رجال البلد ، وإنما قلوا لأنّ الموت فى الشباب أكثر فإلى أن يموت شيخ يموت ألف صبى وشاب . وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجأة ، ولايدرى أنّ ذلك غير بعيد ، وإن كان ذلك بعيدا فالمرض فجأة غير بعيد ، وكل مرض فإنما يقع فجأة ، وإذا مرض لم يكن الموت بعيدا . ولو تفكر هذا الغافل وعلم أنّ الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وربيع من ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له ، ولكن الجهل بهذه الأمور وحب الدنيا دعواه إلى طول الأمل وإلى الغفلة عن تقدير الموت القريب ، فهو أبدا يظن أن الموت يكون بين يديه ولايقدر نزوله به ووقوعه فيه ، وهو أبدا يظن أنه يشيع الجنائز ولايقدّر أن تشيع جنازته ، لأنّ هذا قد تكرّر عليه وألفه وهو مشاهدة موت غيره ، فأما موت نفسه فلم يألفه ولم يتصوّر أن يألفه فإنه لم يقع ، وإذا وقع فى دفعة أخرى بعد هذه ، فهو الأوّل وهو الآخر . وسبيله أن يقيس نفسه بغيره ويعلم أنه لابدّ وأن تحمل جنازته ويدفن فى قبره ، ولعل اللبن الذى يغطى به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لايدرى فتسويفه جهل محض .

وإذا عرفت أنّ سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه .

(أما الجهل) فيدفع بالفكر الصافى من القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة .

(وأما حب الدنيا) فالعلاج فى إخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال الذى أعيا الأوّلين والآخرين علاجه ؛ ولاعلاج له إلا الإيمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ، ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فإن حب الخطير هو الذى يمحو عن القلب حب الحقير . فإذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف أن يلتفت إلى الدنيا كلها وإن أعطى ملك الأرض من المشرق إلى المغرب ، وكيف وليس عنده من الدنيا إلا قدر يسير مكدّر منغص ، فكيف يفرح بها أو يترسخ فى القلب حبها مع الإيمان بالآخرة ؟ فنسأل الله تعالى أن يرينا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده . ولا علاج فى تقدير الموت فى القلب مثل النظر إلى من مات من الأقران والأشكال وأنهم كيف جاءهم الموت فى وقت لم يحتسبوا . أما من كان مستعدّا فقد فاز فوزا عظيما ، وأما من كان مغرورا بطول الأمل فقد خسر خسرانا مبينا . فلينظر الإنسان كل ساعة فى أطرافه وأعضائه ، وليتدبر أنها كيف تأكلها الديدان لامحالة ؟ وكيف تتفتت عظامها ؟ وليتفكر أنّ الدود يبدأ بحدقته اليمنى أوّلا أو اليسرى ؟ فما على بدنه شىء إلا وهو طعمة الدود وماله من نفسه إلا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى

(١) حديث « أحبب من أحببت فإنك مفارقه ... الحديث » تقدم غير مرة .

وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر وأهوال القيامة وقرع النداء يوم العرض الأكبر . فأمثال هذه الأفكار هى التى تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه إلى الاستعداد له .

بيان مراتب الناس فى طول الأمل وقصره

اعلم أنّ الناس فى ذلك يتفاوتون ؛ فمنهم من يأمل البقاء ويشتهى ذلك أبدا قال الله تعالى ﴿ يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ﴾ ومنهم من يأمل البقاء إلى الهرم وهو أقصى العمر الذى شاهده ورآه وهو الذى يحب الدنيا حبا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الشيخ شاب فى حب طلب الدنيا وإن التفت ترقوتاه من الكبر إلا الذين اتقوا وقليل ماهم [1] » ومنهم من يأمل إلى سنة فلا يشتغل بتدبير ماوراءها فلا يقدّر لنفسه وجودا فى عام قابل ، ولكن هذا يستعدّ فى الصيف للشتاء وفى الشتاء للصيف . فإذا جمع ما يكفيه لسنته اشتغل بالعبادة . ومنهم من يأمل مدّة الصيف أو الشتاء ، فلا يدخر فى الصيف ثياب الشتاء ولا فى الشتاء ثياب الصيف ومنهم من يرجع أمله إلى يوم وليلة ، فلا يستعدّ إلا لنهاره وأما للغد فلا . قال عيسى عليه السلام : لاتهتموا برزق غد فإن يكن غد من آجالكم فستأتى فيه أرزاقكم مع آجالكم وإن لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم . ومنهم من لايجاوز أمله ساعة كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم « ياعبد الله إذا أصبحت فلاتحدّث نفسك بالمساء ، وإذا أمسيت فلاتحدّث نفسك بالصباح » ومنهم من لايقدّر البقاء أيضا ساعة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضى ساعة ويقول « لعلى لا أبلغه » ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كأنه واقع به فهو ينتظره ، وهذا الإنسان هو الذى يصلى صلاة مودع وفيه ورد ما نقل عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة إيمانه فقال : ما خطوت خطوة إلا ظننت أنى لا أتبعها أخرى [2] وكما نقل عن الأسود وهو حبشى أنه كان يصلى ليلا ويلتفت يمينا وشمالا فقال له قائل : ما هذا ؟ قال : أنظر ملك الموت من أى جهة يأتينى .

فهذه مراتب الناس ولكل درجات عندالله وليس من أمله مقصور على شهر كمن أمله شهر ويوم ، بل بينهما تفاوت فى الدرجة عند الله ، فـ ﴿ إن الله لايظلم مثقال ذرة ـ ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ﴾ ثم يظهر أثر قصر الأمل فى المبادرة إلى العمل ، وكل إنسان يدعى أنه قصير الأمل وهو كاذب ، إنما يظهر ذلك بأعماله فإنه يعتنى بأسباب ربما لايحتاج إليها فى سنة ، فيدل ذلك على طول أمله . وإنما علامة التوفيق أن يكون الموت نصب العين لايغفل عنه ساعة ، فليستعد للموت الذى يرد عليه فى الوقت ، فإن عاش إلى المساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح بأنه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ، ثم يستأنف مثله إلى الصباح ؛ وهكذا إذا أصبح . ولا يتيسر هذا إلا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه . فمثل هذا إذا مات سعد وغنم وإن عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة ؛ فالموت له سعادة والحياة له مزيد ، فليكن الموت على بالك يامسكين فإن السير حاث بك وأنت غافل عن نفسك ، ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة ولا تكون كذلك إلا بمبادرة العمل اغتناما لكل نفس أمهلت فيه .

---

(١) حديث « الشيخ شاب فى حب الدنيا وإن التفت ترقوتاه من الكبر إلا الذين اتقوا وقليل ماهم » لم أجده بهذا اللفظ وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة « قلب الشيخ شاب على حب اثنتين طول الحياة وحب المال » . (٢) حديث سؤاله لمعاذ عن حقيقة إيمانه فقال : ماخطوت خطوة إلا ظننت أنى لاأتبعها أخرى » أخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس وهو ضعيف .

بيان المبادرة إلى العمل وحذر آفة التأخير

اعلم أن من له أخوان غائبان وينتظر قدوم أحدهما فى غد وينتظر قدوم الآخر بعد شهر أو سنة فلا يستعد للذى يقدم إلى شهر أو سنة ، وإنما يستعد للذى ينتظر قدومه غد . فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار . فمن انتظر مجىء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسى ما وراء المدة ، ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة بكمالها لا ينقص منها اليوم الذى مضى ، وذلك يمنعه من مبادرة العمل أبدا يرى لنفسه متسعا فى تلك السنة فيؤخر العمل كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطغيا أو فقرا منسيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال ، فالدجال شر غائب ينتظر ، أو الساعة والساعة أدهى وأمر [1] » وقال ابن عباس : قال النبى صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه « اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ [3] » أى أنه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما ، وقال صلى الله عليه وسلم « من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل . الا إن سلعة الله غالية ألا أن سلعة الله الجنة [4] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جاءت الراجفة تتبعها وجاء الموت بما فيه [5] » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنس من أصحابه غفلة أو غرة نادى فيهم بصوت رفيع أتتكم المنية راتبة لازمة إما بشقاوة وإما بسعادة [6] » وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا النذير ، والموت المغير ، والساعة الموعد [7] » وقال ابن عمر : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على أطراف السعف فقال « ما بقى من الدنيا إلا كما بقى من يومنا هذا فى مثل ما مضى منه [8] » وقال صلى الله عليه وسلم « مثل الدنيا كمثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقى متعلقا بخيط فى آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع [9] » وقال جابر « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كأنه منذر جيش يقول . صبحتكم ومسيتكم « بعثت أنا والساعة كهاتين - وقرن بين أصبعيه - [10] » وقال ابن مسعود رضى الله عنه : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ فقال « إن النور إذا دخل الصدر انفسح » فقيل يارسول الله هل لذلك من علامة تعرف؟

---

(١) حديث « مايبتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطغيا أو فقرا منسيا ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة بلفظ « هل ينتظرون إلا غناء ... الحديث » وقال حسن ورواه ابن المبارك فى الزهد ومن طريقه ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل بلفظ المصنف وفيه من لم يسم . (٢) حديث ابن عباس « اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك . الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فيه بإسناد حسن ورواه ابن المبارك فى الزهد من رواية عمرو بن ميمون الأزدى مرسلا . (٣) حديث « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » أخرجه البخارى من حديث ابن عباس وقد تقدم . (٤) حديث « من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل » أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال حسن . (٥) حديث « جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ... الحديث » أخرجه الترمذى وحسنه من حديث أبى بن كعب . (٦) حديث « كان إذا أنس من أصحابه غفلة أو غرة نادى فيهم بصوت رفيع أتتكم المنية ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل من حديث زيد السلمى مرسلا .

(٧) حديث أبى هريرة « أنا النذير ، والموت المغير ، والساعة الموعد » أخرجه ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل وأبو القاسم البغوى بإسناد فيه لين .

(٨) حديث ابن عمر : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على أطراف السعف فقال « ما بقى من الدنيا الا مثل مابقى من يومنا هذا فى مثل مامضى منه » أخرجه ابن أبى الدنيا فيه بإسناد حسن والترمذى نحوه من حديث أبى سعيد وحسنه

(٩) حديث « مثل الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فيه من حديث أنس ولا يصح

(١٠) حديث جابر : كان إذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه ... الحديث » أخرجه مسلم وابن أبى الدنيا فى قصر الأمل واللفظ له .

قال « نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله [1] » وقال السدى ﴿ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ أى أيكم أكثر للموت ذكرا وأحسن له استعدادا وأشد منه خوفا وحذرا . وقال حذيفة : مامن صباح ولا مساء إلا ومنادى ينادى : أيها الناس الرحيل الرحيل . وتصديق ذلك قوله تعالى ﴿ إنها لإحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ﴾ فى الموت . وقال سحيم - مولى بنى تميم - جلست إلى عامر بن عبد الله وهو يصلى فأوجز فى صلاته ثم أقبل على فقال : أرحنى بحاجتك فإنى أبادر ، قلت : وما تبادر ؟ قال : ملك الموت رحمك الله ، قال : فقمت عنه وقام إلى صلاته . ومر داود الطائى فسأله رجل عن حديث فقال : دعنى ! إنما أبادر خروج نفسى : قال عمر رضى الله عنه : التؤدة فى كل شىء خير إلا فى أعمال الخير للآخرة . وقال المنذر : سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه : ويحك بادرى قبل أن يأتيك الأمر ؛ ويحك بادرى قبل أن يأتيك الأمر ! حتى كرر ذلك ستين مرة أسمعه ولا يرانى . وكان الحسن يقول فى موعظته : المبادرة المبادرة فإنما هى الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التى تتقربون بها إلى الله عز وجل ، رحم الله امرأ نظر إلى نفسه وبكى على عدد ذنوبه ! ثم قرأ هذه الآية ﴿ إنما نعد لهم عدا ﴾ يعنى الأنفاس ، آخر العدد خروج نفسك ، آخر العدد فراق أهلك ، آخر العدد دخولك فى قبرك . واجتهد أبو موسى الأشعرى قبل موته اجتهادا شديدا ، فقيل له : لو أمسكت أو رفقت بنفسك بعض الرفق ؟ فقال : إن الخيل إذا أرسلت فقاربت رأس مجراها أخرجت جميع ماعندها والذى بقى من أجلى أقل من ذلك ! قال : فلم يزل على ذلك حتى مات . وكان يقول لامرأته : شدى رحلك فليس على جهنم معبرة . وقال بعض الخلفاء على منبره : « عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا ، واستعدوا للموت فقد أظلكم وترحلوا فقد جد بكم ، وإن غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة ، وإن غائبا يحدّ به الجديدان الليل والنهار لحرى بسرعة الأوبة ، وإن قادما يحل بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العدّة ، فالتقى عند ربه من ناصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فإن أجله مستور عنه وأمله خادع له ، والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوقها ويزين إليه المعصية ليرتكبها حتى تهجم منيته عليه أغفل ما يكون عنها ، وإنه ما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به فيالها حسرة على ذى غفلة أو يكون عمره عليه حجة وأن ترديه أيامه إلى شقوة ، جعلنا الله وإياكم ممن لاتبطره نعمة ولاتقصر به عن طاعة الله معصية ولا يحل به بعد الموت حسرة إنه سميع الدعاء وإنه بيده الخير دائما فعال لما يشاء .

وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى ﴿ فتنتم أنفسكم ﴾ قال بالشهوات واللذات ﴿ وتربصتم ﴾ قال بالتوبة ﴿ وارتبتم ﴾ قال شككتم ﴿ حتى جاء أمر الله ﴾ قال الموت ﴿ وغركم بالله الغرور ﴾ قال الشيطان وقال الحسن : تصبروا وتشددوا فإنما هى أيام قلائل وإنما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى الرجل منكم فيجيب ولا يلتفت فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم . وقال ابن مسعود : ما منكم من أحد أصبح إلا وهو ضيف وماله عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة . وقال أبو عبيدة الباجى : دخلنا على الحسن فى مرضه الذى مات فيه فقال : رحبا بكم وأهلا حياكم الله بالسلام وأحلنا وإياكم دار المقام ، هذه علانية حسنة إن صبرتم وصدقتم واتقيتم ، فلا يكن حظكم من هذا الخبر رحمكم الله أن تسمعوه بهذه الأذن وتخرجوه من هذه الأذن ، فإن من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد رآه غاديا

(١) حديث ابن مسعود : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ﴾ فقال « إن النور إذا دخل القلب انفسح ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل والحاكم فى المستدرك وقد تقدم .

ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر إليه الوحا الوحا النجا النجا علام تعرجون أتيتم ورب الكعبة كأنكم والأمر معا ، رحم الله عبدا جعل العيش عيشاً واحدا فأكل كسرة ولبس خلقا ولزق بالأرض واجتهد فى العبادة وبكى على الخطيئة وهرب من العقوبة وابتغى الرحمة حتى يأتيه أجله وهو على ذلك[1] .

وقال عاصم الأحول : قال لى فضيل الرقاشى - وأنا سائله - يا هذا لا يشغلك كثرة الناس عن نفسك فإن الأمر يخلص إليك دونهم ولا تقل أذهب ههنا وههنا فينقطع عنك النهار فى لاشىء ، فإن الأمر محفوظ عليك ولم تر شيئاً قط أحسن طلباً ولا أسرع إدراكا من حسنة حديثة لذنب قديم .

الباب الثالث : فى سكرات الموت وشدته وما يستحب من الأحوال عنده

اعلم أنه لو لم يكن بين يدى العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها ، لكان جديراً بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته ، وحقيقا بأن يطول فيه فكره ويعظم له استعداده ، لاسيما وهو فى كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء : كرب بيد سواك لا تدرى متى يغشاك . وقال لقمان لابنه . يا بنى أمر لاتدرى متى يلقاك استعد له قبل أن يفجأك . والعجب أن الإنسان لو كان فى أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو فانتظر أن يدخل عليه جندى فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه ، وهو فى كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وعنه غافل ، فما هذا سبب إلا الجهل والغرور واعلم أن شدة الألم فى سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها ، ومن لم يذقها فإنما يعرفها إلا بالقياس إلى الآلام التى أدركها وإما الاستدلال بأحوال الناس فى النزع على شدة ما هم فيه . فأما القياس الذى يشهد له : فهو أن كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالألم ، فإذا كان فيه الروح فالمدرك للألم هو الروح ، فهما أصاب العضو جرح أو حريق سرى الأثر إلى الروح فبقدر ما يسرى إلى الروح يتألم . والمؤلم ينفرق على اللحم والدم وسائر الأجزاء ، فلا يصيب الروح إلا بعض الألم ، فإن كان فى الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقى غيره فما أعظم ذلك الألم وما أشده !

والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه ، حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشرة فى أعماق البدن إلا وقد حل به الألم فلو أصابته شوكة فالألم الذى يجده إنما يجرى فى جزء من الروح يلاقى ذلك الموضع الذى أصابته الشوكة ، وإنما يعظم أثر الاحتراق لأن أجزاء النار تغوص فى سائر أجزاء البدن ، فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهرا وباطنا إلا وتصيبه النار فتحسه الأجزاء الروحانية المنتشرة فى سائر أجزاء اللحم .

وأما الجراحة : فإنما تصيب الموضع الذى مسه الحديد فقط ، فكان لذلك ألم الجرح دون ألم النار ، فألم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه فإنه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الأعصاب وجزء من الأجزاء ومفصل من المفاصل ومن أصل كل شعرة وبشرة من الفرق إلى القدم ، فلا تسأل عن كربه وألمه ، حتى قالوا : إن الموت لأشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف إذا كان المقاول المباشر نفس الروح ؟ وإنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته فى قلبه وفى لسانه ، وإنما انقطع صوت الميت وصياحه من شدة ألمه لأن الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه ، وبلغ كل

(١) حديث أبى عبيدة الباجى : دخلنا على الحسن فى مرضه الذى مات فيه فقال مرحبا بكم ... الحديث . أخرجه ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل وابن حبان فى الثقات وأبو نعيم فى الحلية من هذا الوجه .

موضع منه فهدّ كل قوة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة .

أما العقل فقد غشيه وشوّشه . وأما اللسان فقد أبكمه ، وأما الأطراف فقد ضعفها . ويود لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك ، فإن بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارا وغرغرة من حلقه وصدره ، وقد تغير لونه واربدّ حتى كأنه ظهر منه التراب الذى هو أصل فطرته ، وقد جذب منه كل عرق على حياله فالألم منتشر فى داخله وخارجه ، حتى ترتفع الحدقتان إلى أعالى أجفانه ، وتتقلص الشفتان ، ويتقلص اللسان إلى أصله ، وترتفع الأنثيان إلى أعالى موضعهما ، وتخضر أنامله .

فلا تسل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ! ولو كان المجذوب عرقا واحدا لكان ألمه عظيما فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم ؟ لا من عرق واحد بل من جميع العروق . ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجا فتبرد أولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ، ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها إلى الحلقوم ، فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ويغلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تقبل توبة العبد مالم يغرغر [1] » ، وقال مجاهد فى قوله تعالى ﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ﴾ قال : إذا عاين الرسل فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت فلا تسأل عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته ! ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم هوّن على محمد سكرات الموت [2] » والناس إنما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فإن الأشياء قبل وقوعها إنما تدرك بنور النبوة والولاية ، ولذلك عظم خوف الأنبياء عليهم السلام والأولياء من الموت حتى قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ادعوا الله تعالى أن يهوّن على هذه السكرة - يعنى الموت - فقد خفت الموت مخافة أوقفنى خوفى من الموت على الموت ، وروى أن نفرا من اسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض : لو دعوتم الله تعالى أن يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا تسألونه ؟ فدعوا الله تعالى فإذا هم برجل قد قام وبين عينيه أثر السجود قد خرج من قبر من القبور فقال : ياقوم ماأردتم منى لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة ماسكنت مرارة الموت من قلبى . وقالت عائشة رضى الله عنها : لا أغبط أحد بهوّن عليه الموت بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى أنه عليه السلام كان يقول « اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والأنامل . اللهم فأعنى على الموت وهوّنه على [3] » ، وعن الحسن : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته وألمه فقال « هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف [4] » ، وسئل صلى الله عليه وسلم عن الموت وشدّته فقال « إن أهون الموت بمنزلة حسكة فى صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها صوف [5] » ، ودخل صلى الله عليه وسلم على مريض ثم قال « إنى أعلم مايلقى مامنه عرق إلا ويألم للموت على حدته [6] » ، وكان على كرّم الله وجهه يحض على القتال ويقول :

---

(١) حديث « إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر » أخرجه الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث ابن عمر .

(٢) حديث كان يقول « اللهم هون على محمد سكرات الموت » تقدم . (٣) حديث كان يقول « اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والأنامل ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت من حديث صعصعة بن غيلان الجعفى وهو معضل سقط منه الصحابى والتابعى . (٤) حديث الحسن : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته وألمه فقال « هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف » أخرجه ابن أبى الدنيا فيه هكذا مرسلا ورجاله ثقات . (٥) حديث : سئل عن الموت وشدته فقال « إن أهون الموت بمنزلة حسكة .. الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فيه من رواية شهر بن حوشب مرسلا . (٦) حديث : دخل على مريض فقال « إنى لأعلم مايلقى مامنه عرق إلا ويألم للموت على حدته » أخرجه ابن أبى الدنيا فيه من حديث سلمان بسند ضعيف ورواه فى المرض والكفارات من رواية عبيد بن عمير مرسلا مع اختلاف ورجاله ثقات .

إن لم تقتلوا تموتوا والذى نفسى بيده لألف ضربة بالسيف أهون على من موت على فراش . وقال الأوزاعى : بلغنا أنّ الميت يجد ألم الموت مالم يبعث من قبره . وقال شدّاد بن أوس : الموت أفظع هول فى الدنيا والآخرة على المؤمن ، وهو أشدّ من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلى فى القدور ، ولو أنّ الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم . وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال : إذا بقى على المؤمن من درجاته شىء لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته فى الجنة ، وإذا كان للكافر معروف لم يجز به هوّن عليه فى الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير إلى النار . وعن بعضهم : أنه كان يسأل كثيرا من المرضى كيف تجدون الموت ؟ فلما مرض قيل له : فأنت كيف تجده ؟ فقال : كأنّ السموات مطبقة على الأرض وكأنّ نفسى يخرج من ثقب إبرة . وقال صلى الله عليه وسلم « موت الفجأة راحة المؤمن وأسف على الفاجر [1] » وروى عن مكحول عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لو أنّ شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والأرض لماتوا بإذن الله تعالى لأن فى كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشىء إلا مات [2] » ويروى « لو أنّ قطرة من ألم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت [3] » وروى أنّ إبراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له : كيف وجدت الموت ياخليلى قال : كسفود جعل فى صوف رطب ثم جذب . فقال : أما إنا قد هوّنا عليك . وروى عن موسى عليه السلام أنه لما صارت روحه إلى الله تعالى قال له ربه : ياموسى كيف وجدت الموت ، قال : وجدت نفسى كالعصفور حين نقل سلى القلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير ، وروى عنه أنه قال : وجدت نفسى كشاة حية تسلخ بيد القصاب . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان عنده قدح من ماء عند الموت ، فجعل يدخل يده فى الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول « اللهم هوّن على سكرات الموت [4] » وفاطمة رضى الله عنها تقول : واكرباه لكربك ياأبتاه ! وهو يقول « لا كرب على أبيك بعد اليوم [5] » وقال عمر رضى الله عنه لكعب الأحبار ياكعب حدثنا عن الموت ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين إنّ الموت كغصن كثير الشوك أدخل فى جوف رجل وأخذت كل شوكة بعرق ، ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ماأبقى وقال النبى صلى الله عليه وسلم « إنّ العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول : عليك السلام تفارقنى وأفارقك إلى يوم القيامة [6] » .

فهذه سكرات الموت على أولياء الله وأحبابه . فما حالنا ونحن المنهمكون فى المعاصى وتتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهى فإن دواهى الموت ثلاث :

(الأولى) شدّة النزع كما ذكرناه .

---

(١) حديث « موت الفجأة راحة المؤمن وأسف على الفاجر » أخرجه أحمد من حديث عائشة باسناد صحيح قال « وأخذة أسف ولأبى داود من حديث خالد السلمى « موت الفجأة أخذة أسف » (٢) حديث مكحول « لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والأرض لماتوا ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الموت من رواية أبى ميسرة رفعه وفيه « لو أن ألم شعرة وزاد « وإن فى يوم القيامة لتسعين هولا أدناها هولا يضاعف على الموت سبعين ألف ضعف » وأبو ميسرة هو عمرو بن شرحبيل والحديث مرسل حسن الإسناد (٣) حديث « لوأن قطرة من الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت » لم أجد له أصلا ولعل المصنف لم يورده حديثا فانه قال : ويروى ، (٤) حديث : إنه كان عنده قدح من ماء عند الموت ، فجعل يدخل يده فى الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول « اللهم هون على سكرات الموت » متفق عليه من حديث عائشة .

(٥) حديث : إن فاطمة قالت واكرباه لكربك ياأبت ... الحديث . أخرجه البخارى من حديث أنس بلفظ : واكرب أبتاه ، وفى رواية لابن خزيمة : واكرباه . (٦) حديث « إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض . . الحديث » رويناه فى الأربعين لأبى هدبة إبراهيم بن هدبة عن أنس وأبو هدبة هالك .

(الدهية الثانية) مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب ؛ فلو رأى صورته التى يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته . فقد روى عن إبراهيم الخليل عليه السلام أنه قال لملك الموت : هل تستطيع أن تريني صورتك التى تقبض عليها روح الفاجر ؟ قال : لا تطيق ذلك ، قال : بلى ، قال : فأعرض عنى فأعرض عنه . ثم التفت فإذا هو برجل أسود قائم الشعر ، منتن الريح ، أسود الثياب ، يخرج من فيه ومناخيره لهيب النار والدخان ؛ فغشى على إبراهيم عليه السلام . ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال : ياملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت إلا صورة وجهك لكان حسبه : وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنّ داود عليه السلام كان رجلا غيورا وكان إذا خرج أغلق الأبواب ، فأغلق ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فإذا هى برجل فى الدار فقالت : من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عناء ؟ فجاء داود فرآه فقال : من أنت ؟ فقال : أنا الذى لا أهاب الملوك ولا يمنع منى الحجاب ، فقال : فأنت والله إذن ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه [1] » وروى أنّ عيسى عليه السلام مر بجمجمة فضربها برجله فقال : تكلمى بإذن الله فقالت : ياروح الله أنا ملك زمان كذا وكذا ، بينا أنا جالس فى ملكى على تاجى وحولى جنودى وحشمى على سرير ملكى ، إذ بدا لى ملك الموت فزال منى كل عضو على حياله ، ثم خرجت نفسى إليه ، فياليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة ! وياليت ما كان من ذلك الأنس كان وحشة ! فهذه داهية يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون ، فقد حكى الأنبياء مجرّد سكرة النزع دون الروعة التى يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ، ولو رآها فى منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره ! فكيف برؤيته فى مثل تلك الحال ؟ .

وأما المطيع فإنه يراه فى أحسن صورة وأجملها فقد روى عكرمة عن ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه ، فإذا خرج أغلقه ، فرجع ذات يوم فإذا برجل فى جوف البيت فقال : من أدخلك دارى ؟ فقال : أدخلنيها ربها ! فقال : أنا ربها ، فقال : أدخلنيها من هو أملك بها منى ومنك ، فقال : من أنت من الملائكة ؟ قال : أنا ملك الموت ، قال : هل تستطيع أن تريني الصورة التى تقبض فيها روح المؤمن ؟ قال : نعم ، فأعرض عنى ، فأعرض ثم التفت فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه ، فقال : ياملك الموت ، لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك كان حسبه .

ومنها مشاهدة الملكين الحافظين . قال وهيب : بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله ، فإن كان مطيعا قالا له : جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق أجلستنا وعمل صالح أحضرتنا ، وإن كان فاجرا قالا له : لاجزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح أحضرتنا وكلام قبيح أسمعنا فلا جزاك الله عنا خيرا . فذلك شخوص بصر الميت إليهما ولا يرجع إلى الدنيا أبدا .

(الداهية الثالثة) مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة ؛ فإنهم فى حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم ، ولن تخرج أرواحهم مالم يسمعوا نغمة ملك الموت بأحد البشريين : إما أبشر ياعدوّ الله بالنار ، أو أبشر ياولى الله بالجنة . ومن هذا كان خوف أرباب الألباب ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار [2] » وقال صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث أبى هريرة « إن داود كان رجلا غيورا . . . الحديث » أخرجه أحمد باسناد جيد نحوه وابن أبى الدنيا فى كتاب الموت بلفظه

(٢) حديث « لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الموت من رواية رجل لم يسم عن على موقوفا « لاتخرج نفس ابن آدم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره إلى الجنة أم إلى النار » وفى =

« من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » فقالوا : كلنا نكره الموت قال « ليس ذاك بذاك إن المؤمن إذا فرج له عما هو قادم عليه أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه [1] » وروى أن حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود ـ وهو لما به من آخر الليل : قم فانظر أي ساعة هي ؟ فقام ابن مسعود ثم جاءه فقال : قد طلعت الحمراء فقال حذيفة : أعوذ بالله من صباح إلى النار ، ودخل مروان على أبي هريرة ، فقال مروان : اللهم خفف عنه ، فقال أبو هريرة : اللهم اشدد ! ثم بكى أبو هريرة وقال : والله ما أبكي حزنا على الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكن أنتظر إحدى البشريين من ربي بجنة أم بنار . وروى في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله إذا رضي عن عبد قال : يا ملك الموت اذهب إلى فلان فأتني بروحه لأريحه ، حسبي من عمله ، قد بلوته فوجدته حيث أحب ؛ فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ومعهم قضبان الريحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه ، وتقوم الملائكة صفين لخروج روحه ، معهم الريحان ، فإذا نظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه ثم صرخ » قال فيقول له جنوده : مالك يا سيدنا فيقول : أما ترون ما أعطى هذا العبد من الكرامة أين كنتم من هذا ؟ قالوا : قد جهدنا به فكان معصوما [2] » وقال الحسن : لا راحة المؤمن إلا في لقاء الله ، ومن كانت راحته في لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره وفرحه وأمنه وعزه وشرفه . وقيل لجابر بن زيد ـ عند الموت : ما تشتهي ؟ قال : نظرة إلى الحسن ، فلما دخل عليه الحسن قيل له : هذا الحسن ! فرفع طرفه إليه ثم قال : يا إخواناه الساعة والله أفارقكم إلى النار أو إلى الجنة وقال محمد بن واسع ـ عند الموت : يا إخواناه عليكم السلام ! إلى النار أو يعفو الله وتمنى بعضهم أن يبقى في النزع أبدا ولا يبعث لثواب ولا عقاب . فخوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين وهو من الدواهي العظيمة عند الموت . وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجاء وهو لائق بهذا الموضع . ولكننا لا نطول بذكره وإعادته .

بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت

اعلم أن المحبوب عند الموت من صورة المحتضر هو الهدوء والسكون ! ومن لسانه أن يكون ناطقا بالشهادة ، ومن قلبه أن يكون حسن الظن بالله تعالى .

(أما الصورة) فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ارقبوا الميت عند ثلاث : إذا رشح جبينه ودمعت عيناه ويبست شفتاه فهي من رحمة الله قد نزلت به ، وإذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه وأربدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به [3] » .

(وأما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة) فهي علامة الخير . قال أبو سعيد الخدري : قال رسول الله صلى الله عليه

= رواية « حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هي أم من أهل النار » وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت ما يمهد لذلك « إن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته ... الحديث » . (١) حديث « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ... الحديث » متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت . (٢) حديث « إن الله إذا رضي على عبده قال : يا ملك الموت اذهب إلى فلان فأتني بروحه لأريحه ... الحديث » أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث تميم الداري بإسناد ضعيف بزيادة كثيرة ولم يصرح في أول الحديث برفعه وفي آخره ما دل على أنه مرفوع وللنسائي من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح « إذا حضر الميت أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء ، فيقولون : أخرجي راضية عنك إلى روح الله وريحان ورب راض غير غضبان .. الحديث » . (٣) حديث « ارقبوا الميت عند ثلاث : إذا رشح جبينه وذرفت عيناه ... الحديث » أخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث سلمان ولا يصح .

وسلم « لقنوا موتاكم : لا إله إلا الله [١] » وفى رواية حذيفة « فإنها تهدم ما قبلها من الخطايا [٢] » وقال عثمان : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة [٣] » وقال عبيد الله « وهو يشهد » وقال عثمان : إذا احتضر الميت فلقنوه « لا إله إلا الله » فإنه ما من عبد يختم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة . وقال عمر رضى الله عنه : احضروا موتاكم وذكروهم فإنهم يرون ما لا ترون ولقنوهم : لا إله إلا الله . وقال أبو هريرة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر فى قلبه فلم يجد فيه شيئا ، ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول : لا إله إلا الله ، فغفر له بكلمة الإخلاص [٤] » .

وينبغى للملقن أن لا يلح فى التلقين ولكن يتلطف ، فربما لا ينطق لسان المريض فيشق عليه ذلك ويؤدى إلى استثقاله التلقين وكراهيته للكلمة ويخشى أن يكون ذلك سبب سوء الخاتمة .

وإنما معنى هذه الكلمة أن يموت الرجل وليس فى قلبه شىء غير الله ، فإذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم فى حقه . وإن كان القلب مشغوفا بالدنيا ملتفتا إليها متأسفا على لذاتها وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطبق القلب على تحقيقها ، وقع الأمر فى خطر المشيئة ، فإن مجرد حركة اللسان قليل الجدوى إلا أن يتفضل الله تعالى بالقبول .

(وأما حسن الظن) فهو مستحب فى هذا الوقت ـ وقد ذكرنا ذلك فى كتاب الرجاء ـ وقد وردت الأخبار بفضل حسن الظن بالله . دخل واثلة بن الأسقع على مريض فقال : أخبرنى كيف ظنك بالله ؟ قال : أغرقتنى ذنوب لى وأشرفت على هلكة ولكنى أرجو رحمة ربى ! فكبر واثلة وكبر أهل البيت بتكبيره وقال : الله أكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء » ودخل النبى صلى الله عليه وسلم على شاب وهو يموت فقال « كيف تجدك » قال : أرجو الله وأخاف ذنوبى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « ما اجتمعا فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله الذى يرجو وآمنه من الذى يخاف [٦] » وقال ثابت البنانى . كان شاب به حدة وكان له أم تعظه كثيرا وتقول له . يا بنى إن لك يوما فاذكر يومك ، فلما نزل به أمر الله تعالى أكبت عليه أمه وجعلت تقول له : يابنى قد كنت أحذرك مصرعك هذا وأقول إن لك يوما ، فقال : يا أمه إن لى ربا كثير المعروف وإنى لأرجو أن لا يعدمنى اليوم بعض معروفه ، قال ثابت : فرحمه الله بحسن ظنه بربه . وقال جابر بن وداعة : كان شاب به رهق فاحتضر ، فقالت له أمه : يا بنى توصى بشىء ؟ قال : نعم ، خاتمى لا تسلبينيه فإن فيه ذكر الله تعالى فلعل الله يرحمنى ، فلما دفن رؤى فى المنام فقال : أخبروا أمى أن الكلمة قد نفعتنى وأن الله قد غفر لى . ومرض أعرابى فقيل له إنك تموت ، فقال : أين يذهب بى ؟ قالوا : إلى الله ، قال : فما كراهتى أن أذهب إلى من لا يرى الخير إلا منه . وقال أبو المعتمر بن سليمان : قال أبى لما حضرته الوفاة : يامعتمر حدثنى بالرخص لعلى ألقى الله عز وجل وأنا حسن الظن به . وكانوا يستحبون أن يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكى يحسن ظنه بربه .

---

(١) حديث « لقنوا موتاكم : لا إله إلا الله » تقدم . (٢) حديث حذيفة : فإنها تهدم ما قبلها : تقدم . (٣) حديث : من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة . تقدم . (٤) حديث أبى هريرة : حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر فى قلبه فلم يجد فيه شيئا ... الحديث . أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب المحتضرين والطبرانى والبيهقى فى الشعب وإسناده جيد إلا أن فى رواية البيهقى رجلا لم يسم وسمى فى رواية الطبرانى إسحق بن يحيى بن طلحة وهو ضعيف .

(٥) حديث : دخل واثلة بن الأسقع على مريض فقال : أخبرنى كيف ظنك بالله ؟ وفيه « يقول الله أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ماشاء » أخرجه ابن حبان بالمرفوع منه وقد تقدم وأحمد والبيهقى فى الشعب به جميعا .

(٦) حديث : دخل على شاب وهو يموت فقال « كيف تجدك ؟ » فقال : أرجو الله وأخاف ذنوبى .. الحديث » تقدم .

بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بحكايات يعرب لسان الحال عنها

قال أشعث بن أسلم : سأل إبراهيم عليه السلام ملك الموت — واسمه عزرائيل وله عينان عين فى وجهه وعين فى قفاه — فقال : ياملك الموت ماتصنع . إذا كان نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بأرض والتقى الزحفان كيف تصنع ؟ قال : أدعوا الأرواح بإذن الله فتكون بين أصبعى هاتين ، وقال : قد دحيت له الأرض فتركت مثل الطشت بين يديه يتناول منها ما يشاء ، قال وهو يبشره بأنه خليل الله عز وجل . وقال سليمان بن داود عليهما السلام لملك الموت عليه السلام مالى لا أراك تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا ؟ قال ما أنا بذلك بأعلم منك ! إنما هى صحف أو كتب تلقى إلى فيها أسماء ، وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلى أرض ، فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه - بعد مرات - وكذلك طلب دابة فأتى بها فلم تعجبه ، حتى أتى بدواب فركب أحسنها ؛ فجاء إبليس فنفخ فى منخره نفخة فملأه كبرا . ثم سار وسارت معه الخيول وهو لاينظر إلى الناس كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام ، فأخذ بلجام دابته فقال أرسل اللجام فقد تعاطيت أمرا عظيما ! قال إن لى إليك حاجة قال اصبر حتى أنزل قال لا الآن ، فقهره على لجام دابته فقال اذكرها ! قال ، هو سر ، فأدنى له رأسه فساره وقال ، أنا ملك الموت ! فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعنى حتى أرجع إلى أهلى وأقضى حاجتى وأودعهم ، قال لا والله لاترى أهلك وثقلك أبدا ! فقبض روحه فخر كأنه خشبة ، ثم مضى فلقى عبدا مؤمنا فى تلك الحال فسلم عليه فرد السلام فقال إن لى إليك حاجة أذكرها فى أذنك فقال هات فساره وقال أنا ملك الموت ! فقال أهلا ومرحبا بمن طالت غيبته على فوالله ماكان فى الأرض غائب أحب إلى أن ألقاه منك ! فقال ملك الموت اقض حاجتك التى خرجت لها ، فقال مالى حاجة أكبر عندى ولا أحب من لقاء الله تعالى ! قال فاختر على أى حال شئت أن أقبض روحك ؟ فقال تقدر على ذلك ؟ قال نعم إنى أمرت بذلك ، قال فدعنى حتى أتوضأ وأصلى ثم اقبض روحى وأنا ساجد ، فقبض روحه وهو ساجد وقال أبو بكر بن عبد الله المزنى جمع رجل من بنى إسرائيل مالا فلما أشرف على الموت قال لبنيه أرونى أصناف أموالى ؟ فأتى بشىء كثير من الخيل والإبل والرقيق وغيره فلما نظر إليه بكى تحسرا عليه ، فرآه ملك الموت وهو يبكى فقال له ما يبكيك ؟ فوالذى خولك ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك ! قال فالمهلة حتى أفرقه قال هيهات انقطعت عنك المهلة ! فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك ؟ فقبض روحه . وروى أن رجلا جمع مالا فأوعى ولم يدع صنفا من المال إلا اتخذه ، وابتنى قصرا وجعل عليه بابين وثيقين وجمع عليه حرسا من غلمانه ، ثم جمع أهله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره ورفع إحدى رجليه على الأخرى وهم يأكلون فلما فرغوا قال يا نفس أنعمى لسنين فقد جمعت لك ما يكفيك ؟ فلم يفرغ من كلامه حتى أقبل إليه ملك الموت فى هيئة رجل عليه خلقان من الثياب وفى عنقه مخلاة يتشبه بالمساكين ، فقرع الباب بشدة عظيمة قرعا أفزعه وهو على فراشه ، فوثب إليه الغلمان وقالوا ما شأنك ؟ فقال ادعوا إلى مولاكم فقالوا وإلى مثلك يخرج مولانا ؟ قال نعم فأخبروه بذلك فقال هلا فعلتم به وفعلتم ، فقرع الباب قرعة أشد من الأولى ، فوثب إليه الحرس فقال أخبروه أنى ملك الموت ، فلما سمعوه ألقى عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والتخشع ، فقال قولوا له قولا لينا وقولوا هل تأخذ به أحدا ؟ فدخل عليه وقال اصنع فى مالك ما أنت صانع ، فإنى لست بخارج منها حتى أخرج روحك ، فأمر بماله حتى وضع بين يديه فقال حين رآه لعنك الله من مال ! أنت شغلتنى عن عبادة ربى ومنعتنى أن أتخلى لربى ، فأنطق

الله المال فقال لم تسبنى وقد كنت تدخل على السلاطين بى ويرد المتقى عن بابهم وكنت تنكح المتنعمات بى ، وتجلس مجالس الملوك بى وتنفقنى فى سبيل الشر فلا أمتنع منك ولو أنفقتنى فى سبيل الخير نفعتك ؟ خلقت يابن آدم من تراب فنطلق ببر ومنطلق بإثم ، ثم قبض ملك الموت روحه فسقط . وقال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما فى الأرض مثله ! ثم عرج إلى السماء فقالت الملائكة لمن كنت أشد رحمة ممن قبضت روحه ؟ قال أمرت بقبض نفس امرأة فى فلاة من الأرض فأتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه فى فلاة لامتعهد له بها . فقالت الملائكة الجبار الذى قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذى رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء ! قال عطاء بن يسار إذا كانت ليلة النصف من شعبان دفع إلى ملك الموت صحيفة فيقال اقبض فى هذه السنة من فى هذه الصحيفة قال فإن العبد ليغرس الغراس وينكح الأزواج ويبنى البنيان وإن اسمه فى تلك الصحيفة وهو لايدرى . وقال الحسن ما من يوم إلا وملك اليوم يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى أجله قبض روحه ، فإذا قبض روحه أقبل أهله برنة وبكاء ، فيأخذ ملك الموت بعضادتى الباب فيقول والله ما أكلت له رزقا ولا أفنيت له عمرا ولا انتقصت له أجلا ، وإن لى فيكم لعودة بعد عودة حتى لا أبقى منكم أحدا . قال الحسن فوالله لو يرون مقامه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم ، وقال يزيد الرقاشى بينما جبار من الجبابرة من بنى إسرائيل جالس فى منزله قد خلا ببعض أهله ، إذ نظر إلى شخص قد دخل من باب بيته فثار إليه فزعا مغضبا فقال له من أنت ومن أدخلك على دارى ؟ فقال أما الذى أدخلنى الدار فربها ، وأما أنا فالذى لايمنع من الحجاب ولا أستأذن على الملوك ولا أخاف صولة المتسلطين ولا يمتنع منى كل جبار عنيد ولا شيطان مريد ؟ قال فسقط فى يد الجبار وارتعد حتى سقط منكبا على وجهه ، ثم رفع رأسه إليه مستجديا متذللا له فقال له أنت إذن ملك الموت ! قال أنا هو ، قال فهل أنت ممهل حتى أحدث عهدا ؟ قال هيهات ! انقطعت مدتك وانقضت أنفاسك ونفدت ساعاتك فليس إلى تأخيرك سبيل ! قال فإلى أين تذهب بى ؟ قال إلى عملك الذى قدمته وإلى بيتك الذى مهدته ، قال فإنى لم أقدم عملا صالحا ولم أمهد بيتا حسنا ، قال فإلى لظى نزاعة للشوى ، ثم قبض روحه فسقط ميتا بين أهله ، فمن بين صارخ وباك . قال يزيد الرقاشى لو يعلمون سوء المنقلب كان العويل على ذلك أكثر . وعن الأعمش عن خيثمة قال دخل ملك الموت على سليمان بن داود عليه السلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه ، فلما خرج قال الرجل من هذا ؟ قال هذا ملك الموت ، قال لقد رأيته ينظر إلى كأنه يريدنى قال فماذا تريد ؟ قال أريد أن تخلصنى منه فتأمر الريح حتى تحملنى إلى أقصى الهند ! ففعلت الريح ذلك ، ثم قال سليمان لملك الموت بعد أن أتاه ثانيا رأيتك تديم النظر إلى واحد من جلسائى ، قال نعم كنت أتعجب منه لأنى كنت أمرت أن أقبضه بأقصى الهند فى ساعة قريبة وكان عندك فعجبت من ذلك ! .

الباب الرابع

فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده

وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

اعلم أن فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ـ حيا وميتا وفعلا وقولا ـ وجميع أحواله عبرة للناظرين

وتبصرة المستبصرين ، إذ لم يكن أحد أكرم على الله منه إذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه، وكان صفيه ورسوله ونبيه فانظر هل أمهله ساعة عند انقضاء مدته وهل أخره لحظة بعد حضور منيته ؟ لا بل أرسل إليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض أرواح الأنام ، فجذبوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها ، وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر إلى رحمة ورضوان ، وخيرات حسان ، بل إلى مقعد صدق فى جوار الرحمن ، فاشتد مع ذلك فى النزع كربه وظهر أنينه ، وترادف قلقه وارتفع حنينه ، وتغير لونه وعرق جبينه ، واضطربت فى الانقباض والانبساط شماله ويمينه ، حتى بكى لمصرعه من حضره ، وانتحب لشدة حاله من شهد منظره ، فهل رأيت منصب النبوة دافعا عنه مقدورا؟ وهل راقب الملك فيه أهلا وعشيرا ؟ وهل سامحه إذ كان للحق نصيرا وللخلق بشيرا ونذيرا ؟ هيهات ! بل امتثل ما كان به مأمورا واتبع ما وجده فى اللوح مسطورا فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود ، والحوض المورود ، وهو أول من تنشق عنه الأرض ، وهو صاحب الشفاعة يوم العرض ، فالعجب أنا لا نعتبر به ولسنا على ثقة فيما نلقاه بل نحن أسراء الشهوات ! وقرناء المعاصى والسيئات ! فما بالنا لا نتعظ بمصرع محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وحبيب رب العالمين ، لعلنا نظن أننا مخلدون ، أو نتوهم أنا مع سوء أفعالنا عند الله مكرمون ، هيهات ! هيهات ! بل نتيقن أنا جميعا على النار واردون ، ثم لا ينجو منها إلا المتقون ، فنحن للورود مستيقنون ، وللصدور عنها متوهمون ، لا بل ظلمنا أنفسنا إن كنا كذلك لغالب الظن منتظرين ، فما نحن والله من المتقين ، وقد قال الله رب العالمين ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ فلينظر كل عبد إلى نفسه أنه إلى الظالمين أقرب أم إلى المتقين ؟ فانظر إلى نفسك بعد أن تنظر إلى سيرة السلف الصالحين ، فلقد كانوا مع ما وفقوا له من الخائفين . ثم انظر إلى سيد المرسلين فإنه كان من أمره على يقين، إذ كان سيد النبيين وقائد المتقين ، واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا ! وكيف اشتد أمره عند الانقلاب إلى جنة المأوى ، قال ابن مسعود رضى الله عنه : دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أمنا عائشة رضى الله عنها حين دنا الفراق ، فنظر إلينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال « مرحبا بكم حياكم الله ، آواكم الله ، نصركم الله ، وأوصيكم بتقوى الله ، وأوصى بكم الله ، إنى لكم منه نذير مبين ، ألا تعلوا على الله فى بلاده وعباده وقد دنا الأجل ، والمنقلب إلى الله وإلى سدرة المنتهى وإلى جنة المأوى وإلى الكأس الأوفى ، فاقرءوا على أنفسكم وعلى من دخل فى دينكم بعدى منى السلام ورحمة الله »[1] وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام عند موته « من لأمتى بعدى » فأوحى الله تعالى إلى جبريل : أن بشر حبيبى أنى لا أخذله فى أمته ، وبشره بأنه أسرع الناس خروجا من الأرض إذا بعثوا ، وسيدهم إذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الأمم حتى تدخلها أمته . فقال « الآن قرت عينى »[2] ، وقالت عائشة رضى الله عنها : أمرنا

الباب الرابع فى وفاة النبى صلى الله عليه وسلم

(١) حديث ابن مسعود : دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أمنا عائشة حين دنا الفراق ... الحديث » رواه البزار وقال : هذا الكلام قد روى عن مرة عن عبد الله من غير وجه وأسانيدها متقاربة ، قال : وعبد الرحمن الأصبهانى لم يسمع هذا من مرة وإنما هو عمن أخبره عن مرة ، قال : ولا أعلم أحدا رواه عن عبد الله غير مرة . قلت : وقد روى من غير ما وجه . رواه ابن سعد فى الطبقات من رواية ابن عوف عن ابن مسعود . ورويناه فى مشيخة القاضى أبى بكر الأنصارى من رواية الحسن العربى عن ابن مسعود ولكنهما منقطعان وضعيفان ، والحسن العربى إنما يرويه عن مرة كما رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى فى الأوسط . (٢) حديث : أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عند موته « من لأمتى بعدى » فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبى أنى لا أخذله فى أمته ... الحديث » أخرجه الطبرانى من حديث جابر وابن عباس فى حديث طويل فيه « من لأمتى المصطفاة من بعدى » قال : أبشر يا حبيب الله فإن الله عزوجل يقول قد حرمت الجنة على جميع الأنبياء والأمم حتى تدخلها أنت وأمتك قال « الآن طابت نفسى » وإسناده ضعيف .

رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغسله بسبع قرب من سبعة آبار ، ففعلنا ذلك فوجد راحة ، فخرج فصلى بالناس واستغفر لأهل أحد ودعا لهم وأوصى بالأنصار فقال « أما بعد : يامعشر المهاجرين فإنكم تزيدون وأصبحت الأنصار لا تزيد على التي هي عليها اليوم ، وإنّ الأنصار عيبتي التي أويت إليها فأكرموا كريمهم - يعني محسنهم - وتجاوزوا عن مسيئهم » ثم قال « إن عبدا خير بين الدنيا وبين ماعند الله فاختار ماعند الله » فبكى أبو بكر رضى الله عنه وظن أنه يريد نفسه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « على رسلك يا أبا بكر سدّوا هذه الأبواب الشوارع فى المسجد إلا باب أبي بكر فإني لا أعلم امرأ أفضل عندى فى الصحبة من أبي بكر [1] » قالت عائشة رضى الله عنها : فقبض صلى الله عليه وسلم فى بيتي وفى يومى وبين سحرى ونحرى وجمع الله بين ريقى وريقه عند الموت ، فدخل على أخى عبدالرحمن وبيده سواك فجعل ينظر إليه فعرفت أنه يعجبه ذلك ، فقلت له : آخذه لك ، فأومأ برأسه أن : نعم ، فناولته إياه فأدخله فى فيه فاشتدّ عليه فقلت : ألينه لك ؟ فأومأ برأسه أن نعم ، فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل فيها يده ويقول « لا إله إلا الله إنّ للموت لسكرات » ثم نصب يده يقول « الرفيق الأعلى . . الرفيق الأعلى » فقلت : إذن والله لايختارنا [2] وروى سعيد بن عبدالله عن أبيه قال : لما رأت الأنصار أنّ النبي صلى الله عليه وسلم يزداد ثقلا أطافوا بالمسجد ، فدخل العباس رضى الله عنه على النبي ﷺ فأعلمه بمكانهم وإشفاقهم ، ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه على رضى الله عنه فأعلمه بمثله ، فمدّ يده وقال « ها » فتناولوه ، فقال « ماتقولون ! » قالوا : نقول : نخشى أن تموت ، وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم إلى النبي ﷺ ، فثار رسول الله ﷺ فخرج متوكئا على على والفضل ، والعباس أمامه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر ، وثاب الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه وقال « أيها الناس إنه بلغنى أنكم تخافون على الموت كأنه استنكار منكم للموت ، وما تنكرون من موت نبيكم ألم أنع إليكم وتنعى إليكم أنفسكم ؟ هل خلد نبي قبلى فيمن بعث فأخلد فيكم ؟ ألا إنى لاحق بربى وإنكم لاحقون به وإنى أوصيكم بالمهاجرين الأولين خيرا وأوصى المهاجرين فيما بينهم فإنّ الله عزوجل قال ﴿ والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا ﴾ - إلى آخرها - وإن الأمور تجرى بإذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله ، فإنّ الله عز وجل لايعجل لعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾ وأوصيكم بالأنصار خيرا فإنهم الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم ألم يشاطروكم الثمار ألم يوسعوا عليكم فى الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ؟ ألا فمن ولى أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ، ألا ولا تستأثروا عليهم ألا وإنى فرط لكم وأنتم لاحقون بى ، ألا وإنّ موعدكم الحوض ، حوضى أعرض مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن ، يصب فيه ميزاب الكوثر ، ماؤه أشدّ بياضا من اللبن وألين من الزبد وأحلى من الشهد ، من شرب منه لم يظمأ أبدا ، حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه المسك ، من حرمه فى الموقف غدا حرم الخير كله ، ألا فمن أحب أن يرده على غدا فليكفف لسانه ويده إلا مما ينبغى » فقال العباس : يا نبي الله أوص بقريش ! فقال « إنما أوصى بهذا الأمر قريشا والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم ، فاستوصوا آل قريش بالناس خيرا ، يا أيها الناس إنّ الذنوب تغير النعم وتبدل القسم ، فإذا بر الناس برهم أئمتهم وإذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى ﴿ وكذلك نولى

(١) حديث عائشة : أمرنا أن نغسله بسبع قرب من سبعة آبار فنعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لأهل أحد . . الحديث » أخرجه الدارمى فى مسنده وفيه إبراهيم بن المختار مختلف فيه عن محمد بن إسحق وهو مدلس وقد رواه بالعنعنة .

(٢) حديث عائشة : قبض فى بيتى وفى يومى وبين سحرى ونحرى وجمع الله بين ريقى وريقه عند الموت . . الحديث » متفق عليه

بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ﴾ [١] ، وروى ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر رضى الله عنه « سل يا أبا بكر » فقال يا رسول الله دنا الأجل ؟ فقال « قد دنا الأجل وتدلى » فقال ليهنك يانبي الله ما عند الله ! فليت شعرى عن منقلبنا ، فقال « إلى الله وإلى سدرة المنتهى ثم إلى جنة المأوى والفردوس الأعلى والكأس الأوفى والرفيق الأعلى والحظ والعيش المهنا » فقال يا نبي الله من يلى غسلك ؟ قال « رجال من أهل بيتى الأدنى فالأدنى » قال ففيم نكفنك ؟ فقال « فى ثيابى هذه وفى حلة يمانية وفى بياض مصر » فقال كيف الصلاة عليك منا ؟ وبكينا وبكى ثم قال « مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا ، إذا غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى فى بيتى هذا على شفيرى قبرى ، ثم أخرجوا عنى ساعة ، فإن أول من يصلى على الله عز وجل ﴿ هو الذى يصلى عليكم وملائكته ﴾ ثم يأذن للملائكة فى الصلاة على ، فأول من يدخل على من خلق الله ويصلى على جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ، ثم الملائكة بأجمعها صلى الله عليهم أجمعين ، ثم أنتم فادخلوا على أفواجا فصلوا على أفواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ، ولا تؤذونى بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم الإمام وأهل بيتى الأدنى فالأدنى ، ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان ، قال فمن يدخلك القبر ؟ قال « زمر من أهل بيتى الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فأدوا عنى إلى من بعدى [٢] » وقال عبد الله بن زمعة جاء بلال فى أول شهر ربيع الأول فأذن بالصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مروا أبا بكر يصلى بالناس » فخرجت فلم أر بحضرة الباب إلا عمر فى رجال ليس فيهم أبو بكر ، فقلت قم يا عمر فصل بالناس ، فقام عمر فلما كبر وكان رجلا صيتا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته بالتكبير فقال « أين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون » قالها ثلاث مرات « مروا أبا بكر فليصل بالناس » فقالت عائشة رضى الله عنها يارسول الله إن أبا بكر رجل رقيق القلب إذا قام فى مقامك غلبه البكاء ! فقال « إنكن صويحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس » قال فصلى أبو بكر بعد الصلاة التى صلى عمر ، فكان عمر يقول لعبد الله بن زمعة ـ بعد ذلك ـ ويحك ماذا صنعت بى ! والله لولا أنى ظننت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك ما فعلت . فيقول عبد الله إنى لم أر أحداً أولى بذلك منك ! قالت عائشة رضى الله عنها وما قلت ذاك ولا صرفته عن أبى بكر إلا رغبة به عن الدنيا ، ولما فى الولاية من المخاطرة والهلكة إلا من سلم الله ، وخشيت أيضا أن لا يكون الناس يحبون رجلا صلى فى مقام النبى صلى الله عليه وسلم وهو حى أبدا إلا أن يشاء الله ، فيحسدونه ويبغون عليه ويتشاءمون به فإذن الأمر أمر الله والقضاء قضاؤه ، وعصمه الله من كل ما تخوفت عليه من أمر الدنيا والدين [٣] وقالت عائشة رضى الله عنها فلما

---

(١) حديث سعيد بن عبد الله عن أبيه قال : لما رأت الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد ثقلا أطافوا بالمسجد ، فدخل العباس فأعلمه بمكانهم وإشفاقهم فذكر ... الحديث فى خروجه متوكئا معصوب الرأس يخط رجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر . فذكر خطبته بطولها هو حديث مرسل ضعيف وفيه نكارة ولم أجد له أصلا وأبوه عبد الله بن ضرار بن الأزور تابعى . روى عن ابن مسعود قال أبو حاتم فيه وفى أبيه سعيد ليس بالقوى . (٢) حديث ابن مسعود : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر « سل يا أبا بكر » فقال . يارسول الله دنا الأجل ؟ فقال « قد دنا الأجل ... الحديث » فى سؤالهم له : من يلى غسلك وفيم نكفنك ؟ وكيفية الصلاة عليه » رواه ابن سعد فى الطبقات عن محمد بن عمر وهو الواقدى باسناد ضعيف الى ابن عوف عن ابن مسعود وهو مرسل ضعيف كما تقدم .

(٣) حديث عبد الله بن زمعة : جاء بلال فى أول ربيع الأول فأذن بالصلاة فقال النبي صلى الله عليه وسلم « مروا أبا بكر فليصل بالناس » فخرجت فلم أر بحضرة الباب إلا عمر فى رجال ليس فيهم أبو بكر ... الحديث » أخرجه أبو داود باسناد جيد نحوه مختصرا دون قوله « فقالت عائشة إن أبا بكر رجل رقيق ... الى آخره » ولم يقل : فى أول ربيع الأول ، وقال « مروا من يصلى بالناس » وقال « يأبى الله ذلك والمؤمنون » مرتين وفى رواية له فقال « لالا .. ليصل للناس ابن أبى قحافة » يقول ذلك =

كان اليوم الذى مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة فى أول النهار ، فتفرق عنه الرجال إلى منازلهم وحوائجهم مستبشرين ، وأخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء ، فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا فى الرجاء والفرح قبل ذلك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اخرجن عنى ! هذا الملك يستأذن على » فخرج من فى البيت غيرى ورأسه فى حجرى فجلس وتنحيت فى جانب البيت فناجى الملك طويلا ، ثم إنه دعانى فأعاد رأسه فى حجرى وقال للنسوة « ادخلن » فقلت . ما هذا بحس جبريل عليه السلام ؟ فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « أجل ياعائشة هذا ملك الموت جاءنى فقال : إن الله عز وجل أرسلنى وأمرنى أن لا أدخل عليك إلا بإذن ، فإن لم تأذن لى أرجع وإن أذنت لى دخلت ، وأمرنى أن لا أقبضك حتى تأمرنى فماذا أمرك ؟ فقلت : اكفف عنى حتى يأتينى جبريل عليه السلام ، فهذه ساعة جبريل » فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأى ، فوجمنا وكأنما ضربنا بصاخة ما نحير إليه شيئا وما يتكلم أحد من أهل البيت إعظاما لذلك الأمر وهيبة ملأت أجوافنا ، قالت ، وجاء جبريل فى ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج أهل البيت فدخل فقال : إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول : كيف تجدك وهو أعلم بالذى تجد منك ، ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفا وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق وأن تكون سنة فى أمتك فقال « أجدنى وجعا » فقال : أبشر فإن الله تعالى أراد أن يبلغك ما أعد لك فقال « ياجبريل إن ملك الموت استأذن على » وأخبره الخبر فقال جبريل : يامحمد إن ربك إليك مشتاق ألم يعلمك الذى يريد بك ؟ لا والله تعالى ما استأذن ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبدا ، إلا أن ربك متم شرفك وهو إليك مشتاق ، قال « فلا تبرح إذن حتى يجىء » وأذن للنساء فقال « يافاطمة ادنى » فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام ، ثم قال « ادنى منى رأسك » فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وهى تضحك وما تطيق الكلام ، فكان الذى رأينا منها عجبا ، فسألتها بعد ذلك فقالت أخبرنى وقال « إنى ميت اليوم » فبكيت ثم قال « إنى دعوت الله أن يلحقك بى فى أول أهلى وأن يجعلك معى » فضحكت ، وأدنت ابنيها منه فشمهما قالت . وجاء ملك الموت واستأذن فأذن له فقال الملك . ما تأمرنا يامحمد ؟ قال « الحقنى بربى الآن » فقال بل من يومك هذا اما إن ربك إليك مشتاق ولم يتردد عن أحد تردده عنك ولم ينهنى عن الدخول على أحد إلا بإذن غيرك ولكن ساعتك امامك وخرج قالت وجاء جبريل فقال السلام عليك يارسول الله هذا آخر ما أنزل فيه إلى الأرض أبدا « طوى الوحى وطويت الدنيا وما كان لى فى الأرض حاجة غيرك ، ومالى فيها حاجة إلا حضورك ، ثم لزوم موقفى لا والذى بعث محمدا بالحق ما فى البيت أحد يستطيع أن يحير إليه فى ذلك كلمة ولا يبعث إلى أحد من رجاله ، لعظم ما يسمع من حديثه ووجدنا وإشفاقنا ، قالت : فقمت إلى النبى صلى الله عليه وسلم حتى أضع رأسه بين ثدىى وأمسكت بصدره ، وجعل يغمى عليه حتى يغلب وجهته ترشح رشحا ما رأيته من إنسان قط ، فجعلت أسلت ذلك العرق وما وجدت رائحة شىء أطيب منه فكنت أقول له - إذا أفاق - بأبى أنت وأمى ونفسى وأهلى ما تلقى جبهتك من الرشح ؟ فقال « ياعائشة إن نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقيه كنفس الحمار » فعند ذلك ارتعنا وبعثنا إلى أهلنا ، فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخى ، بعثه إلى أبى ، فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يجىء أحد ، وإنما صدهم الله عنه لأنه ولاه جبريل وميكائيل ، وجعل إذا أغمى عليه قال « بل الرفيق الأعلى » كأن الخيرة تعاد عليه ، فإذا أطاق الكلام قال « الصلاة الصلاة إنكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعا » الصلاة الصلاة كان يوصى بها حتى مات وهو

= منضبا ، وأما ما فى آخره من قول عائشة «فى الصحيحين من حديثها فقالت عائشة : يارسول الله إن أبابكر رجل رقيق إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء ! فقال « لتكن صواحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس » .

يقول « الصلاة الصلاة [1] » قالت عائشة رضى الله عنها : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين [2] قالت فاطمة رضى الله عنها : ما لقيت من يوم الاثنين ، والله لاتزال الأمة تصاب فيه بعظيمة وقالت أم كلثوم - يوم أصيب على كرم الله وجهه بالكوفة - مثلها : مالقيت من يوم الاثنين ، مات فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وفيه قتل على ؛ وفيه قتل أبى ، فما لقيت من يوم الاثنين . وقالت عائشة رضى الله عنها : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتحم الناس - حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الملائكة بثوبه - فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما تكلم إلا بعد البعد ، وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان ، وبقى آخرون معهم عقولهم ، وأقعد آخرون . فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته ، وعلى فيمن أقعد ، وعثمان فيمن أخرس . فخرج عمر على الناس وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت ، وليرجعنه الله عز وجل ، وليقطعن أيدى وأرجل رجال من المنافقين يتمنون لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الموت ، إنما واعده الله عز وجل كما واعد موسى وهو آتيكم [3] وفى رواية أنه قال : ياأيها الناس كفوا ألسنتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لم يمت ، والله لاأسمع أحدا يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات إلا علوته بسيفى هذا . وأما على فإنه أقعد فلا يبرح البيت . وأما عثمان فجعل لا يكلم أحدا - يؤخذ بيده فيجاء به ويذهب به - ولم يكن أحد من المسلمين فى مثل حال أبى بكر والعباس فإن الله عز وجل أيدهما بالتوفيق والسداد ، وإن كان الناس لم يرعووا إلا بقول أبى بكر حتى جاء العباس فقال : والله الذى لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الموت ، ولقد قال وهو بين أظهركم ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ .

وبلغ أبا بكر الخبر وهو فى بنى الحرث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إليه

---

(١) حديث عائشة : لما كان اليوم الذى مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة فى أول النهار فتفرق عنه الرجال الى منازلهم وحوائجهم مستبشرين وأحلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء فبينما نحن على ذلك لم يكن على مثل حالنا فى الرجاء والفرح قبل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اخرجن عنى ، هذا ملك يستأذن على ... الحديث » بطوله فى مجىء ملك الموت ثم ذهابه ثم مجىء جبريل ثم مجىء ملك الموت ووفاته صلى الله عليه وسلم ، أخرجه الطبرانى فى الكبير من حديث جابر وابن عباس مع اختلاف فى حديث طويل فيه : فلما كان يوم الاثنين اشتد الأمر وأوحى الله الى ملك الموت أن اهبط الى حبيبى وصفيى محمد صلى الله عليه وسلم فى أحسن صورة وارفق به فى قبض روحه . وفيه دخول ملك الموت واستئذانه فى قبضه بقال « ياملك الموت أين خلفت حبيبى جبريل » قال خلفته فى سماء الدنيا والملائكة يعزونه فيك ، فما كان بأسرع أن أتاه جبريل فقعد عند رأسه وذكر بشارة جبريل له بما أعد الله له ، وفيه اذن ياملك الموت فائته الى ماأمرت به ... الحديث . وفيه : فدنا ملك الموت يعالج قبض روح النبى صلى الله عليه وسلم وذكر كربه لذلك ، الى أن قال : فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو حديث طويل فى ورقتين كبار وهو منكر ، وفيه عبد المنعم بن ادريس بن سنان عن أبيه عن وهب بن منبه قال أحمد : كان يكذب على وهب بن منبه ، وأبوه ادريس أيضاً متروك قاله الدارقطنى ، ورواه الطبرانى أيضاً من حديث الحسين بن على : أن جبريل جاءه أولا فقال له عن ربك كيف تجدك ثم جاءه جبريل اليوم الثالث ومعه ملك الموت وملك الهواء إسماعيل وأن جبريل دخل أولا فسأله ثم استأذن ملك الموت وقوله « امض لما أمرت به » وهو منكر أيضا فيه عبد الله بن ميمون القداح قال البخارى ذاهب الحديث ورواه أيضاً من حديث ابن عباس فى مجىء ملك الموت أولا واستئذانه وقوله . إن ربك يقرئك السلام فقال « أين جبريل » فقال هو قريب منى الآن يأتى فخرج ملك الموت حتى نزل عليه جبريل .. الحديث وفيه المختار بن نافع منكر الحديث .

(٢) حديث عائشة : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين . رواه ابن عبد البر

(٣) حديث عائشة : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتحم الناس - حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة بثوبه - فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما تكلم إلا بعد البعد ، وخلط آخرون ومعهم عقولهم وأقعد آخرون . وكان عمر بن الخطاب ممن كذب بموته ، وعلى فيمن أقعد ، وعثمان فيمن أخرس . فخرج عمر على الناس وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت ... الحديث الى قوله (عند ربكم تختصمون) لم أجد له أصلا وهو منكر .

ثم أكب عليه فقبله ثم قال : بأبي أنت وأمي يارسول الله ما كان الله تعالى ليذيقك الموت مرتين ، فقد والله توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج إلى الناس فقال : أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فإنه حي لايموت قال الله تعالى ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم . . . الآية ﴾ (١) ، فكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية إلا يومئذ . وفي رواية : أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وهو يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة ، وهو في ذلك جلد الفعل والمقال - فأكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول : بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي طبت حيا وميتا انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء والنبوة ، فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء ، وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ، ولولا أن موتك كان اختيارا منك لجدنا لحزنك بالنفوس ، ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفدنا عليك ماء العيون ، فأما مالا نستطيع نفيه عنا فكمد وادّكار محالفان لا يبرحان ، اللهم فأبلغه عنا ، اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ، ولنكن من بالك ، فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم أحد لما خلفت من الوحشة ، اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا (٢) . وعن ابن عمر : أنه لما دخل أبو بكر البيت وصلى وأثنى عج أهل البيت عجيجا سمعه أهل المصلى ، كلما ذكر شيئا ازدادوا ، فما سكن عجيجهم إلا تسليم رجل على الباب صيت جلد قال : السلام عليكم ياأهل البيت ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ الآية إن في الله خلفا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة ، فالله تعالى فارجوا وبه فثقوا . فاستمعوا له وأنكروه وقطعوا البكاء ، فلما انقطع البكاء فقد صوته فاطلع أحدهم فلم ير أحدا ، ثم عادوا فبكوا فناداهم مناد آخر لايعرفون صوته : ياأهل البيت اذكروا الله تعالى واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين ، إنّ في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغيبة ، فالله فأطيعوا وبأمره فاعملوا . فقال أبو بكر : هذا الخضر واليسع عليهما السلام حضرا النبي صلى الله عليه وسلم (٣) واستوفى القعقاع بن عمرو حكاية خطبة أبي بكر رضي الله عنه فقال : قام أبو بكر في الناس

---

(١) حديث : بلغ أبا بكر الخبر وهو في بني الحارث بن الخزرج فجاء فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إليه ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال : بأبي أنت وأمي ما كان الله ليذيقك الموت مرتين . . . الحديث . إلى آخر قوله : وكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية إلا يومئذ أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة : أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل ودخل المسجد ، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغشى بثوب حبرة ، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال : بأبي وأمي أنت ، والله لايجمع الله عليك موتتين ، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها . ولهما من حديث ابن عباس : أن أبابكر خرج وعمر يكلم الناس . . . الحديث . وفيه : والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر . لفظ البخاري فيهما .

(٢) حديث : إن أبا بكر لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد الفعل والمقال - فأكب عليه فكشف الثوب عن وجهه . . . الحديث ، إلى قوله : واحفظه فينا ، أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف : جاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى فكشف الثوب عن وجهه . . الحديث إلى آخره . (٣) حديث ابن عمر في سماع التعزية به صلى الله عليه وسلم : إن في الله خلفا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا . ثم سمعوا آخر يقول : إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغيبة فالله فأطيعوا وبأمره فاعملوا . فقال أبو بكر : هذا الخضر واليسع . لم أجد فيه ذكر « اليسع » وأما ذكر « الخضر » في التعزية فأنكر النووي وجوده في كتب الحديث وقال : إنما ذكره الأصحاب . قلت : بلى قد رواه الحاكم في المستدرك في حديث أنس ولم يصححه ولايصح ، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء من حديث أنس أيضاً قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع أصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل شعر المنكبين في إزار ورداء يتخطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخذ مضاداً في باب البيت فبكى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل =

خطيبا حيث قضى الناس عبراتهم بخطبة جلها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه على كل حال وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فلله الحمد وحده وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخاتم أنبيائه ، وأشهد أن الكتاب كما شرع وأن الدين كما شرع وأن الحديث كما حدث وأن القول كما قال وأن الله هو الحق المبين ، اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك وأمينك وخيرتك وصفوتك بأفضل ما صليت به على أحد من خلقك ، اللهم واجعل صلواتك ومعافاتك ورحمتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وإمام المتقين محمد قائد الخير وإمام الخير ورسول الرحمة اللهم قرب زلفته وعظم برهانه وكرم مقامه وابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأولون والآخرون وانفعنا بمقامه المحمود يوم القيامة واخلفه فينا في الدنيا والآخرة وبلغه الدرجة والوسيلة في الجنة ، اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم إنك حميد مجيد ، أيها الناس إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لم يمت ، وإن الله قد تقدم إليكم في أمره فلا تدعوه جزعا ، وإن الله عز وجل قد اختار لنبيه صلى الله عليه وسلم ما عنده على ما عندكم وقبضه إلى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أنكر ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ﴾ ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم .

وقال ابن عباس : لما فرغ أبو بكر من خطبته قال يا عمر أنت الذي بلغني أنك تقول ما مات نبي الله صلى الله عليه وسلم ؟ أما ترى أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا : كذا وكذا ويوم كذا : كذا وكذا وقال تعالى في كتابه ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ فقال : والله لكأني لم أسمع بها في كتاب الله قبل الآن لما نزل بنا ، أشهد أن الكتاب كما أنزل وأن الحديث كما حدث وأن الله حي لا يموت ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ وصلوات الله على رسوله وعند الله نحتسب رسوله صلى الله عليه وسلم . ثم جلس إلى أبي بكر .

وقالت عائشة رضي الله عنها : لما اجتمعوا لغسله قالوا : والله ما ندري كيف نغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنجرده عن ثيابه كما نصنع بموتانا أو نغسله في ثيابه ؟ قالت : فأرسل الله عليهم النوم حتى ما بقي منهم رجل إلا واضع لحيته على صدره نائما ثم قال قائل - لا يدري من هو - غسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثيابه ، فانتبهوا ففعلوا ذلك فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قميصه . حتى إذا فرغوا من غسله كفن . وقال علي كرم الله وجهه : أردنا خلع قميصه فنودينا لا تخلعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابه . فأقررناه فغسلناه في قميصه كما نغسل موتانا مستلقيا ما نشاء أن يقلب لنا منه عضو لم يبالغ فيه إلا قلب لنا حتى نفرغ منه ، وإن معنا لحفيفا في البيت كالريح الرخاء ويصوت بنا ارفقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنكم ستكفون . فهكذا كانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترك

= على أصحابه فقال : إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت وخلفا من كل هالك فإلى الله تعالى فأنيبوا ونظره إليكم في البلاء فانظروا فإن المصاب من لم يجبره الثواب . ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر : علي الرجل ، فنظروا يمينا وشمالا فلم يروا أحدا ، فقال أبو بكر : لعل هذا الخضر أخو نبينا عليه السلام جاء يعزينا . ورواه الطبراني في الأوسط وإسناده ضعيف جدا ورواه ابن أبي الدنيا أيضا من حديث علي بن أبي طالب : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت تسمع حسه ولا ترى شخصه قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته إن في الله عوضا من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت ، فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإن المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم . فقال علي : تدرون من هذا ؟ هو الخضر . وفيه محمد بن جعفر الصادق تكلم فيه وفيه انقطاع بين علي بن الحسين وبين جده علي والمعروف عن علي بن الحسين مرسلا من غير ذكر علي كما رواه الشافعي في الأم وليس فيه ذكر « الخضر » .

سبدا ولالبدا إلا دفن معه . قال أبو جعفر : فرش لحده بمفرشه وقطيفته وفرشت ثيابه عليها التى كان يلبس يقظان على القطيفة والمفرش ، ثم وضع عليها فى أكفانه فلم يترك بعد وفاته مالا ولا بنى فى حياته لبنة على لبنة ولا وضع قصبة على قصبة [1] ففى وفاته عبرة تامة وللمسلمين به أسوة حسنة .

وفاة أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه

لما احتضر أبو بكر رضى الله تعالى عنه جاءت عائشة رضى الله عنها فتمثلت بهذا البيت :

لعمـــرك مايغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال : ليس كذا ولكن قولى ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾ انظروا ثوبى هذين فاغسلوهما وكفنونى فيهما فإن الحى إلى الجديد أحوج من الميت . وقالت عائشة رضى الله عنها عند موته :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة الأرامل

فقال أبو بكر : ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخلوا عليه فقالوا : ألا ندعو لك طبيبا ينظر إليك؟ قال قد نظر إلى طبيبى وقال : إنى فعال لما أريد . ودخل عليه سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه يعوده فقال : يا أبا بكر أوصنا فقال : إن الله فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذن منها إلا بلاغك ، واعلم أن من صلى صلاة الصبح فهو فى ذمة الله فلا تخفرن الله فى ذمته فيكبك فى النار على وجهك .

ولما ثقل أبو بكر رضى الله تعالى عنه وأراد الناس منه أن يستخلف ، فاستخلف عمر رضى الله عنه ، فقال الناس له : استخلفت علينا فظا غليظا فماذا تقول لربك ؟ فقال : أقول استخلفت على خلقك خير خلقك . ثم أرسل إلى عمر رضى الله عنه فجاء فقال : إنى موصيك بوصية ؛ اعلم أن لله حقا فى النهار لا يقبله فى الليل وأن لله حقا فى الليل لا يقبله فى النهار ، وأنه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة ، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يثقل . وإنما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل وخفته عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف ، وإن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم ، فيقول القائل : أنا دون هؤلاء ولا أبلغ مبلغ هؤلاء ؛ فإن الله ذكر أهل النار بأسوإ أعمالهم ورد عليهم صالح الذى عملوا ، فيقول القائل : أنا أفضل من هؤلاء ، وإن الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون المؤمن راغبا راهبا ولا يلقى بيديه إلى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق . فإن حفظت وصيتى هذه فلا يكون غائب أحب إليك من الموت ولا بد لك منه ، وإن ضيعت وصيتى فلا يكون غائب أبغض إليك من الموت ولا بد لك منه ، ولست بمعجزه .

وقال سعيد بن المسيب : لما احتضر أبو بكر رضى الله عنه أتاه ناس من الصحابة فقالوا : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم زودنا فإنا نراك لما بك . فقالوا أبو بكر : من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه فى الأفق المبين ، قالوا : وما الأفق المبين ؟ قال : قاع بين يدى العرش فيه رياض الله وأنهار وأشجار ، يغشاه كل يوم مائة

---

(١) حديث أبى جعفر : فرش لحده بمفرشه وقطيفته ، وفيه : فلم يترك بعد وفاته مالا ولا بنى فى حياته لبنة على لبنة ولا وضع قصبة على قصبة أما وضع المفرشة والقطيفة فالذى وضع القطيفة شقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس ذكر ذلك من شرط كتابنا ، وأما كونه لم يترك مالا فقد تقدم من حديث عائشة وغيرها وأما كونه ما بنى فى حياته فتقدم أيضاً .

رحمة ، فمن قال هذا القول جعل الله روحه فى هذا المكان « اللهم إنك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك إليهم ، ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير فاجعلنى للنعيم ولا تجعلنى للسعير ، اللهم إنك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل أن تخلقهم فجعلت منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا ، فلا تشقنى بمعاصيك . اللهم إنك علمت ما تكسب كل نفس قبل أن تخلقها فلا محيص لها مما علمت ، فاجعلنى ممن تستعمله بطاعتك اللهم إن أحدا لا يشاء حتى تشاء ، فاجعل مشيئتك أن أشاء ما يقربنى إليك اللهم إنك قد قدرت حركات العباد فلا يتحرك شىء إلا بإذنك ، فاجعل حركاتى فى تقواك . اللهم إنك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به ، فاجعلنى من خير القسمين . اللهم إنك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما أهلا ، فاجعلنى من سكان جنتك . اللهم إنك أردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم ، فاشرح صدرى للإيمان وزينه فى قلبى ، اللهم إنك دبرت الأمور وجعلت مصيرها إليك . فأحينى بعد الموت حياة طيبة وقربنى إليك زلفى . اللهم من أصبح وأمسى ثقته ورجاؤه غيرك ، فأنت ثقتى ورجائى ولا حول ولا قوة إلا بالله » قال أبو بكر : هذا كله فى كتاب الله عز وجل :

وفاة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

قال عمرو بن ميمون « كنت قائما غداة أصيب عمر ، ما بينى وبينه إلا عبد الله بن عباس ، وكان إذا مر بين الصفين قام بينهما ، فإذا رأى خللا قال : استووا ، حتى إذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر . قال : وربما قرأ سورة يوسف أو النحل - أو نحو ذلك - فى الركعة الأولى حتى يجتمع الناس ، فما هو إلا أن أكبر فسمعته يقول : قتلنى - أو أكلنى - الكلب ، حين طعنه أبو لؤلؤة ، وطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينا أو شمالا إلا طعنه ، حتى طعن ثلاثة عشر رجلا ، فمات منهم تسعة - وفى رواية سبعة . فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا ، فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه . وتناول عمر رضى الله تعالى عنه عبد الرحمن بن عوف فقدمه ، فأما من كان يلى عمر فقد رأى ما رأيت ، وأما نواحى المسجد ما يدرون ما الأمر ؟ غير أنهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون : سبحان الله سبحان الله ! فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة ، فلما انصرفوا قال : يا ابن العباس انظر من قتلنى ! قال : فغاب ساعة ثم جاء فقال : غلام المغيرة بن شعبة ، فقال عمر رضى الله عنه : قاتله الله لقد كنت أمرت به معروفا . ثم قال : الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل مسلم ، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن يكثر العلوج بالمدينة ! وكان العباس أكثرهم رقيقا فقال ابن عباس : إن شئت فعلت ؛ أى إن شئت قتلناهم ، قال : بعدما تكلموا بلسانكم وصلوا إلى قبلتكم وحجوا حجكم ! فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه قال : وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ ! قال : فقائل يقول أخاف عليه ، وقائل يقول لا بأس . فأتى بنبيذ فشرب منه فخرج من جوفه ، ثم أتى بلبن فشرب منه فخرج من جوفه ، فعرفوا أنه ميت . قال : فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه ، وجاء رجل شاب فقال : أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى من الله عز وجل ؛ قد كان لك صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم فى الإسلام ما قد علمت ، ثم وليت فعدلت ، ثم شهادة ، فقال : وددت أن ذلك كان كفافا لا على ولا لى . فلما أدبر الرجل إذا إزاره يمس الأرض ، فقال : ردوا على الغلام ، فقال : يا ابن أخى ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك . ثم قال : يا عبد الله انظر ما على من الدين ؟ فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوه ، فقال : إن وفى به مال آل عمر فأده من أموالهم ؛ وإلا فسل فى بنى عدى بن كعب ، فإن لم تف أموالهم فسل فى قريش ولا تعدهم إلى غيرهم ، وأد عنى هذا المال وانطلق إلى أم المؤمنين عائشة فقل :

عمر يقرأ عليك السلام ، ولاتقل أمير المؤمنين فإنى لست اليوم للمؤمنين أميرا ، وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه . فذهب عبد الله فسلم واستأذن ثم دخل عليها ، فوجدها قاعدة تبكى ، فقال : يقرأ عليك عمر ابن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه ، فقالت : كنت أريده لنفسى ولأوثرنه اليوم على نفسى ! فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال : ارفعونى ، فأسنده رجل إليه فقال : مالديك ؟ قال : الذى تحب ياأمير المؤمنين قد أذنت قال : الحمد لله ما كان شىء أهم إلى من ذلك ! فإذا أنا قبضت فاحملونى ثم سلم وقل يستأذن عمر ! فإن أذنت لى فأدخلونى وإن ردتنى ردونى إلى مقابر المسلمين .

وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء يسترنها ، فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة ، واستأذن الرجال فولجت داخلا فسمعنا بكاءها من داخل . فقالوا : أوص ياأمير المؤمنين واستخلف ، فقال : ماأرى أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن وقال : يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شىء ، كهيئة التعزية له ، فإن أصابت الإمارة سعدا فذاك وإلافليستعن به أيكم أمر ، فإنى لم أعزله من عجز ولا خيانة . وقال أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم فضلهم ويحفظ لهم حرمتهم ، وأوصيه بالأنصار خيرا الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم ، وأوصيه بأهل الأمصار خيرا فإنهم ردء الإسلام وجباة الأموال وغيظ العدو وأن لايأخذ منهم إلا فضلهم عن رضا منهم ، وأوصيه بالأعراب خيرا فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام وأن يأخذ من حواشى أموالهم ويرد على فقرائهم ، وأوصيه بذمة الله عز وجل وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل لهم من ورائهم ولايكلفهم إلا طاقتهم . قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشى ، فسلم عبد الله بن عمر وقال يستأذن عمر بن الخطاب ، فقالت أدخلوه ، فأدخلوه فى موضع هنالك مع صاحبيه ... الحديث .

وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال « قال لى جبريل عليه السلام ليبك الإسلام على موت عمر[1] » وعن ابن عباس قال وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنافيهم، فلم يرعنى إلا رجل قد أخذ بمنكبى فالتفت فإذا هو على بن أبى طالب رضى الله عنه فترحم على عمر وقال ماخلفت أحد أحب إلى أن ألقى الله بمثل عمله منك ! وايم الله إن كنت لأظن ليجعلنك الله مع صاحبيك وذلك أنى كنت كثيرا أسمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول « ذهبت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر[2] » فإنى كنت ـ لارجو أن لاأظن ـ أن يجعلك الله معهما .

وفاة عثمان رضى الله عنه

الحديث فى قتله مشهور . وقد قال عبد الله بن سلام : أتيت أخى عثمان لأسلم عليه وهو محصور ، فدخلت عليه فقال مرحبا يا أخى ! رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة فى هذه الخوخة ـ وهى خوخة فى البيت ـ فقال « ياعثمان حصروك ؟ » قلت نعم ، قال « عطشوك » قلت نعم ، فأدلى إلى دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت ـ حتى

(١) حديث « قال لى جبريل عليه السلام ليبك الإسلام على موت عمر » أخرجه أبو بكر الآجرى فى كتاب الشريعة من حديث أبى بن كعب بسند ضعيف جداً وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات .

(٢) حديث ابن عباس قال : وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون ، فذكر قول على بن أبى طالب كنت كثيراً أسمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول « ذهبت أنا وأبو بكر وعمر .. الحديث » متفق عليه .

إنى لأجد برده بين ثديى وبين كتفى - وقال لى « إن شئت نصرت عليهم وإن شئت أفطرت عندنا » فاخترت أن أفطر عنده ! فقتل ذلك اليوم رضى الله عنه . وقال عبد الله بن سلام لمن حضر تشحط عثمان فى الموت حين جرح ماذا قال عثمان وهو يتشحط ؟ قالوا سمعناه يقول ، اللهم اجمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم - ثلاثا - قال والذى نفسى بيده لو دعا الله أن لايجتمعوا أبدا ما اجتمعوا إلى يوم القيامة . وعن ثمامة بن حزن القشيرى قال شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان رضى الله عنه فقال ائتونى بصاحبيكم اللذين ألبا كم على ! قال فجىء بهما كأنهما هما حملان أو حماران ، فأشرف عليهم عثمان رضى الله عنه فقال أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشترى رومة ، يجعل دلوه مع دلاء المسلمين ، بخير له منها فى الجنة ؟ فاشتريتها من صلب مالى ، فأنتم اليوم تمنعونى أن أشرب منها ومن ماء البحر ؟ قالوا اللهم نعم ، قال أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أنى جهزت جيش العسرة من مالى ؟ قالوا نعم ، أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أنّ المسجد كان ضاق بأهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يشترى بقعة آل فلان فيزيدها فى المسجد بخير منها فى الجنة ؟ فاشتريتها من صلب مالى فأنتم اليوم تمنعونى أن أصلى فيها ركعتين ؟ قالوا اللهم نعم ، قال أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير بمكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا ، فتحرك الجبل حتى تساقط حجارته بالحضيض قال فركضه برجله وقال « اسكن ثبير فما عليك إلا نبى وصديق وشهيدان ؟ » قالوا اللهم نعم ، قال الله أكبر شهدوا لى ورب الكعبة أنى شهيد [1] .

وروى عن شيخ من ضبة أن عثمان حين ضرب والدماء تسيل على لحيته جعل يقول ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ﴾ اللهم إنى أستعديك عليهم وأستعينك على جميع أمورى وأسألك الصبر على ما ابتليتنى .

وفاة على كرم الله وجهه

قال الأصبغ الحنظلى لما كانت الليلة التى أصيب فيها على كرم الله وجهه ، أتاه ابن النباح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل ، فعاد الثانية وهو كذلك ، ثم عاد الثالثة فقام على يمشى وهو يقول

اشدد حيازيمك للمو ت فإن الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت إذا حل بواديكا

فلما بلغ الباب الصغير شدّ عليه ابن ملجم فضربه . فخرجت أم كلثوم ابنة على رضى الله عنه فجعلت تقول مالى ولصلاة الغداة ! قتل زوجى أمير المؤمنين صلاة الغداة ؛ وقتل أبى صلاة الغداة . وعن شيخ من قريش أنّ عليا كرم الله وجهه لما ضربه ابن ملجم قال : فزت ورب الكعبة . وعن محمد بن على أنه لما ضرب أوصى بنيه ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله ، حتى قبض .

ولما ثقل الحسن بن على رضى الله عنهما دخل عليه الحسين رضى الله عنه فقال ياأخى لأى شىء تجزع ؟ تقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى على بن أبى طالب وهما أبواك وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما أماك ، وعلى حمزة وجعفر وهما عماك ! قال ياأخى أقدم على أمر لم أقدم على مثله .

وعن محمد بن الحسن رضى الله عنهما قال لما نزل القوم بالحسين رضى الله عنه وأيقن أنهم قاتلوه قام فى أصحابه خطيبا ! فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : قد نزل من الأمر ما ترون ! وإنّ الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر

(١) حديث ثمامة بن حزن القشيرى : شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان ... الحديث أخرجه الترمذى وقال حسن والنسائى

معروفها ، وانشمرت حتى لم يبق منها إلا كصبابة الإناء ، ألا حسبي من عيش كالمرعى الوبيل ، ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ، ليرغب المؤمن فى لقاء الله تعالى ، وإنى لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا جرما .

الباب الخامس : فى كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين

لما حضرت معاوية بن بى سفيان الوفاة قال : أقعدونى ، فأقعد فجعل يسبح الله تعالى ويذكره ثم بكى وقال : تذكر ربك يامعاوية بعد الهرم والانحطاط ! ألا كان هذا وغصن الشباب نضر ريان ، وبكى حتى علا بكاؤه وقال : يا رب أرحم الشيخ العاصى ذا القلب القاسى اللهم أقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لا يرجو غيرك ولم يثق بأحد سواك . وروى عن شيخ من قريش : أنه دخل مع جماعة عليه فى مرضه فرأوا فى جلده غضونا ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فهل الدنيا أجمع إلا ما جربنا ورأينا ، أما والله لقد استقبلنا زهرتها بحدتنا وباستلذاذنا بعيشنا ، فما لبثتنا الدنيا أن نقضت ذلك منا حالا بعد حال وعروة بعد عروة ، فأصبحت الدنيا وقد وترتنا وأخلفتنا واستلأمت إلينا أف للدنيا من دار ، ثم أف لها من دار . ويروى أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال : أيها الناس إنى من زرع قد استحصد وإنى وليتكم ولن يليكم أحد من بعدى إلا وهو شر منى ، كما كان من قبلى خيرا منى ! ويا يزيد إذا وفى أجلى فول غسلى رجلا لبيبا ، فإن اللبيب من الله بمكان ، فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير ، ثم اعمد إلى منديل فى الخزانة فيه ثوب من ثياب النبى صلى الله عليه وسلم وقراضة من شعره وأظفاره فاستودع القراضة أنفى وفمى وأذنى وعينى ، واجعل الثوب على جلدى دون أكفانى ، ويا يزيد احفظ وصية الله فى الوالدين ، فإذا أدرجتمونى فى جديدى ووضعتمونى فى حفرتى فخلوا معاوية وأرحم الراحمين . وقال محمد بن عقبة : لما نزل بمعاوية الموت قال ياليتنى كنت رجلا من قريش بذى طوى وإنى لم أل من هذا الأمر شيئا .

ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة نظر إلى غسال بجانب دمشق يلوى ثوبا بيده ثم يضرب به المغسلة ، فقال عبد الملك : ليتنى كنت غسالا آكل من كسب يدى يوما بيوم ، لم أل من أمر الدنيا شيئا ، فبلغ ذلك أبا حازم فقال : الحمد لله الذى جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه ، وإذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه . وقيل لعبد الملك بن مروان فى مرضه الذى مات فيه : كيف تجدك يا أمير المؤمنين ؟ قال : أجدنى كما قال الله تعالى ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ﴾ الآية ومات .

وقالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ـ امرأة عمر بن عبد العزيز ـ كنت أسمع عمر فى مرضه الذى مات فيه يقول : اللهم أخف عليهم موتى ولو ساعة من نهار . فلما كان اليوم الذى قبض فيه خرجت من عنده فجلست فى بيت آخر ـ بينى وبينه باب وهو فى قبة له ـ فسمعته يقول ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ﴾ ثم هدأ فجعلت لا أسمع حركة ولا كلاما فقلت لوصيف له : انظر أنائم هو ؟ فلما دخل صاح ، فوثبت فإذا هو ميت . وقيل له لما حضره الموت : أعهد يا أمير المؤمنين ! قال : أحذركم مثل مصرعى هذا فإنه لا بد لكم منه . وروى أنه لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعى له طبيب فلما نظر إليه قال : أرى الرجل قد سقى السم ولا آمن عليه الموت فرفع عمر بصره وقال : ولا تأمن الموت أيضا على من لم يسق السم ! قال الطبيب : هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال نعم قد عرفت ذلك حين وقع فى بطنى قال : فتعالج يا أمير المؤمنين فإنى أخاف أن تذهب نفسك ، قال : ربى خير مذهوب إليه ، والله لو علمت أن شفائى عند شحمة أذنى

مارفعت يدى إلى أذنى فتناولته . اللهم خرلعمر فى لقائك ؛ فلم يلبث إلا أياما حتى مات وقيل : لما حضرته الوفاة بكى فقيل له مايبكيك ياأمير المؤمنين ؟ أبشر فقد أحيا الله بك سننا وأظهر بك عدلا ! فبكى ثم قال : أليس أوقف فأسئل عن أمر هذا الخلق ، فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسى أن لاتقوم حجتها بين يدى الله إلا أن يلقنها الله حجتها ، فكيف بكثير مما ضيعنا ؟ وفاضت عيناه ، فلم يلبث إلا يسيرا حتى مات . ولما قرب وقت موته قال : أجلسونى ! فأجلسوه فقال : أنا الذى أمرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت - ثلاث مرات - ولكن لا إله إلا الله ، ثم رفع رأسه فأحدّ النظر فقيل له فى ذلك فقال : إنى لأرى خضرة ؛ ماهم بإنس ولا جن ثم قبض رحمه الله .

وحكى عن هرون الرشيد أنه انتقى أكفانه بيده عند الموت ، وكان ينظر إليها ويقول ﴿ ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه ﴾ .

وفرش المأمون رمادا واضطجع عليه وكان يقول : يامن لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه .

وكان المتعصم يقول عند موته : لو علمت أن عمرى هكذا قصير ما فعلت

وكان المنتصر يضطرب على نفسه عند موته فقيل له : لا بأس عليك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ليس إلا هذا ؛ لقد ذهبت الدنيا وأقبلت الآخرة .

وقال عمرو بن العاص عند الوفاة - وقد نظر إلى صناديق لبنيه : من يأخذها بما فيها ليته كان بعرا .

وقال الحجاج عند موته : اللهم اغفرلى فإن الناس يقولون إنك لاتغفرلى . فكان عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه عليها ، ولما حكى ذلك للحسن قال : أقالها ؟ قيل : نعم ، قال : عسى .

بيان أقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين

ومن بعدهم من أهل التصوف رضى الله عنهم أجمعين

لما حضرت معاذا رضى الله عنه الوفاة قال : اللهم إنى قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك ، اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجرى الأنهار ولا لغرس الأشجار ، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر . ولما اشتد به النزع ونزع نزعا لم ينزعه أحد كان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب ما أخنقنى خنقك فوعزتك إنك تعلم أن قلبى يحبك .

ولما حضرت سلمان الوفاة بكى فقيل له مايبكيك ؟ قال : ماأبكى جزعا على الدنيا ، ولكن عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب [1] فلما مات سلمان نظر فى جميع ما ترك فإذا قيمته بضعة عشر درهما .

ولما حضرت بلالا الوفاة قالت امرأته : واحزناه فقال : بل واطرباه ! غدا نلقى الأحبة محمدا وحزبه .

وقيل . فتح عبد الله بن المبارك عينه عند الوفاة وضحك وقال ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ .

ولما حضرت ابراهيم النخعى الوفاة بكى فقيل له مايبكيك ؟ قال : أنتظر من الله رسولا يبشرنى بالجنة أو بالنار

ولما حضرت ابن المنكدر الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك ؟ فقال ، والله ماأبكى لذنب أعلم أنى أتيته ؛ ولكن

---

(١) حديث : لما حضرت سلمان الوفاة بكى ، وفيه عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن يكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب ، أخرجه أحمد والحاكم وصححه ، وقد تقدم .

أخاف أنى أتيت شيئا حسبته هينا وهو عند الله عظيم .

ولما حضرت عامر بن عبد القيس الوفاة بكىٰ فقيل له ما يبكيك ؟ قال ما أبكى جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن أبكى على ما يفوتنى من ظمأ الهواجر وعلى قيام الليل فى الشتاء !

ولما حضرت فضيلا الوفاة غشى عليه ، ثم فتح عينيه وقال : وابعد سفراه واقلة زاده

ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه . اجعل رأسى على التراب ، فبكى نصر فقال له : ما يبكيك ؟ قال : ذكرت ما كنت فيه من النعيم وأنت هو ذا تموت فقيرا غريبا ! قال : اسكت ! فإنى سألت الله تعالى أن يحيينى حياة الأغنياء وأن يميتنى موت الفقراء ، ثم قال له لقنى ولا تعد على مالم أتكلم بكلام ثان .

وقال عطاء بن يسار : تبدى إبليس لرجل عند الموت فقال له : نجوت ! فقال : ما آمنك بعد . وبكى بعضهم عند الموت فقيل له : ما يبكيك ؟ . آية فى كتاب الله تعالى قوله عز وجل ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ ودخل الحسن رضى الله عنه على رجل يجود بنفسه فقال : إن أمرأ هذا أوله لجدير أن يتقى آخره ، وإن أمرا هذا آخره لجدير أن يزهد فى أوله . وقال الجريرى : كنت عند الجنيد فى حال نزعه - وكان يوم الجمعة ويوم النيروز - وهو يقرأ القرآن فختم ، فقلت له : فى هذه الحالة ياأبا القاسم ؟ فقال : ومن أولى بذلك منى وهو ذا تطوى صحيفتى ؟ وقال رويم حضرت وفاة أبى سعيد الخراز وهو يقول :

حنين قلوب العارفين إلى الذكر ... وتذكارهم وقت المناجاة للسر
أديرت كؤوس للمنايا عليهم ... فأغفوا عن الدنيا كإغفاء ذى السكر
همومهم جوالة بمعسكر ... به أهل ود الله كالأنجم الزهر
فأجسامهم فى الأرض قتلى بحبه ... وأرواحهم فى الحجب نحو العلا تسرى
فما عرسوا إلا بقرب حبيبهم ... وما عرجوا من مس بؤس ولا ضر

وقيل للجنيد : إن أبا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت ، فقال : لم يكن بعجب أن تطير روحه اشتياقا . وقيل لذى النون - عند موته ، ماتشتهى ؟ قال : أن أعرفه قبل موتى بلحظة . وقيل لبعضهم وهو فى النزع ! قل الله فقال : إلى متى تقولون الله وأنا محترق بالله . وقال بعضهم : كنت عند ممشاد الدينورى فقدم فقيرا وقال : السلام عليكم ! هل هنا موضع نظيف يمكن الإنسان أن يموت فيه ؟ قال : فأشاروا إليه بمكان - وكان ثم عين ماء - فجدد الفقير الوضوء وركع ماشاء الله ، ومضى إلى ذلك المكان ومد رجليه ومات . وكان أبو عباس الدينورى يتكلم فى مجلسه ، فصاحت امرأة تواجدا فقال لها : موتى ، فقامت المرأة ، فلما بلغت الدار التفتت إليه وقالت : قد مت ووقعت ميتة . ويحكى عن فاطمة - أخت أبى على الروذبارى - قالت : لما قرب أجل أبى على الروذبارى - وكان رأسه فى حجرى - فتح عينيه وقال : هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول ياأباعلى قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تردها ثم أنشأ يقول :

وحقك لا نظرت إلى سواكا ... بعين مودة حتى أراكا
أراك معذبى بفتور لحظ ... وبالخد المورد من حياكا

وقيل للجنيد : قل لا إله إلا الله ، فقال : مانسيته فأذكره . وسأل جعفر بن نصير بكران الدينورى - خادم الشبلى - ما الذى رأيت منه ؟ فقال : قال على درهم مظلمة ، وتصدقت عن صاحبه بألوف فما على قلبى شغل أعظم منه ! ثم

قال : وضئنى للصلاة ، ففعلت فنسيت تخليل لحيته ـ وقد أمسك على لسانه ـ فقبض على يدى وأدخلها فى لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال : ماتقولون فى رجل لم يفته فى آخر عمره أدب من آداب الشريعة ؟ وقيل لبشر بن الحارث لما احتضر ـ وكان يشق عليه ـ كأنك تحب الحياة ؟ فقال : القدوم على الله شديد . وقيل لصالح بن مسمار : ألا توصى بابنك وعيالك ؟ فقال إنى لأستحيي من الله أن أوصى بهم إلى غيره ! ولما احتضر أبو سليمان الدارانى أتاه أصحابه فقالوا أبشر فإنك تقدم على رب غفور رحيم ، فقال لهم ألا تقولون احذر فإنك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير ؟ ولما احتضر أبو بكر الواسطى قيل له أوصنا فقال احفظوا مراد الحق فيكم واحتضر بعضهم فبكت امرأته فقال لها ما يبكيك ؟ فقالت عليك أبكى ! فقال إن كنت باكية فابكى على نفسك ! فلقد بكيت لهذا اليوم أربعين سنة . وقال الجنيد دخلت على سرى السقطى أعوده فى مرض موته فقلت كيف تجدك ؟ فأنشأ يقول :

كيف أشكو إلى طبيبى ما بى والذى بى أصابنى من طبيبى

فأخذت المروحة لأروحه فقال ، كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق ؟ ثم أنشأ يقول :

القلب محترق والدمع مستبق والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له مما جناه الهوى والشوق والقلق
يارب إن يك شىء فيه لى فرج فامنن على به ما دام بى رمق

وحكى أنّ قوما من أصحاب الشبلى دخلوا عليه وهو فى الموت فقالوا له قل لا إله إلا الله ، فأنشأ يقول :

إن بيتا أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج
وجهك المأمول حجتنا يوم يأتى الناس بالحجج
لا أتاح الله لى فرجا يوم أدعو منك بالفرج

وحكى أنّ أبا العباس بن عطاء دخل على الجنيد فى وقت نزعه فسلم عليه فلم يجبه ، ثم أجاب بعد ساعة وقال اعذرنى فإنى كنت فى وردى ! ثم ولى وجهه إلى القبلة وكبر ومات . وقيل للكتانى لما حضرته الوفاة ما كان عملك ؟ فقال لو لم يقرب أجلى ما أخبرتكم به ! وقفت على باب قلبى أربعين سنة فكلما مر فيه غير الله حجبته عنه . وحكى عن المعتمر قال : كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الملك حين جاءه الحق ، فقلت اللهم هون عليه سكرات الموت فإنه كان وكان ـ فذكرت محاسنه ـ فأفاق فقال من المتكلم ؟ فقلت أنا ! فقال إنّ ملك الموت عليه السلام يقول لى : إنى بكل سخى رفيق ، ثم طفئ . ولما حضرت يوسف بن أسباط الوفاة شهده حذيفة فوجده قلقا فقال : يا أبا محمد هذا أوان القلق والجزع ؟ فقال ياأبا عبد الله وكيف لا أقلق ولا أجزع وإنى لا أعلم أنى صدقت الله فى شىء من عملى ! فقال حذيفة واعجباه لهذا الرجل الصالح يحلف عند موته أنه لا يعلم أنه صدق الله فى شى من عمله . وعن المغازلى قال دخلت على شيخ لى من أصحاب هذه الصفة ـ وهو عليل ـ وهو يقول يمكنك أن تعمل ما تريد فارفق بى ، ودخل بعض المشايخ على ممشاد الدينورى فى وقت وفاته فقال له فعل الله تعالى وصنع ـ من باب الدعاء ـ فضحك ثم قال منذ ثلاثين سنة تعرض على الجنة بما فيها فما أعرتها طرفى . وقيل لرويم عند الموت : قل لا إله إلا الله ، فقال : لا أحسن غيره . ولما حضرت الثورى الوفاة قيل له : قل لا إله إلا الله ، فقال أليس ثم أمر ؟ ودخل المزنى على الشافعى رحمة الله عليهما فى مرضه الذى توفى فيه فقال له كيف أصبحت

يا أبا عبد الله فقال أصبحت من الدنيا راحلا والإخوان مفارقا واسوء عملى ملاقيا ولكأس المنية شاربا وعلى الله تعالى واردا ، ولا أدرى أروحى تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها ؟ ثم أنشأ يقول :

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت رجائى نحو عفوك سلما
تعاظمنى ذنبي فلما قرنته بعفوك ربى كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منة وتكرما
ولولاك لم يغوى بإبليس عابد فكيف وقد أغوى صفيك آدما

ولما حضرت أحمد بن خضروية الوفاة سئل عن مسئلة فدمعت عيناه وقال يابنى باب كنت أدقه خمسا وتسعين سنة هو ذا يفتح الساعة لى ، لاأدرى أيفتح بالسعادة أو الشقاوة ؟ فآن لى أوان الجواب .

فهذه أقاويلهم ، وإنما اختلفت بحسب اختلاف أحوالهم فغلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء وعلى بعضهم الشوق والحب ، فتكلم كل واحد منهم على مقتضى حاله ، والكل صحيح بالإضافة إلى أحوالهم.

الباب السادس : فى أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر ، وحكم زيارة القبور

اعلم أن الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير لأهل الغفلة ، فإنها لا تزيدهم مشاهدتها إلا قساوة ، لأنهم يظنون أنهم أبدا إلى جنازة غيرهم ينظرون ، ولا يحسبون أنهم لا محالة على الجنائز يحملون ، أو يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لايقدرون ، ولا يتفكرون أن المحمولين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون ، فبطل حسبانهم وانقرض على القرب زمانهم ، فلا ينظر عبد إلى جنازة إلا ويقدر نفسه محمولا عليها ، فإنه محمول عليها ، على القرب وكأن قد ، ولعله فى غد أو بعد غد . ويروى عن أبى هريرة أنه كان إذا رأى جنازة قال امضوا فإنا على الأثر . وكان مكحول الدمشقى إذا رأى جنازة قال اغدوا فإنا رائحون . موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الأول والآخر لاعقل له . وقال أسيد بن حضير ماشهدت جنازة فحدثتنى نفسى بشىء سوى ماهو مفعول به وما هو صائر إليه . ولما مات أخو مالك بن دينار خرج مالك فى جنازته يبكى ويقول والله لاتقر عينى حتى أعلم إلى ماذا صرت إليه ، ولاأعلم مادمت حيا . وقال الأعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندرى من نعزى ؟ لحزن الجميع . وقال ثابت البنانى كنا نشهد الجنائز فلا نرى إلا متقنعا باكيا .

فهكذا كان خوفهم من الموت . والآن ! لاننظر إلى جماعة يحضرون جنازة إلا وأكثرهم يضحكون ويلهون ، ولايتكلمون إلا فى ميراثه وماخلفه لورثته ، ولا يتفكر أقرانه وأقاربه إلا فى الحيلة التى بها يتناول بعض ماخلفه ، ولايتفكر واحد منهم - إلا ماشاء الله - فى جنازة نفسه وفى حاله إذا حمل عليها . ولاسبب لهذه الغفلة إلا قسوة القلوب بكثرة المعاصى والذنوب ، حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر والأهوال التى بين أيدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا . فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فإن أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز بكاؤهم على الميت ، ولو عقلوا لبكوا على أنفسهم لاعلى الميت . نظر إبراهيم الزيات إلى أناس يترحمون على الميت فقال لو ترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم ، إنه نجا من أهوال ثلاثة وجه ملك الموت وقد رأى ، ومرارة الموت وقد ذاق ، وخوف الخاتمة وقد أمن . وقال أبو عمرو بن العلاء جلست إلى جرير وهو يملى على كاتبه شعرا فأطلعت جنازة فأمسك وقال شيبتنى والله هذه الجنائز . وأنشأ يقول :

تروعنا الجنائز مقبلات ونلهو حين تذهب مدبرات

كروعة ثلة لمغار ذئب فلما غاب عادت راتعات

فمن آداب حضور الجنائز : التفكر والتنبه والاستعداد والمشى أمامها على هيئة التواضع ـ كما ذكرنا آدابه وسننه فى فن الفقه ـ ومن آدابه حسن الظن بالميت وإن كان فاسقا ، وإساءة الظن بالنفس وإن كان ظاهرها الصلاح ، فإن الخاتمة مخطرة لاندرى حقيقتها . ولذلك روى عن عمر بن ذرّ أنه مات واحد من جيرانه ، وكان مسرفا على نفسه ، فتجافى كثير من الناس عن جنازته ، فحضرها هو وصلى عليها ، فلما دلى فى قبره وقف على قبره وقال : يرحمك الله ياأبافلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود ، وإن قالوا مذنب وذوخطايا ؟ فمن منا غير مذنب وغير ذى خطايا ؟ ويحكى أنّ رجلا من المنهمكين فى الفساد مات فى بعض نواحى البصرة ، فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته إذ لم يدر بها أحد من جيرانه لكثرة فسقه ، فاستأجرت حمالين وحملتها إلى المصلى فاصلى عليه أحد ، فحملتها إلى الصحراء للدفن ؛ فكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار ، فرأته كالمنتظر للجنازة ثم قصد أن يصلى عليها ، فانتشر الخبر فى البلد بأن الزاهد نزل ليصلى على فلان ، فخرج أهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه ، وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال : قيل لى فى المنام انزل إلى موضع فلان ترى فيه جنازة ليس معها أحد إلا امرأة فصل عليه فإنه مغفور له ، فزاد تعجب الناس ! فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وأنه كيف كانت سيرته ؟ قالت : كما عرف كان طول نهاره فى المناخور مشغولا بشرب الخمر ! فقال : انظرى هل تعرفين منه شيئا من أعمال الخير ؟ قالت : نعم ؛ ثلاثة أشياء : كان كل يوم يفيق من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه ويتوضأ ويصلى الصبح فى جماعه ثم يعود إلى المناخور ويشتغل بالفسق (والثانى) أنه كان أبدا لايخلو بيته من يتيم أو يتيمين وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى أولاده ، وكان شديد التفقد لهم . (والثالث) أنه كان يفيق فى أثناء سكره فى ظلام الليل فيبكى ويقول : يارب أى زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث ؟ يعنى نفسه . فانصرف الزاهد وقد ارتفع إشكاله من أمره وعن صلة بن أشيم وقد دفن أخ له فقال على قبره :

فإن تنج منها تنج من ذى عظيمة وإلا فإنى لا إخالك ناجيا

بيان حال القبر وأقاويلهم عند القبور

قال الضحاك : قال رجل يارسول الله من أزهد الناس ؟ قال « من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على مايفنى ولم يعدّ غدا من أيامه وعدّ نفسه من أهل القبور [1] » وقيل لعلى كرّم الله وجهه : ماشأنك جاورت المقبرة ؟ قال : إنى أجدهم خير جيران أجدهم جيران صدق يكفون الألسنة ويذكرون الآخرة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مارأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه [2] » ، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه . فبكى وبكيت وبكوا فقال « مايبكيكم ؟ » قلنا : بكينا لبكائك ! قال « هذا قبر أمى آمنة بنت وهب استأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى ، فاستأذنته أن أستغفر لها فأبى على ، فأدركنى مايدرك الولد من الرقة [3] » ، وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ،

(١) حديث الضحاك : قال رجل يارسول الله من أزهد الناس ؟ قال « من لم ينس القبور والبلى .. الحديث » تقدم .

(٢) حديث « مارأيت منظراً إلا والقبر أفظع منه » تقدم فى الباب الثالث من آداب الصحبة .

(٣) حديث عمر : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقابر فجلس على قبر وكنت أدنى القوم ... الحديث » وفيه « هذا قبر آمنة بنت وهب استأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى ... » وتقدم فى آداب الصحبة أيضاً ، ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور من حديث ابن مسعود وفيه ذكر لعمر بن الخطاب ، وآخره عند ابن ماجه مختصراً وفيه أيوب بن هانئ ضعفه ابن معين وقال أبو حاتم صالح .

فسئل عن ذلك وقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكى ! وتبكى إذا وقفت على قبر ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد [1] » وقيل إن عمرو بن العاص نظر إلى المقبرة فنزل وصلى ركعتين ، فقيل له هذا شيء لم تكن تصنعه ؟ فقال ذكرت أهل القبور وماحيل بينهم وبينه فأحببت أن أتقرب إلى الله بهما . وقال مجاهد أول مايكلم ابن آدم حفرته فتقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة ، هذا ماأعددت لك فما أعددت لى ؟ وقال أبو ذر ألا أخبركم بيوم فقرى ، يوم أوضع فى قبرى . وكان أبو الدرداء يقعد إلى القبور ، فقيل له فى ذلك فقال : أجلس إلى قوم يذكرونى معادى وإذا قمت لم يغتابونى وكان جعفر بن محمد يأتى القبور ليلا ويقول : ياأهل القبور مالى إذا دعوتكم لاتجيبونى ! ثم يقول : حيل والله بينهم وبين جوابى وكأنى بى أكون مثلهم ثم يستقبل الصلاة إلى طلوع الفجر . وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه : يافلان لقد أرقت الليلة أتفكر فى القبر وساكنه ، وإنك لو رأيت الميت بعد ثلاثة فى قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك به ! ولرأيت بيتا تجول فيه الهوام ويجرى فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الأكفان ، بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب ، قال : ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه . وكان يزيد الرقاشى يقول : أيها المقبور فى حفرته والمتخلى فى القبر بوحدته المستأنس فى بطن الأرض بأعماله ليت شعرى بأى أعمالك استبشرت وبأى إخوانك اغتبطت ؟ ثم يبكى حتى يبل عمامته ثم يقول : استبشر والله بأعماله الصالحة واغتبط والله بإخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى وكان إذا نظر إلى القبور خار كما يخور الثور . وقال حاتم الأصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم . وكان بكر العابد يقول ياأماه ليتك كنت بى عقيما إن لابنك فى القبر حبسا طويلا ومن بعد ذلك منه رحيلا . وقال يحيى بن معاذ : ياابن آدم دعاك ربك إلى دار السلام فانظر من أين تجيبه ؟ إن أجبته من دنياك واشتغلت بالرحلة إليه دخلتها ، وإن أجبته من قبرك منعتها . وكان الحسن بن صالح إذا أشرف على المقابر يقول ما أحسن ظواهرك إنما الدواهى فى بواطنك ! وكان عطاء السلمى إذا جن عليه الليل خرج إلى المقبرة ثم يقول ياأهل القبور متم فواموتاه ! وعاينتم أعمالكم فواعملاه ! ثم يقول غدا عطاء فى القبور غدا عطاء فى القبور ، فلايزال ذلك دأبه حتى يصبح وقال سفيان من أكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ، ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار . وكان الربيع بن خثيم قد حفر فى داره قبرا ، فكان إذا وجد فى قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ماشاء الله ثم يقول ﴿ رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت ﴾ يرددها ، ثم يرد على نفسه ياربيع قد رجعتك فاعمل . وقال أحمد بن حرب تتعجب الأرض من رجل يمهد مضجعه ويسوى فراشه للنوم ، فتقول يا ابن آدم لم لاتذكر طول بلاك ومابينى وبينك شيء ! وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل على فقال ياميمون هذه قبور آبائى بنى أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذاتهم وعيشهم ! أماتراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلى وأصابت الهوام مقيلا فى أبدانهم ؟ ثم بكى وقال والله ماأعلم أحدا أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله وقال ثابت البنانى دخلت المقابر فلما قصدت الخروج منها فإذا بصوت قائل يقول ياثابت لايغرنك صموت أهلها فكم من نفس مغمومة فيها . ويروى أن فاطمة بنت الحسين نظرت إلى جنازة زوجها الحسن بن الحسن فغطت وجهها وقالت :

---

(١) حديث عثمان : كان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته وفيه : إن القبر أول منازل الآخرة . أخرجه الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه وتقدم فى آداب الصحبة .

وكانوا رجاء ثم أمسوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

وقيل إنها ضربت على قبره فسطاطا واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ودخلت المدينة ، فسمعوا صوتا من جانب البقيع : هل وجدوا ما فقدوا ؟ فسمعوا من الجانب الآخر : بل يئسوا فانقلبوا . وقال أبو موسى التميمى : توفيت امرأة الفرزدق فخرج فى جنازتها وجوه البصرة - وفيهم الحسن - فقال له الحسن : يا أبا فراس ماذا أعددت لهذا اليوم ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة فلما دفنت أقام الفرزدق على قبرها فقال :

أخاف وراء القبر إن لم تعافنى أشدّ من القبر التهابا وأضيقا
إذا جاءنى يوم القيامة قائد عنيف وسوّاق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى إلى النار مغلول القلادة أزرقا

وقد أنشدوا فى أهل القبور :

قف بالقبور وقل على ساحاتها من منكم المغمور فى ظلماتها
ومن المكرّم منكم فى قعرها قد ذاق برد الأمن من روعاتها
أما السكون لذى العيون فواحد لا يستبين الفضل فى درجاتها
لو جاوبوك لأخبروك بألسن تصف الحقائق بعد من حالاتها
أما المطيع فنازل فى روضة يفضى إلى ما شاء من دوحاتها
والمجرم الطاغى بها متقلب فى حفرة يأوى إلى حياتها
وعقارب تسعى إليه فروحه فى شدّة التعذيب من لدغاتها

ومر داود الطائى على امرأة تبكى على قبر وهى تقول :

عدمت الحياة ولا نلتها إذا كنت فى القبر قد ألحدوكا
فكيف أذوق لطعم الكرى وأنت بيمناك قد وسدوكا

ثم قالت : يا ابناه بأى خديك بدأ الدود ؟ فصعق داود مكانه وخرّ مغشيا عليه . وقال مالك بن دينار : مررت بالمقبرة فأنشأت أقول :

أتيت القبور فناديتها فأين المعظم والمحتقر
وأين المدل بسلطانه وأين المزكى إذا ما افتخر

قال : فنوديت من بينها ، أسمع صوتا ولا أرى شخصا وهو يقول :

تفانوا جميعا فما مخبر وماتوا جميعا ومات الخبر
تروح وتغدو بنات الثرى فتمحو محاسن تلك الصور
فيا سائلى عن أناس مضوا أما لك فيما ترى معتبر

قال : فرجعت وأنا باك

أبيات وجدت مكتوبة على القبور

وجد مكتوبا على قبر :

تناجيك أجداث وهن صموت وسكانها تحت التراب خفوت

أيا جامع الدنيا لغير بلاغه لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

ووجد على قبر آخر مكتوبا :

أيا غانم أما ذراك فواسع وقبرك معمور الجوانب محكم
وما ينفع المقبور عمران قبره إذا كان فيه جسمه يتهدم

وقال ابن السماك : مررت على المقابر فإذا على قبر مكتوب :

يمر أقاربى جنبات قبرى كأن أقاربى لم يعرفونى
ذوو الميراث يقتسمون مالى وما يألون أن جحدوا ديونى
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا فيالله أسرع ما نسونى

ووجد على قبر مكتوبا :

إن الحبيب من الأحباب مختلس لا يمنع الموت بواب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها يا من يعد عليه اللفظ والنفس
أصبحت يا غافلا فى النقص منغمسا وأنت دهرك فى اللذات منغمس
لا يرحم الموت ذا جهل لغرته ولا الذى كان منه العلم يقتبس
كم أخرس الموت فى قبر وقفت به عن الجواب لسانا ما به خرس
قد كان قصرك معمورا له شرف فقبرك اليوم فى الأجداث مندرس

ووجد على قبر آخر مكتوبا :

وقفت على الأحبة حين صفت قبورهم كأفراس الرهان
فلما أن بكيت وفاض دمعى رأت عيناى بينهم مكانى

ووجد على قبر طبيب مكتوبا :

قد قلت لما قال لى قائل صار لقمان إلى رمسه
فأين ما يوصف من طبه وحذقه فى الماء مع جسه
هيهات لا يدفع عن غيره من كان لا يدفع عن نفسه

ووجد على قبر آخر مكتوبا :

يا أيها الناس كان لى أمل قصر بى عن بلوغه الأجل
فليتق الله ربه رجل أمكنه فى حياته العمل
ما أنا وحدى نقلت حيث ترى كل إلى مثقله سينتقل

فهذه أبيات كتبت على قبور لتقصير سكانها عن الاعتبار قبل الموت . والبصير هو الذى ينظر إلى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم فيستعد للحوق بهم ويعلم أنهم لا يبرحون من مكانهم مالم يلحق بهم ، وليتحقق أنه لو عرض عليهم يوم من أيام عمره الذى هو مضيع له لكان ذلك أحب إليهم من الدنيا بحذافيرها ، لأنهم عرفوا قدر الأعمار وانكشفت لهم حقائق الأمور ، فإنما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره فيتخلص من العقاب ، وليستزيد الموفق به رتبته فيتضاعف له الثواب ، فإنهم إنما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه لحسرتهم على ساعة من الحياة وأنت

قادر على تلك الساعة ، ولعلك تقدر على أمثالها ثم أنت مضيع لها ، فوطن نفسك على التحسر على تضييعهما عند خروج الأمر من الاختيار إذا لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار . فقد قال بعض الصالحين : رأيت أخا لى فى الله ـ فيما يرى النائم ـ فقلت : يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين ، قال : لأن أقدر على أن أقولها ـ يعنى الحمد لله رب العالمين ـ أحب إلى من الدنيا وما فيها ، ثم قال ألم تر حيث كانوا يدفنونى فإن فلانا قد قام فصلى ركعتين لأن أكون أقدر على أن أصليهما أحب إلى من الدنيا وما فيها .

بيان أقاويلهم عند موت الولد

حق على من مات ولده أو قريب من أقاربه أن ينزله ـ فى تقدمه عليه فى الموت ـ منزلة مالو كانا فى سفر فسبقه الولد إلى البلد الذى هو مستقره ووطنه ، فإنه لا يعظم عليه تأسفه لعلمه أنه لاحق به على القرب ، وليس بينهما إلا تقدم وتأخر . وهكذا الموت فإن معناه السبق إلى الوطن إلى أن يلحق المتأخر ، وإذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه ، لاسيما وقد ورد فى موت الولد من الثواب مايعزى به كل مصاب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن أقدم سقطا أحب إلى من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل فى سبيل الله[1] » وإنما ذكر السقط تنبيها بالأدنى على الأعلى وإلا فالثواب على قدر محل الولد من القلب . وقال زيد بن أسلم : توفى ابن لداود عليك السلام فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له : ما كان عدله عندك ؟ قال ملء الأرض ذهبا ! قيل له : فإن لك من الأجر فى الآخرة مثل ذلك ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنة من النار » فقالت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو اثنان ؟ قال « أو اثنان[2] » وليخلص الوالد الدعاء لولده عند الموت فإنه أرجى دعاء وأقربه إلى الإجابة . وقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال : اللهم إنى أصبحت أرجوك له وأخافك عليه فحقق رجائى وآمن خوفى . ووقف أبو سنان على قبر ولده فقال : اللهم إنى قد غفرت له ماوجب لى عليه فاغفر له ماوجب لك عليه فإنك أجود وأكرم . ووقف أعرابى على قبر ابنه فقال : اللهم إنى قد وهبت له ما قصر فيه من برى فهب له ما قصر فيه من طاعتك . ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام أبوه عمر بن ذر ـ بعد ماوضعه فى لحده ـ فقال : ياذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعرى ماذا قلت وماذا قيل لك ؟ ثم قال : اللهم إن هذا ذر متعتنى به مامتعتنى ووفيته أجله ورزقه ولم تظلمه ، اللهم وقد كنت ألزمته طاعتك وطاعتى ، اللهم ماوعدتنى عليه من الأجر فى مصيبتى فقد وهبت له ذلك فهب لى عذابه ولا تعذبه . فأبكى الناس ثم قال عند انصرافه : ما علينا بعدك من خصاصة ياذر وما بنا إلى إنسان مع الله حاجة ، فلقد مضينا وتركناك ولو أقمنا مانفعناك ونظر رجل إلى امرأة بالبصرة فقال : مارأيت مثل هذه النضارة وما ذاك إلا من قلة الحزن ! فقالت : يا عبد الله إنى لفى حزن مايشركنى فيه أحد ، قال : فكيف ؟ قالت : إن زوجى ذبح شاة فى يوم عيد الأضحى وكان لى صبيان مليحان يلعبان فقال أكبرهما للآخر : أتريد أن أريك كيف ذبح أبى الشاة ؟ قال : نعم ، فأخذه وذبحه وما شعرنا به إلا متشحطا فى دمه ، فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجأ إلى جبل فرهقه ذئب فأكله ، فخرج أبوه يطلبه فمات عطشا من شدة الحر ، قالت : فأردانى الدهر كما ترى . فأمثال هذه المصائب ينبغى أن تتذكر عند موت الأولاد ليتسلى بها عن شدة الجزع ، فما من مصيبة إلا ويتصور ما هو أعظم منها وما يدفعه الله فى كل حال فهو الأكثر .

---

(١) حديث « لأن أقدم سقطا أحب إلى من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل فى سبيل الله » لم أجد فيه ذكر « مائة فارس » وروى ابن ماجه من حديث أبى هريرة « اسقط أقدمه بين يدى أحب إلى من فارس أخلفه خلفى » .

(٢) حديث « لايموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم ... الحديث » تقدم فى النكاح .

بيان زيارة القبور والدعاء الميت وما يتعلق به

زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار ، وزيارة قبور الصالحين مستحبة لأجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور ثم أذن فى ذلك بعد [١] » .

روى عن على رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة غير أن لاتقولوا هجرا [٢] » وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه فى ألف مقنع فلم ير باكيا أكثر من يومئذ [٣] » وفى هذا اليوم قال « أذن لى فى الزيارة دون الاستغفار [٤] » كما أوردنا من قبل . وقال ابن أبى مليكة : أقبلت عائشة رضى الله عنها يوما من المقابر فقلت ياأم المؤمنين من أين أقبلت ؟ قالت من قبر أخى عبد الرحمن ، فقلت أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها ؟ قالت نعم ، ثم أمر بها [٥] » ولا ينبغى أن يتمسك بهذا فيؤذن للنساء فى الخروج الى المقابر ، فإنهن يكثرن الهجر على رءوس المقابر فلا يفى خير زيارتهن بشرها ، ولا يخلون فى الطريق عن تكشف وتبرج وهذه عظائم ، والزيارة سنة فكيف يحتمل ذلك لأجلها . نعم لا بأس بخروج المرأة فى ثياب بذلة ترد أعين الرجال عنها وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء وترك الحديث على رأس القبر .

وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « زر القبور تذكر بها الآخرة ، واغسل الموتى فإن معالجة جسد خاو موعظة بليغة ، وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك فإن الحزين فى ظل الله [٦] » وقال ابن أبى مليكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « زوروا موتاكم وسلموا عليهم فإن لكم فيهم عبرة [٧] » وعن نافع أن ابن عمر كان لا يمر بقبر أحد إلا وقف عليه وسلم عليه وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر عمها حمزة فى الأيام ، فتصلى وتبكى عنده . وقال النبى صلى الله عليه وسلم « من زار قبر والديه أو أحدهما فى كل جمعة غفر له وكتب برا [٨] » وعن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين [٩] » وقال النبى صلى الله عليه وسلم « من زار قبرى فقد

---

(١) حديث : نهيه عن زيارة القبور ثم اذنه فى ذلك . أخرجه مسلم من حديث بريدة وقد تقدم .

(٢) حديث على « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة غير أن لاتقولوا هجراً » رواه أحمد وأبو يعلى فى مسنده وابن أبى الدنيا فى كتاب القبور واللفظ له ولم يقل أحمد وأبو يعلى « غير أن لاتقولوا هجراً » وفيه على بن زيد بن جدعان عن ربيعة بن النابغة قال البخارى لم يصح وربيعة ذكره ابن حبان فى الثقات (٣) حديث : زار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه فى ألف مقنع فلم ير باكيا أكثر من يومئذ أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور من حديث بريدة وشيخه أحمد بن عمران الأخنس متروك ورواه بنحوه من وجه آخر كنا معه قريبا من ألف راكب وفيه أنه لم يأذن له فى الاستغفار لها

(٤) حديث « وقال فى هذا اليوم أذن لى فى الزيارة دون الاستغفار » تقدم فى الحديث قبله من حديث بريدة أنه لم يؤذن له فى الاستغفار لها ورواه مسلم من حديث أبى هريرة « استأذنت ربى أن أستغفر لأمى فلم يأذن لى ، واستأذنت أن أزور قبرها فأذن لى »

(٥) حديث ابن أبى مليكة : أقبلت عائشة يوما من المقابر فقلت : ياأم المؤمنين من أين أقبلت ؟ قالت : من قبر أخى عبد الرحمن قلت : أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها ؟ قالت : نعم ثم أمر بها . أخرجه ابن أبى الدنيا فى القبور بإسناد جيد

(٦) حديث أبى ذر « زر القبور تذكر الآخرة واغسل الموتى ، فإن معالجة جسد خاو موعظة بليغة ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى القبور والحاكم بإسناد جيد (٧) حديث ابن أبى مليكة « زوروا موتاكم وسلموا عليهم وصلوا عليهم ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فيه هكذا مرسلا واسناده حسن . (٨) حديث « من زار قبر أبويه أو أحدهما فى كل جمعة غفر له وكتب برا » أخرجه الطبرانى فى الصغير والأوسط من حديث أبى هريرة وابن أبى الدنيا فى القبور من رواية محمد بن النعمان يرفعه وهو معضل ومحمد بن النعمان مجهول وشيخه عند الطبرانى يحيى بن العلاء البجلى متروك (٩) حديث ابن سيرين « ان الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين » أخرجه ابن أبى الدنيا فيه وهو مرسل صحيح الإسناد ورواه ابن عدى من رواية يحيى بن عقبة أبى العيزار عن محمد بن جحادة عن أنس قال ورواه الصلت بن الحجاج عن ابن جحادة عن قتادة عن أنس ويحيى بن عقبة والصلت بن الحجاج كلاهما ضعيف .

وجبت له شفاعتي [١] ، وقال صلى الله عليه وسلم ، من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة [٢] ، وقال كعب الأحبار : ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك ، حتى إذا انشقت الأرض خرج في سبعين ألفا من الملائكة يوقرونه.

والمستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة مستقبلا بوجهه الميت ، وأن يسلم ولا يمسح القبر ولا يمسه ولا يقبله ، فإن ذلك من عادة النصارى . قال نافع : كان ابن عمر رأيته مائة مرة أو أكثر يجيء إلى القبر فيقول : السلام على النبي ، السلام على أبي بكر ، السلام على أبي ، وينصرف . وعن أبي أمامة قال رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم [٣] » وقال سليمان بن سحيم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم ، فقلت يارسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أتفقه سلامهم ؟ قال نعم وأرد عليهم وقال أبو هريرة إذا مر الرجل بقبر لرجل يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه ، وإذا مر بقبر لايعرفه وسلم عليه ردعليه السلام . وقال رجل من آل عاصم الجحدري رأيت عاصما في منامي بعد موته بسنتين فقلت أليس قد مت ؟ قال بلى ، فقلت أين أنت ؟ قال أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى أبي بكر ابن عبد الله المزني فنتلاقى أخباركم . قلت أجسامكم أم أرواحكم ؟ قال هيهات ! بليت الأجسام وإنما تتلاقى الأرواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا إياكم قال نعم نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس قلت وكيف ذاك دون الأيام كلها ؟ قال لفضل يوم الجمعة وعظمه وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقيل له لو أخرت إلى يوم الاثنين ؟ قال بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده . وقال الضحاك من زار قبرا قبل طلوع الشمس يوم السبت علم الميت بزيارته ، قيل وكيف ذاك ؟ قال لمكان يوم الجمعة . وقال بشر ابن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف إلى الجبانة فيشهد الصلاة على الجنائز ، فإذا أمسى وقف على باب المقابر فقال آنس الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن سيئاتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل فأمسيت ذات ليلة فانصرفت إلى أهلي ولم آت إلى المقابر فأدعو كما كنت أدعو ، فبينما أنا نائم إذا بخلق كثير قد جاءوني فقلت ماأنتم وما حاجتكم ؟ قالوا نحن أهل المقابر قلت ما جاء بكم ؟ قالوا إنك قد عودتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلك ، قلت وما هي ؟ قالوا الدعوات التي كنت تدعو لنا بها ، قلت فإني أعود لذلك ، فما تركتها بعد ذلك وقال بشار بن غالب النجراني رأيت رابعة العدوية العابدة في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت لي يابشار بن غالب هداياك تأتينا على طبق من نور مخمرة بمناديل الحرير قلت وكيف ذاك ؟ قالت وهكذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على أطباق من نور وخمر مناديل الحرير ثم أتي به الميت فقيل له هذه هدية فلان إليك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماالميت في قبره إلا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه

(١) حديث « من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي » تقدم في أسرار الحج (٢) حديث « من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة » تقدم فيه (٣) حديث عائشة « مامن رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده الا استأنس به ورد عليه حتى يقوم » أخرجه ابن أبي الدنيا في القبور وفيه عبد الله بن سمان ولم أقف على حاله ورواه ابن عبد البر في التمهيد من حديث ابن عباس نحوه وصححه عبد الحق الأشبيلي .

من أبيه أو أخيه أو صديق له ، فإذا لحقته كان أحب إليه من الدنيا وما فيها ، وإن هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار [١] وقال بعضهم مات أخ لى فرأيته فى المنام فقلت ما كان حالك حيث وضعت فى قبرك ؟ قال أتانى آت بشهاب من نار فلولا أن داعيا دعالى لرأيت أنه سيضربنى به

ومن هذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له قال سعيد بن عبدالله الأزدى شهدت أبا أمامة الباهلى وهو فى النزع فقال يا سعيد إذا مت فاصنعوا بى كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ، ثم يقول يا فلان ابن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب ، ثم ليقل يافلان ابن فلانة الثانية فإنه يستوى قاعدا ، ثم ليقل يافلان ابن فلانة الثالثة فإنه يقول أرشدنا يرحمك الله ولكن لا تسمعون فيقول له اذكر ماخرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأنك رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقرآن إماما ، فإن منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد منهما فيقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ، ويكون الله عز وجل حجيجه دونهما ، فقال رجل يارسول الله فإن لم يعرف اسم أمه ؟ قال « فلينسبه إلى حواء [٢] »

ولا بأس بقراءة القرآن على القبور . روى عن على بن موسى الحداد قال كنت مع أحمد بن حنبل فى جنازة ومحمد بن قدامة الجوهرى معنا ، فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له أحمد ياهذا إن القراءة عند القبر بدعة ، فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد يا أبا عبد الله ماتقول فى مبشر بن اسماعيل الحلبى ؟ قال ثقة : قال هل كتبت عنه شيئا ؟ قال نعم « قال أخبرنى مبشر بن اسماعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة البقرة وخاتمتها ، وقال سمعت ابن عمر يوصى بذلك ، فقال له أحمد فارجع إلى الرجل فقل له يقرأ . وقال محمد بن أحمد المروزى سمعت أحمد بن حنبل يقول إذا دخلتم المقابر فاقرءوا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد ، واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم . وقال أبو قلابة : أقبلت من الشام إلى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل ، ثم وضعت رأسى على قبر فنمت ثم تنبهت فإذا صاحب القبر يشتكينى يقول لقد آذيتنى منذ الليلة ، ثم قال إنكم لا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال للركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ، ثم قال جزى الله عنا أهل الدنيا خيرا أقرئهم السلام فإنه قد يدخل علينا من دعائهم نورا مثل الجبال

فالمقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار بها ، وللمزور الانتفاع بدعائه . فلا ينبغى أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت ولا عن الاعتبار به . وإنما يحصل له الاعتبار بأن يصور فى قلبه الميت كيف تفرقت أجزاءه وكيف يبعث من قبره ؟ وأنه على القرب سيلحق به كما روى عن مطرف بن أبى بكر الهذلى قال كانت عجوز فى عبدالقيس متعبدة فكان إذا جاء الليل تحزمت ثم قامت إلى المحراب ، وإذا جاء النهار خرجت إلى القبور فبلغنى أنها عوتبت ، فى كثرة إتيانها المقابر فقالت إنّ القلب القاسى إذا جفا لم يلينه إلا رسوم البلى ، وإنى لآتى القبور فكأنى

---

(١) حديث « ماالميت فى قبره إلا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أومن أخيه أو صديق له .. الحديث » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس وفيه الحسن بن على بن عبدالواحد قال الذهبى حدث عن هشام بن عمار بحديث باطل (٢) حديث سعيد بن عبد الله الأزدى قال : شهدت أبا أمامة الباهلى وهو فى النزع فقال : ياسعيد إذا مت فاصنعوا بى كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يافلان ابن فلانة ... الحديث » فى تلقين الميت فى قبره أخرجه الطبرانى بإسناد ضعيف .

انظر وقد خرجوا من بين أطباقها ، وكأنى أنظر إلى تلك الوجوه المتعفرة وإلى تلك الأجسام المتغيرة وإلى تلك الأجفان الدسمة ، فيا لها من نظرة لو أشربها العباد قلوبهم ما أنكل مرارتها للأنفس وأشد تلفها للأبدان ، بل ينبغى أن يحضر من صورة الميت ماذكره عمر بن عبدالعزيز ؛ حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته لكثرة الجهاد والعبادة فقال له : يا فلان لو رأيتنى بعد ثلاث وقد أدخلت قبرى وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان عن الأسنان ، وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم ، ونتأ البطن فملأ الصدر وخرج الصلب من الدبر وخرج الدود والصديد من المناخر لرأيت أعجب مما تراه الآن .

ويستحب الثناء على الميت وألا يذكر إلا بالجميل قالت عائشة رضى الله عنها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه [1] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « لاتسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا [2] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « لا تذكروا موتاكم إلا بخير فإنهم إن يكونوا من أهل الجنة تأثموا وإن يكونوا من أهل النار فحسبهم ما هم فيه [3] » ، وقال أنس بن مالك : مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأثنوا عليها شرا فقال عليه السلام « وجبت » ، ومروا بأخرى فأثنوا عليها خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وجبت » فسأله عمر عن ذلك فقال « إن هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار ! وأنتم شهداء الله فى الأرض [4] » ، وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليموت فيثنى عليه القوم الثناء يعلم الله منه غيره فيقول الله تعالى للملائكة أشهدكم أنى قد قبلت شهادة عبيدى على عبدى وتجاوزت عن علمى فى عبدى [5] » .

الباب السابع فى حقيقة الموت وما يلقاه الميت فى القبر إلى نفخة الصور

بيان حقيقة الموت

اعلم أن للناس فى حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد أخطأوا فيها .

فظن بعضهم : أن الموت هو العدم ، وأنه لاحشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر ، وأن موت الإنسان كموت الحيوانات وجفاف النبات . وهذا رأى الملحدين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر .

وظن قوم : أنه ينعدم بالموت ولا يتألم بعذاب ولا يتنعم بثواب ما دام فى القبر إلى أن يعاد فى وقت الحشر .

وقال آخرون : إن الروح باقية لا تنعدم بالموت ، وإنما المثاب والمعاقب هى الأرواح دون الأجساد ، وإن الأجساد لا تبعث ولا تحشر أصلا .

وكل هذه ظنون فاسدة ومائلة عن الحق . بل الذى تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والأخبار أن الموت معناه تغير حال فقط وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد إما معذبة وإما منعمة ومعنى مفارقتها للجسد

---

(١) حديث « إذا مات صاحبكم فدعوه ولاتقعوا فيه » أخرجه أبو داود من حديث عائشة بإسناد جيد

(٢) حديث « لاتسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا الى ماقدموا » أخرجه البخارى من حديث عائشة أيضاً

(٣) حديث « لاتذكروا موتاكم الا بخير .. الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الموت هكذا بإسناد ضعيف من حديث عائشة وهو عند النسائى من حديث عائشة بإسناد جيد مقتصراً على ماذكر منه هنا بلفظ « هلكاكم » وذكر الزيادة صاحب مسند الفردوس وعلم عليه علامة النسائى والطبرانى (٤) حديث أنس : مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأثنوا عليها شراً فقال « وجبت » الحديث متفق عليه (٥) حديث أبى هريرة « إن العبد ليموت فيثنى عليه القوم الثناء يعلم الله منه غير ذلك .. الحديث أخرجه أحمد من رواية شيخ من أهل البصرة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه عزوجل « مامن عبد مسلم يموت فيشهد له ثلاث أبيات من جيرانه الأدنين بخير إلا قال الله عزوجل قد قبلت شهادة عبادى على ماعلموا وغفرت له ماأعلم »

انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها ، فإن الأعضاء آلات الروح تستعملها حتى إنها لتبطش باليد وتسمع بالأذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب ، والقلب ههنا عبارة عن الروح ، والروح تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة ولذلك قد يتألم بنفسه بأنواع الحزن والغم والكمد ويتنعم بأنواع الفرح والسرور وكل ذلك لايتعلق بالأعضاء . فكل ما هو وصف الروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد ، وما هو لها بواسطة الأعضاء فيتعطل بموت الجسد إلى أن تعاد الروح إلى الجسد ، ولا يبعد أن تعاد الروح إلى الجسد فى القبر ، ولا يبعد أن تؤخر إلى يوم البعث . والله أعلم بما حكم به على كل عبد من عباده . وإنما تعطل الجسد بالموت يضاهى تعطل أعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه وبشدة تقع فى الأعصاب تمنع نفوذ الروح فيها ، فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الأعضاء وقد استعصى عليها بعضها ، والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها وكل الأعضاء آلات والروح هى المستعملة لها ، وأعنى بالروح : المعنى الذى يدرك من الإنسان العلوم وآلام الغموم ولذات الأفراح . ومهما بطل تصرفها فى الأعضاء لم تبطل منها العلوم والإدراكات ، ولا بطل منها الأفراح والغموم ، ولا بطل منها قبولها للآلام واللذات . والإنسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم وللآلام واللذات وذلك لا يموت - أى لاينعدم - ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن أن يكون آلة له ، كما أن معنى الزمانة خروج اليد عن أن تكون آلة مستعملة . فالموت زمانة مطلقة فى الأعضاء كلها وحقيقة الإنسان نفسه وروحه وهى باقية .

نعم تغير حاله من جهتين : (إحداهما) أنه سلب منه عينه وأذنه ولسانه ويده ورجله وجميع أعضائه ، وسلب منه أهله وولده وأقاربه وسائر معارفه ، وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وسائر أملاكه ولافرق بين أن تسلب هذه الأشياء من الإنسان وبين أن يسلب الإنسان من هذه الأشياء ، فإن المؤلم هو الفراق ، والفراق يحصل تارة بأن ينهب مال الرجل وتارة بأن يسبى الرجل عن الملك والمال والألم واحد فى الحالتين . وإنما معنى الموت سلب الإنسان عن أمواله بإزعاجه إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم ، فإن كان له فى الدنيا شىء يأنس به ويستريح إليه ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت ويصعب شقاؤه فى مفارقته ، بل يلتفت قلبه إلى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى إلى قميص كان يلبسه مثلا ويفرح به ، وإن لم يكن يفرح إلا بذكر الله ولم يأنس إلا به عظم نعيمه وتمت سعادته إذا خلى بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوائق والشواغل ، إذ جميع أسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله . فهذا أحد وجهى المخالفة بين حال الموت وحال الحياة .

(والثانى) أنه ينكشف له بالموت مالم يكن مكشوفا له فى الحياة ، كما قد ينكشف للمتيقظ ما لم يكن مكشوفا له فى النوم . والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ، وأول ما ينكشف له ما يضره وينفعه من حسناته وسيئاته ، وقد كان ذلك مسطورا فى كتاب مطوى فى سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا ، فإذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع أعماله فلا ينظر إلى سيئة إلا ويتحسر عليها تحسرا يؤثر أن يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة ، وعند ذلك يقال له ﴿ كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن ، وتشتعل فيه نيران الفراق أعنى فراق ما كان يطمئن إليه من هذه الدنيا الفانية دون ما أراد منها لأجل الزاد والبلغة ، فإن من طلب الزاد للبلغة فإذا بلغ المقصد فرح بمفارقته بقية الزاد إذ لم يكن يريد الزاد لعينه . وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا إلا بقدر الضرورة وكان يود أن تنقطع ضرورته ليستغنى عنه ، فقد حصل ما كان يوده

واستغنى عنه وهذه أنواع من العذاب والآلام عظيمه تهجم عليه قبل الدفن .

ثم عند الدفن قد ترد روحه إلى الجسد لنوع آخر من العذاب وقد يعفى عنه ، ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمئن إليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك فى داره وملكه وحريمه اعتمادا على أنّ الملك يتساهل فى أمره ، أو على أنّ الملك ليس يدرى مايتعاطاه من قبيح أفعاله ، فأخذه الملك بغتة وعرض عليه جريدة قد دوّنت فيها جميع فواحشه وجناياته ذرّة ذرّة وخطوة خطوة ، والملك قاهر متسلط وغيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت إلى من يتشفع إليه فى العصاة عليه . فانظر إلى هذا المأخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحياء والتحسر والندم . فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن إليها قبل نزول عذاب القبر به ، بل عند موته نعوذ بالله منه ، فإنّ الخزى والافتضاح وهتك الستر أعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما . فهذه إشارة إلى حال الميت عند الموت شاهدها أولو البصائر بمشاهدة باطنة أقوى من مشاهدة العين ، وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة .

نعم لايمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت إذ لايعرف الموت من لايعرف الحياة ، ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح فى نفسها وإدراك ماهية ذاتها ، ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلم فيها ، ولا أن يزيد على أن يقول « الروح من أمر ربى [1] » فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وإن اطلع عليه ، وإنما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت ،

ويدل على أن الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام إدراكها آيات وأخبار كثيرة (أما الآيات) فاورد فى الشهداء إذ قال تعالى ﴿ ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين ﴾ ولما قتل صناديد قريش يوم بدر ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدنى ربى حقا فهل وجدتم ماوعدكم ربكم حقا » فقيل يارسول الله أتناديهم وهم أموات ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده إنهم لأسمع لهذا الكلام منكم إلا أنهم لايقدرون على الجواب [2] » فهذا نص فى روح الشقى وبقاء إدراكها ومعرفتها والآية نص أرواح فى الشهداء . ولا يخلو الميت عن سعادة أوشقاوة . وقال صلى الله عليه وسلم « القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة [3] » وهذا نص صريح على أن الموت معناه تغير حال فقط ، وأن ما سيكون من شقاوة الميت وسعادته يتعجل عند الموت من غير تأخير ، وإنما يتأخر بعض أنواع العذاب والثواب دون أصله .

وروى أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « الموت القيامة فمن مات فقد قامت قيامته [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية إن كان من أهل الجنة فمن الجنة وإن كان من أهل النار فمن النار ويقال هذا مقعدك حتى تبعث إليه يوم القيامة [5] » وليس يخفى مافى مشاهدة المقعدين من عذاب ونعيم فى الحال وعن أبى قيس قال : كنا مع علقمة فى جنازة فقال : أما هذا فقد قامت قيامته وقال على كرم الله وجهه :

---

(١) حديث : أنه لم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلم فى الروح . متفق عليه من حديث ابن مسعود فى سؤال اليهود عن الروح ونزول قوله تعالى (ويسئلونك عن الروح) وقد تقدم . (٢) حديث : نداؤه من قتل من صناديد قريش يوم بدر « يافلان قد وجدت ماوعدنى ربى حقا ... » أخرجه مسلم من حديث عمر بن الخطاب . (٣) حديث « القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة » أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد وتقدم فى الرجاء والخوف .

(٤) حديث أنس « الموت القيامة من مات فقد قامت قيامته » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الموت بإسناد ضعيف وقد تقدم

(٥) حديث « إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ... الحديث » متفق عليه من حديث ابن عمر .

حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هى أم من أهل النار ؟ وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات غريبا مات شهيدا ووقى فتانات القبر وغدى وريح عليه برزقه من الجنة [1] » وقال مسروق : ما غبطت مؤمنا فى اللحد قد استراح من نصب الدنيا وأمن عذاب الله تعالى . وقال يعلى بن الوليد : كنت أمشى يوما مع أبى الدرداء فقلت له ما تحب لمن تحب ؟ قال : الموت ، قلت : فإن لم يمت ؟ قال : يقل ماله وولده وإنما أحب الموت لأنه لا يحبه إلا المؤمن ، والموت إطلاق المؤمن من السجن . وإنما أحب قلة المال والولد لأنه فتنة وسبب للأنس بالدنيا ، والأنس بمن لابد من فراقه غاية الشقاء . فكل ماسوى الله وذكره والأنس به فلا بد من فراقه عند الموت لا محالة . ولهذا قال عبد الله بن عمرو . إنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه أو روحه مثل رجل بات فى سجن فأخرج منه فهو يتفسح فى الأرض ويتقلب فيها . وهذا الذى ذكره حال من تجافى عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن له أنس إلا بذكر الله تعالى ، وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه ومقاساة الشهوات تؤذيه ؛ فكان فى الموت خلاصه من جميع المؤذيات وانفراده بمحبوبه الذى كان به أنسه من غير عائق ولا دافع .

وما أجدر ذلك بأن يكون منتهى النعيم واللذات وأكمل اللذات للشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله ! لأنهم ماأقدموا على القتال إلا قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا مشتاقين إلى لقاء الله راضين بالقتل فى طلب مرضاته ، فإن نظر إلى الدنيا فقد باعها طوعا بالآخرة والبائع لا يلتفت قلبه إلى المبيع ، وإن نظر إلى الآخرة فقد اشتراها وتشوق إليها ، فما أعظم فرحه بما اشتراه إذا رآه وما أقل التفاته إلى ماباعه إذا فارقه ! وتجرد القلب لحب الله تعالى قد يتفق فى بعض الأحوال ولكن لايدركه الموت عليه فيتغير . والقتال سبب للموت فكان سببا لإدراك الموت على مثل هذه الحالة . فلهذا عظم النعيم ، إذ معنى النعيم أن ينال الإنسان مايريده قال الله تعالى ﴿ ولهم مايشتهون ﴾ فكان هذا أجمع عبارة لمعانى لذات الجنة وأعظم العذاب أن يمنع الإنسان عن مراده كما قال الله تعالى ﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴾ فكان هذا أجمع عبارة لعقوبات أهل جهنم . وهذا النعيم يدركه الشهيد - كما انقطع نفسه - من غير تأخير . وهذا أمر انكشف لأرباب القلوب بنور اليقين . وإن أردت عليه شهادة من جهة السمع لجميع أحاديث الشهداء تدل عليه ، وكل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة أخرى ، فقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر « ألا أبشرك يا جابر » وكان قد استشهد أبوه يوم أحد فقال : بلى بشرك الله بالخير فقال « إن الله عز وجل قد أحيا أباك وأقعده بين يديه وقال تمن على ياعبدى ماشئت أعطيك فقال : يارب ماعبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردنى إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك فأقتل فيك مرة أخرى قال له إنه قد سبق منى أنك إليها لاترجع [2] » وقال كعب : يوجد رجل فى الجنة يبكى فيقال له : لم تبكى وأنت فى الجنة ؟ قال : أبكى لأنى لم أقتل فى الله إلا قتلة واحدة ! فكنت أشتهى أن أرد فأقتل فيه قتلات .

واعلم أن المؤمن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله ماتكون الدنيا بالإضافة إليه كالسجن والمضيق ،

---

(١) حديث أبى هريرة « من مات غريبا مات شهيدا ووقى فتانى القبر » أخرجه ابن ماجه بسند ضعيف وقال فتنة القبر وقال ابن أبى الدنيا « فتان » (٢) حديث عائشة « ألا أبشرك ياجابر ... الحديث » وفيه « إن الله أحيا أباك فأقعده بين يديه . الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الموت بإسناد فيه ضعيف وللترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث جابر « ألا أبشرك بما لقى الله به أباك » قال « بلى يارسول الله ... الحديث » وفيه فقال « ياعبدى تمن على أعطك قال يارب تحيينى فأقتل فيك ثانية قال الرب سبحانه إنه سبق منى أنهم لايرجعون » .

ويكون مثاله كالمحبوس فى بيت مظلم فتح له باب إلى بستان واسع الأكناف لا يبلغ طرفه أقصاه فيه أنواع الأشجار والأزهار والثمار والطيور فلا يشتهى العود إلى السجن المظلم وقد ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا فقال لرجل مات « أصبح هذا مرتحلا عن الدنيا وتركها لأهلها فإن كان قد رضى فلا يسره أن يرجع إلى الدنيا كما لا يسر أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه [1] » فعرفك بهذا أن نسبة سعة الآخرة إلى الدنيا كنسبة سعة الدنيا إلى ظلمة الرحم . وقال صلى الله عليه وسلم « إن مثل المؤمن فى الدنيا كمثل الجنين فى بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى إذا رأى الضوء ووضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه [2] » وكذلك المؤمن يجزع من الموت فإذا أفضى إلى ربه لم يحب أن يرجع إلى الدنيا كما لا يحب الجنين أن يرجع إلى بطن أمه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فلانا قد مات فقال مستريح أو مستراح منه [3] » أشار بالمستريح إلى المؤمن وبالمستراح منه إلى الفاجر إذ يستريح أهل الدنيا منه . وقال أبو عمر صاحب السقيا : مر بنا ابن عمر ونحن صبيان فنظر إلى قبر فإذا جمجمة بادية فأمر رجلا فواراها ثم قال : إن هذه الأبدان ليس يضرها هذا الثرى شيئا وإنما الأرواح التى تعاقب وتثاب إلى يوم القيامة . وعن عمرو بن دينار قال : مامن ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون فى أهله بعده وإنهم ليغسلونه ويكفنونه وإنه لينظر إليهم . وقال مالك بن أنس : بلغنى أن أرواح المؤمنين مرسلة تذهب حيث شاءت . وقال النعمان ابن بشير : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول « ألا إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الذباب يمور فى جوها فالله الله فى إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم [4] » وقال أبو هريرة : قال النبى صلى الله عليه وسلم « لا تفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور [5] » ولذلك قال أبو الدرداء : اللهم إنى أعوذ بك أن أعمل عملا أخزى به عند عبدالله بن رواحة ـ وكان قد مات وهو خاله ـ وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص عن أرواح المؤمنين إذا ماتوا أين هى ؟ قال : فى حواصل طير بيض فى ظل العرش ، وأرواح الكافرين فى الأرض السابعة . وقال أبو سعيد الخدرى : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه فى قبره [6] » وقال صالح المرى بلغنى أن الأرواح تتلاقى عند الموت فتقول أرواح الموتى للروح التى تخرج إليهم : كيف كان مأواك وفى أى الجسدين كنت فى طيب أو خبيث ؟ وقال عبيد بن عمير : أهل القبور يترقبون الأخبار ، فإذا أتاهم الميت قالوا : ما فعل فلان ؟ فيقول : ألم يأتكم . . . أو

---

(١) حديث : قال لرجل مات « أصبح هذا قد خلا من الدنيا وتركها لأهلها فإن كان قد رضى فلا يسره أن يرجع الى الدنيا كما لا يسر أحدكم أن يرجع الى بطن أمه » أخرجه ابن أبى الدنيا من حديث عمرو بن دينار مرسلا ورجاله ثقات .

(٢) حديث « إن مثل المؤمن فى الدنيا كمثل الجنين فى بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى إذا رأى الضوء ووضع لم يحب أن يرجع الى مكانه » أخرجه ابن أبى الدنيا فيه من رواية بقية عن جابر بن غانم السلمى عن سليم بن عامر الجنائزى مرسلا هكذا

(٣) حديث : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانا قد مات فقال « مستريح أو مستراح منه » متفق عليه من حديث أبى قتادة بلفظ : مر عليه بجنازة فقال ذلك وهو عند ابن أبى الدنيا فى الموت باللفظ الذى أورده المصنف

(٤) حديث النعمان بن بشير : ألا إنه لم يبق من الدنيا الا مثل الذباب يمور فى جوفها فالله الله فى إخوانكم من أهل القبور ، فإن أعمالكم تعرض عليهم » أخرجه ابن أبى الدنيا أبو بكر بن لال من رواية مالك بن أدى عن النعمان من قوله « الله الله » ورواه بكمله الأزدى فى الضعفاء وقال لا يصح إسناده وذكره ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل بكماله فى ترجمة أبى اسماعيل السكونى رواية عن مالك بن أدى ونقل عن أبيه أن كلا منهما مجهول ، قال الأزدى لا يصح اسناده وذكر ابن حبان فى الثقات مالك بن أدى

(٥) حديث أبى هريرة « لا تفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور » أخرجه ابن أبى الدنيا والمحاملى بإسناد ضعيف ولأحمد من رواية من سمع أنسا عن أنس « إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات ... الحديث »

(٦) حديث أبى سعيد الخدرى « إن الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه فى قبره » رواه أحمد من رواية رجل عنه اسمه معاوية أو ابن معاوية نسيه عبدالملك بن حسن .

ما قدم عليكم ؟ فيقولون ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ سلك به غير سبيلنا . وعن جعفر بن سعيد قال : إذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب . وقال مجاهد : إن الرجل ليبشر بصلاح ولده فى قبره . وروى أبو أيوب الأنصارى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير فى الدنيا يقولون انظروا أخاكم حتى يستريح ، فإنه كان فى كرب شديد فيسألونه : ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة ؟ وهل تزوجت فلانة فإذا سألوه عن رجل مات قبله وقال : مات قبلى قالوا ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ ذهب به إلى أمه الهاوية [1] » .

بيان كلام القبر للميت

وكلام الموتى إما بلسان المقال أو بلسان الحال ، التى هى أفصح فى تفهيم الموتى من لسان المقال فى تفهيم الأحياء . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بى ! ألم تعلم أنى بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بى إذ كنت تمر بى فذاذا ؟ فإن كان مصلحا أجاب عنه مجيب القبر فيقول أرأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر : إنى إذا أتحول عليه خضرا ويعود جسده نورا وتصعد روحه إلى الله تعالى [2] والفذاذ هو الذى يقدم رجلا ويؤخر أخرى هكذا فسره الراوى . وقال عبيد بن عمير الليثى : ليس من ميت يموت إلا نادته حفرته التى يدفن فيها : أنا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فإن كنت فى حياتك لله مطيعا كنت عليك اليوم رحمة ، وإن كنت عاصيا فأنا اليوم عليك نقمة ، أنا الذى من دخلنى مطيعا خرج مسرورا ، ومن دخلنى عاصيا خرج مثبورا . وقال محمد بن صبيح : بلغنا أن الرجل إذا وضع فى قبره مذب أو أصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى : أيها المتخلف فى الدنيا بعد إخوانه وجيرانه أما كان لك فينا معتبر أما كان لك فى متقدمنا إياك فكرة ، أما رأيت انقطاع أعمالنا عنا وأنت فى المهلة فهلا استدركت ما فات إخوانك ؟ وتناديه بقاع الأرض : أيها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من أعلك فى بطن الأرض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به أجله إلى القبور وأنت تراه محمولا تهاداه أحبته إلى المنزل الذى لا بد له منه ؟ وقال يزيد الرقاشى : بلغنى أن الميت إذا وضع فى قبره احتوشته أعماله ثم أنطقها الله فقالت : أيها العبد المنفرد فى حفرته انقطع عنك الأخلاء والأهلون فلا أنيس لك اليوم عندنا . وقال كعب : إذا وضع العبد الصالح فى القبر احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة ، قال : فتجىء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة إليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد أطال بى القيام لله عليهما فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام : لا سبيل لكم عليه فقد أطال ظمأه لله فى دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد : إليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله فلا سبيل لكم عليه . قال : فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة : كفوا عن صاحبى فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت فى يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه . قال فيقال له : هنيئا طبت حيا وطبت ميتا . قال : وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له فى قبره مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة

---

(١) حديث أبى أيوب « ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير يقولون انظروا أخاكم حتى يستريح » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت والطبرانى فى مسند الشاميين بإسناد ضعيف ، ورواه ابن المبارك فى الزهد موقوفا على أبى أيوب بإسناد جيد ، ورفعه ابن صاعد فى زوائده على الزهد وفيه سلام الطويل ضعيف وهو عند النسائى وابن حبان نحوه من حديث أبى هريرة بإسناد جيد (٣) حديث « يقول القبر للميت حين يوضع فيه : ويحك يا ابن آدم ما غرك بى ألم تعلم أنى بيت الفتنة . . . الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور والطبرانى فى مسند الشاميين وأبو أحمد الحاكم فى الكنى من حديث أبى الحجاج الثمالى بإسناد ضعيف .

فيستضيء بنوره إلى يوم يبعثه الله من قبره . وقال عبد الله بن عبيد بن عمير فى جنازة : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شيء إلا قبره ويقول ويحك ابن آدم أليس قد حذرتنى وحذرت ضيقى وظلمتى وهولى ودودى فماذا أعددت لى » [1] .

بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير

قال البراء بن عازب : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا رأسه ثم قال « اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر » ثلاثا ثم قال « إن المؤمن إذا كان فى قبل من الآخرة بعث الله ملائكة كأن وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره ، فإذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك فى السماء وفتحت أبواب السماء فليس منها باب إلا يحب أن يدخل بروحه منه ، فإذا صعد بروحه قيل أى رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فأروه ما أعددت له من الكرامة فإنى وعدته ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك وما نبيك ؟ فيقول ربى الله ودينى الإسلام ونبى محمد » صلى الله عليه وسلم قال « فينتهرانه انتهارا شديدا وهى آخر فرصة تعرض على الميت ، فإذا قال ذلك نادى مناد أن قد صدقت وهى معنى قوله تعالى ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ﴾ ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول : أبشر برحمة ربك وجنات فيها نعيم مقيم ، فيقول : وأنت فبشرك الله بخير من أنت ؟ فيقول : أنا عملك الصالح والله ماعلمت أن كنت لسريعا إلى طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا » قال « ثم ينادى مناد أن افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة فيفرش له من فرش الجنة ويفتح له باب إلى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى » قال « وأما الكافر فإنه إذا كان فى قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت إليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فإذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك فى السماء وغلقت أبواب السماء فليس منها باب إلا يكره أن يدخل بروحه منه ، فإذا صعد بروحه نبذ وقيل أى رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا أرض فيقول الله عز وجل ارجعوه فأروه ما أعددت له من الشر إنى وعدته ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ وأنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال له ياهذا من ربك ومن نبيك ومادينك ؟ فيقول : لاأدرى فيقال : لا دريت » ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول : أبشر بسخط من الله وبعذاب أليم مقيم فيقول : بشرك الله شرا من أنت ؟ فيقول : أنا عملك الخبيث ، والله إن كنت لسريعا فى معصية الله بطيئا عن طاعة الله فجزاك الله شرا فيقول وأنت فجزاك الله شرا ، ثم يقيض له أعمى أصم أبكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على أن يقلوها لم يستطيعوا ، لو ضرب بها جبل صار ترابا ، فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ، ثم تعود فيه الروح فيضربه بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الأرضين ، ليس الثقلين » قال « ثم ينادى مناد أن افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا إلى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب إلى النار [2] » وقال محمد بن على مامن ميت يموت إلا مثل له

---

(١) حديث عبد الله بن عبيد بن عمير : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه إلا قبره يقول ويحك يا ابن آدم الحديث ... » أخرجه ابن أبى الدنيا فى القبور هكذا مرسلا ورجاله ثقات ورواه ابن المبارك فى الزهد إلا أنه قال بلغنى ولم يرفعه . (٢) حديث البراء : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا رأسه ثم قال « اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر .. الحديث » بطوله =

عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة قال فيشخص إلى حسناته ويطرق عن سيئاته . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال : أيتها النفس المطمئنة اخرجي راضية ومرضيا عنك إلى روح الله وكرامته فإذا أخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث بها إلى عليين . وإن الكافر إذا احتضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه انتزاعا شديدا ويقال : أيتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة ومسخوط عليك إلى هوان الله وعذابه فإذا أخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة وأن لها نشيشا ويطوى عليها المسح ويذهب بها إلى سجين [1] » وعن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقرأ قوله تعالى ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت ﴾ قال أي شيء تريد في أي شيء ترغب أتريد أن ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبني البنيان وتشق الأنهار ؟ قال : لا ، لعلي أعمل صالحا فيما تركت ، قال : فيقول الجبار ﴿ كلا إنها كلمة هو قائلها ﴾ أي ليقولنها عند الموت . وقال أبو هريرة : قال النبي صلى الله عليه وسلم « المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر ، هل تدرون فيماذا أنزلت ﴿ فإن له معيشة ضنكا ﴾ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال « عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين ، تسعة وتسعون حية لكل حية تسعة رءوس يخدشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه إلى يوم يبعثون [2] » ولا ينبغي أن يتعجب من هذا العدد على الخصوص ، فإن أعداد هذه الحيات والعقارب بعدد الأخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات ، فإن لها أصولا معدودة ، ثم تتشعب منها فروع معدودة ، ثم تنقسم فروعها إلى أقسام . وتلك الصفات بأعيانها هي المهلكات وهي بأعيانها تنقلب عقارب وحيات ، فالقوي منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقرب ، وما بينهما يؤذي إيذاء الحية . وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها إلا أن مقدار عددها لا يوقف عليه إلا بنور النبوة . فأمثال هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية ولكنها عند أرباب البصائر واضحة ، فمن لم تنكشف له حقائقها فلا ينبغي أن ينكر ظواهرها ، بل أقل درجات الإيمان التصديق والتسليم .

فإن قلت : فنحن نشاهد الكافر في قبره مدة ونراقبه ولا نشاهد شيئا من ذلك فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة ؟ فاعلم أن لك ثلاث مقامات في التصديق بأمثال هذا

(أحدها) وهو الأظهر والأصح والأسلم أن تصدق بأنها موجودة وهي تلدغ الميت ولكنك لا تشاهد ذلك ، فإن هذه العين لا تصلح لمشاهدة الأمور الملكوتية ، وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت . أما ترى الصحابة رضي الله عنهم كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وما كانوا يشاهدونه ويؤمنون بأنه عليه السلام يشاهده ، فإن كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح أصل الإيمان بالملائكة والوحي أهم عليك ، وإن كنت آمنت به وجوزت أن يشاهد النبي ما لا تشاهده الأمة فكيف لا تجوز هذا في الميت ؟ وكما أن الملك لا يشبه الآدميين والحيوانات فالحيات والعقارب التي تلدغ في القبر ليست من جنس حيات عالمنا بل هي جنس آخر وتدرك بحاسة أخرى .

= أخرجه أبو داود والحاكم بكماله وقال صحيح على شرط الشيخين وضعفه ابن حبان ورواه النسائي وابن ماجه مختصرا .

(١) حديث أبي هريرة « إن المؤمن اذا حضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان .. الحديث » أخرجه ابن أبي الدنيا وابن حبان مع اختلاف والبزار بلفظ المصنف . (٢) حديث أبي هريرة « المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ... الحديث » ورواه ابن حبان .

(المقام الثانى) أن تتذكر أمر النائم وأنه قد يرى فى نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك حتى تراه يصيح فى نومه ويعرق جبينه وقد ينزعج من مكانه ، كل ذلك يدركه من نفسه ويتأذى به كما يتأذى اليقظان . وهو يشاهده وأنت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حواليه حية ، والحية موجودة فى حقه والعذاب حاصل ولكنه فى حقك غير مشاهد . وإذا كان العذاب فى ألم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل أو تشاهد .

(المقام الثالث) أنك تعلم أن الحية بنفسها لا تؤلم بل الذى يلقاك منها وهو السم ، ثم السم ليس هو الألم بل عذابك فى الأثر الذى يحصل فيك من السم ، فلو حصل مثل ذلك الأثر من غير سم لكان العذاب قد توفر وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلا بأن يضاف إلى السبب الذى يفضى إليه فى العادة ، فإنه لو خلق فى الإنسان لذة الوقاع مثلا من غير مباشرة صورة الوقاع لم يمكن تعريفها إلا بالإضافة إليه لتكون الإضافة للتعريف بالسبب وتكون ثمرة السبب حاصلة وإن لم تحصل صورة السبب ، والسبب يراد لثمرته لا لذاته .

وهذه الصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات فى النفس عند الموت فتكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير وجود حيات . وانقلاب الصفة مؤذية يضاهى انقلاب العشق مؤذيا عند موت المعشوق ، فإنه كان لذيذا فطرأت حالة صار اللذيذ بنفسه مؤلما ، حتى يرد بالقلب من أنواع العذاب ما يتمنى معه أن لم يكن قد تنعم بالعشق والوصال . بل هذا بعينه هو أحد أنواع عذاب الميت فإنه قد سلط العشق فى الدنيا على نفسه فصار يعشق ماله وعقاره وجاهه وولده وأقاربه ومعارفه ، ولو أخذ جميع ذلك فى حياته من لا يرجو استرجاعه منه فماذا ترى يكون حاله ؟ أليس يعظم شقاؤه ويشتد عذابه ويتمنى ويقول ليته لم يكن لى مال قط ولا جاه قط فكنت لا أتأذى بفراقه ؟ فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيوية كلها دفعة واحدة :

ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد

فما حال من لا يفرح إلا بالدنيا فتؤخذ منه الدنيا وتسلم إلى أعدائه ؟ ثم ينضاف إلى هذا العذاب تحسره على ما فاته من نعيم الآخرة والحجاب عن الله عز وجل فإن حب غير الله يحجبه عن لقاء الله والتنعم به ، فيتوالى عليه ألم فراق جميع محبوباته وحسرته ما فاته من نعيم الآخرة أبد الآباد وذل الرد والحجاب عن الله تعالى ، وذلك هو العذاب الذى يعذب به إذ لا يتبع نار الفراق إلا نار جهنم كما قال تعالى ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم ﴾ وأما من لم يأنس بالدنيا ولم يحب إلا الله وكان مشتاقا إلى لقاء الله فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها وقدم على محبوبه وانقطعت عنه العوائق والصوارف وتوفر عليه النعيم مع الأمن من الزوال أبد الآباد ولمثل ذلك فليعمل العاملون .

والمقصود أن الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خير بين أن يؤخذ منه وبين أن تلدغه عقرب آثر الصبر على لدغ العقرب . فإذن ألم فراق الفرس عنده أعظم من العقرب ، وحبه الفرس هو الذى يلدغه إذا أخذ منه فرسه . فليستعد لهذه اللدغات ؛ فإن الموت يأخذ منه فرسه ومركبه وداره وعقاره وأهله وولده وأحبابه ومعارفه ، ويأخذ منه جاهه وقبوله ، بل يأخذ منه سمعه وبصره وأعضاءه ، ويأس من رجوع جميع ذلك إليه . فإذا لم يحب سواه وقد أخذ جميع ذلك منه فذلك أعظم عليه من العقارب والحيات ، وكما لو أخذ ذلك منه وهو حى فيعظم عقابه فكذلك إذا مات ، لأنا قد بينا أن المعنى الذى هو المدرك للآلام واللذات لم يمت بل عذابه بعد الموت أشد . لأنه فى الحياة يتسلى بأسباب يشغل بها حواسه من مجالسة ومحادثة ويتسلى برجاء العود إليه ويتسلى برجاء العوض منه ولا سلوة

بعد الموت ، إذقد انسدّ عليه طرق التسلى وحصل اليأس . فإذن كل قيص له ومنديل قد أحبه بحيث كان يشق عليه لو أخذ منه فإنه يبقى متأسفا عليه ومعذبا به ، فإن كان مخفا فى الدنيا سلم وهو المعنى بقولهم : نجا المخفون ، وإن كان مثقلا عظم عذابه . وكما أن حال من يسرق منه دينار أخف من حال من يسرق منه عشرة دنانير فكذلك حال صاحب الدرهم أخف من حال صاحب الدرهمين وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم « صاحب الدرهم أخف حسابا من صاحب الدرهمين [1] » وما من شىء من الدنيا يتخلف عنك عند الموت إلا وهو حسرة عليك بعد الموت ، فإن شئت فاستكثر وإن شئت فاستقل ، فإن استكثرت فلست بمستكثر إلا من الحسرة ، وإن استقللت فلست تخفف إلا عن ظهرك .

وإنما تكثر الحيات والعقارب فى قبور الأغنياء الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وفرحوا بها واطمأنوا إليها . فهذه مقامات الإيمان فى حيات القبر وعقاربه وفى سائر أنواع عذابه .

رأى أبو سعيد الخدرى ابنا له قد مات فى المنام فقال له : يا بنى عظنى ، قال : لا تخالف الله تعالى فيما يريد ، قال : يا بنى زدنى ، قال : يا أبت لا تطيق ! قال : قل ، قال : لا تجعل بينك وبين الله قميصا . فما لبس قميصا ثلاثين سنة .

فإن قلت : فما الصحيح من هذه المقامات الثلاث ؟ فاعلم أن فى الناس من لم يثبت إلا الأول وأنكر ما بعده . ومنهم من أنكر الأول وأثبت الثانى . ومنهم من لم يثبت إلا الثالث . وإنما الحق الذى انكشف لنا بطريق الاستبصار أن كل ذلك فى حيز الإمكان . وأن من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله سبحانه وعجائب تدبيره ، فينكر من أفعال الله تعالى مالم يأنس به ويألفه وذلك جهل وقصور . بل هذه الطرق الثلاثة فى التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب . ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الأنواع ، ورب عبد تجمع عليه هذه الأنواع الثلاثة ، نعوذ بالله من عذاب الله قليله وكثيره .

هذا هو الحق فصدّق به تقليدا فيعز على بسيط الأرض من يعرف ذلك تحقيقا ، والذى أوصيك به أن لا تكثر نظرك فى تفصيل ذلك ولا تشتغل بمعرفته ، بل اشتغل بالتدبير فى دفع العذاب كيفما كان . فإن أهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك ، كنت كمن أخذه سلطان وحبسه ليقطع يده ويجدع أنفه ، فأخذ طول الليل يتفكر فى أنه هل يقطعه بسكين أو بسيف أو بموسى ؟ وأهمل طريق الحيلة فى دفع أصل العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل ، فقد علم على القطع أن العبد لا يخلو بعد الموت من عذاب عظيم أو نعيم مقيم فينبغى أن يكون الاستعداد له . فأما البحث عن تفصيل العقاب والثواب ففضول وتضييع زمان .

بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر وبقية القول فى عذاب القبر

قال أبو هريرة : قال النبى صلى الله عليه وسلم « إذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير ، فيقولان له ما كنت تقول فى النبى ، فإن كان مؤمنا قال هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فيقولان إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك . ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين ذراعا وينوّر له فى قبره . ثم يقال له نم فيقول دعونى أرجع إلى أهلى فأخبرهم ، فيقال له نم فينام كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وإن كان منافقا قال لا أدرى

(١) حديث « صاحب الدرهم أخف حسابا من صاحب الدرهمين » لم أجد له أصلا .

كنت أسمع الناس يقولون شيئا وكنت أقوله ، فيقولان إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك ثم يقال للأرض التئمى عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك [1] » وعن عطاء بن يسار قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه « ياعمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة أذرع فى ذراع وشبر ، ثم رجعوا إليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ، ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ، ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك ، فإذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يجران أشعارهما ويبحثان القبر بأنيابهما فتلتلاك وترتراك ، كيف بك عند ذلك ياعمر ؟ » فقال عمر : ويكون معى مثل عقلى الآن ؟ قال « نعم » قال « إذن أكفيكهما [2] » وهذا نص صريح فى أن العقل لايتغير بالموت إنما يتغير البدن والأعضاء . فيكون الميت عاقلا مدركا عالما بالآلام واللذات كما كان ، لايتغير من عقله شىء . وليس العقل المدرك هذه الأعضاء بل هو شىء باطن ليس له طول ولا عرض بل الذى لاينقسم فى نفسه هو المدرك للأشياء . ولو تناثرت أعضاء الإنسان كلها ولم يبق إلا الجزء المدرك الذى لايتجزأ ولا ينقسم لكان الإنسان العاقل بكماله قائما باقيا وهو كذلك بعد الموت ، فإن ذلك الجزء لايحله الموت ولا يطرأ عليه العدم وقال محمد بن المنكدر : بلغنى أن الكافر يسلط عليه فى قبره دابة عمياء صماء فى يدها سوط من حديد فى رأسه مثل غرب الجمل تضربه به إلى يوم القيامة ، لاتراه فتتقيه ولاتسمع صوته فترحمه . وقال أبو هريرة : إذا وضع الميت فى قبره جاءت أعماله الصالحة فاحتوشته ، فإن أتاه من قبل رأسه جاء قراءته القرآن . وإن أتاه من قبل رجليه جاء قيامه ، وإن أتاه من قبل يده قالت اليدان : والله لقد كان يبسطنى للصدقة والدعاء لاسبيل لكم عليه ، وإن جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه ، وكذلك تقف الصلاة والصبر ناحية فيقول أما إنى لو رأيت خللا لكنت أنا صاحبه . قال سفيان : تجاحش عنه أعماله الصالحة كما يجاحش الرجل عن أخيه وأهله وولده ، ثم يقال له عند ذلك : بارك الله لك فى مضجعك فنعم الأخلاء أخلاؤك ونعم الأصحاب أصحابك . وعن حذيفة قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة فجلس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال « يضغط المؤمن فى هذا ضغطة ترد منه حمائله [3] » وقالت عائشة رضى الله عنها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن للقبر ضغطة ولو سلم أونجا منها أحد لنجا سعد بن معاذ [4] » وعن أنس قال : توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة مسقامة ، فتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءنا حاله ، فلما انتهينا إلى القبر فدخله انتقع وجهه صفرة ، فلما خرج أسفر وجهه ، فقلنا : يارسول الله رأينا منك شأنا فما ذلك ؟ قال « ذكرت ضغطة ابنتى وشدة عذاب القبر ، فأتيت فأخبرت أن الله قد خفف عنها وقد ضغطت ضغطة سمع صوتها مابين الخافقين [5] » .

---

(١) حديث أبى هريرة « اذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير ... الحديث » أخرجه الترمذى وحسنه وابن حبان مع اختلاف . (٢) حديث عطاء بن يسار ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر ابن الخطاب « ياعمر كيف بك اذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة أذرع فى ذراع وشبر ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور هكذا مرسلا ورجاله ثقات قال البيهقى فى الاعتقاد . رويناه من وجه صحيح عن عطاء بن يسار مرسلا قلت : ووصله ابن بطة فى الإبانة من حديث ابن عباس ، ورواه البيهقى فى الاعتقاد من حديث عمر وقال غريب بهذا الإسناد تفرد به مفضل ولأحمد وابن حبان من حديث عبدالله بن عمر ؛ فقال عمر : أيرد الينا عقولنا ؟ فقال « نعم كهيئتكم اليوم » فقال عمر : بفيه الحجر . (٣) حديث حذيفة : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة فجلس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه ... الحديث رواه أحمد بسند ضعيف . (٤) حديث عائشة « ان للقبر ضغطة لو سلم أو نجا منها أحد لنجا سعد بن معاذ » رواه أحمد بإسناد جيد

(٥) حديث أنس : توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة مسقامة ... الحديث » وفيه « لقد ضغطت ضغطة سمع صوتها مابين الخافقين » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الموت من رواية سليمان الأعمش عن أنس ولم يسمع منه .

الباب الثامن : فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة فى المنام

اعلم أن أنوار البصائر ـ المستفادة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن مناهج الاعتبار ـ تعرفنا أحوال الموتى على الجملة وانقسامهم إلى سعداء وأشقياء . ولكن حال زيد وعمرو بعينه فلا ينكشف أصلا ، فإنا إن عولنا على إيمان زيد وعمرو فلا ندرى على ماذا مات وكيف ختم له ؟ وإن عولنا على صلاحه الظاهر فالتقوى محله القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره ؟ فلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن قال الله تعالى ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو إلا بمشاهدته ومشاهدة مايجرى عليه ، وإذا مات فقد تحول من عالم الملك والشهادة إلى عالم الغيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة ، وإنما يرى بعين أخرى خلقت تلك العين فى قلب كل إنسان ، ولكن الإنسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته وأشغاله الدنيوية فصار لايبصر بها ، ولا يتصور أن يبصر بها شيئا من عالم الملكوت مالم تنقشع تلك الغشاوة عن عين قلبه .

ولما كانت الغشاوة منقشعة عن أعين الأنبياء عليهم السلام فلا جرم نظروا إلى الملكوت وشاهدوا عجائبه ، والموتى فى عالم الملكوت فشاهدوهم وأخبروا . ولذلك رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضغطة القبر فى حق سعد ابن معاذ وفى حق زينب ابنته [1] وكذلك حال أبى جابر لما استشهد إذ أخبره أن الله أقعده بين يديه ليس بينهما ستر . ومثل هذه المشاهدة لامطمع فيها لغير الأنبياء والأولياء الذين تقرب درجتهم منهم .

إنما الممكن من أمثالنا مشاهدة أخرى ضعيفة إلا أنها أيضا مشاهدة نبوية وأعنى بها المشاهدة فى المنام وهى من أنوار النبوة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة [2] » وهو أيضا انكشاف لا يحصل إلا بانقشاع الغشاوة عن القلب ، فلذلك لا يوثق إلا برؤيا الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه لم تصدق رؤياه ، ومن كثر فساده ومعاصيه أظلم قلبه فكان مايراه أضغاث أحلام ، ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهارة عند النوم لينام طاهرا [3] وهو إشارة إلى طهارة الباطن أيضا فهو الأصل وطهارة الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة لها . ومهما صفا الباطن انكشف فى حدقة القلب ما سيكون فى المستقبل ، كما انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فى النوم حتى نزل قوله تعالى ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ـ [4] وقلما يخلو الإنسان عن منامات دلت على أمور فوجدها صحيحة ، والرؤيا ومعرفة الغيب فى النوم من عجائب صنع الله تعالى وبدائع فطرة الآدمى وهو من أوضح الأدلة على عالم الملكوت ، والخلق غافلون عنه كغفلتهم عن سائر عجائب القلب وعجائب العالم والقول فى حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره علاوة على علم المعاملة .

ولكن القدر الذى يمكن ذكره ههنا مثال يفهمك المقصود ، وهو أن تعلم أن القلب مثاله مثال مرآة تتراءى فيها الصور وحقائق الأمور ، وأن كل ماقدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم إلى آخره مسطور ومثبت فى خلق خلقه الله تعالى يعبر عنه تارة باللوح ، وتارة بالكتاب المبين ، وتارة بإمام مبين ؛ كما ورد فى القرآن : فجميع

---

(١) حديث : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضغطة القبر فى حق سعد بن معاذ وفى حق زينب ابنته وكذلك حال أبى جابر لما استشهد تقدمت الثلاثة أحاديث فى الباب الذى قبله . (٢) حديث « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة » تقدم . (٣) حديث : أمره بالطهارة عند النوم . متفق عليه من حديث البراء « إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ... الحديث » . (٤) حديث : انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم . أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره من رواية مجاهد مرسلا .

ماجرى فى العالم وما سيجرى مكتوب فيه ومنقوش عليه نقشا لا يشاهد بهذه العين . ولا تظنن أنّ ذلك اللوح من خشب أو حديد أو عظم ، وأنّ الكتاب من كاغد أو رق ، بل ينبغى أن تفهم قطعا أن لوح الله لا يشبه لوح الخلق ، وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق ، كما أنّ ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم . بل إن كنت تطلب له مثالا يقرّبه إلى فهمك فاعلم أنّ ثبوت المقادير فى اللوح يضاهى ثبوت كلمات القرآن وحروفه فى دماغ حافظ القرآن وقلبه ، فإنه مسطور فيه حتى كأنه حين يقرؤه ينظر إليه ، ولو فتشت دماغه جزءا جزءا لم تشاهد من ذلك الخط حرفا ، وإن كان ليس هناك خط يشاهد ولا حرف ينظر فمن هذا النمط ينبغى أن تفهم كون اللوح منقوشا بجميع ما قدّره الله تعالى وقضاه . واللوح فى المثال كمرآة ظهر فيها الصور ، فلو وضع فى مقابلة المرآة مرآة أخرى لكانت صورة تلك المرآة تتراءى فى هذه إلا أن يكون بينهما حجاب فالقلب مرآة تقبل رسوم العلم ، واللوح مرآة رسوم العلم كلها موجودة فيها ، واشتغال القلب بشهواته ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذى هو من عالم الملكوت ، فإن هبت ريح حركت هذا الحجاب ورفعته تلألأ فى مرآة القلب شىء من عالم الملكوت كالبرق الخاطف ، وقد يثبت ويدوم ، وقد لا يدوم وهو الغالب . وما دام متيقظا فهو مشغول بما تورده الحواس عليه من عالم الملك والشهادة ، وهو حجاب عن عالم الملكوت .

ومعنى النوم أن تركد الحواس عليه فلا تورده على القلب ، فإذا تخلص منه ومن الخيال وكان صافيا فى جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ ، فوقع فى قلبه شىء مما فى اللوح كما تقع الصورة من مرآة فى مرآة أخرى إذا ارتفع الحجاب بينهما ، إلا أنّ النوم مانع سائر الحواس عن العمل وليس مانعا للخيال عن عمله وعن تحركه ، فما يقع فى القلب يبتدره الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه ، وتكون المتخيلات أثبت فى الحفظ من غيرها فيبقى الخيال فى الحفظ ، فإذا انتبه لم يتذكر إلا الخيال ، فيحتاج المعبر أن ينظر إلى هذا الخيال حكاية أى معنى من المعانى فيرجع إلى المعانى بالمناسبة التى بين المتخيل والمعانى . وأمثلة ذلك ظاهرة عند من نظر فى علم التعبير . ويكفيك مثال واحد وهو أنّ رجلا قال لابن سيرين : رأيت كأنّ بيدى خاتما أختم به أفواه الرجال وفروج النساء . فقال : أنت مؤذن تؤذن قبل الصبح فى رمضان ، قال : صدقت ! فانظر أنّ روح الختم هو المنع ولأجله يراد الختم . وإنما ينكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه ، وهو كونه مانعا للناس من الأكل والشرب ، ولكن الخيال ألف المنع عند الختم بالخاتم فتمثله بالصورة الخيالية التى تتضمن روح المعنى ولا يبقى فى الحفظ إلا الصورة الخيالية .

فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرؤيا الذى لا تنحصر عجائبه ! وكيف لا وهو أخو الموت ، وإنما الموت هو عجب من العجائب وهذا لأنه يشبهه من وجه ضعيف أثر فى كشف الغطاء عن عالم الغيب ، حتى صار النائم يعرف ما سيكون فى المستقبل فماذا ترى فى الموت الذى يخرق الحجاب ويكشف الغطاء بالكلية : حتى يرى الإنسان عند انقطاع النفس من غير تأخير نفسه إما محفوفة بالأنكال والمخازى والفضائح ـ نعوذ بالله من ذلك ـ وإما مكنوفا بنعيم مقيم وملك كبير لا آخر له ، وعند هذا يقال للأشقياء وقد انكشف الغطاء ﴿ لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾ ويقال ﴿ أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ وإليهم الإشارة بقوله تعالى ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ فأعلم العلماء وأحكم الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات ما لم يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقل هم وغم إلا الفكرة فى خطر تلك الحال أن الحجاب عماذا يرتفع وما الذى ينكشف عنه الغطاء من

شقاوة لازمة أم سعادة دائمة ؟ لكان ذلك كافيا فى استغراق جميع العمر .

والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين أيدينا ! وأعجب من ذلك فرحنا بأموالنا وأهلينا وبأسبابنا وذريتنا بل بأعضائنا وسمعنا وبصرنا ! مع أنا نعلم مفارقة جميع ذلك يقينا . ولكن أين من ينفث روح القدس فى روعه فيقول ماقال لسيد النبيين « أحبب من أحببت فإنك مفـــارقه وعش ماشئت فإنك ميت واعمل ماشئت فإنك مجزى به [1] ؟ » فلا جرم لما كان ذلك مكشوفا له بعين اليقين كان فى الدنيا كعابر سبيل لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة [2] ولم يخلف دينارا ولا درهما [3] ولم يتخذ حبيبا ولا خليلا نعم قال « لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن [4] » فبين أنّ خلة الرحمن تخللت باطن قلبه وأنّ حبه تمكن من حبة قلبه فلم يترك فيه متسعا لخليل ولا حبيب ! وقد قال لأمته ﴿ إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ﴾ فإنما أمته من اتبعه ، وما اتبعه إلا من أعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة ، فإنه ما دعا إلا إلى الله واليوم الآخر وما صرف إلا عن الدنيا والحظوظ العاجلة ، فبقدر ما أعرضت عن الدنيا وأقبلت على الآخرة فقد سلكت سبيله الذى سلكه وبقدر ما سلكت سبيله فقد اتبعته ، وبقدر ما اتبعته فقد صرت من أمته ، وبقدر ما أقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم ﴿ فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإنّ الجحيم هى المأوى ﴾ فلو خرجت من مكمن الغرور وأنصفت نفسك يارجل ـ وكلنا ذلك الرجل ـ لعلمت أنك من حين تصبح إلى حين تمسى لاتسعى إلا فى الحظوظ العاجلة ، ولا تتحرك ولا تسكن إلا لعاجل الدنيا ثم تطمع أن تكون غدا من أمته وأتباعه ! وما أبعد ظنك وما أبرد طمعك ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون ﴾ .

ولنرجع إلى ما كنا فيه وبصدده فقد امتد عنان الكلام إلى غير مقصده ، ولنذكر الآن من المنامات الكاشفة لأحوال الموتى مايعظم الانتفاع به إذ ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وليس ذلك إلا المنامات .

بيان منامات تكشف عن أحوال الموتى والأعمال النافعة فى الآخرة

فمن ذلك رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام « من رآنى فى المنام فقد رآنى حقا فإن الشيطان لا يتمثل بى [5] » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فرأيته لا ينظر إلى فقلت : يارسول الله ما شأنى ! فالتفت إلى وقال « ألست المقبل وأنت صائم ؟ » قال : والذى نفسى بيده لا أقبل امرأة وأنا صائم أبدا . وقال العباس رضى الله عنه : كنت ودا لعمر فاشتهيت أن أراه فى المنام ، فما رأيته إلا عند رأس الحول فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول : هذا أوان فراغى إن كان عرشى ليهدّ لولا أنى لقيته رءوفا رحيما . وقال الحسن بن على : قال لى على رضى الله عنه : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سنح لى الليلة فى منامى فقلت : يا رسول الله ما لقيت من أمتك ؟ قال : ادع عليهم ، فقلت : اللهم أبدلنى بهم من هو خير لى منهم وأبدلهم بى من هو شر لهم منى ! فخرج فضربه ابن ملجم . وقال بعض الشيوخ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله استغفر لى ، فأعرض عنى فقلت : يا رسول الله إن سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر

---

(١) حديث « إن روح القدس نفث فى روعى أحبب من أحببت فإنك مفارقة ... الحديث » تقدم . (٣) حديث : لم يضع لبنة على لبنة ولاقصبة على قصبة . تقدم أيضا . (٣) حديث : لم يخلف دينارا ولادرهما . تقدم أيضا . (٤) حديث « لوكنت متخذا خليلا لاتخذت أبابكر ولكن صاحبكم خليل الرحمن » تقدم أيضا . (٥) حديث « من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان لايتخيل بى » متفق عليه من حديث أبى هريرة .

عن جابر بن عبد الله : أنك لم تسأل شيئا قط فقلت : لا ، فأقبل علىفقال « غفر الله لك[1] » وروى عن العباس بن عبد المطلب قال : كنت مواخيا لأبى لهب مصاحبا له ، فلما مات وأخبر الله عنه بما أخبر حزنت عليه وأهمنى أمره فسألت الله تعالى حولا أن يرينى إياه فى المنام قال : فرأيته يلتهب نارا فسألته عن حاله فقال : صرت إلى النار فى العذاب لا يخفف عنى ولا يروح إلا ليلة الاثنين فى كل الأيام والليالى ! قلت : وكيف ذلك ؟ قال : ولد فى تلك الليلة محمد صلى الله عليه وسلم فجاءتنى أميمة فبشرتنى بولادة آمنة إياه ففرحت به وأعتقت وليدة لى فرحا به ، فأثابنى الله بذلك أن رفع عنى العذاب فى كل ليلة اثنين .

وقال عبد الواحد بن زيد : خرجت حاجا فصحبنى رجل كان لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يسكن إلا صلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، فسألته عن ذلك فقال : أخبرك عن ذلك ؛ خرجت أول مرة إلى مكة ومعى أبى ، فلما انصرفنا نمت فى بعض المنازل ؛ فبينا أنا نائم إذ أتانى آت فقال لى قم فقد أمات الله أباك وسود وجهه ! قال : فقمت مذعورا فكشفت الثوب عن وجهه فإذا هو ميت أسود الوجه ، فداخلنى من ذلك رعب ، فبينا أنا فى ذلك الغم إذ غلبتنى عينى فنمت فإذا على رأس أبى أربعة سودان معهم أعمدة حديد إذ أقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين أخضرين فقال لهم : تنحوا ، فمسح وجهه بيده ثم أتانى فقال : قم فقد بيض الله وجه أبيك ! فقلت له : من أنت بأبى أنت وأمى ؟ فقال : أنا محمد ، قال : فقمت فكشفت الثوب عن وجه أبى فإذا هو أبيض ! فما تركت الصلاة بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن عمر بن عبد العزيز قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما جالسان عنده ـ فسلمت وجلست ، فبينما أنا جالس إذ أتى بعلى ومعاوية فأدخلا بيتا وأجيف عليهما الباب وأنا أنظر ، فما كان بأسرع من أن خرج على رضى الله عنه وهو يقول : قضى لى ورب الكعبة ، وما كان بأسرع من أن خرج معاوية على أثره وهو يقول : غفر لى ورب الكعبة .

واستيقظ ابن عباس رضى الله عنهما مرة من نومه فاسترجع وقال : قتل الحسين والله ! ـ وكان ذلك قبل قتله ـ فأنكره أصحابه فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة من دم فقال : ألا تعلم ما صنعت أمتى بعدى ؟ قتلوا بنى الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرفعها إلى الله تعالى . فجاء الخبر بعد أربعة وعشرين يوما بقتله فى اليوم الذى رآه .

ورؤى الصديق رضى الله عنه فقيل له : إنك كنت تقول أبدا فى لسانك : هذا أوردنى الموارد ، فماذا فعل الله بك ؟ قال : قلت به لا إله إلا الله فأوردنى الجنة .

بيان منامات المشايخ رحمة الله عليهم أجمعين

قال بعض المشايخ : رأيت متمما الدورقى فى المنام فقلت : ياسيدى ما فعل الله بك ؟ فقال : دير بى فى الجنان فقيل لى : يامتمم هل استحسنت فيها شيئا ؟ قلت : لا ياسيدى ، فقال : لو استحسنت منها شيئا لوكلتك إليه ولم أوصلك إلى . ورؤى يوسف بن الحسين فى المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى ؛ قيل . بماذا ؟ قال : ماخلطت جدا بهزل . وعن منصور بن إسمعيل قال : رأيت عبد الله البزار فى النوم فقلت مافعل الله بك ؟ قال : أوقفنى بين يديه فغفر لى كل ذنب أقررت به إلا ذنبا واحدا فإنى استحييت أن أقر به ، فأوقفنى فى العرق حتى سقط لحم وجهى فقلت .

(١) حديث ابن عيينة عن محمد بن المنكدر عن جابر : ماسئل النبى صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا . رواه مسلم وقد تقدم .

ما كان ذلك الذنب ؟ قال : نظرت إلى غلام جميل فاستحسنته فاستحييت من الله أن أذكره . وقال أبو جعفر الصيدلانى : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم وحوله جماعة من الفقراء ، فبينما نحن كذلك إذ انشقت السماء فنزل ملكان أحدهما : بيده طشت ، وبيد الآخر : إبريق ، فوضع الطشت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسل يده ثم أمر حتى غسلوا ، ثم وضع الطشت بين يدى فقال أحدهما للآخر : لا تصب على يده فإنه ليس منهم ! فقلت : يا رسول الله أليس قد روى عنك أنك قلت « المرء مع من أحب » ؟ قال : بلى ، قلت : يارسول الله فإنى أحبك وأحب هؤلاء الفقراء ! فقال صلى الله عليه وسلم : صب على يده فإنه منهم . وقال الجنيد : رأيت فى المنام كأنى أتكلم على الناس فوقف على ملك فقال : أقرب ما تقرب به المتقربون إلى الله تعالى ماذا ؟ فقلت : عمل خفى بميزان وفى ! قولى الملك وهو يقول : كلام موفق والله . ورؤى مجمع فى النوم فقيل له : كيف رأيت الأمر ؟ فقال : رأيت الزاهدين فى الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة . وقال رجل من أهل الشام للعلاء بن زياد : رأيتك فى النوم كأنك فى الجنة ! فنزل عن مجلسه وأقبل عليه ثم قال : لعل الشيطان أراد أمرا فعصمت منه فأشخص رجلا يقتلنى ! وقال محمد بن واسع : الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره . وقال صالح بن بشير : رأيت عطاء السلمى فى النوم فقلت له : رحمك الله لقد كنت طويل الحزن فى الدنيا ، قال : أما والله لقد أعقبنى ذلك راحة طويلة وفرحا دائما ، فقلت : فى أى الدرجات أنت ؟ فقال ﴿ مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ وسئل زرارة بن أبى أوفى فى المنام : أى الأعمال أفضل عندكم ؟ فقال : الرضا وقصر الأمل . وقال يزيد بن مذعور : رأيت الأوزاعى فى المنام فقلت : يا أبا عمرو دلنى على عمل أتقرب به إلى الله تعالى ! قال : ما رأيت هناك درجة أرفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين . قال : وكان يزيد شيخا كبيرا ، فلم يزل يبكى حتى أظلمت عيناه . وقال ابن عيينة : رأيت أخى فى المنام فقلت : يا أخى مافعل الله بك ؟ فقال : كل ذنب استغفرت منه غفر لى ومالم أستغفر منه لم يغفر لى . وقال على الطلحى : رأيت فى المنام امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقلت : من أنت ؟ فقالت : حوراء ، فقلت زوجينى نفسك ، قالت : اخطبنى إلى سيدى وأمهرنى ، قلت : وما مهرك ؟ قالت : حبس نفسك عن آفاتها . وقال إبراهيم بن اسحق الحربى : رأيت زبيدة فى المنام فقلت : ما فعل الله بك ؟ قالت : غفر لى ، فقلت لها : بما أنفقت فى طريق مكة ؟ قالت : أما النفقات التى أنفقتها رجعت أجورها إلى أربابها ، وغفر لى بنيتى . ولما مات سفيان الثورى رؤى فى المنام فقيل له : مافعل بك ؟ قال : وضعت أول قدمى على الصراط والثانى فى الجنة . وقال أحمد بن أبى الحوارى : رأيت فيما يرى النائم جارية ـ ما رأيت أحسن منها وكان يتلألأ وجهها نورا ـ فقلت لها : بماذا ضوء وجهك ؟ قالت : تذكر تلك الليلة التى بكيت فيها ؟ قلت : نعم ، قالت : أخذت دمعك فمسحت به وجهى ، فمن ثم ضوء وجهى كما ترى . وقال الكتانى : رأيت الجنيد فى المنام فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : طاحت تلك الإشارات وذهبت تلك العبارات وما حصلنا إلا على ركعتين كنا نصليهما فى الليل . ورؤيت زبيدة فى المنام فقيل لها : ما فعل الله بك ؟ قالت : غفر لى بهذه الكلمات الأربع : لا إله إلا الله أفنى بها عمرى ، لا إله إلا الله أدخل بها قبرى ، لا إله إلا الله أخلو بها وحدى ، لا إله إلا الله ألقى بها ربى . ورؤى بشر فى المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : رحمنى ربى عز وجل وقال يابشر أما استحييت منى كنت تخافنى كل ذلك الخوف . ورؤى أبو سليمان فى النوم فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال رحمنى وما كان شىء أضر على من إشارات القوم إلى . وقال أبو بكر الكتانى : رأيت فى النوم شابا لم أر أحسن منه فقلت له : من أنت ؟ قال : التقوى ! قلت : فأين تسكن ؟ قال : كل قلب حزين ! ثم التفت فإذا امرأة سوداء فقلت : من أنت ؟ قالت : أنا السقم ! قلت : فأين

تسكنين ؟ قالت : كل قلب فرح مرح ! قال : فانتبهت وتعاهدت أن لا أضحك إلا غلبة . وقال أبو سعيد الخراز : رأيت فى المنام كأن إبليس وثب على ، فأخذت العصا لأضربه فلم يفزع منها ، فهتف بى هاتف : إن هذا لا يخاف من هذه ، وإنما يخاف من نور يكون فى القلب . وقال المسوحى : رأيت إبليس فى النوم يمشى عريانا فقلت : ألا تستحى من الناس ! فقال : بالله هؤلاء ناس ! لو كانوا من الناس ما كنت ألعب بهم طرفى النهار كما يتلاعب الصبيان بالكرة ! بل الناس قوم غير هؤلاء قد أسقموا جسمى ، وأشار بيده إلى أصحابنا الصوفية . وقال أبو سعيد الخراز : كنت فى دمشق فرأيت فى المنام كأن النبى صلى الله عليه وسلم جاءنى متكئا على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، فجاء فوقف على وأنا أقول شيئا من الأصوات وأدق فى صدرى ، فقال : شر هذا أكثر من خيره . وعن ابن عيينة قال : رأيت سفيان الثورى فى النوم كأنه فى الجنة يطير من شجرة إلى شجرة يقول ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ فقلت له : أوصنى ، قال : أقلل من معرفة الناس ، وروى أبو حاتم الرازى عن قبيصة بن عقبة قال : رأيت سفيان الثورى فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال :

نظرت إلى ربى كفاحا فقال لى هنيئا رضائى عنك يا ابن سعيد
فقد كنت قواما إذا أظلم الدجى بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أى قدر أردته وزرنى فإنى منك غير بعيد

ورؤى الشبلى بعد موته بثلاثة أيام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : ناقشنى حتى أيست ، فلما رأى يأسى تغمدنى برحمته . ورؤى ثوبان بن عامر بعد موته فى المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى وجعلنى حجة على المحبين . ورؤى الثورى فى المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : رحمنى ، فقيل له : ما حال عبد الله بن المبارك ؟ فقال : هو ممن يلج على ربه فى كل يوم مرتين . ورؤى بعضهم فسئل عن حاله فقال * حاسبونا فدققوا * ثم منوا فأعتقوا * رؤى مالك بن أنس فقيل : ما فعل الله بك ؟ قال غفر لى بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضى الله عنه عند رؤية الجنازة سبحان الحى الذى لا يموت . ورؤى فى الليلة التى مات فيها الحسن البصرى كأن أبواب السماء مفتحة ، وكأن مناديا ينادى ألا إن الحسن البصرى قدم على الله وهو عنه راض . ورؤى الجاحظ فقيل له ما فعل الله بك ؟ فقال .

ولا تكتب بخطك غير شىء يسرك فى القيامة أن تراه

ورأى الجنيد إبليس فى المنام عريانا فقال ألا تستحى من الناس ؟ فقال وهؤلاء ناس ! الناس أقوام فى مسجد الشونيزية قد أضنوا جسدى وأحرقوا كبدى ! قال الجنيد فلما انتبهت غدوت إلى المسجد فرأيت جماعة قد وضعوا رءوسهم على ركبهم يتفكرون ، فلما رأونى قالوا لا يغرنك حديث الخبيث . ورؤى النصراباذى بمكة - بعد وفاته - فى النوم فقيل له ما فعل الله بك ؟ قال عوتبت عتاب الأشراف ثم نودت يا أبا القاسم أبعد الاتصال انفصال ؟ فقلت لا يا ذا الجلال ، فما وضعت فى اللحد حتى لحقت بربى . ورأى عتبة الغلام حوراء فى المنام على صورة حسنة فقالت يا عتبة أنا لك عاشقة فانظر لا تعمل من الأعمال شيئا فيحال بينى وبينك ، فقال عتبة طلقت الدنيا ثلاثا لا رجعة لى عليها حتى ألقاك . وقيل رأى أيوب السختيانى جنازة عاص ، فدخل الدهليز كيلا يصلى عليها . فرأى الميت بعضهم فى المنام فقيل له ما فعل الله بك ؟ قال غفر لى وقال قل لأربابى ﴿ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا لأمسكتم خشية الإنفاق ﴾ وقال بعضهم رأيت فى الليلة التى مات فيها

داود الطائى نورا ، وملائكة نزولا وملائكة صعودا ، فقلت : أى ليلة هذه ؟ فقالوا : ليلة مات فيها داود الطائى وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه . وقال أبو سعيد الشحام : رأيت سهلا الصعلوكى فى المنام فقلت : أيها الشيخ ! قال : دع التشبيخ ، قلت : تلك الأحوال التى شاهدتها ، فقال : لم تغن عنا ! فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى بمسائل كان يسأل عنها العجز . وقال أبو بكر الرشيدى : رأيت محمدا الطوسى المعلم - فى النوم - فقال لى : قل لأبى سعيد الصفار المؤدب :

وكنا على أن لا نحول عن الهوى فقد - وحياة الحب - حلتم وما حلنا

قال : فانتبهت فذكرت ذلك له فقال : كنت أزور قبره كل جمعة فلم أزره هذه الجمعة . وقال ابن راشد : رأيت ابن المبارك فى النوم بعد موته فقلت : أليس قد مت ؟ قال : بلى ، قلت : فما صنع الله بك ؟ قال : غفر لى مغفرة أحاطت بكل ذنب ، قلت : فسفيان الثورى ؟ قال : بخ بخ ذاك ﴿ من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ﴾ الآية وقال الربيع بن سليمان : رأيت الشافعى رحمة الله عليه بعد وفاته فى المنام فقلت : يا أبا عبد الله ما صنع الله بك ؟ قال : أجلسنى على كرسى من ذهب ونثر على اللؤلؤ الرطب . ورأى رجل من أصحاب الحسن البصرى ليلة مات الحسن كأن مناديا ينادى - إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين - واصطفى الحسن البصرى على أهل زمانه . وقال أبو يعقوب القارى الدقيقى رأيت فى منامى رجلا آدم طوالا والناس يتبعونه فقلت : من هذا ؟ قالوا : أويس القرنى ، فأتيته فقلت أوصنى رحمك الله فكلح فى وجهى فقلت مسترشد فأرشدنى أرشدك الله ، فأقبل على وقال اتبع رحمة ربك عند محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه فى خلال ذلك ، ثم ولى وتركنى . وقال أبو بكر بن أبى مريم رأيت ورقاء بن بشر الحضرمى فقلت ما فعلت يا ورقاء ؟ قال البكاء من خشية الله . وقال يزيد بن نعامة هلكت جارية فى الطاعون الجارف فرآها أبوها فى المنام فقال لها يا بنية أخبرينى عن الآخرة ؟ قالت يا أبت قدمنا على أمر عظيم ، نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون ، والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان فى فسحة عمل أحب إلى من الدنيا وما فيها وقال بعض أصحاب عتبة الغلام : رأيت عتبة فى المنام فقلت ، ما صنع الله بك ؟ قال دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة فى بيتك ! قال فلما أصبحت جئت إلى بيتى فإذا خط عتبة الغلام فى حائط البيت (يا هادى المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الأحياء المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين) وقال موسى بن حماد رأيت سفيان الثورى فى الجنة يطير من نخلة إلى نخلة ومن شجرة إلى شجرة فقلت ، يا أبا عبد الله بم نلت هذا ؟ فقال بالورع ، قلت فما بال على بن عاصم ؟ قال ذاك لا يكاد يرى إلا كما يرى الكوكب . ورأى رجل من التابعين النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال يارسول الله عظنى ، قال نعم من لم يتفقد النقصان فهو فى نقصان ومن كان فى نقصان فالموت خير له . وقال الشافعى رحمة الله عليه دهمنى فى هذه الأيام أمر أمضنى وآلمنى ولم يطلع عليه غير الله عز وجل ، فلما كان البارحة أتانى آت فى منامى فقال لى يامحمد بن إدريس قل اللهم إنى لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتنى ولا أتقى إلا ما وقيتنى اللهم فوفقنى لما تحب وترضى من القول والعمل فى عافية ؛ فلما أصبحت أعدت ذلك فلما ترحل النهار أعطانى الله عز وجل طلبتى وسهل لى الخلاص مما كنت فيه ، فعليكم بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها . فهذه جملة من المكاشفات تدل على أحوال الموتى وعلى الأعمال المقربة إلى

الله زلفى ، فلنذكر بعدها مابين يدى الموتى من ابتداء نفخة الصور إلى آخر القرار إما فى الجنة أوفى النار والحمد لله حمد الشاكرين .

الشطر الثانى

من كتاب ذكر الموت فى أحوال الميت من وقت نفخة الصور إلى آخر الاستقرار فى الجنة أوفى النار وتفصيل مابين يديه من الأهوال والأخطار .

وفيه بيان نفخة الصور . وصفة أرض المحشر وأهله . وصفة طول يوم القيامة . وصفة يوم القيامة ودواهيها وأساميها . وصفة المساءلة عن الذنوب . وصفة الميزان ، وصفة الخصماء ورد المظالم ، وصفة الصراط . وصفة الشفاعة . وصفة الحوض . وصفة جهنم وأهوالها وأنكالها وحياتها وعقاربها . وصفة الجنة وأصناف نعيمها وعدد الجنان وأبوابها وغرفها وحيطانها وأنهارها وأشجارها ولباس أهلها وفرشهم وسررهم ، وصفة طعامهم وصفة الحور العين والولدان . وصفة النظر إلى وجه الله تعالى . وباب فى سعة رحمة الله تعالى وبه ختم الكتاب إن شاء الله تعالى .

صفة نفخة الصور

قد عرفت فيما سبق شدائد أهوال الميت فى سكرات الموت وخطره فى خوف العاقبة ثم مقاساته لظلمة القبر وديدانه ، ثم لمنكر ونكير وسؤالهما . ثم لعذاب القبر وخطره إن كان مغضوبا عليه . وأعظم من ذلك كله الأخطار التى بين يديه من نفخ الصور وبعث يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير ، ونصب الميزان لمعرفة المقادير ، ثم جواز الصراط مع دقته وحدته ، ثم انتظار النداء عند فصل القضاء إما بالإسعاد وإما بالإشقاء . فهذه أحوال وأهوال لابد لك من معرفتها ، ثم الإيمان بها على سبيل الجزم والتصديق ، ثم تطويل الفكر فى ذلك لينبعث من قلبك دواعى الاستعداد لها ، وأكثر الناس لم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء أفئدتهم ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها مع ما تكتنفه من المصاعب والأهوال ، بل إذا سئلوا عن اليوم الآخر نطقت به ألسنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم ، ومن أخبر بأن مابين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه ـ الذى أخبر ـ صدقت ، ثم مد يديه لتناوله ؛ كان مصدقا بلسانه ومكذبا به ـ له وتكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى شتمنى ابن آدم ومايبغى له أن يشتمنى ، وكذبنى ومايبغى له أن يكذبنى ، أما شتمه إياى فيقول إن لى ولدا وأما تكذيبه فقوله لن يعيدنى كما بدأنى [1] » وإنما فتور البواطن عن قوة اليقين والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم فى هذا العالم لأمثال تلك الأمور : ولو لم يشاهد الانسان توالد الحيوانات وقيل له : إن صانعا يصنع من النطفة القذرة مثل هذا الآدمى المصور العاقل المتكلم المتصرف لاشتد نفور باطنه عن التصديق به ، ولذلك قال الله تعالى ﴿ أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾ وقال تعالى ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ﴾ ففى خلق الآدمى ـ مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب أعضائه ـ أعاجيب تزيد على الأعاجيب فى بعثه وإعادته ، فكيف ينكر ذلك من قدرة الله تعالى وحكمته من يشاهد

(١) حديث « قال الله تعالى شتمنى ابن آدم وما ينبغى له أن يشتمنى وكذبنى وما ينبغى له أن يكذبنى ... الحديث » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة .

ذلك فى صنعته وقدرته ؟ فإن كان فى إيمانك ضعف فقو الإيمان بالنظر فى النشأة الأولى فإن الثانية مثلها وأسهل منها ، وإن كنت قوى الإيمان بها فأشعر قلبك تلك المخاوف والأخطار وأكثر فيها التفكر والاعتبار، لتسلب عن قلبك الراحة والقرار ، فتشتغل بالتشمر للعرض على الجبار ، وتفكر أولا فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفخ الصور ، فإنها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن رءوس الموتى فيثورون دفعة واحدة . فتوهم نفسك وقد وثبت متغيرا وجهك مغبرا بدنك من فرقك إلى قدمك من تراب قبرك مبهوتا من شدة الصعقة شاخص العين نحو النداء، وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التى طال فيها بلاؤهم ؛ وقد أزعجهم الفزع والرعب مضافا إلى ما كان عندهم من الهموم والغموم وشدّة الانتظار لعاقبة الأمر ، كما قال تعالى ﴿ ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ وقال تعالى ﴿ فإذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ﴾ وقال تعالى ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ فلو لم يكن بين يدى الموتى إلا هول تلك النفخة لكان ذلك جديرا بأن يتقى فإنها نفخة وصيحة يصعق بها من فى السموات والأرض - يعنى يموتون بها - إلا من شاء الله وهو بعض الملائكة . ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة وأصغى بالأذن ينتظر متى يؤمر فينفخ [1] » .

قال مقاتل : الصور هو القرن ؛ وذلك أن إسرافيل عليه السلام واضع فاه على القرن كهيئة البوق ، ودائرة رأس القرن كعرض السموات والأرض ، وهو شاخص بصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الأولى ، فإذا نفخ صعق من فى السموات والأرض أى مات كل حيوان من شدّة الفزع إلا من شاء الله ، وهو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت . ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح جبريل ، ثم روح ميكائيل ، ثم روح إسرافيل ، ثم يأمر ملك الموت فيموت . ثم يلبث الخلق بعد النفخة الأولى فى البرزخ أربعين سنة ، ثم يحيى الله تعالى إسرافيل فيأمره أن ينفخ الثانية فذلك قوله تعالى ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ على أرجلهم ينظرون إلى البعث وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم « حين بعث إلىّ بعث إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فيه وقدم رجلا وأخر أخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ ألا فاتقوا النفخة [2] » فتفكر فى الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفا من هذه الصعقة ، وانتظارا لما يقضى عليهم من سعادة أو شقاوة ، وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم . بل إن كنت فى الدنيا من المترفهين والأغنياء المتنعمين فلوك الأرض فى ذلك اليوم أذل أهل أرض الجمع وأصغرهم وأحقرهم يوطئون بالأقدام مثل الذرّة ، وعند ذلك تقبل الوحوش من البرارى والجبال منكسة رءوسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم

---

(١) حديث « كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد وقال حسن ورواه ابن ماجه بلفظ « إن صاحبى القرن بأيديهما أو فى أيديهما قرنان يلاحظان النظر متى يؤمران » وفى رواية ابن ماجه الحجاج بن أرطاة مختلف فيه . (٢) حديث « حين بعث إلى بعث إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فيه وقدم رجلا وأخر أخرى الحديث » لم أجده هكذا بل قد ورد : أن إسرافيل من حين ابتداء الخلق وهو كذلك كما رواه البخارى فى التاريخ وأبو الشيخ فى كتاب العظمة من حديث أبى هريرة « إن الله تبارك وتعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر » قال البخارى ولم يصح وفى رواية لأبى الشيخ « ما طرف صاحب الصور مذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان » وإسنادها جيد .

النشور من غير خطيئة تدنست بها ، ولكن حشرتهم شدّة الصعقة وهول النفخة ، وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى ﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾ ثم أقبلت الشياطين المردة بعد تمرّدها وعتوها وأذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله تعالى تصديقا لقوله تعالى ﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ﴾ فتفكر فى حالك وحال قلبك هنالك .

صفة أرض المحشر وأهله

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة غرلا إلى أرض المحشر ، أرض بيضاء قاع صفصف لاترى فيها عوجا ولا أمتا ، ولا ترى عليها ربوة يختفى الإنسان وراءها ، ولا وهدة ينخفض عن الأعين فيها . بل هو صعيد واحد بسيط لاتفاوت فيه يساقون إليه زمرا ، فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض إذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة ، والراجفة هى النفخة الأولى والرادفة هى النفخة الثانية ، وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة ولتلك الأبصار أن تكون خاشعة ، قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقى ليس فيها معلم لأحد [1] » .

قال الراوى : والعفرة : بياض ليس بالناصع . والنقى : هو النقى عن القشر والنخالة . ومعلم : أى لا بناء يستر ولا تفاوت يرد البصر .

ولا تظنن أن تلك الأرض مثل أرض الدنيا بل لاتساويها إلا فى الاسم قال تعالى ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ﴾ . قال ابن عباس : يزداد فيها وينقص وتذهب أشجارها وجبالها وأوديتها وما فيها وتمدّ مدّ الأديم العكاظى ، أرض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة ، والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها . فانظر يامسكين فى هول ذلك اليوم وشدّته ، فإنه إذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر ، وأظلمت الأرض لخمود سراجها . فبينا هم كذلك إذ دارت السماء من فوق رءوسهم وانشقت مع غلظها وشدّتها خمسمائة عام ، والملائكة قيام على حافاتها وأرجائها فياهول صوت انشقاقها فى سمعك ويا هيبة ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدّتها ! ثم تنهار وتسيل كالمهلة المذابة تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان ، وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن ، واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم حفاة عراة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان » قالت سودة - زوج النبى صلى الله عليه وسلم راوية الحديث - قلت يارسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض ؟ فقال « شغل الناس عن ذلك بهم ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ [2] » فأعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والالتفات . كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات إلى غيرهم ، قال أبو هريرة رضى الله عنه : : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف : ركبانا ومشاة وعلى وجوههم ، فقال رجل : يارسول الله وكيف يمشون على

(١) حديث « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقى ليس فيها معلم لأحد » متفق عليه من حديث سهل ابن سعد وفصل البخارى قوله « ليس فيها معلم لأحد » لجعلها من قول سهل أوغيره وأدرجها مسلم فيه .

(٢) حديث « يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان » قالت سودة راوية الحديث : واسوأتاه ... الحديث » أخرجه الثعلبى والبغوى وهو فى الصحيحين من حديث عائشة وهى القائلة « واسوأتاه » ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أم سلمة وهى القائلة « واسوأتاه » .

وجوههم ؟ قال « الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم [١] » فى طبع الآدمى إنكار كل مالم يأنس به ، ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهى تمشى على بطنها كالبرق الخاطف لأنكر تصور المشى على غير رجل ، والمشى بالرجل أيضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فإياك أن تنكر شيئا من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس مافى الدنيا ، فإنك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكارا لها ! فأحضر فى قلبك صورتك وأنت واقف عاريا مكشوفا ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتا منتظرا لما يجرى عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاوة وأعظم هذه الحال فإنها عظيمة .

صفة العرق

ثم تفكر فى ازدحام الخلائق واجتماعهم ، حتى ازدحم على الموقف أهل السموات السبع والأرضين السبع من ملك وجن وإنس وشيطان ووحش وسبع وطير ، فأشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها ، ثم أدنيت من رءوس العالمين كقاب قوسين ، فلم يبق على الأرض ظل إلا ظل رب العالمين . ولم يمكن من الاستظلال به إلا المقربون ، فمن بين مستظل بالعرش وبين مضح لحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها ، ثم تدافعت الخلائق ودفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الأقدام ، وانضاف إليه شدة الخجلة والحياء من الافتضاح والاختزاء عند العرض على جبار السماء ، فاجتمع وهج الشمس وحر الأنفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق من أصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة . ثم ارتفع على أبدانهم على قدر منازلهم عند الله ، فبعضهم بلغ العرق ركبتيه ، وبعضهم حقويه ، وبعضهم إلى شحمة أذنيه ، وبعضهم كاد يغيب فيه . قال ابن عمر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوم يقوم الناس لرب العالمين - حتى يغيب أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه [٢] » وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين باعا ويلجمهم ويبلغ أذقنهم [٣] » كذا رواه البخارى ومسلم فى الصحيح . وفى حديث آخر « قياما شاخصة أبصارهم أربعين سنة إلى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب [٤] » وقال عقبة بن عامر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس ، فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه - وأشار بيده فألجمها فاه - ومنهم من يغطيه العرق - وضرب بيده على رأسه هكذا [٥] » فتأمل يامسكين فى عرق أهل المحشر وشدة كربهم ، وفيهم من ينادى فيقول رب أرحنى من هذا الكرب والانتظار ولو إلى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فإنك واحد منهم ولا تدرى إلى أين يبلغ بك العرق ؟

---

(١) حديث أبى هريرة « يحشر الناس يوم القيامة ركبانا ومشاة وعلى وجوههم ... الحديث » رواه الترمذى وحسنه وفى الصحيحين من حديث أنس : أن رجلا قال : يانبى الله ، كيف يحشر الكافر على وجهه ؟ قال « أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة » . (٢) حديث ابن عمر « يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه » متفق عليه . (٣) حديث أبى هريرة « يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين ذراعا ... الحديث » أخرجاه فى الصحيحين كما ذكره المصنف . (٤) حديث « قياما شاخصة أبصارهم أربعين سنة إلى السماء يلجمهم العرق من شدة الكرب » أخرجه ابن عدى من حديث ابن مسعود وفيه أبو طيبة عيسى بن سليمان الجرجانى ضعفه ابن معين وقال ابن عدى لاأظن أنه كان يتعمد الكذب لكن لعله تشبه عليه . (٥) حديث عقبة بن عامر « تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس فمنهم من يبلغ عرقه عقبه ... الحديث » رواه أحمد وفيه ابن لهيعة .

واعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب فى سبيل الله ـ من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد فى قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة فى أمر بمعروف ونهى عن منكر ـ فسيخرجه الحياء والخوف فى صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق فى تحمل مصاعب الطاعات أهون أمرا وأقصر زمانا من عرق الكرب والانتظار فى القيامة ، فإنه يوم عظيمة شدته طويله مدته .

صفة طول يوم القيامة

يوم تقف فيه الخلائق شاخصة أبصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر فى أمورهم ، يقفون الثمانة عام لايأكلون فيه أكلة ولا يشربون فيه شربة ولا يجدون فيه روح نسيم . قال كعب وقتادة ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ قال : يقومون مقدار ثلثمائة عام . بل قال عبدالله بن عمرو ، تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قال « كيف بكم إذا جمعكم الله كما تجمع النبل فى الكنانة خمسين ألف سنة ولا ينظر إليكم [1] » وقال الحسن : ماظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لا يأكلون فيها أكلة ولا يشربون فيها شربة ، حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشا واحترقت أجوافهم جوعا انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرها واشتد لفحها ، فلما بلغ المجهود منهم مالا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضا فى طلب من يكلم على مولاه ليشفع فى حقهم ، فلم يتعلقوا بنبي إلادفعهم وقال : دعونى ! نفسى نفسى ؟ شغلى أمرى عن أمر غيرى . واعتذر كل واحد بشدة غضب الله تعالى وقال : قد غضب اليوم ربنا غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ، حتى يشفع نبينا صلى الله عليه وسلم لمن يؤذن له فيه ﴿ لايملكون الشفاعة إلامن أذن له الرحمن ورضى له قولا ﴾ فتأمل فى طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصى فى عمرك المختصر .

واعلم أن من طال انتظاره فى الدنيا للموت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات فإنه يقصر انتظاره فى ذلك الـ خاصة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال « والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها فى الدنيا [2] » فاجتهد أن تكون من أولئك المؤمنين فما دام يبقى لك نفس من عمرك فالأمر إليك والاستعداد بيديك ، فاعمل فى أيام قصار لأيام طوال تربح ربحا لامنتهى لسروره ، واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة آلاف سنة ، فإنك لو صبرت سبعة آلاف سنة مثلا لتخلص من يوم مقداره خمسون ألفا لكان ربحك كثيرا وتعبك يسيرا .

صفة يوم القيامة ودواهيه وأساميه

فاستعد يامسكين لهذا اليوم العظيم شأنه ، المديد زمانه ، القاهر سلطانه ، القريب أوانه ، يوم ترى السماء فيه قد انفطرت ، والكواكب من هوله قد انتثرت ، والنجوم الزواهر قد انكدرت ، والشمس قد كورت ، والجبال قد

---

(١) حديث ابن عمر . تلا هذه الآية (يوم يقوم الناس لرب العالمين) ثم قال « كيف بكم اذا جمعكم الله كما يجمع النبل فى الكنانة خمسين ألف سنة لاينظر اليكم » قلت : إنما هو عبد الله بن عمر ورواه الطبرانى فى الكبير وفيه عبد الرحمن بن ميسرة ولم يذكر له ابن أبى حاتم راويا غير ابن وهب ولم يغير عبدالرحمن بن ميسرة الحضرمى أربعة هذا أحدهم مصرى والثلاثة الآخرون شاميون .

(٢) حديث : سئل عن طول ذلك اليوم فقال « والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها فى الدنيا » أخرجه أبو يعلى والبيهقى فى الشعب من حديث أبى سعيد الخدرى وفيه ابن لهيعة وقد رواه ابن وهب عن عمرو بن الحارث بدل ابن لهيعة وهو حسن ولأبى يعلى من حديث أبى هريرة بإسناد جيد « يهون ذلك على المؤمن كتدلى الشمس للغروب إلى أن تغرب ورواه البيهقى فى الشعب إلى أن قال أظنه رفعه بلفظ « إن الله ليخفف على من يشاء من عباده طوله كوقت صلاة مفروضة » .

سيرت ، والعشار قد عطلت ، والوحوش قد حشرت ، والبحار قد سجرت ، والنفوس إلى الأبدان قد زوجت ، والجحيم قدسعرت ، والجنة قد أزلفت ، والجبال قد نسفت ، والأرض قد مدت ، يوم ترى الأرض قدزلزلت فيه زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم ، يوم تحمل الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ، فيومئذوقعت الواقعة وانشقتالسماء فهيبومئذ واهية ، والملك على أرجائهاويحمل عرشربك فوقهم يومئذ ثمانية ، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ، يوم تسير الجبال وترى الأرض بارزة ، يوم ترج الأرض فيه رجا وتبس الجبال بسا فكانت هباء منبثا ، يوم يكون الناس كالفراش المبثوثوتكون الجبال كالعهن المنفوش ، يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد ، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ، يوم تنسف فيه الجبال نسفا فتترك قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا أمتا ، يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مرالسحاب ، يوم تنشق فيه السماء فتكون وردة كالدهان ، فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان ، يوم يمنع فيه العاصى من الكلام ، ولا يسئل فيه عن الأجرام بل يؤخذ بالنواصى والأقدام ، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أنّ بينها وبينه أمدا بعيدا ، يوم تعلم فيه كل نفس ما أحضرت وتشهد ماقدمت وأخرت يوم تخرس فيه الألسن وتنطق الجوارح يوم شيب ذكره سيد المرسلين إذ قال له الصدّيق رضى الله عنه : أراك قد شبت يا رسول الله قال « شيبتنى هود وأخواتها [1] » وهى الواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت ، فيا أيها القارئ العاجز إنما حظك من قراءتك أن تجمجم القرآن وتحرك به اللسان ، ولو كنت متفكرا فيما تقرؤه لكنت جديرا بأن تنشق مرارتك مماشاب منه شعر سيد المرسلين ، وإذاقنعت بحركة اللسانفقد حرمت ثمرة القرآن ، فالقيامة أحد ما ذكر فيه . وقد وصف الله بعض دواهيها وأكثر من أساميهالنقف بكثرة أساميهاعلى كثرة معانيها ، فليس المقصود بكثرة الأسامى تكرير الأسامى والألقاب بل الغرض تنبيه أولى الألباب ، فتحت كل اسم من أسماء القيامة سر وفى كل نعت من نعوتها معنى ، فاحرص على معرفه معانيها .

ونحن الآن نجمع لك أساميها . وهى : يوم القيامة ويوم الحسرة ويوم الندامة ويوم المحاسبة ويوم المساءلة ويوم المسابقة ويوم المناقشة ويوم المنافسة ويوم الزلزلة ويوم الدمدمة ويوم الصاعقة ويوم الواقعة ويوم القارعة ويوم الراجفة ويوم الرادفة ويوم الغاشية ويوم الداهية ويوم الآزفة ويوم الحاقة ويوم الطامة ويوم الصاخة ويوم التلاق ويوم الفراق ويوم المساق ويومالقصاص ويوم التناد ويومالحساب ويوم المآب ويومالعذاب ويومالفرار ويومالقرار ويومالتلاق ويومالبقاء ويومالقضاء ويوم الجزاء ويوم البلاء ويومالبكاء ويومالحشر ويومالوعيد ويوم العرض ويوم الوزن ويوم الحق ويوم الحكم ويوم الفصل ويوم الجمع ويومالبعث ويوم الفتح ويوم الخزى ويوم عظيم ويوم عقيم ويوم عسير ويوم الدين ويوم اليقين ويوم النشور ويوم المصير ويوم النفخة ويوم الصيحة ويوم الرجفه ويوم الرجة ويوم الزجزة ويومالسكرة ويوم الفزع ويوم المنتهىويوم الجزع ويومالمأوى ويوم الميقات ويوم الميعاد ويوم المرصاد ويوم القلق ويومالعرق ويوم الافتقار ويوم الانكدار ويوم الانتشار ويوم الانشقاق ويوم الوقوف ويوم الخروج ويوم الخلود ويوم التغابن ويوم عبوس ويوم معلوم ويوم الساعة ويوم مشهود ويوم لا ريب فيه ويوم تبلى فيه السرائر ويوم لا تجزى نفس عن نفس شيئا ويوم تشخص فيه الأبصار ويوم

(١) حديث « شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت » أخرجه الترمذى وحسنه والحاكم وصححه وقد تقدم .

لا يغنى مولى عن مولى شيئا ويوم لا تملك نفس لنفس شيئا ويوم يدعون إلى نار جهنم دعا ويوم يسحبون فى النار على وجوههم ويوم تقلب وجوههم فى النار ويوم لا يجزى والد عن ولده ويوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ويوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون يوم لا مرد له من الله يوم هم بارزون ويوم هم على النار يفتنون يوم لا ينفع مال ولا بنون يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار . يوم ترد فيه المعاذير وتبلى السرائر وتظهر الضمائر وتكشف الأستار . يوم تخشع فيه الأبصار ، وتسكن الأصوات ويقل فيه الالتفات ، وتبرز الخفيات وتظهر الخطيئات ، يوم يساق العباد ومعهم الأشهاد ، ويشيب الصغير ويسكر الكبير ، فيومئذ وضعت الموازين ونشرت الدواوين ، وبرزت الجحيم وأغلى الحميم ، وزفرت النار ويئس الكفار ، وسعرت النيران وتغيرت الألوان ، وخرس اللسان ونطقت جوارح الإنسان .

فيا أيها الإنسان ماغرك بربك الكريم ، حيث أغلقت الأبواب وأرخيت الستور ، واستترت عن الخلائق فقارفت الفجور ، فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك ؟ فالويل كل الويل لنا معشر الغافلين ، يرسل الله لنا سيد المرسلين وينزل عليه الكتاب المبين ، ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين ، ثم يعرفنا غفلتنا ويقول ﴿ اقترب الناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ﴾ ثم يعرفنا قرب القيامة فيقول ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر - إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا - وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ﴾ ثم يكون أحسن أحوالنا أن نتخذ دراسة هذا القرآن عملا فلا نتدبر معانيه ولا ننظر فى كثرة أوصاف هذا اليوم وأساميه ولا نستعد للتخلص من دواهيه . فنعوذ بالله من هذه الغفلة إن لم يداركنا الله بواسع رحمته.

صفة المساءلة

ثم تفكر يامسكين بعد هذه الأحوال فيما يتوجه عليك من السؤال شفاها من غير ترجمان ، فتسئل عن القليل والكثير والنقير والقطمير . فبينا أنت فى كرب القيامة وعرقها وشدة عظائمها إذ نزلت ملائكة من أرجاء السماء بأجسام عظام وأشخاص ضخام غلاظ شداد أمروا أن يأخذوا بنواصى المجرمين إلى موقف العرض على الجبار . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله عز وجل ملكا مابين شفرى عينيه مسيرة مائة عام[1] » فما ظنك بنفسك إذا شاهدت مثلا هؤلاء الملائكة أرسلوا إليك ليأخذوك إلى مقام العرض ، وتراهم على عظم أشخاصهم منكسرين لشدة اليوم مستشعرين مما بدا من غضب الجبار على عباده . وعند نزولهم لايبقى نبى ولاصديق ولاصالح إلا ويخرون لأذقانهم خوفا من أن يكونوا هم المأخوذين . فهذا حال المقربين فماظنك بالعصاة المجرمين ؟ وعند ذلك يبادر أقوام من شدة الفزع فيقولون للملائكة : أفيكم ربنا ؟ وذلك لعظم موكبهم وشدة هيبتهم فتفزع الملائكة من سؤالهم إجلالا لخالقهم عن أن يكون فيهم ، فنادوا بأصواتهم منزهين لمليكهم عما توهمه أهل الأرض وقالوا : سبحان ربنا ماهو فينا ولكنه آت من بعد ! وعند ذلك تقوم الملائكة صفا محدقين بالخلائق من الجوانب وعلى جميعهم شعار الذل والخضوع وهيئة الخوف والمهابة لشدة اليوم .

وعند ذلك يصدق الله تعالى قوله ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴾ وقوله ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾ فيبدأ سبحانه بالأنبياء ﴿ يوم يجمع الله الرسل فيقول

(١) حديث « إن لله عزوجل ملكا مابين شفرى عينيه مسيرة مائة عام » لم أره بهذا اللفظ

ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب ﴾ فيا لشدة يوم تذهل فيه عقول الأنبياء وتنمحى علومهم من شدة الهيبة ؛ إذ يقال لهم : ما أجبتم وقد أرسلتم إلى الخلائق وكانوا قد علموا فتدهش عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون ، فيقولون من شدة الهيبة : لاعلم لنا إنك أنت علام الغيوب . وهم فى ذلك الوقت صادقون إذ طارت منهم العقول وانمحت العلوم إلى أن يقويهم الله تعالى ، فيدعى نوح عليه السلام فيقال له : هل بلغت ، فيقول : نعم ، فيقال لأمته : هل بلغكم ؟ فيقولون : ماأتانا من نذير . ويؤتى بعيسى عليه السلام فيقول الله تعالى له ﴿ أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ﴾ فيبقى متشحطا تحت هيبة هذا السؤال سنين ، فيالعظم يوم تقام فيه السياسة على الأنبياء بمثل هذا السؤال ثم تقبل الملائكة فينادون واحدا واحدا يافلان بن فلانة هلم إلى موقف العرض . وعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول ، ويتمنى أقوام أن يذهب بهم إلى النار ولا تعرض قبائح أعمالهم على الجبار . ولا يكشف سترهم على ملأ الخلائق .

وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش ﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ﴾ وأيقن كل عبد بإقبال الجبار لمساءلة العباد ، وظن كل واحد أنه مايراه أحد سواه وأنه المأخوذ بالأخذ والسؤال دون من عداه ؛ فيقول الجبار سبحانه وتعالى عند ذلك : ياجبريل ائتنى بالنار ، فيجىء بها جبريل ويقول : ياجهنم أجيبى خالقك ومليكك ، فيصادفها جبريل على غيظها وغضبها ، فلم يلبث بعد ندائها أن ثارت وفارت وزفرت الى الخلائق وشهقت وسمع الخلائق تغيظها وزفيرها ، وانتهضت خزنتها متوثبة إلى الخلائق غضبا على من عصى الله تعالى وخالف أمره ، فأخطر ببالك وأحضر فى قلبك حالة قلوب العباد وقد امتلأت فزعا ورعبا فتساقطوا جثيا على الركب ، وولوا مدبرين يوم ﴿ ترى كل أمة جاثية ﴾ وسقط بعضهم على الوجوه منكبين وينادى العصاة والظالمون بالويل والثبور ، وينادى الصديقون نفسى نفسى . فبينما هم كذلك إذ زفرت الناس زفرتها الثانية فتضاعف خوفهم وتخاذلت قواهم وظنوا أنهم مأخوذون ، ثم زفرت الثالثة فتساقط الخلائق على وجوههم وشخصوا بأبصارهم ينظرون من طرف خفى خاشع ، وانهضمت عند ذلك قلوب الظالمين فبلغت الحناجر كاظمين ، وذهلت العقول من السعداء والأشقياء أجمعين .

وبعد ذلك أقبل الله تعالى على الرسل وقال ماذا أجبتم ، فإذا رأوا ماقد أقيم من السياسة على الأنبياء اشتد الفزع على العصاة ، ففر الوالد من ولده والأخ من أخيه والزوج من زوجته ، وبقى كل واحد منتظرا لأمره . ثم يؤخذ واحد واحد فيسأله الله تعالى شفاها عن قليل عمله وكثيره وعن سره وعلانيته وعن جميع جوارحه وأعضائه ، قال أبو هريرة قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال « هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليس دونها سحاب ، قالوا لا ، قال « فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ، قالوا لا ، قال « فوالذى نفسى بيده لاتضارون فى رؤية ربكم ؛ فيلقى العبد فيقول له ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع ، فيقول العبد بلى ؛ فيقول أظننت أنك ملاقى فيقول لا فيقول فأنا أنساك كما نسيتنى[1] » فتوهم نفسك يا مسكين وقد أخذت الملائكة بعضديك وأنت واقف بين يدى الله تعالى يسألك شفاها ، فيقول لك . ألم أنعم عليك بالشباب ففيماذا أبليته ، ألم أمهل لك فى العمر ففيماذا أفنيته ، ألم أرزقك المال فمن أين اكتسبته وفيماذا أنفقته ، ألم أكرمك بالعلم فماذا عملت فيما علمت . فكيف ترى حياءك وخجلتك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك وأياديه ومساويك ، فإن أنكرت شهدت عليك جوارحك قال أنس رضى الله عنه كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أبى هريرة : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال « هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليس دونها سحاب ... الحديث » متفق عليه دون قوله « فيلقى العبد ... الخ » فانفرد بها مسلم .

فضحك ثم قال « أتدرون مم أضحك » قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال « من مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تجرنى من الظلم » قال « يقول بلى » قال « فيقول فإنى لاأجيز على نفسى إلا شاهدا منى فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا » قال « فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقى » قال « فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول لأعضائه بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل [1] » فنعوذ بالله من الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الأعضاء ، إلا أن الله تعالى وعد المؤمن بأن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره . سأل ابن عمر رجل فقال له : كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى ؟ فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول إنى سترتها عليك فى الدنيا وإنى أغفرها لك اليوم [2] » وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة [3] » فهذا إنما يرجى لعبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتمل فى حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك لسانه بذكر مساويهم ولم يذكرهم فى غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه ، فهذا جدير بأن يجازى بمثله فى القيامة ، وهب أنه قد ستره عن غيرك أليس قد قرع سمعك النداء إلى العرض ؟ فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك ، إذ يؤخذ بناصيتك فتقاد وفؤادك مضطرب ولبك طائر وفرائصك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من شدة الهول مظلم ، فقدر نفسك وأنت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتخرق الصفوف وتقاد كما تقاد الفرس المجنوب وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم ، فتوهم نفسك أنك فى أيدى الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن فرموك من أيديهم وناداك الله سبحانه وتعالى بعظيم كلامه : يا ابن آدم ادن منى ، فدنوت منه بقلب خافق محزون وجل وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر ، وأعطيت كتابك الذى لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فكم من فاحشة نسيتها فتذكرتها ؟ وكم من طاعة غفلت عن آفاتها فانكشف لك عن مساويها ؟ فكم لك من خجل وجبن ؟ وكم لك من حصر وعجز ؟ فليت شعرى بأى قدم تقف بين يديه وبأى لسان تجيب وبأى قلب تعقل ماتقول؟ ثم تفكر فى عظم حيائك إذا ذكرك ذنوبك شفاها إذ يقول : ياعبدى ؟ أما استحييت منى فبارزتنى بالقبيح واستحييت من خلقى فأظهرت لهم الجميل ، أكنت أهون عليك من سائر عبادى ، استخففت بنظرى إليك فلم تكترث واستعظمت نظر غيرى ، ألم أنعم عليك : فماذا غرك بى أظننت أنى لا أراك وأنك لاتلقانى . قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « ما منكم من أحد إلا ويسأله الله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان [4] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليقفن أحدكم بين يدى الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب فيقول له ألم أنعم عليك ألم أوتك مالا فيقول بلى فيقول ألم أرسل إليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار ، فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة [5] » وقاله ابن مسعود : مامنكم من أحد إلا سيخلو الله عز وجل به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ، ثم يقول يا ابن آدم ما غرك بى يا ابن آدم ماعملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين يا ابن آدم ألم أكن رقيبا على عينك وأنت تنظر بها إلى ما لا يحل

---

(١) حديث أنس « أتدرون مم أضحك ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال « من مخاطبة العبد ربه ... الحديث » رواه مسلم

(٢) حديث : سأل ابن عمر رجل فقال : كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى ... الحديث » رواه مسلم . (٣) حديث « من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة » تقدم .

(٤) حديث « مامنكم من أحد إلا ويسأله رب العالمين ... الحديث » متفق عليه من حديث ابن عدى عن أبى حاتم بلفظ « إلا سيكلمه » الحديث . (٥) حديث « ليقفن أحدكم بين يدى الله تعالى ليس بينه وبينه ترجمان . » الحديث » أخرجه البخارى من حديث عدى بن حاتم .

لك ألم أكن رقيبا على أذنيك ، وهكذا حتى عد سائر أعضائه ، وقال مجاهد : لاتزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدى الله عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال : عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه ماعمل فيه ، وعن جسده فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيماذا أنفقه ؟ فأعظم يامسكين بحيائك عند ذلك بخطرك فإنك بين أن يقال لك سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم - فعند ذلك يعظم سرورك وفرحك ويغبطك الأولون والآخرون - وإما أن يقال للملائكة خذوا هذا العبد السوء فغلوه ثم الجحيم صلوه - وعند ذلك لو بكت السموات والأرض عليك لكان ذلك جديرا بعظم مصيبتك وشدة حسرتك على مافرطت فيه من طاعة الله وعلى مابعت آخرتك من دنيا دنيئة لم تبق معك ! .

صفة الميزان

ثم لاتغفل عن الفكر فى الميزان وتطاير الكتب إلى الأيمان والشمائل ، فإن الناس بعد السؤال ثلاث فرق (فرقة) ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق أسود فيلقطهم لقط الطير الحب وينطوى عليهم ويلقيهم فى النار ، فتبتلعهم النار وينادى عليهم شقاوة لاسعادة بعدها (وقسم آخر) لاسيئة لهم فينادى مناد ليقم الحامدون لله على كل حال ؛ فيقومون . ويسرحون إلى الجنة ، ثم يفعل ذلك بأهل قيام الليل ، ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله تعالى . وينادى عليهم سعادة لاشقاوة بعدها (ويبقى قسم ثالث) وهم الأكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله تعالى أن الغالب حسناتهم أو سيئاتهم ، ولكن يأبى الله إلا أن يعرفهم ذلك ليبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب ، فتتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيئات وينصب الميزان وتشخص الأبصار إلى الكتب أتقع فى اليمين أو فى الشمال ؟ ثم إلى لسان الميزان أيميل إلى جانب السيئات أو إلى جانب الحسنات ؟ وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق . وروى الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأسه فى حجر عائشة رضى الله عنها فنعس ، فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها فنقط على خد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتبه فقال « مايبكيك يا عائشة ؟ » قالت : ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ قال « والذى نفسى بيده فى ثلاث مواطن فإن أحدا لايذكر إلا نفسه : إذا وضعت الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل . وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ كتابه أو بشماله ، وعند الصراط [1] » وعن أنس « يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتى الميزان ويوكل به ملك فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لايشقى بعدها أبدا ، وان خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقى فلان شقاوة لايسعد بعدها أبدا . وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار إلى النار » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم القيامة « إنه يوم ينادى الله تعالى فيه آدم عليه السلام فيقول له قم يا آدم فابعث بعث النار فيقول وكم بعث النار ؟ فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون » فلما سمع الصحابة ذلك أبلسوا حتى ماأوضحوا بضاحكة » فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عند أصحابه قال « اعملوا وأبشروا فوالذى نفس محمد بيده إن معكم لخليقتين ما كانتا مع أحد قط إلا كثرتاه مع من هلك من بنى آدم وبنى إبليس » قالوا وما هما يا رسول الله ؟ قال « يأجوج ومأجوج » قال : فسرى عن القوم فقال « اعملوا وأبشروا فوالذى نفس

---

(١) حديث الحسن : أن عائشة ذكرت الآخرة فبكت ... الحديث » وفيه : فقال « مايبكيك ياعائشة » قالت : ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة ... الحديث » أخرجه أبو داود من رواية الحسن : أنها ذكرت النار فبكت فقال « مايبكيك » دون كون رأسه صلى الله عليه وسلم فى حجرها وأنه نعس وإسناده جيد .

محمد بيده ماأنتم فى الناس يوم القيامة إلا كالشامة فى جنب البعير أو كالرقمة فى ذراع الدابه [1] » .

صفة الخصماء ورد المظالم

قد عرفت هول الميزان وخطره وأن الأعين شاخصة إلى لسان الميزان ﴿ فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ماهيه نار حامية ﴾ واعلم أنه لاينجو من خطر الميزان إلا من حاسب فى الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع أعماله وأقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر رضى الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل توزنوا . وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا ويتدارك مافرط من تقصيره فى فرائض الله تعالى ، ويرد المظالم حبة بعد حبة ، ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ، ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه مظلمة ولا فريضة . فهذا يدخل الجنة بغير حساب، وإن مات قبل ردّ المظالم أحاط به خصماؤه ، فهذا يأخذ بيده ، وهذا يقبض على ناصيته ، وهذا يتعلق بلبيه ، هذا يقول ظلمتنى ، وهذا يقول شتمتنى ، وهذا يقول استهزأت بى ، وهذا يقول ذكرتنى فى الغيبة بما يسوءنى ، وهذا يقول جاورتنى فأسأت جوارى ، وهذا يقول عاملتنى فغششتنى ، وهذا يقول بايعتنى فغبنتنى وأخفيت عنى عيب سلعتك ، وهذا يقول كذبت فى سعر متاعك ، وهذا يقول رأيتنى محتاجا وكنت غنيا فما أطعمتنى ، وهذا يقول وجدتنى مظلوما وكنت قادرا على دفع الظلم عنى وداهنت الظالم وماراعيتنى . فبينا أنت كذلك وقد انشب الخصماء فيك مخالبهم وأحكموا فى تلابيبك أيديهم وأنت مبهوت متحير من كثرتهم - حتى لم يبق فى عمرك أحد عاملته على درهم أو جالسته فى مجلس إلا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة أو خيانة أو نظر بعين استحقار، وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم - إذ قرع سمعك نداء الجبار جل جلاله ﴿ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ﴾ فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار ، وتتذكر ما أنذرك الله تعالى على لسان رسوله حيث قال ﴿ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعى رءوسهم لايرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء وأنذر الناس ﴾ الآية

فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم ! وما أشد حسراتك فى ذلك اليوم إذا وقف ربك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السياسة وأنت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على أن ترد حقا أو تظهر عذرا ؟ فعند ذلك تؤخذ حسناتك التى تعبت فيها عمرك وتنقل إلى خصمائك عوضا عن حقوقهم . قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل تدرون من المفلس » قلنا : المفلس فينا يا رسول الله من لادرهم له ولا دينار ولا متاع ، قال « المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار [2] » فانظر إلى مصيبتك فى مثل هذا اليوم إذ ليس يسلم لك حسنة من آفات الرياء ومكايد الشيطان ، فإن سلمت حسنة واحدة فى كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها ، ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل ، لعلمت أنه لاينقضى عنك يوم إلا ويجرى

(١) حديث « يقول الله يا آدم قم فابعث بعث النار فيقول : وكم بعث النار ؟ فيقول من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعون .. الحديث » متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدرى ورواه البخارى من حديث أبى هريرة نحوه وقد تقدم .

(٢) حديث أبى هريرة « هل تدرون من المفلس ؟ » قالوا : المفلس يارسول الله من لادرهم له ولامتاع ... الحديث . تقدم

على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفى جميع حسناتك ! فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات ؟ وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء من القرناء ؟ فقد روى أبو ذر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين ينتطحان فقال « ياأبا ذر أتدرى فيم ينتطحان ؟ » قلت : لا ، قال « ولكن الله يدرى وسيقضى بينهما يوم القيامة [1] » .

وقال أبو هريرة في قوله عز وجل ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴾ أنه يحشر الخلق كلهم يوم القيامة - البهائم والدواب والطير وكل شيء - فيبلغ من عدل الله تعالى أن يأخذ للجماء من القرناء ، ثم يقول كونى ترابا ، فذلك حين يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا . فكنت أنت يامسكين في يوم ترى صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك فتقول : أين حسناتى ؟ فيقال : نقلت إلى صحيفة خصمائك . وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبك واشتد بسبب الكف عنها عناؤك فتقول : يارب هذه سيئات ماقارفتها قط ! فيقال هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملة .

قال ابن مسعود : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان قد يئس أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهى الموبقات ، فاتقوا الظلم ما استطعتم فإن العبد ليجيء يوم القيامة بأمثال الجبال من الطاعات فيرى أنهن سينجينه فمايزال عبد يجيء فيقول رب إن فلانا ظلمنى بمظلمة فيقول اخذ من حسناته فمايزال كذلك حتى لايبقى له من حسناته شيء ، وإن مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الأرض ليس معهم حطب فتفرق القوم فحطبوا فلم يلبثوا أن أعظموا نارهم وصنعوا ما أرادوا [2] » وكذلك الذنوب ولما نزل قوله تعالى ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ قال الزبير : يارسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب ! قال « نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا إلى كل ذى حق حقه [3] » قال الزبير : والله إن الأمر لشديد . فأعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم ! قال أنس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يحشر الله العباد عراة غبرا بهما » قال : قلنا : مابهما ؟ قال ليس معهم شيء ، ثم يناديهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك أنا الديان لاينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عليه مظلمة حتى أقتصه منه ، ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولأحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى أقتصه منه ؛ حتى اللطمة ، قلنا : وكيف وإنما نأتى الله عز وجل عراة غبرا بهما ! فقال « بالحسنات والسيئات [4] » فاتقوا الله عباد الله ، ومظالم العباد بأخذ أموالهم

---

(١) حديث « ياأبا ذر أتدرى فيم ينتطحان » قلت : لا ، قال « ولكن ربك يدرى وسيقضى بينهما » أخرجه أحمد من رواية أشياخ لم يسموا عن أبى ذر .

(٢) حديث ابن مسعود « إن الشيطان قد أيس أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن سيرضى منكم بما دون ذلك المحقرات وهى الموبقات ... الحديث » وفى آخره « وإن مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة ... الحديث » رواه أحمد والبيهقى في الشعب مقتصرا على آخره « إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه » وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلا ... الحديث . وإسناده جيد فأما أول الحديث فرواه مسلم مختصرا من حديث جابر « إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم » . (٣) حديث : لما نزل قوله تعالى ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ قال الزبير : يارسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا ... الحديث . أخرجه أحمد واللفظ له والترمذى من حديث الزبير وقال حسن صحيح . (٤) حديث أنس « يحشر العباد عراة غبرا بهما » قلنا : مابهما ؟ قال « ليس معهم شيء ... الحديث » قلت : ليس من حديث أنس وإنما هو عبيد الله بن أنيس رواه أحمد بإسناد حسن وقال « غرلا » مكان « غبرا » .

والتعرض لأعراضهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق فى معاشرتهم ، فإن ما بين العبد وبين الله خاصة فالمغفرة إليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الإخلاص بحيث لا يطلع عليه إلا الله ، فعساه يقربه ذلك إلى الله تعالى فينال به لطفه الذى ادخره لأحبابه المؤمنين فى دفع مظالم العباد عنهم ، كما روى عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر : ما يضحكك يا رسول الله بأبى أنت وأمى ؟ قال ، رجلان من أمتى جثيا بين يدى رب العزة فقال أحدهما : يارب خذلى مظلمتى من أخى ، فقال الله تعالى : أعط أخاك مظلمته قال : يارب لم يبق من حسناته شىء فقال الله تعالى للطالب : كيف تصنع ولم يبق من حسناته شىء قال : يارب يتحمل عنى من أوزارى ، قال : وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال ، إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم ، قال ، فقال الله للطالب ارفع رأسك فانظر فى الجنان فرفع رأسه فقال : يارب أرى مدائن من فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لأى نبى هذا أو لأى صديق هذا ؟ أو لأى شهيد هذا ؟ قال لمن أعطانى الثمن ، قال : يارب ومن يملك ثمنه ؟ قال : أنت تملكه ، قال : وما هو ؟ قال عفوك عن أخيك ، قال : يارب إنى قد عفوت عنه ، قال الله تعالى . خذ بيد أخيك فأدخلا الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ، اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين [1] ، وهذا تنبيه على أن ذلك إنما ينال بالتخلق بأخلاق الله وهو إصلاح ذات البين وسائر الأخلاق .

فتفكر الآن فى نفسك إن خلت صحيفتك عن المظالم أو تلطف لك حتى عفا عنك وأيقنت بسعادة الأبد ؛ كيف يكون سرورك فى منصرفك من مفصل القضاء وقد خلع عليك خلعة الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وبنعيم لا يدور بحواشيه الفناء ؟ وعند ذلك طار قلبك سرورا وفرحا وابيض وجهك واستنار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر ، فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعا رأسك خاليا عن الأوزار ظهرك ، ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلألأ من جبينك ، وخلق الأولين والآخرين ينظرون إليك وإلى حالك ويغبطونك فى حسنك وجمالك ، والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون على رءوس الأشهاد : هذا فلان بن فلان رضى الله عنه وأرضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا ! أفترى أن هذا المنصب ليس بأعظم من المكانة التى تنالها فى قلوب الخلق فى الدنيا برياءك ومداهنتك وتصنعك وتزينك ؟ فإن كنت تعلم أنه خير منه بل لا نسبة له إليه فتوسل إلى إدراك هذه الرتبة بالإخلاص الصافى والنية الصادقة فى معاملتك مع الله فلن تدرك ذلك إلا به .

وإن تكن الأخرى والعياذ بالله بأن خرج من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة وهى عند الله عظيمة فقتك لأجلها فقال : عليك لعنتى ياعبد السوء لا أتقبل منك عبادتك ، فلا تسمع هذا النداء إلا ويسود وجهك ، ثم تغضب الملائكة لغضب الله تعالى فيقولون : وعليك لعنتنا ولعنة الخلائق أجمعين ، وعند ذلك تنثال إليك الزبانية وقد غضبت لغضب خالقها فأقدمت عليك بفظاظتها وزعارتها وصورها المنكرة ، فأخذوا بناصيتك يسحبونك على وجهك على ملأ الخلق وهم ينظرون إلى اسوداد وجهك وإلى ظهور خزيك ، وأنت تنادى بالويل والثبور ، وهم يقولون لك : لا تدع اليوم ثبورا واحدا وادع ثبورا كثيرا وتنادى الملائكة ويقولون : هذا فلان بن فلان

(١) حديث أنس : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر : ما أضحكك يارسول الله بأبى أنت وأمى ؟ قال ، رجلان من أمتى جثيا بين يدى رب العالمين ... الحديث بطوله أخرجه ابن أبى الدنيا فى حسن الظن بالله والحاكم فى المستدرك وقد تقدم .

كشف الله عن فضائحه ومخازيه ولعنه بقبائح مساويه فشقى شقاوة لايسعد بعدها أبدا ، وربما يكون ذلك بذنب أذنبته خفية من عباد الله أو طلبا للمكانة فى قلوبهم أو خوفا من الافتضاح عندهم ، فما أعظم جهلك إذ تحترز عن الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله فى الدنيا المنقرضة ثم لاتخشى من الافتضاح العظيم فى ذلك الملأ العظيم مع التعرض لسخط الله وعقابه الأليم والسياق بأيدى الزبانية إلى سواء الجحيم ، فهذه أحوالك وأنت لم تشعر بالخطر الأعظم وهو خطر الصراط .

صفة الصراط

ثم تفكر بعد هذه الأهوال فى قول الله تعالى ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا ﴾ وفى قوله تعالى ﴿ فاهدوهم إلى صراط الجحيم . وقفوهم إنهم مسئولون ﴾ فالناس من بعد هذه الأهوال يساقون إلى الصراط ـ وهو جسر ممدود على متن النار أحد من السيف وأدق من الشعر ـ فمن استقام فى هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة فى الدنيا وأثقل ظهره بالأوزار وعصى تعثر فى أول قدم من الصراط وتردى . فتفكر الآن فيما يحل من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ، ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها ، وقد كلفت أن تمشى على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك عن المشى على بساط الأرض فضلا عن حدة الصراط ، فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك فأحسست بحدته ، واضطررت إلى أن ترفع القدم الثانية والخلائق بين يديك يزلون ويتعثرون ، وتتنازلهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب ، وأنت تنظر إليهم كيف ينكسون فتتسفل إلى جهة النار رءوسهم وتعلوا أرجلهم ، فياله من منظر ماأفظعه ومرتقى ماأصعبه ومجاز ماأضيقه ! فانظر إلى حالك وأنت تزحف عليه وتصعد إليه وأنت مثقل الظهر بأوزارك ، تلتفت يمينا وشمالا إلى الخلق وهم يتهافتون فى النار والرسول عليه السلام يقول « يا رب سلم سلم » والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت إليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلائق ، فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك ؟ فناديت بالويل والثبور وقلت : هذا ما كنت أخافه فياليتنى قدمت لحياتى ! ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ! ياويلتا ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا ! ياليتنى كنت ترابا ! ياليتنى كنت نسيا منسيا ! ياليت أمى لم تلدنى ! وعند ذلك تختطفك النيران ـ والعياذ بالله ـ وينادى المنادى ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ فلا يبقى سبيل إلا الصياح والأنين والتنفس والاستغاثة ، فكيف ترى الآن عقلك وهذه الأخطار بين يديك ؟ فإن كنت غير مؤمن بذلك فما أطول مقامك مع الكفار فى دركات جهنم ! وإن كنت به مؤمنا وعنه غافلا وبالاستعداد له متهاونا فما أعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك إيمانك إذا لم يبعثك على السعى فى طلب رضا الله تعالى بطاعته وترك معاصيه ! فلو لم يكن بين يديك إلا هول الصراط وارتياع قلبك من خطر الجواز عليه ـ وإن سلمت ـ فناهيك به هولا وفزعا ورعبا ! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فأكون أول من يجيز بأمته من الرسل ، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم اللهم سلم ، وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان ؟ » قالوا : نعم يارسول الله قال « فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لايعلم قدر عظمها إلا الله تعالى تختطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو [1] » وقال أبو سعيد الخدرى: قال رسول الله

(١) حديث « ينصب الصراط بين ظهرى جهنم فأكون أول من يجيز » متفق عليه من حديث أبى هريرة فى أثناء حديث طويل

صلى الله عليه وسلم ، يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تختطف الناس يمينا وشمالا وعلى جنبتيه ملائكة يقولون : اللهم سلم اللهم سلم فمن الناس من يمر مثل البرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس المجرى ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يمشى مشيا ومنهم من يحبو حبوا ومنهم من يرحف زحفا ، فأما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون ولا يحيون ، وأما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحما ثم يؤذن فى الشفاعة [1] » وذكر إلى آخر الحديث : وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء » وذكر الحديث إلى أن ذكر وقت سجود المؤمنين قال « ثم يقول للمؤمنين ارفعوا رءوسكم فيرفعون رءوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على إبهام قدمه فيضئ مرة ويخبو مرة فإذا أضاء قدم قدمه فمشى وإذا أظلم قام » ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم « فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ، ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذى أعطى نوره على إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تجر منه يد وتعلق أخرى وتعلق رجل وتجر أخرى وتصيب جوانبه النار » قال « فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد أعطانى الله مالم يعط أحدا إذ نجانى منها بعد إذ رأيتها فينطلق به إلى نهر عند باب الجنة فيغتسل [2] وقال أنس بن مالك : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الصراط كحد السيف أو كحد الشعرة وإن الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وإن جبريل عليه السلام لآخذ بحجزتى وإنى لأقول يارب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ كثير [3] » .

فهذه أهوال الصراط وعظائمه ، فطول فيه فكرك فإن أسلم الناس من أهوال يوم القيامة من طال فيها فكره فى الدنيا ، فإن الله لا يجمع بين خوفين على عبد ، فمن خاف هذه الأهوال فى الدنيا أمنها فى الآخرة . ولست أعنى بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينك ويرق قلبك حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود إلى لهوك ولعبك ؟ فماذا من الخوف فى شىء ؟ بل من خاف شيئا هرب منه ، ومن رجا شيئا طلبه . فلا ينجيك إلا خوف يمنعك عن معاصى الله تعالى ويحثك على طاعته . وابعد من رقة النساء خوف الحمقى إذا سمعوا الأهوال سبق إلى ألسنتهم الاستعاذة فقال أحدهم : استعنت بالله نعوذ بالله اللهم سلم سلم . وهم مع ذلك مصرون على المعاصى التى هى سبب هلاكهم . فالشيطان يضحك من استعاذتهم . كما يضحك على من يقصده سبع ضار فى صحراء ووراءه حصن ، فإذا رأى أنياب السبع وصولته من بعد قال بلسانه : أعوذ بهذا الحصن الحصين وأستعين بشدة بنيانه وإحكام أركانه ؟ فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد فى مكانه فأنى يغنى عنه ذلك من السبع . وكذلك أهوال الآخرة ليس لها حصن إلا قول « لا إله إلا الله » صادقا ومعنى صدقه أن لا يكون له مقصود سوى الله تعالى ولا معبود غيره . ومن اتخذ إلهه هواه فهو

---

(١) حديث أبى سعيد « يحشر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف . . الحديث » متفق عليه مع اختلاف ألفاظ

(٢) حديث ابن مسعود « يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما أربعين سنة شاخصة أبصارهم الى السماء ينتظرون فصل القضاء » قال : وذكر الحديث الى ذكر سجود المؤمنين الحديث بطوله رواه ابن عدى والحاكم وقد تقدم بعضه مختصرا .

(٣) حديث أنس « الصراط كحد السيف — أو كحد الشعرة ... الحديث » أخرجه البيهقى فى الشعب وقال هذا اسناد ضعف قال وروى عن زياد النميرى عن أنس مرفوعا « الصراط كحد الشعرة — أو كحد السيف » قال وهى رواية صحيحة انتهى ورواه أحمد من حديث عائشة وفيه ابن لهيعة .

بعيد من الصدق فى توحيده وأمره مخطر فى نفسه ، فإن عجزت عن ذلك كله فكن محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على تعظيم سنته ومتشوقا إلى مراعاة قلوب الصالحين من أمته ومتبركا بأدعيتهم فعساك أن تنال من شفاعته أو شفاعتهم فتنجو بالشفاعة إن كنت قليل البضاعة .

صفة الشفاعة

أعلم أنه إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الأنبياء والصديقين ، بل شفاعة العلماء والصالحين ، وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة فإن له شفاعة فى أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه ، فكن حريصا على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة ، وذلك بأن لا تحقر آدميا أصلا فإن الله تعالى خبأ ولايته فى عباده فلعل الذى تزدريه عينك هو ولى الله ، ولا تستصغر معصية أصلا فإن الله تعالى خبأ غضبه فى معاصيه فلعل مقت الله فيه ، ولا تستحقر أصلا طاعة فإن الله تعالى خبأ رضاه فى طاعته فلعل رضاه فيه . ولو الكلمة الطيبة أو النية الحسنة أو ما يجرى مجراه .

وشواهد الشفاعة فى القرآن والأخبار كثيرة : قال الله تعالى ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ روى عمرو ابن العاص : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم عليه السلام ﴿ رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم ﴾ وقول عيسى عليه السلام ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك ﴾ ثم رفع يديه وقال « أمتى أمتى » ثم بكى فقال الله عز وجل : يا جبريل اذهب إلى محمد فسله ما يبكيك ، فأتاه جبريل فسأله فأخبره - والله أعلم به - فقال : ياجبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك [1] وقال صلى الله عليه وسلم « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى وجعلت لى الأرض مسجدا وترابها طهورا فأينما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل وأعطيت الشفاعة ، وكل نبى بعث إلى قومه خاصه وبعثت إلى الناس عامة [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر » وقال صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم ولا فخر وأنا أول من تنشق الأرض عنه وأنا أول شافع وأول مشفع بيدى لواء الحمد تحته آدم فمن دونه [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « لكل نبى دعوة مستجابة فأريد أن أختبئ دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة [4] » وقال ابن عباس رضى الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينصب للأنبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ، ويبقى منبرى لا أجلس عليه قائما بين يدى ربى منتصبا مخافة أن يبعث بى إلى الجنة وتبقى أمتى بعدى ، فأقول : يارب أمتى فيقول الله عز وجل : يامحمد وماتريد أن أصنع بأمتك فأقول : يارب عجل حسابهم فما أزال أشفع حتى أعطى صكاكا برجال قد بعث بهم

---

(١) حديث عمرو بن العاص : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم صلى الله عليه وسلم ﴿ رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم ﴾ وقول عيسى صلى الله عليه وسلم ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك ﴾ ثم رفع يديه ، ثم قال « أمتى أمتى » ثم بكى ... الحديث . وفيه : ياجبريل اذهب إلى محمد فقل : إنا سنرضيك ولا نسوءك فى أمتك ، قلت ليس هو من حديث عمرو بن العاص وإنما هو من حديث ابنه عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه مسلم ولعله سقط من الإحياء ذكر عبد الله من بعض النساخ . (٢) حديث « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى ... الحديث » وفيه « وأعطيت الشفاعة » متفق عليه من حديث جابر « إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى بن كعب قال الترمذى حسن صحيح . (٣) حديث « أنا سيد ولد آدم ولا فخر ... الحديث » أخرجه الترمذى وقال حسن وابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى . (٤) حديث « لكل نبى دعوة مستجابة فأريد أن أختبئ دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة » متفق عليه من حديث أنس ورواه مسلم من حديث أبى هريرة .

إلى النار وحتى إن مالكا خازن النار يقول : يامحمد ما تركت للنار لغضب ربك فى أمتك من بقية [1] » وقال صلى الله تعالى عليه وسلم « إنى لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر [2] » وقال أبوهريرة أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال « أنا سيد المرسلين يوم القيامة ، وهل تدرون مم ذلك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو الشمس فبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ، فيقول الناس بعضهم لبعض : ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : عليكم بآدم عليه السلام فيأتون آدم فيقولون له : أنت أبو البشر خلقك الله تعالى بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم آدم عليه السلام : إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنه قد نهانى عن الشجرة فعصيته ؛ نفسى نفسى ! اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نوح . فيأتون نوحا عليه السلام فيقولون : يانوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى مانحن فيه ؟ فيقول إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لى دعوة دعوتها على قومى ؛ نفسى نفسى ! اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى إبراهيم خليل الله . فيأتون إبراهيم خليل الله عليه السلام فيقولون : أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى مانحن فيه ؟ فيقول لهم : إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنى كنت كذبت ثلاث كذبات ويذكرها ؛ نفسى نفسى ! اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى موسى . فيأتون موسى عليه السلام فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى مانحن فيه ؟ فيقول : إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنى قتلت نفسا لم أومر بقتلها ؛ نفسى نفسى ! اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى عيسى عليه السلام . فيأتون عيسى فيقولون : ياعيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس فى المهد اشفع لنا إلى ربك ألا ترى مانحن فيه ؟ فيقول عيسى عليه السلام : إن ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذنبا ؛ نفسى نفسى ! اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم . فيأتونى فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم النبيين وغفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى مانحن فيه ؟ فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجدا لربى ، ثم يفتح الله لى من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلى ، ثم يقال : يامحمد ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع ، فأرفع رأسى فأقول : أمتى أمتى يارب ؛ فقال : يامحمد أدخل من أمتك من لاحساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب » ثم قال « والذى نفسى بيده إن بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة وبصرى [3] » وفى حديث آخر . هذا السياق بعينه مع ذكر خطايا إبراهيم ؛ وهو قوله فى الكواكب هذا ربى ، وقوله لآلهتهم بل فعله كبيرهم هذا . وقوله

---

(١) حديث ابن عباس « ينصب للأنبياء منابر من ذهب يجلسون عليها ويبقى منبرى لاأجلس عليه قائما بين يدى ربى منتصبا ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط وفى إسناده محمد بن ثابت والبنانى ضعيف . (٢) حديث « إنى لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر » أخرجه أحمد والطبرانى من حديث بريدة بسند حسن .

(٣) حديث أبى هريرة : أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بلحم فرفع إليه الذراع وكان يعجبه فنهش منها نهشة ثم قال « أنا سيد الناس ... الحديث بطوله فى الشفاعة ، قال وفى حديث آخر هذا السياق مع ذكر خطايا إبراهيم متفق عليه وهذه الرواية الثانية أخرجها مسلم .

إلى سقيم . فهذه شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولآحاد أمته من العلماء والصالحين شفاعة أيضا حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر [1] » وقال صلى الله عليه وسلم يقال للرجل قم يافلان فاشفع فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة ولأهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله [2] » وقال أنس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ رجلا من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول : يافلان هل تعرفني ؟ فيقول : لاوالله ما أعرفك من أنت ؟ فيقول : أنا الذى مررت بي في الدنيا فاستسقيتني شربة ماء فسقيتك ، قال : قد عرفت ، قال : فاشفع لي بها عند ربك ! فيسأل الله تعالى ذكره ويقول إني أشرفت على أهل النار فناداني رجل من أهلها فقال : هل تعرفني ؟ فقلت : لا من أنت ؟ فقال : أنا الذى استسقيتني في الدنيا فسقيتك فاشفع لي عند ربك فشفعني فيه ، فيشفعه الله فيه فيؤمر به فيخرج من النار [3] » وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أوّل الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا يئسوا ، لواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر [4] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني أقوم بين يدي ربي عز وجل فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري [5] » وقال ابن عباس رضي الله عنهما : جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم : عجبا إنّ الله عز وجل اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابراهيم خليلا ! وقال آخر : ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليما ! وقال آخر : فعيسى كلمة الله وروحه ! وقال آخر : آدم اصطفاه الله ، فخرج عليهم صلى الله عليه وسلم فسلم وقال « قد سمعت كلامكم وتعجبكم إنّ إبراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله تعالى وهو كذلك ، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أوّل شافع وأوّل مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أوّل من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فأدخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر [6] »

صفة الحوض

اعلم أنّ الحوض مكرمة عظيمة خص الله بها نبينا صلى الله عليه وسلم وقد اشتملت الأخبار على وصفه ، ونحن

---

(١) حديث « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر » رويناه في جزء أبي عمر بن السماك من حديث أبي أمامة إلا أنه قال « مثل أحد الحيين ربيعة ومضر » وفيه : فكأن المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان واسناده حسن وللترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث عبد الله بن أبي الجدعا « يدخل الجنة بشفاعة الرجل من أمتي أكثر من بني تميم » قالوا : سواك قال « سواي » قال الترمذي حسن صحيح وقال الحاكم صحيح قيل أراد بالرجل أويسا .

(٢) حديث « يقال للرجل قم يافلان فاشفع فيقوم يشفع للقبيلة ولأهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله » أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد « ان من أمتي من يشفع للفئام ومنهم من يشفع للقبيلة ... الحديث » وقال حسن والبزار من حديث أنس ان الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة » . (٣) حديث أنس « ان رجلا من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول : يافلان هل تعرفني ؟ فيقول : لاوالله ماأعرفك من أنت ؟ فيقول : أنا الذى مررت بي في الدنيا يوما فاستسقيتني شربة فسقيتك ... الحديث » في شفاعته فيه واخراجه من النار . أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف . (٤) حديث أنس « أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا ... الحديث » أخرجه الترمذي . وقال حسن غريب .

(٥) حديث « فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ... الحديث » أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن غريب صحيح . (٦) حديث ابن عباس : جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا : إن الله اتخذ من خلقه خليلا اتخذ إبراهيم خليلا ... الحديث . رواه الترمذي وقال غريب .

نرجو أن يرزقنا الله تعالى فى الدنيا علمه وفى الآخرة ذوقه ، فإن من صفاته أنّ من شرب منه لم يظمأ أبدا . قال أنس : أغفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إغفاءة فرفع رأسه متبسما فقالوا له : يارسول الله لم ضحكت ؟ فقال « آية أنزلت على آنفا » وقرأ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم - إنا أعطيناك الكوثر ﴾ حتى ختمها ثم قال « هل تدرون ما الكوثر ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال « إنه نهر وعدنيه ربى عز وجل فى الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء [1] » وقال أنس : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « بينما أنا أسير فى الجنة إذا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف قلت : ماهذا ياجبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى أعطاك ربك فضرب الملك بيده فإذا طينه مسك أذفر [2] » وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مابين لابتى حوضى مثل مابين المدينة وصنعاء - أو مثل مابين المدينة وعمان - [3] » وروى ابن عمر : أنه لما نزل قوله تعالى ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هو نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ، شرابه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب ريحا من المسك يجرى على جنادل اللؤلؤ والمرجان [4] » وقال ثوبان - مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ حوضى مابين عدن إلى عمان البلقان ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأكوابه عدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ، أول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين » فقال عمر بن الخطاب : ومن هم يارسول الله ؟ قال « هم الشعث رءوسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد [5] » فقال عمر بن عبد العزيز : والله لقد نكحت المتنعمات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لى أبواب السدد إلا أن يرحمنى الله ، لا جرم لا أدهن رأسى حتى يشعث ولا أغسل ثوبى الذى على جسدى حتى يتسخ . وعن أبى ذرّ قال : قلت يارسول الله ما آنية الحوض ؟ قال « والذى نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها فى الليلة المظلمة المضحية ، من شرب منه لم يظمأ آخر ماعليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله مابين عمان وأيلة ، ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل [6] » وعن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ لكل نبى حوضا وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة وإنى لأرجو أن أكون أكثرهم واردة [7] » فهذا رجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فليرج كل عبد أن يكون فى جملة الواردين ، وليحذر أن يكون متمنيا ومغترا وهو يظن أنه راج ، فإنّ الراجى للحصاد من بث البذر ونقى الأرض وسقاها الماء ثم جلس يرجو فضل الله بالإنبات ودفع الصواعق إلى أوان الحصاد ، فأما من ترك الحراثة أو الزراعة وتنقية الأرض وسقيها وأخذ يرجو من فضل الله أن ينبت له الحب والفاكهة فهذ مغتر ومتمن

---

(١) حديث أنس . أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة فرفع رأسه متبسما فقالوا له يارسول الله لم ضحكت ؟ فقال « آية نزلت على آنفا » وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم (إنا أعطيناك الكوثر) رواه مسلم . (٢) حديث أنس « بينما أنا أسير فى الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف ... الحديث » أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح ورواه البخارى من قول أنس : لما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم إلى السماء . . الحديث . وهو مرفوع وإن لم يكن صرح به عن النبى صلى الله عليه وسلم .

(٣) حديث أنس « مابين لابتى حوضى مثل مابين المدينة وصنعاء أو مثل مابين المدينة مابين المدينة وعمان » رواه مسلم .

(٤) حديث ابن عمر : لما نزل قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هو نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ... الحديث » أخرجه الترمذى مع اختلاف لفظ وقال حسن صحيح ورواه الدارمى فى مسنده وهو أقرب الى لفظ المصنف . (٥) حديث ثوبان « إن حوضى مابين عدن إلى عمان البلقاء ... الحديث أخرجه الترمذى وقال غريب وابن ماجه .

(٦) حديث أبى ذر : قلت يارسول الله ما آنية الحوض ؟ قال « والذى نفسى بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء ... الحديث » رواه مسلم . (٧) حديث سمرة « إن لكل نبى حوضا وإنهم ليتباهون أيهم أكثر واردة ... الحديث » أخرجه الترمذى وقال غريب قال روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح .

وليس من الراجين فى شىء ، وهكذا رجاء أكثر الخلق وهو غرور الحق . نعوذ بالله من الغرور والغفلة فإن الاغترار بالله أعظم من الاغترار بالدنيا قال الله تعالى ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ .

القول فى صفة جهنم وأهوالها وأنكالها

يا أيها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال ؛ دع التفكر فيما أنت مرتحل عنه واصرف الفكر إلى موردك فإنك أخبرت بأن النار مورد للجميع إذ قيل : ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ فأنت من الورود على يقين ومن النجاة فى شك . فاستشعر فى قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه ، وتأمل فى حال الخلائق وقد قاسوا من دواهى القيامة ماقاسوا ، فبينما هم فى كربها وأهوالها وقوفا ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب ، وأظلت عليهم نار ذات لهب ، وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب ، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الأمم على الركب حتى أشفق البرءاء من سوء المنقلب . وخرج المنادى من الزبانية قائلا : أين فلان بن فلان المسوف نفسه فى الدنيا بطول الأمل المضيع عمره فى سوء العمل ؟ فيبادرونه بمقامع حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد . وينكسونه فى قعر الجحيم ويقولون له ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ فأسكنوا دارا ضيقة الأرجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك ، يخلد فيها الأسير ويوقد فيها السعير ، شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم ، الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم ، أمانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك ، قد شدت أقدامهم إلى النواصى واسودت وجوههم من ظلمة المعاصى ، ينادون من أكنافها ويصيحون فى نواحيها وأطرافها : يامالك قد حق علينا الوعيد يامالك قد أثقلنا الحديد يامالك قد نضجت منا الجلود يامالك أخرجنا منها فإنا لانعود . فتقول الزبانية : هيهات لات حين أمان ! ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسئوا فيها ولا تكلمون ، ولو أخرجتم منها لكنتم إلى ما نهيتم عنه تعودون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا فى جنب الله يتأسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف ، بل يكبون على وجوههم مغلولين ، النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم ، فهم غرقى فى النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار ، فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل ، فهم يتجلجلون فى مضايقها ويتحطمون فى دركاتها ويضطربون بين غواشيها ، تغلى بهم النار كغلى القدور ويهتفون بالويل والعويل . ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رءوسهم الحميم يصهر به مافى بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيتفجر الصديد من أفواههم وتتقطع من العطش أكبادهم ، وتسيل على الخدود أحداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الأطراف شعورها بل جلودها ، وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها ، قد عريت من اللحم عظامهم فبقيت الأرواح منوطة بالعروق وعلائق العصب وهى تنش فى لفح تلك النيران ، وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون ! فكيف بك لو نظرت إليهم وقد سودت وجوههم أشد سواد من الحميم ، وأعميت أبصارهم ، وابكمت ألسنتهم ، وقصمت ظهورهم ، وكسرت عظامهم ، وجدعت آذانهم ، ومزقت جلودهم ، وغلت أيديهم إلى أعناقهم ، وجمع بين نواصيهم وأقدامهم . وهم يمشون على النار بوجوههم ويطأون حسك الحديد بأحداقهم ، فلهيب النار سار فى بواطن أجزائها وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم . هذا بعض جملة أحوالهم . وانظر الآن فى تفصيل أهوالهم وتفكر أيضا فى أودية جهنم وشعابها فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم

« إن فى جهنم سبعين ألف وادفى كل واد سبعين ألف شعب فى كل شعب سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب لا ينتهى الكافر والمنافق حتى يوقع ذلك كله [١] » وقال على كرم الله وجهه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعوذوا بالله من جب الحزن ـ أو وادى الحزن » قيل يارسول الله وما وادى ـ أو جب ـ الحزن قال « واد فى جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله تعالى للقراء المرائين [٢] » فهذه سعة جهنم وانشعاب أوديتها وهى بحسب عدد أودية الدنيا وشهواتها . وعدد أبوابها بعدد الأعضاء السبعة التى بها يعصى العبد بعضها فوق بعض « الأعلى : جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية » فانظر الآن فى عمق الهاوية فإنه لاحد لعمقها كما لاحد لعمق شهوات الدنيا ، فكما لاينتهى أرب من الدنيا إلا إلى أرب أعظم منه فلا تنتهى هاوية من جهنم إلا إلى هاوية أعمق منها . قال أبو هريرة : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتدرون ماهذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال « هذا حجر أرسل فى جهنم منذ سبعين عاما الآن انتهى إلى قعرها [٣] » .

ثم انظر إلى تفاوت الدركات فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ، فكما أن إكباب الناس على الدنيا يتفاوت فمن منهمك مستكثر كالغريق فيها ، ومن خائض فيها إلى حد محدود ، فكذلك تناول النار لهم متفاوت فإن الله لايظلم مثقال ذرة . فلا تترادف أنواع العذاب على كل من فى النار كيفما كان ، بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه ، إلا أن أقلهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ماهو فيه ماهو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه [٤] » فانظر الآن إلى من خفف عليه واعتبر بمن شدد عليه . ومهما تشككت فى شدة عذاب النار فقرب أصبعك من النار وقس ذلك به . ثم اعلم أنك أخطأت فى القياس فإن نار الدنيا لاتناسب نار جهنم ، ولكن لما كان أشد عذاب فى الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيهات ! لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين هربا مما هم فيه . وعن هذا عبر فى بعض الأخبار حيث قيل « إن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقها أهل الدنيا [٥] » بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة نار جهنم فقال « أمر الله تعالى أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليه ألف عام حتى ابيضت ثم أوقد عليه ألف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة [٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « اشتكت النار إلى ربها فقالت يارب أكل بعضى بعضا فأذن لها فى نفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فأشد مانجدونه فى الصيف من حرها وأشد ماتجدونه فى الشتاء من زمهريرها [٧] »

---

(١) حديث « إن فى جهنم سبعين ألف واد فى كل واد سبعون ألف شعب فى كل شعب سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب لاينتهى الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله » لم أجده هكذا بجملته وسيأتى بعده ماورد فى ذكر الحيات والعقارب .

(٢) حديث على : تعوذوا بالله من جب الحزن ـ أو وادى الحزن .. الحديث » رواه ابن عدى بلفظ « وادى الحزن » وقال باطل وأبو نعيم والأصبهانى بسند ضعيف ورواه الترمذى وقال غريب وابن ماجه من حديث أبى هريرة بلفظ « جب الحزن » وضعفه ابن عدى وتقدم فى ذم الجاه والرياء . (٣) حديث أبى هريرة : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة ... الحديث » وفيه « هذا حجر أرسل فى جهنم ... الحديث » رواه مسلم . (٤) حديث « إن أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة من ينتعل بنعلين من نار ... الحديث » متفق عليه من حديث النعمان بن بشير . (٥) حديث « إن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقها أهل الدنيا » ذكر ابن عبد البر من حديث ابن عباس « وهذه النار قد ضربت بماء البحر سبع مرات ولولا ذلك ما انتفع بها أحد » والبزار من حديث أنس وهو ضعيف « وما وصلت إليكم » حتى أحسبه قال « اضعت بالماء فتضىء عليكم » . (٦) حديث « أمر الله ان يوقد على النار ألف عام حتى احمرت ... الحديث » تقدم . (٧) حديث « اشتكت النار إلى ربها فقالت يارب أكل بعضى بعضا ، فأذن لها بنفسين ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة .

وقال أنس بن مالك : يؤتى بأنعم الناس فى الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه فى النار غمسة ثم يقال له هل رأيت نعيما قط فيقال : لا ، ويؤتى بأشد الناس ضرا فى الدنيا فيقال اغمسوه فى الجنة غمسة ثم يقال له : هل رأيت ضرا قط؟ فيقول : لا وقال أبو هريرة : لو كان فى المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لماتوا . وقد قال بعض العلماء فى قوله ﴿ تلفح وجوههم النار ﴾ إنها لفحتهم لفحة واحدة فما أبقت لحما على عظم إلا ألقته عند أعقابهم .

ثم انظر بعد هذا فى نتن الصديد الذى يسيل من أبدانهم حتى يغرقون فيه وهو الغساق : قال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن دلوا من غساق جهنم ألقى فى الدنيا لأنتن أهل الأرض [1] » فهذا شرابهم إذا استغاثوا من العطش فيسقى أحرهم من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا .

ثم انظر إلى طعامهم وهو الزقوم كما قال الله تعالى ﴿ ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم ﴾ وقال تعالى ﴿ إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رءوس الشياطين فإنها لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم ﴾ وقال تعالى ﴿ تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ﴾ وقال تعالى ﴿ إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما ﴾ وقال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى بحار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معايشهم [2] » فكيف من يكون طعامه ذلك ؟ وقال أنس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ارغبوا فيما رغبكم الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم ، فإنه لو كانت قطرة من الجنة معكم فى دنياكم التى أنتم فيها طيبتها لكم ، ولو كانت قطرة من النار معكم فى دنياكم التى أنتم فيها خبثتها عليكم [3] » وقال أبو الدرداء : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع ويستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غصة ، فيذكرون كما كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بشراب فيستغيثون بشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد ، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم ، وإذا دخل الشراب بطونهم قطع ما فى بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم ، قال : فيدعون خزنة جهنم ﴿ أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال ﴾ قال « فيقولون ادعوا مالكا فيدعون فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك » قال « فيجيبهم إنكم ماكثون [4] » قال الأعمش : أنبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام قال : فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ﴿ ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ﴾ قال : فيجيبهم ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ قال :

---

(١) حديث أبى سعيد الخدرى « لو أن دلوا من غساق ألقى فى الدنيا لأنتن أهل الأرض » أخرجه الترمذى وقال إنما نعرفه من حديث رشد بن سعد وفيه ضعف . (٢) حديث ابن عباس « لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا أفسدت على أهل الأرض معاشهم ... الحديث » أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح وابن ماجه . (٣) حديث أنس « ارغبوا فيما رغبكم فيه واحذروا وخافوا مما خوفكم به من عذاب الله وعقابه من جهنم ... الحديث » لم أجد له إسنادا .

(٤) حديث أبى الدرداء « يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام . الحديث » أخرجه الترمذى من رواية سمرة بن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبى الدرداء ، قال الدارمى : والناس لا يعرفون هذا الحديث ، وإنما روى عن الأعمش عن سمرة بن عطية عن شهر عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قوله .

فعند ذلك يئسوا من كل خير ، وعند ذلك أخذوا فى الزفير والحسرة والويل . وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ﴿ ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ﴾ قال « يقرب إليه فيتكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه فوقعت فروة رأسه . فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره » يقول الله تعالى ﴿ وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ﴾ وقال تعالى ﴿ وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه ﴾ فهذه طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم (١)

فانظر الآن إلى حيات جهنم وعقاربها وإلى شدة سمومها وعظم أشخاصها وفظاظة منظرها وقد سلطت على أهلها وأغريت بهم ، فهى لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة ! قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهازمه - يعنى أشداقه - فيقول أنا مالك أنا كنزك » ثم تلا قوله تعالى ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله ... الآية ﴾ (٢) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « إنّ فى النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا ، وإن فيها لعقارب كالبغال الموكفة يلعسن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا وهذه الحيات والعقارب إنما تسلط على من سلط عليه فى الدنيا البخل وسوء الخلق وإيذاء الناس ومن وقى ذلك وقى هذه الحيات فلم تمثل له (٣) » ثم تفكر بعد هذا كله فى تعظيم أجسام أهل النار فإنّ الله تعالى يزيد فى أجسامهم طولا وعرضا حتى يتزايد عذابهم بسببه ، فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع أجزائها دفعة واحدة على التوالى » قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله وسلم « ضرس الكافر فى النار مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث (٤) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه (٥) » وقال عليه السلام « إن الكافر ليجر لسانه فى سجين يوم القيامة يتواطؤه الناس (٦) » ومع عظم الأجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجدد جلودهم ولحومهم . قال الحسن فى قوله تعالى ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ﴾ قال تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة ، كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا .

ثم تفكر الآن فى بكاء أهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور ، فإن ذلك يسلط عليهم فى أول إلقائهم فى النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك (٧) » وقال أنس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يرسل على أهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى فى وجوههم كهيئة الأخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت وما دام يؤذن لهم فى البكاء والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون أيضا من ذلك (٨) » قال محمد بن

---

(١) حديث أبى أمامة فى قوله تعالى ﴿ ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ﴾ قال يقرب اليه ... الحديث أخرجه الترمذى وقال غريب . (٢) حديث أبى هريرة « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع ... الحديث » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة ومسلم من حديث جابر نحوه . (٣) حديث « إن فى النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة .. الحديث » أخرجه أحمد من رواية ابن لهيعة عن دراج عن عبد الله بن الحارث بن جزء .

(٤) حديث أبى هريرة « ضرس الكافر فى النار مثل أحد ... الحديث » رواه مسلم . (٥) حديث « شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه » أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد وقال حسن صحيح غريب .

(٦) حديث « إن الكافر ليجر لسانه فرسخين يوم القيامة يتواطؤه الناس » أخرجه الترمذى من رواية أبى المخارق عن ابن عمر وقال غريب وأبو المخارق لا يعرف . (٧) حديث « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود . (٨) حديث أنس « يرسل على أهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدموع ... الحديث » أخرجه ابن ماجه من رواية يزيد الرقاشى عن أنس والرقاشى ضعيف .

كعب : لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل فى أربعة فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدا يقولون ﴿ ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ﴾ فيقول الله تعالى مجيبا لهم ﴿ ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير ﴾ ثم يقولون ﴿ ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل ﴾ فيجيبهم الله تعالى ﴿ أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال ﴾ فيقولون ﴿ ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل به ﴾ فيجيبهم الله تعالى ﴿ أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴾ ثم يقولون ﴿ ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ﴾ فيجيبهم الله تعالى ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ فلا يتكلمون بعدها أبدا وذلك غاية شدة العذاب . قال مالك بن أنس رضى الله عنه : قال زيد بن أسلم فى قوله تعالى ﴿ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ﴾ قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا ﴿ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ويقال ياأهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت [1] » وعن الحسن قال : يخرج من النار رجل بعد ألف عام وليتنى كنت ذلك الرجل . ورؤى الحسن رضى الله عنه جالسا فى زاوية وهو يبكى فقيل له : لم تبكى ؟ فقال: أخشى أن يطرحنى فى النار ولا يبالى . فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة ، وتفصيل عمومها وأجزائها ومحنها وحسرتها لانهاية له ، فأعظم الأمور عليهم مع مايلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه ، مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة ؛ إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة فى الدنيا أياما قصيرة وكانت غير صافية ، بل كانت مكدرة منغصة فيقولون فى أنفسهم واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربنا ! وكيف لم نكلف أنفسنا الصبر أياما قلائل ولو صبرنا لكانت قد انقضت عنا أيامه وبقينا الآن فى جوار رب العالمين متنعمين بالرضا والرضوان ؟ فيالحسرة هؤلاء وقد فاتهم وبلوا بما بلوا به ولم يبق معهم شىء من نعيم الدنيا ولذاتها ، ثم إنهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتها لكنها تعرض عليهم . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة مارجع الأولون والآخرون بمثلها ، فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا ، فيقول الله تعالى ذاك أردت بكم كنتم إذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس بخلاف ماتعطونى من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابونى وأجللتم الناس ولم تجلونى وتركتم للناس ولم تتركوا لى فاليوم أذيقكم العذاب الأليم مع ماحرمتكم من الثواب المقيم [2] » وقال أحمد بن حرب : إن أحدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لايؤثر الجنة على النار . وقال عيسى عليه السلام . كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح . وقال داود : إلهى لاصبر لى على حر شمسك فكيف صبرى على حر نارك؟ ولا صبر لى على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك ؟ .

فانظر يامسكين فى هذه الأهوال واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها وخلق أهلا لايزيدون ولاينقصون وأن هذا أمر قد قضى وفرغ منه قال الله تعالى ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لايؤمنون ﴾

(١) حديث « يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح » أخرجه البخارى من حديث ابن عمر ومسلم من حديث أبى سعيد وقد تقدم . (٢) حديث « يؤتى يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا روائحها . الحديث » رويناه فى الأربعين لأبى هدية عن أنس وأبو هدية إبراهيم بن هدية هالك .

ولعمرى الإشارة به يوم القيامة ، بل فى أزل ولكن أظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء ، فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدرى أن القضاء بماذا سبق فى حقك !

فإن قلت : فليت شعرى ماذا موردى وإلى ماذا مآلى ومرجعى وما الذى سبق به القضاء فى حقى ؟ فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها وهى أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك ، فإنّ كلا ميسر لما خلق له ، فإن كان قد يسر لك سبيل الخير فأبشر فإنك مبعد عن النار ، وإن كنت لاتقصد خيرا إلا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شرا إلا ويتيسر لك أسبابه فاعلم أنك مقضى عليك ، فإن دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار . فقد قال الله تعالى ﴿ إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم ﴾ فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين والله أعلم .

القول فى صفة الجنة وأصناف نعيمها

اعلم أن تلك الدار التى عرفت همومها وغمومها تقابلها دار أخرى ، فتأمل نعيمها وسرورها فإن من بعد من أحدهما استقر لا محالة فى الأخرى . فاستثر الخوف من قلبك بطول الفكر فى أهوال الجحيم واستثر الرجاء بطول الفكر فى النعيم المقيم الموعود لأهل الجنان ، وسق نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الأليم ، فتفكر فى أهل الجنة وفى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ، جالسين على منابر الياقوت الأحمر فى خيام من اللؤلؤ الرطب الأبيض فيها بسط من العبقرى الأخضر ، متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالخمر والعسل ، محفوفة بالغلمان والولدان ، مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كأنهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ، يمشين فى درجات الجنان إذا اختالت إحداهن فى مشيها حمل أعطافها سبعون ألفا من الولدان ، عليها من طرائف الحرير الأبيض ما تتحير فيه الأبصار ، مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان ، شكلات غنجات عطرات آمنات من الهرم والبؤس ، مقصورات فى الخيام فى قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان ، قاصرات الطرف عين ، ثم يطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين بيضاء لذة للشاربين ، ويطوف عليهم خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون ، فى مقام أمين فى جنات وعيون فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، ينظرون فيها إلى وجه الملك الكريم وقد أشرقت فى وجوههم نضرة النعيم ، لايرهقهم قتر ولاذلة بل عباد مكرمون وبأنواع التحف من ربهم يتعاهدون ، فهم فيما اشتهيت أنفسهم خالدون ، لايخافون فيها ولايحزنون ، وهم من ريب المنون آمنون ، فهم فيها يتنعمون ويأكلون من أطعمتها ، ويشربون من أنهارها لبنا وخمرا وعسلا فى أنهار أراضيها من فضة وحصباؤها مرجان ، وعلى أرض ترابها مسك أذفر ونباتها زعفران ، ويمطرون من سحاب فيها من ماء التسرين على كثبان الكافور ، ويؤتون بأكواب وأى أكواب بأكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج به السلسبيل العذب ، كوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته ، لم يصنعه آدمى فيقصر فى تسوية صنعته وتحسين صناعته ، فى كف خادم يحكى ضياء وجهه الشمس فى إشراقها ، ولكن من أين للشمس حلاوة مثل حلاوة صورته وحسن أصداغه وملاحة أحداقه . فيا عجبا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بأنه لا يموت أهلها ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها ولا تنظر الأحداث بعين التغيير إلى أهلها كيف يأنس بدار قد أذن الله فى خرابها ويتهنأ بعيش دونها ؟ والله لو لم يكن فيها إلا سلامة الأبدان مع الأمن

من الموت والجوع والعطش وسائر أصناف الحدثان لكان جديرا بأن يهجر الدنيا بسببها ! وأن لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغص من ضرورته ! كيف وأهلها ملوك آمنون وفى أنواع السرير ممتعون لهم فيها كل مايشتهون ، وهم فى كل يوم بفناء العرش يحضرون وإلى وجه الله الكريم ينظرون ، وينالون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه إلى سائر نعيم الجنان ولا يلتفتون ، وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم يترددون وهم من زوالها آمنون . قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينادى مناد يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا فذلك قوله عز وجل ﴿ ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ [1] » .

ومهما أردت أن تعرف صفة الجنة فاقرأ القرآن فليس وراء بيان الله تعالى بيان ، واقرأ من قوله تعالى ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ إلى آخر سورة الرحمن ، واقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور . وإن أردت أن تعرف تفصيل صفاتها من الأخبار فتأمل الآن تفصيلها بعد أن اطلعت على جملتها ، وتأمل أولا عدد الجنان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ قال « جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن [2] » ثم انظر إلى أبواب الجنة فإنها كثيرة بحسب أصول الطاعات ، كما أن أبواب النار بحسب أصول المعاصى . قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أنفق زوجين من ماله فى سبيل الله دعى من أبواب الجنة كلها وللجنة ثمانية أبواب ، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد » فقال أبو بكر رضى الله عنه والله ما على أحد من ضرورة من أيها دعى فهل يدعى أحد منها كلها ؟ قال « نعم ، وأرجو أن تكون منهم [3] » وعن عاصم بن ضمرة عن على كرم الله وجهه أنه ذكر النار فعظم أمرها ذكرا لا أحفظه ثم قال ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا ﴾ حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا إلى إحداهما كما أمروا به فشربوا منها فأذهبت مافى بطونهم من أذى أو بأس ، ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تتغير أشعارهم بعدها أبدا ولا تشعث رءوسهم كأنما دهنوا بالدهان ، ثم انتهوا إلى الجنة فقال لهم خزنتها ﴿ سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾ ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما تطيف ولدان أهل الدنيا بالحبيب يقدم عليهم من غيبة ، يقولون له : أبشر أعد الله لك من الكرامة كذا ، قال : فينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول : قد جاء فلان ـ باسمه الذى كان يدعى به فى الدنيا ـ فتقول : أنت رأيته ؟ فيقول أنا رأيته وهو بأثرى ، فيستخفها الفرح حتى تقوم إلى أسكفة بابها ، فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنيانه فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أحمر وأخضر وأصفر من كل لون ، ثم يرفع رأسه فينظر إلى سقفه فإذا مثل البرق ولولا أن الله تعالى قدره لألم أن يذهب بصره ، ثم يطأطىء رأسه فإذا أزواجه ﴿ وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة ﴾ ثم اتكأ فقال ﴿ الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى

---

(١) حديث أبي هريرة « ينادى مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة وأبى سعيد . (٢) حديث « جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى موسى . (٣) حديث أبي هريرة « من أنفق زوجين من ماله فى سبيل الله دعى من أبواب الجنة .. الحديث » متفق عليه .

لولا أن هدانا الله ﴾ ثم ينادى مناد : تحيون فلا تموتون أبدا وتقيمون فلا تظعنون أبدا وتصحون فلا تمرضون أبدا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آتى يوم القيامة باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول محمد فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك [1] » .

ثم تأمل الآن فى غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا . وكما أن بين الناس فى الطاعات الظاهرة والأخلاق الباطنة المحمودة تفاوتا ظاهرا فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر ، فإن كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى فقد أمرك الله بالمسابقة والمنافسة فيها فقال تعالى ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم ﴾ وقال تعالى ﴿ وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ والعجب أنه لو تقدم عليك أقرانك أو جيرانك بزيادة درهم أو بعلو بناء ثقل عليك ذلك وضاق به صدرك وتنغص بسبب الحسد عيشك ، وأحسن أحوالك أن تستقر فى الجنة وأنت لا تسلم فيها من أقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها ، فقد قال أبو سعيد الخدرى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما تتراءون الكوكب الغائر فى الأفق من المشرق إلى المغرب لتفاضل ما بينهم » قالوا : يارسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال « بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين [2] » ، وقال أيضا « إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع فى أفق من آفاق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما [3] » ، وقال جابر : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أحدثكم بغرف الجنة » قال : قلت بلى يارسول الله صلى الله عليك ، بأبينا أنت وأمنا قال « إن فى الجنة غرفا من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » قال : قلت يارسول الله ولمن هذه الغرف ؟ قال « لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام » قال : قلنا يارسول الله ومن يطيق ذلك ؟ قال « أمتى تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك ، من لقى أخاه فسلم عليه أو رد عليه فقد أفشى السلام ، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ، ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ، ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة فى جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام [4] » ، يعنى اليهود والنصارى والمجوس . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله ﴿ ومساكن طيبة فى جنات عدن ﴾ قال « قصور من لؤلؤ ، فى كل قصر سبعون دارا من ياقوت أحمر ، فى كل دار سبعون بيتا من زمرد أخضر ، فى كل بيت سرير ، على كل سرير سبعون فراشا من كل لون ، على كل فراش زوجة من الحور العين ، فى كل بيت سبعون مائدة . على كل مائدة سبعون لونا من الطعام ، فى كل بيت سبعون وصيفة ، ويعطى المؤمن فى كل غداة - يعنى من القوة - ما يأتى على ذلك أجمع [5] » .

---

(١) حديث « آتى يوم القيامة باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أنس .

(٢) حديث أبى سعيد « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما تتراءون الكوكب ... الحديث » متفق عليه وقد تقدم . (٣) حديث « إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما يرون النجم الطالع » رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى سعيد . (٤) حديث جابر « ألا أحدثكم بغرف الجنة » قلت : بلى يارسول الله بأبينا أنت وأمنا قال « إن فى الجنة غرفا من أصناف الجوهر ... الحديث » أخرجه أبو نعيم من رواية الحسن عن جابر . (٥) حديث : سئل عن قوله تعالى ﴿ ومساكن طيبة فى جنات عدن ﴾ قال « قصور من لؤلؤ ... الحديث » أخرجه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب العظمة والآجرى فى كتاب النصيحة من رواية الحسن بن خليفة عن الحسن قال : سألت أبا هريرة وعمران بن حصين فى هذه الآية ولا يصح والحسن ابن خليفة لم يعرفه ابن أبى حاتم ، والحسن البصرى لم يسمع من أبى هريرة على قول الجمهور .

صفة حائط الجنة وأراضيها وأشجارها وأنهارها

تأمل فى صورة الجنة وتفكر فى غبطة سكانها وفى حسرة من حرمها لقناعته بالدنيا عوضا عنها فقد قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك [١] » وسئل صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال « درمكة بيضاء مسك خالص [٢] » وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سره أن يسقيه الله عز وجل الخمر فى الآخرة فليتركها فى الدنيا ، ومن سره أن يكسوه الله الحرير فى الآخرة فليتركه فى الدنيا [٣] » وقال « أنهار الجنة تتفجر من تحت تلال ـ أو تحت جبال ـ المسك [٤] » ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعها لكان ما يحليه الله عز وجل به فى الآخرة أفضل من حلية الدنيا جميعها [٥] » وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها اقرءوا إن شئتم ﴿ وظل ممدود ﴾ [٦] » وقال أبو أمامة : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : إنّ الله عز وجل ينفعنا بالأعراب ومسائلهم ؛ أقبل أعرابى فقال : يارسول الله قد ذكر الله فى القرآن شجرة مؤذية ، وما كنت أدرى أنّ فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما هى ؟ » قال : السدر فإنّ لها شوكا ، فقال « قد قال الله تعالى ﴿ فى سدر مخضود ﴾ يخضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم تنفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من الطعام ما منها لون يشبه الآخر [٧] » وقال جرير بن عبد الله : نزلنا الصفاح فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه ، فقلت للغلام : انطلق بهذا النطع فأظله فانطلق فأظله فلما استيقظ فإذا هو سلمان فأتيته أسلم عليه فقال : يا جرير تواضع لله فإن من تواضع لله فى الدنيا رفعه الله يوم القيامة هل تدرى ما الظلمات يوم القيامة ؟ قلت : لا أدرى ! قال : ظلم الناس بعضهم بعضا ، ثم أخذ عويدا لا أكاد أراه من صغره فقال : يا جرير لو طلبت مثل هذا فى الجنة لم تجده ، قلت : يا أبا عبد الله فأين النخل والشجر ؟ قال : أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر .

صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وسررهم وأرائكهم وخيامهم

قال الله ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ﴾ والآيات فى ذلك كثيرة وإنما تفصيله فى الأخبار ؛ فقد روى أبو هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من يدخل الجنة ينعم لا يبأس لا تبلى

---

(١) حديث أبى هريرة « ان حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك » أخرجه الترمذى بلفظ « وملاطها المسك » وقال ليس اسناده بذلك القوى وليس عندى بمتصل ورواه البزار من حديث أبى سعيد بإسناد فيه مقال ورواه موقوفا عليه بإسناد صحيح . (٢) حديث : سئل عن تربة الجنة فقال « درمكة بيضاء مسك خالص » أخرجه مسلم من حديث أبى سعيد أن ابن صياد سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فذكره . (٣) حديث أبى هريرة « من سره أن يسقيه الله الخمر فى الآخرة فليتركها فى الدنيا ومن سره أن يكسوه الله الحرير فى الآخرة فليتركه فى الدنيا » أخرجه الطبرانى فى الاوسط بإسناد حسن والنسائى بإسناد صحيح « من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة ومن شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة » .

(٤) حديث « أنهار الجنة تتفجر من تحت تلال ـ أو تحت جبال ـ المسك » أخرجه العقيلى فى الضعفاء من حديث أبى هريرة

(٥) حديث « لو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعها لكان ما يحليه الله به فى الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعها » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة بإسناد حسن . (٦) حديث « ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة . (٧) حديث أبى أمامة : أقبل أعرابى فقال يارسول الله قد ذكر الله فى القرآن شجرة مؤذية قال « ماهى » قال : السدر ... الحديث » أخرجه ابن المبارك فى الزهد عن صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر مرسلا من غير ذكر لأبى أمامة .

ثيابه ولا يفنى شبابه ، فى الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر عن قلب بشر [١] ، وقال رجل : يارسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أخلق تخلق أم نسج تنسج ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك بعض القوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مم تضحكون ؟ من جاهل سأل عالما » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بل ينشق عنها ثمر الجنة مرتين [٢] » وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ أوّل زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون آنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة ورشحهم المسك ، لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشية » وفى رواية « على كل زوجة سبعون حلة [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ﴾ قال « إن عليهم التيجان إن أدنى لؤلؤة فيها تضىء مابين المشرق والمغرب [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « الخيمة درّة مجوّفة طولها فى السماء ستون ميلا فى كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون [٥] » رواه البخارى فى الصحيح قال ابن عباس : الخيمة درّة مجوّفة فرسخ فى فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب . وقال أبو سعيد الخدرى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ﴿ وفرش مرفوعة ﴾ قال : مابين الفراشين كما بين السماء والأرض [٦] » .

صفة طعام أهل الجنة

بيان طعام أهل الجنة مذكور فى القرآن من الفواكه والطير والسمان والمن والسلوى والعسل واللبن وأصناف كثيرة لاتحصى ، قال الله تعالى ﴿ كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ﴾ وذكر الله تعالى شراب أهل الجنة فى مواضع كثيرة ، وقد قال ثوبان ـ مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه حبر من أحبار اليهود فذكر أسئلة إلى أن قال : فمن أوّل إجازة ـ يعنى على الصراط ـ ؟ فقال « فقراء المهاجرين » قال اليهودى : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال « زيادة كبد الحوت » قال : فما غداؤهم على أثرها ؟ قال « ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل فى أطرافها » قال : فما شرابهم عليه ؟ قال « من عين فيها تسمى سلسبيلا » فقال : صدقت [٧] وقال زيد بن أرقم : جاء رجل من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا أبا القاسم ألست تزعم أنّ أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ؟ وقال لأصحابه : إن أقرّ لى بها خصمته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بلى والذى نفسى بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل فى المطعم

---

(١) حديث أبى هريرة « من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس لاتبلى ثيابه .. الحديث » رواه مسلم دون قوله « فى الجنة مالاعين رأت .. الخ » فاتفق عليه الشيخان من حديث آخر لأبى هريرة « قال الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين مالاعين رأت ... الحديث » .

(٢) حديث : قال رجل يارسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أتخلق خلقا أم تنسج نسجا ... الحديث أخرجه النسائى من حديث عبد الله بن عمرو . (٣) حديث أبى هريرة « أول زمرة تدخل الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر ... الحديث » متفق عليه . (٤) حديث : فى قوله تعالى ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ﴾ قال « ان عليهم التيجان أدنى لؤلؤة فيها تضىء مابين المشرق والمغرب » أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد دون ذكر الآية وقال لانعرفه الا من حديث رشدين بن سعد .

(٥) حديث « الخيمة درة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلا ... الحديث » عزاه المصنف للبخارى وهو متفق عليه من حديث أبى موسى الأشعرى . (٦) حديث أبى سعيد فى قوله تعالى ﴿ وفرش مرفوعة ﴾ قال « مابين الفراشين كما بين السماء والأرض » أخرجه الترمذى بلفظ « ارتفاعها لكما بين السماء والأرض » وقال غريب لانعرفه الا من حديث رشدين بن سعد .

(٧) حديث ثوبان : جاء حبر من أحبار اليهود فذكر سؤاله الى أن قال : فمن أول الناس اجازة ؟ يعنى على الصراط فقال « فقراء المهاجرين » قال اليهودى : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال « زيادة كبد النون ... الحديث » رواه مسلم بزيادة فى أوله وآخره .

والمشرب والجماع ، فقال اليهودى : فإنّ الذى يأكل ويشرب يكون له الحاجة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك فإذا البطن قد ضمر [١] » ، وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا [٢] » ، وقال حذيفة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ فى الجنة طيرا مثل البخاتى . قال أبو بكر رضى الله عنه : إنها لناعمة يا رسول الله ؟ قال أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر [٣] » ، وقال عبد الله بن عمر فى قوله تعالى ﴿ يطاف عليهم بصحاف ﴾ قال : يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون ليس فى الأخرى مثله . وقال عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه ﴿ ومزاجه من تسنيم ﴾ قال : يمزج لأصحاب اليمين ويشربه المقربون صرفا . وقال لو أنّ رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها .

صفة الحور العين والولدان

قد تكرر فى القرآن وصفهم ووردت الأخبار بزيادة شرح فيه . روى أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « غدوة فى سبيل الله أو روحه خير من الدنيا ومافيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ولملأت ما بينهما رائحة ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا بما فيها [٤] » يعنى الخمار ، وقال أبو سعيد الخدرى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾ قال « تنظر إلى وجهها فى خدرها أصفى من المرآة وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضىء مابين المشرق والمغرب وإنه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك [٥] » ، وقال أنس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما أسرى بى دخلت فى الجنة موضعا يسمى البيدخ عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر فقلن : السلام عليك يارسول الله ؛ فقلت : ياجبريل ماهذا النداء قال : هؤلاء المقصورات فى الخيام استأذنّ ربهنّ فى السلام عليك فأذن لهن ، فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط أبدا ونحن الخالدات فلا نظعن أبدا » وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ﴿ حور مقصورات فى الخيام [٦] ﴾ ،

---

(١) حديث زيد بن أرقم : جاء رجل من اليهود فقال : يا أبا القاسم ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ... الحديث . وفيه « حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك » أخرجه النسائى فى الكبرى بإسناد صحيح .

(٢) حديث ابن مسعود « إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا » أخرجه البزار بإسناد صحيح .

(٣) حديث حذيفة « إن فى الجنة طيرا أمثال البخاتى ... الحديث » غريب من حديث حذيفة ولأحمد من حديث أنس بإسناد صحيح « إن طير الجنة كأمثال البخت ترعى فى شجر الجنة » قال أبو بكر : يارسول الله إن هذه الطير ناعمة قال « أكلتها أنعم منها » قالها ثلاثا « وإنى أرجو أن تكون ممن يأكل منها » وهو عند الترمذى من وجه آخر ذكر فيه نهر الكوثر وقال « فيه طير أعناقها كأعناق الجزر » قال عمر : إن هذه لناعمة ... الحديث . وليس فيه ذكر لأبى بكر وقال حسن .

(٤) حديث « غدوة فى سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها ... الحديث » أخرجه البخارى من حديث أنس .

(٥) حديث أبى سعيد الخدرى فى قوله تعالى ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾ قال « تنظر إلى وجهها فى خدرها أصفى من المرآة ... الحديث » أخرجه أبو يعلى من رواية أبى الهيثم عن أبى سعيد بإسناد حسن ورواه أحمد وفيه ابن لهيعة ورواه ابن المبارك فى الزهد والرقائق من رواية أبى الهيثم عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا دون ذكر أبى سعيد وللترمذى من حديث ابن مسعود « إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض مخ ساقها من وراء سبعين حلة ... الحديث » ورواه عنه موقوفا قال وهذا أصح وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة « لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم » .

(٦) حديث أنس « لما أسرى بى دخلت فى الجنة موضعا يسمى الصرح عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر ... الحديث » وفيه « أن جبريل قال هؤلاء المقصورات فى الخيام » وفيه « فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط » لم أجده هكذا =

وقال مجاهد فى قوله تعالى ﴿ وأزواج مطهرة ﴾ قال : من الحيض والغائط والبول والبصاق والنخامة والمنى والولد. وقال الأوزاعى ﴿ فى شغل فاكهون ﴾ قال : شغلهم افتضاض الأبكار . وقال رجل : يا رسول الله أيباضع أهل الجنة ؟ قال « يعطى الرجل منهم من القوة فى اليوم الواحد أفضل من سبعين منكم [1] » وقال عبد الله بن عمر « إن أدنى أهل الجنة منزلة من يسعى له ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره فى الدنيا [2] » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن فى الجنة سوقا مافيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء ، فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها ، وإن فيها لمجتمع الحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له [3] » وقال أنس رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ الحور العين فى الجنة يتغنين : نحن الحور الحسان خبئنا لأزواج كرام [4] » وقال يحيى بن كثير فى قوله تعالى ﴿ فى روضة يحبرن ﴾ قال السماع فى الجنة . وقال أبو أمامة الباهلى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين يغنيانه بأحسن صوت سمعه الإنس والجن وليس بمزمار الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه [5] » .

بيان جمل مفرقة من أوصاف أهل الجنة وردت بها الأخبار

روى أسامة بن زيد أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه « ألا هل من مشمر للجنة إن الجنة لا خطر لها هى ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة وزوجة حسناء جميلة فى حبرة ونعمة فى مقام أبدا ونضرة فى دار عالية بهية سليمة » قالوا : نحن المشمرون لها يا رسول الله قال « قولوا إن شاء الله تعالى » ثم ذكر الجهاد وحث عليه [6] . وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : هل فى الجنة خيل فإنها تعجبنى ؟ قال « إن أحببت ذلك أتيت بفرس من ياقوتة حمراء فتطير بك فى الجنة حيث شئت » وقال له رجل : إنّ الإبل تعجبنى فهل فى الجنة من إبل ؟ فقال يا عبد الله إن أدخلت الجنة فلك فيها مااشتهت نفسك ولذت

= بتمامه والترمذى من حديث على « ان فى الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن أصواتا لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له » وقال غريب ولأبي الشيخ فى كتاب العظمة حديث ابن أبي أوفى بسند ضعيف « فيجتمعن فى كل سبعة أيام فيقلن بأصوات ... الحديث » . (١) حديث : قال رجل يارسول الله أيباضع أهل الجنة ؟ قال « يعطى الرجل منهم من القوة فى اليوم الواحد أفضل من سبعين منكم » أخرجه الترمذى وصححه وابن حبان من حديث أنس « يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا من الجماع » فقيل أو يطيق ذلك ؟ قال « يعطى قوة مائة » .

(٢) حديث « إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانيه آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره فى الدنيا » أخرجه أبو الشيخ فى طبقات المحدثين وفى كتاب العظمة من حديث ابن أبى أوفى إلا أنه قال « مائة حوراء » ولم يذكر فيه عناقه لهن ، وإسناده ضعيف ، وتقدم قبله بحديث . (٣) حديث « إن فى الجنة سوقا مافيها بيع ولاشراء إلا الصور من الرجال والنساء ... الحديث » أخرجه الترمذى فرقه فى موضعين من حديث على وقد تقدم بعضه قبل هذا بحديثين .

(٤) حديث أنس « إن الحور فى الجنة يتغنين فيقلن : نحن الحور الحسان خبئنا لأزواج كرام » أخرجه الطبراني فى الأوسط وفيه الحسن بن داود بن المنكدر قال البخارى يتكلمون فيه وقال ابن عدى أرجو أنه لا بأس به . (٥) حديث أبى أمامة « مامن عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين يغنيانه بأحسن صوت سمعه الإنس والجن وليس بمزمار الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه » أخرجه الطبرانى بإسناد حسن . (٦) حديث أسامة بن زيد « ألا هل من مشمر للجنة إن الجنة لا خطر لها ... الحديث » أخرجه ابن ماجه وابن حبان .

عيناك [١] ، وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل من أهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي ، يكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة [٢] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا استقر أهل الجنة في الجنه اشتاق الإخوان إلى الإخوان فيسير سرير هذا إلى سرير هذا فيلتقيان ويتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول ياأخي تذكر يوم كذا في مجلس كذا فدعونا الله عز وجل فغفر لنا [٣] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة جرد مرد جعاد مكحولون أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طولهم ستون ذراعا في عرض سبعة أذرع [٤] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم وثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء وإنّ عليهم التيجان وإن أدنى لؤلؤة منها لتضيء مابين المشرق والمغرب [٥] وقال صلى الله عليه وسلم « نظرت إلى الجنة فإذا الرمانة من رمانها كجلد البعير المقتب وإذا طيرها كالبخت ، وإذا فيها جارية فقلت ياجارية لمن أنت ؟ فقالت لزيد بن حارثة ، وإذا في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر [٦] » وقال كعب : خلق الله تعالى آدم عليه السلام بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس الجنة بيده ثم قال لها تكلمي فقالت ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ فهذه صفات الجنة ذكرناها جملة ثم نقلناها تفصيلا .

وقد ذكر الحسن البصري رحمه الله جملتها فقال : إنّ رمانها مثل الدلاء ، وإن أنهارها لمن ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من عسل مصفى لم يصفه الرجال وأنهار من خمر لذة للشاربين لاتسفه الأحلام ولاتصدع منها الرءوس ، وإن فيها مالا عين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ملوك ناعمون أبناء ثلاث وثلاثون في سن واحد طولهم ستون ذراعا في السماء ، كحل جرد مرد قد أمنوا العذاب واطمأنت بهم الدار ، وإن أنهارها لتجري على رضراض من ياقوت وزبرجد ، وإن عروقها ونخلها وكرمها اللؤلؤ وثمارها لايعلم علمها إلا الله تعالى ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة سنة ، وإن لهم فيها خيلا وإبلا هفافة رحالها وأزمتها وسروجها من ياقوت يتزاورون فيها وأزواجهم الحور العين كأنهن بيض مكنون ، وإن المرأة لتأخذ بين أصبعيها سبعين حلة فتلبسها فيرى

---

(١) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له هل في الجنة خيل فإنها تعجبني . . الحديث » أخرجه الترمذي من حديث بريدة مع اختلاف لفظ وفيه المسعودي مختلف فيه ورواه ابن المبارك في الزهد بلفظ المصنف من رواية عبد الرحمن بن سابط مرسلا قال الترمذي وهذا أصح وقد ذكر أبو موسى المديني عبد الرحمن بن سابط في ذيله على ابن منده في الصحابة ولا يصح له صحبة . (٢) حديث أبي سعيد « إن الرجل من أهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي ، ويكون حمله وفصاله ونشأته في ساعة واحدة » أخرجه ابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب ، قال : وقد اختلف أهل العلم في هذا فقال بعضهم : في الجنة جماع ولايكون ولد ، انتهى . ولأحمد من حديث لأبي رزين « يلد ويلم مثل لذاتكم في الدنيا ويتلذذن بكم غير أن لاتوالد » . (٣) حديث « إذا استقر أهل الجنة اشتاق الإخوان إلى الإخوان فيسير سرير هذا الى سرير هذا » أخرجه البزار من رواية الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس وقال : لانعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد تفرد به أنس انتهى . والربيع بن صبيح ضعيف جدا ورواه الأصفهاني في الترغيب والترهيب مرسلا دون ذكر أنس . (٤) حديث « أهل الجنة جرد مرد بيض جعاد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين ... الحديث » أخرجه الترمذي من حديث معاذ وحسنه دون قوله « بيض جعاد » ودون قوله « على خلق آدم » الى آخره ورواه أيضا من حديث أبي هريرة مختصرا « أهل الجنة جرد مرد كحل » وقال غريب وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة « على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا »

(٥) حديث « أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم ... الحديث » أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد منقطعا من أوله الى قوله « وإن عليهم التيجان » ومن هنا بإسناده أيضا وقال لانعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد . (٦) حديث « نظرت الى الجنة فإذا الرمانة من رمانها كجلد البعير المقتب وإذا طيرها كالبخت ... الحديث » رواه الثعلبي في تفسيره من رواية أبي هرون العبدي عن أبي سعيد وأبو هرون اسمه عمارة بن جرير ضعيف جدا وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة « يقول الله أعددت لعبادي الصالحين مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » .

مخ ساقها من وراء تلك السبعين حلة ، قد طهر الله الأخلاق من السوء والأجساد من الموت ، لا يمتخطون فيها ولا يبولون ولا يتغوطون وإنما هو جشاء ورشح مسك ، لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ، أما إنه ليس ليل يكر الغدو على الرواح والرواح على الغدو ، وإن آخر من يدخل الجنة وأدناهم منزلة لمتدله في بصره وملكه مسيرة مائة عام في قصور من الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ ، ويفسح له في بصره حتى ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه ، يغدى عليهم بسبعين ألف صحفة من ذهب ويراح عليهم بمثلها ، في كل صحفة لون ليس في الأخرى مثله ، ويجد طعم آخره كما يجد طعم أوله ، وإن في الجنة لياقوتة فيها سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت ليس فيها صدع ولا ثقب . وقال مجاهد . إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ؛ وأرفعهم الذي ينظر إلى ربه بالغداة والعشي . وقال سعيد ابن المسيب : ليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة ؛ سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة . وقال أبو هريرة رضي الله عنه : إن في الجنة حوراء يقال لها العيناء إذا مشت مشى عن يمينها ويسارها سبعون ألف وصيفة وهي تقول : أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ؟ وقال يحيى بن معاذ : ترك الدنيا شديد وفوت الجنة أشد وترك الدنيا مهر الآخرة . وقال أيضا في طلب الدنيا ذل النفوس ، وفي طلب الآخرة عز النفوس ، فيا عجبا لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى ويترك العز في طلب ما يبقى !

صفة الرؤية والنظر إلى وجه الله تبارك تعالى

قال الله تعالى ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ وهذه الزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى ، وهي اللذة الكبرى التي ينسى فيها نعيم أهل الجنة ـ وقد ذكرناه حقيقتها في كتاب المحبة ـ وقد شهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده أهل البدعة . قال جرير بن عبدالله البجلي : كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال « إنكم ترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا » ثم قرأ ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ﴾ [1] وهو مخرج في الصحيحين وروى مسلم في الصحيح عن صهيب قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ قال « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد : : يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه قالوا : ما هذا الموعد ؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار ؟ » قال « فيرفع الحجاب وينظرون إلى وجه الله عز وجل فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إليه [2] » وقد روى حديث الرؤيا جماعة من الصحابة ، وهذه هي غاية الحسنى ونهاية النعمى ، وكل ما فصلناه من التنعم عند هذه النعمة ينسى وليس لسرور أهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى ، بل لا نسبة لشيء من لذات الجنة الى لذة اللقاء : وقد أوجزنا في الكلام هنا لما فصلناه في كتاب المحبة والشوق والرضا فلا ينبغي أن تكون همة العبد من الجنة بشيء سوى لقاء المولى . وأما سائر نعيم الجنة فإنه يشارك فيه البهيمة المسرحة في المرعى .

---

(١) حديث جرير : كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال « إنكم ترون ربكم ... الحديث » هو في الصحيحين كما ذكر المصنف . (٢) حديث صهيب في قوله تعالى ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ رواه مسلم كما ذكره المصنف .

نختم الكتاب بباب فى سعة رحمة الله تعالى على سبيل التفاؤل بذلك

فقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يحب الفأل [١] وليس لنا من الأعمال ما نرجو به المغفرة فنقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى التفاؤل ، ونرجو أن يختم عاقبتنا بالخير فى الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى . فقد قال الله تعالى ﴿ إن لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ وقال تعالى ﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ وقال تعالى ﴿ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ﴾ .

ونحن نستغفر الله تعالى من كل مازلت به القدم أو طغى به القلم فى كتابنا هذا وفى سائر كتبنا ، ونستغفره من أقوالنا التى لا توافقها أعمالنا ، ونستغفره مما ادعيناه وأظهرناه من العلم والبصيرة بدين الله تعالى مع التقصير فيه ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره ، ونستغفره من كل وعد وعدناه به من أنفسنا ثم قصرنا فى الوفاء به ، ونستغفره من كل نعمة أنعم بها علينا فاستعملناها فى معصيته ، ونستغفره من كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به ، ونستغفره من كل خطرة دعتنا إلى تصنع وتكلف تزينا للناس فى كتاب سطرناه أو كلام نظمناه أو علم أفدناه أو استفدناه ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع كتابنا هذا أو كتبه أو سمعه أن نكرم بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهرا وباطنا فإن الكرم عميم والرحمة واسعة والجود على أصناف الخلائق فائض . ونحن خلق من خلق الله عز وجل لا وسيلة لنا إليه إلا فضله وكرمه . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وأخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة [٢] » ويروى أنه كان يوم القيامة أخرج الله تعالى كتابا من تحت العرش فيه إن رحمتى سبقت غضبى وأنا أرحم الراحمين فيخرج من النار مثلا أهل الجنة [٣] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيامة ضاحكا فيقول أبشروا معشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا وقد جعلت مكانه فى النار يهوديا أو نصرانيا [٤] » وقال النبى صلى الله عليه وسلم « يشفع الله تعالى آدم يوم القيامة من جميع ذريته فى مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل يقول يوم القيامة للمؤمنين هل أحببتم لقائى فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم ؟ فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد أوجبت لكم مغفرتى [٦] » وقال

---

(١) حديث : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التفاؤل . متفق عليه من حديث أنس فى أثناء حديث « ويعجبنى الفأل الصالح والكلمة الحسنة » ولهما من حديث أبى هريرة « وخيرها الفأل ؟ قال « الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم » .

(٢) حديث « ان لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة وسلمان .

(٣) حديث « اذا كان يوم القيامة أخرج الله كتابا من تحت العرش فيه ان رحمتى سبقت غضبى ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة « لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق العرش ان رحمتى سبقت غضبى » لفظ البخارى وقال مسلم « كتب فى كتابه على نفسه ان رحمتى تغلب غضبى » .

(٤) حديث « يتجلى الله لنا يوم القيامة ضاحكا فيقول أبشروا معشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد الا وقد جعلت مكانه فى النار يهوديا أو نصرانيا » أخرجه مسلم من حديث أبى موسى « اذا كان يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار » ولأبى داود « أمتى أمة مرحومة لاعذاب عليها فى الآخرة ... الحديث » وأما أول الحديث فرواه الطبرانى من حديث أبى موسى أيضاً « يتجلى الله ربنا لنا ضاحكا يوم القيامة حتى ينظروا الى وجهه فيخرون له سجدا فيقول ارفعوا رءوسكم فليس هذا يوم عبادة » وفيه على بن زيد بن جدعان .

(٥) حديث « يشفع الله آدم يوم القيامة من ذريته فى مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف » أخرجه الطبرانى من حديث أنس بإسناد ضعيف .

(٦) حديث « ان الله تعالى يقول يوم القيامة للمؤمنين هل أحببتم لقائى فيقولون نعم ... الحديث » أخرجه أحمد والطبرانى من حديث معاذ بسند ضعيف .

رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرني يوما أوخافني في مقام [١] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما أغنى عنكم إسلامكم إذ أنتم معنا في النار فيقولون كانت لنا ذنوب فأخذنا بها ، فيسمع الله عز وجل ماقالوا فيأمر بإخراج من كان في النار من أهل القبلة فيخرجون فإذا رأى ذلك الكفار قالوا ياليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ربما يود الذين كفروا لوكانوا مسلمين [٢] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها [٣] » وقال جابر بن عبد الله : من زادت حسناته على سيآته يوم القيامة فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيآته فذلك الذي يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة . وإنما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن أوبق نفسه وأثقل ظهره .

ويروى أنّ الله عز وجل قال لموسى عليه السلام : ياموسى استغاث بك قارون فلم تغثه وعزتي وجلالي لو استغاث بي لأغثته وعفوت عنه . وقال سعد بن بلال : يؤمر يوم القيامة بإخراج رجلين من النار ، فيقول الله تبارك وتعالى : ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد ، ويأمر بردهما إلى النار ، فيعدو أحدهما في سلاسله حتى يقتحمها ويتلكأ الآخر ويأمر بردهما ويسألهما عن فعلهما ، فيقول الذي عدا إلى النار قد حذرت من وبال المعصية فلم أكن لأتعرض لسخطك ثانية ويقول الذي تلكأ حسن ظني بك كان يشعرني أن لاتردني إليها بعد ماأخرجتني منها ، فيأمر بهما إلى الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينادي مناد من تحت العرش يوم القيامة ياأمة محمد أما ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي [٤] » ويروى أنّ أعرابيا سمع ابن عباس يقرأ ﴿ وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾ فقال الأعرابي : فوالله ماأنقذكم منها وهو يريد أن يوقعكم فيها ، فقال ابن عباس : خذوها من غير فقيه . وقال الصنابحي : دخلت على عبادة بن الصامت وهو في مرض الموت فبكيت فقال : مهلا ... لم تبكي ؟ فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثا واحدا وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسي ؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من شهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله حرّم الله النار عليه [٥] » وقال عبد الله ابن عمرو بن العاص : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يستخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مثل مدّ البصر ، ثم يقول أتنكر من هذا شيئا أظلمتك كتبتي الحافظون فيقول لايارب . فيقول أفلك عذر فيقول لا يارب فيقول بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك

---

(١) حديث « يقول الله عزوجل يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرني يوما أوخافني في مقام » أخرجه الترمذي من حديث أنس وقال حسن غريب . (٢) حديث « إذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين ؟ قالوا بلى فيقولون ماأغنى عنكم إسلامكم إذ أنتم معنا في النار ... الحديث » في إخراج أهل القبلة من النار ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) أخرجه النسائي في الكبرى من حديث جابر نحوه بإسناد صحيح (٣) حديث « لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها » متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب وفي أوله : قصة المرأة من السبي إذ وجدت صبيا في السبي فأخذته ببطنها فأرضعته . (٤) حديث « ينادي مناد من تحت العرش يوم القيامة ياأمة محمد أما ما كان لي قبلكم فقد غفرته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها بينكم وادخلوا الجنة برحمتي » رويناه في سباعيات أبي الأسعد القشيري من حديث أنس وفيه الحسين بن داود البلخي قال الخطيب ليس بثقة . (٥) حديث الصنابحي عن عبادة بن الصامت « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرمه الله على النار » أخرجه مسلم من هذا الوجه واتفقا عليه من غير رواية الصنابحي بلفظ آخر .

اليوم ، فيخرج بطاقة فيها « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمدا رسول الله » فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول إنك لاتظلم » قال « فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة » قال « فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء [1] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر حديث طويل يصف فيه القيامة والصراط « إن الله يقول للملائكة من وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ياربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ، ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ياربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ، يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ياربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به » فكان أبو سعيد يقول : إن لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما﴾ قال فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون منها كما تخرج الحبة فى حميل السيل ألا ترونها تكون مما يلى الحجر والشجر ما يكون إلى الشمس أصفر وأخضر ، وما يكون منها إلى الظل أبيض » قالوا يارسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال « فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة يقولون هؤلاء عتقاء الرحمن الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ، ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتم فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا مالم تعط أحدا من العالمين ، فيقول الله تعالى إن لكم عندى ماهو أفضل من هذا فيقولون ياربنا أى شيء أفضل من هذا ؟ فيقول رضائى عنكم فلا أسخط عليكم بعده أبدا [2] » رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما . وروى البخارى أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال « عرضت على الأمم يمر النبى ومعه الرجل والنبى ومعه الرجلان والنبى ليس معه أحد والنبى معه الرهط ، فرأيت سوادا كثيرا فرجوت أن تكون أمتى فقيل لى هذا موسى وقومه ، ثم قيل لى انظر فرأيت سوادا كثيرا قد سد الأفق ، فقيل لى انظر هكذا وهكذا فرأيت سواد كثيرا ، فقيل لى هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب » فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكر ذلك الصحابة فقالوا . أما نحن فولدنا فى الشرك ولكن قد آمنا بالله ورسوله هؤلاء هم أبناؤنا ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » فقام عكاشة فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم يارسول الله فقال « أنت منهم » ثم قام آخر فقال مثل قول عكاشة فقال النبى صلى الله عليه وسلم « سبقك بها عكاشة [3] » وعن عمر بن حزم الأنصارى قال : تغيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا لا يخرج إلا لصلاة مكتوبة ثم يرجع ، فلما كان اليوم الرابع خرج إلينا فقلنا : يارسول الله احتبست عنا حتى ظننا أنه قد حدث حدث قال « لم يحدث إلا خير إن ربى عز وجل وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا لا حساب عليهم وإنى سألت ربى فى هذه الثلاثة أيام المزيد فوجدت ربى ماجدا واجدا كريما فأعطانى مع كل واحد من

---

(١) حديث عبد الله بن عمرو « إن الله يستخلص رجلا من أمتى على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا » فذكر حديث البطاقة ابن ماجه والترمذى وقال حسن غريب . (٢) حديث « إن الله يقول للملائكة من وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ... الحديث » فى إخراج الموحدين وقوله تعالى لأهل الجنة « فلا أسخط عليكم بعده أبدا » أخرجاه فى الصحيحين كما ذكر المصنف من حديث أبى سعيد . (٣) حديث ابن عباس « عرضت على الأمم يمر النبى معه الرجل والنبى معه الرجلان والنبى ليس معه أحد ... الحديث » إلى قوله « سبقك بها عكاشة » رواه البخارى .

السبعين ألفا سبعين ألفا ، قال « قلت يارب وتبلغ أمتى هذا ؟ قال أكمل لك العدد من الأعراب [١] » وقال أبو ذر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عرض لى جبريل فى جانب الحرة فقال : بشر أمتك أنه من مات لايشرك بالله شيئا دخل الجنة ، فقلت ياجبريل وإن سرق وإن زنى ؟ قال : نعم وإن سرق وإن زنى ، قلت وإن سرق وإن زنى ؟ قال وإن سرق وإن زنى قلت وإن سرق وإن زنى ؟ قال وإن سرق وإن زنى وإن شرب الخمر [٢] » وقال أبو الدرداء : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ فقلت : وإن سرق وإن زنى يارسول الله ؟ فقال ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ فقلت وإن سرق وإن زنى ؟ فقال ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ فقلت : وإن سرق وإن زنى يارسول الله ؟ قال « وإن رغم أنف أبى الدرداء [٣] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مؤمن رجل من أهل الملل فقيل له هذا فداؤك من النار [٤] » وروى مسلم فى الصحيح عن أبى بردة : أنه حدث عمر بن عبد العزيز عن أبيه أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لايموت رجل مسلم إلا أدخل الله تعالى مكانه النار يهوديا أو نصرانيا » فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذى لاإله إلا هو ـ ثلاث مرات ـ أن أباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف له [٥] وروى أنه وقف صبى فى بعض المغازى ينادى عليه فيمن يزيد ـ فى يوم صائف شديد الحر ـ فبصرت به امرأة فى خباء القوم فأقبلت تشتد وأقبل أصحابها خلفها ، حتى أخذت الصبى وألصقته إلى صدرها ثم ألقت ظهرها على البطحاء وجعلته على بطنها تقيه الحر ، وقالت : ابنى ابنى ! فبكى الناس وتركوا ماهم فيه ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم فأخبروه الخبر فسر برحمتهم ثم بشرهم فقال « أعجبتم من رحمة هذه لابنها ؟ » قالوا : نعم ، قال صلى الله عليه وسلم « فإن الله تبارك وتعالى أرحم بكم جميعا من هذه بابنها [٦] » فتفرق المسلمون على أفضل السرور وأعظم البشارة .

فهذه الأحاديث وما أوردنا فى كتاب الرجاء يبشرنا بسعة رحمة الله تعالى ، فنرجو من الله تعالى أن لايعاملنا بما نستحقه ويتفضل علينا بما هو أهله بمنه وسعة جوده ورحمته .

---

(١) حديث عمرو بن حزم الأنصارى : تغيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا لايخرج إلا لصلاة مكتوبة ثم يرجع وفيه « إن ربى وعدنى أن يدخل من أمتى الجنة سبعين ألفا لاحساب عليهم » وفيه « أعطانى مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا » أخرجه البيهقى فى البعث والنشور ولأحمد وأبى يعلى من حديث أبى بكر « فزادنى مع كل واحد سبعين ألفا » وفيه رجل لم يسم ولأحمد والطبرانى فى الأوسط من حديث عبد الرحمن بن أبى بكر فقال عمر : فهلا استزدته ؟ فقال « قد استزدته فأعطانى مع كل رجل سبعين ألفا » قال عمر : فهلا استزدته ؟ قال « قد استزدته فأعطانى هكذا » وفرج عبد الله بن أبى بكر بين يديه قال عبد الله وبسط باعيه وحثى عليه وفيه موسى بن عبيدة الربذى ضعيف . (٢) حديث أبى ذر « عرض لى جبريل فى جانب الحرة فقال : بشر أمتك بأنه من مات لايشرك بالله شيئا دخل الجنة ... الحديث » متفق عليه بلفظ « أتانى جبريل فبشرنى » وفى رواية لهما « أتانى آت من ربى » . (٣) حديث أبى الدرداء : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ فقلت « وإن زنى وإن سرق ... الحديث » رواه أحمد بإسناد صحيح . (٤) حديث « اذا كان يوم القيامة دفع الى كل مؤمن رجل من أهل الملل فقيل له هذا فداؤك من النار » رواه مسلم من حديث أبى موسى نحوه وقد تقدم . (٥) حديث أبى بردة . أنه حدث عمر بن عبد العزيز عن أبيه أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لايموت رجل مسلم الا أدخل الله مكانه النار يهوديا أو نصرانيا » عزاه المصنف لرواية مسلم وهو كذلك . (٦) حديث : وقف صبى فى بعض المغازى ، ينادى عليه فيمن يزيد ، فى يوم صائف شديد الحر ، فبصرت به امرأة ... الحديث . وفيه « الله أرحم بكم جميعا من هذه بابنها » متفق عليه مختصرا مع اختلاف من حديث عمر بن الخطاب قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبى فإذا امرأة من السبى تسعى اذ وجدت صبيا فى السبى ، أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته ، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار ؟ قلنا : لاوالله وهى تقدر على أن لاتطرحه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله أرحم بعباده من هذه بولدها » لفظ مسلم وقال البخارى : فإذا امرأة من السبى قد تحلب ثديها تسعى اذ وجدت صبيا ... الحديث .

والحمد لله تعالى عودا على بدء والصلاة والتسليم على سيدنا محمد فى كل حركة وهدء .

يقول مؤلفه عبد الرحيم بن الحسين العراقى : انى أكملت مسودة هذا التأليف فى سنة ٧٦١ ، وأكملت تبييض هذا المختصر منها فى يوم الاثنين ١٢ من شهر ربيع الأول سنة ٧٩٠ انتهى .

فهرس الجزء الرابع

من إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الإمام الغزالى

صحيفة

٢ كتاب التوبة

٣ الركن الأول فى نفس التوبة ... الخ
بيان حقيقة التوبة وحدها

٤ بيان وجوب التوبة وفضلها

٧ بيان أن وجوب التوبة على الفور

٩ بيان أن وجوب التوبة عام فى الأشخاص والأحوال فلا ينفك عنه أحد البتة

١٣ بيان أن التوبة إذا استجمعت شرائطها فهى مقبولة لا محالة

١٦ الركن الثانى فيما عنه التوبة وهى الذنوب
بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات العبد

٢٣ بيان كيفية توزع الدرجات والدركات فى الآخرة على الحسنات والسيئات فى الدنيا

٣٢ بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب

٣٤ الركن الثالث فى تمام التوبة ... الخ

٤٣ بيان أقسام العباد فى دوام التوبة

٤٦ بيان ما ينبغى أن يبادر إليه التائب ... الخ

٤٩ الركن الرابع فى دواء التوبة ... الخ

٦٠ كتاب الصبر والشكر
الشطر الأول فى الصبر

٦١ بيان فضيلة الصبر

٦٢ بيان حقيقة الصبر ومعناه

٦٦ بيان كون الصبر نصف الإيمان
بيان الأسامى التى تتجدد للصبر ... الخ

٦٧ بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف

صحيفة

٦٩ بيان مظان الحاجة إلى الصبر .. الخ

٧٥ بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه

٨٠ الشطر الثانى من الكتاب فى الشكر
الركن الأول فى نفس الشكر
بيان فضيلة الشكر

٨١ بيان حد الشكر وحقيقته

٨٥ بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر فى حق الله تعالى

٩٠ بيان تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه

٩٩ الركن الثانى من أركان الشكر ... الخ
بيان حقيقة النعمة وأقسامها

١٠٩ بيان وجه الانحصار فى كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر
الطرف الأول فى نعم الله تعالى فى خلق أسباب الإدراك

١١١ الطرف الثانى فى أصناف النعم فى خلق الإرادات

١١٢ الطرف الثالث فى نعم الله تعالى فى خلق القدرة وآلات الحركة

١١٦ الطرف الرابع فى نعم الله تعالى فى الأصول التى يحصل فيها الأطعمة ... الخ

١١٨ الطرف الخامس فى نعم الله تعالى فى الأسباب الموصلة للأطعمة إليك
الطرف السادس فى إصلاح الأطعمة

١١٩ الطرف السابع فى إصلاح المصلحين

١٢٠ الطرف الثامن فى بيان نعمة الله تعالى فى خلق الملائكة عليهم السلام

١٢٣ بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر

صحيفة

١٢٧ الركن الثالث من كتاب الصبر
بيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد
١٣٤ بيان فضل النعمة على البلاء
١٣٥ بيان الأفضل من الصبر والشكر
١٤٢ كتاب الخوف والرجاء
ويشتمل على شطرين
الشطر الأول
بيان حقيقة الرجاء
١٤٤ بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه
١٤٦ بيان دواء الرجاء والسبيل الذى يحصل منه حال الرجاء ويغلب
١٥٥ الشطر الثانى من الكتاب
بيان حقيقة الخوف
١٥٧ بيان درجات الخوف واختلافه فى القوة والضعف
١٥٨ بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى مايخاف منه
١٦٠ بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه
١٦٤ بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالها
١٦٧ بيان الدواء الذى يستجلب حال الخوف
١٧٣ بيان معنى سوء الخاتمة
١٨٠ بيان أحوال الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام فى الخوف
١٨٣ بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف والصالحين فى شدة الخوف
١٨٩ كتاب الفقر والزهد
١٩٠ الشطر الأول من الكتاب فى الفقر
بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأسامية
١٩٣ بيان فضيلة الفقر مطلقا

صحيفة

١٩٩ بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين
٢٠١ بيان فضيلة الفقر على الغنى
٢٠٦ بيان آداب الفقير فى فقره
٢٠٧ بيان آداب الفقير فى قبول العطاء الخ
٢١٠ بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر فيه
٢١٤ بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال
٢١٥ بيان أحوال السائلين
٢١٦ الشطر الثانى من الكتاب فى الزهد
بيان حقيقة الزهد
٢١٩ بيان فضيلة الزهد
٢٢٥ بيان درجات الزهد وأقسامه الخ
٢٣٠ بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة
٢٤١ بيان علامات الزهد
٢٤٣ كتاب التوحيد والتوكل
بيان فضيلة التوكل
٢٤٥ بيان حقيقة التوحيد الذى هو أصل التوكل وهو الشطر الأول من الكتاب
٢٥٩ الشطر الثانى من الكتاب
بيان حال التوكل
٢٦٤ بيان ماقاله الشيوخ فى أحوال التوكل
٢٦٥ بيان أعمال المتوكلين
٢٧٢ بيان توكل المعيل
٢٧٥ بيان أحوال المتوكلين فى التعلق بالأسباب بضرب مثال
٢٨١ بيان آداب المتوكلين إذا سرق متاعهم
٢٨٦ بيان أن ترك التداوى قد يحمد فى بعض الأحوال ويدل على قوة التوكل الخ
٢٩٠ بيان الرد على من قال ترك التداوى أفضل بكل حال

صحيفة

٢٩٢ بيان أحوال المتوكلين فى إظهار المرض وكتمانه
٢٩٣ كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا
بيان شواهد الشرع فى حب العبد لله تعالى
٢٩٦ بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى
٣٠٠ بيان أن المستحق للمحبة هو الله وحده
٣٠٧ بيان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى الخ
٣١٢ بيان السبب فى زيادة النظر فى لذة الآخرة على المعرفة فى الدنيا
٣١٥ بيان الأسباب المقوية لحب الله تعالى
٣١٩ بيان السبب فى تفاوت الناس فى الحب
٣٢٠ بيان السبب قصور أفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه وتعالى
٣٢٢ بيان معنى الشوق إلى الله تعالى
٣٢٧ بيان محبة الله للعبد ومعناها
٣٢٩ القول فى علامات محبة العبد لله تعالى
بيان معنى الأنس بالله تعالى
٣٤١ بيان معنى الانبساط والإدلال الذى تثمره غلبة الأنس
٣٤٣ القول فى معنى الرضا بقضاء الله الخ
٣٤٤ بيان فضيلة الرضا
٣٤٧ بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى.
٣٥١ بيان أن الدعاء غير مناقض للرضا
٣٥٤ بيان أن الفرار من البلاد التى هى مظان المعاصى ومذمتها لا يقدح فى الرضا
٣٥٥ بيان جملة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم
٣٦٠ خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة ينتفع بها

صحيفة

٣٦١ كتاب النية والإخلاص والصدق
٣٦٢ الباب الأول فى النية
بيان فضيلة النية
٣٦٥ بيان حقيقة النية
٣٦٦ بيان سر قوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله
٣٦٨ بيان تفصيل الأعمال المتعلقة بالنية
٣٧٣ بيان أن النية غير داخلة تحت الاختيار
٣٧٦ الباب الثانى فى الإخلاص وفضيلته ودرجاته وحقيقته
فضيلة الإخلاص
٣٧٩ بيان حقيقة الإخلاص
٣٨١ بيان أقاويل الشيوخ فى الإخلاص
٣٨٢ بيان درجات الشوائب والآفات المكدرة للاخلاص
٣٨٤ بيان حكم العمل المشوب واستحقاق الثواب به
٣٧٦ الباب الثالث فى الصدق وفضيلته وحقيقته
فضيلة الصدق
٣٨٧ بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه
٣٩٣ كتاب المراقبة والمحاسبة
المقام الأول من المرابطة المشارطة
٣٩٦ المرابطة الثانية المراقبة
٣٩٨ بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها
٤٠٤ المرابطة الثالثة محاسبة النفس الخ
فضيلة المحاسبة
٤٠٥ بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل
٤٠٦ المرابطة الرابعة فى معاقبة النفس على تقصيرها
٤٠٨ المرابطة الخامسة المجاهدة
٤١٦ المرابطة السادسة فى توبيخ النفس ومعاتبتها
٤٢٣ كتاب الفكر
فضيلة التفكر

صحيفة

٤٢٥ بيان حقيقة الفكر وثمرته
٤٢٧ بيان مجارى الفكر
٤٣٥ بيان كيفية التفكر فى خلق الله تعالى
٤٤٨ كتاب ذكر الموت ومابعده
٤٤٩ الشطر الأول فى مقدماته وتوابعه الخ
الباب الأول فى ذكر الموت الخ
بيان فضل ذكر الموت كيفما كان
٤٥١ بيان الطريق فى تحقيق ذكر الموت فى القلب
٤٥٢ الباب الثانى فى طول الأمل وفضيلة قصر الأمل وسبب طوله وكيفية معالجته وفضيلة قصر الأمل
٤٥٦ بيان السبب فى طول الأمل وعلاجه
٤٥٨ بيان مراتب الناس فى طول الأمل وقصره
٤٥٩ بيان المبادرة إلى العمل وحذر آفة التأخير
٤٦١ الباب الثالث فى سكرات الموت وشدته ومايستحب من الأحوال عنده
٤٦٥ بيان مايستحب من أحوال المحتضر عند الموت
٤٦٧ بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بحكايات يعرب لسان الحال عنها
٤٦٨ (الباب الرابع) فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤٧٦ وفاة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه
٤٧٧ وفاة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه
٤٧٨ وفاة عثمان رضى الله تعالى عنه
٤٧٩ وفاة على كرم الله وجهه
٤٨٠ (الباب الخامس) فى كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين
٤٨١ بيان أقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل التصوف رضى الله عنهم أجمعين

صحيفة

٤٨٤ (الباب السادس) فى أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور
٤٨٥ بيان حال القبر وأقاويلهم عند القبور
٤٨٩ بيان أقاويلهم عند موت الولد
٤٩٠ بيان زيارة القبور والدعاء للميت ... الخ
٤٩٣ (الباب السابع) فى حقيقة الموت ومايلقاه الميت فى القبر إلى نفخة الصور
بيان حقيقة الموت
٤٩٨ بيان كلام القبر للميت وكلام الموتى إما بلسان المقال أو بلسان الحال
٤٩٩ بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير
٥٠٢ بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر وبقية القول فى عذاب القبر
٥٠٤ (الباب الثامن) فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة فى المنام
٥٠٦ بيان منامات تكشف عن أحوال المرتى والأعمال النافعة فى الآخرة
٥٠٧ بيان منامات المشايخ رحمة الله عليهم أجمعين
٥١١ (الشطر الثانى) من كتاب ذكر الموت فى أحوال الميت من وقت نفخة الصور إلى آخر الاستقرار فى الجنة أو النار وتفصيل مابين يديه من الأهوال والأخطار وفيه بيان نفخة الصور ... الخ
صفة نفخة الصور
٥١٣ صفة أرض المحشر وأهله
٥١٤ صفة العرق
٥١٥ صفة طول يوم القيامة
صفة يوم القيامة ودواهيه وأساميه
٥١٧ صفة المساءلة
٥٢٠ صفة الميزان
٥٢١ صفة الخصماء

صحيفة

٥٢٤ صفة الصراط

٥٢٦ صفة الشفاعة

٥٢٨ صفة الحوض

٥٣٠ القول فى صفة جهنم وأهوالها وأنكالها

٥٣٥ القول فى صفة الجنة وأوصاف نعيمها

٥٣٨ صفة حائط الجنة وأراضيها وأشجارها وأنهارها

صحيفة

٥٣٨ صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وسررهم وأرائكهم وخيامهم

٥٣٩ صفة طعام أهل الجنة

٥٤٠ صفة الحور العين والولدان

٥٤١ بيان جمل مفرقة من أوصاف أهل الجنة وردت بها الأخبار

٥٤٣ صفة الرؤية والنظر إلى وجه الله تعالى

٥٤٤ نختم الكتاب بباب فى سعة الله تعالى على سبيل التفاؤل بذلك

تم الفهرس وبه تم الكتاب

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي

وفلسفته في الإحياء

بقلم

الدكتور بدوي طبانة

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم

بجامعة القاهرة

الجزء الأول

دار إحياء الكتب العربية

عيسى البابي الحلبي وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الغزالي وإحياء علوم الدين

تمهيد في التصوف الإسلامي :

— ١ —

جاء الإسلام على فترة من الديانات ، و بعث محمد صلوات الله وسلامه عليه على فترة من الرسل ، ليعيد لعقيدة التوحيد صفاءها ونقاءها ، ويطهرها من أدران الشرك والوثنية ، وليعدل زيغ البشرية في عقائدها وعباداتها ومعاملاتها ؛ وليرسي القواعد الأساسية التي تقوم عليها صلة الإنسان بربه ، وتنهض بها علاقته بأخيه الإنسان ؛ وليرسم للناس مقاييس السلوك ، ويتمم مكارم الأخلاق ؛ ويضع بكل ذلك دستوراً لمجتمع قوي سليم ، تصان فيه حقوق الإنسان وحرياته ، وتحدد فيه أعباؤه وتكاليفه في المجتمع الذي يعيش فيه .

وكان في تعاليم الإسلام ونصوص القرآن أكبر باعث على تنمية الضمير الإنساني .

فقد جعلته تلك التعاليم يعتقد أن عليه رقيباً حسيباً : « مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » ، وهو يعبد الله كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه ، وهو الذي : « يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ » .

وبذلك يعلم أنه لو خُلِّيَ بينه وبين المعصية لما اقترفها ، لأنه يرى بضميره ذلك الرقيب في السر ، كما يرى آياته ماثلة شاخصة ، ويراه في جنح الظلام ، كما يرى الذين يخشاهم في رائعة النهار وأنها : « إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمٰوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ » .

وخلاصة مبادئ الإسلام مبدآن : عملٌ للدنيا وعملٌ للآخرة . يتلخصان في قوله تعالى : « وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ » . وقول الرسول: اعمل لدنياك كأنك تعيشُ أبداً ، واعملْ لآخرتك كأنك تموت غداً .

ومقتضى العمل للدنيا أن يكون الإنسان فرداً فعالا يؤثر فيما حوله ، ويتأثر بما حوله . وليس للحيّ مناص من خوض معترك الحياة ، يضطرب فيما يضطرب فيه الناس ، ساعياً في رزق ، أو طالباً لمجد وكرامة ، وتلك سُنّة الحياة وطبيعة الأحياء ، ولن تجد لسنة الله تبديلًا مادامت السموات والأرض .

وإذا وجدت فكرة التبتل والانقطاع شيئاً من الدعوة إليها ، فإن في النصوص الصريحة من الكتاب والسنة مايؤيد فكرة العمل ومايحث عليها ويطالب بها في إصرار وتوكيد ، حتى لتصبح فكرة التبتل والانقطاع وسيلة لكبح جماح النفس ، والمبالغة في طلب الحياة والحرص عليها ، واستسلام النفس للنزوات وحب الشهوات .

وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أصدق شاهد على ذلك ؛ وهو القدوة لكل مسلم ، وأقرب الخلق إلى الله سبحانه وتعالى ؛ ومنتهى القول فيه أنه إنسان كامل : « قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً » .

وآثاره صلى الله عليه وسلم فى العمل والكسب كثيرة ، منها قوله: « من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد فى سبيل الله ، ومن طلب الدنيا حلالا فى عفاف كان فى درجة الشهداء » . وروت عائشة رضى الله عنها أن النبى صنع شيئاً ترخص فيه ، وتنزه عنه قوم ، فبلغه ذلك . فحمد الله ، ثم قال : مابال أقوام يتنزهون عن الشىء أصنعه ؟ فوالله إنى أعلمهم بالله ، وأشدهم له خشية !

هذا العمل نفسه ، وإن كان للدنيا ، وإن كان للفرد يتحرى به خيره أو خير غيره ، عمل للآخرة إذا ما انبعث فيه الحق ، وأنصف نفسه من غيره ، وأنصف الناس منه ، وابتغى بذلك الإنصاف وجه الله والدار الآخرة ، وراعى أصول العقائد والعبادات التى تكون بين العبد وربه ، لاتتجاوز تلك الدائرة إلاّ قليلاً .

وهكذا كان القصد والاعتدال من سنن الإسلام ، الذى يمقت الغلو أشد المقت . فالإسراف فى النفقة رذيلة ، والمسرف من إخوان الشياطين ؛ مع أن بذل المال مطلوب ، وكنزه يوجب العقاب: « وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ » . ولكن الذى يضيع ماله على خلاف مقتضى العقل والشرع ، ولوفى الخير كبناء المساجد ؛ سفيه ينبغى الحجر عليه ومنعه من التصرف فى ماله .

والذى يعنت نفسه فى ضروب العبادات ويبالغ فيها مسرف ، كالمنبت الذى لايقطع أرضاً ، ولا يبقى ظهراً . ومثله سواء بسواء المقبل على الدنيا ، العاكف على لذتها ، المتهالك على عرضها الزائل ، الذى شغل بها عما عند الله ، وغفل عن حق ربه ، وحق دينه ، وحق غيره فيما عنده .

— ٢ —

كذلك كان الإسلام ، وكذلك كانت سماحة الإسلام : فرض على المسلم صلاةً وزكاةً وصوماً وحجًّا ؛ وكتب عليه جهاداً لايقوى عليه إلا بحسن التدبير الذى يستلزم صحة الأبدان وصحة العقول ، وإعداد المال والرجال ، من غير طغيان حق على حق ، أو إيثار العاجلة على الآجلة .

وسار المسلمون هذه السيرة فى الصدر الأول ؛ حتى آل الأمر إلى مُلك عضوض ، أصبحت فيه السياسة فناً لايتحرج فيه عن الوسيلة فى التماس الغلبة ، وطغت المادية على رجال الحكم ، وقلدهم فى ذلك رعاياهم ، فأقبلوا على الدنيا وعكفوا على ضروب الخداع واللهو ، واتخذوا الجوارى والقيان ، وسكنوا القصور ، وعمروا الأرض ، واصطنعوا الملاذ التى كان يترفع عنها المسلمون فى الصدر الأول ، وحاموا حول الشبهات ، واستهتروا بها ، وتأولوا فى استباحتها آى القرآن وسنة النبى .

وقد كان للخلفاء بنى أمية سياستان اقتضاهما الحفاظ على الملك فى بيتهم يتوارثه أبناؤهم وخلفاؤهم ، فهم يتبعون سياسة القمع ويعملون السيف والعسف مع الخارجين عليهم من أهل العراق الذين كانوا شيعة لعلىّ وأهل بيته ؛ وهم يبتلونهم بالجفاة الغلاظ من الولاة والعمال ؛ على حين يصانعون أشراف الحجاز الذين كانت قلوب الساخطين الناقمين على سياسة بنى أمية تتطلع إليهم ، فترى الخلفاء يلينون لهم فى القول ويتجاوزون عن مسيئهم ، ويشجعون حياة اللهو والترف فيهم بما يغدقون عليهم من العطاء ، ليشغلوهم عن التطلع إلى الخلافة وإلى مناصب الدولة .

أما ذوو الجاه الذين مدّ لهم السلطان فى الأسباب فظلوا سادرين فى لهوهم وترفهم . على حين يئس الآخرون من عامة أهل الحجاز وسواد أهل العراق من كل سبب من أسباب الدنيا .

وكان هذا اليأس من المنصب والحرمان من البر والفرار من الفتنة التى حدثت فى صفوف المسلمين ، مدعاة لعكوفهم على العبادة والزهادة ؛ فانطووا على أنفسهم ، يتذاكرون كتاب الله وسنة نبيه ، ويشغلون أنفسهم بقصص الوعظ والزهد ، والتصبر بما وعد الله الصابرين من الأجر وجزيل الثواب .

عاد هؤلاء إلى نصوص القرآن والسنة النبوية يستخلصون منهما نصوص الترغيب فيما عند الله وابتغاء ثواب الآجلة ليجعلوه منهجهم فى الدار الفانية ؛ ورأوا الزهد والانصراف إلى العبادة مرقاة الصعود إلى الله وكسب رضاه ، والوصول إلى المعرفة الكاملة بملكوت الله ، وهم يوقنون أن أسرار الملكوت محجوبة عن القلوب التى دنسها حبّ الدنيا التى استغرق أكثر همها طلب العاجلة ؛ بما فيها من رغد وزينة وجاه وسلطان: « زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَاتِ مِنَ ٱلنِّسَاءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَاطِيرِ ٱلْمُقَنْطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَامِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ ٱلْمَآبِ » .

والأصل هو معرفة الله تعالى ، ثم سلوك الطريق إليه ، فأما أمر الآخرة فيكفى فيه الإيمان المطلق ، فإن للعارف المطيع معاداً مسعداً ، وللجاحد العاصى معاداً مشقياً ، فأما معرفة تفصيل ذلك فليس بشرط فى السلوك ، لكنه زيادة تكميل للتشويق والتحذير (١) .

وذلك الأصل هو الذى أفنى فيه أولئك زهرة حياتهم ، وهو الذى أنفقوا فى التعرف عليه جل ما وهبوا من عقل وتفكير ، وهو الذى ساقهم إلى التدبر فى فهم آثار الصنعة ، حتى يتسنى لهم الوصول بها إلى المعرفة الحقة بالصانع ، وتلك المعرفة غاية فى ذاتها ، إذ بها يصبح العبد ربانياً ، وفى درك تلك الغاية السعادة الحقة ، وكل ما يصطنعه العبد من عمل ومجاهدة إنما هو للوصول إلى تلك الغاية ، غاية المعرفة .

ولا تكون تلك الغاية لمن نظر إلى غير الخالق ، لأن النظر إلى غيره عمّى عنه ، وغفلة عن طريقه ، ولا يجمل بالحر المريد أن يتذلل للعبيد ، كيف وهو يجد عند الله كل ما يريد (٢) ، وإذا انقطع العبد إلى الله تعالى بالكلية فأول ما يفيده الاستغناء به عن الناس .

---

(١) الغزالى : جواهر القرآن ١٢ (طبعة الرحمانية ـ القاهرة ١٣٥٢ هـ)

(٢) راجع فوات الوفيات لابن شاكر ١/٣ (مطبعة بولاق ـ القاهرة ١٢٩٩ هـ) .

والطريق إلى الله يستلزم أمرين : الملازمة والمخالفة . والملازمة ملازمة ذكر الله تعالى، والمخالفة لما يشغل عن الله ، وهذا هو السفر إلى الله . وليس فى هذا السفر حركة لا من جانب المسافر ولا من جانب المسافر إليه ، فإنهما معاً . أوَ ما سمعت قوله تعالى ، وهو أصدق القائلين : « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ » ؟! .

بل مثل الطالب والمطلوب مثل صورة حاضرة مع مرآة ، ولكن ليست تتجلى فى المرآة لصدأ فى وجه المرآة ، فمتى صقلتها تجلت فيها الصورة ، لا بارتحال الصورة إلى المرآة ، ولا بحركة المرآة إلى الصورة ، ولكن بزوال الحجاب ، فإن الله تعالى متجل بذاته لا يختفى ، إذ يستحيل اختفاء النور ، بل بالنور يظهر كل خفاء ، والله نور السموات والأرض .

وإنما خفاء النور عن الحدقة لأحد أمرين : إما لكدورة فى الحدقة ، وإما لضعف فيها ، إذ لا تطيق احتمال النور العظيم الباهر ، كما لا يطيق نور الشمس أبصار الخفافيش . . . والنور يتجلى فى بعض المرايا أصح وأظهر وأقوم وأوضح ؛ وفى بعضها أخفى وأميل إلى الاعوجاج عن الاستقامة ، وذلك بحسب صفاء المرآة وصقالتها وصحة استدارتها، واستقامة بسط وجهها ، فلذلك قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله يتجلى للناس عامة ولأبى بكر خاصة [1] » .

ومن هذا الدليل المادى كان الاتجاه العملى إلى جلاء النفس وصقلها ، وسبيل ذلك مجاهدة النفس وإحكام مخالفتها بالانصراف عن الدنيا ، والعكوف على العبادة ، وترويضها بطول الخلوة والسياحة والصوم وقلة الطعام فى الفطر وكثرة الذكر ، وغير ذلك من وسائل حمل النفس على غير ما تشتهى .

ويبدو من هذا أن السلبية كانت الطابع العام ، ومحاربة النفس كانت الأصل عند أولئك الزاهدين فى الدنيا وزينتها .

— ٣ —

وكانت بعد ذلك حركات عقلية اقتحمت أودية التفكير الإسلامى ، ونبهت المسلمين إلى ألوان من المعرفة لم يكن لهم من أكثرها حظ ؛ وضروب من التفكير لم يسبق لهم مزاولتها ، والأمة الإسلامية تتطلع إلى احتلال منزلتها ؛ وبناء مدنيتها على تلك الأسس الوطيدة التى أرسى دعائمها الإسلام، وهو دين البشرية الذى بعث صاحبه إلى الأسود والأحمر : « لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ » وهو رسول الله وخاتم النبيين .

ولذلك كان على حماة هذا الدين والقوامين عليه أن يطوفوا بكل جهات المعرفة ، ويقفوا على ما عند غيرهم من أبناء الأمم من ضروب المعرفة وألوان التفكير ، حتى لا تخفى عليهم زاوية من زوايا العقل ، ولذلك لم يقفوا عند حدود النصوص ليؤمنوا بها إيماناً مطلقاً ، ولم يعودوا يكتفون بالإيمان المجرد . بل أحسوا بضرورة البحث فى أسس هذا الإيمان وضرورة تطبيقه على العقل . وقد وجدوا فى نصوص الدين ما يحث على ذلك النظر وما يشجع على إعمال العقل والتفكير .

وكانت هنالك أمم سبقتهم إلى البحث والتفكير فى الكون وخالقه ، والحياة وما وراءها ، والإنسان فى

(١) جواهر القرآن للغزالى ١٢

حياته وموته وبعثه . وكان لتلك الأمم تراث خلفه علماؤها، وورّثه حكماؤها الإنسانية لتنظر فيه ، وتنقص منه أو تزيد عليه ، ما وسعتها الزيادة وما وسعها التهذيب والتصحيح .

وجدّ المسلمون فى جمع ذلك التراث ونقله إلى لسانهم العربى ، حتى إذا اجتمع لهم منه شىء كثير ، أخذوا فى تفهمه ومدارسته ، وجدّوا فى تمحيصه وتطبيقه على ما ورثوه من دين ومعرفة وعقيدة وعبادة ومعاملة وسلوك .

وقد بلغ هذا التيار مداه فى القرنين الثالث والرابع الهجريين . ففى هذين القرنين كانت أودية العلم تموج بتلك التيارات الفكرية الطارئة التى حذقها كثير من المسلمين ، وعظم بذلك سلطان العقل ، وطغى الجدل بين العلماء طغياناً كاد يُنسى كثيرا منهم الأصل الذى ورثوه عن إسلامهم وعروبتهم .

فالحكمة الهندية وفلسفة فارس وفلسفة يونان ومنطقهم ، كل ذلك أصبح يجرى على ألسنة العلماء والمتكلمين من المسلمين ويشغل بالهم ، ويدعوهم إلى البحث فى دينهم وأصول عقائدهم على ضوء هذه المعرفة التى جدّت على بيئتهم ووجد فيهم من يتعصب لتلك الثقافات الطارئة ، ومن يؤثرها على ثقافته الأصيلة ، إلى جانب الذين وصلوا هذه بتلك ، وكوّنوا من هذا المزاج زاداً جديداً للعقل العربى الإسلامى .

وعاد الأمر إلى أولئك الزهاد الذين صدفوا عن الدنيا وزينتها ، ولم تعد السلبيّة التى كانوا يؤثرونها تقبل منهم فى هذا المجتمع المضطرب ، فقد أصبح الفكر دعامة كل منهج من مناهج الحياة ، سواء أكان ذلك المنهج منهجا نظريا ، أم منهجا عمليا . ولذلك وجدوا أنفسهم فى حاجة إلى فلسفة فكرتهم فى الحياة حتى تنهض على أسس تماثل تلك الأسس التى أقام عليها غيرهم سلوكهم فى الحياة .

الإمام الغزالى

وقد أنجب القرن الخامس الهجرى علماً من أعلام الفكر الإسلامى ، هو حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد ابن محمد الغزالى ، ويجمل بنا أن نشير إلى شىء من تاريخ هذا الإمام ، لنقف من هذا التاريخ على العوامل التى تظاهرت على تكوين هذه العقلية الفريدة ، وألوان الثقافة التى احتشدت فى ذهنه ، وجعلته أهلا لأن يحتل تلك المنزلة الجليلة بين زهاد المسلمين ومتصوفيهم وأنباه مفكريهم .

وفى مدينة طوس[1] وفى منتصف القرن الخامس الهجرى (٤٥٠ هـ) ولد أبو حامد من أب عفّ القلب واليد، يغزل الصوف ويبيعه ، ويختلف فى أوقات فراغه إلى العلماء فى حلقاتهم والفقهاء فى دروسهم ، والوعاظ فى مجالسهم ، يستمع إليهم ، ويتطلع إلى صنيعهم فى التعليم والإفادة ، ويلاطفهم بما يعضل من قوته وحاجته . وكان

---

(١) طوس : مدينة بخراسان . بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ ، فتحها المسلمون فى أيام عثمان بن عفان ، وبها قبر على بن موسى الرضا ، وقبر هارون الرشيد ، وبها آثار إسلامية جليلة .

قال ياقوت : خرج من طوس من أئمة أهل العلم والفقه مالا يحصى ، وحسبك بأبى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى وأبى الفتوح أخيه .. (معجم البلدان ٦/٧١).

تأثره بتلك المجالس وما يدور فيها من فنون العلم والوعظ عظيما ، جعله يضرع إلى الله أن يهب له ولداً من صلبه يجلس مجالس أولئك الفقهاء والوعاظ الذين يعلمون الناس أمور دينهم ، ويبصرونهم بخير الحياة الدنيا والآخرة .

واستجاب الله لدعائه فرزقه ولدين : أحدهما أبو حامد الذى نتحدث عنه ، والآخر أخوه أحمد الذى اشتغل بالوعظ وبرع فيه إلى درجة كبيرة (١) .

ولما حضرت الوفاة ذلك الأب الصالح وصّى بأبى حامد وأخيه صديقا له من أهل التصوف . وقال له : إنّ لى لتأسّفا عظيما على ما فاتنى من التعلم ، وأشتهى استدراك ما فاتنى فى ولدىّ هذين ، فعلّمهما ، ولا عليك أن ينفد فى سبيل ذلك جميع ما أخلفه لهما !

وأنفذ الصوفىّ وصيته ، وأقبل على تعليمهما ، حتى فنى المال القليل الذى خلّفه أبوهما ، وتعذر عليه المضىّ فى تعليمهما أو تقديم الطعام الذى يقتاتان به . ولم يجد من السبل ما يحفظ به عليهما حياتهما إلا أن يلحقهما بمدرسة من تلك المدارس التى تقدم لطلاب العلم فيها الغذاء والكساء . وقد أحسن الرجل بذلك صنعاً إلى هذين اليتيمين اللذين لا عائل لهما ولا مال يعينهما على الحياة ، ولذلك كان الغزالى يقول وهو يذكر هذا الصنيع : « طلبنا العلمَ لغير الله فأبى أن يكونَ إلا لله » . ومعنى ذلك أنهما طلباه ليكون وسيلة للعيش ، يُجْرى عليهما بسببه ما يُجْرى على طلبة العلم ، فكان أن أوصلهما إلى الغاية الحقيقية من طلب العلم ، وهى معرفة الله تعالى حق المعرفة !

هذا أبو حامد يقرأ فى صباه طرفا من الفقه ببلده (طوس) ثم يسافر إلى (جرجان)(٢) ويأخذ عن أبى نصر الإسماعيلى ، ثم يرجع إلى طوس ، فيقيم بها إلى ماشاء الله حتى يرتحل إلى (نيسابور)(٣) فيلازم إمام الحرمين أبا المعالى الجُوينىّ ، ويجد فى طلب الفقه ، فيبرع فيه وفى الجدل والمنطق والفلسفة ويفقه كلام أهل تلك العلوم ، ويتصدى للرد عليهم ، وإبطال دعاواهم ، ثم يقصد (العسكر) بعد وفاة إمام الحرمين ، ويلقى فيها الوزير نظام الملك ، ويناظر فى مجلسه الأئمة والعلماء ، ويقهر مناظريه ، حتى يعترف الجميع له بالفضل ، ويأمره نظام الملك بالتوجه إلى (بغداد) والتدريس فى المدرسة النظامية ، فيقدمها سنة ٤٨٤ هـ وفى تلك المدرسة يعظم مجده ، ويتألق نجمه ، ويذيع صيته ،

---

(١) هو أبو الفتوح أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسى الغزالى الملقب مجد الدين . قال ابن خلكان : كان واعظا مليح الوعظ ، صاحب كرامات وإشارات ، وكان من الفقهاء غير أنه مال إلى الوعظ ، فغلب عليه ، ودرس بالمدرسة النظامية نيابة عن أخيه أبى حامد لما ترك التدريس زهادة فيه ، واختصر كتاب أخيه أبى حامد المسمى بإحياء علوم الدين فى مجلد واحد ، وسماه (لباب الإحياء) وله تصنيف آخر سماه (الذخيرة فى علم البصيرة) وطاف البلاد وخدم الصوفية بنفسه ، وكان مائلا إلى الانقطاع والعزلة . وتوفى أحمد بقزوين فى سنة عشرين وخمسمائة [انظر وفيات الأعيان ١ / ٢٠٧ — مطبعة عيسى البابى الحلبى — القاهرة ١٣٥٥ هـ]

(٢) جرجان : مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان ، فبعض أهلها من هذه وبعضهم من هذه . قيل إن أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبى صفرة ، وقد خرج منها صفوة من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين ، ولها تاريخ ألفه حمزة بن يزيد السهمى . قال الإصطخرى : أما جرجان فإنها أكبر مدينة بنواحيها ، وهى أقل ندى ومطرا من طبرستان ، وأهلها أحسن وقاراً وأكثر مروءة من كبرائهم . ولجرجان مياه كثيرة وضياع عريضة ، وليس بالمشرق بعد أن تجاوز العراق مدينة أجمع ولا أطهر حسنا من جرجان (راجع معجم البلدان ٣ / ٧٥ طبعة السعادة ١٩٠٦ م) .

(٣) نيسابور : بلد كثير الفواكه والخيرات ، كان المسلمون قد فتحوها فى أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه ، والأمير عبد الله بن عامر ابن كريز فى سنة ٣١ صلحا ، وقيل إنها فتحت فى أيام عمر رضى الله عنه على يد الأحنف بن قيس ، وإنما انتقضت فى أيام عثمان ، فأرسل إليها عبد الله بن عامر ففتحها ثانية .

حتى ليقال إن مجلس الغزالى كان يحضره ثلثمائة عمامة من أكابر العلماء . وأصبح مضرب المثل فى التدريس والإفادة ؛ تشد إليه رحال طالبى العلم وأهل الورع . ولكن نفسه تصد عن المنصب والجاه ، ويرى أن العلم مع شرفه ، والتعليم الذى يقوم به ، غير خالصين لوجه الله تعالى ، بل باعثهما ومحركهما طلب الجاه وبعد الصيت ، فتيقن أنه على شفا جرف هار ، وأنه قد أشفى على الهلاك إن لم يسرع بتلافى ماهو فيه .

وحينئذ يظهر عزمه على الخروج إلى مكة ، وهو يدبر فى نفسه السفر إلى الشام ، ولكنه لايصرح بنيته حذراً أن يطلع الخليفة وجملة الأصحاب على عزمه المقام بالشام ، فيتلطف بلطائف الحيل فى الخروج من بغداد وهو ينوى ألا يعاودها أبداً ؛ واستهدف بذلك لأئمة أهل العراق ، إذ لم يكن فيهم من يجوّز أن يكون الإعراض عما كان فيه سبباً دينيا ، فقد ظنوا أنه بلغ المنصب الأعلى فى الدين ، وكان ذلك مبلغهم من العلم .

وقد ارتبك الناس فى الاستنباطات ، وظن من بَعُد عن العراق أن ذلك كان لاستشعار من جهة الولاة ، وإما من قرب من الولاة ، وكان يشاهد إلحاحهم فى التعلق به والانكباب عليه وإعراضه عنهم ، وعن الالتفات إلى قولهم ، فيقولون : هذا أمر سماوىّ ، وليس له سبب ، إلا عين أصابت الإسلام وزُمرة أهل العلم !

وفارق بغداد ، بعد أن فرق ما كان معه من المال ، ولم يدّخر إلا قدر الكفاف وقوت الأطفال ، ترخّصاً بأن مال العراق مُرْصَدٌ للمصالح لكونه وقفاً على المسلمين ، فلم ير فى العالَم مالاً يأخذه العالم لعياله أصلح منه . ودخل الشام ، وأقام به ما يقرب من سنتين لا شغل له إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة ، اشتغالا بتزكية النفس ، وتهذيب الأخلاق ، وتصفية القلب لذكر الله تعالى ، فكان يعتكف فى مسجد دمشق ، يصعد منارته طول النهار ويغلق بابها على نفسه ، حتى رحل إلى بيت المقدس ، يدخل كل يوم الصخرة ، ويغلق بابها على نفسه .

ثم تحركت فيه داعية الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة ، وزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه ، فسار إلى الحجاز ؛ حتى جذبته الهمم ودعوات الأطفال إلى الوطن فعاوده بعد أن كان أبعد الخلق عن نية الرجوع إليه .

وفى تلك الرحلات صدفت نفسه عن الدنيا ، ولبس الخشن من الثياب ، وقلل طعامه وشرابه ، وصار يطوف المشاهد ويزور المقابر والمساجد للعظة والاعتبار ، ويروض نفسه ويجاهدها جهاد الأبرار ، ويكلفها مشاق العبادات ، ويبلوها بأنواع القُرَب والطاعات ، وفى هذه الأثناء ألف هذا الكتاب (إحياء علوم الدين) حتى رجع إلى بغداد فحدّث به .

عاد الغزالى بعد ذلك إلى خراسان ، وانقطع للعبادة ، وآثر العزلة حرصاً على الخلوة وتصفية القلب للذكر ، حتى طلب إليه فخر الملك بن نظام الملك أن يقوم بالتدريس بالمدرسة النظامية فى نيسابور ، ولكن الغزالى تأبّى وقال : أريد العبادة ! فقال له : لا يحلّ لك أن تمنع المسلمين الفائدة منك ! فدرس مدة يسيرة .

يقول الغزالى فى ذلك : ترخصت بينى وبين الله تعالى بالاستمرار على العزلة ، تعللا بالعجز عن إظهار الحق

بالحجة ، فقدّر الله تعالى أن حرّك داعيـة سلطان الوقت من نفسه ، لا بتحريك من خارج ، فأمر أمر إلزام بالنهوض إلى « نيسابور » لتدارك هـذه الفترة . وبلغ الإلزام حداً كان ينتهى — لو أصررت على الخلاف — إلى حد الوحشة . فخطر لى أن سبب الرخصة قد ضعف ، فلا ينبغى أن يكون باعثك على ملازمة العزلة الكسل والاستراحة . وطلب عز النفس وصونها عن أذى الخلق ، ولم ترخص نفسك بعسر معاناة الخلق، والله تعالى يقول : « أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ؟ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ . . . » الآية . ويقول عز وجلّ لرسوله ، وهو أعز خلقه : « وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ ٱللهِ ، وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ ٱلْمُرْسَلِينَ » . . . فشاورت فى ذلك جماعة من أرباب القلوب والمشاهدات ، فاتفقوا على الإشارة بترك العزلة ، والخروج من الزاوية ، وانضاف إلى ذلك منامات من الصالحين كثيرة متواترة ، تشهد بأن هـذه الحركة مبدأ خير ورشد ، قدرها الله تعالى على رأس هذه المائة ، وقد وعد الله سبحانه بإحياء دينه على رأس كل مائة ، فاستحكم الرجاء ، وغلب حسن الظن بسبب هذه الشهادات، ويسّر الله تعالى الحركة إلى (نيسابور) للقيام بهذا المهم فى ذى القعدة سنة تسع وتسعين وأربعمائة . . .

قال : وأنا أعلم أنى وإن رجعت إلى نشر العلم ، فما رجعت ؟ فإن الرجوع عود إلى ما كان ! وكنت فى ذلك الزمان أنشر العلم الذى به يكسب الجاه ، وأدعو إليه بقولى وعملى ، وكان ذلك قصدى ونيّتى . وأما الآن فأدعو إلى العلم الذى به يُترك الجاه ، ويعرف به سقوط رتبـة الجاه ، هذا هو الآن نيّتى وقصدى وأمنيّتى ، يعلم الله ذلك منى !

وأنا أبغى أن أصلح نفسى وغيرى ، ولست أدرى أأصل إلى مرادى أم أُحْتَرَم دون غرضى ؟ ولكنى أومن إيمان يقين ومشاهدة أنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وأنى لم أتحرك ، لكنّه حرّكنى ، وأنى لم أعمل ، لكنه استعملنى ، فأسأله أن يصلحنى أولا ، ثم يصلح بى ، ويهدينى ، ثم يهدى بى [1] .

وأخيرا يعود الغزالى إلى طوس بعـد المدة التى قضاها فى نيسابور ، ويتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء ، وخانقاه للصوفية ، ويوزّع أوقاته على وظائف من ختم القرآن ، ومجالسة الصوفية ، والتدريس لطلبة العلم ، وإدامة الصلاة والصيام وسائر العبادات ، حتى توفى فى رابع عشر جمادى الآخرة سنة ٥٠٥ هـ .

⁂

ذلك ما استطاعت صفحات التاريخ أن تعيه من حياة أبى حامد الرجل فى هذه الحياة الدنيا .

أما عقليته ،فقد رأينا أن هذه السطور لا تكاد تصورها الصورة الكاملة ، ولن تجد فى هذه الترجمة إلا لمحات من فقره وورعه وعلمه وزهده ، وقد لا يجد القارىء فى هذه الصورة شيئا غريباً ، إنها صورة عادية تمثل رجلا نشأ فقيراً ، فزهد كرها أو طوعاً ، وتصوف راضيا أو مضطرا.

وتلك الملامح كثيرة الوجود فى البيئات الإسلامية فى عصر أبى حامد وفى غيره من العصور الإسلامية .

---

(١) المنقذ من الضلال للغزالى : ص ١٤٤ (الطبعة الثانية : القاهرة ١٩٥٥ م) .

وإنك لواجدٌ العلم الدينى يطلبه الغنىّ والفقير ، والعلم العربىّ يجرى فى المجالس والمدارس والمساجد ميسراً لطالبيه ، ولا يكاد يكلفهم نفقة ولا جهداً .

بل ربما كان طلب هذا العلم باباً من أبواب الرزق ، وسبيلا من السبل التى يسلكها الكثيرون من طالبى الحياة لأجل القوت ، حتى يقووا على السعى والكدّ فى طلبها ، أو حتى يفتح لهم هذا العلم نفسه باباً ، ويهيئ لهم بين العلماء منزلة تهيئ لهم منصباً وجاهاً ، ينالون به الحظوة والزلفى عند أصحاب الملك والسيادة والسلطان ، فتدر لهم أخلاف العطاء ، وينالون بالعلم ما يشتهون من زينة الدنيا وترفها . وهذا ما تؤكده قصة الصوفىّ مع أبى حامد ، بعد استهلاك القليل الذى خلفه أبوه له ولأخيه ؛ واضطراره لأن يدخلهما مدرسة كأنهما من طلبة العلم . ويؤكده أيضاً كلمة الغزالى السابقة : « طلبنا العلم لغير الله ، فأبى أن يكون إلا لله ! »

ولا شك أن كثيراً من شباب المسلمين قد سلك تلك السبيل التى سلكها أبو حامد ، ولكنهم لم يتمتعوا بما متع به من العقلية الصافية والذكاء الخارق والإخلاص للعلم ، والتفانى فى طلب الحقيقة ، بسلوك سبيلها ، وهو سبيل شاق طويل ، لا يقوى على سلوكه إلا أولو العزم من الباحثين الصابرين ، الذين إذا التوى بهم طريق ، ووجدوه لا يوصل إلى الغاية ، جددوا العزم وشحذوا قوتهم وطلبوا غيره ، ووجدوا فى هذا العناء وفى تلك المصابرة والمثابرة متعة لنفوسهم وراحة لعقولهم الجادة فى طلب المعرفة .

الشك عند الغزالى :

عاش الغزالى فى القرن الخامس الهجرى ، وهو القرن الذى نضجت فيه العقول واستوت أودية التفكير وتعددت روافده ، بين أصيل ودخيل ، وآخذ من هذا وذاك . واختلفت أساليب المعرفة ، ومناهج البحث عن الحقيقة التى ينشدها كل مفكر . وكثر المتكلمون فى العقائد وفى أصول الدين ، وفى الطبيعة وما وراء الطبيعة ، وفى المذاهب والديانات ، وفى أفعال العباد وغاياتهم .

وكثر المتكلمون فى كل مسألة من تلك المسائل ، واختلفوا فيما بينهم اختلافاً عظيما ، حتى ليكاد التوفيق بين تلك الآراء المتباينة ، والمذاهب المتباعدة يصبح ضرباً من المستحيل .

وتبدو الصعوبة فى أعظم صورها أمام كل باحث يريد أن يختط لنفسه خطة بين هذه الخطط الكثيرة والأكثرون يتخيرون لأنفسهم طريقة من الطرق المسلوكة يعكفون عليها ؛ ويفقهون نهجها ، ثم يغالون بها ما وسعتهم المغالاة . وربما كانت مقالتهم دون غيرها من المقالات ، وربما كانت أدلتهم دون أدلة غيرهم ، ولكنهم فى الواقع يؤثرون السلامة بالبحث فى دقائق إحدى النواحى ، على حين يغفلون غيرها أو يلمون بها إلماماً عامًّا ، ولم يتسع لهم الوقت للإمعان فى المناهج الكثيرة التى تباين منهجهم ومقالتهم .

وأمام هذا الغلو فى الاعتقاد والتعصب لرأى أو لمنهج أو طريق سلوك ، ورفض كل ما عدا أولئك ، يجد الباحث المجدد نفسه أمام تيار من التردد ، وسيل من الشك فى أى الطرق يختار لنفسه ، إن كان لا يرى التقليد فى إيثار هذا المذهب على ذاك .

وجد الغزالى نفسه بين هذه المذاهب التى لا تكاد تحصى ، وأمام تلك الاتجاهات التى يستحيل التوفيق بينها ، فبدأ حيث بدأ غيره يلم بأطراف من الثقافة السائدة ، ونفسه تتطلع للمزيد ، وإذا المزيد الذى يريده لليقين يسلمه إلى شك طويل ، وإذا هـذا الشك يبدو أمامه فى كل أثر ، ولكنه لا يسرع إلى النفى ، ولا يسرع إلى اليقين ؛ فإن قلبه وعقله لا يرضيان بما رضى به غيره من الاتباع . ولذلك اضطره الشك إلى المكابدة فى استخلاص الحق من بين اضطراب الفِرَق ، مع تباين المسالك والطرق ، وإلى الجرأة من الارتفاع عن حضيض التقليد إلى يفاع الاستبصار .

إن اختلاف الخلق فى الأديان والملل ، ثم اختلاف الأمة فى المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطرق — كما يرى الغزالى — بحر غرق فيه الأكثرون ، وما نجا منـه إلا الأقلون . وكل فريق يزعم أنه الناجى ، و « كلّ حزبٍ بمـا لديهم فرحُون » ، وهو الذى وعد به سيد المرسلين ، صلوات الله عليه وهو الصادق الصدوق حيث قال : « ستفترق أمتى ثلاثا وسبعين فرقة ، الناجية منها واحدة » فقد كان ما وعد أن يكون !

ورأى الغزالى أن أصحاب الأديان كان التقليد ، كما كانت الوراثة ، السبب فى نشأتهم على اليهودية أو النصرانية أو الإسلام ، فصبيان النصارى لا يكون لهم نشوء إلا على التنصر ، وصبيان اليهود لا نشوء لهم إلا على التهوُّد ، وصبيان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام . والحديث المروىّ عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهوِّدانه ويُنَصِّرانه ويمجّسانه ! » .

ويحكى الغزالى عن نفسه فى « المنقذ من الضلال » أنه لم يزل فى عنفوان شبابه ، منذ راهق البلوغ قبل العشرين إلى أن أناف سنّه على الخمسين ، يقتحم لجة هذا البحر العميق ، ويخوض غمرته خوض الجسور ، لا خوف الجبان الحذور ، ويتوغل فى كل مظلمة ، ويتهجم على كل مشكلة ويتقحم كل ورطة ، ويتفحص عن عقيدة كل فرقة ، ويستكشف أسرار مذهب كل طائفة ليميز بين مُحِقٍّ ومُبطل ، ومتسنّن ومبتدع ، لا يغادر باطنيا إلا أحب أن يطلع على بطانته ، ولا ظاهريا إلا أراد أن يعلم حاصل ظهارته ، ولا فلسفيا إلا قصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلما إلا اجتهد فى الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولا صوفيا إلا حرص على العثور على سر صفوته ، ولا متعبدا إلا ترصّدَ ما يرجع إليه حاصل عبادته ، ولا زنديقاً معطلا إلا تجسس وراءه للتنبّه لأسباب جرأته فى تعطيله وزندقته .

ويقف الغزالى عند قول الرسول : « كل مولود يولد على الفطرة . . . » ويتحرك بامانه إلى معرفة حقيقة الفطرة الأصلية ، وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والأستاذين ، والتمييز بين هـذه التقليدات التى أوائلها تلقينات ، وفى تمييز الحق منها عن الباطل اختلافات . فيقول فى نفسه : إنما مطلوبى العلم بحقائق الأمور ، فلا بد من طلب حقيقة العلم ، ما هى ؟ ويظهر له أن العلم اليقينى هو الذى ينكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب ، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم . ويعلم أن كل ما لا يعلمه على هذا الوجه ، ولا يتيقنه هذا النوع من اليقين ، فهو علم لا ثقة به ، ولا أمان معه . وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقينى !

فهو يتطلب المعرفة الحقة ، المعرفة التي ترادف اليقين ؛ وكان يوقن في قرارة نفسه بتلك النظرية الثابتة « إن الحقيقة لاتتعدد » ولكنه يرى التعدد في الأفكار والمقالات والأديان والمذاهب ؛ إذن لا يكون الحق إلا ديناً واحداً ، ومذهباً واحداً ، ومقالة واحدة . أو بعبارة أخرى لا يكون المعتقد إلا واحداً ؛ والطريق الحق إليه لا يكون إلا واحداً ؛ والتفكير المستقيم هو الذي يسلم إلى هذه الغاية .

ولكن الأديان متعددة ، والمناهج شتى ؛ تفيض بها أودية التفكير ؛ إذن فلا بد أن تكون هنالك عوائق ، حالت بين العقول و بين النهج السوي ؛ لآفة أصابتها ، أو علة اعترتها ؛ فكان هذا التعصب للملل والنحل ؛ والناس عبيد لما عرفوا ، وأعداء لما جهلوا .

***

سبل المعرفة :

قلنا إن الغزالي ابتدأ طريق المعرفة بالشك فيما هو حاصل لدى بعض العقول ، وفيما هو مسلم به لدى بعضها دون البعض ، وهو يبحث عن طريق الأمان ، ولا أمان إلا بالعلم اليقيني الذي لا يقبل الشك ولا التردد ، وطبيعته تأبى التعدد ، فما الوسيلة إلى هذا العلم اليقيني الملزم للفطرة الصافية والعقل السليم ؟

نشد الغزالي هذه الوسيلة في الجليات ، وهي الحسيات والضروريات ؛ لتكون الوسيلة في فهم المشكلات ، ليتيقن أن ثقته بالمحسوسات وأمانه من الغلط في الضروريات ، من جنس أمانه الذي كان من قبل في التقليدات ، ومن جنس أمان أكثر الخلق في النظريات ، أم هو أمان محقق لاغدر فيه ، ولاغائلة له ؟

وأقبل يجد يبالغ في تأمل المحسوسات والضروريات ، وأخذ ينظر هل يمكنه أن يشكك نفسه فيها ؟ وانتهى به طول التشكيك إلى أن لم تسمح نفسه بتسليم الأمان في المحسوسات أيضاً ، وأخذ يتسع هذا الشك فيها ، ويقول: من أين الثقة بالمحسوسات ؟ إنّ أقواها حاسة البصر ، وهي تنظر إلى الكوكب فتراه صغيراً في مقدار دينار ، ثم الأدلة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار . هذا وأمثاله من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحس بأحكامه ؛ ويكذبه حاكم العقل و يخونه ؛ تكذيباً لاسبيل إلى مدافعته . فقد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضاً !

لعلّ سبيل تلك الثقة هو العقليات التي هي من الأوليات ، كقولنا : العشرة أكثر من الثلاثة ، والنفي والإثبات لايجتمعان في الشيء الواحد ، والشيء الواحد لا يكون حادثاً قديماً ، موجوداً معدوماً واجباً محالاً .

هنا لايجد الغزالي سبباً واقعياً واحداً ينفي به الثقة بهذه الحقائق العقلية ، التي يلتقي عندها أصحاب العقول قاطبة ، مع اختلاف أجناسهم وأديانهم ؛ ولكنه رجل شك كما أسلفنا ؛ فلا بد أن يجري مع مذهبه في التشكك ، ولكنه لايستطيع أن ينفي الثقة بالعقليات عن سبيل العقل ، ولاعن سبيل التجربة والحس والمشاهدة ، وإذ ذاك يلتمس الشك من سبيل الجدل والسفسطة ؛ ويخترع لذلك قياساً عجيباً ؛ فيزعم أن المحسوسات جادلته وناقشته وحاجّته قائلة : بم تأمن أن تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات ؟ وقد كنت واثقاً بي ، فجاء حاكم العقل فكذّبني؛ ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي ، ولعل وراء إدراك العقل حاكماً آخر ، إذا تجلّى كذّب العقل

فى حكمه ، كما تجلّى حاكم العقل فكذّب الحسّ فى حكمه ، وعدم تجلى ذلك الإدراك لايدل على استحالته ؟

وتتوقف النفس فى جواب ذلك قليلًا ، وتؤيد إشكالها بالمنام ، وتقول : أما تراك تعتقد فى النوم أموراً ، وتتخيل أحوالًا ، وتعتقد لها ثباتاً واستقراراً ، ولا تشك فى تلك الحالة فيها ، ثم تستيقظ ، فتعلم أنه لم يكن لجميع متخيلاتك ومعتقداتك أصل وطائل ؟ فبم تأمن أن يكون جميع ماتعتقده فى يقظتك بحسٍّ أو عقل هو حق بالإضافة إلى حالتك التى أنت فيها ، لكن يمكن أن تطرأ عليك حالة تكون نسبتها إلى يقظتك كنسبة يقظتك إلى منامك ، وتكون يقظتك نوماً بالإضافة إليها ، فإذا وردت تلك الحالة تيقنت أن جميع ماتوهمت بعقلك خيالات لاحاصل لها؟ . ولعل تلك الحالة ماتدعيه الصوفية أنها حالتهم إذ يزعمون أنهم يشاهدون فى أحوالهم التى لهم إذا غاصوا فى أنفسهم، وغابوا عن حواسهم ، أحوالا لاتوافق هذه المعقولات ، ولعل تلك الحالة هى الموت ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » فلعل الحياة الدنيا نوم بالإضافة إلى الآخرة ، فإذا مات الإنسان ظهرت له الأشياء على خلاف مايشاهده الآن ، ويقال له عند ذلك « فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ » .

خطرت له تلك الخواطر ، وهو فى غمرة الشك والارتياب ؛ إنه يبحث عن يقين يجعله محور البحث ، ونقطة يبدأ منها سبيل الأمان ؛ ليسير نحو الغاية المنشودة بخطا ثابتة ، لاتنتقل إلا إذا اطمأنت إلى سلامة ماقبلها ، وعرفت أنها تسير فوق أرض صلبة .

وحاول أن يخلص من هذا الظن ، وأن يقطع الشك باليقين فلم يتيسر له ، إذ لاوسيلة إلى القضاء على تلك الشكوك إلا بالدليل ، ولم يكن نصب الدليل إلا من تركيب العلوم الأولية ، فإذا لم تكن تلك العلوم الأولية مسلّمة لم يمكن ترتيب الدليل !

إن نفى الاعتماد على الحواس فى سبيل إدراك العلم اليقينى اعتماداً على بعض مايبدو من خداعها قد يكون له مايسوّغه . ولكن هنالك من طرق الكشف مايمكن معه تصحيح تلك الأخطاء والأوهام ، وقد نبه الغزالى نفسه إلى شىء من هذا يمكن به تحقيق بعض الشبه العارضة . ولكن ماذهب إليه من جواز تفنيد أحكام العقل لايجد مسوغاً إلا هذا القياس الذى رأيناه ، وفيه من الضعف مافيه ؛ إذ أن التفكير السليم إذا خضع للمنطق واعتمد على المقدمات الصادقة كانت أحكام العقل والنتائج التى تفضى إليها نتائج نهائية فى كل زمان وفى كل مكان .

أكبر الظن أن تلك الآراء ؛ كانت رد فعل لما أحدثه الطبيعيون والفلاسفة فى بيئات التفكير الإسلامى ، وهيام بعض المقلدين بآرائهم واعتناقهم إياها ودفاعهم عنها وعن أصحابها ، مباهاة للجمهور الذى قد يجهل كثيراً من تلك الأفكار الطارئة ، ولايعى إلا الأفكار التى أخذها عن الإسلام وتراث العروبة ، ورأى الغناء بها عن تحصيل هذا العلم الطارئ ، الذى لاصلة له بمعتقده ولا أثر له فيه ، ولاسيما أن هذا اللون من المعرفة منسوب إلى جماعة من القدماء ؛ يعرف عنهم قبل كل شىء أنهم من أهل الوثنية . وقد صرح بهذا الغزالى فى التهافت ، وأنه رأى طائفة يعتقدون فى أنفسهم التميز عن الأتراب والنظراء بمزيد الفطنة والذكاء ، قد رفضوا وظائف الإسلام من العبادات ،

واستحقروا شعائر الدين من وظائف الصلوات والتوقى عن المحظورات ، واستهانوا بتعبدات الشرع وحدوده ، ولم يقفوا عند توقيفاته وقيوده ، بل خلعوا بالكلية ربقة الدين بفنون من الظنون ، يتبعون فيها رهطا يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً ، وهم بالآخرة هم كافرون ؛ ولا مستند لكفرهم غيرُ تقليد سماعىّ إفكىّ ، كتقليد اليهود والنصارى إذ جرى على غير دين الإسلام نشؤهم وأولادهم ؛ وعليه درج آباؤهم وأجدادهم ، وغيرُ بحث نظرى صادر عن التعثر بأذيال الشبه الصارفة عن صوب الصواب ، والانخداع بالخيالات المزخرفة كلامع السّراب ، كما اتفق لطوائف من النظار فى البحث عن العقائد والآراء من أهل البدع والأهواء .

وإنما مصدر كفرهم سماعهم أسماء هائلة كسقراط [١] وبقراط [٢] وأفلاطون [٣] وأرسطوطاليس [٤] وأمثالهم؛ وإطناب طوائف من متبعيهم ، وضلالهم فى وصف عقولهم وحسن أصولهم ورقة علومهم الهندسية والمنطقية والطبيعية والإلهية ، واستبدادهم ، لفرط الذكاء والفطنة ، باستخراج تلك الأمور الخفية ، وحكايتهم عنهم أنهم مع رزانة عقولهم وغزارة فضلهم منكرون للشرائع والنحل ، وجاحدون لتفاصيل الأديان والملل ، ومعتقدون أنها نواميس مؤلفة وحيل مزخرفة. فلما قرع ذلك سمعهم ، ووافق ماحكى من عقائدهم طبعهم ، تجملوا باعتقاد الكفر تحيزاً إلى غمار الفضلاء بزعمهم ، وانخراطا فى سلكهم ، وترفعا عن مسايرة الجماهير والدهماء ، واستنكافا من القناعة بأديان الآباء ، ظنا بأن إظهار التكايس فى النزوع عن تقليد الحق بالشروع فى تقليد الباطل جمال ، وغفلة منهم عن أن الانتقال إلى تقليد عن تقليد خرق وخبال ، فأية رتبة فى عالم الله أخسّ من رتبة من يتحمل بترك الحق المعتقد تقليداً بالتسارع إلى قبول الباطل تصديقاً ، دون أن يقبله خُبراً وتحقيقاً [٥]؟ .

وقع الغزالى فى هذه الأمشاج من المقالات والدعاوى ، ووجد نفسه أمامها ؛ فأملت عليه تلك الآراء فيها ، وهو رجل يبرأ من الحول والطول ، ويسلم وجهه لله ، ويؤمن بأن الهدى هدى الله ؛ وكم من حسٍّ فتنَ صاحبه فأرداه؛ وكم من عقل أضل صاحبه فأغواه عن سبيل الرشاد .

فلما رجعت نفسه إلى الصحة والاعتدال ، رجعت الضروريات العقلية عنده مقبولة موثوقاً بها عن أمن ويقين .

---

(١) هو الفيلسوف المشهور ولد بأثينا سنة ٤٧٠ ق . م وكان من تلاميذ فيثاغوس، واقتصر من الفلسفة على العلوم الإلهية وأعرض عن ملاذ الدنيا ورفضها ، وأعلن بمخالفة اليونانيين فى عبادتهم الأصنام وقابل رؤساءهم بالحجج والأدلة ، فثوروا عليه العامة، واضطروا ملكهم إلى قتله .

(٢) عنى ببعض علوم الفلسفة، وهو سيد الطبيعيين فى عصره ، وكان قبل الاسكندر بنحو مائة سنة ، وله فى الطب تآليف مشهورة فى جميع العالم ، وفى صدور كتبه وصايا جميلة من التحنن والشفقة على النوع ، وتطهير الأخلاق من الكبر والعجب والحسد .

(٣) أحد أساطين الحكمة من يونان، أخذ عن فيثاغورس وشارك سقراط فى الأخذ عنه ، ولم يشتهر ذكره بين علماء اليونان إلا بعد موت سقراط ، وصنف كتبا مشهورة فى فنون الحكمة ، وذهب فيها إلى الرمز والإغلاق ، واشتهر جماعة من تلاميذه المتخرجين عليه ؛ وسمى الناس فرقته المشائين لأنه كان يعلم تلاميذه الفلسفة وهو ماش .

(٤) هو تلميذ أفلاطون لازمه عشرين سنة ، وكان أفلاطون يؤثره على سائر تلاميذه ويسميه العقل ، وإلى أرسطاليس انتهت فلسفة اليونانيين ، وهو خاتمة حكمائهم ، وهو أول من خلص صناعة البرهان من سائر الصناعات المنطقية وجعلها آلة للعلوم النظرية حتى لقب بصناعة المنطق ، وله فى جميع العلوم الفلسفية والأدبية كتب مشهورة، وهو صاحب المنطق ، وكان أرسطاليس معلم الأسكندر ابن فيلبس ملك مقدونية، وبآدابه عمل فى سياسة رعيته وسيرة ملكه ، وبسبب أرسطاليس كثرت الفلسفة وغيرها من العلوم القديمة فى البلاد الإسلامية .

(٥) الغزالى : تهافت الفلاسفة : ص ٣ (المطبعة الخيرية ـ القاهرة ١٣١٩هـ).

ولم يكن السبيل إلى ذلك نظام الدلائل وترتيب الكلام ، بل كان السبيل نوراً قذفه الله تعالى فى صدره ، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف .

ومن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المحررة ، فقد ضيّق رحمة الله الواسعة . ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن « الشرح » ومعناه فى قوله تعالى « فمن يُرِدِ اللهُ أنْ يَهدِيَهُ يشرحْ صدرَه للإسلام » قال : « هو نور يقذفه الله تعالى فى القلب » ! فقيل : وما علامته ؟ فقال . « التجافى عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود » وهو الذى قال عليه السلام فيه : « إن الله خلق الخلق فى ظلمة ، ثم رشّ عليهم من نوره » . فمن ذلك النور ينبغى أن يطلب الكشف ، وذلك النور ينبجس من الجود الإلهى فى بعض الأحايين ، ويجب الترصّد له ، كما قال عليه السلام « إن لربكم فى أيام دهركم نفحاتٍ ، ألا فتعرضوا لها » .

ولم يرد الغزالى بذلك كفّ نفسه ، أو كفّ الناس ، عن الدرس والتأمّل والبحث ، اعتماداً على هذا النور الذى لا يأتى إلا نفحات ، وفى بعض الأحايين ، ولكنه أراد أن يعمل كمال الجد فى الطلب حتى ينْتَهى إلى طلب مالا يطلب ، ومالا قدرة على إدراكه ، وهو الذى يحتاج إلى ذلك النور الذى يقذفه الله تعالى فى قلوب المصطفين الأخيار من عباده .

⁂

وإذا كان الغزالى معدوداً فى أئمة فلاسفة الإسلام ؛ فإن ذلك حق ، إذا أريد به أنه صاحب رأى وصاحب فكرة حرة ، لا تسيرُ فى ركاب فِكَر أخرى ، مهما يكن حظها من الذيوع ؛ وحظ أصحابها من المجد فى دنيا التفكير .

وإذا كان الغزالى معدوداً فى رأس المتصوفة التقية الزاهدة الورعة ، فإن ذلك حقٌّ أيضا ، ولكن ينبغى أن يكون معروفاً أنها ليست صوفية البُلْه من العوام ، ولكنها صوفية الخاصة ، صوفية مستنيرة جادة مجاهدة فى طلب المعرفة ، وسبيل الوصول عندها إلى الحقيقة ذلك الجد الذى يقتحم كل واد من أودية المعرفة : المعرفة التى يرضاها ؛ والمعرفة التى ينكرها ، والمعرفة التى قد يسلّم بها ولكنه لا يأخذ بها .

وهى صوفية تقف فى وجه الابتداع ، وتقف أيضاً فى وجه التقليد ، صوفية تفند مزاعم الهواة من أهل العقل ، وهى فى الوقت نفسه تحترم أحكام العقل التى لا تقبل المنازعة ؛ حتى لو عدها بعض الجامدين خروجاً على الدين ومخالفة لنصوص سادت فى بيئاتهم ؛ إنه يؤول تلك النصوص تأويلًا يجارى به أحكام العقل وأحكام الطبيعة ؛ ويطعن فى صحة النص إذا عارض أحكام العقل المسلم بها وأحكام الطبيعة الراهنة الشاخصة ، ويذهب إلى أن الإصرار على تقبل تلك النصوص على مافيها مضر بالإسلام ومشكك فى صحة العقيدة .

انظر إليه وهو يحصى أقسام الخلاف بين الفلاسفة وبين غيرهم من الفرق ، ويذكر قسما من هذا الخلاف ، لا يصدم مذهبُ الفلاسفة فيه أصلا من أصول الدين ، وليس من ضرورة تصديق الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم منازعتهم فيه ، كقولهم : إن كسوف القمر عبارة عن انمحاء ضوء القمر بتوسط الأرض بينه وبين الشمس ، من حيث إنه يقتبس نوره من الشمس ، والأرض كرة والسماء محيطة بها من الجوانب ، فإذا وقع القمر فى ظل الأرض

انقطع عنه نور الشمس . وكقولهم : إن كسوف الشمس معناه وقوع جرم القمر بين الناظر وبين الشمس ، وذلك عند اجتماعهما فى العقدتين على دقيقة واحدة .

إن هذا الفن لا يحاول الغزالى أن يخوض فى إبطاله ، إذ لا يتعلق به غرض من الدين ، ويصرح بأن من يظن أن المناظرة فى هذا من الدين ، فقد جنى على الدين وضعّف أمره ، لأن هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية حسابية لا يبقى معها ريبة ، ومن اطلع عليها وتحقق أدلتها ، حتى يخبر بسببها عن وقت الكسوفين وقدرهما ومدة بقائهما إلى الانجلاء ، إذا قيل له : إن هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه ، وإنما يستريب فى الشرع . وضرر الشرع ممن ينصره لا بطريقه ، أكثر من ضرره ممن يطعن فيه بطريقه ، وهو كما قيل : عدو عاقل خير من صديق جاهل ! .

فإن قيل : فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الشمس والقمر لآيتان من آيات الله ، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة » فكيف يلائم هذا ما قالوه ؟ يقول الغزالى : ليس فى هذا ما يناقض ما قالوه ، إذ ليس فيه إلا نفى وقوع الكسوف لموت أحد أو لحياته ، والأمر بالصلاة عنده . والشرع الذى يأمر بالصلاة عند الزوال والغروب والطلوع ، من أين يبعد منه أن يأمر بها عند الكسوف استحبابا ؟ .

فإن قيل : فقد رُوى أنه قال فى آخر الحديث : « ولكن الله إذا تجلى لشىء خضع له » فيدل على أن الكسوف خضوع بسبب التجلى . قلنا : هذه الزيادة لم يصح نقلها ، فيجب تكذيب ناقلها ؛ وإنما المروىّ ما ذكرناه ، كيف ولو كان صحيحاً لكان تأويله أهون من مكابرة أمور قطعية ؟ ! فكم من ظواهر أولت بالأدلة العقلية التى لا تنتهى فى الوضوح إلى هذا الحد .

وأعظم مايفرح به الملاحدة أن يصرّح ناصر الشرع بأن هذا وأمثاله على خلاف الشرع ؛ فيسهل عليهم طريق إبطال الشرع ، إن كان شرطه أمثال ذلك !

وهذا لأن البحث فى العالم عن كونه حادثا أو قديما ، ثم إذا ثبت حدوثه ، فسواء أكان كرة أم بسيطاً ، أم مسدّساً ، أم مثمّناً ؛ وسواء أكانت السموات وما تحتها ثلاث عشرة طبقة ، أم قلّ ، أم كثر ، فنسبة النظر فيه إلى البحث الإلهى ، كنسبة النظر إلى طبقات البصلة وعددها ، وعدد حبّ الرمان ، فالمقصود كونه من فعل الله تعالى فقط كيفما كان !

إنّ مثل هذه العقلية الواعية ، هى العقلية التى تخدم الدين ، وتبسط ساحته ، وتدعو إليه ، وترغّب فيه ، لا العقليات الجامدة التى تقف فى سبيل كل علم ، وتعترض على كل نظر واجتهاد وتعده من الأمور المحدثة ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة فى النار . حتى حار كثير من المسلمين فى تقبل ألوان المعارف التى لم يكن للسلف عهد بها ، خشية أن تكون من تلك البدع التى تقود صاحبها إلى غضب الله ، وإلقائه فى جهنم وبئس القرار . وبهذا التردد وقف الركب بدل أن يتقدّم ، وأحجم حيث يجب أن يُقدِم . وزعم بعض الغافلين أن الدين نصٌّ ينبغى الوقوف

عند حروفه ودلالات ألفاظه ؛ وماليس فى هذه النصوص فالإسلام منه براء ؛ وهو لغو يجمل بالمسلم أن يتحاشاه إن أراد الحفاظ على عقيدته . وغفلوا عن أن صاحب الدين هو صاحب الدنيا ، وأنه واهب العقول ، كما ألقى فى القلوب الهدى ، وهداها إلى الإيمان ؛ وأنه أمر بالسعى كما أمر بالنظر والبحث فى ملكوته، لتبين آياته للمتوسمين .

الباحثون عن الحقيقة :

وهم السالكون سبل طلب الحق ؛ وإن شذ الحق عنهم فلا يبقى فى درك الحقيقة مطمع ؛ إذلا مطمع فى الرجوع إلى التقليد بعد مفارقته .

وقد بحث عنهم الغزالى فى عصره فألفاهم أربع فرق :

(١) المتكلمون : الذين يدعون أنهم أهل الرأى والنظر .

(٢) الباطنية : الذين يزعمون أنهم أصحاب التعليم ، والمخصوصون بالاقتباس من الإمام المعصوم .

(٣) الفلاسفة : وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان .

(٤) الصوفية : وهم الذين يدّعون أنهم خواص الحضرة ، وأهل المشاهدة والمكاشفة .

وقد درس الغزالى مباحث هذه الفرق ، وأمعن فى درس مناهجها فى البحث .

الغزالى وعلم الكلام :

ابتدأ بعلم الكلام فحصّله وعقله ، وطالع كتب المحققين من المتكلمين ، وعرف أن غايتهم حفظ عقيدة أهل السنة عن تشويش المبتدعين . فقد أطلق الله ألسنتهم لنصرة السُّنَّة بكلام مرتّب ، يكشف عن تلبيس أهل البدعة المحدثة على خلاف السنة المأثورة . وقامت طائفة منهم بما ندبهم الله إليه ، فأحسنوا الذَّبَّ عن السُّنَّة والنضال عن العقيدة المتلقاة بالقبول من النُّبُوَّة ، والتغيير فى وجه ما أحدث من البدعة .

ويرى الغزالى بأنه صادف علم الكلام وافياً بالغاية التى كان لها ، ولكنه على الرغم من ذلك لم يشف نفسه ولم يف بمقصوده ، لأنه لم ير الاستقلال كاملا فى بحوثه والتجرد فى طلبه ، بل ألفى المتكلمين اعتمدوا فى سبيل غايتهم على مقدمات تسلموها من خصومهم ، واضطرهم إلى التسليم بها التقليد ، أو إجماع الأمة ، أو مجرد القبول من القرآن والأخبار ، ولأن أكثر خوضهم كان فى استخراج مناقضات الخصوم ، وهذا قليل النفع فى حق من لا يسلم سوى الضروريات بشىء أصلا . ثم إنه لما نشأت صنعة الكلام وكثر الخوض فيه ، تشوق المتكلمون إلى محاولة الذَّبِّ عن السنة بالبحث عن حقائق الأمور ، فخاضوا فى البحث عن الجواهر والأعراض وأحكامها ، ولكن لما لم يكن ذلك مقصود علمهم لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى ، ولم يكن من ذلك مايمحو بالكلية ظلمات الحيرة فى اختلافات الخلق .

ولذلك لم يجد الغزالى علم الكلام وافيا بمراده ، ولا شافيا لدائه . وإن كان لا ينكر أن هذا العلم قد شفى نفس غيره ووفى بمقصوده ، بل لا يشك فى حصول ذلك لطائفة ، ولكنه حصول مشوب بالتقليد فى بعض الأمور . والغزالى

يحكى بذلك حاله ولا ينكر على من استشفى به ، فإن أدوية الشفاء تختلف باختلاف الداء ، وكم من دواء ينتفع به مريض ، و يستضرّ به آخر !

الغزالى والفلسفة :

وثنىّ بعلم الفلسفة ، درسه فى سنتين ، ثم لم يزل يواظب على التفكر فيه بعد فهمه قريباً من سنة ، يعاوده و يردّده ، و يتفقد غوائله وأغواره ، و يطلع على مافيه من خداع وتلبيس ، وتحقيق وتخييل .

وقد رأى الفلاسفة أصنافاً ، ورأى علومهم أقساماً .

عرف منهم (الدُّهريين) الذين جحدوا الصانع المدبّر ، العالم القادر ، وزعموا أن العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه ، و بلا صانع . ولم يزل الحيوان من النطفة ، والنطفة من الحيوان ، كذلك كان ، وكذلك يكون أبداً . وهؤلاء هم الزنادقة .

وعرف منهم (الطبيعيين) الذين أكثروا البحث عن عالم الطبيعة ، وعن عجائب الحيوان والنبات ، وأكثروا الخوض فى علم تشريح أعضاء الحيوانات ، فرأوا فيها من عجائب صنع الله تعالى و بدائع حكمته ، مااضطروا معه إلى الاعتراف بفاطر حكيم ، مطلع على غايات الأمور ومقاصدها ، إلا أنهم يرون لاعتدال المزاج تأثيراً عظيما فى قوام قوى الحيوان به ، فظنوا القوة العاقلة من الإنسان تابعة لمزاجه ، وأنها تبطل ببطلانه ، و إذا انعدم فلا يعقل إعادته ؛ فالنفس تموت ولا تعود ، فجحدوا الآخرة ، وأنكروا الجنة والنار والحشر والنشر والقيامة والحساب ، ولم يبق عندهم للطاعة ثواب ، ولا للمعصية عقاب ، فانهمكوا فى الشهوات انهماك الأنعام . وهؤلاء أيضاً زنادقة ، لأن أصل الإيمان هو الإيمان بالله واليوم الآخر ، وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر ، و إن آمنوا بالله وصفاته .

وعرف منهم (الإلهيين) من أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس الذى رتب لهم المنطق وهذب لهم العلوم ، وحرر مالم يكن محرراً من قبل ، وأنضج لهم ما كان نيّا من علومهم . وهؤلاء بجملتهم ردوا على الدُّهريين والطبيعيين وأوردوا فى الكشف عن فضائحهم ماأغنوا به غيرهم ، وكذلك ردّ بعضهم بعضا . ولهم شيعة من المتفلسفة الإسلاميين كابن سينا والفارابى .

أما العلوم التى خاض فيها أولئك الفلاسفة فقد حصّل أقسامها ودرس مباحث كل منها ، وأعلن رأيه فيها ، وهى العلوم الرياضية والمنطقية والطبيعية والإلهية والسياسية والخلقية ، وتكلم عن آفاتها وعما يتعلق منها بالدين ، ومالا يتصل به أولا يؤثر فى العقيدة الوقوف عليه . فالرياضيات التى تتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم ليس يتعلق شىء منها بالأمور الدينية نفيا و إثباتا ، بل هى أمور برهانية لا سبيل إلى مجاحدتها بعد فهمها ومعرفتها . ولكن تولدت منها آفتان :

الأولى : أن من ينظر فيها يتعجب من دقائقها ، ومن ظهور براهينها ، فيحسن بسبب ذلك اعتقاده فى الفلاسفة فيحسب أن جميع علومهم فى الوضوح وفى وثاقة البرهان كهذا العلم ، ثم يكون قد سمع من كفرهم وتعطيلهم وتهاونهم بالشرع ما تداولته الألسنة ، فيكفر بالتقليد المحض ؛ و يقول : لو كان الدين حقا لما اختفى على هؤلاء مع تدقيقهم

فى هذا العلم . فإذا عرف بالتسامع كفرهم وجحدهم استدل على أن الحق هو الجحد والإنكار للدين ، وكم رأيت من يضل عن الدين بهذا القدر ؛ ولا مستند له سواه ؛ مع أن الحاذق فى صناعة واحدة ليس يلزم أن يكون حاذقا لكل صناعة .

والثانية : نشأت من صديق للإسلام جاهل ، ظن أن الدين ينصر بإنكار كل علم منسوب إليهم ، فأنكر جميع علومهم وادّعى جهلهم فيها ، حتى أنكر قولهم فى الكسوف والخسوف ، وزعم أن ما قالوه على خلاف الشرع ، فلما قرع ذلك سمع من عرف ذلك بالبرهان القاطع لم يشك فى برهان ، لكن اعتقد أن الإسلام مبنى على الجهل وإنكار البرهان القاطع ، فازداد للفلسفة حبا ، وللإسلام بغضا . ولقد عظم على الدين جناية من ظن أن الإسلام ينصر بإنكار هذه العلوم ، وليس فى الشرع تعرض لهذه العلوم بالنفى أو الإثبات .

وبهذا الأسلوب عالج الغزالى سائر أقسام علوم الفلاسفة ، وخلص من دراسته بأن علومهم غير وافية بكمال الغرض ، وأن العقل ليس مستقلا بالإحاطة بجميع المطالب ، ولا كاشفا للغطاء عن جميع المعضلات .

الغزالى ومذهب التعليم :

وعرف ما عند أولئك الذين يسمون أنفسهم (التعليميين) الذين شاع بين الخلق تحدثهم بمعرفة معنى الأمور من جهة الإمام المعصوم القائم بالحق ، وبحث عن مقالاتهم ، واطلع على ما فى كتبهم ؛ وهنالك عامل خارجى أعانه على هذا البحث ضميمة للباعث الأصلى من الباطن فى طلب المعرفة ، وذلك هو ورود أمر جازم من حضرة الخلافة بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم ، فلم يسعه مدافعته .

وخلاصة رأى الغزالى أنه لا حاصل عند هؤلاء ولا طائل لكلامهم ، ولولا سوء نصرة الصديق الجاهل لما انتهت تلك البدعة مع ضعفها إلى هذه الدرجة . ولكن شدة التعصب دعت الذّابّين عن الحق إلى تطويل النزاع معهم فى مقدمات كلامهم ، وإلى مجاحدتهم فى كل ما نطقوا به ، فجاحدوهم فى دعواهم « الحاجة إلى التعليم والمعلم » ودعواهم أنه « لا يصلح كل معلم بل لا بد من إمام معصوم » وظهرت حجّتهم فى إظهار الحاجة إلى التعليم والمعلم ، وضعف قول المنكرين فى مقابلته ؛ فاغتر بذلك جماعة ، وظنوا أن ذلك من قوة مذهبهم وضعف مذهب المخالفين لهم ، ولم يفهموا أن ذلك لضعف ناصر الحق وجهله بطريقه ، بل الصواب الاعتراف بالحاجة إلى المعلم ، وأنه لا بد أن يكون المعلم معصوماً . ولكن معلمنا المعصوم هو محمد صلى الله عليه وسلم فإذا قالوا : هو ميت! فنقول : فمعلمكم غائب .

فإذا قالوا : معلمنا قد علّم الدعاة وبثهم فى البلاد ، وهو ينتظر مراجعتهم إن اختلفوا أو أشكل عليهم مشكل فنقول : ومعلمنا قد علّم الدعاة وبثهم فى البلاد ، وأكمل التعليم ، إذ قال الله تعالى : « ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي » وبعد كمال التعليم لا يضر موت المعلم كما لا تضر غيبته !

ويورد بعد ذلك طائفة من مقالاتهم ، ويجتهد فى البرهان على إبطالها . ثم يقول : فهؤلاء أيضاً جرّبناهم ، وسبرنا ظاهرهم وباطنهم ، فرجع حاصلهم إلى استدراج العوام وضعفاء العقول ببيان الحاجة إلى المعلم ، ومجادلتهم فى إنكار الحاجة إلى التعليم بكلام قوىّ مفحم ، حتى إذا ساعدهم على الحاجة إلى المعلم مساعد ، وقال هاتِ علمه ،

وأفدنا من تعليمه ، وقف وقال : الآن سلّمت لى هذا فاطلبه ؛ فإنما غرضى هذا القدر فقط ! . إذ علم أنه لو زاد على ذلك لا فتضح ، ولعجز عن حلّ أدنى الإشكالات ، بل عجز عن فهمه ، فضلا عن جوابه .

فلما خبرهم نفض اليد عنهم ، إذ لم يجد معهم شيئاً من الشفاء المنجى من ظلمات الآراء .

الغزالى والصوفية :

و بقى من طوائف الباحثين عن الحقيقة طائفة (الصوفية) ، وقد علم أن طريقتهم إنما تتم بعلم وعمل ، وحاصل عملهم قطع عقبات النفس والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة ، حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى ، وتحليته بذكر الله .

يقول الغزالى : وكان العلم أيسر علىّ من العمل ، فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم ، مثل « قوت القلوب » لأبى طالب المكىّ رحمه الله ، وكتب الحارث المحاسبى ، والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلى وأبى يزيد البسطامى ، قدس الله أرواحهم ، حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية ، وحصّلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع ، فظهر لى أن خواص خواصهم مالا يمكن الوصول إليه بالتعلم ، بل بالذوق والحال وتبدّل الصفات . . . وعلمت يقينا أنهم أرباب الأحوال لا أصحاب الأقوال ، وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته ولم يبق إلا مالا سبيل إليه بالسماع والتعلم ، بل بالذوق والسلوك .

ولقد أثنى الغزالى على الصوفية ثناء عظيما ، وامتدح سيرتهم ، بعد أن عكف على دراستهم علما وعملا واقتداء وتجرداً ومجاهدة نفس، حتى انتهى إلى أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة ، وأن سيرتهم أحسن السِّير ، وطريقهم أصوب الطرق ، وأخلاقهم أزكى الأخلاق .

بل إنه ليذهب إلى أنه لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم ، و يبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلاً ، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم فى ظاهرهم و باطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوّة ، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به .

و بالجملة فماذا يقول القائلون فى طريقة ، طهارتها — وهى أول شروطها — تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ، ومفتاحها استغراق القلب بالكلية بذكر الله ، وآخرها الفناء بالكلية فى الله ؟!

وهو على مذهبه فى حرية البحث ، وفى حرب التقليد ؛ لا يقرهم على كل شىء إقراراً مطلقاً ، بل إنه ليصف بالخطأ ما تذهب إليه بعض طوائفهم مما يجرى على ألسنتهم ، ممن يقولون بالحلول ، ومن يقولون بالاتحاد ، ومن يدّعون الوصول ؛ وغير ذلك مما يعده أثراً من آثار عدم القدرة عن الإفصاح عما يرون وما يشاهدون من آثار عظمة الله ، إلى درجة يضيق عنها نطاق النطق ، فلا يحاول معبّر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح [1] .

⁂

(١) الغزالى : المنقذ من الضلال ص ١٣١ — الطبعة الثانية .

آثار الغزالى :

تلك لمحات من الجهود المضنية التى بذلها الغزالى فى العلم وتحصيله ، وفى سبيل البحث عن الحقيقة ، بالبحث عن طالبيها ، والوقوف على ما عندهم من فنونها ؛ مع تمحيص مقالاتهم والفحص عن حقيقة مذاهبهم وعلومهم ؛

ولا نشك فى أن الذين أبلوا مثل هـذا البلاء أقل من القليل ، فقد جرت الغالبية العظمى من المفـكرين على أن يتخذوا لأنفسهم منهجاً واحداً لا يكادون يتعدونه ، وتهديهم الملابسات إلى فـكرة واحدة يحومون حولها ، أو يحصرون أنفسهم فى دائرتها ؛ ولا يكادون ينظرون إلى ما حولها من سائر الآراء والأفـكار ، على ذلك النحو الذى ذكرنا طرفا منه .

وإنك لتعجب لتلك الآثار التى خلفها الغزالى ؛ فإنها على كثرتها المعجبة تفيض بصنوف من المعرفة المتخصصة وتجد فى كل أثر منها لوناً خاصًّا متميزاً مما عداه ، وتجد فيه ما تنشد من العمق والأصالة ، وإنك لتراه فى كثير من المواضع إذا قارب فـكرة من الأفـكار ، أو مشكلة من المشـكلات ، يـكون قد درسها فى كتاب آخر ، فإنه يشير إلى الـكتاب الذى عرض فيه لتلك الفـكرة ، أو درس فيه تلك المشكلة ، وتراه ينفر من تـكرار نفسه ، وتلك دلالة القوة والتمـكن .

ومن تلك الآثار التى خلفها :

(١) كتاب إحياء علوم الدين : وسنخصه بشىء من الدراسة .

(٢) كتاب تهافت الفلاسفة : درس فيه مقالات الفلاسفة ، و بين أغلاطهم ، التى حصرها فى عشرين أصلا ، يجب تـكفيرهم فى ثلاثة منها ، وتبديعهم فى سبعة عشر .

(٣) كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد : فى مقدار مائة ورقة يحوى لباب علم المتكلمين .

(٤) كتاب المنقذ من الضلال : ذكر فيه غاية العلوم وأسرارها ، وغائلة المذاهب وأغوارها ، وما قاساه فى استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق .

(٥) كتاب جواهر القرآن : أبان فيـه عن أسرار من آيات القرآن ، وأنه البحر المحيط المنطوى على أصناف النفائس .

(٦) كتاب ميزان العمل : وهو فلسفة دينية توضح ماجاء فى علوم الدين من الغايات والمقاصد .

(٧) كتاب المقصد الأسنى فى معانى أسماء الله الحسنى .

(٨) كتاب فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة : ذكر فيـه فساد رأى من يسارع إلى التـكفير فى كل مايخالف مذهبه .

(٩) كتاب القسطاس المستقيم : ذكر فيه طريق رفع الخلاف بين الخلق ، وهو كتاب مستقل بنفسه مقصوده بيان ميزان العلوم ، وإظهار الاستغناء عن الإمام المعصوم .

(١٠) كتاب المستظهرى (١١) كتاب حجة الحق (١٢) كتاب مفصل الخلاف فى أصول الدين . وفى هذه

الكتب الثلاثة تعرض لمذهب التعليمية و بين فساد مذهبهم .

(١٣) كتاب كيمياء السعادة : حصر فيه الشبه التى توهمها أهل الإباحة وكشفها .

(١٤) كتاب البسيط (١٥) كتاب الوسيط (١٦) كتاب الوجيز (١٧) كتاب خلاصة المختصر . وهى كتب تبحث فى علم الحدود الموضوعة للاختصاص بالأموال والنساء والمعاملات ، وغيرها من المباحث الفقهية .

(١٨) كتاب ياقوت التأويل فى تفسير التنزيل : فى أربعين مجلداً .

(١٩) كتاب المستصفى (٢٠) كتاب المنخول . وهما فى أصول الفقه .

(٢١) كتاب المنتحل فى علم الجدل (٢٢) كتاب معيار العلم (٢٣) كتاب المقاصد .

(٢٤) كتاب المضنون به على غير أهله (٢٥) كتاب مشكاة الأنوار (٢٦) كتاب محك النظر (٢٧) كتاب أسرار علم الدين (٢٨) كتاب منهاج العابدين (٢٩) كتاب الدرر الفاخرة فى كشف علوم الآخرة (٣٠) كتاب الأنيس فى الوحدة (٣١) كتاب القربة إلى الله عز وجل (٣٢) كتاب أخلاق الأبرار والنجاة من الأشرار (٣٣) كتاب بداية الهداية (٣٤) كتاب الأربعين فى أصول الدين (٣٥) كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة (٣٦) كتاب المبادئ والغايات (٣٧) كتاب تلبيس إبليس (٣٨) كتاب نصيحة الملوك (٣٩) كتاب شفاء العليل فى القياس والتعليل (٤٠) كتاب إلجام العوام عن علم الكلام (٤١) كتاب الانتصار (٤٢) كتاب العلوم اللدنية (٤٣) كتاب الرسالة القدسية (٤٤) كتاب إثبات النظر (٤٥) كتاب المأخذ (٤٦) كتاب القول الجميل فى الرد على من غير الإنجيل (٤٧) كتاب الأمالى .

ومن هذه الكتب ماهو ضخم رحب المادة ، ولكن بعض هذه الآثار صغير لايرقى إلى درجة الكتاب ، ولكنه ربما كان أشبه بالمقالات التى تقضيها المجادلات فى موضوع من الموضوعات ؛ أو إزالة شبهة من الشبه العارضة .

وأيا ما كان الأمر ، فإن هذا الإنتاج الضخم يدل أصدق دلالة على أن صاحبه من الذين وقفوا حياتهم على العلم ؛ وتبتلوا فى محرابه ، كما يدل على إخلاص للدين، وتفان فى سبيل الذود عن حياضه ؛ إلى مايدل عليه من كثرة التحصيل وغزارة المعرفة ؛ والحياة المباركة التى هيأ الله سبيلها ووفق إليها .

كتاب إحياء علوم الدين

— ١ —

ذكر المؤرخون أن الغزالى حدّث بكتاب الإحياء ، بعد عودته إلى بغداد من رحلته إلى بلاد الشام ، أى بعد تلك الفترة التى عزفت فيها نفسه عن الدنيا، وزهدت فيها وقطع فيها ، العلائق بينه و بين الناس ، وذكروا أنه كان يحدّث بهذا الكتاب فى مجالس الوعظ ، وروى ابن النجار أن الغزالى « لم يكن له أستاذ ولا طلب شيئاً من الحديث» والذى يفهم من ظاهر هذا الكلام أن ماحدث به الغزالى فى بغداد من كتاب إحياء علوم الدين كان إلهاماً أو كان ثمرة من ثمرات المعرفة التي أفاضها الله عليه فى مرحلة نسكه وتصوّفه .

هذا ولا نستطيع أن نقرّ هذا المفهوم على إطلاقه ، فنقول مع القائلين: إن كل ما فى « إحياء علوم الدين» كان وحياً أو إلهاماً ، وأنه كان ثمرة لحياة العزلة والتأمل التى قضاها فى دمشق و بيت المقدس وفى البلد الحرام .

ونحن فى هذا لا ننكر أثر النسك والخلوة فى تطهير النفس وتصفيتها و إطلاقها من قيود المادة ، فإن فى قطع العلائق بالحياة والناس ، إبقاء على كثير من الجهود التى يستنفدها الاضطراب فى الحياة والاتصال بالناس ، وانشغال القلب بأقوالهم وأعمالهم وتزاحمهم فى طلب الحياة .

لا ننكر أثر التصفية والتخلية فى إرهاف الملكات وتنقية الروح من الشوائب التى تقعد بها عن بلوغ درجة التفكير المجرد فى هذا الملكوت ، وفى الخلق والخالق ، وفى البداية والنهاية ، وفى مذاهب السلوك وفلسفة الأخلاق . بل إننا لا نشك أن الخلوة وطول التأمل و كبح جماح النفس من أعظم أسباب تحرير الروح من قيود المادية ، وفيها أكبر عون على تنظيم التفكير ، وتعقل ما فى الكون من الماديات ، وما ينطوى فيها من الآيات ، وما يختبئ وراءها من الأسرار التى أعيت على العقول

ولكننا ننكر كل الإنكار أن يكون ما فى « الإحياء » من الأصول الفقهية ، والمسائل الشرعية ، وقواعد العبادات ونحوها شيئاً جديداً ألهمه الغزالىّ فى رحلاته أو أوحى به إليه فى خلواته ، ونرى فى مثل هذه الدعوى سذاجة قد يشك فيها البُلْه من العوام ، بله غيرهم من طبقات المفكرين .

وننكر كل الإنكار أن يكون ما اشتمل عليه « الإحياء » من النصوص وما استشهد به من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً عرفه الغزالىّ من غير معلِّم ولا كتاب ، وقد ثبت أن تلك الأحاديث مرويّة معروفة خرّجها المخرجون من رواة الأحاديث والعالمين بإسنادها ورواياتها .

كل ذلك لا شك فى بطلانه بحكم العقل و بحكم الشرع أيضاً .

ولا شىء من هذه الدعاوى يرتفع به الغزالىّ بين الباحثين أو المفكرين أو رجال الصوفية، إذا كان هنا لك من يريدون له تلك المنزلة بين الباحثين والمفكرين والمتصوفة عن مثل هذا الطريق التى لا يرضاها الغزالى لنفسه .

إن تلك الأصول وتلك النصوص ليست مجال وحيٍ ولا مجال إلهام ، وكيف الإلهام بحاصل موجود يعرفه العامة ويعرفه الخاصة ، وليس فى تحصيله كبير عنت ولا مشقة لمن يريد المعرفة والتحصيل ؟!

وإنما الجهد أو الاجتهاد، الذى لا ننكر فيه أثر الخلوة وتصفية النفس ، فهو ما علّل به لتلك الأحكام وما جمعه منها ، وما نظم به طرائق البحث فيها ، وما أرجع به الدين إلى فطرته ، ليكون عملًا واجتهاداً ، كما كان معتقداً و إيماناً ، وفى « الإحياء » من ذلك الشىء الكثير الذى يدل على طول الباع، كما يدل على سعة الاطلاع ، ويدل على صفاء النفس وطهارة القلب ، كما يدل على الجهد والعناء فى الرواية والدراية ، وفيما تقدم الكثير من الأدلة على ذلك .

تنقل الغزالى بين خراسان والعراق والشام والحجاز ، فماذا وجد فى تلك البلاد التى تعد معاقل للإسلام ؟

وجد فيها خلفاء أبطرهم السلطان وفتنتهم الدنيا ، وحولهم من الرعية من يفتل لهم بين الذروة والغارب، وفيهم

الصابر يأساً ، والمصعّر خدّه تيهاً ودلالاً ، وألفى رجال الدين فى شغل عن الدين ، يبتذلونه فى استرضاء السلطان ، وإشباع نهمه فى الاستعلاء والكبرياء ، والكل عن الدين لاهون ، إلا بالقدر الذى تدرّ به معايشهم ، وبين هؤلاء وأولئك طائفة تدعى المعرفة ؛ وتتخذ دين الله هزواً ، وترى الآخذين به جهلةً من الطغام ، ومن عوام الدهماء ؛ والأخذ به غفلة وجموداً ، حتى زاد الخطب وعمت الرزية ، وأحوج الأمر إلى من يذكر بالله ، ويحث على التدبر فى آياته ، والرجوع إلى دينه الحق وصراطه المستقيم .

إلى هؤلاء وأولئك أشار الغزالىّ فى خطبة « الإحياء » إذ وجد فى الناس المثابر على ماهو عليه من العمى عن جلية الحق، مع اللجاج فى نصرة الباطل وتحسين الجهل والتشغيب[1] على من آثر النزوع قليلا عن مراسم الخلق ، ومال ميلا يسيراً عن ملازمة الرسم إلى العمل بمقتضى العلم ، طمعا فى نيل ماتعبده الله تعالى به من تزكية النفس وإصلاح القلب . . وأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، وقد شغر منهم الزمان ، ولم يبق إلا المترسمون ، وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان ، وأصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفاً ، فصار يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، حتى ظل علم الدين مندرسا ، ومنار الهدى فى أقطار الأرض منطمساً ، ولقد خيّلوا إلى الخلق ألاّ علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام ، أوجدل يتدرع به طالب المباهاة إلى الغلبة والإفحام ، أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام ، إذ لم يروا سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام ، وشبكة للحطام ! فأما علم طريق الآخرة ، وما درج عليه السّلف الصالح مما سماه الله سبحانه فى كتابه فقهاً وحكمة وعلماً ، وضياء ، ونوراً وهداية ، ورشداً ، فقد أصبح من بين الخلق مطويا ، وصار نسياً منسيا .

ورأى الغزالى ما آل إليه الأمر ثلماً ملماً ، وخطبا مدلهما فى الدين ، وأن الاشتغال بتحرير هذا الكتاب فيه إحياء لعلوم الدين ؛ وكشف عن مناهج الأئمة المتقدمين ، وإيضاح لمناهى العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين[2] .

وقد ذكر أن أمثال هذه البحوث ليست جديدة مستحدثة ، فقد صنف الناس فى المعانى التى ألف فيها كتبا ، ولكن كتابته تتميز عن كتاباتهم بخمسة أمور :

الأول : حل ماعقدوه ، وكشف ما أجملوه .

الثانى : ترتيب ما بدّدوه ، ونظم مافرّقوه .

الثالث : إيجاز ماطولوه ، وضبط ماقرروه .

الرابع : حذف ما كرروه ، وإثبات ماحرروه .

الخامس : تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأفهام لم يتعرض لها فى الكتب أصلا : إذ الكل وإن تواردوا

---

(١) التشغيب : تهييج الشر

(٢) إحياء علوم الدين : ص ٩ من هذه الطبعة .

على منهج واحد ، فلا مستنكر أن يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لأمر يخصه و يغفل عنه رفقاؤه . أولا يغفل عن التنبيه ، ولكن يسهو عن إيراده فى الكتب . أولا يسهو ، ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف.

وما قرره صحيح ، يعترف له به كل باحث وكل دارس وكل مؤلف ، إذ لابد لصاحب الموضوع من الرجوع إلى الجهود السّابقة فيه ، ليعرف مواضع النقص ومواطن الخلل ، ثم يحرر من تلك الجهود مايستحق التحرير ، ويضيف إليه ماعنده من المعرفة فيه ، والتحرير جهد يقتضى الإحاطة ، والإضافة هى مايمتاز به جهد عن جهد ، ويفضل بها الكاتب سواه من الكاتبين .

أو بمعنى آخر لابد من العنصر الذاتى والأصالة فى كل عمل له وزن بين الأعمال ؛ ليحسب صاحبه بين رجال المعرفة بالموضوع ؛ وقد أشرنا إلى مجال الذاتية فى الكلمات السابقة .

ولقد ذكر الغزالى نفسه أن العلوم التى تحصل فى القلب فى بعض الأحوال تختلف الأحوال فى حصولها ، فتارة تهجم على القلب كأنها ألقيت فيه من حيث لايدرى ، وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم .

فالذى يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى (الإلهام) .

والذى يحصل بالاستدلال يسمى (الاعتبار) و (الاستبصار) ويختص به العلماء .

ثم الواقع فى القلب بغير الحيلة والتعلم والاجتهاد من العبد ينقسم إلى :

(١) مالا يدرى العبد كيف حصل له ، ومن أين حصل ، وهذا يختص به الأولياء والأصفياء .

(٢) مايطلع العبد معه على السبب الذى استفاد منه ذلك العلم ، وهو مشاهدة الملك الملقى فى القلب ، وهذا يسمى (وحيا) وتختص به الأنبياء .

ويقرر الغزالى أن الأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر ، وفاض على صدورهم النور من غير طريق التعلم والدراسة والكتابة ، بل بالزهد فى الدنيا ، والتبرؤ من علائقها ، وتفريغ القلب من شواغلها ، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى . .

إلا أنه مع ذلك يصرح بأنه « إذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة، تطمئن النفس إليها مدة طويلة إلى أن تزول ، و ينقضى العمر قبل النجاح فيها ، وكم من صوفى سلك هذا الطريق ، ثم بقى فى خيال واحد عشرين سنة ، ولو كان قد أتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال فى الحال فالاشتغال بطريق التعلم أوثق وأقرب إلى الغرض .

لقد زعموا أن ذلك يضاهى مالو ترك الإنسان تعلم الفقه ، وزعم أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ذلك وصار فقيها بالوحى والإلهام من غير تكرير وتعليق ، ثم يقول قائلهم : فأنا أيضا ربما انتهت بى الرياضة والمواظبة إليه ؟ !

ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه ، وضيّع عمره ، ومثله مثل من يترك طريق الكسب والحراثة ، رجاء العثور على كنز من الكنوز . إن ذلك ممكن ولكنه بعيد جداً . فكذلك هذا !

لابد أولا من تحصيل ماحصله العلماء وفهم ماقالوه ، ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء ، فعساه ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة [١] .

فليتدبر هذا الكلام جيداً أولئك الغافلون ؛ ليعرفوا أن طريق الآخره معرفة وعمل ، كما أن طريق الحياة علم وجهاد ؛ وليعلموا أن الغزالى وهو من أقطابهم فى القمة لم يبلغ ماانتهى إليه إلا بالكفاح الطويل فى تحصيل المعرفة.

— ٢ —

قسم الغزالىّ « إحياء علوم الدين » أربعة أقسام ، أو أربعة أرباع كما سماها :

(١) ربع العبادات : ذكر فيه العلم ، وقواعد العقائد ، وأسرار الطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وآداب تلاوة القرآن ، والأذكار والدعوات ، والأوراد وأوقاتها . وقد ذكر فى هذا القسم من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها مايضطر العالم العامل إليه، بل لا يكون من علماء الآخرة من لايطلع عليه ، .

(٢) ربع العادات : يشتمل على آداب الأكل ، وآداب النكاح ، وأحكام الكسب ، والحلال والحرام ، وآداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق ، والعزلة ، وآداب السفر ، والسماع والوجد ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وآداب المعيشة ، وأخلاق النبوة .

وفيه ذكر أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها ، وخفايا الورع فى مجاريها .

(٣) ربع المهلكات : وقد شرح فيه عجائب القلب ، ورياضة النفس ، وآفات شهوتى البطن والفرج، وآفات اللسان ، وآفات الغضب والحقد والحسد ، وذم الدنيا ، وذم المال والبخل ، وذم الجاه والرياء ، وذم الكبر والعُجب، وذم الغرور .

وقد درس فى هذا القسم كل خلق مذموم ورد القرآن بإماطته، وتزكية النفس عنه ،وتطهير القلب منه، وذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حدّه وحقيقته، ثم ذكر سببه الذى يتولد منه ، والآفات التى تترتب عليه،والعلامات التى يعرف بها ، وطرق المعالجة للتخلص منه .

(٤) ربع المنجيات : وقد ذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيهامن خصال المقرّبين والصدّيقين التى بها يتقرب العبد من رب العالمين ، وقد ذكر فى كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها وثمرتها وعلامتها وفضيلتها .

وتلك المنجيات هى : التوبة ، والصبر ، والشكر ، والخوف والرجاء ، والفقر والزهد ، والتوحيد والتوكل ، والمحبة والشوق والأنس والرضا ، والنية والصدق والإخلاص ، والمراقبة والمحاسبة ، والتفكّر ، وذكر الموت .

وقد قدم الكتاب بالكلام فى فضل العلم والتعليم ، ليكشف عن العلم الذى يعبد الله تعالى به ، حتى تصح العبادة ؛ إذ كان من العلم ماهو نافع وما هو ضار ، وما هو محمود، وما هو مذموم ؛ وفى فنون العلم التى شغل بها معاصروه، وحكم كل علم منها .

---

(١) راجع الجزء الثانى من الإحياء (ص ١٧ — ١٩) من هذه الطبعة .

والذى ينظر فى هذه الموضوعات يتضح له أنها تعالج النفس الإنسانية على أوسع نطاق ، وتتناولها ، من أكثر جهاتها ، وتدرس شتى علائقها .

لقد درس فيها الغزالىّ الإنسان مع ربه ، والإنسان مع نفسه ، والإنسان مع غيره من الناس . وتهدف تلك الدراسات إلى استخلاص أسباب السعادة فى الدنيا والآخرة ؛ أو معرفة الأسباب التى تكون بها الحياة سبيلا إلى الآخرة ؛ أو تسخير مامنح العبد من إرادة وقوة واختيار ؛ لتكون حجته حين يسلب الحياة والإرادة والقوة والاختيار .

أغراض تتلاقى جميعاً ما دامت حياة الإنسان محدودة ، وما دامت إرادته وقوته واختياره موقوتة بهذه الحياة المحدودة ؛ ومادام العقل والاستدلال والمعرفة تُفْضِى جميعاً إلى التسليم بالبعث والنشور والحساب والجنة أو النار .

وكان الذى حفز الغزالى إلى تلك البحوث المستفيضة مارأى من فتور الاعتقادات فى أصل النبوة، ثم فى حقيقة النبوة ، ثم فى العمل بما شرحته النبوة ، وتحقيق شيوع ذلك بين الخلق ، فنظر فى أسباب الفتور وضعف الإيمان، فإذا هى أربعة :

١ ـ سبب من الخائضين فى علم الفلسفة .

٢ ـ وسبب من الخائضين فى طريق التصوف .

٣ ـ وسبب من المنتسبين إلى دعوى التعليم .

٤ ـ وسبب من معاملة الموسومين بالعلم فيما بين الناس .

وقد تتبع مدة آحاد الخلق ، يسأل من يقصّر منهم فى متابعة الشرع عن شبهته ، ويبحث عن عقيدته وسرّه ، ويقول له : مالك تقصر فيها ؟

فإن كنت تؤمن بالآخرة ، ولست تستعدلها ، وتبيعها بالدنيا ، فهذه حماقة ! فإنك لا تبيع الاثنين بواحد ، فكيف تبيع مالا نهاية له بأيام معدودة ؟

وإن كنت لا تؤمن ، فأنت كافر ! فدبّر نفسك فى طلب الإيمان ، وانظر ما سبب كفرك الخفىّ الذى هو مذهبك باطناً ، وهو سبب جرأتك ظاهراً ، وإن كنت لا تصرح به ، تجملاً بالإيمان وتشرفاً بذكر الشرع !

فقائل يقول : هذا أمر لو وجبت المحافظة عليه لكان العلماء أجدر بذلك ! وفلان من المشاهير بين الفضلاء لا يصلى ، وفلان يشرب الخمر ، وفلان يأكل أموال الأوقاف وأموال اليتامى ، وفلان يأكل إدرار السلطان ولا يحترز عن الحرام ، وفلان يأخذ الرشوة على القضاء والشهادة . . .

وقائل ثان يدّعى علم التصوف ، ويزعم أنه قد بلغ مبلغاً يرقى عن الحاجة إلى العبادة .

وقائل ثالث يتعلل بشبهة أخرى من شبهات أهل الإباحة .

وهؤلاء هم الذين ضلوا عن التصوف .

وقائل رابع لقى أهل التعليم فيقول : الحق مشكل ، والطريق إليه متعسر ، والاختلاف فيه كثير ، وليس بعض المذاهب أولى من بعض ! وأدلة العقول متعارضة ، فلا ثقة برأى أهل الرأى ، والداعى إلى التعليم متحكم لا حجة له ، فكيف أدع اليقين بالشك ؟

وقائل خامس يقول : لست أقبل هذا تقليداً ، ولكني قرأت علم الفلسفة ، وأدركت حقيقة النبوة ، وأن حاصلها يرجع إلى الحكمة والمصلحة ، وأن المقصود من تعبداتها ضبط عوام الخلق ، وتقييدهم عن التقاتل والتنازع والاسترسال في الشهوات ، فما أنا من العوام والجهال ، حتى أدخل في حجر التكليف ؛ وإنما أنا من الحكماء ، أتبع الحكمة وأنا بصير بها مستغنٍ فيها عن التقليد[1] . . !!

إنك تقرأ هذه الشبه العارضة التي جعلت الدين وقواعد العبادات مجالا للتردد والشك وانصراف هذه الطبقات عن العمل ، والأسباب التي ينتحلها المقصرون ، والأعذار التي يدلى بها الغافلون . وتقرأ في (الإحياء) تفنيد كل دعوى من هذه الدعاوى ، ودحض كل شبهة من أمثال تلك الشبهات ؛ بطريق النص الثابت ، وبطريق العقل والمنطق الذي يسلم إلى اليقين .

— ٣ —

إنك تقرأ في الإحياء بحوثا شهية عميقة في علم النفس والفلسفة والاجتماع والتصوف إلى جانب ما تطالعه فيها من أصول الدين وحقائق التشريع .

وإنك لتقرأ من أصول التأديب وقواعد التربية ومراعاة حال النشء في تلقي العلوم في هذا الكتاب ما يضارع آراء كبار فلاسفة التربية وعلم النفس ، ويكفي أن نشير إلى ما كتبه في « وظائف المرشد المعلم »[2] وأنه مهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمراً عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه التي تحتم عليه:

(١) الشفقة على المتعلمين، وأن يجريهم مجرى بنيه ...

(٢) الاقتداء بصاحب الشرع الشريف، فلا يطلب على إفادة العلم أجراً، ولا يقصد به جزاء ولا شكراً . . فإن المال وما في الدنيا خادم البدن ، والبدن مركب النفس ومطيتها ، والمخدوم هو العلم إذ به شرف النفس ، فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه ، فجعل المخدوم خادماً والخادم مخدوماً ، وذلك هو الانتكاس...

(٣) ألا يدع من نصح المتعلم شيئا ، وذلك بأن يمنعه من التصدى لرتبة قبل استحقاقها ، والتشاغل بعلم خفيّ ، قبل الفراغ من الجليّ ، ثم ينبهه على أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى ، دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ، ويقدم تقبيح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن . . .

(٤) ومن دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن، ولا يصرح، وبطريق الرحمة، لا بطريق التوبيخ ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة، ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ، ويهيج الحرص على الإصرار .

(٥) أن المتكفل ببعض العلوم ينبغي ألا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه ، كمعلم اللغة إذ عادته تقبيح علم الفقه ، ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير ، وأن ذلك نقل محض وسماع وهو شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه ، ومعلم الكلام ينفر عن الفقه . . . فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي أن تجتنب ، بل المتكفل

(١) المنقذ من الضلال ١٤٢ .

(٢) الإحياء ١/ ٦١ من هذه الطبعة .

بعلم واحد ينبغى أن يوسع على المتعلم طريق التعلم فى غيره ، وإن كان متكفلا بعلوم فينبغى أن يراعى التدريج فى ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة .

(٦) أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه ، فلا يلقى إليه ما لا يبلغه عقله فينفره ، أو يخبط عليه عقله . فليبث إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها ، ولا ينبغى أن يفشى العالم كل علمه إلى كل أحد ، ولذلك قيل : كِلْ لكلِّ عبد بمعيار عقله ، وزِنْ له بميزان فهمه ، حتى تسلم منه و ينتفع بك ، و إلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار .

(٧) أن المتعلم القاصر ينبغى أن يلقى إليه الجلىّ اللائق به ، ولا يذكر له أن وراءه تدقيقا يدخره عنه ، فإن ذلك يفتر رغبته فى الجلىّ ، و يشوّش عليه قلبه ، و يوهم إليه البخل به عنه .

(٨) أن يكون المعلم عاملا بعلمه ، فلا يكذّب قوله فعلُه ، لأن العلم يدرك بالبصائر ، والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر ، فإذا خالف العملُ العلم منع الرشد . وكل من تناول شيئا وقال للناس : لا تتناولوه فإنه سم مهلك ، سخر الناس به واتهموه ، وزاد حرصهم على ما نُهوا عنه ، فيقولون : لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به .

وما بسطه الغزالى فى هذه الآراء هو ما يقوله المربون المحدثون فى الانتقال بالمتعلمين من الجلىّ إلى الخفىّ ، ومن السهل إلى الصعب ، ومن البسيط إلى المركب ، وما يقوله علماء النفس فى الإدراك وأثر الحواس .

وتجد هذا الكتاب زاخراً بمثل هذه الدراسات ، حتى إنك لتشعر حين تقرؤها بالحاجة الملحة إلى دراسة « الغزالى المربى » وسيجد الدارس مادة واسعة الأطراف ، لا تتسع تلك الصفحات لاستقصائها ، ولكننا نجتزئ بهذه الإشارات إلى ما حوت تلك الأصداف من كنوز .

— ٤ —

ودراسة صلة الإنسان بخالقه دراسة لأصول العقائد والعبادات التى فرضها عليه ، والتى يلتمس بها الزلفى إليه . وقد أشرنا إلى الموضوعات التى درسها فى تلك الأصول . و بقى أن تذكر أن الغزالى لم يكتف فى تلك العبادات بذكر أحكام الشرع كما يفعل الفقهاء فى دروسهم وفى تصانيفهم ، ولكنه أضاف إلى تلك كثيراً من البحوث الروحية والنفسية والعقلية ، وتعمق فى فهم أسرارها وحكمها وسبل إجادتها وتخليتها من الشوائب بدرجة لم يسبق لها مثيل ، وفى استيعاب ليس له نظير .

فليست (الطهارة) عند الغزالى كما هى عند الفقهاء : طهارة من الحدث تختص بالبدن ، وطهارة من الخبث تكون فى البدن والثوب والمكان ، فإن هذه مرتبة واحدة منها . والمرتبة الثانية عنده : تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام ، والثالثة : تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة . والرابعة : تطهير السر عما سوى الله تعالى [1] ، ثم يفيض بعد ذلك فى ألوان هذه الطهارات وأسبابها ووسائلها وغاياتها ، مع ما يوافق الحقيقة التى

(١) الإحياء ١/١٣١ من هذه الطبعة .

يدعو إليها ، والشريعة التى فقهها وأجاد تحصيلها ، والعقل الذى عرف موارده ومصادره .

و (الصلاة) عنده مناجاة ، والمصلى مُناجٍ ربه عزّ وجلّ ، والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة ألبتة — وإذا كان الفقهاء يفتون بصحة الصلاة مع الغفلة ، فإن الغزالى يتأدب فى الرد عليهم ، ولا يطمع فى مخالفتهم فيما أفتوا به ، ويعلل بأن ذلك من ضرورة الفتوى .

ولكن الذى يعرف سر الصلاة يعرف أن الغفلة تضادها ، ثم يفرق بين العلم الظاهر والعلم الباطن ، ويرى أن قصور الخلق أحد الأسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من أسرار الشرع [1] .

ورأيه فى (الزكاة) أن التلفظ بكلمتى الشهادة التزام للتوحيد ، وشهادة بإفراد المعبود ؛ وشرط تمام الوفاء به ألا يبقى للموحِّد محبوب سوى الواحد الفرد ، فإن المحبة لا تقبل الشركة ، والتوحيد باللسان قليل الجدوى . وإنما يمتحن به درجة المحب بمفارقة المحبوب، والأموال محبوبة عند الخلائق، لأنها آلة تمتعهم بالدنيا ، وبسببها يأنسون بهذا العالم ، وينفرون عن الموت ، مع أن فيه لقاء المحبوب . فامتحنوا بتصديق دعواهم فى المحبوب ، واستنزلوا عن المال الذى هو مرموقهم ومعشوقهم ولذلك قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ وذلك بالجهاد . . . والذين صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ، نزلوا عن جميع أموالهم ، فلم يدّخروا ديناراً ولا درهماً ، فأبوا أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم . حتى قيل لبعضهم : كم يجب من الزكاة فى مائتى درهم ؟ فقال : أما على العوامّ بحكم الشرع فخمسة دراهم ، وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع [2] .

وهكذا نجد أنفسنا دائما ونحن نجول فى (الإحياء) أننا أمام عالم كبير عرف الشرع وحفظه وفقهه وعمل به ، ورأى وراء هذا التشريع العام الذى ينتظم المسلمين جميعاً ؛ تشريعاً خاصًّا هو فى حقيقته أثر لذلك التشريع العام وتمكينٌ له ، وهذا الخاصّ فضل وزيادة ونافلة بعد أداء الفروض التى لم يغفل (الإحياء) ركنا من أركانها أو سنّة من سُنَنِها .

وهذا هو التصوف المستنير الذى أشرنا إليه ، تجد فيه الحجة البالغة ، وتجد فيه التقوى والورع وقطع العلائق بالناس وبالمال وبالجاه وبالولد وبالمنصب ، بل قطع علائق النفس بما تحبه وتحرص عليهم .

— ٥ —

فى تلك الدراسات يجد المتفقه رغبته ، ويجد المتصوّف طلبته ، ويجد صاحبُ العقل والباحثُ عن اليقين ما شاء من حجة بالغة وبرهانٍ مستبين ، وبهذه السّعة وبذلك الشمول أحيا الغزالى علوم الدين ، أحياها فى الحياة المضطربة الجادة العاملة ، والماجنة الهازلة ، وأحياها فى نفوس الزهاد ورجال الطريق ، ووصل بينهما وبين حكمة العقل والمنطق التى تفضى إلى الصحيح من النتائج ، وتلزم الشاك المتردد بالإذعان والتسليم وصدق الاعتقاد .

والناس عند الغزالى ثلاثة أصناف ، ولكل صنف منهم أسلوب خاص يعالج به ما عنده من الجهل أو الشك أو الغرور .

---

(١) الإحياء ١/١٦٧

(٢) الإحياء ١/٢٢٠

(١) أما الصنف الأول : فهم (العوام) ، و يصفهم بأنهم ألْفُهُ ، و بأنهم أهل السلامة . وهؤلاء هم الذين ليس لهم فطنة لفهم الحقائق . وهم يُدعون إلى الله بالموعظة .

(٢) والصنف الثانى : (الخواص) ، وهم أهل الذكاء والبصيرة ، وفيهم ثلاث خصال : إحداها القريحة النافذة والفطنة القوية ، وهذه عطية فطرية وغريزة جِبِلِّيَّة لا يمكن كسبها . الثانية : خلوّ باطنهم من تقليد وتعصب لمذهب موروث مسموع ، فإن المقلِّد لا يصغى ، والبليد و إن أصغى لا يفهم. الثالثة : أنه يؤمن أن أستاذه (الغزالى) من أهل البصيرة بالميزان ، ومن لم يؤمن بأنك من أهل الحساب لا يمكنه أن يتعلم منك . وهؤلاء يعالجهم الغزالى بأن يعلمهم الموازين القسط وكيفية الوزن بها ، فيرتفع الخلاف بينهم عن قرب ، ويدعوهم إلى الله بالحكمة ، كما دعا العوام بالموعظة الحسنة ، كما قال الله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ . فعلّم أن المدعوّ إلى الله تعالى بالحكمة قوم ، و بالموعظة الحسنة قوم ، و بالمجادلة قوم . فإن الحكمة إذا غذى بها أهل الموعظة أضرت بهم ، كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير . وكذلك المجادلة إن استعملت مع أهل الحكمة اشمأزوا منها ، كما يشمئز طبع الرجل القوىّ من الارتضاع بلبن الأم .

(٣) والصنف الثالث : (أهل الجدل) ، وهم طائفة فيهم كياسة ترقّوا بها عن العوام ، ولكن كياستهم ناقصة إذا كانت الفطرة كاملة ولكن فى باطنهم خبث وعناد وتعصب وتقليد ، فذلك يمنعهم عن إدراك الحق ، وتكون هذه الصفات أكنة على قلوبهم أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً . وهؤلاء يدعوهم بالتلطف إلى الحق ، من غير أن يتعصب عليهم أو يعنفهم ، ولكنه يرفق بهم ، ويجادلهم بالتى هى أحسن .

لقد نظر إلى كل طبقة من الطبقات التى يتكون منها المجتمع الإسلامى ، وعرف فلسفتها فى الحياة وما تعالجه من أسباب السعادة ، وما تعانيه من أسباب الشقاء فى الفكر والعمل ، ولا نعرف هذه السعة وذلك الشمول على هذا النحو مثل ما نجدها فى إحياء علوم الدين .

ويمكن أن يلحق بصدق الاعتقاد وأصول العبادات — وهما كما قدّمنا صلة بين الإنسان وربّه وقيام بطاعته وامتثال لأمره ونهيه وفيهما دلالة على المحبة — ما كتبه فى الربع الرابع من الإحياء ، وهو (ربع المنجيات) لأنه يختص بتصفية النفس من الشوائب وتطهيرها من الآثام ، والارتقاء بها إلى درجة المعرفة ، وفيه من أصول التصوف ومبادئه الشىء الكثير .

ومقدمة (التصوف) التوبة عما اقترفه العبد قبل أن يسلك طريق المعرفة ، ثم آداب السلوك وهى : الصبر ، والشكر والخوف ، والرجاء ، والفقر ، والزهد ، والمحبة ، والشوق ، والأنس ، والرضا ، والتوحيد ، والتوكل ، والمراقبة ، والمحاسبة ، والتفكر ، والنية ، والإخلاص ، والصدق .

وقد تبدو هذه الصفات من قبائل الفضائل العامة ، التى ينبغى توافرها فى الإنسان الفاضل ؛ ويطالب الناس جميعا بالتزامها ، ماداموا يتطلّعون إلى منزلة الفضل ؛ وهذا صحيح لاشك فيه . ولكن الفضلاء قد يحسبون كذلك ببعض تلك الصفات ، أو بتحصيل القليل من بعضها ، أما أهل الطريق المتطلعون إلى المعرفة فإنهم يجمعونها جميعاً

و يصلون بها إلى أقصى درجاتها ؛ وهم يجاهدون نفوسهم جهاداً عنيفا ، و يحملونها على ما تكره ، مما يعدّه غيرهم إسرافاً وعنتاً ، ولا يعترفون بالضرورات ، بل يحاسبون أنفسهم حساباً عسيراً ؛ ولا ينبغى لسالك الطريق أن يهملها فإنه إن أهملها سهل عليه مقارفة المعاصى ، وأنست بها نفسه، وعسر عليه فطامها ، وكان ذلك سبب هلاكها . « بل ينبغى أن يعاقبها فإذا أكل لقمة شبهة بشهوة نفس ينبغى أن يعاقب البطن بالجوع ، و إذا نظر إلى غير محرّم ينبغى أن يعاقب العين بمنع النظر ، وكذلك يعاقب كل طرف من أطراف بدنه بمنعه عن شهواته . هكذا كانت عادة سالكى طريق الآخرة ، فقد روى أن رجلا من العباد كلّم امرأة ، فلم يزل حتى وضع يده على فخذها ، ثم ندم فوضع يده على النار حتى يبست؛ و يحكى أن أحدهم تكشفت له جارية ، وهو فى بعض المغازى ، فنظر إليها ، فرفع يده فلطم عينه حتى بقرت، وقال : إنك للحاظة إلى ما يضرّك ! ونظر بعضهم نظرة واحدة إلى امرأة ، فجعل على نفسه ألا يشرب الماء البارد طول حياته ، فكان يشرب الماء الحار لينغص على عيشه »[1] .

فى هذا الربع ، ربع المنجيات ، يظهر ما يتحلّى به القلب من الصفات المحمودة التى ذكرت ، وهو يقابل ما فى الربع الثالث ، ربع المهلكات ، الذى بسط فيه ما تجب تزكية النفس وتطهيرها منه ، وهى شرور وآثام مردية ، كالشّره والغضب والكبر والرياء والعُجْب والحسد وحب الجاه وحب المال وغيرها .

وقد قدم (المهلكات) على (المنجيات) لأن الأولى تطهير وتخلية ، والثانية تزكية وتحلية ، والأولى فى أصول التربية والتهذيب مقدمة على الثانية . ولأن العبد لا منجاة له من الوقوع فيما ذكره فى المهلكات ، ولكن فى استطاعته النهوض منها وجبرها بالمنجيات ، ولأن التجرّد للخير المحض دأب الملائكة المقربين ، والتجرد لمحض الشرّ دون العمل على تلافيه سجية الشياطين ، ولكن الرجوع إلى الخير بعد الوقوع فى الشر ضرورة الآدميين .

— ٦ —

و بعد فإن كتاب « إحياء علوم الدين » جماع عقليات ثلاث :

(١) : العقلية الشرعية : وتبدو آثارها فيما بسطه الغزالى من أحكام الفقه وأصوله ، وما اعتمد عليه من نصوص القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة والتابعين ، ومذاهب الأئمة رضى الله عنهم ، وأقوال الفقهاء وعلماء الشرع والحديث والتأويل ، وهو يعد أصول العلوم الشرعية أربعة : كتاب الله عزّ وجلّ ، وسنّة رسوله عليه السلام ، و إجماع الأمة ، وآثار الصحابة . ويرى أن كتب الفقه تبحث فى الحياة

---

(١) الإحياء ٤/٣٩٣.

الأولى ، وأن الفقهاء هم علماء الدنيا ؛ وعلّل لذلك بأن الناس لو تناولوا الدنيا بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ، ولكنهم تناولوها بالشهوات ، فتولدت منها الخصومات ، فمست الحاجة إلى سلطان يسوسهم ، واحتاج السلطان إلى قانون يسوسهم به ، فالفقيه هو العالم بقانون السياسة ، وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا ، وهو معلم السلطان، ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم،لتنتظم باستقامتهم أمورهم الدنيوية . والملك والدين توأمان، والدين أصل ، والسلطان حارس ، ومالا أصل له فمهدوم ، ومالا حارس له فضائع [1] .

ولا يسلم له هذا الرأى كاملا ، لأنه إن استقام فى أحكام الجراحات والحدود والغرامات وفصل الخصومات ، فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة ، ولا فيما يشتمل عليه ربع العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام .

والذى دعاه إلى هذا الوصف أنه جعل هذا العلم علمين : أحدهما يتصل بمصالح الدنيا ، والثانى يتعلق بمصالح الآخرة ، وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة والمذمومة وما هو مرضى عند الله تعالى وما هو مكروه، وهو الذى خص به الكتاب الثالث من الإحياء . والمحمود هنا غير فرض الطاعة ، والمذموم هنا أيضاً غير المعصية ، فإن للطاعة ثوابها ، وللمعصية عقابها . ولكن المرضىّ فى علم الآخرة هو ما يقرب إلى الله ، ثمرة للمعرفة الكاملة ، والفناء ، وقهر النفس وتزكيتها .

ومثال ذلك الصلاة ، فإن الفقيه يُفتى بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط ، وإن كان غافلا فى جميع صلاته من أولها إلى آخرها ، مشغولا بالتفكر فى حساب معاملاته فى السوق إلا عند التكبير . ولكن هذه الصلاة لا تنفع فى الآخرة ، كما أن القول باللسان فى الإسلام لا ينفع، ولكن الفقيه يُفتى بالصحة ، أى أن ما فُعل حصل به امتثال صيغة الأمر ، وانقطع به عنه القتل والتعزير ، فأما الخشوع وإحضار القلب الذى هو عمل الآخرة، وبه ينفع العمل الظاهر ، فلا يتعرض له الفقيه .

وعلى كل حال ، فإن الغزالىّ وإن عدّ الفقه علم الدنيا والفقهاء علماء الدنيا ، فقد درس فى الإحياء هذا العلم ، علم الفقه ، دراسة مستفيضة تدل على الفهم والاستيعاب ؛ إذ كانت الشريعة سُلّم الحقيقة، والعبادة سبيل المعرفة الحقة التى نشدها وعدّ من رجالها .

(٢) العقلية الفلسفية : ونعنى بها يقظة العقل ، والقدرة على التبصر ، وفهم الكون بظواهره وشواهده ، ومحاولة الوصول إلى أعماقه ، وإلى سر الحياة والأحياء ؛ ودراسة النصوص دراسة تخضع لأحكام العقل والتفكير ؛ والتغلب على الأخطاء الشائعة ، والتقاليد التى تعارض المنطق السليم والتفكير الصحيح .

---

(١) الإحياء ١/٢٤

وقد أشرنا فيما سبق إلى نزوع الغزالى إلى التحرّر ، ونفوره من التقليد الذى لا فضل فيه للمقلِّد ، وفى الإحياء كثير من الشواهد على ذلك .

فقد بحث الغزالى كثيرا من المسائل الفلسفية ، ومسائل علم الكلام ، التى تتصل بالله تعالى وذاته وصفاته ، كما بحث فى أعمال العبد ، ومبدأ الخلق وغايته .

ومن ذلك البحث الفلسفى الذى عقده فى « ربع المهلكات » فى شرح عجائب القلب ، وفى بيان معنى النفس والروح والعقل ، وما هو المراد بهذه الأسماء .

فلفظ (القلب) له معنيان : أحدهما : اللحم الصنوبرى الشكل المودع فى الجانب الأيسر من الصدر ، وهو لحم مخصوص وفى باطنه تجويف ، وفى ذلك التجويف دم أسود . . . الخ .

والمعنى الثانى للقلب : أنه لطيفة ربانية روحانية ، لها بهذا القلب الجسمانى تعلق ، وتلك اللطيفة هى حقيقة الإنسان ، وهو المدرك العالم العارف من الإنسان ، وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب .. وتعلقه بالعقل الجسمانى يضاهى تعلق الأعراض بالأجسام ، والأوصاف بالموصوفات ، أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة ، أو تعلق المتمكن بالمكان . . .

و (الروح) جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسمانى ، فينشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن ، وجريانه فى البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها ، يضاهى فيضان النور من السراج فى زوايا البيت ، فإنه لا ينتهى إلى جزء من البيت إلا استنار به . والحياة مثالها النور الحاصل فى الحيطان ، والروح مثالها السراج ، وسريان الروح وحركته فى الباطن مثال حركة السراج فى جوانب البيت بتحريك محرّكه ، والأطباء إذا أطلقوا لفظ (الروح) أرادوا به هذا المعنى ، وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب . والروح معنى آخر ، وهو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان ، وهذا هو أحد معنيي القلب .

وللفظ (النفس) معان كثيرة ، ومن تلك المعانى ما يريده أهل التصوف فى استعمالاتهم ، وهى الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان ، وهى المعنى الجامع لقوة الشهوة والغضب فى الإنسان ، فإنك تراهم يقولون : لا بد من مجاهدة النفس وكسرها ، وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله عليه السلام « أعْدَى أعدائِكَ نفسُكَ التى بين جنبيك » . ومن معانيها نفس الإنسان وذاته ، ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها .

ثم (العقل) وقد يطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور ، فيكون عبارة عن صفة العلم الذى محله القلب . وقد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب .

هذا شيء قليل نشير به إلى جهاد الغزالى فى تلك الدقائق التى حيرت المفكرين وشغلت الفلاسفة، وقد عرض لها من قديم فلاسفة اليونان، ولا تزال إحدى مشكلات الفلسفة المعاصرة . ولكلام الغزالى ودراسته مكان ملحوظ بين تلك الدراسات قديمها وحديثها .

ثم الفلسفة الأخلاقية ، وقد أفاض فيها فى المنجيات والمهلكات والعادات ، وقد عرض فيها للفضائل الإنسانية على نحو لم يسبق له مثيل فى القديم والحديث . وما بالك برجل يعالج الفضائل الكامنة والرذائل المستترة ، فضلا عن الأخلاق الظاهرة والسلوك الملحوظ . ولا نحب أن نستشهد على ذلك بشيء من النماذج ، فإن المطالع لأكثر أبواب الإحياء يجد فيها مصداق ما نقول .

(٣) العقلية الصوفية : ظهر للغزالى أنه لا مطمع له فى سعادة الآخرة إلا بالتقوى وكف النفس عن الهوى ، وأن رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجافى عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى ، وأن ذلك لا يتم إلا بالإعراض عن الجاه والمال والهرب من الشواغل والعلائق .

ثم لاحظ أحواله فإذا هو منغمس فى العلائق . ولاحظ أحواله — وأحسنها التدريس والتعليم — فإذا هو فيها مقبل على علوم غير مهمة ، ولا نافعة فى طريق الآخرة . ثم تفكر فى نيته فى التدريس فإذا هى غير خالصة لله تعالى بل باعثها ومحرّكها طلب الجاه وانتشار الصيت ، فتيقن أنه على شفا جُرُف هار ، وأنه قد أشفى على النار ، إن لم يشتغل بتلافى الأحوال [1] .

وقد رأى العلوم التى حصلها لا تجدى فيما أراد ؛ إلا بنفحة من الله الذى يهب من يشاء من عباده الإيمان والمعرفة ، ورأى ذلك محتاجاً إلى جهد ومشقة ، وعلم وعمل .

وقد ساق الغزالى كثيراً من شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف فى اكتساب المعرفة ، لا من التعلم ، ولا من الطريق المعتاد [2] ، من ذلك قوله تعالى « وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِب » أى مخرجاً من الإشكالات والشبه ، ومعنى يرزقه من حيث لا يحتسب : يعلمه علماً من غير تعلم ، ويفطنه من غير تجربة . . وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » . . وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « العلم علمان فعلم باطن فى القلب ، فذلك هو العلم النافع . . » وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو ؟ فقال : هو سرٌّ من أسرار الله تعالى يقذفه فى قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشراً . . وفى الحديث « من عمل بما علم ورّثه الله علم مالم يعلم، ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة . . » .

---

(١) الغزالى : المنقذ من الضلال ١٢٨

(٢) الإحياء ٣/٢٢ .

وقد أورد كثيراً من الأدلة التى تؤيده فى إمكان الكشف والإلهام بغير الأسباب الظاهرة ، مما وقع للخلفاء الراشدين وأهل التقوى والورع والزهد والتصوف . وهذا هو العلم اللدُنى ، وهو غير العلم الدنيوى الذى يكون بوسائط تعليم الخلق .

وسبيل هذا العلم مشقة وجهاد ، وحمل النفس على مالا تطيقه أكثر النفوس ، ولقد كتب الغزالى فى هذا الجهاد كثيراً حتى زخر « الإحياء » بالتصوف ، أكثر مما زخر به من أصول التشريع ، حتى هذا التشريع قد يكون درجات ومفاهيم عند المتصوفة تختلف عنها عند غيرهم .

ومابالك برجل يجعل الدرجة السفلى من الزهد أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر مابين يدى العبد من الأهوال ، ويسميه (زهد الخائفين) ؟ ويجعل الدرجة الثانية (زهد الراجين) لأنهم يزهدون رغبة فى ثواب الله ونعيمه واللذات الموعودة فى جنته . أما الدرجة العليا عنده فهى (زهد المحبين) وهم العارفون ، لأنه لايحب الله تعالى إلا من عرفه ، وزهدهم ليس عن رغبة إلا فى الله وفى لقائه فلا تلتفت قلوبهم إلى الآلام ليقصدوا والخلاص منها ، ولا إلى اللذات ليقصدوا نيلها والظفر بها .. وهذا هو الزهد الحقيقى والتوحيد الحقيقى الذى لايطلب فيه غير الله ، لأن من طلب غير الله فقد عبده ، وكل مطلوب معبود ، وكل طالب عبد بالإضافة إلى مطلبه ، وطلب غير الله من الشرك الخفى .

وما أكثر مايزخر به الإحياء من آثار التصوف ، مما يدل على تشبع الغزالى بفكرته وإيمانه بأنه الطريق الموصل إلى المعرفة بالله والقرب من رحمته ، وتجد أثر هذا التشبع والفهم العميق لفلسفة التصوف فى أبواب كثيرة نخص بالذكر منها الجزء الرابع من هذه الطبعة فى (ربع المنجيات) فى أبواب الخوف والرجاء والصبر والشكر والفقر والزهد والتوحيد والتوكل والمحبة والشوق والأنس والرضا . . . الخ .

⁂

وأخيرا . . .

تلك بعض إشارات إلى الينابيع الطاهرة والمناهل الصافية ، التى يفيض بها هذا الأثر الخالد ، يقصد إليها المصلحون والمفكرون من طلاب الشريعة وطلاب الحقيقة ، والباحثون فى أسرار الاعتقاد وحقائق الإيمان والأعمال وقواعد السلوك ، ليجدوا فيها غذاء لعقولهم ، وريا لظمئهم ، وشفاء لأدواء قلوبهم ، وتبديداً لظلمات الحيرة فى نفوسهم وأمنا فى سلوكهم ، ونجاة من موبقات هذا السراب الأخاذ فى دنيا الباطل والضلال ، وسبيلا إلى السعادة بالمعرفة النافعة والحكمة البالغة .

وقد كتبت هذه الكلمات استجابة للرغبة الكريمة التي أبدتها (دار إحياء الكتب العربية) في تقديم هذه الطبعة من (إحياء علوم الدين) الذي عظم نفعه ، وعمت بركته ، منذ كتبه حجة الإسلام الغزالي ، الذي نعتز به عالماً بدين الله ، ومؤمناً بالله ، وداعيا إلى الله ، ونعتز به مسلماً من أولى البصيرة واليقين ، وعلما من أعلام الصوفية وفلاسفة الإسلام .

وأقدمت على هذا العمل مستعينا بالله ، حتى وفق إلى هذه الكلمات ، التي أرجو أن تكون مفتاحاً للكشف عن شخصية الغزالي وعقليته ومعارفه ، وما بث في (الإحياء) من آيات الهدى والحكمة .

والحمد لله على ما هدى إليه ، وأعان عليه ، له الحمد في الأولى والآخرة . نعم المولى ونعم النصير ؟

مصر الجديدة { ٣ من جمادى الأولى سنة ١٣٧٧ هـ
٢٥ من نوفمبر سنة ١٩٥٧ م

بدوي أحمد طبانة

مواد المقدمة

صفحة

(١) تمهيد فى التصوف الإسلامى . . . . . ٣ ـ ٧

تعاليم الإسلام ـ المسلم بين الدنيا والآخرة ـ المسلمون فى الصدر الأول ـ صراع بين المادية والروحية ـ عودة إلى الله ـ البحث عن الحقيقة ـ السلبية فى بعض مناهج التفكير ـ ألوان جديدة من المعرفة .

(٢) الإمام الغزالى . . . . . ٧ ـ ١١

مولده ونشأته ـ أبوه ـ علم للحياة وعلم لله ـ فى طوس ـ فى جرجان ـ فى نيسابور ـ فى العسكر ـ مع نظام الملك ـ إلى بغداد ـ فى المدرسة النظامية ـ صدود عن المنصب والجاه ـ فى الشام و بيت المقدس ـ إلى مكة والمدينة ـ تنسكه ـ عودة إلى خراسان ـ العزلة والخلوة ـ أمر بالخروج إلى نيسابور للتدريس ـ عودته إلى طوس ـ وفاته .

(٣) الشك عند الغزالى . . . . . ١١ ـ ١٨

اختلاف مناهج البحث فى العقائد ـ التعصب للآراء ـ الغزالى والتقليد ـ سبل المعرفة: الحسيات والعقليات ـ عقبات تعترض طريقهما ـ أثر الفلاسفة والطبيعيين فى بيئات التفكير الإسلامى ـ ليس الكشف موقوفا على الأدلة المحررة ـ فلسفة الغزالى وتصوفه ـ الغزالى بين الابتداع والاتباع .

(٤) مناهج البحث عن الحقيقة . . . . . ١٨ ـ ٢١

الغزالى وعلم الكلام ـ الغزالى والفلسفة ـ الغزالى ومذهب التعليم ـ الغزالى والصوفية مزايا كل منهج و عيوبه .

(٥) آثار الغزالى . . . . . ٢٢ ـ ٢٣

(٦) كتاب (إحياء علوم الدين) . . . . . ٢٣ ـ ٣٨

متى حدّث به ؟ ـ متى ألفه ؟ ـ بين التحصيل والإلهام ـ لماذا ألف الإحياء ؟ ـ الفرق بين كتابة الغزالى وكتابة الذين سبقوه .

أقسام الإحياء : العبادات ـ العادات ـ المهلكات ـ المنجيات ـ أسباب الفتور وضعف الإيمان ـ الإحياء والتربية ـ صنوف الناس فى نظر الغزالى وما ينبغى أن يؤخذ به كل صنف ـ الشريعة والفلسفة والتصوف فى الإحياء ـ خاتمة .

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

كتاب تعريف الأحياء بفضائل الإحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى وفق لنشر المحاسن وطيها فى أحسن كتاب وجعل ذلك قرة لأعين الأحباب وذخيرة ليوم المآب والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أحيا باحياء شريعته وطريقته قلوب ذوى الألباب وعلى آله الطيبين الطاهرين وجميع الأصحاب ما أشرقت شمس الاحياء للقلوب وتوجهت همة روحانية مصنفه الولى الموهوب الى إسعاف ملازمى مطالعته ومحبيه بالمطلوب .

وبعد : فان الكتاب العظيم الشأن المسمى بإحياء علوم الدين المشهور بالجمع والبركة والنفع بين العلماء العاملين وأهل طريق الله السالكين المشايخ العارفين المنسوب إلى الامام الغزالى رضى الله عنه عالم العلماء وارث الأنبياء حجة

« إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ »

(قرآن كريم)

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله أولا ، حمدا كثيرا متواليا ، وإن كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين ، وأصلى وأسلم على رسله ثانيا صلاة تستغرق مع سيد البشر سائر المرسلين ، وأستخيره تعالى ثالثا فيما انبعث له عزمى من تحرير كتاب فى إحياء علوم الدين ، وأنتدب لقطع تعجبك رابعا ، أيها العاذل المتغالى فى العذل من بين زمرة الجاحدين ، المسرف فى التقريع والانكار من بين طبقات المنكرين الغافلين ، فلقد حل عن لسانى عقدة الصمت وطوقنى عهدة الكلام وقلادة النطق ما أنت مثابر عليه من العمى عن جلية الحق مع اللجاج فى نصرة الباطل وتحسين الجهل والتشغيب على من آثر النزوع قليلا عن مراسم الخلق ومال ميلا يسيرا عن ملازمة الرسم إلى العمل بمقتضى العلم طمعا فى نيل ما تعبده الله تعالى به من تزكية النفس وإصلاح القلب وتداركا لبعض ما فرط من إضاعة العمر يأسا من تمام التلافى والجبر وانحيازا عن عمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أحيا علوم الدين فأينعت بعد اضمحلالها ، وأعيا فهوم الملحدين عن دركها فرجعت بكلالها ، أحمده وأستكين له من مظالم أنقضت الظهور بأثقالها ، وأعبده وأستعين به لعصام الأمور وعضالها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة وافية بحصول الدرجات وظلالها ، واقية من حلول الدركات وأهوالها ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أطلع به فجر الايمان من ظلمة القلوب وضلالها ، وأسمع به وقر الآذان وجلا به رين القلوب بصقالها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم صلاة لا قاطع لاتصالها .

وبعد : فلما وفق الله تعالى لاكمال الكلام على أحاديث إحياء علوم الدين فى سنة إحدى وخمسين تعذر الوقوف على بعض أحاديثه فأخرت تبييضه إلى سنة ستين فظفرت بكثير مما عزب عنى علمه ثم شرعت فى تبييضه فى مصنف متوسط حجمه وأنا مع ذلك متباطئ فى إكماله غير متعرض لتركه وإهماله إلى أن ظفرت بأكثر ما كنت لم أقف عليه وتكرر السؤال من جماعة فى إكماله فأجبت وبادرت إليه ولكنى اختصرته فى غاية الاختصار ليسهل تحصيله وحمله فى الأسفار فاقتصرت فيه على ذكر طرف الحديث وصحابيه ومخرجه وبيان صحته أوحسنه أوضعف مخرجه فان ذلك هو المقصود الأعظم عند أبناء الآخرة بل وعند كثير من المحدثين عند المذاكرة والمناظرة وأبين ماليس له أصل فى كتب الأصول ، والله أسأل أن ينفع به إنه خير مسئول .

فان كان الحديث فى الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليه وإلا عزوته الى من خرجه من بقية الستة وحيث كان فى أحد الستة لم أعزه إلى غيرها إلا لغرض صحيح بأن يكون فى كتاب

« أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله سبحانه بعلمه [١] » ولعمرى إنه لاسبب لإصرارك على التكبر إلا الداء الذى عم الجم الغفير بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر والجهل بأن الأمر إد والخطب جد والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والأجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سد وماسوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير رد وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وقد شغر منهم الزمان ولم يبق إلا المترسمون وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان وأصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفا فصار يرى المعروف منكرا والمنكر معروفا حتى ظل علم الدين مندرسا ومنار الهدى فى أقطار الأرض منطمسا ولقد خيلوا إلى الخلق أن لا علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام أو جدل يتدرع به طالب المباهاة إلى الغلبة والإفحام أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام إذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام .

فأما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه فى كتابه فقها وحكمة وعلما وضياء ونورا وهداية ورشدا فقد أصبح من بين الخلق مطويا وصار نسيا منسيا . ولما كان هذا ثلما فى الدين ملما وخطبا مدلهما رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما إحياء لعلوم الدين وكشفا عن مناهج الأئمة المتقدمين وإيضاحا لمناهى العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين .

وقد أسسته على أربعة أرباع وهى : ربع العبادات ، وربع العادات ، وربع المهلكات ، وربع المنجيات . وصدرت الجملة بكتاب العلم لأنه غاية المهم لأكشف أولا عن العلم الذى تعبد الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم الأعيان بطلبه إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم[٢] » وأميز فيه العلم النافع من الضار إذ قال صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من علم لا ينفع[٣] » وأحقق ميل أهل العصر عن شاكلة الصواب ، وانخداعهم بلامع السراب ، واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب .

التزم مخرّجه الصحة أو يكون أقرب إلى لفظه فى الإحياء ، وحيث كرر المصنف ذكر الحديث فان كان فى باب واحد منه اكتفيت بذكره أول مرة وبما ذكرته فيه ثانيا وثالثا لغرض أو لذهول عن كونه تقدم وإن كرره فى باب آخر ذكرته ونبهت على أنه قد تقدم وربما لم أنبه على تقدمه لذهول عنه وحيث عزوت الحديث لمن خرجه من الأئمة فلا أريد ذلك اللفظ بعينه بل قد يكون بلفظه وقد يكون بمعناه أو باختلاف على قاعدة المستخرجات وحيث لم أجد ذلك الحديث ذكرت ما يغنى عنه غالبا وربما لم أذكره . وسميته :

المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار فى تخريج مافى الاحياء من الأخبار

جعله الله خالصا لوجهه الكريم ووسيلة إلى النعيم المقيم .

أحاديث الخطبة

(١) حديث : أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه . الطبرانى فى الصغير والبيهقى فى شعب الايمان من حديث أبى هريرة باسناد ضعيف (٢) حديث : طلب العلم فريضة على كل مسلم . ابن ماجه من حديث أنس وضعفه أحمد والبيهقى وغيرهما (٣) حديث : نعوذ بالله من علم لا ينفع . ابن ماجه من حديث جابر باسناد حسن .

الاسلام حسنة الدهور والأعوام تاج المجتهدين سراج المتهجدين مقتدى الأئمة مبين الحل والحرمة زين الملة والدين الذى باهى به سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء ورضى عن الغزالى وعن سائر العلماء المجتهدين لما كان عظيم الوقع كثير النفع جليل المقدار ليس له نظير فى بابه ولم ينسج على منواله ولا سمحت قريحة بمثاله مشتملا على الشريعة والطريقة والحقيقة كاشفا عن الغوامض الخفية مبينا للأسرار الدقيقة رأيت أن أضع رسالة تكون كالعنوان والدلالة على صبابة من فضله وشرفه ورشحة من فضل جامعه ومصنفه (ورتبته على مقدمة . ومقصد . وخاتمة) فالمقدمة فى عنوان الكتاب . والمقصد فى فضائله وبعض المدائح والثناء من

ويشتمل ربع العبادات على عشرة كتب

كتاب العلم ، وكتاب قواعد العقائد ، وكتاب أسرار الطهارة ، وكتاب أسرار الصلاة ، وكتاب أسرار الزكاة ، وكتاب أسرار الصيام ، وكتاب أسرار الحج ، وكتاب آداب تلاوة القرآن ، وكتاب الأذكار والدعوات ، وكتاب ترتيب الأوراد فى الأوقات .

وأما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب

كتاب آداب الأكل ، وكتاب آداب النكاح ، وكتاب أحكام الكسب ، وكتاب الحلال والحرام ، وكتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق ، وكتاب العزلة ، وكتاب آداب السفر ، وكتاب السماع والوجد ، وكتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وكتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة .

وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب

كتاب شرح عجائب القلب ، وكتاب رياضة النفس ، وكتاب آفات الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج ، وكتاب آفات اللسان ، وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد ، وكتاب ذم الدنيا ، وكتاب ذم المال والبخل ، وكتاب ذم الجاه والرياء ، وكتاب ذم الكبر والعجب ، وكتاب ذم الغرور .

وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب

كتاب التوبة وكتاب الصبر والشكر وكتاب الخوف والرجاء وكتاب الفقر والزهد وكتاب التوحيد والتوكل وكتاب المحبة والشوق والأنس والرضا وكتاب النية والصدق والاخلاص وكتاب المراقبة والمحاسبة وكتاب التفكر وكتاب ذكر الموت . فأما ربع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لا يطلع عليه وأكثر ذلك مما أهمل فى فن الفقهيات . وأما ربع العادات فأذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع فى مجاريها وهى مما لا يستغنى عنها متدين. وأما ربع المهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن بإماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه وأذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حده وحقيقته ، ثم أذكر سببه الذى منه يتولد ثم الآفات التى عليها تترتب ، ثم العلامات التى بها تتعرف ، ثم طرق المعالجة التى بها منها يتخلص . كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات والأخبار والآثار . وأما ربع المنجيات فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التى بها يتقرب العبد من رب العالمين وأذكر فى كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذى به تجتلب وثمرتها التى منها تستفاد وعلامتها التى بها تتعرف وفضيلتها التى لأجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ولقد صنف الناس فى بعض هذه المعانى كتبا ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة أمور : الأول : حل ما عقدوه وكشف ما أجملوه . الثانى : ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه . الثالث : إيجاز ما طولوه وضبط ما قرروه . الرابع : حذف ما كرروه وإثبات ما حرروه . الخامس : تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأفهام لم يتعرض لها فى الكتب أصلا إذ الكل وإن تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر أن يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لأمر يخصه ويغفل عنه رفقاؤه أو لا يغفل عن التنبيه ولكن يسهو عن إيراده فى الكتب أو لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاويا لمجامع هذه العلوم . وإنما حملنى على تأسيس هذا الكتاب على أربعة أرباع أمران : أحدهما وهو الباعث الأصلى : أن هذا الترتيب فى التحقيق والتفهيم كالضرورى لأن العلم الذى يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة وعلم المكاشفة وأعنى بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط وأعنى بعلم المعاملة ما يطلب منه مع

الأكابر عليه والجواب عما استشكل منه وطعن بسببه فيه والخاتمة فى ترجمة المصنف رضى الله عنه وسبب رجوعه إلى هذه الطريقة .

(المقدمة فى عنوان الكتاب)

اعلم أن علوم المعاملة التى يتقرب بها إلى الله تعالى تنقسم إلى ظاهرة وباطنة والظاهرة قسمان معاملة بين العبد وبين الله تعالى ومعاملة بين العبد وبين الخلق . والباطنة أيضا قسمان ما يجب تزكية القلب عنه من الصفات المذمومة وما يجب تحلية القلب به من الصفات المحمودة وقد بنى الامام الغزالى رحمه الله كتابه إحياء علوم الدين على هذه الأربعة الأقسام فقال فى خطبته : ولقد أسسته على أربعة أرباع ربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات فأما ربع العبادات فيشتمل على عشرة كتب كتاب

الكشف العمل به والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التى لا رخصة فى إيداعها الكتب وإن كانت هى غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين وعلم المعاملة طريق إليه ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلا فى علم الطريق والارشاد إليه . وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والاجمال علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الأنبياء فمالهم سبيل إلى العدول عن نهج التأسى والاقتداء . ثم إن علم المعاملة ينقسم إلى علم ظاهر أعنى العلم بأعمال الجوارح وإلى علم باطن أعنى العلم بأعمال القلوب والجارى على الجوارح إما عادة وإما عبادة والوارد على القلوب التى هى بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت إما محمود وإما مذموم فبالواجب انقسم هذا العلم إلى شطرين ظاهر وباطن والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم إلى عادة وعبادة والشطر الباطن المتعلق بأحوال القلب وأخلاق النفس انقسم إلى مذموم ومحمود فكان المجموع أربعة أقسام ولا يشذ نظر فى علم المعاملة عن هذه الأقسام . الباعث الثانى : أنى رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة فى الفقه الذى صلح عند من لا يخاف الله سبحانه وتعالى المتدرع به إلى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته فى المنافسات وهو مرتب على أربعة أرباع والمتزى بزى المحبوب محبوب فلم أبعد أن يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفا فى استدراج القلوب ولهذا تلطف بعض من رام استمالة قلوب الرؤساء إلى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعا فى الجداول والرقوم وسماه تقويم الصحة ليكون أنسهم بذلك الجنس جاذبا لهم إلى المطالعة والتلطف فى اجتذاب القلوب إلى العلم الذى يفيد حياة الأبد أهم من التلطف فى اجتذابها إلى الطب الذى لا يفيد إلا صحة الجسد فثمرة هذا العلم طب القلوب والأرواح المتوصل به إلى حياة تدوم أبد الآباد فأين منه الطب الذى يعالج به الأجساد وهى معرضة بالضرورة للفساد فى أقرب الآماد فنسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والسداد إنه كريم جواد .

كتاب العلم وفيه سبعة أبواب

الباب الأول : فى فضل العلم والتعليم والتعلم . الباب الثانى : فى فرض العين وفرض الكفاية من العلوم وبيان حد الفقه والكلام من علم الدين وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا . الباب الثالث : فيما تعده العامة من علوم الدين وليس منها وفيه بيان جنس العلم المذموم وقدره . الباب الرابع : فى آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل . الباب الخامس : فى آداب المعلم والمتعلم . الباب السادس : فى آفات العلم والعلماء والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة . الباب السابع : فى العقل وفضله وأقسامه وما جاء فيه من الأخبار .

الباب الأول فى فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهده من النقل والعقل

فضيلة العلم

شواهدها من القرآن قوله عز وجل ـ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط ـ فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلاء ونبلا وقال الله تعالى ـ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ـ قال ابن عباس رضى الله عنهما : للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقال عز وجل ـ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ـ وقال تعالى ـ إنما يخشى الله من عباده العلماء ـ وقال تعالى ـ قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب ـ وقال تعالى ـ قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به ـ تنبيها على أنه اقتدر بقوة العلم وقال عز وجل ـ وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ـ بين أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم وقال تعالى ـ وتلك الأمثال

العلم كتاب قواعد العقائد كتاب أسرار الطهارة كتاب أسرار الصلاة كتاب أسرار الزكاة كتاب أسرار الصيام كتاب أسرار الحج كتاب تلاوة القرآن كتاب الأذكار والدعوات كتاب ترتيب الأوراد فى الأوقات . وأما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب كتاب آداب الأكل كتاب آداب النكاح كتاب آداب الكسب كتاب الحلال والحرام كتاب آداب الصحبة كتاب العزلة كتاب آداب السفر كتاب آداب السماع والوجد كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كتاب أخلاق النبوة . وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب كتاب شرح عجائب القلب كتاب رياضة النفس كتاب آفة الشهوتين : البطن والفرج كتاب آفة اللسان كتاب آفة

نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ـ وقال تعالى ـ ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ـ رد حكمه فى الوقائع إلى استنباطهم وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء فى كشف حكم الله . وقيل فى قوله تعالى ـ يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم ـ يعنى العلم ـ وريشا ـ يعنى اليقين ـ ولباس التقوى ـ يعنى الحياء وقال عزّ وجل ـ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم ـ وقال تعالى ـ فلنقصنّ عليهم بعلم ـ وقال عزوجل ـ بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ـ وقال تعالى ـ خلق الانسان علمه البيان ـ وإنما ذكر ذلك فى معرض الامتنان . وأما الأخبار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده[1]» وقال صلى الله عليه وسلم «العلماء ورثة الأنبياء[2]» ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوّة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وقال صلى الله عليه وسلم «يستغفر للعالم ما فى السموات والأرض[3]» وأى منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له وقال صلى الله عليه وسلم « إن الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك[4]» وقد نبه بهذا على ثمراته فى الدنيا ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى . وقال صلى الله عليه وسلم «خصلتان لا يكونان فى منافق حسن سمت وفقه فى الدين[5]» ولا تشكن فى الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان فانه ما أراد به الفقه الذى ظننته وسيأتى معنى الفقه وأدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة إذا صدقت وغلبت عليه برئ بها من النفاق والرياء . وقال صلى الله علية وسلم «أفضل الناس المؤمن العالم الذى إن احتيج إليه نفع وإن استغنى عنه أغنى نفسه[6]» وقال صلى الله عليه وسلم «الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم[7]» وقال صلى الله علية وسلم «أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد، أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل[8]» . وقال صلى الله عليه وسلم «لموت قبيلة أيسر من موت عالم[9]» وقال عليه الصلاة والسلام «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام إذا فقهوا[10]» وقال صلى الله عليه وسلم « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء[11] »

كتاب العلم . الباب الأول

(١) حديث من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده متفق عليه من حديث معاوية دون قوله ويلهمه رشده وهذه الزيادة عند الطبرانى فى الكبير (٢) حديث العلماء ورثة الأنبياء . أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى الدرداء (٣) حديث يستغفر للعالم ما فى السموات والأرض هو بعض حديث أبى الدرداء المتقدم (٤) حديث الحكمة تزيد الشريف شرفا الحديث أبو نعيم فى الحلية وابن عبد البر فى بيان العلم وعبد الغنى الأزدى فى آداب المحدث من حديث أنس باسناد ضعيف (٥) حديث خصلتان لا تجتمعان فى منافق الحديث الترمذى من حديث أبى هريرة وقال حديث غريب (٦) حديث أفضل الناس المؤمن العالم الحديث البيهقى فى شعب الايمان موقوفا على أبى الدرداء باسناد ضعيف ولم أره مرفوعا (٧) حديث الايمان عريان الحديث الحاكم فى تاريخ نيسابور من حديث أبى الدرداء باسناد ضعيف (٨) حديث أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد الحديث أبو نعيم فى فضل العالم العفيف من حديث ابن عباس باسناد ضعيف (٩) حديث لموت قبيلة أيسر من موت عالم الطبرانى وابن عبد البر من حديث أبى الدرداء وأصل الحديث عند أبى الدرداء (١٠) حديث الناس معادن الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (١١) حديث يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودماء الشهداء ابن عبد البر من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف

الغضب والحقد والحسد
كتاب ذمّ الدنيا
كتاب ذم المال والبخل
كتاب ذم الجاه والرياء
كتاب الكبر والعجب
كتاب الغرور . وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب
كتاب التوبة كتاب الصبر والشكر كتاب الخوف والرجاء كتاب الفقر والزهد كتاب التوحيد والتوكل كتاب المحبة والشوق والرضا كتاب النية والصدق والاخلاص كتاب المراقبة والمحاسبة كتاب التفكر كتاب ذكر الموت . ثم قال رحمه الله : فأما ربع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليها بل لا يكون من علماء الآخرة من لم يطلع عليها وأكثر ذلك مما أهمل فى الفقهيات . وأما ربع العادات فأذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق ودقائق سننها

وقال صلى الله عليه وسلم « من حفظ على أمتى أربعين حديثا من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة[١] » وقال صلى الله عليه وسلم « من حمل من أمتى أربعين حديثا لقى الله عز وجل يوم القيامة فقيها عالما[٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « من تفقه فى دين الله عزوجل كفاه الله تعالى ما أهمه ورزقه من حيث لا يحتسب[٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إنى عليم أحب كل عليم[٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « العالم أمين الله سبحانه فى الأرض[٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « صنفان من أمتى إذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس الأمراء والفقهاء[٦] » وقال عليه السلام « إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علما يقربنى إلى الله عز وجل فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم[٧] » وقال صلى الله عليه وسلم فى تفضيل العلم على العبادة والشهادة « فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى[٨] » فانظر كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وإن كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التى يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة . وقال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب[٩] » وقال صلى الله عليه وسلم « يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء[١٠] » فأعظم بمرتبة هى تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد فى فضل الشهادة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما عبد الله تعالى بشىء أفضل من فقه فى الدين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شىء عماد وعماد هذا الدين الفقه[١١] » وقال صلى الله عليه وسلم « خير دينكم أيسره وخير العبادة الفقه[١٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة[١٣] » وقال

(١) حديث من حفظ على أمتى أربعين حديثا من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة. ابن عبد البر فى العلم من حديث ابن عمر وضعفه (٢) حديث من حمل من أمتى أربعين حديثا لقى الله يوم القيامة فقيها عالما ابن عبد البر من حديث أنس وضعفه (٣) حديث من تفقه فى دين الله كفاه الله همه الحديث الخطيب فى التاريخ من حديث عبدالله بن جزء الزبيدى باسناد ضعيف (٤) حديث أوحى الله إلى إبراهيم يا إبراهيم إنى عليم أحب كل عليم ذكره ابن عبد البر تعليقا ولم أظفر له باسناد (٥) حديث العالم أمين الله فى الأرض ابن عبد البر من حديث معاذ بسند ضعيف (٦) حديث صنفان من أمتى إذا صلحوا صلح الناس الحديث ابن عبد البر وأبو نعيم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٧) حديث إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علما يقربنى الحديث الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الحلية وابن عبد البر فى العلم من حديث عائشة باسناد ضعيف (٨) حديث فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى الترمذى من حديث أبى أمامة وقال حسن صحيح (٩) حديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب أبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان وهو قطعة من حديث أبى الدرداء المتقدم (١٠) حديث يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان باسناد ضعيف (١١) حديث ما عبد الله بشىء أفضل من فقه فى الدين الحديث الطبرانى فى الأوسط وأبو بكر الآجرى فى كتاب فضل العلم وأبو نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث أبى هريرة باسناد ضعيف وعند الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس بسند ضعيف: فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد (١٢) حديث خير دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف والشطر الأول عند أحمد من حديث محجن بن الأدرع باسناد جيد والشطر الثانى عند الطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف (١٣) حديث فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة

وخفايا الزوايا فى مجاريها وهى مما لا يستغنى المتدين عنها . وأما ربع المهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن بإماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه وأذكر فى كل واحد من هذه الأخلاق حده وحقيقته ثم سببه الذى منه يتولد ثم الآفات التى عليها يترتب ثم العلامات التى بها يتعرف ثم طرق المعالجة التى منها يتخلص كل ذلك مقرونا بشواهد من الآيات والأخبار والآثار . وأما ربع المنجيات فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التى يتقرب بها العبد من رب العالمين وأذكر فى كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذى به تجتلب وثمرتها التى منها تستفاد وعلامتها التى بها تعرف وفضيلتها التى لأجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع

صلى الله عليه وسلم « إنكم أصبحتم فى زمن كثير فقهاؤه قليل قراؤه وخطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتى على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل[1] » وقال صلى الله عليه وسلم « بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة[2] » وقيل يارسول الله : أىّ الأعمال أفضل فقال «العلم بالله عزّ وجل» فقيل أىّ العلم تريد ؟ قال صلى الله عليه وسلم «العلم بالله سبحانه» فقيل له نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقال صلى الله عليه وسلم « إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله وإن كثير العمل لاينفع مع الجهل بالله[3] » وقال صلى الله عليه وسلم « يبعث الله سبحانه العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول يامعشر العلماء إنى لم أضع علمى فيكم إلا لعلمى بكم ولم أضع علمى فيكم لأعذّبكم اذهبوا فقد غفرت لكم[4] » نسأل الله حسن الخاتمة . وأما الآثار فقد قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه لكميل يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق . وقال علىّ أيضا رضى الله عنه : العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد وإذا مات العالم ثلم فى الاسلام ثلمة لايسدها إلا خلف منه وقال رضى الله تعالى عنه نظما:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا ... الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقال أبو الأسود ليس شىء أعزّ من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما : خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطى المال والملك معه ، وسئل ابن المبارك من الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذين يأكلون الدنيا بالدين ولم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصية التى يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم فالانسان إنسان بما هو شريف لأجله وليس ذلك بقوّة شخصه فان الجمل أقوى منه ولا بعظمه فان الفيل أعظم منه ولا بشجاعته فان السبع أشجع منه ولا بأكله فان الثور أوسع بطنا منه ولا بالجماع فان أخسّ العصافير أقوى على السفاد منه بل لم يخلق إلا للعلم وقال بعض العلماء ليت شعرى أىّ شىء أدرك من فاته العلم وأىّ شىء فاته من أدرك العلم . وقال عليه الصلاة والسلام « من أوتى القرآن فرأى أن أحدا أوتى خيرا منه فقد حقر ماعظم الله تعالى » وقال فتح الموصل رحمه الله أليس المريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا بلى قال كذلك القلب إذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت ولقد صدق فان غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته كما أن غذاء الجسد الطعام ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لايشعر به إذ حب الدنيا وشغله بها أبطل إحساسه كما أن غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح فى الحال وإن كان واقعا فاذا حط

ابن عدى من حديث أبى هريرة باسناد ضعيف ولأبى يعلى نحوه من حديث عبد البرّ بن عوف (١) حديث إنكم أصبحتم فى زمان كثير فقهاؤه الطبرانى من حديث حزام بن حكيم عن عمه وقيل عن أبيه وإسناده ضعيف (٢) حديث بين العالم والعابد مائة درجة الأصفهانى فى الترغيب والترهيب من حديث ابن عمر عن أبيه وقال سبعون درجة بسند ضعيف وكذا رواه صاحب مسند الفردوس من حديث أبى هريرة (٣) حديث قيل له يارسول الله أىّ الأعمال أفضل فقال العلم بالله الحديث ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء الحديث الطبرانى من حديث أبى موسى بسند ضعيف

والعقل

(المقصد فى فضل الكتاب المشار إليه وبعض المدائح والثناء من الأكابر عليه والجواب عما استشكل منه وطعن بسببه فيه) اعلم أن فضائل الاحياء لاتحصى بل كل فضيلة له باعتبار حيثياتها لاتستقصى جمع الناس مناقبه فقصروا ومافصروا وغاب عنهم أكثر مما أبصروا وعز من أفردها فيما علمت بتأليف وهى جديرة بالتصنيف غاص مؤلفه رضى الله عنه فى بحار الحقائق واستخرج جواهر المعانى ثم لم يرض إلا بكبارها وجال فى بساتين العلوم فاجتنى ثمارها بعد أن اقتطف من أزهارها وسما إلى سماء المعانى فلم يصطف من كواكبها إلا السيارة وجليت عليه عرائس أسرار المعانى فلم ترق فى عينه منهنّ إلا بادية النضارة جمع رضى الله عنه فأوعى وسعى فى إحياء علوم الدين

الموت عنه أعباء الدنيا أحسّ بهلاكه وتحسر تحسرا عظيما ثم لا ينفعه وذلك كاحساس الآمن من خوفه والمفيق من سكره بما أصابه من الجراحات فى حالة السكر أو الخوف فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء فان الناس نيام فاذا ماتو انتبهوا وقال الحسن رحمه الله يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء وقال ابن مسعود رضى الله عنه عليكم بالعلم قبل أن يرفع ورفعه موت رواته فوالذى نفسى بيده ليودن رجال قتلوا فى سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم فان أحدا لم يولد عالما وإنما العلم بالتعلم . وقال ابن عباس رضى الله عنهما تذاكر العلم بعض ليلة أحبّ إلىّ من إحيائها وكذلك عن أبى هريرة رضى الله عنه وأحمد بن حنبل رحمه الله وقال الحسن فى قوله تعالى ـ ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ـ إن الحسنة فى الدنيا هى العلم والعبادة وفى الآخرة هى الجنة وقيل لبعض الحكماء أىّ الأشياء تفتنى قال الأشياء التى إذا غرقت سفينتك سبحت معك يعنى العلم وقيل أراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس إماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار . وقال الشافعى رحمة الله عليه من شرف العلم أن كل من نسب اليه ولو فى شئ حقير فرح ومن رفع عنه حزن وقال عمر رضى الله عنه يا أيها الناس عليكم بالعلم فان لله سبحانه رداء يحبه فمن طلب بابا من العلم رداه الله عز وجل بردائه فان أذنب ذنبا استعتبه ثلاث مرات لئلا يسلبه رداءه ذلك وان تطاول به ذلك الذنب حتى يموت وقال الأحنف رحمه الله كاد العلماء أن يكونوا أربابا وكل عزّ لم يوطد بعلم فإلى ذل مصيره وقال سالم بن أبى الجعد اشترانى مولاى بثلثمائة درهم وأعتقنى فقلت بأى شئ أحترف فاحترفت بالعلم فما تمت لى سنة حتى أتانى أمير المدينة زائرا فلم آذن له وقال الزبير بن أبى بكر كتب إلىّ أبى بالعراق عليك بالعلم فانك إن افتقرت كان لك مالا وإن استغنيت كان لك جمالا . وحكى ذلك فى وصايا لقمان لابنه قال يا بنىّ جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله سبحانه يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الأرض بوابل السماء وقال بعض الحكماء إذا مات العالم بكاه الحوت فى الماء والطير فى الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره . وقال الزهرى رحمه الله العلم ذكر ولا يحبه إلا ذكران الرجال .

فضيلة التعلم

أما الآيات فقوله تعالى ـ فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ـ وقوله عزّ وجل ـ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ـ وأما الأخبار فقوله صلى الله عليه وسلم « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من أن تصلى مائة ركعة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالصين (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم »

(١) حديث من سلك طريقا يطلب فيه علما الحديث مسلم من حديث أبى هريرة (٢) حديث إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال (٣) حديث لأن تغدو فتتعلم بابا من الخير خير من أن تصلى مائة ركعة ابن عبد البر من حديث أبى ذرّ وليس إسناده بذاك والحديث عند ابن ماجه بلفظ آخر (٤) حديث باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا ابن حبان فى روضة العقلاء وابن عبد البرّ موقوفا على الحسن البصرى ولم أره مرفوعا إلا بلفظ خير له من مائة ركعة رواه الطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف من حديث أبى ذرّ (٥) حديث اطلبوا العلم ولو بالصين ابن عدى والبيهقى فى المدخل والشعب من حديث أنس وقال البيهقى متنه مشهور وأسانيده ضعيفة .

فشكر الله له ذلك المسعى فلله درّه من عالم محقق مجيد وإمام جامع لشتات الفضائل محرر فريد لقد أبدع فيما أودع كتابه من الفوائد الشوارد وقد أغرب فيما أعرب فيه من الأمثلة والشواهد وقد أجاد فيما أفاد فيه وأملى بيد أنه فى العلوم صاحب القدح المعلى إذ كان رضى الله عنه من أسرار العلوم بمحل لا يدرك وأين مثله وأصله أصله وفضله فضله: هيهات لا يأتى الزمان بمثله

إن الزمان بمثله لشحيح

وما عسيت أن أقول فيمن جمع أطراف المحاسن ونظم أشتات الفضائل وأخذ برقاب المحامد واستولى على غايات المناقب فشجرته فى فوارة العلم والعمل والعلا والفهم والذكاء أصلها ثابت وفرعها فى السماء مع كونه رضى الله عنه ذا الصدر الرحيب والقريحة الثاقبة والدراية الصائبة

وقال عليه الصلاة والسلام « العلم خزائن مفاتيحها السؤال ألا فاسألو فانه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينبغى للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه (٢) » وفى حديث أبى ذر رضى الله عنه « حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة ، فقيل يارسول الله ومن قراءة القرآن ؟ فقال صلى الله عليه وسلم وهل ينفع القرآن إلا بالعلم (٣) » . وقال عليه الصلاة والسلام « من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام فبينه وبين الأنبياء فى الجنة درجة واحدة (٤) » . وأما الآثار فقال ابن عباس رضى الله عنهما ذلت طالبا فعززت مطلوبا وكذلك قال ابن أبى مليكة رحمه الله مارأيت مثل ابن عباس إذا رأيته رأيت أحسن الناس وجها وإذا تكلم فأعرب الناس لسانا وإذا أفتى فأكثر الناس علما وقال ابن المبارك رحمه الله عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة . وقال بعض الحكماء إنى لأرحم رجالا كرحمتى لأحد رجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم العلم ولا يطلبه وقال أبو الدرداء رضى الله عنه لأن أتعلم مسئلة أحبّ إلىّ من قيام ليلة وقال أيضا العالم والمتعلم شريكان فى الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم وقال أيضا كن عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك . وقال عطاء مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وقال عمر رضى الله عنه موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه وقال الشافعى رضى الله عنه طلب العلم أفضل من النافلة وقال ابن عبد الحكم رحمه الله كنت عند مالك أقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لأصلى فقال ياهذا ماالذى قمت إليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النية وقال أبو الدرداء رضى الله عنه من رأى أنّ الغدوّ إلى طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص فى رأيه وعقله .

فضيلة التعليم

أما الآيات فقوله عز وجل ـ ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ـ والمراد هو التعليم والارشاد وقوله تعالى ـ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ـ وهو إيجاب للتعليم وقوله تعالى ـ وإنّ فريقا منهم ليكتمون الحقّ وهم يعلمون ـ وهو تحريم للكتمان كما قال تعالى فى الشهادة ـ ومن يكتمها فانه آثم قلبه ـ وقال صلى الله عليه وسلم « ما آتى الله عالما علما إلا وأخذ عليه من الميثاق ماأخذ على النبيين أن يبينوه للناس ولا يكتموه (٥) » وقال تعالى ـ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا ـ وقال تعالى ـ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ـ وقال تعالى ـ ويعلمهم الكتاب والحكمة ـ وأما الأخبار فقوله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا رضى الله عنه إلى اليمن « لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا ومافيها (٦) »

(١) حديث العلم خزائن مفاتيحها السؤال الحديث رواه أبو نعيم من حديث علىّ مرفوعا باسناد ضعيف (٢) حديث لا ينبغى للجاهل أن يسكت على جهله الطبرانى فى الأوسط وابن مردويه فى التفسير وابن السنى وأبو نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف (٣) حديث أبى ذرّ حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة الحديث ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات من حديث عمر ولم أجده من طريق أبى ذرّ (٤) حديث من جاءه الموت وهو يطلب العلم الحديث الدارمى وابن السنى فى رياضة المتعلمين من حديث الحسن فقيل هو ابن على وقيل هو ابن يسار البصرى فيكون مرسلا (٥) حديث ما آتى الله عالما علما إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين الحديث أبو نعيم فى فضل العالم العفيف من حديث ابن مسعود بنحوه وفى الخلعيات نحوه من حديث أبى هريرة (٦) حديث قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم

والنفس السامية والهمة العالية ذكر الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعى رحمة الله عليه أن الفقيه العلامة قطب اليمن اسماعيل بن محمد الحضرمى ثم اليمنى سئل عن تصانيف الغزالى فقال من جملة جوابه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء ومحمد بن ادريس الشافعى سيد الأئمة ومحمد ابن محمد بن محمد الغزالى سيد المصنفين وذكر اليافعى أيضا أنّ الشيخ الإمام الكبير أبا الحسن على بن حرزهم الفقيه المشهور المغربى كان بالغ فى الانكار على كتاب إحياء علوم الدين وكان مطاعا مسموع الكلمة فأمر بجمع ما ظفر به من نسخ الاحياء وهمّ باحراقها فى الجامع يوم الجمعة فرأى ليلة تلك الجمعة كأنه دخل الجامع فاذا هو بالنبى صلى الله عليه وسلم فيه ومعه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما والإمام الغزالى قائم بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم

وقال صلى الله عليه وسلم « من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صدّيقا[١] » وقال عيسى صلى الله عليه وسلم : من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السموات . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة يقول الله سبحانه للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله عز وجلّ أنتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة[٢] » وهذا إنما يكون بالعلم المتعدّي بالتعليم لا العلم اللازم الذي لا يتعدّى به . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجلّ لا ينتزع العلم انتزاعا من الناس بعد أن يؤتيهم إياه ولكن يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى إذا لم يبق إلا رؤساء جهالا إن سئلوا أفتوا بغير علم فيضلون ويضلون[٣] » وقال صلى الله عليه وسلم «من علم علما فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار[٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوى عليها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم تعلمه إياها تعدل عبادة سنة[٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « الدنيا ملعونة ملعون مافيها إلا ذكر الله سبحانه وما والاه أو معلما أو متعلما[٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله سبحانه وملائكته وأهل سمواته وأرضه حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير[٧] » وقال صلى الله عليه وسلم « ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغه فبلغه[٨] » وقال صلى الله عليه وسلم « كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعلمها ويعمل بها خير له من عبادة سنة[٩] » وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله عز وجلّ ويرغبون إليه والثاني يعلمون الناس فقال « أما هؤلاء فيسألون الله تعالى فان شاء أعطاهم وإن شاء منعهم وأما هؤلاء فيعلمون الناس وإنما بعثت معلما » ثم عدل إليهم وجلس معهم[١٠]

أحمد من حديث معاذ وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أنه قال ذلك لعليّ (١) حديث من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صدّيقا رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٢) حديث إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة الحديث أبو العباس الذهبي في العلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٣) حديث إن الله لا ينتزع العلم انتزاعا من الناس الحديث متفق عليه من حديث عبد الله ابن عمرو (٤) حديث من علم علما فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار أبوداود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة قال الترمذي حديث حسن (٥) حديث نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها الحديث الطبراني من حديث ابن عباس نحوه باسناد ضعيف (٦) حديث الدنيا ملعونة ملعون مافيها الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة قال الترمذي حسن غريب (٧) حديث إن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير الترمذي من حديث أبي أمامة وقال غريب وفي نسخة حسن صحيح (٨) حديث ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن الحديث ابن عبد البر من رواية محمد بن المنكدر مرسلا نحوه ولأبي نعيم من حديث عبد الله بن عمرو ما أهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة تزيده هدى أو ترده عن ردى (٩) حديث كلمة من الحكمة يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها الحديث ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية زيد بن أسلم مرسلا نحوه وفي مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف كلمة حكمة يسمعها الرجل خير له من عبادة سنة (١٠) حديث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله الحديث ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف .

فلما أقبل ابن حرزهم قال الغزالي هذا خصمي يا رسول الله فان كان الأمر كما زعم تبت إلى الله وإن كان شيئا حصل لي من بركتك واتباع سنتك فخذلي حتى من خصمي ثم ناول النبي صلى الله عليه وسلم كتاب الإحياء فتصفحه النبي صلى الله عليه وسلم ورقة ورقة من أوله إلى آخره ثم قال والله إن هذا لشيء حسن ثم ناوله الصديق رضي الله عنه فنظر فيه فاستجاده ثم قال نعم والذي بعثك بالحق إنه لشيء حسن ثم ناوله الفاروق عمر رضي الله عنه فنظر فيه وأثنى عليه كما قال الصديق فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتجريد الفقيه على ابن حرزهم عن القميص وأن يضرب ويحد حد المفتري فجرد وضرب فلما ضرب خمسة أسواط تشفع فيه الصديق رضي الله عنه وقال يا رسول الله لعله ظنّ خلاف سنتك

وقال صلى الله عليه وسلم « مثل ما بعثنى الله عزوجل به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله عز وجل بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة قيعان لاتمسك ماء ولا تنبت كلأ[1] » اهـ فالأول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه والثانى ذكره مثلا للنافع والثالث للمحروم منهما . وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث علم ينتفع به[2] » الحديث . وقال صلى الله عليه وسلم « الدال على الخير كفاعله[3] » وقال صلى الله عليه وسلم « لاحسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله عز وجل حكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الخير[4] » . وقال صلى الله عليه وسلم « على خلفائى رحمة الله قيل ومن خلفاؤك ؟ قال الذين يحيون سنتى ويعلمونها عباد الله[5] » . وأما الآثار فقد قال عمر رضى الله عنه : من حدّث حديثا فعمل به فله مثل أجر من عمل ذلك العمل وقال ابن عباس رضى الله عنهما : معلم الناس الخير يستغفر له كل شىء حتى الحوت فى البحر وقال بعض العلماء العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل . وروى أن سفيان الثورى رحمه الله قدم عسقلان فمكث لا يسأله إنسان فقال اكروا لى لأخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم وإنما قال ذلك حرصا على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به . وقال عطاء رضى الله عنه دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكى فقلت ما يبكيك قال ليس أحد يسألنى عن شىء . وقال بعضهم العلماء سرج الأزمنة كل واحد مصباح زمانه يستضىء به أهل عصره . وقال الحسن رحمه الله لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم أى أنهم بالتعليم يخرجون الناس من حدّ البهيمية إلى حد الإنسانية . وقال عكرمة إن لهذا العلم ثمنا قيل وما هو قال أن تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه . وقال يحيى بن معاذ العلماء أرحم بأمة محمد صلى الله عليه وسلم من آبائهم وأمهاتهم قيل وكيف ذلك قال لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة . وقيل أول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره . وقيل علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم ما تجهل فانت إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت . وقال معاذ بن جبل فى التعليم والتعلم ورأيته أيضا مرفوعا « تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة وهو الأنيس فى الوحدة والصاحب فى الخلوة والدليل على الدين والمصبر على السراء والضراء والوزير عند الأخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم أدلة فى الخير تقتص آثارهم وترمق أفعالهم وترغب الملائكة فى خلتهم وبأجنحتها تمسحهم وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها[6] . لأن العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار من الظلم وقوة

(١) حديث مثل ما بعثنى الله به من العلم والهدى الحديث متفق عليه من حديث أبى موسى (٢) حديث إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث الحديث مسلم من حديث أبى هريرة (٣) حديث الدال على الخير كفاعله الترمذى من حديث أنس وقال غريب ورواه مسلم وأبو داود والترمذى وصححه عن أبى مسعود البدرى بلفظ من دل على خير فله مثل أجر فاعله (٤) حديث لاحسد إلا فى اثنتين الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث على خلفائى رحمة الله الحديث ابن عبد البر فى العلم والهروى فى ذم الكلام من حديث الحسن فقيل هو ابن على وقيل ابن يسار البصرى فيكون مرسلا ولابن السنى وأبى نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث علىّ نحوه (٦) حديث معاذ تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة الحديث بطوله أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب وابن عبد البر وقال ليس له إسناد قوى .

فأخطأ فى ظنه فرضى الامام الغزالى وقبل شفاعة الصديق ثم استيقظ ابن حرزهم وأثر السياط فى ظهره وأعلم أصحابه وتاب إلى الله عن إنكاره على الامام الغزالى واستغفر ولكنه بقى مدة طويلة متألما من أثر السياط وهو يتضرع إلى الله تعالى ويتشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن رأى النبىّ صلى الله عليه وسلم دخل عليه ومسح بيده الكريمة على ظهره فعوفى وشفى باذن الله تعالى ثم لازم مطالعة إحياء علوم الدين ففتح الله عليه فيه ونال المعرفة بالله وصار من أكابر المشايخ أهل العلم الباطن والظاهر رحمه الله تعالى . قال اليافعى روينا ذلك بالأسانيد الصحيحة فأخبرنى بذلك ولىّ الله عن ولىّ الله عن ولىّ الله عن ولىّ الله الشيخ الكبير القطب شهاب الدين أحمد بن الميلق

الأبدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى والفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوعد وبه يوحد وبه يمجد وبه يتورع وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام وهو إمام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء نسأل الله تعالى حسن التوفيق .

فى الشواهد العقلية

اعلم أن المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته ومالم تفهم الفضيلة فى نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن أن تعلم وجودها صفة للعلم أو لغيره من الخصال فلقد ضل عن الطريق من طمع أن يعرف ان زيدا حكيم أم لا وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها . والفضيلة مأخوذة من الفضل وهى الزيادة فاذا تشارك شيئان فى أمر واختص أحدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل عليه مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشىء كما يقال الفرس أفضل من الحمار بمعنى أنه يشاركه فى قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة لم يقل إنه أفضل لأن تلك زيادة فى الجسم ونقصان فى المعنى وليست من الكمال فى شىء والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه فاذا فهمت هذا لم يخف عليك أن العلم فضيلة إن أخذته بالاضافة إلى سائر الأوصاف كما أن للفرس فضيلة إن أخذته بالاضافة إلى سائر الحيوانات بل شدة العدو فضيلة فى الفرس وليست فضيلة على الاطلاق والعلم فضيلة فى ذاته وعلى الاطلاق من غير إضافة فانه وصف كمال الله سبحانه وبه شرف الملائكة والأنبياء بل الكيس من الخيل خير من البليد فهى فضيلة على الاطلاق من غير إضافة . واعلم أن الشىء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى مايطلب لغيره وإلى مايطلب لذاته وإلى مايطلب لغيره ولذاته جميعا فما يطلب لذاته أشرف وأفضل مما يطلب لغيره والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير فانهما حجران لامنفعة لهما ولولا أن الله سبحانه وتعالى يسر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصباء بمثابة واحدة والذى يطلب لذاته فالسعادة فى الآخرة ولذة النظر لوجه الله تعالى والذى يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن فان سلامة الرجل مثلا مطلوبة من حيث إنها سلامة للبدن عن الألم ومطلوبة للمشى بها والتوصل إلى المآرب والحاجات وبهذا الاعتبار إذا نظرت إلى العلم رأيته لذيذا فى نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها وذريعة إلى القرب من الله تعالى ولا يتوصل إليه إلا به وأعظم الأشياء رتبة فى حق الآدمى السعادة الأبدية وأفضل الأشياء ماهو وسيلة إليها ولن يتوصل إليها إلا بالعلم والعمل ولا يتوصل إلى العمل إلا بالعلم بكيفية العمل فأصل السعادة فى الدنيا والآخرة هو العلم فهو إذن أفضل الأعمال وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشىء أيضا بشرف ثمرته وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بأفق الملائكة ومقارنة الملأ الأعلى هذا فى الآخرة وأما فى الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام فى الطباع حتى إن أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتمييز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها . هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم كما سيأتى بيانه وتتفاوت لامحالة فضائلها بتفاوتها . وأما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة مما ذكرناه فان العلم إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طلبا للأفضل فكان تعليمه إفادة للأفضل وبيانه أن مقاصد الخلق مجموعة فى الدين والدنيا ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا فان الدنيا مزرعة للآخرة وهى الآلة الموصلة إلى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ومنزلا لا لمن يتخذها مستقرا ووطنا وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر فى ثلاثة أقسام : أحدها أصول لا قوام للعالم دونها وهى أربعة الزراعة وهى للمطعم والحياكة وهى للملبس والبناء

الشاذلى عن شيخه الشيخ الكبير العارف بالله ياقوت الشاذلى عن شيخه الشيخ الكبير العارف بالله أبى العباس المرسى عن شيخه الشيخ الكبير شيخ الشيوخ أبى الحسن الشاذلى قدس الله أرواحهم وكان معاصرا لابن حرزهم قال وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى ولقد مات الشيخ أبو الحسن بن حرزهم رحمه الله يوم مات وأثر السياط ظاهر على ظهره وقال الحافظ بن عساكر رحمه الله وكان أدرك الامام الغزالى واجتمع به قال سمعت الامام الفقيه الصوفى سعد بن على بن أبى هريرة الاسفراينى يقول سمعت الشيخ الامام الأوحد زين القراء جمال الحرم أبا الفتح الشاوى بمكة المشرفة يقول دخلت المسجد الحرام يوما فطرأ على حال وأخذنى عن نفسى فلم أقدر أن أقف ولا أجلس لشدة مابى

وهو للمسكن والسياسة وهى للتأليف والاجتماع والتعاون على أسباب المعيشة وضبطها الثانى ماهى مهيئة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالحدادة فانها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات باعداد آلاتها كالحلاجة والغزل فانها تخدم الحياكة باعداد عملها . الثالث ماهى متممة للأصول ومزينة كالطحن والخبز للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة وذلك بالاضافة إلى قوام أمر العالم الأرضى مثل أجزاء الشخص بالاضافة إلى جملته فانها ثلاثة أضرب أيضا إما أصول كالقلب والكبد والدماغ وإما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والأعصاب والأوردة وإما مكملة لها ومزينة كالأظفار والأصابع والحاجبين وأشرف هذه الصناعات أصولها وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح ولذلك تستدعى هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها مالا يستدعيه سائر الصناعات ولذلك يستخدم لامحالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع والسياسة فى استصلاح الخلق وإرشادهم إلى الطريق المستقيم المنجى فى الدنيا والآخرة على أربع مراتب : الأولى وهى العليا سياسة الأنبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا فى ظاهرهم وباطنهم . والثانية الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم . والثالثة العلماء بالله عز وجل وبدينه الذين هم ورثة الأنبياء وحكمهم على باطن الخاصه فقط ولا يرتفع فهم العامة على الاستفادة منهم ولا تنتهى قوتهم إلى التصرف فى ظواهرهم بالالزام والمنع والشرع . والرابعة الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط فأشرف هذه الصناعات الأربع بعد النبوة إفادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم وإنما قلنا إن هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات لأن شرف الصناعات يعرف بثلاثة أمور : إما بالالتفات إلى الغريزة التى بها يتوصل إلى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية إذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل أشرف من السمع إما بالنظر إلى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة وإما بملاحظة المحل الذى فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة إذ محل أحدهما الذهب ومحل الآخر جلد الميتة وليس يخفى أن العلوم الدينية وهى فقه طريق الآخرة إنما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل أشرف صفات الانسان كما سيأتى بيانه إذ به تقبل أمانة الله وبه يتوصل إلى جوار الله سبحانه وأما عموم النفع فلا يستراب فيه فان نفعه وثمرته سعادة الآخرة وأما شرف المحل فكيف يخفى والعلم متصرف فى قلوب البشر ونفوسهم وأشرف موجود على الأرض جنس الانس وأشرف جزء من جواهر الانسان قلبه والعلم مشتغل بتكميله وتجليته وتطهيره وسياقته إلى القرب من الله عز وجل فتعليم العلم من وجه عبادة لله تعالى ومن وجه خلافة لله تعالى وهو من أجل خلافة لله فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذى هو أخص صفاته فهو كالخازن لأنفس خزائنه ثم هو مأذون له فى الانفاق منه على كل محتاج إليه فأى رتبة أجل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه فى تقريبهم إلى الله زلفى وسياقتهم إلى جنة المأوى جعلنا الله منهم بكرمه وصلى الله على كل عبد مصطفى .

﴿الباب الثانى . فى العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما وفيه بيان ماهو فرض عين وماهو فرض كفاية وبيان أن موقع الكلام والفقه من علم الدين إلى أى حد هو وتفضيل علم الآخرة﴾

بيان العلم الذى هو فرض عين : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالصين » واختلف الناس فى العلم الذى هو فرض على كل مسلم فتفرقوا فيه أكثر من عشرين فرقة ولا نطيل بنقل التفصيل ولكن حاصله أن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذى هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام إذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله

فوقعت على جنبى الأيمن تجاه الكعبة المعظمة وأنا على طهارة وكنت أطرد عن نفسى النوم فأخذتنى سنة بين النوم واليقظة فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى أكمل صورة وأحسن زى من القميص والعمامة ورأيت الأئمة الشافعى ومالكا وأبا حنيفة وأحمد رحمهم الله يعرضون عليه مذاهبهم واحدا بعد واحد وهو صلى الله عليه وسلم يقررهم عليها ثم جاء شخص من رؤساء المبتدعة ليدخل الحلقة فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بطرده وإهانته فتقدمت أنا وقلت يا رسول الله هذا الكتاب أعنى إحياء علوم الدين معتقدى ومعتقد أهل السنة والجماعة فلو أذنت لى حتى أقرأه عليك فأذن لى فقرأت عليه من كتاب قواعد العقائد بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانه وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه إذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا به ما يحتاج إليه الآحاد دون الوقائع النادرة ، وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة إذ بهما يتوصل إلى العلوم كلها وقال المتصوفة المراد به هذا العلم فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله عز وجل وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك يجب على أقوام مخصوصين هم أهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه . وقال أبو طالب المكى هو العلم بما يتضمنه الحديث الذى فيه مبانى الاسلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله[1] » إلى آخر الحديث لأن الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب . والذى ينبغى أن يقطع به المحصل ولا يستريب فيه ماسنذكره وهو أن العلم كما قدمناه فى خطبة الكتاب ينقسم إلى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم إلا علم المعاملة والمعاملة التى كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلاثة : اعتقاد وفعل وترك فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلا فأول واجب عليه تعلم كلمتى الشهادة وفهم معناها وهو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلة بل يكفيه أن يصدق به ويعتقده جزما من غير اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث ولا برهان « إذ اكتفى رسول الله صلى عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل[2] » فاذا فعل ذلك فقد أدى واجب الوقت وكان العلم الذى هو فرض عين عليه فى الوقت تعلم الكلمتين وفهمهما وليس يلزمه أمر وراء هذا فى الوقت بدليل أنه لو مات عقيب ذلك مات مطيعا لله عز وجل غير عاص له وإنما يجب غير ذلك بعوارض تعرض وليس ذلك ضروريا فى حق كل شخص بل يتصور الانفكاك عنها وتلك العوارض إما أن تكون فى الفعل وإما فى الترك وإما فى الاعتقاد . أما الفعل فبأن يعيش من ضحوة نهاره إلى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة فان كان صحيحا وكان بحيث لو صبر إلى وقت زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل فى الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد أن يقال الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل أن يقال وجوب العلم الذى هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا فى بقية الصلوات فان عاش إلى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو أن يعلم أن وقته من الصبح إلى غروب الشمس وأن الواجب فيه النية والإمساك عن الأكل والشرب والوقاع وأن ذلك يتمادى إلى رؤية الهلال أو شاهدين فان تجدد له مال أو كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة ولكن لا يلزمه فى الحال إنما يلزمه عند تمام الحول من وقت الإسلام فان لم يملك إلا الإبل لم يلزمه إلا تعلم زكاة الإبل وكذلك فى سائر الأصناف فاذا دخل فى أشهر الحج فلا يلزمه المبادرة إلى علم الحج مع أن فعله على التراخى فلا يكون تعلمه على الفور ولكن ينبغى لعلماء الاسلام أن ينبهوا على أن الحج فرض على التراخى على كل من ملك الزاد والراحلة إذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه فى المبادرة فعند ذلك إذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه إلا تعلم أركانه وواجباته دون نوافله فان فعل ذلك نفل فعلمه أيضا نفل فلا يكون تعلمه فرض عين

(الباب الثانى)

(١) حديث بنى الإسلام على خمس متفق عليه من حديث ابن عمر (٢) حديث اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل ، مشهور فى كتب السير والحديث فعند مسلم قصة ضمام بن ثعلبة .

كتاب قواعد العقائد وفيه أربعة فصول الفصل الأول فى ترجمة عقيدة أهل السنة حتى انتهيت إلى قول الغزالى وأنه تعالى بعث النبى الأمى القرشى محمدا صلى الله عليه وسلم إلى كافة العرب والعجم والجن والإنس فرأيت البشاشة فى وجهه صلى الله عليه وسلم ثم التفت وقال أين الغزالى وإذا بالغزالى واقف بين يديه فقال ها أنا ذا يارسول الله وتقدم وسلم فرد عليه السلام عليه الصلاة والسلام وناوله يده الكريمة فأكب عليها الغزالى يقبلها ويتبرك بها وما رأيت النبى صلى الله عليه وسلم أشد سرورا بقراءة أحد عليه مثل ما كان بقراءتى عليه الاحياء ثم انتبهت والدمع يجرى من عينى من أثر تلك الأحوال والكرامات وكان تقريره صلى الله عليه وسلم لمذاهب أئمة

وفى تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب أصل الحج فى الحال نظر يليق بالفقه وهكذا التدريج فى علم سائر الأفعال التى هى فرض عين . وأما التروك فيجب تعلم علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص إذ لا يجب على الأبكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الأعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على البدوى تعلم ما يحرم الجلوس فيه من المساكن فذلك أيضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم أنه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الاسلام لابسا للحرير أو جالسا فى الغصب أو ناظرا إلى غير ذى محرم فيجب تعريفه بذلك وما ليس ملابسا له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالأكل والشرب فيجب تعليمه حتى إذا كان فى بلد يتعاطى فيه شرب الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر فان خطر له شك فى المعانى التى تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به إلى إزالة الشك فان لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله سبحانه قديم وأنه مرئى وأنه ليس محلا للحوادث إلى غير ذلك مما يذكر فى المعتقدات فقد مات على الاسلام إجماعا ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها يخطر بالسماع من أهل البلد فان كان فى بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغى أن يصان فى أول بلوغه عنها بتلقين الحق فانه لو ألقى إليه الباطل لوجبت إزالته عن قلبه وربما عسر ذلك كما أنه لو كان هذا المسلم تاجرا وقد شاع فى البلد معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا وهذا هو الحق فى العلم الذى هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذى هو فرض عين وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو ولمة الملك حق أيضا ولكن فى حق من يتصدى له فاذا كان الغالب أن الانسان لا ينفك عن دواعى الشر والرياء والحسد فيلزمه أن يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجا إليه وكيف لا يجب عليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه[1] » ولا ينفك عنها بشر وبقية ما سنذكره من مذمومات أحوال القلب كالكبر والعجب وأخواتهما تتبع هذه الثلاث المهلكات وإزالتها فرض عين ولا يمكن إزالتها إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها فان من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بضده وكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب وأكثر ما ذكرناه فى ربع المهلكات من فروض الأعيان وقد تركها الناس كافة اشتغالا بما لا يعنى . ومما ينبغى أن يبادر فى إلقائه إليه إذا لم يكن قد انتقل عن ملة إلى ملة أخرى الايمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق وهو من تتمة كلمتى الشهادة فانه بعد التصديق بكونه عليه السلام رسولا ينبغى أن يفهم الرسالة التى هو مبلغها وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاهما فله النار فاذا انتبهت لهذا التدريج علمت أن المذهب الحق هو هذا وتحققت أن كل عبد هو فى مجارى أحواله فى يومه وليلته لا يخلو من وقائع فى عباداته ومعاملاته عن تجدد لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر ويلزمه المبادرة إلى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالبا فاذا تبين أنه عليه الصلاة والسلام إنما أراد بالعلم المعرّف بالألف واللام فى قوله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » علم العمل الذى هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير فقد اتضح وجه التدريج ووقت وجوبه والله أعلم .

(١) حديث ثلاث مهلكات شح مطاع الحديث البزار والطبرانى وأبو نعيم والبيهقى فى الشعب من حديث أنس باسناد ضعيف .

السنة واستبشاره بعقيدة الغزالى وتقريرها نعمة من الله عظيمة ومنة جسيمة نسأل الله تعالى أن يحيينا على سنته ويتوفانا على ملته آمين .

(فصل) أثنى على الاحياء عالم من علماء الإسلام وغير واحد من عارفى الأنام بل جمع أقطاب وأفراد فقال فيه الحافظ الإمام الفقيه أبو الفضل العراقى فى تخريجه إنه من أجل كتب الإسلام فى معرفة الحلال والحرام جمع فيه بين ظواهر الأحكام ونزع إلى سرائر دقت عن الأفهام لم يقتصر فيه على مجرد الفروع والمسائل ولم يتبحر فى اللجة بحيث يتعذر الرجوع إلى الساحل بل مزج فيه علمى الظاهر والباطن ومزج معانيها فى أحسن المواطن وسبك فيه نفائس اللفظ وضبطه وسلك فيه من النمط أوسطه مقتديا بقول على كرم الله وجهه

بيان العلم الذى هو فرض كفاية

اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم والعلوم بالاضافة إلى الفرض الذى نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية وأعنى بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة فالعلوم التى ليست بشرعية تنقسم إلى ماهو محمود وإلى ماهو مذموم وإلى ماهو مباح فالمحمود مايرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم إلى ماهو فرض كفاية وإلى ماهو فضيلة وليس بفريضة . أما فرض الكفاية فهو كل علم لايستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضرورى فى حاجة بقاء الأبدان وكالحساب فانه ضرورى فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها وهذه هى العلوم التى لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين فلا يتعجب من قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات فان أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة فانه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد إلى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله . وأما مايعد فضيلة لا فريضة فالتعمق فى دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة فى القدر المحتاج إليه وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات . وأما المباح منه فالعلم بالأشعار التى لاسخف فيها وتواريخ الأخبار ومايجرى مجراه . وأما العلوم الشرعية وهى المقصودة بالبيان : فهى محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها مايظن أنها شرعية وتكون مذمومة فتنقسم إلى المحمودة والمذمومة . أما المحمودة فلها أصول وفروع ومقدمات ومتممات وهى أربعة أضرب : الضرب الأول الأصول : وهى أربعة : كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه السلام وإجماع الأمة وآثار الصحابة ، والاجماع أصل من حيث إنه يدل على السنة فهو أصل فى الدرجة الثالثة وكذا الأثر فانه أيضا يدل على السنة لأن الصحابة رضى الله عنهم قد شاهدوا الوحى والتنزيل وأدركوا بقرائن الأحوال ماغاب عن غيرهم عيانه وربما لاتحيط العبارات بما أدرك بالقرائن فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص على وجه مخصوص عند من يراه ولا يليق بيانه بهذا الفن . الضرب الثانى الفروع : وهو مافهم من هذه الأصول لا بموجب ألفاظها بل بمعان تنبه لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ به غيره كما فهم من قوله عليه السلام «لايقضى القاضى وهو غضبان[1]» أنه لايقضى إذا كان حاقنا أو جائعا أو متألما بمرض وهذا على ضربين : أحدهما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه والمتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا . والثانى ما يتعلق بمصالح الآخرة وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة والمذمومة وما هو مرضى عند الله تعالى وما هو مكروه وهو الذى يحويه الشطر الأخير من هذا الكتاب أعنى جملة كتاب إحياء علوم الدين ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح فى عباداتها وعاداتها وهو الذى يحويه الشطر الأول من هذا الكتاب . والضرب الثالث المقدمات : وهى التى تجرى منه مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فانهما آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية فى أنفسهما ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة لا تظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ومن الآلات علم كتابة الخط إلا أن ذلك ليس ضروريا

(١) حديث لايقضى القاضى وهو غضبان متفق عليه من حديث أبى بكرة

خير هذه الأمة النمط الأوسط يلحق بهم التالى ويرجع إليهم الغالى إلى آخر ماذكره مما الأولى بنا فى هذا المحل طيه ثم الانتقال إلى نشر محاسن الاحياء ليظهر للمحب والمبغض رشده وغيه . وقال عبد الغافر الفارسى فى مثال الاحياء إنه من تصانيفه المشهورة التى لم يسبق إليها . وقال فيه النووى كاد الاحياء أن يكون قرآنا . وقال الشيخ أبو محمد الكازرونى لو محيت جميع العلوم لاستخرجت من الاحياء . وقال بعض علماء المالكية الناس فى فضل علوم الغزالى أى والاحياء جماعها كما سيأتى أنه البحر المحيط . وكان السيد الجليل كبير الشان تاج العارفين وقطب الأولياء الشيخ عبدالله العيدروس رضى الله عنه يكاد يحفظه نقلا وروى عنه أنه قال مكثت سنين أطالع

« إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أميا (١) » ولو تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنى عن الكتابة ولكنه صار بحكم العجز فى الغالب ضروريا . الضرب الرابع المتممات : وذلك فى علم القرآن فانه ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراآت ومخارج الحروف وإلى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعتماده أيضا على النقل إذ اللغة بمجرّدها لا تستقل به وإلى ما يتعلق بأحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذى يسمى أصول الفقه ويتناول السنة أيضا . وأما المتممات فى الآثار والأخبار فالعلم بالرجال وأسمائهم وأنسابهم وأسماء الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة فى الرواة والعلم بأحوالهم ليميز الضعيف عن القوى والعلم بأعمارهم ليميز المرسل عن المسند وكذلك ما يتعلق به فهذه هى العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات . فان قلت لم ألحقت الفقه بعلم الدنيا وألحقت الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم أن الله عز وجل أخرج آدم عليه السلام من التراب وأخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق فأخرجهم من الأصلاب إلى الأرحام ومنها إلى الدنيا ثم إلى القبر ثم إلى العرض ثم إلى الجنة أو إلى النار فهذا مبدؤهم وهذا غايتهم وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادا للمعاد ليتناول ما يصلح للتزوّد فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة إلى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان إلى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا بحكم الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم أمورهم فى الدنيا ولعمرى إنه متعلق أيضا بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتمّ الدين إلا بالدنيا والملك والدين توأمان فالدين أصل والسلطان حارس وما لا أصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان وطريق الضبط فى فصل الحكومات بالفقه وكما أن سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين فى الدرجة الأولى بل هو معين على ما لا يتم الدين إلا به فكذلك معرفة طريق السياسة فمعلوم أن الحج لا يتم إلا بنفقة تحرس من العرب فى الطريق ولكن الحج شىء وسلوك الطريق إلى الحج شىء ثان والقيام بالحراسة التى لا يتم إلا بها شىء ثالث ومعرفة طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شىء رابع وحاصل فنّ الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روى مسندا « لا يفتى الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف (٢) » فالأمير هو الامام وقد كانوا هم المفتون والمأمور نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذى يتقلد تلك العهدة من غير حاجة وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يحترزون عن الفتوى حتى كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا يحترزون إذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة وفى بعض الروايات بدل المتكلف المرائى فان من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به إلا طلب الجاه والمال . فان قلت هذا إن استقام لك فى أحكام الجراحات والحدود والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة ولا فيما يشتمل عليه ربع العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الأعمال التى هى أعمال الآخرة ثلاثة الاسلام والصلاة والزكاة والحلال والحرام فاذا تأملت منتهى نظر الفقيه

(١) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أميا : أى لا يحسن الكتابة ابن مردويه فى التفسير من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا أنا محمد النبى الأمى وفيه ابن لهيعة ولابن حبان والدارقطنى والحاكم والبيهقى وصححه من حديث ابن مسعود قولوا اللهم صل على محمد النبى الأمى وللبخارى من حديث البراء وأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب (٢) حديث لا يفتى الناس إلا ثلاثة الحديث ابن ماجه من رواية عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ لا يقص على الناس وإسناده حسن .

كتاب الاحياء كل فصل وحرف منه وأعاوده وأتدبره فيظهر لى منه فى كل يوم علوم وأسرار عظيمة ومفهومات غزيرة غير التى قبلها ولم يسبقه أحد ولم يلحقه أحد أثنى على كتاب الاحياء بما أثنى عليه ودعا الناس بقوله وفعله إليه وحث على التزام مطالعته والعمل بما فيه ومن كلامه رضى الله عنه : عليكم يا إخوانى بمتابعة الكتاب والسنة أعنى الشريعة المشروحة فى الكتب الغزالية خصوصا كتاب ذكر الموت وكتاب الفقر والزهد وكتاب التوبة وكتاب رياضة النفس ومن كلامه : عليكم بالكتاب والسنة أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وفكرا واعتبارا واعتقادا وشرح الكتاب والسنة مستوفى فى كتاب إحياء علوم الدين للامام حجة الاسلام الغزالى رحمه الله ونفعنا به ومن كلامه وبعد فليس لنا طريق ومنهاج

فيما علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة وإذا عرفت هذا فى هذه الثلاثة فهو فى غيرها أظهر . أما الاسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفى شروطه وليس يلتفت فيه إلا إلى اللسان وأما القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم أرباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال « هلا شققت عن قلبه[1] » للذى قتل من تكلم بكلمة الاسلام معتذرا بأنه قال ذلك من خوف السيف بل يحكم الفقيه بصحة الاسلام تحت ظلال السيوف مع أنه يعلم أن السيف لم يكشف له عن نيته ولم يدفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة ولكنه مشير على صاحب السيف فان السيف ممتد إلى رقبته واليد ممتدة إلى ماله وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله مادام له رقبة ومال وذلك فى الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فاذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم[2] » جعل أثر ذلك فى الدم والمال وأما الآخرة فلا تنفع فيها الأموال بل أنوار القلوب وأسرارها وإخلاصها وليس ذلك من فن الفقه وإن خاض الفقيه فيه كان كالوخاض فى الكلام والطب وكان خارجا عن فنه . وأما الصلاة فالفقيه يفتى بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط وإن كان غافلا فى جميع صلاته من أولها إلى آخرها مشغولا بالتفكر فى حساب معاملاته فى السوق إلا عند التكبير وهذه الصلاة لا تنفع فى الآخرة كما أن القول باللسان فى الاسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتى بالصحة أى أن ما فعله حصل به امتثال صيغة الأمر وانقطع به عنه القتل والتعزير فأما الخشوع وإحضار القلب الذى هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له لكان خارجا عن فنه . وأما الزكاة فالفقيه ينظر إلى ما يقطع به مطالبة السلطان حتى إنه إذا امتنع عن أدائها فأخذها السلطان قهرا حكم بأنه برئت ذمته . وحكى أن أبا يوسف القاضى كان يهب ماله لزوجته آخر الحول ويستوهب مالها إسقاطا للزكاة فحكى ذلك لأبى حنيفة رحمه الله فقال ذلك من فقهه وصدق فان ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته فى الآخرة أعظم من كل جناية ومثل هذا هو العلم الضار . وأما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين ولكن الورع له أربع مراتب : الأولى الورع الذى يشترط فى عدالة الشهادة وهو الذى يخرج بتركه الانسان عن أهلية الشهادة والقضايا والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر . الثانية ورع الصالحين وهو التوقى من الشبهات التى يتقابل فيها الاحتمالات قال صلى الله عليه وسلم « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك[3] » وقال صلى الله عليه وسلم « الاثم حزاز القلوب[4] » . الثالثة ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض الذى يخاف منه أداؤه إلى الحرام . قال صلى الله عليه وسلم « لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس[5] » وذلك مثل التورع من التحدث بأحوال الناس خيفة من الانجرار إلى الغيبة والتورع عن أكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر المؤدى إلى مقارفة المحظورات . الرابعة ورع الصديقين وهو الاعراض عما سوى الله تعالى خوفا من صرف ساعة من العمر إلى ما لا يفيد زيادة قرب عند الله عز وجل وإن كان يعلم ويتحقق أنه لا يفضى إلى حرام فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه إلا الدرجة الأولى وهو ورع الشهود والقضاة وما يقدح فى العدالة والقيام بذلك لا ينفى الاثم

(١) حديث هلا شققت عن قلبه مسلم من حديث أسامة بن زيد (٢) حديث أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة وعمرو بن عمر (٣) حديث دع ما يريبك إلى ما لا يريبك الترمذى وصححه والنسائى وابن حبان من حديث الحسن بن على (٤) حديث الاثم حزاز القلوب البيهقى فى شعب الايمان من حديث ابن مسعود ورواه العدنى فى مسنده موقوفا عليه (٥) حديث لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به الحديث الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث عطية السعدى .

سوى الكتاب والسنة وقد شرح ذلك كله سيد المصنفين وبقية المجتهدين حجة الإسلام الغزالى فى كتابه العظيم الشان الملقب أعجوبة الزمان إحياء علوم الدين الذى هو عبارة عن شرح الكتاب والسنة والطريقة ومن كلامه عليكم بملازمة كتاب إحياء علوم الدين فهو موضع نظر الله وموضع رضا الله فمن أحبه وطالعه وعمل بما فيه فقد استوجب محبة الله ومحبة رسول الله ومحبة ملائكة الله وأنبيائه وأوليائه وجمع بين الشريعة والطريقة والحقيقة فى الدنيا والآخرة وصار عالما فى الملك والملكوت . ومن كلامه الوجيز العزيز لو بعث الله الموتى لما أوصوا الأحياء إلا بما فى الإحياء . ومن كلامه اعلموا أن مطالعة الاحياء تحضر القلب الغافل فى لحظة كحضور سواد الحبر بوقوع الزاج فى العفص والماء وتأثير

في الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابصة « استفت قلبك وإن أفتوك وان أفتوك وإن أفتوك[1] » والفقيه لا يتكلم في حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح في العدالة فقط فإذن جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة فان تكلم في شيء من صفات القلب وأحكام الآخرة فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل في كلامه شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام وكما تدخل الحكمة في النحو والشعر . وكان سفيان الثوري وهو إمام في علم الظاهر يقول إن طلب هذا ليس من زاد الآخرة كيف وقد اتفقوا على أن الشرف في العلم العمل به فكيف يظن أنه علم الظهار واللعان والسلم والاجارة والصرف ومن تعلم هذه الأمور ليتقرب بها إلى الله تعالى فهو مجنون وإنما العمل بالقلب والجوارح في الطاعات والشرف هو تلك الأعمال . فان قلت لم سويت[2] بين الفقه والطب إذ الطب أيضا يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد وذلك يتعلق به أيضا صلاح الدين وهذه التسوية تخالف إجماع المسلمين . فاعلم أن التسوية غير لازمة بل بينهما فرق وأن الفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه : أحدها أنه علم شرعي إذ هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب فانه ليس من علم الشرع . والثاني أنه لا يستغنى عنه أحد من سالكي طريق الآخرة ألبتة لا الصحيح ولا المريض وأما الطب فلا يحتاج إليه إلا المرضى وهم الأقلون . والثالث : أن علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لأنه نظر في أعمال الجوارح ومصدر أعمال الجوارح ومنشؤها صفات القلوب فالمحمود من الأعمال يصدر عن الأخلاق المحمودة المنجية في الآخرة والمذموم يصدر من المذموم وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب وأما الصحة والمرض فمنشؤهما صفاء في المزاج والأخلاط وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب فمهما أضيف الفقه إلى الطب ظهر شرفه وإذا أضيف علم طريق الآخرة إلى الفقه ظهر أيضا شرف علم طريق الآخرة . فان قلت فصل لي علم طريق الآخرة تفصيلا يشير إلى تراجمه وإن لم يمكن استقصاء تفاصيله فاعلم أنه قسمان : علم مكاشفة وعلم معاملة . فالقسم الأول علم المكاشفة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله . وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم بدعة أو كبر . وقيل من كان محبا للدنيا أو مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم وأقل عقوبة من ينكره أنه لا يذوق منه شيئا وينشد على قوله :

وارض لمن غاب عنك غيبته ... فذاك ذنب عقابه فيه

وهو علم الصديقين والمقربين أعني علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معاني مجملة غير متضحة فتتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته الباقيات التامات وبأفعاله وبحكمه في خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي ومعنى الوحي ومعنى الشيطان ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشياطين للانسان وكيفية ظهور الملك للأنبياء وكيفية وصول الوحي إليهم والمعرفة بملكوت السموات والأرض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ومعنى قوله تعالى ـ إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ـ ومعنى قوله تعالى ـ وإن الدار الآخرة لهي الحيوان

(١) حديث استفت قلبك وإن أفتوك أحمد من حديث وابصة .

(٢) هكذا بالنسخ ولعل الصواب لم لا سويت بدليل باقي كلامه فتأمل .

كتب الغزالي واضح ظاهر يتوب عند كل مؤمن ومن كلامه أجمع العلماء العارفون بالله على أنه لا شيء أنفع للقلب وأقرب إلى رضا الرب من متابعة حجة الاسلام الغزالي ومحبة كتبه فان كتب الإمام الغزالي لباب الكتاب والسنة ولباب المعقول والمنقول والله وكيل على ما أقول . ومن كلامه أنا أشهد سرا وعلانية أن من طالع كتاب إحياء علوم الدين فهو من المهتدين ، ومن كلامه من أراد طريق الله وطريق رسول الله وطريق العارفين بالله وطريق العلماء بالله أهل الظاهر والباطن فعليه بمطالعة كتب الغزالي خصوصا إحياء علوم الدين فهو البحر المحيط . ومن كلامه اشهدوا على أن من وقع على كتاب الغزالي فقد وقع على عين الشريعة والطريقة والحقيقة . ومن كلامه من أراد طريق الله ورسوله ورضاهما فعليه

لو كانوا يعلمون ـ ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر إلى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول فى جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ الأعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدرى فى جوف السماء إلى غير ذلك مما يطول تفصيله إذ للناس فى معانى هذه الأمور بعد التصديق بأصولها مقامات شتى فبعضهم يرى أن جميع ذلك أمثلة وأن الذى أعدّه الله لعباده الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأنه ليس مع الخلق من الجنة إلا الصفات والأسماء وبعضهم يرى أن بعضها أمثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من ألفاظها وكذا يرى بعضهم أن منتهى معرفة الله عز وجل الاعتراف بالعجز عن معرفته وبعضهم يدّعى أمورا عظيمة فى المعرفة بالله عز وجل وبعضهم يقول حدّ معرفة الله عز وجل ما انتهى إليه اعتقاد جميع العوام وهو أنه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم فنعنى بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق فى هذه الأمور اتضاحا يجرى مجرى العيان الذى لا يشك فيه وهذا ممكن فى جواهر الإنسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدؤها وخبثها بقاذورات الدنيا وانما نعنى بعلم طريق الآخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التى هى الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله وإنما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فى جميع أحوالهم فبقدر ماينجلى من القلب ويحاذى به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه ولا سبيل إليه إلا بالرياضة التى يأتى تفصيلها فى موضعها وبالعلم والتعليم وهذه هى العلوم التى لا تسطر فى الكتب ولا يتحدّث بها من أنعم الله عليه بشىء منها إلا مع أهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الأسرار وهذا هو العلم الخفى الذى أراده صلى الله عليه وسلم بقوله «إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى فاذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى فلا تحقروا عالما آتاه الله تعالى علما منه فان الله عز وجل لم يحقره إذ آتاه إياه (١)» . وأما القسم الثانى : وهو علم المعاملة فهو علم أحوال القلب . أما مايحمد منها فكالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاء ومعرفة المنة لله تعالى فى جميع الأحوال والاحسان وحسن الظنّ وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص ، فمعرفة حقائق هذه الأحوال وحدودها وأسبابها التى بها تكتسب وثمرتها وعلامتها ومعالجة ماضعف منها حتى يقوى ومازال حتى يعود من علم الآخرة . وأما ما يذمّ فخوف الفقر وسخط المقدور والغلّ والحقد والحسد والغش وطلب العلوّ وحب الثناء وحب طول البقاء فى الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والأنفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة والبذخ والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعنى وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس إذا نالها الذلّ وضعف الانتصار للحق واتخاذ إخوان العلانية على عداوة السرّ والأمن من مكر الله سبحانه فى سلب ما أعطى والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الأمل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والأسف على فواتها والأنس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفاء والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة ، فهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الأعمال المحظورة . وأضدادها وهى الأخلاق المحمودة منبع

(١) حديث إن من العلم كهيئة المكنون الحديث أبو عبد الرحمن السلمى فى الأربعين له فى التصوّف من حديث أبى هريرة باسناد ضعيف .

بمطالعة كتب الغزالى وخصوصا البحر المحيط إحياءه أعجوبة الزمان ومن كلامه نطق معانى معنوى القرآن ولسان حال قاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوب الرسل والأنبياء وجميع العلماء بالله وجميع العلماء بأمر الله الأتقياء بل جميع أرواح الملائكة بل جميع فرق الصوفية مثل العارفين والملامتية بل جميع سرّ حقائق الكائنات والمعقولات وماينا سب رضا الذات والصفات أجمع هؤلاء المذكورون أن لاشىء أرفع وأنفع وأبهى وأبهج وأتقى وأقرب إلى رضا الرب كمتابعة الغزالى ومحبة كتبه وكتب الغزالى قلب الكتاب والسنة بل قلب العقول والمنقول وأنفع يوم ينفخ إسرافيل فى الصور وفى يوم نقر الناقور والله وكيل على ماأقول وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ومن كلامه كتاب إحياء علوم الدين فيه

الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الأمور وحقائقها وأسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة وهو فرض عين فى فتوى علماء الآخرة فالمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك فى الآخرة كما أن المعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء فى فروض العين بالاضافة إلى صلاح الدنيا وهذا بالاضافة إلى صلاح الآخرة ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعانى حتى عن الاخلاص مثلا أو عن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع أنه فرض عينه الذى فى إهماله هلاكه فى الآخرة ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمى لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التى تنقضى الدهور ولا يحتاج إلى شئ منها وان احتيج لم تخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها فلا يزال يتعب فيها ليلا ونهارا وفى حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم نفسه فى الدين وإذا روجع فيه قال اشتغلت به لأنه علم الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره فى تعلمه والفطن يعلم أنه لو كان غرضه أداء حق الأمر فى فرض الكفاية لقدّم عليه فرض العين بل قدم عليه كثيرا من فروض الكفايات فكم من بلدة ليس فيها طبيب إلا من أهل الذمة ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه ثم لا نرى أحدا يشتغل به ويتهاترون على علم الفقه لاسيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعرى كيف يرخص فقهاء الدين فى الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة وإهمال مالا قائم به هل لهذا سبب إلا أن الطب ليس يتيسر الوصول به إلى تولى الأوقاف والوصايا وحيازة مال الأيتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدّم به على الأقران والتسلط به على الأعداء هيهات هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس العلماء السوء فالله تعالى المستعان وإليه الملاذ فى أن يعيذنا من هذا الغرور الذى يسخط الرحمن ويضحك الشيطان وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب . كان الامام الشافعى رضى الله عنه يجلس بين يدى شيبان الراعى كما يقعد الصبى فى المكتب ويسأله كيف يفعل فى كذا وكذا فيقال له مثلك يسأل هذا البدوى فيقول إن هذا وفق لما أغفلناه . وكان أحمد بن حنبل رضى الله عنه ويحيى بن معين يختلفان إلى معروف الكرخى ولم يكن فى علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسألانه وكيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما قيل له كيف نفعل إذا جاءنا أمر لم نجده فى كتاب ولا سنة فقال صلى الله عليه وسلم سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم [1] » ولذلك قيل علماء الظاهر زينة الأرض والملك وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت . وقال الجنيد رحمه الله قال لى السرى شيخى يوما إذا قمت من عندى فمن تجالس قلت المحاسبى فقال نعم خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه الكلام وردّه على المتكلمين ثم لما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث أشار إلى أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوّف أفلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه . فان قلت فلم لم تورد فى أقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين أنهما مذمومان أو محمودان . فاعلم أن حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التى ينتفع بها فالقرآن والأخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما فهو إما مجادلة مذمومة وهى من البدع كما سيأتى بيانه وإما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق لها وتطويل بنقل المقالات التى أكثرها ترّهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الأسماع وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شئ منه مألوفا فى العصر الأول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن تغير الآن حكمه إذ حدثت البدعة الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ونبغت جماعة لفقوا لها شبها ورتبوا فيها

(١) حديث قيل له كيف نفعل إذا جاء أمر لم نجده فى كتاب الله ولا سنة رسوله الحديث الطبرانى من حديث ابن عباس فيه عبد الله بن كيسان ضعفه الجمهور .

جميع الأسرار وكتاب بداية الهداية فيه التقوى وكتاب الأربعين الأصل فيه شرح الصراط المستقيم وكتاب منهاج العابدين فيه الطريق إلى الله وكتاب الخلاصة فى الفقه فيه النور . ومن كلامه السرّ كله فى اتباع الكتاب والسنة وهو اتباع الشريعة والشريعة مشروحة فى كتاب إحياء علوم الدين المسمى أعجوبة الزمان . ومن كلامه بخ بخ بخ لمن طالع إحياء علوم الدين أو كتبه أو سمعه ، وكلامه رضى الله عنه فى تصانيفه وغيرها مشحون من الثناء على الإمام الغزالى وكتبه والحثّ على العمل بها خصوصا إحياء علوم الدين ، وقد كان سيدى ووالدى الشيخ العارف بالله تعالى شيخ ابن عبد الله العيدروس رضى الله عنه يقول إن أهل الزمان جمعت كلام الشيخ

كلاما مؤلفا فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة مأذونا فيه بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذى يقابل به المبتدع إذا قصد الدعوة إلى البدعة وذلك إلى حد محدود سنذكره فى الباب الذى يلى هذا إن شاء الله تعالى . وأما الفلسفة فليست علما برأسها بل هى أربعة أجزاء : أحدها الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق ولا يمنع عنهما إلا من يخاف عليه أن يتجاوز بهما إلى علوم مذمومة فان أكثر الممارسين لهما قد خرجوا منهما إلى البدع فيصان الضعيف عنهما لا لعينهما كما يصان الصبى عن شاطئ النهر خيفة عليه من الوقوع فى النهر وكما يصان حديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار خوفا عليه مع أن القوى لا يندب إلى مخالطتهم . الثانى المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه وهما داخلان فى علم الكلام . والثالث الالهيات وهو بحث عن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته وهو داخل فى الكلام أيضا والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة وكما أن الاعتزال ليس علما برأسه بل أصحابه طائفة من المتكلمين ، وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة . والرابع الطبيعيات وبعضها مخالف للشرع والدين الحق فهو جهل وليس بعلم حتى يورد فى أقسام العلوم وبعضها بحث عن صفات الأجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الأطباء إلا أن الطبيب ينظر فى بدن الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون فى جميع الأجسام من حيث تتغير وتتحرك ولكن للطب فضل عليه وهو أنه محتاج إليه وأما علومهم فى الطبيعيات فلا حاجة إليها فاذن الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخييلات المبتدعة وإنما حدث ذلك بحدوث البدع كما حدثت حاجة الانسان إلى استئجار البذرقة فى طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج فلذلك لو ترك المبتدع هذيانه لما افتقر إلى الزيادة على ما عهد فى عصر الصحابة رضى الله عنهم فليعلم المتكلم حده من الدين وأن موقعه منه موقع الحارس فى طريق الحج فاذا تجرد الحارس للحراسة لم يكن من جملة الحاج والمتكلم إذا تجرد للمناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين أصلا وليس عند المتكلم من الدين إلا العقيدة التى يشاركه فيها سائر العوام وهى من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان وإنما يتميز عن العامى بصنعة المجادلة والحراسة فأما معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا إليه فى علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد أن يكون الكلام حجابا عليه ومانعا عنه وإنما الوصول إليه بالمجاهدة التى جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال تعالى ـ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ـ فان قلت فقد رددت حد المتكلم إلى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة كما أن حد البذرقة حراسة أقمشة الحجيج عن نهب العرب ورددت حد الفقيه إلى حفظ القانون الذى به يكف السلطان شر بعض أهل العدوان عن بعض وهاتان رتبتان نازلتان بالاضافة إلى علم الدين وعلماء الأمة المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم أفضل الخلق عند الله تعالى فكيف تنزل درجاتهم إلى هذه المنزلة السافلة بالإضافة إلى علم الدين ، فاعلم أن من عرف الحق بالرجال حار فى متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف أهله إن كنت سالكا طريق الحق وإن قنعت بالتقليد والنظر إلى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلو منصبهم فقد أجمع الذين عرضت بذكرهم على تقدمهم وأنهم لا يدرك فى الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها ، وما فضل أبو بكر رضى الله عنه الناس بكثرة صيام ولا صلاة ولا بكثرة رواية ولا فتوى

عبد الله فى الغزالى وسميته [الجوهر المتلالى] خصوصا من كلام الشيخ عبد الله فى الغزالى فلم يتيسر له وأرجو أن يوفقنى الله لذلك تحقيقا لرجائه ورجاء أن يتناولنى دعاء الشيخ عبد الله رضى الله عنه فانه قال غفر الله لمن يكتب كلامى فى الغزالى وناهيك ببشارة فى هذه العبارة التى برزت من ولى عارف وقطب مكاشف لا يجازف فى مقال ولا ينطق إلا عن حال وفى هذا من الشرف للغزالى وكتبه مالا يحتاج معه إلى مزيد ـ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ـ فان العظيم لا يعظم فى عينه إلا عظيم ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل وإذا تصدى العيدروس لتعريفه فقد أغنى تعريفه عن كل تعريف ووصف والشهادة منه خير من شهادة ألف ألف

ولا كلام ولكن بشيء وقر في صدره[1] كما شهد له سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فليكن حرصك في طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدر المكنون ودع عنك ما تطابق أكثر الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لأسباب ودواع يطول تفصيلها فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آلاف من الصحابة رضي الله عنهم كلهم علماء بالله أثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيهم أحد يحسن صنعة الكلام ولا نصب نفسه للفتيا منهم أحد إلا بضعة عشر رجلا ولقد كان ابن عمر رضي الله عنهما منهم وكان إذا سئل عن الفتيا يقول للسائل اذهب إلى فلان الأمير الذي تقلد أمور الناس وضعها في عنقه إشارة إلى أن الفتيا في القضايا والأحكام من توابع الولاية والسلطنة ولما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة أعشار العلم فقيل له أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة فقال لم أرد علم الفتيا والأحكام إنما أريد العلم بالله تعالى أفترى أنه أراد صنعة الكلام والجدل فما بالك لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذي مات بموت عمر تسعة أعشاره وهو الذي سد باب الكلام والجدل وضرب صبيغا بالدرة لما أورد عليه سؤالا في تعارض آيتين في كتاب الله وهجره وأمر الناس بهجره وأما قولك إن المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون فاعلم أن ما ينال به الفضل عند الله شيء وما ينال به الشهرة عند الناس شيء آخر فلقد كان شهرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة وكان فضله بالسر الذي وقر في قلبه وكان شهرة عمر رضي الله عنه بالسياسة وكان فضله بالعلم بالله الذي مات تسعة أعشاره بموته وبقصده التقرب إلى الله عز وجل في ولايته وعدله وشفقته على خلقه وهو أمر باطن في سره فأما سائر أفعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب في الشهرة فتكون الشهرة فيما هو المهلك والفضل فيما هو سر لا يطلع عليه أحد فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة والعلماء وقد انقسموا فمنهم من أراد الله سبحانه بعلمه وفتواه وذبه عن سنة نبيه ولم يطلب به رياء ولا سمعة فأولئك أهل رضوان الله تعالى وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ولارادتهم وجه الله سبحانه بفتواهم ونظرهم فان كل علم عمل فانه فعل مكتسب وليس كل عمل علما والطبيب يقدر على التقرب إلى الله تعالى بعلمه فيكون مثابا على علمه من حيث إنه عامل لله سبحانه وتعالى به والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضيا عند الله سبحانه ومثابا لا من حيث إنه متكفل بعلم الدين بل من حيث هو متقلد بعمل يقصد به التقرب إلى الله عز وجل بعلمه. وأقسام ما يتقرب به إلى الله تعالى ثلاثة : علم مجرد وهو علم المكاشفة وعمل مجرد وهو كعدل السلطان مثلا وضبطه للناس ومركب من عمل وعلم وهو علم طريق الآخرة فان صاحبه من العلماء والعمال جميعا فانظر إلى نفسك أتكون يوم القيامة في حزب علماء الله أو عمال الله تعالى أو في حزبيهما فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما فهذا أهم عليك من التقليد لمجرد الاشتهار كما قيل :

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به ... في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

على أنا سننقل من سيرة فقهاء السلف ما تعلم به أن الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم وأنهم من أشد خصمائهم يوم القيامة فانهم ما قصدوا بالعلم إلا وجه الله تعالى وقد شوهد من أحوالهم ما هو من علامات علماء الآخرة كما سيأتي بيانه في باب علامات علماء الآخرة فانهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التدريس والتصنيف فيه ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس في الفقه مع أنهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتوى والصوارف والدواعي متيقنة ولا حاجة إلى

(١) حديث : ما فضل أبو بكر الناس بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام الحديث : الترمذي الحكيم في النوادر من قول أبي بكر بن عبد الله المزني ولم أجده مرفوعا .

وحصل من الاحياء في زمانه بسببه نسخ عديدة حتى إن بعض العوام حصلها لما رأى من ترغيبه فيه وألزم أخاه الشيخ عليا قراءته فقرأه عليه مدة حياته خمسا وعشرين مرة وكان يصنع عند كل ختم ضيافة عامة للفقراء وطلبة العلم الشريف ثم إن الشيخ عليا ألزم ولده عبد الرحمن قراءته عليه مدة حياته فختمه عليه أيضا خمسا وعشرين مرة وكان ولده سيدي الشيخ أبو بكر العيدروس صاحب عدن التزم بطريقة النذر على نفسه مطالعة شيء منه كل يوم وكان لا يزال يحصل منه نسخة بعد نسخة ويقول لا أترك تحصيل الإحياء أبدا ما عشت حتى اجتمع عنده منه نحو عشر نسخ . قلت وكذلك كان سيدي الشيخ الوالد شيخ ابن عبد الله ابن شيخ ابن الشيخ عبد الله العيدروس رضي الله

ذكرها . ونحن الآن نذكر من أقوال فقهاء الاسلام ما تعلم به أن ماذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن أظهر الاقتداء بهم منتحلا مذاهبهم وهو مخالف لهم فى أعمالهم وسيرهم فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق أعنى الذين كثر أتباعهم فى المذاهب خمسة : الشافعى ومالك وأحمد بن حنبل وأبو حنيفة وسفيان الثورى رحمهم الله تعالى وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما بعلوم الآخرة وفقيها فى مصالح الخلق فى الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جملتها على خصلة واحدة وهى التشمير والمبالغة فى تفاريع الفقه لأن الخصال الأربع لا تصلح إلا للآخرة وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة إن أريد بها الآخرة قلّ صلاحها للدنيا شمروا لها وادّعوا بها مشابهة أولئك الأئمة وهيهات أن تقاس الملائكة بالحدادين فلنورد الآن من أحوالهم مايدل على هذه الخصال الأربع فان معرفتهم بالفقه ظاهرة . أما الامام الشافعى رحمه الله تعالى فيدل على أنه كان عابدا ماروى أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للعلم وثلثا للعبادة وثلثا للنوم . قال الربيع كان الشافعى رحمه الله يختم القرآن فى رمضان ستين مرة كل ذلك فى الصلاة . وكان البويطى أحد أصحابه يختم القرآن فى رمضان فى كل يوم مرة . وقال الحسن الكرابيسى بتّ مع الشافعى غير ليلة فكان يصلى نحوا من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية فاذا أكثر فمائة آية وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله تعالى لنفسه ولجميع المسلمين والمؤمنين ولا يمر بآية عذاب إلا تعوذ فيها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين وكأنما جمع له الرجاء والخوف معا فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين آية على تبحره فى أسرار القرآن وتدبره فيها وقال الشافعى رحمه الله ماشبعت منذ ست عشرة سنة لأن الشبع يثقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة فانظر إلى حكمته فى ذكر آفات الشبع ثم فى جده فى العبادة إذ طرح الشبع لأجلها ورأس التعبد تقليل الطعام . وقال الشافعى رحمه الله ماحلفت بالله تعالى لا صادقا ولا كاذبا قط فانظر إلى حرمته وتوقيره لله تعالى ودلالة ذلك على علمه بجلال الله سبحانه وسئل الشافعى رضى الله عنه عن مسئلة فسكت فقيل له ألا تجيب رحمك الله فقال حتى أدرى الفضل فى سكوتى أو فى جوابى فانظر فى مراقبته للسانه مع أنه أشد الأعضاء تسلطا على الفقهاء وأعصاها عن الضبط والقهر وبه يستبين أنه كان لا يتكلم ولا يسكت إلا لنيل الفضل وطلب الثواب . وقال أحمد بن يحيى بن الوزير خرج الشافعى رحمه الله تعالى يوما من سوق القناديل فتبعناه فاذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم فالتفت الشافعى إلينا وقال نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون السنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القائل وإن السفيه لينظر إلى أخبث شىء فى إنائه فيحرص أن يفرغه فى أوعيتكم ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما شقى بها قائلها . وقال الشافعى رضى الله عنه كتب حكيم إلى حكيم قد أوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم . وأما زهده رضى الله عنه فقد قال الشافعى رحمه الله من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها فى قلبه فقد كذب . وقال الحميدى خرج الشافعى رحمه الله إلى اليمن مع بعض الولاة فانصرف إلى مكة بعشرة آلاف درهم فضرب له خباء فى موضع خارجا من مكة فكان الناس يأتونه فما برح من موضعه ذلك حتى فرقها كلها . وخرج من الحمام مرة فأعطى الحمامى مالا كثيرا . وسقط سوطه من يده مرة فرفعه انسان إليه فاعطاه جزاء عليه خمسين دينارا . وسخاوة الشافعى رحمه الله أشهر من أن تحكى ورأس الزهد السخاء لأن من أحب شيئا أمسكه ولم يفارقه فلا يفارق المال إلا من صغرت الدنيا فى عينه وهو معنى الزهد . ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همته بالآخرة

عنه مدمنا على مطالعته وحصل منه نسخا عديدة نحو السبع وأمر بقراءته عليه غير مرّة وكان يعمل فى ختمه ضيافة عامة فملازمته ميراث عيدروسى وتوفيق قدوسى فمن وفقه الله لامتثاله والعمل بما فيه واستعماله بلغ الرتبة العليا وحاز شرف الآخرة والدنيا وقال السيد الكبير العارف بالله الشهير على بن أبى بكر بن الشيخ عبد الرحمن السقاف لو قلب أوراق الاحياء كافر لأسلم ففيه سرّ خفى يجذب القلوب شبه المغناطيس قلت وهو صحيح فانى مع خسيس قصدى وقساوة قلبى أجد عند مطالعتى له من انبعاث الهمة وعزوف النفس عن الدنيا مالا مزيد عليه ثم يفتر برجوعى إلى ماأنا فيه ومخالطة أهل الكثافات ولا أجد ذلك عند مطالعة غيره من كتب الوعظ والرقائق وما ذاك إلا لشىء أودعه الله فيه

ماروى أنه روى سفيان بن عيينة حديثا فى الرقائق فغشى على الشافعى فقيل له قد مات فقال إن مات فقد مات أفضل زمانه وما روى عبد الله بن محمد البلوى قال كنت أنا وعمر بن نباتة جلوسا نتذاكر العباد والزهاد فقال لى عمر مارأيت أورع ولا أفصح من محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه خرجت أنا وهو والحرث بن لبيد إلى الصفا وكان الحرث تلميذا لصالح المرى فافتتح يقرأ وكان حسن الصوت فقرأ هذه الآية عليه ـ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ـ فرأيت الشافعى رحمه الله وقد تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما أفاق جعل يقول أعوذ بك من مقام الكاذبين وإعراض الغافلين . اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لك رقاب المشتاقين إلهى هب لى جودك وجللنى بسترك واعف عن تقصيرى بكرم وجهك قال ثم مشى وانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقعدت على الشط أتوضأ للصلاة إذ مر بى رجل فقال لى ياغلام أحسن وضوءك أحسن الله إليك فى الدنيا والآخرة فالتفت فاذا أنا برجل يتبعه جماعة فأسرعت فى وضوئى وجعلت أقفو أثره فالتفت إلى فقال هل لك من حاجة فقلت نعم تعلمنى مما علمك الله شيئا فقال لى اعلم أن من صدق الله نجا ومن أشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد فى الدنيا قرت عيناه بما يراه من ثواب الله تعالى غدا أفلا أزيدك قلت نعم قال من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الايمان من أمر بالمعروف وائتمر ونهى عن المنكر وانتهى وحافظ على حدود الله تعالى ألا أزيدك قلت بلى فقال كن فى الدنيا زاهدا وفى الآخرة راغبا واصدق الله تعالى فى جميع أمورك تنج مع الناجين ثم مضى فسألت من هذا فقالوا هو الشافعى فانظر إلى سقوطه مغشيا عليه ثم إلى وعظه كيف يدل ذلك على زهده وغاية خوفه ولا يحصل هذا الخوف والزهد إلا من معرفة الله عز وجل فانه ـ إنما يخشى الله من عباده العلماء ـ ولم يستفد الشافعى رحمه الله هذا الخوف والزهد من علم كتاب السلم والإجارة وسائر كتب الفقه بل هو من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والأخبار إذ حكم الأولين والآخرين مودعة فيهما . وأما كونه عالما بأسرار القلب وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم المأثورة عنه . روى أنه سئل عن الرياء فقال على البديهة الرياء فتنة عقدها الهوى حيال أبصار قلوب العلماء فنظروا إليها بسوء اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم . وقال الشافعى رحمه الله تعالى إذا أنت خفت على عملك العجب فانظر رضا من تطلب وفى أى ثواب ترغب ومن أى عقاب ترهب وأى عافية تشكر وأى بلاء تذكر فانك إذا تفكرت فى واحدة من هذه الخصال صغر فى عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب . وقال الشافعى رضى الله عنه من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه . وقال رحمه الله من أطاع الله تعالى بالعلم نفعه سره . وقال مامن أحد إلا له محب ومبغض فاذا كان كذلك فكن مع أهل طاعة الله عز وجل . وروى أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان يسأل الشافعى رضى الله عنه عن مسائل فى الورع والشافعى رحمه الله يقبل عليه لورعه وقال للشافعى يوما أيما أفضل الصبر أو المحنة أو التمكين فقال الشافعى رحمه الله التمكين درجة الأنبياء ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة فاذا امتحن صبر وإذا صبر مكن ألا ترى أن الله عز وجل امتحن ابراهيم عليه السلام ثم مكنه وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنه وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه وآتاه ملكا والتمكين أفضل الدرجات قال الله عز وجل ـ وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ـ وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مكن قال الله تعالى ـ وآتيناه أهله ومثلهم معهم ـ الآية فهذا الكلام من الشافعى رحمه الله يدل على تبحره فى أسرار القرآن واطلاعه على مقامات السائرين إلى الله تعالى من الأنبياء والأولياء وكل ذلك من علوم الآخرة . وقيل للشافعى رحمه الله متى يكون الرجل عالما قال إذا تحقق فى علم فعلمه وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاته فعند ذلك يكون عالما فانه قيل

وسر نفس مصنفه وحسن قصده والمراد بالكافر هنا فيما يظهر الجاهل بعيوب النفس المحجوب عن إدراك الحق أى فبمجرد مطالعته للكتاب المذكور يشرح الله صدره وينور قلبه وذلك لأن الوعظ إذا صدر عن قلب متعظ كان حريا أن يتعظ به سامعه وكما أن الله تعالى جعل لعباده الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون رتبة فوق غيرهم كذلك جعل لما يبرز منهم ويؤخذ عنهم بركة زائدة على غيره لأن ألسنتهم كريمة وأنوار قلوبهم عظيمة وهممهم علية وإشاراتهم سنية حتى يكون للقرآن أثر عظيم عند سماعه منهم وللأحاديث بهجة وجلالة زائدة إذا أخذت عنهم وللمواعظ منهم تأثير فى القلوب ظاهر ولعلومهم وفقههم أنوار ونفع متظاهر حتى تجد الرجل له العلم القليل وبعد ذلك ينتفع به كثير لحسن نيته ووجود بركته

لجالينوس إنك تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجمعة فقال إنما المقصود منها واحد وإنما يجعل معه غيره لتسكن حدّته لأن الافراد قاتل فهذا وأمثاله مما لا يحصى يدل على علوّ رتبته في معرفة الله تعالى وعلوم الآخرة . وأما إرادته بالفقه والمناظرة فيه وجه الله تعالى فيدل عليه ماروى عنه أنه قال وددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب إلىّ شيء منه فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم له وكيف كان منزه القلب عن الالتفات إليه مجرد النية فيه لوجه الله تعالى . وقال الشافعي رضي الله عنه ماناظرت أحدا قط فأحببت أن يخطئ . وقال ما كلمت أحدا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ وما كلمت أحدا قط وأنا أبالي أن يبين الله الحق على لساني أو على لسانه . وقال ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هبته واعتقدت محبته ولا كابرني أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عيني ورفضته فهذه العلامات هي التي تدل على إرادة الله تعالى بالفقه والمناظرة فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط ثم كيف خالفوه فيها أيضا ولهذا قال أبو ثور رحمه الله مارأيت ولا رأى الراءون مثل الشافعي رحمه الله تعالى . وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه ماصليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي رحمه الله تعالى فانظر إلى إنصاف الداعي وإلى درجة المدعو له وقس به الأقران والأمثال من العلماء في هذه الأعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء بهؤلاء ولكثرة دعائه له قال له ابنه : أي رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء فقال أحمد يا بني كان الشافعي رحمه الله تعالى كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف وكان أحمد رحمه الله يقول مامسّ أحد بيده محبرة إلا وللشافعي رحمه الله في عنقه منة . وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو فيها للشافعي لما فتح الله عز وجل عليه من العلم ووفقه للسداد فيه ولنقتصر على هذه النبذة من أحواله فان ذلك خارج عن الحصر وأكثر هذه المناقب نقلناه من الكتاب الذي صنفه الشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي رحمه الله تعالى في مناقب الشافعي رضي الله عنه وعن جميع المسلمين . وأما الامام مالك رضي الله عنه فانه كان أيضا متحليا بهذه الخصال الخمس فانه قيل له ماتقول يامالك في طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر إلى الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فالزمه وكان رحمه الله تعالى في تعظيم علم الدين مبالغا حتى كان إذا أراد أن يحدّث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث فقيل له في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالك العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوّة معرفته بجلال الله تعالى . وأما إرادته وجه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله : الجدال في الدين ليس بشيء . ويدل عليه قول الشافعي رحمه الله إني شهدت مالكا وقد سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال في اثنتين وثلاثين منها لاأدري ومن يرد غير وجه الله تعالى بعلمه فلا تسمح نفسه بأن يقرّ على نفسه بأنه لايدري ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه إذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب وما أحد أمن على من مالك . وروى أن أبا جعفر المنصور منعه من رواية الحديث في طلاق المكره ثم دس عليه من يسأله فروى على ملأ من الناس ليس على مستكره طلاق فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث . وقال مالك رحمه الله ما كان رجل صادقا في حديثه ولا يكذب إلا متع بعقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا خرف . وأما زهده في الدنيا فيدل عليه ماروى أن المهدي أمير المؤمنين سأله فقال له هل لك من دار فقال لا ولكن أحدّثك سمعت ربيعة بن أبي عبد الرحمن يقول نسب المرء داره وسأله الرشيد هل لك دار فقال لا فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال اشتر بها دارا فأخذها ولم ينفقها فلما أراد الرشيد الشخوص قال لمالك رحمه الله

وغيره له أكثر من ذلك العلم ولم ينتفع به مثله لأنه دونه في منزلته ومن تأمل ذلك وجده أمرا ظاهرا معهودا وشيئا مجرّبا موجودا فانظر إلى نفع الناس بكتاب الخلاف في مذهب مالك رحمه الله تعالى والتنبيه في مذهب الشافعي رحمه الله تعالى والجمل العربية والارشاد في علم الكلام وانتشارها مع أن ماحوت من العلم في فنونها قليل وقد جمع غير هؤلاء في هذه الفنون في مثل أجرام هذه الكتب أضعاف مافيها مع تحقيق تحرير العبارة وتشقيق المعاني وتلخيص الحدود وبعد هذا فالنفع بهذه أكثر وهي أظهر وأشهر لأن العلم يزيد التقوى وقوة سر الايمان لا بكثرة الذكاء وفصاحة اللسان كما بين ذلك مالك رحمه الله تعالى بقوله ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يضعه الله في القلب . قلت ومما أنشده الشيخ علي بن أبي بكر رضي الله عنه لنفسه فيه قوله :

ينبغي أن نخرج معنا فاني عزمت على أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان رضي الله عنه الناس على القرآن فقال له أما حمل الناس على الموطأ فليس إليه سبيل لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده في الأمصار فحدثوا فعند كل أهل مصر علم وقد قال صلى الله عليه وسلم « اختلاف أمتي رحمة (١) » وأما الخروج معك فلا سبيل إليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون (٢) » وقال عليه الصلاة والسلام « المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد (٣) » وهذه دنانيركم كما هي إن شئتم فخذوها وإن شئتم فدعوها يعني أنك إنما تكلفني مفارقة المدينة لما اصطنعته إلى فلا أوثر الدنيا على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهكذا كان زهد مالك في الدنيا ولما حملت إليه الأموال الكثيرة من أطراف الدنيا لانتشار علمه وأصحابه كان يفرقها في وجوه الخير ودل سخاؤه على زهده وقلة حبه للدنيا وليس الزهد فقد المال وإنما الزهد فراغ القلب عنه ولقد كان سليمان عليه السلام في ملكه من الزهاد ويدل على احتقاره للدنيا ماروى عن الشافعي رحمه الله أنه قال رأيت على باب مالك كراعا من أفراس خراسان ويقال مصر ما رأيت أحسن منه فقلت لمالك رحمه الله ما أحسنه فقال هو هدية مني إليك يا أبا عبد الله فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها فقال إني أستحيي من الله تعالى أن أطأ تربة فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة فانظر إلى سخائه إذ وهب جميع ذلك دفعة واحدة وإلى توقيره لتربة المدينة ويدل على إرادته بالعلم وجه الله تعالى واستحقاره للدنيا ماروى أنه قال دخلت على هرون الرشيد فقال لي يا أبا عبد الله ينبغي أن تختلف إلينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ قال فقلت أعز الله مولانا الأمير إن هذا العلم منكم خرج فان أنتم عززتموه عز وإن أنتم أذللتموه ذل والعلم يؤتى ولا يأتي فقال صدقت اخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا مع الناس . وأما أبو حنيفة رحمه الله تعالى فلقد كان أيضا عابدا زاهدا عارفا بالله تعالى خائفا منه مريدا وجه الله تعالى بعلمه فأما كونه عابدا فيعرف بما روى عن ابن المبارك أنه قال كان أبو حنيفة رحمه الله له مروءة وكثرة صلاة . وروى حماد بن أبي سليمان أنه كان يحيي الليل كله . وروى أنه كان يحيي نصف الليل فمر يوما في طريق فأشار إليه إنسان وهو يمشي فقال لآخر هذا هو الذي يحيي الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحيي الليل كله وقال أنا أستحيي من الله سبحانه أن أوصف بما ليس في من عبادته . وأما زهده فقد روى عن الربيع ابن عاصم قال أرسلني يزيد بن عمر بن هبيرة فقدمت بأبي حنيفة عليه فأراده أن يكون حاكما على بيت المال فأبى فضربه عشرين سوطا فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب . قال الحكم بن هشام الثقفي حدثت بالشام حديثا في أبي حنيفة أنه كان من أعظم الناس أمانة وأراده السلطان على أن يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختار عذابهم له على عذاب الله تعالى . وروى أنه ذكر أبو حنيفة عند ابن المبارك فقال أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها . وروى عن محمد بن شجاع عن بعض أصحابه أنه قيل لأبي حنيفة قد أمر لك أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم قال فما رضي أبو حنيفة قال فلما كان اليوم الذي توقع أن يؤتى بالمال فيه صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال بعض من حضر ما يكلمنا إلا بالكلمة بعد الكلمة أي هذه عادته فقال ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت

(١) حديث اختلاف أمتي رحمة ذكره البيهقي في رسالته الأشعرية تعليقا وأسنده في المدخل من حديث ابن عباس بلفظ اختلاف أصحابي لكم رحمة واسناده ضعيف (٢) حديث المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون متفق عليه من حديث سفيان بن أبي زهير (٣) حديث المدينة تنفي خبثها الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

أخي انتبه والزم سلوك الطرائق
وسارع إلى المولى بجد وسابق
أيا طالبا شرح الكتاب وسنة
وقانون قلب القلب بحر الرقائق
وإيضاح منهج للحقيقة مشرق
وشرب حميا صفو راح الحقائق
وإجلاء أذكار المعاني ضواحكا
بباهج حسن جاذب للخلائق
عليك باحياء العلوم ولبها
وأسرارها كم قد حوى من دقائق
وكم من لطيفات لذي اللب منهل
وكم من مليحات سبت لب حاذق
كتاب جليل لم يصنف قبله
ولا بعده مثل له في الطرائق
فكم من بديع اللفظ يجلي عرائسا
وكم من شموس في حماه شوارق
معانيه أضحت كالبدور سواطعا

ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته وقال لابنه إذا مت ودفنتموني فخذ هذه البدرة واذهب بها إلى الحسن بن قحطبة فقل له خذ وديعتك التي أودعتها أبا حنيفة قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمة الله على أبيك فلقد كان شحيحا على دينه . وروى أنه دعي إلى ولاية القضاء فقال أنا لا أصلح لهذا فقيل له لم فقال إن كنت صادقا فما أصلح لها وإن كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضاء . وأما علمه بطريق الآخرة وطريق أمور الدين ومعرفته بالله عز وجل فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده في الدنيا وقد قال ابن جريج قد بلغني عن كوفيكم هذا النعمان بن ثابت أنه شديد الخوف لله تعالى . وقال شريك النخعي كان أبو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس فهذا من أوضح الأمارات على العلم الباطني والاشتغال بمهمات الدين فمن أوتي الصمت والزهد فقد أوتي العلم كله فهذه نبذة من أحوال الأئمة الثلاثة . وأما الإمام أحمد بن حنبل وسفيان الثوري رحمهما الله تعالى فأتباعهما أقل من أتباع هؤلاء وسفيان أقل أتباعا من أحمد ولكن اشتهارهما بالورع والزهد أظهر وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات أفعالهما وأقوالهما فلا حاجة إلى التفصيل الآن فانظر الآن في سير هؤلاء الأئمة الثلاثة وتأمل أن هذه الأحوال والأقوال والأفعال في الإعراض عن الدنيا والتجرد لله عز وجل هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والظهار والايلاء واللعان أو يثمرها علم آخر أعلى وأشرف منه وانظر إلى الذين ادعوا الاقتداء بهؤلاء أصدقوا في دعواهم أم لا .

الباب الثالث : فيما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذي قد يكون به بعض العلوم مذموما وبيان تبديل أسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها (بيان علة ذم العلم المذموم) لعلك تقول العلم هو معرفة الشيء على ماهو به وهو من صفات الله تعالى فكيف يكون الشيء علما ويكون مع كونه علما مذموما فاعلم أن العلم لا يذم لعينه وإنما يذم في حق العباد لأحد أسباب ثلاثة : الأول أن يكون مؤديا إلى ضرر ما إما لصاحبه أو لغيره كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق إذ شهد القرآن له وأنه سبب يتوصل به إلى التفرقة بين الزوجين ، وقد سحر[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه حتى أخبره جبريل عليه السلام بذلك وأخرج السحر من تحت حجر في قعر بئر وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمور حسابية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويرصد به وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوصل بسببها إلى الاستعانة بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله تعالى العادة أحوال غريبة في الشخص المسحور ومعرفة هذه الأسباب من حيث إنها معرفة ليست بمذمومة ولكنها ليست تصلح إلا للاضرار بالخلق والوسيلة إلى الشر شر فكان ذلك هو السبب في كونه علما مذموما بل من اتبع وليا من أولياء الله ليقتله وقد اختفى منه في موضع حريز إذا سأل الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه وذكر موضعه إرشاد وإفادة علم بالشيء على ماهو عليه ولكنه مذموم لأدائه إلى الضر . الثاني أن يكون مضرا بصاحبه في غالب الأمر كعلم النجوم فانه في نفسه غير مذموم لذاته إذ هو قسمان : قسم حسابي وقد نطق القرآن بأن مسير الشمس والقمر محسوب إذ قال عز وجل ـ الشمس والقمر بحسبان ـ وقال عز وجل ـ والقمر قدرناه منازل حتى

(الباب الثالث)

(١) حديث سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث عائشة .

على درّ لفظ للمعاني مطابق
وكم من عزيزات زهت في قبابها
محجبة عن غير كفء مسابق
وكم من لطيف مع بديع وتحفة
حلاوتها كالشهد تحلو لذائق
بساتين عرفان وروض لطائف
وجنة أنواع العلوم الفوائق
رعى الله صبارا لمعاني جنانها
يروح ويغدو بين تلك الحقائق
ويقطف من ذاكي جناها فوا كها
بساحل بحر بالجواهر دافق
خضم طمى حتى علا فوق من علا
بشامخ مجد مشرق بالحقائق
فان لم بهذا القول تؤمن فجرّبن
وأقبل على تلك المعاني وعانق
وراجع طرفا في بديع جمالها
وطف حماها منشدا كل سابق

عاد كالعرجون القديم ـ . والثانى الأحكام وحاصله يرجع إلى الاستدلال على الحوادث بالأسباب وهو يضاهى استدلال الطبيب بالنبض على ماسيحدث من المرض وهو معرفة لمجارى سنة الله تعالى وعادته فى خلقه ولكن قد ذمه الشرع قال صلى الله عليه وسلم « إذا ذكر القدر فأمسكوا وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا وإذا ذكر أصحابى فأمسكوا[1] » . وقال صلى الله عليه وسلم « أخاف على أمتى بعدى ثلاثا حيف الأئمة والإيمان بالنجوم والتكذيب بالقدر[2] » . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه تعلموا من النجوم ماتهتدون به فى البر والبحر ثم أمسكوا وإنما زجر عنه من ثلاثة أوجه : أحدها أنه مضر بأكثر الخلق فانه إذا ألقى إليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع فى نفوسهم أن الكواكب هى المؤثرة وأنها الآلهة المدبرة لأنها جواهر شريفة سماوية ويعظم وقعها فى القلوب فيبقى القلب ملتفتا إليها ويرى الخير والشر محذورا أو مرجوا من جهتها وينمحى ذكر الله سبحانه عن القلب فان الضعيف يقصر نظره على الوسائط والعالم الراسخ هو الذى يطلع على أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره سبحانه وتعالى ومثال نظر الضعيف إلى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس وهى تنظر إلى سواد الخط يتجدد فتعتقد أنه فعل القلم ولا تترقى فى نظرها إلى مشاهدة الأصابع ثم منها إلى اليد ثم منها إلى الارادة المحركة لليد ثم منها إلى الكاتب القادر المريد ثم منها إلى خالق اليد والقدرة والارادة فأكثر نظر الخلق مقصور على الأسباب القريبة السافلة مقطوع من الترقى إلى مسبب الأسباب فهذا أحد أسباب النهى عن النجوم . وثانيها أن أحكام النجوم تخمين محض ليس يدرك فى حق آحاد الأشخاص لا يقينا ولا ظنا فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث إنه جهل لا من حيث إنه علم فلقد كان ذلك معجزة لادريس عليه السلام فيما يحكى وقد اندرس وانمحى ذلك العلم وانمحق ومايتفق من إصابة المنجم على ندور فهو اتفاق لأنه قد يطلع على بعض الأسباب ولا يحصل المسبب عقيبها إلا بعد شروط كثيرة ليس فى قدرة البشر الاطلاع على حقائقها فان اتفق أن قدر الله تعالى الأسباب وقعت الاصابة وإن لم يقدر أخطأ ويكون ذلك كتخمين الانسان فى أن السماء تمطر اليوم مهما رأى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحمى النهار بالشمس ويذهب الغيم وربما يكون بخلافه ومجرد الغيم ليس كافيا فى مجىء المطر وبقية الأسباب لاتدرى وكذلك تخمين الملاح أن السفينة تسلم اعتمادا على ما ألفه من العادة فى الرياح ولتلك الرياح أسباب خفية هو لا يطلع عليها فتارة يصيب فى تخمينه وتارة يخطئ ولهذه العلة يمنع القوى عن النجوم أيضا . وثالثها أنه لافائدة فيه فأقل أحواله أنه خوض فى فضول لايغنى وتضييع العمر الذى هو أنفس بضاعة الانسان فى غير فائدة وذلك غاية الخسران « فقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال ماهذا فقالوا رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر وأنساب العرب فقال علم لاينفع وجهل لايضر[3] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما العلم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة » فاذن الخوض فى النجوم ومايشبهه اقتحام خطر وخوض فى جهالة من غير فائدة فان ماقدر كائن والاحتراز منه غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة ماسة إليه وأكثر أدلته بما يطلع عليه وبخلاف التعبير وإن كان تخمينا لأنه جزء من ستة وأربعين جزءا من

(١) حديث إذا ذكر القدر فأمسكوا الحديث رواه الطبرانى من حديث ابن مسعود باسناد حسن
(٢) حديث أخاف على أمتى بعدى ثلاثا حيف الأئمة الحديث ابن عبد البر من حديث أبى محجن باسناد ضعيف (٣) حديث مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون فقال ماهذا فقالوا رجل علامة الحديث ابن عبد البر من حديث أبى هريرة وضعفه وفى آخر الحديث ، إنما العلم آية محكمة . إلى آخره وهذه القطعة عند أبى داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو .

ترى فى بدور الحى أقمار قد بدت
بعالى جمال مدهش لب عاشق
فكم أنهلت صبا وكم قشعت عمى
وكم قد سعت فى غربها والمشارق
فيضحى براح الحب سكران مغرما
أصم عن العذال غير موافق
ويمسى يناديها طريحا ببابها
منعم عيش فى الربوع الغوادق
صلاة على سر الوجود شفيعنا
محمد المختار خير الخلائق
وأصحابه أهل المكارم والعلا
وعترته ورّاث علم الحقائق

[فصل] وأما ما أنكر عليه فيه من مواضع مشكلة الظاهر وفى التحقيق لا إشكال أو أخبار وآثار تكلم فى سندها فأما من جهة تلك المواضع فممن أجاب عنها المصنف نفسه فى كتابه المسمى (بالأجوبة) وأسوق لك نبذة من

النبوة ولا خطر فيه . السبب الثالث الخوض فى علم لا يستفيد الخائض فيه فائدة علم فهو مذموم فى حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها وخفيها قبل جليها وكالبحث عن الأسرار الإلهية إذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون إليها ولم يستقلوا بها ولم يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها إلا الأنبياء والأولياء فيجب كفّ الناس عن البحث عنها وردهم الى ما نطق به الشرع ففى ذلك مقنع للموفق فكم من شخص خاض فى العلوم واستضرّ بها ولو لم يخض فيها لكان حاله أحسن فى الدين مما صار إليه ولا ينكر كون العلم ضارا لبعض الناس كما يضر لحم الطير وأنواع الحلوى اللطيفة بالصبى الرضيع بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الأمور فلقد حكى أن بعض الناس شكا إلى طبيب عقم امرأته وأنها لا تلد فجس الطبيب نبضها . وقال لا حاجة لك إلى دواء الولادة فانك ستموتين إلى أربعين يوما وقد دل النبض عليه فاستشعرت المرأة الخوف العظيم وتنغص عليها عيشها وأخرجت أموالها وفرقتها وأوصت وبقيت لا تأكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت فجاء زوجها إلى الطبيب . وقال له لم تمت فقال الطبيب قد علمت ذلك فجامعها الآن فانها تلد فقال كيف ذاك . قال رأيتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها فعلمت أنها لا تهزل إلا بخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة فهذا ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من علم لا ينفع (١) » فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بحاثا عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها ولازم الاقتداء بالصحابة رضى الله عنهم واقتصر على اتباع السنة فالسلامة فى الاتباع والخطر فى البحث عن الأشياء والاستقلال ولا تكثر اللجج برأيك ومعقولك ودليلك وبرهانك وزعمك أنى أبحث عن الأشياء لأعرفها على ما هى عليه فأى ضرر فى التفكر فى العلم فان ما يعود عليك من ضرره أكثر وكم من شىء تطلع عليه فيضرك اطلاعك عليه ضررا يكاد يهلكك فى الآخرة إن لم يتداركك الله برحمته . واعلم أنه كما يطلع الطبيب الحاذق على أسرار فى المعالجات يستبعدها من لا يعرفها فكذلك الأنبياء أطباء القلوب والعلماء بأسباب الحياة الأخروية فلا تتحكم على سنتهم بعقولك فتهلك فكم من شخص يصيبه عارض فى أصبعه فيقتضى عقله أن يطلبه حتى ينبهه الطبيب الحاذق أن علاجه أن يطلى الكف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انعشاب الأعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن فهكذا الأمر فى طريق الآخرة وفى دقائق سنن الشرع وآدابه وفى عقائده التى تعبد الناس بها أسرار ولطائف ليست فى سعة العقل وقوته الاحاطة بها كما أن فى خواص الأحجار أمورا عجائب غاب عن أهل الصنعة علمها حتى لم يقدر أحد على أن يعرف السبب الذى به يجذب المغناطيس الحديد فالعجائب والغرائب فى العقائد والأعمال وإفادتها لصفاء القلوب ونقائها وطهارتها وتزكيتها وإصلاحها للترقى إلى جوار الله تعالى وتعرضها لنفحات فضله أكثر وأعظم مما فى الأدوية والعقاقير وكما أن العقول تقصر عن إدراك منافع الأدوية مع أن التجربة سبيل إليها فالعقول تقصر عن إدراك ما ينفع فى حياة الآخرة مع أن التجربة غير متطرقة إليها وإنما كانت التجربة تتطرق إليها لو رجع إلينا بعض الأموات فأخبرنا عن الأعمال المقبولة النافعة المقربة إلى الله تعالى زلفى وعن الأعمال المبعدة عنه وكذا عن العقائد وذلك مما لا يطمع فيه فيكفيك من منفعة العقل أن يهديك إلى صدق النبى صلى الله عليه وسلم ويفهمك موارد إشاراته فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم إلا به والسلام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث نعوذ بالله من علم لا ينفع ابن عبد البر من حديث جابر بسند حسن وهو عند ابن ماجه بلفظ تعوّذوا وقد تقدم .

ذلك هنا قال رحمه الله سألت يسرك الله لمراتب العلم تصعد مراقيها وقرب لك مقامات الأولياء تحل معاليها عن بعض ما وقع فى الاملاء الملقب بالاحياء عما أشكل على من حجب وقصر فهمه ولم يفز بشىء من الحظوظ الملكية قدحه وسهمه وأظهرت التحزن لما شاهدته من شركاء الطغام وأمثال الأنعام وأتباع العوام وسفهاء الأحلام وعار أهل الإسلام حتى طعنوا عليه ونهوا عن قراءته ومطالعته وأفتوا بالهوى مجردا على غير بصيرة باطراحه ومنابذته ونسبوا مملية إلى ضلال وإضلال ورموا قراءه ومنتحليه بزيغ عن الشريعة واختلال إلى أن قال ستكتب شهادتهم ويسألون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون . ثم ذكر آيات أخرى فى المعنى ثم وصف الدهر وأهله وذهاب العلم وفضله ثم ذكر عذر المعترضين

« إن من العلم جهلا وإن من القول عيا (١) » ومعلوم أن العلم لا يكون جهلا ولكنه يؤثر تأثير الجهل فى الاضرار . وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « قليل من التوفيق خير من كثير من العلم (٢) » وقال عيسى عليه السلام ما أكثر الشجر وليس كلها بمثمر وما أكثر الثمر وليس كلها بطيب وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع .

بيان مابدل من ألفاظ العلوم

اعلم أن منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسامى المحمودة وتبديلها ونقلها بالأغراض الفاسدة إلى معان غير ما أراده السلف الصالح والقرن الأول وهى خمسة ألفاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه أسام محمودة والمتصفون بها أرباب المناصب فى الدين ولكنها نقلت الآن إلى معان مذمومة فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع اطلاق هذه الأسامى عليهم . اللفظ الأول الفقه فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل إذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة فى الفتاوى والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان أشد تعمقا فيها وأكثر اشتغالا بها يقال هو الأفقه ولقد كان اسم الفقه فى العصر الأول مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدلك عليه قوله عز وجل ـ ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ـ وما يحصل به الانذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق والعتاق واللعان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام يقسى القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد الآن من المتجردين له وقال تعالى ـ لهم قلوب لا يفقهون بها ـ وأراد به معانى الايمان دون الفتاوى ولعمرى إن الفقه والفهم فى اللغة اسمان بمعنى واحد وإنما يتكلم فى عادة الاستعمال به قديما وحديثا قال تعالى ـ لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ـ الآية فأحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه فانظر ان كان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى أو هو نتيجة عدم ماذكرناه من العلوم . وقال صلى الله عليه وسلم « علماء حكماء فقهاء (٣) » للذين وفدوا عليه ، وسئل سعد بن إبراهيم الزهرى رحمه الله أى أهل المدينة أفقه فقال أتقاهم لله تعالى فكأنه أشار إلى ثمرة الفقه والتقوى ثمرة العلم الباطنى دون الفتاوى والأقضية . وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم ييئسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ماسواه (٤) » ولما روى أنس بن مالك قوله صلى الله عليه وسلم « لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس أحب إلىّ من أن أعتق أربع رقاب (٥) » قال فالتفت إلى زيد الرقاشى وزياد

(١) حديث إن من العلم جهلا الحديث أبو داود من حديث بريدة وفى اسناده من يجهل (٢) حديث قليل من التوفيق خير من كثير من العلم لم أجد له أصلا وقد ذكره صاحب الفردوس من حديث أبى الدرداء . وقال العقل بدل العلم ولم يخرجه ولده فى مسنده (٣) حديث علماء حكماء فقهاء أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الزهد والخطيب فى التاريخ من حديث سويد بن الحرث باسناد ضعيف (٤) حديث ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه الحديث أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق وأبو بكر بن السنى وابن عبد البرّ من حديث على . وقال ابن عبد البر أكثرهم يوقفونه عن على (٥) حديث أنس لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس الحديث أبو داود باسناد حسن .

بما يرجع حاصلها إلى الحسد وإلى الجهل وقلة الدين بل أفصح بذلك فى الآخر حيث قال حجبوا عن الحقيقة بأربعة : الجهل والاصرار ومحبة الدنيا واظهار الدعوى ثم بين ماورثوه عن الأربعة المذكورة قال فالجهل أورثهم السخف إلى آخر ماذكره وأما ما اعترض به من تضمينه أخبارا وآثارا موضوعة أو ضعيفة واكثاره من الأخبار والآثار والإكثار يتحاشى منه المتورع لئلا يقع فى الوضوع . وحاصل ما أجيب به عن الغزالى ومن المجيبين الحافظ العراقى أن أكثر ماذكره الغزالى ليس بموضوع كما برهن عليه فى التخريج وغير الأكثر وهو فى غاية القلة رواه عن غيره أو تبع فيه غيره متبرئا صيغة روى منه بنحو وأما الاعتراض عليه أن فيما ذكره الضعيف بكثرة فهو اعتراض ساقط لما تقرر أنه يعمل به فى الفضائل

النبي وقال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سردا إنما كنا نقعد فنذكر الإيمان ونتدبر القرآن ونتفقه في الدين ونعد نعم الله علينا تفقها فسمى تدبر القرآن وعد النعم تفقها قال صلى الله عليه وسلم « لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة[1] » وروى أيضا موقوفا على أبي الدرداء رضي الله عنه مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها أشد مقتا وقد سأل فرقد السبخي الحسن عن الشيء فأجابه فقال إن الفقهاء يخالفونك فقال الحسن رحمه الله ثكلتك أمك فريقد وهل رأيت فقيها بعينك إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف نفسه عن أعراض المسلمين العفيف عن أموالهم الناصح لجماعتهم ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى ولست أقول إن اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى في الأحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول أو بطريق الاستتباع فكان إطلاقهم له على علم الآخرة أكثر فبان من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والاعراض عن علم الآخرة وأحكام القلوب ووجدوا على ذلك معينا من الطبع فان علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به إلى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم محمود في الشرع . اللفظ الثاني العلم وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى وبآياته وبأفعاله في عباده وخلقه حتى إنه لما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله لقد مات تسعة أعشار العلم فعرفه بالألف واللام ثم فسره العلم بالله سبحانه وتعالى وقد تصرفوا فيه أيضا بالتخصيص حتى شهروه في الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل في العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه في زمرة أهل العلم وهذا أيضا تصرف بالتخصيص ولكن ما ورد من فضائل العلم والعلماء أكثره في العلماء بالله تعالى وبأحكامه وبأفعاله وصفاته وقد صار الآن مطلقا على من لا يحيط من علوم الشرع بشيء سوى رسوم جدلية في مسائل خلافية فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والأخبار وعلم المذهب وغيره وصار ذلك سببا مهلكا لخلق كثير من أهل الطلب للعلم . اللفظ الثالث التوحيد وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الأسئلة وإثارة الشبهات وتأليف الالزامات حتى لقب طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد وسمى المتكلمون العلماء بالتوحيد مع أن جميع ما هو خاصة هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شيء في العصر الأول بل كان يشتد منهم النكير على من كان يفتح بابا من الجدل والمماراة فأما ما يشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التي تسبق الأذهان إلى قبولها في أول السماع فلقد كان ذلك معلوما للكل وكان العلم بالقرآن هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين وإن فهموه لم يتصفوا به وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط فلا يرى الخير والشر كله إلا منه جل جلاله فهذا مقام شريف إحدى ثمراته التوكل كما سيأتي بيانه في كتاب التوكل ومن ثمراته أيضا ترك شكاية الخلق وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله تعالى وكانت إحدى ثمراته قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما قيل له في مرضه أنطلب لك طبيبا فقال الطبيب أمرضني وقول آخر لما مرض فقيل له ماذا قال لك الطبيب في مرضك فقال قال لي إني فعال لما أريد

(١) حديث لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله الحديث ابن عبد البر من حديث شداد بن أوس وقال لا يصح مرفوعا .

وكتابه في الرقائق فهو من قبيلها ولأن له أسوة بأئمة الأئمة الحفاظ في اشتمال كتبهم على الضعيف بكثرة المنبه على ضعفه تارة والمسكوت عنه أخرى وهذه كتب الفقه للمتقدمين وهي كتب الأحكام لا الفضائل يوردون فيها الأحاديث الضعيفة ساكتين عليها حتى جاء النووي رحمه الله في المتأخرين ونبه على ضعف الحديث وخلافه كما أشار إلى ذلك كله العراقي قال عبد الغافر الفارسي سبط القشيري ظهرت تصانيف الغزالي وفشت ولم يبد في أيامه مناقض لما كان فيه ولا لمآثره إلى آخر ما ذكره ومما يدلك على جلالة كتب الغزالي ما نقل ابن السمعاني من رؤيا بعضهم فيما يرى النائم كأن الشمس طلعت من مغربها مع تعبير ثقات المعبرين ببدعة تحدث فحدث في جميع المغرب بدعة الأمر باحراق كتبه ومن أنه لما دخلت

وسيأتى فى كتاب التوكل وكتاب التوحيد شواهد ذلك والتوحيد جوهر نفيس وله قشران أحدهما أبعد عن اللب من الآخر فخصص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر وأهملوا اللب بالكلية فالقشر الأول هو أن تقول بلسانك لا إله إلا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذى صرح به النصارى ولكنه قد يصدر من المنافق الذى يخالف سره جهره . والقشر الثانى أن لا يكون فى القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده وكذلك التصديق به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة . والثالث وهو اللباب أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط وأن يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد أتباع الهوى فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال الله تعالى ـ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ـ وقال صلى الله عليه وسلم « أبغض إله عبد فى الأرض عند الله تعالى هو الهوى[1] » وعلى التحقيق من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم وإنما يعبد هواه إذ نفسه مائلة إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس إلى المألوفات أحد المعانى التى يعبر عنها بالهوى ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والالتفات إليهم فان من يرى الكل من الله عز وجل كيف يتسخط على غيره فلقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو مقام الصديقين فانظر إلى ماذا حول وبأى قشر قنع منه وكيف اتخذوا هذا معتصما فى التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الافلاس عن المعنى الذى يستحق الحمد الحقيقى وذلك كإفلاس من يصبح بكرة ويتوجه إلى القبلة ويقول وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وهو أول كذب يفاتح الله به كل يوم إن لم يكن وجه قلبه متوجها إلى الله تعالى على الخصوص فانه إن أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه إلا إلى الكعبة وما صرفه إلا عن سائر الجهات والكعبة ليست جهة للذى فطر السموات والأرض حتى يكون المتوجه إليها متوجها إليه ، تعالى عن أن تحده الجهات والأقطار وإن أراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق فى قوله وقلبه متردد فى أوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف فى طلب الحيل فى جمع الأموال والجاه واستكثار الأسباب ومتوجه بالكلية إليها فمتى وجه وجهه للذى فطر السموات والأرض وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد فالموحد هو الذى لا يرى إلا الواحد ولا يوجه وجهه إلا إليه وهو امتثال قوله تعالى ـ قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ـ وليس المراد به القول باللسان فانما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب أخرى وإنما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه هو القلب وهو معدن التوحيد ومنبعه . اللفظ الرابع الذكر والتذكير فقد قال الله تعالى ـ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ـ وقد ورد فى الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر[2] » وفى الحديث « إن لله تعالى ملائكة سياحين فى الدنيا سوى ملائكة الخلق إذا رأوا مجالس الذكر ينادى بعضهم بعضا ألا هلموا الى بغيتكم فيأتونهم ويحفون بهم ويستمعون ألا فاذكروا الله وذكروا أنفسكم[3] » فنقل ذلك إلى ما ترى أكثر الوعاظ فى هذا الزمان يواظبون عليه وهو القصص والأشعار والشطح والطامات ، أما القصص فهى بدعة وقد ورد نهى السلف عن الجلوس إلى القصاص وقالوا

(١) حديث أبغض إله عبد عند الله تعالى فى الأرض هو الهوى الطبرانى من حديث أبى أمامة باسناد ضعيف (٢) حديث إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا الحديث الترمذى من حديث أنس وحسنه (٣) حديث إن لله ملائكة سياحين فى الهواء سوى ملائكة الخلق الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة دون قوله فى الهواء والترمذى سياحين فى الأرض وقال مسلم سيارة.

مصنفاته إلى المغرب أمر سلطانه على بن يوسف باحراقها لتوهمه اشتمالها على الفلسفة وتوعد بالقتل من وجدت عنده بعد ذلك فظهر بسبب أمره فى مملكته مناكير ووثب عليه الجند ولم يزل من وقت الأمر والتوعد فى عكس ونكد بعد أن كان عادلا .

[خاتمة فى الاشارة إلى ترجمة المصنف رضى الله عنه وعنا به ونفعنا بعلومه وأسراره وسبب رجوعه إلى طريقة الصوفية رضى الله عنهم]

أما ترجمته رضى الله عنه فهو الإمام زين الدين حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد ابن محمد الغزالى الطوسى النيسابورى الفقيه الصوفى الشافعى الأشعرى الذى انتشر فضله فى الآفاق وفاق ورزق الحظ الأوفر فى حسن التصانيف وجودتها والنصيب الأكبر فى جزالة العبارة وسهولتها

لم يكن ذلك فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ولا فى زمن أبى بكر ولا عمر رضى الله عنهما حتى ظهرت الفتنة وظهر القصاص . وروى أن ابن عمر رضى الله عنهما خرج من المسجد فقال ما أخرجنى إلا القاص ولولاه لما خرجت وقال ضمرة قلت لسفيان الثورى نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر فقلت نهى الأمير القصاص أن يقصوا فقال وفق للصواب ودخل الأعمش جامع البصرة فرأى قاصا يقص ويقول حدثنا الأعمش فتوسط الحلقة وجعل ينتف شعر إبطه فقال القاص ياشيخ ألا تستحى فقال لم أنا فى سنة وأنت فى كذب أنا الأعمش وما حدثتك وقال أحمد أكثر الناس كذبا القصاص والسؤال ، وأخرج على رضى الله عنه القصاص من مسجد جامع البصرة فلما سمع كلام الحسن البصرى لم يخرجه إذ كان يتكلم فى علم الآخرة والتفكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله ونعمائه وتقصير العبد فى شكره ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها ونكث عهدها وخطر الآخرة وأهوالها فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذى روى الحث عليه فى حديث أبى ذر رضى الله عنه حيث قال « حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة فقيل يارسول الله ومن قراءة القرآن قال وهل تنفع قراءة القرآن إلا بالعلم (٢) » وقال عطاء رحمه الله مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو فقد اتخذ المزخرفون هذه الأحاديث حجة على تزكية أنفسهم ونقلوا اسم التذكير إلى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الذكر المحمود واشتغلوا بالقصص التى تتطرق إليها الاختلافات والزيادة والنقص وتخرج عن القصص الواردة فى القرآن وتزيد عليها فان من القصص ماينفع سماعه ومنها مايضر وإن كان صدقا ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار فمن هذا نهى عنه ولذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله ماأحوج الناس إلى قاص صادق فان كانت القصة من قصص الأنبياء عليهم السلام فيما يتعلق بأمور دينهم وكان القاص صادقا صحيح الرواية فلست أرى به بأسا ، فليحذر الكذب وحكايات أحوال تومىء إلى هفوات أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات متداركة بحسنات تعطى عليها فان العامى يعتصم بذلك فى مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذرا فيه ويحتج بأنه حكى كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الأكابر فكانا بصدد المعاصى فلاغرو إن عصيت الله تعالى فقد عصاه من هو أكبر منى ويفيده ذلك جراءة على الله تعالى من حيث لايدرى فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلا بأس به وعند ذلك يرجع إلى القصص المحمودة وإلى ما يشتمل عليه القرآن ويصح فى الكتب الصحيحة من الأخبار ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة فى الطاعات ويزعم أن قصده فيها دعوة الخلق إلى الحق فهذه من نزغات الشيطان فان فى الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ذكر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم غنية عن الاختراع فى الوعظ ، كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع . قال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه لابنه عمر وقد سمعه يسجع هذا الذى يبغضك إلى لاقضيت حاجتك أبدا حتى تتوب وقد كان جاءه فى حاجة ، وقد قال

(١) حديث لم تكن القصص فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ماجه من حديث عمر باسناد حسن (٢) حديث أبى ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة تقدم فى الباب الأول .

وحسن الاشارة وكشف المعضلات والتبحر فى أصناف العلوم فروعها وأصولها ورسوخ القدم فى منقولها ومعقولها والتحكم والاستيلاء على إجمالها وتفصيلها مع ما خصه الله به من الكرامة وحسن السيرة والاستقامة والزهد والعزوف عن زهرة الدنيا والاعراض عن الجهات الفانية واطراح الحشمة والتكلف قال الحافظ العلامة ابن عساكر والشيخ عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعى والفقيه جمال الدين عبد الرحيم الأسنوى رحمهم الله تعالى ولد الامام الغزالى بطوس سنة خمسين وأربعمائة وابتدأ بها فى صباه بطرف من الفقه ثم قدم نيسابور ولازم دروس إمام الحرمين وجد واجتهد حتى تخرج فى مدة قريبة وصار أنظر أهل زمانه وأوحد أقرانه وجلس للاقراء وإرشاد الطلبة فى أيام إمامه

صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة فى سجع من ثلاث كلمات « إياك والسجع يا ابن رواحة (١) » فكأن السجع المحذور المتكلف ما زاد على كلمتين ولذلك لما قال الرجل فى دية الجنين « كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أسجع كسجع الأعراب (٢) » وأما الأشعار فتكثيرها فى المواعظ مذموم قال الله تعالى ـ والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ـ وقال تعالى ـ وما علمناه الشعر وما ينبغى له ـ وأكثر ما اعتاده الوعاظ من الأشعار ما يتعلق بالتواصف فى العشق وجمال المعشوق وروح الوصال وألم الفراق والمجلس لا يحوى إلا أجلاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات إلى الصور المليحة فلا تحرك الأشعار من قلوبهم إلا ما هو مستكن فيها فتشتعل فيها نيران الشهوات فيزعقون ويتواجدون وأكثر ذلك أو كله يرجع إلى نوع فساد فلا ينبغى أن يستعمل من الشعر إلا ما فيه موعظة أو حكمة على سبيل استشهاد واستئناس . وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن من الشعر لحكمة (٣) » ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله تعالى ولم يكن معهم غيرهم فان أولئك لا يضر معهم الشعر الذى يشير ظاهره إلى الخلق فان المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولى على قلبه كما سيأتى تحقيق ذلك فى كتاب السماع ولذلك كان الجنيد رحمه الله يتكلم على بضعة عشر رجلا فان كثروا لم يتكلم وما تم أهل مجلسه قط عشرين وحضر جماعة باب دار ابن سالم فقيل له تكلم فقد حضر أصحابك ، فقال لا ما هؤلاء أصحابى إنما هم أصحاب المجلس إن أصحابى هم الخواص . وأما الشطح فنعنى به صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية . أحدهما الدعاوى الطويلة العريضة فى العشق مع الله تعالى والوصال المغنى عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهى قوم إلى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذى صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله أنا الحق . وبما حكى عن أبى يزيد البسطامى أنه قال سبحانى سبحانى وهذا فن من الكلام عظيم ضرره فى العوام حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم وأظهروا مثل هذه الدعاوى ، فان هذا الكلام يستلذه الطبع إذ فيه البطالة من الأعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والأحوال فلا تعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة من خرفة ومهما أنكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن أن يقولوا هذا إنكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس ، وهذا الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق ، فهذا ومثله مما قد استطار فى البلاد شرره وعظم فى العوام ضرره حتى من نطق بشىء منه فقتله أفضل فى دين الله من إحياء عشرة ، وأما أبو يزيد البسطامى رحمه الله فلا يصح عنه ما يحكى وإن سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله عز وجل فى كلام يردده فى نفسه كما لو سمع وهو يقول إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى فانه ما كان ينبغى أن يفهم منه ذلك إلا على سبيل الحكاية . الصنف الثانى من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل وذلك إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن

(١) حديث إياك والسجع يا ابن رواحة لم أجده هكذا ولأحمد وأبى يعلى وابن السنى وأبى نعيم فى كتاب الرياضة من حديث عائشة باسناد صحيح أنها قالت للسائب إياك والسجع فان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا لا يسجعون ولابن حبان واجتنب السجع ، وفى البخارى نحوه من قول ابن عباس (٢) حديث أسجع كسجع الأعراب مسلم من حديث المغيرة (٣) حديث إن من الشعر لحكمة البخارى من حديث أبى بن كعب .

وصنف وكان الامام يتبجح به ويعتد بمكانه منه ثم خرج من نيسابور وحضر مجلس الوزير نظام الملك فأقبل عليه وحل منه محلا عظيما لعلو درجته وحسن مناظرته وكانت حضرة نظام الملك محطا لرحال العلماء ومقصد الأئمة والفضلاء ووقع للامام الغزالى فيها اتفاقات حسنة من مناظرة الفحول فظهر اسمه وطار صيته فرسم عليه نظام الملك بالمسير إلى بغداد للقيام بتدريس المدرسة النظامية فسار إليها وأعجب الكل تدريسه ومناظرته فصار إمام العراق بعد أن حاز إمامة خراسان وارتفعت درجته فى بغداد على الأمراء والوزراء والأكابر وأهل دار الخلافة ثم انقلب الأمر من جهة أخرى فترك بغداد وخرج عما كان فيه من الجاه والحشمة مشتغلا بأسباب التقوى وأخذ فى التصانيف المشهورة التى لم يسبق

خبط فى عقله وتشويش فى خياله لقلة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الأكثر وإما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعانى بالألفاظ الرشيقة ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام إلا أنه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الأذهان أو يحمل على أن يفهم منها معانى ما أريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه . وقد قال صلى الله عليه وسلم « ماحدث أحدكم قوما بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم[1] » وقال صلى الله عليه وسلم « كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتريدون أن يكذب الله ورسوله[2] » وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قائله فإن كان يفهمه القائل دون المستمع فلا يحل ذكره وقال عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء فى موضع الداء وفى لفظ آخر من وضع الحكمة فى غير أهلها فقد جهل ومن منعها أهلها فقد ظلم إن للحكمة حقا وإن لها أهلا فأعط كل ذى حق حقه وأما الطامات فيدخلها ماذكرناه فى الشطح وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة كدأب الباطنية فى التأويلات فهذا أيضا حرام وضرره عظيم فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فإن ما يسبق منه إلى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا أيضا من البدع الشائعة العظيمة الضرر وإنما قصد أصحابها الأغراب لأن النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكيناه من مذاهبهم فى كتاب المستظهرى المصنف فى الرد على الباطنية ومثال تأويل أهل الطامات قول بعضهم فى تأويل قوله تعالى ـ اذهب إلى فرعون إنه طغى ـ أنه إشارة إلى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغى على كل إنسان وفى قوله تعالى ـ وأن ألق عصاك ـ أى كل ما يتوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله عز وجل فينبغى أن يلقيه وفى قوله صلى الله عليه وسلم « تسحروا فإن فى السحور بركة[3] » أراد به الاستغفار فى الأسحار وأمثال ذلك حتى يحرفون القرآن من أوله إلى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعا كتنزيل فرعون على القلب فإن فرعون شخص محسوس تواتر إلينا النقل بوجوده ودعوة موسى له كأبى جهل وأبى لهب وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة مما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل إلى ألفاظه وكذا حمل السحور على الاستغفار فإنه كان صلى الله عليه وسلم يتناول الطعام ويقول : « تسحروا[4] وهلموا إلى الغذاء المبارك[5] » فهذه أمور تدرك

(١) حديث ماحدث أحدكم قوما بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم العقيلى فى الضعفاء وابن السنى وأبو نعيم فى الرياء من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ولمسلم فى مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود (٢) حديث كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون الحديث البخارى موقوفا على على ورفعه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبى نعيم (٣) حديث تسحروا فإن فى السحور بركة متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث تناول الطعام فى السحور رواه البخارى من حديث أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم وزيد بن ثابت تسحرا (٥) حديث هلموا إلى الغذاء المبارك أبو داود والنسائى وابن حبان من حديث العرباض بن سارية وضعفه ابن القطان .

إليها مثل إحياء علوم الدين وغيره التى من تأملها عرف محل مصنفها من العلم قيل إن تصانيفه وزعت على أيام عمره فأصاب كل يوم كراس ثم صار إلى القدس مقبلا على مجاهدة النفس وتبديل الأخلاق وتحسين الشمائل حتى مرن على ذلك ثم عاد إلى وطنه طوس لازما بيته مقبلا على العبادة ونصح العباد وإرشادهم ودعائهم إلى الله تعالى والاستعداد للدار الآخرة مرشد الضالين ويفيد الطالبين دون أن يرجع إلى ما انخلع عنه من الجاه والمباهاة وكان معظم تدريسه فى التفسير والحديث والتصوف حتى انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الأولى سنة خمس وخمسمائة خصه الله تعالى بأنواع الكرامة فى أخراه كما خصه بها فى دنياه قيل وكانت مدة القطبية للغزالى ثلاثة أيام على ما حكى فى كرامات

بالتواتر والحس بطلانها نقلا وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك فى أمور لا يتعلق بها الاحساس فكل ذلك حرام وضلالة وإفساد للدين على الخلق ولم ينقل شىء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصرى مع إكبابه على دعوة الخلق ووعظهم فلا يظهر لقوله صلى الله عليه وسلم « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار[1] » معنى إلا هذا النمط وهو أن يكون غرضه ورأيه تقرير أمر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن إليه ويحمله عليه من غير أن يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية أو نقلية ولا ينبغى أن يفهم منه أنه يجب أن لا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر فان من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ويعلم أن جميعها غير مسموع من النبى صلى الله عليه وسلم فانها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنه « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل[2] » ومن يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مرادة بالألفاظ ويزعم أنه يقصد بها دعوة الخلق إلى الخالق يضاهى من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو فى نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع كمن يضع فى كل مسئلة يراها حقا حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم فذلك ظلم وضلال ودخول فى الوعيد المفهوم من قوله صلى الله عليه وسلم « من كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار[3] » بل الشر فى تأويل هذه الألفاظ أطمّ وأعظم لأنها مبطلة للثقة بالألفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعى الخلق عن العلوم المحمودة إلى المذمومة فكل ذلك من تلبيس علماء السوء بتبديل الأسامى فان اتبعت هؤلاء اعتمادا على الاسم المشهور من غير التفات إلى ما عرف فى العصر الأول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيما فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم فى هذا العصر وذلك بالغفلة عن تبديل الألفاظ . اللفظ الخامس : وهو الحكمة فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذى يدحرج القرعة على أكف السوادية فى شوارع الطرق والحكمة هى التى أثنى الله عز وجل عليها فقال تعالى ـ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ـ وقال صلى الله عليه وسلم « كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها[4] » فانظر ما الذى كانت الحكمة عبارة عنه وإلى ماذا نقل وقس به بقية الألفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء فان شرهم على الدين أعظم من شر الشياطين إذ الشيطان بواسطتهم يتدرّج إلى انتزاع الدين من قلوب الخلق ولهذا « لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق أبى وقال اللهم اغفر حتى كرروا عليه فقال هم علماء السوء[5] » فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس

(١) حديث من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار الترمذى من حديث ابن عباس وحسنه وهو عند أبى داود من رواية ابن العبد وعند النسائى فى الكبرى (٢) حديث اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل قاله لابن عباس البخارى من حديث ابن عباس دون قوله وعلمه التأويل وهو بهذه الزيادة عند أحمد وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد (٣) حديث من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار متفق عليه من حديث أبى هريرة وعلى وأنس (٤) حديث كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا. تقدم بنحوه (٥) حديث لما سئل عن شر الخلق أبى وقال اللهم اغفر الحديث الدارمى بنحوه من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا وهو ضعيف ورواه البزار فى مسنده من حديث معاذ بسند ضعيف .

الشيخ السيد العمودى نفع الله به وذكر الشيخ عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعى رحمه الله تعالى باسناده الثابت إلى الشيخ الكبير القطب الربانى شهاب الدين أحمد الصياد اليمنى الزبيدى وكان معاصرا للغزالى نفع الله بهما قال بينما أنا ذات يوم قاعد إذ نظرت إلى أبواب السماء مفتحة وإذا عصبة من الملائكة الكرام قد نزلوا ومعهم خلع خضر ومركوب نفيس فوقفوا على قبر من القبور وأخرجوا صاحبه وألبسوه الخلع وأركبوه وصعدوا به من سماء إلى سماء إلى أن جاوز السموات السبع وخرق بعدها ستين حجابا ولا أعلم أين بلغ انتهاؤه فسألت عنه فقيل لى هذا الإمام الغزالى وكان ذلك عقيب موته رحمه الله تعالى ورأى فى النوم السيد الجليل أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه النبى صلى الله عليه وسلم وقد

وإليك الخيرة فى أن تنظر لنفسك فتقتدى بالسلف أو تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف ، فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما أكبّ الناس عليه فأكثره مبتدع ومحدث وقد صح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « بدا الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء ، فقيل ومن الغرباء ؟ قال الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتى والذين يحيون ما أماتوه من سنتى (١) » وفى خبر آخر « هم المتمسكون بما أنتم عليه اليوم (٢) » وفى حديث آخر « الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم فى الخلق أكثر ممن يحبهم (٣) » وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ، ولذلك قال الثورى رحمه الله إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه مخلط لأنه إن نطق بالحق أبغضوه .

(بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة)

اعلم أن العلم بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام قسم هو مذموم قليله وكثيره وقسم هو محمود قليله وكثيره وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه ، وهو مثل أحوال البدن فان منها ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ، ومنها ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ، ومنها ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فان التبذير لا يحمد فيه وهو بذل وكالشجاعة فان التهور لا يحمد فيها وإن كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم . فالقسم المذموم منه قليله وكثيره هو ما لا فائدة فيه فى دين ولا دنيا إذ فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم فبعضه لا فائدة فيه أصلا وصرف العمر الذى هو أنفس ما يمسكه الانسان إليه وإضاعة النفيس مذمومة ومنه ما فيه ضرر يزيد على ما يظن أنه يحصل به من قضاء وطر فى الدنيا فان ذلك لا يعتدّ به بالاضافة إلى الضرر الحاصل عنه . وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسنته فى خلقه وحكمته فى ترتيب الآخرة على الدنيا ، فان هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به إلى سعادة الآخرة وبذل المقدور فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب فانه البحر الذى لا يدرك غوره وإنما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض أطرافه إلا الأنبياء والأولياء والراسخون فى العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله تعالى فى حقهم وهذا هو العلم المكنون الذى لا يسطر فى الكتب ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة أحوال علماء الآخرة كما سيأتى علامتهم هذا فى أول الأمر ويعين عليه فى الآخرة المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا والتشبه فيها بالأنبياء والأولياء ليتضح منه لكل ساع إلى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها . وأما العلوم التى لا يحمد منها إلا مقدار مخصوص فهى العلوم التى أوردناها فى فروض الكفايات فان فى كل علم منها اقتصارا وهو الأقل واقتصادا وهو الوسط واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لا مرد له إلى آخر العمر فكن أحد رجلين إما مشغولا بنفسك وإما متفرغا لغيرك بعد الفراغ من نفسك وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك ، فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذى هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وإنما الأهم الذى أهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم إذ لا ينفك

(١) حديث بدا الاسلام غريبا الحديث مسلم من حديث أبى هريرة مختصرا وهو بتمامه عند الترمذى من حديث عمرو بن عوف وحسنه (٢) حديث هم المتمسكون بما أنتم عليه اليوم يقوله فى وصف الغرباء لم أر له أصلا (٣) حديث الغرباء ناس قليلون صالحون أحمد من حديث عبد الله بن عمرو .

باهى موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام بالامام الغزالى وقال أفى أمتكما حبر كهذا قالا لا وكان الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه يقول لأصحابه من كانت له منكم إلى الله حاجة فليتوسل بالغزالى وقال جماعة من العلماء رضى الله عنهم منهم الشيخ الامام الحافظ ابن عساكر فى الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى أن الله تعالى يحدث لهذه الأمة من يجدد لها دينها على رأس كل مائة سنة أنه كان على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وعلى رأس المائة الثانية الامام الشافعى رضى الله عنه وعلى رأس المائة الثالثة الامام أبو الحسن الأشعرى رضى الله عنه وعلى رأس المائة الرابعة أبو بكر الباقلانى رضى الله عنه وعلى رأس المائة الخامسة أبو حامد الغزالى رضى الله عنه

بشر عن الصفات المذمومة مثل الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها وجميع ذلك مهلكات وإهمالها من الواجبات مع أن الاشتغال بالأعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذي بالجرب والدماميل والتهاون باخراج المادة بالفصد والاسهال. وحشوية العلماء يشيرون بالأعمال الظاهرة كما يشير الطرقية من الأطباء بطلاء ظاهر البدن وعلماء الآخرة لا يشيرون إلا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بافساد منابتها وقلع مغارسها من القلب وإنما فزع الأكثرون إلى الأعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة أعمال الجوارح واستصعاب أعمال القلوب كما يفزع إلى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الأدوية المرة فلا يزال يتعب في الطلاء ويزيد في المواد وتتضاعف به الأمراض فان كنت مريدا للآخرة وطالبا للنجاة وهاربا من الهلاك الأبدي فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه في ربع المهلكات ثم ينجر بك ذلك إلى المقامات المحمودة المذكورة في ربع المنجيات لا محالة فان القلب إذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود والأرض إذا نقيت من الحشيش نبت فيها أصناف الزرع والرياحين وإن لم تفرغ من ذلك لم تنبت ذاك فلا تشتغل بفروض الكفاية لاسيما وفي زمرة الخلق من قد قام بها فان مهلك نفسه فيما به صلاح غيره سفيه فما أشد حماقة من دخلت الأفاعي والعقارب تحت ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب إذا همت به وإن تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الاثم وباطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك وما أبعد ذلك منك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدريج فيها فابتدئ بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والفصول والوصول والمحكم والمتشابه وكذلك في السنة ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم بأصول الفقه وهكذا إلى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طلبا للاستقصاء فان العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي أن ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه فاقتصر من شائع علم اللغة على ما تفهم منه كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فما من علم إلا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء ونحن نشير إليها في الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها فالاقتصار في التفسير ما يبلغ ضعف القرآن في المقدار كما صنفه علي الواحدي النيسابوري وهو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة أضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط فيه وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه فلا مرد له إلى انتهاء العمر وأما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما في الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث، وأما حفظ أسامي الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ولك أن تعول على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله تحصيلا تقدر منه على طلب ما تحتاج إليه عند الحاجة وأما الاقتصاد فيه فأن تضيف إليهما ما خرج عنهما مما ورد في المسندات الصحيحة وأما الاستقصاء فما وراء ذلك إلى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوي والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة أحوال الرجال وأسمائهم وأوصافهم وأما الفقه فالاقتصار فيه على ما يحويه مختصر المزني رحمه الله وهو الذي رتبناه في خلاصة المختصر والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلاثة أمثاله وهو القدر الذي أوردناه في الوسيط من المذهب والاستقصاء ما أوردناه في البسيط إلى ما وراء ذلك من المطولات وأما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التي نقلها أهل السنة من السلف الصالح لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف

روى ذلك عن الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه في الامامين الأولين أعني عمر بن عبد العزيز والشافعي ومناقبه رضي الله عنه أكثر من أن تحصر وفيما أوردناه مقنع وبلاغ. ومن مشهورات مصنفاته البسيط والوسيط والوجيز والخلاصة في الفقه وإحياء علوم الدين وهو من أنفس الكتب وأجلها وله في أصول الفقه المستصفى والمنخول والمنتحل في علم الجدل وتهافت الفلاسفة ومحك النظر ومعيار العلم والمقاصد والمضنون به على غير أهله ومشكاة الأنوار والمنقذ من الضلال وحقيقة القولين وكتاب ياقوت التأويل في تفسير التنزيل أربعين مجلدا وكتاب أسرار علم الدين وكتاب منهاج العابدين والدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة وكتاب الأنيس في الوحدة وكتاب القربة إلى الله عز وجل

حقائق الأمور من غير طريقها ومقصود حفظ السنة تحصيل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر وهو القدر الذى أوردناه فى كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب والاقتصاد فيه مايبلغ قدر مائة ورقة وهو الذى أوردناه فى كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد ويحتاج إليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامى وذلك لا ينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم وأما المبتدع بعد أن يعلم من الجدل ولوشيئا يسيرا فقلما ينفع معه الكلام فانك إن أفحمته لم يترك مذهبه وأحال بالقصور على نفسه وقدر أن عند غيره جوابا وهو عاجز عنه وإنما أنت ملبس عليه بقوة المجادلة وأما العامى إذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن أن يرد إليه بمثله قبل أن يشتد التعصب للأهواء فاذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم إذ التعصب سبب يرسخ العقائد فى النفوس وهو من آفات العلماء السوء فانهم يبالغون فى التعصب للحق وينظرون إلى المخالفين بعين ازدراء والاستحقار فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ويقوى غرضهم فى التمسك بما نسبوا إليه ولوجاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح فى الخلوة لا فى معرض التعصب والتحقير لأنجحوا فيه ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع ولا يستميل الأتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة فى النفوس . وأما الخلافيات التى أحدثت فى هذه الأعصار المتأخرة وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات مالم يعهد مثلها فى السلف فاياك وأن تحوم حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل فانها الداء العضال وهو الذى رد الفقهاء كلهم إلى طلب المنافسة والمباهاة على ما سيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتها وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال الناس أعداء ماجهلوا فلا تظن ذلك فعلى الخبير سقطت فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زمانا وزاد فيه على الأولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه فلا يغرنك قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا يعرف علله إلا بعلم الخلاف فان علل المذهب مذكورة فى المذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الأولون ولا الصحابة وكانوا أعلم بعلل الفتاوى من غيرهم بل هى مع أنها غير مفيدة فى علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه فان الذى يشهد له حدس المفتى إذا صح ذوقه فى الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل فى أكثر الأمر فمن ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الاذعان لذوق الفقه وإنما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بأنه يطلب علل المذهب وقد ينقضى عليه العمر ولا تنصرف همته إلى علم المذهب فكن من شياطين الجن فى أمان واحترز من شياطين الانس فانهم أراحوا شياطين الجن من التعب فى الاغواء والاضلال وبالجملة فالمرضى عند العقلاء أن تقدر نفسك فى العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار وتأمل فيما يعنيك مما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء فى المنام فقال له ما خبر تلك العلوم التى كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يده ونفخ فيها ، وقال طاحت كلها هباء منثورا وما انتفعت إلا بركعتين خلصتا لى فى جوف الليل وفى الحديث « ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل[1] » ثم قرأ ـ ماضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون ـ وفى الحديث فى معنى قوله تعالى ـ فأما الذين فى قلوبهم زيغ ـ الآية « هم أهل الجدل الذين عناهم

(١) حديث ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل الترمذى وابن ماجه من حديث أبى أمامة قال الترمذى حسن صحيح .

وكتاب أخلاق الأبرار والنجاة من الأشرار وكتاب بداية الهداية وكتاب جواهر القرآن والأربعين فى أصول الدين وكتاب المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى وكتاب ميزان العمل وكتاب القسطاس المستقيم وكتاب التفرقة بين الاسلام والزندقة وكتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة وكتاب المبادى والغايات وكتاب كيمياء السعادة وكتاب تلبيس إبليس وكتاب نصيحة الملوك وكتاب الاقتصاد فى الاعتقاد وكتاب شفاء العليل فى القياس والتعليل وكتاب المقاصد وكتاب إلجام العوام عن علم الكلام وكتاب الانتصار وكتاب الرسالة اللدنية وكتاب الرسالة القدسية وكتاب إثبات النظر وكتاب المأخذ وكتاب القول الجميل فى الرد على من غير الانجيل وكتاب المستظهرى وكتاب الأمالى وكتاب فى علم أعداد الوفق وحدوده

الله بقوله تعالى فاحذرهم[1] » وقال بعض السلف يكون فى آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل ويفتح لهم باب الجدل وفى بعض الأخبار « إنكم فى زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتى قوم يلهمون الجدل[2] » وفى الخبر المشهور « أبغض الخلق إلى الله تعالى الألد الخصم[3] » وفى الخبر « ما أوتى قوم المنطق إلا منعوا العمل[4] » والله أعلم .

(الباب الرابع فى سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط إباحتها)

اعلم أن الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاها الخلفاء الراشدون المهديون وكانوا أئمة علماء بالله تعالى فقهاء فى أحكامه وكانوا مستقلين بالفتاوى فى الأقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء إلا نادرا فى وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا وأقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء وإلى استصحابهم فى جميع أحوالهم لاستفتائهم فى مجارى أحكامهم وكان قد بقى من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا إذا طلبوا هربوا وأعرضوا فاضطر الخلفاء إلى الإلحاح فى طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى أهل تلك الأعصار عز العلماء وإقبال الأئمة والولاة عليهم مع إعراضهم عنهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلا إلى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولاة وتعرفوا إليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من أنجح والمنجح لم يخل من ذل الطلب ومهانة الابتذال فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين وبعد أن كانوا أعزة بالاعراض عن السلاطين أذلة بالاقبال عليهم إلا من وفقه الله تعالى فى كل عصر من علماء دين الله وقد كان أكثر الاقبال فى تلك الأعصار على علم الفتاوى والأقضية لشدة الحاجة إليها فى الولايات والحكومات . ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من يسمع مقالات الناس فى قواعد العقائد ومالت نفسه إلى سماع الحجج فيها فعلمت رغبته إلى المناظرة والمجادلة فى الكلام فأكب الناس على علم الكلام وأكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات فى المقالات وزعموا أن غرضهم الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم أن غرضهم بالاشتغال بالفتاوى الدين وتقلد أحكام المسلمين إشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم . ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض فى الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية المفضية إلى إهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه إلى المناظرة فى الفقه وبيان الأولى من مذهب الشافعى وأبى حنيفة رضى الله عنهما على الخصوص فترك الناس الكلام وفنون العلم واشتغلوا على المسائل الخلافية بين الشافعى وأبى حنيفة على الخصوص وتساهلوا فى الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد أصول الفتاوى وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات

(١) حديث هم أهل الجدل الذين عنى الله بقوله فاحذرهم متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث إنكم فى زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتى قوم يلهمون الجدل لم أجده (٣) حديث أبغض الخلق إلى الله الألد الخصم متفق عليه من حديث عائشة، (٤) حديث ما أوتى قوم المنطق إلا منعوا العمل لم أجد له أصلا .

وكتاب مقصد الخلاف وجزء فى الرد على المنكرين فى بعض ألفاظ إحياء علوم الدين وكتبه كثيرة وكلها نافعة . وقال يمدحه تلميذه الشيخ الإمام أبو العباس الأقليشى المحدث الصوفى صاحب كتاب النجم والكواكب :

أيا حامد أنت الخصص بالمجد
وأنت الذى علمتنا سنن الرشد
وضعت لنا الإحياء تحيى نفوسنا
وتنقذنا من طاعة النازغ المردى
فربع عبادات وعاداته التى
يعاقبها كالدر نظم فى العقد
وثالثها فى المهلكات وأنه
لمنج من الهلك المبرح والبعد
ورابعها فى المنجيات وأنه
ليسرح بالأرواح فى جنة الخلد
ومنها ابتهاج للجوارح ظاهر
ومنها صلاح للقلوب من الحقد

ورتبوا فيها أنواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون عليه إلى الآن ولسنا ندرى ما الذى يحدث الله فيما بعدنا من الأعصار فهذا هو الباعث على الإكباب على الخلافيات والمناظرات لاغير ولو مالت نفوس أرباب الدنيا إلى الخلاف مع إمام آخر من الأئمة أو إلى علم آخر من العلوم لمالوا أيضا معهم ولم يسكتوا عن التعلل بأن ما اشتغلوا به هو علم الدين وأن لا مطلب لهم سوى التقرب إلى رب العالمين .

(بيان التلبيس فى تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف)

اعلم أن هؤلاء قد يستدرجون الناس إلى ذلك بأن غرضنا من المناظرات المباحثة عن الحق ليتضح فان الحق مطلوب والتعاون على النظر فى العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر هكذا كان عادة الصحابة رضى الله عنهم فى مشاوراتهم كتشاورهم فى مسئلة الجد والاخوة وحد شرب الخمر ووجوب الغرم على الإمام إذا أخطأ كما نقل من إجهاض المرأة جنينها خوفا من عمر رضى الله عنه وكما نقل من مسائل الفرائض وغيرها وما نقل عن الشافعى وأحمد ومحمد بن الحسن ومالك وأبى يوسف وغيرهم من العلماء رحمهم الله تعالى ويطلعك على هذا التلبيس ما أذكره وهو أن التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات ثمان : الأول أن لا يشتغل بما هو من فروض الكفايات من لم يتفرغ من فروض الأعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم أن مقصده الحق فهو كذاب ومثاله من يترك الصلاة فى نفسه ويتجرد فى تحصيل الثياب ونسجها ويقول غرضى أستر عورة من يصلى عريانا ولا يجد ثوبا فان ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه أن وقوع النوادر التى عنها البحث فى الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرة مهملون لأمور هى فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه رد وديعة فى الحال فقام وأحرم بالصلاة التى هى أقرب القربات إلى الله تعالى عصى به فلا يكفى فى كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشروط والترتيب . الثانى أن لا يرى فرض كفاية أهم من المناظرة فان رأى ما هو أهم وفعل غيره عصى بفعله وكان مثاله مثال من يرى جماعة من العطاش أشرفوا على الهلاك وقد أهملهم الناس وهو قادر على إحيائهم بأن يسقيهم الماء فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم أنه من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها لهلك الناس وإذا قيل له فى البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول هذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطاش من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفى البلد فروض كفايات مهملة لا قائم بها . فأما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بلد من جملة الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء إليها وأقربها الطب إذ لا يوجد فى أكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول فيه على قول الطبيب شرعا ولا يرغب أحد من الفقهاء فى الاشتغال به وكذا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهو من فروض الكفايات وربما يكون المناظر فى مجلس مناظرته مشاهدا للحرير ملبوسا ومفروشا وهو ساكت ويناظر فى مسئلة لا يتفق وقوعها قط وإن وقعت قام بها جماعة من الفقهاء . ثم يزعم أنه يريد أن يتقرب إلى الله تعالى بفروض الكفايات وقد روى أنس رضى الله عنه أنه « قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقال عليه السلام إذا ظهرت المداهنة فى خياركم والفاحشة فى شراركم وتحول الملك فى صغاركم والفقه فى أراذلكم (١) »

الثالث أن يكون المناظر مجتهدا يفتى برأيه لا بمذهب الشافعى وأبى حنيفة وغيرهما حتى إذا ظهر له الحق

(الباب الرابع)

(١) حديث أنس قيل يارسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الحديث ابن ماجه باسناد حسن

وأما سبب رجوعه إلى هذه الطريقة واستحسانه لها فذكر رحمه الله فى كتابه المنقذ من الضلال ما صورته أما بعد فقد سألتنى أيها الأخ فى الدين أن أبث لك غاية العلوم وأسرارها وغاية المذاهب وأغوارها وأحكى لك ما قاسيته فى استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق مع تباين المسالك والطرق وما استجرأت عليه من الارتفاع من حضيض التقليد إلى يفاع الاستبصار وما استفدته أولا من علم الكلام وما احتويته من طرق أهل التعليم القاصرين لدرك الحق على تعليم الامام وما ازدريته ثالثا من طرق أهل التفلسف وما ارتضيته آخرا من طرق أهل التصوف وما تنحل لى فى تضاعيف تفتيشى عن أقاويل أهل الحق وما صرفنى عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة وما دعانى إلى معاودته بنيسابور بعد طول

من مذهب أبي حنيفة ترك ما يوافق رأى الشافعي وأفتى بما ظهر له كما كان يفعله الصحابة رضى الله عنهم والأئمة فأما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم كل أهل العصر وإنما يفتى فيما يسئل عنه ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجز له أن يتركه فأى فائدة له فى المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره وما يشكل عليه يلزمه أن يقول لعل عند صاحب مذهبى جوابا عن هذا فانى لست مستقلا بالاجتهاد فى أصل الشرع ولو كانت مباحثته عن المسائل التى فيها وجهان أو قولان أصحابه لكان أشبه به فانه ربما يفتى بأحدهما فيستفيد من البحث ميلا إلى أحد الجنبين ولا يرى المناظرات جارية فيها قط بل ربما ترك المسئلة التى فيها وجهان أو قولان وطلب مسئلة يكون الخلاف فيها مبتوتا . الرابع أن لا يناظر إلا فى مسئلة واقعة أو قريبة الوقوع غالبا فان الصحابة رضى الله عنهم ما تشاوروا إلا فيما تجدد من الوقائع أو ما يغلب وقوعه كالفرائض ولا نرى المناظرين يهتمون بانتقاد المسائل التى تعم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التى تسمح فيتسع مجال الجدل فيها كيفما كان الأمر وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسئلة خبرية أو هى من الزوايا وليست من الطبوليات فمن العجائب أن يكون المطلب هو الحق ثم يتركون المسئلة لأنها خبرية ومدرك الحق فيها هو الاخبار أو لأنها ليست من الطبول فلا نطوّل فيها الكلام . والمقصود فى الحق أن يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا أن يطول . الخامس أن تكون المناظرة فى الخلوة أحب إليه وأهم من المحافل وبين أظهر الأكابر والسلاطين فان الخلوة أجمع للفهم وأحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق وفى حضور الجمع ما يحرك دواعى الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا أو مبطلا وأنت تعلم أن حرصهم على المحافل والمجامع ليس لله وأن الواحد منهم يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب وإذا ظهر مقدم أو انتظم مجمع لم يغادر فى قوس الاحتيال منزعا حتى يكون هو المتخصص بالكلام . السادس أن يكون فى طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه ويرى رفيقه معينا لا خصما ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق كما لو أخذ طريقا فى طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته فى طريق آخر فانه كان يشكره ولا يذمه ويكرمه ويفرح به فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضى الله عنهم حتى إن امرأة ردت على عمر رضى الله عنه ونبهته على الحق وهو فى خطبته على ملأ من الناس فقال أصابت امرأة وأخطأ رجل . وسأل رجل عليا رضى الله عنه فأجابه فقال ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال أصبت وأخطأت وفوق كل ذى علم عليم . واستدرك ابن مسعود على أبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما فقال أبو موسى لا تسألونى عن شئ وهذا الحبر بين أظهركم وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل فى سبيل الله فقتل فقال هو فى الجنة وكان أمير الكوفة فقام ابن مسعود فقال أعده على الأمير فلعله لم يفهم فأعادوا عليه فأعاد الجواب فقال ابن مسعود وأنا أقول إن قتل فأصاب الحق فهو فى الجنة فقال أبو موسى الحق ما قال وهكذا يكون إنصاف طالب الحق ولو ذكر مثل هذا الآن لأقل فقيه لأنكره واستبعده وقال لا يحتاج إلى أن يقال أصاب الحق فان ذلك معلوم لكل أحد فانظر إلى مناظرى زمانك اليوم كيف يسودّ وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد فى مجاحدته بأقصى قدرته وكيف يذم من أفحمه طول عمره ثم لا يستحيى من تشبيه نفسه بالصحابة رضى الله عنهم فى تعاونهم على النظر فى الحق . السابع أن لا يمنع معينه فى النظر من الانتقال من دليل إلى دليل ومن إشكال إلى إشكال فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل المبتدعة فيما له وعليه كقوله هذا لا يلزمنى ذكره وهذا يناقض كلامك الأول فلا يقبل منك فان الرجوع إلى الحق مناقض للباطل ويجب قبوله وأنت

المدة فابتدرت لاجابتك إلى طلبتك بعد الوقوف على صدق رغبتك فقلت مستعينا بالله تعالى ومتوكلا عليه ومستوفقا منه وملتجئا إليه اعلموا أحسن الله ارشادكم وألان إلى قبول الحق انقيادكم أن اختلاف الخلق فى الأديان والملل ثم اختلاف الأئمة فى المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطرق بحر عميق غرق فيه الأكثرون وما نجا منه الا الأقلون وكل فريق يزعم أنه الناجى كلّ حزب بما لديهم فرحون ولم أزل فى عنفوان شبابى مذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى أن أناف السن على الخمسين أقتحم لجة البحر العميق وأخوض غمرته خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور وأتوغل فى كل مظلمة وأهجم على كل مشكلة وأتقحم كل ورطة وأتفحص عن عقيدة كل فرقة وأتكشف أسرار

ترى أن جميع المجالس تنقضى فى المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل على أصل بعلة يظنها فيقال له ما الدليل على أن الحكم فى الأصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ماظهر لى فان ظهر لك ماهو أوضح منه وأولى فاذكره حتى أنظر فيه فيصر المعترض ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفتها ولا أذكرها إذ لا يلزمنى ذكرها ويقول المستدل عليك إيراد ماتدعيه وراء هذا ويصر المعترض على أنه لايلزمه ويتوخى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وأمثاله ولايعرف هذا المسكين أن قوله إنى أعرفه ولا أذكره إذ لايلزمنى كذب على الشرع فانه إن كان لايعرف معناه وإنما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصى الله تعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها وإن كان صادقا فقد فسق باخفائه ماعرفه من أمر الشرع وقد سأله أخوه المسلم ليفهمه وينظر فيه فان كان قويا رجع إليه وإن كان ضعيفا أظهر له ضعفه وأخرجه عن ظلمة الجهل إلى نور العلم ولاخلاف أن إظهار ماعلم من علوم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم فمعنى قوله لايلزمنى أى فى شرع الجدل الذى أبدعناه بحكم التشهى والرغبة فى طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لايلزمنى وإلا فهو لازم بالشرع فانه بامتناعه عن الذكر إما كاذب وإما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رضى الله عنهم هل سمعت فيها مايضاهى هذا الجنس وهل منع أحد من الانتقال من دليل إلى دليل ومن قياس إلى أثر ومن خبر إلى آية بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس إذ كانوا يذكرون كل مايخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه . الثامن أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم والغالب أنهم يحترزون من مناظرة الفحول والأكابر خوفا من ظهور الحق على ألسنتهم فيرغبون فيمن دونهم طمعا فى ترويج الباطل عليهم ووراء هذه شروط دقيقة كثيرة ولكن فى هذه الشروط الثمانية مايهديك إلى من يناظر لله ومن يناظر لعلة . واعلم بالجملة أن من لايناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو أعدى عدو له ولا يزال يدعوه إلى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره فى المسائل التى المجتهد فيها مصيب أو مساهم للمصيب فى الأجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين ولذلك شمت الشيطان به لما غمسه فيه من ظلمات الآفات التى نعددها ونذكر تفاصيلها فنسأل الله حسن العون والتوفيق .

(بيان آفات المناظرة ومايتولد منها من مهلكات الأخلاق)

اعلم وتحقق أن المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والافحام وإظهار الفضل والشرف والتشدق عند الناس وقصد المباهاة والمماراة واستمالة وجوه الناس هى منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله المحمودة عند عدو الله إبليس ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة وكما أن الذى خير بين الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه فدعاه ذلك إلى ارتكاب بقية الفواحش فى سكره فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة فى المناظرة وطلب الجاه والمباهاة دعاه ذلك إلى إضمار الخبائث كلها فى النفس وهيج فيه جميع الأخلاق المذمومة وهذه الأخلاق ستأتى أدلة مذمتها من الأخبار والآيات فى ربع المهلكات ولكنا نشير الآن إلى مجامع ماتهيجه المناظرة فمنها الحسد . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب[1] » ولاينفك المناظر عن الحسد فانه تارة يغلب وتارة يغلب وتارة يحمد كلامه وأخرى يحمد كلام غيره فمادام يبقى فى الدنيا واحد يذكر بقوة العلم والنظر أو يظن أنه أحسن منه كلاما

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أبو داود من حديث أبى هريرة وقال البخارى لا يصح وهو عند ابن ماجه من حديث أنس باسناد ضعيف وفى تاريخ بغداد باسناد حسن.

مذاهب كل طائفة لأميز بين كل محق ومبطل ومستن ومبتدع لاأغادر باطنيا إلا وأحب أن أطلع على باطنيته ولاظاهريا إلا وأريد أن أعلم حاصل ظاهريته ولا فلسفيا إلا وأقصد الوقوف على فلسفته ولا متكلما إلا وأجتهد فى الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ولا صوفيا إلا وأحرص على العثور على سر صوفيته ولا متعبدا إلا وأريد ما يرجع إليه حاصل عبادته ولا زنديقا معطلا إلا وأتجسس وراءه للتنبه لأسباب جراءته فى تعطيله وزندقته وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبى وديدنى من أول أمرى وريعان عمرى غريزة من الله وفطرة وضعها الله فى جبلتى لاباختيارى وحيلتى حتى انحلت عنى رابطة التقليد وانكسرت عنى العقائد المروية على قرب عهد منى بالصبا إذ رأيت صبيان

وأقوى نظرا فلا بد أن يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف القلوب والوجوه عنه إليه والحسد نار محرقة فمن بلى به فهو فى العذاب فى الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأعظم ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض فانهم يتغايرون كما تتغاير التيوس فى الزريبة ومنها التكبر والترفع على الناس فقد قال صلى الله عليه وسلم « من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله[1] » وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى « العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما قصمته[2] » ولا ينفك المناظر عن التكبر على الأقران والأمثال والترفع إلى فوق قدره حتى إنهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه فى الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدر والبعد منها والتقدم فى الدخول عند مضايق الطرق وربما يتعلل الغبى والمكار الخداع منهم بأنه يبغى صيانة عز العلم « وأن المؤمن منهى عن الاذلال لنفسه[3] » فيعبر عن التواضع الذى أثنى الله عليه وسائر أنبيائه بالذل وعن التكبر الممقوت عند الله بعز الدين تحريفا للاسم وإضلالا للخلق به كما فعل فى اسم الحكمة والعلم وغيرهما ومنها الحقد فلا يكاد المناظر يخلو عنه . وقد قال صلى الله عليه وسلم « المؤمن ليس بحقود[4] » وورد فى ذم الحقد مالا يخفى ولا ترى مناظرا يقدر على أن لا يضمر حقدا على من يحرك رأسه من كلام خصمه ويتوقف فى كلامه فلا يقابله بحسن الاصغاء بل يضطر إذا شاهد ذلك إلى إضمار الحقد وتربيته فى نفسه وغاية تماسكه الاخفاء بالنفاق ويترشح منه إلى الظاهر لامحالة فى غالب الأمر وكيف ينفك عن هذا ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع أحواله فى إيراده وإصداره بل لو صدر من خصمه أدنى سبب فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس فى صدره حقد لا يقلعه مدى الدهر إلى آخر العمر . ومنها الغيبة وقد شبهها الله بأكل الميتة ولا يزال المناظر مثابرا على أكل الميتة فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغاية تحفظه أن يصدق فيما يحكيه عليه ولا يكذب فى الحكاية عنه فيحكى عنه لامحالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو الغيبة فأما الكذب فبهتان وكذلك لا يقدر على أن يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض من كلامه ويصغى إلى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه إلى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة . ومنها تزكية النفس . قال الله تعالى ـ فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ـ وقيل لحكيم ما الصدق القبيح ؟ فقال ثناء المرء على نفسه ولا يخلو المناظر من الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفضل على الأقران ولا ينفك فى أثناء المناظرة عن قوله لست ممن يخفى عليه أمثال هذه الأمور وأنا المتفنن فى العلوم والمستقل بالأصول وحفظ الأحاديث وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة إلى ترويج كلامه ومعلوم أن الصلف والتمدح مذمومان شرعا وعقلا . ومنها التجسس وتتبع عورات الناس وقد قال تعالى ـ ولا تجسسوا ـ والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه وتتبع عورات خصومه حتى إنه ليخبر بورود مناظر إلى بلده فيطلب من يخبر بواطن أحواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة لنفسه فى إفضاحه

(١) حديث من تكبر وضعه الله الحديث الخطيب من حديث عمر باسناد صحيح وقال غريب من حديث الثورى ولابن ماجه نحوه من حديث أبى سعيد بسند حسن (٢) حديث الكبرياء ردائى والعظمة إزارى الحديث أبو داود وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة وهو عند مسلم بلفظ الكبرياء رداؤه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد (٣) حديث نهى المؤمن عن إذلال نفسه الترمذى وصححه وابن ماجه من حديث حذيفة لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه (٤) حديث المؤمن ليس بحقود لم أقف له على أصل .

النصارى لا يكون لهم نشء إلا على التنصر وصبيان اليهود لا يكون لهم نشء إلا على التهود وصبيان الاسلام لا يكون لهم نشء إلا على الإسلام وسمعت الحديث المروى عن النبى صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » فتحرك باطنى إلى طلب الفطرة الأصلية وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والأستاذين والتمييز بين هذه التقليدات وأوائلها تلقينات وفى تمييز الحق منها من الباطل اختلافات فقلت فى نفسى أولا إنما مطلوبى العلم بحقائق الأمور ولا بد من طلب حقيقة العلم ما هى فظهر لى أن العلم اليقين هو الذى ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه إمكان الغلط كالوهم ولا يتسع العقل لتقدير ذلك بل الأمان من الخطأ ينبغى أن يكون مقارنا للنفس مقارنة لو تحدى

وتخجيله إذا مست إليه حاجة حتى إنه ليستكشف عن أحوال صباه وعن عيوب بدنه نفساه يعثر على هفوة أو على عيب به من قرع أو غيره ثم إذا أحس بأدنى غلبة من جهته عرّض به إن كان متماسكا ويستحسن ذلك منه ويعد من لطائف التسبب ولا يمتنع عن الافصاح به إن كان متبجحا بالسفاهة والاستهزاء كما حكى عن قوم من أكابر المناظرين المعدودين من فحولهم ومنها الفرح لمساءة الناس والغم لمسارّهم ومن لا يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد من أخلاق المؤمنين فكل من طلب المباهاة باظهار الفضل يسره لامحالة مايسوء أقرانه وأشكاله الذين يسامونه فى الفضل ويكون التباغض بينهم كما بين الضرائر فكما أن إحدى الضرائر إذا رأت صاحبتها من بعيد ارتعدت فرائصها واصفر لونها فهكذا ترى المناظر إذا رأى مناظرا تغير لونه واضطرب عليه فكره فكأنه يشاهد شيطانا ماردا أوسبعا ضاريا فأين الاستئناس والاسترواح الذى كان يجرى بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من المؤاخاة والتناصر والتساهم فى السراء والضراء حتى قال الشافعى رضى الله عنه العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل فلاأدرى كيف يدعى الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة فهل يتصور أن ينسب الأنس بينهم مع طلب الغلبة والمباهاة هيهات هيهات وناهيك بالشر شرا أن يلزمك أخلاق المنافقين ويبرئك عن أخلاق المؤمنين والمتقين . ومنها النفاق فلا يحتاج إلى ذكر الشواهد فى ذمه وهم مضطرون إليه فانهم يلقون الخصوم ومحبيهم وأشياعهم ولا يجدون بدا من التودد إليهم باللسان وإظهار الشوق والاعتداد بمكانهم وأحوالهم ويعلم ذلك المخاطب والمخاطب وكل من يسمع منهم أن ذلك كذب وزور ونفاق وفجور فانهم متوددون بالألسنة متباغضون بالقلوب نعوذ بالله العظيم منه . فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا فى الأرحام لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم(١) » رواه الحسن وقد صح ذلك بمشاهدة هذه الحالة . ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على المماراة فيه حتى إن أبغض شىء إلى المناظر أن يظهر على لسان خصمه الحق ومهما ظهر تشمر لجحده وإنكاره بأقصى جهده وبذل غاية إمكانه فى المخادعة والمكر والحيلة لدفعه حتى تصير المماراة فيه عادة طبيعية فلا يسمع كلاما إلا وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه فى أدلة القرآن وألفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء فى مقابلة الباطل محذور إذ ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ترك المراء بالحق على الباطل قال صلى الله عليه وسلم « من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا فى ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا فى أعلى الجنة(٢) » وقد سوى الله تعالى بين من افترى على الله كذبا وبين من كذب بالحق . فقال تعالى ـ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه ـ وقال تعالى ـ فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه ـ ومنها الرياء وملاحظة الخلق والجهد فى استمالة قلوبهم وصرف وجوههم . والرياء هو الداء العضال الذى يدعو إلى أكبر الكبائر كما سيأتى فى كتاب الرياء والمناظر لا يقصد إلا الظهور عند الخلق وانطلاق ألسنتهم بالثناء عليه فهذه عشر خصال من أمهات الفواحش الباطنة سوى ما يتفق لغير المتماسكين منهم من الخصام المؤدى إلى الضرب واللكم واللطم وتمزيق الثياب والأخذ باللحى وسب الوالدين وشتم الأستاذين والقذف الصريح فان أولئك

(١) حديث إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب الحديث الطبرانى من حديث سلمان باسناد ضعيف (٢) حديث من ترك المراء وهو مبطل الحديث الترمذى وابن ماجه من حديث أنس مع اختلاف قال الترمذى حسن .

باظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهبا والعصا ثعبانا لم يورث ذلك شكا وإمكانا فانى إذا علمت أن العشرة أكثر من الواحد لو قال لى قائل الواحد أكثر من العشرة بدليل أنى أقلب هذه العصا ثعبانا وقلبها وشاهدت ذلك منه لم أشك فى معرفتى لكذبه ولم يحصل معى منه إلا التعجب من كيفية قدرته عليه وأما الشك فما علمته فلا ثم علمت أن كل مالا أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه من هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به وكل علم لا أمان معه ليس بعلم يقينى ثم فتشت عن علومى فوجدت نفسى عاطلا عن علم موصوف بهذه الصفة إلا فى الحسيات والضروريات فقلت الآن بعد حصول اليأس لا مطمع فى اقتباس المستيقنات إلا من الجليات وهى الحسيات والضروريات فلابد من إحكامها أولا لأتبين أن يقينى بالمحسوسات وأمانى من

ليسوا معدودين فى زمرة الناس المعتبرين وإنما الأكابر والعقلاء منهم هم الذين لا ينفكون عن هذه الخصال العشر ، نعم قد يسلم بعضهم من بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه أو ظاهر الارتفاع عليه أو هو بعيد عن بلده وأسباب معيشته ولا ينفك أحد منهم عنه مع أشكاله المقارنين له فى الدرجة ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الخصال العشر عشر أخرى من الرذائل لم نطول بذكرها وتفصيل آحادها مثل الأنفة والغضب والبغضاء والطمع وحب طلب المال والجاه للتمكن من الغلبة والمباهاة والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والسلاطين والتردد إليهم والأخذ من حرامهم والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المحظورة والاستحقار للناس بالفخر والخيلاء والخوض فيما لا يعنى وكثرة الكلام وخروج الخشية والخوف والرحمة من القلب واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدرى المصلى منهم فى صلاته ما صلى وما الذى يقرأ ومن الذى يناجيه ولا يحس بالخشوع من قلبه مع استغراق العمر فى العلوم التى تعين فى المناظرة مع أنها لا تنفع فى الآخرة من تحسين العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر إلى غير ذلك من أمور لا تحصى والمناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولا ينفك أعظمهم دينا وأكثرهم عقلا عن جمل من مواد هذه الأخلاق وإنما غايته إخفاؤها ومجاهدة النفس بها . واعلم أن هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ أيضا إذا كان قصده طلب القبول وإقامة الجاه ونيل الثروة والعزة وهى لازمة أيضا للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى إذا كان قصده طلب القضاء وولاية الأوقاف والتقدم على الأقران وبالجملة هى لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الله تعالى فى الآخرة فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الأبد أو يحييه حياة الأبد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه » فلقد ضره مع أنه لم ينفعه وليته نجا منه رأسا برأس وهيهات هيهات فخطر العلم عظيم وطالبه طالب الملك المؤبد والنعيم السرمد فلا ينفك عن الملك أو الهلك وهو كطالب الملك فى الدنيا فان لم يتفق له الإصابة فى الأموال لم يطمع فى السلامة من الإذلال بل لا بد من لزوم أفضح الأحوال . فان قلت فى الرخصة فى المناظرة فائدة وهى ترغيب الناس فى طلب العلم إذ لولا حب الرياسة لاندرست العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد إذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير ما رغب الصبيان فى المكتب وذلك لا يدل على أن الرغبة فيه محمودة ولولا حب الرياسة لاندرس العلم ولا يدل ذلك على أن طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال ﷺ فيهم « إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم[1] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر[2] » فطالب الرياسة فى نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره إن كان يدعو إلى ترك الدنيا وذلك فيمن كان ظاهر حاله فى ظاهر الأمر ظاهر حال علماء السلف ولكنه يضمر قصد الجاه فمثاله مثال الشمع الذى يحترق فى نفسه ويستضىء به غيره فصلاح غيره فى هلاكه فأما إذا كان يدعو إلى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التى تأكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلاثة إما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها وإما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون الخلق إلى الله سبحانه ظاهرا وباطنا وإما مهلك نفسه مسعد غيره وهو الذى يدعو إلى الآخرة وقد رفض الدنيا فى ظاهره وقصده فى الباطن قبول الخلق وإقامة الجاه فانظر من أى الأقسام أنت ومن الذى اشتغلت بالاعتداد له فلا تظنن أن الله تعالى يقبل غير الخالص لوجهه تعالى من العلم والعمل وسيأتيك فى كتاب الرياء بل فى جميع ربع المهلكات ما ينفى عنك الريبة فيه إن شاء الله تعالى .

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم النسائى من حديث أنس باسناد صحيح
(٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر متفق عليه من حديث أبى هريرة

الغلط فى الضروريات من جنس أمانى الذى كان من قبل فى التقليدات أو من جنس أمان أكثر الخلق فى النظريات وهو أمان محقق لا تجوز فيه ولا غائلة له فأقبلت بجد بليغ أتأمل فى المحسوسات والضروريات أنظر هل يمكننى أشكك نفسى فيها فأنتهى بعد طول التشكك بى إلى أنه لم تسمح نفسى بتسليم الأمان فى المحسوسات وأخذ يتسع الشك فيها ثم إنى ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعلقته وطالعت كتب المحققين منهم وصنفت ما أردت أن أصنفه فصادفته علما وافيا بمقصوده غير واف بمقصودى ولم أزل أتفكر فيه مدة وأنا بعد على مقام الاختيار أصمم عزمى على الخروج عن بغداد ومفارقة تلك الأحوال يوما وأحل العزم يوما وأقدم فيه رجلا وأؤخر فيه أخرى ولا تصدق لى رغبة فى طلب الآخرة إلا حمل عليها جند

(الباب الخامس فى آداب المتعلم والمعلم)

أما المتعلم فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظم تفاريقها عشر جمل :

الوظيفة الأولى : تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف إذ العلم عبادة القلب وصلاة السرّ وقربة الباطن إلى الله تعالى وكما لا تصح الصلاة التى هى وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف قال صلى الله عليه وسلم « بنى الدين على النظافة (١) » وهو كذلك باطنا وظاهرا قال الله تعالى ـ إنما المشركون نجس ـ تنبيها للعقول على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحسّ فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر أى باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن أهم بالاجتناب فانها مع خبثها فى الحال مهلكات فى المآل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب (٢) » والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم ومحل استقرارهم والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها كلاب نابحة فأنى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله تعالى فى القلب إلا بواسطة الملائكة ـ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء ـ وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم إلى القلوب إنما تتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون المبرؤون من الصفات المذمومات فلا يلاحظون إلا طيبا ولا يعمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله إلا طيبا طاهرا ولست أقول المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب والصفات المذمومة ولكنى أقول هو تنبيه عليه وفرق بين تعبير الظواهر إلى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فان هذه طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والأبرار إذ معنى الاعتبار أن يعبر ما ذكر إلى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون فيها له عبرة بأن يعبر منها إلى التنبه لكونه أيضا عرضة للمصائب وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبوره من غيره إلى نفسه ومن نفسه إلى أصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر أنت أيضا من البيت الذى هو بناء الخالق إلى القلب الذى هو بيت من بناء الله تعالى ومن الكلب الذى ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسة إلى الروح الكلبية وهى السبعية . واعلم أن القلب المشحون بالغضب والشره إلى الدنيا والتكلب عليها والحرص على التمزيق لأعراض الناس كلب فى المعنى وقلب فى الصورة فنور البصيرة يلاحظ المعانى لا الصور والصور فى هذا العالم غالبة على المعانى والمعانى باطنة فيها وفى الآخرة تتبع الصور المعانى وتغلب المعانى فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية « فيحشر المزق لأعراض الناس كلبا ضاريا والشره إلى أموالهم ذئبا عاديا والمتكبر عليهم فى صورة نمر وطالب الرياسة فى صورة أسد (٣) » وقد وردت بذلك الأخبار وشهد به الاعتبار عند ذوى البصائر والأبصار . فان قلت كم من طالب ردىء الأخلاق حصل العلوم فهيهات ما أبعده عن العلم الحقيقى النافع

(الباب الخامس)

(١) حديث بنى الدين على النظافة لم أجده هكذا وفى الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا فان الاسلام نظيف وللطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف جدّا من حديث ابن مسعود النظافة تدعو إلى الايمان

(٢) حديث لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب متفق عليه من حديث أبى طلحة الأنصارى

(٣) حديث حشر المزق لأعراض الناس فى صورة كلب ضار الحديث الثعلبى فى التفسير من حديث البراء بسند ضعيف .

الشهوة جملة فيغيرها عشية فصارت شهوات الدنيا تجاذبنى بسبب ميلها إلى المقام ومنادى الإيمان ينادى الرحيل الرحيل فلم يبق من العمر إلا القليل وبين يديك السفر الطويل وجميع ما أنت فيه من العمل رياء وتخييل وإن لم تستعدّ الآن للآخرة فمتى تستعد وإن لم تقطع الآن هذه العلائق فمتى تقطعها فعند ذلك تنبعث الرغبة وينجزم الأمر على الهرب والفرار ثم يعود الشيطان ويقول هذه حالة عارضة إياك أن تطاوعها فانها سريعة الزوال وإن أذعنت لها وتركت هذا الجاه الطويل العريض والشأن العظيم الخالى عن التكدير والتنغيص والأمر السالم الخيالى عن منازعة الخصوم ربما التفتت إليك نفسك ولا تتيسر لك المعاودة فلم أزل أتردّد بين التجاذب بين شهوات الدنيا والدواعى قريبا من ستة أشهر أولها رجب من سنة ست

في الآخرة الجالب للسعادة فان من أوائل ذلك العلم أن يظهر له أن المعاصي سموم قاتلة مهلكة وهل رأيت من يتناول سما مع علمه بكونه سما قاتلا إنما الذي تسمعه من المترسمين حديث يلفقونه بألسنتهم مرة ويردّدونه بقلوبهم أخرى وليس ذلك من العلم في شيء قال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يقذف في القلب ، وقال بعضهم إنما العلم الخشية لقوله تعالى ـ إنما يخشى الله من عباده العلماء ـ وكأنه أشار إلى أخصّ ثمرات العلم ولذلك قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله أن العلم أبى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته وإنما حصل لنا حديثه وألفاظه . فان قلت إني أرى جماعة من العلماء الفقهاء المحققين برزوا في الفروع والأصول وعدّوا من جملة الفحول وأخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها . فيقال إذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك أن ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علما وإنما غناؤه من حيث كونه عملا لله تعالى إذا قصد به التقرب إلى الله تعالى وقد سبقت إلى هذا إشارة وسيأتيك فيه مزيد بيان وإيضاح إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثانية : أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الأهل والوطن فان العلائق شاغلة وصارفة ـ وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ـ ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا أعطيته كلك فأنت من عطائه إياك بعضه على خطر والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرّق ماؤه فنشفت الأرض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزدرع . الوظيفة الثالثة : أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم بل يلقي إليه زمام أمره بالكلية في كل تفصيل ويذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغي أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته قال الشعبي « صلى زيد بن ثابت على جنازة فقرّبت إليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد خلّ عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد ابن ثابت يده وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس من أخلاق المؤمن التملق إلا في طلب العلم (٢) » فلا ينبغي لطالب العلم أن يتكبر على المعلم ومن تكبره على المعلم أن يستنكف عن الاستفادة إلا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة ومن يطلب مهربا من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين أن يرشده إلى الهرب مشهور أو خامل وضراوة سباع النار بالجهال بالله تعالى أشد من ضراوة كل سبع فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها إليه كائنا من كان فلذلك قيل :

العلم حرب للفتى المتعالي كالسيل حرب للمكان العالي

فلا ينال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع قال الله تعالى ـ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ـ ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلا للعلم فهما ، ثم لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقي السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما ألقي إليه بحسن الإصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة فليكن المتعلم لمعلمه كأرض دمثة نالت مطرا غزيرا فتشربت جميع أجزائها وأذعنت بالكلية لقبوله ومهما أشار عليه المعلم بطريق في التعلم فليقلده وليدع رأيه فان خطأ مرشده أنفع له من صوابه

(١) حديث أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت ، وقوله هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء الطبراني والحاكم والبيهقي في المدخل إلا أنهم قالوا هكذا نفعل قال الحاكم صحيح الاسناد على شرط مسلم

(٢) حديث ليس من أخلاق المؤمن الملق إلا في طلب العلم ابن عدي من حديث معاذ وأبي أمامة باسنادين ضعيفين .

وثمانين وأربعمائة وفي هذا الشهر جاوز الأمر حد الاختيار إلى الاضطرار إذ قفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس فكنت أجاهد نفسي أن أدرس يوما واحدا تطييبا للقلوب المختلفة إليّ فكان لا ينطلق لساني بكلمة ولا أستطيعها ألبتة حتى أورثت هذه العقلة في اللسان حزنا في القلب بطلت معه قوة الهضم ومرى الطعام والشراب وكان لا تنساغ لي شربة ولا تنهضم لي لقمة وتعدى ذلك إلى ضعف القوى حتى قطع الأطباء طمعهم في العلاج وقالوا هذا أمر نزل بالقلب ومنه سرى إلى المزاج فلا سبيل إليه بالعلاج إلا بأن يتروّح السرّ عن الهم المهم ثم لما أحسست بعجزي وسقط بالكلية اختياري التجأت إلى الله التجاء المضطر الذي لا حيلة له فأجابني الذي يجيب المضطر إذا دعاه وسهل على قلبي الاعراض عن المال

فى نفسه إذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع أنه يعظم نفعها فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب فى بعض أوقاته بالحرارة ليزيد فى قوته إلى حد يحتمل صدمة العلاج فيعجب منه من لاخبرة له به وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر ـ إنك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا ـ ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال ـ فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا ـ ثم لم يصبر ولم يزل فى مراودته إلى أن كان ذلك سبب الفراق بينهما وبالجملة كل متعلم استبق لنفسه رأيا واختيارا دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران . فان قلت فقد قال الله تعالى ـ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون ـ فالسؤال مأمور به. فاعلم أنه كذلك ولكن فيما يأذن المعلم فى السؤال عنه فان السؤال عما لم تبلغ مرتبتك إلى فهمه مذموم ولذلك منع الخضر موسى عليه السلام من السؤال أى دع السؤال قبل أوانه فالمعلم أعلم بما أنت أهل له وبأوان الكشف ومالم يدخل أوان الكشف فى كل درجة من مراقى الدرجات لايدخل أوان السؤال عنه . وقد قال على رضى الله عنه إن من حق العالم أن لاتكثر عليه بالسؤال ولاتعنته فى الجواب ولا تلح عليه إذا كسل ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ولا تفشى له سرا ولا تغتابن أحدا عنده ولا تطلبن عثرته وإن زل قبلت معذرته وعليك أن توقره وتعظمه لله تعالى مادام يحفظ أمر الله تعالى ولاتجلس أمامه وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته . الوظيفة الرابعة : أن يحترز الخائض فى العلم فى مبدإ الأمر عن الاصغاء إلى اختلاف الناس سواء كان ماخاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة فان ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رأيه ويؤيسه عن الادراك والاطلاع بل ينبغى أن يتقن أولا الطريق الحميدة الواحدة المرضية عند أستاذه ثم بعد ذلك يصغى إلى المذاهب والشبه وإن لم يكن أستاذه مستقلا باختيار رأى واحد وإنما عادته نقل المذاهب وماقيل فيها فليحذر منه فان إضلاله أكثر من إرشاده فلا يصلح الأعمى لقود العميان وإرشادهم ومن هذا حاله يعد فى عمى الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدى عن الشبه يضاهى منع الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار وندب القوى إلى النظر فى الاختلافات يضاهى حث القوى على مخالطة الكفار ولهذا يمنع الجبان عن التهجم على صف الكفار ويندب الشجاع له ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء أن الاقتداء بالأقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدر أن وظائف الأقوياء تخالف وظائف الضعفاء وفى ذلك قال بعضهم من رآنى فى البداية صار صديقا ومن رآنى فى النهاية صار زنديقا إذ النهاية ترد الأعمال إلى الباطن وتسكن الجوارح إلا عن رواتب الفرائض فيتراءى للناظرين أنها بطالة وكسل وإهمال وهيهات فذلك مرابطة القلب فى عين الشهود والحضور وملازمة الذكر الذى هو أفضل الأعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوى فيما يرى من ظاهره أنه هفوة يضاهى اعتذار من يلقى نجاسة يسيرة فى كوز ماء ويتعلل بأن أضعاف هذه النجاسة قد يلقى فى البحر والبحر أعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز أجوز ولايدرى المسكين أن البحر بقوته يحيل النجاسة ماء فتنقلب عين النجاسة باستيلائه إلى صفته والقليل من النجاسة يغلب على الكوز ويحيله إلى صفته ولمثل هذا جوز للنبى صلى الله عليه وسلم مالم يجوز لغيره حتى أبيح له تسع نسوة[1] إذ كان له من القوة مايتعدى منه صفة العدل إلى نسائه وإن كثرن وأما غيره فلا يقدر على بعض العدل بل يتعدى مابينهن من الضرار إليه حتى ينجر إلى معصية الله تعالى فى طلبه رضاهن فما أفلح من قاس الملائكة بالحدادين . الوظيفة الخامسة : أن لايدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من أنواعه إلا وينظر فيه نظرا يطلع به

(١) حديث أبيح له صلى الله عليه وسلم تسع نسوة وهو معروف، وفى الصحيحين من حديث ابن عباس كان عند النبى صلى الله عليه وسلم تسع الحديث .

والجاه والأهل والأولاد وأظهرت غرض الخروج إلى مكة وأنا أدبر فى نفسى سفر الشام حذرا من أن يطلع الخليفة وجملة الأصحاب على غرضى فى المقام بالشام فتلطفت بلطائف الحيل فى الخروج من بغداد على عزم أن لاأعاودها أبدا واستهزأ بى أئمة العراق كافة إذ لم يكن فيه من يجوز أن يكون الاعراض عما كنت فيه سببا دينيا إذ ظنوا أن ذلك هو المنصب الأعلى فى الدين فكان ذلك هو مبلغهم من العلم ثم ارتبك الناس فى الاستنباطات فظن من بعد عن العراق أن ذلك كان الاستشعار من جهة الولاة وأما من قرب منهم فكان يشاهد لجاجهم فى التعلق بى والانكار على وإعراضى عنهم وعن الالتفات إلى قولهم فيقولون هذا أمر سماوى ليس له سبب إلا عين أصابت أهل الاسلام وزمرة العلم ففارقت بغداد وفارقت

على مقصده وغايته ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه فى الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس أعداء ماجهلوا قال تعالى ـ وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ـ قال الشاعر :

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها إما سالكة بالعبد إلى الله تعالى أو معينة على السلوك نوعا من الاعانة ولها منازل مرتبة فى القرب والبعد من المقصود والقوام بها حفظة كحفاظ الرباطات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر فى الآخرة إذا قصد به وجه الله تعالى . الوظيفة السادسة : أن لا يخوض فى فن من فنون العلم دفعة بل يراعى الترتيب ويبتدئ بالأهم فان العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم أن يأخذ من كل شىء أحسنه ويكتفى منه بشمه ويصرف جمام قوته فى الميسور من علمه إلى استكمال العلم الذى هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة أعنى قسمى المعاملة والمكاشفة فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى ولست أعنى به الاعتقاد الذى يتلقفه العامى وراثة أو تلقفا ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة فى تحصين الكلام عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى فى قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهى إلى رتبة إيمان أبى بكر رضى الله عنه الذى لو وزن بإيمان العالمين لرجح(١) كما شهد له به سيد البشر ﷺ فما عندى أن ما يعتقده العامى ويرتبه المتكلم الذى لا يزيد على العامى إلا فى صنعة الكلام ولأجله سميت صناعته كلاما وكان يعجز عنه عمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضى الله عنهم حتى كان يفضلهم أبو بكر بالسر الذى وقر فى صدره والعجب ممن يسمع مثل هذه الأقوال من صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ثم يزدرى ما يسمعه على وفقه ويزعم أنه من ترهات الصوفية وأن ذلك غير معقول فينبغى أن تتئد فى هذا فعنده ضيعت رأس المال فكن حريصا على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين ولا يرشدك إليه إلا حرصك فى الطلب وعلى الجملة فأشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل وهو بحر لا يدرك منتهى غوره وأقصى درجات البشر فيه رتبة الأنبياء ثم الأولياء ثم الذين يلونهم وقد روى أنه رؤى صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين فى مسجد وفى يد أحدهما رقعة فيها إن أحسنت كل شىء فلا تظنن أنك أحسنت شيئا حتى تعرف الله تعالى وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء وفى يد الآخر كنت قبل أن أعرف الله تعالى أشرب وأطعم حتى إذا عرفته رويت بلا شرب . الوظيفة السابعة : أن لا يخوض فى فن حتى يستوفى الفن الذى قبله فان العلوم مرتبة ترتيبا ضروريا وبعضها طريق إلى بعض والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج . قال الله تعالى ـ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته ـ أى لا يجاوزون فنا حتى يحكموه علما وعملا وليكن قصده فى كل علم يتحراه الترقى إلى ما هو فوقه فينبغى أن لا يحكم على علم بالفساد لوقوع الخلف بين أصحابه فيه ولا بخطإ واحد أو آحاد فيه ولا بمخالفتهم موجب علمهم بالعمل فترى جماعة تركوا النظر فى العقليات والفقهيات متعللين فيها بأنها لو كان لها أصل لأدركه أربابها وقد مضى كشف هذه الشبه فى كتاب معيار العلم وترى طائفة يعتقدون بطلان الطب لخطإ شاهدوه من طبيب وطائفة اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفق لواحد وطائفة اعتقدوا بطلانه لخطأ اتفق لآخر والكل خطأ بل ينبغى أن يعرف الشىء فى نفسه فلا كل علم يستقل بالاحاطة به كل شخص ولذلك قال على رضى الله عنه لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله . الوظيفة الثامنة : أن يعرف السبب الذى به يدرك أشرف العلوم

(١) حديث لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان العالمين لرجح ابن عدى من حديث ابن عمر باسناد ضعيف ورواه البيهقى فى الشعب موقوفا على عمر باسناد صحيح .

ما كان معى من مالى ولم أدخر من ذلك إلا قدر الكفاف وقوت الأطفال ترخصا بأن مال العراق مرصد للمصالح لكونه وقفا على المسلمين ولم أر فى العالم ما يأخذ العالم لعياله أصلح منه ثم دخلت الشام وأقمت فيه قريبا من سنتين لا شغل لى إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى كما كنت حصلته من علم الصوفية وكنت أعتكف مدة بمسجد دمشق أصعد منارة المسجد طول النهار وأغلق بابها على نفسى ثم تحرك بى داعية فريضة الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة وزيارة النبى صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه وسلامه ثم سرت إلى الحجاز ثم جذبتنى الهمم ودعوات الأطفال إلى الوطن

وأن ذلك يراد به شيئان أحدهما شرف الثمرة والثانى وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان ثمرة أحدهما الحياة الأبدية وثمرة الآخرة الحياة الفانية فيكون علم الدين أشرف ومثل علم الحساب وعلم النجوم فان علم الحساب أشرف لوثاقة أدلته وقوتها وان نسب الحساب إلى الطب كان الطب أشرف باعتبار ثمرته والحساب أشرف باعتبار أدلته وملاحظة الثمرة أولى ولذلك كان الطب أشرف وإن كان أكثره بالتخمين وبهذا تبين أن أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل إلى هذه العلوم فاياك وأن ترغب إلا فيه وأن تحرص إلا عليه . الوظيفة التاسعة : أن يكون قصد المتعلم فى الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفى المآل القرب من الله سبحانه والترقى إلى جوار الملأ الأعلى من الملائكة والمقربين ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الأقران وإذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الأقرب إلى مقصوده وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغى له أن ينظر بعين الحقارة إلى سائر العلوم أعنى علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما أوردناه فى المقدمات والمتممات من ضروب العلوم التى هى فرض كفاية ولا تفهمن من غلونا فى الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدين فى سبيل الله فمنهم المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذى يسقيهم الماء ومنهم الذى يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك أحد منهم عن أجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء قال الله تعالى ـ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ـ وقال تعالى ـ هم درجات عند الله ـ والفضيلة نسبية واستحقارنا للصيارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم إذا قيسوا بالكناسين فلا تظنن أن ما نزل عن الرتبة القصوى ساقط القدر بل الرتبة العليا للأنبياء ثم الأولياء ثم العلماء الراسخين فى العلم ثم للصالحين على تفاوت درجاتهم وبالجملة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ومن قصد الله تعالى بالعلم أى علم كان نفعه ورفعه لا محالة . الوظيفة العاشرة : أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد كما يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهمك ولا يهمك إلا شأنك فى الدنيا والآخرة وإذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجرى مجرى العيان فالأهم ما يبقى أبد الآباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والأعمال سعيا إلى المقصد ولا مقصد إلا لقاء الله تعالى ففيه النعيم كله وإن كان لا يعرف فى هذا العالم قدره إلا الأقلون والعلوم بالاضافة إلى سعادة لقاء الله سبحانه والنظر إلى وجهه الكريم أعنى النظر الذى طلبه الأنبياء وفهموه دون ما يسبق إلى فهم العوام والمتكلمين على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو أن العبد الذى علق عتقه وتمكينه من الملك بالحج وقيل له إن حججت وأتممت وصلت إلى العتق والملك جميعا وإن ابتدأت بطريق الحج والاستعداد له وعاقك فى الطريق مانع ضرورى فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك فله ثلاثة أصناف من الشغل : الأول : تهيئة الأسباب بشراء الناقة وخرز الراوية وإعداد الزاد والراحلة . والثانى السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه إلى الكعبة منزلا بعد منزل . والثالث الاشتغال بأعمال الحج ركنا بعد ركن ثم بعد الفراغ والنزوع عن هيئة الاحرام وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة وله فى كل مقام منازل من أول إعداد الأسباب إلى آخره ومن أول سلوك البوادى إلى آخره ومن أول أركان الحج إلى آخره وليس قرب من ابتدأ بأركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد فى إعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك بل هو أقرب منه فالعلوم أيضا ثلاثة أقسام قسم يجرى مجرى إعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن فى الدنيا وقسم يجرى مجرى سلوك البوادى وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع

وعاودته بعد أن كنت أبعد الخلق عن أن أرجع إليه وآثرت العزلة حرصا على الخلوة وتصفية القلب للذكر وكانت حوادث الزمان ومهمات العيال وضرورات المعيشة تغير فى وجه المراد وتشوش صفوة الخلوة وكان لا يصفو لى الحال إلا فى أوقات متفرقة لكنى مع ذلك لا أقطع طمعى عنها فيدفعنى عنها العوائق وأعود إليها ودمت على ذلك مقدار عشر سنين وانكشف لى فى أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها والقدر الذى ينبغى أن نذكره لينتفع به أنى علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة وأن سيرتهم أحسن السير وطريقتهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من سيرتهم وأخلاقهم

تلك العقبات الشامخة التي عجز عنها الأولون والآخرون إلا الموفقين فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله وكما لا يغني علم المنازل وطرق البوادي دون سلوكها كذلك لا يغني علم تهذيب الأخلاق دون مباشرة التهذيب ولكن المباشرة دون العلم غير ممكن . وقسم ثالث يجري مجرى نفس الحج وأركانه وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وأفعاله وجميع ما ذكرناه في تراجم علم المكاشفة وههنا نجاة وفوز بالسعادة والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق إذا كان غرضه المقصد الحق وهو السلامة . وأما الفوز بالسعادة فلا يناله إلا العارفون بالله تعالى وهم المقربون المنعمون في جوار الله تعالى بالروح والريحان وجنة النعيم وأما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال الله عز وجل ـ فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين ـ وكل من لم يتوجه إلى المقصد ولم ينتهض له أو انتهض إلى جهته لا على قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو من أصحاب الشمال ومن الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم . واعلم أن هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين أعني أنهم أدركوه بمشاهدة من الباطن هي أقوى وأجلى من مشاهدة الأبصار وترقوا فيه عن حد التقليد لمجرد السماع وحالهم حال من أخبر فصدق ثم شاهد فحقق وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والإيمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة وراء علم المكاشفة وعلم المكاشفة وراء علم المعاملة التي هي سلوك طريق الآخرة وقطع عقبات الصفات وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك في ذلك وراء علم سلامة البدن ومساعدة أسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي يتوصل به إلى الملبس والمطعم والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط الناس على منهج العدل والسياسة في ناصية الفقيه . وأما أسباب الصحة ففي ناصية الطبيب ومن قال العلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان وأشار به إلى الفقه أراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة . فإن قلت لم شبهت علم الطب والفقه بإعداد الزاد والراحلة فاعلم أن الساعي إلى الله تعالى لينال قربه هو القلب دون البدن ولست أعني بالقلب اللحم المحسوس بل هو سر من أسرار الله عز وجل لا يدركه الحس ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح وتارة بالنفس المطمئنة والشرع يعبر عنه بالقلب لأنه المطية الأولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مضنون به بل لا رخصة في ذكره وغاية المأذون فيه أن يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز أشرف من هذه الأجرام المرئية وإنما هو أمر إلهي كما قال تعالى ـ ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ـ وكل المخلوقات منسوبة إلى الله تعالى ولكن نسبته أشرف من نسبة سائر أعضاء البدن فلله الخلق والأمر جميعا والأمر أعلى من الخلق وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لأمانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والأرضين والجبال إذ أبين أن يحملنها وأشفقن منها من عالم الأمر ولا يفهم من هذا أنه تعريض بقدمها فإن القائل بقدم الأرواح مغرور جاهل لا يدري ما يقول فلنقبض عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده والمقصود أن هذه اللطيفة هي الساعية إلى قرب الرب لأنها من أمر الرب فمنه مصدرها وإليه مرجعها وأما البدن فمطيتها التي تركبها وتسعى بواسطتها فالبدن لها في طريق الله تعالى كالناقة للبدن في طريق الحج وكالراوية الخازنة للماء الذي يفتقر إليه البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية ولا يخفى أن الطب كذلك فإنه قد يحتاج إليه في حفظ الصحة على البدن ولو كان الإنسان وحده لاحتاج إليه والفقه يفارقه في أنه لو كان الإنسان وحده ربما كان يستغني عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكنه أن يعيش وحده إذ لا يستقل بالسعي وحده في تحصيل طعامه بالحراثة والزرع

والخبز

ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلا فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به وبالجملة ماذا يقول القائل في طريقة أول شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ومفتاحها الجاري منها مجرى التحرم في الصلاة استغراق القلب بذكر الله وآخرها الفناء بالكلية في الله تعالى وهو أقواها بالإضافة إلى ما تحت الاختيار انتهى قال العراقي فلما نفذت كلمته وبعد صيته وعلت منزلته وشدت إليه الرحال وأذعنت له الرجال شرفت نفسه عن الدنيا واشتاقت إلى الأخرى فاطرحها وسعى في طلب الباقية وكذلك النفوس الزكية كما قال عمر بن عبد العزيز إن لي نفسا تواقة لما نالت الدنيا تاقت إلى الآخرة قال بعض العلماء رأيت

والخبز والطبخ وفى تحصيل الملبس والمسكن وفى إعداد آلات ذلك كله فاضطر إلى المخالطة والاستعانة ومهما اختلط الناس وثارت شهواتهم تجاذبوا أسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الأخلاط من داخل ، وبالطب يحفظ الاعتدال فى الأخلاط المتنازعة من داخل ، وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال فى التنافس من خارج ، وعلم طريق اعتدال الأخلاط طبّ ، وعلم طريق اعتدال أحوال الناس فى المعاملات والأفعال فقه وكل ذلك لحفظ البدن الذى هو مطية فالمتجرد لعلم الفقه أو الطب إذا لم يجاهد نفسه ولا يصلح قلبه كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها إذا لم يسلك بادية الحج والمستغرق عمره فى دقائق الكلمات التى تجرى فى مجادلات الفقه كالمستغرق عمره فى دقائق الأسباب التى بها تستحكم الخيوط التى تخرز بها الراوية للحج ونسبة هؤلاء من السالكين لطريق إصلاح القلب الموصل إلى علم المكاشفة كنسبة أولئك إلى سالكى طريق الحج أو ملابسى أركانه فتأمل هذا أولا واقبل النصيحة مجانا ممن قام عليه ذلك غالبا ولم يصل إليه إلا بعد جهد جهيد وجراءة تامة على مباينة الخلق العامة والخاصة فى النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة فهذا القدر كاف فى وظائف المتعلم .

(بيان وظائف المرشد المعلم)

اعلم أن للانسان فى علمه أربعة أحوال كحاله فى اقتناء الأموال إذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال وحال إنفاق على نفسه فيكون منتفعا وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو أشرف أحواله فكذلك العلم يقتنى كما يقتنى المال فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغنى عن السؤال وحال استبصار وهو التفكر فى المحصل والتمتع به وحال تبصير وهو أشرف الأحوال فمن علم وعمل وعلم فهو الذى يدعى عظيما فى ملكوت السموات فانه كالشمس تضىء لغيرها وهى مضيئة فى نفسها وكالمسك الذى يطيب غيره وهو طيب والذى يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذى يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسن الذى يشحذ غيره ولا يقطع والإبرة التى تكسو غيرها وهى عارية وذبالة المصباح تضىء لغيرها وهى تحترق كما قيل :

ما هو إلا ذبالة وقدت تضىء للناس وهى تحترق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه . الوظيفة الأولى : الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما أنا لكم مثل الوالد لولده[1] » بأن يقصد إنقاذهم من نار الآخرة وهو أهمّ من إنقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية والمعلم سبب الحياة الباقية ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة أعنى معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فأما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك نعوذ بالله منه وكما أن حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتوادد ولا يكون إلا كذلك إن كان مقصدهم الآخرة ولا يكون إلا التحاسد والتباغض إن كان مقصدهم الدنيا فان العلماء وأبناء الآخرة مسافرون إلى الله تعالى وسالكون إليه الطريق من الدنيا وسنوها وشهورها منازل الطريق والترافق فى الطريق بين المسافرين إلى الأمصار سبب التواد والتحاب فكيف السفر إلى الفردوس الأعلى والترافق فى طريقه ولا ضيق فى سعادة الآخرة فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع ولا سعة

(١) حديث إنما أنا لكم مثل الوالد لولده أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة

الغزالى رضى الله عنه فى البرية وعليه مرقعة وبيده عكاز وركوة فقلت له يا إمام أليس التدريس ببغداد أفضل من هذا فنظر إلىّ شذرا وقال لما بزغ بدر السعادة فى فلك الارادة وظهرت شموس الوصل :

تركت هوى ليلى وسعدى بمنزل
وعدت إلى مصحوب أول منزل
ونادتنى الأشواق مهلا فهذه
منازل من تهوى رويدك فانزل

انتهى كتاب تعريف الأحياء بفضائل الإحياء بحمد الله وعونه .

[هذا كتاب الاملاء فى إشكالات الإحياء]

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله على ما خصص وعمم وصلى الله على سيد جميع الأنبياء المبعوث إلى العرب والعجم وعلى آله وعترته وسلم كثيرا وكرم سألت يسرك الله لمراتب العلم تصعد مراقيها وقرّب لك مقامات الولاية تحل

فى سعادات الدنيا فلذلك لاينفك عن ضيق التزاحم والمادلون إلى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى ـ إنما المؤمنون إخوة ـ وداخلون فى مقتضى قوله تعالى ـ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين . الوظيفة الثانية : أن يقتدى بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فلا يطلب على إفادة العلم أجرا ولا يقصد به جزاء ولاشكرا بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبا للتقرب إليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وان كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم لأن تتقرب إلى الله تعالى بزراعة العلوم فيها كالذى يعيرك الأرض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الأرض فكيف تقلد منة وثوابك فى التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى ولولا المتعلم مانلت هذا الثواب فلاتطلب الأجر إلا من الله تعالى كما قال عز وجل ـ وياقوم لاأسألكم عليه مالا إن أجرى إلا على الله ـ فان المال ومافى الدنيا خادم البدن والبدن مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم إذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه فجعل المخدوم خادمه والخادم مخدوما وذلك هو الانتكاس على أم الرأس ومثله هو الذى يقوم فى العرض الأكبر مع المجرمين ناكسى رءوسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم فانظر كيف انتهى أمر الدين إلى قوم يزعمون أن مقصودهم التقرب إلى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفى غيرهما فانهم يبذلون المال والجاه ويتحملون أصناف الذل فى خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف إليهم ثم يتوقع المعلم من المتعلم أن يقوم له فى كل نائبة وينصر وليه ويعادى عدوه وينتهض جهارا له فى حاجاته ومسخرا بين يديه فى أوطاره فان قصر فى حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه فأخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لايستحيى من أن يقول غرضى من التدريس نشر العلم تقربا إلى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر إلى الأمارات حتى ترى ضروب الاغترارات . الوظيفة الثالثة : أن لايدع من نصح المتعلم شيئا وذلك بأن يمنعه من التصدى لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفى قبل الفراغ من الجلى ثم ينبهه على أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ويقدم تقبيح ذلك فى نفسه بأقصى مايمكن فليس مايصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده فان علم من باطنه أنه لايطلب العلم إلا للدنيا نظر إلى العلم الذى يطلبه فان كان هو علم الخلاف فى الفقه والجدل فى الكلام والفتاوى فى الخصومات والأحكام فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم ليست من علوم الآخرة ولا من العلوم التى قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله وإنما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الأولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذا تعلمه الطالب وقصد به الدنيا فلا بأس أن يتركه فانه يثمر له طمعا فى الوعظ والاستتباع ولكن قد يتنبه فى أثناء الأمر أو آخره إذ فيه العلوم المخوفة من الله تعالى المحرقة للدنيا المعظمة للآخرة وذلك يوشك أن يؤدى إلى الصواب فى الآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويجرى حب القبول والجاه مجرى الحب الذى ينثر حوالى الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده إذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها إلى بقاء النسل وخلق أيضا حب الجاه ليكون سببا لإحياء العلوم وهذا متوقع فى هذه العلوم فأما الخلافيات المحضة ومجادلات الكلام ومعرفة التفاريع الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها إلا قسوة فى القلب وغفلة عن الله تعالى وتماديا فى الضلال وطلبا للجاه إلا من تداركه الله تعالى برحمته أو مزج به غيره من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك فى العباد والبلاد والله المستعان . وقد رؤى سفيان الثورى رحمه الله حزينا فقيل له مالك فقال صرنا متجرا لأبناء الدنيا يلزمنا أحدهم حتى إذا تعلم جعل قاضيا أو عاملا أو قهرمانا . الوظيفة الرابعة : وهى من دقائق

معاليها عن بعض ماوقع فى الاملاء الملقب بالإحياء مما أشكل على من حجب فهمه وقصر علمه ولم يفز بشىء من الحظوظ الملكية عدحه وصبهه وأظهرت التحزن لما شاش به شركاء الطغام وأمثال الأنعام وأجماع العوام وسفهاء الأحلام وذعار أهل الاسلام حتى طعنوا عليه ونهوا عن قراءته ومطالعته وأفتوا بمجرد الهوى على غير بصيرة باطراحه ومنابذته ونسبوا مامليه إلى ضلال وإضلال ونبذوا قراءه ومنتحليه بزيغ فى الشريعة واختلال فإلى الله انصرافهم ومآبهم وعليه فى العرض الأكبر إيقافهم وحسابهم فستكتب شهادتهم ويسئلون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه. وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين

صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيئة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار إذ قال صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم « لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه إلا وفيه شيء (١) » وينبهك على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام وما نهيا عنه فاذكرت القصة معك لتكون سمرا بل لتتنبه بها على سبيل العبرة ولأن التعريض أيضا يميل النفوس الفاضلة والأذهان الذكية إلى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العلم به ليعلم أن ذلك مما لا يعزب عن فطنته . الوظيفة الخامسة : أن المتكفل ببعض العلوم ينبغي أن لا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كمعلم اللغة إذ عادته تقبيح علم الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وأن ذلك نقل محض وسماع وهو شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك فروع وهو كلام في حيض النسوان فأين ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي أن تجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره وإن كان متكفلا بعلوم فينبغي أن يراعي التدريج في ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة . الوظيفة السادسة : أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى إليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر صلى الله عليه وسلم حيث قال « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم (٢) » فليبث إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها وقال ﷺ « ما أحد يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم » وقال علي رضي الله عنه وأشار إلى صدره إن ههنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة وصدق رضي الله عنه فقلوب الأبرار قبور الأسرار فلا ينبغي أن يفشي العالم كل ما يعلم إلى كل أحد هذا إذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلا للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه وقال عيسى عليه السلام لا تعلقوا الجواهر في أعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير ولذلك قيل كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك وإلا وقع الانكار لتفاوت المعيار . وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار (٣) » فقال اترك اللجام واذهب فان جاء من يفقه وكتمته فليلجمني فقد قال الله تعالى ـ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ـ تنبيها على أن حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق

أأنثر درا بين سارحة النعم ... فأصبح مخزونا براعية الغنم
لأنهم أمسوا بجهل لقدره ... فلا أنا أضحى أن أطوقه البهم
فان لطف الله اللطيف بلطفه ... وصادفت أهلا للعلوم وللحكم
نشرت مفيدا واستفدت مودة ... وإلا فمخزون لدي ومكتتم
فمن منح الجهال علما أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

الوظيفة السابعة : إن المتعلم القاصر ينبغي أن يلقى إليه الجلي اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقا

(١) حديث لو منع الناس عن فت البعر لفتوه الحديث لم أجده (٢) حديث نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم الحديث رويناه في جزء من حديث أبي بكر بن الشخير من حديث عمر أخصر منه وعند أبي داود من حديث عائشة أنزلوا الناس منازلهم (٣) حديث من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار ابن ماجه من حديث أبي سعيد باسناد ضعيف وتقدم حديث أبي هريرة بنحوه .

يستنبطونه فمنهم ولكن الظالمون في شقاق بعيد ولا عجب فقد توى أدلاء الطريق وذهب أرباب التحقيق ولم يبق في الغالب إلا أهل الزور والفسوق متشبثين بدعاوى كاذبة متصفين بحكايات موضوعة متزينين بصفات منمقة متظاهرين بظواهر من العلم فاسدة متعاطين لحجج غير صادقة كل ذلك لطلب الدنيا أو محبة ثناء أو مغالبة نظراء قد ذهبت المواصلة بينهم بالبر وتألفوا جميعا على المنكر وعدمت النصائح بينهم في الأمر وتصافوا بأسرهم على الخديعة والمكر إن نصحتهم العلماء أغروا بهم وان صمت عنهم العقلاء أزروا عليهم أولئك الجهال في علمهم الفقراء في طولهم البخلاء عن الله عز وجل بأنفسهم لا يفلحون ولا ينجح تابعهم ولذلك لا تظهر عليهم مواريث الصدق ولا تسطع حولهم أنوار الولاية ولا تحقق لديهم

وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته فى الجلى ويشوش عليه قلبه ويوهم إليه البخل به عنه إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق فما من أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه فى كمال عقله وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلا هو أفرحهم بكمال عقله وبهذا يعلم أن من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ فى نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل وحسن مع ذلك سريرته ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك فلا ينبغى أن يشوش عليه اعتقاده بل ينبغى أن يخلى وحرفته فانه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرتفع عنه السد الذى بينه وبين المعاصى وينقلب شيطانا مريدا يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغى أن يخاض مع العوام فى حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الأمانة فى الصناعات التى هم بصددها ويملأ قلوبهم من الرغبة والرهبة فى الجنة والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة فانه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويعسر عليه حلها فيشقى ويهلك وبالجملة لا ينبغى أن يفتح للعوام باب البحث فانه يعطل عليهم صناعاتهم التى بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص . الوظيفة الثامنة : أن يكون العلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به ومثل العلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود أعوج ولذلك قيل فى المعنى :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى ـ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ـ ولذلك كان وزر العالم فى معاصيه أكبر من وزر الجاهل إذ يزل بزلته عالم كثير ويقتدون به ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها ولذلك قال على رضى الله عنه قصم ظهرى رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه والله أعلم .

(الباب السادس فى آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء)

قد ذكرنا ما ورد من فضائل العلم والعلماء وقد ورد فى العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على أنهم أشد الخلق عذابا يوم القيامة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ونعنى بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها قال صلى الله عليه وسلم « إن أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وعلم فى القلب فذلك العلم النافع (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « يكون فى آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق (٣) »

(الباب السادس)

(١) حديث لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا ابن حبان فى كتاب روضة العقلاء والبيهقى فى المدخل موقوفا على أبى الدرداء ولم أجده مرفوعا (٢) حديث العلم علمان علم على اللسان الحديث الترمذى الحكيم فى النوادر وابن عبد البر من حديث الحسن مرسلا باسناد صحيح وأسنده الخطيب فى التاريخ من رواية الحسن عن جابر باسناد جيد وأعله ابن الجوزى (٣) حديث يكون فى آخر الزمان عباد جهال وعلماء فسقة الحاكم من حديث أنس وهو ضعيف .

أعلام المعرفة ولا يستر عوراتهم لباس الخشية لأنهم لم ينالوا أحوال النقباء ومراتب النجباء وخصوصية البدلاء وكرامة الأوتاد وفوائد الأقطاب وفى هذه أسباب السعادة وتتمة الطهارة لو عرفوا أنفسهم لظهر لهم الحق وعلموا علة أهل الباطل وداء أهل الضعف ودواء أهل القوة ولكن ليس هذا من بضائعهم حجبوا عن الحقيقة بأربع بالجهل والاصرار ومحبة الدنيا وإظهار الدعوى فالجهل أورثهم السخف والاصرار أورثهم التهاون ومحبة الدنيا أورثتهم طول الغفلة وإظهار الدعوى أورثهم الكبر والاعجاب والرياء والله من ورائهم محيط . وهو على كل شىء شهيد . فلا يغرنك أعاذنا الله وإياك من أحوالهم شأنهم ولا يذهلنك عن الاشتغال بصلاح نفسك تمردهم وطغيانهم ولا يغوينك

وقال صلى الله عليه وسلم « لاتتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو فى النار[1] » وقال صلى الله عليه وسلم « من كتم علما عنده ألجمه الله بلجام من نار » وقال صلى الله عليه وسلم « لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال فقيل وماذلك ؟ فقال من الأئمة المضلين[2] » وقال صلى الله عليه وسلم « من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعدا[3] » وقال عيسى عليه السلام إلى متى تصفون الطريق للمدلجين وأنتم مقيمون مع المتحيرين فهذا وظيره من الأخبار يدل على عظيم خطر العلم فان العالم إما متعرض لهلاك الأبد أو لسعادة الأبد وإنه بالخوض فى العلم قد حرم السلامة إن لم يدرك السعادة . وأما الآثار فقد قال عمر رضى الله عنه إن أخوف ماأخاف على هذه الأمة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل وقال الحسن رحمه الله لاتكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجرى فى العمل مجرى السفهاء وقال رجل لأبى هريرة رضى الله عنه أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال كفى بترك العلم إضاعة له وقيل لإبراهيم بن عيينة أى الناس أطول ندما قال أما فى عاجل الدنيا فصانع المعروف إلى من لايشكره وأما عند الموت فعالم مفرّط وقال الخليل بن أحمد: الرجال أربعة رجل يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك عالم فاتبعوه ، ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذلك نائم فأيقظوه ، ورجل لايدرى ويدرى أنه لايدرى فذلك مسترشد فأرشدوه ، ورجل لايدرى ولايدرى أنه لايدرى فذلك جاهل فارفضوه وقال سفيان الثورى رحمه الله يهتف العلم بالعمل فان أجابه وإلا ارتحل وقال ابن المبارك لايزال المرء عالما ماطلب العلم فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل وقال الفضيل ابن عياض رحمه الله إنى لأرحم ثلاثة عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر وعالما تلعب به الدنيا وقال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وأنشدوا :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشترى دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه بدنيا سواه فهو من ذين أعجب

وقال صلى الله عليه وسلم « إن العالم ليعذب عذابا يطيف به أهل النار استعظاما لشدة عذابه[4] » أراد به العالم الفاجر وقال أسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشرّ وآتيه[5] » وإنما يضاعف عذاب العالم فى معصيته لأنه عصى عن علم ولذلك قال الله عز وجل ـ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ـ لأنهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع أنهم ماجعلوا لله سبحانه ولدا ولاقالوا إنه ثالث ثلاثة إلا أنهم أنكروا بعد المعرفة إذ قال الله

(١) حديث لاتتعلموا العلم لتباهوا به العلماء الحديث ابن ماجه من حديث جابر باسناد صحيح
(٢) حديث غير الدجال أخوف عليكم من الدجال الحديث أحمد من حديث أبى ذر باسناد جيد
(٣) حديث من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعدا أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس وحديث على باسناد ضعيف إلا أنه قال زهدا ، وروى ابن حبان فى روضة العقلاء موقوفا على الحسن من ازداد علما ثم ازداد بالله على الدنيا حرصا لم يزدد من الله إلا بعدا ، وروى أبو الفتح الأزدى فى الضعفاء من حديث على من ازداد بالله علما ثم ازداد للدنيا حبا ازداد الله عليه غضبا (٤) حديث إن العالم يعذب عذابا يطيف به أهل النار الحديث لم أجده بهذا اللفظ وهو معنى حديث أسامة المذكور بعده (٥) حديث أسامة بن زيد يؤتى بالعالم يوم القيامة ويلقى فى النار فتندلق أقتابه الحديث متفق عليه بلفظ الرجل بدل العالم .

بما زين لهم من سوء أعمالهم شيطانهم فكأن قد جمع الخلائق فى صعيد ـ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ـ وتلا ـ لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ـ فياله من موقف قد أذهل ذوى العقول عن القال والقيل ومتابعة الأباطيل فأعرض عن الجاهلين ـ ولا تطع كل أفاك أثيم ، وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة فاصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ـ ولقد جئناك بحول الله وقوته وبعد استخارته عما سألت عنه وخاصة مازعمت فيه من تخصيص الكلام بالمثل الذى

ذكر فيه الأقلام إذ اتفق أن يكون أشهر مافى الكتاب وأكثر تصرفا على ألسنة الصدور والأصحاب حتى لقد صار المثل المذكور فى المجالس تحية الداخل وحديث الجالس فساعدتنا أمنيتك ولولا العجلة والاشتغال لأضفنا إلى املائنا هذا بيانا غيره مما عدوه مشكلا وصارلعقولهم الضعيفة مخبلا ومضللا ونحن نستعيذ بالله من الشيطان ونستعصم به من جراءة فقهاء الزمان ونتضرع إليه فى المزيد من الإحسان إنه الجواد المنان

[ذكر مراسم الأسئلة فى المثل]

ذكرت رزقك الله ذكره وجعلك تعقل نهيه وأمره كيف جاز انقسام التوحيد على أربعة مراتب ولفظة التوحيد تنافى التقسيم فى المشهود كما ينافى التكرير التعديد وان صح انقسامه على وجه لا يندفع فهل تصح تلك القسمة فيما يوجد أو فيما يقدر ورغبت

— يعرفونه كما يعرفون أبناءهم — وقال تعالى — فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين — وقال تعالى فى قصة بلعام بن باعوراء — واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين — حتى قال — فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث — فكذلك العالم الفاجر فان بلعام أوتى كتاب الله تعالى فأخلد إلى الشهوات فشبه بالكلب أى سواء أوتى الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث إلى الشهوات وقال عيسى عليه السلام مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لاهى تشرب الماء ولاهى تترك الماء يخلص إلى الزرع ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى فهذه الأخبار والآثار تبين أن العالم الذى هو من أبناء الدنيا أخس حالا وأشد عذابا من الجاهل وأن الفائزين المقربين هم علماء الآخرة ولهم علامات : فمنها أن لا يطلب الدنيا بعلمه فان أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم أنهما متضادتان وأنهما كالضرتين مهما أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى وأنهما ككفتى الميزان مهما رجحت إحداها خفت الأخرى وأنهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من أحدهما بعدت عن الآخر وأنهما كقدحين أحدهما مملوء والآخر فارغ فبقدر ما تصب منه فى الآخر حتى يمتلئ يفرغ الآخر فان من لا يعرف حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها بألمها ثم انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل فان المشاهدة والتجربة ترشد إلى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الإيمان فكيف يكون من العلماء من لا إيمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة وأن الجمع بينهما طمع فى غير مطمع فهو جاهل بشرائع الأنبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن كله من أوله إلى آخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من حزب العلماء من هذه درجته وفى أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوته على محبتى أن أحرمه لذيذ مناجاتى ياداود لا تسأل عنى عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتى أولئك قطاع الطريق على عبادى ياداود إذا رأيت لى طالبا فكن له خادما ياداود من رد إلى هاربا كتبته جهبذا ومن كتبته جهبذا لم أعذبه أبدا ولذلك قال الحسن رحمه الله عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة ولذلك قال يحيى بن معاذ إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا وقال سعيد بن المسيب رحمه الله إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فهو لص وقال عمر رضى الله عنه إذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما أحب وقال مالك بن دينار رحمه الله قرأت فى بعض الكتب السالفة إن الله تعالى يقول إن أهون ما أصنع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتى من قلبه وكتب رجل إلى أخ له إنك قد أوتيت علما فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم فى نور علمهم وكان يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله يقول لعلماء الدنيا ياأصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية وأثوابكم ظاهرية وأخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية وأوانيكم فرعونية ومآثمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فأين الشريعة المحمدية قال الشاعر :

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

وقال الآخر : يامعشر القراء يا ملح البلد ما يصلح الملح إذا الملح فسد

وقيل لبعض العارفين أترى أن من تكون المعاصى قرة عينه لا يعرف الله فقال لا أشك أن من تكون الدنيا عنده آثر من الآخرة أنه لا يعرف الله تعالى وهذا دون ذلك بكثير ولا تظنن أن ترك المال يكفى فى اللحوق

بعلماء الآخرة فان الجاه أضر من المال ولذلك قال بشر حدثنا باب من أبواب الدنيا فاذا سمعت الرجل يقول حدثنا فانما يقول أوسعوا لى ودفن بشر بن الحرث بضعة عشر ما بين قمطرة وقوصرة من الكتب وكان يقول أنا أشتهى أن أحدث ولو ذهبت عنى شهوة الحديث لحدثت وقال هو وغيره إذا اشتهيت أن تحدث فاسكت فاذا لم تشته فحدث وهذا لأن التلذذ بجاه الافادة ومنصب الارشاد أعظم لذة من كل تنعم فى الدنيا فمن أجاب شهوته فيه فهو من أبناء الدنيا ولذلك قال الثورى فتنة الحديث أشد من فتنة الأهل والمال والولد وكيف لا تخاف فتنته وقد قيل لسيد المرسلين ﷺ ـ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا ـ وقال سهل رحمه الله العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به والعمل كله هباء إلا الاخلاص وقال الناس كلهم موتى إلا العلماء والعلماء سكارى إلا العاملين والعاملون كلهم مغرورون إلا المخلصين والمخلص على وجل حتى يدرى ماذا يختم له به وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله إذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر فى طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا وإنما أراد به طلب الأسانيد العالية أو طلب الحديث الذى لا يحتاج إليه فى طلب الآخرة وقال عيسى عليه السلام كيف يكون من أهل العلم من مسيره إلى آخرته وهو مقبل على طريق دنياه وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به وقال صالح بن كيسان البصرى أدركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم باللسنة وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من طلب علما مما يبتغى به وجه الله تعالى ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة (١) » وقد وصف الله علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد فقال عز وجل فى علماء الدنيا ـ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا ـ وقال تعالى فى علماء الآخرة ـ وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ـ وقال بعض السلف العلماء يحشرون فى زمرة الأنبياء والقضاة يحشرون فى زمرة السلاطين وفى معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه وروى أبو الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال « أوحى الله عز وجل إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر إياى يخادعون وبى يستهزئون لأتيحن لهم فتنة تذر الحليم حيران (٢) » وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « علماء هذه الأمة رجلان رجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلى عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الأرض والكرام الكاتبون يقدم على الله عز وجل يوم القيامة سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله علما فى الدنيا فضن به على عباد الله وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا فذلك يأتى يوم القيامه ملجما بلجام من نار ينادى مناد على رؤوس الخلائق هذا فلان بن فلان آتاه الله علما فى الدنيا فضن به على عباده وأخذ به طمعا واشترى به ثمنا فيعذب حتى يفرغ من حساب الناس (٣) » وأشد من هذا ما روى أن رجلا كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول حدثنى موسى صفى الله حدثنى موسى نجى الله حدثنى موسى كليم الله حتى أثرى وكثر ماله ففقده موسى عليه السلام فجعل يسأل عنه ولا يحس له خبرا حتى جاءه رجل ذات يوم

(١) حديث أبى هريرة من طلب علما مما يبتغى به وجه الله ليصيب به عرضا الحديث أبو داود وابن ماجه باسناد جيد (٢) حديث أبى الدرداء أوحى الله إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين الحديث ابن عبد البر باسناد ضعيف (٣) حديث ابن عباس علماء هذه الأمة رجلان الحديث الطبرانى فى الأوسط باسناد ضعيف .

مزيد البيان فى تحقيق كل مرتبة وانقسام طبقات أهلها فيها إن كان يقع بينهم التفاوت وما وجه تمثيلها بالجوز فى القشور واللبوب ولم كان الأول لا ينفع والآخر الذى هو الرابع لا يحل إفشاؤه وما معنى قول أهل هذا الشأن إفشاء سر الربوبية كفر أين أصل ما قالوه فى الشرع إذ الايمان والكفر والهداية والضلال والتقريب والتبعيد والصديقية وسائر مقامات الولاية ودركات المخالفة إنما هى مآخذ شرعية وأحكام نبوية وكيف يتصور مخاطبة العقلاء الجمادات ومخاطبة الجمادات العقلاء وبماذا تسمع تلك المخاطبة أبحاسة الآذان أم بسمع القلب وما الفرق بين القلم المحسوس والقلم الإلهى وما حد عالم الملك وعالم الجبروت وحد عالم الملكوت وما معنى أن الله تعالى خلق آدم

وفى يده خنزير وفى عنقه حبل أسود فقال له موسى عليه السلام أتعرف فلانا قال نعم هو هذا الخنزير فقال موسى يارب أسألك أن ترده إلى حاله حتى أسأله بم أصابه هذا فأوحى الله عز وجل إليه لو دعوتنى بالذى دعانى به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه ولكن أخبرك لم صنعت هذا به لأنه كان يطلب الدنيا بالدين . وأغلظ من هذا ماروى معاذ بن جبل رضى الله عنه موقوفا ومرفوعا فى رواية عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع (١) » وفى الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ وفى الصمت سلامة وعلم ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك فى الدرك الأول من النار ومن العلماء من يكون فى علمه بمنزلة السلطان إن رد عليه شىء من علمه أو تهوون بشىء من حقه غضب فذلك فى الدرك الثانى من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لأهل الشرف واليسار ولا يرى أهل الحاجة له أهلا فذلك فى الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتى بالخطأ والله تعالى يبغض المتكلفين فذلك فى الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك فى الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلا وذكرا فى الناس فذلك فى الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فان وعظ عنف وإن وعظ أنف فذلك فى الدرك السابع من النار فعليك يا أخى بالصمت فبه تغلب الشيطان وإياك أن تضحك من غير عجب أو تمشى فى غير أرب وفى خبر آخر « إن العبد لينشر له من الثناء ما يملأ ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة (٢) » وروى أن الحسن حمل إليه رجل من خراسان كيسا بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البز وقال يا أبا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال الحسن عافاك الله تعالى ضم إليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك إنه من جلس مثل مجلسى هذا وقبل من الناس مثل هذا لقى الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له وعن جابر رضى الله عنه موقوفا ومرفوعا قال قال رسول الله ﷺ « لا تجلسوا عند كل عالم إلا إلى عالم يدعوكم من خمس إلى خمس من الشك إلى اليقين ومن الرياء إلى الاخلاص ومن الرغبة إلى الزهد ومن الكبر إلى التواضع ومن العداوة إلى النصيحة (٣) » قال تعالى ـ فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن ـ الآية ، فعرف أهل العلم بايثار الآخرة على الدنيا . ومنها أن لا يخالف فعله قوله بل لا يأمر بالشىء مالم يكن هو أول عامل به . قال الله تعالى ـ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ـ وقال تعالى ـ كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ـ وقال تعالى فى قصة شعيب ـ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ـ وقال تعالى ـ واتقوا الله ويعلمكم الله ـ وقال تعالى ـ واتقوا الله واعلموا ـ واتقوا الله واسمعوا ـ وقال تعالى لعيسى عليه السلام « يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحى منى » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت ليلة أسرى بى بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه (٤) » وقال

(١) حديث معاذ من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع الحديث أبو نعيم وابن الجوزى فى الموضوعات (٢) حديث إن العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة لم أجده هكذا وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة (٣) حديث جابر لا تجلسوا عند كل عالم الحديث أبو نعيم فى الحلية وابن الجوزى فى الموضوعات (٤) حديث مررت ليلة أسرى بى بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار الحديث ابن حبان من حديث أنس

على صورته وما الفرق بين الصورة الظاهرة التى يكون معتقدها منزها مجللا وما معنى الطريق فى فانك بالوادى المقدس طوى ولعله ببغداد أو أصفهان أو نيسابور أو طبرستان فى غير الوادى الذى سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى وما معنى فاستمع بسر قليل لما يوحى وهل يكون سماع القلب بغير سره وكيف يسمع لما يوحى من ليس بنبى أذلك على طريق التعميم أم على سبيل التخصيص ومن له بالتسلق إلى مثل ذلك المقام حتى يسمع أسرار الاله وإن كان على سبيل التخصيص والنبوة ليست محجورة على أحد إلا على من قصر عن سلوك تلك الطريق وما يسمع فى النداء إذا سمع هل أسمع موسى أو أسمع نفسه وما معنى الأمر للسالك بالرجوع من عالم القدرة ونهيه عن أن يتخطى رقاب الصديقين وما الذى

صلى الله عليه وسلم « هلاك أمتى عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء(١) » وقال الأوزاعى رحمه الله شكت النواويس ما تجد من نتن جيف الكفار فأوحى الله إليها بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه وقال الفضيل بن عياض رحمه الله بلغنى أن الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات وقال الشعبى يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم ما أدخلكم النار وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم فيقولون إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وننهى عن الشر ونفعله وقال حاتم الأصم رحمه الله ليس فى القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك هو وقال مالك ابن دينار إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا وأنشدوا :

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما ... إذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا ... فالموبقات لعمرى أنت جانيها
تعيب دنيا وناسا راغبين لها ... وأنت أكثر منهم رغبة فيها

وقال آخر : لا تنه عن خلق وتأتى مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله مررت بحجر بمكة مكتوب عليه اقلبنى تعتبر فقلبته فإذا عليه مكتوب أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لم تعلم وقال ابن السماك رحمه الله كم من مذكر بالله ناس لله وكم من مخوف بالله جرىء على الله وكم من مقرب إلى الله بعيد من الله وكم من داع إلى الله فار من الله وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله لقد أعربنا فى كلامنا فلم نلحن ولحنا فى أعمالنا فلم نعرب وقال الأوزاعى إذا جاء الإعراب ذهب الخشوع وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم أنه قال حدثنى عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا كنا ندرس العلم فى مسجد قباء إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا(٢) » وقال عيسى عليه السلام مثل الذى يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت فى السر فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رءوس الأشهاد وقال معاذ رحمه الله احذروا زلة العالم لأن قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته وقال عمر رضى الله عنه إذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق وقال عمر رضى الله عنه ثلاث بهن ينهدم الزمان إحداهن زلة العالم وقال ابن مسعود سيأتى على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع بالعلم يومئذ عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها عذوبة وذلك إذا مالت قلوب العلماء إلى حب الدنيا وإيثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة ويطفىء مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه أنه يخشى الله بلسانه والفجور ظاهر فى عمله فما أخصب الألسن يومئذ وما أجدب القلوب فوالله الذى لا إله إلا هو ما ذلك إلا لأن المعلمين علموا لغير الله تعالى والمتعلمين تعلموا لغير الله تعالى وفى التوراة والإنجيل مكتوب

(١) حديث هلاك أمتى عالم فاجر وشر الشرار شرار العلماء الحديث الدارمى من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا بآخر الحديث نحوه وقد تقدم ولم أجد صدر الحديث (٢) حديث عبد الرحمن ابن غنم عن عشرة من الصحابة تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا علقه ابن عبد البر وأسنده ابن عدى وأبو نعيم والخطيب فى كتاب اقتضاء العلم للعمل من حديث معاذ فقط بسند ضعيف ورواه الدارمى موقوفا على معاذ بسند صحيح .

أوصله إلى مقامهم وهو فى المرتبة الثالثة وهى توحيد المقربين وما معنى انصراف السالك بعد وصوله إلى ذلك الرفيق وإلى أين وجهته فى الانصراف وكيف صفة انصرافه وما الذى يمنعه من البقاء فى الموضع الذى وصل إليه وهو أرفع من الذى خلفه وأين هذا من قول أبى سليمان الدارانى المذكور فى غير الإحياء لو وصلوا ما رجعوا ما وصل من رجع وما معنى بأن ليس فى الإمكان أبدع من صورة هذا العالم ولا أحسن ترتيبا ولا أكمل صنعا ولو كان وادخره مع القدرة عليه كان ذلك بخلا يناقض الجود وعجزا يناقض القدرة الإلهية وما حكم هذه العلوم المكنونة هل طلبها فرض ومندوب إليه أو غير ذلك ولم كسبت المشكل من الألفاظ واللغز من العبارات وإن جاز ذلك للشارع فما له أن يختبر به ويمتحن فما بال من ليس شارعا

لا تطلبوا علم مالم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم وقال حذيفة رضى الله عنه إنكم فى زمان من ترك فيه عشر مايعلم هلك وسيأتى زمان من عمل فيه بعشر مايعلم نجا وذلك لكثرة البطالين . واعلم أن مثل العالم مثل القاضى وقد قال صلى الله عليه وسلم « القضاة ثلاثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك فى الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم أو لا يعلم فهو فى النار وقاض قضى بغير ما أمر الله به فهو فى النار[1] » وقال كعب رحمه الله يكون فى آخر الزمان علماء يزهدون الناس فى الدنيا ولا يزهدون ويخوفون الناس ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم ويؤثرون الدنيا على الآخرة يأكلون بألسنتهم يقربون الأغنياء دون الفقراء يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال يغضب أحدهم على جليسه إذا جالس غيره أولئك الجبارون أعداء الرحمن وقال صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان ربما يسوفكم بالعلم فقيل يارسول الله وكيف ذلك قال صلى الله عليه وسلم يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال للعلم قائلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل[2] » وقال سرى السقطى اعتزل رجل للتعبد كان حريصا على طلب علم الظاهر فسألته فقال رأيت فى النوم قائلا يقول لى إلى كم تضيع العلم ضيعك الله فقلت إنى لأحفظه فقال حفظ العلم العمل به فتركت الطلب وأقبلت على العمل وقال ابن مسعود رضى الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية وقال الحسن تعلموا ما شئتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا فان السفهاء همتهم الرواية والعلماء همتهم الرعاية وقال مالك رحمه الله إن طلب العلم لحسن وإن نشره لحسن إذا صحت فيه النية ولكن انظر مايلزمك من حين تصبح إلى حين تمسى فلا تؤثرن عليه شيئا وقال ابن مسعود رضى الله عنه أنزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسيأتى قوم يثقفونه مثل القناة ليسوا بخياركم والعالم الذى لا يعمل كالمريض الذى يصف الدواء وكالجائع الذى يصف لذائذ الأطعمة ولا يجدها وفى مثله قوله تعالى ـ ولكم الويل مما تصفون ـ وفى الخبر « مما أخاف على أمتى زلة عالم وجدال منافق فى القرآن[3] » .

ومنها أن تكون عنايته بتحصيل العلم النافع فى الآخرة المرغب فى الطاعات مجتنبا للعلوم التى يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال فمثال من يعرض عن علم الأعمال ويشتغل بالجدال مثل رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيبا حاذقا فى وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير والأدوية وغرائب الطب وترك مهمه الذى هو مؤاخذ به وذلك محض السفه وقد روى « أن رجلا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علمنى من غرائب العلم فقال له ماصنعت فى رأس العلم فقال وما رأس العلم قال صلى الله عليه وسلم هل عرفت الرب تعالى قال نعم قال فما صنعت فى حقه قال ماشاء الله فقال صلى الله عليه وسلم هل عرفت الموت قال نعم قال فما أعددت له قال ماشاء الله قال صلى الله عليه وسلم اذهب فأحكم ماهناك ثم تعال نعلمك من غرائب العلم[4] » بل ينبغى أن يكون المتعلم من جنس ماروى عن حاتم الأصم تلميذ شقيق البلخى رضى الله عنهما أنه قال له شقيق منذ كم صحبتنى قال حاتم منذ ثلاث وثلاثين سنة قال فما تعلمت منى فى هذه المدة قال ثمانى مسائل قال شقيق له إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب عمرى معك ولم تتعلم إلا ثمانى مسائل قال يا أستاذ لم أتعلم غيرها وإنى لأحب أن أكذب فقال هات هذه الثمانى مسائل حتى أسمعها قال حاتم نظرت إلى هذا الخلق

(١) حديث القضاة ثلاثة الحديث أصحاب السنن من حديث بريدة وهو صحيح (٢) حديث إن الشيطان ربما سبقكم بالعلم الحديث فى الجامع من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث مما أخاف على أمتى زلة عالم الحديث الطبرانى من حديث أبى الدرداء ولابن حبان نحوه من حديث عمران بن حصين

(٤) حديث أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علمنى من غرائب العلم الحديث ابن السنى وأبو نعيم فى كتاب الرياضة لهما وابن عبد البر من حديث عبد الله بن المسور مرسلا وهو ضعيف جدا .

انتهى جملة مراسم الأسئلة فى المثل فأسأل الله تعالى أن يملى علينا ماهو الحق عنده فى ذلك وأن يجرى على ألسنتنا مايستضاء به فى ظلمات المسالك وأن يعم بنفعه أهل المبادى والمدارك ثم لابد أن أمهد مقدمة وأؤكد قاعدة وأؤكد وصية. أما المقدمة فالغرض بها تبيين عبارات انفرد بها أرباب الطريق تغمض معانيها على أهل القصور فنذكر مايغمض منها ونذكر المقصد بها عندهم فرب واقف على ما يكون من كلامنا مختصا بهذا الفن فى هذا وغيره فيتوقف عليه فهم معناه من جهة اللفظ وأما القاعدة فنذكر فيها الاسم الذى يكون سلوكنا فى هذه العلوم عليه والسمت الذى ننوى بمقصدنا إليه ليكون ذلك أقرب على المتأمل وأسهل على الناظر المتفهم وأما الوصية فنقصد فيها تعريف ماعلى من نظر فى كلام الناس وآخذ

فرأيت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه إلى القبر فاذا وصل إلى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فاذا دخلت القبر دخل محبوبي معي فقال أحسنت ياحاتم فما الثانية فقال نظرت في قول الله عز وجل ـ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ـ فعلمت أن قوله سبحانه وتعالى هو الحق فأجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى الثالثة أني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت إلى قول الله عز وجل ـ ماعندكم ينفد وماعند الله باق ـ فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله ليبقى عنده محفوظا الرابعة أني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحسب والشرف والنسب فنظرت فيها فاذا هي لاشيء ثم نظرت إلى قول الله تعالى ـ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ـ فعملت في التقوى حتى أكون عند الله كريما الخامسة أني نظرت إلى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضا وأصل هذا كله الحسد ثم نظرت إلى قول الله عز وجل ـ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ـ فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه وتعالى فتركت عداوة الخلق عني السادسة نظرت إلى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت إلى قول الله عز وجل ـ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ـ فعاديته وحده واجتهدت في أخذ حذري منه لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدو لي فتركت عداوة الخلق غيره السابعة نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت إلى قوله تعالى ـ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ـ فعلمت أني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى علي وتركت مالي عنده الثامنة نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق هذا على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله فرجعت إلى قوله تعالى ـ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ـ فتوكلت على الله عز وجل فهو حسبي . قال شقيق ياحاتم وفقك الله تعالى فاني نظرت في علوم التوراة والانجيل والزبور والفرقان العظيم فوجدت جميع أنواع الخير والديانة وهي تدور على هذه الثمان مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة فهذا الفن من العلم لايهتم بادراكه والتفطن له إلا علماء الآخرة فأما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون أمثال هذه العلوم التي بعث الله بها الأنبياء كلهم عليهم السلام وقال الضحاك بن مزاحم أدركتهم ومايتعلم بعضهم من بعض إلا الورع وهم اليوم مايتعلمون إلا الكلام . ومنها أن يكون غير مائل إلى الترفه في المطعم والمشرب والتنعم في الملبس والتجمل في الأثاث والمسكن بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله تعالى ويميل إلى الاكتفاء بالأقل في جميع ذلك وكلما زاد إلى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه وارتفع في علماء الآخرة حزبه . ويشهد لذلك ماحكي عن أبي عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم الأصم قال دخلت مع حاتم إلى الري ومعنا ثلثمائة وعشرون رجلا يريد الحج وعليهم الزرمانقات وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فأضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم ألك حاجة فاني أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل قال حاتم عيادة المريض فيها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أيضا أجيء معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري فلما جئنا إلى الباب فاذا قصر مشرف حسن فبقي حاتم متفكرا يقول باب عالم على هذه الحالة ثم أذن لهم فدخلوا فاذا دار حسناء فوراء واسعة نزهة وإذا بزة وستور فبقي حاتم متفكرا ثم دخلوا إلى المجلس الذي هو فيه وإذا بفرش وطيئة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة فقعد الزائر عند رأسه وسأل عن حاله وحاتم قائم فأومأ إليه ابن مقاتل أن اجلس فقال لا أجلس فقال لعل لك حاجة

نفسه بالاطلاع على أغراضهم فيما ألفوه من تصانيفهم وكيف يكون نظره فيها واطلاعه عليها واقتباسه منها فذلك أوكد عليه أن يتعلمه من ظهورها فشردوا عنها وغلقت في وجوههم الأبواب وأسدل دونهم الحجاب ولو أتوها من أبوابها بالترحيب وولجوا على الرضا بالحبيب لكشف لهم كثير من حجب الغيوب والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

[المقدمة] : اعلم أن الألفاظ المستعملة منها ما يستعمله الجماهير والعموم ومنها ما يستعمله أرباب الصنائع والصنائع على ضربين علمية وعملية فالعملية كالمهن والحرف ولأهل كل صناعة منهم ألفاظ يتفاهمون بها آلاتهم ويتعاطون أصول صناعتهم والعلمية هي العلوم المحفوظة بالقوانين المعدلة بما تحرر من الموازين ولأهل كل علم أيضا ألفاظ اختصوا بها لايشاركهم فيها غيرهم

فقال نعم قال وماهى قال مسئلة أسألك عنها قال سل قال قم فاستو جالسا حتى أسألك واستوى جالسا قال حاتم علمك هذا من أين أخذته فقال من الثقات حدثونى به قال عمن قال عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل قال حاتم ففيما أداه جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأداه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وأصحابه إلى الثقات وأداه الثقات إليك هل سمعت فيه من كان فى داره إشراف وكانت سعتها أكثر كان له عند الله عز وجل المنزلة أكبر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت أنه من زهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كانت له عند الله المنزلة قال له حاتم فأنت بمن اقتديت أبالنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم والصالحين رحمهم الله أم بفرعون ونمروذ أول من بنى بالجص والآجر ياعلماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة أفلا أكون أنا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ أهل الرى ماجرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له إن الطنافسى بقزوين أكثر توسعا منه فسار حاتم متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله أنا رجل أعجمى أحب أن تعلمنى مبدأ دينى ومفتاح صلاتى كيف أتوضأ للصلاة قال نعم وكرامة ياغلام هات إناء فيه ماء فأتى به فقعد الطنافسى فتوضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا فتوضأ فقال حاتم مكانك حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكد لما أريد فقام الطنافسى وقعد حاتم فتوضأ ثم غسل ذراعيه أربعا أربعا فقال الطنافسى ياهذا أسرفت قال له حاتم فماذا قال غسلت ذراعيك أربعا فقال حاتم ياسبحان الله العظيم أنا فى كف من ماء أسرفت وأنت فى جميع هذا كله لم تسرف فعلم الطنافسى أنه قصد ذلك دون التعلم فدخل منزله فلم يخرج إلى الناس أربعين يوما فلما دخل حاتم بغداد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا ياأبا عبد الرحمن أنت رجل ألكن أعجمى وليس يكلمك أحد إلا قطعته قال معى ثلاث خصال أظهر بهن على خصمى أفرح إذا أصاب خصمى وأحزن إذا أخطأ وأحفظ نفسى أن لا أجهل عليه فبلغ ذلك الإمام أحمد بن حنبل فقال سبحان الله ما أعقله قوموا بنا إليه فلما دخلوا عليه قال له ياأبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال يا أبا عبد الله لاتسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك منهم وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم آيسا فاذا كنت هكذا سلمت ، ثم سار إلى المدينة فاستقبله أهل المدينة فقال ياقوم أية مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأين قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصلى فيه قالوا ماكان له قصر إنما كان له بيت لاطىء بالأرض قال فأين قصور أصحابه رضى الله عنهم قالوا ماكان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لاطئة بالأرض قال حاتم ياقوم فهذه مدينة فرعون فأخذوه وذهبوا به إلى السلطان وقالوا هذا العجمى يقول هذه مدينة فرعون قال الوالى ولم ذلك قال حاتم لاتعجل على أنا رجل أعجمى غريب دخلت البلد فقلت مدينة من هذه فقالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت فأين قصره وقص القصة ، ثم قال وقد قال الله تعالى ـ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ـ فأنتم بمن تأسيتم أبرسول الله صلى الله عليه وسلم أم بفرعون أول من بنى بالجص والآجر فخلوا عنه وتركوه . فهذه حكاية حاتم الأصم رحمه الله تعالى وسيأتى من سيرة السلف فى البذاذة وترك التجمل ما يشهد لذلك فى مواضعه

إلا أن يكون ذلك بالاتفاق من غير قصد وتكون المشاركة إذا اتفقت إما فى صورة اللفظ دون المعنى أو فى المعنى وصورة اللفظ جميعا وهذا يعرفه من بحث عن مجارى الألفاظ عند الجمهور وأرباب الصنائع وإنما سمينا من العلوم صنائع ماقصد فيها التصنع بالترتيب فى التقسيم واختيار لفظ دون غيره وحده بطرفين مبدإ وغاية ومالم يكن كذلك فلا نسميه صناعة كعلوم الأنبياء صلوات الله عليهم والصحابة رضى الله عنهم فانهم لم يكونوا فيما عندهم من العلم على طريق من بعدهم ولا كانت العلوم عندهم بالرسم الذى هو عند من خلفهم ومثل ذلك علوم العرب ولسانها لانسميها عندهم صناعة ونسميها بذلك عند ضبطها بما اشتهر من القوانين وتقرر من الحصر والترتيب ولأرباب العلوم الروحانية وأهل الاشارات إلى الحقائق

والتحقيق فيه أن التزين بالمباح ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الأنس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لاتمكن إلا بمباشرة أسباب فى الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصى من المداهنة ومراعاة الخلق ومراءاتهم وأمور أخرى هى محظورة والحزم اجتناب ذلك لأن من خاض فى الدنيا لايسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض فيها لكان صلى الله عليه وسلم لايبالغ فى ترك الدنيا حتى نزع القميص المطرز بالعلم (١) ونزع خاتم الذهب فى أثناء الخطبة (٢) الى غير ذلك مما سيأتى بيانه . وقد حكى أن يحيى بن يزيد النوفلى كتب الى مالك بن أنس رضى الله عنهما بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسوله محمد فى الأولين والآخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك إلى مالك بن أنس أما بعد فقد بلغنى أنك تلبس الدقاق وتأكل الرقاق وتجلس على الوطىء وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم وقد ضربت إليك المطىء وارتحل إليك الناس واتخذوك إماما ورضوا بقولك فاتق الله تعالى يامالك وعليك بالتواضع كتبت إليك بالنصيحة منى كتابا مااطلع عليه غير الله سبحانه وتعالى والسلام ، فكتب إليه مالك بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم من مالك بن أنس إلى يحيى بن يزيد سلام الله عليك . أما بعد فقد وصل إلى كتابك فوقع منى موقع النصيحة والشفقة والأدب أمتعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا وأسأل الله تعالى التوفيق ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم فأما ما ذكرت لى أنى آكل الرقاق وألبس الدقاق وأحتجب وأجلس على الوطىء فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى فقد قال الله تعالى ـ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ـ وانى لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلام . فانظر إلى إنصاف مالك إذ اعترف أن ترك ذلك خير من الدخول فيه وأفتى بأنه مباح وقد صدق فيهما جميعا ومثل مالك فى منصبه إذا سمحت نفسه بالإنصاف والاعتراف فى مثل هذه النصيحة فتقوى أيضا نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لايحمله ذلك على المراءاة والمداهنة والتجاوز إلى المكروهات ، وأما غيره فلا يقدر عليه فالتعريج على التنعم بالمباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصية علماء الله تعالى الخشية وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر . ومنها أن يكون مستقصيا عن السلاطين فلا يدخل عليهم البتة مادام يجد إلى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغى أن يحترز عن مخالطتهم وإن جاءوا إليه فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها بأيدى السلاطين والمخالط لهم لايخلو عن تكلف فى طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع أنهم ظلمة ويجب على كل متدين الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم إما أن يلتفت إلى تجملهم فيزدرى نعمة الله عليه أو يسكت عن الإنكار عليهم فيكون مداهنا لهم أو يتكلف فى كلامه كلاما لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح أو أن يطمع فى أن ينال من دنياهم وذلك هو السحت وسيأتى فى كتاب الحلال والحرام مايجوز أن يؤخذ من أموال السلاطين وما لا يجوز من الادرار والجوائز وغيرها وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للشرور وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط . وقد قال صلى الله عليه وسلم «من بدا جفا» يعنى من سكن البادية جفا «ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن (٣)» وقال صلى الله عليه وسلم « سيكون عليكم أمراء

(١) حديث نزع القميص المعلم متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث نزع الخاتم الذهب فى أثناء الخطبة متفق عليه من حديث ابن عمر .

(٣) حديث من بدا جفا الحديث أبوداود والترمذى وحسنه والنسائى من حديث ابن عباس .

والمسمين بالسادة والملقبين بالصوفية والمتشبهين بالفقراء والمعروفين بالرقة والمعزى إليهم العلم والعمل ألفاظ جرى رسمهم بالتخاطب بها فيما يتذاكرون أو يذكرونه ونحن إن شاء الله نذكر مايغمض منها إذ قد يقع منا عند مانذكر شيئا من علومهم ونشير إلى غرض من أغراضهم فلم نرأن يكون ذلك بغير ماعرف من ألفاظهم وعباراتهم ولا حرج فى ذلك عقلا وشرعا ونحن بحكم مصرف التقدير وهو على كل شىء قدير . فمن ذلك السفر والسالك والمسافر والحال والمقام والمكان والشطح والطوالع والذهاب والنفس والسر والوصل والفصل والأدب والرياضة والتحلى والتخلى والتجلى والعلة والانزعاج والمشاهدة والمكاشفة واللوائح والتلوين والغيرة والحرية واللطيفة والفتوح والوسم والرسم والبسط

تعرفون منهم وتنكرون فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضى وتابع أبعده الله تعالى قيل أفلا نقاتلهم قال صلى الله عليه وسلم لا ماصلوا (١) » وقال سيفان فى جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزائرون للملوك وقال حذيفة إياكم ومواقف الفتن قيل وما هى ؟ قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول فيه ماليس فيه وقال رسول الله ﷺ «العلماء أمناء الرسل على عباد الله تعالى مالم يخالطوا السلاطين فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم (٢) » رواه أنس . وقيل للأعمش لقد أحييت العلم لكثرة من يأخذه عنك فقال لاتعجلوا ثلث يموتون قبل الادراك وثلث يلزمون أبواب السلاطين فهم شر الخلق والثلث الباقى لايفلح منه إلا القليل ولذلك قال سعيد بن المسيب رحمه الله إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فاحترزوا منه فانه لص وقال الأوزاعى ما من شىء أبغض إلى الله تعالى من عالم يزور عاملا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء (٣) » وقال مكحول الدمشقى رحمه الله من تعلم القرآن وتفقه فى الدين ثم صحب السلطان تملقا إليه وطمعا فيما لديه خاض فى بحر من نار جهنم بعدد خطاه وقال سمنون ما أسمج بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسئل عنه فيقال هو عند الأمير قال وكنت أسمع أنه يقال إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك إذ مادخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسى بعد الخروج فأرى عليها الدرك وأنتم ترون ماألقاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت أن أنجو من الدخول عليه كفافا مع أنى لا آخذ منه شيئا ولا أشرب له شربة ماء ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بنى إسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ولو أخبروه بالذى عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم عليه وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم وقال الحسن كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم فى الاسلام وصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن المبارك عنى به سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال وكان لايغشى السلاطين وينفر عنهم فقال له بنوه يأتى هؤلاء من ليس هو مثلك فى الصحبة والقدم فى الاسلام فلو أتيتهم فقال يابنى آتى جيفة قد أحاط بها قوم والله لئن استطعت لأشاركهم فيها . قالوا ياأبانا إذن نهلك هزالا قال يابنى لأن أموت مؤمنا مهزولا أحب إلى من أن أموت منافقا سمينا قال الحسن خصمهم والله إذا علم أن التراب يأكل اللحم والسمن دون الإيمان وفى هذا إشارة إلى أن الداخل على السلطان لايسلم من النفاق البتة وهو مضاد للايمان وقال أبو ذر لسلمة ياسلمة لاتغش أبواب السلاطين فانك لاتصيب شيئا من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لاسيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو إذ لايزال الشيطان يلقى إليه أن فى وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع إلى أن يخيل إليه أن الدخول عليهم من الدين ثم إذا دخل لم يلبث أن يتلطف فى الكلام ويداهن ويخوض فى الثناء والإطراء وفيه هلاك الدين وكان يقال العلماء إذا علموا عملوا فاذا عملوا اشغلوا فاذا شغلوا فقدوا فاذا فقدوا طلبوا فاذا طلبوا هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى الحسن : أما بعد فأشر علىّ بأقوام

(١) حديث سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون الحديث مسلم من حديث أم سلمة
(٢) حديث أنس العلماء أمناء الرسل على عباد الله الحديث العقيلى فى الضعفاء وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات (٣) حديث شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء ابن ماجه بالشطر الأول نحوه من حديث أبى هريرة بسند ضعيف .

والقبض والفناء والبقاء والجمع والتفرقة وعين التحلم والزوائد والارادة والمريد والمراد والهمة والغربة والمكر والاصطلام والرغبة والرهبة والوجد والوجود والتواجد فنذكر شرح هذه على أوجز ما يمكن بمشيئة الله تعالى وإن كانت ألفاظهم المصرفة بينهم فى علومهم أكثر مما ذكرنا فانما قصدنا أن نريك منها أنموذجا ودستورا تتعلم به إذا طرأ عليك مالم نذكره لك ههنا إذ لها مبحث وإليها سبيل فتطلبه بعد ذلك على وجهه (فأما السفر والطريق) فالمراد بهما سفر القلب بآلة الفكر فى طريق المعقولات وعلى ذلك ابتنى لفظ السالك والمسافر فى لغتهم ولم يريد بذلك سلوك الأقدام التى بها يقطع مسافات الأجسام فان ذلك مما شاركه فيه البهائم والأنعام وأول مسالك السفر إلى الله تعالى عز وجل معرفة

أستعين بهم على أمر الله تعالى فكتب إليه أما أهل الدين فلا يريدونك وأما أهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالأشراف فانهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة هذا فى عمر بن عبد العزيز رحمه الله وكان أزهد أهل زمانه فاذا كان شرط أهل الدين الهرب منه فكيف يستنسب طلب غيره ومخالطته ولم يزل السلف العلماء مثل الحسن والثورى وابن المبارك والفضيل وابراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط يتكلمون فى علماء الدنيا من أهل مكة والشام وغيرهم إما لميلهم إلى الدنيا وإما لمخالطتهم السلاطين .

ومنها أن لا يكون مسارعا إلى الفتيا بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد إلى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب الله أو بنص حديث أو إجماع أو قياس جلى أفتى وإن سئل عما يشك فيه قال لا أدرى وإن سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره إن كان فى غيره غنية هذا هو الحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفى الخبر « العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدرى (١) » قال الشعبى لا أدرى نصف العلم ومن سكت حيث لا يدرى لله تعالى فليس بأقل أجرا ممن نطق لأن الاعتراف بالجهل أشد على النفس فهكذا كانت عادة الصحابة والسلف رضى الله عنهم كان ابن عمر إذا سئل عن الفتيا قال اذهب إلى هذا الأمير الذى تقلد أمور الناس فضعها فى عنقه وقال ابن مسعود رضى الله عنه إن الذى يفتى الناس فى كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة العالم لا أدرى فان أخطأها فقد أصيبت مقاتله وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله ليس شئ أشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول انظروا إلى هذا سكوته أشد علىّ من كلامه ووصف بعضهم الأبدال فقال أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة أى لا يتكلمون حتى يسألوا وإذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا فان اضطروا أجابوا وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام ومرّ على وعبد الله رضى الله عنهما برجل يتكلم على الناس فقال هذا يقول اعرفونى وقال بعضهم إنما العالم الذى إذا سئل عن المسئلة فكأنما يقلع ضرسه وكان ابن عمر يقول تريدون أن تجعلونا جسرا تعبرون علينا إلى جهنم وقال أبو حفص النيسابورى العالم هو الذى يخاف عند السؤال أن يقال له يوم القيامة من أين أجبت وكان ابراهيم التيمى إذا سئل عن مسئلة يبكى ويقول لم تجدوا غيرى حتى احتجتم إلىّ وكان أبو العالية الرياحى وابراهيم بن أدهم والثورى يتكلمون على الاثنين والثلاثة والنفر اليسير فاذا كثروا انصرفوا وقال صلى الله عليه وسلم « ما أدرى أعزير نبى أم لا وما أدرى أتبع ملعون أم لا وما أدرى ذو القرنين نبى أم لا (٢) » ولما سئل رسول الله ﷺ عن خير البقاع فى الأرض وشرها قال لا أدرى حتى نزل عليه جبريل عليه السلام فسأله فقال لا أدرى إلى أن أعلمه الله عز وجل أن خير البقاع المساجد وشرها الأسواق (٣) » وكان ابن عمر رضى الله عنهما يسئل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع وكان ابن عباس رضى الله عنهما يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة وكان فى الفقهاء من يقول لا أدرى أكثر ممن يقول أدرى منهم سفيان الثورى ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل والفضيل ابن عياض وبشر بن الحرث وقال عبد الرحمن بن أبى ليلى أدركت فى هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم أحد يسئل عن حديث أو فتيا إلا ودّ أن أخاه كفاه ذلك

(١) حديث العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدرى، الخطيب فى أسماء من روى عن مالك موقوفا على ابن عمر ولأبى داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا نحوه مع اختلاف وقد تقدم

(٢) حديث ما أدرى أعزير نبى أم لا الحديث أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة

(٣) حديث لما سئل عن خير البقاع وشرها قال لا أدرى حتى نزل جبريل الحديث أحمد وأبو يعلى والبزار والحاكم وصححه ونحوه من حديث ابن عمر .

قواعد الشرع وخرق حجب الأمر والنهى وتعلق الغرض فيها والمراد بها ومنها فاذا خلفوا نواحيها وقطعوا معاطنها أشرفوا على مفاوز أوسع وبرزت لهم مهامه أعرض وأطول من ذلك معرفة أركان المعارف النبوية النفس والعدوّ والدنيا فاذا تخلصوا من أوعارها أشرفوا على غيرها أعظم منها فى الانتساب وأعرض بغير حساب من ذلك سرّ القدر وكيف خفى بحكم فى الخلائق وقادهم بلطف فى عنف وشدة فى لين وبقوّة فى ضعف وباختيار فى جبر إلى ما هو فى مجاريه لا يخرج المخلفون عنه طرفة عين ولا يتقدّمون ولا يتأخرون عنه والإشراف على الملكوت الأعظم ورؤية عجائب ومشاهدة غرائب مثل العلم الإلهى واللوح المحفوظ واليمين الكاتبة وملائكة الله يطوفون حول العرش وبالبيت المعمور وهم يسبحونه

وفى لفظ آخر كانت المسئلة تعرض على أحدهم فيردها إلى الآخر ويردها الآخر إلى الآخر حتى تعود إلى الأول . وروى أن أصحاب الصفة أهدى إلى واحد منهم رأس مشوى وهو فى غاية الضر فأهداه إلى الآخر وأهداه الآخر إلى الآخر هكذا دار بينهم حتى رجع إلى الأول فانظر الآن كيف انعكس أمر العلماء فصار المهروب منه مطلوبا والمطلوب مهروبا منه ويشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتاوى ماروى مسندا عن بعضهم أنه قال لايفتى الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف وقال بعضهم كان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء الإمامة والوصية والوديعة والفتيا وقال بعضهم كان أسرعهم إلى الفتيا أقلهم علما وأشدهم دفعا لها أورعهم وكان شغل الصحابة والتابعين رضى الله عنهم فى خمسة أشياء قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وذلك لما سمعوه من قوله صلى الله عليه وسلم « كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاثة أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله تعالى (١) » وقال تعالى ـ لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ـ الآية ورأى بعض العلماء بعض أصحاب الرأى من أهل الكوفة فى المنام فقال مارأيت فيما كنت عليه من الفتيا والرأى فكره وجهه وأعرض عنه وقال ما وجدناه شيئا وما حمدنا عاقبته وقال ابن حصين إن أحدهم ليفتى فى مسئلة لو وردت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه لجمع لها أهل بدر فلم يزل السكوت دأب أهل العلم إلا عند الضرورة . وفى الحديث « إذا رأيتم الرجل قد أوتى صمتا وزهدا فاقتربوا منه فانه يلقن الحكمة (٢) » وقيل العالم إما عالم عامة وهو المفتى وهم أصحاب السلاطين أوعالم خاصة وهو العالم بالتوحيد وأعمال القلوب وهم أصحاب الزوايا المتفرقون المنفردون وكان يقال مثل أحمد بن حنبل مثل دجلة كل أحد يغترف منها ومثل بشر بن الحرث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها إلا واحد بعد واحد وكانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان أكثر كلاما وفلان أكثر عملا وقال أبو سليمان المعرفة إلى السكوت أقرب منها إلى الكلام وقيل إذا كثر العلم قل الكلام وإذا كثر الكلام قل العلم وكتب سلمان إلى أبى الدرداء رضى الله عنهما وكان قد آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) : ياأخى بلغنى أنك قعدت طبيبا تداوى المرضى فانظر فان كنت طبيبا فتكلم فان كلامك شفاء وإن كنت متطببا فالله الله لاتقتل مسلما فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك إذا سئل وكان أنس رضى الله عنه إذا سئل يقول سلوا مولانا الحسن وكان ابن عباس رضى الله عنهما إذا سئل يقول سلوا حارثة بن زيد وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول سلوا سعيد بن المسيب . وحكى أنه روى صحابى فى حضرة الحسن عشرين حديثا فسئل عن تفسيرها فقال ماعندى إلا مارويت فأخذ الحسن فى تفسيرها حديثا حديثا فتعجبوا من حسن تفسيره وحفظه فأخذ الصحابى كفا من حصى ورماهم به وقال تسألونى عن العلم وهذا الحبر بين أظهركم . ومنها أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء فى انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة تفضى إلى المشاهدة ودقائق علوم القلب تتفجر بها ينابيع الحكمة من القلب وأما الكتب والتعليم فلا تفى بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعدّ إنما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الأعمال

(١) حديث كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاثة الحديث الترمذى وابن ماجه من حديث أم حبيبة قال الترمذى حديث غريب (٢) حديث إذا رأيتم الرجل قد أوتى صمتا وزهدا الحديث ابن ماجه من حديث ابن خلاد باسناد ضعيف (٣) حديث مؤاخاته صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبى الدرداء البخارى من حديث أبى جحيفة .

ويقدسونه وفهم كلام المخلوقات من الحيوانات والجمادات ثم التخطى منها إلى معرفة الخالق للكل والمالك للجميع والقادر على كل شىء فتغشاهم الأنوار المحرقة ويتجلى لمرآة قلوبهم الحقائق المحتجبة فيعلمون الصفات ويشاهدون الموصوف ويحجبون حيث غاب أهل الدعوى ويبصرون ماعمى عنه أولو الأبصار الضعيفة بحجب الهوى . والحال منزلة العبد فى الحين فيصفو له فى الوقت حاله ووقته وقيل هو ما يتحول فيه العبد ويتغير مما يرد على قلبه فاذا صفا تارة وتغير أخرى قيل له حال وقال بعضهم الحال لايزول فاذا زال لم يكن حالا . والمقام هو الذى يقوم به العبد فى الأوقات من أنواع المعاملات وصنوف المجاهدات فمتى أقيم العبد بشىء منها على التمام والكمال فهو مقامه حتى ينقل منه إلى غيره

الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله عز وجل فى الخلوة مع حضور القلب بصافى الفكرة والانقطاع إلى الله تعالى عما سواه فذلك مفتاح الإلهام ومنبع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على الفهم فى التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوى الألباب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم (١) » وفى بعض الكتب السالفة يا بنى إسرائيل لا تقولوا العلم فى السماء من ينزل به إلى الأرض ولا فى تخوم الأرض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر يأتى به ، العلم مجعول فى قلوبكم تأدبوا بين يدى بآداب الروحانيين وتخلقوا لى بأخلاق الصديقين أظهر العلم فى قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم وقال سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء ثم تلا قوله تعالى ـ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ـ الآية ولولا أن إدراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال ﷺ « استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك » وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى « لا يزال العبد يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به (٢) » الحديث فكم من معان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب المتجردين للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين وإذا انكشف ذلك للمريد المراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية وألطاف الله تعالى بالهمم العالية المتوجهة إليه وكذلك فى علوم المكاشفة وأسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب فان كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه وإنما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق منه وبحسب ما وفق له من حسن العمل وفى وصف هؤلاء العلماء قال على رضى الله عنه فى حديث طويل القلوب أوعية وخيرها أوعاها للخير والناس ثلاثة عالم ربانى ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع أتباع لكل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا إلى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكو على الإنفاق والمال ينقصه الإنفاق والعلم دين يدان به تكتسب به الطاعة فى حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان الأموال وهم أحياء والعلماء أحياء باقون ما بقى الدهر ثم تنفس الصعداء وقال هاه إن ههنا علما جما لو وجدت له حملة بل أجد طالبا غير مأمون يستعمل آلة الدين فى طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله على أوليائه ويستظهر بحجته على خلقه أو منقادا لأهل الحق لكن ينزرع الشك فى قلبه بأول عارض من شبهة لا بصيرة له لاذا ولا ذاك أو منهوما باللذات سلس القياد فى طلب الشهوات أو مغرى بجمع الأموال والادخار منقادا لهواه أقرب شبها بهم الأنعام السائمة اللهم هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه ثم لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهر مكشوف وإما خائف مقهور لكيلا تبطل حجج الله تعالى وبيناته وكم وأين أولئك هم الأقلون عددا الأعظمون قدرا أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها من ورائهم ويزرعوها فى قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك أولياء الله عز وجل من خلقه وأمناؤه وعماله فى أرضه والدعاة إلى دينه ثم بكى وقال واشوقاه إلى رؤيتهم

(١) حديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس وضعفه (٢) حديث لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ كنت سمعه وبصره وهو فى الحلية كما ذكره المؤلف من حديث أنس بسند ضعيف.

والمكان هو لأهل الكمال والتمكين والنهاية فاذا كمل العبد فى معانيه فقد تمكن من المكان وغير المقامات والأحوال فيكون صاحب مكان كما قال بعضهم :

مكانك من قلبى هو القلب كله
فليس لشىء فيه غيرك موضع

والشطح كلام يترجم به اللسان عن وجد يفيض عن معدنه مقرون بالدعوى إلا أن يكون صاحبه محفوظا والطوالع أنواع التوحيد يطلع على قلوب أهل المعرفة شعاعها فيطمس سلطان نورها الألوان كما أن نور الشمس يمحو أنوار الكواكب والذهاب هو أن يغيب القلب عن حس كل محسوس بمشاهدة محبوبها . والنفس روح سلطه الله على نار القلب ليطفئ شرها والسر ما خفى عن الخلق فلا يعلم به إلا الحق وسر السر ما لا يحس به السر . والسر ثلاثة

فهذا الذى ذكره أخيرا هو وصف علماء الآخرة وهو العلم الذى يستفاد أكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة . ومنها أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين فان اليقين هو رأس مال الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اليقين الإيمان كله[1] » فلابد من تعلم علم اليقين أعنى أوائله ثم ينفتح للقلب طريقه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « تعلموا اليقين[2] » ومعناه جالسوا الموقنين واستمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوى يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير من العمل وقال صلى الله عليه وسلم « لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد فى العبادة قليل اليقين فقال صلى الله عليه وسلم : ما من آدمى إلا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لأنه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة[3] » ولذلك قال ﷺ « إن من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار[4] » وفى وصية لقمان لابنه يا بنى لا يستطاع العمل إلا باليقين ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقال يحيى بن معاذ إن للتوحيد نورا وللشرك نارا وان نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين وأراد به اليقين وقد أشار الله تعالى فى القرآن إلى ذكر الموقنين فى مواضع دل بها على أن اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات . فان قلت فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلابد من فهمه أولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فان ما لا نفهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم أن اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين أما النظار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك إذ ميل النفس إلى التصديق بالشىء له أربع مقامات : الأول أن يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما إذا سئلت عن شخص معين أن الله تعالى يعاقبه أم لا وهو مجهول الحال عندك فان نفسك لا تميل إلى الحكم فيه باثبات ولا نفى بل يستوى عندك إمكان الأمرين فيسمى هذا شكا . الثانى أن تميل نفسك إلى أحد الأمرين مع الشعور بامكان نقيضه ولكنه إمكان لا يمنع ترجيح الأول كما إذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى أنه بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب فان نفسك تميل إلى أنه لا يعاقب أكثر من ميلها إلى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فأنت تجوز اختفاء أمر موجب للعقاب فى باطنه وسريرته فهذا التجويز مساو لذلك الميل ولكنه غير دافع رجحانه فهذه الحالة تسمى ظنا . الثالث أن تميل النفس إلى التصديق بشىء بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال غيره ولو خطر بالبال تأبى النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك مع معرفة محققة إذ لو أحسن صاحب هذا المقام التأمل والإصغاء إلى التشكيك والتجويز اتسعت نفسه للتجويز وهذا يسمى اعتقادا مقاربا لليقين وهو اعتقاد العوام فى الشرعيات كلها إذا رسخ فى نفوسهم بمجرد السماع حتى إن كل فرقة تثق بصحة مذهبها وإصابة إمامها ومتبوعها ولو ذكر لأحدهم إمكان خطأ إمامه نفر عن قبوله . الرابع المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذى لا يشك فيه ولا يتصور الشك فيه فاذا امتنع وجود الشك وإمكانه يسمى يقينا

(١) حديث اليقين الإيمان كله البيهقى فى الزهد والخطيب فى التاريخ من حديث ابن مسعود بإسناد حسن (٢) حديث تعلموا اليقين أبو نعيم من رواية ثور بن يزيد مرسلا وهو معضل ورواه ابن أبى الدنيا فى اليقين من قول خالد بن معدان (٣) حديث قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب الترمذى الحكيم فى النوادر من حديث أنس بإسناد مظلم (٤) حديث من أولى ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث لم أقف له على أصل وروى ابن عبد البر من حديث معاذ ما أنزل الله شيئا أقل من اليقين ولا قسم شيئا بين الناس أقل من الحلم الحديث .

سر العلم وسر الحال وسر الحقيقة فسر العلم حقيقة العالمين بالله عز وجل وسر الحال معرفة مراد الله فى الحال من الله وسر الحقيقة ما وقعت به الإشارة . والوصل إدراك الفائت . والفصل قوت ما ترجوه من محبوبك . والأدب ثلاثة : أدب الشريعة وهو التعلق بأحكام العلم بصحة عزم الخدمة والثانى أدب الخدمة وهو التشمر عن العلامات والتجرد عن الملاحظات . والثالث أدب الحق وهو موافقة الحق بالمعرفة . والرياضة اثنان رياضة الأدب وهو الخروج عن طبع النفس ورياضة الطلب وهو صحة المراد والتحلى التشبه بأحوال الصادقين بالأحوال وإظهار الأعمال . والتخلى اختيار الخلوة والإعراض عن كل ما يشغل عن الحق والتجلى هو ما ينكشف للقلوب من أنوار

عند هؤلاء ومثاله أنه إذا قيل للعاقل هل فى الوجود شئ هو قديم فلا يمكنه التصديق به بالبديهة لأن القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فانه يصدق بوجودهما بالحس وليس العلم بوجود شئ قديم أزلى ضروريا مثل العلم بأن الاثنين أكثر من الواحد ومثل العلم بأن حدوث حادث بلا سبب محال فان هذا أيضا ضرورى فى غريزة العقل أن تتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقا جزما ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو أن يقال له إن لم يكن فى الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة فان كانت كلها حادثة فهى حادثة بلا سبب أو فيها حادث بلا سبب وذلك محال فالمؤدى إلى المحال محال فيلزم فى العقل التصديق بوجود شئ قديم بالضرورة لأن الأقسام ثلاثة وهى أن تكون الموجودات كلها قديمة أو كلها حادثة أو بعضها قديمة وبعضها حادثة فان كانت كلها قديمة فقد حصل المطلوب إذ ثبت على الجملة قديم وإن كان الكل حادثا فهو محال إذ يؤدى إلى حدوث بغير سبب فيثبت القسم الثالث أو الأول وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا عند هؤلاء سواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه أو حصل بحس أو بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب أو بتواتر كالعلم بوجود مكة أو بتجربة كالعلم بأن السقمونيا المطبوخ مسهل أو بدليل كما ذكرنا فشرط إطلاق هذا الاسم عندهم عدم الشك فكل علم لا شك فيه يسمى يقينا عند هؤلاء وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف إذ لا تفاوت فى نفى الشك . الاصطلاح الثانى اصطلاح الفقهاء والمتصوفة وأكثر العلماء وهو أن لا يلتفت فيه إلى اعتبار التجويز والشك بل إلى استيلائه وغلبته على العقل حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع أنه لا شك فيه ويقال فلان قوى اليقين فى إتيان الرزق مع أنه قد يجوز أنه لا يأتيه فمهما مالت النفس إلى التصديق بشئ وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف فى النفس بالتجويز والمنع سمى ذلك يقينا ولا شك فى أن الناس مشتركون فى القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن فيهم من لا يلتفت إليه ولا إلى الاستعداد له وكأنه غير موقن به ، ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق جميع همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحن إنما أردنا بقولنا إن من شأن علماء الآخرة صرف العناية إلى تقوية اليقين بالمعنيين جميعا وهو نفى الشك ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكم عليها المتصرف فيها فاذا فهمت هذا علمت أن المراد من قولنا إن اليقين ينقسم ثلاثة أقسام بالقوة والضعف والكثرة والقلة والخفاء والجلاء فأما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثانى وذلك فى الغلبة والاستيلاء على القلب ودرجات معانى اليقين فى القوة والضعف لا تتناهى وتفاوت الخلق فى الاستعداد للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعانى وأما التفاوت بالخفاء والجلاء فى الاصطلاح الأول فلا ينكر أيضا أما فيما يتطرق إليه التجويز فلا ينكر ، أعنى الاصطلاح الثانى وفيما انتفى الشك أيضا عنه لا سبيل إلى إنكاره فانك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود فلك مثلا وبين تصديقك بوجود موسى ووجود يوشع عليهما السلام مع أنك لا تشك فى الأمرين جميعا فمستندهما جميعا التواتر ولكن ترى أحدهما أجلى وأوضح فى قلبك من الثانى لأن السبب فى أحدهما أقوى وهو كثرة المخبرين وكذلك يدرك الناظر هذا فى النظريات المعروفة بالأدلة فانه ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح له بالأدلة الكثيرة مع تساويهما فى نفى الشك وهذا قد ينكره المتكلم الذى يأخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الأحوال وأما القلة والكثرة فذلك بكثرة

الغيوب والعلة تنبه عن الحق والانزعاج انتباه القلب من سنة الغفلة والتحرك للأنس والوحدة . والمشاهدة ثلاثة مشاهدة بالحق وهى رؤية الأشياء بدلائل التوحيد ومشاهدة للحق وهى رؤية الحق فى الأشياء ومشاهدة الحق وهى حقيقة اليقين بلا ارتياب . والمكاشفة أتم من المشاهدة وهى ثلاثة مكاشفة بالعلم وهى تحقيق الاصابة بالفهم ومكاشفة بالحال وهى تحقيق رؤية زيادة الحال ومكاشفة بالتوحيد وهى تحقيق صحة الاشارة . واللوائح ما يلوح من الأسرار الظاهرة الصافية من السموّ من حالة إلى حالة أتم منها والارتقاء من درجة إلى ما هو أعلى منها . والتلوين تلوين العبد فى أحواله وقالت طائفة علامة الحقيقة رفع التلوين بظهور الاستقامة وقال آخرون علامة الحقيقة التلوين

متعلقات اليقين كما يقال فلان أكثر علما من فلان أى معلوماته أكثر ولذلك قد يكون العالم قوى اليقين فى جميع ماورد الشرع به وقد يكون قوى اليقين فى بعضه . فان قلت قد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته وقلته وجلاءه وخفاءه بمعنى نفى الشك أو بمعنى الاستيلاء على القلب فما معنى متعلقات اليقين ومجاريه وفيما ذا يطلب اليقين فانى مالم أعرف مايطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه . فاعلم أن جميع ماورد به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من أوله إلى آخره هو من مجارى اليقين فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقه المعلومات التى وردت بها الشرائع فلا مطمع فى إحصائها ولكنى أشير إلى بعضها وهى أمهاتها فمن ذلك التوحيد وهو أن يرى الأشياء كلها من مسبب الأسباب ولا يلتفت إلى الوسائط بل يرى الوسائط مسخرة لاحكم لها فالمصدق بهذا موقن فان انتفى عن قلبه مع الايمان إمكان الشك فهو موقن بأحد المعنيين فان غلب على قلبه مع الايمان غلبة أزالت عنه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم ونزل الوسائط فى قلبه منزلة القلم واليد فى حق المنعم بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما آلتين مسخرتين وواسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثانى وهو الاشراف وهو ثمرة اليقين الأول وروحه وفائدته ومهما تحقق أن الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهى مسخرات بأمره حسب تسخير القلم فى يد الكاتب وأن القدرة الأزلية هى المصدر للكل استولى على قلبه غلبة التوكل والرضا والتسليم وصار موقنا بريئا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق فهذه أحد أبواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الله سبحانه بالرزق فى قوله تعالى ـ وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ـ واليقين بأن ذلك يأتيه وأن ماقدّر له سيساق إليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا فى الطلب ولم يشتد حرصه وشرهه وتأسفه على مافاته وأثمر هذا اليقين أيضا جملة من الطاعات والأخلاق الحميدة . ومن ذلك أن يغلب على قلبه أنّ من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات إلى الثواب كنسبة الخبز إلى الشبع ونسبة المعاصى إلى العقاب كنسبة السموم والأفاعى إلى الهلاك فكما يحرص على التحصيل للخبز طلبا للشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعات كلها قليلها وكثيرها وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها فكذلك يجتنب المعاصى قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها فاليقين بالمعنى الأول قد يوجد لعموم المؤمنين أما بالمعنى الثانى فيختص به المقربون وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة فى الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة فى التقوى والتحرز عن كل السيئات وكلما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشد والتشمير أبلغ . ومن ذلك اليقين بأن الله تعالى مطلع عليك فى كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك فهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الأول وهو عدم الشك وأما بالمعنى الثانى وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصدّيقون وثمرته أن يكون الانسان فى خلوته متأدبا فى جميع أحواله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر إليه فانه لا يزال مطرقا متأدبا فى جميع أعماله متماسكا محترزا عن كل حركة تخالف هيئة الأدب ويكون فى فكرته الباطنة كهو فى أعماله الظاهرة إذ يتحقق أن الله تعالى مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره فتكون مبالغته فى عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بعين الله تعالى الكائنة أشد من مبالغته فى تزيين ظاهره لسائر الناس وهذا المقام فى اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الأخلاق المحمودة وهذه الأخلاق تورث أنواعا من الطاعات رفيعة فاليقين فى كل باب من هذه الأبواب مثل الشجرة وهذه الأخلاق فى القلب مثل الأغصان المتفرعة منها وهذه الأعمال والطاعات الصادرة من الأخلاق كالثمار وكالأنوار المتفرعة من الأغصان فاليقين هو الأصل والأساس وله مجار وأبواب أكثر مما عددناه وسيأتى ذلك فى ربع

لأنه يظهر فيه قدرة القادر فيكسب منه العبد الغيرة . والغيرة غيرة فى الحق وغيرة على الحق وغيرة من الحق فالغيرة فى الحق برؤية الفواحش والمناهى وغيرة على الحق هى كتمان السرائر والغيرة من الحق ضنه على أوليائه . والحرّية إقامة حقوق العبودية فتكون لله عبدا وعند غيره حرّا . واللطيفة إشارة دقيقة المعنى تلوح فى الفهم ولا يسعها العبارة . والفتوح ثلاثة فتوح العبادة فى الظاهر وذلك سبب إخلاص القصد وفتوح الحلاوة فى الباطن وهو سبب جذب الحق بأعطافه وفتوح المكاشفة وهو سبب المعرفة بالحق . والوسم والرسم معنيان يجريان فى الأبد بما جريا فى الأزل . والبسط عبارة عن حال الرجاء والقبض عبارة عن حال الخوف . والفناء فناء المعاصى ويكون فناء رؤية العبد لفعله

المنجيات إن شاء الله تعالى وهذا القدر كاف فى معنى اللفظ الآن . ومنها أن يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر أثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته لا ينظر إليه ناظر إلا وكان نظره مذكرا لله تعالى وكانت صورته دليلا على عمله فالجواد عينه مرآته وعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم فى السكينة والذلة والتواضع وقد قيل ما ألبس الله عبدا لبسة أحسن من خشوع فى سكينة فهى لبسة الأنبياء وسيما الصالحين والصديقين والعلماء وأما التهافت فى الكلام والتشدق والاستغراق فى الضحك والحدة فى الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطر والأمن والغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه وهو دأب أبناء الدنيا الغافلين عن الله دون العلماء به وهذا لأن العلماء ثلاثة كما قال سهل التسترى رحمه الله عالم بأمر الله تعالى لا بأيام الله وهم المفتون فى الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الخشية وعالم بالله تعالى لا بأمر الله ولا بأيام الله وهم عموم المؤمنين وعالم بالله تعالى وبأمر الله تعالى وبأيام الله تعالى وهم الصديقون والخشية والخشوع إنما تغلب عليهم وأراد بأيام الله أنواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التى أفاضها على القرون السالفة واللاحقة فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه وقال عمر رضى الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم ويقال ما آتى الله عبدا علما إلا آتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورفقا فذلك هو العلم النافع وفى الأثر من آتاه الله علما وزهدا وتواضعا وحسن خلق فهو إمام المتقين وفى الخبر « إن من خيار أمتى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من خوف عذابه أبدانهم فى الأرض وقلوبهم فى السماء أرواحهم فى الدنيا وعقولهم فى الآخرة يتمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة[1] » وقال الحسن الحلم وزير العلم والرفق أبوه والتواضع سرباله وقال بشر بن الحرث من طلب الرياسة بالعلم فتقرب إلى الله تعالى ببغضه فانه ممقوت فى السماء والأرض ويروى فى الاسرائيليات أن حكيما صنف ثلثمائة وستين مصنفا فى الحكمة حتى وصف بالحكيم فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل لفلان قد ملأت الأرض نفاقا ولم تزدنى من ذلك بشىء وإنى لا أقبل من نفاقك شيئا فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى فى الأسواق ووا كل بنى إسرائيل وتواضع فى نفسه فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل له الآن وفقت لرضاى . وحكى الأوزاعى رحمه الله عن بلال بن سعد أنه كان يقول ينظر أحدكم إلى الشرطى فيستعيذ بالله منه وينظر إلى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوفين إلى الرياسة فلا يمقتهم وهم أحق بالمقت من ذلك الشرطى وروى أنه قيل « يارسول الله أى الأعمال أفضل ؟ قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله تعالى قيل فأى الأصحاب خير قال ﷺ صاحب إن ذكرت الله أعانك وإن نسيته ذكرك قيل فأى الأصحاب شر قال صلى الله عليه وسلم صاحب إن نسيت لم يذكرك وإن ذكرت لم يعنك قيل فأى الناس أعلم قال أشدهم لله خشية قيل فأخبرنا بخيارنا نجالسهم قال صلى الله عليه وسلم الذين إذا رؤوا ذكر الله قيل فأى الناس شر قال اللهم غفرا قالوا أخبرنا يارسول الله قال العلماء إذا فسدوا[2] »

(١) حديث إن من خيار أمتى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من خوف عذابه الحديث الحاكم والبيهقى فى شعب الإيمان وضعفه من حديث عياض بن سليمان (٢) حديث قيل يارسول الله أى الأعمال أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله الحديث لم أجده هكذا بطوله وفى زيادات الزهد لابن المبارك من حديث الحسن مرسلا سئل النبى صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أفضل قال أن تموت يوم تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى وللدارمى من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا ألا إن شر الشر شرار العلماء وإن خير الخير خيار العلماء وقد تقدم .

بقيام الله تعالى على ذلك . والبقاء بقاء الطاعات ويكون بقاء رؤية العبد قيام الله سبحانه على كل شىء والجمع التسوية فى أصل الخلق وعن آخرين معناه إشارة من أشار إلى الحق بلا خلق والتفرقة إشارة إلى اللون والخلق فمن أشار إلى تفرقة بلا جمع فقد جحد البارى سبحانه ومن أشار إلى جمع بلا تفرقة فقد أنكر قدرة القادر وإذا جمع بينهما فقد وجد . عين التحلم إظهار غاية الخصوصية بلسان الانبساط فى الدعاء . والزوائد زيادات الإيمان بالغيب واليقين والإرادات ثلاثة إرادة الطالب من الله سبحانه وتعالى وذلك موضع التمنى وإرادة الحظ منه وذلك موضع الطمع وإرادة الله سبحانه وذلك موضع الإخلاص والمريد هو الذى صح له الابتلاء ودخل فى جملة المنقطعين إلى الله عز وجل بالاسم .

وقال صلى الله عليه وسلم « إن أكثر الناس أمانا يوم القيامة أكثرهم فكرا فى الدنيا وأكثر الناس ضحكا فى الآخرة أكثرهم بكاء فى الدنيا وأشد الناس فرحا فى الآخرة أطولهم حزنا فى الدنيا[1] » وقال على رضى الله عنه فى خطبة له ذمتى رهينة وأنا به زعيم إنه لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على الهدى سنخ أصل وإن أجهل الناس من لا يعرف قدره وإن أبغض الخلق إلى الله تعالى رجل قمش علما أغار به فى أغباش الفتنة سماه أشباهه من الناس وأرذالهم عالما ولم يعش فى العلم يوما سالما بكر واستكثر فما قل منه وكفى خير مما كثر وألهى حتى إذا ارتوى من ماء آجن وأكثر من غير طائل جلس للناس معلما لتخليص ما التبس على غيره فان نزلت به إحدى المهمات هيأ لها من رأيه حشوا لرأى فهو من قطع الشبهات فى مثل نسج العنكبوت لا يدرى أخطأ أم أصاب ركاب جهالات خباط عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم تبكى منه الدماء وتستحل بقضائه الفروج الحرام لا ملىء والله باصدار ماورد عليه ولا هو أهل لما فوض إليه أولئك الذين حلت عليهم المثلات وحقت عليهم النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا وقال على رضى الله عنه إذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب وقال بعض السلف العالم إذا ضحك ضحكة مج من العلم مجة وقيل إذا جمع المعلم ثلاثا تمت النعمة بها على المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق وإذا جمع المتعلم ثلاثا تمت النعمة بها على المعلم العقل والأدب وحسن الفهم وعلى الجملة فالأخلاق التى ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة لأنهم يتعلمون القرآن للعمل لا للرياسة وقال ابن عمر رضى الله عنهما لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وأوامرها وزواجرها وما ينبغى أن يقف عنده منها ولقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدرى ما آمره وما زاجره وما ينبغى أن يقف عنده ينثره نثر الدقل[2] ، وفى خبر آخر بمثل معناه كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الإيمان قبل القرآن وسيأتى بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الإيمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده وحقوقه يقولون قرأنا فمن أقرأ منا وعلمنا فمن أعلم منا فذلك حظهم[3] وفى لفظ آخر أولئك شرار هذه الأمة وقيل خمس من الأخلاق هى من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات من كتاب الله عز وجل الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وإيثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد فأما الخشية فمن قوله تعالى ـ إنما يخشى الله من عباده العلماء ـ وأما الخشوع فمن قوله تعالى ـ خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا ـ وأما التواضع فمن قوله تعالى ـ واخفض جناحك للمؤمنين ـ وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى ـ فبما رحمة من الله لنت لهم ـ وأما الزهد فمن قوله تعالى ـ وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ـ « ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ـ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ـ فقيل له ما هذا الشرح فقال إن النور إذا قذف فى القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة قال صلى الله عليه وسلم نعم التجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله[4] » . ومنها أن يكون

(١) حديث إن أكثر الناس أمنا يوم القيامة أكثرهم خوفا فى الدنيا الحديث لم أجد له أصلا
(٢) حديث ابن عمر لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن الحديث الحاكم وصححه على شرط الشيخين والبيهقى (٣) حديث كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الإيمان قبل القرآن الحديث ابن ماجه من حديث جندب مختصرا مع اختلاف (٤) حديث لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ـ الحديث الحاكم والبيهقى فى الزهد من حديث ابن مسعود .

والمراد هو العارف الذى لم يبق له إرادة وقد وصل إلى النهاية وغير الأحوال والمقامات. والهمة ثلاثة : همة منية وهى تحرك القلب للمنى وهمة إرادة وهى أول صدق المريد وهمة حقيقة القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر والجهل فان الأمر إدّ والخطب جد والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والأجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سد وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير رد وسلوك طريق الآخرة مع كثرة العوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وقد شغر منهم الزمان ولم يبق إلا المترسمون وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان وأصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفا فصار يرى المعروف

أكثر بحثه عن علم الأعمال وعما يفسدها ويشوش القلوب ويهيج الوسواس ويثير الشر فإن أصل الدين التوقى من الشر ولذلك قيل :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لايعرف الشر من الناس يقع فيه

ولأن الأعمال الفعلية قريبة وأقصاها بل أعلاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان وإنما الشأن فى معرفة لايفسدها ويشوشها وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفريعه وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة إليه وتعم به البلوى فى سلوك طريق الآخرة وأما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفريعات فى الحكومات والأقضية ويتعبون فى وضع صور تنقضى الدهور ولاتقع أبدا وإن وقعت فانما تقع لغيرهم لا لهم وإذا وقعت كان فى القائمين بها كثرة ويتركون مايلازمهم ويتكرر عليهم آناء الليل وأطراف النهار فى خواطرهم ووساوسهم وأعمالهم وما أبعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر إيثارا للتقرب والقبول من الخلق على التقرب من الله سبحانه وشرها فى أن يسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق وجزاؤه من الله أن لاينتفع فى الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على مايشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين ولقد كان الحسن البصرى رحمه الله أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأقربهم هديا من الصحابة رضى الله عنهم أتفقت الكلمة فى حقه على ذلك وكان أكثر كلامه فى خواطر القلوب وفساد الأعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية الغامضة فى شهوات النفس وقد قيل له ياأباسعيد إنك تتكلم بكلام لايسمع من غيرك فمن أين أخذته قال من حذيفة بن اليمان وقيل لحذيفة نراك تتكلم بكلام لايسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته قال خصنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسبقنى علمه (١) وقال مرة فعلمت أن من لايعرف الشر لايعرف الخير وفى لفظ آخر كانوا يقولون يارسول الله مالمن عمل كذا وكذا يسألونه عن فضائل الأعمال وكنت أقول يارسول الله مايفسد كذا وكذا فلما رآنى أسأله عن آفات الأعمال خصنى بهذا العلم وكان حذيفة رضى الله عنه أيضا قد خص بعلم المنافقين وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضى الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يسأل عن المنافقين فيخبر بعدد من بقى منهم ولايخبر بأسمائهم وكان عمر رضى الله عنه يسأله عن نفسه هل يعلم فيه شيئا من النفاق فبرأه من ذلك وكان عمر رضى الله عنه إذا دعى إلى جنازة ليصلى عليها نظر فان حضر حذيفة صلى عليها وإلا ترك وكان يسمى صاحب السر فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة لأن القلب هو الساعى إلى قرب الله تعالى وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا وإذا تعرض العالم لشىء منه استغرب واستبعد وقيل هذا تزويق المذكرين فأين التحقيق ويرون أن التحقيق فى دقائق المجادلات ولقد صدق من قال :

الطرق شتى وطرق الحق مفردة والسالكون طريق الحق أفراد
لا يعرفون ولا تدرى مقاصدهم فهم على مهل يمشون قصاد
والناس فى غفلة عما يراد بهم فجلهم عن سبيل الحق رقاد

وعلى الجملة فلا يميل أكثر الخلق إلا إلى الأسهل والأوفق لطباعهم فان الحق مر والوقوف عليه صعب وإدراكه شديد وطريقه مستوعر ولا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق

(١) حديث حذيفة كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر الحديث أخرجاه مختصرا .

منكرا والمنكر معروفا حتى ظل علم الدين مندرسا ومنار الهدى فى أقطار الأرض منطمسا ولقد خيلوا إلى الخلق أن لا علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام أو جدل يتدرع به طالب المباهات إلى الغلبة والإفحام أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام إذلم يروا ماسوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام فأما علم طريق الآخرة هو مادرج عليه السلف الصالح وهى جمع الهمم بصفاء الإلهام والغربة ثلاثة : غربة عن الأوطان من أجل حقيقة القصد وغربة عن الأحوال من حقيقة التفرد بالأحوال وغربة عن الحق من حقيقة الدهش عن المعرفة . والاصطلام : نعت وله يرد على القلوب بقوة سلطان فيستكنها . والسكر ثلاثة : سكر عموم وهو الظاهر فى بعض الأحوال

المذمومة فان ذلك نزع للروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة الشارب للدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه فهو يقاسى الشدائد ليكون فطره عند الموت ومتى تكثر الرغبة فى هذا الطريق ولذلك قيل إنه كان فى البصرة مائة وعشرون متكلما فى الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم فى علم اليقين وأحوال القلوب وصفات الباطن إلا ثلاثة منهم سهل التسترى والصبيحى وعبد الرحيم وكان يجلس إلى أولئك الخلق الكثير الذى لا يحصى وإلى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة لأن النفيس العزيز لا يصلح إلا لأهل الخصوص وما يبذل للعموم فأمره قريب . ومنها أن يكون اعتماده فى علومه على بصيرته وإدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وإنما المقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما أمر به وقاله وإنما يقلد الصحابة رضى الله عنهم من حيث إن فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم إذا قلد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فى تلقى أقواله وأفعاله بالقبول فينبغى أن يكون حريصا على فهم أسراره فان المقلد إنما يفعل الفعل لأن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فعله وفعله لا بد وأن يكون لسرّ فيه فينبغى أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال فانه إن اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولا يكون عالما ولذلك كان يقال فلان من أوعية العلم فلا يسمى عالما إذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والأسرار ومن كشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار فى نفسه متبوعا مقلدا فلا ينبغى أن يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على أبىّ بن كعب ثم خالفهما فى الفقه والقراءة جميعا . وقال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة رضى الله عنهم فنأخذ منه ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وإنما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق قلوبهم أمورا أدركت بالقرائن فسددهم ذلك إلى الصواب من حيث لا يدخل فى الرواية والعبارة إذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم فى الأكثر عن الخطأ وإذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا غير مرضى فالاعتماد على الكتب والتصانيف أبعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شىء منها فى زمن الصحابة وصدر التابعين وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجملة التابعين رضى الله عنهم وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين بل كان الأولون يكرهون كتب الأحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره أبو بكر وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم تصحيف القرآن فى مصحف وقالوا كيف نفعل شيئا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا نترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والإقراء ليكون هذا شغلهم وهمهم حتى أشار عمر رضى الله عنه وبقية الصحابة بكتب القرآن خوفا من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذرا من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع إليه فى كلمة أو قراءة من المتشابهات فانشرح صدر أبى بكر رضى الله عنه لذلك فجمع القرآن من مصحف واحد وكان

(١) حديث ابن عباس ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الطبرانى من حديثه يرفعه بلفظه من قوله ويدع .

ومكر خصوص وهو فى سائر الأحوال ومكر خفى فى إظهار الآيات والكرامات. والرغبة ثلاثة : رغبة النفس فى الثواب ورغبة القلب فى الحقيقة ورغبة السر فى الحق . والرهبة: رهبة الغيب لتحقيق أمر السبق. والوجد: مصادفة القلب بصفاء ذكر كان قد فقده والوجود: تمام وجد الواجدين وهو أتم الوجد عندهم . وسئل بعضهم عن الوجد والوجود فقال الوجد ما تطلبه فتجده بكسبك واجتهادك والوجود ما تجده من الله الكريم والوجد عن غير تمكين والوجود مع التمكين والتواجد : استدعاء الوجد والتشبه فى تكلفه بالصادقين من أهل الوجد (القاعدة) وأما القاعدة التى ينبنى عليها هذا الفن بأسره فذلك اجتذاب أرواح المعانى والاشارة إلى البعد فى القرب قصد الاستدلال بالأقوال

أحمد بن حنبل ينكر على مالك فى تصنيفه الموطأ ويقول ابتدع مالم تفعله الصحابة رضى الله عنهم وقيل أول كتاب صنف فى الإسلام كتاب ابن جريج فى الآثار وحروف التفاسير عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس رضى الله عنهم بمكة . ثم كتاب معمر بن راشد الصنعانى باليمن جمع فيه سننا مأثورة نبوية ، ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس ، ثم جامع سفيان الثورى ، ثم فى القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض فى الجدال والغوص فى إبطال المقالات ، ثم مال الناس إليه وإلى القصص والوعظ بها فأخذ علم اليقين فى الاندراس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان وأعرض عن ذلك إلا الأقلون فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالما وهذا لأن العوام هم المستمعون إليهم فكان لايتميز لهم حقيقة العلم من غيره ولم تكن سيرة الصحابة رضى الله عنهم وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث اللقب خلف عن سلف وأصبح علم الآخرة مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام إلا عن الخواص منهم كانوا إذا قيل لهم فلان أعلم أم فلان يقولون فلان أكثر علما وفلان أكثر كلاما فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام هكذا ضعف الدين فى قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى الأمر إلى أن مظهر الانكار يستهدف لنسبته إلى الجنون فالأولى أن يشتغل الانسان بنفسه ويسكت . ومنها أن يكون شديد التوقى من محدثات الأمور وإن اتفق عليها الجمهور فلا يغرنه إطباق الخلق على ما أحدث بعد الصحابة رضى الله عنهم وليكن حريصا على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم وما كان فيه أكثر همهم أكان فى التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية وتولى الأوقاف والوصايا وأكل مال الأيتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم فى العشرة أم كان فى الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الظاهر والباطن واجتناب دقيق الاثم وجليله والحرص على إدراك خفايا شهوات النفوس ومكايد الشيطان إلى غير ذلك من علوم الباطن . واعلم تحقيقا أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق السلف فمنهم أخذ الدين ولذلك قال على رضى الله عنه خيرنا أتبعنا لهذا الدين لما قيل له خالفت فلانا فلا ينبغى أن يكترث بمخالفة أهل العصر فى موافقة أهل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الناس رأوا رأيا فيما هم فيه لميل طباعهم إليه ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف بأن ذلك سبب الحرمان من الجنة فادعوا أنه لاسبيل إلى الجنة سواه ولذلك قال الحسن محدثان أحدثا فى الإسلام رجل ذو رأى سيء زعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيه ومترف يعبد الدنيا لها يغضب ولها يرضى وإياها يطلب فارفضوهما إلى النار وإن رجلا أصبح فى هذه الدنيا بين مترف يدعوه إلى دنياه وصاحب هوى يدعوه إلى هواه وقد عصمه الله تعالى منهما يحن إلى السلف الصالح يسأل عن أفعالهم ويقتفى آثارهم متعرض لأجر عظيم فكذلك كونوا وقد روى عن ابن مسعود موقوفا ومسندا أنه قال « إنما هما اثنتان الكلام والهدى ، فأحسن الكلام كلام الله تعالى ، وأحسن الهدى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألا وإياكم ومحدثات الأمور ، فان شر الأمور محدثاتها ، وان كل محدثة بدعة ، وان كل بدعة ضلالة ، ألا لايطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم ، ألا كل ماهو آت قريب ، ألا إن البعيد ماليس بآت [1] »

(١) حديث ابن مسعود إنما هما اثنتان الكلام والهدى الحديث ابن ماجه .

والأعمال والأحوال على الله تعالى قصدا ذاتيا لاعلى ماسلكه أرباب علوم الظاهر ، ثم التصديق بالقوة والنظر إلى الملكوت من كوة ومعرفة العلوم فى الانصراف ومصاحبة القدر بالمساعدة وبالمعروف ومعاطاة الوجودات الخمس : الذاتى والحسى والخيالى والعقلى والشبهى حسبما فهم من الشرع وثبت معناه فى المحفوظ من الوحى وقلما أدرك شىء من العجز والعلم لاينال براحة الجسم ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا (والوصية) أيها الطالب للعلوم والناظر فى التصانيف والمستشرف على كلام الناس وكتب الحكمة ليكن نظرك فيما تنظر فيه بالله ولله وفى الله لأنه إن لم يكن

وفى خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط أهل الفقه والحكم وجانب أهل الزلل والمعصية طوبى لمن ذل فى نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شرّه طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها إلى بدعة[1] » وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول حسن الهدى فى آخر الزمان خير من كثير من العمل وقال أنتم فى زمان خيركم فيه المسارع فى الأمور وسيأتى بعدكم زمان يكون خيرهم فيه المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات وقد صدق فمن لم يتوقف فى هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا فيه هلك كما هلكوا وقال حذيفة رضى الله عنه أعجب من هذا أن معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وأن منكركم اليوم معروف زمان قد أتى وإنكم لا تزالون بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخفّ به ولقد صدق فإن أكثر معروفات هذه الأعصار منكرات فى عصر الصحابة رضى الله عنهم إذ من غرر المعروفات فى زماننا تزيين المساجد وتنجيدها وانفاق الأموال العظيمة فى دقائق عماراتها وفرش البسط الرفيعة فيها ولقد كان يعد فرش البوارى فى المسجد بدعة وقيل إنه من محدثات الحجاج فقد كان الأولون قلما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة من أجلّ علوم أهل الزمان ويزعمون أنه من أعظم القربات وقد كان من المنكرات ومن ذلك التلحين فى القرآن والأذان ومن ذلك التعسف فى النظافة والوسوسة فى الطهارة وتقدير الأسباب البعيدة فى نجاسة الثياب مع التساهل فى حل الأطعمة وتحريمها إلى نظائر ذلك ولقد صدق ابن مسعود رضى الله عنه حيث قال أنتم اليوم فى زمان الهوى فيه تابع للعلم وسيأتى عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى وقد كان أحمد بن حنبل يقول تركوا العلم وأقبلوا على الغرائب ما أقل العلم فيهم والله المستعان وقال مالك بن أنس رحمه الله لم تكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الأمور كما يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال ولكن أدركتهم يقولون مستحب ومكروه ومعناه أنهم كانوا ينظرون فى دقائق الكراهة والاستحباب فأما الحرام فكان فحشه ظاهرا وكان هشام بن عروة يقول لا تسألوهم اليوم عما أحدثوه بأنفسهم فإنهم قد أعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فإنهم لا يعرفونها وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله يقول لا ينبغى لمن ألهم شيئا من الخير أن يعمل به حتى يسمع به فى الأثر فيحمد الله تعالى إذ وافق ما فى نفسه وإنما قال هذا لأن ما قد أبدع من الآراء قد قرع الأسماع وعلق بالقلوب وربما يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الآثار ولهذا لما أحدث مروان المنبر فى صلاة العيد عند المصلى قام إليه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه فقال يا مروان ما هذه البدعة فقال إنها ليست ببدعة إنها خير مما تعلم إن الناس قد كثروا فأردت أن يبلغهم الصوت فقال أبو سعيد والله لا تأتون بخير مما أعلم أبدا ووالله لا صليت وراءك اليوم وإنما أنكر ذلك عليه « لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوكأ فى خطبة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا لا على المنبر[2] »

(١) حديث طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق مالا اكتسبه الحديث أبو نعيم من حديث الحسين بن على بسند ضعيف والبزار من حديث أنس أول الحديث وآخره والطبرانى والبيهقى من حديث ركب المصرى وسط الحديث وكلها ضعيفة (٢) حديث كان يتوكأ فى خطبة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا الطبرانى من حديث البراء ونحوه فى يوم الأضحى ليس فيه الاستسقاء وهو ضعيف ورواه فى الصغير من حديث سعد القرظى كان إذا خطب فى العيدين خطب على قوس وإذا خطب فى الجمعة خطب على عصا وهو عند ابن ماجه بلفظ كان إذا خطب فى الحرب خطب على قوس الحديث

نظرك به وكلك إلى نفسك أو إلى من جعلت نظرك به أيا كان غيره من فهم أو علم أو حفظ أو إمام متبع أو صحة ميز أو ما شاكل ذلك وكذلك إن لم يكن نظرك له فقد صار علمك لغيره ونكصت على عقبيك وخسرت فى الدارين صفقتك وعاد كل هول عليك فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وكذلك إن لم يكن نظرك فيه فقد أثبت معه غيره ولاحظت بالحقيقة سواه ورؤية غيره دونه تعمى القلب وتهتك الستر وتحجب اللب وإذا نظرت فى كلام أحد من الناس ممن قد شهر بعلم فلا تنظره بازدراء كمن يستغنى عنه فى الظاهر وله إليه كثير حاجة فى الباطن ولا تقف به حيث وقف به كلامه فالمعانى أوسع من العبارات والصدور أفسح من الكتب المؤلفات وكثير علم مما

وفى الحديث المشهور «من أحدث فى ديننا ماليس منه فهو رد»(١) وفى خبر آخر «من غش أمتى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قيل يارسول الله وماغش أمتك قال أن يبتدع بدعة يحمل الناس عليها»(٢) وقال رسول الله ﷺ «إن لله عز وجل ملكا ينادى كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعته (٣)» ومثال الجانى على الدين بابداع مايخالف السنة بالنسبة إلى من يذنب ذنبا مثال من عصى الملك فى قلب دولته بالنسبة إلى من خالف أمره فى خدمة معينة وذلك قد يغفر له فأما قلب الدولة فلا وقال بعض العلماء ماتكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وماسكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف وقال غيره الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال صلى الله عليه وسلم «عليكم بالنمط الأوسط الذى يرجع إليه العالى ويرتفع إليه التالى (٤)» وقال ابن عباس رضى الله عنهما الضلالة لها حلاوة فى قلوب أهلها قال الله تعالى ـ وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا ـ وقال تعالى ـ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ـ فكل ماأحدث بعد الصحابة رضى الله عنهم مما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من اللعب واللهو وحكى عن إبليس لعنه الله أنه بث جنوده فى وقت الصحابة رضى الله عنهم فرجعوا إليه محسورين فقال ماشأنكم قالوا مارأينا مثل هؤلاء مانصيب منهم شيئا وقد أتعبونا فقال إنكم لاتقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سيأتى بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا إليه منكسين فقالوا مارأينا أعجب من هؤلاء نصيب منهم الشىء بعد الشىء من الذنوب فاذا كان آخر النهار أخذوا فى الاستغفار فيبدل الله سيئاتهم حسنات فقال إنكم لن تنالوا من هؤلاء شيئا لصحة توحيدهم واتباعهم لسنة نبيهم ولكن سيأتى بعد هؤلاء قوم تقر أعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بأزمة أهوائهم كيف شئتم إن استغفروا لم يغفر لهم ولايتوبون فيبدل الله سيئاتهم حسنات قال فجاء قوم بعد القرن الأول فبث فيهم الأهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لايستغفرون الله منها ولايتوبون عنها فسلط عليهم الأعداء وقادوهم أين شاءوا. فان قلت من أين عرف قائل هذا ماقاله إبليس ولم يشاهد إبليس ولاحدثه بذلك فاعلم أن أرباب القلوب يكاشفون بأسرار الملكوت تارة على سبيل الإلهام بأن يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لايعلمون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة فى اليقظة على سبيل كشف المعانى بمشاهدة الأمثلة كما يكون فى المنام وهذا أعلى الدرجات وهى من درجات النبوة العالية كما أن الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة فاياك أن يكون حظك من هذا العلم إنكار ماجاوز حد قصورك ففيه هلك المتحذلقون من العلماء الزاعمون أنهم أحاطوا بعلوم العقول فالجهل خير من عقل يدعو إلى إنكار مثل هذه الأمور لأولياء الله تعالى ومن أنكر ذلك للأولياء لزمه إنكار الأنبياء وكان خارجا عن الدين بالكلية قال بعض العارفين إنما انقطع الأبدال فى أطراف الأرض واستتروا عن أعين الجمهور لأنهم لايطيقون النظر إلى علماء الوقت لأنهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند أنفسهم وعند الجاهلين علماء قال سهل التسترى رضى الله عنه إن من أعظم المعاصى الجهل بالجهل والنظر إلى العامة واستماع كلام أهل الغفلة وكل عالم خاض فى الدنيا فلاينبغى أن يصغى إلى قوله بل ينبغى أن يتهم

(١) حديث من أحدث فى ديننا ماليس فيه فهو رد متفق عليه من حديث عائشة بلفظ فى أمرنا ماليس منه وعند أبى داود فيه (٢) حديث من غش أمتى فعليه لعنة الله الحديث الدارقطنى فى الافراد من حديث أنس بسند ضعيف جدا (٣) حديث إن لله ملكا ينادى كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعته لم أجد له أصلا (٤) حديث عليكم بالنمط الأوسط الحديث أبو عبيد فى غريب الحديث موقوفا على على بن أبى طالب ولم أجده مرفوعا .

لم يعبر عنه واطمح بنظر قلبك فى كلامه إلى غاية مايحتمل فذلك يعرفك قدره ويفتح باب قصده ولا تقطع له بصحة ولا تحكم عليه بفساد ولكن تحسين النظر أغلب عليك فيه حتى يزول الإشكال عنك بما تتيقن من معانيه وإذا رأيت له حسنة وسيئة فانشر الحسنة واطلب المعاذير للسيئة ولا تكن كالذبابة تنزل على أقذر ماتجده ولا تعجل على أحد بالتخطئة ولاتبادر بالتجهيل فربما عاد عليك ذلك وأنت لا تشعر فلكل عالم عورة وله فى بعض ما يأتى به احتجاج وناهيك ماجرى بين ولى الله تعالى الخضر وكليمه موسى على نبينا وعليهما السلام وإذا عرض لك من كلام عالم إشكال يؤذن فى الظاهر بمحال أو اختلال فخذ ماظهر لك علمه ودع ما اعتاص عليك فهمه وكل العلم فيه إلى الله

فى كل مايقول لأن كل إنسان يخوض فيما أحب ويدفع مالا يوافق محبوبه ولذلك قال الله عز وجل ـ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ـ والعوام العصاة أسعد حالا من الجهال بطريق الدين المعتقدين أنهم من العلماء لأن العامى العاصى معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان أنه عالم وأن ماهو مشتغل به من العلوم التى هى وسائله إلى الدنيا عن سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا عليه إلى الموت وإذ غلب هذا على أكثر الناس إلا من عصمه الله تعالى وانقطع الطمع من إصلاحهم فالأسلم لذى الدين المحتاط العزلة والانفراد عنهم كما سيأتى فى كتاب العزلة بيانه إن شاء الله تعالى ولذلك كتب يوسف بن أسباط إلى حذيفة المرعشى ماظنك بمن يبقى لا يجد أحدا يذكر الله تعالى معه إلا كان آثما أو كانت مذاكرته معصية وذلك أنه لا يجد أهله ولقد صدق فان مخالطة الناس لا تنفك عن غيبة أو سماع غيبة أو سكوت على منكر وأن أحسن أحواله أن يفيد علما أو يستفيده ولو تأمل هذا المسكين وعلم أن إفادته لا تخلو عن شوائب الرياء وطلب الجمع والرياسة علم أن المستفيد إنما يريد أن يجعل ذلك آلة إلى طلب الدنيا ووسيلة إلى الشرف يكون هو معينا له على ذلك ورداء او ظهيرا او مهيئا لأسبابه كالذى يبيع السيف من قطاع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو ولذلك لا يرخص له فى البيع ممن يعلم بقرائن أحواله أنه يريد به الاستعانة على قطع الطريق فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة منها جملة من أخلاق علماء السلف فكن أحد رجلين إما متصفا بهذه الصفات أو معترفا بالتقصير مع الاقرار به وإياك أن تكون الثالث فتلبس على نفسك بأن بدلت آلة الدنيا بالدين وتشبه سيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين وتلتحق بجهلك وإنكارك بزمرة الهالكين الآيسين نعوذ بالله من خدع الشيطان فيها هلك الجمهور فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن لا تغره الحياة الدنيا ولا يغره بالله الغرور .

الباب السابع فى العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه

بيان شرف العقل

اعلم أن هذا مما لا يحتاج إلى تكلف فى إظهاره لاسيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه والعلم يجرى منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين فكيف لا يشرف ماهو وسيلة السعادة فى الدنيا والآخرة أو كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتى إن أعظم البهائم بدنا وأشدها ضرارة واقواها سطوة إذا رأى صورة الانسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه عليه لما خص به من إدراك الحيل . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته (١)» وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التى هى ثمرة عقله ولذلك ترى الأتراك والأكراد وأجلاف العرب وسائر الخلق مع قرب منزلتهم من رتبة البهائم يوقرون المشايخ بالطبع ولذلك حين قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقعت أعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وتراءى لهم ما كان يتلألأ على ديباجة وجهه من نور النبوة وإن كان ذلك باطنا فى نفسه بطون العقل فشرف العقل مدرك بالضرورة وإنما القصد أن نورد ما وردت به الأخبار والآيات فى ذكر شرفه وقد سماه الله نورا فى قوله تعالى ـ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة ـ وسمى العلم المستفاد منه روحا ووحيا وحياة فقال تعالى ـ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ـ وقال سبحانه ـ أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به

الباب السابع فى العقل

(١) حديث الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته ابن حبان فى الضعفاء من حديث ابن عمر وأبو منصور الديلمى عن حديث أبى رافع بسند ضعيف .

عز وجل فهذه وصيتى لك فاحفظها وتذكيرى إياك فلا تذهل عنه : اسمع وصيتى إن تحظ حظيت بها وإن تخالف فقد يردى بك الخلف

وأزيدك زيادة تقتضى التعريف بأصناف العلماء لكى يعرف أهل الحقيقة من غيرهم فلك فى ذلك أكبر منفعة ولى فى وصفهم أبلغ غرض قال علماؤنا : العلماء ثلاثة حجة وحجاج ومحجوج فالحجة عالم بالله وبأمره وبآياته مهتما بالخشية لله سبحانه والورع فى الدين والزهد فى الدنيا والإيثار لله عز وجل المستقيم والحجاج مدفوع إلى إقامة الحجة وإطفاء نار البدعة قد أخرس المتكلمين وألجم المتخرصين برهانه ساطع وبيانه قاطع وحفظه ماينازع شواهده بينة ونجومه نيرة قد حمى صراط الله المستقيم والمحجوج عالم بالله وبأمره وبآياته

في الناس وحيث ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل كقوله ـ يخرجهم من الظلمات إلى النور ـ وقال صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتم عنه واعلموا أنه ينجدكم عند ربكم واعلموا أن العاقل من أطاع الله وإن كان دميم المنظر حقير الخطر دنيء المنزلة رث الهيئة وأن الجاهل من عصى الله تعالى وإن كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا فالقردة والخنازير أعقل عند الله تعالى ممن عصاه ولا تغتر بتعظيم أهل الدنيا إياكم فانهم من الخاسرين(١) » . وقال ﷺ « أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال الله عز وجل وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم علي منك بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب(٢) » فان قلت فهذا العقل إن كان عرضا فكيف خلق قبل الأجسام وإن كان جوهرا فكيف يكون جوهر قائم بنفسه ولا يتحيز . فاعلم أن هذا من علم المكاشفة فلا يليق ذكره بعلم المعاملة وغرضنا الآن ذكر علوم المعاملة وعن أنس رضي الله عنه قال « أثنى قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال صلى الله عليه وسلم كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال ﷺ : إن الأحمق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر وإنما يرتفع العباد غدا في الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم(٣) » . وعن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه إلى هدى ويرده عن ردى وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله(٤) » وقال ﷺ « إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم إيمانه وأطاع ربه وعصى عدوه إبليس(٥) » وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته أما سمعتم قول الفجار في النار ـ لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير(٦) » وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لتميم الداري « ما السودد فيكم قال العقل قال صدقت سألت رسول الله ﷺ كما سألتك فقال كما قلت ثم قال سألت جبريل عليه السلام ما السودد فقال العقل(٧) » وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال كثرت المسائل يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا أيها الناس إن لكل شيء مطية ومطية المرء العقل وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلا(٨) »

(١) حديث يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل الحديث داود بن المحبر أحد الضعفاء في كتاب العقل من حديث أبي هريرة وهو في مسند الحرث بن أبي أسامة عن داود (٢) حديث أول ما خلق الله العقل قال له أقبل الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أبي أمامة، وأبو نعيم من حديث عائشة باسنادين ضعيفين (٣) حديث أنس أثنى قوم على رجل عند النبي ﷺ حتى بالغوا في الثناء فقال كيف عقل الرجل الحديث ابن المحبر في العقل بتمامه والترمذي والحكيم في النوادر مختصرا (٤) حديث عمر ما اكتسب رجل مثل فضل عقل الحديث ابن المحبر في العقل وعنه الحرث بن أبي أسامة (٥) حديث إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله الحديث ابن المحبر من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به والحديث عند الترمذي مختصر دون قوله ولا يتم من حديث عائشة وصححه (٦) حديث أبي سعيد لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله الحديث ابن المحبر وعنه الحرث (٧) حديث عمر أنه قال لتميم الداري ما السودد فيكم قال العقل قال صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث ابن المحبر وعنه الحرث (٨) حديث البراء كثرت المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس إن لكل شيء مطية الحديث ابن المحبر وعنه الحرث .

ولكنه فقد الخشية لله برؤيته لنفسه وحجبه عن الورع والزهد في الدنيا والرغبة والحرص وبعده من بركات علمه محبة العلو والشرف وخوف السقوط والفقر فهو عبد لعبيد الدنيا خادم لخدمها مفتون بعد علمه مغتر بعد معرفته مخذول بعد نصرته شأنه الاحتقار لنعم الله والازدراء لأوليائه والاستخلاف بالجهال من عباده وفخره بلقاء أميره وصلة سلطانه وطاعة القاضي والوزير والحاجب له قد أهلك نفسه حين لم ينتفع بعلمه والاتباع له ومن يكون بعده قدوة به ومراده من الدنيا مثله في مثل هذا ضرب الله المثل حين قال ـ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال « لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون فلان أشجع من فلان وفلان أبلى مالم يبل فلان ونحو هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذلك يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم إنهم قاتلوا على قدر ماقسم الله لهم من العقل وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فأصيب منهم من أصيب على منازل شتى فاذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم[1] » وعن البراء بن عازب أنه صلى الله عليه وسلم قال « جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله سبحانه وتعالى بالعقل وجد المؤمنون من بني آدم على قدر عقولهم فأعملهم بطاعة الله عز وجل أوفرهم عقلا[2] » وعن عائشة رضي الله عنها قالت « قلت يارسول الله بما يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت وفي الآخرة قال بالعقل قلت أليس إنما يجزون بأعمالهم فقال صلى الله عليه وسلم ياعائشه وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم عز وجل من العقل فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وبقدر ماعملوا يجزون[3] » وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء آلة وعدة وإن آلة المؤمن العقل ولكل شيء مطية ومطية المرء العقل ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم داع وداعي العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل أهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ولكل امرئ عقب ينسب إليه ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون إليه ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل[4] » وقال ﷺ « إن أحب المؤمنين إلى الله عز وجل من نصب في طاعة الله عز وجل ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه فأبصر وعمل به أيام حياته فأفلح وأنجح[5] » وقال صلى الله عليه وسلم « أتمكم عقلا أشدكم لله تعالى خوفا وأحسنكم فيما أمركم به ونهى عنه نظرا وإن كان أقلكم تطوعا[6] »

(بيان حقيقة العقل وأقسامه)

اعلم أن الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته وذهل الأكثرون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطاء فيه أن العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة وما يجري هذا المجرى فلا ينبغي أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه . فالأول : الوصف الذي يفارق الانسان به سائر البهائم وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي أراده الحرث بن أسد المحاسبي حيث قال في حد العقل إنه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف في القلب به يستعد لإدراك الأشياء ولم ينصف من أنكر هذا ورد العقل إلى مجرد العلوم الضرورية فان الغافل عن

(١) حديث أبي هريرة لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون كان فلان أشجع من فلان الحديث ابن المحبر (٢) حديث البراء بن عازب جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله بالعقل الحديث ابن المحبر كذلك وعنه الحارث في مسنده ورواه البغوي في معجم الصحابة من حديث ابن عازب رجل من الصحابة غير البراء وهو بالسند الذي رواه ابن المحبر (٣) حديث عائشة قلت يارسول الله بأي شيء يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل الحديث ابن المحبر والترمذي الحكيم في النوادر نحوه (٤) حديث ابن عباس لكل شيء آلة وعدة وإن آلة المؤمن العقل الحديث ابن المحبر وعنه الحارث (٥) حديث إن أحب المؤمنين إلى الله من نصب في طاعة الله الحديث ابن المحبر من حديث ابن عمر ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس باسناد آخر ضعيف (٦) حديث أتمكم عقلا أشدكم لله خوفا الحديث ابن المحبر من حديث أبي قتادة .

عليه يلهث أو تتركه يلهث ـ فويل لمن صحب مثل هذا في دنياه وويل لمن تبعه في دينه وهذا هو الذي أكل بدينه غير منصف لله سبحانه في نفسه ولا ناصح له في عباده تراه إن أعطي من الدنيا رضي بالمدحة لمن أعطاه وإن منع رش بالذم لمن منعه وقد نسي من قسم الأرزاق وقدر الأقدار وأجرى الأسباب وفرغ من الخلق كلهم فنعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الضلالة بعد الهدى وإنما زدتك هذه الزيادة وإن ظهر لكثير أنها ليست من الغرض الذي نحن فيه فقصدي أن يعلم من ذهب من الناس ومن بقي ومن أبصر الحقائق ومن عمي ومن اهتدى على الصراط المستقيم ومن غوى فليعلم أن الصنفين الأولين من العلماء قد ذهبوا وإن كان بقي منهم أحد فهو غير محسوس للناس ولا مدرك بالملاحظة :

العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع فقد العلوم وكما أن الحياة غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها تتهيأ بعض الحيوانات للعلوم النظرية ولو جاز أن يسوّى بين الانسان والحمار فى الغريزة والادراكات الحسية فيقال لافرق بينهما إلا أن الله تعالى يحكم إجراء العادة يخلق فى الانسان علوما وليس يخلقها فى الحمار والبهائم لجاز أن يسوّى بين الحمار والجماد فى الحياة ويقال لافرق إلا أن الله عز وجل يخلق فى الحمار حركات مخصوصة بحكم إجراء العادة فانه لو قدر الحمار جمادا ميتا لوجب القول بأن كل حركة تشاهد منه فالله سبحانه وتعالى قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد وكما وجب أن يقال لم يكن مفارقته للجماد فى الحركات إلا بغريزة اختصت به عبر عنها بالحياة فكذا مفارقة الانسان البهيمة فى إدراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهو كالمرآة التى تفارق غيرها من الأجسام فى حكاية الصور والألوان بصفة اختصت بها وهى الصقالة وكذلك العين تفارق الجبهة فى صفات وهيئات بها استعدت للرؤية فنسبة هذه الغريزة إلى العلوم كنسبة العين إلى الرؤية ونسبة القرآن والشرع إلى هذه الغريزة فى سياقها إلى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس إلى البصر فهكذا ينبغى أن تفهم هذه الغريزة . الثانى : هى العلوم التى تخرج إلى الوجود فى ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد وأن الشخص الواحد لا يكون فى مكانين فى وقت واحد وهو الذى عناه بعض المتكلمين حيث قال فى حد العقل إنه بعض العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وهو أيضا صحيح فى نفسه لأن هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهر وإنما الفاسد أن تنكر تلك الغريزة ويقال موجود إلا هذه العلوم . الثالث : علوم تستفاد من التجارب بمجارى الأحوال فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال إنه عاقل فى العادة ومن لا يتصف بهذه الصفة فيقال إنه غبى غمر جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا . الرابع : أن تنتهى قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها فاذا حصلت هذه القوة سمى صاحبها عاقلا من حيث إن إقدامه وإحجامه بحسب ما يقتضيه النظر فى العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه أيضا من خواص الانسان التى بها يتميز عن سائر الحيوان فالأول هو الأس والسنخ والمنبع والثانى هو الفرع الأقرب إليه والثالث فرع الأول والثانى إذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هو الثمرة الأخيرة وهى الغاية القصوى فالأولان بالطبع والأخيران بالاكتساب ولذلك قال على كرّم الله وجهه :

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع
إذا لم يك مطبوع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

والأول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم « ما خلق الله عز وجل خلقا أكرم عليه من العقل (١) » والأخير هو المراد بقوله ﷺ « إذا تقرب الناس بأبواب البر والأعمال الصالحة فتقرب أنت بعقلك (٢) » وهو المراد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى الدرداء رضى الله عنه « ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقال بأبى أنت وأمى وكيف لى بذلك فقال اجتنب محارم الله تعالى وأدّ فرائض الله سبحانه تكن عاقلا واعمل بالصالحات من الأعمال تزدد فى عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل فى آجل العقبى بها من ربك

(١) حديث ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل الترمذى الحكيم فى النوادر بسند ضعيف من رواية الحسن عن عدّة من الصحابة (٢) حديث إذا تقرّب الناس بأنواع البرّ فتقرب أنت بعقلك أبو نعيم فى الحلية من حديث على إذا اكتسب الناس من أنواع البر ليتقربوا بها إلى ربنا عز وجل فاكتسب أنت من أنواع العقل تسبقهم بالزلفة والقرب وإسناده ضعيف .

غاب الذين إذا ما حدثوا صدقوا
وظنهم كيقين إن هم حدسوا
وذلك لما سبق فى القضاء من ظهور الفساد وعدم أهل الصلاح والرشاد نعم وعدم الصنف الثالث على غربته وأعزّ شئ على وجه الأرض وفى الغالب ما يقع عليه فى الحقيقة اسم علم عند شخص مشهور به وإنما الموجود اليوم أهل سخافة ودعوى وحماقة واجتراء وعجب بغير فضيلة ورياء يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا وهم أكثر من عمر الأرض وصيروا أنفسهم أوتاد البلاد وأرسان العوام وهم خلفاء إبليس وأعداء الحقائق وأخدان لعوائد السوء وعنهم يرد عتب الحكم الشائعة وانتقاض أهل الارادة والدين :
مثل البهائم جهال بخالقهم
لهم تصاوير لم يعرف لهنّ حجا
كلّ يروم على مقدار حيلته

عز وجل القرب والمز[1] » وعن سعيد بن المسيب «أن عمر وأبيّ بن كعب وأبا هريرة رضى الله عنهم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله من أعلم الناس فقال صلى الله عليه وسلم العاقل. قالوا فمن أعبد الناس قال العاقل قالوا فمن أفضل الناس قال العاقل قالوا أليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال صلى الله عليه وسلم وإن كل ذلك لما متاع الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين إنّ العاقل هو المتقى وإن كان فى الدنيا خسيسا ذليلا[2] » قال صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر « إنما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته[3] » ويشبه أن يكون أصل الاسم فى أصل اللغة لتلك الغريزة وكذلك فى الاستعمال وإنما أطلق على العلوم من حيث إنها ثمرتها كما يعرف الشىء بثمرته فيقال العلم هو الخشية والعالم من يخشى الله تعالى فان الخشية ثمرة العلم فتكون كالمجاز لغير تلك الغريزة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة والمقصود أن هذه الأقسام الأربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف فى وجود جميعها إلا فى القسم الأول والصحيح وجودها بل هى الأصل وهذه العلوم كأنها مضمنة فى تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر فى الوجود إذا جرى سبب يخرجها إلى الوجود حتى كأن هذه العلوم ليست بشىء وارد عليها من خارج وكأنها كانت مستكنة فيها فظهرت ومثاله الماء فى الأرض فانه يظهر بحفر البئر ويجتمع ويتميز بالحس لا بأن يساق إليها شىء جديد وكذلك الدهن فى اللوز وماء الورد فى الورد ولذلك قال تعالى ـ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ـ فالمراد به إقرار نفوسهم لا إقرار الألسنة فانهم انقسموا فى إقرار الألسنة حيث وجدت الألسنة والأشخاص إلى مقرّ والى جاحد ولذلك قال تعالى ـ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله ـ معناه إن اعتبرت أحوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم ـ فطرة الله التى فطر الناس عليها ـ أى كل آدمى فطر على الايمان بالله عز وجل بل على معرفة الأشياء على ماهى عليه أعنى أنها كالمضمنة فيها لقرب استعدادها للادراك ثم لما كان الايمان مركوزا فى النفوس بالفطرة انقسم الناس إلى قسمين إلى من أعرض فنسى وهم الكفار وإلى من أجال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها ولذلك قال عز وجل ـ لعلهم يتذكرون . وليتذكر أولوا الألباب . واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به . ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ـ وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد فكأن التذكر ضربان أحدهما أن يذكر صورة كانت حاضرة الوجود فى قلبه ولكن غابت بعد الوجود والآخر أن يذكر صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة وهذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من يستروجه[4] السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه يتخبط فى مثل هذه الآيات ويتعسف فى تأويل التذكر وإقرار النفوس أنواعا من التعسفات ويتخايل إليه فى الأخبار والآيات ضروب من المناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر إليها بعين الاستحقار ويعتقد فيها التهافت ومثاله مثال الأعمى الذى يدخل دارا فيعثر فيها بالأوانى المصفوفة فى الدار فيقول

(١) حديث ازدد عقلا تزدد من ربك قربا الحديث قاله لأبى الدرداء ابن المحبر ومن طريقه الحارث ابن أبى أسامة والترمذى الحكيم فى النوادر (٢) حديث ابن المسيب أن عمر وأبيّ بن كعب وأبا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله من أعلم الناس فقال العاقل الحديث ابن المحبر (٣) حديث إنما العاقل من آمن بالله وصدّق رسله وعمل بطاعته ابن المحبر من حديث سعيد بن المسيب مرسلا وفيه قصة .

(٤) قوله يستروجه : من الرواج أى يكون السماع والتقليد رائجا عنده فتأمل اه مصححه .

زوائر الأسد والنباحة اللهشا فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أيمانهم جنة فصدّوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون . أولئك كالأنعام بل هم أضلّ أولئك هم الغافلون .

أولو النفاق فان قلت اصدقوا كذبوا من السفاه وإن قلت اكذبوا صدقوا

ولنأخذ فى جواب ماسألت عنه على نحو مارغبت فيه واستوهب الله نفوذ البصيرة وحسن السريرة وغفران الجريرة وهو ربى ورب كل شىء وإليه المصير .

[ابتداء الأجوبة عن مراسم الأسئلة]

جرى الرسم فى الاحياء بتقسيم التوحيد على أربع مراتب تشبيها لموافقة الغرض فى التمثيل به وذكرت أن المعترض وسوس أو بالخواطر هجس بأن لفظ التوحيد ينافى التقسيم إذ لا يخلو بأن يتعلق بوصف الواحد

مالهذه الأوانى لاترفع من الطريق وتردّ إلى مواضعها فيقال له إنها فى مواضعها وإنما الخلل فى بصرك فكذلك خلل البصيرة يجرى مجراه وأطمّ منه وأعظم إذ النفس كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس أضر من عمى الفرس ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى ـ ما كذب الفؤاد مارأى ـ وقال تعالى ـ وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ـ الآية وسمى ضده عمى فقال تعالى ـ فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ـ وقال تعالى ـ ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا ـ وهذه الأمور التى كشفت للأنبياء بعضها كان بالبصر وبعضها كان بالبصيرة وسمى الكل رؤية وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة لم يعلق به من الدين إلاقشوره وأمثلته دون لبابه وحقائقه فهذه أقسام ماينطلق اسم العقل عليها .

(بيان تفاوت النفوس فى العقل)

قد اختلف الناس فى تفاوت العقل ولامعنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الأولى والأهم المبادرة إلى التصريح بالحق والحق الصريح فيه أن يقال إن التفاوت يتطرق إلى الأقسام الأربعة سوى القسم الثانى وهو العلم الضرورى بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فان من عرف أن الاثنين أكثر من الواحد عرف أيضا استحالة كون الجسم فى مكانين وكون الشىء الواحد قديما حادثا وكذا سائر النظائر وكل مايدركه إدراكا محققا من غير شك وأما الأقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق إليها . أما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه بل لايخفى تفاوت أحوال الشخص الواحد فيه وهذا التفاوت يكون تارة لتفاوت الشهوة إذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه فان الشاب قد يعجز عن ترك الزنا وإذا كبر وتمّ عقله قدر عليه وشهوة الرياء والرياسة تزداد قوة بالكبر لاضعفا وقد يكون سببه التفاوت فى العلم المعرف لغائلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الأطعمة المضرة وقد لايقدر من يساويه فى العقل على ذلك إذا لم يكن طبيبا وإن كان يعتقد على الجملة فيه مضرة ولكن إذا كان علم الطبيب أتم كان خوفه أشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدة له فى قمع الشهوات وكسرها وكذلك يكون العالم أقدر على ترك المعاصى من الجاهل لقوة علمه بضرر المعاصى وأعنى به العالم الحقيقى دون أرباب الطيالسة وأصحاب الهذيان فان كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع إلى تفاوت العقل وإن كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلا أيضا فانه يقوى غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية إليه وقد يكون بمجرد التفاوت فى غريزة العقل فانها إذا قويت كان قمعها للشهوة لامحالة أشد وأما القسم الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لاينكر فانهم يتفاوتون بكثرة الاصابة وسرعة الإدراك ويكون سببه إما تفاوتا فى الغريزة وإما تفاوتا فى الممارسة فأما الأول وهو الأصل أعنى الغريزة فالتفاوت فيه لاسبيل إلى جحده فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادى إشراقه عند سن التمييز ثم لايزال ينمو ويزداد نموا خفى التدريج إلى أن يتكامل بقرب الأربعين سنة ومثاله نور الصبح فان أوائله يخفى خفاء يشق إدراكه ثم يتدرج إلى الزيادة إلى أن يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر والفرق مدرك بين الأعمش وبين حاد البصر بل سنة الله عزوجل جارية فى جميع خلقه بالتدريج فى الإيجاد حتى إن غريزة الشهوة لاتظهر فى الصبى عند البلوغ دفعة وبغتة بل تظهر شيئا فشيئا على التدريج وكذلك جميع القوى والصفات ومن أنكر تفاوت الناس فى هذه الغريزة فكأنه منخلع عن ربقة العقل ومن ظن أن عقل النبى ﷺ مثل عقل آحاد السوادية وأجلاف البوادى فهو أخس فى نفسه من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلف الناس فى فهم العلوم

الذى ليس بزائد عليه فذلك لا ينقسم لاالجنس ولا بالفصل ولا بغير ذلك وإما أن يتعلق بوصف المكلفين الذين توجب لهم حكمه إذا وجد فيهم فذلك أيضا لا ينقسم من حيث انتسابهم إليه بالعقل وذلك لضيق المجال فيه ولهذا لايتصور فيه مذاهب وإنما التوحيد مسلك حق بين مسلكين باطلين أحدهما الشرك والثانى الإلباس وكلا الطرفين كفر والوسط إيمان محض وهو أحدّ من السيف وأضيق من خط الظل ولهذا قال أكثر المتكلمين بتماثل إيمان جميع المؤمنين والملائكة والنبيين والمرسلين وسائر عموم المرسلين وإنما تختلف طرق إيمانهم التى هى علومهم ومذهبهم فى ذلك معروف ونحن لانلمّ فى هذه الإجابة كلها بشىء من أنحاء الجدال ومقابلة الأقوال بالأقوال بل بقصد إزالة غير الإشكال

ولما انقسموا إلى بليد لايفهم بالتفهيم إلا بعد تعب طويل من المعلم وإلى ذكى يفهم بأدنى رمز وإشارة وإلى كامل تنبعث من نفسه حقائق الأمور بدون التعليم كما قال تعالى ـ يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور ـ وذلك مثل الأنبياء عليهم السلام إذ ينفتح لهم فى بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالإلهام وعن مثله عبر النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال « إن روح القدس نفث فى روعى أحبب من أحببت فانك مفارقه وعش ماشئت فانك مجزى به[1] » وهذا النمط من تعريف الملائكة للأنبياء يخالف الوحى الصريح الذى هو سماع الصوت بحاسة الأذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك أخبر عن هذا بالنفث فى الروع ودرجات الوحى كثيرة والخوض فيها لايليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة ولاتظن أن معرفة درجات الوحى تستدعى منصب الوحى إذ لايبعد أن يعرف الطبيب المريض درجات الصحة ويعلم العالم الفاسق درجات العدالة وإن كان خاليا عنها فالعلم شىء ووجود المعلوم شىء آخر فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا ولا وليا ولا كل من عرف التقوى والورع ودقائقه كان تقيا وانقسام الناس إلى من يتنبه من نفسه ويفهم وإلى من لايفهم إلا بتنبيه وتعليم وإلى من لاينفعه التعليم أيضا ولا التنبيه كانقسام الأرض إلى مايجتمع فيه الماء فيقوى فيتفجر بنفسه عيونا وإلى مايحتاج إلى الحفر ليخرج إلى القنوات وإلى مالا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الأرض فى صفاتها فكذلك اختلاف النفوس فى غريزة العقل ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ماروى أن عبد الله بن سلام رضى الله عنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل فى آخره وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت «يارب هل خلقت شيئا أعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات لايحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال الله عز وجل فانى خلقت العقل أصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من أعطى حبة ومنهم من أعطى حبتين ومنهم من أعطى الثلاث والأربع ومنهم من أعطى فرقا ومنهم من أعطى وسقا ومنهم من أعطى أكثر من ذلك[2] » فان قلت فما بال أقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول . فاعلم أن السبب فيه أن الناس نقلوا اسم العقل والمعقول إلى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والإلزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على أن يقرروا عندهم أنكم أخطأتم فى التسمية إذ كان ذلك لا ينمحى عن قلوبهم بعد تداول الألسنة به ورسوخه فى القلوب فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم فأما نور البصيرة الباطنة التى بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق رسله فكيف يتصور ذمه وقد أثنى الله تعالى عليه وإن ذم فما الذى بعده يحمد فان كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع فان علم بالعقل المذموم الذى لايوثق به فيكون الشرع أيضا مذموما ولايلتفت إلى من يقول إنه يدرك بعين اليقين ونور الإيمان لابالعقل فانا نريد بالعقل مايريده بعين اليقين ونور الإيمان وهى الصفة الباطنة التى يتميز بها الآدمى عن البهائم حتى أدرك بها حقائق الأمور وأكثر هذه التخبيطات إنما ثارت من جهل أقوام طلبوا الحقائق من الألفاظ فتخبطوا فيها لتخبط اصطلاحات الناس فى الألفاظ فهذا القدر كاف فى بيان العقل والله أعلم .

(١) حديث إن روح القدس نفث فى روعى أحبب من أحببت فانك مفارقه الحديث الشيرازى فى الألقاب من حديث سهل بن سعد نحوه والطبرانى فى الأصغر والأوسط من حديث على وكلاهما ضعيف

(٢) حديث ابن سلام سئل النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل فى آخره وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت يارب هل خلقت شيئا أعظم من العرش الحديث ابن المحبر من حديث أنس بتمامه والترمذى الحكيم فى النوادر مختصرا .

ورد ماطعن به أهل الضلال والإضلال . واعلم أن التقسيم على الاطلاق يستعمل على أنحاء يتوجه ههنا نوع قدح به المعترض أو هجس به الخاطر وإنما المستعمل ههنا من أنحائه ماتتميز به بعض الأشخاص بما اختصت به من الأحوال وكل حالة منها تسمى توحيدا على جهة تنفرد بها لايشاركها فيها غيرها فمن وجد التوحيد بلسانه يسمى لأجله موحدا مادام يظن أن قلبه موافق للسانه وان علم منه خلاف ذلك سلب عنه الاسم وأقيم عليه ماشرع فى الحكم ومن وجد بقلبه على طريق الركون إليه والميل إلى اعتقاده والسكون نحوه بلا علم يصحبه فيه ولا برهان يربط به سمى أيضا موحدا على معنى أنه يعتقد التوحيد كما يسمى من يعتقد مذهب الشافعى شافعيا والحنبلى حنبليا

تم كتاب العلم بحمد الله تعالى ومنه . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب قواعد العقائد والحمد لله وحده أولا وآخرا .

بسم الله الرحمن الرحيم

(كتاب قواعد العقائد ، وفيه أربعة فصول)

الفصل الأول فى ترجمة عقيدة أهل السنة فى كلمتى الشهادة التى هى أحد مبانى الاسلام فنقول وبالله التوفيق : الحمد لله المبدىء المعيد الفعال لما يريد ذى العرش المجيد والبطش الشديد الهادى صفوة العبيد إلى المنهج الرشيد والمسلك السديد المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم إلى اتباع رسوله المصطفى واقتفاء آثار صحبه الأكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد المتجلى لهم فى ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التى لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد المعرف إياهم أنه فى ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثيل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وأنه واحد قديم لا أول له أزلى لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له أبدى لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض الآجال بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم. التنزيه: وأنه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر وأنه لا يماثل الأجسام لا فى التقدير ولا فى قبول الانقسام وأنه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الأعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود ليس كمثله شىء ولا هو مثل شىء وأنه لا يحده المقدار ولا تحويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات وأنه مستو على العرش على الوجه الذى قاله وبالمعنى الذى أراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكين والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون فى قبضته وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شىء إلى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا إلى العرش والسماء كما لا تزيده بعدا عن الأرض والثرى بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد وهو على كل شىء شهيد إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام وأنه لا يحل فى شىء ولا يحل فيه شىء تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان وأنه بائن عن خلقه بصفاته ليس فى ذاته سواه ولا فى سواه ذاته وأنه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال فى نعوت جلاله منزها عن الزوال وفى صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وأنه فى ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئى الذات بالأبصار نعمة منه ولطفا بالأبرار فى دار القرار وإنعاما منه للنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم . الحياة والقدرة : وأنه تعالى حى قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وأنه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والأمر والسموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون فى قبضته وأنه المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد والإبداع خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته. العلم : وأنه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجرى من تخوم الأرضين إلى أعلى السموات وأنه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء بل

ومن رزق علم التوحيد وما يتحقق به عنده وسعى من أجله بشكوكه العارضة له فيسمى موحدا لأنه عارف به يقال جدلى ونحوى وفقيه ومعناه يعرف الجدل والفقه والنحو . وأما من استغرق علم التوحيد قلبه واستولى على جملته حتى لا يجد فيه فضلا لغيره إلا على طريق التبعية له ويكون شهود التوحيد لكل ماعداه سابقا له مع الذكر والفكر مصاحبا من غير أن يعتريه ذهول ولا نسيان له لأجل اشتغاله بغيره كالعادة فى سائر العلوم فهذا يسمى موحدا ويكون القصد بالمسمى من ذلك المبالغة فيه . فأما الصنف الأول وهم أرباب النطق المفرد فلا يضربون فى التوحيد بسهم ولا يفوزون منه بنصيب ولا يكون لهم شىء من أحكام أهله فى الحياة إلا مادام الظن بهم أن قلب أحدهم موافق للسانه كما يفرد القول

يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر فى جو الهواء ويعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم أزلى لم يزل موصوفا به فى أزل الآزال لا بعلم متجدد حاصل فى ذاته بالحلول والانتقال . الارادة : وأنه تعالى مريد للكائنات مدبر للحادثات فلا يجرى فى الملك والملكوت قليل أو كثير صغير أو كبير خير أو شر نفع أو ضر إيمان أو كفر عرفان أو نكر فوز أو خسران زيادة أو نقصان طاعة أو عصيان إلا بقضائه وقدره وحكمته ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر بل هو المبدىء المعيد الفعال لما يريد لا راد لأمره ولا معقب لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته ولا قوة على طاعته إلا بمشيئته وإرادته فلو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا فى العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته لعجزوا عن ذلك وأن إرادته قائمة بذاته فى جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا فى أزله لوجود الأشياء فى أوقاتها التى قدرها فوجدت فى أوقاتها كما أراده فى أزله من غير تقدم ولا تأخر بل وقعت على وفق علمه وإرادته من غير تبدل ولا تغير دبر الأمور لا بترتيب أفكار ولا تربص زمان فلذلك لم يشغله شأن عن شأن . السمع والبصر : وأنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفى ولا يغيب عن رؤيته مرئى وإن دق ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدقة وأجفان ويسمع من غير أصمخة وآذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق. الكلام: وأنه تعالى متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام أزلى قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو صطكاك أجرام ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان وأن القرآن والتوراة والإنجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله عليهم السلام وأن القرآن مقروء بالألسنة مكتوب فى المصاحف محفوظ فى القلوب وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق وأن موسى عليه السلام سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الأبرار ذات الله تعالى فى الآخرة من غير جوهر ولا عرض وإذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحياة والقدرة والعلم والارادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات. الأفعال: وأنه سبحانه وتعالى لا موجود سواه إلا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأتمها وأعدلها وأنه حكيم فى أفعاله عادل فى أقضيته لا يقاس عدله بعدل العباد إذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه فى ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله تعالى فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه من إنس وجن وملك وشيطان وسماء وأرض وحيوان ونبات وجماد وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وأنشأه إنشاء بعد أن لم يكن شيئا إذ كان فى الأزل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فأحدث الخلق بعد ذلك إظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من إرادته ولما حق فى الأزل من كلمته لا لافتقاره إليه وحاجته وأنه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان إذ كان قادرا على أن يصب على عباده أنواع العذاب ويبتليهم بضروب الآلام والأوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن منه قبيحا ولا ظلما وأنه عز وجل يثيب عباده المؤمنين على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم له إذ لا يجب عليه لأحد فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لأحد عليه حق وأن حقه فى الطاعات وجب على الخلق بإيجابه على ألسنة أنبيائه عليهم السلام لا بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده

عليه بعد هذا إن شاء الله عز وجل . وأما الصنف الثانى وهم أرباب الاعتقاد الذين سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم أو الوارث أو المبلغ يخبر عن توحيد الله عز وجل أو يأمر به ويلزم البشر قول لا إله إلا الله المنبىء عنه فقبلوا ذلك واعتقدوه على الجملة من غير تفصيل ولا دليل فنسبوا إلى التوحيد وكانوا من أهله بمنزلة مولى القوم الذى هو منهم وبمنزلة من كثر سواد قوم فهو منهم . وأما الصنف الثالث والرابع فهم أرباب البصائر السليمة الذين نظروا بها إلى أنفسهم ثم إلى سائر أنواع المخلوقات فتأملوها فرأوا على كل منها خطا منطبعا فيها ليس بعربى ولا سريانى ولا عبرانى ولا غير ذلك من أجناس الخطوط فبادر إلى قراءة من لم يستعجم عليه وتعلمه منهم من استعجم عليه فاذا هو الخط الإلهى المكتوب على صفحة

فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به . معنى الكلمة الثانية : وهى الشهادة للرسل بالرسالة وأنه بعث النبى الأمىّ القرشىّ محمدا صلى الله عليه وسلم برسالته إلى كافة العرب والعجم والجنّ والانس فنسخ بشريعته الشرائع إلا ماقرّره منها وفضله على سائر الأنبياء وجعله سيد البشر ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد وهو قول لا إله إلا الله مالم تقترن بها شهادة الرسول وهو قولك محمد رسول الله وألزم الخلق تصديقه فى جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة وأنه لا يتقبل إيمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت ، وأوّله سؤال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد فى قبره سويا ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك (١) وهما فتانا القبر (٢) وسؤالهما أول فتنة بعد الموت (٣) وأن يؤمن بعذاب القبر (٤) وأنه حق وحكمه عدل على الجسم والروح على مايشاء ، وأن يؤمن بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته فى العظم أنه مثل طبقات السموات والأرض توزن فيه الأعمال بقدرة الله تعالى . والصنج يومئذ مثاقيل الدرّ والخردل تحقيقا لتمام العدل وتوضع صحائف الحسنات فى صورة حسنة فى كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله وتطرح صحائف السيئات فى صورة قبيحة فى كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله (٥) وأن يؤمن بأن الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم أحدّ من السيف وأدق من الشعرة تزلّ عليه أقدام الكافرين بحكم الله سبحانه فتهوى بهم إلى النار وتثبت عليه أقدام المؤمنين بفضل الله فيساقون إلى دار القرار (٦) وأن يؤمن بالحوض الورود

(١) حديث سؤال منكر ونكير الترمذى وصححه وابن حبان من حديث أبى هريرة إذا قبر الميت أو قال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير وفى الصحيحين من حديث أنس إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه الحديث (٢) حديث إنهما فتانا القبر أحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فتانى القبر فقال عمر أتردّ علينا عقولنا الحديث (٣) حديث إن سؤالهما أول فتنة بعد الموت لم أجده (٤) حديث عذاب القبر أخرجاه من حديث عائشة إنكم تفتنون أو تعذبون فى قبوركم الحديث ولهما من حديث أبى هريرة وعائشة استعاذته صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر (٥) حديث الإيمان بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته فى العظم أنه مثل طباق السموات والأرض البيهقى فى البعث من حديث عمر قال الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان الحديث وأصله عند مسلم ليس فيه ذكر الميزان ولأبى داود من حديث عائشة أما فى ثلاثة مواطن لا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل زاد ابن مردويه فى تفسيره قالت عائشة أى حبى قد علمنا الموازين هى الكفتان فيوضع فى هذه الشىء ويوضع فى هذه الشىء فترجح إحداهما وتخف الأخرى والترمذى وحسنه من حديث أنس والطبينى عند الميزان ومن حديث عبد الله بن عمر فى حديث البطاقة فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة الحديث وروى ابن شاهين فى كتاب السنة عن ابن عباس كفة الميزان كأطباق الدنيا كلها (٦) حديث الايمان بالصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أحدّ من السيف وأدقّ من الشعر الشيخان من حديث أبى هريرة ويضرب الصراط بين ظهرانى جهنم ولهما من حديث أبى سعيد ثم يضرب الجسر على جهنم زاد مسلم قال أبو سعيد إن الجسر أدق من الشعر وأحدّ من السيف ورفعه أحمد من حديث عائشة والبيهقى فى الشعب والبعث من حديث أنس وضعفه وفى البعث من رواية عبيد بن عمير مرسلا ومن قول ابن مسعود الصراط كحدّ السيف وفى آخر الحديث مايدل على أنه مرفوع .

كل مخلوق المنطبع فيه من مركب ومفرد وصفة وموصوف وحى وجماد وناطق وصامت ومتحرّك وساكن ومظلم ونير وهو الذى يسمى تارة بعلامة . وتارة بسمة وتارة بأثر القدرة وتارة بآية كما قال الشاعر ولا أدرى عن سماع أو رؤية قلب : وفى كلّ شىء له آية تدلّ على أنه واحد فلو قرءوا ذلك الخط وجدوا تفسير ذلك المكتوب عليه وشرحه أبدية مالكه والتصريف له بالقدرة على حكم الارادة بما سبق فى ثابت العلم من غير مزيد ولا تقصير فتركوا الكتابة والمكتوب وترقوا معرفة الكاتب الـ أحدث الأشياء وكوّنها ولا يخرج عن ملكه شىء منها ولا استغنت بأنفسها عن حوله وقوّته ولا انتقلت إلى الحرية عن رقّ استعباده فوجدوه كما وصف نفسه ـ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ـ فخلصت لهم

حوض محمد صلى الله عليه وسلم يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط (١) من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا عرضه مسيرة شهر ماؤه أشدّ بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عددها بعدد نجوم السماء (٢) فيه ميزابان يصبان فيه من الكوثر (٣) وأن يؤمن بالحساب وتفاوت الناس فيه إلى مناقش فى الحساب وإلى مسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقرّبون فيسأل الله تعالى (٤) من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين (٥) ويسأل المبتدعة عن السنة (٦) ويسأل المسلمين عن الأعمال (٧) وأن يؤمن بإخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى فى جهنم موحد بفضل الله تعالى فلا يخلد

التفرقة والجمع وعقلت نفس كل واحد منهم توحيد خالقها باذنه وإيجاده عن غيره وعقلت أنها علقت توحيده فسبحان من يسرها لذلك وفتح عليها بما ليس فى وسعها أن تدركه إلا به وهو اللطيف الخبير لكن الصنف الثالث لم يقصر كل منهم أن يعرف نفسه موجدا لديه فيما لا يزال وهم المقرّبون والصنف الرابع لم يقصر كل واحد منهم أن عرف ربه موجدا لنفسه فيما لم يزل وهم الصدّيقون وبينهما تفاوت كثير . وأما طريق معرفة صحة هذا التقسيم فلأن العقلاء بأسرهم لا يخلو كل واحد منهم أن يوجد أثر التوحيد بأحد الأنحاء المذكورة عنده فأما من عدمت عنده فهو كافر إن كان فى زمن الدعوة أو على قرب يمكن وصول علمها إليه أو فى فترة يتوجه عليه فيها التكليف وهذا صنف مبعد عن مقام هذا

(١) حديث الايمان بالحوض وأنه يشرب منه المؤمنون مسلم من حديث أنس فى نزول ـ إنا أعطيناك الكوثر ـ هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم ولهما من حديث ابن مسعود وعقبة ابن عامر وجندب وسهل بن سعد أنا فرطكم على الحوض ومن حديث ابن عمر أما لكم حوض كما بين جرباء وأذرح . وقال الطبرانى كما بينكم وبين جرباء وأذرح وهو الصواب وذكر الحوض فى الصحيح من حديث أبى هريرة وأبى سعيد وعبد الله بن عمر وحذيفة وأبى ذر وحابس بن سمرة وحارثة بن وهب وثوبان وعائشة وأم سلمة وأسماء (٢) حديث من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا عرضه مسيرة شهر أشدّ بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عدد نجوم السماء من حديث عبد الله بن عمرو ولهما من حديث أنس فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء وفى رواية لمسلم أكثر من عدد نجوم السماء (٣) حديث فيه ميزابان يصبان من الكوثر مسلم من حديث ثوبان يغتّ فيه ميزابان يمدّانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق (٤) حديث الايمان بالحساب وتفاوت الخلق فيه إلى مناقش فى الحساب ومسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب البيهقى فى البعث من حديث عمر فقال يا رسول الله ما الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالموت وبالبعث من بعد الموت والحساب والجنة والنار والقدر كله الحديث وهو عند مسلم دون ذكر الحساب وللشيخين من حديث عائشة من نوقش الحساب عذب قالت قلت أليس يقول الله تعالى ـ فسوف يحاسب حسابا يسيرا ـ قال ذلك العرض ولهما من حديث ابن عباس عرضت علىّ الأمم فقيل هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب . ولمسلم من حديث أبى هريرة وعمران بن حصين يدخل من أمتى الجنة سبعون ألفا بغير حساب زاد البيهقى فى البعث من حديث عمرو بن حزم وأعطانى مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا زاد أحمد من حديث عبد الرحمن بن أبى بكر بعده هذه الزيادة فقال فهلا استزدته قال قد استزدته فأعطانى مع كل رجل سبعين ألفا قال عمر فهلا استزدته قال قد استزدته فأعطانى هكذا وفرج عبد الرحمن بن أبى بكر بين يديه الحديث (٥) حديث سؤال من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين . البخارى من حديث أبى سعيد يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا ربّ فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمته فيقولون ما أتانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وأمته الحديث . ولابن ماجه يجىء النبى يوم القيامة الحديث وفيه فيقال هل بلغت قومك الحديث (٦) حديث سؤال المبتدعة عن السنة ابن ماجه من حديث عائشة من تكلم بشىء من القدر سئل عنه يوم القيامة . ومن حديث أبى هريرة ما من داع يدعو إلى شىء إلا وقف يوم القيامة لازما لدعوة مادعا إليه وإن دعا رجل رجلا وإسنادهما ضعيف (٧) حديث سؤال المسلمين عن الأعمال أصحاب السنن من حديث أبى هريرة إنّ أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته الحديث وسيأتى فى الصلاة .

فى النار موحد(١) وأن يؤمن بشفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين على حسب جاهه ومنزلته عند الله تعالى ومن بقى من المؤمنين ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله عز وجل فلا يخلد فى النار مؤمن بل يخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان(٢) وأن يعتقد فضل الصحابة رضى الله عنهم وترتيبهم وأن أفضل الناس بعد النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم(٣) وأن يحسن الظن بجميع الصحابة ويثنى عليهم كما أثنى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين(٤) فكل ذلك مما وردت به الأخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من أهل الحق وعصابة السنة وفارق رهط الضلال وحزب البدعة فنسأل الله كمال اليقين وحسن الثبات فى الدين لنا ولكافة المسلمين برحمته إنه أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

الفصل الثانى فى وجه التدريج إلى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد . اعلم أن ما ذكرناه فى ترجمة العقيدة ينبغى أن يقدم إلى الصبى فى أول نشوه ليحفظه حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه فى كبره شيئا فشيئا فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به وذلك مما يحصل فى الصبى بغير برهان فمن فضل الله سبحانه على قلب الانسان أن شرحه فى أول نشوه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مباديها التلقين المجرد والتقليد المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف فى الابتداء على معنى أنه يقبل الإزالة بنقيضه لو ألقى إليه فلابد من تقويته وإثباته فى نفس الصبى والعامى حتى يترسخ ولا يتزلزل وليس الطريق فى تقويته وإثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها وبما يسطع عليه من أنوار

(١) حديث إخراج الموحدين من النار حتى لا يبقى فيها موحد بفضل الله سبحانه الشيخان من حديث أبى هريرة فى حديث طويل حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله الحديث (٢) حديث شفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين ومن بقى من المؤمنين ولم يكن لهم شفيع أخرج بفضل الله فلا يخلد فى النار مؤمن بل يخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء وقد تقدم فى العلم وللشيخين من حديث أبى سعيد الخدرى من وجدتم فى قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان فأخرجوه وفى رواية من خير وفيه فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفعت النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط الحديث (٣) حديث أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على البخارى من حديث ابن عمر قال كنا نخير بين الناس فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ولأبى داود كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حى أفضل أمة النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضى الله عنهم زاد الطبرانى ويسمع ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ولا ينكره (٤) حديث إحسان الظن بجميع الصحابة والثناء عليهم الترمذى من حديث عبد الله بن مغفل الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى وللشيخين من حديث أبى سعيد لا تسبوا أصحابى . وللطبرانى من حديث ابن مسعود إذا ذكر أصحابى فأمسكوا.

الكلام وأما من يوجد عنده فلا يخلو أن يكون مقلدا فى عقده أو عالما به والمقلدون هم العوام وهم أهل المرتبة الثانية فى الكتاب فأما العلماء بحقيقة عقدهم فلا يخلو كل واحد أن يكون بلغ الغاية التى أعدت لصنفه دون النبوة أو لم يبلغ ولكنه قريب من البلوغ فالذى لم يبلغ وكان على قرب هم المقربون وهم أهل المرتبة الثالثة والذين بلغوا الغاية التى أعدت لهم وهم الصديقون وهم أهل المرتبة الرابعة وهذا التقسيم ظاهر الصحة إذ هو دائر بين النفى والاثبات ومحصور بين البادى والغايات ولم يدخل أهل المرتبة الأولى فى شىء من تصحيح هذا التقسيم إذ ليس هم من أهله إلا بانتساب كاذب ودعوى غير صافية ثم لابد من الوفاء بما وعدناك به من إبداء بحث مزيد شرح وبسط بيان تعرف منه باذن الله حقيقة

العبادات ووظائفها وبما يسرى إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وسماعهم وهيآتهم فى الخضوع لله عز وجل والخوف منه والاستكانة له فيكون أول التلقين كالقاء بذر فى الصدر وتكون هذه الأسباب كالسقى والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها فى السماء وينبغى أن يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة فان ما يشوّشه الجدل أكثر مما يمهده ومايفسده أكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل تضاهى ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد رجاء تقويتها بأن تكثر أجزاؤها وربما يفتتها ذلك ويفسدها وهو الأغلب والمشاهدة تكفيك فى هذا بيانا فناهيك بالعيان برهانا فقس عقيدة أهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامى فى الثبات كالطود الشامخ لاتحركه الدواهى والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل فى الهواء تفيئه الرياح مرة هكذا ومرة هكذا إلا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما تلقف نفس الاعتقاد تقليدا إذ لافرق فى التقليد بين تعلم الدليل أو تعلم المدلول فتلقين الدليل شىء والاستدلال بالنظر شىء آخر بعيد عنه ثم الصبى إذا وقع نشوه على هذه العقيدة إن اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم فى الآخرة باعتقاد أهل الحق إذ لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد فأما البحث والتفتيش وتكلف نظم الأدلة فلم يكلفوه أصلا وإن أراد أن يكون من سالكى طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتحت له أبواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهى يقذف فى قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده عز وجل إذ قال ـ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ـ وهو الجوهر النفيس الذى هو غاية إيمان الصدّيقين والمقربين وإليه الإشارة بالسر الذى وقر فى صدر أبى بكر الصديق رضى الله عنه حيث فضل به الخلق وانكشاف ذلك السر بل تلك الأسرار له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن فى النظافة والطهارة عما سوى الله تعالى وفى الاستضاءة بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق فى أسرار الطب والفقه وسائر العلوم إذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة فى الذكاء والفطنة وكما لاتنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه . مسئلة : فان قلت تعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم أو هو مباح أو مندوب إليه فاعلم أن للناس فى هذا غلوا وإسرافا فى أطراف فمن قائل إنه بدعة وحرام وإن العبد إن لقى الله عز وجل بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام ومن قائل إنه واجب وفرض إما على الكفاية أو على الأعيان وإنه أفضل الأعمال وأعلى القربات فانه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله تعالى وإلى التحريم ذهب الشافعى ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف قال ابن عبد الأعلى رحمه الله سمعت الشافعى رضى الله عنه يوم ناظر حفصا الفرد وكان من متكلمى المعتزلة يقول لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ماخلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشىء من علم الكلام ولقد سمعت من حفص كلاما لاأقدر أن أحكيه وقال أيضا قد اطلعت من أهل الكلام على شىء ما ظننته قط ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ماعدا الشرك خير له من أن ينظر فى الكلام . وحكى الكرابيسى أن الشافعى رضى الله عنه سئل عن شىء من الكلام فغضب وقال سل عن هذا حفصا الفرد وأصحابه أخزاهم الله ولما مرض الشافعى رضى الله عنه دخل عليه حفص الفرد فقال له من أنا فقال حفص الفرد لاحفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه وقال أيضا لو علم الناس مافى الكلام من الأهواء لفروا منه فرارهم من الأسد وقال أيضا إذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد بأنه من أهل الكلام ولادين له قال الزعفرانى قال الشافعى حكمى فى أصحاب

كل مرتبة ومقام وانقسام أهله فيه بحسب الطاقة والإمكان بما يجريه الواحد الحق على القلب واللسان

(بيان مقام أهل النطق المجرد وتمييز فرقهم)

فأقول أرباب النطق المجرد أربعة أصناف أحدهم نطقوا بكلمة التوحيد مع شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم لم يعتقدوا معنى مانطقوا به لما لم يعلموه لا يتصورون صحته ولا فساده ولا صدقه ولا كذبه ولا خطأه ولا صوابه إذ لم يبحثوا عليه ولا أرادوا فهمه إما لبعد همتهم وقلة اكتراثهم وإما لنفورهم من التعب وخوفهم أن يكلفوا البحث عما نطقوا به أو يبدو لهم مايلزمهم من الاعتقاد والعمل وما بعد ذلك فان التزموها فارقوا راحات أبدانهم العاجلة وفراغ أنفسهم وإن لم يلتزموا شيئا من ذلك وقد حصل لهم العلم فتكون عيشتهم منغصة وملاذهم مكدرة من خوف

الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم فى القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ فى الكلام وقال أحمد بن حنبل لا يفلح صاحب الكلام أبدا ولا تكاد ترى أحدا نظر فى الكلام إلا وفى قلبه دغل وبالغ فى ذمه حتى هجر الحارث المحاسبى مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا فى الرد على المبتدعة وقال له ويحك ألست تحكى بدعتهم أولا ثم ترد عليهم ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر فى تلك الشبهات فيدعوهم ذلك إلى الرأى والبحث. وقال أحمد رحمه الله علماء الكلام زنادقة. وقال مالك رحمه الله أرأيت إن جاءه من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد يعنى أن أقوال المتجادلين تتفاوت وقال مالك رحمه الله أيضا لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء فقال بعض أصحابه فى تأويله إنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أى مذهب كانوا وقال أبو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق وقال الحسن لا تجادلوا أهل الأهواء ولا تجالسوهم ولا تسمعوا منهم وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه وقالوا ما سكت عنه الصحابة مع أنهم أعرف بالحقائق وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم إلا لعلمهم بما يتولد منه من الشر ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم «هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون[1]» أى المتعمقون فى البحث والاستقصاء واحتجوا أيضا بأن ذلك لو كان من الدين لكان ذلك أهم ما يأمر به رسول الله ﷺ ويعلم طريقه ويثنى عليه وعلى أربابه فقد علمهم الاستنجاء[2]، وندبهم إلى علم الفرائض وأثنى عليهم[3] ونهاهم عن الكلام فى القدر وقال أمسكوا[4] عن القدر، وعلى هذا استمر الصحابة رضى الله عنهم فالزيادة على الأستاذ طغيان وظلم وهم الأستاذون والقدوة ونحن الأتباع والتلامذة وأما الفرقة الأخرى فاحتجوا بأن قالوا إن المحذور من الكلام إن كان هو لفظ الجوهر والعرض وهذه الاصطلاحات الغريبة التى لم تعهدها الصحابة رضى الله عنهم فالأمر فيه قريب إذ ما من علم إلا وقد أحدث فيه اصطلاحات لأجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدية وفساد الوضع إلى جميع الأسئلة التى تورد على القياس لما كانوا يفقهونه فاحداث عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كاحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها فى مباح وإن كان المحذور هو المعنى فنحن لا نعنى به إلا معرفة الدليل على حدوث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كما جاء فى الشرع فمن أين تحرم معرفة الله تعالى بالدليل وإن كان المحذور هو التشعب والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضى إليه الكلام فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه كما أن الكبر والعجب والرياء وطلب الرياسة مما يفضى إليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم يجب الاحتراز عنه ولكن لا يمنع من العلم لأجل أدائه إليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظورا وقد قال الله تعالى ـ قل هاتوا برهانكم ـ وقال عز وجل ـ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة ـ وقال تعالى ـ قل هل عندكم من سلطان بهذا ـ أى حجة وبرهان وقال تعالى ـ قل فلله الحجة البالغة ـ وقال تعالى ـ ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه ـ إلى قوله ـ فبهت الذى كفر ـ إذ ذكر سبحانه احتجاج إبراهيم ومجادلته وإفحامه خصمه فى معرض الثناء عليه وقال عز وجل ـ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ـ وقال تعالى ـ قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا ـ وقال تعالى فى قصة فرعون ـ وما رب العالمين . إلى قوله ـ أولو

(١) حديث هلك المتنطعون مسلم من حديث ابن مسعود (٢) حديث أن النبى صلى الله عليه وسلم علمهم الاستنجاء مسلم من حديث سلمان الفارسى (٣) حديث ندبهم إلى علم الفرائض وأثنى عليهم ابن ماجه من حديث أبى هريرة تعلموا الفرائض وعلموها الناس الحديث وللترمذى من حديث أنس وأفرضهم زيد بن ثابت (٤) حديث نهاهم عن الكلام فى القدر وقال أمسكوا . تقدم فى العلم .

عقاب ترك ما علموا لزومه ومثل هؤلاء مثل من يريد قراءة الطب أو يعرض عليه ولكنه يمنعه عنه مخافة أن يتطلع منه على ما يغير عنه بعض ملاذه من الأطعمة والأشربة والأنكحة أو كثير منها فيحتاج إلى أن يتركها أو يرتكبها على رقيه وخوف أن يصيبه صورة ما يعلم ضرورة منها فيدع قراءة الطب رأسا . سئل هذا الصنف عن معنى ما نطقوا به هل اعتقدوه فيقولون لا نعلم فيه ما يعتقد وما دعانا النطق إلا مساعدة الجماهير وانخراطا باظهار القول فى الجم الغفير ولا نعرف هل ما قلناه بالحقيقة من قبيل العرف والنكير ولا شك أن هذا الصنف الذى أخبر صلى الله عليه وسلم عن حاله بمسئلة الملكين أحدهم فى القبر إذ يقولان من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدرى سمعت الناس يقولون قولا فقلته

جئتك بشيء مبين ـ وعلى الجملة فالقرآن من أوله إلى آخره محاجة مع الكفار فعمدة أدلة المتكلمين فى التوحيد قوله تعالى ـ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ـ وفى النبوّة ـ وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ـ وفى البعث ـ قل يحييها الذى أنشأها أوّل مرة ـ إلى غير ذلك من الآيات والأدلة ولم تزل الرسل صلوات الله عليهم يحاجون المنكرين ويجادلونهم قال تعالى ـ وجادلهم بالتى هى أحسن ـ فالصحابة رضى الله عنهم أيضا كانوا يحاجون المنكرين ويجادلون ولكن عند الحاجة وكانت الحاجة إليه قليلة فى زمانهم وأول من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة إلى الحق على بن أبى طالب رضى الله عنه إذ بعث ابن عباس رضى الله عنهما إلى الخوارج فكلمهم فقال ماتنقمون على إمامكم قالوا قاتل ولم يسب ولم يغنم فقال ذلك فى قتال الكفار أرأيتم لو سبيت عائشة رضى الله عنها فى يوم الجمل فوقعت عائشة رضى الله عنها فى سهم أحدكم أكنتم تستحلون منها ماتستحلون من ملككم وهى أمكم فى نص الكتاب فقالوا لا فرجع منهم إلى الطاعة بمجادلته ألفان وروى أن الحسن ناظر قدريا فرجع عن القدر وناظر على بن أبى طالب كرم الله وجهه رجلا من القدرية وناظر عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يزيد ابن عميرة فى الإيمان قال عبد الله لو قلت إنى مؤمن لقلت إنى فى الجنة فقال له يزيد بن عميرة ياصاحب رسول الله هذه زلة منك وهل الايمان إلا أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والميزان وتقيم الصلاة والصوم والزكاة ولنا ذنوب لو نعلم أنها تغفر لنا لعلمنا أننا من أهل الجنة فمن أجل ذلك نقول إنا مؤمنون ولا نقول إنا من أهل الجنة فقال ابن مسعود صدقت والله إنها منى زلة فينبغى أن يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيرا لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس واتخاذه صناعة فيقال أما قلة خوضهم فيه فانه كان لقلة الحاجة إذ لم تكن البدعة تظهر فى ذلك الزمان وأما القصر فقد كان الغاية إفحام الخصم واعترافه وانكشاف الحق وازالة الشبهة فلو طال إشكال الخصم أو لجاجه لطال لامحالة إلزامهم وما كانوا يقدرون قدر الحاجة بميزان ولا مكيال بعد الشروع فيها وأما عدم تصديهم للتدريس والتصنيف فيه فهكذا كان دأبهم فى الفقه والتفسير والحديث أيضا فان جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التى لاتتفق إلا على الندور إما ادخار ليوم وقوعها وإن كان نادرا أو تشحيذا للخواطر فنحن أيضا نرتب طرق المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة أو هيجان مبتدع أو لتشحيذ الخاطر أو لادخار الحجة حتى لايعجز عنها عند الحاجة على البديهة والارتجال كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا مايمكن أن يذكر للفريقين . فان قلت فما المختار عندك فيه فاعلم أن الحق فيه أن إطلاق القول بذمه فى كل حال أو بحمده فى كل حال خطأ بل لابد فيه من تفصيل فاعلم أولا أن الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة وأعنى بقولى لذاته أن علة تحريمه وصف فى ذاته وهو الاسكار والموت وهذا إذا سئلنا عنه أطلقنا القول بأنه حرام ولا يلتفت إلى إباحة الميتة عند الاضطرار وإباحة تجرع الخمر إذا غص الانسان بلقمة ولم يجد مايسيغها سوى الخمر وإلى مايحرم لغيره كالبيع على بيع أخيك المسلم فى وقت الخيار والبيع وقت النداء وكأكل الطين فانه يحرم لما فيه من الاضرار وهذا ينقسم إلى مايضر قليله وكثيره فيطلق القول عليه بأنه حرام كالسم الذى يقتل قليله وكثيره وإلى مايضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالاباحة كالعسل فان كثيره يضر بالمحرور وكأكل الطين وكأن إطلاق التحريم على الطين والخمر والتحليل على العسل التفات إلى أغلب الأحوال فان تصدى شيء تقابلت فيه الأحوال فالأولى والأبعد عن الالتباس أن يفصل فنعود إلى علم الكلام ونقول إن فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته فى وقت الانتفاع حلال أو مندوب إليه أو واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته فى وقت الاستضرار ومحله حرام أما مضرته فاثارة الشبهات وتحريك العقائد وإزالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل فى الابتداء ورجوعها بالدليل

فيقولان له لا دريت ولا تليت وسماه النبيّ صلى الله عليه وسلم الشاك والمرتاب والصنف الثانى نطق كما نطق الذين من قبلهم ولكنهم أضافوا إلى قولهم مالايحصل معه الإيمان ولاينتظم به معنى التوحيد وذلك مثل ماقالت السبابية طائفة من الشيعة القدماء ان عليا هو الإله وبلغ أمرهم عليا رضى الله عنه وكانوا فى زمنه فحرق منهم جماعة وأمثال من نطق بالشهادتين كثير ثم أصحاب نطقه مثل هذا النكير ويسمون الزنادقة وقد رأينا حديثا عنه صلى الله عليه وسلم فى ذلك « ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى الجنة إلا الزنادقة » . والصنف الثالث نطقوا كما نطق الصنفان المذكوران قبلهم ولكنهم آثروا التكذيب واعتقدوا الرد واستنبطوا خلاف ماظهر منهم من الاقرار وإذا رجعوا إلى أهل

مشكوك فيه ويختلف فيه الأشخاص فهذا ضرره فى الاعتقاد الحق وله ضرر آخر فى تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة وتثبيته فى صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الاصرار عليه ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذى يثور من الجدل ولذلك ترى المبتدع العامى يمكن أن يزول اعتقاده باللطف فى أسرع زمان إلا إذا كان نشؤه فى بلد يظهر فيها الجدل والتعصب فإنه لو اجتمع عليه الأولون والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولى على قلبه ويمنعه من إدراك الحق حتى لو قيل له هل تريد أن يكشف الله تعالى لك الغطاء ويعرفك بالعيان أن الحق مع خصمك لكره ذلك خيفة من أن يفرح به خصمه وهذا هو الداء العضال الذى استطار فى البلاد والعباد وهو نوع فساد أثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره وأما منفعته فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هى عليه وهيهات فليس فى الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوى ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك إلى التعمق فى علوم أخر تناسب نوع الكلام وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمرى لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور ولكن على الندور فى أمور جلية تكاد تفهم قبل التعمق فى صنعة الكلام بل منفعته شىء واحد وهو حراسة العقيدة التى ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة بأنواع الجدل فان العامى ضعيف يستفزه جدل المبتدع وإن كان فاسدا ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه والناس متعبدون بهذه العقيدة التى قدمناها إذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم وأجمع السلف الصالح عليها والعلماء يتعبدون بحفظها على العوام من تلبيسات المبتدعة كما تعبد السلاطين بحفظ أموالهم عن تهجمات الظلمة والغصاب وإذا وقعت الإحاطة بضرره ومنعته فينبغى أن يكون كالطبيب الحاذق فى استعمال الدواء الخطر إذ لا يضعه إلا فى موضعه وذلك فى وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة.

وتفصيله أن العوام المشتغلين بالحرف والصناعات يجب أن يتركوا على سلامة عقائدهم التى اعتقدوها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذى ذكرناه فان تعليمهم الكلام ضرر محض فى حقهم إذ ربما يثير لهم شكا ويزلزل عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالاصلاح وأما العامى المعتقد للبدعة فينبغى أن يدعى إلى الحق بالتلطف لا بالتعصب وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر فى القلب القريب من سياق أدلة القرآن والحديث الممزوج بفن من الوعظ والتحذير فان ذلك أنفع من الجدل الموضوع على شرط المتكلمين إذ العامى إذا سمع ذلك اعتقد أنه نوع صنعة من الجدل تعلمها المتكلم ليستدرج الناس إلى اعتقاده فان عجز عن الجواب قدر أن المجادلين من أهل مذهبه أيضا يقدرون على دفعه فالجدل مع هذا ومع الأول حرام وكذلك مع من وقع فى شك إذ يجب إزالته باللطف والوعظ والأدلة القريبة المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام واستقصاء الجدل إنما ينفع فى موضع واحد وهو أن يفرض عامى اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود إلى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له من الأنس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامية فقد انتهى هذا إلى حالة لا يشفيه منها إلا دواء الجدل فجاز أن يلقى إليه وأما فى بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد الذى ذكرناه ولا يتعرض للأدلة ويتربص وقوع شبهة فان وقعت ذكر بقدر الحاجة فان كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان أن يخدعوا فلا بأس أن يعلموا القدر الذى أودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تأثير مجادلات المبتدعة إن وقعت

الإلحاد أعلنوا عندهم بكلمة الكفر فهؤلاء المنافقون الذين ذكرهم الله فى كتابه بقوله: وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون. الصنف الرابع قوم لم يعرفوا التوحيد وما نشأوا عليه ولا عرفوا أهله ولا سكنوا بين أظهرهم ولكنهم حين وصلوا إلينا أو وصل إليهم أحد منا خوطبوا بالأمر المقتضى للنطق بالشهادتين والاقرا بهما فقالوا لا نعلم مقتضى هذا اللفظ ولا نعقل معنى المأمور به من النطق فأمروا أن يظهروا الرضا ويفهموا بلا مهلة فسكنوا إلى ما قيل لهم ونطقوا بالشهادتين ظاهرا وهم على الجهل بما يعتقدون فيها فاخترم أحدهم من حينه من قبل أن يأتى منه استفهام أو تصور يمكن أن يكون له معه معتقد

إليهم وهـذا مقدار مختصر وقد أودعناه هـذا الكتاب لاختصاره فان كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع سؤال أو ثارت فى نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا بأس أن يرقى منه إلى القدر الذى ذكرناه فى كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد وهو قدر خمسين ورقة وليس فيه خروج عن النظر فى قواعد العقائد إلى غير ذلك من مباحث المتكلمين فان أقنعه ذلك كفّ عنه وإن لم يقنعه ذلك فقد صارت العلة مزمنة والداء غالبا والمرض ساريا فليتلطف به الطبيب بقدر إمكانه وينتظر قضاء الله تعالى فيه إلى أن ينكشف له الحق بتنبيه من الله سبحانه أو يستمر على الشك والشبهة إلى ماقدر له فالقدر الذى يحويه ذلك الكتاب وجنسه من المصنفات هو الذى يرجى نفعه فأما الخارج منه فقسمان أحدهما بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتمادات وعن الأكوان وعن الادراكات وعن الخوض فى الرؤية هل لها ضدّ يسمى المنع أو العمى وإن كان فذلك واحد هو منع عن بيع مالا يرى أو ثبت لكل مرئى يمكن رؤيته منع بحسب عدده إلى غير ذلك من الترّهات المضلات والقسم الثانى زيادة تقرير لتلك الأدلة فى غير تلك القواعد وزيادة أسئلة وأجوبة وذلك أيضا استقصاء لا يزيد إلا ضلالا وجهلا فى حق من لم يقنعه ذلك القدر فرب كلام يزيده الإطناب والتقرير غموضا . ولو قال قائل البحث عن حكم الادراكات والاعتمادات فيه فائدة تشحيذ الخواطر والخاطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا بأس بتشحيذه كان كقوله لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من الدين أيضا وذلك هوس فانّ الخاطر يتشحذ بسائر علوم الشرع ولا يخاف فيها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام والحال التى يذم فيها والحال التى يحمد فيها والشخص الذى ينتفع به والشخص الذى لا ينتفع به .

فان قلت مهما اعترفت بالحاجة إليه فى دفع المبتدعة والآن قد ثارت البدع وعمت البلوى وأرهقت الحاجة فلا بد أن يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق كالقضاء والولاية وغيرها ومالم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولو ترك بالكلية لاندرس وليس فى مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة مالم يتعلم فينبغى أن يكون التدريس فيه والبحث عنه أيضا من فروض الكفايات بخلاف زمن الصحابة رضى الله عنهم فان الحاجة ما كانت ماسة إليه فاعلم أن الحق أنه لا بد فى كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل بدفع شبه المبتدعة التى ثارت فى تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير فان هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من أنواع الضرر فالعالم ينبغى أن يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال إحداها التجرد للعلم والحرص عليه فان المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام وإزالة الشكوك إذا عرضت . الثانية الذكاء والفطنة والفصاحة فان البليد لا ينتفع بفهمه والفدم لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه نفعه . الثالثة أن يكون فى طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا تكون الشهوات غالبة عليه فان الفاسق بأدنى شبهة ينخلع عن الدين فان ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السدّ الذى بينه وبين الملاذ فلا يحرص على إزالة الشبهة بل يغتنمها ليتخلص من أعباء التكليف فيكون مايفسده مثل هذا المتعلم أكثر مما يصلحه وإذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك أن هذه الحجة المحمودة فى الكلام إنما هى من جنس حجج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة فى القلوب المقنعة للنفوس دون التغلغل فى التقسيمات والتدقيقات التى لا يفهمها أكثر الناس وإذا فهموها اعتقدوا أنها شعوذة وصناعة تعلمها صاحبها للتلبيس فاذا قابله مثله فى الصنعة قاومه، وعرفت أن الشافعى وكافة السلف إنما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذى نبهنا عليه وأن ما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما من مناظرة الخوارج

فيرجى أن لا تضيق عنه سعة رحمة الله عزّ وجل والحكم عليه بالنار والخلود فيها مع الكفار تحكم على غيب الله سبحانه وربما كان من هذا الصنف فى الحكم عند الله عز وجل قوم رزقوا بعد الفهم وغيب الذهن وفرط البلادة أن يدعوا إلى النطق فيجيبوا مساعدة ومحاذاة ثم يدعوا إلى تفهم المعنى بكل وجه فلا يتأتى منهم قبول لما يعرض عليهم تفهمه كأنما تخاطب بهيمة ومثل هـذا أيضا فى الوجود كثير ولا أحكم على أحد مثله بخلود فى النار ولا بعد أن هذا الصنف بأسره أعنى المحترم قبل تحصيله العقد مع هذا البليد البعيد بعض ما ذكره النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث الشفاعة الذين أخرجهم الله عز وجل من النار بشفاعته حين يقول تعالى: فرغت شفاعة الملائكة والنبيين وبقيت شفاعتى . وهو أرحم الراحمين فيخرج

وما نقل عن علىّ رضى الله عنه من المناظرة فى القدر وغيره كان من الكلام الجلى الظاهر وفى محل الحاجة وذلك محمود فى كل حال ، نعم قد تختلف الأعصار فى كثرة الحاجة وقلتها فلا يبعد أن يختلف الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة التى تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها فأما إزالة الشبهة وكشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ماهى عليه وإدراك الأسرار التى يترجمها ظاهر ألفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح له إلا المجاهدة وقمع الشهوات والاقبال بالكلية على الله تعالى وملازمة الفكر الصافى عن شوائب المجادلات وهى رحمة من الله عز وجلّ تفيض على من يتعرّض لنفحاتها بقدر الرزق وبحسب التعرض وبحسب قبول المحل وطهارة القلب وذلك البحر الذى لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله [مسئلة] فان قلت هذا الكلام يشير إلى أن هذه العلوم لها ظواهر وأسرار وبعضها جلى يبدو أولا وبعضها خفى يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافى والسرّ الخالى عن كل شىء من أشغال الدنيا سوى المطلوب وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع إذ ليس للشرع ظاهر وباطن وسرّ وعلن بل الظاهر والباطن والسرّ والعلن واحد فيه فاعلم أن انقسام هذه العلوم إلى خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة وإنما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا فى أوائل الصبا شيئا وجمدوا عليه فلم يكن لهم ترقّ إلى شأو العلماء ومقامات العلماء والأولياء وذلك ظاهر من أدلة الشرع قال صلى الله عليه وسلم « إن للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا (١) » وقال علىّ رضى الله عنه وأشار إلى صدره إن ههنا علوما جمة لو وجدت لها حملة . وقال صلى الله عليه وسلم « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « ماحدّث أحد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم إلا كان فتنة عليهم (٣) » وقال الله تعالى ـ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ـ وقال صلى الله عليه وسلم « إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العالمون بالله تعالى (٤) » الحديث إلى آخره كما أوردناه فى كتاب العلم . وقال صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا (٥) » فليت شعرى إن لم يكن ذلك سرا منع من إفشائه لقصور الأفهام عن إدراكه أو لمعنى آخر فلم لم يذكره لهم ولاشك أنهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عز وجل ـ الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهنّ يتنزل الأمر بينهنّ ـ لو ذكرت تفسيره لرجمتونى وفى لفظ آخر لقلتم إنه كافر . وقال أبو هريرة رضى الله عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين أما أحدهما فبثثته وأما الآخر لو بثثته لقطع هذا الحلقوم . وقال صلى الله عليه وسلم « مافضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسر وقر فى صدره (٦) » رضى الله عنه ولاشك فى أن ذلك السرّ كان متعلقا بقواعد الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين لم يكن خافيا بظواهره على غيره وقال سهل التسترى رضى الله عنه للعالم ثلاثة علوم علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر وعلم باطن لا يسعه إظهاره إلا لأهله وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لأحد . وقال بعض العارفين إفشاء سر الربوبية كفر وقال بعضهم للربوبية سرّ لو ظهر لبطلت النبوة وللنبوة سرّ لو كشف لبطل العلم وللعلماء بالله سرّ لو أظهروه

(١) حديث إن للقرآن ظاهرا وباطنا الحديث ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن مسعود بنحوه (٢) حديث نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم الحديث تقدم فى العلم (٣) حديث ماحدث أحد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم الحديث تقدم فى العلم (٤) حديث إن من العلم كهيئة المكنون الحديث تقدم فى العلم (٥) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا أخرجاه من حديث عائشة وأنس (٦) حديث مافضلكم أبو بكر بكثرة صيام الحديث تقدم فى العلم .

من النار أقواما لم يعملوا حسنة قط ويدخلون الجنة ويكون فى أعناقهم سمات ويسمون عتقاء الله عز وجلّ والحديث يطول وهو صحيح وإنما اختصرت منه قدر الحاجة على المعنى وحكم الصنف الأول والثانى والثالث أجمعين أن لا يجب لهم حرمة ولا يكون لهم عصمة ولا ينسبون إلى إيمان ولا إسلام بل هم أجمعون من زمرة الكافرين وجملة الهالكين فان عثر عليهم فى الدنيا قتلوا فيها بسيوف الموحدين وإن لم يعثر عليهم فهم صائرون إلى جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون .

[فصل] ولما كان اللفظ المنبئ عن التوحيد إذا انفرد عن العقد وتجرد عنه لم يقع به فى حكم الشرع منفعة ولا لصاحبه بسببه نجاة إلا مدة حياته عن السيف أن يراق دمه واليد أن تسلط على ماله

لبطلت الأحكام وهذا القائل إن لم يرد بذلك بطلان النبوة فى حق الضعفاء لقصور فهمهم فإذ كره ليس بحق بل الصحيح أنه لا تناقض فيه وأن الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه وملاك الورع النبوة

[مسئلة] فان قلت هذه الآيات والأخبار يتطرق إليها تأويلات فبين لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن فان الباطن إن كان مناقضا للظاهر ففيه إبطال الشرع وهو قول من قال إن الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر لأن الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عبارة عن الباطن وإن كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو فيزول به الانقسام ولا يكون للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفى والجلى واحدا . فاعلم أن هذا السؤال يحرك خطبا عظيما وينجر إلى علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة وهو غرض هذه الكتب فان العقائد التى ذكرناها من أعمال القلوب وقد تعبدنا بتلقيها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا بأن يتوصل إلى أن ينكشف لنا حقائقها فان ذلك لم يكلف به كافة الخلق ولولا أنه من الأعمال لما أوردناه فى هذا الكتاب ولولا أنه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما أوردناه فى الشطر الأول من الكتاب وإنما الكشف الحقيقى هو صفة سر القلب وباطنه ولكن إذا انجر الكلام إلى تحريك خيال فى مناقضة الظاهر للباطن فلابد من كلام وجيز فى حله فمن قال إن الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يناقض الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان بل الأسرار التى يختص بها المقربون يدركها ولا يشاركهم الأكثرون فى عملها ويمتنعون عن إفشائها إليهم ترجع إلى خمسة أقسام : القسم الأول أن يكون الشىء فى نفسه دقيقا تكل أكثر الأفهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعليهم أن لا يفشوه إلى غير أهله فيصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر أفهامهم عن الدرك وإخفاء سر الروح وكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيانه(١) من هذا القسم فان حقيقته مما تكل الأفهام عن دركه وتقصر الأوهام عن تصور كنهه ولا تظنن أن ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه ومن لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه سبحانه ولا يبعد أن يكون ذلك مكشوفا لبعض الأولياء والعلماء وإن لم يكونوا أنبياء ولكنهم يتأدبون بآداب الشرع فيسكتون عما سكت عنه بل فى صفاف الله عز وجل من الخفايا ما تقصر أفهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله ﷺ منها إلا الظواهر للأفهام من العلم والقدرة وغيرهما حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها إلى علمهم وقدرتهم إذ كان لهم من الأوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شىء لم يفهموه بل لذة الجماع إذا ذكرت للصبى أو العنين لم يفهمها إلا بمناسبة إلى لذة المطعوم الذى يدركه ولا يكون ذلك فهما على التحقيق والمخالفة بين علم الله تعالى وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم أكثر من المخالفة بين لذة الجماع والأكل . وبالجملة فلا يدرك الانسان إلا نفسه وصفات نفسه مما هى حاضرة له فى الحال أو مما كانت له من قبل ثم بالمقايسة إليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بأن بينهما تفاوتا فى الشرف والكمال فليس فى قوة البشر إلا أن يثبت الله تعالى ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بأن ذلك أكمل وأشرف فيكون معظم تحريمه على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به من الجلال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك(٢) » وليس

(١) حديث كف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيان الروح الشيخان من حديث ابن مسعود حين سأله اليهود عن الروح قال فأمسك النبى صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئا الحديث

(٢) حديث لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك مسلم من حديث عائشة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك فى سجوده .

إذا لم يعلم خفى حاله حسن فيه أن يشبه بقشر الجوز الأعلى فهو لا يحتمل ولا يرفع فى البيوت ولا يحضر فى المجالس أى مجالس الطعام ولا تشتهيه النفوس إلا مادام منطويا على مطعمه صونا على لبه فاذا أزيل عنه بكسر أو علم منه أنه منطو على فراغ أو وسوس أو طعمه فاسد لم يصلح لشىء ولم يبق فيه غرض لأحد وهذا لا خفاء فى صحته والغرض بالتمثيل تقريب ما غمض إلى نفس الطالب وتسهيل ما اعتاص على المتعلم والسامع فهمه وليس من شرط المثال أن يطابق الممثل به من كل وجه فكان يكون هو ولكن من شرطه أن يكون مطابقا للواحد المراد منه .

[فصل] فان قلت فما الذى صد هؤلاء الأصناف الثلاثة من أهل النطق عن النظر والبحث حتى تعلموا أو عن الاعتقاد حتى تخلصوا من عذاب الله

المعنى أنى أعجز عن التعبير عما أدركته بل هو اعتراف بالقصور عن إدراك كنه جلاله ولذلك قال بعضهم ماعرف الله بالحقيقة سوى الله عز وجل وقال الصديق رضى الله عنه الحمد لله الذى لم يجعل للخلق سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته . ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط ولنرجع إلى الغرض وهو أن أحد الأقسام ما تكل الأفهام عن إدراكه ومن جملته الروح ومن جملته بعض صفات الله تعالى ولعل الاشارة إلى مثله فى قوله صلى الله عليه وسلم « إن لله سبحانه سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره (١) » القسم الثانى من الخفيات التى تمتنع الأنبياء والصديقون عن ذكرها ماهو مفهوم فى نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر بأكثر المستمعين ولا يضر بالأنبياء والصديقين وسر القدر الذى منع أهل العلم من إفشائه من هذا القسم فلا يبعد أن يكون ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بأبصار الخفافيش وكما تضر رياح الورد بالجعل وكيف يبعد هذا وقولنا إن الكفر والزنا والمعاصى والشرور كله بقضاء الله تعالى وإرادته ومشيئته حق فى نفسه وقد أضر سماعه بقوم إذ أوهم ذلك عندهم أنه دلالة على السفه ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم وقد ألحد ابن الراوندى وطائفة من المخذولين بمثل ذلك وكذلك سر القدر لو أفشى لأوهم عند أكثر الخلق عجزا إذ تقصر أفهامهم عن إدراك ما يزيل ذلك الوهم عنهم ولو قال قائل إن القيامة لو ذكر ميقاتها وأنها بعد ألف سنة أو أكثر أو أقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فلعل المدة إليها بعيدة فيطول الأمد وإذا استبطأت النفوس وقت العقاب قل اكتراثها ولعلها كانت قريبة فى علم الله سبحانه ولو ذكرت لعظم الخوف وأعرض الناس عن الأعمال وخربت الدنيا فهذا المعنى لو اتجه وصح فيكون مثالا لهذا القسم .

القسم الثالث : أن يكون الشىء بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه فى قلب المستمع أغلب وله مصلحة فى أن يعظم وقت ذلك الأمر فى قلبه كما لو قال قائل رأيت فلانا يقلد الدر فى أعناق الخنازير فكنى به عن إفشاء العلم وبث الحكمة إلى غير أهلها فالمستمع قد يسبق إلى فهمه ظاهر اللفظ والمحقق إذا نظر وعلم أن ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان فى موضعه خنزير تفطن لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس فى ذلك ومن هذا قال الشاعر:

رجلان خياط وآخر حائك متقابلان على السماك الأعزل
لازال ينسج ذاك خرقة مدبر ويخيط صاحبه ثياب المقبل

فانه عبر عن سبب سماوى فى الاقبال والادبار برجلين صانعين وهذا النوع يرجع إلى التعبير عن المعنى بالصورة التى تتضمن عين المعنى أو مثله ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « إن المسجد لينزوى من النخامة كما تنزوى الجلدة على النار (٢) » وأنت ترى أن ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة ومعناه أن روح المسجد كونه معظما ورمى النخامة فيه تحقير له فيضاد معنى المسجدية مضادة النار لاتصال أجزاء

(١) حديث إن لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب العظمة من حديث أبى هريرة بين الله وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجابا من نور وإسناده ضعيف . وفيه أيضا من حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل هل ترى ربك قال إن بينى وبينه سبعين حجابا من نور ، وفى الأكبر للطبرانى من حديث سهل بن سعد دون الله تعالى ألف حجاب من نور وظلمة ولمسلم من حديث أبى موسى حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ولابن ماجه شىء أدركه بصره .

(٢) حديث إن المسجد لينزوى من النخامة الحديث لم أجد له أصلا .

وهم فى الظاهر قادرون على ذلك وما المانع الخفى الذى منعهم وأبعدهم عنه وهم يعلمون أن ما عليهم كبير مؤنة ولا عظيم نفقة فاعلم أن هذا السؤال يفتح بابا عظيما ويهز قاعدة كبيرة يخاف من التوغل فيها أن يخرج من المقصد ولكن لابد إذا وقع فى الأسماع ووعته قلوب الطالبين واشتاقت إلى سماع الجواب عنه أن نورد فى ذلك قدر ما يقع به الكفاية وتقنع به النفوس بحول الله وقوته، نعم ما سبق فى العلم القديم لا تجرى بخلافه المقادير فهم من ذلك بارادة الله عز وجل جاء اختصاص قلوبهم بالأخلاق الكلابية والشيم الذئابية والطباع السبعية وغلبتها عليهم والملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب كذلك قال عليه الصلاة والسلام والقلوب بيوت تولى الله بناءها بيده وأعدها لأن

الجلدة و كذلك قوله صلى الله عليه وسلم « أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الامام أن يحول الله رأسه رأس حمار (١) » وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كائن إذ رأس الحمار لم يكن بحقيقته لكونه وشكله بل بخاصيته وهى البلادة والحمق ومن رفع رأسه قبل الامام فقد صار رأسه رأس حمار فى معنى البلادة والحمق وهو المقصود دون الشكل الذى هو قالب المعنى إذ من غاية الحمق أن يجمع بين الاقتداء وبين التقدّم فانهما متناقضان وإنما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر إما بدليل عقلى أو شرعى أما العقلى فأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن (٢) » إذ لو فتشنا عن قلوب المؤمنين فلم نجد فيها أصابع فعلم أنها كناية عن القدرة التى هى سرّ الأصابع وروحها الخفى وكنى بالأصابع عن القدرة لأن ذلك أعظم وقعا فى تفهم تمام الاقتدار ومن هذا القبيل فى كنايته عن الاقتدار قوله تعالى ـ إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ـ فان ظاهره ممتنع إذ قوله كن إن كان خطابا للشىء قبل وجوده فهو محال إذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل وإن كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ولكن لما كانت هذه الكناية أوقع فى النفوس فى تفهيم غاية الاقتدار عدل إليها . وأما المدرك بالشرع فهو أن يكون إجراؤه على الظاهر ممكنا ولكنه يروى أنه أريد به غير الظاهر كما ورد فى تفسير قوله تعالى ـ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ـ الآية وأن معنى الماء ههنا هو القرآن ومعنى الأودية هى القلوب وأنّ بعضها احتملت شيئا كثيرا وبعضها قليلا وبعضها لم يحتمل والزبد مثل الكفر والنفاق فانه وإن ظهر وطفا على رأس الماء فانه لا يثبت ولهداية التى تنفع الناس تمكث ، وفى هذا القسم تعمق جماعة فأوّلوا ما ورد فى الآخرة من الميزان والصراط وغيرهما وهو بدعة إذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية وإجراؤه على الظاهر غير محال فيجب إجراؤه على الظاهر . القسم الربع : أن يدرك الانسان الشىء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بأن يصير حالا ملابسا له فيتفاوت العلمان ويكون الأول كالقشر والثانى كاللباب والأول كالظاهر والثانى كالباطن وذلك كما يتمثل للانسان فى عينه شخص فى الظلمة أو على البعد فيحصل له نوع علم فاذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظلام أدرك تفرقة بينهما ولا يكون الأخير ضدّ الأول بل له استكمال له فكذلك العلم والايمان والتصديق إذ قد يصدق الانسان بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه ولكن تحققه به عند الوقوع أكمل من تحققه قبل الوقوع بل للانسان فى الشهوة والعشق وسائر الأحوال ثلاثة أحوال متفاوتة وإدراكات متباينة الأول تصديقه بوجوده قبل وقوعه والثانى عند وقوعه والثالث عند تصرّمه فان تحققك بالجوع بعد زواله يخالف التحقق به قبل الزوال و كذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالاضافة إلى ما قبل ذلك ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها ففى هذه الأقسام الأربعة تتفاوت الخلق وليس فى شىء منها باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر والسلام. القسم الخامس : أن يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقا والبصير بالحقائق يدرك السر فيه وهذا كقول القائل : قال الجدار للوتد لم تشقنى قال سل من يدقنى فلم يتركنى ورأى الحجر الذى ورائى فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال، ومن هذا قوله تعالى ـ ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ـ فالبليد يفتقر فى فهمه إلى أن يقدّر لهما حياة وعقلا وفهما للخطاب وخطابا هو صوت وحرف تسمعه السماء والأرض فتجيبان

(١) حديث أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الامام الحديث أخرجاه من حديث أبى هريرة .

(٢) حديث قلب العبد بين أصبعين من أصابع الرحمن مسلم من حديث عبد الله بن عمرو .

تكون خزائن علمه ومشارق مكنوناته ومهبط ملائكته ومغاشى أنواره ومهاب نفحاته ومجال مكاشفاته ومجارى رحمته وهيأها لتحصيل المعرفة به فمتى كان فيها شىء من تلك الأخلاق المذمومة لم يدخلها الملائكة ولم ينزل عليها شىء من الخير من قبله إذ هى الوسائط بين الله تعالى وبين خلقه وهم الوفود منه بالخيرات والموصلون إليه وعنه بالباقيات الصالحات ولولا تلك الأخلاق المذمومة التى حلت فيهم وهى التى ذم الكلب لأجلها لما احترمت الملائكة باذن الله عن حلولها فيها وهى لا تخلو من خير تنزل به ويكون معها فحيثما حلت حلّ الخير فى ذلك القلب بحلولها وإنما هى لها فحيثما وجدت قلب خاليا ولو حينا من الدهر وزمنا نزلت عليه ودخلته وثبتت ما عندها من الخير عنده فان لم يظهر على الملائكة ما زعجها عنه

بحرف وصوت وتقولان أتينا طائعين والبصير يعلم أن ذلك لسان الحال وأنه إنباء عن كونهما مسخرتين بالضرورة ومضطرتين إلى التسخير ومن هذا قوله تعالى ـ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ـ فالبليد يفتقر فيه إلى أن يقدر للجمادات حياة وعقلا ونطقا بصوت وحرف حتى يقول سبحان الله ليتحقق تسبيحه والبصير يعلم أنه ما أريد به نطق اللسان بل كونه مسبحا بوجوده ومقدسا بذاته وشاهدا بوحدانية الله سبحانه كما يقال :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وكما يقال هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكمال العلم لا بمعنى أنها تقول أشهد بالقول ولكن بالذات والحال وكذلك ما من شيء إلا وهو محتاج في نفسه إلى موجد يوجده ويبقيه ويديم أوصافه ويردده في أطواره فهو بحاجته يشهد لخالقه بالتقديس يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجامدين على الظواهر ولذلك قال تعالى ـ ولكن لا تفقهون تسبيحهم ـ وأما القاصرون فلا يفقهون أصلا وأما المقربون والعلماء الراسخون فلا يفقهون كنهه وكماله إذ لكل شيء شهادات شتى على تقديس الله سبحانه وتسبيحه ويدرك كل واحد بقدر عقله وبصيرته وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم المعاملة فهذا الفن أيضا مما يتفاوت أرباب الظواهر وأرباب البصائر في علمه وتظهر به مفارقة الباطن للظاهر وفي هذا المقام لأرباب المقامات إسراف واقتصاد فمن مسرف في رفع الظواهر انتهى إلى تغيير جميع الظواهر والبراهين أو أكثرها حتى حملوا قوله تعالى ـ وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم ـ وقوله تعالى ـ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ـ وكذلك المخاطبات التي تجري من منكر ونكير وفي الميزان والصراط والحساب ومناظرات أهل النار وأهل الجنة في قولهم ـ أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ـ زعموا أن ذلك كله بلسان الحال وغلا آخرون في حسم الباب منهم أحمد بن حنبل رضي الله عنه حتى منع تأويل قوله ـ كن فيكون ـ وزعموا أن ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى في كل لحظة بعدد كون كل مكوّن حتى سمعت بعض أصحابه يقول إنه حسم باب التأويل إلا لثلاثة ألفاظ قوله صلى الله عليه وسلم « الحجر الأسود يمين الله في أرضه[1] » وقوله ﷺ « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » وقوله صلى الله عليه وسلم « إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن[2] » ومال إلى حسم الباب أرباب الظواهر والظن بأحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه علم أن الاستواء ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ولكنه منع من التأويل حسما للباب ورعاية لصلاح الخلق فانه إذا فتح الباب اتسع الخرق وخرج الأمر عن الضبط وجاوز حد الاقتصاد إذ حدما جاوز الاقتصاد لا ينضبط فلا بأس بهذا الزجر ويشهد له سيرة السلف فانهم كانوا يقولون أمرّوها كما جاءت حتى قال مالك رحمه الله لما سئل عن الاستواء، الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وذهبت طائفة إلى الاقتصاد وفتحوا باب التأويل في كل ما يتعلق بصفات الله سبحانه وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها ومنعوا التأويل فيه وهم الأشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتى أولوا من صفاته تعالى الرؤية وأولوا كونه سميعا بصيرا وأولوا المعراج وزعموا أنه لم يكن بالجسد وأولوا عذاب القبر والميزان والصراط وجملة من أحكام الآخرة ولكن أقروا بحشر الأجساد وبالجنة واشتمالها على المأكولات والمشمومات والمنكوحات والملاذ

(١) حديث الحجر يمين الله في الأرض الحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمر (٢) حديث إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن أحمد من حديث أبي هريرة في حديث قال فيه وأجد نفس ربكم من قبل اليمن ورجاله ثقات .

من تلك الأخلاق المذمومة بواسطة الشياطين الذين هم في مقابلة الملائكة ثبتت عنده وسكنت فيه ولم تبرح عنه وعمرته بقدر سعة البيت وانشراحه من الخير فان كان البيت كثير الاتساع أكثرت فيه من متاعها واستعانت بغيرها حتى يمتلئ البيت من متاعها وجهازها وهو الإيمان بالله والصلاح وضروب المعارف النافعة عند الله عز وجل فاذا طرق ذلك البيت طارق شيطان ليسرق من ذلك الخير الذي هو متاع الملك ويثبت فيه خلقا مذموما لا يوجد إلا في الكلب وهو متاع الشيطان قاتله الله وطرده عن ذلك المحل فان جاء للشيطان مدد من الهوى من قبل النفس ولم يجد الملك نصره وهو عزم اليقين من قبل الروح انهزم الملك وأخلى البيت ونهب المتاع وخرب البيت بعد عمارته وأظلم بعد نوره وضاق بعد

المحسوسة وبالنار واشتمالها على جسم محسوس يحرق بحرق الجلود ويذيب الشحوم ومن ترقيهم إلى هذا الحد زاد الفلاسفة فأولوا كل ماورد فى الآخرة وردوه إلى آلام عقلية وروحانية ولذات عقلية وأنكروا حشر الأجساد وقالوا ببقاء النفوس وأنها تكون إما معذبة وإما منعمة بعذاب ونعيم لايدرك بالحس وهؤلاء هم المسرفون وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال كله وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لايطلع عليه إلا الموفقون الذين يدركون الأمور بنور إلهى لا بالسماع ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ماهى عليه نظروا إلى السمع والألفاظ الواردة فما وافق ماشاهدوه بنور اليقين قرروه وماخالف أولوه فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد فلا يستقر له فيها قدم ولا يتعين له موقف والأليق بالمقتصر على السمع المجرد مقام أحمد بن حنبل رحمه الله والآن فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد فى هذه الأمور داخل فى علم المكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه والغرض بيان موافقة الباطن الظاهر وأنه غير مخالف له فقد انكشف بهذه الأقسام الخمسة أمور كثيرة وإذا رأينا أن نقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التى حررناها وأنهم لا يكلفون غير ذلك فى الدرجة الأولى إلا إذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة فيرقى فى الدرجة الثانية إلى عقيدة فيها لوامع من الأدلة مختصرة من غير تعمق فلنورد فى هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر فيها على ماحررناه لأهل القدس وسميناه الرسالة القدسية فى قواعد العقائد وهى مودعة فى هذا الفصل الثالث من هذا الكتاب .

الفصل الثالث : من كتاب قواعد العقائد فى لوامع الأدلة للعقيدة التى ترجمناها بالقدس فنقول : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى ميز عصابة السنة بأنوار اليقين وآثر رهط الحق بالهداية إلى دعائم الدين وجنبهم زيغ الزائغين وضلال الملحدين ووفقهم للاقتداء بسيد المرسلين وسددهم للتأسى بصحبه الأكرمين ويسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين ومن سير الأولين وعقائدهم بالمنهج البين فجمعوا بالقبول بين نتائج العقول وقضايا الشرع المنقول وتحققوا أن النطق بما تعبدوا به من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ليس له طائل ولا محصول إن لم تتحقق الإحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من الأقطاب والأصول وعرفوا أن كلمتى الشهادة على إيجازها تتضمن إثبات ذات الإله وإثبات صفاته وإثبات أفعاله وإثبات صدق الرسول وعلموا أن بناء الإيمان على هذه الأركان وهى أربعة ويدور كل ركن منها على عشرة أصول . الركن الأول فى معرفة ذات الله تعالى ومداره على عشرة أصول وهى العلم بوجود الله تعالى وقدمه وبقائه وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وأنه سبحانه ليس مختصا بجهة ولا مستقرا على مكان وأنه يرى وأنه واحد . الركن الثانى فى صفاته ويشتمل على عشرة أصول وهو العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حلول الحوادث وأنه قديم الكلام والعلم والإرادة . الركن الثالث فى أفعاله تعالى ومداره على عشرة أصول وهى أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وأنها مكتسبة للعباد وأنها مرادة لله تعالى وأنه متفضل بالخلق والاختراع وأن له تعالى تكليف مالا يطاق وأن له إيلام البرىء ولا يجب عليه رعاية الأصلح وأنه لا واجب إلا بالشرع وأن بعثة الأنبياء جائزة وأن نبوة نبينا محمد ﷺ ثابتة مؤيدة بالمعجزات . الركن الرابع فى السمعيات ومداره على عشرة أصول وهى إثبات الحشر والنشر وسؤال منكر ونكير وعذاب القبر والميزان والصراط وخلق الجنة والنار وأحكام الإمامة وأن فضل الصحابة على حسب ترتيبهم وشروط الإمامة.

فأما الركن الأول من أركان الإيمان فى معرفة ذات الله سبحانه وتعالى

وأن الله تعالى واحد ومداره على عشرة أصول

الأصل الأول : معرفة وجوده تعالى وأول ما يستضاء به من الأنوار ويسلك من طريق الاعتبار

انشراحه وهكذا حال من آمن وكفر وأطاع وعصى وضل واهتدى فان قلت : فما أصناف هذه الأخلاق المذمومة التى صدت هؤلاء الأصناف المذكورين عن اعتقاد الإيمان ونفرت الملائكة عن النزول إلى قلوبهم بكشف معانى التوحيد ومنعهم من الحلول فيها حتى لم ينالوا شيئا من الخيرات الكائن معها فاعلم أن الأخلاق التى لا يجتمع معها الملائكة فى قلب واحد كثيرة والتى فى قلوب هؤلاء منها معظمها وهى الطمع فى غير خطير والحرص على فان حقير . وأما الصنف الأول فانهم رجعوا وحافوا أن تبدو لهم صحة مايشغلهم عن لذاتهم وينغص عليهم مارغبوا فيه من راحاتهم وتكدر لديهم منال شهواتهم فأبقوا أمرهم على ماهم عليه . وأما الصنف الثانى والثالث فصدهم أيضا خوف وجزع وحرص على ما ألفوه من تبجيل أحدهم أن يزول

ما أرشد إليه القرآن فليس بعد بيان الله سبحانه بيان وقد قال تعالى ـ ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا ـ وقال تعالى ـ إنّ فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ؛ وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ـ وقال تعالى ـ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهنّ نورا وجعل الشمس سراجا والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا ـ وقال تعالى ـ أفرأيتم ما تمنون ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ـ إلى قوله ـ للمقوين ـ فليس يخفى على من معه أدنى مسكة من عقل إذا تأمل بأدنى فكرة مضمون هذه الآيات وأدار نظره على عجائب خلق الله فى الأرض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات أن هذا الأمر العجيب والترتيب المحكم لا يستغنى عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفة بمقتضى تدبيره ولذلك قال الله تعالى ـ أفى الله شك فاطر السموات والأرض ـ ولهذا بعث الأنبياء صلوات الله عليهم لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا لا إله إلا الله وما أمروا أن يقولوا لنا إله وللعالم إله فان ذلك كان مجبولا فى فطرة عقولهم من مبدإ نشوهم وفى عنفوان شبابهم ولذلك قال عز وجل ـ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله ـ وقال تعالى ـ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ـ فإذن فى فطرة الانسان وشواهد القرآن ما يغنى عن إقامة البرهان ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار نقول من بدائه العقول أن الحادث لا يستغنى فى حدوثه عن سبب يحدثه والعالم حادث فاذن لا يستغنى فى حدوثه عن سبب أما قولنا إن الحادث لا يستغنى فى حدوثه عن سبب فجلى فان كل حادث مختص بوقت يجوز فى العقل تقدير تقديمه وتأخيره فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده يفتقر بالضرورة إلى المخصص وأما قولنا العالم حادث فبرهانه أن أجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ففى هذا البرهان ثلاث دعاوى : الأولى قولنا إن الأجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار فلا يحتاج فيها إلى تأمل وافتكار فان من عقل جسما لا ساكنا ولا متحركا كان لمتن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا . الثانية قولنا إنهما حادثان ويدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك مشاهد فى جميع الأجسام ما شوهد منها وما لم يشاهد فما من ساكن إلا والعقل قاض بجواز حركته وما من متحرك إلا والعقل قاض بجواز سكونه فالطارئ منهما حادث لطريانه والسابق حادث لعدمه لأنه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه على ما سيأتى بيانه وبرهانه فى إثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس . الثالثة قولنا ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وبرهانه أنه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا أوّل لها ولو لم تنقض تلك الحوادث بجملتها لا تنتهى النوبة إلى وجود الحادث الحاضر فى الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال ولأنه لو كان للفلك دورات لا نهاية لها لكان لا يخلو عددها عن أن تكون شفعا أو وترا أو شفعا ووترا جميعا أو لا شفعا ولا وترا ومحال أن تكون شفعا ووترا جميعا أو لا شفعا ولا وترا فان ذلك جمع بين النفى والاثبات إذ فى إثبات أحدهما نفى الآخر وفى نفى أحدهما إثبات الآخر ومحال أن يكون شفعا لأن الشفع يصير وترا بزيادة واحد وكيف يعوز مالا نهاية له واحد ومحال أن يكون وترا إذ الوتر يصير شفعا بواحد فكيف يعوزها واحد مع أنه لا نهاية لاعدادها ومحال أن يكون لا شفعا ولا وترا إذ له نهاية فتحصل من

ومؤانسة أشياعهم أن تتغير وتذهب ومواساة إيلافهم أن تنقطع واستثقالا لما يشاهدونه من أهل الإيمان أن يلتزموه وفرارا من شرائطه وما يصحبه من الأعمال والوظائف إذ يعتاده والكلب ما ذم لصورته وإنما ذم بهذه الأخلاق التى هى الطمع فى الخسائس والجزع من الصبر على ما يعده من الفضائل حتى احترمت الملائكة أن تدخل بيتا فيه كلب فان قلت فكيف آمن من كفر وأطاع من عصى واهتدى من ضل إذا كانت الشياطين لا تفارق قلب الكافر والعاصى والضال بما تثبتون من الأخلاق المذمومة التى هى كلاب نابحة وذئاب عادية وسباع ضارية وأصناف الخير إنما ترد من الله عز وجل بواسطة الملائكة وهى لا تدخل موضعا يحل فيه شىء مما ذكرنا وإذا لم تدخل لم يصل إلى الخير الذى يكون معها ولم تصل إليه فعلى

هذا أن العالم لا يخلو عن الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو إذن حادث وإذا ثبت حدوثه كان افتقاره إلى المحدث من المدركات بالضرورة. الأصل الثاني : العلم بأن الله تعالى قديم لم يزل، أزلي ليس لوجوده أول بل هو أول كل شيء وقبل كل ميت وحي . وبرهانه أنه لو كان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو أيضا إلى محدث وافتقر محدثه إلى محدث وتسلسل ذلك إلى ما لا نهاية وما تسلسل لم يتحصل أو ينتهي إلى محدث قديم هو الأول وذلك هو المطلوب الذي سميناه صانع العالم ومبدئه وبارئه ومحدثه ومبدعه . الأصل الثالث : العلم بأنه تعالى مع كونه أزليا أبديا ليس لوجوده آخر فهو الأول والآخر والظاهر والباطن لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه ، وبرهانه أنه لو انعدم لكان لا يخلو إما أن ينعدم بنفسه أو بعدم يضاده ولو جاز أن ينعدم شيء يتصور دوامه بنفسه لجاز أن يوجد شيء يتصور عدمه بنفسه فكما يحتاج طريان الوجود إلى سبب فكذلك يحتاج طريان العدم إلى سبب وباطل أن ينعدم بعدم يضاده لأن ذلك العدم لو كان قديما لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالأصلين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده في القدم ومعه ضده فان كان الضد العدم حادثا كان محالا إذ ليس الحادث في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده بأولى من القديم في مضادته للحادث حتى يدفع وجوده بل الدفع أهون من القطع والقديم أقوى وأولى من الحادث . الأصل الرابع : العلم بأنه تعالى ليس بجوهر يتحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز وبرهانه أن كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من أن يكون ساكنا فيه أو متحركا عنه فلا يخلو عن الحركة أو السكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم فان سماه مسمى جوهرا ولم يرد به المتحيز كان مخطئا من حيث اللفظ لا من حيث المعنى . الأصل الخامس : العلم بأنه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر إذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر وإذا بطل كونه جوهرا مخصوصا بحيز بطل كونه جسما لأن كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر فالجوهر يستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدوث ولو جاز أن يعتقد أن صانع العالم جسم لجاز أن يعتقد الإلهية للشمس والقمر أو لشيء آخر من أقسام الأجسام فان تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسما من غير إرادة التأليف من الجواهر كان ذلك غلطا في الاسم مع الاصابة في نفي معنى الجسم . الأصل السادس : العلم بأنه تعالى ليس بعرض قائم بجسم أو حال في محل لأن العرض ما يحل في الجسم فكل جسم فهو حادث لا محالة ويكون محدثه موجودا قبله فكيف يكون حالا في الجسم وقد كان موجودا في الأزل وحده وما معه غيره ثم أحدث الأجسام والأعراض بعده ولأنه عالم قادر مريد خالق كما سيأتي بيانه وهذه الأوصاف تستحيل على الأعراض بل لا تعقل إلا لموجود قائم بنفسه مستقل بذاته وقد تحصل من هذه الأصول أنه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وأن العالم كله جواهر وأعراض وأجسام فاذن لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء بل هو الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء وأنى يشبه المخلوق خالقه والمقدور مقدره والمصور مصوره والأجسام والأعراض كلها من خلقه وصنعه فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابهته . الأصل السابع : العلم بأن الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات فان الجهة إما فوق وإما أسفل وإما يمين وإما شمال أو قدام أو خلف وهذه الجهات هو الذي خلقها وأحدثها بواسطة خلق الانسان إذ خلق له طرفين أحدهما يعتمد على الأرض ويسمى رجلا والآخر يقابله ويسمى رأسا فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الرأس واسم السفل لما يلي جهة الرجل حتى إن النملة التي تدب منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق في حقها تحتا وإن كان في حقنا فوقا وخلق للانسان اليدين وإحداهما أقوى من الأخرى في الغالب فحدث اسم

هذا يجب أن يبقى كل كافر على حاله ومن لم يخلق مؤمنا معصوما فلا سبيل له إلى الايمان على هذا المفهوم . فاعلم أن هذا يستدعي أصنافا من علم القلوب ولا سبيل إلى ذلك في مثل هذا المقام المعلوم والقول والمعنى في جواب ما سألت عنه ان الشيطان غفلات وللأخلاق المذمومة عدمات كما أن للملائكة لها عن القلوب غيبات ولتواتر الخير عليها فترات فاذا وجد الملك كما أعلمتك قلبا خاليا ولو زمنا ما فر ودخل فيه وأراه ما عنده من الخير فان صادف منه قبولا ولما عرض عليه من الخير تشوقا ونزوعا أورد عليه ما يملأ ويستغرق به وإن صادف منه صحوا وسمع منه بجنود الشياطين استغاثة بالأخلاق الكلابية استعانة رحل عنه وتركه ولهذا قيل ما خلا لب عن لمة ملك أو نزغة شيطان . فان قلت : فأي بيت فهم

اليمين للأقوى واسم الشمال لما يقابله وتسمى الجهة التي تلي اليمين يمينا والأخرى شمالا وخلق له جانبين يبصر من أحدهما ويتحرك إليه فحدث اسم القدام للجهة التي يتقدم إليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها فالجهات حادثة بحدوث الانسان ولو لم يخلق الانسان بهذه الخلقة بل خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود ألبتة فكيف كان في الأزل مختصا بجهة والجهة حادثة أو كيف صار مختصا بجهة بعد أن لم يكن له أبأن خلق العالم فوقه ويتعالى عن أن يكون له فوق إذ تعالى أن يكون له رأس والفوق عبارة عما يكون جهة الرأس أو خلق العالم تحته فتعالى عن أن يكون له تحت إذ تعالى عن أن يكون له رجل والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل وكل ذلك مما يستحيل في العقل ولأن المعقول من كونه مختصا بجهة أنه مختص بحيز اختصاص الجواهر أو مختص بالجواهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرا أو عرضا فاستحال كونه مختصا بالجهة وإن أريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطا في الاسم مع المساعدة على المعنى ولأنه لو كان فوق العالم لكان محاذيا له وهو محاذ لجسم فإما أن يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر وكل ذلك تقدير محوج بالضرورة إلى مقدر ويتعالى عنه الخالق الواحد المدبر فأما رفع الأيدي عند السؤال إلى جهة السماء فهو لأنها قبلة الدعاء وفيه أيضا إشارة إلى ما هو وصف المدعو من الجلال والكبرياء تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء . الأصل الثامن : العلم بأنه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي أراد الله تعالى بالاستواء وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء ولا يتطرق إليه سمات الحدوث والفناء وهو الذي أريد بالاستواء إلى السماء حيث قال في القرآن ـ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ـ وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

واضطر أهل الحق إلى هذا التأويل كما اضطر أهل الباطن إلى تأويل قوله تعالى ـ وهو معكم أينما كنتم ـ إذ حمل ذلك بالاتفاق على الإحاطة والعلم وحمل قوله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » على القدرة والقهر وحمل قوله صلى الله عليه وسلم « الحجر الأسود يمين الله في أرضه » على التشريف والإكرام لأنه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن جسما مماسا للعرش إما مثله أو أكبر منه أو أصغر وذلك محال وما يؤدي إلى المحال فهو محال . الأصل التاسع : العلم بأنه تعالى مع كونه منزها عن الصورة والمقدار مقدسا عن الجهات والأقطار مرئي بالأعين والأبصار في الدار الآخرة دار القرار لقوله تعالى ـ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ـ ولا يرى في الدنيا تصديقا لقوله عز وجل ـ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ـ ولقوله تعالى في خطاب موسى عليه السلام ـ لن تراني ـ وليت شعري كيف عرف المعتزلي من صفات رب الأرباب ما جهله موسى عليه السلام وكيف سأل موسى عليه السلام الرؤية مع كونها محالا ولعل الجهل بذوي البدع والأهواء من الجهلة الأغبياء أولى من الجهل بالأنبياء صلوات الله عليهم وأما وجه إجراء آية الرؤية على الظاهر فهو أنه غير مؤد إلى المحال فان الرؤية نوع كشف وعلم إلا أنه أتم وأوضح من العلم فاذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق الرؤية به وليس بجهة وكما يجوز أن يرى الله تعالى الخلق وليس في مقابلتهم جاز أن يراه الخلق من غير مقابلة وكما جاز أن يعلم من غير كيفية وصورة جاز أن يرى كذلك. الأصل العاشر : العلم بأن الله عز وجل واحد لا شريك له فرد لا ند له انفرد بالخلق والإبداع واستبد بالإيجاد والاختراع لا مثل له يساهمه ويساويه ولا ضد له فينازعه ويناويه وبرهانه قوله تعالى ـ لو كان

عن النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب وأي كلب أذهل بيت القلب كلب الخلق أو بيت اللبن وكلب الحيوان فاعلم أن الحديث خارج على سبب ومعناه وجملته أن المقصود بالإخبار هو بيت اللبن وكلب الحيوان معلوم ولا يبتك في ذلك ولكن يستقرأ منه ما قلناه ويستنبط من مفهومه ما نبهناك عليه ويتخطى منه إلى ما أشرنا لك نحوه ولا نكر في ذلك إذ دل عليه العلم وجملة الاستنباط ولم تمجه القلوب المستضاءة ولم تصادم به شيئا من أركان الشريعة فلا تكن جاحدا ولا تجزع من تشنيع جاهل ولا من نفور مقلد فكثيرا ما ورد شرع مقرون بسبب فرأى أهل الاعتبار وجه تعديه عن سببه إلى ما في معناه ومشابه له من الجهة التي تصلح أن يعديها إليه ولولا ذلك لما قال النبي صلى الله عليه وسلم «رب مبلغ أوعى من سامع وحامل

فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ـ وبيانه أنه لو كانا اثنين وأراد أحدهما أمرا فالثانى إن كان مضطرا إلى مساعدته كان هذا الثانى مقهورا عاجزا ولم يكن إلها قادرا وإن كان قادرا على مخالفته ومدافعته كان الثانى قويا قاهرا والأول ضعيفا قاصرا ولم يكن إلها قادرا .

(الركن الثانى العلم بصفات الله تعالى ، ومداره على عشرة أصول)

الأصل الأول : العلم بأن صانع العالم قادر وأنه تعالى فى قوله ـ وهو على كل شىء قدير ـ صادق، لأن العالم محكم فى صنعته مرتب فى خلقته ومن رأى ثوبا من ديباج حسن النسج والتأليف متناسب التطريز والتطريف ثم توهم صدور نسجه عن ميت لاستطاعة له أو عن إنسان لاقدرة له كان منخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا فى سلك أهل الغباوة والجهل . الأصل الثانى : العلم بأنه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات ـ لايعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ـ صادق فى قوله ـ وهو بكل شىء عليم ـ ومرشد إلى صدقه بقوله تعالى ـ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ـ أرشدك إلى الاستدلال بالخلق على العلم بأنك لاتستريب فى دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب ولو فى الشىء الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى فى الهداية والتعريف . الأصل الثالث : العلم بكونه عز وجل حيا فان من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ولو تصور قادر وعالم فاعل مدبر دون أن يكون حيا لجاز أن يشك فى حياة الحيوانات عند ترددها فى الحركات والسكنات بل فى حياة أرباب الحرف والصناعات وذلك انغماس فى غمرة الجهالات والضلالات . الأصل الرابع : العلم بكونه تعالى مريدا لأفعاله فلا موجود إلا وهو مستند إلى مشيئته وصادر عن إرادته فهو المبدىء المعيد والفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه أمكن أن يصدر منه ضده وما لا ضد له أمكن أن يصدر منه ذلك بعينه قبله أو بعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة فلا بد من إرادة صارفة للقدرة إلى أحد المقدورين ولو أغنى العلم عن الإرادة فى تخصيص المعلوم حتى يقال إنما وجد فى الوقت الذى سبق العلم بوجوده لجاز أن يغنى عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لأنه سبق العلم بوجوده فيه . الأصل الخامس : العلم بأنه تعالى سميع بصير لايعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكير ولايشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصخرة الصماء وكيف لايكون سميعا بصيرا والسمع والبصر كمال لامحالة وليس بنقص فكيف يكون المخلوق أكمل من الخالق والمصنوع أسنى وأتم من الصانع وكيف تعتدل القسمة مهما وقع النقص فى جهته والكمال فى خلقه وصنعته أو كيف تستقيم حجة إبراهيم صلى الله عليه وسلم على أبيه إذ كان يعبد الأصنام جهلا وغيا فقال له ـ لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ـ ولو انقلب ذلك عليه فى معبوده لأضحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تعالى ـ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ـ وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب ودماغ فليعقل كونه بصيرا بلا حدقة وسميعا بلا أذن إذ لا فرق بينهما . الأصل السادس : أنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام وهو وصف قائم بذاته ليس بصوت ولا حرف بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لايشبه وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وإنما الأصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والإشارات وكيف التبس هذا على طائفة من الأغبياء ولم يلتبس على جهلة الشعراء حيث قال قائلهم :

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ومن لم يعقله عقله ولا نهاه نهاه عن أن يقول لسانى حادث ولكن ما يحدث فيه بقدرتى الحادثة قديم

فاقطع

فقه إلى من هو أفقه منه» سؤال : فان قلت فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « لاتدخل الملائكة بيتا فيه صورة » وعلم السبب الذى جاء هذا الحديث عليه وفيه فهل يعدى عن سببه ويترقى منه إلى مثل ماترقى من الحديث الآخر فهذا كما قيل الحديث شجون وأتبعنا هذا الباب مايقرب منه ويبعد علينا التخلص عنه نعم يترقى منه إلى قريب من ذلك وشبهه ويكون هذا الحديث منبها عليه وهو أن الصورة المنحوتة قد اتخذت آلهة وعبدت من دون الله عز وجل وقد نبه الله عز وجل قلوب المؤمنين على عيب فعل من رضى بذلك ونقص إدراك من دان به حين قال مخبرا عن إبراهيم عليه السلام حيث قال ـ أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون ـ فكان امتناع الملائكة من دخول بيت فيه صورة لأجل أن فيه ماعبد

فاقطع عن عقله طمعك و كف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم أن القديم عبارة عما ليس قبله شيء وأن الباء قبل السين فى قولك بسم الله فلا يكون السين المتأخر عن الباء قديما فنزه عن الالتفات إليه قلبك فلله سبحانه سرّ فى إبعاد بعض العباد ـ ومن يضلل الله فماله من هاد ـ ومن استبعد أن يسمع موسى عليه السلام فى الدنيا كلاما ليس بصوت ولا حرف فليستنكر أن يرى فى الآخرة موجودا ليس بجسم ولا لون وإن عقل أن يرى ماليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا كمية وهو إلى الآن لم ير غيره فليعقل فى حاسة السمع ماعقله فى حاسة البصر وإن عقل أن يكون له علم واحد هو علم بجميع الموجودات فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع مادلّ عليه من العبارات وإن عقل كون السموات السبع و كون الجنة والنار مكتوبة فى ورقة صغيرة ومحفوظة فى مقدار ذرّة من القلب وأن كل ذلك مرئى فى مقدار عدسة من الحدقة من غير أن تحلّ ذات السموات والأرض والجنة والنار فى الحدقة والقلب والورقة فليعقل كون الكلام مقروءا بالألسنة محفوظا فى القلوب مكتوبا فى المصاحف من غير حلول ذات الكلام فيها إذ لو حلت بكتاب الله ذات الكلام فى الورق لحلّ ذات الله تعالى بكتابة اسمه فى الورق وحلت ذات النار بكتابة اسمها فى الورق ولاحترق . الأصل السابع : أنّ الكلام القائم بنفسه قديم و كذا جميع صفاته إذ يستحيل أن يكون محلا للحوادث داخلا تحت التغير بل يجب للصفات من نعوت القدم مايجب للذات فلا تعتريه التغيرات ولا تحله الحادثات بل لم يزل فى قدمه موصوفا بمحامد الصفات ولا يزال فى أبده كذلك منزها عن تغير الحالات لأنّ ما كان محل الحوادث لا يخلو عنها ومالا يخلو عن الحوادث فهو حادث وإنما ثبت نعت الحدوث للأجسام من حيث تعرّضها للتغير وتقلب الأوصاف فكيف يكون خالقها مشاركا لها فى قبول التغير وينبنى على هذا أن كلامه قديم قائم بذاته وإنما الحادث هى الأصوات الدالة عليه وكما عقل قيام طلب التعلم وإرادته بذات الوالد للولد قبل أن يخلق ولده حتى إذا خلق ولده وعقل وخلق الله له علما متعلقا بما فى قلب أبيه من الطلب صار مأمورا بذلك الطلب الذى قام بذات أبيه ودام وجوده إلى وقت معرفة ولده له فليعقل قيام الطلب الذى دلّ عليه قوله عز وجل ـ اخلع نعليك ـ بذات الله ومصير موسى عليه السلام مخاطبا به بعد وجوده إذ خلقت له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم. الأصل الثامن : أن علمه قديم فلم يزل عالما بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الأزلى إذ لو خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك العلم تقديرا حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند طلوع الشمس معلوما لنا بذلك العلم من غير تجدد علم آخر فهكذا ينبغى أن يفهم قدم علم الله تعالى . الأصل التاسع : أن إرادته قديمة وهى فى القدم تعلقت بإحداث الحوادث فى أوقاتها اللائقة بها على وفق سبق العلم الأزلى إذ لو كانت حادثة لصار محل الحوادث ولو حدثت فى غير ذاته لم يكن هو مريدا لها كما لا تكون أنت متحركا بحركة ليست فى ذاتك و كيفما قدرت فيفتقر حدوثها إلى إرادة أخرى و كذلك الارادة الأخرى تفتقر إلى أخرى ويتسلسل الأمر إلى غير نهاية ولو جاز أن يحدث إرادة بغير إرادة لجاز أن يحدث العالم بغير إرادة . الأصل العاشر : أن الله تعالى عالم بعلم حى بحياة قادر بقدرة ومريد بارادة ومتكلم بكلام وسميع بسمع وبصير ببصر وله هذه الأوصاف من هذه الصفات القديمة وقول القائل عالم بلا علم كقوله غنى بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم فان العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قتيل ولا يتصور قتيل بلا قاتل ولا قتل كذلك لا يتصور عالم بلا علم ولا علم بلا معلوم ولا معلوم بلا عالم بل هذه الثلاثة متلازمة فى العقل لا ينفك بعض منها عن البعض فمن جوز انفكاك العالم عن العلم

من دون الله سبحانه أو ماحكى به ماهو على مثاله ويترقى من ذلك المعنى إلى أن القلب الذى هو بيت بناه الله ليكون مهبطا للملائكة ومحلا للذكر ومعرفة عبادته وحده دون غيره فاذا حلّ فيه معبود غير الله سبحانه وهو الهوى لم تقر به الملائكة أيضا . فان قيل فظاهر الحديث يقتضى منافرة الملائكة لكل صورة عموما وما ذكرته تعليلا ينبغى أن لا يقتضى إلا منافرة ماعبد أو ما نحت على مثاله . قلنا تشابهت الصور المنحوتة كلها فى المعنى الذى قصد بها التصوير لأجله وهو مضارعة ذى الأرواح وما نحت للعبادة إنما قصد به تشبيه ذى روح فلما كان هذا المعنى الجامع لها وجب تحريم كل صورة منافرة للملائكة . فان قيل فما وجه الترخيص فيما رقم فى ثوب فذلك لأنها ليست مقصودة فى نفسها وإنما المقصود الثوب الذى رقمت فيه .

فليجوّز انفكاكه عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم إذ لافرق بين هذه الأوصاف .

(الركن الثالث العلم بأفعال الله تعالى ، ومداره على عشرة أصول)

الأصل الأوّل : العلم بأن كل حادث فى العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لاخالق له سواه ولا محدث له إلا إياه خلق الخلق وصنعهم وأوجد قدرتهم وحركتهم فجميع أفعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته تصديقا له فى قوله تعالى ـ الله خالق كل شىء ـ وفى قوله تعالى ـ والله خلقكم وماتعملون ـ وفى قوله تعالى ـ وأسرّوا قولكم أوجهروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ـ أمر العباد بالتحرّز فى أقوالهم وأفعالهم وإسرارهم وإضمارهم لعلمه بموارد أفعالهم واستدلّ على العلم بالخلق وكيف لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته تامة لاقصور فيها وهى متعلقة بحركة أبدان العباد والحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذى يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون البعض مع تماثلها أو كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوى الألباب فكيف انفردت هى باختراعها دون رب الأرباب وهى غير عالمة بتفصيل مايصدر منها من الاكتساب هيهات هيهات ذلت المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت جبار الأرض والسموات . الأصل الثانى : أن انفراد الله سبحانه باختراع حركات العباد لايخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله تعالى خلق القدرة والمقدور جميعا وخلق الاختيار والمختار جميعا فأما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه وليست بكسب له وأما الحركة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسب له فانها خلقت مقدورة بقدرة هى وصفه وكانت للحركة نسبة إلى صفة أخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف تكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية أو كيف يكون خلقا للعبد وهو لايحيط علما بتفاصيل أجزاء الحركات المكتسبة وأعدادها وإذا بطل الطرفان لم يبق إلا الاقتصاد فى الاعتقاد وهو أنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع فقط إذ قدرة الله تعالى فى الأزل قد كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلا بها وهى عند الاختراع متعلقة به نوعا آخر من التعلق فبه يظهر أن تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها . الأصل الثالث : أن فعل العبد وإن كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا لله سبحانه فلا يجرى فى الملك والملكوت طرفة عين ولا لفتة خاطر ولا فلتة ناظر إلا بقضاء الله وقدرته وبارادته ومشيئته ومنه الشر والخير والنفع والضر والإسلام والكفر والعرفان والنكر والفوز والخسران والغواية والرشد والطاعة والعصيان والشرك والايمان لاراد لقضائه ولامعقب لحكمه يضل من يشاء ويهدى من يشاء ـ لايسئل عما يفعل وهم يسألون ـ ويدل عليه من النقل قول الأمة قاطبة ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن وقول الله عزوجل ـ أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ـ وقوله تعالى ـ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ـ ويدل عليه من جهة العقل أن المعاصى والجرائم إن كان الله يكرهها ولايريدها وإنما هى جارية على وفق إرادة العدو إبليس لعنه الله مع أنه عدو لله سبحانه والجارى على وفق إرادة العدو أكثر من الجارى على وفق إرادته تعالى فليت شعرى كيف يستجيز المسلم أن يرد ملك الجبار ذى الجلال والاكرام إلى رتبة لوردت إليها رياسة زعيم ضيعة لاستنكف منها إذ لو كان مايستمر لعدو الزعيم فى القرية أكثر مما يستقيم له لاستنكف من زعامته وتبرأ عن ولايته والمعصية هى الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف إرادة الحق تعالى وهذا غاية الضعف والعجز تعالى رب الأرباب عن قول الظالمين علوا كبيرا ثم مما ظهر أن أفعال العباد مخلوقة لله صح أنها مرادة له . فان قيل فكيف ينهى عما يريد ويأمر بما لايريد

فان قيل فما بال الثياب رخص فى محاكاتها بالتصوير وذات أنواط فى العرب مشهورة معلومة فاعلم أن ذات أنواط إنما كانت شجرة فى أيام العرب الجاهلية تعلق عليها يوما فى السنة فاخر ثيابها وحلىّ نسائها لأجل اجتماعها عندها وراحتها فى ذلك اليوم ولم يكونوا يقصدونها بالعبادة لما كانت بغير صفة التماثيل المنحوتة والأصنام ولو كان ذلك ماسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم ذات أنواط حتى أنكر النبى صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم ولو عبدت فقد عبد كثير من خلق الله تعالى كالملائكة والشمس والقمر وبعض النجوم والمسيح عليه السلام وعلىّ رضى الله عنه ولم يعبدوا ما نحت على شكل النبات فلم تعبد من هذه إلا ذات روح فما أبعد عن درك كهامن حرّمه الله تعالى إياها فله الحمد وهو أهله .

قلنا الأمر غير الإرادة ولذلك إذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فأراد إظهار حجته بأن يأمر العبد بفعل ويخالفه بين يديه فقال له أسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان فهو يأمره بما لا يريد امتثاله ولو لم يكن آمرا لما كان عذره عند السلطان ممهدا ولو كان مريدا لامتثاله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محال . الأصل الرابع : أن الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجبا عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد وهو محال إذ هو الموجب والآمر والناهي وكيف ينهدف لإيجاب أو يتعرض للزوم وخطاب والمراد بالواجب أحد أمرين إما الفعل الذي في تركه ضرر إما آجل كما يقال يجب على العبد أن يطيع الله حتى لا يعذبه في الآخرة بالنار أو ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان أن يشرب حتى لا يموت وإما أن يراد به الذي يؤدي عدمه إلى محال كما يقال وجود المعلوم واجب إذ عدمه يؤدي إلى محال وهو أن يصير العلم جهلا فإن أراد الخصم بأن الخلق واجب على الله بالمعنى الأول فقد عرّضه للضرر وإن أراد به المعنى الثاني فهو مسلم إذ بعد سبق العلم لا بد من وجود المعلوم وإن أراد به معنى ثالثا فهو غير مفهوم وقوله يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فانه إذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب في حقه معنى ثم إن مصلحة العباد في أن يخلقهم في الجنة فاما أن يخلقهم في دار البلايا ويعرّضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر العقاب وهول العرض والحساب فما في ذلك غبطة عند ذوي الألباب . الأصل الخامس : أنه يجوز على الله سبحانه أن يكلف الخلق ما لا يطيقونه خلافا للمعتزلة ولو لم يجز ذلك لاستحال سؤال دفعه وقد سألوا ذلك فقالوا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ـ ولأن الله تعالى أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن أبا جهل لا يصدقه ثم أمره بأن يأمره بأن يصدقه في جميع أقواله وكان من جملة أقواله أنه لا يصدقه فكيف يصدقه في أنه لا يصدقه وهل هذا إلا محال وجوده . الأصل السادس : أن لله عز وجلّ إيلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لأنه متصرف في ملكه ولا يتصور أن يعدو تصرفه ملكه والظلم هو عبارة عن التصرف في ملك الغير بغير إذنه وهو محال على الله تعالى فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما ويدل على جواز ذلك وجوده فان ذبح البهائم إيلام لها وما صبّ عليها من أنواع العذاب من جهة الآدميين لم يتقدمها جريمة . فان قيل إن الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما قاسته من الآلام ويجب ذلك على الله سبحانه . فنقول من زعم أنه يجب على الله إحياء كل نملة وطشت وكل بقة عركت حتى يثيبها على آلامها فقد خرج عن الشرع والعقل إذ يقال وصف الثواب والحشر بكونه واجبا عليه إن كان المراد به أنه يتضرر بتركه فهو محال وإن أريد به غيره فقد سبق أنه غير مفهوم إذا خرج عن المعاني المذكورة للواجب . الأصل السابع : أنه تعالى يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده لما ذكرناه من أنه لا يجب عليه سبحانه شيء بل لا يعقل في حقه الوجوب فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وليت شعري بما يجيب المعتزلي في قوله إن الأصلح واجب عليه في مسئلة نعرضها عليه وهو أن يفرض مناظرة في الآخرة بين صبي وبين بالغ ماتا مسلمين فان الله سبحانه يزيد في درجات البالغ ويفضله على الصبي لأنه تعب بالإيمان والطاعات بعد البلوغ ويجب عليه ذلك عند المعتزلي فلو قال الصبي يارب لم رفعت منزلته عليّ فيقول لأنه بلغ واجتهد في الطاعات ويقول الصبي أنت أمتني في الصبا فكان يجب عليك أن تديم حياتي حتى أبلغ فأجتهد فقد عدلت عن العدل في التفضل عليه بطول العمر له دوني فلم فضلته فيقول الله تعالى لأني علمت أنك لو بلغت لأشركت أو عصيت فكان الأصلح لك الموت في الصبا هذا عذر المعتزلي عن الله عز وجلّ وعند هذا ينادي الكفار من دركات لظى ويقولون يارب أما علمت أننا إذا بلغنا أشركنا فهلا أمتنا في الصبا فانا رضينا بما دون منزلة الصبي المسلم فماذا يجاب عن ذلك وهل يجب عند.

[بيان أصناف أهل الاعتقاد المجرد]

وأما أهل الاعتقاد المجرد عن تحصينه بالعلم وتوثيقه بالأدلة وشده بالبراهين فقد انقسموا في الوجود إلى ثلاثة أصناف أحدهم صنف اعتقدوا مضمون ما أقرّ وابه وحشوا به قلوبهم من غير تردد ولا تكذيب أسرّوه في أنفسهم ولكنهم غير عارفين بالاستدلال على ما اعتقدوا وذلك لفرط بعدهم وغلظ طبائعهم واعتياص طرق ذلك عليهم ويقع عليهم اسم الموحدين وتحققنا وجود أمثالهم كثيرا على عهد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والسلف الصالحين رضي الله عنهم ثم لم يبلغنا أنه اعترض أحد إسلامهم ولا أوجب عليهم الخروج منه والمعروف عنه ولا كلفوا مع قصور فهمهم وبعدهم عن فهم ذلك بعلم الدلالة وقراءة ترك البراهين وترتيب الحجاج بل تركوا على ما هم عليه وهؤلاء

هذا إلا القطع بأن الأمور الإلهية تتعالى بحكم الجلال عن أن توزن بميزان أهل الاعتزال . فان قيل مهما قدر على رعاية الأصلح للعباد ثم سلط عليهم أسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة . قلنا القبيح مالا يوافق الغرض حتى إنه قد يكون الشيء قبيحا عند شخص حسنا عند غيره إذا وافق غرض أحدهما دون الآخر حتى يستقبح قتل الشخص أولياؤه ويستحسنه أعداؤه فان أريد بالقبيح مالا يوافق غرض الباري سبحانه فهو محال إذ لا غرض له فلا يتصور منه قبيح كما لا يتصور منه ظلم إذ لا يتصور منه التصرف في ملك الغير وإن أريد بالقبيح مالا يوافق غرض الغير فلم قلتم إن ذلك عليه محال وهل هذا إلا مجرد تشه يشهد بخلافه ماقد فرضناه من مخاصمة أهل النار ثم الحكيم معناه العالم بحقائق الأشياء القادر على إحكام فعلها على وفق إرادته وهذا من أين يوجب رعاية الأصلح ، وأما الحكيم منا يراعى الأصلح نظرا لنفسه ليستفيد به في الدنيا ثناء وفي الآخرة ثوابا أو يدفع به عن نفسه آفة وكل ذلك محال على الله سبحانه وتعالى . الأصل الثامن : أن معرفة الله سبحانه وطاعته واجبة بإيجاب الله تعالى وشرعه لا بالعقل خلافا للمعتزلة لأن العقل وإن أوجب الطاعة فلا يخلو إما أن يوجبها لغير فائدة وهو محال فان العقل لا يوجب العبث وإما أن يوجبها لفائدة وغرض وذلك لا يخلو إما أن يرجع إلى المعبود وذلك محال في حقه تعالى فانه يتقدس عن الأغراض والفوائد بل الكفر والإيمان والطاعة والعصيان في حقه تعالى سيان وإما أن يرجع ذلك إلى غرض العبد وهو أيضا محال لأنه لا غرض له في الحال بل يتعب به وينصرف عن الشهوات لسببه وليس في المآل إلا الثواب والعقاب ومن أين يعلم أن الله تعالى يثيب على المعصية والطاعة ولا يعاقب عليهما مع أن الطاعة والمعصية في حقه يتساويان إذ ليس له إلى أحدهما ميل ولا به لأحدهما اختصاص وإنما عرف تمييز ذلك بالشرع ولقد زل من أخذ هذا من القايسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق بين الشكر والكفران لما له من الارتياح والاهتزاز والتلذذ بأحدهما دون الآخر . فان قيل فاذا لم يجب النظر والمعرفة إلا بالشرع والشرع لا يستقر مالم ينظر المكلف فيه فاذا قال المكلف للنبي إن العقل ليس يوجب علي النظر والشرع لا يثبت عندي إلا بالنظر ولست أقدم على النظر أدى ذلك إلى إفحام الرسول صلى الله عليه وسلم . قلنا هذا يضاهي قول القائل للواقف في موضع من المواضع إن وراءك سبعا ضاريا فان لم تبرح عن المكان قتلك وإن التفت وراءك ونظرت عرفت صدقي فيقول الواقف لا يثبت صدقك مالم ألتفت ورائي ولا ألتفت ورائي ولا أنظر مالم يثبت صدقك فيدل هذا على حماقة هذا القائل وتهدفه للهلاك ولا ضرر فيه على الهادي المرشد فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن وراءكم الموت ودونه السباع الضارية والنيران المحرقة إن لم تأخذوا منها حذركم وتعرفوا لي صدقي بالالتفات إلى معجزتي وإلا هلكتم فمن التفت عرف واحترز ونجا ومن لم يلتفت وأصر هلك وتردى ولا ضرر علي إن هلك الناس كلهم أجمعون وإنما علي البلاغ المبين » فالشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والإحاطة بإمكان مايقوله في المستقبل والطبع يستحث على الحذر من الضرر ومعنى كون الشيء واجبا أن في تركه ضررا ومعنى كون الشرع موجبا أنه معرف للضرر المتوقع فان العقل لا يهدي إلى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات فهذا معنى الشرع والعقل وتأثيرهما في تقدير الواجب ولولا خوف العقاب على ترك ما أمر به لم يكن الوجوب ثابتا إذ لا معنى للواجب إلا ما يرتبط تركه ضرر في الآخرة . الأصل التاسع : أنه ليس يستحيل بعثة الأنبياء عليهم السلام خلافا للبراهمة حيث قالوا لا فائدة في بعثتهم إذ في العقل مندوحة عنهم لأن العقل لا يهدي إلى الأفعال المنجية في الآخرة كما لا يهدي إلى الأدوية المفيدة للصحة فحاجة الخلق إلى الأنبياء كحاجتهم إلى الأطباء ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة .

عندي معذورون بعدهم مقبولون بما توافوا عليه من إقرارهم وعقدهم والله سبحانه قد عذرهم مع غيرهم بقوله سبحانه لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ولا يخرجون عن مقتضى هذه الآيات بحال وسنبدي لك طريقا من الاعتبار تعرف به صحة إسلامهم وسلامة توحيدهم إن شاء الله عز وجل . والصنف الثاني اعتقدوا الحق مع ماظهر منهم من النطق واعتقدت مع ذلك أنواعا من المخاييل قام في مخيلتها أنها أدلة وطأتها براهين وليست كذلك وقد وقع في هذا كثير ممن يشار إليه فضلا عمن دونهم فان وقع إلى هذا الصنف من يزعزع عليهم تلك المخاييل بالقدح ويبطلها عليهم بالمعارضة أو الاعتراض لم يلتفتوا إليه ولا أصغوا لما يأتي به ويترفعوا إلى أن يجاوبوه لما يحملهم عليه من سوء الفهم أو رداءة الاعتقاد

الأصل العاشر : أن الله سبحانه قد أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من شرائع اليهود والنصارى والصابئين وأيده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة كانشقاق القمر (١) وتسبيح الحصى (٢) وإنطاق العجماء (٣) وماتفجر من بين أصابعه من الماء ومن آياته الظاهرة التي تحدى بها مع كافة العرب القرآن العظيم فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهدفوا لسبيه ونهبه وقتله وإخراجه كما أخبر الله عز وجل عنهم ولم يقدروا على معارضته بمثل القرآن إذ لم يكن في قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا مع مافيه من أخبار الأولين مع كونه أميا غير ممارس للكتب والإنباء عن الغيب في أمور تحقق صدقه فيها في الاستقبال كقوله تعالى ـ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين ـ وكقوله تعالى ـ الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ـ ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل أن كل ماعجز عنه البشر لم يكن إلا فعلا لله تعالى فمهما كان مقرونا بتحدي النبي ﷺ ينزل منزلة قوله صدقت وذلك مثل القائم بين يدي الملك المدعي على رعيته أنه رسول الملك إليهم فانه مهما قال للملك إن كنت صادقا فقم على سريرك ثلاثا واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضروري بأن ذلك نازل منزلة قوله صدقت

الركن الرابع في السمعيات وتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه ومداره على عشرة أصول

الأصل الأول : الحشر والنشر (٤) وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق بهما واجب لأنه في العقل ممكن ومعناه الاعادة بعد الافناء وذلك مقدور لله تعالى كابتداء الانشاء قال الله تعالى ـ قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ـ فاستدل بالابتداء على الاعادة وقال عز وجل ـ ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ـ والاعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء الأول. الأصل الثاني سؤال منكر ونكير (٥) وقد وردت به الأخبار فيجب التصديق به لأنه ممكن إذ ليس يستدعي إلا إعادة الحياة إلى جزء من الأجزاء الذي به فهم الخطاب وذلك ممكن في نفسه ولا يدفع ذلك مايشاهد من سكون أجزاء الميت وعدم سماعنا للسؤال له فان النائم ساكن بظاهره ويدرك بباطنه من الآلام واللذات مايحس بتأثيره عند التنبه وقد كان رسول الله ﷺ يسمع كلام جبريل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لايسمعونه ولا يرونه (٦) ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء فاذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه .

(١) حديث انشقاق القمر متفق عليه من حديث أنس وابن مسعود وابن عباس (٢) حديث تسبيح الحصى البيهقي في دلائل النبوة من حديث أبي ذر . وقال صالح بن أبي الأخضر ليس بالحافظ والمحفوظ رواية رجل من بني سليم لم يسم عن أبي ذر (٣) حديث إنطاق العجماء أحمد والبيهقي باسناد صحيح من حديث يعلى بن مرة في البعير الذي شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أهله وقد ورد في كلام الضب والذئب والحمرة أحاديث رواها البيهقي في الدلائل (٤) حديث الحشر والنشر الشيخان من حديث ابن عباس إنكم لمحشورون إلى الله الحديث ومن حديث سهل يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء الحديث ومن حديث عائشة يحشرون يوم القيامة حفاة ومن حديث أبي هريرة يحشر الناس على ثلاث طرائق الحديث ولابن ماجه من حديث ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم أفتنا في بيت المقدس وأرض المحشر والنشر الحديث وإسناده جيد (٥) حديث سؤال منكر ونكير تقدم (٦) حديث كان يسمع كلام جبريل ويشاهده ومن حوله لايسمعونه ولا يرونه البخاري ومسلم من حديث عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ياعائشة هذا جبريل يقرئك السلام فقلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى مالا أرى قلت وهذا هو الأغلب وإلا فقد رأى جبريل جماعة من الصحابة منهم عمر وابنه عبد الله وكعب بن مالك وغيرهم .

وعندهم أن جميع تلك المخايل في باب الاستدلال أرسخ من شوامخ الجبال فمنهم من يعتقد دليله مذهب شيخه الرفيع القدر المطلع على العلوم ومنهم من يكون دليله خبرا له ومنهم من يكون دليله بعض محتملات آية أو حديث صحيح ولعمري أنهم ينبغي إذا صادفوا السنة باعتقادهم ولم يقعوا في شيء من الضلال أن يتركوا على ماهم عليه ولا يحركوا بأمر آخر بل يصدقوا بذلك ويسلم لهم لئلا يكون إذا تتبع الحال معهم ربما لقنوا شبهة أو ترسخ في نفوسهم بدعة يعسر انحلالها أو يقعوا في تكفير مسلم وتضليله بل هناك أسباب كثيرة . واعلم أن اعتقاد الخلائق وعلمها من أغذية النفوس فمن رغب في أكلتها لم يقنع بدونها وإذا حصل له ذلك قوي به ومن قنع بأيسرها ولم تطمح همته إلى ماهو أعلى

الأصل الثالث : عذاب القبر وقدورد الشرع به قال الله تعالى ـ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ـ واشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح الاستعاذة من عذاب القبر (١) وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق أجزاء الميت فى بطون السباع وحواصل الطيور فان المدرك لألم العذاب من الحيوان أجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على إعادة الادراك إليها . الأصل الرابع : الميزان وهو حق قال الله تعالى ـ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ـ وقال تعالى ـ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه ـ الآية ووجهه أن الله تعالى يحدث فى صحائف الأعمال وزنا بحسب درجات الأعمال عند الله تعالى فتصير مقادير أعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل فى العقاب أو الفضل فى العفو وتضعيف الثواب . الأصل الخامس : الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف قال الله تعالى ـ فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم إنهم مسئولون ـ وهذا ممكن فيجب التصديق به فان القادر على أن يطير الطير فى الهواء قادر على أن يسير الانسان على الصراط . الأصل السادس : أن الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى ـ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ـ فقوله تعالى أعدت دليل على أنها مخلوقة فيجب إجراؤه على الظاهر إذ لا استحالة فيه ولا يقال لا فائدة فى خلقهما قبل يوم الجزاء لأن الله تعالى ـ لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ـ . الأصل السابع : أن الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إمام أصلا إذ لو كان لكان أولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة والأمراء على الجنود فى البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفى هذا وإن ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل إلينا فلم يكن أبو بكر إماما إلا بالاختيار والبيعة وأما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كلهم إلى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرق الاجماع وذلك مما لا يستجرئ على اختراعه إلا الروافض واعتقاد أهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما أثنى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وماجرى بين معاوية وعلى رضى الله عنهما كان مبنيا على الاجتهاد لا منازعة من معاوية فى الامامة إذ ظن على رضى الله عنه أن تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدى إلى اضطراب أمر الامامة فى بدايتها فرأى التأخير أصوب وظن معاوية أن تأخير أمرهم مع عظم جنايتهم يوجب الاغراء بالأئمة ويعرض الدماء للسفك ، وقد قال أفاضل العلماء كل مجتهد مصيب وقال قائلون المصيب واحد ولم يذهب إلى تخطئة على ذو تحصيل أصلا . الأصل الثامن : أن فضل الصحابة رضى الله عنهم على حسب ترتيبهم فى الخلافة إذ حقيقة الفضل ماهو فضل عند الله عز وجل وذلك لا يطلع عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ورد فى الثناء على جميعهم آيات وأخبار كثيرة (٢) وإنما يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه المشاهدون للوحى والتنزيل بقرائن الأحوال ودقائق التفصيل فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الأمر كذلك إذ كانوا لا تأخذهم فى الله لومة لائم ولا يصرفهم عن الحق صارف ، الأصل التاسع : أن شرائط الامامة بعد الاسلام والتكليف خمسة الذكورة والورع والعلم والكفاية ونسبة قريش لقوله صلى الله عليه وسلم « الأئمة من قريش (٣) » وإذا اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات فالامام من انعقدت له البيعة من أكثر الخلق والمخالف للأكثر باغ يجب رده إلى

(١) حديث استعاذ من عذاب القبر أخرجاه من حديث أبى هريرة وعائشة وقد تقدم .
(٢) حديث الثناء على الصحابة تقدم .
(٣) حديث الأئمة من قريش النسائى من حديث أنس والحاكم من حديث ابن عمر .

من ذلك ضعف ولكنه يعيش عيش الطفيف وإنما يهلك من لا بلغة له ولا يجدها أو يجدها ولكنها تكون مشابة ممن جاء بعضرة بدعة وسموم كفر فلا تذهل عما يشار لك إليه وإنما المرغوب تنبيهك والله المستعان وقلما بين الصنف الثانى والأول من التفاوت من حيث إن أولئك مقلدون فيما يعتقدونه دليلا غير أنهم أوثق رباطا من الأولين لأن أولئك إن وقع إليهم من شككهم ربما شكوا وانحل رباط عقدهم وهؤلاء فى الأغلب لا سبيل إلى انحلال عقودهم إذ لا يرون أنفسهم أنهم مقلدون وإنما يظنون أنهم مستدلون عارفون فلهذا كانوا أحسن حالا . والصنف الثالث أقروا واعتقدوا كما فعل الذين من قبلهم وقدموا النظر أيضا ولكنهم لعدم سلوكهم سبيله مع القدرة عليه ومعهم من الذكاء والفطنة والتيقظ مالو نظروا لعلموا ولو استدلوا

الانقياد إلى الخلق . الأصل العاشر : أنه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدّى للامامة وكان في صرفه إثارة فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد إمامته لأنا بين أن نحرك فتنة بالاستبدال فما يلقى المسلمون فيه من الضرر يزيد على مايفوتهم من نقصان هذه الشروط التي أثبتت لمزية المصلحة فلا يهدم أصل المصلحة شغفا بمزاياها كالذي يبني قصرا ويهدم مصرا وبين أن نحكم بخلوّ البلاد عن الامام وبفساد الأقضية وذلك محال ونحن نقضي بنفوذ قضاء أهل البغي في بلادهم لمسيس حاجتهم فكيف لا نقضي بصحة الامامة عند الحاجة والضرورة فهذه الأركان الأربعة الحاوية للأصول الأربعين هي قواعد العقائد فمن اعتقدها كان موافقا لأهل السنة ومباينا لرهط البدعة فالله تعالى يسدّدنا بتوفيقه ويهدينا إلى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده وفضله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وكل عبد مصطفى .

[الفصل الرابع من قواعد العقائد] في الايمان والاسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال وما يتطرق إليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه ثلاث مسائل [مسئلة] اختلفوا في أن الاسلام هو الإيمان أو غيره وإن كان غيره فهل هو منفصل عنه يوجد دونه أو مرتبط به يلازمه فقيل إنهما شيء واحد وقيل إنهما شيئان لا يتواصلان وقيل إنهما شيئان ولكن يرتبط أحدهما بالآخر ، وقد أودر أبو طالب المكي في هذا كلاما شديد الاضطراب كثير التطويل فلنهجم الآن على التصريح بالحق من غير تعريج على نقل مالا تحصيل له فنقول في هذا ثلاثة مباحث : بحث عن موجب اللفظين في اللغة ، وبحث عن المراد بهما في إطلاق الشرع ، وبحث عن حكمهما في الدنيا والآخرة ، والبحث الأول لغوي والثاني تفسيري والثالث فقهي شرعي . البحث الأول : في موجب اللغة والحقّ فيه أن الايمان عبارة عن التصديق قال الله تعالى ـ وما أنت بمؤمن لنا ـ أي بمصدّق والاسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالاذعان والانقياد وترك التمرّد والاباء والعناد وللتصديق محل خاص وهو القلب واللسان ترجمان وأما التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح فان كل تصديق بالقلب فهو تسليم وترك الاباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح فموجب اللغة أن الاسلام أعم والايمان أخصّ فكان الايمان عبارة عن أشرف أجزاء الاسلام فاذن كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقا . البحث الثاني : عن إطلاق الشرع والحق فيه أن الشرع قد ورد باستعمالهما على سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل . أما الترادف ففي قوله تعالى ـ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين . فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ـ ولم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد وقال تعالى ـ ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ـ وقال صلى الله عليه وسلم « بني الإسلام على خمس (١) » وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّة عن الايمان فأجاب بهذه الخمس (٢) وأما الاختلاف فقوله تعالى ـ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ـ ومعناه استسلمنا في الظاهر فأراد بالايمان ههنا التصديق بالقلب فقط وبالاسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح ، وفي حديث جبرائيل عليه السلام لما سأله عن الايمان فقال « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالبعث بعد الموت وبالحساب وبالقدر خيره

(١) حديث بني الاسلام على خمس أخرجاه من حديث ابن عمر (٢) حديث سئل عن الايمان فأجاب بهذه الخمس ، البيهقي في الاعتقاد من حديث ابن عباس في قصة وفد عبد القيس تدرون ما الايمان شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتصوموا رمضان وتحجوا البيت الحرام ، والحديث في الصحيحين لكن ليس فيه ذكر الحج وزاد وأن تؤتوا خمسا من المغنم .

لتحققوا ولو طلبوا لأدركوا سبيل المعارف ووصلوا ولكنهم آثروا الراحة ومالوا إلى الدعة واستبعدوا طريق العلم واستثقلوا الأعمال الموصلة إليه وقنعوا بالقعود في حضيض الجهل فهؤلاء فيهم إشكال عند كثير من الناس في البديهة ويتردّد في حالهم النظر وهل يسمون عصاة أو غير ذلك يحتاج إلى تمهيد آخر ليس هذا مقامه والالتفات إلى هذا الصنف أوجب خلاف المتكلمين في العوام على الاطلاق من غير تفريق بين بليد ومتيقظ وفطن فمنهم من لم ير أنهم مؤمنون ولكن لم يحفظ عنهم أنهم أطلقوا اسم الكفر عليهم ولعلك تقول إن مذهبهم المشهور أن المحلّ لا يخلو عن الصفات إلا إلى ضدها فمن لم يحكم له بالإيمان حكم عليه بالكفر كما أن من لم يحكم له بالحركة حكم عليه بالسكون وكذلك

وشره فقال فما الإسلام فأجاب بذكر الخصال الخمس[1] » فعبر بالإسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل وفي الحديث عن سعد أنه صلى الله عليه وسلم « أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال صلى الله عليه وسلم أو مسلم فأعاد عليه فأعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] » وأما التداخل فما روى أيضا أنه سئل « فقيل أي الأعمال أفضل فقال صلى الله عليه وسلم الإسلام فقال أي الإسلام أفضل فقال ﷺ الإيمان[3] » وهذا دليل على الاختلاف وعلى التداخل وهو أوفق الاستعمالات في اللغة لأن الإيمان عمل من الأعمال وهو أفضلها والإسلام هو تسليم إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح وأفضلها الذي بالقلب وهو التصديق الذي يسمى إيمانا والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز في اللغة أما الاختلاف فهو أن يجعل الإيمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق للغة والإسلام عبارة عن التسليم ظاهرا وهو أيضا موافق للغة فان التسليم ببعض محال التسليم ينطلق عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن أن يوجد المعنى فيه فان من لمس غيره ببعض بدنه يسمى لامسا وان لم يستغرق جميع بدنه فاطلاق اسم الإسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى ـ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ـ وقوله ﷺ في حديث سعد « أو مسلم » لأنه فضل أحدهما على الآخر ويريد بالاختلاف تفاضل المسميين وأما التداخل فموافق أيضا للغة في خصوص الإيمان وهو أن يجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا والإيمان عبارة عن بعض ما دخل في الإسلام وهو التصديق بالقلب وهو الذي عنيناه بالتداخل وهو موافق للغة في خصوص الإيمان وعموم الإسلام للكل وعلى هذا خرج قوله الإيمان في جواب قول السائل أي الإسلام أفضل لأنه جعل الإيمان خصوصا من الإسلام فأدخله فيه وأما استعماله فيه على سبيل الترادف بأن يجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا فان كل ذلك تسليم وكذا الإيمان ويكون التصرف في الإيمان على الخصوص بتعميمه وإدخال الظاهر في معناه وهو جائز لأن تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمره على سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الإسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه ولا ينقص وعليه خرج قوله ـ فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ـ البحث الثالث : عن الحكم الشرعي، والإسلام والإيمان حكمان أخروي ودنيوي . أما الأخروي فهو الإخراج من النار ومنع التخليد إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان[4] »

---

(١) حديث جبريل لما سأله عن الإيمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته الحديث أخرجاه من حديث أبي هريرة ومسلم من حديث عمر دون ذكر الحساب فرواه البيهقي في البعث وقد تقدم (٢) حديث سعد أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال أو مسلم الحديث أخرجاه بنحوه (٣) حديث سئل أي الأعمال أفضل فقال الإسلام فقال أي الإسلام أفضل فقال الإيمان أحمد والطبراني من حديث عمرو بن عنبسة بالشطر الأخير قال رجل يا رسول الله أي الإسلام أفضل قال الإيمان وإسناده صحيح (٤) حديث يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان أخرجاه من حديث أبي سعيد الخدري في الشفاعة ، وفيه اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه الحديث ، ولهما من حديث أنس فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان لفظ البخاري منهما ، وله تعليقا من حديث

الحياة والموت والعلم والجهل وسائر ما له من الصفات. قلنا فلئن صح ذلك في الصفات التي هي أعراض فقد لا يصح في الأوصاف التي هي أحكام الإيمان والكفر والهداية والضلال والبدعة والسنة ربما كانت ليست من قبيل الاعراض وانما ذكرت لك هذا في معرض الشك في شعوب ما نورد على ذلك ومنهم من أوجب لهم الإيمان ولكن أوجب لهم المعرفة وقدرها لهم وعجزهم عن العبادة ووجوب العبادة في الشرع جار على هذا النحو وهؤلاء لم يخالفوا المذكورين قبلهم لأن أولئك سلبوا الإيمان عمن لم يصدر اعتقاده عن دليل وهؤلاء أوجبوا الإيمان لمن أضافوا إليه المعرفة المشروطة في صحة الإيمان وإنما فروا عن الشناعة الظاهرة فشذوا عن الجمهور بهذا الاحتمال وزادوا على أنفسهم أنهم ألموا بقول من جعل المعارف

وقد اختلفوا فى أن هذا الحكم على ماذا يترتب وعبروا عنه بأن الايمان ماذا هو فمن قائل إنه مجرد العقد ومن قائل يقول إنه عقد بالقلب وشهادة باللسان ومن قائل يزيد ثالثا وهو العمل بالأركان ونحن نكشف الغطاء عنه ونقول من جمع بين هذه الثلاثة فلاخلاف فى أن مستقره الجنة وهذه درجة . والدرجة الثانية أن يوجد اثنان وبعض الثالث وهو القول والعقد وبعض الأعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة أو بعض الكبائر فعند هذا قالت المعتزلة خرج بهذا عن الايمان ولم يدخل فى الكفر بل اسمه فاسق وهو على منزلة بين المنزلتين وهو مخلد فى النار وهذا باطل كما سنذكره . الدرجة الثالثة أن يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الأعمال بالجوارح وقد اختلفوا فى حكمه فقال أبو طالب المكى العمل بالجوارح من الإيمان ولا يتم دونه وادعى الاجماع فيه واستدل بأدلة تشعر بنقيض غرضه كقوله تعالى ـ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ـ إذ هذا يدل على أن العمل وراء الإيمان لا من نفس الايمان وإلا فيكون العمل فى حكم المعاد والعجب أنه ادعى الاجماع فى هذا وهو مع ذلك ينقل قوله صلى الله عليه وسلم « لا يكفر أحد إلا بعد جحوده لما أقرّ به[1] » وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد فى النار بسبب الكبائر والقائل بهذا قائل بنفس مذهب المعتزلة إذ يقال له من صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات فى الحال فهل هو الجنة فلا بد أن يقول نعم وفيه حكم بوجود الإيمان دون العمل فنزيد ونقول لو بقى حيا حتى دخل عليه وقت صلاة واحدة فتركها ثم مات أو زنى ثم مات فهل يخلد فى النار فان قال نعم فهو مراد المعتزلة وإن قال لا فهو تصريح بأن العمل ليس ركنا من نفس الايمان ولا شرطا فى وجوده ولا فى استحقاق الجنة به وإن قال أردت به أن يعيش مدة طويلة ولا يصلى ولا يقدم على شىء من الأعمال الشرعية فنقول فما ضبط تلك المدة وما عدد تلك الطاعات التى بتركها يبطل الايمان وما عدد الكبائر التى بارتكابها يبطل الايمان وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصر إليه صائر أصلا . الدرجة الرابعة أن يوجد التصديق بالقلب قبل أن ينطق باللسان أو يشتغل بالأعمال ومات فهل نقول مات مؤمنا بينه وبين الله تعالى وهذا مما اختلف فيه ومن شرط القول لتمام الايمان يقول هذا مات قبل الايمان وهو فاسد إذ قال صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان » وهذا قلبه طافح بالايمان فكيف يخلد فى النار ولم يشترط فى حديث جبريل عليه السلام للايمان إلا التصديق بالله تعالى وملائكته وكتبه واليوم الآخر كما سبق . الدرجة الخامسة أن يصدق بالقلب ويساعده من العمر مهلة النطق بكلمتى الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل أن يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلاة ونقول هو مؤمن غير مخلد فى النار والايمان هو التصديق المحض واللسان ترجمان الايمان فلا بد أن يكون الايمان موجودا بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان وهذا هو الأظهر إذ لا مستند إلا اتباع موجب الألفاظ ووضع اللسان أن الايمان هو عبارة عن التصديق بالقلب . وقد قال صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة » ولا ينعدم الايمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب وقال قائلون القول ركن إذ ليس كلمتا الشهادة إخبارا عن القلب بل هو إنشاء عقد آخر وابتداء شهادة والتزام والأول أظهر وقد غلا فى هذا طائفة المرجئة فقالوا هذا لا يدخل النار أصلا وقالوا إن المؤمن وإن عصى فلا يدخل النار وسنبطل ذلك عليهم . الدرجة السادسة أن يقول بلسانه لا إله إلا الله

أنس يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن ذرّة من إيمان وهو عندهما متصل بلفظ خير مكان إيمان (١) حديث لا تكفروا أحدا إلا بجحوده بما أقرّ به الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى سعيد لن يخرج أحد من الايمان إلا بجحود مادخل فيه وإسناده ضعيف .

كلها ضرورية ولم يشعروا بذلك حين قالوا إنما عجزت العامة عن سرد الدليل وتعظم العبارة عنه وأنه لا تجب عليهم لأنهم إذا نبهوا وعرض عليهم ما قرب من الألفاظ واعتادوا من المخاطبات دلائل الحدوث ووجوه الافتقار إلى المحدث بعد لاعتقدوا وعددوا من هذه المعارف كثيرا ووجدوا أنفسهم عارفين بذلك . واعلم أن من يقول إن المعارف كلها ضرورية هكذا يقول إنما افتقر الناس إلى النسبية وا يتمرنوا على العبارة على مواضع العلوم وإلا فهم إذا نبهوا عليها وتلطف بهم فى تفهيمها بالزوال إلى ما ألفوه من العبارات وجدوا أنفسهم غير منكرة لما نبهوا عليه وسارعوا إلى الفيئة ومثال هذا كمن نسى شيئا كان معه أو إنسانا نصحه أو رآه فنسيه وغفل عنه لأجل غيبته ثم رآه بعد

محمد رسول الله ولكن لم يصدق بقلبه فلا نشك في أن هذا في حكم الآخرة من الكفار وأنه مخلد في النار ولا نشك في أنه في حكم الدنيا الذي يتعلق بالأئمة والولاة من المسلمين لأن قلبه لا يطلع عليه وعلينا أن نظن به أنه ماقاله بلسانه إلا وهو منطو عليه في قلبه وإنما نشك في أمر ثالث وهو الحكم الدنيوي فيما بينه وبين الله تعالى وذلك بأن يموت له في الحال قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم يستفتي ويقول كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت والميراث الآن في يدي فهل يحل لي بيني وبين الله تعالى أو نكح مسلمة ثم صدق بقلبه هل تلزمه إعادة النكاح هذا محل نظر فيحتمل أن يقال أحكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهرا وباطنا ويحتمل أن يقال تناط بالظاهر في حق غيره لأن باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له في نفسه بينه وبين الله تعالى والأظهر والعلم عند الله تعالى أنه لا يحل له ذلك الميراث ويلزمه إعادة النكاح ولذلك كان حذيفة رضي الله عنه لا يحضر جنازة من يموت من المنافقين وعمر رضي الله عنه كان يراعي ذلك منه فلا يحضر إذا لم يحضر حذيفة رضي الله عنه والصلاة فعل ظاهر في الدنيا وإن كان من العبادات والتوقي عن الحرام أيضا من جملة ما يجب لله كالصلاة لقوله صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فريضة بعد الفريضة » وليس هذا مناقضا لقولنا إن الإرث حكم الاسلام وهو الاستسلام بل الاستسلام التام هو ما يشمل الظاهر والباطن وهذه مباحث فقهية ظنية تبنى على ظواهر الألفاظ والعمومات والأقيسة فلا ينبغي أن يظن القاصر في العلوم أن المطلوب فيه القطع من حيث جرت العادة بإيراده في فن الكلام الذي يطلب فيه القطع فما أفلح من نظر إلى العادات والمراسم في العلوم . فإن قلت فما شبهة المعتزلة والمرجئة وما حجة بطلان قولهم . فأقول شبهتهم عمومات القرآن أما المرجئة فقالوا لا يدخل المؤمن النار وإن أتى بكل المعاصي لقوله عز وجل ـ فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا ـ ولقوله عز وجل ـ والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون ـ الآية ولقوله تعالى ـ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها . إلى قوله : ـ فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ـ فقوله كلما ألقي فيها فوج عام فينبغي أن يكون كل من ألقي في النار مكذبا ولقوله تعالى ـ لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى ـ وهذا حصر وإثبات ونفي ولقوله تعالى ـ من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ـ فالإيمان رأس الحسنات ولقوله تعالى ـ والله يحب المحسنين ـ وقال تعالى ـ إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا ـ ولا حجة لهم في ذلك فانه حيث ذكر الايمان في هذه الآيات أريد به الايمان مع العمل إذ بينا أن الايمان قد يطلق ويراد به الاسلام وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التأويل أخبار كثيرة في معاقبة العاصين ومقادير العقاب وقوله صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان » فكيف يخرج إذا لم يدخل ومن القرآن قوله تعالى ـ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ـ والاستثناء بالمشيئة يدل على الانقسام وقوله تعالى ـ ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ـ وتخصيصه بالكفر تحكم وقوله تعالى ـ ألا إن الظالمين في عذاب مقيم ـ وقال تعالى ـ ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار ـ فهذه العمومات في معارضة عموماتهم ولا بد من تسليط التخصيص والتأويل على الجانبين لأن الأخبار مصرحة بأن العصاة يعذبون[1] بل قوله تعالى ـ وإن منكم إلا واردها ـ كالصريح في أن ذلك لا بد منه للكل إذ لا يخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه وقوله تعالى ـ لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى ـ أراد به من جماعة مخصوصين أو أراد بالأشقى شخصا معينا أيضا وقوله تعالى ـ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ـ أي فوج من الكفار وتخصيص العمومات

(١) حديث تعذيب العصاة البخاري من حديث أنس ليصيبن أقواما سفع من النار بذنوب أصابوها الحديث ويأتي في ذكر الموت عدة أحاديث .

ذلك فذكر فانه يقال بدا لأنه كان عارفا بما غاب عنه لكنه ناس له أو غافل عنه ولولا عرفانه به ما وجد عدم الانكار وسرعة الألفة عنه وطائفة من المتكلمين أيضا أوجب لهم الايمان مع عدم المعرفة المشروطة عند أولئك وأي الآراء أحق بالحق وأولى بالصواب ليس من غرضنا في هذا الموضع وإنما غرضنا تبعيد ما أشاعه في الاحياء أهل الغلول والأغلال فلا يفتح مثل هذا الباب وقد أبدينا من وجه ذلك في مراقي الزلف ما ينفي فيها باذن الله عز وجل .

[فصل في بيان أصناف أهل الاعتقاد]

تفصيل آخر من جهة أخرى هو من تتمة ماجرى فلتعلم أن ما منهم صنف إلا وله على التقريب ثلاثة أحوال لا يستبد أحدهم من أحدها بحكم الاعتقاد الضروري فأصفى الحالات لهم أن يعتقد أحدهم جميع أركان

قريب ومن هذه الآية وقع للأشعرى وطائفة من المتكلمين إنكار صيغ العموم وأن هذه الألفاظ يتوقف فيها إلى ظهور قرينة تدل على معناها . وأما المعتزلة فشبهتهم قوله تعالى ـ وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ـ وقوله تعالى ـ والعصر إن الانسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ـ وقوله تعالى ـ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ـ ثم قال ـ ثم ننجى الذين اتقوا ـ وقوله تعالى ـ ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم ـ وكل آية ذكر الله عز وجل العمل الصالح فيها مقرونا بالايمان وقوله تعالى ـ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ـ وهذه العمومات أيضا مخصوصة بدليل قوله تعالى ـ ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ـ فينبغى أن تبقى له مشيئة فى مغفرة ماسوى الشرك وكذلك قوله عليه السلام «يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان» وقوله تعالى ـ إنا لانضيع أجر من أحسن عملا ـ وقوله تعالى ـ إن الله لايضيع أجر المحسنين ـ فكيف يضيع أجر أصل الايمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة وقوله تعالى ـ ومن يقتل مؤمنا متعمدا ـ أى لايمانه وقد ورد على مثل هذا السبب. فان قلت فقد مال الاختيار إلى أن الايمان حاصل دون العمل وقد اشتهر عن السلف قولهم الايمان عقد وقول وعمل فما معناه. قلنا لايبعد أن يعد العمل من الايمان لأنه مكمل له ومتمم كما يقال الرأس واليدان من الانسان ومعلوم أنه يخرج عن كونه إنسانا بعدم الرأس ولايخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك يقال التسبيحات والتكبيرات من الصلاة وإن كانت لاتبطل بفقدها فالتصديق بالقلب من الايمان كالرأس من وجود الانسان إذ ينعدم بعدمه وبقية الطاعات كالأطراف بعضها أعلى من بعض وقد قال ﷺ «لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن[1]» والصحابة رضى الله عنهم ما اعتقدوا مذهب المعتزلة فى الخروج عن الايمان بالزنا ولكن معناه غير مؤمن حقا إيمانا تاما كاملا كما يقال للعاجز المقطوع الأطراف هذا ليس بانسان أى ليس له الكمال الذى هو وراء حقيقة الانسانية . (مسئلة) فان قلت فقد اتفق السلف على أن الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فاذا كان التصديق هو الايمان فلا يتصور فيه زيادة ولا نقصان . فأقول السلف هم الشهود العدول وما أحد عن قولهم عدول فما ذكروه حق وإنما الشأن فى فهمه وفيه دليل على أن العمل ليس من أجزاء الايمان وأركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والزائد موجود والناقص موجود والشىء لايزيد بذاته فلا يجوز أن يقال الانسان يزيد برأسه بل يقال يزيد بلحيته وسمنه ولايجوز أن يقال الصلاة تزيد بالركوع والسجود بل تزيد بالآداب والسنن فهذا تصريح بأن الايمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان . فان قلت فالاشكال قائم فى أن التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة فأقول إذا تركنا المداهنة ولم نكترث بتشغيب من تشغب وكشفنا الغطاء ارتفع الاشكال فنقول: الايمان اسم مشترك يطلق من ثلاثة أوجه : الأول أنه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر وهو إيمان العوام بل ايمان الخلق كلهم إلا الخواص وهذا الاعتقاد عقدة على القلب تارة تشد وتقوى وتارة تضعف وتسترخى كالعقدة على الخيط مثلا ولاتستبعد هذا واعتبره باليهودى وصلابته فى عقيدته التى لايمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ولا بتخييل ووعظ ولا تحقيق وبرهان وكذلك النصرانى والمبتدعة وفيهم من يمكن تشكيكه بأدنى كلام ويمكن استنزاله عن اعتقاده بأدنى استمالة أو تخويف مع أنه غير شاك فى عقده كالأول ولكنهما متفاوتان فى شدة التصميم وهذا موجود فى الاعتقاد الحق أيضا والعمل يؤثر فى نماء هذا التصميم وزيادته كما يؤثر سقى الماء فى نماء الأشجار ولذلك قال تعالى ـ فزادتهم ايمانا ـ وقال تعالى ـ ليزدادوا ايمانا مع إيمانهم ـ وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن متفق عليه من حديث أبى هريرة .

الايمان على ما يكمل عليه فى الغالب لكنه على طريق التفاوت كما سبق . الحالة الثانية أن لايعتقدوا إلا بعض الأركان مما فيه خلاف إذا نفر ولم ننصف إليه فى اعتقاده سواء هل يكون مؤمنا أو مسلما أن يعتقد وجود الواحد فقط أو يعتقد أنه موجود حى لاغير وأمثال هذه التقديرات ويخلو عن اعتقاد باقى الصفات خلوا كاملا لايخطر بباله ولايعتقد فيها حقا ولا باطلا ولا صوابا ولا خطأ ولكن التقدير الذى يعتقده من الأركان الثلاثة موافق للحق غير منسوب لغيره . الحالة الثالثة أن يعتقد الوجود كما قلنا والوحدانية والحياة ويكون فيما يعتقد فى باقى الصفات على ما لايوافق الحق ماهو عليه مما هو بدعة وضلالة وليس بكفر صريح فالذى يدل عليه العلم ويستنبط من ظواهر الشرع أن أرباب الحالة الأولى

فيما يروى فى بعض الأخبار «الايمان يزيد وينقص[1]» وذلك بتأثير الطاعات فى القلب وهذا لا يدرك إلا من راقب أحوال نفسه فى أوقات المواظبة على العبادة والتعبد دائما بحضور القلب مع أوقات الفتور وإدراك التفاوت فى السكون إلى عقائد الايمان فى هذه الأحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك بل من يعتقد فى اليتيم معنى الرحمة إذا عمل بموجب اعتقاده فمسح رأسه وتلطف به أدرك من باطنه تأكيد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل وكذلك معتقد التواضع إذا عمل بموجبه عملا متبلا أو ساجدا لغيره أحس من قلبه بالتواضع عند إقدامه على الخدمة وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها أعمال الجوارح ثم يعود أثر الاعمال عليها فيؤكدها ويزيدها وسيأتى هذا فى ربع المنجيات والمهلكات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والأعمال بالعقائد والقلوب فان ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت وأعنى بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس وبالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت والأعضاء وأعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى إلى حد ظن بعض الناس اتحاد أحدهما بالآخر وظن آخرون أنه لا عالم إلا عالم الشهادة وهو هذه الأجسام المحسوسة ومن أدرك الأمرين وأدرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه فقال:

رق الزجاج ورقت الخمر وتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

ولنرجع الى المقصود فان هذا العلم خارج عن علم المعاملة ولكن بين العلمين أيضا اتصال وارتباط فلذلك ترى علوم المكاشفة تتسلق كل ساعة على علوم المعاملة إلى أن يكف عنها بالتكلف فهذا وجه زيادة الايمان بالطاعة بموجب هذا الاطلاق ولهذا قال على كرم الله وجهه: إن الايمان ليبدو لمعة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات نمت فزادت حتى يبيض القلب كله وإن النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه فذلك هو الختم وتلا قوله تعالى ـ كلا بل ران على قلوبهم ـ الآية. الاطلاق الثانى: أن يراد به التصديق والعمل جميعا كما قال صلى الله عليه وسلم «الايمان بضع وسبعون بابا[2]» وكما قال صلى الله عليه وسلم «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن» وإذا دخل العمل فى مقتضى لفظ الايمان لم تخف زيادته ونقصانه وهل يؤثر ذلك فى زيادة الايمان الذى هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد أشرنا إلى أنه يؤثر فيه. الاطلاق الثالث: أن يراد به التصديق اليقينى على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة وهذا أبعد الأقسام عن قبول الزيادة ولكنى أقول الأمر اليقينى الذى لا شك فيه تختلف طمأنينة النفس إليه فليس طمأنينة النفس الى أن الاثنين أكثر من الواحد كطمأنينتها إلى أن العالم مصنوع حادث وإن كان لا شك فى واحد منهما فان اليقينيات تختلف فى درجات الايضاح ودرجات طمأنينة النفس إليها وقد تعرضنا لهذا فى فصل اليقين من كتاب العلم فى باب علامات علماء الآخرة فلا حاجة إلى الاعادة وقد ظهر فى جميع الاطلاقات أن ما قالوه من زيادة الايمان ونقصانه حق

(١) حديث الايمان يزيد وينقص ابن عدى فى الكامل وأبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث أبى هريرة وقال ابن عدى باطل فيه محمد بن أحمد بن حرب اللحى يتعمد الكذب وهو عند ابن ماجه موقوف على أبى هريرة وابن عباس وأبى الدرداء (٢) حديث الايمان بضع وسبعون بابا وذكر بعد هذا فزاد فيه: أدناها إماطة الأذى عن الطريق البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة الايمان بضع وسبعون زاد مسلم فى رواية وأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها فذكره ورواه بلفظ المصنف الترمذى وصححه.

والله أعلم على سبيل نجاة ومسلك خلاص ووصف إيمان أو إسلام وسواء فى ذلك الصنف الأول والثانى من أهل الاعتقاد ويبقى الصنف الثالث على محتملات النظر كما نبهناك عليه وأما أهل الحالة الثانية وهى الاقتصار على الوجود الفرد أو الوجود ووصف آخر معه مع الخلو عن اعتقاد سائر الصفات التى للكمال والجلال وأركانهما فالمتقدمون من السلف لم تشتهر عنهم فى صورة المسئلة ما يخرج صاحب هذا العقد عن حكم الايمان والاسلام والمتأخرون مختلفون فكثير خاف أن يخرج من اعتقد وجود الله عز وجل وأظهر الاقرار بنبيه صلى الله عليه وسلم من الاسلام ولا يبعد أن يكون كثير ممن أسلم من الأجلاف والرعيان وضعفاء النساء والأتباع على هذا بلا مزيد عليه لو سئلوا واستكشفوا عن الله عز وجل هل له إرادة أو بقاء أو كلام

وكيف لا وفى الأخبار « أنه يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان » وفى بعض المواضع فى خبر آخر « مثقال دينار[1] » فأى معنى لاختلاف مقاديره إن كان ما فى القلب لا يتفاوت (مسئلة) فان قلت ما وجه قول السلف أنا مؤمن إن شاء الله والاستثناء شك والشك فى الايمان كفر وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالايمان ويحترزون عنه فقال سفيان الثورى رحمه الله من قال أنا مؤمن عند الله فهو من الكذابين ومن قال أنا مؤمن حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم أنه مؤمن فى نفسه ومن كان مؤمنا فى نفسه كان مؤمنا عند الله كما أن من كان طويلا وسخيا فى نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا من كان مسرورا أو حزينا أو سميعا أو بصيرا ولو قيل للانسان هل أنت حيوان لم يحسن أن يقول أنا حيوان إن شاء الله ولما قال سفيان ذلك قيل له فماذا نقول قال قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وأى فرق بين أن يقول آمنا بالله وما أنزل إلينا وبين أن يقول أنا مؤمن وقيل للحسن أمؤمن أنت فقال إن شاء الله فقيل له لم تستثنى يا أبا سعيد فى الايمان فقال أخاف أن أقول نعم فيقول الله سبحانه كذبت يا حسن فتحق علىّ الكلمة وكان يقول ما يؤمننى أن يكون الله سبحانه قد اطلع علىّ فى بعض ما يكره فمقتنى وقال اذهب لا قبلت لك عملا فأنا أعمل فى غير معمل وقال إبراهيم بن أدهم إذا قيل لك أمؤمن أنت فقل لا إله إلا الله وقال مرة قل أنا لا أشك فى الايمان وسؤالك إياى بدعة وقيل لعلقمة أمؤمن أنت قال أرجو إن شاء الله وقال الثورى نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وما ندرى ما نحن عند الله تعالى فما معنى هذه الاستثناءات فالجواب أن هذا الاستثناء صحيح وله أربعة أوجه وجهان مستندان إلى الشك لا فى أصل الايمان ولكن فى خاتمته أو كماله ووجهان لا يستندان إلى الشك . الوجه الأول الذى لا يستند إلى معارضة الشك الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى ـ فلا تزكوا أنفسكم ـ وقال ـ ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم ـ وقال تعالى ـ انظر كيف يفترون على الله الكذب ـ وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه والايمان من أعلى صفات المجد والجزم به تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كأنها نقل من عرف التزكية كما يقال للانسان أنت طبيب أو فقيه أو مفسر فيقول نعم إن شاء الله لا فى معرض التشكيك ولكن لاخراج نفسه عن تزكية نفسه فالصيغة صيغة الترديد والتضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف للازم من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التأويل لو سئل عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء . الوجه الثانى : التأدب بذكر الله تعالى فى كل حال وإحالة الأمور كلها إلى مشيئة الله سبحانه فقد أدب الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى ـ ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله ـ ثم لم يقتصر على ذلك فيما لا يشك فيه بل قال تعالى ـ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين ـ وكان الله سبحانه عالما بأنهم يدخلون لا محالة وأنه شاءه ولكن المقصود تعليمه ذلك فتأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل ما كان يخبر عنه معلوما كان أو مشكوكا حتى قال صلى الله عليه وسلم لما دخل المقابر « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون[2] » واللحوق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الأدب ذكر الله تعالى وربط الأمور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار بعرف الاستعمال عبارة عن اظهار الرغبة والتمنى فاذا قيل لك إن فلانا يموت سريعا فتقول إن شاء الله فيفهم منه رغبتك لا تشككك وإذا قيل لك فلان سيزول مرضه ويصح فتقول إن شاء الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك إلى

(١) حديث يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال دينار متفق عليه من حديث أبى سعيد وسيأتى فى ذكر الموت وما بعده (٢) حديث لما دخل المقابر قال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين الحديث مسلم من حديث أبى هريرة .

أو ماشا كل ذلك وهذه له صفات معنوية ليست هى هو ولا هى غيره ربما وجدوا يجهلون هذا ولا يعقلون وجه ما يخاطبون به وكيف يخرج من اعتقد وجود الله ووحدانيته مع الاقرار بالنبوة من حكم الاسلام والنبى صلى الله عليه وسلم قد رفع القتال والقتل وأوجب حكم الايمان أو الاسلام لمن قال لا إله إلا الله واعتقد عليها وهذه الكلمات لا تقتضى أكثر من اعتقاد الوجود مع الوحدة فى الظاهر وعلى البديهية من غير نظر ثم سمعنا عمن قالها فى صدر الاسلام أنه لم يعلم بعدها إلا فرائض الوضوء والصلاة وهيئات الأعمال البدنية والكف عن أذى المسلم ولم يبلغنا أنهم درسوا علم الصفات وأحوالها ولا هل الله تعالى عالم بعلم أو عالم بنفسه وهو باق ببقاء أو باق بنفسه وأشباه

معنى الرغبة وكذلك العدول إلى معنى التأدب بذكر الله تعالى كيف كان الأمر . الوجه الثالث مستنده الشك ومعناه أنا مؤمن حقا إن شاء الله إذ قال الله تعالى تقوم مخصوصين بأعيانهم - أولئك هم المؤمنون حقا - فانقسموا إلى قسمين ويرجع هذا إلى الشك فى كمال الايمان لا فى أصله وكل انسان شاك فى كمال إيمانه وذلك ليس بكفر والشك فى كمال الايمان حق من وجهين : أحدهما من حيث إن النفاق يزيل كمال الايمان وهو خفى لا تتحقق البراءة منه . والثانى أنه يكمل بأعمال الطاعات ولا يدرى وجودها على الكمال أما العمل فقد قال الله تعالى - إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون - فيكون الشك فى هذا الصدق وكذلك قال الله تعالى - ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين - فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد ثم قال تعالى - أولئك الذين صدقوا - وقد قال تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - وقال تعالى - لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل - الآية وقد قال تعالى - هم درجات عند الله - وقال ﷺ « الايمان عريان ولباسه التقوى[1] » الحديث وقال صلى الله عليه وسلم « الايمان بضع وسبعون بابا أدناها إماطة الأذى عن الطريق » فهذا يدل على ارتباط كمال الايمان بالأعمال وأما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الخفى فقوله صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلى وزعم أنه مؤمن : من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وإذا خاصم فجر[2] » وفى بعض الروايات « وإذا عاهد غدر » وفى حديث أبى سعيد الخدرى « القلوب أربعة: قلب أجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأى المادتين غلب عليه حكم له بها[3] » وفى لفظ آخر « غلبت عليه ذهبت به » قال عليه السلام « أكثر منافقى هذه الأمة قراؤها[4] » وفى حديث « الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل على الصفا[5] » وقال حذيفة رضى الله عنه « كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا إلى أن يموت وإنى لأسمعها من أحدكم فى اليوم عشر مرات[6] » وقال بعض العلماء أقرب الناس من النفاق من يرى أنه برىء من النفاق وقال حذيفة المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فكانوا إذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق الايمان وكماله وهو خفى وأبعد الناس منه من يتخوفه وأقربهم منه من يرى أنه برىء منه فقد قيل للحسن البصرى يقولون أن لا نفاق اليوم فقال يا أخى لو هلك المنافقون لاستوحشتم فى الطريق وقال هو أو غيره لو نبتت للمنافقين أذناب ما قدرنا أن نطأ على الأرض بأقدامنا

(١) حديث الايمان عريان تقدم فى العلم (٢) حديث أربع من كن فيه فهو منافق الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث القلوب أربعة قلب أجرد الحديث أحمد من حديث أبى سعيد وفيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه (٤) حديث أكثر منافقى هذه الأمة قراؤها أحمد والطبرانى من حديث عقبة بن عامر (٥) حديث الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النملة على الصفا أبو يعلى وابن عدى وابن حبان فى الضعفاء من حديث أبى بكر ولأحمد والطبرانى نحوه من حديث أبى موسى وسيأتى فى ذم الجاه والرياء (٦) حديث حذيفة كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا الحديث أحمد باسناد فيه جهالة وحديث حذيفة المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث البخارى إلا أنه قال شر بدل أكثر .

هذه المعارف ولا يدفع ظهور هذه إلا معاند أو جاهل سيرة السلف وما جرى بينهم ويدل على قوة هذا الجانب فى الشرع أن من استكشف منه على هذه الحالة وتحققت منه وأبى أن يذعن لتعلم ما زاد على ما عنده لم يفت أحد بقتله ولا استرقاقه والحكم عليه بالخلود فى النار عسر جدا أو خطر عظيم مع ثبوت الشرع بأن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ولعلك تقول قد قال فى مواطن أخرى إلا بحقها ثم تقول اعتقاد باقى الصفات التى بها يكون اعتقاد جلال الله جل وعز وكماله من حقها نعم هى من حقها عند من بلغه أمرها وسمع بها أن يعتقدها وأما من خلا من اعتقادها ولم يقو له أن يلقاها ولم يسمع بها ففيه مرمى هذا النظر وعليه يقع مثل هذا الاحتفاظ وفى مثله يخاف أن يطلق عليه اسم الكفر هذا وأنت

«وسمع ابن عمر رضى الله عنه رجلا يتعرض للحجاج فقال أرأيت لو كان حاضرا يسمع أكنت تتكلم فيه فقال لا فقال: كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم»(١) وقال صلى الله عليه وسلم «من كان ذا لسانين فى الدنيا جعله الله ذا لسانين فى الآخرة» وقال أيضا صلى الله عليه وسلم «شر الناس ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه ويأتى هؤلاء بوجه» وقيل للحسن إن قوما يقولون إنا لانخاف النفاق وقال والله لأن أكون أعلم أنى برىء من النفاق أحب إلىّ من تلاع الأرض ذهبا وقال الحسن إن من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة رضى الله عنه إنى أخاف أن أكون منافقا فقال لو كنت منافقا ماخفت النفاق إن المنافق قد أمن من النفاق وقال ابن أبى مليكة أدركت ثلاثين ومائة وفى رواية خمسين ومائة من أصحاب النبى ﷺ كلهم يخافون النفاق وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا فى جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه فبينا هم كذلك إذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق نعله بيده وبين عينيه أثر السجود فقالوا يارسول الله هو هذا الرجل الذى وصفناه فقال صلى الله عليه وسلم أرى على وجهه سفعة من الشيطان، فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال النبى صلى الله عليه وسلم: نشدتك الله هل حدثت نفسك حين أشرفت على القوم أنه ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم»(٢) وقال ﷺ فى دعائه «اللهم إنى أستغفرك لما علمت ولما لم أعلم فقيل له أتخاف يارسول الله فقال وما يؤمننى والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال سبحانه ـ وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون(٣)» قيل فى التفسير عملوا أعمالا ظنوا أنها حسنات فكانت فى كفة السيئات وقال سرى السقطى لو أن إنسانا دخل بستانا فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور فخاطبه كل طير منها بلغة فقال السلام عليك ياولىّ الله فسكنت نفسه إلى ذلك كان أسيرا فى يديها فهذه الأخبار والآثار تعرفك خطر الأمر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفى وأنه لايؤمن منه حتى كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وأنه هل ذكر فى المنافقين وقال أبو سليمان الدارانى سمعت من بعض الأمراء شيئا فأردت أن أنكر فخفت أن يأمر بقتلى ولم أخف من الموت ولكن خشيت أن يعرض لقلبى التزين للخلق عند خروج روحى فكففت وهذا من النفاق الذى يضاد حقيقة الايمان وصدقه وكماله وصفاءه لاأصله فالنفاق نفاقان أحدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك فى زمرة المخلدين فى النار والثانى يفضى بصاحبه إلى النار مدة أو ينقص من درجات عليين ويحط من رتبة الصدّيقين وذلك مشكوك فيه ولذلك حسن الاستثناء فيه وأصل هذا النفاق تفاوت بين السر والعلانية والأمن من مكر الله والعجب وأمور أخر لايخلو عنها إلا الصدّيقون.

الوجه الرابع: وهو أيضا مستند إلى الشك وذلك من خوف الخاتمة فانه لايدرى أيسلم له الايمان عند الموت أم لا فان ختم له بالكفر حبط عمله السابق لأنه موقوف على سلامة الآخر ولو سئل

(١) حديث سمع ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج فقال أرأيت لو كان حاضرا أكنت تتكلم فيه قال لا قال كنا نعدّ هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحمد والطبرانى بنحوه وليس فيه ذكر الحجاج (٢) حديث كان جالسا فى جماعة من أصحابه فذكروا رجلا فأكثروا الثناء عليه فبينا هم كذلك إذ طلع رجل عليهم ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء الحديث أحمد والبزار والدارقطنى من حديث أنس (٣) حديث اللهم إنى أستغفرك لما علمت ومالم أعلم الحديث مسلم من حديث عائشة اللهم إنى أعوذ بك من شر ماعملت ومن شر مالم أعمل ولأبى بكر بن الضحاك فى الشمائل فى حديث مرسل وشر ما أعلم وشر مالا أعلم.

تسمع عن الله عزّ وجلّ يقول فى الآخرة أخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان وذكر من المثقال إلى الذرة والخردلة من الايمان إلى أن أخرج منها من لم يعمل حسنة قط فما يدريك أن يكونوا هؤلاء وأمثالهم المرادين لأن التقدير وقع فى الايمان لافى الأعمال فان قلت فان من الناس وأئمة العلماء من لم يوجب الايمان لمن اعتقد جميع الأركان إذا لم يصحبها معرفة ولم يقصدها دليل فكيف عن فاته اعتقاد بعضها أو كلها قلنا قد أريناك وجه الاعتراض على هذا المذهب ونبهناك على بعد أهله عن وجه الحق فيه وأنهم أرباب تعسف ولو استقصى مع كثير منهم القول فى ذلك لبدا له أنه تسبب إلى مايظهر له من تصوره عن معرفة شرطها فى إيمان غيره ولآثر من حسه الركون إلى مارأيناه أولى من رأيه وأحق بالصواب

الصائم ضحوة النهار من غير صومه فقال أنا صائم قطعا فلو أفطر في أثناء نهاره بعد ذلك لتبين كذبه إذ كانت الحالة موقوفة على التمام إلى غروب الشمس من آخر النهار وكما أن النهار ميقات تمام الصوم فالصوم ميقات تمام صحة الإيمان ووصفه بالصحة قبل آخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والعاقبة مخوفة ولأجلها كان بكاء أكثر الخائفين لأجل أنها ثمرة القضية السابقة والمشيئة الأزلية التي لا تظهر إلا بظهور المقضي به ولا مطلع عليه لأحد من البشر فخوف الخاتمة كخوف السابقة وربما يظهر في الحال ما سبقت الكلمة بتعيينه فمن الذي يدري أنه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقيل في معنى قوله تعالى ـ وجاءت سكرة الموت بالحق ـ أي بالسابقة يعني ظهرتها . وقال بعض السلف إنما يوزن من الأعمال خواتيمها وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يحلف بالله ما من أحد يأمن أن يسلب إيمانه إلا سلبه وقيل من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك وقيل هي عقوبات دعوى الولاية والكرامة بالافتراء . وقال بعض العارفين لو عرضت علي الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على التوحيد عند باب الحجرة لأني لا أدري ما يعرض لقلبي من التغيير عن التوحيد إلى باب الدار . وقال بعضهم لو عرفت واحدا بالتوحيد خمسين سنة ثم حال بيني وبينه سارية ومات لم أحكم أنه مات على التوحيد وفي الحديث «من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل[1]» وقيل في قوله تعالى ـ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ـ صدقا لمن مات على الإيمان وعدلا لمن مات على الشرك ـ وقد قال تعالى ـ ولله عاقبة الأمور ـ فهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجبا لأن الإيمان عبارة عما يفيد الجنة كما أن الصوم عبارة عما يبرئ الذمة وما فسد قبل الغروب لا يبرئ الذمة فيخرج عن كونه صوما فكذلك الإيمان بل لا يبعد أن يسأل عن الصوم الماضي الذي لا يشك فيه بعد الفراغ منه فيقال أصمت بالأمس فيقول نعم إن شاء الله تعالى إذ الصوم الحقيقي هو المقبول والمقبول غائب عنه لا يطلع عليه إلا الله تعالى فمن هذا حسن الاستثناء في جميع أعمال البر ويكون ذلك شكا في القبول إذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة أسباب خفية لا يطلع عليها إلا رب الأرباب جل جلاله فيحسن الشك فيه فهذه وجوه حسن الاستثناء في الجواب عن الإيمان وهي آخر ما نختم به كتاب قواعد العقائد تم الكتاب بحمد الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

(كتاب أسرار الطهارة وهو الكتاب الثالث من ربع العبادات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافه، وأفاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم أنواره وألطافه، وأعد لظواهرهم تطهيرا لها الماء المخصوص بالرقة واللطافه ، وصلى الله على النبي محمد المستغرق بنور الهدى أطراف العالم وأكنافه ، وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة تنجينا بركاتها يوم المخافه ، وتنتصب جنة بيننا وبين كل آفه . أما بعد : فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «بني الدين على النظافة[2]»

---

(١) حديث من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل الطبراني في الأوسط بالشطر الأخير منه من حديث ابن عمر وفيه ليث بن أبي سليم تقدم والشطر الأول روى من قول يحيى بن أبي كثير رواه الطبراني في الأصغر بلفظ من قال أنا في الجنة فهو في النار وسنده ضعيف .

(كتاب الطهارة)

(٢) حديث بني الدين على النظافة لم أجده هكذا وفي الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا فان الاسلام نظيف والطبراني في الأوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود النظافة تدعو إلى الايمان.

ولعدل عن مذهبه ثم بعد ذلك تراهم حين أخبروا عن سلب الإيمان عنهم لم يقولوا اسم الكفر عليهم ثم يصروا على الاستتابة إن كانت من مذهبه ثم يحكم فيه بالقتل والاسترقاق فاذا تأملت هذا لم يخف عليك عيب ما قالوه ونقص ما قالوا إليه فلنرجع الى ما نحن بسبيله ونستعين بالله عز وجل وأما أرباب الحالة الثالثة وهي اعتقاد البدعة في الصفات أو بعضها فان حكمنا بصحة إيمان أهل الحالة المذكورة قبل هذا وإسلامهم حققنا أمر هؤلاء فيما اعتقدوه اذ لم يقعوا فيه بوجه قصد يقطعهم عن إيصال العذر لأن هؤلاء قد حصل لهم في العقد ما هو شرط الخلاص والنجاة من الهلاك الدائم وأصيبوا فيما وراء ذلك فان أمكن ردهم في الدنيا وزجرهم عنه أن أظهروا المنع عن الاقلاع والرجوع

وقال صلى الله عليه وسلم « مفتاح الصلاة الطهور[1] » وقال الله تعالى ـ فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ـ وقال النبي صلى الله عليه وسلم « الطهور نصف الايمان[2] » قال الله تعالى ـ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم ـ فتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر أن أهمّ الأمور تطهير السرائر إذ يبعد أن يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم « الطهور نصف الايمان » عمارة الظاهر بالتنظيف بافاضة الماء وإلقائه وتخريب الباطن وإبقائه مشحونا بالأخباث والأقذار هيهات هيهات والطهارة لها أربع مراتب : المرتبة الأولى تطهير الظاهر عن الأحداث وعن الأخباث والفضلات . المرتبة الثانية : تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام . المرتبة الثالثة : تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والرذائل المقوته . المرتبة الرابعة : تطهير السرّ عما سوى الله تعالى وهى طهارة الأنبياء صلوات الله عليهم والصديقين والطهارة فى كل رتبة نصف العمل الذى فيها فان الغاية القصوى فى عمل السرّ أن ينكشف له جلال الله تعالى وعظمته ولن تحلّ معرفة الله تعالى بالحقيقة فى السر ما لم يرتحل ما سوى الله تعالى عنه ولذلك قال الله عز وجل ـ قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ـ لأنهما لا يجتمعان فى قلب ـ وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ـ وأما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالأخلاق المحمودة والعقائد المشروعة ولن يتصف بها ما لم ينظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة والرذائل المقوتة فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذى هو شرط فى الثانى فكان الطهور شرط الايمان بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن المناهى أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذى هو شرط فى الثانى فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول وعمارتها بالطاعات الشطر الثانى فهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية إلا أن يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل إلى طهارة السرّ عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة ما لم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق المذموم وعمارته بالخلق المحمود ولن يصل إلى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهى وعمارتها بالطاعات وكلما عزّ المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظنّ أن هذا الأمر يدرك بالمنى وينال بالهوينى ، نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة إلا الدرجة الأخيرة التى هى كالقشرة الأخيرة الظاهرة بالاضافة إلى اللب المطلوب فصار يمعن فيها ويستقصى فى مجاريها ويستوعب جميع أوقاته فى الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وتخيل العقل أن الطهارة المطلوبة الشريفة هى هذه فقط وجهالة بسيرة الأولين واستغراقهم جميع الهمّ والفكر فى تطهير القلب وتساهلهم فى أمر الظاهر حتى إن عمر رضى الله عنه مع علوّ منصبه توضأ من ماء فى جرّة نصرانية وحتى إنهم ما كانوا يغسلون اليد من الدسومات والأطعمة بل كانوا يمسحون أصابعهم بأخمص أقدامهم وعدوا الأشنان من البدع المحدثة ولقد كانوا يصلون على الأرض فى المساجد ويمشون حفاة فى الطرقات ومن كان لا يجعل بينه وبين الأرض حاجزا فى مضجعه كان من أكابرهم وكانوا يقتصرون على الحجارة فى الاستنجاء وقال أبو هريرة وغيره من أهل الصفة : « كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة فندخل أصابعنا فى الحصى ثم نفركها بالتراب ونكبر[3] » وقال عمر رضى الله عنه :

(١) حديث مفتاح الصلاة الطهور د ت ه من حديث علىّ قال الترمذى هذا أصح شىء فى هذا الباب وأحسن (٢) حديث الطهور نصف الايمان ت من حديث رجل من بنى سليم وقال حسن ورواه مسلم من حديث أبى مالك الأشعرى بلفظ شطر كما فى الإحياء (٣) حديث كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة فندخل أصابعنا فى الحصباء الحديث ه من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ولم أره من حديث أبى هريرة.

بالعقوبة المؤلمة دون قتل كان ذلك وإن قالوا بالموت لم نقصرهم فى اعتقادنا عن أرباب الحالة الثانية المذكورة قبلهم والله أعلم بالناجى والهالك من خلقه والمطيع والعاصى من عباده هكذا ينبغى أن يكون مذهب من نظر فى خلق الله تعالى بعين الرأفة والرحمة ولم يدخل بين الله عز وجلّ وبين عباده فيما غاب عنه علمه وعدم فيه سبيل اليقين وفهم معنى قوله عز وجلّ ـ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ـ . فان قلت وأين أنت من تكفير كثير من الناس لجميع أهل البدع عامة وخاصة وقول النبىّ صلى الله عليه وسلم فى القدرية « إنهم مجوس هذه الأمة » وقوله صلى الله عليه وسلم « ستفترق أمتى إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة » وقال عن

« ما كنا نعرف الأشنان في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانت مناديلنا بطون أرجلنا كنا إذا أكلنا التمر مسحنا بها (١) » ويقال أول ماظهر من البدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع المناخل والأشنان والموائد والشبع فكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم الصلاة في النعلين أفضل « لأن رسول الله ﷺ لما نزع نعليه في صلاته بإخبار جبرائيل عليه السلام له أن بهما نجاسة وخلع الناس نعالهم قال صلى الله عليه وسلم لم خلعتم نعالكم (٢) » وقال النخعي في الذين يخلعون نعالهم وددت لو أن محتاجا جاء إليها فأخذها منكرا لخلع النعال فكذا كان تساهلهم في هذه الأمور بل كانوا يمشون في طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويصلون في المساجد على الأرض ويأكلون من دقيق البرّ والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الإبل والخيل مع كثرة تمرّغها في النجاسات ولم ينقل قط عن أحد منهم سؤال في دقائق النجاسات فهكذا كان تساهلهم فيها وقد انتهت النوبة الآن إلى طائفة يسمون الرعونة نظافة فيقولون هي مبنى الدين فأكثر أوقاتهم في تزيينهم الظواهر كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق ولا يستنكرون ذلك ولا يتعجبون منه ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر أو مشى على الأرض حافيا أو صلى على الأرض أو على بواري المسجد من غير سجادة مفروشة أو مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من أدم أو توضأ من آنية عجوز أو رجل غير متقشف أقاموا عليه القيامة وشدوا عليه النكير ولقبوه بالقذر وأخرجوه من زمرتهم واستنكفوا عن مؤاكلته ومخالطته فسموا البذاذة التي هي من الايمان قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس حقيقته وعلمه .

فان قلت أفتقول إن هذه العادات التي أحدثها الصوفية في هيئاتهم ونظافتهم من المحظورات أو المنكرات . فأقول حاش لله أن أطلق القول فيه من غير تفصيل ولكني أقول إن هذا التنظيف والتكلف وإعداد الأواني والآلات واستعمال غلاف القدم والإزار المقنع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الأسباب إن وقع النظر إلى ذاتها على سبيل التجرد فهي من المباحات وقد يقترن بها أحوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات فأما كونها مباحة في نفسها فلا يخفى أن صاحبها متصرف بها في ماله وبدنه وثيابه فيفعل بها مايريد إذا لم يكن فيه إضاعة وإسراف وأما مصيرها منكرا فبأن يجعل ذلك أصل الدين ويفسر به قوله ﷺ « بني الدين على النظافة » حتى ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الأولين أو يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرهم فان ذلك هو الرياء المحظور فيصير منكرا بهذين الاعتبارين وأما كونه معروفا فبأن يكون القصد منه الخير دون التزين وأن لاينكر على من ترك ذلك ولا يؤخر بسببه الصلاة عن أوائل الأوقات ولا يشتغل به عن عمل هو أفضل منه أو عن علم أو غيره فاذا لم يقترن به شيء من ذلك فهو مباح يمكن أن يجعل قربة بالنية ولكن لايتيسر ذلك إلا للبطالين الذين لولم يشتغلوا بصرف الأوقات فيه لاشتغلوا بنوم أو حديث فيما لايعني فيصير شغلهم به أولى لأن الاشتغال بالطهارات يجدد ذكر الله تعالى وذكر العبادات فلا بأس به إذا لم يخرج إلى منكر أو إسراف . وأما أهل العلم والعمل فلا ينبغي أن

(١) حديث عمر ما كنا نعرف الأشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانت مناديلنا باطن أرجلنا الحديث لم أجده من حديث عمر ولابن ماجه نحوه مختصرا من حديث جابر (٢) حديث خلع نعليه في الصلاة إذ أخبره جبريل عليه الصلاة والسلام أن عليه نجاسة ذلك وصححه من حديث أبي سعيد الخدري .

قوم « يخرجون على حين فرقة من الناس يقولون بقول خير البرية أو من قول خير البرية يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » والأحاديث الواردة فيمن اعتقد شيئا من الأهواء والبدع كثيرة غير هذه مما توجب في الظاهر تكفيرهم بالاطلاق فاعلم أنه وإن كان كفرهم كثير من العلماء فقد أبقى عليهم دينهم وتردد فيهم كثير أو أكثر منهم وكل فريق منهم في مقابلة من خالفه فليقع التحاكم عند العالم الأكبر المؤيد بالعصمة سيد البشر إمام المتقين صلى الله عليه وسلم فهو عليه الصلاة والسلام حين قال مجوس هذه الأمة أضافهم إلى الأمة وما حكم بأن لم يقل مجوس على الاطلاق وحين أخبر عن الفرق أنهم في النار فما أخبر أنهم خالدون فيها وحين قال يمرقون من الدين كما يمرق السهم

يصرفوا من أوقاتهم إليه إلا قدر الحاجة فالزيادة عليه منكر في حقهم وتضييع العمر الذي هو أنفس الجواهر وأعزها في حق من قدر على الانتفاع به ولا يتعجب من ذلك فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين ولا ينبغي للبطال أن يترك النظافة وينكر على المتصوفة ويزعم أنه يتشبه بالصحابة إذ التشبه بهم في أن لا يتفرغ إلا لما هو أهم منه كما قيل لداود الطائي لم لا تسرح لحيتك؟ قال إني إذن لفارغ فلهذا لا أرى للعالم ولا للمتعلم ولا للعامل أن يضيع وقته في غسل الثياب احترازا من أن يلبس الثياب المقصورة وتوهما بالقصار تقصيرا في الغسل فقد كانوا في العصر الأول يصلون في الفراء المدبوغة ولم يعلم منهم من فرق بين المقصورة والمدبوغة في الطهارة والنجاسة بل كانوا يجتنبون النجاسة إذا شاهدوها ولا يدققون نظرهم في استنباط الاحتمالات الدقيقة بل كانوا يتأملون في دقائق الرياء والظلم حتى قال سفيان الثوري لرفيق له كان يمشي معه فنظر إلى باب دار مرفوع معمور لا تفعل ذلك فإن الناس لو لم ينظروا إليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الاسراف فالناظر إليه معين له على الاسراف فكانوا يعدون حمام الذهن لاستنباط مثل هذه الرقائق لا في احتمالات النجاسة فلو وجد العالم عاميا يتعاطى له غسل الثياب محتاطا فهو أفضل فانه بالاضافة إلى التساهل خير وذلك العامي ينتفع بتعاطيه إذ يشغل نفسه الأمارة بالسوء بعمل المباح في نفسه فيمتنع عليه المعاصي في تلك الحال والنفس إن لم تشغل بشيء شغلت صاحبها وإذا قصد به التقرب إلى العالم صار ذلك عنده من أفضل القربات فوقت العالم أشرف من أن يصرفه إلى مثله فيبقى محفوظا عليه وأشرف وقت العامي أن يشتغل بمثله فيتوفر الخير عليه من الجوانب كلها وليتفطن بهذا المثل لنظائره من الأعمال وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على البعض فتدقيق الحساب في حفظ لحظات العمر بصرفها إلى الأفضل أهم من التدقيق في أمور الدنيا بحذافيرها وإذا عرفت هذه المقدمة واستبنت أن الطهارة لها أربع مراتب . فاعلم أنا في هذا الكتاب لسنا نتكلم إلا في المرتبة الرابعة وهي نظافة الظاهر لأنا في الشطر الأول من الكتاب لا نتعرض قصدا إلا للظواهر فنقول طهارة الظاهر ثلاثة أقسام طهارة عن الخبث وطهارة عن الحدث وطهارة عن فضلات البدن وهي التي تحصل بالقلم والاستحداد واستعمال النورة والختان وغيره .

(القسم الاول في طهارة الخبث والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال به والازالة)

(الطرف الأول في المزال)

وهي النجاسة. والأعيان ثلاثة جمادات وحيوانات وأجزاء حيوانات أما الجمادات فطاهرة كلها إلا الخمر وكل منتبذ مسكر والحيوانات طاهرة كلها إلا الكلب والخنزير وما تولد منهما أو من أحدهما فاذا ماتت فكلها نجسة إلا خمسة الآدمي والسمك والجراد ودود التفاح وفي معناه كل ما يستحيل من الأطعمة وكل ما ليس له نفس سائلة كالذباب والخنفساء وغيرهما فلا ينجس الماء بوقوع شيء منها فيه وأما أجزاء الحيوانات فقسمان : أحدهما ما يقطع منه وحكمه حكم الميت والشعر لا ينجس بالجز والموت والعظم ينجس. الثاني الرطوبات الخارجة من باطنه فكل ما ليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط وما له مقر وهو مستحيل نجس إلا ما هو مادة الحيوان كالمني والبيض والقيح والدم والروث والبول نجس من الحيوانات كلها ولا يعفى عن شيء من هذه النجاسات قليلها وكثيرها إلا عن خمسة: الأول أثر النجو بعد الاستجمار بالأحجار يعفى عنه ما لم يعد المخرج . والثاني طين الشوارع وغبار الروث في الطريق يعفى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو الذي لا ينسب المتلطخ به إلى تفريط أو سقطة . الثالث ما على أسفل الخف من نجاسة لا يخلو الطريق عنها فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة. الرابع دم البراغيث ما قل منه أو كثر إلا إذا جاوز حد العادة سواء كان في ثوبك أو في ثوب غيرك فلبسته. الخامس دم البثرات وما ينفصل منها من قيح وصديد ودلك ابن عمر رضي الله عنه بثرة على وجه

من الرمية فقد قال متصلا بهذا القول وتتماري في الفرق وما موضع هذا التماري من المثل الذي ضربه فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لي أراك تلاحظ جهة وتترك أخرى وتذكر شيئا وتذهل عن غيره عليك بالعدل تكن من أهله واستعمل التفطن تشاهد العجائب المعجبة وتفهم قول الله - وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا - .

[فصل] ولما كان الاعتقاد المجرد عن العلم بصحته ضعيفا وتفرده عن المعرفة قريبا ممن رآه ألقى عليه شبه القشر الثاني من الجوز لأن ذلك القشر يؤكل مع ما هو عليه صونا وإذا انفرد أمكن أن يكون طعاما للمحتاج وبلاغا للجائع وبالجملة فهو لمن لا شيء معه خير من فقده

تخرج منها الدم وصلى لم يغسل وفى معناه مايترشح من لطخات الدماميل التى تدوم غالبا وكذلك أثر الفصد إلا مايقع نادرا من خراج أوغيره فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون فى معنى البثرات التى لايخلو الانسان عنها فى أحواله ومسامحة الشرع فى هذه النجاسات الخمس تعرفك أن أمر الطهارة على التساهل وما ابتدع فيها وسوسة لاأصل لها .

(الطرف الثانى فى الزال به)

وهو إماجامد وإمامائع أما الجامد فحجر الاستنجاء وهو مطهر تطهير تخفيف بشرط أن يكون صلبا طاهرا منشفا غير محترم وأما المائعات فلا تزال النجاسات بشىء منها إلا الماء ولا كل ماء بل الطاهر الذى لم يتفاحش تغيره بمخالطة مايستغنى عنه ويخرج الماء عن الطهارة بأن يتغير بملاقاة النجاسة طعمه أولونه أوريحه فان لم يتغير وكان قريبا من مائتين وخمسين منا وهو خمسمائة رطل برطل العراق لم ينجس لقوله صلى الله عليه وسلم «إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا[1]» وإن كان دونه صار نجسا عند الشافعى رضى الله عنه هذا فى الماء الراكد وأما الماء الجارى إذا تغير بالنجاسة فالجارية المتغيرة نجسة دون مافوقها وماتحتها لأن جريات الماء متفاصلات وكذا النجاسة الجارية إذا جرت بمجرى الماء فالنجس موقعها من الماء وماعن يمينها وشمالها إذا تقاصر عن قلتين وإن كان جرى الماء أقوى من جرى النجاسة فما فوق النجاسة طاهر وما سفل عنها فنجس وإن تباعد وكثر إلا إذا اجتمع فى حوض قدر قلتين وإذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجسا بالتفريق هذا هو مذهب الشافعى رضى الله عنه وكنت أودّ أن يكون مذهبه كمذهب مالك رضى الله عنه فى أن الماء وإن قل لا ينجس إلا بالتغير إذ الحاجة ماسة إليه ومثار الوسواس اشتراط القلتين ولأجله شق على الناس ذلك وهو لعمرى سبب المشقة ويعرفه من يجربه ويتأمله ومما لاأشك فيه أن ذلك لوكان مشروطا لكان أولى المواضع بتعسر الطهارة مكة والمدينة إذلا يكثر فيهما المياه الجارية ولا الراكدة الكثيرة ومن أول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آخر عصر أصحابه لم تنقل واقعة فى الطهارة ولاسؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات وكانت أوانى مياههم يتعاطاها الصبيان والإماء الذين لايحترزون عن النجاسات وقد توضأ عمر رضى الله عنه بماء فى جرة نصرانية وهذا كالصريح فى أنه لم يعول إلا على عدم تغير الماء وإلا فنجاسة النصرانية وإنائها غالبة تعلم بظن قريب فاذا عسر القيام بهذا المذهب وعدم وقوع السؤال فى تلك الأعصار دليل أول وفعل عمر رضى الله عنه دليل ثان والدليل الثالث إصغاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الاناء للهرة[2] وعدم تغطية الأوانى منها بعد أن يرى أنها تأكل الفأرة ولم يكن فى بلادهم حياض تلغ السنانير فيها وكانت لاتنزل الآبار . والرابع أن الشافعى رضى الله عنه نص على أن غسالة النجاسة طاهرة إذا لم تتغير ونجسة إن تغيرت وأى فرق بين أن يلاقى الماء النجاسة بالورود عليها أو بورودها عليه وأى معنى لقول القائل إن قوة الورود تدفع النجاسة مع أن الورود لم يمنع مخالطة النجاسة وان أحيل ذلك على الحاجة فالحاجة أيضا ماسة الى هذا فلا فرق بين طرح الماء فى إجانة فيها ثوب نجس أو طرح الثوب النجس فى الاجانة وفيها ماء وكل ذلك معتاد فى غسل الثياب والأوانى . والخامس أنهم كانوا يستنجون على أطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف فى مذهب الشافعى رضى الله عنه أنه إذا وقع بول فى ماء جار ولم يتغير أنه يجوز التوضؤ به وان كان قليلا وأى فرق بين الجارى والراكد وليت

(١) حديث اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا أصحاب السنن وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن عمر (٢) حديث إصغاء الاناء للهرة الطبرانى فى الأوسط والدارقطنى من حديث عائشة وروى أصحاب السنن ذلك من فعل أبى قتادة .

وكذلك اعتقاد التوحيد وان كان مجردا عن سبيل المعرفة وغير منوط بشىء من الأدلة ضعيفا فهو فى الدنيا والآخرة وعند لقاء الله عزّ وجلّ خير من التعطيل والكفر ومتى ركب أحد هذا فقد وقع فى أعظم الحرج والمنكر .

[بيان أرباب المرتبة الثالثة وهو توحيد المقرّبين]

والكلام فى هذا النوع من التوحيد له ثلاثة حدود : أحدها أن يتكلم فى الأسباب التى توصل إليه والمسالك التى يعبر عليها نحوه والأحوال التى يتخذها بحصوله كما قدره العزّ بن العليمى واختار ذلك ورضاه وسماه الصراط المستقيم والحد الثانى أن يكون الكلام فى عين ذلك التوحيد ونفسه وحقيقته وكيف يتصور للسالك إليه والطالب له قبل وصوله إليه وانكشافه له بالمشاهدة

شعرى هل الحوالة على عدم التغير أولى أو على قوة الماء بسبب الجريان ثم ماحد تلك القوة أتجرى فى المياه الجارية فى أنابيب الحمامات أم لا فان لم تجر فما الفرق وإن جرت فما الفرق بين مايقع فيها وبين مايقع فى مجرى الماء من الأوانى على الأبدان وهى أيضا جارية ثم البول أشد اختلاطا بالماء الجارى من نجاسة جامدة ثابتة إذا قضى بأن مايجرى عليها وإن لم يتغير نجس إلى أن يجتمع فى مستنقع قلتان فأى فرق بين الجامد والمائع والماء واحد والاختلاط أشد من المجاورة . والسادس أنه اذا وقع رطل من البول فى قلتين ثم فرقتا فكل كوز يغترف منه طاهر ومعلوم أن البول منتشر فيه وهو قليل وليت شعرى هل تعليل طهارته بعدم التغير أولى أو بقوة كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوالها مع تحقق بقاء أجزاء النجاسة فيها . والسابع أن الحمامات لم تزل فى الأعصار الخالية يتوضأ فيها المتقشفون ويغمسون الأيدى والأوانى فى تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بأن الأيدى النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليها فهذه الأمور مع الحاجة الشديدة تقوى فى النفس أنهم كانوا ينظرون إلى عدم التغير معولين على قوله صلى الله عليه وسلم « خلق الماء طهورا لاينجسه شىء إلا ماغير طعمه أولونه أوريحه(١) » وهذا فيه تحقيق وهو أن طبع كل مائع أن يقلب إلى صفة نفسه كل مايقع فيه وكان مغلوبا من جهته فكما ترى الكلب يقع فى الملحة فيستحيل ملحا ويحكم بطهارته بصيرورته ملحا وزوال صفة الكلبية عنه فكذلك الخل يقع فى الماء وكذا اللبن يقع فيه وهو قليل فتبطل صفته ويتصور بصفة الماء وينطبع بطبعه إلا إذا كثر وغلب وتعرف غلبته بغلبة طعمه أولونه أوريحه فهذا المعيار وقد أشار الشرع إليه فى الماء القوى على إزالة النجاسة وهو جدير بأن يعول عليه فيندفع به الحرج ويظهر به معنى كونه طهورا إذ يغلب عليه فيطهره كما صار كذلك فيما بعد القلتين وفى الغسالة وفى الماء الجارى وفى إصغاء الاناء للهرة ولا تظن ذلك عفوا إذ لو كان كذلك لكان كأثر الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاقى له نجسا ولا ينجس بالغسالة ولا بولوغ السنور فى الماء القليل وأما قوله صلى الله عليه وسلم «لايحمل خبثا» فهو فى نفسه مبهم فانه يحمل إذا تغير . فان قيل أراد به إذا لم يتغير فيمكن أن يقال إنه أراد به أنه فى الغالب لايتغير بالنجاسات المعتادة ثم هو تمسك بالمفهوم فيما إذا لم يبلغ قلتين وترك المفهوم بأقل من الأدلة التى ذكرناها ممكن وقوله لايحمل خبثا ظاهره نفى الحمل أى يقلبه إلى صفة نفسه كما يقال للملحة لاتحمل كلبا ولا غيره أى ينقلب وذلك لأن الناس قد يستنجون فى المياه القليلة وفى الغدران ويغمسون الأوانى النجسة فيها ثم يترددون فى أنها تغيرت تغيرا مؤثرا أم لا فتبين أنه إذا كان قلتين لايتغير بهذه النجاسة المعتادة . فان قلت فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « لايحمل خبثا » ومهما كثرت حملها فهذا ينقلب عليك فانها مهما كثرت حملها حكما كما حملها حسا فلا بد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعا وعلى الجملة فميلى فى أمور النجاسات المعتادة إلى التساهل فهما من سيرة الأولين وحسما لمادة الوسواس وبذلك أفتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه فى مثل هذه المسائل .

(الطرف الثالث فى كيفية الإزالة)

والنجاسة إن كانت حكمية وهى التى ليس لها جرم محسوس فيكفى إجراء الماء على جميع مواردها وإن كانت عينية فلابد من إزالة العين وبقاء الطعم يدل على بقاء العين وكذا بقاء اللون إلا فيما يلتصق به فهو معفو عنه بعد الحت والقرص أما الرائحة فبقاؤها يدل على بقاء العين ولا يعفى عنها إلا إذا كان الشىء له رائحة فائحة يعسر إزالتها فالدلك والعصر مرات متواليات يقوم مقام الحت والقرص فى اللون

(١) حديث خلق الله الماء طهورا لاينجسه شىء إلا ماغير لونه أو طعمه أو ريحه ه من حديث أبى أمامة باسناد ضعيف وقد رواه بدون الاستثناء د ن ت من حديث أبى سعيد وصححه د وغيره .

والحد الثالث فى ثمرات ذلك التوحيد ومايلقى أهله به ويطلعون عليه بسببه ويكرمون به من أجله ويتحققون من فوائد المزيد من جهته أما الحد الأول فالكلام عليه والبيان له والكشف لدقائقه وتذلله للصغير والكبير مأمور به مشدد فى أمره متوعد بالنار على كتمه فيه بعث الأنبياء ومن أجله أرسل الرسل وببيانه للناس كافة نزلت من عند الله عز وجل على أمناء وحيه الصحف والكتب وليقع التفقه فى القلوب بتحقيقه وتصديقه أيدت الرسل بالمعجزات والأولياء والأنبياء بالكرامات لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وعليه أخذ الله الميثاق على الذين أوتوا الكتاب ليبينه للناس ولا يكتمونه وفيه أنزل الله يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته وإياه عنى رسول الله

والمزيل للوسواس أن يعلم أن الأشياء خلقت طاهرة بيقين فما لايشاهد عليه نجاسة ولا يعلمها يقينا يصلى معه ولا ينبغى أن يتوصل بالاستنباط إلى تقدير النجاسات . القسم الثانى طهارة الأحداث : ومنها الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجاء ، فلنورد كيفيتها على الترتيب مع آدابها وسننها مبتدئين بسبب الوضوء وآداب قضاء الحاجة إن شاء الله تعالى .

(باب آداب قضاء الحاجة)

ينبغى أن يبعد عن أعين الناظرين فى الصحراء وأن يستتر بشىء إن وجده وأن لا يكشف عورته قبل الانتهاء إلى موضع الجلوس وأن لايستقبل الشمس والقمر وأن لايستقبل القبلة ولايستدبرها إلا إذا كان فى بناء والعدول أيضا عنها فى البناء أحب وإن استتر فى الصحراء براحلته جاز وكذلك بذيله وأن يتقى الجلوس فى متحدث الناس وأن لايبول فى الماء الراكد ولا تحت الشجرة المثمرة ولا فى الجحر وأن يتقى الموضع الصلب ومهاب الرياح فى البول استنزاها من رشاشه وأن يتكىء فى جلوسه على الرجل اليسرى وإن كان فى بنيان يقدم الرجل اليسرى فى الدخول واليمنى فى الخروج ولا يبول قائما قالت عائشة رضى الله عنها « من حدثكم أن النبى ﷺ كان يبول قائما فلا تصدقوه[1] » وقال عمر رضى الله عنه « رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبول قائما فقال : ياعمر لاتبل قائما[2] » قال عمر فما بلت قائما بعد ، وفيه رخصة إذ روى حذيفة رضى الله عنه « أنه عليه الصلاة والسلام بال قائما فأتيته بوضوء فتوضأ ومسح على خفيه[3] » ولا يبول فى المغتسل قال صلى الله عليه وسلم « عامة الوسواس منه[4] » وقال ابن المبارك قد وسع فى البول فى المغتسل إذا جرى الماء عليه ذكره الترمذى وقال عليه الصلاة والسلام « لا يبولن أحدكم فى مستحمه ثم يتوضأ فيه فان عامة الوسواس منه » وقال ابن المبارك إن كان الماء جاريا فلا بأس به ولا يستصحب شيئا عليه اسم الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يدخل بيت الماء حاسر الرأس وأن يقول عند الدخول بسم الله أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم وعند الخروج الحمد لله الذى أذهب عنى مايؤذينى وأبقى علىّ ماينفعنى ويكون ذلك خارجا عن بيت الماء وأن يعد النبل قبل الجلوس وأن لايستنجى بالماء فى موضع الحاجة وأن يستبرىء من البول بالتنحنح والنتر ثلاثا وإمرار اليد على أسفل القضيب ولا يكثر التفكر فى الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه الأمر وما يحس به من بلل فليقدر أنه بقية الماء فان كان يؤذيه ذلك فليرش عليه الماء حتى يقوى فى نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس وفى الخبر أنه صلى الله عليه وسلم فعله أعنى رش الماء[5] وقد كان أخفهم استبراء أفقههم فتدل الوسوسة فيه على قلة الفقه وفى حديث سلمان رضى الله عنه « علمنا رسول الله ﷺ كل شىء حتى الخراءة فأمرنا أن لانستنجى بعظم ولا روث ونهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول[6] » وقال رجل لبعض الصحابة من العرب وقد

(٢) حديث عائشة من حدثكم أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه ت ن ه قال ت هو أحسن شىء فى هذا الباب وأصح (٢) حديث عمر رآنى النبى صلى الله عليه وسلم وأنا أبول قائما فقال ياعمر لاتبل قائما ابن ماجه باسناد ضعيف ورواه ابن حبان من حديث ابن عمر ليس فيه ذكر لعمر (٣) حديث أنه عليه الصلاة والسلام بال قائما الحديث متفق عليه (٤) حديث قال فى البول فى المغتسل عامة الوسواس منه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن مغفل قال الترمذى غريب قلت واسناده صحيح (٥) حديث رش الماء بعد الوضوء وهو الانتضاح د ن ه من حديث سفيان بن الحكم الثقفى أو الحكم بن سفيان وهو مضطرب كما قال ت وابن عبد البر (٦) حديث سلمان علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شىء حتى الخراءة الحديث م وقد تقدم فى قواعد العقائد .

صلى الله عليه وسلم بقوله « من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » وجميع ذلك محصور فى اثنتين العلم بالعبرة والعمل بالسنة وهما مبنيان على آيتين الحرص الشديد والنية الخالصة والسر فى تحصيلهما اثنان نظافة الباطن وسلامة الجوارح ويسمى جميع ذلك بعلم المعاملة وأما الحد الثانى فالكلام فيه أكثر ما يكون على طريقة ضرب الأمثال تشبيها بالرمز تارة وبالتصريح أخرى ولكن على الجملة بما يناسب علوم الظواهر ولكن يشرف بذلك اللبيب الحاذق على بعض المراد ويفهم منه كثيرا من المقصود وينكشف له جل مايشار إليه إذا كان سالما من شرك التعصب بعيدا من هوة الهوى نظيفا من دنس التقليد ، وأما الحد الثالث فلا سبيل إلى ذكر شىء منه إلا مع أهله بعد علمهم به على

خاصمه لاأحسبك تحسن الخراء قال بلى وأبيك إنى لأحسنها وإنى بها لحاذق أبعد الأثر وأعدّ المدر وأستقبل الشيح وأستدبر الريح وأقعى إقعاء الظبى وأجفل إجفال النعام . الشيح نبت طيب الرائحة بالبادية، والاقعاء ههنا أن يستوفز على صدور قدميه ، والاجفال أن يرفع عجزه ومن الرخصة أن يبول الانسان قريبا من صاحبه مستترا عنه(١) فعل ذلك رسول الله ﷺ مع شدة حيائه ليبين للناس ذلك.

(كيفية الاستنجاء)

ثم يستنجى لمقعدته بثلاثة أحجار فان أنقى بها كفى وإلا استعمل رابعا فان أنقى استعمل خامسا لأن الانقاء واجب والإيتار مستحب قال عليه السلام « من استجمر فليوتر(٢) » ويأخذ الحجر بيساره ويضعه على مقدّم المقعدة قبل موضع النجاسة ويمره بالمسح والادارة إلى المؤخر ويأخذ الثانى ويضعه على المؤخر كذلك ويمره إلى المقدمة ويأخذ الثالث فيديره حول السربة إدارة فان عسرت الادارة ومسح من المقدمة إلى المؤخر أجزأه ثم يأخذ حجرا كبيرا بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح ثلاثا فى ثلاثة مواضع أو فى ثلاثة أحجار أو فى ثلاثة مواضع من جدار إلى أن لايرى الرطوبة فى محل المسح فان حصل ذلك بمرتين أتى بالثالثة ووجب ذلك إن أراد الاقتصار على الحجر وإن حصل بالرابعة استحب الخامسة للايتار ثم ينتقل من ذلك الموضع إلى موضع آخر ويستنجى بالماء بأن يفيضه باليمنى على محل النجو ويدلك باليسرى حتى لايبقى أثر يدركه الكف بحس اللمس ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فان ذلك منبع الوسواس وليعلم أن كل مالايصل إليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة مالم تظهر وكل ماهو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فحد ظهوره أن يصل الماء إليه فيزيله ولامعنى للوسواس ويقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبى من النفاق وحصن فرجى من الفواحش ويدلك يده بحائط أو بالأرض إزالة للرائحة إن بقيت والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روى « أنه لما نزل قوله تعالى ـ فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ـ قال رسول الله ﷺ لأهل قباء ماهذه الطهارة التى أثنى الله بها عليكم قالوا كنا نجمع بين الماء والحجر(٣) »

(كيفية الوضوء)

إذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله ﷺ قط خارجا من الغائط إلا توضأ ويبتدئ بالسواك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أفواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك (٤) » فينبغى أن ينوى عند السواك تطهير فمه لقراءة القرآن وذكر الله تعالى فى الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم « صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث البول قريبا من صاحبه متفق عليه من حديث حذيفة (٢) حديث من استجمر فليوتر متفق عليه فى حديث أبى هريرة (٣) حديث لما نزل قوله تعالى ـ فيه رجال يحبون أن يتطهروا ـ الحديث من أهل قباء وجمعهم بين الحجر والماء البزار من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ه ك وصححه من حديث أبى أيوب وجابر وأنس فى الاستنجاء بالماء ليس فيه ذكر الحجر وقول النووى تبعا لابن الصلاح إن الجمع بين الماء والحجر فى أهل قباء لايعرف مردود بما تقدم (٤) حديث إن أفواهكم طرق القرآن أبو نعيم فى الحلية من حديث على ورواه موقوفا على على وكلاهما ضعيف (٥) حديث صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك أبو نعيم فى كتاب السواك من حديث ابن عمر باسناد ضعيف ورواه د ك وصححه والبيهقى وضعفه من حديث عائشة وضعفه بلفظ من سبعين صلاة .

سبيل التذكار لاعلى التعليم إنما كانت أحكام هذه الحدود الثلاثة على ماوصفناه لأن الحد الأول فيه محض النصح للخلق واستنقاذهم من غمرة الجهل والتنكيب بهم من مهاوى العطب وقودهم إلى معرفة هذا المقام وماوراءه مما هو أعلى منه مما لهم فيه الملك الأكبر وفوز الأبد وقد بين لهم غاية البيان وأقيم عليه واضح البرهان وهو يومئذ الطريق وأول سبيل السعادة فمن عجز عن ذلك كان عن غيره أعجز ومن سلكه على استقامة فالغالب عليه الوصول إن الله لايضيع أجر من أحسن عملا ومن وصل شاهد ومن شاهد علم وذلك غاية المطلوب ونهاية المرغوب والمحبوب ومن قعد حرم الوصول وما بعده فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ومن غاب لم تنفعه الأخبار ولم يفده كثير من الأحاديث وأيضا فان الإخبار بما وراء الحد الأول

« لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة [١] » وقال صلى الله عليه وسلم « مالى أراكم تدخلون على قلحا استاكوا[٢] » أى صفر الأسنان « وكان عليه السلام يستاك فى الليلة مرارا[٣] » وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال: « لم يزل صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شىء[٤] »: وقال عليه السلام « عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم ومرضاة للرب[٥] » وقال على ابن أبى طالب كرم الله وجهه: السواك يزيد فى الحفظ ويذهب البلغم[٦] . وكان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يروحون والسواك على آذانهم وكيفيته أن يستاك بخشب الأراك أو غيره من قضبان الأشجار مما يخشن ويزيل القلح ويستاك عرضا وطولا وإن اقتصر فعرضا ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وإن لم يصل عقيبه وعند تغير النكهة بالنوم أو طول الأزم أو أكل ما تكره رائحته ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء مستقبل القبلة ويقول بسم الله الرحمن الرحيم قال صلى الله عليه وسلم « لا وضوء لمن لم يسم الله تعالى[٧] » أى لا وضوء كامل ويقول عند ذلك أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ثم يغسل يديه ثلاثا قبل أن يدخلهما الإناء ويقول اللهم إنى أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة ثم ينوى رفع الحدث أو استباحة الصلاة ويستديم النية إلى غسل الوجه فان نسيها عند الوجه لم يجزه ثم يأخذ غرفة فيه بيمينه فيتمضمض بها ثلاثا ويغرغر بأن يرد الماء إلى الغلصمة إلا أن يكون صائما فيرفق ويقول اللهم أعنى على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ثم يأخذ غرفة لأنفه ويستنشق ثلاثا ويصعد الماء بالنفس إلى خياشيمه ويستنثر ما فيها ويقول فى الاستنشاق اللهم أوجد لى رائحة الجنة وأنت عنى راض وفى الاستنثار اللهم إنى أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار لأن الاستنشاق إيصال والاستنثار إزالة ثم يغرف غرفة لوجهه فيغسله من مبدإ سطح الجبهة إلى منتهى ما يقبل من الذقن فى الطول ومن الأذن إلى الأذن فى العرض ولا يدخل فى حد الوجه الزنمتان اللتان على طرفى الجبينين فهما من الرأس ويوصل الماء إلى موضع التحذيف وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو القدر الذى يقع فى جانب الوجه مهما وضع طرف الخيط على رأس الأذن والطرف الثانى على زاوية الجبين ويوصل الماء إلى منابت الشعور الأربعة الحاجبان والشاربان والعذاران والأهداب لأنها خفيفة فى الغالب والعذاران هما ما يوازيان الأذنين من مبدإ اللحية ويجب إيصال الماء إلى منابت اللحية الخفيفة أعنى ما يقبل من الوجه وأما الكثيفة فلا وحكم العنفقة حكم اللحية فى الكثافة والخفة ثم يفعل ذلك ثلاثا أو يفيض الماء على ظاهر ما استرسل

(١) حديث لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة متفق عليه من حديث أبى هريرة (٢) حديث مالى أراكم تدخلون على قلحا استاكوا البزار والبيهقى من حديث العباس بن عبد المطلب دوالبغوى من حديث تمام بن العباس والبيهقى من حديث عبد الله بن عباس وهو مضطرب (٣) حديث كان يستاك من الليل مرارا م من حديث ابن عباس (٤) حديث ابن عباس لم يزل يأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شىء رواه أحمد (٥) حديث عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم مرضاة للرب البخارى تعليقا مجزوما من حديث عائشة والنسائى وابن خزيمة موصولا قلت وصل المصنف هذا الحديث بحديث ابن عباس الذى قبله وقد رواه من حديث ابن عباس الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى شعب الايمان (٦) حديث كان أصحاب رسول الله ﷺ يروحون والسواك على آذانهم الخطيب فى كتاب أسماء من روى عن مالك وعند د ت وصححه أن زيد بن خالد كان يشهد الصلوات وسواكه على أذنه موضع القلم من أذن الكاتب (٧) حديث لا وضوء لمن لم يسم الله ت ه من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة ونقل ت عن البخارى أنه أحسن شىء فى هذا الباب.

والثانى على وجهه لو كشف للخلق كافة وأمكن بما أعد من الكلام وجرى بين الناس من عرف التخاطب كان فيه زيادة محنة وسبب فيه إهلاك أكثرهم ممن ليس من أهل ذلك المقام وذلك لغرابة العلم وكثرة غموضه ودقة معناه وعلوه فى منازل الرفعة وبعده بالجملة والتفصيل من جميع ما عهد فى عالم الملك والشهادة وخروجه عن تلك الحدود المألوفة ومباينته لكل ما نشئوا عنه ولم يشاهدوا غيره من محسوسات ومعقولات وضروريات ونظريات فلما كان لا يدرك شىء من ذلك بقياس ولا يتصور بواسطة لفظ ولا يحمل عليه مثل كما قال عز وجل: فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وحكى عن ابن عباس رحمه الله أنه قال ليس عند الناس من علم الآخرة إلا الأسماء وأراد من لم ينكشف له شىء من علمها وحقائقها

من اللحية ويدخل الأصابع فى محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما فقد روى أنه عليه السلام فعل ذلك[١] ويأمل عند ذلك خروج الخطايا من عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول عنده اللهم بيض وجهى بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهى بظلماتك يوم تسود وجوه أعدائك ويخلل اللحية الكثيفة عند غسل الوجه فانه مستحب ثم يغسل يديه إلى مرفقيه ثلاثا ويحرك الخاتم ويطيل الغرة ويرفع الماء إلى العضد فانهم يحشرون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء كذلك ورد الخبر قال عليه السلام « من استطاع أن يطيل غرته فليفعل[٢] » وروى أن الحلية تبلغ مواضع الوضوء[٣] ويبدأ باليمنى ويقول اللهم أعطنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيرا ويقول عند غسل الشمال اللهم إنى أعوذ بك أن تعطينى كتابى بشمالى أو من وراء ظهرى ثم يستوعب رأسه بالمسح بأن يبل يديه ويلصق رءوس أصابع يديه اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدمة الرأس ويمدهما إلى القفا ثم يردهما إلى المقدمة وهذه مسحة واحدة يفعل ذلك ثلاثا ويقول اللهم غشنى برحمتك وأنزل علىّ من بركاتك وأظلنى تحت ظل عرشك يوم لا ظلك إلا ظلك ثم يمسح أذنيه ظاهرها وباطنهما بماء جديد بأن يدخل مسبحتيه فى صماخى أذنيه ويدير إبهاميه على ظاهر أذنيه ثم يضع الكف على الأذنين استظهارا ويكرره ثلاثا ويقول اللهم اجعلنى من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم أسمعنى مناديا الجنة مع الأبرار ثم يمسح رقبته بماء جديد لقوله صلى الله عليه وسلم « مسح الرقبة أمان من الغل يوم القيامة[٤] » ويقول اللهم فك رقبتى من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ثم يغسل رجليه اليمنى ثلاثا ويخلل باليد اليسرى من أسفل أصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من الرجل اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمى على الصراط المستقيم يوم تزل الأقدام فى النار ويقول عند غسل اليسرى أعوذ بك أن تزل قدمى عن الصراط يوم تزل فيه أقدام المنافقين ويرفع الماء إلى أنصاف الساقين فاذا فرغ رفع رأسه إلى السماء وقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسى أستغفرك اللهم وأتوب إليك فاغفرلى وتب علىّ إنك أنت التواب الرحيم اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين واجعلنى من عبادك الصالحين واجعلنى عبدا صبورا شكورا واجعلنى أذكرك كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا يقال إن من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله تعالى ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك إلى يوم القيامة . ويكره فى الوضوء أمور منها أن يزيد على الثلاث فمن زاد فقد ظلم وأن يسرف فى الماء « توضأ عليه السلام ثلاثا وقال من زاد فقد ظلم وأساء[٥] » وقال « سيكون قوم من هذه الأمة يعتدون فى الدعاء والطهور[٦] » ويقال من وهن علم الرجل ولوعه بالماء فى الطهور[٧] وقال إبراهيم بن أدهم يقال

(١) حديث إدخاله الأصبع فى محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل أحمد من حديث أبى أمامة كان يتعاهد الماقين ورواه الدارقطنى من حديث أبى هريرة باسناد ضعيف أشربوا الماء أعينكم (٢) حديث من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل خرجاه من حديث أبى هريرة (٣) حديث تبلغ الحلية من المؤمن ما يبلغ ماء الوضوء أخرجاه من حديثه (٤) حديث مسح الرقبة أمان من الغل أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث عمر وهو ضعيف (٥) حديث توضأ ثلاثا ثلاثا وقال من زاد فقد أساء وظلم د ن واللفظ له و ه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٦) حديث سيكون قوم من هذه الأمة يعتدن فى الدعاء والطهور د ه وابن حبان و ك من حديث عبد الله بن مغفل (٧) حديث من وهن علم الرجل ولوعه فى الماء فى التطهير لم أجده أصلا .

فى الدنيا وأيضا فلو جاز الاخبار بها لغير أهلها لم يكن لهم سبيل إلى تصورها إلا على خلاف ما هى عليه بمجرد تقليد ويتطرق إليه من أهل الغفلة وذوى القصور جحود وتبعيد فلهذا أمروا بالكتم إشفاقا على من حجب من العلم ولهذا قال سيد البشر صلى الله عليه وسلم « لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم أتريدون أن يكذب الله ورسوله » وقال صلى الله عليه وسلم « ما حدث أحدكم قوما بحديث لم تصله عقولهم إلا كان عليهم فتنة » وعلى هذا يخرّج قول المشايخ إفشاء سر الربوبية كفر رزقنا الله وإياكم قلوبا واعية الخير إنه ولىّ كل صالح وإذا علمت أن الحد الأول قد تقرر علمه فى كتب الرواية والدراية وملئت منه الطروس وكثرت به فى المحافل الدروس وهو غير محجوب عن طالب ولا ممنوع عن راغب قد أمر الجهال به أن يتعلموه والعلماء

إن أول ما يبتدئ الوسواس من قبل الطهور ، وقال الحسن إن شيطانا يضحك بالناس في الوضوء يقال له الولهان ويكره أن يتعاطى اليد فيرش الماء وأن يتكلم في أثناء الوضوء وأن يلطم وجهه بالماء لطما وكره قوم التنشيف وقالوا الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهري لكن روى معاذ رضي الله عنه « أنا عليه السلام مسح وجهه بطرف ثوبه(١) » وروت عائشة رضي الله عنها « أنه صلى الله عليه وسلم كانت له منشفة(٢) » ولكن طعن في هذه الرواية عن عائشة ويكره أن يتوضأ من إناء صفر وأن يتوضأ بالماء المشمس وذلك من جهة الطب وقد روي عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما كراهية إناء الصفر وقال بعضهم أخرجت لشعبة ماء في إناء صفر فأبى أن يتوضأ منه ونقل كراهية ذلك عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما ومهما فرغ من وضوئه وأقبل على الصلاة فينبغي أن يخطر بباله أنه طهر ظاهره وهو موضع نظر الخلق فينبغي أن يستحي من مناجاة الله تعالى من غير تطهير قلبه وهو موضع نظر الرب سبحانه وليتحقق أن طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الأخلاق المذمومة والتخلق بالأخلاق الحميدة أولى وأن من يقتصر على طهارة الظاهر كمن أراد أن يدخل ملكا إلى بيته فتركه مشحونا بالقاذورات واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البراني من الدار وما أجدر مثل هذا الرجل بالتعرض للمقت والبوار والله سبحانه وتعالى أعلم .

(فضيلة الوضوء)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من توضأ فأحسن الوضوء وصلى الركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه(٣) » وفي لفظ آخر « ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه » وقال صلى الله عليه وسلم أيضا « ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ إسباغ الوضوء على المكاره ونقل الأقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ثلاث مرات(٤) » « وتوضأ صلى الله عليه وسلم مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين مرتين آتاه الله أجره مرتين وتوضأ ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي ووضوء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام(٥) » وقال ﷺ « من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه إلا ما أصاب الماء(٦) » وقال ﷺ « من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات(٧) » وقال ﷺ « الوضوء على الوضوء نور على نور(٨) » وهذا كله حث على تجديد الوضوء

(١) حديث معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم مسح وجهه بطرف ثوبه ت وقال غريب وإسناده ضعيف (٢) حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له منشفة ت وقال ليس بالقائم قال ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب شيء (٣) حديث من توضأ وأسبغ الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وفي لفظ آخر لم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه ابن المبارك في كتاب الزهد والرقائق باللفظين معا وهو متفق عليه من حديث عثمان بن عفان دون قوله بشيء من الدنيا ودون قوله لم يسه فيهما و د من حديث زيد بن خالد ثم صلى ركعتين لا سهو فيهما الحديث (٤) حديث ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات الحديث م عن أبي هريرة (٥) حديث توضأ مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به الحديث ه من حديث ابن عمر باسناد ضعيف (٦) حديث من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله الحديث الدارقطني من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف (٧) حديث من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات د ت ه من حديث ابن عمر باسناد ضعيف (٨) حديث الوضوء على الوضوء نور على نور لم أجد له أصلا .

أن يبذلوه ويملوه فلا نعيد فيه ههنا قولا ولما كان حكم الحد الثالث الكتم تارة وتسكيت الكلام عنه مع غير أهله على كل حال لم يكن لنا سبيل إلى تعدي محدودات الشرع فلنكن العنان إلى الكلام بالذي يليق بهذا الحال والمقام فنقول : أرباب المقام الثالث في التوحيد وهم المقربون على ثلاثة أصناف ، وعلى الجملة فكلهم نظروا إلى المخلوقات فرأوا علامات الحدوث فيها لائحة وعاينوا حالات الافتقار إلى الله تعالى عليهم واضحة وسمعوا جميعها تدل على توحيده وتفريده راشدة ناصحة ثم رأوا الله تعالى بإيمان قلوبهم ، وشاهدوه بغيب أرواحهم ولاحظوا جلاله وجماله بخفي أسرارهم وهم مع ذلك في درجات القرب على قدر حظ كل واحد منهم في اليقين وصفاء القلب وهؤلاء الأصناف الثلاثة إنما عرفوا الله سبحانه بمخلوقاته

وقال عليه السلام « إذا توضأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره فاذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت أذنيه وإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة له[1] » ويروى « إنّ الطاهر كالصائم[2] » قال عليه الصلاة والسلام « من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء[3] » وقال عمر رضى الله عنه: إنّ الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان وقال مجاهد من استطاع أن لايبيت إلا طاهرا ذاكرا مستغفرا فليفعل فانّ الأرواح تبعث على ماقبضت عليه .

(كيفية الغسل)

وهو أن يضع الإناء عن يمينه ثم يسمى الله تعالى ويغسل يديه ثلاثا ثم يستنجى كما وصفت لك ويزيل ماعلى بدنه من نجاسة إن كانت ثم يتوضأ وضوءه للصلاة كما وصفنا إلا غسل القدمين فانه يؤخرهما فان غسلهما ثم وضعهما على الأرض كان إضاعة للماء ثم يصب الماء على رأسه ثلاثا ثم على شقه الأيمن ثلاثا ثم على شقه الأيسر ثلاثا ثم يدلك ماأقبل من بدنه وماأدبر ويخلل شعر الرأس واللحية ويوصل الماء إلى منابت ما كثف منه أو خف وليس على المرأة نقض الضفائر إلا إذا علمت أن الماء لايصل إلى خلال الشعر ويتعهد معاطف البدن وليتق أن يمس ذكره فى أثناء ذلك فان فعل ذلك فليعد الوضوء وإن توضأ قبل الغسل فلا يعيده بعد الغسل فهذه سنن الوضوء والغسل ذكرنا منها مالابد لسالك طريق الآخرة من علمه وعمله وماعداه من المسائل التى يحتاج إليها فى عوارض الأحوال فليرجع فيها إلى كتب الفقه والواجب من جملة ماذكرناه فى الغسل أمران النية واستيعاب البدن بالغسل. وفرض الوضوء النية وغسل الوجه وغسل اليدين إلى المرفقين ومسح ماينطلق عليه الاسم من الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين والترتيب ، وأما الموالاة فليست بواجبة والغسل الواجب بأربعة بخروج المنىّ والتقاء الختانين والحيض والنفاس وماعداه من الأغسال سنة كغسل العيدين والجمعة والأعياد والاحرام والوقوف بعرفة ومزدلفة ولدخول مكة وثلاثة أغسال أيام التشريق ولطواف الوداع على قول والكافر إذا أسلم غير جنب والمجنون إذا أفاق ولمن غسل ميتا فكل ذلك مستحب.

(كيفية التيمم)

من تعذر عليه استعمال الماء لفقده بعد الطلب أو بمانع له عن الوصول إليه من سبع أو حابس أو كان الماء الحاضر يحتاج إليه لعطشه أو لعطش رفيقه أو كان ملكا لغيره ولم يبعه إلا بأكثر من ثمن المثل أو كان به جراحة أو مرض وخاف من استعماله فساد العضو أو شدة الضنا فينبغى أن يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب طاهر خالص لين بحيث يثور منه غبار ويضرب عليه

(١) حديث إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه الحديث د ه من حديث الصنابحى إسناده صحيح ولكن اختلف فى صحته وعند م من حديث أبى هريرة وعمرو بن عنبسة نحوه مختصرا (٢) حديث الطاهر النائم كالصائم أبو منصور الديلمى من حديث عمرو بن حريث الطاهر النائم كالصائم القائم وسنده ضعيف (٣) حديث من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله الحديث د من حديث عقبة بن عامر وهو عند م دون قوله ثم رفع هكذا عزاه المزى فى الأطراف وقد رواه فى اليوم والليلة من رواية عقبة بن عامر وكذا رواه الدارمى فى مسنده .

وانقسامهم فى تلك المعرفة كانقسام حفاظ تلاوة القرآن مثلا فمن حافظ لبعضه ويكون ذلك البعض أكثر أو كثيرا منه دون كماله ومن حافظ لجميعه لكنه متلعثم فيه متوقف على الانهمار فى قراءته ومن حافظ فى تلاوته غير متوقف فى شئ منه وكلهم ينسب إليه ويعد فى المشهد والمغيب من أهله وكذلك أهل هذه المرتبة أيضا منهم متوصل إلى المعرفة من قراءة صفحات أكثر المخلوقات أو كثير منها وربما كان فيما يقرأ من الصفحات مايغم عليه ومن قارئ لجميعها متفهم لها لكن بنوع تعب ولزوم فكرة ومداومة عبرة ومن ماهر فى قراءتها مستخرج لرموزها ناقد البصيرة فى رؤية حقيقتها مفتوح السمع تناطقه الأشياء فى فراغه وشغله وبحسب ذلك اختلفت أحوالهم فى الخوف والرجاء والقبض والبسط

كفيه ضاما بين أصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة وينوى عند ذلك استباحة الصلاة ولا يكلف إيصال الغبار إلى ماتحت الشعور خفت أو كثفت ويجتهد أن يستوعب بشرة وجهه بالغبار ويحصل ذلك بالضربة الواحدة فان عرض الوجه لايزيد على عرض الكفين ويكفى فى الاستيعاب غالب الظن ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية يفرج بين أصابعه ثم يلصق ظهور أصابع يده اليمنى ببطون أصابع يده اليسرى بحيث لايجاوز أطراف الأنامل من إحدى الجهتين عن المسبحة من الأخرى ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده الأيمن إلى المرفق ثم يقلب بطن كفه اليسرى على باطن ساعده الأيمن ويمرها إلى الكوع ويمر بطن إبهامه اليسرى على ظاهر إبهامه اليمنى ثم يفعل باليسرى كذلك ثم يمسح كفيه ويخلل بين أصابعه وغرض هذا التكليف تحصيل الاستيعاب إلى المرفقين بضربة واحدة فان عسر عليه ذلك فلا بأس بأن يستوعب بضربتين وزيادة وإذا صلى به الفرض فله أن يتنفل كيف شاء فان جمع بين فريضتين فينبغى أن يعيد التيمم للثانية وهكذا يفرد كل فريضة بتيمم والله أعلم .

(القسم الثالث : فى النظافة والتنظيف عن الفضلات الظاهرة، وهى نوعان أوساخ وأجزاء)

(النوع الأول : الأوساخ والرطوبات المترشحة وهى ثمانية)

الأول مايجتمع فى شعر الرأس من الدرن والقمل فالتنظيف عنه مستحب بالغسل والترجيل والتدهين إزالة للشعث عنه «وكان صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر ويرجله غبا ويأمر به[1]» ويقول عليه الصلاة والسلام: «ادهنوا غبا[2]» وقال عليه الصلاة والسلام «من كان له شعرة فليكرمها[3]» أى ليصنها عن الأوساخ «ودخل عليه رجل ثائر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل أحدكم كأنه شيطان»[4] الثانى مايجتمع من الوسخ فى معاطف الأذن والمسح يزيل مايظهر منه ومايجتمع فى قعر الصماخ فينبغى أن ينظف برفق عند الخروج من الحمام فان كثرة ذلك ربما تضر بالسمع. الثالث مايجتمع فى داخل الأنف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبه ويزيلها بالاستنشاق والاستنثار . الرابع مايجتمع على الاسنان وطرف اللسان من القلح فيزيله السواك والمضمضة وقد ذكرناها . الخامس مايجتمع فى اللحية من الوسخ والقمل إذا لم يتعهد ويستحب إزالة ذلك بالغسل والتسريح بالمشط وفى الخبر المشهور أنه صلى الله عليه وسلم «كان لايفارقه المشط والمدرى والمرآة فى سفر ولا حضر[5]» وهى سنة العرب وفى خبر غريب أنه صلى الله عليه وسلم كان يسرح لحيته فى اليوم مرتين[6] وكان صلى الله عليه وسلم كث اللحية[7] وكذلك كان أبو بكر وكان عثمان طويل اللحية رقيقها

(١) حديث كان يدهن الشعر ويرجله غبا الترمذى فى الشمائل باسناد ضعيف من حديث أنس كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته وفى الشمائل أيضا باسناد حسن من حديث صحابى لم يسم أنه عليه الصلاة والسلام كان يترجل غبا (٢) حديث ادهنوا غبا قال ابن الصلاح لم أجد له أصلا وقال النووى غير معروف وعند د ت ن من حديث عبد الله بن مغفل النهى عن الترجل إلا غبا باسناد صحيح (٣) حديث من كانت له شعرة فليكرمها من حديث أبى هريرة وقال به شعر فليكرمه وليس إسناده بالقوى (٤) حديث دخل عليه رجل ثائر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره الحديث د ت وابن حبان من حديث جابر باسناد جيد (٥) حديث كان لايفارقه المشط والمدرى فى سفر ولا حضر ابن طاهر فى كتاب صفة التصوف من حديث أبى سعيد كان لايفارق مصلاه سواكه ومشطه ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة وإسنادها ضعيف وسيأتى فى آداب السفر مطولا (٦) حديث كان يسرح لحيته كل يوم مرتين تقدم حديث أنس كان يكثر تسريح لحيته وللخطيب فى الجامع من حديث الحكم مرسلا كان يسرح لحيته بالمشط (٧) حديث كان كث اللحية ت فى الشمائل من حديث هند ابن أبى هالة وأبو نعيم فى دلائل النبوة من حديث على وأصله عند ت .

والفناء والبقاء ولامزيد على هذا المثال فهو أصلح لذوى الأفهام من شمس النهار وقت الزوال وعلمت لم سمى أهل هذه المرتبة مقربين فذلك لبعدهم عن ظلمات الجهل وقربهم من أنوار المعرفة والعلم ولا أبعد من الجاهل ولا أقرب من العارف العالم والقرب والبعد ههنا عبارتان عن حالتين على سبيل التجوز فى لسان الجمهور وعلى الحقيقة عند المستعملين لهما فى هذا الفن احدى الحالتين عماء البصيرة وانطماس القلب والخلو عن معرفة الرب سبحانه وتعالى ويسمى هذا بعدا مأخوذا من البعد عن محل الراحة والمنزل الواجب وموضع العمارة والأنس والانقطاع فى مهامه القفر وأمكنة الخوف ومظان الانفراد والوحشة والحالة الثانية عبارة عن اتقاد الباطن واشتعال القلب وانفساح الصدر بنور اليقين والمعرفة

وكان علىّ عريض اللحية قدملأت مابين منكبيه وفى حديث أغرب منه قالت عائشة رضى الله عنها « اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فرأيته يطلع فى الحب يسوى من رأسه ولحيته فقلت أوتفعل ذلك يارسول الله ؟ فقال : نعم إن الله يحبّ من عبده أن يتجمل لإخوانه إذاخرج إليهم[1] » والجاهل ربما يظن أن ذلك من حب التزين للناس قياسا على أخلاق غيره وتشبيها للملائكة بالحدادين وهيهات فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمورا بالدعوة وكان من وظائفه أن يسعى فى تعظيم أمر نفسه فى قلوبهم كيلا تزدريه نفوسهم ويحسن صورته فى أعينهم كيلا تستصغره أعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك فى تنفيرهم وهذا القصد واجب على كل عالم تصدى لدعوة الخلق إلى الله عز وجل وهو أن يراعى من ظاهره مالا يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد فى مثل هذه الأمور على النية فانها أعمال فى أنفسها تكتسب الأوصاف من المقصود فالتزين على هذا القصد محبوب وترك الشعث فى اللحية إظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور وتركه شغلا بما هو أهم منه محبوب وهذه أحوال باطنة بين العبد وبين الله عز وجلّ والناقد بصير والتلبيس غير رابح عليه بحال وكم من جاهل يتعاطى هذه الأمور التفاتا إلى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى غيره ويزعم أن قصده الخير فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون أن قصدهم إرغام المبتدعة والمجادلين والتقرب إلى الله تعالى به وهذا أمر ينكشف ـ يوم تبلى السرائر ـ ويوم يبعثر مافى القبور ويحصل مافى الصدور ، فعند ذلك تتميز السبيكة الخالصة من البهرجة فنعوذ بالله من الخزى يوم العرض الأكبر . السادس وسخ البراجم وهى معاطف ظهور الأنامل كانت العرب لاتكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع فى تلك الغضون وسخ فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسل البراجم[2] . السابع تنظيف الرواجب[3] أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العرب بتنظيفها وهى رءوس الأنامل وما تحت الأظفار من الوسخ لأنها كانت لا يحضرها المقراض فى كل وقت فتجتمع فيها أوساخ فوقت لهم رسول الله ﷺ قلم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة أربعين يوما[4] لكنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيف ما تحت الأظفار[5] وجاء فى الأثر « أن النبى صلى الله عليه وسلم استبطأ الوحى فلما هبط عليه جبريل عليه السلام قال له كيف ننزل عليكم وأنتم لاتغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم وقلحا لاتستاكون مر أمتك بذلك[6] » والأف وسخ الظفر والتف وسخ الأذن وقوله عز وجل ـ فلاتقل لهما أفّ ـ تعبهما أى عا

(١) حديث عائشة اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فرأيته يطلع فى الحب يسوى من رأسه ولحيته ابن عدى وقال حديث منكر (٢) حديث الأمر بغسل البراجم الترمذى الحكيم فى النوادر من حديث عبد الله بن بسر نقوا براجمكم ولابن عدى فى حديث لأنس وأن يتعاهد البراجم إذاتوضأ ولمسلم من حديث عائشة عشر من الفطرة وفيه وغسل البراجم (٣) حديث الأمر بتنظيف الرواجب أحمد من حديث ابن عباس أنه قيل له يارسول الله لقد أبطأ عنك جبريل فقيل ولم لايبطئ وأنتم لاتستنون ولا تقلمون أظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم وفيه إسماعيل بن عياش (٤) حديث التوقيت فى قلم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة أربعين يوما م من حديث أنس (٥) حديث الأمر بتنظيف ماتحت الأظفار الطبرانى من حديث وابصة بن سعيد سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن كل شىء حتى سألته عن الوسخ الذى يكون بين الأظفار فقال دع مايريبك إلى مالا يريبك (٦) حديث استبطاء الوحى فلما هبط عليه جبريل قال له كيف ننزل عليكم وأنتم لاتغسلون براجمكم ولاتنظفون رواجبكم تقدم قبل هذا بحديثين

والعقل وعمارة البيت بمشاهدة ماغاب عنه أهل الغفلة واللهو ولكنه يدل على أنه لم يصل لعلك تقول أرى بعض أئمة الكلام عن لحوق هذا المقام كأن لم يضربوا فيه بسهم ولم يفز قدحهم منه بحظ ولاسهم وأراهم عند الجمهور فى الظاهر وعند أنفسهم أنهم أهل الدلالة على الله تعالى وقادة الخلق إلى مراشدهم ومجاهدون أرباب النحل المردية والملل الضالة المهلكة وقد سبق فى الإحياء أنهم مع العوام فى الاعتقاد سواء وإنما فارقوهم بإحسانهم حراسة عقودهم . فاعلم أن مارأيت فى الإحياء صحيح ولكن بقى فى كشفه أمر لايخفى على المستبصرين ولا يغيب عن الشاذين إذا كانوا منصفين وهو أن المتكلمين من حيث صناعة الكلام فقط لم يفارقوا عقود العوام وإنما فارقوهم بالجدل عن الانخرام. والجدل علم لفظى وأكثره

ت الظفر من الوسخ وقيل لا تتأذ بهما كما تتأذى بما تحت الظفر . الثامن الدرن الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله الحمام ولا بأس بدخول الحمام ، دخل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام وقال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روى ذلك عن أبي الدرداء وأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهما وقال بعضهم بئس البيت بيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحياء فهذا تعرض لآفته وذاك تعرض لفائدته ولا بأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات ، فعليه واجبان في عورته وواجبان في عورة غيره أما الواجبان في عورته فهو أن يصونها عن نظر الغير ويصونها عن مس الغير فلا يتعاطى أمرها وإزالة وسخها إلا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة إلى العانة وفي إباحة مس ما ليس بسوأة لإزالة الوسخ احتمال ولكن الأقيس التحريم إذ الحق مس السوأتين في التحريم بالنظر فكذلك ينبغي أن تكون بقية العورة أعني الفخذين ، والواجبان في عورة الغير أن يغض بصر نفسه عنها وأن ينهى عن كشفها لأن النهي عن المنكر واجب وعليه ذكر ذلك وليس عليه الغسل ولا يسقط عنه وجوب الذكر إلا لخوف ضرب أو شتم أو ما يجري عليه مما هو حرام في نفسه فليس عليه أن ينكر حراما يرهق المنكر عليه إلى مباشرة حرام آخر فأما قوله اعلم أن ذلك لا يفيد ولا يعمل به فهذا لا يكون عذرا بل لا بد من الذكر فلا يخلو قلب عن التأثر من سماع الانكار واستشعار الاحتراز عند التعيير بالمعاصي وذلك يؤثر في تقبيح الأمر في عينه وتنفير نفسه عنه فلا يجوز تركه ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام في هذه الأوقات إذ لا تخلو عن عورات مكشوفة لاسيما ما تحت السرة إلى ما فوق العانة إذ الناس لا يعدونها عورة وقد ألحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحريم لها ولهذا يستحب تخلية الحمام وقال بشر بن الحرث ما أعنف رجلا لا يملك إلا درهما دفعه ليخلي له الحمام ورؤي ابن عمر رضي الله عنهما في الحمام ووجهه إلى الحائط وقد عصب عينيه بعصابة وقال بعضهم لا بأس بدخول الحمام ولكن بإزارين إزار للعورة وإزار للرأس يتقنع به ويحفظ عينيه . وأما السنن فعشرة : فالأول النية وهو أن لا يدخل لعاجل دنيا ولا عابثا لأجل هوى بل يقصد به التنظف المحبوب تزينا للصلاة ثم يعطي الحمامي الأجرة قبل الدخول فإن ما يستوفيه مجهول وكذا ما ينتظره الحمامي فتسليم الأجرة قبل الدخول دفع للجهالة من أحد العوضين وتطييب لنفسه ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ثم يدخل الخلوة أو يتكلف تخلية الحمام فإنه إن لم يكن في الحمام إلا أهل الدين والمحتاطين للعورات فالنظر إلى الأبدان مكشوفة فيه شائبة من قلة الحياء وهو مذكر للنظر في العورات ثم لا يخلو الانسان في الحركات عن انكشاف العورات بانعطاف في أطراف الإزار فيقع البصر على العورة من حيث لا يدري ولأجله عصب ابن عمر رضي الله عنهما عينيه ، ويغسل الجناحين عند الدخول ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق في الأول وأن لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فإنه المأذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه الحمامي لكرهه لاسيما الماء الحار فله مئونة وفيه تعب وأن يتذكر حر النار بحرارة الحمام ويقدر نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويقيسه إلى جهنم فإنه أشبه بيت بجهنم النار من تحت والظلام من فوق نعوذ بالله من ذلك ، بل العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة في لحظة فإنها مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه من ماء أو نار أو غيرهما عبرة وموعظة فإن المرء ينظر بحسب همته فإذا دخل بزاز ونجار وبناء وحائك دارا معمورة مفروشة فإذا تفقدتهم رأيت البزاز ينظر إلى الفرش يتأمل قيمتها والحائك ينظر إلى الثياب يتأمل نسجها والنجار ينظر إلى السقف يتأمل كيفية تركيبها

احتيال وتهي وهو عمل النفس وتخليق الهمم وليس بثمرة المشاهدة والكشف ولأجل هذا كان فيه السمين والغث وشاع في حال النضال إيراد القطعي وما هو حكمه من غلبة الظن وإبداء الصحيح وإلزام مذهب الخصم والمقام المشار إليه بالذكر وشبهه إنما هو علم التوحيد وفهم الأحوال ومعرفته باليقين التام والعلم الضارع الضروري بأن لا إله إلا الله إذ لا فاعل غيره ولا حاكم في الدارين سواه ومشاهدة القلوب لما حجب من الغيوب ومن أين للنازل طي المنازل وما العلم الكلام مثل هذا المقام بل هو من خدام الشرع وحراس متبعيه من أهل الاختلاس والقطع وله مقام على قدره ويقطع به ولكن ليس عن مطالع الأنوار ومدارك الاستبصار والمدار في أوقات الضرورات والاختيار

والبناء ينظر إلى الحيطان يتأمل كيفية إحكامها واستقامتها فكذلك سالك طريق الآخرة لايرى من الأشياء شيئا إلا ويكون له موعظة وذكرى للآخرة بل لاينظر إلى شيء إلا ويفتح الله عزّ وجلّ له طريق عبرة فان نظر إلى سواد تذكر ظلمة اللحد وإن نظر إلى حية تذكر أفاعى جهنم وإن نظر إلى صورة قبيحة شنيعة تذكر منكرا ونكيرا والزبانية وإن سمع صوتا هائلا تذكر نفخة الصور وإن رأى شيئا حسنا تذكر نعيم الجنة وإن سمع كلمة رد أو قبول فى سوق أودار تذكر ماينكشف من آخر أمره بعد الحساب من الرد والقبول وما أجدر أن يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل إذ لايصرفه عنه إلا مهمات الدنيا فاذا نسب مدة المقام فى الدنيا إلى مدة المقام فى الآخرة استحقرها إن لم يكن ممن أغفل قلبه وأعميت بصيرته . ومن السنن أن لايسلم عند الدخول وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت ان أجاب غيره وان أحب قال عافاك الله ولا بأس بأن يصافح الداخل ويقول عافاك الله لابتداء الكلام . ثم لا يكثر الكلام فى الحمام ولا يقرأ القرآن الاسرا ولا بأس باظهار الاستعاذة من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشاءين وقريبا من الغروب فان ذلك وقت انتشار الشياطين ولا بأس بأن يدلكه غيره فقد نقل ذلك عن يوسف بن أسباط أوصى بأن يغسله انسان لم يكن من أصحابه وقال إنه دلكنى فى الحمام مرة فأردت أن أكافئه بما يفرح به وإنه ليفرح بذلك ويدل على جوازه ماروى بعض الصحابة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا فى بعض أسفاره فنام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره فقلت ماهذا يارسول الله؟ فقال إن الناقة تقحمت بى (١) » ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله عزّ وجلّ على هذه النعمة فقد قيل الماء الحار فى الشتاء من النعيم الذى يسأل عنه وقال ابن عمر رضى الله عنهما: الحمام من النعيم الذى أحدثوه هذا من جهة الشرع. أما من جهة الطب فقد قيل الحمام بعد النورة أمان من الجذام ، وقيل النورة فى كل شهر مرة تطفئ المرة الصفراء وتنقى اللون وتزيد فى الجماع ، وقيل بولة فى الحمام قائما فى الشتاء أنفع من شربة دواء ، وقيل نومة فى الصيف بعد الحمام تعدل شربة دواء وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام أمان من النقرص ويكره صبّ الماء البارد على الرأس عند الخروج وكذا شربه هذا حكم الرجال . وأما النساء فقد قال صلى الله عليه وسلم «لايحل للرجل أن يدخل حليلته الحمام (٢) » وفى البيت المستحم والمشهور أنه حرام على الرجال دخول الحمام إلا بمئزر (٣) وحرام على المرأة دخول الحمام إلا نفساء أو مريضة ودخلت عائشة رضى الله عنها حماما من سقم بها فان دخلت لضرورة فلا تدخل الا بمئزر سابغ ويكره للرجل أن يعطيها أجرة الحمام فيكون معينا لها على المكروه .

(النوع الثانى فيما يحدث فى البدن من الأجزاء وهى ثمانية)

الأوّل شعر الرأس ولا بأس بحلقه لمن أراد التنظيف ولا بأس بتركه لمن يدهنه ويرجله إلا إذا تركه قزعا أى قطعا وهو دأب أهل الشطارة أو أرسل الذوائب على هيئة أهل الشرف حيث صار ذلك

(١) حديث نزل منزلا فى بعض أسفاره فنام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره الحديث الطبرانى فى الأوسط من حديث عمر بسند ضعيف (٢) حديث لايحل لرجل أن يدخل حليلته الحمام الحديث يأتى فى الذى يليه مع اختلاف (٣) حديث حرام على الرجال دخول الحمام الا بمئزر الحديث النسائى والحاكم وصححه من حديث جابر من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام وللحاكم من حديث عائشة الحمام حرام على نساء أمتى قال صحيح الاسناد ولأبى داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر فلا يدخلها الرجال بالازار وامنعوها النساء إلا من مريضة أو نفساء .

وبين مايراد لوقت حاجته إن دعت وخصام صاحب بدعة ومناضلة ذى ضلالة بما ينغص على ذوى اليقين العيش ويشغل الذهن ويكدر النفس وما أهله الذين حفظ عنهم ووقع علمه فيما مضى من الزمان إليهم لانقول فى أكثرهم إنهم لايحسنون غيره ولا يختصون بالتوحيد بمقام سواه بما هو أعلى منه بل الظن بهم أنهم علماء مثل ماذكرنا فهم نصراء لكنهم لم يبدوا من العلم فى الظاهر إلا ما كانت الحاجة إليه أمسّ والمصلحة به لتوجه الضرورة أعم وأوكد ولما كان نجم فى وقتهم من البدع وظهر من الأهواء وشاع من تشتيت كلمة أهل الحق وتجرؤ العوامّ مع كل ناعق فرأوا الردّ عليهم والمنازعة لهم والسعى فى اجتماع الكلمة على السنة بعد افتراقها وإهلاك ذوى الكيد فى احتيالهم وإخماد نارهم الذين هم أهل

شعارا لهم فانه اذا لم يكن شريفا كان ذلك تلبيسا . الثانى شعر الشارب وقد قال صلى الله عليه وسلم «قصوا الشارب» وفى لفظ آخر «جزوا الشوارب» وفى لفظ آخر «حفوا الشوارب وأعفوا اللحى[1]» أى اجعلوها حفاف الشفة أى حولها وحفاف الشئ حوله ومنه ـ وترى الملائكة حافين من حول العرش ـ وفى لفظ آخر احفوا وهذا يشعر بالاستئصال وقوله حفوا يدل على مادون ذلك قال الله عز وجل ـ إن يسئلكموها فيحفكم تبخلوا ـ أى يستقصى عليكم وأما الحلق فلم يرد والاحفاء القريب من الحلق نقل عن الصحابة نظر بعض التابعين إلى رجل أحفى شاربه فقال ذكرتنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال المغيرة بن شعبة « نظر إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربى فقال تعال فقصه لى على سواك[2]» ولا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر وغيره لأن ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام إذ لا يصل إليه وقوله صلى الله عليه وسلم أعفوا اللحى أى كثروها وفى الخبر «أن اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم[3] فخالفوهم» وكره بعض العلماء الحلق ورآه بدعة . الثالث شعر الابط ويستحب نتفه فى كل أربعين يوما مرة وذلك سهل على من تعوّد نتفه فى الابتداء فأما من تعوّد الحلق فيكفيه الحلق إذ فى النتف تعذيب وإيلام والمقصود النظافة وأن لا يجتمع الوسخ فى خللها ويحصل ذلك بالحلق . الرابع شعر العانة ويستحب إزالة ذلك إما بالحلق أو بالنورة ولا ينبغى أن تتأخر عن أربعين يوما . الخامس الأظفار وتقليمها مستحب لشناعة صورتها إذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أبا هريرة قلم أظفارك فان الشيطان يقعد على ماطال منها[4]» ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضوء لأنه لا يمنع وصول الماء ولأنه يتساهل فيه للحاجة لاسيما فى أظفار الرجل وفى الأوساخ التى تجتمع على البراجم وظهور الأرجل والأيدى من العرب وأهل السواد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهم بالقلم وينكر عليهم مايرى تحت أظفارهم من الأوساخ ولم يأمرهم باعادة الصلاة ولو أمر به لكان فيه فائدة أخرى وهو التغليظ والزجر عن ذلك ولم أر فى الكتب خبرا مرويا فى ترتيب قلم الأظفار ولكن سمعت « أنه صلى الله عليه وسلم بدأ بمسبحته اليمنى وختم بابهامه اليمنى وابتدأ باليسرى بالخنصر إلى الإبهام[5]» ولما تأملت فى هذا خطر لى من المعنى مايدل على أن الرواية فيه صحيحة إذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتداء إلا بنور النبوّة وأما العالم ذو البصيرة فغايته أن يستنبطه من العقل بعد نقل الفعل إليه فالذى لاح لى فيه والعلم عند الله سبحانه أنه لا بد من قلم أظفار اليد والرجل واليد أشرف من الرجل فيبدأ بها ثم اليمنى أشرف من اليسرى فيبدأ بها ثم على اليمنى خمسة أصابع والمسبحة أشرفها إذ هى المشيرة

(١) حديث قصوا وفى لفظ جزوا وفى لفظ احفوا الشوارب وأعفوا اللحى متفق عليه من حديث ابن عمر بلفظ أحفوا ولمسلم من حديث أبى هريرة جزوا ولأحمد من حديثه قصوا (٢) حديث المغيرة ابن شعبة نظر إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربى فقال تعال فقصه لى على سواك د ن ت فى الشمائل (٣) حديث إن اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم أحمد من حديث أبى أمامة قلنا يارسول الله إن أهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم فقال قصوا سبالكم ووفروا عثانيكم وخالفوا أهل الكتاب قلت والمشهور أن هذا فعل المجوس ففى صحيح ابن حبان من حديث ابن عمر فى المجوس انهم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم (٤) حديث يا أبا هريرة قلم ظفرك فان الشيطان يقعد على ماطال منها الخطيب فى الجامع باسناد ضعيف من حديث جابر قصوا أظافيركم فان الشيطان يجرى مابين اللحم والظفر (٥) حديث البداءة فى قلم الأظفار بمسبحة اليمنى والختم بابهامها وفى اليسرى بالخنصر إلى الابهام لم أجد له أصلا وقد أنكره أبو عبد الله المازرى فى الرد على الغزالى وشنع عليه به.

الأهواء والفتن وأولى بهم من الكلام بعلوم الإشارات وكشف أحوال أرباب المقامات ووصف فقه الأرواح والنفوس وتفهم كل ناطق وجامد فان هذه كلها وإن كانت أسنى وأعلى فان ذلك من علم الخواص وهم مكفيون المؤنة والعامة أحق بالحفظ وعقائدهم أولى بالحراسة واستنقاذ من يخاف عليه الهلاك أولى من مؤانسة وحيد والتصديق على ذى بلغة من العيش فكيف إن كان عن غناء وأيضا فان علم الكلام إنما يراد كما قلنا للجدال وهو يقع من العلماء العارفين مع أهل الالحاد والزيغ لقصورهم عن ملاحظة الحق موضع السيف للأنبياء والمرسلين عليهم السلام بعد التبليغ مع أهل العناد والتمادى على الغى وسبيل الفساد فكما لا يقال السيف أبلغ حجة النبى صلى الله عليه وسلم كذلك لا يقال علم الكلام والجدال أبلغ مقام من ظهر منه من العلماء

فى كلمتى الشهادة من جملة الأصابع ثم بعدها ينبغى أن يبتدئ بما على يمينها إذ الشرع يستحب إدارة الطهور وغيره على اليمنى وإن وضعت ظهر الكف على الأرض فالابهام هو اليمين وإن وضعت بطن الكف فالوسطى هى اليمنى واليد إذا تركت بطبعها كان الكف مائلا إلى جهة الأرض إذ جهة حركة اليمين إلى اليسار واستتمام الحركة إلى اليسار يجعل ظهر الكف عاليا فما يقتضيه الطبع أولى ثم إذا وضعت الكف على الكف صارت الأصابع فى حكم حلقة دائرة فيقتضى ترتيب الدور الذهاب عن يمين المسبحة إلى أن يعود إلى المسبحة فتقع البداءة بخنصر اليسرى والختم بإبهامها ويبقى إبهام اليمنى فيختم به التقليم وإنما قدرت الكف موضوعة على الكف حتى تصير الأصابع كأشخاص فى حلقة ليظهر ترتيبها وتقدير ذلك أولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف أو وضع ظهر الكف على ظهر الكف فان ذلك لا يقتضيه الطبع . وأما أصابع الرجل فالأولى عندى إن لم يثبت فيها نقل أن يبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كما فى التخليل فان المعانى التى ذكرناها فى اليد لا تتجه ههنا إذ لا مسبحة فى الرجل وهذه الأصابع فى حكم صف واحد ثابت على الأرض فيبدأ من جانب اليمنى فان تقديرها حلقة بوضع الأخمص على الأخمص يأباه الطبع بخلاف اليدين وهذه الدقائق فى الترتيب تنكشف بنور النبوة فى لحظة واحدة وإنما يطول التعب علينا ثم لو سئلنا ابتداء عن الترتيب فى ذلك ربما لم يخطر لنا وإذا ذكرنا فعله صلى الله عليه وسلم وترتيبه ربما تيسر لنا بما عاينه صلى الله عليه وسلم بشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى استنباط المعنى ولا تظنن أن أفعاله ﷺ فى جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب بل جميع الأمور الاختيارية التى ذكرناها يتردد فيها الفاعل بين قسمين أو أقسام كان لا يقدم على واحد معين بالاتفاق بل بمعنى يقتضى الاقدام والتقديم فان الاسترسال مهملا كما يتفق سجية البهائم وضبط الحركات بموازين المعانى سجية أولياء الله تعالى ، وكلما كانت حركات الانسان وخطراته إلى الضبط أقرب وعن الاهمال وتركه سدى أبعد كانت مرتبته إلى رتبة الأنبياء والأولياء أكثر وكان قربه من الله عز وجل أظهر إذ القريب من النبى صلى الله عليه وسلم هو القريب من الله عز وجل والقريب من الله لا بد أن يكون قريبا فالقريب من القريب قريب بالاضافة إلى غيره فنعوذ بالله أن يكون زمام حركاتنا وسكناتنا فى يد الشيطان بواسطة الهوى واعتبر فى ضبط الحركات باكتحاله صلى الله عليه وسلم « فانه كان يكتحل فى عينه اليمنى ثلاثا وفى اليسرى اثنين[1] » فيبدأ باليمنى لشرفها وتفاوته بين العينين لتكون الجملة وترا فان للوتر فضلا عن الزوج فان الله سبحانه وتر يحب الوتر فلا ينبغى أن يخلو فعل العبد من مناسبة لوصف من أوصاف الله تعالى ولذلك استحب الإيتار فى الاستجمار وإنما لم يقتصر على الثلاث وهو وتر لأن اليسرى لا يخصها إلا واحدة والغالب أن الواحدة لا تستوعب أصول الأجفان بالكحل وإنما خصص اليمين بالثلاث لأن التفضيل لا بد منه للايتار واليمين أفضل فهى بالزيادة أحق . فان قلت فلم اقتصر على اثنين لليسرى وهى زوج فالجواب أن ذلك ضرورة إذ لو جعل لكل واحدة وترا كان المجموع زوجا إذ الوتر مع الوتر زوج ورعايته الايتار فى مجموع الفعل وهو فى حكم الخصلة الواحدة أحب من رعايته فى الأحاديث ولذلك أيضا وجه وهو أن يكتحل فى كل واحدة ثلاثا على قياس الوضوء[2] وقد نقل ذلك فى الصحيح وهو الأولى ولو ذهبت أستقصى دقائق ما راعاه صلى الله عليه وسلم فى حركاته لطال الأمر فقس بما سمعته ما لم تسمعه . واعلم أن العالم لا يكون وارثا للنبى

(١) حديث كان يكتحل فى عينه اليمنى ثلاثا وفى اليسرى اثنين الطبرانى من حديث ابن عمر باسناد ضعيف (٢) حديث الاكتحال فى كل عين ثلاثا قال الغزالى ونقل ذلك فى الصحيح قلت هو عند الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس قال الترمذى حديث حسن .

وكما لا يقال فى الصدر الأول فقهاء الأمصار ومن قبلهم حين لم يحفظ عنهم فى الغالب إلا علوم أخر كالفقه والحديث والتفسير لأن الخلق أحوج إلى علم ما حفظ عنهم وذلك لغلبة الجهل على أكثرهم فلولا أن حفظ الله تعالى تلك العلوم بمن ذكرنا لجهلت العبارات وانقطع علم الشرع ونحن مع هذه الحالة نعلم أنهم عارفون بالتوحيد على جهة اليقين بغير طريق علم الكلام والجدل يتحلون بالمقامات المذكورة وإن لم يشتهر عنهم ذلك اشتهار ما أخذه عنهم الخاص والعام ومثل ذلك حالة الصحابة رضى الله عنهم بعد النبى صلى الله عليه وسلم لما خافوا دروس الإسلام وأن يضعف ويقل أهله ويرجع البلاد والعامة إلى الكفر كما كانوا أول مرة فقد مات صاحب المعجزة صلى الله عليه وسلم والمبعوث لدعوة الحق عليه

صلى الله عليه وسلم إلا إذا اطلع على جميع معانى الشريعة حتى لا يكون بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم إلا درجة واحدة وهى درجة النبوة وهى الدرجة الفارقة بين الوارث والموروث إذ الموروث هو الذى حصل المال له واشتغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذى لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل إليه وتلقاه منه بعد حصوله له فأمثال هذه المعانى مع سهولة أمرها بالاضافة إلى الأغوار والأسرار لا يستقل بدركها ابتداء إلا الأنبياء ولا يستقل باستنباطها تلقيا بعد تنبيه الأنبياء عليها إلا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء عليهم السلام . السادس والسابع زيادة السرة وقلفة الحشفة أما السرة فتقطع فى أول الولادة وأما التطهير بالختان فعادة اليهود فى اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير إلى أن يثغر الولد أحب وأبعد عن الخطر قال ﷺ « الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء(١) » وينبغى أن لا يبالغ فى خفض المرأة قال صلى الله عليه وسلم لأم عطية وكانت تخفض « يا أم عطية أشمى ولا تنهكى فانه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج(٢) » أى أكثر لماء الوجه ودمه وأحسن فى جماعها فانظر إلى جزالة لفظه صلى الله عليه وسلم فى الكناية وإلى إشراق نور النبوة من مصالح الآخرة التى هى أهم مقاصد النبوة إلى مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو أمى من هذا الأمر النازل قدره مالو وقعت الغفلة عنه خيف ضرره فسبحان من أرسله رحمة للعالمين ليجمع لهم بيمن بعثته مصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وسلم . الثامنة ما طال من اللحية وإنما أخرناها لنلحق بها ما فى اللحية من السنن والبدع إذ هذا أقرب موضع يليق به ذكرها وقد اختلفوا فيما طال منها فقيل إن قبض الرجل على لحيته وأخذ ما فضل عن القبضة فلا بأس فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبى وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة وقالا تركها عافية أحب لقوله صلى الله عليه وسلم « أعفوا اللحى » والأمر فى هذا قريب إن لم ينته إلى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب فان الطول المفرط قد يشوه الخلقة ويطلق ألسنة المغتابين بالنبذ إليه فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية . وقال النخعى عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا يأخذ من لحيته ويجعلها بين لحيتين فان التوسط فى كل شىء حسن ، ولذلك قيل كلما طالت اللحية تشعر العقل .

(فصل) وفى اللحية عشر خصال مكروهة وبعضها أشد كراهة من بعض ، خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت ونتفها ونتف الشيب منها والنقصان منها والزيادة وتسريحها تصنعا لأجل الرياء وتركها شعثة إظهارا للزهد والنظر إلى سوادها عجبا بالشباب وإلى بياضها تكبرا بعلو السن وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبها بالصالحين . أما الأول وهو الخضاب بالسواد فهو منهى عنه لقوله صلى الله عليه وسلم « خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم(٣) » والمراد بالتشبه بالشيوخ فى الوقار لا فى تبييض الشعر و « نهى عن الخضاب بالسواد(٤) » وقال « هو خضاب أهل النار(٥) » وفى لفظ آخر « الخضاب بالسواد خضاب الكفار

(١) حديث الختان سنة الرجال مكرمة النساء أحمد والبيهقى من رواية أبى المليح بن أسامة عن أبيه باسناد ضعيف (٢) حديث أم عطية أشمى ولا تنهكى الحديث الحاكم والبيهقى من حديث الضحاك بن قيس ولأبى داود نحوه من حديث أم عطية وكلاهما ضعيف (٣) حديث خير شبابكم من تشبه بكهولكم الحديث الطبرانى من حديث واثلة باسناد ضعيف (٤) حديث نهى عن الخضاب بالسواد ابن سعد فى الطبقات من حديث عمرو بن العاص باسناد منقطع ، ولمسلم من حديث جابر: وغيروا هذا بشىء واجتنبوا السواد قاله حين رأى بياض شعر أبى قحافة (٥) حديث الخضاب بالسواد خضاب أهل النار ، وفى لفظ خضاب الكفار الطبرانى والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ الكافر قال ابن أبى حاتم منكر .

الصلاة والسلام رأوا أن الجهاد والرباط فى ثغر العدو والغزو فى سبيل الله وضرب وجوه الكفر بالسيف وإدخال الناس فى دين الله أولى بهم من سائر الأعمال وأحق من تدريس العلوم كلها ظاهرا وباطنا وإنما كانت تؤخذ عنهم علوم الشرع على الأقل وهم فى حال ذلك الشغل والنظر إلى حال العموم أوكد من النظر إلى الخصوص لأن الخصوص لهم بأنفسهم عناء ولهم بحالهم قيام والعموم إن لم يكن مشتغلا بهم وإذا بدا لهم عن هلكاتهم وسائقا بهم إلى مراشدهم وصلاحهم كان الهلاك إليهم أسرع ثم لا يكون من بعد ذلك إن فسد حال العموم للخصوص قدر ولا يظهر لهم نور ولا يقدرون على شىء كامل من البر فلا خاصة إلا بعامة ولقد كانت رعاية النبى صلى الله عليه وسلم بحال الجماهير أكثر والخوف عليهم من الزيغ والضلال

وتزوج رجل على عهد عمر رضى الله عنه وكان يخضب بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبته فرفعه أهل المرأة إلى عمر رضى الله عنه فرد نكاحه وأوجعه ضربا وقال غرّرت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك ويقال أول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة (١) » الثاني الخضاب بالصفرة والحمرة وهو جائز تلبيسا للشيب على الكفار في الغزو والجهاد فان لم يكن على هذه النية بل للتشبه بأهل الدين فهو مذموم وقد قال رسول الله ﷺ « الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين (٢) » وكانوا يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة وخضب بعض العلماء بالسواد لأجل الغزو وذلك لا بأس به إذا صحت النية ولم يكن فيه هوى وشهوة . الثالث تبييضها بالكبريت استعجالا لإظهار علو السن توصلا إلى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترفعا عن الشباب وإظهارا لكثرة العلم ظنا بأن كثرة الأيام تعطيه فضلا وهيهات فلا يزيد كبر السن للجاهل إلا جهلا فالعلم ثمرة العقل وهي غريزة ولا يؤثر الشيب فيها ومن كانت غريزته الحمق فطول المدة يؤكد حماقته وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن على أكابر الصحابة ويسأله دونهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ما آتى الله عز وجل عبدا علما إلا شابا والخير كله في الشباب ثم تلا قوله عز وجل — قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم — وقوله تعالى — إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى — وقوله تعالى — وآتيناه الحكم صبيا — وكان أنس رضى الله عنه يقول « قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له يا أبا حمزة فقد أسنّ فقال لم يشنه الله بالشيب فقيل أهو شين فقال كلكم يكرهه (٣) » ويقال إن يحيى بن أكثم ولي القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة فقال له رجل في مجلسه يريد أن يخجله بصغر سنه كم سنّ القاضي أيده الله فقال مثل سنّ عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة مكة وقضاءها فأفحمه (٤) » وروى عن مالك رحمه الله أنه قال قرأت في بعض الكتب لا تغرنكم اللحى فان التيس له لحية وقال أبو عمرو بن العلاء إذا رأيت الرجل طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحمق ولو كان أمية بن عبد شمس وقال أيوب السختياني أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع

(١) حديث يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد الحديث أبو داود والنسائي من حديث ابن عباس باسناد جيد (٢) حديث الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين الطبراني والحاكم بلفظ الإفراد من حديث ابن عمر قال ابن أبي حاتم منكر (٣) حديث قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له يا أبا حمزة وقد أسنّ فقال لم يشنه الله بالشيب متفق عليه من حديث أنس دون قوله فقيل الخ ولمسلم من حديثه وسئل عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما شانه الله ببيضاء (٤) حديث يحيى بن أكثم ولي القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة فقيل له كم سن القاضي فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة مكة وقضاءها يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل حين وجه به رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل اليمن . الخطيب في التاريخ باسناد فيه نظر وما ذكره ابن أكثم صحيح بالنسبة إلى عتاب بن أسيد فانه كان حين الولاية ابن عشرين سنة وأما بالنسبة إلى معاذ فانما يتم له ذلك على قول يحيى بن سعيد الأنصاري ومالك وابن أبي حاتم إنه كان حين مات ابن ثمان وعشرين سنة والمرجح أنه مات ابن ثلاث وثلاثين سنة في الطاعون سنة ثمانية عشر والله أعلم .

والهلاك أشد واللطف بهم في تخفيف الوظائف والأخذ بالرفق أبلغ وكان أهل القوة وذووا البصائر في الحقائق يأخذون أنفسهم بالمشقات وكان هو صلى الله عليه وسلم يحب أن يعمل بالعمل من الطاعة فيما يمنعه منه أو من الداومة عليه إلا خوف أن يفرض على أمته حين علم من أكثرهم الضعف ولم يكره لهم وفيه زيادة الأجر وكثرة الثواب والقرب من الله تعالى ولكن خاف عليهم أن يقعوا في تضييع الفرض فيكون عليهم كفل من الوزر ألا ترى كيف نهى الخلق عن قيام الليل كله وكان عثمان رضى الله عنه يقومه فلم ينهه ومنع السيف من كل من أراد أخذه بما شرط عليه فيه حتى جاء من علم منه القدرة على الوفاء بما شرط عليه فأعطاه إياه وقال لعائشة رضى الله عنها لولا حدثان عهد قومك

الغلام يتعلم منه . وقال على بن الحسين من سبق فيه العلم قبلك فهو إمامك فيه وإن كان أصغر سنا منك ، وقيل لأبى عمرو بن العلاء أيحسن من الشيخ أن يتعلم من الصغير فقال إن كان الجهل يقبح به فالتعلم يحسن به وقال يحيى بن معين لأحمد بن حنبل وقد رآه يمشى خلف بغلة الشافعى يا أبا عبد الله تركت حديث سفيان بعلوه وتمشى خلف بغلة هذا الفتى وتسمع منه فقال له أحمد لو عرفت لكنت تمشى من الجانب الآخر إن علم سفيان إن فاتنى بعلو أدركته بنزول وإن عقل هذا الشاب إن فاتنى لم أدركه بعلو ولا نزول . الرابع نتف بياضها استنكافا من الشيب « وقد نهى عليه السلام عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن[1] » وهو فى معنى الخضاب بالسواد وعلة الكراهية ما سبق والشيب نور الله تعالى والرغبة عنه رغبة عن النور . الخامس نتفها أو نتف بعضها بحكم العبث والهوس وذلك مكروه ومشوه للخلقة ونتف الفنيكين بدعة وهما جانبا العنفقة . شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان ينتف فنيكيه فرد شهادته ورد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وابن أبى ليلى قاضى المدينة شهادة من كان ينتف لحيته وأما نتفها فى أول النبات تشبها بالمرد فمن المنكرات الكبار فان اللحية زينة الرجال فان لله سبحانه ملائكة يقسمون والذى زين بنى آدم باللحى وهو من تمام الخلق وبها يتميز الرجال عن النساء وقيل فى غريب التأويل اللحية هى المراد بقوله تعالى ـ يزيد فى الخلق ما يشاء ـ قال أصحاب الأحنف بن قيس وددنا أن نشترى للأحنف لحية ولو بعشرين ألفا وقال شريح القاضى وددت أن لى لحية ولو بعشرة آلاف وكيف تكره اللحية وفيها تعظيم الرجل والنظر إليه بعين العلم والوقار والرفع فى المجالس وإقبال الوجوه إليه والتقديم على الجماعة ووقاية العرض فان من يشتم يعرض باللحية إن كان للمشتوم لحية وقد قيل إن أهل الجنة مرد إلا هرون أخا موسى صلى الله عليهما وسلم فان له لحية إلى سرته تخصيصا له وتفضيلا . السادس تقصيصها كالتعبية طاقة على طاقة للتزين للنساء والتصنع قال كعب يكون فى آخر الزمان أقوام يقصون لحاهم كذنب الحمامة ويعرقبون نعالهم كالمناجل أولئك لا خلاق لهم . السابع الزيادة فيها وهو أن يزيد فى شعر العارضين من الصدغين وهو من شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللحى وينتهى إلى نصف الخد وذلك يباين هيئة أهل الصلاح . الثامن تسريحها لأجل الناس قال بشر فى اللحية شر كان تسريحها لأجل الناس وتركها متفتلة لاظهار الزهد . التاسع والعاشر النظر فى سوادها وفى بياضها بعين العجب وذلك مذموم فى جميع أجزاء البدن بل فى جميع الأخلاق والأفعال على ما سيأتى بيانه فهذا ما أردنا أن نذكره من أنواع التزين والنظافة وقد حصل من ثلاثة أحاديث من سنن الجسد اثنتا عشرة خصلة خمس منها فى الرأس وهى فرق شعر الرأس[2] والمضمضة والاستنشاق[3] وقص الشارب والسواك وثلاثة فى اليد والرجل وهى القلم

(١) حديث نهى عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن د ت وحسنه ن ه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث فرق شعر الرأس ا خ من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره إلى أن قال ثم فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه (٣) حديث عشر من الفطرة الحديث مسلم من حديث عائشة ولفظه قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاقه الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء قال وكيع يعنى الاستنجاء قال مصعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة ضعفه ن ولأبى د ه من حديث عمار بن ياسر نحوه فذكر فيه المضمضة والاختتان والانتضاح ولم يذكر إعفاء اللحية وانتقاص الماء قال د روى نحوه عن ابن عباس قال خمس كلها فى الرأس وذكر منها الفرق ولم يذكر إعفاء اللحية وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة الفطرة خمس الختان الحديث .

بالكفر لرددت البيت على قواعد إبراهيم وقال للأنصار أما ترون أن يذهب النار بالشاء والبعير فتذهبون برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم ومع ذلك فالذى حفظ عنه صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة من بعده وفقهاء الأمصار وأعيان المتكلمين من الاشارات لتلك العلوم المذكورة كثير لا يحصى وإنما القليل من حمله اليوم عنهم وتفقه مثلهم فاقصد تجد وتصد لاقتباس المعارف تعلم وطالع كتب الحديث والتواريخ ومصنفات العلوم توقن ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب .

[بيان المرتبة الرابعة]

وهو توحيد الصديقين وأما أهل المرتبة الرابعة فهم قوم رأوا الله سبحانه وتعالى وحده ثم رأوا الأشياء بعد ذلك به فلم يروا فى الدارين غيره ولا اطلعوا فى الوجود

وغسل البراجم وتنظيف الرواجب [1] وأربعة فى الجسد وهى نتف الابط والاستحداد والختان والاستنجاء بالماء فقد وردت الأخبار بمجموع ذلك وإذا كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر على هذا وليتحقق أن فضلات الباطن وأوساخه التى يجب التنظيف منها أكثر من أن تحصى وسيأتى تفصيلها فى ربع المهلكات مع تعريف الطرق فى إزالتها وتطهير القلب منها إن شاء الله عز وجل . تم كتاب أسرار الطهارة بحمد الله تعالى وعونه . ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الصلاة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

(كتاب أسرار الصلاة ومهماتها)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى غمر العباد بلطائفه وعمر قلوبهم بأنوار الدين ووظائفه التى تنزل عن عرش الجلال إلى السماء الدنيا من درجات الرحمة إحدى عواطفه فارق الملوك مع التفرد بالجلال والكبرياء بترغيب الخلق فى السؤال والدعاء فقال هل من داع فأستجيب له وهل من مستغفر فأغفر له وباين السلاطين بفتح الباب ورفع الحجاب فرخص للعباد فى المناجاة بالصلوات كيفما تقلبت بهم الحالات فى الجماعات والخلوات ولم يقتصر على الرخصة بل تلطف بالترغيب والدعوة ، وغيره من ضعفاء الملوك لا يسمح بالخلوة إلا بعد تقديم الهدية والرشوة فسبحانه ما أعظم شأنه وأقوى سلطانه وأتم لطفه وأعم إحسانه والصلاة على محمد نبيه المصطفى ووليه المجتبى وعلى آله وأصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليما . أما بعد : فان الصلاة عماد الدين وعصام اليقين ورأس القربات وغرة الطاعات وقد استقصينا فى فن الفقه فى بسيط المذهب ووسيطه ووجيزه أصولها وفروعها صارفين جمام العناية إلى تفاريعها النادرة ووقائعها الشاذة لتكون خزانة للمفتى منها يستمد ومعولا له إليها يفزع ويرجع ونحن الآن فى هذا الكتاب نقتصر على ما لابد للمريد منه من أعمالها الظاهرة وأسرارها الباطنة وكاشفون من دقائق معانيها الخفية فى معانى الخشوع والاخلاص والنية مالم تجر العادة بذكره فى فن الفقه ، ومرتبون الكتاب على سبعة أبواب . الباب الأول : فى فضائل الصلاة . الباب الثانى : فى تفضيل الأعمال الظاهرة من الصلاة . الباب الثالث : تفضيل الأعمال الباطنة منها . الباب الرابع : فى الإمامة والقدوة . الباب الخامس : فى صلاة الجمعة وآدابها . الباب السادس : فى مسائل متفرقة تعم بها البلوى يحتاج المريد إلى معرفتها . الباب السابع : فى التطوعات وغيرها .

(الباب الأول : فى فضائل الصلاة والسجود والجماعة والأذان وغيرها)

(فضيلة الأذان)

قال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود لا يهولهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل وأم بقوم وهم به راضون ورجل أذن فى مسجد دعا إلى الله عز وجل ابتغاء وجه الله ورجل ابتلى بالرزق فى الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يسمع نداء المؤذن جن ولا إنس ولا شىء إلا شهد له يوم القيامة [3] »

---

(١) حديث تنظيف الرواجب تقدم .

(باب أسرار الصلاة)

(٢) حديث ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك الحديث ت وحسنه من حديث ابن عمر مختصرا وهو فى الصغير للطبرانى بنحو مما ذكره المؤلف (٣) حديث لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شىء إلا شهد له يوم القيامة خ من حديث أبى سعيد .

على سواه فقد كان بيان شارات الصحابة رضى الله عنهم أجمعين فيما خصوا من المعرفة فى هجيراهم فكان هجير أبى بكر الصديق رضى الله عنه : لا إله إلا الله وكان هجير عمر رضى الله عنه : الله أكبر وكان هجير عثمان رضى الله عنه : سبحان الله وكان هجير على رضى الله عنه : الحمد لله فاستقرى السابقون من ذلك أن أبا بكر لم يشهد فى الدارين غير الله سبحانه وتعالى فلذا كان الصديق وسمى به كما علمت وكان يقول لا إله إلا الله وكان عمر يرى ما دون الله صغيرا مع الله فى جنب عظمه فيقول الله أكبر وكان عثمان لا يرى التنزيه إلا لله تعالى إذ الكل قائم به غير معرى من النقصان والقائم بغيره معلول فكان يقول سبحان الله وعلى لا يرى نعمة فى الدفع والرفع والعطاء والمنع فى المكروه والمحبوب إلا من الله سبحانه فكان يقول الحمد لله

وقال صلى الله عليه وسلم «يد الرحمن على راس المؤذن حتى يفرغ من أذانه[١]» وقيل فى تفسير قوله عز وجل ـ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا ـ نزلت فى المؤذنين وقال صلى الله عليه وسلم «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل مايقول المؤذن[٢]» وذلك مستحب إلا فى الحيعلتين فانه يقول فيهما لا حول ولا قوة إلا بالله وفى قوله قد قامت الصلاة أقامها الله وأدامها مادامت السموات والأرض وفى التثويب صدقت وبررت ونصحت وعند الفراغ يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته إنك لا تخلف الميعاد. وقال سعيد بن المسيب من صلى بأرض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فان أذن وأقام صلى وراءه أمثال الجبال من الملائكة.

(فضيلة المكتوبة)

قال الله تعالى ـ إنّ الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ـ وقال ﷺ «خمس صلوات كتبهنّ الله على العباد فمن جاء بهنّ ولم يضيع منهنّ شيئا استخفافا بحقهنّ كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهنّ فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة[٣]» وقال صلى الله عليه وسلم «مثل الصلوت الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقى من درنه قالوا لا شىء قال صلى الله عليه وسلم فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن[٤]» وقال صلى الله عليه وسلم «إن الصلوات كفارة لما بينهنّ ما اجتنبت الكبائر[٥]» وقال ﷺ «بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونها[٦]» وقال صلى الله عليه وسلم «من لقى الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشىء من حسناته[٧]» وقال صلى الله عليه وسلم «الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين[٨]» وسئل ﷺ «أى الأعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها[٩]» وقال صلى الله عليه وسلم «من حافظ على الخمس بإكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان[١٠]» وقال صلى الله عليه وسلم «مفتاح الجنة الصلاة[١١]» وقال «ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة ولو كان شىء أحب إليه منها لتعبد به ملائكته فمنهم راكع ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد[١٢]»

---

(١) حديث يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه الطبرانى فى الأوسط والحسن بن سعيد فى مسنده من حديث أنس باسناد ضعيف (٢) حديث إذا سمعتم النداء فقولوا مثل مايقول المؤذن متفق عليه من حديث أبى سعيد (٣) حديث خمس صلوات كتبهن الله على العباد الحديث د ن ه حب من حديث عبادة بن الصامت وصححه ابن عبد البر (٤) حديث مثل خمس صلوات كمثل نهر الحديث مسلم من حديث جابر ولهما نحوه من حديث أبى هريرة (٥) حديث الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر م من حديث أبى هريرة (٦) حديث بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح مالك من رواية سعيد بن المسيب مرسلا (٧) حديث من لقى الله مضيعا للصلاة لم يعبأ الله بشىء من حسناته وفى معناه حديث أول ما يحاسب به العبد الصلاة وفيه فان فسدت فسد سائر عمله رواه طب فى الأوسط من حديث أنس (٨) حديث الصلاة عماد الدين البيهقى فى الشعب بسند ضعفه من حديث عمر قال ك عكرمة لم يسمع من عمر قال ورواه ابن عمر ولم يقف عليه ابن الصلاح فقال فى مشكل الوسيط إنه غير معروف (٩) حديث سئل أى الأعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها متفق عليه من حديث ابن مسعود (١٠) حديث من حافظ على الخمس بإكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا الحديث أحمد حب من حديث عبد الله بن عمرو (١١) حديث مفاتيح الجنة الصلاة د الطيالسى من حديث جابر وهو عند الترمذى ولكن ليس داخلا فى الرواية (١٢) حديث ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد شيئا أحب إليه من الصلاة الحديث لم أجده هكذا وآخر الحديث عند الطبرانى من حديث جابر وعند الحاكم من حديث ابن عمر.

وأهل هذه الرتبة على الجملة فى حال خصوصهم فيها صنفان مريدون ومرادون فالمريدون فى الغالب لابد لهم من أن يحلوا فى المرتبة الثالثة وهى توحيد المقرّبين ومنها ينتقلون وعليها يعبرون إلى المرتبة الرابعة ويتمكنون فيها ومن أهل هذا المقام يكون القطب والأوتاد والبدلاء ومن أهل المرتبة الثالثة يكون النقباء والنجباء والشهداء والصالحون والله أعلم. فان قلت أليس الوجود مشتركا بين الحادث والقديم والمألوه والاله ثم معلوم أن الاله واحد والحوادث كثيرة فكيف يرى صاحب هذه المرتبة الأشياء شيئا واحدا أذلك على طريق قلب الأعيان فتعود الحوادث قديمة ثم تتحدث بالواحد فترجع هى هو وفى هذا من الاستحالة والمروق عن مصدر العقل مايغنى عن إطالة القول فيه وان كان على طريق

وقال

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من ترك صلاة متعمدا فقد كفر[١] » أى قارب أن ينخلع عن الإيمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة إنه بلغها ودخلها وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك صلاة متعمدا فقد برئ من ذمة محمد عليه السلام[٢] » وقال أبو هريرة رضى الله عنه : من توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج عامدا إلى الصلاة فانه فى صلاة ما كان يعمد إلى الصلاة وإنه يكتب له بإحدى خطوتيه حسنة وتمحى عنه بالأخرى سيئة فاذا سمع أحدكم الإقامة فلا ينبغى له أن يتأخر فان أعظمكم أجرا أبعدكم دارا قالوا لم يا أباهريرة ؟ قال من أجل كثرة الخطا . ويروى « إن أول ماينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة[٣] » فان وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وإن وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله وقال صلى الله عليه وسلم « يا أباهريرة مر أهلك بالصلاة فان الله يأتيك بالرزق من حيث لاتحتسب[٤] » وقال بعض العلماء مثل المصلى مثل التاجر الذى لايحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال وكذلك المصلى لا تقبل له نافلة حتى يؤدى الفريضة وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول إذا حضرت الصلاة قوموا إلى ناركم التى أوقدتموها فاطفئوها .

(فضيلة إتمام الأركان)

قال صلى الله عليه وسلم « مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى[٥] » وقال يزيد الرقاشى « كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة[٦] » وقال ﷺ « إن الرجلين من أمتى ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وإن مابين صلاتيهما مابين السماء والأرض[٧] وأشار إلى الخشوع وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله يوم القيامة إلى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده[٨] » وقال صلى الله عليه وسلم « أما يخاف الذى يحول وجهه فى الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار[٩] » وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر البزار من حديث أبى الدرداء باسناد فيه مقال .

(٢) حديث من ترك صلاة متعمدا فقد تبرأ من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم حم هق من حديث أم أيمن بنحوه ورجاله ثقات (٣) حديث أول ماينظر الله فيه يوم القيامة من عمل العبد الصلاة الحديث رويناه فى الطيوريات من حديث أبى سعيد باسناد ضعيف ولأصحاب السنن ك وصحح إسناده نحوه من حديث أبى هريرة وسيأتى (٤) حديث يا أباهريرة مر أهلك بالصلاة فان الله يأتيك بالرزق من حيث لاتحتسب لم أقف له على أصل (٥) حديث مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى ابن المبارك فى الزهد من حديث الحسن مرسلا وأسنده البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس باسناد فيه جهالة (٦) حديث يزيد الرقاشى كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة ابن المبارك فى الزهد ومن طريقه أبو الوليد الصفار فى كتاب الصلاة وهو مرسل ضعيف (٧) حديث إن الرجلين من أمتى ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد الحديث ابن المحبر فى العقل من حديث أبى أيوب الأنصارى بنحوه وهو موضوع ورواه الحارث ابن أبى أسامة فى مسنده عن ابن المحبر (٨) حديث لاينظر الله إلى عبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده أحمد من حديث أبى هريرة باسناد صحيح (٩) حديث أما يخاف الذى يحول وجهه فى الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار ابن عدى فى عوالى مشايخ مصر من حديث جابر مايؤمنه إذا التفت فى صلاته أن يحول الله عز وجل وجهه وجه كلب أو وجه خنزير قال منكر بهذا الاسناد وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله وجهه وجه حمار .

التخييل للولى لما لا حقيقة له فكيف يحتج به أو كيف يعد حالا لولى أو فضيلة لبشر ؟ . الجواب عن ذلك أن الحوادث لم تنقلب إلى القدم ولم تتحد بالفاعل ولا اعترى الولى تخييل فتخيل ما لاحقيقة له وإنما هو ولى مجتبى وصديق مرتضى خصه الله تعالى بمعرفته على سبيل اليقين والكشف التام وكشف لقلبه مالو رآه ببصره عيانا ما ازداد إلا يقينا وإن أنكرت أن يكون وهب الله المعرفة به على هذا السبيل أحدا من خلقه فما أطم مصيبتك وما أعظم العزاء فيك حين فتش الخلق بمعيارك وكلهم بمكيالك وفضلت نفسك على الجميع إذ لاسبب لانكارك إن صح إلا أنك تخيلت أنه لم يرزق أحدا مالم ترزق أو يخص من المعرفة مالم تخص فاذا تقررت هذه القاعدة فصار ما كشف لقلبه

« من صلى صلاة لوقتها وأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهى بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتنى ومن صلى لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهى سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتنى حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه[1] » وقال صلى الله عليه وسلم « أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته[2] » وقال ابن مسعود رضى الله عنه وسلمان رضى الله عنه : الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى ومن طفف فقد علم ماقال الله فى المطففين .

(فضيلة الجماعة)

قال صلى الله عليه وسلم « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة[3] » وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم فقد ناسا فى بعض الصلوات فقال « لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأحرق بيوتهم[4] » وفى رواية أخرى « ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فآمر بهم فتحرق عليهم بيوتهم بحزم الحطب ولو علم أحدهم أنه يجد عظما سمينا أو مرماتين لشهدها يعنى صلاة العشاء . وقال عثمان رضى الله عنه مرفوعا « من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة[5] » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى صلاة فى جماعة فقد ملأ نحره عبادة[6] » وقال سعيد بن المسيب ما أذن مؤذن منذ عشرين سنة إلا وأنا فى المسجد وقال محمد بن واسع ما أشتهى من الدنيا إلا ثلاثة أخا إنه إن تعوجت قومنى وقوتا من الرزق عفوا من غير تبعة وصلاة فى جماعة يرفع عنى سهوها ويكتب لى فضلها . وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أم قوما مرة فلما انصرف قال مازال الشيطان بى آنفا حتى أريت أن لى فضلا على غيرى لا أؤم أبدا . وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف إلى العلماء . وقال النخعى مثل الذى يؤم الناس بغير علم مثل الذى يكيل الماء فى البحر لا يدرى زيادته من نقصانه . وقال حاتم الأصم فاتتنى الصلاة فى الجماعة فعزانى أبو إسحق البخارى وحده ولو مات لى ولد لعزانى أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس رضى الله عنهما من سمع المنادى فلم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به خير وقال أبو هريرة رضى الله عنه لأن تملأ أذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من أن يسمع النداء ثم لا يجيب وروى أن ميمون بن مهران أتى المسجد فقيل له إن الناس قد انصرفوا فقال إنا لله وإنا إليه راجعون لفضل هذه الصلاة أحب إلى من ولاية العراق وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى أربعين يوما الصلوات فى جماعة لا تفوته فيها تكبيرة الإحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار[7] »

---

(١) حديث من صلى الصلاة لوقتها فأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرضت وهى بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتنى الحديث طب فى الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف والطيالسى والبيهقى فى الشعب من حديث عبادة بن الصامت بسند ضعيف نحوه (٢) حديث أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته أحمد والحاكم وصحح إسناده من حديث أبى قتادة (٣) حديث صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة متفق عليه من حديث ابن عمر (٤) حديث أبى هريرة لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون الحديث متفق عليه (٥) حديث عثمان من شهد صلاة العشاء فكأنما قام نصف ليلة الحديث م من حديثه مرفوعا قال الترمذى وروى عن عثمان موقوفا (٦) حديث من صلى صلاة فى جماعة فقد ملأ نحره عبادة لم أجده مرفوعا وإنما هو من قول سعيد بن المسيب رواه محمد بن نصر فى كتاب الصلاة (٧) حديث من صلى أربعين يوما الصلوات فى جماعة لا تفوته تكبيرة الإحرام الحديث ت من حديث أنس باسناد رجاله ثقات.

لا يخرج منه وما اطلع عليه لا يغيب عنه وما ذكره من ذلك لا ينساه ولا فى حال نومه وشغله وهذا موجود فيمن كثر اهتمامه بشىء وثبت فى قلبه حاله أنه إذا نام أو اشتغل لم يفقده فى شغله ونومه كما لا يفقده فى يقظته وفراغه ولهذا والله أعلم إذا رأى الولى المتمكن فى رتبة الصديقين مخلوقا كان حيا أو جمادا صغيرا أو كبيرا لم يره من حيث هو هو إنما يراه من حيث أوجده الله تعالى بالقدرة وميزه بالإرادة على سابق العلم القديم ثم أدام القهر عليه فى الوجود ثم لما كانت الصفات المشهودة آثارها فى المخلوقات ليست لغير الموصوف الذى هو الله عز وجل له ألهت الولى عن غيره وصار لم يرسواه ومعنى ذلك أنه لا يتميز بالذكر فى سر القلب وخير المعرفة ولا بالإدراك فى ظاهر الحس دون ما كان موجودا به

ويقال إنه إذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدرى فتقول لهم الملائكة ما كانت أعمالكم فيقولون كنا إذا سمعنا الأذان قمنا إلى الطهارة لايشغلنا غيرها ثم تحشر طائفة وجوهم كالأقمار فيقولون بعد السؤال كنا نتوضأ قبل الوقت ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الأذان فى المسجد . وروى أن السلف كانوا يعزون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى ويعزون سبعا إذا فاتتهم الجماعة .

(فضيلة السجود)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماتقرّب العبد إلى الله بشىء أفضل من سجود خفى[1] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مامن مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة[2]» وروى « أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يجعلنى من أهل شفاعتك وأن يرزقنى مرافقتك فى الجنة فقال ﷺ «أعنى بكثرة السجود[3]» وقيل أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجدا[4]» وهو معنى قوله عزو جل ـ واسجد واقترب ـ وقال عزوجل ـ سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ـ فقيل هو مايلتصق بوجوههم من الأرض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الأصح وقيل هى الغرر التى تكون فى وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى ويقول ياويلاه أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فعصيت فلى النار[5]» ويروى عن على بن عبد الله بن عباس أنه كان يسجد فى كل يوم ألف سجدة وكانوا يسمونه السجاد ويروى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان لايسجد إلا على التراب وكان يوسف بن أسباط يقول يامعشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض فما بقى أحد أحسده إلا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بينى وبين ذلك وقال سعيد بن جبير ما آسى على شىء من الدنيا إلا على السجود ، وقال عقبة بن مسلم : مامن خصلة فى العبد أحب إلى الله عزّ وجل من رجل يحب لقاء الله عزّ وجلّ وما من ساعة العبد فيها أقرب إلى الله عزّ وجلّ منه حيث يخرّ ساجدا وقال أبو هريرة رضى الله عنه أقرب ما يكون العبد إلى الله عز وجل إذا سجد فأكثروا الدعاء عند ذلك .

(فضيلة الخشوع)

قال الله تعالى ـ وأقم الصلاة لذكرى ـ وقال تعالى ـ ولا تكن من الغافلين ـ وقال عز وجل ـ لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون ـ قيل سكارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا وقال وهب المراد به ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا إذ بين فيه العلة فقال ـ حتى تعلموا ما تقولون ـ وكم من مصل لم يشرب خمرا وهو لايعلم مايقول فى صلاته وقال النبى صلى الله عليه وسلم

(١) حديث ماتقرب العبد إلى الله بشىء أفضل من سجود خفى ابن المبارك فى الزهد من حديث ضمرة بن حبيب مرسلا (٢) حديث مامن مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة ه من حديث عبادة بن الصامت باسناد صحيح ولمسلم نحوه من حديث ثوبان وأبى الدرداء (٣) حديث إن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يجعلنى من أهل شفاعتك ويرزقنى مرافقتك فى الجنة الحديث م من حديث ربيعة بن كعب الأسلمى نحوه وهو الذى سأله ذلك (٤) حديث إن أقرب مايكون العبد إلى الله أن يكون ساجدا م من حديث أبى هريرة (٥) حديث إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى الحديث م من حديث أبى هريرة .

وصار عنه فانيا فبعد هذا على من أصحبه أن لايحتاج إليها مع هذا الوضوح ولا فهم إلا بالله ولا شرح إلا منه ولا نور إلا من عنده وله الحول والقوّة وهو العلى العظيم [فصل] وأما معنى إفشاء سر الربوبية كفر فيخرج على وجهين أحدهما أن يكون المراد به كفرا دون كفر ويسمى بذلك تعظيما لما أتى به المفشى وتعظيما لما ارتكبه ويعترض هذا بأن يقال لايصح أن يسمى هذا كفرا لأنه ضد الكفر إذ الكفر الذى سمى على معناه ساتر وهذا المفشى للسر ناشر وأين النشر والإظهار من التغطية والاعلان من الكتم واندفاع هذا هين بأن يقال ليس الكفر الشرعى تابع الاشتقاق وإنما هو حكم لمخالفة الأمر وارتكاب النهى فمن رد إحسان محسن أو جحد نعمة متفضل فيقال عليه كافر

«من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه»(١) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إنما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتأوه وتنادم وتضع يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج(٢)» وروى عن الله سبحانه في الكتب السالفة أنه قال «ليس كل مصل أتقبل صلاته إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر على عبادي وأطعم الفقير الجائع لوجهي» وقال صلى الله عليه وسلم «إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لإقامة ذكر الله تعالى فإذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمة ولاهيبة فما قيمة ذكرك(٣)» وقال صلى الله عليه وسلم الذي أوصاه «وإذا صليت فصل صلاة مودع(٤)» أي مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سائر إلى مولاه كما قال عز وجل - يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه - وقال تعالى - واتقوا الله ويعلمكم الله - وقال تعالى - واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه - وقال صلى الله عليه وسلم «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا(٥)» والصلاة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة وقال بكر بن عبد الله يا ابن آدم إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت قيل وكيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فإذا أنت قد دخلت على مولاك بغير إذن فتكلمه بغير ترجمان . وعن عائشة رضي الله عنها قالت «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه(٦)» اشتغالا بعظمة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه(٧)» وكان ابراهيم الخليل إذا قام إلى الصلاة يسمع وجيب قلبه على ميلين وكان سعيد التنوخي إذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته «ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه(٨)»

(١) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه ابن أبي شيبة في المصنف من حديث صلة بن أشيم مرسلا وهو في الصحيحين من حديث عثمان بزيادة في أوله دون قوله بشيء من الدنيا وزاد طس إلا بخير (٢) حديث إنما الصلاة تمسكن ودعاء وتضرع الحديث ت ن بنحوه من حديث الفضل بن عباس باسناد مضطرب (٣) حديث إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لإقامة ذكر الله د ت من حديث عائشة نحوه دون ذكر الصلاة قال ت حسن صحيح (٤) حديث إذا صليت فصل صلاة مودع ابن ماجه من حديث أبي أيوب و ك من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح الإسناد والبيهقي في الزهد من حديث ابن عمر ومن حديث أنس بنحوه (٥) حديث من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا علي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية من حديث الحسن مرسلا باسناد صحيح ورواه طب وأسنده ابن مردويه في تفسيره من حديث أبي عباس بإسناد لين والطبراني من قول ابن مسعود من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر الحديث وإسناده صحيح (٦) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه الأزدي في الضعفاء من حديث سويد بن غفلة مرسلا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمع الأذان كأنه لا يعرف أحدا من الناس (٧) حديث لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه لم أجده بهذا اللفظ وروى محمد بن نصر في كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبي دهرش مرسلا لا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بن كعب وإسناده ضعيف (٨) حديث رأى رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ت الحكيم في النوادر من حديث أبي هريرة بسند ضعيف والمعروف أنه من قول سعيد بن المسيب رواه ابن أبي شيبة في المصنف وفيه رجل لم يسم .

لجهتين إحداهما من جهة الاشتقاق ويكون إذ ذاك اسما ينبئ عن وصف والثانية من جهة الشرع ويكون إذ ذاك حكما يوجب عقوبة والشرع قد ورد بشكر المنعم فافهم ولا تذهب مع الألفاظ ولا يغرنك العبارات ولا تحجبك التسميات وتفطن لخداعها واحترس من استدراجها فاذن من أظهر ما أمر بكتمه كان كمن كتم ما أمر بنشره في مخالفة الأمر فيهما حكم واحد على هذا الاعتبار ويدل على ذلك من جهة الشرع قوله صلى الله عليه وسلم «لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم» وفي ارتكاب النهي عصيان ويسمى في باب القياس على المذكور كفران البدن وقسمة أخرى وذلك أن العلم إن حلل إلى ما علم من أجزائه بالاستقراء فرأس الإنسان تشابه سماء العالم من حيث

ويروى أن الحسن نظر إلى رجل يعبث بالحصى ويقول اللهم زوجنى الحور العين فقال بئس الخاطب أنت تخطب الحور العين وأنت تعبث بالحصى وقيل لخلف بن أيوب ألا يؤذيك الذباب فى صلاتك فتطردها قال لا أعود نفسى شيئا يفسد علىّ صلاتى قيل له و كيف تصبر على ذلك قال بلغنى أن الفساق يصبرون تحت أسواط الساطان ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك فأنا قائم بين يدى ربى أفأتحرك لذبابة ويروى عن مسلم بن يسار أنه كان إذا أراد الصلاة قال لأهله تحدثوا أنتم فانى لست أسمعكم ويروى عنه أنه كان يصلى يوما فى جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة وكان علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه و كرّم وجهه إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه فقيل له مالك يا أمير المؤمنين فيقول جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها ويروى عن على بن الحسين أنه كان إذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله ماهذا الذى يعتريك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم ويروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: قال داود صلى الله عليه وسلم فى مناجاته : إلهى من يسكن بيتك وممن تتقبل الصلاة فأوحى الله إليه ياداود إنما يسكن بيتى وأقبل الصلاة منه من تواضع لعظمتى وقطع نهاره بذكرى و كف نفسه عن الشهوات من أجلى، يطعم الجائع ويؤوى الغريب ويرحم المصاب فذلك الذى يضىء نوره فى السموات كالشمس إن دعانى لبيته وإن سألنى أعطيته أجعل له فى الجهل حلما وفى الغفلة ذكرا وفى الظلمة نورا وإنما مثله فى الناس كالفردوس فى أعلى الجنان لاتيبس أنهارها ولا تتغير ثمارها ويروى عن حاتم الأصم رضى الله عنه أنه سئل عن صلاته فقال إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذى أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحى ثم أقوم إلى صلاتى وأجعل الكعبة بين حاجبى والصراط تحت قدمى والجنة عن يمينى والنار عن شمالى وملك الموت ورائى أظنها آخر صلاتى ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيرا بتحقيق وأقرأ قراءة بترتيل وأركع ركوعا بتواضع وأسجد سجودا بتخشع وأقعد على الورك الأيسر وأفرش ظهر قدمها وأنصب القدم اليمنى على الابهام وأتبعها الاخلاص ثم لا أدرى أقبلت منى أم لا وقال ابن عباس رضى الله عنهما ركعتان مقتصدتان فى تفكر، خير من قيام ليلة والقلب ساه.

(فضيلة المسجد وموضع الصلاة)

قال الله عز وجل ـ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ـ وقال صلى الله عليه وسلم «من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له قصرا فى الجنة(١)» وقال ﷺ «من ألف المسجد ألفه الله تعالى(٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس(٣)» وقال صلى الله عليه وسلم «لاصلاة لجار المسجد إلا فى المسجد(٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «الملائكة تصلى على أحدكم مادام فى مصلاه الذى يصلى فيه تقول اللهم صلّ عليه اللهم ارحمه اللهم اغفر له مالم يحدث أو يخرج من المسجد(٥)»

(١) حديث من بنى لله مسجدا ولو مثل مفحص قطاة الحديث ه من حديث جابر بسند صحيح وابن حبان من حديث أبى ذرّ وهو متفق عليه من حديث عثمان دون قوله ولو مثل مفحص القطاة

(٢) حديث من ألف المسجد ألفه الله تعالى طب فى الأوسط من حديث أبى سعيد بسند ضعيف

(٣) حديث إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس متفق عليه من حديث أبى قتادة

(٤) حديث لاصلاة لجار المسجد إلا فى المسجد الدارقطنى من حديث جابر وأبى هريرة باسنادين ضعيفين و له من حديث أبى هريرة (٥) حديث الملائكة تصلى على أحدكم مادام فى مصلاه الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة .

إن كل ما علا فهو سماء وحواسه تشابه الكواكب والنجوم من حيث إن الكواكب أجسام مشفة تستمد من نور الشمس فتضىء بها والحواس أجسام لطيفة مشفة تستمدّ من الروح فيضىء مسالك المدركات وروح الانسان مشابهة للشمس فضياء العالم ونور نباته وحركة ضواربه وحيوانه وحياته فيها تظهر بتلك الشمس وكذلك روح الانسان به حصل فى الظاهر نموّ أجزاء بدنه ونبات شعره وحلول حياته وجعلت الشمس وسط العالم وهى تطلع بالنهار وتغرب بالليل وجعلت الروح وسط جسم الانسان وهى تغيب بالنوم وتطلع باليقظة ونفس الانسان تشابه القمر من حيث إنّ القمر يستمد من الشمس ونفسه تستمد من الروح والقمر خالف الشمس والروح

وقال صلى الله عليه وسلم « يأتى فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لاتجالسوهم فليس الله بهم حاجة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل فى بعض الكتب إن بيوتى فى أرضى المساجد وإنّ زوّارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى حق على المزور أن يكرم زائره (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان (٣) » وقال سعيد بن المسيب من جلس فى المسجد فانما يجالس ربه فما حقه أن يقول إلا خيرا ويروى فى الأثر أو الخبر « الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهائم الحشيش (٤) » وقال النخعى كانوا يرون أنّ المشى فى الليلة المظلمة إلى المسجد موجب للجنة وقال أنس بن مالك من أسرج فى المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له مادام فى ذلك المسجد ضوؤه وقال على كرم الله وجهه إذا مات العبد يبكى عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ ـ فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ـ وقال ابن عباس تبكى عليه الأرض أربعين صباحا وقال علماء الخراسانى مامن عبد يسجد لله سجدة فى بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت وقال أنس بن مالك مامن بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر إلا افتخرت على ماحولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل إلى منتهاها من سبع أرضين ومامن عبد يقوم يصلى إلا تزخرفت له الأرض ويقال مامن منزل ينزل فيه قوم إلا أصبح ذلك المنزل يصلى عليهم أو يلعنهم .

(الباب الثانى فى كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وما قبله)

ينبغى للمصلى إذا فرغ من الوضوء والطهارة من الخبث فى البدن والمكان والثياب وستر العورة من السرة إلى الركبة أن ينتصب قائما متوجها إلى القبلة ويراوح بين قدميه ولا يضمهما فان ذلك مما كان يستدل به على فقه الرجل وقد « نهى صلى الله عليه وسلم عن الصفن والصفد فى الصلاة (٥) » والصفد هو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى ـ مقرنين فى الأصفاد ـ والصفن هو رفع إحدى الرجلين ومنه قوله عز وجل ـ الصافنات الجياد ـ هذا مايراعيه فى رجليه عند القيام ويراعى فى ركبتيه ومعقد نطاقه الانتصاب وأما رأسه إن شاء تركه على استواء القيام وإن شاء أطرق والاطراق أقرب للخشوع

(١) حديث يأتى فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا الحديث ابن حبان من حديث ابن مسعود ولك من حديث أنس وقال صحيح الاسناد (٢) حديث قال الله تعالى : إنّ بيوتى فى أرضى المساجد ، وإنّ زوّارى فيها عمارها الحديث أبو نعيم من حديث أبى سعيد بسند ضعيف يقول الله عز وجل يوم القيامة أين جيرانى فتقول الملائكة من هذا الذى ينبغى له أن يجاورك فيقول أين قراء القرآن وعمار المساجد وهو فى الشعب نحوه موقوفا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باسناد صحيح وأسند ابن حبان فى الضعفاء آخر الحديث من حديث سلمان وضعفه (٣) حديث إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان ت وحسنة و ه و ك وصححه من حديث أبى سعيد (٤) حديث الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش لم أقف له على أصل .

(الباب الثانى)

(٥) حديث النهى عن الصفن والصفد فى الصلاة عزاه رزين إلى ت ولم أجده عنده ولا عند غيره وإنما ذكره أصحاب الغريب كابن الأثير فى النهاية وروى سعيد بن منصور أنّ ابن مسعود رأى رجلا صافا أوصافنا قدميه فقال أخطأ هذا السنة .

خالف النفس والقمر آية ممحوّة والنفس مثلها ومحو القمر فى آن لا يكون ضياؤه منه ومحو النفس فى آن ليس عقلها منها ويعترى الشمس والقمر وسائر الكواكب كسوف وتعترى النفس والروح وسائر الحواس غيب وذهول وفى العالم نبات ومياه ورياح وجبال وحيوان وفى الانسان نبات وهو الشعر ومياه وهو العروق والدموع والريق والدم وفيه جبال وهى العظام وحيوان وهى هوام الجسم فحصلت المشابهة على كل حال ولما كانت أجزاء العالم كثيرة ومنها ماهى لنا غير معروفة ولا معلومة كان فى استقصاء مقابلة جميعها تطويل وفيما ذكرناه مايحصل به لذوى العقول تشبيه وتمثيل . فان قلت أراك فرقت بين النفس والروح وجعلت كل واحد منهما غير الآخر وهذا قلما تساعد

وأغمض البصر وليكن بصره محصورا على مصلاه الذى يصلى عليه فان لم يكن له مصلى فليقرب من جدار الحائط أو ليخط خطا فان ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر وليحجر على بصره أن يجاوز أطراف المصلى وحدود الخط وليدم على هذا القيام كذلك إلى الركوع من غير التفات هذا أدب القيام فاذا استوى قيامه واستقباله وإطراقه كذلك فليقرأ قل أعوذ برب الناس تحصنا به من الشيطان . ثم ليأت بالإقامة وإن كان يرجو حضور من يقتدى به فليؤذن أولا ثم ليحضر النية وهو أن ينوى فى الظهر مثلا ويقول بقلبه أؤدى فريضة الظهر لله ليميزها بقوله أؤدى عن القضاء وبالفريضة عن النفل وبالظهر عن العصر وغيره ولتكن معانى هذه الألفاظ حاضرة فى قلبه فانه هو النية والألفاظ مذكرات وأسباب لحضورها ويجتهد أن يستديم ذلك إلى آخر التكبير حتى لايعزب فاذا حضر فى قلبه ذلك فليرفع يديه إلى حذو منكبيه بعد إرسالهما بحيث يحاذى بكفيه منكبيه وبإبهاميه شحمتى أذنيه وبرءوس أصابعه رءوس أذنيه[1] ليكون جامعا بين الأخبار الواردة فيه ويكون مقبلا بكفيه وإبهاميه إلى القبلة ويبسط الأصابع ولا يقبضها ولا يتكلف فيها تفريجا ولا ضما بل يتركها على مقتضى طبعها إذ نقل فى الأثر النشر والضم[2] وهذا بينهما فهو أولى وإذا استقرت اليدان فى مقرهما ابتدأ التكبير مع إرسالهما وإحضار النية . ثم يضع اليدين على مافوق السرة وتحت الصدر ويضع اليمنى على اليسرى إكراما لليمنى بأن تكون محمولة وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض بالابهام والخنصر والبنصر على كوع اليسرى وقدروى أن التكبير مع رفع اليدين[3] ومع استقرارهما[4] ومع الإرسال[5] فكل ذلك لاحرج فيه وأراه بالارسال أليق فانه كلمة العقد ووضع إحدى اليدين على الأخرى فى صورة العقد ومبدؤه الإرسال وآخره الوضع ومبدأ التكبير الألف وآخره الراء فيليق مراعاة التطابق بين الفعل والعقد وأما رفع اليد فكالمقدمة لهذه البداية . ثم لا ينبغى أن يرفع يديه إلى قدام رفعا عند التكبير ولا يردها إلى خلف منكبيه ولا ينفضهما عن يمين وشمال نفضا إذا فرغ من التكبير ويرسلهما إرسالا خفيفا رفيقا ويستأنف وضع اليمين على الشمال بعد الارسال وفى بعض الروايات أنه صلى الله عليه وسلم « كان إذا كبر أرسل يديه وإذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى[6] » فان صح هذا فهو أولى مما ذكرناه وأما التكبير فينبغى أن يضم الهاء من قوله الله ضمة خفيفة من غير مبالغة

(١) حديث رفع اليدين إلى حذو المنكبين وورد إلى شحمة أذنيه وورد إلى رءوس أذنيه متفق عليه من حديث ابن عمر باللفظ الأول و د من حديث وائل بن حجر باسناد ضعيف إلى شحمة أذنيه ولمسلم من حديث مالك بن الحويرث فروع أذنيه (٢) حديث نشر الأصابع عند الافتتاح ونقل ضمها . وقال عطاء وابن خزيمة من حديث أبى هريرة والبيهقى لم يفرج بين أصابعه ولم يضمها ولم أجد التصريح بضم الأصابع (٣) حديث التكبير مع رفع اليدين البخارى من حديث ابن عمر كان يرفع يديه حين يكبر ولأبى داود من حديث وائل يرفع يديه مع التكبير (٤) حديث التكبير مع استقرار اليدين أى مرفوعتين مسلم من حديث ابن عمر كان إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه ثم كبر زاد د وهما كذلك (٥) حديث التكبير مع إرسال اليدين د من حديث أبى حميد كان إذا قام إلى الصلاة يرفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه ثم كبر حتى يقر كل عظم فى موضعه معتدلا قال ابن الصلاح فى المشكل فكلمة حتى التى هى للغاية تدل بالمعنى على ماذكره أى من ابتداء التكبير مع الارسال (٦) حديث كان إذا كبر أرسل يديه فاذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى الطبرانى من حديث معاذ باسناد ضعيف .

عليه إذ قد كثر الخلاف فى ذلك فاعلم أنه إنما على الانسان أن يبنى كلامه على مايعلم لا على ما يجهل وأنت لو علمت النفس والروح علمت أنهما اثنان فان قلت فقد سبق فى الإحياء أنهما شىء واحد وقلت فى هذه الإجابة إن النفس من أسماء الروح فالذى سبق فى الإحياء ورأيت فى هذه الاجابة وهو شىء واحد لايتناقض مع ماقلناه الآن وذلك أن لها معنى يسمى بالروح تارة وبالنفس أخرى وبغير ذلك ثم لايبعد أن يكون لها معنى آخر ينفرد باسم النفس فقط ولا يسمى بروح ولا غير ذلك فهذا آخر الكلام فى أحد وجهى الإضافة التى فى ضمير صورته والوجه الأخر وهو أن من حمل إضافة الصورة إلى الله تعالى على معنى التخصيص به فذلك لأن الله سبحانه نبأ بأنه حى قادر سميع بصير عالم مريد متكلم فاعل

ولا يدخل بين الباء والألف شبه الواو وذلك ينساق إليه بالمبالغة ولا يدخل بين باء أكبر ورائه ألفا كأنه يقول أكبار ويجزم راء التكبير ولا يضمها فيهيئه هيئة التكبير وما معه

(القراءة)

ثم يبتدئ بدعاء الاستفتاح وحسن أن يقول عقب قوله الله أكبر ، الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا(١) وجهت وجهي إلى قوله وأنا من المسلمين(٢) ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمه وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا إله غيرك (٣) ليكون جامعا بين متفرقات ماورد في الأخبار وإن كان خلف الإمام اختصر إن لم يكن للإمام سكتة طويلة يقرأ فيها ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الفاتحة يبتدئ فيها ببسم الله الرحمن الرحيم بتمام تشديداتها وحروفها ، ويجتهد في الفرق بين الضاد والظاء ويقول آمين في آخر الفاتحة ويمدها مدا ولا يصل آمين بقوله ولا الضالين وصلا ويجهر بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء إلا أن يكون مأموما ويجهر بالتأمين ثم يقرأ السورة أو قدر ثلاث آيات من القرآن شافوقها ولا يصل آخر السورة بتكبير الهوى بأن يفصل بينهما بقدر قوله سبحان الله ويقرأ في الصبح من السور الطوال من المفصل وفي المغرب من قصاره وفي الظهر والعصر والعشاء نحو والسماء ذات البروج وما قاربها وفي الصبح في السفر . قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتحية وهو في جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما وصفنا في أول الصلاة .

(الركوع ولواحقه)

ثم يركع ويراعي فيه أمورا وهو أن يكبر للركوع وأن يرفع يديه مع تكبيرة الركوع وأن يمد التكبير مدا إلى الانتهاء إلى الركوع وأن يضع راحتيه على ركبتيه في الركوع وأصابعه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق وأن ينصب ركبتيه ولا يثنيهما وأن يمد ظهره مستويا وأن يكون عنقه ورأسه مستويين مع ظهره كالصفيحة الواحدة لا يكون رأسه أخفض ولا أرفع وأن يجافي مرفقيه عن جنبيه وتضم المرأة مرفقيها إلى جنبيها وأن يقول سبحان ربي العظيم ثلاثا والزيادة إلى السبعة وإلى العشرة حسن إن لم يكن إماما ثم يرتفع من الركوع إلى القيام ويرفع يديه ويقول سمع الله لمن حمده ويطمئن في الاعتدال ويقول ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ماشئت من شيء بعد ولا يطول هذا القيام إلا في صلاة التسبيح والكسوف والصبح ويقنت في الصبح في الركعة الثانية بالكلمات المأثورة قبل السجود(٤) .

(السجود)

ثم يهوى إلى السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الأرض ويضع جبهته وأنفه وكفيه مكشوفة ويكبر

---

(١) حديث أنه يقول بعد قوله الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا م من حديث ابن عمر قال بينا نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال رجل من القوم الله أكبر كبيرا الحديث و د ـ من حديث جبير بن مطعم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال الله أكبر كبيرا الحديث (٢) حديث دعاء الاستفتاح وجهت وجهي الحديث م من حديث علي (٣) حديث سبحانك اللهم وبحمدك الحديث في الاستفتاح أيضا د ت ك وصححه من حديث عائشة وضعفه ت قط ورواه م موقوفا على عمر وعند هق من حديث جابر الجمع بين وجهت وبين سبحانك اللهم (٤) حديث القنوت في الصبح بالكلمات المأثورة هق من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يقنت في صلاة الصبح وفي وتر الليل بهؤلاء الكلمات اللهم اهدني فيمن هديت الحديث د ت وحسنه و ن من حديث الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلمه هؤلاء الكلمات يقولهن في الوتر وإسناده صحيح .

وخلق آدم عليه السلام حيا قادرا عالما سميعا بصيرا مريدا متكلما فاعلا وكانت لآدم عليه السلام صورة محسوسة مكنونة مخلوقة مقدرة بالفعل وهي لله تعالى مضافة باللفظ وذلك أن هذه الأسماء لم تجتمع مع صفات آدم إلا في الأسماء التي هي عبارة بلفظ فقط ولا يفهم من ذلك نفي الصفات فليس هو مرادنا وإنما مرادنا تباين ما بين الصورتين بأبعد وجوه الامكان حتى لم تجتمع مع صفات الله تعالى إلا في الإسماء الملفوظ بها لا غير وفرارا أن نثبت صورة لله تعالى ويطلق عليها حالة الوجود فافهم هذا فانه من أدق ما يقرع سمعك ويلج قلبك ويظهر لعقلك ولهذا قيل لك فان كنت تعتقد الصورة الظاهرة ومعناه إن حملت إحدى الصورتين على الأخرى في الوجود تكن مشبها مطلقا ومعناه نتيقن أنك من المشبهين لا من المنزهين

عند الهوى ولا يرفع يديه في غير الركوع وينبغي أن يكون أول ما يقع منه على الأرض ركبتاه وأن يضع بعدها يديه ثم يضع بعدها وجهه وأن يضع جبهته وأنفه على الأرض وأن يجافي مرفقيه عن جنبيه ولا تفعل المرأة ذلك وأن يفرج بين رجليه ولا تفعل المرأة ذلك وأن يكون في سجوده مخويا على الأرض ولا تكون المرأة مخوية والمخوية رفع البطن عن الفخذين والتفريج بين الركبتين وأن يضع يديه على الأرض حذاء منكبيه ولا يفرج بين أصابعهما بل يضمهما ويضم الابهام إليهما وإن لم يضم الابهام فلا بأس ولا يفترش ذراعيه على الأرض كما يفترش الكلب(١) فانه منهي عنه وأن يقول سبحان ربي الأعلى ثلاثا فان زاد فحسن إلا أن يكون إماما ثم يرفع من السجود فيطمئن جالسا معتدلا فيرفع رأسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذيه والأصابع منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها ويقول رب اغفر لي وارحمني وارزقني واهدني واجبرني وعافني واعف عني ولا يطول هذه الجلسة إلا في سجود التسبيح ويأتي السجدة الثانية كذلك ويستوي منها جالسا جلسة خفيفة للاستراحة في كل ركعة. لا تشهد عقيبها ثم يقوم فيضع اليد على الأرض ولا يقدم إحدى رجليه في حال الارتفاع ويعد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه من القعود إلى وسط ارتفاعه إلى القيام بحيث تكون الهاء من قوله الله عند استوائه جالسا وكاف أكبر عند اعتماده على اليد للقيام وراء أكبر في وسط ارتفاعه إلى القيام ويبتدئ في وسط ارتفاعه إلى القيام حتى يقع التكبير في وسط انتقاله ولا يخلو عنه إلا طرفاه وهو أقرب إلى التعميم ويصلي الركعة الثانية كالأولى ويعيد التعوذ كالابتداء.

(التشهد)

ثم يتشهد في الركعة الثانية التشهد الأول ثم يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ويقبض أصابعه اليمنى إلى المسبحة ولا بأس بارسال الابهام أيضا ويشير بمسبحة يمناه وحدها عند قوله إلا الله لا عند قوله لا إله ويجلس في هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدتين وفي التشهد الأخير يستكمل الدعاء المأثور(٢) بعد الصلاة على النبي ﷺ وسننه كسنن التشهد الأول لكن يجلس في الأخير على وركه الأيسر لأنه ليس مستوفزا للقيام بل هو مستقر ويضجع رجله اليسرى خارجة من تحته وينصب اليمنى ويضع رأس الابهام إلى جهة القبلة إن لم يشق عليه ثم يقول السلام عليكم ورحمة الله ويلتفت يمينا بحيث يرى خده الأيمن من وراءه من الجانب اليمين ويلتفت شمالا كذلك ويسلم تسليمة ثانية وينوي الخروج من الصلاة بالسلام وينوي بالسلام من على يمينه الملائكة والمسلمين في الأولى وينوي مثل ذلك في الثانية ويجزم التسليم (٣) ولا يمده مدا فهو السنة وهذه هيئة صلاة المنفرد ويرفع صوته بالتكبيرات ولا يرفع صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه وينوي الامام الامامة لينال الفضل فان لم ينو صحت صلاة القوم إذا نووا الاقتداء ونالوا فضل الجماعة ويسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة والسورة في جميع الصبح وأولي العشاء والمغرب وكذلك المنفرد ويجهر بقوله آمين في الصلاة الجهرية وكذلك المأموم ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الامام معا لا تعقيبا ويسكت الامام سكتة عقيب الفاتحة ليثوب إليه نفسه ويقرأ المأموم الفاتحة في الجهرية في هذه السكتة ليتمكن من الاستماع عند قراءة الامام ولا يقرأ المأموم السورة في الجهرية إلا إذا لم يسمع

(١) حديث النهي عن أن يفرش ذراعيه على الأرض كما يفرش الكلب متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث الدعاء المأثور بعد التشهد م من حديث علي في دعاء الاستفتاح قال ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم اللهم اغفر لي ما قدمت الحديث وفي الصحيحين من حديث عائشة إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع من عذاب جهنم الحديث وفي الباب غير ذلك جميعها في الأصل (٣) حديث جزم السلام سنة د ت من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح وضعفه ابن القطان.

على نفسك بالتشبيه معتقدا ولا تنكر كما قيل كن يهوديا صرفا وإلا فلا تلعب بالتوراة أي تتلبس بدينهم وتريد أن لا تنسب إليهم أي تقرأ التوراة ولا تعمل بها وإن كنت تعتقد الصورة الباطنة منزها مجللا ومقدسا مخلصا أي ليس تعتقد من الاضافة في الضمير إلى الله تعالى إلا الأسماء دون المعاني فتلك المعاني المسماة لا يقع عليها اسم صورة على حال وقد حفظ عن الشبلي رحمة الله عليه في معنى ما ذكرناه من هذا الوجه قول بليغ مختصر حين سئل عن معنى الحديث فقال خلقه الله على الأسماء والصفات لا على الذات. فان قلت فكذا قال ابن قتيبة في كتابه المعروف بتناقض الحديث حين قال هو صورة لا كالصور فلم أخذ عليه في ذلك وأقيمت عليه الشناعة به واطرح قوله ولم يرضه أكثر العلماء وأهل التحقيق. فاعلم

صوت الامام ويقول الامام سمع الله لمن حمده عند رفع رأسه من الركوع وكذا المأموم ولا يزيد الامام على الثلاث فى تسبيحات الركوع والسجود ولا يزيد فى التشهد الأوّل بعد قوله اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد ويقتصر فى الركعتين الأخيرتين على الفاتحة ولا يطول على القوم ولا يزيد على دعائه فى التشهد الأخير على قدر التشهد والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينوى عند السلام السلام على القوم والملائكة وينوى القوم بتسليمهم جوابه ويثبت الامام ساعة حتى يفرغ الناس من السلام ويقبل على الناس بوجهه والأولى أن يثبت إن كان خلف الرجال نساء لينصرفن قبله ولا يقوم واحد من القوم حتى يقوم وينصرف الامام حيث شاء عن يمينه وشماله واليمين أحب إلىّ ولا يخص الامام نفسه بالدعاء فى قنوت الصبح بل يقول اللهم اهدنا ويجهر به ويؤمن القوم ويرفعون أيديهم حذاء الصدور ويمسح الوجه عند ختم الدعاء الحديث نقل فيه وإلا فالقياس أن لا يرفع اليد كما فى آخر التشهد .

(المنهيات)

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصفن فى الصلاة والصفد وقد ذكرناها وعن الإقعاء (١) وعن السدل (٢) والكف (٣) وعن الاختصار (٤) وعن الصلب (٥) وعن المواصلة (٦) وعن صلاة الحاقن (٧) والحاقب (٨) والحازق (٩) وعن صلاة الجائع والغضبان والملتثم (١٠) وهو ستر الوجه أما الإقعاء فهو عند أهل اللغة أن يجلس على وركيه وينصب ركبتيه ويجعل يديه على الأرض كالكلب وعند أهل الحديث أن يجلس على ساقيه جاثيا وليس على الأرض منه إلا رءوس أصابع الرجلين

(١) حديث النهى عن الإقعاء ت ه من حديث علىّ بسند ضعيف لا تقع بين السجدتين وم من حديث عائشة كان ينهى عن عقبة الشيطان و ك من حديث سمرة وصححه نهى عن الإقعاء (٢) حديث النهى عن السدل فى الصلاة د ت ك وصححه من حديث أبى هريرة (٣) حديث النهى عن الكفت فى الصلاة متفق عليه من حديث ابن عباس أمرنا النبى ﷺ أن نسجد على سبعة أعظم ولا نكفت شعرا ولا ثوبا (٤) حديث النهى عن الاختصار د ك وصححه من حديث أبى هريرة وهو متفق عليه بلفظ نهى أن يصلى الرجل مختصرا (٥) حديث النهى عن الصلب فى الصلاة د ن من حديث ابن عمر باسناد صحيح (٦) حديث النهى عن المواصلة عزاه رزين إلى ت ولم أجده عنده وقد فسره الغزالى بوصل القراءة بالتكبير ووصل القراءة بالركوع وغير ذلك وقد روى د ت وحسنه وابن ماجه من حديث سمرة سكتتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل فى صلاته: إذا فرغ من قراءته وإذا فرغ من قراءة القرآن وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة كان يسكت بين التكبير والقراءة إسكاتة الحديث (٧) حديث النهى عن صلاة الحاقن ه وقط من حديث أبى أمامة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يصلى الرجل وهو حاقن و د من حديث أبى هريرة لا يحل لرجل أن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصلى وهو حاقن وله و ت وحسنه نحوه من حديث ثوبان وم من حديث عائشة لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان (٨) حديث النهى عن صلاة الحاقب لم أجده بهذا اللفظ وفسره المصنف تبعا للأزهرى بمدافعة الغائط وفيه حديث عائشة الذى قبل هذا (٩) حديث النهى عن صلاة الحازق عزاه رزين إلى ت ولم أجده عنده والذى ذكره أصحاب الغريب حديث لا رأى لحازق وهو صاحب الخفّ الضيق (١٠) حديث النهى عن التلثم فى الصلاة د ه من حديث أبى هريرة بسند حسن نهى أن يغطى الرجل فاه فى الصلاة رواه الحاكم وصححه قال الخطابى هو التلثم على الأفواه .

أن الذى ارتكبه ابن قتيبة عفا الله عنه نحن أشد إعراضا عنه وأبلغ فى الانكار عليه وأبعد الناس عن تسويغ قوله وليس هو الذى ألمنا نحن به وأفدناك بحول الله وقوّته إياه بل يدل منك أنك لم تفهم غرضنا وذهلت عن تعقل مرادنا ولم تفرّق بين قولنا وبين ماقاله ابن قتيبة ألم أخبرك أننا أثبتنا الصورة فى التسميات وهو أثبتها حالة للذات فأين من لب الجوز قشور تفرقع والذى يغلب على الظنّ فى ابن قتيبة أنه لم يقرع سمعه هذه الدقائق التى أشرنا إليها وأخرجناها إلى حيز الوجود بتأييد الله تعالى بالعبارة عنها وإنما ظهر له شئ لم يكن له به إلف وعلاه الدهش فتوقف بين ظاهر الحديث الذى هو موجب عند ذوى القصور تشبيها وبين التأويل الذى ينفيه فأثبت المعنى المرغوب

والركبتين . وأما السدل فمذهب أهل الحديث فيه أن يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وكان هذا فعل اليهود فى صلاتهم فنهوا عن التشبه بهم والقميص فى معناه فلا ينبغى أن يركع ويسجد ويداه فى بدن القميص وقيل معناه أن يضع وسط الإزار على رأسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير أن يجعلهما على كتفيه والأول أقرب وأما الكف فهو أن يرفع ثيابه من بين يديه أو من خلفه إذا أراد السجود وقد يكون الكف فى شعر الرأس فلا يصلين وهو عاقص شعره والنهى للرجال وفى الحديث « أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكف شعرا ولا ثوبا[1] » وكره أحمد بن حنبل رضى الله عنه أن يأتزر فوق القميص فى الصلاة ورآه من الكف . وأما الاختصار فأن يضع يديه على خاصرتيه . وأما الصلب فأن يضع يديه على خاصرتيه فى القيام ويجافى بين عضديه فى القيام . وأما المواصلة فهى خمسة اثنان على الامام أن لا يصل قراءته بتكبيرة الاحرام ولا ركوعه بقراءته واثنان على المأموم أن لا يصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمه بتسليمه وواحدة بينهما أن لا يصل تسليمة الفرض بالتسليمة الثانية وليفصل بينهما . وأما الحاقن فمن البول والحاقب من الغائط والحازق صاحب الخف الضيق فان كل ذلك يمنع من الخشوع وفى معناه الجائع والمهتم وفهم نهى الجائع من قوله صلى الله عليه وسلم « إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء إلا أن يضيق الوقت أو يكون ساكن القلب[2] » وفى الخبر « لا يدخلن أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان[3] » وقال الحسن كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى إلى العقوبة أسرع وفى الحديث «سبعة أشياء فى الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والحكاك والالتفات والعبث بالشىء[4]» وزاد بعضهم السهو والشك وقال بعض السلف أربعة فى الصلاة من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصى وأن تصلى بطريق من يمر بين يديك « ونهى أيضا عن أن يشبك أصابعه[5] أو يفرقع أصابعه[6] أو يستر وجهه[7] أو يضع إحدى كفيه على الأخرى ويدخلهما بين فخذيه فى الركوع[8] » وقال بعض الصحابة رضى الله عنهم كنا نفعل ذلك فنهينا عنه ويكره أيضا أن ينفخ فى الأرض عند السجود للتنظيف وأن

(١) حديث أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكفت شعرا ولا ثوبا متفق عليه من حديث ابن عباس (٢) حديث إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء متفق عليه من حديث ابن عمر وعائشة (٣) حديث لا يدخل أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان لم أجده (٤) حديث سبعة أشياء من الشيطان فى الصلاة: الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والالتفات وزاد بعضهم السهو والشك ت من رواية عدى بن ثابت عن أبيه عن جده فذكر منها الرعاف والنعاس والتثاؤب وزاد ثلاثة أخرى وقال حديث غريب ولمسلم من حديث عثمان بن أبى العاص يارسول الله إن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى الحديث وللبخارى من حديث عائشة فى الالتفات فى الصلاة هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة أحدكم وللشيخين من حديث أبى هريرة التثاؤب من الشيطان ولهما من حديث أبى هريرة إن أحدكم إذا قام يصلى جاء الشيطان فلبس عليه صلاته حتى لا يدرى كم صلى (٥) حديث النهى عن تشبيك الأصابع أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة و د ت ه حب نحوه من حديث كعب بن عجرة (٦) حديث النهى عن تفقيع الأصابع فى الصلاة ه من حديث على باسناد ضعيف لا تفقع أصابعك فى الصلاة (٧) حديث النهى عن ستر الوجه د ه ك وصححه من حديث أبى هريرة حديث نهى أن يغطى الرجل فاه فى الصلاة قد تقدم (٨) حديث النهى عن التطبيق فى الركوع متفق عليه من حديث سعد بن أبى وقاص قال كنا نفعله فنهينا عنه وأمرنا أن نضع الأيدى على الركب .

عنه وأرادنى ماخاف من الوقوع فيه فلم يتأت له اجتماع مارام ولا نظام ما اقترف فهاهو صورة لا كالصور ولكل ساقطة لاقطة فتبادر الناس إلى الأخذ عنه .

[فصل] ومعنى قاطع الطريق ـ فإنك بالوادى المقدس طوى ـ أى دم على ما أنت عليه من البحث والطلب فانك على هداية ورشد والوادى المقدس عبارة عن مقام الكليم موسى عليه السلام مع الله تعالى فى الوادى وإنما تقدس الوادى بما أنزل فيه من الذكر وسمع كلام الله تعالى وأقيم ذكر الوادى مقام ماحصل فيه فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه وإلا فالمقصود ماحذف لاما أظهر بالقول إذ المواضع لا تأثير لها وإنما هى ظروف .

[فصل] ومعنى فاستمع أى سر بقلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى ولعلك من

يسوى الحصى بيده فانها أفضل مستغنى عنها ولا يرفع إحدى قدميه فيضعها على فخذه ولا يستند فى قيامه إلى حائط فان استند بحيث لو سل ذلك الحائط لسقط فالأظهر بطلان صلاته والله أعلم .

(تمييز الفرائض والسنن)

جملة ما ذكرناه يشتمل على فرائض وسنن وآداب وهيئات مما ينبغى لمريد طريق الآخرة أن يراعى جميعها . فالفرض من جملتها اثنتا عشرة خصلة النية والتكبير والقيام والفاتحة والانحناء فى الركوع إلى أن تنال راحتاه ركبتيه مع الطمأنينة والاعتدال عنه قائما والسجود مع الطمأنينة ولا يجب وضع اليدين والاعتدال عنه قاعدا والجلوس للتشهد الأخير والتشهد الأخير والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والسلام الأول فأما نية الخروج فلا تجب وما عدا هذا فليس بواجب بل هى سنن وهيئات فيها وفى الفرائض . أما السنن فمن الأفعال أربعة رفع اليدين فى تكبيرة الإحرام وعند الهوى إلى الركوع وعند الارتفاع إلى القيام والجلسة للتشهد الأول فأما ما ذكرناه من كيفية نشر الأصابع وحد رفعها فهى هيئات تابعة لهذه السنة والتورك والافتراش هيئات تابعة للجلسة والاطراق وترك الالتفات هيئات للقيام وتحسين صورته وجلسة الاستراحة لم نعدها من أصول السنة فى الأفعال لأنها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود إلى القيام لأنها ليست مقصودة فى نفسها ولذلك لم تفرد بذكر . وأما السنن من الأذكار فدعاء الاستفتاح ثم التعوذ ثم قوله آمين فانه سنة مؤكدة ثم قراءة السورة ثم تكبيرات الانتقالات ثم الذكر فى الركوع والسجود والاعتدال عنهما ثم التشهد الأول والصلاة فيه على النبى صلى الله عليه وسلم ثم الدعاء فى آخر التشهد الأخير ثم التسليمة الثانية وهذه وإن جمعناها فى اسم السنة فلها درجات متفاوتة إذ تجبر أربعة منها بسجود السهو . وأما من الأفعال فواحدة وهى الجلسة الأولى للتشهد الأول فانها مؤثرة فى ترتيب نظم الصلاة فى أعين الناظرين حتى يعرف بها أنها رباعية أم لا بخلاف رفع اليدين فانه لا يؤثر فى تغيير النظم فعبر عن ذلك بالبعض وقيل الأبعاض تجبر بالسجود وأما الأذكار فكلها لا تقتضى سجود السهو إلا ثلاثة القنوت والتشهد الأول والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فيه بخلاف تكبيرات الانتقالات وأذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما لأن الركوع والسجود فى صورتهما مخالفان للعادة ويحصل بهما معنى العبادة مع السكوت عن الأذكار وعن تكبيرات الانتقالات فعدم تلك الأذكار لا تغير صورة العبادة . وأما الجلسة للتشهد الأول ففعل معتاد وما زيدت إلا للتشهد فتركها ظاهر التأثير وأما دعاء الاستفتاح والسورة فتركهما لا يؤثر مع أن القيام صار معمورا بالفاتحة ومميزا عن العادة بها وكذلك الدعاء فى التشهد الأخير والقنوت أبعد ما يجبر بالسجود ولكن شرع مد الاعتدال فى الصبح لأجله فكان كمد جلسة الاستراحة إذ صارت بالمد مع التشهد جلسة للتشهد الأول فبقى هذا قياما ممدودا معتادا ليس فيه ذكر واجب وفى الممدود احتراز عن غير الصبح وفى خلوه عن ذكر واجب احتراز عن أصل القيام فى الصلاة . فان قلت تمييز السنن عن الفرائض معقول إذ تفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة ويتوجه العقاب به دونها فأما تمييز سنة عن سنة والكل مأمور به على سبيل الاستحباب ولا عقاب فى ترك الكل والثواب موجود على الكل فما معناه . فاعلم أن اشتراكهما فى الثواب والعقاب والاستحباب لا يرفع تفاوتهما ولنكشف ذلك لك بمثال وهو أن الانسان لا يكون إنسانا موجودا كاملا إلا بمعنى باطن وأعضاء ظاهرة ، فالمعنى الباطن هو الحياة والروح والظاهر أجسام أعضائه ثم بعض تلك الأعضاء ينعدم الانسان بعدمها كالقلب والكبد والدماغ وكل عضو تفوت الحياة بفواته وبعضها لا تفوت بها الحياة ولكن يفوت بها مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا يفوت بها الحياة ولا مقاصدها ولكن يفوت بها الحسن

سرادقات العز تنادى بما نودى به موسى إنى أنا ربك أى فرغ قلبك لما يرد عليك من فوائد المزيد وحوادث الصدق وثمار المعارف وارتياح سلوك الطريق وإشارات قرب الوصول وسر القلب كما يقول أذن الرأس ووسع الآذان وما يوحى أى ما يرد من الله تعالى بواسطة ملك أو إلقاء بواسطة ملك أو إلقاء فى روع أو مكاشفة بحقيقة أو ضرب مثل مع العلم بتأويله ومعنى لعلك حرف ترويح ومعنى إن لم تدركك آفة تقطعك عن سماع الوحى من إعجاب بحال أو إضافة دعوى إلى النفس أو قنوع بما وصلت إليه واستبداد به عن غيره وسرادقات المجد هى حجب الملكوت وما نودى به موسى هو علم التوحيد التى وسعت العبارة اللطيفة عنه بقوله حين قال له ياموسى إنى أنا الله لا إله إلا أنا والمنادى باسمه أزلا وأبدا هو اسم

كالحاجبين واللحية والأهداب وحسن اللون وبعضها لايفوت بها أصل الجمال ولكن كماله كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية والأهدب وتناسب خلقة الأعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض فى اللون فهذه درجات متفاوتة فكذلك العبادة صوره صوّرها الشرع وتعبدنا باكتسابها فروحها وحياتها الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص كما سيأتى ونحن الآن فى أجزائها الظاهرة فالركوع والسجود والقيام وسائر الأركان تجرى منها مجرى القلب والرأس والكبد إذ يفوت وجود الصلاة بفواتها والسنن التى ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح والتشهد الأول تجرى منها مجرى اليدين والعينين والرجلين ولاتفوت الصحة بفواتها كما لاتفوت الحياة بفوات هذه الأعضاء ولكن يصير الشخص بسبب فواتها مشوّه الخلقة مذموما غير مرغوب فيه فكذلك من اقتصر على أقلّ مايجزى من الصلاة كان كمن أهدى إلى ملك من الملوك عبدا حيا مقطوع الأطراف . وأما الهيئات وهى ماوراء السنن فتجرى مجرى أسباب الحسن من الحاجبين واللحية والأهداب وحسن اللون . وأما وظائف الأذكار فى تلك السنن فهى مكملات للحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرها فالصلاة عندك قربة وتحفة تتقرب بها إلى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة من السلاطين إليهم وهذه التحفة تعرض على الله عز وجل ثم ترد عليك يوم العرض الأكبر فاليك الخيرة فى تحسين صورتها وتقبيحها فان أحسنت فلنفسك وإن أسأت فعليها ولا ينبغى أن يكون حظك من ممارسة الفقه أن يتميز لك السنة عن الفرض فلا يعلق بفهمك من أوصاف السنة إلا أنه يجوز تركها فتتركها فان ذلك يضاهى قول الطبيب إن فقء العين لايبطل وجود الانسان ولكن يخرجه عن أن يصدق رجاء المتقرب فى قبول السلطان إذا أخرجه فى معرض الهدية فهكذا ينبغى أن تفهم مراتب السنن والهيئات والآداب فكل صلاة لم يتمّ الانسان ركوعها وسجودها فهى الخصم الأول على صاحبها تقول ضيعك الله كما ضيعتنى فطالع الأخبار التى أوردناها فى كمال أركان الصلاة ليظهر لك وقعها .

(الباب الثالث فى الشروط الباطنة من أعمال القلب)

ولنذكر فى هذا الباب ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب ثم نذكر المعانى الباطنة وحدودها وأسبابها وعلاجها ثم لنذكر تفصيل ماينبغى أن يحضر فى كل ركن من أركان الصلاة لتكون صالحة لزاد الآخرة .

(بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب)

اعلم أن أدلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى ـ أقم الصلاة لذكرى ـ وظاهر الأمر الوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل فى جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلاة لذكره وقوله تعالى ـ ولاتكن من الغافلين ـ نهى وظاهره التحريم وقوله عز وجل ـ حتى تعلموا ماتقولون ـ تعليل لنهى السكران وهو مطرد فى الغافل المستغرق الهم بالوسواس وأفكار الدنيا وقوله صلى الله عليه وسلم « إنما الصلاة تمسكن وتواضع » حصر بالألف واللام وكلمة إنما للتحقيق والتوكيد وقد فهم الفقهاء من قوله عليه السلام «إنما الشفعة فيما لم يقصر» الحصر والاثبات والنفى وقوله صلى الله عليه وسلم «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا » وصلاة الغافل لاتمنع من الفحشاء والمنكر . وقال صلى الله عليه وسلم « كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب (١) » وما أراد به إلا الغافل وقال

(الباب الثالث)

(١) حديث كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب ن ه من حديث أبى هريرة ربّ قائم ليس له من قيامه إلا السهر ولأحمد رب قائم حظه من صلاته السهر وإسناده حسن .

موسى لما سمى السالك الموجود فى كلام الله تعالى فى أزل الأزل قبل أن يخلق موسى لا إلى أول وكلام الله تعالى صفة له لا يتغير كما لا يتغير هو إذ ليست صفاته المعنوية لغيره وهو الذى لا يحول ولا يزول وقد زلّ قوم عظم اقتراحهم وهو أنهم حملوا صدور هذا القول على اعتقاد اكتساب النبوة وعياذا بالله من أين يحتمل هذا القول ماحملوه من المذهب أليسوا وهم يعرفون أن كثيرا ممن يكون بحضرة ملك من ملوك الدنيا وهو يخاطب إنسانا آخر قلد ولاية كبيرة وفوّض إليه عملا عظيما وحباه حباء خطيرا وهو ينادى باسمه أو يأمره بما يمتثل من أمره ثم إن السامع للملك الحاضر معه غير المولى لم يشارك المولى المخلوع عليه والمفوض إليه فى شئ مما ولى وأعطى ولم تجب له بسماعه ومشاهدته

صلى الله عليه وسلم «ليس للعبد من صلاته إلا ماعقل منها[1]» والتحقيق فيه أن المصلى مناج ربه عز وجل[2] كما ورد به الخبر والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة وبيانه أن الزكاة إن غفل الانسان عنها مثلا فهى فى نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى الذى هو آلة للشيطان عدو الله فلا يبعد أن يحصل منها مقصود مع الغفلة وكذلك الحج أفعاله شاقة شديدة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الإيلام كان القلب حاضرا مع أفعاله أو لم يكن أما الصلاة فليس فيها إلا الذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود فأما الذكر فانه محاورة ومناجاة مع الله عز وجل فاما أن يكون المقصود منه كونه خطابا ومحاورة أو المقصود منه الحروف والأصوات امتحانا للسان بالعمل كما تمتحن المعدة والفرج بالامساك فى الصوم وكما يمتحن البدن بمشاق الحج ويمتحن القلب بمشقة إخراج الزكاة واقتطاع المال المعشوق ولا شك أن هذا القسم باطل فان تحريك اللسان بالهذيان ما أخفه على الغافل فليس فيه امتحان من حيث إنه عمل بل المقصود الحروف من حيث إنه نطق ولا يكون نطقا إلا إذا أعرب عما فى الضمير ولا يكون معربا إلا بحضور القلب فأى سؤال فى قوله اهدنا الصراط المستقيم إذا كان القلب غافلا وإذا لم يقصد كونه تضرعا ودعاء فأى مشقة فى تحريك اللسان به مع الغفلة لاسيما بعد الاعتياد هذا حكم الأذكار بل أقول لو حلف الانسان وقال لأشكرن فلانا وأثنى عليه وأسأله حاجة ثم جرت الألفاظ الدالة على هذه المعانى على لسانه فى النوم لم يبر فى يمينه ولو جرت على لسانه فى ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير بارا فى يمينه إذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا معه ما لم يكن هو حاضرا فى قلبه فلو كانت تجرى هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر إلا أنه فى بياض النهار غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الأفكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب إليه عند نطقه لم يصر بارا فى يمينه ولا شك فى أن المقصود من القراءة والأذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله عز وجل وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التى شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله عز وجل ورسوخ عقد الايمان به هذا حكم القراءة والذكر وبالجملة فهذه الخاصية لا سبيل إلى إنكارها فى النطق وتمييزها عن الفعل وأما الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم قطعا ولو جاز أن يكون معظما لله عز وجل بفعله وهو غافل عنه لجاز أن يكون معظما لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه أو يكون معظما للحائط الذى بين يديه وهو غافل عنه وإذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق إلا مجرد حركة الظهر والرأس وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به ثم يجعله عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ويقدم على الحج وسائر العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص وما أرى أن هذه العظمة كلها للصلاة من حيث أعمالها الظاهرة إلا أن يضاف إليها مقصود المناجاة فان ذلك يتقدم على الصوم والزكاة والحج وغيره بل الضحايا والقرابين التى هى مجاهدة للنفس بتنقيص المال قال الله تعالى ـ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ـ أى الصفة التى استولت على القلب حتى حملته على امتثال الأوامر هى المطلوبة فكيف الأمر فى الصلاة ولا أرب فى أفعالها فهذا ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب . فان قلت إن حكمت ببطلان الصلاة وجعلت حضور القلب شرطا فى صحتها خالفت إجماع الفقهاء فانهم لم يشترطوا

أكثر من حظوة القربة وشرف الحضور ومنزلة المكاشفة من غير وصول إلى درجة المخاطب بالولاية والمفوّض إليه الأمر ولذلك هذا السالك المذكور إذا وصل فى طريقه ذلك بحيث يصل بالمكاشفة والمشاهدة واليقين التام الذى يوجب المعرفة والعلم بتفاصيل المعلوم فلا يمتنع أن يسمع ما يوحى لغيره من غير أن يقصد هو بذلك إذ هو محل سماع الوحى على الدوام وموضع الملائكة وكفى بها أنها الحضرة الربوبية وموسى عليه السلام ما استحق الرسالة والنبوّة ولا استوجب التكليم وسماع الوحى مقصودا بذلك بحاوله فى هذا المقام الذى هو المرتبة الثالثة فقط بل قد استحق ذلك بفضل الله تعالى حين خصه بمعنى آخر ترقى إلى ذلك المقام أضعافا فجاوز المرتبة الرابعة لأن آخر مقامات

(١) حديث ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل لم أجده مرفوعا وروى محمد بن نصر المروزى فى كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبى دهرش مرسلا لا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى بن كعب ولابن المبارك فى الزهد موقوفا على عمار لا يكتب للرجل من صلاته ما سهى عنه (٢) حديث المصلى يناجى ربه متفق عليه من حديث أنس .

الأولياء أول مقامات الأنبياء وموسى عليه السلام نبى مرسل فمقامه أعلى بكثير مما نحن آخذون فى أطرافه لأن هذا المقام الذى هو المرتبة الثالثة ليست من غايات مقام الولاية بل هو إلى مباديها أقرب منه إلى غايتها فمن لم يفهم درجات المقام وخصائص النبوة وأحوال الولايات كيف يتعرض للكلام فيها والطعن على أهلها هذا لا يصلح إلا لمن لا يعرف أنه مؤاخذ بكلامه محاسب بظنه ويقينه مكتوب عليه خطراته محفوظ عليه لحظاته مخلصا منه يقظاته وغفلاته فما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد . فان قلت أراك قد أوجبت له نداء الله تعالى ونداء كلامه والله تعالى يقول ـ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ـ فقد نبه أن تكليم الله تعالى لمن

الاحضور القلب عند التكبير . فاعلم أنه قد تقدم فى كتاب العلم أن الفقهاء لا يتصرفون فى الباطن ولا يشقون عن القلوب ولا فى طريق الآخرة بل يبنون ظاهر أحكام الدين على ظاهر أعمال الجوارح وظاهر الأعمال كاف لسقوط القتل وتعزير السلطان فأما أنه ينفع فى الآخرة فليس هذا من حدود الفقه على أنه لا يمكن أن يدعى الاجماع فقد نقل عن بشر بن الحارث فيما رواه عنه أبو طالب المكى عن سفيان الثورى أنه قال من لم يخشع فسدت صلاته وروى عن الحسن أنه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى إلى العقوبة أسرع وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو فى الصلاة فلا صلاة له وروى أيضا مسندا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها[1] » وهذا لو نقل عن غيره لجعل مذهبا فكيف لا يتمسك به وقال عبد الواحد بن زيد أجمعت العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها فجعله إجماعا وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى والحق الرجوع إلى أدلة الشرع والأخبار والآثار ظاهرة فى هذا الشرط إلا أن مقام الفتوى فى التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق فلا يمكن أن يشترط على الناس إحضار القلب فى جميع الصلاة فان ذلك يعجز عنه كل البشر إلا الأقلين وإذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له إلا أن يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو فى اللحظة الواحدة وأولى اللحظات به لحظة التكبير فاقتصرنا على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجو أن لا يكون حال الغافل فى جميع صلاته مثل حال التارك بالكلية فانه على الجملة أقدم على الفعل ظاهرا وأحضر القلب لحظة وكيف لا والذى صلى مع الحدث ناسيا صلاته باطلة عند الله تعالى ولكن له أجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجاء فيخشى أن يكون حاله أشد من حال التارك وكيف لا والذى يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر أشد حالا من الذى يعرض عن الخدمة وإذا تعارض أسباب الخوف والرجاء وصار الأمر مخطرا فى نفسه فاليك الخيرة بعده فى الاحتياط والتساهل ومع هذا فلا مطمع فى مخالفة الفقهاء فيما أفتوا به من الصحة مع الغفلة فان ذلك من ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلاة علم أن الغفلة تضادها ولكن قد ذكرنا فى باب الفرق بين العلم الباطن والظاهر فى كتاب قواعد العقائد أن قصور الخلق أحد الأسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من أسرار الشرع فلنقتصر على هذا القدر من البحث فان فيه مقنعا للمريد الطالب لطريق الآخرة وأما المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن . وحاصل الكلام أن حضور القلب هو روح الصلاة وأن أقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح فى أجزاء الصلاة وكم من حى لا حراك به قريب من ميت فصلاة الغافل فى جميعها إلا عند التكبير كمثل حى لا حراك به نسأل الله حسن العون .

(بيان المعانى الباطنة التى تتم بها حياة الصلاة)

اعلم أن هذه المعانى تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ست جمل وهى حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء فلنذكر تفاصيلها ثم أسبابها ثم العلاج فى اكتسابها . أما التفاصيل فالأول حضور القلب ونعنى به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جائلا فى غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان

(١) حديث إن العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها الحديث دن حب من حديث عمار بن ياسر بنحوه .

فى قلبه ذكر لماهو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شىء فقد حصل حضور القلب ولكن التفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذى أردناه بالتفهم وهذا مقام يتفاوت الناس فيه إذ ليس يشترك الناس فى تفهم المعانى للقرآن والتسبيحات وكم من معان لطيفة يفهمها المصلى فى أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها تفهم أمورا تلك الأمور تمنع عن الفحشاء لامحالة . وأما التعظيم فهو أمر وراء حضور القلب والفهم إذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زائد عليهما . وأما الهيبة فزائدة على التعظيم بل هى عبارة عن خوف منشؤه التعظيم لأن من لا يخاف لا يسمى هائبا والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجرى مجراه من الأسباب الخسيسة لا تسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة والهيبة خوف مصدرها الاجلال . وأما الرجاء فلاشك أنه زائد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه أو يخاف سطوته ولكن لا يرجو مثوبته والعبد ينبغى أن يكون راجيا بصلاته ثواب الله عز وجل كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله عز وجل . وأما الحياء فهو زائد على الجملة لأن مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب . وأما أسباب هذه المعانى الستة فاعلم أن حضور القلب سببه الهمة فان قلبك تابع لهمتك فلا يحضر إلا فيما يهمك ومهما أهمك أمر حضر القلب فيه شاء أم أبى فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه والقلب إذا لم يحضر فى الصلاة لم يكن متعطلا بل جائلا فيما الهمة مصروفة إليه من أمور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلى الصلاة والهمة لا تنصرف إليها مالم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الإيمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى وأن الصلاة وسيلة إليها فاذا أضيف هذا إلى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعها حضور القلب فى الصلاة وبمثل هذه العلة يحضر قلبك إذا حضرت بين يدى بعض الأكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك فاذا كان لا يحضر عبد المناجاة مع ملك الملوك الذى بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظنن أن له سببا سوى ضعف الإيمان فاجتهد الآن فى تقوية الإيمان وطريقه يستقصى فى غير هذا الموضع . وأما التفهم فسببه بعد حضور القلب إدمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك المعنى وعلاجه ماهو علاج إحضار القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها أعنى النزوع عن تلك الأسباب التى تنجذب الخواطر إليها ومالم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن أحب شيئا أكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة فلذلك ترى أن من أحب غير الله لا تصفو له صلاة عن الخواطر وأما التعظيم فهى حالة للقلب تتولد من معرفتين إحداهما معرفة جلال الله عز وجل وعظمته وهو من أصول الإيمان فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه . الثانية معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه فيعبر عنه بالتعظيم ومالم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع فان المستغنى عن غيره الآمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لأن القرينة الأخرى وهى معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن إليه . وأما الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة به وأنه لو أهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة

كله من الرسل إنما هو على سبيل المبالغة فى التفضيل وهذا لا يصلح أن يكون لغيره ممن ليس بنبى ولا رسول وإذا بان السبب وقصد بادر الشك العارض فى مسالك الحقائق فنقول ليس فى الآية ما يرد ماقلنا ولا يكسره لأنا ما أوجبنا أنه كلمه قصدا ولا توخاه بالخطاب عمدا وإنما قلنا يجوز أن يسمع مايخاطب الله تعالى به غيره مما هو أعلى منه أليس من يسمع كلام إنسان مثلا مما يتكلم به غير السامع فيقال فيه إنه كليمه وقد حكى أن طائفة من بنى إسرائيل سمعوا كلام الله تعالى الذى خاطب به موسى حين كلمه ثم إذا ثبت ذلك لم يجب لهم به درجة موسى عليه السلام ولا المشاركة فى نبوته ورسالته على أنا نقول نفس ورود الخطاب إلى السامعين من الله تعالى يمكن

ما يجرى على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد من ملوك الأرض ، وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة وسيأتى أسباب ذلك فى كتاب الخوف من ربع المنجيات . وأما الرجاء فسببه معرفة لطف الله عز وجل وكرمه وعميم إنعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه فى وعده الجنة بالصلاة ، فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لامحالة . وأما الحياء فباستشعاره التقصير فى العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة إخلاصها وخبث دخلتها وميلها إلى الحظ العاجل فى جميع أفعالها مع العلم بعظيم مايقتضيه جلال الله عز وجل والعلم بأنه مطلع على السرّ وخطرات القلب وإن دقت وخفيت وهذه المعارف إذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء فهذه أسباب هذه الصفات وكل ما طلب تحصيله فعلاجه إحضار سببه ففى معرفة السبب معرفة العلاج ورابطة جميع هذه الأسباب الايمان واليقين أعنى به هذه المعارف التى ذكرناها ومعنى كونها يقينا انتفاء الشك واستيلاؤها على القلب كما سبق فى بيان اليقين من كتاب العلم وبقدر اليقين يخشع القلب ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها « كان رسول الله صلى عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه » ، وقد روى أن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام « ياموسى إذا ذكرتنى فاذكرنى وأنت تنتفض أعضاؤك وكن عند ذكرى خاشعا مطمئنا وإذا ذكرتنى فاجعل لسانك من وراء قلبك وإذا قمت بين يدىّ فقم قيام العبد الذليل وناجنى بقلب وجل ولسان صادق » ، وروى أن الله تعالى أوحى إليه « قل لعصاة أمتك لايذكرونى فانى آليت على نفسى أن من ذكرنى ذكرته فاذا ذكرونى ذكرتهم باللعنة » هذا فى عاص غير غافل فى ذكره فكيف إذا اجتمعت الغفلة والعصيان وباختلاف المعانى التى ذكرناها فى القلوب انقسم الناس إلى غافل يتمم صلاته ولم يحضر قلبه فى لحظة منها وإلى من يتمم ولم يغب قلبه فى لحظة بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لايحس بما يجرى بين يديه ولذلك لم يحسّ مسلم بن يسار بسقوط الأسطوانة فى المسجد اجتمع الناس عليها وبعضهم كان يحضر الجماعة مدّة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره ووجيب قلب إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه كان يسمع على ميلين وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد فان أضعافه مشاهد فى همم أهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع عجزهم وضعفهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على ملك أووزير ويحدّثه بمهمته ثم يخرج ولو سئل عمن حواليه أو عن ثوب الملك لكان لايقدر على الاخبار عنه لاشتغال همه به عن ثوبه وعن الحاضرين حواليه ولكل درجات مما عملوا فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فان موقع نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة رضى الله عنهم يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم فى الصلاة من الطمأنينة والهدوّ ومن وجود النعيم بها واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه ويراعى فى ذلك حال قلبه لاحال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور فى الدار الآخرة ولاينجو إلا من أتى الله بقلب سليم ، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه .

(بيان الدواء النافع فى حضور القلب)

اعلم أن المؤمن لابدّ أن يكون معظما لله عز وجل وخائفا منه وراجيا له ومستحييا من تقصيره فلاينفك عن هذه الأحوال بعد إيمانه وإن كانت قوتها بقدرة قوة يقينه فانفكاكه عنها فى الصلاة لاسبب له إلا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة ولا يلهى عن الصلاة

الاختلاف فيه فيكون النبى المرسل يسمع كلام الله تعالى عز وجل الذاتى القديم بلا حجاب فى السمع ولا واسطة بينه وبين القلب ومن دونه يسمعه على غير تلك الصورة مما يلقى فى روعه ومما ينادى به فى سمعه أو سره وأشباه ذلك كما ذكر أن قوم موسى عليه السلام حين سمعوا كلام الله سبحانه مع موسى أنهم سمعوا صوتا كالشبور ـ وهو القرآن ـ فاذا صح ذلك فبتباين المقامات اختلف ورود الخطاب فموسى سمع كلام الله بالحقيقة الذى هو صفة له بلا كيف ولاصورة نظ الحروف ولا أصوات والذين كانوا معه أيضا سمعوا صوتا مخلوقا جعل لهم علامة ودلالة على صحة التكليم وخلق الله سبحانه لهم بذلك العلم الضرورى وسمى ذلك الذى سمعوه كلامه إذ كان دلالة عليه كما تسمى التلاوة وهى الحروف المتلوّ بها

إلا الخواطر الواردة الشاغلة فالدواء فى إحضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشئ إلا بدفع سببه فلنعلم سببه وسبب موارد الخواطر إما أن يكون أمرا خارجا أو أمرا فى ذاته باطنا أما الخارج فما يقرع السمع أو يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكرة إلى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافتكار ثم تصير بعض تلك الأفكار سببا للبعض ومن قويت نيته وعلت همته لم يلهه ماجرى على حواسه ولكن الضعيف لابدّ وأن يتفرق به فكره وعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يغض بصره أو يصلى فى بيت مظلم أو لا يترك بين يديه مايشغل حسه ويقرب من حائط عند صلاته حتى لاتتسع مسافة بصره ويحترز من الصلاة على الشوارع وفى المواضع المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش المصبوغة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون فى بيت صغير مظلم سعته قدر السجود ليكون ذلك أجمع للهمم والأقوياء منهم كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزون به موضع السجود ويرون كمال الصلاة فى أن لايعرفوا من على يمينهم وشمالهم ، وكان ابن عمر رضى الله عنهما لايدع فى موضع الصلاة مصحفا ولاسيفا إلا نزعه ولا كتابا إلا محاه . وأما الأسباب الباطنة فهى أشدّ فانّ من تشعبت به الهموم فى أودية الدنيا لاينحصر فكره فى فنّ واحد بل لايزال يطير من جانب إلى جانب وغض البصر لايغنيه ، فان ماوقع فى القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه أن يردّ النفس قهرا إلى فهم ما يقرؤه فى الصلاة ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك أن يستعد له قبل التحريم بأن يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدى الله سبحانه وهو المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت إليه خاطره . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن أبى شيبة « إنى نسيت أن أقول لك أن تخمر القدر الذى فى البيت (١) » فانه لاينبغى أن يكون فى البيت شئ يشغل الناس عن صلاتهم فهذا طريق تسكين الأفكار فان كان لا يسكن هوائج أفكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه إلا المسهل الذى يقمع مادة الداء من أعماق العروق وهو أن ينظر فى الأمور الصارفة الشاغلة عن إحضار القلب ، ولاشك أنها تعود إلى مهماته وأنها إنما صارت مهمات لشهواته فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل مايشغله عن صلاته فهو ضد دينه وجند إبليس عدوه فامساكه أضر عليه من إخراجه فيتخلص منه باخراجه كما روى أنه صلى الله عليه وسلم « لما لبس الخميصة التى أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته ، وقال صلى الله عليه وسلم : اذهبوا بها إلى أبى جهم فانها ألهتنى آنفا عن صلاتى وائتونى بأنبجانية أبى جهم (٢) . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجديد شراك نعله ثم نظر إليه فى صلاته إذ كان جديدا فأمر أن ينزع منها ويرد الشراك الخلق (٣). وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى نعلا فأعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربى عزوجل كى لايمقتنى ثم خرج بها فدفعها إلى أول سائل لقيه ، ثم أمر عليا رضى الله عنه أن يشترى له نعلين سبتيتين جرداوين فلبسهما (٤). وكان صلى الله عليه وسلم فى يده خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر

(١) حديث إنى نسيت أن أقول لك تخمر القربتين اللذين فى البيت الحديث د من حديث عثمان الحجبى وهو عثمان بن طلحة كما فى مسند أحمد ووقع للمصنف أنه قال ذلك لعثمان بن شيبة وهو وهم (٢) حديث نزع الخميصة وقال ائتونى بأنبجانية أبى جهم متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم فى العلم .

(٣) حديث أمره بنزع الشراك الجديد ورد الشراك الخلق إذ نظر إليه فى صلاته ابن المبارك فى الزهد من حديث أبى النضر مرسلا بإسناد صحيح (٤) حديث احتذى نعلا فأعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربى الحديث أبو عبد الله بن حقيق فى شرف الفقراء من حديث عائشة باسناد ضعيف .

القرآن كلام الله تعالى إذ هى دلالة عليه، فان قلت فما يبقى على السامع إذا سمع كلام الله تعالى الذى يستفيد معرفة وحدانيته وفقه أمره ونهيه وفهم مراده وحكمه يلحقه العلم الضرورى فيما أرى بأنه الشئ المرسل إلا بأن يشتغل باصلاح الخلق دونه ولو كان عوضا منه أخر عنه ومقامه مقامه ؟ فاعلم أن الذى أوجب عثورك ودوام زللك واعتراضك على العلوم بالجهل وعلى الحقائق بالمخايل إنك بعيد عن غور المطالب قعيد فى شرك المعاطب قعيد صوب الصوت عتيد صحب السحاب إن الذى استحقّ به الناظر السالك الواصل المرتبة الثالثة سماع نداء الله تعالى معنى ومقام وحال وخاصة أعلى من تلك الأولى وأجل وأكبر وبينهما مابين من استحقّ المواجهة بالخطاب والقصد به وبين من

فرماه وقال شغلني هذا نظرة إليه ونظرة إليكم (١) » وروى « أن أباطلحة صلى في حائط وفيه شجر فأعجبه بسبي طائر في الشجر يلتمس مخرجا فأتبعه بصره ساعة ثم لم يدر كم صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصابه من الفتنة ثم قال يارسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت (٢) » . وعن رجل آخر أنه صلى في حائط له والنخل مطوقة بثمرها فنظر إليها فأعجبته ولم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمان رضي الله عنه وقال هو صدقة فاجعله في سبيل الله عز وجل فباعه عثمان بخمسين ألفا فكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القامع لمادة العلة ولا يغني غيره فأما ماذكرناه من التلطف بالتسكين والرد إلى فهم الذكر فذلك ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل إلا حواشي القلب فأما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع فيها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضي جميع صلاتك في شغل المجاذبة ومثاله رجل تحت شجرة أراد أن يسفوله فكره وكانت أصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة في يده ويعود إلى فكره فتعود العصافير فيعود إلى التنقير بالخشبة فقيل له إن هذا أسير السواني ولا ينقطع فان أردت الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوات إذا تشعبت وتفرعت أغصانها انجذبت إليها الأفكار انجذاب العصافير إلى الأشجار وانجذاب الذباب إلى الأقذار والشغل يطول في دفعها فان الذباب كلما ذب آب ولأجله سمي ذبابا فكذلك الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو العبد عنها ويجمعها أصل واحد وهو حب الدنيا وذلك رأس كل خطيئة وأساس كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال إلى شيء منها لا ليتزود منها ولا ليستعين بها على الآخرة فلا يطمعن في أن تصفو له لذة المناجاة في الصلاة فان من فرح بالدنيا لا يفرح بالله سبحانه وبمناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه فان كانت قرة عينه في الدنيا انصرف لا محالة إليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغي أن يترك المجاهدة ورد القلب إلى الصلاة وتقليل الأسباب الشاغلة فهذا هو الدواء المر ولمرارته استبشعته الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا حتى إن الأكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين لا يحدثوا أنفسهم فيها بأمور الدنيا فعجزوا عن ذلك فاذن لا مطمع فيه لأمثالنا وليته سلم لنا من الصلاة شطرها أو ثلثها من الوسواس لنكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة في القلب مثل الماء الذي يصب في قدح مملوء بخل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج منه من الخل لا محالة ولا يجتمعان.

(بيان تفصيل ماينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة)

فنقول حقك إن كنت من المريدين للآخرة أن لا تغفل أولا عن التنبيهات التي في شروط الصلاة وأركانها . أما الشروط السوابق فهي الأذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما والنية فاذا سمعت نداء المؤذن فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوءا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة إلى الابتدار فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أرحنا يابلال (٣) » أي أرحنا بها وبالنداء إليها إذ كان قرة عينه فيها صلى الله عليه وسلم وأما الطهارة فاذا أتيت بها في مكانك وهو ظرفك

(١) حديث رميه بالخاتم الذهب من يده وقال شغلني هذا نظرة إليه ونظرة إليكم ن من حديث ابن عباس باسناد صحيح وليس فيه بيان أن الخاتم كان ذهبا ولا فضة إنما هو مطلق (٢) حديث إن أباطلحة صلى في حائط له فيه شجر فأعجبه ريش طائر في الشجر الحديث في سهوه في الصلاة وتصدقه بالحائط مالك عن عبد الله بن أبي بكر أن أباطلحة الأنصاري فذكره بنحوه (٣) حديث بها أرحنا يابلال قط في العلل من حديث بلال ولأبي داود ونحوه من حديث رجل من الصحابة لم يسم باسناد صحيح .

لا يستحق أكثر من سماعه من يخاطب به غيره فهذا من الاشارة باختلاف ورود الخطاب إليهما مما يوجب نفورا وتباين ما بينهما فان فهمت الآن وإلا تقدعني لا ندر بحبال؟. فان قيل ألم يقل الله تعالى — فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول — وسماع كلام الله تعالى بحجاب أو بغير حجاب وعلم ما في الملكوت ومشاهدة الملائكة وما غاب عن المشاهدة والحس من أجل الغيوب فكيف يطلع عليها من ليس برسول قلنا في الكلام حذف يدل على صحة تقديره الشرع الصادق والمشاهدة الصورية وهو أن يكون معناه إلا من ارتضى من رسول ومن اتبع الرسول بالإخلاص والاستقامة أو عمل بما جاء به النبي لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله »

الأبعد ثم في ثيابك وهي غلافك الأقرب ثم في بشرتك وهو قشرك الأدنى فلا تغفل عن لبابك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على مافرطت وتصميم العزم على الترك في المستقبل فطهر بها باطنك فانه موضع نظر معبودك . وأما ستر العورة فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق فما بالك في عورات باطنك وفضائح سرائرك التي لا يطلع عليها إلا ربك عز وجل فأحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق أنه لايستر عن عين الله سبحانه ساتر وإنما يغفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد باحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنها فتذل بها نفسك ويستكين تحت الخجلة قلبك وتقوم بين يدي الله عز وجل قيام العبد المجرم المسيء الآبق الذي ندم فرجع إلى مولاه ناكسا رأسه من الحياء والخوف . وأما الاستقبال فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى أفترى أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى أمر الله عز وجل ليس مطلوبا منك هيهات فلا مطلوب سواه وإنما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالاثبات في جهة واحدة حتى لاتبغي على القلب فانها إذا بغت وظلمت في حركاتها والتفاتها إلى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله عز وجل فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك . فاعلم أنه كما لايتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب إلى الله عز وجل إلا بالتفرغ عما سواه وقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا قام العبد إلى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه إلى الله عز وجل انصرف كيوم ولدته أمه[1] » وأما الاعتدال قائما فانما هو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله عز وجل فليكن رأسك الذي هو أرفع أعضائك مطرقا مطأطئا متنكسا وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبيها على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبرى عن الترؤس والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدي الله عز وجل في هول المطلع عند العرض للسؤال . واعلم في الحال أنك قائم بين يدي الله عز وجل وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر في دوام قيامك في صلاتك أنك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من أهلك أو ممن ترغب في أن يعرفك بالصلاح فانه تهدأ عندذلك أطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع وإذا أحسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها إنك تدعين معرفة الله وحبه أفلاتستحين من استجرائك عليه مع توقيرك عبدا من عباده أوتخشين الناس ولاتخشينه وهو أحق أن يخشى ولذلك لما قال أبو هريرة « كيف الحياء من الله فقال صلى الله عليه وسلم تستحى منه كما تستحى من الرجل الصالح من قومك[2] » وروى « من أهلك » . وأما النية فاعزم على إجابة الله عز وجل في امتثال أمره بالصلاة وإتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها وإخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه متقلدا للمنة منه باذنه إياك في المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا

(١) حديث إذا قام العبد إلى صلاته وكان وجهه وهواه إلى الله انصرف كيوم ولدته أمه لم أجده

(٢) حديث قال أبوهريرة كيف الحياء من الله قال تستحى منه كما تستحى من الرجل الصالح من قومك الخرائطي في مكارم الأخلاق هق في الشعب من حديث سعيد بن زيد مرسلا بنحوه وأرسله هق بزيادة ابن عمر في السند وفي العلل قط عن ابن عمر له وقال إنه أشبه شيء بالصواب لوروده من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة .

وهل يبقى إلا ماغاب عنه أن ينكشف إليه وقال « إن يكن منكم محدثون فعمر » أوكما قال « المؤمن ينظر بنور الله » وفي القرآن العزيز — قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك — فعلم ماغاب عن غيره من إمكان بيان ماوعد به وأراد أنه قدر عليه ولم يكن نبيا ولا رسولا وقد أنبأ الله سبحانه وتعالى عن ذي القرنين من إخباره عن العلوم الغيبية وصدقه فيه حين قال — فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا — وإن كان وقع الاختلاف في نبوة ذي القرنين فالاجماع على أنه ليس برسول وهو خلاف المسطور في الآية وإن رام أحد المدافعة بالاحتيال لما أخبر به ذوالقرنين وما ظهر على يدي الذي كان عنده علم من الكتاب وأراد أن يجوز على

تناجى وعند هذا ينبغى أن يعرق جبينك من الخجل وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف . وأما التكبير فاذا نطق به لسانك فينبغى أن لا يكذبه قلبك فان كان فى قلبك شىء هو أكبر من الله سبحانه فالله يشهد إنك لكاذب وان كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين فى قولهم إنه صلى الله عليه وسلم رسول الله فان كان هواك أغلب عليك من أمر الله عز وجل فأنت أطوع له منك لله تعالى فقد اتخذته إلهك وكبرته فيوشك أن يكون قولك الله أكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما أعظم الخطر فى ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه . وأما دعاء الاستفتاح فأول كلماته قولك وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فانك إنما وجهته إلى جهة القبلة والله سبحانه يتقدس عن أن تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه وإنما وجه القلب هو الذى تتوجه به إلى فاطر السموات والأرض فانظر إليه أمتوجه هو إلى أمانيه وهمه فى البيت والسوق متبع للشهوات أو مقبل على فاطر السموات وإياك أن تكون أول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق ولن ينصرف الوجه الى الله تعالى إلا بانصرافه عما سواه فاجتهد فى الحال فى صرفه إليه وان عجزت عنه على الدوام فليكن قولك فى الحال صدقا ، وإذا قلت حنيفا مسلما فينبغى أن يخطر ببالك أن المسلم هو الذى سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم تكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد فى أن تعزم عليه فى الاستقبال وتندم على ماسبق من الأحوال واذا قلت أما أنا من المشركين فأخطر ببالك الشرك الخفى فان قوله تعالى ـ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ـ نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن حذرا مشفقا من هذا الشرك واستشعر الخجلة فى قلبك إن وصفت نفسك بأنك لست من المشركين من غير براءة عن هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه واذا قلت محياى ومماتى لله فاعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده وأنه إن صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته فى الحياة ورهبته من الموت لأمور الدنيا لم يكن ملائما للحال واذا قلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم أنه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله عز وجل حسدا لك على مناجاتك مع الله عز وجل وسجودك له مع أنه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها وأن استعاذتك بالله سبحانه منه بترك مايحبه وتبديله بما يحب الله عز وجل لا بمجرد قولك فان من قصده سبع أو عدو ليفترسه أو ليقتله فقال أعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه فان ذلك لاينفعه بل لايعيذه إلا تبديل المكان فكذلك من يتبع الشهوات التى هى محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عز وجل عن شر الشيطان وحصنه لا إله إلا الله إذ قال عز وجل فيما أخبر عنه نبينا ﷺ «لا إله إلا الله حصنى فمن دخل حصنى أمن من عذابى (١)» والمتحصن به من لا معبود له سوى الله سبحانه فأما من اتخذ إلهه هواه فهو فى ميدان الشيطان لا فى حصن الله عز وجل . واعلم أن من مكايده أن يشغلك فى صلاتك بذكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ماتقرأ فاعلم أن كل مايشغلك عن فهم معانى قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها . فأما القراءة فالناس فيها ثلاثة: رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره وهى درجات أصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه إلى المعانى أولا ثم يخدم اللسان القلب

(١) حديث قال الله تعالى لا إله إلا الله حصنى ك فى التاريخ وأبو نعيم فى الحلية من طريق أهل البيت من حديث على باسناد ضعيف جدا وقول أبى منصور الديلمى إنه حديث ثابت مردود عليه .

عمر التشبه بالحقائق فما يصنع فيما جرى للخضر وما أنبأ الله سبحانه وأظهر عليه من العلوم الغيبية وهو بعد أن يكون نبيا فليس برسول على الوفاق من الجميع والله تعالى يقول ـ إلا من ارتضى من رسول ـ فدل على أن فى الآية حذف مضاف معناه ماتقدم وانظر إلى ماظهر من كلام سعد رضى الله عنه أنه يرى الملائكة وهو غيب الله وأعلم أبو بكر بما فى البطن وهى من غيب الله وشواهد الشرع كثيرة جدا يعجز المتأول ويلهث المعاند هذا والقول بتخصيص العموم أظهر من الجراءة وأشهر مما نقل الكافة ويحتمل أن يكون المراد فى الآية بالرسول المذكور فيها ملك الوحى الذى بواسطته تنجلى العلوم وتنكشف العيوب فمتى لم يرسل الله ملكا بإعلام عيب أو يخاطب مشافهة أو إلقاء معنى فى روع أو ضرب مثل

فيترجمه ففرق أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب والقرّبون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب . وتفصيل ترجمة المعاني أنك إذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله سبحانه وافهم أنّ معناها أنّ الأمور كلها لله سبحانه وأن المراد بالاسم ههنا هو المسمى واذا كانت الأمور لله سبحانه فلا جرم كان الحمد لله ومعناه أن الشكر لله إذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة أو يتعمد غير الله سبحانه بشكر لامن حيث إنه مسخر من الله عز وجل فهو في تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله تعالى فاذا قلت الرحمن الرحيم فأحضر في قلبك جميع أنواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث بها رجاؤك ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين أما العظمة فلأنه لامالك إلا له وأما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك إياك نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبرى من الحول والقوة بقولك وإياك نستعين وتحقق أنه ماتيسرت طاعتك إلا باعانته وأن له المنة إذ وفقك الله لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك أهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشياطين اللعين ثم إذا فرغت من التعوذ ومن قولك بسم الله الرحمن الرحيم ومن التحميد ومن إظهار الحاجة إلى الاعانة مطلقا فعين سؤالك ولاتطلب إلا أهم حاجاتك وقل اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا إلى جوارك ويفضى بنا إلى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتأكيدا واستشهادا بالذين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين ثم التمس الاجابة وقل آمين فاذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم « قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ماسأل (١) » يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله عز وجل حمدني عبدي وأثنى علي وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث الخ فلو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته فناهيك بذلك غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي أن تفهم ماتقرؤه من السور كما سيأتي في كتاب تلاوة القرآن فلا تغفل عن أمره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر مننه وإحسانه ولكل واحد حق فالرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الأمر والنهي والاتعاظ حق الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق إخبار الأنبياء . وروى أن زرارة بن أوفى لما انتهى إلى قوله تعالى ـ فاذا نقر في الناقور ـ خر ميتا وكان ابرهيم النخعي إذا سمع قوله تعالى ـ إذا السماء انشقت ـ اضطرب حتى تضطرب أوصاله وقال عبد الله بن واقد رأيت ابن عمر يصلي مغلوبا عليه وحق له أن يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده فانه عبد مذنب ذليل بين يدي جبار قاهر وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لاتنحصر والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف أسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الأذكار والتسبيحات أيضا ثم يراعي الهيبة في القراءة فيرتل ولايسرد فان ذلك أيسر للتأمل ويفرق بين نغماته في آية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتحميد والتعظيم والتمجيد . كان النخعي إذا مر بمثل قوله عز وجل ـ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ـ يخفض صوته كالمستحي عن أن يذكره بكل شيء لايليق به وروى أنه يقال لقارئ القرآن « اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا (٢) » .

(١) حديث قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث م عن أبي هريرة (٢) حديث يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق د ت ن من حديث عبد الله بن عمر وقال ت حسن صحيح .

في يقظة أو منام لم يكن إلى علم ذلك الغيب سبيل ويكون تقدير الآية فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول أن يرسله إلى من يشاء من عباده في يقظة أو منام فانه يطلع على ذلك أيضا ويكون فائدة الاخبار بهذا في الآية الامتنان على من رزقه الله تعالى علم شيء من مكنوناته وإعلامه أنه لاتصل إليها نفسه ولامخلوق سواه إلا بالله تعالى حين أرسل إليه لك بذلك وبعثه الله حتى يتبرأ المؤمن من حوله ومن حول كل مخلوق وقوته ويرجع إلى الله تعالى وحده ويتحقق أنه لايرد عليه شيء من علم أو معرفة أو غير ذلك إلا بارادته ومشيئته ويحتمل وجه آخر وهو أن يكون معناه والله أعلم فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى يريد من سائر خلقه وأصناف عباده ويكون معنى من

وأما دوام القيام فانه تنبيه على إقامة القلب مع الله عز وجل على نعت واحد من الحضور قال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل مقبل على المصلى مالم يلتفت (١) » وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات إلى غير الصلاة فاذ التفت إلى غيره فذكره باطلاع الله عليه وبقبح التهاون بالمناجى عند غفلة المناجى ليعود إليه وألزم الخشوع للقلب فان الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى رجلا مصليا يعبث بلحيته « أما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه » فان الرعية بحكم الراعى ولهذا ورد فى الدعاء « اللهم أصلح الراعى والرعية(٢) » وهو القلب والجوارح وكان الصديق رضى الله عنه فى صلاته كأنه وتد وابن الزبير رضى الله عنه كأنه عود وبعضهم كان يسكن فى ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كأنه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدى من يعظم من أبناء الدنيا فكيف لايتقاضاه بين يدى ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك وكل من يطمئن بين يدى غير الله عز وجل خاشعا وتضطرب أطرافه بين يدى الله عابثا فذلك لقصور معرفته عن جلال الله عز وجل وعن اطلاعه على سره وضميره وقال عكرمة فى قوله عز وجل ـ الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين ـ قال قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه . وأما الركوع والسجود فينبغى أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه وترفع يديك مستجيرا بعفو الله عز وجل من عقابه بتجديد نية ومتبعا سنة نبيه ﷺ ثم تستأنف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد فى ترفيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك فى قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وأنه أعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار ثم ترتفع من ركوعك راجيا أنه راحم لك ومؤكدا للرجاء فى نفسك بقولك سمع الله لمن حمده أى أجاب لمن شكره ثم تردف ذلك الشكر المتقاضى للمزيد فتقول ربنا لك الحمد وتكثر الحمد بقولك ملء السموات وملء الأرض ثم تهوى إلى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة فتمكن أعز أعضائك وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب وإن أمكنك أن لاتجعل بينهما حائلا فتسجد على الأرض فافعل فانه أجلب للخشوع وأدل على الذل وإذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم أنك وضعتها موضعها ورددت الفرع إلى أصله فانك من التراب خلقت وإليه تعود فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربى الأعلى وأكده بالتكرار فان الكرة الواحدة ضعيفة الأثر فاذا رق قلبك وظهر ذلك فلتصدق رجاءك فى رحمة الله فان رحمته تتسارع إلى الضعف والذل لا إلى التكبر والبطر فارفع رأسك مكبرا وسائلا حاجتك وقائلا رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم أوما أردت من الدعاء ثم أكد التواضع بالتكرار فعد إلى السجود ثانيا كذلك وأما التشهد فاذا جلست له فاجلس متأدبا وصرح بأن جميع ماتدلى به من الصلوات والطيبات أى من الأخلاق الطاهرة لله وكذلك الملك لله وهو معنى التحيات وأحضر فى قلبك النبى صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم وقل سلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته وليصدق أملك فى أنه يبلغه ويرد عليك ماهو أوفى منه ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلاما وافيا بعدد عباده الصالحين ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولمحمد نبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة مجددا عهد الله سبحانه بإعادة كلمتى الشهادة ومستأنفا للتحصن بها ثم ادع فى آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال

(١) حديث إن الله يقبل على المصلى مالم يلتفت د ن ك وصحح إسناده من حديث أبى ذر

(٢) حديث اللهم أصلح الراعى والرعية لم أقف له على أصل وفسره المصنف بالقلب والجوارح .

رسول أى عن رسول من الملائكة [فصل] ومعنى ولا يتخطى رقاب الصديقين إن قلت ما الذى أوصله إلى مقامهم أو جاوز به ذلك وهو فى المرتبة الثالثة حال المقربين ماوصل حيث ظلمت فكيف يجاوزه وإنما خاصية من هو فى رتبة الصديقين عدم السؤال لكثرة التحقق بالأحوال وخاصية من هو فى رتبة القرب كثرة السؤال طمعا فى بلوغ الآمال ومثالهما فيما أشير إليه مثال إنسانين دخلا فى بستان أحدهما يعرف جميع أنواع نبات البستان ويتحقق أنواع تلك الثمار ويعلم أسماءها ومنافعها فهو لايسأل عن شىء مما يراه ولا يحتاج إلى أن يخبر به والثانى لايعرف مما رأى شيئا أو يعرف بعضا ويجهل أكثر مما يعرف فهو يسأل ليصل إلى علم الباقى وذلك من تكلمنا عليه حين أكثر

وصدق الرجاء بالإجابة وأشرك في دعائك أبويك وسائر المؤمنين واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وانو ختم الصلاة به واستشعر شكر الله سبحانه على توفيقه لاتمام هذه الطاعة وتوهم أنك مودع لصلاتك هذه وأنك ربما لاتعيش لمثلها وقال صلى الله عليه وسلم للذي أوصاه « صل صلاة مودع » ثم أشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلاة وخف أن لاتقبل صلاتك وأن تكون ممقوتا بذنب ظاهر أو باطن فترد صلاتك في وجهك وترجو مع ذلك أن يقبلها بكرمه وفضله . كان يحيى بن وثاب إذا صلى مكث ماشاء الله تعرف عليه كآبة الصلاة وكان إبراهيم يمكث بعد الصلاة ساعة كأنه مريض فهذا تفصيل صلاة الخاشعين الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم على صلاتهم يحافظون والذين هم على صلاتهم دائمون والذين هم يناجون الله على قدر استطاعتهم في العبودية فليعرض الانسان نفسه على هذه الصلاة فبالقدر الذي يسر له منه ينبغي أن يفرح وعلى مايفوته ينبغي أن يتحسر وفي مداواة ذلك ينبغي أن يجتهد. وأما صلاة الغافلين فهي مخاطرة إلا أن يتغمده الله برحمته والرحمة واسعة والكرم فائض فنسأل الله أن يتغمدنا برحمته ويغمرنا بمغفرته إذ لا وسيلة لنا إلا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته . واعلم أن تخليص الصلاة عن الآفات وإخلاصها لوجه الله عز وجل وأداءها بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول أنوار في القلب تكون تلك الأنوار مفاتيح علوم المكاشفة فأولياء الله المكاشفون بملكوت السموات والأرض وأسرار الربوبية إنما يكاشفون في الصلاة لاسيما في السجود إذ يتقرب العبد من ربه عز وجل بالسجود ولذلك قال تعالى ـ واسجدوا واقترب ـ وإنما تكون مكاشفة كل مصل على قدر صفاته عن كدورات الدنيا ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة وبالجلاء والخفاء حتى ينكشف لبعضهم الشيء بعينه وينكشف لبعضهم الشيء بمثاله كما كشف لبعضهم الدنيا في صورة جيفة والشيطان في صورة كلب جاثم عليها يدعو إليها ويختلف أيضا بما فيه المكاشفة فبعضهم ينكشف له من صفات الله تعالى وجلاله ولبعضهم من أفعاله ولبعضهم من دقائق علوم المعاملة ويكون لتعين تلك المعاني في كل وقت أسباب خفية لاتحصى وأشدها مناسبة الهمة فانها إذا كانت مصروفة إلى شيء معين كان ذلك أولى بالانكشاف ولما كانت هذه الأمور لاتتراءى إلا في المرائي الصقيلة وكانت المرآة كلها صدئة فاحتجبت عنها الهداية لا لبخل من جهة المنعم بالهداية بل لخبث متراكم الصدإ على مصب الهداية تسارعت الألسنة إلى إنكار مثل ذلك إذ الطبع مجبول على إنكار غير الحاضر ولو كان للجنين عقل لأنكر إمكان وجود الانسان في متسع الهواء ولو كان للطفل تمييز ما ربما أنكر مايزعم العقلاء إدراكه من ملكوت السموات والأرض وهكذا الانسان في كل طور يكاد ينكر مابعده ومن أنكر طور الولاية لزمه أن ينكر طور النبوة وقد خلق الخلق أطوارا فلا ينبغي أن ينكر كل واحد ماوراء درجته نعم لما طلبوا هذا من المجادلة والمباحثة المشوشة ولم يطلبوها من تصفية القلوب عما سوى الله عز وجل فقدوه فأنكروه ومن لم يكن من أهل المكاشفة فلا أقل من أن يؤمن بالغيب ويصدق به إلى أن يشاهد بالتجربة ففي الخبر « إن العبد إذا قام في الصلاة رفع الله سبحانه الحجاب بينه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه إلى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وإن المصلي لينثر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه وينادي مناد لو علم هذا المناجي من يناجي ما التفت وإن أبواب السماء تفتح للمصلين وإن الله عز وجل يباهي ملائكته بعبده المصلي[1] » ففتح أبواب السماء ومواجهة الله تعالى إياه بوجهه كناية عن الكشف الذي ذكرناه وفي التوراة مكتوب : يا ابن دم لاتعجز أن تقوم بين يدي مصليا باكيا فأنا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري قال فكنا

السؤال عما يبعد عنه حاله ويتخلف عن مقامه إلى ماهو أعلى منه وكان غير مراد لذلك اما في ذلك الوقت أو الأبد وتلك العلوم متى كانت لاتنال بالكسب وإنما تنال بالمنح فقيل له لاتتخط رقاب الصديقين بالسؤال فذلك مما لايخطر به وليس هو من الطرق الموصلة إلى مقامهم فارجع إلى الصديق الأكبر فاقتد به في حاله وسيرته فعساك ترزق مقامه فان لم يكن فتبقى على حالة القرب وهي تتلو الصديقية فهذا معناه .

[فصل] ومعنى انصراف السالك الناظر بعد وصوله إلى ذلك الرفيق الأعلى إما أنه لما وصل إليه بالسؤال صرف إليه مالاق به من الأحوال ليحكم مابقي عليه من الأعمال كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم للذي سأله أن يعلمه غرائب العلم اذهب فأحكم ما هناك وبعد

(١) حديث إن العبد إذا قام في الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبين عبده الحديث لم أجده .

نرى أن تلك الرقة والبكاء والفتوح الذى يجده المصلى فى قلبه من دنوّ الرب سبحانه من القلب وإذا لم يكن هذا الدنوّ هو القرب بالمكان فلا معنى له إلا الدنو بالهداية والرحمة وكشف الحجاب ويقال إن العبد إذا صلى ركعتين عجب منه عشرة صفوف من الملائكة كل صف منه عشرة آلاف وباهى الله به مائة ألف ملك وذلك أن العبد قد جمع فى الصلاة بين القيام والقعود والركوع والسجود وقد فرق الله ذلك على أربعين ألف ملك فالقائمون لا يركعون إلى يوم القيامة والساجدون لا يرفعون إلى يوم القيامة وهكذا الراكعون والقاعدون فان مارزق الله تعالى الملائكة من القرب والرتبة لازم لهم مستمر على حال واحد لا يزيد ولا ينقص لذلك أخبر الله عنهم أنهم قالوا: وما منا إلا له مقام معلوم، وفارق الانسان الملائكة فى الترقى من درجة إلى درجة فانه لا يزال يتقرب إلى الله تعالى فيستفيد مزيد قربه وباب المزيد مسدود على الملائكة عليهم السلام وليس لكل واحد إلا رتبته التى هى وقف عليه وعبادته التى هو مشغول بها لا ينتقل إلى غيرها ولا يفتر عنها فلا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ومفتاح مزيد الدرجات هى الصلوات . قال الله عزّ وجلّ ـ قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ـ فمدحهم بعد الايمان بصلاة مخصوصة وهى المقرونة بالخشوع ثم ختم أوصاف المفلحين بالصلاة أيضا فقال تعالى ـ والذين هم على صلواتهم يحافظون ـ ثم قال تعالى فى ثمرة تلك الصفات ـ أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ـ فوصفهم بالفلاح أوّلا وبوراثة الفردوس آخرا وماعندى أن هذه رمة اللسان مع غفلة القلب تنتهى إلى هذا الحد ولذلك قال الله عز وجل فى أضدادهم ـ ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ـ فالمصلون هم ورثة الفردس وهم المشاهدون لنور الله تعالى والمتمتعون بقربه ودنوه من قلوبهم . نسأل الله أن يجعلنا منهم وأن يعيذنا من عقوبة من تزينت أقواله وقبحت أفعاله إنه الكريم المنان القديم الاحسان وصلى الله على كلّ عبد مصطفى .

(حكايات وأخبار فى صلاة الخاشعين رضى الله عنهم)

اعلم أن الخشوع ثمرة الايمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله عز وجل ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعا فى الصلاة وفى غير الصلاة بل فى خلوته وفى بيت الماء عند قضاء الحاجة فانّ موجب الخشوع معرفة اطلاع الله تعالى على العبد ومعرفة جلاله ومعرفة تقصير العبد فمن هذه المعارف يتولد الخشوع وليست مختصة بالصلاة ولذلك روى عن بعضهم أنه لم يرفع رأسه إلى السماء أربعين سنة حياء من الله سبحانه وخشوعا له وكان الربيع بن خيثم من شدة غضه لبصره وإطراقه يظن بعض الناس أنه أعمى وكان يختلف إلى منزل ابن مسعود عشرين سنة فاذا رأته جاريته قالت لابن مسعود صديقك الأعمى قد جاء فكان يضحك ابن مسعود من قولها وكان إذا دق الباب تخرج الجارية إليه فتراه مطرقا غاضا بصره وكان ابن مسعود إذا نظر إليه يقول وبشر المخبتين أما والله لو رآك محمد ﷺ لفرح بك ، وفى لفظ آخر لأحبك وفى لفظ آخر لضحك ، ومشى ذات يوم مع ابن مسعود فى الحدادين فلما نظر إلى الأكوار تنفخ وإلى النار تلتهب صعق وسقط مغشيا عليه وقعد ابن مسعود عند رأسه إلى وقت الصلاة فلم يفق فحمله على ظهره إلى منزله فلم يزل مغشيا عليه إلى مثل الساعة التى صعق فيها ففاتته خمس صلوات وابن مسعود عند رأسه يقول هذا والله هو الخوف . وكان الربيع يقول مادخلت فى صلاة قط فأهمنى فيها إلا ماأقول ومايقال لى . وكان عامر بن عبد الله من خاشعى المصلين وكان إذا صلى ربما ضربت ابنته بالدف وتحدث النساء بما يردن فى البيت ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله وقيل له ذات يوم هل تحدّثك نفسك فى الصلاة بشىء قال نعم بوقوفى بين يدى الله عز وجل ومنصرفى إلى احدى الدارين قيل فهل تجد شيئا مما تجد من أمور الدنيا فقال لأن تختلف الأسنة فىّ أحب إلى من أن أجد فى صلاتى ماتجدون وكان يقول لو كشف الغطاء ماازددت يقينا وقد كان مسلم بن يسار منهم وقد نقلنا أنه لم يشعر بسقوط

ذلك أعلمك غرائب العلم وأما صفة انصرفه فانه نهض بالبحث ورجع بالتذكر وفوائد المزيد ووجهه أن من لم يستطع المقام فى ذلك الموضع بعد وصوله إليه فذلك لتعلق خبر المعرفة بالبدن ومسكنه عالم الملك ولم يفارقه بعد الموت وطول الغيب عنه لا يمكن فى العادة ولو أمكن لهلك الجسم وتفرّقت الأوصال والله تعالى أراد عمارة الدنيا وقد سبق فى علمه ـ ولن تجد لسنة الله تبديلا ـ ومعنى قول أبى سليمان الدارانى لو وصلوا مارجعوا مارجع إلا حالة الانتقاص من وصل إلى حالة الاخلاص والذى طمع الناظر فى الحصول فيه سؤاله وتماديه إلى حال القرب منه إذ لم يصلح لذلك ولم يصف ولم يخلص أعماله .

[فصل] ومعنى بأن ليس فى الامكان أبدع من صورة هذا العالم ولا أحسن ترتيبا ولا

أسطوانا في المسجد وهو في الصلاة وتأمل جماعة من أطرافه بعضهم واحد منهم إلى الصلاة فإذا هو يقول إنه في الصلاة لا يدري ما يجري عليه فقطع وهو في الصلاة وقال بعضهم الصلاة من الآخرة فإذا دخلت فيها خرجت من الدنيا وقيل لآخر هل تحدث نفسك بشيء من الدنيا في الصلاة فقال لا في الصلاة ولا في غيرها ومثل بعضهم هل تذكر في الصلاة شيئا فقال وهل شيء أحب إلي من الصلاة فأذكره فيها وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول من فقه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ وكان بعضهم يخفف الصلاة مخافة الوسواس وروى أن عمار بن ياسر صلى صلاة فأخفها فقيل له خففت يا أبا اليقظان فقال هل رأيتموني نقصت من حدودها شيئا قالوا لا قال إني نادرت سهو الشيطان إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها وكان يقول إنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها (١) » ويقال إن طلحة والزبير وطائفة من الصحابة رضي الله عنهم كانوا أخف الناس صلاة وقالوا نبادر بها وسوسة الشيطان وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال على المنبر إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أكمل لله تعالى صلاة قيل وكيف ذلك ؟ قال لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله عز وجل فيها . وسئل أبو العالية عن قوله ـ الذين هم عن صلاتهم ساهون ـ قال هو الذي يسهو في صلاته فلا يدري على كم ينصرف أعلى شفع أم على وتر؟ وقال الحسن هو الذي يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج . وقال بعضهم هو الذي إن صلاها في أول الوقت لم يفرح وإن أخرها عن الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها خيرا ولا تأخيرها إثما واعلم أن الصلاة قد يحسب بعضها ويكتب بعضها دون بعض كما دلت الأخبار عليه وإن كان الفقيه يقول إن الصلاة في الصحة لا تتجزأ ولكن ذلك له معنى آخر ذكرناه وهذا المعنى دلت عليه الأحاديث إذ ورد جبر نقصان الفرائض بالنوافل (٢) وفي الخبر قال عيسى عليه السلام يقول الله تعالى بالفرائض نجا مني عبدي وبالنوافل تقرب إلي عبدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي إلا بأداء ما افترضته عليه (٣) » وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم « صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما انفتل قال ماذا قرأت فسكت القوم فسأل أبي بن كعب رضي الله عنه فقال قرأت سورة كذا وتركت آية كذا فما ندري أنسخت أم رفعت فقال أنت لها يا أبي ثم أقبل على الآخرين فقال ما بال أقوام يحضرون صلاتهم ويسمون صفوفهم ونبيهم بين أيديهم لا يدرون ما يتلو عليهم من كتاب ربهم ألا إن بني إسرائيل كذا فعلوا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن قل لقومك تحضروني أبدانكم وتعطوني ألسنتكم وتغيبون عني بقلوبكم باطل ما تذهبون إليه (٤) » وهذا يدل على أن استماع ما يقرأ الامام وفهمه بدل عن قراءة السورة بنفسه وقال بعضهم إن الرجل يسجد السجدة عنده أنه تقرب بها إلى الله عز وجل ولو قسمت ذنوبه في سجدته على أهل مدينته لهلكوا قيل وكيف يكون ذلك قال يكون ساجدا عند الله وقلبه مصغ إلى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه

(١) حديث إن عمار بن ياسر صلى فأخفها فقيل له خففت يا أبا اليقظان الحديث وفيه إن العبد ليصلي صلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها إلى آخره أحمد باسناد صحيح وتقدم المرفوع عنه وهو عند د ن

(٢) حديث جبر نقصان الفرائض بالنوافل أصحاب السنن والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته وفيه فان انتقص من فرضه شيئا قال الرب عز وجل انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما نقص من الفريضة (٣) حديث قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي إلا بأداء ما افترضت عليه لم أجده (٤) حديث صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما التفت قال ماذا قرأت فسكت القوم فسأل أبي بن كعب الحديث رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة مرسلا وأبو منصور الديلمي من حديث أبي بن كعب ورواه من مختصرا من حديث عبد الرحمن بن أبزى باسناد صحيح.

أكمل صنعا ولو كان وادخره مع القدرة كان ذلك بخلا يناقض الكرم الإلهي وإن لم يكن قادرا عليه كان ذلك عجزا يناقض القدرة الالهية فكيف يقضى عليه بالعجز فيما لم يخلقه اختيارا وكان ذلك ولم ينسب إليه ذلك قبل خلق العالم ويقال ادخار إخراج العالم من العدم إلى الوجود عجز مثل ما قيل فيما ذكرنا وما الفرق بينهما وذلك لأن تأخيره بالعالم قبل خلقه عن أن يخرجه من العدم إلى الوجود يقع تحت الاختيار الممكن من حيث إن الفاعل المختار له أن يفعل فاذا فعل فليس في الامكان أن يفعل إلا نهاية ما تقتضيه الحكمة التي عرفنا أنها حكمة ولم يعرفنا بذلك إلا لنعلم مجاري أفعاله ومصادر أموره وأن نتحقق أن كل ما اقتضاه ويقتضيه من خلقه بعلمه وإرادته وقدرته إن ذلك على غاية الحكمة ونهايه

وبهذه صفة الخاشعين فدلت هذه الحكايات والأخبار مع ماسبق على أن الأصل فى الصلاة الخشوع وحضور القلب وأن مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى فى المعاد والله أعلم نسأل الله حسن التوفيق .

(الباب الرابع فى الإمامة والقدوة

وفى أركان الصلاة وبعد السلام وعلى الإمام وظائف قبل الصلاة وفى القراءة)

أما الوظائف التى هى قبل الصلاة فستة : أولها أن لا يتقدم للامامة على قوم يكرهونه فإن اختلفوا كان النظر إلى الأكثرين فان كان الأقلون هم أهل الخير والدين فالنظر إليهم أولى وفى الحديث « ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رءوسهم: العبد الآبق وامرأة زوجها ساخط عليها وإمام أمّ قوما وهم له كارهون[1] » وكما ينهى عن تقدمه مع كراهتهم فكذلك ينهى عن التقدمة إن كان وراءه من هو أفقه منه إلا إذا امتنع من هو أولى منه فله التقدم فان لم يكن شىء من ذلك فليتقدم مهما قدم وعرف من نفسه القيام بشروط الإمامة ويكره عند ذلك المدافعة فقد قيل إن قوما تدافعوا الامامة بعد إقامة الصلاة فخسف بهم وماروى من مدافعة الامامة بين الصحابة رضى الله عنهم فسببه إيثارهم من رأوه أنه أولى بذلك أو خوفهم على أنفسهم السهو وخطر ضمان صلاتهم فان الأئمة ضمناء وكأن من لم يتعود ذلك ربما يشتغل قلبه ويتشوش عليه الإخلاص فى صلاته حياء من المقتدين لاسيما فى جهره بالقراءة فكان لاحتراز من احترز أسباب من هذا الجنس .

الثانية إذا خير المرء بين الأذان والامامة فينبغى أن يختار الامامة فان لكل واحد منهما فضلا ولكن الجمع مكروه بل ينبغى أن يكون الامام غير المؤذن وإذا تعذر الجمع فالامامة أولى وقال قائلون الأذان أولى لما نقلناه من فضيلة الأذان ولقوله ﷺ « الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن[2] » فقالوا فيها خطر الضمان وقال صلى الله عليه وسلم « الإمام أمين فاذا ركع فاركعوا وإذا سجد فاسجدوا[3] » وفى الحديث « فان أتم فله ولهم وإن نقص فعليه لا عليهم[4] » ولأنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين[5] » والمغفرة أولى بالطلب فان الرشد يراد للمغفرة وفى الخبر « من أمّ فى (١) مسجد سبع سنين وجبت له الجنة بلا حساب ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب[6] » ولذلك نقل عن الصحابة رضى الله عنهم أنهم كانوا يتدافعون الإمامة والصحيح أن الامامة أفضل إذ واظب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما والأئمة بعدهم ، نعم فيها خطر الضمان والفضيلة مع الخطر كما أن رتبة الإمارة والخلافة أفضل لقوله ﷺ « ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة[7] »

(الباب الرابع)

(١) حديث ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رءوسهم: العبد الآبق الحديث ت من حديث أبى أمامة وقال حسن غريب وضعفه هق (٢) حديث الامام ضامن والمؤذن مؤتمن د ت من حديث أبى هريرة وحكى عن ابن المدينى أنه لم يثبته ورواه أحمد من حديث أبى أمامة باسناد حسن (٣) حديث الامام أمين فاذا ركع فاركعوا الحديث خ من حديث أبى هريرة دون قوله الامام أمين وهو بهذه الزيادة فى مسند الحميدى وهو متفق عليه من حديث أنس دون هذه الزيادة (٤) حديث فان أتم فله ولهم وإن انتقص فعليه ولا عليهم د ه ك وصححه من حديث عقبة بن عامر والبخارى من حديث أبى هريرة يصلون بكم فان أصابوا فلكم وإن أخطئوا فلكم وعليهم (٥) حديث اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين هو بقية حديث الامام ضامن وتقدم قبل بحديثين (٦) حديث من أذن فى مسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب ت ه من حديث ابن عباس بالشطر الأول نحوه قال ت حديث غريب (٧) حديث ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة

---

(١) قوله من أمّ الخ هكذا هو فى النسخ وهو الموافق لكلام المصنف ولكن فى العراقى والشارح لفظا وإن فى الموضعين فليحرر الحديث اه .

الاتقان ومبلغ جودة الصنع ليجعل كمال ماخلق دليلا قاطعا وبرهانا على كماله فى صفات جلاله الموجبة لإجلاله فلو كان ماخلق ناقصا بالإضافة إلى غيره ماقدر على خلقه ولو لم يخلق لكان يظهر النصان المدعى على هذا الوجود من خلقه كما يظهر على ماخلقه على غير ذلك ويكون الجميع من باب الاستدلال على ماصنع من النقصان قطعا وما يحمل عليه من القدرة على أكمل منه ظنا إذ خلق للخلق عقولا وجعل لهم فهوما وعرفهم ما أكن وكشف لهم ماحجب وأجن فيكون ه حيث عرفهم بكماله دلهم على نقصه ومن حيث أعلمهم بقدرته بصرهم بعجزه فتعالى الله رب العالمين الملك الحق المبين وأيضا فلا يعترض هنا ويتزر به إلا من لا يعرف مخلوقاته ولم يصرف الكلام الصحيح فى مشابه ذلك

ولكن فيها خطر ولذلك وجب تقديم الأفضل والأفقه فقد قال صلى الله عليه وسلم « أئمتكم شفعاؤكم أوقال وفدكم إلى الله فان أردتم أن تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم (١) » وقال بعض السلف ليس بعد الأنبياء أفضل من العلماء ولا بعد العلماء أفضل من الأئمة المصلين لأن هؤلاء قاموا بين يدى الله عز وجل وبين خلقه هذا بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدين وهو الصلاة وبهذه الحجة احتج الصحابة فى تقديم أبى بكر الصديق رضى الله عنه وعنهم للخلافة إذ قالوا نظرنا فاذا الصلاة عماد الدين فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا (٢) » وماقدموا بلالا احتجاجا بأنه رضيه للأذان (٣) » وماروى أنه قال له رجل يارسول الله « دلنى على عمل أدخل به الجنة قال كن مؤذنا قال لاأستطيع قال كن إماما قال لا أستطيع فقال صلّ بازاء الامام (٤) » فلعله ظن أنه لايرضى بامامته إذ الأذان إليه والامامة إلى الجماعة وتقديمهم له ثم بعد ذلك توهم أنه ربما يقدر عليها . الثالثة أن يراعى الامام أوقات الصلوات فيصلى فى أوائلها ليدرك رضوان الله سبحانه ففضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا (٥) هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الحديث « إن العبد ليصلى الصلاة فى آخر وقتها ولم تفته ، ولما فاته من أول وقتها خير له من الدنيا ومافيها (٦) » ولاينبغى أن يؤخر الصلاة لانتظار كثرة الجماعة بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة أول الوقت فهى أفضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة وقد قيل كانوا إذا حضر اثنان فى الجماعة لم ينتظروا الثالث وإذا حضر أربعة فى الجنازة لم ينتظروا الخامس وقد تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر وكانوا فى سفر وإنما تأخر للطهارة فلم ينتظر وقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول

أصلا فى العلم أو كان نسخا له ومعنى نقيس عليه غيره وأما انكشافه بخبر ممن رزق علم ذلك كان بطلان العلم فى حق المخبر إذ أفشاه لغير أهله وأهداه لمن لايستحقه كماروى عن عيسى على نبينا وعليه السلام: لاتعلقوا الدر فى أعناق الخنازير. وإنما أراد قطاع العلم غير أهله وقد جاء لاتمنعوا الحكمة أهلها فتظلموهم ولا تضعوها عند غير أهلها فتظلموها وأما سر العلم الذى يوجب كشفه بطلان الأحكام فان كان كشفه من الله سبحانه لقلوب ضعيفة بطلت الأحكام فى حقها لمن يطلع عليه فى ذلك السر من معرفة مآل الأشياء وعواقب الخلق وكشف أسرار العبادة وما يظن من مقدور فمن عرف نفسه مثلا أنه من أهل الجنة لم يصلّ ولم يصم ولم يتعب نفسه فى خير وكذلك لو انكشف له أنه من أهل النار كمن

الطبرانى من حديث ابن عباس بسند حسن بلفظ ستين (١) حديث أئمتكم وفدكم إلى الله تعالى فان أردتم أن تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم قط هق وضعف إسناده من حديث ابن عمر والبغوى وابن قانع والطبرانى فى معاجمهم و ك من حديث مرثد بن أبى مرثد نحوه وهو منقطع وفيه يحيى بن يحيى الأسلمى وهو ضعيف (٢) حديث تقديم الصحابة أبا بكر وقولهم اخترنا لدنيانا من اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا ابن شاهين فى شرح مذاهب أهل السنة من حديث على قال لقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلى بالناس وإنى لشاهد ما أنا بغائب ولأبى مرض فرضينا لدنيانا مارضى به النبى صلى الله عليه وسلم لديننا والمرفوع منه متفق عليه من حديث عائشة وأبى موسى فى حديث قال مروا أبا بكر فليصل بالناس (٣) حديث تقديم الصحابة بلالا (١) احتجاجا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيه للأذان أما المرفوع منه فرواه أبو داود والترمذى وصححه وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان من حديث عبد الله بن زيد فى بدء الأذان وفيه قم مع بلال فألق عليه مارأيت فليؤذن به الحديث وأما تقديمهم له بعد موت النبى ﷺ فروى الطبرانى أن بلالا جاء إلى أبى بكر فقال ياخليفة رسول الله أردت أن أربط نفسى فى سبيل الله حتى أموت فقال أبو بكر أنشدك بالله يابلال وحرمتى وحقى لقد كبرت سنى وضعفت قوتى واقترب أجلى فأقام بلال معه فلما توفى أبو بكر جاء عمر فقال له مثل ماقال لأبى بكر فابى عليه فقال عمر فمن يابلال فقال إلى سعد فانه قد أذن بقباء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمر الأذان إلى سعد وعقبة وفى إسناده جهالة (٤) حديث قال له رجل يارسول الله دلنى على عمل أدخل به الجنة قال كن مؤذنا الحديث البخارى فى التاريخ والعقيلى فى الضعفاء وطب فى الأوسط من حديث ابن عباس باسناد ضعيف (٥) حديث فضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٦) حديث إن العبد ليصلى الصلاة فى أول وقتها ولم تفته الحديث الدارقطنى من

---

(١) قول العراقى تقديم الصحابة بلالا لعل المناسب عدم تقديمه فليتأمل

الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام بقضيها قال فأشفقنا من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قد أحسنتم هكذا فافعلوا[١]» وقد تأخر فى صلاة الظهر فقدموا أبا بكر رضى الله عنه حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى الصلاة فقام إلى جانبه[٢]، وليس على الامام انتظار المؤذن وإنما على المؤذن انتظار الامام للاقامة فاذا حضر فلا ينتظر غيره . الرابعة أن يؤمّ مخلصا لله عز وجل ومؤديا أمانة الله تعالى فى طهارته وجميع شروط صلاته أما الاخلاص فبأن لا يأخذ عليها أجرة فقد أمر رسول الله ﷺ عثمان ابن أبى العاص الثقفى وقال اتخذ مؤذنا لا يأخذ على الأذان أجرا[٣] فالأذان طريق إلى الصلاة فهى أولى بأن لا يؤخذ عليها أجر فان أخذ رزقا من مسجد قد وقف على من يقوم بإمامته أو من السلطان أو آحاد الناس فلا يحكم بتحريمه ولكنه مكروه والكراهية فى الفرائض أشد منها فى التراويح وتكون أجرة له على مداومته على حضور الموضع ومراقبة مصالح المسجد فى إقامة الجماعة لا على نفس الصلاة . وأما الأمانة فهى الطهارة باطنا عن الفسق والكبائر والاصرار على الصغائر فالمترشح للامامة ينبغى أن يحترز عن ذلك بجهده فانه كالوفد والشفيع للقوم فينبغى أن يكون خير القوم وكذا الطهارة ظاهرا عن الحدث والخبث فانه لا يطلع عليه سواه فان تذكر فى أثناء صلاته حدثا أو خرج منه ريح فلا ينبغى أن يستحى بل يأخذ بيد من يقرب منه ويستخلفه فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنابة فى أثناء الصلاة فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل فى الصلاة[٤] وقال سفيان صلّ خلف كل برّ وفاجر إلا مدمن خمر أو معلن بالفسوق أو عاق لوالديه أو صاحب بدعة أو عبد آبق . الخامسة أن لا يكبر حتى تستوى الصفوف فليلتفت يمينا وشمالا فان رأى خللا أمر بالتسوية ، قيل كانوا يتحاذون بالمناكب ويتضامون بالكعاب ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الاقامة والمؤذن يؤخر الاقامة عن الأذان بقدر استعداد الناس فى الصلاة ففى الخبر « ليتمهل المؤذن بين الأذان والاقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره[٥] » وذلك لأنه نهى عن مدافعة الأخبثين[٦] وأمر بتقديم العشاء على العشاء[٧] طلبا لفراغ القلب . السادسة أن يرفع صوته بتكبيرة الاحرام وسائر التكبيرات ولا يرفع المأموم صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه وينوى الامامة لينال الفضل فان لم ينو صحت صلاته وصلاة القوم إذا نووا الاقتداء ونالوا فضل القدوة وهو لا ينال فضل الامامة ، وليؤخر المأموم تكبيره عن تكبيرة الامام فيبتدئ بعد فراغه والله أعلم . وأما وظائف القراءة فثلاثة : أوّلها

حديث أبى هريرة نحوه باسناد ضعيف (١) حديث تأخر رسول الله ﷺ يوما عن صلاة الفجر وكان فى سفر وإنما تأخر للطهارة فقدموا عبد الرحمن بن عوف الحديث متفق عليه من حديث المغيرة. (٢) حديث تأخر فى صلاة الظهر فقدموا أبا بكر الحديث متفق عليه من حديث سهل بن سعد (٣) حديث اتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجرة أصحاب السنن و ك وصححه من حديث عثمان بن أبى العاص الثقفى (٤) حديث تذكر النبى ﷺ الجنابة فى صلاته فاستخلف واغتسل ثم رجع د من حديث أبى بكرة باسناد صحيح وليس فيه ذكر الاستخلاف وإنما قال ثم أومأ إليهم أن مكانكم الحديث وورد الاستخلاف من فعل عمر وعلى وعند خ استخلاف عمر فى قصة طعنه (٥) حديث يمهل المؤذن بين الأذان والاقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره ، ت ك من حديث جابر : يا بلال اجعل بين أذانك وإقامتك قدر ما يفرغ الآكل من أكله والشارب من شربه والمعتصر إذا دخل لقضاء حاجته قال ت إسناده مجهول وقال ك ليس فى إسناده مطعون فيه غير عمرو بن قايد قلت بل فيه عبد المنعم الدياجى منكر الحديث قاله خ وغيره (٦) حديث النهى عن مدافعة الأخبثين م من حديث عائشة بلفظ لا صلاة وللبيهقى لا يصلين أحدكم الحديث (٧) حديث الأمر بتقديم العشاء على العشاء تقدم من حديث ابن عمر وعائشة إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء متفق عليه.

انهما كه فلا يحتاج إلى تعب زائد ولا تصعيد مكابدة فلو عرف كل واحد عاقبته ومآله بطلت الأحكام الجارية عليه وإن كان كشفها من مخبر استروح الضعيف إلى ما يسمع من ذلك فيتعطل وينخرم حاله وينحل قيده وبعد هذا فلا يحمل كلام سهل إلا على ما يقدر لا على ما يوجد ولذلك جعله مقرونا بحرف لو الدالّ على امتناع الشئ لامتناع غيره كما يقال لو كان للانسان جناحان لطار ولو كان للسماء درج لصعد عليها ولو كان البشر ملكا لفقد الشهوات فعلى هذا يخرج كلام سهل فى ظاهر العلم .

[فصل] وأما خطاب العقلاء للجمادات فغير مستنكر فقد نادى الناس الديار وسألوا الأطلال واستخبروا الآثار وقد جاء فى أشعار العرب وكلامها من ذلك كثير وفى حديث

أن يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة والسورة بعدها فى جميع الصبح وأولى العشاء والمغرب وكذلك المنفرد ويجهر بقوله آمين فى الصلاة الجهرية وكذا المأموم ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الامام معا لا تعقيبا[1] ويجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والأخبار فيه متعارضة[2] واختيار الشافعى رضى الله عنه الجهر . الثانية أن يكون للامام فى القيام ثلاث سكتات[3] هكذا رواه سمرة بن جندب وعمران بن الحصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاهن إذا كبر وهى الطولى منهن مقدار مايقرأ من خلفه فاتحة الكتاب وذلك وقت قراءته لدعاء الاستفتاح فانه إن لم يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه مانقص من صلاتهم فان لم يقرءوا الفاتحة فى سكوته واشتغلوا بغيرها فذلك عليه لاعليهم . السكتة الثانية إذا فرغ من الفاتحة ليتم من يقرأ الفاتحة فى السكتة الأولى فاتحته وهى كنصف السكتة الأولى . السكتة الثالثة إذا فرغ من السورة قبل أن يركع وهى أخفها وذلك بقدر ماتنفصل القراءة عن التكبير فقد نهى عن الوصل فيه ولايقرأ المأموم وراء الامام إلا الفاتحة فان لم يسكت الامام قرأ فاتحة الكتاب معه والمقصر هو الامام وإن لم يسمع المأموم فى الجهرية لبعده أو كان فى السرية فلا بأس بقراءة السورة . الوظيفة الثالثة أن يقرأ فى الصبح سورتين من الثانى مادون المائة فان الاطالة فى قراءة الفجر والتغليس بها سنة ولايضره الخروج منها مع الاسفار ولا بأس بأن يقرأ فى الثانية بأواخر السور نحو الثلاثين أو العشرين إلى أن يختمها لأن ذلك لايتكرر على الأسماع كثيرا فيكون أبلغ فى الوعظ وأدعى إلى التفكر وإنما كره بعض العلماء قراءة بعض أول السورة وقطعها وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى إلى ذكر موسى وفرعون قطع فركع[4] وروى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ فى الفجر آية من البقرة[5] وهى قوله ـ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ـ وفى الثانية ـ ربنا آمنا بما أنزلت ـ وسمع بلالا يقرأ من ههنا وههنا فسأله عن ذلك فقال أخلط الطيب بالطيب فقال أحسنت[6] ويقرأ فى الظهر

---

(١) حديث الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قط ك وصححه من حديث ابن عباس (٢) حديث ترك الجهر بها م من حديث أنس صليت خلف النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر فلم أسمع أحدا منهم يقرأ ببسم الله الرحمن الرحيم وللنسائى يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم (٣) حديث سمرة بن جندب وعمران بن حصين فى سكتات الامام أحمد من حديث سمرة قال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سكتات فى صلاته وقال عمران أنا أحفظها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبوا فى ذلك إلى أبى بن كعب فكتب إن سمرة قد حفظ هكذا وجدته فى غير نسخة صحيحة من المسند والمعروف أن عمران أنكر ذلك على سمرة هكذا فى غير موضوع من المسند و ده حب و ت فأنكر ذلك عمران وقال حفظا سكتة وقال حديث حسن انتهى وليس فى حديث سمرة إلا سكتتان ولكن اختلف عنه فى محل الثانية فروى عنه بعد الفاتحة وروى عنه بعد السورة ولقط من حديث أبى هريرة وضعفه من صلى صلاة مكتوبة مع الامام فليقرأ بفاتحة الكتاب فى سكتاته (٤) حديث قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى إلى ذكر موسى وفرعون قطع وركع م من حديث عبد الله بن السائب وقال سورة المؤمنين وقال موسى وهرون وعلقه خ (٥) حديث قرأ فى الفجر ـ قولوا آمنا بالله ـ الآية ، وفى الثانية ـ ربنا آمنا بما أنزلت ـ م من حديث ابن عباس كان يقرأ فى ركعتى الفجر فى الأولى منهما ـ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ـ الآية التى فى البقرة وفى الآخرة منهما ـ آمنا بالله واشهدوا بأنا مسلمون ـ و د من حديث أبى هريرة ـ قل آمنا بالله وما أنزل علينا ـ الآية وفى الركعة الآخرة ـ ربنا آمنا بما أنزلت ـ أو ـ إنا أرسلناك بالحق ـ (٦) حديث سمع بلالا يقرأ من ههنا ومن ههنا فسأله عن ذلك فقال أخلط الطيب بالطيب فقال أحسنت د من حديث أبى هريرة باسناد صحيح نحوه .

النبى صلى الله عليه وسلم « اسكن أحد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان » وقال بعضهم اسأل الأرض تخبرك عمن شق أنهارها وفجر بحارها وفتق أهواءها ورتق أحواءها وأرسى جبالها إن لم تجبك أجابتك اعتبارا وإنما الذى يتوقف على الأذهان ويتحير فى قوله السامعون وتتعجب منه العقول هو كيفية كلام الجمادات والحيوانات الصامتات ففى هذا وقع الانكار واضطرب النظار وكذب فى تصحيح وجوده ذو السمع من الاعتبار ولكن لتعلم أن تلقى الكلام للعقلاء ممن لم يعقل عنه فى المشهود يكون على جهات من ذلك سماع الكلام الذاتى كما تتلقى من أهل النطق إذا قصدوا إلى نظم اللفظ وذلك أكثر ما يكون للأنبياء والرسل صلوات الله عليهم فى بعض الأوقات كحنين

بطوال المفصل إلى ثلاثين آية وفى العصر بنصف ذلك وفى المغرب بأواخر المفصل وآخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب قرأ فيها سورة المرسلات ماصلى بعدها حتى قبض (١) . وبالجملة التخفيف أولى لاسيما إذا كثر الجمع قال صلى الله عليه وسلم فى هذه الرخصة « إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فان فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة وإذا صلى لنفسه فليطول ماشاء(٢) » وقد كان معاذ ابن جبل يصلى بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة وأتم لنفسه فقالوا نافق الرجل فتشاكيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجر رسول الله ﷺ معاذا فقال أفتان أنت يامعاذ اقرأ سورة سبح والسماء والطارق والشمس وضحاها(٣) . وأما وظائف الأركان فثلاثة : أولها أن يخفف الركوع والسجود فلا يزيد فى التسبيحات على ثلاث فقد روى عن أنس أنه قال مارأيت أخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تمام(٤) ، نعم روى أيضا أن أنس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أميرا بالمدينة قال ماصليت وراء أحد أشبه صلاة بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب قال وكنا نسبح وراءه عشرا عشرا(٥) وروى مجملا أنهم قالوا : كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الركوع والسجود عشرا عشرا(٦) وذلك حسن ولكن الثلاث إذا كثر الجمع أحسن فاذا لم يحضر إلا المتجردون للدين فلا بأس بالعشر هذا وجه الجمع بين الروايات وينبغى أن يقول الإمام عند رفع رأسه من الركوع سمع الله لمن حمده . الثانية فى المأموم ينبغى أن لا يساوى الإمام فى الركوع والسجود بل يتأخر فلا يهوى للسجود إلا إذا وصلت جبهة الامام إلى المسجد هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم(٧) ولا يهوى للركوع حتى يستوى الامام راكعا وقد قيل إن الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد الامام وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساوونه وطائفة بلا صلاة وهم الذين يسابقون الامام. وقد اختلف فى أن الامام فى الركوع هل ينتظر لحوق من يدخل لينال فضل الجماعة وإدراكهم لتلك الركعة ولعل الأولى أن ذلك مع الاخلاص لا بأس به إذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فان حقهم مرعى فى ترك التطويل عليهم . الثالثة لا يزيد فى دعاء التشهد على مقدار التشهد حذرا من التطويل ولا يخص نفسه فى الدعاء بل يأتى بصيغة الجمع فيقول اللهم اغفر لنا ولا يقول اغفر لى فقد كره للامام أن يخص نفسه ولا بأس بأن يستعيذ فى التشهد بالكلمات الخمس المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين(٨) وقيل سمى مسيحا لأنه يمسح الأرض بطولها

(١) حديث قراءته فى المغرب بالمرسلات وهى آخر صلاة صلاها متفق عليه من حديث أم الفضل .
(٢) حديث إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٣) حديث صلى معاذ بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة الحديث متفق عليه من حديث جابر وليس فيه ذكر والسماء والطارق وهى عند البيهقى (٤) حديث أنس مارأيت أخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تمام متفق عليه (٥) حديث أنس أنه صلى خلف عمر بن عبد العزيز فقال ماصليت وراء أحد أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الشاب الحديث د ن باسناد جيد وضعفه ابن القطان (٦) حديث كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الركوع والسجود عشرا لم أجد له أصلا إلا فى الحديث الذى قبله وفيه فحررنا فى ركوعه عشر تسبيحات وفى سجوده عشر تسبيحات .
(٧) حديث كان الصحابة لا يهوون للسجود إلا إذا وصلت جبهة النبى صلى الله عليه وسلم إلى الأرض متفق عليه من حديث البراء بن عازب (٨) حديث التعوذ فى التشهد من عذاب جهنم وعذاب القبر الحديث تقدم وزاد فيه الغزالى هنا وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين ولم أجده مقيدا.

الجذع للنبى صلى الله عليه وسلم وكان حجر يسلم عليه فى طريقه قبل مبعثه ومنها تلقى الكلام فى حس السامع من غير أن يكون له وجود من خارج الحس ويعترى هذا سائر الحواس كمثل مايسمع النائم فى منامه من مثال شخص من غير مثال والمثال المرئى للنائم ليس له وجود فى سمعه وأما مايجده غير النائم فى اليقظة فمنها خاصة وعامة ، فقد ورد أن الحجر فى زمن عيسى ينادى المسلم يامسلم خلفى يهودى فاقتله وإن لم يخلق الله تعالى للحجر حياة ونطقا ويذهب عنه معنى الحجرية أو يوكل بالحجر من يتكلم عنه ممن يستر عن الأبصار فى العادة من الملائكة والجن أو يكون كلام يخلقه الله عز وجل فى أذن السامع ليفيده العلم باختفاء اليهودى حتى يقتله وكما يقال فى العرض الأكبر يوم

وقيل لأنه ممسوح العين أى مطموسها . وأما وظائف التحلل فثلاثة : أولها أن ينوى بالتسليمتين السلام على القوم والملائكة . الثانية أن يثبت عقيب السلام كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما فيصلى النافلة فى موضع آخر فان كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن[1] وفى الخبر المشهور أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقعد إلا قدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام[2] . الثالثة إذا وثب فينبغى أن يقبل بوجهه على الناس ويكره للمأموم القيام قبل انفتال الإمام فقد روى عن طلحة والزبير رضى الله عنهما أنهما صليا خلف إمام فلما سلما قالا للامام ما أحسن صلاتك وأتمها إلا شيئا واحدا أنك لما سلمت لم تنفتل بوجهك ثم قالا للناس ما أحسن صلاتكم إلا أنكم انصرفتم قبل أن ينفتل إمامكم ثم ينصرف الامام حيث شاء من يمينه وشماله واليمين أحب هذه وظيفة الصلوات وأما الصبح فزيد فيها القنوت فيقول الإمام اللهم اهدنا ولا يقول اللهم اهدنى ويؤمن المأموم فاذا انتهى إلى قوله إنك تقضى ولا يقضى عليك فلا يليق به التأمين وهو ثناء فيقرأ معه فيقول مثل قوله أو يقول بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أو صدقت وبررت وما أشبه ذلك وقد روى حديث فى رفع اليدين فى القنوت[3] فاذا صح الحديث استحب ذلك وإن كان على خلاف الدعوات فى آخر التشهد إذ لا يرفع بسببها اليد بل التعويل على التوقيف وبينهما أيضا فرق وذلك أن للأيدى وظيفة فى التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لهما ههنا فلا يبعد أن يكون رفع اليدين هو الوظيفة فى القنوت فانه لائق بالدعاء والله أعلم فهذه جمل آداب القدوة والإمامة والله الموفق .

(الباب الخامس فى فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها)

(فضيلة الجمعة)

اعلم أن هذا يوم عظيم عظم الله به الاسلام وخصص به المسلمين . قال الله تعالى — إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع — فحرم الاشتغال بأمور الدنيا وبكل صارف عن السعى إلى الجمعة ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل فرض عليكم الجمعة فى يومى هذا فى مقامى هذا[4] » وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه[5] » وفى لفظ آخر « فقد نبذ الإسلام وراء ظهره[6] » واختلف رجل إلى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة ، فقال فى النار فلم يزل يتردد إليه شهرا يسأله عن ذلك وهو يقول فى النار ، وفى الخبر : إن أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله تعالى له وأخره لهذه الأمة وجعله عيدا لهم فهم أولى الناس به سبقا وأهل الكتابين لهم تبع[7]

بآخر الصلاة وللترمذى من حديث ابن عباس وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون و ك نحوه من حديث ثوبان وعبد الرحمن بن عايش وصححهما وسيأتى فى الدعاء (١) حديث المكث بعد السلام خ من حديث أم سلمة (٢) حديث إنه لم يكن يقعد إلا بقدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام م من حديث عائشة (٣) حديث رفع اليدين فى القنوت البيهقى من حديث أنس بسند جيد فى قصة قتل القراء ولقد رأيت رسول الله ﷺ كلما صلى الغداة رفع يديه يدعو عليهم .

(الباب الخامس)

(٤) حديث إن الله فرض عليكم الجمعة فى يومى هذا الحديث ه من حديث جابر باسناد ضعيف .

(٥) حديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه أحمد واللفظ له وأصحاب السنن و ك وصححه من حديث أبى الجعد الضمرى (٦) حديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس (٧) حديث إن أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة بنحوه .

القيامة إذا نودى فيه باسم كل واحد على الخصوص وفى الخلائق مثل اسم المنادى به كثير وقد قالت العلماء إنه لا يسمع النداء فى ذلك الجمع إلا من نودى فيحتمل أن يكون ذلك النداء يخلق للمنادى فى حاسة أذنه ليتحرك إلى الحساب وحده دون من يشاركه فى اسمه ولا يكون نداء من خارج والأمثلة كثيرة فى الشرع وفيما سمعت غنية ومقنع . ومنها تلقى الكلام فى العقل وهو المستفاد بالمعرفة المسموع بالقلب المفهوم بالتقدير على اللفظ المسمى بلسان الحال كما قال قيس :

وأجهشت للتوداد حين رأيته
وكبر للرحمن حين رآنى
فقلت له أين الذين عهدتهم
حواليك فى عيش وخفض زمان
فقال مضوا
واستودعونى بلادهم
ومن الذى يبقى على الحدثان

وفى حديث أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « أتانى جبريل عليه السلام فى كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يفرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولأمتك من بعدك . قلت فما لنا فيها قال لكم خير ساعة من دعا فيها بخير قسم له أعطاه الله سبحانه إياه أو ليس له قسم ذخر له ماهو أعظم منه أو تعوذ من شرّ هو مكتوب عليه إلا أعاذه الله عزّ وجل من أعظم منه وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه فى الآخرة يوم المزيد . قلت ولم ؟ قال إن ربك عز وجل اتخذ فى الجنة واديا أفيح من المسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة نزل تعالى من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى ينظروا إلى وجهه الكريم(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط إلى الأرض وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميه الملائكة فى السماء وهو يوم النظر إلى الله تعالى فى الجنة (٢) » وفى الخبر « إن لله عز وجل فى كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار (٣) » وفى حديث أنس رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الجحيم تسعر فى كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس فى كبد السماء فلا تصلوا فى هذه الساعة إلا يوم الجمعة فانه صلاة كله وإن جهنم لاتسعر فيه (٥) » وقال كعب إن الله عزوجل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة ومن الليالى ليلة القدر ، ويقال إن الطير والهوام يلقى بعضها بعضا فى يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح وقال صلى الله عليه وسلم «من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر (٦) »

(بيان شروط الجمعة)

اعلم أنها تشارك جميع الصلوات فى الشروط وتتميز عنها بستة شروط : الأول الوقت فان وقعت تسليمة الامام فى وقت العصر فاتت الجمعة وعليه أن يتمها ظهرا أربعا والمسبوق إذا وقعت ركعته الأخيرة خارجا من الوقت ففيه خلاف . الثانى المكان، فلا تصح فى الصحارى والبرارى وبين الخيام بل لا بد من بقعة جامعة لأبنية لاتنقل ، يجمع أربعين ممن تلزمهم الجمعة والقرية فيه كالبلد ولايشترط فيه حضور السلطان ولا إذنه ولكن الأحبّ استئذانه . الثالث العدد فلا تنعقد بأقل من أربعين ذكورا مكلفين أحرارا مقيمين لايظعنون عنها شتاء ولاصيفا فان انفضوا حتى نقص العدد إما فى الخطبة أوفى الصلاة لم تصح الجمعة بل لابد منهم من الأول إلى الآخر . الرابع الجماعة فلو صلى أربعون فى قرية أو فى بلد متفرقين لم تصح جمعتهم ولكن المسبوق إذا أدرك الركعة الثانية جاز له الانفراد

(١) حديث أنس أتانى جبريل فى كفه مرآة بيضاء فقال هذه الجمعة الحديث الشافعى فى المسند والطبرانى فى الأوسط وابن مردويه فى التفسير بأسانيد ضعيفة مع اختلاف (٢) حديث خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة الحديث م من حديث أبى هريرة (٣) حديث إن لله فى كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار عد حب فى الضعفاء وهب فى الشعب من حديث أنس قال قط فى العلل والحديث غير ثابت (٤) حديث أنس إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام حب فى الضعفاء وأبو نعيم فى الحلية وهق فى الشعب من حديث عائشة ولم أجده من حديث أنس (٥) حديث إن الجحيم تسعر كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس إلى أن قال إلا يوم الجمعة الحديث د من حديث أبى قتادة وأعله بالانقطاع (٦) حديث من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر أبو نعيم فى الحلية من حديث جابر وهو و ت نحوه مختصرا من حديث عبد الله بن عمرو قال غريب ليس إسناده بمتصل . قلت وصله ت الحكيم فى النوادر .

وفى أمثال العوامّ قال الحائط للوتد لم تشقنى فقال الوتد للحائط سل من يدقنى فلو كانت العبارة تتأتى منها ماعبرت إلا بماقد استعير لها وعلى هذا المعنى حمل كثير من العلماء قوله تعالى إخبارا عن السماء والأرض حين ـ قالتا أتينا طائعين ـ وفى قوله تعالى ـ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ـ ومنها تلقى الكلام من الجبال مثل قوله صلى الله عليه وسلم « كأنى أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام عليه عباءتان قطوانيتان يلبى وتجيبه الجبال والله يقول لبيك يايونس» فقوله كأنى يدلّ على أنه تخيل حالة سبقت لم يكن لها فى الحال وجود ذاتى لأن يونس بن متى عليه السلام قدمات وتلك الحالة منه سلفت

بالركعة الثانية وإن لم يدرك ركوع الركعة الثانية اقتدى ونوى الظهر وإذا سلم الامام تمها ظهرا .
الخامس أن لاتكون الجمعة مسبوقة بأخرى فى ذلك البلد فان تعذر اجتماعهم فى جامع واحد جاز فى جامعين وثلاثة وأربعة بقدر الحاجة وإن لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التى يقع بها التحريم أولا ، وإذا تحققت الحاجة فالأفضل الصلاة خلف الأفضل من الامامين فإن تساويا فالمسجد الأقدم فإن تساويا ففى الأقرب ولكثرة الناس أيضا فضل يراعى . السادس الخطبتان فهما فريضتان والقيام فيهما فريضة والجلسة بينهما فريضة وفى الأولى أربع فرائض : التحميد وأقله الحمدلله والثانية الصلاة على النبى ﷺ والثالثة الوصية بتقوى الله سبحانه وتعالى والرابعة قراءة آية من القرآن وكذا فرائض الثانية أربعة إلا أنه يجب فيها الدعاء بدل القراءة واستماع الخطبتين واجب من الأربعين .
وأما السنن : فإذا زالت الشمس وأذن المؤذن وجلس الامام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية والكلام لاينقطع إلا بافتتاح الخطبة ويسلم الخطيب على الناس إذا أقبل عليهم بوجه ويردون عليه السلام فإذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه لايلتفت يمينا ولاشمالا ويشغل يديه بقائم السيف أوالعنزة والمنبر كى لايعبث بهما أو يضع إحداهما على الأخرى ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة ولايستعمل غريب اللغة ولايمطط ولايتغنى وتكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة ويستحب أن يقرأ آية فى الثانية أيضا ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فإن سلم لم يستحق جوابا والاشارة بالجواب حسن ولا يشمت العاطسين أيضا هذه شروط الصحة فأما شروط الوجوب فلا تجب الجمعة إلا على ذكر بالغ عاقل حر مقيم فى قرية تشتمل على أربعين جامعين لهذه الصفات أو فى قرية من سواد البلد يبلغها نداء البلد من طرف يليها والأصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى ـ إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ـ ويرخص لهؤلاء فى ترك الجمعة لعذر المطر والوحل والفزع والمرض والتمريض إذا لم يكن للمريض قيم غيره ثم يستحب لهم أعنى أصحاب الأعذار تأخير الظهر إلى أن يفرغ الناس من الجمعة فإن حضر الجمعة مريض أو مسافر أوعبد أوامرأة صحت جمعتهم وأجزأت عن الظهر والله أعلم .

(بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة وهى عشر جمل)

الأول أن يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد العصر يوم الخميس لأنها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة فى يوم الجمعة قال بعض السلف إن لله عز وجل فضلا سوى أرزاق العباد لايعطى من ذلك الفضل إلا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة ويغسل فى هذا اليوم ثيابه ويبيضها ويعد الطيب إن لم يكن عنده ويفرغ قلبه من الأشغال التى تمنعه من البكور إلى الجمعة وينوى فى هذه الليلة صوم يوم الجمعة فان له فضلا وليكن مضموما إلى يوم الخميس أو السبت لامفردا فانه مكروه ويشتغل بإحياء هذه الليلة بالصلاة وختم القرآن فلها فضل كثير وينسحب عليها فضل يوم الجمعة ويجامع أهله فى هذه الليلة أوفى يوم الجمعة فقد استحب ذلك قوم حملوا عليه قوله صلى الله عليه وسلم «رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل[1]» وهو حمل الأهل على الغسل وقيل معناه غسل ثيابه فروى بالتخفيف واغتسل لجسده وبهذا تم آداب الاستقبال ويخرج من زمرة الغافلين الذين إذا أصبحوا قالوا ماهذا اليوم قال بعض السلف أوفى الناس نصيبا من الجمعة من انتظرها ورعاها من الأمس وأخفهم نصيبا من إذا أصبح يقول إيش اليوم وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة

(١) رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل الحديث أصحاب السنن وحب و ك وصححه من حديث أوس بن أوس من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر الحديث وحسنه ت .

وفى هذا الحديث إخبار عن الوجود الخيالى فى البصر والوجود الخيالى فى السمع ومنها تلقى الكلام بالشبه وهو أن يسمع السامع كلاما أو صوتا من شخص حاضر فيلقى عليه شبه غيره مما غاب عنه كقوله عليه السلام فى صوت أبى موسى الأشعرى إذ سمعه يترنم بالقرآن « لقد أعطى مزمارا من مزامير آل داود » ومزامير آل داود قد عدمت وذهبت وإنما شبه صوته بها وكما إذا سمع المريد صوت مزمار أوعود فجأة على غير قصد يتخيل صرير أبواب الجنة وشبهها بما فجأ صوته من ذلك فهذه مراتب الوجود فأنت إذا أحسنت التصرف بين أساليبها ولم يعترك غلط فى بعضها ببعض ولا اشتبهت عليك وسمعت عمن نظر بمشكاة نور الله تعالى إلى كاغد وقد رآه اسود وجهه بالحبر فقال له مابال

في الجامع لأجلها . الثاني إذا أصبح ابتدأ بالغسل بعد طلوع الفجر وإن كان لا يبكر فأقربه إلى الرواح أحبّ ليكون أقرب عهدا بالنظافة فالغسل مستحب استحبابا مؤكدا وذهب بعض العلماء إلى وجوبه قال صلى الله عليه وسلم « غسل الجمعة واجب على كل محتلم(١) » والمشهور من حديث نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما « من أتى الجمعة فليغتسل(٢) » وقال ﷺ « من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل(٣) » وكان أهل المدينة إذا تسابّ المتسابان يقول أحدهما للآخر لأنت أشر ممن لا يغتسل يوم الجمعة . وقال عمر لعثمان رضي الله عنهما لما دخل وهو يخطب « أهذه الساعة منكرا عليه ترك البكور فقال ما زدت بعد أن سمعت الأذان على أن توضأت وخرجت فقال والوضوء أيضا وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمرنا بالغسل(٤) » وقد عرف جواز ترك الغسل بوضوء عثمان رضي الله عنه وبما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال « من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل(٥) » ومن اغتسل للجنابة فليفض الماء على بدنه مرة أخرى على نية غسل الجمعة فان اكتفى بغسل واحد أجزأه وحصل له الفضل إذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة في غسل الجنابة وقد دخل بعض الصحابة على ولده وقد اغتسل فقال له أللجمعة فقال بل عن الجنابة فقال أعد غسلا ثانيا وروى الحديث في غسل الجمعة على كل محتلم وإنما أمره به لأنه لم يكن نواه وكان لا يبعد أن يقال المقصود النظافة وقد حصلت دون النية ولكن هذا ينقدح في الوضوء أيضا وقد جعل في الشرع قربة فلا بد من طلب فضلها ومن اغتسل ثم أحدث توضأ ولم يبطل غسله والأحب أن يحترز عن ذلك . الثالث الزينة وهي مستحبة في هذا اليوم وهي ثلاثة الكسوة والنظافة وتطييب الرائحة أما النظافة فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقص الشارب وسائر ما سبق في كتاب الطهارة قال ابن مسعود من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله عز وجل منه داء وأدخل فيه شفاء فان كان قد دخل الحمام في الخميس أو الأربعاء فقد حصل المقصود فليتطيب في هذا اليوم بأطيب طيب عنده ليغلب بها الروائح الكريهة ويوصل بها الروح والرائحة إلى مشامّ الحاضرين في جواره « وأحب طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه(٦) » روى ذلك في الأثر وقال الشافعي رضي الله عنه من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله وأما الكسوة فأحبها البياض من الثياب إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البيض لا يلبس ما فيه شهرة ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل بل كره جماعة النظر إليه لأنه بدعة محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمامة مستحبة في هذا اليوم روى واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة » (٧) فان أكربه الحرّ فلا بأس بنزعها قبل الصلاة وبعدها ولكن لا ينزع في وقت السعي من المنزل إلى الجمعة ولا في وقت الصلاة ولا عند صعود الإمام المنبر وفي خطبته . الرابع

(١) حديث غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم متفق عليه من حديث أبي سعيد (٢) حديث نافع عن ابن عمر من أتى الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل متفق عليه وهذا لفظ حبّ (٣) حديث من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا حب وهق من حديث ابن عمر (٤) حديث قال عمر لعثمان لما دخل وهو يخطب أهذه الساعة الحديث إلى أن قال والوضوء أيضا وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يسم البخاري وعثمان (٥) حديث من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت الحديث د ت وحسنه و ن من حديث سمرة (٦) حديث طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه د ت وحسنه و ن من حديث أبي هريرة (٧) حديث واثلة بن الأسقع إن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة ط وعد وقال منكر من حديث أبي الدرداء ولم أره من حديث واثلة .

وجهك وقد كان أبيض أشقر مونقا والآن قد ظهر فيه السواد فلم سودت وجهك فقال سل الحبر فانه كان مجموعا في المحبرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلما وعدوانا فقال صدقت . ثم أنت إذا سمعت أمثال هذه المراجعات أعمل الفكر وجدد النظر وحل الكلام إلى أجزائه التي ينتظم منها جملة ما بلغك فسأل عن معنى الناظر ومعنى المشكاة ومعنى نور الله سبحانه وما سبب أنه لم يعرف الناظر الكتابة والمكتوب وبأي لسان خاطب الكاغد وكيف مخاطبة الكاغد وهو ليس من أهل النطق وفيما صدق الناطق الكاغد ولم صدقه بمجرد قوله دون دليل ولا شاهد فيبدو لك ههنا من الناظر هو ناظر القلب فيما أورده عليه الحس والمشكاة استعارة من مشكاة

البكور إلى الجامع ويستحب أن يقصد الجامع من فرسخين وثلاث وليبكر ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وفضل البكور عظيم وينبغى أن يكون فى سعيه إلى الجمعة خاشعا متواضعا ناويا للاعتكاف فى المسجد إلى وقت الصلاة قاصدا للمبادرة إلى جواب نداء الله عزّ وجلّ إلى الجمعة إياه والمسارعة إلى مغفرته ورضوانه وقد قال صلى الله عليه وسلم « من راح إلى الجمعة فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة فاذا خرج الإمام طويت الصحف ورفعت الأقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فانما جاء لحق الصلاة ليس له من الفضل شىء (١) » والساعة الأولى إلى طلوع الشمس والثانية إلى ارتفاعها والثالثة إلى انبساطها حين ترمض الأقدام والرابعة والخامسة بعد الضحى الأعلى إلى الزوال وفضلهما قليل ووقت الزوال حق الصلاة ولا فضل فيه وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث لو يعلم الناس مافيهنّ لركضوا ركض الإبل فى طلبهن الأذان والصف الأوّل والغدوّ إلى الجمعة (٢) » وقال أحمد بن حنبل رضى الله عنه أفضلهن الغدوّ إلى الجمعة وفى الخبر « إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المساجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأوّل فالأوّل على مراتبهم (٣) » وجاء فى الخبر « إن الملائكة يتفقدون الرجل إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه مافعل فلان وما الذى أخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان أخره فقر فأغنه وان كان أخره مرض فاشفه وان كان أخره شغل ففرغه لعبادتك وان كان أخره لهو فأقبل بقلبه إلى طاعتك (٤) » وكان يرى فى القرن الأوّل سحرا أو بعد الفجر الطرقات مملوءة من الناس يمشون فى السرج ويزدحمون بها إلى الجامع كأيام العيد حتى الدرس ذلك فقيل أوّل بدعة حدثت فى الإسلام ترك البكور إلى الجامع وكيف لا يستحى المسلمون من اليهود والنصارى وهم يبكرون إلى البيع والكنائس يوم السبت والأحد وطلاب الدنيا كيف يبكرون إلى رحاب الأسواق للبيع والشراء والربح فلم لا يسابقهم طلاب الآخرة ويقال إن الناس يكونون فى قربهم عند النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى على قدر بكورهم إلى الجمعة ودخل ابن مسعود رضى الله عنه بكرة الجامع فرأى ثلاثة نفر

(١) حديث من راح إلى الجمعة فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة وليس فيه ورفعت الأقلام وهذه اللفظة عند البيهقى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث ثلاث لو يعلم الناس مافيهن لركضوا ركض الإبل فى طلبهن الأذان والصف الأوّل والغدوّ إلى الجمعة أبو الشيخ فى ثواب الأعمال من حديث أبى هريرة ثلاث لو يعلم الناس مافيهن ماأخذن إلا بالاستهام عليها حرصا على مافيهنّ من الخير والبركة الحديث . قال والتهجير إلى الجمعة وفى الصحيحين من حديثه لو يعلم الناس مافى النداء والصف الأوّل ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا لاستهموا ولو يعلمون مافى التهجير لاستبقوا إليه (٣) حديث إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب الحديث ابن مردويه فى التفسير من حديث علىّ باسناد ضعيف إذا كان يوم الجمعة نزل جبريل فركز لواء بالمسجد الحرام وغدا سائر الملائكة إلى المساجد التى يجمع فيها يوم الجمعة فركزوا ألويتهم وراياتهم بباب المساجد ثم نشروا قراطيس من فضة وأقلاما من ذهب (٤) حديث إن الملائكة يفتقدون العبد إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا مافعل فلان هق من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مع زيادة ونقص باسناد حسن . واعلم أن المصنف ذكر هذا أثرا فان لم يرد به حديثا مرفوعا فليس من شرطنا وانما ذكرناه احتياطا .

الزجاجة التى أعمرت بسراج النار إلى خبر المعرفة الملقب بسر القلب شبهها بها لأنها مسرجة الرب سبحانه وتعالى شعلها بنوره ونوره المذكور ههنا عبارة عن صفاء الباطن واشتعال السر بطلوع نيران كواكب المعارف الذاهبة بإذن الله تعالى ظلم جهالات القلوب ووجه إضافته إلى الله تعالى على سبيل الإشارة بالذكر لأجل التخصيص بالشرف والكاغد والحبر كناية عن أنفسهما لا عن غيرهما وجعلهما مبدأ طريقه وأول سلوكه إذ هما فى عالم الملك والشهادة الذى محل جولة الناظر فى حال نظره وأما سبب أنه لم يعرف الكتابة والمكتوب فلأجل أنه كان أميا لا يقرأ الكتاب الصناعى وإنما يروم معرفة قراءة الخط الإلهى الذى هو أبين وأدلّ على الفهم منه وأما مخاطبة الناظر الكاغد وهو

قد سبقوه بالبكور فاغتم لذلك وجعل يقول فى نفسه معاتبا لها رابع أربعة ومارابع أربعة من البكور ببعيد . الخامس فى هيئة الدخول ينبغى أن لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين أيديهم والبكور يسهل ذلك عليه فقد ورد وعيد شديد فى تخطى الرقاب وهو أنه يجعل جسرا يوم القيامة يتخطاه الناس (١) وروى ابن جريج مرسلا « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب يوم الجمعة إذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبى ﷺ صلاته عارض الرجل حتى لقيه فقال يافلان مامنعك أن تجمع اليوم معنا قال يانبىّ الله قد جمعت معكم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ألم ترك تتخطى رقاب الناس (٢) » . أشار به إلى أنه أحبط عمله . وفى حديث مسند أنه قال « مامنعك أن تصلى معنا » قال أولم ترنى يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم « رأيتك تأنيت وآذيت (٣) » أى تأخرت عن البكور وآذيت الحضور ومهما كان الصف الأول متروكا خاليا فله أن يتخطى رقاب الناس لأنهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة قال الحسن تخطوا رقاب الناس الذين يقعدون على أبواب الجوامع يوم الجمعة فانه لاحرمة لهم وإذا لم يكن فى المسجد إلا من يصلى فينبغى أن لا يسلم لأنه تكليف جواب فى غير محله . السادس أن لا يمر بين يدى الناس ويجلس حيث هو إلى قرب أسطوانة أو حائط حتى لا يمرون بين يديه أعنى بين يدى المصلى فان ذلك لا يقطع الصلاة ولكنه منهى عنه قال صلى الله عليه وسلم « لأن يقف أربعين عاما خير له من أن يمر بين يدى المصل (٤) » وقال ﷺ « لأن يكون الرجل رمادا رمدا تذروه الرياح خير له من أن يمر بين يدى المصلى (٥) » وقد روى فى حديث آخر فى المار والمصلى حيث صلى على الطريق أو قصر فى الدفع فقال « لو يعلم المار بين يدى المصلى والمصلى ماعليهما فى ذلك لكان أن يقف أربعين سنة خيرا له من أن يمر بين يديه (٦) » والأسطوانة والحائط والمصلى المفروش حدّ للمصلى فمن اجتاز به فينبغى أن يدفعه قال صلى الله عليه وسلم « ليدفعه فان أبى فليدفعه فان أبى فليقاتله فانه شيطان (٧) » وكان أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه فربما تعلق به الرجل فاستعدى عليه عند مروان فيخبره أن النبى ﷺ أمره بذلك فان لم يجد أسطوانة فلينصب بين يديه شيئا طوله قدر ذراع ليكون ذلك علامة لحده . السابع أن يطلب الصف الأول فان فضله كثير كما رويناه وفى الحديث « من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع كان ذلك له كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام (٨) »

---

(١) حديث من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا إلى جهنم ت وضعفه و ه من حديث معاذ بن أنس (٢) حديث ابن جريج مرسلا أن النبى صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب إذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس الحديث وفيه مامنعك أن تجمع معنا اليوم ابن المبارك فى الرقائق (٣) حديث مامنعك أن تصلى معنا فقال أو لم ترنى قال رأيتك آنيت وآذيت د ن حب ك من حديث عبد الله بن يسر مختصرا (٤) حديث لأن يقف أربعين سنة خير له من أن يمر بين يدى المصلى البزار من حديث زيد بن خالد وفى الصحيحين من حديث أبى جهم أن يقف أربعين قال أبو النضر لاأدرى أربعين يوما أو شهرا أو سنة و ه وحب من حديث أبى هريرة مائة عام (٥) حديث لأن يكون الرجل رمادا تذروه الرياح خير له من أن يمر بين يدى المصلى أبو نعيم فى تاريخ أصبهان وابن عبد البر فى التمهيد موقوفا على عبد الله بن عمر وزاد متعمدا (٦) حديث لو يعلم المار بين المصلى والمصلى ماعليهما فى ذلك الحديث رواه هكذا أبو العباس محمد بن يحيى السراج فى مسنده من حديث زيد بن خالد باسناد صحيح (٧) حديث أبى سعيد فليدفعه فان أبى فليقاتله فانما هو شيطان متفق عليه (٨) حديث من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واسمع الحديث ك من حديث أوس بن أوس وأصله عند أصحاب السنن .

جماد فسبق الكلام على مثله ومراجعة الكاغد له فعلى قدر حال الناظر إن كان مرادا فيلقى الكلام فى الحس بما ينبئه عن المطلوب من الحق وهو من باب الالقاء فى الروع فيودعه الحس المشترك المحفوظ فيه على الانسان صور الأشياء المحسوسة وإن كان مريدا فيتلقاه بلسان الحال المسموع بسمع القلب بواسطة المعرفة والعقل وتصديق الناظر للكاغد فى عذره وإحالته على الجبر لم يكن لمجرد قوله بل بشهادة أولى الرضا والعدل وهو البحث والتجربة لم تكن وشهادة النفس وهو يسلك إلى القدرة وهو آخر هاسئل عن أجزاء عالم الملك . وأما ماسمعته فى حد عالم الجبروت فذلك من القدرة المحدثة إلى العقل والعلم الموجودين فى الانسان المستقرة فى القوّة الوهمية المدركة جميع ما لا يستدعى وجوده جسما ولكن قد يعرض

وفى لفظ آخر « غفر الله له إلى الجمعة الأخرى وقد اشترط فى بعضها ولم يتخط رقاب الناس[1] » ولا يغفل فى طلب الصف الأول عن ثلاثة أمور : أولها أنه إذا كان يرى بقرب الخطيب منكرا يعجز عن تغييره من لبس حرير من الامام أو غيره أو صلى فى سلاح كثير ثقيل شاغل أو سلاح مذهب أو غير ذلك مما يجب فيه الانكار فالتأخر له أسلم وأجمع للهم فعل ذلك جماعة من العلماء طلبا للسلامة قيل لبشر بن الحرث تراك تبكر وتصلى فى آخر الصفوف فقال إنما يراد قرب القلوب لا قرب الأجساد وأشار به إلى أن ذلك أقرب لسلامة قلبه ونظر سفيان الثورى إلى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع إلى الخطبة من أبى جعفر المنصور فلما فرغ من الصلاة قال شغل قلبى قربك من هذا هل أمنت أن تسمع كلاما يجب عليك إنكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما أحدثوا من لبس السواد فقال يا أبا عبد الله أليس فى الخبر « ادن واستمع[2] » فقال ويحك ذاك للخلفاء الراشدين المهديين فأما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر إليهم كان أقرب إلى الله عز وجل وقال سعيد بن عامر « صليت إلى جنب أبى الدرداء فجعل يتأخر فى الصفوف حتى كنا فى آخر صف فلما صلينا قلت له أليس يقال خير الصفوف أولها قال نعم إلا أن هذه الأمة مرحومة منظور إليها من بين الأمم[3] فان الله تعالى إذا نظر إلى عبد فى الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس فانما تأخرت رجاء أن يغفر لى بواحد منهم ينظر الله إليه وروى بعض الرواة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك فمن تأخر على هذه النية إيثارا وإظهارا لحسن الخلق فلا بأس وعند هذا يقال الأعمال بالنيات . ثانيها إن لم تكن مقصورة عند الخطيب مقتطعة عن المسجد للسلاطين فالصف الأول محبوب وإلا فقد كره بعض العلماء دخول المقصورة كان الحسن وبكر المزنى لا يصليان فى المقصورة ورأيا أنها قصرت على السلاطين وهى بدعة أحدثت بعد رسول الله ﷺ فى المساجد والمسجد مطلق لجميع الناس وقد اقتطع ذلك على خلافه وصلى أنس بن مالك وعمران بن حصين فى المقصورة ولم يكرها ذلك لطلب القرب ولعل الكراهية تختص بحالة التخصيص والمنع فأما مجرد المقصورة إذا لم يكن منع فلا يوجب كراهة . وثالثها أن المنبر يقطع بعض الصفوف وإنما الصف الأول الواحد المتصل الذى فى فناء المنبر وما على طرفيه مقطوع وكان الثورى يقول الصف الأول هو الخارج بين يدى المنبر وهو متجه لأنه متصل ولأن الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع منه ولا يبعد أن يقال الأقرب إلى القبلة هو الصف الأول ولا يراعى هذا المعنى وتكره الصلاة فى الأسواق والرحاب الخارجة عن المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب . الثامن أن يقطع الصلاة عند خروج الامام ويقطع الكلام أيضا بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة وقد جرت عادة بعض العوام بالسجود عند قيام المؤذنين ولم يثبت له أصل فى أثر ولا خبر ولكنه إن وافق سجود تلاوة فلا بأس بها للدعاء لأنه وقت فاضل ولا يحكم بتحريم هذا السجود فانه لا سبب لتحريمه ، وقد روى عن على وعثمان رضى الله عنهما أنهما قالا : من استمع وأنصت فله أجران ومن لم يستمع وأنصت فله أجر ومن سمع ولغا فعليه وزران ومن لم يسمع ولغا فعليه وزر واحد وقال صلى الله عليه وسلم « من قال لصاحبه والامام يخطب أنصت أو مه فقد لغا ومن لغا والامام يخطب فلا جمعة له[4] » وهذا يدل على أن الإسكات ينبغى أن يكون باشارة أو رمى وحصاة لا بالنطق

(١) حديث أنه اشترط فى بعضها ولم يتخط رقاب الناس د حب ك من حديث أبى سعيد وأبى هريرة وقال صحيح على شرط م (٢) حديث ادن فاستمع د من حديث سمرة احضروا الذكر وادنوا من الامام وتقدم بلفظ من هجر ودنا واستمع وهو عند أصحاب السنن من حديث شداد (٣) حديث أبى الدرداء إن هذه الأمة مرحومة منظور إليها من بين الأمم وإن الله إذا نظر إلى عبد فى الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس و لم أجده (٤) حديث من قال لصاحبه والامام يخطب أنصت فقد لغا ومن لغا لا جمعة له ت ن عن أبى هريرة د وت قوله ومن لغا فلا جمعة له قال ت حديث حسن صحيح وهو فى الصحيحين بلفظ

له أنه فى جسم كما تدرك السخلة عداوة الذئب وعطف أمها فتتبع العطف وتنفر من العداوة وأما ما سمعته فى حد عالم الملكوت وذلك من العلم الإلهى إلى ما وراء ذلك مما هو داخل فيه ومعدود منه فسر القلب الذى يأخذ به عن الملائكة ويسمع به ما بعد مكانه ورق معناه وعزب عن القلوب من جهة الفكر بصوره فأما أى شىء حقائق هذه المذكورات وما كنه كل واحد منها على نحو معرفتك لأجزاء عالم الملك والشهادة فذلك علم لا ينتفع بسماعه مع عدم المشاهدة والله قد عرفك بأسمائها فان كنت مؤمنا فصدق بوجودها على الجملة لعلمك أنك لا تخبر بتسميات ليس لها مسميات إلى أن يلحقك الله بأولى المشاهدة وتحصل خالص الكرامات ومن كفر فان الله غنى حميد .

[فصل] والفرق بين العلم المحسوس فى عالم

وفى حديث أبى ذرّ أنه لما سأل أبيا والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى أنزلت هذه السورة فأومأ إليه أن اسكت فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أبىّ اذهب فلا جمعة لك فشكاه أبو ذرّ إلى النبى ﷺ فقال « صدق أبىّ[1] » وإن كان بعيدا من الإمام فلا ينبغى أن يتكلم فى العلم وغيره بل يسكت لأن ذلك يتسلسل ويفضى إلى هينمة حتى ينتهى إلى المستمعين ولا يجلس فى حلقة من يتكلم فمن عجز عن الاستماع بالبعد فلينصت فهو المستحب وإذا كانت تكره الصلاة فى وقت خطبة الإمام فالكلام أولى بالكراهية وقال علىّ كرم الله وجهه تكره الصلاة فى أربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلاة والإمام يخطب . التاسع أن يراعى فى قدوة الجمعة ما ذكرناه فى غيرها فاذا سمع قراءة الإمام لم يقرأ سوى الفاتحة فاذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد لله سبع مرات قبل أن يتكلم وقل هو الله أحد والمعوذتين سبعا سبعا وروى بعض السلف أن من فعله عصم من الجمعة إلى الجمعة وكان حرزا له من الشيطان ويستحب أن يقول بعد الجمعة اللهم يا غنى يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود أغننى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك يقال من داوم على هذا الدعاء أغناه الله سبحانه عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ثم يصلى بعد الجمعة ست ركعات ، فقد روى ابن عمر رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى بعد الجمعة ركعتين[2] ، وروى أبو هريرة أربعا[3] ، وروى على وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم ستا[4] والكل صحيح فى أحوال مختلفة والأكمل أفضل . العاشر أن يلازم المسجد حتى يصلى العصر فان أقام إلى المغرب فهو الأفضل يقال من صلى العصر فى الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى المغرب فله ثواب حجة وعمرة فإن لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق إلى اعتكافه أو خاف الخوض فيما لا يعنى فالأفضل أن يرجع إلى بيته ذاكرا الله عز وجل مفكرا فى آلائه شاكرا لله تعالى على توفيقه خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه إلى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة ولا ينبغى أن يتكلم فى الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا قال صلى الله عليه وسلم « يأتى على الناس زمان يكون حديثهم فى مساجدهم أمر دنياهم ليس لله تعالى فيهم حاجة فلا تجالسوهم[5] » .

(بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذى يعم جميع النهار وهى سبعة أمور)

الأول أن يحضر مجالس العلم بكرة أو بعد العصر ولا يحضر مجالس القصاص فلا خير فى كلامهم ولا ينبغى أن يخلو المريد فى جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو خير ولا ينبغى أن يحضر الحلق قبل الصلاة وروى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم

إذا قلت لصاحبك و د من حديث علىّ من قال صه فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له (١) حديث أبى ذرّ لما سأل أبيا والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب وقال متى أنزلت هذه السورة الحديث هق وقال فى المعرفة إسناده صحيح د ه من حديث أبىّ بن كعب بسند صحيح أن السائل له أبو الدرداء وأبو ذرّ ولأحمد من حديث أبى الدرداء أنه سأل أبيا ولابن حبان من حديث جابر إن السائل عبد الله بن مسعود ولأبى يعلى من حديث جابر قال قال سعد بن أبى وقاص لرجل لا جمعة لك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لم يا سعد فقال لأنه كان يتكلم وأنت تخطب فقال صدق سعد (٢) حديث ابن عمر فى الركعتين بعد الجمعة متفق عليه (٣) حديث أبى هريرة فى الأربع ركعات بعد الجمعة م إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعا (٤) حديث علىّ وعبد الله فى صلاة ست ركعات بعد الجمعة هق مرفوعا عن على وله موقوفا على ابن مسعود أربعا و د من حديث ابن عمر كان إذا كان بمكة صلى بعد الجمعة ستا (٥) حديث يأتى على أمتى زمان يكون حديثهم فى مساجدهم أمر دنياهم الحديث هق فى الشعب من حديث الحسن مرسلا وأسنده ك من حديث أنس وصحح إسناده وحب نحوه من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

الملك وبين العلم الإلهى فى عالم الملكوت أن العلم كما اعتقدته مجسم بطىء الحركة بالفعل سريع الانتقال بالهلاك مخلفا عن مثله فى الظاهر مجهولا تحت قهر سلطان الآدمى الضعيف الجاهل فى أكثر أوقاته متصرف بين أحوال متنافية كالعلم والجهل والعدل والظلم والشك والصدق والإفك فالعلم الإلهى عبارة عن خلق الله فى عالم الملكوت مختص بخلاف خصائص الجواهر الحسية الكائنة فى عالم الملك يرى من أوصاف ماسمى به القلم المحسوس كليا مصرفا يتميز الخالق بحكم إراده على ماسبق به علمه فى أزل الأزل وإنما سمى بهذا الاسم لأجل شبهه بعمل ماسمى به غير أنه لا يكتب إلا حقائق الحق والفرق بين يمين الآدمى ويمين الله عز وجل أن يمين الآدمى كما علمت مركبة من عصب استعصى بقاؤها وعضل تعضل أدواؤها وعظام يعظم بلاؤها

نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة[١] » إلا أن يكون عالما بالله يذكر بأيام الله ويفقه فى دين الله يتكلم فى الجامع بالغداة فيجلس إليه فيكون جامعا بين البكور وبين الاستماع واستماع العلم النافع فى الآخرة أفضل من اشتغاله بالنوافل فقد روى أبو ذر « إن حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة[٢] » قال أنس بن مالك فى قوله تعالى ـ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ـ أما انه ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة أخ فى الله عز وجل وقد سمى الله عز وجل العلم فضلا فى مواضع قال تعالى ـ وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ـ وقال تعالى ـ ولقد آتينا داود منا فضلا ـ يعنى العلم فتعلم العلم فى هذا اليوم وتعليمه من أفضل القربات والصلاة أفضل من مجالس القصاص إذ كانوا يرونه بدعة ويخرجون القصاص من الجامع . بكر ابن عمر رضى الله عنهما إلى مجلسه فى المسجد الجامع فاذا قاص يقص فى موضعه فقال قم من مجلسى فقال لا أقوم وقد جلست وسبقتك إليه فأرسل ابن عمر إلى صاحب الشرطة فأقامه فلو كان ذلك من السنة لما جازت إقامته فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يقيمن أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا[٣] » وكان ابن عمر إذا قام الرجل له من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود إليه وروى أن قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة رضى الله عنها فأرسلت إلى ابن عمر إن هذا قد آذانى بقصصه وشغلنى عن سبحتى فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده . الثانى أن يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة ففى الخبر المشهور « إن فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها شيئا إلا أعطاه[٤] » وفى خبر آخر « لا يصادفها عبد يصلى[٥] » واختلف فيها فقيل إنها عند طلوع الشمس وقيل عند الزوال وقيل مع الأذان وقيل إذا صعد الإمام المنبر وأخذ فى الخطبة وقيل إذا قام الناس إلى الصلاة وقيل آخر وقت العصر أعنى وقت الاختيار وقيل قبل غروب الشمس وكانت فاطمة رضى الله عنها تراعى ذلك الوقت وتأمر خادمتها أن تنظر إلى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ فى الدعاء والاستغفار إلى أن تغرب الشمس وتخبر بأن تلك الساعة هى المنتظرة وتؤثره عن أبيها ﷺ وعليها[٦] وقال بعض العلماء هى مبهمة فى جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدواعى على مراقبتها وقيل إنها تنتقل فى ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا هو الأشبه وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره ولكن ينبغى أن يصدق بما قال صلى الله عليه وسلم « إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا[٧] لها » ويوم الجمعة من جملة تلك الأيام فينبغى أن يكون العبد فى جميع نهاره متعرضا لها باحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع عن وساوس الدنيا فعساه يحظى بشىء من تلك النفحات وقد قال كعب الأحبار إنها فى آخر ساعة من يوم الجمعة وذلك عند الغروب فقال أبو هريرة وكيف تكون آخر ساعة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يوافقها عبد يصلى ولات حين صلاة » فقال كعب ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قعد ينتظر

(١) حديث عبد الله بن عمر فى النهى عن التحلق يوم الجمعة د ن و ه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ولم أجده من حديث ابن عمر (٢) حديث أبى ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة تقدم فى العلم (٣) حديث لا يقيمن أحدكم أخاه من مجلسه الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر (٤) حديث إن فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه ت ه من حديث عمرو بن عوف المزنى (٥) حديث لا يصادفها عبد مصل متفق عليه من حديث أبى هريرة (٦) حديث فاطمة فى ساعة الجمعة قط فى العلل هق فى الشعب وعلته الاختلاف (٧) حديث إن لربكم فى أيام دهركم نفحات الحديث الحكيم فى النوادر وطب فى الأوسط من حديث محمد بن مسلمة ولابن عبد البر فى التمهيد نحوه من حديث أنس ورواه بن أبى الدنيا فى كتاب الفرج من حديث أبى هريرة واختلف فى إسناده .

ولحم ممتد وجلد غير جلد موصولة كمثلها فى الضعف والانفعال ملقبة باليد وهى عاجزة على كل حال ويمين الله تعالى هى عند بعض أهل التأويل عبارة عن قدرته وعند بعضهم صفة لله تعالى غير قدرة وليست بجارحة ولا جسم وعند آخرين أنها عبارة عن خلق الله هى واسطة بين القلم الإلهى الناقش العلوم المحدثة وغيرها وبين قدرته التى هى صفة له صرف بها اليمين الكاتبة بالقلم المذكور بالخط الإلهى المثبوت على صفحات المخلوقات الذى ليس بعربى ولا عجمى يقرؤه الأميون إذا شرحت صدورهم وتستعجم على القارئين إذا كانوا عبيد شهواتهم ولم يشارك يمين الآدمى إلا فى بعض الأسماء لأجل الشبه اللطيف الذى بينهما بالفعل وتقريبا إلى كل ناقص الفهم عساه يعقل ما أنزل على رسل الله تعالى من الذكر .

الصلاة فهو فى الصلاة (١) » قال بلى قال فذلك صلاة فسكت أبو هريرة وكان كعب مائلا إلى أنها رحمة من الله سبحانه للقائمين بحق هذا اليوم وأوان إرسالها عند الفراغ من تمام العمل وبالجملة هذا وقت شريف مع وقت صعود الإمام المنبر فليكثر الدعاء فيهما . الثالث يستحب أن يكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا اليوم فقد قال صلى الله عليه وسلم « من صلى علىّ فى يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يارسول الله كيف الصلاة عليك ؟ قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمى وتعقد واحدة وإن قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضاء ولحقه أداء وأعطه الوسيلة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته واجزه عنا ماهو أهله واجزه أفضل ماجازيت نبيا عن أمته وصل عليه وعلى جميع إخوانه من النبيين والصالحين ياأرحم الراحمين (٢) » تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها فى سبع جمع فى كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته صلى الله عليه وسلم وإن أراد أن يزيد أتى بالصلاة المأثورة فقال « اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامى بركاتك وشرائف زكواتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قائد الخير وفاتح البرّ ونبي الرحمة وسيد الأمة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقرّ به عينه يغبطه به الأولون والآخرون اللهم أعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيفة اللهم أعط محمدا سؤله وبلغه مأموله واجعله أول شافع وأول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وأبلغ حجته وارفع فى أعلى القربين درجته اللهم احشرنا فى زمرته واجعلنا من أهل شفاعته وأحينا على سنته وتوفنا على ملته وأوردنا حوضه وأسقنا بكأسه غير خزايا ولانادمين ولاشاكين ولامبدلين ولا فاتنين ولامفتونين آمين يارب العالمين (٣) » وعلى الجملة فكل ماأتى به من ألفاظ الصلاة ولو بالمشهورة فى التشهد كان مصليا وينبغى أن يضيف إليه الاستغفار فان ذلك أيضا مستحب فى هذا اليوم . الرابع قراءة القرآن فليكثر منه وليقرأ سورة الكهف خاصة فقد روى عن ابن عباس وأبى هريرة رضى الله عنهما أن « من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطى نورا من حيث يقرؤها إلى مكة وغفر له إلى يوم الجمعة الآخرى وفضل ثلاثة أيام وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وعوفى من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال (٤) » ويستحب أن يختم القرآن فى يوم الجمعة وليلتها إن قدر وليكن ختمه للقرآن فى ركعتى الفجر إن قرأ بالليل أو فى ركعتى المغرب أو بين الأذان والاقامة للجمعة فله فضل عظيم وكان العابدون يستحبون أن يقرءوا يوم الجمعة قل هو الله أحد ألف مرة ويقال إن من قرأها فى عشر ركعات أو عشرين فهو أفضل من ختمة وكانوا يصلون

(١) حديث اختلاف كعب وأبى هريرة فى ساعة الجمعة وقول أبى هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايوافقها عبد يصلى ولات حين صلاة فقال كعب ألم يقل عليه الصلاة والسلام من قعد ينتظر الصلاة فهو فى صلاة قلت وقع فى الإحياء أن كعبا هو القائل إنها آخر ساعة وليس كذلك وإنما هو عبد الله بن سلام وأما كعب فانما قال إنها فى كل سنة مرة ثم رجع والحديث رواه د ت ن حب من حديث أبى هريرة وه نحوه من حديث عبد الله بن سلام (٢) حديث من صلى فى يوم الجمعة ثمانين مرة الحديث قط من رواية ابن المسيب قال أظنه عن أبى هريرة وقال حديث غريب وقال ابن النعمان حديث حسن (٣) حديث اللهم اجعل فضائل صلواتك الحديث ابن أبى عاصم فى كتاب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن مسعود نحوه بسند ضعيف وقفه على ابن مسعود (٤) حديث ابن عباس وأبى هريرة من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة الحديث لم أجده من حديثهما.

[فصل] وحد عالم الملك ماظهر للحواس ويكون بقدرة الله تعالى بعضه من بعض وصحة التعبير وحدّ عالم الملكوت ما أوجده سبحانه بالأمر الأزلى بلا تدريج وبقى على حالة واحدة من غير زيادة فيه ولانقصان منه وحدّ عالم الجبروت هو مابين العالمين مما يشبه أن يكون فى الظاهر من عالم الملك فحيز بالقدرة الأزلية بما هو من عالم الملكوت .

[فصل] ومعنى أن الله خلق آدم على صورته فذلك على ماجاء فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وللعلماء فيه وجهان فمنهم من يرى للحديث سببا وهو أن رجلا ضرب غلامه فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فنهاه وقال إن الله تعالى خلق آدم على صورته وتأوّلوا عود الضمير على المضروب وعلى هذا لايكون للحديث مدخل فى هذا الموضع لم يرده مورد آخر فى غير هذا الموطن

على النبي صلى الله عليه وسلم ألف مرة وكانوا يقولون سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ألف مرة وإن قرأ السبعات الست في يوم الجمعة أو ليلتها فحسن وليس يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ سورا بأعيانها إلا في يوم الجمعة وليلتها كان يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكان يقرأ في صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين(١) وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرؤها في ركعتي الجمعة وكان يقرأ في الصبح يوم الجمعة سورة سجدة لقمان وسورة هل أتى على الانسان(٢) . الخامس الصلوات يستحب إذا دخل الجامع أن لا يجلس حتى يصلي أربع ركعات يقرأ فيهن قل هو الله أحد مائتي مرة في كل ركعة خمسين مرة(٣) فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له ولا يدع ركعتي التحية وإن كان الامام يخطب ولكن يخفف . أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك(٤) وفي حديث غريب أنه صلى الله عليه وسلم سكت للداخل حتى صلاها(٥) . فقال الكوفيون إن سكت له الامام صلاها ويستحب في هذا اليوم أو في ليلته أن يصلي أربع ركعات بأربع سور : الأنعام والكهف وطه ويس فان لم يحسن قرأ يس وسورة سجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك ولا يدع قراءة هذه الأربع سور في ليلة الجمعة ففيها فضل كثير ومن لا يحسن القرآن قرأ ما يحسن فهو له بمنزلة الختمة ويكثر من قراءة سورة الاخلاص ويستحب أن يصلي صلاة التسبيح كما سيأتي في باب التطوعات كيفيتها لأنه صلى الله عليه وسلم قال لعمه العباس صلها في كل جمعة(٦) وكان ابن عباس رضي الله عنهما لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر عن جلالة فضلها والأحسن أن يجعل وقته إلى الزوال للصلاة وبعد الجمعة إلى العصر لاستماع العلم وبعد العصر إلى المغرب للتسبيح والاستغفار . السادس الصدقة مستحبة في هذا اليوم خاصة فانها تتضاعف إلا على من سأل والامام يخطب وكان يتكلم في كلام الامام فهذا مكروه وقال صالح بن محمد سأل مسكين يوم الجمعة والامام يخطب وكان إلى جانب أبي فأعطى رجل أبي قطعة ليناوله إياها فلم يأخذها منه أبي وقال ابن مسعود إذا سأل الرجل في المسجد فقد استحق أن لا يعطى وإذا سأل على القرآن فلا تعطوه ومن العلماء من كره الصدقة على السؤال في الجامع الذين يتخطون رقاب الناس إلا أن يسأل قائما أو قاعدا في مكانه من غير تخط وقال كعب الاحبار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما وخشوعهما ثم يقول اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا إله إلا الله هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه وقال بعض

(١) حديث القراءة في المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وفي عشائها الجمعة والمنافقين حب وهق من حديث سمرة وفي ثقات حب المحفوظ عن سماك مرسلا قلت لا يصح مسندا ولا مرسلا (٢) حديث القراءة في الجمعة بالجمعة والمنافقين وفي صبح الجمعة بالسجدة وهل أتى م من حديث ابن عباس وأبي هريرة (٣) حديث من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى أربع ركعات يقرأ فيها قل هو الله أحد مائتي مرة الحديث الخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر وقال غريب جدا (٤) حديث الأمر بالتخفيف في التحية إذا دخل والامام يخطب م من حديث جابر وخ الأمر بالركعتين ولم يذكر التخفيف (٥) حديث سكوته صلى الله عليه وسلم عن الخطبة للداخل حتى فرغ من التحية قط من حديث أنس وقال أسنده عبيد بن محمد ووهم فيه والصواب عن معتمر عن أبيه مرسلا (٧) حديث صلاة التسبيح وقوله لعمه العباس صلها في كل جمعة د ه وابن خزيمة والحاكم من حديث ابن عباس وقال عق وغيره ليس فيها حديث صحيح .

ويكون الايمان به إلى غير هذا المعنى المذكور في السبب الحادث واثباته في غير موطن ذلك السبب المنقول مما يعز ويعسر فليبق السبب على حاله ولينظر في وجه الحديث غير هذا مما يحتمل ويحسن الاحتجاج به في هذا الموطن والوجه الآخر أن يكون الضمير الذي في صورته عائدا إلى الله سبحانه ويكون معنى الحديث أن الله خلق آدم على صورة هي إلى الله سبحانه وهذا العبد المضروب على صورة آدم فاذا هذا العبد المضروب على الصورة المضافة إلى الله تعالى ثم ينحصر بيان معنى الحديث ويتوقف على بيان معنى هذه الاضافة وعلى أي جهة يحمل في الاعتقاد العلمي على الله سبحانه ففيها وجهان : أحدهما أن إضافته إضافة ملك إلى الله تعالى كما يضاف إليه العبد والبيت والناقة واليمين على أحد الأوجه والوجه الآخر أن تكون إضافة تخصيص

السلف من أطعم مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ أحدا ثم قال حين يسلم الإمام بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم أسألك أن تغفر لي وترحمني وتعافيني من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له . السابع أن يجعل يوم الجمعة للآخرة فيكف فيه عن جميع أشغال الدنيا ويكثر فيه الأوراد ولا يبتدئ فيه السفر فقد روى « أنه من سافر في ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه (١) » وهو بعد طلوع الفجر حرام إلا إذا كانت الرفقة تفوت وكره بعض السلف شراء الماء في المسجد من السقاء ليشربه أو يسبله حتى لا يكون مبتاعا في المسجد فان البيع والشراء في المسجد مكروه وقالوا لا بأس لو أعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب أو سبل في المسجد وبالجملة ينبغي أن يزيد في الجمعة في أوراده وأنواع خيراته فان الله سبحانه إذا أحب عبدا استعمله في الأوقات الفاضلة بفواضل الأعمال وإذا مقته استعمله في الأوقات الفاضلة بسيء الأعمال ليكون ذلك أوجع في عتابه وأشد لمقته لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت ويستحب في الجمعة دعوات وسيأتي ذكرها في كتاب الدعوات إن شاء الله تعالى وصلى الله على كل عبد مصطفى .

(الباب السادس : في مسائل متفرقة تعم بها البلوى ويحتاج المريد إلى معرفتها)

فأما المسائل التي تقع نادرة فقد استقصيناها في كتب الفقه

[مسئلة] الفعل القليل وإن كان لا يبطل الصلاة فهو مكروه إلا لحاجة وذلك في دفع المار وقتل العقرب التي تخاف ويمكن قتلها بضربة أو ضربتين فاذا صارت ثلاثا فقد كثرت وبطلت الصلاة وكذلك القملة والبرغوث مهما تأذى بهما كان له دفعهما وكذلك حاجته إلى الحك الذي يشوش عليه الخشوع كان معاذ يأخذ القملة والبرغوث في الصلاة وابن عمر كان يقتل القملة في الصلاة حتى يظهر الدم على يده وقال النخعي يأخذها ويوهنها ولا شيء عليه إن قتلها وقال ابن المسيب يأخذها ويخدرها ثم يطرحها وقال مجاهد الأحب إلي أن يدعها إلا أن تؤذيه فتشغله عن صلاته فيوهنها قدر ما لا تؤذي ثم يلقيها وهذه رخصة والا فالكمال الاحتراز عن الفعل وإن قل ولذلك كان بعضهم لا يطرد الذباب وقال لا أعود نفسي ذلك فيفسد علي صلاتي وقد سمعت أن الفساق بين يدي الملوك يصبرون على أذى كثير ولا يتحركون ومهما تثاءب فلا بأس أن يضع يده على فيه وهو الأولى وإن عطس حمد الله عز وجل في نفسه ولا يحرك لسانه وإن تجشأ فينبغي أن لا يرفع رأسه إلى السماء وإن سقط رداؤه فلا ينبغي أن يسويه وكذلك أطراف عمامته فكل ذلك مكروه إلا لضرورة [مسئلة] الصلاة في النعلين جائزة وإن كان نزع النعلين سهلا وليست الرخصة في الخف لعسر النزع بل هذه النجاسة معفو عنها وفي معناها المداس « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم فقال لم خلعتم نعالكم قالوا رأيناك خلعت فخلعنا فقال صلى الله عليه وسلم إن جبرائيل عليه السلام أتاني فأخبرني أن بهما خبثا فاذا أراد أحدكم المسجد فليقلب نعليه ولينظر فيهما فان رأى خبثا فليمسحه بالأرض وليصل فيهما (٢) » وقال بعضهم الصلاة في النعلين أفضل لأنه صلى الله عليه وسلم قال لم خلعتم نعالكم وهذه مبالغة فانه صلى الله عليه وسلم سألهم ليبين لهم سبب خلعه إذ علم أنهم خلعوا على موافقته وقد روى عبد الله بن السائب « أن النبي ﷺ خلع نعليه (٣) » فاذن قد فعل كليهما فمن خلع فلا ينبغي أن يضعهما عن يمينه ويساره فيضيق الموضع ويقطع الصف بل يضعهما بين يديه

(١) حديث من سافر يوم الجمعة دعا عليه ملكاه قط في الأفراد من حديث ابن عمر وفيه ابن لهيعة وقال غريب والخطيب في الرواة عن مالك من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

(الباب السادس)

(٢) حديث صلى في نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم الحديث أحمد واللفظ له د ك وصححه من حديث أبي سعيد (٣) حديث عبد الله بن السائب في خلع النبي صلى الله عليه وسلم نعليه م .

به تعالى فمن حملها على إضافة الملك له رأى أن المراد بصورته هو العالم الأكبر بجملته وآدم مخلوق على مضاهاة صورة العالم الأكبر لكنه مختصر صغير فان العالم إذا فصلت أجزاؤه بالعلم وفصلت أجزاء آدم عليه السلام بمثله وجدت أجزاء آدم عليه السلام مشابهة للعالم الأكبر وإذا شابهت أجزاء جملة أجزاء جملة فالجملتان بلاشك متشابهتان فالذي نظر في تحليل صورة العالم الأكبر فقسمه على أنحاء من القسمة وقسم آدم عليه السلام كذلك فوجد كل نحوين منهما شبيهين فمن ذلك أن العالم ينقسم إلى قسمين أحد القسمين ظاهر محسوس كعالم الملك والثاني باطن معقول كعالم الملكوت والانسان كذلك ينقسم إلى ظاهر محسوس كالعظم واللحم والدم وسائر أنواع

ولا يتركهما وراءه فيكون قلبه ملتفتا إليهما ولعل من رأى الصلاة فيهما أفضل راعى هذا المعنى وهو التفات القلب إليهما روى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه(١) » وقال أبو هريرة لغيره اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما ووضعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على يساره وكان إماما(٢) فللإمام أن يفعل ذلك إذ لا يقف أحد على يساره والأولى أن لا يضعهما بين قدميه فيشغلانه ولكن قدام قدميه ولعله المراد بالحديث وقد قال جبير بن مطعم وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة [مسئلة] إذا بزق فى صلاته لم تبطل صلاته لأنه فعل قليل ومالا يحصل به صوت لا يعد كلاما وليس على شكل حروف الكلام إلا أنه مكروه فينبغى أن يحترز منه إلا كما أذن رسول الله ﷺ فيه إذ روى بعض الصحابة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى القبلة نخامة فغضب غضبا شديدا ثم حكها بعرجون كان فى يده وقال ائتونى بعبير فلطخ أثرها بزعفران ثم التفت إلينا وقال أيكم يحب أن يبزق فى وجهه فقلنا لا أحد قال فان أحدكم إذا دخل فى الصلاة فان الله عز وجل بينه وبين القبلة(٣) » وفى لفظ آخر واجهه الله تعالى فلا يبزقن أحدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه ولكن عن شماله أو تحت قدمه اليسرى فان بدرته بادرة فليبصق فى ثوبه وليقل به هكذا وذلك بعضه ببعض [مسئلة] لوقوف المقتدى سنة وفرض . أما السنة فأن يقف الواحد عن يمين الامام متأخرا عنه قليلا والمرأة الواحدة تقف خلف الامام فان وقفت بجنب الامام لم يضر ذلك ولكن خالفت السنة فان كان معها رجل وقف الرجل عن يمين الامام وهى خلف الرجل ولا يقف أحد خلف الصف منفردا بل يدخل فى الصف أو يجر إلى نفسه واحدا من الصف فان وقف منفردا صحت صلاته مع الكراهية . وأما الفرض فاتصال الصف وهو أن يكون بين المقتدى والامام رابطة جامعة فانهما فى جماعة فان كانا فى مسجد كفى ذلك جامعا لأنه بنى له فلا يحتاج إلى اتصال صف بل إلى أن يعرف أفعال الامام ؛ صلى أبو هريرة رضى الله عنه على ظهر المسجد بصلاة الامام وإذا كان المأموم على فناء المسجد فى طريق أو صحراء مشتركة وليس بينهما اختلاف بناء مفرق فيكفى القرب بقدر غلوة سهم وكفى بها رابطة إذ يصل فعل أحدهما إلى الآخر وإنما يشترط إذا وقف فى صحن دار على يمين المسجد أو يساره وبابها لا طىء فى المسجد فالشرط أن يعد صف المسجد فى دهليزها من غير انقطاع إلى الصحن ثم تصح صلاة من فى ذلك الصف ومن خلفه دون من تقدم عليه وهكذا حكم الأبنية المختلفة فأما البناء الواحد والعرصة الواحدة فكالصحراء [مسئلة] المسبوق إذا أدرك آخر صلاة الامام فهو أول صلاته فليوافق الامام وليبن عليه وليقنت فى الصبح فى آخر صلاة نفسه وإن قنت مع الامام وإن أدرك مع الامام بعض القيام فلا يشتغل بالدعاء وليبدأ بالفاتحة وليخففها فان ركع الامام قبل تمامها وقدر على لحوقه فى اعتداله من الركوع فليتم فان عجز وافق الامام وركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها فتسقط عنه بالسبق وإن ركع الامام وهو فى السورة فليقطعها وإن أدرك الامام فى السجود أو التشهد كبر للاحرام ثم جلس ولم يكبر بخلاف ما إذا أدركه فى الركوع فانه يكبر ثانيا فى الهوى لأن ذلك انتقال محسوب له والتكبيرات للانتقالات الأصلية فى الصلاة لا للعوارض بسبب القدوة ولا يكون مدركا للركعة مالم يطمئن راكعا فى الركوع والامام بعد فى حد الراكعين فإن لم يتم طمأنينته إلا بعد مجاوزة الامام حد الراكعين فاتته تلك

(١) حديث أبى هريرة إذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه د بسند صحيح وضعفه المنذرى وليس بجيد (٢) حديث وضعه نعليه على يساره م من حديث عبدالله بن السائب (٣) حديث رأى فى القبلة نخامة فغضب الحديث م من حديث جابر واتفقا عليه مختصرا من حديث أنس وعائشة وأبى سعيد وأبى هريرة وابن عمر .

الجواهر المحسوسة وإلى باطن كالروح والعقل والعلم والإرادة والقدرة وأشباه ذلك ، وقسم آخر : وذلك أن العالم قد انقسم بالعوالم إلى عالم الملك وهو الظاهر للحواس وإلى عالم الملكوت وهو الباطن فى العقول وإلى عالم الجبروت وهو المتوسط الذى أخذ بطرف من كل عالم منهما والانسان كذلك انقسم إلى ما شابه هذه القسمة فالمشابه لعالم الملك الأجزاء المحسوسة وقد علمتها والمشابهة لعالم الملكوت فمثل الروح والعقل والقدرة والارادة وأشباه ذلك والمشابه لعالم الجبروت فكالإدراكات الموجودة بالحواس والقوى الموجودة بأجزائه والوجه الثانى أن يكون معناه كفرا للسامع لا للمخبر بخلاف الوجه الأول ويكون هذا مطابقا لحديث النبى صلى الله عليه وسلم لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم أتريدون

الركعة [مسئلة] من فاتته صلاة الظهر إلى وقت العصر فليصل الظهر أوّلا ثم العصر فان ابتدأ بالعصر أجزأه ولكن ترك الأولى واقتحم شبهة الخلاف فان وجد إماما فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده فان الجماعة بالأداء أولى فان صلى منفردا فى أوّل الوقت ثم أدرك جماعة صلى فى الجماعة ونوى صلاة الوقت والله يحتسب أيهما شاء فان نوى فائتة أو تطوّعا جاز وإن كان قد صلى فى الجماعة فأدرك جماعة أخرى فلينو الفائتة أو النافلة فإعادة المؤداة بالجماعة مرة أخرى لاوجه له وإنما احتمل ذلك لدرك فضيلة الجماعة [مسئلة] من صلى ثم رأى على ثوبه نجاسة فالأحب قضاء الصلاة ولا يلزمه ولو رأى النجاسة فى أثناء الصلاة رمى بالثوب وأتم والأحب الاستئناف وأصل هذا قصة خلع النعلين حين أخبر جبرائيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن عليهما نجاسة فانه صلى الله عليه وسلم لم يستأنف الصلاة [مسئلة] من ترك التشهد الأول أو القنوت أو ترك الصلاة على رسول الله ﷺ فى التشهد الأوّل أو فعل فعلا سهوا وكانت تبطل الصلاة بتعمده أو شك فلم يدر أصلى ثلاثا أو أربعا أخذ باليقين وسجد سجدتى السهو قبل السلام فان نسى فبعد السلام مهما تذكر على القرب فان سجد بعد السلام وبعد أن أحدث بطلت صلاته فانه لما دخل فى السجود كأنه جعل سلامه نسيانا فى غير محله فلا يحصل التحلل به وعاد إلى الصلاة فلذلك يستأنف السلام بعد السجود فان تذكر سجود السهو بعد خروجه من المسجد أو بعد طول الفصل فقد فات [مسئلة] الوسوسة فى نية الصلاة سببها خبل فى العقل أو جهل بالشرع لأن امتثال أمر الله عز وجل مثل امتثال أمر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره فى حق القصد ومن دخل عليه عالم فقام له فلو قال نويت أن أنتصب قائما تعظيما لدخول زيد الفاضل لأجل فضله متصلا بدخوله مقبلا عليه بوجهى كان سفها فى عقله بل كما يراه ويعلم فضله تنبعث داعية التعظيم فتقيمه ويكون معظما إلا إذا قام لشغل آخر أو فى غفلة واشتراط كون الصلاة ظهرا أداء فرضا فى كونه امتثالا كاشتراط كون القيام مقرونا بالدخول مع الاقبال بالوجه على الداخل وانتفاء باعث آخر سواه وقصد التعظيم به ليكون تعظيما فانه لو قام مدبرا عنه أو صبر فقام بعد ذلك بمدّة لم يكن معظما ثم هذه الصفات لابدّ وأن تكون معلومة وأن تكون مقصودة ثم لا يطول حضورها فى النفس فى لحظة واحدة وإنما يطول نظم الألفاظ الدالة عليها إما تلفظا باللسان وإما تفكرا بالقلب فمن لم يفهم نية الصلاة على هذا الوجه فكأنه لم يفهم النية فليس فيه إلا أنك دعيت إلى أن تصلى فى وقت فأجبت وقمت فالوسوسة محض الجهل فان هذه القصود وهذه العلوم تجتمع فى النفس فى حالة واحدة ولا تكون مفصلة الآحاد فى الذهن بحيث تطالعها النفس وتتأملها وفرق بين حضور الشئ فى النفس وبين تفصيله بالفكر والحضور مضاد للعزوب والغفلة وإن لم يكن مفصلا فان من علم الحادث مثلا فيعلمه بعلم واحد فى حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علوما هى حاضرة وإن لم تكن مفصلة فان من علم الحادث فقد علم الموجود والمعدوم والتقدم والتأخر والزمان وأن التقدم للعدم وأن التأخر للوجود فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث بدليل أن العالم بالحادث إذا لم يعلم غيره لو قيل له هل علمت التقدم فقط أو التأخر أو العدم أو تقدّم العدم أو تأخر الوجود أو الزمان المنقسم إلى المتقدّم والمتأخر فقال ما عرفته قط كان كاذبا وكان قوله مناقضا لقوله إنى أعلم الحادث ومن الجهل بهذه الدقيقة يثور الوسواس فان الموسوس يكلف نفسه أن يحضر فى قلبه الظهرية والأدائية والفرضية فى حالة واحدة مفصلة بألفاظها وهو يطالعها وذلك محال ولو كلف نفسه ذلك فى القيام لأجل العالم لتعذر عليه فبهذه المعرفة يندفع الوسواس وهو أن يعلم أن امتثال أمر الله سبحانه فى النية كامتثال أمر غيره ثم أزيد على سبيل التسهيل والترخص وأقول لو لم يفهم الموسوس النية إلا باحضار هذه الأمور مفصلة ولم يمثل فى نفسه الامتثال دفعة واحدة وأحضر جملة ذلك فى أثناء التكبير من أوله

أن يكذب الله ورسوله فمن حدث أحدا بما لم يصله عقله ربما سارع إلى التكذيب وهو الأكثر ومن كذب بقدرة الله تعالى وبما أوجدتها فقد كفر ولو لم يقصد الكفر فان أكثر اليهود والنصارى وسائر الكفار ما قصدت الكفر ولا تظنه بأنفسها وهى كفار بلا ريب وهذا وجه واضح قريب ولا تلتفت إلى ما مال إليه بعض من لا يعرف وجوه التأويل ولا يعقل كلام أولى الحكمة والراسخين فى العلم حين ظنّ أن قائل ذلك أراد الكفر الذى هو نقيض الإيمان والاسلام بتعلق مخبره وتلحق قائله وهذا لا يخرج إلا على مذاهب أهل الأهواء الذين يكفرون بالمعاصى وأهل السنن لا يرضون بذلك وكيف يقال لمن آمن بالله واليوم الآخر وعبد الله بالقول الذى ينزه به والعمل الذى يقصد به التعبد لوجهه

إلى آخره بحيث لايفرغ من التكبير إلا وقد حصلت النية كفاه ذلك ولا نكلفه أن يقرن الجميع بأول التكبير أو آخره فان ذلك تكليف شطط ولو كان مأمورا به لوقع للأولين سؤال عنه ولوسوس واحد من الصحابة فى النية فعدم وقوع ذلك دليل على أن الأمر على التساهل فكيفما تيسرت النية للموسوس ينبغى أن يقنع به حتى يتعوّد ذلك وتفارقه الوسوسة ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فان التحقيق يزيد فى الوسوسة ، وقد ذكرنا فى الفتاوى وجوها من التحقيق فى تحقيق العلوم والقصود المتعلقة بالنية تفتقر العلماء إلى معرفتها أما العامة فربما ضرها سماعها ويهيج عليها الوسواس فلذلك تركناها

[مسئلة] ينبغى أن لايتقدم المأموم على الامام فى الركوع والسجود والرفع منهما ولا فى سائر الأعمال ولا ينبغى أن يساويه بل يتبعه ويقفوا أثره فهذا معنى الاقتداء فان ساواه عمدا لم تبطل صلاته كما لو وقف بجنبه غير متأخر عنه فان تقدم عليه ففى بطلان صلاته خلاف ولا يبعد أن يقضى بالبطلان تشبيها بما لو تقدم فى الموقف على الامام بل هذا أولى لأن الجماعة اقتداء فى الفعل لا فى الموقف فالتبعية فى الفعل أهمّ وإنما شرط ترك التقدم فى الموقف تسهيلا للمتابعة فى الفعل وتحصيلا لصورة التبعية إذ اللائق بالمقتدى به أن يتقدم فالتقدم عليه فى الفعل لاوجه له إلا أن يكون سهوا ولذلك شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم النكير فيه فقال «أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الامام أن يحول الله رأسه رأس حمار (١)» وأما التأخر عنه بركن واحد فلا يبطل الصلاة وذلك بأن يعتدل الامام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ولكن التأخر إلى هذا الحد مكروه فان وضع الامام جبهته على الأرض وهو بعد لم ينته إلى حد الراكعين بطلت صلاته وكذا إن وضع الامام جبهته للسجود الثانى وهو بعد لم يسجد السجود الأول

[مسئلة] حق على من حضر الصلاة إذا رأى من غيره إساءة فى صلاته أن يغيره وينكر عليه وان صدر من جاهل رفق بالجاهل وعلمه فمن ذلك الأمر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد بالوقوف خارج الصف والانكار على من يرفع رأسه قبل الامام إلى غير ذلك من الأمور فقد قال صلى الله عليه وسلم « ويل للعالم من الجاهل حيث لايعلمه (٢)» وقال ابن مسعود رضى الله عنه من رأى من يسىء صلاته فلم ينهه فهو شريكه فى وزرها وعن بلال ابن سعد أنه قال الخطيئة إذا أخفيت لم تضرّ إلا صاحبها فاذا أظهرت فلم تغير أضرت بالعامة وجاء فى الحديث « أن بلالا كان يسوى الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة (٣)» وعن عمر رضى الله عنه قال تفقدوا إخوانكم فى الصلاة فاذا فقدتموهم فان كانوا مرضى فعودوهم وإن كانوا أصحاء فعاتبوهم والعتاب إنكار على من ترك الجماعة ولا ينبغى أن يتساهل فيه وقد كان الأولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة إلى بعض من تخلف عن الجماعة إشارة إلى أن الميت هو الذى يتأخر عن الجماعة دون الحى ومن دخل المسجد ينبغى أن يقصد يمين الصف ولذلك تزاحم الناس عليه فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قيل له تعطلت الميسرة فقال صلى الله عليه وسلم « من عمر ميسرة المسجد كان له كفلان من الأجر (٤)» ومهما وجد غلاما فى الصف ولم يجد لنفسه مكانا فله أن يخرجه إلى خلف ويدخل فيه أعنى إذا لم يكن بالغا وهذا ما أردنا أن نذكره من المسائل التى تعم بها البلوى وسيأتى أحكام الصلوات المتفرقة فى كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى .

---

(١) حديث أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الامام متفق عليه من حديث أبى هريرة (٢) حديث ويل للعالم من الجاهل الحديث صاحب مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث إن بلالا كان يسوى الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة لم أجده (٤) حديث قيل له قد تعطلت الميسرة فقال من عمر ميسرة المسجد الحديث ه من حديث ابن عمر بسند ضعيف .

الذى يستزيد به إيمانا ومعرفة له سبحانه ثم يكرمه الله تعالى على ذلك بفوائد المزيد وينيله ماشرف من المنح ويريه أعلام الرضا ثم يكفره أحد بغير شرع ولاقياس عليه والايمان لايخرج عنه إلا بنبذه واطراحه وتركه واعتقاد مالايتم الإيمان معه ولا يحصل بمقارنته وليس فى إفشاء سرّ الولى مايحصل به تناقض الإيمان اللهم إلا أن يريد بافشائه وقوع الكفر من السامع له فهذا عات متمرّد وليس بولىّ ومن أراد بأحد من خلق الله أن يكفر بالله فهو لامحالة كافر وعلى هذا يخرج قوله تعالى ـ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ـ ثم إنه من سب أحدا منهم على معنى مايجد له من العداوة والبغضاء قيل له أخطأت وأثمت من غير تكفير وأنه أيما فعل ذلك وسب رسول

(الباب السابع من النوافل من الصلوات)

اعلم أن ماعدا الفرائض من الصلوات ينقسم إلى ثلاثة أقسام: سنن ومستحبات وتطوعات ونعنى بالسنن مانقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المواظبة عليه كالرواتب عقيب الصلوات وصلاة الضحى والوتر والتهجد وغيرها لأن السنة عبارة عن الطريق المسلوكة ونعنى بالمستحبات ماورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه كما سننقله فى صلوات الأيام والليالى فى الأسبوع وكالصلاة عند الخروج من المنزل والدخول فيه وأمثاله ونعنى بالتطوعات ماوراء ذلك مما لم يرد فى عينه أثر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب فى مناجاة الله عزوجل بالصلاة التى ورد الشرع بفضلها مطلقا فكأنه متبرع به إذ لم يندب إلى تلك الصلاة بعينها وإن ندب إلى الصلاة مطلقا والتطوع عبارة عن التبرع وسميت الأقسام الثلاثة نوافل من حيث إن النفل هو الزيادة وجملتها زائد على الفرائض فلفظ النافلة والسنة والمستحب والتطوع أردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا مشاحة فى الألفاظ بعد فهم المقاصد وكل قسم من هذه الأقسام تتفاوت درجاته فى الفضل بحسب ماورد فيها من الأخبار والآثار المعرّفة لفضلها وبحسب طول مواظبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وبحسب صحة الأخبار الواردة فيها واشتهارها ولذلك يقال سنن الجماعات أفضل من سنن الانفراد وأفضل سنن الجماعات صلاة العيد ثم الكسوف ثم الاستسقاء وأفضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم مابعدهما من الرواتب على تفاوتها . واعلم أن النوافل باعتبار الاضافة إلى متعلقاتها تنقسم إلى مايتعلق بأسباب كالكسوف والاستسقاء وإلى مايتعلق بأوقات والمتعلق بالأوقات ينقسم إلى مايتكرر بتكرر اليوم والليلة أو بتكرر الأسبوع أو بتكرر السنة فالجملة أربعة أقسام :

القسم الأول مايتكرر بتكرر الأيام والليالى وهى ثمانية خمسة هى رواتب الصلوات الخمس وثلاثة وراءها وهى صلاة الضحى وإحياء ما بين العشاءين والتهجد

الأولى : راتبة الصبح وهى ركعتان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ركعتا الفجر خير من الدنيا ومافيها[1] » ويدخل وقتها بطلوع الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل وإدراك ذلك بالمشاهدة عسير فى أوله إلا أن يتعلم منازل القمر أو يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدل بالكواكب عليه ويعرف بالقمر فى ليلتين من الشهر فان القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثنى عشر من الشهر هذا هو الغالب ويتطرق إليه تفاوت فى بعض البروج وشرح ذلك يطول وتعلم منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الأوقات بالليل وعلى الصبح ويفوت وقت ركعتى الفجر بفوات وقت فريضة الصبح وهو طلوع الشمس ولكن السنة أداؤهما قبل الفرض فإن دخل المسجد وقد قامت الصلاة فليشتغل بالمكتوبة فانه صلى الله عليه وسلم قال « إذا أقيمت الصلاة فلاصلاة إلا المكتوبة[2] » ثم إذا فرغ من المكتوبة قام إليهما وصلاهما والصحيح أنهما أداء ماوقعتا قبل طلوع الشمس لأنهما تابعتان للفرض فى وقته وإنما الترتيب بينهما سنة فى التقديم والتأخير إذا لم يصادف جماعة فاذا صادف جماعة انقلب الترتيب وبقيتا أداء والمستحب أن يصليهما فى المنزل ويخففهما ثم يدخل المسجد ويصلى ركعتين تحية المسجد ثم يجلس ولا يصلى إلى أن يصلى المكتوبة وفيما بين الصبح إلى طلوع الشمس الأحب

(الباب السابع)

(١) حديث ركعتا الفجر خير من الدنيا الحديث م من حديث عائشة (٢) حديث إذا أقيمت الصلاة فلاصلاة إلا المكتوبة م من حديث أبى هريرة .

الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر بالإجماع .

[سؤال] فان قيل فما معنى قول سهل رحمه الله تعالى ونسب إليه : للإلهية سر لو انكشف لبطلت النبوّات وللنبوات سر لو انكشف لبطل العلم وللعلم سر لو انكشف بطلت الأحكام وجاء فى الإحياء على أثر هذا القول وقائل هذا القول إن لم يرد به إبطال النبوة فى حق الضعفاء فما قالوا ليس بحق فإن الصحيح لا يتناقض والكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه وهذا وإن لم يكن من الأسئلة المرسومة فهو متعلق منها بما فرّع من الكلام فيها آنفا وناظر إليه إذ ما أدى إفشاؤه إلى إبطال النبوة والأحكام والعلم كفر .

فالجواب : أن الذى قاله رحمه الله وإن كان مستعجما فى الظاهر فهو قريب المسلك باد للمتأمل الذى يعرف مصادر أغراضهم ومسالك أقوالهم الإلهية

فيه الذكر والفكر والاقتصار على ركعتى الفجر والفريضة . الثانية : راتبة الظهر وهى ست ركعات ركعتان بعدها وهى أيضا سنة مؤكدة وأربع قبلها وهى أيضا سنة وإن كانت دون الركعتين الأخيرتين روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال « من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى الليل[1] . وكان صلى الله عليه وسلم لا يدع أربعا بعد الزوال يطيلهن ويقول إن أبواب السماء تفتح فى هذه الساعة فأحب أن يرفع لى فيها عمل[2] » رواه أبو أيوب الأنصارى وتفرد به ودل عليه أيضا ما روت أم حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى فى كل يوم اثنتى عشرة ركعة غير المكتوبة بنى له بيت فى الجنة ركعتين قبل الفجر وأربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب[3] » وقال ابن عمر رضى الله عنهما : حفظت من رسول الله ﷺ فى كل يوم عشر ركعات[4] » فذكر ما ذكرته أم حبيبة رضى الله عنها إلا ركعتى الفجر فانه قال تلك ساعة لم يكن يدخل فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن حدثتنى أختى حفصة رضى الله عنها أنه ﷺ كان يصلى ركعتين فى بيتها ثم يخرج وقال فى حديثه ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد العشاء فصارت الركعتان قبل الظهر آكد من جملة الأربعة ويدخل وقت ذلك بالزوال والزوال يعرف بزيادة ظل الأشخاص المنتصبة مائلة إلى جهة الشرق إذ يقع للشخص ظل عند الطلوع فى جانب المغرب يستطيل فلا تزال الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف عن جهة المغرب إلى أن تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل فاذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع أخذ الظل فى الزيادة فمن حيث صارت الزيادة مدركة بالحس دخل وقت الظهر ويعلم قطعا أن الزوال فى علم الله سبحانه وقع قبله ولكن التكاليف لا ترتبط إلا بما يدخل تحت الحس والقدر الباقى من الظل الذى منه يأخذ فى الزيادة يطول فى الشتاء ويقصر فى الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس أول الجدى ومنتهى قصره بلوغها أول السرطان ويعرف ذلك بالأقدام والموازين ومن الطرق القريبة من التحقيق لمن أحسن مراعاته أن يلاحظ القطب الشمالى بالليل ويضع على الأرض لوحا مربعا وضعا مستويا بحيث يكون أحد أضلاعه من جانب القطب بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب إلى الأرض ثم توهمت خطا من مسقط الحجر إلى الضلع الذى يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين أى لا يكون الخط مائلا إلى أحد الضلعين ثم تنصب عمودا على اللوح نصبا مستويا فى موضع علامة ه وهو بازاء القطب فيقع ظله على اللوح فى أول النهار مائلا إلى جهة المغرب فى صوب خط ١ ثم لا يزال يميل إلى أن ينطبق على خط ب بحيث لو مد رأسه لانتهى على الاستقامة إلى مسقط الحجر ويكون موازيا للضلع الشرقى والغربى غير مائل إلى أحدهما فاذا بطل ميله إلى الجانب الغربى فالشمس فى منتهى الارتفاع فاذا انحرف الظل عن الخط الذى على اللوح إلى جانب الشرق فقد زالت الشمس وهذا يدرك بالحس تحقيقا فى وقت

(١) حديث أبى هريرة من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن الحديث ذكره عبد الملك بن حبيب بلاغا من حديث ابن مسعود ولم أره من حديث أبى هريرة (٢) حديث أبى أيوب كان لا يدع أربعا بعد الزوال الحديث أحمد بسند ضعيف نحوه وهو عند أبى داود وه مختصرا و ت نحوه من حديث عبد الله بن السائب وقال حسن (٣) حديث أم حبيبة من صلى فى يوم اثنتى عشرة ركعة الحديث ن ك وصحح اسناده على شرط م ورواه م مختصرا ليس فيه تعيين أوقات الركعات (٤) حديث ابن عمر حفظت من النبى صلى الله عليه وسلم فى كل يوم عشر ركعات الحديث متفق عليه واللفظ لخ ولم يقل فى كل يوم .

ومن وصل إليه اليقين الذى لولاه لم يكن نبيا لا يخلو أن يكون انكشافه من الله بما يطلع على القلوب من أنوار الشمس التى هى غائبة عنها بأن كانت القلوب ضعيفة طرأ عليها من الدهش والاصطلام والحيرة والتيه ما يبهر العقول ويفقد الحس ويقطع عن الدنيا وما فيها وذلك لضعفه ومن انتهى إلى هذه الحالة فتبطل النبوة فى حقه أن يعرفها أو يعقل ما جاء من قبلها إذ قد شغله عنها ما هو أعظم لديه منها وربما كان سبب موته لعجزه عن حمل ما يطرأ عليه كما حكى أن شابا من سالكى طريق الآخرة عرض عليه أبو يزيد ولم يره من قبل فلما رآه انكشف له ذلك وكان فى مقام الضعفاء من المريدين فلم يطق حمله فمات به وإما أن يكون انكشافه من عالم به على وجه الخبر عنه فتبطل النبوة فى حق

هو قريب من أول الزوال فى علم الله تعالى ثم يعلم على رأس الظل عند انحرافه علامة فاذا صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر فهذا القدر لا بأس بمعرفته فى علم الزوال وهذه صورته :

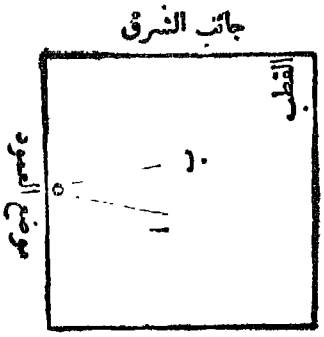

الثالثة : راتبة العصر وهى أربع ركعات قبل العصر . روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «رحم الله عبدا صلى قبل العصر أربعا[1]» ففعل ذلك على رجاء الدخول فى دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستحب استحبابا مؤكدا فان دعوته تستجاب لا محالة ولم تكن مواظبته على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر . الرابعة : راتبة المغرب وهما ركعتان بعد الفريضة لم تختلف الرواية فيهما ، وأما ركعتان قبلها بين أذان المؤذن وإقامة المؤذن على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كأبىّ بن كعب وعبادة بن الصامت وأبى ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال عبادة أو غيره كان المؤذن إذا أذن لصلاة المغرب ابتدر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السوارى يصلون ركعتين [2] وقال بعضهم كنا نصلى الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب أنا صلينا [3] فيسأل أصليتم المغرب ، وذلك يدخل فى عموم قوله صلى الله عليه وسلم «بين كل أذانين صلاة لمن شاء[4]» وكان أحمد بن حنبل يصليهما فعابه الناس فتركهما فقيل له فى ذلك فقال لم أر الناس يصلونهما فتركهما وقال لئن صلاها الرجل فى بيته أو حيث لا يراه الناس فحسن ويدخل وقت المغرب بغيبوبة الشمس عن الأبصار فى الأراضى المستوية التى ليست محفوفة بالجبال فان كانت محفوفة بها فى جهة المغرب فيتوقف إلى أن يرى إقبال السواد من جانب المشرق قال صلى الله عليه وسلم « إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم [5] » والأحبّ المبادرة فى صلاة المغرب خاصة وإن أخرت وصليت قبل غيبوبة الشفق الأحمر وقعت أداء ولكنه مكروه وأخر عمر رضى الله عنه صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فأعتق رقبة وأخرها ابن عمر حتى طلع كوكبان فأعتق رقبتين . الخامسة : راتبة العشاء الآخرة أربع ركعات بعد الفريضة قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام [6] واختار بعض

(١) حديث أبى هريرة رحم الله عبدا صلى أربعا قبل العصر د ت حب من حديث ابن عمر وأعله ابن القطان ولم أره من حديث أبى هريرة (٢) حديث عبادة أو غيره فى ابتدار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السوارى إذا أذن لصلاة المغرب متفق عليه من حديث أنس لا من حديث عبادة وروى عبد الله بن أحمد فى زيادات المسند أن أبى بن كعب وعبد الرحمن بن عوف كانا يركعان حين تغرب الشمس ركعتين قبل المغرب (٣) حديث كنا نصلى الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب أنا صلينا م من حديث أنس (٤) حديث بين كل أذانين صلاة لمن شاء متفق عليه من حديث عبد الله بن مغفل (٥) حديث إذا أقبل الليل من ههنا الحديث متفق عليه من حديث عمر (٦) حديث عائشة كان يصلى بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام د .

المخبر حين نهى أن لا يفشى فأفشى أو أمر أن لا يتحدث فلم يفعل فخرج بهذه المعصية عن طاعة النبى صلى الله عليه وسلم فيها فلهذا قيل فى ذلك بطلت النبوة فى حقه . فان قيل فلم لا تكفروه على هذا الوجه إذا بطلت النبوة فى حقه باخباره . قلنا ما بطلت فى حقه جميعا وإنما بطل فى حقه منها ما خالف الأمر الثابت من قبلها ويعد هذا من الكلام على تغليظ حق الافشاء وقد سبق الكلام عليه فى معنى إفشاء سر الربوبية كفر وأما سر النبوة الذى أوجب العلم لمن رزقها أو رزق معرفتها على الجملة إذ النبوة لا يعرفها بالحقيقة إلا نبى فان انكشف ذلك لقلب أحد بطل العلم فى حقه بارتفاع المحنة له بالأمر المتوجه عليه بطلبه والبحث عنه والتفكر فيه فيكون كالنبى إذا سئل عن شىء لو وقعت

العلماء من مجموع الأخبار أن يكون عدد الرواتب سبع عشرة كعدد المكتوبة ركعتان قبل الصبح وأربع قبل الظهر وركعتان بعدها وأربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وثلاث بعد العشاء الآخرة وهى الوتر (١) ومهما عرفت الأحاديث الواردة فيه فلا معنى للتقدير فقد قال صلى الله عليه وسلم « الصلاة خير موضع فمن شاء أكثر ومن شاء أقل(٢) » فاذا اختيار كل مريد من هذه الصلوت بقدر رغبته فى الخير فقد ظهر فيما ذكرناه أن بعضها آكد من بعض وترك الآكد أبعد لاسيما والفرائض تكمل بالنوافل فمن لم يستكثر منها يوشك أن لاتسلم له فريضة من غير جابر . السادسة : الوتر قال أنس ابن مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ فى الأولى سبح اسم ربك الأعلى وفى الثانية قل يا أيها الكافرون وفى الثالثة قل هو الله أحد (٣) وجاء فى الخبر أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى بعد الوتر ركعتين جالسا وفى بعضها متربعا (٤) وفى بعض الأخبار « إذا أراد أن يدخل فراشه زحف إليه وصلى فوقه ركعتين قبل أن يرقد يقرأ فيهما إذا زلزلت الأرض وسورة التكاثر (٥) » وفى رواية أخرى قل يا أيها الكافرون ويجوز الوتر مفصولا وموصولا بتسليمة واحدة وتسليمتين وقد أوتر رسول الله ﷺ بركعة (٦) وثلاث (٧) وخمس (٨) وهكذا بالأوتار (٩) إلى إحدى عشرة ركعة (١٠) والرواية مترددة فى ثلاث عشرة (١١) وفى حديث شاذ سبع عشرة ركعة (١٢) وكانت هذه الركعات أعنى ماسمينا جملتها وترا صلاة بالليل وهو التهجد والتهجد بالليل سنة مؤكدة وسيأتى ذكر فضلها فى كتاب الأوراد وفى الأفضل خلاف فقيل إن الايتار بركعة فردة أفضل إذ صح أنه صلى الله عليه وسلم كان يواظب على الايتار بركعة فردة وقيل الموصولة أفضل للخروج عن شبهة الخلاف لاسيما الامام إذ قد يقتدى به من لايرى الركعة الفردة صلاة فان صلى موصولا نوى بالجميع الوتر وإن اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتى العشاء أو بعد فرض العشاء نوى الوتر وصح لأن شرط الوتر أن يكون فى نفسه وترا وأن يكون موترا لغيره مما سبق قبله وقد أوتر الفرض ولو أوتر قبل العشاء لم يصح

(١) حديث الوتر بثلاث بعد العشاء أحمد واللفظ له والنسائى من حديث عائشة كان يوتر بثلاث لايفصل بينهن (٢) حديث الصلاة خير موضع أحمد وابن حبان ك وصححه من حديث أبى ذر (٣) حديث أنس كان يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ فى الأولى سبح الحديث ابن عدى فى ترجمة محمد بن أبان ورواه ت ن ه من حديث ابن عباس بسند صحيح (٤) حديث كان يصلى بعد الوتر ركعتين جالسا م من حديث عائشة (٥) حديث إذا أراد أن يدخل فراشه زحف إليه ثم صلى ركعتين الحديث هق من حديث أبى أمامة وأنس نحوه وضعفه وليس فيه زحف إليه ولا ذكر ألهاكم التكاثر (٦) حديث الوتر بركعة متفق عليه من حديث ابن عمر وهو لمسلم من حديث عائشة (٧) حديث الوتر بثلاث تقدم (٨) حديث الوتر بخمس من حديث عائشة يوتر من ذلك بخمس ولايجلس فى شئ إلا فى آخرها (٩) حديث الوتر بسبع م د ن واللفظ له من حديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كبر وضعف أوتر بسبع ركعات لايقعد إلا فى السادسة ثم ينهض ولايسلم فيصلى السابعة حديث الوتر تسع م من حديث عائشة وهو فى الذى قبله (١٠) حديث الوتر باحدى عشرة أبو داود باسناد صحيح من حديث عائشة كان يوتر بأربع وثلاث وست وثلاث وثمان وثلاث وعشر وثلاث الحديث ولمسلم من حديثها كان يصلى بالليل إحدى عشرة ركعة الحديث (١١) حديث الوتر بثلاث عشرة تقدم فى الذى قبله وللترمذى والنسائى من حديث أم سلمة كان يوتر بثلاث عشرة وقال ت حسن ولمسلم من حديث عائشة كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة زاد فى رواية بركعتى الفجر (١٢) حديث الوتر سبع عشرة ابن المبارك من حديث طاوس مرسلا كان يصلى سبع عشرة ركعة من الليل.

له واقعة لم يحتج إلى النظر فيها ولا إلى البحث عنها بل ينتظر ماعود من كشف الحقائق باخبار ملك أو ضرب مثل يفهم عنه أو اطلاع على اللوح المحفوظ أو إلقاء فى روع فيعود مخترعاته ولم يعلم مقدار الدنيا وترتيب الآخرة عليها ولا عرف خواصها ولاتنزه فى عجائبها ولا لاحظ الملكوت ببصر قلبه ولا جاوز التخوم إلى أسفل من ذلك بسره ولبه ولافهم أن الجنة أعلى النعيم وأن النار أقصى العذاب الأليم وأن النظر إليه منتهى الكرامات وأن رضاه وسخطه غاية الدرجات والدركات وأن منح المعارف والعلوم أسنى الهبات ويرى أن العالم بأسره أخرجه من العدم الذى هو نفى محض إلى الوجود الذى هو إثبات صحيح وقدره منازل وجعله الميقات فمن حى وميت ومتحرك وساكن وعالم

أى لاينال فضيلة الوتر الذى هو خير له من حمر النعم (١) كما ورد به الخبر وإلا فركعة فردة صحيحة فى أىّ وقت كان وإنما لم يصح قبل العشاء لأنه خرق إجماع الخلق فى الفعل ولأنه لم يتقدّم مايصير به وترا فأما إذا أراد أن يوتر بثلاث مفصولة ففى نيته فى الركعتين نظر فانه إن نوى بهما التهجد أو سنة العشاء لم يكن هو من الوتر وإن نوى الوتر لم يكن هو فى نفسه وترا وإنما الوتر مابعده ولكن الأظهر أن ينوى الوتر كما ينوى فى الثلاث الموصولة الوتر ولكن للوتر معنيان أحدهما أن يكون فى نفسه وترا والآخر أن ينشأ ليجعل وترا بما بعده فيكون مجموع الثلاثة وترا والركعتان من جملة الثلاث إلا أن وتريته موقوفة على الركعة الثالثة وإذا كان هو على عزم أن يوترها بثالثة كان له أن ينوى بهما الوتر والركعة الثالثة وتر بنفسها وموترة لغيرها والركعتان لايوتران غيرهما وليستا وترا بأنفسهما ولكنهما موترتان بغيرهما والوتر ينبغى أن يكون آخر صلاة الليل فيقع بعد التهجد وسيأتى فضائل الوتر والتهجد وكيفية الترتيب بينهما فى كتاب ترتيب الأوراد . السابعة : صلاة الضحى فالمواظبة عليها من عزائم الأفعال وفواضلها ، أما عدد ركعاتها فأكثر ما نقل فيه ثمان ركعات روت أم هانئ أخت علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ثمانى ركعات أطالهنّ وحسنهن (٢) ولم ينقل هذا القدر غيرها فأما عائشة رضى الله عنها فانها ذكرت أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى أربعا ويزيد ماشاء الله سبحانه (٣) فلم تحدّ الزيادة أى أنه كان يواظب على الأربعة ولا ينقص منها وقد يزيد زيادات وروى فى حديث مفرد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى ستّ ركعات (٤) وأما وقتها فقد روى علىّ رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى ستا فى وقتين إذا أشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين وهو أوّل الورد الثانى من أوراد النهار كما سيأتى وإذا انبسطت الشمس وكانت فى ربع السماء من جانب الشرق صلى أربعا (٥) فالأول إنما يكون إذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح والثانى إذا مضى من النهار ربعه بازاء صلاة العصر فان وقته أن يبقى من النهار ربعه والظهر على منتصف النهار ويكون الضحى على منتصف مابين طلوع الشمس إلى الزوال كما أن العصر على منتصف مابين الزوال إلى الغروب وهذا أفضل الأوقات ومن وقت ارتفاع الشمس إلى ماقبل الزوال وقت للضحى على الجملة . الثامنة : إحياء مابين العشاءين وهى سنة مؤكدة ومما نقل عدده من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين العشاءين ستّ ركعات (٦) ولهذه الصلاة فضل عظيم وقيل إنها المراد بقوله عز وجل

(١) حديث الوتر خير من حمر النعم د ت ه من حديث خارجة بن حذافة إن الله أمدّكم بصلاة هى خير لكم من حمر النعم وضعفه خ وغيره (٢) حديث أم هانئ صلى الضحى ثمانى ركعات أطالهن وأحسنهن متفق عليه دون زيادة أطالهن وأحسنهن وهى منكرة (٣) حديث عائشة كان يصلى الضحى أربعا ويزيد ما شاء الله م (٤) حديث كان يصلى الضحى ستّ ركعات ك فى فضل صلاة الضحى من حديث جابر ورجاله ثقات (٥) حديث كان إذا أشرقت وارتفعت قام وصلى ركعتين وإذا انبسطت الشمس وكانت فى ربع النهار من جانب المشرق صلى أربعا ت ن ه من حديث على كان نبى الله صلى الله عليه وسلم إذا زالت الشمس من مطلعها قيد رمح أو رمحين كقدر صلاة العصر من مغربها صلى ركعتين ثم أمهل حتى إذا ارتفع الضحى صلى أربع ركعات لفظ ن وقال ت حسن (٦) حديث صلى بين العشاءين ستّ ركعات ابن منده فى الضحى وطب فى الأوسط والأصغر من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف و ت وضعفه من حديث أبى هريرة من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتى عشرة سنة .

وجاهل وشقى وسعيد وقريب وبعيد وصغير وكبير وجليل وحقير وغنى وفقير ومأمور وأمير ومؤمن وكافر وجاحد وشاكر وذكر وأنثى وأرض وسماء ودنيا وأخرى وغير ذلك مما لايحصى والكل قائم به موجود بقدرته وباق بعلمه ومنتهٍ إلى أجله ومصرف بمشيئته وذلك على بالغ حكمته فما أكمل جهل من لايجد به إلا قدماه ولا من يصرفه إلا استبداده ولا ملكه إلا ملكه فيعود المحدث قديما والمربوب ربا والمملوك مالكا فيعود الخلق من خلق الله كهو ، تعالى الله عن جهل الجاهل وتخييل المتوهم وزيغ الزائغين .

[فصل] وأما حكم هذه العلوم المكتوبة فى الطلب وسلوك هذه المقامات ورفق هذه الدرجات واستفهام هذه المخاطبات أهى من قبيل الواجبات والمندوبات أو المباحات

ـ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ـ وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى بين المغرب والعشاء فانها من صلاة الأوّابين (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو بقرآن كان حقا على الله أن يبنى له قصرين فى الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه أهل الأرض لوسعهم (٢) » وسيأتى بقية فضائلها فى كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى .

(القسم الثانى مايتكرر بتكرر الأسابيع)

(وهى صلوات أيام الأسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة)

أما الأيام فنبدأ فيها بيوم الأحد . يوم الأحد : روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الأحد أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وآمن الرسول مرّة كتب الله له بعدد كل نصرانى ونصرانية حسنات وأعطاه الله ثواب نبى وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة ألف صلاة وأعطاه الله فى الجنة بكل حرف مدينة من مسك أذفر (٣) » وروى عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال « وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد فانه سبحانه واحد لاشريك له فمن صلى يوم الأحد بعد صلاة الظهر أربع ركعات بعد الفريضة والسنة يقرأ فى الأولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة ، وفى الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك ثم تشهد وسلم ثم قام فصلى ركعتين أخريين يقرأ فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسأل الله سبحانه حاجته كان حقا على الله أن يقضى حاجته (٤) » . يوم الاثنين : روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسى مرة وقل هو الله أحد والمعوّذتين مرة مرة فاذا سلم استغفر الله عشر مرات وصلى على النبى ﷺ عشر مرات غفر الله تعالى له ذنوبه كلها (٥) » وروى أنس ابن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الاثنين ثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى مرة فاذا فرغ قرأ قل هو الله أحد اثنتى عشرة مرة واستغفر اثنتى عشرة مرة ينادى به يوم القيامة أين فلان بن فلان ليقم فليأخذ ثوابه من الله عز وجل فأوّل مايعطى من الثواب ألف حلة ويتوّج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة ألف ملك مع كل ملك هدية يشيعونه حتى يدور على ألف قصر من نور يتلألأ (٦) » . يوم الثلاثاء : روى يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال: قال صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار (٧) » وفى حديث آخر « عند ارتفاع النهار يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب

(١) حديث من صلى بين المغرب والعشاء فانها من صلاة الأوّابين . ابن المبارك فى الرقائق من رواية ابن المنذر مرسلا (٢) حديث من عكف نفسه بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة أبو الوليد الصفار فى كتاب الصلاة من طريق عبد الملك بن حبيب بلاغا له من حديث عبد الله بن عمر (٣) حديث من صلى يوم الأحد أربع ركعات الحديث أبو موسى المدينى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٤) حديث علىّ وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد الحديث ذكره أبو موسى المدينى فيه بغير إسناد (٥) حديث جابر من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين الحديث أبو موسى المدينى من حديث جابر عن عمر مرفوعا وهو حديث منكر (٦) حديث أنس من صلى يوم الاثنين اثنتى عشرة ركعة الحديث ذكره أبو موسى المدينى بغير سند وهو منكر (٧) حديث يزيد الرقاشى عن أنس من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار الحديث أبو موسى المدينى بسند ضعيف ولم يقل عند انتصاف النهار

فاعلم أن المسئول عنه على ضربين أحدهما ماهو فى حكم المبادى والثانى فى حكم الغايات فأما الذى هو فى حكم المبادى فطلبه فرض على كل أحد بقدر بذل المجهود وإفراغ الوسع وجميع مايقدر عليه من العبادة وذلك ماتضمنه أصول علم المعاملة مثل إخلاص التوحيد والصدق فى العمل وعدم الإجحاف بالخوف والرجاء والتزين بالصبر والشكر لأن هذه كلها وما يتعلق بها من علم الأمر والنهى واجبة قال الله تعالى ـ فاتقوا الله مااستطعتم ـ وقد سبق التنبيه عليه. وأما الذى هو فى حكم الغايات مثل إنقلاب الهيئات والنظر بالتوفيق بحكم الموافقة والرضا بالاثبات والتوكل بالتجريد وحقيقة علم معانى التوحيد وسر معانى التقرير وأوصاف أهل أبيات اليقين فهو درجات ومقامات ومنازل ومراتب ومنح

وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات لم تكتب عليه خطيئة إلى سبعين يوما فان مات إلى سبعين يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة . يوم الأربعاء : روى أبو إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الأربعاء ثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات والمعوذتين ثلاث مرات نادى مناد عند العرش ياعبدالله استأنف العمل فقد غفر لك ماتقدم من ذنبك ورفع الله سبحانه عنك عذاب القبر وضيقه وظلمته ورفع عنك شدائد القيامة ورفع له من يومه عمل نبي[1] » يوم الخميس : عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وآية الكرسي مائة مرة وفي الثانية فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد مائة مرة ويصلي على محمد مائة مرة أعطاه الله ثواب من صام رجبا وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من آمن بالله سبحانه وتوكل عليه حسنة[2] » يوم الجمعة : روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يوم الجمعة صلاة كله مامن عبد مؤمن قام إذا استقلت الشمس وارتفعت قدر رمح أو أكثر من ذلك فتوضأ ثم أسبغ الوضوء فصلى سبحة الضحى ركعتين إيمانا واحتسابا إلا كتب الله له مائتي حسنة ومحا عنه مائة سيئة ومن صلى أربع ركعات رفع الله سبحانه له في الجنة أربعمائة درجة ومن صلى ثماني ركعات رفع الله تعالى له في الجنة ثمانمائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى ثنتي عشرة ركعة كتب الله له ألفين ومائتي حسنة ومحا عنه ألفين ومائتي سيئة ورفع له في الجنة ألفين ومائتي درجة[3] » وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال « من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى أربع ركعات قبل صلاة الجمعة يقرأ في كل ركعة الحمد لله وقل هو الله أحد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له[4] » . يوم السبت : روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من صلى يوم السبت أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات فاذا فرغ قرأ آية الكرسي كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف أجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها وأعطاه الله عز وجل بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهداء[5] » . وأما الليالي . ليلة الأحد : روى أنس بن مالك في ليلة الأحد أنه صلى الله عليه وسلم قال « من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمسين مرة والمعوذتين مرة مرة واستغفر الله عز وجل مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة وتبرأ من حوله وقوته والتجأ إلى الله ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن آدم صفوة الله وفطرته وإبراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله

ولا عند ارتفاعه (١) حديث أبي إدريس الخولاني عن معاذ من صلى يوم الأربعاء اثنتي عشرة ركعة الحديث أبو موسى المديني وقال رواته ثقات والحديث مركب . قلت بل فيه غير مسمى وهو محمد بن حميد الرازي أحد الكذابين (٢) حديث عكرمة عن ابن عباس من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين الحديث أبو موسى المديني بسند ضعيف جدا (٣) حديث علي يوم الجمعة صلاة مامن عبد مؤمن قام إذا استقلت الشمس الحديث لم أجد له أصلا وهو باطل (٤) حديث نافع عن ابن عمر من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى أربع ركعات الحديث الدارقطني في غرائب مالك وقال لا يصح وعبدالله بن وصيف مجهول والخطيب في الرواة عن مالك وقال غريب جدا ولا أعرف له وجها غير هذا (٥) حديث أبي هريرة من صلى يوم السبت أربع ركعات الحديث أبو موسى المديني في كتاب وظائف الليالي والأيام بسند ضعيف جدا .

يخص الله تعالى بها من شاء من عباده من غير أن ينال بطلب ولا بحث ولا تعليم ولو كان ذلك لما قيل للناظر السالك حين أراد الارتقاء إلى درجة أعلى من درجته بلسان السؤال ارجع لا تتخط رقاب الصديقين لكنها مواهب أكرم الله تعالى بها أهل صفوته وولايته وهي مراتب الصدق في العلم وبركات الإخلاص في العمل فمن لم يرث من علمه وعمله المفترض عليه فطلبه والعمل به شتان من هذه المعاني فليس في شيء من الحقيقة وإن كان حقا غير أن حاله معلول إما مفتون بدنياه أو محجوب بها وربك على كل شيء قدير .

[فصل] وأما الأي شيء ذكرت هذه العلوم بالإشارات دون العبارات وبالرموز دون التصريحات وبالمتشابه من الألفاظ دون المحكمات وإن كان قد سبق هذا من

وحمدا حبيب الله كان له من الثواب بعدد من دعا لله ولدا ومن لم يدع لله ولدا وبعثه الله عزوجل يوم القيامة مع الآمنين وكان حقا على الله تعالى أن يدخله الجنة مع النبيين(١) » . ليلة الاثنين : روى الأعمش عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات يقرأ فى الركعة الأولى الحمد لله وقل هو الله أحد عشر مرات وفى الركعة الثانية الحمد لله وقل هو الله أحد عشرين مرة وفى الثالثة الحمد لله وقل هو الله أحد ثلاثين مرة وفى الرابعة الحمد لله وقل هو الله أحد أربعين مرة ثم يسلم ويقرأ قل هو الله أحد خمسا وسبعين مرة واستغفر الله لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة ثم يسأل الله حاجته كان حقا على الله أن يعطيه سؤاله ما سأل (٢) » وهى تسمى صلاة الحاجة . ليلة الثلاثاء : من صلى ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوذتين خمس عشرة مرة ويقرأ بعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسى واستغفر الله تعالى خمس عشرة مرة كان له ثواب عظيم وأجر جسيم . روى عن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ليلة الثلاثاء ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وإنا أنزلناه وقل هو الله أحد سبع مرات أعتق الله رقبته من النار ويكون يوم القيامة قائده ودليله إلى الجنة(٣) » . ليلة الأربعاء: روت فاطمة رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال « من صلى ليلة الأربعاء ركعتين يقرأ فى الأولى فاتحة الكتاب وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات وفى الثانية بعد الفاتحة قل أعوذ برب الناس عشر مرات ثم إذا سلم استغفر الله عشر مرات ثم يصلى على محمد صلى الله عليه وسلم عشر مرات نزل من كل سماء سبعون ألف ملك يكتبون ثوابه إلى يوم القيامة(٤) » وفى حديث آخر « ست عشرة ركعة يقرأ بعد الفاتحة ماشاء الله ويقرأ فى آخر الركعتين آية الكرسى ثلاثين مرة وفى الأوليين ثلاثين مرة قل هو الله أحد يشفع فى عشرة من أهل بيته كلهم وجبت عليهم النار » روت فاطمة رضى الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الأربعاء ست ركعات قرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة قل اللهم مالك الملك إلى آخر الآية فاذا فرغ من صلاته يقول جزى الله محمدا عنا ماهو أهله غفر له ذنوب سبعين سنة وكتب له براءة من النار(٥) » . ليلة الخميس : قال أبو هريرة رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى خمس مرات وقل هو الله أحد خمس مرات والمعوذتين خمس مرات فاذا فرغ من صلاته استغفر الله تعالى خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد أدى حق والديه عليه

(١) حديث أنس من صلى ليلة الأحد بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة الحديث لم أجد له أصلا وحديث من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة الحديث ذكره أبو موسى المدينى بغير إسناد وهو منكر وروى أبو موسى من حديث أنس فى فضل الصلاة فيها ست ركعات وأربع ركعات وكلاهما ضعيف جدا (٢) حديث الأعمش عن أنس من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات الحديث ذكره أبو موسى المدينى هكذا عن الأعمش بغير إسناد وأسند من رواية يزيد الرقاشى عن أنس حديثا فى صلاة ست ركعات فيها وهو منكر (٣) حديث الصلاة فى ليلة الثلاثاء ركعتين الحديث ذكره أبو موسى بغير إسناد حكاية عن بعض المصنفين وأسند من حديث ابن مسعود وجابر حديثا فى صلاة أربع ركعات فيها وكلها منكرة (٤) حديث من صلى ليلة الأربعاء ركعتين الحديث لم أجد فيه إلا حديث جابر فى صلاة أربع ركعات فيها ورواه أبو موسى المدينى وروى من حديث أنس ثلاثين ركعة (٤) حديث فاطمة من صلى ست ركعات أى ليلة الأربعاء الحديث أبو موسى المدينى بسند ضعيف جدا .

قول العراقى حديث أنس من صلى ليلة الأحد اثنتى عشر ركعة . . لم يكن بالاحياء ولعله بنسخته وكذا لم يخرجه تأمل .

الشارع فيما له أن يمتحن به من كلف ويتاو من بعيد ولكن للعلم رجال مخصوصون فما بال من لم يجعل شارعا ولم يبعث لغير أن يسلك ذلك . والجواب عنه أن العالم هو وارث النبى صلى الله عليه وسلم وإنما ورث العلم ليتجمل بعمله ويحل فيه كمحله والنبى صلى الله عليه وسلم لاينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وحكم وارث فيما ورث حكم الموروث فيما ورث عنه فما عرف فيه الحكم من فعل الموروث عنه امتثله وما لم يصل إليه فيه شىء كان له اجتهاده فان أخطأ كان له أجر وإن أصاب كان له أجران ثم إن الوارث رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصرح بعلوم المعاملات وأشار مما وراءها بما لا يفهمه إلا أرباب التخصيص كما قال الله عز وجل وما يعقلها إلا العالمون

وإن كان عاقا لهما وأعطاه الله تعالى ما يعطى الصديقين والشهداء[١] » . ليلة الجمعة : قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة فكأنما عبد الله تعالى اثنتي عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلها[٢] » وقال أنس قال النبي ﷺ « من صلى ليلة الجمعة صلاة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدهما عشر ركعات قرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوذتين مرة مرة ثم أوتر بثلاث ركعات ونام على جنبه الأيمن وجهه إلى القبلة فكأنما أحيا ليلة القدر[٣] » وقال صلى الله عليه وسلم «أكثروا من الصلاة علي في الليلة الغراء واليوم الأزهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة[٤] » . ليلة السبت : قال أنس قال رسول الله ﷺ « من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بنى له قصر في الجنة وكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهود وكان حقا على الله أن يغفر له[٥] » .

(القسم الثالث ما يتكرر بتكرر السنين)

وهي أربعة : صلاة العيدين والتراويح وصلاة رجب وشعبان . الأولى صلاة العيدين : وهي سنة مؤكدة وشعار من شعائر الدين وينبغي أن يراعى فيها سبعة أمور ، الأول : التكبير ثلاثا نسقا فيقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون يفتتح بالتكبير ليلة الفطر إلى الشروع في صلاة العيد وفي العيد الثاني يفتتح التكبير عقيب الصبح يوم عرفة إلى آخر النهار يوم الثالث عشر وهذا أكمل الأقاويل ويكبر عقب الصلوات المفروضة وعقيب النوافل وهو عقيب الفرائض آكد . الثاني إذا أصبح يوم العيد يغتسل ويتزين ويتطيب كما ذكرناه في الجمعة والرداء والعمامة هو الأفضل للرجال وليجنب الصبيان الحرير والعجائز التزين عند الخروج . الثالث أن يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر[٦] هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ﷺ «يأمر باخراج العواتق وذوات الخدور[٧] » . الرابع المستحب الخروج إلى الصحراء إلا بمكة وبيت المقدس فان كان يوم مطر فلا بأس بالصلاة في المسجد ويجوز في يوم الصحو أن يأمر الامام رجلا يصلي بالضعفة في المسجد ويخرج بالأقوياء مكبرين . الخامس يراعى الوقت فوقت صلاة العيد ما بين طلوع الشمس إلى الزوال ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر خطبتين وركعتين إلى آخر يوم . الثالث عشر ويستحب تعجيل صلاة الأضحى لأجل الذبح وتأخير صلاة الفطر

(١) حديث أبي هريرة من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين الحديث أبو موسى المديني وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف جدا وهو منكر (٢) حديث جابر من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة الحديث باطل لا أصل له (٣) حديث أنس من صلى ليلة الجمعة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدهما عشر ركعات الحديث باطل لا أصل له وروى المظفر بن الحسين الأرجاني في كتاب فضائل القرآن وإبراهيم بن المظفر في كتاب وصول القرآن للميت من حديث أنس من صلى ركعتين ليلة الجمعة قرأ فيهما بفاتحة الكتاب وإذا زلزلت خمسة عشر مرة وقال إبراهيم بن المظفر خمسين مرة أمنه الله من عذاب القبر ومن أهوال يوم القيامة ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردس من هذا الوجه ومن حديث ابن عباس أيضا وكلها ضعيفة منكرة وليس يصح في أيام الأسبوع ولياليه شيء والله أعلم (٤) حديث أكثروا علي من الصلاة في الليلة الغراء واليوم الأزهر طب في الأوسط من حديث أبي هريرة وفيه عبد المنعم بن بشير ضعفه ابن معين وابن حبان (٥) حديث أنس من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة الحديث لم أجد له أصلا (٦) حديث الخروج في العيد في طريق والرجوع في أخرى م من حديث أبي هريرة (٧) حديث كان يأمر باخراج العواتق وذوات الخدور متفق عليه من حديث أم عطية .

فلم يكن للوارث تعد عن حكم الموروث كما حكي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال إني رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين أحدهما هو الذي بثثته فيكم ، وأما الثاني فلو بثثته لحززتم السكين على هذا البلعوم وأشار إلى حلقه وبعد كل شيء ففي القدوة بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه النجاة وفي اتباعه الفوز بحب الله ويد الله مع الجماعة وفوق كل ذي علم عليم وقد أفدناك من طرائف ما عندنا وأهدينا إليك من غرائب ما لدينا وإلى الله يرد العلم مما دق وجل وكثر وقل وعظم وصغر وظهر واستتر وإنما ينطق الانسان بما أنطقه الله تعالى وهو مستعمل بما استعمله فيه إذ كل ميسر لما خلق له فاستنزل ما عند ربك وخالقك من خير واستجلب ما تؤمله منه من هداية وبر بقراءة السبع المثاني والقرآن

لأجل تفريق صدقة الفطر قبلها هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) . السادس فى كيفية الصلاة فليخرج الناس مكبرين فى الطريق وإذا بلغ الامام المصلى لم يجلس ولم يتنفل ويقطع الناس التنفل ثم ينادى مناد : الصلاة جامعة ويصلى الامام بهم ركعتين يكبر فى الأولى سوى تكبيرة الإحرام والركوع سبع تكبيرات يقول بين كل تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ويقول وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض عقيب تكبيرة الافتتاح ويؤخر الاستعاذة إلى ماوراء الثامنة ويقرأ سورة ق فى الأولى بعد الفاتحة واقتربت فى الثانية والتكبيرات الزائدة فى الثانية خمس سوى تكبيرتى القيام والركوع وبين كل تكبيرتين ماذكرناه ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة ومن فاتته صلاة العيد قضاها : السابع أن يضحى بكبش « ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين وذبح بيده وقال بسم الله والله أكبر هذا عنى وعمن لم يضح من أمتى (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من رأى هلال ذى الحجة وأراد أن يضحى فلا يأخذ من شعره ولا من أظفاره شيئا (٣) » قال أبو أيوب الأنصارى كان الرجل يضحى على عهد رسول صلى الله عليه وسلم بالشاة عن أهل بيته ويأكلون ويطعمون (٤) وله أن يأكل من الضحية بعد ثلاثة أيام فما فوق ، وردت فيه الرخصة بعد النهى عنه وقال سفيان الثورى يستحب أن يصلى بعد عيد الفطر اثنتى عشرة ركعة وبعد عيد الأضحى ست ركعات (٥) وقال هو من السنة . الثانية التراويح : وهى عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهى سنة مؤكدة وإن كانت دون العيدين واختلفوا فى أن الجماعة فيها أفضل أم الانفراد وقد خرج رسول الله ﷺ فيها ليلتين أو ثلاثا للجماعة ثم لم يخرج وقال « أخاف أن توجب عليكم (٦) » وجمع عمر رضى الله عنه الناس عليها فى الجماعة حيث أمن من الوجوب بانقطاع الوحى فقيل إن الجماعة أفضل لفعل عمر رضى الله عنه ولأن الاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرائض ولأنه ربما يكسل فى الانفراد وينشط عند مشاهدة الجمع وقيل الانفراد أفضل لأن هذه سنة ليست من الشعائر كالعيدين فإلحاقها بصلاة الضحى وتحية المسجد أولى ولم تشرع فيها جماعة وقد جرت العادة بأن يدخل المسجد جمع معا ثم لم يصلوا التحية بالجماعة ولقوله صلى الله عليه وسلم « فضل صلاة التطوع فى بيته على صلاته فى المسجد كفضل صلاة المكتوبة فى المسجد على صلاته فى البيت (٧) »

---

(١) حديث تعجيل صلاة الأضحى وتأخير صلاة الفطر الشافعى من رواية أبى الحويرث مرسلا أن النبى صلى الله عليه وسلم كتب إلى عمرو بن حزم وهو بنجران أن عجل الأضحى وأخر الفطر (٢) حديث ضحى بكبشين أملحين وذبح بيده وقال بسم الله والله أكبر هذا عنى وعمن لم يضح من أمتى متفق عليه دون قوله عنى الخ من حديث أنس وهذه الزيادة عند أبى داود و ت من حديث جابر وقال ت غريب ومنقطع (٣) حديث من رأى هلال ذى الحجة وأراد أن يضحى فلا يأخذ من شعره وأظفاره م من حديث أم سلمة (٤) حديث أبى أيوب كان الرجل يضحى على عهد رسول صلى الله عليه وسلم الشاة عن أهله فيأكلون ويطعمون ت ه قال ت حسن صحيح (٥) قال سفيان الثورى من السنة أن يصلى بعد الفطر اثنتى عشرة ركعة وبعد الأضحى ست ركعات لم أجد له أصلا فى كونه سنة وفى الحديث الصحيح ما يخالفه وهو أنه ﷺ لم يصل قبلها ولا بعدها وقد اختلفوا فى قول التابعى من السنة كذا وأما قول تابعى التابع كذلك كالثورى فهو مقطوع (٦) حديث خروجه لقيام رمضان ليلتين أو ثلاثا ثم لم يخرج وقال أخاف أن يوجب عليكم متفق عليه من حديث عائشة بلفظ خشيت أن تفرض عليكم (٧) حديث فضل صلاة التطوع فى بيته على صلاته فى المسجد كفضل صلاة المكتوبة فى المسجد على صلاته فى البيت رواه آدم بن أبى إياس فى كتاب الثواب من حديث ضمرة بن حبيب مرسلا ورواه ابن أبى شيبة فى المصنف فجعله عن ضمرة بن حبيب عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم موقوفا

العظيم التى أمرت بقراءتها فى كل صلاة ركذا عليك أن تعيدها فى كل ركعة وأخبرك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أن ليس فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الفرقان مثلها وفى هذا تنبيه بل تصريح بأن يكثر منها بما غنمت من الفوائد وخصت به من الذخائر والعوائد بما لو سطر لكان فيه أوقار الجمال فافهم وانتبه واعقل ماخلقت له واعرف ماأعد لك والله تعالى سبحانه حسيب من أراده وهادى من جاهد فى سبيله وكاف من توكل عليه وهو الغنى الكريم انتهى الجواب عما سألت عنه وفرغنا منه بحسب الوسع من الكلام ونسأل الله تعالى المباعدة بين حيلات قلوب البشر أن يصرف عنا حجب الكدرات والأهواء ومراتب الغين فبيده مجارى المقدورات وهو إله من ظهر وغبر وإليه يرجع

وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال «صلاة فى مسجدى هذا أفضل من مائة صلاة فى غيره من المساجد وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة فى مسجدى وأفضل من ذلك كله رجل يصلى فى زاوية بيته ركعتين لايعلمهما إلا الله عز وجل (١) » وهذا لأن الرياء والتصنع ربما يتطرق إليه فى الجمع ويأمن منه فى الوحدة فهذا ماقيل فيه ، والمختار أن الجماعة أفضل كما رآه عمر رضى الله عنه فإن بعض النوافل قد شرعت فيها الجماعة وهذا جدير بأن يكون من الشعائر التى تظهر ، وأما الالتفات إلى الرياء فى الجمع والكسل فى الانفراد عدول عن مقصود النظر فى فضيلة الجمع من حيث إنه جماعة وكأن قائله يقول الصلاة خير من تركها بالكسل والإخلاص خير من الرياء فلنفرض المسئلة فيمن يثق بنفسه أنه لايكسل لوانفرد ولايرائى لوحضر الجمع فأيهما أفضل له فيدور النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الإخلاص وحضور القلب فى الوحدة فيجوز أن يكون فى تفضيل أحدهما على الآخر تردد ، ومما يستحب القنوت فى الوتر فى النصف الأخير من رمضان . أما صلاة رجب : فقد روى باسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مامن أحد يصوم أول خميس من رجب ثم يصلى فيما بين العشاء والعتمة اثنتى عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وإنا أنزلناه فى ليلة القدر ثلاث مرات وقل هو الله أحد اثنتى عشرة مرة فاذا فرغ من صلاته صلى على سبعين مرة يقول اللهم صلى على محمد النبى الأمى وعلى آله ثم يسجد ويقول فى سجوده سبعين مرة : سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم ثم يسجد سجدة أخرى ويقول فيها مثل ماقال فى السجدة الأولى ثم يسأل حاجته فى سجوده فانها تقضى (٢) » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايصلى أحد هذه الصلاة إلا غفر الله تعالى له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الأشجار ويشفع يوم القيامة فى سبعمائة من أهل بيته ممن قد استوجب النار » فهذه صلاة مستحبة وإنما أوردناها فى هذا القسم لأنها تتكرر بتكرر السنين وإن كانت رتبتها لاتبلغ رتبة التراويح وصلاة العيد لأن هذه الصلاة نقلها الآحاد ولكنى رأيت أهل القدس بأجمعهم يواظبون عليها ولايسمحون بتركها فأحببت إيرادها . وأما صلاة شعبان : فليلة الخامس عشر منه يصلى مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة وإن شاء صلى عشر ركعات يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله أحد فهذا أيضا مروى فى جملة الصلوات كان السلف يصلون هذه الصلاة ويسمونها صلاة الخير ويجتمعون فيها

وفى سنن د باسناد صحيح من حديث زيد بن ثابت صلاة المرء فى بيته أفضل من صلاته فى مسجدى هذا إلا المكتوبة (١) حديث صلاة فى مسجدى هذا أفضل من مائة صلاة فى غيره وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة فى مسجدى وأفضل من هذا كله رجل يصلى ركعتين فى زاوية بيته لايعلمهما إلا الله ، أبو الشيخ فى الثواب من حديث أنس صلاة فى مسجدى تعدل بعشرة آلاف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة والصلاة بأرض الرباط تعدل بألفى ألف صلاة وأكثر من ذلك كله الركعتان يصليهما العبد فى جوف الليل لايريد بهما إلا وجه الله عز وجل وإسناده ضعيف وذكر أبو الوليد الصفار فى كتاب الصلاة تعليقا من حديث الأوزعى قال دخلت على يحيى فأسندلى حديثا فذكره إلا أنه قال فى الأولى ألف وفى الثانية مائة (٢) حديث مامن أحد يصوم أول خميس من رجب الحديث فى صلاة الرغائب أورده رزين فى كتابه وهو حديث موضوع .

من آمن وكفر وجازى الخلائق بنعيم أوسقر والصلاة على سيدنا محمد سيد البشر وكافى الضرر وعلى آله السادات الغرر وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين .

تم كتاب الإملاء فى مشكلات الإحياء

[كتاب عوارف المعارف]

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله العظيم شأنه القوى سلطانه الظاهر إحسانه الباهر حجته وبرهانه المحتجب بالجلال والمنفرد بالكمال والمتردى بالعظمة فى الآباد والآزال لايصوره وهم وخيال ولايحصره حد ومثال ذى العز الدائم السرمدى والملك القائم الديمومى والقدرة الممتنع إدراك كنهها والسطوة المستوعر طريق استيفاء وصفها نطقت الكائنات بأنه الصانع المبدع ولاح من صفحات ذرات الوجود بأنه الخالق المخترع وسم عقل الانسان

وربما صلوها جماعة روى عن الحسن أنه قال حدثنى ثلاثون من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أن من صلى هذه الصلاة فى هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة (١)

(القسم الرابع من النوافل مايتعلق بأسباب عارضة ولايتعلق بالمواقيت وهى تسعة :)

صلاة الخسوف والكسوف والاستسقاء وتحية المسجد وركعتى الوضوء وركعتين بين الأذان والإقامة وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول فيه ونظائر ذلك فنذكر منها مايحضرنا الآن . الأولى صلاة الخسوف قال رسول الله ﷺ « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لايخسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة (٢) » قال ذلك لما مات ولده ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكسفت الشمس فقال الناس إنما كسفت لموته . والنظر فى كيفيتها ووقتها : أما الكيفية فاذا كسفت الشمس فى وقت الصلاة فيه مكروهة أو غير مكروهة نودى الصلاة جامعة وصلى الامام بالناس فى المسجد ركعتين وركع فى كل ركعة ركوعين أوائلهما أطول من أواخرها ولايجهر فيقرأ فى الأولى من قيام الركعة الأولى الفاتحة والبقرة وفى الثانية الفاتحة وآل عمران وفى الثالثة الفاتحة وسورة النساء وفى الرابعة الفاتحة وسورة المائدة أومقدار ذلك من القرآن من حيث أراد ولو اقتصر على الفاتحة فى كل قيام أجزأه ولو اقتصر على سور قصار فلا بأس ومقصود التطويل دوام الصلاة إلى الانجلاء ويسبح فى الركوع الأول قدر مائة آية وفى الثانى قدر ثمانين وفى الثالث قدر سبعين وفى الرابع قدر خمسين وليكن السجود على قدر الركوع فى كل ركعة ثم يخطب خطبتين بعد الصلاة بينهما جلسة ويأمر الناس بالصدقة والعتق والتوبة وكذلك يفعل بخسوف القمر إلا أنه يجهر فيها لأنها ليلية . فأما وقتها فعند ابتداء الكسوف إلى تمام الانجلاء ويخرج وقتها بأن تغرب الشمس كاسفة ، وتفوت صلاة خسوف القمر بأن يطلع قرص الشمس إذ يبطل سلطان الليل ولا تفوت بغروب القمر خاسفا لأن الليل كله سلطان القمر فان انجلى فى أثناء الصلاة أتمها مخففة ومن أدرك الركوع الثانى مع الامام فقد فاتته تلك الركعة لأن الأصل هو الركوع الأول . الثانية صلاة الاستسقاء : فاذا غارت الأنهار وانقطعت الأمطار أوانهارت قناة فيستحب للامام أن يأمر الناس أولا بصيام ثلاثة أيام وما أطاقوا من الصدقة والخروج من المظالم والتوبة من المعاصى ثم يخرج بهم فى اليوم الرابع وبالعجائز والصبيان متنظفين فى ثياب بذلة واستكانة متواضعين بخلاف العيد وقيل يستحب إخراج الدواب لمشاركتها فى الحاجة ولقوله صلى الله عليه وسلم « لولا صبيان رضع ومشايخ ركع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا (٣) » ولو خرج أهل الذمة أيضا متميزين لم يمنعوا فاذا اجتمعوا فى المصلى الواسع من الصحراء نودى الصلاة جامعة فصلى بهم الامام ركعتين مثل صلاة العيد بغير تكبير ثم يخطب خطبتين وبينهما جلسة خفيفة وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغى فى وسط الخطبة الثانية أن يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحول رداءه فى هذه الساعة تفاؤلا بتحويل الحال (٤) هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث صلاة ليلة نصف شعبان حديث باطل و ه من حديث على إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها وإسناده ضعيف (٢) حديث إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله الحديث أخرجاه من حديث المغيرة بن شعبة (٣) حديث لولا صبيان رضع ومشايخ ركع الحديث هق وضعفه من حديث أبى هريرة (٤) حديث استدبار الناس واستقبال القبلة وتحويل الرداء فى الاستسقاء أخرجاه من حديث عبد الله بن زيد المازنى .

بالعجز والنقصان وألزم فصيحات الألسن وصف الحصر فى حلبة البيان وأحرقت سبحات وجهه الكريم أجنحة طائر الفهم وسدت تعززا وجلالا مسالك الوهم وأطرق طامح البصيرة تعظيما وإجلالا ولم يجد من فرط الهيبة فى فضاء الجبروت مجالا فعاد البصر كليلا والعقل غليلا ولم ينتهج إلى كنه الكبرياء سبيلا فسبحان من عزت معرفته لولا تعريفه وتعذر على العقول تحديده وتكييفه ثم ألبس قلوب الصفوة من عباده ملابس العرفان وخصهم من بين عباده بخصائص الاحسان فصارت ضمائرهم من مواهب الأنس مملوءة ومرائى قلوبهم بنور القدس مجلوة فهيأت لقبول الإمداد القدسية واستعدت لورود الأنوار العلوية واتخذت من الأنفاس المطرية بالأذكار

فيجعل أعلاه أسفله وما على اليمين على الشمال وماعلى الشمال على اليمين وكذلك يفعل الناس ويدعون فى هذه الساعة سرا ، ثم يستقبلهم فيختم الخطبة ويدعون أرديتهم محولة كما هى حتى ينزعوها متى نزعوا الثياب ويقول فى الدعاء : اللهم إنك أمرتنا بدعائك ووعدتنا إجابتك فقد دعوناك كما أمرتنا فأجبنا كما دعوتنا اللهم فامنن علينا بمغفرة ماقارفنا وإجابتك فى سقيانا وسعة أرزاقنا ولا بأس بالدعاء أدبار الصلوات فى الأيام الثلاثة قبل الخروج ، ولهذا الدعاء آداب وشروط باطنة من التوبة ورد المظالم وغيرها وسيأتى ذلك فى كتاب الدعوات . الثالثة صلاة الجنائز : وكيفيتها مشهورة وأجمع دعاء مأثور ماروى فى الصحيح عن عوف بن مالك قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلى على جنازة فحفظت من دعائه : اللهم اغفرله وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وزوجا خيرا من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار[1] » حتى قال عوف تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت ومن أدرك التكبيرة الثانية فينبغى أن يراعى ترتيب الصلاة فى نفسه ويكبر مع تكبيرات الإمام فاذا سلم الإمام قضى تكبيره الذى فات كفعل المسبوق فانه لو بادر التكبيرات لم تبق للقدوة فى هذه الصلاة معنى فالتكبيرات هى الأركان الظاهرة وجدير بأن تقام مقام الركعات فى سائر الصلوات ، هذا هو الأوجه عندى وإن كان غيره محتملا والأخبار الواردة فى فضل صلاة الجنازة وتشييعها مشهورة فلانطيل بايرادها وكيف لايعظم فضلها وهى من فرائض الكفايات وإنما تصير نفلا فى حق من لم تتعين عليه بحضور غيره ، ثم ينال بها فضل فرض الكفاية وإن لم يتعين لأنهم بجملتهم قاموا بما هو فرض الكفاية وأسقطوا الحرج عن غيرهم فلا يكون ذلك كنفل لا يسقط به فرض عن أحد ويستحب طلب كثرة الجمع تبركا بكثرة الهمم والأدعية واشتماله على ذى دعوة مستجابة لما روى كريب عن ابن عباس أنه مات له ابن فقال يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس قال فخرجت فاذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته فقال تقول هم أربعون قلت نعم قال أخرجوه فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لايشركون بالله شيئا إلا شفعهم الله عز وجل فيه[2] » وإذا شيع الجنازة فوصل المقابر أودخلها ابتداء قال السلام عليكم أهل هذه الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون والأولى أن لا ينصرف حتى يدفن الميت فاذا سوى على الميت قبره قام عليه وقال اللهم عبدك رد إليك فارأف به وارحمه اللهم جاف الأرض عن جنبيه وافتح أبواب السماء لروحه وتقبله منك بقبول حسن اللهم إن كان محسنا فضاعف له فى إحسانه وإن كان مسيئا فتجاوز عنه . الرابعة تحية المسجد : ركعتان فصاعدا سنة مؤكدة حتى إنها لاتسقط وإن كان الإمام يخطب يوم الجمعة مع تأكد وجوب الاصغاء إلى الخطيب وإن اشتغل بفرض أوقضاء تأدى به التحية وحصل الفضل إذ المقصود أن لا يخلوا ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياما بحق المسجد ولهذا يكره أن يدخل المسجد على غير وضوء فان دخل لعبور أوجلوس فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر يقولها أربع مرات يقال إنها عدل ركعتين فى الفضل ومذهب الشافعى رحمه الله أنه لاتكره التحية فى أوقات الكراهية وهى بعد العصر وبعد الصبح ووقت الزوال ووقت الطلوع والغروب لما روى

(١) حديث عوف بن مالك فى الصلاة على الجنازة اللهم اغفرلى وله وارحمنى وارحمه وعافنى وعافه الحديث أخرجه مسلم دون الدعاء للمصلى (٢) حديث ابن عباس مامن رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون الحديث م .

جلاسا وأقامت على الظاهر والباطن من التقوى حراسا وأشعلت فى ظلم البشرية من اليقين نبراسا واستحقرت فوائد الدنيا ولذاتها وأنكرت مصايد الهوى وتبعاتها وامتطت غوارب الرغبوت والرهبوت واستفرشت بعلو همتها بساط الملكوت وامتدت إلى المعالى أعناقها وطمحت إلى اللامع العلوى أحداقها واتخذت من الملأ الأعلى مسامرا ومحاورا ومن النور الأعز الأقصى مزاورا ومجاورا أجساد أرضية بقلوب سماوية وأشباح فرشية بأرواح عرشية نفوسهم فى منازل الخدمة سيارة وأرواحهم فى فضاء القرب طيارة مذاهبهم فى العبودية مشهورة وأعلامهم فى أقطار الأرض منشورة يقول الجاهل بهم فقدوا وما فقدوا ولكن سمت أحوالهم فلم يدركوا وعلا مقامهم فلم يملكوا

« أنه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين بعد العصر فقيل له أما نهيتنا عن هذا ؟ فقال : هما ركعتان كنت أصليهما بعد الظهر فشغلنى عنهما الوفد[1] » فأفاد هذا الحديث فائدتين إحداهما أن الكراهية مقصورة على صلاة لا سبب لها ومن أضعف الأسباب قضاء النوافل إذ اختلفت العلماء فى أن النوافل هل تقضى وإذا فعل مثل مافاته هل يكون قضاء وإذا انتفت الكراهية بأضعف الأسباب فبأحرى أن تنتفى بدخول المسجد وهو سبب قوى ولذلك لا تكره صلاة الجنازة إذا حضرت ولا صلاة الخسوف والاستسقاء فى هذه الأوقات لأن لها أسبابا . الفائدة الثانية : قضاء النوافل إذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولنا فيه أسوة حسنة وقالت عائشة رضى الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غلبه نوم أو مرض فلم يقم تلك الليلة صلى من أول النهار اثنتى عشرة ركعة[2] » وقد قال العلماء من كان فى الصلاة ففاته جواب المؤذن فاذا سلم قضى وأجاب وإن كان المؤذن سكت ولا معنى الآن لقول من يقول إن ذلك مثل الأول وليس يقضى إذ لو كان كذلك لما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وقت الكراهة ، نعم من كان له ورد فعاقه عن ذلك عذر فينبغى أن لا يرخص لنفسه فى تركه بل يتداركه فى وقت آخر حتى لا تميل نفسه إلى الدعة والرفاهية وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولأنه صلى الله عليه وسلم قال « أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل[3] » فيقصد به أن لا يفتر فى دوام عمله وروت عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من عبد الله عز وجل بعبادة ثم تركها ملالة مقته الله عز وجل[4] » فليحذر أن يدخل تحت الوعيد وتحقيق هذا الخبر أنه مقته الله تعالى بتركها ملالة فلولا المقت والابعاد لما سلطت الملالة عليه . الخامسة : ركعتان بعد الوضوء مستحبتان لأن الوضوء قربة ومقصودها الصلاة والأحداث عارضة فربما يطرأ الحدث قبل صلاة فينتقض الوضوء ويضيع السعى فالمبادرة إلى ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوات وعرف ذلك بحديث بلال إذ قال صلى الله عليه وسلم « دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت لبلال بم سبقتنى إلى الجنة ؟ فقال بلال لا أعرف شيئا إلا أنى لا أحدث وضوءا إلا أصلى عقيبه ركعتين[5] » . السادسة : ركعتان عند دخول المنزل وعند الخروج منه روى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء وإذا دخلت إلى منزلك فصل ركعتين يمنعانك مدخل السوء[6] » وفى معنى هذا كل أمر يبتدأ به مما له وقع ولذلك ورد ركعتان عند الاحرام[7] وركعتان

(١) حديث صلى ركعتين بعد العصر قيل له أما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت أصليهما بعد الظهر الحديث أخرجاه من حديث أم سلمة ولمسلم من حديث عائشة كان يصلى ركعتين قبل العصر ثم إنه شغل عنهما الحديث (٢) حديث عائشة كان إذا غلبه نوم أو مرض فلم يقم تلك الليلة الحديث م (٣) حديث أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل أخرجاه من حديث عائشة . (٤) حديث عائشة من عبد الله عبادة ثم تركها ملالة مقته الله ورواه ابن السنى فى رياضة المتعبدين موقوفا على عائشة (٥) حديث دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت بلال بم سبقتنى إلى الجنة الحديث أخرجاه من حديث أبى هريرة (٦) حديث أبى هريرة إذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء وإذا دخلت منزلك الحديث هق فى الشعب من رواية بكر بن عمرو عن صفوان ابن سليم . قال بكر حسبته عن أبى سلمة عن أبى هريرة فذكره وروى الخرائطى فى مكارم الأخلاق وابن عدى فى الكامل من حديث أبى هريرة إذا دخل أحدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين فان الله جاعل له من ركعتيه خيرا قال ابن عدى وهو بهذا الإسناد منكر وقال خ لا أصل له

(٧) حديث ركعتى الاحرام خ من حديث ابن عمر .

كائنين بالجثمان بائنين بقلوبهم عن أوطان الحدثان لأرواحهم حول العرش تطواف ولقلوبهم من خزائن البر إسعاف يتنعمون بالخدمة فى الدياجر ويتلذذون من وهيج الطلب بظمأ الهواجر تسلوا بالصلوات عن الشهوات وتعوضوا بحلاوة التلاوة عن اللذات يلوح من صفحات وجوههم بشر الوجدان وينم على مكنون سرائرهم نضارة العرفان لا يزال فى كل عصر منهم علماء بالحق داعون للخلق منحوا بحسن المتابعة رتبة الدعوة وجعلوا للمتقين قدوة فلا يزال تظهر فى الخلق آثارهم وتزهر فى الآفاق أنوارهم من اقتدى بهم اهتدى ومن أنكرهم ضل واعتدى فلله الحمد على ماهيأ للعباد من بركة خواص حضرته من أهل الوداد والصلاة على نبيه ورسوله محمد وآله وأصحابه

عند ابتداء السفر (١) وركعتان عند الرجوع من السفر (٢) في المسجد قبل دخول البيت فكل ذلك مأثور من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بعض الصالحين إذا أكل أكلة صلى ركعتين وإذا شرب شربة صلى ركعتين وكذلك في كل أمر يحدثه وبداية الأمور ينبغي أن يتبرك فيها بذكر الله عز وجل وهي على ثلاث مراتب بعضها يتكرر مرارا كالأكل والشرب فيبدأ فيه باسم الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر (٣) » الثانية ما لا يكثر تكرره وله وقع كعقد النكاح وابتداء النصيحة والمشورة فالمستحب فيها أن يصدر بحمد الله فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ زوجتك ابنتي ويقول القابل الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلت النكاح وكانت عادة الصحابة رضي الله عنهم في ابتداء أداء الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم التحميد . الثالثة ما لا يتكرر كثيرا وإذا وقع دام وكان له وقع كالسفر وشراء دار جديدة والاحرام وما يجري مجراه فيستحب تقديم ركعتين عليه وأدناه الخروج من المنزل والدخول إليه فانه نوع سفر قريب . السابعة صلاة الاستخارة . فمن همّ بأمر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف أن الخير في تركه أو في الاقدام عليه فقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يصلي ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون وفي الثانية الفاتحة وقل هو الله أحد فاذا فرغ دعا وقال اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاقدره لي وبارك لي فيه ثم يسره لي وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاصرفني عنه واصرفه عني واقدر لي الخير أينما كان إنك على كل شيء قدير (٤) رواه جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن وقال ﷺ « إذا همّ أحدكم بأمر فليصل ركعتين ثم ليسمّ الأمر ويدعو بما ذكرنا » وقال بعض الحكماء من أعطى أربعا لم يمنع أربعا من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب . الثامنة صلاة الحاجة : (٥) فمن ضاق عليه الأمر ومسته حاجة في صلاح دينه ودنياه إلى أمر تعذر عليه فليصل هذه الصلاة فقد روى عن وهيب بن الورد أنه قال إن من الدعاء الذي لا يرد أن يصلي العبد اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بأم الكتاب وآية الكرسي وقل هو الله أحد فاذا فرغ خرّ ساجدا ثم قال سبحان الذي لبس العز وقال به سبحان الذي تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له سبحان ذي المنّ والفضل سبحان ذي العز والكرم سبحان ذي الطول أسألك بمعاقد العز

(١) حديث صلاة ركعتين عند ابتداء السفر الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أنس ما استخلف في أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصليهن العبد في بيته إذا شد عليه ثياب سفره الحديث وهو ضعيف (٢) حديث الركعتين عند القدوم من السفر أخرجاه من حديث كعب بن مالك (٣) حديث كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر د ن ه حب في صحيحه من حديث أبي هريرة (٤) حديث صلاة الاستخارة خ من حديث جابر قال أحمد حديث منكر (٥) حديث ابن مسعود في صلاة الحاجة اثنتي عشرة ركعة أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس باسنادين ضعيفين جدا فيهما عمرو بن هارون البلخي كذبه ابن معين وفيه علل أخرى وقد وردت صلاة الحاجة ركعتين رواه ت ه من حديث عبد الله بن أبي أوفى وقال ت حديث غريب وفي إسناده مقال .

الأكرمين الأمجاد . ثم إن إيثاري لهدى هؤلاء القوم ومحبتي لهم علما بشرف حالهم وصحة طريقتهم المبنية على الكتاب والسنة المتحقق بهما من الله الكريم الفضل والمنة حداني أن أذهب عن هذه العصابة بهذه الصبابة وأؤلف أبوابا في الحقائق والآداب معربة عن وجه الصواب فيما اعتمدوه مشعرة بشهادة صريح العلم لهم فيما اعتقدوه حيث كثر المتشبهون واختلفت أحوالهم وتستر بزيهم المتسترون وفسدت أعمالهم وسبق إلى قلب / من لا يعرف أصول سلفهم سوء ظن وكاد لا يسلم من وقيعة فيهم وطعن ظنا منه أن حاصلهم راجع إلى مجرد رسم وتخصصهم عائد إلى مطلق اسم ومما حضرني فيه من النية أن أكثر سواد القوم بالاعتزاء إلى طريقهم والاشارة إلى أحوالهم وقد ورد من

من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم وجدك الأعلى وكلماتك التامات العامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر أن تصلى على محمد وعلى آل محمد ثم يسأل حاجته التى لا معصية فيها فيجاب إن شاء الله عز وجل قال وهيب بلغنا أنه كان يقال لا تعلموها لسفهائكم فيتعاونون بها على معصية الله عز وجل . التاسعة صلاة التسبيح : وهذه الصلاة مأثورة على وجهها ولا تختص بوقت ولا بسبب ويستحب أن لا يخلو الأسبوع عنها مرة واحدة أو الشهر مرة فقد روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب « ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك بشىء إذا أنت فعلته غفر الله لك ذنبك أوله وآخره قديمه وحديثه خطأه وعمده سره وعلانيته تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة فى أول ركعة وأنت قائم تقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشر مرات ثم ترفع من الركوع فتقولها قائما عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع من السجود فتقولها جالسا عشرا ثم تسجد فتقولها وأنت ساجد عشرا ثم ترفع من السجود فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة تفعل ذلك فى أربع ركعات إن استطعت أن تصليها فى كل يوم مرة فافعل فان لم تفعل ففى كل جمعة مرة فان لم تفعل ففى كل شهر مرة فان لم تفعل ففى السنة مرة (١) » وفى رواية أخرى : أنه يقول فى أول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وتقدست أسماؤك ولا إله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشرا بعد القراءة والباقى كما سبق عشرا عشرا ولا يسبح بعد السجود الأخير قاعدا وهذا هو الأحسن وهو اختيار ابن المبارك والمجموع عن الروايتين ثلثمائة تسبيحة فان صلاها نهارا فبتسليمة واحدة وإن صلاها ليلا فبتسليمتين أحسن إذ ورد « أن صلاة الليل مثنى مثنى (٢) » وان زاد بعد التسبيح قوله لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك فى بعض الروايات فهذه الصلوات المأثورة ولا يستحب شىء من هذه النوافل فى الأوقات المكروهة إلا تحية المسجد وما أوردناه بعد التحية من ركعتى الوضوء وصلاة السفر والخروج من المنزل والاستخارة فلا لأن النهى مؤكد وهذه الأسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الخسوف والاستسقاء والتحية وقد رأيت بعض المتصوفة يصلى فى الأوقات المكروهة ركعتى الوضوء وهو فى غاية البعد لأن الوضوء لا يكون سببا للصلاة بل الصلاة سبب الوضوء فينبغى أن يتوضأ ليصلى لا أنه يصلى لأنه توضأ وكل محدث يريد أن يصلى فى وقت الكراهية فلا سبيل له إلا أن يتوضأ ويصلى فلا يبقى للكراهية معنى ولا ينبغى أن ينوى ركعتى الوضوء كما ينوى ركعتى التحية بل إذا توضأ صلى ركعتين تطوعا كيلا يتعطل وضوءه كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء وحديث بلال لم يدل على أن الوضوء سبب كالخسوف والتحية حتى ينوى ركعتى الوضوء فيستحيل أن ينوى بالصلاة الوضوء بل ينبغى أن ينوى بالوضوء الصلاة وكيف ينتظم أن يقول فى وضوئه أتوضأ لصلاتى وفى صلاته يقول أصلى لوضوئى بل من أراد أن يحرس وضوءه عن التعطيل فى وقت الكراهية فلينو قضاء إن كان يجوز أن يكون فى ذمته صلاة تطرق إليها خلل لسبب من الأسباب فان قضاء الصلوات فى أوقات الكراهية غير مكروه فأما نية التطوع فلا وجه لها ففى النهى فى أوقات الكراهية مهمات ثلاثة أحدها التوقى من مضاهاة عبدة الشمس والثانى الاحتراز من انتشار الشياطين إذ قال صلى الله عليه وسلم « إن الشمس لتطلع ومعها قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها وإذا ارتفعت فارقها فان استوت قارنها فاذا زالت فارقها فاذا تضيفت للغروب قارنها فاذا غربت فارقها (٣) » ونهى عن الصلوات

(١) حديث صلاة التسبيح تقدم (٢) حديث صلاة الليل مثنى مثنى أخرجاه من حديث ابن عمر (٣) حديث إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها الحديث ن من حديث عبد الله الصنابحى .

كثر سواد قوم فهو منهم وأرجو من الله الكريم صحة النية فيه وتخليصها من شوائب النفس وكل ما فتح الله تعالى على فيه منح من الله الكريم وعوارف وأجل المنح عوارف المعارف والكتاب يشتمل على نيف وستين بابا والله المعين . الباب الأول فى منشأ علوم الصوفية . الباب الثانى فى تخصيص الصوفية بحسن الاستماع . الباب الثالث فى بيان فضيلة علم الصوفية والاشارة إلى أنموذج منها . الباب الرابع فى شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم فيها . الباب الخامس فى ذكر ماهية التصوف الباب السادس فى ذكر تسميتهم بهذا الاسم . الباب السابع فى ذكر المتصوف والمتشبه . الباب الثامن فى ذكر الملامتى وشرح حاله . الباب التاسع فى ذكر من انتمى إلى الصوفية وليس منهم . الباب

فى هذه الأوقات ونبه به على العلة والثالث أن سالكى طريق الآخرة لا يزالون يواظبون على الصلوات فى جميع الأوقات والمواظبة على نمط واحد من العبادات يورث الملل ومهما منع منها ساعة زاد النشاط وانبعثت الدواعى والانسان حريص على ما منع منه ففى تعطيل هذه الأوقات زيادة تحريض وبعث على انتظار انقضاء الوقت فخصصت هذه الأوقات بالتسبيح والاستغفار حذرا من الملل بالمداومة وتفرجا بالانتقال من نوع عبادة إلى نوع آخر ففى الاستطراف والاستجداد لذة ونشاط وفى الاستمرار على شىء واحد استثقال وملال ولذلك لم تكن الصلاة سجودا مجردا ولا ركوعا مجردا ولا قياما مجردا بل رتبت العبادات من أعمال مختلفة وأذكار متباينة فان القلب يدرك من كل عمل منهما لذة جديدة عند الانتقال إليها ولو واظب على الشىء الواحد لتسارع إليه الملل فاذا كانت هذه أمورا مهمة فى النهى عن ارتكاب أوقات الكراهة إلى غير ذلك من أسرار أخر ليس فى قوة البشر الاطلاع عليها والله ورسوله أعلم بها فهذه المهمات لا تترك إلا بأسباب مهمة فى الشرع مثل قضاء الصلوات وصلاة الاستسقاء والخسوف وتحية المسجد فأما ما ضعف عنها فلا ينبغى أن يصادم به مقصود النهى هذا هو الأوجه عندنا والله أعلم .

كمل كتاب أسرار الصلاة من كتاب إحياء علوم الدين . يتلوه إن شاء الله كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والحمد لله وحده وصلاته على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً .

(كتاب أسرار الزكاة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أسعد وأشقى وأمات وأحيا وأضحك وأبكى وأوجد وأفنى وأفقر وأغنى وأضر وأقنى الذى خلق الحيوان من نطفة تمنى ثم تفرد عن الخلق بوصف الغنى ثم خصص بعض عباده بالحسنى فأفاض عليهم من نعمه ما أيسر به من شاء واستغنى وأحوج إليه من أخفق فى رزقه وأكدى إظهارا للامتحان والابتلا ثم جعل الزكاة للدين أساسا ومبنى وبين أن بفضله تزكى من عباده من تزكى ومن غناه زكى ماله من زكى والصلاة على محمد المصطفى سيد الورى وشمس الهدى وعلى آله وأصحابه المخصوصين بالعلم والتقى .

[أما بعد] فان الله تعالى جعل الزكاة إحدى مبانى الاسلام وأردف بذكرها الصلاة التى هى أعلى الأعلام فقال تعالى ـ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ـ وقال صلى الله عليه وسلم « بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة[1] » وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال ـ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ـ ومعنى الانفاق فى سبيل الله إخراج حق الزكاة قال الأحنف بن قيس كنت فى نفر من قريش فمر أبو ذر فقال بشر الكانزين بكى فى ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكى فى أقفائهم يخرج من جباههم وفى رواية أنه يوضع على حلمة ثدى أحدهم فيخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل وقال أبو ذر انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رآنى قال « هم الأخسرون ورب الكعبة فقلت ومن هم قال الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ، ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كنت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما نفدت أخراها عادت

وهو مرسل ومالك هو الذى يقول عبد الله الصنابحى ووهم فيه والصواب عبد الرحمن ولم ير النبى صلى الله عليه وسلم .

(كتاب أسرار الزكاة)

(١) حديث بنى الاسلام على خمس أخرجاه من حديث ابن عمر

العاشر فى شرح رتبة المشيخة . الباب الحادى عشر فى شرح حال الخادم ومن يتشبه به . الباب الثانى عشر فى شرح خرقة المشايخ الصوفية . الباب الثالث عشر فى فضيلة سكان الربط . الباب الرابع عشر فى مشابهة أهل الربط بأهل الصفة . الباب الخامس عشر فى خصائص أهل الربط فيما يتعاهدونه بينهم . الباب السادس عشر فى اختلاف احوال المشايخ بالسفر والمقام . الباب السابع عشر فيما يحتاج المسافر إليه من الفرائض والنوافل والفضائل . الباب الثامن عشر فى القدوم من السفر ودخول الرباط والأدب فيه . الباب التاسع عشر فى حال الصوفى المتسبب . الباب العشرون فى حال من يأكل من الفتوح . الباب الحادى والعشرون فى شرح حال المتجرد من الصوفية والمتأهل .

عليه أولاها حتى يقضى بين الناس [١]» وإذا كان هذا التشديد مخرجا فى الصحيحين فقد صار من مهمات الدين الكشف عن أسرار الزكاة وشروطها الجلية والخفية ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصار على مالا يستغنى عن معرفته مؤدّى الزكاة وقابضها وينكشف ذلك فى أربعة فصول . الفصل الأول : فى أنواع الزكاة وأسباب وجوبها . الثانى آدابها وشروطها الباطنة والظاهرة . الثالث : فى القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضة . الرابع : فى صدقة التطوع وفضلها .

(الفصل الأول : فى أنواع الزكاة وأسباب وجوبها والزكوات باعتبار متعلقاتها ستة أنواع : زكاة النعم والنقدين والتجارة وزكاة الركاز والمعادن وزكاة المعشرات وزكاة الفطر)

(النوع الأول : زكاة النعم)

ولا تجب هذه الزكاة وغيرها إلا على حر مسلم ولا يشترط البلوغ بل تجب فى مال الصبى والمجنون هذا شرط من عليه . وأما المال فشروطه خمسة أن يكون نعما سائمة باقية حولا نصابا كاملا مملوكا على الكمال . الشرط الأول كونه نعما فلا زكاة إلا فى الإبل والبقر والغنم . أما الخيل والبغال والحمير والمتولد من بين الظباء والغنم فلا زكاة فيها . الثانى السوم فلا زكاة فى معلوفة وإذا أسيمت فى وقت وعلفت فى وقت تظهر بذلك مؤنتها فلا زكاة فيها . الثالث الحول قال رسول الله ﷺ « لا زكاة فى مال حتى يحول عليه الحول [٢] » ويستثنى من هذا نتاج المال فانه ينسحب عليه حكم المال وتجب الزكاة فيه لحول الأصول ومهما باع المال فى أثناء الحول أو وهبه انقطع الحول . الرابع كمال الملك والتصرف فتجب الزكاة فى الماشية المرهونة لأنه الذى حجر على نفسه فيه ولا تجب فى الضال والمغصوب إلا إذا عاد بجميع نمائه فتجب زكاة ما مضى عند عوده ولو كان عليه دين يستغرق ماله فلا زكاة عليه فانه ليس غنيا به إذ الغنى ما يفضل عن الحاجة . الخامس كمال النصاب . أما الابل فلا شىء فيها حتى تبلغ خمسا ففيها جذعة من الضأن والجذعة هى التى تكون فى السنة الثانية أو ثنية من المعز وهى التى تكون فى السنة الثالثة وفى عشر شاتان وفى خمس عشرة ثلاث شياه وفى عشرين أربع شياه وفى خمس وعشرين بنت مخاض وهى التى فى السنة الثالثة فان لم يكن فى ماله بنت مخاض فابن لبون ذكر وهو الذى فى السنة الثالثة يؤخذ وإن كان قادرا على شرائها وفى ست وثلاثين ابنة لبون ثم إذا بلغت ستا وأربعين ففيها حقة وهى التى فى السنة الرابعة فاذا صارت إحدى وستين ففيها جذعة وهى التى فى السنة الخامسة فاذا صارت ستا وسبعين ففيها بنتا لبون فاذا صارت إحدى وتسعين ففيها حقتان فاذا صارت إحدى وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون فاذا صارت مائة وثلاثين فقد استقر الحساب ففى كل خمسين حقة وفى كل أربعين بنت لبون . وأما البقر فلا شىء فيها حتى تبلغ ثلاثين ففيها تبيع وهو الذى فى السنة الثانية ثم فى أربعين مسنة وهى التى فى السنة الثالثة ثم فى ستين تبيعان واستقر الحساب بعد ذلك ففى كل أربعين مسنة وفى كل ثلاثين تبيع . وأما الغنم فلا زكاة فيها حتى تبلغ أربعين ففيها شاة جذعة من الضأن أو ثنية من المعز ثم لا شىء فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان إلى مائتى شاة وواحدة ففيها ثلاث شياه إلى أربعمائة ففيها أربع شياه ثم استقر الحساب فى كل مائة شاة . وصدقة الخليطين كصدقة المالك الواحد فى النصاب فاذا كان بين رجلين أربعون من الغنم ففيها شاة وإن كان بين ثلاثة نفر مائة شاة وعشرون ففيها شاة واحدة على جميعهم وخلطة الجوار كخلطة الشيوع ولكن يشترط أن يريحا معا ويسقيا

(١) حديث أبى ذر انتهيت إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رآنى قال هم الأخسرون ورب الكعبة الحديث أخرجاه م وخ . (٢) حديث لا زكاة فى مال حتى يحول عليه الحول أبو داود من حديث على باسناد جيد و ه من حديث عائشة باسناد ضعيف .

الباب الثانى والعشرون فى القول فى السماع قبولا وإيثارا . الباب الثالث والعشرون فى القول فى السماع ردا وإنكارا . الباب الرابع والعشرون فى القول فى السماع ترفعا واستغناء . الباب الخامس والعشرون فى القول فى السماع تأدبا واعتناء . الباب السادس والعشرون فى خاصية الأربعينية التى يتعاهدها الصوفية . الباب السابع والعشرون فى ذكر فتوح الأربعينية . الباب الثامن والعشرون فى كيفية الدخول فى الأربعينية . الباب التاسع والعشرون فى ذكر أخلاق الصوفية وشرح الخلق . الباب الثلاثون فى ذكر تفاصيل الأخلاق . الباب الحادى والثلاثون فى الأدب ومكانه من التصوف . الباب الثانى والثلاثون فى آداب الحضرة لأهل القرب . الباب الثالث

معا ويحلبا معا ويسرحا معا ويكون المرعى معا ويكون إنزاء الفحل معا وأن يكونا جميعا من أهل الزكاة ولا حكم للخلطة مع الذمى والمكاتب ومهما نزل فى واجب الإبل عن سن إلى سن فهو جائز مالم يجاوز بنت مخاض فى النزول ولكن تضم إليه جبران السن لسنة واحدة شاتين أو عشرين درهما ولسنتين أربع شياه أو أربعين درهما وله أن يصعد فى السن مالم يجاوز الجذعة فى الصعود ويأخذ الجبران من الساعين من بيت المال ولا تؤخذ فى الزكاة مريضة إذا كان بعض المال صحيحا ولو واحدة ويؤخذ من الكرائم كريمة ومن اللئام لئيمة ولا يؤخذ من المال الأكولة ولا الماخض ولا الربى ولا الفحل ولا غراء المال .

(النوع الثانى زكاة المعشرات)

فيجب العشر فى كل مستنبت مقتات بلغ ثمانمائة من ولاشىء فيما دونها ولا فى الفواكه والقطن ولكن فى الحبوب التى تقتات وفى التمر والزبيب ويعتبر أن تكون ثمانمائة من تمرا أو زبيبا لا رطبا وعنبا ويخرج ذلك بعد التجفيف ويكمل مال أحد الخليطين بمال الآخر فى خلطة الشيوع كالبستان المشترك بين ورثة لجميعهم ثمانمائة من من زبيب فيجب على جميعهم ثمانون منا من زبيب بقدر حصصهم ولا يعتبر خلطة الجوار فيه ولا يكمل نصاب الحنطة بالشعير ويكمل نصاب الشعير بالسلت فانه نوع منه هذا قدر الواجب إن كان يسقى بسيح أوقناة فان كان يسقى بنضح أودالية فيجب نصف العشر فان اجتمعا فالأغلب يعتبر وأما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابس والحب اليابس بعد التنقية ولا يؤخذ عنب ولا رطب إلا إذا حلت بالأشجار آفة وكانت المصلحة فى قطعها قبل تمام الإدراك فيؤخذ الرطب فيكال تسعة للمالك وواحد للفقير ولا يمنع من هذه القسمة قولنا إن القسمة بيع بل يرخص فى مثل هذا للحاجة ووقت الوجوب أن يبدو الصلاح فى الثمار وأن يشتد الحب ووقت الأداء بعد الجفاف .

(النوع الثالث زكاة النقدين)

فاذا تم الحول على وزن مائتى درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم وهو ربع العشر ومازاد فبحسابه ولو درهما ونصاب الذهب عشرون مثقالا خالصا بوزن مكة ففيها ربع العشر ومازاد فبحسابه وإن نقص من النصاب حبة فلا زكاة وتجب على من معه دراهم مغشوشة إذا كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة وتجب الزكاة فى التبر وفى الحلى المحظور كأوانى الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال ولا تجب فى الحلى المباح وتجب فى الدين الذى هو على ملىء ولكن تجب عند الاستيفاء وإن كان مؤجلا فلا تجب إلا عند حلول الأجل .

(النوع الرابع زكاة التجارة)

وهى كزكاة النقدين وإنما ينعقد الحول من وقت ملك النقد الذى به اشترى البضاعة إن كان النقد نصابا فان كان ناقصا أو اشترى بعرض على نية التجارة فالحول من وقت الشراء وتؤدى الزكاة من نقد البلد وبه يقوم فان كان مابه الشراء نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به أولى من نقد البلد ومن نوى التجارة من مال قنية فلا ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشترى به شيئا ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكاة والأولى أن تؤدى زكاة تلك السنة وما كان من ربح فى السلعة فى آخر الحول وجبت الزكاة فيه بحول رأس المال ولم يستأنف له حولا كما فى النتاج وأموال الصيارفة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات وزكاة ربح مال القراض على العامل وإن كان قبل القسمة ، هذا هو الأقيس .

والثلاثون فى آداب الطهارة ومقدماتها . الباب الرابع والثلاثون فى آداب الوضوء وأسراره . الباب الخامس والثلاثون فى آداب أهل الخصوص والصوفية فيه . الباب السادس والثلاثون فى فضيلة الصلاة وكبر شأنها . الباب السابع والثلاثون فى وصف صلاة أهل القرب . الباب الثامن والثلاثون فى ذكر آداب الصلاة وأسرارها . الباب التاسع والثلاثون فى فضل الصوم وحسن أثره . الباب الأربعون فى أحوال الصوفية فى الصوم والافطار . الباب الحادى والأربعون فى آداب الصوم ومهامه . الباب الثانى والأربعون فى ذكر الطعام ومافيه من المصلحة والمفسدة . الباب الثالث والأربعون فى آداب الأكل . الباب الرابع والأربعون فى ذكر آدابهم فى اللباس ونياتهم ومقاصدهم فيه الباب الخامس

(النوع الخامس الركاز والمعدن)

والركاز مال دفن فى الجاهلية ووجد فى أرض لم يجر عليها فى الاسلام ملك فعلى واجده فى الذهب والفضة منه الخمس والحول غير معتبر والأولى أن لا يعتبر النصاب أيضا لأن إيجاب الخمس يؤكد شبهه بالغنيمة واعتباره أيضا ليس ببعيد لأن مصرفه مصرف الزكاة ولذلك يخصص على الصحيح بالنقدين ، وأما المعادن فلا زكاة فيما استخرج منها سوى الذهب والفضة ففيها بعد الطحن والتخليص ربع العشر على أصح القولين ، وعلى هذا يعتبر النصاب وفى الحول قولان وفى قول يجب الخمس فعلى هذا لا يعتبر وفى النصاب قولان والأشبه والعلم عند الله تعالى أن يلحق فى قدر الواجب بزكاة التجارة فانه نوع اكتساب وفى الحول بالمعشرات فلا يعتبر لأنه عين الرفق ويعتبر النصاب كالمعشرات والاحتياط أن يخرج الخمس من القليل والكثير ومن عين النقدين أيضا خروجا عن شبهة هذه الاختلافات فانها ظنون قريبة من التعارض وجزم الفتوى فيها خطر لتعارض الاشتباه .

(النوع السادس فى صدقة الفطر)

وهى واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات[1] بصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منوان وثلثا من يخرجه من جنس قوته أو من أفضل منه فان اقتات بالحنطة لم يجز الشعير وإن اقتات حبوبا مختلفة اختار خيرها ومن أيها أخرج أجزأه وقسمتها كقسمة زكاة الأموال فيجب فيها استيعاب الأصناف ولا يجوز إخراج الدقيق والسويق ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته ومماليكه وأولاده وكل قريب هو فى نفقته أعنى من تجب عليه نفقته من الآباء والأمهات والأولاد . قال صلى الله عليه وسلم « أدوا صدقة الفطر عمن تمونون[2] » وتجب صدقة العبد المشترك على الشريكين ولا تجب صدقة العبد الكافر وإن تبرعت الزوجة بالاخراج عن نفسها أجزأها وللزوج الاخراج عنها دون إذنها وإن فضل عنه ما يؤدى عن بعضهم أدى عن بعضهم وأولاهم بالتقديم من كانت نفقته آكد وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم[3] فهذه أحكام فقهية لا بد للغنى من معرفتها وقد تعرض له وقائع نادرة خارجة عن هذا فله أن يتكل فيها على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد إحاطته بهذا المقدار .

(الفصل الثانى فى الأداء وشروطه الباطنة والظاهرة)

اعلم أنه يجب على مؤدى الزكاة مراعاة خمسة أمور : الأول : النية وهو أن ينوى بقلبه زكاة الفرض ويسن عليه تعيين الأموال فان كان له مال غائب فقال هذا عن مالى الغائب إن كان سالما وإلا فهو نافلة جاز لأنه إن لم يصرح به فكذلك يكون عند إطلاقه ونية الولى تقوم مقام نية المجنون والصبى ونية السلطان تقوم مقام نية المالك الممتنع عن الزكاة ولكن فى ظاهر حكم الدنيا : أعنى فى قطع المطالبة عنه أما فى الآخرة فلا بل تبقى ذمته مشغولة إلى أن يستأنف الزكاة وإذا وكل بأداء الزكاة ونوى عند التوكيل أو وكل الوكيل بالنية كفاه لأن توكيله بالنية نية . الثانية : البدار عقيب الحول

(١) حديث وجوب صدقة الفطر على كل مسلم أخرجاه من حديث ابن عمر قال فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان الحديث (٢) حديث أدوا زكاة الفطر عمن تمونون قط هق من حديث ابن عمر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد ممن تمونون قال هق إسناده غير قوى (٣) حديث قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم من حديث أبى هريرة بسند صحيح وحب ك وصححه ورواه ن حب بتقديم الزوجة على الولد وسيأتى

والأربعون فى ذكر فضل قيام الليل . الباب السادس والأربعون فى الأسباب المعينة على قيام الليل . الباب السابع والأربعون فى آداب الانتباه من النوم والعمل بالليل . الباب الثامن والأربعون فى تقسيم قيام الليل . الباب التاسع والأربعون فى استقبال النهار والأدب فيه . الباب الخمسون فى ذكر العمل فى جميع النهار وتوزيع الأوقات . الباب الحادى والخمسون فى آداب المريد مع الشيخ . الباب الثانى والخمسون فيما يعتمده الشيخ مع الأصحاب والتلامذة . الباب الثالث والخمسون فى حقيقة الصحبة وما فيها من الخير والشر . الباب الرابع والخمسون فى أداء حقوق الصحبة والأخوة فى الله تعالى . الباب الخامس والخمسون فى آداب الصحبة والأخوة . الباب السادس والخمسون فى معرفة الانسان

وفى زكاة الفطر لا يؤخرها عن يوم الفطر ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس من آخر يوم من شهر رمضان ووقت تعجيلها شهر رمضان كله ومن أخر زكاة ماله مع التمكن عصى ولم يسقط عنه بتلف ماله وتمكنه بمصادفة المستحق وإن أخر لعدم المستحق فتلف ماله سقطت الزكاة عنه وتعجيل الزكاة جائز بشرط أن يقع بعد كمال النصاب وانعقاد الحول ويجوز تعجيل زكاة حولين ومهما عجل فمات المسكين قبل الحول أوارتد أوصار غنيا بغير ماعجل إليه أو تلف مال المالك أومات فالمدفوع ليس بزكاة واسترجاعه غير ممكن إلا إذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن المعجل مراقبا آخر الأمور وسلامة العاقبة . الثالث : أن لا يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج المنصوص عليه فلا يجزئ ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق وإن زاد عليه فى القيمة ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعى رضى الله عنه يتساهل فى ذلك ويلاحظ المقصود من سد الخلة وما أبعده عن التحصيل فان سد الخلة مقصود وليس هو كل المقصود بل واجبات الشرع ثلاثة أقسام: قسم هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ والاغراض فيه وذلك كرمى الجمرات مثلا إذ لا حظ للجمرة فى وصول الحصى إليها فمقصود الشرع فيه الأبتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل مالا يعقل له معنى لأن مايعقل معناه فقد يساعده الطبع عليه ويدعوه إليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية إذ العبودية تظهر بأن تكون الحركة لحق أمر المعبود فقط لا لمعنى آخر وأكثر أعمال الحج كذلك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى إحرامه « لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا (١) » تنبيها على أن ذلك إظهارا للعبودية بالانقياد لمجرد الأمر وامتثاله كما أمر من غير استئناس العقل منه بما يميل إليه ويحث عليه . القسم الثانى من واجبات الشرع ما المقصود منه حظ معقول وليس يقصد منه التعبد كقضاء دين الآدميين ورد المغصوب فلا جرم لا يعتبر فيه فعله ونيته ومهما وصل الحق إلى مستحقه بأخذ المستحق أو يبدل عنه عند رضاه تأدى الوجوب وسقط خطاب الشرع فهذان قسمان لا تركيب فيهما يشترك فى دركهما جميع الناس . والقسم الثالث هو المركب الذى يقصد منه الأمران جميعا وهو حظ العباد وامتحان المكلف بالاستعباد فيجتمع فيه تعبد رمى الجمار وحظ رد الحقوق فهذا قسم فى نفسه معقول فان ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ولا ينبغى أن ينسى أدق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق بسبب أجلاهما ولعل الأدق هو الأهم والزكاة من هذا القبيل ولم ينتبه له غير الشافعى رضى الله عنه فحظ الفقير مقصود فى سد الخلة وهو جلى سابق إلى الأفهام وحق التعبد فى اتباع التفاصيل مقصود للشرع وباعتباره صارت الزكاة قرينة للصلاة والحج فى كونها من مبانى الاسلام ولا شك فى أن على المكلف تعبا فى تمييز أجناس ماله واخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ثم توزيعه على الأصناف الثمانية كما سيأتى والتساهل فيه غير قادح فى حظ الفقير لكنه قادح فى التعبد ويدل على أن التعبد مقصود بتعيين الأنواع أمور ذكرناها فى كتب الخلاف من الفقهيات ومن أوضحها أن الشرع أوجب فى خمس من الإبل شاة فعدل من الإبل إلى الشاة ولم يعدل إلى النقدين والتقويم وإن قدر أن ذلك لقلة النقود فى أيدى العرب بطل بذكره عشرين درهما فى الجبران مع الشاتين فلم لم يذكر فى الجبران قدر النقصان من القيمة ولم قدر بعشرين درهما وشاتين وإن كانت الثياب والأمتعة كلها فى معناها ، فهذا وأمثاله من التخصيصات يدل على أن الزكاة لم تترك خالية عن التعبدات كما فى الحج ولكن جمع بين المعنيين والأذهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات فهذا شأن الغلط فيه . الرابع : أن لا ينقل الصدقة إلى بلد آخر فان أعين المساكين فى كل بلدة تمتد إلى أموالها وفى النقل تخييب للظنون فان فعل ذلك أجزأه فى قول ولكن

(١) حديث لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا . البزار والدارقطنى فى العلل من حديث أنس .

نفسه ومكاشفات الصوفية من ذلك .
الباب السابع والخمسون فى معرفة الخواطر وتفصيلها وتمييزها .
الباب الثامن والخمسون فى شرح الحال والمقام والفرق بينهما . الباب التاسع والخمسون فى الاشارة إلى المقامات على الاختصار والايجاز.
الباب الستون فى ذكر إشارات المشايخ فى المقامات على الترتيب .
الباب الحادى والستون فى ذكر الأحوال وشرحها. الباب الثانى والستون فى شرح كلمات من اصطلاح الصوفية مشيرة إلى الأحوال. الباب الثالث والستون فى ذكر شئ من البدايات والنهايات وصحتها ، فهذه الأبواب تحررت بعون الله تعالى مشتملة على بعض علوم الصوفية وأحوالهم ومقاماتهم وآدابهم وأخلاقهم وغرائب مواجيدهم وحقائق معرفتهم وتوحيدهم ودقيق إشاراتهم ولطيف

الخروج عن شبهة الخلاف أولى فليخرج زكاة كل مال فى تلك البلدة . ثم لا بأس أن يصرف إلى الغرباء فى تلك البلدة . الخامس أن يقسم ماله بعدد الأصناف الموجودين فى بلده فان استيعاب الأصناف واجب وعليه يدل ظاهر قوله تعالى ـ إنما الصدقات للفقراء والمساكين ـ الآية فانه يشبه قول المريض إنما ثلث مالى للفقراء والمساكين وذلك يقتضى التشريك فى التمليك والعبادات ينبغى أن يتوقى عن الهجوم فيها على الظواهر وقد عدم من الثمانية صنفان فى أكثر البلاد وهم المؤلفة قلوبهم والعاملون على الزكاة ويوجد فى جميع البلاد أربعة أصناف : الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون أعنى أبناء السبيل وصنفان يوجودان فى بعض البلاد دون البعض وهم الغزاة والمكاتبون فان وجد خمسة أصناف مثلا قسم بينهم زكاة ماله بخمسة أقسام متساوية أومتقاربة وعين لكل صنف قسما . ثم قسم كل قسم ثلاثة أسهم فما فوقه إما متساوية أومتفاوتة وليس عليه التسوية بين آحاد الصنف فان له أن يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد وأما الأصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغى أن ينقص فى كل صنف عن ثلاثة إن وجد ثم لولم يجب إلا صاع للفطرة ووجد خمسة أصناف فعليه أن يوصله إلى خمسة عشر نفرا ولو نقص منهم واحد مع الامكان غرم نصيب ذلك الواحد فان عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليتشارك جماعة ممن عليهم الزكاة وليخلط مال نفسه بمالهم وليجمع المستحقين وليسلم إليهم حتى يتساهموا فيه فان ذلك لابد منه .

(بيان دقائق الآداب الباطنة فى الزكاة)

اعلم أن على مريد طريق الآخرة بزكاته وظائف . الوظيفة الأولى : فهم وجوب الزكاة ومعناها ووجه الامتحان فيها وأنها لم جعلت من مبانى الاسلام مع أنها تصرف مالى وليست من عبادة الأبدان وفيه ثلاثة معان . الأول : أن التلفظ بكلمتى الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بافراد المعبود وشرط تمام الوفاء به أن لايبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لاتقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وإنما يمتحن به درجة المحب بمفارقة المحبوب والأموال محبوبة عند الخلائق لأنها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع أن فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم فى المحبوب واستنزلوا عن المال الذى هو مرموقهم ومعشوقهم ولذلك قال الله تعالى ـ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ـ وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقا إلى لقاء الله عز وجل والمسامحة بالمال أهون ولما فهم هذا المعنى فى بذل الأموال انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام : قسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع أموالهم فلم يدخروا دينارا ولا درهما فأبوا أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة فى مائتى درهم فقال أما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع ولهذا تصدق أبوبكر رضى الله عنه بجميع ماله وعمر رضى الله عنه بشطر ماله فقال صلى الله عليه وسلم ماأبقيت لأهلك فقال مثله وقال لأبى بكر رضى الله عنه ماأبقيت لأهلك قال الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم بينكما مابين كلمتيكما (١) فالصديق وفى بتمام الصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله . القسم الثانى درجتهم دون درجة هذا وهم الممسكون أموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم فى الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة إلى وجوه البر مهما ظهر وجوهها وهؤلاء لايقتصرون على مقدار الزكاة وقد ذهب جماعة من التابعين إلى أن فى المال حقوقا

(١) حديث جاء أبوبكر بجميع ماله وعمر بشطر ماله الحديث د ت ك وصححه من حديث ابن عمر وليس فيه قوله بينكما مابين كلمتيكما .

اصطلاحاتهم فعلومهم كلها إنباء عن وجدان واعتزاء إلى عرفان وذوق تحقق بصدق الحال ولم يف باستيفاء كنهه صريح المقال لأنها مواهب ربانية ومنائح حقانية استنزلها صفاء السرائر وخلوص الضمائر فاستعصت بكنهها على الإشارة وطفحت على العبارة وتهادتها الأرواح بدلالة التشام والائتلاف وكرعت حقائقها من بحر الألطاف وقد اندرس كثير من دقيق علومهم كما انطمس كثير من حقائق رسومهم . وقد قال الجنيد رحمه الله : علمنا هذا قد طوى بساطه منذ كذا سنة ونحن نتكلم فى حواشيه بدا هذا القول منه فى وقته مع قرب العهد بعلماء السلف وصالحى التابعين فكيف بنا مع بعد العهد وقلة العلماء الزاهدين والعارفين بحقائق علوم الدين والله المأمول أن يقابل جهد المقل بحسن القبول

سوى الزكاة كالنخعى والشعبى وعطاء ومجاهد . قال الشعبى بعد أن قيل له هل فى المال حق سوى الزكاة قال نعم أما سمعت قوله عز وجل ـ وآتى المال على حبه ذوى القربى ـ الآية واستدلوا بقوله عز وجل ـ ومما رزقناهم ينفقون ـ وبقوله تعالى ـ وأنفقوا مما رزقناكم ـ وزعموا أن ذلك غير منسوخ بآية الزكاة بل هو داخل فى حق المسلم على المسلم ومعناه أنه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا أن يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة والذى يصح فى الفقه من هذا الباب أنه مهما أرهقته حاجته كانت إزالتها فرض كفاية إذ لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل أن يقال ليس على الموسر إلا تسليم مايزيل الحاجة قرضا ولا يلزمه بذله بعد أن أسقط الزكاة عن نفسه ويحتمل أن يقال يلزمه بذله فى الحال ولا يجوز له الاقتراض أى لايجوز له تكليف الفقير قبول القرض وهذا مختلف فيه والاقتراض نزول إلى الدرجة الأخيرة من درجات العوام وهى درجة القسم الثالث الذين يقتصرون على أداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون عنه وهى أقل الرتب وقد اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال وميلهم إليه وضعف حبهم للآخرة قال الله تعالى ـ إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ـ يحفكم أى يستقصّ عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بأن له الجنة وبين عبد لا يستقصى عليه لبخله فهذا أحد معانى أمر الله سبحانه عباده ببذل الأموال . المعنى الثانى التطهير من صفة البخل فانه من المهلكات قال ﷺ « ثلاث مهلكات شحّ مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه[1] » وقال تعالى ـ ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون ـ وسيأتى فى ربع المهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية التقصى منه وإنما تزول صفة البخل بأن تتعود بذل المال فحب الشىء لا ينقطع إلا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا فالزكاة بهذا المعنى طهرة أى تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وإنما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى . المعنى الثالث شكر النعمة فان لله عز وجل على عبده نعمة فى نفسه وفى ماله فالعبادات البدنية شكرا لنعمة البدن والمالية شكرا لنعمة المال وما أخسّ من ينظر إلى الفقير وقد ضيق عليه الرزق وأحوج إليه ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدى شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه بربع العشر أو العشر من ماله . الوظيفة الثانية : فى وقت الأداء ومن آداب ذوى الدين التعجيل عن وقت الوجوب إظهارا للرغبة فى الامتثال بإيصال السرور إلى قلوب الفقراء ومبادرة لعوائق الزمان أن تعوقه عن الخيرات وعلما بأن فى التأخير آفات مع مايتعرض العبد له من العصيان لو أخر عن وقت الوجوب ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغى أن يغتنم فان ذلك لمة الملك وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن فما أسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك فليغتنم الفرصة فيه وليعين لزكاتها إن كان يؤديها جميعا شهرا معلوما وليجتهد أن يكون من أفضل الأوقات ليكون ذلك سببا لنماء قربته وتضاعف زكاته وذلك كشهر المحرّم فانه أول السنة وهو من أول الأشهر الحرم أو رمضان فقد كان صلى الله عليه وسلم أجود الخلق وكان فى رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئا[2] ولرمضان فضيلة ليلة القدر وأنه أنزل فيه القرآن وكان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فانه اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان وذو الحجة أيضا من الشهور الكثيرة الفضل فانه شهر حرام وفيه الحج الأكبر وفيه الأيام المعلومات وهى العشر الأول والأيام المعدودات وهى أيام التشريق وأفضل أيام شهر رمضان العشر الأواخر وأفضل أيام ذى الحجة

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم (٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الخلق وأجود ما يكون فى رمضان ، الحديث أخرجاه من حديث ابن عباس .

والحمد لله رب العالمين .

الباب الأول فى ذكر منشأ علوم الصوفية :

حدثنا شيخنا شيخ الإسلام أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله ابن محمد السهروردى إملاء من لفظه فى شوال سنة ستين وخمسمائة قال أنبأنا الشريف نور الهدى أبو طالب الحسين بن محمد الزينبى قال أخبرتنا كريمة بنت أحمد بن محمد المروزية المجاورة بمكة حرسها الله تعالى قالت أخبرنا أبو الهيثم محمد بن مكى الكشميهنى قال أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الفربرى قال أخبر أبو عبد الله محمد بن اسمعيل البخارى قال حدثنا أبو كريب قال حدثنا أبو أسامة عن بريد عن أبى بردة عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إنما مثلى ومثل مابعثنى الله به كمثل رجل أتى قوما فقال ياقومى إنى رأيت

العشر الأول . الوظيفة الثالثة . الاسرار فان ذلك أبعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصدقة جهد المقل إلى فقير فى سر[1] » وقال بعض العلماء : ثلاث من كنوز البر منها إخفاء الصدقة[2] » وقد روى أيضا مسندا وقال صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليعمل عملا فى السر فيكتبه الله له سرا فان أظهره نقل من السر وكتب فى العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب رياء[3] » وفى الحديث المشهور « سبعة يظلهم الله يوم لاظل إلا ظله . أحدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله بما أعطت يمينه[4] » وفى الخبر « صدقة السر تطفئ غضب الرب[5] » وقال تعالى ـ وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ـ وفائدة الإخفاء الخلاص من آفات الرياء والسمعة فقد قال ﷺ لايقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته يطلب السمعة والمعطى فى ملأ من الناس يبغى الرياء والإخفاء والسكوت هو المخلص منه[6] » وقد بالغ فى فضل الإخفاء جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطى فكان بعضهم يلقيه فى يد أعمى وبعضهم يلقيه فى طريق الفقير وفى موضع جلوسه حيث يراه ولايرى المعطى وبعضهم كان يصره فى ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لايعرف المعطى وكان يستكتم المتوسط شأنه ويوصيه بأن لايفشيه كل ذلك توصلا إلى إطفاء غضب الرب سبحانه واحترازا من الرياء والسمعة ومهما لم يتمكن إلا بأن يعرفه شخص واحد فتسليمه إلى وكيل ليسلم إلى المسكين والمسكين لايعرف أولى إذ فى معرفة المسكين الرياء والمنة جميعا وليس فى معرفة المتوسط إلا الرياء ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لأن الزكاة إزالة للبخل وتضعيف لحب المال وحب الجاه أشد استيلاء على النفس من حب المال وكل واحد منهما مهلك فى الآخرة ولكن صفة البخل تنقلب فى القبر فى حكم المثال عقربا لادغا وصفة الرياء تنقلب فى القبر أفعى من الأفاعى وهو مأمور بتضعيفهما أو قتلهما لدفع أذاهما أو تخفيف أذاهما فمهما قصد الرياء والسمعة فكأنه جعل بعض أطراف العقرب مقويا للحية فبقدر ماضعف من العقرب زاد فى قوة الحية ولو ترك الأمر كما كان لكان الأمر أهون عليه وقوة هذه الصفات التى بها قوتها العمل بمقتضاها وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها فأى فائدة فى أن يخالف دواعى البخل ويجيب دواعى الرياء فيضعف الأدنى ويقوى الأقوى وستأتى أسرار هذه المعانى فى ربع المهلكات . الوظيفة الرابعة : أن يظهر حيث يعلم أن فى إظهاره ترغيبا للناس فى الاقتداء ويحرس سره من داعية الرياء بالطريق الذى سنذكره فى معالجة الرياء فى كتاب الرياء فقد قال الله عز وجل ـ إن تبدوا الصدقات فنعما هى ـ وذلك حيث يقتضى الحال. الابداء إما للاقتداء وإما لأن السائل إنما سأل على ملأ من الناس فلاينبغى أن يترك التصدق خيفة من

(١) حديث أفضل الصدقة جهد المقل إلى فقير فى سر أحمد حب ك من حديث أبى ذر ولأبى داود من حديث أبى هريرة أى الصدقة أفضل قال جهد المقل (٢) حديث ثلاث من كنوز البر فذكر منها إخفاء الصدقة أبو نعيم فى كتاب الايجاز وجوامع الكلم من حديث ابن عباس بسند ضيف (٣) حديث إن العبد ليعمل عملا فى السر فيكتبه الله له سرا فان أظهره نقل من السر الحديث الخطيب فى التاريخ من حديث أنس نحوه باسناد ضعيف (٤) حديث سبعة يظلهم الله فى ظله الحديث أخرجاه من حديث أبى هريرة (٥) حديث صدقة السر تطفئ غضب الرب طب من حديث أبى أمامة ورواه أبو الشيخ فى كتاب الثواب وهق فى الشعب من حديث أبى سعيد كلاهما ضعيف والترمذى وحسنه من حديث أبى هريرة إن الصدقة لتطفئ غضب الرب ولابن حبان نحوه من حديث أنس وهو ضعيف أيضا (٦) حديث لايقبل الله من مسمع ولا مراء ولامنان لم أظفر به هكذا.

الجيش بعينى وإنى أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعنى فاتبع ماجئت به ومثل من عصانى وكذب بما جئت به من الحق » . معنى اجتاحهم : استأصلهم ومن ذلك الجائحة التى تفسد الثمار ، وقال صلى الله عليه وسلم « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت طائفة منها طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها طائفة أخاذات أمسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة أخرى قيعان لاتمسك ماء ولاتنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه مابعثنى

الرياء فى الاظهار بل ينبغى ان يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الامكان وهذا لأن فى الاظهار محذورا ثالثا سوى المن والرياء وهو هتك ستر الفقير فانه ربما يتأذى بأن يرى فى صورة المحتاج فمن أظهر السؤال فهو الذى هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى فى إظهاره وهو كاظهار الفسق على من تستر به فانه محظور والتجسس فيه والاعتياد بذكره منهى عنه فاما من أظهره فاقامة الحدّ عليه إشاعة ولكن هو السبب فيها ومثل هذا المعنى قال ﷺ « من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له (١) » وقد قال الله تعالى ـ وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ـ ندب إلى العلانية أيضا لما فيها من فائدة الترغيب فليكن العبد دقيق التأمل فى وزن هذه الفائدة بالمحذور الذى فيه فان ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص فقد يكون الاعلان فى بعض الأحوال لبعض الأشخاص أفضل ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الأولى والأليق بكل حال . الوظيفة الخامسة : أن لا يفسد صدقته بالمن والأذى قال الله تعالى ـ لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى ـ واختلفوا فى حقيقة المنّ والأذى فقيل المنّ أن يذكرها والأذى أن يظهرها وقال سفيان من فسدت صدقته فقيل له كيف المنّ فقال أن يذكره ويتحدث به وقيل المن أن يستخدمه بالعطاء والأذى أن يعيره بالفقر وقيل المنّ أن يتكبر عليه لأجل عطائه والأذى أن ينتهره أو يوبخه بالمسئلة وقد قال ﷺ « لا يقبل الله صدقة منان (٢) » وعندى أن المنّ له أصل ومغرس وهو من أحوال القلب وصفاته ثم يتفرع عليه أحوال ظاهرة على اللسان والجوارح فأصله أن يرى نفسه محسنا إليه ومنعما عليه وحقه أن يرى الفقير محسنا إليه بقبول حق الله عز وجل منه الذى هو طهرته ونجاته من النار وأنه لو لم يقبله لبقى مرتهنا به فحقه أن يتقلد منة الفقير إذ جعل كفه نائبا عن الله عز وجل فى قبض حق الله عز وجل قال رسول الله ﷺ « إن الصدقة تقع بيد الله عز وجل قبل أن تقع فى يد السائل (٣) » فليتحقق أنه مسلم إلى الله عز وجل حقه والفقير آخذ من الله تعالى رزقه بعد صيرورته إلى الله عز وجل ولو كان عليه دين لانسان فأحال به عبده أو خادمه الذى هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدى الدين كون القابض تحت منته سفها وجهلا فان المحسن إليه هو المتكفل برزقه أما هو فانما يقضى الذى لزمه بشراء ما أحبه فهو ساع فى حق نفسه فلم يمن به على غيره ومهما عرف المعانى الثلاثة التى ذكرناها فى فهم وجوب الزكاة أو أحدها لم ير نفسه محسنا إلا إلى نفسه إما ببذل ماله إظهارا لحب الله تعالى أو تطهيرا لنفسه عن رذيلة البخل أو شكرا على نعمة المال طلبا للمزيد وكيفما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسنا إليه ومهما حصل هذا الجهل بأن رأى نفسه محسنا إليه تفرع منه على ظاهره ما ذكر فى معنى المن وهو التحدث به وإظهاره وطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق والتقديم فى المجالس والمتابعة فى الأمور فهذه كلها ثمرات المنة ومعنى المنة فى الباطن ما ذكرناه وأما الأذى فظاهره التوبيخ والتعيير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك الستر بالاظهار وفنون الاستخفاف وباطنه وهو منبعه أمران : أحدهما كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على نفسه فان ذلك يضيق الخلق لا محالة . والثانى رؤيته أنه خير من الفقير وأن الفقير لسبب حاجته أخس منه وكلاهما منشؤه الجهل أما كراهية تسليم المال فهو حمق لأن من كره بذل درهم فى مقابلة ما يساوى ألفا فهو شديد الحمق ومعلوم أنه يبذل المال لطلب رضا الله عز وجل والثواب فى الدار الآخرة

(١) حديث من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له عد حب فى الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف
(٢) حديث لا يقبل الله صدقة منان هو كالذى قبله بحديث لم أجده (٣) حديث إن الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع فى يد السائل قط فى الافراد من حديث ابن عباس وقال غريب من حديث عكرمة عنه ورواه هق فى الشعب بسند ضعيف

الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » قال الشيخ أعدّ الله تعالى لقبول ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم أصفى القلوب وأزكى النفوس فظهر تفاوت الصفاء واختلاف التزكية فى تفاوت الفائدة والنفع فمن القلوب ما هو بمثابة الأرض الطيبة التى أنبتت الكلأ والعشب الكثير وهذا مثل من انتفع بالعلم فى نفسه واهتدى ونفعه علمه وهداه إلى الطريق القويم من متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن القلوب ما هو بمثابة الأخاذات أى الغدران جمع أخاذة وهو المصنع والغدير الذى يجتمع فيه الماء فنفوس العلماء الزاهدين من الصوفية والشيوخ تزكت وقلوبهم صفت فاختصت بمزيد الفائدة فصاروا أخاذات قال مسروق صحبت أصحاب رسول الله صلى الله

وذلك أشرف مما بذله أو يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل أو شكرا لطلب المزيد وكيفما فرض فالكراهة لاوجه لها وأما الثانى فهو أيضا جهل لأنه لو عرف فضل الفقر على الغنى وعرف خطر الأغنياء لما استحقر الفقير بل تبرك به وتمنى درجته فصلحاء الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «هم الأخسرون ورب الكعبة» فقال أبو ذر من هم قال «هم الأكثرون أموالا» الحديث ثم كيف يستحقر الفقير وقد جعله الله تعالى متجرة له إذ يكتسب المال بجهده ويستكثر منه ويجتهد فى حفظه بمقدار الحاجة وقد ألزم أن يسلم إلى الفقير قدر حاجته ويكف عنه الفاضل الذى يضره لو سلم إليه فالغنى مستخدم للسعى فى رزق الفقير ويتميز عليه بتقليد المظالم والتزام المشاق وحراسة الفضلات إلى أن يموت فيأكله أعداؤه فاذن مهما انتقلت الكراهية وتبدلت بالسرور والفرح بتوفيق الله تعالى له فى أداء الواجب وتقييضه الفقير حتى يخلصه عن عهدته بقبوله منه انتفى الأذى والتوبيخ وتقطيب الوجه وتبدل بالاستبشار والثناء وقبول المنة فهذا منشأ المنّ والأذى . فان قلت فرؤيته نفسه فى درجة المحسن أمر غامض فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف بها أنه لم ير نفسه محسنا . فاعلم أن له علامة دقيقة واضحة وهو أن يقدر أن الفقير لو جنى عليه جناية أو مالا عدوّا له عليه مثلا هل كان يزيد استنكاره واستبعاده له على استنكاره قبل التصدّق فان زاد لم تخل صدقته عن شائبة المنة لأنه توقع بسببه مالم يكن يتوقعه قبل ذلك . فان قلت : فهذا أمر غامض ولا ينفك قلب أحد عنه فما دواؤه . فاعلم أن له دواء باطنا ودواء ظاهرا أما الباطن فالمعرفة بالحقائق التى ذكرناها فى فهم الوجوب وأن الفقير هو المحسن إليه فى تطهيره بالقبول وأما الظاهر فالأعمال التى يتعاطاها متقلد المنة فان الأفعال التى تصدر عن الأخلاق تصنع القلب بالأخلاق كما سيأتى أسراره فى الشطر الأخير من الكتاب ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدى الفقير ويتمثل قائما بين يديه يسأله قبولها حتى يكون هو فى صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لوردّه وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير من كفه وتكون يد الفقير هى العليا وكانت عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما إذا أرسلتا معروفا إلى فقير قالتا للرسول احفظ مايدعو به ثم كانتا تردّان عليه مثل قوله وتقولان هذا بذلك حتى تخلص لنا صدقتنا فكانوا لايتوقعون الدعاء لأنه شبه المكافأة وكانوا يقابلون الدعاء بمثله وهكذا فعل عمر ابن الخطاب وابنه عبد الله رضى الله عنهما وهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من حيث الظاهر إلا هذه الأعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة ومن حيث الباطن المعارف التى ذكرناها هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم ولا يعالج القلب إلا بمعجون العلم والعمل وهذه الشريطة من الزكوات تجرى مجرى الخشوع من الصلاة وثبت ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم « ليس للمرء من صلاته إلا ماعقل منها[1] » وهذا كقوله ﷺ لايتقبل الله صدقة منان وكقوله عز وجل ـ لاتبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى ـ وأما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنها دون هذا الشرط فحديث آخر وقد أشرنا إلى معناه فى كتاب الصلاة . الوظيفة السادسة : أن يستصغر العطية فانه إن استعظمها أعجب بها والعجب من المهلكات وهو محبط للأعمال قال تعالى ـ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ـ ويقال إن الطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله عز وجل والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله عز وجل وقيل لايتم المعروف إلا بثلاثة أمور تصغيره وتعجيله وستره وليس الاستعظام هو المنّ والأذى فانه لو صرف ماله إلى عمارة مسجد أو رباط أمكن فيه الاستعظام ولا يمكن فيه المنّ والأذى بل العجب والاستعظام يجرى فى جميع العبادات ودواؤه علم وعمل .

(١) حديث ليس للمؤمن من صلاته إلا ماعقل منها تقدم فى الصلاة

عليه وسلم فوجدتهم كأخاذات لأن قلوبهم كانت واعية فصارت أوعية للعلوم بما رزقت من صفاء الفهوم أخبرنا الشيخ الامام رضى الدين أبو الخير أحمد بن اسماعيل القزوينى إجازة قال أنبأنا أبو سعيد محمد الخليلى قال أنبأنا القاضى أبو سعيد محمد الفرخزاذى قال أنبأنا أبو اسحق أحمد بن محمد الثعالبى قال أنبأنا ابن فنجويه قال حدثنا ابن حبان قال حدثنا أسحق بن محمد قال حدثنا أبى قال حدثنا إبراهيم بن عيسى قال حدثنا على بن على قال حدثنا أبو حمزة الثمالى قال حدثنى عبد الله بن الحسن قال حين نزلت هذه الآية ـ وتعيها أذن واعية ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلىّ سألت الله سبحانه وتعالى أن يجعلها أذنك ياعلى قال على فما نسيت شيئا بعد وما كان لى أن أنسى قال أبو بكر الواسطى آذان وعت

أما العلم فهو أن يعلم أن العشر أو ربع العشر قليل من كثير وأنه قد قنع لنفسه بأخس درجات البذل كما ذكرنا فى فهم الوجوب فهو جدير بأن يستحيي منه فكيف يستعظمه وإن ارتقى إلى الدرجة العليا فبذل كل ماله أو أكثره فليتأمل أنه من أين له المال وإلى ماذا يصرفه فالمال لله عز وجل وله المنة عليه إذ أعطاه ووفقه لبذله فلم يستعظم فى حق الله تعالى ما هو عين حق الله سبحانه وإن كان مقامه يقتضى أن ينظر إلى الآخرة وأنه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه أضعافه وأما العمل فهو أن يعطيه عطاء الخجل من بخله بإمساك بقية ماله عن الله عز وجل فتكون هيئته الانكسار والحياء كهيئة من يطالب برد وديعة فيمسك بعضها ويرد البعض لأن المال كله لله عز وجل وبذل جميعه هو الأحب عند الله سبحانه وإنما لم يأمر به عبده لأنه يشق عليه بسبب بخله كما قال الله عز وجل ـ فيحفكم تبخلوا ـ . الوظيفة السابعة : أن ينتقى من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه فان الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا وإذا كان المخرج من شبهة فربما لا يكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموقع وفى حديث أبان عن أنس بن مالك طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية[1] وإذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الأدب إذ قد يمسك الجيد لنفسه أو لعبده أو لأهله فيكون قد آثر على الله عز وجل غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم إليه أردأ طعام فى بيته لأوغر بذلك صدره هذا إن كان نظره إلى الله عز وجل وإن كان نظره إلى نفسه وثوابه فى الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله إلا ما تصدق به فأبقى أو أكل فأفنى والذى يأكله قضاء وطر فى الحال فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار وقد قال الله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ـ أى لا تأخذوه إلا مع كراهية وحياء وهو معنى الاغماض فلا تؤثروا به ربكم وفى الخبر سبق درهم مائة ألف درهم[2] وذلك بأن يخرجه الانسان وهو من أحل ماله وأجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك أنه ليس يؤثر الله عز وجل بشىء مما يحبه وبذلك ذم الله تعالى قوما جعلوا لله ما يكرهون فقال تعالى ـ ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا ـ وقف بعض القراء على النفى تكذيبا لهم ثم ابتدأ وقال ـ جرم أن لهم النار ـ أى كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار . الوظيفة الثامنة : أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ولا يكتفى بأن يكون من عموم الأصناف الثمانية فان فى عمومهم خصوص صفات فليراع خصوص تلك الصفات وهى ستة : الأولى أن يطلب الأتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة قال صلى الله عليه وسلم « لا تأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى[3] » وهذا لأن التقى يستعين به على التقوى فتكون شريكا له فى طاعته باعانتك إياه وقال صلى الله عليه وسلم « أطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين[4] » وفى لفظ آخر « أضف بطعامك من تحبه فى الله تعالى[5] » وكان بعض العلماء يؤثر بالطعام فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بمعروفك جميع الفقراء لكان أفضل فقال لا هؤلاء قوم همهم لله سبحانه فإذا طرقتهم فاقة تشتت همّ أحدهم فلأن أرد همة واحد إلى الله عز وجل أحب إلى

(١) حديث أنس طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية عد والبزار (٢) حديث سبق درهم مائة ألف ن حب وصححه من حديث أبى هريرة (٣) حديث لا تأكل إلا طعام تقىّ ولا يأكل طعامك إلا تقى د ت من حديث أبى سعيد بلفظ لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى (٤) حديث أطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين ابن المبارك فى البر والصلة من حديث أبى سعيد الخدرى قال ابن طاهر غريب فيه مجهول (٥) حديث أضف بطعامك من تحبه الله ابن المبارك أنبأنا جويبر عن الضحاك مرسلا .

عن الله تعالى أسراره وقال أيضا واعية فى معادنها ليس فيها غير ما شهدته شىء فهى الخالية عما سواه فما اضطراب الطبائع إلا ضرب من الجهل فقلوب الصوفية واعية لأنهم زهدوا فى الدنيا بعد أن أحكموا أساس التقوى فبالتقوى زكت نفوسهم وبالزهد صفت قلوبهم فلما عدموا شواغل الدنيا بتحقيق الزهد انفتحت مسامّ بواطنهم وسمعت آذان قلوبهم وأعانهم على ذلك زهدهم فى الدنيا فعلماء التفسير وأئمة الحديث وفقهاء الإسلام أحاطوا علما بالكتاب والسنة واستنبطوا منهما الأحكام وردوا الحوادث المتجددة إلى أصول من النصوص وحمى الله بهم الدين وعرف علماء التفسير وجه التفسير وعلم التأويل ومذاهب العرب فى اللغة وغرائب النحو والتصريف وأصول القصص واختلاف

من أن أعطى ألفا ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولى من أولياء الله تعالى وقال ماسمعت منذ زمان كلاما أحسن من هذا ثم حكى أن هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث إليه الجنيد مالا وقال اجعله بضاعتك ولاتترك الحانوت فان التجارة لاتضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لايأخذ من الفقراء ثمن مايبتاعون منه . الصفة الثانية : أن يكون من اهل العلم خاصة فان ذلك إعانة له على العلم والعلم أشرف العبادات مهما صحت فيه النية وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه أهل العلم فقيل له لو عممت فقال إنى لاأعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب أحدهم بحاجة لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم أفضل . الصفة الثالثة : أن يكون صادقا فى تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده أنه إذا أخذ العطاء حمد الله عز وجل وشكره ورأى أن النعمة منه ولم ينظر إلى واسطة فهذا هو أشكر العباد لله سبحانه وهو أن يرى أن النعمة كلها منه وفى وصية لقمان لابنه لاتجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف المنعم ولم يتيقن أن الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله عز وجل إذ سلط الله تعالى عليه دواعى الفعل ويسر له الأسباب فأعطى وهو مقهور ولو أراد تركه لم يقدر عليه بعد أن ألقى الله عز وجل فى قلبه أن صلاح دينه ودنياه فى فعله فهما قوى الباعث أوجب ذلك جزم الارادة وانتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوى الذى لاتردد فيه والله عز وجل خالق للبواعث ومهيجها ومزيل للضعف والتردد عنها ومسخر القدرة الانتهاض بمقتضى البواعث فمن تيقن هذا لم يكن له نظر إلا إلى مسبب الأسباب وتيقن مثل هذا العبد أنفع للمعطى من ثناء غيره وشكره فذلك حركة لسان يقل فى الأكثر جدواه وإعانة مثل هذا العبد الموحد لاتضيع . وأما الذى يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ويدعو بالشر عند الإيذاء وأحواله متفاوتة وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم « بعث معروفا إلى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ مايقول فلما أخذ قال الحمد لله الذى لاينسى من ذكره ولايضيع من شكره ثم قال اللهم إنك لم تنس فلانا يعنى نفسه فاجعل فلانا لاينساك يعنى بفلان نفسه فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فسر وقال صلى الله عليه وسلم : علمت أنه يقول ذلك[1] » فانظر كيف قصر التفاته على الله وحده وقال صلى الله عليه وسلم « لرجل تب فقال أتوب إلى الله وحده ولا أتوب إلى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لأهله[2] » ولما نزلت براءة عائشة رضى الله عنها فى قصة الإفك قال أبو بكر رضى الله عنه قومى فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لاأقبل ولا أحمد إلا الله فقال صلى الله عليه وسلم دعها يا أبا بكر[3] وفى

وجوه القراءة وصنفوا فى ذلك الكتب فاتسع بطريقتهم علوم القرآن على الأمة وأئمة الحديث ميزوا بين الصحاح والحسان وتفردوا بمعرفة الرواة وأسامى الرجال وحكموا بالجرح والتعديل ليتبين الصحيح من السقيم ويتميز المعوج من المستقيم فيتحفظ بطريقهم طريق الرواية والسند حفظا للسنة وانتدب الفقهاء لاستنباط الأحكام والتفريع فى المسائل ومعرفة التعليل ورد الفروع إلى الأصول بالعلل الجوامع واستيعاب الحوادث بحكم النصوص وتفرع من علم الفقه والأحكام علم أصول الفقه وعلم الخلاف وتفرع من علم الخلاف علم الجدل وأحوج علم أصول الفقه إلى شىء من علم أصول الدين وكان من علمهم علم الفرائض ولزم منه علم الحساب والجبر والمقابلة إلى غير ذلك فتمهدت الشريعة

(١) حديث بعث معروفا إلى بعض الفقراء وقال للرسول الحفظ مايقول فلما أخذه قال الحمد لله الذى لاينسى من ذكره الحديث لم أجد له أصلا إلا فى حديث ضعيف من حديث ابن عمر روى ابن منده فى الصحابة أوله ولم يسق هذه القطعة التى أوردها المصنف وسمى الرجل حديرا فقد روينا من طريق البيهقى أنه وصل لحدير من أبى الدرداء شىء فقال اللهم انك لم تنس حديرا فاجعل حديرا لاينساك وقيل إن هذا آخر لاصحبة له يكنى أبا جريرة وقد ذكره ابن حبان فى ثقات التابعين (٢) حديث قال لرجل تب فقال أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمد الحديث أحمد وطب من حديث الأسود بن سريع بسند ضعيف (٣) حديث لما نزلت براءة عائشة قال أبو بكر قومى فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث د من حديث عائشة بلفظ فقال أبواى قومى فقبلى رأس رسول الله ﷺ فقلت أحمد الله لا إياكما وللبخارى تعليقا فقال أبواى قومى إليه فقلت لا والله لاأقوم إليه ولاأحمده ولا أحمدكما ولكن أحمد الله ، وله ولمسلم فقالت لى أمى قومى إليه فقلت لا والله لاأقوم إليه ولا أحمد إلا الله وللطبرانى فقالت

لفظ آخر أنها رضى الله عنها قالت لأبى بكر رضى الله عنه بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ذلك مع أن الوحى وصل إليها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورؤية الأشياء من غير الله سبحانه وصف الكافرين قال الله تعالى ـ وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ـ ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط إلا من حيث إنهم وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفى سره فليتق الله سبحانه فى تصفية توحيده عن كدورات الشرك وشوائبه . الصفة الرابعة : أن يكون مستترا مخفيا حاجته لا يكثر البث والشكوى أو يكون من أهل المروءة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش فى جلباب التجمل قال الله تعالى ـ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا ـ أى لا يلحون فى السؤال لأنهم أغنياء بيقينهم أعزة بصبرهم وهذا ينبغى أن يطلب بالتفحص عن أهل الدين فى كل محلة ويستكشف عن بواطن أحوال أهل الخير والتجمل فثواب صرف المعروف إليهم أضعاف ما يصرف إلى المجاهرين بالسؤال . الصفة الخامسة : أن يكون معيلا أو محبوسا بمرض أو سبب من الأسباب فيوجد فيه معنى قوله عز وجل ـ للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله ـ أى حبسوا فى طريق الآخرة بعلة أو ضيق معيشة أو إصلاح قلب ـ لا يستطيعون ضربا فى الأرض ـ لأنهم مقصوصو الجناح مقيدو الأطراف فبهذه الأسباب كان عمر رضى الله عنه يعطى أهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وكان صلى الله عليه وسلم يعطى العطاء على مقدار العيلة (١) وسئل عمر رضى الله عنه عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال . الصفة السادسة : أن يكون من الأقارب وذوى الأرحام فتكون صدقة وصلة رحم وفى صلة الرحم من الثواب مالا يحصى . قال على رضى الله عنه لأن أصل أخا من إخوانى بدرهم أحب إلىّ من أن أتصدق بعشرين درهما ولأن أصله بعشرين درهما أحب إلى من أن أتصدق بمائة درهم ولأن أصله بمائة درهم أحب إلى من أن أعتق رقبة والأصدقاء واخوان الخير أيضا يقدمون على المعارف كما يتقدم الأقارب على الأجانب فليراع هذه الدقائق فهذه هى الصفات المطلوبة وفى كل صفة درجات فينبغى أن يطلب أعلاها فان وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهى الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ومهما اجتهد فى ذلك وأصاب فله أجران وان أخطأ فله أجر واحد فان أحد أجريه فى الحال تطهيره نفسه عن صفة البخل وتأكيد حب الله عز وجل فى قلبه واجتهاده فى طاعته وهذه الصفات هى التى تقوى فى قلبه فتشوقه إلى لقاء الله عز وجل والأجر الثانى ما يعود إليه من فائدة دعوة الآخذ وهمته فان قلوب الأبرار لها آثار فى الحال والمآل فان أصاب حصل الأجران وان أخطأ حصل الأول دون الثانى فبهذا يضاعف أجر المصيب فى الاجتهاد ههنا وفى سائر المواضع والله أعلم .

(الفصل الثالث فى القابض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه)

(بيان أسباب الاستحقاق)

اعلم أنه لا يستحق الزكاة إلا حر مسلم ليس بهاشمى ولا مطلبى اتصف بصفة من صفات الأصناف الثمانية المذكورين فى كتاب الله عز وجل ولا تصرف زكاة إلى كافر ولا إلى عبد ولا إلى هاشمى ولا إلى مطلبى

وتأيدت واستقام الدين الحنيفى وتفرع وتأصل الهدى النبوى المصطفوى فأنبتت أراضى قلوب العلماء الكلأ والعشب بما قبلت من مياه الحياة من الهدى والعلم قال الله تعالى ـ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ـ قال ابن عباس رضى الله عنهما الماء العلم والأودية القلوب قال أبو بكر الواسطى رضى الله عنه خلق الله تعالى ذرة صافية فلاحظها بعين الجلال فذابت حياء منه فسالت فقال أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فصفاء القلوب من وصول ذلك الماء إليها . وقال ابن عطاء أنزل من السماء ماء هذا مثل ضربه الله تعالى للعبد وذلك إذا سال السيل فى الأودية لا يبقى فى الأودية نجاسة إلا كنسها وذهب بها كذلك إذا سال النور الذى قسمه الله تعالى للعبد فى نفسه لا تبقى

بحمد الله لا بحمد صاحبك ، وله من حديث ابن عباس فقالت لا بحمدك ولا بحمد صاحبك ، وله من حديث ابن عمر فقال أبو بكر قومى فاحتضنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا والله لا أدنو منه الحديث وفيه أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم بحمد الله لا بحمدك (١) حديث كان يعطى العطاء على مقدار العيلة لم أر له أصلا ولأبى داود من حديث عوف بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتاه الفىء قسمه فى يومه وأعطى الاهل حظين وأعطى العزب حظا .

أما الصبي والمجنون فيجوز الصرف إليهما إذا قبض وليهما فلنذكر صفات الأصناف الثمانية . الصنف الأول الفقراء : والفقير هو الذي ليس له مال ولا قدرة له على الكسب فان كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين وإن كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وإن كان معه قميص وليس معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تفي بجميع ذلك كما يليق بالفقراء فهو فقير لأنه في الحال قد عدم ما هو محتاج إليه وما هو عاجز عنه فلا ينبغي أن يشترط في الفقير أن لا يكون له كسوة سوى ساتر العورة فان هذا غلو والغالب أنه لا يوجد مثله ولا يخرجه عن الفقر كونه معتادا للسؤال فلا يجعل السؤال كسبا بخلاف ما لو قدر على كسب فان ذلك يخرجه عن الفقر فان قدر على الكسب بآلة فهو فقير ويجوز أن يشترى له آلة وإن قدر على كسب لا يليق بمروءته وبحال مثله فهو فقير وإن كان متفقها ويمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته وإن كان متعبدا يمنعه الكسب من وظائف العبادات وأوراد الأوقات فليكتسب لأن الكسب أولى من ذلك قال صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فريضة بعد الفريضة (١) » وأراد به السعي في الاكتساب وقال عمر رضي الله عنه كسب في شبهة خير من مسئلة وإن كان مكتفيا بنفقة أبيه أو من تجب عليه نفقته فهذا أهون من الكسب فليس بفقير . الصنف الثاني المساكين : والمسكين هو الذي لا يفي دخله بخرجه فقد يملك ألف درهم وهو مسكين وقد لا يملك إلا فأسا وحبلا وهو غني والدويرة التي يسكنها والثوب الذي يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين وكذا أثاث البيت أعني ما يحتاج إليه وذلك ما يليق به وكذا كتب الفقه لا تخرجه عن المسكنة وإذا لم يملك إلا الكتب فلا تلزمه صدقة الفطر وحكم الكتاب حكم الثوب وأثاث البيت فانه محتاج إليه ولكن ينبغي أن يحتاط في قطع الحاجة بالكتاب فالكتاب محتاج إليه لثلاثة أغراض: التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة أما حاجة التفرج فلا تعتبر كاقتناء كتب الأشعار وتواريخ الأخبار وأمثال ذلك مما لا ينفع في الآخرة ولا يجري في الدنيا إلا مجرى التفرج والاستئناس فهذا يباع في الكفارة وزكاة الفطر ويمنع اسم المسكنة وأما حاجة التعليم إن كان لأجل الكسب كالمؤدب والمعلم والمدرس بأجرة فهذه آلته فلا تباع في الفطرة كأدوات الخياط وسائر المحترفين وإن كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا تباع ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لأنها حاجة مهمة وأما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب كادخاره كتب طب ليعالج بها نفسه أو كتاب وعظ ليطالع فيه ويتعظ به فان كان في البلد طبيب وواعظ فهذا مستغنى عنه وإن لم يكن فهو محتاج إليه ثم ربما لا يحتاج إلى مطالعة الكتاب إلا بعد مدة فينبغي أن يضبط مدة الحاجة والأقرب أن يقال ما لا يحتاج إليه في السنة فهو مستغنى عنه فان من فضل من قوت يومه شيء لزمته الفطرة فاذا قدرنا القوت باليوم فحاجة أثاث البيت وثياب البدن ينبغي أن تقدر بالسنة فلا تباع ثياب الصيف في الشتاء والكتب بالثياب والأثاث أشبه وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة إلى إحداهما . فان قال إحداهما أصح والأخرى أحسن فأنا محتاج إليهما . قلنا اكتف بالأصح وبع الأحسن ودع التفرج والترفه وإن كان نسختان من علم واحد إحداهما بسيطة والأخرى وجيزة فان كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيطة وإن كان قصده التدريس فيحتاج إليهما إذ في كل واحدة فائدة ليست في الأخرى وأمثال هذه الصور لا تنحصر ولم يتعرض له في فن الفقه وإنما أوردناه لعموم البلوى والتنبيه بحسن هذا النظر على غيره فان استقصاء هذه الصور غير ممكن إذ يتعدى مثل هذا النظر في أثاث البيت في مقدارها وعددها ونوعها وفي ثياب البدن

(١) حديث طلب الحلال فريضة بعد الفريضة الطبراني والبيهقي في شعب الايمان من حديث ابن مسعود بسند ضعيف .

فيه غفلة ولا ظلمة أنزل من السماء ماء يعني قسمة النور فسالت أودية بقدرها يعني في القلوب الأنوار على ما قسم الله تعالى لها في الأزل ـ فأما الزبد فيذهب جفاء ـ فتصير القلوب منورة لا تبقى فيها جفوة ـ وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ـ تذهب البواطل وتبقى الحقائق وقال بعضهم أنزل من السماء ماء أنواع الكرامات فأخذ كل قلب بحظه ونصيبه فسالت أودية قلوب علماء التفسير والحديث والفقه بقدرها وسالت أودية قلوب الصوفية من العلماء الزاهدين في الدنيا المتمسكين بحقائق التقوى بقدرها فمن كان في باطنه لوث محبة الدنيا من فضول المال والجاه وطلب المناصب والرفعة سال وادي قلبه بقدره فأخذ من العلم طرفا صالحا ولم يحظ بحقائق العلوم ومن زهد في الدنيا اتسع وادي قلبه

وفى الدار وسعتها وضيقها وليس لهذه الأمور حدود محدودة ولكن الفقيه يجتهد فيها برأيه ويقرب فى التحديدات بما يراه ويقتحم فيه خطر الشبهات والتورع يأخذ فيه بالأحوط ويدع ما يريبه إلى مالا يريبه والدرجات المتوسطة المشكلة بين الأطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينجى منها إلا الاحتياط والله أعلم . الصنف الثالث العاملون : وهم السعاة الذين يجمعون الزكوات سوى الخليفة والقاضى ويدخل فيه العريف والكاتب والمستوفى والحافظ والنقال ولا يزاد واحد منهم على أجرة المثل فان فضل شىء من الثمن عن أجر مثلهم رد على بقية الأصناف وإن نقص كمل من مال المصالح . الصنف الرابع المؤلفة قلوبهم على الاسلام : وهم الأشراف الذين أسلموا وهم مطاعون فى قومهم وفى إعطائهم تقريرهم على الاسلام وترغيب نظائرهم وأتباعهم . الصنف الخامس المكاتبون : فيدفع إلى السيد سهم المكاتب وإن دفع إلى المكاتب جاز ولا يدفع السيد زكاته إلى مكاتب نفسه لأنه يعد عبدا له . الصنف السادس الغارمون : والغارم هو الذى استقرض فى طاعة أو مباح وهو فقير فان استقرض فى معصية فلا يعطى إلا إذا تاب وإن كان غنيا لم يقض دينه إلا إذا كان قد استقرض لمصلحة أو إطفاء فتنة . الصنف السابع الغزاة : الذين ليس لهم مرسوم فى ديوان المرتزقة فيصرف إليهم سهم وإن كانوا أغنياء إعانة لهم على الغزو . الصنف الثامن ابن السبيل : وهو الذى شخص من بلده ليسافر فى غير معصية أو اجتاز بها فيعطى إن كان فقيرا وإن كان له مالا ببلد آخر أعطى بقدر بلغته فان قلت فبم تعرف هذه الصفات قلنا أما الفقر والمسكنة فبقول الآخذ ولا يطالب ببينة ولا يحلف بل يجوز اعتماد قوله إذا لم يعلم كذبه وأما الغزو والسفر فهو أمر مستقبل فيعطى بقوله إنى غاز فان لم يف به استرد وأما بقية الأصناف فلا بد فيها من البينة فهذه شروط الاستحقاق وأما مقدار مايصرف إلى كل واحد فسيأتى .

(بيان وظائف القابض وهى خمسة)

الأولى : أن يعلم أن الله عز وجل أوجب صرف الزكاة إليه ليكفى همه ويجعل همومه هما واحدا فقد تعبد الله عز وجل الخلق بأن يكون همهم واحدا وهو الله سبحانه واليوم الآخر وهو المعنى بقوله تعالى ـ وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ـ ولكن لما اقتضت الحكمة أن يسلط على العبد الشهوات والحاجات وهى تفرق همه اقتضى الكرم إفاضة نعمة تكفى الحاجات فأكثر الأموال وصبها فى أيدى عباده لتكون آلة لهم فى دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعاتهم فمنهم من أكثر ماله فتنة وبلية فأقحمه فى الخطر ومنهم من أحبه فحماه عن الدنيا كما يحمى المشفق مريضه فزوى عنه فضولها وساق إليه قدر حاجته على يد الأغنياء ليكون سهل الكسب والتعب فى الجمع والحفظ عليهم وفائدته تنصب إلى الفقراء فيتجردون لعبادة الله والاستعداد لما بعد الموت فلا تصرفهم عنها فضول الدنيا ولا تشغلهم عن التأهب الفاقة وهذا منتهى النعمة فحق الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق أن فضل الله عليه فيما زواه عنه أكثر من فضله فيما أعطاه كما سيأتى فى كتاب الفقر تحقيقه وبيانه إن شاء الله تعالى فليأخذ مايأخذه من الله سبحانه رزقا وعونا له على الطاعة ولتكن نيته فيه أن يتقوى به على طاعة الله فان لم يقدر عليه فليصرفه إلى ماأباحه الله عز وجل فان استعان به على معصية الله كان كافرا لأنعم الله عز وجل مستحقا للبعد والمقت من الله سبحانه . الثانية : أن يشكر المعطى ويدعو له ويثنى عليه ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله سبحانه إليه وللطريق حق من حيث جعله الله طريقا وواسطة

فسالت فيه مياه العلوم واجتمعت وصارت أخاذات . قيل للحسن البصرى هكذا قال الفقهاء فقال وهل رأيت فقيها قط إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا فالصوفية أخذوا حظا من علم الدراسة فأفادهم علم الدراسة العمل بالعلم فلما عملوا بما علموا أفادهم العمل علم الوراثة فهم مع سائر العلماء فى علومهم وتميزوا عنهم بعلوم زائدة هى علوم الوراثة وعلم الوراثة هو الفقه فى الدين قال الله تعالى ـ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ـ فصار الانذار مستفادا من الفقه والانذار إحياء المنذر بماء العلم والإحياء بالعلم رتبة الفقيه فى الدين فصار الفقه فى الدين من أكمل المراتب وأعلاها وهو علم العالم الزاهد فى الدنيا المتقى الذى يبلغ رتبة الانذار بعلمه فمورد العلم

ودلك لايناقى رؤية النعمة من الله سبحانه فقد قال صلى الله عليه وسلم « من لم يشكر الناس لم يشكر الله (١) » وقد أثنى الله عز وجل على عباده فى مواضع على أعمالهم وهو خالقها وفاطر القدرة عليها نحو قوله تعالى ـ نعم العبد إنه أوّاب ـ إلى غير ذلك وليقل القابض فى دعائه طهر الله قلبك فى قلوب الأبرار وزكى عملك فى عمل الأخيار وصلى على روحك فى أرواح الشهداء وقد قال صلى الله عليه وسلم « من أسدى إليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه (٢) » ومن تمام الشكر أن يستر عيوب العطاء إن كان فيه عيب ولايحقره ولايذمه ولايعيره بالمنع إذا منع ويفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه فوظيفة المعطى الاستصغار ووظيفة القابض تقلد المنة والاستعظام وعلى كل عبد القيام بحقه وذلك لاتناقض فيه إذ موجبات التصغير والتعظيم تتعارض والنافع للمعطى ملاحظة أسباب التصغير ويضره خلافه والأخذ بالعكس منه وكل ذلك لايناقض رؤية النعمة من الله عز وجل فان من لايرى الواسطة واسطة فقد جهل وإنما المنكر أن يرى الواسطة أصلا . الثالثة : أن ينظر فيما يأخذه فان لم يكن من حلّ تورع عنه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب ولن يعدم المتورع عن الحرام فتوحا من الحلال فلا يأخذ من أموال الأتراك والجنود وعمال السلاطين ومن أكثر كسبه من الحرام إلا إذا ضاق الأمر عليه وكان مايسلم إليه لايعرف له مالكا معينا فله أن يأخذ بقدر الحاجة فان فتوى الشرع فى مثل هذا أن يتصدق به على ماسيأتى بيانه فى كتاب الحلال والحرام وذلك إذا عجز عن الحلال فاذا أخذ لم يكن أخذه أخذ زكاة إذ لايقع زكاة عن مؤديه وهو حرام . الرابعة : أن يتوقى مواقع الريبة والاشتباه فى مقدار مايأخذه فلا يأخذ إلا القدار المباح ولايأخذ إلا إذا تحقق أنه موصوف بصفة الاستحقاق فان كان يأخذه بالكتابة والغرامة فلا يزيد على مقدار الدين وإن كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على أجرة المثل وان أعطى زيادة أبى وامتنع إذ ليس المال للمعطى حتى يتبرع به وإن كان مسافرا لم يزد على الزاد وكراء الدابة إلى مقصده وإن كان غازيا لم يأخذ إلا مايحتاج إليه للغزو خاصة من خيل وسلاح ونفقة وتقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حدّ وكذا زاد السفر والورع ترك مايريبه إلى مالايريبه وإن أخذ بالمسكنة فلينظر أوّلا إلى أثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها مايستغنى عنه بعينه أويستغنى عن نفاسته فيمكن أن يبدل بما يكفى ويفضل بعض قيمته وكل ذلك إلى اجتهاده وفيه طرف ظاهر يتحقق معه أنه مستحق وطرف آخر مقابل يتحقق معه أنه غير مستحق وبينهما أوساط مشتبهة ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه والاعتماد فى هذا على قول الآخذ ظاهرا وللمحتاج فى تقدير الحاجات مقامات فى التضييق والتوسيع ولاتنحصر مراتبه وميل الورع إلى التضييق وميل المتساهل إلى التوسيع حتى يرى نفسه محتاجا إلى فنون من التوسع وهو ممقوت فى الشرع . ثم إذا تحققت حاجته فلا يأخذن مالا كثيرا بل مايتمم كفايته من وقت أخذه إلى سنة فهذا أقصى مايرخص فيه من حيث إن السنة إذا تكررت تكررت أسباب الدخل ومن حيث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ادّخر لعياله قوت سنة (٣) فهذا أقرب مايحد به حد الفقير والمسكين

(١) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله ت وحسنه من حديث أبى سعيد وله ولأبى داود وابن حبان نحوه من حديث أبى هريرة وقال حسن صحيح (٢) حديث من أسدى إليكم معروفا فكافئوه الحديث د ن من حديث ابن عمر باسناد صحيح بلفظ من صنع (٣) حديث ادخر لعياله قوت سنة أخرجاه من حديث عمر كان يعزل نفقة أهله سنة وللطبرانى فى الأوسط من حديث أنس كان إذا ادخر لأهله قوت سنة تصدق بما بقى قال الذهبى حديث منكر .

والهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أوّلا ورد عليه الهدى والعلم من الله تعالى فارتوى بذلك ظاهرا وباطنا فظهر من ارتواء ظاهره الدين والدين هو الانقياد والخضوع مشتق من الدون فكل شىء اتضع فهو دون فالدين أن يضع الانسان نفسه لربه قال الله تعالى ـ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا إليك وماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ـ فبالتفرق فى الدين يستولى الذبول على الجوارح وتذهب عنها نضارة العلم والنضارة فى الظاهر بتزيين الجوارح بالانقياد فى النفس والمال مستفاد من ارتواء القلب والقلب فى ارتوائه بالعلم بمثابة البحر فصار قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلم والهدى بحرا مواجا . ثم وصل من بحر قلبه إلى النفس

ولو اقتصر على حاجة شهره أو حاجة يومه فهو أقرب للتقوى . ومذاهب العلماء في قدر المأخوذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل إلى حد أوجب الاقتصار على قدر قوت يومه وليلته وتمسكوا بما روى سهل بن الحنظلية « أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن السؤال مع الغنى فسئل عن غناه فقال ﷺ غداؤه وعشاؤه[1] » وقال آخرون يأخذ إلى حد الغنى وحد الغنى نصاب الزكاة إذ لم يوجب الله تعالى الزكاة إلا على الأغنياء فقالوا له أن يأخذ بنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة وقال آخرون حد الغنى خمسون درهما أو قيمتها من الذهب لما روى ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال « من سأل وله مال يغنيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش فسئل وما غناه قال خمسون درهما أو قيمتها من الذهب[2] » وقيل راويه ليس بقوى وقال قوم أربعون لما رواه عطاء بن يسار منقطعا أنه صلى الله عليه وسلم قال « من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال[3] » وبالغ آخرون في التوسيع فقالوا له أن يأخذ مقدار ما يشترى به ضيعة فيستغنى به طول عمره أو يهيئ بضاعة ليتجر بها ويستغنى بها طول عمره لأن هذا هو الغنى وقد قال عمر رضى الله عنه إذا أعطيتم فأغنوا حتى ذهب قوم إلى أن من افتقر فله أن يأخذ بقدر ما يعود به إلى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم إلا إذا خرج عن حد الاعتدال ولما شغل أبو طلحة ببستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة فقال صلى الله عليه وسلم « اجعله في قرابتك فهو خير لك[4] » فأعطاه حسان وأبا قتادة فحائط من نخل لرجلين كثير من وأعطى عمر رضى الله عنه أعرابيا ناقة معها ظئر لها فهذا ما حكى فيه فأما التقليل إلى قوت اليوم أو الأوقية فذلك ورد في كراهية السؤال والتردد على الأبواب وذلك مستنكر وله حكم آخر بل التجويز إلى أن يشترى ضيعة فيستغنى بها أقرب إلى الاحتمال وهو أيضا مائل إلى الاسراف والأقرب إلى الاعتدال كفاية سنة فما وراءه فيه خطر وفيما دونه تضييق وهذه الأمور إذا لم يكن فيها تقدير جزء بالتوقيف فليس للمجتهد إلا الحكم بما يقع له ثم يقال للورع « استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك[5] » كما قاله صلى الله عليه وسلم إذ الاثم حزاز القلوب فاذا وجد القابض في نفسه شيئا مما يأخذه فليتق الله فيه ولا يترخص تعللا بالفتوى من علماء الظاهر فان لفتواهم قيودا ومطلقات من الضرورات وفيها تخمينات واقتحام شبهات والتوقى من الشبهات من شيم ذوى الدين وعادات السالكين لطريق الآخرة . الخامسة : أن يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه فان كان ما يعطيه فوق الثمن فلا يأخذه منه فانه لا يستحق مع شريكه إلا الثمن فلينقص من الثمن مقدار ما يصرف إلى اثنين من صنفه وهذا السؤال واجب على أكثر الخلق فانهم لا يراعون هذه القسمة إما لجهل وإما لتساهل وإنما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الأمور إذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم وسيأتى ذكر مظان السؤال ودرجة الاحتمال في كتاب الحلال والحرام إن شاء الله تعالى .

(١) حديث سهل بن الحنظلية في النهى عن السؤال مع الغنى فيسأل ما يغنيه فقال غداؤه وعشاؤه د حب بلفظ من سأل وله ما يغنيه فانما يستكثر من جمر جهنم الحديث (٢) حديث ابن مسعود من سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش الحديث أصحاب السنن وحسنه ت وضعفه النسائي والخطابي (٣) حديث عطاء بن يسار منقطعا من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال د ن من رواية عطاء عن رجل من بنى أسد متصلا وليس بمنقطع كما ذكر المصنف لأن الرجل صحابي فلا يضر عدم تسميته وأخرجه د ن حب من حديث أبي سعيد (٤) حديث لما شغل أبا طلحة بستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة تقدم في الصلاة (٥) حديث استفت قلبك وإن أفتوك تقدم في العلم .

فظهر على نفسه الشريفة نضارة العلم وريه فتبدلت نعوت النفس وأخلاقها . ثم وصل إلى الجوارح جدول فصارت ريانه ناضرة فلما استتم نضارة وامتلأ ريا بعثه الله تعالى إلى الخلق فأقبل على الأمة بقلب مواج بمياه العلوم واستقبل جداول الفهوم وجرى من بحره في كل جدول قسط ونصيب وذلك القسط الواصل إلى الفهوم هو الفقه في الدين . روى عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما عبد الله عز وجل بشيء أفضل من فقه في الدين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه » . حدثنا شيخنا شيخ الإسلام أبو النجيب إملاء قال حدثنا سعيد ابن حفص قال حدثنا أبو طالب الزينى قال أخبرتنا كريمة بنت أحمد بن محمد المروزية

(الفصل الرابع فى صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها وإعطائها)

(بيان فضيلة الصدقة)

من الأخبار : قوله صلى الله عليه وسلم « تصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجائع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة(٢) » وقال ﷺ « مامن عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبا إلا كان الله آخذها بيمينه فيربيها كما يربى أحدكم فصيله حتى تبلغ التمرة مثل أحد(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم لأبى الدرداء « إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر إلى أهل بيت من جيرانك فأصبهم منه بمعروف(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله عز وجل الخلافة على تركته(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « كل امرئ فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس(٦) » وقال ﷺ « الصدقة تسد سبعين بابا من الشر(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « صدقة السر تطفئ غضب الرب عز وجل » وقال ﷺ « ما الذى أعطى من سعة بأفضل أجرا من الذى يقبل من حاجة(٨) » ولعل المراد به الذى يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين فيكون مساويا للمعطى الذى يقصد باعطائه عمارة دينه وسئل رسول الله ﷺ « أى الصدقة أفضل قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان(٩) » وقد قال صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه « تصدقوا فقال رجل إن عندى دينارا فقال أنفقه على نفسك فقال إن عندى آخر قال أنفقه على زوجتك قال إن عندى آخر قال أنفقه على ولدك قال إن عندى آخر قال أنفقه على خادمك قال إن عندى آخر قال صلى الله عليه وسلم أنت أبصر به(١٠) » وقال ﷺ « لا تحل الصدقة لآل محمد إنما هى أوساخ الناس(١١) »

---

(١) حديث تصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجائع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ابن المبارك فى الزهد من حديث عكرمة مرسلا ولأحمد من حديث عائشة بسند حسن استتروا من النار ولو بشق تمرة فانها تسد من الجائع مسدها من الشبعان ولأبى يعلى والبزار من حديث أبى بكر اتقوا النار ولو بشق تمرة فانها تقوم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع موقعها من الشبعان وإسناده ضعيف وللترمذى و ن فى الكبرى و ه فى حديث معاذ والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار (٢) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة أخرجاه من حديث عدى بن حاتم (٣) حديث مامن عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبا الحديث خ تعليقا و م ت ن فى الكبرى واللفظ له ه من حديث أبى هريرة (٤) حديث قال لأبى الدرداء إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها الحديث م من حديث أبى ذر أنه قال ذلك له وما ذكره المصنف أنه قال لأبى الدرداء وهم (٥) حديث ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله الخلافة على تركته ابن المبارك فى الزهد من حديث ابن شهاب مرسلا باسناد صحيح وأسنده الخطيب فيمن روى عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه (٦) حديث كل امرئ فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس حب ك وصححه على شرط م من حديث عقبة ابن عامر (٧) حديث الصدقة تسد سبعين بابا من الشر ابن المبارك فى البر من حديث أنس بسند ضعيف إن الله ليدرأ بالصدقة سبعين بابا من ميتة السوء (٨) حديث ما المعطى من سعة بأفضل أجرا من الذى يقبل من حاجة حب فى الضعفاء وطب فى الأوسط من حديث أنس ورواه فى الكبير من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٩) حديث سئل أى الصدقة أفضل قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح الحديث أخرجاه من حديث أبى هريرة (١٠) حديث قال يوما لأصحابه تصدقوا فقال رجل إن عندى دينارا فقال أنفقه على نفسك الحديث د ن واللفظ له وحب ك من حديث أبى هريرة وقد تقدم قبل بيسير (١١) حديث لا تحل الصدقة لآل محمد الحديث م من حديث المطلب بن ربيعة.

قالت أخبرنا أبو الهيثم قال أخبرنا الفربرى قال أخبرنا البخارى قال حدثنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن قال سمعت معاوية خطيبا يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وإنما أنا قاسم والله يعطى » قال الشيخ إذا وصل العلم إلى القلب انفتح بصر القلب فأبصر الحق والباطل وتبين له الرشد من الغى ولما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأعرابى : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره. قال الأعرابى حسبى حسبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقه الرجل. وروى عبد الله بن عباس : أفضل العبادة الفقه فى الدين والحق سبحانه وتعالى جعل الفقه صفة القلب فقال ـ لهم قلوب لا يفقهون بها ـ فلما فقهوا علموا

وقال « ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « لو صدق السائل ما أفلح من رده (٢) » وقال عيسى عليه السلام : من رد سائلا خائبا من بيته لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام . وكان نبينا صلى الله عليه وسلم لا يكل خصلتين إلى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمره وكان يناول المسكين بيده (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان إنما المسكين المتعفف اقرءوا إن شئتم لا يسألون الناس إلحافا (٤) » وقال ﷺ « ما من مسلم يكسو مسلما إلا كان فى حفظ الله عز وجل مادامت عليه منه رقعة (٥) » . الآثار : قال عروة بن الزبير لقد تصدقت عائشة رضى الله عنها بخمسين ألفا وان درعها لمرقع وقال مجاهد فى قول الله عز وجل ـ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ـ فقال وهم يشتهونه وكان عمر رضى الله عنه يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون به على ذوى الحاجة منا وقال عمر بن عبد العزيز الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وقال ابن أبى الجعد إن الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء وفضل سرها على علانيتها بسبعين ضعفا وإنها لتفك لحيى سبعين شيطانا وقال ابن مسعود إن رجلا عبد الله سبعين سنة ثم أصاب فاحشة فأحبط عمله ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين وقال لقمان لابنه إذا أخطأت خطيئة فأعط الصدقة وقال يحيى بن معاذ ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا الحبة من الصدقة وقال عبد العزيز بن أبى رواد كان يقال ثلاثة من كنوز الجنة كتمان المرض وكتمان الصدقة وكتمان المصائب وروى مسندا وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه إن الأعمال تباهت فقالت الصدقة أنا أفضلكن وكان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر ويقول سمعت الله يقول ـ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ـ والله يعلم أنى أحب السكر وقال النخعى إذا كان الشىء لله عز وجل لا يسرنى أن يكون فيه عيب وقال عبيد بن عمير يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأعطش ما كانوا قط وأعرى ما كانوا قط فمن أطعم لله عز وجل أشبعه الله ومن سقى لله عز وجل سقاه الله ومن كسا لله عز وجل كساه الله وقال الحسن لو شاء الله لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض وقال الشعبى من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه وقال مالك لا نرى بأسا بشرب الموسر من الماء الذى يتصدق به ويسقى فى المسجد لأنه إنما جعل للعطشان من كان ولم يرد به أهل الحاجة والمسكنة على الخصوص ويقال إن الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال للنخاس أترضى ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله عز وجل رضى فى الحور العين بالفلس واللقمة .

(بيان إخفاء الصدقة وإظهارها)

قد اختلف طريق طلاب الاخلاص فى ذلك فمال قوم إلى أن الاخفاء أفضل ومال قوم إلى أن الاظهار أفضل ونحن نشير إلى ما فى كل واحد من المعانى والآفات ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه . أما الاخفاء ففيه خمسة معان : الأول أنه أبقى للستر على الآخذ فان أخذه ظاهرا هتك لستر المروءة وكشف عن

(١) حديث ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام العقيلى فى الضعفاء من حديث عائشة
(٢) حديث لو صدق السائل ما أفلح من رده العقيلى فى الضعفاء وابن عبد البر فى التمهيد من حديث عائشة قال العقيلى لا يصح فى هذا الباب شىء وللطبرانى نحوه من حديث أبى أمامة بسند ضعيف
(٣) حديث كان لا يكل خصلتين إلى غيره الحديث الدار قطنى من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ابن المبارك فى البر مرسلا (٤) حديث ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٥) حديث ما من مسلم يكسو مسلما إلا كان فى حفظ الله الحديث ت وحسنه و ك وصحح إسناده من حديث ابن عباس وفيه خالد بن طهمان ضعيف

ولما علموا عملوا ولما عملوا عرفوا ولما عرفوا اهتدوا فكل من كان أفقه كانت نفسه أسرع إجابة وأكثر انقيادا لمعالم الدين وأوفر حظا من نور اليقين فالعلم جملة موهوبة من الله للقلوب والمعرفة تميز تلك الجملة والهدى وجدان القلوب ذلك فالنبى صلى الله عليه وسلم لما قال « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم » أخبر أنه وجد القلب النبوى العلم وكان هاديا مهديا وعلمه صلوات الله عليه منهما وراثة معجونة فيه من آدم أبى البشر صلى الله عليه وسلم حيث علم الأسماء كلها والأسماء سمة الأشياء فكرمه الله تعالى بالعلم وقال تعالى ـ علم الانسان مالم يعلم ـ فآدم لما ركب فيه من العلم والحكمة صار ذا الفهم والفطنة والمعرفة والرأفة واللطف والحب والبغض والفرح والغم والرضا والغضب

الحاجة وخروج عن هيئة التعفف والتصون المحبوب الذي يحسب الجاهل أهله أغنياء من التعفف . الثاني أنه أسلم لقلوب الناس وألسنتهم فانهم ربما يحسدون أو ينكرون عليه أخذه ويظنون أنه آخذ مع الاستغناء أو ينسبونه إلى أخذ زيادة والحسد وسوء الظن والغيبة من الذنوب الكبائر وصيانتهم عن هذه الجرائم أولى وقال أبو أيوب السختياني إني لأترك لبس الثوب الجديد خشية أن يحدث في جيراني حسدا وقال بعض الزهاد ربما تركت استعمال الشيء لأجل إخواني يقولون من أين له هذا وعن إبراهيم التيمي أنه رؤي عليه قميص جديد فقال بعض إخوانه من أين لك هذا فقال كسانيه أخي خيثمة ولو علمت أن أهله علموا به ماقبلته . الثالث إعانة المعطي على إسرار العمل فان فضل السر على الجهر في الاعطاء أكثر والاعانة على إتمام المعروف معروف والكتمان لايتم إلا باثنين فهما أظهر هذا انكشف أمر المعطي ودفع رجل إلى بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده إليه ودفع إليه آخر شيئا في السر فقبله فقيل له في ذلك فقال إن هذا عمل الأدب في إخفاء معروفه فقبلته وذاك أساء أدبه في عمله فرددته عليه وأعطى رجل لبعض الصوفية شيئا في الملأ فرده فقال له لم ترد على الله عز وجل ما أعطاك فقال إنك أشركت غير الله سبحانه فيما كان لله تعالى ولم تقنع بالله عز وجل فرددت عليك شركك وقبل بعض العارفين في السر شيئا كان رده في العلانية فقيل له في ذلك فقال عصيت الله بالجهر فلم ألك عونا لك على المعصية وأطعته بالاخفاء فأعنتك على برك وقال الثوري لو علمت أن أحدهم لايذكر صدقته ولا يتحدث بها لقبلت صدقته . الرابع أن في إظهار الأخذ ذلا وامتهانا وليس للمؤمن أن يذل نفسه . كان بعض العلماء يأخذ في السر ولا يأخذ في العلانية ويقول إن في إظهاره إذلالا للعلم وامتهانا لأهله فما كنت بالذي أرفع شيئا من الدنيا بوضع العلم وإذلال أهله . الخامس الاحتراز عن شبهة الشركة قال صلى الله عليه وسلم « من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها (١) » وبأن يكون ورقا أو ذهبا لا يخرج عن كونه هدية قال صلى الله عليه وسلم « أفضل ما يهدي الرجل إلى أخيه ورقا أو يطعمه خبزا (٢) » فجعل الورق هدية بانفراده فما يعطى في الملأ مكروه إلا برضا جميعهم ولا يخلو عن شبهة فاذا انفرد سلم من هذه الشبهة . أما الاظهار والتحدث به ففيه معان أربعة : الأول الاخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والمراءاة . والثاني إسقاط الجاه والمنزلة وإظهار العبودية والمسكنة والتبري عن الكبرياء ودعوى الاستغناء وإسقاط النفس من أعين الخلق قال بعض العارفين لتلميذه أظهر الأخذ على كل حال إن كنت آخذا فانك لا تخلو عن أحد رجلين رجل تسقط من قلبه إذا فعلت ذلك فذلك هو المراد لأنه أسلم لدينك وأقل لآفات نفسك أو رجل تزداد في قلبه باظهارك الصدق فذلك الذي يريده أخوك لأنه يزداد ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه إياك فتؤجر أنت إذ كنت سبب مزيد ثوابه . الثالث هو أن العارف لانظر له إلا إلى الله عز وجل والسر والعلانية في حقه واحد فاختلاف الحال شرك في التوحيد قال بعضهم كنا لانعبأ بدعاء من يأخذ في السر ويرد في العلانية والالتفات إلى الخلق حضروا أم غابوا نقصان في الحال بل ينبغي أن يكون النظر مقصورا على الواحد الفرد . حكي أن بعض الشيوخ كان كثير الميل إلى واحد من جملة المريدين فشق على الآخرين فأراد

(١) حديث من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها العقيلي وابن حبان في الضعفاء وطب في الأوسط وهق من حديث ابن عباس قال عق لا يصح في هذا المتن حديث (٢) حديث أفضل ما يهدي الرجل إلى أخيه ورقا أو يعطيه خبزا عد وضعفه من حديث ابن عمر أن أفضل العمل عند الله أن يقضي عن مسلم دينه أو يدخل عليه سرورا أو يطعمه خبزا ولأحمد و ت وصححه من حديث البراء من منح منحة ورق أو منحة لبن أو هدى زقاقا فهو كعتاق نسمة .

والكياسة ثم اقتضاه استعمال كل ذلك وجعل لقلبه بصيرة واهتداء إلى الله تعالى بالنور الذي وهب له فالنبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى الأمة بالنور الموروث والموهوب له خاصة وقيل لما خاطب الله السموات والأرض بقوله ـ ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ـ نطق من الأرض وأجاب موضع الكعبة ومن السماء ما يحاذيها وقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الأرض بمكة فقال بعض العلماء هذا يشعر بأن ما أجاب من الأرض ذرة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ومن موضع الكعبة دحيت الأرض فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأصل في التكوين والكائنات تبع له وإلى هذا إشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « كنت نبيا وآدم

أن يظهر لهم فضيلة ذلك المريد فأعطى كل واحد منهم دجاجة وقال لينفرد كل واحد منكم بها وليذبحها حيث لا يراه أحد فانفرد كل واحد وذبح إلا ذلك المريد فانه رد الدجاجة فسألهم فقالوا فعلنا ما أمرنا به الشيخ فقال الشيخ للمريد مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك فقال ذلك المريد لم أقدر على مكان لا يرانى فيه أحد فان الله يرانى فى كل موضع فقال الشيخ لهذا أميل إليه لأنه لا يلتفت لغير الله عز وجل. الرابع أن الاظهار إقامة لسنة الشكر وقد قال تعالى ـ وأما بنعمة ربك فحدث ـ والكتمان كفران النعمة وقد ذم الله عز وجل من كتم ما آتاه الله عز وجل وقرنه بالبخل فقال تعالى ـ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ـ وقال ﷺ « إذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن ترى نعمته عليه (١) » وأعطى رجل بعض الصالحين شيئا فى السر فرفع به يده وقال هذا من الدنيا والعلانية فيها أفضل والسر فى أمور الآخرة أفضل ولذلك قال بعضهم إذا أعطيت فى الملا فخذ ثم ارد فى السر والشكر فيه محثوث عليه قال صلى الله عليه وسلم « من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل (٢) » والشكر قائم مقام المكافأة حتى قال ﷺ «من أسدى إليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فأثنوا عليه به خيرا وادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه» ولما قال المهاجرون فى الشكر «يارسول الله مارأينا خيرا من قوم نزلنا عندهم قاسمونا الأموال حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كله فقال صلى الله عليه وسلم كل ماشكرتم لهم وأثنيتم عليهم به فهو مكافأة (٣) » فالآن إذا عرفت هذه المعانى فاعلم أن مانقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا فى المسئلة بل هو اختلاف حال فكشف الغطاء فى هذا أنا لا نحكم حكما بتا بأن الاخفاء أفضل فى كل حال أو الاظهار أفضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات وتختلف النيات باختلاف الأحوال والأشخاص فينبغى أن يكون المخلص مراقبا لنفسه حتى لا يتدلى بحبل الغرور ولا ينخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان والمكر والخداع أغلب فى معانى الاخفاء منه فى الاظهار مع أن له دخلا فى كل واحد منهما فأما مدخل الخداع فى الاسرار فمن ميل الطبع إليه لما فيه من خفض الجاه والمنزلة وسقوط القدر عن أعين الناس ونظر الخلق إليه بعين الازدراء وإلى المعطى بعين المنعم المحسن فهذا هو الداء الدفين ويستكن فى النفس والشيطان بواسطته يظهر معانى الخير حتى يتعلل بالمعانى الخمسة التى ذكرناها ومعيار كل ذلك ومحكه أمر واحد وهو أن يكون تألمه بانكشاف أخذه الصدقة كتألمه بانكشاف صدقة أخذها بعض نظرائه وأمثاله فانه إن كان يبغى صيانة الناس عن الغيبة والحسد وسوء الظن أو يتقى انتهاك الستر أو إعانة المعطى على الاسرار أو صيانة العلم عن الابتذال فكل ذلك مما يحصل بانكشاف صدقة أخيه فان كان انكشاف أمره أثقل عليه من انكشاف أمر غيره فتقديره الحذر من هذه المعانى أغاليط وأباطيل من مكر الشيطان وخدعه فان إذلال العلم محذور من حيث إنه علم لا من حيث إنه علم زيد أو علم عمرو والغيبة محذورة من حيث إنها تعرض لعرض مصون لا من حيث إنها تعرض لعرض زيد على الخصوص ومن أحسن من ملاحظة مثل هذا ربما يعجز الشيطان عنه وإلا فلا يزال كثير العمل قليل الحظ وأما جانب الاظهار فميل الطبع إليه من حيث إنه تطييب لقلب المعطى واستحثاث له على مثله وإظهاره عند غيره أنه من المبالغين فى الشكر حتى يرغبوا فى إكرامه وتفقده وهذا داء دفين فى الباطن والشيطان لا يقدر على المتدين إلا بأن يروج عليه هذا الخبث فى معرض السنة ويقول له الشكر

(١) حديث إذا أنعم الله تعالى على عبد نعمة أحب أن ترى عليه أحمد من حديث عمران بن حصين بسند صحيح وحسنه ب من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله تقدم (٣) حديث قالت المهاجرون يارسول الله مارأينا خيرا من قوم نزلنا عليهم الحديث ب وصححه من حديث أنس ورواه مختصرا د ن فى اليوم والليلة و ك وصححه .

بين الماء والطين » وفى رواية « بين الروح والجسد » وقيل لذلك سمى أميا لأن مكة أم القرى وذرته أم الخليقة وتربة الشخص مدفنه فكان يقتضى أن يكون مدفنه بمكة حيث كانت تربته منها ولكن قيل الماء لما تموج رمى الزبد إلى النواحى فوقعت جوهرة النبى صلى الله عليه وسلم إلى ما يحاذى تربته بالمدينة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكيا مدنيا حنينه إلى مكة وتربته بالمدينة والاشارة فيما ذكرناه من ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ما قال الله تعالى ـ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ـ ورد فى الحديث « إن الله تعالى مسح ظهر آدم وأخرج ذريته منه كهيئة الذر » استخرج الذر من مسام شعر آدم فخرج الذر

من السنة والاخفاء من الرياء ويورد عليه المعانى التى ذكرناها ليحمله على الإظهار وقصده الباطن ماذكرناه ومعيار ذلك ومحكه أن ينظر إلى ميل نفسه إلى الشكر حيث لاينتهى الخبر إلى المعطى ولا إلى من يرغب فى عطائه وبين يدى جماعة يكرهون إظهار المعطية ويرغبون فى إخفائها وعادتهم أنهم لايعطون إلا من يخفى ولايشكر فان استوت هذه الأحوال عنده فليعلم أن باعثه هو إقامة السنة فى الشكر والتحدث بالنعمة وإلاقهو مغرور . ثم إذا علم أن باعثه السنة فى الشكر فلا ينبغى أن يغفل عن قضاء حق المعطى فينظر فان كان هو ممن يحب الشكر والنشر فينبغى أن يخفى ولايشكر لأن قضاء حقه أن لاينصره على الظلم وطلبه الشكر ظلم وإذا علم من حاله أنه يحب الشكر ولايقصده فضد ذلك يشكره ويظهر صدقته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للرجل الذى مدح بين يديه « ضربتم عنقه لوسمعها ماأفلح (١) » مع أنه صلى الله عليه وسلم كان يثنى على قوم فى وجوههم لثقته بيقينهم وعلمه بأن ذلك لايضرهم بل يزيد فى رغبتهم فى الخير فقال لواحد «إنه سيد أهل الوبر (٢)» وقال صلى الله عليه وسلم فى آخر «إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه(٣)» وسمع كلام رجل فأعجبه فقال صلى الله عليه وسلم «إن من البيان لسحرا (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم « إذا علم أحدكم من أخيه خير فليخبره فانه يزداد رغبة فى الخير (٥)» وقال صلى الله عليه وسلم «إذا مدح المؤمن ربا الإيمان فى قلبه (٦) » وقال الثورى من عرف نفسه لم يضره مدح الناس . وقال أيضا ليوسف بن أسباط إذا أوليتك معروفا كنت أنا أسر به منك ورأيت ذلك نعمة من الله عز وجل علىّ فاشكر وإلا فلا تشكر ودقائق هذه المعانى ينبغى أن يلحظها من يراعى قلبه فان أعمال الجوارح مع إهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان وشماتة له لكثرة التعب وقلة النفع ومثل هذا العلم هو الذى يقال فيه إن تعلم مسئلة واحدة منه أفضل من عبادة سنة إذ بهذا العلم تحيا عبادة العمر وبالجهل به تموت عبادة العمر كله وتتعطل وعلى الجملة فالأخذ فى الملأ والرد فى السر أحسن المسالك وأسلمها فلا ينبغى أن يدفع بالتزويقات إلا أن تكمل المعرفة بحيث يستوى السر والعلانية وذلك هو الكبريت الأحمر الذى يتحدث به ولايرى . نسأل الله الكريم حسن العون والتوفيق .

(بيان الأفضل من أخذ الصدقة أو الزكاة)

كان إبراهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون أن الأخذ من الصدقه أفضل فان فى أخذ الزكاة مزاحمة للمساكين وتضييقا عليهم ولأنه ربما لا يكمل فى أخذه صفة الاستحقاق كما وصف فى الكتاب العزيز

---

(١) حديث قال للرجل الذى مدح بين يديه ضربتم عنقه لوسمعها ما أفلح متفق عليه من حديث أبى بكرة بلفظ ويحك قطعت عنق صاحبك زاد طب فى رواية والله لوسمعها ما أفلح أبدا وفى سنده على بن زيد بن جدعان متكلم فيه وله نحوه من حديث أبى موسى (٢) حديث إنه سيد الوبر العنبرى وطب وابن قانع فى معاجمهم وحب فى الثقات من حديث قيس بن عاصم المنقرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له ذلك (٣) حديث إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه ، ه من حديث ابن عمر ورواه د فى المراسيل من حديث الشعبى مرسلا بسند صحيح وقال روى متصلا وهو ضعيف و ك نحوه من حديث معبد بن خالد الأنصارى عن أبيه وصحح إسناده (٤) حديث إن من البيان سحرا خ من حديث ابن عمر (٥) حديث إذا علم أحدكم من أخيه خيرا فليخبره فانه يزداد رغبة فى الخير قط فى العلل من رواية ابن المسيب عن أبى هريره . وقال لايصح عن الزهرى وروى عن ابن المسيب مرسلا (٦) حديث إذا مدح المؤمن ربا الإيمان فى قلبه طب من حديث أسامة بن زيد بسند ضعيف

لخروج العرق وقيل كان المسح من بعض الملائكة فأضاف الفعل إلى السبب وقيل معنى القول بأنه مسح أى أحصى كما تحصى الأرض بالمساحة وكان ذلك ببطن نعمان واد بجنب عرفة بين مكة والطائف فلما خاطب الذر وأجابوا بلى كتب العهد فى رق أبيض وأشهد عليه الملائكة وألقم الحجر الأسود فكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هى الحبيبة من الأرض والعلم والهدى فيه معجونان فبعث بالعلم والهدى موروثا له وموهوبا وقيل لما بعث الله جبرائيل وميكائيل ليقبضا قبضة من الأرض فأبت حتى بعث الله تعالى عزرائيل فقبض قبضة من الأرض وكان إبليس قد وطىء الأرض بقدميه فصار بعض الأرض بين قدميه وبعض الأرض بين موضوع أقدامه فخلقت النفس مما مس قدم

وأما الصدقة فالأمر فيها أوسع وقال قائلون بأخذ الزكاة دون الصدقة لأنها إعانة على الواجب ولو ترك المساكين كلهم أخذ الزكاة لأثموا ولأن الزكاة لا منة فيها وإنما هو حق واجب لله سبحانه رزقا لعباده المحتاجين ولأنه أخذ بالحاجة والانسان يعلم حاجة نفسه قطعا وأخذ الصدقة أخذ بالدين فان الغالب أن المتصدق يعطى من يعتقد فيه خيرا ولأن مرافقة المساكين أدخل فى الذل والمسكنة وأبعد من التكبر إذ قد يأخذ الانسان الصدقة فى معرض الهدية فلا تتميز عنه وهذا تنصيص على ذل الآخذ وحاجته والقول الحق فى هذا أن هذا يختلف بأحوال الشخص وما يغلب عليه وما يحضره من النية فان كان فى شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغى أن يأخذ الزكاة فاذا علم أنه مستحق قطعا إذا حصل عليه دين صرفه إلى خير وليس له وجه فى قضائه فهو مستحق قطعا فاذا خير هذا بين الزكاة وبين الصدقة فاذا كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك المال لو لم يأخذه هو فليأخذ الصدقة فان الزكاة الواجبة يصرفها صاحبها إلى مستحقها ففى ذلك تكثير للخير وتوسيع على المساكين وإن كان المال معرضا للصدقة ولم يكن فى أخذ الزكاة تضييق على المساكين فهو مخير والأمر فيهما يتفاوت وأخذ الزكاة أشد فى كسر النفس وإذلالها فى أغلب الأحوال والله أعلم .

كمل كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الصوم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى الملائكة والمقربين من أهل السموات والأرضين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(كتاب أسرار الصوم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أعظم على عباده المنة ، بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه ، ورد أمله وخيب ظنه ، إذ جعل الصوم حصنا لأوليائه وجنة ، وفتح لهم به أبواب الجنة ، وعرفهم أن وسيلة الشيطان إلى قلوبهم الشهوات المستكنة وإن بقمعها تصبح النفس المطمئنة ظاهرة الشوكة فى قصم خصمها قوية المنة ، والصلاة على محمد قائد الخلق ومهد السنة وعلى آله وأصحابه ذوى الأبصار الثاقبة والعقول الرجحة وسلم تسليما كثيرا [أما بعد] فان الصوم ربع الإيمان بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم « الصوم نصف الصبر(١) » وبمقتضى قوله ﷺ « الصبر نصف الإيمان(٢) » ثم هو متميز بخاصية النسبة إلى الله تعالى من بين سائر الأركان إذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه ﷺ « كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فانه لى وأنا أجزى به(٣) » وقد قال الله تعالى ـ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ـ والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب وناهيك فى معرفة فضله قوله صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يقول الله عز وجل إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجلى فالصوم لى وأنا أجزى به(٤) »

(كتاب أسرار الصيام)

(١) حديث الصوم نصف الصبر ت وحسنه من حديث رجل من بنى سليم و ه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث الصبر نصف الإيمان أبو نعيم فى الحلية والخطيب فى التاريخ من حديث ابن مسعود بسند حسن

(٣) حديث كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم الحديث أخرجاه من حديث أبى هريرة

(٤) حديث والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم الحديث أخرجاه من حديثه وهو بعض الذى قبله

إبليس فصارت مأوى الشر وبعضها لم يصل إليه قدم إبليس فمن تلك التربة أصل الأنبياء والأولياء وكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع نظر الله تعالى من قبضة عزرائيل لم يمسها قدم إبليس فلم يصبه حظ الجهل بل صار منزوع الجهل موفر احظه من العلم فبعثه الله تعالى بالهدى والعلم وانتقل من قلبه إلى القلوب ومن نفسه إلى النفوس فوقعت المناسبة فى أصل طهارة الطينة ووقع التأليف بالتعارف الأول فكل من كان أقرب مناسبة بنسبة طهارة الطينة كان أوفر حظا من قبول ماجاء به فكانت قلوب الصوفية أقرب مناسبة فأخذت من العلم حظا وافرا وصارت بواطنهم أخاذات فعلموا وعلموا كالأخاذ الذى يسقى منه ويزرع منه وجمعوا بين فائدة علم الدراسة وعلم الوراثة باحكام أساس التقوى ولما

وقال صلى الله عليه وسلم « للجنة باب يقال له الريان لا يدخله إلا الصائمون وهو موعود بلقاء الله تعالى فى جزاء صومه(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « للصائم فرحتان فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربه(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لكل شىء باب وباب العبادة الصوم(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « نوم الصائم عبادة(٤) » وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين ونادى مناد ياباغى الخير هلمّ وياباغى الشرّ أقصر (٥) » وقال وكيع فى قوله تعالى ـ كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية ـ هى أيام الصيام إذ تركوا فيها الأكل والشرب وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رتبة المباهاة بين الزهد فى الدنيا وبين الصوم فقال « إن الله تعالى يباهى ملائكته بالشابّ العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته لأجلى المبذل شبابه لى أنت عندى كبعض ملائكتى(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم فى الصائم « يقول الله عز وجل انظروا ياملائكتى إلى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلى (٧) » وقيل فى قوله تعالى ـ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون ـ قيل كان عملهم الصيام لأنه قال ـ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حسان ـ فيفرغ للصائم جزاؤه إفراغا ويجازف جزافا فلا يدخل تحت وهم وتقدير وجدير بأن يكون كذلك لأن الصوم إنما كان له ومشرفا بالنسبة إليه وإن كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة إلى نفسه والأرض كلها له لمعنين : أحدهما أن الصوم كف وترك وهو فى نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع أعمال الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يراه إلا الله عز وجل فانه عمل فى الباطن بالصبر المجرد . والثانى أنه قهر لعدو الله عز وجل فان وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب ولذلك قال ﷺ « إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع(٨) » ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها « داومى قرع باب الجنة قالت بماذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم بالجوع(٩) » وسيأتى فضل الجوع فى كتاب شره الطعام وعلاجه من ربع المهلكات فلما كان الصوم على الخصوص قمعا للشيطان وسدا لمسالكه وتضييقا لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة إلى الله عز وجل ففى قمع عدو الله نصرة

(١) حديث للجنة باب يقال له الريان الحديث أخرجا من حديث سهل بن سعد (٢) حديث للصائم فرحتان الحديث أخرجاه من حديث أبى هريرة (٣) حديث لكل شىء باب وباب العبادة الصوم ابن المبارك فى الزهد ومن طريقه أبو الشيخ فى الثواب من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف (٤) حديث نوم الصائم عبادة رويناه فى أمالى بن منده من رواية ابن المغيرة القواس عن عبدالله بن عمر بسند ضعيف ولعله عبد الله بن عمرو فانهم لم يذكروا لابن المغيرة رواية إلا عنه ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث عبدالله بن أبى أوفى وفيه سليمان بن عمرو النخعى أحد الكذابين (٥) حديث إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة الحديث ت وقال غريب و ه و ك وصححه على شرطهما من حديث أبى هريرة وصحح خ وقفه على مجاهد وأصله متفق عليه دون قوله ونادى مناد (٦) حديث إن الله تعالى يباهى ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته الحديث عد من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٧) حديث يقول الله تعالى لملائكته ياملائكتى انظروا إلى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلى (٨) حديث إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم الحديث متفق عليه من حديث صفية دون قوله فضيقوا مجاريه بالجوع (٩) حديث قال لعائشة داومى قرع باب الجنة الحديث لم أجد له أصلا .

تزكت النفوس انجلت مرايا قلوبهم بما صقلها من التقوى فانجلى فيها صور الأشياء على هيئتها وماهيتها فبانت الدنيا بقبحها فرفضوها وظهرت الآخرة بحسنها فطلبوها فلما زهدوا فى الدنيا انصبت إلى بواطنهم أقسام العلوم انصبابا وانضاف إلى علم الدراسة علم الوراثة . واعلم أن كل حال شريف نعزوه إلى الصوفية فى هذا الكتاب هو حال المقرب والصوفى هو المقرب وليس فى القرآن اسم الصوفى واسم الصوفى ترك ووضع للمقرب على ماسنشرح ذلك فى بابه ولا يعرف فى طرفى بلاد الإسلام شرقا وغربا هذا الاسم لأهل القرب وإنما يعرف للمترسمين وكم من الرجال المقربين فى بلاد المغرب وبلاد تركستان وما وراء النهر ولا يسمون صوفية لأنهم لا يتزيون بزى الصوفية ولا مشاحة فى الألفاظ فيعلم أنا نعنى

لله سبحانه وناصر الله تعالى موقوف على النصرة له قال الله تعالى ـ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ـ فالبداية بالجهد من العبد والجزاء بالهداية من الله عز وجل ولذلك قال تعالى ـ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ـ وقال تعالى ـ إن الله لايغير مايقوم حتى يغيروا مابأنفسهم ـ وإنما التغيير تكثير الشهوات فهى مرتع الشياطين ومرعاهم فمادامت مخصبة لم ينقطع ترددهم وما داموا يترددون لم ينكشف للعبد جلال الله سبحانه وكان محجوبا عن لقائه وقال صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السموات (١) » فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة وإذا عظمت فضيلته إلى هذا الحد فلا بد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر أركانه وسننه وشروطه الباطنة ونبين ذلك بثلاثة فصول .

(الفصل الأول فى الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بافساده)

(أما الواجبات الظاهرة فستة)

الأول : مراقبة أول شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فان غم فاستكمال ثلاثين يوما من شعبان ونعنى بالرؤية العلم ويحصل ذلك بقول عدل واحد ولايثبت هلال شوال إلا بقول عدلين احتياطا للعبادة ومن سمع عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وإن لم يقض القاضى به فليتبع كل عبد فى عبادته موجب ظنه وإذا رؤى الهلال ببلدة ولم ير بأخرى وكان بينهما أقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وإن كان أكثر كان لكل بلدة حكمها ولايتعدى الوجوب . الثانى النية ولابد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة فلو نوى أن يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكفه وهو الذى عنينا بقولنا كل ليلة ولو نوى بالنهار لم يجزه صوم رمضان ولاصوم الفرض إلا التطوع وهو الذى عنينا بقولنا مبيتة ولو نوى الصوم مطلقا أو الفرض مطلقا لم يجزه حتى ينوى فريضة الله عز وجل صوم رمضان ولو نوى ليلة الشك أن يصوم غدا إن كان من رمضان لم يجزه فانها ليست جازمة إلا أن تستند نيته إلى قول شاهد عدل واحتمال غلط العدل أو كذبه لايبطل الجزم أو يستند إلى استصحاب حال كالشك فى الليلة الأخيرة من رمضان فذلك لايمنع جزم النية أو يستند إلى اجتهاد كالمحبوس فى المطمورة إذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشكه لايمنعه من النية ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزمه النية باللسان فان النية محلها القلب ولايتصور فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال فى وسط رمضان أصوم غدا إن كان من رمضان فان ذلك لايضره لأنه ترديد لفظ ومحل النية لايتصور فيه تردد بل هو قاطع بأنه من رمضان ومن نوى ليلا ثم أكل لم تفسده نيته ولو نوت امرأة فى الحيض ثم طهرت قبل الفجر صح صومها . الثالث الامساك عن إيصال شئ إلى الجوف عمدا مع ذكر الصوم فيفسد صومه بالأكل والشرب والسعوط والحقنة ولايفسد بالفصد والحجامة والاكتحال وإدخال الميل فى الأذن والاحليل إلا أن يقطر فيه مايبلغ المثانة ومايصل بغير قصد من غبار الطريق أو ذبابة تسبق إلى جوفه أو مايسبق إلى جوفه فى المضمضة فلايفطر إلا إذا بالغ فى المضمضه فيفطر لأنه مقصر وهو الذى أردنا بقولنا عمدا فأما ذكر الصوم فأردنا به الاحتراز عن الناسى فانه لايفطر أما من أكل عامدا فى طرفى النهار ثم ظهر له أنه أكل نهارا بالتحقيق فعليه القضاء وإن بقى على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه ولاينبغى أن يأكل فى طرفى النهار إلا بنظر واجتهاد . الرابع الامساك عن الجماع وحده مغيب الحشفة وإن جامع ناسيا لم يفطر وإن جامع ليلا أو احتلم فأصبح جنبا لم يفطر وإن طلع الفجر وهو مخالط أهله فنزع فى الحال صح صومه فان صبر فسد ولزمته الكفارة .

(١) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم الحديث أحمد من حديث أبى هريرة بنحوه

بالصوفية المقربين فمشايخ الصوفية الذين أسماؤهم فى الطبقات وغير ذلك من الكتب كلهم كانوا فى طريق المقربين وعلومهم علوم أحوال المقربين ومن تطلع إلى مقام المقربين من جملة الأبرار فهو متصوف مالم يتحقق بحالهم فاذا تحقق بحالهم صار صوفيا ومن عداها ممن تميز بزى ونسب إليهم فهو مشتبه ـ وفوق كل ذى علم عليم ـ .

[الباب الثانى فى تخصيص الصوفية بحسن الاستماع]

حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردى إملاء قال أنا أبو منصور المقرى قال أنا الامام الحافظ أبو بكر الخطيب قال أنا أبو عمرو الهاشمى قال أنا أبو على اللؤلؤى قال أنا أبو داود السجستانى قال حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى عن شعبة قال حدثنى عمر بن

الخامس : الامسالا عن الاستمناء وهو إخراج المنى قصدا بجماع أو بغير جماع فان ذلك يفطر ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها مالم ينزل لكن يكره ذلك إلا أن يكون شيخا أو مالكا لا ربه فلا بأس بالتقبيل وتركه أولى وإذا كان يخاف من التقبيل أن ينزل فقبل وسبق المنى أفطر لتقصيره السادس : الامساك عن إخراج القيء فالاستقاء يفسد الصوم وإن ذرعه القيء لم يفسد صومه وإذا ابتلع نخامة من حلقه أو صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به إلا أن يبتلعه بعد وصوله إلى فيه فانه يفطر عند ذلك .

(وأما لوازم الافطار فأربعة)

القضاء والكفارة والفدية وإمساك بقية النهار تشبيها بالصائمين . أما القضاء : فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر أو بغير عذر فالحائض تقضى الصوم وكذا المرتد أما الكافر والصبى والمجنون فلاقضاء عليهم ولايشترط التتابع فى قضاء رمضان ولكن يقضى كيف شاء متفرقا ومجموعا . وأما الكفارة : فلا تجب إلا بالجماع وأما الاستمناء والأكل والشرب وماعدا الجماع لاتجب به كفارة فالكفارة عتق رقبة فان أعسر فصوم شهرين متتابعين وإن عجز فاطعام ستين مسكينا مدا مدا . وأما إمساك بقية النهار : فيجب على من عصى بالفطر أوقصر فيه ولا يجب على الحائض إذا طهرت إمساك بقية نهارها ولا على المسافر إذا قدم مفطرا من سفر بلغ مرحلتين ويجب الامساك إذا شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك والصوم فى السفر أفضل من الفطر إلا إذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيما فى أوله ولا يوم يقدم إذا قدم صائما . وأما الفدية : فتجب على الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفا على ولديهما لكل يوم مدّ حنطة لمسكين واحد مع القضاء والشيخ الهرم إذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا . وأما السنن فست : تأخير السحور وتعجيل الفطر بالتمر أو الماء قبل الصلاة وترك السواك بعد الزوال والجود فى شهر رمضان لماسبق من فضائله فى الزكاة ومدارسة القرآن والاعتكاف فى المسجد لاسيما فى العشر الأخير فهو عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا دخل العشر الأواخر طوى الفراش وشد المئزر ودأب وأدأب أهله[1] » أى أداموا النصب فى العبادة إذ فيها ليلة القدر والأغلب أنها فى أوتار وأشبه الأوتار ليلة إحدى وثلاث وخمس وسبع والتتابع فى هذا الاعتكاف أولى فان نذر اعتكافا متتابعا أو نواه انقطع تتابعه بالخروج من غير ضرورة كما لو خرج لعيادة أوشهادة أو جنازة أو زيارة أو تجديد طهارة وإن خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع وله أن يتوضأ فى البيت ولاينبغى أن يعرج على شغل آخر « كان صلى الله عليه وسلم لايخرج إلا لحاجة الانسان ولايسأل عن المريض إلامارا[2] » وينقطع التتابع بالجماع ولاينقطع بالتقبيل ولا بأس فى المسجد بالطيب وعقد النكاح وبالأكل والنوم وغسل اليد فى الطست فكل ذلك قد يحتاج إليه فى التتابع ولاينقطع التتابع بخروج بعض بدنه « كان صلى الله عليه وسلم يدنى رأسه فترجله عائشة رضى الله عنها وهى فى الحجرة[3] » ومهما خرج المعتكف لقضاء حاجته فاذا عاد ينبغى أن يستأنف النية إلا إذا كان قد نوى أولا عشرة أيام مثلا والأفضل مع ذلك التجديد .

(١) حديث كان إذا دخل العشر الأواخر طوى الفراش الحديث متفق عليه من حديث عائشة بلفظ أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر (٢) حديث كان لايخرج إلا لحاجة ولايسأل عن المريض إلامارا متفق على الشطر الأول من حديث عائشة والشطر الثانى رواه أبوداود بنحوه بسند لين (٣) حديث كان يدنى رأسه لعائشة متفق عليه من حديثها .

سليمان من ولد عمر ابن الخطاب عن عبد الرحمن بن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه وليس بفقيه » أساس كل خير حسن الاستماع قال الله تعالى ـ ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ـ يقول بعضهم علامة الخير فى السماع أن يسمع العبد بغشاء أوصافه ونعوته ويسمعه بحق من حق وقال بعضهم لو علم أهلا للسماع لفتح آذانهم للاستماع فمن تملكته الوساوس وغلب على باطنه حديث النفس لايقدر على حسن الاستماع فالصوفية وأهل القرب لما علموا أن كلام الله تعالى ورسائله إلى عباده ومخاطباته إياهم رأوا كل آية من كلامه تعالى بحرا

(الفصل الثانى فى أسرار الصوم وشروطه الباطنة)

اعلم أن الصوم ثلاث درجات : صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص . أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله . وأما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام . وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية ، ويحصل الفطر فى هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله عز وجل واليوم الآخر وبالفكر فى الدنيا إلا دنيا تراد للدين فان ذلك من زاد الآخرة وليس من الدنيا حتى قال أرباب القلوب من تحركت همته بالتصرف فى نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عز وجل وقلة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقربين ولا يطول النظر فى تفصيلها قولا ولكن فى تحقيقها عملا فانه إقبال بكنه الهمة على الله عز وجل وانصراف عن غير الله سبحانه وتلبس بمعنى قوله عز وجل ـ قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ـ وأما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الآثام وتمامه بستة أمور : الأول : غض البصر وكفه عن الاتساع فى النظر إلى كل ما يذم ويكره وإلى كل ما يشغل القلب ويلهى عن ذكر الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس لعنه الله فمن تركها خوفا من الله آتاه الله عز وجل إيمانا يجد حلاوته فى قلبه (١) » وروى جابر عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة (٢) » . الثانى : حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء وإلزامه السكوت وشغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان وقد قال سفيان : الغيبة تفسد الصوم رواه بشر بن الحرث عنه وروى ليث عن مجاهد خصلتان يفسدان الصيام الغيبة والكذب وقال صلى الله عليه وسلم « إنما الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إنى صائم إنى صائم (٣) » وجاء فى الخبر « أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا فبعثتا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذناه فى الافطار فأرسل إليهما قدحا وقال ﷺ : قل لهما قيئا فيه ما أكلتما فقاءت إحداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما قعدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا يغتابان الناس فهذا ما أكلتا من لحومهم (٤) » . الثالث : كف السمع عن الاصغاء إلى كل مكروه لأن كل ما حرم قوله حرم الاصغاء إليه ولذلك سوى الله عز وجل بين المستمع وآكل السحت فقال تعالى ـ سماعون للكذب أكالون للسحت ـ وقال عز وجل ـ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت ـ فالسكوت على الغيبة حرام وقال تعالى ـ إنكم إذا مثلهم ـ

(١) حديث النظرة سهم مسموم من سهام إبليس الحديث ك وصحح إسناده من حديث حذيفة (٢) حديث جابر عن أنس خمس يفطرن الصائم الحديث الأزدى فى الضعفاء من رواية جابان عن أنس وقوله جابر تصحيف قال أبو حاتم الرازى هذا كذاب (٣) حديث الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائما الحديث أخرجاه من حديث أبى هريرة (٤) حديث أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث فى الغيبة للصائم أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بسند فيه مجهول .

من أبحر العلم بما تتضمن من ظاهر العلم وباطنه وجليه وخفيه وبابا من أبواب الجنة باعتبار ما تنبه أو تدعو إليه من العمل ورأوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق به عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى من عند الله تعالى يتعين الاستماع إليه فكان من أهم ما عندهم الاستعداد للاستماع ورأوا أن حسن الاستماع قرع باب الملكوت واستنزال بركة الرغبوت والرهبوت ورأوا أن الوسواس أدخنة ثائرة من نار النفس الأمارة بالسوء وقتام يتراكم من نفث الشيطان وأن الحظوظ العاجلة والأقسام الدنيوية التى هى مناط الهوى ومثار الردى بمثابة الحطب الذى تزداد النار به تأججا ويزداد القلب به تحرجا فرفضوا الدنيا وزهدوا فيها فلما انقطعت عن نار

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم (١)» الرابع : كف بقية الجوارح عن الآثام من اليد والرجل وعن المكاره وكف البطن عن الشبهات وقت الافطار فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فمثال هذا الصائم مثال من يبنى قصرا ويهدم مصرا فان الطعام الحلال إنما يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله وتارك الاستكثار من الدواء خوفا من ضرره إذا عدل إلى تناول السم كان سفيها والحرام سم مهلك للدين والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم تقليله وقد قال صلى الله عليه وسلم «كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش (٢)» فقيل هو الذى يفطر على الحرام وقيل هو الذى يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام وقيل هو الذى لا يحفظ جوارحه عن الآثام . الخامس : أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الافطار بحيث يمتلئ جوفه فما من وعاء أبغض إلى الله عز وجل من بطن ملئ من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه فى ألوان الطعام حتى استمرت العادات بأن تدخر جميع الأطعمة لرمضان فيؤكل من الأطعمة فيه مالا يؤكل فى عدة أشهر ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى وإذا دفعت المعدة من ضحوة نهار إلى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات وأشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التى هى وسائل الشيطان فى العود إلى الشرور ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل وهو أن يأكل أكلته التى كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم فأما إذا جمع ما كان يأكل ضحوة إلى ما كان يأكل ليلا فلم ينتفع بصومه بل من الآداب أن لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى فيصفوا عند ذلك قلبه ويستديم فى كل ليلة قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجده وأوراده فعسى الشيطان أن لا يحوم على قلبه فينظر إلى ملكوت السماء وليلة القدر عبارة عن الليلة التى ينكشف فيها شئ من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى ـ إنا أنزلناه فى ليلة القدر ـ ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب ومن أخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله عز وجل وذلك هو الأمر كله ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام وسيأتى له مزيد بيان فى كتاب الأطعمة إن شاء الله عز وجل . السادس : أن يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء إذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من المقربين أو يرد عليه فهو من الممقوتين وليكن كذلك فى آخر كل عبادة يفرغ منها فقد روى عن الحسن بن أبى الحسن البصرى أنه مر بقوم وهم يضحكون فقال إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق قوم ففازوا وتخلف أقوام فخابوا فالعجب كل العجب للضحك اللاعب فى اليوم الذى فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن باحسانه والمسيء باساءته أى كان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك وعن الأحنف بن قيس أنه قيل له إنك شيخ كبير وان الصيام يضعفك فقال إنى أعده لسفر طويل والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه فهذه هى المعانى الباطنة فى الصوم . فان قلت فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعانى فقد قال الفقهاء

(١) حديث المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم غريب وللطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة (٢) حديث كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ن ه من حديث أبى هريرة .

النفس أحطابها وفترت نيرانها وقل دخانها شهدت بواطنهم وقلوبهم مصادر العلوم فهيأوا مواردها بصفاء الفهوم فلما شهدوا سمعوا قال الله تعالى ـ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ـ قال الشبلى رحمه الله : موعظة القرآن لمن قلبه حاضر مع الله لا يغفل عنه طرفة عين قال يحيى بن معاذ الرازى القلب قلبان قلب قد احتشى بأشغال الدنيا حتى إذا حضر أمر من أمور الطاعة لم يدر صاحبه ما يصنع من شغل قلبه بالدنيا وقلب قد احتشى بأحوال الآخرة حتى إذا حضر أمر من أمور الدنيا لم يدر صاحبه ما يصنع لذهاب قلبه فى الآخرة فانظر كم بين بركة تلك الأفهام الثابتة وشؤم هذه الأشغال الفانية التى أقعدتك عن الطاعة قال بعضهم لمن كان له قلب سليم من

صومه صحيح فما معناه . فاعلم أن فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بأدلة هي أضعف من هذه الأدلة أي أوردناها في هذه الشروط الباطنة لاسيما الغيبة وأمثالها ، ولكن ليس إلى فقهاء الظاهر من التكليفات إلا ما يتيسر على عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحته فأما علماء الآخرة فيضون بالصحة القبول وبالقبول الوصول إلى المقصود ويفهمون أن المقصود من الصوم التخلق بخلق من أخلاق الله عز وجل وهو الصمدية والاقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بحسب الإمكان فانهم منزهون عن الشهوات والانسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكلما انهمك في الشهوات انحط إلى أسفل السافلين والتحق بغمار البهائم وكلما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين والتحق بأفق الملائكة والملائكة مقربون من الله عز وجل والذي يقتدي بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله عز وجل كقربهم فان الشبيه من القريب قريب وليس القرب ثم بالمكان بل بالصفات وإذا كان هذا سر الصوم عند أرباب الألباب وأصحاب القلوب فأي جدوى لتأخير أكلة وجمع أكلتين عند العشاء مع الانهماك في الشهوات الأخر طول النهار ولو كان لمثله جدوى فأي معنى لقوله صلى الله عليه وسلم « كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش » ولهذا قال أبو الدرداء ياحبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف لا يعيبون صوم الحمقى وسهرهم ولذرة من ذوي يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترين ولذلك قال بعض العلماء كم من صائم مفطر وكم مفطر صائم والمفطر الصائم هو الذي يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب والصائم المفطر هو الذي يجوع ويعطش ويطلق جوارحه ومن فهم معنى الصوم وسره علم أن مثل من كف عن الأكل والجماع وأفطر بمخالطة الآثام كمن مسح على عضو من أعضائه في الوضوء ثلاث مرات فقد وافق في الظاهر العدد إلا أنه ترك المهم وهو الغسل فصلاته مردودة عليه بجهله ومثل من أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل أعضاءه مرة مرة فصلاته متقبلة إن شاء الله لإحكامه الأصل وان ترك الفضل ومثل من جمع بينهما كمن غسل كل عضو ثلاث مرات فجمع بين الأصل والفضل وهو الكمال وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته[1] » . ولما تلا قوله عز وجل ـ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ـ وضع يده على سمعه وبصره فقال : « السمع أمانة والبصر أمانة[2] » ولولا أنه من أمانات الصوم لما قال صلى الله عليه وسلم « فليقل إني صائم » أي إني أودعت لساني لأحفظه فكيف أطلقه بجوابك فاذن قد ظهر أن الكل عبادة ظاهرا وباطنا وقشرا ولبا ولقشرها درجات ولكل درجة طبقات فاليك الخيرة الآن في أن تقنع بالقشر عن اللباب أو تتحيز إلى غمار أرباب الألباب .

(الفصل الثالث في التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه)

اعلم أن استحباب الصوم يتأكد في الأيام الفاضلة وفواضل الأيام بعضها يوجد في كل سنة وبعضها يوجد في كل شهر وبعضها في كل أسبوع . أما في السنة بعد أيام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء والعشر الأول من ذي الحجة والعشر الأول من المحرم ، وجميع الأشهر الحرم مظان الصوم وهي أوقات فاضلة « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر صوم شعبان حتى كان يظن أنه في رمضان[3] »

(١) حديث إنما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود في حديث في الأمانة والصوم واسناده حسن (٢) حديث لما تلا قوله تعالى: إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها. وضع يده على سمعه وبصره وقال السمع والبصر أمانة د من حديث أبي هريرة دون قوله السمع أمانة (٣) حديث كان يكثر صيام شعبان الحديث متفق عليه من حديث عائشة

الأغراض والأمراض قال الحسين بن منصور لمن كان له قلب لا يخطر فيه إلا شهود الرب وأنشد :

أنعى إليك قلوبا طالما هطلت
سحائب الوحي فيها أبحر الحكم

وقال ابن عطاء قلب لاحظ الحق بعين التعظيم فذاب له وانقطع إليه عما سواه قال الواسطي : أي لذكرى لقوم مخصوصين لا لسائر الناس لمن كان له قلب أي في الأزل وهم الذين قال الله تعالى فيهم ـ أو من كان ميتا فأحييناه ـ وقال أيضا المشاهدة تذهل والحجبة تفهم لأن الله تعالى إذا تجلى لشيء خضع له وخشع وهذا الذي قاله الواسطي صحيح في حق أقوام وهذه الآية تحكم بخلاف هذا لأقوام آخرين وهم أرباب التمكين يجمع لهم بين المشاهدة والفهم فموضع الفهم محل المحادثة والمكالمة وهو

وفى الخبر «أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم (١)» لأنه ابتداء السنة فبناؤها على الخير أحبّ وأرجى لدوام بركته. وقال صلى الله عليه وسلم «صوم يوم من شهر حرام أفضل من ثلاثين من غيره وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلاثين من شهر حرام (٢)» وفى الحديث «من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله له بكل يوم عبادة تسعمائة عام (٣)» وفى الخبر إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان (٤) ولهذا يستحب أن يفطر قبل رمضان أياما فان وصل شعبان برمضان فجائز (٥) فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة وفصل مرارا كثيرة (٦) ولا يجوز أن يقصد استقبال رمضان بيومين أو ثلاثة إلا أن يوافق وردا له وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حتى لا يضاهى بشهر رمضان فالأشهر الفاضلة ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان والأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واحد فرد وثلاثة سرد وأفضلها ذو الحجة لأن فيه الحج والأيام المعلومات والمعدودات وذو القعدة من الأشهر الحرم وهو من أشهر الحج وشوّال من أشهر الحج وليس من الحرم والمحرم ورجب ليسا من أشهر الحج وفى الخبر «ما من أيام العمل فيهنّ أفضل وأحبّ إلى الله عزّ وجلّ من أيام عشر ذى الحجة إن صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه تعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد فى سبيل الله تعالى قال ولا الجهاد فى سبيل الله عزّ وجلّ إلا من عقر جواده وأهريق دمه (٧)». وأما ما يتكرر فى الشهر: فأوّل الشهر وأوسطه وآخره ووسطه الأيام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر. وأما فى الأسبوع: فالاثنين والخميس والجمعة فهذه هى الأيام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات لتضاعف أجورها ببركة هذه الاوقات. وأما صوم الدهر فانه شامل للكل وزيادة وللسالكين فيه طرق فمنهم من كره ذلك إذ وردت أخبار تدل على كراهته والصحيح أنه إنما يكره لشيئين أحدهما أن لا يفطر فى العيدين وأيام التشريق فهو الدهر كله (٨) والآخر أن يرغب عن السنة فى الافطار ويجعل

(١) حديث أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم م من حديث أبى هريرة (٢) حديث صوم يوم من شهر حرام أفضل من صوم ثلاثين الحديث لم أجده هكذا وفى المعجم الصغير للطبرانى من حديث ابن عباس من صام يوما من المحرم فله بكل يوم ثلاثون يوما (٣) حديث من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت الحديث الازدى فى الضعفاء من حديث أنس (٤) حديث إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان الأربعة من حديث أبى هريرة حبّ فى صحيحه عنه إذا كان النصف من شعبان فأفطروا حتى يجىء رمضان وصححه ت (٥) حديث وصل شعبان برمضان مرة الأربعة من حديث أم سلمة لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما إلا شعبان يصل به رمضان و د ن نحوه من حديث عائشة (٦) حديث فصل شعبان من رمضان مرارا د من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحفظ من هلال شعبان ما لا يتحفظ من غيره فان غمّ عليه عدّ ثلاثين يوما ثم صام وأخرجه قط وقال إسناده صحيح و ك وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث ما من أيام العمل فيهنّ أفضل وأحبّ إلى الله من عشر ذى الحجة الحديث ت ه من حديث أبى هريرة دون قوله قيل ولا الجهاد الخ وعند خ من حديث ابن عباس ما العمل فى أيام أفضل من العمل فى هذا العشر قالوا ولا الجهاد قال ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشىء (٨) الأحاديث الدالة على كراهة صيام الدهر خ م من حديث عبد الله بن عمرو فى حديث له لا صام من صام الأبد ولمسلم من حديث أبى قتادة قيل يا رسول الله كيف بمن صام الدهر قال لا صام ولا أفطر و ن نحوه من حديث عبد الله بن عمر وعمران بن حصين وعبد الله بن الشخير.

سمع القلب وموضع المشاهدة بصر القلب وللسمع حكمة وفائدة وللبصر حكمة وفائدة فمن هو فى سكر الحال يغيب سمعه فى بصره ومن هو فى حال الصحو والتمكين لا يغيب سمعه فى بصره لتملكه ناصية الحال ويفهم بالوعاء الوجودى المستعدّ لفهم المقال لأن الفهم مورد الإلهام والسماع والإلهام يستدعيان وعاء وجوديا وهذا الوجود موهوب منشأ إنشاء ثانيا للتمكن فى مقام الصحو وهو غير الوجود الذى يتلاشى عند لمعان نور المشاهدة لمن جاز على ممر الفناء إلى مقار البقاء. وقال ابن معبون إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب يعرف آداب الخدمة وآداب القلب وهى ثلاثة أشياء فالقلب إذا ذاق طعم العبادة عتق من رقّ الشهوة فمن وقف على شهوته وجد ثلث الأدب ومن افتقر إلى ما لم يجد

الصوم حجرا على نفسه مع أن الله سبحانه يحبّ أن تؤتى رخصه كما يحبّ أن تؤتى عزائمه فاذا لم يكن شيء من ذلك وأرى صلاح نفسه فى صوم الدهر فليفعل ذلك فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم . وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبوموسى الأشعرى « من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين (١) » ومعناه لم يكن له فيها موضع ودونه درجة أخرى وهو صوم نصف الدهر بأن يصوم يوما ويفطر يوما وذلك أشد على النفس وأقوى فى قهرها وقد ورد فى فضله أخبار كثيرة لأن العبد فيه بين صوم يوم وشكر يوم فقد قال صلى الله عليه وسلم « عرضت علىّ مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الأرض فرددتها وقلت أجوع يوما وأشبع يوما أحمدك إذا شبعت وأتضرع إليك إذا جعت (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام صوم أخى داود كان يصوم يوما ويفطر يوما (٣) » ومن ذلك « منازلته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو رضى الله عنهما فى الصوم وهو يقول إنى أطيق أكثر من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم : صم يوما وأفطر يوما فقال إنى أريد أفضل من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لاأفضل من ذلك (٤) » وقد روى « أنه صلى الله عليه وسلم ماصام شهرا كاملا قط إلا رمضان (٥) » بل كان يفطر منه ومن لايقدر على صوم نصف الدهر فلابأس بثلثه وهو أن يصوم يوما ويفطر يومين وإذا صام ثلاثة من أوّل الشهر وثلاثة من الوسط وثلاثة من الآخر فهو ثلث وواقع فى الأوقات الفاضلة وإن صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث وإذا ظهرت أوقات الفضيلة فالكمال فى أن يفهم الانسان معنى الصوم وأن مقصوده تصفية القلب وتفريغ الهمّ لله عز وجل والفقيه بدقائق الباطن ينظر إلى أحواله فقد يقتضى حاله دوام الصوم وقد يقتضى دوام الفطر وقد يقتضى مزج الافطار بالصوم وإذا فهم المعنى وتحقق حده فى سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لايوجب ترتيبا مستمرا ولذلك روى أنه صلى الله عليه وسلم « كان يصوم حتى يقال لايفطر ويفطر حتى يقال لايصوم وينام حتى يقال لايقوم ويقوم حتى يقال لاينام (٦) » وكان ذلك بحسب ماينكشف له بنور النبوّة من القيام بحقوق الأوقات وقد كره العلماء أن يوالى بين الافطار أكثر من أربعة أيام تقديرا بيوم العيد وأيام التشريق وذكروا أن ذلك يقسى القلب ويولد ردىء العادات ويفتح أبواب الشهوات ولعمرى هو كذلك فى حق أكثر الخلق لاسيما من يأكل فى اليوم والليلة مرتين فهذا ماأردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوّع به والله أعلم بالصواب .

تم كتاب أسرار الصوم والحمد لله بجميع محامده كلها ماعلمنا منها وما لم نعلم على جميع نعمه كلها

(١) حديث أبوموسى الأشعرى من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم هكذا وعقد تسعين أحمد ن فى الكبرى و حبّ وحسنه أبوعلى الطوسى (٢) حديث عرضت علىّ مفاتيح خزائن الدنيا الحديث ت من حديث أبى أمامة بلفظ عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا . وقال حسن (٣) حديث أفضل الصيام صوم أخى داود الحديث أخرجاه من حديث عبد الله بن عمرو (٤) حديث منازلته لعبد الله بن عمرو وقوله صم يوما وأفطر يوما الحديث أخرجاه من حديثه (٥) حديث ماصام شهرا كاملا قط إلا رمضان أخرجاه من حديث عائشة (٦) حديث كان يصوم حتى يقال لايفطر الحديث أخرجاه من حديث عائشة وابن عباس دون ذكر القيام والنوم و خ من حديث أنس كان يفطر من الشهر حتى يظن أن لايصوم منه شيئا ويصوم حتى يظن أن لايفطر منه شيئا وكان لاتشاء تراه من الليل مصليا إلا رأيته ولانائما إلا رأيته .

من الأدب بعد الاشتغال بما وجد فقد وجد ثلثى الأدب والثالث امتلاء القلب بالذى بدأ بالفضل عند الوفاء تفضلا فقد وجد كل الأدب . قال محمد ابن على الباقر موت القلب من شهوات النفس فكلما رفض شهوات نال من الحياة بقسطها فالسماع للأحياء لاللأموات قال الله تعالى ـ إنك لاتسمع الموتى ـ قال سهل بن عبدالله القلب رقيق تؤثر فيه الخطرات المذمومة وأثر القليل عليه كثير قال الله تعالى ـ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ـ فالقلب عمال لايفتر والنفس يقظانة لاترقد فان كان العبد مستمعا إلى الله تعالى وإلا فهو مستمع إلى الشيطان والنفس فكل شيء سدّ باب الاستماع فمن حركة النفس وفى حركتها يطرق الشيطان . وقد ورد « لولا أن الشياطين

ماعلمنا منها ومالم نعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وكرم وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الحج والله المعين لارب غيره وماتوفيقى إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(كتاب أسرار الحج)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذى جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا وجعل البيت العتيق مثابة للناس وأمنا وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشريفا وتحصينا ومنا وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد وبين العذاب ومحنا والصلاة على محمد نبى الرحمة وسيد الأمة وعلى آله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد : فان الحج من بين أركان الاسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الأمر وتمام الإسلام وكمال الدين فيه أنزل الله عزوجل قوله ـ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ـ وفيه قال صلى الله عليه وسلم «من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا (١) » فأعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال ويساوى تاركها اليهود والنصارى فى الضلال وأجدر بها أن تصرف العناية إلى شرحها وتفصيل أركانها وسننها وآدابها وفضائلها وأسرارها وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله عز وجل فى ثلاثة أبواب .

الباب الأوّل : فى فضائلها وفضائل مكة والبيت العتيق وجمل أركانها وشرائط وجوبها .

الباب الثانى : فى أعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدإ السفر إلى الرجوع .

الباب الثالث : فى آدابها الدقيقة وأسرارها الخفية وأعمالها الباطنة فلنبدأ بالباب الأول وفيه فصلان :

الفصل الأول : فى فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى وشد الرحال إلى المساجد .

(فضيلة الحج)

قال الله عزوجل ـ وأذن فى الناس بالحج يؤتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ـ وقال قتادة لما أمر الله عزوجل إبراهيم عليه السلام وعلى نبينا وعلى كل عبد مصطفى أن يؤذن فى الناس بالحج نادى : يا أيها الناس إن الله عزوجل بنى بيتا فحجوه وقال تعالى ـ ليشهدوا منافع لهم ـ قيل التجارة فى الموسم والأجر فى الآخرة ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة وقيل فى تفسير قوله عزوجل ـ لأقعدن لهم صراطك المستقيم ـ أى طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس منها وقال عليه السلام « من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه (٢) » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « مارؤى الشيطان فى يوم أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة (٣) » وماذلك إلا لما يرى من نزول الرحمة وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب العظام إذ يقال « إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة (٤) »

(كتاب أسرار الحج)

(١) حديث من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا عدّ من حديث أبى هريرة و ت نحوه من حديث على وقال غريب وفى إسناده مقال (٢) حديث من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه أخرجاه من حديث أبى هريرة (٣) حديث مارؤى الشيطان فى يوم هو أصغر الحديث مالك عن إبراهيم بن أبى عبلة عن طلحة بن عبد الله بن كريز مرسلا (٤) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة لم أجد له أصلا

يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السموات» وقال الحسين بصائر المبصرين ومعارف العارفين ونور العلماء الربانيين وطرق السابقين الناجين والأزل والأبد وما بينهما من الحدث لمن كان له قلب أو ألقى السمع . وقال ابن عطاء هو القلب الذى يلاحظ الحق ويشاهده ولا يغيب عنه خطرة ولا فترة فيسمع به بل يسمع منه ويشهد به بل يشهده فاذا لاحظ القلب الحق بعين الجلال فزع وارتعد وإذا طالعه بعين الجمال هدأ واستقر وقال بعضهم لمن كان له قلب بصير يقوى على التجريد مع الله تعالى والتفريد له حتى يخرج من الدنيا والخلق والنفس فلا يشتغل بغيره ولا يركن إلى سواه فقلب الصوفى مجرد عن الأكوان ألقى سمعه وشهد بصره فسمع المسموعات

وقد أسنده جعفر بن محمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر بعض المكاشفين من المقربين أن إبليس لعنة الله عليه ظهر له فى صورة شخص بعرفة فاذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكى العين مقصوف الظهر فقال له ماالذى أبكى عينك قال خروج الحاج إليه بلا تجارة أقول قد قصدوه أخاف أن لا يخيبهم فيحزننى ذلك قال فما الذى أنحل جسمك قال صهيل الخيل فى سبيل الله عز وجل ولو كانت فى سبيلى كان أحب إلىّ قال فما الذى غير لونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية كان أحب إلى قال فما الذى قصف ظهرك قال قول العبد أسألك حسن الخاتمة أقول يا ويلتى متى يعجب هذا بعمله أخاف أن يكون قد فطن وقال صلى الله عليه وسلم « من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجرى له أجر الحاج المعتمر إلى يوم القيامة ومن مات فى أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « حجة مبرورة خير من الدنيا ومافيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « الحجاج والعمار وفد الله عز وجل وزوّاره إن سألوه أعطاهم وإن استغفروه غفر لهم وإن دعوا استجيب لهم وإن شفعوا شفعوا (٣) » وفى حديث مسند من طريق أهل البيت عليهم السلام « أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله تعالى لم يغفر له (٤) » وروى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ينزل على هذا البيت فى كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين (٥) » وفى الخبر « استكثروا من الطواف بالبيت فانه من أجل شىء تجدونه فى صحفكم يوم القيامة وأغبط عمل تجدونه (٦) » ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة وفى الخبر « من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا فى المطر غفر له ماسلف من ذنبه (٧) » ويقال إن الله عز وجل إذا غفر لعبد ذنبا فى الموقف غفره لكل من أصابه فى ذلك الموقف وقال بعض السلف إذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل أهل عرفة وهو أفضل يوم فى الدنيا وفيه « حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان واقفا إذ نزل قوله عز وجل ـ اليوم أكملت لكم دينكم

(١) حديث من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجرى الله له أجر الحاج المعتمر إلى يوم القيامة ومن مات فى أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة هق فى الشعب بالشطر الأول من حديث أبى هريرة وروى هو وقطن من حديث عائشة الشطر الثانى نحوه وكلاهما ضعيف (٢) حديث حجة مبرورة خير من الدنيا ومافيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة أخرجاه من حديث أبى هريرة الشطر الثانى بلفظ الحج المبرور وقال إن الحجة المبرورة وعند ابن عدى حجة مبرورة (٣) حديث الحجاج والعمار وفد الله وزوّاره الحديث ه من حديث أبى هريرة دون قوله وزوّاره ودون قوله إن سألوه أعطاهم وإن شفعوا شفعوا وله من حديث ابن عمر وسألوه فأعطاهم ورواه حب (٤) حديث أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له الخطيب فى المتفق والمفترق وأبو منصور شهردار ابن شيرويه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر باسناد ضعيف (٥) حديث ينزل على هذا البيت فى كل يوم مائة وعشرون رحمة حب فى الضعفاء وهق فى الشعب من حديث ابن عباس باسناد حسن وقال أبو حاتم حديث منكر (٦) حديث استكثروا من الطواف بالبيت الحديث حب و ك من حديث ابن عمر استمتعوا من هذا البيت فانه هدم مرتين ويرفع فى الثالثة وقال ك صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا فى المطر غفر له ماسلف من ذنوبه لم أجده هكذا وعند ت و ه من حديث ابن عمر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة لفظ ت وحسنه .

وأبصر المبصرات وشاهد المشهودات لتخلصه إلى الله تعالى واجتماعه بين يدى الله والأشياء كلها عند الله وهو عنده فسمع وشاهد فأبصر وسمع جملها ولم يسمع ويشاهد تفاصيلها لأن الجمل تدرك لسعة عين الشهود والتفاصيل لاتدرك لضيق وعاء الوجود والله تعالى هو العالم بالجمل والتفاصيل وقد مثل بعض الحكماء تفاوت الناس فى الاستماع وقال إن الباذر خرج يبذره فملأ منه كفه فوقع منه شىء على ظهر الطريق فلم يلبث أن انحط عليه الطير فاختطفه ووقع منه شىء على الصفوان وهو الحجر الأملس عليه تراب يسير وندى قليل فنبت حتى إذا وصلت عروقه إلى الصفا لم تجد مساغا تنفذ فيه فيبس ووقع منه شىء فى أرض طيبة فيها شوك نابت فنبت فلما ارتفع خنقه الشوك

وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ـ (١) » قال أهل الكتاب لو أنزلت هذه الآية علينا لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضى الله عنه أشهد لقد أنزلت هذه الآية فى يوم عيدين اثنين يوم عرفة ويوم جمعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج (٢) » ويروى أن على بن موفق حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حججا قال فرأيت رسول الله ﷺ فى المنام فقال لى يا ابن موفق حججت عنى ؟ قلت نعم قال ولبيت عنى ؟ قلت نعم قال فانى أكافئك بها يوم القيامة آخذ بيدك فى الموقف فأدخلك الجنة والخلائق فى كرب الحساب وقال مجاهد وغيره من العلماء إنّ الحجاج إذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا وقال الحسن من مات عقب رمضان أو عقيب غزو أو عقيب حج مات شهيدا وقال عمر رضى الله عنه الحاج مغفور له ولمن يستغفر له فى شهر ذى الحجة والمحرّم وصفر وعشرين من ربيع الأوّل وقد كان من سنة السلف رضى الله عنهم أن يشيعوا الغزاة وأن يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألوهم الدعاء ويبادرون ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام ويروى عن على بن موفق قال حججت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمنى فى مسجد الخيف فرأيت فى المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى أحدهما صاحبه ياعبد الله فقال الآخر لبيك ياعبد الله قال تدرى كم حج بيت ربنا عز وجل فى هذه السنة ؟ قال لا أدرى قال حج بيت ربنا ستمائة ألف أفتدرى كم قبل منهم ؟ قال لا قال ستة أنفس قال ثم ارتفعنا فى الهواء فغابا عنى فانتبهت فزعا واغتممت غما شديدا وأهمنى أمرى فقلت إذا قبل حج ستة أنفس فأين أكون أنا فى ستة أنفس فلما أفضت من عرفة قمت عند المشعر الحرام فجعلت أفكر فى كثرة الخلق وفى قلة من قبل منهم فحملنى النوم فاذا الشخصان قد نزلا على هيئتهما فنادى أحدهما صاحبه وأعاد الكلام بعينه ثم قال أتدرى ماذا حكم ربنا عز وجل فى هذه الليلة ؟ قال لا قال فانه وهب لكل واحد من الستة مائة ألف قال فانتبهت وبى من السرور ما يجلّ عن الوصف وعنه أيضا رضى الله عنه قال حججت سنة فلما قضيت مناسكى تفكرت فيمن لا يقبل حجه فقلت اللهم إنى قد وهبت حجتى وجعلت ثوابها لمن لم تقبل حجته قال فرأيت ربّ العزّة فى النوم جلّ جلاله فقال لى يا على تتسخى علىّ وأنا خلقت السخاء والأسخياء وأنا أجود الأجودين وأكرم الأكرمين وأحق بالجود والكرم من العالمين قد وهبت كل من لم أقبل حجه لمن قبلته .

(فضيلة البيت ومكة المشرّفة)

قال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل قد وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا أكملهم الله عز وجل من الملائكة (٣) » وأن الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها يتعلق بأستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفى الخبر « إن الحجر الأسود ياقوتة من يواقيت الجنة وإنه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق به يشهد لكل من استلمه بحق وصدق (٤) »

(١) حديث وقوفه فى حجة الوداع يوم الجمعة ونزول ـ اليوم أكملت لكم دينكم ـ الحديث أخرجاه من حديث عمر (٢) حديث اللهم اغفر للحجاج ولمن استغفر له الحاج ك من حديث أبى هريرة وقال صحيح على شرط م (٣) حديث إن الله قد وعد هذا البيت أن يحجه فى كل سنة ستمائة ألف الحديث لم أجد له أصلا (٤) حديث إن الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة ويبعث يوم القيامة له عينان الحديث ت وصححه ن من حديث ابن عباس الحجر الأسود من الجنة لفظ ن وباقى الحديث رواه ت وحسنه و ه وحب و ك وصحح إسناده من حديث ابن عباس أيضا وللحاكم من حديث أنس إن الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة وصحح إسناده ورواه ن حب ك من حديث عبد الله بن عمرو .

فأفسده واختلط به ووقع منه شئ على أرض طيبة ليست على ظهر الطريق ولا على الصفوان ولا فيها شوك فنبت ونما وصلح فمثل الباذر مثل الحكيم ومثل البذر كمثل صواب الكلام ومثل ما وقع على ظهر الطريق مثل الرجل يسمع الكلام وهو لا يريد أن يسمعه فما يلبث الشيطان أن يختطفه من قلبه فينساه ومثل الذى وقع على الصفوان مثل الرجل يستمع الكلام فيستحسنه ثم تفضى الكلمة إلى قلب ليس فيه عزم على العمل فينسخ من قلبه ومثل الذى وقع فى أرض طيبة فيها شوك مثل الرجل يسمع الكلام وهو ينوى أن يعمل به فاذا اعترضت له الشهوات قيدته عن النهوض بالعمل فيترك ما نوى عمله لغلبة الشهوة كالزرع يختنق بالشوك ومثل الذى وقع فى أرض طيبة

وكان صلى الله عليه يقبله كثيرا (١) وروى أنه صلى الله عليه وسلم سجد عليه وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن (٢) وقبله عمر رضى الله عنه ثم قال إنى لأعلم أنك حجر لاتضرّ ولا تنفع (٣) ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ماقبلتك ثم بكى حتى علا نشيجه فالتفت إلى ورائه فرأى عليا كرّم الله وجهه ورضى الله عنه فقال ياأبا الحسن ههنا تسكب العبرات وتستجاب الدعوات فقال علىّ رضى الله عنه ياأمير المؤمنين بل هو يضرّ وينفع قال وكيف ؟ قال إن الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرّية كتب عليهم كتابا ثم ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام : اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك ، وروى عن الحسن البصرى رضى الله عنه أن صوم يوم فيها بمائة ألف يوم وصدقة درهم بمائة ألف درهم وكذلك كل حسنة بمائة ألف ويقال طواف سبعة أسابيع يعدل عمرة وثلاث عمر تعدل حجة وفى الخبر الصحيح «عمرة فى رمضان كحجة معى (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « أنا أوّل من تنشق عنه الأرض ثم آتى أهل البقيع فيحشرون معى ثم آتى أهل مكة فأحشر بين الحرمين (٥) » وفى الخبر « إن آدم ﷺ لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا برّ حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام (٦) » وجاء فى الأثر : إن الله عزوجلّ ينظر فى كل ليلة إلى أهل الأرض فأوّل من ينظر إليه أهل الحرم وأوّل من ينظر إليه من أهل الحرم أهل المسجد الحرام فمن رآه طائفا غفر له ومن رآه مصليا غفر له ومن رآه قائما مستقبل الكعبة غفر له وكوشف بعض الأولياء رضى الله عنهم قال إنى رأيت الثغور كلها تسجد لعبادان ورأيت عبادان ساجدة لجدّة ويقال لاتغرب الشمس من يوم إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال ولا يطلع الفجر من ليلة إلا طاف به واحد من الأوتاد وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لايرى الناس لها أثرا وهذا إذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فاذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس إلى الأشعار والأغانى وأخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى عليه السلام فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب التى تتوقع ولادتها وفى الخبر «استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع فقد هدم مرتين ويرفع فى الثالثة (٧) » وروى عن علىّ رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: قال الله تعالى «إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتى فخربته ثم أخرب الدنيا على أثره (٨) »

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبله كثيرا أخرجاه من حديث عمر دون قوله كثيرا، ون أنه كان يقبله كل مرّة ثلاثا إن رآه خاليا (٢) حديث إنه كان يسجد عليه البزار ولك من حديث عمر وصحح إسناده (٣) حديث قبله عمر وقال إنى لأعلم أنك حجر أخرجاه دون الزيادة التى رواها علىّ ورواه بتلك الزيادة ك وقال ليس من شرط الشيخين (٤) حديث عمرة فى رمضان كحجة معى أخرجاه من حديث ابن عباس دون قوله معى فهى عند مسلم على الشك تقضى حجة أو حجة معى ورواه ك بزيادتها من غير شك (٥) حديث أنا أوّل من تنشق عنه الأرض ثم آتى أهل البقيع فيحشرون معى الحديث ت وحسنه وحب من حديث ابن عمر (٦) حديث إن آدم لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا برّ حجك يا آدم الحديث رواه الفضل الجندى ومن طريقه ابن الجوزى فى العلل من حديث ابن عباس وقال لايصح ورواه الأزرقى فى تاريخ مكة موقوفا على ابن عباس (٧) حديث استكثروا من الطواف بهذا البيت الحديث البزار وحب و ك وصححه من حديث ابن عمر استمتعوا من هذا البيت فانه هدم مرّتين ويرفع فى الثالثة (٨) حديث قال الله إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتى فخربته ثم أخرب الدنيا على أثره ليس له أصل

مثل المستمع الذى ينوى عمله فيفهمه ويعمل به ويجانب هواه وهذا الذى جانب الهوى وانتهج سبيل الهدى هو الصوفى لأنّ للهوى حلاوة والنفس إذا تشربت حلاوة الهوى فهى تركن إليه وتستلذه واستلذاذ الهوى هو الذى يخنق النبت كالشوك وقلب الصوفى نازله حلاوة الحب الصافى والحب الصافى تعلق الروح بالحضرة الإلهية ومن قوة انجذاب الروح إلى الحضرة الإلهية بداعية الحب تستتبع القلب والنفس وحلاوة الحب للحضرة الالهية تغلب حلاوة الهوى لأنّ حلاوة الهوى كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار لكونها لاترتقى عن حدّ النفس وحلاوة الحب كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء لأنها متأصلة فى الروح فرعها عند الله تعالى وعروقها ضاربة

(فضيلة المقام بمكة حرسها الله تعالى وكراهيته)

كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لمعان ثلاثة . الأول : خوف التبرم والأنس بالبيت فان ذلك ربما يؤثر فى تسكين حرقة القلب فى الاحترام وهكذا كان عمر رضى الله عنه يضرب الحجاج إذا حجوا ويقول ياأهل اليمن يمنكم ويا أهل الشام شامكم ويا أهل العراق عراقكم ولذلك هم عمر رضى الله عنه بمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت أن يأنس الناس بهذا البيت . الثانى : تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود فان الله تعالى جعل البيت مثابة للناس وأمنا أى يثوبون ويعودون إليه مرة بعد أخرى ولا يقضون منه وطرا وقال بعضهم : تكون فى بلد وقلبك مشتاق إلى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه وأنت متبرم بالمقام وقلبك فى بلد آخر وقال بعض السلف : كم من رجل بخراسان وهو أقرب إلى هذا البيت ممن يطوف به ويقال إن لله تعالى عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا إلى الله عز وجل . الثالث : الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فان ذلك محظور وبالحرى أن يورث مقت الله عز وجل لشرف الموضع وروى عن وهيب بن الورد المكى قال كنت ذات ليلة فى الحجر أصلى فسمعت كلاما بين الكعبة والأستار يقول إلى الله أشكو ثم إليك ياجبرائيل ماألقى من الطائفين حولى من تفكرهم فى الحديث ولغوهم ولهوهم لئن لم ينتهوا عن ذلك لأتفضن انتفاضة يرجع كل حجر منى إلى الجبل الذى قطع منه وقال ابن مسعود رضى الله عنه مامن بلد يؤاخذ فيه العبد بالنية قبل العمل إلا مكة وتلا قوله تعالى ـ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ـ أى أنه على مجرد الارادة ويقال إن السيئات تضاعف بها كما تضاعف الحسنات وكان ابن عباس رضى الله عنه يقول الاحتكار بمكة من الإلحاد فى الحرم وقيل الكذب أيضا وقال ابن عباس لأن أذنب سبعين ذنبا بركية أحب إلى من أن أذنب ذنبا واحدا بمكة وركية منزل بين مكة والطائف ولخوف ذلك انتهى بعض المقيمين إلى أنه لم يقض حاجته فى الحرم بل كان يخرج إلى الحل عند قضاء الحاجة وبعضهم أقام شهرا وما وضع جنبه على الأرض ، وللمنع من الاقامة كره بعض العلماء أجور دور مكة ولا تظنن أن كراهة المقام يناقض فضل البقعة لأن هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع فمعنى قولنا إن ترك المقام به أفضل أى بالاضافة إلى مقام مع التقصير والتبرم إما أن يكون أفضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيهات وكيف لا ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة استقبل الكعبة وقال « إنك لخير أرض الله عز وجل وأحب بلاد الله تعالى إلى ولولا أنى أخرجت منك لما خرجت[1] » وكيف لا والنظر إلى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناه .

(فضيلة المدينة الشريفة على سائر البلاد)

مابعد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالأعمال فيها أيضا مضاعفة قال صلى الله عليه وسلم « صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام[2] » وكذلك كل عمل بالمدينة بألف وبعد مدينته الأرض المقدسة فان الصلاة فيها بخمسمائة صلاة فيما سواها إلا المسجد الحرام وكذلك سائر الأعمال وروى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « صلاة فى مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة فى المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة[3] »

(١) حديث إنك لخير أرض الله وأحب بلاد الله إلى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت ت وصححه و ن فى الكبرى و ه و حب من حديث عبد الله بن عدى بن الحمراء (٢) حديث صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام متفق عليه من حديث أبى هريرة ورواه م من حديث ابن عمر (٣) حديث ابن عباس صلاة فى مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة فى المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة غريب لم أجده بجملته هكذا و ه

فى أرض النفس فاذا سمع الكلمة من القرآن أو من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم يتشربها بالروح والقلب والنفس ويفسدها بكليته ويقول :

أشم منك نسيما لست أعرفه
أظن لمياء جرت فيك أردانا

فتعمه الكلمة وتشمله وتصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصرا فيسمع الكل بالكل ويبصر الكل بالكل ويقول :

إن تأملتكم فكلى عيون
أو تذكرتكم فكلى قلوب

قال الله تعالى ـ فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ـ قال بعضهم اللب والعقل مائة جزء تسعة وتسعون فى النبى صلى الله عليه وسلم وجزء فى سائر المؤمنين والجزء الذى فى سائر

وقال

وقال صلى الله عليه وسلم «من صبر على شدتها ولأوائها كنت له شفيعا يوم القيامة (١)» وقال صلى الله عليه وسلم «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة (٢)» وما بعد هذه البقاع الثلاث فالمواضع فيها متساوية إلا الثغور فان المقام بها للمرابطة فيها فيه فضل عظيم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى (٣)» وقد ذهب بعض العلماء إلى الاستدلال بهذا الحديث فى المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصالحاء وما تبين لى أن الأمر كذلك بل الزيارة مأمور بها قال ﷺ «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا (٤)» والحديث إنما ورد فى المساجد وليس فى معناها المشاهد لأن المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة ولا بلد إلا وفيه مسجد فلا معنى للرحلة إلى مسجد آخر وأما المشاهد فلا تتساوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله عز وجل نعم لو كان فى موضع لا مسجد فيه فله أن يشد الرحال إلى موضع فيه مسجد وينتقل إليه بالكلية إن شاء ثم ليت شعرى هل يمنع هذا القائل من شد الرحال إلى قبور الأنبياء عليهم السلام مثل إبراهيم وموسى ويحيى وغيرهم عليهم السلام فالمنع من ذلك فى غاية الإحالة فاذا جوز هذا فقبور الأولياء والعلماء والصالحاء فى معناها فلا يبعد أن يكون ذلك من أغراض الرحلة كما أن زيارة العلماء فى الحياة من المقاصد هذا فى الرحلة أما المقام فالأولى بالمريد أن يلازم مكانه إذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله فى وطنه فان لم يسلم فيطلب من المواضع ما هو أقرب إلى الخمول وأسلم للدين وأفرغ للقلب وأيسر للعبادة فهو أفضل المواضع له قال ﷺ «البلاد بلاد الله عز وجل والخلق عباده فأى موضع رأيت فيه رفقا فأقم واحمد الله تعالى (٥)» وفى الخبر «من بورك له فى شىء فليلزمه ومن جعلت معيشته فى شىء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه (٦)» وقال أبو نعيم رأيت سفيان الثورى وقد جعل جرابه على كتفه وأخذ نعليه بيده فقلت إلى أين يا أبا عبد الله قال إلى بلد أملأ فيه جرابى بدرهم وفى حكاية أخرى بلغنى عن قرية فيها رخص أقيم فيها قال فقلت وتفعل هذا يا أبا عبد الله فقال نعم إذا سمعت برخص فى بلد فاقصده فانه أسلم لدينك وأقل لهمك وكان يقول هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الحاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان تنقل يتنقل الرجل من قرية إلى قرية يفر بدينه من الفتن ويحكى عنه أنه قال والله ما أدرى أى البلاد أسكن فقيل له خراسان فقال مذاهب مختلفة وآراء فاسدة قيل فالشام قال يشار إليك بالأصابع أراد الشهرة قيل فالعراق قال بلد الجبابرة قيل مكة قال مكة تذيب الكيس والبدن وقال له رجل غريب عزمت على المجاورة بمكة فأوصنى قال أوصيك بثلاث لا تصلين فى الصف الأول ولا تصحبن قرشيا ولا تظهرن صدقة وإنما كره الصف الأول لأنه يشتهر فيفتقد إذا غاب فيختلط بعمله التزين والتصنع.

من حديث ميمونة باسناد جيد فى بيت المقدس ائتوه فصلوا فيه فان صلاة فيه كألف صلاة فى غيره وله من حديث أنس صلاة بالمسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة وصلاة فى مسجدى بخمسين ألف صلاة وليس فى إسناده من ضعف وقال الذهبى إنه منكر (١) حديث لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة من حديث أبى هريرة وابن عمر وأبى سعيد (٢) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها الحديث ت ه من حديث ابن عمر قال ت حسن صحيح (٣) حديث لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد (٤) حديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها م من حديث بريدة بن الحصيب (٥) حديث البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فأى موضع رأيت فيه رفقا فأقم أحمد والطبرانى من حديث الزبير بسند ضعيف (٦) حديث من رزق فى شىء فليلزمه ومن جعلت معيشته فى شىء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه ه من حديث أنس بالجملة الأولى بسند حسن ومن حديث عائشة بسند فيه جهالة بلفظ إذا سبب الله لأحدكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير أو يتنكر له.

المؤمنين أحد وعشرون سهما فسهم يتساوى المؤمنين كلهم فيه وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وعشرون جزءا يتفاضلون فيها على مقادير حقائق إيمانهم قيل فى هذه الآية إظهار فضيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأحسن ما يأتى به لأنه لما وقعت له صحبة التمكين ومقارنة الاستقرار قبل خلق الكون ظهرت عليه الأنوار فى الأحوال كلها وكان معه أحسن الخطاب وله السبق فى جميع المقامات ألا تراه صلى الله عليه وسلم يقول نحن الآخرون السابقون يعنى الآخرون وجودا السابقون فى الخطاب الأول فى الفضل فى محل القدس وقال تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ـ قال الجنيد تنسموا روح ما دعاهم إليه

(الفصل الثانى فى شروط وجوب الحج وصحة أركانه وواجباته ومحظوراته)

أما الشرائط فشرط صحة الحج اثنان الوقت والاسلام فيصح حج الصبى ويحرم بنفسه إن كان مميزا ويحرم عنه وليه إن كان صغيرا ويفعل به مايفعل فى الحج من الطواف والسعى وغيره . وأما الوقت فهو شوّال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر فمن أحرم بالحج فى غير هذه المدة فهى عمرة وجميع السنة وقت العمرة ولكن من كان معكوفا على النسك أيام منى فلاينبغى أن يحرم بالعمرة لأنه لايتمكن من الاشتغال عقيبه لاشتغاله بأعمال منى . وأما شروط وقوعه عن حجة الاسلام فخمسة : الاسلام والحرية والبلوغ والعقل والوقت فان أحرم الصبى أو العبد ولكن عتق العبد وبلغ الصبى بعرفة أو بمزدلفة وعاد إلى عرفة قبل طلوع الفجر أجزاهما عن حجة الاسلام لأن الحج عرفة وليس عليهما دم إلا شاة وتشترط هذه الشرائط فى وقوع العمرة عن فرض الاسلام إلا الوقت . وأما شروط وقوع الحج نفلا عن الحر البالغ فهو بعد براءة ذمته عن حجة الاسلام فحج الاسلام متقدم ثم القضاء لمن أفسده فى حالة الوقوف(*) ثم النذر ثم النيابة ثم النفل وهذا الترتيب مستحق وكذلك يقع وإن نوى خلافه . وأما شروط لزوم الحج فخمسة : البلوغ والاسلام والعقل والحرية والاستطاعة ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ومن أراد دخول مكة لزيارة أو تجارة ولم يكن حطابا لزمه الاحرام على قول ثم يتحلل بعمل عمرة أو حج . وأما الاستطاعة فنوعان : أحدهما المباشرة وذلك له أسباب ، أما فى نفسه فبالصحة ، وأما فى الطريق فبأن تكون خصبة آمنة بلا بحر مخطر ولا عدو قاهر ، وأما فى المال فبأن يجد نفقته ذهابه وإيابه إلى وطنه كان له أهل أو لم يكن لأن مفارقة الوطن شديدة وأن يملك نفقة من تلزمه نفقته فى هذه المدة وأن يملك مايقضى به ديونه وأن يقدر على راحلة أو كرائها بمحمل أو زاملة إن استمسك على الزاملة . وأما النوع الثانى فاستطاعة المعضوب بماله وهو أن يستأجر من يحج عنه بعد فراغ الأجير عن حجة الاسلام لنفسه ويكفى نفقة الذهاب بزاملة فى هذا النوع والابن إذا عرض طاعته على الأب الزمن صار به مستطيعا ولو عرض ماله لم يصر به مستطيعا لأن الخدمة بالبدن فيها شرف للولد وبذل المال فيه منة على الوالد ومن استطاع لزمه الحج وله التأخير ولكنه فيه على خطر فان تيسر له ولو فى آخر عمره سقط عنه وإن مات قبل الحج لقى الله عز وجل عاصيا بترك الحج وكان الحج فى تركته يحج عنه وإن لم يوص كسائر ديونه وإن استطاع فى سنة فلم يخرج مع الناس وهلك ماله فى تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقى الله عز وجل ولا حج عليه ومن مات ولم يحج مع اليسار فأمره شديد عند الله تعالى قال عمر رضى الله عنه لقد هممت أن أكتب فى الأمصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع إليه سبيلا وعن سعيد بن جبير وإبراهيم النخعى ومجاهد وطاوس لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ماصليت عليه وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يزك ولم يحج سأل الرجعة إلى الدنيا وقرأ قوله عز وجل ـ رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت ـ قال : الحج . وأما الأركان التى لايصح الحج بدونها فخمسة : الإحرام والطواف والسعى بعده والوقوف بعرفة والحلق بعده على قول وأركان العمرة كذلك إلا الوقوف . والواجبات المجبورة بالدم ست الاحرام من الميقات فمن تركه وجاوز الميقات محلا فعليه شاة والرمى فيه الدم قولا واحدا وأما الصبر بعرفة إلى غروب الشمس والمبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وطواف الوداع فهذه الأربعة يجبر تركها بالدم على أحد القولين . وفى القول الثانى فيها دم على وجه الاستحباب . وأما وجوه أداء الحج والعمرة فثلاثة

(*) قوله فى حالة الوقوف هكذا بالنسخ وفى نسخة الشارح الرق وهى أظهر فان الرقيق إذا أفسد حجه وهو رقيق ثم عتق ثم حج انصرف حجه للقضاء ولا يجزيه عن حجة الاسلام تأمل .

فأسرعوا إلى محو العلائق المشغلة وهجموا بالنفوس على معانقة الحذر وتجرعوا مرارة المكابدة وصدقوا الله فى المعاملة وأحسنوا الأدب فيما توجهوا إليه وهانت عليهم المصائب وعرفوا قدر مايطلبون وسجنوا هممهم عن التلفت إلى مذكور سوى وليهم فحيوا حياة الأبد بالحى الذى لم يزل ولا يزال . وقال الواسطى رحمه الله تعالى حياتها تصفيتها عن كل معلول لفظا وفعلا وقال بعضهم استجيبوا لله بسرائركم وللرسول بظواهركم فحياة النفوس بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وحياة القلوب بمشاهدة الغيوب وهو الحياء من الله تعالى برؤية التقصير وقال ابن عطاء فى هذه الآية الاستجابة على أربعة أوجه : أولها إجابة التوحيد . والثانى إجابة التحقيق . والثالث إجابة التسليم

الأول الافراد وهو الأفضل وذلك أن يقدم الحج وحده فاذا فرغ خرج إلى الحل فأحرم واعتمر وأفضل الحل لاحرام العمرة الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وليس على المفرد دم إلا أن يتطوع . الثانى القران وهو أن يجمع فيقول لبيك بحجة وعمرة معا فيصير محرما بهما ويكفيه أعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الغسل إلا أنه إذا طاف وسعى قبل الوقوف بعرفة فسعيه محسوب من النسكين وأما طوافه فغير محسوب لأن شرط الطواف الفرض فى الحج أن يقع بعد الوقوف وعلى القارن دم شاة إلا أن يكون مكيا فلا شىء عليه لأنه لم يترك ميقاته إذ ميقاته مكة . الثالث التمتع وهو أن يجاوز الميقات محرما بعمرة ويحل بمكة ويتمتع بالمحظورات إلى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتعا إلا بخمس شرائط : أحدها أن لا يكون من حاضرى المسجد الحرام وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة . الثانى أن يقدم العمرة على الحج . الثالث أن تكون عمرته فى أشهر الحج . الرابع أن لا يرجع إلى ميقات الحج ولا إلى مثل مسافته لإحرام الحج . الخامس أن يكون حجه وعمرته عن شخص واحد فاذا وجدت هذه الأوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاة فان لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج قبل يوم النحر متفرقة أو متتابعة وسبعة إذا رجع إلى الوطن وإن لم يصم الثلاثة حتى رجع إلى الوطن صام العشرة تتابعا أو متفرقا وبدل دم القران والتمتع سواء والأفضل الافراد ثم التمتع ثم القران . وأما محظورات الحج والعمرة فستة : الأول اللبس للقميص والسراويل والخف والعمامة بل ينبغى أن يلبس إزارا ورداء ونعلين فان لم يجد نعلين فكعبين فان لم يجد إزارا فسراويل ولا بأس بالمنطقة والاستظلال فى المحمل ولكن لا ينبغى أن يغطى رأسه فان إحرامه فى الرأس وللمرأة أن تلبس كل مخيط بعد أن لا تستر وجهها بما يماسه فان إحرامها فى وجهها . الثانى الطيب فليجتنب كل ما يعده العقلاء طيبا فان تطيب أو لبس فعليه دم شاة . الثالث الحلق والقلم وفيهما الفدية أعنى دم شاة ولا بأس بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر . الرابع الجماع وهو مفسد قبل التحلل الأول وفيه بدنة أو بقرة أو سبع شياه وإن كان بعد التحلل الأول لزمه البدنة ولم يفسد حجه . الخامس مقدمات الجماع كالقبلة واللامسة التى تنقض الطهر مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكذا فى الاستمناء ويحرم النكاح والإنكاح ولا دم فيه لأنه لا ينعقد . السادس قتل صيد البر أعنى ما يؤكل أو هو متولد من الحلال والحرام فان قتل صيدا فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب فى الخلقة وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه .

(الباب الثانى فى ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر إلى الرجوع وهى عشرة جمل)

الجملة الأولى فى السير من أول الخروج إلى الاحرام وهى ثمانية

الأولى فى المال : فينبغى أن يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودائع ويستصحب من المال الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه وإيابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه معه التوسع فى الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ويتصدق بشىء قبل خروجه ويشترى لنفسه دابة قوية على الحمل لا تضعف أو يكتريها فان اكترى فليظهر للمكارى كل ما يريد أن يحمله من قليل أو كثير ويحصل رضاه فيه . الثانية فى الرفيق : ينبغى أن يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه وإن جبن شجعه وإن عجز قواه وإن ضاق صدره صبره ويودع رفقاءه المقيمين وإخوانه وجيرانه فيودعهم ويلتمس أدعيتهم فان الله تعالى جاعل فى أدعيتهم خيرا ، والسنة فى الوداع أن يقول : أستودع الله دينك

والرابع إجابة التقريب فالاستجابة على قدر السماع والسماع من حيث الفهم والفهم على قدر المعرفة بقدر الكلام والمعرفة بالكلام على قدر المعرفة والعلم بالمتكلم ووجوه الفهم لا تنحصر لأن وجوه الكلام لا تنحصر قال الله تعالى ـ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ـ فلله تعالى فى كل كلمة من القرآن كلماته التى ينفد البحر دون نفادها فكل الكلام كلمة نظرا إلى ذات التوحيد وكل كلمة كلمات نظر لسعة العلم الأزلى . حدثنا شيخنا أبو النجيب السهروردى قال : أنبأنا الرئيس أبو على بن نبهان قال أنا الحسن بن شاذان قال أنا دعلج بن أحمد قال أنا أبو الحسن ابن عبد العزيز البغوى قال أنا أبو عبيد بن القاسم بن سلام قال حدثنا حجاج عن حماد بن

وأماناتك وخواتيم عملك (١) وكان صلى الله عليه وسلم يقول لمن أراد السفر « فى حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما كنت (٢) » . الثالثة فى الخروج من الدار : ينبغى إذا هم بالخروج أن يصلى ركعتين أولا يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة قل يا أيها الكافرون وفى الثانية الاخلاص فاذا فرغ رفع يديه ودعا الله سبحانه عن إخلاص صاف ونية صادقة وقال اللهم أنت الصاحب فى السفر وأنت الخليفة فى الأهل والمال والولد والأصحاب احفظنا وإياهم من كل آفة وعاهة اللهم إنا نسألك فى مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم إنا نسألك أن تطوى لنا الأرض وتهون علينا السفر وأن ترزقنا فى سفرنا سلامة البدن والدين والمال وتبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى الأهل والمال والولد والأصحاب اللهم اجعلنا وإياهم فى جوارك ولا تسلبنا وإياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك . الرابعة : إذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أذل أو أذل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على اللهم إنى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا إلى لقائك فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت وإليك توجهت اللهم أنت ثقتى وأنت رجائى فاكفنى ما أهمنى وما لا أهتم به وما أنت أعلم به منى عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اللهم زودنى التقوى واغفر لى ذنبى ووجهنى للخير أينما توجهت ويدعو بهذا الدعاء فى كل منزل يدخل عليه . الخامسة فى الركوب : فاذا ركب الراحلة يقول بسم الله وبالله والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم إنى وجهت وجهى إليك وفوضت أمرى كله إليك وتوكلت فى جميع أمورى عليك أنت حسبى ونعم الوكيل فاذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبع مرات وقال الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور . السادسة فى النزول : والسنة أن لا ينزل حتى يحمى النهار ويكون أكثر سيره بالليل قال ﷺ « عليكم بالدلجة فان الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار (٣) » وليقلل نومه بالليل حتى يكون عونا على السير ومهما أشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شره وشر ما فيه اصرف عنى شر شرارهم فاذا نزل المنزل صلى ركعتين فيه ثم قال أعوذ بكلمات الله التامة التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه الليل يقول يا أرض ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم . السابعة فى الحراسة : ينبغى أن يحتاط بالنهار فلا

(١) حديث أستودع الله دينك وأماناتك وخواتيم عملك د ت وصححه و ن من حديث ابن عمر أنه كان يقول للرجل إذا أراد سفرا ادن منى حتى أودعك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعنا

(٢) حديث كان ﷺ يقول لمن أراد سفرا فى حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما توجهت الطبرانى فى الدعاء من حديث أنس وهو عند ت وحسنه دون قوله فى حفظ الله وكنفه (٣) حديث عليكم بالدلجة فان الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار د من حديث أنس دون قوله ما تطوى بالنهار وهذه الزيادة فى الموطأ من حديث خالد بن معدان مرسلا .

سلمة عن على بن زيد عن الحسن يرفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال « ما نزل من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع » قال فقلت يا أبا سعيد ما المطلع قال يطلع قوم يعملون به قال أبو عبيد أحسب أن قول الحسن هذا إنما ذهب إلى قول عبد الله بن مسعود قال أبو عبيد حدثنى حجاج عن شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال : ما من حرف أو آية إلا وقد عمل بها قوم أو لها قوم سيعملون بها فالمطلع المصعد يصعد إليه من معرفة علمه فيكون المطلع الفهم بفتح الله تعالى عن كل قلب بما يرزق من النور واختلف الناس فى معنى الظهر والبطن قال قوم الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله وقيل الظهر صورة القصة

يمشى منفردا خارج القافلة لأنه ربما يغتال أو ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم فان نام فى ابتداء الليل افترش ذراعه وإن نام فى آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه فى كفه هكذا كان ينام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفره (١) لأنه ربما استثقل النوم فتطلع الشمس وهو لا يدرى فيكون مايفوته من الصلاة أفضل مما يناله من الحج والأحب فى الليل أن يتناوب الرفيقان فى الحراسة فاذا نام أحدهما حرس الآخر (٢) فهو السنة فان قصده عدو أو سبع فى ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسى وشهد الله والاخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله ماشاء الله لاقوة إلا الله حسبى الله توكلت على الله ماشاء الله لايأتى بالخير إلا الله ماشاء الله لايصرف السوء إلا الله حسبى الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ ـ كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز ـ تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحى الذى لايموت اللهم احرسنا بعينك التى لاتنام واكنفنا بركنك الذى لايرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة إنك أنت أرحم الراحمين . الثامنة : مهما علا نشزا من الأرض فى الطريق فيستحب أن يكبر ثلاثا ثم يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة فى سفره قال : سبحان الله الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت.

(الجملة الثانية فى آداب الاحرام من الميقات إلى دخول مكة وهى خمسة)

الأول : أن يغتسل وينوى به غسل الاحرام أعنى إذا انتهى إلى الميقات المشهور الذى يحرم الناس منه ويتمم غسله بالتنظيف ويسرح لحيته ورأسه ويقلم أظفاره ويقص شاربه ويستكمل النظافة التى ذكرناها فى الطهارة . الثانى : أن يفارق الثياب المخيطة ويلبس ثوبى الاحرام فيرتدى ويتزر بثوبين أبيضين فالأبيض هو أحب الثياب إلى الله عز وجل ويتطيب فى ثيابه وبدنه ولا بأس بطيب يبقى جرمه بعد الإحرام ، فقد رؤى بعض المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام مما كان استعمله قبل الاحرام (٣) . الثالث : أن يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحلته إن كان راكبا أو يبدأ بالسير إن كان راجلا فعند ذلك ينوى الإحرام بالحج أو بالعمرة قرانا أو إفرادا كما أراد ويكفى مجرد النية لانعقاد الاحرام ولكن السنة أن يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك وإن زاد قال لبيك وسعديك والخير كله بيديك والرغباء إليك لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد . الرابع : إذا انعقد إحرامه بالتلبية المذكورة فيستحب أن يقول اللهم إنى أريد الحج فيسره لى وأعنى على أداء فرضه وتقبله منى اللهم إنى نويت أداء فريضتك فى الحج فاجعلنى من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا أمرك واجعلنى من وفدك الذين رضيت عنهم وارتضيت وقبلت منهم اللهم

(١) حديث كان إذا نام فى أول الليل افترش ذراعه وإذا نام فى آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل ذراعه فى كفه أحمد و ت فى الشمائل من حديث أبى قتادة باسناد صحيح وعزاه أبو مسعود الدمشقى والحميدى إلى م ولم أره فيه (٢) حديث تناوب الرفيقين فى الحراسة فاذا نام أحدهما حرس الآخر هق من طريق ابن إسحق من حديث جابر فى حديث فيه فقال الأنصارى للمهاجرى أى الليل أحب إليك أن أكفيكه أوله أو آخره فقال بل اكفنى أوله فاضطجع المهاجرى الحديث والحديث عند أبى داود ولكن ليس فيه قول الأنصارى للمهاجرى (٣) حديث رؤية وبيص المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام متفق عليه من حديث عائشة قالت : كأنما أنظر إلى وبيص المسك الحديث .

مما أخبر الله تعالى عن غضبه على قوم وعقابه إياهم فظاهر ذلك إخبار عنهم وباطنه عظة وتنبيه لمن يقرأ ويسمع من الأمة وقيل ظاهره تنزيله الذى يجب الإيمان به وباطنه وجوب العمل به وقيل ظهره تلاوته كما أنزل قال الله تعالى ـ ورتل القرآن ترتيلا ـ وبطنه التدبير والتفكر فيه قال الله تعالى ـ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب. وقيل قوله لكل حرف حد أى فى التلاوة لايجاوز الصحف الذى هو الإمام وفى التفسير لا يجاوز المسموع المنقول وفرق بين التفسير والتأويل فالتفسير علم نزول الآية وشأنها وقصتها والأسباب الذى نزلت فيها وهذا محظور على الناس كافة القول فيه إلا بالسماع والأثر وأما التأويل فصرف الآية

فيسر لى أداء مانويت من الحج اللهم قد أحرم لك لحمى وشعرى ودمى وعصبى ومخى وعظامى وحرمت على نفسى النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التى ذكرناها من قبل فليجتنبها . الخامس : يستحب تجديد التلبية فى دوام الاحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق وعند اجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب ونزول رافعا بها صوته بحيث لا يبح حلقه ولا ينبهر فانه لا ينادى أصم ولا غائبا(١) كما ورد فى الخبر ولا بأس برفع الصوت بالتلبية فى المساجد الثلاثة فانها مظنة المناسك : أعنى المسجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد الميقات وأما سائر المساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت وكان صلى الله عليه وسلم إذا أعجبه شىء قال « لبيك إن العيش عيش الآخرة(٢) » .

(الجملة الثالثة فى آداب دخول مكة إلى الطواف وهى ستة)

الأول أن يغتسل بذى طوى لدخول مكة . والاغتسالات المستحبة المسنونة فى الحج تسعة . الأول : للاحرام من الميقات ثم لدخول مكة ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بمزدلفة ثم ثلاثة أغسال لرمى الجمار الثلاث ولا غسل لرمى جمرة العقبة ثم لطواف الوداع ولم ير الشافعى رضى الله عنه فى الجديد الغسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع فتعود إلى سبعة . الثانى : أن يقول عند الدخول فى أول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك وأمنك فحرم لحمى ودمى وشعرى وبشرى على النار وآمنى من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلنى من أوليائك وأهل طاعتك . الثالث : أن يدخل مكة من جانب الأبطح وهو من ثنية كداء بفتح الكاف عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادة الطريق إليها(٣) فالتأسى به أولى وإذا خرج خرج من ثنية كدى بضم الكاف وهى الثنية السفلى والأولى هى العليا . الرابع : إذا دخل مكة وانتهى إلى رأس الردم فعنده يقع بصره على البيت فليقل : لا إله إلا الله والله أكبر اللهم أنت السلام ومنك السلام وبارك دار السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام اللهم إن هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حجه برا وكرامة اللهم افتح لى أبواب رحمتك وأدخلنى جنتك وأعذنى من الشيطان الرجيم . الخامس : إذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بنى شيبة وليقل : بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى إبراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك وليرفع يديه وليقل اللهم إنى أسألك فى مقامى هذا فى أول مناسكى أن تتقبل توبتى وأن تتجاوز عن خطيئتى وتضع عنى وزرى الحمد لله الذى بلغنى بيته الحرام الذى جعله مثابة للناس وأمنا وجعله مباركا وهدى للعالمين اللهم إنى عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جئتك أطلب رحمتك وأسألك مسئلة المضطر الخائف من عقوبتك الراجى لرحمتك الطالب مرضاتك . السادس : أن تقصد الحجر الأسود بعد ذلك وتمسه بيدك اليمنى وتقبله وتقول : اللهم أمانتى أديتها وميثاقى وفيته

(١) حديث إنكم لا تنادون أصم ولا غائبا متفق عليه من حديث أبى موسى (٢) حديث كان إذا أعجبه شىء قال : لبيك إن العيش عيش الآخرة الشافعى فى المسند من حديث مجاهد مرسلا بنحوه وللحاكم وصححه من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف بعرفات فلما قال لبيك اللهم لبيك قال إنما الخير خير الآخرة (٣) حديث دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثنية كداء بفتح الكاف متفق عليه من حديث ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل مكة دخل من الثنية العليا التى بالبطحاء الحديث .

إلى معنى تحتمله إذا كان المحتمل الذى يراه يوافق الكتاب والسنة فالتأويل يختلف باختلاف حال المؤول على ماذكرناه من صفاء الفهم ورتبة المعرفة ومنصب القرب من الله تعالى قال أبو الدرداء : لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة فما أعجب قول عبد الله ابن مسعود ما من آية إلا ولها قوم سيعملون بها وهذا الكلام محرض لكل طالب صاحب همة أن يصفى موارد الكلام ويفهم دقيق معانيه وغامض أسراره من قلبه فللصوفى بكمال الزهد فى الدنيا وتجريد القلب عما سوى الله تعالى مطلع من كل آية وله بكل مرة فى التلاوة مطلع جديد وفهم عتيد وله بكل فهم عمل جديد ففهمهم يدعو إلى العمل وعملهم يجلب صفاء الفهم ودقيق النظر فى معانى الخطاب فمن

اشهدلى بالموافاة فان لم يستطع التقبيل وقف فى مقابلته ويقول ذلك ثم لا يعرّج على شىء دون الطواف وهو طواف القدوم إلا أن يجد الناس فى المكتوبة فيصلى معهم ثم يطوف .

(الجملة الرابعة فى الطواف)

فاذا أراد افتتاح الطواف إما للقدوم وإما لغيره فينبغى أن يراعى أمورا ستة . الأول : أن يراعى شروط الصلاة من طهارة الحدث والخبث فى الثوب والبدن والمكان وستر العورة فالطواف بالبيت صلاة ولكن الله سبحانه أباح فيه الكلام وليضطبع قبل ابتداء الطواف وهو أن يجعل وسط ردائه تحت إبطه اليمنى ويجمع طرفيه على منكبه الأيسر فيرخى طرفا وراء ظهره وطرفا على صدره ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويشتغل بالأدعية التى سنذكرها . الثانى : إذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره وليقف عند الحجر الأسود وليتنح عنه قليلا ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه فى ابتداء طوافه وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريبا من البيت فانه أفضل ولكيلا يكون طائفا على الشاذروان فانه من البيت وعند الحجر الأسود قد يتصل الشاذروان بالأرض ويلتبس به والطائف عليه لا يصح طوافه لأنه طائف فى البيت والشاذروان هو الذى فضل عن عرض جدار البيت بعد أن ضيق أعلى الجدار ثم من هذا الموقف يبتدىء الطواف . الثالث : أن يقول قبل مجاوزة الحجر بل فى ابتداء الطواف بسم الله والله أكبر اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويطوف فأول ما يجاوز الحجر ينتهى إلى باب البيت فيقول : اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا الأمن أمنك وهذا مقام العائذ بك من النار وعند ذكر المقام يشير بعينه إلى مقام إبراهيم عليه السلام : اللهم إن بيتك عظيم ووجهك كريم وأنت أرحم الراحمين فأعذنى من النار ومن الشيطان الرجيم وحرم لحمى ودمى على النار وآمنى من أهوال يوم القيامة واكفنى مؤنة الدنيا والآخرة ثم يسبح الله تعالى ويحمده حتى يبلغ الركن العراقى فعنده يقول اللهم إنى أعوذ بك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الأخلاق وسوء المنظر فى الأهل والمال والولد فاذا بلغ الميزاب قال اللهم أظلنا تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك اللهم اسقنى بكأس محمد صلى الله عليه وسلم شربة لا أظمأ بعدها أبدا فاذا بلغ الركن الشامى قال اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا وتجارة لن تبور ياعزيز ياغفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم فاذا بلغ الركن اليمانى قال اللهم إنى أعوذ بك من الكفر وأعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من الخزى فى الدنيا والآخرة ويقول بين الركن اليمانى والحجر الأسود اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا برحمتك فتنة القبر وعذاب النار فاذا بلغ الحجر الأسود قال اللهم اغفرلى برحمتك أعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر وعند ذلك قد تم شوط واحد فيطوف كذلك سبعة أشواط فيدعو بهذه الأدعية فى كل شوط . الرابع : أن يرمل فى ثلاثة أشواط ويمشى فى الأربعة الأخر على الهيئة المعتادة ومعنى الرمل الاسراع فى المشى مع تقارب الخطا وهو دون العدو وفوق المشى المعتاد والمقصود منه ومن الاضطباع إظهار الشطارة والجلادة والقوة هكذا كان القصد أولا قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك السنة (١) والأفضل الرمل مع الدنو من البيت فان لم يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد أفضل

(١) حديث مشروعية الرمل والاضطباع قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك السنة أما الرمل فمتفق عليه من حديث ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال المشركون إنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الأشواط الثلاثة الحديث وأما الاضطباع

الفهم علم ومن العلم عمل والعلم والعمل يتناوبان فيه وهذا العمل آنفا إنما هو عمل القلوب وعمل القلوب غير عمل القالب وأعمال القلوب لطفها وصداقها مشاكلة للعلوم لأنها نيات وطويات وتعلقات روحية وتأدبات قلبية ومسامرات سرية وكلما أتوا بعمل من هذه الأعمال رفع لهم علم من العلم وطلعوا على مطلع من فهم الآية جديد ويخالج سرى أن يكون المطلع ليس بالوقوف بصفاء الفهم على دقيق المعنى وغامض السر فى الآية ولكن المطلع أن يطلع عند كل آية على شهود المتكلم بها لأنها مستودع وصف من أوصافه ونعت من نعوته فتتجدد له التجليات بتلاوة الآيات وسماعها ويصير له مراء منبئة عن عظيم الجلال ولقد نقل عن جعفر الصادق رضى الله عنه أنه قال لقد

فليخرج إلى حاشية المطاف وليرمل ثلاثا ثم ليقرب إلى البيت فى المزدحم وليمش أربعا وإن أمكنه استلام الحجر فى كل شوط فهو الأحب وإن منعه الزحمة أشار باليد وقبل يده وكذلك استلام الركن اليمانى يستحب من سائر الأركان وروى « أنه صلى الله عليه وسلم كان يستلم الركن اليمانى(١) ويقبله(٢) ويضع خده عليه(٣) » ومن أراد تخصيص الحجر بالتقبيل واقتصر فى الركن اليمانى على الاستلام أغنى عن اللمس باليد فهو أولى : الخامس إذا تم الطواف سبعا فليأت الملتزم وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة وليلتزق بالبيت وليتعلق بالأستار وليلصق بطنه بالبيت وليضع عليه خده الأيمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل: اللهم يارب البيت العتيق أعتق رقبتى من النار وأعذنى من الشيطان الرجيم وأعذنى من كل سوء وقنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيما آتيتنى اللهم إنّ هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار اللهم اجعلنى من أكرم وفدك عليك ثم ليحمد الله كثيرا فى هذا الموضع وليصلّ على رسوله ﷺ وعلى جميع الرسل كثيرا وليدع بحوائجه الخاصة وليستغفر من ذنوبه . كان بعض السلف فى هذا الموضع يقول لمواليه تنحوا عنى حتى أقر لربى بذنوبى . السادس : إذا فرغ من ذلك ينبغى أن يصلى خلف المقام ركعتين يقرأ فى الأولى قل يا أيها الكافرون وفى الثانية الاخلاص وهما ركعتا الطواف. قال الزهرى مضت السنة أن يصلى لكل أسبوع ركعتين(٤) وإن قرن بين أسابيع وصلى ركعتين جاز (٥) فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل أسبوع طواف وليدع بعد ركعتى الطواف وليقل اللهم يسرلى اليسرى وجنبنى العسرى واغفرلى فى الآخرة والأولى واعصمنى بألطافك حتى لاأعصيك وأعنى على طاعتك بتوفيقك وجنبنى معاصيك واجعلنى ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين اللهم حببنى إلى ملائكتك ورسلك وإلى عبادك الصالحين اللهم فكما هديتنى إلى الاسلام فثبتنى عليه بألطافك وولايتك واستعملنى لطاعتك وطاعة رسولك وأجرنى من مضلات الفتن ثم ليعد إلى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف

فروى د ه ك وصححه من حديث عمر قال فيم الرملان الآن والكشف عن المناكب وقد أظهر الله الاسلام ونفى الكفر وأهله ومع ذلك لاندع شيئا كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) حديث استلامه صلى الله عليه وسلم للركن اليمانى متفق عليه من حديث ابن عمر قال رأيت رسول الله ﷺ حين يقدم مكة إذا استلم الركن الأسود الحديث ولهما من حديثه لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمس من الأركان إلا اليمانيين ولمسلم من حديث ابن عباس لم أره يستلم غير الركنين اليمانيين وله من حديث جابر الطويل حتى إذا أتيت البيت معه استلم الركن (٢) حديث تقبيله صلى الله عليه وسلم له متفق عليه من حديث عمر أنه قبل الحجر وقال لولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ماقبلتك والبخارى من حديث ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله وله فى التاريخ من حديث ابن عباس كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا استلم الركن اليمانى قبله (٣) حديث وضع الخدّ عليه قط ك من حديث ابن عباس أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الركن اليمانى الحديث قال ك صحيح الاسناد قلت فيه عبد الله بن مسلم بن هرمز ضعفه الجمهور (٤) حديث الزهرى مضت السنة أن يصلى لكل أسبوع ركعتين ذكره خ تعليقا السنة أفضل لم يطف النبى صلى الله عليه وسلم أسبوعا إلا صلى ركعتين وفى الصحيحين من حديث ابن عمر قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين (٥) حديث قرانه صلى الله عليه وسلم بين أسابيع ابن أبى حاتم من حديث ابن عمر أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قرن ثلاثة أطواف ليس بينها صلاة ورواه عق فى الضعفاء وابن شاهين فى أماليه من حديث أبى هريرة

تجلى الله تعالى لعباده فى كلامه ولكن لايبصرون فيكون لكل آية مطلع من هذا الوجه فالحدّ حدّ الكلام والمطلع الترقى عن حد الكلام إلى شهود المتكلم . وقد نقل عن جعفر الصادق أيضا أنه خرّ مغشيا عليه وهو فى الصلاة فسئل عن ذلك فقال مازلت أردّد الآية حتى سمعتها من المتكلم بها فالصوفى لما لاح له نور ناصية التوحيد وألقى سمعه عند سماع الوعد والوعيد وقلبه بالتخلص عما سوى الله تعالى صار بين يدى الله حاضرا شهيدا يرى لسانه أو لسان غيره فى التلاوة كشجرة موسى عليه السلام حيث أسمعه الله منها خطابه إياه بإنى أنا الله فاذا كان سماعه من الله تعالى واستماعه إلى الله صار سمعه بصره وبصره سمعه وعلمه عمله وعمله علمه وعاد آخره أوله وأوله آخره ومعنى ذلك أن الله تعالى

قال صلى الله عليه وسلم « من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة[1] » وهذه كيفية الطواف والواجب من جملته بعد شروط الصلاة أن يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت وأن يبتدىء بالحجر الأسود ويجعل البيت على يساره وأن يطوف داخل المسجد وخارج البيت لا على الشاذروان ولا فى الحجر وأن يوالى بين الأشواط ولا يفرقها تفريقا خارجا عن المعتاد وما عدا هذا فهو سنن وهيئات .

(الجملة الخامسة فى السعى)

فاذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو فى محاذاة الضلع الذى بين الركن اليمانى والحجر فاذا خرج من ذلك الباب وانتهى إلى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجات فى حضيض الجبل بقدر قامة الرجل. رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت له الكعبة[2] وابتداء السعى من أصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة ولكن بعض تلك الدرج مستحدثة فينبغى أن لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعى وإذا ابتدأ من ههنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات وعند رقيه فى الصفا ينبغى أن يستقبل البيت ويقول الله أكبر الله أكبر الحمد لله على ما هدانا الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شىء قدير لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا إله إلا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ـ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحىّ ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ـ اللهم إنى أسألك إيمانا دائما ويقينا صادقا وعلما نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا وأسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة ويصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ويدعو الله عز وجل بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء ثم ينزل ويبتدىء السعى وهو يقول . رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعزّ الأكرم اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ويمشى على هينة حتى ينتهى إلى الميل الأخضر وهو أول ما يلقاه إذا نزل من الصفا وهو على زاوية المسجد الحرام فاذا بقى بينه وبين محاذاة الميل ستة أذرع أخذ فى السير السريع وهو الرمل حتى ينتهى إلى الميلين الأخضرين ثم يعود إلى الهينة فاذا انتهى إلى المروة صعدها كما صعد الصفا وأقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء وقد حصل السعى مرة واحدة فاذا عاد إلى الصفا حصلت مرتان يفعل ذلك سبعا ويرمل فى موضع الرمل فى كل مرة ويسكن فى موضع السكون كما سبق وفى كل نوبة يصعد الصفا والمروة فاذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعى وهما سنتان والطهارة مستحبة للسعى وليست بواجبة بخلاف الطواف وإذا سعى فينبغى أن لا يعيد السعى بعد الوقوف ويكتفى بهذا ركنا فانه ليس من شرط السعى أن يتأخر عن الوقوف وإنما ذلك شرط فى طواف الركن نعم شرط كل سعى أن يقع بعد طواف أى طواف كان

وزاد ثم صلى لكل أسبوع ركعتين وفى إسنادها عبد السلام بن أبى الحبوب منكر الحديث

(١) حديث من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة ت وحسنه ون ه من حديث ابن عمر من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة لفظ ه وقال الآخر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة وللبيهقى فى الشعب من طاف أسبوعا وركع ركعتين كانت كعتاق رقبة (٢) حديث أنه رقى على الصفا حتى بدت له الكعبة م من حديث جابر فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت وله من حديث أبى هريرة أتى الصفا فعلا عليه حتى نزل إلى البيت

خاطب الذرّ بقوله ـ ألست بربكم ـ فسمعت النداء على غاية الصفاء ثم لم تزل الذرات تتقلب فى الأصلاب وتنتقل إلى الأرحام قال الله تعالى ـ الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين ـ يعنى تقلب ذرتك فى أصلاب أهل السجود من آبائك الأنبياء فما زالت تنتقل الذرات حتى برزت بين أجسادها فاحتجبت بالحكمة عن القدرة وبعالم الشهادة عن عالم الغيب وتراكم ظلمتها بالتقلب فى الأطوار فاذا أراد الله تعالى بالعبد حسن الاستماع بأن يصيره صوفيا صافيا لا يزال يرقيه فى رتب التزكية والتحلية حتى يخلص من مضيق عالم الحكمة إلى فضاء القدرة ويزال عن بصيرته النافذة سجف الحكمة فيصير سماعه ـ ألست بربكم ـ كشفا وعيانا وتوحيده وعرفانه تبيانا وبرهانا وتندرج له ظلم الأطوار فى لوامع الأنوار . قال

(الجملة السادسة فى الوقوف وماقبله)

الحاج إذا انتهى يوم عرفة إلى عرفات فلا يتفرّغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف وإذا وصل قبل ذلك بأيام فطاف طواف القدوم فيمكث محرما إلى اليوم السابع من ذى الحجة فيخطب الإمام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ويأمر الناس بالاستعداد للخروج إلى منى يوم التروية والمبيت بها وبالغدو منها إلى عرفة الإقامة فرض الوقوف بعدالزوال إذوقت الوقوف من الزوال إلى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر فينبغى أن يخرج إلى منى ملبيا ويستحب له المشى من مكة فى المناسك إلى انقضاء حجته إن قدر عليه والمشى من مسجد إبراهيم عليه السلام إلى الموقف أفضل وآكد فاذا انتهى إلى منى قال اللهم هذه منى فامنن علىّ بما مننت به على أوليائك وأهل طاعتك وليمكث هذه الليلة بمنى وهو مبيت منزل لايتعلق به نسك فاذا أصبح يوم عرفة صلى الصبح فاذاطلعت الشمس على ثبير سار إلى عرفات ويقول : اللهم اجعلهاخير غدوة غدوتها قط وأقربها من رضوانك وأبعدها من سخطك اللهم إليك غدوت وإليك رجوت وعليك اعتمدت ووجهك أردت فاجعلنى ممن تباهى به اليوم من هو خيرمنى وأفضل فاذا أتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريبا من المسجد ثم ضرب رسول الله ﷺ قبته(١) ونمرة هى بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة وليغتسل للوقوف فاذازالت الشمس خطب الإمام خطبة وجيزة وقعد وأخذ المؤذن فى الأذان والإمام فى الخطبة الثانية ووصل الاقامة بالأذان وفرغ الامام مع تمام إقامة المؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين وقصر الصلاة وراح إلى الموقف فليقف بعرفة ولايقفن فى وادى عرفة وأما مسجد إبراهيم عليه السلام فصدره فى الوادى وأخرياته من عرفة فمن وقف فى صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت ثم والأفضل أن يقف عندالصخرات بقرب الامام مستقبلا للقبلة راكبا وليكثر من أنواع التحميد والتسبيح والتهليل والثناء على الله عز وجل والدعاء والتوبة ولا يصوم فى هذا اليوم ليقوى على المواظبة على الدعاء ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل الأحب أن يلبى تارة ويكبّ على الدعاء أخرى وينبغى أن لاينفصل من طرف عرفة إلا بعد الغروب ليجمع فى عرفة بين الليل والنهار وإن أمكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند إمكان الغلط فى الهلال فهو الحزم وبه الأمن من الفوات ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقدفاته الحج فعليه أن يتحلل عن إحرامه بأعمال العمرة ثم يريق دما لأجل الفوات ثم يقضى العام الآتى وليكن أهم اشتغاله فى هذا اليوم الدعاء ففى مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجى إجابة الدعوات والدعاء المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) إلا وعن السلف فى يوم عرفة أولى مايدعو به فليقل لاإله إلا الله وحده لاشريك له

(١) حديث ضربه صلى الله عليه وسلم قبته بنمرة مسلم من حديث جابر الطويل فأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة الحديث (٢) حديث الدعاء المأثور فى يوم عرفة لاإله إلا الله وحده لاشريك له الحديث من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ماقلت أنا والنبيون من قبلى لاإله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير وقال حسن غريب وله من حديث على قال أكثر مادعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة فى الموقف اللهم لك الحمد كالذى نقول وخيرا مما نقول لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى وإليك مآبى ولك رب تراثى اللهم إنى أعوذ بك من شر ما تجىء به الريح وقال ليس بالقوى إسناده وروى المستغفرى فى الدعوات من حديثه ياعلى إن أكثر دعاء من قبلى يوم عرفة أن أقول لاإله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير اللهم اجعل فى بصرى نورا وفى سمعى نورا وفى قلبى نورا اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى

بعضهم أنا أذكر خطاب ألست بربكم إشارة منه إلى هذا الحال فاذا تحقق الصوفى بهذا الوصف صار وقته سرمدا وشهوده مؤبدا وسماعه متواليا متجددا يسمع كلام الله تعالى وكلام رسوله حق السماع . قال سفيان بن عيينة : أول العلم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر . وقال بعضهم تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام وقيل من حسن الاستماع امهال المتكلم حتى يقضى حديثه وقلة التلفت إلى الجوانب والاقبال بالوجه والنظر إلى المتكلم والوعى قال الله تعالى لنبيه عليه السلام ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقال لاتحرّك به لسانك لتعجل به هذا تعليم من الله تعالى لرسوله عليه السلام حسن الاستماع قيل معناه لاتعمله على الصحابة حتى تتدبر

له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وفي لساني نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري وليقل اللهم رب الحمد لك الحمد كما تقول وخيرا مما نقول لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك مآبي وإليك ثوابي اللهم إني أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر وعذاب القبر اللهم إني أعوذ بك من شر ما يلج في الليل ومن شر ما يلج في النهار ومن شر ما تهب به الرياح ومن شر بوائق الدهر اللهم إني أعوذ بك من تحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك اللهم اهدني بالهدى واغفر لي في الآخرة والأولى ياخير مقصود وأسنى منزول به وأكرم مسئول مالديه أعطى العشية أفضل ما أعطيت أحدا من خلقك وحجاج بيتك ياأرحم الراحمين اللهم يارفيع الدرجات ومنزل البركات ويافاطر الأرضين والسموات ضجت إليك الأصوات بصنوف اللغات يسألونك الحاجات وحاجتي إليك أن لا تنساني في دار البلاء إذا نسيني أهل الدنيا اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي ولا يخفى عليك شيء من أمري أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المعترف بذنبه أسألك مسئلة المسكين وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك أنفه اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رءوفا رحيما ياخير المسئولين وأكرم المعطين إلهي من مدح لك نفسه فاني لائم نفسي إلهي أخرست المعاصي لساني فمالي وسيلة من عمل ولا شفيع سوى الأمل إلهي إني أعلم أن ذنوبي لم تبق لي عندك جاها ولا للاعتذار وجها ولكنك أكرم الأكرمين إلهي إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فان رحمتك أهل أن تبلغني ورحمتك وسعت كل شيء وأنا شيء إلهي إن ذنوبي وإن كانت عظاما ولكنها صغار في جنب عفوك فاغفرها لي يا كريم إلهي أنت أنت وأنا أنا ، أنا العواد إلى الذنوب وأنت العواد إلى المغفرة إلهي إن كنت لا ترحم إلا أهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون إلهي تجنبت عن طاعتك عمدا وتوجهت إلى معصيتك قصدا فسبحانك ما أعظم حجتك علي وأكرم عفوك عني فبوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي عنك وفقري إليك وغناك عني إلا غفرت لي ياخير من دعاه داع وأفضل من رجاه راج بحرمة الاسلام وبذمة محمد عليه السلام أتوسل إليك فاغفر لي جميع ذنوبي واصرفني من موقفي هذا مقضي الحوائج وهب لي ماسألت وحقق رجائي فيما تمنيت إلهي دعوتك بالدعاء الذي علمتنيه فلا تحرمني الرجاء الذي عرفتنيه إلهي ماأنت صانع العشية بعبد مقر لك بذنبه خاشع لك بذلته مستكين بجرمه متضرع إليك من عمله تائب إليك من اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتهل إليك في العفو عنه طالب إليك نجاح حوائجه راج إليك في موقفه مع كثرة ذنوبه فيا ملجأ كل حي وولي كل مؤمن من أحسن فبرحمتك يفوز ومن أخطأ فبخطيئته يهلك اللهم إليك خرجنا وبفنائك أنخنا وإياك أملنا وماعندك طلبنا ولإحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك أشفقنا وإليك بأثقال الذنوب هربنا ولبيتك الحرام حججنا يامن يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين يامن ليس معه رب يدعى ويامن ليس فوقه خالق يخشى ويامن ليس له وزير يؤتى ولا حاجب يرشى يامن لا يزداد على كثرة السؤال

اللهم إني أعوذ بك من وسواس الصدر وشتات الأمر وفتنة القبر وشر ما يلج في الليل وشر ما يلج في النهار وشر ما تهب به الرياح ومن شر بوائق الدهر وإسناده ضعيف وروى الطبراني في المعجم الصغير من حديث ابن عباس قال كان مما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة اللهم إنك ترى مكاني وتسمع كلامي وتعلم سري وعلانيتي ولا يخفى عليك شيء من أمري أنا البائس الفقير فذكر الحديث إلى قوله ياخير المسئولين وياخير المعطين وإسناده ضعيف وباقي الدعاء من دعاء بعض السلف وفي بعضه ماهو مرفوع ولكن ليس مقيدا بموقف عرفة .

معانيه حتى تكون أنت أول من يخلص بغرائبه وعجائبه وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه جبريل عليه السلام وأوحى إليه لا يفتر من قراءة القرآن مخافة الانفلات والنسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك أي لا تعجل بقراءته قبل أن يفرغ جبرائيل من إلقائه إليك وقد تكون مطالعة العلوم وأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى السماع ويحتاج المطالع للعلوم والأخبار وسير أهل الصلاح وحكاياتهم وأنواع الحكم والأمثال التي فيها نجاة من عذاب الآخرة أن يكون في ذلك كله متأدبا بآداب حسن الاستماع لأنه نوع من ذلك وكما أن القلب استعد بحسن الاستماع بالزهادة والتقوى حتى أخذ من كل ما سمعه أحسنه فيكون آخذا بالمطالعة من كل شيء أحسنه ومن الأدب

إلا جودا وكرما وعلى كثرة الحوائج إلا تفضلا وإحسانا اللهم إنك جعلت لكل ضيف قرى ونحن أضيافك فاجعل قرانا مناك الجنة اللهم إن لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية ولكل راج ثوابا ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راغب إليك زلفى ولكل متوسل إليك عفوا وقد وفدنا إلى بيتك الحرام ووقفنا بهذه المشاعر العظام وشهدنا هذه المشاهد الكرام رجاء لما عندك فلا تخيب رجاءنا إلهنا تابعت النعم حتى اطمأنت الأنفس بتتابع نعمك وأظهرت البر حتى نطقت الصوامت بحجتك وظاهرت المنن حتى اعترف أولياؤك بالتقصير عن حقك وأظهرت الآيات حتى أفصحت السموات والأرضون بأدلتك وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزتك وعنت الوجوه لعظمتك إذا أساءت عبادك حلمت وأمهلت وان أحسنوا تفضلت وقبلت وان عصوا سترت وان أذنبوا عفوت وغفرت وإذا دعونا أجبت وإذا نادينا سمعت وإذا أقبلنا إليك قربت وإذا ولينا عنك دعوت إلهنا إنك قلت في كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين ـ قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ـ فأرضك عنهم الاقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وإنا نشهد لك بالتوحيد مخبتين ولمحمد بالرسالة مخلصين فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف الأجرام ولا تجعل حظنا فيه أنقص من حظ من دخل في الاسلام إلهنا إنك أحببت التقرب إليك بعتق ما ملكت أيماننا ونحن عبيدك وأنت أولى بالتفضل فاعتقنا وانك أمرتنا أن نتصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك وأنت أحق بالتطول فتصدق علينا ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا وأنت أحق بالكرم فاعف عنا ربنا اغفر لنا وارحمنا أنت مولانا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار . وليكثر من دعاء الخضر عليه السلام وهو أن يقول يامن لا يشغله شأن عن شأن ولا سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الأصوات يامن لا تغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات يامن لا يبرمه إلحاح الملحين ولا تضجره مسئلة السائلين أذقنا برد عفوك وحلاوة مناجاتك وليدع بما بدا له وليستغفر له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات وليلح في الدعاء وليعظم المسئلة فان الله لا يتعاظمه شيء وقال مطرف بن عبد الله وهو بعرفة اللهم لا ترد الجميع من أجلي وقال بكر المزني قال رجل لما نظرت إلى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم لولا أني كنت فيهم .

(الجملة السابعة في بقية أعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمي والنحر والحلق والطواف)

فاذا أفاض من عرفة بعد غروب الشمس فينبغي أن يكون على السكينة والوقار وليجتنب وجيف الخيل وإيضاع الابل كما يعتاده بعض الناس فان رسول الله صلى الله عليه وسلم « نهى عن وجيف الخيل وإيضاع الابل وقال : اتقوا الله وسيروا سيرا جميلا لا تطئوا ضعيفا ولا تؤذوا مسلما (١) » فاذا بلغ المزدلفة اغتسل لها لأن المزدلفة من الحرام فليدخله بغسل وإن قدر على دخوله ماشيا فهو أفضل وأقرب إلى توقير الحرم ويكون في الطريق رافعا صوته بالتلبية فاذا بلغ المزدلفة قال اللهم إن هذه مزدلفة جمعت فيها ألسنة مختلفة تسألك حوائج مؤتنفة فاجعلني ممن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيته ثم يجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة في وقت العشاء قاصرا له بأذان وإقامتين ليس بينهما نافلة ولكن يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين ويبدأ بنافلة المغرب ثم بنافلة العشاء كما في الفريضتين فان ترك النوافل في السفر خسران ظاهر وتكليف إيقاعها في الأوقات إضرار وقطع للتبعية بينهما وبين الفرائض فاذا جاز أن يؤدى النوافل مع الفرائض بتيمم واحد بحكم التبعية فبأن يجوز أداؤها على حكم الجمع بالتبعية أولى ولا يمنع من

(١) حديث نهى النبي عن وجيف الخيل وإيضاع الابل ن ك وصححه من حديث أسامة بن زيد عليكم بالسكينة والوقار فان البر ليس في إيضاع الابل وقال ك ليس البر بايجاف الخيل والإبل وللبخاري من حديث ابن عباس فان البر ليس بالايضاع .

في المطالعة أن العبد إذا أراد أن يطالع شيئا من الحديث والعلم يعلم أنه قد تكون مطالعة ذلك بداعية النفس وقلة صبرها على الذكر والتلاوة والعمل فتستروح بالمطالعة كما تتروح بمجالسة الناس ومكالمتهم فليتفقد المتفطن نفسه في ذلك ولا يستحلي مطالعة الكتب إلى حد يأخذ ذلك من وقته ويراعي الافراط فيه فاذا أراد مطالعة كتاب أو شيء من العلم لا يبادر إليه إلا بعد التثبت والانابة والرجوع إلى الله تعالى وطلب التأييد من رحمة الله تعالى فيه فانه قد يرزق بالمطالعة ما يكون من مزيد حاله ولو قدم الاستخارة لذلك كان حسنا فان الله تعالى يفتح عليه باب الفهم والتفهيم موهبة من الله زيادة على ما يتبين من صورة العلم فللعلم صورة ظاهرة وسر باطن وهو الفهم والله تعالى نبه على

هذا مفارقة النعل للفرض فى جواز أدائه على الراحلة لما أومأنا إليه من التبعية والحاجة ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نسك ومن خرج منها فى النصف الأول من الليل ولم يبت فعليه دم وإحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه ثم إذا انتصف الليل يأخذ فى التأهب للرحيل ويتزود الحصى منها ففيها أحجار رخوة فليأخذ سبعين حصاة فانها قدر الحاجة ولا بأس بأن يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضها ولتكن الحصى خفافا بحيث يحتوى عليه أطراف البراجم ثم ليغلس بصلاة الصبح وليأخذ فى المسير حتى إذا انتهى إلى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف ويدعو إلى الاسفار ويقول اللهم بحق المشعر الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والركن والمقام أبلغ روح محمد منا التحية والسلام وأدخلنا دار السلام يا ذا الجلال والاكرام ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهى إلى موضع يقال له وادى محسر فيستحب له أن يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادى وان كان راجلا أسرع فى المشى ثم إذا أصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فيلبى تارة ويكبر أخرى فينتهى إلى منى ومواضع الجمرات وهى ثلاثة فيتجاوز الاولى والثانية فلا شغل له معهما يوم النحر حتى ينتهى إلى جمرة العقبة وهى على يمين مستقبل القبلة فى الجادة والرمى مرتفع قليلا فى سفح الجبل وهو ظاهر بمواقع الجمرات ويرمى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر رمح وكيفيته أن يقف مستقبلا القبلة وإن استقبل الجمرة فلا بأس ويرمى سبع حصيات رافعا يده ويبدل التلبية بالتكبير ويقول مع كل حصاة الله أكبر على طاعة الرحمن ورغم الشيطان اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك فاذا رمى قطع التلبية والتكبير إلا التكبير عقيب فرائض الصلوات من ظهر يوم النحر إلى عقيب الصبح من آخر أيام التشريق ولا يقف فى هذا اليوم للدعاء بل يدعو فى منزله وصفة التكبير أن يقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله والله أكبر ثم ليذبح الهدى إن كان معه والأولى أن يذبح بنفسه وليقل بسم الله والله أكبر اللهم منك وبك وإليك تقبل منى كما تقبلت من خليلك إبراهيم والتضحية بالبدن أفضل ثم بالبقرة ثم بالشاة والشاة أفضل من مشاركة ستة فى البدنة والبقرة والضأن أفضل من المعز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير الأضحية الكبش الأقرن والبيضاء أفضل من الغبراء والسوداء [1] » وقال أبو هريرة البيضاء أفضل فى الأضحى من دم سوداوين وليأكل منه إن كانت من هدى التطوع ولا يضحين بالعرجاء والجدعاء والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء والجدع فى الأنف والأذن لا قطع منهما والعضب فى القرن وفى نقصان القوائم والشرقاء المشقوقة الأذن من فوق والخرقاء من أسفل والمقابلة المخروقة الأذن من قدام والمدابرة من خلف والعجفاء المهزولة التى لا تنقى أى لا مخ فيها من الهزال ثم ليحلق بعد ذلك والسنة أن يستقبل القبلة ويبتدئ بمقدم رأسه فيحلق الشق الأيمن إلى العظمين المشرفين على القفا ثم ليحلق الباقى ويقول اللهم أثبت لى بكل شعرة حسنة وامح عنى بها سيئة وارفع لى بها عندك درجة والمرأة تقصر الشعر والأصلع يستحب له إمرار الموسى على رأسه ومهما حلق بعد رمى الجمرة فقد حصل له التحلل الأول وحل له كل المحظورات إلا النساء والصيد ثم يفيض إلى مكة ويطوف كما وصفناه وهذا الطواف طواف ركن فى الحج ويسمى طواف الزيارة وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر وأفضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بل له أن يؤخر إلى أى وقت شاء ولكن يبقى مقيدا بعلقة الاحرام فلا تحل له النساء إلى أن يطوف فاذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الاحرام بالكلية ولم يبق إلا رمى أيام التشريق والمبيت بمنى وهى واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج وكيفية هذا الطواف

(١) حديث خير الأضحية الكبش د من حديث عبادة بن الصامت و ت من حديث أبى أمامة قال ت

شرف الفهم بقوله ـ ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما ـ أشار إلى الفهم بمزيد اختصاص وتميز عن الحكم والعلم قال الله تعالى ـ إن الله يسمع من يشاء ـ فاذا كان المسمع هو الله تعالى يسمع تارة بواسطة اللسان وتارة بما يرزق بمطالعة الكتب من التبيان فصار ما يفتح الله تعالى بمطالعة الكتب على معنى ما يرزق من المسموع ببركة حسن الاستماع ليتفقد العبد حاله فى ذلك ويتعلم علمه وأدبه فانه باب كبير من أبواب الخير وعمل صالح من أعمال المشايخ والصوفية والعلماء الزاهدين المتبتلين لاستفتاح أبواب الرحمة والمزيد من كل شئ ينفع سلوك الآخرة

[الباب الثالث فى بيان فضيلة علوم الصوفية والاشارة إلى أنموذج منها]

حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب

مع الركعتين كما سبق فى طواف القدوم فاذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفنا إن لم يكن سعى بعد طواف القدوم وان كان قد سعى فقد وقع ذلك ركنا فلا ينبغى أن يعيد السعى . وأسباب التحلل ثلاثة الرمى والحلق والطواف الذى هو ركن ومهما أتى باثنين من هذه الثلاثة فقد تحلل أحد التحللين ولا حرج عليه فى التقديم والتأخير بهذه الثلاث مع الذبح ولكن الأحسن أن يرمى ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف والسنة للامام فى هذا اليوم أن يخطب بعد الزوال وهى خطبة وداع رسول الله ﷺ ففى الحج أربع خطب: خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة وخطبة يوم النحر (١) وخطبة يوم النفر الأول وكلها عقيب الزوال وكلها إفراد إلا خطبة يوم عرفة فانها خطبتان بينهما جلسة ثم إذا فرغ من الطواف عاد إلى منى للمبيت والرمى فيبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القر لأن الناس فى غد يقرون بمنى ولا ينفرون فاذا أصبح اليوم الثانى من العيد وزالت الشمس اغتسل للرمى وقصد الجمرة الأولى التى تلى عرفة وهى على يمين الجادة ويرمى إليها بسبع حصيات فاذا تعداها انحرف قليلا عن يمين الجادة ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلا على الدعاء ثم يتقدم إلى الجمرة الوسطى ويرمى كما رمى الأولى ويقف كما وقف للأولى ثم يتقدم إلى جمرة العقبة ويرمى سبعا ولا يعرج على شغل بل يرجع إلى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الأول ويصبح فاذا صلى الظهر فى اليوم الثانى من أيام التشريق رمى فى هذا اليوم إحدى وعشرين حصاة كاليوم الذى قبله ثم هو مخير بين المقام بمنى وبين العود إلى مكة فان خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شىء عليه وإن صبر إلى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه المبيت حتى يرمى فى يوم النفر الثانى أحدا وعشرين حجرا كما سبق وفى ترك المبيت والرمى إراقة دم وليتصدق باللحم وله أن يزور البيت فى ليالى منى بشرط أن لا يبيت إلا بمنى . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك (٢) ولا يتركن حضور الفرائض مع الامام فى مسجد الخيف فان فضله عظيم فاذا أفاض من منى فالأولى أن يقيم بالمحصب من منى ويصلى العصر والمغرب والعشاء ويرقد رقدة (٣) فهو السنة رواه جماعة من الصحابة رضى الله عنهم فان لم يفعل ذلك فلا شىء عليه .

(الجملة الثامنة فى صفة العمرة ومابعدها إلى طواف الوداع)

من أراد أن يعتمر قبل حجه أو بعده كيفما أراد فليغتسل ويلبس ثياب الاحرام كما سبق فى الحج ويحرم بالعمرة من ميقاتها وأفضل مواقيتها الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وينوى العمرة ويلبى ويقصد مسجد عائشة رضى الله عنها ويصلى ركعتين ويدعو بما شاء ثم يعود إلى مكة وهو يلبى حتى يدخل المسجد الحرام فاذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفنا فاذا فرغ حلق رأسه وقد

غريب وعفير يضعف فى الحديث (١) حديث الخطبة يوم النحر وهى خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم خ من حديث أبى بكرة خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر وله من حديث ابن عباس خطب الناس يوم النحر وفى حديث علقمه خ ووصله ه من حديث ابن عمر وقف النبى صلى الله عليه وسلم يوم النحر بين الجمرات فى الحجة التى حج فيها فقال أى يوم هذا الحديث وفيه ثم ودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع (٢) حديث زيارة البيت فى ليالى منى والمبيت بمنى د فى المراسيل من حديث طاوس قال أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفيض كل ليلة من ليالى منى قال د وقد أسند قلت وصله ابن عدى عن طاوس عن ابن عباس كان رسول الله ﷺ يزور البيت أيام منى وفيه عمرو بن رباح ضعيف والمرسل صحيح الإسناد ولأبى داود من حديث عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم مكث بمنى ليالى أيام التشريق (٣) حديث نزول المحصب وصلاة العصر والمغرب والعشاء به والرقود به رقدة خ من حديث أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالبطحاء ثم هجع هجعة الحديث .

السهروردى رحمه الله قال أنبأنا أبو عبد الرحمن الصوفى قال أنا عبد الرحمن ابن محمد قال أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد السرخسى قال أنا أبو عمران السمرقندى قال أنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى قال حدثنا نعيم بن حماد قال حدثنا بقية عن الأحوص ابن حكيم عن أبيه قال سأل رجل النبى عليه السلام عن الشر فقال «لا تسألونى عن الشر وسلونى عن الخير» يقولها ثلاثا ثم قال «إن شر الشر شرار العلماء وإن خير الخير خيار العلماء» فالعلماء أدلاء الأمة وعمد الدين وسرج ظلمات الجهالات الجبلية ونقباء ديوان الاسلام ومعادن حكم الكتاب والسنة وأمناء الله تعالى فى خلقه وأطباء العباد وجهابذة الملة الحنيفية وحملة عظيم الأمانة فهم أحق الخلق بحقائق التقوى وأحوج

تمت عمرته والمقيم بمكة ينبغي أن يكثر الاعتمار والطواف وليكثر النظر إلى البيت فاذا دخله فليصلّ ركعتين بين العمودين فهو الأفضل وليدخله حافيا موقرا قيل لبعضهم هل دخلت بيت ربك اليوم فقال والله ماأرى هاتين القدمين أهلا للطواف حول بيت ربي فكيف أراها أهلا لأن أطأ بهما بيت ربي وقد علمت حيث مشيتا وإلى أين مشيتا وليكثر شرب ماءزمزم وليستق بيده من غير استنابة إن أمكنه وليرتو منه حتى يتضلع وليقل اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم وارزقني الاخلاص واليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة قال صلى الله عليه وسلم « ماء زمزم لما شرب له (١) » أي يشفي ماقصد به .

(الجملة التاسعة في طواف الوداع)

مهما عن له الرجوع إلى الوطن بعد الفراغ من إتمام الحج والعمرة فلينجز أوّلا أشغاله وليشدّ رحاله وليجعل آخر أشغاله وداع البيت ووداعه بأن يطوف به سبعا كما سبق ولكن من غير رمل واضطباع فاذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام وشرب من ماء زمزم ثم يأتي الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول اللهم إن البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملتني على ماسخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك وبلغتني بنعمتك حتى أعنتني على قضاء مناسكك فان كنت رضيت عني فازدد عني رضا وإلا فمن الآن قبل تباعدي عن بيتك هذا أوان انصرافي إن أذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك اللهم أصحبني العافية في بدني والعصمة في ديني وأحسن منقلبي وارزقني طاعتك أبدا ماأبقيتني واجمع لي خير الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير اللهم لاتجعل هذا آخر عهدي ببيتك الحرام وإن جعلته آخر عهدي فعوضني عنه الجنة والأحب أن لايصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه .

(الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها)

قال صلى الله عليه وسلم « من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي (٢) » وقال ﷺ « من وجد سعة ولم يفد إليّ فقد جفاني (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من جاءني زائرا لايهمه إلا زيارتي كان حقا على الله سبحانه أن أكون له شفيعا (٤) » فمن قصد زيارة المدينة فليصلّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه كثيرا فاذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار وأمانا من العذاب وسوء الحساب وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة وليتطيب وليلبس أنظف ثيابه فاذا دخلها فليدخلها متواضعا معظما وليقل بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلي بجنب المنبر ركعتين ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن ويستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يغير المسجد وليجتهد أن يصلي في المسجد

(١) حديث ماء زمزم لما شرب له ه من حديث جابر بسند ضعيف ورواه قط و ك في المستدرك من حديث ابن عباس قال الحاكم صحيح الاسناد إن سلم من محمد بن حبيب الجارودي قال ابن القطان سلم منه فان الخطيب قال فيه كان صدوقا قال ابن القطان لكن الراوي عنه مجهول وهو محمد ابن هشام المروزي (٢) حديث من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي الطبراني والدارقطني من حديث ابن عمر (٣) حديث من وجد سعة ولم يفد إليّ فقد جفاني ابن عدي والدارقطني في غرائب مالك وابن حبان في الضعفاء والخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر من حج ولم يزرني فقد جفاني وذكره ابن الجوزي في الموضوعات وروى ابن النجار في تاريخ المدينة من حديث أنس مامن أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر (٤) حديث من جاءني زائرا لاتهمه إلا زيارتي كان حقا على الله أن أكون له شفيعا الطبراني من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن .

العباد إلى الزهد في الدنيا لأنهم يحتاجون إليها لنفسهم ولغيرهم ففسادهم فساد متعدّ وصلاحهم صلاح متعد . قال سفيان ابن عيينة : أجهل الناس من ترك العمل بما يعلم وأعلم الناس من عمل بما يعلم وأفضل الناس أخشعهم لله تعالى وهذا قول صحيح يحكم بأن العالم إذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم فلا يغرّك تشدّقه واستطالته وحذاقته وقوّته في المناظرة والمجادلة فانه جاهل وليس بعالم إلا أن يتوب الله عليه ببركة العلم فان العلم في الاسلام لا يضيع أهله ويرجى عود العالم ببركة العلم ، والعلم فريضة وفضيلة فالفريضة ما لا بد للانسان من معرفته ليقوم بواجب حق الدين والفضيلة مازاد على قدر حاجته مما يكسبه فضيلة في النفس موافقة للكتاب والسنة وكل علم

الأوّل قبل أن يزاد فيه ثم يأتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه وذلك بأن يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو من أربعة أذرع من السارية التى فى زاوية جدار القبر ويجعل القنديل على رأسه وليس من السنة أن يمس الجدار ولا أن يقبله بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام فيقف ويقول السلام عليك يارسول الله السلام عليك يانبى الله السلام عليك ياأمين الله السلام عليك ياحبيب الله السلام عليك ياصفوة الله السلام عليك ياخيرة الله السلام عليك يا أحمد السلام عليك يامحمد السلام عليك يا أبا القاسم السلام عليك ياماحى السلام عليك ياعاقب السلام عليك ياحاشر السلام عليك يابشير السلام عليك يانذير السلام عليك ياطهر السلام عليك ياطاهر السلام عليك يا أكرم ولد آدم السلام عليك ياسيد المرسلين السلام عليك ياخاتم النبيين السلام عليك يارسول رب العالمين السلام عليك ياقائد الخير السلام عليك يافاتح البر السلام عليك يانبى الرحمة السلام عليك يا هادى الأمة السلام عليك ياقائد الغرّ المحجلين السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين جزاك الله عنا أفضل ماجزى نبيا عن قومه ورسولا عن أمته وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون وكلما غفل عنك الغافلون وصلى عليك فى الأولين والآخرين أفضل وأكمل وأعلى وأجل وأطيب وأطهر ماصلى على أحد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك من الجهالة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وصفيه وخيرته من خلقه وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأدّيت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت عدوّك وهديت أمتك وعبدت ربك حتى أتاك اليقين فصلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين وسلم وشرّف وكرّم وعظم وإن كان قد أوصى بتبليغ سلام فيقول السلام عليك من فلان السلام عليك من فلان ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبى بكر الصديق رضى الله عنه لأن رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس عمر رضى الله عنه عند منكب أبى بكر رضى الله عنه ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضى الله عنه ويقول السلام عليكما يا وزيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعاونين له على القيام بالدين مادام حيا والقائمين فى أمته بعده بأمور الدين تتبعان فى ذلك آثاره وتعملان بسنته فجزاكما الله خير ما جزى وزيرى نبى عن دينه ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والاسطوانة اليوم ويستقبل القبلة وليحمد الله عز وجل وليمجده وليكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ ثم يقول اللهم إنك قدقلت وقولك الحق ـ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توّابا رحيما ـ اللهم إنا قد سمعنا قولك وأطعنا أمرك وقصدنا نبيك متشفعين به إليك فى ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا فتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار واغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اللهم لاتجعله آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك ياأرحم الراحمين ثم يأتى الروضة فيصلى فيها ركعتين ويكثر من الدعاء ما استطاع لقوله ﷺ « ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى (١) » ويدعو عند المنبر ويستحب أن يضع يده على الرمانة السفلى التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع يده عليها عند الخطبة (٢) ويستحب له

(١) حديث ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى متفق عليه من حديث أبى هريرة وعبد الله بن زيد (٢) حديث وضعه صلى الله عليه وسلم يده عند الخطبة على رمانة المنبر لم أقف له على أصل وذكر محمد بن الحسن بن زبالة فى تاريخ المدينة أن طول رمانتى المنبر اللتين كان يمسكهما صلى الله عليه وسلم بيديه الكريمتين إذا جلس شبر وأصبعان .

لا يوافق الكتاب والسنة وماهو مستفاد منهما أو معين على فهمهما أو مستند إليهما كائنا ما كان فهو رذيلة وليس بفضيلة يزداد الانسان به هوانا ورذيلة فى الدنيا والآخرة فالعلم الذى هو فريضة لايسع الانسان جهله على ماحدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب قال أنا الحافظ أبو القاسم المستملى قال أنا الشيخ العالم أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى قال أنا أبو محمد عبد الله ابن يوسف الأصفهانى قال أنا أبو سعيد بن الأعرابى قال حدثنا جعفر بن عامر العسكرى قال حدثنا الحسن بن عطية قال حدثنا أبو عاتكة عن أنس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالصين فان طلب العلم فريضة على كل مسلم » .

أن يأتى أحدا يوم الخميس ويزور قبور الشهداء فيصلى الغداة فى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخرج ويعود إلى المسجد لصلاة الظهر فلا يفوته فريضة فى الجماعة فى المسجد ويستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزور قبر عثمان رضى الله عنه وقبر الحسن بن على رضى الله عنهما وفيه أيضا قبر على بن الحسين ومحمد بن على وجعفر بن محمد رضى الله عنهم ويصلى فى مسجد فاطمة رضى الله عنها ويزور قبر إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر صفية عمة رسول الله ﷺ فذلك كله بالبقيع ويستحب له أن يأتى مسجد قباء فى كل سبت ويصلى فيه لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال من خرج من بيته حتى يأتى مسجد قباء ويصلى فيه كان له عدل عمرة[1] » ويأتى بئر أريس يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها وهى عند المسجد فيتوضأ منها ويشرب من مائها[2] ويأتى مسجد الفتح وهو على الخندق وكذا يأتى سائر المساجد والمشاهد ويقال إن جميع المشاهد والمساجد بالمدينة ثلاثون موضعا يعرفها أهل البلد فيقصد ما قدر عليه وكذلك يقصد الآبار التى كان رسول الله ﷺ يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها[3] وهى سبع آبار طلبا للشفاء وتبركا به صلى الله عليه وسلم وإن أمكنه الاقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم

(١) حديث من خرج من بيته حتى يأتى مسجد قباء ويصلى فيه كان عدل عمرة النسائى وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف باسناد صحيح (٢) حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم تفل فى بئر أريس لم أقف له على أصل وإنما ورد أنه تفل فى بئر البصة وبئر غرس كما سيأتى عند ذكرها (٣) حديث الآبار التى كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها وهى سبعة آبار . قلت وهى بئر أريس وبئر حا وبئر رومة وبئر غرس وبئر بضاعة وبئر البصة وبئر السقيا أو العهن أو بئر جمل . فحديث بئر أريس رواه مسلم من حديث أبى موسى الأشعرى فى حديث فيه حتى دخل بئر أريس قال فجلست عند بابها وبابها من حديد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته وتوضأ الحديث . وحديث بئر حا متفق عليه من حديث أنس قال كان أبو طلحة أكثر أنصارى بالمدينة نخلا وكان أحب أمواله إليه بئر حا وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب الحديث . وحديث بئر رومة رواه ت ن من حديث عثمان أنه قال أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشترى بئر رومة ويجعل دلوه مع دلاء المسلمين الحديث قال ت حديث حسن ، وفى رواية لهما هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بالثمن فابتعتها فجعلتها للغنى والفقير وابن السبيل الحديث وقال حسن صحيح وروى البغوى والطبرانى من حديث بشير الأسلمى قال لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بنى غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع منها القربة بعد الحديث . وحديث بئر غرس رواه ابن حبان فى الثقات من حديث أنس أنه قال ائتونى بماء من بئر غرس فانى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويتوضأ ولابن ماجه باسناد جيد مرفوعا إذا أنا مت فاغسلونى بسبع قرب من بئرى بئر غرس وروينا فى تاريخ المدينة لابن النجار باسناد ضعيف مرسلا أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ منها وبزق فيها وغسل منها حين توفى . وحديث بئر بضاعة رواه أصحاب السنن من حديث أبى سعيد الخدرى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتتوضأ من بئر بضاعة وفى رواية أنه يستقى لك من بئر بضاعة الحديث قال يحيى بن معين إسناده جيد وقال ت حسن وللطبرانى من حديث أبى أسيد بصق النبي صلى الله عليه وسلم فى بئر بضاعة وروينا أيضا فى تاريخ ابن النجار من حديث سهل بن سعد وحديث بئر البصة

واختلف العلماء فى العلم الذى هو فريضة قال بعضهم هو طلب علم الاخلاص ومعرفة آفات النفوس وما يفسد الأعمال لأن الاخلاص مأمور به كما أن العمل مأمور به قال الله تعالى ـ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين ـ فالاخلاص مأمور به وخدع النفس وغرورها ودسائسها وشهواتها الخفية تخرب مبانى الاخلاص المأمور به فصار علم ذلك فرضا حيث كان الاخلاص فرضا وما لا يصل العبد إلى الفرض إلا به صار فرضا وقال بعضهم معرفة الخواطر وتفصيلها فريضة لأن الخواطر هى أصل الفعل ومبدؤه ومنشؤه وبذلك يعلم الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان فلا يصح الفعل إلا بصحتها فصار علم ذلك فرضا حتى يصح الفعل من العبد لله . وقال بعضهم هو طلب علم الوقت . وقال سهل ابن عبدالله هو طلب

قال صلى الله عليه وسلم « لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة[١] » وقال صلى الله عليه وسلم « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها أحد إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة[٢] » ثم إذا فرغ من أشغاله وعزم على الخروج من المدينة فالمستحب أن يأتى القبر الشريف ويعيد دعاء الزيارة كما سبق ويودع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسأل الله عز وجل أن يرزقه العودة إليه ويسأل السلامة فى سفره . ثم يصلى ركعتين فى الروضة الصغيرة وهى موضع مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن زيدت المقصورة فى المسجد فاذا خرج فليخرج رجله اليسرى أولا ثم اليمنى وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك وحط أوزارى بزيارته وأصحبنى فى سفرى السلامة ويسر رجوعى إلى أهلى ووطنى سالما يا أرحم الراحمين وليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه وليتتبع المساجد التى بين المدينة ومكة فيصلى فيها وهى عشرون موضعا .

(فصل فى سنن الرجوع من السفر)

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على رأس كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده[٣] » وفى بعض الروايات « وكل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون » فينبغى أن يستعمل هذه السنة فى رجوعه وإذا أشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم ليرسل إلى أهله من يخبرهم بقدومه كى لا يقدم عليهم بغتة فذلك هو السنة[٤] ولا ينبغى أن يطرق أهله ليلا فاذا دخل البلد فليقصد المسجد أولا وليصل ركعتين فهو السنة[٥] كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا دخل بيته قال توبا توبا لربنا أوبا لا يغادر علينا حوبا فاذا استقر فى منزله فلا

رواه ابن عدى من حديث أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم جاءه يوما فقال هل عندكم من سدر أغسل به رأسى فان اليوم الجمعة قال نعم فأخرج له سدرا وخرج معه إلى البصة فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وصب غسالة رأسه ومراق شعره فى البصة وفيه محمد بن الحسن بن زباله ضعيف وحديث بئر السقيا رواه د من حديث عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يستعذب له من بيوت السقيا زاد البزار فى مسنده أو من بئر السقيا ولأحمد من حديث على خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بالسقيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتونى بوضوء فلما توضأ قام الحديث . وأما بئر جمل ففى الصحيحين من حديث أبى الجهم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بئر جمل الحديث وصله خ وعلقه م والمشهور أن الآبار بالمدينة سبعة وقد روى الدارمى من حديث عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه صبوا على سبع قرب من آبار شتى الحديث وهو عند خ دون قوله من آبار شتى (١) حديث لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة تقدم فى الباب قبله (٢) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها الحديث تقدم فى الباب قبله (٣) حديث كان النبى ﷺ إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر وما زاده فى آخره فى بعض الروايات من قوله وكل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون رواه المحاملى فى الدعاء باسناد جيد (٤) حديث إرسال المسافر إلى أهل بيته من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة لم أجد فيه ذكر الإرسال وفى الصحيحين من حديث جابر كنا مع رسول الله ﷺ فى غزاة فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل فقال أمهلوا حتى ندخل ليلا أى عشاء كى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة (٥) حديث صلاة ركعتين فى المسجد عند القدوم من السفر تقدم فى الصلاة.

علم الحال يعنى حكم حاله الذى بينه وبين الله تعالى فى دنياه وآخرته وقيل هو طلب علم الحلال حيث كان أكل الحلال فريضة وقد ورد «طلب الحلال فريضة بعد الفريضة» فصار علمه فريضة من حيث إنه فريضة وقيل هو طلب علم الباطن وهو ما يزداد به العبد يقينا وهذا العلم هو الذى يكتسب بالصحبة ومجالسة الصالحين من العلماء الموقنين والزهاد المقربين الذين جعلهم الله تعالى من جنوده يسوق الطالبين إليهم ويقويهم بطريقهم ويرشدهم بهم فهم ورّاث علم النبى عليه السلام ومنهم يتعلم علم اليقين . وقال بعضهم هو علم البيع والشراء والنكاح والطلاق إذا أراد الدخول فى شىء من ذلك يجب عليه طلب علمه وقال بعضهم هو أن يكون العبد يريد عملا يجهل ما لله عليه فى ذلك فلا يجوز له أن يعمل برأيه

ينبغى أن ينسى ما أنعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه صلى الله عليه وسلم فيكفر تلك النعمة بأن يعود إلى الغفلة واللهو والخوض فى المعاصى فما ذلك علامة الحج المبرور بل علامته أن يعود زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة متأهبا للقاء ربّ البيت بعد لقاء البيت .

(الباب الثالث فى الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة)

(بيان دقائق الآداب وهى عشرة)

الأول : أن تكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردا لله تعالى والقلب مطمئنا منصرفا إلى ذكر الله تعالى وتعظيم شعائره وقد روى فى خبر من طريق أهل البيت « إذا كان آخر الزمان خرج الناس إلى الحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة وأغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للسمعة (١) » وفى الخبر إشارة إلى جملة أغراض الدنيا التى يتصوّر أن تتصل بالحج فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص لاسيما إذا كان متجرّدا بنفس الحج بأن يحج لغيره بأجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة وقد كره الورعون وأرباب القلوب ذلك إلا أن يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا بأس أن يأخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين إلى الدنيا بل بالدنيا إلى الدين فعند ذلك ينبغى أن يكون قصده زيارة بيت الله عز وجل ومعاونة أخيه المسلم باسقاط الفرض عنه وفى مثله ينزل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل الله سبحانه بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الموصى بها والمنفذ لها ومن حج بها عن أخيه (٢) » ولست أقول لا تحل الأجرة أو يحرم ذلك بعد أن أسقط فرض الاسلام عن نفسه ولكن الأولى أن لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره فان الله عز وجل يعطى الدنيا بالدين ولا يعطى الدين بالدنيا وفى الخبر « مثل الذى يغزو فى سبيل الله عز وجل ويأخذ أجرا مثل أم موسى عليه السلام ترضع ولدها وتأخذ أجرها (٣) » فمن كان مثاله فى أخذ الأجرة على الحج مثال أم موسى فلا بأس بأخذه فانه يأخذ ليتمكن من الحج والزيارة فيه وليس يحج ليأخذ الأجرة بل يأخذ الأجرة ليحج كما كانت تأخذ أم موسى ليتيسر لها الارضاع بتلبيس حالها عليهم . الثانى : أن لا يعاون أعداء الله سبحانه بتسليم المكس وهم الصادّون عن المسجد الحرام من أمراء مكة والأعراب المترصدين فى الطريق فان تسليم المال إليهم إعانة على الظلم وتيسير لأسبابه عليهم فهو كالاعانة بالنفس فليتلطف فى حيلة الخلاص فان لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا بأس بما قاله إنّ ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق أفضل من إعانة الظلمة فان هذه بدعة أحدثت وفى الانقياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل جزية ولا معنى لقول القائل إن ذلك يؤخذ منى وأنا مضطر فانه لو قعد فى البيت أو رجع من الطريق لم يؤخذ منه شىء بل ربما يظهر أسباب الترفه فتكثر مطالبته فلو كان فى زى الفقراء لم يطالب فهو الذى ساق نفسه إلى حالة الاضطرار . الثالث التوسع فى الزاد وطيب النفس بالبذل والانفاق من غير تقتير ولا إسراف

(الباب الثالث فى الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة)

(١) حديث إذا كان فى آخر الزمان خرج الناس للحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة وأغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للسؤال وقراؤهم للسمعة الخطيب من حديث أنس باسناد مجهول وليس فيه ذكر السلاطين ورواه أبو عثمان الصابونى فى كتاب المائتين فقال تحج أغنياء أمتى للنزهة وأوساطهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للرياء والسمعة (٢) حديث يدخل الله بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الموصى بها والمنفذ لها ومن حج بها عن أخيه هق من حديث جابر بسند ضعيف (٣) حديث مثل الذى يغزو ويأخذ أجرا مثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها ابن عدى من حديث معاذ وقال مستقيم الاسناد منكر المتن.

إذ هو جاهل فما له وعليه فى ذلك فيراجع عالما يسأله عنه ليجيبه على بصيرة ولا يعمل برأيه وهذا علم يجب طلبه حيث جهل . وقال بعضهم طلب علم التوحيد فرض فمن قائل يقول طريقه النظر والاستدلال ومن قائل يقول إن طريقه النقل . وقال بعضهم إذا كان العبد على سلامة الباطن وحسن الاستسلام والانقياد فى الاسلام ولا يحيك فى صدره شىء فهو سالم فان حاك فى صدره شىء أو توسوس بشىء يقدح فى العقد أو ابتلى بشبهة لا تؤمن غائلتها أن تجرّه إلى بدعة أو ضلالة فيجب عليه أن يستكشف عن الاشتباه ويراجع أهل العلم ومن يفهمه طريق الصواب. وقال الشيخ أبو طالب المكى رحمه الله هو علم الفرائض الخمس التى بنى عليها الاسلام لأنها افترضت على المسلمين

بل على الاقتصاد وأعنى بالاسراف التنعم بأطايب الأطعمة والترفه بشرب أنواعها على عادة المترفين فأما كثرة البذل فلاسرف فيه إذ لاخير فى السرف ولاسرف فى الخير كما قيل وبذل الزاد فى طريق الحج نفقة فى سبيل الله عز وجل والدرهم بسبعمائة درهم قال ابن عمر رضى الله عنهما من كرم الرجل طيب زاده فى سفره وكان يقول أفضل الحجاج أخلصهم نية وأزكاهم نفقة وأحسنهم يقينا وقال صلى الله عليه وسلم « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة فقيل له يارسول الله ما بر الحج ؟ فقال طيب الكلام وإطعام الطعام (١) » الرابع : ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرآن والرفث اسم جامع لكل لغو وخنى وفحش من الكلام ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن والتحدث بشأن الجماع ومقدماته فان ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والداعى إلى المحظور محظور والفسق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله عز وجل والجدال هو المبالغة فى الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ويفرق فى الحال الهمة ويناقض حسن الخلق وقد قال سفيان من رفث فسد حجه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الكلام مع إطعام الطعام من بر الحج والمماراة تناقض طيب الكلام فلاينبغى أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيره من أصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين إلى بيت الله عز وجل ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كف الأذى بل احتمال الأذى وقيل سمى السفر سفرا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال ولذلك قال عمر رضى الله عنه لمن زعم أنه يعرف رجلا هل صحبته فى السفر الذى يستدل به على مكارم الأخلاق قال لا فقال ماأراك تعرفه . الخامس : أن يحج ماشيا إن قدر عليه فذلك الأفضل . أوصى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما بنيه عند موته فقال يابنى حجوا مشاة فان للحاج الماشى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم ، قيل وماحسنات الحرم ؟ قال الحسنة بمائة ألف والاستحباب فى المشى فى المناسك والتردد من مكة إلى الموقف وإلى منى آكد منه فى الطريق وإن أضاف إلى المشى الاحرام من دويرة أهله فقد قيل إن ذلك من إتمام الحج قاله عمر وعلى وابن مسعود رضى الله عنهم فى معنى قوله عز وجل ـ وأتموا الحج والعمرة لله وقال بعض العلماء الركوب أفضل لما فيه من الانفاق والمؤنة ولأنه أبعد عن ضجر النفس وأقل لأذاه وأقرب إلى سلامته وتمام حجه وهذا عند التحقيق ليس مخالفا للأول بل ينبغى أن يفصل ويقال من سهل عليه المشى فهو أفضل فان كان يضعف ويؤدى به ذلك إلى سوء الخلق وقصور عن عمل فالركوب له أفضل كما أن الصوم للمسافر أفضل وللمريض مالم يفض إلى ضعف وسوء خلق . وسئل بعض العلماء عن العمرة أيمشى فيها أو يكترى حمارا بدرهم فقال إن كان وزن الدرهم أشد عليه فالكراء أفضل من المشى وإن كان المشى أشد عليه كالأغنياء فالمشى له أفضل فكأنه ذهب فيه إلى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن الأفضل له أن يمشى ويصرف ذلك الدرهم إلى خير فهو أولى من صرفه إلى المكارى عوضا عن ابتذال الدابة فاذا كانت لاتتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس ونقصان المال فما ذكره غير بعيد فيه . السادس : أن لايركب إلا زاملة أما المحمل فليجتنبه إلا إذا كان يخاف من الزاملة أن لايستمسك عليها لعذر وفيه معنيان أحدهما التخفيف على البعير فان المحمل يؤذيه والثانى اجتناب زى المترفين والمتكبرين « حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم » (٢)

(١) حديث الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، فقيل مابر الحج ؟ قال طيب الكلام وإطعام الطعام أحمد من حديث جابر باسناد لين ورواه الحاكم مختصرا وقال صحيح الاسناد (٢) حديث حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم الترمذى فى الشمائل وابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف .

وإذا كان عملها فرضا صار علم العمل بها فرضا وذكر أن علم التوحيد داخل فى ذلك لأن أولها الشهادتان والاخلاص داخل فى ذلك لأن ذلك من ضرورة الاسلام وعلم الاخلاص داخل فى صحة الاسلام وحيث أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فريضة على كل مسلم يقتضى أن لايسع مسلما جهله وكل ماتقدم من الأقاويل أكثرها مايسع المسلم جهله لأنه قد لايعلم علم الخواطر وعلم الحال وعلم الحلال بجميع وجوهه وعلم اليقين المستفاد من علماء الآخرة كما ترى وأكثر المسلمين على الجهل بهذه الأشياء ولوكانت هذه الأشياء فرضت عليهم لعجز عنها أكثر الخلق إلا ماشاء الله وميلى فى هذه الأقاويل إلى قول الشيخ أبى طالب أكثر وإلى قول من قال يجب عليه علم البيع والشراء والنكاح

وطاف على الراحلة لينظر الناس إلى هديه وشمائله[١]» وقال صلى الله عليه وسلم «خذوا عنى مناسككم[٢]» وقيل إن هذه المحامل أحدثها الحجاج وكان العلماء فى وقته ينكرونها فروى سفيان الثورى عن أبيه أنه قال برزت من الكوفة إلى القادسية للحج ووافيت الرفاق من البلدان فرأيت الحاج كلهم على زوامل وجوالقات ورواحل ومارأيت فى جميعهم إلا محملين وكان ابن عمر إذا نظر إلى ما أحدث الحجاج من الزى والمحامل يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر إلى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا نعم من الحجاج. السابع أن يكون رث الهيئة أشعث أغبر غير مستكثر من الزينة ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر فيكتب فى ديوان المتكبرين المترفهين ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين وخصوص الصالحين فقد أمر صلى الله عليه وسلم بالشعث والاختفاء[٣] ونهى عن التنعم والرفاهية[٤] فى حديث فضالة بن عبيد وفى الحديث «إنما الحاج الشعث التفث[٥] ويقول الله تعالى انظروا إلى زوار بيتى قد جاءونى شعثا غبرا من كل فج عميق[٦]» وقال تعالى ـ ثم ليقضوا تفثهم ـ والتفث الشعث والاغبرار وقضاؤه بالحلق وقص الشارب والأظفار وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أمراء الأجناد اخلولقوا واخشوشنوا أى البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة فى الأشياء وقد قيل زين الحجيج أهل اليمن لأنهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف فينبغى أن يجتنب الحمرة فى زيه على الخصوص والشهرة كيفما كانت على العموم فقد روى «أنه ﷺ كان فى سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر إلى أكسية حمر على الاقتاب فقال صلى الله عليه وسلم أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم[٧] قالوا فقمنا إليها ونزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الابل». الثامن أن يرفق بالدابة فلا يحملها مالا تطيق والمحمل خارج عن حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها كان أهل الورع لاينامون على الدواب إلا غفوة عن قعود وكانوا لايقفون عليها الوقوف الطويل قال صلى الله عليه وسلم «لاتتخذوا ظهور دوابكم كراسى[٨]» ويستحب أن ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة[٩] وفيه آثار عن السلف. وكان بعض السلف يكترى بشرط أن لاينزل ويوفى الأجرة ثم كان ينزل عنها ليكون بذلك محسنا إلى الدابة فيكون فى حسناته ويوضع فى ميزانه لافى ميزان المكارى وكل من آذى بهيمة وحملها

(١) حديث طوافه صلى الله عليه وسلم على راحلته تقدم (٢) حديث خذوا عنى مناسككم م ن واللفظ له من حديث جابر (٣) حديث الأمر بالشعث والاختفاء البغوى والطبرانى من حديث عبد الله بن أبى حدرد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعددوا واخشوشنوا وانتضلوا وامشوا حفاة وفيه اختلاف ورواه ابن عدى من حديث أبى هريرة وكلاهما ضعيف (٤) حديث فضالة بن عبيد فى النهى عن التنعم والرفاهية وأن النبى صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن كثير من الإرفاه ولأحمد من حديث معاذ إياك والتنعم الحديث (٥) إنما الحاج الشعث التفث ت ه من حديث ابن عمر وقال غريب (٦) حديث يقول الله تعالى انظروا إلى زوار بيتى قد جاءوا شعثا غبرا من كل فج عميق الحاكم وصححه من حديث أبى هريرة دون قوله من كل فج عميق وكذا رواه أحمد من حديث عبد الله ابن عمرو (٧) حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان فى سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر إلى أكسية حمر على الأقتاب فقال أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم الحديث د من حديث رافع ابن خديج وفيه رجل لم يسم (٨) حديث لاتتخذوا ظهور دوابكم كراسى أحمد من حديث سهل ابن معاذ بسند ضعيف ورواه الحاكم وصححه من رواية معاذ بن أنس عن أبيه (٩) حديث النزول عن الدابة غدوة وعشية يريحها بذلك الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس باسناد جيد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى الفجر فى السفر مشى ورواه البيهقى فى الأدب وقال مشى قليلا وناقته تقاد.

والطلاق إذا أراد الدخول فيه وهذا لعمرى فرض على المسلم علمه وهذا الذى قاله الشيخ أبو طالب وعندى فى ذلك حد جامع لطلب العلم المفترض والله أعلم. فأقول: العلم الذى طلبه فريضة على كل مسلم علم الأمر والنهى والمأمور مايثاب على فعله ويعاقب على تركه والمنهى مايعاقب على فعله ويثاب على تركه والمأمورات والمنهيات منها ماهو مستمر لازم للعبد بحكم الاسلام ومنها مايتوجه الأمر فيه والنهى عنه عند وجود الحادثة فما هو لازم مستمر لزومه متوجه بحكم الاسلام علمه به واجب من ضرورة الاسلام وما يتجدد بالحوادث ويتوجه الأمر والنهى فيه فعلمه عند تجدده فرض لايسع مسلما على الاطلاق أن يجهله وهذا الحد أعم من الوجوه الذى سبقت والله أعلم. ثم إن

مالاتطيق طولب به يوم القيامة . قال أبو الدرداء لبعيره عند الموت ياأيها البعير لا تخاصمنى إلى ربك فانى لم أكن أحملك فوق طاقتك وعلى الجملة فى كل كبد حرى أجر فليراع حق الدابة وحق المكارى جميعا وفى نزوله ساعة ترويح الدابة وسرور قلب المكارى. قال رجل لابن المبارك احمل لى هذا الكتاب معك لتوصله فقال حتى أستأمر الجمال فانى قد اكتريت فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لاوزن له وهو طريق الحزم فى الورع فانه إذا فتح باب القليل انجر إلى الكثير يسيرا يسيرا . التاسع أن يتقرب بإراقة دم وإن لم يكن واجبا عليه ويجتهد أن يكون من سمين النعم ونفيسه وليأكل منه إن كان تطوعا ولايأكل منه إن كان واجبا قيل فى تفسير قوله تعالى ـ ذلك ومن يعظم شعائر الله ـ إنه تحسينه وتسمينه وسوق الهدى من الميقات أفضل إن كان لا يجهده ولا يكده وليترك المكاس فى شرائه فقد كانوا يغالون فى ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدى والأضحية والرقبة فان أفضل ذلك أغلاه ثمنا وأنفسه عند أهله وروى ابن عمر « أن عمر رضى الله عنهما أهدى نجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله ﷺ أن يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها (١) » وذلك لأن القليل الجيد خير من الكثير الدون وفى ثلثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم إنما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله عز وجل فلن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة فى القيمة كثر العدد أوقل « وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم مابر الحج فقال العج والثج (٢) » والعج هو رفع الصوت بالتلبية والثج هو نحر البدن وروت عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ماعمل آدمى يوم النحر أحب إلى الله عز وجل من إهراقه دما وإنها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأظلافها وإن الدم يقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع بالأرض فطيبوا بها نفسا (٣) » وفى الخبر « لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وإنها لتوضع فى الميزان فابشروا » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « استنجدوا هداياكم فانها مطاياكم يوم القيامة » [١] . العاشر أن يكون طيب النفس بما أنفقه من نفقة وهدى وبما أصابه من خسران ومصيبة فى مال أو بدن إن أصابه ذلك فان ذلك من دلائل قبول حجه فان المصيبة فى طريق الحج تعدل النفقة فى سبيل الله عز وجل الدرهم بسبعمائة درهم وهو بمثابة الشدائد فى طريق الجهاد فله بكل أذى احتمله وخسران أصابه ثواب

(١) حديث ابن عمر أن عمر أهدى نجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها أخرجه د وقال انحرها (٢) حديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم مابر الحج فقال العج والثج ت واستغربه و ه و ك وصححه والبزار واللفظ له من حديث أبى بكر وقال الباقولى أى الحج أفضل (٣) حديث عائشة ماعمل ابن آدم يوم النحر أحب إلى الله من إهراقه دما الحديث ت وحسنه ابن ماجه وضعفه ابن حبان وقال خ إنه مرسل ووصله ابن خزيمة (٤) حديث لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنه وإنها لتوضع فى الميزان فأبشروا ه ك وصححه البيهقى من حديث زيد بن أرقم فى حديث فيه بكل شعرة حسنة قالوا فالصوف قال بكل شعرة من الصوف حسنة وفى رواية للبيهقى بكل قطرة حسنة قال خ لايصح وروى أبو الشيخ فى كتاب الضحايا من حديث على أما إنها يجاء بها يوم القيامة بلحومها ودمائها حتى توضع فى ميزانك يقولها لفاطمة .

[١] (قوله استنجدوا الخ) هذا الحديث لم يخرجه العراقى وهو ليس فى نسخة الشرح فلعله لم يكن فى نسخته .

المشايخ من الصوفية وعلماء الآخرة الزاهدين فى الدنيا شمروا عن ساق الجد فى طلب العلم المفترض حتى عرفوه وأقاموا الامر والنهى وخرجوا من عهدة ذلك بحسن توفيق الله تعالى فلما استقاموا فى ذلك متابعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أمره الله تعالى بالاستقامة فقال تعالى ـ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ـ فتح الله عليهم أبواب العلوم التى سبق ذكرها . قال بعضهم من يطيق مثل هذه المخاطبة بالاستقامة إلا من أيد من المشاهدات القوية والأنوار البينة والآثار الصادقة بالتثبيت ببرهان عظيم كما قال تعالى ـ ولولا أن ثبتناك ـ ثم حفظ فى وقت المشاهدة ومشافهة الخطاب وهو المزين بمقام القرب والمخاطب على بساط الأنس محمد صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك خوطب بقوله ـ فاستقم

فلا يضيع منه شىء عند الله عز وجل ويقال إن من علامة قبول الحج أيضا ترك ما كان عليه من المعاصى وأن يتبدل باخوانه البطالين إخوانا صالحين وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة .

(بيان الأعمال الباطنة ووجه الاخلاص فى النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر لأسرارها ومعانيها من أول الحج إلى آخره)

اعلم أن أول الحج الفهم أعنى فهم موقع الحج فى الدين ثم الشوق إليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة منه ثم شراء ثوب الاحرام ثم شراء الزاد ثم اكتراء الراحلة ثم الخروج ثم السير فى البادية ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الأفعال كما سبق وفى كل واحد من هذه الأمور تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق وتعريف وإشارة للفطن فلنرمز إلى مفاتحها حتى إذا انفتح بابها وعرفت أسبابها انكشف لكل حاج من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة فهمه . أما الفهم : فاعلم أنه لا وصول إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه فى جميع الحركات والسكنات ولأجل هذا انفرد الرهبانيون فى الملل السالفة عن الخلق وانحازوا إلى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الأنس بالله عز وجل فتركوا لله عز وجل اللذات الحاضرة وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة طمعا فى الآخرة وأثنى الله عز وجل عليهم فى كتابه فقال ـ ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ـ فلما اندرس ذلك وأقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله عز وجل وفتروا عنه بعث الله عز وجل نبيه محمدا ﷺ لإحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين فى سلوكها فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياحة فى دينه فقال صلى الله عليه وسلم : «أبدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف (١)» يعنى الحج « وسئل صلى الله عليه وسلم عن السائحين فقال هم الصائمون (٢) » فأنعم الله عز وجل على هذه الأمة بأن جعل الحج رهبانية لهم فشرف البيت العتيق بالاضافة إلى نفسه تعالى ونصبه مقصدا لعباده وجعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما لأمره وجعل عرفات كالميزاب على فناء حوضه وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ليكون ذلك أبلغ فى رقهم وعبوديتهم وأتم فى إذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها أعمالا لا تأنس بها النفوس ولا تهتدى إلى معانيها العقول كرمى الجمار بالأحجار والترددبين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية فان الزكاة إرفاق ووجهه مفهوم وللعقل إليه ميل والصوم كسر للشهوة التى هى آلة عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل والركوع والسجود فى الصلاة تواضع لله عز وجل بأفعال هى هيئة التواضع وللنفوس أنس بتعظيم الله عز وجل فأما تردد ات السعى

(١) حديث سئل عن الرهبانية والسياحة فقال بدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف أبو داود من حديث أبى أمامة أن رجلا قال يارسول الله ائذن لى فى السياحة فقال إن سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله رواه الطبرانى بلفظ إن لكل أمة سياحة وسياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله ولكل أمة رهبانية ورهبانية أمتى الرباط فى نحر العدو وللبيهقى فى الشعب من حديث أنس رهبانية أمتى الجهاد فى سبيل الله وكلاهما ضعيف والترمذى وحسنه والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه من حديث أبى هريرة أن رجلا قال يارسول الله إنى أريد أن أسافر فأوصنى قال عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف (٢) حديث سئل عن السائحين فقال هم الصائمون البيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة وقال المحفوظ عن عبيد بن عمير عن عمر مرسلا .

كما أمرت ـ ولولا هذه المقامات ما أطاق الاستقامة التى أمر بها . قيل لأبى حفص أى الأعمال أفضل قال الاستقامة لأن النبى صلى الله عليه وسلم يقول «استقيموا ولن تحصوا » وقال جعفر الصادق فى قوله تعالى ـ فاستقم كما أمرت ـ أى افتقر إلى الله بصحة العزم ورأى بعض الصالحين رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام . قال قلت يارسول الله روى عنك أنك قلت شيبتنى سورة هود وأخواتها فقال نعم قال فقلت ما الذى شيبك منها قصص الأنبياء وهلاك الأمم فقال لا ولكن قوله فاستقم كما أمرت فكما أن النبى صلى الله عليه وسلم بعد مقدمات المشاهدات خوطب بهذا الخطاب وطولب بحقائق الاستقامة فكذلك علماء الآخرة الزاهدون ومشايخ الصوفية المقربون منحهم الله تعالى من

ورمى الجمار وأمثال هذه الأعمال فلاحظ للنفوس ولا أنس للطبع فيها ولا اهتداء للعقل إلى معانيها فلايكون فى الإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد وقصد الامتثال للأمر من حيث إنه أمر واجب الاتباع فقط وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل أنسه فان كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا للأمر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى الحج على الخصوص « لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا (١) » ولم يقل ذلك فى صلاة ولا غيرها وإذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم وأن يكون زمامها بيد الشرع فيترددون فى أعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد وكان ما لايهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات فى تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق وإذا تفطنت لهذا فهمت أن تعجب النفوس من هذه الأفعال العجيبة مصدره الذهول عن أسرار التعبدات وهذا القدر كاف فى تفهم أصل الحج إن شاء الله تعالى . وأما الشوق : فانما ينبعث بعد الفهم والتحقق بأن البيت بيت الله عز وجل وأنه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد إلى الله عز وجل وزائر له وأن من قصد البيت فى الدنيا جدير بأن لايضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة فى ميعاده المضروب له وهو النظر إلى وجه الله الكريم فى دار القرار من حيث إن العين القاصرة الفانية فى دار الدنيا لاتتهيأ لقبول نور النظر إلى وجه الله عز وجل ولاتطيق احتماله ولاتستعد للاكتحال به لقصورها وأنها إن أمدت فى الدار الآخرة بالبقاء ونزهت عن أسباب التغير والفناء استعدت للنظر والإبصار ولكنها بقصد البيت والنظر إليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم فالشوق إلى لقاء الله عز وجل يشوقه إلى أسباب اللقاء لامحالة هذا مع أن المحب مشتاق إلى كل ماله إلى محبوبه إضافة والبيت مضاف إلى الله عز وجل فبالحرى أن يشتاق إليه لمجرد هذه الاضافة فضلا عن الطلب لنيل ماوعد عليه من الثواب الجزيل . وأما العزم : فليعلم أنه بعزمه قاصد إلى مفارقة الأهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات متوجها إلى زيارة بيت الله عز وجل وليعظم فى نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره وان من طلب عظيما خاطر بعظيم وليجعل عزمه خالصا لوجه الله سبحانه بعيدا عن شوائب الرياء والسمعة وليتحقق أنه لايقبل من قصده وعمله إلا الخالص وان من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الله وحرمه والمقصود غيره فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه باخلاصه واخلاصه باجتناب كل مافيه رياء وسمعة فليحذر أن يستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير . وأما قطع العلائق : فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن جملة المعاصى فكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلابيبه ينادى عليه ويقول له إلى أين تتوجه أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيع أمره فى منزلك هذا ومستهين به ومهمل له أو لا تستحى أن تقدم عليه قدوم العبد العاصى فيردك ولا يقبلك فان كنت راغبا فى قبول زيارتك فنفذ أوامره ورد المظالم وتب إليه أولا من جميع المعاصى واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك لتكون متوجها إليه بوجه قلبك كما أنك متوجه إلى بيته بوجه ظاهرك فان لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك أولا إلا النصب والشقاء وآخرا إلا الطرد والرد وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر أن لايعود إليه وليكتب وصيته لأولاده وأهله فان المسافر وماله لعلى خطر إلا من وقى الله سبحانه وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فان ذلك بين يديه على القرب ومايتقدمه من هذا السفر طمع فى تيسير ذلك السفر فهو المستقر

(١) حديث لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا تقدم فى الزكاة .

ذلك بقسط ونصيب ثم ألهمهم طلب النهوض بواجب حق الاستقامة ورأوا الاستقامة أفضل مطلوب وأشرف مأمور .

قال أبو على الجورجانى كن طالب الاستقامة لاطالب الكرامة فان نفسك متحركة فى طلب الكرامة وربك يطلب منك الاستقامة وهذا الذى ذكره أصل كبير فى الباب وسر غفل عن حقيقته كثير من أهل السلوك والطلب وذلك أن المجتهدين والمتعبدين سمعوا بسير الصالحين المتقدمين وما منحوا به من الكرامات وخوارق العادات فأبدا نفوسهم لاتزال تتطلع إلى شىء من ذلك ويحبون أن يرزقوا شيئا من ذلك . ولعل أحدهم يبقى منكسر القلب متهما لنفسه فى صحة عمله حيث لم يكشف بشىء من ذلك ولو علموا سر ذلك لهان عليهم الأمر فيه فيعلم أن الله سبحانه وتعالى قد

وإليه المصير فلا ينبغى أن يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد بهذا السفر . وأما الزاد : فليطلبه من موضع حلال وإذا أحس من نفسه الحرص على استكثاره وطلب مايبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتذكر أن سفر الآخرة أطول من هذا السفر وأن زاده التقوى وأن ماعداه مما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه كالطعام الرطب الذى يفسد فى أول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيرا محتاجا لاحيلة له فليحذر أن تكون أعماله التى هى زاده إلى الآخرة لاتصحبه بعد الموت بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير . وأما الراحلة : إذا أحضرها فليشكر الله بقلبه على تسخير الله عز وجل له الدواب لتحمل عنه الأذى وتخفف عنه المشقة وليتذكر عنده المركب الذى يركبه إلى دار الآخرة وهى الجنازة التى يحمل عليها فان أمر الحج من وجه يوازى أمر السفر إلى الآخرة ولينظر أيصلح سفره على هذا المركب لأن يكون زادا له لذلك السفر على ذلك المركب فما أقرب ذلك منه وما يدريه لعل الموت قريب ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمل وركوب الجنازة مقطوع به وتيسر أسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاط فى أسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر فى زاده وراحلته ويهمل أمر السفر المستيقن . وأما شراء ثوبى الإحرام : فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه فانه سيرتدى ويتزر بثوبى الإحرام عند القرب من بيت الله عز وجل وربما لايتم سفره إليه وأنه سيلقى الله عز وجل ملفوفا فى ثياب الكفن لامحالة فكما لايلقى بيت الله عز وجل إلا مخالفا عادته فى الزى والهيئة فلا يلقى الله عز وجل بعد الموت إلا فى زى مخالف لزى الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس فيه مخيط كما فى الكفن . وأما الخروج من البلد : فليعلم عنده أنه فارق الأهل والوطن متوجها إلى الله عز وجل فى سفر لايضاهى أسفار الدنيا فليحضر فى قلبه أنه ماذا يريد وأين يتوجه وزيارة من يقصد وأنه متوجه إلى ملك الملوك فى زمرة الزائرين له الذين نودوا فأجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستنهضوا فنهضوا وقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق وأقبلوا على بيت الله عز وجل الذى فخم أمره وعظم شأنه ورفع قدره تسليا بلقاء البيت عن لقاء رب البيت إلى أن يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم وليحضر فى قلبه رجاء الوصول والقبول لا إدلالا بأعماله فى الارتحال ومفارقة الأهل والمال ولكن ثقة بفضل الله عز وجل ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج أنه إن لم يصل إليه وأدركته المنية فى الطريق لقى الله عز وجل وافدا إليه إذ قال جل جلاله ـ ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ـ . وأما دخول البادية إلى الميقات ومشاهدة تلك العقبات : فليتذكر فيها مابين الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات يوم القيامة ومابينهما من الأهوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادى عقارب القبر وديدانه ومافيه من الأفاعى والحيات ومن انفراده عن أهله وأقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته وليكن فى هذه المخاوف فى أعماله وأقواله متزودا لمخاوف القبر . وأما الإحرام والتلبية من الميقات : فليعلم أن معناه إجابة نداء الله عز وجل فارج أن تكون مقبولا واخش أن يقال لك لالبيك ولا سعديك فكن بين الرجاء والخوف مترددا وعن حولك وقوتك متبرئا وعلى فضل الله عز وجل وكرمه متكلا فان وقت التلبية هو بداية الأمر وهى محل الخطر قال سفيان بن عيينة حج على بن الحسين رضى الله عنهما فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبى فقيل له لم لاتلبى فقال أخشى أن يقال لى لالبيك ولاسعديك فلما لبى غشى عليه ووقع عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه . وقال أحمد ابن أبى الحوارى كنت مع أبى سليمان الدارانى رضى الله عنه حين أراد الإحرام فلم يلب حتى سر ناميلا

يفتح على بعض المجتهدين الصادقين من ذلك بابا والحكمة فيه أن يزداد بما يرى من خوارق العادات وآثار القدرة يقينا فيقوى عزمه على الزهد فى الدنيا والخروج من دواعى الهوى وقد يكون بعض عباده يكاشف بصرف اليقين ويرفع عن قلبه الحجاب ومن كوشف بصرف اليقين استغنى بذلك عن رؤية خوارق العادات لأن المراد منها كان حصول اليقين وقد حصل اليقين فلو كوشف هذا المرزوق صرف اليقين بشىء من ذلك ماازداد يقينا فلا تقتضى الحكمة كشف القدرة بخوارق العادات لهذا الموضع لاستغنائه . وتقتضى الحكمة كشف ذلك للآخر لموضع حاجته فكان هذا الثانى يكون أتم استعدادا وأهلية من الأول حيث رزق حاصل ذلك وهو

فأخذته الغشية ثم أفاق وقال يا أحمد إن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام من ظلمة بنى إسرائيل أن يقلوا من ذكرى فانى أذكر من ذكرنى منهم باللعنة ويحك يا أحمد بلغنى أن من حج من غير حله ثم لبى قال الله عز وجل لا لبيك ولا سعديك حتى ترد مافى يديك فما نأمن أن يقال لنا ذلك وليتذكر الملبى عند رفع الصوت بالتلبية فى الميقات إجابته لنداء الله عز وجل إذ قال وأذن فى الناس بالحج ونداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم فى عرصات القيامة مجيبين لنداء الله سبحانه منقسمين إلى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين فى أول الأمر بين الخوف والرجاء ترددا الحاج فى الميقات حيث لا يدرون أيتيسر لهم إتمام الحج وقبوله أم لا . وأما دخول مكة : فليتذكر عندها أنه قد انتهى إلى حرم الله تعالى آمنا وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله عز وجل وليخش أن لا يكون أهلا للقرب فيكون بدخوله الحرم خائبا ومستحقا للمقت وليكن رجاؤه فى جميع الأوقات غالبا فالكرم عميم والرب رحيم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعى وذمام المستجير اللائذ غير مضيع . وأما وقوع البصر على البيت : فينبغى أن يحضر عنده عظمة البيت فى القلب ويقدر كأنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه إياه وارج أن يرزقك الله تعالى النظر إلى وجهه الكريم كما رزقك الله النظر إلى بيته العظيم واشكر الله تعالى على تبليغه إياك هذه الرتبة وإلحاقه إياك بزمرة الوافدين عليه واذكر عند ذلك انصباب الناس فى القيامة إلى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ثم انقسامهم إلى مأذونين فى الدخول ومصروفين انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين ولا تغفل عن تذكر أمور الآخرة فى شىء مما تراه فان كل أحوال الحاج دليل على أحوال الآخرة . وأما الطواف بالبيت فاعلم أنه صلاة فأحضر فى قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه فى كتاب الصلاة . واعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظنن أن المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا تبتدئ الذكر إلا منه ولا تختم إلا به كما تبتدئ الطواف من البيت وتختم بالبيت . واعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وأن البيت مثال ظاهر فى عالم الملك لتلك الحضرة التى لا تشاهد بالبصر وهى عالم الملكوت كما أن البدن مثال ظاهر فى عالم الشهادة للقلب الذى لا يشاهد بالبصر وهو فى عالم الغيب وأن عالم الملك والشهادة مدركة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح الله له الباب وإلى هذه الموازنة وقعت الإشارة بأن البيت المعمور فى السموات بازاء الكعبة فان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بأن من تشبه بقوم فهو منهم[1] والذى يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذى يقال إن الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه بعض الكاشفين لبعض أولياء الله سبحانه وتعالى . وأما الاستلام : فاعتقد عنده أنك مبايع لله عز وجل على طاعته فصمم عزيمتك على الوفاء ببيعتك فمن غدر فى المبايعة استحق المقت وقد روى ابن عباس رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « الحجر الأسود يمين الله عز وجل فى الأرض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه[2] » . وأما التعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم: فلتكن نيتك فى الالتزام طلب القرب حبا وشوقا للبيت ولرب البيت وتبركا بالمماسة ورجاء للتحصن عن النار فى كل جزء من بدنك لا فى البيت ولتكن نيتك فى التعلق بالستر الإلحاح فى طلب المغفرة وسؤال الأمان كالمذنب المتعلق بثياب من أذنب إليه المتضرع إليه فى عفوه عنه المظهر له أنه لا ملجأ له منه إلا

(١) حديث من تشبه بقوم فهو منهم أبو داود من حديث ابن عمر بسند صحيح (٢) حديث ابن عباس الحجر يمين الله فى الأرض يصافح بها خلقه الحديث تقدم فى العلم من حديث عبد الله بن عمرو .

صرف اليقين بغير واسطة من رؤية قدرة فان فيه آفة وهو العجب فأغنى عن رؤية شىء من ذلك فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة فهى كل الكرامة ثم إذا وقع فى طريقه شىء من ذلك جاز وحسن وإن لم يقع فلا يبالى ولا ينقص بذلك وإنما ينقص بالاخلال بواجب حق الاستقامة فليعلم هذا لأنه أصل كبير للطالبين فالعلماء الزاهدون ومشايخ الصوفية والمقربون حيث أكرموا بالقيام بواجب حق الاستقامة رزقوا سائر العلوم التى أشار إليها المتقدمون كما ذكرنا وزعموا أنها فرض فمن ذلك علم الحال وعلم القيام وعلم الخواطر وسنشرح علم الخواطر وتفصيلها فى باب إن شاء الله تعالى وعلم اليقين وعلم الإخلاص وعلم النفس ومعرفتها ومعرفة أخلاقها وعلم النفس

إليه ولامفزع له إلا كرمه وعفوه وأنه لايفارق ذيله إلا بالعفو وبذل الأمن فى المستقبل . وأما السعى بين الصفا والمروة فى فناء البيت : فانه يضاهى تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد أخرى إظهارا للخلوص فى الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذى دخل على الملك وخرج وهو لايدرى ماالذى يقضى به الملك فى حقه من قبول أورد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن يرحم فى الثانية إن لم يرحم فى الأولى وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتى الميزان فى عرصات القيامة وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات وليتذكر تردده بين الكفتين ناظرا إلى الرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران . وأما الوقوف بعرفة : فاذكر بما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق أئمتهم فى الترددات على المشاعر اقتفاء لهم وسيرا بسيرهم عرصات القيامة واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة واقتفاء كل أمة نبيها وطمعهم فى شفاعتهم وتحيرهم فى ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول وإذا تذكرت ذلك فألزم قلبك الضراعة والابتهال إلى الله عز وجل فتحشر فى زمرة الفائزين المرحومين وحقق رجاؤك بالاجابة فالموقف شريف والرحمة إنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من أوتاد الأرض ولا ينفك الموقف عن طبقة من الأبدال والأوتاد وطبقة من الصالحين وأرباب القلوب فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت إلى الله سبحانه أيديهم وامتدت إليه أعناقهم وشخصت نحو السماء أبصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظنن أنه يخيب أملهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم ولذلك قيل إن من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله تعالى لم يغفر له وكأن اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده فلا طريق إلى استدرار رحمة الله سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب فى وقت واحد على صعيد واحد . وأما رمى الجمار : فاقصد به الانقياد للأمر إظهارا للرق والعبودية وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه ثم اقصد به التشبه بابراهيم عليه السلام حيث عرض له إبليس لعنه الله تعالى فى ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية فأمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لأمله فان خطر لك أن الشيطان عرض له فشاهده فلذلك رماه وأما أنا فليس يعرض لى الشيطان فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان وأنه الذى ألقاه فى قلبك ليفتر عزمك فى الرمى ويخيل إليك أنه فعل لافائدة فيه وأنه يضاهى اللعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير فى الرمى فيه برغم أنف الشيطان . واعلم أنك فى الظاهر ترمى الحصى إلى العقبة وفى الحقيقة ترمى به وجه الشيطان وتقصم به ظهره إذ لا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيما له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه . وأما ذبح الهدى : فاعلم أنه تقرب إلى الله تعالى بحكم الامتثال فأكل الهدى وارج أن يعتق الله بكل جزء منه جزءا منك من النار (١) فهكذا ورد الوعد فكلما كان الهدى أكبر وأجزاؤه أوفر كان فداؤك من النار أعم . وأما زيارة المدينة : فاذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر أنها البلدة التى اختارها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم وجعل إليها هجرته وأنها داره التى شرع فيها فرائض ربه عز وجل وسننه وجاهد عدوه وأظهر بها دينه إلى أن توفاه الله عز وجل ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق بعده رضى الله عنهما ثم مثل فى نفسك مواقع

(١) حديث أنه يعتق بكل جزء من الأضحية جزءا من المضحى من النار لم أقف له على أصل وفى كتاب الضحايا لأبى الشيخ من حديث أبى سعيد فان لك بأول قطرة تقطر من دمها أن يغفر لك ماتقدم من ذنوبك يقوله لفاطمة وإسناده ضعيف .

ومعرفتها من أعز علوم القوم وأقوم الناس بطريق المقربين والصوفية أقومهم بمعرفة النفس وعلم معرفة أقسام الدنيا ووجود دقائق الهوى وخفايا شهوات النفس وشرهها وشرها وعلم الضرورة ومطالبة النفس بالوقوف على الضرورة قولا وفعلا ولبسا وخلعا وأكلا ونوما ومعرفة حقائق التوبة وعلم خفى الذنوب ومعرفة سيئات هى حسنات الأبرار ومطالبة النفس بترك مالا يعنى ومطالبة الباطن بحصر خواطر المعصية ثم بحصر خواطر الفضول ثم علم المراقبة وعلم مايقدح فى المراقبة وعلم المحاسبة والرعاية وعلم حقائق التوكل وذنوب المتوكل فى توكله وما يقدح فى التوكل وما لا يقدح والفرق بين التوكل الواجب بحكم الإيمان وبين التوكل الخاص المختص بأهل العرفان وعلم الرضا وذنوبه

أقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ترددانه فيها وأنه مامن موضع قدم تطؤه إلا وهو موضع أقدامه العزيزة فلا تضع قدمك عليه إلا عن سكينة ووجل وتذكر مشيه وتخطيه فى سككها وتصوّر خشوعه وسكينته فى المشى وما استودع الله سبحانه قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره مع ذكره تعالى حتى قرنه بذكر نفسه وإحباطه عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته ثم تذكر مامن الله تعالى به على الذين أدركوا صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه وأعظم تأسفك على مافاتك من صحبته وصحبة أصحابه رضى الله عنهم ثم اذكر أنك قد فاتتك رؤيته فى الدنيا وأنك من رؤيته فى الآخرة على خطر وأنك ربما لاتراه إلا بحسرة وقد حيل بينك وبينه قبوله إياك بسوء عملك كما قال صلى الله عليه وسلم « يرفع الله إلىّ أقواما فيقولون يامحمد يامحمد فأقول يارب أصحابى فيقول إنك لاتدرى ماأحدثوا بعدك فأقول بعدا وسحقا[1] » فان تركت حرمة شريعته ولو فى دقيقة من الدقائق فلا تأمن أن يحال بينك وبينه بعدولك عن محجته وليعظم مع ذلك رجاؤك أن لايحول الله تعالى بينك وبينه بعد أن رزقك الإيمان وأشخصك من وطنك لأجل زيارته من غير تجارة ولاحظ فى دنيا بل لمحض حبك له وشوقك إلى أن تنظر إلى آثاره وإلى حائط قبره إذ سمحت نفسك بالسفر بمجرد ذلك لما فاتتك رؤيته فما أجدرك بأن ينظر الله تعالى إليك بعين الرحمة فاذا بلغت المسجد فاذكر أنها العرصة التى اختارها الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ولأوّل المسلمين وأفضلهم عصابة وأن فرائض الله سبحانه أول ماأقيمت فى تلك العرصة وأنها جمعت أفضل خلق الله حيا وميتا فليعظم أملك فى الله سبحانه أن يرحمك بدخولك إياه فادخله خاشعا معظما وماأجدر هذا المكان بأن يستدعى الخشوع من قلب كل مؤمن كما حكى عن أبى سليمان أنه قال حج أويس القرنى رضى الله عنه ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له هذا قبر النبى صلى الله عليه وسلم فغشى عليه فلما أفاق قال أخرجونى فليس يلذلى بلد فيه محمد صلى الله عليه وسلم مدفون . وأما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم : فينبغى أن تقف بين يديه كما وصفناه وتزوره ميتا كما تزوره حيا ولاتقرب من قبره إلا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لوكان حيا وكما كنت ترى الحرمة فى أن لاتمس شخصه ولاتقبله بل تقف من بعد ماثلا بين يديه فكذلك فافعل فان المسّ والتقبيل للمشاهد عادة النصارى واليهود . واعلم أنه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وأنه يبلغه سلامك وصلاتك فمثل صورته الكريمة فى خيالك موضوعا فى اللحد بازائك وأحضر عظيم رتبته فى قلبك فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم « أن الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته[2] » هذا فى حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادى شوقا إلى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم إذ فاته مشاهدة غرته الكريمة وقد قال صلى الله عليه وسلم « من صلى علىّ مرة واحدة صلى الله عليه عشرا[3] » فهذا جزاؤه فى الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته ببدنه ثم ائت منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وتوهم صعود النبى صلى الله عليه وسلم المنبر ومثل فى قلبك طلعته البهية كأنها على المنبر وقد أحدق به المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم وهو صلى الله عليه وسلم يحثهم على طاعة الله عزوجل بخطبته وسل الله عزوجل أن لايفرق

(١) حديث يرفع إلىّ أقوام فيقولون يامحمد يامحمد فأقول يارب أصحابى فيقول إنك لاتدرى ماأحدثوا بعدك فأقول بعدا وسحقا متفق عليه من حديث ابن مسعود وأنس وغيرهما دون قوله يامحمد يامحمد (٢) حديث إن الله وكل بقبره صلى الله عليه وسلم ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته ن حب ك من حديث ابن مسعود بلفظ إن لله ملائكة سياحين فى الأرض يبلغونى عن أمتى السلام (٣) حديث من صلى علىّ واحدة صلى الله عليه عشرا م من حديث أبى هريرة وعبد الله بن عمرو .

مقام الرضا وعلم الزهد وتحديده بما يلزم من ضرورته ومالا يقدح فى حقيقته ومعرفة الزهد فى الزهد ومعرفة زهد ثالث بعد الزهد فى الزهد وعلم الانابة والالتجاء ومعرفة أوقات الدعاء ومعرفة وقت السكوت عن الدعاء وعلم المحبة والفرق بين المحبة العامة المفسرة بامتثال الأمر والمحبة الخالصة وقد أنكر طائفة من علماء الدنيا دعوى علماء الآخرة المحبة الخاصة كما أنكروا الرضا وقالوا ليس إلا الصبر وانقسام المحبة الخاصة إلى محبة الذات وإلى محبة الصفات والفرق بين محبة القلب ومحبة الروح ومحبة العقل ومحبة النفس والفرق بين مقام المحب والمحبوب والمريد والمراد ثم علوم المشاهدات كعلم الهيبة والأنس والقبض والبسط والفرق بين القبض والهمم والبسط والنشاط وعلم الفناء والبقاء وتفاوت أحوال

في القيامة بينك وبينه فهذه وظيفة القلب في أعمال الحج فاذا فرغ منها كلها فينبغي أن يلزم قلبه الحزن والهم والخوف وأنه ليس يدري أقبل منه حجه وأثبت في زمرة المحبوبين أم رد حجه وألحق بالمطرودين وليتصرف ذلك من قلبه وأعماله فان صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور وانصرافا إلى دار الأنس بالله تعالى ووجد أعماله قد اتزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول فان الله تعالى لايقبل إلا من أحبه ومن أحبه تولاه وأظهر عليه آثار محبته وكف عنه سطوة عدوه إبليس لعنه الله فاذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وإن كان الأمر بخلافه فيوشك أن يكون حظه من سفره العناء والتعب نعوذ بالله سبحانه وتعالى من ذلك .

تم كتاب أسرار الحج يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب آداب تلاوة القرآن .

(كتاب آداب تلاوة القرآن)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه المرسل صلى الله عليه وسلم وكتابه المنزل الذي ـ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ـ حتى اتسع على أهل الأفكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص والأخبار واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فيه من الأحكام وفرق بين الحلال والحرام فهو الضياء والنور وبه النجاة من الغرور وفيه شفاء لما في الصدور من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين والعروة الوثقى والمعتصم الأوفى وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير لاتنقضي عجائبه ولاتتناهى غرائبه لايحيط بفوائده عند أهل العلم تحديد ولايخلقه عند أهل التلاوة كثرة الترديد هو الذي أرشد الأولين والآخرين ولما سمعه الجن لم يلبثوا أن ولوا إلى قومهم منذرين ـ فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا ـ فكل من آمن به فقد وفق ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدى ومن عمل به فقد فاز وقال تعالى ـ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ـ ومن أسباب حفظه في القلوب والمصاحف استدامة تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه والمحافظة على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة وذلك لابد من بيانه وتفصيله وتنكشف مقاصده في أربعة أبواب . الباب الأول : في فضل القرآن وأهله . الباب الثاني : في آداب التلاوة في الظاهر . الباب الثالث : في الأعمال الباطنة عند التلاوة . الباب الرابع : في فهم القرآن وتفسيره بالرأي وغيره .

(الباب الأول في فضل القرآن وأهله وذم المقصرين في تلاوته)

(فضيلة القرآن)

قال ﷺ «من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظمه الله تعالى (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من شفيع أفضل منزلة عند الله تعالى من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره (٢) »

(كتاب آداب تلاوة القرآن)

(الباب الأول في فضل القرآن وأهله)

(١) من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظمه الله طب من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (٢) حديث ما من شفيع أعظم منزلة عند الله من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسلا وللطبراني من حديث ابن مسعود القرآن شافع مشفع ولمسلم من حديث أبي أمامة اقرءوا القرآن فانه يجيء يوم القيامة شفيعا لصاحبه .

الفناء والاستتار والتجلي والجمع والفرق واللوامع والطوالع والبوادي والصحو والسكر إلى غير ذلك لو اتسع الوقت ذكرناها وشرحناها في مجلدات ولكن العمر قصير والوقت عزيز ولولا سهم الغفلة لضاق الوقت عن هذا القدر أيضا وهذا المختصر المؤلف يحتوي من علوم القوم على طرف صالح نرجو من الله الكريم أن ينفع به ويجعله حجة لنا لا حجة علينا وهذه كلها علوم من ورائها علوم عمل بمقتضاها وظفر بها علماء الآخرة الزاهدون وحرم ذلك علماء الدنيا الراغبون وهي علوم ذوقية لايكاد النظر يصل إليها إلا بذوق ووجدان كالعلم بكيفية حلاوة السكر لا يحصل بالوصف فمن ذاقه عرفه وينبئك عن شرف علم الصوفية وزهاد العلماء أن العلوم كلها لايتعذر تحصيلها مع محبة الدنيا والاخلال

وقال صلى الله عليه وسلم « لو كان القرآن فى إهاب ما مسته النار (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل عبادة أمتى تلاوة القرآن (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم أيضا « إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لأمة ينزل عليهم هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسنة تنطق بهذا (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائى ومسألتى أعطيته أفضل ثواب الشاكرين (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ ما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل ورجل أم به قوما وهم به راضون (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « أهل القرآن أهل الله وخاصته (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد فقيل يارسول الله وما جلاؤها قال تلاوة القرآن وذكر الموت (٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « لله أشد أذنا إلى قارىء القرآن من صاحب القينة إلى قينته (٩) » الآثار : قال أبو أمامة الباهلى اقرءوا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلبا هو وعاء للقرآن . وقال ابن مسعود إذا أردتم العلم فانثروا القرآن فان فيه علم الأولين والآخرين وقال أيضا اقرءوا القرآن فانكم تؤجرون عليه بكل حرف عشر حسنات أما إنى لا أقول الحرف الم ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف وقال أيضا : لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن فان كان يحب القرآن ويعجبه فهو يحب الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وقال عمرو بن العاص كل آية فى القرآن درجة فى الجنة ومصباح فى بيوتكم وقال أيضا من قرأ القرآن أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه وقال أبو هريرة إن البيت الذى يتلى فيه القرآن اتسع بأهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين وإن البيت الذى لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق بأهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين وقال أحمد بن حنبل رأيت الله عز وجل فى المنام فقلت يارب ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك قال بكلامى يا أحمد قال قلت يارب بفهم أو بغير فهم قال بفهم وبغير فهم وقال محمد بن كعب القرظى إذا سمع

بحقائق التقوى وربما كان محبة الدنيا عونا على اكتسابها لأن الاشتغال بها شاق على النفوس فجبلت النفوس على محبة الجاه والرفعة حتى إذا استشعرت حصول ذلك بحصول العلم أجابت إلى تحمل الكلف وسهر الليل والصبر على الغربة والأسفار وتعذر الملاذ والشهوات وعلوم هؤلاء القوم لا تحصل مع محبة الدنيا ولا تنكشف إلا بمجانبة الهوى ولا تدرس إلا فى مدرسة التقوى قال الله تعالى ـ واتقوا الله ويعلمكم الله ـ جعل العلم ميراث التقوى وغير علوم هؤلاء القوم متيسر من غير ذلك بلا شك فعلم فضل علم علماء الآخرة حيث لم يكشف النقاب إلا لأولى الألباب وأولو الألباب حقيقة هم الزاهدون فى الدنيا قال بعض الفقهاء إذا أوصى رجل بماله لأعقل الناس يصرف إلى

(١) حديث لو كان القرآن فى إهاب ما مسته النار الطبرانى وابن حبان فى الضعفاء من حديث سهل ابن سعد ولأحمد والدارمى والطبرانى من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة ورواه ابن عدى والطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث عصمة بن مالك باسناد ضعيف (٢) حديث أفضل عبادة أمتى تلاوة القرآن أبو نعيم فى فضائل القرآن من حديث النعمان بن بشير وأنس وإسنادها ضعيف (٣) حديث إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام الحديث الدارمى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٤) حديث خيركم من تعلم القرآن وعلمه خ من حديث عثمان ابن عفان (٥) حديث يقول الله من شغله قراءة القرآن عن دعائى ومسألتى أعطيته ثواب الشاكرين ت من حديث أبى سعيد من شغله القرآن عن ذكرى أو مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وقال حسن غريب ورواه ابن شاهين بلفظ المصنف (٦) حديث ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك الحديث تقدم فى الصلاة (٧) حديث أهل القرآن أهل الله وخاصته ن فى الكبرى و ه ك من حديث أنس باسناد حسن (٨) حديث إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل ما جلاؤها قال تلاوة القرآن وذكر الموت البيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٩) حديث لله أشد أذنا إلى قارىء القرآن من صاحب القينة إلى قينته ه حب ك وصححه من حديث فضالة بن عبيد .

الناس القرآن من الله عز وجل يوم القيامة فكأنهم لم يسمعوه قط وقال الفضيل بن عياض ينبغي لحامل القرآن أن لايكون له إلى أحد حاجة ولا إلى الخلفاء فمن دونهم فينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه وقال أيضا حامل القرآن حامل راية الاسلام فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن وقال سفيان الثوري إذا قرأ الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه وقال عمرو بن ميمون من نشر مصحفا حين يصلي الصبح فقرأ منه مائة آية رفع الله عز وجل له مثل عمل جميع أهل الدنيا ويروى « أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال اقرأ علي القرآن فقرأ عليه ـ إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى ـ الآية فقال له أعد فأعاد فقال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمورق وإن أعلاه لمثمر ومايقول هذا بشر[1] » وقال الحسن والله مادون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة وقال الفضيل من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسي ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القاسم بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك ماههنا أحد نستأنس به فمد يده إلى المصحف ووضعه على حجره وقال هذا وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثلاث يزدن في الحفظ ويذهبن البلغم السواك والصيام وقراءة القرآن .

(في ذم تلاوة الغافلين)

قال أنس بن مالك رب تال للقرآن والقرآن يلعنه وقال ميسرة الغريب هو القرآن في جوف الفاجر وقال أبو سليمان الداراني الزبانية أسرع إلى حملة القرآن الذين يعصون الله عز وجل منهم إلى عبدة الأوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القرآن . وقال بعض العلماء إذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط ثم عاد فقرأ قيل له مالك ولكلامي وقال ابن الرماح ندمت على استظهاري القرآن لأنه بلغني أن أصحاب القرآن يسئلون عما يسأل عنه الأنبياء يوم القيامة وقال ابن مسعود ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس ينامون وبنهاره إذا الناس يفرطون وبحزنه إذا الناس يفرحون وببكائه إذا الناس يضحكون وبصمته إذا الناس يخوضون وبخشوعه إذا الناس يختالون وينبغي لحامل القرآن أن يكون مستكينا لينا ولا ينبغي له أن يكون جافيا ولا ممـاريا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا وقال صلى الله عليه وسلم « أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها[2] » وقال صلى الله عليه وسلم « اقرإ القرآن مانهاك فان لم ينهك فلست تقرؤه[3] » وقال صلى الله عليه وسلم « ما آمن بالقرآن من استحل محارمه[4] » وقال بعض السلف إن العبد ليفتتح سورة فتصلي عليه الملائكة حتى يفرغ منها وإن العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها فقيل له وكيف ذلك فقال إذا أحل حلالها وحرم حرامها صلت عليه وإلا لعنته . وقال بعض العلماء إن العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه

(١) حديث أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرأ علي فقرأ عليه ـ إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى ـ فقال أعد فأعاد فقال إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر ومايقول هذا بشر ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب بغير إسناد ورواه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد إلا أنه قال الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة وكذا ذكره ابن اسحق في السيرة بنحوه (٢) حديث أكثر منافقي أمتي قراؤها أحمد من حديث عقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو وفيهما ابن لهيعة (٣) حديث اقرإ القرآن مانهاك فان لم ينهك فلست تقرؤه طب من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (٤) حديث ما آمن بالقرآن من استحل محارمه ت من حديث صهيب وقال ليس إسناده بالقوي .

الزهاد لأنهم أعقل الخلق . قال سهل بن عبد الله التستري للعقل ألف اسم ولكل اسم منه ألف اسم وأول كل اسم منه ترك الدنيا . حدثنا : الشيخ الصالح أبو الفتح محمد بن عبد الباقي قال أنا أبو الفضل أحمد بن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم الأصفهاني قال حدثنا محمد بن أحمد بن محمد قال حدثنا العباس ابن أحمد الشاشي قال حدثنا أبو عقيل الوصافي قال أنا عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم قال دخلت مع أبي عبد الرحمن حاتم الأصم الري ومعه ثلاثمائة وعشرون رجلا يريدون الحج وعليهم الصوف والزرمانقات ليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا الري على رجل من التجار متنسك يحب المتقشفين فأضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم ياأبا عبد الرحمن ألك حاجة فاني أريد أن

وهو لا يعلم يقول ألا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه ألا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم وقال الحسن إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملا فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله وان من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار وقال ابن مسعود أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا إن أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد أسقط العمل به وفي حديث ابن عمر وحديث جندب رضي الله عنهما : لقد عشنا دهرا طويلا وأحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها ثم لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه ينثره نثر الدقل[1] وقد ورد في التوراة يا عبدي أما تستحي مني يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله وتقرؤه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك شيء منه وهذا كتابي أنزلته إليك انظركم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك يا عبدي يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي إلى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن كف وها أنا ذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عني أفجعلتني أهون عندك من بعض إخوانك .

(الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة وهي عشرة)

الأول في حال القارئ وهو أن يكون على الوضوء واقفا على هيئة الأدب والسكون إما قائما وإما جالسا مستقبل القبلة مطرقا رأسه غير متربع ولا متكئ ولا جالس على هيئة التكبر ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدي أستاذه وأفضل الأحوال أن يقرأ في الصلاة قائما وأن يكون في المسجد فذلك من أفضل الأعمال فان قرأ على غير وضوء وكان مضطجعا في الفراش فله أيضا فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى ـ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ـ فأثنى على الكل ولكن قدم القيام في الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعا قال علي رضي الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه في غير صلاة وهو على وضوء خمس وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه إن كثرة السجود بالنهار وإن طول القيام بالليل أفضل . الثاني في مقدار القراءة ، وللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاختصار فمنهم من يختم القرآن في اليوم والليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم إلى ثلاث ومنهم من يختم في الشهر مرة وأولى ما يرجع إليه في التقديرات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهه[2] » وذلك لأن الزيادة عليه تمنعه الترتيل وقد قالت عائشة رضي الله عنها لما سمعت رجلا يهذر القرآن هذرا إن هذا ما قرأ القرآن ولا سكت وأمر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن يختم القرآن في كل سبع[3] وكذلك

(١) حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا دهرا وأحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن الحديث تقدما في العلم (الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة)

(٢) حديث من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو وصححه ب (٣) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو أن يختم القرآن في كل أسبوع متفق عليه من حديثه

أعود فقيها لنا هو عليل فقال حاتم إن كان لكم فقيه عليل فعيادة الفقيه لها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة فأنا أيضا أجيء معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري فقال سربنا يا أبا عبد الرحمن فجاءوا إلى الباب فاذا باب مشرف حسن فبقي حاتم متفكرا يقول باب عالم على هذا الحال ثم أذن لهم فدخلوا فاذا دار قوراء واذا بزة ومنعة وستور وجمع فبقي حاتم متفكرا ثم دخلوا إلى المجلس الذي هو فيه فاذا بفرش وطيئة وإذا هو راقد عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة فقعد الرازي يسائله وحاتم قائم فأومأ إليه ابن مقاتل أن اقعد فقال لا أقعد فقال له ابن مقاتل لعل لك حاجة قال نعم قال وما هي قال مسئلة أسألك عنها قال سلني قال فقم فاستو جالسا حتى أسألكها فأمر غلمانه فأسندوه فقال له حاتم علمك

كان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم يختمون القرآن فى كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبىّ بن كعب رضى الله عنهم ففى الختم أربع درجات الختم فى يوم وليلة وقد كرهه جماعة والختم فى كل شهر كل يوم جزء من ثلاثين جزءا وكأنه مبالغة فى الاقتصار كما أن الأول مبالغة فى الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان إحداهما فى الأسبوع مرة والثانية فى الأسبوع مرتين تقريبا من الثلاث . والأحب أن يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار ويجعل ختمه بالنهار يوم الاثنين فى ركعتى الفجر أو بعدها ويجعل ختمه بالليل ليلة الجمعة فى ركعتى المغرب أو بعدها ليستقبل أول النهار وأول الليل بختمته فان الملائكة عليهم السلام تصلى عليه إن كانت ختمته ليلا حتى يصبح وإن كان نهارا حتى يمسى فتشمل بركتهما جميع الليل والنهار والتفصيل فى مقدار القراءة أنه إن كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغى أن ينقص عن ختمتين فى الأسبوع وان كان من السالكين بأعمال القلب وضروب الفكر أو من المشتغلين بنشر العلم فلا بأس أن يقتصر فى الأسبوع على مرة وان كان نافذ الفكر فى معانى القرآن فقد يكتفى فى الشهر بمرة لكثرة حاجته إلى كثرة الترديد والتأمل . الثالث فى وجه القسمة : أما من ختم فى الأسبوع مرة فيقسم القرآن سبعة أحزاب فقد حزب الصحابة رضى الله عنهم القرآن أحزابا (١) فروى أن عثمان رضى الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة وليلة السبت بالأنعام إلى هود وليلة الأحد بيوسف إلى مريم وليلة الاثنين بطه إلى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى ص وليلة الأربعاء بتنزيل إلى الرحمن ويختم ليلة الخميس وابن مسعود كان يقسمه أقساما لا على هذا الترتيب وقيل أحزاب القرآن سبعة فالحزب الأول ثلاث سور والحزب الثانى خمس سور والحزب الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس إحدى عشرة سورة والسادس ثلاث عشرة سورة والسابع المفصل من ق إلى آخره فهكذا حزبه الصحابة رضى الله عنهم وكانوا يقرءونه كذلك وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قبل أن تعمل الأخماس والأعشار والأجزاء فما سوى هذا محدث . الرابع فى الكتابة : يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا بأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فانها تزيين وتبيين وصدّ عن الخطأ واللحن لمن يقرؤه وقد كان الحسن وابن سيرين ينكرون الأخماس والعواشر والأجزاء وروى عن الشعبى وإبراهيم كراهية النقط بالحمرة وأخذ الأجرة على ذلك وكانوا يقولون جرّدوا القرآن والظنّ بهؤلاء أنهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من أن يؤدّى إلى إحداث زيادات وحسما للباب وتشوّقا إلى حراسة القرآن عما يطرّق إليه تغييرا وإذا لم يؤدّ إلى محظور واستقر أمر الأمة فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا بأس به ولا يمنع من ذلك كونه محدثا فكم من محدث حسن كما قيل فى إقامة الجماعات فى التراويح إنها من محدثات عمر رضى الله عنه وإنها بدعة حسنة إنما البدعة المذمومة ما يصادم السنة القديمة أو يكاد يفضى إلى تغييرها وبعضهم كان يقول أقرأ فى المصحف المنقوط ولا أنقطه بنفسى وقال الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير كان القرآن مجرّدا فى المصاحف فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا بأس به فانه نور له ثم أحدثوا بعده نقطا كبارا عند منتهى الآى فقالوا لا بأس به يعرف به رأس الآية ثم أحدثوا بعد ذلك الخواتم والفواتح قال أبو بكر الهذلى سألت الحسن عن تنقيط المصاحف بالأحمر فقال وما تنقطها قلت يعربون الكلمة بالعربية قال أما إعراب القرآن فلا بأس به وقال خالد الحذاء دخلت على ابن سيرين فرأيته

(١) حديث تحزيب القرآن على سبعة أجزاء ده من حديث أوس بن حذيفة فى حديث فيه طرأ على حزبى من القرآن قال أوس فسألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزبون القرآن قالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل وفى رواية للطبرانى فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزئ القرآن فقالوا كان يجزئه ثلاثا فذكره مرفوعا واسناده حسن .

هذا من أين جئت به قال الثقات حدّثونى به قال عمن قال عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ورسول الله من أين جاء به قال عن جبرائيل قال حاتم ففيما أدّاه جبرائيل عن الله وأدّاه رسول الله إلى أصحابه وأدّاه أصحابه إلى الثقات وأدّاه الثقات إليك هل سمعت فى العلم من فى داره أمير أو منعته أكثر كانت له المنزلة عند الله أكثر قال لا قال فكيف سمعت قال من زهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة وأحبّ المساكين وقدّم لآخرته كان له عند الله المنزلة أكثر قال حاتم فأنت بمن اقتديت بالنبى وأصحابه والصالحين أم بفرعون ونمروذ أول من بنى بالجص والآجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل الطالب

يقرأ فى مصحف منقوط وقدكان يكره النقط وقيل إن الحجاج هو الذى أحدث ذلك وأحضر القراء حتى عدوا كلمات القرآن وحروفه وسووا أجزاءه وقسموه إلى ثلاثين جزءا وإلى أقسام أخر . الخامس الترتيل : هو المستحب فى هيئة القرآن لأنا سنبين أن المقصود من القراءة التفكر والترتيل معين عليه ولذلك نعتت أم سلمة رضى الله عنها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا (١) وقال ابن عباس رضى الله عنه لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما أحب إلى من أن أقرأ القرآن كله هذرمة ، وقال أيضا لأن أقرأ إذا زلزلت والقارعة أتدبرهما أحب إلى من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهذيرا وسئل مجاهد عن رجلين دخلا فى الصلاة فكان قيامهما واحدا إلا أن أحدهما قرأ البقرة فقط والآخر القرآن كله فقال هما فى الأجر سواء واعلم أن الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر فان العجمى الذى لا يفهم معنى القرآن يستحب له فى القراءة أيضا الترتيل والتؤدة لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيرا فى القلب من الهذرمة والاستعجال . السادس البكاء : البكاء مستحب مع القراءة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا (٢) » وقال ﷺ « ليس منا من لم يتغن بالقرآن (٣) » وقال صالح المرى قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى ياصالح هذه القراءة فأين البكاء وقال ابن عباس رضى الله عنهما إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه وإنما طريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء قال صلى الله عليه وسلم « إن القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا (٤) » ووجه إحضار الحزن أن يتأمل مافيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ثم يتأمل تقصيره فى أوامره وزواجره فيحزن لامحالة ويبكى فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء فان ذلك أعظم المصائب . السابع أن يراعى حق الآيات : فاذا مر بآية سجدة سجد وكذلك إذا سمع من غيره سجدة سجد إذا سجد التالى ولا يسجد إلا إذا كان على طهارة وفى القرآن أربع عشرة سجدة وفى الحج سجدتان وليس فى ص سجدة وأقله أن يسجد بوضع جبهته على الأرض وأكمله أن يكبر فيسجد ويدعو فى سجوده بما يليق بالآية التى قرأها مثل أن يقرأ قوله تعالى ـ خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ـ فيقول اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك أو على أولئك وإذا قرأ قوله تعالى ـ ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا ـ فيقول اللهم اجعلنى من الباكين إليك الخاشعين لك وكذلك كل سجدة ويشترط فى هذه السجدة شروط الصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب والبدن من الحدث والخبث ومن لم يكن على طهارة عند السماع فاذا تطهر يسجد وقد قيل فى كمالها أن يكبر رافعا يديه لتحريمه ثم يكبر للهوى للسجود ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم وزاد زائدون التشهد ولا أصل لهذا إلا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد فانه ورد الأمر فى السجود فليتبع فيه الأمر وتكبيرة الهوى أقرب للبداية وما عدا ذلك ففيه بعد

(١) حديث نعتت أم سلمة قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فاذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا د ن ت وقال حسن صحيح (٢) حديث اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا ه من حديث سعد بن أبى وقاص باسناد جيد (٣) حديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن خ من حديث أبى هريرة (٤) حديث إن القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا أبو يعلى وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف .

للدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة لا أكون أنا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا فبلغ أهل الرى ماجرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له يا أبا عبد الرحمن بقزوين عالم أكبر شأنا من هذا وأشاروا به إلى الطنافسى قال فسار إليه متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله أنا رجل أعجمى أحب أن تعلمنى أول مبتدإ دينى ومفتاح صلاتى كيف أتوضأ للصلاة قال نعم وكرامة ياغلام هات إناء فيه ماء فأتى باناء فيه ماء فقعد الطنافسى فتوضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا فتوضأ فقعد فتوضأ حاتم ثلاثا ثلاثا حتى إذا بلغ غسل الذراعين غسل أربعا فقال له الطنافسى يا هذا أسرفت فقال له حاتم فيما ذا قال غسلت ذراعيك أربعا قال حاتم ياسبحان الله أنا فى كف ماء أسرفت وأنت

ثم المأموم ينبغي أن يسجد عند سجود الإمام ولا يسجد لتلاوة نفسه إذا كان مأموما . الثامن أن يقول في مبتدإ قراءته : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ـ رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك ربّ أن يحضرون ـ وليقرأ قل أعوذ برب الناس وسورة الحمد لله وليقل عند فراغه من القراءة صدق الله تعالى وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله ربّ العالمين وأستغفر الله الحي القيوم وفي أثناء القراءة إذا مر بآية تسبيح سبح وكبر وإذا مر بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر وإن مر بمرجوّ سأل وإن مر بمخوف استعاذ يفعل ذلك بلسانه أو بقلبه فيقول سبحان الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا قال حذيفة : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأ سورة البقرة فكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل ولا بآية عذاب إلا استعاذ ولا بآية تنزيه إلا سبح[1] ، فاذا فرغ قال ما كان يقوله صلوات الله وسلامه عند ختم القرآن اللهم ارحمني بالقرآن واجعله لي إماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله لي حجة يارب العالمين[2] . التاسع في الجهر بالقراءة : ولا شك في أنه لا بد أن يجهر به إلى حد يسمع نفسه إذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف ولا بد من صوت فأقله ما يسمع نفسه فان لم يسمع نفسه لم تصح صلاته فأما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر ويدل على استحباب الإسرار ماروى أنه صلى الله عليه وسلم قال « فضل قراءة السرّ على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية » وفي لفظ آخر « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسرّ به كالمسر بالصدقة[3] » وفي الخبر العام « يفضل عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفا[4] » وكذلك قوله ﷺ « خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفيّ[5] » وفي الخبر « لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة بين المغرب والعشاء[6] » وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلاته وكان حسن الصوت فقال لغلامه اذهب إلى هذا المصلي فمره أن يخفض صوته فقال الغلام إن المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته وقال يا أيها المصلي إن كنت تريد الله عزوجل بصلاتك فاخفض صوتك وإن كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئا فسكت عمر بن عبد العزيز وخفف ركعته فلما سلم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ أمير المدينة ويدل على استحباب الجهر

(١) حديث حذيفة كان لا يمر بآية عذاب إلا تعوذ ولا بآية رحمة إلا سأل ولا بآية تنزيه إلا سبح م مع اختلاف لفظ (٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند ختم القرآن اللهم ارحمني بالقرآن واجعله لي إماما وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله لي حجة يارب العالمين رواه أبو منصور المظفر بن الحسين الأرجاني في فضائل القرآن وأبو بكر بن الضحاك في الشمائل كلاهما من طريق أبي ذرّ الهروي من رواية داود بن قيس معضلا (٣) حديث فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية قال وفي لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة د ن ت وحسنه من حديث عقبة بن عامر باللفظ الثاني (٤) حديث يفضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا البيهقي في الشعب من حديث عائشة (٥) حديث خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفيّ أحمد وابن حبان من حديث سعد بن أبي وقاص (٦) حديث لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة بين المغرب والعشاء رواه أبو داود من حديث البياضي دون قوله بين المغرب والعشاء والبيهقي في الشعب من حديث علي قبل العشاء وبعدها وفيه الحرث الأعور وهو ضعيف

في هذا الجمع كله لم تسرف فعلم الطنافسي أنه أراده بذلك ولم يرد منه التعلم فدخل البيت ولم يخرج إلى الناس أربعين يوما وكتب تجار الري وقزوين ماجرى بينه وبينه ابن مقاتل والطنافسي فلما دخل بغداد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا له يا أبا عبد الرحمن أنت رجل ألكن أعجمي ليس يكلمك أحد إلا وقطعته قال معي ثلاث خصال بهنّ أظهر على خصمي قالوا أيّ شيء هي قال أفرح إذا أصاب خصمي وأحزن إذا أخطأ وأحفظ نفسي أن لا أجهل عليه فبلغ ذلك أحمد بن حنبل فجاء إليه وقال سبحان الله ما أعقله فلما دخلوا عليه قالوا يا أبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال حاتم يا أبا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال قال أيّ شيء هي يا أبا عبد الرحمن قال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك عنهم

ماروى أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع جماعة من أصحابه يجهرون فى صلاة الليل فصوب ذلك (١) وقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا قام أحدكم من الليل يصلى فليجهر بالقراءة فان الملائكة وعمارة الدار يستمعون قراءته ويصلون بصلاته(٢) » ومر صلى الله عليه وسلم بثلاثة من أصحابه رضى الله عنهم مختلفى الأحوال فمر على أبى بكر رضى الله عنه وهو يخافت فسأله عن ذلك فقال إن الذى أناجيه هو يسمعنى ومر على عمر رضى الله عنه وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال أوقظ الوسنان وأزجر الشيطان ومر على بلال وهو يقرأ آيا من هذه السورة وآيا من هذه السورة فسأله عن ذلك فقال أخلط الطيب بالطيب فقال صلى الله عليه وسلم : كلكم قد أحسن وأصاب(٣) . فالوجه فى الجمع بين هذه الأحاديث أن الإسرار أبعد عن الرياء والتصنع فهو أفضل فى حق من يخاف ذلك على نفسه فان لم يخف ولم يكن فى الجهر مايشوش الوقت على مصل آخر فالجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته أيضا تتعلق بغيره فالخير المتعدى أفضل من اللازم ولأنه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه إلى الفكر فيه ويصرف إليه سمعه ولأنه يطرد النوم فى رفع الصوت ولأنه يزيد فى نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ولأنه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب إحيائه ولأنه قد يراه بطال غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق إلى الخدمة فمتى حضره شىء من هذه النيات فالجهر أفضل وإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر وبكثرة النيات تزكو أعمال الأبرار وتتضاعف أجورهم فان كان فى العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر أجور ولهذا قول قراءة القرآن فى المصاحف أفضل اذ يزيد فى العمل النظر وتأمل المصحف وحمله فيزيد الأجر بسببه وقد قيل الختمة فى المصحف بسبع لأن النظر فى المصحف أيضا عبادة وخرق عثمان رضى الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما فكان كثير من الصحابة يقرءون فى المصاحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا فى المصحف ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعى رضى الله عنه فى السحر وبين يديه مصحف فقال له الشافعى شغلكم الفكر عن القرآن إنى لأصلى العتمة وأضع المصحف بين يدىّ فما أطبقه حتى أصبح . العاشر تحسين القراءة وترتيلها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم فذلك سنة قال ﷺ « زينوا القرآن بأصواتكم(٤) » وقال عليه السلام « ما أذن الله لشىء أذنه لحسن الصوت بالقرآن(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » فقيل أراد به الاستغناء وقيل أراد به الترنم وترديد الألحان به وهو أقرب عند أهل اللغة وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ليلة ينتظر عائشة رضى الله عنها فأبطأت عليه فقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أنه سمع جماعة من الصحابة يجهرون فى صلاة الليل فصوّب ذلك ففى الصحيحين من حديث عائشة أن رجلا قام من الليل فقرأ فرفع صوته بالقرآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله فلانا الحديث ومن حديث أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رأيتنى وأنا أسمع قراءتك البارحة الحديث ومن حديثه أيضا إنما أعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن الحديث (٢) حديث إذا قام أحدكم من الليل يصلى فليجهر بقراءته فان الملائكة وعمار الدار يستمعون إلى قراءته ويصلون بصلاته رواه بنحوه بزيادة فيه أبو بكر البزار ونصر المقدسى فى المواعظ وأبو شجاع من حديث معاذ بن جبل وهو حديث منكر منقطع (٣) حديث مروره صلى الله عليه وسلم بأبى بكر وهو يخافت وبعمر وهو يجهر وبلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة الحديث تقدم فى الصلاة (٤) حديث زينوا القرآن بأصواتكم د ن ه حب ك وصححه من حديث البراء بن عازب (٥) حديث ما أذن الله لشىء أذنه لحسن الصوت بالقرآن متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ ما أذن الله لشىء ما أذن لنبى يتغنى بالقرآن زاد م لنبى حسن الصوت وفى رواية له كأذنه لنبى يتغنى بالقرآن .

وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم آيسا فاذا كان هذا صلت ثم سار إلى المدينة . قال الله تعالى ـ إنما يخشى الله من عباده العلماء ـ ذكر بكلمة إنما فينتفى العلم عمن لا يخشى الله كما إذا قال إنما يدخل الدار بغدادى ينتفى دخول غير البغدادى الدار فلاح لعلماء الآخرة أن الطريق مسدود إلى أنصبة المعارف ومقامات القرب إلا بالزهد والتقوى . قال أبو يزيد رحمه الله لأصحابه بقيت البارحة إلى الصباح أجهد أن أقول لا إله إلا الله ماقدرت عليه قيل ولم ذلك قال ذكرت كلمة قلتها فى صباى فجاءتنى وحشة تلك الكلمة فمنعتنى عن ذلك وأعجب ممن يذكر الله تعالى وهو متصف بشىء من صفاته فبصفاء التقوى وكمال الزهادة يصير العبد راسخا فى العلم . قال الواسطى : الراسخون فى العلم هم

ماحبسك قالت يارسول الله كنت أستمع قراءة رجل ماسمعت أحسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع إليه طويلا ثم رجع فقال صلى الله عليه وسلم هذا سالم مولى أبى حذيفة الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله (١)» واستمع صلى الله عليه وسلم أيضا ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فوقفوا طويلا ثم قال ﷺ «من أراد أن يقرأ القرآن غضا طريا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد (٢)» وقال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود «اقرأ علىّ فقال يارسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل فقال صلى الله عليه وسلم: إنى أحب أن أسمعه من غيرى فكان يقرأ وعينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تفيضان (٣)» واستمع صلى الله عليه وسلم إلى قراءة أبى موسى فقال لقد أوتى هذا من مزامير آل داود فبلغ ذلك أبا موسى فقال يارسول الله لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا (٤) ورأى هيثم القارئ رسول الله ﷺ فى المنام قال فقال لى أنت الهيثم الذى تزين القرآن بصوتك قلت نعم قال جزاك الله خيرا وفى الخبر: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن. وقد كان عمر يقول لأبى موسى رضى الله عنهما ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط فيقال ياأمير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول أولسنا فى صلاة إشارة إلى قوله عز وجل ـ ولذكر الله أكبر ـ وقال صلى الله عليه وسلم «من استمع إلى آية من كتاب الله عز وجل كانت له نورا يوم القيامة (٥)» وفى الخبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالى هو السبب فيه كان شريكا فى الأجر إلا أن يكون قصده الرياء والتصنع.

(الباب الثالث فى أعمال الباطن فى التلاوة وهى عشرة)

فهم أصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم الفهم ثم التخلى عن موانع الفهم ثم التخصيص ثم التأثر ثم الترقى ثم التبرى. فالأول: فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه فى نزوله عن عرش جلاله إلى درجة أفهام خلقه فلينظر كيف لطف بخلقه فى إيصال معانى كلامه الذى هو صفة قديمة قائمة بذاته إلى أفهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة فى طى حروف وأصوات هى صفات البشر إذ يعجز البشر عن الوصول إلى فهم صفات الله عز وجل إلا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنه جلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله عز وجل لموسى عليه السلام لما أطاق لسماع كلامه كما لم يطق الجبل

(١) حديث كان ينتظر عائشة فأبطأت عليه فقال ماحبسك قالت يارسول الله كنت أسمع قراءة رجل ماسمعت أحسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمتع إليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى أبى حذيفة الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله ه من حديث عائشة ورجال إسناده ثقات (٢) حديث استمع ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر فوقفوا طويلا ثم قال من أراد أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد. أحمد ن فى الكبرى من حديث عمر و ت ه من حديث ابن مسعود أن أبا بكر وعمر بشراه أن رسول الله ﷺ قال من أحب أن يقرأ القرآن الحديث قال ت حسن صحيح (٣) حديث أنه قال لابن مسعود اقرأ فقال يارسول الله أقرأ وعليك أنزل فقال إنى أحب أن أسمعه من غيرى الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث استمع إلى قراءة أبى موسى فقال لقد أوتى هذا من مزامير آل داود متفق عليه من حديث أبى موسى (٥) حديث من استمع إلى آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة وفى الخبر كتب له عشر حسنات أحمد من حديث أبى هريرة من استمع إلى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة وفيه ضعف وانقطاع.

(الباب الثالث فى أعمال الباطن فى التلاوة)

الذين رسخوا بأرواحهم فى غيب الغيب فى سر السر فعرفهم ماعرفهم وخاضوا فى بحر العلم بالفهم لطلب الزيادات فانكشف لهم من مدخور الخزائن ما تحت كل حرف من الكلام من الفهم وعجائب الخطاب فنطقوا بالحكم وقال بعضهم الراسخ من اطلع على محل المراد من الخطاب وقال الخراز: هم الذين كملوا فى جميع العلوم وعرفوها واطلعوا على همم الخلائق كلهم أجمعين وهذا القول من أبى سعيد لا يعنى به أن الراسخ فى العلم ينبغى أن يقف على جزئيات العلوم ويكمل فيها فان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان من الراسخين فى العلم ووقف فى معنى قوله تعالى ـ وفاكهة وأبا ـ وقال ما الأب ثم قال إن هذا إلا تكلف ونقل أن هذا الوقوف فى معنى الأب كان من أبى بكر رضى الله تعالى عنه وإنما عنى بذلك أبو سعيد ما يفسر أول

مبادى تجليه حيث صار دكا ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام إلا بأمثلة على حد فهم الخلق ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال إن كل حرف من كلام الله عز وجل فى اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف وإن الملائكة عليهم السلام لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ما أطاقوه حتى يأتى إسرافيل عليه السلام وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله بإذن الله عز وجل ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله عز وجل طوقه ذلك واستعمله به ولقد تأنق بعض الحكماء فى التعبير عن وجه اللطف فى إيصال معانى الكلام مع علو درجته إلى فهم الانسان وتثبيته مع قصور رتبته وضرب له مثلا لم يقصر فيه وذلك أنه دعا بعض الملوك حكيم إلى شريعة الأنبياء عليهم السلام فسأله الملك عن أمور فأجاب بما لا يحتمله فهمه فقال الملك أرأيت ما تأتى به الأنبياء إذا ادعت أنه ليس بكلام الناس وأنه كلام الله عز وجل فكيف يطيق الناس حمله فقال الحكيم إنا رأينا الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتأخيرها وإقبالها وإدبارها ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنوار عقولهم مع حسنه وتزيينه وبديع نظمه فنزلوا إلى درجة تمييز البهائم وأوصلوا مقاصدهم إلى بواطن البهائم بأصوات يضعونها لائقة بهم من النقر والصفير والأصوات القريبة من أصواتها لكى يطيقوا حملها وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله عز وجل بكنهه وكمال صفاته فصاروا بما تراجعوا بينهم من الأصوات التى سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذى سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معانى الحكمة المخبوءة فى تلك الصفات من أن شرف الكلام أى الأصوات لشرفها وعظم لتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا والحكمة للصوت نفسا وروحا فكما أن أجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك أصوات الكلام تشرف للحكمة التى فيها والكلام على المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم فى الحق والباطل وهو القاضى العدل والشاهد المرتضى يأمر وينهى ولا طاقة للباطل أن يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل أن يقوم قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من ضوء عين الشمس ما تحيا به أبصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط فالكلام كالملك المحبوب الغائب وجهه النافذ أمره وكالشمس العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم الظاهرة التى قد يهتدى بها من لا يقف على سيرها فهو مفتاح الخزائن النفيسة وشراب الحياة الذى من شرب منه لم يمت ودواء الأسقام الذى من سقى منه لم يسقم فهذا الذى ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لا تليق بعلم المعاملة فينبغى أن يقتصر عليه . الثانى : التعظيم للمتكلم فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغى أن يحضر فى قلبه عظمة المتكلم ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر وأن فى تلاوة كلام الله عز وجل غاية الخطر فانه تعالى قال ـ لا يمسه إلا المطهرون ـ وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا كان متطهرا فباطن معناه أيضا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب إلا إذا كان متطهرا عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبى جهل إذا نشر المصحف غشى عليه ويقول هو كلام ربى هو كلام ربى فتعظيم الكلام تعظيم المتكلم ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر فى صفاته وجلاله وأفعاله فاذا حضر بباله العرش والكرسى والسموات والأرض وما بينهما من الجن والانس والدواب والأشجار وعلم أن الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد وأن الكل فى قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته إن أنعم فبفضله وإن عاقب فبعدله وأنه الذى يقول هؤلاء إلى الجنة ولا أبالى وهؤلاء إلى النار

كلامه بآخره وهو قوله اطلعوا على هم الخلائق كلهم لأن المتقى حق التقوى والزاهد حق الزهادة فى الدنيا صفا باطنه وانجلت مرآة قلبه ووقعت له محاذاة بشئ من اللوح المحفوظ فأدرك بصفاء الباطن أمهات العلوم وأصولها فيعلم منتهى أقدام العلماء فى علومهم وفائدة كل عالم والعلوم الجزئية متجزئة فى النفوس بالتعليم والممارسة فلا يغنيه علمه الكلى أن راجع فى الجزئى أهله الذين هم أوعيته فنفوس هؤلاء امتلأت من الجزئى واشتغلت به وانقطعت بالجزئى عن الكلى ونفوس العلماء الزاهدين بعد الأخذ مما لا بد لهم منه فى أصل الدين وأساسه من الشرع أقبلوا على الله وانقطعوا إليه وخلصت أرواحهم إلى مقام القرب منه فأفاضت أرواحهم على قلوبهم أنوارا تهيأت بها قلوبهم لإدراك

ولا أبالى وهذا غاية العظمة والتعالى فبالتفكر فى أمثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام الثالث : حضور القلب وترك حديث النفس قيل فى تفسير ـ يا يحيى خذ الكتاب بقوة ـ أى بجد واجتهاد وأخذه بالجد أن يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهمة إليه عن غيره وقيل لبعضهم إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشىء فقال أو شىء أحب إلىّ من القرآن حتى أحدث به نفسى وكان بعض السلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فان المعظم للكلام الذى يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه ففى القرآن ما يستأنس به القلب إن كان التالى أهلا له فكيف يطلب الأنس بالفكر فى غيره وهو فى متنزه ومتفرج والذى يتفرّج فى المتنزهات لا يتفكر فى غيرها فقد قيل إن فى القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس ودياييج ورياضا وخانات فالمميات ميادين القرآن والراءات بساتين القرآن والحاءات مقاصيره والمسبحات عرائس القرآن والحاميات دياييج القرآن والمفصل رياضه والحانات ماسوى ذلك فاذا دخل القارىء الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الدياييج وتنزه فى الرياض وسكن غرف الحانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه ولم يتفرق فكره . الرابع : التدبر وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر فى غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من القراءة التدبر ولذلك سنّ فيه الترتيل لأن الترتيل فى الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن قال علىّ رضى الله عنه : لا خير فى عبادة لا فقه فيها ولا فى قراءة لا تدبر فيها وإذا لم يتمكن من التدبر إلا بترديد فليردّد إلا أن يكون خلف إمام فانه لو بقى فى تدبر آية وقد اشتغل الامام بآية أخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه وكذلك إن كان فى تسبيح الركوع وهو متفكر فى آية قرأها إمامه فهذا وسواس فقد روى عن عامر بن عبد قيس أنه قال الوسواس يعترينى فى الصلاة فقيل فى أمر الدنيا فقال لأن تختلف فىّ الأسنة أحب إلى من ذلك ولكن يشتغل قلبى بموقفى بين يدى ربى عز وجل وأنى كيف أنصرف فعد ذلك وسواسا وهو كذلك فانه يشغله عن فهم ماهو فيه والشيطان لا يقدر على مثله إلا بأن يشغله بمهمّ دينى ولكن يمنعه به عن الأفضل ولما ذكر ذلك للحسن قال إن كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله ذلك عندنا ويروى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة (١) وإنما ردّدها صلى الله عليه وسلم لتدبره فى معانيها وعن أبى ذر قال « قام رسول الله ﷺ بنا ليلة فقام بآية يرددها وهى ـ إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم (٢) ـ الآية » وقام تميم الدارى ليلة بهذه الآية ـ أم حسب الذين اجترحوا السيئات ـ الآية وقام سعد بن جبير ليلة يردد هذه الآية ـ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ـ وقال بعضهم إنى لأفتتح السورة فيوقفنى بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر وكان بعضهم يقول آية لا أتفهمها ولا يكون قلبى فيها لا أعدّ لها ثوابا . وحكى عن أبى سليمان الدارانى أنه قال إنى لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال ولولا أنى أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها وعن بعض السلف أنه بقى فى سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها وقال بعض العارفين لى فى كل جمعة ختمة وفى كل شهر ختمة وفى كل سنة ختمة ولى ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات تدبره وتفتيشه وكان هذا أيضا يقول أقمت نفسى مقام الأجراء فانا أعمل مياومة ومجامعة ومشاهرة ومسانهة

(١) حديث أنه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة رواه أبو ذر الهروى فى معجمه من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٢) حديث أبى ذر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا ليلة بآية يرددها وهى ـ إن تعذبهم فانهم عبادك ـ ن ه بسند صحيح .

العلوم فأرواحهم ارتقت عن حد إدراك العلوم بعكوفها على العالم الأزلى وتجرّدت عن وجود يصلح أن يكون وعاء للعلم وقلوبهم بنسبة وجهها الذى يلى النفوس صارت أوعية وجودية تناسب وجود العلم بالنسبة الوجودية فتألفت العلوم وتألفتها العلوم بمناسبة انفصال العلوم باتصالها باللوح المحفوظ والمعنى بالانفصال انتقاشها فى اللوح لا غير وانفصال القلوب عن مقام الأرواح لوجود انجذابها إلى النفوس فصار بين المنفصلين نسبة اشتراك موجب للتألف فحصلت العلوم لذلك وصار العالم الربانى راسخا فى العلم أوحى الله تعالى فى بعض الكتب المنزلة يا بنى إسرائيل لا تقولوا العلم فى السماء من ينزل به ولا فى تخوم الأرض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر فيأتى به العلم مجعول فى قلوبكم

الخامس التفهم : وهو أن يستخرج من كل آية ما يليق بها إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل وذكر أفعاله وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام وذكر أحوال المكذبين لهم وأنهم كيف أهلكوا وذكر أوامره وزواجره وذكر الجنة والنار . أما صفات الله عز وجل فكقوله تعالى ـ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ـ وكقوله تعالى ـ الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ـ فليتأمل معانى هذه الأسماء والصفات ليكشف له أسرارها فتعد بالإيمان مدخرة لا تنكشف إلا للموقنين وإليه أشار على رضى الله عنه بقوله ما أسر إلى رسول الله ﷺ شيئا كتمه عن الناس إلا أن يؤتى الله عز وجل عبدا فهما فى كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم (١) وقال ابن مسعود رضى الله عنه من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله عز وجل وصفاته إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا أمورا لائقة بأفهامهم ولم يعثروا على أغوارها . وأما أفعاله تعالى فكذكره خالق السموات والأرض وغيرها فليفهم التالى منها صفات الله عز وجل وجلاله إذ الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمته فينبغى أن يشهد فى الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رآه فى كل شىء إذ كل شىء فهو منه وإليه وبه وله فهو الكل على التحقيق ومن لا يراه فى كل ما يراه فكأنه ما عرفه ومن عرفه عرف أن كل شىء ما خلا الله باطل وأن كل شىء هالك إلا وجهه لأنه سيبطل فى ثانى الحال بل هو الآن باطل إن اعتبر ذاته من حيث هو إلا أن يعتبر وجوده من حيث إنه موجود بالله عز وجل وبقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات وبطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدأ من مبادى علم المكاشفة ولهذا ينبغى إذا قرأ التالى قوله عز وجل ـ أفرأيتم ما تحرثون ، أفرأيتم ما تمنون ، أفرأيتم الماء الذى تشربون أفرأيتم النار التى تورون ـ فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمنى بل يتأمل فى المنى وهو نطفة متشابهة الأجزاء ثم ينظر فى كيفية انقسامها إلى اللحم والعظم والعروق والعصب وكيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة كما قال تعالى ـ أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ـ فيتأمل هذه العجائب ليترقى منها إلى عجب العجائب وهو الصفة التى منها صدرت هذه الأعاجيب فلا يزال ينظر إلى الصنعة فيرى الصانع . وأما أحوال الأنبياء عليهم السلام : فاذا سمع منها أنهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل والمرسل إليهم وأنه لو أهلك جميعهم لم يؤثر فى ملكه شيئا وإذا سمع نصرتهم فى آخر الأمر فليفهم قدرة الله عز وجل وإرادته لنصرة الحق . وأما أحوال المكذبين : كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار فى نفسه وأنه إن غفل وأساء الأدب واغتر بما أمهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية وكذلك إذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما فى القرآن فلا يمكن استقصاء ما يفهم منها لأن ذلك لا نهاية له وإنما لكل عبد منه بقدر رزقه فلا رطب ولا يابس إلا فى كتاب

(١) حديث على ما أسر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا كتمه عن الناس إلا أن يؤتى الله عبدا فهما فى كتابه ن من رواية أبى جحيفة قال سألنا عليا فقلنا هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شىء سوى القرآن فقال لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يعطى الله عبدا فهما فى كتابه الحديث وهو عند البخارى بلفظ هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس فى القرآن وفى رواية وقال مرة ما ليس عند الناس ولأبى داود والنسائى فقلنا هل عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهده إلى الناس قال لا إلا ما فى كتابى هذا الحديث ولم يذكر الفهم فى القرآن .

تأدبوا بين يدى بآداب الروحانيين وتخلقوا إلى بأخلاق الصديقين ظهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم أو يضركم فالتأدب بآداب الروحانيين حصر النفوس عن تقاضى جبلاتها وقمعها بصريح العلم فى كل قول وفعل ولا يصح ذلك إلا لمن علم وقرب وتطرق إلى الحضور بين يدى الله تعالى فيتحفظ بالحق للحق أخبرنا شيخنا أبو النجيب عبد القاهر السهروردى إجازة قال أخبرنا أبو منصور بن خيرون إجازة قال أنا أبو محمد الحسن بن على الجوهرى إجازة قال أنا أبو عمر محمد بن العباس قال حدثنا أبو محمد يحيى بن صاعد قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزى قال أنا عبد الله بن المبارك قال أنا الأوزاعى عن حسان بن عطية بلغنى أن شداد بن أوس رضى الله عنه نزل منزلا فقال ائتونا

مبين ـ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا ـ ولذلك قال على رضى الله عنه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهم لينفتح بابه فأما الاستقصاء فلا مطمع فيه ومن لم يكن له فهم ما فى القرآن ولو فى أدنى الدرجات دخل فى قوله تعالى ـ ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم ـ والطابع هى الموانع التى سنذكرها فى موانع الفهم وقد قيل : لا يكون المريد مريدا حتى يجد فى القرآن كل ما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغنى بالمولى عن العبيد . السادس : التخلى عن موانع الفهم فان أكثر الناس منعوا عن فهم معانى القرآن لأسباب وحجب أسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن قال ﷺ « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى الملكوت[1] » ومعانى القرآن من جملة الملكوت وكل ما غاب عن الحواس ولم يدرك إلا بنور البصيرة فهو من الملكوت. وحجب الفهم أربعة : أولها أن يكون الهمّ منصرفا إلى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معانى كلام الله عز وجل فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه فهذا يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف فأنى تنكشف له المعانى وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس . ثانيها: أن يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت فى نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعانى التى تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثله ولمثل هذا قالت الصوفية إن العلم حجاب وأرادوا بالعلم العقائد التى استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها إليهم فأما العلم الحقيقى الذى هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجابا وهو منتهى المطلب وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعا كمن يعتقد فى الاستواء على العرش التمكن والاستقرار فان خطر له مثلا فى القدوس أنه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك فى نفسه ولو استقر فى نفسه لانجرّ إلى كشف ثان وثالث ولتواصل ولكن يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل وقد يكون حقا ويكون أيضا مانعا من الفهم والكشف لأن الحق الذى كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وعور باطن وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول إلى الغور الباطن كما ذكرناه فى الفرق بين العلم الظاهر والباطن فى كتاب قواعد العقائد . ثالثها: أن يكون مصرا على ذنب أو متصفا بكبر أو مبتلى فى الجملة بهوى فى الدنيا مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداه وهو كالخبث على المرآة فيمنع جلية الحق من أن يتجلى فيه وهو أعظم حجاب للقلب وبه حجب الأكثرون وكلما كانت الشهوات أشد ترا كما كانت معانى الكلام أشد احتجابا وكلما خف عن القلب أثقال الدنيا قرب تجلى المعنى فيه فالقلب مثل المرآة والشهوة مثل الصدإ ومعانى القرآن مثل الصور تتراءى فى المرآة والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إذا عظمت أمتى الدينار والدرهم نزع منها هيبة الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حرموا بركة الوحى[2] » قال الفضيل يعنى حرموا فهم القرآن

(١) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى الملكوت تقدم فى الصلاة .

(٢) حديث إذا عظمت أمتى الدينار والدرهم نزع منها هيبة الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف حرموا

بالسفرة نعبث بها فأنكر منه ذلك فقال ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها ثم أزمها غير هذه فلا تحفظوها على فمثل هذا يكون التأدب بآداب الروحانيين مكتوب فى الإنجيل لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما قد علمتم وقد ورد فى خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان ربما يسوفكم بالعلم قلنا يا رسول الله كيف يسوفنا بالعلم قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال العبد فى العلم قائلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل » . وقال ابن مسعود رضى الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية وقال الحسن إن الله تعالى لا يعبأ بذى علم ورواية إنما يعبأ بذى فهم ودراية فعلوم الوراثة مستخرجة من علم الدراسة ومثال علوم الدراسة كاللبن الخالص السائغ للشاربين

وقد شرط الله عز وجل الإنابة فى الفهم والتذكير فقال تعالى ـ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ـ وقال عز وجل ـ وما يتذكر إلا من ينيب ـ وقال تعالى ـ إنما يتذكر أولو الألباب ـ فالذين آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوى الألباب ولذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب . رابعا: أن يكون قد قرأ تفسيرا ظاهرا واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأى وأن من فسر القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار فهذا أيضا من الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير بالرأى فى الباب الرابع وأن ذلك يناقض قول على رضى الله عنه إلا أن يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن وأنه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلفت الناس فيه . السابع التخصيص وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب فى القرآن فان سمع أمرا أو نهيا قدر أنه المنهى والمأمور وإن سمع وعدا أو وعيدا فكمثل ذلك وإن سمع قصص الأولين والأنبياء علم أن السمر غير مقصود وإنما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج إليه فما من قصة فى القرآن إلا وسياقها لفائدة فى حق النبى صلى الله عليه وسلم وأمته ولذلك قال تعالى ـ ما نثبت به فؤادك ـ فليقدر العبد أن الله ثبت فؤاده بما يقصه عليه من أحوال الأنبياء وصبرهم على الإيذاء وثباتهم فى الدين لانتظار نصر الله تعالى وكيف لا يقدر هذا والقرآن ما أنزل على رسول الله ﷺ لرسول الله خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال تعالى ـ واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ـ وقال عز وجل ـ لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون . وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم . كذلك يضرب الله للناس أمثالهم . واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم . هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون . هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ـ وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد فهذا القارئ الواحد مقصود فماله ولسائر الناس فليقدر أنه المقصود قال تعالى ـ وأوحى إلىّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ـ قال محمد بن كعب القرظى من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذى كتبه إليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه ولذلك قال بعض العلماء هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا عزّ وجل بعهوده نتدبرها فى الصلوات ونقف عليها فى الخلوات وننفذها فى الطاعات والسنن المتبعات وكان مالك بن دينار يقول ما زرع القرآن فى قلوبكم يا أهل القرآن إن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض وقال قتادة لم يجالس أحد هذا القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان قال تعالى ـ هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ـ . الثامن : التأثر وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره ومهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه فان التضييق غالب على آيات القرآن فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة إلا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله عز وجل ـ وإنى لغفار ـ ثم أتبع ذلك بأربعة شروط ـ لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ـ وقوله تعالى ـ والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ـ ذكر أربعة شروط وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال تعالى ـ إن رحمة الله قريب من المحسنين ـ فالإحسان يجمع الكل وهكذا من يتصفح القرآن من أوله إلى آخره ومن فهم ذلك فجدير بأن يكون حاله الخشية والحزن ولذلك قال الحسن والله ما أصبح اليوم عبد يتلو القرآن يؤمن به إلا كثر حزنه وقلّ فرحه وكثر بكاؤه وقلّ ضحكه وكثر نصبه وشغله

ومثال علوم الوراثة كالزبد المستخرج منه فلو لم يكن لبن لم يكن زبد ولكن الزبد هو الدهنية المطلوبة من اللبن والمائية فى اللبن جسم قام به روح الدهنية والمائية بها القوام قال الله تعالى ـ وجعلنا من الماء كل شىء حىّ ـ وقال تعالى ـ أو من كان ميتا فأحييناه ـ أى كان ميتا بالكفر فأحييناه بالإسلام فالإحياء بالإسلام هو القوام الأول والأصل الأول وللاسلام علوم وهى علوم مبانى الإسلام والإسلام بعد الإيمان نظرا إلى مجرد التصديق ولكن للايمان فروع بعد التحقق بالإسلام وهى مراتب كعلم اليقين وعين اليقين وحقّ اليقين فقد تقال للتوحيد والمعرفة والمشاهدة . وللايمان فى كل فرع من فروعه علوم فعلوم الإسلام علوم اللسان وعلوم الإيمان علوم القلوب ثم علوم القلوب لها وصف خاص ووصف

بركة الوحى رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الأمر بالمعروف معضلا من حديث الفضل بن عياض قال ذكر عن نبى الله صلى الله عليه وسلم .

وقلت راحته وبطالته . وقال وهيب بن الورد نظرنا فى هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئا أرق للقلوب ولا أشد استجلابا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته وعند ذكر الكفار مايستحيل على الله عز وجل كذكرهم لله عز وجل ولدا وصاحبة يغض صوته وينكسر فى باطنه حياء من قبح مقالتهم وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا إليها وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا منها « ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرأ على (١) قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت ـ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ـ رأيت عينيه تذرفان بالدمع فقال لى حسبك الآن » وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية ولقد كان فى الخائفين من خر مغشيا عليه عند آيات الوعيد ومنهم من مات فى سماع الآيات فمثل هذه الأحوال يخرجه عن أن يكون حاكيا فى كلامه فاذا قال ـ إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم ـ ولم يكن خائفا كان حاكيا وإذا قال ـ عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ـ ولم يكن حاله التوكل والإنابة كان حاكيا وإذا قال ـ ولنصبرن على ما آذيتمونا ـ فليكن حاله الصبر أو العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة فان لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه فى قوله تعالى ـ ألا لعنة الله على الظالمين ـ وفى قوله تعالى ـ كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ـ وفى قوله عز وجل ـ وهم فى غفلة معرضون ـ وفى قوله ـ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ـ وفى قوله تعالى ـ ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ـ إلى غير ذلك من الآيات وكان داخلا فى معنى قوله عز وجل ـ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى ـ يعنى التلاوة المجردة وقوله عز وجل ـ وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ـ لأن القرآن هو المبين لتلك الآيات فى السموات والأرض ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضا عنها ولذلك قيل إن من لم يكن متصفا بأخلاق القرآن فاذا قرأ القرآن ناداه الله تعالى مالك ولكلامى وأنت معرض عنى دع عنك كلامى إن لم تتب إلى ومثال العاصى إذا قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك فى كل يوم مرات وقد كتب إليه فى عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان أبعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت ولذلك قال يوسف بن أسباط إنى لأهم بقراءة القرآن فاذا ذكرت مافيه خشيت المقت فأعدل إلى التسبيح والاستغفار والعرض عن العمل به أريد بقوله عز وجل ـ فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس مايشترون ـ ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولا تختلفوا فاذا اختلفتم فلستم تقرءونه وفى بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه (٢) » قال الله تعالى ـ الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون ـ وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحسن الناس صوتا بالقرآن الذى إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى (٣) »

(١) حديث أنه قال لابن مسعود اقرأ على الحديث تقدم فى الباب قبله (٢) حديث اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولا تختلفوا فاذا اختلفتم فلستم تقرءونه وفى بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله البجلى فى اللفظ الثانى دون قوله ولا تختلفوا (٣) حديث إن أحسن الناس صوتا بالقرآن الذى إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى ه بسند ضعيف .

عام فالوصف العام علم اليقين وقد يتوصل إليه بالنظر والاستدلال ويشترك فيه علماء الدنيا مع علماء الآخرة وله وصف خاص يختص به علماء الآخرة وهى السكينة التى أنزلت فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم فعلى هذا جميع الرتب يشملها اسم الايمان بوصفه الخاص ولا يشملها بوصفه العام فبالنظر إلى الوصف الخاص اليقين ومراتبه من الايمان وإلى وصفه العام اليقين زيادة على الايمان والمشاهدة وصف خاص فى اليقين وهو عين اليقين وفى عين اليقين وصف خاص وهو حق اليقين فحق اليقين إذن فوق المشاهدة وحق اليقين موطنه ومستقره فى الآخرة وفى الدنيا منه لمح يسير لأهله وهو من أعز مايوجد من أقسام العلم بالله لأنه وجدان فصار علم الصوفية وزهاد العلماء

وقال صلى الله عليه وسلم « لا يسمع القرآن من أحد أشهى ممن يخشى الله عز وجل (١) » فالقرآن يراد الاستجلاب بهذه الأحوال إلى القلب والعمل به وإلا فالمؤنة فى تحريك اللسان بحروفه خفيفة والدلالة قال بعض القراء قرأت القرآن على شيخ لى ثم رجعت لأقرأ ثانيا فاتهرنى وقال جعلت القرآن على عملا اذهب فاقرأ على الله عز وجل فانظر بماذا يأمرك وبماذا ينهاك وبهذا كان شغل الصحابة رضى الله عنهم فى الأحوال والأعمال فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة اختلف فى اثنين منهم وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذى يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم (٢) ولما جاء واحد ليتعلم القرآن فانتهى إلى قوله عز وجل ـ فمن يعمل مثقال ذرّة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرا يره ـ (٣) قال يكفى هذا وانصرف فقال صلى الله عليه وسلم : انصرف الرجل وهو فقيه . وإنما العزيز مثل تلك الحالة التى منّ الله عز وجل بها على قلب المؤمن عقيب فهم الآية فأما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى بل التالى باللسان المعرض عن العمل جدير بأن يكون هو المراد بقوله تعالى ـ ومن أعرض عن ذكرى فانّ له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ـ وبقوله عز وجل ـ كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ـ أى تركتها ولم تنظر إليها ولم تعبأ بها فان المقصر فى الأمر يقال إنه نسى الأمر وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف

(١) حديث لا يسمع القرآن من أحد أشهى ممن يخشى الله تعالى رواه أبو عبد الله الحاكم فيما ذكره أبو القاسم الغافقى فى كتاب فضائل القرآن (٢) حديث مات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة اختلف منهم فى اثنين وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذى يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم قلت قوله مات عن عشرين ألفا لعله أراد بالمدينة وإلا فقد روينا عن أبى زرعة الرازى أنه قال قبض عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه انتهى وأما من حفظ القرآن فى عهده ففى الصحيحين من حديث أنس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الأنصار أبىّ بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد وأبوزيد قلت ومن أبوزيد قال أحد عمومتى وزاد بن أبى شيبة كالمصنف من رواية الشعبى مرسلا وأبو الدرداء وسعيد بن عبيد وفى الصحيحين من حديث عبد الله ابن عمرو استقرئوا القرآن من أربعة من عبدالله بن مسعود وسالم مولى أبى حذيفة ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب وروى ابن الأنبارى بسنده إلى عمر قال كان الفاضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدر هذه الأمة من يحفظ من القرآن السورة ونحوها الحديث وسنده ضعيف وللترمذى وحسنه من حديث أبى هريرة قال بعث رسول الله صلى عليه وسلم بعثا وهم ذو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل مامعه من القرآن فأتى على رجل من أحدثهم سنا فقال مامعك يافلان ؟ قال معى كذا وكذا وسورة البقرة فقال أمعك سورة البقرة ؟ قال نعم قال اذهب فأنت أميرهم الحديث (٣) حديث الرجل الذى جاء ليتعلم فانتهى إلى قوله تعالى ـ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ـ فقال يكفينى هذا وانصرف فقال النبى صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو فقيه د ن فى الكبرى وحب ك وصححه من حديث عبدالله بن عمر وقال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرئنى يارسول الله الحديث وفيه فأقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت حتى فرغ منها فقال الرجل والذى بعثك بالحق لاأزيد عليها أبدا ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلح الرويجل أفلح الرويجل ولأحمد ون فى الكبرى من حديث صعصعة عم الفرزدق أنه صاحب القصة فقال حسبى لاأبالى أن لاأسمع غيرها

نسبته إلى علم علماء الدنيا الذين ظفروا باليقين بطريق النظر والاستدلال كنسبة ماذكرناه من علم الوراثة والدراسة علمهم بمثابة اللبن لأنه اليقين والايمان الذى هو الاساس وعلم الصوفية بالله تعالى من أنصبة المشاهدة وعين اليقين وحق اليقين كالزبد المستخرج من اللبن فضيلة الانسان بفضيلة العلم ورزانة الأعمال على قدر الحظ من العلم وقد ورد فى خبر « فضل العالم على عابد كفضلى على أمتى » والاشارة فى هذا العلم ليس إلى علم البيع والشراء والطلاق والعتاق وإنما الاشارة إلى العلم بالله تعالى وقوّة اليقين وقد يكون العبد عالما بالله تعالى ذا يقين كامل وليس عنده علم من فروض الكفايات وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من علماء التابعين بحقائق اليقين ودقائق المعرفة وقد كان علماء

بالترتيل وحظ العقل تفسير المعانى وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ . التاسع الترقى ، وأعنى به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لا من نفسه فدرجات القراءة ثلاث أدناها أن يقدر العبد كأنه يقرؤه على الله عز وجل واقفا بين يديه وهو ناظر إليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال . الثانية أن يشهد بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بألطافه ويناجيه بانعامه وإحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم . الثالثة أن يرى فى الكلام المتكلم وفى الكلمات الصفات فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى تعلق الانعام به من حيث إنه منعم عليه بل يكون مقصورا لهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين وماقبله درجة أصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين وعن الدرجة العليا أخبر جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه قال والله لقد تجلى الله عز وجل لخلقه فى كلامه ولكنهم لا يبصرون وقال أيضا وقد سألوه عن حالة لحقته فى الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سرى عنه قيل له فى ذلك فقال مازلت أردد الآية على قلبى حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمى لمعاينة قدرته ففى مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة ولذلك قال بعض الحكماء كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأنى أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على أصحابه ثم رفعت إلى مقام فوقه كنت أتلوه كأنى أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا أصبر عنه وقال عثمان وحذيفة رضى الله عنهما لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن وانما قالوا ذلك لأنها بالطهارة تترقى إلى مشاهدة المتكلم فى الكلام ولذلك قال ثابت البنانى كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم دون ماسواه يكون العبد ممتثلا لقوله عز وجل ـ ففروا إلى الله ـ ولقوله تعالى ـ ولا تجعلوا مع الله إلها آخر ـ فمن لم يره فى كل شىء فقد رأى غيره وكل ما التفت إليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيئا من الشرك الخفى بل التوحيد الخالص أن لا يرى فى كل شىء إلا الله عز وجل . العاشر التبرى : وأعنى به أن يتبرأ من حوله وقوته والالتفات إلى نفسه بعين الرضا والتزكية فاذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوف إلى أن يلحقه الله عز وجل بهم وإذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد على نفسه هناك وقدر أنه المخاطب خوفا وإشفاقا ولذلك كان ابن عمر رضى الله عنهما يقول اللهم إنى أستغفرك لظلمى وكفرى وقيل له هذا الظلم فما بال الكفر فتلا قوله عز وجل ـ إن الانسان لظلوم كفار ـ وقيل ليوسف بن أسباط إذا قرأت القرآن بماذا تدعو فقال بماذا أدعو أستغفر الله عز وجل من تقصيرى سبعين مرة فاذا رأى نفسه بصورة التقصير فى القراءة كان رؤيته سبب قربه فان من شهد البعد فى القرب لطف به فى الخوف حتى يسوقه الخوف إلى درجة أخرى فى القرب وراءها ومن شهد القرب فى العبد مكر به بالأمن الذى يفضيه إلى درجة أخرى فى العبد أسفل مما هو فيه ومهما كان مشاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه فاذا جاوز حد الالتفات إلى نفسه ولم يشاهد إلا الله تعالى فى قراءته كشف له سر الملكوت قال أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه وعد ابن ثوبان أخا له أن يفطر عنده فأبطأ عليه حتى طلع الفجر فلقيه أخوه من الغد فقال له وعدتنى أنك تفطر عندى فأخلفت فقال لولا ميعادى معك ماأخبرتك بالذى حبسنى عنك إنى لما صليت العتمة قلت أوتر قبل أن أجيئك لأنى لا آمن مايحدث من الموت فلما كنت فى الدعاء من الوتر رفعت إلى روضة خضراء فيها أنواع الزهر من الجنة فما زلت أنظر إليها حتى أصبحت وهذه المكاشفات لا تكون إلا بعد التبرى عن النفس وعدم

التابعين فيهم من هو أقوم بعلم الفتوى والأحكام من بعضهم . روى أن عبد الله بن عمر كان إذا سئل عن شىء يقول سلوا سعيد ابن المسيب وكان عبد الله بن عباس يقول سلوا جابر بن عبد الله لو نزل أهل البصرة على فتياه لوسعهم وكان أنس بن مالك يقول سلوا مولانا الحسن فانه قد حفظ ونسينا فكانوا يردون الناس إليهم فى علم الفتوى والأحكام ويعلمونهم حقائق اليقين ودقائق المعرفة وذلك لأنهم كانوا أقوم بذلك من التابعين صادقهم طراوة الوحى المنزل وغمرهم غزير العلم المجمل والمفصل فتلقى منهم طائفة مجملة ومفصلة وطائفة مفصلة دون مجملة والمجمل أصل العلم ومفصله المكتسب بطهارة القلوب وقوة الغريزة وكمال الاستعداد وهو خاص بالخواص قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم

الالتفات إليها وإلى دواهاثم تخصص هذه المكاشفات بحسب أحوال المكاشف فحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها وذلك لأن كلام الله عز وجل يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب أوصافه إذمنها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب فى اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بأمر يناسب تلك الحالة ويقارنها إذ يستحيل أن يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا إذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالى وكلام حنان متعطف لا يهمل .

(الباب الرابع فى فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل)

لعلك تقول عظمت الأمر فيما سبق فى فهم أسرار القرآن وما ينكشف لأرباب القلوب الزكية من معانيه فكيف يستحب ذلك وقد قال ﷺ « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار (١) » وعن هذا شنع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل التصوف من المقصرين المنسوبين إلى التصوف فى تأويل كلمات فى القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين وذهبوا إلى أنه كفر فان صح ما قاله أهل التفسير فما معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره وان لم يصح ذلك فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » فاعلم أن من زعم أن لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب فى الاخبار عن نفسه ولكنه مخطىء فى الحكم برد الخلق كافة إلى درجته التى هى حده ومحطه بل الأخبار والآثار تدل على أن فى معانى القرآن متسعا لأرباب الفهم (٢) قال على رضى الله عنه إلا أن يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم وقال ﷺ « إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا (٣) » ويروى أيضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع وقال على كرم الله وجهه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فما معناه وتفسير ظاهرها فى غاية الاقتصار وقال أبو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وقد قال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم وما بقى من فهمها أكثر وقال آخرون القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتى علم إذ كل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع وترديد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة (٤) لا يكون إلا لتدبر باطن معانيها وإلا فترجمتها وتفسيرها ظاهر لا يحتاج مثله إلى تكرير وقال ابن مسعود رضى الله عنه من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر وبالجملة فالعلوم كلها داخلة فى أفعال الله عز وجل وصفاته وفى القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته وهذه العلوم لا نهاية لها وفى القرآن إشارة إلى مجامعها والمقامات فى التعمق فى تفصيله راجع إلى فهم القرآن ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك بل كل ما أشكل فيه على النظار واختلف فيه الخلائق فى النظريات والمعقولات ففى القرآن إليه رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها فكيف يفى بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ولذلك قال صلى الله عليه وسلم

(الباب الرابع فى فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل)

(١) حديث من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار تقدم فى الباب الثالث من العلم (٢) حديث الأخبار والآثار الدالة على أن فى معانى القرآن متسعا لأرباب الفهم تقدم قول على فى الباب قبله إلا أن يؤتى الله عبدا فهما فى كتابه (٣) حديث إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا تقدم فى قواعد العقائد (٤) حديث تكرير النبى صلى الله عليه وسلم البسملة عشرين مرة تقدم فى الباب قبله .

ـ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ـ وقال تعالى ـ قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة ـ فلهذه السبل سابلة ولهذه الدعوات قلوب قابلة فمنها نفوس مستعصية جامدة باقية على خشونة طبيعتها وجبلتها فلينها بنار الإنذار والموعظة والحذار ومنها نفوس زكية من تربة طيبة موافقة للقلوب قريبة منها فمن كانت نفسه ظاهرة على قلبه دعاه بالموعظة ومن كان قلبه ظاهرا على نفسه دعاه بالحكمة فالدعوة بالموعظة أجاب بها الأبرار وهى الدعوة بذكر الجنة والنار والدعوة بالحكمة أجاب بها المقربون وهى الدعوة بتلويح منح القرب وصفو المعرفة وإشارة التوحيد فلما وجدوا التلويحات الحقانية والتعريفات الربانية أجابوا بأرواحهم وقلوبهم ونفوسهم

« اقرءوا القرآن والتمسوا غرائبه[1] » وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث علىّ كرم الله وجهه « والذى بعثنى بالحق نبيا لتفترقن أمتى عن أصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون إلى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله عز وجل فان فيه نبأ من كان قبلكم ونبأ ما يأتى بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله عز وجل ومن ابتغى العلم فى غيره أضله الله عز وجل وهو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوّم ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقضى عجائبه ولا يخلقه كثرة الترديد[2] » الحديث وفى حديث حذيفة « لما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاختلاف والفرقة بعده قال فقلت يارسول الله فماذا تأمرنى إن أدركت ذلك فقال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك قال فأعدت عليه ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم ثلاثا تعلم كتاب الله عز وجل واعمل بما فيه ففيه النجاة[3] » وقال علىّ كرم الله وجهه من فهم القرآن فسر به جمل العلم ، أشار به إلى أن القرآن يشير إلى مجامع العلوم كلها وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى — ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا — يعنى الفهم فى القرآن . وقال عز وجل — ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما — سمى ما آتاهما علما وحكما وخصص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم وجعله مقدما على الحكم والعلم فهذه الأمور تدل على أن فى فهم معانى القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغا وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه فأما قوله صلى الله عليه وسلم : من فسر القرآن برأيه ونهيه عنه[4] صلى الله عليه وسلم وقول أبى بكر رضى الله عنه أىّ أرض تقلنى وأىّ سماء تظلنى إذا قلت فى القرآن برأيى إلى غير ذلك مما ورد فى الأخبار والآثار فى النهى عن تفسير القرآن بالرأى فلا يخلو إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم أو المراد به أمرا آخر ، وباطل قطعا أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد فى القرآن إلا بما يسمعه لوجوه : أحدها أنه يشترط أن يكون ذلك مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسندا إليه وذلك مما لا يصادف إلا فى بعض القرآن فأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهم فينبغى أن لا يقبل ويقال هو تفسير بالرأى لأنهم لم يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا غيرهم من الصحابة رضى الله عنهم . والثانى أن الصحابة والمفسرين اختلفوا فى تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال ولو كان الواحد مسموعا لرد الباقى فتبين على القطع أن كل مفسر قال فى المعنى بما ظهر له باستنباطه حتى قالوا فى الحروف التى فى أوائل السور سبعة أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها فقيل إن الر هى حروف من الرحمن وقيل إن الألف الله واللام لطيف والراء رحيم وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون

(١) حديث اقرءوا القرآن والتمسوا غرائبه ، ابن أبى شيبة فى المصنف وأبو يعلى الموصلى والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بلفظ أعربوا وسنده ضعيف (٢) حديث علىّ والذى بعثنى بالحق لتفترقن أمتى على أصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون إلى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله فان فيه نبأ من كان قبلكم الحديث بطوله هو عند ت دون ذكر افتراق الأمة بلفظ ألا إنها ستكون فتنة مضلة فقلت ما المخرج منها يارسول الله قال كتاب الله فيه نبأ من كان قبلكم فذكره مع اختلاف وقال غريب وإسناده مجهول (٣) حديث حذيفة فى الاختلاف والفرقة بعده فقلت ما تأمرنى إن أدركت ذلك قال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه الحديث د ن فى الكبرى وفيه تعلم كتاب الله واتبع ما فيه ثلاث مرات (٤) حديث النهى عن تفسير القرآن بالرأى غريب .

فصارت متابعة الأقوال إجابتهم نفسا ومتابعة الأعمال إجابتهم قلبا والتحقق بالأحوال إجابتهم روحا فإجابة الصوفية بالكل وإجابة غيرهم بالبعض . قال عمر رضى الله عنه : رحم الله تعالى صهيبا لو لم يخف الله لم يعصه يعنى لو كتب له كتاب الأمان من النار حمله صرف المعرفة بعظيم أمر الله على القيام بواجب حق العبودية أداء لما عرف من حق العظمة فاجابة الصوفية إلى الدعوة إجابة المحبّ للمحبوب على اللذاذة وذهاب العسر وإجابة غيرهم على المكابدة والمجاهدة وهذه الإجابة يظهر مع الساعات أثرها فى القيام بحقائق الاستقامة والعبودية قال الله تعالى — فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى فسنيسره لليسرى — قال بعضهم أعطى الدارين ولم ير شيئا واتقى اللغو والسيئات وصدق

الكل مسموعا . والثالث أنه صلى الله عليه وسلم « دعا لابن عباس رضى الله عنه وقال : اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل[1] » فان كان التأويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك . والرابع أنه قال عز وجل ـ لعلمه الذين يستنبطونه منهم ـ فأثبت لأهل العلم استنباطا ومعلوم أنه وراء السماع . وجملة ما نقلناه من الآثار فى فهم القرآن يناقض هذا الخيال فبطل أن يشترط السماع فى التأويل وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله . وأما النهى فانه ينزل على أحد وجهين : أحدهما أن يكون له فى الشىء رأى وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأى والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع العلم كالذى يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أنه ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذى يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه فيكون قد فسر برأيه أى رأيه هو الذى حمله على ذلك التفسير ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به كمن يدعو إلى الاستغفار بالأسحار فيستدل بقوله صلى الله عليه وسلم « تسحروا فان فى السحور بركة[2] » ويزعم أن المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم أن المراد به الأكل وكالذى يدعو إلى مجاهدة القلب القاسى فيقول قال الله عز وجل ـ اذهب إلى فرعون إنه طغى ـ ويشير إلى قلبه ويومئ إلى أنه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ فى المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع وقد تستعمله الباطنية فى المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعا أنها غير مرادة به فهذه الفنون أحد وجهى المنع من التفسير بالرأى ويكون المراد بالرأى الرأى الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والرأى يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص باسم الرأى . والوجه الثانى أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعانى بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل فى زمرة من يفسر بالرأى فالنقل والسماع لا بد منه فى ظاهر التفسير أولا ليتقى به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط . والغرائب التى لا تفهم إلا بالسماع كثيرة ونحن نرمز إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها ويعلم أنه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولا ولا مطمع فى الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعى البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب أو يدعى فهم مقاصد الأتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك فان ظاهر التفسير يجرى مجرى تعليم اللغة التى لا بد منها للفهم وما لا بد فيه من السماع فنون كثيرة منها الايجاز بالحذف والاضمار كقوله تعالى ـ وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ـ معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ولم يدر أنهم بماذا ظلموا وأنهم ظلموا غيرهم أو أنفسهم وقوله تعالى ـ وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم ـ أى حب العجل فحذف الحب وقوله عز وجل ـ إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ـ أى ضعف عذاب الأحياء وضعف عذاب الموتى فحذف العذاب وأبدل الأحياء والموتى بذكر الحياة والموت وكل ذلك جائز فى فصيح

(١) حديث دعائه لابن عباس اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل تقدم فى الباب الثانى من العلم

(٢) حديث تسحروا فان فى السحور بركة تقدم فى الباب الثالث من العلم .

بالحسنى أقام على طلب الزلفى والآية قيل نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ويلوح فى الآية وجه آخر أعطى بالمواظبة على الأعمال واتقى الوساوس والهواجس وصدق بالحسنى لازم الباطن بتصفية موارد الشهود عن مزاحمة لوث الوجود فسنيسره لليسرى نفتح عليه باب السهولة فى العمل والعيش والأنس وأما من بخل بالأعمال واستغنى امتلأ بالأحوال وكذب بالحسنى لم يكن فى الملكوت بنفوذ بصيرته بالجوال فسنيسره للعسرى نسد عليه باب اليسر فى الأعمال قال بعضهم إذا أراد الله بعبد سوءا سد عليه باب العمل وفتح عليه باب الكسل فلما أجابت نفوس الصوفية وقلوبهم وأرواحهم الدعوة ظاهرا وباطنا كان حظهم من العلم أوفر ونصيبهم من المعرفة أكمل فكانت أعمالهم أزكى وأفضل جاء رجل

اللغة وقوله تعالى ـ واسئل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها ـ أى أهل القرية وأهل العير والأهل فيهما محذوف مضمر وقوله عز وجل ـ ثقلت فى السموات والأرض ـ معناه خفيت على أهل السموات والأرض والشىء إذا خفى ثقل فأبدل اللفظ به وأقيم فى مقام على وأضمر الأهل وحذف وقوله تعالى ـ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ـ أى شكر رزقكم وقوله عز وجل ـ آتنا ماوعدتنا على رسلك ـ أى على ألسنة رسلك فحذف الألسنة وقوله تعالى ـ إنا أنزلناه فى ليلة القدر ـ أراد القرآن وماسبق له ذكر وقال عز وجل ـ حتى توارت بالحجاب ـ أراد الشمس وماسبق لها ذكره وقوله تعالى ـ والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ـ أى يقولون مانعبدهم وقوله عز وجل ـ فمال هؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا ماأصابك من حسنة فمن الله وماأصابك من سيئة فمن نفسك ـ معناه لايفقهون حديثا يقولون ماأصابك من حسنة فمن الله فان لم يرد هذا كان مناقضا لقوله ـ قل كل من عند الله ـ وسبق إلى الفهم منه مذهب القدرية ومنها المنقول المنقلب كقوله تعالى ـ وطور سينين ـ أى طور سيناء ـ سلام على آل ياسين ـ أى على إلياس وقيل إدريس لأن فى حرف ابن مسعود سلام على إدراسين ومنها المكرر القاطع لوصل الكلام فى الظاهر كقوله عز وجل ـ ومايتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن ـ معناه ومايتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إلا الظن وقوله عز وجل ـ قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم ـ معناه الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا ومنها المقدم والمؤخر وهو مظنة الغلط كقوله عز وجل ـ ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى ـ معناه لولا الكلمة وأجل مسمى لكان لزاما ولولاه لكان نصبا كاللزام وقوله تعالى ـ يسألونك كأنك حفى عنها ـ أى يسألونك عنها كأنك حفى بها وقوله عز وجل ـ لهم مغفرة ورزق كريم . كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ـ فهذا الكلام غير متصل وإنما هو عائد إلى قوله السابق ـ قل الأنفال لله والرسول . كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ـ أى فصارت أنفال الغنائم لك إذ أنت راض بخروجك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الأمر بالتقوى وغيره ومن هذا النوع قوله عز وجل ـ حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه ـ الآية . ومنها المبهم وهو اللفظ المشترك بين معان من كلمة أو حرف أما الكلمة فكالشىء والقرين والأمة والروح ونظائرها قال الله تعالى ـ ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لايقدر على شىء ـ أراد به النفقة مما رزق وقوله عز وجل ـ وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لايقدر على شىء ـ أى الأمر بالعدل والاستقامة وقوله عز وجل ـ فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء ـ أراد به من صفات الربوبية وهو العلوم التى لايحل السؤال عنها حتى يبتدىء بها العارف فى أوان الاستحقاق وقوله عز وجل ـ أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون ـ أى من غير خالق فربما يتوهم به أنه يدل على أنه لايخلق شىء إلا من شىء . وأما القرين فكقوله عز وجل ـ وقال قرينه هذا مالدى عتيد . ألقيا فى جهنم كل كفار ـ أراد به الملك الموكل به وقوله تعالى ـ قال قرينه ربنا ماأطغيته ولكن كان ـ أراد به الشيطان . وأما الأمة فتطلق على ثمانية أوجه الأمة الجماعة كقوله تعالى ـ وجد عليه أمة من الناس يسقون ـ وأتباع الأنبياء كقولك نحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ورجل جامع للخير يقتدى به كقوله تعالى ـ إن إبراهيم كان أمة قانتا لله ـ والأمة الدين كقوله عز وجل ـ إنا وجدنا آباءنا على أمة ـ والأمة الحين والزمان كقوله عز وجل ـ إلى أمة معدودة ـ وقوله عز وجل ـ وادكر بعد أمة ـ والأمة القامة يقال فلان حسن الأمة أى القامة ، وأمة رجل منفرد بدين لايشركه فيه أحد قال صلى الله عليه وسلم « يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده[1] » والأمة الأم يقال هذه أمة زيد أى أم زيد.

إلى معاذ قال أخبرنى عن رجلين أحدهما مجتهد فى العبادة كثير العمل قليل الذنوب إلا أنه ضعيف اليقين يعتوره الشك قال معاذ ليحبطن شكه عمله قال فأخبرنى عن رجل قليل العمل إلا أنه قوى اليقين وهو فى ذلك كثير الذنوب فسكت معاذ فقال الرجل والله لئن أحبط شك الأول أعمال بره ليحبطن يقين هذا ذنوبه كلها قال فأخذ معاذ بيده وقال مارأيت الذى هو أفقه من هذا . وفى وصية لقمان لابنه يابنى لايستطاع العمل إلا باليقين ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى يقصر يقينه فكان اليقين أفضل العلم لأنه أدعى إلى العمل وما كان أدعى إلى العمل كان أدعى إلى العبودية وما كان أدعى إلى العبودية كان أدعى إلى القيام بحق الربوبية وكمال الحظ من اليقين والعلم بالله للصوفية والعلماء

(١) حديث يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده ن فى الكبرى من حديث زيد بن حارثة وأسماء

والروح أيضا ورد فى القرآن على معان كثيرة فلا نطول بايرادها وكذلك قد يقع الابهام فى الحروف مثل قوله عز وجل ـ فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا ـ فالهاء الأولى كناية عن الخوافر وهى الموريات أى أثرن بالخوافر نقعا . والثانية كناية عن الاغارة وهى المغيرات صبحا فوسطن به جمعا جمع المشركين فأغاروا بجمعهم وقوله تعالى ـ فأنزلنا به الماء ـ يعنى السحاب ـ فأخرجنا به من كل الثمرات ـ يعنى الماء وأمثال هذا فى القرآن لا ينحصر . ومنها التدريج فى البيان كقوله عز وجل ـ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ـ إذ لم يظهر به أنه ليل أو نهار وبان بقوله عز وجل ـ إنا أنزلناه فى ليلة مباركة ـ ولم يظهر به أى ليلة فظهر بقوله تعالى ـ إنا أنزلناه فى ليلة القدر ـ وربما يظن فى الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات فهذا وأمثاله مما لا يغنى فيه إلا النقل والسماع فالقرآن من أوله إلى آخره غير خال عن هذا الجنس لأنه أنزل بلغة العرب فكان مشتملا على أصناف كلامهم من إيجاز وتطويل وإضمار وحذف وإبدال وتقديم وتأخير ليكون ذلك مفحما لهم ومعجزا فى حقهم فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر إلى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسماع والنقل فى هذه الأمور فهو داخل فيمن فسر القرآن برأيه مثل أن يفهم من الأمة المعنى الأشهر منه فيميل طبعه ورأيه إليه فاذا سمعه فى موضع آخر مال برأيه إلى ما سمعه من مشهور معناه وترك تتبع النقل فى كثير معانيه فهذا ما يمكن أن يكون منهيا عنه دون التفهم لأسرار المعانى كما سبق فاذا حصل السماع بأمثال هذه الأمور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الألفاظ ولا يكفى ذلك فى فهم حقائق المعانى ويدرك الفرق بين حقائق المعانى وظاهر التفسير بمثال وهو أن الله عز وجل قال ـ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ـ فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامض فانه إثبات للرمى ونفى له وهما متضادان فى الظاهر ما لم يفهم أنه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذى لم يرم رماه الله عز وجل وكذلك قال تعالى ـ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ـ فاذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله سبحانه هو المعذب وإن كان الله تعالى هو المعذب بتحريك أيديهم فما معنى أمرهم بالقتال فحقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يغنى عنه ظاهر التفسير وهو أن يعلم وجه ارتباط الأفعال بالقدرة الحادثة ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله عز وجل حتى ينكشف بعد إيضاح أمور كثيرة غامضة صدق قوله عز وجل ـ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ـ ولعل العمر لو أنفق فى استكشاف أسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدماته ولواحقه لانقضى العمر قبل استيفاء جميع لواحقه وما من كلمة من القرآن إلا وتحقيقها محوج إلى مثل ذلك وإنما ينكشف للراسخين فى العلم من أسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد فى الترقى إلى درجة أعلى منه فأما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والأشجار أقلاما فأسرار كلمات الله لا نهاية لها فتنفد الأبحر قبل أن تنفد كلمات الله عز وجل فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق فى الفهم بعد الاشتراك فى معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يغنى عنه ومثاله فهم بعض أرباب القلوب من قوله صلى الله عليه وسلم فى سجوده « أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك[1] » أنه قيل له اسجد واقترب فوجد القرب فى السجود فنظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض فان الرضا والسخط وصفان ثم زاد قربه فاندرج القرب الأول فيه فرقى إلى الذات فقال أعوذ بك منك ثم زاد قربه بما استحيا به من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء فأثنى بقوله لا أحصى ثناء عليك ثم علم أن ذلك قصور فقال أنت كما أثنيت على نفسك فهذه خواطر تفتح لأرباب القلوب ثم لها أغوار وراء هذا

الزاهدين فبان بذلك فضلهم وفضل علمهم . ثم إنى أصور مسئلة يستبين بها المعتبر فضل العالم الزاهد العارف بعلمات نفسه على غيره عالم دخل مجلسا وقعد وميز لنفسه مجلسا يجلس فيه كما فى نفسه من اعتقاده فى نفسه لمحله وعلمه فدخل داخل من أبناء جنسه وقعد فوقه فانعصر العالم وأظلمت عليه الدنيا ولو أمكنه لبطش بالداخل فهذا عارض عرض له ومرض اعتراه وهو لا يفطن أن هذه علة غامضة ومرض يحتاج إلى المداواة ولا يتفكر فى منشأ هذا المرض ولو علم أن هذه نفس ثارت وظهرت بجهلها وجهلها لوجود كبرها وكبرها برؤية نفسها خيرا من غيرها فعلم الانسان أنه أكبر من غيره كبر وإظهاره ذلك إلى الفعل تكبر فحيث القصر صار فعلا به تكبر الزاهد لا يميز نفسه بشىء دون

بنت أبى بكر باسنادين جيدين (١) حديث قوله صلى الله عليه وسلم فى سجوده أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك الحديث مسلم من حديث عائشة .

وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به وأسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه وليس هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول إلى لبابه عن ظاهره فهذا ما نورده لفهم المعانى الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله أعلم . تم كتاب آداب التلاوة والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين وعلى آل محمد وصحبه وسلم . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأذكار والدعوات والله المستعان لا رب سواه .

(كتاب الأذكار والدعوات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الشاملة رأفته العامة رحمته الذى جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال تعالى ـ فاذكرونى أذكركم ـ ورغبهم فى السؤال والدعاء بأمره فقال ـ ادعونى أستجب لكم ـ فأطمع المطيع والعاصى والدانى والقاصى فى الانبساط إلى حضرة جلاله برفع الحاجات والأمانى بقوله ـ فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ـ والصلاة على محمد سيد أنبيائه وآله وأصحابه خيرة أصفيائه وسلم تسليما كثيرا . [أما بعد] فليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل عبادة تؤدى باللسان أفضل من ذكر الله تعالى ورفع الحاجات بالأدعية الخالصة إلى الله تعالى فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل فى أعيان الأذكار وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه ونقل المأثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها ويتحرر المقصود من ذلك بذكر أبواب خمسة . الباب الأول : فى فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلا . الباب الثانى : فى فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . الباب الثالث : فى أدعية مأثورة ومعزية إلى أصحابها وأسبابها . الباب الرابع : فى أدعية منتخبة محذوفة الاسناد من الأدعية المأثورة . الباب الخامس : فى الأدعية المأثورة عند حدوث الحوادث .

(الباب الأول : فى فضيلة الذكر وفائدته على الجملة والتفصيل من الآيات والأخبار والآثار)

ويدل على فضيلة الذكر على الجملة من الآيات قوله سبحانه وتعالى ـ فاذكرونى أذكركم ـ قال ثابت البنانى رحمه الله إنى أعلم متى يذكرنى ربى عز وجل ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال إذا ذكرته ذكرنى وقال تعالى ـ اذكروا الله ذكرا كثيرا ـ وقال تعالى ـ فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم ـ وقال عز وجل ـ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا ـ وقال تعالى ـ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ـ وقال تعالى ـ فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ـ قال ابن عباس رضى الله عنهما أى بالليل والنهار فى البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال تعالى فى ذم المنافقين ـ ولا يذكرون الله إلا قليلا ـ وقال عز وجل ـ واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ـ وقال تعالى ـ ولذكر الله أكبر ـ قال ابن عباس رضى الله عنهما : له وجهان أحدهما أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه والآخر أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه إلى غير ذلك من الآيات . وأما الأخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله فى الغافلين كالشجرة الخضراء فى وسط الهشيم[1] » وقال صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل بين الفارين »

(كتاب الأذكار والدعوات)

الباب الأول فى فضيلة الذكر

(١) حديث ذاكر الله فى الغافلين كالشجرة الخضراء فى وسط الهشيم أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب من

المسلمين ولا يرى نفسه فى مقام تميز يميزها بمجلس فالصوفى العالم مخصوص مميز ولو قدر له أن يبتلى بمثل هذه الواقعة وينعصر من تقدم غيره عليه وترفعه يرى النفس وظهورها ويروى أن هذا داء وأنه إن استرسل فيه بالإصغاء إلى النفس وانعصارها صار ذلك ذنب حاله فيرفع فى الحال داءه إلى الله تعالى ويشكو إليه ظهور نفسه ويحسن الإنابة ويقطع دابر ظهور النفس ويرفع القلب إلى الله تعالى مستغيثا من النفس فيشغله اشتغاله برؤية داء النفس فى طلب دوائها من الفكر فيمن قعد فوقه وربما أقبل على من قعد فوقه بمزيد التواضع والانكسار تكفيرا للذنب الموجود وتداويا لدائه الحاصل . فتبين بهذا الفرق بين الرجلين فاذا اعتبر المعتبر وتفقد حال نفسه فى هذا المقام يرى

وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل أنا مع عبدى ماذكرنى وتحركت شفتاه بى[١] » وقال صلى الله عليه وسلم « ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل قالوا يارسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع[٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل[٣] » . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أفضل فقال « أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل[٤] » وقال ﷺ « أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسى وليس عليك خطيئة[٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « لذكر الله عز وجل بالغداة والعشى أفضل من حطم السيوف فى سبيل الله ومن إعطاء المال سحا[٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تبارك وتعالى إذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملئه وإذا تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا وإذا تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا وإذا مشى إلىّ هرولت إليه[٧] » يعنى بالهرولة سرعة الإجابة وقال صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله عز وجل فى ظله يوم لاظل إلا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله[٨] » وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم قالوا وما ذاك يارسول الله ؟ قال ذكر الله عز وجل دائما[٩] » وقال صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين[١٠] » .

حديث ابن عمر بسند ضعيف وقال فى وسط الشجر الحديث (١) حديث يقول الله تعالى أنا مع عبدى ماذكرنى وتحركت بى شفتاه هـ حب من حديث أبى هريرة وك من حديث أبى الدرداء وقال صحيح الإسناد (٢) حديث ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يارسول ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثلاث مرات ابن أبى شيبة فى المصنف والطبرانى من حديث معاذ بإسناد حسن (٢) حديث من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى ابن أبى شيبة فى المصنف والطبرانى من حديث معاذ بسند ضعيف ورواه الطبرانى فى الدعاء من حديث أنس وهو عند ت بلفظ إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا وقد تقدم فى الباب الثالث من العلم (٤) حديث سئل أى الأعمال أفضل قال أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى حب وطب فى الدعاء والبيهقى فى الشعب من حديث معاذ (٥) حديث أمس وأصبح ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسى وليس عليك خطيئة أبو القاسم الأصبهانى فى الترغيب والترهيب من حديث أنس من أصبح وأمسى ولسانه رطب من ذكر الله يمسى ويصبح وليس عليه خطيئة وفيه من لايعرف (٦) حديث لذكر الله بالغداة والعشى أفضل من حطم السيوف فى سبيل الله ومن إعطاء المال سحا رويناه من حديث أنس بسند ضعيف فى الأصل وهو معروف من قول ابن عمر كما رواه ابن عبد البر فى التمهيد (٧) حديث قال الله عز وجل إذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٨) حديث سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه متفق عليه من حديث أبى هريرة أيضا (٩) حديث ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم الحديث ت هـ ك وصحح إسناده من حديث أبى الدرداء (١٠) حديث قال الله تعالى من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين خ فى التاريخ والبزار فى المسند والبيهقى فى الشعب من حديث عمر بن

نفسه كنفوس عوام الخلق وطالبى المناصب الدنيوية فأى فرق بينه وبين غيره ممن لاعلم له ولو أكثرنا تصوير المسائل لتبرهن فضيلة الزاهدين ونقصان الراغبين لأورث الملال وهذه من أوائل علوم الصوفية فما ظنك بنفائس علومهم وشرائف أحوالهم والله الموفق للصواب .

[الباب الرابع فى شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم]

أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب بن على قال أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن أبى القاسم الهروى قال أنا أبو نصر عبد العزيز بن محمد الترياقى قال أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحى قال أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبى قال أنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى قال حدثنا مسلمة بن حاتم

وأما الآثار : فقد قال الفضيل بلغنا أن الله عز وجل قال ياعبدى اذكرنى بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك مابينهما وقال بعض العلماء إن الله عز وجل يقول أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه وقال الحسن الذكر ذكران : ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل ماأحسنه وأعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ماحرم الله عز وجل ويروى « إن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا ذاكر الله عز وجل » وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ليس يتحسر أهل الجنة على شئ إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها ، والله تعالى أعلم .

(فضيلة مجالس الذكر)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماجلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لايريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات (٢) » وقال أيضا ﷺ « ماقعد قوم مقعدا لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة (٣) » وقال داود صلى الله عليه وسلم : إلهى إذا رأيتنى أجاوز مجالس الذاكرين إلى مجالس الغافلين فاكسر رجلى دونهم فانها نعمة تنعم بها على . وقال صلى الله عليه وسلم « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفى ألف مجلس من مجالس السوء (٤) » وقال أبو هريرة رضى الله عنه إن أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض التى يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم وقال سفيان بن عيينة رحمه الله إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا ألا ترين مايصنعون فتقول الدنيا دعهم فانهم إذا تفرقوا أخذت بأعناقهم إليك وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه دخل السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فى المسجد فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا فقالوا ياأباهريرة مارأينا ميراثا يقسم فى المسجد قال فماذا رأيتم قالوا رأينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرءون القرآن قال فذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) وروى الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن لله عز وجل ملائكة سياحين فى الأرض فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا إلى بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم إلى السماء

الخطاب وفيه صفوان بن أبى الصفا ذكره حب فى الضعفاء وفى الثقات أيضا (١) حديث ماجلس قوم مجلسا يذكرون الله تعالى إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم رحمة وذكرهم الله فيمن عنده م من حديث أبى هريرة (٢) حديث مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لايريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم منادمن السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات أحمد وأبو يعلى والطبرانى بسند ضعيف من حديث أنس (٣) حديث ماقعد قوم مقعدا لم يذكروا الله ولم يصلوا على النبى ﷺ فيه إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة ت وحسنه من حديث أبى هريرة (٤) حديث المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفى ألف مجلس من مجالس السوء ذكره صاحب الفردوس من حديث ابن وداعة وهو مرسل ولم يخرجه ولده وكذلك لم أجد له إسنادا (٥) حديث أبى هريرة أنه دخل السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فى المسجد فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق الحديث الطبرانى فى المعجم الصغير باسناد فيه جهالة أو انقطاع .

الأنصارى قال حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى عن أبيه عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب قال : قال أنس بن مالك رضى الله عنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « يابنى إن قدرت أن تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لأحد فافعل ثم قال يابنى وذلك من سنتى ومن أحيا سنتى فقد أحيانى ومن أحيانى كان معى فى الجنة » وهذا أتم شرف وأكمل فضل أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم فى حق من أحيا سنته فالصوفية هم الذين أحيوا هذه السنة وطهارة الصدور من الغل والغش عماد أمرهم وبذلك ظهر جوهرهم وبان فضلهم وإنما قدروا على إحياء هذه السنة ونهضوا بواجب حقها لزهدهم فى الدنيا وتركها لأربابها وطلابها لأن مثار الغل والغش محبة الدنيا ومحبة الرفعة والمنزلة عند الناس والصوفية

فيقول الله تبارك وتعالى أى شئ تركتم عبادى يصنعونه فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك فيقول الله تبارك وتعالى وهل رأونى فيقولون لافيقول جل جلاله كيف لو رأونى فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول لهم من أى شئ يتعوذون فيقولون من النار فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لافيقول الله عزوجل فكيف لورأوها فيقولون لورأوها لكانوا أشد هربا منها وأشد نفورا فيقول الله عز وجل وأى شئ يطلبون فيقولون الجنة فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لافيقول تعالى فكيف لورأوها فيقولون لورأوها لكانوا أشد عليها حرصا فيقول جل جلاله إنى أشهدكم انى قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم إنما جاء لحاجة فيقول الله عز وجل هم القوم لايشقى جليسهم (١) » .

(فضيلة التهليل)

قال صلى الله عليه وسلم « أفضل ماقلت أنا والنبيون من قبلى لاإله إلاالله وحده لاشريك له (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال لاإله إلاالله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك (٣) » وقال ﷺ « مامن عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس على أهل لاإله إلا الله وحشة فى قبورهم ولافى نشورهم كأنى أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رءوسهم من التراب ويقولون الحمدلله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم أيضا لأبى هريرة «ياأباهريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلاشهادة أن لاإله إلاالله فانها لاتوضع فى ميزان لأنها لو وضعت فى ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والأرضون السبع ومافيهن كان لاإله إلاالله أرجح من ذلك (٦) »

(١) حديث الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة أوأبى سعيد الخدرى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إن لله عزوجل ملائكة سياحين فى الأرض فضلا عن كتاب الناس الحديث رواه ت من هذا الوجه والحديث فى الصحيحين من حديث أبى هريرة وحده وقد تقدم فى الباب الثالث من العلم (٢) حديث أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلى لاإله إلا الله الحديث تقدم فى الباب الثانى من الحج (٣) حديث من قال لاإله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير مائة مرة الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٤) حديث مامن عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لاإله إلا الله الحديث د من حديث عقبة بن عامر وقد تقدم فى الطهارة (٥) حديث ليس على أهل لاإله إلا الله وحشة فى قبورهم ولا فى النشور الحديث أبو يعلى والطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٦) حديث ياأباهريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لاإله إلا الله فانها لاتوضع فى ميزان لأنها لو وضعت فى ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كان لاإله إلا الله أرجح من ذلك ، قلت وصية أبى هريرة هذه موضوعة وآخر الحديث رواه المستغفرى فى الدعوات ولوجعلت لاإله إلا الله وهو معروف من حديث أبى سعيد مرفوعا لو أن السموات السبع وعمارهن غيرى والأرضين السبع فى كفة مالت بهن لاإله إلا الله رواه ن فى اليوم والليلة وحب و ك وصححه .

زهدوا فى ذلك كله كما قال بعضهم طريقنا هذا لايصلح إلا لأقوام كنست بأرواحهم المزابل فلما سقط عن قلوبهم محبة الدنيا وحب الرفعة أصبحوا وأمسوا وليس فى قلوبهم غش لأحد فقول القائل كنست بأرواحهم المزابل إشارة منه إلى غاية التواضع وأن لايرى نفسه تتميز عن أحد من المسلمين لحقارته عند نفسه وعند هذا ينسد باب الغش والغل وجرت هذه الحكاية وقال بعض الفقراء من أصحابنا وقع لى أن معنى كنست بأرواحهم المزابل أن الاشارة بالمزابل إلى النفوس لأنها مأوى كل رجس ونجس كالمزبلة وكنسها بنور الروح الواصل إليها لأن الصوفية أرواحهم فى محال القرب ونورها يسرى إلى النفوس وبوصول نور الروح إلى النفس تطهر النفس ويذهب عنها المذموم

وقال صلى الله عليه وسلم « لو جاء قائل لا إله إلا الله صادقا بقراب الأرض ذنوبا لغفر الله له ذلك[١] » وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة لقن الموتى شهادة أن لا إله إلا الله فانها تهدم الذنوب هدما قلت يارسول الله هذا للموتى فكيف للأحياء قال صلى الله عليه وسلم : هي أهدم وأهدم[٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة[٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد عن الله عز وجل شراد البعير عن أهله فقيل يارسول الله من الذي يأبى ويشرد عن الله قال من لم يقل لا إله إلا الله[٤] » فأكثروا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها فانها كلمة التوحيد وهي كلمة الإخلاص وهي كلمة التقوى وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى وهي ثمن الجنة » وقال عز وجل ـ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ـ فقيل الإحسان في الدنيا قول لا إله إلا الله وفي الآخرة الجنة وكذا قوله تعالى ـ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ـ وروى البراء بن عازب أنه صلى الله عليه وسلم قال « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كانت له عدل رقبة أو قال نسمة[٥] » وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال في يوم مائتي مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لم يسبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد كان بعده إلا من عمل بأفضل من عمله[٦] »

(١) حديث لو جاء حامل لا إله إلا الله صادقا بقراب الأرض ذنوبا لغفر الله له غريب بهذا اللفظ . وللترمذي في حديث لأنس يقول الله يابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة . ولأبي الشيخ في الثواب من حديث أنس يارب ماجزاء من هلل مخلصا من قلبه قال جزاؤه أن يكون كيوم ولدته أمه من الذنوب وفيه انقطاع (٢) حديث يا أبا هريرة لقن الموتى شهادة أن لا إله إلا الله فانها تهدم الذنوب الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق ابن المقرى من حديث أبي هريرة وفيه موسى بن وردان مختلف فيه ورواه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين من حديث الحسن مرسلا (٣) حديث من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة الطبراني من حديث زيد بن أرقم باسناد ضعيف (٤) حديث لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد على الله شرود البعير على أهله البخاري من حديث أبي هريرة كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى . زاد ك وصححها وشرد على الله شرود البعير على أهله قال البخاري قالوا يارسول الله ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى ولابن عدى وأبي يعلى والطبراني في الدعاء من حديثه أكثروا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها وفيه ابن وردان أيضا ولأبي الشيخ في الثواب من حديث الحكم بن عمير الثمالي مرسلا إذا قلت لا إله إلا الله وهي كلمة التوحيد الحديث والحكم ضعيف ولأبي بكر بن الضحاك في الشمائل من حديث ابن مسعود في إجابة المؤذن اللهم رب هذه الدعوة المجابة المستجاب لها دعوة الحق وكلمة الإخلاص ولابن عدى من حديث ابن عمر في إجابة المؤذن دعوة الحق وللطبراني في الدعاء عن عبد الله بن عمرو كلمة الإخلاص لا إله إلا الله الحديث وللطبراني من حديث سلمة بن الأكوع وألزمهم كلمة التقوى قال لا إله إلا الله وللطبراني في الدعاء عن ابن عباس كلمة طيبة قال شهادة أن لا إله إلا الله وله عنه في قوله دعوة الحق قال شهادة أن لا إله إلا الله وله عنه فقد استمسك بالعروة الوثقى قال لا إله إلا الله ولابن عدى والمستغفري من حديث أنس ثمن الجنة لا إله إلا الله ولا يصح شيء منها (٥) حديث البراء من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحديث الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وهو في مسند أحمد دون قوله عشر مرات (٦) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال في كل يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده

من الغل والغش والحقد والحسد فكأنها تكنس بنور الروح وهذا المعنى صحيح وإن لم يرد القائل بقوله ذلك . قال الله تعالى في وصف أهل الجنة ـ ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين ـ قال أبو حفص كيف يبقى الغل في قلوب ائتلفت بالله واتفقت على محبته واجتمعت على مودته وأنست بذكره إن تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبائع بل كحلت بنور التوفيق فصارت إخوانا فالخلق حجابهم عن القيام بإحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا وحالا صفات نفوسهم فاذا تبدلت نعوت النفس ارتفع الحجاب وصحت المتابعة ووقعت الموافقة في كل شيء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجبت المحبة من الله تعالى عند ذلك قال الله تعالى ـ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم

وقال صلى الله عليه وسلم « من قال في سوق من الأسواق لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة وبنى له بيتا في الجنة » ويروى « إن العبد إذا قال لا إله إلا الله أتت إلى صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إلى جنبها[1] » وفي الصحيح عن أبي أيوب عن النبي ﷺ أنه قال « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد اسمعيل صلى الله عليه وسلم[2] » وفي الصحيح أيضا عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قال اللهم اغفر لي غفر له أو دعا استجيب له فإن توضأ وصلى قبلت صلاته[3] » .

(فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الأذكار)

قال صلى الله عليه وسلم « من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وختم المائة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر[4] » وقال ﷺ « من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر[5] » وروى « أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي فقال رسول الله ﷺ فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال فقلت وماذا يا رسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلي الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله عز وجل من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة لك ثوابه[6] وقال صلى الله عليه وسلم « إذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء والأرض فاذا قال الحمد لله الثانية ملأت ما بين السماء السابعة إلى الأرض السفلى فاذا قال الحمد لله الثالثة قال الله عز وجل سل تعط[7] » قال رفاعة الزرقي « كنا يوما نصلي وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده

لا شريك له الحديث أحمد بلفظ مائة وكذا رواه ك في المستدرك وإسناده جيد وهكذا هو في بعض نسخ الإحياء (١) حديث إن العبد إذا قال لا إله إلا الله أتت إلى صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إليها أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث أبي أيوب من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد اسماعيل متفق عليه (٣) حديث عبادة بن الصامت من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله الحديث رواه خ (٤) حديث من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين الحديث م من حديث أبي هريرة (٥) حديث من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين أنت عن صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون الحديث المستغفري في الدعوات من حديث ابن عمر وقال غريب من حديث مالك ولا أعرف له أصلا في حديث مالك ولأحمد من حديث عبد الله بن عمرو أن نوحا قال لابنه آمرك بلا إله إلا الله الحديث ثم قال وسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق واسناده صحيح (٧) حديث إذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء والأرض وإذا قال الحمد لله الثانية ملأت ما بين السماء السابعة إلى الأرض وإذا قال الحمد لله الثالثة قال الله تعالى سل تعطه غريب بهذا اللفظ لم أجده

الله ـ جعل متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم آية محبة العبد ربه وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله إياه فأوفر الناس حظا من متابعة الرسول أوفرهم حظا من محبة الله تعالى والصوفية من بين طوائف الإسلام ظفروا بحسن المتابعة لأنهم اتبعوا أقواله فقاموا بما أمرهم ووقفوا عما نهاهم قال الله تعالى ـ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ـ ثم اتبعوه في أعمالهم من الجد والاجتهاد في العبادة والتهجد والنوافل من الصوم والصلاة وغير ذلك ورزقوا ببركة المتابعة في الأقوال والأفعال والتخلق بأخلاقه من الحياء والحلم والصفح والعفو والرأفة والشفقة والمداراة والنصيحة والتواضع ورزقوا قسطا من أحواله من الخشية والسكينة والهيبة والتعظيم والرضا والصبر

قال رجل وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاته قال من المتكلم آنفا قال أنا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أولا(١)» وقال رسول الله ﷺ «الباقيات الصالحات هن لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله(٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «ما على الأرض رجل يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر(٣)» رواه ابن عمر وروى النعمان بن بشير عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتكبيره وتحميده ينعطفن حول العرش لهن دوى كدوى النحل يذكرون بصاحبهن أولا يحب أحدكم أن لا يزال عند الله ما يذكر به(٤)» وروى أبو هريرة أنه ﷺ قال «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس(٥)» وفى رواية أخرى زاد لا حول ولا قوة إلا بالله وقال هى خير من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم «أحب الكلام إلى الله تعالى أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت(٦)» رواه سمرة بن جندب وروى أبو مالك الاشعرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول «الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والله أكبر يملآن ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها أو مشتر نفسه فمعتقها(٧)» وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم(٨)» وقال أبو ذر رضى الله عنه «قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أى الكلام أحب إلى الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم ما اصطفى الله سبحانه لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم(٩)» وقال

---

(١) حديث رفاعة الزرقى كنا يوما نصلى وراء النبى صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه الحديث رواه خ.
(٢) حديث الباقيات الصالحات هن لا إله إلا الله وسبحان الله والله أكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ن فى اليوم والليلة وحب ك وصححه من حديث أبى سعيد و ن ك من حديث أبى هريرة دون قوله ولا حول ولا قوة إلا بالله (٣) حديث ما على الأرض رجل يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ك من حديث عبد الله ابن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم وهو عند ت وحسنه ون فى اليوم والليلة مختصرا دون قوله سبحان الله والحمد لله (٤) حديث النعمان بن بشير الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتحميده وتهليله وتحميده ينعطف حول العرش له دوى كدوى النحل يذكر بصاحبه الحديث ه و ك وصححه على شرط م (٥) حديث أبى هريرة لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس وزاد فى رواية ولا حول ولا قوة إلا بالله وقال خير من الدنيا وما فيها م باللفظ الأول وللمستغرق فى الدعوات من رواية مالك بن دينار أن أبا أمامة قال للنبى صلى الله عليه وسلم قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير من الدنيا وما فيها قال أنت أغنم القوم وهو مرسل جيد الاسناد (٦) حديث سمرة بن جندب أحب الكلام إلى الله أربع الحديث رواه م (٧) حديث أبى مالك الأشعرى الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان الحديث رواه م وقد تقدم فى الطهارة (٨) حديث أبى هريرة كلمتان خفيفتان على اللسان الحديث متفق عليه (٩) حديث أبى ذر أى الكلام أحب إلى الله قال ما اصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم رواه م دون

والزهد والتوكل فاستوفوا جميع أقسام المتابعات وأحيوا سنته بأقصى الغايات. قيل لعبد الواحد بن زيد من الصوفية عندك؟ قال القائمون بعقولهم على فهم السنة والعاكفون عليها بقلوبهم والمعتصمون بسيدهم من شر نفوسهم هم الصوفية وهذا وصف تام وصفهم به فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم الافتقار إلى مولاه حتى يقول لا تكلنى إلى نفسى طرفة عين اكلأنى كلاءة الوليد ومن أشرف ما ظفر به الصوفى من متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الوصف وهو دوام الافتقار ودوام الالتجاء ولا يتحقق بهذا الوصف من صدق الافتقار إلا عبد كوشف باطنه بصفاء المعرفة وأشرق صدره بنور اليقين وخلص قلبه إلى بساط القرب وخلا سره بلذاذة المسامرة فبقيت نفسه

أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر (١) » فاذا قال العبد سبحان الله كتبت له عشرون حسنة وتحط عنه عشرون سيئة وإذا قال الله أكبر فمثل ذلك وذكر إلى آخر الكلمات وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة (٢) » وعن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال قال الفقراء لرسول الله ﷺ « ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم فقال أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به إن لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة وتهليلة صدقة وتكبيرة صدقة وأمر بمعروف صدقة ونهى عن منكر صدقة وبضع أحدكم اللقمة فى فى أهله فهى له صدقة وفى بضع أحدكم صدقة قالوا يارسول الله يأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال صلى الله عليه وسلم أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه فيها وزر قالوا نعم قال كذلك إن وضعها فى الحلال كان له فيها أجر (٣) » وقال أبو ذر رضى الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم « سبق أهل الأموال بالأجر يقولون كما نقول وينفقون ولا ننفق فقال رسول الله ﷺ أفلا أدلك على عمل إذا أنت عملته أدركت من قبلك وفقت من بعدك إلا من قال مثل قولك تسبح الله بعد كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتحمد ثلاثا وثلاثين وتكبر أربعا وثلاثين (٤) » وروت بسرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن واعقدن بالأنامل فانها مستنطقات (٥) » يعنى بالشهادة فى القيامة وقال ابن عمر رأيته صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح (٦) وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما شد عليه أبو هريرة وأبو سعيد الخدرى « إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر قال الله عز وجل صدق عبدى لا إله إلا أنا وأنا أكبر وإذا قال العبد لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال تعالى صدق عبدى لا إله إلا أنا وحدى لا شريك لى وإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله سبحانه صدق عبدى لا حول ولا قوة إلا بى ومن قالهن عند الموت لم تمسه النار (٧) » وروى مصعب بن سعد عن أبيه عنه ﷺ أنه قال « أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة فقيل كيف ذلك يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف سيئة (٨) »

قوله سبحان الله العظيم (١) حديث إن الله اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله الحديث ن فى اليوم والليلة و ك وقال صحيح على شرط م وصححه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد إلا أنهما قالا فى ثواب الحمد لله كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون سيئة (٢) حديث جابر من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة ت وقال حسن و ن فى اليوم والليلة وحب و ك وقال صحيح على شرط م وصححه (٣) حديث أبى ذر قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلى الحديث رواه م (٤) حديث أبى ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبق أهل الأموال بالأجر يقولون كما نقول وينفقون ولا ننفق الحديث رواه ه إلا أنه قال قال سفيان لا أدرى أيتهن أربع ولأحمد فى هذا الحديث وتحمد أربعا وثلاثين واسنادهما جيد ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث أبى الدرداء وتكبر أربعا وثلاثين كما ذكر المصنف (٥) حديث بسرة عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ولا تغفلن واعقدن بالأنامل فانها مستنطقات د ت ك باسناد جيد (٦) حديث ابن عمر رأيته ﷺ يعقد التسبيح قلت إنما هو عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه د ن ت وحسنه و ك (٧) حديث أبى هريرة وأبى سعيد إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر قال الله صدق عبدى الحديث ت وقال حسن و ن فى اليوم والليلة و ه ك وصححه (٨) حديث مصعب بن سعد عن أبيه أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة الحديث م إلا أنه قال أو يحط كما ذكره المصنف وقال حسن صحيح

بين هذه الأشياء كلها أسيرة مأمورة ومع ذلك كله يراها مأوى كل شر وهى بمثابة النار لو بقيت منها شرارة أحرقت عالما وهى وشيكة الرجوع سريعة الانقلاب والانقلاب فالله تعالى بكمال لطفه عرفها إلى الصوفى وكشفها له على شىء من معنى ما كشفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو دائم الاستغاثة إلى مولاه من شرها وكأنها علت سوطا للعبد سوقه لمعرفته بشرها مع اللحظات إلى جناب الالتجاء وصدق الافتقار والدعاء فلا يخلو الصوفى عن مطالعتها أدنى ساعة كما لا يخلو عن ربه أدنى ساعة وربط معرفة الله تعالى فيما ورد من عرف نفسه فقد عرف ربه كربط معرفة الليل بمعرفة النهار ومن الذى يقوم باحياء هذه السنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير الصوفى العالم بالله الزاهد فى الدنيا المتمسك من

وقال صلى الله عليه وسلم « ياعبدالله بن قيس أويا أباموسى أولا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال قل لاحول ولا قوة إلا بالله (١) » وفي رواية أخرى « ألا أعلمك كلمة من كنز تحت العرش لاحول ولاقوة إلا بالله » وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ « ألا أدلك على عمل من كنوز الجنة من تحت العرش قول لاحول ولاقوة إلا بالله يقول الله تعالى أسلم عبدى واستسلم (٢) » وقال ﷺ « من قال حين يصبح رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبالقرآن إماما وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا كان حقا على الله أن يرضيه يوم القيامة (٣) وفي رواية من قال ذلك رضى الله عنه . وقال مجاهد إذا خرج الرجل من بيته فقال باسم الله قال الملك هديت فاذا قال توكلت على الله قال الملك كفيت وإذا قال لاحول ولاقوة إلا بالله قال الملك وقيت فتتفرق عنه الشياطين فيقولون ماتريدون من رجل قد هدى وكفى ووقى لاسبيل لكم إليه .

فان قلت : فما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها . فاعلم أن تحقيق هذا لايليق إلا بعلم المكاشفة والقدر الذى يسمح بذكره فى علم المعاملة أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فأما الذكر باللسان والقلب لاه فهو قليل الجدوى وفى الأخبار مايدل عليه أيضا (٤) وحضور القلب فى لحظة بالذكر والذهول عن الله عز وجل مع الاشتغال بالدنيا أيضا قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أو فى أكثر الأوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية وللذكر أول وآخر فأوله يوجب الأنس والحب وآخره يوجب الأنس والحب ويصدر عنه والمطلوب ذلك الأنس والحب فان المريد فى بداية أمره قد يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى ذكر الله عز وجل فان وفق للمداومة أنس به وانغرس فى قلبه حب المذكور ولا ينبغى أن يتعجب من هذا فان من المشاهد فى العادات أن تذكر غائبا غير مشاهد بين يدى شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيحبه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ثم إذا عشق بكثرة الذكر التكلف أولا صار مضطرا إلى كثرة الذكر آخرا بحيث لايصبر عنه فان من أحب شيئا أكثر من ذكره ومن أكثر ذكر شىء وإن كان تكلفا أحبه فكذلك أول الذكر متكلف إلى أن يثمر الأنس بالمذكور والحب له ثم يمتنع الصبر عنه آخرا فيصير الموجب موجبا والثمر مثمرا وهذا معنى قول بعضهم كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر التنعم إلا من الأنس والحب ولا يصدر الأنس إلا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعا فكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الإنسان تناول طعام يستبشعه أولا ويكابد أكله ويواظب عليه فيصير موافقا لطبعه حتى لايصبر عنه فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف * هى النفس ما عودتها تتعود * أى ما كلفتها أولا يصير لها طبعا آخرا ثم إذا حصل الأنس بذكر الله سبحانه انقطع من غير ذكر الله وماسوى الله

(١) حديث ياعبد الله بن قيس أويا أباموسى ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لاحول ولا قوة إلا بالله متفق عليه (٢) حديث أبى هريرة عمل من كنز الجنة ومن تحت العرش قول لاحول ولاقوة إلا بالله يقول الله أسلم عبدى واستسلم ن فى اليوم والليلة وك من قال سبحان والحمد الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولاحول ولاقوة إلا بالله قال أسلم عبدى واستسلم وقال صحيح الاسناد (٣) حديث من قال حين يصبح رضيت بالله ربا الحديث د ن فى اليوم والليلة و ك وقال صحيح الاسناد من حديث خادم النبى صلى الله عليه وسلم ورواه ت من حديث ثوبان وحسنه وفيه نظر ففيه سعد ابن المرزبان ضعيف جدا (٤) حديث الدال على أن الذكر والقلب لاه قليل الجدوى ت وقال حسن والحاكم وقال حديث مستقيم الاسناد من حديث أبى هريرة واعلموا أن الله لايقبل الدعاء من قلب لاه .

التقوى بأوثق العرى ومن الذى يهتدى إلى فائدة هذه الحال غير الصوفى فدواء افتقار إلى ربه تمسك بجناب الحق ولياذ به وفى هذا اللياذ استغراق الروح واستتباع القلب إلى محل الدعاء وفى انجذاب القلب إلى محل الدعاء بلسان الحال والكون فيه نبو النفس عن مستقرها من الأقسام العاجلة ونزولها إليها فى مدارج العلم محفوفة بحراسة الله تعالى ورعايته والنفس المدبرة بهذا التدبير من حسن تدبير الله تعالى مأمونة الغائلة من الغل والغش والحقد والحسد وسائر المذمومات فهذا حال الصوفى . ويجمع جمل حال الصوفية شيئان : هما وصف الصوفية وإليهما الإشارة بقوله تعالى ـ الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب ـ فقوم من الصوفية خصوا بالاجتباء الصرف وقوم منهم خصوا

عز وجل هو الذى يفارقه عند الموت فلا يبقى معه فى القبر أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى إلا ذكر الله عز وجل فان كان قد أنس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه إذ ضرورات الحاجات فى الحياة الدنيا تصد عن ذكر الله عز وجل ولا يبقى بعد الموت عائق فكأنه خلى بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذى كان ممنوعا فيه عما به أنسه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن روح القدس نفث فى روعى أحبب ما أحببت فانك مفارقه[1] » أراد به كل ما يتعلق بالدنيا فان ذلك يفنى فى حقه بالموت فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام وإنما تفنى الدنيا بالموت فى حقه إلى أن تفنى فى نفسها عند بلوغ الكتاب أجله وهذا الأنس يتلذذ به العبد بعد موته إلى أن ينزل فى جوار الله عز وجل ويترقى من الذكر إلى اللقاء وذلك بعد أن يبعثر ما فى القبور ويحصل ما فى الصدور ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت فيقول إنه أعدم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل فانه لم يعدم عدما يمنع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت وإلى ما ذكرناه الإشارة بقوله ﷺ « القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة[2] » وبقوله ﷺ « أرواح الشهداء فى حواصل طيور خضر[3] » وبقوله صلى الله عليه وسلم لقتلى بدر من المشركين « يا فلان يا فلان وقد سماهم النبى صلى الله عليه وسلم هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فانى وجدت ما وعدنى ربى حقا[4] » فسمع عمر رضى الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يسمعون وأنى يجيبون وقد جيفوا ؟ فقال ﷺ : والذى نفسى بيده ما أنتم أسمع لكلامى منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا » والحديث فى الصحيح هذا قوله عليه السلام فى المشركين فأما المؤمنون والشهداء فقد قال ﷺ « أراحهم فى حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش[5] » وهذه الحالة وما أشير بهذه الألفاظ إليه لا ينافى ذكر الله عز وجل وقال تعالى ـ ولا تحسبنّ الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ـ الآية ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة لأن المطلوب الخاتمة ونعنى بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله عز وجل منقطع العلائق عن غيره فان قدر عبد على أن يجعل همه مستغرقا بالله عز وجل فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا فى صف القتال فانه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فانه يريدها لحياته وقد هون على قلبه حياته فى حب الله عز وجل وطلب مرضاته فلا تجرد لله أعظم من ذلك ولذلك عظم

(١) حديث إن روح القدس نفث فى روعى أحبب من أحببت فانك مفارقه تقدم فى الكتاب السابع من العلم (٢) حديث القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ت من حديث أبى سعيد بتقديم وتأخير وقال غريب قلت فيه عبيد الله بن الوليد الوصافى ضعيف (٣) حديث أرواح الشهداء فى حواصل طيور خضر من حديث ابن مسعود أنه سئل عن هذه الآية ـ ولا تحسبنّ الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ـ الآية قال أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال أرواحهم فى جوف طير خضر فلم يسم فيه النبى صلى الله عليه وسلم وفى رواية ت أما إنا سألنا عن ذلك فأخبرنا وذكر صاحب مسند الفردوس أن ابن منيع صرح برفعه فى مسنده (٤) حديث ندائه لقتلى بدر من المشركين يا فلان يا فلان وقد سماهم إنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا م من حديث أنس (٥) حديث أرواح المؤمنين فى حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش ه من حديث كعب بن مالك إن أرواح المؤمنين فى طير خضر تعلق بشجر الجنة وروى ن بلفظ إنما نسمة المؤمن طائر ورواه ت بلفظ أرواح الشهداء وقال حسن صحيح .

بالهداية بشرط مقدمة الإنابة فالاجتباء المحض غير معلل بكسب العبد وهذا حال المحبوب المراد يبادئه الحق بمنحه ومواهبه من غير سابقة كسب منه يسبق كشوفه اجتهاده وفى هذ أخذ بطائفة من الصوفية رفعت الحجب عن قلوبهم وبادرهم سطوع نور اليقين فأثار نازل الحال فيهم شهوة الاجتهاد والأعمال فأقبلوا على الأعمال للذاذة والعيش فيها مرة أعينهم فسهل الكشف عليهم الاجتهاد كما سهل على سحرة فرعون لذاذة النازل بهم من صفو العرفان تحمل وعيد فرعون فقالوا ـ لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات ـ قال جعفر الصادق رضى الله عنه وجدوا أرياح العناية القديمة بهم فالتجأوا إلى السجود شكرا وقالوا آمنا برب العالمين . أخبرنا أبو زرعة طاهر بن

أمر الشهادة وورد فيه من الفضائل مالا يحصى فمن ذلك أنه لما استشهد عبدالله بن عمرو الأنصارى يوم أحد قال رسول الله صلى عليه وسلم لجابر « ألا أبشرك ياجابر قال بلى بشرك الله بالخير قال إن الله عزوجل أحيا أباك فأقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمنّ علىّ ياعبدى ماشئت أعطيكه فقال يارب أن تردنى إلى الدنيا حتى أقتل فيك وفى نبيك مرة أخرى فقال عزوجل سبق القضاء منى بأنهم إليها لايرجعون (١) » ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فانه لولم يقتل وبقى مدة ربما عادت شهوات الدنيا إليه وغلبت على مااستولى على قلبه من ذكر الله عزوجل ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الخاتمة فانّ القلب وإن ألزم ذكر الله عز وجل فهو متقلب لايخلو عن الالتفات إلى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريه فاذا تمثل فى آخر الحال فى قلبه أمر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيحنّ بعد الموت إليه ويتمنى الرجوع إلى الدنيا وذلك لقلة حظه فى الآخرة إذ يموت المرء على ماعاش عليه ويحشر على مامات عليه فأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة إذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال أو أن يقال شجاع أوغير ذلك (٢) » كما ورد به الخبر بل حب الله عز وجل وإعلاء كلمته فهذه الحالة هى التى عبر عنها : ـ إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ـ ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة وحالة الشهيد توافق معنى قولك لاإله إلا الله فانه لامقصود له سوى الله عزوجل وكل مقصود معبود وكل معبود إله فهذا الشهيد قائل بلسان حاله لاإله إلا الله إذ لامقصود له سواه ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فأمره فى مشيئة الله عزوجل ولايؤمن فى حقه الخطر ولذلك فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم قول لاإله إلا الله على سائر الأذكار (٣) وذكر ذلك مطلقا فى مواضع الترغيب ثم ذكر فى بعض المواضع الصدق والاخلاص فقال مرة من قال لاإله إلا الله مخلصا ومعنى الاخلاص مساعدة الحال للمقال . فنسأل الله تعالى أن يجعلنا فى الخاتمة من أهل لاإله إلا الله حالا ومقالا ظاهرا وباطنا حتى نودع الدنيا غير متلفتين إليها بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله فان من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهذه مرامز إلى معانى الذكر التى لايمكن الزيادة عليها فى علم المعاملة .

(الباب الثانى فى آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية المأثورة وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم)

(فضيلة الدعاء)

قال الله تعالى ـ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى ـ وقال تعالى ـ ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لايحب المعتدين ـ وقال تعالى ـ وقال ربكم ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ـ وقال عز وجل

(١) حديث ألا أبشرك ياجابر قال بلى بشرك الله بالخير قال إن الله أحيا أباك وأقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمنّ علىّ الحديث ت وقال حسن و ه ك وصحح إسناده من حديث جابر

(٢) حديث الرجل يقاتل لنيل مال أوأن يقال شجاع أو غير ذلك متفق عليه من حديث أبوموسى قال جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن فى سبيل الله ؟ قال من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله (٣) حديث تفضيل لاإله إلا الله على سائر الأذكار ت وقال حسن و ن فى اليوم والليلة و ه من حديث جابر

(الباب الثانى فى آداب الدعاء وفضله)

أبى الفضل إجازة قال أنا أبوبكر أحمد ابن على بن خلف إجازة قال أنا عبد الرحمن السلمى قال سمعت منصورا يقول سمعت أباموسى الزقاق يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول أهل الخالصة الذين هم المرادون اجتباهم مولاهم وأكمل لهم النعمة وهيأ لهم الكرامة فأسقط عنهم حركات الطلب فصارت حركاتهم فى العمل والخدمة على الألفة والذكر والتنعم بمناجاته والانفراد بقربه وبهذا الاسناد إلى أبى عبد الرحمن السلمى قال سمعت على ابن سعيد يقول سمعت أحمد بن الحسن الحمصى يقول سمعت فاطمة المعروفة بجويرية تلميذة أبى سعيد تقول سمعت الخراز يقول المراد محمول فى حاله معان على حركاته وسعيه فى الخدمة مكفى مصون عن الشواهد والنواظر وهذا الذى قاله الشيخ أبوسعيد هو الذى

ـ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ماتدعوا فله الأسماء الحسنى ـ وروى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ ـ ادعونى أستجب لكم (١) » ـ الآية وقال صلى الله عليه وسلم « الدعاء مخ العبادة (٢) » وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال « ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن العبد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث إما ذنب يغفر له وإما خير يعجل له وإما خير يدخر له (٤) » وقال أبو ذر رضى الله عنه يكفى من الدعاء مع البر مايكفى الطعام من الملح وقال صلى الله عليه وسلم « سلوا الله تعالى من فضله فان الله تعالى يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج (٥) » .

(آداب الدعاء وهى عشرة)

الأول : أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الأشهر ويوم الجمعة من الأسبوع ووقت السحر من ساعات الليل قال تعالى ـ وبالأسحار هم يستغفرون ـ وقال صلى الله عليه وسلم «ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول عز وجل من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له (٦)» وقيل إن يعقوب صلى الله عليه وسلم إنما قال سوف أستغفر لكم ربى ليدعو فى وقت السحر فقيل إنه قام فى وقت السحر يدعو وأولاده يؤمنون خلفه فأوحى الله عز وجل إليه إنى قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء . الثانى : أن يغتنم الأحوال الشريفة قال أبو هريرة رضى الله عنه إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف فى سبيل الله تعالى وعند نزول الغيث وعند إقامة الصلوات المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها . وقال مجاهد إن الصلاة جعلت فى خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات وقال صلى الله عليه وسلم « الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم أيضا « الصائم لا ترد دعوته (٨) » وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضا إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه وفراغه من المشوشات ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله عز وجل فهذا أحد أسباب شرف الأوقات سوى مافيها من أسرار لا يطلع البشر عليها وحالة السجود أيضا أجدر بالإجابة قال أبو هريرة رضى الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم

(١) حديث النعمان بن بشير إن الدعاء هو العبادة أصحاب السنن و ك وقال صحيح الاسناد وقال ت حسن صحيح (٢) حديث الدعاء مخ العبادة ت من حديث أنس وقال غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة (٣) حديث أبى هريرة ليس شيء أكرم عند الله من الدعاء ت وقال غريب و ه حب ك وقال صحيح الاسناد (٤) حديث إن العبد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث إما ذنب يغفر له وإما خير يعجل له وإما خير يدخر له الديلمى فى الفردوس من حديث أنس وفيه روح ابن مسافر عن أبان بن أبى عياش وكلاهما ضعيف ولأحمد و خ فى الأدب والحاكم وصحح إسناده من حديث أبى سعيد إما أن تعجل له دعوته وإما أن يدخر له فى الآخرة وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها (٥) حديث سلوا الله من فضله فان الله يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج ت من حديث ابن مسعود وقال حماد بن واقد ليس بالحافظ قلت وضعفه ابن معين وغيره (٦) حديث ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٧) حديث الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد د ن فى اليوم والليلة و ت وحسنه من حديث أنس وضعفه ابن عدى وابن القطان ورواه فى اليوم والليلة باسناد آخر جيد وحب و ك وصححه (٨) حديث الصائم لا ترد دعوته ت وقال حسن و ه من حديث أبى هريرة بزيادة فيه .

اشتبه حقيقته على طائفة من الصوفية ولم يقولوا بالإكثار من النوافل وقد رأوا جمعا من المشايخ قلت نوافلهم فظنوا أن ذلك حال مستمر على الاطلاق ولم يعلموا أن الذين تركوا النوافل واقتصروا على الفرائض كانت بدايات المريدين فلما وصلوا إلى روح الحال وأدركتهم الكشوف بعد الاجتهاد امتلأوا الحال فطرحوا نوافل الأعمال فاما المرادون فتبقى عليهم الأعمال والنوافل وفيها قرة أعينهم وهذا أتم وأكمل من الأول فهذا الذى أوضحناه أحد طريقى الصوفية فأما الطريق الآخر طريق المريدين وهم الذين شرطوا لهم الانابة فقال الله تعالى ـ ويهدى إليه من ينيب ـ فطولبوا بالاجتهاد أولا قبل الكشوف قال الله تعالى ـ والذين جاهدوا

« أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فأكثروا فيه من الدعاء[١] » وروى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إنى نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا فأما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فانه قمن أن يستجاب لكم[٢] » . الثالث : أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض إبطيه وروى جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس[٣] » وقال سلمان قال رسول الله ﷺ « إن ربكم حيى كريم يستحيى من عبيده إذا رفعوا أيديهم إليه أن يردها صفرا[٤] » وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم « كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه فى الدعاء ولا يشير بإصبعه[٥] » وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم مرّ على إنسان يدعو ويشير بإصبعيه السبابتين فقال صلى الله عليه وسلم أحد أحد[٦] أى اقتصر على الواحدة وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ارفعوا هذه الأيدى قبل أن تغل بالأغلال ثم ينبغى أن يمسح بهما وجهه فى آخر الدعاء قال عمر رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مد يديه فى الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه[٧] وقال ابن عباس كان ﷺ إذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلى وجهه[٨] فهذه هيئات اليد ولا يرفع بصره إلى السماء قال صلى الله عليه وسلم « لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أو لتخطفنّ أبصارهم[٩] » الرابع : خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روى أن أبا موسى الأشعرى قال قدمنا مع رسول الله فلما دنونا من المدينة كبر وكبر الناس ورفعوا أصواتهم فقال النبى ﷺ « يا أيها الناس إن الذى تدعون ليس بأصم ولا غائب إن الذى تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم[١٠] » وقالت عائشة رضى الله عنها فى قوله عز وجل ـ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها[١١] ـ أى بدعائك وقد أثنى الله عز وجل على نبيه زكرياء عليه السلام حيث قال ـ إذ نادى ربه نداء خفيا ـ وقال عز وجل ـ ادعوا ربكم تضرعا وخفية ـ . الخامس : أن لا يتكلف السجع فى الدعاء فان حال الداعى ينبغى أن يكون حال متضرع

(١) حديث أبى هريرة أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء رواه م (٢) حديث ابن عباس إنى نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا الحديث م أيضا (٣) حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس م دون قوله يدعو فقال مكانها واقفا و ن من حديث أسامة بن زيد كنت ردفه بعرفات فرفع يديه يدعو ورجاله ثقات (٤) حديث سلمان إن ربكم حيى كريم يستحى من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفرا د ت وحسنه و هـ ك وقال إسناده صحيح على شرطهما (٥) حديث أنس كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه فى الدعاء ولا يشير بأصبعه م دون قوله ولا يشير بأصبعه والحديث متفق عليه لكن مقيد بالاستسقاء (٦) حديث أبى هريرة مرّ على إنسان يدعو بأصبعيه السبابتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد أحد ن وقال حسن و هـ ك وقال صحيح الاسناد (٧) حديث عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مد يديه فى الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه ت وقال غريب و ك فى المستدرك وسكت عليه وهو ضعيف (٨) حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم إذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلى وجهه الطبرانى فى الكبير بسند ضعيف (٩) حديث لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم م من حديث أبى هريرة وقال عند الدعاء فى الصلاة (١٠) حديث أبى موسى الأشعرى يا أيها الناس إن الذى تدعون ليس بأصمّ ولا غائب متفق عليه مع اختلاف واللفظ الذى ذكره المصنف لأبى داود (١١) حديث عائشة فى قوله تعالى ـ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ـ أى بدعائك متفق عليه .

فينا لنهدينهم سبلنا ـ يدرجهم الله تعالى فى مدارج الكسب بأنواع الرياضات والمجاهدات وسهر الدياجر وظمأ الهواجر وتأجج فيهم نيران الطلب وتحجب دونهم لوامع الأرب يتقلبون فى رمضاء الإرادة وينخلعون عن كل مألوف وعادة وهى الإنابة التى شرطها الحقّ سبحانه وتعالى لهم وجعل الهداية مقرونة بها وهذه الهداية آنفا هى خاصة لأنها هداية غير الهداية العامة ا هى الهدى إلى أمره ونهيه بمقتضى المعرفة الأولى وهذا حال السالك المحبّ المريد فكانت الإنابة غير الهداية العامة فأثمرت هداية خاصة واهتدوا إليه بعد أن اهتدوا له بالمكابدات فخلصوا من مضيق العسر إلى فضاء اليسر وبرزوا من وهج الاجتهاد إلى روح الأحوال فسبق اجتهادهم كشوفهم والمرادون سبق

والتكلف لايناسبه قال صلى الله عليه وسلم « سيكون قوم يعتدون فى الدعاء[1] وقد قال عز وجل — ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين — » قيل معناه التكلف للأسجاع والأولى أن يجاوز الدعوات المأثورة فانه قد يعتدى فى دعائه فيسأل مالا تقتضيه مصلحته فما كل أحد يحسن الدعاء ولذلك روى عن معاذ رضى الله عنه إن العلماء يحتاج إليهم فى الجنة إذ يقال لأهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء وقد قال ﷺ « إياكم والسجع فى الدعاء حسب أحدكم أن يقول اللهم إنى أسألك الجنة وماقرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وماقرب إليها من قول وعمل[2] » وفى الخبر سيأتى قوم يعتدون فى الدعاء والطهور ومر بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال له أعلى الله تبالغ أشهد لقد رأيت حبيبا النجمى يدعو ومايزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم لاتفضحنا يوم القيامة اللهم وفقنا للخير والناس يدعون من كل ناحية وراءه وكان يعرف بركة دعائه وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق ويقال إن العلماء والأبدال لايزيدون فى الدعاء على سبع كلمات فمادونها ويشهد له آخر سورة البقرة فان الله تعالى لم يخبر فى موضع من أدعية عباده أكثر من ذلك . واعلم أن المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام فان ذلك لايلائم الضراعة والذلة وإلا ففى الأدعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله صلى الله عليه وسلم « أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وإنك تفعل ماتريد[3] » وأمثال ذلك فليقتصر على المأثور من الدعوات أو ليلتمس بلسان التضرع والخشوع من غير سجع وتكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله عز وجل . السادس : التضرع والخشوع والرغبة والرهبة قال الله تعالى — إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا — وقال عز وجل — ادعوا ربكم تضرعا وخفية — وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه[4] » . السابع : أن يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه قال صلى الله عليه وسلم « لايقل أحدكم إذا دعا اللهم اغفر لى إن شئت اللهم ارحمنى إن شئت ليعزم المسئلة فانه لامكره له[5] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فان الله لايتعاظمه شىء[6] » وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وفى رواية والطهور د ه حب ك من حديث عبد الله بن مغفل

(٢) حديث إياكم والسجع فى الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم إنى أسألك الجنة وماقرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك النار وماقرب إليها من قول وعمل غريب بهذا السياق وللبخارى عن ابن عباس وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فانى عهدت أصحاب رسول الله ﷺ لايفعلون إلا ذلك و ه ك واللفظ له وقال صحيح الاسناد من حديث عائشة عليك بالكوامل وفيه وأسألك الجنة إلى آخره

(٣) حديث أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركوع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وإنك تفعل ماتريد ت من حديث ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته فذكر حديثا طويلا من جملته هذا وقال حديث غريب انتهى وفيه محمد ابن عبد الرحمن بن أبى ليلى سىء الحفظ (٤) حديث إذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس إذا أحب الله عبدا صب عليه البلاء صبا الحديث وفيه دعه فانى أحب أن أسمع صوته وللطبرانى من حديث أبى أمامة إن الله يقول للملائكة انطلقوا إلى عبدى فصبوا عليه البلاء الحديث وفيه فانى أحب أن أسمع صوته وسندهما ضعيف (٥) حديث لايقل أحدكم اللهم اغفر لى إن شئت اللهم ارحمنى إن شئت ليعزم المسئلة فانه لامكره له متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٦) حديث إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فان الله لايتعاظمه شىء حب من حديث أبى هريرة .

كشوفهم اجتهادهم أخبرنا الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن عبد الباقى قال أنا أبو الفضل أحمد بن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم الأصفهانى قال ثنا محمد بن الحسين بن موسى قال سمعت محمد ابن عبد الله الرازى يقول سمعت أبا محمد الجريرى يقول سمعت الجنيد رحمة الله عليه يقول ماأخذنا التصوف عن القيل والقال ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات فقال محمد بن خفيف الإرادة سمو القلب لطلب المراد وحقيقة الإرادة استدامة الجد وترك الراحة وقال أبو عثمان المريد الذى مات قلبه عن كل شىء دون الله تعالى فيريد الله وحده ويريد قربه ويشتاق إليه حتى تذهب شهوات الدنيا عن قلبه لشدة

«ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله عز وجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل (١)» وقال سفيان بن عيينة لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق إبليس لعنه الله إذ قال ـ رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين ـ . الثامن : أن يلح في الدعاء ويكرره ثلاثا قال ابن مسعود كان عليه السلام إذا دعا دعا ثلاثا وإذا سأل سأل ثلاثا (٢) وينبغي أن لا يستبطئ الاجابة لقوله صلى الله عليه وسلم « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لي فاذا دعوت فاسأل الله كثيرا فانك تدعو كريما (٣)» وقال بعضهم إني أسأل الله عز وجل منذ عشرين سنة حاجة وما أجابني وأنا أرجو الاجابة سألت الله تعالى أن يوفقني لترك ما لا يعنيني وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سأل أحدكم ربه مسئلة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عنه شيء من ذلك فليقل الحمد لله على كل حال (٤)» . التاسع : أن يفتتح الدعاء بذكر الله عز وجل فلا يبدأ بالسؤال قال سلمة بن الأكوع ما سمعت رسول الله ﷺ يستفتح الدعاء إلا استفتحه بقول سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب (٥) وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأله حاجته ثم يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما وروى في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «إذا سألتم الله عز وجل حاجة فابتدءوا بالصلاة عليّ فان الله تعالى أكرم من أن يسئل حاجتين فيقضي إحداهما ويرد الأخرى (٦)» رواه أبو طالب المكي . العاشر : وهو الأدب الباطن وهو الأصل في الاجابة التوبة ورد المظالم والاقبال على الله عز وجل بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب في الاجابة فيروى عن كعب الأحبار أنه قال أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج موسى ببني إسرائيل يستسقي بهم فلم يسقوا حتى خرج ثلاث مرات ولم يسقوا فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام إني لا أستجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمام فقال موسى يا رب ومن هو حتى نخرجه من بيننا فأوحى الله عز وجل إليه يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما فقال موسى لبني إسرائيل توبوا إلى ربكم بأجمعكم عن النميمة فتابوا فأرسل تعالى عليهم الغيث . وقال سعيد بن جبير قحط الناس في زمن ملك من ملوك بني إسرائيل فاستسقوا فقال الملك لبني إسرائيل ليرسلن الله تعالى علينا السماء أو لنؤذينه قيل له وكيف تقدر أن تؤذيه وهو في السماء فقال أقتل أولياءه وأهل طاعته فيكون ذلك أذى له فأرسل الله تعالى عليهم السماء وقال سفيان الثوري بلغني أن بني إسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة من

(١) حديث ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل ت من حديث أبي هريرة وقال غريب و ك وقال مستقيم الاسناد تفرد به صالح المري وهو أحد زهاد البصرة قلت لكنه ضعيف في الحديث (٢) حديث ابن مسعود كان صلى الله عليه وسلم إذا دعا دعا ثلاثا وإذا سأل سأل ثلاثا رواه مسلم وأصله متفق عليه (٣) حديث يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث إذا سأل أحدكم مسألة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عنه من ذلك شيء فليقل الحمد لله على كل حال البيهقي في الدعوات من حديث أبي هريرة وللحاكم نحوه من حديث عائشة مختصرا باسناد ضعيف (٥) حديث سلمة بن الأكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء إلا استفتحه وقال سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب أحمد وك وقال صحيح الاسناد قلت فيه عمر بن راشد اليمامي ضعفه الجمهور (٦) حديث إذا سألتم الله حاجة فابدءوا بالصلاة على فان الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيعطي إحداهما ويرد الأخرى لم أجده مرفوعا وإنما هو موقوف على أبي الدرداء .

شوقه إلى ربه وقال أيضا عقوبة قلب المريدين أن يحجبوا عن حقيقة المعاملات والمقامات إلى أضدادها فهذان الطريقان يجمعان أحوال الصوفية ودونهما طريقان آخران ليسا من طرق التحقق بالتصوف . أحدهما مجذوب أبقي على جذبة مارد إلى الاجتهاد بعد الكشف والثاني مجتهد متعبد ما خلص إلى الكشف بعد الاجتهاد وللصوفية في طريقهما باب مزيدهم وصحة طريقهم بحسن المتابعة ومن ظن أن يبلغ غرضا أو يظفر بمراد لا من طريق المتابعة فهو مخذول مغرور. أخبرنا شيخنا أبو النجيب السهروردي قال أنا عصام الدين عمر بن أحمد الصفار قال أنا أبو بكر أحمد بن علي ابن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت

المزابل وأكلوا الأطفال وكانوا كذلك يخرجون إلى الجبال يبكون ويتضرعون فأوحى الله عز وجل إلى أنبيائهم عليهم السلام لومشيتم إلى بأقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ أيديكم عنان السماء وتكل ألسنتكم عن الدعاء فانى لاأجيب لكم داعيا ولاأرحم لكم باكيا حتى تردوا المظالم إلى أهلها ففعلوا فمطروا من يومهم . وقال مالك بن دينار أصاب الناس فى بنى إسرائيل قحط فخرجوا مرارا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن أخبرهم أنكم تخرجون إلى بأبدان نجسة وترفعون إلى أكفا قد سفكتم بها الدماء وملأتم بطونكم من الحرام الآن قداشتد غضبى عليكم ولن تزدادوا منى إلا بعدا . وقال أبو الصديق الناجى خرج سليمان عليه السلام يستسقى فمر بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهى تقول اللهم إنا خلق من خلقك ولاغنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا فقال سليمان عليه السلام ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم . وقال الأوزاعى خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال يامعشر من حضر ألستم مقرين بالإساءة فقالوا اللهم نعم فقال اللهم إنا قد سمعناك تقول ـ ماعلى المحسنين من سبيل ـ وقد أقررنا بالاساءة فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا اللهم فاغفرلنا وارحمنا واسقنا فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا وقيل لمالك بن دينار ادع لنا ربك فقال إنكم تستبطئون المطر وأنا أستبطئ الحجارة وروى أن عيسى صلوات الله عليه وسلامه خرج يستسقى فلما ضجروا قال لهم عيسى عليه السلام من أصاب منكم ذنبا فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق معه فى المفازة إلا واحد فقال له عيسى عليه السلام أمالك من ذنب فقال والله ما علمت من شئ غير أنى كنت ذات يوم أصلى فمرت بى امرأة فنظرت إليها بعينى هذه فلما جاوزتنى أدخلت أصبعى فى عينى فانتزعتها وأتبعت المرأة بها فقال له عيسى عليه السلام فادع الله حتى أؤمن على دعائك قال فدعا فتجللت السماء سحابا ثم صبت فسقوا . وقال يحيى الغسانى أصاب الناس قحط على عهد داود عليه السلام فاختاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم فقال أحدهم اللهم إنك أنزلت فى توراتك أن نعفو عمن ظلمنا اللهم إنا قد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا . وقال الثانى اللهم إنك أنزلت فى توراتك أن نعتق أرقاءنا اللهم إنا أرقاؤك فأعتقنا وقال الثالث اللهم إنك أنزلت فى توراتك أن لانرد المساكين إذا وقفوا بأبوابنا اللهم إنا مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا فسقوا وقال عطاء السلمى منعنا الغيث فخرجنا نستسقى فاذا نحن بسعدون المجنون فى المقابر فنظر إلى فقال ياعطاء أهذا يوم النشور أو بعثر مافى القبور فقلت لا ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقى فقال ياعطاء بقلوب أرضية أم بقلوب سماوية فقلت بل بقلوب سماوية فقال هيهات ياعطاء قل للمتبهرجين لاتتبهرجوا فان الناقد بصير ثم رمق السماء بطرفه وقال إلهى وسيدى ومولاى لاتهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالسر المكنون من أسمائك وماوارت الحجب من آلائك إلاماسقيتنا ماء غدقا فراتا تحيى به العباد وتروى به البلاد يامن هو على كل شئ قدير قال عطاء فما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت وجاءت بمطر كأفواه القرب فولى وهو يقول :

أفلح الزاهدون والعابدونا إذ لمولاهم أجاعوا البطونا
أسهروا الأعين العليلة حبا فانقضى ليلهم وهم ساهرونا
شغلتهم عبادة الله حتى حسب الناس أن فيهم جنونا

وقال ابن المبارك قدمت المدينة فى عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون فخرجت معهم إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش قد اتزر باحداها وألقى الأخرى على عاتقه فجلس إلى جانبى فسمعته يقول إلهى أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوى الأعمال وقد حبست عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك فأسألك ياحليما ذا أناة يامن لايعرف عباده منه إلا الجميل أن تسقيهم الساعة الساعة فلم يزل يقول الساعة

نصر بن أبى نصر يقول سمعت قسيما غلام الزقاق يقول سمعت أباسعيد السكرى يقول سمعت أباسعيد الخراز يقول كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل وكان يقول الجنيد رحمه الله علمنا هذا مشتبك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة . حكى أن أبا يزيد البسطامى رحمه الله قال ذات يوم لبعض أصحابه قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذى قد شهر نفسه بالولاية وكان الرجل فى ناحيته مقصودا ومشهورا بالزهد والعبادة فمضينا إليه فلما خرج من بيته يقصد المسجد رمى بزاقة نحو القبلة فقال أبو يزيد انصرفوا فانصرف

الساعة حتى اكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كل جانب قال ابن المبارك فجئت إلى الفضيل فقال مالى أراك كئيبا فقلت أمر سبقنا إليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل وخر مغشيا عليه ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استسقى بالعباس رضى الله عنه فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس اللهم إنه لم ينزل بلاء من السماء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه بى القوم إليك لمكانى من نبيك صلى الله عليه وسلم وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة وأنت الراعى لا تهمل الضالة ولا تضع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الأصوات بالشكوى وأنت تعلم السر وأخفى اللهم فأغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون قال فما تم كلامه حتى ارتفعت السماء مثل الجبال .

(فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضله صلى الله عليه وسلم)

قال الله تعالى ـ إن الله وملائكته يصلون على النبىّ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ـ وروى أنه صلى الله عليه وسلم « جاء ذات يوم والبشرى ترى فى وجهه فقال ﷺ إنه جاءنى جبريل عليه السلام فقال أما ترضى يا محمد أن لا يصلى عليك أحد من أمتك صلاة واحدة إلا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرا[1] » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى علىّ صلت عليه الملائكة ما صلى علىّ فليقلل عند ذلك أو ليكثر[2] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أولى الناس بى أكثرهم على صلاة[3] » وقال صلى الله عليه وسلم « بحسب المؤمن من البخل أن أذكر عنده فلا يصلى علىّ[4] » وقال ﷺ « أكثروا من الصلاة علىّ يوم الجمعة[5] » وقال ﷺ « من صلى علىّ من أمتى كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيآت[6] » وقال ﷺ « من قال حين يسمع الأذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتى[7] » وقال رسول الله ﷺ « من صلى علىّ

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى فى وجهه فقال إنه جاءنى جبريل عليه الصلاة والسلام فقال أما ترضى يا محمد أن لا يصلى عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرا ن وحب من حديث أبى طلحة باسناد جيد (٢) حديث من صلى علىّ صلت عليه الملائكة ما صلى فليقلل عبد من ذلك أو ليكثر ه من حديث عامر بن ربيعة باسناد ضعيف والطبرانى فى الأوسط باسناد حسن (٣) حديث إن أولى الناس بى أكثرهم على صلاة ت من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب وحب (٤) حديث بحسب امرئ من البخل أن أذكر عنده فلا يصلى على قاسم بن أصبغ من حديث الحسن بن على هكذا و ن وحب من حديث أخيه الحسن : البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علىّ ورواه ت من رواية الحسين بن علىّ عن أبيه وقال حسن صحيح (٥) حديث أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة د ن ه حب ك وقال صحيح على شرط خ من حديث أوس بن أوس وذكره ابن أبى حاتم فى العلل وحكى عن أبيه أنه حديث منكر (٦) حديث من صلى علىّ من أمتى كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ن فى اليوم والليلة من حديث عمرو بن دينار وزاد فيه مخلصا من قلبه صلى الله عليه بها عشر صلوات ورفعه بها عشر درجات ، وله فى السير ولابن حبان من حديث أنس نحوه دون قوله مخلصا من قلبه ودون ذكر محو السيئات ولم يذكر ابن حبان أيضا رفع الدرجات (٧) حديث من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتى البخارى من حديث جابر دون ذكر الاقامة والشفاعة والصلاة على النبى ﷺ وقال النداء

ولم يسلم عليه وقال هذا رجل ليس بمأمون على أدب من آداب رسوله الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه من مقامات الأولياء والصديقين وسئل خادم الشبلى رحمه الله ماذا رأيت منه عند موته فقال لما أمسك لسانه وعرق جبينه أشار إلىّ أن وضئنى للصلاة فوضأته فنسيت تخليل لحيته فقبض على يدى وأدخل أصابعى فى لحيته يخللها . وقال سهل بن عبد الله كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فباطل هذا حال الصوفية وطريقهم وكلّ من يدعى حالا على غير هذا الوجه فمدع مفتون كذاب .

[الباب الخامس فى ماهية التصوف]

أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر بن أبى الفضل فى كتابه قال أنا أبو بكر أحمد بن على بن خلف

في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له مادام اسمي في ذلك الكتاب(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن في الأرض ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام(٢) » وقال ﷺ « ليس أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام(٣) » و « قيل له يارسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد عبدك وعلى آله وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد(٤) » وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي ويقول بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحنّ الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك كانت أولى بالحنين إليك لما فارقتهم ، بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعل طاعتك طاعته فقال عز وجل ـ من يطع الرسول فقد أطاع الله ـ بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالذنب فقال تعالى ـ عفا الله عنك لم أذنت لهم ـ بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال عز وجل ـ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم ـ الآية ، بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ، بأبي أنت وأمي يارسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تتفجر منه الأنهار فماذا بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يارسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فماذا بأعجب من البراق حين سريت عليه إلى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يارسول الله لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله إحياء الموتى فماذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مشوية فقالت لك الذراع لاتأكلني فاني مسمومة بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا بمثلها لهلكنا كلنا فلقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لايعلمون بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك مالم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا قليل بأبي أنت وأمي يارسول الله لو لم تجالس إلا كفؤا لك ما جالستنا ولو لم تنكح

الشيرازي إجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال أنا إبراهيم ابن أحمد بن محمد ابن رجاء قال ثنا عبد الله بن أحمد البغدادي قال ثنا عثمان ابن سعد قال ثنا عمر ابن أسد عن مالك ابن أنس عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله تعالى يوم القيامة » فالفقر كائن في ماهية التصوف وهو أساسه وبه قوامه . قال رويم التصوف مبني على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل والإيثار وترك التعرض والاختيار وقال الجنيد وقد سئل عن التصوف فقال أن تكون مع الله بلا علاقة . وقال :

وللمستغفري في الدعوات حين يسمع الدعاء للصلاة وزاد ابن وهب ذكر الصلاة والشفاعة فيه بسند ضعيف وزاد الحسن بن علي المعمري في اليوم والليلة من حديث أبي الدرداء ذكر الصلاة فيه وله وللمستغفري في الدعوات بسند ضعيف من حديث أبي رافع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع الأذان فذكر حديثا فيه وإذا قال قد قامت الصلاة قال اللهم رب هذه الدعوة التامة الحديث وزاد وتقبل شفاعته في أمته ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا عليّ ثم سلوا الله لي الوسيلة وفيه فمن سأل الوسيلة حلت عليه الشفاعة (١) حديث من صلى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمي في ذلك الكتاب الطبراني في الأوسط وأبو الشيخ في الثواب والمستغفري في الدعوات من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث إن في الأرض ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام تقدم في آخر الحج (٣) حديث ليس أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام د من حديث أبي هريرة بسند جيد (٤) حديث قيل له يارسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته الحديث متفق

إلا كفؤا لك ما نكحت إلينا ولو لم تؤاكل إلا كفؤا لك ما واكلتنا فلا دعوا الله بالسنا ونكحت إلينا وواكلتنا ولبست الصوف، وركبت الحمار وأردفت خلفك ووضعت طعامك على الأرض ولعقت أصابعك تواضعا منك صلى الله عليك وسلم (١) . وقال بعضهم كنت أكتب الحديث وأصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فيه ولا أسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي أما تتم الصلاة علىّ في كتابك فما كتبت بعد ذلك إلا صليت وسلمت عليه وروى عن أبي الحسن قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يارسول الله بم جوزى الشافعي عنك حيث يقول في كتابه الرسالة وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون فقال ﷺ جوزى عني أنه لا يوقف للحساب .

(فضيلة الاستغفار)

قال الله عز وجل ـ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ـ وقال علقمة والأسود قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنهم في كتاب الله عز وجل آيتان ما أذنب عبد ذنبا فقرأهما واستغفر الله عز وجل إلا غفر الله تعالى له ـ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ـ الآية وقوله عز وجل ـ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ـ وقال عز وجل ـ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ـ وقال تعالى ـ والمستغفرين بالأسحار ـ وكان صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول « سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم «من أكثر من الاستغفار جعل الله عز وجل له من كل همّ فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إني لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم

معروف الكرخي التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق فمن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف . وسئل الشبلي : عن حقيقة الفقر فقال أن لا يستغني بشيء دون الحق . وقال أبو الحسين النووي نعت الفقير السكون عند العدم والبذل والايثار عند الوجود . وقال بعضهم إن الفقير الصادق ليحترز من الغنى حذر أن يدخل عليه الغنى فيفسد فقره كما أن الغني يحترز من الفقير حذر أن يدخل عليه الفقر فيفسد عليه غناه . وبالاسناد الذي سبق إلى أبي عبد الرحمن قال سمعت أبا عبد الرحمن الرازي يقول سمعت مظفرا القرميسيني يقول الفقير الذي لا يكون له إلى الله حاجة قال

عليه من حديث أبي حميد الساعدي (١) حديث عمر في حنين الجذع ونبع الماء من بين أصابعه والاسراء به على البراق إلى السماء السابعة ثم صلاة الصبح من ليلته بالأبطح وكلام الشاة المسمومة وأنه دمى وجهه وكسرت رباعيته فقال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وأنه لبس الصوف وركب الحمار وأردف خلفه ووضع طعامه بالأرض ولعق أصابعه وهو غريب بطوله من حديث عمر وهو معروف من أوجه أخرى فحديث حنين الجذع متفق عليه من حديث جابر وابن عمر وحديث نبع الماء من بين أصابعه متفق عليه من حديث أنس وغيره وحديث الاسراء متفق عليه من حديث أنس دون ذكر صلاة الصبح بالأبطح وحديث كلام الشاة المسمومة رواه د من حديث جابر وفيه انقطاع وحديث أنه دمى وجهه وكسرت رباعيته متفق عليه من حديث سهل بن سعد في غزوة أحد وحديث اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون رواه البيهقي في دلائل النبوة والحديث في الصحيح من حديث ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم حكاه عن نبي من الأنبياء ضربه قومه وحديث لبس الصوف رواه الطيالسي من حديث سهل بن سعد وحديث ركوبه الحمار وإردافه خلفه متفق عليه من حديث أسامة بن زيد وحديث وضع طعامه بالأرض رواه أحمد في الزهد من حديث الحسن مرسلا وللبخاري من حديث أنس ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان قط وحديث لعقه أصابعه رواه مسلم من حديث كعب بن مالك وأنس بن مالك (٢) حديث كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم الحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح إن كان أبو عبيدة سمع من أبيه والحديث متفق عليه من حديث عائشة أنه كان يكثر أن يقول ذلك في ركوعه وسجوده دون قوله إنك أنت التواب الرحيم (٣) حديث من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل غم مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب د ن في اليوم والليلة و ه ك وقال صحيح الاسناد من حديث ابن عباس وضعفه ابن حبان .

سبعين مرة (١) » هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وقال صلى الله عليه وسلم « إنه ليغان على قلبي حتى إني لأستغفر الله تعالى في كل يوم مائة مرة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال حين يأوى إلى فراشه أستغفر الله العظيم الذى لاإله إلاهو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر أو عدد رمل عالج أو عدد ورق الشجر أو عدد أيام الدنيا (٣) » وقال ﷺ في حديث آخر « من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فارًّا من الزحف (٤) » وقال حذيفة كنت ذرب اللسان على أهلى فقلت « يارسول الله لقد خشيت أن يدخلنى لسانى النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم فأين أنت من الاستغفار فانى لأستغفر الله في اليوم مائة مرة (٥) » وقالت عائشة رضى الله عنها قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه فان التوبة من الذنب الندم والاستغفار (٦) » وكان صلى الله عليه وسلم يقول في الاستغفار « اللهم اغفرلى خطيئتى وجهلى وإسرافى في أمرى وماأنت أعلم به منى اللهم اغفرلى هزلى وجدى وخطئى وعمدى وكل ذلك عندى اللهم اغفرلى ماقدمت وماأخرت وماأسررت وماأعلنت وماأنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير (٧) » وقال علىّ رضى الله عنه كنت رجلا إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثا نفعنى الله عز وجل بما شاء أن ينفعنى منه وإذا حدثنى أحد من أصحابه استحلفته فاذا حلف صدّقته قال وحدثنى أبوبكر وصدق أبوبكر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن عبد يذنب ذنب فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله عز وجل إلاغفر له ثم تلا قوله عز وجل ـ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ـ (٨) » الآية . وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب

(١) حديث إنى لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة خ من حديث أبى هريرة إلا أنه قال أكثر من سبعين وهو في الدعاء للطبرانى كما ذكره المصنف (٢) حديث إنه ليغان على قلبي حتى إنى لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة م من حديث الأغر (٣) حديث من قال حين يأوى إلى فراشه أستغفر الله الذى لاإله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر الحديث ت من حديث أبى سعيد وقال غريب لانعرفه إلا من حديث عبد الله بن الوليد الوصافى . قلت الوصافى وإن كان ضعيفا فقد تابعه عليه عصام بن قدامة وهو ثقة رواه خ في التاريخ دون قوله حين يأوى إلى فراشه وقوله ثلاث مرات (٤) حديث من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف د ت من حديث زيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم وقال غريب قلت ورجاله موثقون ورواه ابن مسعود و ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط الشيخين (٥) حديث حذيفة كنت ذرب اللسان على أهلى الحديث وفيه أين أنت عن الاستغفار ن في اليوم والليلة و ه ك وقال صحيح على شرط الشيخين (٦) حديث عائشة إن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله فانّ التوبة من الذنب الندم والاستغفار متفق عليه دون قوله فان التوبة الخ وزاد أوتوبى إليه فان العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه وللطبرانى في الدعاء فان العبد إذا أذنب ثم استغفر الله غفرله (٧) حديث كان يقول اللهم اغفرلى خطيئتى وجهلى وإسرافى في أمرى وماأنت أعلم به منى اللهم اغفرلى جدى وهزلى متفق عليه من حديث أبى موسى واللفظ لمسلم (٨) حديث على عن أبى بكر مامن عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله إلاغفر الله له أصحاب السنن وحسنه ت .

وسمعته يقول سألت أبا بكر المصرى عن الفقير فقال الذى لايملك ولايملك (قوله لايكون له إلى الله حاجة) معناه أنه مشغول بوظائف عبوديته تام الثقة بربه عالم بحسن كلاءته به لايحوجه إلى رفع الحاجة لعلمه بعلم الله بحاله فيرى السؤال في البين زيادة ، وأقوال المشايخ تتنوع معانيها لأنهم أشاروا فيها إلى أحوال في أوقات دون أوقات وتحتاج في تفصيل بعضها من البعض إلى الضوابط فقد تذكر أشياء في معنى التصوف ذكر مثلها في معنى الفقر وتذكر أشياء في معنى الفقر ذكر مثلها في معنى التصوف وحيث وقع الاشتباه فلا بدمن بيان فاصل فقد تشتبه الاشارات في الفقر بمعانى الزهد تارة وبمعانى التصوف

ونزع واستغفر صقل قلبه منها فان زاد زادت حتى تغلف قلبه (١) فذلك الران الذى ذكره الله عز وجل فى كتابه ـ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ـ » وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إن الله سبحانه ليرفع الدرجة للعبد فى الجنة فيقول يارب أنى لى هذه فيقول عز وجل باستغفار ولدك لك (٢) » وروت عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم اجعلنى من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أذنب العبد ذنبا فقال اللهم اغفرلى فيقول الله عز وجل أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يأخذ بالذنب ويغفر الذنب، عبدى اعمل ماشئت فقد غفرت لك (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ماأصر من استغفر وإن عاد فى اليوم سبعين مرة (٥) » وقال ﷺ « إن رجلا لم يعمل خيرا قط نظر إلى السماء فقال إن لى ربا يارب فاغفرلى فقال الله عز وجل قد غفرت لك (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أذنب ذنبا فعلم أن الله قد اطلع عليه غفرله وإن لم يستغفر (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى ياعبادى كلكم مذنب إلا من عافيته فاستغفرونى أغفر لكم ومن علم أنى ذو قدرة على أن أغفرله غفرت له ولا أبالى (٨) » وقال ﷺ « من قال سبحانك ظلمت نفسى وعملت سوءا فاغفرلى فانه لايغفر الذنوب إلا أنت غفرت له ذنوبه ولو كانت كمدب النمل (٩) » وروى « إن أفضل الاستغفار اللهم أنت ربى وأنا عبدك خلقتنى وأنا على عهدك ووعدك مااستطعت أعوذ بك من شر ماصنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء على نفسى بذنبى فقد ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفرلى ذنوبى ماقدمت منها وماأخرت فانه لايغفر الذنوب جميعها إلا أنت (١٠) » الآثار : قال خالد بن معدان يقول الله عز وجل إن أحب عبادى إلىّ المتحابون بحبى والمتعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالأسحار أولئك الذين إذا أردت

(١) حديث أبى هريرة إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه الحديث ت وصححه و ن فى اليوم والليلة و ه حب ك (٢) حديث أبى هريرة إن الله ليرفع العبد الدرجة فى الجنة فيقول يارب أنى لى هذه فيقول باستغفار ولدك لك رواه أحمد باسناد حسن (٣) حديث عائشة اللهم اجعلنى من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا ه وفيه على ابن زيد بن جدعان مختلف فيه (٤) حديث إذا أذنب العبد فقال اللهم اغفرلى يقول الله أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يأخذ بالذنب ويغفر الذنب الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٥) حديث ماأصرّ من استغفر وإن عاد فى اليوم سبعين مرة د ت من حديث أبى بكر وقال غريب وليس إسناده بالقوىّ (٦) حديث إن رجلا لم يعمل خيرا قط نظر إلى السماء فقال إن لى ربا يارب اغفرلى فقال الله تعالى قد غفرت لك لم أقف له على أصل (٧) حديث من أذنب فعلم أن الله قد اطلع عليه غفر له وإن لم يستغفر الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٨) حديث يقول الله ياعبادى كلكم مذنب إلا من عافيته فاستغفرونى أغفر لكم ومن علم أنى ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالى ت ه من حديث أبى ذر وقال ت حسن وأصله عند م بلفظ آخر (٩) حديث من قال سبحانك ظلمت نفسى وعملت سوءا فاغفرلى إنه لايغفر الذنوب إلا أنت غفرت ذنوبه وإن كانت كمدب النمل البيهقى فى الدعوات من حديث على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أعلمك كلمات تقولهن لو كان عليك كعدد النمل أو كعدد الذر ذنوبا غفرها الله لك فذكره بزيادة لاإله إلا أنت فى أوله وفيه ابن لهيعة (١٠) حديث أفضل الاستغفار اللهم أنت ربى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك مااستطعت الحديث خ من حديث شداد بن أوس دون قوله وقد ظلمت نفسى واعترفت بذنبى ودون قوله ذنوبى ماقدمت منها وأخرت ودون قوله جميعا .

تارة ولا يتبين للمسترشد بعضها من البعض . فقول التصوف غير الفقر والزهد غير الفقر والتصوف غير الزهد فالتصوف اسم جامع لمعانى الفقر ومعانى الزهد مع مزيد أوصاف وإضافات لايكون بدونها الرجل صوفيا وإن كان زاهدا وفقيرا . قال أبو حفص التصوف كله آداب لكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يرجو القبول . وقال أيضا حسن أداب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال «لو خشع قلبه لخشعت جوارحه » . أخبرنا الشيخ رضى الدين أحمد بن إسماعيل إجازة

أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم . وقال قتادة رحمه الله القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم أما داؤكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار . وقال على كرم الله وجه العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل وما هي قال الاستغفار وكان يقول ما ألهم الله سبحانه عبدا الاستغفار وهو يريد أن يعذبه وقال الفضيل قول العبد أستغفر الله تفسيرها أقالني وقال بعض العلماء العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما إلا الحمد والاستغفار وقال الربيع بن خيثم رحمه الله لا يقولن أحدكم أستغفر الله وأتوب إليه فيكون ذنبا وكذبا إن لم يفعل ولكن ليقل اللهم اغفر لى وتب على وقال الفضيل رحمه الله الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية رحمها الله استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا بالله عزوجل وهو لا يعلم وسمع أعرابى وهو متعلق بأستار الكعبة يقول اللهم إن استغفارى مع إصرارى للؤم وإن تركى استغفارك مع علمى بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب إلى بالنعم مع غناك عنى وكم أتبغض إليك بالمعاصى مع فقرى إليك يامن إذا وعد وفى وإذا أوعد عفا أدخل عظيم جرمى فى عظيم عفوك ياأرحم الراحمين وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبا لمحيت عنك إذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصا إن شاء الله تعالى . اللهم إنى استغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ماوعدتك به من نفسى ولم أوف لك به وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على فاستعنت بها على معصيتك وأستغفرك ياعالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيته فى ضياء النهار وسواد الليل فى ملأ أو خلاء وسر وعلانية ياحليم ويقال إنه استغفار آدم عليه السلام وقيل الخضر عليه الصلاة السلام .

(الباب الثالث فى أدعية مأثورة ومعزية إلى أسبابها وأربابها مما يستحب أن يدعو بها المرء صباحا ومساء وبعقب كل صلاة)

فمنها : دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتى الفجر قال ابن عباس رضى الله عنهما بعثنى العباس إلى رسول الله ﷺ فأتيته ممسيا وهو فى بيت خالتى ميمونة فقام يصلى من الليل فلما صلى ركعتى الفجر قبل صلاة الصبح قال « اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى وتجمع بها شملى وتلم بها شعثى وترد بها الفتن عنى وتصلح بها دينى وتحفظ بها غائبى وترفع بها شاهدى وتزكى بها عملى وتبيض بها وجهى وتلهمنى بها رشدى وتعصمنى بها من كل سوء اللهم أعطنى إيمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة اللهم إنى أسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء ومرافقة الأنبياء اللهم إنى أنزل بك حاجتى وإن ضعف رأيى وقلت حيلتى وقصر عملى وافتقرت إلى رحمتك فأسألك ياكافى الأمور وياشافى الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرنى من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ماقصر عنه رأيى وضعف عنه عملى ولم تبلغه نيتى وأمنيتى من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك فانى أرغب إليك فيه وأسألكه يارب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لأعدائك وسلما لأوليائك نحب بحبك من أطاعك من خلقك ونعادى بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ذى الحبل الشديد والأمر الرشيد أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وأنت تفعل ما تريد سبحان الذى

قال أنا الشيخ أبو الظفر عبد المنعم قال أخبرنى والدى أبو القاسم القشيرى قال سمعت محمد بن أحمد بن يحيى الصوفى يقول سمعت عبد الله بن على يقول سئل أبو محمد الجريرى عن التصوف فقال الدخول فى كل خلق سنى والخروج عن كل خلق دنى فاذا عرف هذا المعنى فى التصوف من حصول الأخلاق تبديلها واعتبر بحقيقته يعلم أن التصوف فوق الزهد وفوق الفقر وقيل نهاية الفقر مع شرفه هو بداية التصوف وأهل الشام لا يفرقون بين التصوف والفقر يقولون قال الله تعالى للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله هذا وصف الصوفية والله تعالى سماهم فقراء وسأوضح معنى يفترق الحال به بين التصوف والفقر نقول الفقير فى فقره

لبس العز وقال به سبحان الذى تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذى لا ينبغى التسبيح إلا له سبحان ذى الفضل والنعم سبحان ذى العزة والكرم سبحان الذى أحصى كل شىء بعلمه اللهم اجعل لى نورا فى قلبى ونورا فى قبرى ونورا فى سمعى ونورا فى بصرى ونورا فى شعرى ونورا فى بشرى ونورا فى لحمى ونورا فى دمى ونورا فى عظامى ونورا من بين يدىّ ونورا من خلفى ونورا عن يمينى ونورا عن شمالى ونورا من فوقى ونورا من تحتى اللهم زدنى نورا وأعطنى نورا واجعل لى نورا[1] » .

(دعاء عائشة رضى الله عنها)

قال رسول الله ﷺ لعائشة رضى الله عنها « عليك بالجوامع الكوامل قولى اللهم إنى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ماعلمت منه ومالم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ماعلمت منه ومالم أعلم وأسألك الجنة وماقرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وماقرب إليها من قول وعمل وأسألك من الخير ماسألك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ وأسألك ماقضيت لى من أمر أن تجعل عاقبته رشدا برحمتك ياأرحم الراحمين[2] » .

(دعاء فاطمة رضى الله عنها)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يافاطمة ما يمنعك أن تسمعى ما أوصيك به أن تقولى : ياحى ياقيوم برحمتك أستغيث لاتكلنى إلى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله[3] » .

(دعاء أبى بكر الصديق رضى الله عنه)

علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه أن يقول « اللهم إنى أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك وروحك وبتوراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد ﷺ وعليهم أجمعين وبكل وحى أوحيته أو قضاء قضيته أو سائل أعطيته أو غنى أفقرته أو فقير أغنيته أو ضالّ هديته وأسألك باسمك الذى أنزلته على موسى صلى الله عليه وسلم وأسألك باسمك الذى بثثت به أرزاق العباد وأسألك باسمك الذى وضعته على الأرض فاستقرت وأسألك باسمك الذى وضعته على السموات فاستقلت وأسألك باسمك الذى وضعته على الجبال فرست وأسألك باسمك الذى استقلّ به عرشك وأسألك باسمك الطهر الطاهر الأحد الصمد الوتر المنزل فى كتابك من لدنك من النور المبين وأسألك باسمك الذى وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فأظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك الكريم أن ترزقنى القرآن والعلم به وتخلطه بلحمى ودمى وسمعى وبصرى وتستعمل به جسدى بحولك وقوتك فإنه لاحول ولاقوة إلا بك ياأرحم الراحمين[4] » .

---

(١) حديث ابن عباس اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى وتجمع بها شملى وتلمّ بها شعثى الحديث ت وقال غريب ولم يذكر فى أوله بعث العباس لابنه عبدالله ولا نومه فى بيت ميمونة وهو بهذه الزيادة فى الدعاء للطبرانى (٢) حديث قوله لعائشة عليك بالجوامع الكوامل قولى اللهم إنى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ماعلمت منه ومالم أعلم الحديث ه و ك وصححه من حديثها (٣) حديث يافاطمة ما يمنعك أن تسمعى ما أوصيك به أن تقولى ياحى ياقيوم برحمتك أستغيث لاتكلنى إلى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله ن فى اليوم والليلة و ك من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين (٤) حديث علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه أن يقول اللهم إنى أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك الحديث فى الدعاء لحفظ القرآن رواه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب من رواية

متمسك به متحقق بفضله يؤثره على الغنى متطلع إلى ما تحقق من العوض عند الله حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام » فكلما لاحظ العوض الباقى أمسك عن الحاصل الفانى وعانق الفقر والقلة وخشى زوال الفقر لفوات الفضيلة والعوض وهذا عين الاعتلال فى طريق الصوفية لأنه تطلع إلى الأعواض وترك لأجلها والصوفى يترك الأشياء لا للأعواض الموعودة بل للأحوال الموجودة فانه ابن وقته وأيضا ترك الفقير الحظ العاجل واغتنامه الفقر اختيار منه وإرادة والاختيار والإرادة علة فى حال الصوفى لأن الصوفى صار قائما فى الأشياء

(دعاء بريدة الأسلمي رضي الله عنه)

روى أنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا بريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيرا علمهن إياه ثم لم ينسهن إياه أبدا قال فقلت بلى يا رسول الله قال قل : اللهم إني ضعيف فقو في رضاك ضعفي وخذ إلى الخير بناصيتي واجعل الاسلام منتهى رضاي اللهم إني ضعيف فقوني وإني ذليل فأعزني وإني فقير فأغنني يا أرحم الراحمين[1] » .

(دعاء قبيصة بن المخارق)

إذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم « علمني كلمات ينفعني الله عز وجل بها فقد كبرسني وعجزت عن أشياء كثيرة كنت أعملها فقال عليه السلام أما لدنياك فاذا صليت الغداة فقل ثلاث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فانك إذا قلتهن أمنت من العمى والجذام والبرص والفالج وأما لآخرتك فقل اللهم اهدني من عندك وأفض علي من فضلك وانشر علي من رحمتك وأنزل علي من بركاتك ثم قال صلى الله عليه وسلم أما إنه إذا وفى بهن عبد يوم القيامة لم يدعهن فتح له أربعة أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء[2] » .

(دعاء أبي الدرداء رضي الله عنه)

« قيل لأبي الدرداء رضي الله عنه قد احترقت دارك وكانت النار قد وقعت في محلته فقال ما كان الله ليفعل ذلك فقيل له ذلك ثلاثا وهو يقول ما كان الله ليفعل من ذلك ثم أتاه آت فقال يا أبا الدرداء إن النار حين دنت من دارك طفئت قال قد علمت ذلك فقيل له ماندري أي قوليك أعجب قال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يقول هؤلاء الكلمات في ليل أو نهار لم يضره شيء وقد قلتهن وهي اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم[3] » .

(دعاء الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام)

كان يقول إذا أصبح اللهم إن هذا خلق جديد فافتحه علي بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها لي وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لي إنك غفور رحيم ودود كريم قال ومن دعا بهذا الدعاء إذا أصبح فقد أدى شكر يومه .

(دعاء عيسى صلى الله عليه وسلم)

كان يقول اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الأمر بيد غيري وأصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير أفقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسؤ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا أكبر همي ولا تسلط علي من لا يرحمني يا حي يا قيوم .

عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه أن أبا بكر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني أتعلم القرآن ويتفلت مني فذكره وعبد الملك وأبوه ضعيفان وهو منقطع بين هارون وأبي بكر .

(١) حديث يا بريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيرا علمهن إياه الحديث ك من حديث بريدة وقال صحيح الاسناد (٢) حديث إن قبيصة بن المخارق قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم علمني كلمات ينفعني الله بها فقد كبرت سني وعجزت الحديث ابن السني في اليوم والليلة من حديث ابن عباس وهو عند أحمد في المسند مختصرا من حديث قبيصة نفسه وفيه رجل لم يسم (٣) حديث قيل لأبي الدرداء أحرقت دارك فقال ما كان الله ليفعل ذلك الحديث الطبراني في الدعاء من حديث أبي الدرداء ضعيف

بإرادة الله تعالى لا بإرادة نفسه فلا يرى فضيلة في صورة فقر ولا في صورة غنى وإنما يرى الفضيلة فيما يوقفه الحق فيه ويدخله عليه ويعلم الاذن من الله تعالى في الدخول في الشيء وقد يدخل في صورة سعة مباينة للفقر باذن من الله تعالى ويرى الفضيلة حينئذ في السعة لمكان الاذن من الله فيه ولا يفسح السعة والدخول فيها صادقين إلا بعد إحكامهم علم الاذن وفي هذا مزلة للأقدام وباب دعوى للمدعين ومامن حال يتحقق به صاحب الحال إلا وقد يحكيه راكب المحال ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة فاذا اتضح ذلك ظهر الفرق بين الفقر والتصوف وعلم أن الفقر أساس التصوف وبه قوامه على معنى أن الوصول

(دعاء الخدر عليه السلام)

يقال إن الخدر والياس عليهما السلام إذا التقيا فى كل موسم لم يفترقا إلا عن هذه الكلمات : باسم الله ماشاء الله لاقوة إلا بالله ماشاء الله كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لايصرف السوء إلا الله فمن قالها ثلاث مرات إذا أصبح أمن من الحرق والغرق والسرق إن شاء الله تعالى .

(دعاء معروف الكرخى رضى الله عنه)

قال محمد بن حسان قال لى معروف الكرخى رحمه الله ألا أعلمك عشر كلمات خمس للدنيا وخمس للآخرة من دعاء الله عزوجل بهن وجد الله تعالى عندهن قلت اكتبها لى قال لا ولكن أرددها عليك كما رددها علىّ بكر بن خنيس رحمه الله : حسبى الله لدينى حسبى الله لدنياى حسبى الله الكريم لما أهمنى حسبى الله الحليم القوى لمن بغى علىّ حسبى الله الشديد لمن كادنى بسوء حسبى الله الرحيم عند الموت حسبى الله الرءوف عند المسئلة فى القبر حسبى الله الكريم عند الحساب حسبى الله اللطيف عند الميزان حسبى الله القدير عند الصراط حسبى الله لاإله إلاهو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وقد روى عن أبى الدرداء أنه قال : من قال فى كل يوم سبع مرات ـ فان تولوا فقل حسبى الله لاإله إلاهو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ـ كفاه الله عز وجل ماأهمه من أمر آخرته صادقا كان أو كاذبا .

(دعاء عتبة الغلام)

وقد رؤى فى المنام بعد موته فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات : اللهم ياهادى الضلين ويا راحم المذنبين ويامقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الأخيار المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين .

(دعاء آدم عليه الصلاة والسلام)

قالت عائشة رضى الله عنها لما أراد الله عزوجل أن يتوب على آدم صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ليس بمبنى ربوة حمراء ثم قام فصلى ركعتين ثم قال اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم حاجتى فأعطنى سؤلى وتعلم مافى نفسى فاغفرلى ذنوبى اللهم إنى أسألك إيمانا يباشر قلبى ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلا ما كتبته على والرضا بما قسمته لى ياذا الجلال والإكرام فأوحى الله عز وجل إليه إنى قد غفرت لك ولم يأتنى أحد من ذريتك فيدعونى بمثل الذى دعوتنى به إلا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهى راغمة وإن كان لا يريدها .

(دعاء على بن أبى طالب رضى الله عنه)

رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن الله تعالى يمجد نفسه كل يوم ويقول إنى أنا الله رب العالمين إنى أنا الله لاإله إلا أنا الحى القيوم إنى أنا الله لاإله إلا أنا العلى العظيم إنى أنا الله لاإله إلا أنا لم أكن ولم أولد إنى أنا الله لاإله إلا أنا العفو الغفور إنى أنا الله لاإله إلا أنا مبدئ كل شئ وإلى يعود العزيز الحكيم الرحمن الرحيم مالك يوم الدين خالق الخير والشر خالق الجنة والنار الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا الفرد الوتر عالم الغيب والشهادة الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الكبير المتعال المقتدر القهار الحليم الكريم أهل الثناء والمجد أعلم بالسر وأخفى القادر الرزاق فوق الخلق والخليقة (١)» وذكر قبل كل كلمة إنى أنا الله لاإله إلا أنا كما أوردناه

(١) حديث على إن الله تعالى يمجد نفسه كل يوم فيقول إنى أنا الله رب العالمين إنى أنا الله لاإله إلا أنا الحى القيوم الحديث بطوله لم أجد له أصلا .

إلى رتب التصوف طريقه الفقر لا على معنى أنه يلزم من وجود التصوف وجود الفقر . قال الجنيد رحمة الله عليه : التصوف هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به وهذا المعنى هو الذى ذكرناه من كونه قائما فى الأشياء بالله لا بنفسه والفقير والزاهد مكونان فى الأشياء بنفسهما واقفان مع إرادتهما مجتهدان مبلغ علمهما والصوفى متهم لنفسه مستقل لعلمه غير راكن إلى معلومه قائم بمراد ربه لا بمراد نفسه . قال ذو النون المصرى رحمة الله عليه الصوفى من لا يتعبه طلب ولا يزعجه سلب وقال أيضا الصوفية آثروا الله تعالى على كل شئ فآثرهم الله على كل شئ فكان من إيثارهم أن آثروا علم الله على علم نفوسهم

فى الأول فمن دعا بهذه الأسماء فليقل إنك أنت الله لا إله إلا أنت كذا وكذا فمن دعا بهن كتب من الساجدين المخبتين الذين يجاورون محمدا وإبراهيم وموسى وعيسى والنبيين صلوات الله عليهم فى دار الجلال وله ثواب العابدين فى السموات والأرضين وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى .

(دعاء المعتمر وهو وسليمان التيمى وتسبيحاته رضى الله عنه)

روى أن يونس بن عبيد رأى رجلا فى المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم فقال ماأفضل مارأيت ثم من الأعمال ؟ قال رأيت تسبيحات ابن المعتمر من الله عز وجل بمكان وهى هذه : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم عدد ماخلق وعدد ماهو خالق وزنة ماخلق وزنة ماهو خالق وملء ماخلق وملء ماهو خالق وملء سمواته وملء أرضه ومثل ذلك وأضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه حتى يرضى وإذا رضى وعدد ماذكره به خلقه فى جميع مامضى وعدد ماهم ذاكروه فيما بقى فى كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات وشم ونفس من الأنفاس وأبد من الآباد من أبد إلى أبد أبد الدنيا وأبد الآخرة وأكثر من ذلك لاينقطع أوله ولاينفد آخره .

(دعاء إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه)

روى إبراهيم بن بشار خادمه أنه كان يقول هذا الدعاء فى كل يوم جمعة إذا أصبح وإذا أمسى : مرحبا بيوم المزيد والصبح الجديد والكاتب والشهيد يومنا هذا يوم عيد أكتب لنا فيه مانقول بسم الله الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال فى خلقه مايريد أصبحت بالله مؤمنا وبلقائه مصدقا وبحجته معترفا ومن ذنبى مستغفرا ولربوبية الله خاضعا ولسوى الله فى الآلهة جاحدا وإلى الله فقيرا وعلى الله متكلا وإلى الله منيبا أشهد الله وأشهد ملائكته وأنبياءه ورسله وحملة عرشه ومن خلقه ومن هو خالقه بأنه هو الله الذى لا إله إلا هو وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وأن الجنة حق وأن النار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق ووعدك حق ووعيدك حق ولقاءك حق والساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور على ذلك أحيا وعليه أموت وعليه أبعث إن شاء الله اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك مااستطعت أعوذ بك اللهم من شر ماصنعت ومن شر كل ذى شر اللهم إنى ظلمت نفسى فاغفر لى ذنوبى فانه لايغفر الذنوب إلا أنت واهدنى لأحسن الأخلاق فانه لايهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها فانه لايصرف سيئها إلا أنت لبيك وسعديك والخير كله بيديك وأنا لك وإليك أستغفرك وأتوب إليك آمنت اللهم بما أرسلت من رسول وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب وصلى الله على محمد النبى الأمى وعلى آله وسلم تسليما كثيرا خاتم كلامى ومفتاحه وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين يارب العالمين اللهم أوردنا حوض محمد واسقنا بكأسه مشربا رويا سائغا هنيا لانظمأ بعده أبدا واحشرنا فى زمرته غير خزايا ولا ناكثين للعهد ولامرتابين ولامفتونين ولامغضوب علينا ولاضالين اللهم اعصمنى من فتن الدنيا ووفقنى لما تحب وترضى وأصلح لى شأنى كله وثبتنى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولاتضلنى وإن كنت ظالما سبحانك ياعلى ياعظيم ياباريء ياحليم ياعزيز ياجبار سبحان من سبحت له السموات بأكنافها وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها وسبحان من سبحت له الجبال بأصدائها وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم فى السماء بأبراجها وسبحان من سبحت له الأشجار بأصولها وثمارها وسبحان من سبحت له السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحان من سبح له كل شى من مخلوقاته تباركت وتعاليت سبحانك ،

وإرادة الله على إرادة نفوسهم . قيل لبعضهم من أصحب من الطوائف قال الصوفية فان للقبيح عندهم وجها من المعاذير وليس للكبير من العمل عندهم وقع يرفعونك به فتعجبك نفسك وهذا علم لايوجد عند الفقير والزاهد لأن الزاهد يستعظم الترك ويستقبح الأخذ وهكذا الفقير وذلك لضيق وعائهم ووقوفهم على حد علمهم . وقال بعضهم الصوفى من إذا استقبله حالان حسنان أو خلقان حسنان يكون مع الأحسن والفقير والزاهد لايميزان كل التميز بين الخلقين الحسنين بل يختاران من الأخلاق أيضا ماهو أدعى إلى الترك والخروج عن شواغل الدنيا حاكمان فى ذلك بعلمهما والصوفى هو المستبين الأحسن من

سبحانك ياحي ياقوم ياعليم ياحليم سبحانك لاإله إلاأنت وحدك لاشريك لك تحيي وتميت وأنت حي لاتموت بيدك الخير وأنت على كل شيء قدير .

(الباب الرابع في أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضي الله عنهم محذوفة الأسانيد منتخبة من جملة ماجمعه أبو طالب المكي وابن خزيمة وابن منذر رحمهم الله)

يستحب للمريد إذا أصبح أن يكون أحب أوراده الدعاء كما سيأتي ذكره في كتاب الأوراد فان كنت من المريدين لحرث الآخرة المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما دعا به فقل في مفتتح دعواتك(١) أعقاب صلواتك(٢) سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب لاإله إلاالله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقل رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا (٣) ثلاث مرات وقل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لاإله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه (٤) وقل اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي وأقل عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن أغتال من تحتي(٥) اللهم لاتؤمني مكرك ولاتولني غيرك ولا تنزع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين (٦) وقل اللهم أنت ربي لاإله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ماصنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفرلي فانه لايغفر الذنوب إلا أنت (٧) ثلاث مرات وقل اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لاإله إلاأنت(٨) ثلاث مرات وقل اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك الكريم وشوقا إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولافتنة مضلة وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أعتدي أو يعتدى علي أو أكسب خطيئة أو ذنبا لاتغفره(٩)

(الباب الرابع في أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم)

(١) حديث افتتاح الدعاء بسبحان ربي العلي الأعلى الوهاب تقدم في الباب الثاني في الدعاء (٢) حديث القول عقب الصلوات لاإله إلاالله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة (٣) حديث رضيت بالله ربا الحديث تقدم في الباب الأول من الأذكار (٤) حديث اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لاإله إلاأنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه د ت وصححه وحب و ك وصححه من حديث أبي هريرة أن أبا بكر الصديق قال يارسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت قال قل اللهم فذكره (٥) حديث اللهم إني أسألك العافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعتي وأقل عثرتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي د ن ه ك من حديث ابن عمر قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح (٦) حديث اللهم لاتؤمني مكرك ولاتولني غيرك ولاترفع عني سترك ولاتنسني ذكرك ولاتجعلني من الغافلين رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس دون قوله ولاتولني غيرك وإسناده ضعيف (٧) حديث اللهم أنت ربي لاإله إلاأنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ماصنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفرلي إنه لايغفر الذنوب إلاأنت خ من حديث شداد بن أوس وقد تقدم (٨) حديث اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لاإله إلاأنت ثلاث مرات د ن في اليوم والليلة من حديث أبي بكرة وقال ن جعفر بن ميمون ليس بالقوي (٩) حديث اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء الحديث

عند الله بصدق التجائه وحسن إنابته وحظ قربه ولطيف ولوجه وخروجه إلى الله تعالى لعلمه بربه وحظه من محادثته ومكالمته قال رويم التصوف استرسال النفس مع الله تعالى على مايريد وقال عمرو بن عثمان المكي التصوف أن يكون العبد في كل وقت مشغولا بما هو أولى في الوقت وقال بعضهم التصوف أوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة من الله تعالى وقيل التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع وقيل التصوف ترك التكلف وبذل الروح وقال سهل بن عبد الله الصوفي من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر وانقطع إلى الله من البشر واستوى عنده الذهب والمدر وسئل بعضهم عن التصوف

اللهم إنى أسألك الثبات فى الأمر والعزيمة فى الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا خاشعا سليما وخلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا وأسألك من خير ماتعلم وأعوذ بك من شر ماتعلم وأستغفرك لماتعلم فانك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب (١) اللهم اغفرلى ماقدمت وماأخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى فانك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شىء قدير وعلى كل غيب شهيد (٢) اللهم إنى أسألك إيمانا لايرتد ونعيما لاينفد وقرة عين الأبد ومرافقة نبيك محمد ﷺ فى أعلى جنة الخلد (٣) اللهم إنى أسألك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين أسألك حبك وحب من أحبك وحب كل عمل يقرب إلى حبك وأن تتوب على وتغفرلى وترحمنى وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون (٤) اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينى ماكانت الحياة خيرا لى وتوفنى ما كانت الوفاة خيرا لى أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة وكلمة العدل فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى والفقر ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك وأعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين (٥) اللهم اقسم لنا من خشيتك ماتحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ماتهون به علينا مصائب الدنيا والآخرة (٦) اللهم املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا منك فرقا وأسكن فى نفوسنا من عظمتك ماتذلل به جوارحنا لخدمتك . واجعلك اللهم أحب إلينا ممن سواك واجعلنا أخشى لك ممن سواك (٧) اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكرمة ومغفرة (٨)

إلى قوله أوذنبا لايغفر أحمد و ك من حديث زيد بن ثابت فى أثناء حديث وقال صحيح الاسناد (١) حديث اللهم إنى أسألك الثبات فى الأمر والعزيمة على الرشد الحديث إلى قوله وأنت علام الغيوب ت ن ك وصححه من حديث شداد بن أوس قلت بل هو منقطع وضعيف (٢) حديث اللهم اغفرلى ماقدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت الحديث إلى قوله وعلى كل غيب شهيد متفق عليه من حديث أبى موسى دون قوله وعلى كل غيب شهيد وقد تقدم فى الباب الثانى من هذا الكتاب (٣) حديث اللهم إنى أسألك إيمانا لايرتد ونعيما لاينفد وقرة عين الأبد الحديث ن فى اليوم والليلة و ك من حديث عبد الله بن مسعود دون قوله وقرة عين الأبد وقال صحيح الإسناد و ن من حديث عمار بن ياسر باسناد جيد وأسألك نعيما لايبيد وقرة عين لاتنقطع (٤) حديث اللهم إنى أسألك الطيبات وفعل الخيرات الحديث إلى قوله غير مفتون ت من حديث معاذ اللهم إنى أسألك فعل الخيرات الحديث . وقال حسن صحيح ولم يذكر الطيبات وهى فى الدعاء للطبرانى من حديث عبد الرحمن بن عايش وقال أبو حاتم ليست له صحبة (٥) حديث اللهم إنى أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينى ما كانت الحياة خيرا لى الحديث إلى قوله واجعلنا هداة مهتدين ن ك وقال صحيح الاسناد من حديث عمار بن ياسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به (٦) حديث اللهم اقسم لنا من خشيتك ماتحول به بيننا وبين معصيتك الحديث ت وقال حسن و ن فى اليوم والليلة و ك وقال صحيح على شرط خ من حديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يختم مجلسه بذلك (٧) حديث اللهم املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا بك فرحا الحديث إلى قوله واجعلنا أخشى لك من سواك لم أقف له على أصل (٨) حديث اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكرمة عبد بن حميد فى المنتخب والطبرانى من حديث ابن أوفى بالشطر الأول فقط إلى قوله نجاحا وإسناده ضعيف .

فقال تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية وإخماد صفات البشرية ومجانبة الدواعى النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقيقة واتباع الرسول فى الشريعة .

قال ذوالنون المصرى رأيت ببعض سواحل الشام امرأة فقلت من أين أقبلت قالت من عند أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقلت وأين تريدين قالت إلى رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فقلت صفيهم لى فأنشأت :

قوم همومهم بالله قد علقت
فما لهم همم تسمو إلى أحد
فمطلب القوم مولاهم وسيدهم
ياحسن مطلبهم للواحد الصمد

الحمد لله الذى تواضع كل شىء لعظمته وذل كل شىء لعزته وخضع كل شىء لملكه واستسلم كل شىء لقدرته والحمد لله الذى سكن كل شىء لهيبته وأظهر كل شىء بحكمته وتصاغر كل شىء لكبريائه (١) اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وأزواج محمد وذريته وبارك على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد (٢) اللهم صلى على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى رسولك الأمين وأعطه المقام المحمود الذى وعدته يوم الدين (٣) اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين واستعملنا لمرضاتك عنا ووفقنا لمحابك منا وصرفنا بحسن اختيارك لنا (٤) نسألك جوامع الخير وفاتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه (٥) اللهم بقدرتك على تب علىّ إنك أنت التواب الرحيم وبحلمك عنى اعف عنى إنك أنت الغفار الحليم وبعلمك بى ارفق بى إنك أنت أرحم الراحمين وبملكك لى ملكنى نفسى ولا تسلطها علىّ إنك أنت الملك الجبار (٦) سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفر لى ذنبى إنك أنت ربى ولا يغفر الذنوب إلا أنت (٧) اللهم ألهمنى رشدى وقنى شر نفسى (٨) اللهم ارزقنى حلالا لا تعاقبنى عليه وقنعنى بما رزقتنى واستعملنى به صالحا تقبله منى (٩) أسألك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة فى الدنيا والآخرة (١٠) يامن لا تضره الذنوب ولا تنقصه

(١) حديث الحمد لله الذى تواضع كل شىء لعظمته وذل كل شىء لعزته الحديث إلى قوله وتصاغر كل شىء لكبريائه الطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف دون قوله والحمد لله الذى سكن كل شىء لهيبته إلى آخره وكذلك رواه فى الدعاء من حديث أم سلمة وسنده ضعيف أيضا (٢) حديث اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته الحديث إلى قوله حميد مجيد تقدم فى الباب الثانى (٣) حديث اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى رسول الأمين وأعطه المقام المحمود يوم الدين لم أجده بهذا اللفظ مجموعا و خ من حديث أبى سعيد اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وحب قط ك هق من حديث ابن مسعود اللهم صل على محمد النبى الأمى و ن من حديث جابر وابعثه المقام المحمود الذى وعدته وهو عند خ بلفظ وابعثه مقاما محمودا قال قط إسناده حسن وقال ك صحيح وقال هق فى المعرفة اسناده صحيح (٤) حديث اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين الحديث إلى قوله صرفنا بحسن اختيارك لنا لم أقف له على أصل (٥) حديث نسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه طب من حديث أم سلمة أنه كان يدعو بهؤلاء الكلمات فذكر منها اللهم إنى أسألك فواتح الخير وخواتمه وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلى من الجنة آمين فيه عاصم بن عبيد لا أعلم روى عنه إلا موسى بن عقبة (٦) حديث اللهم بقدرتك على تب على إنك أنت التواب الرحيم وبحلمك على اعف عنى الحديث إلى قوله إنك الملك الجبار لم أقف له على أصل (٧) حديث سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفر لى ذنبى أنت ربى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت هق فى الدعوات من حديث على دون قوله ذنبى إنك أنت ربى وقد تقدم فى الباب الثانى (٨) حديث اللهم ألهمنى رشدى وقنى شر نفسى ت من حديث عمران ابن حصين أن النبى صلى الله عليه وسلم علمه لحصين وقال حسن غريب ورواه فى اليوم والليلة و ك من حديث حصين والد عمران وقال صحيح على شرط الشيخين (٩) حديث اللهم ارزقنى حلالا لا تعاقبنى فيه وأقنعنى بما رزقتنى واستعملنى به صالحا تقبله منى ك من حديث ابن عباس كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم قنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيه وأخلف على كل غائبة لى بخير وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه (١٠) حديث اللهم إنى أسألك العفو والعافية والمعافاة وحسن اليقين فى الدنيا والآخرة ن

ما إن تنازعهم دنيا ولا شرف
من المطاعم واللذات والولد
ولا للبس ثياب فائق أنق
ولا لروح سرور حل فى بلد
إلا مسارعة فى إثر منزلة
قد قارب الخطو فيها باعد الأبد
فهم رهائن غدران وأودية
وفى الشوامخ تلقاهم مع العدد .

وقال الجنيد : الصوفى كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح وقال أيضا هو كالأرض يطؤها البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شىء وكالقطر يسقى كل شىء وأقوال المشايخ فى ماهية التصوف تزيد على ألف قول ويطول نقلها ونذكر ضابطا يجمع جمل معانيها فان الألفاظ

المغفرة هب لى مالا يضرك وأعطنى مالا ينقصك ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين أنت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا إليك ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان الى قوله عز وجل إنك لا تخلف الميعاد ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا إلى آخر السورة (١) رب اغفر لى ولوالدىّ وارحمهما كما ربيانى صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات (٢) رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم وأنت خير الراحمين وأنت خير الغافرين وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد خاتم النبيين وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا (٣) . أنواع الاستعاذة المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم إنى أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من أن أردّ إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر (٤) اللهم إنى أعوذ بك من طبع يهدى إلى طمع ومن طمع فى غير مطمع ومن طمع حيث لا مطمع (٥)

من حديث أبى بكر الصديق بلفظ سلوا الله المعافاة فانه لم يؤت أحد بعد اليقين خيرا من المعافاة وفى رواية للبيهقى سلوا الله العفو والعافية واليقين فى الأولى والآخرة فانه ما أوتى العبد بعد اليقين خيرا من العافية وفى رواية لأحمد أسأل الله العفو والعافية (١) حديث يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لى مالا يضرك وأعطنى مالا ينقصك أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على بسند ضعيف (٢) حديث رب اغفر لى ولوالدى وارحمهما كما ربيانى صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ده باسناد حسن من حديث أبى أسيد الساعدى قال رجل من بنى سلمة هل بقى على من برّ أبوى شئ قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما الحديث ولأبى الشيخ حب فى الثواب والمستغفرى فى الدعوات من حديث أنس من استغفر للمؤمنين والمؤمنات ردّ الله عليه عن كل مؤمن مضى من أول الدهر أو هو كائن إلى يوم القيامة وسنده ضعيف وفى صحيح حب من حديث أبى سعيد أيما رجل مسلم لم يكن عنده صدقة فليقل فى دعائه اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فانها زكاة (٣) حديث رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم وأنت خير الراحمين وخير الغافرين أحمد من حديث أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول رب اغفر وارحم واهدنى السبيل الأقوم وفيه على بن زيد بن جدعان مختلف فيه وللطبرانى فى الدعاء من حديث ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا سعى فى بطن المسيل اللهم اغفر وارحم وأنت الأعز الأكرم وفيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه ورواه موقوفا عليه بسند صحيح (٤) حديث اللهم إنى أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أردّ إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر خ من حديث سعد بن أبى وقاص (٥) حديث اللهم إنى أعوذ بك من طبع يهدى إلى طمع وطمع فى غير مطمع ومن طمع حيث لا مطمع أحمد ك من حديث معاذ وقال مستقيم الاسناد .

وان اختلفت متقاربة المعانى . فنقول الصوفى هو الذى يكون دائم التصفية لا يزال يصفى الأوقات عن شوب الأكدار بتصفية القلب عن شوب النفس ويعينه على كل هذه التصفية دوام افتقاره إلى مولاه فبدوام الافتقار ينقى من الكدر وكلما تحركت النفس وظهرت بصفة من صفاتها أدركها ببصيرته الناقدة وفرمنها إلى ربه فبدوام تصفيته جمعيته وبحركة نفسه تفرقته وكدره فهو قائم بربه على قلبه وقائم بقلبه على نفسه قال الله تعالى ـ كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ـ وهذه القوامية لله على النفس هو التحقق بالتصوف قال بعضهم التصوف كله اضطراب فاذا وقع السكون فلا تصوف والسر فيه أن الروح مجذوبة إلى

اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع وأعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع ومن الخيانة فانها بئست البطانة ومن الكسل والبخل والجبن والهرم ومن أن أرد إلى أرذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات اللهم إنا نسألك قلوبا أوّاهة مخبتة منيبة في سبيلك اللهم إني أسألك عزائم مغفرتك وموجبات رحمتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار(١) . اللهم إني أعوذ بك من التردي وأعوذ بك من الغم والغرق والهدم وأعوذ بك من أن أموت في سبيلك مدبرا وأعوذ بك من أن أموت في تطلب الدنيا(٢) . اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم(٣) . اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأدواء والأهواء(٤) . اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء(٥) . اللهم إني أعوذ بك من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال(٦) اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وبصري وشر لساني وقلبي وشر مني(٧) اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فان جار البادية يتحول(٨) . اللهم إني أعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة وأعوذ بك من الكفر والفقر والفسوق والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق وضيق الأرزاق والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والعمى والجنون والجذام والبرص وسيء الأسقام(٩)

---

(١) حديث اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع الحديث إلى قوله والنجاة من النار ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الاسناد وليس كما قال إلا أنه ورد مفرقا في أحاديث جيدة الأسانيد (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من التردي وأعوذ بك من الغم الحديث إلى قوله وأعوذ بك أن أموت في تطلب الدنيا د ن ك وصحح إسناده من حديث أبي اليسر واسمه كعب ابن عمر بزيادة فيه دون قوله وأعوذ بك أن أموت في تطلب دنيا وتقدم من عند البخاري الاستعاذة من فتنة الدنيا (٣) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم قلت هكذا في غير نسخة علمت وإنما هو عملت وأعمل كذا رواه م من حديث عائشة ولأبي بكر بن الضحاك في الشمائل في حديث مرسل في الاستعاذة وفيه وشر ما لم أعمل وشر ما لم أعلم (٤) حديث اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأدواء والأهواء ت وحسنه و ك وصححه واللفظ له من حديث قطبة ابن مالك (٥) حديث اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث اللهم إني أعوذ بك من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال ن ك وقال صحيح الاسناد من حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول من الكفر والدين وفي رواية للنسائي من الكفر والفقر ولمسلم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يتعوذ من عذاب القبر وعذاب جهنم وفتنة الدجال وللشيخين من حديث عائشة في حديث قال فيه ومن شر فتنة المسيح الدجال (٧) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وشر بصري وشر لساني وقلبي وشر مني د ن ت وحسنه ك وصحح إسناده من حديث سهل بن حميد (٨) حديث اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فان جار البادية يتحول ن ك من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط م (٩) حديث اللهم إني أعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيء الأسقام د ن مقتصرين على الأربعة الأخيرة و ك بتمامه من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين .

الحضرة الإلهية يعني أن روح الصوفي متطلعة منجذبة إلى مواطن القرب وللنفس بوضعها رسوب إلى عالمها وانقلاب على عقبها ولابد للصوفي من دوام الحركة بدوام الافتقار ودوام الفرار وحسن التفقد لمواقع إصابات النفس ومن وقف على هذا المعنى يجد في معنى الصوفي جميع التفرق في الاشارات [الباب السادس في ذكر تسميتهم بهذا الاسم] أخبرنا الشيخ أبو ذرعة طاهر بن محمد بن طاهر قال أخبرني والدي قال أنا أبو علي الشافعي بمكة حرسها الله تعالى قال أنا أحمد بن إبراهيم قال أنا أبو جعفر محمد ابن إبراهيم قال أنا أبو عبد الله المخزومي قال ثنا سفيان عن مسلم عن أنس بن مالك قال كان رسول

اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحول عافيتك ومن فجأة نقمتك ومن جميع سخطك(١). اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من المغرم والمأثم(٢). اللهم إني أعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة لا تستجاب وأعوذ بك من شر الغم وفتنة الصدر(٣). اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء(٤) وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين آمين.

(الباب الخامس في الأدعية المأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث)

إذا أصبحت وسمعت الأذان فيستحب لك جواب المؤذن وقد ذكرناه وذكرنا أدعية دخول الخلاء والخروج منه وأدعية الوضوء في كتاب الطهارة فاذا خرجت إلى المسجد فقل: اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا واجعل في سمعي نورا واجعل في بصري نورا واجعل خلفي نورا وأمامي نورا واجعل من فوقي نورا اللهم أعطني(٥) نورا وقل أيضا اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا إليك(٦) فاني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تنقذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فان خرجت من المنزل لحاجة فقل باسم الله رب أعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي(٧) بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم باسم الله التكلان على الله(٨) فاذا انتهيت إلى المسجد تريد دخوله فقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم اغفر لي جميع ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك(٩)

---

(١) حديث اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك ومن جميع سخطك م من حديث ابن عمر (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من المأثم والمغرم متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث اللهم إني أعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة لا تستجاب وأعوذ بك من سوء العمر وفتنة الصدر م من حديث زيد بن أرقم في أثناء حديث اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ونفس لا تشبع وعمل لا يرفع ودعوة لا يستجاب لها وصلاة لا تنفع وشك أبو المعتمر في سماعه من أنس وللنسائي باسناد جيد من حديث عمر في أثناء حديث وأعوذ بك و د من حديث أنس اللهم إني أعوذ بك من سوء العمر وأعوذ بك من فتنة الصدر (٤) حديث اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء ن ك من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم.

(الباب الخامس في الأدعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث)

(٥) حديث القول عند الخروج إلى المسجد اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٦) حديث اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا إليك الحديث من حديث أبي سعيد الخدري باسناد حسن (٧) حديث القول عند الخروج من المنزل لحاجته باسم الله رب أعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على أصحاب السنن من حديث أم سلمة قال ت حسن صحيح (٨) حديث بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله التكلان على الله ه من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من منزله قال باسم الله فذكره إلا أنه لم يقل الرحمن الرحيم وفيه ضعف (٩) حديث القول عند دخول المسجد اللهم صل على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك ت ه من حديث فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ت حسن وليس إسناده بمتصل ولمسلم من حديث أبي حميد أو أبي أسيد إذا دخل أحدكم المسجد فليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك وزاد د في أوله فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم.

لله صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة العبد يركب الحمار ويلبس الصوف فمن هذا الوجه ذهب قوم إلى أنهم سموا صوفية نسبة لهم إلى ظاهر اللبسة لأنهم اختاروا لبس الصوف لكونه أرفق ولكونه كان لباس الأنبياء عليهم السلام. روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «مر بالصخرة من الروحاء سبعون نبيا حفاة عليهم العباء يؤمون البيت الحرام» وقيل إن عيسى عليه السلام كان يلبس الصوف والشعر ويأكل من الشجر ويبيت حيث أمسى. وقال الحسن البصري رضي الله عنه لقد أدركت سبعين بدريا كان لباسهم الصوف ووصفهم أبو هريرة وفضالة بن عبيد فقالا كانوا يخرون من الجوع حتى تحسبهم

وقدم رجلك اليمنى فى الدخول فاذا رأيت فى المسجد من يبيع أو يبتاع فقل لا أربح الله تجارتك (١) وإذا رأيت من ينشد ضالة فى المسجد فقل لاردها الله عليك أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) فاذا صليت ركعتى الصبح فقل باسم الله اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى الدعاء إلى آخره (٣) كما أوردناه عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ فاذا ركعت فقل فى ركوعك : اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت أنت ربى خشع سمعى وبصرى ومخى وعظمى وعصبى وما استقلت به قدمى لله رب العالمين (٤) وإن أحببت فقل سبحان ربى العظيم ثلاث مرات (٥) أو سبوح قدوس رب الملائكة والروح (٦) فاذا رفعت رأسك من الركوع فقل سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ماشئت من شىء بعد أهل الثناء والمجد أحق ماقال العبد وكلنا لك عبد لامانع لما أعطيت ولامعطى لما منعت ولاينفع ذا الجد منك الجد (٧) وإذا سجدت فقل اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين اللهم سجدلك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى أبوء بنعمتك علىّ وأبوء بذنبى وهذا ماجنيت على نفسى فاغفرلى فانه لايغفر الذنوب إلا أنت (٨) أو تقول سبحان ربى الأعلى ثلاث مرات (٩) فاذا فرغت من الصلاة فقل اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام (١٠) وتدعو بسائر الأدعية التى ذكرناها فاذا قمت من المجلس وأردت دعاء يكفر لغو المجلس فقل سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لاإله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفرلى فانه لايغفر الذنوب إلا أنت (١١) فاذا دخلت السوق فقل لاإله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير (١٢) باسم الله اللهم إنى أسألك خير هذه السوق وخير مافيها اللهم إنى أعوذبك من شرها وشر مافيها اللهم إنى أعوذبك أن أصيب فيها يمينا

(١) حديث القول إذا رأى من يبيع أو يبتاع فى المسجد لاأربح الله تجارتك ت وقال حسن غريب و ن فى اليوم والليلة من حديث أبى هريرة (٢) حديث القول إذا رأى من ينشد ضالة فى المسجد لاردها الله عليك م من حديث أبى هريرة (٣) حديث ابن عباس فى القول بعد ركعتى الصبح اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى الخ قد تقدم فى الدعاء (٤) حديث ابن عباس فى القول فى الركوع اللهم لك ركعت ولك أسلمت الحديث م من حديث على (٥) حديث القول فيه سبحان ربى العظيم ثلاثا د ت ه من حديث ابن مسعود وفيه انقطاع (٦) حديث القول فيه سبوح قدوس رب الملائكة والروح م من حديث عائشة (٧) حديث القول عند الرفع من الركوع سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد الحديث م من حديث أبى سعيد الخدرى وابن عباس دون قوله سمع الله لمن حمده فهى فى اليوم والليلة للحسن بن على المعمرى وهى عند م من حديث ابن أبى أوفى وعند خ من حديث أبى هريرة (٨) حديث القول فى السجود اللهم لك سجدت الحديث م من حديث على اللهم سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى أبوء بنعمتك علىّ وأبوء بذنبى وهذا ماجنيت على نفسى فاغفرلى فانه لايغفر الذنوب إلا أنت ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الاسناد وليس كما قال بل هو ضعيف (٩) حديث سبحان ربى الأعلى ثلاثا د ت ه من حديث ابن مسعود وهو منقطع (١٠) حديث القول إذا فرغ من الصلاة اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام م من حديث ثوبان (١١) حديث كفارة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لاإله إلا أنت ن فى اليوم والليلة من حديث رافع بن خديج باسناد حسن (١٢) حديث القول عند دخول السوق لاإله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير من حديث عمر وقال غريب و ك وقال صحيح على شرط الشيخين .

الأعراب مجانين وكان لباسهم الصوف حتى إن بعضهم كان يعرق فى ثوبه فيوجد منه رائحة الضأن إذا أصابه الغيث وقال بعضهم إنه ليؤذينى ريح هؤلاء أما يؤذيك ريحهم يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فكان اختيارهم للبس الصوف لتركهم زينة الدنيا وقناعتهم بسد الجوعة وستر العورة واستغراقهم فى أمر الآخرة فلم يتفرغوا لملاذ النفوس وراحاتها لشدة شغلهم بخدمة مولاهم وانصراف همهم إلى أمر الآخرة وهذا الاختيار يلائم ويناسب من حيث الاشتقاق لأنه يقال تصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص ولما كان حالهم بين سير وطير لتقلبهم فى الأحوال وارتقائهم من عال إلى أعلى منه

فاجرة أوصفقة خاسرة(١) فان كان عليك دين فقل اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك (٢) فإذا لبست ثوبا جديدا فقل اللهم كسوتنى هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ماصنع له وأعوذ بك من شره وشر ماصنع له(٣) وإذا رأيت شيئا من الطيرة تكرهه فقل اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت لاحول ولاقوة إلا بالله (٤) وإذا رأيت الهلال فقل اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والبر والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى والحفظ عمن تسخط ربى وربك الله(٥) ويقول هلال رشد وخير آمنت بخالقك(٦) اللهم إنى أسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم الحشر(٧) وتكبر قبله أولا ثلاثا وإذا هبت الريح فقل اللهم إنى أسألك خير هذه الريح وخير مافيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شرها وشر مافيها ومن شر ما أرسلت به(٨) وإذا بلغك وفاة أحد فقل إنا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه فى المحسنين واجعل كتابه فى عليين واخلفه على عقبه فى الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله (٩)

(١) حديث باسم الله اللهم إنى أسألك خير هذه السوق وخير مافيها اللهم إنى أعوذ بك من شرها وشر مافيها اللهم إنى أعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة أوصفقة خاسرة ك من حديث بريدة وقال أقربها لشرائط هذا الكتاب حديث بريدة . قلت فيه أبو عمر جار لشعيب بن حرب ولعله حفص بن سليمان الأسدى مختلف فيه (٢) حديث دعاء الدين اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك ت وقال حسن غريب و ك وقال صحيح الاسناد من حديث على بن أبى طالب (٣) حديث الدعاء إذا لبس ثوبا جديدا اللهم كسوتنى هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ماصنع له وأعوذ بك من شره وشر ماصنع له د ت وقال حسن و ن فى اليوم والليلة من حديث أبى سعيد الخدرى ورواه ابن السنى بلفظ المصنف (٤) حديث القول إذا رأى شيئا من الطيرة يكرهه اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت لاحول ولاقوة إلا بالله ابن أبى شيبة وأبو نعيم فى اليوم والليلة وهق فى الدعوات من حديث عروة بن عامر مرسلا ورجاله ثقات وفى اليوم والليلة لابن السنى عن عقبة بن عامر فجعله مسندا (٥) حديث التكبير عند رؤية الهلال ثلاثا ثم يقول اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والاسلام ربى وربك الله الدارمى من حديث ابن عمر إلا أنه أطلق التكبير ولم يقل ثلاثا ورواه ت وحسنه من حديث طلحة بن عبيد الله دون ذكر التكبير وللبيهقى فى الدعوات من حديث قتادة مرسلا كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال كبر ثلاثا (٦) حديث هلال خير ورشد آمنت بخالقك د مرسلا من حديث قتادة أنه بلغه أن النبى ﷺ كان إذا رأى الهلال قال هلال خير ورشد هلال خير ورشد آمنت بالذى خلقك ثلاث مرات وأسنده الدارقطنى فى الإفراد والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس وقال د وليس فى هذا عن النبى صلى الله عليه وسلم حديث مسند صحيح (٧) حديث اللهم إنى أسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم الحشر ابن أبى شيبة وأحمد فى مسنديهما من حديث عبادة بن الصامت وفيه من لم يسم بل قال الراوى عنه حدثنى من لا أتهم

(٨) حديث القول إذا هبت الريح اللهم إنى أسألك خير هذه الريح وخير مافيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شرها وشر مافيها وشر ما أرسلت به ت وقال حسن صحيح و ن فى اليوم والليلة من حديث أبى بن كعب (٩) حديث القول إذا بلغه وفاة أحد إنا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه من المحسنين واجعل كتابه فى عليين واخلفه على عقبه فى الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله ابن السنى فى اليوم والليلة وحب من حديث أم سلمة إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل إنا لله وإنا إليه راجعون ولمسلم من حديثها اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المهديين

تقيدهم وصف ولا يحبسهم نعت وأبواب المزيد علما وحالا عليهم مفتوحة بواطنهم معدن الحقائق ومجمع العلوم فلما تعذر تقيدهم بحال تقيدهم لتنوع وجداتهم وتجنس مزيدهم نسبوا إلى ظاهر اللبسة وكان ذلك أبين فى الإشارة إليهم وأدعى إلى حصر وصفهم لأن لبس الصوف كان غالبا على المتقدمين من سلفهم أيضا لأن حالهم حال المقربين كما سبق ذكره ولما كان الاعتزاء إلى القرب وعظم الإشارة إلى قرب الله تعالى أمر صعب يعز كشفه والإشارة إليه وقعت الإشارة إلى زيهم سترا لحالهم وغيرة على عزيز مقامهم أن تكثر الإشارة إليه وتتداوله الألسنة فكان هذا أقرب إلى الأدب والأدب فى الظاهر والباطن والقول والفعل

وتقول عند التصدق ـ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ـ وتقول عند الخسران ـ عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون ـ وتقول عند ابتداء الأمور ـ ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ـ رب اشرح لى صدرى ويسرلى أمرى ـ وتقول عند النظر إلى السماء ـ ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ـ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ـ وإذا سمعت صوت الرعد فقل سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته (١) فان رأيت الصواعق فقل اللهم لاتقتلنا بغضبك ولاتهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك (٢) قاله كعب فاذا أمطرت السماء فقل اللهم سقيا هنيئا وصيبا نافعا (٣) اللهم اجعله صيب رحمة ولاتجعله صيب عذاب (٤) فاذا غضبت فقل اللهم اغفرلى ذنبى وأذهب غيظ قلبى وأجرنى من الشيطان الرجيم (٥) فاذا خفت قوما فقل اللهم إنا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم (٦) فاذا غزوت فقل اللهم أنت عضدى ونصيرى وبك أقاتل (٧) وإذا طنت أذنك فصل على محمد صلى الله عليه وسلم وقل ذكر الله من ذكرنى بخير (٨) فاذا رأيت استجابة دعائك فقل الحمد لله الذى بعزته وجلاله تتم الصالحات وإذا أبطأت فقل الحمد لله على كل حال (٩) وإذا سمعت أذان المغرب فقل اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك وحضور صلواتك أسألك أن تغفرلى (١٠) وإذا أصابك هم فقل اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضائك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء غمى وذهاب حزنى وهمى (١١)

واخلفه فى عقبه فى الغابرين واغفر لنا وله يارب العالمين وافسح له فى قبره ونور له فيه (١) حديث القول إذا سمع صوت الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته مالك فى الموطأ عن عبدالله بن الزبير موقوفا ولم أجده مرفوعا (٢) حديث القول عند الصواعق اللهم لاتقتلنا بغضبك وتهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك ت وقال غريب و ن فى اليوم والليلة من حديث ابن عمر وابن السنى باسناد حسن (٣) حديث القول عند المطر اللهم سقيا هنيئا وصيبا نافعا خ من حديث عائشة كان إذا رأى المطر قال اللهم اجعله صيبا نافعا و ه سيبا بالسين أوله و ن فى اليوم والليلة اللهم اجعله صيبا هنيئا وإسنادها صحيح (٤) حديث اللهم اجعله سيب رحمة ولا تجعله سيب عذاب ن فى اليوم والليلة من حديث سعيد بن المسيب مرسلا (٥) حديث القول إذا غضب اللهم اغفر ذنبى وأذهب غيظ قلبى وأجرنى من الشيطان الرجيم ابن السنى فى اليوم والليلة من حديث عائشة بسند ضعيف (٦) حديث القول إذا خاف قوما اللهم إنى أجعلك فى نحورهم وأعوذ بك من شرورهم د ن فى اليوم والليلة من حديث أبى موسى بسند صحيح (٧) حديث القول إذا غزا اللهم أنت عضدى ونصيرى بك أقاتل د ت ن من حديث أنس قال ت حسن غريب (٨) حديث القول عند طنين الأذن اللهم صل على محمد ذكر الله بخير من ذكرنى الطبرانى وابن عدى وابن السنى فى اليوم والليلة من حديث أبى رافع بسند ضعيف (٩) حديث القول إذا رأى استجابة دعائه الحمدلله الذى بنعمته تتم الصالحات تقدم فى الدعاء (١٠) حديث القول إذا سمع أذان المغرب اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك وحضور صلواتك أسألك أن تغفرلى ت د وقال غريب و ك من حديث أم سلمة دون قوله وحضور صلواتك فانها عند الخرائطى فى مكارم الأخلاق والحسن بن على المعمرى فى اليوم والليلة (١١) حديث القول إذا أصابه هم اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك الحديث أحمد وحب ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط م إن سلم من إرسال عبد الرحمن

عماد أمر الصوفية وفيه معنى آخر وهو أن نسبتهم إلى اللبسة تنبئ عن تقللهم من الدنيا وزهدهم فيما تدعو النفس إليه بالهوى من الملبوس الناعم حتى إن المبتدئ المريد الذى يؤثر طريقهم ويحب الدخول فى أمرهم يوطن نفسه على التقشف والتقلل ويعلم أن المأكول أيضا من جنس الملبوس فيدخل فى طريقهم على بصيرة وهذا أمر مفهوم معلوم عند المبتدئ والاشارة إلى شئ من حالهم فى تسميتهم بذلك أبعد من فهم أرباب البدايات فكان تسميتهم بهذا أنفع وأولى وأيضا غير هذا المعنى مما يقال إنهم سموا صوفية لذلك يتضمن دعوى وإذا قيل سموا صوفية للبسهم الصوف كان أبعد من الدعوى وكل ما كان أبعد من

قال صلى الله عليه وسلم « ماأصاب أحدا حزن فقال ذلك إلا أذهب الله همه وأبدله مكانه فرحا فقيل له يارسول الله أفلا نتعلمها ؟ فقال صلى الله عليه وسلم بل ينبغى لمن سمعها أن يتعلمها » وإذا وجدت وجعا فى جسدك أوجسد غيرك فارقه برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا اشتكى الانسان قرحة أوجرحا وضع سبابته على الأرض ثم رفعها وقال باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا (١) » وإذا وجدت وجعا فى جسدك فضع يدك على الذى يتألم من جسدك وقل باسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ماأجد وأحاذر (٢) » فاذا أصابك كرب فقل لاإله إلا الله العلى الحليم لاإله إلا الله رب العرش العظيم لاإله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم (٣) فان أردت النوم فتوضأ أولا ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة ثم كبر الله تعالى أربعا وثلاثين وسبحه ثلاثة وثلاثين واحمده ثلاثا وثلاثين (٤) ثم قل اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم إنى لاأستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولوحرصت ولكن أنت كما أثنيت على نفسك (٥) اللهم باسمك أحيا وأموت (٦) اللهم رب السموات ورب الأرض ورب كل شىء ومليكه فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذى شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شىء وأنت الآخر فليس بعدك شىء وأنت الظاهر فليس فوقك شىء وأنت الباطن فليس دونك شىء اقض عنى الدين وأغننى من الفقر (٧) اللهم إنك خلقت نفسى وأنت تتوفاها لك مماتها ومحياها اللهم إن أمتها فاغفر لها وإن أحييتها فاحفظها اللهم إنى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة (٨) باسمك ربى وضعت جنبى فاغفر لى ذنبى (٩) اللهم قنى عذابك يوم تجمع عبادك (١٠) اللهم أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى إليك وفوضت أمرى إليك

عن أبيه فانه مختلف فى سماعه من أبيه (١) حديث رقية رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث وضع يده على الذى يألم من جسده ويقول باسم الله ثلاثا ويقول أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ماأجد وأحاذر سبع مرات م من حديث عثمان بن أبى العاص (٣) حديث دعاء الكرب لاإله إلا الله العلى الحليم الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٤) حديث التكبير عند النوم أربعا وثلاثين والتسبيح ثلاثا وثلاثين والتحميد ثلاثا وثلاثين متفق عليه من حديث على (٥) حديث القول عند إرادة النوم اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم لاأستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثنيت على نفسك النسائى فى اليوم والليلة من حديث على وفيه انقطاع (٦) حديث اللهم باسمك أحيا وأموت خ من حديث حذيفة و م من حديث البراء (٧) حديث اللهم رب السموات والأرض رب كل شىء ومليكه فالق الحب والنوى الحديث إلى قوله وأغننا من الفقر م من حديث أبى هريرة (٨) حديث اللهم أنت خلقت نفسى وأنت تتوفاها الحديث إلى قوله إنى أسألك العافية م من حديث ابن عمر (٩) حديث باسمك ربى وضعت جنبى فاغفر لى ذنبى ن فى اليوم والليلة من حديث عبد الله بن عمرو بسند جيد وللشيخين من حديث أبى هريرة باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه إن أمسكت نفسى فاغفر لها وقال خ فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين (١٠) حديث اللهم قنى عذابك يوم تجمع عبادك ت فى الشمائل من حديث ابن مسعود وهو عند د من حديث حفصة بلفظ تبعث وكذا رواه ت من حديث حذيفة وصححه من حديث البراء وحسنه .

الدعوى كان أليق بحالهم وأيضا لأن لبس الصوف حكم ظاهر على الظاهر من أمرهم ونسبتهم إلى أمر آخر من حال أو مقام أمر باطن والحكم بالظاهر أوفق وأولى فالقول بأنهم سموا صوفية للبسهم الصوف أليق وأقرب إلى التواضع ويقرب أن يقال لما آثروا الذبول والخمول والتواضع والانكسار والتخفى والتوارى كانوا كالخرقة الملقاة والصوفة المرمية التى لايرغب فيها ولايلتفت إليها فيقال صوفى نسبة إلى الصوفة كما يقال كوفى نسبة إلى الكوفة وهذا ماذكره بعض أهل العلم والمعنى المقصود به قريب يلائم الاشتقاق ولم يزل لبس الصوف اختيار الصالحين والزهاد والمتقشفين والعباد . أخبرنا أبو زرعة طاهر عن

وألجأت ظهرى إليك رغبة ورهبة إليك لاملجأ ولا منجا منك إليك آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت (١) ويكون هذا آخر دعائك فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وليقل قبل ذلك اللهم أيقظنى فى أحبّ الساعات إليك واستعملنى بأحب الأعمال إليك تقربنى إليك زلفى وتبعدنى من سخطك بعدا أسألك فتعطينى وأستغفرك فتغفرلى وأدعوك فتستجيب لى (٢) فاذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور (٣) أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله (٤) أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين (٥) اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير (٦) اللهم إنى أسألك أن تبعثنا فى هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه سوءا أو نجره إلى مسلم فإنك قلت ـ وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ـ (٧) اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه (٨)

---

(١) حديث اللهم إنى أسلمت نفسى إليك وفوضت أمرى إليك الحديث متفق عليه من حديث البراء

(٢) حديث اللهم أيقظنى فى أحبّ الساعات إليك واستعملنى فى أحب الأعمال إليك تقربنى إليك زلفى وتبعدنى من سخطك بعدا أسألك فتعطينى وأستغفرك فتغفرلى وأدعوك فتستجيب لى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس اللهم ابعثنا فى أحبّ الساعات إليك حتى نذكرك فتذكرنا ونسألك فتعطينا وندعوك فتستجيب لنا ونستغفرك فتغفرلنا وإسناده ضعيف وهو معروف من قول حبيب الطائى كما رواه ابن أبى الدنيا فى الدعاء (٣) حديث القول إذا استيقظ من منامه الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور خ من حديث حذيفة و م من حديث البراء (٤) حديث أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله الطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة أصبحنا وأصبح الملك والحمد والحول والقوة والقدرة والسلطان والسموات والأرض وكل شىء لله رب العالمين وله فى الدعاء من حديث ابن أبى أوفى أصبحت وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والليل والنهار وما سكن فيهما لله وإسنادهما ضعيف ولمسلم من حديث ابن مسعود أصبحنا وأصبح الملك لله

(٥) حديث أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ن فى اليوم والليلة من حديث عبد الرحمن بن أبزى بسند صحيح ورواه أحمد من حديث ابن أبزى عن أبى بن كعب مرفوعا (٦) حديث اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير أصحاب السنن وحب وحسنه ت إلا أنهم قالوا وإليك النشور ولابن السنى وإليك المصير (٧) حديث اللهم إنا نسألك أن تبعثنا فى هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه سوءا أو نجره إلى مسلم الحديث لم أجد أوله و ت من حديث أبى بكر فى حديث له أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه وأن نقترف على أنفسنا سوءا أو نجره إلى مسلم رواه د من حديث أبى مالك الأشعرى باسناد جيد (٨) حديث اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه قلت هو مركب من حديثين فروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اقض عنى الدين وأغننى من الفقر وقونى على الجهاد فى سبيلك ، وللدارقطنى فى الإفراد من حديث البراء نسألك خير هذا اليوم وخير ما بعده ونعوذ بك من شر

أبيه قال أنا عبد الرزاق ابن عبد الكريم قال أنا أبو الحسن محمد بن محمد قال ثنا أبو على اسمعيل بن محمد قال ثنا الحسن بن عرفة قال ثنا خلف بن خليفة عن حميد بن الأعرج عن عبد الله بن الحرث عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوم كلم الله تعالى موسى عليه السلام كان عليه جبة صوف وسراويل صوف وكساء صوف وكمه من صوف ونعلاه من جلد حمار غير مذكى . وقيل سموا صوفية لأنهم فى الصف الأول بين يدى الله عزوجل بارتفاع هممهم وإقبالهم على الله تعالى بقلوبهم ووقوفهم بسرائرهم بين يديه وقيل كان هذا الاسم فى الأصل صفوى فاستثقل ذلك وجعل صوفيا وقيل سموا صوفية نسبة إلى الصفة

باسم الله ماشاء الله لاقوة إلا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لايصرف السوء إلا الله (١) رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ـ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ـ (٢) وإذا أمسى قال ذلك إلا أنه يقول أمسينا ويقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ماذرأ وبرأ ومن شر كل ذى شر ومن شر دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم (٣) وإذا نظر فى المرآة قال الحمد لله الذى سوى خلقى فعدله وكرم صورة وجهى وحسنها وجعلنى من المسلمين (٤) وإذا اشتريت خادما أوغلاما أودابة فخذ بناصيته وقل اللهم إنى أسألك خيره وخير ماجبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ماجبل عليه (٥) وإذا هنأت بالنكاح فقل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير (٦) وإذا قضيت الدين فقل للمقضى له بارك الله لك فى أهلك ومالك إذ قال صلى الله عليه وسلم « إنما جزاء السلف الحمد والأداء (٧) »

هذا اليوم وشر مابعده و د من حديث أبى مالك الأشعرى اللهم إنا نسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وهداه وبركته أعوذ بك من شر مافيه وشر مابعده وسنده جيد وللحسن بن على المعمر فى اليوم والليلة من حديث ابن مسعود اللهم إنى أسألك خيرمافى هذا اليوم وخير مابعده وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر مابعده والحديث عند م فى المساء خير مافى هذه الليلة الحديث ثم قال وإذا أصبح قال ذلك أيضا (١) حديث باسم الله ماشاء الله لاقوة إلا بالله ماشاء الله كل نعمة فمن الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لايصرف السوء إلا الله عد فى الكامل من حديث ابن عباس ولاأعلمه إلا مرفوعا إلى النبى ﷺ قال يلتقى الخضر وإلياس عليهما الصلاة والسلام كل عام بالموسم بمنى فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه فيفترقان عن هذه الكلمات فذكره ولم يقل الخير كله بيد الله قال موضعها لايسوق الخير إلا الله قال ابن عباس من قالهن حين يصبح وحين يمسى أمنه الله من الغرق والحرق وأحسبه قال ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب أورده فى ترجمة الحسين بن رزين قال ليس بالمعروف وهو بهذا الاسناد منكر (٢) حديث رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا تقدم فى الباب الأول (٣) حديث القول عند المساء مثل الصباح إلا أنك تقول أمسينا وتقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ماذرأ وبرأ ومن شر كل ذى شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم أبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث عبد الرحمن بن عوف من قال حين يصبح أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن برّ ولا فاجر من شر ماخلق وبرأ وذرأ أعتصم من شر الثقلين الحديث وفيه وإن قالهن حين يمسى كن له كذلك حتى يصبح وفيه ابن لهيعة ولأحمد من حديث عبد الرحمن بن حسن فى حديث إن جبريل قال يامحمد قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق وذرأ وبرأ ومن شر ماينزل من السماء الحديث وإسناده جيد ولمسلم من حديث أبى هريرة فى الدعاء عند النوم أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها وللطبرانى فى الدعاء من حديث أبى الدرداء اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة الخ الحديث وقد تقدم فى الباب الثانى (٤) حديث القول إذا نظر فى المرآة الحمد لله الذى سوى خلقى فعدله وكرم صورة وجهى وحسنها وجعلنى من المسلمين الطبرانى فى الأوسط وابن السنى فى اليوم والليلة من حديث أنس بسند ضعيف (٥) حديث القول إذا اشترى خادما أودابة اللهم إنى أسألك خيره وخير ماجبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ماجبل عليه د ه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند جيد (٦) حديث التهنئة بالنكاح بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير د ت ه من حديث أبى هريرة قال ت حسن صحيح (٧) حديث الدعاء لصاحب الدين إذا قضى الله دينه بارك الله لك فى أهلك ومالك

التى كانت لفقراء المهاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قال الله تعالى فيهم ـ للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لايستطيعون ضربا فى الأرض ـ الآية وهذا وإن كان لايستقيم من حيث الاشتقاق اللغوى ولكن صحيح من حيث المعنى لأن الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك لكونهم مجتمعين متألفين متصاحبين لله وفى الله كأصحاب الصفة وكانوا نحوا من أربعمائة رجل لم تكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر جمعوا أنفسهم فى المسجد كاجتماع الصوفية قديما وحديثا فى الزوايا والربط وكانوا لايرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع ولا إلى تجارة كانوا يحتطبون ويرضخون النوى بالنهار وبالليل يشتغلون

فهذه أدعية لايستغنى المريد عن حفظها وماسوى ذلك من أدعية السفر والصلاة والوضوء ذكرناها فى كتاب الحج والصلاة والطهارة . فان قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لامرد له . فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما أن الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لايحمل السلاح وقد قال تعالى ـ خذوا حذركم ـ وأن لايسقى الأرض بعد بث البذر فيقال إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر وإن لم يسبق لم ينبت بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذى هو كلمح البصر أو هو أقرب وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذى قدر الخير قدره بسبب والذى قدر الشر قدر لدفعه سببا فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته ثم فى الدعاء من الفائدة ماذكرناه فى الذكر فانه يستدعى حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الدعاء مخ العبادة [1] » والغالب على الخلق أنه لاتنصرف قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل إلا عند إلمام حاجة وإرهاق ملمة فان الانسان إذا مسه الشر فذو دعاء عريض فالحاجة تحوج إلى الدعاء والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذى هو أشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكلا بالأنبياء عليهم السلام ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل لأنه يرد القلب بالافتقار والتضرع الى الله عز وجل ويمنع من نسيانه وأما الغنى فسبب للبطر فى غالب الأمور فان الانسان ليطغى أن رآه استغنى فهذا ماأردنا أن نورده من جملة الأذكار والدعوات والله الموفق للخير وأما بقية الدعوات فى الأكل والسفر وعيادة المريض وغيرها فستأتى فى مواضعها إن شاء الله تعالى وعلى الله التكلان . نجز كتاب الأذكار والدعوات بكماله ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأوراد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل)

وهو الكتاب العاشر من إحياء علوم الدين وبه اختتام ربع العبادات نفع الله به المسلمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله على آلائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لايغادر فى القلب استكبارا ولانفورا ونشكره إذ جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ونصلى على نبيه الذى بعثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى آله الطاهرين وصحبه الأكرمين الذين اجتهدوا فى عبادة الله غدوة وعشيا وبكرة وأصيلا حتى أصبح كل واحد منهم نجما فى الدين هاديا وسراجا منيرا .

[أما بعد] فان الله تعالى جعل الأرض ذلولا لعباده لاليستقروا فى مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودوا منها زادا يحملهم فى سفرهم إلى أوطانهم ويكتنزون منها تحفا لنفوسهم عملا وفضلا محترزين من مصايدها ومعاطبها ويتحققون أن العمر يسير بهم سير السفينة براكبها فالناس فى هذا العالم سفر وأول منازلهم المهد وآخرها اللحد والوطن هو الجنة أو النار والعمر مسافة السفر فسنوه مراحله وشهوره فراسخه

إنما جزاء السلف الحمد والأداء ن من حديث عبد الله بن أبى ربيعة قال استقرض منى النبى صلى الله عليه وسلم أربعين ألفا فجاءه مال فدفعه إلىّ قال فذكره وإسناده حسن (١) حديث الدعاء مخ العبادة تقدم فى الباب الأول .

(كتاب الأوراد وفضل إحياء الليل)

بالعبادة وتعلم القرآن وتلاوته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواسيهم ويحث الناس على مواساتهم ويجلس معهم ويأكل معهم وفيهم نزل قوله تعالى ـ ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ـ وقوله تعالى ـ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ـ ونزل فى ابن أم مكتوم قوله تعالى ـ عبس وتولى أن جاءه الأعمى ـ وكان من أهل الصفة فعوتب النبى صلى الله عليه وسلم لأجله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صافحهم لاينزع يده من أيديهم وكان يفرقهم على أهل الجدة والسعة يبعث مع كل واحد ثلاثة ومع الآخر أربعة وكان سعد بن معاذ يحمل إلى بيته منهم ثمانين يطعمهم . وقال أبو هريرة رضى الله

وأيامه آماله وأنفاسه خطواته وطاعته بضاعته وأوقاته رءوس أمواله وشهواته وأغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله تعالى في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله تعالى مع الأنكال والأغلال والعذاب الأليم في دركات الجحيم فالغافل في نفسه من أنفاسه حتى ينقضي في غير طاعة تقربه إلى الله زلفى متعرض في يوم التغابن لغبنة وحسرة مالها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرر الأوقات وظائف الأوراد حرصا على إحياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي إلى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الأوراد وتوديع العبادات التي سبق شرحها على مقادير الأوقات ويتضح هذا الفهم بذكر بابين : الباب الأول : في فضيلة الأوراد وترتيبها في الليل والنهار . الباب الثاني : في كيفية إحياء الليل وفضيلته ومايتعلق به . الباب الأول : في فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها .

(فضيلة الأوراد وبيان أن المواظبة عليها هي الطريق إلى الله تعالى)

اعلم أن الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لانجاة إلا في لقاء الله تعالى وأنه لاسبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد محبا لله تعالى وعارفا بالله سبحانه وأن المحبة والأنس لاتحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه وان المعرفة به لاتحصل إلا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وأفعاله وليس في الوجود سوى الله تعالى وأفعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لايتم إلا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف الأذكار والأفكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملال لاتصبر على فن واحد من الأسباب المعينة على الذكر والفكر بل إذا ردت إلى نمط واحد أظهرت الملال والاستثقال وأن الله تعالى لايمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها أن تروح بالتنقل من فن إلى فن ومن نوع إلى نوع بحسب كل وقت لتغزر بالانتقال لذتها وتعظم باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الأوراد قسمة مختلفة فالذكر والفكر ينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثرها فان النفس بطبعها مائلة إلى ملاذ الدنيا فان صرف العبد شطر أوقاته إلى تدبيرات الدنيا وشهواتها المباحة مثلا والشطر الآخر إلى العبادات رجح جانب الميل إلى الدنيا لموافقتها الطبع إذ يكون الوقت متساويا فأنى يتقاومان والطبع لأحدهما مرجح إذ الظاهر والباطن يتساعدان على أمور الدنيا ويصفو في طلبها القلب ويتجرد . وأما الرد إلى العبادات فمتكلف ولايسلم إخلاص القلب فيه وحضوره إلا في بعض الأوقات فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقاته في الطاعة ومن أراد أن تترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعة أكثر أوقاته فان خلط عملا صالحا وآخر سيئا فأمره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله تعالى أن يغفر له بجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فان لم تكن من أهله فانظر إلى خطاب الله تعالى لرسوله واقتبسه بنور الايمان فقد قال الله تعالى لأقرب عباده إليه وأرفعهم درجة لديه ـ إن لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا ـ وقال تعالى ـ واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ـ وقال تعالى ـ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود ـ وقال سبحانه ـ وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم ـ وقال تعالى ـ إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا ـ وقال تعالى ـ ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ـ وقال عز وجل ـ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات

(الباب الأول في فضيلة الأوراد)

عنه لقد رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب واحد منهم من لايبلغ ركبتيه فاذا ركع أحدهم قبض بيديه مخافة أن تبدو عورته . وقال بعض أهل الصفة جئنا جماعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلنا يارسول الله أحرق بطوننا التمر فسمع بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر ثم قال ما بال أقوام يقولون أحرق بطوننا التمر أما علمتم أن هذا التمر هو طعام أهل المدينة وقد واسونا به وواسيناكم مما واسونا به والذي نفس محمد بيده إن منذ شهرين لم يرتفع من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دخان للخبز وليس لهم إلا الأسودان الماء والتمر . أخبرنا الشيخ أبو الفتح محمد بن عبد الباقي في كتابه قال أنا الشيخ أبو بكر

يذهبن السيئات ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وعبادا وصفهم فقال تعالى ـ أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ـ وقال تعالى ـ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ـ وقال عز وجل ـ والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ـ وقال عز وجل ـ كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون ـ وقال عز وجل ـ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ـ وقال تعالى ـ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ـ فهذا كله يبين لك أن الطريق إلى الله تعالى مراقبة الأوقات وعمارتها بالأوراد على سبيل الدوام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أحب عباد الله إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر والأظلة لذكر الله تعالى(١) » وقد قال تعالى ـ الشمس والقمر بحسبان ـ وقال تعالى ـ ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا ـ وقال تعالى ـ والقمر قدرناه منازل ـ وقال تعالى ـ وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ـ فلا تظنن أن المقصود من سير الشمس والقمر بحسبان منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم أن يستعان بها على أمور الدنيا بل لتعرف بها مقادير الأوقات فتشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الآخرة يدلك عليه قوله تعالى ـ وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ـ أى يخلف أحدهما الآخر ليتدارك فى أحدهما ما فات فى الآخر وبين أن ذلك للذكر والشكر لا غير وقال تعالى ـ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب ـ وإنما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة ونسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه .

(بيان أعداد الأوراد وترتيبها)

اعلم أن أوراد النهار سبعة فما بين طلوع الصبح إلى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس إلى الزوال وردان وما بين الزوال إلى وقت العصر وردان وما بين العصر إلى المغرب وردان والليل ينقسم إلى أربعة أوراد وردان من المغرب إلى وقت نوم الناس ووردان من النصف الأخير من الليل إلى طلوع الفجر ، فلنذكر فضيلة كل ورد ووظيفته وما يتعلق به . فالورد الأول : ما بين طلوع الصبح إلى طلوع الشمس وهو وقت شريف ويدل على شرفه وفضله إقسام الله تعالى به إذ قال ـ والصبح إذا تنفس ـ وتمدحه به إذ قال ـ فالق الإصباح ـ وقال تعالى ـ قل أعوذ برب الفلق ـ وإظهاره القدرة بقبض الظل فيه إذ قال تعالى ـ ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا ـ وهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس وإرشاده الناس إلى التسبيح فيه بقوله تعالى ـ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ـ وبقوله تعالى ـ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ـ وقوله عز وجل ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ـ وقوله تعالى ـ واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ـ . فأما ترتيبه فليأخذ من وقت انتباهه من النوم فاذا انتبه فينبغى أن يبتدئ بذكر الله تعالى فيقول الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور إلى آخر الأدعية والآيات التى ذكرناها فى دعاء الاستيقاظ من كتاب الدعوات وليلبس ثوبه وهو فى الدعاء وينوى به ستر عورته امتثالا لأمر الله تعالى واستعانة به على عبادته من غير قصد رياء ولا رعونة ثم يتوجه إلى بيت الماء إن كان به حاجة إلى بيت الماء ويدخل أولا رجله اليسرى ويدعو بالأدعية التى ذكرناها فيه فى كتاب الطهارة عند الدخول والخروج

(١) حديث أحب عباد الله إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر والأهلة لذكر الله الطبرانى و ك وقال صحيح الإسناد من حديث ابن أبى أوفى بلفظ خيار عباد الله .

ابن زكريا الطريثيثى قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال حدثنا محمد بن محمد بن سعيد الأنماطى قال حدثنا الحسن بن يحيى ابن سلام قال حدثنا محمد بن على الترمذى قال حدثنى سعيد بن حاتم البلخى قال حدثنا سهل بن أسلم عن خلاد بن محمد عن أبى عبد الرحمن السكرى عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهم قال : «وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على أهل الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال أبشروا يا أصحاب الصفة فمن بقى منكم على النعت الذى أنتم عليه اليوم راضيا بما هو فيه فانه من رفقائى يوم القيامة » وقيل : كان منهم طائفة بخراسان يأوون إلى الكهوف والغارات ولا يسكنون القرى

ثم يستاك على السنة كما سبق ويتوضأ مراعيا لجميع السنن والأدعية التي ذكرناها في الطهارة فانا إنما قدمنا آحاد العبادات لكي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط فاذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الفجر أعني السنة في منزله (١) كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرأ بعد الركعتين سواء أداها في البيت أو المسجد الدعاء الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما ويقول : اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي إلى آخر الدعاء (٢) ثم يخرج من البيت متوجها إلى المسجد ولا ينسى دعاء الخروج إلى المسجد ولا يسعى إلى الصلاة سعيا بل يمشي وعليه السكينة والوقار (٣) كما ورد به الخبر ولا يشبك بين أصابعه ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو بالدعاء المأثور لدخول المسجد (٤) ثم يطلب من المسجد الصف الأول إن وجد متسعا ولا يتخطى رقاب الناس ولا يزاحم كما سبق ذكره في كتاب الجمعة ثم يصلي ركعتي الفجر إن لم يكن صلاها في البيت ويشتغل بالدعاء المذكور بعدها وإن كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التحية وجلس منتظرا للجماعة والأحب التغليس بالجماعة فقد كان صلى الله عليه وسلم يغلس بالصبح (٥) ولا ينبغي أن يدع الجماعة في الصلاة عامة وفي الصبح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل ، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في صلاة الصبح « من توضأ ثم توجه إلى المسجد ليصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحي عنه سيئة والحسنة بعشر أمثالها ، فاذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فان جلس حتى يركع الضحى كتب له بكل ركعة ألفا ألف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة (٦) » وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر قال رجل من التابعين دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فلقيت أبا هريرة قد سبقني فقال لي يا ابن أخي لأي شيء خرجت من منزلك في هذه الساعة فقلت لصلاة الغداة فقال أبشر فانا كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله تعالى (٧) أو قال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة رضي الله عنهما وهما نائمان فقال « ألا تصليان قال علي فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله تعالى فاذا شاء أن يبعثها بعثها فانصرف صلى الله عليه وسلم فسمعته وهو منصرف يضرب فخذه ويقول وكان الإنسان أكثر شيء جدلا (٨) » ثم ينبغي أن يشتغل بعد ركعتي الفجر ودعائه بالاستغفار

(١) حديث صلاة ركعتي الصبح في المنزل متفق عليه من حديث حفصة (٢) حديث الدعاء بعد ركعتي الصبح اللهم إني أسألك رحمة من عندك الحديث تقدم (٣) حديث المشي إلى الصلاة وعليه السكينة متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث الدعاء المأثور لدخول المسجد تقدم في الباب الخامس من الأذكار (٥) حديث التغليس في الصبح متفق عليه من حديث عائشة (٦) حديث أنس في صلاة الصبح من توضأ ثم توجه إلى المسجد يصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحي عنه سيئة والحسنة بعشر أمثالها وإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فان جلس حتى يركع كتب له بكل ركعة ألفا ألف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بحجة مبرورة لم أجد له أصلا بهذا السياق وفي شعب الإيمان للبيهقي من حديث أنس بسند ضعيف ومن صلى المغرب في جماعة كان له كحجة مبرورة وعمرة متقبلة (٧) حديث أبي هريرة كنا نعد خروجنا وقعودنا في المجلس في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله لم أقف له على أصل (٨) حديث علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة وهما نائمان فقال ألا تصلون قال علي فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله الحديث متفق عليه .

والمدن يسمونهم في خراسان شكفتية لأن شكفت اسم الغار ينسبونهم إلى المأوى والمستقر وأهل الشام يسمونهم جوعية والله تعالى ذكر في القرآن طوائف الخير والصلاح فسمى قوما أبرارا وآخرين مقربين ومنهم الصابرون والصادقون والذاكرون والمحبون واسم الصوفي مشتمل على جميع المتفرق في هذه الأسماء المذكورة وهذا الاسم لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان في زمن التابعين . ونقل عن الحسن البصري رحمة الله عليه أنه قال رأيت صوفيا في الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذ وقال معي أربع دوانيق يكفيني ما معي ويشيد هذا ما روي عن سفيان أنه قال : لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء

والتسبيح إلى أن تقام الصلاة فيقول أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه سبعين مرة وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ثم يصلى الفريضة مراعيا جميع ما ذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة فى الصلاة والقدوة فاذا فرغ منها قعد فى المسجد إلى طلوع الشمس فى ذكر الله تعالى كما سنرتبه فقد قال ﷺ « لأن أقعد فى مجلسى أذكر الله تعالى فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب (١) » وروى « أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى الغداة قعد فى مصلاه حتى تطلع الشمس ، وفى بعضها ويصلى ركعتين (٢) » أى بعد الطلوع وقد ورد فى فضل ذلك مالا يحصى وروى الحسن « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكره من رحمة ربه يقول إنه قال : يا ابن آدم اذكرنى بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك مابينهما (٣) » وإذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم إلى طلوع الشمس بل ينبغى أن تكون وظيفته إلى الطلوع أربعة أنواع أدعية وأذكار ويكررها فى سبحة وقراءة قرآن وتفكر أما الأدعية فكلما يفرغ من صلاته فليبدأ وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام ثم يفتتح الدعاء بما كان يفتتح به رسول الله ﷺ وهو قوله سبحان ربى العلى الأعلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون (٤) ثم يبدأ بالأدعية التى أوردناها فى الباب الثالث والرابع من كتاب الأدعية فيدعو بجميعها إن قدر عليه أو يحفظ من جملتها مايراه أوفق بحاله وأرق لقلبه وأخف على لسانه . وأما الأذكار المكررة فهى كلمات ورد فى تكرارها فضائل لم نطول بايرادها وأقل ماينبغى أن يكرر كل واحد منها ثلاثا أو سبعا وأكثره مائة أو سبعون وأوسطه عشر فليكررها بقدر فراغه وسعة وقته وفضل الأكثر أكثر والأوسط الأقصد أن يكررها عشر مرات فهو أجدر بأن يدوم عليه وخير الأمور أدومها وإن قل وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع المداومة أفضل وأشد تأثيرا فى القلب من كثيرها مع الفترة ومثال القليل الدائم كقطرات ماء تتقاطر على الأرض على التوالى فتحدث فيها حفيرة ولو وقع ذلك على الحجر ومثال الكثير المتفرق ماء يصب دفعة أو دفعات متفرقة متباعدة الأوقات فلا يبين لها أثر ظاهر وهذه الكلمات عشرة . الأولى : قوله لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير (٥) . الثانية : قوله سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر

وهذا يدل على أن هذا الاسم كان يعرف قديما وقيل لم يعرف هذا الاسم إلى المائتين من الهجرة العربية لأن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمون الرجل صحابيا لشرف صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكون الاشارة إليها أولى من كل إشارة وبعد انقراض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ منهم العلم سمى تابعيا ثم لما تقادم زمان الرسالة وبعد عهد النبوة وانقطع الوحى السماوى وتوارى النور المصطفوى واختلفت الآراء وتنوعت الأنحاء وتفرد كل ذى رأى برأيه وكدر شرب العلوم شوب الأهوية وتزعزعت أبنية التقين واضطربت عزائم الزاهدين وغلبت

(١) حديث لأن أقعد فى مجلس أذكر الله فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب د من حديث أنس وتقدم فى الباب الثالث من العلم (٢) حديث كان إذ صلى الغداة قعد فى مصلاه حتى تطلع الشمس وفى بعضها ويصلى ركعتين أى بعد الطلوع م من حديث جابر ابن سمرة دون ذكر الركعتين و ت من حديث أنس وحسنه من صلى الفجر فى جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة (٣) حديث الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكر من رحمة ربه أنه قال يا ابن آدم اذكرنى من بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك مابينهما ابن المبارك فى الزهد هكذا مرسلا (٤) حديث كان يفتتح الدعاء بسبحان ربى العلى الأعلى الوهاب تقدم (٥) حديث الفضل فى تكرار لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير تقدم من حديث أبى أيوب تكرارها عشرا دون

ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم (١) . الثالثة : قوله سبوح قدوس رب الملائكة والروح (٢) . الرابعة : قوله سبحان الله العظيم وبحمده (٣) . الخامسة : قوله أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأسأله التوبة (٤) . السادسة : قوله اللهم لامانع لما أعطيت ولامعطى لما منعت ولاينفع ذا الجد منك الجد (٥) . السابعة : قوله لا إله إلا الله الملك الحق المبين (٦) الثامنة : قوله باسم الله الذى لايضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم (٧) التاسعة : اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم (٨) .

قوله يحيى ويميت وهو حى لايموت بيده الخير فانها فى اليوم والليلة للنسائى من حديث أبى ذر دون قوله وهو حى لايموت وهى كلها عند البزار من حديث عبد الرحمن بن عوف فيما يقال عند الصباح والمساء وتقدم تكرارها مائة ومائتين وللطبرانى فى الدعاء من حديث عبد الله بن عمر وتكرارها ألف مرة وإسناده ضعيف .

(١) حديث الفضل فى تكرار سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولاحول ولاقوة إلا بالله ن فى اليوم والليلة وحب ك وصححه من حديث أبى سعيد الخدرى استكثروا من الباقيات الصالحات فذكرها (٢) حديث تكرار سبوح قدوس ربّ الملائكة والروح لم أجد ذكرها مكرّرة لكن عند م من حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان يقولها فى ركوعه وسجوده وقد تقدم ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث البراء أكثر من أن تقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح (٣) حديث تكرار سبحان الله وبحمده متفق عليه من حديث أبى هريرة من قال ذلك فى يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر (٤) حديث تكرار أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأسأله التوبة المستغفرى فى الدعوات من حديث معاذ أن من قالها بعد الفجر وبعد العصر ثلاث مرات كفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر ولفظه وأتوب إليه وفيه ضعف وهكذا رواه ت من حديث أبى سعيد فى قولها ثلاثا وللبخارى من حديث أبى هريرة إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة ولم يقل الطبرانى أكثر ولمسلم من حديث الأعرابى لأستغفر الله فى كل يوم مائة مرة تقدمت هذه الأحاديث فى الباب الثانى من الأذكار (٥) حديث تكرار اللهم لامانع لما أعطيت ولامعطى لما منعت ولاينفع ذا الجد منك لم أجد تكرارها فى حديث وإنما وردت مطلقة عقب الصلوات وفى الرفع من الركوع (٦) حديث تكرار لا إله إلا الله الملك الحق المبين المستغفرى فى الدعوات والخطيب فى الرواة عن مالك من حديث على من قالها فى يوم مائة مرة كان له أمان من الفقر وأمان من وحشة القبر واستجلب به الغنى واستفرع به باب الجنة وفيه الفضل بن غانم ضعيف ولأبى نعيم فى الحلية من قال ذلك فى كل يوم وليلة مائتى مرة لم يسأل الله فيهما حاجة إلا قضاها وفيه سليم الخواص ضعيف وقال فيه أظنه عن علىّ (٧) حديث تكرار باسم الله الذى لايضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم أصحاب السنن وابن حبان و ك وصححه من حديث عثمان من قال ذلك ثلاث مرات حين يمسى لم يصبه فجأة بلاء حتى يصبح ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم يصبه فجأة بلاء حتى يمسى قال ت حسن صحيح غريب (٨) حديث تكرار اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى وعلى آل محمد ذكره أبو القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقى فى فضائل القرآن من حديث ابن أبى أوفى من أراد أن يموت فى السماء الرابعة فليقل كل يوم ثلاث مرات فذكره وهو منكر قلت ورد التكرار عند الصباح والمساء من غير تعيين لهذه الصيغة رواه الطبرانى من حديث أبى الدرداء بلفظ من صلى علىّ حين يصبح عشرا وحين يمسى عشرا أدركته شفاعتى يوم القيامة وفيه انقطاع

الجهالات وكشف حجابها وكثرت العادات وتملكت أربابها وتزخرفت الدنيا وكثر خطابها تفرد طائفة بأعمال صالحة وأحوال سنية وصدق فى العزيمة وقوة فى الدين وزهدوا فى الدنيا ومحبتها واغتنموا العزلة والوحدة واتخذوا لنفوسهم زوايا يجتمعون فيها تارة وينفردون أخرى أسوة بأهل الصفة اركين للأسباب متبتلين إلى رب الأرباب فأثمر لهم صالح الأعمال سنىّ الأحوال وتهيأ لهم صفاء الفهوم لقبول العلوم وصار لهم بعد اللسان لسان وبعد العرفان عرفان وبعد الإيمان إيمان كما قال حارثة أصبحت مؤمنا حقا حيث كوشفت برتبة فى الايمان غير مايتعاهدها فصار لهم بمقتضى ذلك علوم يعرفونها وإشارات

العاشرة : قوله أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون(١) فهذه العشر كلمات إذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة مرة فهو أفضل من أن يكرر ذكرا واحدا مائة مرة لأن لكل واحدة من هؤلاء الكلمات فضلا على حياله وللقلب بكل واحدة نوع تنبه وتلذذ وللنفس فى الانتقال من كلمة إلى كلمة نوع استراحة وأمن من الملل فأما القراءة فيستحب له قراءة جملة من الآيات وردت الأخبار بفضلها وهو أن يقرأ سورة الحمد (٢) وآية الكرسى (٣) وخاتمه البقرة (٤) من قوله آمن الرسول وشهد الله (٥) وقل اللهم مالك الملك الآيتين (٦) وقوله تعالى ـ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ـ إلى آخرها (٧)

(١) حديث تكرار أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم أعوذ بالله من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ت من حديث معقل بن يسار من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك الحديث ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة وقال حسن غريب ولابن أبى الدنيا من حديث أنس مثل حديث مقطوع قبله من قالها حين يصبح عشر مرات أجير من الشيطان إلى الصبح الحديث ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث عائشة ألا أعلمك يا خالد كلمات تقولها ثلاث مرات قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون والحديث عند أبى داود و ت وحسنه و ك وصححه فيما يقال عند الفزع دون تكرارها ثلاثا من حديث عبد الله ابن عمرو (٢) حديث فضل سورة الحمد خ من حديث أبى سعيد بن المعلى أنها أعظم السور فى القرآن و م من حديث ابن عباس فى الملك الذى نزل إلى الأرض وقال للنبى ﷺ أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك: فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة لم تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته (٣) حديث فضل آية الكرسى م من حديث أبىّ بن كعب يا أبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم قلت الله لا إله إلا هو الحى القيوم الحديث و خ من حديث أبى هريرة فى توكيله بحفظ تمر الصدقة ومجىء الشيطان إليه وقوله إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى فانه لن يزال عليك من الله حافظ الحديث وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إنه قد صدقك وهو كذوب (٤) حديث فضل خاتمة البقرة متفق عليه من حديث أبى مسعود من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه وتقدم حديث ابن عباس قبله بحديث (٥) حديث فضل شهد الله أبو الشيخ حب فى كتاب الثواب من حديث ابن مسعود من قرأ شهد الله إلى قوله الإسلام ثم قال وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى عنده وديعة جىء به يوم القيامة فقيل له عبدى هذا عهد إلىّ عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى الجنة وفيه عمر بن المختار روى الأباطيل قاله ابن عدى وسيأتى حديث على بعده (٦) حديث فضل قل اللهم مالك الملك الآيتين المستغفرى فى الدعوات من حديث علىّ ان فاتحة الكتاب وآية الكرسى والآيتين من آل عمران شهد الله إلى قوله الإسلام وقل اللهم مالك الملك إلى قوله بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله حجاب الحديث وفيه فقال الله لا يقرأ كن أحد من عبادى دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مثواه الحديث وفيه الحارث ابن عمير وفى ترجمته ذكره حب فى الضعفاء وقال موضوع لا أصل له والحارث يروى عن الاثبات الموضوعات قلت وثقه حماد بن زيد وابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم و ن وروى له خ تعليقا

(٧) حديث فضل لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها طب فى الدعاء من حديث أنس بسند ضعيف علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحترز به من كل شيطان رجيم ومن كل جبار عنيد فذكر

يتعاهدونها فحرروا لنفوسهم اصطلاحات تشير إلى معان يعرفونها وتعرب عن أحوال يجدونها فأخذ ذلك الخلف عن السلف حتى صار ذلك رسما مستمرا وخبرا مستقرا فى كل عصر وزمان فظهر هذا الاسم بينهم وتسموا به وسموا به فالاسم سمتهم والعلم بالله صفتهم والعبادة حليتهم والتقوى شعارهم وحقائق الحقيقة أسرارهم، نزاع القبائل وأصحاب الفضائل سكان قباب الغيرة وقطان ديار الحيرة لهم مع الساعات من إمداد فضل الله مزيد ولهيب شوقهم يتأجج ويقول هل من مزيد اللهم احشرنا فى زمرتهم وارزقنا حالاتهم والله أعلم .

[الباب السابع فى ذكر المتصوف والمتشبه به]

أخبرنا شيخنا شيخ الإسلام أبو النجيب

وقوله تعالى ـ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ـ إلى آخرها (١) وقوله سبحانه ـ الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ـ (٢) الآية وخمس آيات من أول الحديد (٣) وثلاثا من آخر سورة الحشر (٤) وإن قرأ السبعات العشر التى أهداها الخضر عليه السلام إلى إبراهيم التيمى رحمه الله ووصاه أن يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة جملة الأدعية المذكورة فقد روى عن كرز بن وبرة رحمه الله وكان من الأبدال قال أتانى أخ لى من أهل الشام فأهدى لى هدية وقال يا كرز اقبل منى هذه الهدية فانها نعمت الهدية فقلت يا أخى ومن أهدى لك هذه الهدية قال أعطانيها إبراهيم التيمى قلت أفلم تسأل إبراهيم من أعطاه إياها قال بلى قال كنت جالسا فى فناء الكعبة وأنا فى التهليل والتسبيح والتحميد والتمجيد فجاءنى رجل فسلم على وجلس عن يمينى فلم أر فى زمانى أحسن منه وجها ولا أحسن منه ثيابا ولا أشد بياضا ولا أطيب ريحا منه فقلت يا عبد الله من أنت ومن أين جئت فقال أنا الخضر فقلت فى أى شىء جئتنى فقال جئتك للسلام عليك وحبا لك فى الله وعندى هدية أريد أن أهديها لك فقلت ماهى قال أن تقول قبل طلوع الشمس وقبل انبساطها على الأرض وقبل الغروب سورة الحمد وقل أعوذ برب الناس وقل أعوذ برب الفلق وقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون وآية الكرسى كل واحدة سبع مرات وتقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبعا وتصلى على النبى صلى الله عليه وسلم سبعا وتستغفر لنفسك ولوالديك وللمؤمنين والمؤمنات سبعا وتقول اللهم افعل بى وبهم عاجلا وآجلا فى الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل إنك غفور حليم جواد كريم رءوف رحيم سبع مرات وانظر أن لا تدع ذلك غدوة وعشية فقلت أحب أن تخبرنى من أعطاك هذه العطية العظيمة فقال أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم (٥) فقلت أخبرنى بثواب ذلك فقال إذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فاسأله عن ثوابه فانه يخبرك بذلك فذكر إبراهيم التيمى أنه رأى ذات يوم فى منامه كأن الملائكة جاءته فاحتملته حتى أدخلوه الجنة فرأى ما فيها ووصف أمورا عظيمة مما رآه فى الجنة قال فسألت الملائكة

حديثا وفى آخره فقل حسبى الله إلى آخر السورة وذكر أبو القاسم الغافقى فى فضائل القرآن فى رغائب القرآن لعبد الملك بن حبيب من رواية محمد بن بكار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لزم قراءة لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة لم يمت هدما ولا غرقا ولا حرقا ولا ضربا بحديدة وهو ضعيف (١) حديث فضل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لم أجد فيه حديثا يخصها لكن فى فضل سورة الفتح ما رواه أبو الشيخ فى كتاب من حديث أبى بن كعب من قرأ سورة الفتح فكأنما شهد فتح مكة مع النبى ﷺ وهو حديث موضوع (٢) حديث فضل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا الآية أحمد والطبرانى من حديث معاذ بن أنس آية العز الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا الآية كلها وإسناده ضعيف (٣) حديث فضل خمس آيات من أول الحديد ذكر أبو القاسم الغافقى فى فضائل القرآن من حديث علىّ إذا أردت أن تسأل الله حاجة فاقرأ خمس آيات من أول سورة الحديد إلى قوله ـ عليم بذات الصدور ـ ومن آخر سورة الحشر من قوله ـ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل ـ إلى آخر السورة ثم تقول يا من هو كذا افعل بى كذا وتدعو بما تريد (٤) حديث فضل ثلاث آيات من آخر سورة الحشر ت من حديث معقل بن يسار وقد تقدم قبل هذا بورقة وللبيهقى فى الشعب من حديث أبى أمامة بسند ضعيف من قرأ خواتيم سورة الحشر فى ليل أو نهار فمات من يومه أو ليلته فقد أوجب الله له الجنة (٥) حديث كرز بن وبرة من أهل الشام عن إبراهيم التيمى أن الخضر علمه السبعات العشرة وقال فى آخرها أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم ليس له أصل ولم يصح فى حديث قط اجتماع الخضر بالنبى صلى الله عليه وسلم ولا عدم اجتماعه ولا حياته ولا موته .

السهروردى إجازة قال أنا الشيخ أبو منصور ابن خيرون قال أنا أبو محمد الحسن بن على الجوهرى إجازة قال أنا محمد بن العباس بن زكريا قال أنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد الأصفهانى قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزى قال أنا عبد الله ابن المبارك قال أنا المعتمر بن سليمان قال أنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال « جاء رجل إلى النبى عليه الصلاة والسلام فقال يا رسول الله متى قيام الساعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة فلما قضى الصلاة قال أين السائل عن الساعة فقال الرجل أنا يا رسول الله قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام أو قال ما أعددت لها كبير عمل إلا أنى

فقلت لمن هذا فقالوا للذى يعمل مثل عملك وذكر أنه أكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال فأتانى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب فسلم علىّ وأخذ بيدى فقلت يارسول الله الخضر أخبرنى أنه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الخضر صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم أهل الأرض وهو رئيس الأبدال وهو من جنود الله تعالى فى الأرض فقلت يارسول الله فمن فعل هذا أو عمله ولم ير مثل الذى رأيت فى منامى هل يعطى شيئا مما أعطيته فقال والذى بعثنى بالحق نبيا إنه لا يعطى العامل بهذا وإن لم يرنى ولم ير الجنة إنه لا يغفر له جميع الكبائر التى عملها ويرفع الله تعالى عنه غضبه ومقته ويأمر صاحب الشمال أن لا يكتب عليه خطيئة من السيئات إلى سنة والذى بعثنى بالحق نبيا ما يعمل بهذا إلا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه إلا من خلقه الله شقيا وكان إبراهيم التيمى يمكث أربعة أشهر لم يطعم ولم يشرب فلعله كان بعد هذه الرؤيا فهذه وظيفة القراءة فان أضاف إليها شيئا مما انتهى إليه ورده من القرآن أو اقتصر عليه فهو حسن فان القرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر كما ذكرنا فضله وآدابه فى باب التلاوة . وأما الأفكار فليكن ذلك إحدى وظائفه وسيأتى تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته فى كتاب التفكر من ربع المنجيات ولكن مجامعه ترجع إلى فنين : أحدهما أن يتفكر فيما ينفعه من المعاملة بأن يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ويرتب وظائفه فى يومه الذى بين يديه ويدبر فى دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق إليه الخلل من أعماله ليصلحه ويحضر فى قلبه النيات الصالحة من أعماله فى نفسه وفى معاملته للمسلمين . الفن الثانى فيما ينفعه فى علم المكاشفة وذلك بأن يتفكر مرة فى نعم الله تعالى وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها أو فى عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الاله واستغنائه ويزيد خوفه منها ولكل واحد من هذه الأمور شعب كثيرة يتسع التفكر فيها على بعض الخلق دون البعض وإنما نستقصى ذلك فى كتاب التفكر ومهما تيسر الفكر فهو أشرف العبادات إذ فيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة أمرين : أحدهما زيادة المعرفة إذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف . والثانى زيادة المحبة إذ لا يحب القلب إلا من اعتقد تعظيمه ولا تنكشف عظمة الله سبحانه وجلاله إلا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب أفعاله فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة والذكر أيضا يورث الأنس وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التى سببها المعرفة أقوى وأثبت وأعظم ونسبة محبة العارف إلى أنس الذاكر من غير تمام الاستبصار كنسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين واطلع على حسن أخلاقه وأفعاله وفضائله وخصاله الحميدة بالتجربة إلى أنس من كرر على سمعه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن فى الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما فليس محبته له كمحبة المشاهد وليس الخبر كالمعاينة فالعباد المواظبون على ذكر الله بالقلب واللسان الذين يصدقون بما جاءت به الرسل بالايمان التقليدى ليس معهم من محاسن صفات الله تعالى إلا أمور جملية اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة الباطنة التى هى أقوى من البصر الظاهر لأن أحدا لم يحط بكنه جلاله وجماله فان ذلك غير مقدور لأحد من الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له من الحجاب ولا نهاية لجمال حضرة الربوبية ولا لحجبها وانما عدد حجبها التى استحقت أن تسمى نورا وكاد يظن الواصل إليها أنه قد تم وصوله إلى الأصل سبعون حجابا قال صلى الله عليه وسلم « إن لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما أدرك بصره (١) » وتلك الحجب أيضا مترتبة وتلك الأنوار متفاوتة فى الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب ويبدو

(١) حديث إن لله سبعين حجابا من نور الحديث تقدم فى قواعد العقائد .

أحب الله ورسوله فقال النبى عليه الصلاة والسلام: « المرء مع من أحب أو أنت مع من أحببت » قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بشىء بعد الاسلام فرحهم بهذا فالمتشبه بالصوفية ما اختار التشبه بهم دون غيرهم من الطوائف إلا لمحبته إياهم وهو مع تقصيره عن القيام بما هم فيه يكون معهم لموضع إرادته ومحبته وقد ورد بلفظ آخر أوضح من الخبر الذى رويناه فى المعنى روى عبادة بن الصامت عن أبى ذر الغفارى قال : قلت يارسول الله الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل كعملهم قال « أنت ياأباذر مع من أحببت » قال قلت فانى أحب الله ورسوله . قال « فانك مع من أحببت » قال

فى الأول أصغرها ثم مايليه وعليه أول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لإبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم فى ترقيه وقال ـ فلما جن عليه الليل ـ أى أظلم عليه الأمر ـ رأى كوكبا ـ أى وصل إلى حجاب من حجب النور فعبر عنه بالكوكب وما أريد به هذه الأجسام المضيئة فان آحاد العوام لا يخفى عليهم أن الربوبية لا تليق بالأجسام بل يدركون ذلك بأوائل نظرهم فالا يضلل العوام لا يضلل الخليل عليه السلام والحجب المسماة أنوارا ما أريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل أريد بها ما أريد بقوله تعالى ـ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ـ الآية ولنتجاوز هذه المعانى فانها خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل إلى حقائقها إلا الكشف التابع للفكر الصافى وقل من ينفتح له بابه والمتيسر على جماهير الخلائق الفكر فيما يفيد فى علم المعاملة وذلك أيضا مما تغزر فائدته ويعظم نفعه فهذه الوظائف الأربعة أعنى الدعاء والذكر والقراءة والفكر ينبغى أن تكون وظيفة المريد بعد صلاة الصبح بل فى كل ورد بعد الفراغ من وظيفة الصلاة فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الأربع ويقوى على ذلك بأن يأخذ سلاحه ومجنته والصوم هو الجنة التى تضيق مجارى الشيطان المعادى الصارف له عن سبيل الرشاد وليس بعد طلوع الصبح صلاة سوى ركعتى الفجر وفرض الصبح إلى طلوع الشمس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم يشتغلون فى هذا الوقت بالأذكار (١) وهو الأولى إلا أن يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع إلا بالصلاة فلو صلى لذلك فلا بأس به . الورد الثانى : ما بين طلوع الشمس إلى ضحوة النهار وأعنى بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس إلى الزوال وذلك بمضى ثلاث ساعات من النهار إذا فرض النهار اثنتى عشرة ساعة وهو الربع وفى هذا الربع من النهار وظيفتان زائدتان إحداها صلاة الضحى وقد ذكرناها فى كتاب الصلاة وأن الأولى أن يصلى ركعتين عند الاشراق وذلك إذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر نصف رمح ويصلى أربعا أو ستا أو ثمانيا إذا رمضت الفصال وضحيت الأقدام بحر الشمس فوقت الركعتين هو الذى أراد الله تعالى بقوله ـ يسبحن بالعشى والإشراق ـ فانه وقت إشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات والغبارات التى على وجه الأرض فانها تمنع إشراقها التام ووقت الركعات الأربع هو الضحى الأعلى الذى أقسم الله تعالى به فقال ـ والضحى والليل إذا سجى ـ « وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى بأعلى صوته : ألا إن صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال (٢) » فلذلك نقول إذا كان يقتصر على مرة واحدة فى الصلاة فهذا الوقت أفضل لصلاة الضحى وإن كان أصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفى وقتى الكراهة وهو ما بين ارتفاع الشمس بطلوع نصف رمح بالتقريب إلى ما قبل الزوال فى ساعة الاستواء واسم الضحى ينطلق على الكل وكأن ركعتى الاشراق تقع فى مبتدإ وقت الاذن فى الصلاة وانقضاء الكراهة إذ قال صلى الله عليه وسلم «إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها (٣) » فأقل ارتفاعها أن ترتفع عن بخارات الأرض وغبارها وهذا يراعى بالتقريب. الوظيفة الثانية فى هذا الوقت : الخيرات المتعلقة بالناس التى جرت بها العادات بكرة من عيادة مريض

(١) حديث اشتغاله بالأذكار من الصبح إلى طلوع الشمس تقدم حديث جابر بن سمرة عند م فى جلوسه صلى الله عليه وسلم إذا صلى الفجر فى مجلسه حتى تطلع الشمس وليس فيه ذكر اشتغاله بالذكر وإنما هو من قوله عما تقدم من حديث أنس (٢) حديث خرج على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى بأعلى صوته ألا إن صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال طب من حديث زيد بن أرقم دون قوله فنادى بأعلى صوته وهو عند م دون ذكر الاشراق (٣) حديث إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها تقدم فى الصلاة .

فأعادها أبو ذر فأعادها رسول الله صلى الله عليه وسلم » فمحبة المتشبه إياهم لا تكون إلا لتنبه روحه لما تنبهت له أرواح الصوفية لأن محبة أمر الله وما يقرب إليه ومن يقرب منه تكون بجاذب الروح غير أن المتشبه تعوق بظلمة النفس والصوفى تخلص من ذلك والمتصوف متطلع إلى حال الصوفى وهو مشارك ببقاء شىء من صفات نفسه عليه للمتشبه وطريق الصوفية أوله إيمان ثم علم ثم ذوق فالمتشبه صاحب إيمان والايمان بطريق الصوفية أصل كبير قال الجنيد رحمة الله عليه الإيمان بطريقنا هذا ولاية ووجه ذلك أن الصوفية تميزوا بأحوال عزيزة وآثار مستغربة عند أكثر الخلق لأنهم مكاشفون بالقدر وغرائب العلوم

وتشييع جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور مجلس علم وما يجرى مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها فان لم يكن شيء من ذلك عاد إلى الوظائف الأربع التي قدمناها من الأدعية والذكر والقراءة والفكر والصلوات المتطوع بها إن شاء فانها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست مكروهة الآن فتعتبر الصلاة قسما خامسا من جملة وظائف هذا الوقت لمن أراده أما بعد فريضة الصبح فتكره كل صلاة لاسبب لها وبعد الصبح الأحب أن يقتصر على ركعتي الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلاة بل بالأذكار والقراءة والدعاء والفكر . الورد الثالث : من ضحوة النهار إلى الزوال ونعني بالضحوة المنتصف وماقبله بقليل وإن كان بعد كل ثلاث ساعات أمر بصلاة فاذا انقضى ثلاث ساعات بعد الطلوع فعندها وقبل مضيها صلاة الضحى فاذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالظهر فاذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالعصر فاذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالمغرب ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والغروب إلا أن الضحى لم تفرض لأنه وقت انكباب الناس على أشغالهم فتخفف عنهم . الوظيفة الرابعة : في هذا الوقت الأقسام الأربعة وزيد أمران : أحدهما الاشتغال بالكسب وتدبير المعيشة وحضور السوق فان كان تاجرا فينبغي أن يتجر بصدق وأمانة وإن كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة ولاينسى ذكر الله تعالى في جميع أشغاله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على أن يكتسب في كل يوم لقوته فاذا حصل كفاية يومه فليرجع إلى بيت ربه وليتزود لآخرته فان الحاجة إلى زاد الآخرة أشد والتمتع به أدوم فاشتغاله بكسبه أهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت ، فقد قيل لايوجد المؤمن إلا في ثلاث مواطن مسجد يعمره أو بيت يستره أو حاجة لابد له منها وقل من يعرف القدر فيما لابد منه بل أكثر الناس يقدرون فيما عنه بد أنه لابد لهم منه وذلك لأن الشيطان يعدهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء فيصغون إليه ويجمعون مالا يأكلون خيفة الفقر والله يعدهم مغفرة منه وفضلا فيعرضون عنه ولايرغبون فيه . الأمر الثاني : القيلولة وهي سنة يستعان بها على قيام الليل كما أن التسحر سنة يستعان به على صيام النهار فان كان لايقوم بالليل لكن لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما خالط أهل الغفلة وتحدث معهم فالنوم أحب له إذا كان لاينبعث نشاطه للرجوع إلى الأذكار والوظائف المذكورة إذ في النوم الصمت والسلامة ، وقد قال بعضهم يأتي على الناس زمان الصمت والنوم فيه أفضل أعمالهم وكم من عابد أحسن أحواله النوم وذلك إذا كان يرائي بعبادته ولايخلص فيها فكيف بالغافل الفاسق قال سفيان الثوري رحمه الله كان يعجبهم إذا تفرغوا أن يناموا طلبا للسلامة فاذا كان نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل كان نومه قربة ، ولكن ينبغي أن يتنبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلاة فان ذلك من فضائل الأعمال وإن لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة والذكر فهو أفضل أعمال النهار لأنه وقت غفلة الناس عن الله عز وجل واشتغالهم بهموم الدنيا فالقلب المتفرغ لخدمة ربه عند إعراض العبيد عن بابه جدير بأن يزكيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته وفضل ذلك كفضل إحياء الليل فان الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا وأحد معني قوله تعالى ـ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر ـ أي يخلف أحدهما الآخر في الفضل والثاني أنه يخلفه فيتدارك فيه مافات في أحدهما . الورد الرابع : مابين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر وراتبته وهذا أقصر أوراد النهار وأفضلها فاذا كان قد توضأ قبل الزوال وحضر المسجد فهما زالت الشمس وابتدأ المؤذن الأذان فليصبر إلى الفراغ من جواب أذانه ثم ليقم إلى إحياء مابين الأذان والإقامة فهو وقت الاظهار الذي أراده الله تعالى بقوله ـ وحين تظهرون ـ

واشاراتهم إلى عظيم أمر الله والقرب منه والإيمان بذلك إيمان بالقدرة وقد أنكر قوم من أهل الملة كرامات الأولياء والإيمان بذلك إيمان بالقدرة ولهم علوم من هذا القبيل فلا يؤمن بطريقهم إلا من خصه الله تعالى بمزيد عنايته فالمتشبه صاحب إيمان والمتصوف صاحب علم لأنه بعد الإيمان اكتسب مزيد علم بطريقهم وصار له من ذلك مواجيد يستدل بها على سائرها والصوفي صاحب ذوق فللمتصوف الصادق نصيب من حال الصوفي وللمتشبه نصيب من حال المتصوف وهكذا سنة الله تعالى جارية أن كل صاحب حال له ذوق فيه لابد أن يكشف له علم بحال أعلى مما هو فيه فيكون في الحال الأول صاحب ذوق وفي الحال الذي كوشف به

وليصلّ فى هذا الوقت أربع ركعات لا يفصل بينهن بتسليمة واحدة (١) وهذه الصلاة وحدها من بين سائر صلوات النهار نقل بعض العلماء أنه يصليها بتسليمة واحدة ولكن طعن فى تلك الرواية ومذهب الشافعى رضى الله عنه أنه يصلى مثنى مثنى كسائر النوافل ويفصل بتسليمة (٢) وهو الذى صحت به الأخبار وليطول هذه الركعات إذ فيها تفتح أبواب السماء كما أوردنا الخبر فيه فى باب صلاة التطوع وليقرأ فيها سورة البقرة أو سورة من المئين أو أربعا من المثانى فهذه ساعات يستجاب فيها الدعاء وأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرفع له فيها عمل ثم يصلى الظهر بجماعة بعد أربع ركعات طويلة كما سبق أو قصيرة لا ينبغى أن يدعها ثم ليصل بعد الظهر ركعتين ثم أربعا فقد كره ابن مسعود أن تتبع الفريضة بمثلها من غير فاصل ويستحب أن يقرأ فى هذه النافلة آية الكرسى وآخر سورة البقرة والآيات التى أوردناها فى الورد الأول ليكون ذلك جامعا له بين الدعاء والذكر والقراءة والصلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت الورد الخامس : ما بعد ذلك إلى العصر ويستحب فيه العكوف فى المسجد مشتغلا بالذكر والصلاة أو فنون الخير ويكون فى انتظار الصلاة معتكفا فمن فضائل الأعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سنة السلف وكان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويا كدوى النحل من التلاوة فان كان بيته أسلم لدينه وأجمع لهمه فالبيت أفضل فى حقه فإحياء هذا الورد وهو أيضا وقت غفلة الناس كإحياء الورد الثالث فى الفضل وفى هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال إذ يكره نومتان بالنهار قال بعض العلماء ثلاث يمقت الله عليها: الضحك بغير عجب والأكل من غير جوع والنوم بالنهار من غير سهر بالليل والحد فى النوم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فالاعتدال فى نومه ثمان ساعات فى الليل والنهار جميعا فان نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار وإن نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار فحسب ابن آدم إن عاش ستين سنة أن ينقص من عمره عشرون سنة ومهما نام ثمان ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء الروح كما أن الطعام غذاء الأبدان وكما أن العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه عنه وقدر الاعتدال هذا والنقصان منه ربما يفضى إلى اضطراب البدن إلا من يتعود السهر تدريجا فقد يمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد من أطول الأوراد وأمتعها للعباد وهو أحد الآصال التى ذكرها الله تعالى إذ قال ـ ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدوّ والآصال ـ وإذا سجد لله عز وجل الجمادات فكيف يجوز أن يغفل العبد العاقل عن أنواع العبادات . الورد السادس : إذا دخل وقت العصر دخل وقت الورد السادس وهو الذى أقسم الله تعالى به فقال تعالى والعصر هذا أحد معنى الآية وهو المراد بالآصال فى أحد التفسيرين وهو العشى المذكور فى قوله وعشيا وفى قوله بالعشى والإشراق وليس فى هذا الورد صلاة إلا أربع ركعات بين الأذان والإقامة كما سبق فى الظهر ثم يصلى الفرض ويشتغل بالأقسام الأربعة المذكورة فى الورد الأول إلى أن ترتفع الشمس إلى رءوس الحيطان وتصفر والأفضل فيه إذ منع عن الصلاة تلاوة القرآن بتدبر وتفهم إذ يجمع ذلك بين الذكر والدعاء والفكر فيندرج فى هذا القسم أكثر مقاصد الأقسام الثلاثة . الورد السابع : إذا اصفرت الشمس بأن تقرب من الأرض بحيث يغطى نورها الغبارات والبخارات التى على وجه الأرض ويرى صفرة فى ضوئها دخل وقت هذا الورد وهو مثل الورد الأول من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأنه قبل الغروب كما أن ذلك قبل الطلوع

(١) حديث صلاة أربع بعد الزوال بتسليمة واحدة وفيه أنها فيها تفتح أبواب السماء وأنها ساعة يستجاب فيها الدعاء فأحب أن يرفع لى فيها عمل صالح د ه من حديث أبى أيوب وقد تقدم فى الصلاة فى الباب السادس (٢) حديث صلاة الليل والنهار مثنى مثنى د و حب من حديث ابن عمر .

صاحب علم وبحال فوق ذلك صاحب إيمان حق لا يزال طريق الطلب مسلوكا فيكون فى حال الذوق صاحب قدم وفى حال الدوام صاحب نظر وفى حال فوق ذلك صاحب إيمان قال الله تعالى ـ إن الأبرار لفى نعيم على الأرائك ينظرون ـ وصف الأبرار ووصف شرابهم ثم قال سبحانه وتعالى ـ ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ـ فكان شراب الأبرار مزج من شراب المقرّبين وللمقربين ذلك صرفا فللصوفى شراب صرف وللمتصوف من ذلك مزج فى شرابه وللمتشبه مزج من شراب المتصوف فالصوفى سبق إلى مقار الروح من بساط القرب والمتصوف بالنسبة إلى الصوفى كالمتزهد بالنسبة إلى الزاهد لأنه تفعل وتعمل وتسبب إشارة إلى ما بقى

وهو المراد بقوله تعالى ـ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ـ وهذا هو الطرف الثانى المراد بقوله تعالى ـ فسبح وأطراف النهار ـ قال الحسن كانوا أشد تعظيما للعشى منهم لأول النهار وقال بعض السلف كانوا يجعلون أول النهار للدنيا وآخره للآخرة فيستحب فى هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وسائر ماذكرناه فى الورد الأول مثل أن يقول أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأسأله التوبة وسبحان الله العظيم وبحمده مأخوذ من قوله تعالى ـ واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار ـ والاستغفار على الأسماء التى فى القرآن أحب كقوله أستغفر الله إنه كان غفارا أستغفر الله إنه كان توابا رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ويستحب أن يقرأ قبل غروب الشمس : والشمس وضحاها. والليل إذا يغشى. والمعوذتين . ولتغرب الشمس عليه وهو فى الاستغفار فاذا سمع الأذان قال اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك كما سبق ثم يجيب المؤذن ويشتغل بصلاة المغرب وبالغروب قد انتهت أوراد النهار فينبغى أن يلاحظ العبد أحواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة فان ساوى يومه أمسه فيكون مغبونا وإن كان شرا منه فيكون ملعونا فقد قال ﷺ « لا بورك لى فى يوم لا أزداد فيه خيرا (١) » فان رأى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره مترفها عن التجشم كانت بشارة فليشكر الله تعالى على توفيقه وتسديده إياه لطريقه وإن تكن الأخرى فالليل خلفة النهار فليعزم على تلافى ماسبق من تفريطه فان الحسنات يذهبن السيئات وليشكر الله تعالى على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره طول ليله ليشتغل بتدارك تقصيره وليحضر فى قلبه أن نهار العمر له آخر تغرب فيه شمس الحياة فلا يكون لها بعدها طلوع وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر إلا أياما معدودة تنقضى لا محالة جملتها بانقضاء آحادها

(بيان أوراد الليل وهى خمسة)

الأول : إذا غربت الشمس صلى المغرب واشتغل باحياء ما بين العشاءين فآخر هذا الورد عند غيبوبة الشفق أعنى الحمرة التى بغيبوبتها يدخل وقت العتمة وقد أقسم الله تعالى به فقال ـ فلا أقسم بالشفق ـ والصلاة فيه هى ناشئة الليل لأنه أول نشو ساعاته وهو آن من الآناء المذكورة فى قوله تعالى ـ ومن آناء الليل فسبح ـ وهى صلاة الأوابين . وهى المراد بقوله تعالى ـ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ـ روى ذلك عن الحسن وأسنده ابن أبى زياد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه سئل عن هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم : الصلاة بين العشاءين ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره (٢) » والملاغات جمع ملغاة من اللغو وسئل أنس رحمه الله عمن

(١) حديث لا بورك لى فى يوم لا أزداد فيه خيرا تقدم فى العلم فى الباب الأول إلا أنه قال علما بدل خيرا

(٢) حديث سئل عن قوله تعالى ـ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ـ فقال الصلاة بين العشاءين ثم قال عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره قال المصنف أسنده ابن أبى الزناد[١] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت إنما هو إسماعيل بن أبى زياد بالياء المثناة من تحت رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من رواية إسماعيل بن أبى زياد الشامى عن الأعمش حدثنا أبو العلاء العنبرى عن سلمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغات أول النهار ومهذبة آخره واسماعيل هذا متروك يضع الحديث قاله الدارقطنى واسم أبى زياد مسلم وقد اختلف فيه على الأعمش ولابن مردويه من حديث أنس أنها نزلت فى الصلاة بين المغرب والعشاء والحديث عند ت وحسنه بلفظ نزلت فى انتظار الصلاة التى تدعى العتمة .

[١] قول العراقى ابن أبى الزناد هى نسخة وقعت له وإلا ففى النسخ الصحيحة ابن أبى زياد فليتأمل .

عليه من وصفه فهو مجتهد فى طريقه سائر إلى ربه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سيروا سبق المفردون» قيل من المفردون يارسول الله ؟ قال المستهترون بذكر الله وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا» فالصوفى فى مقام المفردين والمتصوف فى مقام السائرين واصل فى سيره إلى مقر القلب من ذكر الله عزوجل ومراقبته بقلبه وتلذذه بنظره إلى نظر الله إليه فالصوفى فى مقار الروح صاحب مشاهدة والمتصوف فى مقار القلب صاحب مراقبة والمتشبه فى مقاومة النفس صاحب مجاهدة وصاحب محاسبة فتلوين الصوفى بوجود قلبه وتلوين المتصوف بوجود نفسه والمتشبه لا تلوين له لأن التلوين لأرباب الأحوال والمتشبه مجتهد سالك

ينام بين العشاءين فقال لاتفعل فانها الساعة المعنية بقوله تعالى ـ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ـ وسيأتى فضل إحياء مابين العشاءين فى الباب الثانى . وترتيب هذا الورد أن يصلى بعد المغرب ركعتين أولا يقرأ فيهما قل ياأيها الكافرون وقل هو الله أحد ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولاشغل ثم يصلى أربعا يطيلها ثم يصلى إلى غيبوبة الشفق ماتيسر له وإن كان المسجد قريبا من المنزل فلا بأس أن يصليها فى بيته إن لم يكن عزمه العكوف فى المسجد وان عزم على العكوف فى انتظار العتمة فهو الأفضل إذا كان آمنا من التصنع والرياء . الورد الثانى : يدخل بدخول وقت العشاء الآخرة إلى حد نومة الناس وهو أول استحكام الظلام وقد أقسم الله تعالى به إذ قال ـ والليل وماوسق ـ أى وماجمع من ظلمته وقال إلى غسق الليل فهناك يغسق الليل وتستوسق ظلمته . وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلاثة أمور : الأول أن يصلى سوى فرض العشاء عشر ركعات أربعا قبل الفرض إحياء لما بين الأذانين وستا بعد الفرض ركعتين ثم أربعا ويقرأ فيها من القرآن الآيات المخصوصة كآخر البقرة وآية الكرسى وأول الحديد وآخر الحشر وغيرها . والثانى أن يصلى ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر فانه أكثر ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى بها من الليل[1] والأكياس يأخذون أوقاتهم من أول الليل والأقوياء من آخره والحزم التقديم فانه ربما لايستيقظ أو يثقل عليه القيام إلا إذا صار ذلك عادة له فآخر الليل أفضل ثم ليقرأ فى هذه الصلاة قدر ثلثمائة آية من السور المخصوصة التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر قراءتها مثل يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة[2] فإن لم يصل فلا يدع قراءة هذه السور أو بعضها قبل النوم فقد روى فى ثلاث أحاديث ماكان يقرؤه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل ليلة أشهرها السجدة وتبارك الملك[3] والزمر والواقعة وفى رواية الزمر وبنى إسرائيل[4] وفى أخرى أنه كان يقرأ المسبحات فى كل ليلة ويقول فيها آية أفضل من ألف آية[5] وكان العلماء

(١) حديث الوتر ثلاث عشرة ركعة يعنى بالليل وانه أكثر ماصلى به النبى صلى الله عليه وسلم من الليل د من حديث عائشة لم يكن يوتر بأنقص من سبع ولا بأكثر من ثلاث عشرة ركعة و خ من حديث ابن عباس كانت صلاته ثلاث عشرة ركعة يعنى بالليل و م كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة وفى رواية للشيخين منها ركعتا الفجر ولهما أيضا ماكان يزيد فى رمضان ولاغيره على إحدى عشرة ركعة (٢) حديث إكثاره صلى الله عليه وسلم من قراءة يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة غريب لم أقف على ذكر الاكثار فيه وحب من حديث جندب من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر له و ت من حديث جابر كان لاينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذى بيده الملك وله من حديث عائشة كان لاينام حتى يقرأ بنى إسرائيل والزمر وقال حسن غريب وله من حديث أبى هريرة من قرأ حم الدخان فى ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك قال غريب ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث عائشة من قرأ فى ليلة الم تنزيل ويس وتبارك الذى بيده الملك واقتربت كن له نورا الحديث ولأبى منصور المظفر بن الحسين الغزنوى فى فضائل القرآن من حديث على ياعلى أكثر من قراءة يس الحديث وهو منكر وللحارث بن أبى أسامة من حديث ابن مسعود بسند ضعيف من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا و ت من حديث ابن عباس شيبتنى هود والواقعة الحديث وقال حسن غريب (٣) حديث كان يقرأ فى كل ليلة السجدة وتبارك الملك ت وتقدم فى الحديث قبله (٤) حديث كان يقرأ فى كل ليلة الزمر وبنى إسرائيل ت وتقدم أيضا (٥) حديث كان يقرأ المسبحات فى كل ليلة ويقول فيهن آية أفضل من ألف آية د ت وقال حسن و ن فى الكبرى من حديث عرباض بن سارية .

لم يصل بعد إلى الأحوال والكل تجمعهم دائرة الاصطفاء قال الله تعالى ـ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ـ قال بعضهم الظالم الزاهد والمقتصد العارف والسابق المحب وقال بعضهم الظالم الذى يجزع من البلاء والمقتصد الذى يصبر عند البلاء والسابق الذى يتلذذ بالبلاء وقال بعضهم الظالم يعبد على الغفلة والعادة والمقتصد يعبد على الرغبة والرهبة والسابق يعبد على الهيبة والمنة وقال بعضهم الظالم يذكر الله بلسانه والمقتصد بقلبه والسابق لاينسى ربه وقال أحمد بن عاصم الأنطاكى رحمه الله : الظالم صاحب الأقوال والمقتصد صاحب الأفعال والسابق صاحب الأحوال وكل هذه الأقوال قريبة التناسب

يجعلونها ستا فيزيدون سبح اسم ربك الأعلى إذ في الخبر « أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب سبح اسم ربك الأعلى ، وكان يقرأ في ثلاث ركعات الوتر ثلاث سور سبح اسم ربك الأعلى (١) وقل يا أيها الكافرون والإخلاص (٢) فاذا فرغ قال سبحان الملك القدوس ثلاث مرات » . الثالث الوتر ولو تر قبل النوم إن لم يكن عادته القيام قال أبو هريرة رضي الله عنه : أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أنام إلا على وتر (٣) وإن كان معتادا صلاة الليل فالتأخير أفضل قال صلى الله عليه وسلم « صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فأوتر بركعة (٤) » وقالت عائشة رضي الله عنها أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر (٥) وقال علي رضي الله عنه الوتر على ثلاثة أنحاء إن شئت أوترت أول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يعني أنه يصير وترا بما مضى وإن شئت أوترت بركعة فاذا استيقظت شفعت إليها أخرى ثم أوترت من آخر الليل وان شئت أخرت الوتر ليكون آخر صلاتك هذا ماروي عنه والطريق الأول والثالث لا بأس به وأما نقض الوتر فقد صح فيه نهي فلا ينبغي أن ينقض (٦) وروي أنه مطلقا أنه ﷺ قال « لا وتران في ليلة (٧) » ولمن تردد في استيقاظه تلطف استحسنه بعض العلماء وهو أن يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا على فراشه عند النوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزحف إلى فراشه ويصليهما ويقرأ فيهما إذا زلزلت وألهاكم (٨) لما فيهما من التحذير والوعيد وفي رواية قل يا أيها الكافرون لما فيها من التبرئة وافراد العبادة لله تعالى فقيل إن استيقظ قامتا مقام ركعة واحدة وكان له أن يوتر بواحدة في آخر صلاة الليل وكأنه صار مامضى شفعا بهما وحسن استئناف الوتر واستحسن هذا أبو طالب المكي وقال فيه ثلاثة أعمال قصر الأمل وتحصيل الوتر والوتر آخر الليل وهو كما ذكره لكن ربما يخطر أنهما لو شفعتا مامضى لكان كذلك وإن لم يستيقظ وأبطل وتره الأول فكونه شافعا إن استيقظ غير مشفع إن نام فيه نظر إلا أن يصح من رسول الله ﷺ إيثاره قبلهما وإعادته الوتر فيفهم منه أن الركعتين شفع بصورتهما وتر بمعناهما فيحسب وترا إن لم يستيقظ وشفعا إن استيقظ ثم يستحب بعد التسليم من الوتر أن يقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والأرض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت روي « أنه صلى الله عليه وسلم مامات حتى كان أكثر صلاته جالسا إلا المكتوبة (٩) » وقد قال « للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد (١٠) » وذلك يدل على صحة النافلة نائما . الورد الثالث النوم ولا بأس أن يعد ذلك

(١) حديث كان يحب سبح اسم ربك الأعلى أحمد والبزار من حديث علي بسند ضعيف (٢) حديث كان يقرأ في ثلاث ركعات الوتر بسبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون والاخلاص دن ه من حديث أبي بن كعب باسناد صحيح وتقدم في الصلاة من حديث أنس (٣) حديث أبي هريرة أوصاني رسول الله ﷺ أن لا أنام إلا على وتر متفق عليه بلفظ أن أوتر قبل أن أنام (٤) حديث صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فأوتر بركعة متفق عليه من حديث ابن عمر (٥) حديث عائشة أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر متفق عليه (٦) حديث النهي عن نقض الوتر قال المصنف صح فيه نهي قلت وإنما صح من قول عابد بن عمرو وله صحبة كما رواه خ ومن قول ابن عباس كما رواه هق ولم يصرح بأنه مرفوع فالظاهر أنه إنما أراد ماذكرناه عن الصحابة (٧) حديث لا وتران في ليلة د ت وحسنه و ن من حديث طلق بن علي (٨) حديث الركعتين بعد الوتر جالسا تقدم في الصلاة رواه مسلم من حديث عائشة (٩) حديث مامات حتى كان أكثر صلاته جالسا إلا المكتوبة متفق عليه من حديث عائشة لما بدن النبي صلى الله عليه وسلم وثقل كان أكثر صلاته جالسا (١٠) حديث للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد خ من حديث عمران بن حصين

من حال الصوفي والتصوف والتشبه وكلهم من أهل الفلاح والنجاح تجمعهم دائرة الاصطفاء وتؤلف بينهم نسبة التخصيص بالمنح والعطاء . أخبرنا الشيخ العالم رضي الدين أبو الخير أحمد ابن اسماعيل القزويني إجازة قال أنا أبو سعد محمد بن أبي العباس قال أنا القاضي محمد بن سعيد قال أنا أبو اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم قال أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه قال حدثنا أحمد بن محمد بن رزمة قال حدثنا يوسف بن عاصم الرازي قال حدثنا أبو أيوب سليمان ابن داود قال حدثنا حصين بن نمير عن أبي ليلى عن أخيه عن أسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في قوله تعالى ـ فمنهم ظالم لنفسه ومنهم

فى الأوراد فانه إذا روعيت آدابه احتسب عبادة فقد قيل : إن العبد إذا نام على طهارة وذكر الله تعالى يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل فى شعاره ملك فان تحرك فى نومه فذكر الله تعالى دعا له الملك واستغفر له الله(١) » وفى الخبر «إذا نام على طهارة رفع روحه إلى العرش(٢)» هذا فى العوام فكيف بالخواص والعلماء وأرباب القلوب الصافية فانهم يكاشفون بالأسرار فى النوم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح(٣)» وقال معاذ لأبى موسى كيف تصنع فى قيام الليل ؟ فقال أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيئا وأتفوق القرآن فيه تفوقا قال معاذ لكن أنا أنام ثم أقوم وأحتسب فى نومتى ما أحتسب فى قومتى فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاذ أفقه منك(٤) .

وآداب النوم عشرة : الأول الطهارة والسواك . قال ﷺ «إذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة وإن لم ينم على الطهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات أضغاث أحلام لا تصدق(٥)» وهذا أريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا وطهارة الباطن هى المؤثرة فى انكشاف حجب الغيب . الثانى أن يعد عند رأسه سواكه وطهوره وينوى القيام للعبادة عند التيقظ وكلما يتنبه يستاك كذلك كان يفعله بعض السلف وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنه كان يستاك فى كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها» (٦) وإن لم تتيسر له الطهارة يستحب له مسح الأعضاء بالماء فان لم يجد فليقعد وليستقبل القبلة وليشتغل بالذكر والدعاء والتفكر فى آلاء الله تعالى وقدرته فذلك يقوم مقام قيام الليل وقال ﷺ « من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى (٧)» . الثالث أن لا يبيت من له وصية إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه فانه لا يأمن القبض فى النوم فان من مات من غير وصية لم يؤذن له فى الكلام بالبرزخ إلى يوم القيامة يتزاوره الأموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات من غير وصية وذلك مستحب خوف موت الفجأة وموت الفجأة تخفيف إلا لمن ليس مستعدا للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم . الرابع أن ينام تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم أحد ولا يعزم على معصية إن استيقظ قال صلى الله عليه وسلم

مقتصد ومنهم سابق بالخيرات كلهم فى الجنة قال ابن عطاء الظالم الذى يحب الله من أجل الدنيا والمقتصد الذى يحب الله من أجل العقبى والسابق هو الذى أسقط مراده بمراد الله فيه وهذا هو حال الصوفى فالمتشبه تعرض لشىء من أمر القوم ويوجب له ذلك القرب منهم والقرب منهم مقدمة كل خير . سمعت شيخنا يقول جاء بعض أبناء الدنيا الى الشيخ أحمد الغزالى ونحن بأصبهان يريد منه الخرقة فقال له الشيخ اذهب إلى فلان يشير إلى حتى يكلمك فى معنى الخرقة ثم احضر حتى ألبسك الخرقة قال فجاء إلى فذكرت له حقوق الخرقة وما يجب من رعاية حقها وآداب من يلبسها ومن يؤهل للبسها فاستعظم الرجل حقوق الخرقة وجبن

(١) حديث قيل إنه إذا نام على طهارة ذاكرا لله تعالى يكتب مصليا ويدخل فى شعاره ملك الحديث حسن من حديث ابن عمر من بات طاهرا بات فى شعاره ملك فلم يستيقظ إلا قال الملك اللهم اغفر لعبدك فلان فانه بات طاهرا (٢) حديث إذا نام على الطهارة رفع روحه إلى العرش ابن المبارك فى الزهد موقوفا على أبى الدرداء وهق فى الشعب موقوفا على عبد الله بن عمرو بن العاص وروى طب فى الأوسط من حديث على ما من عبد ولا أمة تنام فتثقل نوما إلا عرج بروحه إلى العرش فالذى لا يستيقظ إلا عند العرش فتلك الرؤيا التى تصدق والذى يستيقظ دون العرش فهى الرؤيا التى تكذب هو ضعيف (٣) حديث نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح قلت المعروف فيه الصائم دون العالم وقد تقدم فى الصوم (٤) حديث قال معاذ لأبى موسى كيف تصنع فى قيام الليل ؟ فقال أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيئا وأتفوق القرآن تفوقا قال معاذ لكنى أنام ثم أقوم وأحتسب فى نومتى ما أحتسب فى قومتى فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال معاذ أفقه منك متفق عليه بنحوه من حديث أبى موسى وليس فيه أنهما ذكرا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ولا قوله معاذ أفقه منك وإنما زاد فيه طب فكان معاذ أفضل منه (٥) حديث إذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة الحديث تقدم (٦) حديث أنه كان يستاك فى كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها تقدم فى الطهارة (٧) حديث من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة من الله عليه

« من أوى إلى فراشه لاينوى ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجترم[1] » . الخامس أن لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة بل يترك ذلك أو يقتصد فيه كان بعض السلف يكره التمهيد للنوم ويرى ذلك تكلفا وكان أهل الصفة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا وإليها نرد وكانوا يرون ذلك أرق لقلوبهم وأجدر بتواضع نفوسهم فمن لم تسمح بذلك نفسه فليقتصد . السادس أن لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه إلا إذا قصد به الاستعانة على القيام فى آخر الليل ففد كان نومهم غلبة وأكلهم ناقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا بأنهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وإن غلبه النوم عن الصلاة والذكر وصار لا يدرى ما يقول فلينم حتى يعقل ما يقول وكان ابن عباس رضى الله عنه يكره النوم قاعدا وفى الخبر « لا تكابدوا الليل[2] » وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فلانة تصلى بالليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال ليصل أحدكم من الليل ما تيسر له فاذا غلبه النوم فليرقد[3] » وقال ﷺ « تكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لن يمل حتى تملوا[4] » وقال صلى الله عليه وسلم « خير هذا الدين أيسره[5] » وقيل له صلى الله عليه وسلم « إن فلانا يصلى فلا ينام ويصوم فلا يفطر فقال لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر هذه سنتى فمن رغب عنها فليس منى[6] » وقال صلى الله عليه وسلم « لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه فلا تبغض إلى نفسك عبادة الله[7] » السابع أن ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين أحدهما استقبال المحتضر وهو المستلقى على قفاه فاستقباله أن يكون وجهه وأخمصاه إلى القبلة والثانى استقبال اللحد وهو أن ينام على جنب بأن يكون وجهه إليها مع قبالة بدنه إذا نام على شقه الأيمن . الثامن الدعاء عند النوم فيقول باسمك ربى وضعت جنبى وباسمك أرفعه إلى آخر الدعوات المأثورة التى أوردناها فى كتاب الدعوات[8] ويستحب أن يقرأ الآيات المخصوصة مثل آية الكرسى وآخر البقرة وغيرهما وقوله تعالى ـ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو ـ إلى قوله ـ لقوم يعقلون ـ يقال إن من قرأها عند النوم حفظ الله عليه القرآن فلم ينسه ويقرأ من سورة الأعراف هذه الآية ـ إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ـ إلى قوله ـ قريب من المحسنين ـ

ن ه من حديث أبى الدرداء بسند صحيح (١) حديث من أوى إلى فراشه لاينوى ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجترم ابن أبى الدنيا فى كتاب النية من حديث أنس من أصبح ولم يهم بظلم أحد غفر له ما اجترم وسنده ضعيف (٢) حديث لا تكابدوا الليل أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف وفى جامع سفيان الثورى موقوفا على ابن مسعود لا تغالبوا هذا الليل .

(٣) حديث قيل له إن فلانة تصلى فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهاهن عن ذلك الحديث متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث تكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا متفق عليه من حديث عائشة بلفظ اكلفوا (٥) حديث خير هذا الدين أيسره أحمد من حديث محجن ابن الأدرع وتقدم فى العلم (٦) حديث قيل له إن فلانا يصلى ولا ينام ويصوم ولا يفطر فقال لكننى أصلى وأنام وأصوم وأفطر هذه سنتى فمن رغب عنها فليس منى ن من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله هذه سنتى الخ وهذه الزيادة لابن خزيمة من رغب عن سنتى فليس منى وهى متفق عليها من حديث أنس (٧) حديث لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله خ من حديث أبى هريرة لن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وللبيهقى من حديث جابر إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله ولا يصح إسناده .

(٨) حديث الدعاء المأثور عند النوم باسمك اللهم رب وضعت جنبى الحديث إلى آخر الدعوات المأثورة التى أوردناها فى الدعوات تقدم هناك وبقية الدعوات

أن يلبسها فأخبر الشيخ بما تجدد عند الطالب من قولى له فاستحضرنى وعاتبنى على قولى له ذلك وقال بعثته إليك حتى تكلمه بما يزيد رغبته فى الخرقة فكلمته بما فترت عزيمته ثم الذى ذكرته كله صحيح وهو الذى يجب من حقوق الخرقة ولكن إذا ألزمنا المبتدى بذلك نفر وعجز عن القيام به فنحن نلبسه الخرقة حتى يتشبه بالقوم ويتزى بزيهم فيقربه ذلك من مجالسهم ومحافلهم وبركة مخالطته معهم ونظره إلى أحوال القوم وسيرهم يجب أن يسلك مسلكهم ويصل بذلك إلى شىء من أحوالهم ويوافق هذا القول من الشيخ أحمد الغزالى ما أخبرنا شيخنا رحمه الله قال أنا عصام الدين عمر بن أحمد الصفار قال أنا أبو بكر أحمد بن على بن

وآخر بنى إسرائيل ـ قل ادعوا الله ـ الآيتين فإنه يدخل فى شعاره ملك يوكل بحفظه فيستغفر له ويقرأ المعوذتين وينفث بهن فى يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده كذلك روى من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وليقرأ عشرا من أول الكهف وعشرا من آخرها وهذه الآى للاستيقاظ لقيام الليل وكان على كرم الله وجهه يقول ما أرى أن رجلا مستكملا عقله ينام قبل أن يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الأربع مائة مرة . التاسع أن يتذكر عند النوم أن النوم نوع وفاة والتيقظ نوع بعث قال الله تعالى ـ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها ـ وقال ـ وهو الذى يتوفاكم بالليل ـ فسماه توفيا وكما أن المستيقظ تنكشف له مشاهدات لا تناسب أحواله فى النوم فكذلك المبعوث يرى مالم يخطر قط بباله ولا شاهده حسه ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة . وقال لقمان لابنه يابنى إن كنت تشك فى الموت فلا تنم فكما أنك تنام كذلك تموت وإن كنت تشك فى البعث فلا تنتبه فكما أنك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك وقال كعب الأحبار إذا نمت فاضطجع على شقك الأيمن واستقبل القبلة بوجهك فانها وفاة وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى أنه ميت فى ليلته تلك « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شىء ومليكه (٢) » الدعاء إلى آخره كما ذكرناه فى كتاب الدعوات فحق على العبد أن يفتش عن ثلاثة عند نومه أنه على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله تعالى وحب لقائه أو حب الدنيا وليتحقق أنه يتوفى على ماهو الغالب عليه ويحشر على مايتوفى عليه فان المرء مع من أحب ومع ما أحب . العاشر الدعاء عند التنبه فليقل فى تيقظاته وتقلباته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار (٣) » وليجتهد أن يكون آخر ما يجرى على قلبه عند النوم ذكر الله تعالى وأول ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى فهو علامة الحب ولا يلازم القلب فى هاتين الحالتين إلا ماهو الغالب عليه فليجرب قلبه به فهو علامة الحب فانها علامة تنكشف عن باطن القلب وإنما استحبت هذه الأذكار لتستجر القلب إلى ذكر الله تعالى فاذا استيقظ ليقوم قال الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور إلى آخر ما أوردناه من أدعية التيقظ . الورد الرابع : يدخل بعض النصف الأول من الليل إلى أن يبقى من الليل سدسه وعند ذلك يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد يختص بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذى بعد الزوال وهو وسط النهار وبه أقسم الله تعالى فقال ـ والليل إذا سجى ـ أى إذا سكن وسكونه هدوه فى هذا الوقت فلا تبقى عين إلا نائمة سوى الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم وقيل إذا سجى إذا امتد وطال وقيل إذا أظلم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أى الليل أسمع فقال جوف الليل (٤) » وقال داود صلى الله عليه وسلم إلهى

خلف قال أنا الشيخ عبد الرحمن السلمى قال سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفرا يقول سمعت أبا القاسم الجنيد يقول إذا لقيت الفقير فلا تبدأه بالعلم وابدأه بالرفق فان العلم يوحشه والرفق يؤنسه وبرفق الصوفية بالمتشبهين بهم ينتفع المبتدى الطالب وكل من كان منهم أكمل حالا وأوفر علما كان أكثر رفقا بالمبتدى الطالب . حكى عن بعضهم أنه صحبه طالب فكان يأخذ نفسه بكثرة المعاملات والمجاهدات ولم يقصد بذلك إلا نظر المبتدى إليه والتأدب بأدبه والاقتداء به فى عمله وهذا هو الرفق الذى مادخل فى شىء إلا زانه فالمتشبه الحقيقى له إيمان بطريق القوم وعمل بمقتضاه وسلوك واجتهاد على ماذكرناه أنه صاحب مجاهدة

(١) حديث قراءة المعوذتين عند النوم ينفث بهن فى يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث عائشة كان آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحديث تقدم فى الدعوات دون وضع الخد على اليد وتقدم من حديث حفصة (٣) حديث كان يقول عند تيقظه لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار ابن السنى وأبو نعيم فى كتابيهما عمل اليوم والليل من حديث عائشة (٤) حديث سئل أى الليل أسمع قال جوف الليل د ت وصححه من حديث عمرو بن عنبسة .

إنى أحب أن أتعبد لك فأى وقت أفضل فأوحى الله تعالى إليه ياداود لاتقم أول الليل ولا آخره فان من قام أوله نام آخره ومن قام آخره لم يقم أوله ولكن قم وسط الليل حتى تخاونى وأخاوبك وارفع إلى حوائجك وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم «أى الليل أفضل فقال نصف الليل الغابر (١)» يعنى الباقى وفى آخر الليل وردت الأخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار تعالى إلى سماء الدنيا (٢) وغير ذلك من الأخبار وترتيب هذا الورد أنه بعد الفراغ من الأدعية التى للاستيقاظ يتوضأ وضوءا كما سبق بسننه وآدابه وأدعيته ثم يتوجه إلى مصلاه ويقوم مستقبلا القبلة ويقول الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثم يسبح عشرا وليحمد الله عشرا ويهلل عشرا وليقل الله أكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قيامه للتهجد : اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ومن عليهن أنت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنشور حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لى ماقدمت وماأخرت وماأسررت وماأعلنت وماأسرفت أنت المقدم وأنت المؤخر لاإله إلا أنت (٣) اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها (٤) اللهم اهدنى لأحسن الأعمال لايهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها لايصرف عنى سيئها إلا أنت (٥) أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء المفتقر الذليل فلا تجعلنى بدعائك رب شقيا وكن بى رءوفا رحيما ياخير المسئولين وأكرم المعطين (٦)

---

(١) حديث سئل أى الليل أفضل قال نصف الليل الغابر أحمد وحب من حديث أبى ذر دون قوله الغابر وهى فى بعض طرق حديث عمرو بن عنبسة .

(٢) (الأخبار الواردة فى اهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن فى آخر الليل ونزول الجبار إلى سماء الدنيا)

أما حديث النزول فقد تقدم وأما الباقى فهى آثار رواها محمد بن نصر فى قيام الليل من رواية سعيد الجريرى قال :قال داود ياجبريل أى الليل أفضل قال ماأدرى غير أن العرش يهتز من السحر وفى رواية له عن الجريرى عن سعيد بن أبى الحسن قال إذا كان من السحر ألا ترى كيف تفوح ريح كل شجرة وله من حديث أبى الدرداء مرفوعا إن الله تبارك وتعالى لينزل فى ثلاث ساعات بقين من الليل يفتتح الذكر فى الساعة الأولى وفيه ثم ينزل فى الساعة الثانية إلى جنة عدن الحديث وهو مثله (٣) حديث القول فى قيامه للتهجد اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت زين السموات والأرض ودون قوله ومن عليهن ومنك الحق (٤) حديث اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها أحمد باسناد جيد من حديث عائشة أنها فقدت النبى صلى الله عليه وسلم من مضجعه فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول رب أعط نفسى تقواها الحديث (٥) حديث اللهم اهدنى لأحسن الأعمال لايهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها لايصرف عنى سيئها إلا أنت م من حديث على عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة فذكره بلفظ لأحسن الأخلاق وفيه زيادة فى أوله (٦) حديث أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء المضطر الذليل الحديث الطبرانى فى الصغير من حديث ابن عباس أنه كان من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم عشية عرفة تقدم فى الحج .

ومحاسبة . ثم يصير متصوفا صاحب مراقبة ثم يصير صوفيا صاحب مشاهدة فأما من لم يتطلع إلى حال التصوف والصوفى بالتشبه ولا يقصد أوائل مقاصدهم بل هو مجرد تشبه ظاهر من ظاهر اللبسة والمشاركة فى الزى والصورة دون السيرة والصفة فليس بمتشبه بالصوفية لأنه غير محاك لهم بالدخول فى بداياتهم فاذن هو متشبه بالمتشبه يعزى إلى القوم بمجرد لبسه ومع ذلك هم القوم لايشقى بهم جليسهم وقد ورد « من تشبه بقوم فهو منهم » .

أخبرنا الشيخ أبو الفتح محمد بن سليمان قال أنا أبو الفضل حميد قال أنا الحافظ أبو نعيم الأصفهانى قال أنا عبد الله بن محمد بن جعفر قال ثنا عمر بن أحمد بن أبى عاصم قال ثنا إبراهيم بن محمد

وقالت عائشة رضى الله عنها « كان صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته قال : اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم (١) » ثم يفتتح الصلاة ويصلى ركعتين خفيفتين ثم يصلى مثنى مثنى ماتيسر له ويختم بالوتر إن لم يكن قد صلى الوتر ويستحب أن يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلاة وقد صح فى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل أنه صلى أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج إلى ثلاث عشرة ركعة (٢) وسئلت عائشة رضى الله عنها أكان رسول الله ﷺ يجهر فى قيام الليل أم يسر فقالت ربما جهر وربما أسر (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فأوتر بركعة (٤) » وقال « صلاة المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل (٥) » وأكثر ماصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قيام الليل ثلاث عشرة ركعة (٦) ويقرأ فى هذه الركعات من ورده من القرآن أو من السور المخصوصة ماخف عليه وهو فى حكم هذا الورد قريب من السدس الأخير من الليل . الورد الخامس : السدس الأخير من الليل وهو وقت السحر فان الله تعالى قال ـ وبالأسحار هم يستغفرون ـ قيل يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب للفجر الذى هو وقت انصراف ملائكة الليل وإقبال ملائكة النهار وقد أمر بهذا الورد سلمان أخاه أبا الدرداء رضى الله عنهما ليلة زاره (٧) فى حديث طويل قال فى آخره فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام ثم ذهب ليقوم فقال له نم فنام فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن فقاما فصليا فقال إن لنفسك عليك حقا وإن لضيفك عليك حقا وإن لأهلك عليك حقا فأعط كل ذى حق حقه وذلك أن امرأة أبى الدرداء أخبرت سلمان أنه لاينام الليل قال فأتيا النبى ﷺ فذكرا ذلك له فقال صدق سلمان وهذا هو الورد الخامس وفيه يستحب السحور وذلك عند خوف طلوع الفجر والوظيفة فى هذين الوردين الصلاة فاذا طلع الفجر انقضت أوراد الليل ودخلت أوراد النهار فيقوم ويصلى ركعتى الفجر وهو المراد بقوله تعالى ـ ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم ـ ثم ـ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة ـ إلى آخرها ثم يقول وأنا أشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته وأولو العلم من خلقه وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله تعالى وديعة وأسأله حفظها حتى يتوفانى عليها اللهم احطط عنى بها وزرا واجعلها لى عندك ذخرا واحفظها على وتوفنى عليها حتى ألقاك بها غير مبدل تبديلا فهذا ترتيب الأوراد للعباد وقد كانوا يستحبون أن يجمعوا مع ذلك فى كل يوم بين أربعة أمور صوم وصدقة وإن قلت وعيادة مريض وشهود جنازة ففى الخبر

(١) حديث عائشة كان إذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض الحديث رواه م (٢) حديث أنه صلى بالليل أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج إلى ثلاث عشرة ركعة م من حديث زيد بن خالد الجهنى (٣) حديث سئلت عائشة أكان يجهر رسول الله ﷺ فى قيام الليل أم يسر فقالت ربما جهر وربما أسر د ن ه باسناد صحيح (٤) حديث صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فأوتر بركعة متفق عليه وقد تقدم (٥) حديث صلاة المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل أحمد من حديث ابن عمر باسناد صحيح (٦) حديث القيام من الليل ثلاث عشرة ركعة فانه أكثر ماصح عنه تقدم (٧) حديث زار سلمان أبا الدرداء فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام الحديث وفى آخره فقال صدق سلمان خ من حديث أبى جحيفة .

الشافعى قال ثنا على بن أحمد قال ثنا على بن على المقدسى قال ثنا محمد ابن عبد الله بن عامر قال ثنا إبراهيم بن الأشعث قال ثنا فضيل ابن عياض عن سليمان الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله ملائكة فضلا عن كتاب الناس يطوفون فى الطرق ويتتبعون مجالس الذكر فاذا رأوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى عنان السماء فيقول الله وهو أعلم مايقول عبادى ؟ قالوا يحمدونك ويسبحونك ويمجدونك فيقول وهل رأونى فيقولون لا فيقول كيف لو رأونى قالوا لو رأوك كانوا أشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول

« من جمع بين هذه الأربع في يوم غفر له[1] » وفي رواية دخل الجنة فإن أنفق بعضها وعجز عن الآخر كان له أجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون أن ينقضي اليوم ولم يتصدقوا فيه بصدقة ولو بتمرة أو بصلة أو كسرة خبز لقوله صلى الله عليه وسلم « الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس[2] » ولقوله صلى الله عليه وسلم « اتقوا النار ولو بشق تمرة[3] » ودفعت عائشة رضي الله عنها إلى سائل عنبة واحدة فأخذها فنظر من كان عندها بعضهم إلى بعض فقالت ما لكم إن فيها لمثاقيل ذر كثير وكانوا لا يستحبون رد السائل إذ كان من أخلاق رسول الله ﷺ ذلك ما سأله أحد شيئا فقال لا ولكنه إن لم يقدر عليه سكت[4] وفي الخبر « يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعني المفصل وفي جسده ثلثمائة وستون مفصلا فأمرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك إلى الطريق صدقة وإماطتك الأذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال وركعتا الضحى تأتي على ذلك كله أو تجمعن لك ذلك كله[5] » .

(بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال)

اعلم أن المريد لحرث الآخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة أحوال فإنه إما عابد وإما عالم وإما متعلم وإما والٍ وإما محترف وإما موحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره . الأول : العابد وهو المتجرد للعبادة الذي لا شغل له غيرها أصلا ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب أوراده ما ذكرناه ، نعم لا يبعد أن تختلف وظائفه بأن يستغرق أكثر أوقاته إما في الصلاة أو في القراءة أو في التسبيحات فقد كان في الصحابة رضي الله عنهم من ورده في اليوم اثنا عشر ألف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفا وكان فيهم من ورده ثلثمائة ركعة إلى ستمائة وإلى ألف ركعة وأقل ما نقل في أورادهم من الصلاة مائة ركعة في اليوم والليلة وكان بعضهم أكثر ورده القرآن وكان يختم الواحد منهم في اليوم مرة وروي مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يقضي اليوم أو الليلة في التفكر في آية واحدة يرددها وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة فكان يطوف في كل يوم سبعين أسبوعا وفي كل ليلة سبعين أسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ويكون مع كل أسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة وختمتان وعشرة فراسخ فإن قلت فما الأولى أن يصرف إليه أكثر الأوقات من هذه الأوراد . فاعلم أن قراءة القرآن في الصلاة قائما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما تعسر المواظبة عليه فالأفضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الأوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله تعالى وإيناسه به فلينظر المريد إلى قلبه فما يراه أشد تأثيرا فيه فليواظب عليه فإذا أحس بملالة منه فلينتقل إلى غيره ولذلك نرى الأصوب لأكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الأوقات كما سبق والانتقال فيها من نوع إلى نوع لأن الملال هو الغالب على الطبع وأحوال الشخص الواحد في ذلك أيضا تختلف ولكن إذا فهم فقه الأوراد وسرها فليتبع المعنى فإن سمع تسبيحة مثلا وأحس بما يوقع في قلبه فليواظب على تكرارها مادام يجد لها وقعا وقد روي عن إبراهيم بن أدهم عن بعض الأبدال أنه قام ذات ليلة يصلي على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير أحدا فقال من أنت أسمع صوتك ولا أرى شخصك فقال أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت

ما يسألونني ؟ قالوا يسألونك الجنة فيقول وهل رأوها قالوا لا فيقول كيف لو رأوها قالوا لو رأوها كانوا أشد لها طلبا وعليها أكثر حرصا قالوا ويتعوذون من النار فيقول وهل رأوها قالوا لا فيقول كيف لو رأوها قالوا كانوا أشد منها تعوذا وأشد فرارا فيقول أشهدكم أني قد غفرت لهم فيقول الملك فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة فيقول تبارك وتعالى هم الجلساء لا يشقى جليسهم » فلا يشقى جليس الصوفية والمتشبه بهم والمحب لهم .

[الباب الثامن في ذكر الملامتي وشرح حاله]

قال بعضهم الملامتي هو الذي لا يظهر خيرا ولا يضمر شرا وشرح هذا هو أن الملامتي تشربت عروقه طعم الإخلاص وتحقق

(١) حديث من جمع بين صوم وصدقة وعيادة مريض وشهود جنازة في يوم غفر له وفي رواية دخل الجنة م من حديث أبي هريرة ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة (٢) حديث الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس تقدم في الزكاة (٣) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة تقدم في الزكاة (٤) حديث ما سأله أحد شيئا فقال لا إن لم يقدر عليه سكت م من حديث جابر وللبزار من حديث أنس أو يسكت (٥) حديث يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة الحديث م من حديث أبي ذر .

قلت فما اسمك قال سهلهيائيل قلت فما ثواب من قاله قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له والتسبيح هو قوله سبحان الله العلى الديان سبحان الله الشديد الأركان سبحان من يذهب بالليل ويأتى بالنهار سبحان من لا يشغله شأن عن شان سبحان الله الحنان المنان سبحان الله المسبح فى كل مكان فهذا وأمثاله إذا سمعه المريد ووجد له فى قلبه وقعا فيلازمه وأيا ما وجد القلب عنده وفتح له فيه خير فليواظب عليه . الثانى : العالم الذى ينفع الناس بعلمه فى فتوى أو تدريس أو تصنيف فترتيبه الأوراد يخالف ترتيب العابد فانه يحتاج إلى المطالعة للكتب وإلى التصنيف والإفادة ويحتاج إلى مدة لها لا محالة فان أمكنه استغراق الأوقات فيه فهو أفضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه فى فضيلة التعليم والتعلم فى كتاب العلم وكيف لا يكون كذلك وفى العلم المواظبة على ذكر الله تعالى وتأمل ما قال الله تعالى وقال رسوله وفيه منفعة الخلق وهدايتهم إلى طريق الآخرة ورب مسئلة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلمها لكان سعيه ضائعا وإنما نعنى بالعلم المقدم على العبادة العلم الذى يرغب الناس فى الآخرة ويزهدهم فى الدنيا أو العلم الذى يعينهم على سلوك طريق الآخرة إذا تعلموه على قصد الاستعانة به على السلوك دون العلوم التى تزيد بها الرغبة فى المال والجاه وقبول الخلق والأولى بالعالم أن يقسم أوقاته أيضا فان استغراق الأوقات فى ترتيب العلم لا يحتمله الطبع فينبغى أن يخصص ما بعد الصبح إلى طلوع الشمس بالأذكار والأوراد كما ذكرناه فى الورد الأول وبعد الطلوع إلى ضحوة النهار فى الإفادة والتعليم إن كان عنده من يستفيد علما لأجل الآخرة وإن لم يكن فيصرفه إلى الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين فان صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات ومن ضحوة النهار إلى العصر للتصنيف والمطالعة لا يتركها إلا فى وقت أكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة إن طال النهار ومن العصر إلى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرأ بين يديه من تفسير أو حديث أو علم نافع ومن الاصفرار إلى الغروب يشتغل بالذكر والاستغفار والتسبيح فيكون ورده الأول قبل طلوع الشمس فى عمل اللسان وورده الثانى فى عمل القلب بالفكر إلى الضحوة وورده الثالث إلى العصر فى عمل العين واليد بالمطالعة والكتابة وورده الرابع بعد العصر فى عمل السمع ليروح فيه العين واليد فان المطالعة والكتابة بعد العصر ربما أضرا بالعين وعند الاصفرار يعود إلى ذكر اللسان فلا يخلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب فى الجميع وأما الليل فأحسن قسم فيه قسمة الشافعى رضى الله عنه إذ كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للمطالعة وترتيب العلم وهو الأول وثلثا للصلاة وهو الوسط وثلثا للنوم وهو الأخير وهذا يتيسر فى ليالى الشتاء والصيف ربما لا يحتمل ذلك إلا إذا كان أكثر النوم بالنهار فهذا ما نستحبه من ترتيب أوراد العلم .

الثالث : المتعلم والاشتغال بالتعلم أفضل من الاشتغال بالأذكار والنوافل فحكمه حكم العالم فى ترتيب الأوراد ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالافادة وبالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف ويرتب أوقاته كما ذكرنا وكل ما ذكرناه فى فضيلة التعلم والعلم من كتاب العلم يدل على أن ذلك أفضل بل إن لم يكن متعلما على معنى أنه يعلق ويحصل ليصير عالما بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والوعظ والعلم أفضل من اشتغاله بالأوراد التى ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفى سائر الأوقات ففى حديث أبى ذر رضى الله عنه « أن حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة وعيادة ألف مريض[1] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها

(١) حديث أبى ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة الحديث تقدم فى العلم .

بالصدق فلا يحب أن يطلع أحد على حاله وأعماله . أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر ابن أبى الفضل المقدسى إجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن على بن خلف الشيرازى إجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت على بن سعيد وسألته عن الإخلاص ما هو قال سمعت على ابن إبراهيم وسألته عن الإخلاص ماهو قال سمعت محمد بن جعفر الخصاف وسألته عن الإخلاص ماهو قال سألت أحمد بن بشار عن الإخلاص ماهو قال سألت أبا يعقوب الشروطى عن الإخلاص ماهو قال سألت أحمد بن غسان عن الإخلاص ماهو قال سألت أحمد بن على الجهمى عن الإخلاص ماهو قال سألت عبد الواحد ابن زيد عن

فقيل يارسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر(١)» وقال كعب الأحبار رضى الله عنه لو أن ثواب مجالس العلماء بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذى إمارة إمارته وكل ذى سوق سوقه . وقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فاذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه وانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء فان الله عزوجل لم يخلق على وجه الأرض تربة أكرم من مجالس العلماء . وقال رجل للحسن رحمه الله أشكو إليك قساوة قلبي فقال أدنه من مجالس الذكر ورأى عمار الزاهدى مسكينة الطفاوية فى المنام وكانت من المواظبات على حلق الذكر فقال مرحبا يامسكينة فقالت هيهات هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغنى فقال هيه فقالت ماتسأل عمن أبيح لها الجنة بحذافيرها قال وبم ذلك قالت بمجالسة أهل الذكر ، وعلى الجملة فما ينحل عن القلب من عقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكى السيرة أشرف وأنفع من ركعات كثيرة مع اشتمال القلب على حب الدنيا . الرابع : المحترف الذى يحتاج إلى الكسب لعياله فليس له أن يضيع العيال ويستغرق الأوقات فى العبادات بل ورده فى وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغى أن لاينسى ذكر الله تعالى فى صناعته بل يواظب على التسبيحات والأذكار وقراءة القرآن فان ذلك يمكن أن يجمع إلى العمل وإنما لايتيسر مع العمل الصلاة إلا أن يكون ناظورا فانه لايعجز عن إقامة أوراد الصلاة معه ثم مهما فرغ من كفايته ينبغى أن يعود إلى ترتيب الأوراد وإن دوام على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فهو أفضل من سائر الأوراد التى ذكرناها لأن العبادات المتعدية فائدتها أنفع من اللازمة والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له فى نفسه تقربه إلى الله تعالى ثم يحصل به فائدة للغير وتنجذب إليه بركات دعوات المسلمين ويتضاعف به الأجر . الخامس الوالى مثل الامام والقاضى والمتولى لينظر فى أمور المسلمين فقيامه بحاجات المسلمين وأغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص أفضل من الأوراد المذكورة فحقه أن يشتغل بحقوق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة ويقيم الأوراد المذكورة بالليل كما كان عمر رضى الله عنه يفعله إذ قال مالى وللنوم فلو نمت بالنهار ضيعت المسلمين ولو نمت بالليل ضيعت نفسى وقد فهمت بما ذكرناه أنه يقدم على العبادات البدنية أمران أحدهما العلم والآخر الرفق بالمسلمين لأن كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل فى نفسه وعبادة تفضل سائر العبادات يتعدى فائدته وانتشار جدواه فكانا مقدمين عليه . السادس : الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذى أصبح وهمومه همّ واحد فلا يحب إلا الله تعالى ولايخاف إلا منه ولايتوقع الرزق من غيره ولاينظر فى شىء إلا ويرى الله تعالى فيه فمن ارتفعت رتبته إلى هذه الدرجة لم يفتقر إلى تنويع الأوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحدا وهو حضور القلب مع الله تعالى فى كل حال فلا يخطر بقلوبهم أمر ولايقرع سمعهم قارع ولايلوح لأبصارهم لائح إلا كان لهم فيه عبرة وفكر ومزيد فلا محرك لهم ولامسكن إلا الله تعالى فهؤلاء جميع أحوالهم تصلح أن تكون سببا لازديادهم فلا تتميز عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا إلى الله عزوجل كما قال تعالى ـ لعلكم تذكرون ـ ففروا إلى الله وتحقق فيهم قوله تعالى ـ وإذا اعتزلتموهم ومايعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ـ وإليه الاشارة بقوله ـ إنى ذاهب إلى ربى سيهدين ـ وهذه منتهى درجات الصديقين ولاوصول إليها إلا بعد ترتيب الأوراد والمواظبة عليها دهرا طويلا فلا ينبغى أن يغتر المريد بما سمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر

(١) حديث إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها الحديث تقدم فى العلم .

الاخلاص ماهو قال سألت الحسن عن الاخلاص ماهو قال سألت حذيفة عن الاخلاص ماهو قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص ماهو قال « سألت جبرائيل عن الاخلاص ماهو قال سألت رب العزة عن الاخلاص ماهو قال هو سرّ من سرّى استودعته قلب من أحببت من عبادى » فالملامتية لهم مزيد اختصاص بالتمسك بالاخلاص يرون كتم الأحوال والأعمال ويتلذذون بكتمها حتى لو ظهرت أعمالهم وأحوالهم لأحد استوحشوا من ذلك كما يستوحش العاصى من ظهور معصيته فالملامتى عظم وقع الاخلاص وموضعه وتمسك به معتدا به والصوفى غاب فى

عن وظائف عبادته فذلك علامته أن لا يهجس فى قلبه وسواس ولا يخطر فى قلبه معصية ولا تزعجه هواجم الأهوال ولا تستفزه عظائم الأشغال وأنى ترزق هذه الرتبة لكل أحد فيتعين على الكافة ترتيب الأوراد كما ذكرناه وجميع ماذكرناه طرق إلى الله تعالى قال تعالى ـ قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا ـ فكلهم مهتدون وبعضهم أهدى من بعض وفى الخبر « الإيمان ثلاث وثلاثون وثلثمائة طريقة من لقى الله تعالى بالشهادة على طريق منها دخل الجنة (١) » وقال بعض العلماء الإيمان ثلثمائة وثلاثة عشر خلقا بعدد الرسل فكل مؤمن على خلق منها فهو سالك الطريق إلى الله فإذن الناس وإن اختلفت طرقهم فى العبادة فكلهم على الصواب ـ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ـ وإنما يتفاوتون فى درجات القرب فى أصله وأقربهم إلى الله تعالى أعرفهم به وأعرفهم به لابد وأن يكون أعبدهم له فمن عرفه لم يعبد غيره . والأصل فى الأوراد فى حق كل صنف من الناس المداومة فان المراد منه تغيير الصفات الباطنة وآحاد الأعمال يقل آثارها بل لا يحس بآثارها وإنما يترتب الأثر على المجموع فاذا لم يعقب العمل الواحد أثرا محسوسا ولم يردف بثان وثالث على القرب انمحى الأثر الأول وكان كالفقيه يريد أن يكون فقيه النفس فانه لا يصير فقيه النفس إلا بتكرار كثير فلو بالغ ليلة فى التكرار وترك شهرا أو أسبوعا ثم عاد وبالغ ليلة لم يؤثر هذا فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالى المتواصلة لأثر فيه ولهذا السر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحب الأعمال إلى الله أدومها وان قل (٢) » . وسئلت عائشة رضى الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملا أثبته (٣) » . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقته الله (٤) » وهذا كان السبب فى صلاته بعد العصر تداركا لما فاته من ركعتين شغله عنهما الوفد ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما بعد العصر ولكن فى منزله لا فى المسجد كيلا يقتدى به (٥) روته عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما . فان قلت فهل لغيره أن يقتدى به فى ذلك مع أن الوقت وقت كراهية ؟ . فاعلم أن المعانى الثلاثة التى ذكرناها فى الكراهية من الاحتراز عن التشبه بعبدة الشمس أو السجود وقت ظهور قرن الشيطان أو الاستراحة عن العبادة حذرا من الملال لا يتحقق فى حقه فلا يقاس عليه فى ذلك غيره ويشهد لذلك فعله فى المنزل حتى لا يقتدى به صلى الله عليه وسلم .

إخلاصه عن إخلاصه . قال أبو يعقوب السوسى متى شهدوا فى إخلاصهم الاخلاص احتاج إخلاصهم إلى إخلاص وقال ذو النون ثلاث من علامات الاخلاص استواء الذم والمدح من العامة ونسيان رؤية الأعمال فى الأعمال وترك اقتضاء ثواب العمل فى الآخرة أخبرنا أبو زرعة إجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن على بن خلف إجازة قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت أبا عثمان المغربى يقول: الاخلاص مالا يكون للنفس فيه حظ بحال وهذا إخلاص العوام وإخلاص الخواص مايجرى عليهم لا بهم فتبدو منهم الطاعات وهم عنها بمعزل ولا يقع لهم عليها رؤية ولا بها اعتداد فذلك إخلاص

(١) حديث الإيمان ثلاث وثلاثون وثلثمائة طريقة من لقى الله بالشهادة على طريق منها دخل الجنة ابن شاهين واللالكائى فى السنة والطبرانى والبيهقى فى الشعب من رواية المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده الإيمان ثلثمائة وثلاثة وثلاثون شريعة من وافى شريعة منهن دخل الجنة وقال الطبرانى والبيهقى ثلثمائة وثلاثون وفى إسناده جهالة (٢) حديث أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث سئلت عائشة عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملا أثبته رواه م (٤) حديث من عوده الله عبادة فتركها ملالا مقته الله تقدم فى الصلاة وهو موقوف على عائشة (٥) حديث شغله الوفد عن ركعتين فصلاهما بعد العصر ثم لم يزل يصليها بعد العصر فى منزله متفق عليه من حديث أم سلمة أنه صلى بعد العصر ركعتين وقال شغلنى ناس من عبد القيس عن الركعتين بعد الظهر ولهما من حديث عائشة ماتركهما حتى لقى الله وكان النبى صلى الله عليه وسلم يصليهما ولا يصليهما فى المسجد مخافة أن يثقل على أمته ، والله الموافق للصواب .

(الباب الثانى فى الأسباب الميسرة لقيام الليل وفى الليالى التى يستحب إحياؤها
وفى فضيلة إحياء الليل وما بين العشاءين وكيفية قسمة الليل)

(فضيلة إحياء ما بين العشاءين)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روت عائشة رضى الله عنها « إن أفضل الصلوات عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا عن مقيم فتح بها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين فى الجنة (١) » . قال الراوى لا أدرى من ذهب أو فضة « ومن صلى بعدها أربع ركعات غفر له ذنب عشرين سنة أو قال أربعين سنة » وروت أم سلمة وأبو هريرة رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة كاملة أو كأنه صلى ليلة القدر (٢) » وعن سعيد بن جبير عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قرآن كان حقا على الله أن يبنى له قصرين فى الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه أهل الدنيا لوسعهم (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بنى الله له قصرا فى الجنة فقال عمر رضى الله عنه إذا تكثر قصورنا يا رسول الله فقال الله أكثر وأفضل أو قال أطيب (٤) » وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من صلى المغرب فى جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولم يتكلم بشىء فيما بين ذلك من أمر الدنيا ويقرأ فى الركعة الأولى فاتحة الكتاب وعشر آيات من أول سورة البقرة وآيتين من وسطها وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إن فى خلق السموات والأرض إلى آخر الآية وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ثم يركع ويسجد فاذا قام فى الركعة الثانية قرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسى وآيتين بعدها إلى قوله ـ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ـ وثلاث آيات من آخر سورة البقرة من قوله لله ما فى السموات وما فى الأرض إلى آخرها وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة (٥) » وصف من ثوابه فى الحديث ما يخرج عن الحصر . وقال كرز بن وبرة وهو من الأبدال قلت للخضر عليه السلام علمنى شيئا أعمله فى كل ليلة

(الباب الثانى فى الأسباب الميسرة لقيام الليل)

(١) حديث عائشة إن أفضل الصلاة عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا عن مقيم الحديث رواه أبو الوليد يونس بن عبيد الله الصفار فى كتاب الصلاة رواه الطبرانى فى الأوسط مختصرا وإسناده ضعيف (٢) حديث أم سلمة عن أبى هريرة من صلى ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة أو كأنه صلى ليلة القدر ت ه بلفظ اثنتى عشرة سنة وضعفه ت وأما قوله كأنه صلى ليلة القدر فهو من قول كعب الأحبار كما رواه أبو الوليد الصفار ولأبى منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يكلم أحدا وضعت له فى عليين وكان كمن أدرك ليلة القدر فى المسجد الأقصى وسنده ضعيف (٣) حديث سعيد بن جبير عن ثوبان من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قرآن كان حقا على الله أن يبنى له قصرين فى الجنة لم أجد له أصلا من هذا الوجه وقد تقدم فى الصلاة من حديث ابن عمر (٤) حديث من ركع عشر ركعات بين المغرب والعشاء بنى له قصرا فى الجنة فقال عمر إذن تكثر قصورنا يا رسول الله الحديث ابن المبارك فى الزهد من حديث عبد الكريم بن الحرث مرسلا (٥) حديث أنس من صلى المغرب فى جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولا يتكلم بشىء فيما بين ذلك من أمر الدنيا ويقرأ فى الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وعشر آيات من أول البقرة وآيتين من وسطها وإلهكم إله واحد الحديث أبو الشيخ فى الثواب من رواية زياد بن ميمون عنه مع اختلاف يسير وهو ضعيف

الخواص وهذا الذى فصله الشيخ أبو عثمان المغربى يفرق بين الصوفى والملامتى لأن الملامتى أخرج الخلق عن عمله وحاله ولكن أثبت نفسه فهو مخلص والصوفى أخرج نفسه عن عمله وحاله كما أخرج غيره فهو مخلص وشتان ما بين المخلص الخالص والمخلص قال أبو بكر الزقاق نقصان كل مخلص فى إخلاصه رؤية إخلاصه فاذا أراد الله أن يخلص إخلاصه أسقط عن إخلاصه رؤيته لإخلاصه فيكون مخلصا لا مخلصا قال أبو سعيد الخراز رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين ومعنى قوله إن إخلاص المريدين معلول برؤية الإخلاص والعارف منزه عن الرياء الذى يبطل

فقال إذا صليت المغرب فقم إلى وقت صلاة العشاء مصليا من غير أن تكلم أحدا وأقبل على صلاتك التى أنت فيها وسلم من كل ركعتين واقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاثا فإذا فرغت من صلاتك انصرف إلى منزلك ولا تكلم أحدا وصل ركعتين واقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد سبع مرات فى كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله تعالى سبع مرات وقل سبحان الله والحمدلله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم سبع مرات ثم ارفع رأسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل ياحى ياقيوم ياذا الجلال والإكرام ياإله الأولين والآخرين يارحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يارب يارب يارب ياألله ياألله ياألله ثم قم وأنت رافع يديك وادع بهذا الدعاء ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبى صلى الله عليه وسلم وأدم الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم فقلت له أحب أن تعلمنى ممن سمعت هذا فقال إنى حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعاء وأوحى إليه به فكنت عنده وكان ذلك بمحضر منى فتعلمته ممن علمه إياه(١) ويقال إن هذا الدعاء وهذه الصلاة من داوم عليهما بحسن يقين وصدق نية رأى رسول الله ﷺ فى منامه قبل أن يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى أنه أدخل الجنة ورأى فيها الأنبياء ورأى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وعلمه وعلى الجملة ماورد فى فضل إحياء مابين العشاءين كثير حتى قيل لعبيد الله مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان رسول الله ﷺ يأمر بصلاة غير المكتوبة قال مابين المغرب والعشاء (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى مابين المغرب والعشاء فذلك صلاة الأوابين(٣) » وقال الأسود ما أتيت ابن مسعود رضى الله عنه فى هذا الوقت إلا ورأيته يصلى فسألته فقال نعم هى ساعة الغفلة . وكان أنس رضى الله عنه يواظب عليها ويقول هى ناشئة الليل ويقول فيها نزل قوله تعالى ـ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ـ وقال أحمد بن أبى الحوارى قلت لأبى سليمان الدارانى أصوم النهار وأتعشى بين المغرب والعشاء أحب إليك أو أفطر بالنهار وأحيى ما بينهما فقال اجمع بينهما فقلت إن لم يتيسر قال أفطر وصل ما بينهما .

(فضيلة قيام الليل)

أما من الآيات فقوله تعالى ـ إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ـ الآية وقوله تعالى ـ إن ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا ـ وقوله سبحانه وتعالى ـ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ـ وقوله تعالى ـ أمن هو قانت آناء الليل ـ الآية وقوله عز وجل ـ والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ـ وقوله تعالى ـ واستعينوا بالصبر والصلاة ـ قيل هى قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس . ومن الأخبار : قوله صلى الله عليه وسلم « يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان(٤) » .

(١) حديث كرز بن وبرة أن الخضر علمه صلاة بين المغرب والعشاء وفيه أن كرزا سأل الخضر ممن سمعت هذا قال إنى حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حين علم هذا الدعاء الحديث وهذا باطل لاأصل له (٢) حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بصلاة غير المكتوبة قال مابين المغرب والعشاء رواه أحمد وفيه رجل لم يسم (٣) حديث من صلى مابين المغرب والعشاء فذلك صلاة الأوابين تقدم فى الصلاة (٤) حديث يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة .

العمل ولكن لعله يظهر شيئا من حاله وعمله بعلم كامل عنده فيه لجذب مريد أو معاناة خلق من أخلاق النفس فى إظهار الحال والعمل والعارفين فى ذلك علم دقيق لايعرفه غيرهم فيرى ذلك ناقص العلم صورة رياء وليس برياء إنما هو صريح العلم لله بالله من غير حضور نفس ووجود آفة فيه . قال رويم : الإخلاص أن لا يرضى صاحبه عليه عوضا فى الدارين ولا حظا من الملكين . وقال بعضهم صدق الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الحق والملامتى يرى الخلق فيخفى عمله وحاله وكل ما ذكرناه من قبل وصف إخلاص الصوفى ولهذا قال الزقاق لابد لكل مخلص من رؤية

وفى الخبر « أنه ذكر عنده رجل ينام كل الليل حتى يصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان فى أذنه[١] »
وفى الخبر « إن للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فاذا أسعط العبد ساء خلقه وإذا ألعقه ذرب لسانه بالشر وإذا ذره نام الليل حتى يصبح[٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « ركعتان يركعهما العبد فى جوف الليل خير له من الدنيا ومافيها ولولا أن أشق على أمتى لفرضتهما عليهم[٣] » وفى الصحيح عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه إياه » وفى رواية « يسأل الله تعالى خيرا من الدنيا والآخرة وذلك فى كل ليلة » وقال المغيرة بن شعبة قام رسول الله ﷺ حتى تفطرت قدماه فقيل له أما قد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا[٤] ويظهر من معناه أن ذلك كناية عن زيادة الرتبة فان الشكر سبب المزيد قال تعالى ـ لئن شكرتم لأزيدنكم ـ وقال صلى الله عليه وسلم « ياأباهريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك ياأباهريرة صل فى زوايا بيتك يكن نور بيتك فى السماء كنور الكواكب والنجم عند أهل الدنيا[٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم فان قيام الليل قربة إلى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الإثم[٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن امرىء تكون له صلاة بالليل فغلبه عليها النوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه[٧] » وقال صلى الله عليه وسلم لأبى ذر « لو أردت سفرا أعددت له عدة قال نعم قال فكيف سفر طريق القيامة ألا أنبئك ياأباذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأبى أنت وأمى قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظائم الأمور وتصدق بصدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها[٨] »

---

(١) حديث ذكر عنده رجل نام حتى أصبح فقال ذاك بال الشيطان فى أذنه متفق عليه من حديث ابن مسعود (٢) حديث إن للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا الحديث طب من حديث أنس إن للشيطان لعوقا وكحلا فاذا لعق الانسان من لعوقه ذرب لسانه بالشر وإذا كحله من كحله نامت عيناه عن الذكر ورواه البزار من حديث سمرة بن جندب وسندهما ضعيف (٣) حديث ركعتان يركعهما العبد فى جوف الليل خير له من الدنيا ومافيها ولولا أن أشق على أمتى لفرضتهما عليهم . آدم بن أبى إياس فى الثواب ومحمد بن نصر المروزى فى كتاب قيام الليل من رواية حسان بن عطية مرسلا ووصله أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر ولا يصح (٤) حديث المغيرة بن شعبة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تفطرت قدماه الحديث متفق عليه (٥) حديث ياأباهريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا قم من الليل فصلّ وأنت تريد رضا ربك ياأباهريرة صل فى زوايا بيتك يكن نور بيتك فى السماء كنور الكواكب والنجوم عند أهل الدنيا باطل لا أصل له (٦) حديث عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم الحديث ت من حديث بلال وقال غريب ولا يصح ورواه طب وهق من حديث أبى أمامة بسند حسن وقال ت إنه أصح (٧) حديث مامن امرىء يكون له صلاة بالليل يغلبه عليها نوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه د ن من حديث عائشة وفيه رجل لم يسم سماه ن فى رواية الأسود بن يزيد لكن فى طريقه ابن جعفر الرازى قال ن ليس بالقوى ورواه ن ه من حديث أبى الدرداء نحوه بسند صحيح وتقدم فى الباب قبله (٨) حديث إنه قال لأبى ذر لو أردت سفرا أعددت له عدة فكيف بسفر طريق القيامة ألا أنبئك ياأباذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأبى وأمى قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور الحديث ابن أبى الدنيا فى كتاب التهجد من رواية السرى بن مخلد مرسلا والسرى ضعفه الأزدى.

إخلاصه وهو نقصان عن كمال الإخلاص والإخلاص هو الذى يتولى الله حفظ صاحبه حتى يأتى به على التمام. قال جعفر الخلدى سألت أبا القاسم الجنيد رحمه الله قلت أبين الإخلاص والصدق فرق ؟ قال نعم الصدق أصل وهو الأول والاخلاص فرع وهو تابع وقال بينهما فرق لأن الإخلاص لا يكون إلا بعد الدخول فى العمل ثم قال إنما هو إخلاص ومخالصة الاخلاص ومخالصة كائنة فى المخالصة فعلى هذا الاخلاص حال الملامتى ومخالصة الاخلاص حال الصوفى والخالصة الكائنة من المخالصة ثمرة مخالصة الاخلاص وهو فناء العبد عن رسومه برؤية قيامه بقيومه بل غيبته عن رؤية

وروى « أنه كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يارب النار أجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إذا كان ذلك فآذنوني فأتاه فاستمع فلما أصبح قال يافلان هلا سألت الله الجنة قال يارسول الله انى لست هناك ولا يبلغ عملى ذاك فلم يلبث إلا يسيرا حتى نزل جبرائيل عليه السلام وقال أخبر فلانا أن الله قد أجاره من النار وأدخله الجنة(١) » ويروى «أن جبرائيل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل(٢) » قال نافع كان يصلي بالليل ثم يقول يانافع أسحرنا فأقول لا فيقوم لصلاته ثم يقول يانافع أسحرنا فأقول نعم فيقعد فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر . وقال على بن أبى طالب شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله تعالى إليه يايحيى أوجدت دارا خيرا لك من دارى أم وجدت جوارا خيرا لك من جوارى فوعزتى وجلالى يايحيى لو اطلعت إلى الفردس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت إلى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الجلد بعد المسوح . « وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق فقال سينهاه مايعمل(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم «رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فان أبت نضح فى وجهها الماء(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم «رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى فان أبى نضحت فى وجهه الماء » وقال صلى الله عليه وسلم « من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل(٦) » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم « من نام عن حزبه أوعن شيء منه بالليل فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل(٧) » . الآثار روى أن عمر رضى الله عنه كان يمر بالآية من ورده بالليل فيسقط حتى يعاد منها أياما كثيرة كما يعاد المريض وكان ابن مسعود رضى الله عنه إذا هدأت العيون قام فيسمع له دوى كدوى النحل حتى يصبح ، ويقال إن سفيان الثورى رحمه الله شبع ليلة فقال إن الحمار إذا زيد فى علفه زيد فى عمله فقام تلك الليلة حتى أصبح وكان طاوس رحمه الله إذا اضطجع على فراشه تتقلى عليه كما تتقلى الحية على المقلاة ثم يثب ويصلي إلى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين ، وقال الحسن رحمه الله مانعلم عملا أشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال فقيل له مابال المتهجدين من أحسن الناس وجوها قال لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وقدم بعض الصالحين من سفره فمهد له فراش فنام عليه

(١) حديث أنه كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يارب النار أجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إذا كان ذلك فآذنوني الحديث لم أقف له على أصل (٢) حديث أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك وليس فيه ذكر لجبريل (٣) حديث قيل له إن فلانا يصلي بالليل فاذا أصبح سرق قال سينهاه مايقول ، ابن حبان من حديث أبى هريرة (٤) حديث رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت الحديث د حب من حديث أبى هريرة (٥) حديث من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات د ن من حديث أبى هريرة وأبى سعيد بسند صحيح (٦) حديث أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل م من حديث أبى هريرة (٧) حديث عمر من نام عن حزبه أوعن شيء منه فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنه قرأه من الليل رواه م .

قيامه وهو الاستغراق فى العين عن الآثار والتخلص عن لوث الاستتار وهو فقد حال الصوفى والملامتى مقيم فى أوطان إخلاصه غير متطلع إلى حقيقة خلاصه وهذا فرق واضح بين الملامتى والصوفى ولم يزل فى خراسان منهم طائفة ولهم مشايخ يمهدون أساسهم ويعرفونهم شروط حالهم وقد رأينا فى العراق من يسلك هذا المسلك ولكن لم يشتهر بهذا الاسم وقلما يتداول ألسنة أهل العراق هذا الاسم . حكى أن بعض الملامتية استدعى إلى سماع فامتنع فقيل له فى ذلك فقال لأنى إن حضرت يظهر على وجد ولا أوثر أن يعلم أحد حالى . وقيل إن أحمد بن أبى الحوارى

حتى فاته ورده فحلف أن لاينام بعدها على فراش أبدا وكان عبد العزيز بن أبي روّاد إذا جنّ عليه الليل يأتي فراشه فيمر يده عليه ويقول إنك لين ووالله إن في الجنة لألين منك ولا يزال يصلي الليل كله وقال الفضيل إني لأستقبل الليل من أوله فيهولني طوله فأفتتح القرآن فأصبح وما قضيت نهمتي وقال الحسن إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وقال الفضيل إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك وكان صلة بن أشيم رحمه الله يصلي الليل كله فإذا كان في السحر قال إلهي ليس مثلي يطلب الجنة ولكن أجرني برحمتك من النار وقال رجل لبعض الحكماء إني لأضعف عن قيام الليل فقال له يا أخي لاتعص الله تعالى بالنهار ولاتنم بالليل وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان في جوف الليل قامت الجارية فقالت ياأهل الدار الصلاة الصلاة فقالوا أصبحنا أطلع الفجر فقالت وما تصلون إلا المكتوبة قالوا نعم فرجعت إلى الحسن فقالت يامولاي بعتني من قوم لايصلون إلا المكتوبة ردني فردها وقال الربيع بت في منزل الشافعي رضي الله عنه ليالي كثيرة فلم يكن ينام من الليل إلا يسيرا وقال أبو الجويرية لقد صحبت أباحنيفة رضي الله عنه ستة أشهر فما فيها ليلة وضع جنبه على الأرض وكان أبو حنيفة يحيي نصف الليل فمرّ بقوم فقالوا إن هذا يحيي الليل كله فقال إني أستحي أن أوصف بما لا أفعل فكان بعد ذلك يحيي الليل كله ويروى أنه ماكان له فراش بالليل ويقال إن مالك بن دينار رضي الله عنه بات يردد هذه الآية ليلة حتى أصبح ـ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ـ الآية . وقال المغيرة بن حبيب رمقت مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء ثم قام إلى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول اللهم حرم شيبة مالك على النار إلهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فأيّ الرجلين مالك وأي الدارين دار مالك فلم يزل ذلك قوله طلع الفجر وقال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردي ونمت فاذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي أتحسن تقرأ فقلت نعم فدفعت إليّ الرقعة فاذا فيها :

أ ألهتك اللذائذ والأماني عن البيض الأوانس في الجنان
تعيش مخلدا لاموت فيها وتلهو في الجنان مع الحسان
تنبه من منامك إن خيرا من النوم التهجد بالقران

وقيل حج مسروق فما بات ليلة إلا ساجدا ويروى عن أزهر بن مغيث وكان من القوامين أنه قال رأيت في المنام امرأة لاتشبه نساء أهل الدنيا فقلت لها من أنت قالت حوراء فقلت زوجيني نفسك فقالت اخطبني إلى سيدي وأمهرني فقلت ومامهرك قالت طول التهجد . وقال يوسف بن مهران بلغني أن تحت العرش ملكا في صورة ديك برائته من لؤلؤ وصئصئه من زبرجد أخضر فاذا مضى ثلث الليل الأول ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم القائمون فاذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المجتهدون فاذا مضى ثلثا الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المصلون فاذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم وقيل إن وهب بن منبه اليماني ماوضع جنبه إلى الأرض ثلاثين سنة وكان يقول لأن أرى في بيتي شيطانا أحب إليّ من أن أرى في بيتي وسادة لأنها تدعو إلى النوم وكانت له مسورة من أدم إذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفزع إلى الصلاة وقال بعضهم رأيت ربّ العزة في النوم فسمعته يقول وعزتي وجلالي لأكرمن مثوى سليمان التيمي فانه صلى لي الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة ويقال كان مذهبه

قال لأبي سليمان الداراني إني إذا كنت في الخلوة أجد لمعاملتي لذة لا أجدها بين الناس فقال له إنك إذا لضعيف فالملامتي وإن كان متمسكا بعروة الإخلاص مستفرشا بساط الصدق ولكن بقي عليه بقية رؤية الخلق وما أحسنها من بقية تحقق الإخلاص والصدق والصوفي صفا من هذه البقية في طرفي العمل والترك للخلق وعزلهم بالكلية ورآهم بعين الفناء والزوال ولاح له ناصية التوحيد وعاين سر قوله ـ كلّ شيء هالك إلا وجهه ـ كما قال بعضهم في بعض غلباته ليس في الدارين غير الله وقد يكون إخفاء الملامتي الحال على وجهين أحد الوجهين لتحقيق الإخلاص

أن النوم إذا خامر القلب بطل الوضوء ، وروى في بعض الكتب القديمة عن الله تعالى أنه قال إن عبدي الذي هو عبدي حقا الذي لا ينتظر بقيامه صياح الديكة .

(بيان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل)

اعلم ان قيام الليل عسير على الخلق إلا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا . فأما الظاهرة فأربعة أمور . الأول : أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتنحسروا عند الموت كثيرا وهذا هو الأصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام . الثاني أن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تعيابها الجوارح وتضعف بها الأعصاب فان ذلك أيضا مجلبة للنوم . الثالث : أن لا يترك القيلولة بالنهار فانها سنة للاستعانة على قيام الليل (١) . الرابع : أن لا يحتقب الأوزار بالنهار فان ذلك مما يقسي القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة . قال رجل للحسن يا أبا سعيد إني أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهوري فما بالي لا أقوم فقال ذنوبك قيدتك وكان الحسن رحمه الله إذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لا يقيلون وقال الثوري حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته قيل وما ذاك الذنب قال رأيت رجلا يبكي فقلت في نفسي هذا مراء وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت أتاك نعي بعض أهلك فقال أشد فقلت وجع يؤلمك قال أشد قلت فما ذاك قال باب مغلق وستر مسبل ولم أقرأ حزبي البارحة وما ذاك إلا بذنب أحدثته وهذا لأن الخير يدعو إلى الخير والشر يدعو إلى الشر والقليل من كل واحد منهما يجر إلى الكثير ولذلك قال أبو سليمان الداراني لا تفوت أحدا صلاة الجماعة إلا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة بعد وقال بعض العلماء إذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى أي شيء تفطر فان العبد ليأكل أكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود إلى حالته الأولى فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل وأخصها بالتأثير تناول الحرام . وتؤثر اللقمة الحال في تصفية القلب وتحريكه إلى الخير ما لا يؤثر غيرها ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ولذلك قال بعضهم كم من أكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان العبد ليأكل أكلة أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات وقال بعض السجانين كنت سجانا نيفا وثلاثين سنة أسأل كل مأخوذ بالليل أنه هل صلى العشاء في جماعة فكانوا يقولون لا وهذا تنبيه على أن بركة الجماعة تنهى عن تعاطي الفحشاء والمنكر .

(وأما الميسرات الباطنة فأربعة أمور)

الأول : سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وإن قام فلا يتفكر في صلاته إلا في مهماته ولا يجول إلا في وساوسه وفي مثل ذلك يقال :

يخبرني البواب أنك نائم وأنت إذا استيقظت أيضا فنائم

الثاني : خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل فانه إذا تفكر في أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره كما قال طاوس إن ذكر جهنم طير نوم العابدين وكما حكي أن غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيدته إن قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار فقال إن صهيبا إذا ذكر النار لا يأتيه النوم وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل فقال إذا ذكرت النار اشتد خوفي وإذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فلا أقدر أن أنام ، وقال ذو النون المصري رحمه الله :

والصدق والوجه الآخر وهو الأتم لستر الحال عن غيره بنوع غيرة فان من خلا بمحبوبه يكره اطلاع الغير عليه بل يبلغ في صدق المحبة أن يكره طلاع أحد على حبه لمحبوبه وهذا وإن علا ففي طريق الصوفي علة ونقص فعلى هذا يتقدم الملامتي على المتصوف ويتأخر عن الصوفي وقيل إن من أصول الملامتية أن

(١) حديث الاستعانة بقيلولة النهار على قيام الليل هـ من حديث ابن عباس وقد تقدم .

منع القران بوعده ووعيده مقل العيون بليلها أن تهجعا
فهموا عن الملك الجليل كلامه فرقابهم ذلت إليه تخضعا

وأنشدوا أيضا :

ياطويل الرقاد والغفلات كثرة النوم تورث الحسرات
إن فى القبر إن نزلت إليه لرقادا يطول بعد الممات
ومهادا ممهدا لك فيه بذنوب عملت أو حسنات
أأمنت البيات من ملك الموت وكم نال آمنا بيات

وقال ابن المبارك :

إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن فى الدنيا هجوع

الذكر على أربعة أقسام ذكر باللسان وذكر بالقلب وذكر بالسر وذكر بالروح فاذا صح ذكر الروح سكت السر والقلب واللسان عن الذكر وذلك ذكر المشاهدة وإذا صح ذكر السر سكت القلب واللسان عن الذكر وذلك ذكر الهيبة وإذا صح ذكر القلب فتر اللسان عن الذكر وذلك ذكر الآلاء والنعماء وإذا غفل

الثالث : أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأخبار والآثار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه إلى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة فى درجات الجنان كما حكى أن بعض الصالحين رجع من غزوته فهدت امرأته فراشها وجلست تنتظره فدخل المسجد ولم يزل يصلى حتى أصبح فقالت له زوجته كنا ننتظرك مدة فلما قدمت صليت إلى الصبح قال والله إنى كنت أتفكر فى حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والمنزل فقمت طول ليلتى شوقا إليها . الرابع وهو أشرف البواعث الحب لله وقوة الإيمان بأنه فى قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناج ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وأن تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه فاذا أحب الله تعالى أحب لا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام ولا ينبغى أن تستبعد هذه اللذة إذ يشهد لها العقل والنقل فأما العقل فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله أو لملك بسبب إنعامه وأمواله أنه كيف يتلذذ به فى الخلوة ومناجاته حتى لا يأتيه النوم طول ليله . فان قلت : إن الجميل يتلذذ بالنظر إليه وان الله تعالى لا يرى . فاعلم أنه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر أو كان فى بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمجاورته المجردة دون النظر ودون الطمع فى أمر آخر سواه وكان يتنعم باظهار حبه عليه وذكره بلسانه بمسمع منه وان كان ذلك أيضا معلوما عنده . فان قلت : إنه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله تعالى . فاعلم أنه كان يعلم أنه لا يجيبه ويسكت عنه فقد بقيت له أيضا لذة فى عرض أحواله عليه ورفع سريرته إليه كيف والموقن يسمع من الله تعالى كل ما يرد على خاطره فى أثناء مناجاته فيتلذذ به وكذا الذى يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته فى جنح الليل يتلذذ به فى رجاء إنعامه والرجاء فى حق الله تعالى أصدق وما عند الله خير وأبقى وأنفع مما عند غيره فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه فى الخلوات . وأما النقل فيشهد له أحوال قوّام الليل فى تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب حتى قيل لبعضهم كيف أنت والليل قال ما راعيته قط يرينى وجهه ثم ينصرف وما تأملته بعد . وقال آخر أنا والليل فرسا رهان مرة يسبقنى إلى الفجر ومرة يقطعنى عن الفكر . وقيل لبعضهم كيف الليل عليك فقال ساعة أنا فيها بين حالتين أفرح بظلمته إذا جاء وأغتمّ بفجره إذا طلع ماتم فرحى به قط . وقال على بن بكار منذ أربعين سنة ما أحزننى شىء سوى طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض إذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتى بربى وإذا طلعت حزنت لدخول الناس على وقال أبو سليمان أهل الليل فى ليلهم ألذّ من أهل اللهو فى لهوهم ولولا الليل ما أحببت البقاء فى الدنيا وقال أيضا لو عوض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم

مايجدونه من اللذة لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم وقال بعض العلماء ليس فى الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا مايجده أهل التملق فى قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال بعضهم لذة المناجاة ليست من الدنيا إنما هى من الجنة أظهرها الله تعالى لأوليائه لايجدها سواهم . وقال ابن المنكدر : مابقى من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل ولقاء الإخوان والصلاة فى الجماعة ، وقال بعض العارفين : إن الله تعالى ينظر بالأسحار إلى قلوب المتيقظين فيملؤها أنوارا فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم النوافى إلى قلوب الغافلين ، وقال بعض العلماء من القدماء : إن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين إن لى عبادا من عبادى أحبهم ويحبوننى ويشتاقون إلىّ وأشتاق إليهم ويذكروننى وأذكرهم وينظرون إلىّ وأنظر إليهم فان حذوت طريقهم أحببتك وإن عدلت عنهم مقتك قال يارب وماعلامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى غنمه ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها فاذاجنهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا إلىّ أقدامهم وافترشوا إلىّ وجوههم وناجونى بكلامى وتملقوا إلىّ بإنعامى فبين صارخ وباك، وبين متأوّه وشاك، بعينى مايتحملون من أجلى وبسمعى مايشتكون من حبى أول ماأعطيهم أقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم ، والثانية لو كانت السموات السبع والأرضون السبع ومافيهما فى موازينهم لاستقللتها لهم ، والثالثة أقبل بوجهى عليهم أفترى من أقبلت بوجهى عليه أيعلم أحد ماأريد أن أعطيه ، وقال مالك بن دينار رحمه الله إذا قام العبد يتهجد من الليل قرب منه الجبار عزوجل وكانوا يرون لايجدون من الرقة والحلاوة فى قلوبهم والأنوار من قرب الرب تعالى من القلب وهذا له سر وتحقيق ستأتى الإشارة إليه فى كتاب المحبة ، وفى الأخبار عن الله عز وجل « أى عبدى أنا الله الذى اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نورى » وشكا بعض المريدين إلى أستاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم فقال أستاذه يابنى إن لله نفحات فى الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطئ القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات فقال ياسيدى تركتنى لاأنام بالليل ولابالنهار .

واعلم أن هذه النفحات بالليل أرجى لما فى قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل ، وفى الخبر الصحيح عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن من الليل ساعة لايوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه إياه [1] » وفى رواية أخرى « يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة » ومطلوب القائمين تلك الساعة وهى مبهمة فى جملة الليل كليلة القدر فى شهر رمضان وكساعة يوم الجمعة وهى ساعة النفحات المذكورة والله أعلم .

بيان طرق القسمة لأجزاء الليل : اعلم أن إحياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب . الأولى : إحياء كل الليل وهذا شأن الأقوياء الذين تجردوا لعبادة الله تعالى وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردّوا المنام إلى النهار فى وقت اشتغال الناس وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء . حكى أبو طالب المكى أن ذلك حكى على سبيل التواتر والاشتهار عن أربعين من التابعين وكان فيهم من واظب عليه أربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد المكيان وطاوس ووهب بن منبه اليمانيان والربيع بن خيثم والحكم الكوفيان وأبو سليمان الدارانى وعلى بن بكار الشاميان وأبو عبدالله الخواص وأبو عاصم العباديان وحبيب أبو محمد وأبو جابر السلمانى الفارسيان

القلب عن الذكر أقبل اللسان على الذكر وذلك ذكر العادة ولكل واحد من هذه الأذكار عندهم آفة فآفة ذكر الروح اطلاع السر عليه وآفة ذكر السر اطلاع القلب عليه وآفة ذكر القلب اطلاع النفس عليه وآفة ذكر النفس رؤية ذلك وتعظيمه أو طلب ثوابه أو ظن أنه يصل إلى شئ من المقامات وأقل الناس قيمة عندهم من يريد

(١) حديث جابر : إن من الليل ساعة لايوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة ، رواه م .

ومالك بن دينار وسليمان التيمى ويزيد الرقاشى وحبيب بن أبى ثابت ويحيى البكاء البصريون وكهمس بن المنهال وكان يختم فى الشهر تسعين ختمة وما لم يفهمه رجع وقرأه مرة أخرى وأيضا من أهل المدينة أبو حازم ومحمد بن المنكدر فى جماعة يكثر عددهم . المرتبة الثانية : أن يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السلف وأحسن طريق فيه أن ينام الثلث الأول من الليل والسدس الأخير منه حتى يقع قيامه فى جوف الليل ووسطه فهو الأفضل . المرتبة الثالثة : أن يقوم ثلث الليل فينبغى أن ينام النصف الأول والسدس الأخير ، وبالجملة نوم آخر الليل محبوب لأنه يذهب النعاس بالغداة وكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفرة الوجه والشهرة به فلو قام أكثر الليل ونام سحرا قلت صفرة وجهه وقلّ نعاسه ، وقالت عائشة رضى الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل فان كانت له حاجة إلى أهله دنا منهن وإلا اضطجع فى مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه للصلاة(١) » وقالت أيضا رضى الله عنها « ما ألفيته بعد السحر إلا نائما (٢) » حتى قال بعض السلف هذه الضجعة قبل الصبح سنة منهم أبو هريرة رضى الله عنه ، وكان نوم هذا الوقت سببا للمكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب وذلك لأرباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الأول من أوراد النهار وقيام ثلث الليل من النصف الأخير ، ونوم السدس الأخير قيام داود صلى الله عليه وسلم . المرتبة الرابعة : أن يقوم سدس الليل أو خمسه وأفضله أن يكون فى النصف الأخير وقبل السدس الأخير منه . المرتبة الخامسة : أن لا يراعى التقدير فان ذلك إنما يتيسر لنبىّ يوحى إليه أو لمن يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه ويواظبه ويوقظه ثم ربما يضطرب فى ليالى الغيم ولكنه يقوم من أول الليل إلى أن يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه النوم عاد إلى النوم فيكون له فى الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل وأشد الأعمال وأفضلها ، وقد كان هذا من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم(٣) ، وهو طريقة ابن عمر وأولى العزم من الصحابة وجماعة من التابعين رضى الله عنهم وكان بعض السلف يقول هى أول نومة فاذا انتبهت ثم عدت إلى النوم فلا أنام الله لى عينا فأما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان

إظهاره وإقبال الخلق عليه بذلك وسرّ هذا الأصل الذى بنوا عليه أن ذكر الروح ذكر الذات وذكر السر ذكر الصفات بزعمهم وذكر القلب من الآلاء والنعماء ذكر أثر الصفات وذكر النفس متعرّض للعلاّت فمعنى قولهم اطلاع السر على الروح يشيرون إلى التحقق بالفناء عند ذكر الذات وذكر الهيبة

(١) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل فان كانت له حاجة إلى أهله دنا منهن وإلا اضطجع فى مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذن بالصلاة م من حديث عائشة كان ينام أول الليل ويحيى آخره ثم إن كان له حاجة إلى أهله قضى حاجته ثم ينام وقال النسائى فاذا كان من السحر أوتر ثم أتى فراشه فاذا كان له حاجة ألمّ بأهله ، ولأبى داود كان إذا قضى صلاته من آخر الليل نظر فان كنت مستيقظة حدثنى وإن كنت نائمة أيقظنى وصلى الركعتين ثم اضطجع حتى يأتيه المؤذن فيؤذنه بصلاة الصبح فيصلى ركعتين خفيفتين ثم يخرج إلى الصلاة وهو متفق عليه بلفظ : كان إذا صلى فان كنت مستيقظة حدثنى وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة ، وقال م إذا صلى ركعتى الفجر (٢) حديث عائشة ما ألفيته السحر الأعلى إلا نائما متفق عليه بلفظ ما ألفى رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر الأعلى فى بيتى أو عندى إلا نائما لم يقل خ الأعلى وقال ه ما كنت ألفى أو ألقى النبى صلى الله عليه وسلم من آخر الليل إلا وهو نائم عندى (٣) حديث قيامه أول الليل إلى أن يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه عاد إلى النوم فيكون له فى الليل نومتان د ت وصححه و ه من حديث أمّ سلمة كان يصلى وينام قدر ما صلى ثم يصلى قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح ، وللبخارى من حديث ابن عباس صلى العشاء ثم جاء فصلى أربع ركعات ثم نام ثم قام وفيه فصلى خمس ركعات ثم صلى ركعتين ثم نام حتى سمعت غطيطه الحديث .

يقوم نصف الليل أو ثلثيه أو ثلثه أوسدسه (١) يختلف ذلك فى الليالى ودلّ عليه قوله تعالى فى الموضعين من سورة المزمل ـ إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه ـ فأدنى من ثلثى الليل كأنه نصفه ونصف سدسه فان كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والربع وإن نصب كان نصف الليل وقالت عائشة رضى الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يقوم إذا سمع الصارخ(٢) يعنى الديك وهذا يكون السدس فما دونه وروى غير واحد أنه قال راعيت صلاة سول الله صلى الله عليه وسلم فى السفر ليلا فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر فى الأفق فقال : ربنا ماخلقت هذا باطلا حتى بلغ إنك لاتخلف الميعاد ثم استل من فراشه سوا كا فاستاك به وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل الذى نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ماصلى ثم استيقظ فقال ماقال أول مرة وفعل مافعل أول مرة (٣) . المرتبة السادسة : وهى الأقل أن يقوم مقدار أربع ركعات أو ركعتين أو تتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلا بالذكر والدعاء فيكتب فى جملة قوام الليل برحمة الله وفضله وقد جاء فى الأثر صلّ من الليل ولو قدر حلب شاة(٤) فهذه طرق القسمة فليختر المريد لنفسه مايراه أيسر عليه وحيث يتعذر عليه القيام فى وسط الليل فلا ينبغى أن يهمل إحياء مابين العشاءين والورد الذى بعد العشاء ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائما ويقوم بطرفى الليل وهذه هى المرتبة السابعة ومهما كان النظر إلى المقدار فترتيب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره وأما فى الرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيهما إلى القدر فليس يجرى أمرهما فى التقدم والتأخر على الترتيب المذكور إذ السابعة ليست دون ماذكرناه فى السادسة ولا الخامسة دون الرابعة .

(بيان الليالى والأيام الفاضلة)

اعلم أن الليالى المخصوصة بمزيد الفضل التى يتأكد فيها استحباب الاحياء فى السنة خمس عشرة ليلة

فى ذلك الوقت ذكر الصفات مشعر بنصيب الهيبة وهو وجود الهيبة ووجود الهيبة يستدعى وجودا وبقية وذلك يناقض حال الفناء وهكذا ذكر السر وجود هيبة وهو ذكر الصفات مشعر بنصيب القرب وذكر القلب الذى هو ذكر الآلاء والنعماء مشعر بعدما لأنه اشتغال بذكر النعمة وذهول عن المنعم والاشتغال

(١) حديث ربما كان يقوم نصف الليل أوثلثه أوثلثيه أو سدسه ، الشيخان من حديث ابن عباس قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل أوقبله بقليل أوبعده بقليل استيقظ الحديث وفى رواية للبخارى فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء الحديث ولأبى داود قام حتى إذا ذهب ثلث الليل أو نصفه استيقظ الحديث لمسلم من حديث عائشة فيبعثه الله بماشاء أن يبعثه من الليل . (٢) حديث عائشة كان يقوم إذا سمع الصارخ متفق عليه (٣) حديث غير واحد قال راعيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السفر ليلا فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر فى الأفق فقال ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك حتى بلغ إنك لاتخلف الميعاد ثم استلّ من فراشه سوا كا فاستاك وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل مانام الحديث ن من رواية حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال قلت وأنا فى سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأرقبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه وروى أبو الوليد بن مغيث فى كتاب الصلاة من رواية اسحق بن عبد الله بن أبى طلحة أن رجلا قال لأرمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث وفيه أنه أخذ سوا كه من مؤخر الرحل وهذا يدل أنه أيضا كان فى سفر (٤) حديث صلّ من الليل ولو قدر حلب شاة أبو يعلى من حديث ابن عباس فى صلاة الليل مرفوعا نصفه ثلثه ربعه فواق حلب ناقة فواق حلب شاة ولأبى الوليد بن مغيث من رواية إياس بن معاوية مرسلا لابد من صلاة الليل ولو حلبة ناقة أوحلبة شاة .

لاينبغى أن يغفل المريد عنها فانها مواسم الخيرات ومظان التجارات ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل المريد عن فضائل الأوقات لم ينجح فستة من هذه الليالى فى شهر رمضان: خمس فى أوتار العشر الأخير إذ فيها تطلب ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان فهى ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وقال ابن الزبير رحمه الله هى ليلة القدر . وأما التسع الأخر فأول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء وأول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهى ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة فقد قال صلى الله عليه وسلم «للعامل من هذه الليلة حسنات مائة سنة (١)» فمن صلى فى هذه الليلة اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويتشهد فى كل ركعتين ويسلم فى آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ثم يستغفر الله مائة مرة ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من أمر دنياه وآخرته ويصبح صائما فان الله يستجيب دعاءه كله إلا أن يدعو فى معصية ، وليلة النصف من شعبان ففيها مائة ركعة يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة سورة الاخلاص عشر مرات كانوا لايتركونها كما أوردناه فى صلاة التطوع وليلة عرفة وليلتا العيدين قال صلى الله عليه وسلم «من أحيا ليلتى العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب(٢)» . وأما الأيام الفاضلة فتسعة عشر يستحب مواصلة الأوراد فيها : يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال « من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا (٣)» وهو اليوم الذى أهبط الله فيه جبرائيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويوم سبعة عشر من رمضان وهو يوم وقعة بدر ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوما العيدين . والأيام المعلومات وهى عشر من ذى الحجة والأيام المعدودات وهى أيام التشريق وقد روى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة (٤)» وقال بعض العلماء من أخذ مهناة فى الأيام الخمسة فى الدنيا لم ينل مهناة فى الآخرة وأراد به العيدين والجمعة وعرفة وعاشوراء . ومن فواضل الأيام فى الأسبوع يوم الخميس والاثنين ترفع فيهما الأعمال إلى الله تعالى وقد ذكرنا فضائل الأشهر والأيام للصيام فى كتاب الصوم فلا حاجة إلى الاعادة والله أعلم ، وصلى الله على كل عبد مصطفى من كل العالمين .

رؤية العطاء عن رؤية المعطى ضرب من بعد المنزلة واطلاع النفس نظرا إلى الأعواض اعتداد بوجود العمل وذلك عين الاعتدال حقيقة وهذه أقسام هذه الطائفة وبعضها أعلى من بعض ، والله أعلم .

---

(١) حديث الصلاة المأثورة فى ليلة السابع والعشرين من رجب ذكر أبو موسى المدينى فى كتاب فضائل الأيام والليالى أن أبا محمد الحبارى رواه من طريق الحاكم أبى عبد الله من رواية محمد بن الفضل عن أبان عن أنس مرفوعا ، ومحمد بن الفضل وأبان ضعيفان جدا والحديث منكر (٢) حديث من أحيا ليلتى العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب ه باسناد ضعيف من حديث أبى أمامة (٣) حديث أبى هريرة من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذى هبط فيه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم رواه أبو موسى المدينى فى كتاب فضائل الليالى والأيام من رواية شهر بن حوشب عنه (٤) حديث أنس إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة تقدم فى الباب الخامس من الصلاة فذكر يوم الجمعة فقط وقد رواه بجملته ابن حبان فى الضعفاء وأبو نعيم فى الحلية من حديث عائشة وهو ضعيف .

(تم الجزء الأول من : كتاب إحياء علوم الدين ، ويتلوه : الجزء الثانى)

فهرس
الجزء الأول

من كتاب إحياء علوم الدين لحجة الاسلام الامام الغزالى

صفحة

مقدمـــة

ترجمة الامام الغزالى

٢ خطبة الكتاب

٥ ﴿ كتاب العلم وفيه سبعة أبواب ﴾

(الباب الأول فى فضل العلم والتعليم والتعلم) وشواهده من النقل والعقل

٥ فضيلة العلم

٩ فضيلة التعلم

١٠ فضيلة التعليم

١٣ فى الشواهد العقلية

١٤ (الباب الثانى فى العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما وفيه بيان ماهو فرض عين وماهو فرض كفاية وبيان أن موقع الكلام والفقه من علم الدين إلى أى حد هو وتفضيل علم الآخرة)

١٤ بيان العلم الذى هو فرض عين

١٧ بيان العلم الذى هو فرض كفاية

٢٩ (الباب الثالث فيما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذى قد يكون به بعض العلوم مذموما وبيان تبديل أسامى العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها)

٢٩ بيان علة ذم العلم المذموم

٣٢ بيان مابدل من ألفاظ العلوم

٣٩ بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة

٤٢ (الباب الرابع فى سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط إباحتها)

٤٣ بيان التلبيس فى تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رحمهم الله تعالى

٤٥ بيان آفات المناظرة ومايتولد منها من مهلكات الأخلاق

٤٩ (الباب الخامس فى آداب المتعلم والمعلم أما المتعلم فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظم تفاريقها عشر جمل)

٥٥ بيان وظائف المرشد المعلم

٥٨ (الباب السادس فى آفات العلم وبيان علامات علماء الأخرة والعلماء السوء)

٨٢ (الباب السابع فى العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه)

٨٢ بيان شرف العقل

٨٤ بيان حقيقة العقل وأقسامه

٨٧ بيان تفاوت النفوس فى العقل

٨٩ ﴿ كتاب قواعد العقائد ﴾

وفيه أربعة فصول

٨٩ الفصل الأول فى ترجمة عقيدة أهل السنة فى كلمتى الشهادة الخ

٩٣ الفصل الثانى فى وجه التدريج إلى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد

١٠٤ الفصل الثالث من كتاب قواعد العقائد فى لوامع الأدلة للعقيدة التى ترجمناها بالقدس وفيها أركان أربعة

صفحة

١٠٤ فأما الركن الأول من أركان الإيمان فى معرفة ذات الله سبحانه وتعالى وأن الله تعالى واحد ومداره على عشرة أصول

١٠٨ الركن الثانى العلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة أصول

١١٠ الركن الثالث العلم بأفعال الله تعالى ومداره على عشرة أصول

١١٣ الركن الرابع فى السمعيات وتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه ومداره على عشرة أصول

١١٥ الفصل الرابع فى الإيمان والإسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال وما يتطرق إليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه ثلاث مسائل

١١٥ مسئلة اختلفوا فى أن الإسلام هو الإيمان أو غيره الخ

١١٩ مسئلة فان قلت فقد اتفق السلف على أن الإيمان يزيد وينقص الخ

١٢١ مسئلة فان قلت ما وجه قول السلف أنا مؤمن إن شاء الخ

١٢٤ ﴿ كتاب أسرار الطهارة ﴾
وهو الكتاب الثالث من ربع العبادات

١٢٧ القسم الأول فى طهارة الخبث والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال به والازالة

١٢٧ الطرف الأول فى المزال

١٢٨ الطرف الثانى فى المزال به

١٢٩ الطرف الثالث فى كيفية الازالة

١٣٠ القسم الثانى طهارة الأحداث ومنها الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجاء

١٣٠ (باب آداب قضاء الحاجة)

١٣١ كيفية الاستنجاء

١٣١ كيفية الوضوء

صفحة

١٣٤ فضيلة الوضوء

١٣٥ كيفية الغسل

١٣٥ كيفية التيمم

١٣٦ القسم الثالث فى النظافة والتنظيف عن الفضلات الظاهرة وهى نوعان : أوساخ وأجزاء

١٣٦ النوع الأول الأوساخ والرطوبات المترشحة وهى ثمانية

١٣٩ النوع الثانى فيما يحدث فى البدن من الأجزاء وهى ثمانية

١٤٥ ﴿ كتاب أسرار الصلاة ومهماتها ﴾
وفيه سبعة أبواب

١٤٥ (الباب الأول فى فضائل الصلاة والسجود والجماعة والأذان وغيرها)
فضيلة الأذان

١٤٦ فضيلة المكتوبة

١٤٧ فضيلة إتمام الأركان

١٤٨ فضيلة الجماعة

١٤٩ فضيلة السجود
فضيلة الخشوع

١٥١ فضيلة المسجد وموضع الصلاة

١٥٢ (الباب الثانى فى كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وما قبله)

١٥٤ القراءة
الركوع ولواحقه
السجود

١٥٥ التشهد

١٥٦ المنهيات

١٥٨ تمييز الفرائض والسنن

١٥٩ (الباب الثالث فى الشروط الباطنة من أعمال القلب الخ.

١٥٩ بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب

صفحة

١٦١ بيان المعانى الباطنة التى تتمّ بها حياة الصلاة

١٦٣ بيان الدواء النافع فى حضور القلب

١٦٥ بيان تفصيل ماينبغى أن يحضر فى القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة

١٧١ حكايات وأخبار فى صلاة الخاشعين رضى الله عنهم

١٧٣ (الباب الرابع فى الإمامة والقدوة الخ)

١٧٨ (الباب الخامس فى فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها)

١٧٨ فضيلة الجمعة

١٧٩ بيان شروط الجمعة

١٨٠ وأما السنن الخ

١٨٠ بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة وهى عشر جمل

١٨٥ بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذى يعم جميع النهار وهى سبعة أمور

١٨٩ (الباب السادس فى مسائل متفرقة تعم بها البلوى ويحتاج المريد إلى معرفتها)

١٩٣ (الباب السابع فى النوافل من الصلوات وفيه أربعة أقسام)

١٩٣ القسم الأول ما يتكرر بتكرر الأيام والليالى وهى ثمانية

١٩٨ القسم الثانى ما يتكرر بتكرر الأسابيع

٢٠١ القسم الثالث مايتكرر بتكرر السنين

٢٠٤ القسم الرابع من النوافل ما يتعلق بأسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهى تسعة

٢٠٩ ﴿ كتاب أسرار الزكاة ﴾ وفيه أربعة فصول

صفحة

٢١٠ الفصل الأول فى أنواع الزكاة وأسباب وجوبها

٢١٠ النوع الأول زكاة النعم

٢١١ النوع الثانى زكاة المعشرات

النوع الثالث زكاة النقدين

النوع الرابع زكاة التجارة

٢١٢ النوع الخامس الركاز والمعدن.

النوع السادس فى صدقة الفطر

الفصل الثانى فى الأداء وشروطه الباطنة والظاهرة

٢١٤ بيان دقائق الآداب الباطنة فى الزكاة

الوظيفة الأولى أى من الوظائف التى على مريد طريق الآخرة فهم وجوب الزكاة الخ

٢١٥ الوظيفة الثانية فى وقت الأداء

٢١٦ الوظيفة الثالثة الإسرار

الوظيفة الرابعة أن يظهر حيث يعلم أن فى إظهاره ترغيبا للناس الخ

٢١٧ الوظيفة الخامسة أن لايفسد صدقته بالمن والأذى

٢١٨ الوظيفة السادسة أن يستصغر العطية

٢١٩ الوظيفة السابعة أن ينتقى من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه

الوظيفة الثامنة أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة الخ

٢٢١ الفصل الثالث فى القابض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه

بيان أسباب الاستحقاق

٢٢٣ بيان وظائف القابض

٢٢٦ الفصل الرابع فى صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها وإعطائها

بيان فضيلة الصدقة

٢٢٧ بيان إخفاء الصدقة وإظهارها

٢٣٠ بيان الأفضل من أخذ الصدقة أو الزكاة

صفحة

٢٣١ ﴿ كتاب أسرار الصوم ﴾
وفيه ثلاثة فصول
٢٣٣ الفصل الأول فى الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بافساده
أما الواجبات الظاهرة فستة
٢٣٤ لوازم الإفطار أربعة
٢٣٥ الفصل الثانى فى أسرار الصوم وشروطه الباطنة
٢٣٧ الفصل الثالث فى التطوع بالصيام وترتيب الأورادفيه
٢٤٠ ﴿ كتاب أسرار الحج ﴾
وفيه ثلاثة أبواب :
(الباب الأول وفيه فصلان)
الفصل الأول فى فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى وشد الرحال إلى المساجد
٢٤٠ فضيلة الحج
٢٤٢ فضيلة البيت ومكة المشرفة
٢٤٤ فضيلة المقام بمكة حرسها الله تعالى وكراهيته
فضيلة المدينة الشريفة على سائر البلاد
٢٤٦ الفصل الثانى فى شروط وجوب الحج وصحة أركانه وواجباته ومحظوراته
٢٤٧ (الباب الثانى فى ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر إلى الرجوع وهى عشرة جمل
٢٤٧ الجملة الأولى فى السير من أول الخروج إلى الإحرام وهى ثمانية
٢٤٨ الجملة الثانية فى آداب الإحرام من الميقات إلى دخول مكة وهى خمسة
٢٥٠ الجملة الثالثة فى آداب دخول مكة إلى الطواف وهى ستة
٢٥١ الجملة الرابعة فى الطواف الخ
٢٥٣ الجملة الخامسة فى السعى
٢٥٤ الجملة السادسة فى الوقوف وما قبله

صفحة

٢٥٦ الجملة السابعة فى بقية أعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمى والنحر والحلق والطواف
٢٥٨ الجملة الثامنة فى صفة العمرة وما بعدها إلى طواف الوداع
٢٥٩ الجملة التاسعة فى طواف الوداع
الجملة العاشرة فى زيارة المدينة وآدابها
٢٦٢ فصل فى سنن الرجوع من السفر
٢٦٣ (الباب الثالث فى الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة)
بيان دقائق الآداب وهى عشرة
٢٦٧ بيان الأعمال الباطنة ووجه الإخلاص فى النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر لأسرارها ومعانيها من أول الحج إلى آخره
٢٧٣ ﴿ كتاب آداب تلاوة القرآن ﴾
وفيه أربعة أبواب :
٢٧٣ (الباب الأول فى فضل القرآن وأهله وذم المقصرين فى تلاوته)
٢٧٣ فضيلة القرآن
٢٧٥ فى ذم تلاوة الغافلين
٢٧٦ (الباب الثانى فى ظاهر آداب التلاوة وهى عشرة)
٢٨١ (الباب الثالث فى أعمال الباطن فى التلاوة وهى عشرة)
٢٩٠ (الباب الرابع فى فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل)
٢٩٥ ﴿ كتاب الأذكار والدعوات ﴾
وفيه خمسة أبواب:
٢٩٥ (الباب الأول فى فضيلة الذكر وفائدته على الجملة والتفصيل من الآيات والأخبار والآثار)
٢٩٧ فضيلة مجالس الذكر

صفحة

٢٩٨ فضيلة التهليل
٣٠٠ فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الأذكار
٣٠٥ (الباب الثانى فى آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية المأثورة وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم)
٣٠٥ فضيلة الدعاء
٣٠٦ آداب الدعاء وهى عشرة
٣١١ فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضلها
٣١٣ فضيلة الاستغفار
٣١٦ (الباب الثالث فى أدعية مأثورة ومعزية إلى أسبابها وأربابها مما يستحب أن يدعو بها المرء صباحا ومساء وبعقب كل صلاة)
٣١٧ دعاء عائشة رضى الله عنها
دعاء فاطمة رضى الله عنها
دعاء أبى بكر الصديق رضى الله عنه
٣١٨ دعاء بريدة الأسلمى رضى الله عنه
دعاء قبيصة بن المخارق
دعاء أبى الدرداء رضى الله عنه
دعاء الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام
دعاء عيسى صلى الله عليه سلم
٣١٩ دعاء الخضر عليه السلام
دعاء معروف الكرخى رضى الله عنه
دعاء عتبة الغلام
دعاء آدم عليه الصلاة والسلام
دعاء على بن أبى طالب رضى الله عنه
٣٢٠ دعاء ابن المعتمر وهو سليمان التيمى وتسبيحاته رضى عنه
دعاء إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه

صفحة

٣٢١ (الباب الرابع فى أدعية مأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضى الله عنهم محذوفة الأسانيد منتخبة من جملة ماجمعه أبو طالب المكى وابن خزيمة وابن منذر رحمهم الله)
٣٢٤ أنواع الاستعاذة المأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم
٣٢٦ (الباب الخامس فى الأدعية المأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث)
٣٣٣ ﴿كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل﴾ وهو الكتاب العاشر من إحياء علوم الدين وبه اختتام ربع العبادات. وفيه بابان:
٣٣٤ (الباب الأول فى فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها)
٣٣٤ فضيلة الأوراد وبيان أن المواظبة عليها هى الطريق إلى الله تعالى
٣٣٥ بيان أعداد الأوراد وترتيبها
٣٤٥ بيان أوراد الليل وهى خمسة
٣٥٣ بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال
٣٥٧ (الباب الثانى فى الأسباب الميسرة لقيام الليل وفى الليالى التى يستحب إحياؤها وفى فضيلة إحياء الليل ومابين العشاءين وكيفية قسمة الليل)
٣٥٧ فضيلة إحياء مابين العشاءين
٣٥٨ فضيلة قيام الليل
٣٦٢ بيان الأسباب التى بها يتيسر قيام الليل
٣٧٠ بيان طرق القسمة لأجزاء الليل
٣٧٢ بيان الليالى والأيام الفاضلة

فهرس

مابهامش الجزء الأول من إحياء علوم الدين

صفحة

٢ ١ — كتاب
تعريف الأحياء بفضائل الإحياء
٢ خطبة الكتاب
٤ المقدمة فى عنوان الكتاب
٨ المقصد فى فضل الكتاب وبعض المدائح والثناء من الأكابر عليه والجواب عما استشكل منه وطعن بسببه فيه
١٦ (فصل) فيمن أثنى على الإحياء من العلماء الأعلام
٣٠ (فصل) فى بيان المواضع التى استشكل فيها على الإحياء والجواب عنها
٣٤ (خاتمة) فى الاشارة إلى ترجمة الامام الغزالى وسبب رجوعه إلى طريقة الصوفية رضى الله عنهم
٥٥ ٢ — كتاب
الإملاء فى اشكالات الإحياء
خطبة الكتاب
٦٠ ذكر مراسم الأسئلة فى المثل
٦٥ مقدمة فى الألفاظ المستعملة
٧٩ وصية لطالب العلوم والناظر فى التصانيف والمستشرف على كلام الناس وكتب الحكمة
٨٦ ابتداء الأجوبة عن مراسم الأسئلة
٩٤ بيان مقام أهل النطق المجرد وتمييز فرقهم
٩٩ (فصل) فى بيان اللفظ المنبئ عن التوحيد
١٠٠ (فصل) فان قلت فما الذى صدّ هؤلاء الأصناف الثلاثة من أهل النطق عن النظر، والبحث حتى تعلموا، أو عن الاعتقاد حتى تخلصوا من عذاب الله الخ

صفحة

١١١ بيان أصناف أهل الاعتقاد المجرّد
١١٨ (فصل) فى بيان أصناف أهل الاعتقاد
١٢٧ (فصل) لما كان الاعتقاد المجرد عن العلم بصحته ضعيفا وتفرده عن المعرفة قريبا الخ
١٢٨ بيان أرباب المرتبة الثالثة وهو توحيد المقرّبين
١٤٤ بيان المرتبة الرابعة وهو توحيد الصديقين
١٤٩ (فصل) فى معنى إفشاء سر الربوبية كفر وغير ذلك
١٥٧ (فصل) فى معنى قاطع الطريق
١٥٧ (فصل) فى معنى فاستمع لما يوحى
١٦٩ (فصل) فى معنى ولا يتخطى رقاب الصديقين
١٧٠ (فصل) فى معنى انصراف السالك الناظر بعد وصوله إلى ذلك الرفيق الأعلى
١٧١ (فصل) فى معنى ليس فى الإمكان أبدع من صورة هذا العالم الخ
١٧٥ (فصل) فى بيان أن خطاب العقلاء للجمادات غير مستنكر
١٨٤ (فصل) فى الفرق بين العلم المحسوس فى عالم الملك، وبين العلم الالهى فى عالم الملكوت
١٨٧ (فصل) فى حد عالم الملك
١٨٧ (فصل) فى معنى أن الله خلق آدم على صورته
١٩٣ سؤال فى بيان معنى قول سهل رحمه الله الالهية سر لو انكشف لبطلت النبوات، والنبوات سر لو انكشف لبطل العلم، والعلم سر لو انكشف بطلت الأحكام
١٩٧ (فصل) فى حكم هذه العلوم المكتوبة فى الطلب، وسلوك هذه المقامات، ورفق هذه الدرجات، واستفهام هذه المخاطبات

صفحة

١٩٩ (فصل) لأى شىء ذكرت هذه العلوم بالاشارات دون العبارات ، وبالرموز دون التصريحات ، وبالمتشابه من الألفاظ دون المحكمات

٢٠٣ ٣ — ﴿ كتاب عوارف المعارف ﴾

خطبة الكتاب

٢١٥ (الباب الأول فى ذكر منشأ علوم الصوفية)

٢٣٣ (الباب الثانى فى تخصيص الصوفية بحسن الاستماع)

صفحة

٢٥٧ (الباب الثالث فى بيان فضيلة علوم الصوفية والإشارة إلى أنموذج منها)

٢٩٦ (الباب الرابع فى شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم)

٣١١ (الباب الخامس فى ماهية التصوف)

٣٢٥ (الباب السادس فى ذكر تسميتهم بهذا الاسم)

٣٣٩ (الباب السابع فى ذكر التصوف والمتشبه به)

٣٥٣ (الباب الثامن فى ذكر الملامتى وشرح حاله)

مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالى

مع مقدمة فى التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالى
وفلسفته فى الإحياء

بقلم
الدكتور بدوى طبانة
الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم
بجامعة القاهرة

الجزء الثالث

دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابى الحلبى وشركاه

« إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ »
(قرآن كريم)

بسم الله الرحمن الرحيم

(كتاب شرح عجائب القلب)

وهو الأول من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تتحير دون إدراك جلاله القلوب والخواطر ، وتدهش فى مبادى إشراق أنواره الأحداق والنواظر ، المطلع على خفيات السرائر ، العالم بمكنونات الضمائر ، المستغنى فى تدبير مملكته عن المشاور والموازر ، مقلب القلوب وغفار الذنوب ، وستار العيوب ، ومفرج الكروب . والصلاة على سيد المرسلين ، وجامع شمل الدين ، وقاطع دابر الملحدين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وسلم كثيرا .

أما بعد : فشرف الانسان وفضيلته التى فاق بها جملة من أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التى هى فى الدنيا جماله وكماله وفخره وفى الآخرة عدته وذخره وإنما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه ، فالقلب هو العالم بالله وهو المتقرب إلى الله وهو العامل لله وهو الساعى إلى الله وهو المكاشف بما عند الله ولديه ، وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعى للرعية والصانع للآلة فالقلب هو المقبول عند الله إذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله إذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب وهو الذى يسعد بالقرب من الله فيفلح إذا زكاه وهو الذى يخيب ويشقى إذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وإنما الذى ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره ، وهو العاصى المتمرد على الله تعالى وإنما السارى إلى الأعضاء من الفواحش آثاره ، وباظلامه واستتاره تظهر محاسن الظاهر ومساويه إذ كل إناء ينضح بما فيه ، وهو الذى إذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذى إذا جهله الانسان فقد جهل نفسه وإذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل إذ أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وقد حيل بينهم وبين أنفسهم فان الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بأن يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن وأنه كيف يهوى مرة إلى أسفل السافلين وينخفض إلى أفق الشياطين وكيف يرتفع أخرى إلى أعلى عليين ويرتقى إلى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد لما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه ـ نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ـ فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين . وإذ فرغنا

[الباب الثلاثون فى تفاصيل أخلاق الصوفية]

من أحسن أخلاق الصوفية التواضع ولا يلبس العبد لبسة أفضل من التواضع ومن ظفر بكنز التواضع والحكمة يقيم نفسه عند كل أحد مقدارا يعلم أنه يقيمه ويقيم كل أحد على ماعنده من نفسه ومن رزق هذا فقد استراح وأراح وما يعقلها إلا العالمون . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسى قال أنا عثمان بن عبدالله قال أنا عبد الرحمن ابن إبراهيم قال ثنا عبدالرحمن بن حمدان قال ثنا أبو حاتم الرازى

من

من الشطر الأول من هذا الكتاب من النظر فيما يجرى على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا أن نشرح فى الشطر الثانى ما يجرى على القلب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلابد أن نقدم عليه كتابين كتابا فى شرح عجائب صفات القلب وأخلاقه وكتابا فى كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه ثم نندفع بعد ذلك فى تفصيل المهلكات والمنجيات فلنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الأمثال ما يقرب من الأفهام فان التصريح بعجائبه وأسراره الداخلة فى جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه أكثر الأفهام .

(بيان معنى النفس ، والروح ، والقلب ، والعقل ، وماهو المراد بهذه الأسامى)

اعلم أن هذه الأسماء الأربعة تستعمل فى هذه الأبواب ، ويقل فى فحول العلماء من يحيط بهذه الأسامى واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها ، وأكثر الأغاليط منشؤها الجهل بمعنى هذه الأسامى واشتراكها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح فى معنى هذه الأسامى ما يتعلق بغرضنا . اللفظ الأول : لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين : أحدهما اللحم الصنوبرى الشكل المودع فى الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفى باطنه تجويف وفى ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه ، ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته إذ يتعلق به غرض الأطباء ولا يتعلق به الأغراض الدينية وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت ونحن إذا أطلقنا لفظ القلب فى هذا الكتاب لم نعن به ذلك فانه قطعة لحم لاقدر له وهو من عالم الملك والشهادة إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين . والمعنى الثانى هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسمانى تعلق وتلك اللطيفة هى حقيقة الانسان وهو المدرك العالم العارف من الانسان وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسمانى وقد تحيرت عقول أكثر الخلق فى إدراك وجه علاقته فان تعلقه به يضاهى تعلق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة أو تعلق التمكن بالمكان وشرح ذلك مما تتوقاه لمعنيين : أحدهما أنه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا من هذا الكتاب إلا علوم المعاملة . والثانى أن تحقيقه يستدعى إفشاء سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) فليس لغيره أن يتكلم فيه ، والمقصود أنا إذا أطلقنا لفظ القلب فى هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقتها فى ذاتها وعلم المعاملة يفتقر الى معرفة صفاتها وأحوالها ولا يفتقر إلى ذكر حقيقتها . اللفظ الثانى : الروح وهو أيضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين : أحدهما جنس لطيف منبعه تجويف القلب الجسمانى فينشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن وجريانه فى البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها يضاهى فيضان النور من السراج الذى يدار فى زوايا البيت فانه لا ينتهى إلى جزء من البيت إلا ويستنير به والحياة مثالها النور الحاصل فى الحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركته فى الباطن مثال حركة السراج فى جوانب البيت بتحريك محركه والأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب وليس شرحه من غرضنا إذ المتعلق به غرض الأطباء الذين يعالجون الأبدان ، فأما غرض أطباء الدين المعالجين للقلب حتى ينساق إلى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلا . المعنى الثانى هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهو الذى

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يتكلم فى الروح متفق عليه من حديث ابن مسعود فى سؤال اليهود عن الروح وفيه فأمسك النبى صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم فعلمت أنه يوحى إليه الحديث وقد تقدم .

قال ثنا النضر بن عبد الجبار قال أنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن سنان بن سعد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى أوحى إلىّ أن تواضعوا ولا يبغى بعضكم على بعض » وقال عليه السلام فى قوله تعالى ـ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى ـ قال على البر والتقوى والرهبة وذلة النفس ، وكان من تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها ويأكلها

شرحناه فى أحد معانى القلب وهو الذى أراده الله تعالى بقوله ـ قل الروح من أمر ربى ـ وهو أمر عجيب ربانى تعجز أكثر العقول والأفهام عن درك حقيقته . اللفظ الثالث : النفس وهو أيضا مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان : أحدهما أنه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة فى الانسان على ما سيأتى شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوف لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لابد من مجاهدة النفس وكسرها وإليه الاشارة بقوله عليه السلام « أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك (١) » . المعنى الثانى هى اللطيفة التى ذكرناها التى هى الانسان بالحقيقة وهى نفس الانسان وذاته ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها فاذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى فى مثلها ـ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية ـ والنفس بالمعنى الأول لا يتصور رجوعها إلى الله تعالى فانها مبعدة عن الله وهى حزب الشيطان وإذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره فى عبادة مولاه قال الله تعالى ـ ولا أقسم بالنفس اللوامة ـ وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعى الشيطان سميت النفس الأمارة بالسوء قال الله تعالى إخبارا عن يوسف عليه السلام أو امرأة العزيز ـ وما أبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء ـ وقد يجوز أن يقال المراد بالأمارة بالسوء هى النفس بالمعنى الأول فاذن النفس بالمعنى الأول مذمومة غاية الذم وبالمعنى الثانى محمودة لأنها نفس الانسان أى ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات . اللفظ الرابع : العقل وهو أيضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها فى كتاب العلم ، والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان : أحدهما أنه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور فيكون عبارة عن صفة العلم الذى محله القلب . والثانى أنه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب أعنى تلك اللطيفة ، ونحن نعلم أن كل عالم فله فى نفسه وجود هو أصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الادراك أعنى المدرك وهو المراد بقوله ﷺ « أول ما خلق الله العقل (٢) » فان العلم عرض لا يتصور أن يكون أول مخلوق بل لابد وأن يكون المحل مخلوقا قبله أو معه ولأنه لا يمكن الخطاب معه وفى الخبر أنه قال له تعالى أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر الحديث فاذن قد انكشف لك أن معانى هذه الأسماء موجودة وهى القلب الجسمانى والروح الجسمانى والنفس الشهوانية والعلوم فهذه أربعة معان يطلق عليها الألفاظ الأربعة ومعنى خامس : وهى اللطيفة العالمة المدركة من الانسان والألفاظ الأربعة بجملتها تتوارد عليها فالمعانى خمسة والألفاظ أربعة وكل لفظ أطلق لمعنيين وأكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الألفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون فى الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر القلب وهذا خاطر النفس وليس يدرى الناظر اختلاف معانى هذه الأسماء ولأجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الأسامى وحيث ورد فى القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذى يفقه من الانسان ويعرف حقيقة الأشياء وقد يكنى عنه بالقلب الذى فى الصدر لأن بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فانها وإن كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الأول بالقلب وكأنه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها ولذلك شبه سهل التسترى القلب بالعرش والصدر بالكرسى فقال القلب هو العرش

(١) حديث أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك البيهقى فى كتاب الزهد من حديث ابن عباس وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضاعين (٢) حديث أول ما خلق الله العقل وفى الخبر أنه قال له أقبل فأقبل وقال أدبر فأدبر الحديث تقدم فى العلم .

ولا يستكبر عن إجابة لأمة والمسكين وأخبرنا أبو زرعة إجازة عن ابن خلف إجازة عن السلمى قال أنا أحمد بن على المقرى قال أنا محمد ابن المنهال قال حدثنى أبى عن محمد بن جابر اليمانى عن سليمان بن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من رأس التواضع أن تبدأ بالسلام على من لقيت وترد على من سلم عليك وأن ترضى بالدون من المجلس وأن لا تحب المدحة والتزكية والبر » وورد أيضا عنه عليه السلام « طوبى لمن تواضع من غير

والصدر هو الكرسي ولا يظن به أنه يرى أنه عرش الله وكرسيه فان ذلك محال بل أراد به أنه مملكته والمجرى الأول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة إليه كالعرش والكرسي بالنسبة إلى الله تعالى ولا يستقيم هذا التشبيه أيضا إلا من بعض الوجوه وشرح ذلك أيضا لا يليق بغرضنا فلنجاوزه .

(بيان جنود القلب)

قال الله تعالى ـ وما يعلم جنود ربك إلا هو ـ فلله سبحانه في القلوب والأرواح وغيرها من العوالم جنود مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها إلا هو ونحن الآن نشير إلى بعض جنود القلب فهو الذي يتعلق بغرضنا وله جندان جند يرى بالأبصار وجند لا يرى إلا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والأعوان فهذا معنى الجند فأما جنده المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والأذن واللسان وسائر الأعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له فهو المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة على طاعته لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا أمر العين بالانفتاح انفتحت وإذا أمر الرجل بالحركة تحركت وإذا أمر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا سائر الأعضاء وتسخير الأعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة لله تعالى فانهم مجبولون على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وإنما يفترقان في شيء وهو أن الملائكة عليهم السلام عالمة بطاعتها وامتثالها والأجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب وإنما افتقر القلب إلى هذه الجنود من حيث افتقاره إلى المركب والزاد لسفره الذي لأجله خلق وهو السفر إلى الله سبحانه وقطع المنازل إلى لقائه فلأجله خلقت القلوب قال الله تعالى ـ وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ـ وإنما مركبه البدن وزاده العلم وإنما الأسباب التي توصله إلى الزاد وتمكنه من التزود منه هو العمل الصالح وليس يمكن العبد أن يصل إلى الله سبحانه ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الأدنى لا بد من قطعه للوصول إلى المنزل الأقصى فالدنيا مزرعة الآخرة وهي منزل من منازل الهدى وإنما سميت دنيا لأنها أدنى المنزلتين فاضطر إلى أن يتزود من هذا العالم فالبدن مركبه الذي يصل به إلى هذا العالم فافتقر إلى تعهد البدن وحفظه وإنما يحفظ البدن بأن يجلب إليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وأن يدفع عنه ما ينافيه من أسباب الهلاك فافتقر لأجل جلب الغذاء إلى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والأعضاء الجالبة للغذاء فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج إليه وخلقت الأعضاء التي هي آلات الشهوات فافتقر لأجل دفع المهلكات إلى جندين باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الأعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذي بهما يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بأمور خارجة فالجوارح من البدن كالأسلحة وغيرها ثم المحتاج إلى الغذاء ما لم يعرف الغذاء لم تنفعه شهوة الغذاء وإلفه فافتقر للمعرفة إلى جندين باطن وهو إدراك السمع والبصر والشم واللمس والذوق وظاهر وهو العين والأذن والأنف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة إليها ووجه الحكمة فيها يطول ولا تحويه مجلدات كثيرة وقد أشرنا إلى طرف يسير منها في كتاب الشكر فليقتنع به فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة أصناف صنف باعث ومستحث إما إلى جلب النافع الموافق كالشهوة وإما إلى دفع الضار المنافي كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة والثاني هو المحرك للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود مبثوثة في سائر الأعضاء لا سيما العضلات منها والأوتار والثالث هو المدرك المتعرف للأشياء كالجواسيس وهي قوة البصر والسمع والشم والذوق واللمس وهي مبثوثة في أعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الأعضاء المركبة من الشحم واللحم والعصب

منقصة وذل في نفسه من غير مسكنة، سئل الجنيد عن التواضع فقال خفض الجناح ولين الجانب . وسئل الفضيل عن التواضع فقال تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن قاله وتسمع منه. وقال أيضا من رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب. وقال وهب بن منبه مكتوب في كتب الله إني أخرجت الدر من صلب آدم فلم أجد قلبا أشد تواضعا إلى من قلب موسى عليه السلام فلذلك اصطفيته وكلمته ، وقيل من عرف كوامن نفسه لم يطمع في العلو

والدم والعظم التي أعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش إنما هي بالأصابع وقوة البصر إنما هي بالعين وكذا سائر القوى ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة أعني الأعضاء فانها من عالم الملك والشهادة وإنما نتكلم الآن فيما أيدت به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم إلى ماقد أسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس أعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس وإلى ماأسكن منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي أيضا خمسة فان الانسان بعد رؤية الشيء يغمض عينه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك إلى البعض ثم يتذكر ماقد نسيه ويعود إليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان الدماغ يخلو عنه كما تخلو اليد والرجل عنه فتلك القوى أيضا جنود باطنة وأماكنها أيضا باطنة فهذه هي أقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء بضرب الأمثلة يطول ومقصود مثل هذا الكتاب أن ينتفع به الأقوياء والفحول من العلماء ولكننا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب الأمثلة ليقرب ذلك من أفهامهم .

(بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة)

اعلم أن جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينه ذلك على طريقه الذي يسلكه وتحسن مرافقتهما في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله إلى سعادة الأبد وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سيأتي شرحه وحقه أن يستعين بهذا الجند فانه حزب الله تعالى على الجندين الآخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حالة أكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل إليه ونحن نقرب ذلك إلى فهمك بثلاثة أمثلة . المثال الأول : أن نقول مثل نفس الانسان في بدنه أعني بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل ملك في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وجوارحها وقواها بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة إلى المدينة والغضب والحمية له كصاحب الشرطة والعبد الجالب للميرة كذاب مكار خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهائل والسم القاتل وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح في آرائه وتدبيراته حتى إنه لا يخلو من منازعته ومعارضته ساعة كما أن الوالي في مملكته إذا كان مستغنيا في تدبيراته بوزيره ومستشيره ومعرضا عن إشارة هذا العبد الخبيث مستدلا باشارته في أن الصواب في نقيض رأيه أدبه صاحب شرطته وساسه لوزيره وجعله مؤتمرا له مسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث وأتباعه وأنصاره حتى يكون العبد مسوسا لاسائسا ومأمورا مدبرا لا أميرا مدبرا استقام أمر بلده وانتظم العدل بسببه فكذا النفس متى استعانت بالعقل وأدبت بحمية الغضب وسلطتها على الشهوة واستعانت باحداهما على الأخرى تارة بأن تقلل مرتبة الغضب وخلواته بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت أخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه ـ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم ـ وقال تعالى ـ واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ـ وقال عز وجل فيمن نهى النفس عن الهوى

والشرف ويسلك سبيل التواضع فلا يخاصم من يذمه ويشكر الله لمن يحمده وقال أبو حفص من أحب أن يتواضع قلبه فليصحب الصالحين وليلتزم بحرمتهم فمن شدة تواضعهم في أنفسهم يقتدى بهم ولا يتكبر. وقال لقمان عليه السلام لكل شيء مطية ومطية العمل التواضع. وقال النوري خمسة أنفس أعز الخلق في الدنيا عالم زاهد وفقيه صوفي وغني متواضع وفقير شاكر وشريف سني. وقال الجلاء لولا شرف التواضع كنا إذا مشينا نخطر وقال يوسف بن أسباط وقد سئل ما غاية التواضع قال أن تخرج

ـ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى ـ وسيأتى كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض فى كتاب رياضة النفس إن شاء الله تعالى . المثال الثانى : اعلم أن البدن كالمدينة والعقل أعنى المدرك من الانسان كملك مدبر لها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده وأعوانه وأعضاؤه كرعيته والنفس الأمارة بالسوء التى هى الشهوة والغضب كعدو ينازعه فى مملكته ويسعى فى إهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان هو جاهد عدوه وهزمه وقهره على ما يحب حمد أثره إذا عاد إلى الحضرة كما قال الله تعالى ـ والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ـ وإن ضيع ثغره وأهمل رعيته ذم أثره فانتقم منه عند الله تعالى فيقال له يوم القيامة يا راعى السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم تأو الضالة ولم تجبر الكسير اليوم أنتقم منك(١) كما ورد فى الخبر وإلى هذه المجاهدة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر(٢)» المثال الثالث : مثل العقل مثال فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجاح ومتى كان هو فى نفسه أخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل باشارته مطيعا فهو خليق بأن يعطب فضلا عن أن ينال ما طلب وإنما خرق الفارس مثل جهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثل غلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه . نسأل الله حسن التوفيق بلطفه .

(بيان خاصية قلب الانسان)

اعلم أن جملة ما ذكرناه قد أنعم الله به على سائر الحيوانات سوى الآدمى إذ للحيوان الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة أيضا حتى إن الشاة ترى الذئب بعينها فتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك هو الادراك الباطن فلنذكر ما يختص به قلب الانسان ولأجله عظم شرفه واستأهل القرب من الله تعالى وهو راجع إلى علم وإرادة أما العلم فهو العلم بالأمور الدنيوية والأخروية والحقائق العقلية فان هذه أمور وراء المحسوسات ولا يشاركه فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل إذ يحكم الانسان بأن الشخص الواحد لا يتصور أن يكون فى مكانين فى حالة واحدة وهذا حكم منه على كل شخص ومعلوم أنه لم يدرك بالحس إلا بعض الأشخاص فحكمه على جميع الأشخاص زائد على ما أدركه الحس وإذا فهمت هذا فى العلم الظاهر الضرورى فهو فى سائر النظريات أظهر وأما الارادة فانه إذا أدرك بالعقل عاقبة الأمر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق إلى جهة المصلحة وإلى تعاطى أسبابها والارادة لها وذلك غير إرادة الشهوة وإرادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعقل يريدها ويطلبها ويبذل المال فيها والشهوة تميل إلى لذائذ الأطعمة فى حين المرض والعاقل يجد فى نفسه زاجرا عنها وليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله العقل المعرف بعواقب الأمور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للأعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعا على التحقيق فاذن قلب الانسان اختص بعلم وإرادة ينفك عنها سائر الحيوان بل ينفك عنها الصبى فى أول الفطرة وإنما يحدث ذلك فيه بعد البلوغ وأما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانها موجودة فى حق الصبى ثم الصبى فى حصول هذه العلوم فيه له درجتان : إحداهما أن يشتمل قلبه

(١) حديث يقال يوم القيامة يا راعى السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة الخبر لم أجد له أصلا (٢) حديث رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر البيهقى فى الزهد من حديث جابر وقال هذا إسناد فيه ضعف .

من بيتك فلا تلقى أحدا إلا رأيته خيرا منك ورأيت شيخنا ضياء الدين أبا النجيب وكنت معه فى سفره إلى الشام وقد بعث بعض أبناء الدنيا له طعاما على رءوس الأسارى من الافرنج وهم فى قيودهم فلما مدت السفرة والأسارى ينتظرون الأوانى حتى تفرغ قال للخادم أحضر الأسارى حتى يقعدوا على السفرة مع الفقراء فجاء بهم وأقعدهم على السفرة صفا واحدا وقام الشيخ من سجادته ومشى إليهم وقعد بينهم كالواحد منهم فأكل وأكلوا وظهر لنا على وجهه ما نازل باطنه

على سائر العلوم الضرورية الأولية كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيها غير حاصلة إلا أنها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة إلى العلوم كحال الكاتب الذى لايعرف من الكتابة إلا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فانه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد . الثانية أن تتحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر فتكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع إليها وحاله حال الحاذق بالكتابة إذ يقال له كاتب وإن لم يكن مباشرا للكتابة بقدرته عليها وهذه هى غاية درجة الانسانية ولكن فى هذه الدرجة مراتب لاتحصى يتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطريق تحصيلها إذ تحصل لبعض القلوب بإلهام إلهى على سبيل المبادأة والمكاشفة ولبعضهم بتعلم واكتساب وقد يكون سريع الحصول وقد يكون بطىء الحصول وفى هذا المقام تتباين منازل العلماء والحكماء والأنبياء والأولياء فدرجات الترقى فيه غير محصورة إذ معلومات الله سبحانه لانهاية لها وأقصى الرتب رتبة النبى الذى تنكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف إلهى فى أسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة ومراقى هذه الدرجات هى منازل السائرين إلى الله تعالى ولاحصر لتلك المنازل وإنما يعرف كل سالك منزله الذى بلغه فى سلوكه فيعرفه ويعرف ماخلفه من المنازل فأما مابين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به إيمانا بالغيب كما أنا نؤمن بالنبوة والنبى ونصدق بوجوده ولكن لايعرف حقيقة النبوة إلا النبى وكما لايعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز ومايفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فكذلك لايعرف العاقل ما افتتح الله على أوليائه وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته ـ مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ـ وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضنون بها على أحد ولكن إنما تظهر فى القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم « إن لربكم فى أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها (١) » والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته من الخبث والكدورة الحاصلة من الأخلاق المذمومة كما سيأتى بيانه وإلى هذا الجود الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له » وبقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه عز وجل « لقد طال شوق الأبرار إلى لقائى وأنا إلى لقائهم أشد شوقا (٢) » وبقوله تعالى « من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا (٣) » كل ذلك إشارة إلى أن أنوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم ، تعالى عن البخل والمنع علوا كبيرا ولكن حجبت لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فان القلوب كالأوانى فمادامت ممتلئة بالماء لايدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لاتدخلها المعرفة بجلال الله تعالى وإليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماء (٤) » ومن هذه الجملة يتبين أن خاصية الانسان العلم والحكمة

(١) حديث إن لربكم فى أيام دهركم نفحات الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد وقد تقدم (٢) حديث يقول الله عز وجل لقد طال شوق الأبرار إلى لقائى الحديث لم أجد له أصلا إلا أن صاحب الفردوس خرجه من حديث أبى الدرداء ولم يذكر له ولده فى مسند الفردوس إسنادا (٣) حديث يقول الله من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا متفق عليه من حديث أبى هريرة (٤) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم الحديث أحمد من حديث أبى هريرة بنحوه وقد تقدم فى الصيام .

من التواضع لله والانكسار فى نفسه وانسلاخه من التكبر عليهم بإيمانه وعلمه وعمله. أخبرنا أبو زرعة إجازة عن أبى بكر بن خلف إجازة عن السلمى قال سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت الجريرى يقول صح عند أهل المعرفة أن للدين رأس مال خمسة فى الظاهر وخمسة فى الباطن فأما اللواتى فى الظاهر فصدق فى اللسان وسخاوة فى الملك وتواضع فى الأبدان وكف الأذى واحتماله بلا إباء . وأما اللواتى فى الباطن فحب وجود سيده خوف الفراق من سيده ورجاء الوصول إلى سيده

وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله فيه كمال الانسان وفى كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الجلال والكمال فالبدن مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته التى لأجله خلق وكما أن الفرس يشارك الحمار فى قوة الحمل ويختص عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لأجل تلك الخاصية فان تعطلت منه نزل إلى حضيض رتبة الحمار وكذلك الانسان يشارك الحمار والفرس فى أمور ويفارقهما فى أمور هى خاصيته وتلك الخاصية من صفات الملائكة المقربين من رب العالمين والانسان على رتبة بين البهائم والملائكة فان الانسان من حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على الحائط وإنما خاصيته معرفة حقائق الأشياء فمن استعمل جميع أعضائه وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة فحقيق بأن يلحق بهم وجدير بأن يسمى ملكا وربانيا كما أخبر الله تعالى عن صواحبات يوسف عليه السلام بقوله ـ ماهذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم ـ ومن صرف همته إلى اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الأنعام فقد انحط إلى حضيض أفق البهائم فيصير إما غمرا كثور وإما شرها كخنزير وإما ضريا ككلب أو سنور أو حقودا كجمل أو متكبرا كنمر أو ذا روغان كثعلب أو يجمع ذلك كله كشيطان مريد ومامن عضو من الأعضاء ولا حاسة من الحواس إلا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول إلى الله تعالى كما سيأتى بيان طرف منه فى كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة السعادة فى ذلك أن يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه والأعضاء خدمه فيستقر هو أعنى المدرك من الانسان فى القلب الذى هو وسط مملكته كالملك ويجرى القوة الخيالية المودعة فى مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده إذ تجتمع أخبار المحسوسات عنده ويجرى القوة الحافظة التى مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه ويجرى اللسان مجرى ترجمانه ويجرى الأعضاء المتحركة مجرى كتابه ويجرى الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد منها بأخبار صقع من الأصقاع فيوكل العين بعالم الألوان والسمع بعالم الأصوات والشم بعالم الروائح وكذلك سائرها فانها أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها إلى القوة الخيالية التى هى كصاحب البريد ويسلمها صاحب البريد إلى الخازن وهى الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها مايحتاج إليه فى تدبير مملكته وإتمام سفره الذى هو بصدده وقمع عدوه الذى هو مبتلى به ودفع قواطع الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان موفقا سعيدا شاكرا نعمة الله وإذا عطل هذه الجملة أو استعملها لكن فى مراعاة أعدائه وهى الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة أو فى عمارة طريقه دون منزله إذ الدنيا طريقه التى عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة كان مخذولا شقيا كافرا بنعمة الله تعالى مضيعا لجنود الله تعالى ناصرا لأعداء الله مخذلا لحزب الله فيستحق المقت والابعاد فى المنقلب والمعاد نعوذ بالله من ذلك وإلى المثال الذى ضربناه أشار كعب الأحبار حيث قال دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت الانسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب منه ملك (١) فاذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . وقال على رضى الله عنه فى تمثيل القلوب : إن لله تعالى فى أرضه آنية وهى القلوب فأحبها

والندم على فعله والحياء من ربه وقال يحيى بن معاذ التواضع فى الخلق حسن ولكن فى الأغنياء أحسن والتكبر سمج فى الخلق ولكن فى الفقراء أسمج . وقال ذو النون ثلاثة من علامات التواضع تصغير النفس معرفة بالعيب وتعظيم الناس حرمة للتوحيد وقبول الحق والنصيحة من كل واحد . وقيل لأبى يزيد متى يكون الرجل متواضعا قال إذا لم يرى لنفسه حقا ما ولا حالا من علمه بشرها وازدرائها ولا يرى أن فى الخلق شرا منه . قال بعض الحكماء وجدنا التواضع مع الجهل والبخل أحمد

(١) حديث عائشة الانسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان الحديث أبو نعيم فى الطب النبوى والطبرانى فى مسند الشاميين والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة نحوه وله ولأحمد من حديث أبى ذر أما الأذن فقمع وأما العين فمقرة لما يوعى القلب ولا يصح منها شىء .

إليه تعالى وأرقها وأصفاها وأصلبها ثم فسره فقال أصلبها فى الدين وأصفاها فى اليقين وأرقها على الاخوان وهو إشارة إلى قوله تعالى ـ أشداء على الكفار رحماء بينهم ـ وقوله تعالى ـ مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ـ قال أبى بن كعب رضى الله عنه معناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله تعالى ـ أو كظلمات فى بحر لجى ـ مثل قلب المنافق وقال زيد بن أسلم فى قوله تعالى ـ فى لوح محفوظ ـ وهو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسى فهذه أمثلة القلب .

(بيان مجامع أوصاف القلب وأمثلته)

اعلم أن الانسان قد اصطحب فى خلقته وتركيبه أربع شوائب فلذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من الأوصاف وهى الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى أفعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث إنه فى نفسه أمر ربانى كما قال الله تعالى ـ قل الروح من أمر ربى ـ فانه يدعى لنفسه الربوبية ويحب الاستلاء والاستعلاء والتخصص والاستبداد بالأمور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهى الاطلاع على العلوم كلها بل يدعى لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقائق الأمور ويفرح إذا نسب إلى العلم ويحزن إذا نسب إلى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من أوصاف الربوبية وفى الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهائم بالتميز مع مشاركته لها فى الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التميز فى استنباط وجوه الشر ويتوصل إلى الأغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر فى معرض الخير وهذه أخلاق الشياطين وكل إنسان فيه شوب من هذه الأصول الأربعة أعنى الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع فى القلب فكأن المجموع فى إهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضارى والكلب العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر وفى باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره إلى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب إلى الظلم والإيذاء والشيطان لايزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغرى أحدهما بالآخر ويحسن لهما ماهما مجبولان عليه والحكيم الذى هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ومكره بأن يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وأن يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه إذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكلب مقهورا تحت سياسته فإن فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الأمر وظهر العدل فى مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم وإن عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال فى استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضى الكلب فيكون دائما فى عبادة كلب وخنزير وهذا حال أكثر الناس مهما كان أكثر همتهم البطن والفرج ومنافسة الأعداء والعجب منه أنه ينكر على عبدة الأصنام عبادتهم للحجارة ولو كشف الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله ومثل له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين إما فى النوم أو فى اليقظة لرأى نفسه ماثلا بين يدى خنزير ساجدا له مرة وراكعا أخرى ومنتظرا لإشارته وأمره فمهما هاج الخنزير لطلب شىء من شهواته انبعث على الفور فى خدمته وإحضار شهوته أو رأى نفسه ماثلا بين يدى كلب عقور عابدا له مطيعا سامعا لما يقتضيه ويلتمسه مدققا

من الكبر مع الأدب والسخاء وقيل لبعض الحكماء هل تعرف نعمة لا يحسد عليها وبلاء لايرحم صاحبه عليه قال نعم أما النعمة فالتواضع وأما البلاء فالكبر . والكشف عن حقيقة التواضع أن التواضع رعاية الاعتدال بين الكبر والضعة فالكبر رفع الانسان نفسه فوق قدره والضعة وضع الانسان نفسه مكانا يزرى به ويفضى إلى تضييع حقه وقد انفهم من كثير من إشارات المشايخ فى شرح التواضع أشياء إلى حد أقاموا التواضع فيه مقام الضعة ويلوح فيه الهوى من أوج

بالفكر فى حيل الوصول إلى طاعته وهو بذلك ساع فى مسرة شيطانه فانه الذى يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بعين البصيرة فلايرى إن أنصف نفسه إلا ساعيا طول النهار فى عبادة هؤلاء وهذا غاية الظلم إذ جعل المالك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا إذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء الثلاثة فلاجرم ينتشر إلى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات تتراكم عليه حتى يصير طابعا ورينا مهلكا للقلب وميتا له أما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والحقد والشماتة وغيرها وأما طاعة كلب الغضب فتنتشر منها إلى القلب صفة التهور والبذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجراءة والتلبيس والتضريب والغش والخب والخنا وأمثالها ولو عكس الأمر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر فى القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والاحاطة بحقائق الأشياء ومعرفة الأمور على ماهى عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق لكمال العلم وجلاله ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر إليه من ضبط خنزير الشهوة ورده إلى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدو والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وأمثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها إلى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها فالقلب فى حكم مرآة قد اكتنفته هذه الأمور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التواصل واصلة إلى القلب أما الآثار المحمودة التى ذكرناها فانها تزيد مرآة القلب جلاء وإشراقا ونورا وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الأمر المطلوب فى الدين وإلى مثل هذا القلب الاشارة بقوله ﷺ «إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه (١)» وبقوله صلى الله عليه وسلم «من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ (٢)» وهذا القلب هو الذى يستقر فيه الذكر قال الله تعالى ـ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ـ وأما الآثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد إلى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى إلى أن يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع وهو الرين قال الله تعالى ـ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ـ وقال عز وجل ـ أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون ـ فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال تعالى ـ واتقوا الله واسمعوا ـ واتقوا الله ويعلمكم الله ـ ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلوب وعند ذلك يعمى القلب عن إدراك الحق وصلاح الدين ويستهين بأمر الآخرة ويستعظم أمر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها فاذا قرع سمعه أمر الآخرة وما فيها من الأخطار دخل من أذن وخرج من أذن ولم يستقر فى القلب ولم يحركه إلى التوبة والتدارك أولئك الذين ـ يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور ـ وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران : إذا أذنب العبد ذنبا نكت فى قلبه نكتة سوداء

الافراط إلى حضيض التفريط ويوهم انحرافا عن حد الاعتدال ويكون قصدهم فى ذلك المبالغة فى قمع نفوس المريدين خوفا عليهم من العجب والكبر فقل أن ينفك مريد فى مبادى ظهور سلطان الحال من العجب حتى لقد نقل عن جمع من الكبار كلمات مؤذنة بالاعجاب وكل ما نقل من ذلك القبيل من المشايخ لبقايا السكر عندهم وانحصارهم فى مضيق سكر الحال وعدم الخروج إلى فضاء الصحو فى ابتداء أمرهم وذلك إذا حدق صاحب البصيرة نظره يعلم أنه من استراق

(١) حديث إذا أراد الله بعبده خيرا جعل له واعظا من قلبه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أم سلمة وإسناده جيد (٢) حديث من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ لم أجد له أصلا .

فاذا هو نزع وتاب صقل وإن عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه فهو الران وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر أسود منكوس[1]» فطاعة الله سبحانه بمخالفة الشهوات مصقلة للقلب ومعاصيه مسودات له فمن أقبل على المعاصى اسود قلبه ومن أتبع السيئة الحسنة ومحا أثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة التى يتنفس فيها ثم تمسح ويتنفس ثم تمسح فانها لاتخلو عن كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم « القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق[2]» فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأى المادتين غلبت عليه حكم له بها وفى رواية ذهبت به قال الله تعالى ـ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون ـ فأخبر أن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر وأنه لايتمكن منه إلا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى .

(بيان مثل القلب بالاضافة إلى العلوم خاصة)

اعلم أن محل العلم هو القلب أعنى اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح وهى المطاعة المخدومة من جميع الأعضاء وهى بالاضافة إلى حقائق المعلومات كالمرآة بالاضافة إلى صور المتلونات فكما أن للمتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع فى المرآة ويحصل بها كذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة تنطبع فى مرآة القلب وتتضح فيها وكما أن المرآة غير وصور الأشخاص غير وحصول مثالها فى المرآة غير فهى ثلاثة أمور فكذلك ههنا ثلاثة أمور القلب وحقائق الأشياء وحصول نفس الحقائق فى القلب وحضورها فيه فالعالم عبارة عن القلب الذى فيه يحل مثال حقائق الأشياء والمعلوم عبارة عن حقائق الأشياء والعلم عبارة عن حصول المثال فى المرآة وكما أن القبض مثلا يستدعى قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين السيف واليد بحصول السيف فى اليد ويسمى قبضا فكذلك وصول مثال المعلوم إلى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن العلم حاصلا لأن العلم عبارة عن وصول الحقيقة إلى القلب كما أن السيف موجود واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والأخذ حاصلا لعدم وقوع السيف فى اليد ، نعم القبض عبارة عن حصول السيف بعينه فى اليد والمعلوم بعينه لايحصل فى القلب فمن علم النار لم تحصل عين النار فى قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها فتمثيله بالمرآة أولى لأن عين الانسان لاتحصل فى المرآة وإنما يحصل مثال مطابق له وكذا حصول مثال مطابق لحقيقة العلوم فى القلب يسمى علما وكما أن المرآة لاتنكشف فيها الصورة لخمسة أمور : أحدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل أن يدور ويشكل ويصقل : والثانى لخبثه وصدئه وكدورته وإن كان تام الشكل . والثالث لكونه معدولا به عن جهة الصورة إلى غيرها كما إذا كانت الصورة وراء المرآة . والرابع لحجاب مرسل بين المرآة والصورة . والخامس للجهل بالجهة التى فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه أن يحاذى بها شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة لأن ينجلى فيها حقيقة الحق فى الأمور كلها وإنما خلت القلوب عن العلوم التى خلت عنها لهذه الأسباب الخمسة أولها نقصان فى ذاته كقلب الصبى فانه لاينجلى له المعلومات لنقصانه . والثانى

النفس السمع عند نزول الوارد على القلب والنفس إذا استرقت السمع عند ظهور الوارد على القلب ظهرت بصفتها على وجه لايخفو على الوقت وصلافة الحال فيكون من ذلك كلمات مؤذنة بالعجب كقول بعضهم من تحت خضراء السماء مثلى وقول بعضهم قدمى على رقبة جميع الأولياء وكقول بعضهم أسرجت وألجمت وطفت فى أقطار الأرض وقلت هل من مبارز فلم يخرج إلىّ أحد إشارة منه فى ذلك إلى تفرده فى وقته ومن أشكل عليه ذلك ولم يعلم أنه من

(١) حديث قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر الحديث أحمد والطبرانى فى الصغير من حديث أبى سعيد وهو بعض الحديث الذى يليه (٢) حديث القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر الحديث أحمد والطبرانى فى الصغير من حديث أبى سعيد الخدرى وقد تقدم .

لكدورة المعاصى والخبث الذى يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكمه وإليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود إليه أبدا (١)» أى حصل فى قلبه كدورة لا يزال أثرها إذ غايته أن يتبعه بحسنة يمحوه بها فلو جاء بالحسنة ولم تتقدم السيئة لازداد لامحالة إشراق القلب فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها إلى ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نورا فهذا خسران مبين ونقصان لاحيلة له فليست المرآة التى تتدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتى تمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق فالاقبال على طاعة الله والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذى يجلو القلب ويصفيه ولذلك قال الله تعالى ـ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ـ وقال صلى الله عليه وسلم «من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم (٢)» . الثالث أن يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب المطيع الصالح وإن كان صافيا فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لأنه ليس يطلب الحق وليس محاذيا بمرآته شطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية أو بتهيئة أسباب المعيشة ولا يصرف فكره إلى التأمل فى حضرة الربوبية والحقائق الخفية الإلهية فلا ينكشف له إلا ماهو متفكر فيه من دقائق آفات الأعمال وخفايا عيوب النفس إن كان متفكرا فيها أو مصالح المعيشة إن كان متفكرا فيها وإذا كان تقييد الهم بالأعمال وتفصيل الطاعات مانعا عن انكشاف جلية الحق فما ظنك فيمن صرف الهم إلى الشهوات الدنيوية ولذاتها وعلائقها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقى . الرابع الحجاب فان المطيع القاهر لشهواته المتجرد الفكر فى حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق إليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من أن ينكشف فى قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا أيضا حجاب عظيم به حجب أكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل أكثر الصالحين المتفكرين فى ملكوت السموات والأرض لأنهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت فى نفوسهم ورسخت فى قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقائق . الخامس الجهل بالجهة التى يقع منها العثور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول إلا بالتذكر للعلوم التى تناسب مطلوبه حتى إذا تذكرها ورتبها فى نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتنجلى حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التى ليست فطرية لا تقتنص إلا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم لا يحصل إلا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والأنثى ثم كما أن من أراد أن يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار وبعير وإنسان بل من أصل مخصوص من الخيل الذكر والأنثى وذلك إذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله أصلان مخصوصان وبينهما طريق فى الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الأصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ماذكرناه من الجهل بالجهة التى الصورة فيها بل مثاله أن يريد الانسان أن يرى قفاه مثلا بالمرآة فانه إذا رفع المرآة بازاء وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا وإن رفعها وراء القفا وحاذاه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيها فيحتاج إلى مرآة أخرى ينصبها وراء القفا وهذه فى مقابلتها بحيث يبصرها ويرعى مناسبة بين وضع المرآتين حتى تنطبع صورة القفا فى المرآة المحاذية للقفا ثم تنطبع صورة

(١) حديث من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود إليه أبدا لم أر له أصلا (٢) حديث من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس وقد تقدم فى العلم.

استراق النفس السمع فليزن ذلك بميزان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتواضعهم واجتنابهم أمثال هذه الكلمات واستبعادهم أن يجوز للعبد التظاهر بشىء من ذلك ولكن يجعل لكلام الصادقين وجه فى الصحة ويقال إن ذلك طفح عليهم فى سكر الحال وكلام السكارى يحمل فالمشايخ أرباب التمكين لما علموا فى النفوس هذا الداء الدفين بالغوا فى شرح التواضع إلى حد ألحقوه بالضعة تدا وياللمريدين والاعتدال فى التواضع أن يرضى الانسان بمنزلة دون ما يستحقه ولو أمن الشخص جموح النفس لأوقفها

هذه المرآة فى المرآة الأخرى التى فى مقابلة العين ثم تدرك العين صورة القفا فكذلك فى اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات أعجب مما ذكرناه فى المرآة يعز على بسيط الأرض من يهتدى إلى كيفية الحيلة فى تلك الازورارات فهذه هى الأسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الأمور وإلا فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لأنه أمر ربانى شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف وإليه الاشارة بقوله عز وجل ـ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ـ إشارة إلى أن له خاصية تميز بها عن السموت والأرض والجبال بها صار مطيقا لحمل أمانة الله تعالى وتلك الأمانة هى المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمى مستعد لحمل الأمانة ومطيق لها فى الأصل ولكن يثبطه عن النهوض بأعبائها والوصول إلى تحقيقها الأسباب التى ذكرناها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه(١) » وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماء (٢) » إشارة إلى بعض هذه الأسباب التى هى الحجاب بين القلب وبين الملكوت وإليه الاشارة بما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قيل لرسول الله « يارسول الله أين الله فى الأرض أو فى السماء ؟ قال فى قلوب عباده المؤمنين (٣) » وفى الخبر « قال الله تعالى : لم يسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن اللين الوادع (٤) » وفى الخبر « أنه قيل يارسول الله من خير الناس فقال كل مؤمن مخموم القلب فقيل وما مخموم القلب فقال هو التقى النقى الذى لاغش فيه ولا بغى ولا غدر ولا غل ولا حسد (٥) » ولذلك قال عمر رضى الله عنه رأى قلبى ربى إذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين الله تجلى صورة الملك والملكوت فى قلبه فيرى جنة عرض بعضها السموات والأرض أما جملتها فأكثر سعة من السموات والأرض لأن السموات والأرض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وإن كان واسع الأطراف متباعد الأكناف فهو متناه على الجملة وأما عالم الملكوت وهى الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار المخصوصة بادراك البصائر فلا نهاية له ، نعم الذى يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه فى نفسه وبالاضافة إلى علم الله لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت إذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لأن الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات إذ ليس فى الوجود شىء سوى الله تعالى وأفعاله ومملكته وعبيده من أفعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هى الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق ويكون سعة ملكه فى الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله وصفاته وأفعاله وإنما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه قد أفلح من زكاها ومراد تزكيته حصول أنوار الايمان فيه أعنى إشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى ـ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ـ وبقوله ـ أفمن شرح الله

على حد يستحقه من غير زيادة ولا نقصان ولكن لما كان الجموح فى جبلة النفس لكونها مخلوقة من صلصال كالفخار فيها نسبة النارية وطلب الاستعلاء بطبعها إلى مركز النار احتاجت للتداوى بالتواضع وإيقافها دون ما تستحقه لئلا يتطرق إليها الكبر فالكبر ظن الانسان أنه أكبر من غيره والتكبر إظهاره ذلك وهذه صفة لا يستحقها إلا الله تعالى ومن ادعاها من المخلوقين يكون كاذبا والكبر يتولد من الإعجاب والإعجاب من الجهل بحقيقة المحاسن والجهل الانسلاخ من الانسانية حقيقة وقد

(١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٢) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم الحديث تقدم (٣) حديث ابن عمر أين الله قال فى قلوب عباده المؤمنين لم أجده بهذا اللفظ وللطبرانى من حديث أبى عتبة الخولانى يرفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال إن لله آنية من أهل الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين الحديث فيه بقية بن الوليد وهو مدلس لكنه صرح فيه بالتحديث (٤) حديث قال الله ما وسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن اللين الوادع لم أر له أصلا وفى حديث أبى عتبة قبله عند الطبرانى بعد قوله وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه ألينها وأرقها (٥) حديث قيل من خير الناس قال كل مؤمن مخموم القلب الحديث هـ من حديث عبد الله بن عمر باسناد صحيح .

صدره للاسلام فهو على نور من ربه ـ نعم هذا التجلى وهذا الإيمان له ثلاث مراتب . المرتبة الأولى : إيمان العوام وهو إيمان التقليد المحض . والثانية : إيمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة إيمان العوام . والثالثة : إيمان العارفين وهو المشاهد بنور اليقين ونبين لك هذه المراتب بمثال وهو أن تصديقك بكون زيد مثلا فى الدار له ثلاث درجات . الأولى : أن يخبرك من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته فى القول فان قلبك يسكن إليه ويطمئن بخبره بمجرد السماع وهذا هو الإيمان بمجرد التقليد وهو مثل إيمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وأمهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وإرادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة الرسل وصدقهم وما جاءوا به وكما سمعوا به قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا إليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لهم لحسن ظنهم بآبائهم وأمهاتهم ومعلميهم وهذا الإيمان سبب النجاة فى الآخرة وأهله من أوائل رتب أصحاب اليمين وليسوا من المقربين لأنه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين إذ الخطأ ممكن فيما سمع من الآحاد بل من الأعداد فيما يتعلق بالاعتقادات فقلوب اليهود والنصارى أيضا مطمئنة بما يسمعونه من آبائهم وأمهاتهم إلا أنهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لأنهم ألقى إليهم الخطأ والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن ألقى إليهم كلمة الحق . الرتبة الثانية : أن تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه فى الدار فيكون إيمانك وتصديقك ويقينك بكونه فى الدار أقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك إذا قيل لك إنه فى الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لأن الأصوات تدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت فى حال مشاهدة الصورة فيحكم قلبه بأن هذا صوت ذلك الشخص وهذا إيمان ممزوج بدليل والخطأ أيضا ممكن أن يتطرق إليه إذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة إلا أن ذلك قد لا يخطر ببال السامع لأنه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر فى هذا التلبيس والمحاكاة غرضا . الرتبة الثالثة . أن تدخل الدار فتنظر إليه بعينك وتشاهده وهذه هى المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهى تشبه معرفة المقربين والصديقين لأنهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوى فى إيمانهم إيمان العوام والمتكلمين ويتميزون بمزية بينة يستحيل معها إمكان الخطأ نعم وهم أيضا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف، أما درجات العلوم فمثله أن يبصر زيدا فى الدار عن قرب وفى صحن الدار فى وقت إشراق الشمس فيكمل له إدراكه والآخر يدركه فى بيت أو من بعد أو فى وقت عشية فيتمثل له فى صورته ما يستيقن معه أنه هو ولكن لا يتمثل فى نفسه الدقائق والخفايا من صورته ومثل هذا متصور فى تفاوت المشاهدة للأمور الالهية وأما مقادير العلوم فهو بأن يرى فى الدار زيدا وعمرا وبكرا غير ذلك وآخر لا يرى إلا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذا حال القلب بالاضافة إلى العلوم والله تعالى أعلم بالصواب .

(بيان حال القلب بالإضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والأخروية)

اعلم أن القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التى تحل فيه تنقسم إلى عقلية وإلى شرعية والعقلية تنقسم إلى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة إلى دنيوية وأخروية أما العقلية فنعنى بها ما تقضى بها غريزة العقل ولا توجد بالتقليد والسماع وهى تنقسم إلى ضرورية لا يدرى من أين حصلت وكيف حصلت كعلم الانسان بأن الشخص الواحد لا يكون فى مكانين والشىء الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما معا فان هذه علوم يجد الانسان نفسه منذ الصبا مفطورا عليها ولا يدرى متى حصل له هذا العلم ولا من أين حصل له أعنى أنه لا يدرى له سببا قريبا وإلا فليس يخفى عليه أن الله هو الذى خلقه وهداه وإلى علوم مكتسبة وهى المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلا قال على رضى الله عنه:

عظم الله تعالى شأن الكبر بقوله تعالى ـ إنه لا يحب المستكبرين ـ وقال تعالى ـ أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين ـ وقد ورد « يقول الله تعالى: الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما قصمته» وفى رواية قذفته فى نار جهنم . وقال عز وجل ردّا للانسان فى طغيانه إلى حده : ـ ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ـ وقال تعالى ـ فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق ـ وأبلغ من هذا قوله تعالى ـ قتل الانسان ما أكفره من أى شىء خلقه من نطفة خلقه

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع
إذا لم يك مطبوع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

والأول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلى «ماخلق الله خلقا أكرم عليه من العقل (١)» والثانى هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه «إذا تقرب الناس إلى الله تعالى بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك (٢)» إذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل على رضى الله عنه هو الذى يقدر على التقرب باستعمال العقل فى اقتناص العلوم التى بها ينال القرب من رب العالمين فالقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر فى العين وقوة الإبصار لطيفة تفقد فى العمى وتوجد فى البصر وإن كان قد غمض عينيه أو جن عليه الليل والعلم الحاصل منه فى القلب جار مجرى قوة إدراك البصر فى العين ورؤيته لأعيان الأشياء وتأخر العلوم عن عين العقل فى مدة الصبا إلى أوان التمييز أو البلوغ يضاهى تأخر الرؤية عن البصر إلى أوان إشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات والقلم الذى سطر الله به العلوم على صفحات القلوب يجرى مجرى قرص الشمس وإنما لم يحصل العلم فى قلب الصبى قبل التمييز لأن لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نفس العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى جعله سببا لحصول نقش العلوم فى قلوب البشر قال الله تعالى ـ الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم ـ وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما لا يشبه وصفه وصف خلقه فليس قلمه من قصب ولا خشب كما أنه تعالى ليس من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه إلا أنه لا مناسبة بينهما فى الشرف فان البصيرة الباطنة هى عين النفس التى هى اللطيفة المدركة وهى كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس أضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لأحد الضررين إلى الآخر ولموازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال ـ ما كذب الفؤاد مارأى ـ سمى إدراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله تعالى ـ وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ـ وما أراد به الرؤية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بإبراهيم عليه السلام حتى يعرض فى معرض الامتنان ولذلك سمى ضد إدراكه عمى فقال تعالى ـ فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقال تعالى ـ ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا ـ فهذا بيان العلم العقلى . أما العلوم الدينية فهى المأخوذة بطريق التقليد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وفهم معانيها بعد السماع وبه كمال صفة القلب وسلامته عن الأدواء والأمراض فالعلوم العقلية غير كافية فى سلامة القلب وإن كان محتاجا إليها كما أن العقل غير كاف فى استدامة صحة أسباب البدن بل يحتاج إلى معرفة خواص الأدوية والعقاقير بطريق التعلم من الأطباء إذ مجرد العقل لا يهتدى إليه ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه إلا بالعقل فلا غنى بالعقل عن السماع ولا غنى بالسماع عن العقل فالداعى إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفى بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور فإياك أن تكون من أحد الفريقين وكن جامعا بين الأصلين فان العلوم العقلية كالأغذية والعلوم الشرعية كالأدوية والشخص المريض يستضر بالغذاء متى فاته الدواء فكذلك أمراض القلوب لا يمكن علاجها إلا بالأدوية المستفادة من الشريعة وهى وظائف العبادات والأعمال التى ركبها الأنبياء صلوات الله عليهم لإصلاح القلوب فمن لا يداوى قلبه

(١) حديث ماخلق الله خلقا أكرم عليه من العقل ت الحكيم فى نوادر الأصول باسناد ضعيف وقد تقدم فى العلم (٢) حديث إذا تقرب الناس إلى الله بأنواع البرّ فتقرب أنت بعقلك أبو نعيم من حديث على باسناد ضعيف .

قدره ـ وقد قال بعضهم لبعض المتكبرين أوّلك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت فيما بين ذلك حامل العذرة وقد نظم الشاعر هذا المعنى :

كيف يزهو من رجيعه أبد الدهر ضجيعه
وإذا ارتحل التواضع من القلب وسكن الكبر انتشر أثره فى بعض الجوارح وترشح الاناء بما فيه فتارة يظهر أثره فى العنق بالتمايل وتارة فى الخد بالتصعير قال الله تعالى ـ ولا تصعر خدك للناس ـ وتارة يظهر فى الرأس عند استعصاء النفس قال الله تعالى ـ لوّوا رءوسهم ورأيتهم يصدون وهم

المريض بمعالجات العبادة الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء وظن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى فى عين البصيرة نعوذ بالله منه بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن أنه تناقض فى الدين فيتحير به فينسل من الدين انسلال الشعرة من العجين وإنما ذلك لأن عجزه فى نفسه خيل إليه نقضا فى الدين وهيهات وإنما مثاله مثال الأعمى الذى دخل دار قوم فتعثر فيها بأوانى الدار فقال لهم مابال هذه الأوانى تركت على الطريق لم لا ترد إلى مواضعها فقالوا له تلك الأوانى فى مواضعها وإنما أنت لست تهتدى للطريق لعماك فالعجب منك أنك لا تحيل عثرتك على عماك وإنما تحيلها على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية إلى العلوم العقلية. والعلوم العقلية تنقسم إلى دنيوية وأخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات والأخروية كعلم أحوال القلب وآفات الأعمال والعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله كما فصلناه فى كتاب العلم وهما علمان متنافيان أعنى أن من صرف عنايته إلى أحدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر على الأكثر ولذلك ضرب على رضى الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة أمثلة فقال هما ككفتى الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضرتين إذا أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى ولذلك ترى الأكياس فى أمور الدنيا وفى علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة جهالا فى أمور الآخرة والأكياس فى دقائق علوم الآخرة جهالا فى أكثر علوم الدنيا لأن قوة العقل لا تفى بالأمرين جميعا فى الغالب فيكون أحدهما مانعا من الكمال فى الثانى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن أكثر أهل الجنة البله (١) » أى البله فى أمور الدنيا. وقال الحسن فى بعض مواعظه لقد أدركنا أقواما لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو أدركوكم لقالوا شياطين فهما سمعت أمرا غريبا من أمور الدين جحده أهل الكياسة فى سائر العلوم فلا يغرنك جحودهم عن قبوله إذ من المحال أن يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد فى المغرب فكذلك يجرى أمر الدنيا والآخرة ولذلك قال تعالى ـ إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ـ الآية وقال تعالى ـ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ـ وقال عز وجل ـ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ـ فالجمع بين كمال الاستبصار فى مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر إلا لمن رسخه الله لتدبير عباده فى معاشهم ومعادهم وهم الأنبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الالهية التى تتسع لجميع الأمور ولا تضيق عنها فأما قلوب سائر الخلق فانها إذا استقلت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيها.

(بيان الفرق بين الالهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية فى استكشاف الحق وطريق النظار)

اعلم أن العلوم التى ليست ضرورية وإنما تحصل فى القلب فى بعض الأحوال تختلف الحال فى حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه ألقى فيه من حيث لا يدرى وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذى يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى إلهاما والذى يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع فى القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم إلى ما لا يدرى العبد أنه كيف حصل له ومن أين حصل وإلى ما يطلع معه على السبب الذى منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقى فى القلب والأول يسمى إلهاما ونفثا فى الروع. والثانى يسمى وحيا وتختص به الأنبياء والأول يختص به الأولياء والأصفياء والذى قبله المكتسب وهو بطريق الاستدلال يختص به

مستكبرون ـ وكما أن الكبر له انقسام على الجوارح والأعضاء تتشعب منه شعب فكذلك بعضها أكثف من البعض كالتيه والزهو والعزة وغير ذلك إلا أن العزة تشتبه بالكبر من حيث الصورة وتختلف من حيث الحقيقة كاشتباه التواضع بالضعة والتواضع محمود والضعة مذمومة والكبر مذموم والعزة محمودة قال الله تعالى ـ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ـ والعزة غير الكبر ولا يحل لمؤمن أن يذل نفسه فالعزة معرفة الانسان بحقيقة نفسه وإكرامها أن لا يضعها لأغراض

(١) حديث أكثر أهل الجنة البله ، البزار من حديث أنس وضعفه وصححه القرطبى فى التذكرة وليس كذلك فقد قال ابن عدى إنه منكر.

العلماء وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لأن تنجلى فيه حقيقة الحق فى الأشياء كلها وإنما حيل بينه وبينها بالأسباب الخمسة التى سبق ذكرها فهى كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذى هو منقوش بجميع ماقضى الله به إلى يوم القيامة وتجلى حقائق العلوم من مرآة اللوح فى مرآة القلب يضاهى انطباع صورة من مرآة فى مرآة تقابلها والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد وأخرى يزول بهبوب الرياح تحركه وكذلك قد تهب رياح الألطاف وتنكشف الحجب عن أعين القلوب فينجلى فيها بعض ماهو مسطور فى اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون فى المستقبل وتمام ارتفاع الحجاب بالموت فيه ينكشف الغطاء وينكشف أيضا فى اليقظة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفى من الله تعالى فيلمع فى القلوب من وراء ستر الغيب شىء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف وأخرى على التوالى إلى حد ما ودوامه فى غاية الندور فلم يفارق الالهام الاكتساب فى نفس العلم ولا فى محله ولا فى سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب فان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحى الإلهام فى شىء من ذلك بل فى مشاهدة الملك المفيد للعلم فان العلم إنما يحصل فى قلوبنا بواسطة الملائكة وإليه الاشارة بقوله تعالى ـ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء ـ فاذا عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ماصنفه المصنفون والبحث عن الأقاويل والأدلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولى لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور فى القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية فليس على العبد إلا الاستعداد بالتصفية المجردة وإحضار الهمة مع الارادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد فى الدنيا والتبرى من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له وزعموا أن الطريق فى ذلك أولا بانقطاع علائق الدنيا بالكلية وتفريغ القلب منها وبقطع الهمة عن الأهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه إلى حالة يستوى فيها وجود كل شىء وعدمه ثم يخلو بنفسه فى زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل فى تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره بل يجتهد أن لا يخطر بباله شىء سوى الله تعالى فلا يزال بعد جلوسه فى الخلوة قائلا بلسانه الله الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهى إلى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ثم يصبر عليه إلى أن يمحى أثره عن اللسان ويصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب عليه إلى أن يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا فى قلبه حاضرا فيه كأنه لازم له لا يفارقه وله اختيار إلى أن ينتهى إلى هذا الحد واختيار فى استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار فى استجلاب رحمة الله تعالى بل هو بما فعله صار متعرضا لنفحات رحمة الله فلا يبقى إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كما فتحها على الأنبياء والأولياء بهذه الطريق وعند ذلك إذا صدقت إرادته وصفت همته وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تلمع لوامع الحق فى قلبه ويكون فى ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتأخر وإن عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا وإن ثبت قد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق وقد يقتصر على دفعة واحدة ومنازل أولياء الله تعالى

عاجلة دنيوية كما أن الكبر جهل الانسان بنفسه وإنزالها فوق منزلتها . قال بعضهم للحسن ما أعظمك فى نفسك قال لست بعظيم ولكنى عزيز ولما كانت العزة غير مذمومة وفيها مشاكلة بالكبر قال الله تعالى ـ تستكبرون فى الأرض بغير الحق ـ فيه إشارة خفية لإثبات العزة بالحق فالوقوف على حد التواضع من غير انحراف إلى الضعة وقوف على صراط العزة المنصوب على متن نار الكبر ولا يؤيد فى ذلك ولا يثبت عليه إلا أقدام العلماء الراسخين والسادة المقربين ورؤساء الابدال والصديقين .

فيه لا تحصر كما لا يحصى تفاوت خلقهم وأخلاقهم وقد رجع هذا الطريق إلى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار فقط ، وأما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وإمكانه وإفضائه إلى هذا المقصد على الندور فانه أكثر أحوال الأنبياء والأولياء ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطؤا ثمرته واستبعدوا استجماع شروطه وزعموا أن محو العلائق إلى ذلك الحد كالمتعذر وإن حصل فى حال فثباته أبعد منه إذ أدنى وسواس وخاطر يشوش القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن أشد تقلبا من القدر فى غليانها (١)» وقال عليه أفضل الصلاة والسلام «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن (٢)» وفى أثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن وإذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس إليها مدة طويلة إلى أن يزول وينقضى العمر قبل النجاح فيها فكم من صوفى سلك هذا الطريق ثم بقى فى خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد أتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال فى الحال فالاشتغال بطريق التعلم أوثق وأقرب إلى الغرض ، وزعموا أن ذلك يضاهى ما لو ترك الانسان تعلم الفقه ، وزعم أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ذلك وصار فقيها بالوحى والالهام من غير تكرير وتعليق وأنا أيضا ربما انتهت بى الرياضة والمواظبة إليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا ، فكذلك هذا . وقالوا لابد أولا من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فعساه ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة .

(بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس)

اعلم أن عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس ، لأن القلب أيضا خارج عن إدراك الحس وما ليس مدركا بالحواس تضعف الأفهام عن دركه إلا بمثال محسوس ونحن نقرب ذلك إلى الأفهام الضعيفة بمثالين : أحدهما أنه لو فرضنا حوضا محفورا فى الأرض احتمل أن يساق إليه الماء من فوقه بأنهار تفتح فيه ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافى فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أغزر وأكثر فذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء وتكون الحواس الخمس مثال الأنهار ، وقد يمكن أن تساق العلوم إلى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علما ويمكن أن تسد هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد إلى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تتفجر ينابيع العلم من داخله . فان قلت فكيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه . فاعلم أن هذا من عجائب أسرار القلب ولا يسمح بذكره فى علم المعاملة بل القدر الذى يمكن ذكره أن حقائق الأشياء مسطورة فى اللوح المحفوظ بل فى قلوب الملائكة المقربين ، فكما أن المهندس يصور أبنية الدار فى بياض ثم يخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والأرض كتب نسخة العالم من أوله إلى آخره فى اللوح المحفوظ ثم أخرجه إلى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذى خرج إلى الوجود بصورته تتأدى منه صورة أخرى إلى الحس والخيال فان من ينظر إلى السماء والأرض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والأرض فى خياله حتى كأنه ينظر إليها ولو انعدمت السماء والأرض وبقى هو فى نفسه لوجد صورة السماء والأرض فى نفسه كأنه يشاهدها وينظر إليهما ثم يتأدى من خياله أثر إلى القلب

قال بعضهم من تكبر فقد أخبر عن نذالة نفسه ومن تواضع فقد أظهر كرم طبعه . وقال الترمذى التواضع على ضربين : الأول أن يتواضع العبد لأمر الله ونهيه فان النفس لطلب الراحة تلهى عن أمره والشهوة التى فيها تهوى فى نهيه فاذا وضع نفسه لأمره ونهيه فهو تواضع . والثانى أن يضع نفسه لعظمة الله فان اشتهت نفسه شيئا مما أطلق له من كل نوع من الأنواع منعها ذلك وجملة ذلك أن يترك مشيئته لمشيئة الله تعالى . واعلم أن العبد لا يبلغ حقيقة التواضع إلا عند لمعان نور المشاهدة فى قلبه فعند ذلك تذوب

(١) حديث قلب المؤمن أشد تقلبا من القدر فى غليانها، أحمد و ك وصححه من حديث المقداد بن الأسود (٢) حديث قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن م من حديث عبد الله بن عمر .

فيحصل فيه حقائق الأشياء التي دخلت في الحس والخيال والحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجا من خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ فكأن للعالم أربع درجات في الوجود : وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسماني ويتبعه وجوده الحقيقي ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي أعني وجود صورته في الخيال ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي أعني وجود صورته في القلب وبعض هذه الموجودات روحانية وبعضها جسمانية والروحانية بعضها أشد روحانية من البعض وهذا اللطف من الحكمة الإلهية ، إذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث تنطبع صورة العالم والسموات والأرض على اتساع أكنافها فيها ثم يسرى من وجودها في الحس وجود إلى الخيال ثم منه وجود في القلب فانك أبدا لا تدرك إلا ما هو واصل إليك فلو لم يجعل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر مما يباين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجائب في القلوب والأبصار ثم أعمى عن دركها القلوب والأبصار حتى صارت قلوب أكثر الخلق جاهلة بأنفسها وبعجائبها . ولنرجع إلى الغرض المقصود فنقول : القلب قد يتصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما أن العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر إليها وتارة من النظر إلى الماء الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الأشياء فيه وتفجر إليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الأرض ، ومهما أقبل على الخيلات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما أن الماء إذا اجتمع في الأنهار منع ذلك من التفجر في الأرض وكما أن من نظر إلى الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرا إلى نفس الشمس ، فاذن للقلب بابان : باب مفتوح إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة وباب مفتوح إلى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الملك والشهادة وعالم الشهادة والملك أيضا يحاكي عالم الملكوت نوعا من المحاكاة فأما انفتاح باب القلب إلى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك وأما انفتاح بابه الداخل إلى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينيا بالتأمل في عجائب الرؤيا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل أو كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وإنما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى وقال ﷺ «سبق المفردون قيل ومن هم المفردون يا رسول الله ؟ قال المتنزهون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال في وصفهم إخبارا عن الله تعالى ثم أقبل بوجهي عليهم أترى من واجهته بوجهي يعلم أحد أي شيء أريد أن أعطيه ثم قال تعالى أول ما أعطيهم أن أقذف النور في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم[1]» ومدخل هذه الأخبار هو الباب الباطن فاذا الفرق بين علوم الأولياء والأنبياء وبين علوم العلماء والحكماء هذا وهو أن علومهم تأتي من داخل القلب من الباب المنفتح إلى عالم الملكوت وعلم الحكمة يأتي من أبواب الحواس المفتوحة إلى عالم الملك وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي الشهادة والغيب لا يمكن أن يستقصى في علم المعاملة فهذا مثال يعلمك الفرق بين مدخل العالمين .

(١) حديث سبق المفردون قيل ومن هم قال المستهترون بذكر الله الحديث م من حديث أبي هريرة مقتصرا على أول الحديث وقال فيه وما المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات ورواه ك بلفظ قال الذين يستهترون بذكر الله وقال صحيح على شرط الشيخين وزاد فيه البيهقي في الشعب يضع الذكر عنهم أثقالهم ويأتون يوم القيامة خفافا ورواه هكذا الطبراني في المعجم الكبير من حديث أبي الدرداء دون الزيادة التي ذكرها المصنف في آخره وكلاهما ضعيف .

النفس وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتطيع للحق والخلق لمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها وكان الحظ الأوفر من التواضع لنبينا عليه السلام في أوطان القرب كما روى عن عائشة رضي الله عنها في الحديث الطويل قالت «فقدت رسول صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فأخذني ما يأخذ النساء من الغيرة ظنا مني أنه عند بعض أزواجه فطلبته في حجر نسائه فلم أجده فوجدته في المسجد ساجدا كالثوب الخلق وهو يقول في سجوده سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك

المثال الثانى يعرفك الفرق بين العملين : أعنى عمل العلماء وعمل الأولياء فان العلماء يعملون فى اكتساب نفس العلوم واجتلابها إلى القلب وأولياء الصوفية يعملون فى جلاء القلوب وتطهيرها وتصفيتها وتصقيلها فقط ، فقد حكى أن أهل الصين وأهل الروم تباهوا بين يدى بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر رأى الملك على أن يسلم إليهم صفة لينقش أهل الصين منها جانبا وأهل الروم جانبا ويرخى بينهما حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر ففعل ذلك فجمع أهل الروم من الأصباغ الغريبة مالا ينحصر ودخل أهل الصين من غير صبغ وأقبلوا يجلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ أهل الروم ادعى أهل الصين أنهم قد فرغوا أيضا فعجب الملك من قولهم وأنهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقيل وكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا وإذا بجانبهم يتلألأ منه عجائب الصنائع الرومية مع زيادة إشراق وبريق إذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد التصقيل ؛ فكذلك عناية الأولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلألأ فيه جلية الحق بنهاية الاشراق كفعل أهل الصين وعناية الحكماء والعلماء بالاكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقشها فى القلب كفعل أهل الروم . فكيفما كان الأمر فقلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحى وصفاؤه لا يتكدر وإليه أشار الحسن رحمة الله عليه بقوله التراب لا يأكل محل الإيمان بل يكون وسيلة وقربة إلى الله تعالى ، وأما ما حصله من نفس العلم وما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نفس العلم فلا غنى به عنه ولا سعادة لأحد إلا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات أشرف من بعض كما أنه لا غنى إلا بالمال فصاحب الدرهم غنى وصاحب الخزائن المترعة غنى وتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة والايمان كما تتفاوت درجات الأغنياء بحسب قلة المال وكثرته فالمعارف أنوار ولا يسعى المؤمنون إلى لقاء الله تعالى إلا بأنوارهم قال الله تعالى ـ يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ـ وقد روى فى الخبر « إن بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم أصغر حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نورا على إبهام قدميه فيضىء مرة وينطفىء أخرى فاذا أضاء قدم قدميه فمشى وإذا أطفىء قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كالفرس إذا اشتد فى ميدانه ، والذى أعطى نورا على إبهام قدمه يحبو خبوا على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا ويعلق أخرى ويصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص (١) » الحديث فبهذا يظهر تفاوت الناس فى الايمان ولو وزن إيمان أبى بكر بايمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح ، فهذا أيضا يضاهى قول القائل : لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها لرجح ، فإيمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع وإيمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم وإيمان الأنبياء كالشمس ، وكما ينكشف فى نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع أقطارها ولا ينكشف فى نور السراج إلا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت انشراح الصدر بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين ، ولذلك جاء فى الخبر « أنه يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة (٢) » كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان وأن هذه المقادير من الايمان لا تمنع دخول النار ، وفى

(١) حديث إن بعضهم يعطى نورا مثل الجبل حتى يكون أصغرهم رجل يعطى نوره على إبهام قدمه الحديث الطبرانى و ك من حديث ابن مسعود قال ك صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من فى قلبه ربع مثقال من إيمان الحديث متفق عليه من حديث أبى سعيد وليس فيه قوله ربع مثقال

فؤادى وأقربك لسانى وها أنا ذا بين يديك ياعظيم ياغافر الذنب العظيم » وقوله عليه السلام « سجد لك سوادى وخيالى » استقصاء فى التواضع بمحو آثار الوجود حيث لم تتخلف ذرة منه عن السجود ظاهرا وباطنا ومتى لم يكن للصوفى حظ من التواضع الخاص على بساط القرب لا يتوفر حظه فى التواضع للخلق وهذه سعادات إن أقبلت جاءت بكليتها والتواضع من أشرف أخلاق الصوفية . ومن أخلاق الصوفية : المداراة واحتمال الأذى من الخلق وبلغ من مداراة

مفهومه أن من إيمانه يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار إذ لو دخل لأمر باخراجه أولا وأن من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وإن دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم «ليس شيء خيرا من ألف مثله إلا الانسان المؤمن (١)» إشارة إلى تفضيل قلب العارف بالله تعالى الموقن فانه خير من ألف قلب من العوام وقد قال تعالى ـ وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ـ تفضيلا للمؤمنين على المسلمين والمراد به المؤمن العارف دون المقلد . وقال عز وجل ـ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ـ فأراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين أوتوا العلم ويدل ذلك على أن اسم المؤمن يقع على المقلد وإن لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف . وفسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى ـ والذين أوتوا العلم درجات ـ فقال يرفع الله العالم فوق المؤمن بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، وقال ﷺ «أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوي الألباب (٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي (٣)» وفي رواية «كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» فبهذه الشواهد يتضح لك تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ، ولهذا كان يوم القيامة يوم التغابن إذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره اليها كنظر الغني الذي يملك عشرة دراهم إلى الغني الذي يملك الأرض من المشرق إلى المغرب وكل واحد منهما غني ولكن ما أعظم الفرق بينهما وما أعظم الغبن على من يخسر حظه من ذلك ـ وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ـ .

(بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد)

اعلم أن من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الإلهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك نفسه قط فينبغي أن يؤمن به فان درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ، ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات : أما الشواهد فقوله تعالى ـ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ـ فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والإلهام ، وقال صلى الله عليه وسلم «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار (٤)» وقال الله تعالى ـ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ـ من الإشكالات والشبه ـ ويرزقه من حيث لا يحتسب ـ يعلمه علما من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة وقال الله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ـ قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ، ولذلك كان ﷺ يكثر في دعائه من سؤال النور فقال عليه الصلاة والسلام «اللهم أعطني نورا وزدني نورا واجعل لي في قلبي نورا وفي قبري نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا حتى قال في شعري وفي بشري وفي لحمي ودمي وعظامي (٥)» و«سئل

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وجد قتيلا من أصحابه بين اليهود فلم يحف عليهم ولم يزد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة من قبله وإن بأصحابه لحاجة إلى بعير واحد يتقوون به . وكان من حسن مداراته أن لا يذم طعاما ولا ينهر خادما.

أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن علي قال أنا أبو الفتح الكرخي قال أنا أبو نصر الترياقي قال أنا الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا قتيبة قال ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال خدمت

(١) حديث ليس شيء خيرا من ألف مثله إلا الإنسان أو المؤمن، الطبراني من حديث سلمان بلفظ الانسان ولأحمد من حديث ابن عمر لا نعلم شيئا خيرا من مائة مثله إلا الرجل المؤمن وإسنادهما حسن (٢) حديث أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوي الألباب تقدم دون هذه الزيادة ولم أجد لهذه الزيادة أصلا (٣) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي ت من حديث أبي أمامة وصححه وقد تقدم في العلم وكذلك الرواية الثانية (٤) حديث من عمل بما علم الحديث تقدم في العلم دون قوله ووفقه فيما يعمل فلم أرها (٥) حديث اللهم أعطني نورا وزدني نورا الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس .

صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى ـ أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ـ ماهذا الشرح فقال هو التوسعة إن النور إذا قذف به فى القلب اتسع له الصدر وانشرح (١) » وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس «اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل (٢)» وقال على رضى الله عنه ماعندنا شىء أسره النبى صلى الله عليه وسلم إلينا إلا أن يؤتى الله تعالى عبدا فهما فى كتابه وليس هذا بالتعلم (٣) وقيل فى تفسير قوله تعالى ـ يؤتى الحكمة من يشاء ـ إنه الفهم فى كتاب الله تعالى وقال تعالى ـ ففهمناها سليمان ـ خص ما انكشف باسم الفهم . وكان أبو الدرداء يقول للمؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق والله إنه للحق يقذفه الله فى قلوبهم ويجريه على ألسنتهم ، وقال بعض السلف ظن المؤمن كهانة ، وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى (٤)» وإليه يشير قوله تعالى ـ إن فى ذلك لآيات للمتوسمين ـ وقوله تعالى ـ قد بينا الآيات لقوم يوقنون ـ وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «العلم علمان فعلم باطن فى القلب فذلك هو العلم النافع (٥)» وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ماهو فقال هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه الله تعالى فى قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقد قال ﷺ «إن من أمتى محدثين ومعلمين ومكلمين وإن عمر منهم (٦)» وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما ـ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ولا محدث ـ يعنى الصديقين والمحدث هو الملهم والملهم هو الذى انكشف له من باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم ، وقال الله تعالى ـ وما خلق الله فى السموات والأرض لآيات لقوم يتقون ـ خصصها بهم وقال تعالى ـ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ـ وكان أبو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذى يحفظ من كتاب فاذا نسى ماحفظه صار جاهلا إنما العالم الذى يأخذ علمه من ربه أى وقت شاء بلا حفظ ولا درس ، وهذا هو العلم الربانى وإليه الاشارة بقوله تعالى ـ وعلمناه من لدنا علما ـ مع أن كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل اللدنى الذى ينفتح فى سر القلب من غير سبب مألوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ماورد فيه من الآيات والأخبار والآثار لخرج عن الحصر . وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضا خارج عن الحصر وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم . وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لعائشة رضى الله عنها عند موته : إنما هما أخواك وأختاك وكانت زوجته حاملا فولدت بنتا فكان قد عرف قبل الولادة أنها بنت ، وقال عمر رضى الله عنه فى أثناء خطبته ياسارية الجبل الجبل ، إذ انكشف له أن العدو قد أشرف عليه فحذره لمعرفته ذلك ثم بلوغ صوته إليه من جملة الكرامات العظيمة ، وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال دخلت على عثمان رضى الله عنه وكنت قد لقيت امرأة فى طريق فنظرت إليها شزرا وتأملت محاسنها فقال عثمان رضى الله عنه لما دخلت يدخل علىّ أحدكم وأثر الزنا ظاهر على عينيه أما علمت أن زنا العينين

رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أف قط وما قال لشىء صنعته لم صنعته ولا لشىء تركته لم تركته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمداراة مع كل أحد من الأهل والأولاد والجيران والأصحاب والخلق كافة من أخلاق الصوفية وباحتمال الأذى يظهر جوهر النفس وقد قيل

(١) حديث سئل عن قوله تعالى ـ أفمن شرح الله صدره للاسلام ـ الحديث وفى المستدرك من حديث ابن مسعود وقد تقدم فى العلم (٢) حديث اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل قاله لابن عباس متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله وعلمه التأويل فأخرجه بهذه الزيادة أحمد وحب و ك وصححه وقد تقدم فى العلم (٣) حديث على ماعندنا شىء أسره إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يؤتى الله عبدا فهما فى كتابه تقدم فى آداب تلاوة القرآن (٤) حديث اتقوا فراسة المؤمن الحديث ت من حديث أبى سعيد وقد تقدم (٥) حديث العلم علمان الحديث تقدم فى العلم (٦) حديث إن من أمتى محدثين ومكلمين وإن عمر منهم خ من حديث أبى هريرة لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فان يك فى أمتى أحد فانه عمر رواه م من حديث عائشة .

النظر لتوبن أو لأعزرنك فقلت أوحى بعد النبي ؟ فقال لا ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة . وعن أبي سعيد الخراز قال دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيرا عليه خرقتان فقلت في نفسي هذا وأشباهه كل على الناس فناداني وقال ـ والله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه ـ فاستغفرت الله في سري فناداني وقال ـ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ـ ثم غاب عني ولم أره . وقال زكريا بن داود دخل أبو العباس بن مسروق على أبي الفضل الهاشمي وهو عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب يعيش به قال فلما قمت قلت في نفسي من أين يأكل هذا الرجل قال فصاح بي يا أبا العباس رد هذه الهمة الدنية فان لله تعالى ألطافا خفية . وقال أحمد النقيب دخلت على الشبلي فقال مفتونا يا أحمد فقلت ما الخبر ؟ قال كنت جالسا فجرى بخاطري أنك بخيل فقلت ما أنا بخيل فعاد في خاطري وقال بل أنت بخيل فقلت ما فتح اليوم على بشيء إلا دفعته إلى أول فقير يلقاني قال فما استتم الخاطر حتى دخل على صاحب المؤنس الخادم ومعه خمسون دينارا فقال اجعلها في مصالحك قال وقمت فأخذتها وخرجت وإذا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق رأسه فتقدمت إليه وناولته الدنانير فقال أعطها للمزين فقلت إن جملتها كذا وكذا قال أوليس قد قلنا لك إنك بخيل قال فناولتها المزين فقال المزين قد عقدنا لما جلس هذا الفقير بين أيدينا أن لا نأخذ عليه أجرا قال فرميت بها في دجلة وقلت ما أعزك أحد إلا أذله الله عز وجل . وقال حمزة بن عبد الله العلوي دخلت على أبي الخير التيناني واعتقدت في نفسي أن أسلم عليه ولا آكل في داره طعاما فلما خرجت من عنده إذا به قد لحقني وقد حمل طبقا فيه طعام وقال يا فتى كل فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان أبو الخير التيناني هذا مشهورا بالكرامات . وقال إبراهيم الرقي قصدته مسلما عليه فحضرت صلاة المغرب فلم يكد يقرأ الفاتحة مستويا فقلت في نفسي ضاعت سفرتي فلما سلم خرجت إلى الطهارة فقصدني سبع فعدت إلى أبي الخير وقلت قصدني سبع فخرج وصاح به وقال ألم أقل لك لا تتعرض لضيفاني فتنحى الأسد فتطهرت فلما رجعت قال لي اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الأسد واشتغلنا بتقويم البواطن فخافنا الأسد . وما حكي من تفرس المشايخ وإخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر بل ما حكي عنهم من مشاهدة الخضر عليه السلام والسؤال منه ومن سماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن أنكر لأصل أنكر التفصيل . والدليل القاطع الذي لا يقدر أحد على جحده أمران : أحدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف بها الغيب وإذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل أيضا في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة إلا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات فكم من مستيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه . الثاني إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيب وأمور في المستقبل كما اشتمل عليه القرآن وإذا جاز ذلك للنبي ﷺ جاز لغيره إذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الأمور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل باصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى وليا فمن آمن بالأنبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة أن يقر بأن القلب له بابان باب إلى خارج وهو الحواس وباب إلى الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام والنفث في الروع والوحي فاذا أقربهما جميعا لم يمكنه أن يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الأسباب المألوفة بل يجوز أن تكون المجاهدة سبيلا إليه فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت وأما السبب في انكشاف الأمر في المنام بالمثال المحوج إلى التعبير وكذلك تمثل الملائكة للأنبياء والأولياء بصور مختلفة فذلك أيضا من أسرار عجائب القلب ولا يليق ذلك إلا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها فقد قال بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسألني أن أملي عليه شيئا من ذكري الخفي عن مشاهدتي

لكل شيء جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر . أخبرنا أبو زرعة طاهر عن أبيه الحافظ المقدسي قال أنا أبو محمد الصريفيني قال أنا أبو القاسم عبيد الله ابن حبابة قال أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال حدثنا علي بن الجعد قال أنا شعبة عن الأعمش عن يحيى بن وثاب عن شيخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت من هو قال ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « المؤمن الذي يعاشر الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم

من التوحيد وقال ما نكتب لك عملا ونحن نحب أن نصعد لك بعمل تتقرب به إلى الله عز وجل فقلت ألستما تكتبان الفرائض قالا بلى قلت فيكفيكما ذلك وهذه إشارة إلى أن الكرام الكاتبين لا يطلعون على أسرار القلب وإنما يطلعون على الأعمال الظاهرة . وقال بعض العارفين سألت بعض الأبدال عن مسألة من مشاهدة اليقين فالتفت إلى شماله فقال ماتقول رحمك الله ثم التفت إلى يمينه فقال ماتقول رحمك الله ثم أطرق إلى صدره وقال ماتقول رحمك الله ؟ ثم أجاب بأغرب جواب سمعته فسألته عن التفاته فقال لم يكن عندى فى المسألة جواب عتيد فسألت صاحب الشمال فقال لا أدرى فسألت صاحب اليمين وهو أعلم منه فقال لا أدرى فنظرت إلى قلبى وسألته فحدثنى بما أجبتك فاذا هو أعلم منهما وكأن هذا هو معنى قوله عليه السلام « إن فى أمتى محدثين وإن عمر منهم » وفى الأثر : إن الله تعالى يقول أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه . وقال أبو سليمان الدارانى رحمة الله عليه القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها أبواب مغلقة فأى باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من أبواب القلب إلى جهة الملكوت والملأ الأعلى وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع والاعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر رضى الله عنه إلى أمراء الأجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانهم ينجلى لهم أمور صادقة . وقال بعض العلماء يد الله على أفواه الحكماء لا ينطقون إلا بما هيأ الله لهم من الحق . وقال آخر لو شئت لقلت إن الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره .

(بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها)

اعلم أن القلب كما ذكرناه مثال قبة مضروبة لها أبواب تنصب إليه الأحوال من كل باب ومثاله أيضا مثال هدف تنصب إليه السهام من الجوانب أو هو مثال مرآة منصوبة تحتاز عليها أصناف الصور المختلفة فتتراءى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها أو مثال حوض تنصب فيه مياه مختلفة من أنهار مفتوحة إليه وإنما مداخل هذه الآثار المتجددة فى القلب فى كل حال أما من الظاهر فالحواس الخمس وأما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والأخلاق المركبة من مزاج الانسان فانه إذا أدرك بالحواس شيئا حصل منه أثر فى القلب وكذلك إذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الأكل وبسبب قوة فى المزاج حصل منها فى القلب أثر وإن كف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة فى النفس تبقى وينتقل الخيال من شىء إلى شىء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال آخر والمقصود أن القلب فى التغير والتأثر دائما من هذه الأسباب وأخص الآثار الحاصلة فى القلب هو الخواطر وأعنى بالخواطر ما يحصل فيه من الأفكار والأذكار وأعنى به إدراكاته علوما إما على سبيل التجدد وإما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث إنها تخطر بعد أن كان القلب غافلا عنها والخواطر هى المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة إنما تكون بعد خطور المنوى بالبال لا محالة فمبدأ الأفعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الأعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى مايدعو إلى الشر أعنى إلى مايضر فى العاقبة وإلى مايدعو إلى الخير أعنى إلى ماينفع فى الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقرا إلى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى إلهاما والخاطر المذموم أعنى الداعى إلى الشر يسمى وسواسا ثم إنك تعلم أن هذه الخواطر حادثة ثم إن كل حادث فلا بد له من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الأسباب هذا ماعرف من سنة الله تعالى فى ترتيب المسببات على الأسباب فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار وأظلم سقفه واسود بالدخان علمت أن سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لأنوار القلب وظلمته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعى إلى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعى إلى الشر يسمى شيطانا

ولا يصبر على أذاهم » وفى الخبر « أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم قيل ماذا كان يصنع أبو ضمضم قال كان إذا أصبح قال اللهم إنى تصدقت اليوم بعرضى على من ظلمنى فمن ضربنى لا أضربه ومن شتمنى لا أشتمه ومن ظلمنى لا أظلمه » . وأخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب قال أنا أبو الفتح الهروى قال حدثنا الترياقى قال أنا الجراحى قال أنا المحبوبى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال ثنا ابن أبى عمر قال ثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت

واللطف الذى يتهيأ به القلب لقبول إلهام الخير يسمى توفيقا والذى به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواء وخذلانا فان المعانى المختلفة تفتقر إلى أسامى مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه إفاضة الخير وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والأمر بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والأمر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر فالوسوسة فى مقابلة الإلهام والشيطان فى مقابلة الملك والتوفيق فى مقابلة الخذلان وإليه الاشارة بقوله تعالى ـ ومن كل شىء خلقنا زوجين ـ فان الموجودات كلها متقابلة مزدوجة إلا الله تعالى فانه فرد لامقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للأزواج كلها فالقلب متجاذب بين الشيطان والملك وقد قال صلى الله عليه وسلم « فى القلب لمتان لمة من الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله ولمة من العدو إيعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى ـ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ـ[1] » الآية وقال الحسن إنما هما همان يجولان فى القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله تعالى أمضاه وما كان من عدوه جاهده ولتجاذب القلب بين هذين المسلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن[2] » فالله يتعالى عن أن يكون له أصبع مركبة من لحم وعظم ودم وعصب منقسمة بالأنامل ولكن روح الأصبع سرعة التقلب والقدرة على التحريك والتغيير فانك لاتريد أصبعك لشخصه بل لفعله فى التقليب والترديد كما أنك تتعاطى الأفعال بأصابعك والله تعالى يفعل مايفعل باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته فى تقليب القلوب كما أن أصابعك مسخرة لك فى تقليب الأجسام مثلا والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملك ولقبول آثار الشيطان صلاحا متساويا ليس يترجح أحدهما على الآخر وإنما يترجح أحد الجانبين باتباع الهوى والإكباب على الشهوات أو الإعراض عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لأن الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه وإن جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه بأخلاق الملائكة عليهم السلام صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ولما كان لايخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل إلى غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة عن الهوى لاجرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « مامنكم من أحد إلا وله شيطان قالوا وأنت يارسول الله قال وأنا إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمر إلا بخير[3] » وإنما كان هذا لأن الشيطان لايتصرف إلا بواسطة الشهوة فمن أعانه الله على شهوته حتى صارت لاتنبسط إلا حيث ينبغى وإلى الحد الذى ينبغى فشهوته لاتدعو إلى الشر فالشيطان المتدرع بها لا يأمر إلا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله وأقبل الملك وألهم والتطارد بين جندى الملائكة والشياطين فى معركة القلب دائم إلى أن ينفتح القلب لأحدهما فيستوطن ويستمكن ويكون اجتياز الثانى اختلاسا وأكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وتملكتها فامتلأت بالوسواس الداعية إلى إيثار العاجلة واطراح الآخرة ومبدأ استيلائها اتباع الشهوات والهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك إلا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى

« استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فقال بئس ابن العشيرة أو أخو العشيرة ثم أذن له فألان له القول فلما خرج قلت يارسول الله قلت له ما قلت ثم ألنت له القول قال ياعائشة إن من شر الناس من يتركه الناس أو يدعه الناس اتقاء فحشه » وروى أبو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » فما شىء يستدل به على قوة عقل الشخص ووفور علمه وحلمه كحسن المداراة ، والنفس

(١) حديث فى القلب لمتان لمة من الملك إيعاد بالخير الحديث ت وحسنه و ن فى الكبرى من حديث ابن مسعود (٢) حديث المؤمن بين أصبعين الحديث تقدم (٣) حديث مامنكم من أحد إلا وله شيطان الحديث م من حديث ابن مسعود .

والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذى هو مطرح أثر الملائكة . وقال جابر بن عبيدة العدوى شكوت إلى العلاء بن زياد ما أجد فى صدرى من الوسوسة فقال : إنما مثل ذلك مثل البيت الذى يمر به اللصوص فان كان فيه شىء عالجوه وإلا مضوا وتركوه يعنى أن القلب الخالى عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى ـ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ـ فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك سلط الله عليه الشيطان وقال تعالى ـ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ـ وهو إشارة إلى أن من الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك قال عمرو بن العاص[١] للنبى صلى الله عليه وسلم «يارسول الله حال الشيطان بينى وبين صلاتى وقراءتى فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عنى (١)» وفى الخبر « إن للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه (٢)» ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب إلا ذكر ماسوى مايوسوس به لأنه إذا خطر فى القلب ذكر شىء انعدم منه ما كان فيه من قبل ولكن كل شىء سوى الله تعالى وسوى مايتعلق به فيجوز أيضا أن يكون مجالا للشيطان وذكر الله هو الذى يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشىء إلا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبرى عن الحول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وذلك لا يقدر عليه إلا المتقون الغالب عليهم ذكر الله تعالى وإنما الشيطان يطوف عليهم فى أوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال الله تعالى ـ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون ـ وقال مجاهد فى معنى قول الله تعالى ـ من شر الوسواس الخناس ـ قال هو منبسط على القلب فاذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض وإذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما قال الله تعالى ـ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ـ وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم فان هو ذكر الله تعالى خنس وإن نسى الله تعالى التقم قلبه (٣) » وقال ابن وضاح فى حديث ذكره : إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان وجهه بيده وقال بأبى وجه من لا يفلح(٤) وكما أن الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضا سارية فى لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع (٥)» وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولأجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى إخبارا عن إبليس ـ لأقعدن لهم صراطك المستقيم

لا تزال تشمئز ممن يعكس مرادها ويستفزها الغيظ والغضب وبالمداراة قطع حمة النفس وردطيشها ونفورها . وقد ورد «من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره فى أى الحول شاء » . وروى جابر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا أخبركم على من تحرم النار ؟ على كل هين لين سهل قريب » . وروى أبو مسعود الأنصارى رضى الله عنه قال أتى النبى عليه السلام برجل فكلمه فأرعد فقال هون عليك فانى لست

(١) حديث ابن أبى العاص إن الشيطان حال بينى وبين صلاتى الحديث م من حديث ابن إبى العاص (٢) حديث إن للوضوء شيطانا يقال له الولهان الحديث ه ت من حديث أبى بن كعب وقال غريب وليس إسناده بالقوى عند أهل الحديث (٣) حديث أنس إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم الحديث ابن أبى الدنيا فى كتاب مكايد الشيطان وأبو يعلى الموصلى وابن عدى فى الكامل وضعفه (٤) حديث ابن وضاح إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال بأبى وجه من لا يفلح لم أجد له أصلا (٥) حديث إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم تقدم

[١] قوله عمرو بن العاص كذا فى النسخ قال الشارح والصواب عثمان بن أبى العاص، وفى العراقى مايشير لذلك اهـ .

ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ـ وقال صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان قعد لابن آدم بطرق فقعد له بطريق الاسلام فقال أتسلم وتترك دينك ودين آبائك فعصاه وأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر أتدع أرضك وسماءك فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال أتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه وجاهد (١) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة » فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهى هذه الخواطر التى تخطر للمجاهد أنه يقتل وتنكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة ، فاذا الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر إلى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور أن ينفك عنه آدمى وإنما يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال عليه السلام « مامن أحد إلا وله شيطان (٢) » فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والإلهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر فى ذات الشيطان أنه جسم لطيف أو ليس بجسم وإن كان جسما فكيف يدخل بدن الانسان ماهو جسم فهذا الآن غير محتاج إليه فى علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا مثال من دخلت فى ثيابه حية وهو محتاج إلى إزالتها ودفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عن الجهل فمصادمة الخواطر الباعثة على الشر قد علمت ودل ذلك على أنه عن سبب لامحالة وعلم أن الداعى إلى الشر المحذور فى المستقبل عدوّ فقد عرف العدوّ لامحالة ، فينبغى أن يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوته فى مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز عنه فقال تعالى ـ إن الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوّا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ـ وقال تعالى ـ ألم أعهد إليكم يابنى آدم أن لاتعبدوا الشيطان إنه لكم عدوّ مبين ـ فينبغى للعبد أن يشتغل بدفع العدوّ عن نفسه لا بالسؤال عن أصله ونسبه ومسكنه ، نعم ينبغى أن يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للعاملين ، فأما معرفة ذاته وصفاته وحقيقته نعوذ بالله منه وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين فى علوم المكاشفات فلا يحتاج فى علم المعاملة إلى معرفته ، نعم ينبغى أن يعلم أن الخواطر تنقسم إلى مايعلم قطعا أنه داع إلى الشر فلا يخفى كونه وسوسة وإلى مايعلم أنه داع إلى الخير فلا يشك فى كونه إلهاما وإلى مايتردد فيه فلا يدرى أنه من لمة الملك أو من لمة الشيطان فان من مكايد الشيطان أن يعرض الشر فى معرض الخير والتمييز فى ذلك غامض وأكثر العباد به يهلكون فان الشيطان لايقدر على دعائهم إلى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ أما تنظر إلى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد أشرفوا على النار أما لك رحمة على عباد الله تتقدم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد أنعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمة الله تعالى وتتعرض لسخطه وتسكت عن إشاعة العلم ودعوة الخلق إلى الصراط المستقيم ؟ ولايزال يقرر ذلك فى نفسه ويستجره بلطيف الحيل إلى أن يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه بعد ذلك إلى أن يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ وإظهار الخير ويقول له إن لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا إلى الحق ولايزال يقرر ذلك عنده وهو فى أثنائه يؤكد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة الأتباع والعلم والنظر إلى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج

(١) حديث إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه الحديث ن من حديث سبرة بن أبى فاكه باسناد صحيح (٢) حديث مامن أحد إلا له شيطان الحديث تقدم .

بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » وعن بعضهم فى معنى لين جانب الصوفية :

هينون لينون أيسار بنو يسر
سواس مكرمة أبناء أيسار
لاينطقون عن الفحشاء إن نطقوا
ولايعارون إن ماروا بإكثار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم
مثل النجوم التى يسرى بها السارى

وروى أبو الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير ومن حرم حظه من الرفق

للمسكين بالنصح إلى الهلاك فيتكلم وهو يظن أن قصده الخير وإنما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن أنه عند الله بمكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ليؤيد هذا الدين بقوم لاخلاق لهم (١) » . و« إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر (٢) » ولذلك روى أن إبليس لعنه الله تمثل لعيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فقال له قل لا إله إلا الله فقال كلمة حق ولا أقولها بقولك لأن له أيضا تحت الخير تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبها يهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والأغنياء وأصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لأنفسهم الخوض فى المعاصى المكشوفة ، وسنذكر جملة من مكايد الشيطان فى كتاب الغرور فى آخر هذا الربع ولعلنا إن أمهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه [تلبيس إبليس] فانه قد انتشر الآن تلبيسه فى البلاد والعباد لا سيما فى المذاهب والاعتقادات حتى لم يبق من الخيرات إلا رسمها كل ذلك إذعانا لتلبيسات الشيطان ومكايده فحق على العبد أن يقف عند كل هم يخطر له ليعلم أنه من لمة الملك أو لمة الشيطان وأن يمعن النظر فيه بعين البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم كما قال تعالى ـ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ـ أى رجعوا إلى نور العلم ـ فاذا هم مبصرون ـ أى ينكشف لهم الإشكال فأما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه إلى الإذعان بتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلطه ويتعجل فيه هلاكه وهو يشعر وفى مثلهم قال سبحانه وتعالى ـ وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ـ قيل هى أعمال ظنوها حسنات فاذا هى سيئات ، وأغمض أنواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد أهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر إليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز عنه ولا ينجى من كثرة الوسواس إلا سد أبواب الخواطر وأبوابها الحواس الخمس وأبوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلوة فى بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن الأهل والمال يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنه فى التخيلات الجارية فى القلب وذلك لايدفع إلا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم إنه لايزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها إلا الموت إذ لايتخلص أحد من الشيطان مادام حيا ، نعم قد يقوى بحيث لاينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد . لكن لايستغنى قط عن الجهاد والمدافعة مادام الدم يجرى فى بدنه فانه مادام حيا فأبواب الشيطان مفتوحة إلى قلبه لاتنغلق وهى الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سيأتى شرحها ، ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم يدفع إلا بالحراسة والمجاهدة . قال رجل للحسن يا أبا سعيد أينام الشيطان فتبسم وقال لو نام لاسترحنا فاذن لاخلاص للمؤمن منه ، نعم له سبيل إلى دفعه وتضعيف قوته . قال صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى أحدكم بعيره فى سفره (٣) » وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول ، وقال قيس بن الحجاج قال لى شيطانى دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل العصفور قلت ولم ذاك ؟ قال تذيبنى بذكر الله تعالى فأهل التقوى لايتعذر عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أعنى الأبواب الظاهرة والطرق الجلية التى تفضى إلى المعاصى الظاهرة وإنما يتعثرون فى طرقه الغامضة فانهم لايهتدون إليها

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم ن من حديث أنس باسناد جيد (٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم فى العلم (٣) حديث إن المؤمن ينضى شيطانه الحديث أحمد من حديث أبى هريرة وفيه ابن لهيعة.

فقد حرم حظه من الخير » حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب إمـلاء قال ثنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبى عبد الله المالينى قال أنا أبو الحسين عبد الرحمن بن أبى طلحة الداودى قال أنا أبو محمد عبد الله الحموى السرخسى قال أنا أبو عمران عيسى بن عمر السمرقندى قال أنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى قال أنا محمد بن أحمد بن أبى خلف قال ثنا عبد الرحمن بن محمد عن محمد بن إسحق قال حدثنى عبد الله بن أبى بكر عن رجل من العرب قال زحمت رسول الله صلى الله عليه وسلم

فيحرسونها كما أشرنا إليه فى غرور العلماء والوعاظ . والمشكل أن الأبواب المفتوحة إلى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الأبواب الكثيرة فالعبد فيها كالمسافر الذى يبقى فى بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك فى ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق إلا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هى القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مما يهدى إلى غوامض طرقه وإلا فطرقه كثيرة وغامضة . قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه « خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا ـ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل ـ لتلك الخطوط (١) » فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذى يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصى الظاهرة، فلنذكر مثالا لطريقه الواضح الذى لا يخفى إلا أن يضطر الآدمى إلى سلوكه وذلك كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال » كان راهب فى بنى إسرائيل فعمد الشيطان إلى جارية فخنقها وألقى فى قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب فأتوا بها إليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه فوسوس إليه وقال الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فان سألوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فأتى الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى فى قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودفنها فأتاه أهلها فسألوه عنها فقال ماتت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذى خنقتها وأنا الذى ألقيت فى قلوب أهلها فأطعنى تنج وأخلصك منهم قال بماذا ؟ قال اسجد لى سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان إنى برىء منك ، فهو الذى قال الله تعالى فيه ـ كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك ـ (٢) » فانظر الآن إلى حيله واضطراره الراهب إلى هذه الكبائر وكل ذلك لطاعته له فى قبول الجارية للمعالجة وهو أمر هين وربما يظن صاحبه أنه خير وحسنة فيحسن ذلك فى قلبه بخفى الهوى فيقدم عليه كالراغب فى الخير فيخرج الأمر بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض إلى البعض بحيث لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع أوائل الأمور وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه (٣) »

(بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب)

اعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولى عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدرى أبوابه فحماية القلب من وسواس الشيطان واجبة وهو فرض عين على كل عبد مكلف ومالا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة

يوم حنين وفى رجلى نعل كثيفة فوطئت بها على رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفحنى نفحة بسوط فى يده وقال باسم الله أوجعتنى قال فبت لنفسى لائما أقول أوجعت رسول الله قال فبت بليلة كما يعلم الله فلما أصبحنا إذا رجل يقول أين فلان قلت هذا والله الذى كان منى بالأمس قال فانطلقت وأنا متخوف فقال لى إنك وطئت بنعلك على رجلى بالأمس فأوجعتنى فنفحتك نفحة بالسوط فهذه ثمانون نعجة فخذها بها . ومن أخلاق الصوفية الإيثار والمواساة ويحملهم على ذلك فرط الشفقة

(١) حديث ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الله الحديث ن فى الكبرى و ك وقال صحيح الاسناد (٢) حديث كان راهب فى بنى اسرائيل فأخذ الشيطان جارية فخنقها وألقى فى قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب الحديث بطوله فى قوله تعالى ـ كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر ـ ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان وابن مردويه فى تفسيره فى حديث عبيد بن أبى رفاعة مرسلا وللحاكم نحوه موقوفا على على بن أبى طالب وقال صحيح الاسناد ووصله بطين فى مسنده من حديث على (٣) حديث من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه متفق عليه من حديث النعمان بن بشير من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه لفظ خ .

مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العباد وهي كثيرة ولكنا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان . فمن أبوابه العظيمة الغضب والشهوة فان الغضب هو غول العقل وإذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة ، فقد روى أن موسى عليه السلام لقيه إبليس فقال له ياموسى أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما وأنا خلق من خلق الله أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لي إلى ربي أن يتوب عليّ فقال موسى نعم فلما صعد موسى الجبل وكلم ربه عزوجل وأراد النزول قال له ربه أدّ الأمانة فقال موسى يارب عبدك إبليس يريد أن تتوب عليه فأوحى الله تعالى إلى موسى ياموسى قد قضيت حاجتك مره أن يسجد لقبر آدم حتى يتاب عليه فلقي موسى إبليس فقال له قد قضيت حاجتك أمرت أن تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليك فغضب واستكبر وقال لم أسجد له حيا أأسجد له ميتا ثم قال له ياموسى إن لك عليّ حقا بما شفعت لي إلى ربك فاذكرني عند ثلاث لا أهلكك فيهن : اذكرني حين تغضب فان روحي في قلبك وعيني في عينك وأجري منك مجرى الدم ، اذكرني إذا غضبت فانه إذا غضب الانسان نفخت في أنفه فما يدري ما يصنع واذكرني حين تلقى الزحف فاني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فأذكره زوجته وولده وأهله حتى يولي وإياك أن تجلس إلى امرأة ليست بذات محرم فاني رسولها إليك وسولك إليها فلا أزال حتى أفتنك بها وأفتنها بك فقد أشار بهذا إلى الشهوة والغضب والحرص فان الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه من السجود لآدم ميتا هو الحسد وهو أعظم مداخله وقد ذكر أن بعض الأولياء قال لإبليس أرني كيف تغلب ابن آدم فقال آخذه عند الغضب وعند الهوى ، فقد حكي أن إبليس ظهر لراهب فقال له الراهب أي أخلاق بني آدم أعون لك قال الحدة فان العبد إذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة ، وقيل إن الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم وإذا رضي جئت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه ومن أبوابه العظيمة الحسد والحرص فمهما كان العبد حريصا على كل شيء أعماه حرصه وأصمه إذ قال صلى الله عليه وسلم « حبك للشيء يعمي ويصم [1] » ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فاذا غطاه الحسد والحرص لم يبصر فحينئذ يجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله إلى شهوته وإن كان منكرا وفاحشا فقد روى أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك فقال دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك فقال له نوح اخرج منها ياعدو الله فانك لعين فقال له إبليس: خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين فأوحى الله تعالى إلى نوح أنه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين فقال له نوح ما الاثنتان فقال هما اللتان لا تكذباني هما اللتان لا تخلفاني بهما أهلك الناس: الحرص والحسد، فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما وأما الحرص فانه أبيح لآدم الجنة كلها إلا الشجرة فأصبت حاجتي منه بالحرص . ومن أبوابه العظيمة الشبع من الطعام وإن كان حلالا صافيا فان الشبع يقوي الشهوات والشهوات أسلحة الشيطان ، فقد روى أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له يا إبليس ما هذا المعاليق ؟ قال هذه الشهوات التي أصبت بها ابن آدم قال فهل فيها من شيء ؟ قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك ؟ قال لا قال لله عليّ أن لا أملأ بطني من الطعام أبدا فقال له إبليس ولله عليّ أن لا أنصح مسلما أبدا . ويقال في كثرة

والرحمة طبعا وقوة اليقين شرعا يؤثرون بالموجود ويصبرون على المفقود . قال أبو يزيد البسطامي ما غلبني أحد ما غلبني شاب من أهل بلخ قدم علينا حاجا فقال لي يا أبا يزيد ما حد الزهد عندكم قلت إذا وجدنا أكلنا وإذا فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا كلاب بلخ فقلت له وما حد الزهد عندكم ، قال إذا فقدنا شكرنا وإذا وجدنا آثرنا . وقال ذو النون من علامة الزاهد المشروح صدره ثلاث: تفريق المجموع وترك طلب المفقود والايثار بالقوت. روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال

(١) حديث حبك الشيء يعمي ويصم أبو داود من حديث أبي الدرداء باسناد ضعيف .

الأكل ست خصال مذمومة : أولها أن يذهب خوف الله من قلبه . الثانى أن يذهب رحمة الخلق من قلبه لأنه يظن أنهم كلهم شباع . والثالث أنه يثقل عن الطاعة . والرابع أنه إذا سمع كلام الحكمة لا يجد له رقة . والخامس أنه إذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع فى قلوب الناس . والسادس أن يهيج فيه الأمراض . ومن أبوابه حب التزين من الأثاث والثياب والدار فان الشيطان إذا رأى ذلك غالبا على قلب الانسان باض فيه وفرخ فلا يزال يدعوه إلى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع أبنيتها ويدعوه إلى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره وإذا أوقعه فى ذلك فقد استغنى أن يعود إليه ثانية فان بعض ذلك يجره إلى البعض فلا يزال يؤديه من شئ إلى شئ إلى أن يساق إليه أجله فيموت وهو فى سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخشى من ذلك سوء العاقبة بالكفر نعوذ بالله منه . ومن أبوابه العظيمة الطمع فى الناس لأنه إذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحبب إليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بأنواع الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كأنه معبوده فلا يزال يتفكر فى حيلة التودد والتحبب إليه ويدخل كل مدخل للوصول إلى ذلك ، وأقل أحواله الثناء عليه بما ليس فيه وللداهنة له بترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فقد روى صفوان بن سليم أن إبليس تمثل لعبدالله بن حنظلة فقال له يا ابن حنظلة احفظ عنى شيئا أعلمك به فقال لا حاجة لى به قال انظر فان كان خيرا أخذت وإن كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسأل أحدا غير الله سؤال رغبة وانظر كيف تكون إذا غضبت فانى أملكك إذا غضبت . ومن أبوابه العظيمة العجلة وترك التثبت فى الأمور وقال صلى الله عليه وسلم « العجلة من الشيطان والتأنى من الله تعالى [1] » وقال عز وجل ـ خلق الانسان من عجل ـ وقال تعالى ـ وكان الانسان عجولا ـ وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم ـ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ـ وهذا لأن الأعمال ينبغى أن تكون بعد التبصرة والمعرفة والتبصرة تحتاج إلى تأمل وتمهل والعجلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الانسان من حيث لا يدرى ، فقد روى أنه لما ولد عيسى ابن مريم عليه السلام أتت الشياطين إبليس فقالوا أصبحت الأصنام قد نكست رءوسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى أتى خافقى الأرض فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد وإذا الملائكة حافين به فرجع إليهم فقال إن نبيا قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها إلا هذا فأيسوا من أن تعبد الأصنام بعد هذه الليلة ولكن اتئدوا بنى آدم من قبل العجلة والخفة. ومن أبوابه العظيمة الدراهم والدنانير وسائر أصناف الأموال من العروض والدواب والعقار فان كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فان من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق انبعث من قلبه عشر شهوات تحتاج كل شهوة منها إلى مائة دينار أخرى فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج إلى تسعمائة أخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا فالآن لما وجد مائة ظن أنه صار بها غنيا وقد صار محتاجا إلى تسعمائة ليشترى دارا يعمرها وليشترى جارية وليشترى أثاث البيت ويشترى الثياب الفاخرة وكل شئ من ذلك يستدعى شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع فى هاوية آخرها عمق جهنم فلا آخر لها سواه . قال ثابت البنانى [2] لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إبليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ما هو فانطلقوا حتى أعيوا ثم جاءوا وقالوا ما ندرى قال أنا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء وقال قد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى صلاتهم فيمحى ذلك فقال إبليس رويدا بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للأنصار « إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم وديارکم وتشاركونهم فى هذه الغنيمة وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم نقسم لكم شيئا من الغنيمة ، فقالت الأنصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها ، فأنزل الله تعالى ـ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ـ وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابه جهد فقال يا رسول الله إنى جائع فأطعمنى فبعث النبى صلى الله عليه وسلم إلى

(١) حديث العجلة من الشيطان والتأنى من الله ت من حديث سهل بن سعد بلفظ الأناة وقال حسن

فنصيب منهم حاجتنا (١) . وروى أن عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فمر به إبليس فقال ياعيسى رغبت فى الدنيا فأخذه عيسى صلى الله عليه وسلم فرمى به من تحت رأسه وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسد به عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن أن يكون عدة للشيطان عليه فان القائم بالليل مثلا للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن أن يتوسده فلا يزال يدعوه إلى النوم وإلى أن يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك ببال ولا تتحرك رغبته إلى النوم هذا فى حجر فكيف بمن يملك المهاد الوثير والفرش الوطيئة والمتنزهات الطيبة فمتى ينشط لعبادة الله تعالى ؟ . ومن أبوابه العظيمة البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذى يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو إلى الادخار والكنز والعذاب الأليم وهو الموعود للمكاثرين كما نطق به القرآن العزيز . قال خيثمة بن عبد الرحمن إن الشيطان يقول ماغلبنى ابن آدم غلبة فلن يغلبنى على ثلاث أن آمره أن يأخذ المال من غير حقه وإنفاقه فى غير حقه ومنعه من حقه . وقال سفيان ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه أخذ فى الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء . ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الأسواق لجمع المال والأسواق هى معشش الشياطين . وقال أبو أمامة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يارب أنزلتنى إلى الأرض وجعلتنى رجيما فاجعل لى بيتا قال الحمام قال اجعل لى مجلسا قال الأسواق ومجامع الطرق قال اجعل لى طعاما قال طعامك مالم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لى شرابا قال كل مسكر قال اجعل لى مؤذنا قال المزامير قال اجعل لى قرآنا قال الشعر قال اجعل لى كتابا قال الوشم قال اجعل لى حديثا قال الكذب قال اجعل لى مصايد قال النساء (٢) » ومن أبوابه العظيمة التوصل : التعصب للمذاهب والأهواء والحقد على الخصوم والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا فان الطعن فى الناس والاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة فى الطبع من الصفات السبعية فاذا خيل إليه الشيطان أن ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن أنه يسعى فى الدين وهو ساع فى اتباع الشياطين فترى الواحد منهم يتعصب لأبى بكر الصديق رضى الله عنه وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاط لأنواع الفساد ولو رآه أبو بكر لكان أول عدو له إذ موالى أبى بكر من أخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ مابين لحييه . وكان من سيرته رضى الله عنه أن يضع حصاة فى فمه ليكف لسانه عن الكلام فيما لايعنيه فأنى لهذا الفضولى أن يدعى ولاءه وحبه ولا يسير بسيرته وترى فضوليا آخر يتعصب لعلى رضى الله عنه وكان من زهد على وسيرته أنه لبس فى خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمين إلى الرسغ وترى الفاسق لابسا ثياب الحرير ومتجملا بأموال اكتسبها من حرام وهو يتعاطى حب على رضى الله عنه ويدعيه وهو أول خصمائه يوم القيامة وليت شعرى من أخذ ولدا عزيزا لانسان هو قرة عينه وحياة قلبه فأخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعى حب أبيه وولاءه فكيف يكون حاله عنده ومعلوم أن الدين والشرع كانا أحب إلى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضى الله عنهم من الأهل والولد بل من أنفسهم

أزواجه هل عندكن شىء فكلهن قلن والذى بعثك بالحق نبيا ماعندنا إلا الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعندنا مانطعمك هذه الليلة ثم قال من يضيف هذا هذه الليلة رحمه الله فقام رجل من الأنصار فقال أنا يارسول الله فأتى به منزله فقال لأهله هذا ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكرميه ولا تدخرى عنه شيئا فقالت ماعندنا إلا قوت الصبية فقال فقومى عليهم عن قوتهم حتى يناموا ولا يطعمون شيئا ثم أسرجى فاذا أخذ الضيف ليأكل قومى كأنك تصلحين السراج فأطفئيه

(١) حديث ثابت لما بعث صلى الله عليه وسلم قال إبليس لشياطينه لقد حدث أمر الحديث ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان هكذا مرسلا (٢) حديث أبى أمامة إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يارب أنزلتنى إلى الأرض وجعلتنى رجيما فاجعل لى بيتا قال الحمام الحديث الطبرانى فى الكبير واسناده ضعيف جدا ورواه بنحوه من حديث ابن عباس باسناد ضعيف أيضا .

والمقتحمون لمعاصى الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون به إلى عدو الله إبليس وعدو أوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصحابة وعند أولياء الله تعالى لا بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما تحبه الصحابة فى أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا أن يجروا على اللسان ذكرهم مع قبح أفعالهم ثم إن الشيطان يخيل إليهم أن من مات محبا لأبى بكر وعمر فالنار لا تحوم حوله ويخيل إلى الآخر أنه إذا مات محبا لعلى لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لفاطمة رضى الله عنها وهى بضعة منه(١) «اعملى فانى لا أغنى عنك من الله شيئا(٢)» وهذا مثال أوردناه من جملة الأهواء ، وهكذا حكم المتعصبين للشافعى وأبى حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من الأئمة فكل من ادعى مذهب إمام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الامام هو خصمه يوم القيامة إذ يقول له كان مذهبى العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لأجل العمل لا لأجل الهذيان فما بالك خالفتنى فى العمل والسيرة التى هى مذهبى ومسلكى الذى سلكته وذهبت فيه إلى الله تعالى ثم ادعيت مذهبى كاذبا وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر العالم وقد سلمت المدارس لأقوام قل من الله خوفهم وضعفت فى الدين بصيرتهم وقويت فى الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع وإقامة الجاه إلا بالتعصب فحبسوا ذلك فى صدورهم ولم ينبهوهم على مكايد الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان فى تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا أمهات دينهم فقد هلكوا وأهلكوا فالله تعالى يتوب علينا وعليهم وقال الحسن بلغنا أن إبليس قال سولت لأمة محمد ﷺ المعاصى فعصموا ظهرى بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله تعالى منها وهى الأهواء وقد صدق اللعين فانهم لا يعلمون أن ذلك من الأسباب التى تجر إلى المعاصى فكيف يستغفرون منها . ومن عظيم حيل الشيطان أن يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس فى المذاهب والخصومات قال عبد الله بن مسعود جلس قوم يذكرون الله تعالى فأتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع فأتى رفقة أخرى يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس إياهم يريد ، فقام الذين يذكرون الله تعالى فاشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم . ومن أبوا به حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر فى ذات الله تعالى وصفاته وفى أمور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم فى أصل الدين أو يخيل إليهم فى الله تعالى خيالات يتعالى الله عنها يصير بها كافرا أو مبتدعا وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع فى صدره يظن ذلك هو المعرفة والبصيرة وأنه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله فأشد الناس حماقة أقواهم اعتقادا فى عقل نفسه وأثبت الناس عقلا أشدهم اتهاما لنفسه وأكثرهم سؤالا من العلماء . قالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الشيطان يأتى أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله فاذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فان ذلك يذهب عنه(٣)» والنبى صلى الله عليه وسلم لم يأمر بالبحث فى علاج هذا الوسواس فان هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وإنما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعبادتهم ومعايشهم ويتركوا العلم للعلماء فالعامى لو زنى وسرق كان خيرا له من أن يتكلم فى العلم فانه من تكلم فى الله وفى دينه من غير إتقان العلم وقع فى الكفر من حيث لا يدرى

(١) حديث فاطمة بضعة منى متفق عليه من حديث المسور بن مخرمة (٢) حديث إنى لا أغنى عنك من الله شيئا قاله لفاطمة متفق عليه من حديث أبى هريرة (٣) حديث عائشة إن الشيطان يأتى أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله الحديث أحمد والبزار وأبو يعلى فى مسانيدهم ورجاله ثقات وهو متفق عليه من حديث أبى هريرة .

ونعالى نمضغ ألسنتنا لضيف رسول الله حتى يشبع ضيف رسول الله فقامت إلى الصبية فعللتهم حتى ناموا عن قوتهم ولم يطعموا شيئا ثم قامت فأثردت وأسرجت فلما أخذ الضيف ليأكل قامت كأنها تصلح السراج فأطفأته فجعلا يمضغان ألسنتهما لضيف رسول الله وظن الضيف أنهما يأكلان معه حتى شبع الضيف وباتا طاويين فلما أصبحوا غدوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر إليهما تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة وأنزل الله تعالى — ويؤثرون على أنفسهم

كمن يركب لجة البحر وهو لايعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب لاتحصر وإنما أردنا بما أوردناه المثال . ومن أبوابه سوء الظن بالمسلمين قال الله تعالى ـ ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ـ فمن يحكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك أويقصر فى القيام بحقوقه أويتوانى فى إكرامه وينظر إليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولأجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم فقال صلى الله عليه وسلم «اتقوا مواضع التهم (١)» حتى احترزهو ﷺ من ذلك روى عن ابن حسين أن صفية بنت حيي بن أخطب أخبرته « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فى المسجد قالت فأتيته فتحدثت عنده فلما أمسيت انصرفت فقام يمشى معى فمر به رجلان من الأنصار فسلما ثم انصرفا فناداهما وقال إنها صفية بنت حيي فقالا يارسول الله مانظن بك إلا خيرا فقال إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم من الجسد وإنى خشيت أن يدخل عليكما (٢)» فانظر كيف أشفق ﷺ على دينهما فحرسهما وكيف أشفق على أمته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لايتساهل العالم الورع المعروف بالدين فى أحواله فيقول مثلى لايظن به إلا الخير إعجابا منه بنفسه فان أورع الناس وأتقاهم وأعلمهم لاينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم ولذلك قال الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار فان الأشرار لايظنون بالناس كلهم إلا الشر فمهما رأيت إنسانا يسىء الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم أنه خبيث فى الباطن وأن ذلك خبثه يترشح منه وإنما رأى غيره من حيث هو فان المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر فى حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب ولو أردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه وفى هذا القدر ماينبه على غيره فليس فى الآدمى صفة مذمومة إلا وهى سلاح الشيطان ومدخل من مداخله. فان قلت فما العلاج فى دفع الشيطان وهل يكفى فى ذلك ذكر الله تعالى وقول الانسان لاحول ولاقوة إلا بالله . فاعلم أن علاج القلب فى ذلك سد هذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره وغرضنا فى هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات وتحتاج كل صفة إلى كتاب منفرد على ماسيأتى شرحه ، نعم إذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كان الشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لأن حقيقة الذكر لاتتمكن من القلب إلا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة وإلا فيكون الذكر حديث نفس لاسلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى ـ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون ـ خصص بذلك المتقى فمثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك خبز أولحم فانه ينزجر بأن تقول له اخسأ فمجرد الصوت يدفعه فان كان بين يديك لحم وهو جائع فانه يهجم على اللحم ولايندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالى عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فأما الشهوة إذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر إلى حواشى القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان فى سويداء القلب وأما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فانه يطرقها الشيطان لاللشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فاذا عاد إلى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى ـ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ـ وسائر الأخبار والآيات

ولوكان بهم خصاصة ـ وقال أنس رضى الله عنه أهدى لبعض أصحابه رأس شاة مشوى وكان مجهودا فوجه به إلى جار له فتداوله سبعة أنفس ثم عاد إلى الأول فأنزلت الآية لذلك. وروى أن أبا الحسن الأنطاكى اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية بقرى الرى وله أرغفة معدودة لم تشبع خمسة منهم فكسروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفعوا الطعام فاذا هو بحاله لم يأكل أحد منهم إيثارا منه على نفسه . وحكى عن حذيفة العدوى قال انطلقت يوم اليرموك لطلب ابن عم لى

(١) حديث اتقوا مواضع التهم لم أجد له أصلا (٢) حديث صفية بنت حيي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فأتيته فتحدثت عنده الحديث وفيه إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم متفق عليه .

الواردة فى الذكر . قال أبو هريرة التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر دهين سمين كاس وشيطان المؤمن مهزول أشعث أغبر عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك مهزول قال أنا مع رجل إذا أكل سمى الله فأظل جائعا وإذا شرب سمى الله فأظل عطشانا وإذا لبس سمى الله فأظل عريانا وإذا ادهن سمى الله فأظل شعثا فقال لكنى مع رجل لا يفعل شيئا من ذلك فأنا أشاركه فى طعامه وشرابه ولباسه . وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح : اللهم إنك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك إنك على كل شىء قدير قال فتمثل له إبليس يوما فى طريق المسجد فقال له يا ابن واسع هل تعرفنى قال ومن أنت قال أنا إبليس فقال وما تريد قال أريد أن لا تعلم أحدا هذه الاستعاذة ولا أتعرض لك قال والله لا أمنعها ممن أرادها فاصنع ماشئت . وعن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال كان شيطان يأتى النبى ﷺ بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلى فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له قل أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر مايلج فى الأرض ومايخرج منها وما ينزل من السماء ومايعرج فيها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يارحمن فقال ذلك فطفئت شعلته وخر على وجهه (١) وقال الحسن « نبئت أن جبرائيل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال إن عفريتا من الجن يكيدك فاذا أويت إلى فراشك اقرأ آية الكرسى (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لقد أتانى الشيطان فنازعنى ثم نازعنى فأخذت بحلقه فوالذى بعثنى بالحق ما أرسلته حتى وجدت برد ماء لسانه على يدى ولولا دعوة أخى سليمان عليه السلام لأصبح طريحا فى المسجد (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ماسلك عمر فجا إلا سلك الشيطان فجا غير الذى سلكه عمر (٤) » وهذا لأن القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهى الشهوات فمهما طمعت فى أن يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر رضى الله عنه كان محالا وكنت كمن يطمع أن يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشغولة بغليظ الأطعمة ويطمع أن ينفعه كما نفع الذى شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة والذكر الدواء والتقوى احتماء وهى تخلى القلب عن الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء فى المعدة الخالية عن الأطعمة قال الله تعالى ـ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ـ وقال تعالى ـ كتب

(١) حديث عبد الرحمن بن أبى ليلى كان الشيطان يأتى النبى صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار الحديث ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان هكذا مرسلا ولمالك فى الموطأ نحوه عن يحيى بن سعيد مرسلا ووصله ابن عبد البر فى التمهيد من رواية يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن عياش الشامى عن ابن مسعود . ورواه أحمد والبزاز من حديث عبد الرحمن بن حبيش وقيل له كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة كادته الشياطين فذكر نحوه (٢) حديث الحسن نبئت أن جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال إن عفريتا من الجن يكيدك الحديث ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان هكذا مرسلا (٣) حديث أتانى شيطان فنازعنى ثم نازعنى فأخذت بحلقه الحديث ابن أبى الدنيا من رواية الشعبى مرسلا هكذا وللبخارى من حديث أبى هريرة أن عفريتا من الجن تفلت على البارحة أو كلمة نحوها ليقطع على صلاتى فأمكننى الله منه الحديث و ن فى الكبرى من حديث عائشة كان يصلى فأتاه الشيطان فأخذه فصرعه فخنقه قال حتى وجدت برد لسانه على يدى الحديث وإسناده ضعيف (٤) حديث ماسلك عمر فجا إلا سلك الشيطان فجا غير فجه متفق عليه من حديث سعد بن أبى وقاص بلفظ يا ابن الخطاب مالقيك الشيطان سالكا فجا .

ومعى شىء من ماء وأنا أقول إن كان به رمق سقيته ومسحت وجهه فاذا أنا به فقلت أسقيك فأشار إلى أن نعم فاذا رجل يقول آه فقال ابن عمى انطلق به إليه فجئت إليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فسمع هشام آخر يقول آه فقال انطلق به إليه فجئت إليه فاذا هو قد مات ثم رجعت إلى هشام فاذا هو أيضا قد مات ثم رجعت إلى ابن عمى فاذا هو أيضا قد مات . وسئل أبو الحسين البوشنجى عن الفتوة فقال الفتوة عندى ماوصف الله تعالى به الأنصار فى قوله ـ والذين تبوءوا الدار والإيمان ـ قال ابن

عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير ـ ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مواليه وإن ذكر الله بلسانه وإن كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بأن الذكر يطرد الشيطان (١) ولم تفهم أن أكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط نقلها علماء الدين إلى نفسك فليس الخبر كالعيان وتأمل أن منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة فراقب قلبك إذا كنت فى صلاتك كيف يجاذبه الشيطان إلى الأسواق وحساب العالمين وجواب المعاندين وكيف يمر بك فى أودية الدنيا ومهالكها حتى إنك لاتذكر ماقد نسيته من فضول الدنيا إلا فى صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك إلا إذا صليت فالصلاة محك القلوب فبها يظهر محاسنها ومساويها فالصلاة لاتقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلاجرم لاينطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما أن الدواء قبل الاحتمال ربما يزيد عليك الضرر فان أردت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم أردفه بدواء الذكر يفر الشيطان منك كما فر من عمر رضى الله عنه ، ولذلك قال وهب بن منبه : اتق الله ولا تسب الشيطان فى العلانية وأنت صديقه فى السر أى أنت مطيع له . وقال بعضهم ياعجبا لمن يعصى المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه ، وكما أن الله تعالى قال ـ ادعونى أستجب لكم ـ وأنت تدعوه ولا يستجيب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعاء ، قيل لابراهيم ابن أدهم مابالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال تعالى ـ ادعونى أستجب لكم ـ ؟ قال لأن قلوبكم ميتة قيل وما الذى أماتها ؟ قال ثمان خصال : عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعملوا بسنته وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له وقال تعالى ـ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ـ فواطأتموه على المعاصى وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها وإذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس أمامكم فأسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم . فان قلت فالداعى إلى المعاصى المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفون ؟ فاعلم أنه لاحاجة لك إلى معرفة ذلك فى المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته كل البقل من حيث يؤتى ولا تسأل عن البقلة ولكن الذى يتضح بنور الاستبصار فى شواهد الأخبار : أنهم جنود مجندة وأن لكل نوع من المعاصى شيطانا يخصه ويدعو إليه فأما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذى ذكرناه وهو أن اختلاف المسببات يدل على اختلاف الأسباب كما ذكرناه فى نور النار وسواد الدخان . وأما الأخبار فقد قال مجاهد لإبليس خمسة من الأولاد قد جعل كل واحد منهم على شىء من أمره : ثبر والأعور ومبسوط وداسم وزلنبور ، فأما ثبر فهو صاحب المصائب الذى يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية وأما الأعور فانه صاحب الزنا يأمر به ويزينه وأما مبسوط فهو صاحب الكذب وأما داسم فانه يدخل مع الرجل إلى أهله يرميهم بالعيب عنده ويغضبه عليهم وأما زلنبور فهو صاحب السوق فبسببه لايزالون متظلمين وشيطان الصلاة يسمى خنزب (٢) وشيطان الوضوء يسمى الولهان (٣) وقد ورد فى ذلك أخبار كثيرة ، وكما أن الشياطين فيهم كثرة فكذلك فى الملائكة كثرة ، وقد ذكرنا فى كتاب الشكر السر فى كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل منفرد به ، وقد قال أبو أمامة الباهلى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه

(١) الحديث الوارد بأن الذكر ياعمر يطرد الشيطان تقدم (٢) حديث إن شيطان الصلاة يسمى خنزب م من حديث عثمان بن أبى العاص وقد تقدم أول الحديث (٣) حديث إن شيطان الوضوء يسمى الولهان تقدم وهو عند ت من حديث أبى .

عطاء يؤثرون على أنفسهم جودا وكرما ولو كان بهم خصاصة يعنى جوعا وفقرا . قال أبو حفص الإيثار هو أن يقدم حظوظ الاخوان على حظوظه فى أمر الدنيا والآخرة وقال بعضهم الايثار لايكون عن اختيار إنما الايثار أن تقدم حقوق الخلق أجمع على حقك ولا تميز فى ذلك بين أخ وصاحب وذى معرفة . وقال يوسف ابن الحسين من رأى لنفسه ملكا لايصح منها الايثار لأنه يرى نفسه أحق بالشىء برؤية ملكه إنما الايثار ممن يرى الأشياء كلها للحق فمن وصل إليه فهو أحق به فاذا وصل شىء من ذلك

مالم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب الذباب عن قصعة العسل فى اليوم الصائف وما لو بدالكم لرأيتموه على كل سهل وجبل كل باسط يده فاغرفاه ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين (١) » وقال أيوب بن يونس بن يزيد : بلغنا أنه يولدمع أبناء الإنس من أبناء الجن ثم ينشئون معهم . وروى جابر بن عبد الله أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض قال يارب هذا الذى جعلت بينى وبينه عداوة إن لم تعنى عليه لاأقوى عليه قال لايولدلك ولد إلا وكل به ملك قال يارب زدنى قال أجزى بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا إلى ماأريد قال رب زدنى قال باب التوبة مفتوح مادام فى الجسد الروح قال إبليس يارب هذا العبد الذى كرمته على إن لاتعنى عليه لاأقوى عليه قال لايولد له ولد إلا ولد لك ولد قال يارب زدنى قال تجرى منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدنى قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك إلى قوله غرورا ، وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلق الله الجن ثلاثة أصناف : صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض وصنف كالريح فى الهواء وصنف عليهم الثواب والعقاب وخلق الله تعالى الانس ثلاثة أصناف : صنف كالبهائم كما قال تعالى ـ لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل ـ وصنف أجسامهم أجسام بنى آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف فى ظل الله تعالى يوم القيامة يوم لاظل إلا ظله (٢) » وقال وهيب بن الورد بلغنا أن إبليس تمثل ليحيى بن زكريا عليهما السلام وقال إنى أريد أن أنصحك قال لاحاجة لى فى نصحك ولكن أخبرنى عن بنى آدم قال هم عندنا ثلاثة أصناف : أما صنف منهم وهم أشد الأصناف علينا نقبل على أحدهم حتى نفتنه ونتمكن منه فيفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شىء أدركنا منه ثم نعود عليه فيعود فلا نحن نيأس منه ولانحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه فى عناء وأما الصنف الآخر فهم فى أيدينا بمنزلة الكرة فى أيدى صبيانكم نقلبهم كيف شئنا قد كفونا أنفسهم وأما الصنف الثالث فهم مثلك معصومون لانقدر منهم على شىء . فان قلت فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض وإذا رأى صورة فهل هى صورته الحقيقية أوهو مثال يمثل له به فان كان على صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى فى وقت واحد فى مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين . فاعلم أن الملك والشيطان لهما صورتان هى حقيقة صورتهما ولاتدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة إلا بأنوار النبوة فما رأى النبى ﷺ جبرائيل عليه أفضل الصلاة والسلام فى صورته إلا مرتين (٣) وذلك أنه سأله أن يريه نفسه على صورته فواعده بالبقيع وظهر له بحراء فسد الأفق من المشرق إلى المغرب ورآه مرة أخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وإنما كان يراه فى صورة الآدمى غالبا (٤)

---

(١) حديث أبى أمامة وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه الحديث ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان وطب فى المعجم الكبير باسناد ضعيف (٢) حديث أبى الدرداء خلق الله الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب الحديث ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان وحب فى الضعفاء فى ترجمة يزيد بن سنان وضعفه و له نحوه مختصرا فى الجن فقط ثلاثة أصناف من حديث أبى ثعلبة الخشنى وقال صحيح الاسناد (٣) حديث أنه صلى الله عليه وسلم مارأى جبريل فى صورته إلا مرتين الشيخان من حديث عائشة وسئلت هل رأى محمد ربه وفيه ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين (٤) حديث أنه كان يرى جبريل فى صورة الآدمى غالبا الشيخان من حديث عائشة وسئلت فأين قوله: فدنا فتدلى ، قالت ذاك جبريل كان يأتيه فى صورة الرجل الحديث .

إليه يرى نفسه ويده فيه يد أمانة يوصلها إلى صاحبها أويؤديها إليه . وقال بعضهم حقيقة الايثار أن تؤثر بحظ آخرتك على إخوانك فان الدنيا أقل خطرا من أن يكون لإيثارها محل أو ذكر ومن هذا المعنى ماقيل أن بعضهم رأى أخا له فلم يظهر البشر الكثير فى وجهه فأنكر أخوه ذلك منه فقال ياأخى سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا التقى المسلمان ينزل عليهما مائة رحمة : تسعون لأكثرهما بشرا وعشرة لأقلهما بشرا » فأردت أن أكون أقل بشرا منك ليكون لك الأكثر

فكان يراه فى صورة دحية الكلبى[1] وكان رجلا حسن الوجه والأكثر أنه يكاشف أهل المكاشفة من أرباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له فى اليقظة فيراه بعينه ويسمع كلامه بأذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف فى المنام لأكثر الصالحين وإنما المكاشف فى اليقظة هو الذى انتهى إلى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التى تكون فى المنام فيرى فى اليقظة مايراه غيره فى المنام كما روى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى فى النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان فى صورة ضفدع قاعد على منكبه الأيسر بين منكبه وأذنه له خرطوم دقيق قد أدخله من منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه فاذا ذكر الله تعالى خنس ، ومثل هذا قد يشاهد بعينه فى اليقظة فقد رآه بعض المكاشفين فى صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس إليها وكانت الجيفة مثال الدنيا ، وهذا يجرى مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فان القلب لابد وأن تظهر فيه حقيقة من الوجه الذى يقابل عالم الملكوت وعند ذلك يشرق أثره على وجهه الذى يقابل عالم الملك والشهادة لأن أحدهما متصل بالآخر وقد بينا أن القلب له وجهان وجه إلى عالم الغيب وهو مدخل الالهام والوحى ووجه إلى عالم الشهادة فالذى يظهر منه فى الوجه الذى يلى جانب عالم الشهادة لا يكون إلا صورة متخيلة لأن عالم الشهادة كله متخيلات إلا أن الخيال تارة يحصل من النظر إلى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز أن لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخصا جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر لأن عالم الشهادة عالم كثير التلبيس . أما الصورة التى تحصل فى الخيال من إشراق عالم الملكوت على باطن سر القلوب فلا تكون إلا محاكية للصفة وموافقة لها لأن الصورة فى عالم الملكوت تابعة للصفة وموافقة لها فلا جرم لا يرى المعنى القبيح إلا بصورة قبيحة فيرى الشيطان فى صورة كلب وضفدع وخنزير وغيرها ويرى الملك فى صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعانى ومحاكية لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير فى النوم على إنسان خبيث وتدل الشاة على إنسان سليم الصدر وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير وهذه أسرار عجيبة وهى من أسرار عجائب القلب ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة وإنما المقصود أن تصدق بأن الشيطان ينكشف لأرباب القلوب وكذلك الملك تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما يكون ذلك فى النوم وتارة بطريق الحقيقة والأكثر هو التمثيل بصورة محاكية للمعنى هو مثال المعنى لا عين المعنى إلا أنه يشاهد بالعين مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حوله كالنائم .

(بيان مايؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به)

اعلم أن هذا أمر غامض ، وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها إلا على سماسرة العلماء بالشرع فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « عفى عن أمتى ماحدثت به نفوسها مالم تتكلم به أو تعمل به[2] » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول للحفظة إذا همّ عبدى بسيئة فلا تكتبوها فان عملها فاكتبوها سيئة وإذا همّ بحسنة لم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا[3] » وقد خرجه البخارى ومسلم فى الصحيحين وهو

(١) حديث أنه كان يرى جبريل فى صورة دحية الكلبى الشيخان من حديث أسامة بن زيد أن جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم وعنده أم سلمة فجعل يحدث ثم قام قال النبى صلى الله عليه وسلم لأم سلمة من هذا قالت دحية الحديث (٢) حديث عفى لأمتى عما حدثت به نفوسها متفق عليه من حديث أبى هريرة إن الله تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها الحديث (٣) حديث أبى هريرة يقول الله إذا هم عبدى بسيئة

أخبرنا الشيخ ضياء الدين أبو النجم إجازة قال أنا أبو حفص عمر ابن الصفار النيسابورى قال أنا أبو بكر أحمد ابن خلف الشيرازى قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا القاسم الرازى يقول سمعت أبا بكر بن أبى سعدان يقول : من صحب الصوفية فليصحبهم بلا نفس ولا قلب ولا ملك فمن نظر إلى شئ من أسبابه قطعه ذلك عن بلوغ مقصده . وقال سهل بن عبد الله الصوفى من يرى دمه هدرا وملكه مباحا وقال رويم التصوف مبنى على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل

دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة وفى لفظ آخر «من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له إلى سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وإن عملها كتبت» وفى لفظ آخر « وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له مالم يعملها » وكل ذلك يدل على العفو فأما مايدل على المؤاخذة فقوله سبحانه ـ إن تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ـ وقوله تعالى ـ ولاتقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ـ فدل على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقوله تعالى ـ ولاتكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه ـ وقوله تعالى ـ لايؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ـ والحق عندنا فى هذه المسألة لايوقف عليه مالم تقع الاحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلى أن يظهر العمل على الجوارح . فنقول : أول مايرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة امرأة وأنها وراء ظهره فى الطريق لو التفت إليها لرآها . والثانى هيجان الرغبة إلى النظر وهو حركة الشهوة التى فى الطبع وهذا يتولد من الخاطر الأول ونسميه ميل الطبع ويسمى الأول حديث النفس . والثالث حكم القلب بأن هذا ينبغى أن يفعل أى ينبغى أن ينظر إليها فان الطبع إذا مال لم تنبعث الهمة والنية مالم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء أو خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل . الرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسميه هما بالفعل ونية وقصدا وهذا الهمّ قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن إذا أصغى القلب إلى الخاطر الأول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكد هذا الهم وصار إرادة مجزومة فاذا انجزمت الارادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت إليه وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل فههنا أربع أحوال للقلب قبل العمل بالجارحة : الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم . فنقول : أما الخاطر فلا يؤاخذ به لأنه لايدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لأنهما لايدخلان أيضا تحت الاختيار وهما المرادان بقوله ﷺ « عفى عن أمتى ماحدثت به نفوسها» فحديث النفس عبارة عن الخواطر التى تهجس فى النفس ولايتبعها عزم على الفعل ، فأما الهم والعزم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كما روى عن عثمان بن مظعون حيث قال للنبى صلى الله عليه وسلم « يارسول الله نفسى تحدثنى أن أطلق خولة . قال مهلا إن من سنتى النكاح . قال نفسى تحدثنى أن أجب نفسى . قال مهلا خصاء أمتى دؤب الصيام . قال نفسى تحدثنى أن أترهب . قال مهلا رهبانية أمتى الجهاد والحج قال نفسى تحدثنى أن أترك اللحم . قال مهلا فانى أحبه ولو أصبته لأكلته ولو سألت الله لأطعمنيه (١) »

والإيثار وترك التعرض والاختيار. قيل لماسعى بالصوفية وتميز الجنيد بالفقه وقبض على الشحام والرقام والنورى وبسط النطع لضرب رقابهم تقدم النورى فقيل له إلى ماذا تبادر ؟ فقال أوثر إخوانى بفضل حياة ساعة ، وقيل دخل الروذبارى دار بعض أصحابه فوجده غائبا وباب بيته مغلق فقال صوفى وله باب مغلق اكسروا الباب فكسروه وأمر بجميع ماوجدوا فى البيت أن يباع فأنفذوه إلى السوق واتخذوا رفقا من الثمن وقعدوا فى الدار فدخل صاحب المنزل ولم يقل شيئا ودخلت امرأته وعليها

فلاتكتبوها عليه الحديث قال المصنف أخرجه م خ فى الصحيحين قلت هو كما قال واللفظ لمسلم فلهذا والله أعلم قدمه فى الذكر (١) حديث إن عثمان بن مظعون قال يارسول الله نفسى تحدثنى أن أطلق خولة قال مهلا إن من سنتى النكاح الحديث ت الحكيم فى نوادر الأصول من رواية على بن زيد عن سعيد بن المسيب مرسلا نحوه وفيه القاسم بن عبيد الله العمرى كذبه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وللدارمى من حديث سعد بن أبى وقاص لما كان من أمر عثمان بن مظعون الذى كان من ترك النساء بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياعثمان إنى لم أومر بالرهبانية الحديث وفيه من رغب عن سنتى فليس منى وهو عند م بلفظ ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا وللبغوى والطبرانى فى معجمى الصحابة باسناد حسن من حديث عثمان بن مظعون أنه قال يارسول الله إنى رجل تشق على هذه العزوبة فى الغازى فتأذن لى يارسول الله فى الخصاء فأختصى قال لا

فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن معه عزم وهمّ بالفعل . وأما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل فهذا تردد بين أن يكون اضطرارا أو اختيارا والأحوال تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لايؤاخذ به . وأما الرابع وهو الهمّ بالفعل فانه مؤاخذ به إلا أنه إن لم يفعل نظر فان كان قد تركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لأن همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع مما يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج إلى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع هو العمل لله تعالى والعمل لله تعالى أشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتب له حسنة لأنه رجح جده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وإن تعوق الفعل بعائق أو تركه بعذر لاخوفا من الله تعالى كتبت عليه سيئة فان همه فعل من القلب اختياري . والدليل على هذا التفصيل ماروى في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قالت الملائكة عليهم السلام رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه فان هو عملها فاكتبوها له بمثلها وإن تركها فاكتبوها له حسنة إنما تركها من جرائي[1] » وحيث قال فان لم يعملها أراد به تركها لله فأما إذا عزم على فاحشة فتعذرت عليه بسبب أو غفلة فكيف تكتب له حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم « إنما يحشر الناس على نياتهم[2] » ونحن نعلم أن من عزم ليلا على أن يصبح ليقتل مسلما أو يزني بامرأة فمات تلك الليلة مات مصرا ويحشر على نيته وقد همّ بسيئة ولم يعملها . والدليل القاطع فيه ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقيل يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لأنه أراد قتل صاحبه[3] » وهذا نص في أنه صار بمجرد الارادة من أهل النار مع أنه قتل مظلوما فكيف يظن أن الله لايؤاخذ بالنية والهم بل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به إلا أن يكفره بحسنة وتقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتبت له حسنة فأما فوت المراد بعائق فليس بحسنة وأما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لايدخل تحت اختيار فالمؤاخذة به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى ـ وإن تبدوا

كساء فدخلت بيتا فرمت بالكساء وقالت هذا أيضا من بقية المتاع فبيعوه فقال الزوج لها لم تكلفت هذا باختيارك قالت اسكت مثل الشيخ ياسطنا ويحكم علينا ويبقى لنا شيء ندخره عنه . وقيل مرض قيس بن سعد فاستبطأ إخوانه في عيادته فسأل عنهم فقالوا إنهم يستحيون بما لك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا يمنع الاخوان عن الزيارة ثم أمر مناديا ينادي من كان لقيس عليه مال فهو منه في حل فكسرت عتبة داره بالعشي لكثرة عواده . وقيل أتى رجل صديقا له ودقّ عليه الباب فلما خرج قال لماذا

ولكن عليك يابن مظعون بالصيام فانه مجفرة ولأحمد والطبراني باسناد جيد من حديث عبد الله ابن عمرو خصاء أمتي الصيام والقيام وله من حديث سعيد بن العاص باسناد فيه ضعف إن عثمان بن مظعون قال يارسول الله ائذن لي في الاختصاء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قد أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة والتكبير على كل شرف الحديث و ه بسند ضعيف من حديث عائشة النكاح من سنتي ولأحمد وأبي يعلى من حديث أنس لكل نبي وقال أبو يعلى لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله وفيه زيد العمي وهو ضعيف ولأبي داود من حديث أبي أمامة إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله وإسناده جيد (١) حديث قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر الحديث قال المصنف إنه في الصحيح وهو كما قال في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث إنما يحشر الناس على نياتهم ه من حديث جابر دون قوله إنما وله من حديث أبي هريرة إنما يبعث الناس على نياتهم وإسنادها حسن و م من حديث عائشة يبعثهم الله على نياتهم وله من حديث أم سلمة يبعثون على نياتهم (٣) حديث إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار الحديث متفق عليه من حديث أبي بكرة .

مافى انفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ـ «جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا كلفنا مالانطيق إن أحدنا ليحدث نفسه بما لايحب أن يثبت فى قلبه ثم يحاسب بذلك فقال ﷺ : لعلكم تقولون كما قالت اليهود سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا فقالوا سمعنا وأطعنا (١)» فأنزل الله الفرج بعد سنة بقوله ـ لايكلف الله نفسا إلا وسعها ـ فظهر به أن كل مالايدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذى لايؤاخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن أن كل مايجرى على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الأقسام الثلاثة فلابد وأن يغلط وكيف لايؤاخذ بأعمال القلب من الكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من أعمال القلب بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا أى مايدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذى محرم لم يؤاخذ به فان أتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذا به لأنه مختار فكذا خواطر القلب تجرى هذا المجرى بل القلب أولى بمؤاخذته لأنه الأصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «التقوى ههنا وأشار إلى القلب (٢)» وقال الله تعالى ـ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ـ وقال صلى الله عليه وسلم « الإثم حواز القلوب (٣)» وقال « البرّ ما اطمأن إليه القلب وإن أفتوك وأفتوك (٤)» حق إنا نقول إذا حكم القلب المفتى بإيجاب شئ وكان مخطئا فيه صار مثابا عليه بل من قد ظن أنه تطهر فعليه أن يصلى فان صلى ثم تذكر أنه لم يتوضأ كان له ثواب بفعله فان تذكر ثم تركه كان معاقبا عليه ومن وجد على فراشه امرأة فظن أنها زوجته لم يعص بوطئها وإن كانت أجنبية فان ظن أنها أجنبية ثم وطئها عصى بوطئها وإن كانت زوجته وكل ذلك نظر إلى القلب دون الجوارح.

(بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا)

اعلم أن العلماء المراقبين للقلوب الناظرين فى صفاتها وعجائبها اختلفوا فى هذه المسألة على خمس فرق : فقالت فرقة الوسوسة تنقطع بذكر الله عز وجل لأنه عليه السلام قال « فاذا ذكر الله خنس (٥)» والخنس هو السكوت فكأنه يسكت . وقالت فرقة لاينعدم أصله ولكن يجرى فى القلب ولايكون له أثر لأن القلب إذا صار مستوعبا بالذكر كان محجوبا عن التأثر بالوسوسة كالمشغول بهمه فانه قد يكلم ولايفهم وإن كان الصوت يمر على سمعه . وقالت فرقة لاتسقط الوسوسة ولاأثرها أيضا ولكن تسقط غلبتها للقلب فكأنه يوسوس من بعد وعلى ضعف . وقالت فرقة ينعدم عند الذكر فى لحظة وينعدم الذكر فى لحظة ويتعاقبان فى أزمنة متقاربة يظن لتقاربها أنها متساوقة وهى كالكرة التى عليها نقط متفرقة فانك إذا أردتها بسرعة رأيت النقط دوائر بسرعة تواصلها بالحركة واستدل هؤلاء بأن الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولاوجه له إلا هذا . وقالت فرقة الوسوسة والذكر يتساوقان فى الدوام على القلب تساوقا لاينقطع وكما أن الانسان قد يرى بعينيه شيئين فى حالة واحدة فكذلك

(١) حديث لما نزل قوله تعالى ـ وإن تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ـ جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كلفنا ما لانطيق الحديث م من حديث أبى هريرة وابن عباس نحوه (٢) حديث التقوى ههنا وأشار إلى القلب م من حديث أبى هريرة وقال إلى صدره (٣) حديث الإثم حواز القلوب تقدم فى العلم (٤) حديث البر ما اطمأن إليه القلب وإن أفتوك وأفتوك الطبرانى من حديث أبى ثعلبة ولأحمد نحوه من حديث وابصة وفيه وإن أفتاك الناس وأفتوك وقد تقدما (٥) حديث وإذا ذكر الله خنس ابن أبى الدنيا وابن عدى من حديث أنس فى أثناء حديث إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم الحديث وقد تقدم قريبا .

جئتنى ؟ قال لأربعمائة درهم دين على فدخل الدار ووزن أربعمائة درهم وأخرجها إليه ودخل الدار باكيا فقالت امرأته هلا تعللت حين شق عليك الاجابة فقال إنما أبكى لأنى لم أتفقد حاله حتى أحتاج أن يفاتحنى . وأخبرنا الشيخ أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسى قال أنا محمد بن محمد إمام جامع أصفهان قال ثنا أبو عبد الله الجرجانى قال أنا أبو طاهر محمد بن الحسن المحمد أباذى قال ثنا أبو البحترى قال ثنا أبو أسامة قال ثنا زيد بن أبى بردة عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الأشعريين إذا أرملوا

القلب قد يكون مجرى لشيئين فقد قال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد إلا وله أربعة أعين عينان فى رأسه يبصر بهما أمر دنياه وعينان فى قلبه يبصر بهما أمر دينه (١) » وإلى هذا ذهب المحاسبى والصحيح عندنا أن كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة بأصناف الوسواس وإنما نظر كل واحد منهم إلى صنف واحد من الوسواس فأخبر عنه . والوسواس أصناف: الأول أن يكون من جهة التلبيس بالحق فان الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للانسان تترك التنعم باللذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم فعند هذا إذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال لنفسه الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار أشد منه ولابد من أحدهما فاذا ذكر العبد وعد الله تعالى ووعيده وجدد إيمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب إذ لايستطيع أن يقول له النار أيسر من الصبر على المعاصى ولا يمكنه أن يقول المعصية لاتفضى إلى النار فان إيمانه بكتاب الله عز وجل يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس إليه بالعجب بعمله فيقول أى عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما أعظم مكانك عند الله تعالى فيتذكر العبد حينئذ أن معرفته وقلبه وأعضاءه التى بها عمله وعلمه كل ذلك من خلق الله تعالى فمن أين يعجب به فيخنس الشيطان إذ لايمكنه أن يقول ليس هذا من الله فان المعرفة والإيمان يدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين المستبصرين بنور الإيمان والمعرفة . الصنف الثانى : أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وهيجانها وهذا ينقسم إلى مايعلم العبد يقينا أنه معصية وإلى مايظنه بغالب الظن فان علمه يقينا خنس الشيطان عن تهييج يؤثر فى تحريك الشهوة ولم يخنس عن التهييج وإن كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج إلى مجاهدة فى دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة . الصنف الثالث : أن تكون وسوسة بمجرد الخواطر وتذكر الأحوال الغالبة والتفكر فى غير الصلاة مثلا فاذا أقبل على الذكر تصور أن يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور أن يتساوقا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراءه وعلى تلك الخواطر كأنهما فى موضعين من القلب وبعيد جدا أن يندفع هذا الخنس بالكلية بحيث لايخطر ولكنه ليس محالا إذ قال عليه السلام « من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشىء من أمر الدنيا غفر له ماتقدم من ذنبه (٢) » فلولا أنه متصور لما ذكره إلا أنه لا يتصور ذلك إلا فى قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فإنا قد نرى المستوعب القلب بعدو تأذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات فى مجادلة عدوه بحيث لايخطر بباله غير حديث عدوه وكذلك المستغرق فى الحب قد يتفكر فى محادثة محبوبه بقلبه ويغوص فى فكره بحيث لايخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز بين يديه أحد لكان كأنه لايراه وإذا تصور هذا فى خوف من عدو وعند الحرص على مال وجاه فكيف لايتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله تعالى واليوم الآخر وإذا تأملت جملة هذه الأقسام وأصناف الوسواس علمت أن لكل مذهب من المذاهب وجها ولكن فى محل مخصوص . وبالجملة فالخلاص من الشيطان فى لحظة أو ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمرا طويلا بعيد جدا ومحال

(١) حديث مامن عبد إلا وله أربعة أعين عينان فى رأسه يبصر بهما أمر دنياه وعينان فى قلبه يبصر بهما أمر دينه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث معاذ بلفظ الآخرة مكان دينه وفيه الحسين بن أحمد بن محمد الهروى السماخى الحافظ كذبه ك والآفة منه (٢) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشىء من الدنيا تقدم فى الصلاة .

فى الغزو وقل طعام عيالهم جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموا فى إناء واحد بالسوية فهم منى وأنا منهم » . وحدث جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه إذا أراد أن يغزو قال : يامعشر المهاجرين والأنصار إن من إخوانكم قوما ليس لهم مال ولاعدة فليضم أحدكم إليه الرجل والرجلين والثلاثة فما لأحدكم من ظهر جمله إلا عقبة كعقبة أحدهم » قال فضممت إلى اثنين أو ثلاثة مالى إلا عقبة كعقبة أحدهم من جمله . وروى أنس قال لما قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة آخى النبى عليه السلام بينه وبين سعد

فى الوجود ولو تخلص أحد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى « أنه نظر إلى علم ثوبه فى الصلاة فلما سلم رمى بذلك الثوب وقال شغلنى عن الصلاة وقال اذهبوا به إلى أبى جهم وائتونى بأنبجانيته[1] ». « وكان فى يده خاتم من ذهب فنظر إليه وهو على المنبر ثم رمى به وقال نظرة إليه ونظرة إليكم[2] » وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر إلى خاتم الذهب وعلم الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رمى به فلا تنقطع وسوسة عروض الدنيا وتقدها إلا بالرمى والمفارقة فما دام يملك شيئا وراء حاجته ولو دينارا واحدا لا يدعه الشيطان فى صلاته من الوسوسة فى الفكر فى دينارة وأنه كيف يحفظه وفيماذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به أحد أو كيف يظهره حتى يتباهى به إلى غير ذلك من الوساوس فمن أنشب مخالبه فى الدنيا وطمع فى أن يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس فى العسل وظن أن الذباب لا يقع عليه فهو محال فالدنيا باب عظيم لوسوسة الشيطان وليس له باب واحد بل أبواب كثيرة قال حكيم من الحكماء الشيطان يأتى ابن آدم من قبل المعاصى فان امتنع أتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه فى بدعة فان أبى أمره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فان أبى شككه فى وضوئه وصلاته حتى يخرجه عن العلم فان أبى خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فتميل قلوبهم إليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه وعند ذلك تشتد الحاجة فانها آخر درجة ويعلم أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنة .

(بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب فى التغير والثبات)

اعلم أن القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التى ذكرناها وتنصب إليه الآثار والأحوال من الأبواب التى وصفناها فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فاذا أصابه شىء يتأثر به أصابه من جانب آخر ما يضاده فتتغير صفته فان نزل به الشيطان فدعاه إلى الهوى نزل به الملك وصرفه عنه وإن جذبه شيطان إلى شر جذبه شيطان آخر إلى غيره وإن جذبه ملك إلى خير جذبه آخر إلى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان لا يكون قط مهملا وإليه الاشارة بقوله تعالى ـ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ـ ولا طلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عجيب صنع الله تعالى فى عجائب القلب وتقلبه كان يحلف به فيقول « لا ومقلب القلوب[3] » وكان كثيرا ما يقول « يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك قالوا أو تخاف يا رسول الله قال وما يؤمننى والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء[4] » وفى لفظ آخر « إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه » وضرب له صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثلة فقال « مثل القلب مثل العصفور يتقلب فى كل ساعة »[5] وقال عليه السلام

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم نظر إلى علم فى ثوبه فى الصلاة الحديث تقدم فيه (٢) حديث كان فى يده خاتم من ذهب فنظر إليه على المنبر فرماه فقال نظرة إليه ونظرة إليكم ن من حديث ابن عباس وتقدم فى الصلاة (٣) حديث لا ومقلب القلوب خ من حديث ابن عمر (٤) حديث يا مثبت القلوب ثبت قلبى على دينك الحديث ت من حديث أنس وحسنه و ك من حديث جابر وقال ابن أبى الدنيا صحيح على شرط م ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك و ن فى الكبرى ه ك وصححه على شرط خ م من حديث النواس بن سمعان ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه و ن فى الكبرى باسناد جيد نحوه من حديث عائشة (٥) حديث مثل القلب مثل العصفور يتقلب فى كل ساعة ك فى المستدرك وقال صحيح على شرط م والبيهقى فى الشعب من حديث أبى عبيدة بن الجراح . قلت رواه البغوى فى معجمه من حديث أبى عبيد غير منسوب وقال لا أدرى له صحبة أم لا .

ابن الربيع فقال له أقاسمك مالى نصفين ولى امرأتان فأطلق إحداهما فاذا انقضت عدتها فتزوجها فقال له عبد الرحمن بارك الله لك فى أهلك ومالك فما حمل الصوفى على الايثار إلا طهارة نفسه وشرف غريزته وما جعله الله تعالى صوفيا إلا بعد أن سوى غريزته لذلك وكل من كانت غريزته السخاء والسخى يوشك أن يصير صوفيا لأن السخاء صفة الغريزة وفى مقابلته الشح والشح من لوازم صفة النفس قال الله تعالى ـ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ـ حكم بالفلاح لمن يوق الشح وحكم بالفلاح

«مثل القلب فى تقلبه كالقدر إذا استجمعت غليانا [1]» وقال «مثل القلب كمثل ريشة فى أرض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن [2]» وهذه التقلبات وعجائب صنع الله تعالى فى تقليبها من حيث لا تهتدى إليه المعرفة لا يعرفها إلا المراقبون والراعون لأحوالهم مع الله تعالى . والقلوب فى الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة : قلب عمر بالتقوى وزكا بالرياضة وطهر عن خبائث الأخلاق تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل إلى التفكر فيما خطر له ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على أسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بأنه لابد من فعله فيستحثه عليه ويدعوه إلى العمل به وينظر الملك إلى القلب فيجده طيبا فى جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بأنوار المعرفة فيراه صالحا لأن يكون له مستقرا ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه إلى خيرات أخرى حتى ينجر الخير إلى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى إمداده بالترغيب بالخير وتيسير الأمر عليه وإليه الإشارة بقوله تعالى ـ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ـ وفى مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفى الذى هو أخفى من دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء فلا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شىء من مكايد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحى زخرف القول غرورا فلا يلتفت إليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التى سنذكرها من الشكر والصبر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذى أقبل الله عز وجل بوجهه عليه وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى ـ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ـ وبقوله عز وجل ـ يا أيتها النفس المطمئنة ـ . القلب الثانى : القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالأخلاق المذمومة والخبائث المفتوح فيه أبواب الشياطين المسدود عنه أبواب الملائكة ومبدأ الشر فيه أن ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب إلى حاكم العقل ليستفتى منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى وأنس به واستمر على انبساط الحيل له وعلى مساعدة الهوى فتستولى النفس وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين والغرور والأمانى ويوحى بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الإيمان بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين لخوف الآخرة إذ يتصاعد عن الهوى دخان مظلم إلى القلب يملأ جوانبه حتى تنطفئ أنواره فيصير العقل كالعين التى ملأ الدخان أجفانها فلا يقدر على أن ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب إمكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ وأسمعه ما هو الحق فيه عمى عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة فيه وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى فظهرت المعصية إلى عالم الشهادة من عالم الغيب بقضاء من الله تعالى وقدره وإلى مثل هذا القلب الاشارة بقوله تعالى ـ أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا . ـ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ـ وبقوله عز وجل ـ لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون ـ وبقوله تعالى ـ سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ـ ورب قلب هذا حاله بالاضافة إلى بعض الشهوات كالذى يتورع عن بعض الأشياء ولكنه إذا رأى

لمن أنفق وبذل فقال ـ ومما رزقناهم ينفقون. أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ـ والفلاح أجمع اسم لسعادة الدارين والنبى عليه السلام نبه بقوله ثلاث مهلكات ، وثلاث منجيات فجعل إحدى المهلكات شحا مطاعا ولم يقل مجرد الشح يكون مهلكا بل يكون مهلكا إذا كان مطاعا فأما كونه موجودا فى النفس غير مطاع فانه لا ينكر ذلك لأنه من لوازم النفس مستمدا من أصل جبلتها التراب وفى التراب قبض وإمساك وليس ذلك بالعجب من الآدمى وهو جبلى فيه وإنما العجب وجود السخاء

(١) حديث مثل القلب فى تقلبه كالقدر إذا استجمعت غليانا أحمد و ك وقال صحيح على شرط خ من حديث المقداد بن الأسود (٢) حديث مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة الحديث الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب من حديث أبى موسى الأشعرى باسناد حسن وللبزار نحوه من حديث أنس باسناد ضعيف .

وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مسك قلبه أو كالذى لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور أسبابه أو كالذى لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحقر وذكر عيب من عيوبه أو كالذى لا يملك نفسه عند القدرة على أخذ درهم أو دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فينسى فيه المروءة والتقوى فكل ذلك لتصاعد دخان الهوى إلى القلب حتى يظلم وتنطفئ منه أنواره فينطفئ نور الحياء والمروءة والإيمان ويسعى فى تحصيل مراد الشيطان . القلب الثالث قلب تبدو فيه خواطر الهوى فتدعوه إلى الشر فيلحقه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير فتنبعث النفس بشهوتها إلى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل إلى خاطر الخير ويدفع فى وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها إلى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع فى تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النفس إلى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل فيقوى داعى الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتؤذى نفسك وهل ترى أحدا من أهل عصرك يخالف هواه أو يترك غرضه أفتترك لهم ملاذ الدنيا يتمتعون بها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا متعوبا يضحك عليك أهل الزمان أتريد أن يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا أما ترى العالم الفلانى ليس يحترز من مثل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع منه فتميل النفس إلى الشيطان وتنقلب إليه فيحمل الملك حملة على الشيطان ويقول هل هلك إلا من اتبع لذة الحال ونسى العاقبة أفتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها أبد الآباد أم تستثقل ألم الصبر عن شهوتك ولا تستثقل ألم النار أتغتر بغفلة الناس عن أنفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان مع أن عذاب النار لا يخففه عنك معصية غيرك أرأيت لو كنت فى يوم صائف شديد الحر ووقف الناس كلهم فى الشمس وكان لك بيت بارد أكنت تساعد الناس أو تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تمثل النفس إلى قول الملك فلا يزال يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين إلى أن يغلب على القلب ما هو أولى به فإن كانت الصفات التى فى القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التى ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب إلى جنسه من أحزاب الشيطان معرضا عن حزب الله تعالى وأوليائه ومساعدا لحزب الشيطان وأعدائه وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى وإن كان الأغلب على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب إلى إغواء الشيطان وتحريضه إياه على العاجلة وتهوينه أمر الآخرة بل مال إلى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه فقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن أى بين تجاذب هذين الجندين وهو الغالب أعنى التقلب والانتقال من حزب إلى حزب أما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة أو مع حزب الشيطان فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصى تظهر من خزائن الغيب إلى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزائن الملكوت وهى أيضا إذا ظهرت كانت علامات تعرف أرباب القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة يسرت له أسباب الطاعات ومن خلق للنار يسرت له أسباب المعاصى وسلط عليه أقران السوء وألقى فى قلبه حكم الشيطان فانه بأنواع الحكم يغر الحمق بقوله إن الله رحيم فلا تبال وإن الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم وإن العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا ـ يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ـ يعدهم التوبة ويمنيهم المغفرة فيهلكهم باذن الله تعالى بهذه الحيل وما يجرى مجراها فيوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء من الله وقدر ـ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء . ـ إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده ـ فهو الهادى

فى الغريزة وهو لنفوس الصوفية الداعى لهم إلى البذل والايثار والسخاء أتم وأكمل من الجود ففى مقابلة الجود البخل وفى مقابلة السخاء الشح والجود والبخل يتطرق إليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخاء إذا كان من ضرورة الغريزة وكل سخى جواد وليس كل جواد سخيا والحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالسخاء لأن السخاء من نتيجة الغرائز والله تعالى منزه عن الغريزة والجود يتطرق إليه الرياء ويأتى به الانسان متطلعا إلى عوض من الخلق أو الحق بمقابل ما من

والمضل يفعل مايشاء ويحكم مايريد لاراد لحكمه ولامعقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها أهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها أهلا فاستعملهم بالمعاصى وعرف الخلق علامة أهل الجنة وأهل النار فقال ـ إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم ـ ثم قال تعالى فيما روى عن نبيه صلى الله عليه وسلم « هؤلاء فى الجنة ولا أبالى وهؤلاء فى النار ولا أبالى (١) » فتعالى الله الملك الحق لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولنقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب فان استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة وإنما ذكرنا منه مايحتاج إليه لمعرفة أغوار علوم المعاملة وأسرارها لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزى بالقشر عن اللباب بل يتشوق إلى معرفة دقائق حقائق الأسباب وفيما ذكرناه كفاية له ومقنع إن شاء الله تعالى والله ولى التوفيق . تم كتاب عجائب القلب ولله الحمد والمنة ، ويتلوه كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ، والحمد لله وحده وصلى الله على كل عبد مصطفى .

﴿ كتاب رياضة النفس ﴾

(وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب ، وهو الكتاب الثانى من ربع المهلكات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى صرف الأمور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فأحسن فى تصويره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه من الزيادة والنقصان فى شكله ومقاديره وفوض تحسين الأخلاق إلى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص عباده تهذيب الأخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل صعبه وعسيره . والصلاة والسلام على محمد عبد الله ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذى كان يلوح أنوار النبوة من بين أساريره ويستشرف حقيقة الحق من مخايله وتباشيره وعلى آله وأصحابه الذين طهروا وجه الاسلام من ظلمة الكفر ودياجيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره .

أما بعد : فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والأخلاق السيئة هى السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازى الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها فى سلك الشياطين وهى الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى الموقدة التى تطلع على الأفئدة كما أن الأخلاق الجميلة هى الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن والأخلاق الخبيثة أمراض القلوب وأسقام النفوس إلا أنه مرض يفوت حياة الأبد . وأين منه المرض الذى لا يفوت إلا حياة الجسد . ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان وليس فى مرضها إلا فوت الحياة الفانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفى مرضها فوت حياة باقية أولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذى لب إذ لا يخلو قلب من القلوب عن أسقام لو أهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد إلى تأنق فى معرفة عللها وأسبابها ثم إلى تشمير فى علاجها وإصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى ـ قد أفلح من زكاها ـ وإهمالها هو المراد بقوله ـ وقد خاب من دساها ـ ونحن نشير فى هذا الكتاب إلى جمل من أمراض القلوب وكيفية القول فى معالجتها على الجملة من غير تفصيل

الثناء وغيره من الخلق والثواب من الله تعالى والسخاء لايتطرق إليه الرياء لأنه ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الأعواض دنيا وآخرة لأن طلب العوض مشعر بالبخل لكونه معلولا بطلب العوض فما تمحض سخاء فالسخاء لأهل الصفاء والايثار لأهل الأنوار ويجوز أن يكون قوله تعالى ـ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ـ أنه نفى فى الآية الإطعام لطلب الأعواض حيث قال لا نريد بعد قوله لوجه الله فما كان لله لا يشعر بطلب العوض بل الغريزة لطهارتها تنجذب إلى مراد الحق

(١) حديث قال الله عز وجل: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالى وهؤلاء إلى النار ولا أبالى. أحمد وابن حبان من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمى وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب إنه مضطرب الاسناد .

لعلاج خصوص الأمراض فان ذلك يأتى فى بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الآن النظر الكلى فى تهذيب الأخلاق وتمهيد منهاجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب من الأفهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الأخلاق للتغير بالرياضة ثم بيان السبب الذى به ينال حسن الخلق ثم بيان الطرق التى بها يعرف تفصيل الطرق إلى تهذيب الأخلاق ورياضة النفوس ثم بيان العلامات التى بها يعرف مرض القلب ثم بيان الطرق التى بها يعرف الانسان عيوب نفسه ثم بيان شواهد النقل على أن طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لاغير ثم بيان علامات حسن الخلق ثم بيان الطريق فى رياضة الصبيان فى أول النشو ثم بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهى أحد عشر فصلا يجمع مقاصدها هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

(بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق)

قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه ـ وإنك لعلى خلق عظيم ـ وقالت عائشة رضى الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن (١) » وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى ـ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ـ ثم قال صلى الله عليه وسلم : هو أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » (٣) وقال ﷺ « أثقل ما يوضع فى الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق (٤) » وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال « يارسول الله ما الدين قال حسن الخلق فأتاه من قبل يمينه فقال يارسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم أتاه من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم أتاه من ورائه فقال يارسول الله ما الدين فالتفت إليه وقال أما تفقه هو أن لاتغضب (٥) » وقيل « يارسول الله ما الشؤم قال سوء الخلق (٦) » وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصنى فقال « اتق الله حيث كنت قال زدنى قال أتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدنى قال خالق الناس بخلق حسن (٧) » وسئل عليه السلام « أى الأعمال أفضل قال خلق حسن » وقال صلى الله عليه وسلم « ما حسن الله خلق عبد وخلقه فيطعمه النار (٨) » وقال الفضيل [١] قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهى سيئة الخلق تؤذى جيرانها بلسانها قال لاخير فيها هى من أهل النار » وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أول ما يوضع فى الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الايمان

(١) حديث عائشة كان خلقه القرآن تقدم وهو عند م (٢) حديث تأويل قوله تعالى ـ خذ العفو ـ الآية هو أن تصل من قطعك الحديث ابن مردويه من حديث جابر وقيس بن سعد بن عبادة وأنس بأسانيد حسان (٣) حديث بعثت لأتمم مكارم الأخلاق أحمد و ك والبيهقى من حديث أبى هريرة وتقدم فى آداب الصحبة (٤) حديث أثقل ما يوضع فى الميزان خلق حسن د ت وصححه من حديث أبى الدرداء (٥) حديث جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال ما الدين قال حسن الخلق الحديث محمد بن نصر المروزى فى كتاب تعظيم قدر الصلاة من رواية أبى العلاء بن الشخير مرسلا (٦) حديث ما الشؤم قال سوء الخلق أحمد من حديث عائشة الشؤم سوء الخلق ولأبى داود من حديث رافع بن مكيث سوء الخلق شؤم وكلاهما لايصح (٧) حديث قال رجل أوصنى قال اتق الله حيثما كنت الحديث ت من حديث أبى ذر وقال حسن صحيح (٨) حديث ما حسن الله خلق امرىء وخلقه فتطعمه النار تقدم فى آداب الصحبة .

[١] قوله وقال الفضيل الخ لم يخرجه العراقى ولم ينبه عليه وقد تقدم فى باب الصحبة فليتأمل .

لالعوض وذلك أكمل السخاء من أطهر الغرائز. روت أسماء بنت أبى بكر قالت : قلت يارسول الله ليس لى من شىء إلا ما أدخل على الزبير فأعطى، قال نعم لاتوكى فيوكى عليك . ومن أخلاق الصوفية التجاوز والعفو ومقابلة السيئة بالحسنة . قال سفيان الاحسان أن تحسن إلى من أساء إليك فان الاحسان إلى المحسن متاجرة كنقد السوق خذ شيئا وهات شيئا وقال الحسن الاحسان أن تعم ولاتخص كالشمس والريح والغيث . وروى أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت قصورا مشرفة

ذل اللهم قونى فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قونى فقواه بالبخل وسوء الخلق (١)» وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا فزينوا دينكم بهما (٢)» وقال عليه السلام «حسن الخلق خلق الله الأعظم (٣)» وقيل «يارسول الله أى المؤمنين أفضل إيمانا قال أحسنهم خلقا (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق (٥)» وقال أيضا صلى الله عليه وسلم «سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل (٦)» وعن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك (٧)» وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا (٨)» وعن أبى مسعود البدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه « اللهم حسنت خلقى فحسن خلقى (٩) » وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء فيقول « اللهم إنى أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق (١٠)» وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « كرم المؤمن دينه وحسبه حسن خلقه ومروءته عقله (١١)» وعن أسامة بن شريك قال «شهدت الأعاريب يسألون النبى صلى الله عليه وسلم يقولون ماخير ما أعطى العبد قال : خلق حسن (١٢) »

على الجنة فقلت ياجبريل لمن هذه قال للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس» روى أبو هريرة رضى الله عنه « أن أبا بكر رضى الله عنه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مجلس فجاء رجل فوقع فى أبى بكر وهو ساكت والنبى عليه السلام يتبسم ثم رد أبو بكر عليه بعض الذى قال فغضب النبى وقام فلحقه أبو بكر فقال يارسول الله شتمنى وأنت تتبسم ثم رددت عليه بعض ما قال فغضبت وقمت فقال إنك حيث كنت ساكتا كان معك ملك يرد عليه فلما تكلمت وقع الشيطان

---

(١) حديث أبى الدرداء أول مايوضع فى الميزان حسن الخلق الحديث لم أقف له على أصل هكذا ولأبى داود و ت من حديث أبى الدرداء مامن شىء فى الميزان أثقل من حسن الخلق وقال غريب وقال فى بعض طرقه حسن صحيح (٢) حديث إن الله استخلص هذا الدين لنفسه الحديث الدارقطنى فى كتاب المستجاد والخرايطى فى مكارم الأخلاق من حديث أبى سعيد الخدرى باسناد فيه لين (٣) حديث حسن الخلق خلق الله الأعظم الطبرانى فى الأوسط من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف (٤) حديث قيل يارسول الله أى المؤمنين أفضلهم إيمانا قال أحسنهم خلقا د ت ن ك من حديث أبى هريرة وتقدم فى النكاح بلفظ أكمل المؤمنين وللطبرانى من حديث أبى أمامة أفضلكم إيمانا أحسنكم خلقا (٥) حديث إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق البزار وأبو يعلى والطبرانى فى مكارم الأخلاق من حديث أبى هريرة وبعض طرق البزار رجاله ثقات (٦) حديث سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل ابن حبان فى الضعفاء من حديث أبى هريرة والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس وأبى هريرة أيضا وضعفهما ابن جرير (٧) حديث إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فأحسن خلقك الخرايطى فى مكارم الأخلاق وأبو العباس الدغولى فى كتاب الآداب وفيه ضعف (٨) حديث البراء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا الخرايطى فى مكارم الأخلاق بسند حسن (٩) حديث أبى مسعود البدرى اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى الخرايطى فى مكارم الأخلاق هكذا من رواية عبد الله بن أبى الهذيل عن أبى مسعود البدرى وإنما هو ابن مسعود أى عبد الله هكذا رواه ابن حبان فى صحيحه ورواه أحمد من حديث عائشة (١٠) حديث عبد الله بن عمرو اللهم إنى أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق الخرايطى فى مكارم الأخلاق باسناد فيه لين (١١) حديث أبى هريرة كرم المرء دينه ومروءته عقله وحسن خلقه حب و ك وصححه على شرط م والبيهقى . قلت فيه مسلم بن خالد الزنجى وقد تكلم فيه قال البيهقى وروى من وجهين آخرين ضعيفين ثم رواه موقوفا على عمر وقال إسناده صحيح (١٢) حديث أسامة بن شريك شهدت الأعاريب يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ماخير ما أعطى العبد قال خلق حسن ه وتقدم فى آداب الصحبة .

وقال صلى الله عليه وسلم «إن أحبكم إلىّ وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا (١)» وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثلاث من لم تكن فيه أو واحدة منهن فلا تعتدوا بشىء من عمله: تقوى تحجزه عن معاصى الله أو حلم يكف به السفيه أو خلق يعيش به بين الناس (٢)» وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم فى افتتاح الصلاة « اللهم اهدنى لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت (٣)» وقال أنس بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما إذ قال «إن حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد (٤)» وقال عليه السلام «من سعادة المرء حسن الخلق (٥)» وقال صلى الله عليه وسلم «اليمن حسن الخلق (٦)» وقال عليه السلام لأبى ذر «ياأبا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق (٧)» وعن أنس قال « قالت أم حبيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيت المرأة يكون لها زوجان فى الدنيا فتموت ويموتان ويدخلون الجنة لأيهما هى تكون ، قال لأحسنهما خلقا كان عندها فى الدنيا يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخيرى الدنيا والآخرة (٨)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم مرتبته (٩)» وفى رواية «درجة الظمآن فى الهواجر» وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال « إنى رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمتى جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن خلقه فأدخله على الله تعالى (١٠)» وقال أنس قال النبى صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف فى العبادة (١١)» وروى « أن عمر رضى الله عنه استأذن على النبى صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته

(١) حديث إن أحبكم إلى الله وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا طص طس من حديث أبى هريرة إن أحبكم إلى الله أحاسنكم أخلاقا وللطبرانى فى مكارم الأخلاق من حديث جابر إن أقربكم منى مجلسا أحاسنكم أخلاقا وقد تقدم الحديثان فى آداب الصحبة (٢) حديث ابن عباس ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يعتد بشىء من عمله الحديث الخرايطى فى مكارم الأخلاق باسناد ضعيف ورواه الطبرانى فى الكبير وفى مكارم الأخلاق من حديث أم سلمة (٣) حديث اللهم اهدنى لأحسن الأخلاق الحديث م من حديث على (٤) حديث أنس إن حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما يذيب الشمس الجليد الخرايطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف ورواه طب وطس والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس وضعفه وكذا رواه من حديث أبى هريرة وضعفه أيضا (٥) حديث من سعادة المرء حسن الخلق الخرايطى فى مكارم الأخلاق والبيهقى فى الشعب من حديث جابر بسند ضعيف (٦) حديث اليمن حسن الخلق الخرايطى فى مكارم الأخلاق من حديث على باسناد ضعيف (٧) حديث ياأباذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق هـ حب من حديث أبى ذر (٨) حديث أنس قالت أم حبيبة يارسول الله أرأيت المرأة يكون لها زوجان البزار والطبرانى فى الكبير والخرايطى فى مكارم الأخلاق باسناد ضعيف (٩) حديث إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه الحديث أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالرواية الأولى ومن حديث أبى هريرة بالرواية الثانية وفيهما ابن لهيعة (١٠) حديث عبد الرحمن بن سمرة إنى رأيت البارحة عجبا الحديث الخرايطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف (١١) حديث إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة الحديث طب والخرايطى فى مكارم الأخلاق وأبو الشيخ فى كتاب مكارم الأخلاق وأبو الشيخ فى كتاب طبقات الأصبهانيين من حديث أنس باسناد جيد .

فلم أكن لأقعد فى مقعد فيه الشيطان يا أبا بكر ثلاث كلهن حق ليس عبد يظلم بمظلمة فيعفو عنها إلا أعز الله نصره وليس عبد يفتح باب مسئلة يريد بها كثرة إلا زاده الله قلة وليس عبد يفتح باب عطية أو صلة يبتغى بها وجه الله إلا زاده الله بها كثرة » . أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال أنا السكرخى قال أنا الترياقى قال أنا الجراحى قال أنا المحبوبى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال ثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا محمد ابن فضيل عن الوليد ابن عبد الله بن جميع عن أبى الطفيل عن

فلما استأذن عمر رضى الله عنه تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر رضى الله عنه مم تضحك بأبى أنت وأمى يارسول الله فقال عجبت لهؤلاء اللاتى كن عندى لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب فقال عمر أنت كنت أحق أن يهبنك يارسول الله ثم أقبل عليهن عمر فقال ياعدوات أنفسهن أتهبننى ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلن نعم أنت أغلظ وأفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم إيها يا ابن الخطاب والذى نفسى بيدى مالقيك الشيطان قط سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك[1]» وقال صلى الله عليه وسلم «سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة تفوح[2]» وقال عليه السلام «إن العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم[3]» الآثار : قال ابن لقمان الحكيم لأبيه يا أبت أى الخصال من الانسان خير قال الدين قال فاذا كانت اثنتين قال الدين والمال قال فاذا كانت ثلاثا قال الدين والمال والحياء قال فاذا كانت أربعا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق قال فاذا كانت خمسا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء قال فاذا كانت ستا قال يابنى إذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو تقى تقى ولله ولى ومن الشيطان برى وقال الحسن : من ساء خلقه عذب نفسه ، وقال أنس بن مالك : إن العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة فى الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك فى جهنم وهو عابد ، وقال يحيى بن معاذ فى سعة الأخلاق كنوز الأرزاق ، وقال وهب بن منبه : مثل السيء الخلق كمثل الفخارة المكسورة لاترقع ولاتعاد طينا ، وقال الفضيل : لأن يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب إلى من أن يصحبنى عابد سيء الخلق . وصحب ابن المبارك رجلا سيء الخلق فى سفر فكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكى فقيل له فى ذلك فقال بكيته رحمة له فارقته وخلقه معه لم يفارقه . وقال الجنيد : أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه: الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الإيمان ، وقال الكتانى التصوف خلق فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى التصوف . وقال عمر رضى الله عنه خالطوا الناس بالأخلاق وزايلوهم بالأعمال ، وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لاتنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لاتضر معها كثرة السيئات ، وسئل ابن عباس ما الكرم فقال هو مابين الله فى كتابه العزيز ـ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ـ قيل فما الحسب قال أحسنكم خلقا أفضلكم حسبا ، وقال لكل بنيان أساس وأساس الاسلام حسن الخلق ، وقال عطاء : ما ارتفع من ارتفع إلا بالخلق الحسن ولم ينل أحد كماله إلا المصطفى صلى الله عليه وسلم فأقرب الخلق إلى الله عز وجل السالكون آثاره بحسن الخلق .

(بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق)

اعلم أن الناس قد تكلموا فى حقيقة حسن الخلق وأنه ماهو وما تعرضوا لحقيقته وإنما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ماخطر له وما كان حاضرا فى ذهنه ولم يصرفوا العناية إلى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول

حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا » وقال بعض الصحابة « يارسول الله الرجل أمر به فلا يقرينى ولا يضيفنى فيمر بى أفأجزيه قال لا اقره » وقال الفضيل الفتوة الصفح عن عثرات الاخوان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الواصل المكافىء ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها » وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مكارم الأخلاق

(١) حديث إن عمر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه الحديث متفق عليه (٢) حديث سوء الخلق ذنب لا يغفر الحديث طص من حديث عائشة مامن شيء إلا له توبة إلا صاحب سوء الخلق فانه لايتوب من ذنب إلا عاد فى شر منه واسناده ضعيف (٣) حديث إن العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل من درك جهنم الطبرانى والخرايطى فى مكارم الأخلاق وأبو الشيخ فى طبقات الأصبهانيين من حديث أنس باسناد جيد وهو بعض الحديث الذى قبله بحديثين .

الحسن : حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الأذى . وقال الواسطى هو أن لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى ، وقال شاه الكرمانى : هو كف الأذى واحتمال المؤمن . وقال بعضهم هو أن يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال الواسطى مرة هو إرضاء الخلق فى السراء والضراء وقال أبو عثمان هو الرضا عن الله تعالى ، وسئل سهل التسترى عن حسن الخلق فقال أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه ، وقال مرة أن لا يتهم الحق فى الرزق ويثق به ويسكن إلى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يعصيه فى جميع الأمور فيما بينه وبينه وفيما بينه وبين الناس . وقال على رضى الله عنه حسن الخلق فى ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على العيال ، وقال الحسين بن منصور هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق ، وقال أبو سعيد الخراز هو أن لا يكون لك همّ غير الله تعالى فهذا وأمثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس هو محيطا بجميع الثمرات أيضا وكشف الغطاء عن الحقيقة أولى من نقل الأقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق أى حسن الباطن والظاهر فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة ، وذلك لأن الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ، ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله أمره باضافته إليه إذا قال تعالى ـ إنى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ـ فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين والروح إلى رب العالمين ، والمراد بالروح والنفس فى هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة فى النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التى هى المصدر خلقا سيئا وإنما قلنا إنها هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء مالم يثبت ذلك فى نفسه ثبوت رسوخ وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم ، فههنا أربعة أمور : أحدها فعل الجميل والقبيح . والثانى القدرة عليهما . والثالث المعرفة بهما . والرابع هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل إما لفقد المال أو لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل إما لباعث أو لرياء وليس هو عبارة عن القوة لأن نسبة القوة إلى الامساك والاعطاء بل إلى الضدين واحد وكل إنسان خلق بالفطرة قادر على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهو الهيئة التى بها تستعد النفس لأن يصدر منها الامساك أو البذل فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما أن حسن الصورة الظاهر مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتمّ حسن الظاهر فكذلك فى الباطن أربعة أركان لا بد من الحسن فى جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث . أما قوة العلم فحسنها وصلاحها فى أن تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب فى الأقوال وبين الحق والباطل فى الاعتقادات وبين الجميل والقبيح فى الأفعال فاذا

أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك» ومن أخلاق الصوفية البشر وطلاقة الوجه. الصوفى بكاؤه فى خلوته وبشره وطلاقة وجهه مع الناس فالبشر على وجهه من آثار أنوار قلبه وقد تنازل باطن الصوفى منازلات إلهية ومواهب قدسية يرتوى منها القلب ويمتلئ فرحا وسرورا ـ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ـ والسرور إذا تمكن من القلب فاض على الوجه آثاره قال الله تعالى ـ وجوه يومئذ مسفرة ـ أى مضيئة مشرقة ـ مستبشرة ـ أى فرحة قيل أشرقت من طول ما اغبرت فى سبيل

صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الأخلاق الحسنة وهى التى قال الله فيها ـ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ـ وأما قوة الغضب فحسنها فى أن يصير انقباضها وانبساطها على حد ماتقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها فى أن تكون تحت إشارة الحكمة أعنى إشارة العقل والشرع . وأما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة العقل والشرع فالعقل مثاله مثال الناصح المشير وقوة العدل هى القدرة ومثالها مثال المنفذ الممضى لاشارة العقل والغضب هو الذى تنفذ فيه الاشارة ومثاله مثال كلب الصيد فانه يحتاج إلى أن يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الاشارة لا بحسب هيجان شهوة النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذى يركب فى طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الخصال واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالاضافة إلى ذلك المعنى خاصة كالذى يحسن بعض أجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة تسمى تهورا وإن مالت إلى الضعف والنقصان تسمى جبنا وخورا وإن مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة تسمى شرها وإن مالت إلى النقصان تسمى جمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل إذا فات فليس له طرفا زيادة ونقصان بل له ضد واحد ومقابل وهو الجور . وأما الحكمة فيسمى إفراطها عند الاستعمال فى الأغراض الفاسدة خبثا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذى يختص باسم الحكمة فاذن أمهات الأخلاق وأصولها أربعة : الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ، ونعنى بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ فى جميع الأفعال الاختيارية ، ونعنى بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما فى الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ، ونعنى بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل فى إقدامها وإحجامها ونعنى بالعفة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها إذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأى وإصابة الظن والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس ومن إفراطها تصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر البله والغمارة والحمق والجنون ، وأعنى بالغمارة قلة التجربة فى الأمور مع سلامة التخيل فقد يكون الانسان غمرا فى شىء دون شىء والفرق بين الحمق والجنون أن الأحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة فى سلوك الطريق الموصل إلى الغرض . وأما المجنون فانه يختار مالا ينبغى أن يختار فيكون أصل اختياره وإيثاره فاسدا . وأما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وأمثالها وهى أخلاق محمودة وأما إفراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب . وأما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب . وأما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع ، وأما ميلها إلى الافراط أو التفريط فيحصل منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقصير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للأغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فأمهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربعة وهى الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقى فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال فى هذه الأربع إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون فى القرب والبعد منه فكل من قرب منه فى هذه الأخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من

الله ومثال فيض النور على الوجه من القلب كفيضان نور السراج على الزجاج والمشكاة فالوجه مشكاة والقلب زجاج والروح مصباح فاذا تنعم القلب بلذيذ المسامرة ظهر البشر على الوجه قال الله تعالى ـ تعرف فى وجوههم نضرة النعيم ـ أى نضارته وبريقه يقال أنضر النبات إذا أزهر ونور ـ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ـ فلما نظرت نضرت فأرباب المشاهدة من الصوفية تنورت بصائرهم بنور المشاهدة وانصقلت مرآة قلوبهم وانعكس فيها نور الجمال الأزلى وإذا شرقت الشمس على المرآة المصقولة استنارت

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم إليه ويقتدون به فى جميع الأفعال ، ومن انفك عن هذه الأخلاق كلها واتصف بأضدادها استحق أن يخرج من بين البلاد والعباد فانه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد فينبغى أن يبعد كما أن الأول قريب من الملك المقرب فينبغى أن يقتدى به ويتقرب إليه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعث إلا ليتمم مكارم الأخلاق كما قال(١) وقد أشار القرآن إلى هذه الأخلاق فى أوصاف المؤمنين فقال تعالى ـ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون ـ فالايمان بالله وبرسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذى يرجع إلى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هى الشجاعة التى ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال فتبدو وصف الله تعالى الصحابة فقال ـ أشداء على الكفار رحماء بينهم ـ إشارة إلى أن للشدة موضعا وللرحمة موضعا فليس الكمال فى الشدة بكل حال ولا فى الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان أركانه وثمراته وفروعه.

(بيان قبول الأخلاق للتغيير بطريق الرياضة)

اعلم أن بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق فلم تسمح نفسه بأن يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم أن الأخلاق لا يتصور تغييرها فان الطباع لا تتغير واستدل فيه بأمرين : أحدهما أن الخلق هو صورة الباطن كما أن الخلق هو صورة الظاهر فالخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالقصير لا يقدر أن يجعل نفسه طويلا ولا الطويل يقدر أن يجعل نفسه قصيرا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبح الباطن يجرى هذا المجرى والثانى أنهم قالوا حسن الخلق يقمع الشهوة والغضب ، وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى المزاج والطبع فانه قط لا ينقطع عن الآدمى فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب إلى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده. فنقول لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ولما قال رسول الله ﷺ «حسنوا أخلاقكم(٢)» وكيف ينكر هذا فى حق الآدمى وتغيير خلق البهيمة ممكن إذ ينقل البازى من الاستيحاش إلى الأنس والكلب من شره الأكل إلى التأدب والامساك والتخلية والفرس من الجماح إلى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغيير للأخلاق . والقول الكاشف للغطاء عن ذلك أن نقول الموجودات منقسمة إلى ما لا مدخل للآدمى واختياره فى أصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل أعضاء البدن داخلا وخارجا وسائر أجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله وإلى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد أن وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد بأن النواة ليست بتفاح ولا نخل إلا أنها خلقت خلقة يمكن أن تصير نخلة إذا انضاف التربية إليها ولا تصير تفاحا أصلا ولا بالتربية فاذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الأحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو أردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم نقدر عليه أصلا ولو أردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد أمرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا إلى الله تعالى. نعم الجبلات مختلفة بعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان : أحدهما قوة الغريزة فى أصل الجبلة وامتداده مدة الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة فى الانسان ولكن أصعبها أمرا وأعصاها

(١) حديث بعثت لأتمم مكارم الأخلاق تقدم فى آداب الصحبة (٢) حديث حسنوا أخلاقكم أبو بكر ابن لال فى مكارم الأخلاق من حديث معاذ يامعاذ حسن خلقك للناس منقطع ورجاله ثقات .

الجدران قال الله تعالى ـ سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ـ وإذا تأثر الوجه بسجود الظلال وهى القوالب فى قول الله تعالى ـ وظلالهم بالغدو والآصال ـ كيف لا يتأثر بشهود الجمال. أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب ابن على قال أنا الكرخى قال أنا الترياقى قال أنا الجراحى قال أنا المحبوبى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال ثنا قتيبة قال ثنا المنكدر بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كل معروف صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق وأن تفرغ من

على التغيير قوة الشهوة فانها أقدم وجودا إذ الصبي في مبدإ الفطرة تخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني أن الخلق قديتأكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسنا ومرضيا والناس فيه على أربع مراتب : الأولى وهو الانسان الغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم تستتم شهوته أيضا باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج إلا إلى معلم ومرشد وإلى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في أقرب زمان . والثانية أن يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهواته وإعراضا عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه ولكن علم تقصيره في عمله فأمره أصعب من الأول إذ قد تضاعفت الوظيفة عليه إذ عليه قلع ما رسخ في نفسه أولا من كثرة الاعتياد للفساد والآخر أن يغرس في نفسه صفة الاعتياد للصلاح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة إن انتهض لها بجد وتشمير وحزم . والثالثة أن يعتقد في الأخلاق القبيحة أنها الواجبة المستحسنة وأنها حق وجميل وتربى عليها فهذا يكاد تمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه إلا على الندور وذلك لتضاعف أسباب الضلال . والرابعة أن يكون مع نشئه على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهي به ويظن أن ذلك يرفع قدره وهذا هو أصعب المراتب وفي مثله قيل ومن العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب والأول من هؤلاء جاهل فقط والثاني جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير ، وأما الخيال الآخر الذي استدلوا به وهو قولهم إن الآدمي مادام حيا فلا تنقطع عنه الشهوة والغضب وحب الدنيا وسائر هذه الأخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا أن المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك ومهما بقي أصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله إلى الشهوة حتى يحمله ذلك على إمساك المال وليس المطلوب إماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط والمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بأن يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة أن يكون في نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولذلك قال الله تعالى ـ أشداء على الكفار رحماء بينهم ـ وصفهم بالشدة وإنما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لبطل الجهاد وكيف يقصد قلع الشهوة والغضب بالكلية والأنبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك إذ قال صلى الله عليه وسلم «إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر (١)» . «وكان إذا تكلم بين يديه بما يكرهه يغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول إلا حقا فكان عليه السلام لا يخرجه غضبه عن الحق (٢)» وقال تعالى ـ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ـ ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد الغضب والشهوة إلى حد الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط لهما والغالب عليهما

(١) حديث إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر م من حديث أنس وله من حديث أبي هريرة إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر (٢) حديث أنه كان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول إلا حقا فكان الغضب لا يخرجه عن الحق الشيخان من حديث عبد الله بن الزبير في قصة شراج الحرة فقال لأن كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهما من حديث أبي سعيد الخدري وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه لهما من حديث عائشة وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله ولمسلم ما ينال منه شيء قط فينتقم من صاحبه الحديث .

دلوك في إناء أخيك» وقال سعد بن عبد الرحمن الزبيدي يعجبني من القراء كل سهل طلق مضحاك . فأما من تلقاه بالبشر ويلقاك بالعبوس كأنه يمن عليك فلا أكثر الله في القراء مثله ومن أخلاق الصوفية السهولة ولين الجانب والنزول مع الناس إلى أخلاقهم وطباعهم وترك التعسف والتكلف وقد روي في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبار وأخلاق الصوفية تحاكي أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول عليه الصلاة والسلام «أما إني أمزح ولا أقول إلا حقا» روي «أن رجلا يقال له زاهر

ممكن وهو المراد بتغيير الخلق فانه ربما تستولى الشهوة على الانسان بحيث لايقوى عقله على دفعها على الانبساط إلى الفواحش وبالرياضة تعود إلى حدّ الاعتدال فدل أن ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لاشك فيها والذى يدل على أن المطلوب هو الوسط فى الأخلاق دون الطرفين أن السخاء خلق محمود شرعا وهو وسط بين طرفى التبذير والتقتير وقد أثنى الله تعالى عليه فقال ـ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ـ وقال تعالى ـ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ـ وكذلك المطلوب فى شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجمود قال الله تعالى ـ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ـ وقال فى الغضب ـ أشداء على الكفار رحماء بينهم ـ وقال ﷺ «خير الأمور أوسطها[1]» وهذا له سر وتحقيق وهو أن السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى ـ إلا من أتى الله بقلب سليم ـ والبخل من عوارض الدنيا والتبذير أيضا من عوارض الدنيا وشرط القلب أن يكون سليما منهما أى لا يكون ملتفتا إلى المال ولا يكون حريصا على إنفاقه ولا على إمساكه فان الحريص على الانفاق مصروف القلب إلى الانفاق كما أن الحريص على الامساك مصروف القلب إلى الامساك فكان كمال القلب أن يصفو عن الوصفين جميعا وإذا لم يكن ذلك فى الدنيا طلبنا ماهو الأشبه لعدم الوصفين وأبعد عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر لاحار ولابارد بل هو وسط بينهما فكأنه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجمود وكذلك سائر الأخلاق فكلا طرفى الأمور ذميم هذا هو المطلوب وهو ممكن ، نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد أن يقبح عنده الغضب رأسا ويذم إمساك المال رأسا ولا يرخص له فى شىء منه لأنه لو رخص له فى أدنى شىء اتخذ ذلك عذرا فى استبقاء بخله وغضبه وظن أن القدر المرخص فيه فاذا قصد قطع الأصل وبالغ فيه ولم يتيسر له إلا كسر سورته بحيث يعود إلى الاعتدال فالصواب له أن يقصد قلع الأصل حتى يتيسر له القدر المقصود فلا يكشف هذا السر للمريد فانه موضع غرور الحمق إذ يظن بنفسه أن غضبه بحق وأن إمساكه بحق .

(بيان السبب الذى به ينال حسن الخلق على الجملة)

قد عرف أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة وإلى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها للعقل مطيعة وللشرع أيضا وهذا الاعتدال يحصل على وجهين : أحدهما بجود إلهى وكمال فطرى بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير عالما بغير تعليم ومؤدبا بغير تأديب كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام وكذا سائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ولا يبعد أن يكون فى الطبع والفطرة ماقد ينال بالاكتساب فرب صبى خلق صادق اللهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتياد ومخالطة المتخلقين بهذه الأخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثانى اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة وأعنى به حمل النفس على الأعمال التى يقتضيها الخلق المطلوب فمن أراد مثلا أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطى فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعا له ويتيسر عليه فيصير به جوادا وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف إلى أن يصير ذلك خلقا له وطبعا فيتيسر عليه وجميع الأخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايته أن يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسخى هو الذى يستلذ بذل المال الذى يبذله دون الذى يبذله عن كراهة والمتواضع هو الذى يستلذ التواضع ولن ترسخ

(١) حديث خير الأمور أوسطها البيهقى فى شعب الإيمان من رواية مطرف بن عبد الله معضلا .

ابن حرام وكان بدويا وكان لا يأتى إلى رسول الله إلا جاء بطرفة يهديها إلى رسول الله فجاء يوما من الأيام فوجده رسول الله فى سوق المدينة يبيع سلعة له ولم يكن أتاه ذلك اليوم فاحتضنه النبى عليه السلام من ورائه بكفيه فالتفت فأبصر النبىّ عليه السلام فقبل كفيه فقال النبى عليه السلام من يشترى العبد فقال إذن تجدنى كاسدا يارسول الله فقال ولكن عند الله ربيح ثم قال عليه السلام لكلّ أهل حضر بادية وبادية آل محمد زاهر بن حرام ». وأخبرنا أبو زرعة طاهر بن الحافظ المقدسى عن أبيه قال

الأخلاق الدينية فى النفس مالم تتعود النفس جميع العادات الحسنة ومالم تترك جميع الأفعال السيئة ومالم تواظب عليها مواظبة من يشتاق إلى الأفعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها كما قال صلى الله عليه وسلم « وجعلت قرة عينى فى الصلاة[1] » ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به ، نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة إلى تركها لا بالاضافة إلى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى ـ وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ـ وقال صلى الله عليه وسلم « اعبد الله فى الرضا فان لم تستطع ففى الصبر على ما تكره خير كثير[2] » ثم لا يكفى فى نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية فى زمان دون زمان بل ينبغى أن يكون ذلك على الدوام وفى جملة العمر وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكمل ولذلك « لما سئل صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال : طول العمر فى طاعة الله تعالى[3] » ولذلك كره الأنبياء والأولياء الموت فان الدنيا مزرعة الآخرة وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل والنفس أزكى وأطهر والأخلاق أقوى وأرسخ وإنما مقصود العبادات تأثيرها فى القلب وإنما يتأكد تأثيرها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الأخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شىء أحب إليه من لقاء الله تعالى عز وجل فلا يستعمل جميع ماله إلا على الوجه الذى يوصله إليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملهما إلا على الوجه الذى يوصله إلى الله تعالى وذلك بأن يكون موزونا بميزان الشرع والعقل ثم يكون بعد ذلك فرحا به مستلذا له ولا ينبغى أن يستبعد مصير الصلاة إلى حد تصير هى قرة العين ومصير العبادات لذيذة فان العادة تقتضى فى النفس عجائب أغرب من ذلك فانا قد نرى الملوك والمنعمين فى أحزان دائمة ونرى المقامر المفلس قد يغلب عليه من الفرح واللذة بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح الناس بغير قمار مع أن القمار بما سلبه ماله وخرب بيته وتركه مفلسا ومع ذلك فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول إلفه له وصرف نفسه إليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول النهار فى حر الشمس قائما رجليه وهو يحس بألمها لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحليقها فى جو السماء بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط وعلى أن يتقدم به للصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته فى الصبر على ذلك حتى يرى ذلك فخرا لنفسه ويقطع الواحد منهم إربا إربا على أن يقر بما تعاطاه أو تعاطاه غيره فيصر على الانكار ولا يبالى بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد صارت أحواله مع ما فيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة أخس وأقبح من حال المخنث فى تشبهه بالاناث فى نتف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النساء فترى المخنث فى فرح بحاله وافتخار بكماله فى تخنثه يتباهى به مع المخنثين حتى يجرى بين الحجامين والكناسين التفاخر والمباهاة كما يجرى بين الملوك والعلماء فكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك فى المخالطين والمعارف فاذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل إليه وإلى القبائح فكيف لا تستلذ الحق لو وردت إليه مدة والتزمت المواظبة عليه بل ميل النفس إلى هذه الأمور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهى الميل إلى أكل الطين فقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة ،

(١) حديث وجعلت قرة عينى فى الصلاة ن من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث اعبد الله فى الرضا فان لم تستطع ففى الصبر على ما تكره خير كثير طب (٣) حديث سئل عن السعادة فقال طول العمر فى عبادة الله رواه القضاعى فى مسند الشهاب وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر باسناد ضعيف والترمذى من حديث أبى بكرة وصححه أى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله.

أنا المطهر بن محمد الفقيه قال أنا أبو الحسن قال أنا أبو عمرو ابن حكيم قال أنا أبو أمية قال حدثنا عبيد بن اسحق العطار قال ثنا سنان بن هرون عن حميد عن أنس قال « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله احملنى على جمل فقال أحملك على ابن الناقة قال أقول لك احملنى على جمل وتقول أحملك على ابن الناقة فقال عليه السلام فالجمل ابن الناقة » وروى صهيب قال « أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه تمر يأكل فقال أصب من هذا الطعام فجعلت آكل

فأما ميله إلى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل إلى الطعام والشراب فانه مقتضى طبع القلب فانه أمر ربانى وميله إلى مقتضيات الشهوة غريب من ذاته وعارض على طبعه وإنما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله عز وجل ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد حل به كما قد يحل المرض بالمعدة فلا تشتهى الطعام والشراب وهما سببان لحياتها فكل قلب مال إلى حب شىء سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله إلا إذا كان أحب ذلك الشىء لكونه معينا له على حب الله تعالى وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذن قد عرفت بهذا قطعا أن هذه الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهى تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعا انتهاء وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح أعنى النفس والبدن فان كل صفة تظهر فى القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة وكل فعل يجرى على الجوارح فانه قد يرتفع منه أثر إلى القلب والأمر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو أن من أراد أن يصير الحذق فى الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له إلا أن يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة يحاكى الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير صفة راسخة فى نفسه فيصدر منه فى الآخر الخط الحسن طبعا كما كان يصدر منه فى الابتداء تكلفا فكان الخط الحسن هو الذى جعل خطه حسنا ولكن الأول بتكلف إلا أنه ارتفع منه أثر إلى القلب ثم انخفض من القلب إلى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن بالطبع وكذلك من أراد أن يصير فقيه النفس فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال الفقهاء وهو التكرار للفقه حتى تنعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس وكذلك من أراد أن يصير سخيا عفيف النفس حليما متواضعا فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفا حتى يصير ذلك طبعا له فلا علاج له إلا ذلك وكما أن طالب فقه النفس لا ييأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالأعمال الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى قولنا إن الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاء المؤبد ولكن العطلة فى يوم واحد تدعو إلى مثلها ثم تتداعى قليلا قليلا حتى تأنس النفس بالكسل وتهجر التحصيل رأسا فيفوتها فضيلة الفقه وكذلك صغائر المعاصى يجر بعضها إلى بعض حتى يفوت أصل السعادة بهدم أصل الايمان عند الخاتمة وكما أن تكرار ليلة لا يحس تأثيره فى فقه النفس بل يظهر فقه النفس شيئا فشيئا على التدريج مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تأثيرها فى تزكية النفس وتطهيرها فى الحال ولكن لا ينبغى أن يستهان بقليل الطاعة فان الجملة الكثيرة منها مؤثرة وإنما اجتمعت الجملة من الآحاد فلكل واحد منها تأثير فما من طاعة إلا ولها أثر وإن خفى فله ثواب لا محالة فان الثواب بازاء الأثر وكذلك المعصية وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالى يسوف نفسه يوما فيوما إلى أن يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من يستهين صغائر المعاصى ويسوف نفسه بالتوبة على التوالى إلى أن يختطفه الموت بغتة أو تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتتعذر عليه التوبة إذ القليل يدعو إلى الكثير فيصير القلب مقيدا بسلاسل شهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعنى بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى ـ وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا ـ الآية ولذلك قال على رضى الله عنه : إن الايمان ليبدو فى القلب نكتة بيضاء كلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق ليبدو فى القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله فاذا عرفت أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة تكون باعتياد الأفعال الجميلة وتارة بمشاهدة أرباب الفعال الجميلة

من التمر فقال أتأكل وأنت رمد فقلت إذن أمضغ من الجانب الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم » وروى أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم : يا ذا الأذنين » . وسئلت عائشة رضى الله عنها « كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا فى البيت قالت كان ألين الناس بساما ضحاكا » وروت أيضا « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقته ثم سابقها بعد ذلك فسبقها فقال هذه بتلك » . وأخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر

ومصاحبتهم وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح إذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت فى حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو فى غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق له قرناء السوء فتعلم منهم وتيسرت له أسباب الشر حتى اعتادها فهو فى غاية البعد من الله عز وجل وبين الرتبتين من اختلفت فيه من هذه الجهات ولكل درجة فى القرب والبعد بحسب ماتقتضيه صفته وحالته ـ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ـ وماظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ـ .

(بيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق)

قد عرفت من قبل أن الاعتدال فى الأخلاق هو صحة النفس والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها كما أن الاعتدال فى مزاج البدن هو صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالا . فنقول مثال النفس فى علاجها بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها وجلب الفضائل والأخلاق الجميلة إليها مثال البدن فى علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها إليه وكما أن الغالب على أصل المزاج الاعتدال وإنما تعترى العلة المضرة بعوارض الأغذية والأهوية والأحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيح الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أى بالاعتياد والتعليم تكتسب الرذائل وكما أن البدن فى الابتداء لايخلق كاملا وإنما يكمل ويقوى بالنشو والتربية بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم وكما أن البدن إن كان صحيحا فشأن الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وإن كان مريضا فشأنه جلب الصحة إليه فكذلك النفس منك إن كانت زكية طاهرة مهذبة فينبغى أن تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة إليها واكتساب زيادة صفائها وإن كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغى أن تسعى لجلب ذلك إليها وكما أن العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لاتعالج إلا بضدها فان كانت من حرارة فبالبرودة وإن كانت من برودة فبالحرارة فكذلك الرذيلة التى هى مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخى ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما أنه لابد من الاحتمال لمرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الأبدان المريضة فكذلك لابد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل أولى فان مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله تعالى مرض يدوم بعد الموت أبد الآباد وكما أن كل مبرد لايصلح لعلة سببها الحرارة إلا إذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه بالكثرة والقلة ولابد له من معيار يعرف به مقدار النافع منه فانه إن لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقائض التى تعالج بها الأخلاق لابد لها من معيار وكما أن معيار الدواء مأخوذ من عيار العلة حتى إن الطبيب لايعالج مالم يعرف أن العلة من حرارة أو برودة فان كانت من حرارة فيعرف درجتها أهى ضعيفة أم قوية فاذا عرف ذلك التفت إلى أحوال البدن وأحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وسائر أحواله ثم يعالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع الذى يطبب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغى أن لايهجم عليهم بالرياضة والتكاليف فى فن مخصوص وفى طريق مخصوص مالم يعرف أخلاقهم وأمراضهم وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم بل ينبغى أن ينظر فى مرض المريد وفى حاله وسنه ومزاجه وماتحتمله بنيته من الرياضة ويبنى على ذلك رياضته فان كان المريد مبتدئا جاهلا بحدود الشرع فيعلمه أولا الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وإن كان مشغولا بمال حرام أو مقارفا لمعصية فيأمره أولا بتركها

التريافى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبى قال أنا أبو عيسى الحافظ الترمذى قال ثنا عبد الله بن الوضاح الكوفى قال ثنا عبد الله بن إدريس عن شعبة عن أبى التياح عن أنس رضى الله عنه قال « إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخاطبنا حتى إنه كان يقول لأخ لى صغير يا أباعمير مافعل النغير» والنغير عصفور صغير. وروى أن عمر سابق زبيرا رضى الله عنهما فسبقه الزبير فقال : سبقتك ورب الكعبة ثم سابقه مرة أخرى فسبقه عمر فقال عمر : سبقتك

فاذا تزين ظاهره بالعبادات وطهر عن المعاصى الظاهرة جوارحه نظر بقرائن الأحوال إلى باطنه ليتفطن لأخلاقه وأمراض قلبه فان رأى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته أخذه منه وصرفه إلى الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت إليه وإن رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيأمره أن يخرج إلى الأسواق للكدية والسؤال فان عزة النفس والرياسة لا تنكسر إلا بالذل ولا ذل أعظم من ذل السؤال فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعز نفسه فان الكبر من الأمراض المهلكة وكذلك الرعونة وإن رأى الغالب عليه النظافة فى البدن والثياب ورأى قلبه مائلا إلى ذلك فرحا به ملتفتا إليه استخدمه فى تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى تتشوش عليه رعونته فى النظافة فان الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات النظيفة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التى تزين نفسها طول النهار فلا فرق بين أن يعبد الانسان نفسه أو يعبد صنما فهما عبد غير الله تعالى فقد حجب عن الله ومن راعى فى ثوبه شيئا سوى كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت إليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياضة إذا كان المريد لا يسخو بترك الرعونة رأسا أو بترك صفة أخرى ولم يسمح بضدها دفعة فينبغى أن ينقله من الخلق المذموم إلى خلق مذموم آخر أخف منه كالذى يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء إذا كان الماء لا يزيل الدم كما يرغب الصبى فى المكتب باللعب بالكرة والصولجان وما أشبهه ثم ينقل من اللعب إلى الزينة وفاخر الثياب ثم ينقل من ذلك بالترغيب فى الرياسة وطلب الجاه ثم ينقل من الجاه بالترغيب فى الآخرة فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فلينقل إلى جاه أخف منه وكذلك سائر الصفات وكذلك إذا رأى شره الطعام غالبا عليه ألزمه الصوم وتقليل الطعام ثم يكلفه أن يهيء الأطعمة اللذيذة ويقدمها إلى غيره وهو لا يأكل منها حتى يقوى بذلك نفسه فيتعود الصبر وينكسر شرهه وكذلك إذا رآه شابا متشوقا إلى النكاح وهو عاجز عن الطول فيأمره بالصوم وربما لا تسكن شهوته بذلك فيأمره أن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم والأدم رأسا حتى تذل نفسه وتنكسر شهوته فلا علاج فى مبدإ الارادة أنفع من الجوع وإن رأى الغضب غالبا عليه ألزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق ويلزمه خدمة من ساء خلقه حتى يمرن نفسه على الاحتمال معه كما حكى عن بعضهم أنه كان يعود نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب فكان يستأجر من يشتمه على ملأ من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل وبعضهم كان يستشعر فى نفسه الجبن وضعف القلب فأراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر فى الشتاء عند اضطراب الأمواج ، وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على نصبة واحدة وبعض الشيوخ فى ابتداء إرادته كان يكسل عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسمح بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورمى به فى البحر إذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود والرياء بالبذل فهذه الأمثلة تعرفك طريق معالجة القلوب وليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فان ذلك سيأتى فى بقية الكتب وإنما غرضنا الآن التنبيه على أن الطريق الكلى فيه سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل إليه وقد جمع الله ذلك كله فى كتابه العزيز فى كلمة واحدة فقال تعالى ـ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى ـ والأصل المهم فى المجاهدة الوفاء بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت أسبابها ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى واختبارا فينبغى أن يصبر ويستمر فانه إن عود نفسه ترك العزم ألفت ذلك ففسدت وإذا اتفق منه نقض عزم

ورب الكعبة وروى عبد الله بن عباس قال قال لى عمر تعال أنافسك فى الماء أينا أطول نفسا ونحن محرمون . وروى بكر بن عبد الله قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمازحون حتى يتبادحون بالبطيخ فاذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال يقال بدح يبدح إذا رمى أى يترامون بالبطيخ وأخبرنا أبو زرعة عن أبيه قال أنا الحسن ابن أحمد الكرخى قال ثنا أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم قال ثنا أبو بكر محمد بن محمد ابن عبد الله قال حدثنى إسحاق الحربى قال ثنا

فينبغي أن يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النفس في كتاب المحاسبة والمراقبة وإذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرياضة بالكلية .

(بيان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها إلى الصحة)

اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به وإنما مرضه أن يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه أصلا أو يصدر منه مع نوع من الاضطراب فمرض اليد أن يتعذر عليها البطش ومرض العين أن يتعذر عليها الابصار وكذلك مرض القلب أن يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خلق لأجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وإيثاره ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والأعضاء عليه قال الله تعالى ـ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ـ ففي كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصية النفس التي للآدمي ما يتميز بها عن البهائم فانه لم يتميز عنها بالقوة على الأكل والوقاع والإبصار أو غيرها بل بمعرفة الأشياء على ماهي عليه وأصل الأشياء وموجدها ومخترعها هو الله عز وجل الذي جعلها أشياء فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله عز وجل فكأنه لم يعرف شيئا وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى أحبه وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى ـ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم ـ إلى قوله ـ أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ـ فمن عنده شيء أحب إليه من الله فقلبه مريض كما أن كل معدة صار الطين أحب إليها من الخبز والماء أو سقطت شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة فهذه علامات المرض وبهذا يعرف أن القلوب كلها مريضة إلا ماشاء الله إلا أن من الأمراض مالا يعرفها صاحبها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وإن عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فان دواءه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح فان وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الأطباء هم العلماء وقد استولى عليهم المرض فالطبيب المريض قلما يلتفت إلى علاجه فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا العلم وأنكر بالكلية طب القلوب وأنكر مرضها وأقبل الخلق على حب الدنيا وعلى أعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومرا آت فهذه علامات أصول الأمراض وأما علامات عودها إلى الصحة بعد المعالجة فهو أن ينظر في العلة التي يعالجها فان كان يعالج داء البخل فهو المهلك المبعد عن الله عز وجل وإنما علاجه ببذل المال وإنفاقه ولكنه قد يبذل المال إلى حد يصير به مبذرا فيكون التبذير أيضا داء فكان كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة فهو أيضا داء بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة وكذلك المطلوب الاعتدال بين التبذير والتقتير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين فان أردت أن تعرف الوسط فانظر إلى الفعل الذي يوجبه الخلق المحذور فان كان أسهل عليك وألذ من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل أن يكون إمساك المال وجمعه ألذ عندك وأيسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم أن الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فان صار البذل على غير المستحق ألذ عندك وأخف عليك من الامساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع إلى المواظبة على الامساك فلا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتسيير الأفعال وتعسيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى المال فلا تميل إلى بذله ولا إلى إمساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه إلا إمساكه لحاجة محتاج أو بذله لحاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل على الامساك فكل قلب صار كذلك فقد أتى الله سليما عن هذا المقام خاصة ويجب أن يكون سليما عن سائر الأخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق

أبو سلمة قال ثنا حماد ابن خالد قال أنا محمد بن عمرو بن علقمة قال ثنا أبو الحسن بن محيصن الليثي عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ابن أبي بلتعة قال إن عائشة رضي الله عنها قالت «أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بحريرة طبختها له وقلت لسودة والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها كلي فأبت فقلت لها كلي فأبت فقلت لتأكلن أو لألطخن بها وجهك فأبت فوضعت يدي في الحريرة فلطخت بها وجهها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فوضع فخذه وقال لسودة الطخي وجهها فلطخت بها وجهي فضحك النبي صلى الله

بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق منها غير ملتفتة إليها ولا متشوقة إلى أسبابها فعند ذلك ترجع إلى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة فى زمرة عباد الله المقربين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ولما كان الوسط الحقيقى بين الطرفين فى غاية الغموض بل هو أدق من الشعر وأحد من السيف فلا جرم ،ومن استوى على هذا الصراط المستقيم فى الدنيا جاز على مثل هذا الصراط فى الآخرة وقلما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم أعنى الوسط حتى لايميل إلى أحد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذى مال إليه ولذلك لاينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وإن كان مثل البرق قال الله تعالى ـ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا . ثم ننجى الذين اتقوا ـ أى الذين كان قربهم إلى الصراط المستقيم أكثر من بعدهم عنه ولأجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى فى كل يوم سبع عشرة مرة فى قوله ـ اهدنا الصراط المستقيم ـ إذ وجب قراءة الفاتحة فى كل ركعة فقد روى أن بعضهم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال قد قلت يارسول الله شيبتنى هود فلم قلت ذلك ؟ فقال عليه السلام لقوله تعالى ـ فاستقم كما أمرت ـ فالاستقامة على سواء السبيل فى غاية الغموض ولكن ينبغى أن يجتهد الانسان فى القرب من الاستقامة إن لم يقدر على حقيقتها فكل من أراد النجاة فلا نجاة له إلا بالعمل الصالح ولا تصدر الأعمال الصالحة إلا عن الأخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته وأخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد فيها على الترتيب . فنسأل الله الكريم أن يجعلنا من المتقين .

(بيان الطريق الذى يعرف به الانسان عيوب نفسه)

اعلم أن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فاذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى فى عين أخيه ولا يرى الجذع فى عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق: الأول أن يجلس بين يدى شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه فى نفسه ويتبع إشارته فى مجاهدته وهذا شأن المريد مع شيخه والتلميذ مع أستاذه فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز فى هذا الزمان وجوده . الثانى أن يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الأكياس والأكابر من أئمة الدين . كان عمر رضى الله عنه يقول : رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبى وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ماالذى بلغك عنى مما تكرهه فاستعفى فألح عليه فقال بلغنى أنك جمعت بين إدامين على مائدة وأن لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل قال وهل بلغك غير هذا ؟ قال لا فقال أما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنافقين فهل ترى على شيئا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه رضى الله عنه فكل من كان أوفر عقلا وأعلى منصبا كان أقل إعجابا وأعظم اتهاما لنفسه إلا أن هذا أيضا قد عز فقل فى الأصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو فى أصدقائك عن حسود أو صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا أو عن مداهن يخفى عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائى قد اعتزل الناس فقيل له لم لا تخلط الناس ؟ فقال وماذا أصنع بأقوام يخفون عنى عيوبى فكانت شهوة ذوى الدين أن يتنبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم

عليه وسلم فمر عمر رضى الله عنه على الباب فنادى ياعبد الله ياعبد الله فظن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سيدخل فقال قوما فاغسلا وجهكما فقالت عائشة رضى الله عنها فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه » ووصف بعضهم ابن طاوس فقال كان مع الصبى صبيا ومع الكهل كهلا وكان فيه مزاحة إذا خلا . وروى معاوية بن عبد الكريم قال كنا نتذاكر الشعر عند محمد بن سيرين وكان يقول ونمزح عنده ويمازحنا وكنا نخرج من عنده ونحن نضحك وكنا إذا دخلنا

وقد آل الأمر فى أمثالنا إلى أن أبغض الخلق إلينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد هذا أن يكون مفصحا عن ضعف الإيمان فان الأخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة فلو نبهنا منبه على أن تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بازالة العقرب وإبعادها وقتلها وإنما نكايتها على البدن ويدوم ألمها يوما فما دونه ونكاية الأخلاق الرديئة على صميم القلب أخشى أن تدوم بعد الموت أبدا أو آلافا من السنين ثم إنا لانفرح بمن ينبهنا عليها ولانشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثل مقالته فنقول له وأنت أيضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب التى أثمرتها كثرة الذنوب وأصل كل ذلك ضعف الإيمان فنسأل الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا ويبصرنا بعيوبنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله . الطريق الثالث : أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه فان عين السخط تبدى المساويا ، ولعلّ انتفاع الانسان بعدوّ مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثنى عليه ويمدحه ويخفى عنه عيوبه إلا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل مايقوله على الحسد ولكن البصير لايخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فان مساويه لابد وأن تنتشر على ألسنتهم . الطريق الرابع : أن يخالط الناس فكل مارآه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها إليه فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة فى اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الأقران لاينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شىء منه فليتفقد نفسه ويطهرها من كل مايذمه من غيره وناهيك بهذا تأديبا فلو ترك الناس كلهم مايكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب . قيل لعيسى عليه السلام من أدبك ؟ قال ما أدبنى أحد رأيت جهل الجاهل شينا فاجتنبته وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا فى الدين فارغا من تهذيب نفسه مشتغلا بتهذيب عباد الله تعالى ناصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذى يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذى هو بصدده .

(بيان شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق فى معالجة أمراض القلوب ترك الشهوات وأن مادة أمراضها هى اتباع الشهوات)

اعلم أن ما ذكرناه إن تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين فان عجزت عن ذلك فلاينبغى أن يفوتك التصديق والإيمان على سبيل التلقى والتقليد لمن يستحق التقليد فان للايمان درجة كما أن للعلم درجة والعلم يحصل بعد الإيمان وهو وراءه قال الله تعالى ـ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ـ فمن صدق بأن مخالفة الشهوات هى الطريق إلى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا وإذا اطلع على ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذى يقتضى الإيمان بهذا الأمر فى القرآن والسنة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصر قال الله تعالى ـ ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى ـ وقال تعالى ـ أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ـ قيل نزع منها محبة الشهوات وقال صلى الله عليه وسلم «المؤمن بين خمس شدائد : مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه (١)» فبين أن النفس عدو منازع يجب عليه مجاهدتها .

على الحسن نخرج من عنده ونحن نكاد نبكى فهذه الأخبار والآثار دالة على حسن لين الجانب وصحة حال الصوفية وحسن أخلاقهم فيما يعتمدونه من المداعبة فى الربط وينزلون مع الناس على حسب طباعهم لنظرهم إلى سعة رحمة الله فاذا خلوا وقفوا موقف الرجال واكتسوا ملابس الأعمال والأحوال ولايقف فى هذا المعنى على حد الاعتدال إلا صوفى قاهر للنفس عالم بأخلاقها وطباعها سائس لها بوفور العلم حتى يقف فى ذلك على صراط الاعتدال بين الإفراط والتفريط

(١) حديث المؤمن بين خمس شدائد : مؤمن يحسده ومنافق يبغضه الحديث أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف .

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عنى محجوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره وقال نبينا ﷺ لقوم قدموا من الجهاد «مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قيل يارسول الله وما الجهاد الأكبر قال جهاد النفس (١)» وقال صلى الله عليه وسلم «المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله عز وجل (٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها فى معصية الله تعالى إذن تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضا إلا أن يغفر الله تعالى ويستر (٣)» وقال سفيان الثورى ماعالجت شيئا أشد على من نفسى مرة لى ومرة علىّ وكان أبو العباس الموصلى يقول لنفسه يانفس لا فى الدنيا مع أبناء الملوك تتنعمين ولا فى طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كأنى بك بين الجنة والنار تحبسين يانفس ألا تستحين وقال الحسن ما الدابه الجموح بأحوج إلى اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازى جاهد نفسك بأسياف الرياضة والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الأنام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات وليس على العبد شىء أشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الأذى وإذا تحركت من النفس إرادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بأيدى الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتأمن من بوائقها من بين سائر الأنام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من عوائل آفاتها فتصير عند ذلك نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول فى ميدان الخيرات وتسير فى مسالك الطاعات كالفرس الفاره فى الميدان وكالملك المتنزه فى البستان وقال أيضا أعداء الانسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حب شهواتها محصورا فى سجن هواها مقهورا مغلولا زمامه فى يدها تجره حيث شاءت فتمنع قلبه من الفوائد وقال جعفر بن حميد أجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم لا يدرك إلا بترك النعيم قال أبو يحيى الوراق من أرضى الجوارح بالشهوات فقد غرس فى قلبه شجر الندامات وقال وهيب بن الورد ما زاد على الخبز فهو شهوة وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل . ويروى أن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعد أن ملك خزائن الأرض وقعدت له على راية الطريق فى يوم موكبه وكان يركب فى زهاء اثنى عشر ألفا من عظماء مملكته سبحان من جعل الملوك عبيدا بالمعصية وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم له إن الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وذلك جزاء المفسدين وإن الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه ـ إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ـ وقال الجنيد أرقت ليلة فقمت إلى وردى فلم أجد الحلاوة التى كنت أجدها فأردت أن أنام فلم أقدر فجلست فلم أطق الجلوس فخرجت فاذا رجل ملتف فى عباءة مطروح على الطريق فلما أحس بى قال ياأبا القاسم إلى الساعة قلت ياسيدى من غير موعد فقال بلى سألت الله عز وجل أن يحرك لى قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك قال فمتى يصير داء النفس دواءها فقلت إذا خالفت النفس

ولا يصلح الاكثار من ذلك للمريدين المبتدئين لقلة علمهم ومعرفتهم بالنفس وتعديهم حد الاعتدال فللنفس فى هذه المواطن نهضات ووثبات تجر إلى الفساد وتجنح إلى العناد فالنزول إلى طباع الناس يحسن بمن صعد عنهم وترقى لعلو حاله ومقامه فينزل إليهم وإلى طباعهم حين ينزل بالعلم فأما من لم يصعد بصفاء حاله عنهم وفيه بقية مزح من طباعهم ونفوسهم الجامحة الأمارة بالسوء إذا دخلت فى هذه المداخل أخذت النفس حظها واغتنمت مآربها واستروحت إلى الرخصة والنزول إلى الرخصة يحسن لمن يركب

(١) حديث مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر البيهقى فى الزهد وقد تقدم فى شرح عجائب القلب (٢) حديث المجاهد من جاهد نفسه ت فى أثناء حديث وصححه و ه من حديث فضالة بن عبيد (٣) حديث كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها فى معصية الله الحديث لم أجده بهذا السياق .

هواها فأقبل على نفسه فقال اسمعى فقد أجبتك بهذا سبع مرات فأبيت أن تسمعيه إلا من الجنيد ها قد سمعتيه ثم انصرف وما عرفته . وقال يزيد الرقاشى إليكم عنى الماء البارد فى الدنيا لعلى لا أحرمه فى الآخرة . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى متى أتكلم قال إذا اشتهيت الصمت قال متى أصمت قال إذا اشتهيت الكلام . وقال على رضى الله عنه من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات فى الدنيا . وكان مالك بن دينار يطوف فى السوق فاذا رأى الشئ يشتهيه قال لنفسه اصبرى فوالله ما أمنعك إلا من كرامتك على ، فاذن قد اتفق العلماء والحكماء على أن لا طريق إلى سعادة الآخرة إلا بنهى النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالإيمان بهذا واجب. وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك لا يدرك إلا بما قدمناه . وحاصل الرياضة وسرها أن لا تتمتع النفس بشئ مما لا يوجد فى القبر إلا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا من الأكل والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر إليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشئ منه أنس به وألفه فاذا مات تمنى الرجوع إلى الدنيا بسببه ولا يتمنى الرجوع إلى الدنيا إلا من لاحظ له فى الآخرة بحال ولا خلاص منه إلا بأن يكون القلب مشغولا بمعرفة الله وحبه والتفكر فيه والانقطاع إليه ولا قوة على ذلك إلا بالله ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الذكر والفكر فقط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه والناس فيه أربعة : رجل مستغرق قلبه بذكر الله فلا يلتفت إلى الدنيا إلا فى ضرورات المعيشة فهو من الصديقين ولا ينتهى إلى هذه الرتبة إلا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة . الثانى رجل استغرقت الدنيا قلبه ولم يبق لله تعالى ذكر فى قلبه إلا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان لا بالقلب فهذا من الهالكين . والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين ولكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار إلا أنه ينجو منها سريعا بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه . والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا أغلب على قلبه فهذا يطول مقامه فى النار لكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله تعالى فى قلبه وتمكنه من صميم فؤاده وإن كان ذكر الدنيا أغلب على قلبه ، اللهم إنا نعوذ بك من خزيك فانك أنت المعاذ وربما يقول القائل إن التنعم بالمباح مباح فكيف يكون التنعم سبب البعد من الله عز وجل وهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة وسبب إحباط كل حسنة والمباح الخارج عن قدر الحاجة أيضا من الدنيا وهو سبب البعد وسيأتى ذلك فى كتاب ذم الدنيا . وقد قال إبراهيم الخواص كنت مرة فى جبل اللكام فرأيت رمانا فاشتهيته فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركتها فرأيت رجلا مطروحا وقد اجتمعت عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا إبراهيم فقلت كيف عرفتنى فقال من عرف الله عز وجل لم يخف عليه شئ فقلت أرى لك حالا مع الله عز وجل فلو سألته أن يحميك من هذه الزنابير فقال وأرى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته أن يحميك من شهوة الرمان فان لدغ الرمان يجد الانسان ألمه فى الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه فى الدنيا فتركته ومضيت. وقال السرى أنا منذ أربعين سنة تطالبنى نفسى أن أغمس خبزة فى دبس فما أطعمتها فاذن لا يمكن إصلاح القلب لسلوك طريق الآخرة ما لم يمنع نفسه عن التنعم بالمباح فان النفس إذا لم تمنع بعض المباحات طمعت فى المحظورات فمن أراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه أن يلزمه السكوت إلا عن ذكر الله وإلا عن المهمات فى الدين حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم إلا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمى البصر إلى كل شئ جميل لم تتحفظ عن النظر إلى ما لا يحل وكذلك سائر الشهوات لأن الذى يشتهى به الحلال هو بعينه الذى يشتهى الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها من الحرام فان لم يعودها الاقتصار على قدر الضرورة من الشهوات غلبته ، فهذه إحدى آفات المباحات

العزيمة غالب أوقاته وليس ذلك شأن المبتدئ فللصوفية العلماء فيما ذكرناه ترويح يعلمون حاجة القلب إلى ذلك والشئ إذا وضع للحاجة يتقدر بقدر الحاجة ومعيار مقدار الحاجة فى ذلك علم غامض لا يسلم لكل أحد قال سعيد بن العاص لابنه اقتصد فى مزاحك فالافراط فيه يذهب بالبهاء ويجرئ عليك السفهاء وتركه يغيظ المؤانسين ويوحش المخالطين قال بعضهم المزاح مسلبة للبهاء مقطعة للاخاء وكما يصعب معرفة الاعتدال فى ذلك يصعب معرفة الاعتدال فى الضحك والضحك من خصائص الانسان

ووراءها آفات عظيمة أعظم من هذه وهو أن النفس تفرح بالتنعم فى الدنيا وتركن إليها وتطمئن إليها أشرا وبطرا حتى تصير ثملة كالسكران الذى لايفيق من سكره وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسرى فى العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت وأهوال يوم القيامة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى ـ ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ـ وقال تعالى ـ وما الحياة الدنيا فى الآخرة إلا متاع ـ وقال تعالى ـ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ـ الآية وكل ذلك ذم لها فنسأل الله السلامه فأولو الحزم من أرباب القلوب جربوا قلوبهم فى حال الفرح بمؤاتاة الدنيا فوجدوها قاسية نفرة بعيدة التأثر عن ذكر الله واليوم الآخر وجربوها فى حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لأثر الذكر فعلموا أن النجاة فى الحزن الدائم والتباعد من أسباب الفرح والبطر فقطموها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا أن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب وهو نوع عذاب فمن نوقش الحساب فى عرصات القيامه فقد عذب فخلصوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا إلى الحرية والملك الدائم فى الدنيا والآخرة بالخلاص من أسر الشهوات ورقها والأنس بذكر الله عزوجل والاشتغال بطاعته وفعلوا بها مايفعل بالبازى إذ قصد تأديبه ونقله من التوثب والاستيحاش إلى الانقياد والتأديب فانه يحبس أولا فى بيت مظلم وتخاط عيناه حتى يحصل به الفطام عن الطيران فى جو الهواء وينسى ماقد كان ألفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يأنس بصاحبه ويألفه إلفا إذا دعاه أجابه ومهما سمع صوته رجع إليه فكذلك النفس لاتألف ربها ولاتأنس بذكره إلا إذا فطمت عن عادتها بالخلوة والعزلة أولا ليحفظ السمع والبصر عن المألوفات ثم عودت الثناء والذكر والدعاء ثانيا فى الخلوة حتى يغلب عليها الأنس بذكر الله عز وجل عوضا عن الأنس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يثقل على المريد فى البداية ثم يتنعم به فى النهاية كالصبى يفطم عن الثدى وهو شديد عليه إذ كان لايصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه عند الفطام ويشتد نفوره عن الطعام الذى يقدم إليه بدلا عن اللبن ولكنه إذا منع اللبن رأسا يوما فيوما وعظم تعبه فى الصبر عليه وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا ثم يصير له طبعا فلو رد بعد ذلك إلى الثدى لم يرجع إليه فيهجر الثدى ويعاف اللبن ويألف الطعام وكذلك الدابة فى الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك قهرا وتمنع عن السرج الذى ألفته بالسلاسل والقيود أولا ثم تأنس به بحيث تترك فى موضعها فتقف فيه من غير قيد فكذلك تؤدب النفس كما يؤدب الطير والدواب وتأديبها بأن تمنع من النظر والأنس والفرح بنعيم الدنيا بل بكل مايزايلها بالموت إذ قيل له أحبب ما أحببت فانك مفارقه فاذا علم أنه من أحب شيئا يلزمه فراقه ويشقى لاعالة لفراقه شغل قلبه بحب ما لايفارقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصحبه فى القبر ولايفارقه وكل ذلك يتم بالصبر أولا أياما قلائل فان العمر قليل بالاضافة إلى مدة حياة الآخرة ومامن عاقل إلا وهو راض باحتمال المشقه فى سفر وتعلم صناعة وغيرها شهرا ليتنعم به سنة أودهرا وكل العمر بالاضافة إلى الأبد أقل من الشهر بالاضافة إلى عمر الدنيا فلابد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى وتذهب عنهم عمايات السكرى كما قاله على رضى الله عنه . وطريق المجاهدة والرياضة لكل إنسان تختلف بحسب اختلاف أحواله والأصل فيه أن يترك كل واحد مابه فرحه من أسباب الدنيا فالذى يفرح بالمال أو بالجاه أو بالقبول فى الوعظ أو بالعز فى القضاء والولاية أو بكثرة الأتباع فى التدريس والافادة فينبغى أن يترك أولا مابه فرحه فانه إن منع عن شئ من ذلك وقيل له ثوابك فى الآخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتألم به فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها وذلك مهلك فى حقه ثم إذا ترك أسباب الفرح

ويميزه عن جنس الحيوان ولا يكون الضحك إلا عن سابقة تعجب والتعجب يستدعى الفكر والفكر شرف الانسان وخاصيته ومعرفة الاعتدال فيه أيضا شأن من ترسخ قدمه فى العلم ولهذا قيل إياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب وقيل وكثرة الضحك من الرعونة . وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال: إن الله تعالى يبغض الضحاك من غير عجب للشاء فى غير أرب وذكر فرق بين المداعبة والمزاح فقيل المداعبة ما لايغضب جده والمزاح ما يغضب جده وقد جعل أبو حنيفة رحمه الله القهقهة فى الصلاة

فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل إلا بذكر الله تعالى والفكر فيه وليترصد لما يبدو فى نفسه من شهوة ووسواس حتى يقمع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة سببا ولا تزول إلا بقطع ذلك السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر إلا بالموت .

(بيان علامات حسن الخلق)

اعلم أن كل إنسان جاهل بعيوب نفسه فاذا جاهد نفسه أدنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصى ربما يظن بنفسه أنه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من إيضاح علامة حسن الخلق فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين فى كتابه وهى بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فلنورد جملة من ذلك لنعلم آية حسن الخلق. قال الله تعالى ـ قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون ـ إلى قوله ـ أولئك هم الوارثون ـ وقال عز وجل ـ التائبون العابدون الحامدون ـ إلى قوله ـ وبشر المؤمنين ـ وقال عز وجل ـ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ـ إلى قوله ـ أولئك هم المؤمنون حقا ـ وقال تعالى ـ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ـ إلى آخر السورة، فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده وقد وصف رسول الله ﷺ المؤمن بصفات كثيرة وأشار بجميعها إلى محاسن الأخلاق فقال « المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه(١) » وقال عليه السلام « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره(٣) » وقال « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت(٤) » وذكر أن صفات المؤمنين هى حسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة (٦) » وقال « من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن (٧) » وقال « لا يحل لمؤمن أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه(٨) » وقال عليه السلام « لا يحل لمسلم أن يروع مسلما (٩) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما يتجالس المتجالسان بأمانة الله عز وجل فلا يحل لأحدهما أن يفشى على أخيه ما يكرهه (١٠) » وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال: هو أن يكون

من الذنب وحكم ببطلان الوضوء بها وقال يقوم الاثم مقام خروج الخارج فالاعتدال فى المزاح والضحك لا يتأتى إلا إذا خلص وخرج من مضيق الخوف والقبض والهيبة فانه يتقوم بكل مضيق من هذه المضايق بعض التقويم فيعتدل الحال فيه ويستقيم فالبسط والرجاء ينشئان المزاح والضحك والخوف والقبض يحكمان فيه بالعدل . ومن أخلاق الصوفية ترك التكلف وذلك أن التكلف تصنع وتعمل وتمايل على النفس لأجل الناس وذلك يباين حال الصوفية وفى بعضه خفى منازعة للأقدار وعدم

(١) حديث المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه الشيخان من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (٢) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه متفق عليه من حديث أبى شريح الخزاعى ومن حديث أبى هريرة (٣) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره متفق عليه من حديثهما وهو بعض الحديث الذى قبله (٤) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت متفق عليه أيضا من حديثهما وهو بعض الذى قبله (٥) حديث أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا تقدم غير مرة (٦) حديث إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة ه من حديث أبى خلاد بلفظ إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا فى الدنيا وقلة منطق فاقربوا منه فانه يلقن الحكمة (٧) حديث من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن أحمد والطبرانى وك وصححه على شرطهما من حديث أبى موسى ورواه طب ك وصححه على شرط الشيخين من حديث أبى أمامة (٨) حديث لا يحل لمسلم أن يشير إلى أخيه بنظر يؤذيه ابن المبارك فى الزهد والرقائق وفى البر والصلة مرسلا وقد تقدم (٩) حديث لا يحل لمسلم أن يروع مسلما طب طس من حديث النعمان بن بشير والبزار من حديث ابن عمر وإسناده ضعيف (١٠) حديث إنما يتجالس المتجالسان بأمانة الله

كثير الحياء قليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صبورا شكورا رضيا حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا بشاشا هشاشا يحب فى الله ويبغض فى الله ويرضى فى الله ويغضب فى الله فهذا هو حسن الخلق . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال « إن المؤمن همته فى الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همته فى الطعام والشراب كالبهيمة (١) » وقال حاتم الأصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والأمل والمؤمن آيس من كل أحد إلا من الله والمنافق راج كل أحد إلا الله والمؤمن آمن من كل أحد إلا من الله والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويبكى والمنافق يسىء ويضحك والمؤمن يحب الخلوة والوحدة والمنافق يحب الخلطة والملأ والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد وأولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الأذى واحتمال الجفاء ومن شكا من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه فان حسن الخلق احتمال الأذى . فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يوما يمشى ومعه أنس فأدركه أعرابى فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجرانى غليظ الحاشية قال أنس رضى الله عنه حتى نظرت إلى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه فقال يا محمد هب لى من مال الله الذى عندك فالتفت إليه رسول الله ﷺ وضحك ثم أمر باعطائه (٢) » ولما أكثرت قريش إيذاءه وضربه قال « اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون (٣) » قيل إن هذا يوم أحد فلذلك أنزل الله تعالى فيه ـ وإنك لعلى خلق عظيم ـ ويحكى أن إبراهيم بن أدهم خرج يوما إلى بعض البرارى فاستقبله رجل جندى فقال أنت عبد قال نعم فقال له أين العمران فأشار إلى المقبرة فقال الجندى إنما أردت العمران قال هو المقبرة فغاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجه ورده إلى البلد فاستقبله أصحابه فقالوا ما الخبر فأخبرهم الجندى ما قال له فقالوا هذا إبراهيم بن أدهم فنزل الجندى عن فرسه وقبل يديه ورجليه وجعل يعتذر إليه فقيل بعد ذلك له لم قلت له أنا عبد فقال إنه لم يسألنى عبد من أنت بل قال أنت عبد فقلت نعم لأنى عبد الله فلما ضرب رأسى سألت الله له الجنة قيل كيف وقد ظلمك فقال علمت أننى أوجر على ما نالنى منه فلم أرد أن يكون نصيبى منه الخير ونصيبه منى الشر . ودعى أبو عثمان الحيرى إلى دعوة وكان الداعى قد أراد تجربته فلما بلغ منزله قال له ليس لى وجه فرجع أبو عثمان فلما ذهب غير بعيد دعاه ثانيا فقال له يا أستاذ ارجع فرجع أبو عثمان فقال له مثل مقالته الأولى فرجع ثم دعاه الثالثة وقال ارجع على ما يوجب الوقت فرجع فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الأولى فرجع أبو عثمان ثم جاءه الرابعة فرده حتى عامله بذلك مرات وأبو عثمان لا يتغير من ذلك فأكب على رجليه وقال يا أستاذ إنما أردت أن أختبرك فما أحسن خلقك فقال إن الذى رأيت منى هو خلق الكلب إن الكلب إذا دعى أجاب وإذا زجر انزجر . وروى عنه أيضا أنه اجتاز يوما فى سكة فطرحت عليه إجانة رماد فنزل عن دابته فسجد سجدة الشكر ثم جعل ينفض الرماد عن ثيابه ولم يقل شيئا فقيل ألا زبرتهم فقال إن من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز له

الرضا بما قسم الجبار ويقال التصوف ترك التكلف ويقال التكلف تخلف وهو تخلف عن شأو الصادقين . روى أنس ابن مالك قال شهدت وليمة لرسول الله ما فيها خبز ولا لحم وروى عن جابر أنه أتاه ناس من أصحابه فأتاهم بخبز وخل وقال كلوا فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نعم الادام الخل » وعن سفيان بن سلمة قال دخلت على سلمان الفارسى فأخرج إلى خبزا وملحا وقال كل لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن يتكلف أحد لأحد لتكلفت لكم والتكلف مذموم فى جميع

الحديث تقدم فى آداب الصحبة (١) حديث سئل عن علامة المؤمن والمنافق فقال إن المؤمن همه فى الصلاة والصيام الحديث لم أجد له أصلا (٢) حديث كان يمشى فأدركه أعرابى فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجرانى غليظ الحاشية الحديث متفق عليه من حديث أنس (٣) حديث اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون حب والبيهقى فى دلائل النبوة من حديث سهل بن سعد وفى الصحيحين من حديث ابن مسعود أنه حكاه صلى الله عليه وسلم عن نبى من الأنبياء ضربه قومه .

أن يغضب ، وروى أن علىّ بن موسى الرضا رحمة الله عليه كان لونه يميل إلى السواد إذ كانت أمه سوداء وكان بنيسابور حمام على باب داره وكان إذا أراد دخول الحمام فرغه له الحمامى فدخل ذات يوم فأغلق الحمامى الباب ومضى فى بعض حوائجه فتقدم رجل رستاقى إلى باب الحمام ففتحه ودخل فنزع ثيابه ودخل فرأى علىّ بن موسى الرضا فظن أنه بعض خدام الحمام فقال له قم واحمل إلىّ الماء فقام علىّ بن موسى وامتثل جميع ما كان يأمره به فرجع الحمامى فرأى ثياب الرستاقى وسمع كلامه مع على ابن موسى الرضا فخاف وهرب وخلاهما فلما خرج علىّ بن موسى سأل عن الحمامى فقيل له إنه خاف مما جرى فهرب قال لا ينبغى له أن يهرب إنما الذنب لمن وضع ماءه عند أمة سوداء ، وروى أن أبا عبدالله الخياط كان يجلس على دكانه وكان له حريف مجوسى يستعمله فى الخياطة فكان إذا خاط له شيئا حمل إليه دراهم زائفة فكان أبو عبدالله يأخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فاتفق يوما أن أبا عبدالله قام لبعض حاجته فأتى المجوسى فلم يجده فدفع إلى تلميذه الأجرة واسترجع ماقد خاطه فكان درهما زائفا فلما نظر إليه التلميذ عرف أنه زائف فرده عليه فلما عاد أبو عبدالله أخبره بذلك فقال بئس ماعملت هذا المجوسى يعاملنى بهذه المعاملة منذ سنة وأنا أصبر عليه وآخذ الدراهم منه وألقيها فى البئر لئلا يغر بها مسلما . وقال يوسف بن أسباط علامة حسن الخلق عشر خصال : قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين مايبدو من السيئات والتماس المعذرة واحتمال الأذى والرجوع بالملامة على النفس والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه . وسئل سهل عن حسن الخلق فقال : أدناه احتمال الأذى وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه ، وقيل للأحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم قيل ومابلغ من حلمه قال بينما هو جالس فى داره إذ أتته جارية له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له صغير فمات فدهشت الجارية فقال لها لاروع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى . وقيل إن أويسا القرنى كان إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة فكان يقول لهم يا إخوتاه إن كان ولا بد فارمونى بالصغار حتى لاتدموا ساقى فتمنعونى عن الصلاة ، وشتم رجل الأحنف بن قيس وهو لا يجيبه وكان يتبعه فلما قرب من الحى وقف وقال إن كان قد بقى فى نفسك شىء فقله كى لا يسمعك بعض سفهاء الحى فيؤذوك . وروى أن عليا كرم الله وجهه دعا غلاما فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام إليه فرآه مضطجعا فقال أما تسمع ياغلام قال بلى قال فما حملك على ترك إجابتى قال أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض فأنت حر لوجه الله تعالى ، وقالت امرأة لمالك بن دينار رحمه الله يامرائى فقال ياهذه وجدت اسمى الذى أضله أهل البصرة ، وكان ليحيى بن زياد الحارثى غلام سوء فقيل له لم تمسكه فقال لأتعلم الحلم عليه فهذه نفوس قد ذللت بالرياضة فاعتدلت أخلاقها ونقيت من الغش والغل والحقد بواطنها فأثمرت الرضا بكل ماقدره الله تعالى وهو منتهى حسن الخلق فان من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه ، فهؤلاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرنا . فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغى أن يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغى أن يشتغل بالرياضة والمجاهدة إلى أن يبلغ درجة حسن الخلق فانها درجة رفيعة لا ينالها إلا المقربون والصديقون .

(بيان الطريق فى رياضة الصبيان فى أول نشوهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم)

اعلم أن الطريق فى رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها والصبى أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به

الأشياء كالتكلف بالملبوس للناس من غير نية فيه والتكلف فى الكلام وزيادة التملق الذى صار دأب أهل الزمان فما يكاد يسلم من ذلك إلا آحاد وأفراد وكم من متملق لا يعرف أنه تملق ولا يفطن له فقد يتملق الشخص إلى حد يخرجه إلى صريح النفاق وهو مباين لحال الصوفى. أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبدالوهاب بن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال ثنا أحمد بن منيع قال ثنا يزيد بن هرون عن

إليه ومن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد فى الدنيا والآخرة وشاركه فى ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقى وهلك وكان الوزر فى رقبة القيم عليه والوالى له وقد قال الله عز وجل ـ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ـ ومهما كان الأدب يصونه عن نار الدنيا فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب إليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره فى طلبها إذا كبر فيهلك هلاك الأبد بل ينبغى أن يراقبه من أول أمره فلا يستعمل فى حضانته وإرضاعه الا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشو الصبى انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث ومهما رأى فيه مخايل التمييز فينبغى أن يحسن مراقبته وأول ذلك ظهور أوائل الحياء فانه إذا كان يحتشم ويستحى ويترك بعض الأفعال فليس ذلك إلا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الأشياء قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحى من شئ دون شئ وهذه هدية من الله تعالى إليه وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبى المستحى لا ينبغى أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه أو تمييزه وأول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغى أن يؤدب فيه مثل أن لا يأخذ الطعام إلا بيمينه وأن يقول عليه باسم الله عند أخذه وأن يأكل مما يليه وأن لا يبادر إلى الطعام قبل غيره وأن لا يحدق النظر إليه ولا إلى من يأكل وأن لا يسرع فى الأكل وأن يجيد المضغ وأن لا يوالى بين اللقم ولا يلطخ يده ولا ثوبه وأن يعود الخبز القفار فى بعض الأوقات حتى لا يصير بحيث يرى الأدم حتما ويقبح عنده كثرة الأكل بأن يشبه كل من يكثر الأكل بالبهائم وبأن يذم بين يديه الصبى الذى يكثر الأكل ويمدح عنده الصبى المتأدب القليل الأكل وأن يحبب إليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن أى طعام كان وأن يحبب إليه من الثياب البيض دون الملوّن والابريسم ويقرر عنده أن ذلك شأن النساء والمخنثين وأن الرجال يستنكفون منه ويكرر ذلك عليه ومهما رأى على صبى ثوبا من إبريسم أو ملون فينبغى أن يستنكره ويذمه ويحفظ الصبى عن الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالفة كل من يسمعه ما يرغبه فيه فان الصبى مهما أهمل فى ابتداء نشوه خرج فى الأغلب ردئ الأخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوحا ذا فضول وضحك وكياد ومجانة وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب ثم يشغل فى المكتب فيتعلم القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس فى نفسه حب الصالحين ويحفظ من الأشعار التى فيها ذكر العشق وأهله ويحفظ من مخالطة الأدباء الذين يزعمون أن ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس فى قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما ظهر من الصبى خلق جميل وفعل محمود فينبغى أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس فان خالف ذلك فى بعض الأحوال مرة واحدة فينبغى أن يتغافل عنه ويهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله ولا سيما إذا ستره الصبى واجتهد فى إخفائه فان إظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالى بالمكاشفة فعند ذلك إن عاد ثانيا فينبغى أن يعاتب سرا ويعظم الأمر فيه ويقال له إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا وأن يطلع عليك فى مثل هذا فتفتضح بين الناس ولا تكثر القول عليه بالعتاب فى كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الأب حافظا هيبة الكلام معه فلا يوبخه إلا أحيانا والأم تخوفه بالأب وتزجره عن القبائح وينبغى أن يمنع عن النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلا ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب أعضاؤه ولا يسمن بدنه فلا يصبر عن التنعم بل يعود الخشونة فى الفرش

محمد بن مطرف عن حسان بن عطية عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «الحياء والعى شعبتان من الإيمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق» البذاء الفحش وأراد بالبيان ههنا كثرة الكلام والتكلف للناس بزيادة تملق وثناء عليهم وإظهار التفصح وذلك ليس من شأن أهل الصدق وحكى عن أبى وائل قال مضيت مع صاحب لى نزور سلمان فقدم إلينا خبز شعير وملحا جريشا فقال صاحبى لو كان فى هذا الملح سعتر كان أطيب فخرج سلمان ورهن مطهرته وأخذ سعترا فلما أكلنا قال صاحبى الحمد لله

والملبس والمطعم وينبغى أن يمنع من كل مايفعله فى خفية فانه لايخفيه إلا وهو يعتقد أنه قبيح فاذا ترك تعود فعل القبيح ويعود فى بعض النهار المشى والحركة والرياضة حتى لايغلب عليه الكسل ويعود أن لايكشف أطرافه ولا يسرع المشى ولا يرخى يديه بل يضمهما إلى صدره ويمنع من أن يفتخر على أقرانه بشىء مما يملكه والداه أو بشىء من مطاعمه وملابسه أو لوحه ودواته بل يعود التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف فى الكلام معهم ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيئا بدا له حشمة إن كان من أولاد المحتشمين بل يعلم أن الرفعة فى الاعطاء لا فى الأخذ وأن الأخذ لؤم وخسة ودناءة وإن كان من أولاد الفقراء فليعلم أن الطمع والأخذ مهانة وذلة وأن ذلك من دأب الكلب فانه يصبص فى انتظار لقمة والطمع فيها . وبالجملة يقبح إلى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما أكثر مما يحذر من الحيات والعقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما أضر من آفة السموم على الصبيان بل على الأكابر أيضا وينبغى أن يعود أن لايبصق فى مجلسه ولا يتخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يعمد رأسه بساعده فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة وأنه فعل أبناء اللئام ويمنع اليمين رأسا صادقا كان أو كاذبا حتى لايعتاد ذلك فى الصغر ويمنع أن يبتدىء بالكلام ويعود أن لايتكلم إلا جوابا وبقدر السؤال وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سنا وأن يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجرى على لسانه شىء من ذلك فان ذلك يسرى لا محالة من القرناء السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء وينبغى إذا ضربه المعلم أن لايكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع بأحد بل يصبر ويذكر له أن ذلك دأب الشجعان والرجال وأن كثرة الصراخ دأب المماليك والنسوان وينبغى أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لايتعب فى اللعب فان منع الصبى من اللعب وإرهاقه إلى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه رأسا ، وينبغى أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سنا من قريب وأجنبى وأن ينظر إليهم بعين الجلالة والتعظيم وأن يترك اللعب بين أيديهم ومهما بلغ سن التمييز ، فينبغى أن لا يسامح فى ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم فى بعض أيام رمضان ويجنب لبس الديباج والحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع ، ويخوف من السرقة وأكل الحرام ومن الخيانة والكذب والفحش وكل مايغلب على الصبيان فاذا وقع نشوه كذلك فى الصبا فمهما قارب البلوغ أمكن أن يعرف أسرار هذه الأمور ، فيذكر له أن الأطعمة أدوية وإنما المقصود منها أن يقوى الإنسان بها على طاعة الله عز وجل ، وأن الدنيا كلها لاأصل لها إذ لابقاء لها ، وأن الموت يقطع نعيمها ، وأنها دار ممر لادار مقر ، وأن الآخرة دار مقر لادار ممر ، وأن الموت منتظر فى كل ساعة وأن الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى ويتسع نعيمه فى الجنان فاذا كان النشو صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا يثبت فى قلبه كما يثبت النقش فى الحجر ، وإن وقع النشو بخلاف ذلك حتى ألف الصبى اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس فأوائل الأمور هى التى ينبغى أن تراعى فان الصبى بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين . قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وإنما

الذى قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت بما رزقك لم تكن مطهرتى مرهونة وفى هذا من سلمان ترك التكلف قولا وفعلا وفى حديث يونس النبى عليه السلام أنه زاره إخوانه فقدم إليهم كسرا من خبز شعير وجز لهم بقلا كان يزرعه ثم قال لولا أن الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم قال بعضهم إذا قصدت للزيارة فقدم ماحضر وإذا استزرت فلاتبق ولا تذر. وروى الزبير ابن العوام قال نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما « اللهم اغفر للذين يدعون

أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه (١) » قال سهل بن عبد الله التسترى كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالى محمد بن سوار فقال لى يوما ألا تذكر الله الذى خلقك فقلت كيف أذكره قال قل بقلبك عند تقلبك فى ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك الله معى الله ناظر إلى الله شاهد فقلت ذلك ليالى ثم أعلمته فقال قل فى كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم أعلمته فقال قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة فقلته فوقع فى قلبى حلاوته فلما كان بعد سنة قال لى خالى احفظ ماعلمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فانه ينفعك فى الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة فى سرى ثم قال لى خالى يوما ياسهل من كان الله معه وناظرا إليه وشاهده أيعصيه إياك والمعصية فكنت أخلو بنفسى فبعثوا بى إلى المكتب فقلت إنى لأخشى أن يتفرق على همى ولكن شارطوا المعلم أنى أذهب إليه ساعة فأتعلم ثم أرجع فمضيت إلى الكتاب فتعلمت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أصوم الدهر وقوتى من خبز الشعير اثنتى عشرة سنة فوقعت لى مسئلة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلى أن يبعثونى إلى أهل البصرة لأسأل عنها فأتيت البصرة فسألت علماءها فلم يشف أحد عنى شيئا فخرجت إلى عبادان إلى رجل يعرف بأبى حبيب حمزة بن أبى عبد الله العبادانى فسألته عنها فأجابنى فأقمت عنده مدة أنتفع بكلامه وأتأدب بآدابه ثم رجعت إلى تستر فجعلت قوتى اقتصادا على أن يشترى لى بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لى فأفطر عند السحر على أوقية كل ليلة بحتا بغير ملح ولا أدم فكان يكفينى ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على أن أطوى ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة فكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت أسيح فى الأرض سنين ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله ماشاء الله تعالى قال أحمد فما رأيته أكل الملح حتى لقى الله تعالى .

(بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد فى سلوك سبيل الرياضة)

واعلم أن من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مريدا حرث الآخرة مشتاقا إليها سالكا سبلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها فان من كانت عنده خرزة فرأى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة فى الخرزة وقويت إرادته فى بيعها بالجوهرة ومن ليس مريدا حرث الآخرة ولا طالبا للقاء الله تعالى فهو لعدم إيمانه بالله واليوم الآخر ولست أعنى بالايمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتى الشهادة من غير صدق وإخلاص فان ذلك يضاهى قول من صدق بأن الجوهرة خير من الخرزة إلا أنه لايدرى من الجوهرة إلا لفظها وأما حقيقتها فلا ومثل هذا الصدق إذا ألف الخرزة قد لايتركها ولا يعظم اشتياقه إلى الجوهرة فاذن المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله تعالى الهادين إلى طريقه والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم أمر الآخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا فى شهواتهم وغاصوا فى رقدتهم وليس فى علماء الدين من ينبههم فان تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله فان طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين إلى الهوى عادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله تعالى عن السالكين فيه ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لامحالة فان تنبه متنبه من نفسه أومن تنبيه غيره وانبعث له إرادة فى حرث الآخرة وتجارتها فينبغى أن يعلم أن له شروطا لابد من تقديمها فى بداية الارادة وله معتصم

(١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة .

لأموات أمتى ولا يتكلفون ألا إنى برىء من التكلف وصالحو أمتى » وروى أن عمر رضى الله عنه قرأ قوله تعالى ـ فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا ـ ثم قال هذا كله قد عرفناه فما الأب قال ويبد عمر عصاه فضرب بها الأرض ثم قال هذا لعمر الله هو التكلف فخذوا أيها الناس مابين لكم منه فما عرفتم اعملوا به ومن لم تعرفوا فكلوا علمه إلى الله . ومن أخلاق الصوفية الانفاق من غير إقتار وترك الادخار وذلك أن الصوفى يرى خزائن فضل الحق فهو بمثابة

لابد من التمسك به وله حصن لابد من التحصن به ليأمن من الأعداء القطاع لطريقه وعليه وظائف لابد من ملازمتها فى وقت سلوك الطريق. أما الشروط التى لابد من تقديمها فى الارادة فهى رفع السد والحجاب الذى بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى ـ وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون ـ والسد بين المريد وبين الحق أربعة: المال والجاه والتقليد والمعصية وإنما يرفع حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لا يبقى له إلا قدر الضرورة فما دام يبقى له درهم يلتفت إليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله عز وجل وإنما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه بالتواضع وإيثار الخمول والهرب من أسباب الذكر وتعاطى أعمال تنفر قلوب الخلق عنه وإنما يرتفع حجاب التقليد بأن يترك التعصب للمذاهب وأن يصدق بمعنى قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله تصديق إيمان ويحرص فى تحقيق صدقه بأن يرفع كل معبود له سوى الله تعالى وأعظم معبود له الهوى حتى إذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الأمر فى معنى اعتقاده الذى تلقفه تقليدا فينبغى أن يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فان غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق فى نفسه متسع لغيره صار ذلك قيدا له وحجابا إذ ليس من شرط المريد الانتماء إلى مذهب معين أصلا وأما المعصية فهى حجاب ولا يرفعها إلا التوبة والخروج من المظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وإرضاء الخصوم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصى الظاهرة وأراد أن يقف على أسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد أن يقف على أسرار القرآن وتفسيره وهو بعد لم يتعلم لغة العرب فان ترجمة عربية القرآن لابد من تقديمها أولا ثم الترقى منها إلى أسرار معانيه فكذلك لابد من تصحيح ظاهر الشريعة أولا وآخرا ثم الترقى إلى أغوارها وأسرارها فاذا قدم هذه الشروط الأربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحا للصلاة فيحتاج إلى إمام يقتدى به فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدى به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة فمن سلك سبل البوادى المهلكة بغير خفير فقد خاطر بنفسه وأهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التى تنبت بنفسها فانها تجف على القرب وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض أمره إليه بالكلية ولا يخالفه فى ورده ولا صدره ولا يبقى فى متابعته شيئا ولا يذر وليعلم أن نفعه فى خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه فى صواب نفسه لو أصاب فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه أن يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهو أربعة أمور: الخلوة والصمت والجوع والسهر وهذا تحصن من القواطع فان مقصود المريد إصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه أما الجوع فانه ينقص دم القلب ويبيضه وفى بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفى ذوبانه رقته، ورقته مفتاح المكاشفة كما أن قساوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدو فان مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات وقال عيسى عليه السلام يامعشر الحواريين جوّعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل بن عبدالله التسترى ماصار الأبدال أبدالا إلا بأربع خصال: بإخماص البطون، والسهر، والصمت، والاعتزال عن الناس فقائدة الجوع فى تنوير القلب أمر ظاهر يشهد له التجربة وسيأتى بيان وجه التدريج فيه فى كتاب كسر الشهوتين. وأما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره فيضاف ذلك إلى الصفاء الذى حصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدرى والمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال

من هو مقيم على شاطئ بحر والمقيم على شاطئ البحر لا يدخر الماء فى قربته وراويته. روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «مامن يوم إلا له ملكان يناديان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا» وروى أنس قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد». وروى أنه «أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث طوائر فأطعم خادمه طيرا فلما كان الغد أتاه به فقال رسول الله ألم أنهك أن تخبأ شيئا لغد فان الله تعالى يأتى

الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات فى الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتها فتتم بذلك رغبته عن الدنيا وإقباله على الآخرة والسهر أيضا نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسى القلب ويميته إلا إذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة لأسرار الغيب فقد قيل فى صفة الأبدال إن أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال إبراهيم الخواص رحمه الله أجمع رأى سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء . وأما الصمت فانه تسهله العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرابه وتدبير أمره فينبغى أن لا يتكلم إلا بقدر الضرورة فان الكلام يشغل القلب وشره القلوب إلى الكلام عظيم فانه يستروح إليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر فيستريح إليه فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى . وأما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما دهليز القلب والقلب فى حكم حوض تنصب إليه مياه كريهة كدرة قذرة من أنهار الحواس ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها ليتفجر أصل الحوض فيخرج منه الماء النظيف الطاهر وكيف يصح له أن ينزح الماء من الحوض والأنهار مفتوحة إليه فيتجدد فى كل حال أكثر مما ينقص فلابد من ضبط الحواس إلا عن قدر الضرورة وليس يتم ذلك إلا بالخلوة فى بيت مظلم وإن لم يكن له مكان مظلم فليلف رأسه فى جيبه أو يتدثر بكساء أو إزار ففى مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية أما ترى أن نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على مثل هذه الصفة فقيل له يا أيها المزمل يا أيها المدثر (١) فهذه الأربعة جنة وحصن بها تدفع عنه القواطع وتمنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وإنما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله تعالى إلا صفات القلب التى سببها الالتفات إلى الدنيا وبعض تلك العقبات أعظم من بعض والترتيب فى قطعها أن يشتغل بالأسهل فالأسهل وهى تلك الصفات أعنى أسرار العلائق التى قطعها فى أول الارادة وآثارها أعنى المال والجاه وحب الدنيا والالتفات إلى الخلق والتشوف إلى المعاصى فلابد أن يخلى الباطن عن آثارها كما أخلى الظاهر عن أسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الأحوال فرب شخص قد كفى أكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا أن طريق المجاهدة مضادة الشهوات ومخالفة الهوى فى كل صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره فاذا كفى ذلك أو ضعف بالمجاهدة ولم يبق فى قلبه علاقة شغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير الأوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الأوراد وثمرتها أعنى ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلو من ذكر غيره ولا يشغله به مادام قلبه ملتفتا إلى علائقه قال الشبلى للحصرى إن كان يخطر بقلبك من الجمعة التى تأتينى فيها إلى الجمعة الأخرى شئ غير الله تعالى فحرام عليك أن تأتينى وهذا التجرد لا يحصل إلا مع صدق الإرادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون فى صورة العاشق المستهتر الذى ليس له إلا هم واحد فاذا كان كذلك ألزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ويوكل به من

(١) حديث بدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مدثر فقيل له يا أيها المزمل يا أيها المدثر متفق عليه من حديث جابر جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يمينى الحديث وفيه فأتيت خديجة فقلت دثرونى وصبوا علىّ الماء باردا فدثرونى وصبوا علىّ ماء باردا قال فنزلت يا أيها المدثر وفى رواية فقلت زملونى زملونى ولهما من حديث عائشة فقال زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع .

يقوم

برزق كل غد » . وروى أبو هريرة رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على بلال وعنده صبرة من تمر فقال ماهذا يابلال فقال أدخر يارسول الله قال أما تخشى أنفق بلالا ولا تخش من ذى العرش إقلالا » . وروى أن عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم كان يأكل الشجر ويلبس الشعر ويبيت حيث أمسى ولم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يخبأ شيئا لغد . فالصوفى كل خباياه فى خزائن الله لصدق توكله وثقته بربه فالدنيا للصوفى كدار الغربة ليس له فيها ادخار ولا له منها

يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فان أصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرا من الأذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا الله الله أو سبحان الله سبحان الله أو ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة اللسان وتكون الكلمة كأنها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب عليه حتى يسقط الأثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ فى القلب ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة معه غالبة عليه قد فرغ عن كل ما سواه لأن القلب إذا شغل بشئ خلا عن غيره أى شئ كان فاذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو المقصود خلا لا محالة عن غيره وعند ذلك يلزمه أن يراقب وساوس القلب والخواطر التى تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما قد مضى من أحواله وأحوال غيره فانه مهما اشتغل بشئ منه ولو فى لحظة خلا قلبه عن الذكر فى تلك اللحظة وكان أيضا نقصانا فليجتهد فى دفع ذلك ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس إلى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة وأنها ما هى وما معنى قولنا الله ولأى معنى كان إلها وكان معبودا ويعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر وبدعة ومهما كان كارها لذلك ومتشمرا لإماطته عن القلب لم يضره ذلك وهى منقسمة إلى ما يعلم قطعا أن الله تعالى منزه عنه ولكن الشيطان يلقى ذلك فى قلبه ويجريه على خاطره فشرطه أن لا يبالى به ويفزع إلى ذكر الله تعالى ويبتهل إليه ليدفعه عنه كما قال تعالى ـ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ـ وقال تعالى ـ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ـ وإلى ما يشك فيه فينبغى أن يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد فى قلبه من الأحوال من فترة أو نشاط أو التفات إلى عقله أو صدق فى إرادة فينبغى أن يظهر ذلك لشيخه وأن يستره عن غيره فلا يطلع عليه أحدا ثم إن شيخه ينظر فى حاله ويتأمل فى ذكائه وكياسته فلو علم أنه لو تركه وأمره بالفكر تنبه من نفسه على حقيقة الحق فينبغى أن يحيله على الفكر ويأمره بملازمته حتى يقذف فى قلبه من النور ما يكشف له حقيقته وإن علم أن ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده إلى الاعتقاد القاطع بما يحمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه وينبغى أن يتأنق الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواضع أخطارها فكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن أمثال هذه الأفكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وإن أخطأ كان من الهالكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «عليكم بدين العجائز (١)» وهو تلقى أصل الإيمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال بأعمال الخير فان الخطر فى العدول عن ذلك كثير ولذلك قيل يجب على الشيخ أن يتفرس فى المريد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يرده إلى الأعمال الظاهرة والأوراد المتواترة أو يشغله بخدمة المتجردين للفكر لتشمله بركتهم فان العاجز عن الجهاد فى صف القتال ينبغى أن يسقى القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيامة فى زمرتهم وتعمه بركتهم وإن كان

استكثار قال عليه السلام «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا» أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب قال أنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبى عبد الله الماليني قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن الداودى قال أنا أبو محمد عبد الله السرخسى قال أنا أبو عمران السمرقندى قال أنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى قال أنا محمد ابن يوسف عن سفيان عن ابن المنكدر عن جابر قال ما سئل النبى صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا قال ابن عيينة إذا لم يكن عنده وعد وبالاسناد

(١) حديث عليكم بدين العجائز قال ابن طاهر فى كتاب التذكرة هذا اللفظ تداوله العامة ولم أقف له على أصل يرجع إليه من رواية صحيحة ولا سقيمة حتى رأيت حديثا لمحمد بن عبد الرحمن بن السلمانى عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم إذا كان فى آخر الزمان واختلف الأهواء فعليكم بدين أهل البادية والنساء وابن السلمانى له عن أبيه عن ابن عمر نسخة كان يتهم بوضعها انتهى ، وهذا اللفظ من هذا الوجه رواه حب فى الضعفاء فى ترجمة ابن السلمانى والله أعلم .

لايبلغ درجتهم ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد يقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف له من الأحوال ومايبدومن أوائل الكرامات ومهما التفت إلى شئ من ذلك وشغلت به نفسه كان ذلك فتورا فى طريقه ووقوفا بل ينبغى أن يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذى لاترويه البحار ولوأفيضت عليه ويدوم على ذلك ورأس ماله الانقطاع عن الخلق إلى الحق والخلوة قال بعض السياحين قلت لبعض الأبدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق إلى التحقيق فقال أن تكون فى الدنيا كأنك عابر طريق وقال مرة قلت له دلنى على عمل أجد قلبى فيه مع الله تعالى على الدوام فقال لى لاتنظر إلى الخلق فان النظر إليهم ظلمة قلت لا بد لى من ذلك قال فلاتسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لابد لى من ذلك قال فلاتعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت أنا بين أظهرهم لابدلى من معاملتهم قال فلا تسكن إليهم فان السكون إليهم هلكة قلت هذا لعلة قال ياهذا أتنظر إلى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد أن تجد قلبك مع الله تعالى على الدوام ؟ هذا ما لا يكون أبدا فاذا منتهى الرياضة أن يجد قلبه مع الله تعالى على الدوام ولا يمكن ذلك إلا بأن يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره إلا بطول المجاهدة فاذا حصل قلبه مع الله تعالى انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطائف الله تعالى مالايجوز أن يوصف بل لايحيط به الوصف أصلا وإذا انكشف للمريد شئ من ذلك فأعظم القواطع عليه أن يتكلم به وعظا ونصحا ويتصدى للتذكير فتجد النفس فيه لذة ليس وراءها لذة فتدعوه تلك اللذة إلى أن يتفكر فى كيفية إيراد تلك المعانى وتحسين الألفاظ المعبرة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والأخبار وتحسين صنعة الكلام لتميل إليه القلوب والأسماع فربما يخيل إليه الشيطان أن هذا إحياء منك لقلوب الموتى الغافلين عن الله تعالى وإنما أنت واسطة بين الله تعالى وبين الخلق تدعو عباده إليه ومالك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بأن يظهر فى أقرانه من يكون أحسن كلاما منه وأجزل لفظا وأقدر على استجلاب قلوب العوام فانه يتحرك فى باطنه عقرب الحسد لامحالة إن كان محركه كيد القبول وإن كان محركه هو الحق حرصا على دعوة عباد الله تعالى إلى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه ويقول الحمد لله الذى عضدنى وأيدنى بمن وازرنى على إصلاح عباده كالذى وجب عليه مثلا أن يحمل ميتا ليدفنه إذ وجده ضائعا وتعين عليه ذلك شرعا فجاء من أعانه عليه فانه يفرح به ولايحسد من يعينه والغافلون موتى القلوب والوعاظ هم المنبهون والمحيون لهم ففى كثرتهم استرواح وتناصر فينبغى أن يعظم الفرح بذلك وهذا عزيز الوجود جدا فينبغى أن يكون المريد على حذر منه فانه أعظم حبائل الشيطان فى قطع الطريق على من انفتحت له أوائل الطريق فان إيثار الحياة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال الله تعالى — بل تؤثرون الحياة الدنيا — ثم بين أن الشر قديم فى الطباع وأن ذلك مذكور فى الكتب السالفة فقال — إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى — فهذا منهاج رياضة المريد وتربيته فى التدريج إلى لقاء الله تعالى . فأما تفصيل الرياضة فى كل صفة فسيأتى فان أغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه ولسانه أعنى به الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذى هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما أحب الانسان شهوة البطن والفرج وأنس بهما أحب الدنيا ولم يتمكن منها إلا بالمال والجاه وإذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة وإذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدنيا رأسا وتمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين أن نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب إن شاء الله تعالى : كتاب فى كسر شهوة البطن والفرج وكتاب فى آفات اللسان وكتاب فى كسر الغضب والحقد والحسد وكتاب فى ذم الدنيا

عن الدارمى قال أنا يعقوب بن حميد قال أنا عبد العزيز بن محمد عن ابن أخى الزهرى قال إن جبريل عليه السلام قال مافى الأرض أهل عشيرة من أبيات إلا قلبتهم فما وجدت أحدا أشد إنفاقا لهذا المال من رسول الله صلى الله عليه وسلم [ومن أخلاق الصوفية القناعة باليسير من الدنيا] . قال ذو النون المصرى : من قنع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه وقال بشر ابن الحرث لو لم يكن فى القناعة إلا التمتع بالعز لكفى صاحبه وقال بنان الحمال :

الحر عبد ماطمع
والعبد حر ماقنع

وتفصيل خدعها وكتاب فى كسر حب المال وذم البخل وكتاب فى ذم الرياء وحب الجاه وكتاب فى ذم الكبر والعجب وكتاب فى مواقع الغرور وبذكر هذه المهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربع المهلكات إن شاء الله تعالى فان ماذكرناه فى الكتاب الأول هو شرح لصفات القلب الذى هو معدن المهلكات والمنجيات وما ذكرناه فى الكتاب الثانى هو إشارة كلية إلى طريق تهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلوب أما تفصيلها فانه يأتى فى هذه الكتب إن شاء الله تعالى.

تم كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوتين والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

﴿ كتاب كسر الشهوتين ﴾

(وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالجلال فى كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ عبده فى جميع موارده ومجاريه المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما يفى بأمانيه فهو الذى يرشده ويهديه وهو الذى يميته ويحييه وإذا مرض فهو يشفيه وإذا ضعف فهو يقويه وهو الذى يوفقه للطاعة ويرتضيه وهو الذى يطعمه ويسقيه ويحفظه من الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقربه حتى تضيق به مجارى الشيطان الذى يناويه ويكسر به شهوة النفس التى تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد أن يوسع عليه ما يلتذ به ويشتهيه ويكثر عليه مايهيج بواعثه ويؤكد دواعيه كل ذلك يمتحنه به ويبتليه فينظر كيف يؤثره على مايهواه وينتحيه وكيف يحفظ أوامره وينتهى عن نواهيه ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه والصلاة على محمد عبده النبيه وسوله الوجيه صلاة تزلفه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الأبرار من عترته وأقربيه والأخيار من صحابته وتابعيه .

[أما بعد] فأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها أخرج آدم عليه السلام وحواء من دار القرار إلى دار الذل والافتقار إذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهواتهما حتى أكلا منها فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الأدواء والآفات إذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق إلى المنكوحات ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة فى الجاه والمال اللذين هما وسيلة إلى التوسع فى المنكوحات والمطعومات ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك إلى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء ثم يفضى ذلك بصاحبه إلى اقتحام البغى والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة ومايتولد منها من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجارى الشيطان لأذعنت لطاعة الله عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك إلى الانهماك فى الدنيا وإيثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا وإذا عظمت آفة شهوة البطن إلى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها تحذيرا منها ووجب إيضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبا

وقال بعضهم انتقم من حرصك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص . وقال أبو بكر المراغى العاقل من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسويف ودبر أمر الآخرة بالحرص والتعجيل . وقال يحيى بن معاذ من قنع بالرزق فقد ذهب بالآخرة وطاب عيشه . وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه القناعة سيف لاينبو. أخبرنا أبو زرعة عن أبيه أبى الفضل قال أنا أبو القاسم عبد الله بن الحسن الخلال ببغداد قال أنا أبو حفص عمر بن إبراهيم قال حدثنا أبو القاسم البغوى قال

فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى فى فصول يجمعها بيان فضيلة الجوع ثم فوائده ثم طريق الرياضة فى كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتأخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس ثم بيان الرياضة فى ترك الشهوة ثم القول فى شهوة الفرج ثم بيان ما على المريد فى ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة البطن والفرج والعين .

(بيان فضيلة الجوع وذم الشبع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الأجر فى ذلك كأجر المجاهد فى سبيل الله وأنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش (١) » وقال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم « لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه (٢) » وقيل يارسول الله أى الناس أفضل قال « من قل مطعمه وضحكه ورضى بما يستر به عورته (٣) » وقال النبى صلى الله عليه وسلم « سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف (٤) » وقال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « البسوا وكلوا واشربوا فى أنصاف البطون فانه جزء من النبوة (٥) » وقال الحسن قال النبى ﷺ « الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هى العبادة (٦) » وقال الحسن أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعا وتفكرا فى الله سبحانه وأبغضكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل نئوم أكول شروب (٧) » وفى الخبر « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز (٨) » أى مختارا لذلك وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يباهى الملائكة بمن قل مطعمه ومشربه فى الدنيا يقول الله تعالى انظروا إلى عبدى ابتليته بالطعام والشراب فى الدنيا فصبر وتركهما اشهدوا يا ملائكتى ما من أكلة يدعها إلا أبدلته بها درجات فى الجنة (٩) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء (١٠) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وإن كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه (١١) » وفى حديث أسامة بن زيد وحديث أبى هريرة الطويل ذكر فضيلة الجوع إذ قال فيه « إن أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه فى الدنيا الأخفياء الأتقياء الذين إن شهدوا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الأرض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله عز وجل افترش الناس الفرش الوثيرة وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين وأخلاقهم وحفظوها هم تبكى الأرض إذا فقدتهم ويسخط الجبار على كل

حدثنا محمد بن عباد قال حدثنا أبو سعيد عن صدقة بن الربيع عن عمارة بن عزية عن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الأعواد يقول « ما قل وكفى خير مما كثر وألهى » وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافا ثم صبر عليه » وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا وقال « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا » وروى جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « القناعة مال

(١) حديث جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش لم أجد له أصلا (٢) حديث ابن عباس لا يدخل ملكوت السموات من ملأ بطنه لم أجده أيضا (٣) حديث أى الناس أفضل قال من قل طعمه وضحكه ورضى بما يستر عورته يأتى الكلام عليه وعلى ما بعده من الأحاديث (٤) حديث سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف (٥) حديث أبى سعيد الخدرى البسوا وكلوا واشربوا فى أنصاف البطون (٦) حديث الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هى العبادة (٧) حديث الحسن أفضلكم عند الله أطولكم جوعا وتفكرا الحديث لم أجد لهذه الأحاديث المتقدمة أصلا (٨) حديث كان يجوع من غير عوز أى مختارا لذلك البيهقى فى شعب الايمان من حديث عائشة قالت لو شئنا أن نشبع لشبعنا ولكن محمدا ﷺ كان يؤثر على نفسه وإسناده معضل (٩) حديث إن الله يباهى الملائكة بمن قل طعمه فى الدنيا الحديث ابن عدى فى الكامل وقد تقدم فى الصيام (١٠) حديث لا تميتوا القلب بكثرة الطعام والشراب الحديث لم أقف له على أصل (١١) حديث ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه الحديث ت من حديث المقدام وقد تقدم.

بلدة ليس فيها منهم أحد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف أكلوا العلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس فيظنون أن بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وماذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم إلى أمر الله الذى أذهب عنهم الدنيا فهم عند أهل الدنيا يعشون بلا عقول عقلوا حين ذهبت عقول الناس لهم الشرف فى الآخرة يا أسامة إذا رأيتهم فى بلدة فاعلم أنهم أمان لأهل تلك البلدة ولا يعذب الله قوما هم فيهم. الأرض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك إخوانا عسى أن تنجو بهم وإن استطعت أن يأتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل فانك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلى عليك الجبار (١)».

روى الحسن على أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «البسوا الصوف وشمروا وكلوا فى أنصاف البطون تدخلوا فى ملكوت السماء (٢)» وقال عيسى عليه السلام: يامعشر الحواريين أجيعوا أكبادكم وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل (٣) وروى ذلك أيضا عن نبينا صلى الله عليه وسلم رواه طاوس وقيل مكتوب فى التوراة إن الله ليبغض الحبر السمين لأن السمن يدل على الغفلة وكثرة الأكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولأجل ذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه: إن الله تعالى يبغض القارئ السمين وفى خبر مرسل «إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش (٤)» وفى الخبر «إن الأكل على الشبع يورث البرص (٥)» وقال صلى الله عليه وسلم «المؤمن يأكل فى معى واحد والمنافق يأكل فى سبعة أمعاء (٦)» أى يأكل سبعة أضعاف مايأكل المؤمن أو تكون شهوته سبعة أضعاف شهوته وذكر المعى كناية عن الشهوة لأن الشهوة هى التى تقبل الطعام وتأخذه كما يأخذ المعى وليس المعنى زيادة عدد معى المنافق على معى المؤمن. وروى الحسن عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول «أديعوا قرع باب الجنة يفتح لكم فقلت كيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظمأ (٧)» وروى «أن أبا جحيفة تجشأ فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أقصر من جشائك فان أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعا فى الدنيا (٨)»

---

(١) حديث أسامة بن زيد وأبى هريرة أقرب الناس من الله يوم القيامة من طال جوعه وعطشه الحديث بطوله الخطيب فى الزهد من حديث سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل على أسامة بن زيد فذكره مع تقديم وتأخير ومن طريقه رواه ابن الجوزى فى الموضوعات وفيه حباب بن عبد الله بن جبلة أحد الكذابين وفيه من لا يعرف وهو منقطع أيضا وراوه الحارث بن أبى أسامة من هذا الوجه (٢) حديث الحسن عن أبى هريرة البسوا الصوف وشمروا وكلوا فى أنصاف البطون تدخلوا فى ملكوت السماء أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس بسند ضعيف (٣) حديث طاوس مرسلا أجيعوا أكبادكم الحديث لم أجده أيضا (٤) حديث إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم الحديث تقدم فى الصيام دون الزيادة التى فى آخره وذكر المصنف هنا أنه مرسل والمرسل رواه ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان من حديث على بن الحسين دون الزيادة أيضا (٥) حديث إن الأكل على الشبع يورث البرص لم أجد له أصلا (٦) حديث المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء متفق عليه من حديث عمر وحديث أبى هريرة (٧) حديث الحسن عن عائشة أديعوا قرع باب الجنة الحديث لم أجده أيضا (٨) حديث إن أبا جحيفة تجشأ فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقصر من جشائك فان أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعا فى الدنيا البيهقى فى الشعب من حديث أبى جحيفة وأصله عند ت وحسنه و ه من حديث ابن عمر تجشأ رجل الحديث لم يذكر أبا جحيفة.

لاينفد» وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قال كونوا أوعية الكتاب وينابيع الحكمة وعدوا أنفسكم فى الموتى واسألوا الله تعالى الرزق يوما بيوم ولا يضركم أن لا يكثر لكم. وأخبرنا أبو زرعة طاهر عن أبى الفضل والده قال أنا أبو القاسم إسماعيل بن عبد الله الشاوى قال أنا أحمد بن على الحافظ قال أنا أبو عمرو بن حمدان قال حدثنا الحسن بن سفيان قال حدثنا عمرو ابن مالك البصرى قال حدثنا مروان بن معاوية قال حدثنا عبد الرحمن بن أبى سلمة الأنصارى قال أخبرنى سلمة بن عبد الله بن محصن

وكانت عائشة رضى الله عنها تقول «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعا وربما بكيت رحمة مما أرى به من الجوع فأمسح بطنه بيدى وأقول نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر مايقويك ويمنعك من الجوع فيقول ياعائشة إخوانى من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ماهو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدنى أستحى إن ترفهت فى معيشتى أن يقصر بى غدا دونهم فالصبر أياما يسيرة أحب إلىّ من أن ينقص حظى غدا فى الآخرة وما من شئ أحب إلىّ من اللحوق بأصحابى وإخوانى قالت عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله إليه (١)» وعن أنس قال «جاءت فاطمة رضوان الله عليها بكسرة خبز إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذا الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسى حتى أتيتك منه بهذه الكسرة فقال رسول الله ﷺ أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام (٢)» وقال أبو هريرة «ماأشبع النبى صلى الله عليه وسلم أهله ثلاثة أيام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا (٣)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن أهل الجوع فى الدنيا هم أهل الشبع فى الآخرة وإن أبغض الناس إلى الله المتخمون اللاءى وماترك عبد أكلة يشتهيها إلا كانت له درجة فى الجنة (٤)» . وأما الآثار فقد قال عمر رضى الله عنه إياكم والبطنة فانها ثقل فى الحياة نتن فى الممات وقال شقيق البلخى العبادة حرفة حانوتها الخلوة وآلتها المجاعة وقال لقمان لابنه يابنى إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة وكان الفضيل بن عياض يقول لنفسه أى شئ تخافين أتخافين أن تجوعى لاتخافى ذلك أنت أهون على الله من ذلك إنما يجوع محمد ﷺ وأصحابه وكان كهمس يقول إلهى أجعتنى وأعريتنى وفى ظلم الليالى بلامصباح أجلستنى فبأى وسيلة بلغتنى مابلغتنى وكان فتح الموصلى إذا اشتد مرضه وجوعه يقول إلهى ابتليتنى بالمرض والجوع وكذلك تفعل بأوليائك فبأى عمل أؤدى شكر ما أنعمت به على وقال مالك ابن دينار قلت لمحمد بن واسع يا أبا عبد الله طوبى لمن كانت له غليلة تقوته وتغنيه عن الناس فقال لى يا أبا يحيى طوبى لمن أمسى وأصبح جائعا وهو عن الله راض وكان الفضيل بن عياض يقول إلهى أجعتنى وأجعت عيالى وتركتنى فى ظلم الليالى بلامصباح وإنما تفعل ذلك بأوليائك فبأى منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة وفى التوراة اتق الله وإذا شبعت فاذكر الجياع وقال أبو سليمان لأن أترك لقمة من عشائى أحب إلىّ من قيام ليلة إلى الصبح وقال أيضا الجوع عند الله فى خزائنه لايعطيه إلا من أحبه وكان سهل بن عبد الله التسترى يطوى نيفا وعشرين يوما لايأكل وكان يكفيه لطعامه فى السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لايوافى القيامة عمل برّ أفضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم فى أكله وقال لم ير الأكياس شيئا أنفع من الجوع للدين والدنيا وقال لاأعلم شيئا أضر على طلاب الآخرة من الأكل وقال وضعت الحكمة والعلم فى الجوع ووضعت

(١) حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ شبعا قط وربما بكيت رحمة له لما أرى به من الجوع الحديث لم أجده أيضا[١] (٢) حديث أنس جاءت فاطمة بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث الحارث بن أبى أسامة فى مسنده بسند ضعيف (٣) حديث أبى هريرة ماشبع النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا أخرجه م وقد تقدم (٤) حديث إن أهل الجوع فى الدنيا هم أهل الشبع فى الآخرة طب وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عباس باسناد ضعيف

[١] وجد بهامش العراقى مايأتى ، قلت : بل له أصل أخرجه أبو موسى المدينى مطولا فى كتاب استحلاء الموت وأورد منه عياض فى الشفاء اهـ .

عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا» وقيل فى تفسير قوله تعالى ـ فلنحيينه حياة طيبة ـ هى القناعة فالصوفى قوام على نفسه بالقسط عالم بطبائع النفس وجدوى القناعة والتوصل إلى استخراج ذلك من النفس لعلمه بدائها ودوائها . وقال أبو سليمان الدارانى القناعة من الرضا كما أن الورع من الزهد . ومن أخلاق الصوفية ترك المراء والمجادلة والغضب إلا بحق واعتماد الرفق والحلم وذلك أن النفوس تثب وتظهر

المعصية والجهل فى الشبع وقال ماعبد الله بشىء أفضل من مخالفة الهوى فى ترك الحلال وقدجاء فى الحديث « ثلث للطعام فمن زاد عليه فانما يأكل من حسناته[1] »وسئل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك أحب إليه من الأكل ويكون إذا جاع ليلة سأل الله أن يجعلها ليلتين فاذا كان ذلك وجد الزيادة وقال ما صار الأبدال أبدالا إلا باخماص البطون والسهر والصمت والخلوة وقال رأس كل بر نزل من السماء إلى الأرض الجوع ورأس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال إقبال الله عز وجل على العبد بالجوع والسقم والبلاء إلا من شاء الله وقال اعلموا أن هذا زمان لاينال أحد فيه النجاة إلا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والسهر والجهد وقال مامر على وجه الأرض أحد شرب من هذا الماء حتى روى فسلم من المعصية وإن شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام. وسئل حكيم بأى قيد أقيد نفسى قال قيدها بالجوع والعطش وذللها باحمال الذكر وترك العز وصغرها بوضعها تحت أرجل أبناء الآخرة واكسرها بترك زى القراء عن ظاهرها وانجها من آفاتها بدوام سوء الظن بها واصحبها بخلاف هواها . وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى إن الله تعالى ماصافى أحدا إلا بالجوع ولامشوا على الماء إلا به ولا طويت لهم الأرض إلا بالجوع ولا تولاهم الله تعالى إلا بالجوع وقال أبو طالب المكى مثل البطن مثل الزهر وهو العود المجوف ذو الأوتار إنما حسن صوته لخفته ورقته ولأنه أجوف غير ممتلىء وكذلك الجوف إذا خلا كان أعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للمنام. وقال أبو بكر بن عبد الله المزنى ثلاثة يحبهم الله تعالى رجل قليل النوم قليل الأكل قليل الراحة .وروى أن عيسى عليه السلام مكث يناجى ربه ستين صباحا لم يأكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فاذا رغيف موضوع بين يديه فجلس يبكى على فقد المناجاة وإذا شيخ قد أظله فقال له عيسى بارك الله فيك ياولى الله ادع الله تعالى لى فانى كنت فى حالة فخطر ببالى الخبز فانقطعت عنى فقال الشيخ اللهم إن كنت تعلم أن الخبز خطر ببالى منذ عرفتك فلا تغفر لى بل كان إذا حضر لى شىء أكلته من غير فكر وخاطر . وروى أن موسى عليه السلام لما قربه الله عز وجل نجيا كان قد ترك الأكل أربعين يوما ثلاثين ثم عشرا على ماورد به القرآن لأنه أمسك بغير تبييت يوما فزيد عشرة لأجل ذلك.

(بيان فوائد الجوع وآفات الشبع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الأجر فى ذلك »[1] ولعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من أين هو وما سببه وليس فيه إلا إيلام المعدة ومقاساة الأذى فان كان كذلك فينبغى أن يعظم الأجر فى كل مايتأذى به الانسان من ضربه لنفسه وقطعه للحمه وتناوله الأشياء المكروهة وما يجرى مجراه فاعلم أن هذا يضاهى قول من شرب دواء فانتفع به وظن أن منفعته لكراهة الدواء ومرارته فأخذ يتناول كل ما يكرهه من المذاق وهو غلط بل نفعه فى خاصية فى الدواء وليس لكونه مرا وإنما يقف على تلك الخاصية الأطباء فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع إلا سماسرة العلماء ومن جوع نفسه مصدقا لما جاء فى الشرع من مدح الجوع انتفع به وإن لم يعرف علة المنفعة كما أن من شرب الدواء انتفع به وإن لم يعلم وجه كونه نافعا ولكنا نشرح لك ذلك إن أردت أن ترتقى من درجة الايمان إلى درجة العلم قال الله تعالى ـ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ـ فنقول فى الجوع عشر فوائد : الفائدة الأولى صفاء القلب وإيقاد القريحة وإنفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمى القلب ويكثر البخار فى الدماغ شبه السكر حتى يحتوى على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن

(١) حديث ثلث للطعام تقدم .

[١] حديث جاهدوا أنفسكم لم يخرجه العراقى .

فى المارين والصوفى كلما رأى نفس صاحبه ظاهرة قابلها بالقلب وإذا قوبلت النفس بالقلب ذهبت الوحشة وانطفأت الفتنة قال الله تعالى تعليما لعباده ـ ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ـ ولاينزع للراء إلا من نفوس زكية انتزع منها الغل ووجود الغل فى النفوس مراء الباطن وإذا انتزع المراء من الباطن ذهب من الظاهر أيضا وقد يكون الغل فى النفس مع من يشاكله ويماثله لوجود المنافسة ومن استقصى فى تذويب النفس بنار الزهادة فى الدنيا ينمحى الغل من باطنه ولا تبقى عنده منافسة دنيوية

الجريان فى الأفكار وعن سرعة الادراك بل الصبى إذا أكثر الأكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطىء الفهم والإدراك . وقال أبو سليمان الدارانى عليك بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السماوى وقال صلى الله عليه وسلم « أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترق (١) » ويقال مثل الجوع مثل الرعد ومثل القناعة مثل السحاب والحكمة كالمطر وقال النبى صلى الله عليه وسلم « من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه (٢) » وقال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم « من شبع ونام قسا قلبه ثم قال لكل شىء زكاة وزكاة البدن الجوع (٣) » وقال الشبلى ماجعت لله يوما إلا رأيت فى قلبى بابا مفتوحا من الحكمة والعبرة مارأيته قط وليس يخفى أن غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل إلى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من أبواب الجنة فبالحرى أن تكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمان لابنه يابنى إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة وقال أبو يزيد البسطامى الجوع سحاب فاذا جاع العبد أمطر القلب الحكمة وقال النبى صلى الله عليه وسلم « نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع والقربة إلى الله عز وجل حب المساكين والدنو منهم . لاتشبعوا فتطفئوا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات فى خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح (٤) » الفائدة الثانية : رقة القلب وصفاؤه الذى به يتهيأ لادراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر فكم من ذكر يجرى على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لايلتذ به ولا يتأثر حتى كأن بينه وبينه حجابا من قسوة القلب وقد يرق فى بعض الأحوال فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الأظهر فيه. وقال أبو سليمان الدرانى أحلى ماتكون إلى العبادة إذا التصق ظهرى ببطنى . وقال الجنيد يجعل أحدهم بينه وبين صدره مخلاة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة المناجاة . وقال أبو سليمان إذا جاع القلب وعطش صبا ورق وإذا شبع عمى وغلظ فاذا تأثر القلب بلذة المناجاة أمن وراء تيسير الفكر واقتناص المعرفة فهى فائدة ثانية . الفائدة الثالثة : الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والأشر الذى هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى فلا تنكسر النفس ولا تذل بشىء كما تذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها إذ ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقيمة طعام فاتتها وأظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تأخرت عنها وما لم يشاهد الانسان ذل نفسه وعجزه لايرى عزة مولاه ولا قهره وإنما سعادته فى أن يكون دائما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة والقهر فليكن دائما جائعا مضطرا إلى مولاه مشاهدا للاضطرار بالذوق ولأجل ذلك لما عرضت الدنيا وخزائنها على النبى صلى الله عليه وسلم قال « لابل أجوع يوما وأشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت وإذا شبعت شكرت (٥) » أو كما قال فالبطن والفرج باب من أبواب النار وأصله الشبع والذل

(١) حديث أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفو وترق لم أجد له أصلا (٢) حديث من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه كذلك لم أجد له أصلا (٣) حديث من شبع ونام قسا قلبه ثم قال إن لكل شىء زكاة وإن زكاة الجسد الجوع ، من حديث أبى هريرة لكل شىء زكاة وزكاة الجسد الصوم وإسناده ضعيف (٤) حديث نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع الحديث ذكره أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة وكتب عليه إنه مسند وهى علامة مارواه باسناده (٥) حديث أجوع يوما وأشبع يوما الحديث تقدم وهو عند ت .

فى حظوظ عاجلة من جاه ومال قال الله تعالى فى وصف أهل الجنة المتقين ـ ونزعنا مافى صدورهم من غل ـ قال أبو حفص كيف يبقى الغل فى قلوب ائتلفت بالله واتفقت على محبته واجتمعت على مودته وأنست بذكره فان تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبائع بل كحلت بنور التوفيق فصارت إخوانا فهكذا قلوب أهل التصوف والمجتمعين على الكلمة الواحدة ومن التزم بشروط الطريق والانكباب على الظفر بالتحقيق . والناس رجلان : رجل طالب ماعند الله تعالى ويدعو إلى ماعند الله

والانكسار باب من أبواب الجنة وأصله الجوع ومن أغلق بابا من أبواب النار فقد فتح بابا من أبواب الجنة بالضرورة لأنهما متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب من أحدهما بعد من الآخر . الفائدة الرابعة : أن لاينسى بلاء الله وعذابه ولاينسى أهل البلاء فان الشبعان ينسى الجائع وينسى الجوع والعبد الفطن لايشاهد بلاء من غيره إلا ويتذكر بلاء الآخرة فيذكر من عطشه عطش الخلق فى عرصات القيامة ومن جوعه جوع أهل النار حتى إنهم ليجوعون فيطعمون الضريع والزقوم ويسقون الغساق والمهل فلا ينبغى أن يغيب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها فانه هو الذى يهيج الخوف فمن لم يكن فى ذلة ولاعلة ولاقلة ولابلاء نسى عذاب الآخرة ولم يتمثل فى نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغى أن يكون العبد فى مقاساة بلاء أومشاهدة بلاء وأولى مايقاسيه من البلاء الجوع فان فيه فوائد جمة سوى تذكر عذاب الآخرة وهذا أحد الأسباب الذى اقتضى اختصاص البلاء بالأنبياء والأولياء والأمثل فالأمثل ولذلك قيل ليوسف عليه السلام لم تجوع وفى يدك خزائن الأرض فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع فذكر الجائعين والمحتاجين إحدى فوائد الجوع فان ذلك يدعو إلى الرحمة والإطعام والشفقة على خلق الله عز وجل والشبعان فى غفلة عن ألم الجائع . الفائدة الخامسة : وهى من أكبر الفوائد كسر شهوات المعاصى كلها والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء فان منشأ المعاصى كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لاعالة الأطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وإنما السعادة كلها فى أن يملك الرجل نفسه والشقاوة فى أن تملكه نفسه وكما أنك لا تملك الدابة الجموح إلا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك النفس كما قيل لبعض مابالك مع كبرك لاتتعهد بدنك وقد انهد فقال لأنه سريع المرح فاحش الأشر فأخاف أن يجمح بى فيورطنى فلأن أحمله على الشدائد أحب إلى من أن يحملنى على الفواحش . وقال ذوالنون ماشبعت قط إلا عصيت أوهممت بمعصية . وقالت عائشة رضى الله عنها أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع إن القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم إلى هذه الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هى خزائن الفوائد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزائن الله تعالى وأقل ماينتفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجائع لايتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك وإذا شبع افتقر إلى فاكهة فيتفكه لاعالة بأعراض الناس ولا يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم . وأما شهوة الفرج : فلا تخفى غائلتها والجوع يكفى شرها وإذا شبع الرجل لم يملك فرجه وإن منعته التقوى فلا يملك عينه فالعين تزنى كما أن الفرج يزنى فان ملك عينه بغض الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الأفكار الرديئة وحديث النفس بأسباب الشهوة ومايتشوش به مناجاته وربما عرض له ذلك فى أثناء الصلاة وإنما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالا وإلا فجميع معاصى الأعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فيصبر على الخبز البحت سنة لايخلط به شيئا من الشهوات ويأكل فى نصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء . الفائدة السادسة : دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولأجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وأجمع رأى سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة الشرب وفى كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر أنفس الجواهر وهو رأس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره ينقص العمر ثم فضيلة التهجد لاتخفى وفى النوم فواتها ومهما

نفسه وغيره فالمحقق الصوفى مع هذا منافسة ومراء وغل فان هذا معه فى طريق واحد ووجهة واحدة واخوه ومعينه والمؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا ورجل مفتتن بشىء من محبة الجاه والمال والرياسة ونظر الخلق فما للصوفى مع هذا منافسة لأنه زهد فيما فيه رغب فمن شأن الصوفى أن ينظر إلى مثل هذا نظر رحمة وشفقة حيث يراه محجوبا مفتتنا فلا ينطوى له على غل ولا يماريه فى الظاهر على شىء لعلمه بظهور نفسه الأمارة بالسوء فى المراء والمجادلة . أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على

غلب النوم فان تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم المتعزب إذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك أيضا من التهجد ويحوجه إلى الغسل إما بالماء البارد فيتأذى به أو يحتاج إلى الحمام وربما لايقدر عليه بالليل فيفوته الوتر إن كان قد أخره إلى التهجد ثم يحتاج إلى مؤنة الحمام وربما تقع عينه على عورة فى دخول الحمام فان فيه أخطارا ذكرناها فى كتاب الطهارة وكل ذلك أثر الشبع . وقد قال أبو سليمان الدارانى الاحتلام عقوبة وإنما قال ذلك لأنه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الغسل فى كل حال فالنوم منبع الآفات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له . الفائدة السابعة : تيسير المواظبة على العبادة فان الأكل يمنع من كثرة العبادات لأنه يحتاج إلى زمان يشتغل فيه بالأكل وربما يحتاج إلى زمان فى شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج إلى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده إلى بيت الماء لكثرة شربه والأوقات المصروفة إلى هذا لو صرفها إلى الذكر والمناجاة وسائر العبادات لكثر ربحه . قال السرى رأيت مع على الجرجانى سويقا يستف منه فقلت ماحملك على هذا قال إنى حسبت مابين المضغ إلى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة فانظر كيف أشفق على وقته ولم يضيعه فى المضغ وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لاقيمة لها فينبغى أن يستوفى منه خزانة باقية فى الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه إلى ذكر الله وطاعته . ومن جملة مايتعذر بكثرة الأكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج إلى الخروج لكثرة شرب الماء وإراقته ومن جملته الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف أوقات شغله بالأكل وأسبابه إلى العبادة أرباح كثيرة وإنما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ـ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ـ وقد أشار أبو سليمان الدارانى إلى ست آفات من الشبع فقال : من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلاوة المناجاة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع وثقل العبادة وزيادة الشهوات وأن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل . الفائدة الثامنة : يستفيد من قلة الأكل صحة البدن ودفع الأمراض فان سببها كثرة الأكل وحصول فضلة الأخلاط فى المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج إلى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج إلى مؤن ونفقات لايخلو الانسان منها بعد التعب عن أنواع من المعاصى واقتحام الشهوات وفى الجوع مايمنع ذلك كله . حكى أن الرشيد جمع أربعة أطباء هندى وروى وعراقى وسوادى وقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذى لاداء فيه فقال الهندى الدواء الذى لاداء فيه عندى هو الإهليلج الأسود وقال العراقى هو حب الرشاد الأبيض وقال الرومى هو عندى الماء الحار وقال السوادى وكان أعلمهم الإهليلج يغص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يزلق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخى المعدة وهذا داء قالوا فما عندك فقال الدواء الذى لاداء معه عندى أن لاتأكل الطعام حتى تشتهيه وأن ترفع يدك عنه وأنت تشتهيه فقالوا صدقت . وذكر لبعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قول النبى صلى الله عليه وسلم « ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس (١) » فتعجب منه وقال ماسمعت كلاما فى قلة الطعام أحكم من هذا وإنه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم « البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل جسم ما اعتاد (٢) » وأظن تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لامن ذاك وقال ابن سالم :

(١) حديث ثلث للطعام تقدم أيضا (٢) حديث البطنه أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا

قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا زياد بن أيوب قال حدثنا المحاربى عن ليث عن عبد الملك عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لاتمار أخاك ولا تعده موعدا فتخلفه » وفى الخبر « من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له فى وسطها ومن حسن خلقه بنى له فى أعلاها » . وأخبرنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب قال أنا

من أكل خبز الحنطة بحتا بأدب لم يعتل إلا علة الموت قيل وما الأدب قال تأكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع . وقال بعض أفاضل الأطباء فى ذم الاستكثار إن أنفع ما أدخل الرجل بطنه الرمان وأضر ما أدخل معدته المالح ولأن يقلل من المالح خير له من أن يستكثر من الرمان وفى الحديث « صوموا تصحوا (١) » ففى الصوم والجوع وتقليل الطعام صحة الأجسام من الأسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرها . الفائدة التاسعة : خفة المؤنة فان من تعود قلة الأكل كفاه من المال قدر يسير والذى تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له آخذا بمخنقه فى كل يوم فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج إلى أن يدخل للداخل فيكتسب من الحرام فيعصى أو من الحلال فيذل وربما يحتاج إلى أن يمد أعين الطمع إلى الناس وهو غاية الذل والقماءة والمؤمن خفيف المؤنة . وقال بعض الحكماء إنى لأقضى عامة حوائجى بالترك فيكون ذلك أروح لقلبى . وقال آخر إذا أردت أن أستقرض من غيرى لشهوة أو زيادة استقرضت من نفسى فتركت الشهوة فهى خير غريم لى وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله يسأل أصحابه عن سعر المأكولات فيقال إنها غالية فيقول أرخصوها بالترك . وقال سهل رحمه الله الأكول مذموم فى ثلاثة أحوال : إن كان من أهل العبادة فيكسل وإن كان مكتسبا فلا يسلم من الآفات وإن كان ممن يدخل عليه شىء فلا ينصف الله تعالى من نفسه . وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم على الدنيا البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفى تقليل الأكل ما يحسم هذه الأحوال كلها وهى أبواب النار وفى حسمها فتح أبواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم «أدبعوا قرع باب الجنة بالجوع» فمن قنع برغيف فى كل يوم قنع فى سائر الشهوات أيضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله عز وجل وتجارة الآخرة فيكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإنما لا تلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة وأما المحتاج فتلهيه لا محالة . الفائدة العاشرة : أن يتمكن من الإيثار والتصدق بما فضل من الأطعمة على اليتامى والمساكين فيكون يوم القيامة فى ظل صدقته (٢) كما ورد به الخبر فما يأكله كان خزانته الكنيف وما يتصدق به كان خزانته فضل الله تعالى فليس للعبد من ماله إلا ما تصدق فأبقى أو أكل فأفنى أو لبس فأبلى فالتصدق بفضلات الطعام أولى من التخمة والشبع . وكان الحسن رحمة الله عليه إذا تلا قوله تعالى ـ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ـ قال عرضها على السموات السبع الطباق والطرائق التى زينها بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها سبحانه وتعالى هل تحملين الأمانة بما فيها قالت وما فيها ؟ قال إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت فقالت لا ، ثم عرضها كذلك على الأرض فأبت ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ الصلاب الصعاب فقال لها هل تحملين الأمانة بما فيها قالت وما فيها ؟ فذكر الجزاء والعقوبة فقالت لا ، ثم عرضها على الانسان فحملها إنه كان ظلوما لنفسه جهولا بأمر ربه فقد رأيناهم والله اشتروا الأمانة بأموالهم فأصابوا آلافا فماذا صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا بها قبورهم وأسمنوا براذينهم وأهزلوا دينهم وأتعبوا أنفسهم بالغدو والرواح إلى باب السلطان يتعرضون

كل بدن بما اعتاد لم أجد له أصلا (١) حديث صوموا تصحوا الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الطب النبوى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٢) حديث كل امرىء فى ظل صدقته ك من حديث عقبة بن عامر وقد تقدم .

أبو عبد الرحمن السهروردى محمد بن أبى عبد الله الماليني قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن الداودى قال أنا أبو محمد عبد الله ابن أحمد الحموى قال أنا أبو عمران عيسى السمرقندى قال أنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى قال حدثنا يحيى بن بسطام عن يحيى ابن حمزة قال حدثنا النعمان ابن مكحول عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من طلب العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء أو يريد أن يقبل بوجوه الناس إليه أدخله الله تعالى جهنم » انظر كيف

للبلاء وهم من الله فى عافية يقول أحدهم تبيعنى أرض كذا وكذا وأزيدك كذا وكذا يتكىء على شماله ويأكل من غير ماله حديثه سخرة وماله حرام حتى إذا أخذته الكظة ونزلت به البطنة قال ياغلام ائتنى بشىء أهضم به طعامى بالسكع أطعامك تهضم إنما دينك تهضم أين الفقير أين الأرملة أين المسكين أين اليتيم الذى أمرك الله تعالى بهم فهذه إشارة إلى هذه الفائدة وهو صرف فاضل الطعام إلى الفقير ليدخر به الأجر فذلك خير له من أن يأكله حتى يتضاعف الوزر عليه « ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل سمين البطن فأومأ إلى بطنه بأصبعه وقال : لوكان هذا فى غير هذا لكان خيرا لك[1] » أى لوقدمته لآخرتك وآثرت به غيرك . وعن الحسن قال والله لقد أدركت أقواما كان الرجل منهم يمسى وعنده من الطعام ما يكفيه ولوشاء لأكله فيقول والله لاأجعل هذا كله لبطنى حتى أجعل بعضه لله فهذه عشر فوائد للجوع يتشعب من كل فائدة فوائد لاينحصر عددها ولاتتناهى فوائدها فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة ولأجل هذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح فى الأخبار التى رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد تدرك معانى تلك الأخبار إدراك علم وبصيرة فاذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كانت لك رتبة المقلدين فى الإيمان والله أعلم بالصواب .

(بيان طريق الرياضة فى كسر شهوة البطن)

اعلم أن على المريد فى بطنه ومأكوله أربع وظائف : الأولى أن لايأكل إلا حلالا فان العبادة مع أكل الحرام كالبناء على أمواج البحار وقد ذكرنا ماتجب مراعاته من درجات الورع فى كتاب الحلال والحرام وتبقى ثلاث وظائف خاصة بالأكل وهو تقدير قدر الطعام فى القلة والكثرة وتقدير وقته فى الإبطاء والسرعة وتعيين الجنس المأكول فى تناول المشتهيات وتركها . أما الوظيفة الأولى : فى تقليل الطعام فسبيل الرياضة فيه التدريج فمن اعتاد الأكل الكثير وانتقل دفعة واحدة إلى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغى أن يتدرج إليه قليلا قليلا وذلك بأن ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد فان كان يأكل رغيفين مثلا وأراد أن يرد نفسه إلى رغيف واحد فينقص كل يوم ربع سبع رغيف وهو أن ينقص جزءا من ثمانية وعشرين جزءا أو جزءا من ثلاثين جزءا فيرجع إلى رغيف فى شهر ولايستضر به ولايظهر أثره فان شاء فعل فى ذلك بالوزن وإن شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما أكله بالأمس ثم هذا فيه أربع درجات أقصاها أن يرد نفسه إلى قدر القوام الذى لايبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التسترى رحمة الله عليه إذ قال إن الله استعبد الخلق بثلاث : بالحياة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنين منها وهى الحياة والعقل أكل وأفطر إن كان صائما وتكلف الطلب إن كان فقيرا وإن لم يخف عليهما بل على القوة قال فينبغى أن لايبالى ولوضعف حتى صلى قاعدا ورأى أن صلاته قاعدا مع ضعف الجوع أفضل من صلاته قائما مع كثرة الأكل . وسئل سهل عن بدايته وما كان يقتات به فقال كان قوتى فى كل سنة ثلاثة دراهم كنت آخذ بدرهم دبسا وبدرهم دقيق الأرز . وبدرهم سمنا وأخلط الجميع وأسوى منه ثلثمائة وستين أكرة آخذ فى كل ليلة أكرة أفطر عليها فقيل له فالساعة كيف تأكل قال بغير حد ولاتوقيت . ويحكى عن الرهابين أنهم قد يردون أنفسهم إلى مقدار درهم من الطعام . الدرجة الثانية أن يرد نفسه بالرياضة فى اليوم والليلة إلى نصف مد وهو رغيف وشىء مما يكون الأربعة منه منا

جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم للمارة مع السفهاء سببا لدخول النار وذلك بظهور نفوسهم فى طلب القهر والغلبة والقهر والغلبة من صفات الشيطنة فى الآدمى . قال بعضهم : المجادل المارى يصع فى نفسه عنه الخوض فى الجدال أن لايقنع بشىء ومن لايقنع إلا أن لايقنع فما إلى قناعته سبيل فنفس الصوفى تبدلت صفاتها وذهب عنه صفة الشيطنة والسبعية وتبدل باللين والرفق والسهولة والطمأنينة روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «والذى نفسى بيده لايسلم عبد

(١) حديث نظر إلى رجل سمين البطن فأومأ إلى بطنه بأصبعه وقال لوكان هذا فى غير هذا لكان خيرا لك أحمد وك فى المستدرك والبيهقى فى الشعب من حديث جعدة الجشمى وإسناده جيد .

ويشبه أن يكون هـذا مقدار ثلث البطن فى حق الأكثرين كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقيمات لأن هـذه الصيغة فى الجمع للقلة فهو لما دون العشرة وقد كان ذلك عادة عمر رضى الله عنه إذ كان يأكل سبع لقم أو تسع لقم . الدرجة الثالثة : أن يردها إلى مقدار المدوهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن فى حق الأكثرين ويكاد ينتهى إلى ثلثى البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شىء للذكر وفى بعض الألفاظ ثلث للذكر بدل قوله للنفس. الدرجة الرابعة: أن يزيد على المد إلى المن ويشبه أن يكون ماوراء المن إسرافا مخالفا لقوله تعالى ـ ولا تسرفوا ـ أعنى فى حق الأكثرين فان مقدار الحاجة إلى الطعام يختلف بالسن والشخص والعمل الذى يشتغل به وههنا طريق خامس لاتقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو أن يأكل إذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الأغلب أن من لم يقدر لنفسه رغيفاأو رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشتبه عليه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات : إحداهاأن لا تطلب النفس الأدم بل تأكل الخبز وحده بشهوة أى خبز كان فمهما طلبت نفسه خبزا بعينه أو طلبت أدما فليس ذلك بالجوع الصادق وقد قيل من علامته أن يبصق فلا يقع الذباب عليه أى لم يبق فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للمريد أن يقدر مع نفسه القدر الذى لايضعفه عن العبادة التى هو بصددها فاذاانتهى إليه وقف وإن بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لايمكن لأنه يختلف بالأحوال والأشخاص، نعم قدكان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة فى كل جمعة فاذا أكلوا التمر اقتاتوا منه صاعا ونصفا وصاع الحنطة أربعة أمداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ماذكرناه أنه قدر ثلث البطن واحتيج فى التمر إلى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان أبو ذر رضى الله عنه يقول طعامى فى كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أزيد عليه شيئا حتى ألقاه فانى سمعته يقول « أقربكم منى مجلسا يوم القيامة وأحبكم إلى من مات على ماهو عليه اليوم[1] » وكان يقول فى إنكاره على بعض الصحابة قد غيرتم ينخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين إدامين واختلف عليكم بألوان الطعام وغدا أحدكم فى ثوب وراح فى آخر ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله ﷺ وكان قوت أهل الصفة مدا من تمر بين اثنين فى كل يوم[2] والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى . وكان الحسن رحمة الله عليه يقول المؤمن مثل العنيزة يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع الضارى بلعا بلعا وسرطا سرطا لايطوى بطنه لجاره ولا يؤثر أخاه بفضله وجهوا هذه الفضول أمامكم . وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا لكان قوت المؤمن منها حلالا لأن أكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط . الوظيفة الثانية: فى وقت الأكل ومقدار تأخيره وفيه أيضا أربع درجات : الدرجة العليا أن يطوى ثلاثة أيام فما فوقها وفى المريدين من رد الرياضة إلى الطى لا إلى المقدار حتى انتهى بعضهم إلى ثلاثين يوما وأربعين يوما وانتهى إليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو القرنى وعبد الرحمن بن إبراهيم ورحيم وإبراهيم التيمى وحجاج بن فرافصة وحفص العابد المصيصى والمسلم ابن سعيد وزهير وسليمان الخواص وسهل بن عبد الله التسترى وإبراهيم بن أحمد الخواص وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يطوى ستة أيام وكان عبد الله بن الزبير يطوى سبعة أيام

حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه » انظر كيف جعل النبي صلى الله عليه وسلم من شرط الاسلام سلامة القلب واللسان وروى عنه عليه السلام أنه مر بقوم وهم يحدون حجرا قال ماهذا قالوا هذا حجر الأشداء قال ألا أخبركم بأشد من هـذا رجل كان بينه وبين أخيه غضب فأتاه فغلب شيطانه وشيطان أخيه فكلمه وروى أنه جاء غلام لأبى ذر وقد كسر رجل شاة فقال أبوذر من كسر رجل هذه الشاة فقال أنا قال ولم فعلت ذلك قال عمدا فعلت قال ولم قال أغيظك فتضربنى

(١) حديث أبى ذر أقربكم منى مجلسا يوم القيامة وأحبكم إلى من مات على ما هو عليه اليوم أحمد فى كتاب الزهد ومن طريقه أبو نعيم فى الحلية دون قوله وأحبكم إلى وهو منقطع (٢) حديث كان قوت أهل الصفة مدا من تمر بين اثنين فى كل يوم ك وصحح إسناده من حديث طلحة البصرى .

وكان أبو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوى سبعا . وروى أن الثورى وإبراهيم بن أدهم كانا يطويان ثلاثا ثلاثا كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة . قال بعض العلماء من طوى لله أربعين يوما ظهرت له قدرة من الملكوت أى كوشف ببعض الأسرار الإلهية . وقد حكى أن بعض أهل هذه الطائفة مر براهب فذاكره بحاله وطمع فى إسلامه وترك ماهو عليه من الغرور فكلمه فى ذلك كلاما كثيرا إلى أن قال له الراهب إن المسيح كان يطوى أربعين يوما وإن ذلك معجزة لاتكون إلا لنبى أوصديق فقال له الصوفى فان طويت خمسين يوما تترك ماأنت عليه وتدخل فى دين الاسلام وتعلم أنه حق وأنك على باطل ؟ قال نعم فجلس لايبرح إلا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما ثم قال وأزيدك أيضا فطوى إلى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت أظن أن أحدا يجاوز المسيح فكان ذلك سبب إسلامه وهذه درجة عظيمة قل من يبلغها إلا مكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه فى لذته وأنساه جوعته وحاجته . الدرجة الثانية : أن يطوى يومين إلى ثلاثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول إليه بالجد والمجاهدة. الدرجة الثالثة : وهى أدناها أن يقتصر فى اليوم والليلة على أكلة واحدة وهذا هو الأقل وماجاوز ذلك إسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة فقد روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا تغدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتغد (١) وكان السلف يأكلون فى كل يوم أكلة وقال النبى ﷺ لعائشة «إياك والسرف فان أكلتين فى يوم من السرف وأكلة واحدة فى كل يومين إقتار وأكلة فى كل يوم قوام بين ذلك (٢)» وهو المحمود فى كتاب الله عز وجل ومن اقتصر فى اليوم على أكلة واحدة فيستحب له أن يأكلها سحرا قبل طلوع الفجر فيكون أكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس إلى المعلوم فلا تنازعه قبل وقته. وفى حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبى هريرة قال ماقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وإن كان ليقوم حتى تورم قدماه وماواصل وصالكم هذا قط غير أنه قد أخر الفطر إلى السحر (٣) وفى حديث عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى ﷺ يواصل إلى السحر (٤) فان كان يلتفت قلب الصائم بعد المغرب إلى الطعام وكان ذلك يشغله عن حضور القلب فى التهجد فالأولى أن يقسم طعامه نصفين فان كان رغيفين مثلا أكل رغيفا عند الفطر ورغيفا عند السحر لتسكن نفسه ويخف بدنه عند التهجد ولا يشتد بالنهار جوعه لأجل التسحر فيستعين بالرغيف الأول على التهجد وبالثانى على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا بأس أن يأكل كل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه الطرق فى مواقيت الأكل وتباعده وتقاربه . الوظيفة الثالثة : فى نوع الطعام وترك الادام وأعلى الطعام مخ البر فان نخل فهو غاية الترفه وأوسطه شعير منخول وأدناه شعير لم ينخل وأعلى الأدم اللحم والحلاوة وأدناه الملح

(١) حديث أبى سعيد الخدرى كان إذا تغدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتغد لم أجد له أصلا (٢) حديث قال لعائشة إياك والاسراف فان أكلتين فى يوم من السرف البيهقى فى الشعب من حديث عائشة وقال فى اسناده ضعف (٣) حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبى هريرة ماقام رسول صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وإن كان ليقوم حتى تزلع قدماه رواه من مختصرا كان يصلى حتى تزلع قدماه واسناده جيد (٤) حديث عائشة كان يواصل إلى السحر لم أجده من فعله وإنما هو من قوله فأيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر رواه خ من حديث أبى سعيد وأما هو فكان يواصل وهو من خصائصه .

فتأثم فقال أبو ذر لأغيظن من حضك على غيظى فأعتقه . وروى الأصمعى عن أعرابى قال إذا أشكل عليك أمران لاتدرى أيهما أرشد فخالف أقربهما إلى هواك فان أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه أبى الفضل قال أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن على قال أنا خورشيد قال ثنا إبراهيم بن عبدالله قال ثنا أحمد بن محمد ابن سليم قال ثنا الزبير ابن بكار قال ثنا سعيد ابن سعد عن أخيه عن جده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

والخل وأوسطه المزورات بالأدهان من غير لحم وعادة سالكى طريق الآخرة الامتناع من الإدام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان وأكله اقتضى ذلك بطرا فى نفسه وقسوة فى قلبه وأنسا له بلذات الدنيا حتى يألفها ويكره الموت ولقاء الله تعالى وتصير الدنيا جنة فى حقه ويكون الموت سجنا له وإذا منع نفسه عن شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجنا عليه ومضيقا له فاشتهت نفسه الافلات منها فيكون الموت إطلاقها وإليه الاشارة بقول يحيى ابن معاذ حيث قال معاشر الصديقين جوّعوا أنفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر تجويع النفس فكل ماذكرناه من آفات الشبع فانه يجرى فى كل الشهوات وتناول اللذات فلا نطول باعادته فلذلك يعظم الثواب فى ترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر فى تناولها حتى قال صلى الله عليه وسلم « شرار أمتى الذين يأكلون مخ الحنطة [1] » وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى أن من أكله مرة أو مرتين لم يعص ومن داوم عليه أيضا فلا يعصى بتناوله ولكن تربى نفسه بالنعيم فتأنس بالدنيا وتألف اللذات وتسعى فى طلبها فيجرها ذلك إلى المعاصى فهم شرار الأمة لأن مخ الحنطة يقودهم إلى اقتحام أمور تلك الأمور معاص وقال صلى الله عليه وسلم « شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه أجسامهم [2] » وإنما همتهم ألوان الطعام وأنواع اللباس ويتشدقون فى الكلام وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام اذكر أنك ساكن القبر فان ذلك يمنعك من كثير الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيذ الأطعمة وتمرين النفس عليها ورأوا أن ذلك علامة الشقاوة ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روى أن وهب بن منبه قال التقى ملكان فى السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر من أين ؟ قال أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودى لعنه الله وقال الآخر أمرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد فهذا تنبيه على أن تيسير أسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر رضى الله عنه عن شربة ماء بارد بعسل وقال اعزلوا عنى حسابها فلا عبادة لله تعالى أعظم من مخالفة النفس فى الشهوات وترك اللذات كما أوردناه فى كتاب رياضة النفس وقد روى نافع أن ابن عمر رضى الله عنهما كان مريضا فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت له بدرهم ونصف فشويت وحملت إليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام لفها برغيفها وادفعها إليه فقال له الغلام أصلحك الله قد اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها فلما وجدتها اشتريتها بدرهم ونصف فنحن نعطيه ثمنها فقال لفها وادفعها إليه ثم قال الغلام للسائل هل لك أن تأخذ درهما وتتركها قال نعم فأعطاه درهما وأخذها وأتى بها فوضعها بين يديه وقال قد أعطيته درهما وأخذتها منه فقال لفها وادفعها إليه ولا تأخذ منه الدرهم فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء

« ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأما المنجيات فخشية الله فى السر والعلانية والحكم بالحق عند الغضب والرضا والاقتصاد عند الفقر والغنى وأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه » فالحكم بالحق عند الغضب والرضا لا يصح إلا من عالم ربانى أمير على نفسه يصرفها بعقل حاضر وقلب يقظان ونظر إلى الله بحسن الاحتساب . نقل أنهم كانوا يتوضأون عن إيذاء المسلم يقول بعضهم لأن أتوضأ من كلمة خبيثة أحب إلىّ من أن أتوضأ من طعام طيب . وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما الحدث

(١) حديث شرار أمتى الذين يأكلون مخ الحنطة لم أجد له أصلا (٢) حديث شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم الحديث ابن عدى فى الكامل ومن طريقه البيهقى فى شعب الإيمان من حديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى من حديث فاطمة بنت الحسين مرسلا قال الدارقطنى فى العلل إنه أشبه بالصواب ورواه أبو نعيم فى الحلية من حديث عائشة باسناد لا بأس به (٣) حديث نافع أن ابن عمر كان مريضا فاشتهى سمكة الحديث وفيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب باسناد ضعيف جدا ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات .

اشتهيت تمرا فآليت أن لاتأكليه أبدا فسلمت ودخلت فاذا هو وحده ومرّ أبو حازم يوما فى السوق فرأى الفاكهة فاشتهاها فقال لابنه اشترلنا من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب إلى الفاكهة التى لامقطوعة ولاممنوعة فلما اشتراها وأتى بها إليه قال لنفسه قد خدعتنى حتى نظرت واشتهيت وغلبتنى حتى اشتريت والله لاذقتيه فبعث بها إلى يتامى من الفقراء ، وعن موسى الأشج أنه قال نفسى تشتهى ماحا جريشا منذ عشرين سنة ، وعن أحمد بن خليفة قال نفسى تشتهى منذ عشرين سنة ماطلبت منى إلا الماء حتى تروى فما أرويتها ، وروى أن عتبة الغلام اشتهى لحما سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال استحييت من نفسى أن أدافعها منذ سبع سنين سنة بعد سنة فاشتريت قطعة لحم على خبز وشويتها وتركتها على رغيف فلقيت صبيا فقلت ألست أنت ابن فلان وقد مات أبوك قال بلى فناولته إياها قالوا وأقبل يبكى ويقرأ ـ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ـ ثم لم يذقه بعد ذلك ومكث يشتهى تمرا سنين فلما كان ذات يوم اشترى تمرا بقيراط ورفعه إلى الليل ليفطر عليه قال فهبت ريح شديدة حتى أظلمت الدنيا ففزع الناس فأقبل عتبة على نفسه يقول هذا لجراءتى عليك وشرائى التمر بالقيراط ثم قال لنفسه ما أظن أخذ الناس إلا بذنبك على أن لاتذوقيه . واشترى داود الطائى بنصف فلس بقلا وبفلس خلا وأقبل ليلته كلها يقول لنفسه ويلك ياداود ما أطول حسابك يوم القيامة ثم لم يأكل بعده إلا قفارا وقال عتبة الغلام يوما لعبد الواحد بن زيد إن فلانا يصف من نفسه منزلة ما أعرفها من نفسى فقال لأنك تأكل مع خبزك تمرا وهو لايزيد على الخبز شيئا قال فان أنا تركت أكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فأخذ يبكى فقال له بعض أصحابه لاأبكى الله عينك أعلى التمر تبكى فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه فى الترك وهو إذا ترك شيئا لم يعاوده . وقال جعفر بن نصر أمرنى الجنيد أن أشترى له التين الوزيرى فلما اشتريته أخذ واحدة عند الفطور فوضعها فى فمه ثم ألقاها وجعل يبكى ثم قال احمله فقلت له فى ذلك فقال هتف بى هاتف أما تستحى تركته من أجلى ثم تعود إليه ، وقال صالح المرى قلت لعطاء السلمى إنى متكلف لك شيئا فلا ترد على كرامتى فقال افعل ماتريد قال فبعثت إليه مع ابنى شربة من سويق قد لتته بسمن وعسل فقلت لاتبرح حتى يشربها فلما كان من الغد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فعاتبته ولمته على ذلك وقلت سبحان الله رددت على كرامتى فلما رأى وجدى لذلك قال لايسوؤك هذا إنى قد شربتها أول مرة وقد راودت نفسى فى المرة الثانية على شربها فلم أقدر على ذلك كلما أردت ذلك ذكرت قوله تعالى ـ يتجرّعه ولايكاد يسيغه ـ الآية . قال صالح فبكيت وقلت فى نفسى أنا فى واد وأنت فى واد آخر ، وقال السرى السقطى نفسى منذ ثلاثين سنة تطالبنى أن أغمس جزرة فى دبس فما أطعمتها . وقال أبو بكر الجلاء أعرف رجلا تقول له نفسه أنا أصبر لك على طىّ عشرة أيام واطعمنى بعد ذلك شهوة أشتهيها فيقول لها لاأريد أن تطوى عشرة أيام ولكن اتركى هذه الشهوة . وروى أن عابدا دعا بعض إخوانه فقرّب إليه رغفانا فجعل أخوه يقلب الأرغفة ليختار أجودها فقال له العابد مه أىّ شىء تصنع أما علمت أن فى الرغيف الذى رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانعا حتى استدار من السحاب الذى يحمل الماء والماء الذى يسقى الأرض والرياح والبهائم وبنى آدم حتى صار إليك ثم أنت بعد هذا تقلبه ولاترضى به وفى الخبر « لايستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعا أولهم ميكائيل عليه السلام الذى يكيل الماء من خزائن الرحمة ثم الملائكة التى تزجى السحاب والشمس والقمر والأفلاك وملائكة الهواء ودواب الأرض وآخرهم الخباز ـ وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها ـ (١) »

عباس رضى الله عنهما عن الغم والغضب قال مخرجهما واحد واللفظ يختلف فمن نازع من يقوى عليه أظهره غضبا ومن نازع من لايقوى عليه كتمه حزنا والحرد غضب أيضا ولكن يستعمل إذا قصد المغضوب عليه وإن كان الغضب على من يشاكله ويماثله ممن يتردد فى الانتقام منه يتردد القلب بين الانقباض والانبساط فيتولد منه الغل والحقد ولايأوى مثل هذا إلى قلب الصوفى قال الله تعالى ـ ونزعنا مافى صدورهم من غلّ ـ وصلامة قلب الصوفى وحاله يقذف زبد الغل والحقد كما يقذف البحر الزبد لمافيه من تلاطم

(١) حديث لايستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعا أولهم ميكائيل

القراح فعلى الدنيا وأهلها الدمار[1]» أشار إلى أن المقصود ردّ ألم الجوع والعطش ودفع ضررهما دون التنعم بلذات الدنيا ، وبلغ عمر رضى الله عنه أن يزيد بن أبى سفيان يأكل أنواع الطعام فقال عمر لمولى له إذا علمت أنه قد حضر عشاؤه فأعلمنى فأعلمه فدخل عليه فقرب عشاؤه فأتوه بثريد لحم فأكل معه عمر ثم قرب الشواء وبسط يزيد يده وكف عمر يده وقال الله الله يا يزيد بن أبى سفيان أطعام بعد طعام والذى نفس عمر بيده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم ، وعن يسار بن عمير قال ما نخلت لعمر دقيقا قط إلا وأنا له عاص ، وروى أن عتبة الغلام كان يعجن دقيقه ويجففه فى الشمس ثم يأكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيأ فى الآخرة الشواء والطعام الطيب وكان يأخذ الكوز فيغرف به من حب كان فى الشمس نهاره فتقول مولاة له ياعتبة لو أعطيتنى دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء فيقول لها يا أم فلان قد شردت عنى كلب الجوع . قال شقيق بن إبراهيم : لقيت إبراهيم ابن أدهم بمكة فى سوق الليل عند مولد النبى صلى الله عليه وسلم يبكى وهو جالس بناحية من الطريق فعدلت إليه وقعدت عنده وقلت إيش هذا البكاء يا أبا إسحاق فقال خير فعاودته مرة واثنتين وثلاثا فقال ياشقيق استر علىّ فقلت يا أخى قل ماشئت فقال لى اشتهت نفسى منذ ثلاثين سنة سكباجا فمنعتها جهدى حتى إذا كان البارحة كنت جالسا وقد غلبنى النعاس إذ أنا بفتى شاب بيده قدح أخضر يعلو منه بخار ورائحة سكباج قال فاجتمعت بهمتى عنه تقربه وقال يا إبراهيم كل فقلت ما آكل قد تركته لله عز وجل فقال لى قد أطعمك الله كل فما كان لى جواب إلا أنى بكيت فقال لى كل رحمك الله فقلت قد أمرنا أن لا نطرح فى وعائنا إلا من حيث نعلم فقال كل عافاك الله فانما أعطيته فقيل لى ياخضر اذهب بهذا وأطعمه نفس إبراهيم بن أدهم فقد رحمها الله من طول صبرها على مايحملها من منعها . اعلم يا إبراهيم أنى سمعت الملائكة يقولون من أعطى فلم يأخذ طلب فلم يعط فقلت إن كان كذلك فها أنا بين يديك لأجل العقد مع الله تعالى ثم التفت فاذا أنا بفتى آخر ناوله شيئا وقال ياخضر لقمه أنت فلم يزل يلقمنى حتى نعست فانتبهت وحلاوته فى فمى ، قال شقيق فقلت أرنى كفك فأخذت بكفه فقبلتها وقلت يامن يطعم الجياع الشهوات إذا صححوا المنع يامن يقدح فى الضمير اليقين يامن يشفى قلوبهم من محبته أترى لشقيق عندك حالا ثم رفعت يد إبراهيم إلى السماء وقلت بقدر هذا الكف عندك وبقدر صاحبه وبالجود الذى وجد منك جد على عبدك الفقير إلى فضلك وإحسانك ورحمتك وإن لم يستحق ذلك قال فقام إبراهيم ومشى حتى أدركنا البيت . وروى عن مالك بن دينار أنه بقى أربعين سنة يشتهى لبنا فلم يأكله وأهدى إليه يوما رطب فقال لأصحابه كلوا فما ذقته منذ أربعين سنة . وقال أحمد بن أبى الحوارى : اشتهى أبو سليمان الدارانى رغيفا حارا بملح فجئت به إليه فعض منه عضة ثم طرحه وأقبل يبكى وقال عجلت إلى شهوتى بعد إطالة جهدى واشقوتى قد عزمت على التوبة فأقلنى قال أحمد فما رأيته أكل الملح حتى لقى الله تعالى ، وقال مالك بن ضيغم مررت بالبصرة فى السوق فنظرت إلى البقل فقالت لى نفسى لو أطعمتنى الليلة من هذا فأقسمت أن لا أطعمها إياه أربعين ليلة ، ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما أكل رطبة لأهل البصرة ولا بسرة قط وقال يا أهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة ما أكلت لكم رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم ما نقص منى ولا نقص منى ما زاد فيكم وقال طلقت الدنيا منذ خمسين سنة اشتهت نفسى لبنا منذ أربعين سنة فوالله لا أطعمها حتى ألحق بالله تعالى وقال حماد بن أبى حنيفة أتيت داود الطائى والباب مغلق عليه فسمعته يقول نفسى اشتهيت جزرا فأطعمتك جزرا ثم

(١) حديث إذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا وأهلها الدمار أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة باسناد ضعيف .

حدثان حدث من فرجك وحدث من فيك فلا يحل حبوة الوقار والحلم إلا الغضب ويخرج عن حدّ العدل إلى العدوان بتجاوز الحد فالغضب يثور دم القلب فان كان الغضب على من فوقه مما يعجز عن إنفاذ الغضب فيه ذهب الدم من ظاهر الجلد واجتمع فى القلب ويصير منه الهم والحزن والانكماد ولا ينطوى الصوفى على مثل هذا لأنه يرى الحوادث والإعراض من الله تعالى فلا ينكمد ولا يغتم والصوفى صاحب الرضا صاحب الروح والراحة والنبى عليه السلام أخبر أن الهم والحزن فى الشك والسخط . سئل عبيد الله بن

وقال بعضهم أتيت قاسما الجرعى فسألته عن الزهد أى شئ هو فقال أى شئ سمعت فيه فعددت أقوالا فسكت فقلت وأى شئ تقول أنت فقال : اعلم أن البطن دنيا العبد فبقدر مايملك من بطنه يملك من الزهد وبقدر مايملكه بطنه تملكه الدنيا ، وكان بشر بن الحرث قد اعتل مرة فأتى عبد الرحمن الطبيب يسأله عن شئ يوافقه من المأكولات فقال تسألنى فاذا وصفت لك لم تقبل منى قال صف لى حتى أسمع قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتأكل بعد ذلك اسفيدباجا فقال له بشر هل تعلم شيئا أقل من السكنجبين يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال الهندبا بالخل ثم قال أتعرف شيئا أقل من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال الخرنوب الشامى قال فتعرف شيئا أقل من الاسفيذباج يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف ماء الحمص بسمن البقر فى معناه فقال له عبد الرحمن أنت أعلم منى بالطب فلم تسألنى ، فقد عرفت بهذا أن هؤلاء امتنعوا من الشهوات ومن الشبع من الأقوات وكان امتناعهم للفوائد التى ذكرناها وفى بعض الأوقات لأنهم كانوا لا يصفو لهم الحلال فلم يرخصوا لأنفسهم إلا فى قدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات حتى قال أبو سليمان اللحم شهوة لأنه زيادة على الخبز وماوراء الخبز شهوة وهذا هو النهاية ، فمن لم يقدر على ذلك فينبغى أن لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك فى الشهوات فكفى بالمرء إسرافا أن يأكل كل مايشتهيه ويفعل كل مايهواه فينبغى أن لا يواظب على أكل اللحم . قال على كرم الله وجهه من ترك اللحم أربعين يوما ساء خلقه ومن دوام عليه أربعين يوما قساقلبه ، وقيل إن للمداومة على اللحم ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جائعا وتاقت نفسه إلى الجماع فلا ينبغى أن يأكل ويجامع فيعطى نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الأكل لينشط فى الجماع ، ويستحب أن لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل أو ليجلس فيذكر الله تعالى فانه أقرب إلى الشكر ، وفى الحديث « أذيبوا طعامكم بالذكر والصلاة ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم (١) » وأقل ذلك أن يصلى أربع ركعات أو يسبح مائة تسبيحة أو يقرأ جزءا من القرآن عقيب أكله ، فقد كان سفيان الثورى إذا شبع ليلة أحياها وإذا شبع فى يوم واصله بالصلاة والذكر وكان يقول أشبع الزنجى وكده ومرة يقول أشبع الحمار وكده ومهما اشترى شيئا من الطعام وطيبات الفواكه فينبغى أن يترك الخبز ويأكلها بدلا منه لتكون قوتا ولا تكون تفكها لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة . نظر سهل إلى ابن سالم وفى يده خبز وتمر فقال له ابدأ بالتمر فان قامت كفايتك به وإلا أخذت من الخبز بعده بقدر حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فانه لا يشتهى الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لأكل اللطيف أيضا للطافته وكان بعضهم يقول لأصحابه لا تأكلوا الشهوات فان أكلتموها فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها وطلب بعض أنواع الخبز شهوة قال عبد الله بن عمر رحمة الله عليهما ماتأتينا من العراق فاكهة أحب إلينا من الخبز فرأى ذلك الخبز فاكهة ، وعلى الجملة لا سبيل إلى إهمال النفس فى الشهوات المباحات واتباعها بكل حال فبقدر مايستوفى العبد من شهوته يخشى أن يقال له يوم القيامة ـ أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ـ وبقدر مايجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع فى الدار الآخرة بشهواته قال بعض أهل البصرة نازعتنى نفسى خبز أرز وسمكا فمنعتها فقويت مطالبتها واشتدت مجاهدتى لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رأيته فى المنام فقلت ماذا فعل الله بك قال لا أحسن أن أصف ماتلقانى به ربى من النعم والكرامات وكان أول شئ استقبلنى به خبز أرز وسمكا وقال كل اليوم شهوتك هنيئا بغير حساب وقد قال تعالى ـ كلوا واشربوا هنيئا

أمواج الأنس والهيبة وإن كان الغضب على من دونه ممن يقدر على الانتقام منه ثار دم القلب والقلب إذا ثار دمه يحمر ويقسو ويتصلب وتذهب عنه الرقة والبياض ومنه تحمر الوجنتان لأن الدم فى القلب ثار وطلب الاستعلاء وانتفخت منه العروق فظهر عكسه وأثره على الخد فيتعدى الحدود حينئذ بالضرب والشتم ولا يكون هذا فى الصوفى إلا عند هتك الحرمات والغضب لله تعالى فأما فى غير ذلك فينظر الصوفى عند الغضب إلى الله تعالى ثم تقواه تحمله على أن يزن حركته وقوله

الحديث لم أجده أصلا (١) حديث أذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم طس وابن السنى فى اليوم والليلة من حديث عائشة بسند ضعيف .

بما أسلفتم فى الأيام الخالية ـ وكانوا قد أسلفوا ترك الشهوات ولذلك قال أبو سليمان ترك شهوة من الشهوات أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها وفقنا الله لما يرضيه .

(بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه)

اعلم أن المطلوب الأقصى فى جميع الأمور والأخلاق الوسط إذ خير الأمور أوساطها وكلا طرفى قصد الأمور ذميم وما أردناه فى فضائل الجوع ربما يومئ إلى أن الافراط فيه مطلوب وهيهات ولكن من أسرار حكمة الشريعة أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة فى المنع منه على وجه يومئ عند الجاهل إلى أن المطلوب مضادة مايقضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك أن المقصود الوسط لأن الطبع إذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغى أن يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم أنه لاينتهى إلى الغاية فانه إن أسرف مسرف فى مضادة الطبع كان فى الشرع أيضا مايدل على إساءته كما أن الشرع بالغ فى الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبى صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم أنه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه(١) فاذا عرفت هذا فاعلم أن الأفضل بالاضافة إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لايحس بثقل المعدة ولا يحس بألم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه الجوع أصلا فان مقصود الأكل بقاء الحياة وقوة العبادة وثقل المعدة يمنع من العبادة وألم الجوع أيضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود أن يأكل أكلا لايبقى للمأكول فيه أثر ليكون متشبها بالملائكة فإنهم مقدسون عن ثقل الطعام وألم الجوع وغاية الانسان الاقتداء بهم وإذا لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع فأبعد الأحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الآدمى البعد عن هذه الأطراف المتقابلة بالرجوع إلى الوسط مثال نملة ألقيت فى وسط حلقة محمية على النار مطروحة على الأرض فان النملة تهرب من حرارة الحلقة وهى محيطة بها لاتقدر على الخروج منها فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذى هو الوسط فلو ماتت ماتت على الوسط لأن الوسط هو أبعد المواضع عن الحرارة التى فى الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان إحاطة تلك الحلقة بالنملة والملائكة خارجون عن تلك الحلقة ولا مطمع للانسان فى الخروج وهو يريد أن يتشبه بالملائكة فى الخلاص فأشبه أحواله بهم البعد وأبعد المواضع عن الأطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا فى جميع هذه الأحوال المتقابلة وعنه عبر بقوله صلى الله عليه وسلم « خير الأمور أوساطها(٢) » وإليه الاشارة بقوله تعالى ـ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ـ ومهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر وخف فى نفسه وقوى على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع أما فى بداية الأمر إذا كانت النفس جموحا متشوقة إلى الشهوات مائلة إلى الافراط فالاعتدال لا ينفعها بل لابد من المبالغة فى إيلامها بالجوع كما يبالغ فى إيلام الدابة التى ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره إلى أن تعتدل فاذا ارتاضت واستوت ورجعت إلى الاعتدال ترك تعذيبها وإيلامها ولأجل هذا السر يأمر الشيخ مريده بما لايتعاطاه هو فى نفسه فيأمره بالجوع وهو لايجوع ويمنعه الفواكه والشهوات وقد لايمتنع هو منها لأنه قد فرغ من تأديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان أغلب أحوال النفس الشره والشهوة والجماح والامتناع عن العبادة كان الأصلح لها الجوع الذى تحس بألمه فى أكثر الأحوال لتنكسر نفسه والمقصود أن تنكسر حتى تعتدل فترد بعد ذلك فى الغذاء أيضا إلى الاعتدال وإنما

بميزان الشرع والعدل ويتهم النفس بعدم الرضا بالقضاء ، قيل لبعضهم : من أقهر الناس لنفسه قال أرضاهم بالمقدور وقال بعضهم أصبحت ومالى سرور إلا مواقع القضاء وإذا اتهم الصوفى النفس عند الغضب تداركه العلم وإذا لاح علم العلم قوى القلب وسكنت النفس وعاد دم القلب إلى موضعه ومقره واعتدل الحال وغاضت حمرة الخد وبانت فضيلة العلم قال عليه السلام « السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءا من النبوة » . وروى حارثة بن قدامة قال

(١) حديث النهى عن صوم الدهر كله وقيام الليل كله تقدم (٢) حديث خير الأمور أوساطها البيهقى فى الشعب مرسلا وقد تقدم .

يمتنع من ملازمة الجوع من سالكى طريق الآخرة إما صديق وإما مغرور أحمق أما الصديق فلا ستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن أن يساق بسياط الجوع إلى الحق وأما المغرور فلظنه بنفسه أنه الصديق المستغنى عن تأديب نفسه الظان بها خيرا وهذا غرور عظيم وهو الأغلب فان النفس قلما تتأدب تأدبا كاملا وكثيرا ماتغتر فتنظر إلى الصديق ومساعدته نفسه فى ذلك فيسامح نفسه كالمريض ينظر إلى من قد صح من مرضه فيتناول مايتناوله ويظن بنفسه الصحة فيهلك والذى يدل على أن تقدير الطعام بمقدار يسير فى وقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا فى نفسه وإنما هو مجاهدة نفس متنائية عن الحق غير بالغة رتبة الكمال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى تقول لايفطر ويفطر حتى تقول لايصوم (١) وكان يدخل على أهله فيقول « هل عندكم من شىء فان قالوا نعم أكل وإن قالوا لاقال إنى إذن صائم (٢) » وكان يقدم إليه الشىء فيقول « أما إنى قد كنت أردت الصوم ثم يأكل (٣) » وخرج ﷺ يوما وقال « إنى صائم فقال له عائشة رضى الله عنها قد أهدى إلينا حيس فقال كنت أردت الصوم ولكن قربيه (٤) » ولذلك حكى عن سهل أنه قيل له كيف كنت فى بدايتك فأخبر بضروب من الرياضات منها أنه كان يقتات ورق النبق مدة ومنها أنه أكل دقاق التين مدة ثلاث سنين ثم ذكر أنه اقتات بثلاثة دراهم فى ثلاث سنين فقيل له فكيف أنت فى وقتك هذا فقال آكل بلا حد ولا توقيت وليس المراد بقوله بلا حد ولا توقيت أنى آكل كثيرا بل أنى لاأقدر بمقدار واحد ما آكله وقد كان معروف الكرخى يهدى إليه طيبات الطعام فيأكل فقيل له إن أخاك بشرا لايأكل مثل هذا فقال إن أخى بشرا قبضه الورع وأنا بسطتنى المعرفة ثم قال إنما أنا ضيف فى دار مولاى فاذا أطعمنى أكلت وإذا جوعنى صبرت مالى والاعتراض والتمييز ودفع إبراهيم بن أدهم إلى بعض إخوانه دراهم وقال خذ لنا بهذه الدراهم زبدا وعسلا وخبزا حواريا فقيل ياأبا إسحق بهذا كله قال ويحك إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال وإذا عدمنا صبرنا صبر الرجال وأصلح ذات يوم طعاما كثيرا ودعا إليه نفرا يسيرا فيهم الأوزاعى والثورى فقال له الثورى ياأبا إسحق أما تخاف أن يكون هذا إسرافا فقال ليس فى الطعام إسراف إنما الاسراف فى اللباس والأثاث فالذى أخذ العلم من السماع والنقل تقليدا يرى هذا من إبراهيم بن أدهم ويسمع عن مالك بن دينار أنه قال مادخل بيتى الملح منذ عشرين سنة . وعن سرى السقطى أنه منذ أربعين سنة يشتهى أن يغمس جزرة فى دبس فما فعل فيراه متناقضا فيتحير أو يقطع بأن أحدهما مخطىء والبصير بأسرار القول يعلم أن كل ذلك حق ولكن بالاضافة إلى اختلاف الأحوال ثم هذه الأحوال المختلفة يسمعها فطن محتاط أو غبى مغرور فيقول المحتاط ما أنا من جملة العارفين حتى أسامح نفسى فليس نفسى أطوع من نفس سرى السقطى ومالك بن دينار وهؤلاء من المتنعين عن الشهوات فيقتدى بهم والمغرور يقول مانفسى بأعصى على من نفس معروف

(١) حديث عائشة كان يصوم حتى تقول لايفطر ويفطر حتى تقول لايصوم متفق عليه (٢) حديث كان يدخل على أهله فيقول هل عندكم من شىء فان قالوا نعم أكل وإن قالوا لاقال إنى صائم دت وحسنه و ن من حديث عائشة وهو عند م بنحوه كما سيأتى (٣) حديث كان يقدم إليه الشىء فيقول أما إنى كنت أريد الصوم البيهقى من حديث عائشة بلفظ وإن كنت قد فرضت الصوم وقال إسناده صحيح وعند م قد كنت أصبحت صائما (٤) حديث خرج وقال إنى صائم فقالت عائشة يارسول الله قد أهدى إلينا حيس فقال كنت أردت الصوم ولكن قربيه م بلفظ قد كنت أصبحت صائما وفى رواية له أدنيه فلقد أصبحت صائما فأكل وفى لفظ للبيهقى إنى كنت أريد الصوم ولكن قربيه .

قلت يارسول الله أوصنى وأقلل لعلى أعيه قال لاتغضب فأعاد عليه كل ذلك يقول لاتغضب قال عليه السلام « إن الغضب جمرة من النار ألم تنظروا حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه من وجد ذلك منكم فان كان قائما فليجلس وإن كان جالسا فليضطجع » . أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب ابن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا الجراحى قال أنا المحبوبى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا محمد بن عبد الله قال حدثنا بشر بن المفضل عن قرة بن خالد عن أبى حمزة عن ابن عباس رضى الله

الكرخي وإبراهيم بن أدهم فاقتدى بهم وأرفع التقدير في مأكولي فأنا أيضا ضيف في دار مولاي فمالي وللاعتراض ثم إنه لو قصر أحد في حقه وتوقيره أو في ماله وجاهه بطريقة واحدة قامت القيامة عليه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمق بل رفع التقدير في الطعام والصيام وأكل الشهوات لا يسلم إلا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله علامة في استرساله وانقباضه ولا يكون ذلك إلا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكلية حتى يكون أكله إذا أكل على نية كما يكون إمساكه بنية فيكون عاملا لله في أكله وإفطاره فينبغي أن يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فانه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل ويأكله (١) ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرضت عليه شربة باردة ممزوجة بعسل جعل يدير الاناء في يده ويقول أشربها وتذهب حلاوتها وتبقى تبعتها اعزلوا عني حسابها وتركها وهذه الأسرار لا يجوز لشيخ أن يكاشف بها مريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعوه إلى الاعتدال فانه يقصر لا محالة عما يدعوه إليه فينبغي أن يدعوه إلى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له أن العارف الكامل يستغني عن الرياضة فان الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيلقي إليه كل ساعة إنك عارف كامل وما الذي فاتك من المعرفة والكمال بل كان من عادة إبراهيم الخواص أن يخوض مع المريد في كل رياضة كان يأمره بها كيلا يخطر بباله أن الشيخ لم يأمره بما لم يفعل فينفره ذلك من رياضته والقوى إذا اشتغل بالرياضة وإصلاح الغير لزمه النزول إلى حد الضعفاء تشبها بهم وتلطفا في سياقتهم إلى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للأنبياء والأولياء وإذا كان حد الاعتدال خفيا في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغي أن لا يترك في كل حال ولذلك أدب عمر رضي الله عنه ولده عبد الله إذ دخل عليه فوجده يأكل لحما مأدوما بسمن فعلاه بالدرة وقال لا أم لك كل يوما خبزا ولحما ويوما خبزا ولبنا ويوما خبزا وسمنا ويوما خبزا وزيتا ويوما خبزا وملحا ويوما خبزا قفارا وهذا هو الاعتدال فأما المواظبة على اللحم والشهوات فافراط وإسراف ومهاجرة اللحم بالكلية إقتار وهذا قوام بين ذلك والله تعالى أعلم .

(بيان آفة الرياء المتطرق إلى من ترك أكل الشهوات وقلل الطعام)

اعلم أنه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما أعظم من أكل الشهوات : إحداهما أن لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها ولكن لا يريد أن يعرف بأنه يشتهيها فيخفي الشهوة ويأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذا هو الشرك الخفي . سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل له هل تعلم به بأسا قال يأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حق العبد إذا ابتلي بالشهوات وحبها أن يظهرها فان هذا صدق الحال وهو بدل عن فوات المجاهدات بالأعمال فان إخفاء النقص وإظهار ضده من الكمال هو نقصانان متضاعفان والكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرضى منه إلا بتوبتين صادقتين ولذلك شدد أمر المنافقين فقال تعالى ـ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ـ لأن الكافر كفر وأظهر وهذا كفر وستر فكان ستره لكفره كفرا آخر لأنه استخف بنظر الله سبحانه وتعالى إلى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والغش والاخفاء بل كمال العارف أن يترك الشهوات لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة إسقاطا لمنزلته من قلوب الخلق وكان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في البيت وهو فيها من الزاهدين وإنما يقصد به تلبيس حاله ليصرف

(١) حديث كان يحب العسل ويأكله متفق عليه من حديث عائشة كان يحب الحلواء والعسل الحديث وفيه قصة شربه العسل عند بعض نسائه .

عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأشج عبد القيس « إن فيك خصلتين يحبهما الله تعالى الحلم والأناة » ومن أخلاق الصوفية التودد والتألف والموافقة مع الاخوان وترك المخالفة قال الله تعالى في وصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أشداء على الكفار رحماء بينهم ـ وقال الله تعالى ـ لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ـ والتودد والتألف من ائتلاف الأرواح على ما ورد في الخبر الذي أوردناه فما تعارف منها ائتلف قال الله تعالى ـ فأصبحتم بنعمته

عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوشون عليه حاله فنهاية الزهد : الزهد فى الزهد باظهار ضده وهذا عمل الصديقين فانه جمع بين صدقين كما أن الأول جمع بين كذبين وهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها كأس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة برميه فلا جرم أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وهذا يضاهى طريق من يعطى جهرا فيأخذ ويرد سرا ليكسر نفسه بالذل جهرا وبالفقر سرا فمن فاته هذا فلا ينبغى أن يفوته إظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه ولا ينبغى أن يغره قول الشيطان إنك إذا أظهرت اقتدى بك غيرك فاستره اصلاحا لغيرك فانه لو قصد إصلاح غيره لكان إصلاح نفسه أهم عليه من غيره فهذا إنما يقصد الرياء المجرد ويروجه الشيطان عليه فى معرض إصلاح غيره فلذلك ثقل عليه ظهور ذلك منه وان علم أن من اطلع عليه ليس يقتدى به فى الفعل أو لا ينزجر باعتقاده أنه تارك للشهوات .

الآفة الثانية: أن لا يقدر على ترك الشهوات لكنه يفرح أن يعرف به فيشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهى شهوة الأكل وأطاع شهوة هى شر منها وهى شهوة الجاه وتلك هى الشهوة الخفية فمهما أحس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة آكد من كسر شهوة الطعام فليأكل فهو أولى له قال أبو سليمان إذا قدمت إليك شهوة وقد كنت تاركا لها فأصب منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك مناها فتكون قد أسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد نغصت عليها إذ لم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق إذا قدمت إلىّ شهوة نظرت إلى نفسى فان هى أظهرت شهوتها أطعمتها منها وكان ذلك أفضل من منعها وإن أخفت شهوتها وأظهرت العزوب عنها عاقبتها بالترك ولم أنلها منها شيئا وهذا طريق فى عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع فى شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب وفزع إلى حية لأن شهوة الرياء أضر كثيرا من شهوة الطعام والله ولىّ التوفيق .

(القول فى شهوة الفرج)

اعلم أن شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين : إحداهما أن يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت أقوى لذات الأجساد كما أن النار وآلامها أعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الناس إلى سعادتهم وليس ذلك إلا بألم محسوس ولذة محسوسة مدركة فان ما لا يدرك بالذوق لا يعظم إليه الشوق . الفائدة الثانية : بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا إن لم تضبط ولم تقهر ولم ترد إلى حد الاعتدال وقد قيل فى تأويل قوله تعالى ـ ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ـ معناه شدة الغلمة . وعن ابن عباس «فى قوله تعالى ـ ومن شر غاسق إذا وقب ـ قال هو قيام الذكر » وقد أسنده بعض الرواة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه قال فى تفسيره «الذكر إذا دخل وقد قيل إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله (١)» وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه «أعوذ بك من شر سمعى وبصرى وقلبى وهنى ومنى (٢)» وقال عليه السلام « النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال (٣)» روى أن موسى عليه السلام كان جالسا فى بعض مجالسه إذ أقبل إليه إبليس وعليه برنس يتلون فيه ألوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه فقال السلام عليك ياموسى فقال له موسى من أنت فقال أنا إبليس فقال لا حياك الله ما جاء بك قال جئت لأسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانتك منه قال فما الذى رأيت عليك قال برنس أختطف به قلوب بنى آدم قال فما

إخوانا ـ وقال سبحانه وتعالى ـ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ـ وقال عليه السلام « المؤمن آلف مألوف لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف » وقال عليه السلام «مثل المؤمنين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى وما التقى مؤمنان إلا استفاد أحدهما من صاحبه خيرا » وقال أبو إدريس الخولانى لمعاذ إنى أحبك فى الله فقال أبشر ثم أبشر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس

(١) حديث ابن عباس موقوفا ومسندا فى قوله تعالى ـ ومن شر غاسق إذا وقب ـ قال هو قيام الذكر وقال الذى أسنده الذكر إذا دخل هذا حديث لا أصل له (٢) حديث اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى وبصرى وقلبى ودينى تقدم فى الدعوات (٣) حديث النساء حبائل الشيطان الأصفهانى فى الترغيب والترهيب من حديث خالد بن زيد الجهنى باسناد فيه جهالة .

الذى إذا صنعه الانسان استحوذت عليه قال إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله ونسى ذنوبه وأحذرك ثلاثا لا تخل بامرأة لا تحل لك فانه ماخلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أفتنه بها وأفتنها به ولا تعاهد الله عهدا إلا وفيت به ولا تخرجن صدقة إلا أمضيتها فانه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين الوفاء بها ثم ولى وهو يقول ياويلتاه علم موسى ما يحذر به بنى آدم . وعن سعيد بن المسيب قال مابعث الله نبيا فيما خلا إلا لم ييأس إبليس أن يهلكه بالنساء ولا شىء أخوف عندى منهن وما بالمدينة بيت أدخله إلا بيتى وبيت ابنتى أغتسل فيه يوم الجمعة ثم أروح وقال بعضهم إن الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جندى وأنت سهمى الذى أرمى به فلا أخطىء وأنت موضع سرى وأنت رسولى فى حاجتى فنصف جنده الشهوة ونصف جنده الغضب وأعظم الشهوات شهوة النساء وهذه الشهوة أيضا لها إفراط وتفريط واعتدال فالافراط مايقهر العقل حتى يصرف همة الرجال إلى الاستمتاع بالنساء والجوارى فيحرم عن سلوك طريق الآخرة أو يقهر الدين حتى يجر إلى اقتحام الفواحش وقد ينتهى إفراطها بطائفة إلى أمرين شنيعين : أحدهما أن يتناولوا ما يقوى شهواتهم على الاستكثار من الوقاع كما قد يتناول بعض الناس أدوية تقوى المعدة لتعظم شهوة الطعام ومامثال ذلك إلا كمن ابتلى بسباع ضارية وحيات عادية فنام عنه فى بعض الأوقات فيحتال لإثارتها وتهييجها ثم يشتغل باصلاحها وعلاجها فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص . فان قلت فقد روى فى غريب الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «شكوت إلى جبرائيل ضعف الوقاع فأمرنى بأكل الهريسة (١)» فاعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالامتناع وحرم على غيره نكاحهن وإن طلقهن فكان طلبه القوة لهذا لا للتمتع. والأمر الثانى أنه قد تنتهى هذه الشهوة ببعض الضلال إلى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة فى البهيمية لحد البهائم لأن للتعشق ليس يقنع باراقة شهوة الوقاع وهى أقبح الشهوات وأجدرها أن يستحيا منه حتى اعتقد أن الشهوة لا تنقضى إلا من محل واحد والبهيمة تقضى الشهوة أين اتفق فتكتفى به وهذا لا يكتفى إلا بشخص واحد معين حتى يزداد به ذلا إلى ذل وعبودية إلى عبودية وحتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة ومحتالا لأجلها وما العشق إلا سعة إفراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لاهم له وإنما يجب الاحتراز من أوائله بترك معاودة النظر والفكر وإلا فاذا استحكم عسر دفعه فكذلك عشق المال والجاه والعقار والأولاد حتى حب اللعب بالطيور والنرد والشطرنج فان هذه الأمور قد تستولى على طائفة بحيث تنغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها ألبتة . ومثال من يكثر سورة العشق فى أول انبعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها إلى باب لتدخله وما أهون منعها بصرف عنانها ومثال من يعالجها بعد استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبها ويجرها إلى ورائها وما أعظم التفاوت بين الأمرين فى اليسر والعسر فليكن الاحتياط فى بدايات الأمور فأما فى أواخرها فلا تقبل العلاج إلا بجهد جهيد يكاد يؤدى إلى نزع الروح فاذن إفراط الشهوة أن يغلب العقل إلى هذا الحد وهو مذموم جدا وتفريطها بالعنة أو بالضعف عن امتاع المنكوحة وهو أيضا مذموم وإنما المحمود أن تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع فى انقباضها وانبساطها ومهما أفرطت فكسرها بالجوع والنكاح قال

وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون قيل من هؤلاء يارسول الله قال المتحابون فى الله. وقيل لو تحاب الناس وتعاطوا أسباب المحبة لاستغنوا بها عن العدالة. وقيل العدالة حليفة المحبة تستعمل حيث لا توجد المحبة وقيل طاعة المحبة أفضل من طاعة الرهبة فان طاعة المحبة من داخل وطاعة الرهبة من خارج ولهذا المعنى كانت محبة الصوفية مؤثرة من البعض فى البعض لأنهم لما تحابوا فى الله تواصوا بمحاسن الأخلاق ووقع القبول بينهم لوجود المحبة فانتفع لذلك المريد

(١) حديث شكوت إلى جبريل ضعف الوقاع فأمرنى بأكل الهريسة العقيلى فى الضعفاء طس من حديث حذيفة وقد تقدم وهو موضوع .

صلى الله عليه وسلم « معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فالصوم له وجاء[١] ».

(بيان ماعلى المريد فى ترك التزويج وفعله)

اعلم أن المريد فى ابتداء أمره ينبغى أن لايشغل نفسه بالتزويج فان ذلك شغل شاغل يمنعه من السلوك ويستجره إلى الأنس بالزوجة ومن أنس بغير الله تعالى شغل عن الله ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لايشغل قلبه جميع مافى الدنيا عن الله تعالى[٢] فلا تقاس الملائكة بالحدادين ولذلك قال أبو سليمان الدارانى من تزوج فقد ركن إلى الدنيا وقال مارأيت مريدا تزوج فثبت على حاله الأول وقيل له مرة ما أحوجك إلى امرأة تأنس بها فقال لا آنسنى الله بها أى إن الأنس بها يمنع الأنس بالله تعالى وقال أيضا كل ماشغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشئوم فكيف يقاس غير رسول الله صلى الله عليه وسلم به وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه إلى حد كان يخشى منه فى بعض الأحوال أن يسرى ذلك إلى قالبه فيهدمه فلذلك كان يضرب بيده على فخذ عائشة أحيانا ويقول كلينى ياعائشة لتشغله بكلامها عن عظيم ماهو فيه لقصور طاقة قالبه عنه[٣] فقد كان طبعه الأنس بالله عز وجل وكان أنسه بالخلق عارضا رفقا ببدنه ثم إنه كان لايطيق الصبر مع الخلق إذا جالسهم فاذا ضاق صدره قال أرحنا بها يابلال[٤] حتى يعود إلى ماهو قرة عينه[٥] فالضعيف إذا لاحظ أحواله فى مثل هذه الأمور فهو مغرور لأن الأفهام تقصر عن الوقوف على أسرار أفعاله صلى الله عليه وسلم فشرط المريد العزبة فى الابتداء إلى أن يقوى فى المعرفة هذا إذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فان لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لايقدر على حفظ العين مثلا وإن قدر على حفظ الفرج فالنكاح له أولى لتسكن الشهوة وإلا فمهما لم يحفظ عينه لم يحفظ عليه فكره ويتفرق عليه همه وربما وقع فى بلية لايطيقها وزنا العين من كبار الصغائر وهو يؤدى على القرب إلى الكبيرة الفاحشة وهى زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ فرجه قال عيسى عليه السلام إياكم والنظرة فانها تزرع فى القلب شهوة وكفى بها فتنة. وقال سعيد بن جبير إنما جاءت الفتنة لداود عليه السلام من قبل النظرة ولذلك قال لابنه عليه السلام يا بنى امش خلف الأسد والأسود ولا تمش خلف المرأة وقيل ليحيى عليه السلام مابدء الزنا قال النظر والتمنى . وقال الفضيل يقول إبليس هو قوسى القديمة وسهمى الذى لا أخطىء به يعنى النظر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفا من الله تعالى أعطاه الله تعالى إيمانا يجد حلاوته فى قلبه[٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « ماتركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء[٧] » وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أول فتنة بنى إسرائيل كانت من قبل النساء[٨] » وقال تعالى ـ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ـ الآية وقال عليه السلام « لكل ابن آدم حظ من الزنا فالعينان

(١) حديث معاشر الشباب من استطاع منكم النكاح فليتزوج الحديث تقدم فى النكاح (٢) حديث كان لايشغل قلبه عن الله تعالى جميع مافى الدنيا تقدم (٣) حديث كان يضرب يده على فخذ عائشة أحيانا ويقول كلينى ياعائشة لم أجد له أصلا (٤) حديث أرحنا بها يابلال تقدم فى الصلاة (٥) حديث إن الصلاة كانت قرة عينه تقدم أيضا (٦) حديث النظرة سهم مسموم من سهام إبليس الحديث تقدم أيضا (٧) حديث ماتركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء متفق عليه من حديث أسامة ابن زيد (٨) حديث اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أول فتنة بنى اسرائيل كانت فى النساء م من حديث أبى سعيد الخدرى .

بالشيخ والأخ بالأخ ولهذا المعنى أمر الله تعالى باجتماع الناس فى كل يوم خمس مرات فى المساجد أهل كل درب وكل محلة وفى الجامع فى الأسبوع مرة أهل كل بلد وانضمام أهل السواد إلى البلدان فى الأعياد فى جميع السنة مرتين وأهل الأقطار من البلدان المتفرقة فى العمر مرة للحج كل ذلك لحكم بالغة منها تأكيد الألفة والمودة بين المؤمنين وقال عليه السلام « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » أخبرنا أبو زرعة قال أنا والدى أبو الفضل قال أنا أبو نصر محمد بن سلمان العدل قال أنا أبو طاهر محمد بن محمد ابن محمش الزيادى قال

تزنيان وزناها النظر واليدان تزنيان وزناها البطش والرجلان تزنيان وزناها المشى والفم يزنى وزناه القبلة والقلب يهم أويتمنى ويصدق ذلك الفرج أويكذبه (١)» وقالت أم سلمة «استأذن ابن أم مكتوم الأعمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وميمونة جالستان فقال عليه السلام احتجبا فقلنا أوليس بأعمى لايبصرنا فقال وأنتما لاتبصرانه ؟ (٢)» وهذا يدل على أنه لايجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت به العادة فى المآتم والولائم فيحرم على الأعمى الخلوة بالنساء ويحرم على المرأة مجالسة الأعمى وتحديق النظر إليه لغير حاجة وإنما جوز للنساء محادثة الرجال والنظر إليهم لأجل عموم الحاجة وإن قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالنكاح أولى به فان الشر فى الصبيان أكثر فانه لومال قلبه إلى امرأة أمكنه الوصول إلى استباحتها بالنكاح والنظر إلى وجه الصبى بالشهوة حرام بل كل من يتأثر قلبه بجمال صورة الأمرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحى لم يحل له النظر إليه . فان قلت كل ذى حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لامحالة ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة . فأقول لست أعنى تفرقة العين فقط بل ينبغى أن يكون إدراكه التفرقة كإدراكه التفرقة بين شجرة خضراء وأخرى يابسة وبين ماء صاف وماء كدر وبين شجرة عليها أزهارها وأنوارها وشجرة تساقطت أوراقها فانه يميل إلى إحداهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولأجل ذلك لايشتهى ملامسة الأزهار والأنوار وتقبيلها ولاتقبيل الماء الصافى وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين إليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لاشهوة فيها ويعرف ذلك بميل النفس إلى القرب والملامسة فمهما وجد ذلك الميل فى قلبه وأدرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والأثواب المنقشة والسقوف المذهبة فنظره نظر شهوة فهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك إلى المعاطب وهم لايشعرون . قال بعض التابعين ما أنا بأخوف من السبع الضارى على الشاب الناسك من غلام أمرد يجلس إليه . وقال سفيان لوأن رجلا عبث بغلام بين أصبعين من أصابع رجله يريد الشهوة لكان لواطا . وعن بعض السلف قال سيكون فى هذه الأمة ثلاثة أصناف لوطيون : صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون فاذن آفة النظر إلى الأحداث عظيمة فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له أن يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس لايسكن توقانها بالجوع . وقال بعضهم : غلبت على شهوتى فى بدء إرادتى بما لم أطق فأكثرت الضجيج إلى الله تعالى فرأيت شخصا فى المنام فقال مالك فشكوت إليه فقال تقدم إلى فتقدمت إليه فوضع يده على صدرى فوجدت بردها فى فؤادى وجميع جسدى فأصبحت وقد زال مابى فبقيت معافى سنة ثم عاودنى ذلك فأكثرت الاستغاثة فأتانى شخص فى المنام فقال لى أتحب أن يذهب ماتجده وأضرب عنقك قلت نعم فقال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور فضرب به عنقى فأصبحت وقد زال مابى فبقيت معافى سنة ثم عاودنى ذلك أوأشد منه فرأيت كأن شخصا فيما بين جنبى وصدرى يخاطبنى ويقول ويحك كم تسأل الله تعالى رفع مالايحب رفعه قال فتزوجت فانقطع ذلك عنى وولد لى ومهما احتاج المريد إلى النكاح فلا ينبغى أن يترك شرط الارادة فى ابتداء النكاح ودوامه أما فى ابتدائه فبالنية الحسنة وفى دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا جميع ذلك فى كتاب آداب النكاح فلا نطول بإعادته وعلامة صدق إرادته أن ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب

أنا أبو العباس عبدالله ابن يعقوب الكرمانى قال حدثنا يحيى الكرمانى قال حدثنا حماد بن زيد عن مجالد ابن سعد عن الشعبى عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ألا إن مثل المؤمنين فى توادهم وتحابهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالسهر والحمى» والتآلف والتودد يؤكدان أسباب الصحبة والصحبة مع الأخيار مؤثرة جدا . وقد قيل لقاء الإخوان لقاح ولا شك أن البواطن تتلقح ويتقوى البعض بالبعض بل مجرد النظر إلى أهل الصلاح يؤثر

(١) حديث لكل ابن آدم حظه من الزنا فالعينان تزنيان الحديث م هق واللفظ له من حديث أبى هريرة واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس نحوه (٢) حديث أم سلمة استأذن ابن أم مكتوم الأعمى وأنا وميمونة جالستان فقال احتجبا الحديث د ن ت وقال حسن صحيح .

الغنية . قال بعضهم : من تزوج غنية كان له منها خمس خصال : مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة وإذا أراد طلاقها لم يقدر خوفا على ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك . وقال بعضهم ينبغى أن تكون المرأة دون الرجل بأربع وإلا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب وأن تكون فوقه بأربع بالجمال والأدب والورع والخلق وعلامة صدق الارادة فى دوام النكاح الخلق . تزوج بعض المريدين بامرأة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المرأة وشكت ذلك إلى أبيها وقالت قد تحيرت فى هذا الرجل أنا فى منزله منذ سنين ماذهبت إلى الخلاء قط إلا وحمل الماء قبلى إليه . وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال فلما قرب زفافها أصابها الجدرى فاشتد حزن أهلها لذلك خوفا من أن يستقبحها فأراهم الرجل أنه قد أصابه رمد ثم أراهم أن بصره قد ذهب حتى زفت إليه فزال عنهم الحزن فبقيت عنده عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينيه حين ذلك فقيل له فى ذلك فقال تعمدته لأجل أهلها حتى لا يحزنوا فقيل له قد سبقت إخوانك بهذا الخلق . وتزوج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقيل له لم لا تطلقها فقال أخشى أن يتزوجها من لا يصبر عليها فيتأذى بها فان تزوج المريد فهكذا ينبغى أن يكون وإن قدر على الترك فهو أولى له إذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم أن ذلك يشغله عن حاله كما روى أن محمد بن سليمان الهاشمى كان يملك من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم فى كل يوم فكتب إلى أهل البصرة وعلمائها فى امرأة يتزوجها فأجمعوا كلهم على رابعة العدوية رحمها الله تعالى فكتب إليها: بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فان الله تعالى قد ملكنى من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم فى كل يوم وليس تمضى الأيام والليالى حتى أتمها مائة ألف وأنا أصير لك مثلها ومثلها فأجيبينى فكتبت إليه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الزهد فى الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فاذا أتاك كتابى هذا فهيء زادك وقدم لمعادك وكن وصى نفسك ولا تجعل الرجال أوصياءك فيقتسموا تراثك فصم الدهر وليكن فطرك الموت وأما أنا فلو أن الله تعالى خولنى أمثال الذى خولك وأضعافه ماسرنى أن أشتغل عن الله طرفة عين . وهذه إشارة إلى أن كل مايشغل عن الله تعالى فهو نقصان فلينظر المريد إلى حاله وقلبه فان وجده فى العزوبة فهو الأقرب وإن عجز عن ذلك فالنكاح أولى به ودواء هذه العلة ثلاثة أمور : الجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولى على القلب فان لم تنفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذى يستأصل مادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون إلى النكاح وإلى تزويج البنات قال سعيد بن المسيب ما أيس إبليس من أحد إلا وأتاه من قبل النساء . وقال سعيد أيضا وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه وهو يعشو بالأخرى ماشيء أخوف عندى من النساء . وعن عبد الله بن أبى وداعة قال كنت أجالس سعيد بن المسيب فتفقدنى أياما فلما أتيته قال أين كنت ؟ قلت توفيت أهلى فاشتغلت بها فقال هلا أخبرتنا فشهدناها قال ثم أردت أن أقوم فقال هل استحدثت امرأة فقلت يرحمك الله تعالى ومن يزوجنى وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة فقال أنا فقلت وتفعل ؟ قال نعم ، فحمد الله تعالى وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وزوجنى على درهمين أو قال ثلاثة قال فقمت وما أدرى ما أصنع من الفرح فصرت إلى منزلى وجعلت أفكر ممن آخذ وممن أستدين فصليت المغرب وانصرفت إلى منزلى فأسرجت وكنت صائما فقدمت عشائى لأفطر وكان خبزا وزيتا وإذا بابى يقرع فقلت من هذا ؟ قال سعيد قال فأفكرت فى كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب وذلك أنه لم ير أربعين سنة إلا بين داره والمسجد قال فخرجت إليه فاذا به سعيد بن المسيب فظننت أنه قد بدا له فقلت يا أبا محمد لو أرسلت إلىّ لأتيتك فقال لا أنت أحق أن تؤتى قلت فما تأمر قال إنك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت أن أبيتك الليلة وحمك هذه امرأتك وإذا هى قائمة خلفه فى طوله ثم أخذ بيدها

صلاحا والنظر فى الصور يؤثر أخلاقا مناسبة لحاق المنظور إليه كدوام النظر إلى المحزون يحزن ودوام النظر إلى المسرور يسر . وقد قيل من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه والجمل الشرود يصير ذلولا بمقارنة الجمل الذلول فالمقارنة لها تأثير فى الحيوان والنبات والجماد والماء والهواء يفسدان بمقارنة الجيف والزروع تنقى عن أنواع العروق فى الأرض والنبات لموضع الافساد بالمقارنة وإذا كانت المقارنة مؤثرة فى هذه الأشياء ففى النفوس الشريفة البشرية أكثر تأثيرا وسمى الانسان إنسانا لأنه يأنس بما يراه من خير

فدفعها فى الباب ورده فسقطت المرأة من الحياء فاستوقفت من الباب ثم تقدمت إلى القصعة التى فيها الخبز والزيت فوضعتها فى ظل السراج لكيلا تراه ثم صعدت السطح فرميت الجيران فجاءونى وقالوا ماشأنك قلت ويحكم زوجنى سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا أوسعيد زوجك ؟ قلت نعم قالوا وهى فى الدار ؟ قلت نعم فنزلوا إليها وبلغ ذلك أمى فجاءت وقالت وجهى من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام قال فأقمت ثلاثا ثم دخلت بها فاذا هى من أجمل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا يأتينى سعيد ولا آتيه فلما كان بعد الشهر أتيته وهو فى حلقته فسلمت عليه فرد على السلام ولم يكلمنى حتى تفرق الناس من المجلس فقال ماحال ذلك الانسان فقلت بخير يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو قال إن رابك منه أمر فدونك والعصا فانصرفت إلى منزلى فوجه إلى بعشرين ألف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن المسيب هذه قد خطبها منه عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط فى يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف فاستعجال سعيد فى الزفاف تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة فى الدين إلى تطفئة نارها بالنكاح رضى الله تعالى عنه ورحمه.

(بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين)

اعلم أن هذه الشهوة هى أغلب الشهوات على الانسان وأعصاها عند الهيجان على العقل إلا أن مقتضاها قبيح يستحيا منه ويخشى من اقتحامه وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها إما لعجز أو لخوف أو لحياء أو لمحافظة على جسمه وليس فى شىء من ذلك ثواب فانه إيثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخره ، نعم من العصمة أن لا يقدر ففى هذه العوائق فائدة وهى دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه إثمه بأى سبب كان تركه وإنما الفضل والثواب الجزيل فى تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الأسباب لاسيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد (١) » وقال عليه السلام «سبعة يظلهم الله يوم القيامة فى ظل عرشه يوم لاظل إلا ظله وعد منهم رجل دعته امرأة ذات جمال وحسب إلى نفسها فقال إنى أخاف الله رب العالمين (٢) » وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من زليخا مع القدرة ومع رغبتها معروفة وقد أثنى الله تعالى عليه بذلك فى كتابه العزيز وهو إمام لكل من وفق لمجاهدة الشيطان فى هذه الشهوة العظيمة . وروى أن سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجها فدخلت عليه امرأة فسألته نفسه فامتنع عليها وخرج هاربا من منزله وتركها فيه قال سليمان فرأيت تلك الليلة فى المنام يوسف عليه السلام وكأنى أقول له أنت يوسف قال نعم أنا يوسف الذى هممت وأنت سليمان الذى لم تهم أشار إلى قوله تعالى ـ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ـ وعنه أيضا ماهو أعجب من هذا وذلك أنه خرج من المدينة حاجا ومعه رفيق له حتى نزلا بالأبواء فقام رفيقه وأخذ السفرة وانطلق إلى السوق ليبتاع شيئا وجلس سليمان فى الخيمة وكان من أجمل الناس وجها وأورعهم فبصرت به أعرابية من قلة الجبل وانحدرت إليه حتى وقفت بين يديه وعليها البرقع والقفازان فأسفرت عن وجهها كأنه فلقة قمر وقالت

وشر والتآلف والتودد مستجلب للمزيد وإنما العزلة والوحدة تحمد بالنسبة إلى أراذل الناس وأهل الشر فأما أهل العلم والصفاء والوفاء والأخلاق الحميدة فيغتنم مقارنتهم والاستئناس بهم استئناس بالله تعالى كما أن محبتهم محبة الله والجامع معهم رابطة الحق ومع غيرهم رابطة الطبع فالصوفى مع غير الجنس كائن بائن ومع الجنس كائن مغاين والمؤمن مرآة المؤمن إذا نظر إلى أخيه يستشف من وراء أقواله وأعماله وأحواله تجليات إلهيه وتعريفات وتلويحات من الله الكريم خفية غابت عن الأغيار وأدركها

(١) حديث من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد ك فى التاريخ من حديث ابن عباس وقال أنكر على سويد بن سعيد ثم قال يقال إن يحيى لما ذكر له هذا الحديث قال لو كان لى فرس ورمح غزوت سويدا ورواه الخرائطى من غير طريق سويد بسند فيه نظر (٢) حديث سبعة يظلهم الله فى ظله الحديث متفق عليه من حديث أبى هريره وقد تقدم .

أهنئني فظن أنها تريد طعاما فقام إلى فضلة السفرة ليعطيها فقالت لست أريد هذا إنما أريد ما يكون من الرجل إلى أهله فقال جهزك إلى إبليس ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأخذ في النحيب فلم يزل يبكي فلما رأت منه ذلك سدلت البرقع على وجهها وانصرفت راجعة حتى بلغت أهلها وجاء رفيقه فرآه وقد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه فقال ما يبكيك ؟ قال خير ذكرت صبيتي قال لا والله إلا أن لك قصة إنما عهدك بصبيتك منذ ثلاث أو نحوها فلم يزل به حتى أخبره خبر الأعرابية فوضع رفيقه السفرة وجعل يبكي بكاء شديدا فقال سليمان وأنت ما يبكيك ؟ قال أنا أحق بالبكاء منك لأني أخشى أن لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان فلما انتهى سليمان إلى مكة فسعى وطاف ثم أتى الحجر فاحتبى بثوبه فأخذته عينه فنام وإذا رجل وسيم طوال له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان رحمك الله من أنت ؟ قال له أنا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال إن في شأنك وشأن امرأة العزيز لعجبا فقال له يوسف شأنك وشأن صاحبة الأبواء أعجب . وروى عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوا فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله تعالى بصالح أعمالكم فقال رجل منهم : اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فنأى بي طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا ومالا فلبثت والقدح في يدي أنتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبية يتضاغون حول قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه وقال الآخر : اللهم إنك تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إلي فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها مائة وعشرين دينارا على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي من أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلته ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة عنهم غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث : اللهم إني استأجرت أجراء وأعطيتهم أجورهم غير رجل واحد فانه ترك الأجر الذي له وذهب فنميت له أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أعطني أجري فقلت كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله أتهزأ بي فقلت لا أستهزىء بك فخذه فاستاقه وأخذه كله ولم يترك منه شيئا اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون (١) » فهذا فضل من تمكن من قضاء هذه الشهوة فعف وقريب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فان العين مبدأ الزنا فحفظها مهم وهو عسر من حيث إنه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والآفات كلها منه تنشأ والنظرة الأولى إذا لم تقصد لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها قال ﷺ « لك الأولى وعليك الثانية (٢) » أي النظرة . وقال العلاء بن زياد لا تتبع بصرك رداء المرأة فان النظر يزرع في القلب شهوة وقلما يخلو الانسان في ترداده عن وقوع البصر على النساء والصبيان فهما تخايل إليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعنده ينبغي أن يقرر في نفسه أن هذه المعاودة عين الجهل فانه إن حقق النظر فاستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول فلا يحصل له

(١) حديث ابن عمر انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فذكر الحديث بطوله رواه خ (٢) حديث لك الأولى وليست لك الثانية أي النظرة د ت من حديث بريدة قاله لعلي قال ت حديث غريب .

أهل الأنوار . ومن أخلاق الصوفية شكر المحسن على الاحسان والدعاء له وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربهم وصفاء توحيدهم وقطعهم النظر إلى الأغيار ورؤيتهم النعم من المنعم الجبار ولكن يفعلون ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال « ما من الناس أحد أمن علينا في صحبته وذات يده من ابن أبي قحافة ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا » وقال « ما نفعني مال كمال أبي بكر » فالخلق حجبوا عن الله بالخلق في المنع والعطاء فالصوفي في

إلا التحسر وإن استقبح لم يلتذ وتألم لأنه قصد الالتذاذ فقد فعل ما آلمه فلا يخلو فى كلتا حالتيه عن معصية وعن تألم وعن تحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات فان اخطأت عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعى غاية القوة ونهاية التوفيق فقد روى عن أبى بكر بن عبد الله المزنى أن قصابا أولع بجارية لبعض جيرانه فأرسلها أهلها فى حاجة لهم إلى قرية أخرى فتبعها وراودها عن نفسها فقالت له لاتفعل لأنا أشد حبا لك منك لى ولكنى أخاف الله قال فأنت تخافينه وأنا لاأخافه فرجع تائبا فأصابه العطش حتى كاد يهلك فاذا هو برسول لبعض أنبياء بنى إسرائيل فسأله فقال مالك قال العطش قال تعال حتى ندعو الله بأن تظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال مالى من عمل صالح فأدعو فادع أنت قال أنا أدعو وأمن أنت على دعائى فدعا الرسول وأمن هو فأظلتهما سحابة حتى انتهيا إلى القرية فأخذ القصاب إلى مكانه فمالت السحابة معه فقال له الرسول زعمت أن ليس لك عمل صالح وأنا الذى دعوت وأنت الذى أمنت فأظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرنى بأمرك فأخبره فقال الرسول إن التائب عند الله تعالى بمكان ليس أحد من الناس بمكانه . وعن أحمد بن سعيد العابد عن أبيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد لازم المسجد الجامع لايكاد يفارقه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت إليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال عليها ذلك فلما كان ذات يوم وقفت له على الطريق وهو يريد المسجد فقالت له يافتى اسمع منى كلمات أكلمك بها ثم اعمل ماشئت فمضى ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يافتى اسمع منى كلمات أكلمك بها فأطرق مليا وقال لها هذا موقف تهمة وأنا أكره أن أكون للتهمة موضعا فقالت له والله ماوقفت موقفى هذا جهالة منى بأمرك ولكن معاذ الله أن يتشوف العباد إلى مثل هذا منى والذى حملنى على أن لقيتك فى مثل هذا الأمر بنفسى لمعرفتى أن القليل من هذا عند الناس كثير وأنتم معاشر العباد على مثال القوارير أدنى شئ يعيبها وجملة ما أقول لك إن جوارحى كلها مشغولة بك فالله الله فى أمرى وأمرك قال فمضى الشاب إلى منزله وأراد أن يصلى فلم يعقل كيف يصلى فأخذ قرطاسا وكتب كتابا ثم خرج من منزله وإذا بالمرأة واقفة فى موضعها فألقى الكتاب إليها ورجع إلى منزله وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم اعلمى أيتها المرأة أن الله عز وجل إذا عصاه العبد حلم فاذا عاد إلى المعصية مرة أخرى ستره فاذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات والأرض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فان كان ماذكرت باطلا فانى أذكرك يوما تكون السماء فيه كالمهل وتصير الجبال كالعهن وتجثو الأمم لصولة الجبار العظيم وإنى والله قد ضعفت عن إصلاح نفسى فكيف باصلاح غيرى وإن كان ماذكرت حقا فانى أدلك على طبيب هدى يداوى الكلوم الممرضة والأوجاع المرمضة ذلك الله رب العالمين فاقصديه بصدق المسألة فانى مشغول عنك بقوله تعالى ـ وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ماللظالمين من حميم ولاشفيع يطاع . يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور ـ فأين المهرب من هذه الآية ثم جاءت بعد ذلك بأيام فوقفت له على الطريق فلما رآها من بعيد أراد الرجوع إلى منزله كيلا يراها فقالت يافتى لاترجع فلا كان للتقى بعد هذا اليوم أبدا إلا غدا بين يدى الله تعالى ثم بكت بكاء شديدا وقالت أسأل لك الله الذى بيده مفاتيح قلبك أن يسهل ماقد عسر من أمرك ثم إنها تبعته وقالت امنن على بموعظة أحملها عنك وأوصنى بوصية أعمل عليها فقال لها أوصيك بحفظ نفسك من نفسك وأذكرك قوله تعالى ـ وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنار ـ قال فأطرقت وبكت بكاء شديدا أشد من بكائها الأول ثم إنها أقامت ولزمت بيتها وأخذت فى العبادة فلم تزل على

الابتداء يفنى عن الخلق ويرى الأشياء من الله حيث طالع ناصيته التوحيد وخرق الحجاب الذى منع الخلق عن صرف التوحيد فلا يثبت للخلق منعا ولا عطاء ويحجبه الحق عن الخلق فاذا ارتقى إلى ذروة التوحيد يشكر الخلق بعد شكر الحق ويثبت لهم وجودا فى المنع والعطاء بعد أن يرى للسبب أولا ولذلك لسعة علمه وقوة معرفته يثبت الوسائط فلا يحجبه الخلق عن الحق كعامة المسلمين ولا يحجبه الحق عن الخلق كأرباب الارادة والمبتدئين فيكون شكره للحق لأنه المنعم والمعطى والمسبب

ذلك حتى ماتت كمدا فكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكى فيقال له مم بكاؤك وأنت قد أيأستها من نفسك ؟ فيقول إنى قد ذبحت طمعها فى أول أمرها وجعلت قطيعتها ذخيرة لى عند الله تعالى فأنا أستحيى منه أن أسترد ذخيرة ادخرتها عنده تعالى . تم كتاب كسر الشهوتين بحمد الله تعالى وكرمه . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب آفات اللسان . والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وسلم تسليما كثيرا .

﴿ كتاب آفات اللسان ﴾

(وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أحسن خلق الانسان وعدله وألهمه نور الايمان فزينه به وجمله وعلمه البيان فقدمه به وفضله وأفاض على قلبه خزائن العلوم فأكمله ثم أرسل عليه سترا من رحمته وأسبله ثم أمده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ويكشف عنه ستره الذى أرسله وأطلق بالحق مقوله وأفصح بالشكر عما أولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله الذى أكرمه وبجله ونبيه الذى أرسله بكتاب أنزله وأسمى فضله وبين سبله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن قبله ما كبر الله عبد وهلله .

[أما بعد] فان اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان ثم إنه ما من موجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم إلا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات أو نفى فان كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان إما بحق أو باطل ولا شىء إلا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد فى سائر الأعضاء فان العين لا تصل إلى غير الألوان والصور والآذان لا تصل إلى غير الأصوات واليد لا تصل إلى غير الأجسام وكذا سائر الأعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد ، له فى الخير مجال رحب وله فى الشر ذيل سحب فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخى العنان سلك به الشيطان فى كل ميدان وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار ولا يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع فلا يطلقه إلا فيما ينفعه فى الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشى غائلته فى عاجله وآجله وعلم ما يحمد فيه إطلاق اللسان أو يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير وأعصى الأعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب فى إطلاقه ولا مؤنة فى تحريكه وقد تساهل الخلق فى الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله وإنه أعظم آلة الشيطان فى استغواء الانسان ونحن بتوفيق الله وحسن تدبيره نفصل مجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها وأسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز عنها ونورد ما ورد من الأخبار والآثار فى ذمها فنذكر أولا فضل الصمت وتردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يعنى ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض فى الباطل ثم آفة المراء والجدال ثم آفة الخصومة ثم آفة التقعر فى الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان ثم آفة اللعن إما لحيوان أو جماد أو إنسان ثم آفة الغناء بالشعر وقد ذكرنا فى كتاب السماع ما يحرم من الغناء

ويشكر الخلق لأنهم واسطة وسبب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أول ما يدعى إلى الجنة الحامدون الذين يحمدون الله تعالى فى السراء والضراء» وقال عليه السلام «من عطس أو تجشأ فقال الحمد لله على كل حال دفع الله تعالى بها عنه سبعين داء أهونها الجذام». وروى جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من عبد ينعم عليه بنعمة فحمد الله إلا كان الحمد أفضل منها» فقوله عليه السلام كان الحمد أفضل منها يحتمل أن يرضى الحق بها شكرا ويحتمل أن الحمد أفضل منها نعمة

ومايحل فلانعيده ثم آفة المزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء ثم آفة إفشاء السر ثم آفة الوعد الكاذب ثم آفة الكذب فى القول واليمين ثم بيان التعاريض فى الكذب ثم آفة الغيبة ثم آفة النميمة ثم آفة ذى اللسانين الذى يتردد بين المتعاديين فيكلم كل واحد بكلام يوافقه ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطأ فى فحوى الكلام لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بأصول الدين ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله عز وجل وعن كلامه وعن الحروف أهى قديمة أومحدثة وهى آخر الآفات ومايتعلق بذلك وجملتها عشرون آفة ونسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه .

(بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت)

اعلم أن خطر اللسان عظيم ولانجاة من خطر إلا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وسلم « من صمت نجا (١) » وقال عليه السلام « الصمت حكم وقليل فاعله (٢) » أى حكمة وحزم . وروى عبد الله بن سفيان عن أبيه قال « قلت يارسول الله أخبرنى عن الاسلام بأمر لاأسأل عنه أحدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قال قلت فما أتقى فأومأ بيده إلى لسانه (٣) » وقال عقبة بن عامر « قلت يارسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك (٤) » وقال سهل بن سعد الساعدى قال رسول الله ﷺ « من يتكفل لى بما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « من وقى شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقى الشر كله (٦) » القبقب هو البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج « وقد سئل رسول الله ﷺ عن أكبر مايدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكبر مايدخل النار فقال الأجوفان الفم والفرج (٧) » فيحتمل أن يكون المراد بالفم آفات اللسان لأنه محله ويحتمل أن يكون المراد به البطن لأنه منفذه فقد قال معاذ بن جبل قلت « يارسول الله أنؤاخذ بما نقول فقال ثكلتك أمك يا ابن جبل وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم (٨) » وقال عبد الله الثقفى قلت « يارسول الله حدثنى بأمر أعتصم به فقال قل ربى الله ثم استقم قلت يارسول الله ما أخوف ماتخاف على فأخذ بلسانه وقال هذا (٩) » وروى أن معاذا قال « يارسول الله أى الأعمال أفضل فأخرج رسول الله

فتكون نعمة الحمد أفضل من النعمة التى حمد عليها فاذا شكروا المنعم الأول يشكرون الواسطة المنعم من الناس ويدعون له . روى أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أفطر عند قوم قال « أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار ونزلت عليكم السكينة » . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه قال أنا أحمد بن محمد ابن أحمد البزار قال أنا أبو حفص عمر بن إبراهيم قال حدثنا عبد الله بن محمد البغوى قال أنا عمرو ابن زرارة قال ثنا عيينة ابن يونس عن موسى ابن عبيدة عن محمد بن

---

(١) حديث من صمت نجا ت من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف وقال غريب وهو عند الطبرانى بسند جيد (٢) حديث الصمت حكمة وقليل فاعله أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بلفظ حكم بدل حكمة وقال غلط فيه عثمان بن سعد والصحيح رواية ثابت قال والصحيح عن أنس أن لقمان قال ورواه كذلك هو وابن حبان فى كتاب روضة العقلاء بسند صحيح إلى أنس (٣) حديث سفيان الثقفى أخبرنى عن الاسلام بأمر لاأسأل عنه أحدا بعدك الحديث ت وصححه و ن ه وهو عند م دون آخر الحديث الذى فيه ذكر اللسان (٤) حديث عقبة بن عامر قلت يارسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك الحديث ت وقال حسن (٥) حديث سهل بن سعد من يتوكل لى بما بين لحييه ورجليه أتوكل له بالجنة رواه خ (٦) حديث من وقى شر قبقبه وذبذبه ولقلقه الحديث أبو منصور الديلمى من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ فقد وجبت له الجنة (٧) حديث سئل عن أكثر مايدخل الجنة الحديث ت وصححه و ه من حديث أبى هريرة (٨) حديث معاذ قلت يارسول الله أنؤاخذ بما نقول فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ت وصححه و ه ك وقال صحيح على شرط الشيخين (٩) حديث عبد الله الثقفى قلت يارسول الله حدثنى بأمر أعتصم به الحديث رواه ن قال ابن عساكر

صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه أصبعه (١)» وقال أنس بن مالك قال صلى الله عليه وسلم «لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه (٢)» وقال ﷺ «من سره أن يسلم فليلزم الصمت (٣)» وعن سعيد بن جبير مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان أى تقول اتق الله فينا فانك إن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا (٤)» وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى أبا بكر الصديق رضى الله عنه وهو يمد لسانه بيده فقال له ما تصنع يا خليفة رسول الله ؟ قال هذا أوردنى الموارد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ليس شىء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته (٥)» وعن ابن مسعود أنه كان على الصفا يلبى ويقول يا لسان قل خيرا تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم فقيل له يا أبا عبد الرحمن أهذا شىء تقوله أو شىء سمعته ؟ فقال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن أكثر خطايا ابن آدم فى لسانه (٦)» وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره (٧)» وروى أن معاذ بن جبل قال «يارسول الله أوصنى ، قال : اعبد الله كأنك تراه وعد نفسك فى الموتى وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله وأشار بيده إلى لسانه (٨)» وعن صفوان بن سليم قال: قال رسول الله ﷺ «ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق (٩)» وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل

ثابت عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قال لأخيه جزاك الله خيرا فقد أبلغ فى الثناء» ومن أخلاق الصوفية بذل الجاه للاخوان والمسلمين كافة فاذا كان الرجل وافر العلم بصيرا بعيوب النفس وآفاتها وشهواتها فليتوصل إلى قضاء حوائج المسلمين ببذل الجاه والمعاونة فى إصلاح ذات البين وفى هذا المعنى يحتاج إلى مزيد علم لأنها أمور تتعلق بالخلق ومخالطتهم ومعاشرتهم ولا يصلح ذلك إلا لصوفى تام الحال عالم ربانى . روى عن زيد بن أسلم أنه قال كان نبى من

وهو خطأ والصواب سفيان بن عبد الله الثقفى كما رواه ت وصححه . وقد تقدم قبل هذا بخمسة أحاديث (١) حديث إن معاذا قال يارسول الله أى الأعمال أفضل فأخرج لسانه ثم وضع يده عليه الطبرانى وابن أبى الدنيا فى الصمت قال أصبعه مكان يده (٢) حديث أنس لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه الحديث ابن أبى الدنيا فى الصمت والخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند فيه ضعف (٣) حديث من سره أن يسلم فليلزم الصمت ابن أبى الدنيا فى الصمت وأبو الشيخ فى فضائل الأعمال والبيهقى فى الشعب من حديث أنس باسناد ضعيف (٤) حديث إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان الحديث ت من حديث أبى سعيد الخدرى رفعه ووقع فى الإحياء عن سعيد بن جبير مرفوعا وإنما هو عن سعيد بن جبير عن أبى سعيد رفعه ورواه ت موقوفا على عمار بن زيد وقال هذا أصح (٥) حديث إن عمر اطلع على أبى بكر وهو يمد لسانه فقال ما تصنع يا خليفة رسول الله قال إن هذا أوردنى الموارد إن رسول الله ﷺ قال ليس شىء من الجسد إلا يشكو إلى الله عز وجل اللسان على حدته ابن أبى الدنيا فى الصمت وأبو يعلى فى مسنده والدارقطنى فى العلل والبيهقى فى الشعب من رواية أسلم مولى عمر وقال الدارقطنى إن المرفوع وهم على الدراوردى قال وروى هذا الحديث عن قيس بن أبى حازم عن أبى بكر ولا علة له (٦) حديث ابن مسعود أنه كان على الصفا يلبى ويقول يا لسان قل خيرا تغنم وفيه مرفوعا إن أكثر خطايا بنى آدم فى لسانه الطبرانى وابن أبى الدنيا فى الصمت والبيهقى فى الشعب بسند حسن (٧) حديث ابن عمر من كف لسانه ستر الله عورته الحديث ابن أبى الدنيا فى الصمت بسند حسن (٨) حديث إن معاذا قال أوصنى قال اعبد الله كأنك تراه الحديث ابن أبى الدنيا فى الصمت وطب ورجاله ثقات وفيه انقطاع (٩) حديث صفوان بن سليم مرفوعا ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق ابن أبى الدنيا هكذا مرسلا ورجاله ثقات ورواه أبو الشيخ فى طبقات المحدثين من حديث أبى ذر وأبى الدرداء أيضا مرفوعا .

خيرا أو ليسكت (١) » وقال الحسن ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « رحم الله عبدا تكلم فغنم أو سكت فسلم (٢) » وقيل لعيسى عليه السلام دلنا على عمل ندخل به الجنة قال : لا تنطقوا أبدا قالوا لا نستطيع ذلك فقال فلا تنطقوا إلا بخير ، وقال سليمان بن داود عليهما السلام إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب ، وعن البراء بن عازب قال « جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : دلني على عمل يدخلني الجنة ، قال أطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق فكف لسانك إلا من خير (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « اخزن لسانك إلا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ علم مايقول » وقال عليه السلام « إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة (٥) » وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الناس ثلاثة غانم وسالم وشاحب فالغانم الذى يذكر الله تعالى والسالم الساكت والشاحب الذى يخوض فى الباطل (٦) » وقال عليه السلام « إن لسان المؤمن وراء قلبه فاذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه وإن لسان المنافق أمام قلبه فاذا هم بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه (٧) » وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة أجزاء تسعة منها فى الصمت وجزء فى الفرار من الناس . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به (٨) » .

الآثار : كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يضع حصاة فى فيه يمنع بها نفسه عن الكلام وكان يشير إلى لسانه ويقول هذا الذى أوردنى الموارد ، وقال عبد الله بن مسعود : والله الذى لا إله إلا هو ماشيء أحوج إلى طول سجن من لسان ، وقال طاوس لسانى سبع إن أرسلته أكلنى ، وقال وهب بن منبه فى حكمة آل داود حق على العاقل أن يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شأنه . وقال الحسن ماعقل دينه من لم يحفظ لسانه . وقال الأوزاعى كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله . أما بعد : فان من أكثر ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه . وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة فى دينه والفهم عن صاحبه . وقال محمد بن واسع

الأنبياء يأخذ بركاب الملك يتألفه بذلك لقضاء حوائج الناس . وقال عطاء لأن يرانى الرجل سنين فيكتسب جاها يعيش فيه مؤمن أتم له من أن يخلص العمل لنجاة نفسه وهذا باب غامض لا يؤمن أن يفتتن به خلق من الجهال المدعين ولا يصلح هذا إلا لعبد اطلع الله على باطنه فعلم منه أن لا رغبة له فى شيء من الجاه والمال ولو أن ملوك الأرض وقفوا فى خدمته ماطغى ولا استطال ولو دخل إلى ألون يوقد ما ظهرت نفسه بصريح الانكار لهذا الحال وهذا لا يصلح إلا لآحاد من الخلق وأفراد من

---

(١) حديث أبى هريرة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت متفق عليه .

(٢) حديث الحسن ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدا تكلم فغنم أو سكت فسلم ابن أبى الدنيا فى الصمت والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بسند فيه ضعف فانه من رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيين (٣) حديث البراء جاء أعرابى فقال دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال أطعم الجائع الحديث ابن أبى الدنيا باسناد جيد (٤) حديث اخزن لسانك إلا من خير الحديث طص من حديث أبى سعيد وله فى المعجم الكبير ولا بن حبان فى صحيحه نحوه من حديث أبى ذر (٥) حديث إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنو منه فانه يلقن الحكمة ه من حديث أبى خلاد بلفظ إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا فى الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقد تقدم .

(٦) حديث ابن مسعود الناس ثلاثة غانم وسالم وشاحب الحديث الطبرانى وأبو يعلى من حديث أبى سعيد الخدرى بلفظ المجالس وضعفه ابن عدى ولم أجده ثلاثة من حديث ابن مسعود (٧) حديث إن لسان المؤمن وراء قلبه فاذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه الحديث لم أجده مرفوعا وإنما رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من رواية الحسن البصرى قال كانوا يقولون (٨) حديث من كثر كلامه كثر سقطه الحديث أبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد رواه أبو حاتم بن حبان فى روضة العقلاء والبيهقى فى الشعب موقوفا على عمر بن الخطاب .

لمالك بن دينار ياأبا يحيى حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم. وقال يونس بن عبيد ماعن الناس أحد يكون منه لسانه على بال إلا رأيت صلاح ذلك فى سائر عمله. وقال الحسن تكلم قوم عند معاوية رحمه الله والأحنف بن قيس ساكت فقال له مالك ياأبا بحر لا تتكلم فقال له أخشى الله إن كذبت وأخشاك إن صدقت . وقال أبو بكر بن عياش اجتمع أربعة ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر ، فقال أحدهم أنا أندم على ماقلت ولا أندم على مالم أقل، وقال الآخر إنى إذا تكلمت بكلمة ملكتنى ولم أملكها وإذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكنى، وقال الثالث عجبت للمتكلم إن رجعت عليه كلمته ضرته وإن ترجع لم تنفعه . وقال الرابع أنا على رد مالم أقل أقدر منى على رد ماقلت ، وقيل أقام المنصور بن المعتز لم يتكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة أربعين سنة، وقيل ماتكلم الربيع بن خيثم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان إذا أصبح وضع دواة وقرطاسا وقلما فكل ماتكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء . فان قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ماسببه ؟ فاعلم أن سببه كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض فى الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وإيذاء الخلق وهتك العورات فهذه آفات كثيرة وهى سياقة إلى اللسان لاتثقل عليه ولها حلاوة فى القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان والخائض فيها قلما يقدر أن يمسك اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب فان ذلك من غوامض العلم كما سيأتى تفصيله ففى الخوض خطر وفى الصمت سلامة فلذلك عظمت فضيلته، هذا مع مافيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول فى الدنيا ومن حسابه فى الآخرة فقد قال الله تعالى ـ مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ـ ويدلك على فضل لزوم الصمت أمر وهو أن الكلام أربعة أقسام : قسم هو ضرر محض ، وقسم هو نفع محض، وقسم فيه ضرر ومنفعة ، وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة . أما الذى هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك مافيه ضرر ومنفعة لا تفى بالضرر . وأما مالا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبقى إلا القسم الرابع فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقى ربع وهذا الربع فيه خطر إذ يمتزج بما فيه إثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى دركه فيكون الانسان به مخاطرا ، ومن عرف دقائق آفات اللسان على ماسنذكره علم قطعا أن ما ذكره صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال « من صمت نجا (١) » فلقد أوتى والله جواهر الحكم قطعا وجوامع الكلم (٢) ولا يعرف ماتحت آحاد كلماته من بحار المعانى إلا خواص العلماء وفيما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك إن شاء الله تعالى ونحن الآن نعد آفات اللسان ونبتدىء بأخفها ونترقى إلى الأغلظ قليلا ونؤخر الكلام فى الغيبة والنميمة والكذب فان النظر فيها أطول وهى عشرون آفة فاعلم ذلك ترشد بعون الله تعالى .

(الآفة الأولى : الكلام فيما لا يعنيك)

اعلم أن أحسن أحوالك أن تحفظ ألفاظك من جميع الآفات التى ذكرناها من الغيبة والنميمة والكذب والمراء والجدال وغيرها وتتكلم فيما هو مباح لاضرر عليك فيه ولا على مسلم أصلا إلا أنك تتكلم بما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك إليه فانك مضيع به زمانك ومحاسب على عمل لسانك

الصادقين ينسلخون عن إرادتهم واختيارهم ويكاشفهم الله تعالى بمراده منهم فيدخلون فى الأشياء بمراد الله تعالى فاذا علموا أن الحق يريد منهم المخالطة وبذل الجاه يدخلون فى ذلك بغية صفات النفس وهذا لأقوام ماتوا ثم حشروا وأحكموا مقام الفناء ثم رقوا إلى مقام البقاء فيكون لهم فى كل مدخل ومخرج برهان وبيان وإذن من الله تعالى فهم على بصيرة من ربهم وهذا ليس فيهم ارتياب لصاحب قلب مكاشف بصريح المراد فى خفى الخطاب فيأخذ وقته أبدا من الأشياء ولم تأخذ الأشياء من وقته

(١) حديث من صمت نجا تقدم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم أوتى جوامع الكلم م من حديث أبى هريرة وقد تقدم .

وتستبدل

وتستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ، لأنك لو صرفت زمان الكلام إلى الفكر ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكر ما يعظم جدواه ولو هللت الله سبحانه وذكرته وسبحته لكان خيرا لك فكم من كلمة يبنى بها قصر فى الجنة ومن قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز فأخذ مكانه مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا يعنيه فانه وإن لم يأثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى فان المؤمن لا يكون صمته إلا فكرا ونظره إلا عبرة ونطقه إلا ذكرا (١) هكذا قال النبى صلى الله عليه وسلم ، بل رأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها إلى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا فى الآخرة فقد ضيع رأس ماله . ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه (٢)» بل ورد ما هو أشد من هذا قال أنس «استشهد غلام منا يوم أحد فوجدنا على بطنه حجرا مربوطا من الجوع فمسحت أمه عن وجهه التراب وقالت هنيئا لك الجنة يا بنى فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره (٣)» وفى حديث آخر « أن النبى صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشى حتى أتاه فلما دخل عليه قال أبشر يا كعب فقالت أمه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال صلى الله عليه وسلم من هذه المتألية على الله ؟ قال هى أمى يا رسول الله قال وما يدريك يا أم كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه أو منع ما لا يغنيه (٤)» ومعناه أنه إنما تتهيأ الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وإن كان كلامه فى مباح فلا تتهيأ الجنة مع المناقشة فى الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام إليه ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بذلك وقالوا أخبرنا بأوثق عمل فى نفسك ترجو به فقال إنى لضعيف وإن أوثق ما أرجو به الله سلامة الصدر وترك ما لا يعنينى (٥)» وقال أبو ذر قال لى رسول الله ﷺ « ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل فى الميزان ؟ قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك (٦)» وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لهن أحب إلى من الدهم الموقوفة لا تتكلم فيما لا يعنيك فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم فى أمر يعنيه

ولا يكون فى قطر من الأقطار إلا واحد متحقق بهذا الحال . قال أبو عثمان الحيرى لا يكمل الرجل حتى يستوى قلبه فى أربعة أشياء المنع والعطاء والعز والذل ولمثل هذا الرجل يصلح بذل الجاه والدخول فيما ذكرناه . قال سهل ابن عبد الله لا يستحق الانسان الرياسة حتى تجتمع فيه ثلاث خصال : يصرف جهله عن الناس ويحتمل جهل الناس ويترك ما فى أيديهم ويبذل ما فى يده لهم وهذه الرياسة ليست عين الرياسة التى زهد فيها وتعين الزهد فيها لضرورة صدقه وسلوكه وإنما هذه

---

(١) حديث المؤمن لا يكون صمته إلا فكرا ونظره إلا عبرة ونطقه إلا ذكرا لم أجد له أصلا وروى محمد بن زكريا العلائى أحد الضعفاء عن ابن عائشة عن أبيه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله أمرنى أن يكون نطقى ذكرا وصمتى فكرا ونظرى عبرة (٢) حديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ت وقال غريب و ه من حديث أبى هريرة (٣) حديث استشهد منا غلام يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع الحديث وفيه لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره ت من حديث أنس مختصرا وقال غريب ورواه ابن أبى الدنيا فى الصمت بلفظ المصنف بسند ضعيف (٤) حديث إن النبى صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض الحديث وفيه لعل كعبا قال ما لا يعنيه أو منع ما لا يغنيه ابن أبى الدنيا من حديث كعب بن عجرة باسناد جيد إلا أن الظاهر انقطاعه بين الصحابى وبين الراوى عنه (٥) حديث محمد بن كعب إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام الحديث وفيه إن أوثق ما أرجوه سلامة الصدر وترك ما لا يعنينى ابن أبى الدنيا هكذا مرسلا وفيه أبو نجيح اختلف فيه (٦) حديث أبى ذر ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن الحديث وفيه هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك ابن أبى الدنيا بسند منقطع .

قدوضعه فى غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك والسفيه يؤذيك واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به وأعفه مما تحب أن يعفيك منه وعامل أخاك بما تحب أن يعاملك به واعمل عمل رجل يعلم أنه مجازى بالاحسان مأخوذ بالاجترام . وقيل للقمان الحكيم ماحكمتك قال لاأسأل عما كفيت ولاأتكلف ما لايعنينى. وقال مورق العجلى : أمرأنا فى طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وماهو ؟ قال السكوت عما لايعنينى . وقال عمر رضى الله عنه لاتتعرض لما لايعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم إلا الأمين ولا أمين إلا من خشى الله تعالى ولاتصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولاتطلعه على سرك واستشر فى أمرك الذين يخشون الله تعالى . وحد الكلام فيما لايعنيك أن تتكلم بكلام لوسكت عنه لم تأثم ولم تستضر به فى حال ولامال . مثاله أن تجلس مع قوم فتذكر لهم أسفارك ومارأيت فيها من جبال وأنهار وماوقع لك من الوقائع وما استحسنته من الأطعمة والثياب وماتعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه أمور لوسكت عنها لم تأثم ولم تستضر وإذا بالغت فى الجهاد حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ولانقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الأحوال العظيمة ولااغتياب لشخص ولامذمة لشىء مما خلقه الله تعالى فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك وأنى تسلم من الآفات التى ذكرناها ومن جملتها أن تسأل غيرك عما لايعنيك فأنت بالسؤال مضيع وقتك وقد ألجأت صاحبك أيضا بالجواب إلى التضييع هذا إذا كان الشىء مما لايتطرق إلى السؤال عنه آفة وأكثر الأسئلة فيها آفات فانك تسأل غيرك عن عبادته مثلا فتقول له هل أنت صائم فان قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الرياء وإن لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وإن قال لا كان كاذبا وإن سكت كان مستحقرا لك وتأذيت به وإن احتال لمدافعة الجواب افتقر إلى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسؤال إما للرياء أوللكذب أوللاستحقار أوللتعب فى حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن سائر عباداته وكذلك سؤالك عن المعاصى وعن كل مايخفيه ويستحى منه وسؤالك عما حدث به غيرك فتقول له ماذا تقول وفيم أنت وكذلك ترى إنسانا فى الطريق فتقول من أين فربما يمنعه مانع من ذكره فان ذكره تأذى به واستحيا وإن لم يصدق وقع فى الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل عن مسألة لاحاجة بك إليها والمسئول ربما لم تسمح نفسه بأن يقول لاأدرى فيجيب عن غير بصيرة ولست أعنى بالتكلم فيما لايعنى هذه الأجناس فان هذا يتطرق إليه إثم أوضرر وإنما مثال ما لايعنى ماروى أن لقمان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعا ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم فجعل يتعجب مما رأى فأراد أن يسأله عن ذلك فمنعته حكمته فأمسك نفسه ولم يسأله فلما فرغ قام داود ولبسه ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله أى حصل العلم به من غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل إنه كان يتردد إليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك من غير سؤال فهذا وأمثاله من الأسئلة إذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط فى رياء وكذب وهو مما لايعنى وتركه من حسن الاسلام فهذا حده . وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لاحاجة به إليه أوالمباسطة بالكلام على سبيل التودد أو تزجية الأوقات بحكايات أحوال لافائدة فيها . وعلاج ذلك كله أن يعلم أن الموت بين يديه وأنه مسئول عن كل كلمة وأن أنفاسه رأس ماله وأن لسانه شبكة يقدر على أن يقتنص بها الحور العين فاهماله ذلك وتضييعه خسران مبين هذا علاجه من حيث العلم وأما من حيث العمل فالعزلة أوأن يصم حصاة فى فيه وأن يلزم نفسه السكوت بها عن بعض مايعنيه حتى يعتاد اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان فى هذا على غير المعتزل شديد جدا .

رياسة أقامها الحق لصلاح خلقه فهو فيها بالله يقوم بواجب حقها وشكر نعمتها لله تعالى .

[الباب الحادى والثلاثون فى ذكر الأدب ومكانه من التصوف]

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » فالأدب تهذيب الظاهر والباطن فاذا تهذب ظاهر العبد وباطنه صار صوفيا أديبا وإنما سميت المأدبة مأدبة لاجتماعها على أشياء ولايتكامل الأدب فى العبد إلا بتكامل مكارم الأخلاق ومكارم الأخلاق مجموعها من تحسين الخلق فالخلق

(الآفة الثانية : فضول الكلام)

وهو أيضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يعنى والزيادة فيما يعنى على قدر الحاجة فان من يعنيه أمر يمكنه أن يذكره بكلام مختصر ويمكنه أن يجسمه ويقرره ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول أى فضل عن الحاجة وهو أيضا مذموم لما سبق وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر . قال عطاء بن أبى رباح إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ماعدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أو أن تنطق بحاجتك فى معيشتك التى لابد لك منها أتنكرون أن عليكم حافظين كراما كاتبين. عن اليمين وعن الشمال قعيد مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، أما يستحى أحدكم إذا نشرت صحيفته التى أملاها صدر نهاره كان أكثر مافيها ليس من أمر دينه ولا دنياه . وعن بعض الصحابة قال إن الرجل ليكلمنى بالكلام لجوابه أشهى إلىّ من الماء البارد إلى الظمآن فأترك جوابه خيفة أن يكون فضولا . وقال مطرف ليعظم جلال الله فى قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب والحمار اللهم اخزه وما أشبه ذلك . واعلم أن فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور فى كتاب الله تعالى قال الله عز وجل ـ لاخير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ـ وقال صلى الله عليه وسلم «طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله (١)» فانظر كيف قلب الناس الأمر فى ذلك فأمسكوا فضل المال وأطلقوا فضل اللسان . وعن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رهط من بنى عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا فضلا وأنت أطولنا علينا طولا وأنت الجفنة الغرّاء وأنت وأنت فقال قولوا قولكم ولا يستهوينكم الشيطان (٢) إشارة إلى أن اللسان إذا أطلق بالثناء ولو بالصدق فيخشى أن يستهويه الشيطان إلى الزيادة المستغنى عنها . وقال ابن مسعود أنذركم فضول كلامكم حسب امرئ من الكلام مابلغ به حاجته . وقال مجاهد إن الكلام ليكتب حتى إن الرجل ليسكت ابنه فيقول أبتاع لك كذا وكذا فيكتب كذابا . وقال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بها ملكان كريمان يكتبان أعمالك فاعمل ماشئت وأكثر أو أقل وروى أن سليمان عليه السلام بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون مايقول ويخبرونه فأخبروه بأنه مرّ فى السوق فرفع رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس وهز رأسه فسأله سليمان عن ذلك فقال عجبت من الملائكة على رءوس الناس ما أسرع مايكتبون ومن الذين أسفل منهم ما أسرع ما يملون وقال إبراهيم التيمى إذا أراد المؤمن أن يتكلم نظر فان كان له تكلم وإلا أمسك والفاجر إنما لسانه رسلا رسلا . وقال الحسن من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال له صلى الله عليه وسلم

صورة الانسان والخلق معناه فقال بعضهم الخلق لاسبيل إلى تغييره كالخلق وقد ورد « فرغ ربكم من الخلق والخلق والرزق والأجل» وقد قال تعالى ـ لاتبديل لخلق الله ـ والأصح أن تبديل الأخلاق ممكن مقدور عليه بخلاف الخلق وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « حسنوا أخلاقكم » وذلك أن الله تعالى خلق الانسان وهيأه لقبول الصلاح والفساد وجعله أهلا للأدب ومكارم الأخلاق ووجود الأهلية فيه كوجود النار فى الزناد ووجود النخل فى النوى ثم إن الله تعالى بقدرته ألهم الانسان ومكنه

(الآفة الثانية : فضول الكلام)

(١) حديث طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله البغوى وابن قانع فى معجمى الصحابة والبيهقى من حديث ركب المصرى وقال ابن عبد البر إنه حديث حسن وقال البغوى لاأدرى سمع من النبى صلى الله عليه وسلم أم لا وقال ابن منده مجهول لانعرف له صحبة ورواه البزار من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رهط من بنى عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا الحديث د ن فى اليوم والليلة بلفظ آخر ورواه ابن أبى الدنيا بلفظ المصنف

«كم دون لسانك من حجاب فقال شفتاى وأسنانى قال أفما كان لك فى ذلك مايرد كلامك (١)» وفى رواية أنه قال ذلك فى رجل أثنى عليه فاستبتر فى الكلام ثم قال ما أوتى رجل شرا من فضل فى لسانه وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه إنه ليمنعنى من كثير من الكلام خوف المباهاة . وقال بعض الحكماء إذا كان الرجل فى مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وإن كان ساكتا فأعجبه السكوت فليتكلم وقال يزيد بن أبى حبيب من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع فان وجد من يكفيه فان فى الاستماع سلامة وفى الكلام تزيين وزيادة ونقصان . وقال ابن عمر إن أحق ماطهر الرجل لسانه ورأى أبو الدرداء امرأة سليطة فقال لو كانت هذه خرساء كان خيرا لها . وقال إبراهيم يهلك الناس خلتان فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة فضول الكلام وكثرته وسببه الباعث عليه وعلاجه ماسبق فى الكلام فيما لايعنى .

(الآفة الثالثة : الخوض فى الباطل)

وهو الكلام فى المعاصى كحكاية أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الأغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة وأحوالهم المكروهة فان كل ذلك مما لايحل الخوض فيه وهو حرام وأما الكلام فيما لايعنى أو أكثر مما يعنى فهو ترك الأولى ولاتحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لايعنى لايؤمن عليه الخوض فى الباطل وأكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولايعدو كلامهم التفكه بأعراض الناس أو الخوض فى الباطل وأنواع الباطل لايمكن حصرها لكثرتها وتفننها فلذلك لامخلص منها إلا بالاقتصار على مايعنى من مهمات الدين والدنيا وفى هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها وهو يستحقرها فقد قال بلال بن الحرث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به مابلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله مايظن أن تبلغ به مابلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة (٢)» وكان علقمة يقول كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحرث وقال النبى صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا (٣)» وقال أبو هريرة : إن الرجل ليتكلم بالكلمة مايلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم وإن الرجل ليتكلم بالكلمة مايلقى لها بالا يرفعه الله بها فى أعلى الجنة . وقال صلى الله عليه وسلم «أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا فى الباطل (٤)» وإليه الاشارة بقوله تعالى ـ وكنا نخوض مع الخائضين ـ وبقوله تعالى ـ فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذا مثلهم ـ وقال سلمان أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلاما فى معصية الله . وقال ابن سيرين كان رجل من الأنصار يمر بمجلس لهم فيقول لهم توضئوا فان بعض ماتقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض فى الباطل وهو

من إصلاحه بالتربية إلى أن يصير النوى نخلا والزناد بالعلاج حتى تخرج منه نار وكما جعل فى نفس الانسان صلاحية الخير جعل فيها صلاحية الشر حال الاصلاح والإفساد فقال سبحانه وتعالى ـ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ـ فتسويتها بصلاحيتها للشيئين جميعا ثم قال عز وجل ـ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ـ فاذا تزكت النفس تدبرت بالعقل واستقامت أحوالها الظاهرة والباطنة وتهذبت الأخلاق وتكونت الآداب فالأدب استخراج مافى القوة إلى الفعل وهذا

(١) حديث عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال كم دون لسانك من باب الحديث ابن أبى الدنيا هكذا مرسلا ورجاله ثقات .

(الآفة الثالثة : الخوض فى الباطل)

(٢) حديث بلال بن الحارث إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله الحديث ه ت وقال حسن صحيح (٣) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا ابن أبى الدنيا من حديث أبى هريرة بسند حسن وللشيخين و ت إن الرجل ليتكلم بالكلمة لايرى بها بأسا يهوى بها سبعين خريفا فى النار لفظ ت وقال حسن غريب (٤) حديث أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا فى الباطل ابن أبى الدنيا من حديث قتادة مرسلا ورجاله ثقات ورواه هو والطبرانى موقوفا على ابن مسعود بسند صحيح .

وراء ماسيأتى من الغيبة والنميمة والفحش وغيرها بل هو الخوض فى ذكر محظورات سبق وجودها أو تدبر للتوصل إليها من غير حاجة دينية إلى ذكرها ويدخل فيه أيضا الخوض فى حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ماجرى من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن فى بعضهم وكل ذلك باطل والخوض فيه خوض فى الباطل نسأل الله حسن العون بلطفه وكرمه .

(الآفة الرابعة المراء والجدال)

وذلك منهى عنه قال صلى الله عليه وسلم « لاتمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه (١) » وقال عليه السلام « ذروا المراء فانه لاتفهم حكمته ولا تؤمن فتنته (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى أعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة (٣) » وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول ماعهد إلىّ ربى ونهانى عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال (٤) » وقال أيضا « ماضل قوم بعد أن هداهم الله إلا أوتوا الجدل (٥) » وقال أيضا « لايستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وإن كان محقا (٦) » وقال أيضا « ست من كنّ فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام فى الصيف وضرب أعداء الله بالسيف وتعجيل الصلاة فى اليوم الدجن والصبر على المصيبات وإسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق (٧) » وقال الزبير لابنه لاتجادل الناس بالقرآن فانك لاتستطيعهم ولكن عليك بالسنة . وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل . وقال مسلم بن يسار إياكم والمراء فانه ساعة جهل العالم وعندها يبتغى الشيطان زلته . وقيل ماضل قوم بعد إذ هداهم الله إلا بالجدل . وقال مالك بن أنس رحمة الله عليه ليس هذا الجدال من الدين فى شىء . وقال أيضا المراء يقسى القلوب ويورث الضغائن . وقال لقمان لابنه يابنى لاتجادل العلماء فيمقتوك وقال بلال بن سعد إذا رأيت الرجل لجوجا ممارياً معجبا برأيه فقد تمت خسارته وقال سفيان لو خالفت أخى فى رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بى إلى السلطان وقال أيضا صاف من شئت ثم أغضبه بالمراء فليرمينك بداهية تمنعك العيش وقال ابن أبى ليلى لا أمارى صاحبى فإما أن أكذبه وإما أن أغضبه . وقال أبو الدرداء كفى بك إثما أن لا تزال ممارياً

يكون لمن ركبت السجية الصالحة فيه والسجية فعل الحق لاقدرة للبشر على تكوينها كتكون النار فى الزناد إذ هو فعل الله المحض واستخراجه بكسب الآدمى فهكذا الآداب منبعها السجايا الصالحة والمنح الإلهية ولما هيأ الله تعالى بواطن الصوفية بتكميل السجايا فيها تواصلوا بحسن الممارسة والرياضة إلى استخراج ما فى النفوس وهو مركوز بخلق الله تعالى إلى الفعل فصاروا مؤدبين مهذبين والآداب تقع فى حق بعض الأشخاص من غير زيادة ممارسة ورياضة القوة ماأودع الله تعالى فى غرائزهم كما

(الآفة الرابعة المراء والمجادلة)

(١) حديث لاتمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه ت من حديث ابن عباس وقد تقدم (٢) حديث ذروا المراء فانه لاتفهم حكمته ولا تؤمن فتنته طب من حديث أبى الدرداء وأبى أمامة وأنس بن مالك وواثلة بن الأسقع باسناد ضعيف دون قوله لاتفهم حكمته ورواه بهذه الزيادة ابن أبى الدنيا موقوفا على ابن مسعود (٣) حديث من ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى أعلى الجنة الحديث تقدم فى العلم (٤) حديث أم سلمة إن أول ماعهد إلى ربى ونهانى عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال ابن أبى الدنيا فى الصمت والطبرانى والبيهقى بسند ضعيف وقد رواه ابن أبى الدنيا فى المراسيل من حديث عروة بن رويم (٥) حديث ماضل قوم إلا أوتوا الجدل ت من حديث أبى أمامة وصححه وزاد بعد هدى كانوا عليه وتقدم فى العلم وهو عند ابن أبى الدنيا دون هذه الزيادة كما ذكره المصنف (٦) حديث لايستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يذر المراء وإن كان محقا ابن أبى الدنيا من حديث أبى هريرة بسند ضعيف وهو عند أحمد بلفظ لايؤمن العبد حتى يترك الكذب فى المزاحة والمراء وإن كان صادقا (٧) حديث ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الحديث وفيه ترك المراء وهو صادق أبو منصور الديلمى من حديث أبى مالك الأشعرى بسند ضعيف بلفظ ست خصال من الخير الحديث .

وقال صلى الله عليه وسلم « تكفير كل لحاء ركعتان (١) » وقال عمر رضى الله عنه لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث لا تتعلمه لتمارى به ولا لتباهى به ولا لترائى به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل منه . وقال عيسى عليه السلام من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروءته ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه . وقيل لميمون بن مهران مالك لا تترك أخاك عن قلى قال لأنى لا أشاريه ولا أماريه وما ورد فى ذم المراء والجدال أكثر من أن يحصى . وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه إما فى اللفظ وإما فى المعنى وإما فى قصد المتكلم وترك المراء بترك الانكار والاعتراض فكل كلام سمعته فان كان حقا فصدق به وإن كان باطلا أو كذبا ولم يكن متعلقا بأمور الدين فامسكت عنه والطعن فى كلام الغير تارة يكون فى لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحو أو من جهة اللغة أو من جهة العربية أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تأخير وذلك يكون تارة من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكيفما كان فلا وجه لاظهار خلله وأما فى المعنى فبأن يقول ليس كما تقول وقد أخطأت فيه من وجه كذا وكذا وأما فى قصده فمثل أن يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وإنما أنت فيه صاحب غرض وما يجرى مجراه وهذا الجنس إن جرى فى مسألة علمية ربما خص باسم الجدل وهو أيضا مذموم بل الواجب السكوت أو السؤال فى معرض الاستفادة لا على وجه العناد والنكارة أو التلطف فى التعريف لا فى معرض الطعن وأما المجادلة فعبارة عن قصد إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح فى كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه وآية ذلك أن يكون تنبيهه للحق من جهة أخرى مكروها عند المجادل يحب أن يكون هو المظهر له خطأ ليبين به فضل نفسه ونقص صاحبه ولا نجاة من هذا إلا بالسكوت عن كل ما لا يأثم به لو سكت عنه وأما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار العلم والفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان لها أما إظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهى من مقتضى ما فى العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهى من صفات الربوبية وأما تنقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية فانه يقتضى أن يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وإنما قوتهما المراء والجدال فالمواظب على المراء والجدال مقو لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهة بل هو معصية مهما حصل فيه إيذاء الغير ولا تنفك المماراة عن الايذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل ويقدح فى قائله بكل ما يتصور له فيثور الشجار بين المتماريين كما يثور الهراش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما أن يعض صاحبه بما هو أعلم نكاية وأقوى فى إفحامه وإلجامه وأما علاجه فهو بأن يكسر الكبر الباعث له على إظهار فضله والسبعية الباعث له على تنقيص غيره كما سيأتى ذلك فى كتاب ذم الكبر والعجب وكتاب ذم الغضب فان علاج كل علة بإماطة سببها وسبب المراء والجدال ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه . روى أن أبا حنيفة رحمة الله عليه قال لداود الطائى لم آثرت الانزواء قال لأجاهد نفسى بترك الجدال فقال احضر المجالس واستمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة أشد على منها وهو كما قال لأن من سمع الخطأ من غيره وهو قادر على كشفه تعسر عليه الصبر عند ذلك جدا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا فى أعلى الجنة » لشدة ذلك على النفس وأكثر ما يغلب ذلك فى المذاهب والعقائد فإن المراء طبع فاذا ظن أن له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع عليه وذلك خطأ محض بل ينبغى للانسان أن يكف لسانه عن أهل القبلة وإذا رأى مبتدعا تلطف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » وفى بعض الناس من يحتاج إلى طول الممارسة لنقصان قوى أصولها فى الغريزة فلهذا احتاج المريدون إلى صحبة المشايخ لتكون الصحبة والتعلم عونا على استخراج ما فى الطبيعة إلى الفعل قال الله تعالى ـ قوا أنفسكم وأهليكم نارا ـ قال ابن عباس رضى الله عنهما فقهوهم وأدبوهم وفى لفظ آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبنى ربى فأحسن تأديبى ثم أمرنى بمكارم الأخلاق فقال ـ خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين ـ » . قال يوسف بن الحسين

(١) حديث تكفير كل لحاء ركعتان الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف .

في نصحه في خلوة لا بطريق الجدال فان الجدال يخيل إليه أنها حيلة منه في التلبيس وأن ذلك صنعة يقدر المجادلون من أهل مذهبه على أمثالها لو أرادوا فتستمر البدعة في قلبه بالجدل وتتأكد فاذا عرف أن النصح لاينفع اشتغل بنفسه وتركه وقال صلى الله عليه وسلم «رحم الله من كف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن مايقدر عليه (١)» وقال هشام بن عروة كان عليه السلام يردد قوله هذا سبع مرات وكل من اعتاد المجادلة مدة وأثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولا قويت فيه هذه المهلكات ولايستطيع عنها نزوعا إذا اجتمع عليه سلطان الغضب والكبر والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها .

(الآفة الخامسة : الخصومة)

وهي أيضا مذمومة وهي وراء الجدال والمراء فالمراء طعن في كلام الغير باظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير وإظهار مزية الكياسة. والجدال عبارة عن أمر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام ليستوفى به مال أو حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لايكون إلا باعتراض على كلام سبق فقد قالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم (٢)» وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع (٣)» وقال بعضهم إياك والخصومة فانها تمحق الدين ويقال ماخاصم ورع قط في الدين وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله ابن أبي بكرة فقال مايجلسك ههنا قلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال إن لأبيك عندي يدا وإني أريد أن أجزيك بها وإني والله مارأيت شيئا أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب من الخصومة قال فقمت لأنصرف فقال لي خصمي مالك قلت لا أخاصمك قال إنك عرفت أن الحق لي قلت لا ولكن أكرم نفسي عن هذا قال فاني لا أطلب منك شيئا هو لك . فان قلت فاذا كان للانسان حق فلابد له من الخصومة في طلبه أو في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته ، فاعلم أن هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قبل أن يتعرف أن الحق في أي جانب هو يتوكل في الخصومة من أي جانب كان فيخاصم بغير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لايقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط أو على قصد الايذاء ويتناول الذي يمزح بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج إليها في نصرة الحجة وإظهار الحق ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع أنه قد يستحقر ذلك القدر من المال وفي الناس من يصرح به ويقول إنما قصدي عناده وكسر عرضه وإني إن أخذت منه هذا المال ربما رميت به في بئر ولا أبالي وهذا مقصوده اللدد والخصومة واللجاج وهو مذموم جدا فأما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف وزيادة لجاج على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد

بالأدب يفهم العلم وبالعلم يصح العمل وبالعمل تنال الحكمة وبالحكمة يقام الزهد وبالزهد تترك الدنيا وبترك الدنيا يرغب في الآخرة وبالرغبة في الآخرة تنال الرتبة عند الله تعالى . قيل لما ورد أبو حفص العراق جاء إليه الجنيد فرأى أصحاب أبي حفص وقوفا على رأسه يأتمرون لأمره لايخطئ أحد منهم فقال يا أبا حفص أدبت أصحابك أدب الملوك فقال لا يا أبا القاسم ولكن حسن الأدب في الظاهر عنوان الأدب في الباطن قال أبو الحسين النوري ليس لله في عبده مقام ولا حال ولا معرفة تسقط معها

---

(١) حديث رحم الله من كف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن مايقدر عليه ابن أبي الدنيا باسناد ضعيف من حديث هشام بن عروة عن النبي ﷺ مرسلا ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية هشام عن عائشة بلفظ رحم الله امرأ كف لسانه عن أعراض المسلمين وهو منقطع وضعيف جدا .

(الآفة الخامسة : الخصومة) .

(٢) حديث عائشة إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم خ وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع ابن أبي الدنيا والأصفهاني في الترغيب والترهيب وفيه رجاء أبو يحيى ضعفه الجمهور .

وإيذاء ففعله ليس بحرام ولكن الأولى تركه ماوجد إليه سبيلا فان ضبط اللسان فى الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب وإذا هاج الغضب نسى المتنازع فيه وبقى الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق اللسان فى عرضه فمن بدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه المحذورات وأقل مافيه تشويش خاطره حتى إنه فى صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الأمر على حد الواجب فالخصومة مبدأ كل شر وكذا المراء والجدال فينبغى أن لا يفتح بابه إلا لضرورة وعند الضرورة ينبغى أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب فى خصومته سلم من الاثم ولا تذم خصومته إلا أنه إن كان مستغنيا عن الخصومة فيما خاصم فيه لأن عنده ما يكفيه فيكون تاركا للأولى ولا يكون آثما ، نعم أقل مايفوته فى الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام وماورد فيه من الثواب إذ أقل درجات طيب الكلام إظهار الموافقة ولا خشونة فى الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذى حاصله إما تجهيل وإما تكذيب فان من جادل غيره أو ماراه أو خاصمه فقد جهله أو كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم «يمكنكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام (١)» وقد قال الله تعالى ـ وقولوا للناس حسنا ـ وقال ابن عباس رضى الله عنهما من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه السلام وإن كان مجوسيا إن الله تعالى يقول ـ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردوها ـ وقال ابن عباس أيضا لو قال لى فرعون خيرا لرددت عليه وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فى الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام (٢)» وروى أن عيسى عليه السلام مرّ به خنزير فقال مر بسلام فقيل ياروح الله أتقول هذا لخنزير فقال أكره أن أعود لسانى الشر وقال نبينا عليه السلام «الكلمة الطيبة صدقة (٣)» وقال « اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة (٤)» وقال عمر رضى الله عنه البر شىء هين وجه طليق وكلام لين . وقال بعض الحكماء الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة فى الجوارح . وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسخط ربك إلا أنك ترضى به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فانه لعله يعوضك منه ثواب المحسنين وهذا كله فى فضل الكلام الطيب وتضاده الخصومة والمراء والجدال واللجاج فانه الكلام المستكره الموحش المؤذى للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه .

(الآفة السادسة)

التقعر فى الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيهات والمقدمات وماجرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا وأتقياء أمتى برآء من التكلف» وقال صلى الله عليه وسلم «إن أبغضكم إلىّ وأبعدكم منى مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون فى الكلام (٥)» وقالت فاطمة رضى الله عنها

(١) حديث يمكنكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام الطبرانى من حديث جابر وفيه من لا أعرفه وله من حديث هانىء أبى شريح باسناد جيد يوجب الجنة إطعام الطعام وحسن الكلام (٢) حديث أنس إن فى الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها الحديث ت وقد تقدم (٣) حديث الكلمة الطيبة صدقة م من حديث أبى هريرة (٤) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة الحديث متفق عليه من حديث عدى بن حاتم وقد تقدم .

(الآفة السادسة : التقعر فى الكلام والتشدق)

(٥) حديث إن أبغضكم إلى الله وأبعدكم منى مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون أحمد من حديث

آداب الشريعة وآداب الشريعة حلية الظاهر والله تعالى لا يبيح تعطيل الجوارح من التحلى بمحاسن الآداب قال عبد الله بن المبارك أدب الخدمة أعز من الخدمة . حكى عن أبى عبيد القاسم بن سلام قال دخلت مكة فكنت ربما أقعد بحذاء الكعبة وربما كنت أستلقى وأمدّ رجلى فجاءتنى عائشة المكية فقالت لى يا أبا عبيد يقال إنك من أهل العلم اقبل منى كلمة لا تجالسه إلا بأدب وإلا فيمحى اسمك من ديوان القرب قال أبو عبيد وكانت من العارفات . وقال ابن عطاء : النفس مجبولة

قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون فى الكلام (١)» وقال صلى الله عليه وسلم «ألا هلك المتنطعون ثلاث مرات (٢)» والتنطع هو التعمق والاستقصاء . وقال عمر رضى الله عنه : إن شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان وجاء عمر بن سعد بن أبى وقاص إلى أبيه سعد يسأله حاجة فتكلم بين يدى حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك بأبعد منك اليوم إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يأتى على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخلل البقرة الكلأ بألسنتها (٣)» وكأنه أنكر عليه ماقدمه على الكلام من التشبب والمقدمة المصنوعة المتكلفة ، وهذا أيضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع مُتكلف وكذلك التفاصيح الخارج عن حد العادة وكذلك التكلف بالسجع فى المحاورات «إذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة فى الجنين فقال بعض قوم الجانى : كيف ندى من لاشرب ولاأكل ولاصاح ولااستهل ومثل ذلك بطل فقال أسجعا كسجع الأعراب (٤)» وأنكر ذلك لأن أثر التكلف والتصنع بين عليه ، بل ينبغى أن يقتصر فى كل شئ على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم ولايدخل فى هذه تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير من غير إفراط وإغراب فان المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ، فلرشاقة اللفظ تأثير فيه فهو لائق به ، فأما المحاورات التى تجرى لقضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشدق والاشتغال به من التكلف المذموم ولاباعث عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه .

(الآفة السابعة : الفحش والسب وبذاءة اللسان)

وهو مذموم ومنهى عنه ومصدره الخبث واللؤم . قال صلى الله عليه وسلم « إياكم والفحش فان الله تعالى لايحب الفحش ولاالتفحش (٥)» ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن تسب قتلى بدر من المشركين فقال « لاتسبوا هؤلاء فانه لايخلص إليهم شئ مما تقولون وتؤذون الأحياء ألا إن البذاء لؤم (٦)» وقال صلى الله عليه وسلم «ليس المؤمن بالطعان ولااللعان ولاالفاحش ولاالبذى (٧)» وقال صلى الله عليه وسلم « الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها (٨)» وقال صلى الله عليه وسلم

على سوء الأدب والعبد مأمور بملازمة الأدب والنفس تجرى بطباعها فى ميدان المخالفة والعبد يردها بجهده إلى حسن المطالبة فمن أعرض عن الجهد فقد أطلق عنان النفس وغفل عن الرعاية ومهما أعانها فهو شريكها وقال الجنيد من أعان نفسه على هواها فقد أشرك فى قتل نفسه لأن العبودية ملازمة الأدب والطغيان سوء الأدب أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو النصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبى قال أنا أبو عيسى الترمذى

أبى ثعلبة وهو عند ت من حديث جابر وحسنه بلفظ إن أبغضكم إلىّ (١) حديث فاطمة شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم الحديث وفيه ويتشدقون ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب (٢) حديث ألا هلك المتنطعون م من حديث ابن مسعود (٣) حديث سعد يأتى على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخلل البقرة الكلأ بلسانها رواه أحمد (٤) حديث كيف ندى من لاشرب ولاأكل الحديث م من حديث المغيرة بن شعبة وأبى هريرة وأصلهما عند خ أيضا .

(الآفة السابعة : الفحش والسب وبذاءة اللسان)

(٥) حديث إياكم والفحش الحديث ن فى الكبرى فى التفسير والحاكم وصححه من حديث عبد الله ابن عمرو ورواه ابن حبان من حديث أبى هريرة (٦) حديث النهى عن سب قتلى بدر من المشركين الحديث ابن أبى الدنيا من حديث محمد بن على الباقر مرسلا ورجاله ثقات وللنسائى من حديث ابن عباس باسناد صحيح إن رجلا وقع فى أب للعباس كان فى الجاهلية فلطمه الحديث وفيه لاتسبوا أمواتنا فتؤذوا أحيانا (٧) حديث ليس المؤمن بالطعان ولااللعان ولاالفاحش ولاالبذى ت باسناد صحيح من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب والحاكم وصححه وروى موقوفا قال الدارقطنى فى العلل والموقوف أصح (٨) حديث الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها ابن أبى الدنيا وأبو نعيم فى الحلية

« أربعة يؤذون أهل النار فى النار على مابهم من الأذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور : رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له مابال الأبعد قد آذانا على مابنا من الأذى فيقول إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث (١) » وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة « ياعائشة لوكان الفحش رجلا لكان رجل سوء (٢) » وقال ﷺ « البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق (٣) » فيحتمل أن يراد بالبيان كشف ما لايجوز كشفه ويحتمل أيضا المبالغة فى الايضاح حتى ينتهى إلى حد التكلف ويحتمل أيضا البيان فى أمور الدين وفى صفات الله تعالى فان إلقاء ذلك مجملا إلى أسماع العوام أولى من المبالغة فى بيانه إذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس فاذا أجملت بادرت القلوب إلى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه أن يكون المراد به المجاهرة بما يستحيى الانسان من بيانه فان الأولى فى مثله الإغماض والتغافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله لايحب الفاحش المتفحش الصياح فى الأسواق (٤) » وقال جابر بن سمرة « كنت جالسا عند النبى صلى الله عليه وسلم وأبى أمامى فقال صلى الله عليه وسلم إن الفحش والتفاحش ليسا من الاسلام فى شىء وإن أحسن الناس إسلاما أحاسنهم أخلاقا (٥) » وقال إبراهيم بن ميسرة يقال يؤتى بالفاحش المتفحش يوم القيامة فى صورة كلب أوفى جوف كلب . وقال الأحنف ابن قيس ألاأخبركم بأدوإ الداء اللسان البذى والخلق الدنى ، فهذه مذمة الفحش فأما حده وحقيقته فهو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة وأكثر ذلك يجرى فى ألفاظ الوقاع ومايتعلق به فان لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه وأهل الصلاح يتحاشون عنها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز فيذكرون مايقاربها ويتعلق بها ، وقال ابن عباس : إن الله حيى كريم يعفو ويكنو كنى باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل أكثرها فى الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوتة فى الفحش وبعضها أفحش من بعض ، وربما اختلف ذلك بعادة البلاد وأوائلها مكروهة وأواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل بالكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط أولى من لفظ التغوط والخراء وغيرهما فان هذا أيضا مما يخفى وكل مايخفى يستحيا منه فلا ينبغى أن يذكر ألفاظه الصريحة فانه فحش وكذلك يستحسن فى العادة الكناية عن النساء فلايقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل فى الحجرة أومن وراء الستر أوقالت أم الأولاد فالتلطف فى هذه الألفاظ محمود والتصريح فيها يفضى إلى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيا منها فلا ينبغى أن يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذى يشكوه ومايجرى

من حيث عبد الله بن عمرو (١) حديث أربعة يؤذون أهل النار على مابهم من الأذى الحديث وفيه إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث ابن أبى الدنيا من حديث شفى بن ماتع واختلف فى صحبته فذكره أبو نعيم فى الصحابة وذكره خ حب فى التابعين (٢) حديث ياعائشة لوكان الفحش رجلا لكان رجل سوء ابن أبى الدنيا من رواية ابن لهيعة عن أبى النضر عن أبى سلمة عنها (٣) حديث البذاء والبيان شعبتان من النفاق ت وحسنه و ك وصححه على شرطهما من حديث أبى أمامة وقد تقدم (٤) حديث إن الله لايحب الفاحش ولا المتفحش الصياح فى الأسواق ابن أبى الدنيا من حديث جابر بسند ضعيف وله وللطبرانى من حديث أسامة بن زيد إن الله لايحب الفاحش المتفحش وإسناده جيد (٥) حديث جابر بن سمرة إن الفحش والتفحش ليسا من الاسلام فى شىء الحديث أحمد وابن أبى الدنيا باسناد صحيح .

قال ثنا قتيبة قال ثنا يحيى بن يعلى عن ناصح عن سماك عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع » وروى أيضا أنه قال عليه السلام « ما نحل والد ولدا من نحلة أفضل من أدب حسن » وروت عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه » وقال أبو على الدقاق العبد يصل بطاعته إلى الجنة وبأدبه فى طاعته إلى الله تعالى. قال أبو القاسم القشيرى رحمه الله كان

مجراه فالتصريح بذلك داخل فى الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان . قال العلاء بن هرون: كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ فى منطقه فخرج تحت إبطه خراج فأتيناه نسأله لنرى مايقول فقلنا من أين خرج فقال من باطن اليد ، والباعث على الفحش إما قصد الايذاء وإما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق وأهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب ، وقال أعرابى لرسول الله صلى الله عليه وسلم «أوصنى فقال عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيرك بشىء يعلمه فيك فلا تعيره بشىء تعلمه فيه يكن وباله عليه وأجره لك ولا تسبن شيئا قال فما سببت شيئا بعده (١) » وقال عياض بن حمار «قلت يارسول الله إن الرجل من قومى يسبنى وهو دونى هل على من بأس أن أنتصر منه فقال المتسابان شيطانان يتعاويان ويتهارجان (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « المستبان ماقالا فعلى البادىء منهما حتى يعتدى المظلوم (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم «ملعون من سب والديه (٥) » وفى رواية « من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه قالوا يارسول الله كيف يسب الرجل والديه قال يسب أبا الرجل فيسب الآخر أباه » .

(الآفة الثامنة اللعن)

إما لحيوان أو جماد أو إنسان وكل ذلك مذموم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «المؤمن ليس بلعان (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « لاتلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم (٧) » وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط إلا حق عليهم القول ، وقال عمران بن حصين « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه وسلم خذوا ماعليها وأعروها فانها ملعونة (٨) » قال فكأنى أنظر إلى تلك الناقة تمشى بين الناس لايتعرض لها أحد . وقال أبو الدرداء : مالعن أحد الأرض إلا قالت لعن الله أعصانا لله . وقالت عائشة رضى الله عنها « سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت إليه وقال ياأبابكر أصديقين ولعانين كلا ورب الكعبة مرتين أو ثلاثا (٩) » فأعتق أبو بكر يومئذ رقيقه وأتى النبى

(١) حديث قال أعرابى أوصنى فقال عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيرك بشىء يعلمه فيك فلا تعيره بشىء تعلمه فيه الحديث أحمد والطبرانى باسناد جيد من حديث أبى جرى الهجيمى قيل اسمه جابر بن سليم وقيل سليم بن جابر (٢) حديث عياض بن حمار قلت يارسول الله الرجل من قومى يسبنى وهو دونى هل على من بأس أن أنتصر منه فقال المستبان شيطانان يتكاذبان ويتهاتران د الطيالسى وأصله عند أحمد (٣) حديث سباب المسلم فسوق وقتاله كفر متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث المستبان ماقالا فعلى البادىء حتى يعتدى المظلوم ، م من حديث أبى هريرة وقال مالم يعتد (٥) حديث ملعون من سب والديه وفى رواية من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه الحديث أحمد وأبو يعلى والطبرانى من حديث ابن عباس باللفظ الأول باسناد جيد واتفق الشيخان على اللفظ الثانى من حديث عبد الله بن عمرو

(الآفة الثامنة اللعن)

(٦) حديث المؤمن ليس بلعان تقدم حديث ابن مسعود ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان الحديث قبل هذا بأحد عشر حديثا وللترمذى وحسنه من حديث ابن عمر لا يكون المؤمن لعانا (٧) حديث لاتلاعنوا بلعنة الله الحديث ت د من حديث سمرة بن جندب قال ت حسن صحيح (٨) حديث عمران بن حصين بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها الحديث رواه م (٩) حديث عائشة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكر رضى الله عنه وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت إليه فقال ياأبا بكر لعانين وصديقين الحديث ابن أبى الدنيا فى الصمت وشيخه بشار بن موسى الخفاف ضعفه الجمهور وكان أحمد حسن الرأى فيه .

الأستاذ أبو على لا يستند إلى شىء فكان يوما فى مجمع فأردت أن أضع وسادة خلف ظهره لأنى رأيته غير مستند فتنحى عن الوسادة قليلا فتوهمت أنه توقى الوسادة لأنه لم يكن عليها خرقة أو سجادة فقال لاأريد الاستناد فتأملت بعد ذلك فعلمت أنه لايستند إلى شىء أبدا. وقال الجلال البصرى التوحيد يوجب الايمان فمن لا إيمان له لاتوحيد له والإيمان يوجب الشريعة فمن لاشريعة له لاإيمان له ولاتوحيد له والشريعة توجب الأدب فمن لا أدب له لاشريعة له ولاإيمان له ولا توحيد له. وقال بعضهم الزم الأدب

صلى الله عليه وسلم وقال لاأعود وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة (١) » وقال أنس كان رجل يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال صلى الله عليه وسلم « ياعبد الله لاتسر معنا على بعير ملعون (٢) » وقال ذلك إنكارا عليه واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد من الله تعالى وذلك غير جائز إلا على من اتصف بصفة تبعده من الله عز وجل وهو الكفر والظلم بأن يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغى أن يتبع فيه لفظ الشرع فان فى اللعنة خطرا لأنه حكم على الله عز وجل بأنه قد أبعد الملعون وذلك غيب لايطلع عليه غير الله تعالى ويطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أطلعه الله عليه والصفات المقتضية للعن ثلاثة الكفر والبدعة والفسق واللعن فى كل واحدة ثلاث مراتب : الأولى اللعن بالوصف الأعم كقولك لعنة الله على الكافر والمبتدعين والفسقة. الثانية اللعن بأوصاف أخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض أو على الزناة والظلمة وآكلى الربا وكل ذلك جائز ولكن فى لعن أوصاف المبتدعة خطر لأن معرفة البدعة غامضة ولم يرد فيه لفظ مأثور فينبغى أن يمنع منه العوام لأن ذلك يستدعى المعارضة بمثله ويثير نزاعا بين الناس وفسادا . الثالثة اللعن للشخص المعين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع والتفصيل فيه أن كل شخص ثبتت لعنته شرعا فتجوز لعنته كقولك فرعون لعنه الله وأبو جهل لعنه الله لأنه قد ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا أما شخص بعينه فى زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودى مثلا فهذا فيه خطر فانه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونا . فان قلت يلعن لكونه كافرا فى الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما فى الحال وإن كان يتصور أن يرتد . فاعلم أن معنى قولنا رحمه الله أى ثبته الله على الاسلام الذى هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر على ماهو سبب اللعنة فان هذا سؤال للكفر وهو فى نفسه كفر بل الجائز أن يقال لعنه الله إن مات على الكفر ولا لعنه الله إن مات على الاسلام وذلك غيب لايدرى والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس فى ترك اللعن خطر وإذا عرفت هذا فى الكافر فهو فى زيد الفاسق أو زيد المبتدع أولى فلعن الأعيان فيه خطر لأن الأعيان تتقلب فى الأحوال إلا من أعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر ولذلك عين قوما باللعن فكان يقول فى دعائه على قريش « اللهم عليك بأبى جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة (٣) » وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر حتى إن من لم يعلم عاقبته كان يلعنه فنهى عنه إذ روى « أنه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة فى قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ـ ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون (٤) ـ يعنى أنهم ربما يسلمون فمن أين تعلم أنهم ملعونون

(١) حديث إن اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة م من حديث أبى الدرداء (٢) حديث أنس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال ياعبد الله لاتسر معنا على بعير ملعون ابن أبى الدنيا باسناد جيد (٣) حديث اللهم عليك بأبى جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث إنه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة فى قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ـ ليس لك من الأمر شىء ـ الشيخان من حديث أنس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا الحديث وفى رواية لهما قنت شهرا يدعو على رعل وذكوان الحديث ولهما من حديث أبى هريرة وكان يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه الحديث وفيه اللهم العن لحيان ورعلا الحديث

ظاهرا وباطنا فما أساء أحد الأدب ظاهرا إلا عوقب ظاهرا وما أساء أحد الأدب باطنا إلا عوقب باطنا . قال بعضهم هو غلام الدقاق نظرت إلى غلام أمرد فنظر إلىّ الدقاق وأنا أنظر إليه فقال لتجدن غبها ولو بعد سنين قال فوجدت غبها بعد عشرين سنة أن أنسيت القرآن . وقال سرى صليت وردى ليلة من الليالى ومددت رجلى فى المحراب فنوديت ياسرى هكذا تجالس الملوك فضممت رجلى ثم قلت وعزتك لامددت رجلى أبدا وقال الجنيد فبقى ستين سنة مامد رجله ليلا ولا نهارا . قال عبد الله ابن المبارك من تهاون

وكذلك من بان لنا موته على الكفر جاز لعنه وجاز ذمه ان لم يكن فيه أذى على مسلم فان كان لم يجز كما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « سأل أبا بكر رضى الله عنه عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هـذا قبر رجل كان عاتيا على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو ابن سعيد وقال يارسول الله هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للهام من أبى قحافة فقال أبو بكر يكلمنى هذا يارسول الله بمثل هذا الكلام فقال صلى الله عليه وسلم اكفف عن أبى بكر فانصرف ثم أقبل على أبى بكر فقال يا أبا بكر إذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم إذا خصصتم غضب الأبناء للآباء فكف الناس عن ذلك (١) » وشرب نعيمان الخمر فحد مرات فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر مايؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم « لاتكن عونا للشيطان على أخيك (٢) » وفى رواية لاتقل هذا فانه يحب الله ورسوله فنهاه عن ذلك وهذا يدل على أن لعن فاسق بعينه غير جائز وعلى الجملة ففى لعن الأشخاص خطر فليجتنب ولاخطر فى السكوت عن لعن إبليس مثلا فضلا عن غيره . فان قيل هل يجوز لعن يزيد لأنه قاتل الحسين أو آمر به . قلنا هذا لم يثبت أصلا فلا يجوز أن يقال إنه قتله أو أمر به مالم يثبت فضلا عن اللعنة لأنه لا تجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق ، نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم عليا وقتل أبو لؤلؤة عمر رضى الله عنهما فان ذلك ثبت متواترا فلا يجوز أن يرمى مسلم بفسق أو كفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم « لا يرمى رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك (٣) » وقال ﷺ « ماشهد رجل على رجل بالكفر إلا باء به أحدهما إن كان كافرا فهو كما قال وإن لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره إياه (٤) » وهذا معناه أن يكفره وهو يعلم أنه مسلم فان ظن أنه كافر ببدعة أو غيرها كان مخطئا لا كافرا وقال معاذ

بالأدب عوقب بحرمان السنن ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة . وسئل السرى عن مسئلة فى الصبر فجعل يتكلم فيها فدب على رجله عقرب فجعلت تضربه بابرتها فقيل له ألا تدفعها عن نفسك قال أستحى من الله أن أتكلم فى حال ثم أخالف ما أعلم فيه وقيل من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « زويت لى الأرض فأريت مشارقها ومغاربها » ولم يقل رأيت . وقال أنس ابن مالك الأدب فى العمل علامة قبول

وفيه ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله ـ ليس لك من الأمر شئ ـ لفظ م (١) حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه الحديث د فى المراسيل من رواية على بن ربيعة قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة توجه من فوره ذلك إلى الطائف ومعه أبو بكر ومعه ابنا سعيد بن العاص فقال أبو بكر لمن هذا القبر قالوا قبر سعيد بن العاص فقال أبو بكر لعن الله صاحب هذا القبر فانه كان يجاهد الله ورسوله الحديث وفيه فاذا سبيتم المشركين فسبوهم جميعا (٢) حديث شرب نعيمان الخمر فحد مرات فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر مايؤتى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتكن عونا للشيطان على أخيك وفى رواية لاتقل هذا فانه يحب الله ورسوله ابن عبد البر فى الاستيعاب من طريق الزبير بن بكار من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلا ومحمد هذا ولد فى حياته صلى الله عليه وسلم وسماه محمدا وكناه عبد الملك وللبخارى من حديث عمر أن رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد جلده فى الشراب فأتى به يوما فأمر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر مايؤتى به فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاتلعنوه فوالله ماعلمت إلا أنه يحب الله ورسوله من حديث أبى هريرة فى رجل شرب ولم يسم وفيه لاتعينوا عليه الشيطان وفى رواية لاتكونوا عون الشيطان على أخيكم (٣) حديث لا يرمى رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك متفق عليه والسياق للبخارى من حديث أبى ذر مع تقديم ذكر الفسق (٤) حديث ماشهد رجل على رجل بالكفر إلا أتى أحدهما إن كان كافرا فهو كما قال وإن لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره إياه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى سعيد بسند ضعيف .

قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنهاك أن تشتم مسلما أو تعصى إماما عادلا والتعرض للاموات أشد (١)» قال مسروق دخلت على عائشة رضى الله عنها فقالت مافعل فلان لعنه الله قلت توفى قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاتسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ماقدموا (٢)» وقال عليه السلام «لاتسبوا الأموات فتؤذوا به الأحياء (٣)» وقال عليه السلام «أيها الناس احفظونى فى أصحابى وإخوانى وأصهارى ولاتسبوهم أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيرا (٤)» فان قيل فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه الله أو الآمر بقتله لعنه الله ؟ قلنا الصواب أن يقال قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله لأنه يحتمل أن يموت بعد التوبة فانّ وحشيا قاتل حمزة عم رسول الله ﷺ قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعا ولايجوز أن يلعن والقتل كبيرة ولاتنتهى إلى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة وأطلق كان فيه خطر وليس فى السكوت خطر فهو أولى وإنما أوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة وإطلاق اللسان بها والمؤمن ليس بلعان فلا ينبغى أن يطلق اللسان باللعنة إلا على من مات على الكفر أو على الأجناس المعروفين بأوصافهم دون الأشخاص المعينين فالاشتغال بذكر الله أولى فان لم يكن ففى السكوت سلامة قال مكى بن إبراهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن أبى بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون إنما نذكره لما ارتكب منك فقال إنما هما كلمتان تخرجان من صحيفتى يوم القيامة لاإله إلا الله ولعن الله فلانا فلأن يخرج من صحيفتى لاإله إلا الله أحب إلى من أن يخرج منها لعن الله فلانا . وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصنى فقال «أوصيك أن لا تكون لعانا (٥)» وقال ابن عمر : إن أبغض الناس إلى الله كل طعان لعان . وقال بعضهم لعن المؤمن يعدل قتله وقال حماد بن زيد بعد أن روى هذا لوقلت إنه مرفوع لم أبال وعن أبى قتادة قال كان يقال «من لعن مؤمنا فهو مثل أن يقتله (٦)» وقد نقل ذلك حديثا مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الانسان مثلا لاصح الله جسمه ولاسلمه الله ومايجرى مجراه فان ذلك مذموم وفى الخبر « إن المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة (٧)» .

(١) حديث معاذ أنهاك أن تشتم مسلما أو تعصى إماما عادلا أبو نعيم فى الحلية فى أثناء حديث له طويل (٢) حديث عائشة لاتسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ماقدموا خ وذكر المصنف فى أوله قصة لعائشة وهو عند ابن المبارك فى الزهد والرقائق مع القصة (٣) حديث لاتسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء الترمذى من حديث المغيرة بن شعبة ورجاله ثقات إلا أن بعضهم أدخل بين المغيرة وبين زياد بن علاقة رجلا لم يسم (٤) حديث أيها الناس احفظونى فى أصحابى وإخوانى وأصهارى ولا تسبوهم أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيرا أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث عياض الأنصارى احفظونى فى أصحابى وأصهارى وإسناده ضعيف وللشيخين من حديث أبى سعيد وأبى هريرة لاتسبوا أصحابى ولأبى داود والترمذى وقال غريب من حديث ابن عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم وللنسائى من حديث عائشة لاتذكروا موتاكم إلا بخير وإسناده جيد (٥) حديث قال رجل أوصنى قال أوصيك أن لاتكون لعانا أحمد والطبرانى وابن أبى عاصم فى الآحاد والثانى من حديث جرموز الهجيمى وفيه رجل لم يسم أسقط ذكره ابن أبى عاصم (٦) حديث لعن المؤمن كقتله متفق عليه من حديث ثابت بن الضحاك (٧) حديث إن المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة لم أقف له على أصل وللترمذى من حديث عائشة بسند ضعيف من دعا على من ظلمه فقد انتصر .

العمل . وقال ابن عطاء الأدب الوقوف مع المستحسنات قيل مامعناه قال أن تعامل الله سرا وعلنا بالأدب فاذا كنت كذلك كنت أديبا وإن كنت أعجميا ثم أنشد :

إذا نطقت جاءت بكل مليحة
وإن سكتت جاءت بكل مليح

وقال الجريرى منذ عشرين سنة مامددت رجلى فى الخلوة فان حسن الأدب مع الله أحسن وأولى . وقال أبو على ترك الأدب موجب للطرد فمن أساء الأدب على البساط رد إلى الباب ومن أساء الأدب على الباب ردّ

(الآفة التاسعة الغناء والشعر)

وقد ذكرنا فى كتاب السماع مايحرم من الغناء ومايحل فلا نعيده وأما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح إلا أن التجرد له مذموم قال رسول الله ﷺ « لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير له من أن يمتلىء شعرا (١) » وعن مسروق أنه سئل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل له فى ذلك فقال أنا أكره أن يوجد فى صحيفتى شعر وسئل بعضهم عن شىء من الشعر فقال اجعل مكان هذا ذكرا فان ذكر الله خير من الشعر . وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام إذا لم يكن فيه كلام مستكره قال صلى الله عليه وسلم « إن من الشعر لحكمة (٢) » نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب وقد يدخله الكذب وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت الأنصارى بهجاء الكفار والتوسع فى المدح (٣) فانه وإن كان كذبا فانه لايلحق فى التحريم بالكذب كقول الشاعر :

ولو لم يكن فى كفه غير روحه ... لجاد بها فليتق الله سائله

فان هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وإن كان سخيا فالمبالغة من صنعة الشعر فلا يقصد منه أن يعتقد صورته وقد أنشدت أبيات بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك فلم يمنع منه قالت عائشة رضى الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت جالسة أغزل فنظرت إليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا قالت فبهت فنظر إلى فقال مالك بهت فقلت يارسول الله نظرت إليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا ولو رآك أبو كبير الهذلى لعلم أنك أحق بشعره قال وما يقول ياعائشه أبو كبير الهذلى قلت يقول هذين البيتين :

ومبرأ من كل غبر حيضة ... وفساد مرضعة وداء مغيل

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه ... برقت كبرق العارض المتهلل

قال فوضع صلى الله عليه وسلم ما كان بيده وقام إلى وقبل مابين عينى وقال جزاك الله خيرا ياعائشة ماسررت منى كسرورى منك (٤) » . ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم يوم حنين أمر للعباس بن مرداس بأربع قلائص فاندفع يشكو فى شعر له وفى آخره :

وما كان بدر ولا حابس ... يسودان مرداس فى مجمع

وما كنت دون امرىء منهما ... ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عنى لسانه فذهب به أبو بكر الصديق رضى الله عنه حتى اختار مائة

(الآفة التاسعة الغناء والشعر)

(١) حديث لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير من أن يمتلىء شعرا مسلم من حديث سعد ابن أبى وقاص واتفق عليه الشيخان من حديث أبى هريرة نحوه والبخارى من حديث ابن عمر ومسلم من حديث أبى سعيد (٢) حديث إن من الشعر لحكمة تقدم فى العلم وفى آداب السماع (٣) حديث أمره حسانا أن يهجو المشركين متفق عليه من حديث البراء أنه ﷺ قال لحسان اهجهم وجبريل معك (٤) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت أغزل قالت فنظرت إليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا الحديث وفيه إنشاد عائشة لشعر أبى كبير الهذلى :

ومبرأ من كل غبر حيضة ... وفساد مرضعة وداء مغيل

فاذا نظرت إلى أسرة وجهه ... برقت كبرق العارض المتهلل

إلى آخر الحديث رواه البيهقى فى دلائل النبوة .

إلى سياسة الدواب .

[الباب الثانى والثلاثون فى آداب الحضرة الالهية لأهل القرب]

كل الآداب تتلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه عليه السلام مجمع الآداب ظاهرا وباطنا وأخبر الله تعالى عن حسن أدبه فى الحضرة بقوله تعالى ـ مازاغ البصر وما طغى ـ وهذه غامضة من غوامض الآداب اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر الله تعالى عن اعتدال قلبه المقدس فى الاعراض والاقبال أعرض عما سوى الله وتوجه إلى الله وترك وراء ظهره الأرضين

من الابل ثم رجع وهو من أرضى الناس فقال له صلى الله عليه وسلم أتقول فىّ الشعر فجعل يعتذر إليه ويقول بأبى أنت وأمى إنى لأجد للشعر دبيبا على لسانى كدبيب النمل ثم يقرصنى كما يقرص النمل فلا أجد بدا من قول الشعر فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لاتدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين(١)».

(الآفة العاشرة المزاح)

وأصله مذموم منهى عنه إلا قدر ايسير ايستثنى منه قال صلى الله عليه وسلم «لا تمار أخاك ولا تمازحه(٢)» فان قلت المماراة فيها إيذاء لأن فيها تكذيبا للأخ والصديق أو تجهيلا له ، وأما المزاح فمطايبة وفيه انبساط وطيب قلب فلم ينهى عنه ؟ فاعلم أن المنهى عنه الإفراط فيه أو المداومة عليه أما المداومة فلأنه اشتغال باللعب والهزل فيه واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة وأما الإفراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة فى بعض الأحوال وتسقط المهابة والوقار فما يخلو عن هذه الأمور فلا يذم كما روى النبى ﷺ أنه قال « إنى لأمزح ولا أقول إلا حقا(٣)» إلا أن مثله يقدر على أن يمزح ولا يقول إلا حقا وأما غيره إذا فتح باب المزاح كان غرضه أن يضحك الناس كيفما كان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى فى النار أبعد من الثريا (٤) » وقال عمر رضى الله عنه : من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن أكثر من شىء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولأن الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة قال صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا(٥)» وقال رجل لأخيه يا أخى هل أتاك أنك وارد النار قال نعم قال فهل أتاك أنك خارج منها قال لا قال ففيم الضحك؟ قيل فما رؤى ضاحكا حتى مات. وقال يوسف ابن أسباط أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وقيل أقام عطاء السلمى أربعين سنة لم يضحك ونظر وهيب ابن الورد إلى قوم يضحكون فى عيد فطر فقال إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وإن كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين . وكان عبد الله بن أبى يعلى يقول أتضحك ولعل أكفانك

والدار العاجلة بحظوظها والسموات والدار الآخرة بحظوظها فما التفت إلى ما أعرض عنه ولا لحقه الأسف على الغائب فى إعراضه قال الله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم فهذا الخطاب للعموم وما زاغ البصر إخبار عن حال النبى عليه السلام بوصف خاص من معنى ما خاطب به العموم فكان ما زاغ البصر حاله فى طرف الاعراض وفى طرف الاقبال تلقى ما ورد عليه فى مقام قاب قوسين بالروح والقلب ثم فر من الله تعالى حياء منه وهيبة وإجلالا وطوى نفسه بفراره فى مطاوى انكساره وافتقاره

(١) حديث لما قسم الغنائم أمر للعباس بن مرداس بأربع قلائص وفى آخره شعره :

وما كان بدر ولا حابس يسودان مرداس فى مجمع
وما كنت دون امرىء منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عنى لسانه الحديث مسلم من حديث رافع بن خديج أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينه بن حصن والأقرع بن حابس كل إنسان منهم مائة من الابل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس :

أتجعل نهبى ونهب العبيـ ـد بين عيينة والأقرع
وما كان بدر ولا حابس يفوقان مرداس فى مجمع
وما كنت دون امرىء منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

قال فأتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وزاد فى رواية أعطى علقمة بن علاثة مائة وأما زيادة اقطعوا عنى لسانه فليست فى شىء من الكتب المشهورة .

(الآفة العاشرة المزاح)

(٢) حديث لا تمار أخاك ولا تمازحه الترمذى وقد تقدم (٣) حديث إنى أمزح ولا أقول إلا حقا تقدم (٤) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا تقدم. (٥) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا متفق عليه من حديث أنس وعائشة .

قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من أذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكى وقال محمد بن واسع إذا رأيت فى الجنة رجلا يبكى ألست تعجب من بكائه ؟ قيل بلى قال فالذى يضحك فى الدنيا ولا يدرى إلى ماذا يصير هو أعجب منه فهذه آفة الضحك والمذموم منه أن يستغرق ضحكا والمحمود منه التبسم الذى ينكشف فيه السن ولا يسمع له صوت وكذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) قال القاسم مولى معاوية أقبل أعرابى إلى النبى ﷺ على قلوص له صعب فسلم فجعل كلما دنا من النبى صلى الله عليه وسلم ليسأله يفر به فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ففعل ذلك مرارا ثم وقصه فقتله فقيل يارسول الله إن الأعرابى قد صرعه قلوصه وقد هلك فقال نعم وأفواهكم ملأى من دمه (٢) وأما أداء المزاح إلى سقوط الوقار فقد قال عمر رضى الله عنه من مزح استخف به وقال محمد بن المنكدر قالت لى أمى يابنى لا تمازح الصبيان فتهون عندهم وقال سعيد بن العاص لابنه يابنى لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدنىء فيجترىء عليك وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اتقوا الله وإياكم والمزاح فانه يورث الضغينة ويجر إلى القبيح تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال وقال عمر رضى الله عنه أتدرون لم سمى المزاح مزاحا ؟ قالوا لا قال لأنه أزاح صاحبه عن الحق وقيل لكل شىء بذور وبذور العداوة المزاح ويقال المزاح مسلبة للنهى مقطعة للأصدقاء . فان قلت قد نقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فكيف ينهى عنه . فأقول إن قدرت على ماقدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن تمزح ولا تقول إلا حقا ولا تؤذى قلبا ولا تفرط فيه وتقتصر عليه أحيانا على الندور فلا حرج عليك فيه ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الانسان المزاح حرفة يواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل الرسول ﷺ وهو كمن يدور نهاره مع الزنوج ينظر إليهم وإلى رقصهم ويتمسك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لعائشة فى النظر إلى رقص الزنوج فى يوم عيد وهو خطأ إذ من الصغائر مايصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات مايصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغى أن يغفل عن هذا (٣) نعم روى أبو هريرة أنهم قالوا «يارسول الله إنك تداعبنا فقال إنى وإن داعبتكم لا أقول إلا حقا (٤)» وقال عطاء إن رجلا سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ؟ فقال نعم قال فما كان مزاحه ؟ قال كان مزاحه أنه صلى الله عليه وسلم كسا ذات يوم امرأة من نسائه ثوبا واسعا فقال لها البسيه واحمدى وجرى منه ذيلا كذيل العروس (٥) وقال أنس إن النبى صلى الله عليه وسلم كان من أفكه الناس مع نسائه (٦) وروى أنه كان كثير التبسم (٧) وعن الحسن قال أتت عجوز إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لها صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة عجوز فبكت فقال إنك لست بعجوز يومئذ قال الله تعالى ـ إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا ـ (٨)» وقال زيد بن أسلم إن امرأة يقال لها

لكيلا تنبسط النفس فتطغى فان الطغيان عند الاستغناء وصف النفس قال الله تعالى ـ كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى ـ والنفس عند المواهب الواردة على الروح والقلب تسترق السمع ومتى نالت قسطا من المنح استغنت وطغت والطغيان يظهر منه فرط البسط والإفراط فى البسط يسد باب المزيد وطغيان النفس لضيق وعائها عن المواهب فموسى عليه السلام صح له فى الحضرة أحد طرفى مازاغ البصر وما التفت إلى مافاته وما طغى متأسفا لحسن أدبه ولكن امتلأ من المنح واسترقت النفس السمع

(١) حديث كان ضحكه التبسم تقدم (٢) حديث القاسم مولى معاوية أقبل أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم على قلوص له صعب فسلم فجعل كلما دنا إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليسأله يفر به وجعل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم وقصه فقتله فقيل يارسول الله إن الأعرابى قد صرعه قلوصه فهلك قال نعم وأفواهكم ملأى من دمه ابن المبارك فى الزهد والرقائق وهو مرسل (٣) حديث إذنه لعائشة فى النظر إلى رقص الزنوج فى يوم عيد تقدم (٤) حديث أبى هريرة قالوا إنك تداعبنا قال إنى وإن داعبتكم فلا أقول إلا حقا الترمذى وحسنه (٥) حديث عطاء إن رجلا سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح فقال ابن عباس نعم الحديث فذكر منه قوله لامرأة من نسائه البسيه واحمدى وجرى منه ذيلا كذيل العروس لم أقف عليه (٦) حديث أنس قال من أفكه الناس تقدم (٧) حديث أنه كان كثير التبسم تقدم (٨) حديث الحسن لا يدخل الجنة عجوز

أم أيمن جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم «فقالت إن زوجي يدعوك قال ومن هو أهو الذى بعينه بياض قالت والله ما بعينه بياض فقال بلى إن بعينه بياضا فقالت لا والله فقال صلى الله عليه وسلم : ما من أحد إلا وبعينه بياض وأراد به البياض المحيط بالحدقة (١)» وجاءت امرأة أخرى فقالت «يا رسول الله احملنى على بعير فقال بل نحملك على ابن البعير فقالت ما أصنع به إنه لا يحملنى فقال ﷺ : ما من بعير إلا وهو ابن بعير (٢)» فكان يمزح به وقال أنس كان لأبى طلحة ابن يقال له أبو عمير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيهم ويقول «يا أبا عمير ما فعل النغير (٣)» لنغير كان يلعب به وهو فرخ العصفور وقالت عائشة رضى الله عنها «خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر فقال تعالى حتى أسابقك فشددت درعى على بطنى ثم خططنا خطا فقمنا عليه واستبقنا فسبقنى وقال هذه مكان ذى المجاز (٤)» وذلك أنه جاء يوما ونحن بذى المجاز وأنا جارية قد بعثنى أبى بشىء فقال أعطينيه فأبيت وسعيت وسعى فى أثرى فلم يدركنى وقالت أيضا «سابقنى رسول الله ﷺ فسبقته فلما حملت اللحم سابقنى فسبقنى وقال هذه بتلك (٥)» وقالت أيضا رضى الله عنها « كان عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة بنت زمعة فصنعت حريرة وجئت به فقلت لسودة كلى فقالت لا أحبه فقلت والله لتأكلنّ أو لألطخن به وجهك فقالت ما أنا بذائقته فأخذت بيدى من الصحفة شيئا منه فلطخت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بينى وبينها فخفض لها رسول الله ركبتيه لتستقيد منى فتناولت من الصحفة شيئا فمسحت به وجهى وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك (٥)» وروى «أن الضحاك بن سفيان الكلابى كان رجلا دميما قبيحا فلما بايعه النبى صلى الله عليه وسلم قال إن عندى امرأتين أحسن من هذه الحمراء وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب أفلا أنزل لك عن إحداهما فتزوجها وعائشة جالسة تسمع فقالت أهى أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من سؤالها إياه لأنه كان دميما (٧)» . وروى علقمة عن أبى سلمة أنه كان صلى الله عليه وسلم يدلع لسانه للحسن ابن على عليهما السلام فيرى الصبى لسانه فيهش له فقال له عيينة بن بدر الفزارى والله ليكونن

وتطلعت إلى القسط والحظ فلما حظيت النفس استغنت وطفح عليها ما وصل إليها وضاق نطاقها فتجاوز الحد من فرط البسط وقال أرنى أنظر إليك فمنع ولم يطلق فى قضاء المزيد وظهر الفرق بين الحبيب والكليم عليهما السلام وهذه دقيقة لأرباب القرب والأحوال السنية فكل قبض يوجب عقوبة لأن كل قبض سد فى وجه باب الفتوح والعقوبة بالقبض أوجبت الإفراط فى البسط ولو حصل الاعتدال فى البسط ما وجبت العقوبة بالقبض والاعتدال فى البسط بإيقاف النازل من المنح على الروح

الترمذى فى الشمائل هكذا مرسلا وأسنده ابن الجوزى فى الوفاء من حديث أنس بسند ضعيف (١) حديث زيد بن أسلم فى قوله لامرأة يقال لها أم أيمن قالت إن زوجى يدعوك أهو الذى بعينه بياض الحديث الزبير بن بكار فى كتاب الفكاهة والمزاح ورواه ابن أبى الدنيا من حديث عبدة بن سهم الفهرى مع اختلاف (٢) حديث قوله لامرأة استحملته نحملك على ابن البعير الحديث أبو داود والترمذى وصححه من حديث أنس بلفظ أنا حاملك على ولد الناقة (٣) حديث أنس أبا عمير ما فعل النغير متفق عليه وتقدم فى أخلاق النبوة (٤) حديث عائشة فى مسابقته صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر فسبقها وقال هذه مكان ذى المجاز لم أجد له أصلا ولم تكن عائشة معه فى غزوة بدر (٥) حديث عائشة سابقنى فسبقته النسائى وابن ماجه وقد تقدم فى النكاح (٦) حديث عائشة فى لطخ وجه سودة بحريرة ولطخ سودة وجه عائشة فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك الزبير بن بكار فى كتاب الفكاهة وأبو يعلى بإسناد جيد (٧) حديث إن الضحاك بن سفيان الكلابى قال عندى امرأتان أحسن من هذه الحمراء أفلا أنزل لك عن إحداهما فتزوجها وعائشة جالسة قبل أن يضرب الحجاب فقالت أهى أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك النبى صلى الله عليه وسلم لأنه كان دميما الزبير بن بكار فى الفكاهة من رواية عبد الله بن حسن مرسلا أو معضلا وللدارقطنى نحو هذه القصة مع عيينة بن حصن الفزارى بعد نزول الحجاب من حديث أبى هريرة .

لى الابن قد تزوج وبقل وجهه وماقبلته قط فقال صلى الله عليه وسلم « إن من لا يرحم لا يرحم (١) » فأكثر هذه المطايبات منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل إلى هزل وقال صلى الله عليه وسلم مرة لصهيب وبه رمد وهو يأكل تمرا «أتأكل التمر وأنت رمد فقال إنما آكل بالشق الآخر يارسول الله فتبسم صلى الله عليه وسلم (٢)» قال بعض الرواة حتى نظرت إلى نواجزه . وروى «أن خوات بن جبير الأنصارى كان جالسا إلى نسوة من بنى كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله ﷺ فقال يا أبا عبدالله مالك مع النسوة فقال يفتلن ضفيرا لجمل لى شرود قال فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم عاد فقال يا أبا عبدالله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك أتفرر منه كلما رأيته حياء منه حتى قدمت المدينة وبعد ماقدمت المدينة قال فرآنى فى المسجد يوما أصلى فجلس إلىّ فطولت فقال لا تطول فانى أنتظرك فلما سلمت قال يا أبا عبدالله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فقام وكنت بعد ذلك أتفرر منه حتى لحقنى يوما وهو على حمار وقد جعل رجليه فى شق واحد فقال أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد فقلت والذى بعثك بالحق ماشرد منذ أسلمت فقال الله أكبر الله أكبر اللهم اهد أبا عبدالله قال فحسن إسلامه وهداه الله (٣)» وكان نعيمان الأنصارى رجلا مزاحا فكان يشرب الخمر فى المدينة فيؤتى به إلى النبى صلى الله عليه وسلم فيضربه بنعله ويأمر أصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة لعنك الله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لا تفعل فانه يحب الله ورسوله وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة إلا اشترى منها ثم أتى بها النبى ﷺ فيقول يارسول الله هذا قد اشتريته لك وأهديته لك فاذا جاء صاحبها يتقاضاه بالثمن جاء به إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله أعطه ثمن متاعه فيقول له صلى الله عليه وسلم أولم تهده لنا فيقول يارسول الله إنه لم يكن عندى ثمنه وأحببت أن تأكل منه فيضحك النبى صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه (٤) فهذه مطايبات

والقلب والإيقاف على الروح والقلب بما ذكرناه من حال النبى عليه السلام من تغييب النفس فى مطاوى الانكسار فذلك الفرار من الله إلى الله وهو غاية الأدب حظى به رسول الله عليه الصلاة والسلام فما قوبل بالقبض فدام مريده وكان قاب قوسين أو أدنى ويشاكل الشرح الذى شرحناه قول أبى العباس بن عطاء فى قوله تعالى ـ مازاغ البصر وما طغى ـ قال لم يره بطغيان ميل بل رآه على شرط اعتدال القوى وقال سهل بن عبدالله التسترى لم يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاهد نفسه

---

(١) حديث أبى سلمة عن أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم كان يدلع لسانه للحسن بن علىّ فيرى الصبى لسانه فيهش إليه فقال عيينة بن بدر الفزارى والله ليكونن لى الابن رجلا قد خرج وجهه وماقبلته قط فقال إن من لا يرحم لا يرحم أبو يعلى من هذا الوجه دون مافى آخره من قول عيينة ابن بدر وهو عيينة بن حصن بن بدر ونسب إلى جده وحكى الخطيب فى المبهمات قولين فى قائلى ذلك أحدهما أنه عيينة بن حصن والثانى أنه الأقرع بن حابس وعند مسلم من رواية الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن الأقرع بن حابس أبصر النبى صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن فقال إن لى عشرة من الولد ماقبلت واحدا منهم فقال رسول الله ﷺ من لا يرحم لا يرحم (٢) حديث قال لصهيب وبه رمد أتأكل التمر وأنت رمد فقال إنما آكل على الشق الآخر فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم ابن ماجه والحاكم من حديث صهيب ورجاله ثقات (٣) حديث إن خوات بن جبير كان جالسا إلى نسوة من بنى كعب بطريق مكة فطلع عليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتلن ضفيرا لجمل لى شرود الحديث الطبرانى فى الكبير من رواية زيد بن أسلم عن خوات بن جبير مع اختلاف ورجاله ثقات وأدخل بعضهم بين زيد وبين خوات ربيعة ابن عمرو (٤) حديث كان نعيمان رجلا مزاحا وكان يشرب الخمر فيؤتى به إلى النبى صلى الله عليه وسلم فيضربه الحديث وفيه أنه كان يشترى الشىء ويهديه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ثم يجىء بصاحبه فيقول أعطه ثمن متاعه الحديث الزبير بن بكار فى الفكاهة ومن طريقه ابن عبد البر من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلا وقد تقدم أوله .

يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب .

(الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء)

وهذا محرم مهما كان مؤذيا كما قال تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيرا منهنّ ـ ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء وإذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة قالت عائشة رضى الله عنها حاكيت إنسانا فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم « والله ما أحب أنى حاكيت إنسانا ولى كذا وكذا[1] » وقال ابن عباس في قوله تعالى ـ يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ـ إن الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وهذا إشارة إلى أن الضحك على الناس من جملة الذنوب والكبائر . وعن عبد الله بن زمعة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة فقال علام يضحك أحدكم مما يفعل[2] وقال صلى الله عليه وسلم « إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا أتاه أغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا أتاه أغلق دونه فما يزال كذلك حتى إن الرجل ليفتح له الباب فيقال له هلم هلم فلا يأتيه[3] » وقال معاذ بن جبل قال النبي صلى الله عليه وسلم « من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله[4] » وكل هذا يرجع إلى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغارا له وعليه نبه قوله تعالى ـ عسى أن يكونوا خيرا منهم ـ أى لا تستحقره استصغارا فلعله خير منك وهذا إنما يحرم في حق من يتأذى به فأما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من أن يسخر به كانت السخرية في حقه من جملة المزاح وقد سبق ما يذم منه وما يمدح وإنما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بأن يضحك على كلامه إذا تخبط فيه ولم ينتظم أو على أفعاله إذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته أو على صورته وخلقته إذا كان قصيرا أو ناقصا لعيب من العيوب فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهى عنها .

(الآفة الثانية عشرة إفشاء السر)

وهو منهى عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء قال النبي صلى الله عليه وسلم

(الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء)

(١) حديث عائشة حكيت إنسانا فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما يسرني أنى حاكيت إنسانا ولى كذا وكذا أبو داود والترمذى وصححه (٢) حديث عبد الله بن زمعة وعظهم في الضحك من الضرطة وقال علام يضحك أحدكم مما يفعل متفق عليه (٣) حديث إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا جاء أغلق دونه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت من حديث الحسن مرسلا ورويناه في ثمانيات النجيب من رواية أبي هدبة أحد الهالكين عن أنس (٤) حديث معاذ بن جبل من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله الترمذى دون قوله قد تاب منه وقال حسن غريب وليس إسناده بمتصل قال الترمذى قال أحمد بن منيع قالوا من ذنب قد تاب منه .

(الآفة الثانية عشرة إفشاء السر)

ولا إلى مشاهدتها وإنما كان مشاهدا بكليته لربه يشاهد ما يظهر عليه من الصفات التى أوجبت الثبوت فى ذلك المحل وهذا الكلام لمن اعتبر موافق لما شرحناه برمز فى ذلك عن سهل بن عبد الله ويؤيد ذلك أيضا ما أخبرنا به شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى إجازة قال أنا الشيخ العالم عصام الدين أبو حفص عمر بن محمد بن منصور الصفار النيسابورى قال أنا أبو بكر أحمد ابن خلف الشيرازى قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا نصر ابن عبد الله بن على

« إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة[١] » وقال مطلقا « الحديث بينكم أمانة[٢] » وقال الحسن إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك . ويروى أن معاوية رضى الله عنه أسر إلى الوليد بن عتبة حديثا فقال لأبيه يا أبت إن أمير المؤمنين أسر إلى حديثا وما أراه يطوى عنك ما بسطه إلى غيرك قال فلا تحدثني به فان من كتم سره كان الخيار إليه ومن أفشاه كان الخيار عليه قال فقلت يا أبت وإن هذا ليدخل بين الرجل وبين ابنه فقال لا والله يا بنى ولكن أحب أن لا تذلل لسانك بأحاديث السر قال فأتيت معاوية فأخبرته فقال يا وليد أعتقك أبوك من رق الخطأ فإفشاء السر خيانة وهو حرام إذا كان فيه إضرار، ولؤم إن لم يكن فيه إضرار، وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر فى كتاب آداب الصحبة فأغنى عن الإعادة.

(الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب)

فان اللسان سباق إلى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من أمارات النفاق قال الله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ـ وقال صلى الله عليه وسلم « العدة عطية[٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « الوأى مثل الدين أو أفضل[٤] » والوأى الوعد وقد أثنى الله تعالى على نبيه اسمعيل عليه السلام فى كتابه العزيز فقال ـ إنه كان صادق الوعد ـ قيل إنه وعد إنسانا فى موضع فلم يرجع إليه ذلك الانسان بل نسى فبقى اسمعيل اثنين وعشرين يوما فى انتظاره . ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال إنه كان خطب إلى ابنتى رجل من قريش وقد كان منى إليه شبه الوعد فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق أشهدكم أنى قد زوجته ابنتى وعن عبد الله بن أبى الحنساء قال « بايعت النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وبقيت له بقية فواعدته أن آتيه بها فى مكانه ذلك فنسيت يومى والغد فأتيته اليوم الثالث وهو فى مكانه فقال يا فتى لقد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك[٥] » وقيل لإبراهيم: الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجىء قال ينتظره إلى أن يدخل وقت الصلاة التى تجىء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وعد وعدا قال عسى[٦] وكان ابن مسعود لا يعد وعدا إلا ويقول إن شاء الله وهو الأولى ثم إذا فهم مع ذلك الجزم فى الوعد فلا بد من الوفاء إلا أن يتعذر فان كان عند الوعد عازما على أن لا يفى فهذا هو النفاق . وقال أبو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان[٧] » وقال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقا

السراج قال أنا أبو الطيب المكى عن أبى محمد الجريرى قال التسرع إلى استدراك علم الانقطاع وسيلة والوقوف على حد الانحسار نجاة واللياذ بالهرب من علم الدنو وصلة واستقباح ترك الجواب ذخيرة والاعتصام من قبول دواعى استماع الخطاب تكلف وخوف فوت علم ما انطوى من فصاحة الفهم فى حيز الإقبال مساءة والإصغاء إلى تلقى ما ينفصل عن معدته بعدو الاستسلام عند التلاقى جراءة والانبساط فى محل الأنس غرة وهذه الكلمات كلها من آداب الحضرة لأربابها وفى قوله تعالى ـ ما زاغ

---

(١) حديث إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهى أمانة أبو داود والترمذى وحسنه من حديث جابر (٢) حديث الحديث بينكم أمانة ابن أبى الدنيا من حديث ابن شهاب مرسلا .

(الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب)

(٣) حديث العدة عطية الطبرانى فى الأوسط من حديث قباث بن أشيم بسند ضعيف وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن مسعود ورواه ابن أبى الدنيا فى الصمت والخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث الحسن مرسلا (٤) حديث الوأى مثل الدين أو أفضل ابن أبى الدنيا فى الصمت من رواية ابن لهيعة مرسلا وقال الوأى يعنى الوعد ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على بسند ضعيف (٥) حديث عبد الله بن أبى الحنساء بايعت النبى صلى الله عليه وسلم فوعدته أن آتيه بها فى مكانه ذلك فنسيت يومى والغد فأتيته اليوم الثالث وهو فى مكانه فقال يا بنى قد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك رواه أبو داود واختلف فى إسناده وقال ابن مهدى ما أظن إبراهيم بن طهمان إلا أخطأ فيه (٦) حديث كان إذا وعد وعدا قال عسى لم أجد له أصلا (٧) حديث أبى هريرة ثلاث من كن فيه فهو منافق الحديث وفيه إذا وعد أخلف متفق عليه وقد تقدم

ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر (١) » وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر فأما من عزم على الوفاء فعنّ له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وإن جرى عليه ماهو صورة النفاق ولكن ينبغى أن يحترز من صورة النفاق أيضا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغى أن يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حاجزة فقد روى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما فأتى بثلاثة من السبى فأعطى اثنين وبقى واحد فأتت فاطمة رضى الله عنها تطلب منه خادما وتقول ألا ترى أثر الرحى بيدى فذكر موعده لأبى الهيثم فجعل يقول كيف بموعدى لأبى الهيثم (٢) » فآثره به على فاطمة لما كان قد سبق من موعده له مع أنها كانت تدير الرحى بيدها الضعيفة ولقد كان صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال إن لى عندك موعدا يارسول الله قال صدقت فاحتكم ماشئت فقال أحتكم ثمانين ضائنة وراعيها قال هى لك وقال احتكمت يسيرا (٣) ولصاحبة موسى عليه السلام التى دلته على عظام يوسف كانت أحزم منك وأجزل حكما منك حين حكمها موسى عليه السلام فقالت : حكمى أن تردنى شابة وأدخل معك الجنة . قيل فكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلا فقيل أشح من صاحب الثمانين والراعى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل وفى نيته أن يفى (٤) » وفى لفظ آخر « إذا وعد الرجل أخاه وفى نيته أن يفى فلم يجد فلا إثم عليه » .

(الآفة الرابعة عشرة الكذب فى القول واليمين)

وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب قال اسمعيل بن واسط سمعت أبا بكر الصديق رضى الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أوّل ثم بكى وقال إياكم والكذب فانه مع الفجور وهما فى النار (٥) » وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الكذب باب من أبواب النفاق (٦) » وقال الحسن كان يقال إن من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج وإن الأصل الذى بنى عليه

(١) حديث عبد الله بن عمرو أربع من كنّ فيه كان منافقا الحديث متفق عليه (٢) حديث كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما فأتى بثلاثة من السبى فأعطى اثنين وبقى واحد فجاءت فاطمة تطلب منه الحديث وفيه فجعل يقول كيف بموعدى لأبى الهيثم فآثره به على فاطمة تقدم ذكر قصة أبى الهيثم فى آداب الأكل وهى عند الترمذى من حديث أبى هريرة وليس فيها ذكر لفاطمة (٣) حديث أنه كان جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل فقال إن لى عندك موعدا قال صدقت فاحتكم ماشئت الحديث وفيه لصاحبة موسى التى دلته على عظام يوسف كانت أحزم منك الحديث ابن حبان والحاكم فى المستدرك من حديث أبى موسى مع اختلاف قال الحاكم صحيح الإسناد وفيه نظر (٤) حديث ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل ومن نيته أن يفى وفى لفظ آخر إذا وعد الرجل أخاه وفى نيته أن يفى فلم يجد فلا إثم عليه أبو داود والترمذى وضعفه من حديث زيد بن أرقم باللفظ الثانى إلا أنهما قالا فلم يف .

(الآفة الرابعة عشرة الكذب فى القول واليمين)

(٥) حديث أبى بكر الصديق قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أوّل ثم بكى وقال إياكم والكذب الحديث ابن ماجه والنسائى فى اليوم والليلة وجعله المصنف من رواية اسماعيل بن أوسط عن أبى بكر وإنما هو أوسط بن اسماعيل بن أوسط وإسناده حسن (٦) حديث أبى أمامة إن الكذب باب من أبواب النفاق ابن عدى فى الكامل بسند ضعيف وفيه عمر بن موسى

البصر وما طغى — وجه آخر ألطف مما سبق : مازاغ البصر حيث لم يتخلف عن البصيرة ولم يتقاصر وماطغى لم يسبق البصر البصيرة فيتجاوز حده ويتعدى مقامه بل استقام البصر مع البصيرة والظاهر مع الباطن والقلب مع القالب والنظر مع القدم ففى تقدم النظر على القدم طغيان والمعنى بالنظر علم وبالقدم حال القالب فلم يتقدم النظر على القدم فيكون طغيانا ولم يتخلف القدم عن النظر فيكون تقصيرا فلما اعتدلت الأحوال وصار قلبه كقالبه وقالبه كقلبه وظاهره كباطنه وباطنه كظاهره وبصره كبصيرته وبصيرته

النفاق الكذب وقال عليه السلام « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب[1] » وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا[2] » . « ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول أحدهما والله لأنقصك من كذا وكذا ويقول الآخر والله لأزيدك على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشتراها أحدهما فقال أوجب أحدهما بالإثم والكفارة[3] » وقال عليه السلام « الكذب ينقص الرزق[4] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن التجار هم الفجار فقيل يارسول الله أليس قد أحل الله البيع ؟ قال نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون[5] » وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم : المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل إزاره[6] » وقال صلى الله عليه وسلم « ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت نكتة فى قلبه إلى يوم القيامة[7] » وقال أبو ذر قال رسول الله ﷺ « ثلاثة يحبهم الله رجل كان فى فئة فنصب نحره حتى يقتل أو يفتح الله عليه وعلى أصحابه ورجل كان له جار سوء يؤذيه فصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن ورجل كان معه قوم فى سفر أو سرية فأطالوا السرى حتى أعجبهم أن يمسوا الأرض فنزلوا فتنحى يصلى حتى يوقظ أصحابه للرحيل وثلاثة يشنؤهم الله التاجر أو البياع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان[8] » وقال صلى الله عليه وسلم « ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له[9] » وقال صلى الله عليه وسلم « رأيت كأن رجلا جاءنى فقال لى قم فقمت معه فاذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقمه فى شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله

الوجيهى ضعيف جدا ويغنى عنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وحديث أربع من كن فيه كان منافقا قال فى كل منهما وإذا حدث كذب وهما فى الصحيحين وقد تقدما فى الآفة التى قبلها (١) حديث كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له كاذب البخارى فى كتاب الأدب المفرد وأبو داود من حديث سفيان بن أسيد وضعفه ابن عدى ورواه أحمد والطبرانى من حديث النواس بن سمعان باسناد جيد (٢) حديث ابن مسعود لا يزال العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذابا متفق عليه (٣) حديث مر برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان الحديث وفيه فقال أوجب أحدهما بالإثم والكفارة أبو الفتح الأزدى فى كتاب الأسماء المفردة من حديث ناسخ الحضرمى وهكذا رويناها فى أمالى ابن سمعون وناسخ ذكره البخارى هكذا فى التاريخ وقال أبو حاتم هو عبد الله بن ناسخ (٤) حديث الكذب ينقص الرزق أبو الشيخ فى طبقات الأصبهانيين من حديث أبى هريرة ورويناه كذلك فى مشيخة القاضى أبى بكر وإسناده ضعيف (٥) حديث إن التجار هم الفجار الحديث وفيه ويحدثون فيكذبون أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد والبيهقى من حديث عبد الرحمن بن شبل (٦) حديث ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الكاذب والمسبل إزاره مسلم من حديث أبى ذر (٧) حديث ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت نكتة فى قلبه إلى يوم القيامة الترمذى والحاكم وصحح إسناده من حديث عبد الله ابن أنيس (٨) حديث أبى ذر ثلاثة يحبهم الله الحديث وفيه وثلاثة يشنؤهم الله التاجر أو البائع الحلاف أحمد واللفظ له وفيه ابن الأحمس ولا يعرف حاله ورواه هو والنسائى بلفظ آخر باسناد جيد وللنسائى من حديث أبى هريرة أربعة يبغضهم الله البياع الحلاف الحديث وإسناده جيد (٩) حديث ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له أبو داود والترمذى وحسنه والنسائى فى الكبرى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده .

كبصره فحيث انتهى نظره وعلمه قارنه قدمه وحاله ولهذا المعنى انعكس حكم معناه ونوره على ظاهره وأتى البراق ينتهى خطوه حيث ينتهى نظره لا يتخلف قدم البراق عن موضع نظره كما جاء فى حديث المعراج فكان البراق يقابله مشاكلا لمعناه ومتصفا بصفته لقوة حاله ومعناه وأشار فى حديث المعراج إلى مقامات الأنبياء ورأى فى كل سماء بعض الأنبياء إشارة إلى تعويقهم وتخلفهم عن شأوه ودرجته ورأى موسى فى بعض السموات فمن هو فى بعض السموات يكون قوله أرنى أنظر إليك تجاوزا للنظر عن حد

ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده فاذا مده رجع الآخر كما كان فقلت للذى أقامنى ماهذا ؟ فقال هذا رجل كذاب يعذب فى قبره إلى يوم القيامة (١) » وعن عبد الله بن جراد قال «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله هل يزنى المؤمن ؟ قال قد يكون ذلك قال يانبى الله هل يكذب المؤمن ؟ قال لا ثم أتبعها صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى ـ إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ـ (٢) » وقال أبو سعيد الخدرى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول فى دعائه « اللهم طهر قلبى من النفاق وفرجى من الزنا ولسانى من الكذب (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر (٤) » وقال عبد الله بن عامر « جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبى صغير فذهبت لألعب فقالت أمى ياعبد الله تعال حتى أعطيك فقال صلى الله عليه وسلم وما أردت أن تعطيه قالت تمرا فقال أما إنك لو لم تفعلى لكتبت عليك كذبة (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم «لو أفاء الله على نعما عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذابا ولا جبانا (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم وكان متكئا « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد وقال: ألا وقول الزور (٧) » وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ماجاء به (٨) » وقال أنس قال النبى صلى الله عليه وسلم «تقبلوا إلى بست أتقبل لكم بالجنة فقالوا وما هن ؟ قال إذا حدث أحدكم فلا يكذب وإذا وعد فلا يخلف وإذا ائتمن فلا يخن وغضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم (٩) » وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث رأيت كأن رجلا جاءنى فقال لى قم فقمت معه فاذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقمه فى شدق الجالس الحديث البخارى من حديث سمرة بن جندب فى حديث طويل (٢) حديث عبد الله بن جراد أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم هل يزنى المؤمن قال قد يكون من ذلك قال هل يكذب قال لا الحديث ابن عبد البر فى التمهيد بسند ضعيف ورواه ابن أبى الدنيا فى الصمت مقتصرا على الكذب وجعل السائل أبا الدرداء (٣) حديث أبى سعيد اللهم طهر قلبى من النفاق وفرجى من الزنا ولسانى من الكذب هكذا وقع فى نسخ الإحياء عن ابن سعيد وإنما هو عن أم معبد كذا رواه الخطيب فى التاريخ دون قوله وفرجى من الزنا وزاد وعملى من الرياء وعينى من الخيانة وإسناده ضعيف (٤) حديث ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم الحديث وفيه والإمام الكذاب مسلم من حديث أبى هريرة (٥) حديث عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبى صغير فذهبت لألعب فقالت أمى ياعبد الله تعال أعطيك فقال وما أردت أن تعطيه قالت تمرا فقال إن لم تفعلى كتبت عليك كذبة رواه أبو داود وفيه من لم يسم وقال الحاكم إن عبد الله بن عامر ولد فى حياته صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه . قلت وله شاهد من حديث أبى هريرة وابن مسعود ورجالهما ثقات إلا أن الزهرى لم يسمع من أبى هريرة (٦) حديث لو أفاء الله على نعما عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذابا ولا جبانا رواه مسلم وتقدم فى أخلاق النبوة (٧) حديث ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الحديث وفيه ألا وقول الزور متفق عليه من حديث أبى بكرة (٨) حديث ابن عمر إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ماجاء به الترمذى وقال حسن غريب (٩) حديث أنس تقبلوا إلى بست أتقبل لكم بالجنة إذا حدث أحدكم فلا يكذب الحديث الحاكم فى المستدرك والخرائطى فى مكارم الأخلاق وفيه سعد بن سنان ضعفه أحمد والنسائى ووثقه ابن معين ورواه الحاكم بنحوه من حديث عبادة بن الصامت وقال

القدم وتخلفا للقدم عن النظر وهذا هو الاخلال بأحد الوصفين من قوله تعالى ـ مازاغ البصر وما طغى ـ فرسول الله حمل مقترنا قدمه ونظره فى حجال الحياء والتواضع ناظرا إلى قدمه قادما على نظره ولو خرج عن حجال الحياء والتواضع وتطاول بالنظر متعديا حد القدم تعوق فى بعض السموات كتعوق غيره من الأنبياء فلم يزل صلى الله عليه وسلم متجلس حجاله فى خفارة أدب حاله حتى خرق حجب السموات فانصبت إليه أقسام القرب انصبابا وانقشعت عنه سحائب الحجب حجابا حجابا حتى استقام على

« إن للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا أما لعوقه فالكذب وأما نشوقه فالغضب وأما كحله فالنوم[١] »
وخطب عمر رضى الله عنه يوما فقال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كقيامى هذا فيكم فقال
« أحسنوا إلى أصحابى ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف
ويشهد ولم يستشهد[٢] » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من حدث عنى بحديث وهو يرى أنه كذب
فهو أحد الكاذبين[٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « من حلف على يمين يأثم ليقتطع بها مال امرئ
مسلم بغير حق لقى الله عز وجلّ وهو عليه غضبان[٤] » وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه
ردّ شهادة رجل فى كذبة كذبها[٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « كل خصلة يطبع أو يطوى عليها
المسلم إلا الخيانة والكذب[٦] » وقالت عائشة رضى الله عنها « ما كان من خلق أشد على أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على الرجل
من أصحابه على الكذب فما ينجلى من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث توبة لله عز وجلّ منها[٧] ».
وقال موسى عليه السلام : يارب أىّ عبادك خير لك عملا ؟ قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه
ولا يزنى فرجه ، وقال لقمان لابنه : يابنىّ إياك والكذب فانه شهىّ كلحم العصفور عما قليل يقلاه
صاحبه ، وقال عليه السلام فى مدح الصدق « أربع إذا كنّ فيك لا يضرّك ما فاتك من الدنيا
صدق الحديث وحفظ الأمانة وحسن الخلق وعفة طعمه[٨] » وقال أبو بكر رضى الله عنه فى خطبة
بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : قام فينا رسول الله ﷺ مثل مقامى هذا عام أوّل ثم بكى
وقال « عليكم بالصدق فانه مع البرّ وهما فى الجنة[٩] » وقال معاذ قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم
« أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وبذل السلام وخفض الجناح[١٠] »

صحيح الاسناد (١) حديث إن للشيطان كحلا ولعوقا الحديث الطبرانى وأبو نعيم من حديث أنس بسند ضعيف وقد تقدّم (٢) حديث خطب عمر بالجابية الحديث وفيه ثم يفشو الكذب الترمذى وصححه والنسائى فى الكبرى من رواية ابن عمر عن عمر (٣) حديث من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين مسلم فى مقدمة صحيحه من حديث سمرة بن جندب (٤) حديث من حلف على يمين مأثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث أنه ردّ شهادة رجل فى كذبة كذبها ابن أبى الدنيا فى الصمت من رواية موسى بن شيبة مرسلا وموسى روى معمر عنه مناكير قاله أحمد بن حنبل (٦) حديث على : كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب ابن أبى شيبة فى المصنف من حديث أبى أمامة ورواه ابن عدى فى مقدمة الكامل من حديث سعد بن أبى وقاص وابن عمر أيضا وأبى أمامة أيضا ورواه ابن أبى الدنيا فى الصمت من حديث سعد مرفوعا وموقوفا والموقوف أشبه بالصواب قاله الدار قطنى فى العلل (٧) حديث ما كان من خلق الله شىء أشدّ عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب فما ينحل من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث لله منها توبة أحمد من حديث عائشة ورجاله ثقات إلا أنه قال عن ابن أبى مليكة أو غيره وقد رواه أبو الشيخ فى الطبقات فقال ابن أبى مليكة ولم يشك وهو صحيح (٨) حديث أربع إذا كنّ فيك فلا يضرّك ما فاتك من الدنيا صدق الحديث ، الحديث الحاكم والخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو وفيه ابن لهيعة (٩) حديث أبى بكر عليكم بالصدق فانه مع البر وهما فى الجنة ابن ماجه والنسائى فى اليوم والليلة وقد تقدم بعضه فى أول هذا النوع (١٠) حديث معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث أبو نعيم فى الحلية وقد تقدم .

صراط ـ ما زاغ البصر وما طغى ـ فمر كالبرق الخاطف إلى مخدع الوصل واللطائف وهذا غاية فى الأدب ونهاية فى الأرب . قال أبو محمد ابن رويم حين سئل عن أدب المسافر فقال لا يجاوز همه قدمه حيث وقف قلبه يكون مقره أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب إجازة قال أنا عمر بن أحمد قال أنا أبو بكر بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن السلمى قال ثنا القاضى أبو محمد يحيى بن منصور قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن على الترمذى قال حدثنا محمد بن رزام الأيلى قال حدثنا محمد بن عطاء الهجيمى قال حدثنا محمد بن نصير عن عطاء

وأما الآثار : فقد قال علي رضى الله عنه : أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيامة ، وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه ما كذبت كذبة منذ شددت على إزاري، وقال عمر رضى الله عنه : أحبكم إلينا مالم نركم أحسنكم اسما فاذا رأيناكم فأحبكم إلينا أحسنكم خلقا فاذا اختبرناكم فأحبكم إلينا أصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة ، وعن ميمون بن أبي شبيب قال جلست أكتب كتابا فأتيت على حرف إن أنا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على تركه فنوديت من جانب البيت ـ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ـ وقال الشعبي : ماأدري أيهما أبعد غورا في النار الكذاب أو البخيل وقال ابن السماك ماأراني أوجر على ترك الكذب لأني إنما أدعه أنفة ، وقيل لخالد بن صبيح أيسمى الرجل كاذبا بكذبة واحدة قال نعم وقال مالك بن دينار : قرأت في بعض الكتب مامن خطيب إلا وتعرض خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وإن كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا . وقال مالك بن دينار: الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شيء فقال له كذبت فقال عمر والله ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه.

(بيان مارخص فيه من الكذب)

اعلم أن الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره فان أقل درجاته أن يعتقد المخبر الشيء على خلاف ماهو عليه فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب محصل لذلك الجهل فيكون مأذونا فيه وربما كان واجبا. قال ميمون بن مهران الكذب في بعض المواطن خير من الصدق أرأيت لو أن رجلا سعى خلف إنسان بالسيف ليقتله فدخل دارا فانتهى إليك فقال أرأيت فلانا ما كنت قائلا ألست تقول لم أره وما تصدق به وهذا الكذب واجب . فنقول الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك القصد مباحا وواجب إن كان المقصود واجبا كما أن عصمة دم المسلم واجبة فمهما كان في الصدق سفك دم امرىء مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود الحرب أو إصلاح ذات البين أو استمالة قلب المجني عليه إلا بكذب فالكذب مباح إلا أنه ينبغي أن يحترز منه ما أمكن لأنه إذا فتح باب الكذب على نفسه فيخشى أن يتداعى إلى مايستغنى عنه وإلى مالا يقتصر على حد الضرورة فيكون الكذب حراما في الأصل إلا لضرورة . والذي يدل على الاستثناء ماروى عن أم كلثوم قالت « ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها (١) » وقالت أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نمى خيرا (٢) » وقالت أسماء بنت يزيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين مسلمين ليصلح بينهما (٣) » وروى عن أبي كاهل قال « وقع بين اثنين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فلقيت أحدهما فقلت مالك ولفلان فقد

(١) حديث أم كلثوم ما سمعته يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث مسلم وقد تقدم (٢) حديث أم كلثوم أيضا ليس بكذاب من أصلح بين الناس الحديث متفق عليه وقد تقدم والذي قبله عند مسلم بعض هذا (٣) حديث أسماء بنت يزيد كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما أحمد بزيادة فيه وهو عند الترمذي مختصرا وحسنه .

ابن أبي رباح عن ابن عباس قال « تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ـ رب أرني أنظر إليك ـ قال : قال ياموسى إنه لا يراني حي إلا مات ولا يابس إلا تدهده ولا رطب إلا تفرق إنما يراني أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم ». ومن آداب الحضرة ما قال الشبلي الانبساط بالقول مع الحق ترك الأدب وهذا يختص ببعض الأحوال والأشياء دون البعض ليس هو على الاطلاق لأن الله تعالى أمر بالدعاء وإنما الامساك عن القول كما أمسك موسى عن الانبساط في طلب المآرب

سمعته يحسن عليه الثناء ثم لقيت الآخر فقلت له مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت أهلكت نفسي وأصلحت بين هذين فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ياأبا كاهل أصلح بين الناس(١) » أي ولو بالكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم « أكذب على أهلي قال لاخير في الكذب قال أعدها وأقول لها قال لاجناح عليك (٢) » وروى أن ابن أبي عذرة الدؤلي وكان في خلافة عمر رضى الله عنه كان يخلع النساء اللاتي يتزوج بهن فطارت له في الناس من ذلك أحدوثة يكرهها فلما علم بذلك أخذ بيد عبد الله بن الأرقم حتى أتى به إلى منزله ثم قال لامرأته أنشدك بالله هل تبغضيني قالت لاتنشدني قال فاني أنشدك الله قالت نعم فقال لابن الأرقم أتسمع ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضى الله عنه فقال إنكم لتحدثون أني أظلم النساء وأخلعهن فاسأل ابن الأرقم فسأله فأخبره فأرسل إلى امرأة ابن أبي عذرة فجاءت هي وعمتها فقال أنت التي تحدثين لزوجك أنك تبغضينه فقالت إني أول من تاب وراجع أمر الله تعالى إنه ناشدني فتحرجت أن أكذب أفأكذب ياأمير المؤمنين ؟ قال نعم فاكذبي فان كانت إحداكن لاتحب أحدنا فلا تحدثه بذلك فان أقل البيوت الذي يبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالاسلام والأحساب ، وعن النواس بن سمعان الكلابي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مالي أراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب يكتب على ابن آدم لامحالة إلا أن يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة أو يكون بين الرجلين شحناء فيصلح بينهما أو يحدث امرأته يرضيها (٣) » وقال ثوبان الكذب كله إثم إلا مانفع به مسلما أو دفع عنه ضررا وقال علي رضى الله عنه : إذا حدثتكم عن النبي صلى الله عليه وسلم فلأن أخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالحرب خدعة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ماعداها إذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره . أما ماله فمثل أن يأخذه ظالم ويسأله عن ماله فله أن ينكره أو يأخذه سلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله أن ينكر ذلك فيقول مازنيت وما سرقت ، وقال صلى الله عليه وسلم « من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله (٤) » وذلك أن إظهار الفاحشة فاحشة أخرى فللرجل أن يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وإن كان كاذبا . وأما عرض غيره فبأن يسأل عن سر أخيه فله أن ينكره وأن يصلح بين اثنين وأن يصلح بين الضرات من نسائه بأن يظهر لكل واحدة أنها أحب إليه وإن كانت امرأته لاتطاوعه إلا بوعد لايقدر عليه فيعدها في الحال تطييبا لقلبها أو يعتذر إلى إنسان وكان لايطيب قلبه إلا بإنكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس به ولكن الحد فيه أن الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع توله منه محذور فينبغي أن يقابل أحدهما بالآخر ويزن بالميزان القسط فاذا علم أن المحذور الذي يحصل

والحاجات الدنيوية حتى رفعه الحق مقاما في القرب وأذن له في الانبساط وقال اطلب مني ولو ملحا لعجينك فلما بسط انبسط وقال ـ رب إني لما أنزلت إلى من خير فقير ـ لأنه كان يسأل حوائج الآخرة ويستعظم الحضرة أن يسأل حوائج الدنيا لحقارتها وهو في حجاب الحشمة عن سؤال المحقرات ولهذا مثال في الشاهد فان الملك المعظم يسأل المعظمات ويحتشم في طلب المحقرات فلما رفع بساط حجاب الحشمة صار في مقام خاص من القرب يسأل الحقير كما يسأل الخطير قال ذو النون المصري أدب العارف فوق كل أدب

(١) حديث أبي كاهل وقع بين رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام الحديث وفيه ياأبا كاهل أصلح بين الناس رواه الطبراني ولم يصح (٢) حديث عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم أكذب على أهلي قال لاخير في الكذب قال أعدها وأقول لها قال لاجناح عليك ابن عبد البر في التمهيد من رواية صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار مرسلا وهو في الموطأ عن صفوان ابن سليم معضلا من غير ذكر عطاء بن يسار (٣) حديث النواس بن سمعان مالي أراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب مكتوب الحديث أبو بكر بن بلال في مكارم الأخلاق بلفظ تتبايعون إلى قوله في النار دون مابعده فرواه الطبراني وفيهما شهر بن حوشب (٤) حديث من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله الحاكم من حديث ابن عمر بلفظ اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها فمن ألم بشيء منها فليستتر بستر الله وإسناده حسن .

بالصدق أشد وقعا فى الشرع من الكذب فله الكذب وإن كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الأمران بحيث يتردد فيهما وعند ذلك الميل إلى الصدق أولى لأن الكذب يباح لضرورة أو حاجة مهمة فان شك فى كون الحاجة مهمة فالأصل التحريم فيرجع إليه ولأجل غموض إدراك مراتب المقاصد ينبغى أن يحترز الانسان من الكذب ما أمكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له أن يترك أغراضه ويهجر الكذب فأما إذا تعلق بغرض غيره فلا تجوز المسامحة لحق الغير والاضرار به وأكثر كذب الناس إنما هو لحظوظ أنفسهم ثم هو لزيادات المال والجاه ولأمور ليس فواتها محذورا حتى إن المرأة لتحكى عن زوجها ما تفخر به وتكذب لأجل مراغمة الضرات وذلك حرام وقالت أسماء « سمعت امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت إن لى ضرة وإنى أتكثر من زوجى بما لم يفعل أضارها بذلك فهل على شىء فيه فقال صلى الله عليه وسلم: المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من تطعم بما لا يطعم أو قال لى وليس له أو أعطيت ولم يعط فهو كلابس ثوبى زور يوم القيامة ويدخل فى هذا فتوى العالم بما لا يتحققه (٢) » ورواية الحديث الذى لا يتثبته إذ غرضه أن يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف من أن يقول لا أدرى وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فان الصبى إذا كان لا يرغب فى الكتب إلا بوعد أو وعيد أو تخويف كاذب كان ذلك مباحا ، نعم روينا فى الأخبار أن ذلك يكتب كذبا ولكن الكذب المباح أيضا قد يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لأنه إنما أبيح بقصد الاصلاح ويتطرق إليه غرور كبير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذى هو مستغن عنه وإنما يتعلل ظاهرا بالإصلاح فلهذا يكتب وكل من أتى بكذبة فقد وقع فى خطر الاجتهاد ليعلم أن المقصود الذى كذب لأجله هل هو أهم فى الشرع من الصدق أم لا وذلك غامض جدا والحزم تركه إلا أن يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه كما لو أدى إلى سفك دم أو ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون أنه يجوز وضع الأحاديث فى فضائل الأعمال وفى التشديد فى المعاصى وزعموا أن القصد منه صحيح وهو خطأ محض إذ قال صلى الله عليه وسلم « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار (٣) » وهذا لا يرتكب إلا لضرورة ولا ضرورة إذ فى الصدق مندوحة عن الكذب ففيما ورد من الآيات والأخبار كفاية عن غيرها وقول القائل إن ذلك قد تكرر على الأسماع وسقط وقعه وما هو جديد فوقعه أعظم فهذا هوس إذ ليس هذا من الأغراض التى تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ويؤدى فتح بابه إلى أمور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره أصلا والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التى لا يقاومها شىء . نسأل الله العفو عنا وعن جميع المسلمين .

(بيان الحذر من الكذب بالمعاريض)

قد نقل عن السلف أن فى المعاريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضى الله عنه أما فى المعاريض ما يكفى الرجل عن الكذب . وروى ذلك عن ابن عباس وغيره وإنما أرادوا بذلك اذا اضطر الانسان إلى الكذب فأما إذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا ولكن التعريض أهون ومثال التعريض ما روى أن مطرفا دخل على زياد فاستبطأه فتعلل بمرض وقال ما رفعت جنبى مذ فارقت

(١) حديث أسماء قالت امرأة إن لى ضرة وإنى أتكثر من زوجى بما لم يفعل الحديث متفق عليه وهى أسماء بنت أبى بكر الصديق (٢) حديث من تطعم بما لا يطعم وقال لى وليس له وأعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبى زور يوم القيامة لم أجده بهذا اللفظ (٣) حديث من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار متفق عليه من طرق وقد تقدم فى العلم .

لأن معروفه مؤدب قلبه . وقال بعضهم يقول الحق سبحانه وتعالى : من ألزمته القيام مع أسمائى وصفاتى ألزمته الأدب ومن كشف له عن حقيقة ذاتى ألزمته العطب . فاختر أيهما شئت الأدب أو العطب القائل هذا إلى أن الأسماء صفات تستقل بوب محتاج إلى أدب لبقاء رسوم البشرية وحظوظ النفس مع لمعان نور عظمة الذات تتلاشى الآثار بالأنوار ويكون معنى العطب التحقق بالفناء وفى ذلك العطب نهاية الأرب . وقال أبو على الدقاق فى قوله تعالى ـ وأيوب

الأمير إلا مارفعنى الله وقال إبراهيم إذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت أن تكذب فقل إن الله تعالى ليعلم ماقلت من ذلك من شيء فيكون قوله ماحرف نفى عند المستمع وعنده للابهام. وكان معاذ بن جبل عاملا لعمر رضى الله عنه فلما رجع قالت له امرأته ماجئت به مما يأتى به العمال إلى أهلهم وما كان قد أتاها بشيء فقال كان عندى ضاغط قالت كنت أمينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند أبى بكر رضى الله عنه فبعث عمر معك ضاغطا وقامت بذلك بين نسائها واشتكت عمر فلما بلغه ذلك دعا معاذا وقال بعثت معك ضاغطا قال لم أجد ما أعتذر به إليها إلا ذلك فضحك عمر رضى الله عنه وأعطاه شيئا فقال أرضها به ومعنى قوله ضاغطا يعنى رقيبا وأراد به الله تعالى وكان النخعى لا يقول لابنته أشترى لك سكرا بل يقول أرأيت لو اشتريت لك سكرا فانه ربما لا يتفق له ذلك. وكان إبراهيم إذا طلبه من يكره أن يخرج إليه وهو فى الدار قال للجارية قولى له اطلبه فى المسجد ولا تقولى ليس ههنا كيلا يكون كذبا وكان الشعبى إذا طلب فى المنزل وهو يكرهه خط دائرة وقال للجارية ضعى الأصبع فيها وقولى ليس ههنا وهذا كله فى موضع الحاجة فأما فى غير موضع الحاجة فلا لأن هذا تفهيم للكذب وإن لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روى عبد الله بن عتبة قال دخلت مع أبى على عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فخرجت وعلى ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساكه أمير المؤمنين فكنت أقول جزى الله أمير المؤمنين خيرا فقال لى أبى يابنى اتق الكذب وما أشبهه فنهاه عن ذلك لأن فيه تقريرا لهم على ظن كاذب لأجل غرض المفاخرة وهذا غرض باطل لافائدة فيه ، نعم المعاريض تباح لغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة عجوز[1]» وقوله للأخرى «الذى فى عين زوجك بياض» وللأخرى «نحملك على ولد البعير» وما أشبهه وأما الكذب الصريح كما فعله نعيمان الأنصارى مع عثمان فى قصة الضرير إذ قال له إنه نعيمان وكما يعتاده الناس من ملاعبة الحمقى بتغريرهم بأن امرأة قد رغبت فى تزويجك فان كان فيه ضرر يؤدى إلى إيذاء قلب فهو حرام وإن لم يكن إلا لمطايبته فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة إيمانه قال صلى الله عليه وسلم «لا يكمل للمرء الايمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب فى مزاحه[2]» وأما قوله عليه السلام «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوى بها فى النار أبعد من الثريا[3]» أراد به ما فيه غيبة مسلم أو إيذاء قلب دون محض المزاح . ومن الكذب الذى لا يوجب الفسق ما جرت به العادة فى المبالغة كقوله طلبتك كذا وكذا مرة وقلت لك كذا مائة مرة فانه لا يريد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة فان لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذبا وإن كان طلبه مرات لا يعتاد مثلها فى الكثرة لا يأثم وإن لم تبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به أن يقال كل الطعام فيقول لا أشتهيه وذلك منهى عنه وهو حرام وإن لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت أسماء بنت عميس «كنت صاحبة عائشة فى الليلة التى هيأتها وأدخلتها على رسول الله

(١) حديث لا يدخل الجنة عجوز وحديث فى عين زوجك بياض وحديث نحملك على ولد البعير تقدمت الثلاثة فى الآفة العاشرة (٢) حديث لا يستكمل المؤمن إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب فى مزاحه ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب من حديث أبى مليكة الدمارى وقال فيه نظر وللشيخين من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وللدارقطنى فى المؤتلف والمختلف من حديث أبى هريرة لا يؤمن عبد الايمان كله حتى يترك الكذب فى مزاحه قال أحمد بن حنبل منكر (٣) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها الناس يهوى بها أبعد من الثريا تقدم فى الآفة الثالثة .

إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ـ لم يقل ارحمنى لأنه حفظ أدب الخطاب وقال عيسى عليه السلام ـ إن كنت قلته فقد علمته ـ ولم يقل لم أقل رعاية لأدب الحضرة . وقال أبو نصر السراج أدب أهل الخصوصية من أهل الدين فى طهارة القلوب ومراعاة الأسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات إلى الخواطر والعوارض والبوادى والعوائق واستواء السر والعلانية وحسن الأدب فى مواقف الطلب ومقامات القرب وأوقات الحضور . والأدب أدبان أدب قول وأدب فعل فمن

صلى الله عليه وسلم ومعى نسوة قالت فوالله ماوجدنا عنده قرى إلا قدحا من لبن فشرب ثم ناوله عائشة قالت فاستحيت الجارية فقلت لاتردى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذى منه قالت فأخذت منه على حياء فشربت منه ثم قال ناولى صواحبك فقلن لا نشتهيه فقال لاتجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يارسول الله إن قالت إحدانا لشىء تشتهيه لاأشتهيه أيعد ذلك كذبا قال : إن الكذب ليكتب كذبا حتى تكتب الكذيبة كذيبة (١) » وقد كان أهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت عينا سعيد بن المسيب ترمص حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال له لو مسحت عينيك فيقول وأين قول الطبيب لاتمس عينيك فأقول لاأفعل وهذه مراقبة أهل الورع ومن تركه انسل لسانه فى الكذب عن حد اختياره فيكذب ولا يشعر . وعن خوات التيمى قال جاءت أخت الربيع بن خيثم عائدة لابن له فانكبت عليه فقالت كيف أنت يابنى فجلس الربيع وقال أرضعتيه قالت لا قال ماعليك لو قلت ياابن أخى فصدقت ومن العادة أن يقول يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى عليه السلام : إن من أعظم الذنوب عند الله أن يقول العبد إن الله يعلم لما لا يعلم وربما يكذب فى حكاية المنام والاثم فيه عظيم إذ قال عليه السلام « إن من أعظم الفرية أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عينيه فى المنام مالم ير أو يقول على مالم أقل (٢) » وقال عليه السلام « من كذب فى حلم كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين وليس بعاقد بينهما أبدا (٣) » .

(الآفة الخامسة عشرة الغيبة)

والنظر فيها طويل فلنذكر أولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على ذمها فى كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال تعالى ـ ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ـ وقال عليه السلام « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه (٤) » والغيبة تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم وقال أبو برزة قال عليه السلام « لاتحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله إخوانا (٥) » وعن جابر وأبى سعيد قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا فان الرجل قد يزنى ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وإن صاحب الغيبة لايغفر له حتى يغفر له صاحبه (٦) »

(١) حديث مجاهد عن أسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة التى هيأتها وأدخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه قال لاتجمعن جوعا وكذبا ابن أبى الدنيا فى الصمت والطبرانى فى الكبير وله نحوه من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وهو الصواب فان أسماء بنت عميس كانت إذ ذاك بالحبشة لكن فى طبقات الأصبهانيين لأبى الشيخ من رواية عطاء بن أبى رباح عن أسماء بنت عميس زففنا إلى النبى صلى الله عليه وسلم بعض نسائه الحديث فاذا كانت غير عائشة ممن تزوجها بعد خيبر فلا مانع من ذلك (٢) حديث إن من أعظم الفرى أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عينيه فى المنام مالم تريا أو يقول على مالم أقل البخارى من حديث واثلة بن الأسقع وله من حديث ابن عمر من أفرى الفرى أن يرى عينيه مالم تريا (٣) حديث من كذب فى حلمه كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرة البخارى من حديث ابن عباس .

(الآفة الخامسة عشرة الغيبة)

(٤) حديث كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه مسلم من حديث أبى هريرة (٥) حديث أبى هريرة لاتحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله إخوانا متفق عليه من حديث أبى هريرة وأنس دون قوله ولا يغتب بعضكم بعضا وقد تقدم فى آداب الصحبة (٦) حديث جابر وأبى سعيد إياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا الحديث ابن أبى الدنيا فى الصمت وابن حبان فى الضعفاء وابن مردويه فى التفسير .

تقرب إلى الله تعالى بأدب فعل منحه محبة القلوب . قال ابن المبارك نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم وقال أيضا الأدب للعارف بمنزلة التوبة للمستأنف وقال النورى من لم يتأدب للوقت فوقته مقت وقال ذو النون إذا خرج المريد عن حد استعمال الأدب فانه يرجع من حيث جاء وقال ابن المبارك أيضا قد أكثر الناس فى الأدب ونحن نقول هو معرفة النفس وهذه إشارة منه إلى أن النفس هى منبع الجهالات وترك الأدب من مخامرة الجهل فاذا عرف النفس صادف نور العرفان على ماورد

وقال

وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت ليلة أسرى بى على أقوام يخمشون وجوههم بأظافيرهم فقلت ياجبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون فى أعراضهم (١) » وقال سليم بن جابر « أتيت النبي عليه الصلاة والسلام فقلت علمنى خيرا أنتفع به فقال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تصبّ من دلوك فى إناء المستقى وأن تلقى أخاك ببشر حسن وإن أدبر فلا تغتابنه (٢) » وقال البراء « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق فى بيوتهن فقال: يامعشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لاتغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه فى جوف بيته (٣) » وقيل أوحى الله إلى موسى عليه السلام: من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو أوّل من يدخل النار. وقال أنس « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم فقال لا يفطرنّ أحد حتى آذن له فصام الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يجىء فيقول يارسول الله ظللت صائما فائذن لى لأفطر فيأذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يارسول الله فتاتان من أهلك ظلتا صائمتين وإنهما يستحيان أن يأتياك فائذن لهما أن يفطرا فأعرض عنه ﷺ ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال إنهما لم يصوما وكيف يصوم من ظل نهاره يأكل لحم الناس اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن تستقيئا فرجع إليهما فأخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال والذى نفسى بيده لو بقيتا فى بطونهما لأكلتهما النار (٤) » وفى رواية « أنه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك وقال يارسول الله والله إنهما قد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال صلى الله عليه وسلم ائتونى بهما فجاءتا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فقال لإحداهما قيئى فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للأخرى قيئى فقاءت كذلك فقال إن هاتين صامتا عما أحلّ الله لهما وأفطرتا على ماحرم الله عليهما جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس (٥) » وقال أنس « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله فى الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وأربى الربا عرض المسلم (٦) » وقال جابر « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسير فأتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال إنهما يعذّبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان يغتاب الناس وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله فدعا بجريدة رطبة أو جريدتين

(١) حديث أنس مررت ليلة أسرى بى على قوم يخمشون وجوههم بأظفارهم الحديث أبو داود مسندا ومرسلا والمسند أصح (٢) حديث سليم بن جابر أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت علمنى خيرا ينفعنى الله به الحديث أحمد فى المسند وابن أبى الدنيا فى الصمت واللفظ له ولم يقل فيه أحمد وإذا أدبر فلا يغتابه وفى إسنادها ضعف (٣) حديث البراء يامعشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لاتغتابوا المسلمين الحديث ابن أبى الدنيا هكذا ورواه أبو داود من حديث أبى برزة باسناد جيد (٤) حديث أنس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم وقال لا يفطرنّ أحد حتى آذن له فصام الناس الحديث فى ذكر المرأتين اللتين اغتابتا فى صيامهما فقاءت كلّ واحدة منهما علقة من دم ابن أبى الدنيا فى الصمت وابن مردويه فى التفسير من رواية يزيد الرقاشى عنه ويزيد ضعيف (٥) حديث المرأتين المذكورتين وقال فيه إن هاتين صامتا عما أحلّ الله لهما وأفطرتا على ماحرّم الله عليهما الحديث أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه رجل لم يسم ورواه أبو يعلى فى مسنده فأسقط منه ذكر رجل المبهم (٦) حديث أنس خطبنا فذكر الربا وعظم شأنه الحديث وفيه وأربى الربا عرض الرجل المسلم ابن أبى الدنيا بسند ضعيف.

« من عرف نفسه فقد عرف ربه » ولهذا النور لاتظهر النفس بجهالة إلا ويقمعها بصريح العلم وحينئذ يتأدب ومن قام بآداب الحضرة فهو بغيرها أقوم وعليها أقدر.

[الباب الثالث والثلاثون فى آداب الطهارة ومقدماتها]

قال الله تعالى فى وصف أصحاب الصفة ـ فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحبّ المطهرين ـ قيل فى التفسير يحبون أن يتطهروا من الأحداث والجنابات والنجاسات بالماء. قال الكلبى هو غسل الأدبار بالماء وقال عطاء كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على

فكسرها ثم أمر بكل كسرة فغرست على قبر وقال أما إنه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين أو مالم ييبسا (١) » . « ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعزا فى الزنا قال رجل لصاحبه هذا أقعص كما يقعص الكلب فمر صلى الله عليه وسلم وهما معه بجيفة فقال انهشا منها فقالا يارسول الله نهش جيفة فقال ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه (٢) » وكان الصحابة رضى الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك أفضل الأعمال ويرون خلافه عادة المنافقين وقال أبو هريرة: من أكل لحم أخيه فى الدنيا قرب إليه لحمه فى الآخرة وقيل له كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله فينضج ويكلح (٣) وروى مرفوعا كذلك . وروى أن رجلين كانا قاعدين عند باب من أبواب المسجد فمر بهما رجل كان مخنثا فترك ذلك فقالا لقد بقى فيه منه شىء وأقيمت الصلاة فدخلا فصليا مع الناس فحاك فى أنفسهما ما قالا فأتيا عطاء فسألاه فأمرهما أن يعيد الوضوء والصلاة وأمرهما أن يقضيا الصيام إن كانا صائمين . وعن مجاهد أنه قال فى ـ ويل لكل همزة لمزة ـ الهمزة الطعان فى الناس واللمزة الذى يأكل لحوم الناس . وقال قتادة ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث ثلث من الغيبة وثلث من النميمة وثلث من البول وقال الحسن والله للغيبة أسرع فى دين الرجل المؤمن من الأكلة فى الجسد وقال بعضهم أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة فى الصوم ولا فى الصلاة ولكن فى الكف عن أعراض الناس وقال ابن عباس إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك . وقال أبو هريرة يبصر أحدكم القذى فى عين أخيه ولا يبصر الجذع فى عين نفسه . وكان الحسن يقول ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فاذا فعلت ذلك كان شغلك فى خاصة نفسك وأحب العباد إلى الله من كان هكذا . وقال مالك بن دينار مر عيسى عليه السلام ومعه الحواريون بجيفة كلب فقال الحواريون : ما أنتن ريح هذا الكلب فقال عليه الصلاة والسلام : ما أشد بياض أسنانه كأنه صلى الله عليه وسلم نهاهم عن غيبة الكلب ونبههم على أنه لا يذكر من شىء من خلق الله إلا أحسنه . وسمع على بن الحسين رضى الله عنهما رجلا يغتاب آخر فقال له إياك والغيبة فانها إدام كلاب الناس . وقال عمر رضى الله عنه عليكم بذكر الله تعالى فانه شفاء وإياكم وذكر الناس فانه داء نسأل الله حسن التوفيق لطاعته .

(بيان معنى الغيبة وحدودها)

اعلم أن حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرته بنقص فى بدنه أو نسبه أو فى خلقه أو فى فعله أو فى قوله أو فى دينه أو فى دنياه حتى فى ثوبه وداره ودابته . أما البدن فكذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه كيفما كان.

---

(١) حديث جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسير فأتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال أما إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان يغتاب الناس الحديث ابن أبى الدنيا فى الصمت وأبو العباس الدغولى فى كتاب الآداب باسناد جيد وهو فى الصحيحين من حديث ابن عباس إلا أنه ذكر فيه النميمة بدل الغيبة . وللطيالسى فيه أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس ولأحمد والطبرانى من حديث أبى بكرة نحوه باسناد جيد (٢) حديث قوله للرجل الذى قال لصاحبه فى حق المرحوم هذا أقعص كما يقعص الكلب فمر بجيفة فقال انهشا منها الحديث أبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة نحوه باسناد جيد (٣) حديث أبى هريرة من أكل لحم أخيه فى الدنيا قرب إليه لحمه فى الآخرة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا الحديث ابن مردوية فى التفسير مرفوعا وموقوفا وفيه محمد بن إسحاق رواه بالعنعنة .

الجنابة . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قباء لما نزلت هذه الآية « إن الله تعالى قد أثنى عليكم فى الطهور فما هو ؟ قالوا إنا نستنجى بالماء وكان قبل ذلك قال لهم رسول الله إذا أتى أحدكم الخلاء فليستنج بثلاثة أحجار » وهكذا كان الاستنجاء فى الابتداء حتى نزلت الآية فى أهل قباء . قيل لسلمان قد علمكم نبيكم كل شىء حتى الخراءة فقال سلمان أجل نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو نستنجى باليمين أو يستنجى أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار أو نستنجى برجيع أو

وأما النسب فبأن تقول أبوه نبطى أو هندى أو فاسق أو خسيس أو إسكاف أو زبال أو شىء مما يكرهه كيفما كان . وأما الخلق فبأن تقول هو سيء الخلق بخيل متكبر مراء شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور ومايجرى مجراه . وأما فى أفعاله المتعلقة بالدين فكقولك هو سارق أو كذاب أو شارب خمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصلاة أو الزكاة أو لايحسن الركوع أو السجود أو لايحترز من النجاسات أو ليس بارا بوالديه أو لايضع الزكاة موضعها أو لايحسن قسمتها أو لايحرس صومه عن الرفث والغيبة والتعرض لأعراض الناس . وأما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك إنه قليل الأدب متهاون بالناس أو لايرى لأحد على نفسه حقا أو يرى لنفسه الحق على الناس أو أنه كثير الكلام كثير الأكل نئوم ينام فى غير وقت النوم ويجلس فى غير موضعه . وأما فى ثوبه فكقولك إنه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب وقال قوم لاغيبة فى الدين لأنه ذم ماذمه الله تعالى فذكره بالمعاصى وذمه بها يجوز بدليل ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له امرأة وكثرة صلاتها وصومها ولكنها تؤذى جيرانها بلسانها فقال « هى فى النار (١) » وذكرت عنده امرأة أخرى بأنها بخيلة فقال « فما خيرها إذن (٢) » فهذا فاسد لأنهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم إلى تعرف الأحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقيص ولايحتاج إليه فى غير مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والدليل عليه إجماع الأمة على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لأنه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حد الغيبة وكل هذا وإن كان صادقا فيه فهو به مغتاب عاص لربه وآكل لحم أخيه بدليل ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكرهه قيل أرأيت إن كان فى أخى ما أقوله قال إن كان فيه ماتقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته (٣) » وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه فقال صلى الله عليه وسلم «اغتبتم أخاكم قالوا يارسول الله قلنا مافيه قال إن قلتم ماليس فيه فقد بهتموه (٤) » وعن حذيفة عن عائشة رضى الله عنها أنها ذكرت عند رسول الله ﷺ امرأة فقالت إنها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبتيها (٥) » وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة الغيبة والبهتان والإفك وكل فى كتاب الله عز وجل فالغيبة أن تقول مافيه والبهتان أن تقول ماليس فيه والإفك أن تقول مابلغك وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذاك الرجل الأسود ثم قال أستغفر الله إنى أرانى قد اغتبته وذكر ابن سيرين إبراهيم النخعى فوضع يده على عينه ولم يقل الأعور وقالت عائشة لايغتابن أحدكم أحدا فانى قلت لامرأة مرة وأنا عند النبى صلى الله عليه وسلم إن هذه لطويلة الذيل فقال لى «الفظى الفظى فلفظت مضغة لحم (٦) »

---

(١) حديث ذكر له امرأة وكثرة صومها وصلاتها لكن تؤذى جيرانها فقال هى فى النار ابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة (٢) حديث ذكر امرأة أخرى بأنها بخيلة قال فما خيرها إذن الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث أبى جعفر محمد بن على مرسلا ورويناه فى أمالى ابن شمعون هكذا (٣) حديث هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره الحديث مسلم من حديث أبى هريرة (٤) حديث معاذ ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه الحديث الطبرانى بسند ضعيف (٥) حديث عائشة أنها ذكرت امرأة فقالت إنها قصيرة فقال اغتبتيها رواه أحمد وأصله عند أبى داود والترمذى وصححه بلفظ آخر ووقع عند المصنف عن حذيفة عن عائشة وكذا هو فى الصمت لابن أبى الدنيا والصواب عن أبى حذيفة كما عند أحمد وأبى داود والترمذى واسم أبى حذيفة سلمة بن صهيب (٦) حديث عائشة قلت لامرأة إن هذه طويلة الذيل فقال صلى الله عليه وسلم الفظى فلفظت بضعة من لحم ابن أبى الدنيا وابن مردوية فى التفسير وفى إسناده امرأة لاأعرفها .

عظم . حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب إملاء قال أنا أبو منصور الحريمى قال أنا أبو بكر الخطيب قال أنا أبو عمرو الهاشمى قال أنا أبو على اللؤلؤى قال أنا أبو داود قال حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا ابن المبارك عن ابن عجلان عن القعقاع عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال صلى الله عليه وسلم « إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم فاذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطيب بيمينه» وكان يأمر بثلاثة أحجار وينهى عن الروث والرمة . والفرض فى

(بيان أن الغيبة لاتقتصر على اللسان)

اعلم أن الذكر باللسان إنما حرم لأن فيه تفهيم الغير نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به كالتصريح والفعل فيه كالقول والإشارة والإيماء والغمز والهمز والكتابة والحركة وكل مايفهم المقصود فهو داخل فى الغيبة وهو حرام فمن ذلك قول عائشة رضى الله عنها دخلت علينا امرأة فلما ولت أومأت بيدى أنها قصيرة فقال عليه السلام « اغتبتيها (١) » ومن ذلك المحاكاة كأن يمشى متعارجا أو كما يمشى فهو غيبة بل هو أشد من الغيبة لأنه أعظم فى التصوير والتفهيم ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة حاكت امرأة قال « مايسرنى أنى حاكيت إنسانا ولى كذا وكذا (٢) » وكذلك الغيبة بالكتابة فان القلم أحد اللسانين وذكر المصنف شخصا معينا وتهجين كلامه فى الكتاب غيبة إلا أن يقترن به شىء من الأعذار المحوجة إلى ذكره كما سيأتى بيانه وأما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة إنما الغيبة التعرض لشخص معين إماحىّ وإماميت ومن الغيبة أن تقول بعض من مربنا اليوم أو بعض من رأيناه إذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لأن المحذور تفهيمه دون مابه التفهيم فأما إذا لم يفهم عينه جاز . كان رسول الله ﷺ إذا كره من إنسان شيئا قال « مابال أقوام يفعلون كذا وكذا (٣) » فكان لايعين وقولك بعض من قدم من السفر أو بعض من يدعى العلم إن كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهى غيبة وأخبث أنواع الغيبة غيبة القراء المرائين فانهم يفهمون المقصود على صيغة أهل الصلاح ليظهروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولايدرون بجهلهم أنهم جمعوا بين فاحشتين الغيبة والرياء وذلك مثل أن يذكر عنده إنسان فيقول الحمد لله الذى لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل فى طلب الحطام أو يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسأل الله أن يعصمنا منها وإنما قصده أن يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما أحسن أحوال فلان ما كان يقصر فى العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلى بما يبتلى به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده أن يذم غيره فى ضمن ذلك ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين بأن يذم نفسه فيكون مغتابا ومرائيا ومزكيا نفسه فيجمع بين ثلاث فواحش وهو بجهله يظن أنه من الصالحين المتعففين عن الغيبة ولذلك يلعب الشيطان بأهل الجهل إذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحيط بمكايده عملهم ويضحك عليهم ويسخر منهم ومن ذلك أن يذكر عيب إنسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما أعجب هذا حتى يصغى إليه ويعلم ما يقول فيذكر الله تعالى ويستعمل اسم آلة له فى تحقيق خبثه وهو يمتن على الله عز وجل بذكره جهلا منه وغرورا وكذلك يقول ساءنى ماجرى على صديقنا من الاستخفاف به نسأل الله أن يروح نفسه فيكون كاذبا فى دعوى الاغتمام وفى إظهار الدعاء له بل لو قصد الدعاء لأخفاه فى خلوته عقيب صلاته ولو كان يغتم به لاغتم أيضا باظهار مايكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلى بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو فى كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفى قصده وهو لجهله لايدرى أنه قد تعرض لمقت أعظم مما تعرض له الجهال إذا جاهروا . ومن ذلك الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجب فانه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب

الاستنجاء شيئان إزالة الخبث وطهارة المزيل وهو أن لايكون رجيعا وهو الروث ولا مستعملا مرة أخرى ولا رمة وهى عظم الميتة ووتر الاستنجاء سنة فإما ثلاثة أحجار أو خمس أو سبع واستعمال الماء بعد الحجر سنة وقد قيل فى الآية ـ يحبون أن يتطهروا ـ ولما سئلوا عن ذلك قالوا كنا نتبع الماء الحجر والاستنجاء بالشمال سنة ومسح اليد بالتراب بعد الاستنجاء سنة وهكذا يكون فى الصحراء إذا كانت أرضا طاهرة وترابا طاهرا . وكيفية الاستنجاء أن يأخذ الحجر بيساره ويضعه على مقدم المخرج قبل

(١) حديث عائشة دخلت علينا امرأة فأومأت بيدى أى قصيرة فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد اغتبتيها ابن أبى الدنيا وابن مردوية من رواية حسان بن مخارق عنها وحسان وثقه ابن حبان وباقيهم ثقات (٢) حديث مايسرنى أنى حكيت ولى كذا وكذا تقدم فى الآفة الحادية عشرة (٣) حديث كان إذا كره من إنسان شيئا قال مابال أقوام يفعلون كذا وكذا الحديث أبو داود من حديث عائشة دون قوله وكان لايعيره ورجاله رجال الصحيح .

فى الغيبة فيندفع فيها وكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجب ما علمت أنه كذلك ما عرفته إلى الآن إلا بالخير وكنت أحسب فيه غير هـذا عافانا الله من بلائه فان كل ذلك تصـديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك للغتاب قال صـلى الله عليه وسـلم « المستمع أحـد المغتابين (١) » وقد روى عن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما أن أحدهما قال لصاحبه إن فلانا لئوم ثم إنهما طلبا أدما من رسول الله ﷺ ليأكلا به الخبز فقال صلى الله عليه وسلم « قد ائتدمتما؟ فقالا مانعلمه قال بلى إنكما أكلتما من لحم أخيكما (٢) » فانظر كيف جمعهما وكان القائل أحدهما والآخر مستمعا وقال للرجلين اللذين قال أحدهما أقعص الرجل كما يقعص الـكلب « انهشا من هذه الجيفة (٣) » فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلا أن ينـكر بلسانه أو بقلبه إن خاف وإن قدر على القيام أو قطع الـكلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه وإن قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرجه من الإثم مالم يكرهه بقلبه ولا يكفى فى ذلك أن يشير باليد أى اسكت أو يشـير بحاجبه وجبينه فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغى أن يعظم ذلك فيذبّ عنه صريحا وقال صلى الله عليه وسلم « من أذلّ عنـده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على نصره أذله الله يوم القيامة على رءوس الخلائق (٤) » وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ردّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يردّ عن عرضه يوم القيامة (٥) » وقال أيضا « من ذبّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يعتقه من النار (٦) » وقد ورد فى نصرة المسلم فى الغيبة وفى فضل ذلك أخبار كثيرة أوردناها فى كتاب آداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطول باعادتها .

(بيان الأسباب الباعثة على الغيبة)

اعلم أن البواعث على الغيبة كثيرة ولـكن يجمعها أحد عشر سببا ثمـانية منها تطرد فى حق العامة وثلاثة تختص بأهل الدين والخاصة . أما الثمـانية : فالأوّل أن يشفى الغيظ وذلك إذا جرى سبب غضب به عليه فانه إذا هاج غضبه يشتفى بذكر مساويه فيسبق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن ثم دين وازع وقد يمتنع تشفى الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب فى الباطن فيصير حقدا ثابتا فيكون سببا دائمـا لذكر المساوى فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة . الثانى موافقة الأقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فانهم إذا كانوا يتفـكهون بذكر الأعراض فيرى أنه لو أنـكر عليهم أو قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن أنه

ملاقاة النجاسة ويمره بالمسح ويدير الحجر فى مره حتى لا ينقـل النجاسة من موضع إلى موضع يفعل ذلك إلى أن ينتهى إلى مؤخر المخرج ويأخذ الثانى ويضـعه على المؤخر كذلك ويمسح إلى المقدمة ويأخذ الثالث ويديره حول السربة وإن استجمر بحجر ذى ثلاث شعب جاز وأما الاسـتبراء إذا انقطع البـول فيمد ذكره من أصله ثلاثا إلى الحشفة بالرفق لئلا يندفق بقية البول ثم ينثره ثلاثا ويحتاط فى الاسـتبراء بالاستنقاء وهو أن يتنحنح ثلاثا لأن العروق ممتدة من الحلق إلى الذكر وبالتنحنح تتحرك

---

(١) حديث المستمع أحد المغتابين الطبرانى من حديث ابن عمر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة وهو ضعيف (٢) حديث أن أبا بكر وعمر قال أحدهما لصاحبه إن فلانا لئوم ثم طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد ائتدمتما ؟ فقالا مانعلم فقال بلى ماأكلتما من لحم صاحبكما أبو العباس الدغولى فى الآداب من رواية عبد الرحمن بن أبى ليلى مرسلا نحوه (٣) حديث انهشا من هذه الميتة قاله للرجلين اللذين قال أحدهما أقعص كما يقعص الـكلب تقدم قبل هذا باثنى عشر حديثا (٤) حديث من أذّل عنده مؤمن وهو قادر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله يوم القيامة على رءوس الخلائق الطبرانى من حديث سهل بن حنيف وفيه ابن لهيعة (٥) حديث أبى الدرداء من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة ابن أبى الدنيا فى الصمت وفيه شهر بن حوشب وهو عند الطبرانى من وجه آخر بلفظ رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وفى رواية له كان له حجابا من النار وكلاهما ضعيف (٦) حديث من ذبّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يعتقه من النار أحمد والطبرانى من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد .

مجاملة فى الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج إلى أن يغضب لغضبهم إظهارا للمساهمة فى السراء والضراء فيخوض معهم فى ذكر العيوب والمساوى . الثالث أن يستشعر من إنسان أنه سيقصده ويطول لسانه عليه أو يقبح حاله عند محتشم أو يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل أن يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط أثر شهادته أو يبتدئ بذكر مافيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الأول ويستشهد ويقول مامن عادتى الكذب فانى أخبرتكم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت . الرابع أن ينسب إلى شىء فيريد أن يتبرأ منه فيذكر الذى فعله وكان من حقه أن يبرىء نفسه ولا يذكر الذى فعل فلا ينسب غيره إليه أو يذكر غيره بأنه كان مشاركا له فى الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه فى فعله . الخامس إرادة التصنع والمباهاة وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه أن يثبت فى ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم أنه أعلم منه أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك . السادس الحسد وهو أنه ربما يحسد من يثنى الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا إليه إلا بالقدح فيه فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه لأنه يثقل عليه أن يسمع كلام الناس وثناءهم عليه وإكرامهم له وهذا هو عين الحسد وهو غير الغضب والحقد فان ذلك يستدعى جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والرفيق الموافق . السابع اللعب والهزل والمطايبة وتزكية الوقت بالضحك فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة ومنشؤه التكبر والعجب . الثامن السخرية والاستهزاء استحقارا له فان ذلك قد يجرى فى الحضور ويجرى أيضا فى الغيبة ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزأ به . وأما الأسباب الثلاثة التى هى فى الخاصة فهى أغمضها وأدقها لأنها شرور خبأها الشيطان فى معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر . الأول أن تنبعث من الدين داعية التعجب فى إنكار المنكر والخطأ فى الدين فيقول ماأعجب مارأيت من فلان فانه قد يكون به صادقا ويكون تعجبه من المنكر ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه فى إظهار تعجبه فصار به مغتابا وآثما من حيث لايدرى ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهى قبيحة وكيف يجلس بين يدى فلان وهو جاهل . الثانى الرحمة وهو أن يغتم بسبب مايبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمنى أمره وما ابتلى به فيكون صادقا فى دعوى الاغتمام ويلهيه الغم عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولكن ساقه الشيطان إلى شر من حيث لايدرى والترحم والاغتمام ممكن دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه . الثالث الغضب لله تعالى فانه قد يغضب على منكر قارفه إنسان إذا رآه أو سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا يظهره على غيره أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء فضلا عن العوام فانهم يظنون أن التعجب والرحمة والغضب إذا كان لله تعالى كان عذرا فى ذكر الاسم وهو خطأ بل المرخص فى الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سيأتى ذكره . روى عن عامر بن واثلة « أن رجلا مر على قوم فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم إنى لأبغض هذا فى الله تعالى فقال أهل المجلس لبئس ماقلت والله لننبئنه ثم قالوا يافلان لرجل منهم قم فأدركه وأخبره بما قال فأدركه رسولهم فأخبره فأتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى له ما قال وسأله أن يدعوه له فدعاه وسأله فقال قد قلت ذلك

وتقذف مافى مجرى البول فان مشى خطوات وزاد فى التنحنح فلا بأس ولكن يراعى حد العلم ولا يجعل للشيطان عليه سبيلا بالوسوسة فيضيع الوقت ثم يمسح الذكر ثلاث مسحات أو أكثر إلى أن لايرى الرطوبة. وشبه بعضهم الذكر بالضرع وقال لايزال تظهر منه الرطوبة مادام يمد فيراعى الحد فى ذلك ويراعى الوتر فى ذلك أيضا والمسحات تكون على الأرض الطاهرة أو حجر طاهر وإن احتاج إلى أخذ الحجر لصغره فليأخذ الحجر باليمين والذكر باليسار ويمسح على الحجر وتكون الحركة

فقال صلى الله عليه وسلم لم تبغضه ؟ فقال أناجاره وأنا به خابر والله مارأيته يصلى صلاة قط إلا هذه المكتوبة قال فاسأله يارسول الله هل رآنى أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو الركوع أو السجود فيها فسأله فقال لا فقال والله مارأيته يصوم شهرا قط إلا هذا الشهر الذى يصومه البرّ والفاجر قال فاسأله يارسول الله هل رآنى قط أفطرت فيه أو نقصت من حقه شيئا فسأله عنه فقال والله مارأيته يعطى سائلا ولا مسكينا قط ولا رأيته ينفق شيئا من ماله فى سبيل الله إلا هذه الزكاة التى يؤديها البرّ والفاجر قال فاسأله يارسول الله هل رآنى نقصت منها أو ما كست فيها طالبها الذى يسألها فسأله فقال لا فقال صلى الله عليه وسلم للرجل قم فلعله خير منك (١)» .

(بيان العلاج الذى به يمنع اللسان عن الغيبة)

اعلم أن مساوى الأخلاق كلها إنما تعالج بمعجون العلم والعمل وإنما علاج كل علة بمضادة سببها ، فلنفحص عن سببها . وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين : أحدهما على الجملة والآخر على التفصيل. أما على الجملة فهو أن يعلم تعرضه لسخط الله تعالى بغيبته بهذه الأخبار التى رويناها وأن يعلم أنها محبطة لحسناته يوم القيامة فانها تنقل حسناته يوم القيامة إلى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه فان لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئات خصمه وهو مع ذلك متعرض لمقت الله عز وجل ومشبه عنده بآكل الميتة بل العبد يدخل النار بأن ترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وربما تنقل إليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار وإنما أقل الدرجات أن تنقص من ثواب أعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال صلى الله عليه وسلم «ما النار فى اليبس بأسرع من الغيبة فى حسنات العبد (٢)» وروى أن رجلا قال للحسن : بلغنى أنك تغتابنى فقال مابلغ من قدرك عندى أنى أحكمك فى حسناتى فمهما آمن العبد بما ورد من الأخبار فى الغيبة لم يطلق لسانه بها خوفا من ذلك وينفعه أيضا أن يتدبر فى نفسه فان وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس (٣)» ومهما وجد عيبا فينبغى أن يستحيى من أن يترك ذم نفسه ويذم غيره بل ينبغى أن يتحقق أن عجز غيره عن نفسه فى التنزه عن ذلك العيب كعجزه وهذا إن كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره وإن كان أمرا خلقيا فالذم له ذم للخالق فان من ذم صنعة فقد ذم صانعها . قال رجل لحكيم ياقبيح الوجه : قال ما كان خلق وجهى إلى فأحسنه وإذا لم يجد العبد عيبا فى نفسه فليشكر الله تعالى ولا يأمنن نفسه بأعظم العيوب فان ثلب الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب بل لو أنصف لعلم أن ظنه بنفسه أنه برىء من كل عيب جهل بنفسه وهو من أعظم العيوب وينفعه أن يعلم أن تألم غيره بغيبته كتألمه بغيبة غيره له فاذا كان لا يرضى لنفسه أن يغتاب فينبغى أن لا يرضى لغيره مالا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جملية . أما التفصيل فهو أن ينظر فى السبب الباعث له على الغيبة فان علاج العلة بقطع سببها . وقد قدمنا الأسباب . أما الغضب فيعالجه بما سيأتى فى كتاب آفات الغضب وهو أن يقول : إنى إذا أمضيت غضبى عليه فلعل الله تعالى يمضى غضبه على بسبب الغيبة إذ نهانى عنها فاجترأت على نهيه واستخففت

بالبسار لا باليمين لئلا يكون مستنجيا باليمين وإذا أراد استعمال الماء انتقل إلى موضع آخر ويقنع الحجر مالم ينتشر البول على الحشفة وفى ترك الاستنقاء فى الاستبراء وعيد ورد فيما رواه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال « مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال إنهما ليعذبان ومايعذبان فى كبير أما هذا فكان لا يستبرىء أو لا يستنزه من البول وأما هذا فكان يمشى بالنميمة ثم دعا بعسيب رطب فشقه اثنين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا وقال لعله يخفف عنهما مالم ييبسا » والعسيب الجريد وإذا

(١) حديث عامر بن واثلة أن رجلا مر على قوم فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردّوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم إنى لأبغض هذا فى الله الحديث بطوله وفيه فقال قم فلعله خير منك أحمد باسناد صحيح (٢) حديث ما النار فى اليبس بأسرع من الغيبة فى حسنات العبد لم أجد له أصلا (٣) حديث طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس البزار من حديث أنس بسند ضعيف .

بزجره وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن لجهنم بابا لايدخل منه إلا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظا وهو يقدر على أن يمضيه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره فى أى الحور شاء (٣) » وفى بعض الكتب المنزلة على بعض النبيين : يا ابن آدم اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق . وأما الموافقة فبأن تعلم أن الله تعالى يغضب عليك إذا طلبت سخطه فى رضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك أن توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم إلا أن يكون غضبك لله تعالى وذلك لايوجب أن تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغى أن تغضب لله أيضا على رفقائك إذا ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بأفحش الذنوب وهى الغيبة . وأما تنزيه النفس بنسبة الغير إلى الخيانة حيث يستغنى عن ذكر الغير فتعالجه بأن تعرف أن التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت المخلوقين وأنت بالغيبة متعرض لسخط الله يقينا ولاتدرى أنك تتخلص من سخط الناس أم لا فتتخلص نفسك فى الدنيا بالتوهم وتهلك فى الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل لك ذم الله تعالى نقدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان . وأما عذرك كقولك إن أكلت الحرام ففلان يأكله وإن قبلت مال السلطان ففلان يقبله فهذا جهل لأنك تعتذر بالاقتداء بمن لايجوز الاقتداء به فان من خالف أمر الله تعالى لايقتدى به كائنا من كان ولو دخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لاتدخلها لم توافقه ولو وافقته لسفه عقلك ففيما ذكرته غيبة وزيادة معصية أضفتها إلى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر إلى المعزى تردى نفسها من قلة الجبل فهى أيضا تردى نفسها ولو كان لها لسان ناطق بالعذر وصرحت بالعذر وقالت المعز أكيس منى وقد أهلكت نفسها فكذلك أنا أفعل لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لاتعجب ولاتضحك من نفسك . وأما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بأن تقدح فى غيرك فينبغى أن تعلم أنك بما ذكرته به أبطلت فضلك عند الله وأنت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نقص اعتقادهم فيك إذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت ماعند الخالق يقينا بما عند المخلوقين وهما ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لايغنون عنك من الله شيئا . وأما الغيبة لأجل الحسد فهو جمع بين عذابين لأنك حسدته على نعمة الدنيا وكنت فى الدنيا معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى أضفت إليه عذاب الآخرة فكنت خاسرا نفسك فى الدنيا فصرت أيضا خاسرا فى الآخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك فأصبت نفسك وأهديت إليه حسناتك فاذا أنت صديقه وعدو نفسك إذ لاتضره غيبتك وتضرك وتنفعه إذ تنقل إليه حسناتك أو تنقل إليك سيئاته ولاتنفعك وقد جمعت إلى خبث الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك كما قيل :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

وأما الاستهزاء فمقصودك منه إخزاء غيرك عند الناس بإخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة

كان فى الصحراء يبعد عن العيون . روى جابر رضى الله عنه «أن النبى عليه السلام كان إذا أراد البراز انطلق حتى لايراه أحد» وروى المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال : « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فأتى النبى عليه السلام حاجته فأبعد فى المذهب» وروى «أن النبى عليه السلام كان يتبوأ لحاجته كما يتبوأ الرجل المنزل ، وكان يستتر بحائط أو نشز من الأرض أو كوم من الحجارة » ويجوز أن يستتر الرجل براحلته فى الصحراء أو بذيله إذا حفظ الثوب من الرشاش ويستحب البول فى أرض دمثة أو على تراب

(١) حديث إن لجهنم بابا لايدخله إلا من شفى غيظه بمعصية الله البزار وابن أبى الدنيا وابن عدى والبيهقى والنسائى من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٢) حديث من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردس من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف ورويناه فى الأربعين البلدانية للسلفى (٣) حديث من كظم غيظه وهو قادر على أن ينفذه الحديث أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس .

والنبيين عليهم الصلاة والسلام فلو تفكرت فى حسرتك وجنايتك وخجلتك وخزيك يوم القيامة يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق إلى النار لأدهشك ذلك عن إخزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت أولى أن تضحك منك فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لأن يأخذ يوم القيامة بيدك على ملإ من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار إلى النار مستهزئا بك وفرحا بخزيك ومسرورا بنصرة الله تعالى إياه عليك وتسلطه على الانتقام منك . وأما الرحمة له على إثمه فهو حسن ولكن حسدك إبليس فأضلك واستنطقك بما ينقل من حسناتك إليه ماهو أكثر من رحمتك فيكون جبرا لإثم المرحوم فيخرج عن كونه مرحوما وتنقلب أنت مستحقا لأن تكون مرحوما إذ حبط أجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله تعالى لايوجب الغيبة وإنما الشيطان حبب إليك الغيبة ليحبط أجر غضبك وتصير معرّضا لمقت الله عز وجل بالغيبة . وأما التعجب إذا أخرجك إلى الغيبة فتعجب من نفسك أنت كيف أهلكت نفسك ودينك بدين غيرك أو بدنياه وأنت مع ذلك لاتأمن عقوبة الدنيا وهو أن يهتك الله سترك كما هتكت بالتعجب ستر أخيك فاذن علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقق بهذه الأمور التى هى من أبواب الايمان فمن قوى إيمانه بجميع ذلك انكف لسانه عن الغيبة لامحالة .

(بيان تحريم الغيبة بالقلب)

اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك أن تحدّث غيرك بلسانك بمساوى الغير فليس لك أن تحدث نفسك وتسىء الظن بأخيك ولست أعنى به إلا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء ، فأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك أيضا معفو عنه ولكن المنهى عنه أن يظن والظن عبارة عما تركن إليه النفس ويميل إليه القلب فقد قال الله تعالى ـ ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ـ وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لايعلمها إلا علام الغيوب فليس لك أن تعتقد فى غيرك سوءا إلا إذا انكشف لك بعيان لايقبل التأويل فعند ذلك لايمكنك إلا أن تعتقد ماعلمته وشاهدته ومالم تشاهده بعينك ولم تسمعه بأذنك ثم وقع فى قلبك فانما الشيطان يلقيه إليك فينبغى أن تكذبه فانه أفسق الفساق وقد قال الله تعالى ـ ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة ـ فلايجوز تصديق إبليس وإن كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز أن تصدق به لأن الفاسق يتصور أن يصدق فى خبره ولكن لايجوز لك أن تصدق به حتى إنّ من استنكه فوجد منه رائحة الخمر لايجوز أن يحدّ إذ يقال يمكن أن يكون قد تمضمض بالخمر ومجها وما شربها أو حمل عليه قهرا فكل ذلك لامحالة دلالة محتملة فلايجوز تصديقها بالقلب وإساءة الظن بالمسلم بها وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء [1] » فلايستباح ظن السوء إلا بما يستباح به المال وهو نفس مشاهدته أو بينة عادلة فاذا لم يكن كذلك وخطر لك وسواس سوء الظن فينبغى أن تدفعه عن نفسك وتقرر عليها أن حاله عندك مستور كما كان وأن مارأيته منه يحتمل الخير والشر . فان قلت فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث . فنقول : أمارة عقد سوء الظن أن يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفورا ما ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده وإكرامه والاغتمام بسببه فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال

مهيل قال أبو موسى: «كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يبول فأتى دمثا فى أصل جدار فبال ثم قال : إذا أراد أحدكم أن يبول فليرتد لبوله » وينبغى أن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستقبل الشمس والقمر ولايكره استقبال القبلة فى البنيان والأولى اجتنابه لذهاب بعض الفقهاء إلى كراهية ذلك فى البنيان أيضا ولا يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض ويتجنب مهابّ الريح احترازا من الرشاش قال رجل لبعض الصحابة من الأعراب وقد خاصمه لأحسبك تحسن الخراءة فقال

(١) حديث إن الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بسند ضعيف ولابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر .

صلى الله عليه وسلم «ثلاث فى المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن أن لا يحققه[1]» أى لا يحققه فى نفسه بعقد ولا فعل لا فى القلب ولا فى الجوارح، أما فى القلب فبتغيره إلى النفرة والكراهة، وأما فى الجوارح فبالعمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب بأدنى مخيلة مساءة الناس ويلقى إليه أن هذا من فطنتك وسرعة فهمك وذكائك وأن المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق ناظر بغرور الشيطان وظلمته . وأما إذا أخبرك به عدل فمال ظنك إلى تصديقه كنت معذورا لأنك لو كذبته لكنت جانيا على هذا العدل إذ ظننت به الكذب وذلك أيضا من سوء الظن فلا ينبغى أن تحسن الظن بواحد وتسىء بالآخر نعم ينبغى أن تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت فتتطرق التهمة بسببه فقد رد الشرع شهادة الأب العدل للولد للتهمة ورد شهادة العدو[2] فلك عند ذلك أن تتوقف وإن كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول فى نفسك المذكور حاله كان عندى فى ستر الله تعالى وكان أمره محجوبا عنى وقد بقى كما كان لم ينكشف لى شىء من أمره وقد يكون الرجل ظاهره العدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور ولكن قد يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساويهم فهذا قد يظن أنه عدل وليس بعدل فان المغتاب فاسق وإن كان ذلك من عادته ردت شهادته إلا أن الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا فى أمر الغيبة ولم يكترثوا بتناول أعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر بسوء على مسلم فينبغى أن تزيد فى مراعاته وتدعو له بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقى إليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه فى السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر إليك بعين التعظيم وتنظر إليه بعين الاستحقار وتترفع عليه بابداء الوعظ وليكن قصدك تخليصه من الاثم وأنت حزين كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك نقصان فى دينك وينبغى أن يكون تركه لذلك من غير نصحك أحب إليك من تركه بالنصيحة فاذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ وأجر الغم بمصيبته وأجر الاعانة له على دينه ، ومن ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضا منهى عنه قال الله تعالى ـ ولا تجسسوا ـ فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهى عنه فى آية واحدة ومعنى التجسس أن لا يترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل إلى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف له ما لو كان مستورا عنه كان أسلم لقلبه ودينه وقد ذكرنا فى كتاب الأمر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته .

(بيان الأعذار المرخصة فى الغيبة)

اعلم أن المرخص فى ذكر مساوى الغير هو غرض صحيح فى الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا به فيدفع ذلك إثم الغيبة وهى ستة أمور : الأول التظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة وأخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا إن لم يكن مظلوما ، أما المظلوم من جهة القاضى فله أن يتظلم إلى السلطان وينسبه إلى الظلم إذ لا يمكنه استيفاء حقه إلا به قال صلى الله عليه وسلم «إن لصاحب الحق مقالا[3]» وقال عليه السلام

بلى وأبيك إنى بها لحاذق قال فصفها لى فقال أبعد البشر وأعد المدر وأستقبل الشيح وأستدبر الريح وأقعى إقعاء الظبى وأجفل إجفال النعام يعنى أستقبل أصول النبات من الشيح وغيره وأستدبر الريح احترازا من الرشاش والإقعاء ههنا أن يستوفز على صدور قدميه والاجفال أن يرفع عجزه. ويقول عند الفراغ من الاستنجاء : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وطهر قلبى من الرياء وحصن فرجى من الفواحش ويكره أن يبول الرجل فى المغتسل. روى عبد الله ابن مغفل أن النبى عليه السلام : «نهى أن

(١) حديث ثلاث فى المؤمن وله منهن مخرج الطبرانى من حديث حارثة بن النعمان بسند ضعيف
(٢) حديث رد الشرع شهادة الولد العدل وشهادة العدو الترمذى من حديث عائشة، وضعفه لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حدا ولا ذى غمر لأخيه وفيه ولا ظنين فى ولاء ولا قرابة ولأبى داود وابن ماجه باسناد جيد من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد شهادة الخائن والخائنة وذى الغمر على أخيه (٣) حديث لصاحب الحق مقال متفق عليه من حديث أبى هريرة .

« مطل الغنى ظلم (١) » وقال عليه السلام « ليّ الواجد يحل عقوبته وعرضه(٢) » الثانى الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصى إلى منهج الصلاح كما روى أن عمر رضى الله عنه مرّ على عثمان وقيل على طلحة رضى الله عنه فسلم عليه فلم يرد السلام فذهبت إلى أبى بكر رضى الله عنه فذكر له ذلك فجاء أبو بكر إليه ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك لما بلغ عمر رضى الله عنه أن أبا جندل قد عاقر الخمر بالشام كتب إليه ـ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ـ الآية فتاب ولم ير ذلك عمر ممن أبلغه غيبة إذ كان قصده أن ينكر عليه ذلك فينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح غيره وإنما إباحة هذا بالقصد الصحيح فان لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما . الثالث الاستفتاء كما يقول للمفتى ظلمنى أبى أو زوجتى أو أخى فكيف طريق فى الخلاص والأسلم التعريض بأن يقول : ماقولك فى رجل ظلمه أبوه أو أخوه أو زوجته ولكن التعيين مباح بهذا القدر لما روى عن هند بنت عتبة أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم « إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى ما يكفينى أنا وولدى أفآخذ من غير علمه فقال : خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف (٣) » فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها صلى الله عليه وسلم إذ كان قصدها الاستفتاء . الرابع تحذير المسلم من الشر فاذا رأيت فقيها يتردد إلى مبتدع أو فاسق وخفت أن تتعدى إليه بدعته وفسقه فلك أن تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لاغيره وذلك موضع الغرور إذ قد يكون الحسد هو الباعث ويلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة أو بالفسق أو بعيب آخر فلك أن تذكر ذلك فان فى سكوتك ضرر المشترى وفى ذكرك ضرر العبد والمشترى أولى بمراعاة جانبه وكذلك المزكى إذا سئل عن الشاهد فله الطعن فيه إن علم مطعنا وكذلك المستشار فى التزويج وإيداع الأمانة له أن يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة فان علم أنه يترك التزويج بمجرد قوله لاتصلح لك فهو الواجب وفيه الكفاية وإن علم أنه لا ينزجر إلا بالتصريح بعيبه فله أن يصرح به إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أترعون عن ذكر الفاجر اهتكوه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه حتى يحذره الناس (٤) » وكانوا يقولون ثلاثة لاغيبة لهم : الامام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه الخامس أن يكون الانسان معروفا بلقب يعرب عن عيبه كالأعرج والأعمش فلا إثم على من يقول روى أبو الزناد عن الأعرج وسلمان عن الأعمش وما يجرى مجراه فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولأن ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد أن قد صار مشهورا به ، نعم إن وجد عنه معدلا وأمكنه التعريف بعبارة أخرى فهو أولى ولذلك يقال للأعمى البصير عدولا عن اسم النقص . السادس أن يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر به بحيث لا يستنكف من أن يذكر له ولا يكره أن يذكر به فاذا ذكرت فيه ما يتظاهر به فلا إثم عليك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث مطل الغنى ظلم متفق عليه من حديثه (٢) حديث ليّ الواجد يحل عرضه وعقوبته أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث الشريد باسناد صحيح (٣) حديث إن هندا قالت إن أبا سفيان رجل شحيح متفق عليه من حديث عائشة (٤) حديث أترعون عن ذكر الفاجر اهتكوه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس الطبرانى وابن حبان فى الضعفاء وابن عدى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده دون قوله حتى يعرفه الناس ورواه بهذه الزيادة ابن أبى الدنيا فى الصمت .

يبول الرجل فى مستحمه وقال : إن عامة الوسواس منه » وقال ابن المبارك : يوسع فى البول فى المستحم إذا جرى فيه الماء وإذا كان فى البنيان يقدم رجله اليسرى لدخول الخلاء ويقول قبل الدخول : باسم الله أعوذ بالله من الخبث والخبائث . حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردى قال أنا أبو منصور القزاز قال أنا أبو بكر الخطيب قال أنا أبو عمرو الهاشمى قال أنا أبو على اللؤلؤى قال أنا أبو داود قال حدثنا عمر وهو ابن مرزوق البصرى قال حدثنا شعبة عن قتادة عن النضر ابن أنس عن زيد

« من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له (١) » وقال عمر رضى الله عنه ليس لفاجر حرمة وأراد به المجاهر بفسقه دون المستتر إذ المستتر لابد من مراعاة حرمته . وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاسق المعلن بفجوره ذكرى له بما فيه غيبة له؟ قال لا ولا كرامة. وقال الحسن ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بفسقه والامام الجائر فهؤلاء الثلاثة يجمعهم أنهم يتظاهرون به وربما يتفاخرون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون إظهاره، نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به أثم. وقال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت عنده الحجاج فقال إن الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وإنك إذا لقيت الله تعالى غدا كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج.

(بيان كفارة الغيبة)

اعلم أن الواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج به من حق الله سبحانه ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج من مظلمته وينبغى أن يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله إذ المرائى قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفى الباطن لا يكون نادما فيكون قد قارف معصية أخرى. وقال الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما استدل فى ذلك بما روى أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كفارة من اغتبته أن تستغفر له (٢) » وقال مجاهد كفارة أكلك لحم أخيك أن تثنى عليه وتدعو له بخير . وسئل عطاء بن أبى رباح عن التوبة من الغيبة قال أن تمشى إلى صاحبك فتقول له كذبت فيما قلت وظلمتك وأسأت فان شئت أخذت بحقك وإن شئت عفوت وهذا هو الأصح ، وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف إذ قد وجب فى العرض حد القذف وتثبت المطالبة به . بل فى الحديث الصحيح ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال « من كانت لأخيه عنده مظلمة فى عرض أو مال فليستحللها منه من قبل أن يأتى يوم ليس هناك دينار ولا درهم إنما يؤخذ من حسناته فان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته (٣) » وقالت عائشة رضى الله عنها لامرأة قالت لأخرى إنها طويلة الذيل قد اغتبتيها فاستحليها فاذن لابد من الاستحلال إن قدر عليه فان كان غائبا أو ميتا فينبغى أن يكثر له الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات. فان قلت فالتحليل هل يجب؟. فأقول لا لأنه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر أن يبالغ فى الثناء عليه والتودد إليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة فى القيامة . وكان بعض السلف لا يحلل . قال سعيد بن المسيب لا أحلل من ظلمنى وقال ابن سيرين إنى لم أحرمها عليه فأحللها له إن الله حرم الغيبة عليه وما كنت لأحلل ما حرم الله أبدا. فان قلت فما معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم ينبغى أن يستحلها وتحليل ما حرمه الله تعالى غير ممكن . فنقول المراد به العفو عن المظلمة لا أن ينقلب الحرام حلالا وما قاله ابن سيرين حسن فى التحليل قبل الغيبة فانه لا يجوز له أن يحلل لغيره الغيبة. فان قلت فما معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم « أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إنى قد تصدقت بعرضى على الناس (٤) »

---

(١) حديث من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له ابن عدى وأبو الشيخ فى كتاب ثواب الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف وقد تقدم (٢) حديث كفارة من اغتبته أن تستغفر له ابن أبى الدنيا فى الصمت والحارث بن أبى أسامة فى مسنده من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث من كانت له عند أخيه مظلمة من عرض أو مال فليتحلله الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٤) حديث أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إنى تصدقت بعرضى على الناس البزار وابن السنى فى اليوم والليلة والعقيلى فى الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف وذكره

ابن أرقم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن هذه الحشوش محتضرة فاذا أتى أحدكم الخلاء فليقل أعوذ بالله من الخبث والخبائث » وأراد بالحشوش الكنف وأصل الحش جماعة النخل الكثيف كانوا يقضون حوائجهم إليها قبل أن تتخذ الكنف فى البيوت وقوله محتضرة أى يحضرها الشياطين وفى الجلوس للحاجة يعتمد على الرجل اليسرى ولا يتولع بيده ولا يخط فى الأرض. والحائط وقت قعوده ولا يكثر النظر إلى عورته إلا للحاجة إلى ذلك ولا يتكلم فقد ورد أن رسول الله صلى الله

فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فان كان لاتنفذ صدقته فما معنى الحث عليه فنقول معناه إنى لا أطلب مظلمة فى القيامة منه ولا أخاصمه وإلا فلا تصير الغيبة حلالا به ولا تسقط المظلمة عنه لأنه عفو قبل الوجوب إلا أنه وعد وله العزم على الوفاء بأن لا يخاصم فان رجع وخاصم كان القياس كسائر الحقوق أن له ذلك بل صرح الفقهاء أن من أباح القذف لم يسقط حقه من حد القاذف ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا ، وعلى الجملة فالعفو أفضل . قال الحسن إذا جثت الأمم بين يدى الله عز وجل يوم القيامة نودوا ليقم من كان له أجر على الله فلا يقوم إلا العافون عن الناس فى الدنيا وقد قال الله تعالى ـ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ـ فقال النبى صلى الله عليه وسلم « ياجبريل ماهذا العفو فقال إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك (١) » . وروى عن الحسن أن رجلا قال له إن فلانا قد اغتابك فبعث إليه رطبا على طبق وقال قد بلغنى أنك أهديت إلى من حسناتك فأردت أن أكافئك عليها فاعذرنى فانى لا أقدر أن أكافئك على التمام .

(الآفة السادسة عشرة النميمة)

قال الله تعالى ـ هماز مشاء بنميم ـ ثم قال ـ عتل بعد ذلك زنيم ـ قال عبد الله بن المبارك الزنيم ولد الزنا الذى لا يكتم الحديث وأشار به إلى أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد زنا استنباطا من قوله عز وجل ـ عتل بعد ذلك زنيم ـ والزنيم هو الدعى ، وقال تعالى ـ ويل لكل همزة لمزة ـ قيل الهمزة النمام وقال تعالى ـ حمالة الحطب ـ قيل إنها كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى ـ فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا ـ قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان وامرأة نوح تخبر أنه مجنون وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة نمام (٢) » وفى حديث آخر « لا يدخل الجنة قتات » والقتات هو النمام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحبكم إلى الله أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم إلى الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبرآء العثرات (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرآء العيب (٤) » وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها فى النار يوم القيامة (٥) » وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ « أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها برىء ليشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله أن يذيبه بها يوم القيامة فى النار (٦) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم قال « لا يخرج الرجلان يضربان الغائط كاشفين عوراتهما يتحدثان فان الله تعالى يمقت على ذلك » ويقول عند خروجه غفرانك الحمد لله الذى أذهب عنى مايؤذينى وأبقى على ماينفعنى ولا يستصحب معه شيئا عليه اسم الله من ذهب وخاتم وغيره ولا يدخل حاسر الرأس روت عائشة رضى الله عنها عن أبيها أبى بكر رضى الله عنه أنه قال : استحيوا من الله فانى لأدخل الكنيف فألزق ظهرى وأغطى رأسى استحياء من ربى عز وجل .

[الباب الرابع والثلاثون فى آداب الوضوء وأسراره]

إذا أراد الوضوء

ابن عبد البر من حديث ثابت مرسلا عند ذكر أبى ضمضم فى الصحابة قلت وإنما هو رجل ممن كان قبلنا كما عند البزار والعقيلى (١) حديث نزول ـ خذ العفو ـ الآية فقال ياجبريل ماهذا فقال إن الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك تقدم فى رياضة النفس .

(الآفة السادسة عشرة النميمة)

(٢) حديث لا يدخل الجنة نمام وفى حديث آخر قتات متفق عليه من حديث حذيفة وقد تقدم (٣) حديث أبى هريرة وأحبكم إلى الله أحسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الطبرانى فى الأوسط الصغير وتقدم فى آداب الصحبة (٤) حديث ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاءون بالنميمة الحديث أحمد من حديث أبى مالك الأشعرى وقد تقدم (٥) حديث أبى ذر من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها فى النار يوم القيامة ابن أبى الدنيا فى الصمت والطبرانى فى مكارم الأخلاق وفيه عبد الله بن ميمون فان يكن القداح فهو متروك الحديث (٦) حديث أبى الدرداء أيما رجل أشاع على رجل كلمة هو منها برىء ليشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله أن يذيبه بها يوم القيامة فى النار ابن أبى الدنيا موقوفا على أبى الدرداء ،

« من شهد على مسلم بشهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار [1] » ويقال: إن ثلث عذاب القبر من النميمة . وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم « إن الله لما خلق الجنة قال لها تكلمى فقالت سعد من دخلنى فقال الجبار جل جلاله وعزتى وجلالى لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس: لا يسكنك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطى ولا مخنث ولا قاطع رحم ولا الذى يقول على عهد الله إن لم أفعل كذا وكذا ثم لم يف به [2] » وروى كعب الأحبار أن بنى إسرائيل أصابهم قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما سقوا فأوحى الله تعالى إليه: إنى لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد أصر على النميمة فقال موسى يارب من هو دلنى عليه حتى أخرجه من بيننا ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما فتابوا جميعا فسقوا . ويقال اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ فى سبع كلمات فلما قدم عليه قال : إنى جئتك للذى آتاك الله تعالى من العلم أخبرنى عن السماء وما أثقل منها وعن الأرض وما أوسع منها وعن الصخر وما أقسى منه وعن النار وما أحر منها وعن الزمهرير وما أبرد منه وعن البحر وما أغنى منه وعن اليتيم وما أذل منه فقال له الحكيم: البهتان على البرىء أثقل من السموات والحق أوسع من الأرض والقلب القانع أغنى من البحر والحرص والحسد أحر من النار والحاجة إلى القريب إذا لم تنجح أبرد من الزمهرير وقلب الكافر أقسى من الحجر والنمام إذا بان أمره أذل من اليتيم .

(بيان حد النميمة وما يجب فى ردها)

اعلم أن اسم النميمة إنما يطلق فى الأكثر على من ينم قول الغير إلى المقول فيه كما تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست النميمة مختصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كره المنقول عنه أو المنقول إليه أو كره ثالث وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالإيماء وسواء كان المنقول من الأعمال أو من الأقوال وسواء كان ذلك عيبا ونقصا فى المنقول عنه أو لم يكن بل حقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما رآه الانسان من أحوال الناس مما يكره فينبغى أن يسكت عنه إلا ما فى حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية كما إذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود له فأما إذا رآه يخفى مالا لنفسه فذكره فهو نميمة وإفشاء للسر فان كان ما ينم به نقصا وعيبا فى المحكى عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة فالباعث على النميمة إما إرادة السوء للمحكى عنه أو إظهار الحب للمحكى له أو التفرج بالحديث والخوض فى الفضول والباطل وكل من حملت إليه النميمة وقيل له إن فلانا قال فيك كذا أو فعل فى حقك كذا أو هو يدبر فى إفساد أمرك أو فى مماليك عدوك أو تقبيح حالك أو ما يجرى مجراه فعليه ستة أمور: الأول أن لا يصدقه لأن النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة ـ الثانى أن ينهاه عن ذلك وينصح له ويقبح عليه فعله قال الله تعالى ـ وأمر بالمعروف وانه عن المنكر ـ الثالث أن يبغضه فى الله تعالى فانه بغيض عند الله تعالى ويجب بغض من يبغضه الله تعالى . الرابع أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى ـ اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ـ الخامس أن لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتتحقق اتباعا لقوله تعالى ـ ولا تجسسوا ـ السادس أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ولا تحكى نميمته فتقول فلان قد حكى لى كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا وقد تكون

يبتدئ بالسواك . حدثنا شيخنا أبو النجيب قال أنا أبو عبد الله الطائى قال أنا الحافظ الفراء قال أنا عبد الواحد بن أحمد المليحى قال أنا أبو منصور محمد بن أحمد قال أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار قال ثنا حميد بن زنجويه قال ثنا يعلى ابن عبيد قال ثنا محمد بن إسحق عن محمد بن إبراهيم عن أبى سلمة ابن عبد الرحمن عن زيد بن خالد الجهنى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا أن أشق على أمتى لأخرت العشاء إلى ثلث الليل وأمرتهم بالسواك عند كل مكتوبة »

ورواه الطبرانى بلفظ آخر مرفوعا من حديثه وقد تقدم (١) حديث أبى هريرة من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار أحمد وابن أبى الدنيا وفى رواية أحمد رجل لم يسم أسقطه ابن أبى الدنيا من الإسناد (٢) حديث ابن عمر إن الله لما خلق الجنة قال لها تكلمى

قد أتيت ماعنه نهيت . وقد روى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئا فقال له عمر إن شئت نظرنا فى أمرك فان كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية ـ إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ـ وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية ـ هماز مشاء بنميم ـ وإن شئت عفونا عنك فقال العفو ياأمير المؤمنين لاأعود إليه أبدا . وذكر أن حكيما من الحكماء زاره بعض إخوانه فأخبره بخبر عن بعض أصدقائه فقال له الحكيم قد أبطأت فى الزيارة وأتيت بثلاث جنايات بغضت أخى إلىّ وشغلت قلبى الفارغ واتهمت نفسك الأمينة . وروى أن سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهرى فجاءه رجل فقال له سليمان بلغنى أنك وقعت فىّ وقلت كذا وكذا فقال الرجل مافعلت ولاقلت فقال سليمان إن الذى أخبرنى صادق فقال له الزهرى لايكون النمام صادقا فقال سليمان صدقت ثم قال للرجل اذهب بسلام وقال الحسن من نمّ إليك نمّ عليك وهذا إشارة إلى أن النمام ينبغى أن يبغض ولا يوثق بقوله ولا بصداقته وكيف لايبغض وهو لاينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق ولإفساد بين الناس والخديعة وهو ممن يسعون فى قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض وقال تعالى ـ إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق ـ والنمام منهم، وقال صلى الله عليه وسلم «إن من شرار الناس من اتقاه الناس لشره [1] » والنمام منهم وقال «لايدخل الجنة قاطع ، قيل وما القاطع ؟ قال قاطع بين الناس [2] » وهو النمام وقيل قاطع الرحم وروى عن علىّ رضى الله عنه أن رجلا سعى إليه برجل فقال له ياهذا نحن نسأل عما قلت فان كنت صادقا مقتناك وإن كنت كاذبا عاقبناك وإن شئت أن نقيلك أقلناك فقال أقلنى ياأمير المؤمنين . وقيل لمحمد بن كعب القرظى أىّ خصال المؤمن أوضع له ؟ فقال كثرة الكلام وإفشاء السر وقبول قول كل أحد وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان أميرا بلغنى أن فلانا أعلم الأمير أنى ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فأخبرنى بما قال لك حتى أظهر كذبه عندك قال ماأحب أن أشتم نفسى بلسانى وحسبى أنى لم أصدقه فيما قال ولاأقطع عنك الوصال وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ماظنكم بقوم يحمد الصدق من كل طائفة من الناس إلا منهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة وليس من دل على شىء فأخبر به كمن قبله وأجازه فاتقوا الساعى فلو كان صادقا فى قوله لكان لئيما فى صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هى النميمة إلا أنها إذا كانت إلى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال صلى الله عليه وسلم «الساعى بالناس إلى الناس لغير رشدة [3] »

قالت سعد من دخلنى قال الجبار وعزتى وجلالى لايسكن فيك ثمانية فذكر منها ولاقتات وهو النمام لم أجده هكذا بتمامه ولأحمد لايدخل الجنة عاق لوالديه ولاديوث وللنسائى من حديث عبد الله بن عمرو لايدخل الجنة منان ولاعاق ولامدمن خمر وللشيخين من حديث حذيفة لايدخل الجنة قتات ولهما من حديث جبير بن مطعم لايدخل الجنة قاطع وذكر صاحب الفردوس من حديث ابن عباس لما خلق الله الجنة قال لها تكلمى تزينى فتزينت فقالت طوبى لمن دخلنى ورضى عنه إلهى فقال الله عزّ وجل لاسكنك مخنث ولا نائحة (١) حديث إن من شر الناس من اتقاه الناس لشره متفق عليه من حديث عائشة نحوه (٢) حديث لايدخل الجنة قاطع متفق عليه من حديث جبير بن مطعم (٣) حديث الساعى بالناس إلى الناس لغير رشدة الحاكم من حديث أبى موسى من سعى بالناس فهو لغير رشدة أو فيه شىء منها وقال له أسانيد هذا أمثلها قلت فيه سهل بن عطية قال فيه ابن طاهر فى التذكرة منكر الرواية قال والحديث لاأصل له وقد ذكر ابن حبان فى الثقات سهل بن عطية ورواه الطبرانى بلفظ لايسعى على الناس إلا ولد بغىّ وإلا من فيه عرق منه وزاد بين سهل وبين بلال بن أبى بردة أبا الوليد القرشى.

وروت عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب » وعن حذيفة قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك » والشوص : الدلك ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وكلما تغير الفم من أزم وغيره وأصل الأزم إمساك الأسنان بعضها على بعض وقيل للسكوت أزم لأن الأسنان تنطبق وبذلك يتغير الفم ويكره للصائم بعد الزوال ويستحب له قبل الزوال وأكثر استحبابه مع غسل الجمعة وعند القيام من الليل ويندى

يعنى ليس بولد حلال ، ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه فى الكلام وقال إنى مكلمك يأمير المؤمنين بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ماتحب إن قبلته فقال قل فقال يأمير المؤمنين إنه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ماائتمنك الله عليه ولاتصغ إليهم فيما استحفظك الله إياه فانهم لن يألوا فى الأمة خسفا وفى الأمانة تضييعا والأعراض قطعا وانتهاكا أعلى قربهم البغى والنميمة وأجل وسائلهم الغيبة والوقيعة وأنت مسئول عما أجرموا وليسوا المسئولين عما أجرمت فلاتصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره ، وسعى رجل بزياد الأعجم إلى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما للموافقة فأقبل زياد على الرجل وقال :

فأنت امرؤ إما ائتمنتك خاليا ... خنت وإما قلت قولا بلا علم

فأنت من الأمر الذى كان بيننا ... بمنزلة بين الخيانة والاثم .

وقال رجل لعمرو بن عبيد إن الأسوارى مايزال يذكرك فى قصصه بشر فقال له عمرو ياهذا مارعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه ولاأديت حق حين أعلمتنى عن أخى ماأكره ولكن أعلمه أن الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ورفع بعض السعاة إلى الصاحب بن عباد رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على أخذه لكثرته فوقع على ظهرها السعاية قبيحة وإن كانت صحيحة فان كنت أجريتها مجرى النصح فخسرانك فيها أفضل من الربح ومعاذ الله أن نقبل مهتوكا فى مستور ولولا أنك فى خفارة شيبتك لقابلناك بما يقتضيه فعلك فى مثلك فتوق يامعلون العيب فان الله أعلم بالغيب ، الميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله والساعى لعنه الله .وقال لقمان لابنه يابنى أوصيك بخلال إن تمسكت بهن لم تزل سيدا ابسط خلقك للقريب والبعيد وأمسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ إخوانك وصل أقاربك وآمنهم من قبول قول ساع أوسماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك . وقال بعضهم النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهى أثافى الذل وقال بعضهم لوصح مانقله النمام إليك لكان هو المجترىء بالشتم عليك والمنقول عنه أولى بحلمك لأنه لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغى أن يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدا وقال للمشترى مافيه عيب إلا النميمة قال قد رضيت فاشتراه فمكث الغلام أياما ثم قال لزوجة مولاه إن سيدى لايحبك وهو يريد أن يتسرى عليك فخذى الموسى واحلقى من شعر قفاه عند نومه شعرات حتى أسحره عليها فيحبك ثم قال للزوج إن امرأتك اتخذت خليلا وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف ذلك فتناوم لها فجاءت المرأة بالموسى فظن أنها تريد قتله فقام إليها فقتلها فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج ووقع القتال بين القبيلتين ، فنسأل الله حسن التوفيق .

(الآفة السابعة عشرة)

كلام ذى اللسانين الذى يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه وقلما يخلو عنه من يشاهد متعاديين وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة (١)» وقال أبو هريرة قال رسول الله

(الآفة السابعة عشرة : كلام ذى اللسانين)

(١) حديث عمار بن ياسر : من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة ، البخارى فى كتاب الأدب المفرد وأبو داود بسند حسن

السواك اليابس بالماء ويستاك عرضا وطولا فان اقتصر فعرضا فاذا فرغ من السواك يغسله ويجلس للوضوء والأولى أن يكون مستقبل القبلة ويبتدىء بسم الله الرحمن الرحيم ويقول رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ويقول عند غسل اليد : اللهم إنى أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة ويقول عند المضمضة : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعنى على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ويقول عند الاستنشاق : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأرحنى رائحة

صلى الله عليه وسلم « تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث (١) » وفى لفظ آخر « الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » وقال أبو هريرة لا ينبغى لذى الوجهين أن يكون أمينا عند الله ، وقال مالك بن دينار قرأت فى التوراة بطلت الأمانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين وقال صلى الله عليه وسلم « أبغض خليقة الله إلى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لاخوانهم فى صدورهم فاذا لقوهم تملقوا لهم والذين إذا دعوا إلى الله ورسوله كانوا بطآء وإذا دعوا إلى الشيطان وأمره كانوا سراعا (٢) » وقال ابن مسعود لا يكونن أحدكم إمعة قالوا وما الإمعة ؟ قال الذى يجرى مع كل ريح واتفقوا على أن ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها وقد روى أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال له عمر : يموت رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تصل عليه فقال يا أمير المؤمنين إنه منهم فقال نشدتك الله أنا منهم أم لا ؟ قال اللهم لا ولا أؤمن منها أحدا بعدك . فان قلت بماذا يصير الرجل ذا لسانين وما حد ذلك ؟ فأقول إذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا لسانين فان الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهى إلى حد الاخوة إذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الأعداء كما ذكرنا فى كتاب آداب الصحبة والأخوة ، نعم لو نقل كلام كل واحد منهما إلى الآخر فهو ذو لسانين وهو شر من النميمة إذ يصير نماما بأن ينقل من أحد الجانبين فقط فاذا نقل من الجانبين فهو شر من النمام وإن لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ماهو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك إذا وعد كل واحد منهما بأن ينصره وكذلك إذا أثنى على كل واحد منهما فى معاداته وكذلك إذا أثنى على أحدهما وكان إذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغى أن يسكت أو يثنى على المحق من المتعاديين ويثنى عليه فى غيبته وفى حضوره وبين يدى عدوه ، قيل لابن عمر رضى الله عنهما : إنا ندخل على أمرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره ، فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول على الأمير وعن الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن إذا دخل يخاف إن لم يثن فهو نفاق لأنه الذى أحوج نفسه إلى ذلك فان كان مستغنيا عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى وأثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم « حب المال والجاه ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل (٤) » لأنه يحوج إلى الأمراء وإلى مراعاتهم ومراآتهم فأما إذا ابتلى به لضرورة وخاف إن لم يثن فهو معذور فان اتقاء الشر جائز قال أبو الدرداء رضى الله عنه إنا لنكشر فى وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم

(١) حديث أبى هريرة : تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الحديث متفق عليه بلفظ تجد من شر الناس لفظ البخارى وهو عند ابن أبى الدنيا بلفظ المصنف (٢) حديث أبغض خليقة الله إلى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لاخوانهم فى صدورهم فاذا لقوهم تملقوا لهم الحديث لم أقف له على أصل (٣) حديث قيل لابن عمر إنا ندخل على أمرائنا . فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره قال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الطبرانى من طرق (٤) حديث حب الجاه والمال ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة بسند ضعيف إلا أنه قال حب الغناء وقال العشب مكان البقل .

الجنة وأنت عنى راض ويقول عند الاستنثار : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك من روائح النار وسوء الدار ، ويقول عند غسل الوجه : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبيض وجهى يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهى يوم تسود وجوه أعدائك ، وعند غسل اليمين : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وآتنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيرا ، وعند غسل الشمال : اللهم إنى أعوذ بك أن تؤتينى كتابى بشمالى أو من وراء ظهرى ، وعند مسح الرأس : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

وقالت عائشة رضى الله عنها « استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو ثم لما دخل ألان له القول فلما خرج قلت يارسول الله قلت فيه ما قلت ثم ألنت له القول فقال ياعائشة إن شر الناس الذى يكرم اتقاء شره (١) » ولكن هذا ورد فى الإقبال وفى الكشر والتبسم فأما الثناء فهو كذب صراح ولا يجوز إلا لضرورة أو إكراه يباح الكذب بمثله كما ذكرناه فى آفة الكذب بل لايجوز الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس فى معرض التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغى أن ينكر فان لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه.

(الآفة الثامنة عشرة المدح)

وهو منهى عنه فى بعض المواضع ، أما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها. والمدح يدخله ست آفات أربع فى المادح واثنتان فى الممدوح . فأما المادح : فالأولى أنه قد يفرط فينتهى به إلى الكذب قال خالد بن معدان من مدح إماما أو أحدا بما ليس فيه على رءوس الأشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه . الثانية أنه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع مايقوله فيصير به مرائيا منافقا . الثالثة أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه ، روى « أن رجلا مدح رجلا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام: ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح ثم قال إن كان أحدكم لابد مادحا أخاه فليقل أحسب فلانا ولا أزكى على الله أحدا حسيبه الله إن كان يرى أنه كذلك (٢) » وهذه الآفة تتطرق إلى المدح بالأوصاف المطلقة التى تعرف بالأدلة كقوله إنه متق وورع وزاهد وخير وما يجرى مجراه فأما إذا قال رأيته يصلى بالليل ويتصدق ويحج فهذه أمور مستيقنة ومن ذلك قوله إنه عدل رضا فان ذلك خفى فلا ينبغى أن يجزم القول فيه إلا بعد خبرة باطنة . سمع عمر رضى الله عنه رجلا يثنى على رجل فقال أسافرت معه قال لا ، قال أخالطته فى المبايعة والمعاملة قال لا ، قال فأنت جاره صباحه ومساءه قال لا ، فقال والله الذى لا إله إلا هو لا أراك تعرفه . الرابعة أنه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يغضب إذا مدح الفاسق (٣) » وقال الحسن من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله تعالى فى أرضه والظالم الفاسق ينبغى أن يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح . وأما الممدوح فيضره من وجهين : أحدهما أنه يحدث فيه كبرا وإعجابا وهما مهلكان قال الحسن رضى الله عنه : كان عمر رضى الله عنه جالسا ومعه الدرّة والناس حوله إذ أقبل الجارود ابن المنذر فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال مالى ولك ياأمير المؤمنين قال مالى ولك أما لقد سمعتها قال سمعتها فمه قال خشيت أن يخالط قلبك منها شىء فأحببت أن أطأطىء منك . الثانى هو أنه إذا أثنى عليه بالخير فرح به وفتر ورضى عن نفسه

(١) حديث عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة الحديث ، وفيه إن شر الناس الذى يكرم اتقاء لشره متفق عليه وقد تقدم فى الآفة التى قبلها.

(الآفة الثامنة عشرة المدح)

(٢) حديث إن رجلا مدح رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك قطعت عنق صاحبك متفق عليه من حديث أبى بكرة بنحوه وهو فى الصمت لابن أبى الدنيا بلفظ الصنف

(٣) حديث إن الله يغضب إذا مدح الفاسق ابن أبى الدنيا فى الصمت والبيهقى فى الشعب من حديث أنس وفيه أبو خلف خادم أنس ضعيف ورواه أبو يعلى الموصلى وابن عدى بلفظ إذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز العرش قال الذهبى فى الميزان منكر وقد تقدم فى آداب الكسب .

وغشنى برحمتك وأنزل علىّ من بركاتك وأظلنى تحت ظلّ عرشك يوم لاظلّ إلا ظلّ عرشك ويقول عند مسح الأذنين : اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد واجعلنى ممن يسمع القول فيتبع أحسنه اللهم أسمعنى منادى الجنة مع الأبرار ويقول فى مسح العنق : اللهم فكّ رقبتى من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ويقول عند غسل قدمه اليمنى : اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وثبت قدمى على الصراط مع أقدام المؤمنين ، ويقول عند اليسرى: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك أن تزل

ومن أعجب بنفسه قلّ تشمره وإنما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فأما إذا انطلقت الألسن بالثناء عليه ظن أنه قد أدرك ولهذا قال عليه السلام « قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح» وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مدحت أخاك فى وجهه فكأنما أمررت على حلقه موسى وميضا (١) » وقال أيضا لمن مدح رجلا « عقرت الرجل عقرك الله (٢) » وقال مطرف ماسمعت قط ثناء ولا مدحة إلا تصاغرت إلى نفسى وقال زياد بن أبى مسلم ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة إلا تراءى له الشيطان ولكن المؤمن يراجع فقال ابن المبارك لقد صدق كلاهما أما ماذكره زياد فذلك قلب العوام وأما ماذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال صلى الله عليه وسلم «لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من أن يثنى عليه فى وجهه (٣) » وقال عمر رضى الله عنه المدح هو الذبح وذلك لأن المذبوح هو الذى يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور أو لأن المدح يورث العجب والكبر وهما مهلكان كالذبح فلذلك شبهه به فان سلم المدح من هذه الآفات فى حق المادح والممدوح لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبا إليه ولذلك أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة فقال « لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان العالم لرجح (٤) » وقال فى عمر « لو لم أبعث لبعثت ياعمر (٥) » وأى ثناء يزيد على هذا ولكنه صلى الله عليه وسلم قال عن صدق وبصيرة وكانوا رضى الله عنهم أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر إذ قال صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم ولا فخر (٦) » أى لست أقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم وذلك لأن افتخاره صلى الله عليه وسلم كان بالله وبالقرب من الله لا بولد آدم وتقدمه عليهم كما أن المقبول عند الملك قبولا عظيما إنما يفتخر بقبوله إياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذمّ المدح وبين الحث عليه قال صلى الله عليه وسلم «وجبت (٧) » لما أثنوا على بعض الموتى وقال مجاهد إن لبنى آدم جلساء من الملائكة فاذا ذكر الرجل المسلم أخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك بمثله وإذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن آدم المستور عورتك اربع على نفسك واحمد الله الذى ستر عورتك فهذه آفات المدح .

(بيان ماعلى الممدوح)

اعلم أن على الممدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا ينجو منه إلا بأن يعرف نفسه ويتأمل مافى خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الأعمال فانه يعرف من نفسه مالا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع أسراره ومايجرى على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه

(١) حديث إذا مدحت أخاك فى وجهه فكأنما أمررت على حلقه موسى وميضا ابن المبارك فى الزهد والرقائق من رواية يحيى بن جابر مرسلا (٢) حديث عقرت الرجل عقرك الله قاله لمن مدح رجلا، لم أجد له أصلا (٣) حديث لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من أن يثنى عليه فى وجهه لم أجده أيضا (٤) حديث لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان العالمين لرجح تقدم فى العلم (٥) حديث لو لم أبعث لبعثت ياعمر أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة وهو منكر والمعروف من حديث عقبة بن عامر لو كان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب رواه الترمذى وحسنه (٦) حديث أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، الترمذى وابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى والحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وله من حديث عبادة بن الصامت : أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ، ولمسلم من حديث أبى هريرة : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة (٧) حديث وجبت ، قاله لما أثنوا على بعض الموتى متفق عليه من حديث أنس .

قدمى عن الصراط يوم تزل فيه أقدام المنافقين. وإذا فرغ من الوضوء يرفع رأسه إلى السماء ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسى أستغفرك وأتوب إليك فاغفر لى وتب علىّ إنك أنت التوّاب الرحيم ؛ اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد واجعلنى من التوّابين واجعلنى من المطهرين واجعلنى صبورا شكورا واجعلنى أذكرك كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا . وفرائض الوضوء : النية عند غسل الوجه . وغسل الوجه

أن يظهر كراهة المدح باذلال المادح قال صلى الله عليه وسلم « احثوا التراب فى وجوه المادحين[١] » وقال سفيان بن عيينة لا يضرّ المدح من عرف نفسه وأثنى على رجل من الصالحين فقال اللهم إنّ هؤلاء لا يعرفونى وأنت تعرفنى ، وقال آخر لما أثنى عليه اللهم إن عبدك هذا تقرب إلى بمقتك وأنا أشهدك على مقته . وقال على رضى الله عنه لما أثنى عليه اللهم اغفر لى ما لا يعلمون ولا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى خيرا مما يظنون . وأثنى رجل على عمر رضى الله عنه فقال أتهلكنى وتهلك نفسك وأثنى رجل على علىّ كرم الله وجهه فى وجهه وكان قد بلغه أنه يقع فيه فقال أنا دون ما قلت وفوق ما فى نفسك.

(الآفة التاسعة عشرة)

الغفلة عن دقائق الخطأ فى فحوى الكلام لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بأمور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ فى أمور الدين إلا العلماء الفصحاء فمن قصر فى علم أو فصاحة فلم يخل كلامه عن الزلل لكن الله تعالى يعفو عنه لجهله ، مثاله ما قال حذيفة قال النبى صلى الله عليه وسلم « لا يقل أحدكم ماشاء الله وشئت ولكن ليقل ماشاء الله ثم شئت[٢] » وذلك لأن فى العطف للطلق تشريكا وتسوية وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس رضى الله عنهما « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يكلمه فى بعض الأمر فقال ماشاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم أجعلتنى لله عديلا بل ماشاء الله وحده[٣] ». « وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال قل : ومن يعص الله ورسوله فقد غوى[٤] » فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ومن يعصهما لأنه تسوية وجمع وكان إبراهيم يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك ويجوز أن يقول أعوذ بالله ثم بك وأن يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم أن يقال اللهم أعتقنا من النار وكان يقول العتق يكون بعد الورود وكانوا يستجيرون من النار ويتعوذون من النار وقال رجل اللهم اجعلنى ممن تصيبه شفاعة محمد ﷺ فقال حذيفة إن الله يغنى المؤمنين عن شفاعة محمد وتكون شفاعته للمذنبين من المسلمين وقال إبراهيم إذا قال الرجل للرجل ياحمار ياخنزير قيل له يوم القيامة حمارا رأيتنى خلقته ، خنزيرا رأيتنى خلقته وعن ابن عباس رضى الله عنهما: إن أحدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه فيقول لولاه لسرقنا الليلة ، وقال عمر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت[٥] » قال عمر رضى الله عنه فو الله ماحلفت بها منذ سمعتها ، وقال صلى الله عليه وسلم « لا تسموا العنب كرما إنما الكرم الرجل المسلم[٦] » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يقولن أحدكم عبدى ولا أمتى كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله وليقل غلامى وجاريتى وفتاى وفتاتى ولا يقول المملوك ربى ولا ربتى وليقل سيدى وسيدتى فكلكم عبيد الله والرب الله سبحانه وتعالى »

(١) حديث احثوا فى وجوه المداحين التراب مسلم من حديث المقداد .

(الآفة التاسعة عشرة فى الغفلة عن دقائق الخطأ)

(٢) حديث حذيفة لا يقل أحدكم ماشاء الله وشئت الحديث أبو داود والنسائى فى الكبرى بسند صحيح (٣) حديث ابن عباس جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فكلمه فى بعض الأمر فقال ماشاء الله وشئت فقال أجعلتنى لله عدلا قل ماشاء الله وحده. النسائى فى الكبرى باسناد حسن وابن ماجه (٤) حديث خطب رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله وسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى الحديث مسلم من حديث عدى بن حاتم (٥) حديث عمر إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم متفق عليه (٦) حديث لا تسموا العنب الكرم إنما الكرم الرجل المسلم متفق عليه من حديث أبى هريرة

وحد الوجه من مبتدأ تسطيح الوجه إلى منتهى الذقن وماظهر من اللحية وما استرسل منها ومن الأذن إلى الأذن عرضا ويدخل فى الغسل البياض الذى بين الأذنين واللحية وموضع الصلع وما انحسر عنه الشعر وهما النزعتان من الرأس ويستحب غسلهما مع الوجه ويوصل الماء إلى شعر التحذيف وهو القدر الذى يزيله النساء من الوجه ويوصل الماء إلى العنفقة والشارب والحاجب والعذار وماعدا ذلك لا يجب ثم اللحية إن كانت خفيفة يجب إيصال الماء إلى البشرة وحد الخفيف أن ترى البشرة من تحته وإن

وقال صلى الله عليه وسلم «لاتقولوا للفاسق سيدنا فانه إن يكن سيدكم فقدأسخطتم ربكم (١)» وقال صلى الله عليه وسلم «من قال أنا برىء من الاسلام فان كان صادقا فهو كماقال وإن كان كاذبا فلن يرجع إلى الاسلام سالما (٢)» فهذا وأمثاله مما يدخل فى الكلام ولايمكن حصره ،ومن تأمل جميع ماأوردناه من آفات اللسان علم أنه إذا أطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سرّ قوله صلى الله عليه وسلم « من صمت نجا (٣)» لأن هذه الآفات كلهامهالك ومعاطب وهى على طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وإن نطلق وتكلم خاطر بنفسه إلاأن يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة ويقلل من الكلام فعساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لاينفك عن الخطر فان كنت لاتقدر على أن تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة إحدى الغنيمتين .

(الآفة العشرون)

سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وأنها قديمة أو محدثة ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما فى القرآن إلاأن ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب والعامى يفرح بالخوض فى العلم إذ الشيطان يخيل إليه أنك من العلماء وأهل الفضل ولايزال يحبب إليه ذلك حتى يتكلم فى العلم بماهو كفر وهو لايدرى وكل كبيرة يرتكبها العامى فهى أسلم له من أن يتكلم فى العلم لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته وإنما شأن العوام الاشتغال بالعبادات والايمان بماورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غيرما يتعلق بالعبادات سوء أدب منهم يستحقون به المقت من الله عز وجل ويتعرّضون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن أسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة إليه عامى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «ذرونى ماتركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ماتهيتكم عنه فاجتنبوه وماأمرتكم به فأتوا منه مااستطعتم (٤)» وقال أنس «سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فأكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر وقال سلونى ولاتسألونى عن شىء إلا أنبأتكم به فقام إليه رجل فقال يارسول الله من أبى فقال أبوك حذافة فقام إليه شابان أخوان فقالا يارسول الله من أبونا فقال أبوكما الذى تدعيان إليه ثم قام إليه رجل آخر فقال يارسول الله أفى الجنة أنا أم فى النار فقال لابل فى النار فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسكوا فقام إليه عمر رضى الله عنه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فقال اجلس ياعمر رحمك الله إنك ماعلمت لموفق (٥)» وفى الحديث «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال وإضاعة المال وكثرة السؤال (٦)» وقال صلى الله عليه وسلم «يوشك

---

(١) حديث لاتقولوا للمنافق سيدنا الحديث أبوداود من حديث بريدة بسند صحيح (٢) حديث من قال أنا برىء من الاسلام فان كان صادقا فهو كماقال، الحديث النسائى وابن ماجه من حديث بريدة باسناد صحيح (٣) حديث من صمت نجا الترمذى وقد تقدّم فى أوّل آفات اللسان .

(الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى)

(٤) حديث ذرونى ماتركتكم فانما هلك من كان قبلكم بسؤالهم الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٥) حديث سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حتى أكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر فقال سلونى فلا تسألونى عن شىء إلا أنبأتكم به الحديث متفق عليه مقتصرا على سؤال عبدالله ابن حذافة وقول عمر ، ولمسلم من حديث أبى موسى فقام آخر فقال من أبى فقال أبوك سالم مولى شيبة.

(٦) حديث النهى عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة .

كانت كثيفة فلايجب ويجتهد فى تنقية مجتمع الكحل من مقدّم العين. الواجب الثالث: غسل اليدين إلى المرفقين ويجب إدخال المرفقين فى الغسل ويستحب غسلهما إلى أنصاف العضدين ، وان طالت الأظافر حتى خرجت من رءوس الأصابع يجب غسل ماتحتها على الأصحّ . الواجب الرابع: مسح الرأس ويكفى مايطلق عليه اسم المسح واستيعاب الرأس بالمسح سنة وهو أن يلصق رأس أصابع اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدم الرأس ويمدّهما إلى القفا ثم يردّهما إلى الموضع الذى بدأ منه وينصف

الناس يتساءلون حتى يقولوا قد خلق الله الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا ـ قل هو الله أحد الله الصمد ـ حتى تختموا السورة ثم ليتفل أحدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم (١)» وقال جابر: مانزلت آية التلاعنين إلا لكثرة السؤال (٢). وفى قصة موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على المنع من السؤال قبل أوان استحقاقه إذ قال ـ فان اتبعتنى فلاتسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا ـ فلما سأل عن السفينة أنكر عليه حتى اعتذر وقال ـ لاتؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا ـ فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثا قال ـ هذا فراق بينى وبينك ـ وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهو من المثيرات للفتن فيجب قمعهم ومنعهم من ذلك وخوضهم فى حروف القرآن يضاهى حال من كتب الملك إليه كتابا ورسم له فيه أمورا فلم يشتغل بشئ منها وضيع زمانه فى أن قرطاس الكتاب عتيق أم حديث فاستحق بذلك العقوبة لامحالة فكذلك تضييع العامى حدود القرآن واشتغاله بحروفه أهى قديمة أم حديثة وكذلك سائر صفات الله سبحانه وتعالى ، والله تعالى أعلم .

﴿ كتاب ذم الغضب والحقد والحسد ﴾

(وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى لايتكل على عفوه ورحمته إلا الراجون ، ولايحذر سوء غضبه وسطوته إلا الخائفون ، الذى استدرج عباده من حيث لايعلمون ، وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك مايشتهون ، وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون ، ثم حفهم بالمكاره واللذات وأملى لهم لينظر كيف يعملون ، وامتحن به حبهم ليعلم صدقهم فيما يدعون ، وعرفهم أنه لايخفى عليه شئ مما يسرون ومايعلنون ، وحذرهم أن يأخذهم بغتة وهم لايشعرون ، فقال ـ ماينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلايستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ـ والصلاة والسلام على محمد رسوله الذى يسير تحت لوائه النبيون ، وعلى آله وأصحابه الأئمة المهديين ، والسادة المرضيين ، صلاة يوازى عددها عدد ما كان من خلق الله وماسيكون ، ويحظى ببركتها الأولون والآخرون ، وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة ، وإنها لمستكنة فى طى الفؤاد ، استكنان الجمر تحت الرماد ، ويستخرجها الكبر الدفين فى قلب كل جبار عنيد كاستخراج الحجر النار من الحديد ، وقد انكشف للناظرين بنور اليقين ، أن الانسان ينزع منه عرق إلى الشيطان اللعين ، فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال ـ خلقتنى من نار وخلقته من طين ـ فان شأن الطين السكون والوقار وشأن النار التلظى والاستعار ، والحركة والاضطراب ، ومن نتائج الغضب الحقد والحسد ، وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومفيضهما مضغة إذا صلحت صلح معها سائر الجسد وإذا كان الحقد والحسد والغضب ، مما يسوق العبد إلى مواطن العطب ، فما أحوجه إلى معرفة معاطبه ومساويه ليحذر ذلك ويتقيه ، ويميطه عن القلب إن كان وينفيه ، ويعالجه إن رسخ فى قلبه ويداويه ، فان

(١) حديث يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا قد خلق الله الخلق الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم (٢) حديث جابر مانزلت آية التلاعن إلا لكثرة السؤال رواه البزار باسناد جيد

﴿ كتاب الغضب والحقد والحسد ﴾

بلل الكفين مستقبلا ومستدبرا . والواجب الخامس: غسل القدمين ويجب إدخال الكعبين فى الغسل ويستحب غسلهما إلى أنصاف الساقين ويقنع غسل القدمين من الكعبين ويجب تخليل الأصابع الملتفة فيخلل بخنصر يده اليسرى من باطن القدم ويبدأ بخنصر رجله اليمنى ويختم بخنصر اليسرى وإن كان فى الرجل شقوق يجب إيصال الماء إلى باطنها وإن ترك فيها عجينا أوشحما يجب إزالة عين ذلك الشئ . الواجب . السادس : الترتيب على النسق المذكور فى كلام الله تعالى . الواجب السابع: التتابع فى القول القديم

من لايعرف الشر يقع فيه . ومن عرفه فالمعرفة لاتكفيه . مالم يعرف الطريق الذى به يدفع الشر ويقصيه . ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد فى هذا الكتاب ويجمعها بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا ثم بيان الأسباب المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر الذى يجوز الانتصار والتشفى به من الكلام ثم القول فى معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول فى ذم الحسد وفى حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب فى إزالته ثم بيان السبب فى كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبنى العم والأقارب وتأكده وقلته فى غيرهم وضعفه ثم بيان الدواء الذى به ينفى مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب فى نفى الحسد عن القلب وبالله التوفيق .

(بيان ذم الغضب)

قال الله تعالى ـ إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ـ الآية . ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السكينة وروى أبو هريرة أن رجلا قال « يارسول الله مرنى بعمل وأقلل قال لاتغضب ثم أعاد عليه فقال لاتغضب (١) » وقال ابن عمر « قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لى قولا وأقلله لعلى أعقله فقال لاتغضب فأعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع إلى لاتغضب (٢) » وعن عبد الله ابن عمرو « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ينقذنى من غضب الله قال لاتغضب (٣) » وقال ابن مسعود قال النبى ﷺ « ماتعدون الصرعة فيكم قلنا الذى لاتصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذى يملك نفسه عند الغضب (٤) » وقال أبو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب (٥) » وقال ابن عمر قال النبى صلى الله عليه وسلم « من كف غضبه ستر الله عورته (٦) » وقال سليمان بن داود عليهما السلام : يابنى إياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم . وعن عكرمة فى قوله تعالى ـ وسيدا وحصورا ـ قال السيد الذى لايغلبه الغضب . وقال أبو الدرداء « قلت يارسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال لاتغضب (٧) » وقال يحيى لعيسى عليهما السلام لاتغضب قال لاأستطيع أن لاأغضب إنما أنا بشر قال: لاتقتن مالا قال هذا عسى وقال صلى الله عليه وسلم « الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل (٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « ماغضب أحد إلا أشفى على جهنم (٩) » وقال له رجل « أى شىء أشد

عند الشافعى رحمه الله تعالى وحد التفريق الذى يقطع التتابع نشاف العضو مع اعتدال الهواء .

[وسنن الوضوء ثلاثة عشر]

التسمية فى أول الطهارة . وغسل اليدين إلى الكوعين والمضمضة والاستنشاق والمبالغة فيهما فيغرغر فى المضمضة حتى يرد الماء إلى الغلصمة ويستمد فى الاستنشاق الماء بالنفس إلى الخياشيم ويرفق فى ذلك إن كان صائما وتخليل اللحية الكثة وتخليل الأصابع المنفرجة والبداءة بالميامن وإطالة الغرة واستيعاب الرأس بالمسح ومسح الأذنين

(١) حديث أبى هريرة إن رجلا قال يارسول الله مرنى بعمل وأقلل قال لاتغضب ثم أعاد عليه فقال لاتغضب رواه البخارى (٢) حديث ابن عمر قلت لرسول الله ﷺ قل لى قولا وأقلل الحديث نحوه أبو يعلى باسناد حسن (٣) حديث عبد الله بن عمرو سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم مايبعدنى من غضب الله قال لاتغضب الطبرانى فى مكارم الأخلاق وابن عبد البر فى التمهيد باسناد حسن وهو عند أحمد وأن عبد الله بن عمرو هو السائل (٤) حديث ابن مسعود ماتعدون الصرعة الحديث رواه مسلم (٥) حديث أبى هريرة وليس الشديد بالصرعة الحديث متفق عليه (٦) حديث ابن عمر من كف غضبه ستر الله عورته ابن أبى الدنيا فى كتاب العفو وذم الغضب وفى الصمت وتقدم فى آفات اللسان (٧) حديث أبى الدرداء دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال لاتغضب ابن أبى الدنيا والطبرانى فى الكبير والأوسط باسناد حسن (٨) حديث الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده بسند ضعيف (٩) حديث ماغضب أحد إلا أشفى على جهنم البزار وابن عدى من حديث ابن عباس للنار باب لايدخله إلا من شفى غيظه بمعصية

قال غضب الله قال فما يبعدنى عن غضب الله قال لاتغضب (١) » . الآثار : قال الحسن: يا ابن آدم كلما غضبت وثبت ويوشك أن تثب وثبة فتقع فى النار وعن ذى القرنين أنه لقى ملكا من الملائكة فقال علمنى علما أزداد به إيمانا ويقينا قال لاتغضب فان الشيطان أقدر مايكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة وإياك والعجلة فانك إذا عجلت أخطأت حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه أن راهبا كان فى صومعته فأراد الشيطان أن يضله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال له افتح فلم يجبه فقال افتح فانى إن ذهبت ندمت فلم يلتفت إليه فقال إنى أنا المسيح قال الراهب وإن كنت المسيح فما أصنع بك أليس قد أمرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بغيره لم نقبله منك فقال إنى الشيطان وقد أردت أن أضلك فلم أستطع فجئتك لتسألنى عما شئت فأخبرك فقال ماأريد أن أسألك عن شىء قال فولى مدبرا فقال الراهب ألا تسمع قال بلى قال أخبرنى أى أخلاق بنى آدم أعون لك عليهم قال الحدة إن الرجل إذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقال خيثمة الشيطان يقول كيف يغلبنى ابن آدم وإذا رضى جئت حتى أكون فى قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون فى رأسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الأنصار رأس الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضى بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الأحمق جوابه . وقال مجاهد قال إبليس ماأعجزنى بنو آدم فلن يعجزونى فى ثلاث: إذا سكر أحدهم أخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما أحببنا وإذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ونبخله بما فى يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه وقيل لحكيم ماأملك فلانا لنفسه قال إذا لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم إياك والغضب فانه يصيرك إلى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل . وقال عبد الله بن مسعود انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه وأمانته عند طمعه وماعلمك بحلمه إذا لم يغضب وما علمك بأمانته إذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله أن لا تعاقب عند غضبك وإذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فأخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقال على بن زيد أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فأطرق عمر زمانا طويلا ثم قال أردت أن يستفزنى الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ماتناله منى غدا وقال بعضهم لابنه يا بنى لا يثبت العقل عند الغضب كما لا تثبت روح الحى فى التنانير المسجورة فأقل الناس غضبا أعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وإن كان للآخرة كان حلما وعلما فقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان عمر رضى الله عنه إذا خطب قال فى خطبته أفلح منكم من حفظ من الطمع والهوى والغضب وقال بعضهم من أطاع شهوته وغضبه قاداه إلى النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة فى دين وحزم فى لين وإيمان فى يقين وعلم فى حلم وكيس فى رفق وإعطاء فى حق وقصد فى غنى وتجمل فى فاقة وإحسان فى قدرة وتحمل فى رفاقة وصبر فى شدة لا يغلبه الغضب ولا تجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقتصر به نيته فينصر المظلوم و يرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف ولا يقتر يغفر إذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه فى عناء والناس منه فى رخاء وقيل لعبد الله بن المبارك أجمل لنا حسن الخلق فى كلمة فقال ترك الغضب وقال نبى من الأنبياء لمن تبعه من يتكفل لى أن لا يغضب فيكون

والتثليث ، وفى القول الجديد التتابع ويجتنب أن يزيد على الثلاث ولا ينفض اليد ولا يتكلم فى أثناء الوضوء ولا يلطم وجهه بالماء لطما ، وتجديد الوضوء مستحب بشرط أن يصلى بالوضوء ماتيسر وإلا فمكروه .

[الباب الخامس والثلاثون فى آداب أهل الخصوص والصوفية فى الوضوء]

آداب الصوفية بعد القيام بمعرفة الأحكام أدبهم فى الوضوء حضور القلب فى غسل الأعضاء . سمعت بعض الصالحين يقول إذا حضر القلب فى الوضوء يحضر فى الصلاة وإذا دخل السهو فيه دخلت

الله وإسناده ضعيف وتقدم فى آفات اللسان (١) حديث قال رجل أى شىء أشد على قال غضب الله قال فما يبعدنى من غضب الله قال لاتغضب أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالشطر الأخير منه وقد تقدم قبله بست أحاديث .

معى فى درجتى ويكون بعدى خليفتى فقال شاب من القوم أنا ثم أعاد عليه فقال الشاب أنا أوفى به فلما مات كان فى منزلته بعده وهو ذو الكفل سمى به لأنه تكفل بالغضب ووفى به وقال وهب بن منبه للكفر أربعة أركان : الغضب ، والشهوة والخرق ، والطمع .

(بيان حقيقة الغضب)

اعلم أن الله تعالى لما خلق الحيوان معرّضا للفساد والموتان بأسباب فى داخل بدنه وأسباب خارجة عنه أنعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك إلى أجل معلوم سماه فى كتابه . أما السبب الداخل فهو أنه ركبه من الحرارة والرطوبة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير أجزاؤها بخارا يتصاعد منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من أجزائها لفسد الحيوان فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق فى الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء كالموكل به فى خير ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب . وأما الأسباب الخارجة التى يتعرض لها الانسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التى يقصد بها فافتقر إلى قوة وحمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه فخلق الله طبيعة الغضب من النار وغرزها فى الانسان وعجنها بطينته فمهما صدّ عن غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارت ثورانا يغلى به دم القلب وينتشر فى العروق ويرتفع إلى أعالى البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذى يغلى فى القدر فلذلك ينصبّ إلى الوجه فيحمرّ الوجه والعين والبشرة لصفائها تحكى لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكى الزجاجة لون ما فيها وإنما ينبسط الدم إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقه وكان معه يأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب وصار حزنا ولذلك يصفرّ اللون وإن كان الغضب على نظير يشك فيه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة فقوّة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام وإنما تتوجه هذه القوة عند ثورانها إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها وإلى التشفى والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن إلا به ثم إن الناس فى هذه القوة على درجات ثلاث فى أوّل الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال . أما التفريط فبفقد هذه القوة أو ضعفها وذلك مذموم وهو الذى يقال فيه إنه لا حمية له ولذلك قال الشافعى رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الغضب والحمية أصلا فهو ناقص جدا وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبى ﷺ بالشدة والحمية فقال ـ أشداء على الكفار رحماء بينهم ـ وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم ـ جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ـ الآية وإنما الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية وهو الغضب . وأما الإفراط فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يصير فى صورة المضطر وسبب غلبته أمور غريزية وأمور اعتيادية فرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كأن صورته فى الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لأن الغضب من النار(١) كما قال صلى الله عليه وسلم وإنما برودة المزاج تطفئه وتكسر سورته . وأما الأسباب الاعتيادية فهو أن يخالط قوما يتبجحون بتشفى الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم أنا الذى لا أصبر على المكر والمحال ولا أحتمل من أحد أمرا ومعناه لا عقل فىّ ولا حلم ثم يذكره

(١) حديث الغضب من النار الترمذى من حديث أبى سعيد بسند ضعيف الغضب جمرة فى قلب ابن آدم ولأبى داود من حديث عطية السعدى أن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار.

الوسوسة فى الصلاة ومن آدابهم استدامة الوضوء والوضوء سلاح المؤمن والجوارح إذا كانت فى حماية الوضوء الذى هو أثر شرعى يقل طروق الشيطان عليها. قال عدى بن حاتم ما أقيمت صلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء . وقال أنس ابن مالك « قدم النبى عليه الصلاة والسلام المدينة وأنا يومئذ ابن ثمان سنين فقال لى : يا بنى إن استطعت أن لا تزال على الطهارة فافعل فانه من أتاه الموت وهو على الوضوء أعطى الشهادة » فشأن العاقل أن يكون أبدا مستعدا للموت ومن الاستعداد لزوم الطهارة وحكى عن الحصرى

في معرض الفخر بجهله فمن سمعه رسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوى اضطرامها أعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك عضبا. وإذا استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر إذ ينطفئ نور العقل وينمحى في الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم إلى الدماغ يستولى على معادن الفكر وربما يتعدّى إلى معادن الحسن فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه وتسود عليه الدنيا بأسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضطرمت فيه نار فاسود جوّه وحمى مستقره وامتلأ بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانمحى أو انطفأ نوره فلا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا يرى فيه صورة ولا يقدر على إطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغى أن يصبر إلى أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب فتفنى الرطوبة التى بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار فى الكهف فينشق وتنهدّ أعاليه على أسفله وذلك لابطال النار ما فى جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لأجزائه فهكذا حال القلب عند الغضب وبالحقيقة فالسفينة فى ملتطم الأمواج عند اضطراب الرياح فى لجة البحر أحسن حالا وأرجى سلامة من النفس المضطربة غيظا إذ فى السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظرها ويسوسها وأما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته إذ أعماه الغضب وأصمه ومن آثار هذا الغضب فى الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة فى الأطراف وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الأشداق وتحمر الأحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو رأى الغضبان فى حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وإنما قبحت صورة الباطن أوّلا ثم انتشر قبحها إلى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس الثمرة بالثمرة فهذا أثره فى الجسد. وأما أثره فى اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش من الكلام الذى يستحيى منه ذو العقل ويستحيى منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ وأما أثره على الأعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه أو فاته بسبب وعجز عن التشفى رجع الغضب على صاحبه فمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب بيده على الأرض ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير وربما يسقط سريعا لا يطيق العدو والنهوض بسبب شدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة مثلا على الأرض وقد يكسر المائدة إذا غضب عليها ويتعاطى أفعال المجانين فيشتم البهيمة والجمادات ويخاطبها ويقول إلى متى منك هذا يا كيت وكيت كأنه يخاطب عاقلا حتى ربما رفسته دابة فيرفس الدابة ويقابلها بذلك. وأما أثره فى القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد وإضمار السوء والشماتة بالمساآت والحزن بالسرور والعزم على إفشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب للفرط وأما ثمرت الحمية الضعيفة فقلة الأنفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والأمة واحتمال الذل من الأخساء وصغر النفس والقماءة وهو أيضا مذموم إذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة قال صلى الله عليه وسلم «إن سعدا لغيور وأنا أغير من سعد وإن الله أغير منى (١)» وإنما خلقت الغيرة لحفظ الأنساب ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب ولذلك قيل كل أمة وضعت الغيرة

(١) حديث إن سعدا لغيور الحديث مسلم من حديث أبى هريرة وهو متفق عليه من حديث المغيرة بنحوه وتقدم فى النكاح

أنه قال مهما أنتبه من الليل لا يحملنى النوم إلا بعد ما أقوم وأجدد الوضوء لئلا يعود إلىّ النوم وأنا على غير طهارة وسمعت من صحب الشيخ على بن الهيتمى أنه كان يقعد الليل جميعه فان غلبه النوم يكون قاعدا كذلك وكلما انتبه يقول لا أكون أسأت الأدب فيقوم ويجدد الوضوء ويصلى ركعتين. وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال عند صلاة الفجر «يا بلال حدثنى بأرجى عمل عملته فى الاسلام فانى سمعت دفّ نعليك بين يدى فى الجنة» قال ما عملت عملا فى الاسلام

في رجالها وضعت الصيانة في نسائها ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم « خير أمتي أحداؤها (١) » يعني في الدين وقال تعالى ـ ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ـ بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه إذ لا تتم الرياضة إلا بتسلط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل إلى الشهوات الخسيسة ففقد الغضب مذموم وإنما المحمود غضب ينتظر إشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطفئ حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « خير الأمور أوساطها (٢) » فمن مال غضبه إلى الفتور حتى أحس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله فينبغي أن يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه إلى الافراط حتى جره إلى التهور واقتحام الفواحش فينبغي أن يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو أرق من الشعرة وأحد من السيف فان عجز عنه فليطلب القرب منه قال تعالى ـ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ـ فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي أن يأتي بالشر كله ولكن بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته نسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه إنه على ما يشاء قدير .

(بيان الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا)

اعلم أنه ظن ظانون أنه يتصور محو الغضب بالكلية وزعموا أن الرياضة إليه تتوجه وإياه تقصد وظن آخرون أنه أصل لا يقبل العلاج وهذا رأي من يظن أن الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغيير وكلا الرأيين ضعيف بل الحق فيه ما نذكره وهو أنه ما بقي الانسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو من الغيظ والغضب ومادام يوافقه شيء ويخالفه آخر فلا بد من أن يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما أخذ منه محبوبه غضب لا محالة وإذا قصد بمكروه غضب لا محالة إلا أن ما يحبه الانسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام : الأول ما هو ضرورة في حق الكافة كالقوت والمسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وأن يغضب وكذلك إذا أخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك إذا أخرج من داره التي هي مسكنه أو أريق ماؤه الذي لعطشه فهذه ضرورات لا يخلو الانسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها . القسم الثاني ما ليس ضروريا لأحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب فان هذه الأمور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الأمور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في أنفسهما فيكنزان ويغضب على من يسرقهما وإن كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا الجنس مما يتصور أن ينفك الانسان عن أصل الغيظ عليه فاذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز أن لا يغضب إذ يجوز أن يكون بصيرا بأمر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها فانه لا يحب وجودها ولو أحب وجودها لغضب على الضرورة بأخذها وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت والتصدر في المجالس والمباهاة في العلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب إذا زاحمه مزاحم على التصدر في المحافل ومن لا يحب ذلك فلا يبالي ولو جلس في صف النعال فلا يغضب إذا جلس غيره فوقه وهذه العادات الرديئة هي التي أكثرت محاب الانسان ومكارهه فأكثرت غضبه وكلما كانت الارادات والشهوات

(١) حديث خير أمتي أحداؤها الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث علي بسند ضعيف وزاد الذين إذا غضبوا رجعوا (٢) حديث خير الأمور أوساطها البيهقي في الشعب مرسلا وقد تقدم.

أرجى عندي أني لم أتطهر طهرا في ساعة ليل أو نهار إلا صليت لربي عز وجل بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي » ومن أدبهم في الطهارة ترك الاسراف في الماء والوقوف على حد السلم. أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياقي قال أخبرنا أبو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا أبو داود قال حدثنا خارجة بن مصعب عن يونس بن عبيد عن الحسن عن يحيى ابن ضمرة السعدي عن أبي بن كعب عن النبي

أكثر كان صاحبها أحط رتبة وأنقص لأن الحاجة صفة نقص فمهما كثرت كثر النقص والجاهل أبدا جهده فى أن يزيد فى حاجاته وفى شهواته وهو لا يدرى أنه مستكثر من أسباب الغم والحزن حتى ينتهى بعض الجهال بالعادات الرديئة ومخالطة قرناء السوء إلى أن يغضب لو قيل له إنك لا تحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجرى مجراه من الرذائل فالغضب على هذا الجنس ليس بضرورى لأن حبه ليس بضرورى . القسم الثالث ما يكون ضروريا فى حق بعض الناس دون البعض الكتاب مثلا فى حق العالم لأنه مضطر إليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه وكذلك أدوات الصناعات فى حق المكتسب الذى لا يمكنه التوصل إلى القوت إلا بها فان ما هو وسيلة إلى الضرورى والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالأشخاص وإنما الحب الضرورى ما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله « من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذا فيرها (١) » ومن كان بصيرا بحقائق الأمور وسلم له هذه الثلاثة يتصور أن لا يغضب فى غيرها فهذه ثلاثة أقسام فلنذكر غاية الرياضة فى كل واحد منها. أما القسم الأول: فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب ولكن لكى يقدر على أن لا يطيع الغضب ولا يستعمله فى الظاهر إلا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك تمكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فأما قمع أصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجانه الغيظ فى الباطن وينتهى ضعفه إلى أن لا يظهر أثره فى الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث أيضا لأن ما صار ضروريا فى حق شخص فلا يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه فى الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه . وأما القسم الثانى : فيمكن التوصل بالرياضة إلى الانفكاك عن الغضب عليه إذ يمكن إخراج حبه من القلب وذلك بأن يعلم الانسان أن وطنه القبر ومستقره الآخرة وأن الدنيا معبر يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال فى وطنه ومستقره فيزهد فى الدنيا ويمحو حبها عن قلبه ولو كان للإنسان كلب لا يحبه لا يغضب إذا ضربه غيره فالغضب تبع للحب فالرياضة فى هذا تنتهى إلى قمع أصل الغضب وهو نادر جدا وقد تنتهى إلى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو أهون . فان قلت : الضرورى من القسم الأول التألم بفوات المحتاج إليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهى قوته فماتت لا يغضب على أحد وإن كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الانسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الأشياء كلها بيد الله ومنه فلا يغضب على أحد من خلقه إذ يراهم مسخرين فى قبضة قدرته كالقلم فى يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم فلا يغضب على من يذبح شاته التى هى قوته كما لا يغضب على موتها إذ يرى الذبح والموت من الله عز وجل فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع أيضا بحسن الظن بالله وهو أن يرى أن الكل من الله وأن الله لا يقدر له إلا ما فيه الخيرة وربما تكون الخيرة فى مرضه وجوعه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد والحجام لأنه يرى أن الخيرة فيه فيقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد إلى هذا الحد إنما تكون كالبرق الخاطف تغلب فى أحول مختطفة ولا تدوم ويرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها الترمذى وابن ماجه من حديث عبيد الله بن محصن دون قوله بحذافيرها قال الترمذى حسن غريب.

صلى الله عليه وسلم أنه قال « للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوا وساوس الماء » قال أبو عبد الله الروذبارى إن الشيطان يجتهد أن يأخذ نصيبه من جميع أعمال بنى آدم فلا يبالى أن يأخذ نصيبه بأن يزدادوا فيما أمروا به أو ينقصوا عنه . وحكى عن ابن الكرنبى أنه أصابته جنابة ليلة من الليالى وكانت عليه مرقعة ثخينة غليظة فجاء إلى الدجلة وكان برد شديد فحرنت نفسه عن الدخول فى الماء لشدة البرد فطرح نفسه فى الماء مع المرقعة ثم خرج من الماء وقال عقدت أن لا أنزعها من بدنى حتى تجف على فمكثت

فانه كان يغضب حتى تحمرّ وجنتاه(١) حتى قال «اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأيما مسلم سببته أولعنته أوضربته فاجعلها منى صلاة عليه وزكاة و قربة تقربه بها إليك يوم القيامة (٢)» وقال عبدالله بن عمرو بن العاص «يارسول الله أكتب عنك كل ماقلت فى الغضب والرضا فقال اكتب فو الذى بعثنى بالحق نبيا مايخرج منه إلاحقّ وأشار إلى لسانه (٣)» فلم يقل إنى لاأغضب ولكن قال إن الغضب لايخرجنى عن الحق أى لاأعمل بموجب الغضب « وغضبت عائشة رضى الله عنها مرّة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك جاءك شيطانك فقالت ومالك شيطان قال بلى ولكنى دعوت الله فأعاننى عليه فأسلم فلايأمرنى إلابالخير (٤)» ولم يقل لاشيطان لى وأراد شيطان الغضب لكن قال لايحملنى على الشرّ ، وقال علىّ رضى الله عنه «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايغضب للدنيا فاذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شىء حتى ينتصر له (٥)» فكان يغضب على الحق وإن كان غضبه لله فهو التفات إلى الوسائط على الجملة بل كل من يغضب على من يأخذ ضرورة قوته وحاجته التى لابدّ له فى دينه منها فانما غضب لله فلا يمكن الانفكاك عنه . نعم قد يفقد أصل الغضب فيما هو ضرورى إذا كان القلب مشغولا بضرورى أهمّ منه فلا يكون فى القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه ، وهذا كما أن سلمان لما شتم قال إن خفت موازينى فأنا شرّ مما تقول وإن ثقلت موازينى لم يضرّنى ماتقول فقد كان همه مصروفا إلى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم . وكذلك شتم الربيع بن خيثم فقال : ياهذا قد سمع الله كلامك وان دون الجنة عقبة إن قطعتها لم يضرّنى ماتقول وإن لم أقطعها فأنا شرّ مما تقول. وسب رجل أبا بكر رضى الله عنه فقال ماستر الله عنك أكثر فكأنه كان مشغولا بالنظر فى تقصير نفسه عن أن يتقى الله حقّ تقاته ويعرفه حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره إياه إلى نقصان إذ كان ينظر إلى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره ، وقالت امرأة لمالك بن دينار يامرائى فقال ماعرفنى غيرك فكأنه كان مشغولا بأن ينفى عن نفسه آفة الرياء ومنكرا على نفسه مايلقيه الشيطان إليه فلم يغضب لما نسب إليه. وسب رجل الشعبى فقال إن كنت صادقا فغفر الله لى وإن كنت كاذبا فغفر الله لك فهذه الأقاويل دالة فى الظاهر على أنهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل أن يكون ذلك قد أثر فى قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الأغلب على قلوبهم فاذا اشتغال القلب ببعض المهمات لايبعد أن يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب فاذا يتصوّر فقد الغيظ إما باشتغال القلب بمهم أو بغلبة نظر التوحيد أو بسبب ثالث وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لايغتاظ فيطفىء شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال فى أحوال نادرة وقد عرفت بهذا أن الطريق للخلاص من نار الغضب

(١) حديث كان صلى الله عليه وسلم يغضب حتى تحمر وجنتاه مسلم من حديث جابر كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتدّ غضبه وللحاكم كان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتدّ غضبه وقد تقدّم فى أخلاق النبوّة.(٢) حديث اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر الحديث مسلم من حديث أبى هريرة دون قوله أغضب كما يغضب البشر وقال جلدته بدل ضربته وفى رواية اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وأصله متفق عليه وتقدّم ولمسلم من حديث أنس إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر ولأبى يعلى من حديث أبى سعيد أوضربته (٣) حديث عبدالله بن عمرو يارسول الله أكتب عنك كل ماقلت فى الغضب والرضا قال اكتب فو الذى بعثنى بالحقّ مايخرج منه إلاحق وأشار إلى لسانه أبوداود بنحوه (٤) حديث غضبت عائشة فقال النبى صلى الله عليه وسلم مالك جاءك شيطانك الحديث مسلم من حديث عائشة (٥) حديث على كان لايغضب للدنيا الحديث الترمذى فى الشمائل وقد تقدّم.

عليه شهرا لشخانتها وغلظها أدب بذلك نفسه لما حرنت عن الائتمار لأمر الله تعالى وقيل إن سهل بن عبد الله كان يحث أصحابه على كثرة شرب الماء وقلة صبه على الأرض وكان يرى أن فى الإكثار من شرب الماء ضعف النفس وإماتة الشهوات وكسر القوّة ومن أفعال الصوفية الاحتياط فى استبقاء الماء للوضوء قيل كان إبراهيم الخواص إذا دخل البادية لايحمل معه إلا ركوة من الماء وربما كان لايشرب منها إلا القليل يحفظ الماء للوضوء وقيل إنه كان يخرج من مكة إلى الكوفة ولايحتاج إلى

محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سيأتى فى كتاب ذم الدنيا ومن أخرج حب الدنيا عن القلب تخلص من أكثر أسباب الغضب وما لا يمكن محوه يمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه ، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه إنه على كل شىء قدير والحمد لله وحده.

(بيان الأسباب المهيجة للغضب)

قد عرفت أن علاج كل علة حسم مادتها وإزالة أسبابها فلا بد من معرفة أسباب الغضب، وقد قال يحيى لعيسى عليهما السلام أى شىء أشد قال غضب الله قال فما يقرب من غضب الله قال أن تغضب قال فما يبدى الغضب وما ينبته قال عيسى : الكبر والفخر والتعزز والحمية والأسباب المهيجة للغضب هى الزهو والعجب والمزاح والهزل والهزء والتعيير والمماراة والضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهى بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها ، فينبغى أن تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بمعرفتك بنفسك كما سيأتى بيانه فى كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك إذ الناس يجمعهم فى الانتساب أب واحد ، وإنما اختلفوا فى الفضل أشتاتا فبنو آدم جنس واحد وإنما الفخر بالفضائل ، والفخر والعجب والكبر أكبر الرذائل وهى أصلها ورأسها فاذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والأعضاء الظاهرة والباطنة. وأما المزاح فتزيله بالتشاغل باللهمات الدينية التى تستوعب العمر وتفضل عنه إذا عرفت ذلك. وأما الهزل فتزيله بالجد فى طلب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التى تبلغك إلى سعادة الآخرة. وأما الهزء فتزيله بالتكرم عن إيذاء الناس وبصيانة النفس عن أن يستهزأ بك . وأما التعيير فالحذر عن القول القبيح صيانة النفس عن مر الجواب . وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الأخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر فى علاجه إلى رياضة وتحمل مشقة ، وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة أضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضا عن الغضب الذى يتولد منها ومن أشد البواعث على الغضب عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبرهمة وتلقيبه بالألقاب المحمودة غباوة وجهلا حتى تميل النفس إليه وتستحسنه وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الأكابر فى معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكابر فيهيج الغضب إلى القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها وآية أنه لضعف النفس أن المريض أسرع غضبا من الصحيح والمرأة أسرع غضبا من الرجل والصبى أسرع غضبا من الرجل الكبير والشيخ الضعيف أسرع غضبا من الكهل وذو الخلق السيء والرذائل القبيحة أسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته إذا فاتته اللقمة ولبخله إذا فاتته الحبة حتى إنه يغضب على أهله وولده وأصحابه بل القوى من يملك نفسه عند الغضب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب (١) » بل ينبغى أن يعالج هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك منقول عن الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء وأكابر الملوك الفضلاء وضد ذلك منقول عن الأكراد والأتراك والجهلة والأغبياء الذين لا عقول لهم ولا فضل فيهم .

(١) حديث ليس الشديد بالصرعة تقدم قبله .

التيمم يحفظ الماء للوضوء ويقنع بالقليل للشرب . وقيل إذا رأيت الصوفى ليس معه ركوة أو كوز فاعلم أنه قد عزم على ترك الصلاة شاء أم أبى. وحكى عن بعضهم أنه أدب نفسه فى الطهارة إلى حد أنه أقام بين ظهرانى جماعة من النساك وهم مجتمعون فى دار فما رآه أحد منهم أنه دخل الخلاء لأنه كان يقضى حاجته إذا خلا الموضع فى وقت يريد تأديب نفسه ، وقيل مات الخواص فى جامع الرى فى وسط الماء وذلك أنه كان به علة البطن وكلما قام دخل الماء وغسل نفسه فدخله مرة ومات فيه كل ذلك لحفظه على

(بيان علاج الغضب بعد هيجانه)

ماذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لأسبابه حتى لايهيج فاذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لايضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه المذموم وإنما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل . أما العلم فهو ستة أمور : الأول يتفكر فى الأخبار التى سنوردها فى فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب فى ثوابه فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفى والانتقام وينطفئ عنه غيظه قال مالك بن أوس بن الحدثان غضب عمر على رجل وأمر بضربه فقلت ياأمير المؤمنين ـ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ـ فكان عمر يقول ـ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ـ فكان يتأمل فى الآية وكان وقافا عند كتاب الله مهما تلى عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلى الرجل وأمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى ـ والكاظمين الغيظ ـ فقال لغلامه خل عنه . الثانى أن يخوف نفسه بعقاب الله وهو أن يقول قدرة الله على أعظم من قدرتى على هذا الانسان فلو أمضيت غضبى عليه لم آمن أن يمضى الله غضبه على يوم القيامة أحوج ماأكون إلى العفو فقد قال تعالى فى بعض الكتب القديمة : ياابن آدم اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق . وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا إلى حاجة فأبطأ عليه فلما جاء قال « لولا القصاص لأوجعتك (١) » أى القصاص فى القيامة وقيل ما كان فى بنى إسرائيل ملك الا ومعه حكيم إذا غضب أعطاه صحيفة فيها : ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه . الثالث أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعى فى هدم أغراضه والشماتة بمصائبه وهو لايخلو عن المصائب فيخوف نفسه بعواقب الغضب فى الدنيا إن كان لايخاف من الآخرة وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الآخرة ولاثواب عليه لأنه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض إلا أن يكون محذوره أن تتشوش عليه فى الدنيا فراغته للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون مثابا عليه . الرابع أن يتفكر فى قبح صورته عند الغضب بأن يتذكر صورة غيره فى حالة الغضب ويتفكر فى قبح الغضب فى نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضارى والسبع العادى ومشابهة الحليم الهادى التارك للغضب للأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء ويخير نفسه بين أن يتشبه بالكلاب والسباع وأراذل الناس وبين أن يتشبه بالعلماء والأنبياء فى عادتهم لتميل نفسه إلى حب الاقتداء بهؤلاء إن كان قد بقى معه مسكة من عقل . الخامس أن يتفكر فى السبب الذى يدعوه إلى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد وأن يكون له سبب مثل قول الشيطان له إن هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا فى أعين الناس فيقول لنفسه ماأعجبك تأنفين من الاحتمال الآن ولاتأنفين من خزى يوم القيامة والافتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منه وتحذرين من أن تصغرى فى أعين الناس ولا تحذرين من أن تصغرى عند الله والملائكة والنبيين فمهما كظم الغيظ فينبغى أن يكظمه لله وذلك يعظمه عند الله فماله وللناس وذل من ظلمه يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن أفلا يحب أن يكون هو القائم إذا نودى يوم القيامة ليقم من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا فهذا وأمثاله من معارف الايمان ينبغى أن يكرره على قلبه . السادس أن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشىء على وفق مراد الله لا على وفق مراده فكيف يقول مرادى أولى من مراد الله ويوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه . وأما العمل فان تقول بلسانك

(١) حديث لولا القصاص لأوجعتك أبو يعلى من حديث أم سلمة بسند ضعيف .

الوضوء والطهارة وقيل كان إبراهيم بن أدهم به قيام فقام فى ليلة واحدة نيفا وسبعين مرة كل مرة يجدد الوضوء ويصلى ركعتين وقيل إن بعضهم أدب نفسه حتى لايخرج منه الريح إلا فى وقت البراز يراعى الأدب فى الخلوات واتخاذ المنديل بعد الوضوء كرهه قوم وقالوا إن الوضوء يوزن وأجازه بعضهم ودليلهم ماأخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر قال أنا أبو محمد قال أنا أبو العباس قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا عبد الله

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال عند الغيظ (١) « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضبت عائشة أخذ بأنفها وقال ياعويش قولى اللهم رب النبي محمد اغفرلى ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرنى من مضلات الفتن (٢) » فيستحب أن تقول ذلك فان لم يزل بذلك فاجلس إن كنت قائما واضطجع إن كنت جالسا واقرب من الأرض التى منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الغضب جمرة توقد فى القلب (٣) » ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد أحدكم من ذلك شيئا فان كان قائما فليجلس وإن كان جالسا فليتم فان لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل فان النار لايطفئها إلا الماء فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فانما الغضب من النار (٤) » وفى رواية إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا غضبت فاسكت (٥) » وقال أبو هريرة « كان رسول الله ﷺ إذا غضب وهو قائم جلس وإذ غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه (٦) » وقال أبو سعيد الخدرى قال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا إن الغضب جمرة فى قلب ابن آدم (٧) » ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليلصق خده بالأرض وكان هذا إشارة إلى السجود وتمكين أعز الأعضاء من أذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذى هو سبب الغضب . وروى أن عمر غضب يوما فدعا بماء فاستنشق وقال إن الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لى أبى أو ليت قلت نعم قال فاذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك وإلى الأرض تحتك ثم عظم خالقهما . وروى « أن أبا ذر قال لرجل ياابن الحمراء فى خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله

(١) حديث الأمر بالتعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند الغيظ متفق عليه من حديث سليمان بن صرد قال كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبان فأحدهما احمر وجهه وانتفخت أوداجه الحديث وفيه لوقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه مايجد فقالوا له إن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعوذ بالله من الشيطان الرجيم الحديث (٢) حديث كان إذا غضبت عائشة أخذ بأنفها وقال ياعويش قولى اللهم رب النبي محمد اغفرلى ذنبي وأذهب غيظ قلبي الحديث ابن السنى فى اليوم والليلة من حديثها وتقدم فى الأذكار والدعوات (٣) حديث إن الغضب جمرة توقد فى القلب الحديث الترمذى من حديث أبى سعيد دون قوله توقد وقد تقدم ورواه بهذه اللفظة البيهقى فى الشعب (٤) حديث إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء البارد الحديث أبو داود من حديث عطية السعدى دون قوله بالماء البارد وهو بلفظ الرواية الثانية التى ذكرها المصنف وقد تقدم (٥) حديث ابن عباس إذا غضبت فاسكت أحمد وابن أبى الدنيا والطبرانى واللفظ لهما والبيهقى فى شعب الايمان وفيه ليث بن أبى سليم (٦) حديث أبى هريرة كان إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه ابن أبى الدنيا وفيه من لم يسم ولأحمد باسناد جيد فى أثناء حديث فيه وكان أبو ذر قائما فجلس ثم اضطجع فقيل له لم جلست ثم اضطجعت فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فان ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع والمرفوع عند أبى داود وفيه عنده انقطاع سقط منه أبو الأسود (٧) حديث أبى سعيد ألا إن الغضب جمرة فى قلب ابن آدم الحديث الترمذى وقال حسن .

ابن وهب عن زيد ابن حباب عن أبى معاذ عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم خرقة ينشف بها أعضاءه بعد الوضوء . وروى معاذ ابن جبل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توضأ مسح وجهه بطرف ثوبه واستقصاء الصوفية فى تطهير البواطن من الصفات الرديئة والأخلاق المذمومة لا الاستقصاء فى طهارة الظاهر إلى حد يخرج عن حد العلم وتوضأ عمر رضى الله عنه من جرة نصرانية مع كون النصارى لايحترزون عن الخمر وأجرى الأمر

صلى الله عليه وسلم فقال ياأباذر بلغنى أنك اليوم عيرت أخاك بأمه فقال نعم فانطلق أبو ذر ليرضى صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياأبا ذر ارفع رسك فانظر ثم اعلم أنك لست بأفضل من أحمر فيها ولا أسود إلا أن تفضله بعمل ثم قال إذا غضبت فان كنت قائما فاقعد وإن كنت قاعدا فاتكئ وإن كنت متكئا فاضطجع (١) » وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف وأعطى كل صحيفة رجلا وقال للأول إذا غضبت فأعطنى هذه وقال للثانى إذا سكن بعض غضبى فأعطنى هذه وقال للثالث إذا ذهب غضبى فأعطنى هذه فاشتد غضبه يوما فأعطى الصحيفة الأولى فاذا فيها ماأنت وهذا الغضب إنك لست بإله إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا فسكن بعض غضبه فأعطى الثانية فاذا فيها ارحم من فى الأرض يرحمك من السماء فأعطى الثالثة فاذا فيها خذ الناس بحق الله فانه لايصلهم إلا ذلك أى لاتعطل الحدود . وغضب المهدى على رجل فقال شبيب لا تغضب لله بأشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله .

(فضيلة كظم الغيظ)

قال الله تعالى ـ والكاظمين الغيظ ـ وذكر ذلك فى معرض المدح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « أشدكم من غلب نفسه عند الغضب وأحلمكم من عفا عند القدرة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه لأمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا ـ وفى رواية ـ ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا (٤) » وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماجرع عبد جرعة أعظم أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى (٥) » وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم « إن لجهنم بابا لايدخله إلا من شفى

على الظاهر وأصل الطهارة وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون على الأرض من غير سجادة ويمشون حفاة فى الطرق وقد كانوا لايجعلون وقت النوم بينهم وبين التراب حائلا وقد كانوا يقتصرون على الحجر فى الاستنجاء فى بعض الأوقات وكان أمرهم فى الطهارة الظاهرة على التساهل واستقصاؤهم فى الطهارة الباطنة وهكذا شغل الصوفية وقد يكون فى بعض الأشخاص تشدد فى الطهارة ويكون مستند ذلك رعونة النفس فلو اتسخ ثوبه تحرج ولا يبالى بما فى باطنه من الغل والحقد والكبر

(١) حديث أبى ذر أنه قال لرجل ياأبا الحمراء فى لخصومة بينهما فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه فقال ياأبا ذر ارفع رأسك فانظر الحديث وفيه ثم قال إذا غضبت إلى آخره ابن أبى الدنيا فى العفو وذم الغضب باسناد صحيح وفى الصحيحين من حديثه قال كان بينى وبين رجل من إخوانى كلام وكانت أمه أعجمية فعيرته بأمه فشكانى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ياأبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية ولأحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى ورجاله ثقات.

(فضيلة كظم الغيظ)

(٢) حديث من كف غضبه كف الله عنه عذابه الحديث الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى شعب الايمان واللفظ له من حديث أنس باسناد ضعيف ولابن أبى الدنيا من حديث ابن عمر من ملك غضبه وقاه الله عذابه الحديث وقد تقدم فى آفات اللسان (٣) حديث أشدكم من ملك نفسه عند الغضب وأحلمكم من عفا عند القدرة ابن أبى الدنيا من حديث على بسند ضعيف والبيهقى فى الشعب بالشطر الأول من رواية عبد الرحمن ابن عجلان مرسلا باسناد جيد وللبزار والطبرانى فى مكارم الأخلاق واللفظ له من حديث أشدكم أملكم لنفسه عند الغضب وفيه عمران القطان مختلف فيه (٤) حديث من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا وفى رواية أمنا وإيمانا ابن أبى الدنيا بالرواية الأولى من حديث ابن عمر وفيه سكين بن أبى سراج تكلم فيه ابن حبان وأبو داود بالرواية الثانية من حديث رجل من أبناء أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم عن أبيه ورواها ابن أبى الدنيا من حديث أبى هريرة وفيه من لم يسم (٥) حديث ابن عمر ماجرع رجل جرعة أعظم أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله ابن ماجه.

غيظه بمعصية الله تعالى (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها عبد إلا ملأ الله قلبه إيمانا (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رءوس الخلائق ويخيره من أى الحور شاء (٣) » الآثار : قال عمر رضى عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل مايشاء ولولا يوم القيامة لكان غير ماترون . وقال لقمان لابنه : يابنى لاتذهب ماء وجهك بالمسألة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك . وقال أيوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا ، واجتمع سفيان الثورى وأبو خزعة البر بوعى والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد فأجمعوا على أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الجزع . وقال رجل لعمر رضى الله عنه والله ماتقضى بالعدل ولا تعطى الجزل فغضب عمر حتى عرف ذلك فى وجهه فقال له رجل ياأمير المؤمنين ألا تسمع أن الله تعالى يقول ـ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ـ فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكأنما كانت نارا فأطفئت وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه استكمل الايمان بالله إذا رضى لم يدخله رضاه فى الباطل وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق وإذا قدر لم يتناول ماليس له . وجاء رجل إلى سلمان فقال ياعبد الله أوصنى قال لاتغضب قال لاأقدر قال فان غضبت فأمسك لسانك ويدك .

(بيان فضيلة الحلم)

اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم أى تكلف الحلم ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة ولكن إذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وإن هاج فلا يكون فى كظمه تعب وهو الحلم الطبيعى وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفا قال صلى الله عليه وسلم « إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتخير الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه (٤) » وأشار بهذا إلى أن اكتساب الحلم طريقه التحلم أولا وتكلفه كما أن اكتساب العلم طريقه التعلم . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم حلمكم (٥) » وأشار بهذا إلى أن التكبر والتجبر هو الذى يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين ، وكان من دعائه ﷺ « اللهم أغننى بالعلم وزينى بالحلم وأكرمنى بالتقوى وجملنى بالعافية (٦) » وقال أبو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم « ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وماهى يارسول الله ؟ قال تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتحلم عمن جهل عليك (٧) »

(١) حديث ابن عباس إن لجهنم بابا لايدخل منه إلا من شفى غيظه بمعصية الله تقدم فى آفات اللسان (٢) حديث مامن جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها عبد إلا ملأ الله قلبه إيمانا ابن أبى الدنيا من حديث ابن عباس وفيه ضعف ويتلفق من حديث ابن عمر وحديث الصحابى الذى لم يسم وقد تقدما (٣) حديث من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رءوس الخلائق حتى يخيره من أى الحور شاء تقدم فى آفات اللسان .

(فضيلة الحلم)

(٤) حديث إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم الحديث الطبرانى والدارقطنى فى العلل من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف (٥) حديث أبى هريرة اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم الحديث ابن السنى فى رياضة المتعلمين بسند ضعيف (٦) حديث كان من دعائه اللهم أغننى بالعلم وزينى بالحلم وأكرمنى بالتقوى وجملنى بالعافية لم أجد له أصلا (٧) حديث ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وماهى ؟ قال تصل من قطعك الحديث الحاكم والبيهقى وقد تقدم .

والعجب والرياء والنفاق ولعله ينكر على الشخص لو داس الأرض حافيا مع وجود رخصة الشرع ولا ينكره عليه أن يتكلم بكلمة غيبة يخرب بها دينه وكل ذلك من قلة العلم وترك التأدب بصحبة الصادقين من العلماء الراسخين وكانوا يكرهون كثرة الدلك فى الاستبراء لأنه ربما يسترخى العرق ولا يمسك البول ويتولد منه القطر المفرط . ومن حكايات المتصوفة فى الوضوء والطهارات أن أبا عمرو الزجاجى جاور بمكة ثلاثين سنة وكان لايتغوط فى الحرم ويخرج إلى الحل وأقل ذلك فرسخ . وقيل كان بعضهم على وجهه

وقال صلى الله عليه وسلم « خمس من سنن المرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر (١) » وقال علي كرم الله وجهه قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وإنه ليكتب جبارا عنيدا ولا يملك إلا أهل بيته (٢) » وقال أبو هريرة « إن رجلا قال يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إلي ويجهلون علي وأحلم عنهم قال إن كان كما تقول فكأنما تسفهم الملّ ولا يزال معك من الله ظهير مادمت على ذلك (٣) » الملّ يعني به الرمل وقال رجل من المسلمين « اللهم ليس عندي صدقة أتصدّق بها فأيما رجل أصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة فأوحى الله تعالى إلى النبي ﷺ إني قد غفرت له (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم قالوا وما أبو ضمضم قال رجل ممن كان قبلكم كان إذ أصبح يقول اللهم إني تصدّقت اليوم بعرضي على من ظلمني (٥) » وقيل في قوله تعالى ـ ربانيين ـ أي حلماء علماء وعن الحسن في قوله تعالى ـ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ـ قال حلماء إن جهل عليهم لم يجهلوا. وقال عطاء بن أبي رباح ـ يمشون على الأرض هونا ـ أي حلما وقال ابن أبي حبيب في قوله عز وجل ـ وكهلا ـ قال الكهل منتهى الحلم. وقال مجاهد ـ وإذا مروا باللغو مروا كراما ـ أي إذا أوذوا صفحوا. وروى « أن ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود وأمسى كريما (٦) » ثم تلا إبراهيم بن ميسرة وهو الراوي قوله تعالى ـ وإذا مروا باللغو مروا كراما ـ وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم « اللهمّ لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم وألسنتهم ألسنة العرب (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليليني منكم ذوو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم وإياكم وهيشات الأسواق (٨) » وروى « أنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم الأشج فأناخ راحلته ثم عقلها وطرح عنه ثوبين كانا عليه وأخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بعين

(١) حديث خمس من سنن المرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر أبو بكر بن أبي عاصم في المثاني والآحاد والترمذي الحكيم في نوادر الأصول من رواية مليح بن عبد الله الخطميّ عن أبيه عن جدّه وللترمذي وحسنه من حديث أبي أيوب أربع فأسقط الحلم والحجامة وزاد النكاح (٢) حديث عليّ إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم الحديث الطبراني في الأوسط بسند ضعيف (٣) حديث أبي هريرة إن رجلا قال يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إلي ويجهلون علي وأحلم عنهم الحديث رواه مسلم (٤) حديث قال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة أتصدّق بها فأيما رجل أصاب من عرضي شيئا فهو صدقة عليه الحديث أبو نعيم في الصحابة والبيهقي في الشعب من رواية عبد المجيد بن أبي عبس بن جبر عن أبيه عن جده باسناد لين زاد البيهقي عن علية بن زيد وعلية هو الذي قال ذلك كما في أثناء الحديث وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أنه رواه ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلا من المسلمين ولم يسمه وقال أظنه أبا ضمضم قلت وليس بأبي ضمضم إنما هو علية بن زيد وأبو ضمضم ليس له صحبة وإنما هو متقدّم (٥) حديث أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم الحديث تقدم في آفات اللسان (٦) حديث إن ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود وأمسى كريما ابن المبارك في البر والصلة (٧) حديث اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم الحديث أحمد من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف (٨) حديث ليليني منكم أولو الأحلام والنهى الحديث مسلم من حديث ابن مسعود دون قوله ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم فهي عند أبي داود والترمذي وحسنه وهي عند مسلم في حديث آخر لابن مسعود.

قرح لم يندمل اثنتي عشرة سنة لأن الماء كان يضرّه وكان مع ذلك لا يدع تجديد الوضوء عند كل فريضة وبعضهم نزل في عينه الماء فحملوا إليه المداوي وبذلوا له مالا كثيرا ليداويه فقال المداوي يحتاج إلى ترك الوضوء أياما ويكون مستلقيا على قفاه فلم يفعل ذلك واختار ذهاب بصره على ترك الوضوء.

[الباب السادس والثلاثون في فضيلة الصلاة وكبر شأنها]

روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله تعالى جنة عدن وخلق فيها

رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى مايصنع ثم أقبل يمشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام إن فيك ياأشج خلقين يحبهما الله ورسوله قال ماهما بأبى أنت وأمى يارسول الله قال الحلم والأناة فقال خلقان تخلقتهما أوخلقان جبلت عليهما فقال بل خلقان جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما الله ورسوله (١)» وقال ﷺ «إن الله يحب الحليم الحيى الغنى المتعفف أبا العيال التقى ويبغض الفاحش البذى السائل الملحف الغبى (٢)» وقال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم «ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلاتعتدوا بشىء من عمله تقوى تحجزه عن معاصى الله عزوجل وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به فى الناس (٣)» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون لهم إنا نراكم سراعا إلى الجنة فيقولون نحن أهل الفضل فيقولون لهم ما كان فضلكم فيقولون كنا إذا ظلمنا صبرنا وإذا أسىء إلينا عفونا وإذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين (٤)» . الآثار : قال عمر رضى الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وقال على رضى الله عنه ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك وأن لاتباهى الناس بعبادة الله وإذا أحسنت حمدت الله تعالى وإذا أسأت استغفرت الله تعالى وقال الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم . وقال أكثم بن صيفى دعامة العقل الحلم وجماع الأمر الصبر. وقال أبو الدرداء أدركت الناس ورقا لاشوك فيه فأصبحوا شوكا لاورق فيه إن عرفتهم نقدوك وإن تركتهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع ؟ قال تعرضهم عن عرضك ليوم فقرك . وقال على رضى الله عنه إن أول ماعوض الحليم من خلقه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل . وقال معاوية رحمه الله تعالى لايبلغ العبد مبلغ الرأى حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم . وقال معاوية لعمرو بن الأهتم أى الرجال أشجع قال من رد جهله بحلمه قال أى الرجال أسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه . وقال أنس بن مالك فى قوله تعالى ـ فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ـ إلى قوله ـ عظيم ـ هو الرجل يشتمه أخوه فيقول إن كنت كاذبا فغفر الله لك وإن كنت صادقا نغفر الله لى . وقال بعضهم شتمت فلانا من أهل البصرة فحلم على فاستعبدنى بها زمانا . وقال معاوية لعرابة بن أوس بم سدت قومك ياعرابة قال ياأمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم وأعطى سائلهم وأسعى فى حوائجهم فمن فعل فعلى فهو مثلى ومن جاوزنى فهو أفضل منى ومن قصر عنى فأنا خير منه . وسب رجل ابن عباس رضى الله عنهما فلما فرغ قال ياعكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها فنكس الرجل رأسه واستحى . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز أشهد أنك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك . وعن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم أنه سبه رجل فرمى إليه بخميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم فقال بعضهم جمع له خمس خصال محمودة : الحلم وإسقاط الأذى وتخليص الرجل مما يبعد من الله عزوجل وحمله على الندم والتوبة

(١) حديث ياأشج إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة الحديث متفق عليه (٢) حديث إن الله يحب الحيى الحليم الغنى المتعفف الحديث الطبرانى من حديث سعد إن الله يحب العبد التقى الغنى الخفى (٣) حديث ابن عباس ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتدوا بشىء من عمله أبو نعيم فى كتاب الإيجاز باسناد ضعيف والطبرانى من حديث أم سلمة باسناد لين وقد تقدم فى آداب الصحبة (٤) حديث إذا جمع الخلائق نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس الحديث وفيه إذا جهل علينا حلمنا البيهقى فى شعب الإيمان من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال البيهقى فى إسناده ضعف .

مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال لها تكلمى فقالت ـ قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ـ ثلاثا» وشهد القرآن المجيد بالفلاح للمصلين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتانى جبرائيل لدلوك الشمس حين زالت وصلى بى الظهر» واشتقاق الصلاة قيل من الصلى وهو النار والخشبة المعوجة إذا أرادوا تقويمها تعرض على النار ثم تقوم وفى العبد اعوجاج لوجود نفسه الأمارة بالسوء وسبحات وجه الله الكريم التى لو كشف حجابها أحرقت من أدركته يصيب بها

ورجوعه إلى مدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشىء من الدنيا يسير وقال رجل لجعفر بن محمد إنه قد وقع بينى وبين قوم منازعة فى أمر وإنى أريد أن أتركه فأخشى أن يقال لى إن تركك له ذل فقال جعفر إنما الذليل الظالم وقال الخليل بن أحمد كان يقال من أساء فأحسن إليه فقد جعل له حاجزا من قلبه يردعه عن مثل إساءته وقال الأحنف بن قيس لست بحليم ولكننى أتحلم وقال وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطئ ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المراء يشتم ومن لا يكره الشر يأثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يأمن ومن يتول الله يمنع ومن لا يسأل الله يفتقر ومن يأمن مكر الله يخذل ومن يستعن بالله يظفر وقال رجل لمالك بن دينار بلغنى أنك ذكرتنى بسوء قال أنت إذن أكرم علىّ من نفسى إنى إذا فعلت ذلك أهديت لك حسناتى . وقال بعض العلماء الحلم أرفع من العقل لأن الله تعالى تسمى به وقال رجل لبعض الحكماء والله لأسبنك سبا يدخل معك فى قبرك فقال معك يدخل لا معى ومر المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له إنهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا فقال كل ينفق مما عنده وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ولا الشجاع إلا عند الحرب ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه. ودخل على بعض الحكماء صديق له فقدم إليه طعاما فخرجت امرأة الحكيم وكانت سيئة الخلق فرفعت المائدة وأقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال له تذكر يوم كنا فى منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المائدة فأفسدت ما عليها فلم يغضب أحد منا قال نعم قال فاحسب أن هذه مثل تلك الدجاجة فسرى عن الرجل غضبه وانصرف وقال صدق الحكيم الحلم شفاء من كل ألم وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه فلم يغضب فقيل له فى ذلك فقال أقمته مقام حجر تعثرت به فذبحت الغضب وقال محمود الوراق:

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب ... وإن كثرت منه علىّ الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثلى مقاوم
فأما الذى فوقى فأعرف قدره ... وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فان قال صنت عن ... إجابته عرضى وإن لام لائم
وأما الذى مثلى فان زل أوهفا ... تفضلت إن الفضل بالحلم حاكم

(بيان القدر الذى يجوز الانتصار والتشفى به من الكلام)

اعلم أن كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله فلا تجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا السب بالسب وكذلك سائر المعاصى وإنما القصاص والغرامة على قدر ما ورد الشرع به وقد فصلناه فى الفقه . وأما السب فلا يقابل بمثله إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه(١)» وقال «المستبان ما قالا فهو على البادئ ما لم يعتد المظلوم» وقال «المستبان شيطانان يتهاتران (٢)» «وشتم رجل أبا بكر الصديق رضى الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام رسول الله ﷺ فقال أبو بكر إنك كنت ساكتا لما شتمنى فلما تكلمت قمت قال لأن الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم أكن لأجلس فى مجلس فيه الشيطان(٣)»

المصلى من وهج السطوة الإلهية والعظمة الربانية ما يزول به اعوجاجه بل يتحقق به معراجه فالمصلى كالمصطلى بالنار ومن اصطلى بنار الصلاة وزال بها اعوجاجه لا يعرض على نار جهنم إلا تحلة القسم . أخبرنا الشيخ العالم رضى الدين أحمد بن إسمعيل القزوينى إجازة قال أنا أبو سعيد محمد بن أبى العباس بن محمد بن أبى العباس الخليلى قال أنا أبو سعيد الفرخزاذى قال أنا أبو إسحق أحمد ابن محمد قال أنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن قال أنا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبرى قال ثنا جعفر ابن أحمد بن الحافظ

(١) حديث إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه أحمد من حديث جابر بن مسلم وقد تقدم (٢) حديث المستبان شيطانان يتهاتران تقدم (٣) حديث شتم رجل أبا بكر رضى الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام صلى الله عليه وسلم الحديث أبو داود من حديث أبى هريرة متصلا ومرسلا قال البخارى المرسل أصح .

وقال قوم تجوز المقابلة بما لا كذب فيه وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقابلة التعيير بمثله نهى تنزيه والأفضل تركه ولكنه لا يعصى به والذى يرخص فيه أن تقول من أنت وهل أنت إلا من بنى فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل أنت إلا من بنى هذيل وقال ابن مسعود وهل أنت إلا من بنى أمية ومثل قوله يا أحمق قال مطرف كل الناس أحمق فيما بينه وبين ربه إلا أن بعض الناس أقل حماقة من بعض وقال ابن عمر فى حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقى فى ذات الله تعالى (١) وكذلك قوله يا جاهل إذما من أحد إلا وفيه جهل فقد آذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيء الخلق يا صفيق الوجه يا ثلابا للأعراض وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياء لما تكلمت وما أحقرك فى عينى بما فعلت وأخزاك الله وانتقم منك . فأما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روى أنه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد مه إن ما بيننا لم يبلغ ديننا يعنى أن يأثم بعضنا فى بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوز له أن يقوله والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام كالنسبة إلى الزنا والفحش والسب ما روت عائشة رضى الله عنها «أن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم أرسلن إليه فاطمة فجاءت فقالت يا رسول الله أرسلنى إليك أزواجك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة والنبى صلى الله عليه وسلم نائم فقال يا بنية أتحبين ما أحب قالت نعم قال فأحبى هذه فرجعت إليهن فأخبرتهن بذلك فقلن ما أغنيت عنا شيئا فأرسلن زينب بنت جحش قالت وهى التى كانت تسامينى فى الحب فجاءت فقالت بنت أبى بكر وبنت أبى بكر فما زالت تذكرنى وأنا ساكتة أنتظر أن يأذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجواب فأذن لى فسببتها حتى جف لسانى فقال النبى صلى الله عليه وسلم : كلا إنها ابنة أبى بكر (٢) » يعنى أنك لا تقاومينها فى الكلام قط وقولها سببتها ليس المراد به الفحش بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبى صلى الله عليه وسلم «المستبان ما قالا فعلى البادىء منهما حتى يعتدى المظلوم (٣) » فأثبت للمظلوم انتصارا إلى أن يعتدى فهذا القدر هو الذى أباحه هؤلاء وهو رخصة فى الايذاء جزاء على إيذائه السابق ولا تبعد الرخصة فى هذا القدر ولكن الأفضل تركه فانه يجره إلى ما وراءه ولا يمكنه الاقتصار على قدر الحق فيه والسكوت عن أصل الجواب لعله أيسر من الشروع فى الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه فى فورة الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف نفسه فى الابتداء ولكن يحقد على الدوام والناس فى الغضب أربعة فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطىء الوقود بطىء الخمود وهذا هو بطىء الوقود سريع الخمود وهو الأحمد ما لم ينته إلى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود بطىء الخمود وهذا هو شرهم وفى الخبر « المؤمن سريع الغضب سريع الرضى فهذه بتلك (٤) » وقال الشافعى رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان وقد قال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا إن بنى آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم بطىء الغضب سريع الفىء ومنهم سريع الغضب سريع الفىء فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطىء الفىء ألا وإن خيرهم البطىء الغضب السريع الفىء وشرهم السريع الغضب البطىء الفىء (٥) »

(١) حديث ابن عمر فى حديث طويل حتى ترى الناس كأنهم حمقى فى ذات الله عز وجل تقدم فى العلم
(٢) حديث عائشة إن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم أرسلن فاطمة فقالت يا رسول الله أرسلنى أزواجك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة الحديث رواه مسلم (٣) حديث المستبان ما قالا فعلى البادىء الحديث رواه مسلم وقد تقدم (٤) حديث المؤمن سريع الغضب سريع الرضى تقدم .
(٥) حديث أبى سعيد الخدرى ألا إن بنى آدم خلقوا على طبقات الحديث تقدم .

قال أنا أحمد بن نصير قال ثنا آدم بن أبى إياس عن ابن سمعان عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «يقول الله عز وجل قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله عز وجل مجدنى عبدى فاذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدنى عبدى فاذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى أثنى علىّ عبدى فاذا قال مالك يوم الدين قال فوض إلى عبدى فاذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال هذا بينى وبين

ولما كان الغضب يهيج ويؤثر فى كل إنسان وجب على السلطان أن لايعاقب أحدا فى حال غضبه لأنه ربما يتعدى الواجب ولأنه ربما يكون متغيظا عليه فيكون متشفيا لغيظه ومريحا نفسه من ألم الغيظ فيكون صاحب حظ فينبغى أن يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه . ورأى عمر رضى الله عنه سكران فأراد أن يأخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع عمر فقيل له ياأمير المؤمنين لما شتمك تركته قال لأنه أغضبنى ولو عزرته لكان ذلك اغضبى لنفسى ولم أحب أن أضرب مسلما حمية لنفسى . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل أغضبه لولا أنك أغضبتنى لعاقبتك .

(القول فى معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق)

اعلم أن الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفى فى الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه وأن يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم «المؤمن ليس بحقود (١)» فالحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر ثمانية أمور: الأول الحسد وهو أن يحملك الحقد على أن تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة إن أصابها وتسر بمصيبة إن نزلت به وهذا من فعل المنافقين وسيأتى ذمه إن شاء الله تعالى . الثانى أن تزيد على اضمار الحسد فى الباطن فتشمت بما أصابه من البلاء . الثالث أن تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وإن طلبك وأقبل عليك . الرابع وهو دونه أن تعرض عنه استصغارا له . الخامس أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر وهتك ستر وغيره . السادس أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه . السابع إيذاؤه بالضرب ومايؤلم بدنه . الثامن أن تمنعه حقه من قضاء دين أو صلة رحم أو رد مظلمة وكل ذلك حرام وأقل درجات الحقد أن تحترز من الآفات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد إلى ماتعصى الله به ولكن تستثقله فى الباطن ولاتنهى قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على المنفعة له أو بترك الدعاء له والثناء عليه أو التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك فى الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وإن كان لايعرضك لعقاب الله ولما حلف أبو بكر رضى الله عنه أن لاينفق على مسطح وكان قريبه لكونه تكلم فى واقعة الإفك نزل قوله تعالى ـ ولا يأتل أولوا الفضل منكم ـ إلى قوله ـ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ـ فقال أبو بكر نعم نحب ذلك وعاد إلى الانفاق عليه (٢) والأولى أن يبقى على ما كان عليه فان أمكنه أن يزيد فى الاحسان مجاهدة للنفس وإرغاما للشيطان فذلك مقام الصديقين وهو من فضائل أعمال المقربين فللمحقود ثلاثة أحوال عند القدرة . أحدها أن يستوفى حقه الذى يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل . الثانى أن يحسن إليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل . الثالث أن يظلمه بما لايستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الأراذل والثانى هو اختيار الصديقين والأول هو منتهى درجات الصالحين ولنذكر الآن فضيلة العفو والاحسان .

(فضيلة العفو والاحسان)

اعلم أن معنى العفو أن يستحق حقا فيسقطه ويبرئ عنه من قصاص أو غرامة وهو غير الحلم وكظم

(فضيلة العفو)

(١) حديث المؤمن ليس بحقود تقدم فى العلم (٢) حديث لما حلف أبو بكر أن لاينفق على مسطح نزل قوله تعالى ـ ولا يأتل أولوا الفضل منكم ـ الآية متفق عليه من حديث عائشة .

عبدى فاذا قال ـ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ـ قال الله تعالى هذا لعبدى ولعبدى ماسأل فالصلاة صلة بين الرب والعبد وما كان صلة بينه وبين الله فحق العبد أن يكون خاشعا لصولة الربوبية على العبودية وقد ورد أن الله تعالى إذا تجلى لشئ خضع له ومن يتحقق بالصلة فى الصلاة تلمع له طوالع التجلى فيخشع والفلاح للذين هم فى صلاتهم خاشعون وبانتفاء الخشوع ينتفى الفلاح وقال الله تعالى ـ وأقم الصلاة لذكرى ـ وإذا كانت الصلاة للذكر كيف يقع

الغيظ فلذلك أفردناه قال الله تعالى ـ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ـ وقال الله تعالى ـ وأن تعفوا أقرب للتقوى ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث والذى نفسى بيده لو كنت حالفا لحلفت عليهن مانقص مال من صدقة فتصدقوا ولاعفا رجل عن مظلمة يبتغى بها وجه الله إلازاده الله بها عزا يوم القيامة ولافتح رجل على نفسه باب مسألة إلافتح الله عليه باب فقر(١) » وقال صلى الله عليه وسلم «التواضع لايزيد العبد إلارفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لايزيد العبد إلاعزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لاتزيد المال إلا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله (٢) » وقالت عائشة رضى الله عنها « مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط مالم ينتهك من محارم الله فاذا انتهك من محارم الله شىء كان أشدهم فى ذلك غضبا وماخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثما (٣) » وقال عقبة «لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فابتدرته فأخذت بيده أوبدرنى فأخذ بيدى فقال : ياعقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم «قال موسى عليه السلام يارب أىّ عبادك أعزّ عليك قال الذى إذا قدر عفا (٥)» وكذلك سئل أبو الدرداء عن أعزّ الناس قال الذى يعفو إذا قدر فاعفوا يعزّكم الله «وجاء رجل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمة فأمره النبىّ صلى الله عليه وسلم أن يجلس وأراد أن يأخذله بمظلمته فقال له صلى الله عليه وسلم: إن المظلومين هم المفلحون يوم القيامة (٦)» فأبى أن يأخذها حين سمع الحديث وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من دعا على من ظلمه فقد انتصر» وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات: يامعشر الموحدين إن الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض(٧) » وعن أبى هريرة «أن رسول الله

(١) حديث ثلاث والذى نفسى بيده إن كنت حالفا لحلفت عليهن مانقصت صدقة من مال الحديث الترمذى من حديث أبى كبشة الأنمارى ولمسلم وأبى داود نحوه من حديث أبى هريرة (٢) حديث التواضع لايزيد العبد إلارفعة فتواضعوا يرفعكم الله الأصفهانى فى الترغيب والترهيب وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث عائشة مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط الحديث الترمذى فى الشمائل وهو عند مسلم بلفظ آخر وقد تقدم (٤) حديث عقبة بن عامر ياعقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك الحديث ابن أبى الدنيا والطبرانى فى مكارم الأخلاق والبيهقى فى الشعب باسناد ضعيف وقد تقدم (٥) حديث قال موسى يارب أى عبادك أعزّ عليك قال الذى إذا قدر عفا الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث أبى هريرة وفيه ابن لهيعة (٦) حديث إن المظلومين هم المفلحون يوم القيامة وفى أوله قصة ابن ابى الدنيا فى كتاب العفو من رواية أبى صالح الحنفى مرسلا (٧) حديث أنس إذا بعث الله عزّ وجلّ الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات يامعشر الموحدين إن الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض أبو سعيد أحمد بن إبراهيم المقرى فى كتاب التبصرة والتذكرة بلفظ ينادى مناد من بطنان العرش يوم القيامة ياأمة محمد إن الله تعالى يقول ماكان لى قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتى وإسناده ضعيف ورواه الطبرانى فى الأوسط بلفظ نادى مناد ياأهل الجمع تتاركوا المظالم بينكم وثوابكم علىّ وله من حديث أم هانىء ينادى مناد يا اهل التوحيد ليعف بعضكم عن بعض وعلىّ الثواب .

فيها النسيان قال الله تعالى ـ لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون ـ فمن قال ولا يعلم مايقول كيف يصلى وقد نهاه الله عن ذلك فالسكران يقول الشىء لابحضور عقل والغافل يصلى لابحضور عقل فهو كالسكران وقيل فى غرائب التفسير فى قوله تعالى ـ فاخلع نعليك إنك بالواد المقدّس طوى ـ قيل نعليك همك بامرأتك وغنمك فالاهتمام بغير الله تعالى سكر فى الصلاة وقيل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم إلى السماء فى الصلاة وينظرون يمينا وشمالا فلما نزلت

صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتى الباب فقال ماتقولون وماتظنون فقالوا نقول أخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم أقول كما قال يوسف ـ لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين (١) » قال فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا فى الاسلام . وعن سهيل بن عمرو قال « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على باب الكعبة والناس حوله فقال لاإله إلا الله وحده لاشريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم قال يامعشر قريش ماتقولون وما تظنون ؟ قال قلت يارسول الله نقول خيرا ونظن خيرا أخ كريم وابن عم رحيم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخى يوسف ـ لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ـ (٢) » وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا وقف العباد نادى مناد ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة قيل ومن ذا الذى له على الله أجر ؟ قال العافون عن الناس فيقوم كذا وكذا ألفا فيدخلونها بغير حساب (٣) » وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاينبغى لوالى أمر أن يؤتى بحد إلا أقامه والله عفو يحب العفو ثم قرأ ـ وليعفوا وليصفحوا ـ الآية (٤) » وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل من أى أبواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من أدى دينا خفيا وقرأ فى دبر كل صلاة ـ قل هو الله أحد ـ عشر مرات وعفا عن قاتله قال أبو بكر أو إحداهن يارسول الله قال أو إحداهن (٥) » . الآثار : قال ابراهيم التيمى إن الرجل ليظلمنى فأرحمه وهذا إحسان وراء العفو لأنه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم وأنه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب . وقال بعضهم إذا أراد الله أن يتحف عبدا قيض له من يظلمه ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فجعل يشكو إليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر إنك أن تلقى الله ومظلمتك كما هى خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها . وقال يزيد بن ميسرة إن ظللت تدعو على من ظلمك فان الله تعالى يقول إن آخر يدعو عليك بأنك ظلمته فان شئت استجبنا لك وأجبنا عليك وإن شئت أخرتكما إلى يوم القيامة فيسعكما عفوى . وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم إلى ظلمه فانه أسرع إليه من دعائك عليه إلا أن يتداركه بعمل وقمن أن لايفعل . وعن ابن عمر عن أبى بكر أنه قال بلغنا أن الله تعالى يأمر مناديا يوم القيامة فينادى من كان له عند الله شىء فليقم فيقوم أهل العفو فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس . وعن هشام بن محمد قال أتى النعمان بن المنذر برجلين قد أذنب أحدهما ذنبا عظيما فعفا عنه والآخر أذنب ذنبا خفيفا فعاقبه وقال :

تعفو الملوك عن العظيم من الذنوب بفضلها
ولقد تعاقب فى اليسير وليس ذاك لجهلها

(١) حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتى الباب فقال ماتقولون الحديث رواه ابن الجوزى فى الوفاء من طريق ابن أبى الدنيا وفيه ضعف (٢) حديث سهل بن عمرو لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يده على باب الكعبة الحديث بنحوه لم أجده (٣) حديث أنس إذا وقف العباد نادى مناد ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذى أجره على الله قال العافون عن الناس الحديث الطبرانى فى مكارم الأخلاق وفيه الفضل ابن يسار ولا يتابع على حديثه (٤) حديث ابن مسعود لاينبغى لوالى أمر أن يؤتى بحد إلا أقامه والله عفو يحب العفو الحديث أحمد والحاكم وصححه وتقدم فى آداب الصحبة (٥) حديث جابر ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة من أى أبواب الجنة شاء الحديث الطبرانى فى الأوسط وفى الدعاء بسند ضعيف .

ـ الذين هم فى صلاتهم خاشعون ـ جعلوا وجوههم حيث يسجدون وما رؤى بعد ذلك أحد منهم ينظر إلا إلى الأرض وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن العبد إذا قام إلى الصلاة فانه بين يدى الرحمن فاذا التفت قال له الرب إلى من تلتفت إلى من هو خير لك منى ابن آدم أقبل إلى فأنا خير لك ممن تلتفت إليه » وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه » وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا صليت

إلا ليعـــرف حلمها ويخاف شدّة دخلها

وعن مبارك بن فضالة قال وفد سوار بن عبد الله فى وفد من أهل البصرة إلى أبى جعفر قال فكنت عنده إذ أتى برجل فأمر بقتله فقلت يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر فقلت يا أمير المؤمنين ألا أحدثك حديثا سمعته من الحسن قال وماهو ؟ قلت سمعته يقول : إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس فى صعيد واحد حيث يسمعهم الداعى وينفذهم البصر فيقوم مناد فينادى من له عند الله يد فليقم فلا يقوم إلا من عفا فقال والله لقد سمعته من الحسن فقلت والله لسمعته منه فقال خلينا عنه . وقال معاوية عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة فاذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والإنضال . وروى أن راهبا دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب أرأيت ذا القرنين أكان نبيا ؟ فقال لا ولكنه إنما أعطى ما أعطى بأربع خصال كن فيه : كان إذا قدر عفا وإذا وعد وفى وإذا حدث صدق ولا يجمع شغل اليوم لغد . وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم فحلم حتى إذا قدر انتقم ولكن الحليم من ظلم فحلم حتى إذا قدر عفا . وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة يعنى الحقد والغضب . وأتى هشام برجل بلغه عنه أمر فلما أقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام وتتكلم أيضا ؟ فقال الرجل يا أمير المؤمنين قال الله عز وجل — يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها — أفنجادل الله تعالى ولا نتكلم بين يديك كلاما . قال هشام بلى ويحك تكلم . وروى أن سارقا دخل خباء عمار بن ياسر بصفين فقيل له اقطعه فانه من أعدائنا فقال بل أستر عليه لعل الله يستر علىّ يوم القيامة . وجلس ابن مسعود فى السوق يبتاع طعاما فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت فى عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وإنها لمعى فجعلوا يدعون على من أخذها ويقولون : اللهم اقطع يد السارق الذى أخذها اللهم افعل به كذا فقال عبد الله اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها وإن كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه . وقال الفضيل مارأيت أزهد من رجل من أهل خراسان جلس إلىّ فى المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكى فقلت أعلى الدنانير تبكى ؟ فقال لا ولكن مثلتنى وإياه بين يدى الله عز وجل فأشرف عقلى على إدحاض حجته فبكائى رحمة له وقال مالك بن دينار أتينا منزل الحكم ابن أيوب ليلا وهو على البصرة أمير وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا معه عليه فما كنا مع الحسن إلا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به إخوته من بيعهم إياه وطرحهم له فى الجب فقال باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم وذكر مالقى من كيد النساء ومن الحبس ثم قال أيها الأمير ماذا صنع الله به أداله منهم ورفع ذكره وأعلى كلمته وجعله على خزائن الأرض فماذا صنع حين أكمل له أمره وجمع له أهله — قال لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين — يعرض للحكم بالعفو عن أصحابه قال الحكم فأنا أقول لاتثريب عليكم اليوم ولو لم أجد إلا ثوبى هذا لواريتكم تحته وكتب ابن المقفع إلى صديق له يسأله العفو عن بعض إخوانه فلان هارب من زلته إلى عفوك لائذ منك بك . واعلم أنه لن يزداد الذنب عظما إلا ازداد العفو فضلا . وأتى عبد الملك بن مروان بأسارى ابن الأشعث فقال لرجاء بن حيوة ماترى ؟ قال إن الله تعالى قد أعطاك ماتحب من الظفر فأعط الله مايحب من العفو فعفا عنهم . وروى أن زيادا أخذ رجلا من الخوارج فأفلت منه فأخذ أخا له فقال له إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك فقال أرأيت إن جئتك بكتاب من أمير المؤمنين تخلى سبيلى قال نعم قال فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى ثم تلا — أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وإبراهيم الذى وفى أن لا تزر وازرة وزر أخرى — فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل قد لقن حجته . وقيل مكتوب فى الإنجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان.

فصل صلاة مودع » فالمصلى سائر إلى الله تعالى بقلبه يودع هواه ودنياه وكل شىء سواه والصلاة فى اللغة هى الدعاء فكأن المصلى يدعو الله تعالى بجميع جوارحه فصارت أعضاؤه كلها ألسنة يدعو بها ظاهرا وباطنا ويشارك الظاهر الباطن بالتضرع والقلب والهيئات فى تعلقات متضرع سائل محتاج فاذا دعا بكليته أجابه مولاه لأنه وعده فقال — ادعونى أستجب لكم — كان خالد الربعى يقول عجبت لهذه الآية — ادعونى أستجب لكم — أمرهم بالدعاء ووعدهم بالاجابة ليس بينهما شرط والاستجابة والاجابة

(فضيلة الرفق)

اعلم أنّ الرفق محمود ويضادّه العنف والحدّة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدّة الغضب وقد يكون سببها شدّة الحرص واستيلاءه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت فالرفق فى الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوّة الغضب وقوّة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولأجل هذا أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال «ياعائشة إنه من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة (١)» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق (٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «إنّ الله ليعطى على الرفق ما لا يعطى على الخرق وإذا أحبّ الله عبدا أعطاه الرفق وما من أهل بيت يحرمون الرفق إلا حرموا محبة الله تعالى (٣)» وقالت عائشة رضى الله عنها قال النبى صلى الله عليه وسلم إنّ الله رفيق يحبّ الرفق ويعطى عليه مالا يعطى على العنف (٤)» وقال ﷺ «ياعائشة ارفقى فانّ الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق (٥)» وقال صلى الله عليه وسلم «من يحرم الرفق يحرم الخير كله (٦)» وقال صلى الله عليه وسلم «أيما وال ولى فرفق ولان رفق الله تعالى به يوم القيامة (٧)» وقال صلى الله عليه وسلم «تدرون من يحرم على النار يوم القيامة كل هين لين سهل قريب (٨)» وقال صلى الله عليه وسلم «الرفق يمن والخرق شؤم (٩)» وقال ﷺ «التأنى من الله والعجلة من الشيطان (١٠)» وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال يارسول الله «إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصنى منك بخير فقال الحمد لله مرّتين أو ثلاثا ثم أقبل عليه فقال هل أنت مستوص مرّتين أو ثلاثا قال نعم قال إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فأمضه وإن كان سوى ذلك فانته (١١)»

(فضيلة الرفق)

(١) حديث ياعائشة إنه من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة الحديث أحمد والعقيلى فى الضعفاء فى ترجمة عبد الرحمن بن أبى بكر المليكى وضعفه عن القاسم عن عائشة وفى الصحيحين من حديثهما ياعائشة إن الله يحبّ الرفق فى الأمر كله (٢) حديث إذا أحبّ الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق أحمد بسند جيد والبيهقى فى الشعب بسند ضعيف من حديث عائشة (٣) حديث إن الله ليعطى على الرفق ما لا يعطى على الخرق الحديث الطبرانى فى الكبير من حديث جرير باسناد ضعيف (٤) حديث إن الله رفيق يحبّ الرفق الحديث مسلم من حديث عائشة (٥) حديث ياعائشة ارفقى إن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق أحمد من حديث عائشة وفيه انقطاع ولأبى داود ياعائشة ارفقى (٦) حديث من يحرم الرفق يحرم الخير كله مسلم من حديث جرير دون قوله كله فهى عند أبى داود (٧) حديث أيما وال ولى فلان ورفق رفق الله به يوم القيامة مسلم من حديث عائشة وفى حديث فيه ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به (٨) حديث تدرون على من تحرم النار على كل هين لين سهل قريب الترمذى من حديث ابن مسعود وتقدّم فى آداب الصحبة (٩) حديث الرفق يمن والخرق شؤم الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن مسعود والبيهقى فى الشعب من حديث عائشة وكلاهما ضعيف (١٠) حديث التأنى من الله والعجلة من الشيطان أبو يعلى من حديث أنس ورواه الترمذى وحسنه من حديث سهل بن سعد بلفظ الأناة من الله وقد تقدّم (١١) حديث أتاه رجل فقال يارسول الله إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك الحديث وفيه فاذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فأمضه الحديث ابن المبارك فى الزهد والرقائق من حديث ابى جعفر

هى نفوذ دعاء العبد فانّ الداعى الصادق العالم بمن يدعوه بنور يقينه فتخرق الحجب وتقف الدعوة بين يدى الله تعالى متقاضية للحاجة وخصّ الله تعالى هذه الأمة بانزال فاتحة الكتاب وفيها تقديم الثناء على الدعاء ليكون أسرع إلى الاجابة وهى تعليم الله تعالى عباده كيفية الدعاء وفاتحة الكتاب هى السبع المثانى والقرآن العظيم قيل سميت مثانى لأنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين مرّة بمكة ومرّة بالمدينة وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكل مرة نزلت منها فهم آخر بل كان لرسول

وعن عائشة رضى الله عنها « أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال رسول الله صلى عليه وسلم : ياعائشة عليك بالرفق فانه لايدخل فى شىء إلازانه ولاينزع من شىء إلاشانه (١) » . الآثار : بلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن جماعة من رعيته اشتكوا من عماله فأمرهم أن يوافوه فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس أيتها الرعية إن لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير ، أيتها الرعاة إن للرعية عليكم حقا فاعلموا أنه لاشىء أحبّ إلى الله ولاأعز من حلم إمام ورفقه وليس جهل أبغض إلى الله ولاأغم من جهل إمام وخرقه ، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية ممن هو دونه. وقال وهب بن منبه الرفق ثنى الحلم ، وفى الخبر موقوفا ومرفوعا «العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين أخوه والصبر أمير جنوده (٢) ». وقال بعضهم : ماأحسن الايمان يزينه العلم وما أحسن العلم يزينه العمل وماأحسن العمل يزينه الرفق وما أضيف شىء إلى شىء مثل حلم إلى علم . وقال عمرو بن العاص لابنه عبدالله : ماالرفق ؟ قال أن تكون ذاأناة فتلاين الولاة . قال فما الخرق ؟ قال معاداة إمامك ومناوأة من يقدر على ضررك . وقال سفيان لأصحابه تدرون ماالرفق ذالواقل ياأباعمد قال أن تضع الأمور من مواضعها الشدّة فى موضعها واللين فى موضعه والسيف فى موضعه والسوط فى موضعه ، وهذه إشارة إلى أنه لابدّ من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل :

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف فى موضع الندى

فالمحمود وسط بين العنف واللين كما فى سائر الأخلاق ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحدّة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم فى جانب الرفق أكثر فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف وإن كان العنف فى محله حسنا كما أن الرفق فى محله حسن فاذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو ألذ من الزبد بالشهد وهكذا . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : روى أن عمرو بن العاص كتب إلى معاوية يعاتبه فى الثانى فكتب إليه معاوية . أما بعد : فان التفهم فى الخير زيادة رشد وإن الرشيد من رشد عن العجلة وإن الخائب من خاب عن الأناة وإن المتثبت مصيب أوكاد أن يكون مصيبا وإن العجل مخطىء أوكاد أن يكون مخطئا وإن من لاينفعه الرفق يضره الخرق ومن لاينفعه التجارب لايدرك المعالى ، وعن أبى عون الأنصارى قال ماتكلم الناس بكلمة صعبة إلا وإلى جانبها كلمة ألين منها تجرى مجراها . وقال أبو حمزة الكوفى لاتتخذ من الخدم إلا مالابد منه فان مع كل إنسان شيطانا واعلم أنهم لايعطونك بالشدة شيئا إلا أعطوك باللين ماهو أفضل منه. وقال الحسن المؤمن وقاف متأن وليس كواطب ليل فهذا ثناء أهل العلم على الرفق وذلك لأنه محمود ومفيد فى أكثر الأحوال وأغلب الأمور والحاجة إلى العنف قد تقع ولكن على الندور وإنما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطى كل أمر حقه فان كان قاصر البصيرة أوأشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله إلى الرفق فان النجح معه فى الأكثر .

هو المسمى عبدالله بن مسور الهاشمى ضعيف جدا ولأبى نعيم فى كتاب الايجاز من رواية إسماعيل الأنصارى عن أبيه عن جده إذا هممت بأمر فاجلس فتدبر عاقبته وإسناده ضعيف (١) حديث عائشة عليك بالرفق فانه لايدخل فى شىء إلازانه الحديث رواه مسلم (٢) حديث العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قائده والرفق والده أبو الشيخ فى كتاب الثواب وفضائل الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف ورواه القضاعى فى مسند الشهاب من حديث أبى الدرداء وأبى هريرة وكلاهما ضعيف.

الله صلى الله عليه وسلم بكلّ مرّة يقرؤها على الترداد مع طول الزمان فهم آخر وهكذا المصلون المحققون من أمته ينكشف لهم عجائب أسرارها وتقذف لهم كل مرّة درر بحارها وقيل سميت مثانى لأنها استثنيت من الرسل وهى سبع آيات وروت أم رومان قالت رآنى أبو بكر وأنا أتميل فى الصلاة فزجرنى زجرا كدت أن أنصرف عن صلاتى ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فليسكن أطرافه لايتميل تميل اليهود فان سكون الأطراف من تمام الصلاة » وقال رسول الله صلى الله

(القول فى ذم الحسد وفى حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب فى إزالته)

(بيان ذمّ الحسد)

اعلم أن الحسد أيضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرعه والغضب أصل أصله ثم إن للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى ، وقد ورد فى ذم الحسد خاصة أخبار كثيرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب (١) » وقال صلى الله عليه وسلم فى النهى عن الحسد وأسبابه وثمراته « لاتحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولاتدابروا وكونوا عباد الله إخوانا (٢) » وقال أنس « كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة قال فطلع رجل من الأنصار ينفض لحيته من وضوئه قد علق نعليه فى يده الشمال فسلم فلما كان الغد قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقاله فى اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبى صلى الله عليه وسلم تبعه عبدالله بن عمرو ابن العاص فقال له إنى لاحيت أبى فأقسمت أن لاأدخل عليه ثلاثا فان رأيت أن تؤوينى إليك حتى تمضى الثلاث فعلت فقال نعم فبات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر قال غير أنى ماسمعته يقول إلا خيرا فلما مضت الثلاث وكدت أن أحتقر عمله قلت ياعبد الله لم يكن بينى وبين والدى غضب ولاهجرة ، ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فأردت أن أعرف عملك فلم أرك تعمل عملا كثيرا فما الذى بلغ بك ذلك فقال ماهو إلا مارأيت فلما وليت دعانى فقال ماهو إلا مارأيت غير أنى لاأجد على أحد من المسلمين فى نفسى غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله إياه قال عبد الله فقلت له هى التى بلغت بك وهى التى لانطيق (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث لاينجو منهن أحد الظن والطيرة والحسد وسأحدثكم بالمخرج من ذلك إذا ظننت فلا تحقق وإذا تطيرت فامض وإذا حسدت فلا تبغ (٤) » وفى رواية « ثلاثة لاينجو منهن أحد وقل من ينجو منهن » فأثبت فى هذه الرواية إمكان النجاة وقال صلى الله عليه وسلم « دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هى الحالقة لاأقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذى نفس محمد بيده لاتدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم أفشوا السلام بينكم (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم

(القول فى ذم الحسد)

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أبو داود من حديث أبى هريرة وابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث لاتقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا الحديث متفق عليه وقد تقدم (٣) حديث أنس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة الحديث بطوله وفيه أن ذلك الرجل قال لاأجد على أحد من المسلمين فى نفسى غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله رواه أحمد باسناد صحيح على شرط الشيخين ورواه البزار وسمى الرجل فى رواية له سعدا وفيها ابن لهيعة (٤) حديث ثلاث لاينجو منهن أحد الظن والطعن والحسد الحديث وفى رواية وقل من ينجو منهن ابن أبى الدنيا فى كتاب ذم الحسد من حديث أبى هريرة وفيه يعقوب بن محمد الزهرى وموسى بن يعقوب الزمعى ضعفهما الجمهور والرواية الثانية رواها ابن أبى الدنيا أيضا من رواية عبد الرحمن بن معاوية وهو مرسل ضعيف وللطبرانى من حديث حارثة ابن النعمان نحوه وتقدم فى آفات اللسان (٥) حديث دب اليكم داء الأمم الحسد والبغضاء الحديث الترمذى من حديث مولى الزبير عن الزبير .

عليه وسلم « تعوذوا بالله من خشوع النفاق قيل وما خشوع النفاق قال خشوع البدن ونفاق القلب » . أما تميل اليهود قيل كان موسى يعامل بنى إسرائيل على ظاهر الأمور لقلة مافى باطنهم فكان يهيء الأمور ويعظمها ولهذا المعنى أوحى الله تعالى إليه أن يحلى التوراة بالذهب ، ووقع لى والله اعلم أن موسى كان يرد عليه الوارد فى صلاته ومحال مناجاته فيموج به باطنه كبحر ساكن تهب عليه الريح فتتلاطم الأمواج فكان تمايل موسى عليه السلام تلاطم أمواج بحر القلب إذا هب عليه نسمات

« كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلب القدر (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنه سيصيب أمتى داء الأمم قالوا وما داء الأمم قال الأشر والبطر والتكاثر والتنافس فى الدنيا والتباغض والتحاسد حتى يكون البغى ثم الهرج (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك (٣) » وروى أن موسى عليه السلام لما تعجل إلى ربه تعالى رأى فى ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه فقال إن هذا لكريم على ربه فسأل ربه تعالى أن يخبره باسمه فلم يخبره وقال أحدثك من عمله بثلاث : كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشى بالنميمة وقال زكريا عليه السلام قال الله تعالى : الحاسد عدو لنعمتى متسخط لقضائى غير راض بقسمتى التى قسمت بين عبادى. وقال صلى الله عليه وسلم « أخوف ما أخاف على أمتى أن يكثر فيهم المال فيتحاسدون ويقتتلون (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن لنعم الله أعداء فقيل ومن هم فقال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يارسول الله من هم قال الأمراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة وأهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد (٧) »

الآثار : قال بعض السلف أول خطيئة كانت هى الحسد حسد إبليس آدم عليه السلام على رتبته فأبى أن يسجد له فحمله الحسد على المعصية . وحكى أن عون بن عبد الله دخل على الفضل المهلب وكان يومئذ على واسط فقال إنى أريد أن أعظك بشىء فقال وما هو قال إياك والكبر فانه أول ذنب عصى الله به ثم قرأ ـ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ـ الآية وإياك والحرص فانه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والأرض يأكل منها إلا شجرة واحدة نهاه الله عنها فأكل منها فأخرجه الله تعالى منها ثم قرأ ـ اهبطوا منها ـ إلى آخر الآية وإياك والحسد فانما قتل

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلب القدر أبو مسلم الكشى والبيهقى فى الشعب من رواية يزيد الرقاشى عن أنس ويزيد ضعيف ورواه الطبرانى فى الأوسط من وجه آخر بلفظ كادت الحاجة أن تكون كفرا وفيه ضعف أيضا (٢) حديث إنه سيصيب أمتى داء الأمم قبلكم قالوا وما داء الأمم قال الأشر والبطر الحديث ابن أبى الدنيا فى ذم الحسد والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة باسناد جيد (٣) حديث لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك الترمذى من حديث واثلة بن الأسقع وقال حسن غريب وفى رواية ابن أبى الدنيا فيرحمه الله (٤) حديث أخوف ما أخاف على أمتى أن يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون ابن أبى الدنيا فى كتاب ذم الحسد من حديث أبى عامر الأشعرى وفيه ثابت بن أبى ثابت جهله أبو حاتم وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد إن مما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها ولهما من حديث عمرو بن عوف البدرى والله ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى أن تبسط عليكم الدنيا الحديث ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو إذا فتحت عليكم فارس والروم الحديث وفيه يتنافسون ثم يتحاسدون ثم يتدابرون الحديث ولأحمد والبزار من حديث عمر لا تفتح الدنيا على أحد إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة (٥) حديث استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود ابن أبى الدنيا والطبرانى من حديث معاذ بسند ضعيف (٦) حديث إن لنعم الله أعداء قيل ومن أولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس إن لأهل النعم حسادا فاحذروهم (٧) حديث ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يارسول الله ومن هم ؟ قال الأمراء بالجور الحديث وفيه والعلماء بالحسد أبو منصور الديلمى من حديث ابن عمر وأنس بسندين ضعيفين .

الفضل وربما كانت الروح تتطلع إلى الحضرة الالهية فتهم بالاستعلاء والقلب بها تشبك وامتزاج فيضطرب القالب ويتمايل فرأى اليهود ظاهره فتمايلوا من غير حظ لبواطنهم من ذلك ولهذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكارا على أهل الوسوسة « هكذا خرجت عظمة الله من قلوب بنى إسرائيل حتى شهدت أبدانهم وغابت قلوبهم لا يقبل الله صلاة امرىء لا يشهد فيها قلبه كما يشهد بدنه وان الرجل على صلاته دائم ولا يكتب له عشرها إذا كان قلبه ساهيا لاهيا » واعلم أن الله تعالى

ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ ـ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق ـ الآيات، وإذا ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك وإذا ذكر القدر فاسكت وإذا ذكرت النجوم فاسكت. وقال بكر بن عبد الله كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول أحسن إلى المحسن باحسانه فان المسىء سيكفيكه إساءته فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به إلى الملك فقال إن هذا الذى يقوم بحذائك ويقول مايقول زعم أن الملك أبخر فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندى قال تدعوه إليك فانه إذا دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر فقال له انصرف حتى أنظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك على عادته فقال أحسن إلى المحسن باحسانه فان المسىء سيكفيكه إساءته فقال له الملك ادن منى فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه رائحة الثوم فقال الملك فى نفسه ماأرى فلانا إلا قد صدق قال وكان الملك لايكتب بخطه إلا بجائزة أوصله فكتب له كتابا بخطه إلى عامل من عماله إذا أتاك حامل كتابى هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به إلى فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذى سعى به فقال ماهذا الكتاب قال خط الملك لى بصلة فقال هبه لى فقال هو لك فأخذه ومضى به إلى العامل فقال العامل فى كتابك أن أذبحك وأسلخك قال إن الكتاب ليس هو لى فالله الله فى أمرى حتى تراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته وقال مثل قوله فعجب الملك وقال مافعل الكتاب فقال لقينى فلان فاستوهبه منى فوهبته له قال له الملك إنه ذكر لى أنك تزعم أنى أبخر قال ماقلت ذلك قال فلم وضعت يدك على فيك قال لأنه أطعمنى طعاما فيه ثوم فكرهت أن تشمه قال صدقت ارجع إلى مكانك فقد كفى المسىء إساءته. وقال ابن سيرين رحمه الله ماحسدت أحدا على شىء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهى حقيرة فى الجنة وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما أنساك بنى يعقوب نعم ولكن غمه فى صدرك فانه لايضرك مالم تعد به يدا ولا لسانا. وقال أبو الدرداء ما أكثر عبد ذكر الموت إلا قل فرحه وقل حسده وقال معاوية كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمة فانه لايرضيه إلا زوالها ولذلك قيل:

كل العداوات قد ترجى إماتتها ... إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسود مايلقى. وقال أعرابى مارأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد إنه يرى النعمة عليك نقمة عليه. وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد أخاك فان كان الذى أعطاه لكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار. وقال بعضهم الحاسد لاينال من المجالس إلا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق إلا جزعا وغما ولا ينال عند النزع إلا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالا.

(بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه)

اعلم أنه لاحسد إلا على نعمة فاذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان: إحداهما أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه. الحالة الثانية أن لاتحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشتهى لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تختص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة ويوضع أحد اللفظين موضع الآخر ولا حجر فى الأسامى بعد فهم المعانى وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن يغبط

أوجب الصلوات الخمس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلاة عماد الدين فمن ترك الصلاة فقد كفر » فبالصلاة تحقيق العبودية وأداء حق الربوبية وسائر العبادات وسائل إلى تحقيق سر الصلاة. قال سهل بن عبد الله يحتاج العبد إلى السنن الرواتب لتكميل الفرائض ويحتاج إلى النوافل لتكميل السنن ويحتاج إلى الآداب لتكميل النوافل ومن الأدب ترك الدنيا والذى ذكره سهل هو معنى ما قال عمر على المنبر إن الرجل ليشيب عارضاه فى الاسلام وما أكمل له صلاة قيل وكيف

والمنافق يحسد (١) » فأما الأول فهو حرام بكل حال إلا نعمة أصابها فاجر أو كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وإيذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها فانك لاتحب زوالها من حيث هى نعمة بل من حيث هى آلة الفساد ولو أمنت فساده لم يغمك بنعمته ويدل على تحريم الحسد الأخبار التى نقلناها وأن هذه الكراهة تسخط لقضاء الله فى تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لاعذر فيه ولا رخصة وأى معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة وإلى هذا أشار القرآن بقوله ـ إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها ـ وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان وقال تعالى ـ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم ـ فأخبر تعالى أن حبهم زوال نعمة الايمان حسد وقال عز وجل ـ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ـ وذكر الله تعالى حسد إخوة يوسف عليه السلام وعبر عما فى قلوبهم بقوله تعالى ـ إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفى ضلال مبين . اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم ـ فلما كرهوا حب أبيهم له وساءهم ذلك وأحبوا زواله عنه فغيبوه عنه وقال تعالى ـ ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ـ أى لاتضيق صدورهم به ولا يغتمون فأثنى عليهم بعدم الحسد وقال تعالى فى معرض الانكار ـ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ـ وقال تعالى ـ كان الناس أمة واحدة ـ إلى قوله ـ إلا الذين أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغيا بينهم ـ قيل فى التفسير حسدا وقال تعالى ـ وما تفرقوا إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ـ فأنزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته وأمرهم أن يتألفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا إذ أراد كل واحد منهم أن ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس : كانت اليهود قبل أن يبعث النبى صلى الله عليه وسلم اذا قاتلوا قوما قالوا نسألك بالنبى الذى وعدتنا أن ترسله وبالكتاب الذى تنزله الا ما نصرتنا (٢) . فكانوا ينصرون فلما جاء النبى صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل عليه السلام عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم اياه فقال تعالى ـ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به ـ إلى قوله ـ أن يكفروا بما أنزل الله بغيا ـ أى حسدا . وقالت صفية بنت حيي للنبى صلى الله عليه وسلم : جاء أبى وعمى من عندك يوما فقال أبى لعمى ماتقول فيه قال أقول إنه النبى الذى بشر به موسى قال فما ترى قال أرى معاداته أيام الحياة (٣) فهذا حكم الحسد فى التحريم . وأما المنافسة فليست بحرام بل هى إما واجبة وإما مندوبة وإما مباحة وقد يستعمل لفظ الحسد بدل المنافسة والمنافسة بدل الحسد

(١) حديث المؤمن يغبط والمنافق يحسد لم أجد له أصلا مرفوعا وإنما هو من قول الفضيل بن عياض كذلك رواه ابن أبى الدنيا فى ذم الحسد (٢) حديث ابن عباس قوله كانت اليهود قبل أن يبعث النبى صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا قوما قالوا نسألك بالنبى الذى وعدتنا أن ترسله الحديث فى نزول قوله تعالى ـ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ـ ابن اسحاق فى السيرة فيما بلغه عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره نحوه وهو منقطع (٣) حديث قالت صفية بنت حيي للنبى صلى الله عليه وسلم جاء أبى وعمى من عندك يوما فقال أبى لعمى ماتقول فيه قال أقول إنه النبى الذى بشر به موسى الحديث ابن اسحاق فى السيرة قال حدثنى أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال حديث عن صفية فذكره نحوه وهو منقطع أيضا .

ذلك قال لايتم خشوعها وتواضعها واقبالها على الله فيها وقد ورد فى الأخبار « إن العبد إذا قام إلى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه الكريم وقامت الملائكة من لدن منكبيه إلى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وإن المصلى لينشر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه ويناديه مناد لو علم المصلى من يناجى ماالتفت » أو ما انفتل وقد جمع الله تعالى للمصلين فى كل ركعة ما فرق على أهل السموات فلله ملائكة فى الركوع منذ خلقهم الله لا يرفعون من

دل قثم بن العباس لما أراد هو والفضل أن يأتيا النبيّ صلى الله عليه وسلم فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة قالا لعليّ حين قال لهما لاتذهبا إليه فانه لايؤمركما عليها فقالا له ماهذا منك إلا نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك (١) أي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه إياك فاطمة والمنافسة في اللغة مشتقة من النفاسة والذي يدل على إباحة المنافسة قوله تعالى ـ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ـ وقال تعالى ـ سابقوا إلى مغفرة من ربكم ـ وإنما المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان إلى خدمة مولاهما إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لايحظى هو بها فكيف وقد صرّح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال «لاحسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس(٢)» ثم فسر ذلك في حديث أبي كبشة الأنماري فقال «مثل هذه الأمة مثل أربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو أن لي مالا مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما في الأجر سواء» وهذا منه حبّ لأن يكون له مثل ماله فيعمل مثل مايعمل من غير حبّ زوال النعمة عنه قال «ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو ينفقه في معاصي الله ورجل لم يؤته علما ولم يؤته مالا فيقول لو أن لي مثل مال فلان لكنت أنفقه في مثل ما أنفقه فيه من المعاصي فهما في الوزر سواء(٣)» فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله فاذا لاحرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحبّ زوالها عنه ولم يكره دوامها له ، نعم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه المنافسة واجبة وهو أن يحبّ أن يكون مثله لأنه إذا لم يكن يحبّ ذلك فيكون راضيا بالمعصية وذلك حرام وإن كانت النعمة من الفضائل كإنفاق الأموال في المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب إليها وان كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع إلى إرادة مساواته واللحوق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة أمران أحدهما راحة المنعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحبّ مساواته له ولاحرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات، نعم ذلك ينقص من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لايوجب العصيان. وههنا دقيقة غامضة : وهو أنه إذا أيس من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلامحالة يحبّ زوال النقصان وإنما يزول نقصانه إما بأن ينال مثل ذلك أو بأن تزول نعمة المحسود فاذا انسد أحد الطريقين فيكاد القلب لاينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى إذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشفى عنده من دوامها إذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لاينفك القلب عنه فان كان بحيث لو ألقي الأمر إليه ورد

الركوع إلى يوم القيامة وهكذا في السجود والقيام والقعود والعبد المتيقظ يتصف في ركوعه بصفة الراكعين منهم وفي السجود بصفة الساجدين وفي كل هيئة هكذا يكون كالواحد منهم وبينهم وفي غير الفريضة ينبغي للمصلي أن يمكث في ركوعه متلذذا بالركوع غير مهتم بالرفع منه فان طرقته سآمة بحكم الجبلة استغفر منها ويستديم تلك الهيئة ويتطلع أن يذوق الخشوع اللائق بهذه الهيئة ليصير قلبه بلون الهيئة وربما يتراءى للراكع الحق أنه إن سبق همه في حال الركوع أو السجود إلى

(١) حديث قال قثم بن العباس لما أراد هو والفضل أن يأتيا النبيّ صلى الله عليه وسلم فيسألانه أن يؤمرهما على الصدقة قالا لعليّ الحديث هكذا وقع للمصنف أنه قثم والفضل وإنما هو الفضل والمطلب ابن ربيعه كما رواه مسلم من حديث المطلب بن ربيعة بن الحارث قال اجتمع ربيعة بن الحارث والعباس بن عبد المطلب فقالا والله لو بعثنا هذين الغلامين قال لي وللفضل بن عباس ائتيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلماه فذكر الحديث (٢) حديث لاحسد إلا في اثنتين الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم في العلم (٣) حديث أبي كبشة مثل هذه الأمة مثل أربعة رجل آتاه الله مالا الحديث رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح

إلى اختياره لسعى فى إزالة النعمة عنه فهو حسود حسداً مذموما وإن كان تدعه التقوى عن إزالة ذلك فيعفى عما يجده فى طبعه من الارتياح إلى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه بعقله ودينه ولعله المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم «ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن: الحسد والظن والطيرة[1]» ثم قال «وله منهن مخرج إذا حسدت فلا تبغ» أى إن وجدت فى قلبك شيئا فلا تعمل به وبعيد أن يكون الانسان مريدا للحاق بأخيه فى النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل إلى زوال النعمة إذ يجد لا محالة ترجيحا له على دوامها فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام فينبغى أن يحتاط فيه فانه موضع الخطر ومامن إنسان إلا وهو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه وأقرانه يحب مساواتهم ويكاد ينجر ذلك إلى الحسد المحظور إن لم يكن قوى الايمان رزين التقوى ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره ذلك إلى الحسد المذموم وإلى ميل الطبع إلى زوال النعمة عن أخيه حتى ينزل هو إلى مساواته إذ لم يقدر هو أن يرتقى إلى مساواته بادراك النعمة وذلك لا رخصة فيه أصلا بل هو حرام سواء كان فى مقاصد الدين أو مقاصد الدنيا ولكن يعفى عنه فى ذلك مالم يعمل به إن شاء الله تعالى وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد وأحكامه. وأما مراتبه فأربع: الأولى: أن يحب زوال النعمة عنه وإن كان ذلك لا ينتقل إليه وهذا غاية الخبث. الثانية: أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته فى تلك النعمة مثل رغبته فى دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو سعة نالها غيره وهو يحب أن تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها. الثالثة: أن لا يشتهى عينها لنفسه بل يشتهى مثلها فان عجز عن مثلها أحب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما. الرابعة: أن يشتهى لنفسه مثلها فان لم تحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الأخير هو المعفو عنه إن كان فى الدنيا والمندوب إليه إن كان فى الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية أخف من الثالثة والأولى مذموم محض وتسمية الرتبة حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم لقوله تعالى - ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض - فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم وأما تمنية عين ذلك فهو مذموم.

(بيان أسباب الحسد والمنافسة)

أما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة فان كان ذلك أمرا دينيا فسببه حب الله تعالى وحب طاعته وإن كان دنيويا فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها وإنما نظرنا الآن فى الحسد المذموم ومداخله كثيرة جدا ولكن يحصر جملتها سبعة أبواب: العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه مما يكره النعمة على غيره إما لأنه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالأمثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى أنه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب إساءته إليه أو إلى من يحبه وإما أن يكون من حيث يعلم أنه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز وإما أن يكون فى طبعه أن يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه لنعمته وهو المراد بالتكبر وإما أن تكون النعمة عظيمة والنصب عظيما فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب وإما أن يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بأن يتوصل بها إلى مزاحمته فى أغراضه وإما أن يكون يحب الرياسة التى تنبنى على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها وإما أن لا يكون بسبب من هذه الأسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى ولا بد من شرح هذه الأسباب. السبب الأول: العداوة والبغضاء وهذا أشد أسباب الحسد

(١) حديث ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن: الحسد والظن والطيرة الحديث تقدم غير مرة.

الرفع منه ما وفى الهيئة حتها فيكون همه الهيئة مستغرقا فيها مشغولا بها عن غيرها من الهيآت فبذلك يتوفر حظه من بركة كل هيئة فان السرعة التى يتقاضى بها الطبع تسد باب الفتوح ويقف فى مهاب النفحات الإلهية حتى يتكامل حظ العبد فتنمحى آثاره بحسن الاسترسال ويستقر فى مقعد الوصال. وقيل فى الصلاة أربع هيآت وستة أذكار فالهيآت الأربع القيام والقعود والركوع والسجود والأذكار الستة التلاوة والتسبيح والحمد والاستغفار والدعاء والصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام فصارت

فان من آذاه شخص بسبب من الأسباب وخالفه فى غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ فى نفسه الحقد والحقد يقتضى التشفى والانتقام فان عجز البغض عن أن يتشفى بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فمهما أصابت عدوه بلية فرح بها وظنها مكافأة له من جهة الله على بغضه وأنها لأجله ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك لأنه ضد مراده وربما يخطر له أنه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذى آذاه بل أنعم عليه. وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما وإنما غاية التقى أن لا يبغى وأن يكره ذلك من نفسه فأما أن يبغض إنسانا ثم يستوى عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به أعنى الحسد بالعداوة إذ قال الله تعالى ـ وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور . إن تمسسكم حسنة تسؤهم ـ الآية ، وكذلك قال تعالى ـ ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ـ والحسد بسبب البغض ربما يفضى إلى التنازع والتقاتل واستغراق العمر فى إزالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجرى مجراه. السبب الثانى: التعزز وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره فاذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علما أو مالا خاف أن يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه أن يتكبر بل غرضه أن يدفع كبره فانه قد رضى بمساواته مثلا ولكن لا يرضى بالترفع عليه. السبب الثالث: الكبر وهو أن يكون فى طبعه أن يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة فى أغراضه فاذا نال نعمة خاف أن لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته أو ربما يتشوف إلى مساواته أو إلى أن يرتفع عليه فيعود متكبرا بعد أن كان متكبرا عليه ومن التكبر والتعزز كان حسد أكثر الكفار لرسول الله ﷺ إذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطأطئ رءوسنا فقالوا ـ لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ـ (١) أى كان لا يثقل علينا أن نتواضع له ونتبعه إذا كان عظيما وقال تعالى يصف قول قريش ـ أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ـ كالاستحقار لهم والأنفة منهم. السبب الرابع: التعجب كما أخبر الله تعالى عن الأمم السالفة إذ قالوا ـ ما أنتم إلا بشر مثلنا ـ وقالوا ـ أنؤمن لبشرين مثلنا ـ ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون ـ فتعجبوا من أن يفوز برتبة الرسالة والوحى والقرب من الله تعالى بشر مثلهم فحسدوهم وأحبوا زوال النبوة عنهم جزعا أن يفضل عليهم من هو مثلهم فى الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة أو سبب آخر من سائر الأسباب وقالوا متعجبين ـ أبعث الله بشرا رسولا ـ وقالوا ـ لولا أنزل علينا الملائكة ـ وقال تعالى ـ أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم ـ الآية . السبب الخامس : الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد يحسد صاحبه فى كل نعمة تكون عونا له فى الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات فى التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الإخوة فى التزاحم على نيل المنزلة فى قلب الأبوين للتوصل به إلى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين لأستاذ واحد على نيل المرتبة من قلب الأستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه فى نيل المنزلة من قلبه للتوصل به إلى المال

(١) حديث سبب نزول قوله تعالى ـ لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ـ ذكره ابن اسحاق فى السيرة وإن قائل ذلك الوليد بن المغيرة قال أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفى سيد ثقيف فنحن عظماء القريتين فأنزل الله فيما بلغنى هذه الآية ورواه أبو محمد بن أبى حاتم وابن مردويه فى تفسيريهما من حديث ابن عباس إلا أنهما قالا مسعود بن عمرو وفى رواية لابن مردويه حبيب بن عمير الثقفى وهو ضعيف .

عشرة كاملة تفرق هذه العشرة على عشرة صفوف من الملائكة كل صف عشرة آلاف فيجتمع فى الركعتين ما يفرق على مائة ألف من الملائكة .

[الباب السابع والثلاثون فى وصف صلاة أهل القرب]

ونذكر فى هذا الفصل كيفية الصلاة بهيآتها وشروطها وآدابها الظاهرة والباطنة على الكمال بأقصى ما انتهى إليه فهمنا وعلمنا على الوجه مع الاعراض عن نقل الأقوال فى كل شئ من ذلك إذ فى ذلك كثرة ويخرج عن حد الاختصار والايجاز المقصود فنقول وبالله التوفيق : ينبغى للعبد أن يستعد للصلاة

والجاه وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على أهل بلدة واحدة إذا كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم وكذلك تحاسد العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين إذ يطلب كل واحد منزلة فى قلوبهم للتوصل بهم إلى أغراض له . السبب السادس : حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل به إلى المقصود وذلك كالرجل الذى يريد أن يكون عديم النظير فى فن من الفنون إذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد الدهر وفريد العصر فى فنه وأنه لا نظير له فانه لو سمع بنظير له فى أقصى العالم لساءه ذلك وأحب موته أو زوال النعمة عنه التى بها يشاركه فى المنزلة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده وليس السبب فى هذا عداوة ولا تعززا ولا تكبرا على المحسود ولا خوف من فوات المقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة فى قلوب الناس للتوصل إلى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم. السبب السابع: خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما أنعم الله به عليه يشق ذلك عليه وإذا وصف له اضطراب أمور الناس وإدبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو أبدا يحب الإدبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزائنه ويقال البخيل من يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذى يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه وبينهم عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث فى النفس ورذالة فى الطبع عليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة لأن الحسد الثابت بسائر الأسباب أسبابه عارضة يتصور زوالها فيطمع فى إزالتها وهذا خبث فى الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر إزالته إذ يستحيل فى العادة إزالته فهذه هى أسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها فى شخص واحد فيعظم فيه الحسد بذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الإخفاء والمجاملة بل ينهتك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة وأكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الأسباب وقلما يتجرد سبب واحد منها .

(بيان السبب فى كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبنى العم والأقارب وتأكده وقلته فى غيرهم وضعفه)

اعلم أن الحسد إنما يكثر بين قوم تكثر بينهم الأسباب التى ذكرناها وإنما يقوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الأسباب فيهم وتتظاهر إذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لأنه قد يمتنع عن قبول التكبر ولأنه يتكبر ولأنه عدو ولغير ذلك من الأسباب وهذه الأسباب إنما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها فى مجالس المخاطبات ويتواردون على الأغراض فاذا خالف واحد منهم صاحبه فى غرض من الأغراض نفر طبعه عنه وأبغضه وثبت الحقد فى قلبه فعند ذلك يريد أن يستحقره ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التى توصله إلى أغراضه وتترادف جملة من هذه الأسباب إذ لا رابطة بين شخصين فى بلدتين متنائيتين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك فى محلتين ، نعم إذا تجاورا فى مسكن أو سوق أو مدرسة أو مسجد توارداعلى مقاصد تتناقض فيها أغراضهما فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه تثور بقية أسباب الحسد ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز إلا بسبب آخر سوى الاجتماع فى الحرفة ويحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الأجانب

قبل دخول وقتها بالوضوء ولا يوقع الوضوء فى وقت الصلاة فذلك من المحافظة عليها ويحتاج فى معرفة الوقت إلى معرفة الزوال وتفاوت الأقدام لطول النهار وقصره ويعتبر الزوال بأن الظل مادام فى الانتقاص فهو النصف الأول من النهار فاذا أخذ الظل فى الازدياد فهو النصف الآخر وقد زالت الشمس وإذا عرف الزوال وأن الشمس على كم قدم تزول يعرف أول الوقت وآخره ووقت العصر ويحتاج إلى معرفة المنازل ليعلم طلوع الفجر ويعلم أوقات الليل وشرح ذلك يطول ويحتاج أن يفرد له باب فاذا دخل وقت الصلاة

والمرأة تحسد ضرّتها وسرّية زوجها أكثر مما تحسد أم الزوج وابنه لأنّ مقصد البزّ زغير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد إذ مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها إلا بكثرة الزبون وإنما ينازعه فيه بزاز آخر إذ حريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز المجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه إلى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار أكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لأنّ مقصده أن يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ أكثر من حسده للفقية والطبيب لأنّ التزاحم بينهما على مقصود واحد أخصّ فأصل هذه المحاسدات العداوة وأصل العداوة التزاحم بينهما على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهما ، نعم من اشتد حرصه على الجاه وأحب الصيت فى جميع أطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو فى العالم وإن بعد ممن يساهمه فى الخصلة التى يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فانّ الدنيا هى التى تضيق على المتزاحمين أما الآخرة فلا ضيق فيها وإنما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملكوت سمواته وأرضه لم يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضا لأنّ المعرفة لا تضيق عن العارفين بل المعلوم الواحد يعلمه ألف ألف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الأنس وثمرة الاستفادة والافادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لأن مقصدهم معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله ولا ضيق أيضا فيما عند الله تعالى لأن أجل ما عند الله سبحانه من النعيم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ومزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الأنس بكثرتهم ، نعم إذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لأن المال أعيان وأجسام إذا وقعت فى يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة وإذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك أن يمتلئ قلب غيره بها وأن يفرح بذلك والفرق بين العلم والمال أنّ المال لا يحلّ فى يد ما لم يرتحل عن اليد الأخرى والعلم فى قلب العالم مستقرّ ويحلّ فى قلب غيره بتعليمه من غير أن يرتحل من قلبه والمال أجسام وأعيان ولها نهاية فلو ملك الانسان جميع ما فى الأرض لم يبق بعده مال يتملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصوّر استيعابه فمن عود نفسه الفكر فى جلال الله وعظمته وملكوت أرضه وسمائه صار ذلك ألذ عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا منه ولا مزاحما فيه فلا يكون فى قلبه حسد لأحد من الخلق لأنّ غيره أيضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته فتكون لذة هؤلاء فى مطالعة عجائب الملكوت على الدوام أعظم من لذة من ينظر إلى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف وجنته معرفته التى هى صفة ذاته يأمن زوالها وهو أبدا يجنى ثمارها فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه وهى فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية فهو وإن غمض العين الظاهرة فروحه أبدا ترتع فى جنة عالية ورياض زاهرة فان فرض كثرة فى العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم ربّ العالمين ـ ونزعنا ما فى صدورهم من غلّ إخوانا على سرر متقابلين ـ فهذا حالهم وهم بعد فى الدنيا فماذا يظنّ بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب فى العقبى فاذن لا يتصوّر أن يكون فى الجنة محاسدة ولا أن يكون بين أهل الجنة فى الدنيا محاسدة لأن الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة ولا تنال إلا بمعرفة الله تعالى التى لا مزاحمة فيها فى الدنيا أيضا فأهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد فى الدنيا والآخرة جميعا بل الحسد من

يقدّم السنة الراتبة ففى ذلك سر وحكمة وذلك والله أعلم أنّ العبد تشعث باطنه وتفرق همه لما بلى به من المخالطة من الناس وقيامه بمهام المعاش أو سهو جرى بوضع الجبلة أو صرف هم إلى أكل أو نوم بمقتضى العادة فاذا قدّم السنة ينجذب باطنه إلى الصلاة ويتهيأ للمناجاة ويذهب بالسنة الراتبة أثر الغفلة والكدورة من الباطن فينصلح الباطن ويصير مستعدّا للفريضة فالسنة مقدمة صالحة يستنزل بها البركات وتطرق النفحات ثم يجدّد التوبة مع الله تعالى عند الفريضة عن كل ذنب عمله ومن الذنوب عامة وخاصة فالعامة الكبائر

صفات المبعدين عن سعة عليين إلى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته أنه حسد آدم عليه السلام على ماخصّ به من الاجتباء ولما دعى إلى السجود استكبر وأبى وتمرّد وعصى فقد عرفت أنه لاحسد إلا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لاترى الناس يتحاسدون على النظر إلى زينة السماء ويتحاسدون على رؤية البساتين التى هى جزء يسير من جملة الأرض وكل الأرض لاوزن لها بالاضافة إلى السماء ولكن السماء لسعة الأقطار وافية بجميع الأبصار فلم يكن فيها تزاحم ولاتحاسد أصلا فعليك إن كنت بصيرا وعلى نفسك مشفقا أن تطلب نعمة لازحمة فيها ولذة لاكدر لها ولايوجد ذلك فى الدنيا إلا فى معرفة الله عزوجلّ ومعرفة صفاته وأفعاله وعجائب ملكوت السموات والأرض ولاينال ذلك فى الآخرة إلا بهذه المعرفة أيضا فان كنت لاتشتاق إلى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وفتر عنك رأيك وضعفت فيها رغبتك فأنت فى ذلك معذور إذ العنين لايشتاق إلى لذة الوقاع والصبى لايشتاق إلى لذة الملك فانّ هذه لذات يختصّ بادراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين فكذلك لذة المعرفة يختصّ بادراكها الرجال ـ رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله ـ ولايشتاق إلى هذه اللذة غيرهم لأنّ الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقى مع المحرومين فى أسفل السافلين ـ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ـ .

(بيان الدواء الذى ينفى مرض الحسد عن القلب)

اعلم أنّ الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ولاتداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقيقا أن الحسد ضرر عليك فى الدنيا والدين وأنه لاضرر فيه على المحسود فى الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدوّ نفسك وصديق عدوّك فارقت الحسد لامحالة أما كونه ضررا عليك فى الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التى قسمها بين عباده وعدله الذى أقامه فى ملكه بخفى حكمته فاستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى فى عين الايمان وناهيك بهما جناية على الدين وقد انضاف إلى ذلك أنك غششت رجلا من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت أولياء الله وأنبياءه فى حبهم الخير لعباده تعالى وشاركت إبليس وسائر الكفار فى محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث فى القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار وأما كونه ضررا عليك فى الدنيا فهو أنك تتألم بحسدك فى الدنيا أو تتعذب به ولاتزال فى كمد وغمّ إذ أعداؤك لايخليهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم فلاتزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محروما متشعب القلب ضيق الصدر قد نزل بك مايشتهيه الأعداء لك وتشتهيه لأعدائك فقد كنت تريد المحنة لعدوّك فتنجزت فى الحال محنتك وغمك نقدا ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة إن كنت عاقلا أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وأنت عالم بما فى الحسد من العذاب الشديد فى الآخرة فما أعجب من العاقل كيف يتعرّض لسخط الله تعالى من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله وألم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولافائدة وأما أنه لاضرر على المحسود فى دينه ودنياه فواضح لأن النعمة لاتزول عنه بحسدك بل ماقدره الله تعالى من إقبال ونعمة فلابدّ أن يدوم إلى أجل معلوم قدّره الله سبحانه فلاحيلة فى دفعه بل كل شىء عنده بمقدار ولكل أجل كتاب ولذلك شكا نبى من الأنبياء من امرأة ظالمة مستولية على الخلق فاوحى الله إليه فرّ من قدامها حتى تنقضى أيامها أى ماقدرناه فى الأزل

والصغائر مما أومأ إليه الشرع ونطق به الكتاب والسنة والخاصة ذنوب حال الشخص فكل عبد على قدر صفاء حاله له ذنوب تلائم حاله ويعرفها صاحبها وقيل حسنات الأبرار سيئات المقربين. ثم لايصلى إلا جماعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تفضل صلاة الجماعة صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » ثم يستقبل القبلة بظاهره والحضرة الإلهية بباطنه ويقرأ ـ قل أعوذ برب الناس ـ ويقرأ فى نفسه آية التوجه وهذا التوجه قبل الصلاة والاستفتاح قبل الصلاة لوجهه الظاهر بانصرافه إلى القبلة وتخصيص

لاسبيل إلى تغييره فاصبر حتى تنقضى المدة التى سبق القضاء بدوام إقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر فى الدنيا ولا يكون عليه إثم فى الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدى ، وهذا غاية الجهل فانه بلاء تشتهيه أولا لنفسك فانك أيضا لاتخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق لله تعالى عليك نعمة ولا على أحد من الخلق ولا نعمة الايمان أيضا لأن الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان . قال الله تعالى ـ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم ـ إذ مايريده الحسود لايكون ، نعم هو يضل بارادته الضلال لغيره فان إرادة الكفر كفر ، فمن اشتهى أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكأنما يريد أن يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم ، وإن اشتهيت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة فان كل واحد من حمقى الحساد أيضا يشتهى أن يخص بهذه الخاصية ولست بأولى من غيرك فنعمة الله تعالى عليك فى أن لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وأنت بجهلك تكرهها . وأما أن المحسود ينتفع به فى الدين والدنيا فواضح . أما منفعته فى الدين فهو أنه مظلوم من جهتك لاسيما إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها إليه : أعنى أنك بذلك تهدى إليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت فى الدنيا عن النعمة فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل . نعم كان لله عليه نعمة إذ وقفك للحسنات فنقلتها إليه فأضفت إليه نعمة إلى نعمة وأضفت إلى نفسك شقاوة إلى شقاوة . وأما منفعته فى الدنيا فهو أن أهم أغراض الخلق مساءة الأعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد وغاية أمانى أعدائك أن يكونوا فى نعمة وأن تكون فى غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ماهو مرادهم ولذلك لايشتهى عدوك موتك بل يشتهى أن تطول حياتك ولكن فى عذاب الحسد لتنظر إلى نعمة الله عليه فينقطع قلبك حسدا ، ولذلك قيل :

لامات أعداؤك بل خلدوا حتى يروا فيك الذى يكمد
لازلت محسودا على نعمة فانما الكامل من يحسد

ففرح عدوك بغمك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان ذلك أعظم مصيبة وبلية عنده فما أنت فيما تلازمه من غم الحسد إلا كما يشتهيه عدوك فاذا تأملت هذا عرفت أنك عدو نفسك وصديق عدوك إذا تعاطيت ماتضررت به فى الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك فى الدنيا والآخرة وصرت مذموما عند الخالق والخلائق شقيا فى الحال والمآل ونعمة المحسود دائمة شئت أم أبيت باقية ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت إلى إدخال أعظم سرور على إبليس الذى هو أعدى أعدائك لأنه لما رآك محروما من نعمة العلم والورع والجاه والمال الذى اختص به عدوك عنك خاف أن تحب ذلك له فتشاركه فى الثواب بسبب المحبة لأن من أحب الخير للمسلمين كان شريكا فى الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الأكابر فى الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما أحب ذلك فخاف إبليس أن تحب ما أنعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه إليك حتى لاتلحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك . وقد قال أعرابى للنبى صلى الله عليه وسلم «يارسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم : المرء مع من أحب[1]» وقام أعرابى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقال « يارسول الله متى الساعة فقال ما أعددت لها؟

جهته بالتوجه دون جهة الصلاة ثم يرفع يديه حذو منكبيه بحيث تكون كفاه حذو منكبيه وإبهاماه عند شحمة أذنيه ورءوس الأصابع مع الأذنين ويضم الأصابع وان نشرها جاز والضم أولى فانه قيل النشر نشر الكف لانشر الأصابع ويكبر ولا يدخل بين باء أكبر ورائه ألفا ويجزم أكبر ويجعل المد فى الله ولا يبالغ فى ضم الهاء من الله ولا يبتدئ بالتكبير إلا إذا استقرت اليدان حذو المنكبين ويرسلهما مع التكبير من غير نفض فالوقار إذا سكن القلب تشكلت به الجوارح وتأيدت بالأولى

(١) حديث الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال هو مع من أحب متفق عليه من حديث ابن مسعود

قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام إلا أنى أحب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت (١) » قال أنس فما فرح المسلمون بعد إسلامهم كفرحهم يومئذ إشارة إلى أن أكبر بغيتهم كانت حب الله ورسوله قال أنس فنحن نحب رسول الله وأبا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو أن نكون معهم . وقال أبو موسى قلت « يارسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلى ويحب الصوام ولا يصوم حتى عد أشياء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من أحب (٢) » وقال رجل لعمر بن عبد العزيز إنه كان يقال إن استطعت أن تكون عالما فكن عالما فان لم تستطع أن تكون عالما فكن متعلما فان لم تستطع أن تكون متعلما فأحبهم فان لم تستطع فلا تبغضهم فقال سبحان الله لقد جعل الله لنا مخرجا فانظر الآن كيف حسدك إبليس ففوت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغض إليك أخاك وحملك على الكراهة حتى أثمت وكيف لا وعساك تحاسد رجلا من أهل العلم وتحب أن يخطئ فى دين الله تعالى وينكشف خطؤه ليفتضح وتحب أن يخرس لسانه حتى لا يتكلم أو يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم وأى إثم يزيد على ذلك فليتك إذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الاثم وعذاب الآخرة وقد جاء فى الحديث « أهل الجنة ثلاثة : المحسن والمحب له والكاف عنه (٣) » أى من يكف عنه الأذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف أبعدك إبليس عن جميع المداخل الثلاثة حتى لا تكون من أهل واحد منها ألبتة فقد نفذ فيك حسد إبليس وما نفذ حسدك فى عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك فى يقظة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد فى صورة من يرمى سهما إلى عدوه ليصيب مقتله فلا يصيبه بل يرجع إلى حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه فيعود ثانية فيرمى أشد من الأولى فيرجع إلى عينه الأخرى فيعميها فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على رأسه فيشجه وعدوه سالم فى كل حال وهو إليه راجع مرة بعد أخرى وأعداؤه حوله يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه بل حالك فى الحسد أقبح من هذا لأن الرمية العائدة لم تفوت إلا العينين ولو بقيتا لفاتتا بالموت لا محالة والحسد يعود بالاثم والاثم لا يفوت بالموت ولعله يسوقه إلى غضب الله وإلى النار فلأن تذهب عينه فى الدنيا خير له من أن تبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها لهيب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد إذ أراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه ثم أزالها عن الحاسد إذ السلامة من الاثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة قد زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى ـ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ـ وربما يبتلى بعين مايشتهيه لعدوه وقلما يشمت شامت بمساءة إلا ويبتلى بمثلها حتى قالت عائشة رضى الله عنها : ماتمنيت لعثمان شيئا إلا نزل بى حتى لو تمنيت له القتل لقتلت ، فهذا إثم الحسد نفسه فكيف مايجر إليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق وإطلاق اللسان واليد بالفواحش فى التشفى من الأعداء وهو الداء الذى فيه هلك الأمم السالفة ، فهذه هى الأدوية العلمية فمهما تفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفأت نار الحسد من قلبه وعلم أنه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه . وأما العمل النافع فيه فهو أن يحكم الحسد فكل مايتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغى أن يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح فى محسوده كلف لسانه المدح له والثناء عليه وإن حمله على التكبر عليه ألزم نفسه التواضع له والاعتذار إليه وإن بعثه على كف الإنعام

والأصوب ويجمع بين نية الصلاة والتكبير بحيث لا يغيب عن قلبه حالة التكبير أنه يصلى الصلاة بعينها . وحكى عن الجنيد أنه قال لكل شئ صفوة وصفوة الصلاة التكبيرة الأولى وإنما كانت التكبيرة صفوة لأنها موضع النية وأول الصلاة . قال أبو نصر السراج سمعت ابن سالم يقول النية لله ومن الله والآفات التى تدخل فى صلاة العبد بعد النية من العدو ونصيب العدو وإن كثر لا يوازن بالنية التى هى لله بالله وإن قل . وسئل أبو سعيد الخراز كيف الدخول فى الصلاة ؟ فقال هو أن تقبل على الله تعالى

(١) حديث سؤال الأعرابى متى الساعة فقال ما أعددت لها الحديث متفق عليه من حديث أنس

(٢) حديث أبى موسى قلت يارسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلى الحديث وفيه هو مع من أحب متفق عليه من حديث بلفظ آخر مختصرا الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال المرء مع من أحب.

(٣) حديث أهل الجنة ثلاثة : المحسن والمحب له والكاف عنه لم أجد له أصلا .

عليه ألزم نفسه الزيادة فى الانعام عليه فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فأحبه وتولد من ذلك الموافقة التى تقطع مادة الحسد لأن التواضع والثناء والمدح وإظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب المنعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود إلى الأول فيطيب قلبه ويصير ماتكلفه أولا طبعا آخرا ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت وأثنيت عليه حملك العدو على العجز أو على النفاق أو الخوف وأن ذلك مذلة ومهانة وذلك من خدع الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفا كانت أو طبعا تكسر سورة العداوة من الجانبين وتقل مرغوبها وتعود القلوب التآلف والتحاب وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباغض فهذه هى أدوية الحسد وهى نافعة جدا إلا إنها مرة على القلوب جدا ولكن النفع فى الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وإنما تهون مرارة هذا الدواء أعنى التواضع للأعداء والتقرب إليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعانى التى ذكرناها وقوة الرغبة فى ثواب الرضا بقضاء الله تعالى وحب ماأحبه وعزة النفس وترفعها عن أن يكون فى العالم شىء على خلاف مرادها جهل وعند ذلك يريد مالا يكون إذ لا مطمع فى أن يكون مايريد وفوات المراد ذل وخسة ولا طريق إلى الخلاص من هذا الذل إلا بأحد أمرين إما بأن يكون ماتريد أو بأن تريد مايكون والأول ليس إليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه وأما الثانى فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلى فأما الدواء المفصل فهو تتبع أسباب الحسد من الكبر وغيره وعزة النفس وشدة الحرص على مالا يغنى وسيأتى تفصيل مداواة هذه الأسباب فى مواضعها إن شاء الله تعالى فانها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض إلا بقمع المادة فان لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه إلا تسكين وتطفئة ولا يزال يعود مرة بعد أخرى ويطول الجهد فى تسكينه مع بقاء مواده فانه مادام محبا للجاه فلا بد وأن يحسد من استأثر بالجاه والمنزلة فى قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لامحالة وإنما غايته أن يهون الغم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده فأما الخلو عنه رأسا فلا يمكنه والله الموفق.

(بيان القدر الواجب فى نفى الحسد عن القلب)

اعلم أن المؤذى ممقوت بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك أن لا تبغضه غالبا فاذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك أن لا تكرهها له حتى يستوى عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك فى النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك إلى الحسد له ولكن إن قوى ذلك فيك حتى بعثك على إظهار الحسد بقول أو فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بأفعالك الاختيارية فأنت حسود عاص بحسدك وإن كففت ظاهرك بالكلية إلا أنك بباطنك تحب زوال النعمة وليس فى نفسك كراهة لهذه الحالة فأنت أيضا حسود عاص لأن الحسد صفة القلب لاصفة الفعل قال الله تعالى ـ ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ـ وقال عز وجل ـ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ـ وقال ـ إن تمسسكم حسنة تسؤهم ـ أما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك وبين الله تعالى وإنما يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح فأما إذا كففت ظاهرك وألزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك تمقت نفسك على مافى طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل فى مقابلة الميل من جهة الطبع فقد أديت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك فى أغلب الأحوال أكثر من هذا فأما تغيير الطبع ليستوى عنده المؤذى والمحسن ويكون فرحه أو غمه بما تيسر لهما من نعمة أو تنصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه مادام

إقبالك عليه يوم القيامة ووقوفك بين يدى الله ليس بينك وبينه ترجمان وهو مقبل عليك وأنت تناجيه وتعلم بين يدى من أنت واقف فانه الملك العظيم . وقيل لبعض العارفين كيف تكبر التكبيرة الأولى فقال ينبغى إذا قلت الله أكبر أن يكون مصحوبك فى الله التعظيم مع الألف والهيبة مع اللام والمراقبة والقرب مع الهاء . واعلم أن من الناس من إذا قال الله أكبر غاب فى مطالعة العظمة والكبرياء وامتلأ باطنه نورا وصار الكون بأسره فى فضاء شرح صدره كخردلة بأرض فلاة

ملتفتا إلى حظوظ الدنيا إلا أن يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهى أمره إلى أن لا يلتفت قلبه إلى تفاصيل أحوال العباد بل ينظر إلى الكل بعين واحدة وهى عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وأفعالهم أفعالا لله ويراهم مسخرين وذلك إن كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ثم يرجع القلب بعد ذلك إلى طبعه ويعود العدو إلى منازعته أعنى الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك بكراهته وألزم قلبه هذه الحالة فقد أدى ما كلفه. وقد ذهب ذاهبون إلى أنه لا يأثم إذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روى عن الحسن أنه سئل عن الحسد فقال غمه فانه لا يضرك مالم تبده. وروى عنه موقوفا ومرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «ثلاثة لا يخلو منهن المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من الحسد أن لا يبغى» والأولى أن يحمل هذا على ماذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل فى مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة تمنعه من البغى والإيذاء فان جميع ماورد من الأخبار فى ذم الحسد يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم ثم الحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الأفعال فكل من يحب إساءة مسلم فهو حاسد فاذن كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو فى محل الاجتهاد والأظهر ماذكرناه من حيث ظواهر الآيات والأخبار ومن حيث المعنى إذ يبعد أن يعفى عن العبد فى إرادته إساءة مسلم واشتماله بالقلب على ذلك من غير كراهة وقد عرفت من هذا أن لك فى أعدائك ثلاثة أحوال: أحدها أن تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك إليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة فى إزالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعا لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه. الثانى أن تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته إما بلسانك أو بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا. الثالث وهو بين الطرفين أن تحسد بالقلب من غير مقت لنفسك على حسدك ومن غير إنكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد فى مقتضاه وهذا فى محل الخلاف والظاهر أنه لا يخلو عن إثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

﴿ كتاب ذم الدنيا ﴾

(وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى عرف أولياءه غوائل الدنيا وآفاتها. وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا فى شواهدها وآياتها ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعلموا أنه يزيد منكرها على معروفها ولا يفى مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها فى صورة امرأة مليحة تستميل الناس بجمالها ولها أسرار سوء قبائح تهلك الراغبين فى وصالها ثم هى فرارة عن طلابها شحيحة بإقبالها وإذا أقبلت لم يؤمن شرها ووبالها إن أحسنت ساعة أساءت سنة وإن أساءت مرة جعلتها سنة فدوائر إقبالها على التقارب دائرة وتجارة بنيها خاسرة بائرة وآفاتها على التوالى لصدور طلابها راشقة ومجارى أحوالها بذل طالبيها ناطقة فكل مغرور بها إلى الذل مصيره وكل متكبر بها إلى التحسر مسيره شأنها الهرب من طالبها والطلب لهاربها ومن خدمها فاتته ومن أعرض عنها واتته لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن للنغصات سلامتها تعقب السقم وشبابها يسوق إلى الهرم ونعيمها لا يثمر إلا الحسرة والندم فهى خداعة مكارة طيارة فرارة لا تزال تتزين لطلابها حتى إذا صاروا من أحبابها كشرت لهم عن أنيابها وشوشت عليهم مناظم أسبابها وكشفت لهم عن مكنون عجابها فأذاقتهم قواتل سمامها

ثم تلقى الخردلة فما يخشى من الوسوسة وحديث النفس وما يتخايل فى الباطن من الكون الذى صار بمثابة الخردلة فألقيت فكيف تزاحم الوسوسة وحديث النفس مثل هذا العبد وقد تزاحم مطالعة العظمة والغيبوبة فى ذلك كون النية غير أنه لغاية لطف الحال يختص الروح بمطالعة العظمة والقلب يتميز بالنية فتكون النية موجودة بألطف صفاتها مندرجة فى نور العظمة اندراج الكواكب فى ضوء الشمس ثم يقبض بيده اليمنى يده اليسرى ويجعلهما بين السرة والصدر واليمنى

ورشقتهم

ورشقتهم بصوائب سهامهما بينما أصحابها منها فى سرور وإنعام إذولت عنهم كأنها أضغاث أحلام ثم عكرت عليهم بدواهيها فطحنتهم طحن الحصيد ووارتهم فى أكفانهم تحت الصعيد إن ملكت واحدا منهم جميع ماطلعت عليه الشمس جعلته حصيدا كأن لم يغن بالأمس تمنى أصحابها سرورا وتعدهم غرورا حتى يأملون كثيرا ويبنون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجمعهم بورا وسعيهم هباء منثورا ودعاؤهم ثبورا هذه صفتها وكان أمر الله قدرا مقدورا، والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله المرسل إلى العالمين بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا وعلى من كان من أهله وأصحابه له فى الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا وسلم تسليما كثيرا.

[أما بعد] فانّ الدنيا عدوّة لله وعدوّة لأولياء الله وعدوة لأعداء الله أما عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها، وأما عداوتها لأولياء الله عز وجل فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر فى مقاطعتها، وأما عداوتها لأعداء الله فانها استدرجتهم بمكرها وكيدها فاقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها وعوّلوا عليها فخذلتهم أحوج ما كانوا إليها فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الأكباد ثم حرمتهم السعادة أبد الآباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكايدها يستغيثون ولا يغاثون بل يقال لهم ـ اخسؤا فيها ولا تكلمون ـ أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ـ وإذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلابد أولا من معرفة حقيقة الدنيا وماهى وما الحكمة فى خلقها مع عداوتها وما مدخل غرورها وشرورها فانّ من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك أن يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وأمثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها وأصناف الأشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة إلى أصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها إن شاء الله تعالى وهو المعين على ما يرتضيه.

(بيان ذمّ الدنيا)

الآيات الواردة فى ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا إلا لذلك فلا حاجة إلى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وإنما نورد بعض الأخبار الواردة فيها فقد روى «أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ على شاة ميتة فقال: أترون هذه الشاة هينة على أهلها؟ قالوا من هوانها ألقوها قال والذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على اهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء (١)» وقال صلى الله عليه وسلم «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (٢)» وقال رسول الله ﷺ «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله منها (٣)» وقال أبو موسى الأشعرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «حب الدنيا رأس كل خطيئة (٥)»

لكرامتها تجعل فوق اليسرى ويعد المسبحة والوسطى على الساعد وتقبض بالثلاثة البواقى اليسرى من الطرفين وقد فسر أمير المؤمنين على رضى الله عنه قوله تعالى ـ فصل لربك وانحر ـ قال إنه وضع اليمنى على الشمال تحت الصدر وذلك أن تحت الصدر عرقا يقال له الناحر أى ضع يدك على الناحر وقال بعضهم وانحر أى استقبل القبلة بنحرك وفى ذلك سرّ خفى يكاشف به من وراء أستار الغيب وذلك أن الله تعالى بلطيف حكمته خلق الآدمى وشرفه وكرمه وجعله محل نظره ومورد وحيه ونخبة ما فى أرضه

(١) حديث مر على شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة على صاحبها الحديث ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث سهل بن سعد وآخره عند الترمذى وقال حسن صحيح ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث المستورد بن شداد دون هذه القطعة الأخيرة ولمسلم نحوه من حديث جابر (٢) حديث الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر مسلم من حديث أبى هريرة (٣) حديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى هريرة وزاد إلا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم (٤) حديث أبى موسى الأشعرى من أحب دنياه أضر بآخرته الحديث أحمد والبزار والطبرانى وابن حبان والحاكم وصححه (٥) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة ابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا والبيهقى فى شعب الايمان من طريقه من رواية الحسن مرسلا.

وقال زيد بن أرقم : كنا مع أبى بكر الصديق رضى الله عنه فدعا بشراب فأتى بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه وسكتوا وماسكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لايقدرون على مسألته قال ثم مسح عينيه فقالوا ياخليفة رسول الله ماأبكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيئاولم أرمعه أحدا فقلت يارسول الله ماالذى تدفع عن نفسك قال « هذه الدنيا مثلت لى فقلت لها إليك عنى ثم رجعت فقالت إنك إن أفلت منى لم يفلت منى من بعدك[1] » وقال صلى الله عليه وسلم «ياعجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور[2] »وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة فقال « هلموا إلى الدنياوأخذخرقاقدبليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا[3] » وهذه إشارة إلى أن زينة الدنيا ستخلق مثل تلك الخرق وأن الأجسام التى ترى بها ستصير عظاما بالية وقال صلى الله عليه وسلم «إن الدنياحلوةخضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون إن بنى إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا فى الحلية والنساء والطيب والثياب[4] » وقال عيسى عليه السلام : لاتتخذوا الدنيا ربافتتخذكم عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لايضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لايخاف عليه الآفة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام «يامعشر الحواريين إنى قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدى فان من خبث الدنيا أن عصى الله فيها وإن من خبث الدنيا أن الآخرة لاتدرك إلا بتركها ألافا عبروا الدنياولاتعمروها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنياورب شهوة ساعة أورثت أهلها حزنا طويلا وقال أيضا: بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلاينازعنكم فيها الملوك والنساء فأما الملوك فلاتنازعوهم الدنيا فانهم لن يعرضوا لكم ماتركتموهم ودنياهم وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة وقال أيضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجىء الموت فيأخذ بعنقه . وقال موسى بن يسار قال النبى ﷺ « إن الله عزوجل لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها[5] » وروى أن سليمان بن داود عليهما السلام مر فى موكبه والطير تظله والجن والإنس عن يمينه وشماله قال فمر بعابد من بنى إسرائيل فقال والله ياابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان وقال: لتسبيحة فى صحيفة مؤمن خير مما أعطى ابن داود فان ماأعطى ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم «ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ماأكلت فأفنيت أولبست فأبليت أوتصدقت فأبقيت[6] »

(١) حديث زيد بن أرقم كنا مع أبى بكر فدعا بشراب فأتى بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى الحديث وفيه كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيئا الحديث البزاز بسندضعيف بنحوه والحاكم وصحح إسناده وابن أبى الدنيا والبيهقى من طريقه بلفظه (٢) حديث ياعجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور ابن أبى الدنيا من حديث أبى جرير مرسلا (٣) حديث إنه وقف على مزبلة فقال هلموا إلى الدنيا الحديث ابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا والبيهقى فى شعب الإيمان من طريقه من رواية ابن ميمون اللخمى مرسلا وفيه بقية بن الوليدوقد عنعنه وهو مدلس (٤) حديث إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون الحديث الترمذى وابن ماجه من حديث أبى سعيد دون قوله إن بنى إسرائيل الخ والشطر الأول متفق عليه ورواه ابن أبى الدنيا من حديث الحسن مرسلا بالزيادة التى فى آخره (٥) حديث موسى بن يسار إن الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها ابن أبى الدنيا من هذا الوجه بلاغا والبيهقى فى الشعب من طريقه وهو مرسل (٦) حديث ألهاكم

وسمائه روحانيا وجسمانيا أرضيا وسماويا منتصب القامة مرتفع الهيئة فنصفه الأعلى من حد الفؤاد مستودع أسرار السموات ونصفه الأسفل مستودع أسرار الأرض فمحل نفسه ومركزها النصف الأسفل ومحل روحه الروحانى والقلب النصف الأعلى فجواذب الروح مع جواذب النفس يتطاردان ويتحاربان وباعتبار تطاردها وتغالبهما تكون لمة الملك ولمة الشيطان ووقت الصلاة يكثر التطارد لوجود التجاذب بين الإيمان والطبع فيكاشف المصلى الذى صار قلبه سماويا مترددا بين الفناء والبقاء لجواذب

قال صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها يجمع من لاعقل له وعليها يعادى من لاعلم له وعليها يحسد من لافقه له ولها يسعى من لايقين له (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله فى شىء وألزم الله قلبه أربع خصال: هما لا ينقطع عنه أبدا وشغلا لا يتفرغ منه أبدا وفقرا لا يبلغ غناه أبدا وأملا لا يبلغ منتهاه أبدا (٢) » وقال أبو هريرة قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياأبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعها بما فيها فقلت بلى يارسول الله فأخذ بيدى وأتى بى واديا من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رءوس أناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال ياأبا هريرة هذه الرءوس كانت تحرص كحرصكم وتأمل كأملكم ثم هى اليوم عظام بلا جلد ثم هى صائرة رمادا وهذه العذرات هى ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها فى بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا (٣) » ويروى أن الله عز وجل لما أهبط آدم إلى الأرض قال له ابن للخراب ولد للفناء . وقال داود بن هلال مكتوب فى صحف إبراهيم عليه السلام: يادنيا ما أهونك على الأبرار الذين تصنعت وتزينت لهم إنى قذفت فى قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقا أهون على منك كل شأنك صغير وإلى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لاتدومى لأحد ولا يدوم لك أحد وإن بخل بك صاحبك وشح عليك، طوبى للأبرار الذين أطلعونى من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم مالهم عندى من الجزاء إذا وفدوا إلى من قبورهم إلا النور يسعى أمامهم والملائكة حافون بهم حتى أبلغهم مايرجون من رحمتى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر إليها وتقول يوم القيامة يارب اجعلنى لأدنى أوليائك اليوم نصيبا فيقول اسكتى يالاشىء إنى لم أرضك لهم فى الدنيا أأرضاك لهم اليوم (٤) » وروى فى أخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا فى شىء من أطعمة الجنة إلا فى هذه الشجرة فلذلك نهيا عن أكلها قال فجعل يدور فى الجنة فأمر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له قل له أى شىء تريد ؟ قال آدم أريد أن أضع مافى بطنى من الأذى فقيل للملك قل له فى أى مكان تريد أن تضعه أعلى الفرش أم على السرر أم على الأنهار أم تحت ظلال الأشجار هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك ؟ اهبط إلى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم « ليجيئن أقوام يوم

النفس متصاعدة من مركزها وللجوارح وتصرفها وحركتها مع معانى الباطن ارتباط وموازنة فبوضع اليمنى على الشمال حصر النفس ومنع من صعود جواذبها وأثر ذلك يظهر بدفع الوسوسة وزوال حديث النفس فى الصلاة ثم إذا استولت جوادب الروح وتملكت من الفرق إلى القدم عند كمال الأنس وتحقق قرة العين واستيلاء سلطان المشاهدة تصير النفس مقهورة ذليلة ويستنير مركزها بنور الروح وتنقطع حينئذ جواذب النفس وعلى قدر استنارة مركز النفس يزول كل العبادة

التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى الحديث مسلم من حديث عبد الله بن الشخير (١) حديث الدنيا دار من لادار له الحديث أحمد من حديث عائشة مقتصرا على هذا وعلى قوله ولها يجمع من لاعقل له دون بقيته وزاد ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب من طريقه ومال من لامال له وإسناده جيد (٢) حديث من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله فى شىء وألزم الله قلبه أربع خصال الحديث الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى ذر دون قوله وألزم الله قلبه الخ وكذلك رواه ابن أبى الدنيا من حديث أنس باسناد ضعيف والحاكم من حديث حذيفة وروى هذه الزيادة منفردة صاحب الفردوس من حديث ابن عمر وكلاهما ضعيف (٣) حديث أبى هريرة ألا أريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يارسول الله فأخذ بيدى وأتى بى واديا من أودية المدينة فاذا مزبلة الحديث لم أجد له أصلا (٤) حديث الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله لاينظر إليها الحديث تقدم بعضه من رواية موسى بن يسار مرسلا ولم أجد باقيه

القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار . قالوا يارسول الله مصلين ؟ قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه (١) » وقال صلى الله عليه وسلم فى بعض خطبه « المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لايدرى ماالله صانع فيه وبين أجل قد بقى لايدرى ماالله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة والذى نفسى بيده مابعده الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار (٢) » وقال عيسى عليه السلام : لايستقيم حب الدنيا والآخرة فى قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار فى إناء واحد وروى أن جبريل عليه السلام قال لنوح عليه السلام ياأطول الأنبياء عمرا كيف وجدت الدنيا فقال كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا يكنك قال يكفينا حلقان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « احذروا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت (٣) » وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فقال « هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا ألا إنه من رغب فى الدنيا وطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد فى الدنيا وقصر فيها أمله أعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية ألا إنه سيكون بعدكم قوم لايستقيم لهم الملك إلا بالقتل والتجبر ولا الغنى إلا بالفخر والبخل ولا المحبة إلا باتباع الهوى ألا فمن أدرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لايريد بذلك إلا وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب خمسين صديقا (٤) » وروى أن عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجأ إليه فوقعت عينه على خيمة من بعيد فأتاها فاذا فيها امرأة فحاد عنها فاذا هو بكهف فى جبل فأتاه فاذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال إلهى جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لى مأوى فأوحى الله تعالى إليه مأواك فى مستقر رحمتى لأزوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها بيدى ولأطعمن فى عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولآمرن مناديا ينادى أين الزهاد فى الدنيا زوروا عرس الزاهد فى الدنيا عيسى ابن مريم . وقال عيسى ابن مريم عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها وتغره ويأمنها ويثق بها وتخذله وويل للمغترين كيف أرتهم ما يكرهون وفارقهم مايحبون وجاءهم مايوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه . وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : « ياموسى مالك ولدار الظالمين إنها ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هى إلا العامل يعمل فيها فنعمت الدار هى ياموسى إنى مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم » . وروى « أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبى عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويستغنى حينئذ عن مقاومة النفس ومنع جواذبها بوضع اليمين على الشمال فيسبل حينئذ ولعل لذلك والله أعلم ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى مسبلا وهو مذهب مالك رحمه الله ثم يقرأ ـ وجهت وجهى ـ الآية وهذا التوجه إنقاء لوجه قلبه والذى قبل الصلاة لوجه قالبه ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك أنت ربى وأنا عبدك ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفرلى ذنوبى جميعا إنه لايغفر الذنوب إلا أنت واهدنى لأحسن

(١) حديث ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار الحديث أبو نعيم فى الحلية من حديث سالم مولى أبى حذيفة بسند ضعيف وأبو منصور الديلمى من حديث أنس وهو ضعيف أيضا (٢) حديث المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى الحديث البيهقى فى الشعب من حديث الحسن عن رجل من أصحاب النبى ﷺ وفيه انقطاع (٣) حديث احذروا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب من طريقه من رواية أبى الدرداء الرهاوى مرسلا وقال البيهقى إن بعضهم قال عن أبى الدرداء عن رجل من الصحابة قاله الذهبى لايدرى من أبو الدرداء قال وهذا منكر لا أصل له (٤) حديث الحسن هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى الحديث ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب من طريقه هكذا مرسلا وفيه إبراهيم بن الأشعث تكلم فيه أبو حاتم.

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشىء قالوا أجل يارسول الله قال فأبشروا وأملوا مايسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم (١) » وقال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أكثر ما أخاف عليكم مايخرج الله لكم من بركات الأرض فقيل ما بركات الأرض قال زهرة الدنيا (٢) ». وقال ﷺ « لاتشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا (٣) » فنهى عن ذكرها فضلا عن إصابة عينها . وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا أهلها موتى فى الأفنية والطرق فقال يامعشر الحواريين إن هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا ياروح الله وددنا أن لو علمنا خبرهم فسأل الله تعالى فأوحى إليه إذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل أشرف على نشز ثم نادى ياأهل القرية فأجابه مجيب لبيك ياروح الله فقال ماحالكم وما قصتكم قال بتنا فى عافية وأصبحنا فى الهاوية قال وكيف ذاك ؟ قال بحبنا الدنيا وطاعتنا أهل المعاصى قال وكيف كان حبكم للدنيا ؟ قال حب الصبى لأمه إذا أقبلت فرحنا بها وإذا أدبرت حزنا وبكينا عليها قال فما بال أصحابك لم يجيبونى قال لأنهم ملجمون بلجم من نار بأيدى ملائكة غلاظ شداد قال فكيف أجبتنى أنت من بينهم قال لأنى كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابنى معهم فأنا معلق على شفير جهنم لاأدرى أأنجو منها أم أكبكب فيها فقال المسيح للحواريين لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة . وقال أنس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لاتسبق فجاء أعرابى بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم « إنه حق على الله أن لايرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه (٤) » وقال عيسى عليه السلام من الذى يبنى على موج البحر دار تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلام علمنا علما واحدا يحبنا الله عليه قال أبغضوا الدنيا يحبكم الله تعالى وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ « لو تعلمون ماأعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة (٥) » ثم قال أبو الدنيا من قبل نفسه لو تعلمون ماأعلم لخرجتم إلى الصعدات تجأرون وتبكون على أنفسكم ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولاراجع إليها إلا ما لا بد لكم منه ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الأمل فصارت الدنيا أملك بأعمالكم وصرتم كالذين لايعلمون فبغضكم شر من البهائم التى لاتدع هواها مخافة مما فى عاقبته مالكم لاتحابون ولا تناصحون وأنتم إخوان على دين الله مافرق بين أهوائكم إلا خبث سرائركم ولو اجتمعتم

(١) حديث بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبى عبيدة متفق عليه من حديث عمرو بن عوف البدرى (٢) حديث أبى سعيد إن أكثر ماأخاف عليكم مايخرج الله لكم من بركات الأرض الحديث متفق عليه (٣) حديث لاتشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا البيهقى فى الشعب من طريق ابن أبى الدنيا من رواية محمد بن النضر الحارثى مرسلا (٤) حديث أنس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لاتسبق الحديث وفيه حق على الله أن لايرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه البخارى (٥) حديث أبى الدرداء لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة الطبرانى دون قوله ولهانت الخ وزاد ولخرجتم إلى الصعدات الحديث وزاد الترمذى وابن ماجه من حديث أبى ذر وما تلذذتم بالنساء على الفرش وأول الحديث متفق عليه من حديث أنس وفى أفراد البخارى من حديث عائشة .

الأخلاق فانه لايهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها فانه لايصرف عنى سيئها إلا أنت لبيك وسعديك فالخير كله بيديك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك ويطرق رأسه فى قيامه ويكون نظره إلى موضع السجود ويكمل القيام بانتصاب القامة ونزع يسير الانطواء عن الركبتين والخواصر ومعاطف البدن ويقف كأنه ناظر بجميع جسده إلى الأرض فهذا من خشوع سائر الأجزاء ويتكون الجسد بتكون القلب من الخشوع ويراوح بين القدمين بمقدار أربع أصابع فان ضم الكعبين

على البر لتحابيتم مالكم تناصحون فى أمر الدنيا ولا تناصحون فى أمر الآخرة ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على أمر آخرته ماهذا إلا من قلة الإيمان فى قلوبكم لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لأنها أملك لأموركم . فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجلة من الدنيا للآجل منها تكدون أنفسكم بالمشقة والاحتراف فى طلب أمر لعلكم لا تدركونه فبئس القوم أنتم ماحققتم إيمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم فى شك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فائتونا لنبين لكم ولنريكم من النور ماتطمئن إليه قلوبكم والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم إنكم تستبينون صواب الرأى فى دنياكم وتأخذون بالحزم فى أموركم مالكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك فى وجوهكم ويظهر على ألسنتكم وتسمونها المصائب وتقيمون فيها للمآتم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك فى وجوهكم ولا يتغير حالكم إنى لأرى الله قد تبرأ منكم ياتى بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله فاصطحبتم على الغل ونبتت مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الأجل ولوددت أن الله تعالى أراحنى منكم وألحقنى بمن أحب رؤيته ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير فقد أسمعتكم وإن تطلبوا ماعند الله تجدوه يسيرا وبالله أستعين على نفسى وعليكم . وقال عيسى عليه السلام : يامعشر الحواريين ارضوا بدنىء الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بدنىء الدين مع سلامة الدنيا ، وفى معناه قيل :

أرى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا وما أراهم رضوا فى العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام : ياطالب الدنيا لتبرّ تركك الدنيا أبر . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « لتأتينكم بعدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب (١) » وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام ياموسى لاتركنن إلى حب الدنيا فلن تأتينى بكبيرة هى أشد منها ، ومر موسى عليه السلام برجل وهو يبكى ورجع وهو يبكى فقال موسى يارب عبدك يبكى من مخافتك فقال ياابن عمران لو سال دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا . الآثار : قال على رضى الله عنه من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا أولها : من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها وقال الحسن : رحم الله أقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها إلى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا وقال أيضا رحمه الله من نافسك فى دينك فنافسه ومن نافسك فى دنياك فألقها فى نحره وقال لقمان عليه السلام لابنه : يابنى إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان بالله تعالى وشراعها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو وماأراك ناجيا ، وقال الفضيل طالت فكرتى فى هذه الآية ـ إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ماعليها صعيدا جرزا ـ وقال بعض الحكماء : إنك لن تصبح فى شىء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك فى أكلة وصم عن الدنيا وأفطر على الآخرة وإن رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر ؟ قال يخلق الأبدان ويجدد الآمال ويقرب المنية ويبعد الأمنية . قيل فما حال أهله ؟ قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب ، وفى ذلك قيل :

(١) حديث لتأتينكم بعدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب ، لم أجد له أصلا .

هو الصفد المنهى عنه ولا يرفع إحدى الرجلين فانه الصفن المنهى عنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصفن والصفد . وإذا كان الصفن منهيا عنه ففى زيادة الاعتماد على إحدى الرجلين دون الأخرى معنى من الصفن فالأولى رعاية الاعتدال فى الاعتماد على الرجلين جميعا ، ويكره اشتمال الصماء وهو أن يخرج يده من قبل صدره ويجتنب السدل وهو أن يرخى أطراف الثوب إلى الأرض ففيه معنى الخيلاء وقيل هو الذى يلتف بالثوب ويجعل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وفى معناه ماإذا جعل

ومن يحمد الدنيا لعيش يسرّه فسوف لعمرى عن قليل يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة وإن أقبلت كانت كثير همومها

وقال بعض الحكماء : كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن إليها فان عيشها نكد وصفوها كدر وأهلها منها على وجل إما بنعمة زائلة أو بلية نازلة أو منية قاضية . وقال بعضهم: من عيب الدنيا أنها لا تعطى أحدا ما يستحق لكنها إما أن تزيد وإما أن تنقص، وقال سفيان أما ترى النعم كأنها مغضوب عليها قد وضعت فى غير أهلها . وقال أبو سليمان الدارانى: من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيئا إلا أراد أكثر ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط منها شيئا إلا أراد أكثر وليس لهذا غاية . وقال رجل لأبى حازم أشكو إليك حبّ الدنيا وليست لى بدار فقال انظر ما آتاك الله عز وجل منها فلا تأخذه إلا من حله ولا تضعه إلا فى حقه ولا يضرك حب الدنيا وإنما قال هذا لأنه لو آخذ نفسه بذلك لأتعبه حتى يتبرّم بالدنيا ويطلب الخروج منها ، وقال يحيى بن معاذ: الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فيجىء فى طلبه فيأخذك ، وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغى لنا أن نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى ، وقال أبو حازم إياكم والدنيا فانه بلغنى أنه يوقف العبد يوم القيامة إذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم ما حقره الله ، وقال ابن مسعود ما أصبح أحد من الناس إلا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة ، وفى ذلك قيل :

وما المال والأهلون إلا ودائع ولابدّ يوما أن تردّ الودائع

وزار رابعة أصحابها فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها ألا من أحبّ شيئا أكثر من ذكره وقيل لابراهيم بن أدهم كيف أنت فقال:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع

وقيل أيضا فى ذلك :

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ونال من الدنيا سرورا وأنعما
كبان بنى بنيانه فأقامه فلما استوى ما قد بناه تهدما

وقيل أيضا فى ذلك :

هب الدنيا تساق إليك عفوا أليس مصير ذاك إلى انتقال
وما دنياك إلا مثل فىء أظلك ثم آذن بالزوال

وقال لقمان لابنه يابنىّ بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا. وقال مطرف بن الشخير لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم . وقال ابن عباس إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزوّد والمنافق يتزين والكافر يتمتع . وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئا فليصبر على معاشرة الكلاب ، وفى ذلك قيل :

يا خاطب الدنيا إلى نفسها تنحّ عن خطبتها تسلم
إن التى تخطب غدارة قريبة العرس من المأتم

وقال أبو الدرداء من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها، وفى ذلك قيل:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدوّ فى ثياب صديق

يديه داخل القميص ويجتنب الكف وهو أن يرفع ثيابه بيديه عند السجود ويكره الاختصار وهو أن يجعل يده على الخاصرة ويكره الصلب وهو وضع اليدين جميعا على الخصرين وتجافى العضدين فاذا وقف فى الصلاة على الهيئة التى ذكرناها مجتنبا للكاره فقد تم القيام وكمله فيقرأ آية التوجه والدعاء كما ذكرنا ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويقولها فى كل ركعة أمام القراءة ويقرأ الفاتحة وما بعدها بحضور قلب وجمع همّ ومواطأة بين القلب واللسان بحفظ وافر من الوصلة والدنو والهيبة والخشوع

وقيل أيضا : ياراقد الليـل مسرورا بأوّله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا
أفنى القرون التى كانت منعمة كرّ الجديدين إقبـالا وإدبارا
كم قدأبادت صروف الدهرمن ملك قدكان فى الدهر نفاعا وضرارا
يامن يعـانق دنيـا لابقاء لهـا يمسى ويصبح فى دنياه سفارا
هلا تركت من الدنيا معانقة حتى تعانق فى الفردوس أبكارا
إن كنت تبغى جنان الخلد تسكنها فينبغى لك أن لاتأمن النـارا

وقال أبو أمامة الباهلى رضى الله عنه لمـا بعث محمد صلى الله عليه وسلم أتت إبليس جنوده فقالوا قد بعث نبى وأخرجت أمة قال يحبون الدنيا ؟ قالوا نعم قال لئن كانوا يحبون الدنيا ما أبالى أن لا يعبدوا الأوثان وإنما أغدو عليهم وأروح بثلاث أخـذ المـال من غير حقه وإنفاقه فى غير حقه وإمساكه عن حقه والشرّ كله من هذا نبع . وقال رجل لعلىّ كرم الله وجهه ياأمير المؤمنين صف لنا الدنيا قال: وماأصف لك من دار من صح فيها سقم ومن أمن فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها افتتن فى حلالهـا الحساب وفى حرامها العقاب ومتشابهها العتاب ، وقيل له ذلك مرّة أخرى فقال أطوّل أم أقصر فقيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب ، وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعنى الدنيا . وقال أبو سليمان الدارانى إذا كانت الآخرة فى القلب جاءت الدنيا تزاحمها فاذا كانت الدنيا فى القلب لم تزاحمها الآخرة لأن الآخرة كريمة والدنيا لئيمة ، وهذا تشديد عظيم ونرجو أن يكون ما ذكره سيار بن الحكم أصح إذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان فى القلب فأيهما غلب كان الآخر تبعا له ، وقال مالك بن دينار بقدر ماتحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ماتحزن للآخرة يخرج همّ الدنيا من قلبك ، وهذا اقتباس ممـا قاله علىّ كرم الله وجهه حيث قال :الدنيا والآخرة ضرّتان فبقدر ماترضى إحداهما تسخط الأخرى ، وقال الحسن والله لقد أدركت أقواما كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذى تمشون عليه مايبالون أشرقت الدنيا أم غربت ذهبت إلى ذا أوذهبت إلى ذا وقال رجل للحسن ماتقول فى رجل آتاه الله مالا فهو يتصدّق منه ويصل منه أيحسن له أن يتعيش فيه ؟ يعنى يتنعم فقال لالوكانت له الدنيا كلهاما كان له منها إلا الكفاف ويقدّم ذلك ليوم فقره ، وقال الفضيل لوأن الدنيا بحذافيرها عرضت علىّ حلالا لاأحاسب عليها فى الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذامر بها أن تصيب ثوبه ، وقيل لمـا قدم عمر رضى الله عنه الشام فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل فسلم وسأله ثم أتى منزله فلم يرفيه إلا سيفه وترسه ورحله فقال له عمر رضى الله عنه لواتخذت متاعا فقال ياأمير المؤمنين إن هذا يبلغنا المقيل وقال سفيان خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك ،وقال الحسن والله لقد عبدت بنو إسرائيل الأصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم للدنيا ، وقال وهب قرأت فى بعض الكتب الدنيا غنيمة الأكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا ، وقال لقمان لابنه يابنى إنك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعد عنها ، وقال سعيد بن مسعود إذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك المغبون الذى يلعب بوجهه وهو لا يشعر وقال عمرو بن العاص على المنبر : والله مارأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم والله مامر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث إلا والذى عليه أكثر من الذى له(١)

والخشـية والتعظيم والوقار والمشاهـدة والمناجاة وإن قرأ بين الفاتحة ومايقرأ بعدها إذا كان إماما فى السكتة الثانية : اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب ونقـنى من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسل خطاياى بالمـاء والثلج والبرد فحسن ، وإن قالها فى السكتة الأولى فحسن روى عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال ذلك وإن كان منفردا يقولها قبـل القراءة ويعلم العبد أن تلاوته نطق اللسان ومعناها نطـق القلب وكل مخاطب لشـخص يتكلم بلسانه ولسانه

(١) حديث عمرو بن العاص والله مارأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم الحديث الحاكم وصححه ورواه أحمد وابن حبان بنحوه .

وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى ـ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ـ من قال ذا قاله من خالقها ومن هو أعلم بها إياكم وما شغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة الأشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب . وقال أيضا مسكين ابن آدم رضى بدار حلالها حساب وحرامها عذاب إن أخذه من حله حوسب به وإن أخذه من حرام عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته فى دينه ويجزع من مصيبته فى دنياه . وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز سلام عليك . أما بعد : فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات فأجابه عمر سلام عليك كأنك بالدنيا ولم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل . وقال الفضيل بن عياض الدخول فى الدنيا هين ولكن الخروج منها شديد . وقال بعضهم عجبا لمن يعرف أن الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعرف أن النار حق كيف يضحك وعجبا لمن رأى تقلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها وعجبا لمن يعلم أن القدر حق كيف ينصب . وقدم على معاوية رضى الله عنه رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود لباد الخلق ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها فقال له سل ماشئت قال عمر مضى قدره أو أجل حضر فتدفعه قال لا أملك ذلك قال لا حاجة لى إليك . وقال داود الطائى رحمه الله يا ابن آدم فرحت ببلوغ أملك وإنما بلغته بانقضاء أجلك ثم سوفت بعملك كأن منفعته لغيرك وقال بشر من سأل الله الدنيا فانما يسأله طول الوقوف بين يديه . وقال أبو حازم مافى الدنيا شىء يسرك إلا وقد ألصق الله إليه شيئا يسوءك . وقال الحسن لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث : إنه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ماأمل ولم يحسن الزاد لما يقدم عليه . وقيل لبعض العباد قد نلت الغنى فقال إنما نال الغنى من عتق من رق الدنيا . وقال أبو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان فى قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطلحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا فليت شعرى أى عذاب الله ينزل علينا . وقال أبو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة . وقال الحسن أهينوا الدنيا فوالله ماهى لأحد بأهنأ منها لمن أهانها . وقال أيضا إذا أراد الله بعبد خيرا أعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك فاذا نفد أعاد عليه وإذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا . وكان بعضهم يقول فى دعائه يامسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنك أمسك الدنيا عنى وقال محمد بن المنكدر أرأيت لو أن رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله وجاهد فى سبيل الله واجتنب محارم الله غير أنه يؤتى به يوم القيامة فيقال إن هذا عظم فى عينه ماصغره الله وصغر فى عينه ماعظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا وقال أبو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فانك لا تجد عليها أعوانا وأما مؤنة الدنيا فانك لا تضرب بيدك إلى شىء منها إلا وجدت فاجرا قد سبقك إليه وقال أبو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والأرض كالشن البالى تنادى ربها منذ خلقها إلى يوم يفنيها يارب يارب لم تبغضنى فيقول لها اسكتى يالاشىء وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب فى القلب قد احتوشته فمتى يصل الخير إليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشىء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب عليه هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان قال جمع الدنيا وذهب إلى الآخرة ضيع نفسه قيل له إنه كان يفعل ويفعل وذكروا أبوابا من البر فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا . وقال بعضهم الدنيا تبغض إلينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت إلينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هى قال لمن تركها فقيل الآخرة لمن هى قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب وأخرب

يعبر عما فى قلبه ولو أمكن المتكلم إفهام من يكلمه من غير لسان فعل ولكن حيث تعذر الافهام إلا بالكلام جعل اللسان ترجمانا فاذا قال باللسان من غير مواطأة القلب فما اللسان ترجمانا ولا القارىء متكلما قاصدا إسماع الله حاجته ولا مستمعا إلى الله فاهما عنه سبحانه ما يخاطبه وما عنده غير حركة اللسان بقلب غائب عن قصد مايقول فينبغى أن يكون متكلما مناجيا أو مستمعا راعيا فأقل مراتب أهل الخصوص فى الصلاة الجمع بين القلب واللسان فى التلاوة ووراء ذلك أحوال للخواص يطول

منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها. وقال الجنيد كان الشافعى رحمه الله من المريدين الناطقين بلسان الحق فى الدنيا وعظ أخا له فى الله وخوفه بالله فقال يا أخى إن الدنيا دحض مزلة ودار مذلة عمرانها إلى الخراب صائر وساكنها إلى القبور زائر شملها على الفرقة موقوف وغناها إلى الفقر مصروف الإكثار فيها إعسار والإعسار فيها يسار فافزع إلى الله وارض برزق الله لا تتسلف من دار فانيك إلى دار بقائك فإن عيشك فى زائل وجدار مائل أكثر من عملك وأقصر من أملك . وقال إبراهيم بن أدهم لرجل أدرهم فى المنام أحب إليك أم دينار فى اليقظة فقال دينار فى اليقظة فقال كذبت لأن الذى تحبه فى الدنيا كأنك تحبه فى المنام والذى لا تحبه فى الآخرة كأنك لا تحبه فى اليقظة . وعن إسمعيل بن عياش قال كان أصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون إليك عنا يا خنزيرة فلو وجدوا لها اسما أقبح من هذا لسموها به . وقال كعب لتحبن إليكم الدنيا حتى تعبدوها وأهلها وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله العقلاء ثلاثة : من ترك الدنيا قبل أن تتركه وبنى قبره قبل أن يدخله وأرضى خالقه قبل أن يلقاه . وقال أيضا الدنيا بلغ من شؤمها أن تمنيك لما يلهيك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من أراد أن يستغنى عن الدنيا بالدنيا كان كمطفئ النار بالتبن وقال بندار إذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون فى الزهد فاعلم أنهم فى سخرة الشيطان وقال أيضا من أقبل على الدنيا أحرقته نيرانها يعنى الحرص حتى يصير رمادا ومن أقبل على الآخرة صفته بنيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن أقبل على الله عز وجل أحرقته نيران التوحيد فصار جوهرا لا حد لقيمته . وقال على كرم الله وجهه إنما الدنيا ستة أشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فأشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب وأشرف المشروبات الماء ويستوى فيه البر والفاجر وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة وأشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال وأشرف المنكوحات المرأة وهى مبال فى مبال وإن المرأة لتزين أحسن شئ منها ويراد أقبح شئ منها وأشرف المشمومات المسك وهو دم .

(بيان المواعظ فى ذم الدنيا وصفتها)

قال بعضهم يا أيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالأمل ونسيان الأجل ولا تركنوا إلى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بأمانيها وتزينت لخطابها فأصبحت كالعروس المجلية العيون إليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن إليها خذلت فانظروا إليها بعين الحقيقة فانها دار كثير بوائقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل ودها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان عليل أو مدنف ثقيل فهل على الدواء من دليل أو هل إلى الطبيب من سبيل فتدعى لك الأطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان أوصى ولماله أحصى ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم إخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع أنينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى إخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان ، وهذا أخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الأعضاء ثم عرج بها إلى السماء فاجتمع عند ذلك إخوانك وأحضرت أكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف أهلك إلى مالك وبقيت مرتهنا بأعمالك . وقال بعضهم لبعض الملوك إن أحق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها وأعطى حاجته منها لأنه يتوقع آفة تعدو

شرحها . قال : بعضهم ما دخلت فى صلاة قط فأهمنى فيها غير ما أقول وقيل لعامر بن عبد الله هل تجد فى الصلاة شيئا من أمور الدنيا فقال لأن تختلف على الأسنة أحب إلى من أن أجد فى الصلاة ما تجدون . وقيل لبعضهم هل تحدث نفسك فى الصلاة بشىء من أمور الدنيا فقال لا فى الصلاة ولا فى غيرها ومن الناس من إذا أقبل على الله فى صلاته يتحقق بمعنى الإنابة لأن الله تعالى قدم الإنابة وقال — منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة — فينيب إلى الله تعالى ويتقى الله تعالى بالتبرى عما سواه ويقيم الصلاة بصدر منشرح

على ماله فتجتاحه أوعلى جمعه فتفرقه أوتأتى سلطانه فتهدمه من القواعد أوتدب إلى جسمه فتسقمه أوتفجعه بشئ هو ضنين به بين أحبابه فالدنيا أحق بالذم هى الآخذة ماتعطى الراجعة فيما تهب بيناهى تضحك صاحبها إذ أضحكت منه غيره وبينا هى تبكى له إذ أبكت عليه وبيناهى تبسط كفها بالاعطاء إذ بسطتها بالاسترداد فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتعفره بالتراب غدا سواء عليها ذهاب ماذهب وبقاء مابقى تجد فى الباقى من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا . وكتب الحسن البصرى إلى عمر بن عبد العزيز . أما بعد : فانّ الدنيا دار ظعن ليست بدار إقامة وإنما أنزل آدم عليه السلام من الجنة إليها عقوبة فاحذرها ياأمير المؤمنين فانّ الزاد منها تركها والغنى منها فقرها لها فى كل حين قتيل تذلّ من أعزها وتفقر من جمعها هى كالسم يأكله من لايعرفه وفيه حتفه فكن فيها كالمداوى جراحه يحتمى قليلا مخافة مايكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول الداء فاحذر هذه الدار الغدّارة الختالة الخداعة التى قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وحلت بآمالها وسوّفت بخطابها فأصبحت كالعروس المجلية ، العيون إليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهى لأزواجها كلهم قالية فلا الباقى بالماضى معتبر ولا الآخر بالأوّل مزدجر ولا العارف بالله عز وجلّ حين أخبره عنها مدّكر فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغترّ وطغى ونسى المعاد فشغل فيها لبه حتى زلت به قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت وتألمه وحسرات الفوت بغصته وراغب فيها لم يدرك منها ماطلب ولم يروّح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها ياأمير المؤمنين وكن أسرّ ماتكون فيها أحذر ماتكون لها فانّ صاحب الدنيا كلما اطمأنّ منها إلى سرور أشخصته إلى مكروه السارّ فى أهلها غار والنافع فيها غدّار ضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها إلى فناء فسرورها مشوب بالأحزان لايرجع منها ماولى وأدبر ولايدرى ماهو آت فينتظر ، أمانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر إن عقل ونظر فهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فمالها عند الله جلّ ثناؤه قدر ومانظر إليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لاينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها (١) إذ كره أن يخالف على الله أمره أو يحب ماأبغضه خالقه اويرفع ماوضع مليكه فزواها عن الصالحين اختبارا وبسطها لأعدائه اغترارا فيظنّ المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرم بها ونسى ماصنع الله عز وجلّ بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شدّ الحجر على بطنه (٢) ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه عز وجلّ أنه قال لموسى عليه السلام : إذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وإذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وإن شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى ابن مريم عليه السلام فانه كان يقول إدامى الجوع وشعارى الخوف ولباسى الصوف وصلاتى فى الشتاء مشارق الشمس وسراجى القمر ودابتى رجلاى

(١) حديث الحسن وكتب به إلى عمر بن عبد العزيز عرضت أى الدنيا على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها الحديث ابن أبى الدنيا هكذا مرسلا ورواه أحمد والطبرانى متصلا من حديث أبى مويهبة فى أثناء حديث فيه إنى قد أعطيت خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة الحديث وسنده صحيح وللترمذى من حديث أبى أمامة عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا الحديث (٢) حديث الحسن مرسلا فى شده الحجر على بطنه ابن أبى الدنيا أيضا هكذا وللبخارى من حديث أنس رفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرين وقال حديث غريب .

بالاسلام وقلب منفتح بنور الإنعام فتخرج الكلمة من القرآن من لسانه ويسمعها بقلبه فتقع الكلمة فى فضاء قلب ليس فيه غيرها فيتملكها القلب بحسن الفهم ولذيذ نعمة الإصغاء ويتشربها بحلاوة الاستماع وكمال الوعى ويدرك لطيف معناها وشريف فحواها معانى تلطف عن تفصيل الذكر وتتشكل بخفى الفكر ويصير الظاهر من معانى القرآن قوت النفس فالنفس المطمئنة متعوّضة بمعانى القرآن عن حديثها لكونها معانى ظاهرة متوجهة إلى عالم الحكمة والشهادة تقرب مناسبتها من النفس

وطعامى وفاكهتى ماأنبتت الأرض أبيت وليس لى شئ وأصبح وليس لى شئ وليس على الأرض أحد أغنى منى . وقال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام إلى فرعون قال لا يروعنكما لباسه الذى لبس من الدنيا فانّ ناصيته بيدى ليس ينطق ولايطرف ولا يتنفس إلا باذنى ولايعجبنكما ماتمتع به منها فانما هى زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين فلوشئت أن أزينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أنّ قدرته تعجز عما أوتيتما لفعلت ولكنى أرغب بكما عن ذلك فأزوى ذلك عنكما وكذلك أفعل بأوليائى إنى لأذودهم عن نعيمها كما يذود الراعى الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة وإنى لأجنبهم ملاذها كما يجنب الراعى الشفيق إبله عن منازل العرّة وماذاك لهوانهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتى سالما موفرا إنما يتزين لى أوليائى بالذلّ والخوف والخضوع والتقوى تنبت فى قلوبهم وتظهر على أجسادهم فهى ثيابهم التى يلبسون ودثارهم الذى يظهرون وضميرهم الذى يستشعرون ونجاتهم التى بها يفوزون ورجاؤهم الذى إياه يأملون ومجدهم الذى به يفخرون وسيماهم التى بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم أنه من أخاف لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ثم أنا الثائر له يوم القيامة . وخطب علىّ كرّم الله وجهه يوما خطبة فقال فيها: اعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها فلاتغرّنكم الحياة الدنيا فانها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة وكل مافيها إلى زوال وهى بين أهلها دول وسجال لاتدوم أحوالها ولايسلم من شرّها نزالها بينا أهلها منها فى رخاء وسرور إذاهم منها فى بلاء وغرور أحوال مختلفة وتارات منصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لايدوم وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتفصيهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه فيها موفور . واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعمارا وأشدّ منكم بطشا وأعمر ديارا وأبعد آثارا فأصبحت أصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والأحجار المسندة فى القبور اللاطئة اللحدة فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين لايستأنسون بالعمران ولايتواصلون تواصل الجيران والإخوان على مابينهم من قرب المكان والجوار ودنوّ الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلا وأكلتهم الجنادل والثرى وأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد نضارة العيش رفاتا فجع بهم الأحباب وسكنوا تحت التراب وظعنوا فليس لهم إياب هيهات هيهات ـ كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ـ فكأن قد صرتم إلى ماصاروا إليه من البلا والوحدة فى دار المثوى وارتهنتم فى ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لوعاينتم الأمور وبعثرت القبور وحصل مافى الصدور وأوقفتم للتحصيل بين يدى الملك الجليل فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والأستار وظهرت منكم العيوب والأسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت إنّ الله عز وجلّ يقول ـ ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ـ وقال تعالى ـ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ـ الآية جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه متبعين لأوليائه حتى يحلنا وإياكم دار المقامة من فضله إنه حميد مجيد . وقال بعض الحكماء : الأيام سهام والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بليالية وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالى فى بدنك لو كشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتى عليك واستثقلت ممرّ الساعة بك ولكن تدبير الله

المكونة لاقامة رسم الحكمة ومعانى القرآن الباطنة التى يكاشف بها من الملكوت قوت القلب وتخلص الروح القدس إلى أوائل سرادقات الجبروت بمطالعة عظمة المتكلم وبمثل هذه المطالعة يكون كمال الاستغراق فى لجج الأشواق كما نقل عن مسلم بن يسار أنه صلى ذات يوم فى مسجد البصرة فوقعت أسطوانة تسامع بسقوطها أهل السوق وهو واقف فى الصلاة لم يعلم بذلك ثم إذا أراد الركوع يفصل بين القراءة والركوع ثم يركع منطوى القامة والنصف الأسفل بحاله فى القيام من غير انطواء الركبتين ويجافى

فوق تدبير الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وإنها لأمر من العلقم إذا عجنها الحكيم وقد أعيت الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها وما تأتى به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ اللهم أرشدنا إلى الصواب . وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها فقال: الدنيا وقتك الذى يرجع إليك فيه طرفك لأن مامضى عنك فقد فاتك إدراكه ومالم يأت فلاعلم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعاته وأحداثه تتوالى على الانسان بالتغيير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول والأمل طويل والعمر قصير وإلى الله تصير الأمور . وخطب عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فقال : ياأيها الناس إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون به فانكم حمقى وإن كنتم تكذبون به فانكم هلكى إنما خلقتم للأبد ولكنكم من دار إلى دار تنقلون عباد الله إنكم فى دار لكم فيها من طعامكم غصص . ومن شرابكم تمرق لاتصفو لكم نعمة تسرون بها إلا بفراق أخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل . وقال على كرم الله وجهه فى خطبته : أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وإن كنتم لاتحبون تركها المبلية أجسامكم وأنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل قوم فى سفر سلكوا طريقا وكأنهم قد قطعوه وأفضوا إلى علم فكأنهم بلغوه وكم عسى أن يجرى المجرى حتى ينتهى إلى الغاية وكم عسى أن يبقى من له يوم فى الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلاتجزعوا لبؤسها وضرائها فانه إلى انقطاع ولا تفرحوا بمتاعها ونعمائها فانه إلى زوال عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه. وقال محمد بن الحسين : لما علم أهل الفضل والعلم والمعرفة والأدب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا وأنه لم يرضها لأوليائه وأنها عنده حقيرة قليلة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر أصحابه من فتنتها أكلوا منها قصدا وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفى وتركوا مايلهى لبسوا من الثياب ماستر العورة وأكلوا من الطعام أدناه مما سد الجوعة ونظروا إلى الدنيا بعين أنها فانية وإلى الآخرة أنها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم فعلموا أنهم سينظرون إليها بأعينهم فارتحلوا إليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم تعبوا قليلا وتنعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم أحبوا ماأحب لهم وكرهوا ما كره لهم.

(بيان صفة الدنيا بالأمثلة)

اعلم أن الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء ثم تخلف فى الوفاء تنظر إليها فتراها ساكنة مستقرة وهى سائرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر إليها قد لايحس بحركتها فيطمئن إليها وإنما يحس عند انقضائها ومثالها الظل فانه متحرك ساكن ، متحرك فى الحقيقة ساكن فى الظاهر لاتدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصرى رحمه الله أنشد وقال :

أحلام نوم أو كظلّ زائل ... إنّ اللبيب بمثلها لا يخدع

وكان الحسن بن علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجه يتمثل كثيرا ويقول :

ياأهل لذات دنيا لابقاء لها ... إنّ اغترارا بظلّ زائل حمق

وقيل إنّ هذا من قوله . ويقال إنّ أعرابيا نزل بقوم فقدموا إليه طعاما فأكل ثم قام إلى ظلّ خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة فأصابته الشمس فانتبه فقام وهو يقول :

ألا إنما الدنيا كظلّ ثنية ... ولا بدّ يوما أن ظلك زائل

وكذلك قيل : وإن امرأ دنياه أكبر همه ... لمستمسك منها بحبل غرور

مرفقيه عن جنبيه ويمد عنقه مع ظهره ويضع راحتيه على ركبتيه منشورة الأصابع. روى مصعب ابن سعد قال صليت إلى جنب سعد بن مالك فجعلت يدىّ بين ركبتى وبين فخذى وطبقتهما فضرب يدى وقال اضرب بكفيك على ركبتيك وقال يابنى إنا كنا نفعل ذلك فأمرنا أن نضرب بالأكف على الركب ، ويقول: سبحان ربى العظيم ثلاثا وهو أدنى الكمال والكمال أن يقول إحدى عشرة ومايأتى به من العدد يكون بعد التمكن من الركوع ومن غير أن يعرج آخر ذلك بالرفع ويرفع يديه للركوع والرفع من

[مثال آخر للدنيا من حيث التغرير بخيالاتها ثم الإفلاس منها بعد إفلاتها] تشبه خيالات المنام وأضغاث الأحلام قال رسول الله ﷺ « الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعاقبون (١) » وقال يونس بن عبيد ما شبهت نفسى فى الدنيا إلا كرجل نام فرأى فى منامه مايكره ومايحب فبينما هو كذلك إذ انتبه فكذلك الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس بأيديهم شىء مما ركنوا إليه وفرحوا به. وقيل لبعض الحكماء أى شىء أشبه بالدنيا قال أحلام النائم [مثال آخر للدنيا فى عداوتها لأهلها وإهلاكها لبنيها] اعلم أن طبع الدنيا التلطف فى الاستدراج أولا والتوصل إلى الإهلاك آخرا وهى كامرأة تتزين للخطاب حتى إذا نكحتهم ذبحتهم وقد روى أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها فى صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا أحصيهم قال فكلهم مات عنك أم كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى عليه السلام بؤسا لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين كيف تهلكينهم واحدا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر [مثال آخر للدنيا فى مخالفة ظاهرها لباطنها] اعلم أن الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهى شبه عجوز متزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم فى الاغترار بظاهرها وقال العلاء ابن زياد رأيت فى المنام عجوزا كبيرة متعصبة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها معجبون ينظرون إليها فجئت ونظرت وتعجبت من نظرهم إليها وإقبالها عليها فقلت لها ويلك من أنت ؟ قالت أو ما تعرفنى . قلت لا أدرى من أنت قالت أنا الدنيا قلت أعوذ بالله من شرك قالت إن أحببت أن تعاذ من شرى فابغض الدرهم . وقال أبو بكر بن عياش رأيت الدنيا فى النوم عجوزا مشوهة شمطاء تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون فلما كانت بحذائى أقبلت على فقالت لو ظفرت بك لصنعت بك مثل ماصنعت بهؤلاء ثم بكى أبو بكر وقال : رأيت هذا قبل أن أقدم إلى بغداد. وقال الفضيل بن عياض قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيامة فى صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية مشوه خلقها فتشرف على الخلائق فيقال لهم أتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التى تناحرتم عليها بها تقاطعتم الأرحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم يقذف بها فى جهنم فتنادى أى رب أين أتباعى وأشياعى فيقول الله عز وجل: ألحقوا بها أتباعها وأشياعها وقال الفضيل بلغنى أن رجلا عرج بروحه فاذا امرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة من الحلى والثياب وإذا لا يمر بها أحد إلا جرحته فاذا هى أدبرت كانت أحسن شىء رآه الناس وإذا هى أقبلت كانت أقبح شىء رآه الناس عجوز شمطاء زرقاء عمشاء قال فقلت أعوذ بالله منك قالت لا والله لا يعيذك الله منى حتى تبغض الدرهم قال فقلت من أنت ؟ قالت أنا الدنيا [مثال آخر للدنيا وعبور الانسان بها] اعلم أن الأحوال ثلاثة : حالة لم تكن فيها شيئا وهى ماقبل وجودك إلى الأزل. وحالة لا تكون فيها مشاهدا للدنيا وهى مابعد موتك إلى الأبد . وحالة متوسطة بين الأبد والأزل وهى أيام حياتك فى الدنيا فانظر إلى مقدار طولها وانسبه إلى طرفى الأزل والأبد حتى تعلم أنه أقل من منزل قصير فى سفر بعيد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « مالى وللدنيا وإنما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب سار فى يوم صائف فرفعت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها (٢) » ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها

(١) حديث الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعاقبون لم أجد له أصلا (٢) حديث مالى وللدنيا إنما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب الحديث الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث ابن مسعود بنحوه ورواه أحمد والحاكم وصححه من حديث ابن عباس .

الركوع ويكون فى ركوعه ناظرا نحو قدميه فهو أقرب إلى الخشوع من النظر إلى موضع السجود وإنما ينظر إلى موضع سجوده فى قيامه ويقول بعد التسبيح : اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعى وبصرى وعظمى ومخى وعصبى ويكون قلبه فى الركوع متصفا بمعنى الركوع من التواضع والإخبات ثم يرفع رأسه قائلا. سمع الله لمن حمده عالما بقلبه مايقول فاذا استوى قائما يحمد ويقول: ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ماشئت

ولم يبال كيف انقضت أيامه فى ضر وضيق أوفى سعة ورفاهية بل لايبنى لبنة على لبنة «توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وماوضع لبنة على لبنة ولاقصبة على قصبة (١)» ورأى بعض الصحابة يبنى بيتامن جص فقال : «أرى الأمر أعجل من هذا وأنكر ذلك (٢)» وإلى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولاتعمروها وهو مثال واضح فان الحياة الدنيا معبر إلى الآخرة والهدهو الميل الأوّل على رأس القنطرة واللحد هو الميل الآخر وبينهما مسافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيفما كان فلابد له من العبور والبناء على القنطرة وتزيينها بأصناف الزينة وأنت عابر عليها غاية الجهل والخذلان [مثال آخر للدنيا فى لين موردها وخشونة مصدرها] اعلم أن أوائل الدنيا تبدو هينة لينة يظن الخائض فيها أن حلاوة خفضها كحلاوة الخوض فيها وهيهات فان الخوض فى الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب علىّ رضى الله عنه إلى سلمان الفارسى بمثالها فقال مثل الدنيا مثل الحية لين مسها ويقتل سمها فأعرض عما يعجبك منها لقلة مايصحبك منها وضع عنك همومها بما أيقنت من فراقها وكن أسر ماتكون فيها أحذر ماتكون لها فان صاحبها كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصه عنه مكروه والسلام [مثال آخر للدنيا فى تعذر الخلاص من تبعتها بعد الخوض فيها] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنما مثل صاحب الدنيا كالماشى فى الماء هل يستطيع الذى يمشى فى الماء أن لاتبتل قدماه (٣)» وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا أنهم يخوضون فى نعيم الدنيا بأبدانهم وقلوبهم منها مطهرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة من الشيطان بل لو أخرجوا مماهم فيه لكانوا من أعظم المتوجعين بفراقها فكما أن المشى على الماء يقتضى بللا لامحالة يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضى علاقة وظلمة فى القلب بل علاقة الدنيا مع القلب تمنع حلاوة العبادة قال عيسى عليه السلام بحق أقول لكم كما ينظر المريض إلى الطعام فلا يتلذذ به من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لايلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع مايجد من حب الدنيا وبحق أقول لكم إن الدابة إذا لم تركب وتمتهن تصعب ويتغير خلقها كذلك القلوب إذا لم ترفق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ وبحق أقول لكم إن الزق مالم ينخرق أو يفحل يوشك أن يكون وعاء للعسل كذلك القلوب مالم تخرقها الشهوات أو يدنسها الطمع أو يقسيها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة وقال النبى صلى الله عليه وسلم «إنما بقى من الدنيا بلاء وفتنة وإنما مثل عمل أحدكم كمثل الوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله وإذا خبث أعلاه خبث أسفله (٤)» [مثال آخر لما بقى من الدنيا وقلته بالاضافة إلى ماسبق] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوّله إلى آخره فبقى متعلقا بخيط فى آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع (٥)»

(١) حديث ماوضع لبنة على لبنة الحديث ابن حبان فى الثقات والطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف من سأل عنى أوسرّه أن ينظر إلىّ فلينظر إلى أشعث شاحب مشمر لم يضع لبنة على لبنة الحديث (٢) حديث رأى بعض أصحابه يبنى بيتا من جص فقال أرى الأمر أعجل من هذا أبوداود والترمذى من حديث عبدالله بن عمرو وقال حسن صحيح (٣) حديث إنما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشى فى الماء الحديث ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب من رواية الحسن قال بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره ووصله البيهقى فى الشعب وفى الزهد من رواية الحسن عن أنس (٤) حديث إنما بقى من الدنيا بلاء وفتنة الحديث ابن ماجه من حديث معاوية فرّقه فى موضعين ورجاله ثقات (٥) حديث مثل هذه الدنيا كمثل ثوب شق من أوله إلى آخره أبو الشيخ ابن حبان فى الثواب وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى شعب الايمان من حديث أنس بسند ضعيف.

من شئ بعد ثم يقول أهل الثناء والمجد أحق ماقال العبد وكلنا لك عبد لامانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولاينفع ذا الجد منك الجد فان أطال فى النافلة القيام بعد الرفع من الركوع فليقل لربى الحمد مكررا ذلك مهما شاء فأما فى الفرض فلا يطوّل تطويلا يزيد على الحد زيادة بينة ويقنع فى الرفع من الركوع بتمام الاعتدال بإقامة الصلب ، ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «لاينظر الله إلى من لا يقيم صلبه بين الركوع والسجود ثم يهوى ساجدا ويكون فى هويه مكبرا

[مثال آخر لتأدية علائق الدنيا بعضها إلى بعض حتى الهلاك] قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله [مثال آخر لمخالفة آخر الدنيا أولها ولنضارة أوائلها وخبث عواقبها] اعلم أن شهوات الدنيا فى القلب لذيذة كشهوات الأطعمة فى المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا فى قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للأطعمة اللذيذة إذا بلغت فى المعدة غايتها وكما أن الطعام كلما كان ألذ طعما وأكثر دسما وأظهر حلاوة كان رجيعه أقذر وأشد نتنا فكذلك كل شهوة فى القلب هى أشهى وألذ وأقوى فنتنها وكراهتها والتأذى بها عند الموت أشد بل هى فى الدنيا مشاهدة فان من نهبت داره وأخذ أهله وماله وولده فتكون مصيبته وألمه وتفجعه فى كل ما فقد بقدر لذته به وحبه له وحرصه عليه فكل ما كان عند الوجود أشهى عنده وألذ فهو عند الفقد أدهى وأمر ولا معنى للموت إلا فقد ما فى الدنيا وقد روى « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للضحاك بن سفيان الكلابى : ألست تؤتى بطعامك وقد ملح وقرح ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال فإلام يصير قال إلى ما قد علمت يا رسول الله قال فان الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير إليه طعام ابن آدم (١) » وقال أبى بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا ضربت مثلا لابن آدم فانظر إلى ما يخرج من ابن آدم وإن قذحه وملحه إلام يصير (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا وإن قرحه وملحه (٣) » وقال الحسن قد رأيتهم يطيبونه بالأفاويه والطيب ثم يرمون به حيث رأيتم وقد قال الله عز وجل فلينظر الإنسان إلى طعامه قال ابن عباس إلى رجيعه وقال رجل لابن عمر إنى أريد أن أسألك وأستحيى قال فلا تستحى واسأل قال إذا قضى أحدنا حاجته فقام ينظر إلى ذلك منه قال نعم إن الملك يقول له انظر إلى ما بخلت به انظر إلى ماذا صار . وكان بشر بن كعب يقول انطلقوا حتى أريكم الدنيا فيذهب بهم إلى مزبلة فيقول انظروا إلى ثمارهم ودجاجهم وعساهم وسمنهم [مثال آخر فى نسبة الدنيا إلى الآخرة] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما الدنيا فى الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر أحدكم بم يرجع إليه (٤) » [مثال آخر للدنيا وأهلها فى اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها] اعلم أن أهل الدنيا مثلهم فى غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم إلى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج إلى قضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فتفرقوا فى نواحى الجزيرة فقضى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة فصادف المكان خاليا فأخذ أوسع الأماكن وألينها وأوفقها لمراده وبعضهم توقف فى الجزيرة ينظر إلى أنوارها وأزهارها العجيبة وغياضها الملتفة ونغمات طيورها الطيبة وألحانها الموزونة الغريبة وصار يلحظ من بريتها أحجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الألوان والأشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة أعين الناظرين

(١) حديث أنه قال للضحاك بن سفيان الكلابى ألست تؤتى بطعامك وقد ملح وقرح الحديث وفيه فان الله ضرب مثل الدنيا لما يصير إليه طعام ابن آدم أحمد والطبرانى من حديثه بنحوه وفيه على بن زيد بن جدعان مختلف فيه (٢) حديث أبى بن كعب إن الدنيا ضربت مثلا لابن آدم الحديث الطبرانى وابن حبان بلفظ إن مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلا ورواه عبد الله بن أحمد فى زياداته بلفظ جعل (٣) حديث إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا الحديث الشطر الأول منه غريب والشطر الأخير هو الذى تقدم من حديث الضحاك بن سفيان إن الله ضرب ما يخرج من بنى آدم مثلا للدنيا (٤) حديث ما الدنيا فى الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع إليه مسلم من حديث المستورد بن شداد .

مستيقظا حاضرا خاشعا عالما بما يهوى فيه وإليه وله ثمن الساجدين من يكاشف أنه يهوى إلى تخوم الأرضين متغيبا فى أجزاء الملك لامتلاء قلبه من الحياء واستشعار روحه عظيم الكبرياء كما ورد أن جبرائيل عليه السلام تستر بخافية من جناحه حياء من الله تعالى . ومن الساجدين من يكاشف أنه يطوى بسجوده بساط الكون والمكان ويسرح قلبه فى فضاء الكشف والعيان فيهوى دون هويه أطباق السموات وتمحى لقوة شهوده تماثيل الكائنات ويسجد على طرف

بحسن زبرجدها وعجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع إليها فلم يصادف إلا مكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه وبعضهم أكب على تلك الأصداف والأحجار وأعجبه حسنها ولم تسمح نفسه بإهمالها فاستصحب منها جملة فلم يجد في السفينة إلا مكانا ضيقا وزاده ماحمله من الحجارة ضيقا وصار ثقيلا عليه ووبالا فندم على أخذه ولم يقدر على رميه ولم يجد مكانا لوضعه فحمله في السفينة على عنقه وهو متأسف على أخذه وليس ينفعه التأسف وبعضهم تولج الغياض ونسي المركب وبعد في متفرجه ومتنزهه منه حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله بأكل تلك الثمار واستشمام تلك الأنوار والتفرج بين تلك الأشجار وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا منفك عن شوك ينشب بثيابه وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وصوت هائل يفزع منه وعوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه عن الانصراف لو أراده فلما بلغه نداء أهل السفينة انصرف مثقلا بما معه ولم يجد في المركب موضعا فبقي في الشط حتى مات جوعا وبعضهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الأوحال ومنهم من نهشته الحيات فتفرقوا كالجيف المنتنة ، وأما من وصل إلى المركب بثقل ماأخذه من الأزهار والأحجار فقد استرقته وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث أن ذبلت تلك الأزهار وكمدت تلك الألوان والأحجار فظهر نتن رائحتها فصارت مع كونها ضيقة عليه مؤذية له بنتنها ووحشتها فلم يجد حيلة إلا أن ألقاها في البحر هربا منها وقد أثر فيه ماأكل منها فلم ينته إلى الوطن إلا بعد أن ظهرت عليه الأسقام بتلك الروائح فبلغ سقيما مدبرا ومن رجع قريبا مافاته إلا سعة المحل فتأذى بضيق المكان مدة ولكن لما وصل إلى الوطن استراح ومن رجع أولا وجد المكان الأوسع ووصل إلى الوطن سالما فهذا مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمورهم وما أقبح من يزعم أنه بصير عاقل أن تغره أحجار الأرض وهي الذهب والفضة وهشيم النبت وهي زينة الدنيا وشيء من ذلك لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا ووبالا عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم إلا من عصمه الله عز وجل [مثال آخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف إيمانهم] قال الحسن رحمه الله بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه «إنما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى إذا لم يدروا ماسلكوا منها أكثر أو ما بقي أنفدوا الزاد وخسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة ولا زاد ولا حمولة فأيقنوا بالهلكة فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم رجل في حلة تقطر رأسه فقالوا هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا إلا من قريب فلما انتهى إليهم قال ياهؤلاء فقالوا ياهذا فقال علام أنتم فقالوا على ماترى فقال أرأيتم إن هديتكم إلى ماء رواء ورياض خضر ماتعلمون ؟ قالوا لا نعصيك شيئا قال عهودكم ومواثيقكم بالله فأعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيئا قال فأوردهم ماء رواء ورياضا خضرا فمكث فيهم ماشاء الله ثم قال ياهؤلاء قالوا ياهذا قالوا الرحيل قال إلى أين قالوا إلى ماء ليس كمائكم وإلى رياض ليست كرياضكم فقال أكثرهم والله ماوجدنا هذا حتى ظننا أنا لن نجده وما نصنع بعيش خير من هذا وقالت طائفة وهم أقلهم ألم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله أن لا تعصوه شيئا وقد صدقكم في أول حديثه فوالله لا يصدقنكم في آخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبدرهم عدو فأصبحوا بين أسير وقتيل[1]» [مثال آخر لتنعم

(١) حديث الحسن بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه إنما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء الحديث ابن أبي الدنيا هكذا بطوله لأحمد والبزار والطبراني من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فيما يرى النائم ملكان الحديث وفيه فقال

رداء العظمة وذاك أقصى ماينتهي إليه طائر الهمة البشرية وتفي بالوصول إليه القوى الانسانية ويتفاوت الأنبياء والأولياء في مراتب العظمة واستشعار كنهها لكل منهم على قدره حظ من ذلك وفوق كل ذي علم عليم ومن الساجدين من يتسع وعاؤه وينتشر ضياؤه ويحظى بالصنفين ويبسط الجناحين فيتواضع بقلبه إجلالا ويرفع بروحه إكراما وإفضالا فيجتمع له الأنس والهيبة والحضور والغيبة والفرار والفرار والإسرار والجهار فيكون في سجوده سابحا في بحر شهوده

الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها] اعلم أن مثل الناس فيما أعطوا من الدنيا مثل رجل هيأ دارا وزينها وهو يدعو إلى داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد فدخل واحد داره فقدم إليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا ليتملكه ويأخذه فجهل رسمه وظن أنه قد وهب ذلك منه فتعلق به قلبه لما ظن أنه له فلما استرجع منه ضجر وتفجع ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيب قلب وانشراح صدر وكذلك من عرف سنة الله فى الدنيا علم أنها دار ضيافة سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعوارى ولا يصرفون إليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه أمثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها نسأل الله تعالى اللطيف الخبير حسن العون بكرمه وحلمه .

(بيان حقيقة الدنيا وما هيتها فى حق العبد)

اعلم أن معرفة ذم الدنيا لا تكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ماهى ؟ وما الذى ينبغى أن يجتنب منها وما الذى لا يجتنب فلا بد وأن نبين الدنيا المذمومة المأمور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ماهى فنقول دنياك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك فالقريب الدانى منها يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت والمتراخى المتأخر يسمى آخرة وهو ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة عاجل الحال قبل الوفاة فهى الدنيا فى حقك إلا أن جميع ما لك إليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هو ثلاثة أقسام . القسم الأول : ما يصحبك فى الآخرة وتبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيئان العلم والعمل فقط وأعنى بالعلم العلم بالله وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت أرضه وسمائه والعلم بشريعة نبيه وأعنى بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير ذلك ألذ الأشياء عنده فيهجر النوم والمطعم والمنكح فى لذته لأنه أشهى عنده من جميع ذلك فقد صار حظا عاجلا فى الدنيا ولكنا إذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا أصلا بل قلنا إنه من الآخرة وكذلك العابد قد يأنس بعبادته فيستلذها بحيث لو منع عنها لكان ذلك أعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بينى وبين قيام الليل وكان آخر يقول اللهم ارزقنى قوة الصلاة والركوع والسجود فى القبر فهذا قد صارت الصلاة عنده من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا لسنا نعنى بالدنيا المذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم « حبب إلى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرة عينى فى الصلاة[1] » فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وكذلك كل ما يدخل فى الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود إنما يكون فى الدنيا فلذلك أضافها إلى الدنيا إلا أنا لسنا فى هذا الكتاب نتعرض إلا للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا . القسم الثانى . وهو المقابل له على الطرف الأقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له فى الآخرة أصلا كالتلذذ بالمعاصى كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الحاجات والضرورات الداخلة فى جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث والغلمان والجوارى والخيول والمواشى والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الأطعمة فحظ العبد من هذا كله هى الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولا أو فى محل الحاجة نظر طويل إذ روى عن عمر رضى الله عنه أنه استعمل أبا الدرداء على حمص فاتخذ كنيفا أنفق

أى أحد الملكين إن مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى مفازة فذكر نحوه أخصر منه وإسناده حسن (١) حديث حبب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة النسائى والحاكم من حديث أنس دون قوله ثلاث وتقدم فى النكاح .

لم يتخلف منه عن السجود شعرة كما قال سيد البشر فى سجوده سجد لك سوادى وخيالى ـ ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها ـ الطوع للروح والقلب لما فيهما من الأعلية والكره من النفس لما فيها من الأجنبية ويقول فى سجوده : سبحان ربى الأعلى ثلاثا إلى العشر الذى هو الكمال ويكون فى السجود مفتوح العينين لأنهما يسجدان وفى الهوى يضع ركبتيه ثم يديه ثم جبهته وأنفه ويكون ناظرا نحو أرنبة أنفه فى السجود فهو أبلغ فى الخشوع للساجد ويباشر بكفيه المصلى

عليه درهمين فكتب إليه عمر من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عويمر قد كان لك فى بناء فارس والروم ماتكتفى به عن عمران الدنيا حين أراد الله خرابها فاذا أتاك كتابى هذا فقد سيرتك إلى دمشق أنت وأهلك فلم يزل بها حتى مات فهذا رآه فضولا من الدنيا فتأمل فيه. القسم الثالث: وهو متوسط بين الطرفين كل حظ فى العاجل معين على أعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد منه ليتأتى للانسان البقاء والصحة التى بها يتوصل إلى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الأول لأنه معين على القسم الأول ووسيلة إليه فهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصر به من أبناء الدنيا وإن كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثانى وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت إلا ثلاث صفات صفاء القلب أعنى طهارته عن الأدناس وأنسه بذكر الله تعالى وحبه لله عز وجل وصفاء القلب وطهارته لا يحصلان إلا بالكف عن شهوات الدنيا والأنس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله تعالى والمواظبة عليه والحب لا يحصل إلا بالمعرفة ولا تحصل معرفة الله إلا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هى المنجيات المسعدات بعد الموت. أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهى من المنجيات إذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله كما ورد فى الأخبار «إن أعمال العبد تناضل عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه وإذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه[1]» الحديث. وأما الأنس والحب فهما من المسعدات وهما موصلان العبد إلى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت إلى أن يدخل أوان الرؤية فى الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة من رياض الجنة ولم يكن له إلا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه عن دوام الأنس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وأفلت من السجن وخلى بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سليما من الموانع آمنا من العوائق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب إلا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة فى الرجوع إليه ولذلك قيل:

ماحال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد

وليس الموت عدما إنما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى فاذا سالك طريق الآخرة هو المواظب على أسباب هذه الصفات الثلاث وهى الذكر والفكر والعمل الذى يقطعه عن شهوات الدنيا ويبغض إليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن وصحة البدن لا تنال إلا بقوت وملبس ومسكن ويحتاج كل واحد إلى أسباب فالقدر الذى لا بد منه من هذه الثلاثة إذا أخذه العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من أبناء الدنيا وكانت الدنيا فى حقه مزرعة للآخرة وإن أخذ ذلك لحظ النفس وعلى قصد التنعم صار من أبناء الدنيا والراغبين فى حظوظها إلا أن الرغبة فى حظوظ الدنيا تنقسم إلى ما يعرض صاحبه لعذاب الآخرة ويسمى ذلك حراما وإلى ما يحول بينه وبين الدرجات العلا ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم أن طول الموقف فى عرصات القيامة لأجل المحاسبة أيضا عذاب فمن نوقش الحساب عذب[2]» إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حلالها حساب وحرامها عذاب[3]»

ولا يلفهما فى الثوب ويكون رأسه بين كفيه ويداه حذو منكبيه غير متيامن ومتياسر بهما، ويقول بعد التسبيح: اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين. وروى أمير المؤمنين على رضى الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى سجوده ذلك» وإن قال سبوح قدوس رب الملائكة والروح فحسن روت عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى سجوده ذلك ويجافى مرفقيه عن

(١) حديث مناضلة أعمال العبد عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل فدفع عنه الحديث الطبرانى من حديث عبد الرحمن بن سمرة بطوله وفيه خالد بن عبد الرحمن المخزومى ضعفه البخارى وأبو حاتم ولأحمد من حديث أسماء بنت أبى بكر إذا دخل الانسان قبره فان كان مؤمنا أحزبه عمله الصلاة والصيام الحديث وإسناده صحيح (٢) حديث من نوقش الحساب عذب متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث حلالها حساب وحرامها عذاب ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب من طريقه

وقد قال أيضا : حلالها عذاب. إلا أنه عذاب أخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان مايفوت من الدرجات العلا فى الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها لحظوظ حقيرة خسيسة لابقاء لها هو أيضا عذاب وقس به حالك فى الدنيا إذا نظرت إلى أقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرات مع علمك بأنها سعادات منصرمة لابقاء لها ومنغصة بكدورات لاصفاء لها فما حالك فى فوات سعادة لايحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الدهور دون غايتها فكل من تنعم فى الدنيا ولو بسماع صوت من طائر أو بالنظر إلى خضرة أوشربة ماء بارد فانه ينقص من حظه فى الآخرة أضعافه وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه «هذا من النعيم الذى تسئل عنه (١)» أشار به إلى الماء البارد والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ ، ولذلك قال عمر رضى الله عنه اعزلوا عنى حسابها حين كان به عطش فعرض عليه ماء بارد بعسل فأداره فى كفه ثم امتنع عن شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حرامها وحلالها ملعونة إلا ماأعان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته أقوى وأتقن كان حذره من نعيم الدنيا أشد حتى إن عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لما نام ثم رماه إذ تمثل له إبليس وقال رغبت فى الدنيا وحتى إن سليمان عليه السلام فى ملكه كان يطعم الناس لذائذ الأطعمة وهو يأكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتهانا وشدة فان الصبر عن لذائذ الأطعمة مع القدرة عليها ووجودها أشد ولهذا روى أن الله تعالى «زوى الدنيا عن نبينا ﷺ فكان يطوى أياما (٢)» «وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع (٣)» ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الأنبياء والأولياء ثم الأمثل فالأمثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الآخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلزم ألم الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا عليه وقد عرفت بهذا أن كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا فان قلت فما الذى هو لله. فأقول الأشياء ثلاثة أقسام: منها ما لا يتصور أن يكون لله وهو الذى يعبر عنه بالمعاصى والمحظورات وأنواع التنعمات فى المباحات وهى الدنيا المحضة المذمومة فهى الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورته لله ويمكن أن يجعل لغير الله وهو ثلاثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلاثة إذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى أمر الله واليوم الآخر فهى لله وليست من الدنيا وإن كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرف به وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة أو كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال أو الحمية لصحة البدن والاشتهار بالزهد فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى وإن كان يظن بصورته أنه لله تعالى ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن أن يكون معناه لله وذلك كالأكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده فان كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا وإن كان القصد الاستعانة به على التقوى فهو لله بمعناه وإن كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم «من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقى الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسألة

جنبيه ويوجه أصابعه فى السجود نحو القبلة ويضم أصابع كفيه مع الابهام ولا يفرش ذراعيه على الأرض ثم يرفع رأسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى موجها بالأصابع إلى القبلة ويضع اليدين على الفخذين من غير تكلف ضمهما وتفريجهما ويقول : رب اغفرلى وارحمنى واهدنى واجبرنى وعافنى واعف عنى ولا يطيل هذه الجلسة فى الفريضة أما فى النافلة فلا بأس مهما أطال قائلا رب اغفر وارحم مكررا ذلك ثم يسجد السجدة الثانية مكبرا ويكره الإقعاء فى القعود وهو ههنا أن يضع

موقوفا على علىّ بن أبى طالب باسناد منقطع بلفظ وحرامها النار ولم أجده مرفوعا (١) حديث هذا من النعيم الذى تسئل عنه تقدم فى الأطعمة (٢) حديث زوى الله الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوى أياما محمد بن خفيف فى شرف الفقراء من حديث عمر بن الخطاب قال قلت يارسول الله عجبا لمن بسط الله لهم الدنيا وزواها عنك الحديث وهو من طريق اسحاق معنعنا وللترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يبيت الليالى المتتابعة طاويا وأهله الحديث قال الترمذى حسن صحيح (٣) حديث كان يشد الحجر على بطنه من الجوع تقدم .

وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر (١) » فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد فاذا الدنيا حظ نفسك العاجل الذى لاحاجة إليه لأمر الآخرة ويعبر عنه بالهوى وإليه الاشارة بقوله تعالى ـ ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى ـ ومجامع الهوى خمسة أمور وهى ماجمعه الله تعالى فى قوله ـ إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ـ والأعيان التى تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى ـ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا ـ فقد عرفت أن كل ماهو لله فليس من الدنيا وقدر ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس هو لله إن قصد به وجه الله والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله وبين التنعم والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة غير ممكن وطرف يزاحم جانب التنعم ويقرب منه وينبغى أن يحذر منه وبينهما وسائط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه والحزم فى الحذر والتقوى والتقرب من حد الضرورة ما أمكن اقتداء بالأنبياء والأولياء عليهم السلام إذ كانوا يردون أنفسهم إلى حد الضرورة حتى إن أويسا القرنى كان يظن أهله أنه مجنون لشدة تضييقه على نفسه فبنوا له بيتا على باب دارهم فكان يأتى عليهم السنة والسنتان والثلاث لايرون له وجها وكان يخرج أول الأذان ويأتى إلى منزله بعد العشاء الآخرة وكان طعامه أن يلتقط النوى وكلما أصاب حشفة خبأها لإفطاره وإن لم يصب مايقوته من الحشف باع النوى واشترى بثمنه مايقوته وكان لباسه مما يلتقط من الزابل من قطع الأكسية فيغسلها فى الفرات ويلفق بعضها إلى بعض ثم يلبسها فكان ذلك لباسه وكان ربما مر الصبيان فيرمونه ويظنون أنه مجنون فيقول لهم ياإخوتاه إن كنتم ولا بد أن ترمونى فارمونى بأحجار صغار فانى أخاف أن تدموا عقبى فيحضر وقت الصلاة ولا أصيب الماء فهكذا كانت سيرته ولقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره فقال « إنى لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن (٢) » إشارة إليه رحمه الله ولما ولى الخلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال أيها الناس من كان منكم من العراق فليقم قال فقاموا فقال اجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من قرن فجلسوا كلهم إلا رجلا واحدا فقال له عمر أقرنى أنت؟ فقال نعم فقال أتعرف أويس بن عامر القرنى فوصفه له ؟ فقال نعم وما ذاك تسأل عنه ياأمير المؤمنين والله مافينا أحمق منه ولا أجن منه ولا أوحش منه ولا أدنى منه فبكى عمر رضى الله عنه ثم قال ماقلت ماقلت إلا لأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يدخل فى شفاعته مثل ربيعة ومضر (٣) » فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لى هم إلا أن أطلب أويسا القرنى وأسأل عنه حتى سقطت عليه جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه قال فعرفته بالنعت الذى نعت لى فاذا رجل لحيم شديد الأدمة محلوق الرأس كث اللحية متغير جدا كريه الوجه متهيب المنظر قال

(١) حديث من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقى الله وهو عليه غضبان الحديث أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٢) حديث إنى لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن أشار به إلى أويس القرنى تقدم فى قواعد العقائد لم أجد له أصلا (٣) حديث عمر يدخل الجنة فى شفاعته مثل ربيعة ومضر يريد أويسا ورويناه فى جزء ابن السماك من حديث أبى أمامة يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من ربيعة ومضر وإسناده حسن وليس فيه ذكر لأويس بل فى آخره فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان .

أليه على عقبيه ثم إذا أراد النهوض إلى الركعة الثانية يجلس جلسة خفيفة للاستراحة ويفعل فى بقية الركعات هكذا ثم يتشهد وفى الصلاة سر المعراج وهو معراج القلوب والتشهد مقر الوصول بعد قطع مسافات الهيئات على تدريج طبقات السموات والتحيات سلام على رب البريات فليذهن لما يقول ويتأدب مع من يقول ويدر كيف يقول ويسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ويمثله بين عينى قلبه ويسلم على عباد الله الصالحين فلا يبقى عبد فى السماء ولا فى الأرض من عباد الله إلا ويسلم عليه بالنسبة الروحية

سلمت عليه فرد علىّ السلام ونظر إلى فقلت حياك الله من رجل ومددت يدى لأصافحه فأبى أن يصافحنى فقلت رحمك الله ياأويس وغفر لك كيف أنت رحمك الله ثم خنقتنى العبرة من حبى إياه ورقتى عليه إذ رأيت من حاله مارأيت حتى بكيت وبكى فقال وأنت فحياك الله ياهرم بن حيان كيف أنت ياأخى ومن دلك علىّ قال قلت الله فقال لاإله إلا الله سبحان الله ـ إن كان وعد ربنا لمفعولا ـ قال فعجبت حين عرفنى ولا والله مارأيته قبل ذلك ولا رآنى فقلت من أين عرفت اسمى واسم أبى ومارأيتك قبل اليوم ؟ ـ قال نبأنى العليم الخبير ـ وعرفت روحى روحك حين كلمت نفسى نفسك إن الأرواح لها أنفس كأنفس الأجساد وإن المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وإن نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل قال قلت حدثنى رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث أسمعه منك قال إنى لم أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن لى معه صحبة بأبى وأمى رسول الله ولكن رأيت رجالا قد صحبوه وبلغنى من حديثه كما بلغك ولست أحب أن أفتح على نفسى هذا الباب أن أكون محدثا أو مفتيا أوقاضيا فى نفسى شغل عن الناس ياهرم بن حيان فقلت ياأخى اقرأ علىّ آية من القرآن أسمعها منك وادع لى بدعوات وأوصنى بوصية أحفظها عنك فانى أحبك فى الله حبا شديدا قال فقام وأخذ بيدى على شاطئ الفرات ثم قال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال : قال ربى والحق قول ربى وأصدق الحديث حديثه وأصدق الكلام كلامه ثم قرأ ـ وما خلقنا السموات والأرض ومابينهما لاعبين. ماخلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لايعلمون ـ حتى انتهى إلى قوله ـ إنه هو العزيز الرحيم ـ فشهق شهقة ظننت أنه قد غشى عليه ثم قال ياابن حيان مات أبوك حيان ويوشك أن تموت فإما إلى جنة وإما إلى نار ومات أبوك آدم وماتت أمك حواء ومات نوح ومات إبراهيم خليل الرحمن ومات موسى نجى الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم وهو رسول ربّ العالمين ومات أبو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن الخطاب أخى وصفيى ثم قال ياعمراه ياعمراه قال فقلت رحمك الله إن عمر لم يمت قال فقد نعاه إلى ربى ونعى إلى نفسى ثم قال أنا وأنت فى الموتى كأنه قد كان ثم صلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتى إياك ياهرم بن حيان كتاب الله ونهج الصالحين المؤمنين فقد نعيت إلى نفسى ونفسك عليك بذكر الموت لايفارق قلبك طرفة عين مابقيت وأنذر قومك إذا رجعت إليهم وانصح للأمة جميعا وإياك أن تفارق الجماعة فيدبر فتفارق دينك وأنت لاتعلم فتدخل النار يوم القيامة ادع لى ولنفسك ثم قال اللهم إن هذا يزعم أنه يحبنى فيك وزارنى من أجلك فعرفنى وجهه فى الجنة وأدخله على فى دارك دار السلام واحفظه مادام فى الدنيا حيثما كان وضم عليه ضيعته وأرضه من الدنيا باليسير وما أعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما أعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عنى خير الجزاء ثم قال استودعك الله ياهرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم رحمك الله تطلبنى فانى أكره الشهرة والوحدة أحب إلى إنى كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس مادمت حيا فلا تسأل عنى ولا تطلبنى واعلم أنك منى على بال وإنى لم أرك ولم ترنى فاذكرنى وادع لى فانى سأذكرك وأدعو لك إن شاء الله انطلق أنت ههنا حتى أنطلق أنا ههنا فحرصت أن أمشى معه ساعة فأبى على وفارقته فبكى وأبكانى وجعلت أنظر فى قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت أحدا يخبرنى عنه بشىء رحمه الله وغفر له فهكذا كانت سيرة أبناء الآخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق فى بيان الدنيا ومن سيرة الأنبياء والأولياء أن حد الدنيا كل ماأظلته الخضراء وأقلته الغبراء

والخاصية الفطرية ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى مقبوضة الأصابع إلا المسبحة ويرفع المسبحة فى الشهادة فى إلا الله لا فى كلمة النفى ولا يرفعها منتصبة بل مائلة برأسها إلى الفخذ منطوية فهذه هيئة خشوع المسبحة ودليل سراية خشوع القلب إليها ويدعو فى آخر صلاته لنفسه وللمؤمنين وإن كان إماما ينبغى أن لا ينفرد بالدعاء بل يدعو لنفسه ولمن وراءه فان الامام المتيقظ فى الصلاة كحاجب دخل على سلطان ووراءه أصحاب الحوائج يسأل لهم ويعرض حاجتهم والمؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا وبهذا وصفهم الله تعالى فى

إلا ما كان لله عز وجل من ذلك وضد الدنيا الآخرة وهو كل ما أريد به الله تعالى مما يؤخذ بقدر الضرورة من الدنيا لأجل قوة طاعة الله وذلك ليس من الدنيا ويتبين هذا بمثال وهو أن الحاج إذا حلف أنه فى طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث فى يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن مركب النفس تقطع به مسافة العمر فتعهد البدن بما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الآخرة لا من الدنيا ، نعم إذا قصد تلذذ البدن وتنعمه بشىء من هذه الأسباب كان منحرفا عن الآخرة ويخشى على قلبه القسوة ذل الطنافسى : كنت على باب بنى شيبة فى المسجد الحرام سبعة أيام طاويا فسمعت فى الليلة الثامنة مناديا وأنا بين اليقظة والنوم : ألا من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج إليه أعمى الله عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا فى حقك فاعلم ذلك ترشد إن شاء الله تعالى .

(بيان حقيقة الدنيا فى نفسها وأشغالها التى استغرقت همم الخلق حتى أنستهم أنفسهم وخالقهم ومصدرهم وموردهم)

اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة وللانسان فيها حظ وله فى إصلاحها شغل فهذه ثلاثة أمور قد يظن أن الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك ، أما الأعيان الموجودة التى الدنيا عبارة عنها فهى الأرض وما عليها قال الله تعالى ـ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ـ فالأرض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح ويجمع ما على الأرض ثلاثة أقسام : المعادن والنبات والحيوان . أما النبات فيطلبه الآدمى للاقتيات والتداوى وأما المعادن فيطلبها للآلات والأوانى كالنحاس والرصاص وللنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من المقاصد وأما الحيوان فينقسم إلى الانسان والبهائم أما البهائم فيطلب منها لحومها للمآكل وظهورها للمركب والزينة وأما الانسان فقد يطلب الآدمى أن يملك أبدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان أو ليتمتع بهم كالجوارى والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها بأن يغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذى يعبر عنه بالجاه إذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين فهذه هى الأعيان التى يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى فى قوله ـ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ـ وهذا من الإنس ـ والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ـ وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلىء واليواقيت وغيرها ـ والخيل المسومة والانعام ـ وهى البهائم والحيوانات ـ والحرث ـ وهو النبات والزرع فهذه هى أعيان الدنيا إلا أن لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه إليها حتى يصير قلبه كالعبد أو المحب المستهتر بالدنيا ويدخل فى هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر وهذه هى الدنيا الباطنة وأما الظاهرة فهى الأعيان التى ذكرناها . العلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الأعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهى جملة الصناعات والحرف التى الخلق مشغولون بها والخلق إنما نسوا أنفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم أن هذه الأعيان التى سميناها دنيا لم تخلق إلا لعلف الدابة التى يسير بها إلى الله تعالى وأعنى بالدابة البدن فانه لا يبقى إلا بمطعم ومشرب وملبس ومسكن كما لا يبقى الجمل فى طريق الحج إلا بعلف وماء وجلال ومثال العبد فى الدنيا فى نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذى يقف فى منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها ألوان الثياب ويحمل إليها أنواع الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى

كلامه بقوله سبحانه ـ كأنهم بنيان مرصوص ـ وفى وصف هذه الأمة فى الكتب السالفة صفهم فى صلاتهم كصفهم فى قتالهم . حدثنا بذلك شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى إملاء قال أنا أبو عبد الرحمن محمد ابن عيسى بن شعيب المالينى قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد المظفر الواعظ قال أنا أبو محمد عبد الله ابن أحمد السرخسى قال أنا أبو عمران عيسى بن عمر بن العباس السمرقندى قال أنا أبو محمد عبد الله ابن عبد الرحمن الدارمى قال أنا مجاهد ابن موسى قال ثنا معن هو ابن عيسى أنه سأل

تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه فى البادية فريسة للسباع هو وناقته والحاج البصير لايهمه من أمر الجمل إلا القدر الذى يقوى به على المشى فيتعهده وقلبه إلى الكعبة والحج وإنما يلتفت إلى الناقة بقدر الضرورة ، فكذلك البصير فى السفر إلى الآخرة لايشتغل بتعهد البدن إلا بالضرورة كما لايدخل بيت الماء إلا لضرورة ولا فرق بين إدخال الطعام فى البطن وبين إخراجه من البطن فى أن كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همته مايدخل بطنه فقيمته مايخرج منها وأكثر ماشغل الناس عن الله تعالى هو البطن ، فان القوت ضرورى وأمر المسكن والملبس أهون ولو عرفوا سبب الحاجة إلى هذه الأمور واقتصروا عليه لم تستغرقهم أشغال الدنيا وإنما استغرقهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت أشغال الدنيا عليهم واتصل بعضها ببعض وتداعت إلى غير نهاية محدودة فتاهوا فى كثرة الأشغال ونسوا مقاصدها، ونحن نذكر تفاصيل أشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة إليها وكيفية غلط الناس فى مقاصدها حتى تتضح لك أشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف أنستهم عاقبة أمورهم . فنقول : الأشغال الدنيوية هى الحرف والصناعات والأعمال التى ترى الخلق منكبين عليها وسبب كثرة الأشغال هو أن الانسان مضطر إلى ثلاث القوت والمسكن والملبس فالقوت للغذاء والبقاء والملبس لدفع الحر والبرد والمسكن لدفع الحر والبرد ولدفع أسباب الهلاك عن الأهل والمال ولم يخلق الله القوت والمسكن والملبس مصلحا بحيث يستغنى عن صنعة الانسان فيه ، نعم خلق ذلك للبهائم فان النبات يغذى الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لايؤثر فى بدنه فيستغنى عن البناء ويقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها فتستغنى عن اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك إلى خمس صناعات هى أصول الصناعات وأوائل الأشغال الدنيوية وهى الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبناء . أما البناء فللمسكن، والحياكة وما يكتنفها من أمر الغزل والخياطة فللملبس ، والفلاحة للمطعم، والرعاية للمواشى والخيل أيضا للمطعم والمركب ، والاقتناص نعنى به تحصيل ماخلقه الله من صيد أو معدن أو حشيش أو حطب فالفلاح يحصل النباتات والراعى يحفظ الحيوانات ويستنتجها ، والمقتنص يحصل مانبت وننتج بنفسه من غير صنع آدمى وكذلك يأخذ من معادن الأرض ماخلق فيها من غير صنعة آدمى ونعنى بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات وأشغال عدة ، ثم هذه الصناعات تفتقر إلى أدوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص والآلات إنما تؤخذ إما من النبات وهو الأخشاب أو من المعادن كالحديد والرصاص وغيرهما أو من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة إلى ثلاثة أنواع أخر من الصناعات النجارة والحدادة والخرز وهؤلاء هم عمال الآلات ونعنى بالنجار كل عامل فى الخشب كيفما كان وبالحداد كل عامل فى الحديد وجواهر المعادن حتى النحاس والابرى وغيرهما وغرضنا ذكر الأجناس فأما آحاد الحرف فكثيرة. وأما الخراز فنعنى به كل عامل فى جلود الحيوانات وأجزائها فهذه أمهات الصناعات . ثم إن الانسان خلق بحيث لايعيش وحده بل يضطر إلى الاجتماع مع غيره من أبناء جنسه وذلك لسببين : أحدهما حاجته إلى النسل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك إلا باجتماع الذكر والأنثى وعشرتهما. والثانى التعاون على تهيئة أسباب المطعم والملبس ولتربية الولد فان الاجتماع يفضى إلى الولد لامحالة والواحد لايشتغل بحفظ الولد وتهيئة أسباب القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الأهل والولد فى المنزل بل لايمكنه أن يعيش كذلك مالم تجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج إلى آلاتها وتحتاج الآلة إلى حداد ونجار ويحتاج الطعام إلى طحان وخباز وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر إلى حراسة القطن وآلات الحياكة والخياطة

كعب الأحبار كيف تجد نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة قال نجده محمدا ابن عبد الله يولد بمكة ويهاجر لطيبة ويكون ملكه بالشام وليس بفحاش ولا صخاب فى الأسواق ولا يكافىء بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ، أمته الحمادون يحمدون الله فى كل سراء ويكبرون الله على كل نجد يوضئون أطرافهم ويأتزرون فى أوساطهم يصفون فى صلاتهم كما يصفون فى قتالهم دويهم فى مساجدهم كدوى النحل يسمع مناديهم فى جو السماء فالإمام فى الصلاة مقدمة الصف فى محاربة الشيطان فهو أولى

وآلات كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة إلى الاجتماع ثم لو اجتمعوا فى صحراء مكشوفة لتأذوا بالحرّ والبرد والمطر واللصوص فافتقروا إلى أبنية محكمة ومنازل ينفرد كل أهل بيت به وبما معه من الآلات والأثاث والمنازل تدفع الحرّ والبرد والمطر وتدفع أذى الجيران من اللصوصية وغيرها لكن المنازل قد تقصدها جماعة من اللصوص خارج المنازل فافتقر أهل المنازل إلى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع الناس فى المنازل والبلاد وتعاملوا تولدت بينهم خصومات إذ تحدث رياسة وولاية للزوج على الزوجة وولاية للأبوين على الولد لأنه ضعيف يحتاج إلى قوام به ومهما حصلت الولاية على عاقل أفضى إلى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم إذ ليس لها قوّة المخاصمة وإن ظلمت فأما المرأة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الأبوين هذا فى المنزل ، وأما أهل البلد أيضا فيتعاملون فى الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وأرباب الفلاحة يتواردون على المراعى والأراضى والمياه وهى لا تفى بأغراضهم فيتنازعون لا محالة ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى أو مرض أو هرم وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضائعا لهلك ولو وكل تفقده إلى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له فحدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخرى فمنها صناعة المساحة التى بها تعرف مقادير الأرض لتمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوصل لفصل الخصومة ومنها الحاجة إلى الفقه وهو معرفة القانون الذى ينبغى أن يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى فى المعاملات وشروطها فهذه أمور سياسية لا بدّ منها ولا يشتغل بها إلا مخصوصون بصفات مخصوصة من العلم والتمييز والهداية وإذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة أخرى ويحتاجون إلى المعاش ويحتاج أهل البلد إليهم إذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الأعداء مثلا تعطلت الصناعات ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس واستضر الناس فمست الحاجة إلى أن يصرف إلى معايشهم وأرزاقهم الأموال الضائعة التى لا مالك لها إن كانت أو تصرف الغنائم إليهم إن كانت العداوة مع الكفار فان كانوا أهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من أموال المصالح وإن أرادوا التوسع فتمس الحاجة لا محالة إلى أن يمدّهم أهل البلد بأموالهم ليمدوهم بالحراسة فتحدث الحاجة إلى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة إلى الخراج الحاجة لصناعات أخر إذ يحتاج إلى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وأرباب الأموال وهم العمال وإلى من يستوفى منهم بالرفق وهم الجباة والمتفرجون وإلى من يجمع عنده ليحفظه إلى وقت التفرقة وهم الخزّان وإلى من يفرّق عليهم بالعدل وهو الفارض للعساكر وهذه الأعمال لو تولاها عدد لا يجمعهم رابطة انخرم النظام فتحدث منه الحاجة إلى ملك يدبرهم وأمير مطاع يعين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحد ما يليق به ويراعى النصفة فى أخذ الخراج وإعطائه واستعمال الجند فى الحرب وتوزيع أسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الأمير والقائد على كل طائفة منهم إلى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم أهل السلاح وبعد الملك الذى يراقبهم بالعين الكالئة ويدبرهم الحاجة إلى الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال ثم هؤلاء أيضا يحتاجون إلى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فتحدث الحاجة إلى مال الفرع مع مال الأصل وهو المسمى فرع الخراج ، وعند هذا يكون الناس فى الصناعات ثلاث طوائف الفلاحون والرعاة والمحترفون ، والثانية الجندية الحماة بالسيوف ، والثالثة المتردّدون بين الطائفتين فى الأخذ والعطاء وهم العمال والجباة وأمثالهم ، فانظر كيف ابتدأ الأمر من حاجة القوت والملبس

المصلين بالخشوع والاتيان بوظائف الأدب ظاهرا وباطنا والمصلون المتيقظون كلما اجتمعت ظواهرهم تجتمع بواطنهم وتتناصر وتتعاضد وتسرى من البعض إلى البعض أنوار وبركات بل جميع المسلمين المصلين فى أقطار الأرض بينهم تعاضد وتناصر بحسب القلوب ونسب الاسلام ورابطة الايمان بل يمدّهم الله تعالى بالملائكة الكرام كما أمدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملائكة المسوّمين فحاجاتهم إلى محاربة الشيطان أمسّ من حاجاتهم إلى محاربة الكفار ولهذا كان يقول رسول الله صلى

والمسكن وإلى ماذا انتهى وهكذا أمور الدنيا لايفتح منها باب إلا وينفتح بسببه أبواب أخر وهكذا تتناهى إلى غير حدّ محصور وكأنها هاوية لانهاية لعمقها من وقع فى مهواة منها سقط منها إلى أخرى وهكذا على التوالى فهذه هى الحرف والصناعات إلا أنها لاتتمّ إلا بالأموال والآلات والمال عبارة عن أعيان الأرض وما عليها مما ينتفع به وأعلاها الأغذية ثم الأمكنة التى يأوى الانسان إليها وهى الدور ثم الأمكنة التى يسعى فيها للتعيش كالحوانيت والأسواق والمزارع ثم الكسوة ثم أثاث البيت وآلاته ثم آلات الآلات وقد يكون فى الآلات ماهو حيوان كالكلب آلة الصيد والبقر آلة الحراثة والفرس آلة الركوب فى الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة والحداد والنجار يسكنان قرية لايمكن فيها الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح إليهما ويحتاجان إلى الفلاح فيحتاج أحدهما أن يبذل ماعنده للآخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة إلا أن النجار مثلا إذا طلب من الفلاح الغذاء بآلته ربما لايحتاج الفلاح فى ذلك الوقت إلى آلته فلا يبيعه والفلاح إذا طلب الآلة من النجار بالطعام ربما كان عنده طعام فى ذلك الوقت فلا يحتاج إليه فتتعوّق الأغراض فاضطروا إلى حانوت يجمع آلة كل صناعة ليترصد بها صاحبها أرباب الحاجات وإلى أبيات يجمع إليها مايحمل الفلاحون فيشتريه منهم صاحب الأبيات ليترصد به أرباب الحاجات فظهرت لذلك الأسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها فى انتظار أرباب الحاجات طمعا فى الربح وكذلك فى جميع الأمتعة والأموال ثم يحدث لامحالة بين البلاد والقرى تردّد فيتردّد الناس يشترون من القرى الأطعمة ومن البلاد الآلات وينقلون ذلك ويتعيشون به لتنتظم أمور الناس فى البلاد بسببهم إذ كل بلد ربما لاتوجد فيه كل آلة وكل قرية لايوجد فيها كل طعام فالبعض يحتاج إلى البعض فيحوج إلى النقل فيحدث التجار المتكفلون بالنقل وباعثهم عليه حرص جمع المال لامحالة فيتعبون طول الليل والنهار فى الأسفار لغرض غيرهم ونصيبهم منها جمع المال الذى يأكله لامحالة غيرهم إما قاطع طريق وإما سلطان ظالم ولكن جعل الله تعالى فى غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة ولو عقل الناس وارتفعت هممهم لزهدوا فى الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد أيضا.

ثم هذه الأموال التى تنقل لايقدر الانسان على حملها فتحتاج إلى دواب تحملها وصاحب المال قد لاتكون له دابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير الكراء نوعا من الاكتساب أيضا ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة إلى النقدين فان من يريد أن يشترى طعاما بثوب فمن أين يدرى المقدار الذى يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجرى فى أجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه أمور لاتتناسب فلابدّ من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل أحدهما بالآخر فيطلب ذلك العدل من أعيان الأموال ثم يحتاج إلى مال يطول بقاؤه لأن الحاجة إليه تدوم وأبقى الأموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم مست الحاجة إلى الضرب والنقش والتقدير فمست الحاجة إلى دار الضرب والصيارفة وهكذا تتداعى الأشغال والأعمال بعضها إلى بعض حتى انتهت إلى ماتراه فهذه أشغال الخلق وهى معاشهم وشئ من هذه الحرف لايمكن مباشرته إلا بنوع تعلم وتعب فى الابتداء، وفى الناس من يغفل عن ذلك فى الصبا فلا يشتغل به أو يمنعه عنه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب لعجزه عن الحرف فيحتاج إلى أن يأكل مما يسعى فيه غيره فيحدث منه حرفتان خسيستان اللصوصية والكدية إذ يجمعهما أنهما يأكلان من سعى غيرهما ثم الناس يحترزون من اللصوص والمكدّين ويحفظون عنهم أموالهم فافتقروا إلى صرف عقولهم فى استنباط

الله عليه وسلم «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» فتداركهم الأملاك بل بأنفاسهم الصادقة تتماسك الأفلاك فاذا أراد الخروج من الصلاة يسلم على يمينه وينوى مع التسليم الخروج من الصلاة والسلام على الملائكة والحاضرين من المؤمنين ومؤمنى الجنّ ويجعل خدّه مبينا لمن على يمينه بإلواء عنقه ويفصل بين هذا السلام والسلام عن يساره فقد ورد النهى عن المواصلة، والمواصلة خمس اثنتان تختص بالامام وهو أن لايوصل القراءة بالتكبير والركوع بالقراءة واثنتان على المأموم وهو

الحيل والتدابير . أما اللصوص : فمنهم من يطلب أعوانا ويكون فى يديه شوكة وقوة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطريق كالأعراب والأكراد . وأما الضعفاء منهم فيفزعون إلى الحيل إما بالنقب أو التسلق عند انتهاز فرصة الغفلة وإما بأن يكون طرارا أو سلالا إلى غير ذلك من أنواع التلصص الحادثة بحسب ماتنتجه الأفكار المصروفة إلى استنباطها . وأما المكدى فانه إذا طلب ماسعى فيه غيره وقيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فمالك والبطالة فلا يعطى شيئا فافتقروا إلى حيلة فى استخراج الأموال وتمهيد العذر لأنفسهم فى البطالة فاحتالوا للتعلل بالعجز إما بالحقيقة كجماعة يعمون أولادهم وأنفسهم بالحيلة ليعذروا بالعمى فيعطون وإما بالتعامى والتفالج والتجانن والتمارض وإظهار ذلك بأنواع من الحيل مع بيان أن تلك محنة أصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يلتمسون قوالا وأفعالا يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسخوا برفع اليد عن قليل من المال فى حال التعجب ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة والشعبذة والأفعال المضحكة وقد يكون بالأشعار الغريبة والكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت والشعر الموزون أشد تأثيرا فى النفس لاسيما إذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كأشعار مناقب الصحابة وفضائل أهل البيت أو الذى يحرك داعية العشق من أهل المجانة كصنعة الطبالين فى الأسواق وصنعة مايشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات والحشيش الذى يخيل بائعه أنها أدوية فيخدع بذلك الصبيان والجهال وكأصحاب القرعة والفأل من المنجمين ويدخل فى هذا الجنس الوعاظ والمكدون على رءوس المنابر إذا لم يكن وراءهم طائل علمى وكان غرضهم استمالة قلوب العوام وأخذ أموالهم بأنواع الكدية وأنواعها تزيد على ألف نوع وألفين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكرة لأجل المعيشة فهذه هى أشغال الخلق وأعمالهم التى أكبوا عليها وجرهم إلى ذلك كله الحاجة إلى القوت والكسوة ولكنهم نسوا فى أثناء ذلك أنفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآبهم فتاهوا وضلوا وسبق إلى عقولهم الضعيفة بعد أن كدرتها زحمة الاشتغالات بالدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة أوجه: فطائفة غلبهم الجهل والغفلة فلم تنفتح أعينهم للنظر إلى عاقبة أمورهم فقالوا المقصود أن نعيش أياما فى الدنيا فنجتهد حتى نكسب القوت ثم نأكل حتى نقوى على الكسب ثم نكسب حتى نأكل فيأكلون ليكسبوا ثم يكسبون ليأكلوا وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم فى الدنيا ولا قدم فى الدين فانه يتعب نهارا ليأكل ليلا ويأكل ليلا ليتعب نهارا وذلك كسير السوانى فهو سفر لاينقطع إلا بالموت وطائفة أخرى زعموا أنهم تفطنوا لأمر وهو أنه ليس المقصود أن يشقى الانسان بالعمل ولا يتنعم فى الدنيا بل السعادة فى أن يقضى وطره من شهوة الدنيا وهى شهوة البطن والفرج فهؤلاء نسوا أنفسهم وصرفوا هممهم إلى اتباع النسوان وجمع لذائذ الأطعمة يأكلون كما تأكل الأنعام ويظنون أنهم إذا نالوا ذلك فقد أدركوا غاية السعادة فشغلهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر . وطائفة ظنوا أن السعادة فى كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز فأسهروا ليلهم وأتعبوا نهارهم فى الجمع فهم يتعبون فى الأسفار طول الليل والنهار ويترددون فى الأعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا يأكلون إلا قدر الضرورة شحا وبخلا عليها أن تنقص وهذه لذتهم وفى ذلك دأبهم وحركتهم إلى أن يدركهم الموت فيبقى تحت الأرض أو يظفر به من يأكله فى الشهوات واللذات فيكون للجامع تعبه ووباله وللآكل لذته ثم الذين يجمعون ينظرون إلى أمثال ذلك ولا يعتبرون . وطائفة ظنوا أن السعادة فى حسن الاسم وانطلاق الألسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروءة فهؤلاء يتعبون فى كسب المعاش ويضيقون على أنفسهم فى المطعم والمشرب ويصرفون جميع مالهم إلى الملابس الحسنة والدواب

أن لا يوصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمه بتسليمه وواحدة على الامام والمأمومين وهو أن لايوصل تسليم الفرض بتسليم النفل ويجزم التسليم ولايمد مدا ثم يدعو بعد التسليم بما يشاء من أمر دينه ودنياه ويدعو قبل التسليم أيضا فى صلب الصلاة فانه يستجاب ومن أقام الصلوات الخمس فى جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة وكل المقامات والأحوال زبدتها الصلوات الخمس فى جماعة وهى سر الدين وكفارة المؤمن وتمحيص للخطايا على ماأخبرنا شيخنا شيخ الاسلام

النفيسة ويزخرفون أبواب الدور وما يقع عليها أبصار الناس حتى يقال إنه غنى وإنه ذو ثروة ويظنون أن ذلك هى السعادة فهمتهم فى نهارهم وليلهم فى تعهد موقع نظر الناس . وطائفة أخرى ظنوا أن السعادة فى الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير فصرفوا هممهم إلى استجرار الناس إلى الطاعة بطلب الولايات وتقلد الأعمال السلطانية لينفذ أمرهم بها على طائفة من الناس ويرون أنهم إذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا سعادة عظيمة وأن ذلك غاية المطلب وهذا أغلب الشهوات على قلوب الغافلين من الناس فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر فى آخرتهم ومعادهم . ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد على نيف وسبعين فرقة كلهم قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل وإنما جرهم إلى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن ونسوا ما تراد له هذه الأمور الثلاثة والقدر الذى يكفى منها وانجرت بهم أوائل أسبابها إلى أواخرها وتداعى بهم ذلك إلى مهاو لم يمكنهم الرقى منها فمن عرف وجه الحاجة إلى هذه الأسباب والأشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض فى شغل وحرفة وعمل إلا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه وأن غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك إن سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الأشغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهمة إلى الاستعداد له وإن تعدى به قدر الضرورة كثرت الأشغال وتداعى البعض إلى البعض وتسلسل إلى غير نهاية فتتشعب به الهموم ومن تشعبت به الهموم فى أودية الدنيا فلا يبالى الله فى أى واد أهلكه منها فهذا شأن المنهمكين فى أشغال الدنيا وتنبه لذلك طائفة فأعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان ولم يتركهم وأضلهم فى الاعراض أيضا حتى انقسموا إلى طوائف فظنت طائفة أن الدنيا دار بلاء ومحنة والآخرة دار سعادة لكل من وصل إليها سواء تعبد فى الدنيا أو لم يتعبد فرأوا أن الصواب فى أن يقتلوا أنفسهم للخلاص من محنة الدنيا وإليه ذهب طوائف من العباد من أهل الهند فهم يتهجمون على النار ويقتلون أنفسهم بالإحراق ويظنون أن ذلك خلاص لهم من محن الدنيا وظنت طائفة أخرى أن القتل لا يخلص بل لا بد أولا من إماتة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكلية وأن السعادة فى قطع الشهوة والغضب ثم أقبلوا على المجاهدة وشددوا على أنفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد عليه الطريق فى العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن أن ما كلفه الشرع محال وأن الشرع تلبيس لا أصل له فوقع فى الإلحاد وظهر لبعضهم أن هذا التعب كله لله وأن الله تعالى مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا تزيده عبادة متعبد فعادوا إلى الشهوات وسلكوا مسلك الاباحة وطووا بساط الشرع والأحكام وزعموا أن ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا أن الله مستغن عن عبادة العباد وظن طائفة أن المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها إلى معرفة الله تعالى فاذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصول يستغنى عن الوسيلة والحيلة فتركوا السعى والعبادة وزعموا أنه ارتفع محلهم فى معرفة الله سبحانه عن أن يمتهنوا بالتكاليف وإنما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول إحصاؤها إلى ما يبلغ نيفا وسبعين فرقة وإنما الناجى منها فرقة واحدة وهى السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد وأما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شىء من الدنيا ولا يطلب كل شىء من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة

ومن

ضياء الدين أبو النجيب السهروردى رحمه الله إجازة قال أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون قال أنا أبو محمد الحسن بن على الجوهرى إجازة قال أنا أبو عمر محمد بن العباس بن زكريا قال ثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال ثنا الحسين بن الحسن المروزى قال أنا عبد الله ابن المبارك قال أنا يحيى ابن عبد الله قال سمعت أبى يقول سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلوات الخمس كفارات للخطايا واقرءوا إن شئتم — إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين — ».

ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله تعالى بكنه همته واشتغل بالذكر والفكر طول العمر وبقي ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك إلا بالاقتداء بالفرقة الناجية وهم الصحابة فانه عليه السلام لما قال « الناجي منها واحدة قالوا يارسول الله ومن هم ؟ قال أهل السنة والجماعة فقيل ومن أهل السنة والجماعة ؟ قال ما أنا عليه وأصحابي (١) » وقد كانوا على النهج القصد وعلى السبيل الواضح الذي فصلناه من قبل فانهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم في الأمور تفريط ولا إفراط بل كان أمرهم بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو أحب الأمور إلى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع والله أعلم .

تم كتاب ذم الدنيا والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

﴿ كتاب ذم البخل وذم حب المال ﴾

(وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط ، وكاشف الضر بعد القنوط ، الذي خلق الخلق ، ووسع الرزق ، وأفاض على العالمين أصناف الأموال ، وابتلاهم فيها بتقلب الأحوال . ورددهم فيها بين العسر واليسر والغنى والفقر والطمع واليأس والثروة والإفلاس والعجز والاستطاعة والحرص والقناعة والبخل والجود والفرح بالموجود والأسف على المفقود والإيثار والإنفاق والتوسع والإملاق والتبذير والتقتير والرضا بالقليل واستحقار الكثير كل ذلك ليبلوهم أيهم أحسن عملا وينظر أيهم آثر الدنيا على الآخرة بدلا وابتغى عن الآخرة عدولا وحولا واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا . والصلاة على محمد الذي نسخ بملته ملا وطوى بشريعته أديانا ونحلا وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللا وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فان فتن الدنيا كثيرة الشعب والأطراف واسعة الأرجاء والأكناف ولكن الأموال أعظم فتنها وأتم محنها وأعظم فتنة فيها أنه لا غنى لأحد عنها ثم إذا وجدت فلا سلامة منها فان فقد المال حصل منه الفقر الذي يكاد أن يكون كفرا وإن وجد حصل منه الطغيان الذي لا تكون عاقبة أمره إلا خسرا . وبالجملة فهي لا تخلو من الفوائد والآفات وفوائدها من المنجيات وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها عن شرها من المعوصات التي لا يقوى عليها إلا ذوو البصائر في الدين من العلماء الراسخين دون المترسمين المغترين وشرح ذلك مهم على الانفراد فان ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصة بل في الدنيا عامة إذ الدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض أجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد

[الباب الثامن والثلاثون في ذكر آداب الصلاة وأسرارها]

أحسن آداب المصلي أن لا يكون مشغول القلب بشيء قل أو كثر لأن الأكياس لم يرفضوا الدنيا إلا ليقيموا الصلاة كما أمروا لأن الدنيا وأشغالها لما كانت شاغلة للقلب رفضوها غيرة على محل المناجاة ورغبة في أوطان القربات وإذعانا بالباطن لرب البريات لأن حضور الصلاة بالظاهر إذعان الظاهر وفراغ القلب في الصلاة عما سوى الله تعالى إذعان الباطن فلم يروا حضور الظاهر وتخلف الباطن حتى لا يختل إذعانهم فتنخرم عبوديتهم فيجتنب أن

(١) حديث افتراق الأمة وفيه الناجي منهم واحدة قالوا ومن هم قال أهل السنة والجماعة الحديث الترمذي من حديث عبدالله بن عمرو وحسنه تفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة فقالوا من هي يارسول الله قال ما أنا عليه وأصحابي ولأبي داود من حديث معاوية وابن ماجه من حديث أنس وعوف بن مالك وهي الجماعة وأسانيدها جياد .

﴿ كتاب ذم البخل وحب المال ﴾

بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها أبعاض كثيرة ويجمعها كل ما كان للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن فى هذا الكتاب فى المال وحده إذ فيه آفات وغوائل وللانسان من فقده صفة الفقر ومن وجوده وصف الغنى وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان . ثم للفاقد حالتان: القناعة والحرص وإحداهما مذمومة والأخرى محمودة وللحريص حالتان طمع فيما فى أيدى الناس وتشمر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالتان إمساك بحكم البخل والشح وإنفاق وإحداهما مذمومة والأخرى محمودة وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه أمور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم . ونحن نشرح ذلك فى أربعة عشر فصلا إن شاء الله تعالى وهو بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوائد المال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الأسخياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخلاء ثم الايثار وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف فى المال ثم ذم الغنى ومدح الفقر إن شاء الله تعالى .

(بيان ذم المال وكراهة حبه)

قال الله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ـ وقال تعالى ـ إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ـ فمن اختار ماله وولده على ما عند الله فقد خسر وغبن خسرانا عظيما ، وقال عز وجل ـ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ـ الآية وقال تعالى ـ إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى ـ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ـ وقال تعالى ـ ألهاكم التكاثر ـ . وقال رسول الله ﷺ «حب المال والشرف ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل (١)» وقال صلى الله عليه وسلم «ما ذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم بأكثر إفسادا فيها من حب الشرف والمال والجاه فى دين الرجل المسلم (٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «هلك المكثرون إلا من قال به فى عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم (٣)» وقيل «يا رسول الله أى أمتك شر قال الأغنياء (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «سيأتى بعدكم قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها ويركبون

(١) حديث حب المال والشرف ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل لم أجده بهذا اللفظ وذكره بعد هذا بلفظ الجاه بدل الشرف (٢) حديث ما ذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم بأكثر فسادا لها من حب المال والجاه فى دين الرجل المسلم الترمذى والنسائى فى الكبرى من حديث كعب بن مالك وقالا جائعان مكان ضاريان ولم يقولا فى زريبة وقالا الشرف بدل الجاه قال الترمذى حسن صحيح وللطبرانى فى الأوسط من حديث أبى سعيد ما ذئبان ضاريان فى زريبة غنم الحديث وللبزار من حديث أبى هريرة ضاريان جائعان واسناد الطبرانى فيهما ضعيف (٣) حديث هلك الأكثرون إلا من قال به فى عباد الله هكذا وهكذا الحديث الطبرانى من حديث عبد الرحمن بن أبزى بلفظ المكثرون ولم يقل فى عباد الله ورواه أحمد من حديث أبى سعيد بلفظ المكثرون وهو متفق عليه من حديث أبى ذر بلفظ هم الأخسرون فقال أبو ذر من هم فقال هم الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا الحديث (٤) حديث قيل يا رسول الله أى أمتك شر قال الأغنياء غريب لم أجده بهذا اللفظ وللطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب من حديث عبد الله بن جعفر شرار أمتى الذين ولدوا فى النعيم وغذوا به يأكلون من الطعام ألوانا وفيه أصرم بن حوشب ضعيف ورواه هناد بن السرى فى الزهد له من رواية عروة بن رويم مرسلا وللبزار من حديث أبى هريرة بسند ضعيف إن من شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم وتنبت عليه أجسامهم .

يكون باطنه مرتهنا بشىء ويدخل الصلاة وقيل من فقه الرجل أن يبدأ بقضاء حاجته قبل الصلاة ولهذا ورد «إذا حضر العشاء والعشاء فقدموا العشاء على العشاء» ولا يصلى وهو حاقن يطالبه البول ولا حازق يطالبه الغائط والحزق أيضا ضيق الخف ولا يصلى أيضا وخفه ضيق يشغل قلبه فقد قيل لا رأى لحازق قيل الذى يكون معه ضيق وفى الجملة ليس من الأدب أن يصلى وعنده ما يغير مزاج باطنه عن الاعتدال كهذه الأشياء التى ذكرناها واهتمام المفرط والغضب . وفى الخبر «لا يدخل أحدكم فى الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو

فرّه الخيل وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون أجمل الثياب وألوانها لهم بطون من القليل لاتشبع وأنفس بالكثير لاتقنع عاكفون على الدنيا يغدون ويروحون إليها اتخذوها آلهة من دون إلههم وربا دون ربهم إلى أمرها ينتهون ولهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن أدركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لايسلم عليهم ولايعود مرضاهم ولايتبع جنائزهم ولايوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الإسلام (١) » وقال صلى الله عليه وسلم «دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهو لايشعر (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم «يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت (٣) » وقال رجل « يارسول الله مالى لاأحب الموت فقال هل معك من مال؟ قال نعم يارسول الله قال قدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله إن قدمه أحب أن يلحقه وإن خلفه أحب أن يتخلف معه (٤) » وقال ﷺ «أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه والثانى إلى قبره والثالث إلى محشره فالذى يتبعه إلى قبض روحه فهو ماله والذى يتبعه إلى قبره فهو أهله والذى يتبعه إلى محشره فهو عمله (٥) » وقال الحواريون لعيسى عليه السلام : مالك تمشى على الماء ولا نقدر على ذلك ؟ فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما والمدر عندى سواء . وكتب سلمان الفارسى إلى أبى الدرداء رضى الله عنهما : ياأخى إياك أن تجمع من الدنيا مالا تؤدى شكره فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد أديت حق الله فى ثم يجاء بصاحب الدنيا الذى لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك ألا أديت حق الله فى فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور (٦) » وكل ما أوردناه فى كتاب الزهد والفقر فى ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه إلى ذم المال فلا نطول بتكريره وكذا كل ماذكرناه فى ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لأن المال أعظم أركان الدنيا وإنما نذكر الآن ماورد فى المال خاصة قال صلى الله عليه وسلم « إذا مات العبد قالت الملائكة ماقدم وقال الناس ماخلف (٧) »

---

(١) حديث سيأتى بعدكم قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها الحديث بطوله الطبرانى فى الكبير والأوسط من حديث أبى أمامة سيكون رجال من أمتى يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب يتشدقون فى الكلام أولئك شرار أمتى وسنده ضعيف ولم أجد لباقيه أصلا (٢) حديث دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهو لايشعر البزار من حديث أنس وفيه هانئ بن المتوكل ضعفه ابن حبان (٣) حديث يقول العبد مالى مالى الحديث مسلم من حديث عبد الله بن الشخير وأبى هريرة وقد تقدم (٤) حديث قال رجل يارسول الله مالى لاأحب الموت الحديث لم أقف عليه (٥) حديث أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه والثانى إلى قبره الحديث أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط من حديث النعمان بن بشير باسناد جيد نحوه ورواه أبو داود الطيالسى وأبو الشيخ فى كتاب الثواب والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس بسند جيد أيضا وفى الكبير من حديث سمرة بن جندب وللشيخين من حديث أنس يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد الحديث (٦) حديث كتب سلمان إلى أبى الدرداء وفيه سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه الحديث . قلت ليس هو من حديث سلمان إنما هو من حديث أبى الدرداء أنه كتب إلى سلمان كذا رواه البيهقى فى الشعب وقال بدل الدنيا المال وهو منقطع (٧) حديث إذا مات العبد قالت الملائكة ماقدم الحديث البيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة

غضبان » فلا ينبغى للعبد أن يتلبس بالصلاة إلا وهو على أتم الهيآت وأحسن لبسة المصلى سكون الأطراف وعدم الالتفات والإطراق ووضع اليمين على الشمال فما أحسنها من هيئة عبد ذليل واقف بين يدى ملك عزيز وفى رخصة الشرع دون الثلاث حركات متواليات جائز وأرباب العزيمة يتركون الحركة فى الصلاة جملة وقد حركت يدى فى الصلاة وعندى شخص من الصالحين فلما انصرفت من الصلاة أنكر على وقال عندنا إن العبد إذا وقف فى الصلاة ينبغى أن يبقى جمادا مجمدا لايتحرك منه شئ . وقد جاء

وقال صلى الله عليه وسلم « لاتتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا (١) » . الآثار : روى أن رجلا نال من أبي الدرداء وأراه سوءا فقال اللهم من فعل بي سوءا فأصح جسمه وأطل عمره وأكثر ماله فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لأنه لابد وأن يفضي إلى الطغيان. ووضع علي كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال أما إنك مالم تخرج عني لاتنفعني . وروى أن عمر رضي الله عنه أرسل إلى زينب بنت جحش بعطائها فقالت ماهذا ؟ قالوا أرسل إليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم سلت سترا كان لها فقطعته وجعلته صررا وقسمته في أهل بيتها ورحمها وأيتامها ثم رفعت يديها وقالت : اللهم لايدركني عطاء عمر بعد عامي هذا فكانت أول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به وقال الحسن والله ما أعز الدرهم أحد إلا أذله الله وقيل إن أول ماضرب الدينار والدرهم رفعهما إبليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عبدي حقا وقال سميط بن عجلان إن الدراهم والدنانير أزمة المنافقين يقادون بها إلى النار . وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه فانه إن لدغك قتلك سمه قيل وما رقيته قال أخذه من حله ووضعه في حقه وقال العلاء بن زياد تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت أعوذ بالله من شرك فقالت إن سرك أن يعيذك الله مني فأبغض الدرهم والدينار وذلك لأن الدرهم والدينار هما الدنيا كلها إذ يتوصل بهما إلى جميع أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وفي ذلك قيل :

إني وجدت فلا تظنوا غيره ... أن التورع عند هذا الدرهم
فاذا قدرت عليه ثم تركته ... فاعلم بأن تقاك تقوى المسلم

وفي ذلك قيل أيضا :

لايغرنك من المرء قميص رقعه ... أو إزار فوق عظم الساق منه رفعه
أو جبين لاح فيه أثر قد خلعه ... أره الدرهم تعرف حبه أو ورعه

ويروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته فقال ياأمير المؤمنين صنعت صنيعا لم يصنعه أحد قبلك تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة عشر من الولد فقال عمر أقعدوني فأقعدوه فقال أما قولك لم أدع لهم دينارا ولا درهما فاني لم أمنعهم حقا لهم ولم أعطهم حقا لغيرهم وإنما ولدي أحد رجلين إما مطيع لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين وإما عاص لله فلا أبالي على ماوقع . وروى أن محمد بن كعب القرظي أصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال لا ولكني أدخره لنفسي عند ربي وأدخر ربي لولدي. ويروى أن رجلا قال لأبي عبد ربه ياأخي لاتذهب بشر وتترك أولادك بخير فأخرج أبو عبد ربه من ماله مائة ألف درهم وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما العبد في ماله عند موته قيل وماهما قال يؤخذ منه كله ويسئل عنه كله.

(بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم)

اعلم أن الله تعالى قد سمى المال خيرا في مواضع من كتابه العزيز فقال جل وعز ـ إن ترك خيرا ـ الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم المال الصالح للرجل الصالح (٢) » وكل ماجاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال إذ لا يمكن الوصول إليهما إلا به وقال تعالى ـ ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ـ وقال تعالى ممتنا على عباده ـ ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم

يبلغ به وقد تقدم في آداب الصحبة (١) حديث لاتتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا الترمذي والحاكم وصحح إسناده من حديث ابن مسعود بلفظ فترغبوا (٢) حديث نعم المال الصالح للرجل الصالح أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث عمرو بن العاص بسند صحيح بلفظ نعما وقالا للمرء.

في الخبر « سبعة أشياء في الصلاة من الشيطان: الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والحكاك والالتفات » والعبث بالشيء من الشيطان أيضا وقيل السهو والشك ، وقد روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال إن الخشوع في الصلاة أن لا يعرف المصلي من على يمينه وشماله . ونقل عن سفيان أنه قال : من لم يخشع فسدت صلاته، وروى عن معاذ ابن جبل أشد من ذلك قال : من عرف من عن يمينه وشماله في الصلاة متعمدا فلا صلاة له وقال بعض العلماء من قرأ كلمة مكتوبة في حائط أو

أنهارا ـ وقال صلى الله عليه وسلم «كاد الفقر أن يكون كفرا[1]» وهو ثناء على المال ولا تقف على وجه الجمع بعد الذم والمدح إلا بأن تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله حتى ينكشف لك أنه خير من وجه وشر من وجه وأنه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه ليس بخير محض ولا هو شر محض بل هو سبب للأمرين جميعا وماهذا وصفه فيمدح لا محالة تارة ويذم أخرى ولكن البصير المميز يدرك أن المحمود منه غير المذموم وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه فى كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدر المقنع فيه هو أن مقصد الأكياس وأرباب البصائر سعادة الآخرة التى هى النعيم الدائم والملك المقيم والقصد إلى هذا أب الكرام والأكياس إذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «من أكرم الناس وأكيسهم؟ فقال: أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم له استعدادا[2]» وهذه السعادة لا تنال إلا بثلاث وسائل فى الدنيا وهى الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وسائر الأسباب وأعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجة فالخارجة أخسها والمال من جملة الخارجات وأدناها الدراهم والدنانير فانهما خادمان ولا خادم لهما ومرادان لغيرهما ولا يرادان لذاتهما إذ النفس هى الجوهر النفيس المطلوب سعادتها وأنها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الأخلاق لتحصلها صفة فى ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والأعضاء والمطاعم والملابس تخدم البدن وقد سبق أن المقصود من المطاعم إبقاء البدن ومن المناكح إبقاء النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وأنه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التى هى ضرورة بقاء البدن الذى هو ضرورة كمال النفس الذى هو خير ومن عرف فائدة الشىء وغايته ومقصده واستعمله لتلك الغاية ملتفتا إليها غير ناس لها فقد أحسن وانتفع وكان ماحصل له الغرض محمودا فى حقه فاذن المال آلة ووسيلة إلى مقصود صحيح ويصلح أن يتخذ آلة ووسيلة إلى مقاصد فاسدة وهى المقاصد الصادة عن سعادة الآخرة وتسد سبيل العلم والعمل فهو إذا محمود مذموم محمود بالاضافة إلى المقصد المحمود ومذموم بالاضافة إلى المقصد المذموم فمن أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حتفه وهو لا يشعر[3] كما ورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة إلى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلا لها وآلة إليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الأنبياء من شره حتى قال نبينا عليه الصلاة السلام «اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا[4]» فلم يطلب من الدنيا إلا ما يتمحض خيره وقال «اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين[5]» واستعاذ إبراهيم صلى الله عليه وسلم فقال ـ واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام ـ وعنى بها هذين الحجرين الذهب والفضة إذ رتبة النبوة أجل من يخشى عليها أن تعتقد الإلهية فى شىء من هذه الحجارة إذ قد كفى قبل النبوة عبادتها مع الصغر وإنما معنى عبادتهما حبهما والاغترار بهما والركون

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا أبو مسلم الليثى فى سننه والبيهقى فى شعب الايمان من حديث أنس وقد تقدم فى كتاب ذم الغضب (٢) حديث من أكرم الناس وأكيسهم قال أكثرهم للموت ذكرا الحديث ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ أى المؤمنين أكيس ورواه ابن أبى الدنيا فى الموت بلفظ المصنف وإسناده جيد (٣) حديث من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حتفه وهو لا يشعر تقدم قبله بتسعة أحاديث وهو بهية احذروا الدنيا (٤) حديث اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا متفق عليه من حديث أبى هريرة (٥) حديث اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا الترمذى من حديث أنس وابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث أبى سعيد وقد تقدم .

بساط فى صلاته فصلاته باطلة قال بعضهم لأن ذلك عدوه عملا، وقيل فى تفسير قوله تعالى ـ والذين هم على صلاتهم دائمون ـ قيل هو سكون الأطراف والطمأنينة . قال بعضهم إذا كبرت التكبيرة الأولى فاعلم أن الله ناظر إلى شخصك عالم بما فى ضميرك ومثل فى صلاتك الجنة عن يمينك والنار عن شمالك وإنما ذكرنا أن تمثل الجنة والنار لأن القلب إذا شغل بذكر الآخرة ينقطع عنه الوسواس فيكون هذا التمثيل تداويا للقلب لدفع الوسوسة. أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى إجازة قال

إليهما قال نبينا صلى الله عليه وسلم « تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم تعس ولا انتعش وإذا شيك فلا انتقش (١) » فبين أن محبهما عابد لهما ومن عبد حجرا فهو عابد صنم بل كل من كان عبدا لغير الله فهو عابد صنم أى من قطعه ذلك عن الله تعالى وعن أداء حقه فهو كعابد صنم وهو شرك إلا أن الشرك شركان شرك خفى لا يوجب الخلود فى النار وقلما ينفك عنه المؤمنون فانه أخفى من دبيب النمل وشرك جلى يوجب الخلود فى النار نعوذ بالله من الجميع .

(بيان تفصيل آفات المال وفوائده)

اعلم أن المال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه وغوائله سمومه فمن عرف غوائله وفوائده أمكنه أن يحترز من شره ويستدر من خيره . أما الفوائد : فهى تنقسم إلى دنيوية ودينية : أما الدنيوية فلا حاجة إلى ذكرها فان معرفتها مشهورة مشتركة بين أصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها وأما الدينية فتنحصر جميعها فى ثلاثة أنواع . النوع الأول : أن ينفقه على نفسه إما فى عبادة أو فى الاستعانة على عبادة أما فى العبادة فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فانه لا يتوصل إليهما إلا بالمال وهما من أمهات القربات والفقير محروم من فضلهما وأما فيما يقويه على العبادة فذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة فان هذه الحاجات إذا لم تتيسر كان القلب مصروفا إلى تدبيرها فلا يتفرغ للدين ومالا يتوصل إلى العبادة إلا به فهو عبادة فأخذ الكفاية من الدنيا لأجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل فى هذا التنعم والزيادة على الحاجة فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط . النوع الثانى : ما يصرفه إلى الناس وهو أربعة أقسام الصدقة والمروءة ووقاية العرض وأجرة الاستخدام . أما الصدقة فلا يخفى ثوابها وإنها لتطفئ غضب الرب تعالى وقد ذكرنا فضلها فيما تقدم . وأما المروءة فنعنى بها صرف المال إلى الأغنياء والأشراف فى ضيافة وهدية وإعانة وما يجرى مجراها فان هذه لا تسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم إلى المحتاج إلا أن هذا من الفوائد الدينية إذ به يكتسب العبد الاخوان والأصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الأسخياء فلا يوصف بالجود إلا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل المروءة والفتوة وهذا أيضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت أخبار كثيرة فى الهدايا والضيافات وإطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة فى مصارفها . وأما وقاية العرض فنعنى به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم وهو أيضا مع تنجز فائدته فى العاجلة من الحظوظ الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة (٢) » وكيف لا وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التى تحمل فى المكافأة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة . وأما الاستخدام فهو أن الأعمال التى يحتاج إليها الانسان لتهيئة أسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاعت أوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذى هو أعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر إلى أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطحنه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذى يحتاج إليه وكل ما يتصور أن يقوم به غيرك ويحصل به غرضك فأنت متعوب إذا اشتغلت به إذ عليك من العلم والعمل والذكر والفكر ما لا يتصور أن يقوم به غيرك فتضييع الوقت فى غيره خسران

(١) حديث تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم الحديث البخارى من حديث أبى هريرة ولم يقل وانتقش وإنما علق آخره بلفظ تعس وانتكس ووصل ذلك ابن ماجه والحاكم (٢) حديث ما وقى المرء عرضه به فهو صدقة أبو يعلى من حديث جابر وقد تقدم .

أنا عمر بن أحمد الصفار قال أنا أبو بكر ابن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت محمد بن الحسين يقول قال سهل من خلا قلبه عن ذكر الآخرة تعرض لوساوس الشيطان فأما من باشر باطنه صفو اليقين ونور المعرفة فيستغنى بشاهده عن تمثيل مشاهدة قال أبو سعيد الخراز إذا ركع فالأدب فى ركوعه أن ينتصب ويدنو ويتدلى فى ركوعه حتى لا يبقى منه مفصل إلا وهو منتصب نحو العرش العظيم ثم يعظم الله تعالى حتى لا يكون فى قلبه شىء أعظم

النوع الثالث : مالا يصرفه إلى إنسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودور المرضى ونصب الحباب فى الطريق وغير ذلك من الأوقاف المرصدة للخيرات وهى من الخيرات المؤبدة الدارّة بعد الموت المستجلبة بركة أدعية الصالحين إلى أوقات متمادية وناهيك بها خيرا فهذه جملة فوائد المال فى الدين سوى مايتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول إلى العز والمجد بين الخلق وكثرة الإخوان والأعوان والأصدقاء والوقار والكرامة فى القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ الدنيوية . وأما الآفات فدينية ودنيوية أما الدينية فثلاث . الأولى : أن تجر إلى المعاصى فان الشهوات متفاضلة والعجز قد يحول بين المرء والمعصية ومن العصمة أن لايجد ومهما كان الانسان آيسا عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته فاذا استشعر القدرة عليها انبعثت داعيته والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصى وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وإن صبر وقع فى شدة إذ الصبر مع القدرة أشد وفتنة السراء أعظم من فتنة الضراء . الثانية : أنه يجر إلى التنعم فى المباحات وهذا أول الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على أن يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الأطعمة كما كان يقدر عليه سليمان ابن داود عليهما الصلاة والسلام فى ملكه فأحسن أحواله أن يتنعم بالدنيا ويمرن عليها نفسه فيصير التنعم مألوفا عنده ومحبوبا لايصبر عنه ويجره البعض منه إلى البعض فاذا اشتد أنسه به ربما لايقدر على التوصل إليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض فى المراءاة والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الأخلاق الرديئة لينتظم له أمر دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجته إلى الناس ومن احتاج إلى الناس فلا بد وأن ينافقهم ويعصى الله فى طلب رضاهم فان سلم الإنسان من الآفة الأولى وهى مباشرة الحظوظ فلا يسلم عن هذه أصلا ومن الحاجة إلى الخلق تثور العداوة والصداقة وينشأ عنه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والنميمة والغيبة وسائر المعاصى التى تخص القلب واللسان ولا يخلو عن التعدى أيضا إلى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة إلى حفظه وإصلاحه . الثالثة : وهى التى لاينفك عنها أحد وهو أنه يلهيه إصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ماشغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه الصلاة والسلام : فى المال ثلاث آفات أن يأخذه من غير حله ، فقيل إن أخذه من حله ؟ فقال يضعه فى غير حقه فقيل إن وضعه فى حقه فقال يشغله إصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الداء العضال فان أصل العبادات وعمدها وسرها ذكر الله والتفكر فى جلاله وذلك يستدعى قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسى ويصبح متفكرا فى خصومة الفلاح ومحاسبته وفى خصومة الشركاء ومنازعتهم فى الماء والحدود وخصومة أعوان السلطان فى الخراج وخصومة الأجراء على التقصير فى العمارة وخصومة الفلاحين فى خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا فى خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره فى العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب المواشى وهكذا سائر أصناف الأموال وأبعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الأرض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف إليه وفى كيفية حفظه وفى الخوف مما يعثر عليه وفى دفع أطماع الناس عنه وأودية أفكار الدنيا لانهاية لها والذى معه قوت يومه فى سلامة من جميع ذلك فهذه جملة الآفات الدنيوية سوى مايقاسيه أرباب الأموال فى الدنيا من الخوف والحزن والغم والهم والتعب فى دفع الحساد وتجشم المصاعب فى حفظ المال وكسبه فاذن ترياق المال أخذ القوت منه وصرف الباقى إلى الخيرات وماعدا ذلك سموم وآفات نسأل الله تعالى السلامة وحسن العون بلطفه وكرمه إنه على ذلك قدير .

من الله ويصغر فى نفسه حتى يكون أقل من الهباء وإذا رفع رأسه وحمد الله يعلم أنه سبحانه وتعالى يسمع ذلك . وقال أيضا ويكون معه من الخشية مايكاد يذوب به. قال السراج إذا أخذ العبد فى التلاوة فالأدب فى ذلك أن يشاهد ويسمع قلبه كأنه يسمع من الله تعالى أو كأنه يقرأ على الله تعالى . وقال السراج أيضا من أدبهم قبل الصلاة المراقبة ومراعاة القلب من الخواطر والعوارض ونفى كل شىء غير الله تعالى فاذا قاموا إلى الصلاة بحضور القلب فكأنهم قاموا من الصلاة إلى الصلاة فيكون مع النفس

(بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس مما فى أيدى الناس)

اعلم أن الفقر محمود كما أوردناه فى كتاب الفقر ولكن ينبغى أن يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما فى أيديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك إلا بأن يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس والمسكن ويقتصر على أقله قدرا وأخسه نوعا ويرد أمله إلى يومه أو إلى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فان تشوق إلى الكثير أو طول أمله فاته عز القناعة وتدنس لامحالة بالطمع وذل الحرص وجره الحرص والطمع إلى مساوى الأخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروآت وقد جبل الآدمى على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب (١) » وعن أبى واقد الليثى قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوحى إليه أتيناه يعلمنا مما أوحى إليه فجئته ذات يوم فقال : إن الله عز وجل يقول : إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد من ذهب لأحب أن يكون له ثان ولو كان له الثانى لأحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب (٢) » وقال أبو موسى الأشعرى نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب (٣) . وقال صلى الله عليه وسلم « منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الأمل وحب المال أو كما قال (٥) » ولما كانت هذه جبلة للآدمى مضلة وغريزة مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن أحد فقير ولا غنى إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتى قوتا فى الدنيا (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس (٨) » ونهى عن شدة الحرص والمبالغة فى الطلب فقال « ألا أيها الناس أجملوا فى الطلب فانه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهى راغمة (٩) »

(١) حديث لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس وأنس (٢) حديث أبى واقد الليثى إن الله عز وجل يقول : إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ـ الحديث أحمد والبيهقى فى الشعب بسند صحيح (٣) حديث أبى موسى نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم لو أن لابن آدم واديين من مال الحديث مسلم مع اختلاف دون قوله إن الله يؤيد هذا الدين ورواه بهذه الزيادة الطبرانى وفيه على بن زيد متكلم فيه (٤) حديث منهومان لايشبعان الحديث الطبرانى من حديث بن مسعود بسند ضعيف (٥) حديث يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الحديث متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به الترمذى وصححه والنسائى فى الكبرى من حديث فضالة بن عبيد ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه (٧) حديث مامن أحد غنى ولا فقير إلا وديوم القيامة أنه كان أوتى فى الدنيا قوتا ابن ماجه من رواية نفيع بن الحارث عن أنس ونفيع ضعيف (٨) حديث ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس متفق عليه من حديث أبى هريرة (٩) حديث ألا أيها الناس أجملوا فى الطلب فانه ليس لعبد إلا ما كتب له الحاكم من حديث جابر بنحوه وصحح إسناده وقد تقدم فى آداب الكسب والمعاش .

والعقل اللذين دخلوا فى الصلاة بهما فاذا خرجوا من الصلاة رجعوا إلى حالهم من حضور القلب فكأنهم أبدا فى الصلاة فهذا هو أدب الصلاة وقيل كان بعضهم لايتهيأ له حفظ العدد من كمال استغراقه وكان يجلس واحد من أصحابه يعدد عليه كم ركعة صلى . وقيل : للصلاة أربع شعب حضور القالب فى المحراب وشهود العقل عند الملك الوهاب وخشوع القلب بلا ارتياب وخضوع الأركان بلا ارتقاب لأن عند حضور القلب رفع الحجاب وعند شهود العقل رفع العتاب وعند حضور النفس فتح الأبواب وعند خضوع

وروى أنّ موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال أىّ عبادك أغنى ؟ قال أقنعهم بما أعطيته قال فأيهم أعدل ؟ قال من أنصف من نفسه . وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنّ روح القدس نفث فى روعى إن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب(١) » وقال أبو هريرة قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياأباهريرة إذا اشتدّ بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار » وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وأحبّ للناس ماتحبّ لنفسك تكن مؤمنا (٢) » ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الأنصارى « أنّ أعرابيا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله عظنى وأوجز فقال : إذا صليت فصلّ صلاة مودع ولا تحدثنّ بحديث تعتذر منه غدا وأجمع اليأس مما فى أيدى الناس (٣) » وقال عوف بن مالك الأشجعى « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال: ألا تبايعون رسول الله قلنا أو ليس قد بايعناك يارسول الله ثم قال ألا تبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك ؟ قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتصلوا الخمس وأن تسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا (٤) » قال فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحدا أن يناوله إياه . الآثار : قال عمر رضى الله عنه : إنّ الطمع فقر وإنّ اليأس غنى وإنه من ييأس عما فى أيدى الناس استغنى عنهم . وقيل لبعض الحكماء : ماالغنى ؟ قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وفى ذلك قيل :

العيش ساعات تمرّ ... وخطوب أيام تكرّ
اقنع بعيشك ترضه ... واترك هواك تعيش حرّ
فلربّ حتف ساقه ... ذهب وياقوت ودرّ

وكان محمد بن واسع يبلّ الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد . وقال سفيان : خير دنياكم مالم تبتلوا به وخير ما ابتليتم به ماخرج من أيديكم . وقال ابن مسعود : مامن يوم إلا وملك ينادى ياابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك . وقال سميط بن عجلان : إنما بطنك ياابن آدم شبر فى شبر فلم يدخلك النار . وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل فى الظاهر والقصد فى الباطن واليأس مما فى أيدى الناس . ويروى أن الله عز وجلّ قال ياابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت وإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن . وقال ابن مسعود : إذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتى الرجل فيقول إنك وإنك فيقطع ظهره فانما يأتيه ماقسم له من الرزق أو مارزق . وكتب بعض بنى أمية إلى أبى حازم يعزم عليه إلا رفع إليه حوائجه فكتب إليه قد رفعت حوائجى إلى مولاى فما أعطانى منها قبلت

الأركان وجود الثواب فمن أتى الصلاة بلا حضور القلب فهو مصلّ لاه ومن أتاها بلا شهود العقل فهو مصلّ ساه ومن أتاها بلا خضوع النفس فهو مصل خاطئ ومن أتاها بلا خشوع الأركان فهو مصل جاف ومن أتاها كما وصف فهو مصل واف. وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا قام العبد إلى الصلاة المكتوبة مقبلا على الله بقلبه وسمعه وبصره انصرف من صلاته وقد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وإن الله ليغفر بغسل الوجه خطيئة أصابها وبغسل يديه خطيئة أصابها وبغسل رجليه خطيئة

(١) حديث ابن مسعود إنّ روح القدس نفث فى روعى إنّ نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها الحديث ابن أبى الدنيا فى القناعة والحاكم مع اختلاف وقد تقدم فيه (٢) حديث أبى هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس الحديث ابن ماجه وقد تقدم (٣) حديث أبى أيوب إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه وأجمع اليأس مما فى أيدى الناس ابن ماجه وتقدم فى الصلاة وللحاكم نحوه من حديث سعد بن أبى وقاص وقال صحيح الاسناد (٤) حديث عوف بن مالك كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة أو ثمانية أو تسعة فقال ألا تبايعون الحديث وفيه ولا تسألوا الناس. مسلم من حديثه ولم يقل فقال قائل ولا قال تسمعوا وقال سوط أحدهم وهى عند أبى داود وابن ماجه كما ذكرها المصنف

وما أمسك عنى قنعت . وقيل لبعض الحكماء : أى شىء أسر للعاقل وأعنا شىء أعون على دفع الحزن؟ فقال أسرها إليه ماقدم من صالح العمل وأعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء . وقال بعض الحكماء : وجدت أطول الناس غما الحسود وأهنأهم عيشا القنوع وأصبرهم على الأذى الحريص إذا طمع وأخفضهم عيشا أرفضهم للدنيا وأعظمهم ندامة العالم المفرط وفى ذلك قيل :

ارفه ببال فتى أمسى على ثقة ... إنّ الذى قسم الأرزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لايدنسه ... والوجه منه جديد ليس يخلقه
إن القناعة من يحلل بساحتها ... لم يلق فى دهره شيئا يؤرقه

وقد قيل أيضا :

حتى متى أنا فى حلّ وترحال ... وطول سعى وإدبار وإقبال
ونازح الدار لا أنفك مغتربا ... عن الأحبة لايدرون ماحالى
بمشرق الأرض طورا ثم مغربها ... لايخطر الموت من حرصى على بالى
ولو قنعت أتانى الرزق فى دعة ... إن القنوع الغنى لا كثرة المال

وقال عمر رضى الله عنه : ألا أخبركم بما أستحل من مال الله تعالى حلتان لشتائى وقيظى ومايسعنى من الظهر لحجى وعمرتى وقوتى بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرفعهم ولا بأوضعهم فوالله ماأدرى أيحل ذلك أم لا كأنه شك فى أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التى تجب القناعة بها . وعاتب أعرابى أخاه على الحرص فقال ياأخى أنت طالب ومطلوب يطلبك من لاتفوته وتطلب أنت ماقد كفيته وكأن ماغاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد نقلت عنه كأنك ياأخى لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا ، وفى ذلك قيل :

أراك يزيدك الإثراء حرصا ... على الدنيا كأنك لا تموت
فهل لك غاية إن صرت يوما ... إليها قلت حسبى قد رضيت

وقال الشعبى حكى أن رجلا صاد قنبرة فقالت ما تريد أن تصنع بى ؟ قال أذبحك وآكلك قالت والله ما أشفى من قرم ولا أشبع من جوع ولكن أعلمك ثلاث خصال هى خير لك من أكلى، أما واحدة فأعلمك وأنا فى يدك وأما الثانية فاذا صرت على الشجرة وأما الثالثة فاذا صرت على الجبل قال هات الأولى قالت : لاتلهفن على مافاتك فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لايكون أنه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت ياشقى لو ذبحتنى لأخرجت من حوصلتى درتين زنة كل درة عشرون مثقالا قال فعض على شفته وتلهف وقال هات الثالثة قالت أنت قد نسيت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لاتلهفن على مافاتك ولا تصدقن بما لا يكون أنا لحمى ودمى وريشى لايكون عشرين مثقالا فكيف يكون فى حوصلتى درتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع الآدمى فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر مالا يكون أنه يكون . وقال ابن السماك : إن الرجاء حبل فى قلبك وقيد فى رجلك فأخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك . وقال أبو محمد اليزيدى : دخلت على الرشيد فوجدته ينظر فى ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رآنى تبسم فقلت فائدة أصلح الله أمير المؤمنين قال نعم وجدت هذين البيتين فى بعض خزائن بنى أمية فاستحسنتهما وقد أضفت إليهما ثالثا وأنشدنى :

إذا سدّ باب عنك من دون حاجة ... فدعه لأخرى ينفتح لك بابها
فان قراب البطن يكفيك ملؤه ... ويكفيك سوآت الأمور اجتنابها

أصابها حتى يدخل فى صلاته وليس عليه وزر» وذكرت السرقة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أىّ السرقة أقبح فقالوا الله ورسوله أعلم فقال إنّ أقبح السرقة أن يسرق الرجل من صلاته قالوا كيف يسرق الرجل من صلاته ؟ قال لايتم ركوعها ولا سجودها ولاخشوعها ولا القراءة فيها . وروى عن أبى عمرو بن العلاء أنه قدّم للامامة فقال لاأصلح فلما ألحوا عليه كبر فغشى عليه فقدّموا إماما آخر فلما أفاق سئل فقال لما قلت استووا هتف بى هاتف هل استويت أنت مع الله قط. وقال عليه السلام «إن العبد

ولاتك مبذالا لعرضك واجتنب ركوب المعاصى يجتنبك عقابها

وقال عبد الله بن سلام لكعب مايذهب العلوم من قلوب العلماء بعد إذ وعوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج . وقال رجل للفضيل فسرلى قول كعب قال يطمع الرجل فى الشىء يطلبه فيذهب عليه دينه وأما الشره فشره النفس فى هذا وفى هذا حتى لاتحب أن يفوتها شىء ويكون لك إلى هذا حاجة وإلى هذا حاجة فاذا قضاها لك خزم أنفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حبك للدنيا سلمت عليه إذا مررت به وعدته إذا مرض لم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله فلو لم يكن لك إليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان عن فلان . قال بعض الحكماء : من عجيب أمر الانسان أنه لونودى بدوام البقاء فى أيام الدنيا لم يكن فى قوى خلقته من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال . وقال عبد الواحد بن زيد : مررت براهب فقلت له من أين تأكل ؟ قال من بيدر اللطيف الخبير الذى خلق الرحا يأتيها بالطحين وأومأ بيده إلى رحا أضراسه فسبحان القدير الخبير .

(بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذى يكتسب به صفة القناعة)

اعلم أنّ هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان : الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة أمور : الأوّل وهو العمل ، الاقتصاد فى المعيشة والرفق فى الانفاق فمن أراد عز القناعة فينبغى أن يسدّ عن نفسه أبواب الخروج ما أمكنه ويردّ نفسه إلى ما لا بدّ له منه فمن كثر خرجه واتسع إنفاقه لم تمكنه القناعة بل إن كان وحده فينبغى أن يقنع بثوب واحد خشن ويقنع بأىّ طعام كان ويقلل من الإدام ما أمكنه ويوطن نفسه عليه وإن كان له عيال فيردّ كل واحد إلى هذا القدر فان هذا القدر يتيسر بأدنى جهد ويمكن معه الاجمال فى الطلب والاقتصاد فى المعيشة وهو الأصل فى القناعة ونعنى به الرفق فى الإنفاق وترك الخرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحبّ الرفق فى الأمر كله (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ماعال من اقتصد (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث منجيات : خشية الله فى السر والعلانية والقصد فى الغنى والفقر والعدل فى الرضا والغضب (٣) » وروى أن رجلا أبصر أبا الدرداء يلتقط حبا من الأرض وهو يقول : إن من فقهك رفقك فى معيشتك وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم « الاقتصاد وحسن السمت والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوّة (٤) » وفى الخبر « التدبير نصف المعيشة (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « من اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله ومن ذكر الله عز وجل

إذا أحسن الوضوء وصلى الصلاة لوقتها وحافظ على ركوعها وسجودها ومواقيتها قالت حفظك الله كما حفظتنى ثم صعدت ولها نور حتى تنتهى إلى السماء وحتى تصل إلى الله فتشفع لصاحبها وإذا أضاعها قالت ضيعك الله كما ضيعتنى ثم صعدت ولها ظلمة حتى تنتهى إلى أبواب السماء فتغلق دونها ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها » وقال أبو سليمان الدارانى إذا وقف العبد فى الصلاة يقول الله تعالى ارفعوا الحجب فيما بينى وبين عبدى فاذا التفت يقول الله أرخوها فيما بينى وبينه وخلوا

(١) حديث إن الله يحب الرفق فى الأمر كله متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدّم (٢) حديث ماعال من اقتصد أحمد والطبرانى من حديث ابن مسعود ورواه من حديث ابن عباس بلفظ مقتصد (٣) حديث ثلاث منجيات خشية الله فى السر والعلانية والقصد فى الغنى والفقر والعدل فى الغضب البزار والطبرانى وأبو نعيم والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث ابن عباس الاقتصاد وحسن السمت والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوّة أبو داود من حديث ابن عباس مع تقديم وتأخير وقال السمت الصالح وقال من خمسة وعشرين ورواه الترمذى وحسنه من حديث عبد الله بن سرجس وقال التؤدة بدل الهدى الصالح وقال من أربعة (٥) حديث التدبير نصف المعيشة رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس وفيه خلاد بن عيسى جهله العقيلى ووثقه ابن معين

أحبه الله (١)» وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أردت أمرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا (٢)» والتؤدة فى الانفاق من أهمّ الأمور . الثانى أنه إذا تيسر له فى الحال ما يكفيه فلا ينبغى أن يكون شديد الاضطراب لأجل المستقبل ويعينه على ذلك قصر الأمل والتحقق بأن الرزق الذى قدّر له لابدّ وأن يأتيه وإن لم يشتدّ حرصه فان شدّة الحرص ليست هى السبب لوصول الأرزاق بل ينبغى أن يكون واثقا بوعد الله تعالى إذ قال عز وجل ـ ومامن دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ـ وذلك لأن الشيطان يعده الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول إن لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج إلى احتمال الذل فى السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه فى الطلب خوفا من التعب ويضحك عليه فى احتماله التعب نقدا مع الغفلة عن الله لتوهم تعب فى ثانى الحال وربما لا يكون . وفى مثله قيل:

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله مخافة فقر فالذى فعل الفقر

وقد دخل ابنا خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما «لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رءوسكما فان الانسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى (٣)» ومرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن مسعود وهو حزين فقال له « لا تكثر همك ماقدّر يكن وما ترزق يأتك (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم «ألا أيها الناس أجملوا فى الطلب فانه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهى راغمة(٥)» ولا ينفك الانسان عن الحرص إلا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى فى تقدير أرزاق العباد وأن ذلك يحصل لامحالة مع الاجمال فى الطلب بل ينبغى أن يعلم أن رزق الله للعبد من حيث لا يحتسب أكثر قال الله تعالى ـ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ـ فاذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغى أن يضطرب قلبه لأجله. وقال صلى الله عليه وسلم «أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب (٦) » وقال سفيان اتق الله فما رأيت تقيا محتاجا أى لا يترك التقى فقدا لضرورته بل يلقى الله فى قلوب المسلمين أن يوصلوا إليه رزقه ، وقال المفضل الضبى قلت لأعرابى من أين معاشك قال نذر الحاج قلت فاذا صدروا فبكى وقال لو لم نعش إلا من حيث ندرى لم نعش . وقال أبو حازم رضى الله عنه وجدت الدنيا شيئين شيئا منهما هو لى فلن أعجله قبل وقته ولو طلبته بقوّة السموات والأرض وشيئا منهما هو لغيرى فلذلك لم أنله فيما مضى فلا أرجوه فيما بقى يمنع الذى لغيرى منى كما يمنع الذى لى من غيرى ففى أىّ هذين أفنى عمرى فهذا دواء من جهة المعرفة لابدّ منه لدفع تخويف الشيطان وإنذاره بالفقر . الثالث أن يعرف ما فى القناعة من عزّ الاستغناء وما فى الحرص والطمع من الذل فاذا تحقق عند ذلك انبعثت رغبته إلى القناعة لأنه

عبدى وما اختار لنفسه . وقال أبو بكر الوراق ربما أصلى ركعتين فأنصرف منهما وأنا أستحى من الله حياء رجل انصرف من الزنا قوله هذا لعظيم الأدب عنده ومعرفة كلّ إنسان بأدب الصلاة على قدر حظه من القرب . وقيل لموسى بن جعفر إن الناس أفسدوا عليك الصلاة بممرهم بين يديك قال إن الذى أصلى له أقرب إلى من الذى يمشى بين يدى وقيل كان زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهما إذا أراد أن يخرج إلى الصلاة لا يعرف من تغير لونه فيقال له فى ذلك فيقول أتدرون بين يدى

(١) حديث من اقتصد أغناه الله الحديث البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله ومن ذكر الله أحبه الله وشيخه فيه عمران بن هارون البصرى قال الذهبى شيخ لا يعرف حاله أتى بخبر منكر أى هذا الحديث ولأحمد وأبى يعلى فى حديث لأبى سعيد ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله .

(٢) حديث إذا أردت أمرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله فيه فرجا ومخرجا رواه ابن المبارك فى البرّ والصلة وقد تقدم (٣) حديث لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رءوسكما الحديث ابن ماجه من حديث حبة وسواء ابنى خالد وقد تقدم (٤) حديث لا تكثر همك ماقدّر يكن وما ترزق يأتك قاله لابن مسعود أبو نعيم من حديث خالد بن رافع وقد اختلف فى صحبته ورواه الأصفهانى فى الترغيب والترهيب من رواية مالك بن عمرو المغافرى مرسلا (٥) حديث ألا أيها الناس أجملوا فى الطلب الحديث تقدّم قبل هذا بثلاثة عشر حديثا (٦) حديث أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب ابن حبان فى الضعفاء من حديث على باسناد واه ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات .

في الحرص لايخلو من تعب وفي الطمع لايخلو من ذل وليس في القناعة إلا ألم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا ألم لايطلع عليه أحد إلا الله وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف إليه نظر الناس وفيه الوبال والمأثم ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته إلى الناس فلا يمكنه دعوتهم إلى الحق ويلزمه المداهنة وذلك يهلك دينه ومن لايؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الإيمان قال صلى الله عليه وسلم « عزّ المؤمن استغناؤه عن الناس (١) » ففي القناعة الحرية والعز ، ولذلك قيل استغن عمن شئت تكن نظيره واحتج إلى من شئت تكن أسيره وأحسن إلى من شئت تكن أميره . الرابع أن يكثر تأمله في تنعم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحمقى من الأكراد والأعراب الأجلاف ومن لادين لهم ولاعقل ثم ينظر إلى أحوال الأنبياء والأولياء وإلى همم الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمع أحاديثهم ويطالع أحوالهم ويخير عقله بين أن يكون على مشابهة أراذل الناس أو على الاقتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على الضنك والقناعة باليسير فانه إن تنعم في البطن فالحمار أكثر أكلا منه وإن تنعم في الوقاع فالخنزير أعلى رتبة منه وإن تزين في الملبس والحيل ففي اليهود من هو أعلى زينة منه وإن قنع بالقليل ورضي به لم يساهمه في رتبته إلا الأنبياء والأولياء. الخامس أن يفهم ما في جمع المال من الخطر كما ذكرنا في آفات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما في خلو اليد من الأمن والفراغ ويتأمل ماذكرناه في آفات المال مع مايفوته من المدافعة عن باب الجنة إلى خمسمائة عام فانه إذا لم يقنع بما يكفيه الحق بزمرة الأغنياء وأخرج من جريدة الفقراء ويتم ذلك بأن ينظر أبدا إلى من دونه في الدنيا لا إلى من فوقه فان الشيطان أبدا يصرف نظره في الدنيا إلى من فوقه فيقول لم تفتر عن الطلب وأرباب الأموال يتنعمون في المطاعم والملابس ويصرف نظره في الدين إلى من دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك وهو لايخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد أن تتميز عنهم . قال أبو ذر أوصاني خليلي صلوات الله عليه أن أنظر إلى من هو دوني لا إلى من هو فوقي (٢) أي في الدنيا . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه (٣) » فبهذه الأمور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الأمر الصبر وقصر الأمل وأن يعلم أن غاية صبره في الدنيا أيام قلائل للتمتع دهرا طويلا فيكون كالمريض الذي يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء .

(بيان فضيلة السخاء)

اعلم أن المال إن كان مفقودا فينبغي أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وإن كان موجودا فينبغي أن يكون حاله الإيثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فان السخاء من أخلاق الأنبياء عليهم السلام وهو أصل من أصول النجاة ، وعنه عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال « السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية إلى الأرض فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك

من أريد أن أقف . وروى عمار بن ياسر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لايكتب للعبد من صلاته إلا مايعقل » وقد ورد في لفظ آخر « منكم من يصلي الصلاة كاملة ومنكم من يصلي النصف والثلث والربع والخمس حتى يبلغ العشر » قال الخواص ينبغي للرجل أن ينوي نوافله لنقصان فرائضه فان لم ينوها لم يحسب له منها شيء . بلغنا أن الله لا يقبل نافلة حتى تؤدى فريضة يقول الله تعالى : مثلكم كمثل العبد السوء بدأ بالهدية قبل قضاء الدين ، وقال أيضا انقطع الخلق عن الله

---

(١) حديث عز المؤمن استغناؤه عن الناس الطبراني في الأوسط والحاكم وصحح اسناده وأبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية من حديث سهل بن سعد أن جبريل قاله للنبي صلى الله عليه وسلم في أثناء حديث وفيه زفر بن سليمان عن محمد بن عيينة وكلاهما مختلف فيه وجعله القضاعي في مسند الشهاب من قول النبي صلى الله عليه وسلم (٢) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر لمن هو فوقي أحمد وابن حبان في أثناء حديث وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه متفق عليه وقد تقدم .

الغصن إلى الجنة (١) » وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى إن هـذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما استطعتم (٢) » وفى رواية « فأكرموه بهما ما صحبتموه » وعن عائشة الصديقة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماجبل الله تعالى ولياله إلا على حسن الخلق والسخاء (٣) » وعن جابر قال « قيل يارسول الله أى الأعمال أفضل ؟ قال الصبر والسماحة (٤) » وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما الله عز وجل فأما اللذان يحبهما الله تعالى فحسن الخلق والسخاء وأما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل وإذا أراد الله بعبد خيرا استعمله فى قضاء حوائج الناس (٥) » وروى المقدام بن شريح عن أبيه عن جده قال « قلت يارسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال إن من موجبات المغفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام (٦) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السخاء شجرة فى الجنة فمن كان سخيا أخذ بغصن منها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة فى النار فمن كان شحيحا أخذ بغصن من أغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار (٧) » وقال أبو سعيد الخدرى قال النبى صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى تعيشوا فى أكنافهم فانى جعلت فيهم رحمتى ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فانى جعلت فيهم سخطى (٨) »

---

(١) حديث السخاء شجرة فى الجنة الحديث ابن حبان فى الضعفاء من حديث عائشة وابن عدى والدار قطنى فى المستجاد من حديث أبى هريرة وسيأتى بعده وأبو نعيم من حديث جابر وكلاهما ضعيف ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات من حديثهم ومن حديث الحسين وأبى سعيد (٢) حديث جابر مرفوعا حكاية عن جبريل عن الله تعالى إن هذا دين رضيته لنفسى ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق الدار قطنى فى المستجاد وقد تقدم (٣) حديث عائشة ماجعل الله ولياله إلا على السخاء وحسن الخلق الدارقطنى فى المستجاد دون قوله وحسن الخلق بسند ضعيف ومن طريقه ابن الجوزى فى الموضوعات وذكره بهذه الزيادة ابن عدى من رواية بقية عن يوسف بن أبى السفر عن الأوزاعى عن الزهرى عن عروة عن عائشة ويوسف ضعيف جدا (٤) حديث جابر أى الإيمان أفضل قال الصبر والسماحة أبو يعلى وابن حبان فى الضعفاء بلفظ سئل عن الإيمان وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر ضعفه الجمهور ورواه أحمد من حديث عائشة وعمرو بن عنبسة بلفظ ما الايمان قال الصبر والسماحة وفيه شهر بن حوشب ورواه البيهقى فى الزهد بلفظ أى الأعمال أفضل قال الصبر والسماحة وحسن الخلق وإسناده صحيح (٥) حديث عبد الله بن عمرو خلقان يحبهما الله وخلقان يبغضهما الله فأما اللذان يحبهما الله فحسن الخلق والسخاء الحديث أبو منصور الديلمى دون قول فى آخره وإذا أراد الله بعبد خيرا وقال فيه الشجاعة بدل حسن الخلق وفيه محمد بن يونس الكديمى كذبه أبو داود وموسى ابن هارون وغيرهما ووثقه الخطيب وروى الأصفهانى جميع الحديث موقوفا على عبد الله بن عمرو وروى الديلمى أيضا من حديث أنس إذا أراد الله بعبده خيرا صير حوائج الناس إليه وفيه يحيى بن شبيب ضعفه ابن حبان (٦) حديث المقدام بن شريح عن أبيه عن جده إن من موجبات المغفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام الطبرانى بلفظ بذل السلام وحسن الكلام وفى رواية له يوجب الجنة إطعام الطعام وإفشاء السلام وفى رواية له عليك بحسن الكلام وبذل الطعام (٧) حديث أبى هريرة السخاء شجرة فى الجنة الحديث وفيه والشح شجرة فى النار الحديث الدار قطنى فى المستجاد وفيه عبد العزيز بن عمران الزهرى ضعيف جدا (٨) حديث أبى سعيد يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى تعيشوا فى أكنافهم الحديث ابن حبان فى الضعفاء والخرائطى فى مكارم الأخلاق والطبرانى

تعالى بخصلتين إحداهما أنهم طلبوا النوافل وضيعوا الفرائض والثانية أنهم عملوا أعمالا بالظواهر ولم يأخذوا أنفسهم بالصدق فيها والنصح لها وأبى الله تعالى أن يقبل من عامل عملا إلا بالصدق وإصابة الحق وفتح العين فى الصلاة أولى من تغميض العين إلا أن يتشتت همه بتفريق النظر فيغمض العين للاستعانة على الخشوع وإن تثاءب فى الصلاة يضم شفتيه بقدر الامكان ولا يلزق ذقنه بصدره ولا يزاحم فى الصلاة غيره قيل ذهب المزحوم بصلاة المزاحم وقيل من ترك الصف الأول مخافة أن يضيق

وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تجافوا عن ذنب السخى فانّ الله آخذ بيده كلما عثر (١)» وقال ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم «الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعير وإن الله تعالى ليباهى بمطعم الطعام الملائكة عليهم السلام (٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله جواد يحب الجود ويحب مكارم الأخلاق ويكره سفسافها (٣)» وقال أنس «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل على الاسلام شيئا إلا أعطاه وأتاه رجل فسأله فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة فرجع إلى قومه فقال ياقوم أسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لايخاف الفاقة (٤)» وقال ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم «إن لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع على العباد نقلها الله تعالى عنه وحوّلها إلى غيره (٥)» وعن الهلالى قال «أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسرى من بنى العنبر فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلا فقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه يارسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم نزل على جبريل فقال اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله تعالى شكر له سخاء فيه (٦)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن لكل شئ ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح (٧)» وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء (٨)» وقال صلى الله عليه وسلم

فى الأوسط وفيه محمد بن مروان السدى الصغير ضعيف ورواه العقيلى فى الضعفاء فجعله عبد الرحمن السدي وقال إنه مجهول وتابع محمد بن مروان السدى عليه عبد الملك بن الخطاب وقد غمزه ابن القطان وتابعه عليه عبد الغفار بن الحسن بن دينار قال فيه أبو حاتم لابأس بحديثه وتكلم فيه الجوزجانى والأزدى ورواه الحاكم من حديث على وقال إنه صحيح الاسناد وليس كما قال (١) حديث ابن عباس تجافوا عن ذنب السخى فان الله آخذ بيده كلما عثر الطبرانى فى الأوسط والخرائطى فى مكارم الأخلاق . وقال الخرائطى أقيلوا السخى زلته وفيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه ورواه الطبرانى فيه وأبو نعيم من حديث ابن مسعود نحوه باسناد ضعيف ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات من طريق الدار قطنى (٢) حديث ابن مسعود الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعير الحديث لم أجده من حديث ابن مسعود ورواه ابن ماجه من حديث أنس ومن حديث ابن عباس بلفظ الخير أسرع إلى البيت الذى يغشى وفى حديث ابن عباس يؤكل فيه من الشفرة إلى سنام البعير ولأبى الشيخ فى كتاب الثواب من حديث جابر الرزق إلى أهل البيت الذى فيه السخاء الحديث وكلها ضعيفة (٣) حديث إن الله جواد يحب الجود ويحب معالى الأمور ويكره سفسافها الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز وهذا مرسل وللطبرانى فى الكبير والأوسط والحاكم والبيهقى من حديث سهل بن سعد إن الله كريم يحب الكرم ويحب معالى الأمور وفى الكبير والبيهقى معالى الأخلاق الحديث وإسناده صحيح وتقدم آخر الحديث فى أخلاق النبوة (٤) حديث أنس لم يسأل على الاسلام شيئا إلا أعطاه فأتاه رجل فسأله فأمر له بشاء كثير بين جبلين الحديث مسلم وتقدم فى أخلاق النبوّة (٥) حديث ابن عمر إن لله عبادا يخصهم بالنعم لمنافع العباد الحديث الطبرانى فى الكبير والأوسط وأبو نعيم وفيه محمد بن حسان السمتى وفيه لين ووثقه ابن معين يرويه عن أبى عثمان عبد الله ابن زيد الحمصى ضعفه الأزدى (٦) حديث الهلالى أتى النبى صلى الله عليه وسلم بأسرى من بنى العنبر فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلا الحديث وفيه فان الله شكر له سخاء فيه لم أجد له أصلا (٧) حديث إن لكل شئ ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح لم أقف له على أصل (٨) حديث نافع عن ابن عمر طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء ابن عدى والدار قطنى فى غرائب مالك وأبو على الصدفى فى عواليه وقال رجاله

على أهله فقام فى الثانى أعطاه الله مثل ثواب الصف الأول من غير أن ينقص من أجورهم شئ وقيل إن إبراهيم الخليل عليه السلام كان إذا قام إلى الصلاة يسمع خفقان قلبه من ميل . وروت عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمع من صدره أزيز كأزيز المرجل حتى كان يسمع فى بعض سكك المدينة. وسئل الجنيد ما فريضة الصلاة ؟ قال قطع العلائق وجمع الهم والحضور بين يدى الله وقال الحسن ماذا يعز عليك من أمر دينك إذا هانت عليك صلاتك . وقيل أوحى الله تعالى إلى بعض

« من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه (١) » فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال . وقال عيسى عليه السلام : استكثروا من شيء لا تأكله النار قيل وما هو قال المعروف. وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله ﷺ « الجنة دار الأسخياء (٢) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وإنّ البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخى أحب إلى الله من عالم بخيل وأدوأ الداء البخل (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « اصنع المعروف إلى من هو أهله وإلى من ليس بأهله فان أصبت أهله فقد أصبت أهله وإن لم تصب أهله فأنت من أهله (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ بدلاء أمتى لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين (٥) » وقال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ الله عز وجل جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب إليهم المعروف وحبب إليهم فعاله ووجه طلاب المعروف إليهم ويسر عليهم إعطاءه كما يسر الغيث إلى البلدة الجدبة فيحييها ويحيى به أهلها (٦) » وقال ﷺ « كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة وما وقى به الرجل عرضه فهو له صدقة وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب إغاثة اللهفان (٨) » وقال صلى الله عليه وسلم

الأنبياء فقال إذا دخلت الصلاة فهب لى من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينك الدموع فانى قريب . وقال أبو الخير الأقطع رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يا رسول الله أوصنى فقال « يا أبا الخير عليك بالصلاة فانى استوصيت ربى فأوصانى بالصلاة وقال لى إن أقرب ما أكون منك وأنت تصلى » . وقال ابن عباس رضى الله عنهما ركعتان فى تفكر خير من قيام ليلة. وقيل إن محمد ابن يوسف الفرغانى رأى حاتما الأصمّ واقفا يعظ الناس فقال له يا حاتم أراك تعظ

ثقات أئمة قال ابن القطان وإنهم لمشاهير ثقات إلا مقدام بن داود فان أهل مصر تكلموا فيه .

(١) حديث من عظمت نعمة الله عليه عظمت مؤنة الناس عليه ابن عدى وابن حبان فى الضعفاء من حديث معاذ بلفظ ما عظمت نعمة الله على عبد إلا ذكره وفيه أحمد بن مهران قال أبو حاتم مجهول والحديث باطل ورواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث عمر باسناد منقطع وفيه حليس ابن محمد أحد المتروكين ورواه العقيلى من حديث ابن عباس قال ابن عدى يروى من وجوه كلها غير محفوظة (٢) حديث عائشة الجنة دار الأسخياء ابن عدى والدار قطنى فى المستجاد والخرائطى قال الدار قطنى لا يصح ومن طريقه رواه ابن الجوزى فى الموضوعات . وقال الذهبى حديث منكر ما آفته سوى جحدر . قلت رواه الدار قطنى فيه من طريق آخر وفيه محمد بن الوليد الوقرى وهو ضعيف جدا (٣) حديث أبى هريرة إن السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة الحديث الترمذى وقال غريب ولم يذكر فيه وأدوأ الداء البخل ورواه بهذه الزيادة الدار قطنى فيه (٤) حديث اصنع المعروف إلى أهله وإلى من ليس من أهله الدار قطنى فى المستجاد من رواية جعفر ابن محمد عن أبيه عن جدّه مرسلا وتقدّم فى آداب المعيشة (٥) حديث إن بدلاء أمتى لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسماحة الأنفس الحديث الدار قطنى فى المستجاد وأبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق من حديث أنس وفيه محمد بن عبد العزيز المبارك الدينورى أورد ابن عدى له مناكير وفى الميزان إنه ضعيف منكر الحديث ورواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث أبى سعيد نحوه وفيه صالح المرى متكلم فيه (٦) حديث أبى سعيد إن الله جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب إليهم المعروف الحديث الدار قطنى فى المستجاد من رواية أبى هرون العبدى عنه وأبو هرون ضعيف ورواه الحاكم من حديث على وصححه (٧) حديث كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة الحديث ابن عدى والدار قطنى فى المستجاد والخرائطى والبيهقى فى الشعب من حديث جابر وفيه عبد الحميد بن الحسن الهلالى وثقه ابن معين وضعفه الجمهور والجملة الأولى منه عند البخارى من حديث جابر وعند مسلم من حديث حذيفة (٨) حديث كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله

« كل معروف فعلته إلى غنى أو فقير صدقة (١) » وروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام لا تقتل السامرى فانه سخى وقال جابر « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا عليهم قيس بن سعد ابن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب فحدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم إن الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت (٢) » . الآثار : قال على كرم الله وجهه إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فانها لاتفنى وإذا أدبرت عنك فأنفق منها فانها لاتبقى وأنشد :

لاتبخلن بدنيا وهى مقبلة ... فليس ينقصها التبذير والسرف
وإن تولت فأحرى أن تجود بها ... فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف

وسأل معاوية الحسن بن على رضى الله عنهم عن المروءة والنجدة والكرم فقال أما المروءة فحفظ الرجل دينه وحذره نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن المنازعة والاقدام فى الكراهية . وأما النجدة فالذب عن الجار والصبر فى المواطن وأما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والإطعام فى المحل والرأفة بالسائل مع بذل النائل . ورفع رجل إلى الحسن بن على رضى الله عنهما رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت فى رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسألنى الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدى حتى أقرأ رقعته . وقال ابن السماك عجبت لمن يشترى المماليك بماله ولا يشترى الأحرار بمعروفه . وسئل بعض الأعراب من سيدكم فقال من احتمل شتمنا وأعطى سائلنا وأغضى عن جاهلنا . وقال على بن الحسين رضى الله عنهما من وصف يبذل ماله لطلابه لم يكن سخيا وإنما السخى من يبتدىء بحقوق الله تعالى فى أهل طاعته ولا تنازعه نفسه إلى حب الشكر له إذا كان يقينه بثواب الله تاما . وقيل للحسن البصرى ما السخاء ؟ فقال أن تجود بمالك فى الله عز وجل قيل فما الحزم ؟ قال أن تمنع مالك فى قيل فما الاسراف ؟ قال الانفاق لحب الرياسة . وقال جعفر الصادق رحمة الله عليه لامال أعون من العقل ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشاورة ألا وإن الله عز وجل يقول : إنى جواد كريم لا يجاورنى لئيم واللؤم من الكفر وأهل الكفر فى النار والجود والكرم من الإيمان وأهل الإيمان فى الجنة . وقال حذيفة رضى الله عنه رب فاجر فى دينه أخرق فى معيشته يدخل الجنة بسماحته . وروى أن الأحنف بن قيس رأى رجلا فى يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لى فقال أما إنه ليس لك حتى يخرج من يدك وفى معناه قيل :

أنت للمال إذا أمسكته ... فاذا أنفقته فالمال لك

وسمى واصل بن عطاء الغزال لأنه كان يجلس إلى الغزالين فاذا رأى امرأة ضعيفة أعطاها شيئا . وقال الأصمعى كتب الحسن بن على إلى الحسين بن على رضوان الله عليهم يعتب عليه فى إعطاء الشعراء فكتب إليه خير المال ما وقى به العرض . وقيل لسفيان بن عيينة ما السخاء قال السخاء البر بالإخوان والجود بالمال . قال وورث أبى خمسين ألف درهم فبعث بها صررا إلى إخوانه . وقال قد كنت

والله يحب إغاثة اللهفان الدار قطنى فى المستجاد من رواية الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده والحجاج ضعيف وقد جاء مفرقا فالجملة الأولى تقدمت قبله والجملة الثانية تقدمت فى العلم من حديث أنس وغيره والجملة الثالثة رواها أبو يعلى من حديث أنس أيضا وفيها زياد النميرى ضعيف (١) حديث كل معروف فعلته إلى غنى أو فقير صدقة الدار قطنى فيه من حديث أبى سعيد وجابر والطبرانى والخرائطى كلاهما فى مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود وابن منيع من حديث ابن عمر باسنادين ضعيفين (٢) حديث جابر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا عليهم قيس بن سعد ابن عبادة فجهدوا فنحر لهم الحديث وفيه فقال إن الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت الدار قطنى فيه من رواية أبى حمزة الحميرى عن جابر ولا يعرف اسمه ولا حاله .

الناس أفتحسن أن تصلى ؟ قال نعم قال كيف تصلى ؟ قال أقوم بالأمر وأمشى بالخشية وأدخل بالهيبة وأكبر بالعظمة وأقرأ بالترتيل وأركع بالخشوع وأسجد بالتواضع وأقعد للتشهد بالتمام وأسلم على السنة وأسلمها إلى ربى وأحفظها أيام حياتى وأرجع باللوم على نفسى وأخاف أن لا تقبل منى وأرجو أن تقبل منى وأنا بين الخوف والرجاء وأشكر من علمنى وأعلمها من سألنى وأحمد ربى إذ هدانى فقال محمد بن يوسف مثلك يصلح أن يكون واعظا وقوله تعالى - لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى -

أسأل الله تعالى لأخواني الجنة في صلاتي أفأبخل عليهم بالمال . وقال الحسن بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود . وقيل لبعض الحكماء من أحب الناس إليك قال من كثرت أياديه عندي قيل فان لم يكن قال من كثرت أيادي عنده . وقال عبد العزيز بن مروان إذا الرجل أمكنني من نفسه حتى أضع معروفي عنده فيده عندي مثل يدي عنده وقال المهدي لشبيب بن شبة كيف رأيت الناس في داري فقال يأمير المؤمنين إن الرجل منهم ليدخل راجيا ويخرج راضيا وتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفر فقال :

إن الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع
فاذا اصطنعت صنيعة فاعمد بها لله أو لذوي القرابة أودع

فقال عبد الله بن جعفر إن هذين البيتين ليخلان الناس ولكن أمطر المعروف مطرا فان أصاب الكرام كانوا له أهلا وإن أصاب اللئام كنت له أهلا .

(حكايات الأسخياء)

عن محمد بن المنكدر عن أم درة وكانت تخدم عائشة رضي الله عنها قالت إن معاوية بعث إليها بمال في غرارتين ثمانين ومائة ألف درهم فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس فلما أمست قالت ياجارية هلمي فطوري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها أم درة ماأستطعت فيما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو كنت ذكرتيني لفعلت . وعن أبان بن عثمان قال أراد رجل أن يضار عبيد الله بن عباس فأتى وجوه قريش فقال يقول لكم عبيد الله تغدوا عندي اليوم فأتوه حتى ملؤا عليه الدار فقال ماهذا فأخبر الخبر فأمر عبيد الله بشراء فاكهة وأمر قوما فطبخوا وخبزوا وقدمت الفاكهة إليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد فأكلوا حتى صدروا فقال عبيد الله لوكلائه أو موجود لنا هذا كل يوم قالوا نعم قال فليتخذ عندنا هؤلاء في كل يوم . وقال مصعب بن الزبير حج معاوية فلما انصرف مر بالمدينة فقال الحسين بن علي لأخيه الحسن لاتلقه ولا تسلم عليه فلما خرج معاوية قال الحسن إن علينا دينا فلا بد لنا من إتيانه فركب في أثره ولحقه فسلم عليه وأخبره بدينه فمروا عليه بيخق عليه ثمانون ألف دينار وقد أعيا وتخلف عن الابل وقوم يسوقونه فقال معاوية ماهذا فذكر له فقال اصرفوه بما عليه إلى أبي محمد . وعن واقد بن محمد الواقدي قال حدثني أبي أنه رفع رقعة إلى المأمون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المأمون على ظهر رقعته إنك رجل اجتمع فيك خصلتان السخاء والحياء فأما السخاء فهو الذي أطلق مافي يديك وأما الحياء فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ما أنت عليه وقد أمرت لك بمائة ألف درهم فان كنت قد أصبت فازدد في بسط يدك وإن لم أكن قد أصبت فجنايتك على نفسك وأنت حدثتني وكنت على قضاء الرشيد عن محمد بن اسحق عن الزهري عن أنس « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير بن العوام يازبير اعلم أن مفاتيح أرزاق العباد بازاء العرش يبعث الله عز وجل إلى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له وأنت أعلم[1] » قال الواقدي فوالله لمذاكرة المأمون إياي بالحديث أحب إلي من الجائزة وهي مائة ألف درهم . وسأل رجل الحسن بن علي رضي الله عنهما حاجة فقال له ياهذا حق سؤالك إياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك تكبر علي ويدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله والكثير في ذات الله تعالى قليل وما في ملكي وفاء لشكرك فان قبلت الميسور ورفعت

(١) حديث أنس يازبير اعلم أن مفاتيح أرزاق العباد بازاء العرش الحديث وفي أوله قصة مع المأمون الدار قطني فيه وفي إسناده الواقدي عن محمد بن اسحاق عن الزهري بالعنعنة ولا يصح .

قيل من حب الدنيا وقيل من الاهتمام وقال عليه السلام «من صلى ركعتين ولم يحدث نفسه بشيء من الدنيا غفر الله له ماتقدم من ذنبه » وقال أيضا «إن الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتنادم وترفع يديك وتقول : اللهم اللهم فمن لايفعل ذلك فهي خداج» أي ناقصة وقد ورد أن المؤمن إذا توضأ للصلاة تباعد عنه الشيطان في أقطار الأرض خوفا منه لأنه تأهب للدخول على الملك فاذا كبر حجب عنه إبليس قيل يضرب بينه وبينه سرادق لاينظر إليه وواجهه الجبار بوجهه فاذا قال الله أكبر اطلع الملك في قلبه فاذا لم

عنى مؤنة الاحتمال والاهتمام لما أتكلفه من واجب حقك فعلت فقال يا ابن رسول الله أقبل وأشكر العطية وأعذر على المنع فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال هات الفضل من الثلثمائة ألف درهم فأحضر خمسين ألفا قال فما فعلت بالخمسمائة دينار قال هى عندى قال أحضرها فأحضرها فدفع الدنانير والدراهم إلى الرجل وقال هات من يحملها لك فأتاه بحمالين فدفع إليه الحسن رداءه لكراء الحمالين فقال له مواليه والله ماعندنا درهم فقال أرجوا أن يكون لى عند الله أجر عظيم.

واجتمع قراء البصرة إلى ابن عباس وهو عامل بالبصرة فقالوا لناجار صوام قوام يتمنى كل واحد منا أن يكون مثله وقد زوج بنته من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلهم داره وفتح صندوقا فأخرج منه ست بدر فقال احملوا فحملوا فقال ابن عباس ما أنصفناه أعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه ارجعوا بنا نكن أعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر مايشغل مؤمنا عن عبادة ربه ومابنا من الكبر مالا نخدم أولياء الله تعالى ففعل وفعلوا . وحكى أنه لما أجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد أميرهم فقال والله لأعلمن الشيطان أنى عدوه فمال محاويجهم إلى أن رخصت الأسعار ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم فرهنهم بها حلى نسائه وقيمتها خمسمائة ألف ألف فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب إليهم ببيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم إلى من لم تنله صلاته . وكان أبو طاهر بن كثير شيعيا فقال له رجل بحق على بن طالب لما وهبت لى نخلك بموضع كذا و كذا فقال قد فعلت وحقه لأعطينك مايليها وكان ذلك أضعاف ماطلب الرجل وكان أبو مرثد أحد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر: والله ماعندى ما أعطيك ولكن قدمنى إلى القاضى وادّع علىّ بعشرة آلاف درهم حتى أقرلك بها ثم احبسنى فان أهلى لايتركونى محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع إليه عشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرثد من الحبس . وكان معن بن زائدة عاملا على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فأقام مدة وأراد الدخول على معن فلم يتهيأ له فقال يوما لبعض خدام معن إذا دخل الأمير البستان فعرفنى فلما دخل الأمير البستان أعلمه فكتب الشاعر بيتا على خشبة وألقاها فى الماء الذى يدخل البستان وكان معن على رأس الماء فلما بصر بالخشبة أخذها وقرأها فاذا مكتوب عليها :

أيا جود معن ناج معنا بحاجتى ... فمالى إلى معن سواك شفيع

فقال من صاحب هذه فدعى بالرجل فقال له كيف قلت فقاله فأمر له بعشر بدر فأخذها ووضع الأمير الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثانى أخرجها من تحت البساط وقرأها ودعا بالرجل فدفع إليه مائة ألف درهم فلما أخذها الرجل تفكر وخاف أن يأخذ منه ماأعطاه فخرج فلما كان فى اليوم الثالث قرأها فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق على أن أعطيه حتى لايبقى فى بيت مالى درهم ولادينار . وقال أبو الحسن المدائنى خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا فعاقتهم نفقاتهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز فى خباء لها فقالوا هل من شراب ؟ فقالت نعم فاناخوا إليها وليس لها إلا شويهة فى كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام قالت لا إلا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيئ لكم ماتأكلون فقام إليها أحدهم وذبحها و كشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا وأقاموا حتى ابردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فألمى بنا دنا صانعون بك خيرا ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاتى لقوم لاتعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش قال ثم بعد مدة ألجأتهما الحاجة إلى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر إليها ويبيعانه ويتعيشان بثمنه

يكن فى قلبه أكبر من الله تعالى يقول : صدقت الله فى قلبك كما تقول وتشعشع من قلبه نور يلحق بملكوت العرش ويكشف له بذلك النور ملكوت السموات والأرض ويكتب له حشو ذلك النور حسنات وإن الجاهل الغافل إذا قام إلى الصلاة احتوشته الشياطين كما يحتوش الذباب على نقطة العسل فاذا كبر اطلع الله على قلبه فاذا كان شئ فى قلبه أكبر من الله تعالى عنده يقول له كذبت ليس الله تعالى أكبر فى قلبك كما تقول فيثور من قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجابا لقلبه من

فمرّت العجوز ببعض سكك المدينة فاذا الحسن بن علي جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث غلامه فدعا بالعجوز وقال لها ياأمة الله أتعرفيني ؟ قالت لاقال أنا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت العجوز بأبي أنت وأمي أنت هو ؟ قال نعم ،ثم أمر الحسن فاشتروا لها من شياه الصدقة ألف شاة وأمر لها معها بألف دينار وبعث بها مع غلامه إلى الحسين فقال لها الحسين بكم وصلك أخي ؟ قالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها الحسين أيضا بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه إلى عبد الله ابن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين؟ قالت بألفي شاة وألفي دينار فأمر لها عبد الله بألفي شاة وألفي دينار وقال لها لو بدأت بي لأتعبتهما فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار . وخرج عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام إليه غلام من ثقيف فمشى إلى جانبه فقال له عبد الله ألك حاجة ياغلام ؟ قال صلاحك وفلاحك رأيتك تمشي وحدك فقلت أقيك بنفسي وأعوذ بالله إن طار بجناحك مكروه فأخذ عبد الله بيده ومشى معه إلى منزله ثم دعا بألف دينار فدفعها إلى الغلام وقال استنفق هذه فنعم ماأدّبك أهلك .وحكى أنّ قوما من العرب جاءوا إلى قبر بعض أسخيائهم للزيارة فنزلوا عند قبره وباتوا عنده وقد كانوا جاءوا من سفر بعيد فرأى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك أن تبادل بعيرك بنجيبي وكان السخي الميت قد خلف نجيبا معروفا به ولهذا الرجل بعير سمين فقال له في النوم نعم فباعه في النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل إلى بعيره فنحره في النوم فانتبه الرجل من نومه فاذا الدم يشجّ من نحر بعيره فقام الرجل فنحره وقسم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم منه ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال أنا فقال هل بعت من فلان بن فلان شيئا وذكر الميت صاحب القبر قال نعم بعت منه بعيري بنجيبه في النوم فقال خذ هذا نجيبه ثم قال هو أبي وقد رأيته في النوم وهو يقول إن كنت ابني فادفع نجيبي إلى فلان بن فلان وسماه . وقدم رجل من قريش من السفر فمرّ برجل من الأعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر وأضرّ به المرض فقال ياهذا أعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه مابقي معك من النفقة فادفعه إليه فصبّ الغلام في حجر الأعرابي أربعة آلاف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل مايبكيك لعلك استقللت ماأعطيناك ؟ قال لا ولكن ذكرت ماتأكل الأرض من كرمك فأبكاني . واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن أبي معيط داره التي في السوق بتسعين ألف درهم فلما كان الليل سمع بكاء أهل خالد فقال لأهله مالهؤلاء ؟ قالوا يبكون لدراهم فقال ياغلام ائتهم فأعلمهم أنّ المال والدار لهم جميعا .وقيل بعث هرون الرشيدي إلى مالك بن أنس رحمه الله بخمسمائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فأنفذ إليه ألف دينار فغضب هرون وقال أعطيته خمسمائة وتعطيه ألفا وأنت من رعيتي فقال ياأمير المؤمنين إنّ لي من غلتي كل يوم ألف دينار فاستحييت أن أعطي مثله أقلّ من دخل يوم . وحكى أنه لم تجب عليه الزكاة مع أن دخله كل يوم ألف دينار . وحكى أنّ امرأة سألت الليث بن سعد رحمة الله عليه شيئا من عسل فأمر لها بزقّ من عسل فقيل له إنها كانت تقنع بدون هذا ؟ فقال إنها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر النعمة علينا . وكان الليث بن سعد لايتكلم كل يوم حتى يتصدّق على ثلثمائة وستين مسكينا . وقال الأعمش اشتكت شاة عندي فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشيّ ويسألني هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتي لبد أجلس عليه فاذا خرج قال خذ ماتحت اللبد حتى وصل إليّ في علة الشاة أكثر من ثلثمائة

الملكوت فيزداد ذلك الحجاب صلابة ويلتقم الشيطان قلبه فلايزال ينفخ فيه وينفث ويوسوس إليه ويزين حتى ينصرف من صلاته ولايعقل ما كان فيه . وفي الخبر «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء» والقلوب الصافية التي كمل أدبها لكمال أدب قوالبها تصير سماوية تدخل بالتكبير في السماء كما تدخل في الصلاة والله تعالى حرس السماء من تصرف الشياطين فالقلب السماوي لاسبيل للشيطان إليه فتبقى هواجس نفسانية عند ذلك لاتنقطع بالتحصن بالسماء كانقطاع تصرف

دينار من بره حتى تمنيت أن الشاة لم تبرأ . وقال عبد الملك بن مروان لأسماء بن خارجة بلغني عنك خصال فحدثني بها ، فقال هي من غيري أحسن منها مني فقال عزمت عليك إلا حدثتني بها فقال ياأمير المؤمنين ماددت رجلي بين يدي جليس لي قط ولا صنعت طعاما قط فدعوت عليه قوما إلا كانوا أمن على مني عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط يسألني شيئا فاستكثرت شيئا أعطيته إياه . ودخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فاذا لم يجد شيئا كتب لمن سأله صكا على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر إليه سليمان تمثل بهذا البيت فقال :

إني سمعت مع الصباح مناديا يامن يعين على الفتى للعوان

ثم قال ماحاجتك ؟ قال ديني قال وكم هو ؟ قال ثلاثون ألف دينار قال لك دينك ومثله. وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ إخوانه فقيل له إنهم يستحيون من مالك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا يمنع الإخوان من الزيارة ثم أمر مناديا فنادى من كان عليه لقيس بن سعد حق فهو منه بريء قال فانكسرت درجته بالعشي لكثرة من زاره وعاده . وعن أبي إسحق قال صليت الفجر في مسجد الأشعث بالكوفة أطلب غريما لي فلما صليت وضع بين يدي حلة ونعلان فقلت لست من أهل هذا المسجد فقالوا إن الأشعث بن قيس الكندي قدم البارحة من مكة فأمر لكل من صلى في المسجد بحلة ونعلين . وقال الشيخ أبو سعد الحركوشي النيسابوري رحمه الله: سمعت محمد ابن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي المجاور بمكة يقول : كان بمصر رجل عرف بأن يجمع للفقراء شيئا فولد لبعضهم مولود قال فجئت إليه وقلت له ولد لي مولود وليس معي شيء فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح بشيء فجاء إلى قبر رجل وجلس عنده وقال رحمك الله كنت تفعل وتصنع وإني درت اليوم على جماعة فكلفتهم دفع شيء لمولود فلم يتفق لي شيء قال ثم قام وأخرج دينارا وقسمه نصفين وناولني نصفه وقال هذا دين عليك إلى أن يفتح عليك بشيء قال فأخذته وانصرفت فأصلحت ما اتفق لي به قال فرأى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال سمعت جميع ماقلت وليس لنا إذن في الجواب ولكن احضر منزلي وقل لأولادي يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار فاحملها إلى هذا الرجل فلما كان من الغد تقدم إلى منزل الميت وقص عليهم القصة فقالوا له اجلس وحفروا الموضع وأخرجوا الدنانير وجاءوا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس لرؤيا حكم فقالوا هو يتسخى ميتا ولا نتسخى نحن أحياء فلما ألحوا عليه حمل الدنانير إلى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة قال فأخذ منها دينارا فكسره نصفين فأعطاه النصف الذي أقرضه وحمل النصف الآخر وقال يكفيني هذا وتصدق به على الفقراء فقال أبو سعيد فلا أدري أي هؤلاء أسخى. وروى أن الشافعي رحمه الله لما مرض مرض موته بمصر قال مروا فلانا يغسلني فلما توفي بلغه خبر وفاته فحضر وقال ائتوني بتذكرته فأتي بها فنظر فيها فاذا على الشافعي سبعون ألف درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غسلي إياه أي أراد به هذا . وقال أبو سعيد الواعظ الحركوشي لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه فرأيت جماعة من أحفاده وزرتهم فرأيت فيهم سيما الخير وآثار الفضل فقلت بلغ أثره في الخير إليهم وظهرت بركته فيهم مستدلا بقوله تعالى ـ وكان أبوهما صالحا ـ وقال الشافعي رحمه الله لا أزال أحب حماد بن أبي سليمان لشيء بلغني عنه أنه كان ذات يوم راكبا حماره فحركه فانقطع زره فمر على خياط فأراد أن ينزل إليه ليسوي زره فقال الخياط والله لا نزلت فقام الخياط إليه فسوى زره فأخرج إليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها إلى الخياط واعتذر إليه من قلتها وأنشد الشافعي رحمه الله لنفسه :

الشيطان والقلوب المرادة بالقرب تدرج بالتقريب وتعرج في طبقات السموات وفي كل طبقة من أطباق السماء يتخلف شيء من ظلمة النفس وبقدر ذلك يقل الهاجس إلى أن يتجاوز السموات ويقف أمام العرش فعند ذلك يذهب بالكلية هاجس النفس بساطع نور العرش وتندرج ظلمات النفس في نور القلب اندراج الليل في النهار وتتأدى حينئذ حقوق الآداب على وجه الصواب . وما ذكرنا من أدب الصلاة يسير من كثير وشأن الصلاة أكبر من وصفنا وأكمل من ذكرنا وقد غلط أقوام وظنوا أن

يالهف قلبي على مال أجود به على المقلين من أهل المروآت
إنّ اعتذاري إلى من جاء يسألني ماليس عندي لمن إحدى المصيبات

وعن الربيع بن سليمان قال أخذ رجل بركاب الشافعي رحمه الله فقال يارييع أعطه أربعة دنانير واعتذر إليه عني . وقال الربيع سمعت الحميدي يقول قدم الشافعي من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف دينار فضرب خباءه في موضع خارج عن مكة ونثرها على ثوب ثم أقبل على كل من دخل عليه يقبض له قبضة ويعطيه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شيء . وعن أبي ثور قال أراد الشافعي الخروج إلى مكة ومعه مال وكان قلما يمسك شيئا من سماحته فقلت له ينبغي أن تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك قال فخرج ثم قدم علينا فسألته عن ذلك المال فقال ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني أن أشتريها لمعرفتي بأصلها وقد وقف أكثرها ولكني بنيت بمنى مضربا يكون لأصحابنا إذا حجوا أن ينزلوا فيه وأنشد الشافعي رحمه الله لنفسه يقول :

أرى نفسي تتوق إلى أمور يقصر دون مبلغهنّ مالي
فنفسي لا تطاوعني ببخل ومالي لا يبلغني فعالي

وقال محمد بن عباد المهلبي دخل أبي على المأمون فوصله بمائة ألف درهم فلما قام من عنده تصدّق بها فأخبر بذلك المأمون فلما عاد إليه عاتبه المأمون في ذلك فقال ياأمير المؤمنين: منع الموجود، سوء ظنّ بالمعبود ، فوصله بمائة ألف أخرى . وقام رجل إلى سعيد بن العاص فسأله فأمر له بمائة ألف درهم فبكى فقال له سعيد ما يبكيك ؟ قال أبكي على الأرض أن تأكل مثلك فأمر له بمائة ألف أخرى . ودخل أبو تمام على إبراهيم بن شكلة بأبيات امتدحه بها فوجده عليلا فقبل منه المدحة وأمر حاجبه بنيله ما يصلحه وقال عسى أن أقوم من مرضي فأكافئه فأقام شهرين فأوحشه طول المقام فكتب إليه يقول : إن حراما قبول مدحتنا وترك ما نرتجي من الصفد
كما الدراهم والدنانير في البيع حرام إلا يدا بيد

فلما وصل البيتان إلى إبراهيم قال لحاجبه كم أقام بالباب ؟ قال شهرين قال أعطه ثلاثين ألفا وجئني بدواة فكتب إليه :

أعجلتنا فأتاك عاجل برّنا قلا ولو أمهلتنا لم نقلل
فخذ القليل وكن كأنك لم تقل ونقول نحن كأننا لم نفعل

وروى أنه كان لعثمان على طلحة رضي الله عنهما خمسون ألف درهم فخرج عثمان يوما إلى المسجد فقال له طلحة قد تهيأ مالك فاقبضه فقال هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك . وقالت سعدى بنت عوف دخلت على طلحة فرأيت منه ثقلا فقلت له مالك ؟ فقال اجتمع عندي مال وقد غمني فقلت وما يغمك ادع قومك فقال ياغلام عليّ بقومي فقسمه فيهم فسألت الخادم كم كان ؟ قال أربعمائة ألف. وجاء أعرابي إلى طلحة فسأله وتقرب إليه برحم فقال إن هذه الرحم ماسألني بها أحد قبلك إن لي أرضا قد أعطاني بها عثمان ثلثمائة ألف فان شئت فاقبضها وإن شئت بعتها من عثمان ودفعت إليك الثمن فقال الثمن فباعها من عثمان ودفع إليه الثمن . وقيل بكى عليّ كرم الله وجهه يوما فقيل ما يبكيك فقال لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله قد أهانني . وأتى رجل صديقا له فدق عليه الباب فقال ماجاء بك ؟ قال عليّ أربعمائة درهم دين فوزن أربعمائة درهم وأخرجها إليه وعاد يبكي فقالت امرأته لم أعطيته إذ شق عليك فقال إنما أبكي لأني لم أتفقد حاله حتى احتاج إلى مفاتحتي فرحم الله من هذه صفاتهم وغفر لهم أجمعين .

المقصود من الصلاة ذكر الله تعالى وإذا حصل الذكر فأي حاجة إلى الصلاة وسلكوا طرقا من الضلال وركنوا إلى أباطيل الخيال ومحو الرسوم والأحكام ورفضوا الحلال والحرام وقوم آخرون سلكوا في ذلك طريقا أدّتهم إلى نقصان الحال حيث سلموا من الضلال لأنهم اعترفوا بالفرائض وأنكروا فضل النوافل واغتروا بيسير روح الحال وأهملوا فضل الأعمال ولم يعلموا أن لله في كل هيئة من الهيئات وكل حركة من الحركات أسرارا وحكما لاتوجد في شيء من الأذكار فالأحوال

(بيان ذم البخل)

قال الله تعالى ـ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ـ وقال تعالى ـ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ـ وقال تعالى ـ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ـ وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم والشح فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة (٣) » وفى رواية ولا جبار وفى رواية ولا منان وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يبغض ثلاثة الشيخ الزانى والبخيل المنان والعيل المختال (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق شيئا إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى أخذت بتراقيه فهو يوسعها ولا تتسع (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم إنى أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر (٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة وإياكم والفحش إن الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش وإياكم والشح فانما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا (٩) » وقال صلى الله عليه وسلم

والأعمال روح وجسمان وما دام العبد فى دار الدنيا إعراضه عن الأعمال عين الطغيان فالأعمال تزكو بالأحوال والأحوال تنمو بالأعمال .

[الباب التاسع والثلاثون فى فضل الصوم وحسن أثره]

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « الصبر نصف الايمان والصوم نصف الصبر » وقيل ما فى عمل ابن آدم شىء إلا ويذهب برد المظالم إلا الصوم فانه لا يدخله قصاص ويقول الله تعالى يوم القيامة هذا لى فلا ينقص أحد منه شيئا . وفى الخبر « الصوم لى وأنا أجزى به » قيل أضافه إلى

---

(١) حديث إياكم والشح الحديث مسلم من حديث جابر بلفظ واتقوا الشح فان الشح الحديث ولأبى داود والنسائى فى الكبرى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو إياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا (٢) حديث إياكم والشح فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم الحاكم من حديث أبى هريرة بلفظ حرماتهم مكان أرحامهم وقال صحيح على شرط مسلم (٣) حديث لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة وفى رواية ولا منان أحمد والترمذى وحسنه من حديث أبى بكر واللفظ لأحمد دون قوله ولا منان فهى عند الترمذى وله ولابن ماجه لا يدخل الجنة سيء الملكة (٤) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم فى العلم (٥) حديث إن الله يبغض ثلاثا الشيخ الزانى والبخيل المنان والفقير المختال الترمذى والنسائى من حديث أبى ذر دون قوله البخيل المنان وقال فيه الغنى الظلوم وقد تقدم وللطبرانى فى الأوسط من حديث على إن الله ليبغض الغنى الظلوم والشيخ الجهول والعائل المختال وسنده ضعيف (٦) حديث مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبة من حديد الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٧) حديث خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق الترمذى من حديث أبى سعيد وقال غريب (٨) حديث اللهم إنى أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن الحديث البخارى من حديث سعد وتقدم فى الأذكار (٩) حديث إياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة الحديث الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا قال عوضا عنهما وبالبخل فبخلوا وبالفجور ففجروا وكذا رواه أبو داود مقتصرا على ذكر الشح

« شر مافى الرجل شح هالع وجبن خالع (١) » وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكته باكية فقالت : واشهيداه فقال صلى الله عليه وسلم « وما يدريك أنه شهيد فلعله كان يتكلم فيما لايعنيه أو يبخل بما لا ينقصه (٢) » وقال جبير بن مطعم « بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفلة من خيبر إذ علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال أعطونى ردائى فو الذى نفسى بيده لو كان لى عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لاتجدونى بخيلا ولا كذابا ولا جبانا (٣) » وقال عمر رضى الله عنه « قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسما فقلت غير هؤلاء كان أحق به منهم فقال انهم يخيرونى بين أن يسألونى بالفحش أو يبخلونى ولست بباخل (٤) » وقال أبو سعيد الخدرى دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه ثمن بعير فأعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأثنيا وقالا معروفا وشكرا ماصنع بهما فدخل عمر على رسول الله ﷺ فأخبره بما قالا فقال صلى الله عليه وسلم « لكن فلان أعطيته مابين عشرة إلى مائة ولم يقل ذلك إن أحدكم ليسألنى فينطلق فى مسألته متأبطها وهى نار فقال عمر فلم تعطهم ماهو نار فقال يأبون إلا أن يسألونى ويأبى الله لى البخل (٥) » وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله لكم ألا إن الله عز وجل خلق الجود فجعله فى صورة رجل وجعل رأسه راسخا فى أصل شجرة طوبى وشد أغصانها بأغصان سدرة المنتهى ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله الجنة ألا إن السخاء من الايمان والايمان فى الجنة وخلق البخل من مقته وجعل رأسه راسخا فى أصل شجرة الزقوم ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله النار ألا إن البخل من الكفر والكفر فى النار (٦) » وقال ﷺ « السخاء شجرة تنبت فى الجنة فلا يلج الجنة إلا سخى والبخل شجرة تنبت فى النار فلا يلج النار إلا بخيل (٧) »

وقد تقدم قبله بسبعة أحاديث ولمسلم من حديث جابر اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فذكره بلفظ آخر ولم يذكر الفحش (١) حديث شر مافى الرجل شح هالع وجبن خالع أبو داود من حديث جابر بسند جيد (٢) حديث وما يدريك أنه شهيد فلعله كان يتكلم فيما لا يعنيه أو يبخل بما لا ينقصه أبو يعلى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف وللبيهقى فى الشعب من حديث أنس أن أمه قالت ليهنك الشهادة وهو عند الترمذى إلا أن رجلا قال له أبشر بالجنة (٣) حديث جبير بن مطعم بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفلة من حنين علقت الأعراب به الحديث البخارى وتقدم فى أخلاق النبوه (٤) حديث عمر قسم النبى صلى الله عليه وسلم قسما الحديث وفيه ولست بباخل ، مسلم (٥) حديث أبى سعيد فى الرجلين اللذين أعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارين فلقيهما عمر فأثنيا وقالا معروفا الحديث وفيه ويأبى الله لى البخل رواه أحمد وأبو يعلى والبزار نحوه ولم يقل أحمد إنهما سألاه ثمن بعير ورواه البزار من رواية أبى سعيد عن عمر ورجال أسانيدهم ثقات (٦) حديث ابن عباس الجود من جود الله فجدوا يجد الله لكم الحديث بطوله ذكره صاحب الفردوس ولم يخرجه ولده فى مسنده ولم أقف له على إسناد (٧) حديث السخاء شجرة تنبت فى الجنة فلا يلج فى الجنة إلا سخى الحديث تقدم دون قوله فلا يلج فى الجنة إلى آخره وذكره بهذه الزيادة صاحب الفردوس من حديث على ولم يخرجه ولده فى مسنده .

نفسه لأن فيه خلقا من أخلاق الصمدية وأيضا لأنه من أعمال السر من قبيل التروك لايطلع عليه أحد إلا الله وقيل فى تفسير قوله تعالى ـ السائحون ـ الصائمون لأنهم ساحوا إلى الله تعالى بجوعهم وعطشهم وقيل فى قوله تعالى ـ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ـ هم الصائمون لأن الصبر اسم من أسماء الصوم ويفرغ للصائم إفراغا ويجازف له مجازفة وقيل أحد الوجوه فى قوله تعالى ـ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ـ كان عملهم الصوم . وقال

وقال أبو هريرة « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد بنى لحيان من سيدكم يابنى لحيان ؟ قالوا سيدنا جدّ بن قيس إلا أنه رجل فيه بخل فقال صلى الله عليه وسلم وأى داء أدوأ من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح (١) » وفى رواية انهم قالوا «سيدنا جدّ بن قيس ، فقال بم تسودونه؟ قالوا إنه أكثر مالا وإنا على ذلك لنرى منه البخل فقال عليه السلام : وأى داء أدوأ من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله ؟ قال سيدكم بشر بن البراء» وقال علىّ رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يبغض البخيل فى حياته السخى عند موته (٢) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السخى الجهول أحبّ إلى الله من العابد البخيل (٣) » وقال أيضا قال صلى الله عليه وسلم «الشح والإيمان لا يجتمعان فى قلب عبد (٤) » وقال أيضا «خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينبغى لمؤمن أن يكون بخيلا ولا جبانا (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأى ظلم أظلم عند الله من الشح حلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل (٧) » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول : بحرمة هذا البيت إلا غفرت لى ذنبى فقال صلى الله عليه وسلم وماذنبك صفه لى فقال هو أعظم من أن أصفه لك فقال ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون فقال بل ذنبى أعظم يارسول الله قال فذنبك أعظم أم الجبال قال بل ذنبى أعظم يارسول الله قال فذنبك أعظم أم البحار قال بل ذنبى أعظم يارسول الله قال فذنبك أعظم أم السموات قال بل ذنبى أعظم يارسول الله قال فذنبك أعظم أم العرش قال بل ذنبى أعظم يارسول الله قال فذنبك أعظم أم الله قال بل الله أعظم وأعلى قال ويحك فصف لى ذنبك قال يارسول الله إنى رجل ذو ثروة من المال وإن السائل ليأتينى يسألنى فكأنما يستقبلنى بشعلة من نار فقال صلى الله عليه وسلم إليك عنى لا تحرقنى بنارك فو الذى بعثنى بالهداية والكرامة لوقمت بين الركن والمقام ثم صليت ألفى ألف عام ثم بكيت حتى تجرى من دموعك الأنهار وتسقى بها الأشجار ثم مت وأنت لئيم لأكبك الله فى النار ويحك أما علمت أن البخل كفر وأن الكفر فى النار ويحك أما علمت أن الله تعالى يقول ـ ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ـ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ـ (٨) » الآثار ، قال ابن عباس رضى الله عنهما لما خلق الله

يحيى بن معاذ إذا ابتلى المريد بكثرة الأكل بكت عليه الملائكة رحمة له ومن ابتلى بحرص الأكل فقد أحرق بنار الشهوة وفى نفس ابن آدم ألف عضو من الشر كلها فى كف الشيطان متعلق بها فاذا جوع بطنه وأخذ حلقه وراض نفسه يبس كل عضو أو احترق بنار الجوع وفرّ الشيطان من ظله وإذا أشبع بطنه وترك حلقه فى لذائذ الشهوات فقد رطب أعضاءه وأمكن الشيطان ، والشبع نهر فى النفس ترده الشياطين والجوع نهر فى الروح ترده الملائكة وينهزم الشيطان من جائع نائم فكيف إذا كان

---

(١) حديث أبى هريرة من سيدكم يابنى لحيان قالوا سيدنا جدّ بن قيس الحديث الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم بلفظ يابنى سلمة وقال سيدكم بشر بن البراء وأما الرواية التى قال فيها سيدكم عمرو ابن الجموح فرواها الطبرانى فى الصغير من حديث كعب بن مالك باسناد حسن (٢) حديث على إن الله ليبغض البخيل فى حياته السخى عند موته ذكره صاحب الفردوس ولم يخرجه ولده فى مسنده ولم أجد له إسنادا (٣) حديث أبى هريرة السخى الجهول أحبّ إلى الله من العابد البخيل الترمذى بلفظ والجاهل سخى وهو بقية حديث إن السخى قريب من الله وقد تقدم (٤) حديث أبى هريرة لا يجتمع الشح والإيمان فى قلب عبد النسائى وفى إسناده اختلاف (٥) حديث خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن الحديث الترمذى من حديث أبى سعيد وقد تقدم (٦) حديث لا ينبغى لمؤمن أن يكون جبانا ولا بخيلا لم أره بهذا اللفظ (٧) حديث يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأى ظلم أظلم من الشح الحديث وفيه لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل لم أجده بتمامه وللترمذى من حديث أبى بكر لا يدخل الجنة بخيل وقد تقدم (٨) حديث كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقوم بحرمة هذا البيت إلا غفرت لى الحديث فى ذم البخل وفيه قال إليك عنى لا تحرقنى بنارك الحديث بطوله وهو باطل لا أصل له .

جنة عدن قال لها تزيني فتزينت ، ثم قال لها أظهري أنهارك فأظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان أنهار الخمر وأنهار العسل واللبن ثم قال لها أظهري سرورك وحجالك وكراسيك وحليك وحلالك وحور عينك فأظهرت فنظر إليها فقال تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال الله تعالى وعزتي لا أسكنك بخيلا . وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز : أف للبخيل لو كان البخل قميصا مالبسته ولو كان طريقا ما سلكته ، وقال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: إنا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء لكننا نتصبر ، وقال محمد بن المنكدر كان يقال : إذا أراد الله بقوم شرا أمر عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدي بخلائهم ، وقال علي كرم الله وجهه في خطبته إنه سيأتي على الناس زمان عضوض يعض الموسر على ما في يده ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ـ ولا تنسوا الفضل بينكم ـ وقال عبدالله بن عمرو الشح أشد من البخل لأن الشحيح هو الذي يشح على ما في يد غيره حتى يأخذه ويشح بما في يده فيحبسه والبخيل هو الذي يبخل بما في يده . وقال الشعبي لا أدري أيهما أبعد غورا في نار جهنم البخل أو الكذب . وقيل ورد على أنو شروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تكلم فقال خير الناس من ألفى سخيا وعند الغضب وقورا وفي القول متأنيا وفي الرفعة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا ، وقام الرومي فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح وأهل الكذب مذمومون وأهل النميمة يموتون فقراء ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه . وقال الضحاك في قوله تعالى ـ إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا ـ قال البخل أمسك الله تعالى أيديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى ، وقال كعب : ما من صباح إلا وقد وكل به ملكان يناديان اللهم عجل لممسك تلفا وعجل لمنفق خلفا . وقال الأصبعي سمعت أعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينه وكأنما يرى السائل ملك الموت إذا أتاه . وقال أبو حنيفة رحمه الله لا أرى أن أعدل بخيلا لأن البخل يحمله على الاستقصاء فيأخذ فوق حقه خيفة من أن يغبن فمن كان هكذا لا يكون مأمون الأمانة . وقال علي كرم الله وجهه : والله ما استقصى كريم قط حقه . قال الله تعالى ـ عرف بعضه وأعرض عن بعض ـ وقال الجاحظ ما بقي من اللذات إلا ثلاث ذم البخلاء وأكل القديد وحك الجرب . وقال بشر بن الحرث البخيل لا غيبة له قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنك إذا لبخيل [1] » . « ومدحت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة قوامة إلا أن فيها بخلا قال فما خيرها إذا [2] » وقال بشر : النظر إلى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين ، وقال يحيى بن معاذ : ما في القلب للأسخياء إلا حب ولو كانوا فجارا وللبخلاء إلا بغض ولو كانوا أبرارا . وقال ابن المعتز أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه . ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام إبليس في صورته فقال له يا إبليس : أخبرني بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك قال أحب الناس إلي المؤمن البخيل وأبغض الناس إلي الفاسق السخي قال له لم قال لأن البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي أتخوف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا أنك يحيى لما أخبرتك .

(حكايات البخلاء)

قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم إليه طباهجة بيض فأكل منه فأكثر

(١) حديث انك لبخيل [١] (٢) حديث مدحت امرأة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة قوامة إلا أن فيها بخلا الحديث تقدم في آفات اللسان .

[١] قول العراقي إنك لبخيل ، هكذا بالنسخ من غير ذكر راو ولم يخرجه الشارح أيضا فلينظر اهـ .

قائما ويعانق الشيطان شبعانا قائما فكيف إذا كان نائما فقلب المريد الصادق يصرخ إلى الله تعالى من طلب النفس الطعام والشراب دخل رجل إلى الطيالسي وهو يأكل خبزا يابسا قد بله بالماء مع ملح جريش فقال له كيف تشتهي هذا قال أدعه حتى أشتهيه وقيل من أسرف في مطعمه ومشربه يعجل الصغار والذل إليه في دنياه قبل آخرته وقال بعضهم الباب العظيم الذي يدخل منه إلى الله تعالى قطع الغذاء وقال بشر إن الجوع يصفي الفؤاد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق وقال ذو النون ما أكلت حتى شبعت

وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوى فلما جهده الأمر وصف حاله للطبيب فقال لا بأس عليك : تقيأ ما أكلت فقال هاء أتقيأ طباهجة بيض الموت ولا ذلك، وقيل أقبل أعرابي يطاب رجلا وبين يديه تين فغطى التين بكسائه فجلس الأعرابي فقال له الرجل هل تحسن من القرآن شيئا قال نعم فقرأ والزيتون وطور سينين فقال وأين التين قال هو تحت كسائك . ودعا بعض أخاله ولم يطعمه شيئا فحبسه إلى العصر حتى اشتد جوعه وأخذه مثل الجنون فأخذ صاحب البيت العود وقال له بحياتي أي صوت تشتهي أن أسمعك قال صوت القلي . ويحكى أن محمد بن يحيى ابن خالد بن برمك كان بخيلا قبيح البخل فسئل نسيب له كان يعرفه عنه فقال له قائل صف لي مائدته فقال هي فتر في فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش قيل فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قال فما يأكل معه أحد قال بلى الذباب فقال سوأتك بدت وأنت خاص به وثوبك مخرق قال أنا والله ما أقدر على إبرة أخيطه بها ولو ملك محمد بيتا من بغداد إلى النوبة مملوءا إبرا ثم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي عليه السلام يطلبون منه إبرة ويسألونه إعارتهم إياها ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل . ويقال كان مروان بن أبي حفصة لا يأكل اللحم بخلا حتى يقرم إليه فإذا قرم إليه أرسل غلامه فاشترى له رأسا فأكله فقيل له نراك لا تأكل إلا الرءوس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك قال نعم الرأس أعرف سعره فآمن خيانة الغلام ولا يستطيع أن يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه إن مس عينا أو أذنا أو خدا وقفت على ذلك وآكل منه ألوانا عينه لونا وأذنه لونا ولسانه لونا وغلصمته لونا ودماغه لونا وأكفي مؤنة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق وخرج يوما يريد الخليفة المهدي فقالت له امرأة من أهله مالي عليك إن رجعت بالجائزة فقال إن أعطيت مائة ألف أعطيتك درهما فأعطي ستين ألفا فأعطاها أربعة دوانق واشترى مرة لحما بدرهم فدعاء صديق له فرد اللحم إلى القصاب بنقصان دانق وقال أكره الاسراف ، وكان للأعمش جار وكان لا يزال يعرض عليه المنزل ويقول : لو دخلت فأكلت كسرة وملحا فيأبى عليه الأعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الأعمش فقال سربنا فدخل منزله فقرب إليه كسرة وملحا فجاء سائل فقال له رب المنزل بورك فيك فأعاد عليه المسئلة فقال له بورك فيك فلما سأل الثالثة قال له اذهب وإلا والله خرجت إليك بالعصا قال فناداه الأعمش وقال اذهب ويحك فلا والله ما رايت أحدا أصدق مواعيد منه هو منذ مدة يدعوني على كسرة وملح فوالله ما زادني عليهما .

(بيان الإيثار وفضله)

اعلم أن السخاء والبخل كل منهما ينقسم إلى درجات فأرفع درجة السخاء الإيثار وهو أن يجود بالمال مع الحاجة إليه وإنما السخاء عبارة عن بذل ما يحتاج إليه لمحتاج أو لغير محتاج والبذل مع الحاجة أشد وكما أن السخاوة قد تنتهي إلى أن يسخو الانسان على غيره مع الحاجة فالبخل قد ينتهي إلى أن يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها إلا البخل بالثمن ولو وجدها مجانا لأكلها ، فهذا بخيل على نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر على نفسه غيره مع أنه محتاج إليه فانظر ما بين الرجلين فان الأخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الإيثار درجة في السخاء ، وقد أثنى الله على الصحابة رضي الله عنهم به فقال ـ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ـ وقال النبي صلى الله عليه وسلم «أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له (١)» وقالت عائشة رضي الله عنها « ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية

ولا شربت حتى رويت إلا عصيت الله أو هممت بمعصية. وروى القاسم ابن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان يأتي علينا الشهر ونصف شهر ما تدخل بيتنا نار لا لمصباح ولا لغيره قال قلت سبحان الله فبأي شيء كنتم تعيشون قالت بالتمر والماء وكان لنا جيران من الأنصار جزاهم الله خيرا كانت لهم منائح فربما واسونا بشيء . وروى أن حفصة بنت عمر رضي الله عنهما قالت لأبيها إن الله قد أوسع الرزق فلو أكلت طعاما أكثر من طعامك ولبست ثيابا ألين من ثيابك فقال إني أخاصمك إلى نفسك

(١) حديث أيما رجل اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له ابن حبان في الضعفاء وأبو الشيخ

حتى فارق الدنيا ولوشئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا (١) » ونزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند أهله شيئا فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب بالضيف إلى أهله ثم وضع بين يديه الطعام وأمر امرأته باطفاء السراج وجعل يمدّ يده إلى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف فلما أصبح قال له رسول الله ﷺ لقد عجب الله من صنيعكم الليلة إلى ضيفكم ونزلت - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - (٢) » فالسخاء خلق من أخلاق الله تعالى والإيثار أعلى درجات السخاء ، وكان ذلك من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سماه الله تعالى عظيما فقال تعالى - وإنك لعلى خلق عظيم - وقال سهل بن عبد الله التسترى : قال موسى عليه السلام : يارب أرنى بعض درجات محمد صلى الله عليه وسلم وأمته فقال : ياموسى إنك لن تطيق ذلك ولكن أريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقى قال فكشف له عن ملكوت السموات فنظر إلى منزلة كادت تتلف نفسه من أنوارها وقربها من الله تعالى فقال يارب بماذا بلغت به إلى هذه الكرامة قال بخلق اختصصته به من بينهم وهو الإيثار ، ياموسى لا يأتينى أحد منهم قد عمل به وقتا من عمره إلا استحييت من محاسبته وبوأته من جنتى حيث يشاء . وقيل خرج عبد الله ابن جعفر إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه إذ أتى الغلام بقوته فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى إليه الغلام بقرص فأكله ثم رمى إليه الثانى والثالث فأكله وعبد الله ينظر إليه فقال ياغلام كم قوتك كلّ يوم قال مارأيت قال فلم آثرت به هذا الكلب قال ماهى بأرض كلاب إنه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت أن أشبع وهو جائع قال فما أنت صانع اليوم قال أطوى يومى هذا ، فقال عبد الله بن جعفر : ألام على السخاء إن هذا الغلام لأسخى منى فاشترى الحائط والغلام ومافيه من الآلات فأعتق الغلام ووهبه منه ، وقال عمر رضى الله عنه : أهدى إلى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال : إن أخى كان أحوج منى إليه فبعث به إليه فلم يزل كل واحد يبعث به الى آخر حتى تداوله سبعة أبيات ورجع الى الأوّل ، وبات علىّ كرّم الله وجهه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله تعالى الى جبريل وميكائيل عليهما السلام : انى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختارا كلاهما الحياة وأحباها ، فأوحى الله عزوجل اليهما أفلا كنتما مثل علىّ بن أبى طالب آخيت بينه وبين نبى محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوّه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل عليه السلام يقول بخ بخ من مثلك ياابن أبى طالب والله تعالى يباهى بك الملائكة فأنزل الله تعالى - ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد - (٣) وعن أبى الحسن الأنطاكى أنه اجتمع

ألم يكن من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا يقول مرارا فبكت فقال قد أخبرتك والله لأشاركنه فى عيشه الشديد لعلى أصيب عيشة الرخاء . وقال بعضهم مانخلت لعمر دقيقا إلا وأنا له عاص . وقالت عائشة رضى الله عنها: ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام من خبز برّ حتى مضى لسبيله . وقالت عائشة رضى الله عنها : أدعوا قرع باب الملكوت يفتح لكم قالوا كيف ندعو قالت بالجوع والعطش والظمأ . وقيل ظهر إبليس ليحيى بن زكريا عليهما السلام وعليه معاليق فقال ماهذه قال

فى الثواب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد تقدّم (١) حديث عائشة ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متواليات ولوشئنا لشبعنا ولكنا نؤثر على أنفسنا البيهقى فى الشعب بلفظ ولكنه كان يؤثر على نفسه وأوّل الحديث عند مسلم بلفظ ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز برّ حتى مضى لسبيله وللشيخين ماشبع آل محمد منذ قدم المدينة ثلاث ليال تباعا حتى قبض ، زاد مسلم من طعام (٢) حديث نزل به ضيف فلم يجد عند أهله شيئا فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب به الى أهله الحديث فى نزول قوله تعالى - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - متفق عليه من حديث أبى هريرة (٣) حديث بات علىّ على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله الى جبريل وميكائيل انى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر

عنده نيف وثلاثون نفسا وكانوا فى قرية بقرب الرى ولهم أرغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام بحاله ولم يأكل أحد منه شيئا إيثارا لصاحبه على نفسه . وروى أن شعبة جاءه سائل وليس عنده شئ فنزع خشبة من سقف بيته فأعطاه ثم اعتذر إليه . وقال حذيفة العدوى انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى ومعى شئ من ماء وأنا أقول إن كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا أنا به فقلت أسقيك فأشار إلىّ أن نعم فاذا رجل يقول آه فأشار ابن عمى إلىّ أن انطلق به إليه فجئته فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فسمع به آخر فقال آه فأشار هشام انطلق به إليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت إلى هشام فاذا هو قد مات فرجعت إلى ابن عمى فاذا هو قد مات رحمة الله عليهم أجمعين . وقال عباس بن دهقان : ماخرج أحد من الدنيا كما دخلها إلا بشر بن الحرث فانه أتاه رجل فى مرضه فشكا إليه الحاجة فنزع قميصه وأعطاه إياه واستعار ثوبا فمات فيه . وعن بعض الصوفيه قال : كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا إلى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا ظاهر الباب إذا نحن بدابة ميتة فصعدنا إلى موضع عال وقعدنا فلما نظر الكلب إلى الميته رجع إلى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجاء إلى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب فى الميتة فما زالت تأكلها وذلك الكلب قاعد ينظر إليها حتى أكلت الميتة وبقى العظم ورجعت الكلاب إلى البلد فقام ذلك الكلب وجاء إلى تلك العظام فأكل مما بقى عليها قليلا ثم انصرف ، وقد ذكرنا جملة من أخبار الإيثار وأحوال الأولياء فى كتاب الفقر والزهد فلا حاجة إلى الاعادة ههنا وبالله التوفيق وعليه التوكل فيما يرضيه عز وجل .

(بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما)

لعلك تقول قد عرف بشواهد الشرع أن البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا يصير الانسان بخيلا ؟ ومامن إنسان إلا وهو يرى نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا وقد يصدر فعل من إنسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هذا بخل ويقول آخرون ليس هذا من البخل ومامن إنسان إلا ويجد من نفسه حبا للمال ولأجله يحفظ المال ويمسكه فان كان يصير بإمساك المال بخيلا فاذا لاينفك أحد عن البخل وإذا كان الامساك مطلقا لا يوجب البخل ولامعنى للبخل إلا الامساك فما الذى يوجب الهلاك وما حد السخاء الذى يستحق به العبد صفة السخاوة وثوابها فنقول : قد قال قائلون حد البخل منع الواجب فكل من أدى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم مثلا إلى القصاب والخبز للخباز بنقصان حبة أو نصف حبة فانه يعد بخيلا بالاتفاق وكذلك من يسلم إلى عياله القدر الذى يفرضه القاضى ثم يضايقهم فى لقمة ازدادوها عليه أو تمرة أكلوها من ماله يعد بخيلا ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن أنه يأكل معه فأخفاه عنه عد بخيلا وقال قائلون : البخيل هو الذى يستصعب العطية وهو أيضا قاصر فانه إن أريد به أنه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوق ذلك وإن أريد به أنه يستصعب بعض العطايا فما من جواد إلا وقد يستصعب بعض العطايا وهو مايستغرق جميع ماله أو المال العظيم فهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا فى الجود فقيل الجود عطاء بلا من وإسعاف من غير روية . وقيل الجود عطاء

الشهوات التى أصيب بها ابن آدم قال هل تجد لى فيها شهوة قال لاغير أنك شبعت ليلة فثقلناك عن الصلاة والذكر فقال لا جرم إنى لا أشبع أبدا قال إبليس لاجرم إنى لاأنصح أحدا أبدا . وقال شقيق العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلاتها الجوع . وقال لقمان لابنه إذا ملئت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة . وقال الحسن لاتجمعوا بين الأدمين فانه من طعام المنافقين وقال بعضهم أعوذ بالله من زاهد قد أفسدت معدته ألوان الأغذية فيكره للمريد أن يوالى فى الإفطار أكثر

الحديث فى نزول قوله تعالى ـ ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله ـ أحمد مختصرا من حديث ابن عباس شرى على نفسه فلبس ثوب النبى صلى الله عليه وسلم ثم نام مكانه الحديث وليس فيه ذكر جبريل وميكائيل ولم أقف لهذه الزيادة على أصل ، وفيه أبو بلج مختلف فيه والحديث منكر .

من غير مسألة على رؤية التقليل . وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما أمكن وقيل الجود عطاء على رؤية أن المال لله تعالى والعبد لله عز وجل فيعطى عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر وقيل من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب إيثار ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل، وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة الجود والبخل بل نقول : المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن إمساكه عن الصرف إلى ماخلق للصرف إليه ويمكن بذله بالصرف إلى مالا يحسن الصرف إليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالإمساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط وهو المحمود وينبغى أن يكون السخاء والجود عبارة عنه إذ لم يؤمر رسول الله ﷺ إلا بالسخاء وقد قيل له ـ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ـ وقال تعالى ـ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ـ فالجود وسط بين الاسراف والاقتار وبين البسط والقبض وهو أن يقدر بذله وإمساكه بقدر الواجب ولا يكفى أن يفعل ذلك بجوارحه مالم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه فان بذل فى محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخ وليس بسخى بل ينبغى أن لايكون لقلبه علاقة مع المال إلا من حيث يراد المال له وهو صرفه إلى مايجب صرفه إليه . فان قلت فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذى يجب بذله . فأقول: إن الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروءة والعادة والسخى هو الذى لايمنع واجب الشرع ولا واجب المروءة فان منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذى يمنع واجب الشرع أبخل كالذى يمنع أداء الزكاة ويمنع عياله وأهله النفقة أو يؤديها ولكنه يشق عليه فانه بخيل بالطبع وإنما يتسخى بالتكلف أو الذى يتيمم الخبيث من ماله ولايطيب قلبه أن يعطى من أطيب ماله أومن وسطه فهذا كله بخل . وأما واجب المروءة فهو ترك المضايقة والاستقصاء فى المحقرات فان ذلك مستقبح واستقباح ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص فمن كثر ماله استقبح منه مالا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل المضايقة مع أهله وأقاربه ومماليكه مالا يستقبح مع الأجانب ويستقبح من الجار مالا يستقبح مع البعيد ويستقبح فى الضيافة من المضايقة مالا يستقبح فى المعاملة فيختلف ذلك بما فيه من المضايقة فى ضيافة أو معاملة وبما به المضايقة من طعام أو ثوب إذ يستقبح فى الأطعمة مالا يستقبح فى غيرها ويستقبح فى شراء الكفن مثلا أو شراء الأضحية أو شراء خبز الصدقة مالا يستقبح فى غيره من المضايقة وكذلك بمن معه المضايقة من صديق أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولد أو أجنبى وبمن منه المضايقة من صبى أو امرأة أو شيخ أو شاب أو عالم أو جاهل أو موسر أو فقير فالبخيل هو الذى يمنع حيث ينبغى أن لايمنع إما بحكم الشرع وإما بحكم المروءة وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد البخل هو إمساك المال عن غرض ذلك الغرض هو أهم من حفظ المال فان صيانة الدين أهم من حفظ المال فمانع الزكاة والنفقة بخيل وصيانة المروءة أهم من حفظ المال والمضايق فى الدقائق مع من لا تحسن المضايقة معه هاتك ستر المروءة لحب المال فهو بخيل ثم تبقى درجة أخرى وهو أن يكون الرجل ممن يؤدى الواجب ويحفظ المروءة ولكن معه مال كثير قد جمعه ليس يصرفه إلى الصدقات وإلى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجاته فى الآخرة وإمساك المال عن هذا الغرض بخل عند الأكياس وليس ببخل عند عوام الخلق ، وذلك لأن نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون إمساكه لدفع نوائب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام أيضا

من أربعة أيام فان النفس عند ذلك تركن إلى العادة وتتسع بالشهوة . وقيل الدنيا بطنك فعلى قدر زهدك فى بطنك زهدك فى الدنيا . وقال عليه السلام « ماملأ آدمى وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لامحالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » وقال فتح الموصلى : صحبت ثلاثين شيخا كل يوصينى عند مفارقتى إياه بترك عشرة الأحداث وقلة الأكل .

سمة البخل عليه إن كان فى جواره محتاج فمنعه وقال قد أديت الزكاة الواجبة وليس على غيرها ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاح دينه واستحقاقه فمن أدى واجب الشرع وواجب المروءة اللائقة به فقد تبرأ من البخل ، نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء مالم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات فاذا اتعست نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا تتوجه إليه الملامة فى العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس أجود من بعض فاصطناع المعروف وراء ماتوجبه العادة والمروءة هو الجود ولكن بشرط أن يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أوثناء فان من طمع فى الشكر والثناء فهو يباع وليس بجواد فانه يشترى المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود فى نفسه والجود هو بذل الشىء من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك إلا من الله تعالى وأما الآدمى فاسم الجود عليه مجاز إذ لا يبذل الشىء إلا لغرض ولكنه إذا لم يكن غرضه إلا الثواب فى الآخرة أو اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا فان كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلا أو من ملامة الخلق أو مايتوقعه من نفع يناله من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لأنه مضطر إليه بهذه البواعث وهى أعواض معجلة له عليه فهو معتاض لا جواد كما روى عن بعض المتعبدات أنها وقفت على حبان بن هلال وهو جالس مع أصحابه فقالت هل فيكم من أسأله عن مسألة فقالوا لها سلى عماشئت وأشاروا إلى حبان بن هلال فقالت ماالسخاء عندكم قالوا العطاء والبذل والايثار قالت هذا السخاء فى الدنيا فما السخاء فى الدين قالوا أن نعبد الله سبحانه سخية بها أنفسنا غير مكرهة قالت فتريدون على ذلك أجرا ؟ قالوا نعم قالت وإقالوا الأن الله تعالى وعدنا بالحسنة عشر أمثالها. قالت سبحان الله فاذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرة فبأى شىء تسخيتم عليه قالوا لها فما السخاء عندك يرحمك الله قالت السخاء عندى أن تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك أجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم مايشاء ألا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئا بشىء إن هذا فى الدنيا لقبيح وقالت بعض المتعبدات أتحسبون أن السخاء فى الدرهم والدينار فقط قيل ففيم قالت السخاء عندى فى المهج وقال المحاسبى السخاء فى الدين أن تسخو بنفسك تتلفها لله عز وجل ويسخو قلبك ببذل مهجتك وإهراق دمك لله تعالى بسماحة من غير إكراه ولا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وإن كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على ظنك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذى يفعل لك مالا تحسن أن تختار لنفسك.

(بيان علاج البخل)

اعلم أن البخل سببه حب المال وحب المال سببان : أحدهما حب الشهوات التى لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل فان الانسان لو علم أنه يموت بعد يوم ربما أنه كان لا يبخل بماله إذ القدر الذى يحتاج إليه فى يوم أو فى شهر أو فى سنة قريب وإن كان قصير الأمل ولكن كان له أولاد أقام الولد مقام طول الأمل فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لأجلهم ولذلك قال عليه السلام « الولد مبخلة مجبنة مجهلة (١) » فاذا انضاف إلى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجىء الرزق قوى البخل لا محالة. السبب الثانى : أن يحب عين المال فمن الناس من معه مايكفيه لبقية عمره إذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته وتفضل آلاف وهو شيخ بلا ولد ومعه أموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكاة ولا بمداواة نفسه عند

الصوفية كانوا يدمون الصوم فى السفر والحضر على الدوام حتى لحقوا بالله تعالى . وكان أبو عبد الله بن جابار قد صام نيفا وخمسين سنة لا يفطر فى السفر والحضر فجهد به أصحابه يوما فأفطر فاعتل من ذلك أياما فاذا رأى المريد صلاح قلبه فى دوام الصوم فليصم دائما ويدع للافطار جانبا فهو عون حسن له على ما يريد . روى أبو موسى الأشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام الدهر ضيقت عليه جهنم هكذا وعقد تسعين » أى لم يكن له فيها موضع وكره قوم صوم الدهر وقد ورد

(١) حديث الولد مبخلة زاد فى رواية محزنة ابن ماجه من حديث يعلى بن مرة دون قوله محزنة رواه بهذه الزيادة أبو يعلى والبزار من حديث أبى سعيد والحاكم من حديث الأسود بن خلف وإسناده صحيح.

المرض بل صار محبا للدنانير عشقا لها يلتذ بوجودها فى يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الأرض وهو يعلم أنه يموت فتضيع أو يأخذها أعداؤه ومع هذا فلا تسمح نفسه بأن يأكل أو يتصدق منها بحبة واحدة وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج لا سيما فى كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فأحب رسوله لنفسه ثم نسى محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول يبلغ إلى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لأن الموصل إلى اللذيذ لذيذ ثم قد تنسى الحاجات ويصير الذهب عنده كأنه محبوب فى نفسه وهو غاية الضلال بل من رأى بينه وبين الحجر فرقا فهو جاهل إلا من حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه أسباب حب المال وإنما علاج كل علة بمضادة سببها فتعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر وتعالج طول الأمل بكثر ذكر الموت والنظر فى موت الأقران وطول تعبهم فى جمع المال وضياعه بعدهم وتعالج التفات القلب إلى الولد بأن خالقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من أبيه مالا وحاله أحسن ممن ورث وبأن يعلم أنه يجمع المال لولده ويريد أن يترك ولده بخير وينقلب هو إلى شر وأن ولده إن كان تقيا صالحا فالله كافيه وإن كان فاسقا فيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته إليه ويعالج أيضا قلبه بكثرة التأمل فى الأخبار الواردة فى ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله به على البخل من العقاب العظيم ومن الأدوية النافعة كثرة التأمل فى أحوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم له فانه ما من بخيل إلا ويستقبح البخل من غيره ويستثقل كل بخيل من أصحابه فيعلم أنه مستثقل ومستقذر فى قلوب الناس مثل سائر البخلاء فى قلبه ويعالج أيضا قلبه بأن يتفكر فى مقاصد المال وأنه لماذا خلق ولا يحفظ من المال إلا بقدر حاجة إليه والباقى يدخره لنفسه فى الآخرة بأن يحصل له ثواب بذله فهذه الأدوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الامساك فى الدنيا والآخرة هاجت رغبته فى البذل إن كان عاقلا فان تحركت الشهوة فينبغى أن يجيب الخاطر الأول ولا يتوقف فان الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه . حكى أن أبا الحسن البوشنجى كان ذات يوم فى الخلاء فدعا تلميذا له وقال انزع عنى القميص وادفعه إلى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم آمن على نفسى أن تتغير وكان قد خطر لى بذله ولا تزول صفة البخل إلا بالبذل تكلفا كما لا يزول العشق إلا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى إذا سافر وفارق تكلفا وصبر عنه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذى يريد علاج البخل ينبغى أن يفارق المال تكلفا بأن يبذله بل لو رماه فى الماء كان أولى به من إمساكه إياه مع الحب له ومن لطائف الحيل فيه أن يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا فى حشمة الجود فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث الرياء ولكن ينعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما قد يسلى الصبى عند الفطام عن الثدى باللعب بالعصافير وغيرها لا ليخلى واللعب ولكن لينفك عن الثدى إليه ثم ينقل عنه إلى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغى أن يسلط بعضها على بعض كما تسلط الشهوة على الغضب وتكسر سورته بها ويسلط الغضب على الشهوة وتكسر رعونتها به إلا أن هذا مفيد فى حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الأقوى بالأضعف فان كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فائدة فيه فانه يقلع من علة ويزيد فى أخرى مثلها إلا أن علامة ذلك أن لا يثقل عليه البذل لأجل الرياء فبذلك يتبين أن الرياء أغلب عليه فان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغى أن يبذل فان ذلك يدل على أن مرض البخل أغلب على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال إن الميت تستحيل جميع أجزائه دودا ثم يأكل بعض الديدان البعض حتى يقل عددها

فى ذلك ما رواه أبو قتادة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بمن صام الدهر قال «لا صام ولا أفطر» وأول قوم أن صوم الدهر هو أن لا يفطر العيدين وأيام التشريق فهو الذى يكره وإذا أفطر هذه الأيام فليس هو الصوم الذى كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من كان يصوم يوما ويفطر يوما وقد ورد «أفضل الصيام صوم أخى داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما» واستحسن ذلك قوم من الصالحين ليكون بين حال الصبر وحال الشكر . ومنهم من كان يصوم يومين ويفطر يوما أو يصوم

ثم يأكل بعضها بعضا حتى ترجع إلى اثنتين قويتين عظيمتين ثم لاتزالان تتقاتلان إلى أن تغلب إحداهما الأخرى فتأكلها وتسمن بها ثم لاتزال تبقى جائعة وحدها إلى أن تموت فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن أن يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها ويجعل الأضعف قوتا للأقوى إلى أن لايبقى إلا واحدة ثم تقع العناية بمحوها وإذابتها بالمجاهدة وهو منع القوت عنها ومنع القوت عن الصفات أن لايعمل بمقتضاها فانها تقتضى لامحالة أعمالا وإذا خولفت خمدت الصفات وماتت مثل البخل فانه يقتضى إمساك المال فاذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد أخرى ماتت صفة البخل وصار البذل طبعا وسقط التعب فيه فان علاج البخل بعلم وعمل فالعلم يرجع إلى معرفة آفة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع إلى الجود والبذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمى ويصم فيمنع تحقق المعرفة فيه وإذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة مزمنة كالمرض الذى يمنع معرفة الدواء وإمكان استعماله فانه لاحيلة فيه إلا الصبر إلى الموت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية فى معالجة علة البخل فى المريدين أن يمنعهم من الاختصاص بزواياهم وكان إذا توهم فى مريد فرحه بزاويته ومافيها نقله إلى زاوية غيرها ونقل زاوية غيره إليه وأخرجه عن جميع ماملكه وإذا رآه يلتفت إلى ثوب جديد يلبسه أوسجادة يفرح بها يأمره بتسليمها إلى غيره ويلبسه ثوبا خلقا لايميل إليه قلبه فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل أنس بالدنيا وأحبها فان كان له ألف متاع كان له ألف محبوب ولذلك إذا سرق كل واحد منه ألمت به مصيبة بقدر حبه له فاذا مات نزل به ألف مصيبة دفعة واحدة لأنه كان يحب الكل وقد سلب عنه بل هو فى حياته على خطر المصيبة بالفقد والهلاك . حمل إلى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم يرله نظير ففرح الملك بذلك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال أراه مصيبة أوفقرا قال كيف قال إن كسر كان مصيبة لاجبر لها وإن سرق صرت فقيرا إليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل أن يحمل إليك فى أمن من المصيبة والفقر ثم اتفق يوما أن كسر أوسرق وعظمت مصيبة الملك عليه فقال صدق الحكيم ليته لم يحمل إلينا وهذا شأن جميع أسباب الدنيا فان الدنيا عدوة لأعداء الله إذ تسوقهم إلى النار وعدوة أولياء الله إذ تعمهم بالصبر عنها وعدوة الله إذا تقطع طريقه على عباده وعدوة نفسها فانها تأكل نفسها فان المال لايحفظ إلا بالخزائن والحراس والخزائن والحراس لايمكن تحصيلها إلا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير فالمال يأكل نفسه ويضاد ذاته حتى يفنى ومن عرف آفة المال لم يأنس به ولم يفرح به ولم يأخذ منه إلا بقدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لأن ما أمسكه لحاجته فليس ببخل ولا يحتاج إليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله بل كالماء على شط الدجلة إذ لايبخل به أحد لقناعة الناس منه بمقدار الحاجة.

(بيان مجموع الوظائف التى على العبد فى ماله)

اعلم أن المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حية يأخذها الراقى ويستخرج منها الترياق ويأخذها الغافل فيقتله سمها من حيث لايدرى ولايخلو أحد عن سم المال إلا بالمحافظة على خمس وظائف . الأولى : أن يعرف مقصود المال وأنه لماذا خلق وأنه لم يحتج إليه حتى يكتسب ولا يحفظ إلا قدر الحاجة ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه . الثانية: أن يراعى جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام كمال السلطان ويجتنب الجهات المكروهة القادحة فى المروءة كالهدايا التى فيها شوائب الرشوة وكالسؤال الذى فيه الذلة وهتك المروءة ومايجرى مجراه . الثالثة : فى المقدار الذى يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم ولكل واحد ثلاث درجات أدنى وأوسط وأعلى ومادام مائلا إلى جانب القلة ومتقربا من حد

يوما ويفطر يومين ومنهم من كان يصوم يوم الاثنين والخميس والجمعة . وقيل : كان سهل بن عبدالله يأكل فى كل خمسة عشر يوما مرة وفى رمضان يأكل أكلة واحدة وكان يفطر بالماء القراح للسنة . وحكى عن الجنيد أنه كان يصوم على الدوام فاذا دخل عليه إخوانه أفطر معهم ويقول ليس فضل المساعدة مع الاخوان بأقل من فضل الصوم غير أن هذا الافطار يحتاج إلى علم فقد يكون الداعى إلى ذلك شره النفس لانية للموافقة وتخليص النية لمحض الموافقة مع وجود شره النفس صعب ، وسمعت شيخا

الضرورة كان حقا ويجيء من جملة المحققين وإن جاوز ذلك وقع فى هاوية لا آخر لعمقها وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات فى كتاب الزهد . الرابعة : أن يراعى جهة المخرج ويقتصد فى الانفاق غير مبذر ولا مقتر كما ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله فى حقه ولا يضعه فى غير حقه فان الاثم فى الأخذ من غير حقه والوضع فى غير حقه سواء . الخامسة : أن يصلح نيته فى الأخذ والترك والانفاق والامساك فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له إذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال على رضى الله عنه لو أن رجلا أخذ جميع ما فى الأرض وأراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى فليس بزاهد فلتكن جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة أو ما يعين على العبادة فان أبعد الحركات عن العبادة الأكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة فاذا كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة فى حقك وكذلك ينبغى أن تكون نيتك فى كل ما يحفظك من قميص وإزار وفراش وآنية لأن كل ذلك مما يحتاج إليه فى الدين وما فضل من الحاجة ينبغى أن يقصد به أن ينتفع به عبد من عباد الله ولا يمنعه منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذى أخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا تضره كثرة المال ولكن لا يتأتى ذلك إلا لمن رسخ فى الدين قدمه وعظم فيه علمه والعامى إذا تشبه بالعالم فى الاستكثار من المال وزعم أنه يشبه أغنياء الصحابة شابه الصبى الذى يرى المعزم الحاذق يأخذ الحية ويتصرف فيها فيخرج ترياقها فيقتدى به ويظن أنه أخذها مستحسنا صورتها وشكلها ومستلينا جلدها فيأخذها اقتداء به فتقتله فى الحال إلا أن قتيل الحية يدرى أنه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية فقيل :

هى دنيا كحية تنفث السم وإن كانت المجسة لانت

وكما يستحيل أن يتشبه الأعمى بالبصير فى تخطى قلل الجبال وأطراف البحر والطرق المشوكة فمحال أن يتشبه العامى بالعالم الكامل فى تناول المال .

(بيان ذم الغنى ومدح الفقر)

اعلم أن الناس قد اختلفوا فى تفضيل الغنى الشاكر على الفقير الصابر وقد أوردنا ذلك فى كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكنا فى هذا الكتاب ندل أن الفقر أفضل وأعلى من الغنى على الجملة من غير التفات إلى تفصيل الأحوال ونقتصر فيه على حكاية فصل ذكره الحرث المحاسبى رضى الله عنه فى بعض كتبه فى الرد على بعض العلماء من الأغنياء حيث احتج بأغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم والمحاسبى رحمه الله حبر الأمة فى علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال وأغوار العبادات وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه وقد قال بعد كلام له فى الرد على علماء السوء : بلغنا أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فياسوء ما تحكمون تتوبون بالقول والأمانى وتعملون بالهوى وما يغنى عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل فى صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضى من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم إن قلوبكم تبكى من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم بصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأى الناس أخسر منكم لو تعلمون ويلكم حتام تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون فى محل المتحيرين

يقول لى سنين ما أكلت شيئا بشهوة نفس ابتداء واستدعاء بل يقدم إلىّ الشيء فأراه من فضل الله ونعمته وفعله فأوافق الحق فى فعله . وذكر أنه فى ذات يوم اشتهى الطعام ولم يحضر من عادته تقديم الطعام إليه قال ففتحت باب البيت الذى فيه الطعام وأخذت رمانة لآكلها فدخلت السنور وأخذت دجاجة كانت هناك فقلت هذا عقوبة لى على تصرفى فى أخذ الرمانة . ورأيت الشيخ أبا السعود رحمه الله يتناول الطعام فى اليوم مرات أى وقت أحضر الطعام أكل منه ويرى أن تناوله للطعام موافقة الحق لأن حاله مع الله كان ترك الاختيار فى مأكوله وملبوسه

كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغنى عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لايغنى عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة متعطلة ياعبيد الدنيا لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام توشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلمكم إلى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم . ثم قال الحرث رحمه الله إخوانى فهؤلاء علماء السوء شياطين الإنس وفتنة على الناس رغبوا فى عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم فى العاجل عار وشين وفى الآخرة هم الخاسرون أو يعفو الكريم بفضله [وبعد] فانى رأيت الهالك المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص فيتفجر عنه أنواع الهموم وفنون المعاصى وإلى البوار والتلف مصيره فرح الهالك برجائه فلم تبق له دنياه ولم يسلم له دينه ـ خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ـ فيالها من مصيبة ما أفظعها ورزية ما أجلها ألا فراقبوا الله إخوانى ولا يغرنكم الشيطان وأولياؤه الآنسين بالحجج الداحضة عند الله فانهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لأنفسهم المعاذير والحجج ويزعمون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم أموال فيتزين المغرورون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون ويحك أيها المفتون إن احتجاجك بمال عبد الرحمن ابن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك فتهلك لأنك متى زعمت أن أخيار الصحابة أرادو المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه فقد ازدريت محمدا والمرسلين ونسبتهم إلى قلة الرغبة والزهد فى هذا الخير الذى رغبت فيه أنت وأصحابك من جمع المال ونسبتهم إلى الجهل إذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى من تركه فقد زعمت أن رسول الله صلى عليه وسلم لم ينصح للأمة إذ نهاهم عن جمع المال (١) وقد علم أن جمع المال خير الأمة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد كان للأمة ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رؤوفا ومتى زعمت أن جمع المال أفضل فقد زعمت أن الله عزوجل لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير لهم أو زعمت أن الله تعالى لم يعلم أن الفضل فى الجمع فلذلك نهاهم عنه وأنت عليم بما فى المال من الخير والفضل فلذلك رغبت فى الاستكثار كأنك أعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهلك أيها المفتون تدبر بعقلك مادهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك ماينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف وقد ود عبد الرحمن بن عوف فى القيامة أنه لم يؤت من الدنيا إلا قوتا ولقد بلغنى أنه لما توفى عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وأنفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضبا يريد كعبا فمر بعظم لحى بعير فأخذه بيده ثم انطلق يريد كعبا فقيل لكعب إن أبا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر وأقبل أبو ذر يقص الأثر فى طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من

وجميع تصاريفه وكان حاله الوقوف مع فعل الحق وقد كان له فى ذلك بداية يعز مثلها حتى نقل أنه كان يبقى أياما لا يأكل ولا يعلم أحد بحاله ولا يتصرف هو لنفسه ولا يتسبب إلى تناول شئ وينتظر فعل الحق لسياقة الرزق إليه ولم يشعر أحد بحاله مدة من الزمان ثم إن الله تعالى أظهر حاله وأقام له الأصحاب والتلامذة وكانوا يتكلفون الأطعمة ويأتون بها إليه وهو يرى فى ذلك فضل الحق والموافقة . سمعته يقول أصبح كل يوم وأحب ما إلى الصوم وينقض الحق على محبتى الصوم بفعله فأوافق الحق فى فعله . وحكى عن بعض

(١) حديث النهى عن جمع المال ابن عدى من حديث ابن مسعود ما أوحى الله إلى أن أجمع المال وأكون من التاجرين الحديث ولأبى نعيم والخطيب فى التاريخ والبيهقى فى الزهد من حديث الحارث بن سويد فى أثناء الحديث لاتجمعوا مالا تأكلون وكلاهما ضعيف .

أبى ذرّ فقال له أبو ذر هيه يا ابن اليهودية تزعم أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف ولقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو أحد وأنا معه فقال « ياأبا ذرّ فقلت لبيك يارسول الله فقال : الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ماهم ثم قال ياأباذرّ قلت نعم يارسول الله بأبى أنت وأمى ، قال مايسرّنى أن لى مثل أحد أنفقه فى سبيل الله أموت يوم أموت وأترك منه قيراطين قلت أو قنطارين يارسول الله ؟ قال بل قيراطان ثم قال ياأباذرّ أنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل (١) » فرسول الله يريد هذا وأنت تقول ياابن اليهودية لابأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه خوفا حتى خرج وبلغنا أن عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة رضى الله عنها ماهذا ؟ قيل عير قدمت لعبد الرحمن قالت صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك عبد الرحمن فسألها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنى رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيا ولم أر أحدا من الأغنياء يدخلها معهم إلا عبد الرحمن بن عوف يدخلها معهم حبوا (٢) » فقال عبد الرحمن إن العير وماعليها فى سبيل الله وإن أرقاءها أحررا لعلى أن أدخلها معهم سعيا وبلغنا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف « أما إنك أوّل من يدخل الجنه من أغنياء أمتى وما كدت أن تدخلها إلا حبوا (٣) » ويحك أيها المفتون فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن فى فضله وتقواه وصنائعه المعروف وبذله الأموال فى سبيل الله مع صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبشراه بالجنة (٤) أيضا يوقف فى عرصات القيامة وأهوالها بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف وأنفق منه قصدا وأعطى فى سبيل الله سمحا منع من السعى إلى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو فى آثارهم حبوا . فما ظنك بأمثالنا الغرقى فى فتن الدنيا وبعد فالعجب كل العجب لك يامفتون تتمرغ فى تخاليط الشبهات والسحت وتتكالب على أوساخ الناس وتتقلب فى الشهوات والزينة والمباهاة وتتقلب فى فتن الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن وتزعم

---

(١) حديث أبى ذرّ الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا الحديث متفق عليه وقد تقدم دون هذه الزيادة التى فى أوله من قول كعب حين مات عبد الرحمن بن عوف كسب طيبا وترك طيبا وإنكار أبى ذر عليه فلم أقف على هذه الزيادة إلا فى قول الحارث بن أسد المحاسبى بلغنى كما ذكره المصنف وقد رواها أحمد وأبو يعلى أخصر من هذا ولفظ كعب إذا كان قضى عنه حق الله فلابأس به فرفع أبوذر عصاه فضرب كعبا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ماأحب لو كان هذا الجبل لى ذهبا الحديث وفيه ابن لهيعة (٢) حديث عائشة رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين شطر الحديث فى أن عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا رواه أحمد مختصرا فى كون عبد الرحمن يدخل حبوا دون ذكر فقراء المهاجرين والمسلمين وفيه عمارة بن زاذان مختلف فيه الحديث (٣) حديث أنه قال أما إنك أول من يدخل الجنه من أغنياء أمتى وما كدت أن تدخلها إلا حبوا البزار من حديث أنس بسند ضعيف والحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف يا ابن عوف إنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفا وقال صحيح الإسناد قلت بل ضعيف فيه خالد بن أبى مالك ضعفه الجمهور (٤) حديث بشر النبى صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف بالجنة الترمذى والنسائى فى الكبرى من حديث أبو بكر فى الجنة الحديث وفيه وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة وهو عند الأربعة من حديث سعيد بن زيد قال البخارى والترمذى وهذا أصح

الصادقين من أهل واسط أنه صام سنين كثيرة وكان يفطر كل يوم قبل غروب الشمس إلا فى رمضان. وقال أبو نصر السراج أنكر قوم هذه المخالفة وإن كان الصوم تطوعا واستحسنه آخرون لأن صاحبه كان يريد بذلك تأديب النفس بالجوع وأن لا يتمتع برؤية الصوم ووقع لى أن هذا إن قصد أن لا يتمتع برؤية الصوم فقد تمتع برؤية عدم التمتع برؤية الصوم وهذا يتسلسل والأليق بمواقفة العلم إمضاء الصوم قال الله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم ولكن أهل الصدق لهم نيات فيما يفعلون فلا يعارضون والصدق

أنك إن جمعت المال فقد جمعه الصحابة كأنك أشبهت السلف وفعلهم ويحك إنّ هذا من قياس إبليس ومن فتياه لأوليائه وسأصف لك أحوالك وأحوال السلف لتعرف فضائحك وفضل الصحابة ولعمرى لقد كان لبعض الصحابة أموال أرادوها للتعفف والبذل فى سبيل الله فكسبوا حلالا وأكلوا طيبا وأنفقوا قصدا وقدّموا فضلا ولم يمنعوا منها حقا ولم يبخلوا بها لكنهم جادوا لله بأكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفى الشدّة آثروا الله على أنفسهم كثيرا فبالله أكذلك أنت والله إنك لبعيد الشبه بالقوم [وبعد] فانّ أخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين ومن خوف الفقر آمنين وبالله فى أرزاقهم واثقين وبمقادير الله مسرورين وفى البلاء راضين وفى الرخاء شاكرين وفى الضرّاء صابرين وفى السرّاء حامدين وكانوا لله متواضعين وعن حبّ العلوّ والتكاثر ورعين لينالوا من الدنيا إلا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرّعوا مرارتها وزهدوا فى نعيمها وزهراتها فبالله أكذلك أنت . ولقد بلغنا أنهم كانوا إذا أقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله وإذا رأوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين وبلغنا أن بعضهم كان إذا أصبح وعند عياله شىء أصبح كئيبا حزينا وإذا لم يكن عندهم شىء أصبح فرحا مسرورا فقيل له إن الناس إذا لم يكن عندهم شىء حزنوا وإذا كان عندهم شىء فرحوا وأنت لست كذلك قال إنى إذا أصبحت وليس عند عيالى شىء فرحت إذ كان لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة وإذا كان عند عيالى شىء اغتممت إذ لم يكن لى بآل محمد أسوة وبلغنا أنهم كانوا إذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا وأشفقوا وقالوا مالنا وللدنيا ومايراد بها فكأنهم على جناح خوف وإذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الآن تعاهدنا ربنا فهذه أحوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل أكثر مما وصفنا . فبالله أكذلك أنت إنك لبعيد الشبه بالقوم وسأصف لك أحوالك أيها المفتون ضدا لأحوالهم وذلك أنك تطغى عند الغنى وتبطر عند الرخاء وتمرح عند السرّاء وتغفل عن شكر ذى النعماء وتقنط عند الضرّاء وتسخط عند البلاء ولاترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتأنف من المسكنة وذلك فخر المرسلين وأنت تأنف من فخرهم وأنت تدّخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظنّ بالله عز وجلّ وقلة اليقين بضمانه وكفى به إثما وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها ولقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم فربت عليهم أجسامهم (١) » وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ليجىء يوم القيامة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال لهم ـ أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ـ وأنت فى غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا فيالها حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلوّ والفخر والزينة فى الدنيا . وقد بلغنا أنه من طلب الدنيا للتكاثر أوللتفاخر لقى الله وهو عليه غضبان وأنت غير مكترث بما حلّ بك من غضب ربك حين أردت التكاثر والعلوّ نعم وعساك المكث فى الدنيا أحبّ إليك من النقلة إلى جوار الله فأنت تكره لقاء الله والله للقائك أكره وأنت فى غفلة وعساك تأسف على مافاتك من عرض الدنيا . وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة شهر وقيل سنة » وأنت تأسف على مافاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من دينك أحيانا لتوفير دنياك وتفرح بإقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها . وقد بلغنا أن رسول الله

محمود لعينه كيف كان والصادق فى خفارة صدقه كيف تقلب وقال بعضهم إذا رأيت الصوفى يصوم صوم التطوع فاتهمه فانه قد اجتمع معه شىء من الدنيا . وقيل إذا كان جماعة متوافقين أشكالا وفيهم مريد يحثونه على الصيام فان لم يساعدوه يهتموا لافطاره ويتكلفوا له رقابه ولايحملوا حاله على حالهم وإن كانوا جماعة مع شيخ يصومون لصومه ويفطرون لافطاره إلا من يأمره الشيخ بغير ذلك. وقيل إن بعضهم صام سنين بسبب شاب كان يصحبه حتى ينظر الشاب إليه فيتأدّب به ويصوم بصيامه .

(١) حديث شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم الحديث تقدّم ذكره فى أوائل كتاب ذم البخل عند الحديث الرابع منه من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة سنة .

صلى الله عليه وسلم قال «من أحبّ الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه[1]» وبلغنا أن بعض أهل العلم قال إنك تحاسب على التحزن على مافاتك من الدنيا وتحاسب بفرحك فى الدنيا إذا قدرت عليها وأنت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعساك تعنى بأمور دنياك أضعاف ماتعنى بأمور آخرتك وعساك ترى مصيبتك فى معاصيك أهون من مصيبتك فى انتقاص دنياك نعم وخوفك من ذهاب مالك أكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل للناس ماجمعت من الأوساخ كلها للعلوّ والرفعة فى الدنيا وعساك ترضى المخلوقين مساخطا لله تعالى كما تكرم وتعظم ويحك فكأن احتقار الله تعالى لك فى القيامة أهون عليك من احتقار الناس إياك وعساك تخفى من المخلوقين مساويك ولاتكترث باطلاع الله عليك فيها فكأن الفضيحة عند الله أهون عليك من الفضيحة عند الناس فكأن العبيد أعلى عندك قدرا من الله ، تعالى الله عن جهلك فكيف تنطق عند ذوى الألباب وهذه المثالب فيك أفّ لك متلوثا بالأقذار وتحتج بمال الأبرار هيهات هيهات ماأبعدك عن السلف الأخيار والله لقد بلغنى أنهم كانوا فيما أحلّ لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم إن الذى لا بأس به عندكم كان من الموبقات عندهم وكانوا للزلة الصغيرة أشد استعظاما منكم لكبائر المعاصى فليت أطيب مالك وأحله مثل شبهات أموالهم وليتك أشفقت من سيئاتك كما أشفقوا على حسناتهم أن لاتقبل ليت صومك على مثال إفطارهم وليت اجتهادك فى العبادة على مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من سيئاتهم وقد بلغنى عن بعض الصحابة أنه قال غنيمة الصديقين مافاتهم من الدنيا ونهمتهم مازوى عنهم منها فمن لم يكن كذلك فليس معهم فى الدنيا ولا معهم فى الآخرة فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة فى العلوّ عند الله وفريق أمثالكم فى السفالة أو يعفو الله الكريم بفضله [وبعد] فانك إن زعمت أنك متأس بالصحابة بجمع المال للتعفف والبذل فى سبيل الله فتدبر أمرك ويحك هل تجد من الحلال فى دهرك كما وجدوا فى دهرهم أو تحسب أنك محتاط فى طلب الحلال كما احتاطوا . لقد بلغنى أن بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع فى باب من الحرام أفتطمع من نفسك فى مثل هذا الاحتياط لاورب الكعبة ماأحسبك كذلك ويحك كن على يقين أن جمع المال لأعمال البر مكر من الشيطان ليوقعك بسبب البرّ فى اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من اجترأ على الشبهات أوشك أن يقع فى الحرام[2]» أيها المغرور أما علمت أن خوفك من اقتحام الشبهات أعلى وأفضل وأعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات وبذلها فى سبيل الله وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض اهل العلم قال لأن تدع درهما واحدا مخافة أن لا يكون حلالا خير لك من أن تتصدق بألف دينار من شبهة لاتدرى أيحل لك أم لا فان زعمت أنك أتقى وأورع من أن تتلبس بالشبهات . وإنما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل فى سبيل الله ويحك إن كنت كما زعمت بالغا فى الورع فلا تتعرض للحساب فان خيار الصحابة خافوا المسألة وبلغنا أن بعض الصحابة قال ماسرنى أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وأنفقها فى طاعة الله ولم يشغلنى الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذاك رحمك الله ؟ قال لأنى غنى عن مقام يوم القيامة فيقول

وحكى عن أبى الحسن المكى أنه كان يصوم الدهر وكان مقيما بالبصرة وكان لا يأكل الخبز إلا ليلة الجمعة وكان قوته فى كل شهر أربع دوانيق يعمل بيده حبال الليف ويبيعها وكان الشيخ أبو الحسن بن سالم يقول لا أسلم عليه إلا أن يفطر ويأكل وكان ابن سالم اتهمه بشهوة خفية له فى ذلك لأنه كان مشهورا بين الناس وقال بعضهم ماأخلص لله عبد قط إلا أحب أن يكون فى جب لا يعرف ومن أكل فضلا من الطعام أخرج فضلا من الكلام وقيل أقام أبو الحسن التنيسى

(١) حديث من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه لم أجده إلا بلاغا للحارث بن أسد المحاسبى كما ذكره المصنف عنه (٢) حديث من اجترأ على الشبهات أوشك أن يقع فى الحرام متفق عليه من حديث النعمان بن بشير نحوه وقد تقدم فى كتاب الحلال والحرام أول الحديث .

عبدى من أين اكتسبت وفى أى شىء أنفقت فهؤلاء المتقون كانو فى جدة الاسلام والحلال موجود لديهم تركوا المال وجلا من الحساب مخافة أن لا يقوم خير المال بشره وأنت بغاية الأمن والحلال فى دهرك مفقود تتكالب على الأوساخ ثم تزعم أنك تجمع المال من الحلال ويحك أين الحلال فتجمعه [وبعد] فلو كان الحلال موجودا لديك أما تخاف أن يتغير عند الغنى قلبك وقد بلغنا أن بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة أن يفسد قلبه أفتطمع أن يكون قلبك أنقى من قلوب الصحابة فلا يزول عن شىء من الخلق فى أمرك وأحوالك لئن ظننت ذلك لقد أحسنت الظن بنفسك الأمارة بالسوء ويحك إنى لك ناصح أرى لك أن تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لأعمال البر ولا تتعرض للحساب فانه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من نوقش الحساب عذب(١) » وقال عليه السلام « يؤتى برجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وأنفقه فى حرام فيقال اذهبوا به إلى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وأنفقه فى حرام فيقال اذهبوا به إلى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حرام وأنفقه فى حلال فيقال اذهبوا به إلى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وأنفقه فى حلال فيقال له قف لعلك قصرت فى طلب هذا بشىء مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها وفرطت فى شىء من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول لا يارب كسبت من حلال وأنفقت فى حلال ولم أضيع شيئا مما فرضت علىّ فيقال لعلك اختلت فى هذا المال فى شىء من مركب أو ثوب باهيت به فيقول لا يارب لم أختل ولم أباه فى شىء فيقال لعلك منعت حق أحد أمرتك أن تعطيه من ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيقول لا يارب كسبت من حلال وأنفقت فى حلال ولم أضيع شيئا مما فرضت علىّ ولم أختل ولم أباه ولم أضيع حق أحد أمرتنى أن أعطيه قال فيجىء أولئك فيخاصمونه فيقولون يارب أعطيته وأغنيته وجعلته بين أظهرنا وأمرته أن يعطينا فان كان أعطاهم وما ضيع من ذلك شيئا من الفرائض ولم يختل فى شىء فيقال قف الآن هات شكر كل نعمة أنعمتها عليك من أكلة أو شربة أو لذة فلا يزال يسئل (٢) » ويحك فمن ذا الذى يتعرض لهذه المسألة التى كانت لهذا الرجل الذى تقلب فى الحلال وقام بالحقوق كلها وأدى الفرائض بحدودها حوسب هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال أمثالنا الغرقى فى بحر الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها ويحك لأجل هذه المسائل يخاف المتقون أن يتلبسوا بالدنيا فرضوا بالكفاف منها وعملوا بأنواع البر من كسب المال فلك ويحك بهؤلاء الأخيار أسوة فان أبيت ذلك وزعمت أنك بالغ فى الورع والتقوى ولم تجمع المال إلا من حلال بزعمك للتعفف والبذل فى سبيل الله ولم تنفق شيئا من الحلال إلا بحق ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله ولم تسخط الله فى شىء من سرائرك وعلانيتك ويحك فان كنت كذلك ولست كذلك فقد ينبغى لك أن ترضى بالبلغة وتعتزل ذوى الأموال إذا وقفوا للسؤال وتسق مع الرعيل الأول فى زمرة المصطفى لاحبس عليك للمسألة والحساب فإما سلامة وإما عطب ، فانه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يدخل صعاليك المهاجرين قبل أغنيائهم الجنة بخمسمائة عام (٣) » وقال عليه السلام « يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم

بالحرم مع أصحابه سبعة أيام لم يأكلوا فخرج بعض أصحابه ليتطهر فرأى قشر بطيخ فأخذه وأكله فرآه إنسان فاتبع أثره وجاء برفق فوضعه بين يدى القوم فقال الشيخ من جنى منكم هذه الجناية فقال الرجل أنا وجدت قشر بطيخ فأكلته فقال كن أنت مع جنايتك ورفقك فقال أنا تائب من جنايتى فقال لا كلام بعد التوبة وكانوا يستحبون صيام أيام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر روى أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض اسود جسده من أثر المعصية فلما تاب الله عليه أمره أن

(١) حديث من نوقش الحساب عذب متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم (٢) حديث يؤتى بالرجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وأنفقه فى حرام فيقال اذهبوا به إلى النار الحديث بطوله لم أقف له على أصل (٣) حديث يدخل صعاليك المهاجرين قبل أغنيائهم الجنة بخمسمائة عام الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى سعيد بلفظ فقراء مكان صعاليك ولهما وللنسائى فى الكبرى من حديث أبى هريرة يدخل الفقراء الجنة الحديث ولمسلم من حديث عبد الله بن عمر إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء إلى الجنة بأربعين خريفا .

فيأكلون ويتمتعون والآخرون جثاة على ركبهم فيقول قبلكم طلبتى أنتم حكام الناس وملوكهم فأرونى ماذا صنعتم فيما أعطيتكم (١) » وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ما سرنى أن لى حمر النعم ولا أكون فى الرعيل الأول مع محمد عليه السلام وحزبه ياقوم فاستبقوا السباق مع المخفين فى زمرة المرسلين عليهم السلام وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجل المتقين لقد بلغنى « أن بعض الصحابة وهو أبو بكر رضى الله عنه عطش فاستسقى فأتى بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خنقته العبرة ثم بكى وأبكى ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد فى البكاء فلما أكثر البكاء قيل له أكل هذا من أجل هذه الشربة قال نعم بينا أنا ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومامعه أحد فى البيت غيرى فجعل يدفع عن نفسه وهو يقول إليك عنى فقلت له فداك أبى وأمى ماأرى بين يديك أحدا فمن تخاطب فقال هذه الدنيا تطاولت إلى بعنقها ورأسها فقالت لى ياأحمد خذنى فقلت إليك عنى فقالت إن تنج منى ياأحمد فانه لاينجو منى من بعدك فأخاف أن تكون هذه قد لحقتنى تقطعنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) » ياقوم فهؤلاء الأخيار بكوا وجلا أن تقطعهم عن رسول الله ﷺ شربة من حلال ويحك أنت فى أنواع من النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لاتخشى الانقطاع أف لك ماأعظم جهلك ويحك فان تخلفت فى القيامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد المصطفى لتنظرن إلى أهوال جزعت منها الملائكة والأنبياء ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق ولئن أردت الكثرة لتصيرن إلى حساب عسير ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن إلى وقوف طويل وصراخ وعويل ولئن رضيت بأحوال المتخلفين لتقطعن عن أصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم المتنعمين ولئن خالفت أحوال المتقين لتكونن من المحتبسين فى أهوال يوم الدين فتدبر ويحك ماسمعت [وبعد] فان زعمت أنك فى مثال خيار السلف قنع بالقليل زاهد فى الحلال بذول لمالك مؤثر على نفسك لاتخشى الفقر ولا تدخر شيئا لغدك مبغض للتكاثر والغنى راض بالفقر والبلا فرح بالقلة والمسكنة مسرور بالذل والضعة كاره للعلو والرفعة قوى فى أمرك لايتغير عن الرشد قلبك قد حاسبت نفسك فى الله وأحكمت أمورك كلها على ماوافق رضوان الله ولن توقف فى المسألة ولن يحاسب مثلك من المتقين وإنما تجمع المال الحلال للبذل فى سبيل الله ويحك أيها المغرور فتدبر الأمر وأمعن النظر أما علمت أن ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب للذكر والتذكر والتذكار والفكر والاعتبار أسلم للدين وأيسر للحساب وأخف للمسألة وآمن من روعات القيامة وأجزل للثواب وأعلى لقدرك عند الله أضعافا بلغنا عن بعض الصحابة أنه قال لو أن رجلا فى حجره دنانير يعطيها والآخر يذكر الله لكان الذاكر أفضل. وسئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر قال تركه أبر به وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالا فأصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه وأما الآخر فانه جانبها فلم يطلبها ولم يتناولها فأيهما أفضل قال بعيد والله مابينهما الذى جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها ويحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ولك فى العاجل إن تركت الاشتغال بالمال إن ذلك أروح لبدنك وأقل لتعبك وأنعم لعيشك وأرضى لبالك وأقل لهمومك فما عذرك فى جمع المال وأنت بترك المال أفضل ممن طلب المال لأعمال البر نعم وشغلك بذكر الله أفضل من بذل المال فى سبيل الله

يصوم أيام البيض فابيض ثلث جسده بكل يوم صامه حتى ابيض جميع جسده بصيام أيام البيض ويستحبون صوم النصف الأول من شعبان وإفطار نصفه الأخير وإن واصل بين شعبان ورمضان فلا بأس به ولكن إن لم يكن صام فلا يستقبل رمضان بيوم أو بيومين وكان يكره بعضهم أن يصام رجب جميعه كراهة المضاهاة برمضان ويستحب صوم العشر من ذى الحجة والعشر من المحرم ويستحب الخميس والجمعة والسبت أن يصام من الأشهر الحرام وورد فى الخبر « من صام ثلاثة أيام من شهر

(١) حديث يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم فيتمتعون ويأكلون الحديث لم أر له أصلا

(٢) حديث أن بعض الصحابة عطش فاستسقى فأتى بشربة ماء وعسل الحديث فى دفع النبى صلى الله عليه وسلم الدنيا عن نفسه وقوله إليك عنى الحديث البزار والحاكم من حديث زيد بن أرقم قال كنا عند أبى بكر فدعا بشراب فأتى بماء وعسل الحديث قال الحاكم صحيح الاسناد قلت بل ضعيف

فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل فى الآجل . [وبعد] فلو كان فى جمع المال فضل عظيم لوجب عليك فى مكارم الأخلاق أن تتأسى بنبيك إذ هداك الله به وترضى ما اختاره لنفسه من مجانبة الدنيا ويحك تدبر ما سمعت وكن على يقين أن السعادة والفوز فى مجانبة الدنيا فسر مع لواء المصطفى سابقا إلى جنة المأوى فانه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سادات المؤمنين فى الجنة من إذا تغدى لم يجد عشاء وإذا استقرض لم يجد قرضا وليس له فضل كسوة إلا ما يواريه ولم يقدر على أن يكتسب ما يغنيه يمسى مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه ـ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا (١) » ألا يا أخى متى جمعت هذا المال بعد هذا البيان فانك مبطل فيما ادعيت أنك للبر والفضل تجمعه لا ولكنك خوفا من الفقر تجمعه وللتنعم والزينة والتكاثر والفخر والعلو والرياء والسمعة والتعظم والتكرمة تجمعه ثم تزعم أنك لأعمال البر تجمع المال ويحك راقب الله واستحى من دعواك أيها المغرور ويحك إن كنت مفتونا بحب المال والدنيا فكن مقرا أن الفضل والخير فى الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول ، نعم وكن عند جمع المال مزريا على نفسك معترفا باساءتك وجلا من الحساب فذلك أنجى لك وأقرب إلى الفضل من طلب الحجج لجمع المال. إخوانى اعلموا أن دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع ذلك من أورع الناس وأزهدهم فى المباح لهم ونحن فى دهر الحلال فيه مفقود وكيف لنا من الحلال مبلغ القوت وستر العورة فأما جمع المال فى دهرنا فأعاذنا الله وإياكم منه [وبعد] فأين لنا بمثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم وأين لنا مثل ضمائرهم وحسن نياتهم دهينا ورب السماء بأدواء النفوس وأهوائها وعن قريب يكون الورود فيا سعادة المخفين يوم النشور وحزن طويل لأهل التكاثر والتخاليط وقد نصحت لكم إن قبلتم والقابلون لهذا قليل وفقنا الله وإياكم لكل خير برحمته آمين . هذا آخر كلامه وفيه كفاية فى إظهار فضل الفقر على الغنى ولا مزيد عليه ويشهد لذلك جميع الأخبار التى أوردناها فى كتاب ذم الدنيا وفى كتاب الفقر والزهد ويشهد له أيضا ما روى عن أبى أمامة الباهلى «أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا قال يا ثعلبة أما لك فى أسوة أما ترضى أن تكون مثل نبى الله تعالى أما والذى نفسى بيده لو شئت أن تسير معى الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذى بعثك بالحق نبيا لئن دعوت الله أن يرزقنى مالا لأعطين كل ذى حق حقه ولأفعلن ولأفعلن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى الجماعة ويدع ما سواهم ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الجماعة إلا الجمعة وهى تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الأخبار فى المدينة وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب ؟ فقيل يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة وأخبر بأمره كله فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وأنزل الله تعالى ـ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم ـ وأنزل الله تعالى فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من جهينة ورجلا من بنى سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا بأخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجا فيأخذا الصدقة من المسلمين وقال مرّا بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بنى سليم وخذا صدقاتهما

حرام الخميس والجمعة والسبت بعد من النار سبعمائة عام » .

[الباب الحادى والأربعون فى آداب الصوم ومهامه]

آداب الصوفية فى الصوم ضبط الظاهر والباطن وكفّ الجوارح عن الآثام كمنع النفس عن الطعام ثم كف النفس عن الاهتمام بالأقسام سمعت أن بعض الصالحين بالعراق كان طريقه وطريق أصحابه أنهم كانوا يصومون وكلما فتح عليهم قبل وقت الافطار يخرجونه ولا يفطرون إلا على ما فتح لهم وقت الافطار وليس من الأدب أن يمسك المريد عن المباح ويفطر بحرام

وقد تقدم قبل هذا فى هذا الكتاب (١) حديث سادات المؤمنين فى الجنة من إذا تغدى لم يجد عشاء الحديث عزاه صاحب مسند الفردوس للطبرانى من رواية أبى حازم عن أبى هريرة مختصرا بلفظ سادة الفقراء فى الجنة الحديث ولم أره فى معاجم الطبرانى .

فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه إلا جزية ماهذه إلا جزية ماهذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا إلىّ فانطلقا نحو السليمى فسمع بهما فقام إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأوها قالوا لا يجب عليك ذلك وما نريد نأخذ هذا منك قال بلى خذوها نفسى بها طيبة وإنما هى لتأخذوها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال أرونى كتابكما فنظر فيه فقال هذه أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيى فانطلقا حتى أتيا النبى صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال يا ويح ثعلبة قبل أن يكلماه ودعا للسليمى فأخبراه بالذى صنع ثعلبة وبالذى صنع السليمى فأنزل الله تعالى فى ثعلبة ـ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدّقنّ ولنكونن من الصالحين ، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ، فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ـ وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ما أنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة فقال لا أم لك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال إن الله منعنى أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك أمرتك فلم تطعنى فلما أبى أن يقبل منه شيئا رجع إلى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بها إلى أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه فأبى أن يقبلها منه وجاء بها إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأبى أن يقبلها منه وتوفى ثعلبة بعد فى خلافة عثمان (١) » فهذا طغيان المال وشؤمه وقد عرفته من هذا الحديث ولأجل بركة الفقر وشؤم الغنى آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر لنفسه ولأهل بيته حتى روى عن عمران بن حصين رضى الله عنه أنه قال كانت لى من رسول الله منزلة وجاه فقال « يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاها فهل لك فى عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم بأبى أنت وأمى يا رسول الله فقام وقمت معه حتى وقفت بباب منزل فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معى قالت ومن معك يا رسول الله فقال عمران بن حصين فقالت والذى بعثك بالحق نبيا ما علىّ إلا عباءة فقال اصنعى بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدى فقد واريته فكيف برأسى فألقى إليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدّى بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليك يا بنتاه كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجعة وزادنى وجعا على ما بى أنى لست أقدر على طعام آكله فقد أجهدنى الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعى يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وإنى لأكرم على الله منك ولو سألت ربى لأطعمنى ولكنى آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها أبشرى فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة فقالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران فقال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك إنكن فى بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعى يا بن عمك فوالله لقد زوّجتك سيدا فى الدنيا سيدا فى الآخرة (٢) »

(١) حديث أبى أمامة أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدّى شكره خير من كثير لا تطيقه الحديث بطوله الطبرانى بسند ضعيف (٢) حديث عمران بن حصين كانت لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال فهل لك فى عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله وفيه لقد زوّجتك سيدا فى الدنيا سيدا فى الآخرة لم أجده من حديث عمران ولأحمد والطبرانى من حديث معقل بن يسار وضأت النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل لك فى فاطمة تعودها الحديث وفيه أما ترضين أن زوجتك أقدم أمتى سلما وأكثرهم

الآثام قال أبو الدرداء ياحبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يغبنون قيام الحمقى وصيامهم ولذرّة من ذى يقين وتقوى أفضل من أمثال الجبال من أعمال المغترين ومن فضيلة الصوم وأدبه أن يقلل الطعام عن الحدّ الذى كان يأكله وهو مفطر وإلا فاذا جمع الأكلات بأكلة واحدة فقد أدرك بها مافوت ومقصود الصوم من الصوم قهر النفس ومنعها عن الاتساع وأخذهم من الطعام قدر الضرورة لعلمهم أن الاقتصار على الضرورة يجذب النفس من سائر الأفعال والأقوال إلى الضرورة والنفس من طبعها أنها إذا

فانظر الآن إلى حال فاطمة رضى الله عنها وهى بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف آثرت الفقر وتركت المال ومن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم وما ورد من أخبارهم وآثارهم لم يشك فى أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات إذ أقل مافيه من أداء الحقوق والتوقى من الشبهات والصرف إلى الخيرات اشتغال الهم باصلاحه وانصرافه عن ذكر الله إذ لاذكر إلا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال ، وقد روى عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى ابن مريم عليه السلام فقال أكون معك وأصحبك فانطلقا فانتهيا إلى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقى رغيف ثالث فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف فقال لاأدرى قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية ومعها خشفان لها قال فدعا أحدهما فأتاه فذبحه فاشتوى منه فأكل هو وذاك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فقام فذهب فقال للرجل أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لاأدرى ثم انتهيا إلى وادى ماء فأخذ عيسى بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا قال له أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لاأدرى فانتهيا إلى مفازة فجلسا فأخذ عيسى عليه السلام يجمع ترابا وكثيبا ثم قال كن ذهبا باذن الله تعالى فصار ذهبا فقسمه ثلاثة أثلاث ثم قال ثلث لى وثلث لك وثلث لمن أخذ الرغيف فقال أنا الذى أخذت الرغيف فقال كله لك وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى إليه رجلان فى المفازة ومعه المال فأراد أن يأخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا أثلاثا فابعثوا أحدكم إلى القرية حتى يشترى لنا طعاما نأكله قال فبعثوا أحدهم فقال الذى بعث لأى شىء أقاسم هؤلاء هذا المال لكنى أضع فى هذا الطعام سما فأقتلهما وآخذ المال وحدى قال ففعل وقال ذانك الرجلان لأى شىء نجعل لهذا ثلث المال ولكن إذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا قال فلما رجع إليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا فبقى ذلك المال فى المفازة وأولئك الثلاثة عنده قتلى فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحالة فقال لأصحابه هذه فاحذروها . وحكى أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس بأيديهم شىء مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض لهم فى ذلك معايش من نبات الأرض وأرسل ذو القرنين إلى ملكهم فقال له أجب ذا القرنين فقال مالى إليه حاجة فان كان له حاجة فليأتنى فقال ذو القرنين صدق فأقبل إليه ذو القرنين وقال له أرسلت إليك لتأتينى فأبيت فها أنا قد جئت فقال لو كان لى إليك حاجة لأتيتك فقال له ذو القرنين مالى أراكم على حالة لم أر أحدا من الأمم عليها قال وماذاك قال ليس لكم دنيا ولا شىء أفلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما قالوا إنما كرهناهما لأن أحدا لم يعط منهما شيئا إلا تاقت نفسه ودعته إلى ماهو أفضل منه فقال مابالكم قد احتفرتم قبورا فاذا أصبحتم تعاهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قالوا أردنا إذا نظرنا إليها وأملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الأمل . قال وأراكم لاطعام لكم إلا البقل من الأرض أفلا اتخذتم البهائم من الأنعام فاحتلبتموها وركبتموها فاستمتعتم بها قالوا كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا فى نبات الأرض بلاغا وإنما يكفى ابن آدم أدنى العيش من الطعام وأيما ماجاوز الحنك من الطعام لم نجد له طعاما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الأرض يده خلف ذى القرنين فتناول جمجمة فقال ياذا القرنين أتدرى من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الأرض أعطاه الله سلطانا على أهل الأرض فغشم وظلم وعتا فلما رأى الله سبحانه ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى آخرته ثم تناول

أقهرت لله تعالى فى شىء واحد على الضرورة تأدى ذلك إلى سائر أحوالها فيصير بالأكل النوم ضرورة والقول والفعل ضرورة وهذا باب كبير من أبواب الخير لأهل الله تعالى يجب رعايته وافتقاده ولا يخص بعلم الضرورة وفائدتها وطلبها إلا عبد أراد الله تعالى أن يقربه ويدنيه ويصطفيه ويربيه ويمتنع فى صومه من ملاعبة الأهل والملامسة فان ذلك أنزه للصوم ويتسحر استعمالا للسنة وهو أدعى إلى إمضاء الصوم لمعنيين أحدهما عود بركة السنة عليه . والثانى التقوية بالطعام على

علما وأعظمهم حلما وإسناده صحيح .

جمجمة أخرى بالية فقال ياذا القرنين هل تدرى من هذا قال لاأدرى ومن هو قال هذا ملك ملكه الله بعده قد كان يرى مايصنع الذى قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله عزوجل وأمر بالعدل فى أهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى آخرته ثم أهوى إلى جمجمة ذى القرنين فقال وهذه الجمجمة قد كانت كهذين فانظر ياذا القرنين ماأنت صانع فقال له ذو القرنين هل لك فى صحبتى فأتخذك أخا ووزيرا وشريكا فيما آتانى الله من هذا المال قال ماأصلح أنا وأنت فى مكان ولا أن نكون جميعا قال ذو القرنين ولم ؟ قال من أجل أن الناس كلهم لك عدو ولى صديق قال ولم قال يعادونك لما فى يديك من الملك والمال والدنيا ولا أجد أحدا يناديني لرفضى لذلك ولما عندى من الحاجة وقلة الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به فهذه الحكايات تدلك على آفات الغنى مع ماقدمناه من قبل وبالله التوفيق .

(تم كتاب ذم المال والبخل بحمد الله تعالى وعونه ، ويليه كتاب ذم الجاه والرياء .)

﴿ كتاب ذم الجاه والرياء ﴾

(وهو الكتاب الثامن من ربع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله علام الغيوب ، المطلع على سرائر القلوب ، المتجاوز عن كبائر الذنوب ، العالم بما تجنه الضمائر من خفايا الغيوب ، البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات ، الذى لا يقبل من الأعمال إلا ما كمل ووفى وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفا ، فانه المنفرد بالملكوت ، فهو أغنى الأغنياء عن الشرك ، والصلاة والسلام على محمد وآله وأصحابه المبرئين من الخيانة والإفك ، وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أخوف ما أخاف على أمتى الرياء والشهوة الخفية التى هى أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء[1] » ولذلك عجز عن الوقوف على غوائلها مماسرة العلماء فضلا عن عامة العباد والأتقياء وهو من أواخر غوائل النفس وبواطن مكايدها وإنما يبتلى به العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة فانهم مهما قهروا أنفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على أصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع فى المعاصى الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير وإظهار العمل والعلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ونظرهم إليه بعين الوقار والتعظيم فسارعت إلى إظهار الطاعة وتوصلت إلى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده وعلمت أنهم إذا عرفوا تركه الشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله مشاق العبادات أطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء وبالغوا فى التقريظ والإطراء ونظروا إليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا فى بركة دعائه وحرصوا على اتباع رأيه وفاتحوه بالخدمة والسلام وأكرموه فى المحافل غاية الإكرام وسامحوه فى البيع والمعاملات وقدموه فى المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له فى أغراضه موقرين فأصابت النفس فى ذلك لذة هى أعظم اللذات وشهوة هى أغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصى والهفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لإدراكها

الصيام ، وروى أنس ابن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تسحروا فان فى السحور بركة » ويعجل الفطر عملا بالسنة فان لم يرد تناول الطعام إلا بعد العشاء ويريد إحياء مابين العشاءين يفطر بالماء أو على أعداد من الزبيب أو التمر أو يأكل لقيمات إن كانت النفس تنازع ليصفو له الوقت بين العشاءين فاحياء ذلك له فضل كثير وإلا فيقتصر على الماء لأجل السنة أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد

﴿ كتاب ذم الجاه والرياء ﴾

(١) حديث إن أخوف ماأخاف على أمتى الرياء والشهوة الخفية ابن ماجه والحاكم من حديث شداد ابن أوس وقالا الشرك بدل الرياء وفسراه بالرياء قال الحاكم صحيح الاسناد قلت بل ضعيف وهو عند ابن المبارك فى الزهد ومن طريقه عند البيهقى فى الشعب بلفظ المصنف .

في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن أن حياته بالله وبعبادته المرضية وإنما حياته بهذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها العقول النافذة القوية ويرى أنه مخلص في طاعة الله ومجتنب لمحارم الله والنفس قد أبطنت هذه الشهوة تزيينا للعباد وتصنعا للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة والوقار وأحبطت بذلك ثواب الطاعات وأجود الأعمال وقد أثبتت اسمه في جريدة المنافقين وهو يظن أنه عند الله من المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون ومهواة لا يرقى منها إلا المقربون ولذلك قيل آخر ما يخرج من رءوس الصديقين حب الرياسة وإذا كان الرياء هو الداء الدفين الذي هو أعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته وأقسامه وطرق معالجته والحذر منه ويتضح الغرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين : الشطر الأول في حب الجاه والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوبا أشد من حب المال وبيان أن الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي وبيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم وبيان السبب في حب المدح والثناء وكراهية الذم وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج كراهة الذم وبيان اختلاف أحوال الناس في المدح والذم فهي اثنا عشر فصلا منها تنشأ معاني الرياء فلا بد من تقديمها والله الموفق للصواب بلطفه ومنه وكرمه .

(بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت)

اعلم أصلحك الله أن أصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول إلا من شهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسب امرىء من الشر أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه إلا من عصمه الله[1] » وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بحسب المرء من الشر إلا من عصمه الله من السوء أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم[2] » ولقد ذكر الحسن رحمه الله الحديث تأويلا ولا بأس به إذا روي هذا الحديث فقيل له يا أبا سعيد إن الناس إذا رأوك أشاروا إليك بالأصابع فقال إنه لم يعن هذا وإنما عنى به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه . وقال علي كرم الله وجهه تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكتم واصمت تسلم تسر الأبرار وتغيظ الفجار وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله ما صدق الله من أحب الشهرة وقال أيوب السختياني والله ما صدق الله عبده إلا سره أن لا يشعر بمكانه . وعن خالد بن معدان أنه كان إذا كثرت خلقته قام مخافة الشهرة . وعن أبي العالية أنه كان إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة قام . ورأى طلحة قوما يمشون معه نحوا من عشرة فقال ذباب طمع وفراش نار . وقال سليم بن حنظلة بينا نحن حول أبي ابن كعب نمشي خلفه إذ رآه عمر فعلاه بالدرة فقال انظر يا أمير المؤمنين ما تصنع فقال إن هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع . وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوما من منزله فاتبعه ناس فالتفت إليهم فقال علام تتبعوني

(١) حديث أنس حسب امرىء من الشر إلا من عصمه أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه البيهقي في الشعب بسند ضعيف (٢) حديث جابر بحسب امرىء من الشر الحديث مثله وزاد في آخره أن لا ينظر إلى صوركم الحديث هو غير معروف من حديث جابر معروف من حديث أبي هريرة رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب بسند ضعيف مقتصرين على أوله ورواه مسلم مقتصرا على الزيادة التي في آخره وروى الطبراني والبيهقي في الشعب أوله من حديث عمران بن حصين بلفظ كفى بالمرء إثما ورواه ابن يونس في تاريخ الغرباء من حديث ابن عمر بلفظ هلاك بالرجل وفسر دينه بالبدعة ودنياه بالفسق وإسنادها ضعيف .

الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال ثنا اسحق بن موسى الأنصاري قال ثنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن قرة عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه قال الله عز وجل « أحب عبادي إليّ أعجلهم فطرا » وقال عليه السلام « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » والافطار قبل الصلاة سنة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على جرعة من ماء أو مذقة من لبن

فوالله لو تعلمون ما أغلق عليه بابى ما اتبعنى منكم رجلان . وقال الحسن إن خفق النعال حول الرجال قلما تلبث عليه قلوب الحمق . وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة وإلا فما عسى أن يبقى هذا من قلب المؤمن . وروى أن رجلا صحب ابن محيريز فى سفر فلما فارقه قال أوصنى فقال إن استطعت أن تعرف ولا تعرف وتمشى ولا يمشى إليك وتسأل ولا تسئل فافعل . وخرج أيوب فى سفر فشيعه ناس كثيرون فقال لولا أنى أعلم أن الله يعلم من قلبى أنى لهذا كاره لخشيت المقت من الله عز وجل . وقال معمر عاتبت أيوب على طول قميصه فقال إن الشهرة فيما مضى كانت فى طوله وهى اليوم فى تشميره . وقال بعضهم كنت مع أبى قلابة إذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال إياكم وهذا الحمار الناهق يشير به إلى طلب الشهرة . وقال الثورى كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والثياب الرديئة إذ الأبصار تمتد إليهما جميعا . وقال رجل لبشر بن الحرث أوصنى فقال أخمل ذكرك وطيب مطعمك وكان حوشب يبكى ويقول بلغ اسمى مسجد الجامع وقال بشر ما أعرف رجلا أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضح وقال أيضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس رحمة الله عليه وعليهم أجمعين.

(بيان فضيلة الخمول)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك[1] » . وقال ابن مسعود قال النبى صلى الله عليه وسلم « رب ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إنى أسألك الجنة لأعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره وأهل النار كل متكبر مستكبر جواظ [3] » وقال أبو هريرة قال ﷺ « إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم وإذا خطبوا النساء لم ينكحوا وإذا قالوا لم ينصت لقولهم حوائج أحدهم تتخلخل فى صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم[4] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن من أمتى من لو أتى أحدكم يسأله دينار لم يعطه إياه ولو سأله درهما لم يعطه إياه ولو سأله فلسا لم يعطه إياه ولو سأل الله الجنة لأعطاه إياها ولو سأله الدنيا لم يعطه إياها وما منعها إياه إلا لهوانها عليه رب ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره [5] » وروى أن عمر رضى الله عنه دخل المسجد فرأى معاذ بن جبل يبكى عند

أو تمرات . وفى الخبر « كم من صائم حظه من صيامه الجوع والعطش » قيل هو الذى يجوع بالنهار ويفطر على الحرام وقيل هو الذى يصوم عن الحلال من الطعام ويفطر على لحوم الناس بالغيبة . قال سفيان من اغتاب فسد صومه وعن مجاهد خصلتان تفسدان الصوم الغيبة والكذب قال الشيخ أبو طالب المكى قرن الله الاستماع إلى الباطل والقول بالاثم بأكل الحرام فقال ـ سماعون للكذب أكالون للسحت ـ . وورد فى الخبر « أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهدهما الجوع

---

(١) حديث رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك مسلم من حديث أبى هريرة رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره وللحاكم رب أشعث أغبر ذى طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره وقال صحيح الإسناد ولأبى نعيم فى الحلية من حديث أنس بسند ضعيف رب ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك وهو عند الحاكم نحوه بهذه الزيادة وقال صحيح الاسناد قلت بل ضعيفه (٢) حديث ابن مسعود رب ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إنى أسألك الجنة لأعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا ابن أبى الدنيا ومن طريقه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس بسند ضعيف (٣) حديث ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضعيف مستضعف الحديث متفق عليه من حديث حارثة بن وهب (٤) حديث أبى هريرة إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له الذين اذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم الحديث[1] (٥) حديث إن من أمتى من لو أتى أحدكم فسأله دينارا لم يعطه إياه الحديث الطبرانى فى الأوسط من حديث ثوبان باسناد صحيح دون قوله ولو سأله الدنيا لم يعطه إياها وما منعها إياه لهوانه عليه.

[1] قول العراقى لم يؤذن لهم الحديث هكذا فى النسخ من غير راو وقال الشارح بيض له العراقى فليعلم.

قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مايبكيك ؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن اليسير من الرياء شرك وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة (١) » وقال محمد بن سويد قحط أهل المدينة وكان بها رجل صالح لايؤبه له لازم لمسجد النبي صلى الله عليه فبينما هم فى دعائهم إذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين أوجز فيهما ثم بسط يديه فقال يارب أقسمت عليك إلا أمطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشت السماء بالغمام وأمطروا حتى صاح أهل المدينة من مخافة الغرق فقال يارب إن كنت تعلم أنهم قد اكتفوا فارفع عنهم وسكن وتبع الرجل صاحبه الذى استسقى حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج إليه فقال إنى أتيتك فى حاجة فقال ماهى قال تخصنى بدعوة قال سبحان الله أنت أنت وتسألنى أن أخصك بدعوة ثم قال ماالذى بلغك مارأيت قال أطعت الله فيم أمرنى ونهانى فسألت الله فأعطانى . وقال ابن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون فى أهل السماء وتخفون فى أهل الأرض. وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى « إن أغبط أوليائى عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه فى السر وكان غامضا فى الناس لايشار إليه بالأصابع ثم صبر على ذلك قال ثم نقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فقال عجلت منيته وقلّ تراثه وقلت بواكيه (٢) » وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أحب عباد الله إلى الله الغرباء قيل ومن الغرباء ؟ قال الفارون بدينهم يجتمعون يوم القيامة إلى المسيح عليه السلام . وقال الفضيل بن عياض بلغنى أن الله تعالى يقول فى بعض ماعن به على عبده ألم انعم عليك ألم أسترك ألم أحمل ذكرك . وكان الخليل بن أحمد يقول اللهم اجعلنى عندك من أرفع خلقك واجعلنى عند نفسى من أوضع خلقك واجعلنى عند الناس من أوسط خلقك وقال الثورى وجدت قلبى يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء أصحاب قوت وعناء. وقال إبراهيم بن أدهم ماقرت عينى يوما فى الدنيا قط إلا مرة بت ليلة فى بعض مساجد قرى الشام وكان بى البطن فجرنى المؤذن برجلى حتى أخرجنى من المسجد . وقال الفضيل إن قدرت على أن لاتعرف فافعل وماعليك أن لاتعرف وماعليك أن لايثنى عليك وماعليك أن تكون مذموما عند الناس إذا كنت محمودا عند الله تعالى فهذه الآثار والأخبار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وإنما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة فى القلوب وحب الجاه هو منشأ كل فساد . فان قلت فأى شهرة تزيد على شهرة الأنبياء والخلفاء الراشدين وأئمة العلماء فكيف فاتهم فضيلة الخمول . فاعلم أن المذموم طلب الشهرة فأما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من العبد فليس بمذموم، نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الأقوياء وهم كالغريق الضعيف إذا كان معه جماعة من الغرقى فالأولى به أن لايعرفه أحد منهم فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم وأما القوى فالأولى أن يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب على ذلك .

(بيان ذم حب الجاه)

قال الله تعالى ـ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الأرض ولا فسادا ـ جمع بين إرادة الفساد والعلو وبين أن الدار الآخرة للخالى عن الإرادتين جميعا وقال عز وجل ـ من كان يريد الحياة

والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تهلكا فبعثتا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذنانه فى الافطار فأرسل إليهما قدحا وقال قولوا لهما قيئا فيه ماأكلتما فقاءت إحداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا وأفطرتا على ماحرم الله عليهما » وقال عليه الصلاة والسلام « إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولايجهل فان امرؤ شاتمه فليقل إنى صائم » . وفى الخبر « إن الصوم أمانة

(١) حديث معاذ بن جبل إن اليسير من الرياء شرك وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الحديث الطبرانى والحاكم واللفظ له وقال صحيح الاسناد قلت بل ضعيف فيه عيسى بن عبد الرحمن وهو الزرقى متروك (٢) حديث أبى أمامة إن أغبط أوليائى عندى مؤمن خفيف الحاذ الحديث الترمذى وابن ماجه باسنادين ضعيفين .

الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ـ وهذا أيضا متناول بعمومه لحبّ الجاه فانه أعظم لذة من لذات الحياة الدنيا وأكثر زينة من زينتها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حبّ المال والجاه ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ماذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم بأسرع إفسادا من حبّ الشرف والمال فى دين الرجل المسلم (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم لعلىّ كرم الله وجهه « إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحبّ الثناء (٣) » نسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه .

(بيان معنى الجاه وحقيقته)

اعلم أن الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الأعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطاوب تعظيمها وطاعتها وكما أن الغنى هو الذى يملك الدراهم والدنانير أى يقدر عليهما ليتوصل بهما إلى الأغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذى يملك قلوب الناس أى يقدر على أن يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها أربابها فى أغراضه ومآربه وكما أنه يكتسب الأموال بأنواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بأنواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة إلا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من أوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاد القلب وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط أن يكون الوصف كمالا فى نفسه بل يكفى أن يكون كمالا عنده وفى اعتقاده وقد يعتقد ماليس كمالا كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب وأحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما أن محبّ المال يطلب ملك الأرقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب أن يسترق الأحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرقّ الذى يطلبه صاحب الجاه أعظم لأن المالك يملك العبد قهرا والعبد متأب بطبعه ولو خلى ورأيه انسلّ عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبغى أن تكون له الأحرار عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فما يطلبه فوق مايطلبه مالك الرقّ بكثير فاذا معنى الجاه قيام المنزلة فى قلوب الناس أى اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه فبقدر مايعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر إذعان القلوب تكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته على القلوب يكون فرحه وحبه للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والإطراء فان المعتقد للكمال لايسكت عن ذكر مايعتقده فيثنى عليه وكالخدمة والإعانة فانه لايبخل ببذل نفسه فى طاعته بقدر اعتقاده فيكون سخرة له مثل العبد فى أغراضه وكالإيثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر فى المحافل والتقديم فى جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه فى القلب ومعنى قيام الجاه فى القلب اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال فى الشخص إما بعلم أو عبادة أو حسن خلق أو نسب أو ولاية

(١) حديث المال والجاه ينبتان النفاق الحديث تقدم فى أول هذا الباب ولم أجده (٢) حديث ماذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم الحديث تقدم أيضا هناك (٣) حديث إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحبّ الثناء لم أره بهذا اللفظ وقد تقدم فى العلم من حديث أنس ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع الحديث ولأبى منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس بسند ضعيف حبّ الثناء من الناس يعمى ويصم .

فليحفظ أحدكم أمانته» والصوفى الذى لا يرجع إلى معلوم ولا يدرى متى يساق إليه الرزق فاذا ساق الله إليه الرزق تناوله بالأدب وهو دائم المراقبة لوقته وهو فى إفطاره أفضل من الذى له معلوم معدّ فان كان مع ذلك يصوم فقد أكمل الفضل . حكى عن رويم قال اجتزت فى الهاجرة ببعض سكك بغداد فعطشت فتقدمت إلى باب دار فاستسقيت فاذا جارية قد خرجت ومعها كوز جديد ملآن من الماء البرد فلما أردت أن أتناول من يدها قالت صوفى ويشرب بالنهار وضربت بالكوز

أو جمال فى صورة أو قوة فى بدن أو شىء مما يعتقده الناس كمالا فان هذه الأوصاف كلها تعظم محله فى القلوب فتكون سببا لقيام الجاه والله تعالى أعلم .

(بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب إلا بشديد المجاهدة)

اعلم أن السبب الذى يقتضى كون الذهب والفضة وسائر أنواع الأموال محبوبا هو بعينه يقتضى كون الجاه محبوبا بل يقتضى أن يكون أحب من المال كما يقتضى أن يكون الذهب أحب من الفضة مهما تساويا فى المقدار وهو أنك تعلم أن الدراهم والدنانير لا غرض فى أعيانهما إذ لا تصلح لمطعم ولا مشرب ولا منكح ولا ملبس وإنما هى والحصباء بمثابة واحدة ولكنهما محبوبان لأنهما وسيلة إلى جميع المحاب وذريعة إلى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لأن معنى الجاه ملك القلوب وكما أن ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الانسان بها إلى سائر أغراضه فكذلك ملك قلوب الأحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة على التوصل إلى جميع الأغراض فالاشتراك فى السبب اقتضى الاشتراك فى المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى أن يكون الجاه أحب من المال ولملك الجاه ترجيح على ملك المال من ثلاثة أوجه : الأول ، أن التوصل بالجاه إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه فالعالم أو الزاهد الذى تقرر له جاه فى القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال ، وأما الرجل الخسيس الذى لا يتصف بصفة كمال إذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله أراد أن يتوصل بالمال إلى الجاه لم يتيسر له فاذن الجاه آلة ووسيلة إلى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه أحب . الثانى هو أن المال معرض للبلوى والتلف بأن يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه إلى الحفظة والحراس والخزائن ويتطرق إليه أخطار كثيرة وأما القلوب إذا ملكت فلا تتعرض لهذه الآفات فهى على التحقيق خزائن عتيدة لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها أيدى النهاب والغصاب وأثبت الأموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغنى عن المراقبة والحفظ وأما خزائن القلوب فهى محفوظة محروسة بأنفسها والجاه فى أمن وأمان من الغصب والسرقة فيها ، نعم إنما تغصب القلوب بالتصريف وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من أوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاولة فعله. الثالث أن ملك القلوب يسرى وينمى ويتزايد من غير حاجة إلى تعب ومقاساة فان القلوب إذا أذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم أو عمل أو غيره أفصحت الألسنة لا محالة بما فيها فيصف ما يعتقده لغيره ويقتنص ذلك القلب أيضا له ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر لأن ذلك إذا استطار فى الأقطار اقتنص القلوب ودعاها إلى الإذعان والتعظيم فلا يزال يسرى من واحد إلى واحد ويتزايد. وليس له مرد معين وأما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه ولا يقدر على استنمائه إلا بتعب ومقاساة والجاه أبدا فى النماء بنفسه ولا مرد لموقعه والمال واقف ولهذا إذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الألسنة بالثناء استحقرت الأموال فى مقابلته فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال وإذا فصلت كثرت وجوه الترجيح . فان قلت فالإشكال قائم فى المال والجاه جميعا فلا ينبغى أن يحب الانسان المال والجاه، نعم القدر الذى يتوصل به إلى جلب اللذاذ ودفع المضار معلوم كالمحتاج إلى الملبس والمسكن والمطعم أو كالمبتلى بمرض أو بعقوبة إذا كان لا يتوصل إلى دفع العقوبة عن نفسه إلا بمال أو جاه فحبه للمال والجاه معلوم إذ كل ما لا يتوصل إلى المحبوب إلا به فهو محبوب وفى الطباع أمر عجيب وراء هذا وهو حب جمع الأموال وكنز الكنوز وادخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لا يبغى لهما ثالثا وكذلك يحب الانسان اتساع الجاه وانتشار الصيت إلى أقاصى البلاد التى يعلم قطعا أنه لا يطؤها ولا يشاهد أصحابها ليعظموه أو ليروه بمال أو ليعينوه على غرض من أغراضه ومع اليأس من ذلك فانه يلتذ به

على الأرض وانصرفت قال رويم فاستحييت من ذلك ونذرت أن لا أفطر أبدا والجماعة الذين كرهوا دوام الصوم كرهوه لمكان أن النفس إذا ألفت الصوم وتعودته اشتد عليها الإفطار وهكذا بتعودها الافطار تكره الصوم فيرون الفضل فى أن لا تركن النفس إلى عادة ورأوا أن إفطار يوم وصوم يوم أشد على النفس . ومن أدب الفقراء أن الواحد إذا كان بين جمع وفى صحبة جماعة لا يصوم إلا بإذنهم وإنما كان ذلك لأن قلوب الجمع متعلقة بفطوره وهم على غير معلوم فان صام بإذن

غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت فى الطبع ويكاد يظن أن ذلك جهل فانه حب لما لا فائدة فيه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة . فنقول نعم هذا الحب لاتنفك عنه القلوب . وله سببان : أحدهما جلى تدركه الكافة . والآخر خفى وهو أعظم السببين ولكنه أدقهما وأخفاهما وأبعدهما عن أفهام الأذكياء فضلا عن الأغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفى فى النفس وطبيعة مستكنة فى الطبع لايكاد يقف عليها إلا الغواصون . فأما السبب الأول فهو دفع ألم الخوف لأن الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وإن كان مكفيا فى الحال فانه طويل الأمل ويخطر بباله أن المال الذى فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج إلى غيره فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع ألم الخوف إلا الأمن الحاصل بوجود مال آخر يفزع إليه إن أصابت هذا المال جائحة فهو أبدا لشفقته على نفسه وحبه للحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر إمكان تطرق الآفات إلى الأموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب مايدفع خوفه وهو كثرة المال حتى إن أصيب بطائفة من ماله استغنى بالآخر وهذا خوف لايوقف له على مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن لمثله موقف إلى أن يملك جميع مافى الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « منهومان لايشبعان منهوم العلم ومنهوم المال[1] » ومثل هذه العلة تطرد فى حبه قيام المنزلة والجاه فى قلوب الأباعد عن وطنه وبلده فانه لايخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن أو يزعج أولئك عن أوطانهم إلى وطنه ويحتاج إلى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه إليهم مستحيلا إحالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه فى قلوبهم لما فيه من الأمن من هذا الخوف . وأما السبب الثانى وهو الأقوى أن الروح أمر ربانى به وصفه الله تعالى إذ قال سبحانه ـ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ـ أو معنى كونه ربانيا أنه من أسرار علوم المكاشفة ولا رخصة فى إظهاره إذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم أن للقلب ميلا إلى صفات بهيمية كالأكل والوقاع وإلى صفات سبعية كالقتل والضرب والإيذاء وإلى صفات شيطانية كالمكر والخديعة والإغواء وإلى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلاء وذلك لأنه مركب من أصول مختلفة يطول شرحها وتفصيلها فهو لما فيه من الأمر الربانى يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من صفات الإلهية فصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال بالتفرد بالوجود فان المشاركة فى الوجود نقص لامحالة فكمال الشمس فى أنها موجودة وحدها فلو كان معها شمس أخرى لكان ذلك نقصا فى حقها إذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والمنفرد بالوجود هو الله تعالى إذ ليس معه موجود سواه فان ماسواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لأن المعية توجب المساواة فى الرتبة والمساواة فى الرتبة نقصان فى الكمال بل الكامل من لانظير له فى رتبته وكما أن إشراق نور الشمس فى أقطار الآفاق ليس نقصانا فى الشمس بل هو من جملة كمالها وإنما نقصان الشمس بوجود شمس أخرى تساويها فى الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل مافى العالم يرجع إلى إشراق أنوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون متبعا فاذن معنى الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل إنسان فانه بطبعه محب لأن يكون هو المنفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية : مامن إنسان إلا وفى باطنه ماصرح به فرعون من قوله ـ أنا ربكم الأعلى ـ

(١) حديث منهومان لايشبعان الحديث الطبرانى من حديث أبى مسعود بسند ضعيف والبزار والطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس بسند لين وقد تقدم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يظهر سر الروح البخارى من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

الجمع وفتح عليهم بشىء لايلزمهم ادخاره للصائم مع العلم بأن الجمع للفطرين يحتاجون إلى ذلك فان الله تعالى يأتى للصائم برزقه إلا أن يكون الصائم يحتاج إلى الرفق لضعف حاله أو ضعف بنيته لشيخوخة أو غير ذلك وهكذا الصائم لايليق أن يأخذ نصيبه فيدخره لأن ذلك من ضعف الحال فان كان ضعيفا يعترف بحاله وضعفه فيدخره والذى ذكرناه لأقوام هم على غير معلوم فأما الصوفية المقيمون فى رباط على معلوم فالأليق بحالهم الصيام ولا يلزمهم موافقة الجمع فى الإفطار وهذا يظهر فى جمع منهم لهم معلوم يقدم لهم

ولكنه ليس يجد مجالا وهو كما قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية التي أومأ إليها قوله تعالى ـ قل الروح من أمر ربي ـ ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهي محبة للكمال ومشتهية له وملتذة به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال وكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته أوعدم صفات الكمال من ذاته وإنما الكمال بعد أن يسلم التفرد بالوجود في الاستيلاء على كل الموجودات فان أكمل الكمال أن يكون وجود غيرك منك فان لم يكن منك فأن تكون مستوليا عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لأنه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذ به إلا أن الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التأثير فيه وعلى تغييره بحسب الارادة وكونه مسخرا لك تردده كيف تشاء فأحب الانسان أن يكون له استيلاء على كل الأشياء الموجودة معه إلا أن الموجودات منقسمة إلى مالا يقبل التغيير في نفسه كذات الله تعالى وصفاته وإلى مايقبل التغيير ولكن لايستولي عليه قدرة الخلق كالأفلاك والكواكب وملكوت السموات ونفوس الملائكة والجن والشياطين وكالجبال والبحار وماتحت الجبال والبحار وإلى مايقبل التغيير بقدرة العبد كالأرض وأجزائها وماعليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس فانها قابلة للتأثير والتغيير مثل أجسادهم وأجساد الحيوانات فاذا انقسمت الموجودات إلى مايقدر الانسان على التصرف فيه كالأرضيات وإلى مالايقدر عليه كذات الله تعالى والملائكة والسموات أحب الانسان أن يستولي على السموات بالعلم والاحاطة والاطلاع على أسرارها فان ذلك نوع استيلاء إذ المعلوم المحاط به كالداخل تحت العلم والعالم كالمستولي عليه فلذلك أحب أن يعرف الله تعالى والملائكة والأفلاك والكواكب وجميع عجائب السموات وجميع عجائب البحار والجبال وغيرها لأن ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا يضاهي اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة إلى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يعجز عن وضع الشطرنج فانه قد يشتهي أن يعرف اللعب به وأنه كيف وضع وكمن يرى صنعة عجيبة في الهندسة أو الشعبذة أوجر الثقيل أوغيره وهو مستشعر في نفسه بعض العجز والقصور عنه ولكنه يشتاق إلى معرفة كيفيته فهو متألم ببعض العجز متلذذ بكمال العلم إن علمه . وأما القسم الثاني وهو الأرضيات التي يقدر الانسان عليها فانه يحب بالطبع أن يستولي عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان : أجساد وأرواح أما الأجساد فهي الدراهم والدنانير والأمتعة فيجب أن يكون قادرا عليها يفعل فيها ماشاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك أحب الأموال وإن كان لايحتاج إليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه وكذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد الأشخاص الأحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف في أجسادهم وأشخاصهم بالاستسخار وإن لم يملك قلوبهم فانها ربما لم تعتقد كماله حتى يصير محبوبا لها ويقوم القهر منزلته فيها فان الخشية القهرية أيضا لذيذة لما فيها من القدرة . القسم الثاني : نفوس الآدميين وقلوبهم وهي أنفس ماعلى وجه الأرض فهو يحب أن يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفة تحت إشارته وإرادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوبية والقلوب إنما تتسخر بالحب ولاتحب إلا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لأن الكمال من الصفات الإلهية والصفات الإلهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الانسان وهو الذي لايبليه الموت فيعدمه ولايتسلط عليه التراب فيأكله فانه محل الايمان والمعرفة وهو الواصل إلى لقاء الله تعالى والساعي إليه فاذن معنى الجاه تسخر القلوب ومن تسخر له القلوب كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء

بالنهار فأما إذا كانوا على غير معلوم فقد قيل مساعدة الصوام للمفطرين أحسن من استدعاء الموافقة من المفطرين للصوام وأمر القوم مبناه على الصدق ومن الصدق افتقاد النية وأحوال النفس فكل ماصحت النية فيه من الصوم والافطار والموافقة وترك الموافقة فهو الأفضل فأما من حيث السنة فمن يوافق له وجه إذا كان صائما وأفطر للموافقة وإن صام ولم يوافق فله وجه. فأما وجه من يفطر ويوافق فهو ماأخبرنا به أبو زرعة طاهر عن أبيه أبي الفضل الحافظ المقدسي قال أنا أبو الفضل محمد بن عبد الله قال أنا السيد

كمال وهو من أوصاف الربوبية فاذن محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من أسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات ومادام يبقى معلوم أو مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «منهومان لا يشبعان» فاذن مطلوب القلوب الكمال والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فسرور كل إنسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب فى كون العلم والمال والجاه محبوبا وهو أمر وراء كونه محبوبا لأجل التوصل إلى قضاء الشهوات فانّ هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحبّ الانسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل به إلى الأغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الأغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم فى جميع العجائب والمشكلات لأنّ فى العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذى هو من صفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع إلا أنّ فى حبّ كمال العلم والقدرة أغاليط لابدّ من بيانها إن شاء الله تعالى.

(بيان الكمال الحقيقى والكمال الوهمى الذى لا حقيقة له)

قد عرفت أنه لا كمال بعد فوات التفرّد بالوجود إلا فى العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقى فيه ملتبس بالكمال الوهمى وبيانه أن كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة أوجه: أحدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت علوم العبد أكثر كان أقرب إلى الله تعالى. الثانى من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون المعلوم مكشوفا به كشفا تاما فانّ المعلومات مكشوفة لله تعالى بأتمّ أنواع الكشف على ما هو عليه فلذلك مهما كان علم العبد أوضح وأيقن وأصدق وأوفق للمعلوم فى تفاصيل صفات العلوم كان أقرب إلى الله تعالى. الثالث: من حيث بقاء العلم أبد الآباد بحيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله تعالى باق لا يتصوّر أن يتغير فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يقبل التغير والانقلاب كان أقرب إلى الله تعالى والمعلومات قسمان: متغيرات وأزليات. أما المتغيرات فمثالها العلم بكون زيد فى الدار فانه علم له معلوم ولكنه يتصوّر أن يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه فى الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا فكلما اعتقدت اعتقادا موافقا وتصوّر أن ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد أن ينقلب كمالك نقصا ويعود علمك جهلا ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كعلمك مثلا بارتفاع جبل ومساحة أرض وبعدد البلاد وتباعد ما بينها من الأميال والفراسخ وسائر ما يذكر فى المسالك والممالك وكذلك العلم باللغات التى هى اصطلاحات تتغير بتغير الأعصار والأمم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل الزئبق تتغير من حال إلى حال فليس فيه كمال إلا فى الحال ولا يبقى كمالا فى القلب.

القسم الثانى: هو المعلومات الأزلية وهو جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان هذه معلومات أزلية أبدية إذ لا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز محالا ولا المحال واجبا فكل هذه الأقسام داخلة فى معرفة الله وما يجب له وما يستحيل فى صفاته ويجوز فى أفعاله فالعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وحكمته فى ملكوت السموات والأرض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقى الذى يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كما للنفس بعد الموت وتكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت ـ يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا ـ أى تكون هذه المعرفة رأس مال يوصل إلى كشف ما لم ينكشف فى الدنيا كما أن من معه سراج خفى فانه يجوز أن يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفى على سبيل الاستتمام ومن ليس معه أصل السراج فلا مطمع له فى ذلك فمن ليس معه أصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع فى هذا النور فيبقى ـ كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ـ بل ـ كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب

أبو الحسن محمد بن الحسين العلوى قال أنا أبو بكر محمد بن حمدويه قال ثنا عبد الله بن حماد قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثنى عطاء ابن خالد عن حماد بن حميد عن محمد بن المنكدر عن أبى سعيد الخدرى قال اصطنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه طعاما فلما قدم إليهم قال رجل من القوم إنى صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «دعاكم أخواكم تكلف لكم ثم تقول إنى صائم أفطر وافض يوما مكانه» وأما وجه من لا يوافق فقد ورد «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكلوا وبلال صائم

ظلمات بعضها فوق بعض ـ فاذن لاسعادة إلا فى معرفة الله تعالى وأما ماعدا ذلك من المعارف فمنها ما لا فائدة له أصلا كمعرفة الشعر وأنساب العرب وغيرهما ومنها ماله منفعة فى الاعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والأخبار فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تعين على معرفة مافى القرآن من كيفية العبادات والأعمال التى تفيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد استعداد النفس لقبول الهداية إلى معرفة الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى ـ قد أفلح من زكاها ـ وقال عز وجل ـ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ـ فتكون جملة هذه المعارف كالوسائل إلى تحقيق معرفة الله تعالى وإنما الكمال فى معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله وينطوى فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات إذ الموجودات كلها من أفعاله فمن عرفها من حيث هى فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهى من تكملة معرفة الله تعالى وهذا حكم كمال العلم ذكرناه وإن لم يكن لائقا بأحكام الجاه والرياء ولكن أوردناه لاستيفاء أقسام الكمال . وأما القدرة فليس فيها كمال حقيقى للعبد بل للعبد علم حقيقى وليس له قدرة حقيقية وإنما القدرة الحقيقية لله وما يحدث من الأشياء عقيب إرادة العبد وقدرته وحركته فهى حادثة باحداث الله كما قررناه فى كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل وفى مواضع شتى من ربع المنجيات فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله إلى الله تعالى فأما كمال القدرة فلا، نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة إلى الحال وهى وسيلة له إلى كمال العلم كسلامة أطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشى وحواسه للادراك فان هذه القوى آلة للوصول بها إلى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج فى استيفاء هذه القوى إلى القدرة بالمال والجاه للتوصل به إلى المطعم والمشرب والملبس والمسكن وذلك إلى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به إلى معرفة جلال الله فلا خير فيه ألبتة إلا من حيث اللذة الحالية التى تنقضى على القرب ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل فالخلق أكثرهم هالكون فى غمرة هذا الجهل فانهم يظنون أن القدرة على الأجساد بقهر الحشمة وعلى أعيان الأموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك أحبوه ولما أحبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقى الذى يوجب القرب من الله تعالى ومن ملائكته وهو العلم والحرية أما العلم فما ذكرناه من معرفة الله تعالى وأما الحرية فالخلاص من أسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا تستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فان دفع آثار الشهوة والغضب عن النفس من الكمال الذى هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله تعالى استحالة التغير التأثر عليه فمن كان عن التغير والتأثر بالعوارض أبعد كان إلى الله تعالى أقرب وبالملائكة أشبه ومنزلته عند الله أعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وإنما لم نورده فى أقسام الكمال لأن حقيقته ترجع إلى عدم ونقصان فان التغير نقصان إذ هو عبارة عن عدم صفة كائنة وهلاكها والهلاك نقص فى الذات وفى صفات الكمال فاذن الكمالات ثلاثة إن عددنا عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد لها كمالا ككمال العلم وكمال الحرية وأعنى به عدم العبودية للشهوات وإرادة الأسباب الدنيوية وكمال القدرة للعبد طريق إلى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له إلى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته إذ قدرته على أعيان الأموال وعلى استسخار القلوب والأبدان تنقطع بالموت ومعرفته وحريته لا ينعدمان بالموت بل يبقيان كمالا فيه ووسيلة إلى القرب من الله تعالى فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فأقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو الكمال الذى لا يسلم وإن سلم فلا بقاء له وأعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذى إذا حصل كان أبديا لا انقطاع له هؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى ـ المال والبنون زينة

فقال رسول الله نأكل رزقنا ورزق بلال فى الجنة » فاذا علم أن هنالك قلبا يتأذى أو فضلا يرجى من موافقة من يغتنم موافقته يفطر بحسن النية لا بحكم الطبع وتقاضيه فان لم يجد هذا المعنى لا ينبغى أن يتلبس عليه الشره وداعية النفس بالنية فليتم صومه وقد تكون الاجابة لداعية النفس لا لقضاء حق أخيه . ومن أحسن آداب الفقير الطالب أنه إذا أفطر وتناول الطعام ربما يجد باطنه متغيرا عن هيئته ونفسه متثبطة عن أداء وظائف العبادة فيعالج مزاج القلب المتغير باذهاب التغير عنه ويذيب

الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا ـ فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا في النفس والمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال ـ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ـ الآية وقال تعالى ـ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ـ إلى قوله ـ فأصبح هشيما تذروه الرياح ـ وكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحياة الدنيا وكل مالا يقطعه الموت فهو الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا أن كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا أصل له وأن من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل وإليه أشار أبو الطيب بقوله :

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

إلا قدر البلغة منهما إلى الكمال الحقيقي اللهم اجعلنا ممن وفقته للخير وهديته بلطفك .

(بيان مايحمد من حبّ الجاه وما يذمّ)

مهما عرفت أن معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمه حكم ملك الأموال فانه عرض من أعراض الحياة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الآخرة فكل ماخلق في الدنيا فيمكن أن يتزود منه للآخرة وكما أنه لابد من أدنى مال لضرورة المطعم والمشرب والملبس فلا بد من أدنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والانسان كمالا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام أو المال الذي يبتاع به الطعام فكذلك لايخلو عن الحاجة إلى خادم يخدمه ورفيق يعينه وأستاذ يرشده وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الأشرار فحبه لأن يكون له في قلب خادمه من المحل مايدعوه إلى الخدمة ليس بمذموم وحبه لأن يكون له في قلب رفيقه من المحل مايحسن به مرافقته ومعاونته ليس بمذموم وحبه لأن يكون له في قلب أستاذه من المحل مايحسن به إرشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه لأن يكون له من المحل في قلب سلطانه مايحثه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم فان الجاه وسيلة إلى الأعراض كالمال فلا فرق بينهما إلا أن التحقيق في هذا يفضي إلى أن لايكون المال والجاه بأعيانهما محبوبين له بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان أن يكون له في داره بيت ماء لأنه مضطر إليه لقضاء حاجته ويود أن لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء فهذا على التحقيق ليس محبا لبيت الماء فكل ما يراد للتوصل به إلى محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوصل إليه وتدرك التفرقة بمثال آخر وهو أن الرجل قد يحب زوجته من حيث إنه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع ببيت الماء فضلة الطعام ولو كفي مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما أنه لو كفي قضاء الحاجة لكان لايدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب الانسان زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفي الشهوة لبقي مستصحبا لنكاحها فهذا هو الحب دون الأول وكذلك الجاه والمال وقد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لأجل التوصل بهما إلى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لأعيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لايوصف صاحبه بالفسق والعصيان مالم يحمله الحب على مباشرة معصية ومايتوصل به إلى اكتساب بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل إلى اكتسابه بعبادة فان التوصل إلى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام وإليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سيأتي . فان قلت : طلبه المنزلة والجاه في قلب أستاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به أمره مباح على الاطلاق كيفما كان أو مباح إلى حد مخصوص على وجه مخصوص . فأقول : يطلب ذلك على ثلاثة أوجه : وجهان مباحان ، ووجه محظور . أما الوجه المحظور فهو أن يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة وهو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم أنه علوي أو عالم أو ورع وهو لايكون كذلك فهذا حرام لأنه كذب وتلبيس إما بالقول أو بالمعاملة . وأما أحد المباحين فهو أن يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها

الطعام بركعات يصليها أو بآيات يتلوها أو بأذكار واستغفار يأتي به فقد ورد في الخبر « أذيبوا طعامكم بالذكر » ومن مهام آدب الصوم كتمانه مهما أمكن إلا أن يكون متمكنا من الاخلاص فلا يبالي ظهر أم بطن .

[الباب الثاني والأربعون في ذكر الطعام وما فيه من المصلحة والمفسدة]

الصوفي بحسن نيته وصحة مقصده ووفور علمه وإتيانه بآدابه تصير عاداته عبادة والصوفي موهوب وقته لله ويريد حياته لله كما قال الله تعالى لنبيه آمرا له ـ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي

كقول يوسف صلى الله عليه وسلم فيما أخبرعنه الرب تعالى ـ اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم ـ فانه طلب المنزلة فى قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا إليه وكان صادقا فيه . والثانى أن يطلب إخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لايعلم فلا تزول منزلته به فهذا أيضا مباح لأن حفظ الستر على القبائح جائز ولايجوز هتك الستر واظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة فى العلم به كالذى يخفى عن السلطان أنه يشرب الخمر ولايلقى إليه أنه ورع فان قوله إنى ورع تلبيس وعدم إقراره بالشرب لايوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشرب. ومن جملة المحظورات تحسين الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو ملبس إذ يخيل إليه أنه من المخلصين الخاشعين لله وهو مراء بما يفعله فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجرى مجرى اكتساب المال الحرام من غير فرق وكما لايجوز له أن يتملك مال غيره بتلبيس فى عوض أو فى غيره فلايجوز له أن يتملك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب أعظم من ملك الأموال .

(بيان السبب فى حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطبع إليه وبغضها للذم ونفرتها منه)

اعلم أن لحب المدح والتذاذ القلب به أربعة أسباب: السبب الأول وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فانا بينا أن الكمال محبوب وكل محبوب فادراكه لذيذ فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذى به مدح لايخلو إما أن يكون جليا ظاهرا أو يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة به أقل ولكنه لايخلو عن لذة كثنائه عليه بانه طويل القامة أبيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته فاذا استشعرته لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وإن كان ذلك الوصف مما يتطرق إليه الشك فاللذة فيه أعظم كالثناء عليه بكمال العلم أو كمال الورع أو بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون شاكا فى كمال حسنه وفى كمال علمه وكمال ورعه ويكون مشتاقا إلى زوال هذا الشك بأن يصير مستيقنا لكونه عديم النظير فى هذه الأمور إذ تطمئن نفسه إليه فاذا ذكره غيره أورث ذلك طمأنينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وإنما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير بهذه الصفات خبير بها لايجازف فى القول إلا عن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء أستاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة الفضل فانه فى غاية اللذة وإن صدر ممن يجازف فى الكلام أو لايكون بصيرا بذلك الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة يبغض الذم ايضا ويكرهه لأنه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مؤلم ولذلك يعظم الألم إذا صدر الذم من بصير موثوق به كما ذكرناه فى المدح . السبب الثانى : أن المدح يدل على أن قلب المادح مملوك للممدوح وأنه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والأكابر ويضعف مهما كان المادح ممن لايؤبه له ولايقدر على شىء فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة على أمر حقير فلايدل المدح إلا على قدرة قاصرة وبهذه العلة أيضا يكره الذم ويتألم به القلب وإذا كان من الأكابر كانت نكايته أعظم لأن الفائت به أعظم . السبب الثالث : أن ثناء المثنى ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لاسيما إذا كان ذلك ممن يلتفت إلى قوله ويعتد بثنائه وهذا مختص بثناء يقع على الملأ فلاجرم كلما كان الجمع أكثر والمثنى أجدر بأن يلتفت إلى قوله كان المدح ألذ والذم أشد على النفس . السبب الرابع : أن المدح يدل

لله رب العالمين ـ فتدخل على الصوفى أمور العادة لموضع حاجته وضرورة بشريته ويحف بعادته نور يقظته وحسن نيته فتتنور العادات وتتشكل بالعبادات ولهذا ورد «نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح» هذا مع كون النوم عين الغفلة ولكن كل مايستعان به على العبادة يكون عبادة فتناول الطعام أصل كبير يحتاج إلى علوم كثيرة لاشتماله على المصالح الدينية والدنيوية وتعلق أثره بالقلب والقالب وبه قوام البدن باجراء سنة الله تعالى بذلك والقالب مركب القلب وبهما عمارة الدنيا والآخرة وقد

على حشمة الممدوح واضطرار المادح إلى اطلاق اللسان بالثناء على الممدوح إما عن طوع وإما عن قهر فان الحشمة أيضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وإن كان المادح لا يعتقد فى الباطن مامدح به ولكن كونه مضطرا إلى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلاجرم تكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته فتكون لذة ثناء القوى الممتنع عن التواضع بالثناء أشد فهذه الأسباب الأربعة قد تجمع فى مدح مادح واحد فيعظم بها الالتذاذ وقد تفترق فتنقص اللذة بها أما العلة الأولى وهى استشعار الكمال فتندفع بأن يعلم الممدوح أنه غير صادق فى قوله كما إذا مدح بأنه نسيب أو سخى أو عالم بعلم أو متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التى سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فان كان يعلم أن المادح ليس يعتقد مايقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة بطلب اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وتبقى لذة الاستيلاء والحشمة على اضطرار لسانه إلى النطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه أصلا لذة لفوات الأسباب الثلاثة فهذا مايكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتألمها بسبب الذم وإنما ذكرنا ذلك ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمة فان مالا يعرف سببه لا يمكن معالجته إذ العلاج عبارة عن حل أسباب المرض والله الموفق بكرمه ولطفه وصلى الله على كل عبد مصطفى.

(بيان علاج حب الجاه)

اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد إليهم والمراءاة لأجلهم ولا يزال فى أقواله وأفعاله ملتفتا إلى مايعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق وأصل الفساد ويجر ذلك لا محالة إلى التساهل فى العبادات والمراءاة بها وإلى اقتحام المحظورات للتوصل إلى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وإفسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال عليه السلام «إنه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل» إذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول أو الفعل وكل من طلب المنزلة فى قلوب الناس فيضطر إلى النفاق معهم وإلى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك هو عين النفاق فحب الجاه إذن من المهلكات فيجب علاجه وإزالته عن القلب فانه طبع جبل عليه القلب كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل أما العلم فهو أن يعلم السبب الذى لأجله أحب الجاه وهو كمال القدرة على أشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا أن ذلك إن صفا وسلم فآخره الموت فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بسيط الأرض من المشرق إلى المغرب فإلى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوى الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغى أن يترك به الدين الذى هو الحياة الأبدية التى لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقى والكمال الوهمى كما سبق صغر الجاه فى عينه إلا أن ذلك إنما يصغر فى عين من ينظر إلى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن البصرى حين كتب إلى عمر بن عبد العزيز. أما بعد، فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كائنا وكذلك حال عمر بن عبد العزيز حين كتب فى جوابه، أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل فهؤلاء كان التفاتهم إلى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى إذ علموا أن العاقبة للمتقين فاستحقروا الجاه والمال فى الدنيا وأبصار أكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها إلى مشاهدة العواقب ولذلك قال تعالى ـ بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ـ وقال عز وجل ـ كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة ـ فمن هذا حده فينبغى أن يعالج قلبه من حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو أن يتفكر فى الأخطار

ورد «أرض الجنة قيعان نباتها التسبيح والتقديس» والقالب بمفرده على طبيعة الحيوانات يستعان به على عمارة الدنيا والروح والقلب على طبيعة الملائكة يستعان بهما على عمارة الآخرة وباجتماعهما صلحا لعمارة الدارين والله تعالى ركب الآدمى بلطيف حكمته من أخص جواهر الجسمانيات والروحانيات وجعله مستودع خلاصة الأرضين والسموات جعل عالم الشهادة وما فيها من النبات والحيوان لقوام بدن

التى يستهدف لها أرباب الجاه فى الدنيا فان كل ذى جاه محسود ومقصود بالايذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من أن تتغير منزلته فى القلوب والقلوب أشد تغيرا من القدر فى غليانها وهى مترددة بين الإقبال والاعراض فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهى ما يبنى على أمواج البحر فانه لاثبات له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع أذى الأعداء كل ذلك غموم عاجلة ومكدرة للذة الجاه فلا يفى فى الدنيا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت فى الآخرة فبهذا ينبغى أن تعالج البصيرة الضعيفة وأما من نفذت بصيرته وقوى إيمانه فلا يلتفت إلى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم . وأما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة أفعال يلام عليها حتى يسقط من أعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويأنس بالخمول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو مذهب الملامتية إذ اقتحموا الفواحش فى صورتها ليسقطوا أنفسهم من أعين الناس فيسلموا من آفة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين فى قلوب المسلمين وأما الذى لا يقتدى به فلا يجوز له أن يقدم على محظور لأجل ذلك بل له أن يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روى أن بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا وأخذ يأكل بشره ويعظم اللقمة فلما نظر إليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذى صرفك عنى ومنهم من شرب شرابا حلالا فى قدح لونه لون الخمر حتى يظن به أنه يشرب الخمر فيسقط من أعين الناس وهذا فى جوازه نظر من حيث الفقه إلا أن أرباب الأحوال ربما يعالجون أنفسهم بما لا يفتى به الفقيه مهما رأوا إصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد وأقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثياب غيره وخرج فوقف فى الطريق حتى عرفوه فأخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا إنه طرار وهجروه وأنوى الطرق فى قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة إلى موضع الخمول فان المعتزل فى بيته فى البلد الذى هو به مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التى ترسخ له فى القلوب بسبب عزلته فانه ربما يظن أنه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وإنما سكنت نفسه لأنها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه فذموه أو نسبوه إلى أمر غير لائق به جزعت نفسه وتألمت وربما توصلت إلى الاعتذار عن ذلك وإماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج فى إزالة ذلك عن قلوبهم إلى كذب وتلبيس ولا يبالى به وبه يتبين بعد أنه محب للجاه والمنزلة ومن أحب الجاه والمنزلة فهو كمن أحب المال بل هو شر منه فان فتنة الجاه أعظم ولا يمكنه أن لا يحب المنزلة فى قلوب الناس مادام يطمع فى الناس فاذا أحرز قوته من كسبه أو من جهة أخرى وقطع طمعه عن الناس رأسا أصبح الناس كلهم عنده كالأرذال فلا يبالى أكان له منزلة فى قلوبهم أم لم يكن كما لا يبالى بما فى قلوب الذين هم منه فى أقصى المشرق لأنه لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا يقطع الطمع عن الناس إلا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس وإذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته فى القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه إلا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك بالأخبار الواردة فى ذم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة أو ولة أو علة وينظر فى أحوال السلف وإيثارهم للذل على العز ورغبتهم فى ثواب الآخرة رضى الله عنهم أجمعين .

(بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم)

اعلم أن أكبر الناس إنما هلكوا بخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصار حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء للمدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الأسباب التى لأجلها يحب المدح ويكره الذم . أما السبب الأول : فهو استشعار الكمال بسبب قول

الآدمى قال الله تعالى ـ خلق لكم ما فى الأرض جميعا ـ فكوّن الطبائع وهى الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة وكوّن بواسطتها النبات وجعل النبات قواما للحيوانات مسخرة للآدمى يستعين بها على أمر معاشه لقوام بدنه فالطعام يصل إلى المعدة وفى المعدة طباع أربع وفى الطعام طباع أربع فاذا أراد الله اعتدال مزاج البدن أخذ كلّ طبع من طباع المعدة ضدّه من الطعام فتأخذ الحرارة للبرودة والرطوبة لليبوسة فيعتدل

المادح فطريقك فيه أن ترجع إلى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التى يمدحك بها أنت متصف بها أم لا فان كنت متصفا بها فهى إما صفة تستحق بها المدح كالعلم والورع وإما صفة لاتستحق المدح كالثروة والجاه والأعراض الدنيوية فان كانت من الأعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الأرض الذى يصير على القرب هشيما تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول كما قال المتنبى:

أشدّ الغم عندى فى سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا

فلا ينبغى أن يفرح الانسان بعروض الدنيا وإن فرح فلا ينبغى أن يفرح بمدح المادح بها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها ، وإن كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغى أن لايفرح بها لأن الخاتمة غير معلومة وهذا إنما يقتضى الفرح لأنه يقرب عند الله زلفى وخطر الخاتمة باق ففى الخوف من سوء الخاتمة شغل عن الفرح بكل مافى الدنيا بل الدنيا دار أحزان وغموم لادار فرح وسرور ثم إن كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغى أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لابمدح المادح فان اللذة فى استشعار الكمال والكمال موجود من فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلا ينبغى أن تفرح بالمدح والمدح لايزيدك فضلا وإن كانت الصفة التى مدحت بها أنت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من يهزأ به إنسان ويقول سبحان الله ماأكثر العطر الذى فى أحشائه وما أطيب الروائح التى تفوح منه إذا قضى حاجته وهو يعلم ماتشتمل عليه أمعاؤه من الأقذار والأنتان ثم يفرح بذلك فكذلك إذا أثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خبائث باطنك وغوائل سريرتك وأقذار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فاذا المادح إن صدق فليكن فرحك بصفتك التى هى من فضل الله عليك وان كذب فينبغى أن يغمك ذلك ولاتفرح به.

وأما السبب الثانى وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب آخر فهذا يرجع إلى حب الجاه والمنزلة فى القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المنزلة عند الله ، وبأن تعلم أن طلبك المنزلة فى قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به . وأما السبب الثالث وهو الحشمة التى اضطرت المادح إلى المدح فهو أيضا يرجع إلى قدرة عارضة لاثبات لها ولا تستحق الفرح بل ينبغى أن يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لأن آفة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناه فى كتاب آفات اللسان . قال بعض السلف : من فرح بمدح فقد مكن الشيطان من أن يدخل فى بطنه . وقال بعضهم : إذا قيل لك نعم الرجل أنت فكان أحب إليك من أن يقال لك بئس الرجل أنت فأنت والله بئس الرجل ، وروى فى بعض الأخبار فان صح فهو قاصم للظهور « أن رجلا أثنى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذى قلت فمات على ذلك دخل النار (١) » وقال صلى الله عليه وسلم مرّة للمادح « ويحك قصمت ظهره لو سمعك ما أفلح إلى يوم القيامة (٢) » وقال عليه السلام « ألا لاتمادحوا وإذا رأيتم المادحين فاحثوا فى وجوههم التراب (٣) » فلهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور العظيم به حتى إن بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شىء فقال أنت ياأمير المؤمنين خير منى وأعلم فغضب وقال إنى لم آمرك بأن تزكينى ، وقيل لبعض الصحابة لايزال الناس بخير ما أبقاك الله فغضب وقال

(١) حديث أن رجلا أثنى على رجل خيرا فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذى قلت ومات على ذلك دخل النار لم أجد له أصلا (٢) حديث ويحك قطعت ظهره الحديث قاله للمادح تقدم .
(٣) حديث ألا لا تمادحوا وإذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب تقدم دون قوله ألا لاتمادحوا.

المزاج ويأمن الاعوجاج وإذا أراد الله تعالى إفناء قالب وتخريب بنية أخذت كلّ طبيعة جنسها من المأكول فتميل الطبائع ويضطرب المزاج ويسقم البدن ذلك تقدير العزيز العليم . روى عن وهب بن منبه قال : وجدت فى التوراة صفة آدم عليه السلام إنى خلقت آدم وركبت جسده من أربعة أشياء من رطب ويابس وبارد وسخن وذلك لأنى خلقته من التراب وهو يابس ورطوبته من الماء

إنى لأحسبك عراقيا ، وقال بعضهم لما مدح : اللهم إن عبدك تقرب إلى بمقتك فأشهدك على مقته وإنما كرهوا المدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله يبغض إليهم مدح الخلق لأن الممدوح هو المقرب عند الله والمذموم بالحقيقة هو المبعد من الله الملقى فى النار مع الأشرار ، فهذا الممدوح إن كان عند الله من أهل النار فما أعظم جهله إذا فرح بمدح غيره وإن كان من أهل الجنة فلا ينبغى أن يفرح إلا بفضل الله تعالى وثنائه عليه إذ ليس أمره بيد الخلق ، ومهما علم أن الأرزاق والآجال بيد الله تعالى قل التفاته إلى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من أمر دينه ، والله الموفق للصواب برحمته .

(بيان علاج كراهة الذمّ)

قد سبق أن العلة فى كراهة الذم هو ضد العلة فى حب المدح فعلاجه أيضا يفهم منه والقول الوجيز فيه أن من ذمك لا يخلو من ثلاثة أحوال : إما أن يكون قد صدق فيما قال وقصد به النصح والشفقة ، وإما أن يكون صادقا ولكن قصده الايذاء والتعنت ، وإما أن يكون كاذبا فان كان صادقا وقصده النصح فلا ينبغى أن تذمه وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغى أن تتقلد منته فان من أهدى إليك عيوبك فقد أرشدك إلى المهلك حتى تتقيه فينبغى أن تفرح به وتشتغل بازالة الصفة المذمومة عن نفسك إن قدرت عليها فأما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك إياه فانه غاية الجهل وإن كان قصده التعنت فأنت قد انتفعت بقوله إذ أرشدك إلى عيبك إن كنت جاهلا به أو ذكرك عيبك إن كنت غافلا عنه أو قبحه فى عينك لينبعث حرصك على إزالته إن كنت قد استحسنته وكل ذلك أسباب سعادتك وقد استفدته منه فاشتغل بطلب السعادة فقد أتيح لك أسبابها بسبب ما سمعته من المذمة فهما قصدت الدخول على ملك وثوبك ملوث بالعذرة وأنت لا تدرى ولو دخلت عليه كذلك لخفت أن يحز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال لك قائل أيها الملوث بالعذرة طهر نفسك فينبغى أن تفرح به لأن تنبيهك بقوله غنيمة وجميع مساوى الأخلاق مهلكة فى الآخرة والانسان إنما يعرفها من قول أعدائه فينبغى أن تغتنمه . وأما قصد العدو التعنت فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بقول انتفعت به أنت وتضرر هو به . الحالة الثالثة : أن يفترى عليك بما أنت برىء منه عند الله تعالى فينبغى أن لا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل تتفكر فى ثلاثة أمور : أحدها أنك إن خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن أمثاله وأشباهه وما ستره الله من عيوبك أكثر فاشكر الله تعالى إذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما أنت برىء عنه ، والثانى أن ذلك كفارات لبقية مساويك وذنوبك فكأنه رماك بعيب أنت برىء منه وطهرك من ذنوب أنت ملوث بها وكل من اغتابك فقد أهدى إليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك ، فما بالك تفرح بقطع الظهر وتحزن لهدايا الحسنات التى تقربك إلى الله تعالى وأنت تزعم أنك تحب القرب من الله . وأما الثالث فهو أن المسكين قد جنى على دينه حتى سقط من عين الله وأهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الأليم فلا ينبغى أن تغضب عليه مع غضب الله عليه فتشمت به الشيطان وتقول اللهم أهلكه بل ينبغى أن تقول اللهم أصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم «اللهم اغفر لقومى اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون[1]» لما أن كسروا ثنيته وشجوا وجهه وقتلوا عمه حمزة يوم أحد ودعا إبراهيم بن أدهم لمن شج رأسه بالمغفرة فقيل له فى ذلك فقال علمت أنى مأجور بسببه وما نالنى منه إلا الخير فلا أرضى أن يكون

وحرارته من قبل النفس وبرودته من قبل الروح وخلقت فى الجسد بعد هذا الخلق الأوّل أربعة أنواع من الخلق هنّ ملاك الجسم بإذنى وبهنّ قوامه فلا يقوم الجسم إلا بهنّ ولا تقوم منهنّ واحدة إلا بأخرى منهنّ المرة السوداء والمرة الصفراء والدم والبلغم ثم أسكنت بعض هذا الخلق فى بعض فجعلت مسكن اليبوسة فى المرّة السوداء ومسكن الرطوبة فى المرة الصفراء ومسكن الحرارة فى الدم ومسكن البرودة

(١) حديث اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون قاله لما ضربه قومه البيهقى فى دلائل النبوة وقد تقدم والحديث فى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قاله حكاية عن نبى من الأنبياء حين ضربه قومه .

هو معاقبا بسببي ومما يهون عليك كراهة المذمة قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم أثر ذلك فى قلبه وأصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن المال والجاه ومادام الطمع قائما كان حب الجاه والمدح فى قلب من طمعت فيه غالبا وكانت همتك إلى تحصيل المنزلة فى قلبه مصروفة ولا ينال ذلك إلا بهدم الدين فلا ينبغى أن يطمع طالب المال والجاه ومحب المدح ومبغض الذم فى سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا.

(بيان اختلاف أحوال الناس فى المدح والذم)

اعلم أن للناس أربعة أحوال بالاضافة إلى الذام والمادح : الحالة الأولى أن يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافئه أو يحب مكافأته وهذا حال أكثر الخلق وهو غاية درجات المعصية فى هذا الباب . الحالة الثانية أن يمتعض فى الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافأته ويفرح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن إظهار السرور وهذا من النقصان إلا أنه بالاضافة إلى ماقبله كمال . الحالة الثالثة وهى أول درجات الكمال أن يستوى عنده ذامه ومادحه فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا إن لم يمتحن نفسه بعلاماته ، وعلاماته أن لايجد فى نفسه استثقالا للذام عند تطويله الجلوس عنده أكثر مما يجده فى المادح وأن لايجد فى نفسه زيادة هزة ونشاط فى قضاء حوائج المادح فوق مايجده فى قضاء حاجة الذام وأن لايكون انقطاع الذام عن مجلسه أهون عليه من انقطاع المادح وأن لايكون موت المادح المطرى له أشد نكاية فى قلبه من موت الذام وأن لايكون غمه بمصيبة المادح وما يناله من أعدائه أكثر مما يكون بمصيبة الذام وأن لاتكون زلة المادح أخف على قلبه وفى عينه من زلة الذام فمهما خف الذام على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما أبعد ذلك وما أشده على القلوب وأكثر العباد فرحهم بمدح الناس لهم مستبطن فى قلوبهم وهم لايشعرون حيث لايمتحنون أنفسهم بهذه العلامات وربما شعر العابد بميل قلبه إلى المادح دون الذام والشيطان يحسن له ذلك ويقول الذام قد عصى الله بمذمتك والمادح قد أطاع الله بمدحك فكيف تسوى بينهما وإنما استثقالك للذام من الدين المحض وهذا محض التلبيس فان العابد لو تفكر علم أن فى الناس من ارتكب كبائر المعاصى أكثر مما ارتكب الذام فى مذمته ثم إنه لايستثقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم أن المادح الذى مدح لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد فى نفسه نفرة عنه بمذمة غيره كما يجد لمذمة نفسه والمذمة من حيث إنها معصية لاتختلف بأن يكون هو المذموم أو غيره فاذن العابد المغرور لنفسه يغضب ولهواه يمتعض ثم إن الشيطان يخيل إليه أنه من الدين حتى يعتل على الله بهواه فيزيده ذلك بعدا من الله ومن لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات النفوس فأكثر عباداته تعب ضائع يفوت عليه الدنيا ويخسره فى الآخرة وفيهم قال الله تعالى ـ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ـ الحالة الرابعة وهى الصدق فى العبادة أن يكره المدح ويمقت المادح إذ يعلم أنه فتنة عليه قاصمة للظهر مضرة له فى الدين ويحب الذام إذ يعلم أنه مهد إليه عيبه ومرشد له إلى مهمه ومهد إليه حسناته فقد قال ﷺ «رأس التواضع أن تكره أن تذكر بالبر والتقوى (١) » وقد روى فى بعض الأخبار ما هو قاصم لظهور أمثالنا إن صح إذ روى أنه صلى الله عليه وسلم قال « ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف إلا من ، فقيل يارسول الله إلا من ؟ فقال إلا من تنزهت نفسه عن الدنيا وأبغض المدحة واستحب المذمة(٢) »

(١) حديث رأس التواضع أن يكره أن يذكر بالبر والتقوى لم أجد له أصلا (٢) حديث ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف الحديث لم أجده هكذا وذكر صاحب الفردوس من حديث أنس ويل لمن لبس الصوف فخالف فعله قوله ولم يخرجه ولده فى مسنده .

فى البلغم فأيما جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الأربع التى جعلتها ملاكه وقوامه فكانت كل واحدة منهن ربعا لايزيد ولا ينقص كملت صحته واعتدلت بنيته فان زادت منهن واحدة عليهن هزمتهن ومالت بهن ودخل عليه السقم من ناحيته بقدر غلبتها حتى يضعف عن طاقتهن ويعجز عن مقدارهن فأهم الأمور فى الطعام أن يكون حلالا وكل مالا يذمه الشرع حلال رخصة ورحمة من الله لعباده ولولا رخصة الشرع

وهذا شديد جدا وغاية أمثالنا الطمع فى الحالة الثانيـة وهو أن يضمر الفرح والـكراهة على الذام والمادح ولايظهر ذلك بالقول والعمل فأما الحالة الثالثة وهى التسوية بين المادح والذام فلسنا نطمع فيها ثم إن طالبنا أنفسنا بعلامة الحالة الثانية فانها لاتفى بها لأنها لابد وأن تتسارع إلى إكرام المادح وقضاء حاجاته وتتثاقل على إكرام الذام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا نقدر على أن نسوى بينهما فى الفعل الظاهر كما لانقدر عليه فى سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين المادح والذام فى ظاهر الفعل فهو جدير بأن يتخذ قدوة فى هـذا الزمان إن وجد فانه الـكبريت الأحمر يتحدث الناس به ولايرى فـكيف بما بعده من المرتبتين وكل واحدة من هذه الرتب أيضا فيها درجات أما الدرجات فى المدح فهو أن من الناس من يتمنى المدحة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل إلى نيل ذلك بكل مايمكن حتى يرائى بالعبادات ولايبالى بمفارقة المحظورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق ألسنتهم بالمدح وهـذا من الهالـكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولايباشر المحظورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذى يستميل به القلوب وحدود الأعمال لايمكنه أن يضبطها فيوشك أن يقع فيما لايحل لنيل الحمد فهو قريب من الهالـكين جدا ومنهم من لايريد المدحة ولا يسعى لطلبها ولـكن إذا مدح سبق السرور إلى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الـكراهية فهو قريب من أن يستجره فرط السرور إلى الرتبة التى قبلها وإن جاهد نفسه فى ذلك وكلف قلبه الـكراهية وبغض السرور إليه بالتفـكر فى آفات المدح فهو فى خطر المجاهدة فتارة تـكون اليـد له وتارة تـكون عليه ومنهم من إذا سمع المدح لم يسر به ولم يغتم به ولم يؤثر فيه وهذا على خير وإن كان قد بقى عليه بقية من الإخلاص ومنهم من يكره المدح إذا سمعه ولـكن لايتهى به إلى أن يغضب على المادح وينـكر عليه وأقصى درجاته أن يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه لا أن يظهر الغضب وقلبه محب له فان ذلك عين النفاق لأنه يريد أن يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالضد من هـذا تتفاوت الأحوال فى حق الذام وأول درجاته إظهار الغضب وآخرها إظهار الفرح ولايكون الفرح وإظهاره إلا عن فى قلبه حنق وحقد على نفسه لمردها عليه وكثرة عيوبها ومواعيدها الـكاذبة وتلبيساتها الخبيثة فيبغضها بغض العدو والانسان يفرح ممن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح إذا سمع ذمها ويشـكر الذام على ذلك ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفى له من نفسه ويكون غنيمة عنده إذا صار بالمذمة أوضع فى أعين الناس حتى لايبتلى بفتنة الناس وإذا سيقت إليه حسنات لم ينصب فيها فعساه يكون خيرا لعيوبه التى هو عاجز عن إماطتها ولو جاهد المريد نفسه طول عمره فى هذه الخصلة الواحدة وهو أن يستوى عنده ذامه ومادحه لـكان له شغل شاغل فيه لايتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه إحداها ولايقطع شيئا منها إلا بالمجاهدة الشديدة فى العمر الطويل .

(الشطر الثانى : من الـكتاب فى طلب الجاه والمنزلة بالعبادات)

وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء ومايرائى به وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الخفى وبيان مايحبط العمل من الرياء ومالايحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة فى إظهار الطاعات وبيان الرخصة فى كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان مايصح من نشاط العبد للعبادات بسبب رؤية الخلق وبيان مايجب على المريد أن يلزمه قلبه قبل الطاعة وبعدها وهى عشرة فصول وبالله التوفيق .

كبر الأمر وأتعب طلب الحلال . ومن أدب الصوفية رؤية المنعم على النعمة وأن يبتدئ بغسل اليـد قبل الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر» وإنما كان موجبا لنفى الفقر لأن غسل اليد قبل الطعام استقبال النعمة بالأدب وذلك من شكر النعـمة والشـكر يستوجب المزيد فصار غسل اليد مستجلبا للنعمة مذهبا للفقر وقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله

(بيان ذم الرياء)

اعلم أن الرياء حرام والمرائى عند الله ممقوت وقد شهدت لذلك الآيات والأخبار والآثار . أما الآيات : فقوله تعالى ـ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ـ وقوله عز وجل ـ والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ـ قال مجاهد : هم أهل الرياء وقال تعالى ـ إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكورا ـ فمدح المخلصين ينفى كل إرادة سوى وجه الله والرياء ضده وقال تعالى ـ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحدا ـ (١) » نزل ذلك فيمن يطلب الأجر والحمد بعباداته وأعماله . وأما الأخبار : فقد قال ﷺ حين سأله رجل فقال يارسول الله فيم النجاة ؟ فقال «أن لايعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس» وقال أبو هريرة فى حديث الثلاثة : المقتول فى سبيل الله والمتصدق بماله والقارىء لكتاب الله كما أوردناه فى كتاب الاخلاص وإن الله عز وجل يقول لكل واحد منهم كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع كذبت بل أردت أن يقال فلان قارىء فأخبر صلى الله عليه وسلم «أنهم لم يثابوا وأن رياءهم هو الذى أحبط أعمالهم (٢) » وقال ابن عمر رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم «من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به (٣) » وفى حديث آخر طويل « إن الله تعالى يقول للملائكة إن هذا لم يردنى بعمله فاجعلوه فى سجين (٤) » وقال ﷺ «إن أخوف ماأخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر يارسول الله ؟ قال الرياء ، يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم «استعيذوا بالله عز وجل من جب الحزن قيل وماهو يارسول الله قال واد فى جهنم أعد للقراء المرائين (٦) » وقال ﷺ «يقول الله عز وجل : من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فهو له كله وأنا منه برىء وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك (٧) »

---

(١) حديث نزول قوله تعالى ـ من كان يرجوا لقاء ربه ـ الآية فيمن يطلب الآخرة والحمد بعباداته وأعماله الحاكم من حديث طاوس قال رجل إنى أقف الموقف أبتغى وجه الله وأحب أن يرى موطنى فلم يرد عليه حتى نزلت هذه الآية هكذا فى نسختى من المستدرك ولعله سقط منه ابن عباس أو أبو هريرة وللبزار من حديث معاذ بسند ضعيف من صام رياء فقد أشرك الحديث وفيه أنه صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية (٢) حديث أبى هريرة فى الثلاثة : المقتول فى سبيل الله والمتصدق بماله والقارىء لكتابه فان الله يقول لكل واحد منهم كذبت رواه مسلم وسيأتى فى كتاب الاخلاص (٣) حديث ابن عمر من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله وأما حديث ابن عمر فرواه الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب من رواية شيخ يكنى أبا يزيد عنه بلفظ من سمع الناس سمع الله به سامع خلقه وحقره وصغره وفى الزهد لابن المبارك ومسند أحمد بن منيع أنه من حديث عبد الله بن عمرو (٤) حديث إن الله يقول للملائكة إن هذا لم يردنى بعمله فاجعلوه فى سجين ابن المبارك فى الزهد ومن طريقه ابن أبى الدنيا فى الاخلاص. وأبو الشيخ فى كتاب العظمة من رواية حمزة بن حبيب مرسلا ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات (٥) حديث إن أخوف ماأخاف عليكم الشرك الأصغر الحديث أحمد والبيهقى فى الشعب من حديث محمود بن لبيد وله رواية ورجاله ثقات ورواه الطبرانى من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج (٦) حديث استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وماهو ؟ قال وادفى جهنم أعد للقراء المرائين الترمذى وقال غريب وابن ماجه من حديث أبى هريرة وضعفه ابن عدى (٧) حديث يقول الله من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فهو له كله

عليه وسلم أنه قال « من أحب أن يكثر خير بيته فليتوضأ إذا حضر غداؤه ثم يسمى الله تعالى » فقوله تعالى ـ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ـ تفسيره تسمية الله تعالى عند ذبح الحيوان . واختلف الشافعى وأبو حنيفة رحمهما الله فى وجوب ذلك وفهم الصوفى من ذلك بعد القيام بظاهر التفسير أن لايأكل الطعام إلا مقرونا بالذكر فقرنه فريضة وقته وأدبه ويرى أن تناول الطعام والماء ينتج من إقامة النفس ومتابعة

وقال عيسى المسيح صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس أنه صائم وإذا أعطى بيمينه فليخف عن شماله وإذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق ، وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « لايقبل الله عز وجل عملا فيه مثقال ذرة من رياء (١) » وقال عمر لمعاذ بن جبل حين رآه يبكى ما يبكيك ؟ قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعنى النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن أدنى الرياء شرك (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية (٣) » وهى أيضا ترجع إلى خطايا الرياء ودقائقه وقال صلى الله عليه وسلم « إن فى ظل العرش يوم لاظل إلا ظله رجلا تصدق بيمينه فكاد يخفيها عن شماله (٤) » ولذلك ورد « أن فضل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفا (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن المرائى ينادى عليه يوم القيامة يافاجر ياغادر يامرائى ضل عملك وحبط أجرك اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له (٦) » وقال شداد بن أوس « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يبكى فقلت مايبكيك يارسول الله ؟ قال إنى تخوفت على أمتى الشرك أما إنهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراءون بأعمالهم (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله الأرض مادت بأهلها فخلق الجبال فصيرها أوتادا للأرض فقالت الملائكة ماخلق ربنا خلقا هو أشد من الجبال فخلق الله الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فأذابت الحديد ثم أمر الله الماء بإطفاء النار وأمر الريح فكدرت الماء فاختلفت الملائكة فقالت نسأل الله تعالى قالوا يارب ما أشد ماخلقت من خلقك ؟ قال الله تعالى لم أخلق خلقا هو أشد على من قلب ابن آدم حين يتصدق بصدقة بيمينه فيخفيها عن شماله فهذا أشد خلقا خلقته (٨) » وروى عبد الله بن مبارك باسناده عن رجل أنه قال لمعاذ بن جبل حدثنى حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى معاذ حتى ظننت أنه لايسكت ثم سكت ثم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال لى « يامعاذ قلت لبيك بأبى أنت وأمى يارسول الله قال

الحديث مالك واللفظ له من حديث أبى هريرة دون قوله وأنا منه برىء ومسلم مع تقديم وتأخير دونها أيضا وهى عند ابن ماجه بسند صحيح (١) حديث لايقبل الله عملا فيه مقدار ذرة من رياء لم أجده هكذا (٢) حديث معاذ إن أدنى الرياء شرك الطبرانى هكذا والحاكم بلفظ إن اليسير من الرياء شرك وقد تقدم قبل هذه الورقة (٣) حديث أخوف ماأخاف عليكم الرياء الحديث تقدم فى أول هذا الكتاب (٤) حديث إن فى ظل العرش يوم لاظل إلا ظله رجلا تصدق بيمينه فكاد أن يخفيها عن شماله متفق عليه من حديث أبى هريرة بنحوه فى حديث سبعة يظلهم الله فى ظله (٥) حديث تفضيل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفه البيهقى فى الشعب من حديث أبى الدرداء إن الرجل ليعمل العمل فيكتب له عمل صالح معمول به فى السر يضعف أجره سبعين ضعفا قال البيهقى هذا من أفراد بقية عن شيوخه المجهولين وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب الاخلاص من حديث عائشة بسند ضعيف يفضل الذكر الخفى الذى لاتسمعه الحفظة على الذكر الذى تسمعه الحفظة سبعين درجة (٧) حديث إن المرائى ينادى يوم القيامة يافاجر ياغادر يامرائى ضل عملك وحبط أجرك الحديث ابن أبى الدنيا من رواية جبلة اليحصبى عن صحابى لم يسم وزاد يا كافر ياخاسر ولم يقل يامرائى وإسناده ضعيف (٧) حديث شداد بن أوس إنى تخوفت على أمتى الشرك الحديث ابن ماجه والحاكم نحوه وقد تقدم قريبا (٨) حديث لما خلق الله الأرض مادت بأهلها الحديث وفيه لم أخلق خلقا هو أشد من ابن آدم يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله الترمذى من حديث أنس مع اختلاف وقال غريب .

هواها ويرى ذكر الله تعالى دواءه وترياقه . روت عائشة رضى الله عنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل الطعام فى ستة نفر من أصحابه فجاء أعرابى فأكله بلقمتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إنه لوكان يسمى الله لكفاكم فاذا أكل أحدكم طعاما فليقل بسم الله فان نسى أن يقول بسم الله فليقل بسم الله أوله وآخره » ويستحب أن يقول فى أول لقمة بسم الله وفى الثانية بسم الله الرحمن وفى الثالثة يتم ويشرب

إنى محدثك حديثا إن أنت حفظته نفعك وإن أنت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيامة يامعاذ إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض ثم خلق السموات فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين أصبح إلى حين أمسى له نور كنور الشمس حتى إذا صعدت به إلى السماء الدنيا زكته فكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب الغيبة أمرنى ربى أن لا أدع عمل من اغتاب الناس يجاوزنى إلى غيرى قال ثم تأتى الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد فتمر به فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به إلى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه أراد بعمله هذا عرض الدنيا أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى إنه كان يفتخر به على الناس فى مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلاة قد أعجب الحفظة فيجاوزون به إلى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى إنه كان يتكبر على الناس فى مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدرى له دوى من تسبيح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به ظهره وبطنه أنا صاحب العجب أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى إنه كان إذا عمل عملا أدخل العجب فى عمله قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به السماء الخامسة كأنه العروس المزفوفة إلى أهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه أنا ملك الحسد إنه كان يحسد الناس من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون بها إلى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه كان لا يرحم إنسانا قط من عباد الله أصابه بلاء أو ضر أضر به بل كان يشمت به أنا ملك الرحمة أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى قال وتصعد الحفظة بعمل العبد إلى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة وزكاة واجتهاد وورع له دوى كدوى الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به إلى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه: اضربوا به جوارحه اقفلوا به على قلبه إنى أحجب عن ربى كل عمل لم يرد به وجه ربى إنه أراد بعمله غير الله تعالى إنه أراد رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا فى المدائن أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائى قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله تعالى وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطعوا به الحجب كلها إلى الله عز وجل فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله قال فيقول الله لهم أنتم الحفظة على عمل عبدى وأنا الرقيب على نفسه إنه لم يردنى بهذا العمل وأراد به غيرى فعليه لعنتى فتقول الملائكة كلهم عليه لعنتك ولعنتنا وتقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع والأرض ومن فيهن قال معاذ قلت يارسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ قال اقتد بى وإن كان فى عملك نقص يامعاذ احفظ على لسانك من الوقيعة فى إخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا فى عمل الآخرة ولا تتكبر فى مجلسك

الماء بثلاثة أنفاس يقول فى أول نفس بسم الله إذا شرب وفى الثانية الحمد لله رب العالمين وفى الثالثة الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وكما أن للمعدة طباعا تتقذر كما ذكرناه بموافقة طباع الطعام فللقلب أيضا مزاج وطباع لأرباب التفقد والرعايا واليقظة يعرف انحراف مزاج القلب من اللقمة المتناولة تارة تحدث من اللقمة حرارة الطيش بالنهوض إلى الفضول وتارة تحدث فى القلب برودة الكسل بالتقاعد عن وظيفة الوقت وتارة

لكى يحذر الناس من سوء خلقك ولاتناج رجلا وعندك آخر ولاتتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا ولاتمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة فى النار قال الله تعالى ـ والناشطات نشطا ـ أتدرى من هن يامعاذ ؟ قلت ماهن بأبى أنت وأمى يارسول الله ؟ قال كلاب فى النار تنشط اللحم والعظم . قلت بأبى أنت وأمى يارسول الله فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها ؟ قال يامعاذ إنه ليسير على من يسره الله عليه (١) » قال فما رأيت أكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر مما فى هذا الحديث . وأما الآثار : فيروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى رجلا يطأطىء رقبته فقال ياصاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع فى الرقاب إنما الخشوع فى القلوب ورأى أبوأمامة الباهلى رجلا فى المسجد يبكى فى سجوده فقال أنت أنت لو كان هذا فى بيتك . وقال على كرم الله وجهه : للمرائى ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان فى الناس ويزيد فى العمل إذا أثنى عليه وينقص إذا ذم . وقال رجل لعبادة بن الصامت أقاتل بسيفى فى سبيل الله أريد به وجه الله تعالى ومحمدة الناس قال لاشىء لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لاشىء لك ثم قال فى الثالثة إن الله يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشرك الحديث .وسأل رجل سعيد بن المسيب فقال إن أحدنا يصطنع المعروف يحب أن يحمد ويؤجر فقال له أتحب أن تمقت ؟ قال لا قال فاذا عملت لله عملا فأخلصه . وقال الضحاك : لايقولن أحدكم هذا لوجه الله ولوجهك لاويقولن هذا لله وللرحم فان الله تعالى لاشريك له وضرب عمر رجلا بالدرة ثم قال له اقتص منى فقال لابل أدعها لله ولك فقال له عمر ماصنعت شيئا إما أن تدعها لى فأعرف ذلك أوتدعها لله وحده فقال ودعتها لله وحده فقال فنعم إذن . وقال الحسن : لقد صحبت أقواما إن كان أحدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت أصحابه ومايمنعه منها إلا مخافة الشهرة وإن كان أحدهم ليمر فيرى الأذى فى الطريق فمايمنعه أن ينحيه إلا مخافة الشهرة . ويقال إن المرائى ينادى يوم القيامة بأربعة أسماء يامرائى ياغادر ياخاسر يافاجر اذهب فخذ أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا . وقال الفضيل بن عياض : كانوا يراءون بما يعملون وصاروا اليوم يراءون بمالايعملون . وقال عكرمة : إن الله يعطى العبد على نيته مالايعطيه على عمله لأن النية لارياء فيها . وقال الحسن رضى الله عنه :المرائى يريد أن يغلب قدر الله تعالى وهو رجل سوء يريد أن يقول الناس هو رجل صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأردياء فلا بد لقلوب المؤمنين أن تعرفه . وقال قتادة : إذا راءى العبد يقول الله تعالى انظروا إلى عبدى يستهزىء بى . وقال مالك بن دينار : القراء ثلاثة قراء الرحمن وقراء الدنيا وقراء الملوك وإن محمد بن واسع من قراء الرحمن . وقال الفضيل : من أراد أن ينظر إلى مراء فلينظر إلى . وقال محمد بن المبارك الصورى : أظهر السمت بالليل فانه أشرف من سمتك بالنهار لأن السمت بالنهار للمخلوقين وسمت الليل لرب العالمين . وقال أبو سليمان :التوقى عن العمل أشد من العمل . وقال ابن المبارك : إن كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان فقيل له وكيف ذاك ؟ قال يحب أن يذكر أنه مجاور بمكة . وقال ابراهيم بن أدهم : ماصدق الله من أراد أن يشتهر.

تحدث رطوبة السهو والغفلة وتارة يبوسة الهم والحزن بسبب الحظوظ العاجلة فهذه كلها عوارض يتفطن لها المتيقظ ويرى تغير القالب بهذه العوارض تغير مزاج القلب عن الاعتدال والاعتدال كما هو مهم طلبه للقالب فللقلب أهم وأولى وتطرق الانحراف إلى القلب أسرع منه إلى القالب ومن الانحراف مايسقم به القلب فيموت لموت القالب واسم الله تعالى دواء نافع مجرب يقى الأسواء ويذهب الداء ويجلب الشفاء . حكى

(١) حديث معاذ الطويل إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها الحديث بطوله فى صعود الحفظة بعمل العبد ورد الملائكة له من كل سماء ورد الله تعالى له بعد ذلك عزاه المصنف إلى رواية عبد الله بن المبارك باسناده عن رجل عن معاذ وهو كما قال رواه فى الزهد وفى إسناده كما ذكر من لم يسم ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات .

(بيان حقيقة الرياء ومايراءى به)

اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع وإنما الرياء أصله طلب المنزلة فى قلوب الناس بإرائهم خصال الخير إلا أن الجاه والمنزلة تطلب فى القلب بأعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة فى القلوب بالعبادات وإظهارها فحد الرياء هو إرادة العباد بطاعة الله فالمرائى هو العابد والمراءى هو الناس المطلوب رؤيتهم بطلب المنزلة فى قلوبهم والمراءى به هو الخصال التى قصد المرائى إظهارها والرياء هو قصده إظهار ذلك والمراءى به كثير وتجمعه خمسة أقسام وهى مجامع مايتزين به العبد للناس وهو البدن والزى والقول والعمل والأتباع والأشياء الخارجة وكذلك أهل الدنيا يراءون بهذه الأسباب الخمسة إلا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهون من الرياء بالطاعات.

[القسم الأول : الرياء فى الدين بالبدن] وذلك بإظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة وليدل بالنحول على قلة الأكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن على الدين وكذلك يرائى بتشعيث الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه الأسباب مهما ظهرت استدل الناس بها على هذه الأمور فارتاحت النفس لمعرفتهم فلذلك تدعوه النفس إلى إظهارها لنيل تلك الراحة ويقرب من هذا خفض الصوت وإغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على أنه مواظب على الصوم وأن وقار الشرع هو الذى خفض من صوته أو ضعف الجوع هو الذى ضعف من قوته وعن هذا قال المسيح عليه السلام : إذا صام أحدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه. وكذلك روى عن أبى هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان بالرياء ، ولذلك قال ابن مسعود أصبحوا صياما مدهنين فهذه مراءاة أهل الدين بالبدن ، فأما أهل الدنيا فيراءون باظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الأعضاء وتناسبها.

[الثانى : الرياء بالهيئة والزى] أما الهيئة فتشعيث شعر الرأس وحلق الشارب وإطراق الرأس فى المشى والهدوء فى الحركة وإبقاء أثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها إلى قريب من الساق وتقصير الأكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا كل ذلك يرائى به ليظهر من نفسه أنه متبع للسنة فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين ومن ذلك لبس المرقعة والصلاة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الإفلاس من حقائق التصوف فى الباطن ومنه التقنع بالازار فوق العمامة وإسبال الرداء على العينين ليرى به أنه قد انتهى تقشفه إلى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف إليه الأعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه من هو خال عن العلم ليوهم أنه من أهل العلم والمراءون بالزى على طبقات فمنهم من يطلب المنزلة عند أهل الصلاح باظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليرائى بغلظها ووسخها وقصرها وتخرقها أنه غير مكترث بالدنيا ولو كلف أن يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه أن يقول الناس قد بدا له من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب فى الدنيا وطبقة أخرى يطلبون القبول عند أهل الصلاح وعند أهل الدنيا من الملوك والوزراء والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردهم القراء ولو لبسوا الثياب المخرقة البذلة ازدرتهم أعين الملوك والأغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول أهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الأصواف الدقيقة والأكسية الرقيقة والمرقعات المصبوغة والفوط الرفيعة فيلبسونها ولعل قيمة ثوب أحد الأغنياء ولونه وهيئته لون

أن الشيخ محمدا الغزالى لما رجع إلى طوس وصف له فى بعض القرى عبد صالح فقصده زائرا فصادفه وهو فى صحراء له يبذر الحنطة فى الأرض فلما رأى الشيخ محمدا جاء إليه وأقبل عليه فجاء رجل من أصحابه وطلب منه البذر لينوب عن الشيخ فى ذلك وقت اشتغاله بالغزالى فامتنع ولم يعطه البذر فسأله الغزالى عن سبب امتناعه فقال لأنى أبذر هذا البذر بقلب حاضر ولسان ذاكر أرجو البركة فيه لكل من

ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول عند الفريقين وهؤلاء إن كلفوا لبس ثوب خشن أو وسخ لكان عندهم كالذبح خوفا من السقوط من أعين الملوك والأغنياء ولو كلفوا لبس الديبق والكتان الدقيق الأبيض والمقصب المعلم وإن كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم ذلك عليهم خوفا من أن يقول أهل الصلاح قد رغبوا فى زى أهل الدنيا وكل طبقة منهم رأى منزلته فى زى مخصوص فيثقل عليه الانتقال إلى مادونه أو إلى مافوقه وإن كان مباحا خيفة من المذمة ، وأما أهل الدنيا فمراءاتهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة وأنواع التوسع والتجمل فى الملبس والمسكن وأثاث البيت وفره الخيول وبالثياب المصبغة والطيالسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون فى بيوتهم الثياب الخشنة ويشتد عليهم لو برزوا للناس على تلك الهيئة مالم يبالغوا فى الزينة .

[الثالث : الرياء بالقول] ورياء أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الأخبار والآثار لأجل الاستعمال فى المحاورة واظهارا لغزارة العلم ودلالة على شدة العناية بأحوال السلف الصالحين وتحريك الشفتين بالذكر فى محضر الناس والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بمشهد الخلق وإظهار الغضب للمنكرات واظهار الأسف على مقارفة الناس للمعاصى وتضعيف الصوت فى الكلام وترقيق الصوت بقراءة القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والدق على من يروى الحديث ببيان خلل فى لفظه ليعرف أنه بصير بالأحاديث والمبادرة إلى أن الحديث صحيح أو غير صحيح لإظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد إفحام الخصم ليظهر للناس قوته فى علم الدين والرياء بالقول كثير وأنواعه لاتنحصر. وأما أهل الدنيا فمراءاتهم بالقول بحفظ الأشعار والأمثال والتفاصح فى العبارات وحفظ النحو الغريب للإغراب على أهل الفضل وإظهار التودد إلى الناس لاستمالة القلوب .

[الرابع : الرياء بالعمل] كمراءاة المصلى بطول القيام ومد الظهر وطول السجود والركوع واطراق الرأس وترك الالتفات وإظهار الهدوء والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة وباطعام الطعام وبالإخبات فى المشى عند اللقاء كارخاء الجفون وتنكيس الرأس والوقار فى الكلام حتى إن المرائى قد يسرع فى المشى إلى حاجته فاذا اطلع عليه أحد من أهل الدين رجع إلى الوقار وإطراق الرأس خوفا من أن ينسبه إلى العجلة وقلة الوقار فان غاب الرجل عاد إلى عجلته فاذا رآه عاد إلى خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون يجدد الخشوع له بل هو لاطلاع إنسان عليه يخشى أن لا يعتقد فيه أنه من العباد والصلحاء ومنهم من إذا سمع هذا استحيا من أن تخالف مشيته فى الخلوة مشيته بمرأى من الناس فيكلف نفسه المشية الحسنة فى الخلوة حتى إذا رآه الناس لم يفتقر إلى التغيير ويظن أنه يتخلص به عن الرياء وقد تضاعف به رياؤه فانه صار فى خلوته أيضا مرائيا فانه إنما يحسن مشيته فى الخلوة ليكون كذلك فى الملأ لا لخوف من الله وحياء منه ، وأما أهل الدنيا فمراءاتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطا والأخذ بأطراف الذيل وادارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة.

[الخامس : المراءاة بالأصحاب والزائرين والمخالطين] كالذى يتكلف أن يستزير عالما من العلماء ليقال إن فلانا قد زار فلانا أو عابدا من العباد ليقال إن أهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون إليه أو ملكا من الملوك أو عاملا من عمال السلطان ليقال إنهم يتبركون به لعظم رتبته فى الدين وكالذى يكثر ذكر الشيوخ ليرى أنه لقى شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيباهى بشيوخه ومباهاته ومراءاته تترشح منه عند مخاصمته فيقول لغيره من لقيت من الشيوخ وأنا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت الشيوخ وما يجرى مجراه فهذه مجامع ما يرائى به المراءون وكلهم يطلبون بذلك الجاه والمنزلة فى قلوب العباد ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى إلى ديره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل

يتناول منه شيئا فلا أحب أن أسلمه إلى هذا فيبذر بلسان غير ذاكر وقلب غير حاضر وكان بعض الفقراء عند الأكل يشرع فى تلاوة سورة من القرآن يحضر الوقت بذلك حتى تنغمر أجزاء الطعام بأنوار الذكر ولا يعقب الطعام مكروه ويتغير مزاج القلب وقد كان شيخنا أبو النجيب السهروردى يقول أنا آكل وأنا أصلى يشير إلى حضور القلب فى الطعام وربما كان يوقف من يمنع عنه الشواغل وقت أكله لئلا يتفرق همه

إلى قلة جبل مدة مديدة وإنما خبأته من حيث علمه بقيام جاهه فى قلوب الخلق ولو عرف أنهم نسبوه إلى جريمة فى ديره أو صومعته لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله ببراءة ساحته بل يشتد لذلك غمه ويسعى بكل حيلة فى إزالة ذلك من قلوبهم مع أنه قد قطع طمعه من أموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لذيذ كما ذكرناه فى أسبابه فانه نوع قدرة وكمال فى الحال وإن كان سريع الزوال لا يغتر به إلا الجهال ولكن أكثر الناس جهال ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان بالثناء والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت فى البلاد لتكثر الرحلة إليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجز الحوائج على يده فيقوم له بذلك جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك إلى جمع حطام وكسب مال ولو من الأوقاف وأموال اليتامى وغير ذلك من الحرام وهؤلاء شر طبقات المرائين الذين يراءون بالأسباب التى ذكرناها فهذه حقيقة الرياء وما به يقع الرياء. فان قلت فالرياء حرام أو مكروه أو مباح أو فيه تفصيل. فأقول فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو إما أن يكون بالعبادات أو بغير العبادات فان كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث إنه طلب منزلة فى قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات وأسباب محظورات فكذلك الجاه وكما أن كسب قليل من المال وهو ما يحتاج إليه الانسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات أيضا محمود وهو الذى طلبه يوسف عليه السلام حيث قال ـ إنى حفيظ عليم ـ وكما أن المال فيه سم ناقع ودرياق نافع فكذلك الجاه وكما أن كثير المال يلهى ويطغى وينسى ذكر الله والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل أشد وفتنة الجاه أعظم من فتنة المال وكما أنا لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول أيضا تملك القلوب الكثيرة حرام إلا إذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز، نعم انصراف الهم إلى سعة الجاه مبدأ الشرور كانصراف الهم إلى كثرة المال ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك معاصى القلب واللسان وغيرها وأما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله إن زال فلا ضرر فيه فلا جاه أوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاه الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهم إلى طلب الجاه نقصان فى الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذى يلبسه الانسان عند الخروج إلى الناس مراءاة وهو ليس بحرام لأنه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روى عن عائشة رضى الله عنها «أن رسول الله ﷺ أراد أن يخرج يوما إلى الصحابة فكان ينظر فى حب الماء ويسوى عمامته وشعره فقالت أو تفعل ذلك يا رسول الله قال نعم إن الله تعالى يحب من العبد أن يتزين لاخوانه إذا خرج إليهم[1]» نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة لأنه كان مأمورا بدعوة الخلق وترغيبهم فى الاتباع واستمالة قلوبهم ولو سقط من أعينهم لم يرغبوا فى اتباعه فكان يجب عليه أن يظهر لهم محاسن أحواله لئلا تزدريه أعينهم فان أعين عوام الخلق تمتد إلى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله ﷺ ولكن لو قصد قاصد به أن يحسن نفسه فى أعينهم حذرا من ذمهم ولومهم واستراحا إلى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد أمرا مباحا إذ للانسان أن يحترز من ألم المذمة ويطلب راحة الأنس بالاخوان ومهما استثقلوه واستقذروه لم يأنس بهم فاذن المراءاة بما ليس من العبادات قد تكون مباحة وقد تكون طاعة وقد تكون مذمومة وذلك بحسب الغرض المطلوب بها ولذلك نقول الرجل إذا أنفق ماله على جماعة من الأغنياء لا فى معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس أنه سخى فهذا مراءاة وليس بحرام وكذلك أمثاله. أما العبادات كالصدقة

(١) حديث عائشة أراد أن يخرج على أصحابه وكان ينظر فى حب الماء ويسوى عمامته وشعره الحديث ابن عدى فى الكامل وقد تقدم فى الطهارة.

وقت الأكل ويرى للذكر وحضور القلب فى الأكل أثرا كبيرا لا يسعه الإهمال له ومن الذكر عند الأكل الفكر فيما هيأ الله تعالى من الأسنان للعينة على الأكل فمنها الكاسرة ومنها القاطعة ومنها الطاحنة وما جعل الله تعالى من الماء الحلو فى الفم حتى لا يتغير الذوق كما جعل ماء العين مالحا لما كان شحما حتى لا يفسد وكيف جعل النداوة تنبع من أرجاء اللسان والفم ليعين ذلك على المضغ والسوغ وكيف جعل القوة الهاضمة مسلطة على

والصلاة والصيام والغزو والحج فللمرائى فيه حالتان: إحداهما أن لا يكون له قصد إلا الرياء المحض دون الأجر وهذا يبطل عبادته لأن الأعمال بالنيات وهذا ليس بقصد العبادة ثم لا يقتصر على إحباط عبادته حتى تقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصى بذلك ويأثم كما دلت عليه الأخبار والآيات. والمعنى فيه أمران أحدهما يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر لأنه خيل إليهم أنه مخلص مطيع لله وأنه من أهل الدين وليس كذلك والتلبيس فى أمر الدنيا حرام أيضا حتى لو قضى دين جماعة وخيل للناس أنه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته أثم به لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر. والثانى يتعلق بالله وهو أنه مهما قصد بعبادة الله تعالى خلق الله فهو على مستهزئ بالله ولذلك قال قتادة إذا راءى العبد قال الله للملائكة انظروا إليه كيف يستهزئ بى ومثاله أن يتمثل بين يدى ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وإنما وقوفه لملاحظة جارية من جوارى الملك أو غلام من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك إذ لم يقصد التقريب إلى الملك بخدمته بل قصد بذلك عبدا من عبيده فأى استحقار يزيد على أن يقصد العبد بطاعة الله تعالى مراءاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل ذلك إلا لأنه يظن أن ذلك العبد أقدر على تحصيل أغراضه من الله وأنه أولى بالتقرب إليه من الله إذ آثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته وأى استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الأصغر (١)، نعم بعض درجات الرياء أشد من بعض كما سيأتى بيانه فى درجات الرياء إن شاء الله تعالى ولا يخلو شئ منه عن إثم غليظ أو خفيف بحسب ما به المراءاة ولو لم يكن فى الرياء إلا أنه يسجد ويركع لغير الله لكان فيه كفاية فانه وإن لم يقصد التقرب إلى الله فقد قصد غير الله ولعمرى لو عظم غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا إلا أن الرياء هو الكفر الخفى لأن المرائى عظم فى قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة أن يسجد ويركع فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقى تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك إلا أنه قصد تعظيم نفسه فى قلب من عظم عنده باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله فمن هذا كان شركا خفيا لا شركا جليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه إلا من خدعه الشيطان وأوهم عنده أن العباد يملكون من ضره ونفعه ورزقه وأجله ومصالح حاله ومآله أكثر مما يملكه الله تعالى فلذلك عدل بوجهه عن الله إليهم وأقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله تعالى إليهم فى الدنيا والآخرة لكان ذلك أقل مكافأة له على صنيعه فان العباد كلهم عاجزون عن أنفسهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا فكيف يملكون لغيرهم هذا فى الدنيا فكيف فى يوم لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بل تقول الأنبياء فيه نفسى نفسى فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله ما يرتقبه بطمعه الكاذب فى الدنيا من الناس فلا ينبغى أن نشك فى أن المرائى بطاعة الله فى سخط الله من حيث النقل والقياس جميعا هذا إذا لم يقصد الأجر فأما إذا قصد الأجر والحمد جميعا فى صدقته أو صلاته فهو الشرك الذى يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه فى كتاب الاخلاص ويدل على ما نقلناه من الآثار قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت: إنه لا أجر له فيه أصلا.

(بيان درجات الرياء)

اعلم أن بعض أبواب الرياء أشد وأغلظ من بعض واختلافه باختلاف أركانه وتفاوت الدرجات

الطعام تفصله وتجزئه متعلقا مددها بالكبد والكبد بمثابة النار والمعدة بمثابة القدر وعلى قدر فساد الكبد تقل الهاضمة ويفسد الطعام ولا ينفصل ولا يصل إلى كل عضو نصيبه وهكذا تأثير الأعضاء كلها من الكبد والطحال والكليتين ويطول شرح ذلك فمن أراد الاعتبار فليطالع تشريح الأعضاء ليرى العجب من قدرة الله تعالى من تعاضد الأعضاء وتعاونها وتعلق بعضها بالبعض فى إصلاح الغذاء واستجذاب

(١) حديث سمى الرياء الشرك الأصغر أحمد من حديث محمود بن لبيد وقد تقدم ورواه الطبرانى من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج فجعله فى مسند رافع وتقدم قريبا وللحاكم وصحح إسناده من حديث شداد بن أوس كنا نعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرياء الشرك الأصغر.

فيه وأركانه ثلاثة المراءى به والمراءى لأجله ونفس قصد الرياء . الركن الأوّل: نفس قصد الرياء وذلك لايخلو إما أن يكون مجردا دون إرادة عبادة الله تعالى والثواب وإما أن يكون مع إرادة الثواب فان كان كذلك فلايخلو إما أن تكون إرادة الثواب أقوى وأغلب أوأضعف أومساوية لإرادة العبادة فتكون الدرجات أربعا . الأولى :وهى أغلظها أن لايكون مراده الثواب أصلا كالذى يصلى بين أظهر الناس ولو انفرد لكان لايصلى بل ربما يصلى من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده إلى الرياء فهو الممقوت عندالله تعالى وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لايقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما أدّاها فهذه الدرجة العليا من الرياء . الثانية : أن يكون له قصد الثواب أيضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان فى الخلوة لكان لايفعله ولايحمله ذلك القصد على العمل ولولم يكن قصد الثواب لكان الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله ومافيه من شائبة قصد ثواب لايستقل بحمله على العمل لاينفى عنه المقت والإثم . الثالثة :أن يكون له قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة أو كان كل واحد منهما لو انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد أفسد مثل ماأصلح فترجو أن يسلم رأسا برأس لاله ولاعليه أويكون له من الثواب مثل ماعليه من العقاب وظواهر الأخبار تدل على أنه لايسلم وقد تكلمنا عليه فى كتاب الإخلاص . الرابعة : أن يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولولم يكن لكان لايترك العبادة ولوكان قصد الرياء وحده لما أقدم عليه فالذى نظنه والعلم عند الله أنه لايحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أويعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب وأما قوله صلى الله عليه وسلم «يقول الله تعالى أنا أغنى الأغنياء عن الشرك » فهو محمول على ماإذا تساوى القصدان أوكان قصد الرياء أرجح . الركن الثانى : المراءى به وهو الطاعات وذلك ينقسم إلى الرياء بأصول العبادات وإلى الرياء بأوصافها . القسم الأوّل وهو الأغلظ الرياء بالأصول وهو على ثلاث درجات :الأولى الرياء بأصل الإيمان وهذا أغلظ أبواب الرياء وصاحبه مخلد فى النار وهو الذى يظهر كلمتى الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائى بظاهر الاسلام وهو الذى ذكره الله تعالى فى كتابه فى مواضع شتى كقوله عزّ وجل ـ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ـ أى فى دلالتهم بقولهم على ضمائرهم وقال تعالى ـ ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على مافى قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ـ الآية وقال تعالى ـ وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ـ وقال تعالى ـ يراءون الناس ولايذكرون الله إلاقليلا مذبذبين بين ذلك ـ والآيات فيهم كثيرة وكان النفاق يكثر فى ابتداء الإسلام ممن يدخل فى ظاهر الإسلام ابتداء لغرض وذلك مما يقل فى زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسلخ عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة ميلا إلى قول الملحدة أويعتقد طى بساط الشرع والأحكام ميلا إلى أهل الإباحة أويعتقد كفرا أوبدعة وهو يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين والمرائين المخلدين فى النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء أشد حالا من الكفار المجاهرين فانهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر . الثانية : الرياء بأصول العبادات مع التصديق بأصل الدين وهذا أيضا عظيم عند الله ولكنه دون الأول بكثير . ومثاله أن يكون مال الرجل فى يد غيره فيأمره باخراج الزكاة خوفا من ذمه والله يعلم منه أنه لو كان فى يده لما أخرجها أويدخل وقت الصلاة وهو فى جمع وعادته ترك الصلاة فى الخلوة وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهى خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لكان لايحضرها أويصل رحمه أويبر والديه لاعن رغبة ولكن

خوفا

القوة منه للأعضاء وانقسامه إلى الدم والثفل واللبن لتغذية المولود من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين فتبارك الله أحسن الخالقين فالفكر فى ذلك وقت الطعام وتعرف لطيف الحكم والقدر فيه من الذكر ومما يذهب داء الطعام المغير لمزاج القلب أن يدعو فى أول الطعام ويسأل الله تعالى أن يجعله عونا على الطاعة ويكون من دعائه : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ومارزقتنا مما تحب اجعله عونا لنا على

خوفا من الناس أو يغزو أو يحج كذلك فهذا مراء معه أصل الإيمان بالله يعتقد أنه لامعبود سواه ولو كلف أن يعبد غير الله أو يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق أحب إليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس أعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته فى محمدتهم أشد من رغبته فى ثواب الله ، وهذا غاية الجهل وما أجدر صاحبه بالمقت وإن كان غير منسل عن أصل الإيمان من حيث الاعتقاد. الثالثة: أن لا يرائى بالإيمان ولا بالفرائض ولكنه يرائى بالنوافل والسنن التى لو تركها لا يعصى ولكنه يكسل عنها فى الخلوة لفتور رغبته فى ثوابها ولإيثار لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يبعثه الرياء على فعلها وذلك كحضور الجماعة فى الصلاة وعيادة المريض واتباع الجنازة وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام يوم عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس ، فقد يفعل المرائى جملة ذلك خوفا من المذمة أو طلبا للمحمدة ويعلم الله تعالى منه أنه لو خلا بنفسه لما زاد على أداء الفرائض فهذا أيضا عظيم ولكنه دون ما قبله فان الذى قبله آثر حمد الخالق على حمد الخالق وهذا أيضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخالق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق أعظم عنده من عقاب الله ، وأما هذا فلم يفعل ذلك لأنه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركها وكأنه على الشطر من الأول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الرياء بأصول العبادات . القسم الثانى : الرياء بأوصاف العبادات لا بأصولها وهو أيضا على ثلاث درجات: الأولى أن يرائى بفعل ما فى تركه نقصان العبادة كالذى غرضه أن يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فاذا رآه الناس أحسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين ، وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه عز وجل : أى أنه ليس يبالى باطلاع الله عليه فى الخلوة فاذا اطلع عليه آدمى أحسن الصلاة ومن جلس بين يدى إنسان متربعا أو متكئا فدخل غلامه فاستوى وأحسن الجلسة كان ذلك منه تقديما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لامحالة . وهذا حال المرائى بتحسين الصلاة فى الملأ دون الخلوة وكذلك الذى يعتاد إخراج الزكاة من الدنانير الرديئة أو من الحب الردىء فاذا اطلع عليه غيره أخرجها من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث لأجل الخلق لا إكمالا لعبادة الصوم خوفا من المذمة ، فهذا أيضا من الرياء المحظور لأن فيه تقديما للمخلوقين على الخالق ولكنه دون الرياء بأصول التطوعات فان قال المرائى إنما فعلت ذلك صيانة لألسنتهم عن الغيبة فانهم إذا رأوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات أطلقوا اللسان بالذم والغيبة وإنما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان عندك وتلبيس وليس الأمر كذلك فان ضررك من نقصان صلاتك وهى خدمة منك لمولاك أعظم من ضررك بغيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شفقتك على نفسك أكثر وما أنت فى هذا إلا كمن يهدى وصيفة إلى ملك لينال منه فضلا وولاية يتقلدها فيهديها إليه وهى عوراء قبيحة مقطوعة الأطراف ولا يبالى به إذا كان الملك وحده وإذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلمانه وذلك محال بل من يراعى جانب غلام الملك ينبغى أن تكون مراقبته للملك أكثر ، نعم للمرائى فيه حالتان: إحداهما أن يطلب بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعا . والثانية : أن يقول ليس يحضرنى الإخلاص فى تحسين الركوع والسجود ولو خففت كانت صلاتى عند الله ناقصة وآذانى الناس بذمهم وغيبتهم فاستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم ولا أرجو عليه ثوابا فهو خير من أن أترك تحسين الصلاة فيفوت الثواب وتحصل المذمة فهذا فيه أدنى نظر ، والصحيح أن الواجب عليه أن يحسن ويخلص فان لم تحضره النية فينبغى أن يستمر على عادته فى الخلوة فليس له أن يدفع الذم بالمراءاة بطاعة الله

ما تحب وما زويت عنا مما تحب اجعله فراغا لنا فيما تحب .

[الباب الثالث والأربعون فى آداب الآكل]

فمن ذلك أن يبتدىء بالملح ويختم به روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلى رضى الله عنه « يا علىّ ابدأ طعامك بالملح واختم بالملح فان الملح شفاء من سبعين داء منها الجنون والجذام والبرص ووجع البطن ووجع الأضراس » وروت عائشة رضى الله عنها قالت « لدغ رسول الله صلى الله عليه وسلم

فإن ذلك استهزاء كما سبق . الدرجة الثانية : أن يرائى بفعل مالا نقصان فى تركه ولكن فعله فى حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل فى الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة ورفع اليدين والمبادرة إلى التكبيرة الأولى وتحسين الاعتدال والزيادة فى القراءة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة فى صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الأجود على الجيد فى الزكاة وإعتاق الرقبة الغالية فى الكفارة وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه . الثالثة : أن يرائى بزيادات خارجة عن نفس النوافل أيضا كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده للصف الأول وتوجهه إلى يمين الإمام وما يجرى مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه أنه لو خلا بنفسه لكان لا يبالى أين وقف ومتى يحرم بالصلاة فهذه درجات الرياء بالإضافة إلى مايرائى به وبعضه أشد من بعض والكل مذموم . الركن الثالث : المرائى لأجله فان للمرائى مقصودا لامحالة وإنما يرائى لإدراك مال أو جاه أو غرض من الأغراض لامحالة وله أيضا ثلاث درجات : الأولى وهى أشدها وأعظمها أن يكون مقصوده التمكن من معصية كالذى يرائى بعباداته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن أكل الشبهات وغرضه أن يعرف بالأمانة فيولى القضاء أو الأوقاف أو الوصايا أو مال الأيتام فيأخذها أو يسلم إليه تفرقه الزكاة أو الصدقات ليستأثر بما قدر عليه منها أو يودع الودائع فيأخذها ويجحدها أو تسلم إليه الأموال التى تنفق فى طريق الحج فيختزل بعضها أو كلها أو يتوصل بها إلى استتباع الحجيج ويتوصل بقوتهم إلى مقاصده الفاسدة فى المعاصى ، وقد يظهر بعضهم زى التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وإنما قصده التحبب إلى امرأة أو غلام لأجل الفجور وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرون الرغبة فى سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النساء والصبيان أو يخرج إلى الحج ومقصوده الظفر بمن فى الرفقة من امرأة أو غلام وهؤلاء أبغض المرائين إلى الله تعالى لأنهم جعلوا طاعة ربهم سلما إلى معصيته واتخذوها آلة ومتجرا وبضاعة لهم فى فسقهم ويقرب من هؤلاء وإن كان دونهم من هو مقترف جريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد أن ينفى التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفى التهمة كالذى جحد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال إنه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره ، وكذلك من ينسب إلى فجور بامرأة أو غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع وإظهار التقوى . الثانية : أن يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال أو نكاح امرأة جميلة أو شريفة كالذى يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الأموال ويرغب فى نكاحه النساء فيقصد إما امرأة بعينها لينكحها أو امرأة شريفة على الجملة ، وكالذى يرغب فى أن يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب فى تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لأنه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الأول فان المطلوب بهذا مباح فى نفسه . الثالثة : أن لا يقصد نيل حظ وإدراك مال أو نكاح ولكن يظهر عبادته خوفا من أن ينظر إليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد ويعتقد أنه من جملة العامة كالذى يمشى مستعجلا فيطلع عليه الناس فيحسن المشى ويترك العجلة كيلا يقال إنه من أهل اللهو والسهو لامن أهل الوقار ، وكذلك إن سبق إلى الضحك أو بدا منه المزاح فيخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وإظهار الحزن ويقول ما أعظم غفلة الآدمى عن نفسه والله يعلم منه أنه لو كان فى خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وإنما يخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار لا بعين التوقير وكالذى يرى جماعة يصلون التراويح أو يتهجدون أو يصومون الخميس والاثنين أو يتصدقون فيوافقهم خيفة أن ينسب إلى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان

فى إبهامه من رجله اليسرى لدغة فقال على بذلك الأبيض الذى يكون فى العجين فجئنا بملح فوضعه فى كفه ثم لعق منه ثلاث لعقات ثم وضع بقيته على اللدغة فسكنت عنه » ويستحب الاجتماع على الطعام وهو سنة الصوفية فى الربط وغيرها . روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أحب الطعام إلى الله تعالى ما كثرت عليه الأيدى » وروى أنه قيل « يارسول الله إنا نأكل ولا نشبع

لايفعل شيئا من ذلك وكالذى يعطش يوم عرفة أو عاشوراء أو فى الأشهر الحرم فلايشرب خوفا من أن يعلم الناس أنه غير صائم فاذا ظنوا به الصوم امتنع عن الأكل لأجله أو يدعى إلى طعام فيمتنع ليظن أنه صائم وقد لايصرح بأنى صائم ولكن يقول لى عذر وهو جمع بين خبيثين فانه يرى أنه صائم ثم يرى أنه مخلص ليس بمراء وأنه يحترز من أن يذكر عبادته للناس فيكون مرائيا فيريد أن يقال إنه ساتر لعبادته ثم إن اضطر إلى شرب لم يصبر عن أن يذكر لنفسه فيه عذرا تصريحا أو تعريضا بأن يتعلل بمرض يقتضى فرط العطش ويمنع من الصوم أو يقول أفطرت تطييبا لقلب فلان ثم قد لايذكر ذلك متصلا بشربه كى لايظن به أنه يعتذر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره فى معرض حكاية عرضا مثل أن يقول إن فلانا محب للإخوان شديد الرغبة فى أن يأكل الانسان من طعامه وقد ألح على اليوم ولم أجد بدا من تطييب قلبه ومثل أن يقول إن أمى ضعيفة القلب مشفقة على تظن أنى لو صمت يوما مرضت فلا تدعنى أصوم فهذا وما يجرى مجراه من آفات الرياء فلا يسبق إلى اللسان إلا لرسوخ عرق الرياء فى الباطن أما المخلص فانه لايبالى كيف نظر الخلق إليه فان لم يكن له رغبة فى الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد أن يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيكون ملبسا وإن كان له رغبة فى الصوم لله قنع بعلم الله تعالى ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له أن فى إظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور وسيأتى شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الرياء ومراتب أصناف المرائين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهو من أشد المهلكات وإن من شدته أن فيه شوائب هى أخفى من دبيب النمل كما ورد به الخبر يزل فيه فحول العلماء فضلا عن العباد الجهلاء بآفات النفوس وغوائل القلوب والله أعلم.

(بيان الرياء الخفى الذى هو أخفى من دبيب النمل)

اعلم أن الرياء جلى وخفى فالجلى هو الذى يبعث على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو أجلاه وأخفى منه قليلا هو مالا يحمل على العمل بمجرده إلا أنه يخفف العمل الذى يريد به وجه الله كالذى يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فاذا نزل عنده ضيف تنشط له وخف عليه وعلم أنه لولا رجاء الثواب لكان لايصلى لمجرد رياء الضيفان وأخفى من ذلك مالا يؤثر فى العمل ولا بالتسهيل والتخفيف أيضا ولكنه مع ذلك مستبطن فى القلب ومهما لم يؤثر فى الدعاء إلى العمل لم يكن أن يعرف إلا بالعلامات وأجلى علاماته أن يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص فى عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده ويتمم العمل كذلك ولكن إذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفى منه يرشح السرور ولولا التفات القلب إلى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنا فى القلب استكنان النار فى الحجر فأظهر عنه اطلاع الخلق أثر الفرح والسرور ثم إذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفى من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا أن يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض وإلقاء الكلام عرضا وإن كان لايدعو إلى التصريح وقد يخفى فلا يدعو إلى الاظهار بالنطق تعريضا وتصريحا ولكن بالشمائل كإظهار النحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد وأخفى من ذلك أن يختفى بحث لايريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يبدءوه بالسلام وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير وأن يثنوا عليه وأن ينشطوا فى قضاء حوائجه وأن يسامحوه فى البيع والشراء وأن يوسعوا له فى المكان فان قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادا فى نفسه كأنه يتقاضى الاحترام مع الطاعة التى أخفاها مع أنه لم يطلع عليه ولو

قال لعلكم تفترقون على طعامكم اجتمعوا واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه » ومن عادة الصوفية الأكل على السفر وهو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . أخبرنا الشيخ أبو زرعة عن المقومى باسناده إلى ابن ماجه الحافظ القزوينى. قال أنا محمد ابن المثنى قال ثنا معاذ ابن هشام قال ثنا أبى عن يونس بن الفرات عن قتادة عن أنس ابن مالك قال ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا فى سكرجة قال

لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس فى حقه ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها فى كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يكن خاليا عن شوب خفى من الرياء أخفى من دبيب النمل (١) وكل ذلك يوشك أن يحبط الأجر ولا يسلم منه إلا الصديقون. وقد روى عن على كرم الله وجهه أنه قال : إن الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة : ألم يكن يرخص عليكم السعر ألم تكونوا تبتدؤون بالسلام ألم تكونوا تقضى لكم الحوائج وفى الحديث « لا أجر لكم قد استوفيتم أجوركم » وقال عبد الله بن المبارك روى عن وهب بن منبه أنه قال إن رجلا من السواح قال لأصحابه إنا إنما فارقنا الأموال والأولاد مخافة الطغيان فنخاف أن نكون قد دخل علينا فى أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الأموال فى أموالهم إن أحدنا إذا لقى أحب أن يعظم لمكان دينه وإن سأل حاجة أحب أن تقضى له لمكان دينه وإن اشترى شيئا أحب أن يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب فى موكب من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلأ بالناس فقال السائح ماهذا قيل هذا الملك قد أظلك فقال للغلام ائتنى بطعام فأتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقه ويأكل أكلا عنيفا فقال الملك أين صاحبكم ؟ فقالوا هذا قال كيف أنت قال كالناس ، وفى حديث آخر بخير فقال الملك ماعند هذا من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذى صرفك عنى وأنت لى ذام فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفى يجتهدون لذلك فى مخادعة الناس عن أعمالهم الصالحة يحرصون على إخفائها أعظم مما يحرص الناس على إخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء أن تخلص أعمالهم الصالحة فيجازيهم الله فى القيامة باخلاصهم على ملأ من الخلق إذ علموا أن الله لايقبل فى القيامة إلا الخالص وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم فى القيامة وأنه يوم لاينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزى والد عن ولده ويشتغل الصديقون بأنفسهم فيقول كل واحد نفسى نفسى فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله إذا توجهوا إلى مكة فانهم يستصحبون مع أنفسهم الذهب المغربى الخالص لعلمهم بأن أرباب البوادى لا يروج عندهم الزائف والتبهرج والحاجة تشتد فى البادية ولا وطن يفزع إليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجى إلا الخالص من النقد فكذا يشاهد أرباب القلوب يوم القيامة والزاد الذى يتزودونه له من التقوى فإذن شوائب الرياء الخفى كثيرة لاتنحصر ومهما أدرك من نفسه تفرقة بين أن يطلع على عبادته إنسان أو بهيمة ففيه شعبة من الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضره البهائم أو الصبيان الرضع أم غابوا ، اطلعوا على حركته أم لم يطلعوا فلو كان مخلصا قانعا بعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم أن العقلاء لايقدرون له على رزق ولا أجل ولا زيادة ثواب ونقصان عقاب كما لا يقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفى ولكن ليس كل شوب محبطا للأجر مفسدا للعمل بل فيه تفصيل . فان قلت فما نرى أحدا ينفك عن السرور إذا عرفت طاعاته فالسرور مذموم كله أو بعضه محمود وبعضه مذموم . فنقول أولا : كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم إلى محمود وإلى مذموم ، فأما المحمود فأربعة أقسام : الأول أن يكون قصده إخفاء الطاعة والاخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم أن الله أطلعهم وأظهر الجميل من أحواله فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره إليه وإلطافه به فانه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة ولا لطف أعظم من ستر القبيح وإظهار الجميل ليكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس

(١) حديث فى الرياء شوائب أخفى من دبيب النمل أحمد والطبرانى من حديث أبى موسى الأشعرى اتقوا هذا الشرك فانه أخفى من دبيب النمل، ورواه ابن حبان فى الضعفاء من حديث أبى بكر الصديق وضعفه هو والدار قطنى .

فعلام كانوا يأكلون؟ قال على السفر ويصغر اللقمة ويجود الأكل بالمضغ وينظر بين يديه ولا يطالع وجوه الآكلين ويقعد على رجله اليسرى وينصب اليمنى ويجلس جلسة التواضع غير متكئ ولا متعزز نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل الرجل متكئا وروى « أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فجثا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه يأكل فقال أعرابى ماهذه الجلسة يارسول الله ؟

وقيام المنزلة فى قلوبهم وقد قال تعالى ـ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ـ فكأنه ظهر له أنه عند الله مقبول ففرح به . الثانى أن يستدل باظهار الله الجميل وستره القبيح عليه فى الدنيا أنه كذلك يفعل فى الآخره إذ قال رسول الله ﷺ «ماستر الله على عبد ذنبا فى الدنيا إلا ستره عليه فى الآخرة (١)» فيكون الأوّل فرحا بالقول فى الحال من غير ملاحظة للمستقبل وهذا التفات إلى المستقبل. الثالث أن يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به فى الطاعة فيتضاعف بذلك أجره فيكون له أجر العلانية بما أظهر آخرا وأجر السر بما قصده أولا ومن اقتدى به فى طاعة فله مثل أجر أعمال المقتدين به من غير أن ينقص من أجورهم شئ وتوقع ذلك جدير بأن يكون سبب السرور فان ظهور مخايل الربح لذيذ وموجب للسرور لامحالة . الرابع أن يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله فى مدحهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم إلى الطاعة إذ من أهل الايمان من يرى أهل الطاعة فيمقته ويحسده أو يذمه ويهزأ به أو ينسبه إلى الرياء ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن إيمان عباد الله وعلامة الاخلاص فى هذا النوع أن يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم إياه . وأما المذموم وهو الخامس فهو أن يكون فرحه لقيام منزلته فى قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالاكرام فى مصادره وموارده فهذا مكروه والله تعالى أعلم .

(بيان مايحبط العمل من الرياء الخفى والجلى ومالايحبط)

فنقول فيه : إذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فلا يخلو إما أن يرد عليه بعد فراغه من العمل أو قبل الفراغ فان ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير إظهار فهذا لا يفسد العمل إذ العمل قد تم على نعت الاخلاص سالما عن الرياء فما يطرأ بعده فيرجو أن لا ينعطف عليه أثره لاسيما إذا لم يتكلف هو إظهاره والتحدث به ولم يتمن إظهاره وذكره ولكن اتفق ظهوره باظهار الله ولم يكن منه إلا مادخل من السرور والارتياح على قلبه، نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير عقد رياء ولكن ظهرت له بعده رغبة فى الاظهار فتحدث به وأظهره فهذا مخوف. وفى الآثار والأخبار مايدل على أنه يحبط فقد روى عن ابن مسعود أنه سمع رجلا يقول قرأت البارحة البقرة فقال ذلك حظه منها وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل قال له صمت الدهر يارسول الله فقال له «ماصمت ولا أفطرت (٢)» فقال بعضهم إنما قال ذلك لأنه أظهره وقيل هو إشارة إلى كراهة صوم الدهر وكيفما كان فيحتمل أن يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابن مسعود استدلالا على أن قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده له لما أن ظهر منه التحدث به إذ يبعد أن يكون مايطرأ بعد العمل مبطلا لثواب العمل بل الأقيس أن يقال إنه مثاب على عمله الذى مضى ومعاقب على مراءاته بطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف مالو تغير عقده إلى الرياء قبل الفراغ من الصلاة فان ذلك قد يبطل الصلاة ويحبط العمل وأما إذا ورد وارد الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلا وكان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد فى أثنائها وارد الرياء فلا يخلو إما أن يكون مجرد سرور لا يؤثر فى العمل وإما أن يكون رياء باعثا على العمل فان كان باعثا على العمل وختم العبادة به حبط أجره ، ومثاله أن يكون فى تطوّع فتجددت له نظارة

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلقنى عبدا ولم يجعلنى جبارا عنيدا » . ولا يبتدئ بالطعام حتى يبدأ المقدم أو الشيخ روى حذيفة قال «كنا إذا حضرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما لم يضع أحدنا يده حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأكل باليمين » روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ليأكل أحدكم بيمينه وليشرب بيمينه وليأخذ بيمينه وليعط بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب

(١) حديث ماستر الله على عبد فى الدنيا إلا ستره عليه فى الآخرة مسلم من حديث أبى هريرة (٢) حديث قال لرجل قال صمت الدهر، ماصمت ولا أفطرت . مسلم من حديث أبى قتادة قال عمر يارسول الله كيف بمن يصوم الدهر قال لاصام ولا أفطر وللطبرانى من حديث أسماء بنت يزيد فى أثناء حديث فيه فقال رجل إنى صائم قال بعض القوم إنه لا يفطر إنه يصوم كل يوم قال النبى صلى الله عليه وسلم لاصام ولا أفطر من صام الأبد لم أجده بلفظ الخطاب .

أوحضر ملك من الملوك وهو يشتهى أن ينظر إليه أويذكر شيئا نسيه من ماله وهو يريد أن يطلبه ولولا الناس لقطع الصلاة فاستتمها خوفا من مذمة الناس فقد حبط أجره وعليه الاعادة إن كان فى فريضة وقد قال ﷺ « العمل كالوعاء إذطاب آخره طاب أوّله (١) » أى النظر إلى خاتمته، وروى « أنه من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذى كان قبله (٢) » وهذا منزل على الصلاة فى هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فان كل جزء من ذلك مفرد فما يطرأ يفسد الباقى دون الماضى والصوم والحج من قبيل الصلاة وأما إذا كان وارد الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاتمام لأجل الثواب كما لو حضر جماعة فى أثناء الصلاة ففرح بحضورهم وعقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لأجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها أيضا فهذا رياء قد أثر فى العمل وانتهض باعثا على الحركات فان غلب حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا أيضا ينبغى أن يفسد العبادة مهما مضى ركن من أركانها على هذا الوجه لأنا نكتفى بالنية السابقة عند الاحرام بشرط أن لا يطرأ عليها ما يغلبها ويغمرها ويحتمل أن يقال لا يفسد العبادة نظرا إلى حالة العقد وإلى بقاء قصد أصل الثواب وإن ضعف بهجوم قصد هو أغلب منه . ولقد ذهب الحرث المحاسبى رحمه الله تعالى إلى الاحباط فى أمر هو أهون من هذا وقال إذا لم يرد إلا مجرد السرور باطلاع الناس يعنى سرورا هو كحب المنزلة والجاه قال قد اختلف الناس فى هذا فصارت فرقة إلى أنه محبط لأنه نقض العزم الأوّل وركن إلى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص وإنما يتم العمل بخاتمته ثم قال ولا أقطع عليه بالحبط وإن لم يتزيد فى العمل ولا آمن عليه وقد كنت أقف فيه لاختلاف الناس والأغلب على قلبى أنه يحبط إذا ختم عمله بالرياء ثم قال فان قيل قد قال الحسن رحمه الله تعالى : إنهما حالتان فاذا كانت الأولى لله لم تضره الثانية . وقد روى « أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله أسر العمل لا أحب أن يطلع عليه فيطلع عليه فيسرنى قال لك أجران أجر السر وأجر العلانية (٣) » ثم تكلم على الخبر والأثر فقال أما الحسن فانه أراد بقوله لا يضره أى لا يدع العمل ولا تضره الخطرة وهو يريد الله ولم يقل إذا عقد الرياء بعد عقد الاخلاص لم يضره وأما الحديث فنكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله إلى ثلاثة أوجه : أحدها أنه يحتمل أنه أراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس فى الحديث أنه قبل الفراغ . الثانى : أنه أراد إن يسر به للاقتداء به أو لسرور آخر محمود مما ذكرناه قبل لا سرورا بسبب حب المحمدة والمنزلة بدليل أنه جعل له به أجرا ولا ذاهب من الأمة إلى أن للسرور بالمحمدة أجرا وغايته أن يعفى عنه فكيف يكون له مخلص أجر وللمرائى أجران . والثالث : أنه قال أكثر من يروى الحديث يرويه غير متصل إلى أبى هريرة بل أكثرهم يوقفه على أبى صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة فى الرياء أولى هذا ماذكره ولم يقطع به بل أظهر ميلا إلى الاحباط والأقيس عندنا أن هذا القدر إذا لم يظهر أثره فى العمل بل بقى العمل صادرا عن باعث الدين وإنما انضاف إليه السرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لأنه لم ينعدم به أصل نيته وبقيت تلك

(١) حديث العمل كالوعاء إذا طاب آخره طاب أوّله ابن ماجه من حديث معاوية بن أبى سفيان بلفظ إذا طاب أسفله طاب أعلاه وقد تقدم (٢) حديث من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذى كان قبله لم أجده بهذا اللفظ وللشيخين من حديث جندب من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به ورواه مسلم من حديث ابن عباس (٣) حديث إن رجلا قال أسر العمل لا أحب أن يطلع عليه فيطلع عليه فيسرنى فقال لك أجران الحديث البيهقى فى شعب الايمان من رواية ذكوان عن ابن مسعود ورواه الترمذى وابن حبان من رواية ذكوان عن أبى هريرة الرجل يعمل العمل فيسره فاذا اطلع عليه أعجبه قال له أجر السرّ والعلانية قال الترمذى غريب وقال إنه روى عن أبى صالح وهو ذكر أنه مرسل .

بشماله ويأخذ بشماله ويعطى بشماله » وإن كان المأكول تمرا أو ماله عجم لا يجمع من ذلك ما يرمى ولا يؤكل على الطبق ولا فى كفه بل يضع ذلك على ظهر كفه من فيه ويرميه ولا يأكل من ذروة الثريد . روى عبد الله بن عباس عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا وضع الطعام فخذوا من حاشيته وذروا وسطه فان البركة تنزل فى وسطه » ولا يعيب الطعام روى أبو هريرة رضى الله عنه قال ماعاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

النية باعثة على العمل وحاملة على الاتمام ، وأما الأخبار التى وردت فى الرياء فهى محمولة على ما إذا لم يرد به إلا الخلق وأما ما ورد فى الشركة فهو محمول على ما إذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب أو أغلب منه أما إذا كان ضعيفا بالاضافة إليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الأعمال ولا ينبغى أن يفسد الصلاة ولا يبعد أيضا أن يقال إن الذى أوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله والخالص ما لا يشوبه شىء فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا فى كتاب الاخلاص كلاما أوفى مما أوردناه الآن فليرجع إليه فهذا حكم الرياء الطارىء بعد عقد العبادة إما قبل الفراغ أو بعد الفراغ . القسم الثالث : الذى يقارن حال العقد بأن يبتدىء الصلاة على قصد الرياء فان استمر عليه حتى سلم فلا خلاف فى أنه يقضى ولا يعتد بصلاته وإن ندم عليه فى أثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة أوجه قالت فرقة لم تنعقد صلاته مع قصد الرياء فليستأنف وقالت فرقة تلزمه إعادة الأفعال كالركوع والسجود وتفسد أفعاله دون تحريمة الصلاة لأن التحريم عقد والرياء خاطر فى قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزم إعادة شىء بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر إلى خاتمة العبادة كما لو ابتدأ باخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب أبيض لطخ بنجاسة عارضة فاذا أزيل العارض عاد إلى الأصل فقالوا إن الصلاة والركوع والسجود لا تكون إلا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار إلى حالة لا يبالى بحمد الناس وذمهم فتصح صلاته ومذهب الفريقين الآخرين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال يلزمه إعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لأن الركوع والسجود إن لم يصح صارت أفعالا زائدة فى الصلاة فتفسد الصلاة كذلك قول من يقول لو ختم باخلاص صح نظرا إلى الآخر فهو أيضا ضعيف لأن الرياء يقدح فى النية وأولى الأوقات بمراعاة أحكام النية حال الافتتاح فالذى يستقيم على قياس الفقه هو أن يقال إن كان باعثه مجرد الرياء فى ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الأمر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن إذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحرم بالصلاة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا أيضا كان يصلى لأجل الناس فهذه صلاة لا نية فيها إذ النية عبارة عن إجابة باعث الدين وههنا لا باعث ولا إجابة فأما إذا كان بحيث لولا الناس أيضا لكان يصلى إلا أنه ظهر له الرغبة فى المحمدة أيضا فاجتمع الباعثان فهذا إما أن يكون فى صدقة وقراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم أو فى عقد صلاة وحج فان كان فى صدقة فقد عصى باجابة باعث الرياء وأطاع باجابة باعث الثواب ـ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ـ فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط أحدهما الآخر وإن كان فى صلاة تقبل الفساد بتطرق خلل إلى النية فلا يخلو إما أن تكون فرضا أو نفلا فان كانت نفلا فحكمها أيضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه وأطاع من وجه إذ اجتمع فى قلبه الباعثان ولا يمكن أن يقال صلاته فاسدة والاقتداء به باطل حتى إن من صلى التراويح وتبين من قرائن حاله أن قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه وخلا فى بيت وحده لما صلى لا يصح الاقتداء به فان المصير إلى هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم أنه يقصد الثواب أيضا بتطوعه فتصح باعتبار ذلك القصد صلاته ويصح الاقتداء به وإن اقترن به قصد آخر وهو به عاص فأما إذا كان فى فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وإنما يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لأن الايجاب لم ينتهض باعثا فى حقه بمجرده واستقلاله وان كان كل باعث مستقلا حتى لو لم يكن باعث الرياء لأدى الفرائض ولو لم يكن باعث الفرض لأنشأ صلاة تطوعا لأجل الرياء فهذا محل النظر وهو محتمل جدا فيحتمل أن يقال إن الواجب صلاة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل أن يقال الواجب امتثال

طعاما قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه وإذا سقطت اللقمة يأكلها فقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان ويلعق أصابعه » فقد روى جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا أكل أحدكم الطعام فليمتص أصابعه فانه لا يدرى فى أى طعامه تكون البركة » وهكذا أمر عليه السلام بإسلات القصعة وهو

الأمر بباعث مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لايمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى فى دار مغصوبة فانه وإن كان عاصيا بإيقاع الصلاة فى الدار المغصوبة فانه مطيع بأصل الصلاة ومسقط للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال فى تعارض البواعث فى أصل الصلاة أما إذا كان الرياء فى المبادرة مثلا دون أصل الصلاة مثل من بادر إلى الصلاة فى أول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لأخر إلى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لايبتدىء صلاة لأجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلاته وسقوط الفرض به لأن باعث أصل الصلاة من حيث إنها صلاة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا أبعد عن القدح فى النية هذا فى رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه وأما مجرد السرور باطلاع الناس عليه إذا لم يبلغ أثره إلى حيث يؤثر فى العمل فبعيد أن يفسد الصلاة فهذا مانراه لائقا بقانون الفقه والمسألة غامضة من حيث إن الفقهاء لم يتعرضوا لها فى فن الفقه ، والذين خاضوا فيها وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء فى صحة الصلاة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على إفساد العبادات بأن الخواطر وما ذكرناه هو الأقصد فيما نراه والعلم عند الله عز وجل فيه وهو عالم الغيب والشهادة وهو الرحمن الرحيم .

(بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه)

قد عرفت مما سبق أن الرياء محبط للأعمال وسبب للمقت عند الله تعالى وأنه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجد فى إزالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق فلاشفاء إلا فى شرب الأدوية المرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر إليها العباد كلهم إذ الصبى يخلق ضعيف العقل والتمييز ممتد العين إلى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويرسخ ذلك فى نفسه وإنما يشعر بكونه مهلكا بعد كمال عقله وقد انغرس الرياء فى قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه إلا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك أحد عن الحاجة إلى هذه المجاهدة ولكنها تشق أولا وتخف آخرا وفى علاجه مقامان : أحدهما قلع عروقه وأصوله التى منها انشعابه والثانى دفع مايخطر منه فى الحال . المقام الأول : فى قلع عروقه واستئصال أصوله وأصله حب المنزلة والجاه وإذا فصل رجع إلى ثلاثة أصول وهى : لذة المحمدة والفرار من ألم الذم والطمع فيما فى أيدى الناس ويشهد للرياء بهذه الأسباب وأنها الباعثة للمرائى ما روى أبو موسى « أن أعرابيا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله الرجل يقاتل حمية (١) » ومعناه أنه يأنف أن يقهر أو يذم بأنه مقهور مغلوب وقال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر فى القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال صلى الله عليه وسلم « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » وقال ابن مسعود إذا التقى الصفان نزلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك إشارة إلى الطمع فى الدنيا. وقال عمر رضى الله عنه يقولون فلان شهيد ولعله يكون قد ملأ دفتى راحلته ورقا وقال صلى الله عليه وسلم « من غزا لايبغى إلا عقالا فله مانوى (٢) » فهذا إشارة إلى الطمع وقد لايشتهى الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من ألم الذم كالبخيل بين الأسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالقليل كى لايبخل وهو ليس يطمع فى الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان لايفر من الزحف خوفا من الذم وهو لايطمع فى الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن إذا أيس

(١) حديث أبى موسى أن أعرابيا قال يارسول الله الرجل يقاتل حمية الحديث متفق عليه .
(٢) حديث من غزا لايبغى إلا عقالا فله مانوى النسائى وقد تقدم .

مسحها من الطعام قال أنس رضى الله عنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلات القصعة ولا ينفخ فى الطعام فقد روت عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « النفخ فى الطعام يذهب بالبركة » وروى عبد الله بن عباس أنه قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفخ فى طعام ولا فى شراب ولا يتنفس فى الإناء فليس من الأدب ذلك والخل والبقل على السفرة من السنة. قيل إن الملائكة تحضر المائدة إذا كان

من الحمد كره الذم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلى ركعات معدودة حتى لا يذم بالكسل وهو لا يطمع فى الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على ألم الذم ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج إليه خيفة من أن يذم بالجهل ويفتى بغير علم ويدعى العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذرا من الذم فهذه الأمور الثلاثة هى التى تحرك المرائى إلى الرياء وعلاجه ماذكرناه فى الشطر الأول من الكتاب على الجملة ولكنا نذكر الآن مايخص الرياء وليس يخفى أن الانسان إنما يقصد الشىء ويرغب فيه لظنه أنه خير له ونافع ولذيذ إما فى الحال وإما فى المآل فان علم أنه لذيذ فى الحال ولكنه ضار فى المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم أن العسل لذيذ ولكن إذا بان له أن فيه سما أعرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم مافيه من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الرياء ومايفوته من صلاح قلبه ومايحرم عنه فى الحال من التوفيق وفى الآخرة من المنزلة عند الله ومايتعرض له من العقاب العظيم والمقت الشديد والخزى الظاهر حيث ينادى على رءوس الخلائق يافاجر ياغادر يامرائى أما استحييت إذاشتريت بطاعة الله عرض الدنيا وراقبت قلوب العباد واستهزأت بطاعة الله وتحببت إلى العباد بالتبغض إلى الله وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت إليهم بالبعد من الله وتحمدت إليهم بالذم عند الله وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله أما كان أحد أهون عليك من الله فمهما تفكر العبد فى هذا الخزى وقابل مايحصل له من العباد والتزين لهم فى الدنيا بما يفوته فى الآخرة وبما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع أن العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا فسد بالرياء حول إلى كفة السيئات فترجح به ويهوى إلى النار فلو لم يكن فى الرياء إلا إحباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا فى معرفة ضرره وإن كان مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله فى زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنه بسبب الرياء ورد إلى صف النعال من مراتب الأولياء هذا مع مايتعرض له فى الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضا الناس غاية لاتدرك فكل مايرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم فى سخط بعضهم ومن طلب رضاهم فى سخط الله سخط الله عليه وأسخطهم أيضا عليه ثم أى غرض له فى مدحهم وإيثار ذم الله لأجل حمدهم ولا يزيده حمدهم رزقا ولا أجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيامة وأما الطمع فيما فى أيديهم فبأن يعلم أن الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق إلا الله ومن طمع فى الخلق لم يخل من الذل والخيبة وإن وصل إلى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فكيف يترك ماعند الله برجاء كاذب ووهم فاسد قد يصيب وقد يخطىء وإذا أصاب فلا تفى لذته بألم منته ومذلته وأما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده ذمهم شيئا مالم يكتبه عليه الله ولا يعجل أجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من أهل النار إن كان من أهل الجنة ولا يبغضه إلى الله إن كان محمودا عند الله ولا يزيده مقتا إن كان ممقوتا عند الله فالعباد كلهم عجزة لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا فاذا قرر فى قلبه آفة هذه الأسباب وضررها فترت رغبته وأقبل على الله قلبه فان العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه أن الناس لو علموا مافى باطنه من قصد الرياء وإظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه إلى الناس ويعرفهم أنه مراء وممقوت عند الله ولو أخلص لله لكشف الله لهم إخلاصه وحببه إليهم وسخرهم له وأطلق ألسنتهم بالمدح والثناء عليه مع أنه لا كمال فى مدحهم ولا نقصان فى ذمهم كما قال شاعر من بنى تميم «إن مدحى زين وإن ذمى شين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليها بقل روت أم سعد رضى الله عنها قالت «دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة رضى الله عنها وأنا عندها فقال هل من غداء ؟ فقالت عندنا خبز وتمر وخل فقال عليه السلام: نعم الادام الخل اللهم بارك فى الخل فانه كان إدام الأنبياء قبلى ولم يقفر بيت فيه خل » ولا يصمت على الطعام فهو من سيرة الأعاجم ولا يقطع اللحم والخبز بالسكين ففيه نهى ولا يكف يده عن الطعام حتى يفرغ الجمع فقد ورد عن ابن عمر رضى الله عنهما

كذبت ذاك الله الذى لاإله إلاهو (١) » إذ لازين إلا فى مدحه ولاشين إلا فى ذمه فأى خير لك فى مدح الناس وأنت عند الله مذموم ومن أهل النار وأى شر لك من ذم الناس وأنت عندالله محمود فى زمرة المقربين فمن أحضر فى قلبه الآخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله استحقر مايتعلق بالخلق أيام الحياة مع مافيه من الكدورات والمنغصات واجتمع همه وانصرف إلى الله قلبه وتخلص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانعطف من إخلاصه أنوار على قلبه ينشرح بها صدره وينفتح بها له من لطائف المكاشفات مايزيد به أنسه بالله ووحشته من الخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للآخرة وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية الرياء وتذلل له منهج الإخلاص فهذا وماقدمناه فى الشطر الأول هى الأدوية العلمية القالعة مغارس الرياء . وأما الدواء العملى: فهو أن يعود نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب دونها كما تغلق الأبواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عباداته ولاتنازعه النفس إلى طلب علم غير الله به . وقد روى أن بعض أصحاب أبى حفص الحداد ذم الدنيا وأهلها فقال : أظهرت ماكان سبيلك أن تخفيه لاتجالسنا بعد هذا فلم يرخص فى إظهار هذا القدر لأن فى ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا دواء للرياء مثل الإخفاء وذلك يشق فى بداية المجاهدة وإذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل ألطاف الله ومايمد به عباده من حسن التوفيق والتأييد والتسديد ، ولكن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم ، فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لايضيع أجر المحسنين ـ وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ـ المقام الثانى: فى دفع العارض منه فى أثناء العبادة وذلك لابد من تعلمه أيضا فان من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع وإسقاط نفسه من أعين المخلوقين واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لايتركه فى أثناء العبادات بل يعارضه بخطرات الرياء ولاتنقطع عنه نزغاته وهوى النفس وميلها إلا بالكلية فلابد وأن يتشمر لدفع مايعرض من خاطر الرياء وخواطر الرياء ثلاثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترادف على التدريج فالأول العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس فى حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم يتلوه هيجان الرغبة فى قبول النفس له والركون إليه وعقد الضمير على تحقيقه فالأول معرفة والثانى حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وإنما كمال القوة فى دفع الخاطر الأول ورده قبل أن يتلوه الثانى فاذا خطر له معرفة اطلاع الخلق أو رجاء اطلاعهم دفع ذلك بأن قال مالك وللخلق علموا أولم يعلموا والله عالم بحالك فأى فائدة فى علم غيره فان هاجت الرغبة إلى لذة الحمد يذكر مارسخ فى قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرضه للمقت عند الله فى القيامة وخيبته فى أحوج أوقاته إلى أعماله فكما أن معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة فى الرياء فمعرفة آفة الرياء تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة إذ يتفكر فى تعرضه لمقت الله وعقابه الأليم والشهوة تدعوه إلى القبول والكراهة تدعوه إلى الإباء والنفس تطاوع لامحالة أقواهما وأغلبهما فاذن لابد فى رد الرياء من ثلاثة أمور : المعرفة والكراهة والإباء وقد يشرع العبد فى العبادة على عزم الاخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولاتحضره المعرفة ولاالكرهة التى كان الضمير منطويا عليها وإنما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحب الحمد واستيلاء الحرص عليه بحيث لايبقى فى القلب متسع لغيره فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بآفات الرياء وشؤم عاقبته إذ لم يبق موضع فى القلب

(١) حديث قال شاعر من بنى تميم إن مدحى زين وإن ذمى شين فقال كذبت ذاك الله ، حم من حديث الأقرع بن حابس وهو قائل ذلك دون قوله كذبت ورجاله ثقات إلا أنى لاأعرف لأبى سلمة ابن عبد الرحمن سماعا من الأقرع ورواه الترمذى من حديث البراء وحسنه بلفظ فقال رجل إن حمدى .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا وضعت المائدة فلا يقوم رجل حتى ترفع المائدة ولا يرفع يده وإن شبع حتى يفرغ القوم وليتعلل فان الرجل يخجل جليسه فيقبض يده وعسى أن يكون له فى الطعام حاجة » وإذا وضع الخبز لاينتظر غيره فقد روى أبو موسى الأشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكرموا الخبز فان الله تعالى سخر لكم بركات السماء والأرض والحديد والبقر وابن آدم . ومن حسن الأدب وأهمه

خال عن شهوة الحمد أو خوف الذم وهو كالذى يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب ويعزم على التحلم عند جريان سبب الغضب ثم يجرى من الأسباب ما يشتد به غضبه فينسى سابقة عزمه ويمتلىء قلبه غيظا يمنع من تذكر آفة الغضب ويشغل قلبه عنه فكذلك حلاوة الشهوة تملأ القلب وتدفع نور المعرفة مثل مرارة الغضب وإليه أشار جابر بقوله : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لانفر ولم نبايعه على الموت فأنسيناها يوم حنين (١) حتى نودى ياأصحاب الشجرة فرجعوا . وذلك لأن القلوب امتلأت بالخوف فنسيت العهد السابق حتى ذكروا، وأكثر الشهوات التى تهجم فجأة هكذا تكون ، إذ تنسى معرفة مضرته الداخلة فى عقد الإيمان ومهما نسى المعرفة لم تظهر الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفة ، وقد يتذكر الانسان فيعلم أن الخاطر الذى خطر له هو خاطر الرياء الذى يعرضه لسخط الله ولكن يستمر عليه لشدة شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال فيسوف بالتوبة أو يتشاغل عن التفكر فى ذلك لشدة الشهوة فكم من عالم يحضره كلام لايدعوه إلى فعله إلا رياء الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فتكون الحجة عليه أوكد إذ قبل داعى الرياء مع علمه بغائلته وكونه مذموما عند الله ولا تنفعه معرفته إذا خلت المعرفة عن الكراهة وقد تحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعى الرياء ويعمل به لكون الكراهة ضعيفة بالاضافة إلى قوة الشهوة وهذا أيضا لاينتفع بكراهته إذ الغرض من الكراهة أن تصرف عن الفعل فاذن لافائدة إلا فى اجتماع الثلاث وهى المعرفة والكراهة والإباء فالإباء ثمرة الكراهة والكراهة ثمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الإيمان ونور العلم وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكر فيما عند الله وقلة التأمل فى آفات الحياة الدنيا وعظيم نعيم الآخرة وبعض ذلك ينتج بعضا ويثمره وأصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لأن حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هى التى تغضب القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكر فى العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة وأنوار العلوم . فان قلت فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحملته الكراهة على الإباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع إليه وحبه له ومنازعته إياه إلا أنه كاره لحبه وميله إليه وغير محب إليه فهل يكون فى زمرة المرائين ، فاعلم أن الله لم يكلف العباد إلا ما تطيق وليس فى طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل إلى الشهوات ولا ينزع إليها وإنما غايته أن يقابل شهوته بكراهة استثارها من معرفة العواقب وعلم الدين وأصول الإيمان بالله واليوم الآخر فاذا فعل ذلك فهو الغاية فى أداء ما كلف به ويدل على ذلك من الأخبار ماروى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم « شكوا إليه وقالوا تعرض لقلوبنا أشياء لأن نخر من السماء فتخطفنا الطير أو تهوى بنا الريح فى مكان سحيق أحب إلينا من أن نتكلم بها فقال عليه السلام أو قد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الإيمان (٢) » ولم يجدوا إلا الوسواس والكراهة له ولا يمكن أن يقال أراد بصريح الايمان الوسوسة فلم يبق إلا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة والرياء وإن كان عظيما فهو دون الوسوسة فى حق الله تعالى فاذا اندفع ضرر الأعظم بالكراهة فبأن

أن لا يأكل إلا بعد الجوع ويمسك عن الطعام قبل الشبع فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «ماملأ آدمى وعاء شرا من بطنه » ومن عادة الصوفية أن يلقم الخادم إذا لم يجلس مع القوم وهو سنة روى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « إذا جاء أحدكم خادمه بطعام فان لم يجلسه معه فليناوله أكلة أو أكلتين فانه ولى حره ودخانه » وإذا فرغ من الطعام يحمد الله تعالى روى أبو سعيد

(١) حديث جابر بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لانفر الحديث مسلم مختصرا دون ذكر يوم حنين فرواه مسلم من حديث العباس (٢) حديث شكوى الصحابة مايعرض فى قلوبهم وقوله ذلك صريح الايمان ، مسلم من حديث ابن مسعود مختصرا سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة فقال ذلك محض الايمان ، والنسائى فى اليوم والليلة وابن حبان فى صحيحه ورواه النسائى فيه من حديث عائشة .

يندفع بها ضرر الأصغر أولى وكذلك يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم فى حديث ابن عباس أنه قال « الحمد لله الذى رد كيد الشيطان إلى الوسوسة (١) » وقال أبو حازم ما كان من نفسك وكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ماهو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه فاذن وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لاتضرك مهما رددت مرادها بالإباء والكراهة والخواطر التى هى العلوم والتذكرات والتخيلات للأسباب المهيجة للرياء هى من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من النفس والكراهة من الايمان ومن آثار العقل إلا أن للشيطان ههنا مكيدة وهى أنه إذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل إليه أن صلاح قلبه فى الاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته فى الرد والجدال حتى يسلبه ثواب الاخلاص وحضور القلب لأن الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف عن سر المناجاة مع الله فيوجب ذلك نقصانا فى منزلته عند الله . والمتخلصون عن الرياء فى دفع خواطر الرياء على أربع مراتب : الأولى أن يرده على الشيطان فيكذبه ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه أن ذلك أسلم لقلبه وهو على التحقيق نقصان لأنه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذى هو بصدده وانصرف إلى قتال قطاع الطريق والتعريج على قتال قطاع الطريق نقصان فى السلوك.

الثانية : أن يعرف أن الجدال والقتال نقصان فى السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادلته.

الثالثة : أن لا يشتغل بتكذيبه أيضا لأن ذلك وقفة وإن قلت بل يكون قد قرر فى عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبا للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة.

الرابعة : أن يكون قد علم أن الشيطان سيحسده عند جريان أسباب الرياء فيكون قد عزم على أنه مهما نزغ الشيطان زاد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله وإخفاء الصدقة والعبادة غيظا للشيطان وذلك هو الذى يغيظ الشيطان ويقمعه ويوجب يأسه وقنوطه حتى لا يرجع . يروى عن الفضيل بن غزوان أنه قيل له إن فلانا يذكرك فقال والله لأغيظن من أمره قيل ومن أمره ؟ قال الشيطان اللهم اغفر له أى لأغيظنه بأن أطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة من أن يزيد فى حسناته . وقال إبراهيم التيمى إن الشيطان ليدعو العبد إلى الباب من الاثم فلا يطعه وليحدث عند ذلك خيرا فاذا رآه كذلك تركه . وقال أيضا إذا رآك الشيطان مترددا طمع فيك وإذا رآك مداوما ملك وقلاك . وضرب الحرث المحاسبى رحمه الله لهذه الأربعة مثالا أحسن فيه فقال : مثالهم كأربعة قصدوا مجلسا من العلم والحديث لينالوا به فائدة وفضلا وهداية ورشدا فحسدهم على ذلك ضال مبتدع وخاف أن يعرفوا الحق فتقدم إلى واحد فمنعه وصرفه عن ذلك ودعاه إلى مجلس ضلال فأبى فلما عرف إباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن أن ذلك مصلحة له وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر تأخره فلما مر الثانى عليه نهاه واستوقفه فوقف فدفع فى نحر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل ففرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت إليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان فخاب منه رجاؤه بالكلية فمر الرابع فلم يتوقف له وأراد أن يغيظه فزاد فى عجلته وترك التأنى فى المشى فيوشك إن عادوا ومروا عليه مرة أخرى أن يعاودوا الجميع إلا هذا الأخير فانه لا يعاوده خيفة من أن يزداد فائدة باستعجاله . فان قلت فاذا كان الشيطان لا تؤمن نزغاته فهل يجب الترصد له قبل حضوره للحذر منه انتظارا لوروده أم يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له أو يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة عنه . قلنا اختلف الناس فيه على ثلاثة أوجه : فذهبت فرقة من أهل البصرة

قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أكل طعاما قال : الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين » وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أكل طعاما فقال : الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ماتقدم من ذنبه » ويتخلل فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « تخللوا فانه نظافة والنظافة تدعو إلى الايمان والايمان مع صاحبه فى الجنة » ويغسل يديه فقد روى

(١) حديث ابن عباس الحمد لله الذى رد كيد الشيطان إلى الوسوسة أبو داود والنسائى فى اليوم والليلة بلفظ كيده .

إلى أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لأنهم انقطعوا إلى الله واشتغلوا بحبه فاعتز لهم الشيطان وأيس منهم وخنس عنهم كما أيس من ضعفاء العباد فى الدعوة إلى الخمر والزنا فصارت ملاذ الدنيا عندهم وإن كانت مباحة كالخمر والخنزير فارتحلوا من حبها بالكلية فلم يبق للشيطان إليهم سبيل فلا حاجة بهم إلى الحذر . وذهبت فرقة من أهل الشام إلى أن الترصد للحذر منه إنما يحتاج إليه من قل يقينه ونقص توكله فمن أيقن بأن لاشريك لله فى تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم أن الشيطان ذليل مخلوق ليس له أمر ولايكون إلا ماأراده الله فهو الضار والنافع والعارف يستحيى منه أن يحذر غيره فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر وقالت فرقة من أهل العلم لابد من الحذر من الشيطان وماذكره البصريون من أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية فهو وسيلة الشيطان يكاد يكون غرورا إذ الأنبياء عليهم السلام لم يتخلصوا من وسواس الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل فى صفات الله تعالى وأسمائه وفى تحسين البدع والضلال وغير ذلك ولاينجو أحد من الخطر فيه ولذلك قال تعالى ـ وماأرسلنا من قبلك من رسول ولانبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته ـ وقال النبى ﷺ «إنه ليغان على قلبى (١)» مع أن شيطانه قد أسلم ولايأمره إلا بخير (٢) فمن ظن أن اشتغاله بحب الله أكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام فهو مغرور ولم يؤمنهم ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه آدم وحواء فى الجنة التى هى دار الأمن والسرور بعد أن قال الله لهما ـ إن هذا عدوّ لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك أن لاتجوع فيها ولاتعرى وأنك لاتظمأ فيها ولاتضحى ـ ومع أنه لم ينه إلا عن شجرة واحدة وأطلق له وراء ذلك ماأراد فاذا لم يأمن نبى من الأنبياء وهو فى الجنة دار الأمن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره أن يأمن فى دار الدنيا وهى منبع المحن والفتن ومعدن الملاذ والشهوات المنهى عنها وقال موسى عليه السلام فيما أخبر عنه تعالى ـ هذا من عمل الشيطان ـ ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال تعالى ـ يابنى آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ـ وقال عز وجل ـ إنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم ـ والقرآن من أوله إلى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدع الأمن منه وأخذ الحذر من حيث أمر الله به لاينافى الاشتغال بحب الله فان من الحب له امتثال أمره وقد أمر بالحذر من العدو كما أمر بالحذر من الكفار فقال تعالى ـ وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ـ وقال تعالى ـ وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ـ فاذا لزمك بأمر الله الحذر من العدو الكافر وأنت تراه فبأن يلزمك الحذر من عدو يراك ولاتراه أولى ولذلك قال ابن محيريز صيد تراه ولايراك يوشك أن تظفر به وصيد يراك ولاتراه يوشك ان يظفر بك فأشار إلى الشيطان فكيف وليس فى الغفلة عن عداوة الكافر إلا القتل هو شهادة وفى إهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعقاب الأليم فليس من الاشتغال بالله الإعراض عما حذر الله وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية فى ظنهم أن ذلك قادح فى التوكل فان أخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح فى توكل رسول الله ﷺ فكيف يقدح فى التوكل الخوف مما خوف الله به والحذر مما أمر بالحذر منه وقد ذكرنا فى كتاب التوكل ما يبين غلط من زعم أن معنى التوكل النزوع عن الأسباب بالكلية وقوله تعالى ـ وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ـ لايناقض امتثال التوكل مهما اعتقد القلب أن الضار والنافع والمحيى والمميت هو الله تعالى فكذلك يحذر الشيطان ويعتقد أن الهادى والمضل هو الله ويرى الأسباب وسائط مسخرة كما ذكرناه

أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من بات وفى يده غمر لم يغسل فأصابه شىء فلا يلومن إلا نفسه » ومن السنة غسل الأيدى فى طست واحد روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أرعوا الطسوس وخالفوا المجوس » ويستحب مسح العين بلل اليد . وروى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا توضأتم فأشربوا أعينكم الماء ولاتنفضوا أيديكم فانها

(١) حديث إنه ليغان على قلبى تقدم (٢) حديث إن شيطانه أسلم فلا يأمر إلا بخير تقدم أيضا .

فى التوكل وهذا مااختاره الحرث المحاسبى رحمه الله وهو الصحيح الذى يشهد له نور العلم وماقبله يشبه أن يكون من كلام العباد الذين لم يغزرعلمهم ويظنون أن مايهجم عليهم من الأحوال فى بعض الأوقات من الاستغراق بالله يستمر على الدوام وهو بعيد ثم اختلفت هذه الفرقة على ثلاثة أوجه فى كيفية الحذر فقال قوم إذا حذرنا الله تعالى العدوّ فلاينبغى أن يكون شئ أغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا إن غفلنا عنه لحظة فيوشك أن يهلكنا وقال قوم إن ذلك يؤدّى إلى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال الهم كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان منا بل نشتغل بالعبادة وبذكر الله تعالى ولاننسى الشيطان وعداوته والحاجة إلى الحذر منه فنجمع بين الأمرين فانا إن نسيناه ربما عرض من حيث لانحتسب وإن تجردنا لذكره كنا قد أهملنا ذكر الله فالجمع أولى وقال العلماء المحققون غلط الفريقان أما الأول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسى ذكر الله فلايخفى غلطه وإنما أمرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره أغلب الأشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدوّ ثم يؤدى ذلك إلى خلو القلب عن نور ذكر الله تعالى فاذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله تعالى وقوة الاشتغال به فيوشك أن يظفر به ولا يقوى على دفعه فلم يأمرنا بانتظار الشيطان ولا بإدمان ذكره وأما الفرقة الثانية فقد شاركت الأولى إذ جمعت فى القلب بين ذكر الله والشيطان وبقدر مايشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله وقد أمر الله الخلق بذكره ونسيان ماعداه إبليس وغيره فالحق أن يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على نفسه عداوته فاذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله ويكبّ عليه بكل الهمة ولايخطر بباله أمر الشيطان فانه إذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لايمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف من أن يفوته مهم عند طلوع الصبح فيلزم نفسه الحذر وينام على أن يتنبه فى ذلك الوقت فيتنبه فى الليل مرات قبل أوانه لما أسكن فى قلبه من الحذر مع أنه بالنوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذى يقوى على دفع العدوّ إذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى قد أمات منه الهوى وأحيا فيه نور العقل والعلم وأماط عنه ظلمة الشهوات فأهل البصيرة أشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصده وألزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر العدوّ واستضاءوا بنور الذكر حتى صرفوا خواطر العدوّ فمثال القلب بئر أريد تطهيرها من الماء القذر ليتفجر منها الماء الصافى فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها الماء القذر والذى جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله قد نزح الماء القذر من جانب ولكنه تركه جاريا إليها من جانب آخر فيطول تعبه ولاتجف البئر من الماء القذر والبصير هو الذى جعل لمجرى الماء القذر سدا وملأها بالماء الصافى فاذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب.

(بيان الرخصة فى قصد إظهار الطاعات)

اعلم أن فى الإسرار للأعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفى الاظهار فائدة الاقتداء وترغيب الناس فى الخير ولكن فيه آفة الرياء قال الحسن قد علم المسلمون أن السر أحرز العملين ولكن فى الاظهار أيضا فائدة ولذلك أثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال ـ إن تبدوا الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ـ والاظهار قسمان أحدهما فى نفس العمل والآخر بالتحدث بما عمل . القسم الأول : إظهار نفس العمل كالصدقة فى الملأ لترغيب الناس فيها كما روى عن الأنصارى

مراوح الشياطين » قيل لأبى هريرة فى الوضوء وغيره قال نعم فى الوضوء وغيره. وفى غسل اليد يأخذ الأسنان باليمين وفى الخلال لايزدرد مايخرج بالخلال من الأسنان وأما مايلوكه باللسان فلا بأس به ويجتنب التصنع فى أكل الطعام ويكون أكله بين الجمع كأكله منفردا فان الرياء يدخل على العبد فى كل شئ . وصف لبعض العلماء بعض العباد فلم يثن عليه قيل له تعلم به بأسا قال نعم رأيته يتصنع

الذى جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما رأوه فقال النبى صلى الله عليه وسلم « من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه (١) » وتجرى سائر الأعمال هذا المجرى من الصلاة والصيام والحج والغزو وغيرها ولكن الاقتداء فى الصدقة على الطباع أغلب ، نعم الغازى إذا هم بالخروج فاستعد وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك أفضل له لأن الغزو فى أصله من أعمال العلانية لا يمكن إسراره فالمبادرة إليه ليست من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته فى الصلاة بالليل لينبه جيرانه وأهله فيقتدى به فكل عمل لا يمكن إسراره كالحج والجهاد والجمعة فالأفضل المبادرة إليه وإظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط أن لا يكون فيه شوائب الرياء وأما ما يمكن إسراره كالصدقة والصلاة فان كان إظهار الصدقة يؤذى المتصدق عليه ويرغب الناس فى الصدقة فالسر أفضل لأن الإيذاء حرام فان لم يكن فيه إيذاء فقد اختلف الناس فى الأفضل فقال : قوم السر أفضل من العلانية وإن كان فى العلانية قدوة ، وقال قوم السر أفضل من علانية لا قدوة فيها أما العلانية للقدوة فأفضل من السر ويدل على ذلك أن الله عز وجل أمر الأنبياء باظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز أن يظن بهم أنهم حرموا أفضل العملين ويدل عليه قوله عليه السلام « له أجرها وأجر من عمل بها » وقد روى فى الحديث « إن عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية إذا استن بعامله على عمل السر سبعين ضعفا (٢) » وهذا لا وجه للخلاف فيه فانه مهما انفك القلب عن شوائب الرياء وتم الاخلاص على وجه واحد فى الحالتين فما يقتدى به أفضل لا محالة وإنما يخاف من ظهور الرياء ومهما حصلت شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف فى أن السر أفضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان : إحداهما أن يظهره حيث يعلم أنه يقتدى به أو يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدى به أهله دون جيرانه وربما يقتدى به جيرانه دون أهل السوق وربما يقتدى به أهل محلته وإنما العالم المعروف هو الذى يقتدى به الناس كافة فغير العالم إذا أظهر بعض الطاعات ربما نسب إلى الرياء والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة وإنما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو فى محل القدوة على من هو فى محل الاقتداء به والثانية أن يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الرياء الخفى فيدعوه إلى الاظهار بعذر الاقتداء وإنما شهوته التجمل بالعمل وبكونه يقتدى به وهذا حال كل من يظهر أعماله إلا الأقوياء المخلصين وقليل ماهم فلا ينبغى أن يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فان الضعيف مثاله مثال الغريق الذى يحسن سباحة ضعيفة فنظر إلى جماعة من الغرقى فرحمهم فأقبل عليهم حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك والغرق بالماء فى الدنيا ألمه ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لا بل عذابه دائم مدة مديدة وهذه مزلة أقدام العباد والعلماء فانهم يتشبهون بالأقوياء فى الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص فتحبط أجورهم بالرياء والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك أن يعرض على نفسه

فى الأكل ومن تصنع فى الأكل لا يؤمن عليه التصنع فى العمل وإن كان الطعام حلالا فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم أطعمنا طيبا واستعملنا صالحا وإن كان شبهة يقول الحمد لله على كل حال اللهم صل على محمد ولا تجعله عونا على معصيتك وليكثر الاستغفار والحزن ويبكى على أكل الشبهة ولا يضحك فليس من يأكل وهو يبكى كمن يأكل وهو يضحك

(١) حديث من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه وفى أوله قصة مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلى (٢) حديث إن عمل السر يضاعف على عمل العلانية بسبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية إذا استن به على عمل السر سبعين ضعفا. البيهقى فى الشعب من حديث أبى الدرداء مقتصرا على الشطر الأول بنحوه وقال هذا من أفراد بقية عن شيوخه المجهولين وقد تقدم قبل هذا بنحو ورقتين وله من حديث ابن عمر عمل السر أفضل من عمل العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء وقال تفرد به بقية عن عبد الملك بن مهران وله من حديث عائشة يفضل أو يضاعف الذكر الخفى الذى لا يسمعه الحفظة على الذى تسمعه بسبعين ضعفا وقال تفرد به معاوية بن يحيى الصدفى وهو ضعيف.

أنه لوقيل له أخف العمل حتى يقتدى الناس بعابد آخر من أقرانك ويكون لك فى السر مثل أجر الإعلان فان مال قلبه إلى أن يكون هو المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الرياء دون طلب الأجر واقتداء الناس به ورغبتهم فى الخير فانهم قد رغبوا فى الخير بالنظر إلى غيره وأجره قدتوفرعليه مع إسراره فما بال قلبه يميل إلى الاظهار لولا ملاحظته لأعين الخلق ومراءاتهم فليحذر العبد خدع النفس فان النفس خدوع والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقلما تسلم الأعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغى أن يعدل بالسلامة شيئا والسلامة فى الإخفاء وفى الاظهار من الأخطار مالا يقوى عليه أمثالنا فالحذر من الاظهار أولى بنا وبجميع الضعفاء . القسم الثانى : أن يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم إظهار العمل نفسه والخطر فى هذا أشد لأن مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد تجرى فى الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة فى إظهار الدعاوى عظيمة إلا أنه لوتطرق إليه الرياء لم يؤثر فى إفساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه أهون والحكم فيه أن من قوى قلبه وتم إخلاصه وصغر الناس فى عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به والرغبة فى الخير بسببه فهو جائز بل هو مندوب إليه إن صفت النية وسلمت عن جميع الآفات لأنه ترغيب فى الخير والترغيب فى الخير خير وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الأقوياء. قال سعد بن معاذ ماصليت صلاة منذ أسلمت فحدثت نفسى بغيرها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسى بغير ماهى قائلة وماهو مقول لها وما سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول قولا قط إلا علمت أنه حق ، وقال عمر رضى الله عنه : ما أبالى أصبحت على عسر أو يسر لأنى لا أدرى أيهما خير لى ، وقال ابن مسعود : ماأصبحت على حال فتمنيت أن أكون على غيرها . وقال عثمان رضى الله عنه : ماتغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكرى بيمينى منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وقال شداد بن أوس: ماتكلمت بكلمة منذ أسلمت حتى أزمها وأخطمها غير هذه وكان قد قال لغلامه ائتنا بالسفرة لنبعث بها حتى ندرك الغداء ، وقال أبو سفيان لأهله حين حضره الموت : لاتبكوا على فانى ما أحدثت ذنبا منذ أسلمت. وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : ماقضى الله فى بقضاء قط فسرنى أن يكون قضى لى بغيره وما أصبح لى هوى إلا فى مواقع قدر الله فهذا كله إظهار لأحوال شريفة وفيها غاية المراءاة إذا صدرت ممن يرائى بها وفيها غاية الترغيب إذا صدرت ممن يقتدى به فذلك على قصد الاقتداء جائز للأقوياء بالشروط التى ذكرناها فلا ينبغى أن يسد باب إظهار الأعمال والطباع مجبولة على حب التشبه والاقتداء بل إظهار المرائى للعبادة إذا لم يعلم الناس أنه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرائى، فكم من مخلص كان سبب إخلاصه الاقتداء بمن هو مراء عند الله ، وقد روى أنه كان يجتاز الانسان فى سكك البصرة عند الصبح فيسمع أصوات المصلين بالقرآن من البيوت فصنف بعضهم كتابا فى دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فاظهار المرائى فيه خير كثير لغيره إذا لم يعرف رياؤه ، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لاخلاق لهم (٢) كما ورد فى الأخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم والله تعالى أعلم .

---

(١) حديث عثمان قوله ماتغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكرى بيمينى منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو يعلى الموصلى فى معجمه باسناد ضعيف من رواية أنس عنه فى أثناء حديث وإن عثمان قال يارسول الله فذكره بلفظ منذ بايعتك قال هو ذاك ياعثمان (٢) حديث إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لاخلاق لهم هما حديثان فالأول متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم فى العلم والثانى رواه النسائى من حديث أنس بسند صحيح وتقدم أيضا .

ويقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ولإيلاف قريش ويجتنب الدخول على قوم فى وقت أكلهم فقد ورد من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقا وأكل حراما وسمعنا لفظا آخر دخل سارقا وخرج مغيرا إلا أن يتفق دخوله على قوم يعلم منهم فرحهم بموافقته ويستحب أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار ولا يخرج الضيف بغير إذن صاحب الدار ويجتنب الضيف التكلف إلا أن يكون له نية فيه من كثرة الإنفاق ولا يفعل

(بيان الرخصة فى كتمان الذنوب وكراهة إطلاع الناس عليها وكراهة ذمهم له)

اعلم أن الأصل فى الاخلاص استواء السريرة والعلانية كما قال عمر رضى الله عنه لرجل عنيك بعمل العلانية قال ياأمير المؤمنين وما عمل العلانية ؟ قال ماإذا اطلع عليك لم تستحى منه ، وقال أبو مسلم الخولانى ماعملت عملا أبالى أن يطلع الناس عليه إلا إتيانى أهلى والبول والغائط إلا أن هذه درجة عظيمة لاينالها كلّ واحد ولايخلو الانسان عن ذنوب بقلبه أو بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لاسيما ماتختاج به الخواطر فى الشهوات والأمانى والله مطلع على جميع ذلك فارادة العبد لاخفائها عن العبيد ربما يظنّ أنه رياء محظور وليس كذلك بل المحظور أنه يستر ذلك ليرى الناس أنه ورع خائف من الله تعالى مع أنه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائى. وأما الصادق الذى لايرائى فله ستر المعاصى ويصح قصده فيه ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه فى ثمانية أوجه : الأوّل أن يفرح بستر الله عليه وإذا افتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف أن يهتك ستره فى القيامة إذ ورد فى الخبر «أن من ستر الله عليه فى الدنيا ذنبا ستره الله عليه فى الآخرة (١)» وهذا غم ينشأ من قوّة الايمان. الثانى أنه قد علم أن الله تعالى يكره ظهور المعاصى ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم «من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله (٢)» فهو وإن عصى الله بالذنب فلم يخل قلبه عن محبة ماأحبه الله ، وهذا ينشأ من قوّة الايمان بكراهة الله لظهور المعاصى وأثر الصدق فيه أن يكره ظهور الذنب من غيره أيضا ويغتم بسببه . الثالث أن يكره ذم الناس له به من حيث إن ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فان الطبع يتأذى بالذم وينازع العقل ويشغل عن الطاعة وبهذه العلة أيضا ينبغى أن يكره الحمد الذى يشغله عن ذكر الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر ، وهذا أيضا من قوّة الايمان إذ صدق الرغبة فى فراغ القلب لأجل الطاعة من الايمان. الرابع أن يكون ستره ورغبته فيه لكراهته لذمّ الناس من حيث يتأذى طبعه فان الذمّ مؤلم للقلب كما أن الضرب مؤلم للبدن وخوف تألم القلب بالذمّ ليس بحرام ولاالانسان به عاص وإنما يعصى إذا جزعت نفسه من ذمّ الناس ودعته إلى مالايجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على الانسان أن لايغتم بذمّ الخلق ولايتألم به ، نعم كمال الصدق فى أن تزول عنه رؤيته للخلق فيستوى عنده ذامه ومادحه لعلمه أن الضار والنافع هو الله وأن العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا وأكثر الطباع تتألم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان وربّ تألم بالذم محمود إذا كان الذام من أهل البصيرة فى الدين فانهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان فى الدين فكيف لايغتم به ، نعم الغم المذموم هو أن يغتم لفوات الحمد بالورع كأنه يحب أن يحمد بالورع ولايجوز أن يحب أن يحمد بطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة الله ثوابا من غيره فان وجد ذلك فى نفسه وجب عليه أن يقابله بالكراهة والرد . وأما كراهة الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك ويتصوّر أن يكون العبد بحيث لايحب الحمد ولكن يكره الذم وإنما مراده أن يتركه الناس حمدا وذما فكم من صابر عن لذة الحمد لايصبر على ألم الذم إذ الحمد يطلب اللذة وعدم اللذة لايؤلم وأما الذم فانه مؤلم فحب الحمد على الطاعة طلب ثواب على الطاعة فى الحال وأما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه إلا أمر واحد وهو أن يشغله غمه باطلاع الناس على ذنبه عن اطلاع الله فان ذلك غاية النقصان فى الدين بل ينبغى أن يكون غمه باطلاع الله وذمه له أكثر. الخامس أن يكره الذم من حيث إن الذام قد عصى الله تعالى به وهذا من الايمان وعلامته أن يكره ذمه لغيره أيضا

(١) حديث أن من ستر عليه فى الدنيا يستر عليه فى الآخرة تقدم قبل هذا بورقة (٢) حديث من ارتكب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله الحاكم فى المستدرك وقد تقدم .

ذلك حياء وتكلفا وإذا أكل عند قوم طعاما فليقل عند فراغه إن كان بعد المغرب أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة وروى أيضا عليكم صلاة قوم أبرار ليسوا بآثمين ولا فجار يصلون بالليل ويصومون بالنهار . كان بعض الصحابة يقول ذلك . ومن الأدب أن لايستحقر مايقدم له من طعام وكان بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ماندرى أيهم أعظم وزرا الذى يحتقر

فهذا التوجع لايفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع . السادس : أن يستر ذلك كيلا يقصد بشر إذاعرف ذنبه وهذاوراء ألم الندم فانّ الندم مؤلم من حيث يشعر القلب بنقصانه وخسته وإن كان ممن يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الأسباب فله أن يستر ذلك حذرا منه . السابع : مجرد الحياء فانه نوع ألم وراء ألم الندم والقصد بالشر وهو خلق كريم يحدث فى أوّل الصبا مهما أشرق عليه نور العقل فيستحي من القبائح إذا شوهدت منه وهو وصف محمود إذ قال رسول الله صلى عليه وسلم « الحياء خير كله (١) » وقال ﷺ «الحياء شعبة من الايمان (٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «الحياء لايأتى إلا بخير (٣)» وقال صلى الله عليه وسلم «إنّ الله يحب الحي الحليم (٤)» فالذى يفسق ولايبالى أن يظهر فسقه للناس جمع إلى الفسق والتهتك والوقاحة فقد الحياء فهو أشدّ حالا ممن يستتر ويستحيي إلا أن الحياء ممتزج بالرياء ومشتبه به اشتباها عظيما قلّ من يتفطن له ويدعى كل مراء أنه مستحى وأنّ سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم وتهيج عقيبه داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصوّر أن يخلص معه ويتصوّر أن يرائى معه وبيانه أن الرجل يطلب من صديق له قرضا ونفسه لاتسخو باقراضه إلا أنه يستحي من ردّه وعلم أنه لو راسله على لسان غيره لكان لايستحي ولايقرض رياء ولا لطلب الثواب فله عند ذلك أحوال : أحدها أن يشافه بالرد الصريح ولايبالى فينسب إلى قلة الحياء وهذا فعل من لاحياء له فان المستحي إما أن يتعلل أويقرض فان أعطى فيتصور له ثلاثة أحوال: أحدها أن يمزج الرياء بالحياء بأن يهيج الحياء فيقبح عنده الرد فيهيج خاطر الرياء ويقول ينبغى أن تعطى حتى يثنى عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخاء أوينبغى أن تعطى حتى لايذمك ولاينسبك إلى البخل فاذا أعطى فقد أعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء . الثانى أن يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى فى نفسه البخل فيعتذر الاعطاء فيهيج داعى الاخلاص ويقول له إن الصدقة بواحدة والقرض بثمان عشرة ففيه أجر عظيم وإدخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى فتسخو النفس بالاعطاء لذلك فهذا مخلص هيج الحياء إخلاصه . الثالث أن لايكون له رغبة فى الثواب ولا خوف من مذمته ولاحب لمحمدته لأنه لوطلبه مراسلة لكان لايعطيه فأعطاه بمحض الحياء وهو مايجده فى قلبه من ألم الحياء ولولا الحياء لرده ولوجاءه من لايستحى منه من الأجانب أو الأراذل لكان يرده وإن كثر الحمد والثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولايكون هذا إلا فى القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب والمرائى يستحى من المباحات أيضا حتى إنه يرى مستعجلا فى المشى فيعود إلى الهدو أوضاحكا فيرجع إلى الانقباض ويزعم أن ذلك حياء وهو عين الرياء وقد قيل إن بعض الحياء ضعف وهو صحيح والمراد به الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من وعظ الناس وإمامة الناس فى الصلاة وهو فى الصبيان والنساء محمود وفى العقلاء غير محمود وقد تشاهد معصية من شيخ فتستحي من شيبته أن تنكر عليه لأن من إجلال الله إجلال ذى الشيبة المسلم وهذا الحياء حسن وأحسن منه أن يستحي من الله فلا تضيع الأمر بالمعروف فالقوى يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لايقدر عليه ، فهذه هى الأسباب التى يجوز لأجلها ستر القبائح والذنوب . الثامن : أن يخاف من ظهور ذنبه أن يستجرئ

(١) حديث الحياء خير كله مسلم من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (٢) حديث الحياء شعبة من الايمان متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم (٣) حديث الحياء لايأتى إلا بخير متفق عليه من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (٤) حديث إن الله يحب الحي الحليم الطبرانى من حديث فاطمة وللبزار من حديث أبى هريرة إن الله يحب الغنى الحليم المتعفف وفيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه .

مايقدم إليه أوالذى يحتقر ماعنده أن يقدمه . ويكره أكل طعام المباهاة وماتكلف به للأعراس والتعازى فما عمل للنوائح لايؤكل وماعمل لأهل العزاء لابأس به وما يجرى مجراه وإذا علم الرجل من حال أخيه أنه يفرح بالانبساط إليه فى التصرف فى شئ من طعامه فلا حرج أن يأكل من طعامه بغير إذنه قال الله تعالى ـ أو صديقكم ـ قيل دخل قوم على سفيان الثورى فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة

عليه غيره ويقتدى به وهذه العلة الواحدة فقط هى الجارية فى إظهار الطاعة وهو القدوة ويختص ذلك بالأئمة أو بمن يقتدى به وبهذه العلة ينبغى أيضا أن يخفى العاصى أيضا معصيته من أهله وولده لأنهم يتعلمون منه ففى ستر الذنوب هذه الأعذار الثمانية وليس فى إظهار الطاعة عذر إلا هذا العذر الواحد ومهما قصد بستر المعصية أن يخيل إلى الناس أنه ورع كان مرائيا كما إذا قصد ذلك باظهار الطاعة. فان قلت فهل يجوز للعبد أن يحب حمد الناس له بالصلاح وحبهم إياه بسببه وقد قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم « دلنى على مايحبنى الله عليه ويحبنى الناس قال ازهد فى الدنيا يحبك الله وانبذ إليهم هذا الحطام يحبوك (١) » فنقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمودا وقد يكون مذموما فالمحمود أن تحب ذلك لتعرف به حب الله لك فانه تعالى إذا أحب عبدا حببه فى قلوب عباده والمذموم أن تحب حبهم وحمدهم على حجك وغزوك وصلاتك وعلى طاعة بعينها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجل سوى ثواب الله والمباح أن تحب أن يحبوك لصفات محمودة سوى الطاعات المحمودة المعينة فحبك ذلك كحبك المال لأن ملك القلوب وسيلة إلى الأغراض كملك الأموال فلافرق بينهما.

(بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات)

اعلم أن من الناس من يترك العمل خوفا من أن يكون مرائيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما يترك من الأعمال ومالا يترك لخوف الآفات مانذكره وهو أن الطاعات تنقسم إلى مالا لذة فى عينه كالصلاة والصوم والحج والغزو فانها مقاساة ومجاهدات إنما تصير لذيذة من حيث إنها توصل إلى حمد الناس وحمد الناس لذيذ وذلك عند اطلاع الناس عليه وإلى ماهو لذيذ وهو أكثر مالا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء والولايات والحسبة وإمامة الصلاة والتذكير والتدريس وإنفاق المال على الخلق وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة. القسم الأول الطاعات اللازمة للبدن التى لاتتعلق بالغير ولا لذة فى عينها كالصوم والصلاة والحج فخطرات الرياء فيها ثلاث : إحداها مايدخل قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا مما ينبغى أن يترك لأنه معصية لاطاعة فيه فانه تدرع بصورة الطاعة إلى طلب المنزلة فان قدر الانسان على أن يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها ألا تستحيين من مولاك لاتسخين بالعمل لأجله وتسخين بالعمل لأجل عباده حتى يندفع باعث الرياء وتسخو النفس بالعمل لله عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة له فليشتغل بالعمل . الثانية أن ينبعث لأجل الله ولكن يعترض الرياء مع عقد العبادة وأولها فلا ينبغى أن يترك العمل لأنه وجد باعثا دينيا فليشرع فى العمل وليجاهد نفسه فى دفع الرياء وتحسين الاخلاص بالمعالجات التى ذكرناها من إلزام النفس كراهة الرياء والاباء عن القبول. الثالثة أن يعقد على الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه فينبغى أن يجاهد فى الدفع ولا يترك العمل لكى يرجع إلى عقد الاخلاص ويرد نفسه إليه قهرا حتى يتمم العمل لأن الشيطان يدعوك أولا إلى ترك العمل فاذا لم تجب واشتغلت فيدعوك إلى الرياء فاذا لم تجب ودفعت بقى يقول لك هذا العمل ليس بخالص وأنت مراء وتعبك ضائع فأى فائدة لك فى عمل لا إخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد حصلت غرضه ومثال من يترك العمل لخوفه أن يكون مرائيا كمن سلم إليه مولاه حنطة فيها زؤان وقال خلصها من الزؤان ونقها منه تنقية بالغة فيترك أصل العمل ويقول أخاف إن اشتغلت به لم تخلص خلاصا صافيا نقيا فترك العمل من أجله هو ترك الاخلاص مع أصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل

وأكلوا فدخل سفيان ففرح وقال ذكرتونى أخلاق السلف هكذا كانوا ومن دعى إلى طعام فالاجابة من السنة وأوكد ذلك الوليمة وقد يتخلف بعض الناس عن الدعوة تكبرا وذلك خطأ وإن عمل ذلك تصنعا ورياء فهو أقل من التكبر . روى أن الحسن بن على مر بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على الطرق وقد نثروا كسرا على الأرض وهو على بغلته فلما مر بهم سلم عليهم فردوا عليه السلام

(١) حديث قال رجل دلنى على ما يحبنى الله عليه ويحبنى الناس قال ازهد فى الدنيا يحبك الله الحديث ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بلفظ وازهد فيما فى أيدى الناس وقد تقدم .

أن يترك العمل خوفا على الناس أن يقولوا إنه مراء فيعصون الله به فهذا من مكايد الشيطان لأنه أولا أساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه أن يظن بهم ذلك ثم إن كان فلا يضره قولهم ويفوته ثواب العبادة وترك العمل خوفا من قولهم إنه مراء هو عين الرياء فلولا حبه لحمدتهم وخوفه من ذمهم فماله ولقولهم قالوا إنه مراء أو قالوا إنه مخلص وأى فرق بين أن يترك العمل خوفا من أن يقال إنه مراء وبين أن يحسن العمل خوفا من أن يقال إنه غافل مقصر بل ترك العمل أشد من ذلك فهذه كلها مكايد الشيطان على العباد الجهال ثم كيف يطمع فى أن يتخلص من الشيطان بأن يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الآن يقول الناس إنك تركت العمل ليقال إنه مخلص لا يشتهى الشهرة فيضطرك بذلك إلى أن تهرب فان هربت ودخلت سربا تحت الأرض ألقى فى قلبك حلاوة معرفة الناس لزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك فكيف تتخلص منه بل لا نجاة منه إلا بأن تلزم قلبك معرفة آفة الرياء وهو أنه ضرر فى الآخرة ولا نفع فيه فى الدنيا لتلزم الكراهة والإباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالى وإن نزغ العدو نازغ الطبع فان ذلك لا ينقطع وترك العمل لأجل ذلك يجر إلى البطالة وترك الخيرات فما دمت تجد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء وألزم قلبك الحياء من الله إذا دعتك نفسك إلى أن تستبدل بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وأنك تريد حمدهم لمقتوك بل إن قدرت على أن تزيد فى العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك الشيطان أنت مراء فاعلم كذبه وخدعه بما تصادف فى قلبك من كراهة الرياء وإبائه وخوفك منه وحيائك من الله تعالى وإن لم تجد فى قلبك له كراهية ومنه خوفا ولم يبق باعث دينى بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد فمن شرع فى العمل لله فلا بد أن يبقى معه أصل قصد الثواب . فان قلت فقد نقل عن أقوام ترك العمل مخافة الشهرة . روى أن إبراهيم النخعى دخل عليه إنسان وهو يقرأ فأطبق المصحف وترك القراءة وقال لا يرى هذا أنا نقرأ أكل ساعة . وقال إبراهيم التيمى إذا أعجبك الكلام فاسكت وإذا أعجبك السكوت فتكلم . وقال الحسن أن كان أحدهم ليمر بالأذى ما يمنعه من دفعه إلا كراهة الشهرة وكان أحدهم يأتيه البكاء فيصرفه إلى الضحك مخافة الشهرة . وقد ورد فى ذلك آثار كثيرة . قلنا هذا يعارضه ما ورد من إظهار الطاعات ممن لا يحصى وإظهار الحسن البصرى هذا الكلام فى معرض الوعظ أقرب إلى خوف الشهرة من البكاء وإماطة الأذى عن الطريق ثم لم يتركه . وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام فى الأفضل ، والأفضل إنما يقدر عليه الأقوياء دون الضعفاء فالأفضل أن يتمم العمل ويجتهد فى الاخلاص ولا يتركه وأرباب الأعمال قد يعالجون أنفسهم بخلاف الأفضل لشدة الخوف فالاقتداء ينبغى أن يكون بالأقوياء وأما إطباق إبراهيم النخعى المصحف فيمكن أن يكون لعلمه بأنه سيحتاج إلى ترك القراءة عند دخوله واستئنافه بعد خروجه للاشتغال بمكالمته فرأى أن لا يراه فى القراءة أبعد عن الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود إليه بعد ذلك وأما ترك دفع الأذى فذلك ممن يخاف على نفسه آفة الشهرة وإقبال الناس عليه وشغلهم إياه عن عبادات هى أكبر من رفع خشبة من الطريق فيكون ترك ذلك للمحافظة على عبادات هى أكبر منها لا بمجرد خوف الرياء وأما قول التيمى إذا أعجبك الكلام فاسكت يجوز أن يكون قد أراد به مباحات الكلام كالفصاحة فى الحكايات وغيرها فان ذلك يورث العجب وكذلك العجب بالسكوت المباح محذور فهو عدول عن مباح إلى مباح حذرا من العجب فأما الكلام الحق المندوب إليه فلم ينص عليه على أن الآفة مما تعظم فى الكلام فهو واقع فى القسم الثانى وإنما كلامنا فى العبادات الخاصة ببدن العبد مما

وقالوا هلم الغداء يا ابن رسول الله فقال نعم إن الله لا يحب المتكبرين ثم ثنى وركه فنزل عن دابته وقعد معهم على الأرض وأقبل يأكل ثم سلم عليهم وركب وكان يقال الأكل مع الاخوان أفضل من الأكل مع العيال . وروى أن هارون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير وأمر أن يقدم له طعام فلما أكل صب الرشيد على يده فى الطست فلما فرغ قال يا أبا معاوية تدرى من صب على يدك ؟ قال لا قال أمير المؤمنين قال

لا يتعلق بالناس ولا تعظم فيه الآفات ثم كلام الحسن فى تركهم البكاء وإماطة الأذى لخوف الشهرة ربما كان حكاية أحوال الضعفاء الذين لا يعرفون الأفضل ولا يدركون هذه الدقائق وإنما ذكره تخويفا للناس من آفة الشهرة وزجرا عن طلبها . القسم الثانى : ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والأخطار وأعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم إنفاق المال . أما الخلافة والإمارة فهى من أفضل العبادات إذا كان ذلك مع العدل والاخلاص وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما (١)» فأعظم بعبادة يوازى يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم «أول من يدخل الجنة ثلاثة الامام المقسط(٢)» أحدهم وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا تردّ دعوتهم الامام العادل (٣) » أحدهم وقال صلى الله عليه وسلم «أقرب الناس منى مجلسا يوم القيامة إمام عادل (٤)» رواه أبو سعيد الخدرى فالامارة والخلافة من أعظم العبادات ولم يزل المتقون يتركونها ويحترزون منها ويهربون من تقلدها وذلك لما فيه من عظيم الخطر إذ تتحرك بها الصفات الباطنة ويغلب على النفس حبّ الجاه ولذة الاستيلاء ونفاذ الأمر وهو أعظم ملاذ الدنيا فاذا صارت الولاية محبوبة كان الوالى ساعيا فى حظ نفسه ويوشك أن يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح فى جاهه وولايته وإن كان حقا ويقدم على ما يزيد فى مكانته وإن كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرا من فسق ستين سنة بمفهوم الحديث الذى ذكرناه ولهذا الخطر العظيم كان عمر رضى الله عنه يقول من يأخذها بما فيها وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «ما من والى عشرة إلا جاء يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه أطلقه عدله أو أوبقه جوره(٥)» رواه معقل بن يسار وولاه عمر ولاية فقال يا أمير المؤمنين أشر علىّ قال اجلس واكتم علىّ وروى الحسن «أن رجلا ولاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي خرلى قال اجلس (٦)» وكذلك حديث عبد الرحمن بن سمرة إذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم « يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فانك إن

(١) حديث ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما الطبرانى والبيهقى من حديث ابن عباس وقد تقدم (٢) حديث أول من يدخل الجنة ثلاثة الامام المقسط الحديث مسلم من حديث عياض بن حماد أهل الجنة ثلاث ذو سلطان مقسط الحديث ولم أر فيه ذكر الأولية (٣) حديث أبى هريرة ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل تقدم (٤) حديث أبى سعيد الخدرى أقرب الناس منى مجلسا يوم القيامة إمام عادل الأصبهانى فى الترغيب والترهيب من رواية عطية العوفى وهو ضعيف عنه وفيه أيضا إسحق بن إبراهيم الديباجى ضعيف أيضا (٥) حديث ما من والى عشرة إلا جاء يوم القيامة يده مغلولة إلى عنقه لا يفكها إلا عدله أحمد من حديث عبادة بن الصامت ورواه أحمد والبزار من رواية رجل لم يسم عن سعد بن عبادة وفيهما يزيد بن أبى زياد متكلم فيه ورواه أحمد والبزار وأبو يعلى والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة ورواه البزار والطبرانى من حديث بريدة والطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس وثوبان وله من حديث أبى الدرداء ما من والى ثلاثة إلا لقى الله مغلولة يمينه الحديث وقد عزى المصنف هذا الحديث لرواية معقل بن يسار والمعروف من حديث معقل بن يسار ما من عبد يسترعيه الله رعية لم يحطها بنصيحة إلا لم يرح رائحة الجنة متفق عليه (٦) حديث الحسن أن رجلا ولاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم خرلى قال اجلس الطبرانى موصولا من حديث عصمة هو ابن مالك وفيه الفضل بن المختار وأحاديثه منكرة يحدث بالأباطيل قاله أبو حاتم ورواه أيضا من حديث ابن عمر بلفظ الزم بيتك وفيه الغراب بن ابى الغراب ضعفه ابن معين وابن عدى وقال أبو حاتم صدوق .

يا أمير المؤمنين إنما أكرمت العلم وأجللته فأجلك الله تعالى وأكرمك كما أكرمت العلم .

[الباب الرابع والأربعون فى ذكر أدبهم فى اللباس ونياتهم ومقاصدهم فيه]

اللباس من حاجات النفس وضرورتها لدفع الحر والبرد كما أن الطعام من حاجات النفس لدفع الجوع وكما أن النفس غير قانعة بقدر الحاجة من الطعام بل تطلب الزيادات والشهوات فهكذا فى اللباس تتفنن فيه ولها فيه أهوية متنوعة

أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها وإن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها (١)» وقال أبو بكر رضى الله عنه لرافع بن عمر لاتأمر على اثنين ثم ولى هو الخلافة فقام بها فقال رافع ألم تقل لى لاتأمر على اثنين وأنت قد وليت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلى وأنا أقول لك ذلك فمن لم يعدل فيها فعليه بهلة الله يعنى لعنة الله ولعل القليل البصيرة يرى ماورد من فضل الإمارة مع ماورد من النهى عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه أن الخواص الأقوياء فى الدين لاينبغى أن يمتنعوا من تقلد الولايات وأن الضعفاء لاينبغى أن يدوروا بها فيهلكوا وأعنى بالقوى الذى لاتميله الدنيا ولايستفزه الطمع ولاتأخذه فى الله لومة لائم وهم الذين سقط الخلق عن أعينهم وزهدوا فى الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا أنفسهم وملكوها وقمعوا الشيطان فأيس منهم فهؤلاء لايحركهم إلا الحق ولايسكنهم إلا الحق ولوزهقت فيهم أرواحهم فهم أهل نيل الفضل فى الامارة والخلافة ومن علم أنه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض فى الولايات ومن جرب نفسه فرآها صابرة على الحق كافة عن الشهوات فى غير الولايات ولكن خاف عليها أن تتغير إذا ذاقت لذة الولاية وأن تستحلى الجاه وتستلذ نفاذ الأمر فتكره العزل فيداهن خيفة من العزل فهذا قد اختلف العلماء فى أنه هل يلزمه الهرب من تقلد الولاية فقال قائلون لايجب لأن هذا خوف أمر فى المستقبل وهو فى الحال لم يعهد نفسه إلا قوية فى ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح أن عليه الاحتراز لأن النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلو وعدت بالخير جزما لكان يخاف عليها أن تتغير عند الولاية فكيف إذا أظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية أهون من العزل بعد الشروع فالعزل مؤلم وهو كما قيل العزل طلاق الرجال فاذا شرع لاتسمح نفسه بالعزل وتميل نفسه إلى المداهنة وإهمال الحق وتهوى به فى قعر جهنم ولايستطيع النزوع منه إلى الموت إلا أن يعزل قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية ومهما مالت النفس إلى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب فهو أمارة الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «إنا لانولى أمرنا من سألنا (٢)» فاذا فهمت اختلاف حكم القوى والضعيف علمت أن نهى أبى بكر رافعا عن الولاية ثم تقلده لها ليس بمتناقض . وأما القضاء فهو وإن كان دون الخلافة والامارة فهو فى معناها فان كل ذى ولاية أمير أى له أمر نافذ والامارة محبوبة بالطبع والثواب فى القضاء عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه أيضا عظيم مع العدول عن الحق وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم «القضاة ثلاثة قاضيان فى النار وقاض فى الجنة (٣)» وقال عليه السلام «من استقضى فقد ذبح بغير سكين (٤)» فحكمه حكم الامارة ينبغى أن يتركه الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها وزن فى عينه وليتقلده الأقوياء الذين لاتأخذهم فى الله لومة لائم ومهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضى على القضاء إلا بمداهنتهم وإهمال بعض الحقوق لأجلهم ولأجل المتعلقين بهم إذ يعلم أنه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه أو لم يطيعوه فليس له أن يتقلد القضاء وإن تقلده فعليه أن يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عذرا مرخصا له فى الاهمال أصلا بل إذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغى أن يفرح بالعزل إن كان يقضى لله فان لم تسمح نفسه بذلك فهو إذن يقضى لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا وهو مع الظلمة فى الدرك الأسفل من النار . وأما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية

(١) حديث عبد الرحمن بن سمرة لاتسل الامارة الحديث متفق عليه (٢) حديث إنا لانولى أمرنا من سألناه متفق عليه من حديث أبى موسى (٣) حديث القضاة ثلاثة الحديث أصحاب السنن من حديث بريدة وتقدم فى العلم وإسناده صحيح (٤) حديث من استقضى فقد ذبح بغير سكين أصحاب السنن من حديث أبى هريرة بلفظ من جعل قاضيا وفى رواية من ولى القضاء وإسناده صحيح .

ومآرب مختلفة فالصوفى يرد النفس فى اللباس إلى متابعة صريح العلم . قيل لبعض الصوفية ثوبك ممزق قال ولكنه من وجه حلال وقيل له وهو وسخ قال ولكنه طاهر فنظر الصادق فى ثوبه أن يكون من وجه حلال لأنه ورد فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفى ثمنه درهم من حرام لايقبل الله منه صرفا ولاعدلا» أى لافريضة ولانافلة ثم بعد ذلك نظره فيه أن يكون طاهرا لأن طهارة الثوب شرط فى صحة

الحديث وجمع الأسانيد العالية وكل مايتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فآفته أيضا عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ماوجدوا إليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من أبواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال أوسعوا لى ودفن بشر كذا وكذا قمطر من الحديث وقال يمنعنى من الحديث أنى أشتهى أن أحدث ولو اشتهيت أن لا أحدث لحدثت والواعظ يجد فى وعظه وتأثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم وإقبالهم عليه لذة لانوازيها لذة فاذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه إلى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وإن كان باطلا ويفر عن كل كلام يستثقله العوام وإن كان حقا ويصير مصروف الهمة بالكلية إلى مايحرك قلوب العوام ويعظم منزلته فى قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة إلا ويكون فرحه به من حيث إنه يصلح لأن يذكره على رأس المنبر وكان ينبغى أن يكون فرحه به من حيث إنه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به أولا ثم يقول إذا أنعم الله علىّ بهذه النعمة ونفعنى بهذه الحكمة فأقصها ليشاركنى فى نفعها إخوانى المسلمين فهذا أيضا مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات فمن لاباعث له إلا طلب الجاه والمنزلة والأكل بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغى أن يتركه ويخالف الهوى فيه إلى أن ترتاض نفسه وتقوى فى الدين همته ويأمن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود إليه . فان قلت مهما حكم بذلك على أهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق . فنقول قد نهى رسول الله ﷺ عن طلب الإمارة وتوعد عليها (١) حتى قال « إنكم تحرصون على الإمارة وإنها حسرة وندامة يوم القيامة إلا من أخذها بحقها (٢) » وقال « نعمت المرضعة وبئست الفاطمة (٣) » ومعلوم أن السلطنة والإمارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الأمن وخربت البلاد وتعطلت المعايش فلم نهى عنها مع ذلك ؟ وضرب عمر رضى الله عنه أبى بن كعب رأى قوما يتبعونه وهو فى ذلك يقول أبى سيد المسلمين وكان يقرأ عليه القرآن فمنع من أن يتبعوه وقال ذلك فتنة على المتبوع ومذلة على التابع وعمر كان بنفسه يخطب ويعظ ولا يمتنع منه . واستأذن رجل عمر أن يعظ الناس إذا فرغ من صلاة الصبح فمنعه فقال أتمنعنى من نصح الناس فقال أخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا إذ رأى فيه مخايل الرغبة فى جاه الوعظ وقبول الخلق والقضاء والخلافة مما يحتاج الناس إليه فى دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفى كل واحد منهما فتنة ولذة فلا فرق بينهما فأما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدى إلى اندراس العلم فهو غلط إذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضاء لم يؤدّ إلى تعطيل القضاء (٤) بل الرياسة وحبها يضطر الخلق إلى طلبها وكذلك حب الرياسة لايترك العلوم تندرس بل لو حبس الخلق وقيدوا بالسلاسل والأغلال من طلب العلوم التى فيها القبول والرياسة لأفلتوا من الحبس وقطعوا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله أن يؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم فلاتشغل قلبك بأمر الناس فان الله لايضيعهم وانظر لنفسك ، ثم إنى أقول مع هذا إذا كان فى البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس فى النهى عنه إلا امتناع بعضهم وإلا فيعلم أن كلهم لايمتنعون ولايتركون لذة الرياسة فان لم يكن

الصلاة وما عدا هذين النظرين فنظره فى كونه يدفع الحر والبرد لأن ذلك مصلحة النفس وبعد ذلك ما تدعو النفس إليه فكله فضول وزيادة ونظر إلى الخلق والصادق لاينبغى أن يلبس الثوب إلا لله وهو ستر العورة أو لنفسه لدفع الحر والبرد . وحكى أن سفيان الثورى رضى الله عنه خرج ذات يوم وعليه ثوب قد لبسه مقلوبا فقيل له ولم يعلم بذلك فهمّ أن يخلعه ويغيره ثم تركه وقال حيث لبسته نويت أنى

(١) حديث النهى عن طلب الإمارة وهو حديث عبد الرحمن بن سمرة لاتسل الإمارة وقد تقدم قبله بثلاثة أحاديث (٢) حديث إنكم تحرصون على الإمارة وإنها حسرة يوم القيامة وندامة إلا من أخذها بحقها البخارى من حديث أبى هريرة دون قوله إلا من أخذها بحقها وزاد فى آخره فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة ودون قوله حسرة وهى فى صحيح ابن حبان (٣) حديث نعمت المرضعة وبئست الفاطمة البخارى من حديث أبى هريرة وهو بقية الحديث الذى قبله ورواه ابن حبان بلفظ فبئست المرضعة وبئست الفاطمة (٤) حديث النهى عن القضاء مسلم من حديث أبى ذر لا تؤمرن على اثنين ولا تلين مال يتيم

فى البلد إلا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته فى الظاهر وتخيله إلى العوام أنه إنما يريد الله بوعظه وأنه تارك للدنيا ومعرض عنها فلا نمنعه منه ونقول له اشتغل وجاهد نفسك ، فان قال لست أقدر على نفسى فنقول اشتغل وجاهد ، لأنا نعلم أنه لو ترك ذلك لهلك الناس كلهم إذ لا قائم به غيره ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده وسلامة دين الجميع أحب عندنا من سلامة دينه وحده فنجعله فداء للقوم ونقول لعل هذا هو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم (١) » ثم الواعظ هو الذى يرغب فى الآخرة ويزهد فى الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته ، فأما ما أحدثه الوعاظ فى هذه الأعصار من الكلمات المزخرفة والألفاظ المسجعة المقرونة بالأشعار مما ليس فيه تعظيم لأمر الدين وتخويف للمسلمين بل فيه الترجية والتجرئة على المعاصى بطيارات النكت فيجب إخلاء البلاد منهم فانهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان وإنما كلامنا فى واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يبطن فى نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما أوردناه فى كتاب العلم من الوعيد الوارد فى حق علماء السوء ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوائله ، ولهذا قال المسيح عليه السلام : ياعلماء السوء تصومون وتصلون وتتصدقون ولا تفعلون ما تأمرون وتدرسون ما لا تعملون فياسوء ما تحكمون تتوبون بالقول والأمانى وتعملون بالهوى ومايغنى عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لاتكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل فى صدوركم ياعبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لاتنقضى من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم إن قلوبكم تبكى من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم بصلاح دنياكم فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأى ناس أخس منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون فى محلة المتجبرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغنى عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغنى عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة ياعبيد الدنيا لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام توشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم إلى الملك الديان حفاة عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم وقد روى الحرث المحاسبى هذا الحديث فى بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا فى عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم فى العاجل عار وشين وفى الآخرة هم الخاسرون . فان قلت : فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد فى العلم والوعظ رغائب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يهدى الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « أيما داع دعا إلى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه (٣) » إلى غير ذلك من فضائل العلم فينبغى أن يقال للعالم اشتغل بالعلم واترك مراءاة الخلق كما يقال لمن خالجه الرياء فى الصلاة لاتترك العمل ولكن أتمم العمل وجاهد نفسك . فاعلم أن فضل العلم كبير وخطره عظيم

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم النسائى وقد تقدم قريبا (٢) حديث لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها متفق عليه من حديث سهل بن سعد بلفظ خير لك من حمر النعم وقد تقدم فى العلم (٣) حديث أيما داع دعا إلى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه ابن ماجه من حديث أنس بزيادة فى أوله ولمسلم من حديث أبى هريرة من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه الحديث .

ألبسه الله والآن فما أغيره إلا لنظر الخلق فلا أنقض النية الأولى بهذه. والصوفية خصوا بطهارة الأخلاق وما رزقوا طهارة الأخلاق إلا بالصلاحية والأهلية والاستعداد الذى هيأه الله تعالى لنفوسهم وفى طهارة الأخلاق وتعاضدها تناسب واقع لوجود تناسب هيئة النفس وتناسب هيئة النفس هو المشار إليه بقوله تعالى ـ فاذا سويته ونفخت فيه من روحى ـ فالتناسب هو التسوية فمن المناسب أن يكون لباسهم مشاكلا لطعامهم

كفضل

كفضل الخلافة والإمارة ولا نقول لأحد من عباد الله اترك العلم إذ ليس في نفس العلم آفة وإنما الآفة في إظهاره بالتصدّي للوعظ والتدريس ورواية الحديث ولا نقول له أيضا اتركه مادام يجد في نفسه باعثا دينيا ممزوجا بباعث الرياء أما إذا لم يحركه إلا الرياء فترك الاظهار أنفع له وأسلم وكذلك نوافل الصلوات إذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها أما إذا خطر له وساوس الرياء في أثناء الصلاة وهو لها كاره فلا يترك الصلاة لأن آفة الرياء في العبادات ضعيفة وإنما تعظم في الولايات وفي التصدي للمناصب الكبيرة في العلم . وبالجملة فالمراتب ثلاث : الأولى : الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة . الثانية : الصوم والصلاة والحج والغزو وقد تعرّض لها أقوياء السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لخوف الآفة وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على نفيها مع إتمام العمل لله بأدنى قوة . الثالثة : وهي متوسطة بين الرتبتين وهو التصدّي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس والآفات فيها أقلّ مما في الولايات وأكثر مما في الصلاة فالصلاة ينبغي أن لا يتركها الضعيف والقوي ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي أن يتركها الضعفاء رأسا دون الأقوياء ومناصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم أنه بالولاة أشبه وأن الحذر منه في حق الضعيف أسلم والله أعلم.

وههنا رتبة رابعة وهي: جمع المال وأخذه للتفرقة على المستحقين فان في الانفاق وإظهار السخاء استجلابا للثناء وفي إدخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس والآفات فيها أيضا كثيرة ، ولذلك سئل الحسن عن رجل طاب القوت ثم أمسك وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد أفضل لما يعرفون من قلة السلامة في الدنيا وأن من الزهد تركها قربة إلى الله تعالى . وقال أبو الدرداء ما يسرني أني أقمت على درج مسجد دمشق أصيب كلّ يوم خمسين دينارا أتصدق بها أما إني لا أحرم البيع والشراء ولكني أريد أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وقد اختلف العلماء فقال قوم إذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق بها فهو أفضل من أن يشتغل بالعبادات والنوافل، وقال قوم الجلوس في دوام ذكر الله أفضل والأخذ والإعطاء يشغل عن الله، وقد قال المسيح عليه السلام يا طالب الدنيا ليبرّ بها تركك لها أبر ، وقال أقل ما فيه أن يشغله إصلاحه عن ذكر الله وذكر الله أكبر وأفضل وهذا فيمن سلم من الآفات فأما من يتعرض لآفة الرياء فتركه لها أبر والاشتغال بالذكر لا خلاف في أنه أفضل . وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو مثار الآفات والأحب أن يعمل ويدفع الآفات فان عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشرّ وليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يميل إليه الطبع . وبالجملة ما يجده أخف على قلبه فهو في الأكثر أضر عليه لأن النفس لا تشير إلا بالشر وقلما تستلذ الخير وتميل إليه وإن كان لا يبعد ذلك أيضا في بعض الأحوال وهذه أمور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي وإثبات فهو موكول إلى اجتهاد القلب لينظر فيه لدينه ويدع ما يريبه إلى ما لا يريبه ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك المال ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين البخل ولا خلاف في أن تفرقة المال في المباحات فضلا عن الصدقات أفضل من إمساكه وإنما الخلاف فيمن يحتاج إلى الكسب أن الأفضل الكسب والانفاق أو التجرد للذكر وذلك لما في الكسب من الآفات فأما المال الحاصل من الحلال فتفرقته أفضل من إمساكه بكل حال . فان قلت فبأي علامة تعرف العالم والواعظ أنه صادق مخلص في وعظه غير مريد رياء الناس. فاعلم أن لذلك علامات إحداها أنه لو ظهر من هو أحسن منه وعظا أو أغزر منه علما والناس له أشد قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا بأس بالغبطة وهو أن يتمنى لنفسه مثل علمه ، والأخرى أن الأكابر إذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل بقي كما كان عليه فينظر إلى الخلق بعين واحدة والأخرى أن لا يحب اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه في الأسواق

وطعامهم مشاكلا لكلامهم وكلامهم مشاكلا لمنامهم لأن التناسب الواقع في النفس مقيد بالعلم والتشابه والتماثل في الأحوال يحكم به العلم ومتصوفة الزمان ملتزمون بشيء من التناسب مع مزج الهوى وما عندهم من التطلع إلى التناسب رشح حال سلفهم في وجود التناسب . قال أبو سليمان الداراني : يلبس أحدهم عباءة بثلاثة دراهم وشهوته في بطنه بخمسة دراهم أنكر ذلك لعدم التناسب فمن خشن

ولذلك علامات كثيرة يطول إحصاؤها ، وقد روى عن سعيد بن أبي مروان قال كنت جالسا إلى جنب الحسن إذدخل علينا الحجاج من بعض أبواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون أصفر فدخل المسجد على برذونه فجعل يلتفت فى المسجد فلم ير حلقة أحفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريبا منها ثم ثنى وركه فنزل ومشى نحو الحسن فلما رآه الحسن متوجها إليه تجافى له عن ناحية مجلسه قال سعيد وتجافيت له أيضا عن ناحية مجلسى حتى صار بينى وبين الحسن فرجة ومجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بينى وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به فى كل يوم فما قطع الحسن كلامه قال سعيد فقلت فى نفسى لأبلون الحسن اليوم ولأنظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج إليه أن يزيد فى كلامه يتقرب إليه أو يحمل الحسن هيبة الحجاج أن ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحوا مما كان يتكلم به فى كل يوم حتى انتهى إلى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث به رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبر فعليكم بهذه المجالس وأشباهها فاتخذوها حلقا وعادة فانه بلغنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أن مجالس الذكر رياض الجنة (١)» ولولا ما حملناه من أمر الناس ماغلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها قال ثم افترا الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق فقام فجاء رجل من أهل الشام إلى مجلس الحسن حين قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين ألا تعجبون أنى رجل شيخ كبير وأنى أغزو فأكلف فرسا وبغلا وأكلف فسطاطا وأن لى ثلثمائة درهم من العطاء وأن لى سبع بنات من العيال فشكا من حاله حتى رق الحسن له وأصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه فقال مالهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزا عدو الله غزا فى الفساطيط الهبابة وعلى البغال السباقة وإذا أغزى أخاه أغزاه طاويا راجلا فما افترا الحسن حتى ذكرهم بأقبح العيب وأشده فقام رجل من أهل الشام كان جالسا إلى الحسن فسعى به إلى الحجاج وحكى له كلامه فلم يلبث الحسن أن أتته رسل الحجاج فقالوا أجب الأمير فقام الحسن وأشفقنا عليه من شدة كلامه الذى تكلم به فلم يلبث الحسن أن رجع إلى مجلسه وهو يتبسم وقلما رأيته فاغرا فاه يضحك إنما كان يتبسم فأقبل حتى قعد فى مجلسه فعظم الأمانة وقال إنما تجالسون بالأمانة كأنكم تظنون أن الخيانة ليست إلا فى الدينار والدرهم إن الخيانة أشد الخيانة أن يجالسنا الرجل فنطمئن إلى جانبه ثم ينطلق فيسعى بنا إلى شرارة من نار إنى أتيت هذا الرجل فقال أقصر عليك من لسانك وقولك إذا غزا عدو الله كذا وكذا وإذا أغزى أخاه أغزاه كذا لا أبالك تحرض علينا الناس أما إنا على ذلك لا تتهم نصيحتك فأقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عنى وركب الحسن حمارا يريد المنزل فبينما هو يسير إذ التفت فرأى قوما يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة أو تسألون عن شىء وإلا فارجعوا فما يبقى هذا من قلب العبد فهذه العلامات وأمثالها تتبين سريرة الباطن ومهما رأيت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ولا يتوانسون ولا يتعاونون فاعلم أنهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون اللهم ارحمنا بلطفك يا أرحم الراحمين.

(بيان مايصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق ومالايصح)

اعلم أن الرجل قد يبيت مع القوم فى موضع فيقومون للتهجد أو يقوم بعضهم فيصلون الليل كله أو بعضه وهو ممن يقوم فى بيته ساعة قريبة فاذا رآهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على ما كان يعتاده ويصلى مع أنه كان لا يعتاد الصلاة بالليل أصلا ، وكذلك قد يقع فى موضع يصوم فيه أهل الموضع فينبعث له نشاط فى الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط فهذا رياء وأن الواجب

ثوبه ينبغى أن يكون مأكوله من جنسه وإذا اختلف الثوب والمأكول يدل على وجود انحراف لوجود هوى كامن فى أحد الطرفين إما فى طرف الثوب لموضع نظر الخلق وإما فى طرف المأكول لفرط الشره وكلا الوصفين مرض يحتاج إلى المداواة ليعود إلى حد الاعتدال . لبس أبو سليمان الدارانى ثوبا غسيلا فقال له أحمد لو لبست ثوبا أجود من هذا فقال ليت قلبى فى القلوب مثل قميص فى الثياب

(١) حديث أن مجالس الذكر رياض الجنة تقدم فى الأذكار والدعوات .

ترك الموافقة وليس كذلك على الاطلاق بل له تفصيل لأن كل مؤمن راغب فى عبادة الله تعالى وفى قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تعوقه العوائق ويمنعه الاشتغال ويغلبه التمكن من الشهوات أو تستهويه الغفلة فربما تكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة أو تندفع العوائق والأشغال فى بعض المواضع فينبعث له النشاط فقد يكون الرجل فى منزله فتقطعه الأسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير أو تمكنه من التمتع بزوجته أو المحادثة مع أهله وأقاربه أو الاشتغال بأولاده أو مطالعة حساب له مع معامليه فاذا وقع فى منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التى تفتر رغبته عن الخير وحصلت له أسباب باعثة على الخير كمشاهدته إياهم وقد أقبلوا على الله وأعرضوا عن الدنيا فانه ينظر إليهم فينافسهم ويشق عليه أن يسبقوه بطاعة الله فتتحرك داعيته للدين لا للرياء أو ربما يفارقه النوم لاستنكاره الموضع أو سبب آخر فيغتنم زوال النوم وفى منزله ربما يغلبه النوم وربما ينضاف إليه أنه فى منزله على الدوام والنفس لاتسمح بالتهجد دائما وتسمح بالتهجد وقتا قليلا فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يعسر عليه الصوم فى منزله ومعه أطايب الأطعمة ويشق عليه الصبر عنها فاذا أعوزته تلك الأطعمة لم يشق عليه فتنبعث داعية الدين للصوم فان الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فاذا سلم منها قوى الباعث فهذا وأمثاله من الأسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان مع ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لاتعمل فانك تكون مرائيا إذ كنت لاتعمل فى بيتك ولا تزد على صلاتك المعتادة وقد تكون رغبته فى الزيادة لأجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم إياه إلى الكسل لاسيما إذا كانوا يظنون به أنه يقوم الليل فان نفسه لاتسمح بأن يسقط من أعينهم فيريد أن يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول الشيطان صل فانك مخلص ولست تصلى لأجلهم بل لله وإنما كنت لاتصلى كل ليلة لكثرة العوائق وإنما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم وهذا أمر مشتبه إلا على ذوى البصائر فاذا عرف أن المحرك هو الرياء فلا ينبغى أن يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة لأنه يعصى الله بطلب محمدة الناس بطاعة الله وإن كان انبعاثه لدفع العوائق وتحرك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لايرونه بل من وراء حجاب وهو فى ذلك الموضع بعينه هل كانت نفسه تسخو بالصلاة وهم لايرونه فان سخت نفسه فليصل فان باعثه الحق وإن كان ذلك يثقل على نفسه لو غاب عن أعينهم فليترك فان باعثه الرياء وكذلك قد يحضر الإنسان يوم الجمعة فى الجامع من نشاط الصلاة مالا يحضره كل يوم ويمكن أن يكون ذلك لحب حمدهم ويمكن أن يكون نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب إقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه نزوع النفس إلى حب الحمد فمهما علم أن الغالب على قلبه إرادة الدين فلا ينبغى أن يترك العمل بما يجده من حب الحمد بل ينبغى أن يرد ذلك على نفسه بالكراهية ويشتغل بالعبادة وكذلك قد يبكى جماعة فينظر إليهم فيحضره البكاء خوفا من الله تعالى لامن الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحده لما بكى ولكن بكاء الناس يؤثر فى ترقيق القلب وقد لايحضره البكاء فيتباكى تارة رياء وتارة مع الصدق إذ يخشى على نفسه قساوة القلب حين يبكون ولا تدمع عينه فيتباكى تكلفا وذلك محمود وعلامة الصدق فيه أن يعرض على نفسه أنه لو سمع بكاءهم من حيث لايرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة فيتباكى أم لا فان لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن أعينهم فانما خوفه من أن يقال إنه قاسى القلب فينبغى أن يترك التباكى . قال لقمان عليه السلام لابنه : لاترى الناس أنك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر وكذلك الصيحة والتنفس والأنين عند القرآن أو الذكر أو بعض مجارى الأحوال

فكان الفقراء يلبسون المرقع وربما كانوا يأخذون الخرق من المزابل ويرقعون بها ثوبهم وقد فعل ذلك طائفة من أهل الصلاح وهؤلاء ماكان لهم معلوم يرجعون إليه فكما كانت رقاعهم من المزابل كانت لقمهم من الأبواب . وكان أبو عبد الله الرفاعى مثابرا على الفقر والتوكل ثلاثين سنة وكان إذا حضر للفقراء طعام لايأكل معهم فيقال له فى ذلك فيقول أنتم تأكلون بحق التوكل وأنا آكل بحق المسكنة ثم

تارة تكون من الصدق والحزن والخوف والندم والتأسف وتارة تكون لمشاهدته حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف التنفس والأنين ويتحازن وذلك محمود وقد تقترن به الرغبة فيه لدلالته على أنه كثير الحزن ليعرف بذلك فان تجردت هذه الداعية فهى الرياء وإن اقترنت بداعية الحزن فان أباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه وإن قبل ذلك وركن إليه بقلبه حبط أجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله تعالى به وقد يكون أصل الأنين عن الحزن ولكن يمده ويزيد فى رفع الصوت فتلك الزيادة رياء وهو محظور لأنها فى حكم الابتداء لمجرد الرياء فقد يهيج من الخوف مالا يملك العبد معه نفسه ولكن يسبقه خاطر الرياء فيقبله فيدعو إلى زيادة تحزين للصوت أو رفع له أو حفظ الدمعة على الوجه حتى تبصر بعد أن استرسلت لخشية الله ولكن يحفظ أثرها على الوجه لأجل الرياء وكذلك قد يسمع الذكر فتضعف قواه من الخوف فيسقط ثم يستحي أن يقال له إنه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزعق ويتواجد تكلفا ليرى أنه سقط لكونه مغشيا عليه وقد كان ابتداء السقطة عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفيق سريعا فتجزع نفسه أن يقال حالته غير ثابتة وإنما هى كبرق خاطف فيستديم الزعقة والرقص ليرى دوام حاله وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سريعا فيجزع أن يقال لم تكن غشيته صحيحة ولو كان لدام ضعفه فيستديم إظهار الضعف والأنين فيتكئ على غيره يرى أنه يضعف عن القيام ويتمايل فى المشى ويقرب الخطا ليظهر أنه ضعيف عن سرعة المشى فهذه كلها مكايد الشيطان ونزغات النفس فاذا خطرت فعلاجها أن يتذكر أن الناس لو عرفوا نفاقه فى الباطن واطلعوا على ضميره لمقتوه وإن الله مطلع على ضميره وهو له أشد مقتا كما روى عن ذى النون رحمه الله أنه قام وزعق فقام معه شيخ آخر رأى فيه أثر التكلف فقال ياشيخ الذى يراك حين تقوم فجلس الشيخ وكل ذلك من أعمال المنافقين وقد جاء فى الخبر «تعوذوا بالله من خشوع النفاق(١)» وإنما خشوع النفاق أن تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه فان ذلك قد يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمراءاة فهذه خواطر ترد على القلب متضادة مترادفة متقاربة وهى مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك فى كل مايخطر لك وانظر ماهو ومن أين هو فان كان لله فأمضه واحذر مع ذلك أن يكون قد خفى عليك شىء من الرياء الذى هو كدبيب النمل وكن على وجل من عبادتك أهى مقبولة أم لا ؟ لخوفك على الاخلاص فيها واحذر أن يتجدد لك خاطر الركون إلى حمدهم بعد الشروع بالإخلاص فان ذلك مما يكثر جدا فاذا خطر لك فتفكر فى اطلاع الله عليك ومقته لك وتذكر ماقاله أحد الثلاثة الذين حاجوا أيوب عليه السلام إذ قال ياأيوب أما علمت أن العبد تضل عنه علانيته التى كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريرته وقول بعضهم أعوذ بك أن يرى الناس أنى أخشاك وانت لى ماقت . وكان من دعاء على بن الحسين رضى الله عنهما: اللهم إنى أعوذ بك أن تحسن فى لامعة العيون علانيتى وتقبح لك فيما أخلو سريرتى محافظا على رياء الناس من نفسى ومضيعا لما أنت مطلع عليه منى أبدى للناس أحسن أمرى وأفضى إليك بأسوأ عملى تقربا إلى الناس بحسناتى وفرارا منهم إليك بسيئاتى فيحل بى مقتك ويجب على غضبك أعذنى من ذلك يارب العالمين وقد قال أحد الثلاثة نفر لأيوب عليه السلام ياأيوب ألم تعلم أن الذين حفظوا علانيتهم وأضاعوا سرائرهم عند طلب الحاجات إلى الرحمن تسود وجوههم فهذه جمل آفات الرياء ، فليراقب العبد قلبه ليقف عليها ففى الخبر «إن للرياء سبعين بابا(٢)» وقد عرفت أن بعضه أغمض من بعض حتى إن بعضه

يخرج بين العشاءين يطلب الكسر من الأبواب وهذا شأن من لايرجع إلى معلوم ولا يدخل تحت منة . حكى أن جماعة من أصحاب المرقعات دخلوا على بشر بن الحرث فقال لهم ياقوم اتقوا الله ولا تظهروا هذا الزى فانكم تعرفون به وتكرمون له فسكتوا كلهم فقال له غلام منهم الحمد لله الذى جعلنا ممن يعرف به ويكرم له والله ليظهرن هذا الزى حتى يكون الدين كله لله فقال له بشر أحسنت ياغلام مثلك من يلبس المرقعة فكان أحدهم

(١) حديث تعوذوا بالله من خشوع النفاق البيهقى فى الشعب من حديث أبو بكر الصديق وفيه الحارث بن عبيد الإيادى ضعفه أحمد وابن معين (٢) حديث الرياء سبعون بابا هكذا ذكر

مثل دبيب النمل وبعضه أخفى من دبيب النمل وكيف يدرك ماهو أخفى من دبيب النمل إلا بشدة التفقد والمراقبة وليته أدرك بعد بذل المجهود فكيف يطمع فى إدراكه من غير تفقد للقلب وامتحان للنفس وتفتيش عن خدعها ، نسأل الله تعالى العافية بمنه وكرمه وإحسانه .

(بيان مايبغى للمريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه)

اعلم أن أولى مايلزم المريد قلبه فى سائر أوقاته القناعة بعلم الله فى جميع طاعاته ولا يقنع بعلم الله إلا من لايخاف إلا الله ولا يرجو إلا الله فأما من خاف غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه على محاسن أحواله فان كان فى هذه الرتبة فيلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والايمان لما فيه من خطر التعرض للمقت وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التى لايقدر عليها غيره فان النفس عند ذلك تكاد تغلى حرصا على الافشاء وتقول مثل هذا العمل العظيم أو الخوف العظيم أو البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك فما فى الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى باخفائه فيجهل الناس محالك وينكرون قدرك ويحرمون الاقتداء بك ففى مثل هذا الأمر ينبغى أن يثبت قدمه ويتذكر فى مقابلة عظم عمله عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامه أبد الآباد وعظم غضب الله ومقته على من طلب بطاعته ثوابا من عباده ويعلم أن إظهاره لغيره محبب إليه وسقوط عند الله وإحباط للعمل العظيم فيقول وكيف أتبع مثل هذا العمل بحمد الخلق وهم عاجزون لايقدرون لى على رزق ولا أجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغى أن ييأس عنه فيقول إنما يقدر على الاخلاص الأقوياء فأما المخلطون فليس ذلك من شأنهم فيترك المجاهدة فى الاخلاص لأن المخلط إلى ذلك أحوج من المتقى لأن المتقى إن فسدت نوافله بقيت فرائضه كاملة تامة والمخلط لا تخلو فرائضه عن النقصان والحاجة إلى الجبران بالنوافل فان لم تسلم صار مأخوذا بالفرائض وهلك به فالمخلط إلى الاخلاص أحوج . وقد روى تميم الدارى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «يحاسب العبد يوم القيامة فان نقص فرضه قيل انظروا هل له من تطوع فان كان له تطوع أكمل به فرضه وإن لم يكن له تطوع أخذ بطرفيه فألقى فى النار (١)» فيأتى المخلط يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجتهاده فى جبر الفرائض وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك إلا بخلوص النوافل وأما المتقى فجهده فى زيادة الدرجات فان حبط تطوعه بقى من حسناته مايترجح على السيئات فيدخل الجنة ، فاذن ينبغى أن يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه لتصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يظهره ولا يتحدث به وإذا فعل جميع ذلك فينبغى أن يكون وجلا من عمله خائفا أنه ربما داخله من الرياء الخفى مالم يقف عليه فيكون شاكا فى قبوله ورده مجوزا أن يكون الله قد أحصى عليه من نيته الخفية مامقته بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف فى دوام عمله وبعده إلا فى ابتداء العقد بل ينبغى أن يكون متيقنا فى الابتداء أنه مخلص مايريد بعمله إلا الله حتى يصح عمله فاذا

يبقى زمانه لايطوى له ثوب ولا يملك غير ثوبه الذى عليه . وروى أن أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه لبس قميصا اشتراه بثلاثة دراهم ثم قطع كمه من رءوس أصابعه وروى عنه أنه قال لعمر بن الخطاب إن أردت أن تلقى صاحبك فرقع قميصك واخصف نعلك وقصر أملك وكل دون الشبع . وحكى عن الجريرى قال كان فى جامع بغداد رجل لاتكاد تجده إلا فى ثوب واحد فى الشتاء والصيف فسئل عن ذلك فقال قد

المصنف هذا الحديث هنا وكأنه تصحف عليه أو على من نقله من كلامه أنه الرياء بالمثناة وإنما هو الربا بالموحدة والرسوم كتابته بالواو والحديث رواه ابن ماجه من حديث أبى هريرة بلفظ الربا سبعون حوبا أيسرها أن ينكح الرجل أمه وفى إسناده أبو معشر واسمه نجيح مختلف فيه وروى ابن ماجه أيضا من حديث ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: الربا ثلاثة وسبعون بابا . وإسناده صحيح هكذا ذكر ابن ماجه الحديثين فى أبواب التجارات وقد روى البزار حديث ابن مسعود بلفظ الربا بضع وسبعون بابا والشرك مثل ذلك وهذه الزيادة قد يستدل بها على أنه الرياء بالمثناة لاقترانه مع الشرك والله أعلم (١) حديث تميم الدارى فى إكمال فريضة الصلاة بالتطوع أبو داود وابن ماجه وتقدم فى الصلاة .

شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شائبة خفية أحبطت عمله من رياء أوعجب أولى به ولكن يكون رجاؤه أغلب من خوفه لأنه استيقن أنه دخل بالاخلاص وشك فى أنه هل أفسده برياء فيكون رجاء القبول أغلب وبذلك تعظم لذته فى المناجاة والطاعات، فالإخلاص يقين والرياء شك وخوفه لذلك الشك جدير بأن يكفر خاطر الرياء إن كان قد سبق وهو غافل عنه، والذى يتقرب إلى الله بالسعى فى حوائج الناس وإفادة العلم ينبغى أن يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط دون شكر ومكافأة وحمد وثناء من المتعلم والمنعم عليه فان ذلك يحبط الأجر فمهما توقع من المتعلم مساعدة فى شغل وخدمة أومرافقة فى الشئ فى الطريق ليستكثر باستتباعه أوترددا منه فى حاجة فقد أخذ أجره فلا ثواب له غيره، نعم إن لم يتوقع هو ولم يقصد إلا الثواب على عمله بعلمه ليكون له مثل أجره ولكن خدمة التلميذ بنفسه فقبل خدمته فرجو أن لا يحبط ذلك أجره إذا كان لا ينتظره ولا يريده منه ولا يستبعده منه لو قطعه ومع هذا فقد كان العلماء يحذرون هذا حتى إن بعضهم وقع فى بئر فجاء قوم فأدلوا حبلا ليرفعوه فخاف عليهم أن لا يقف معهم من قرأ عليه آية من القرآن أوسمع منه حديثا خيفة أن يحبط أجره، وقال شقيق البلخى أهديت لسفيان الثورى ثوبا فرده علىّ فقلت له ياأباعبدالله لست أنا ممن يسمع الحديث حتى ترده على قال علمت ذاك ولكن أخوك يسمع منى الحديث فأخاف أن يلين قلبى لأخيك أكثر مما يلين لغيره. وجاء رجل إلى سفيان ببدرة أوبدرتين وكان أبوه صديقا لسفيان وكان سفيان يأتيه كثيرا فقال له ياأباعبدالله فى نفسك من أبى شئ فقال يرحم الله أباك كان وكان وأثنى عليه فقال ياأبا عبدالله قد عرفت كيف صار هذا المال إلىّ فأحب أن تأخذ هذه تستعين بها على عيالك قال فقبل سفيان ذلك قال فلما خرج قال لولده يامبارك الحقه فرده علىّ فرجع فقال أحب أن تأخذ مالك فلم يزل به حتى رده عليه وكأنه كانت أخوّته مع أبيه فى الله تعالى فكره أن ياخذ ذلك قال ولده فلما خرج لم أملك نفسى أن جئت إليه فقلت ويلك أى شئ قلبك هذا حجارة عد أنه ليس لك عيال أما ترحمنى أما ترحم إخوتك أما ترحم عيالنا فأكثرت عليه فقال لى يامبارك تأكلها أنت هنيئا مريئا وأسأل عنها أنا، فإذن يجب على العالم أن يلزم قلبه طلب الثواب من الله فى اهتداء الناس به فقط ويجب على المتعلم أن يلزم قلبه حمد الله وطلب ثوابه ونيل المنزلة عنده لا عند المعلم وعند الخلق وربما يظن أن له أن يرائى بطاعته لينال عند المعلم رتبة فيتعلم منه وهو خطأ لأن إرادته بطاعته غير الله خسران فى الحال والعلم وربما يفيد وربما لا يفيد فكيف يخسر فى الحال عملا نقدا على توهم علم وذلك غير جائز بل ينبغى أن يتعلم لله ويعبد لله ويخدم المعلم لله لا ليكون له فى قلبه منزلة إن كان يريد أن يكون تعلمه طاعة فان العباد أمروا أن لا يعبدوا إلا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يخدم أبويه لا ينبغى أن يخدمهما لطلب المنزلة عندهما إلا من حيث إن رضا الله عنه فى رضا الوالدين ولا يجوز له أن يرائى بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فان ذلك معصية فى الحال وسيكشف الله عن ريائه وتسقط منزلته من قلوب الوالدين أيضا وأما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغى له أن يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بعلمه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده واستعظامهم محله فان ذلك يغرس الرياء فى صدره حتى تتيسر عليه العبادات فى خلوته به وإنما شكونه لمعرفة الناس باعتزاله واستعظامهم لمحله وهو لا يدرى أنه المخفف للعمل عليه. قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت عليه فى صومعته فقلت ياسمعان منذ كم أنت فى صومعتك قال منذ سبعين سنة قلت فما طعامك قال ياحنيفى ومادعاك إلى هذا قلت أحببت أن أعلم قال فى كل ليلة حمصة قلت فما الذى يهيج من

كنت ولعت بكثرة لبس الثياب فرأيت ليلة فيما يرى النائم كأنى دخلت الجنة فرأيت جماعة من أصحابنا من الفقراء على مائدة فأردت أن أجلس معهم فاذا بجماعة من الملائكة أخذوا بيدى وأقاموني وقالوا لى هؤلاء أصحاب ثوب واحد وأنت لك قميصان فلا تجلس معهم فانتبهت ونذرت أن لا ألبس إلا ثوبا واحدا إلى أن ألقى الله تعالى. وقيل مات أبو يزيد ولم يترك إلا قميصه الذى كان عليه وكان عارية فردوه إلى صاحبه.

قلبك حتى تكفيك هذه الحصة قال ترى الدير الذى بحذائك قلت نعم قال إنهم يأتونى فى كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتى ويطوفون حولها ويعظمونى فكلما تثاقلت نفسى عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة فأنا أحتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل ياحنيفى جهد ساعة لعز الأبد فوقر فى قلبى المعرفة فقال حسبك أو أزيدك ؟ قلت بلى قال انزل عن الصومعة فنزلت فأدلى لى ركوة فيها عشرون حصة فقال لى ادخل الدير فقد رأوا ماأدليت إليك فلما دخلت الدير اجتمع على النصارى فقالوا ياحنيفى ما الذى أدلى إليك الشيخ قلت من قوته قالوا فما تصنع به ونحن أحق به ثم قالوا ساوم قلت عشرون دينارا فأعطونى عشرين دينارا فرجعت إلى الشيخ فقال ياحنيفى ماالذى صنعت قلت بعته منهم قال بكم قلت بعشرين دينارا قال أخطأت لو ساومتهم بعشرين ألف دينار لأعطوك هذا عز من لاتعبده فانظر كيف يكون عز من تعبده ، ياحنيفى أقبل على ربك ودع الذهاب والجيئة. والمقصود أن استشعار النفس عز العظمة فى القلوب يكون باعثا فى الخلوة وقد لايشعر العبد به فينبغى أن يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته أن يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة واحدة فلو تغيروا عن اعتقادهم له لم يجزع ولم يضق به ذرعا إلا كراهة ضعيفة إن وجدها فى قلبه فيردها فى الحال بعقله وإيمانه فانه لو كان فى عبادة واطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعا ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فان دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن إذا قدر على رده بكراهة العقل والإيمان وبادر إلى ذلك ولم يقبل ذلك السرور بالركون إليه فيرجى له أن لايخيب سعيه إلا أن يزيد عند مشاهدتهم فى الخشوع والانقباض كى لاينبسطوا إليه فذلك لابأس به ولكن فيه غرور إذ النفس قد تكون شهوتها الخفية إظهار الخشوع وتتعلل بطلب الانقباض فيطالبها فى دعواها قصد الانقباض بموثق من الله غليظ وهو أنه لو علم أن انقباضهم عنه إنما حصل بأن يعدو كثيرا أو يضحك كثيرا أو يأكل كثيرا فتسمح نفسه بذلك فاذا لم تسمح وسمحت بالعبادة فيشبه أن يكون مرادها المنزلة عندهم ولاينجو من ذلك إلا من تقرر فى قلبه أنه ليس فى الوجود أحد سوى الله فيعمل عمل من لوكان على وجه الأرض وحده لكان يعمله فلا يلتفت قلبه إلى الخلق إلا خطرات ضعيفة لايشق عليه إزالتها فاذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامة الصدق فيه أنه لو كان له صاحبان أحدهما غنى والآخر فقير فلا يجد عند إقبال الغنى زيادة هزة فى نفسه ، لا كرامة إلا إذا كان فى الغنى زيادة علم أو زيادة ورع فيكون مكرما له بذلك الوصف لا بالغنى فمن كان استرواحه إلى مشاهدة الأغنياء أكثر فهو مراء أو طماع وإلا فالنظر إلى الفقراء يزيد فى الرغبة إلى الآخرة ويحبب إلى القلب المسكنة والنظر إلى الأغنياء بخلافه فكيف إسترواح بالنظر إلى الغنى أكثر مما يسترواح إلى الفقير ، وقد حكى أنه لم ير الأغنياء فى مجلس أذل منهم فيه فى مجلس سفيان الثورى كان يجلسهم وراء الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا يتمنون أنهم فقراء فى مجلسه ، نعم لك زيادة إكرام للغنى إذا كان أقرب إليك أو كان بينك وبينه حق وصداقة سابقة ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة فى فقير لكنت لاتقدم الغنى عليه فى إكرام وتوقير ألبتة فان الفقير أكرم على الله من الغنى فإيثارك له لا يكون إلا طمعا فى غناه ورياء له ثم إذا سويت بينهما فى المجالسة فيخفى عليك أن تظهر الحكمة والخشوع للغنى أكثر مما تظهره للفقير وإنما ذلك رياء خفى أو طمع خفى كما قال ابن السماك لجارية له مالى إذا أتيت بغداد فتحت لى الحكمة فقالت الطمع يشحذ لسانك وقد صدقت فان اللسان ينطق عند الغنى بما لا ينطق به عند الفقير وكذلك يحضر من الخشوع عنده مالا يحضر عند الفقير ومكايد النفس وخفاياها فى هذا الفن لاتنحصر ولا ينجيك منها إلا أن تخرج ماسوى الله من قلبك وتتجرد بالشفقة على نفسك بقية عمرك

وحكى لنا عن الشيخ حماد شيخ شيخنا أنه بقى زمانا لا يلبس الثوب إلا مستأجرا حتى إنه لم يلبس على ملك نفسه شيئا وقال أبو حفص الحداد إذا رأيت وضاءة الفقير فى ثوبه فلا ترجو خيره وقيل مات ابن الكرنبى وكان أستاذ الجنيدى وعليه مرقعته قيل كان وزن فرد كم له وتخاريصه ثلاثة عشر رطلا فقد يكون جمع من الصالحين على هذا الزى والتخشن وقد يكون جمع من الصالحين يتكلفون لبس غير المرقع وزى

ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منغصة فى أيام متقاربة وتكون فى الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد أمكنته الشهوات وساعدته اللذات ولكن فى بدنه سقم وهو يخاف الهلاك على نفسه فى كل ساعة لو اتسع فى الشهوات وعلم أنه لو احتمى وجاهد شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الأطباء وحارف الصيادلة وعود نفسه شرب الأدوية المرة وصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد نحولا لقلة أكله ولكن سقمه يزداد كل يوم نقصانا لشدة احتمائه فمهما نازعته نفسه إلى شهوة تفكر فى توالى الأوجاع والآلام عليه وأداه ذلك إلى الموت الفرق بينه وبين مملكته الموجب لشماتة الأعداء به ومهما اشتد عليه شرب دواء تفكر فيما يستفيده منه من الشفاء الذى هو سبب التمتع بملكه ونعيمه فى عيش هنىء وبدن صحيح وقلب رخى وأمر نافذ فيخف عليه مهاجرة اللذات ومصابرة المكروهات فكذلك المؤمن المريد لملك الآخرة احتمى عن كل مهلك له فى آخرته وهى لذات الدنيا وزهرتها فاجتزى منها بالقليل واختار النحول والذبول والوحشة والحزن والخوف وترك المؤانسة بالخلق خوفا من أن يحل عليه غضب من الله فيهلك ورجاء أن ينجو من عذابه فخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وإيمانه بعاقبة أمره وبما أعد له من النعيم المقيم فى رضوان الله أبد الآباد ثم علم أن الله كريم رحيم لم يزل لعباده المريدين لمرضاته عونا وبهم رءوفا وعليهم عطوفا ولوشاء لأغناهم عن التعب ولكن أراد أن يبلوهم ويعرف صدق إرادتهم حكمة منه وعدلا ثم إذا تحمل التعب فى بدايته أقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الإعياء وسهل عليه الصبر وحبب إليه الطاعة ورزقه فيها من لذة المناجاة ما يلهيه عن سائر اللذات ويقويه على إماتة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وأمده بمعونته فان الكريم لايضيع سعى الراجى ولا يخيب أمل المحب وهو الذى يقول : من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا . ويقول تعالى: لقد طال شوق الأبرار إلى لقائى وإنى إلى لقائهم أشد شوقا. فليظهر العبد فى البداية جده وصدقه وإخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى على القرب ماهو اللائق بجوده وكرمه ورأفته ورحمته . تم كتاب ذم الجاه والرياء والحمد لله وحده.

﴿ كتاب ذم الكبر والعجب ﴾

(وهو الكتاب التاسع من ربع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الخالق البارىء المصور العزيز الجبار المتكبر العلى الذى لايضعه عن مجده واضع، الجبار الذى كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر فى جناب عزه مسكين متواضع فهو القهار الذى لايدفعه عن مراده دافع الغنى الذى ليس له شريك ولا منازع القادر الذى بهر أبصار الخلائق جلاله وبهاؤه وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه وحصر ألسن الأنبياء وصفه وثناؤه وارتفع عن حد قدرتهم إحصاؤه واستقصاؤه فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكته وأنبياؤه وكسر ظهور الأكاسرة عزه وعلاؤه وقصر أيدى القياصرة عظمته وكبرياؤه فالعظمة إزاره والكبرياء رداؤه ومن نازعه فيهما قصمه بداء الموت فأعجزه دواؤه جل جلاله وتقدست أسماؤه، والصلاة على محمد الذى أنزل عليه النور المنتشر ضياؤه حتى أشرقت بنوره أكناف العالم وأرجاؤه وعلى آله وأصحابه الذين هم أحباء الله وأولياؤه وخيرته وأصفياؤه وسلم تسليما كثيرا .

الفقراء ويكون نيتهم فى ذلك ستر الحال أو خوف عدم النهوض بواجب حق المرقعة وقيل كان أبو حفص الحداد يلبس الناعم وله بيت فرش فيه الرمل لعله كان ينام عليه بلا وطاء وقد كان قوم من أصحاب الصفة يكرهون أن يجعلوا بينهم وبين التراب حائلا ويكون لبس أبى حفص الناعم بعلم ونية يلقى الله تعالى بصحتها وهكذا الصادقون إن لبسوا غير الخشن من الثوب لنية تكون لهم فى ذلك فلا يعترض

(أما

[أما بعد] فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى فيهما قصمته[1] » وقال ﷺ « ثلاث مهلكات : شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه[2] » فالكبر والعجب داءان مهلكان والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان وهما عند الله ممقوتان بغيضان وإذا كان القصد فى هذا الربع من كتاب إحياء علوم الدين شرح المهلكات وجب إيضاح الكبر والعجب فانهما من قبائح الرديات ونحن نستقصى بيانهما من الكتاب فى شطرين شطر فى الكبر وشطر فى العجب : الشطر الأول من الكتاب فى الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان ذم الاختيال وبيان فضيلة التواضع وبيان حقيقة التكبر وآفته وبيان من يتكبر عليه ودرجات التكبر وبيان مابه التكبر وبيان البواعث على التكبر وبيان أخلاق المتواضعين وما فيه يظهر الكبر وبيان علاج الكبر وبيان امتحان النفس فى خلق الكبر وبيان المحمود من خلق التواضع والمذموم منه .

(بيان ذم الكبر)

قد ذم الله الكبر فى مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى ـ سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ـ وقال عز وجل ـ كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ـ وقال تعالى ـ واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ـ وقال تعالى ـ إنه لا يحب المستكبرين ـ وقال تعالى ـ لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا ـ وقال تعالى ـ إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ـ وذم الكبر فى القرآن كثير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان[3] » وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته فى جهنم ولا أبالى[4] » وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على الصفا فتواقفا فمضى ابن عمرو وأقام ابن عمر يبكى فقالوا مايبكيك ياأبا عبد الرحمن فقال هذا يعنى عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله فى النار على وجهه[5] » وقال رسول الله ﷺ « لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب فى الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب[6] » وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والانس والجن والبهائم اخرجوا فخرجوا فى مائتى ألف من الإنس ومائتى ألف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح فى السموات ثم خفض حتى مست أقدامه البحر فسمع صوتا لو كان فى قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به أبعد مما رفعته وقال

(١) حديث قال الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى فيهما قصمته الحاكم فى المستدرك دون ذكر العظمة وقال صحيح على شرط مسلم وتقدم فى العلم وسيأتى بعد حديثين بلفظ آخر (٢) حديث ثلاث مهلكات الحديث البزار والطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بسند ضعيف وتقدم فيه أيضا (٣) حديث لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار رجل فى قلبه مثقال حبة من إيمان مسلم من حديث ابن مسعود (٤) حديث أبى هريرة يقول الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته فى جهنم مسلم وأبو داود وابن ماجه واللفظ له وقال أبو داود قذفته فى النار وقال مسلم عذبته وقال رداؤه وإزاره بالغيبة وزاد مع أبى هريرة أبا سعيد أيضا (٥) حديث عبد الله بن عمرو من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر كبه الله فى النار على وجهه أحمد والبيهقى فى شعب الإيمان من طريقه باسناد صحيح (٦) حديث لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب فى الجبارين الحديث الترمذى وحسنه من حديث سلمة بن الأكوع دون قوله من العذاب .

عليهم غير أن لبس الخشن والمرقع يصلح لسائر الفقراء بغية التقلل من الدنيا وزهرتها وبهجتها وقد ورد « من ترك ثوب جمال وهو قادر على لبسه ألبسه الله تعالى من حلل الجنة » وأما لبس الناعم فلا يصلح إلا لعالم بحاله بصير بصفات نفسه متفقد خفى شهوات النفس يلقى الله تعالى بحسن النية فى ذلك فلحسن النية فى ذلك وجوه متعددة يطول شرحها ومن الناس من لا يقصد لبس ثوب بعينه لا لخشونته ولا لنعومته

صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة : بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالمصورين (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « لايدخل الجنة بخيل ولا جبار ولاسيء الملكة (٢) » وقال ﷺ « تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة مالى لايدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله للجنة إنما أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى وقال للنار إنما أنت عذابى أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الأعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسى الكبير المتعال بئس العبد عبد غفل وسها ونسى المقابر والبلى بئس عبد عتا وبغى ونسى المبدأ والمنتهى (٤) » وعن ثابت أنه قال « بلغنا أنه قيل يارسول الله ماأعظم كبر فلان فقال أليس بعده الموت (٥) » وقال عبد الله بن عمرو : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال إنى آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا إله إلا الله فان السموات والأرضين وما فيهن لو وضعت فى كفة الميزان ووضعت لا إله إلا الله فى الكفة الأخرى كانت أرجح منهما ولو أن السموات والأرضين وما فيهن كانتا حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليها لقصمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء (٦) » قال المسيح عليه السلام : طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا . وقال صلى الله عليه وسلم « أهل النار كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحبكم إلينا وأقربكم منا فى الآخرة أحاسنكم أخلاقا وإن أبغضكم أخلاقا وأبعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون (٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « يحشر المتكبرون يوم القيامة فى مثل صور الذر تطؤهم الناس ذرا فى مثل صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون إلى سجن فى جهنم يقال له بولس يعلوهم نار الأنيار يسقون من طين الخبال عصارة أهل النار (٩) » وقال أبو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم

(١) حديث يخرج من النار عنق له أذنان الحديث الترمذى من حديث أبى هريرة وقال حسن صحيح غريب (٢) حديث لايدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيء الملكة تقدم فى أسباب الكسب والمعاش والمعروف خائن مكان جبار (٣) حديث تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٤) حديث بئس العبد عبد تجبر واعتدى الحديث الترمذى من حديث أسماء بنت عميس بزيادة فيه مع تقديم وتأخير وقال غريب وليس إسناده بالقوى ورواه الحاكم فى المستدرك وصححه ورواه البيهقى فى الشعب من حديث نعيم بن عمار وضعفه (٥) حديث ثابت بلغنا أنه قيل يارسول الله ماأعظم كبر فلان فقال أليس بعده الموت البيهقى فى الشعب هكذا مرسلا بلفظ تجبر (٦) حديث عبد الله بن عمرو إن نوحا لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال إنى آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر الحديث أحمد والبخارى فى كتاب الأدب والحاكم بزيادة فى نقله قال صحيح الاسناد (٧) حديث أهل النار كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع وهذه الزيادة عندها من حديث حارثة بن وهب الخزاعى ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر (٨) حديث إن أحبكم إلينا وأقربكم منا فى الآخرة أحاسنكم أخلاقا الحديث أحمد من حديث أبى ثعلبة الخشنى بلفظ إلى ومنى وفيه انقطاع ومكحول لم يسمع من أبى ثعلبة وقد تقدم فى رياضة النفس أول الحديث (٩) حديث يحشر المتكبرون يوم القيامة ذرا فى صور الرجال الحديث الترمذى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال حسن غريب .

بل يلبس ما يدخله الحق عليه فيكون بحكم الوقت وهذا حسن وأحسن من ذلك أنه يتفقد نفسه فيه فان رأى للنفس شرها وشهوة خفية أو جلية فى الثوب الذى أدخله الله عليه يخرجه إلا أن يكون حاله مع الله ترك الاختيار فعند ذلك لايسعه إلا أن يلبس الثوب الذى ساقه الله إليه وقد كان شيخنا أبو النجيب السهروردى رحمه الله لا يتقيد بهيئة من الملبوس بل كان يلبس مايتفق من غير تعمد تكلف

« يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة فى صور الذر تطؤهم الناس لهوانهم على الله تعالى[1] » وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبى بردة فقلت له يابلال إن أباك حدثنى عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن فى جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله أن يسكنه كل جبار فإياك يابلال أن تكون ممن يسكنه[2] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن فى النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم[3] » وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم إنى أعوذ بك من نفخة الكبرياء[4] » وقال « من فارق روحه جسده وهو برىء من ثلاث دخل الجنة: الكبر والدين والغلول[5] » الآثار: قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير ، وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر إليها فقال أنت حرام على كل متكبر. وكان الأحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب مادّ رجليه فلم يقبضهما وقعد الأحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك فى وجهه فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين ، وقال الحسن العجب من ابن آدم يغسل الخرء بيده كل يوم مرة أو مرتين ثم يعارض جبار السموات ، وقد قيل فى ـ وفى أنفسكم أفلا تبصرون ـ هو سبيل الغائط والبول، وقد قال محمد بن الحسين ابن على ما دخل قلب امرئ شىء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر. وسئل سليمان عن السيئة التى لا تنفع معها حسنة فقال الكبر، وقال النعمان بن بشير على المنبر إن للشيطان مصالى ونخوخا وإن من مصالى الشيطان ونخوخه البطر بأنعم الله والفخر باعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى فى غير ذات الله ، نسأل الله تعالى العفو والعافية فى الدنيا والآخرة بمنه وكرمه .

(بيان ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر فى المشى وجر الثياب)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله إلى رجل يجر إزاره بطرا[6] » وقال صلى الله عليه وسلم « بينما رجل يتبختر فى بردته إذ أعجبته نفسه فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة[7] » وقال صلى الله عليه وسلم « من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة » وقال

واختيار ، وقد كان يلبس العمامة بعشرة دنانير ويلبس العمامة بدانق. وقد كان الشيخ عبد القادر رحمه الله يلبس هيئة مخصوصة وبسطيلس وكان الشيخ على بن الهيتى يلبس لبس فقراء السواد وكان أبو بكر الفراء بزنجان يلبس فروا خشنا كما جاد العوام ولكل فى لبسه وهيئته نية صالحة وشرح تفاوت الأقدام فى ذلك يطول ، وكان الشيخ أبو السعود رحمه الله حاله مع الله ترك الاختيار وقد يساق إليه الثوب

(١) حديث أبى هريرة يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة فى صور الذر الحديث البزار هكذا مختصرا دون قوله الجبارون وإسناده حسن (٢) حديث أبى موسى إن فى جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله أن يسكنه كل جبار أبو يعلى والطبرانى والحاكم وقال صحيح الاسناد قلت فيه أزهر بن سنان ضعفه ابن معين وابن حبان وأورد له فى الضعفاء هذا الحديث (٣) حديث إن فى النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم البيهقى فى الشعب من حديث أنس وقال توابيت مكان قصرا وقال فيقفل مكان يطبق وفيه أبان بن أبى عياش وهو ضعيف (٤) حديث اللهم إنى أعوذ بك من نفخة الكبرياء لم أره بهذا اللفظ وروى أبو داود وابن ماجه من حديث جبير بن مطعم عن النبى ﷺ فى أثناء حديث أعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه قال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة ولأصحاب السنن من حديث أبى سعيد الخدرى نحوه تكلم فيه أبو داود وقال الترمذى هو أشهر حديث فى هذا الباب (٥) حديث من فارق روحه جسده وهو برىء من ثلاثة دخل الجنة : الكبر والدين والغلول الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث ثوبان وذكر المصنف لهذا الحديث هنا موافق للمشهور فى الرواية أنه الكبر بالموحدة والراء لكن ذكر ابن الجوزى فى جامع المسانيد عن الدارقطنى قال إنما هو الكنز بالنون والزاى وكذلك أيضا ذكر ابن مردويه الحديث فى تفسير ـ والذين يكنزون الذهب والفضة ـ (٦) حديث لا ينظر الله إلى من جر إزاره بطرا متفق عليه من حديث أبى هريرة . (٧) حديث بينما رجل يتبختر فى برديه قد أعجبته نفسه الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة .

زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فمرّ به عبدالله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول أى بنى ارفع إزارك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لاينظر الله إلى من جرّ إزاره خيلاء[1]» وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما على كفه ووضع أصبعه عليه وقال يقول الله تعالى : ابن آدم أتعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد جمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقى قلت أتصدّق وأنى أوان الصدقة[2]» وقال صلى الله عليه وسلم «إذا مشت أمتى المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط الله بعضهم على بعض[3]» قال ابن الأعرابى هى مشية فيها اختيال ، وقال صلى الله عليه وسلم «من تعظم فى نفسه واختال فى مشيته لقى الله وهو عليه غضبان[4]» الآثار : عن أبى بكر الهذلى قال بينا نحن مع الحسن إذ مرّ علينا ابن الأهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشى يتبختر إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال أف أف شامخ بأنفه ثانى عطفه مصعر خدّه ينظر فى عطفيه أىّ حميق أنت تنظر فى عطفيك فى نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأخوذ بأمر الله فيها ولا المؤدّى حق الله منها والله أن يمشى أحد طبيعته يتخالج تخالج المجنون فى كل عضو من أعضائه لله نعمة وللشيطان به لفتة فسمع ابن الأهتم فرجع يعتذر إليه فقال لاتعتذر إلىّ وتب إلى ربك أما سمعت قول الله تعالى ـ ولاتمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ـ ومرّ بالحسن شاب عليه بزة له حسنة فدعاه فقال له ابن آدم معجب بشبابه محبّ لشمائله كأن القبر قد وارى بدنك وكأنك قد لاقيت عملك ويحك داو قلبك فان حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم . وروى أن عمر بن عبدالعزيز حج قبل أن يستخلف فنظر إليه طاوس وهو يختال فى مشيته فغمز جنبه بأصبعه ثم قال ليست هذه مشية من فى بطنه خرء فقال عمر كالمعتذر ياعمّ لقد ضرب كل عضو منى على هذه المشية حتى تعلمتها ، ورأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه وقال أتدرى من أنت أما أمك فأشتريها بمائتى درهم وأما أبوك فلأ كثر الله فى المسلمين مثله ، ورأى ابن عمر رجلا يجرّ إزاره فقال إن للشيطان إخوانا كرر هامرّتين أو ثلاثا ، ويروى أن مطرف بن عبدالله بن الشخير رأى المهلب وهو يتبختر فى جبة خز فقال ياعبدالله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب أما تعرفنى فقال بلى أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك ، وقال مجاهد فى قوله تعالى ـ ثم ذهب إلى أهله يتمطى ـ أى يتبختر ، وإذ قد ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلنذكر فضيلة التواضع والله تعالى أعلم.

(بيان فضيلة التواضع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مازاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله[5]» وقال صلى الله عليه وسلم «مامن أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه بها فان هو رفع نفسه

الناعم فيلبسه وكان يقال له ربما يسبق إلى بواطن بعض الناس الانكار عليك فى لبسك هذا الثوب فيقول لاتلقى إلا أحد رجلين رجل يطالبنا بظاهر حكم الشرع فنقول له هل ترى أن ثوبنا يكرهه الشرع أو يحرمه فيقول لا ورجل يطالبنا بحقائق القوم من أرباب العزيمة فنقول له هل ترى لنا فيما لبسنا اختيارا أو ترى عندنا فيه شهوة فيقول لا وقد يكون من الناس من يقدر على لبس الناعم ولبس الخشن ولكن يحبّ

(١) حديث ابن عمر لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء رواه مسلم مقتصرا على المرفوع دون ذكر مرور عبدالله بن واقد على ابن عمر وهو رواية لمسلم أن المار رجل من بنى ليث غير مسمى (٢) حديث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما على كفه ووضع أصبعه عليها وقال يقول ابن آدم أيعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه الحديث ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث بشر بن جحاش (٣) حديث إذا مشت أمتى المطيطاء الحديث الترمذى وابن حبان فى صحيحه من حديث ابن عمر المطيطاء بضم الميم وفتح الطاءين المهملتين بينهما مثناة من تحت مصغرا ولم يستعمل مكبرا. (٤) حديث من تعظم فى نفسه واختال فى مشيه لقى الله وهو عليه غضبان أحمد والطبرانى والحاكم وصححه والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر (٥) حديث مازاد الله عبدا بعفو إلا عزا الحديث مسلم من حديث أبى هريرة وقد تقدم

جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وإن وضع نفسه قالا اللهم ارفعه (١) » وقال صلى الله عليه وسلم «طوبى لمن تواضع فى غير مسكنة وأنفق مالا جمعه فى غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة (٢) » وعن أبى سلمة المدينى عن أبيه عن جده قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقباء وكان صائما فأتيناه عند إفطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيئا من عسل فلما رفعه وذاقه وجد حلاوة العسل فقال ماهذا ؟ قلنا يارسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل فوضعه وقال أما إنى لا أحرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله (٣) » وروى « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى نفر من أصحابه فى بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فأذن له فلما دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال له اطعم فكأن رجلا من قريش اشمأز منه وتكره فمامات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « خيرنى ربى بين أمرين أن أكون عبدا رسولا أو ملكا نبيا فلم أدر أيهما أختار وكان صفى من الملائكة جبريل فرفعت رأسى إليه فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا (٥) » وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتى ولم يتعاظم على خلقى وألزم قلبه خوفى وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجلى وقال ﷺ « الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى (٦) » وقال المسيح عليه السلام: طوبى للمتواضعين فى الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس فى الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم فى الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة . وقال بعضهم بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا هدى الله عبدا للإسلام وحسن صورته وجعله فى موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « أربع لا يعطيهم الله إلا من أحب الصمت وهو أول العبادة

أن يختار الله له هيئة مخصوصة فيكثر اللجأ إلى الله والافتقار إليه ويسأله أن يريه أحب الزى إلى الله تعالى وأصلحه لدينه ودنياه لكونه غير صاحب غرض وهوى فى زى بعينه فالله تعالى يفتح عليه ويعرفه زيا مخصوصا فيلتزم بذلك الزى فيكون لبسه بالله ويكون هذا أتم وأكمل ممن يكون لبسه لله . ومن الناس من يتوفر حظه من العلم وينبسط بما بسطه الله فيلبس الثوب عن علم

(١) حديث مامن أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه بها الحديث العقيلى فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة والبيهقى أيضا من حديث ابن عباس وكلاهما ضعيف (٢) حديث طوبى لمن تواضع فى غير مسكنة الحديث البغوى وابن قانع والطبرانى من حديث ركب المصرى والبزار من حديث أنس وقد تقدم بعضه فى العلم وبعضه فى آفات اللسان (٣) حديث أبى سلمة المدينى عن أبيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقباء وكان صائما الحديث وفيه من تواضع رفعه الله الحديث رواه البزار من رواية طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده طلحة فذكر نحوه دون قوله ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله ولم يقل بقباء وقال الذهبى فى الميزان إنه خبر منكر وقد تقدم ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة قالت أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فيه لبن وعسل الحديث وفيه أما إنى لا أزعم أنه حرام الحديث وفيه من أكثر ذكر الموت أحبه الله وروى المرفوع منه أحمد وأبو يعلى من حديث أبى سعيد دون قوله ومن بذر أفقره الله وذكر فيه قوله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله وتقدم فى ذم الدنيا (٤) حديث السائل الذى كان به زمانة منكرة وأنه صلى الله عليه وسلم أجلسه على فخذه ثم قال اطعم الحديث لم أجد له أصلا وللموجود حديث أكله مع مجذوم رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث جابر وقال الترمذى غريب (٥) حديث خيرنى ربى بين أمرين عبدا رسولا وملكا نبيا الحديث أبو يعلى من حديث عائشة والطبرانى من حديث ابن عباس وكلا الحديثين ضعيف (٦) حديث الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى ابن أبى الدنيا فى كتاب اليقين مرسلا وأسند الحاكم أوله من رواية الحسن عن سمرة وقال صحيح الإسناد (٧) حديث إذا هدى الله عبدا للإسلام وحسن صورته الحديث الطبرانى موقوفا على ابن مسعود نحوه وفيه المسعودى مختلف فيه

والتوكل على الله والتواضع والزهد فى الدنيا (١) » وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله (٣) » ويروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم فجاء رجل أسود به جدرى قد تقشر فجعل لا يجلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبى صلى الله عليه وسلم إلى جنبه (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنه ليعجبنى أن يحمل الرجل الشىء فى يده يكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه (٥) » وقال النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه يوما « مالى لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة ؟ قال التواضع (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم المتواضعين من أمتى فتواضعوا لهم وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك مذلة لهم وصغار (٧) » . الآثار : قال عمر رضى الله عنه : إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش رفعك الله وإذا تكبر وعدا طوره رهصه الله فى الأرض وقال اخسأ خسأك الله فهو فى نفسه كبير وفى أعين الناس حقير حتى إنه لأحقر عندهم من الخنزير . وقال جرير بن عبد الله : انتهيت مرة إلى شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم إن الرجل استيقظ فاذا هو سلمان الفارسى فذكرت له ما صنعت فقال لى ياجرير تواضع لله فى الدنيا فانه من تواضع لله فى الدنيا رفعه الله يوم القيامة ياجرير أتدرى ما ظلمة النار يوم القيامة ؟ قلت لا قال إنه ظلم الناس بعضهم بعضا فى الدنيا . وقالت عائشة رضى الله عنها إنكم لتغفلون عن أفضل العبادات التواضع . وقال يوسف بن أسباط : يجزى قليل الورع من كثير العمل ويجزى قليل التواضع من كثير الاجتهاد . وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع ماهو ؟ فقال أن تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبى قبلته ولو سمعته من أجهل الناس قبلته . وقال ابن المبارك : رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك فى نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك فى الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل . وقال قتادة : من أعطى مالا أو جمالا أو ثيابا أو علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيامة . وقيل أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : إذا أنعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة أتممها عليك .

---

(١) حديث أربع لا يعطيهن الله إلا من يحب الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد فى الدنيا الطبرانى والحاكم من حديث أنس أربع لا يصبن إلا بعجب الصمت وهو أول العبادة والتواضع وذكر الله وقلة الشىء قال الحاكم صحيح الإسناد قلت فيه العوام بن جويرية قال ابن حبان يروى الموضوعات ثم روى له هذا الحديث (٢) حديث ابن عباس إذا تواضع العبد رفع الله رأسه إلى السماء السابعة البيهقى فى الشعب نحوه وفيه زمعة بن صالح ضعفه الجمهور (٣) حديث إن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة الحديث الأصفهانى فى الترغيب والترهيب من حديث أنس وفيه بشر بن الحسين وهو ضعيف جدا ورواه ابن عدى من حديث ابن عمر وفيه الحسن بن عبد الرحمن الاحتياصى وخارجة بن مصعب وكلاهما ضعيف (٤) حديث كان يطعم فجاءه رجل أسود به جدرى فجعل لا يجلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبى صلى الله عليه وسلم إلى جنبه لم أجده هكذا والمعروف أكله مع مجذوم رواه أبو داود والترمذى وقال غريب وابن ماجه من حديث جابر كما تقدم (٥) حديث إنه ليعجبنى أن يحمل الرجل الشىء فى يده فيكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه ، غريب (٦) حديث مالى لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة ؟ قال التواضع ، غريب أيضا (٧) حديث إذا رأيتم المتواضعين من أمتى فتواضعوا لهم وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم مذلة وصغار ، غريب أيضا .

وإيقان ولا يبالى بما لبسه ناعما لبس أو خشنا وربما لبس ناعما ولنفسه فيه اختيار وحظ وذلك الحظ فيه يكون مكفرا له مردودا عليه موهوبا له يوافقه الله تعالى فى إرادة نفسه ويكون هذا الشخص تام التزكية تام الطهارة محبوبا مرادا يسارع الله تعالى إلى مراده ومحابه غير أن ههنا مزلة قدم لكثير من المدعين . حكى عن يحيى بن معاذ الرازى أنه كان يلبس الصوف والخلقان فى ابتداء أمره ثم صار فى آخر عمره يلبس الناعم فقيل لأبى يزيد ذلك

وقال كعب ماأنعم الله على عبد من نعمة فى الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها فى الدنيا ورفع بها درجة فى الآخرة وما أنعم الله على عبد من نعمة فى الدنيا فلم يشكرها ولم يتواضع بها لله إلا منعه الله نفعها فى الدنيا وفتح له طبقا من النار يعذبه به إن شاء الله أو يتجاوز عنه. وقيل لعبد الملك ابن مروان أى الرجال أفضل ؟ قال من تواضع عن قدرة وزهد عن رغبة وترك النصرة عن قوة. ودخل ابن السماك على هرون فقال ياأمير المؤمنين إن تواضعك فى شرفك أشرف لك من شرفك فقال ماأحسن ماقلت فقال ياأمير المؤمنين إن امرأ آتاه الله جمالا فى خلقته وموضعا فى حسبه وبسط له فى ذات يده فعف فى جماله وواسى من ماله وتواضع فى حسبه كتب فى ديوان الله من خالص أولياء الله فدعا هرون بدواة وقرطاس وكتبه بيده . وكان سليمان بن داود عليهما السلام إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف حتى يجىء إلى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين . وقال بعضهم كما تكره أن يراك الأغنياء فى الثياب الدون فكذلك فاكره أن يراك الفقراء فى الثياب المرتفعة . وروى أنه خرج يونس وأيوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن أتدرون ما التواضع ؟ التواضع أن تخرج من منزلك ولاتلقى مسلما إلا رأيت له عليك فضلا . وقال مجاهد: إن الله تعالى لما أغرق قوم نوح عليه السلام شمخت الجبال وتطاولت وتواضع الجودى فرفعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه . وقال أبو سليمان : إن الله عز وجل اطلع على قلوب الآدميين فلم يجد قلبا أشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام فخصه من بينهم بالكلام . وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات لم أشك فى الرحمة لولا أنى كنت معهم إنى أخشى أنهم حرموا بسببى ويقال أرفع ما يكون المؤمن عند الله أوضع ما يكون عند نفسه وأوضع مايكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسه . وقال زياد النمرى : الزاهد بغير تواضع كالشجرة التى لاتثمر . وقال مالك بن دينار : لو أن مناديا ينادى بباب المسجد ليخرج شركم رجلا والله ما كان أحد يسبقنى إلى الباب إلا رجلا بفضل قوة أوسعى قال فلما بلغ ابن المبارك قوله قال بهذه صار مالك مالكا. وقال الفضيل: من أحب الرياسة لم يفلح أبدا . وقال موسى بن القاسم :كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت إلى محمد بن مقاتل فقلت ياأبا عبد الله أنت إمامنا فادع الله عز وجل لنا فبكى ثم قال ليتنى لم أكن سبب هلاككم قال فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال إن الله عز وجل رفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل إلى الشبلى رحمه الله فقال له ماأنت ؟ وكان هذا دأبه وعادته فقال أنا النقطة التى تحت الباء فقال له الشبلى أباد الله شاهدك أو تجعل لنفسك موضعا . وقال الشبلى فى بعض كلامه : ذلى عطل ذل اليهود . ويقال من يرى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب . وعن أبى الفتح بن شخرف قال رأيت على بن أبى طالب رضى الله عنه فى المنام فقلت له ياأبا الحسن عظنى فقال لى ماأحسن التواضع بالأغنياء فى مجالس الفقراء رغبة منهم فى ثواب الله وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة منهم بالله عز وجل . وقال أبو سليمان : لايتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال أبو يزيد : مادام العبد يظن أن فى الخلق من هو شر منه فهو متكبر فقيل له متى يكون متواضعا ؟ قال: إذا لم ير لنفسه مقاما ولاحالا وتواضع كل إنسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه . وقال أبو سليمان: لو اجتمع الخلق على أن يضعونى كاتضاعى عند نفسى ماقدروا عليه. وقال عروة بن الورد :التواضع أحد مصايد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها إلا التواضع. وقال يحيى بن خالد البرمكى: الشريف إذا تنسك تواضع والسفيه إذا تنسك تعاظم . وقال يحيى بن معاذ : التكبر على ذوى التكبر عليك بماله تواضع ، ويقال التواضع فى الخلق كلهم حسن وفى الأغنياء أحسن والتكبر فى الخلق كلهم قبيح

قال مسكين يحيى لم يصبر على الدون فكيف يصبر على التحف ومن الناس من يسبق إليه علم ماسوف يدخل عليه من الملبوس فيلبسه محمودا فيه وكل أحوال الصادقين على اختلاف تنوعها مستحسنة ـ قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا ـ ولبس الخشن من الثياب هو الأحب والأولى والأسلم للعبد والأبعد من الآفات . قال مسلمة بن عبد الملك دخلت على عمر بن

وفى الفقراء أقبح ، ويقال لاعزّ إلا لمن تذلل لله عز وجلّ ولارفعة إلالمن تواضع لله عز وجلّ ولاأمن إلا لمن خاف الله عز وجلّ ولا ربح إلا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل. وقال أبو على الجوزجانى: النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن أراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة وإذا أراد الله تعالى به خيرا لطف به فى ذلك فاذا هاجت فى نفسه نار الكبر أدركها التواضع مع نصرة الله تعالى وإذا هاجت نار الحسد فى نفسه أدركتها النصيحة مع توفيق الله عز وجلّ وإذا هاجت فى نفسه نار الحرص أدركتها القناعة مع عون الله عز وجل . وعن الجنيد رحمه الله أنه كان يقول يوم الجمعة فى مجلسه لولا أنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «يكون فى آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم (١)» ماتكلمت عليكم . وقال الجنيد أيضا : التواضع عند أهل التوحيد تكبر ولعل مراده أن التواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لايثبت نفسه ولايراها شيئا حتى يضعها أو يرفعها وعن عمرو ابن شيبة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان وإذا هم يعنفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فاذا أنا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت أنظر إليه وأتأمله فقال لى مالك تنظر إلى فقلت له شبهتك برجل رأيته بمكة ووصفت له الصفة فقال له أنا ذلك الرجل فقلت مافعل الله بك ؟ فقال إنى ترفعت فى موضع يتواضع فيه الناس فوضعنى الله حيث يترفع الناس . وقال المغيرة : كنا نهاب ابراهيم النخعى هيبة الأمير وكان يقول إن زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء وكان عطاء السلمى إذا سمع صوت الرعد قام وقعد وأخذه بطنه كأنه امرأة ماخض وقال هذا من أجلى يصيبكم ، لومات عطاء لاستراح الناس . وكان بشر الحافى يقول سلموا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله بن المبارك فقال أعطاك الله ماترجوه فقال إن الرجاء يكون بعد المعرفة فأين المعرفة . وتفاخرت قريش عند سلمان الفارسى رضى الله عنه يوما فقال سلمان لكننى خلقت من نطفة قذرة ثم أعود جيفة منتنة ثم آتى الميزان فان ثقل فأنا كريم وإن خف فأنا لئيم . وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه :وجدنا الكرم فى التقوى والغنى فى اليقين والشرف فى التواضع . نسأل الله الكريم حسن التوفيق .

(بيان حقيقة الكبر وآفته)

اعلم أن الكبر ينقسم إلى باطن وظاهر : فالباطن هو خلق فى النفس والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن أحق وأما الأعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للأعمال ولذلك إذا ظهر على الجوارح يقال تكبر وإذا لم يظهر يقال فى نفسه كبر فالأصل هو الخلق الذى فى النفس وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعى متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب كما سيأتى فان العجب لايستدعى غير المعجب بل لولم يخلق الانسان إلاوحده تصور أن يكون معجبا ولايتصور أن يكون متكبرا إلاأن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير فى صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا ولايكفى أن يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه أومثل نفسه فلايتكبر عليه ولايكفى أن يستحقر غيره فانه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه

عبد العزيز أعوده فى مرضه فرأيت قميصه وسخا فقلت لامرأته فاطمة اغسلوا ثياب أمير المؤمنين فقالت نفعل إن شاء الله قال ثم عدته فاذا القميص على حاله فقلت يافاطمة ألم آمركم أن تغسلوه؟ قالت والله ماله قميص غير هذا . وقال سالم كان عمر بن عبد العزيز من ألين الناس لباسا من قبل أن يسلم إليه الخلافة فلما سلم إليه الخلافة ضرب رأسه بين ركبتيه وبكى ثم دعا بأطمار له رثة فلبسها. وقيل لما مات أبو الدرداء وجد فى ثوبه أربعون

(١) حديث يكون فى آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم الترمذى من حديث أبى هريرة إذا اتخذ الفئ دولا الحديث وفيه كان زعيم القوم أرذلهم الحديث وقال غريب وله من حديث على بن أبى طالب إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء فذكر منها وكان زعيم القوم أرذلهم ولأبى نعيم فى الحلية من حديث حذيفة من اقتراب الساعة اثنان وسبعون خصلة فذكرها منها وفيها فرج بن فضالة ضعيف

لم يتكبر بل ينبغى أن يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خلق الكبر لا أن هذه الرؤية تنفى الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل فى قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون إلى ما اعتقده وعز فى نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون إلى العقيدة هو خلق الكبر ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم « أعوذ بك من نفخة الكبرياء (١) » وكذلك قال عمر أخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا للذى استأذنه أن يعظ بعد صلاة الصبح فكأن الإنسان مهما رأى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام كبر وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة فى النفس من هذه الاعتقادات وتسمى أيضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس فى قوله تعالى ـ إن فى صدورهم إلا كبر ماهم ببالغيه ـ قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضى أعمالا فى الظاهر والباطن هى ثمرات ويسمى ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدره بالإضافة إلى غيره حقر من دونه وازدراه وأقصاه عن نفسه وأبعده وترفع عن مجالسته ومؤاكلته ورأى أن حقه أن يقوم ماثلا بين يديه إن اشتد كبره فان كان أشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله أهلا للقيام بين يديه ولا بخدمة عتبته فان كان دون ذلك فيأنف من مساواته وتقدم عليه فى مضايق الطرق وارتفع عليه فى المحافل وانتظر أن يبدأه بالسلام واستبعد تقصيره فى قضاء حوائجه وتعجب منه وإن حاج أو ناظر أنف أن يرد عليه وإن وعظ استنكف من القبول وإن وعظ عنف فى النصح وإن رد عليه شىء من قوله غضب وإن علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم واستهزأ بهم وامتن عليهم واستخدمهم وينظر إلى العامة كأنه ينظر إلى الحمير استجهالا لهم واستحقارا والأعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهى أكثر من أن تحصى فلا حاجة إلى تعدادها فانها مشهورة ، فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة وفيه يهلك الخواص من الخلق وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الخلق وكيف لا تعظم آفته وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر (٢) » وإنما صار حجابا دون الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها وتلك الأخلاق هى أبواب الجنة والكبر وعزة النفس يغلق تلك الأبواب كلها لأنه لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شىء من العز ولا يقدر على التواضع وهو رأس أخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر أن يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ولا يسلم من الازدراء بالناس ومن اغتيابهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم إلا وصاحب العز والكبر مضطر إليه ليحفظ به عزه وما من خلق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفا من أن يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من فى قلبه مثقال حبة منه والأخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع إلى البعض لا محالة وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وفيه وردت الآيات التى فيها ذم الكبر والمتكبرين قال الله تعالى ـ والملائكة باسطوا أيديهم ـ إلى قوله ـ وكنتم عن آياته تستكبرون ـ ثم قال ـ ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ـ ثم أخبر أن أشد أهل النار عذابا أشدهم عتيا على الله تعالى فقال ـ ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ـ وقال تعالى ـ فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ـ وقال عز وجل ـ يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين ـ

رقعة وكان عطاؤه أربعة آلاف . وقال زيد بن وهب : لبس على بن أبى طالب قميصا رازيا وكان إذا مدّ كمه بلغ أطراف أصابعه فعابه الخوارج بذلك فقال أتعيبونى على لباس هو أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدى بى المسلم وقيل : كان عمر رضى الله عنه إذا رأى على رجل ثوبين رقيقين علاه بالدرة وقال دعوا هذه البراقات للنساء . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال نوروا قلوبكم بلباس الصوف

(١) حديث أعوذ بك من نفخة الكبرياء تقدم فيه (٢) حديث لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر تقدم فيه .

وقال تعالى ـ إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ـ وقال تعالى ـ سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ـ قيل فى التفسير سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم وفى بعض التفاسير سأحجب قلوبهم عن الملكوت . وقال ابن جريج سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا بها ولذلك قال المسيح عليه السلام إن الزرع ينبت فى السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمل فى قلب المتواضع ولا تعمل فى قلب المتكبر ألا ترون أن من شمخ برأسه إلى السقف شجه ومن طأطأ أظله وأكنه فهذا مثل ضربه للمتكبرين وأنهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم جحود الحق فى حد الكبر والكشف عن حقيقته ، وقال « من سفه الحق وغمص الناس (١) » .

(بيان المتكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات الكبر فيه)

اعلم أن المتكبر عليه هو الله تعالى أو رسله أو سائر خلقه وقد خلق الإنسان ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخلق وتارة يتكبر على الخالق فاذن التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلاثة أقسام : الأول التكبر على الله وذلك هو أفحش أنواع الكبر ولا مثار له إلا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمروذ فانه كان يحدث نفسه بأن يقاتل رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه لتكبره قال أنا ربكم الأعلى إذ استنكف أن يكون عبدا لله ولذلك قال تعالى ـ إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ـ وقال تعالى ـ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ـ الآية وقال تعالى ـ وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا ـ . القسم الثانى التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس ورفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى فى ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان أنه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسل كما حكى الله عن قولهم ـ أنؤمن لبشرين مثلنا ـ وقولهم ـ إن أنتم إلا بشر مثلنا ـ ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون ـ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا ـ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ـ وقال فرعون فيما أخبر الله عنه ـ أو جاء معه الملائكة مقترنين ـ وقال الله تعالى ـ واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق ـ فتكبر هو على الله وعلى رسله جميعا . قال وهب قال له موسى عليه السلام آمن ولك ملكك قال حتى أشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينما أنت رب تعبد إذ صرت عبدا تعبد فاستنكف عن عبودية الله وعن اتباع موسى عليه السلام وقالت قريش فيما أخبر الله تعالى عنهم ـ لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ـ قال قتادة عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفى طلبوا من هو أعظم رياسة من النبى صلى الله عليه وسلم إذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله إلينا فقال تعالى ـ أهم يقسمون رحمة ربك ـ وقال الله تعالى ـ ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ـ أى استحقارا لهم واستبعادا لتقدمهم وقالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف نجلس إليك وعندك هؤلاء وأشاروا إلى فقراء المسلمين فازدروهم بأعينهم لفقرهم وتكبروا عن مجالستهم فأنزل الله تعالى ـ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ـ إلى قوله : ـ ما عليك من حسابهم ـ وقال تعالى ـ واصبر

فانه مذلة فى الدنيا ونور فى الآخرة وإياكم أن تفسدوا دينكم بحمد الناس وثنائهم . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتذى نعلين فلما نظر إليهما أعجبه حسنهما فسجد لله تعالى فقيل له فى ذلك فقال خشيت أن يعرض عنى ربى فتواضعت له لاجرم لا يبيتان فى منزلى لما تخوفت المقت من الله تعالى من أجلهما فأخرجهما فدفعهما إلى أول مسكين لقيه ثم أمر فاشترى له نعلان مخصوفتان . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس

(١) حديث الكبر من سفه الحق وغمص الناس مسلم من حديث ابن مسعود فى أثناء حديث وقال بطر الحق وغمط الناس ورواه الترمذى فقال من بطر الحق وغمص الناس وقال حسن صحيح ورواه أحمد من حديث عقبة بن عامر بلفظ المصنف ورواه البيهقى فى الشعب من حديث أبى ريحانة هكذا .

نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ـ(١)» ثم أخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم إذلم يروا الذين ازدروهم فقالوا مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار قيل يعنون عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد رضى الله عنهم ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة فجهل كونه صلى الله عليه وسلم محقا ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن الاعتراف قال الله تعالى مخبرا عنهم ـ فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به ـ و قال ـ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ـ وهذا الكبر قريب من التكبر على الله عز وجل وإن كان دونه ولكنه تكبر على قبول أمر الله والتواضع لرسوله . القسم الثالث : التكبر على العباد وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه إلى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف من مساواتهم وهذا وإن كان دون الأول والثانى فهو أيضا عظيم من وجهين : أحدهما أن الكبر والعز والعظمة والعلاء لايليق إلا بالملك القادر فأما العبد المملوك الضعيف العاجز الذى لايقدر على شئ فمن أين يليق بحاله الكبر فهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى فى صفة لاتليق إلا بجلاله ، ومثاله أن يأخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على رأسه ويجلس على سريره فما أعظم استحقاقه للمقت وما أعظم تهدفه للخزى والنكال وما أشد استجراءه على مولاه وما أقبح ماتعاطاه ، وإلى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى «العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما قصمته » أى أنه خاص صفتى ولايليق إلا بى والمنازع فيه منازع فى صفة من صفاتى وإذا كان الكبر على عباده لايليق إلا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه إذ الذى يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستأثر بما حق الملك أن يستأثر به منهم فهو منازع له فى بعض أمره وإن لم يبلغ درجته درجة من أراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله فى حقه ، نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمروذ وفرعون ماهو الفرق بين منازعة الملك فى استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته فى أصل الملك . الوجه الثانى الذى تعظم به رذيلة الكبر أنه يدعو إلى مخالفة الله تعالى فى أوامره لأن المتكبر إذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله وتشمر لجحده ولذلك ترى المناظرين فى مسائل الدين يزعمون أنهم يتباحثون عن أسرار الدين ثم إنهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم أنف الآخر من قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك من أخلاق الكافرين والمنافقين إذ وصفهم الله تعالى فقال ـ وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ـ فكل من يناظر للغلبة و لإفحام لالغتنم الحق إذا ظفر به فقد شاركهم فى هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الأنفة من قبول الوعظ كما قال الله تعالى ـ وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم ـ وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قرأها فقال إنا لله وإنا إليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف فقتل فقام آخر فقال تقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فقتل المتكبر الذى خالفه والذى أمره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل إثما إذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك وقال ﷺ لرجل «كل بيمينك قال لاأستطيع فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاستطعت فما منعه إلا كبره قال فما رفعها بعد ذلك(٢)»

الصوف واحتذى المخصوف وأكل مع العبيد وإذا كانت النفس محل الآفات فالوقوف على دسائسها وخفى شهواتها وكامن هواها عسر جدا فالأليق والأجدر والأولى الأخذ بالأحوط وترك ماريب إلى ما لاريب ولايجوز للعبد الدخول فى السعة إلا بعد إتقان علم السعة وكمال تزكية النفس وذلك إذا غابت النفس بغيبة هواها المتبع وتخلصت النية وتسدد التصرف بعلم صريح واضح وللعزيمة أقوام يركبونها ويراعونها

(١) حديث قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نجلس إليك وعندك هؤلاء الحديث فى نزول قوله تعالى ـ ولاتطرد الذين يدعون ربهم ـ مسلم من حديث سعد بن أبى وقاص إلا أنه قال فقال المشركون وقال ابن ماجه قالت قريش (٢) حديث قال لرجل كل بيمينك قال لاأستطيع فقال لااستطعت الحديث مسلم من حديث سلمة بن الأكوع .

ى اعتلت يده ، فاذن تكبره على الخلق عظيم لأنه سيدعوه إلى التكبر على أمر الله وإنما ضرب إبليس مثلا لهذا وماحكاه من أحواله إلا ليعتبر به فانه قال: أنا خير منه. وهذا الكبر بالنسب لأنه قال: أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين. فحمله ذلك على أن يمتنع من السجود الذى أمره الله تعالى به وكان مبدؤه الكبر على آدم والحسد له فجره ذلك إلى التكبر على أمر الله تعالى فكان ذلك سبب هلاكه أبد الآباد فهذه آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بهاتين الآفتين إذ سأله ثابت بن قيس بن شماس فقال يارسول الله «إنى امرؤ قد حبب إلى من الجمال ماترى أفمن الكبر هو ؟ فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس[1]» وفى حديث آخر «من سفه الحق[2]» وقوله وغمص الناس أى ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله أمثاله أو خير منه وهذه الآفة الأولى وسفه الحق هو رده وهى الآفة الثانية فكل من رأى أنه خير من أخيه واحتقر أخاه وازدراه ونظر إليه بعين الاستصغار أورد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن أنف من أن يخضع لله تعالى ويتواضع لله بطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه وبين الله تعالى ورسله .

(بيان مابه التكبر)

اعلم أنه لايتكبر إلا من استعظم نفسه ولا يستعظمها إلا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال وجماع ذلك يرجع إلى كمال دينى أو دنيوى فالدينى هو العلم والعمل والدنيوى هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار فهذه سبعة أسباب الأول : العلم وماأسرع الكبر إلى العلماء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «آفة العلم الخيلاء[3]» فلا يلبث العالم أن يتعزز بعزة العلم يستشعر فى نفسه جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر إليهم نظره إلى البهائم ويستجهلهم ويتوقع أن يبدءوه بالسلام فان بدأه واحد منهم السلام أورد عليه ببشر أوقام له أوأجاب له دعوة رأى ذلك صنيعة عنده ويداً عليه يلزمه شكرها واعتقد أنه أكرمهم وفعل بهم مالايستحقون من مثله وأنه ينبغى أن يرقوا له ويخدموه شكرا له على صنيعه بل الغالب أنهم يبرونه فلا يبرهم ويزورونه فلا يزورهم ويعودونه فلا يعودهم ويستخدم من خالطه منهم ويستسخره فى حوائجه فان قصر فيه استنكره كأنهم عبيده أو أجراؤه وكأن تعليمه العلم صنيعة منه إليهم ومعروف لديهم واستحقاق حق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا ، أما فى أمر الآخرة فتكبره عليهم بأن يرى نفسه عند الله تعالى أعلى وأفضل منهم فيخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم وهذا بأن يسمى جاهلا أولى من أن يسمى عالما بل العلم الحقيقى هو الذى يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه كما سيأتى فى طريق معالجة الكبر بالعلم ، وهذا العلم يزيد خوفا وتواضعا وتخشعا ، ويقتضى أن يرى كل الناس خيرا منه لعظم حجة الله عليهم بالعلم وتقصيره فى القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال أبو الدرداء من ازداد علما ازداد وجعا وهو كما قال . فان قلت فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وأمنا . فاعلم أن لذلك سببين : أحدهما أن يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس علما حقيقيا

لايرون النزول إلى الرخص خوفا من فوت فضيلة الزهد فى الدنيا واللباس الناعم من الدنيا وقد قيل من رق ثوبه رق دينه وقد يرخص من ذلك لمن لايلتزم بالزهد ويقف على رخصة الشرع . وروى علقمة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لايدخل الجنة كل من كان فى قلبه مثقال ذرة من الكبر فقال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا فقال النبى عليه

(١) حديث قول ثابت بن قيس بن شماس إنى امرؤ قد حبب إلى من الجمال ماترى الحديث وفيه الكبر من بطر الحق وغمص الناس مسلم والترمذى وقد تقدم قبله بحديثين (٢) حديث الكبر من سفه الحق وغمص الناس تقدم معه (٣) حديث آفة العلم الخيلاء : قلت هكذا ذكره المصنف والمعروف آفة العلم النسيان وآفة الجمال الخيلاء هكذا رواه القضاعى فى مسند الشهاب من حديث على بسند ضعيف . وروى عنه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس آفة الجمال الخيلاء وفيه الحسن بن عبد الحميد الكوفى لايدرى من هو حدث عن أبيه بحديث موضوع قاله صاحب الميزان .

وإنما العلم الحقيق مايعرف به العبد ربه ونفسه خطر أمره فى لقاء الله والحجاب منه وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والأمن قال الله تعالى ـ إنما يخشى الله من عباده العلماء ـ فأما ماوراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فاذا تجرد الإنسان لها حتى امتلأ منها امتلاء بها كبرا ونفاقا وعده بأن تسمى صناعات أولى من أن تسمى علوما بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذه تورث التواضع غالبا . السبب الثانى أن يخوض العبد فى العلم وهو خبيث الدخلة ردىء النفس سيء الأخلاق فانه لم يشتغل أولا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بأنواع المجاهدات ولم يرض نفسه فى عبادة ربه فبقى خبيث الجوهر فاذا خاض فى العلم أى علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر فى الخير أثره وقد ضرب وهب لهذا مثلا فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الأشجار بعروقها فتحول على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم تحفظه الرجال فتحوله على قدر هممها وأهوائها فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا وهذا لأن من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد مايتكبر به فازداد كبرا وإذا كان الرجل خائفا مع جهله فازداد علما علم أن الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وذلا وتواضعا فالعلم من أعظم مايتكبر به ولذلك قال تعالى لنبيه عليه السلام ـ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ـ وقال عز وجل ـ ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ـ ووصف أولياءه فقال ـ أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ـ وكذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس رضى الله عنه « يكون قوم يقرءون القرآن لايجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا ومن أعلم منا ثم التفت إلى أصحابه وقال أولئك منكم أيها الأمة أولئك هم وقود النار (١) » ولذلك قال عمر رضى الله عنه لاتكونوا جبابرة العلماء فلا يفى علمكم بجهلكم ، ولذلك استأذن تميم الدارى عمر رضى الله عنه فى القصص فأبى أن يأذن له وقال إنه الذبح واستأذنه رجل كان إمام قوم أنه إذا سلم من صلاته ذكرهم فقال إنى أخاف أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة بقوم فلما سلم من صلاته قال لتلتمسن إماما غيرى أو لتصلن وحدانا فانى رأيت فى نفسى أنه ليس فى القوم أفضل منى فاذا كان مثل حذيفة لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخرى هذه الأمة فما أعز على بسيط الأرض عالما يستحق أن يقال له عالم ثم إنه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغى أن يفارق بل يكون النظر إليه عبادة فضلا عن الاستفادة من أنفاسه وأحواله لو عرفنا ذلك ولو فى أقصى الصين لسعينا إليه رجاء أن تشملنا بركته وتسرى إلينا سيرته وسجيته وهيهات فأنى يسمح آخر الزمان بمثلهم فهم أرباب الإقبال وأصحاب الدول قد انقرضوا فى القرن الأول ومن يليهم بل يعز فى زماننا عالم يختلج فى نفسه الأسف والحزن على فوات هذه الخصلة فذلك أيضا إما معدوم وإما عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله «سيأتى على الناس زمان من تمسك فيه بعشر ما أنتم عليه نجا(٢) » لكان جديرا بنا أن نقتحم والعياذ بالله تعالى ورطة اليأس والقنوط مع مانحن عليه من سوء أعمالنا ومن لنا أيضا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشره . فنسأل الله تعالى أن يعاملنا بما هو أهله ويستر علينا قبائح أعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله . الثانى : العمل والعبادة وليس يخلو عن رذيلة العز والكبر واستمالة قلوب الناس

السلام إن الله جميل يحب الجمال » فتكون هذه الرخصة فى حق من يلبسه لا بهوى نفسه فى ذلك غير مفتخر به ومختال فأما من لبس الثوب للتفاخر بالدنيا والتكابر بها فقد ورد فيه وعيد . روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أزرة المؤمن إلى نصف الساق فيما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من الكعبين فهو فى النار من جر إزاره بطرا لم ينظر الله إليه يوم القيامة فبينما رجل ممن كان قبلكم يتبختر فى

(١) حديث العباس يكون قوم يقرءون القرآن لايجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا الحديث ابن المبارك فى الزهد والرقائق (٢) حديث سيأتى على الناس زمان من تمسك بعشر ما أنتم عليه نجا أحمد من رواية رجل عن أبى ذر .

الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم فى الدين والدنيا أما فى الدنيا فهو أنهم يرون غيرهم بزيارتهم أولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم فى المجالس وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم على سائر الناس فى الحظوظ إلى جميع ماذكرناه فى حق العلماء وكأنهم يرون عبادتهم منة على الخلق وأما فى الدين فهو أن يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهما رأى ذلك قال صلى الله عليه وسلم « إذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم (١) » وإنما قال ذلك لأن هذا القول منه يدل على أنه مزدر بخلق الله مغتر بالله آمن من مكره غير خائف من سطوته وكيف لايخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال صلى الله عليه وسلم « كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه المسلم (٢) » وكم من الفرق بينه وبين من يحبه الله ويعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجو له مالا يرجوه لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم إياه لله فهم يتقربون إلى الله تعالى بالدنو منه وهو يتمقت إلى الله بالتنزه والتباعد منهم كأنه مترفع عن مجالستهم فما أجدرهم إذا أحبوه لصلاحه أن ينقلهم الله إلى درجته فى العمل وما أجدره إذا ازدراهم بعينه أن ينقله الله إلى حد الاهمال كما روى أن رجلا فى بنى إسرائيل كان يقال له خليع بنى إسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر يقال له عابد بنى إسرائيل وكان على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به فقال الخليع فى نفسه أنا خليع بنى إسرائيل وهذا عابد بنى إسرائيل فلو جلست إليه لعل الله يرحمنى فجلس إليه فقال العابد أنا عابد بنى إسرائيل وهذا خليع بنى إسرائيل فكيف يجلس إلى فأنف منه وقال له قم عنى فأوحى الله إلى نبى ذلك الزمان مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع وأحبطت عمل العابد. وفى رواية أخرى فتحولت الغمامة إلى رأس الخليع وهذا يعرفك أن الله تعالى إنما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل العاصى إذا تواضع هيبة لله وذل خوفا منه فقد أطاع الله بقلبه فهو أطوع لله من العالم المتكبر والعابد المعجب، وكذلك روى أن رجلا فى بنى إسرائيل أتى عابدا من بنى إسرائيل فوطىء على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فو الله لايغفر الله لك فأوحى الله إليه أيها المتألى علىّ بل أنت لايغفر الله لك (٣) وكذلك قال الحسن وحق إن صاحب الصوف أشد كبرا من صاحب المطرز الخز أى أن صاحب الخز يذل لصاحب الصوف ويرى الفضل له وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآفة أيضا قلما ينفك عنها كثير من العباد وهو أنه لو استخف به مستخف أو آذاه مؤذ استبعد أن يغفر الله له ولا يشك فى أنه صار ممقوتا عند الله ولو آذى مسلما آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين الكبر والعجب واغترار بالله وقد ينتهى الحمق والغباوة ببعضهم إلى أن يتحدى ويقول سترون مايجرى عليه وإذا أصيب بنكبة زعم أن ذلك من كراماته وأن الله ما أراد به إلا الشفاء عليه والانتقام له منه مع أنه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله وعرف جماعة آذوا الأنبياء صلوات الله عليهم فمنهم من قتلهم ومنهم من ضربهم ثم إن الله أمهل أكثرهم ولم يعاقبهم فى الدنيا بل ربما أسلم بعضهم فلم يصبه مكروه فى الدنيا ولا فى الآخرة ثم الجاهل المغرور يظن أنه أكرم على الله من أنبيائه وأنه قد انتقم له بما لاينتقم لأنبيائه به ولعله فى مقت الله باعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك

(١) حديث إذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم مسلم من حديث أبى هريرة (٢) حديث كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه المسلم ، مسلم من حديث أبى هريرة بلفظ امرؤ من الشر (٣) حديث الرجل من بنى إسرائيل الذى وطىء على رقبة عابد من بنى إسرائيل وهو ساجد فقال ارفع فو الله لايغفر الله لك الحديث أبو داود والحاكم من حديث أبى هريرة فى قصة العابد الذى قال للعاصى والله لايغفر الله لك أبدا وهو بغير هذه السياقة وإسناده حسن .

ردائه إذ أعجبه رداؤه فخسف الله به الأرض فهو يتجاجل فيها إلى يوم القيامة» والأحوال تختلف ومن صح حاله بصحة علمه صحت نيته فى مأكوله وملبوسه وسائر تصاريفه وفى كل الأحوال يستقيم ويتسدد باستقامة الباطن مع الله تعالى وبقدر ذلك تستقيم تصاريف العبد كلها بحسن توفيق الله تعالى .

[الباب الخامس والأربعون فى ذكر فضل قيام الليل]

قال الله تعالى — إذ يغشيكم النعاس أمنة

نفسه فهذه عقيدة المغترين ، وأما الأكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله عطاء السلمى حين كان تهبّ ريح أو تقع صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم إلا بسببي ولو مات عطاء لتخلصوا وما قاله الآخر بعد انصرافه من عرفات كنت أرجو الرحمة لجميعهم لولا كونى فيهم فانظر إلى الفرق بين الرجلين هذا يتقى الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزدر لعمله وسعيه وذاك ربما يضمر من الرياء والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة للشيطان به ثم إنه يمتن على الله بعمله ومن اعتقد جزما أنه فوق أحد من عباد الله فقد أحبط بجهله جميع عمله فان الجهل أفحش المعاصى وأعظم شئ يبعد العبد عن الله وحكمه لنفسه بأنه خير من غيره جهل محض وأمن من مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ولذلك روى «أن رجلا ذكر بخير للنبي صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يارسول الله هذا الذى ذكرناه لك فقال إنى أرى فى وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أسألك بالله حدثتك نفسك أن ليس فى القوم أفضل منك قال اللهم نعم (١)» فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور النبوّة ما استكن فى قلبه سفعة فى وجه وهذه آفة لا ينفك عنها أحد من العباد إلا من عصمه الله لكن العلماء والعباد فى آفة الكبر على ثلاث درجات. الدرجة الأولى: أن يكون الكبر مستقرا فى قلبه يرى نفسه خيرا من غيره إلا أنه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخ فى قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع أغصانها بالكلية . الثانية : أن يظهر ذلك على أفعاله بالترفع فى المجالس والتقدم على الأقران وإظهار الانكار على من يقصر فى حقه وأدنى ذلك فى العالم أن يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم وفى العابد أن يعبس وجهه ويقطب جبينه كأنه متنزه عن الناس مستقذر لهم أو غضبان عليهم وليس يعلم المسكين أن الورع ليس فى الجبهة حتى تقطب ولا فى الوجه حتى يعبس ولا فى الخد حتى يصعر ولا فى الرقبة حتى تطأطأ ولا فى الذيل حتى يضم إنما الورع فى القلوب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «التقوى ههنا وأشار إلى صدره (٢)» فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم «أكرم الخلق وأتقاهم وكان أوسعهم خلقا وأكثرهم بشرا وتبسما وانبساطا (٣)» ولذلك قال الحرث ابن جزء الزبيدى صاحب رسول الله ﷺ يعجبنى من القراء كل طليق مضحاك فأما الذى تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمنّ عليك بعلمه فلا أكثر الله فى المسلمين مثله ولو كان الله سبحانه وتعالى يرضى ذلك لما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ـ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ـ وهؤلاء الذين يظهر أثر الكبر على شمائلهم فأحوالهم أخف حالا ممن هو فى الرتبة الثالثة وهو الذى يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه إلى الدعوى والفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكايات الأحوال والمقامات والتشمر لغلبة الغير فى العلم والعمل أما العابد فانه يقول فى معرض التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن أين زهده فيطول اللسان فيهم بالتنقص ثم يثنى على نفسه ويقول إنى لم أفطر منذ كذا وكذا ولا أنام الليل وأختم القرآن فى كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجرى مجراه وقد يزكى نفسه ضمنا فيقول قصدنى فلان بسوء فهلك ولده وأخذ ماله أو مرض أو ما يجرى مجراه يدعى الكرامة لنفسه وأما مباهاته فهو أنه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى أكثر مما كان يصلى وإن كانوا يصبرون على الجوع فيكلف نفسه الصبر ليغلبهم ويظهر له قوته وعجزهم وكذلك يشتد فى العبادة خوفا من أن يقال غيره

منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان ـ نزلت هذه الآية فى المسلمين يوم بدر حيث نزلوا على كثيب من الرمل تسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون إلى ماء بدر العظمى وغلبوهم عليها وأصبح المسلمون بين محدث وجنب وأصابهم الظمأ فوسوس لهم الشيطان أنكم تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبى الله وقد غلب المشركون على الماء وأنتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف

(١) حديث أن رجلا ذكر بخير للنبي صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يارسول الله هذا الذى ذكرناه لك فقال إنى أرى فى وجهه سفعة من الشيطان الحديث أحمد والبزار والدار قطنى من حديث أنس (٢) حديث التقوى ههنا وأشار إلى صدره مسلم من حديث أبى هريرة وقد تقدم (٣) حديث كان أكرم الخلق وأتقاهم الحديث تقدم فى كتاب أخلاق النبوّة .

أعبد منه أو أقوى منه فى دين الله وأما العالم فانه يتفاخر ويقول أنا متفنن فى العلوم ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن أنت ومافضلك ومن لقيت وما الذى سمعت من الحديث كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه وأما مباهاته فهو أنه يجتهد فى المناظرة أن يغلب ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار فى تحصيل علوم يتجمل بها فى المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الألفاظ وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الأقران ويتعظم عليهم ويحفظ الأحاديث ألفاظها وأسانيدها حتى يرد على من أخطأ فيها فيظهر فضله ونقصان أقرانه ويفرح مهما أخطأ واحد منهم ليرد عليه ويسوءه إذا أصاب وأحسن خيفة من أن يرى أنه أعظم منه فهذا كله أخلاق الكبر وآثاره التى يثمرها التعزز بالعلم والعمل وأين من يخلو عن جميع ذلك أو عن بعضه فليت شعرى من الذى عرف هذه الأخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر (١)» كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه من أهل النار وإنما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذى فهم أن الله تعالى قال له إن لك عندنا قدرا مالم ترلنفسك قدرا فان رأيت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه أن لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو التكبر بالعلم والعمل. الثالث: التكبر بالحسب والنسب فالذى له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى أن الناس له أموال وعبيد ويأنف من مخالطتهم ومجالستهم وثمرته على اللسان التفاخر به فيقول لغيره يانبطى وياهندى ويأرمنى من أنت ومن أبوك فأنا فلان ابن فلان وأين لمثلك أن يكلمنى أو ينظر إلى ومع مثلى تتكلم ومايجرى مجراه وذلك عرق دفين فى النفس لا ينفك عنه نسيب وإن كان صالحا وعاقلا إلا أنه قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الأحوال فان غلبه غضب أطفأ ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روى عن أبى ذر أنه قال «قاولت رجلا عند النبى ﷺ فقلت له يا ابن السوداء فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا أباذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل (٢)» فقال أبو ذر رحمه الله فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدى فانظر كيف نبهه رسول الله ﷺ أنه رأى لنفسه فضلا بكونه ابن بيضاء وأن ذلك خطأ وجهل وانظر كيف تاب وقلع من نفسه شجرة الكبر بأخمص قدم من تكبر عليه إذ عرف أن العز لا يقمعه إلا الذل ومن ذلك ماروى أن رجلين تفاخرا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما للآخر أنا فلان ابن فلان فمن أنت لا أم لك فقال النبى صلى الله عليه وسلم «افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان ابن فلان حتى عد تسعة فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل للذى افتخر بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم (٣)» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما فى جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التى تدرف بأنافها القذر (٤)». الرابع: التفاخر بالجمال وذلك أكثر

(١) حديث لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر تقدم (٢) حديث أبى ذر قاولت رجلا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقلت له يا ابن السوداء الحديث ابن المبارك فى البر والصلة مع اختلاف ولأحمد من حديثه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى (٣) حديث أن رجلين تفاخرا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما للآخر أنا فلان ابن فلان فمن أنت لا أب لك الحديث عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند من حديث أبى بن كعب باسناد صحيح ورواه أحمد موقوفا على معاذ بقصة موسى فقط (٤) حديث ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما فى جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان الحديث أبو داود والترمذى وحسنه

ترجون الظفر عليهم فأنزل الله تعالى مطرا من السماء سال منه الوادى فشرب المسلمون منه واغتسلوا وتوضئوا وسقوا الدواب وملئوا الأسقية ولبد الأرض حتى ثبت به الأقدام قال الله تعالى ـ ويثبت به الأقدام. إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم ـ أمدهم الله تعالى بالملائكة حتى غلبوا المشركين ولكل آية من القرآن ظهر وبطن وحد ومطلع والله تعالى كما جعل الناس رحمة وأمنة للصحابة خاصة فى تلك الواقعة والحادثة فهو

مايجرى بين النساء ويدعو ذلك إلى التنقص والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس ومن ذلك ماروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت « دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بيدى هكذا أى أنها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قد اغتبتها (١) » وهذا منشؤه خفاء الكبر لأنها لو كانت أيضا قصيرة لما ذكرتها بالقصر فكأنها أعجبت بقامتها واستقصرت المرأة فى جنب نفسها فقالت ماقالت . الخامس : الكبر بالمال وذلك يجرى بين الملوك فى خزائنهم وبين التجار فى بضائعهم وبين الدهاقين فى أراضيهم وبين المتجملين فى لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغنى الفقير ويتكبر عليه ويقول له أنت مكد ومسكين وأنا لو أردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن أنت وما معك وأثاث بيتى يساوى أكثر من جميع مالك وأنا أنفق فى اليوم مالا تأكله فى سنة وكل ذلك لاستعظامه للغنى واستحقاره للفقر وكل ذلك جهل منه بفضيلة الفقر وآفة الغنى وإليه الإشارة بقوله تعالى ـ فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ـ حتى أجابه فقال ـ إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربى أن يؤتينى خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا ـ وكان ذلك منه تكبرا بالمال والولد ثم بين الله عاقبة أمره بقوله ـ ياليتنى لم أشرك بربى أحدا ـ ومن ذلك تكبر قارون إذ قال تعالى إخبارا عن تكبره ـ فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم ـ . السادس : الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على أهل الضعف . السابع : التكبر بالأتباع والأنصار والتلامذة والغلمان وبالعشيرة والأقارب والبنين ويجرى ذلك بين الملوك فى المكاثرة بالجنود وبين العلماء فى المكاثرة بالمستفيدين . وبالجملة فكل ماهو نعمة وأمكن أن يعتقد كمال وإن لم يكن فى نفسه كمالا أمكن أن يتكبر به حتى إن المخنث ليتكبر على أقرانه بزيادة معرفته وقدرته فى صنعة المخنثين لأنه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وإن لم يكن فعله إلا نكالا وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه أن ذلك كمال وإن كان مخطئا فيه فهذه مجامع مايتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلى بشىء منه على من لايدلى به أو على من يدلى بما هو دونه فى اعتقاده وربما كان مثله أو فوقه عند الله تعالى كالعالم الذى يتكبر بعلمه على من هو أعلم منه لظنه أنه هو الأعلم ولحسن اعتقاده فى نفسه . نسأل الله العون بلطفه ورحمته إنه على كل شىء قدير .

(بيان البواعث على التكبر وأسبابه المهيجة له)

اعلم أن الكبر خلق باطن وأما مايظهر من الأخلاق والأفعال فهى ثمرة ونتيجة وينبغى أن تسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذى هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب الذى يتعلق بالمتكبر كما سيأتى معناه فانه إذا أعجب بنفسه وبعلمه وبعمله أو بشىء من أسبابه استعظم نفسه وتكبر وأما الكبر الظاهر فأسبابه ثلاثة : سبب فى المتكبر وسبب فى المتكبر عليه وسبب فيما يتعلق بغيرهما . أما السبب الذى فى المتكبر فهو العجب والذى يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد والذى يتعلق بغيرهما هو الرياء فتصير الأسباب بهذا الاعتبار أربعة العجب والحقد والحسد والرياء . أما العجب فقد ذكرنا أنه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر الظاهر فى الأعمال والأقوال والأحوال . وأما الحقد فانه يحمل على التكبر من غير عجب كالذى يتكبر

رحمة تعم المؤمنين والناس قسم صالح من الأقسام العاجلة للمريدين وهو أمنة لقلوبهم عن منازعات النفس لأن النفس بالنوم تستريح ولا تشكو الكلال والتعب إذ فى شكايتها وتعبها تكدير القلب وباحترامها بالنوم بشرط العلم والاعتدال راحة القلب لما بين القلب والنفس من المواطأة عند طمأنينتها للمريدين السالكين فقد قيل ينبغى أن يكون ثلث الليل والنهار نوما حتى لايضطرب الجسد فيكون ثمان ساعات

وابن حبان من حديث أبى هريرة (١) حديث عائشة دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بيدى هكذا أى أنها قصيرة الحديث تقدم فى آفات اللسان .

على من يرى أنه مثله أو فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فأورثه الغضب حقدا ورسخ فى قلبه بغضه فهو لذلك لاتطاوعه نفسه أن يتواضع له وإن كان عنده مستحقا للتواضع فكم من رذل لاتطاوعه نفسه على التواضع لواحد من الأكابر لحقده عليه أو بغضه له ويحمله ذلك على رد الحق إذا جاء من جهته وعلى الأنفة من قبول نصحه وعلى أن يجتهد فى التقدم عليه وإن علم أنه لايستحق ذلك وعلى أن لا يستحله وإن ظلمه فلا يعتذر إليه وإن جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به وأما الحسد فانه أيضا يوجب البغض للمحسود وإن لم يكن من جهته إيذاء وسبب يقتضى الغضب والحقد ويدعو الحسد أيضا إلى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم فكم من جاهل يشتاق إلى العلم وقد بقى فى رذيلة الجهل لاستنكافه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه حسدا وبغيا عليه فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بأنه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يبعثه على أن يعامله بأخلاق المتكبرين وإن كان فى باطنه ليس يرى نفسه فوقه . وأما الرياء فهو أيضا يدعو إلى أخلاق المتكبرين حتى إن الرجل ليناظر من يعلم أنه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له فى الاستفادة خيفة من أن يقول الناس إنه أفضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان لايتكبر عليه وأما الذى يتكبر بالعجب أو الحسد أو الحقد فانه يتكبر أيضا عند الخلوة به مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك قد ينتمى إلى نسب شريف كاذبا وهو يعلم أنه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب إلى ذلك النسب ويترفع عليه فى المجالس ويتقدم عليه فى الطريق ولا يرضى بمساواته فى الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا بأنه لايستحق ذلك ولا كبر فى باطنه لمعرفته بأنه كاذب فى دعوى النسب ولكن يحمله الرياء على أفعال المتكبرين وكأن اسم المتكبر إنما يطلق فى الأكثر على من يفعل هذه الأفعال عن كبر فى الباطن صادر عن العجب والنظر إلى الغير بعين الاحتقار وهو إن سمى متكبرا فلأجل التشبه بأفعال الكبر . نسأل الله حسن التوفيق والله تعالى أعلم .

(بيان أخلاق المتواضعين ومجامع مايظهر فيه أثر التواضع والتكبر)

اعلم أن التكبر يظهر فى شمائل الرجل كصعر فى وجهه ونظره شزرا وإطراقه رأسه وجلوسه متربعا أو متكئا وفى أقواله حتى فى صوته ونغمته وصيغته فى الإيراد ويظهر فى مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وحركاته وسكناته وفى تعاطيه لأفعاله وفى سائر تقلباته فى أحواله وأقواله وأعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر فى بعض ويتواضع فى بعض فمنها التكبر بأن يحب قيام الناس له أو بين يديه وقد قال على كرم الله وجهه من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام. وقال أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك (١) . ومنها أن لايمشى إلا ومعه غيره يمشى خلفه . قال أبو الدرداء لايزال العبد يزداد من الله بعدا مامشى خلفه . وكان عبد الرحمن بن عوف لايعرف من عبيده إذا كان لايتميز عنهم فى صورة ظاهرة ، ومشى قوم خلف الحسن البصرى فمنعهم وقال ما يبقى هذا من قلب العبد «وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الأوقات يمشى مع بعض الأصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشى فى غمارهم (٢) » إما لتعليم غيره أو لينفى عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب

النوم ساعتين من ذلك يجعلهما للريد بالنهار وست ساعات بالليل ويزيد فى أحدهما وينقص من الآخر على قدر طول الليل وقصره فى الشتاء والصيف وقد يكون بحسن الارادة وصدق الطلب ينقص النوم عن قدر الثلث ولا يضر ذلك إذا صار بالتدريج عادة وقد يحمل ثقل السهر وقلة النوم وجود الروح والأنس فان النوم طبعه بارد رطب ينفع الجسد والدماغ ويسكن من الحرارة واليبس الحادث فى المزاج فان

(١) حديث أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له الحديث تقدم فى آداب الصحبة وفى أخلاق النبوة (٢) حديث كان فى بعض الأوقات يمشى مع الأصحاب فيأمرهم بالتقدم أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى أمامة بسند ضعيف جدا أنه خرج يمشى إلى البقيع فتبعه أصحابه فوقف فأمرهم أن يتقدموا

كما أخرج الثوب الجديد فى الصلاة وأبدله بالخليع لأحد هذين المعنيين[1]. ومنها أن لايزور غيره وإن كان يحصل من زيارته خير لغيره فى الدين وهو ضد التواضع. روى أن سفيان الثورى قدم الرملة فبعث إليه إبراهيم بن أدهم أن تعال فحدثنا فجاء سفيان فقيل له ياأبا إسحق تبعث إليه بمثل هذا فقال أردت أن أنظر كيف تواضعه ومنها أن يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه إلا أن يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابن وهب جلست إلى عبدالعزيز بن أبى روّاد فمسّ فخذى فخذه فنحيت نفسى عنه فأخذ ثيابى فجرنى إلى نفسه وقال لى لم تفعلون بى ماتفعلون بالجبابرة وإنى لاأعرف رجلا منكم شرا منى . وقال أنس كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت [2]. ومنها أن يتوقى من مجالسة المرضى والمعاولين ويتحاشى عنهم وهو من الكبر دخل رجل وعليه جدرى قد تقشر على رسول الله صلى الله عليه وعنده ناس من أصحابه يأكلون فما جلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى جنبه[3] وكان عبدالله بن عمر رضى الله عنهما لايحبس عن طعامه مجذوما ولاأبرص ولامبتلى إلا أقعدهم على مائدته . ومنها أن لايتعاطى بيده شغلا فى بيته والتواضع خلافه روى أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف أقوم إلى المصباح فأصلحه فقال ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه قال أفأنبه الغلام فقال هى أوّل نومة نامها فقام وأخذ البطة وملأ المصباح زيتا فقال الضيف قمت أنت بنفسك ياأمير المؤمنين فقال ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر مانقص منى شئ وخير الناس من كان عندالله متواضعا . ومنها أن لايأخذ متاعه ويحمله إلى بيته وهو خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك [4] وقال علىّ كرم الله وجهه لاينقص الرجل الكامل من كماله ماحمل من شئ إلى عياله وكان أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير يحمل سطلا له من خشب إلى الحمام وقال ثابت بن أبى مالك رأيت أبا هريرة أقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال أوسع الطريق للأمير ياابن أبى مالك . وعن الأصبغ بن نباتة قال كأنى أنظر إلى عمر رضى الله عنه معلقا لحما فى يده اليسرى وفى يده اليمنى الدرة يدور فى الأسواق حتى دخل رحله . وقال بعضهم رأيت عليا رضى الله عنه قد اشترى لحما بدرهم فحمله فى ملحفته فقلت له أحمل عنك ياأمير المؤمنين فقال لا، أبو العيال أحق أن يحمل. ومنها اللباس إذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال النبىّ صلى الله عليه وسلم « البذاذة من الإيمان [5] » فقال هرون سألت معنا عن البذاذة فقال هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رأيت عمر ابن الخطاب رضى الله عنه خرج إلى السوق وبيده الدرة وعليه إزار فيه أربع عشرة رقعة بعضها من أدم وعوتب علىّ كرم الله وجهه فى إزار مرقوع فقال يقتدى به المؤمن ويخشع له القلب وقال عيسى

نقص عن الثلث يضر الدماغ ويخشى منه اضطراب الجسم فاذا ناب عن النوم روح القلب وأنسه لايضر نقصانه لأن طبيعة الروح والأنس باردة رطبة كطبيعة النوم وقد تقصر مدة طول الليل بوجود الروح فتصير بالروح أوقات الليل الطويلة كالقصيرة كما يقال سنة الوصل سنة وسنة الهجر سنة فيقصر الليل لأهل الروح . نقل عن علىّ بن بكار أنه قال : منذ أربعين سنة ماأحزننى إلا طلوع الفجر . وقيل لبعضهم

ومشى خلفهم فسئل عن ذلك فقال إنى سمعت خفق نعالكم فأشفقت أن يقع فى نفسى شئ من الكبر وهو منكر فيه جماعة ضعفاء (١) حديث إخراجه الثوب الجديد فى الصلاة وإبداله بالخليع. قلت المعروف نزع الشراك الجديد ورد الشراك الخلق أو نزع الخميصة ولبس الأنبجانية وكلاهما تقدم فى الصلاة (٢) حديث أنس كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث تقدم فى آداب المعيشة (٣) حديث الرجل الذى به جدرى وإجلاسه إلى جنبه تقدم قريبا (٤) حديث حمله متاعه إلى بيته أبو يعلى من حديث أبى هريرة فى شرائه للسراويل وحمله وتقدم (٥) حديث البذاذة من الإيمان أبوداود وابن ماجه من حديث أبى أمامة بن ثعلبة وقد تقدم .

عليه السلام جودة الثياب خيلاء فى القلب . وقال طاوس إنى لأغسل ثوبى هذين فأنكر قلبى مادامما نقيين . ويروى أنّ عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان قبل أن يستخلف تشترى له الحلة بألف دينار فيقول ماأجودها لولاخشونة فيها فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول ماأجوده لولالينه فقيل له أين لباسك ومركبك وعطرك ياأمير المؤمنين فقال إن لى نفسا ذوّاقة وإنها لم تذق من الدنيا طبقة إلاتاقت إلى الطبقة التى فوقها حتى إذا ذاقت الخلافة وهى أرفع الطباق تاقت إلى ماعند الله عز وجل . وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال رجل ياأمير المؤمنين إن الله قدأعطاك فلو لبست فنكس رأسه مليا ثم رفع رأسه فقال إن أفضل القصد عند الجدة وإن أفضل العفو عند القدرة. وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء لمرضاته كان حقا على الله أن يدخله عبقرى الجنة (١) » فان قلت فقد قال عيسى عليه السلام : جودة الثياب خيلاء القلب. «وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الجمال فى الثياب هل هو من الكبر فقال لاولكن من سفه الحق وغمص الناس (٢)» فكيف طريق الجمع بينهما . فاعلم أنّ الثوب الجديد ليس من ضرورته أن يكون من التكبر فى حق كل أحد فى كل حال وهو الذى أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى عرفه رسول الله ﷺ من حال ثابت بن قيس إذقال إنى امرؤ حبب إلى من الجمال ماترى (٣) فعرف أنّ ميله إلى النظافة وجودة الثياب لاليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته أن يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما أنّ الرضا بالثوب الدون قد يكون من التواضع وعلامة المتكبر أن يطلب التجمل إذارآه الناس ولا يبالى إذا انفرد بنفسه كيف كان وعلامة طالب الجمال أن يحب الجمال فى كلّ شئ ولو فى خلوته وحتى فى سنور داره فذلك ليس من التكبر فاذا انقسمت الأحوال نزل قول عيسى عليه السلام على بعض الأحوال على أنّ قوله خيلاء القلب يعنى قد تورث خيلاء فى القلب وقول نبينا صلى الله عليه وسلم إنه ليس من الكبر يعنى أنّ الكبر لايوجبه ويجوز أن لايوجبه الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر ، وبالجملة فالأحوال تختلف فى مثل هذا والمحبوب الوسط من اللباس الذى لايوجب شهرة بالجودة ولابالرداءة . وقد قال صلى الله عليه وسلم « كلوا واشربوا والبسوا وتصدّقوا فى غير سرف ولامخيلة (٤) » . «إن الله يحبّ أن يرى أثر نعمته على عبده (٥)» وقال بكر بن عبدالله المزنى البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية وإنما خاطب بهذا قوما يطلبون التكبر بثياب أهل الصلاح . وقد قال عيسى عليه السلام : مالكم تأتونى وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضوارى البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية . ومنها أن يتواضع بالاحتمال إذا سبّ وأوذى وأخذ حقه فذلك هو الأصل ، وقد أوردنا مانقل عن السلف من احتمال الأذى فى كتاب الغضب والحسد . وبالجملة فجامع حسن الأخلاق والتواضع سيرة النبى صلى الله عليه وسلم فيه فينبغى أن يقتدى به . ومنه ينبغى أن يتعلم . وقد قال أبو سلمة : قلت لأبى سعيد الخدرى

كيف أنت والليل؟ قال ماراعيته قط يرينى وجهه ثم ينصرف وما تأملته . وقال أبو سليمان الدارانى أهل الليل فى ليلهم أشدّ لذة من أهل اللهو فى لهوهم . وقال بعضهم ليس فى الدنيا شئ يشبه نعيم أهل الجنة إلا مايجده أهل التملق فى قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة فحلاوة المناجاة ثواب عاجل لأهل الليل . وقال بعض العارفين إنّ الله تعالى يطلع على قلوب المستيقظين فى الأسحار فيملؤها نورا فترد الفوائد على قلوبهم

(١) حديث من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله الحديث أبو سعيد المالينى فى مسند الصوفية وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عباس من ترك زينة لله الحديث وفى إسناده نظر (٢) حديث سئل عن الجمال فى الثياب هل هو من الكبر فقال لا ، الحديث تقدّم غير مرة (٣) حديث إن ثابت بن قيس قال للنبى صلى الله عليه وسلم إنى امرؤ حبب إلى الجمال الحديث هو الذى قبله سمى فيه السائل وقد تقدم (٤) حديث كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير إسراف ولامخيلة النسائى وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٥) حديث إنّ الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده الترمذى وحسنه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أيضا وقد جعلهما المصنف حديثا واحدا .

ماترى فيما أحدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم فقال يا ابن أخى: كل لله واشرب لله والبس لله وكل شىء من ذلك دخله زهو أو مباهاة أو رياء أو سمعة فهو معصية وسرف وعالج فى بيتك من الخدمة ما كان يعالج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطحن عنه إذا أعيا ويشترى الشىء من السوق ولا يمنعه من الحياء أن يعلقه بيده أو يجعله فى طرف ثوبه وينقلب إلى أهله يصافح الغنى والفقير والكبير والصغير ويسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغير أو كبير أسود أو أحمر حر أو عبد من أهل الصلاة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحيى من أن يجيب إذا دعى وإن كان أشعث أغبر ولا يحقر مادعى إليه وإن لم يجد إلا حشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس شديد فى غير عنف متواضع فى غير مذلة جواد من غير سرف رحيم لكل ذى قربى ومسلم رقيق القلب دائم الإطراق لم يبشم قط من شبع ولا يمد يده من طمع ، قال أبو سلمة فدخلت على عائشة رضى الله عنها فحدثتها بما قال أبو سعيد فى زهد رسول الله ﷺ فقالت ما أخطأ منه حرفا ولقد قصر إنما أخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلىء قط شبعا ولم يبث إلى أحد شكوى وإن كانت الفاقة لأحب إليه من اليسار والغنى وإن كان ليظل جائعا يلتوى ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء أن يسأل ربه فيؤتى بكنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها من مشارق الأرض ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة له مما أوتى من الجوع فأمسح بطنه بيدى وأقول نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة إخوانى من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم وقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدنى أستحيى إن ترفهت فى معيشتى أن يقصر بى دونهم فأصبر أياما يسيرة أحب إلى من أن ينقص حظى غدا فى الآخرة وما من شىء أحب إلى من اللحوق باخوانى وأخلائى قالت عائشة رضى الله عنها فو الله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله عز وجل (١) . فما نقل من أحواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة أخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق محله صلى الله عليه وسلم ولم يرض لنفسه بما رضى هو به فما أشد جهله فلقد كان أعظم خلق الله منصبا فى الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة إلا فى الاقتداء به ولذلك قال عمر رضى الله عنه : إنا قوم أعزنا الله بالاسلام فلن نطلب العز فى غيره لما عوتب فى بذاذة هيئته عند دخوله الشام . وقال أبو الدرداء : اعلم أن لله عبادا يقال لهم الأبدال خلف من الأنبياء هم أوتاد الأرض فلما انقضت النبوة أبدل الله مكانهم قوما من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر من غير تجبن وتواضع فى غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه وهم أربعون صديقا أو ثلاثون رجلا قلوبهم على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه. واعلم يا أخى أنهم لا يلعنون شيئا ولا يؤذونه

فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم الفوائد إلى قلوب الغافين . وقد ورد أن الله تعالى أوحى فى بعض ما أوحى إلى بعض أنبيائه أن لى عبادا يحبونى وأحبهم ويشتاقون إلىّ وأشتاق إليهم ويذكرونى وأذكرهم وينظرون إلى وأنظر إليهم فان حذوت طريقهم أحببتك وان عدلت عن ذلك مقتك قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى عنمه ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها فاذا

(١) حديث أبى سعيد الخدرى وعائشة قال الخدرى لأبى سلمة عالج فى بيتك من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج فى بيته كان يعلف الناضح الحديث وفيه قال أبو سلمة فدخلت على عائشة فحدثتها بذلك عن أبى سعيد فقالت ما أخطأ ولقد قصر أو ما أخبرك أنه لم يمتلىء قط شبعا الحديث بطوله لم أقف لهما على إسناد .

ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون أحدا ولا يحرصون على الدنيا هم أطيب الناس خيرا وألينهم عريكة وأسخاهم نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم فى خشية وغدا فى غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لاتدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد ارتياحا إلى الله واشتياقا إليه وقدما فى استباق الخيرات ـ أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ـ . قال الراوى : فقلت ياأبا الدرداء ماسمعت بصفة أشد على من تلك الصفة وكيف لى أن أبلغها فقال مابينك وبين أن تكون فى أوسعها إلا أن تكون تبغض الدنيا فانك إذا أبغضت الدنيا أقبلت على حب الآخرة وبقدر حبك للآخرة تزهد فى الدنيا وبقدر ذلك تبصر ماينفعك وإذا علم الله من عبد حسن الطلب أفرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة . واعلم ياابن أخى أن ذلك فى كتاب الله تعالى المنزل ـ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ـ . قال يحيى ابن كثير فنظرنا فى ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته . اللهم اجعلنا من محبى المحبين لك يارب العالمين فانه لايصلح لحبك إلا من ارتضيته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(بيان الطريق فى معالجة الكبر واكتساب التواضع له)

اعلم أن الكبر من المهلكات ولا يخلو أحد من الخلق عن شىء منه وإزالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمنى بل بالمعالجة واستعمال الأدوية القامعة له وفى معالجته مقامان : أحدهما استئصال أصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها فى القلب . الثانى دفع العارض منه بالأسباب الخاصة التى بها يتكبر الانسان على غيره . المقام الأول : فى استئصال أصله وعلاجه علمى وعملى ولايتم الشفاء إلا بمجموعهما أما العلمى فهو أن يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى ويكفيه ذلك فى إزالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل وأنه لايليق به إلا التواضع والذلة والمهانة وإذا عرف ربه علم أنه لاتليق العظمة والكبرياء إلا بالله أما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفة وأما معرفته نفسه فهو أيضا يطول ولكنا نذكر من ذلك ما ينفع فى إثارة التواضع والمذلة ويكفيه أن يعرف معنى آية واحدة فى كتاب الله فان فى القرآن علم الأولين والآخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال تعالى ـ قتل الإنسان ماأكفره من أى شىء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره ـ فقد أشارت الآية إلى أول خلق الانسان وإلى آخر أمره وإلى وسطه فلينظر الانسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية أما أول الانسان فهو أنه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان فى حيز العدم دهورا بل لم يكن لعدمه أول وأى شىء أخس وأقل من المحو والعدم وقد كان كذلك فى القدم ثم خلقه الله من أرذل الأشياء ثم من أقذرها إذ قد خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم جعله عظما ثم كسا العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث كان شيئا مذكورا فما صار شيئا مذكورا إلا وهو على أخس الأوصاف والنعوت إذ لم يخلق فى ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لايسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وبيكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله ـ من أى شىء خلقه من نطفة خلقه فقدره ـ ومعنى قوله ـ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه ـ كذلك خلقه أولا ثم امتن عليه فقال ـ ثم السبيل يسره ـ وهذا إشارة إلى ماتيسر له فى مدة حياته إلى الموت وكذلك قال ـ من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا إنا هديناه

جنهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا لى أقدامهم وافترشوا لى وجوههم وناجونى بكلامى وتملقوا إلىّ بإنعامى فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك بعينى مايتحملون من أجلى وبسمعى مايشكون من حبى أول ما أعطيهم أن أقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم والثانى لو كانت السموات السبع والأرضون ومافيهما فى موازينهم لاستقللتها لهم والثالث أقبل بوجهى عليهم

السبيل إما شاكرا وإما كفورا ـ ومعناه أنه أحياه بعد أن كان جمادا ميتا ترابا أولا ونطفة ثانيا وأسمعه بعدما كان أصم وبصره بعد ما كان فاقدا للبصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الأعضاء بما فيها من العجائب والآيات بعد الفقد لها وأغناه بعد الفقر وأشبعه بعد الجوع وكساه بعد العرى وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره وإلى السبيل كيف يسره وإلى طغيان الإنسان ما أكفره وإلى جهل الإنسان كيف أظهره فقال ـ أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ـ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ـ فانظر إلى نعمة الله عليه كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة إلى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا بعد العدم وحيا بعد الموت وناطقا بعد البكم وبصيرا بعد العمى وقويا بعد الضعف وعالما بعد الجهل ومهديا بعد الضلال وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر فكان فى ذاته لاشىء وأى شىء أخس من لاشىء وأى قلة أقل من العدم المحض ثم صار بالله شيئا وإنما خلقه من التراب الذليل الذى يوطأ بالأقدام والنطفة القذرة بعد العدم المحض أيضا ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه وإنما أكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمته وجلاله وأنه لايليق الكبرياء إلا به جل وعلا ولذلك امتن عليه فقال ـ ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين ـ وعرف خسته أولا فقال ـ ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة ـ ثم ذكر منته عليه فقال ـ فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ـ ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده أولا بالاختراع فمن كان هذا بدؤه وهذه أحواله فمن أين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق أخس الأخساء وأضعف الضعفاء ولكن هذه عادة الخسيس إذا رفع من خسته شمخ بأنفه وتعظم وذلك لدلالة خسة أوله ولاحول ولاقوة إلا بالله، نعم لو أكمله وفوض إليه أمره وأدام له الوجود باختياره لجاز أن يطغى وينسى المبدأ والمنتهى ولكنه سلط عليه فى دوام وجوده الأمراض الهائلة والأسقام العظيمة والآفات المختلفة والطباع المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم يهدم البعض من أجزائه البعض شاء أم أبى رضى أم سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت كرها لايملك لنفسه نفعا ولاضرا ولاخيرا ولاشرا يريد أن يعلم الشىء فيجهله ويريد أن يذكر الشىء فينساه ويريد أن ينسى الشىء ويغفل عنه فلايغفل عنه ويريد أن يصرف قلبه إلى ما يهمه فيجول فى أودية الوساوس والأفكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه ويشتهى الشىء وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشىء وربما تكون حياته فيه يستلذ الأطعمة وتهلكه وترديه ويستبشع الأدوية وهى تنفعه وتحييه ولايأمن فى لحظة من ليله أو نهاره أن يسلب سمعه وبصره وتلفج أعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه فى دنياه فهو مضطر ذليل إن ترك بقى وإن اختطف فنى عبد مملوك لايقدر على شىء من نفسه ولاشىء من غيره فأى شىء أذل منه لو عرف نفسه وأنى يليق الكبر به لولا جهله فهذا أوسط أحواله فليتأمله. وأما آخره ومورده فهو الموت المشار إليه بقوله تعالى ـ ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره ـ ومعناه أنه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وإدراكه وحركته فيعود جمادا كما كان أول مرة لايبقى إلا شكل أعضائه وصورته لاحس فيه ولاحركة ثم يوضع فى التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان فى الأول نطفة مذرة ثم تبلى أعضاؤه وتتفتت أجزاؤه وتنخر عظامه ويصير رميما رفاتا ويأكل الدود أجزاءه فيبتدىء بحدقتيه فيقلعهما وبخديه فيقطعهما وبسائر أجزائه فيصير روثا فى أجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل إنسان ويهرب منه لشدة الإنتان وأحسن أحواله أن يعود إلى ما كان فيصير ترابا يعمل منه الكيزان ويعمر منه البنيان فيصير مفقودا بعد ما كان موجودا وصار كأن لم يغن بالأمس حصيدا

أفترى من أقبلت بوجهى عليه أيعلم أحد ما أريد أن أعطيه فالصادق المريد إذا خلا فى ليله بمناجاة ربه انتشرت أنوار ليله على جميع أجزاء نهاره ويصير نهاره فى حماية ليله وذلك لامتلاء قلبه بالأنوار فتكون حركاته وتصاريفه بالنهار تصدر من منبع الأنوار المجتمعة من الليل ويصير قالبه فى قبة من قباب الحق مسددا حركاته موفرة سكناته. وقد ورد «من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار» ويجوز أن يكون لمعنيين: أحدهما

كما كان فى أول أمره أمدا مديدا وليته بقى كذلك فما أحسنه لو ترك ترابا ، لا بل يحييه بعد طول البلى ليقاسى شديد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرّقة ويخرج إلى أهوال القيامة فينظر إلى قيامة قائمة وسماء مشققة ممزقة وأرض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة وأحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجهنم تزفر وجنة ينظر إليها المجرم فيتحسر ويرى صحائف منشورة فيقال له اقرأ كتابك فيقول وماهو ؟ فيقال كان قد وكل بك فى حياتك التى كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر بأسبابها ملكان رقيبان يكتبان عليك ما كنت تنطق به أو تعمله من قليل وكثير ونقير وقطمير وأكل وشرب وقيام وقعود قد نسيت ذلك وأحصاه الله عليك فهلم إلى الحساب واستعد للجواب أو تساق إلى دار العذاب فينقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب قبل أن تنتشر الصحيفة ويشاهد مافيها من مخازيه فاذا شاهده قال ـ ياويلتنا مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ـ فهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى ـ ثم إذا شاء أنشره ـ فما لمن هذا حاله والتكبر والتعظم بل ماله وللفرح فى لحظة واحدة فضلا عن البطر والأشر فقد ظهر له أول حاله ووسطه ولو ظهر آخره والعياذ بالله تعالى ربما اختار أن يكون كلبا أو خنزيرا ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون إنسانا يسمع خطابا أو يلقى عذابا وإن كان عند الله مستحقا للنار فالخنزير أشرف منه وأطيب وأرفع إذ أوله التراب وآخره التراب وهو بمعزل عن الحساب والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق ولو رأى أهل الدنيا العبد المذنب فى النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجدوا ريحه لماتوا من نتنه ولو وقعت قطرة من شرابه الذى يسقى منه فى بحار الدنيا لصارت أنتن من الجيفة فمن هذا حاله فى العاقبة إلا أن يعفو الله عنه وهو على شك من العفو كيف يفرح ويبطر وكيف يتكبر ويتجبر وكيف يرى نفسه شيئا حتى يعتقد له فضلا وأى عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة إلا أن يعفو الله الكريم بفضله ويجبر الكسر بمنه والرجاء منه ذلك لكرمه وحسن الظن به ولا قوة إلا بالله أرأيت من جنى على بعض الملوك فاستحق بجنايته ضرب أنف سوط فحبس إلى السجن وهو ينتظر أن يخرج إلى العرض وتقام عليه العقوبة على ملأ من الخلق وليس يدرى أيعفى عنه أم لا كيف يكون ذله فى السجن أفترى أنه يتكبر على من فى السجن ومامن عبد مذنب إلا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدرى كيف يكون آخر أمره فيكفيه ذلك حزنا وخوفا وإشفاقا ومهانة وذلا فهذا هو العلاج العلمى القامع لأصل الكبر وأما العلاج العملى فهو التواضع لله بالفعل ولسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكيناه من أحوال الصالحين ومن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه «كان يأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد (١)» وقيل لسلمان لم لا تلبس ثوبا جديدا فقال إنما أنا عبد فاذا أعتقت يوما لبست جديدا أشار به إلى العتق فى الآخرة ولا يتم التواضع بعد المعرفة إلا بالعمل ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالإيمان وبالصلاة جميعا وقيل الصلاة عماد الدين وفى الصلاة أسرار لأجلها كانت عمادا ومن جملتها مافيها من التواضع بالمثول قائما وبالركوع والسجود وقد كانت العرب قديما يأنفون من الانحناء فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحنى لأخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لإصلاحه حتى قال حكيم بن حزام بايعت النبى صلى الله عليه وسلم على أن لا أخرّ إلا قائما فبايعه النبى صلى الله عليه وسلم عليه ثم فقه وكمل إيمانه بعد ذلك (٢)

أن المشكاة تستنير بالمصباح فاذا صار سراج اليقين فى القلب تزهر بكثرة زيت العمل بالليل فيزداد المصباح إشراقا وتكتسب مشكاة القالب نورا وضياء . كان يقول سهل بن عبد الله اليقين نار والإقرار فتيلة والعمل زيت وقد قال الله تعالى ـ سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ـ وقال تعالى ـ مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ـ فنور اليقين من نور الله فى زجاجة القلب يزداد ضياء بزيت العمل فتبقى زجاجة

(١) حديث كان يأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد تقدم فى آداب المعيشة

(٢) حديث حكيم بن حزام بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا أخر إلا قائما الحديث رواه أحمد مقتصرا على هذا وفيه إرسال خفى .

فلما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة والضعة أمروا به لتنكسر بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع فى قلوبهم وبه أمر سائر الخلق فان الركوع والسجود والمثول قائما هو العمل الذى يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل مايقتضاه الكبر من الأفعال فليواظب على نقيضه حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لاتتخلق بالأخلاق المحمودة إلا بالعلم والعمل جميعا وذلك لخفاء العلاقة بين القلوب والجوارح وسر الارتباط الذى بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم الملكوت . المقام الثانى : فيما يعرض من التكبر بالأسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا فى كتاب ذم الجاه أن الكمال الحقيقى هو العلم والعمل فأما ماعداه مما يفنى بالموت فكمال وهمى فمن هذا يعسر على العالم أن لايتكبر ، ولكنا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل فى جميع الأسباب السبعة . الأول النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة أمرين : أحدهما أن هذا جهل من حيث إنه تعزز بكمال غيره ، ولذلك قيل :

لئن فخرت بآباء ذوى شرف لقد صدقت ولكن بئس ماولدوا

فالمتكبر بالنسب إن كان خسيسا فى صفات ذاته فمن أين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذى ينسب إليه حيا لكان له أن يقول الفضل لى ومن أنت وإنما أنت دودة خلقت من بولى أفترى أن الدودة التى خلقت من بول إنسان أشرف من الدودة التى من بول فرس هيهات بل هما متساويان والشرف للإنسان لا للدودة . الثانى أن يعرف نسبه الحقيقى فيعرف أباه وجده فان أباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال ـ الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ـ فمن أصله التراب المهين الذى يداس بالأقدام ثم خمر طينة حتى صار حمأ مسنونا كيف يتكبر وأخس الأشياء ماإليه انتسابه إذ يقال ياأذل من التراب ويا أنتن من الحمأة ويا أقذر من المضغة فان كان كونه من أبيه أقرب من كونه من التراب . فنقول: افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة أقرب إليه من الأب فليحقر نفسه بذلك ثم إن كان ذلك يوجب رفعة لقربه فالأب الأعلى من التراب فمن أين رفعته وإذا لم يكن له رفعة فمن أين جاءت الرفعة لولده فاذن أصله من التراب وفصله من النطفة فلا أصل له ولا فصل وهذه غاية خسة النسب فالأصل يوطأ بالأقدام والفصل تغسل منه الأبدان ، فهذا هو النسب الحقيقى للإنسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة أصله كرجل لم يزل عند نفسه من بنى هاشم وقد أخبره بذلك والداه فلم يزل فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك إذ أخبره عدول لايشك فى قولهم إنه ابن هندى حجام يتعاطى القاذورات وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك فى صدقهم أفترى أن ذلك يبقى شيئا من كبره لا بل يصير عند نفسه أحقر الناس وأذلهم فهو من استشعار الخزى لخسته فى شغل عن أن يتكبر على غيره ، فهذا حال البصير إذا تفكر فى أصله وعلم أنه من النطفة والمضغة والتراب إذ لو كان أبوه ممن يتعاطى نقل التراب أو يتعاطى الدم بالحجامة أو غيرها لكان يعلم به خسة نفسه لمماسة أعضاء أبيه للتراب والدم فكيف إذا عرف أنه فى نفسه من التراب والدم والأشياء القذرة التى يتنزه عنها هو فى نفسه . السبب الثانى : التكبر بالجمال ودواؤه أن ينظر إلى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر إلى الظاهر نظر البهائم ، ومهما نظر إلى باطنه رأى من القبائح مايكدر عليه تعززه بالجمال فانه وكل به الأقذار فى جميع أجزائه الرجيع فى أمعائه والبول فى مثانته والمخاط فى أنفه والبزاق فى فيه والوسخ فى أذنيه والدم فى عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت إبطه يغسل الغائط بيده كل يوم دفعة أو دفعتين ويتردد كل يوم الخلاء مرة أو مرتين ليخرج من باطنه مالو رآه بعينه

القلب كالكوكب الدرى وتنعكس أنوار الزجاجة على مشكاة القالب وأيضا يلين القلب بنار النور ويسرى لينه إلى القالب فيلين القالب للين القلب فيتشابهان لوجود اللين الذى عمهما . قال الله تعالى ـ ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ـ وصف الجلود باللين كما وصف القلوب باللين فاذا امتلأ القلب بالنور ولان القالب بما يسرى فيه من الأنس والسرور يندرج الزمان والمكان فى نور القلب ويندرج فيه الكلم والآيات والسور

لاستقذره فضلا عن أن يمسه أو يشمه كل ذلك ليعرف قذارته وذله هذا فى حال توسطه وفى أول أمره خلق من الأقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض وأخرج من مجرى الأقذار إذ خرج من الصلب ثم من الذكر مجرى البول ثم من الرحم مفيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القذر . قال أنس رحمه الله : كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يخطبنا فيقذر إلينا أنفسنا ويقول خرج أحدكم من مجرى البول مرتين ، وكذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ماهذه مشية من فى بطنه خرء إذ رآه يتبختر وكان ذلك قبل خلافته وهذا أوله ووسطه ، ولو ترك نفسه فى حياته يوما لم يتعهدها بالتنظيف والغسل لثارت منه الأنتان والأقذار وصار أنتن وأقذر من الدواب المهملة التى لا تتعهد نفسها قط فاذا نظر أنه خلق من أقذار وأسكن فى أقذار وسيموت فيصير جيفة أقذر من سائر الأقذار لم يفتخر بجماله الذى هو كخضراء الدمن وكلون الأزهار فى البوادى فبينما هو كذلك إذ صار هشيما تذروه الرياح ، كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه القبائح خاليا لكان يجب أن لا يتكبر به على القبيح إذ لم يكن قبح القبيح إليه فينفيه ولا كان جمال الجميل إليه حتى يحمد عليه ، كيف ولا بقاء له بل هو فى كل حين يتصور أن يزول بمرض أو جدرى أو قرحة أو سبب من الأسباب فكم من وجوه جميلة قد سمجت بهذه الأسباب فمعرفة هذه الأمور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن أكثر تأملها .

السبب الثالث : التكبر بالقوة والأيدى ويمنعه من ذلك أن يعلم ماسلط عليه من العلل والأمراض وأنه لو توجع عرق واحد فى يده لصار أعجز من كل عاجز وأذل من كل ذليل وأنه لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه وأن بقة لو دخلت فى أنفه أو نملة دخلت فى أذنه لقتلته وأن شوكة لو دخلت فى رجله لأعجزته وأن حمى يوم تحلل من قوته مالا ينجبر فى مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على أن يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغى أن يفتخر بقوته ثم إن قوى الانسان فلا يكون أقوى من حمار أو بقرة أو فيل أو جمل وأى افتخار فى صفة يسبقك فيها البهائم . السبب الرابع والخامس : الغنى وكثرة المال وفى معناه كثرة الأتباع والأنصار والتكبر بولاية السلاطين والتمكن من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الانسان كالجمال والقوة والعلم ، وهذا أقبح أنواع الكبر فان المتكبر بماله كأنه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لعاد ذليلا والمتكبر بتمكين السلطان وولايته لا بصفة فى نفسه بنى أمره على قلب هو أشد غليانا من القدر فان تغير عليه كان أذل الخلق وكل متكبر بأمر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل ، كيف والمتكبر بالغنى لو تأمل لرأى فى اليهود من يزيد عليه فى الغنى والثروة والتجمل فأف لشرف يسبقك به اليهودى وأف لشرف يأخذه السارق فى لحظة واحدة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه أسباب ليست فى ذاته وما هو فى ذاته ليس إليه دوام وجوده وهو فى الآخرة وبال ونكال والتفاخر به غاية الجهل وكل مالبس إليك فليس لك وشىء من هذه الأمور ليس إليك بل إلى واهبه إن أبقاه لك وإن استرجعه زال عنك وما أنت إلا عبد مملوك لا تقدر على شىء ومن عرف ذلك لابد وأن يزول كبره ، ومثاله أن يفتخر الغافل بقوته وجماله وماله وحريته واستقلاله وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه إذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بأنه رقيق لفلان وأن أبويه كانا مملوكين له فعلم ذلك وحكم به الحاكم فجاء مالكه فأخذه وأخذ جميع مافى يده وهو مع ذلك يخشى أن يعاقبه وينكل به لتفريطه فى أمواله وتقصيره فى طلب مالكه ليعرف ان له مالكا ثم نظر العبد فرأى نفسه محبوسا فى منزل قد أحدقت به الحيات والعقارب والهوام وهو فى كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد بقى لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا فى الخلاص البتة أفترى من هذا حاله هل يفخر بقدرته وثروته وقوته وكماله أم تذل نفسه ويخضع ؟ وهذا حال كل

وتشرق الأرض أرض القالب بنور ربها إذ يصير القلب سماء والقالب أرضا ولذة تلاوة كلام الله فى محل المناجاة تستر كون الكائنات والكلام المجيد بكونه ينوب عن سائر الوجود فى مزاحمة صفو الشهود فلا يبقى حينئذ للنفس حديث ولا يسمع الهاجس حسيس وفى مثل هذه الحالة يتصور تلاوة القرآن من فاتحته إلى خاتمته من غير وسوسة وحديث نفس وذلك هو الفضل العظيم . الوجه الثانى لقوله عليه السلام

عاقل بصير فانه يرى نفسه كذلك فلا يملك رقبته وبدنه وأعضاءه وماله وهو مع ذلك بين آفات وشهوات وأمراض وأسقام هى كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك، فمن هذا حاله لا يتكبر بقوته وقدرته إذ يعلم أنه لا قدرة له ولا قوة فهذا طريق علاج التكبر بالأسباب الخارجة وهو أهون من علاج التكبر بالعلم والعمل فانهما كالان فى النفس جديران بأن يفرح بهما ولكن التكبر بهما أيضا نوع من الجهل خفى كما سنذكره.

السبب السادس : الكبر بالعلم وهو أعظم الآفات وأغلب الأدواء وأبعدها عن قبول العلاج إلا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لأن قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو أعظم من قدر المال والجمال وغيرهما بل لا قدر لهما أصلا إلا إذا كان معهما علم وعمل، ولذلك قال كعب الأحبار: إن للعلم طغيانا كطغيان المال ، وكذلك قال عمر رضى الله عنه العالم إذا زل زل بزلته عالم فيعجز العالم عن أن لا يستعظم نفسه بالاضافة إلى الجاهل لكثرة ما نطق الشرع بفضائل العلم ولن يقدر العالم على دفع الكبر إلا بمعرفة أمرين : أحدهما أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم آكد وأنه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم فان من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم فجنايته أفحش إذ لم يقض حق نعمة الله عليه فى العلم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به أهل النار فيقولون مالك ؟ فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه[1] » وقد مثل الله سبحانه وتعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال عز وجل ـ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ـ أراد به علماء اليهود ، وقال فى بلعم بن باعوراء ـ واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها ـ حتى بلغ ـ فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ـ قال ابن عباس رضى الله عنهما : أوتى بلعم كتابا فأخلد إلى شهوات الأرض أى سكن حبه إليها فمثله بالكلب ـ إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ـ أى سواء آتيته الحكمة أو لم أوته لا يدع شهوته ويكفى العالم هذا الخطر فأى عالم لم يتبع شهوته وأى عالم لم يأمر بالخير الذى لا يأتيه فمهما خطر للعالم عظم قدره بالاضافة إلى الجاهل فليتفكر فى الخطر العظيم الذى هو بصدده فان خطره أعظم من خطر غيره كما أن قدره أعظم من قدر غيره فهذا بذاك وهو كالملك الخاطر بروحه فى ملكه لكثرة أعدائه فانه إذا أخذ وقهر اشتهى أن يكون قد كان فقيرا فكم من عالم يشتهى فى الآخرة سلامة الجهال والعياذ بالله منه فهذا الخطر يمنع من التكبر فانه إن كان من أهل النار فالخنزير أفضل منه فكيف يتكبر من هذا حاله فلا ينبغى أن يكون العالم عند نفسه أكبر من الصحابة رضوان الله عليهم وقد كان بعضهم يقول : ياليتنى لم تلدنى أمى ويأخذ الآخر تبنة من الأرض ويقول ياليتنى كنت هذه التبنة ويقول الآخر ليتنى كنت طيرا أو كل ويقول الآخر ليتنى لم أك شيئا مذكورا كل ذلك خوفا من خطر العاقبة فكانوا يرون أنفسهم أسوأ حالا من الطير ومن التراب ومهما طال فكره فى الخطر الذى هو بصدده زال بالكلية كبره ورأى نفسه كأنه شر الخلق ومثاله مثال عبد أمره سيده بأمور فشرع فيها فترك بعضها وأدخل النقصان فى بعضها وشك فى بعضها أنه هل أداها على ما يرتضيه سيده أم لا فأخبره مخبر أن سيده أرسل إليه رسولا يخرجه من كل ما هو فيه عريانا ذليلا ويلقيه على بابه فى الحر والشمس زمانا طويلا حتى إذا ضاق عليه الأمر وبلغ به المجهود أمر برفع حسابه وفتش عن جميع أعماله قليلها وكثيرها ثم أمر به إلى سجن ضيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة وقد علم أن سيده قد فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا يدرى من أى الفريقين يكون فاذا تفكر

(١) حديث يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه الحديث متفق عليه من حديث أسامة ابن زيد بلفظ يؤتى بالرجل وتقدم فى العلم

«من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار» معناه أن وجوه أموره التى يتوجه إليها تحسن وتتداركه المعونة من الله الكريم فى تصاريفه ويكون معانا فى مصدره ومورده فيحسن وجه مقاصده وأفعاله وينتظم فى سلك السداد مسددا أقواله لأن الأقوال تستقيم باستقامة القلب

[الباب السادس والأربعون فى ذكر الأسباب المعينة على قيام الليل وأدب النوم]

فمن ذلك أن العبد يستقبل الليل عند غروب الشمس بتجديد الوضوء ويقعد مستقبل

فى ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على أحد من الخلق بل تواضع رجاء أن يكون هو من شفعائه عند نزول العذاب فكذلك العالم إذا تفكر فيما ضيعه من أوامر ربه بجنايات على جوارحه وبذنوب فى باطنه من الرياء والحقد والحسد والعجب والنفاق وغيره وعلم مما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لامحالة . الأمر الثانى: أن العالم يعرف أن الكبر لا يليق إلا بالله عزوجل وحده وأنه إذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد أحب الله منه أن يتواضع وقال له إن لك عندى قدرا مالم ترلنفسك قدرا فان رأيت لنفسك قدرا فلا قدر لك عندى فلابد وأن يكلف نفسه ما يحبه مولاه منه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وإن كان يستيقن أنه لاذنب له مثلا أو تصور ذلك وبهذا زال التكبر عن الأنبياء عليهم السلام إذ علموا أن من نازع الله تعالى فى رداء الكبرياء قصمه وقد أمرهم الله بأن يصغروا أنفسهم حتى يعظم عند الله محلهم فهذا أيضا مما يبعثه على التواضع لامحالة . فان قلت فكيف يتواضع للفاسق المتظاهر بالفسق وللمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم عابد وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى وكيف يغنيه أن يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم أن خطر الفاسق والمبتدع أكثر . فاعلم أن ذلك إنما يمكن بالتفكر فى خطر الخاتمة بل لو نظر إلى كافر لم يمكنه أن يتكبر عليه إذ يتصور أن يسلم الكافر فيختم له بالايمان ويضل هذا العالم فيختم له بالكفر والكبير من هو كبير عند الله فى الآخرة والكلب والخنزير أعلى رتبة ممن هو عند الله من أهل النار وهو لا يدرى ذلك فكم من مسلم نظر إلى عمر رضى الله عنه قبل إسلامه فاستحقره وازدراه لكفره وقد رزقه الله الاسلام وفاق جميع المسلمين إلا أبابكر وحده فالعواقب مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل إلا إلى العاقبة وجميع الفضائل فى الدنيا تراد للعاقبة فاذن من حق العبد أن لا يتكبر على أحد بل إن نظر إلى جاهل قال هذا عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم فهو أعذر منى وإن نظر إلى عالم قال هذا قد علم مالم أعلم فكيف أكون مثله وإن نظر إلى كبير هو أكبر منه سنا قال هذا قد أطاع الله قبلى فكيف أكون مثله وإن نظر إلى صغير قال إنى عصيت الله قبله فكيف أكون مثله وإن نظر إلى مبتدع أو كافر قال ما يدرينى لعله يختم له بالاسلام ويختم لى بما هو عليه الآن فليس دوام الهداية إلىّ كما لم يكن ابتداؤها إلىّ فبملاحظة الخاتمة يقدر على أن ينفى الكبر عن نفسه وكل ذلك بأن يعلم أن الكمال فى سعادة الآخرة والقرب من الله لا فيما يظهر فى الدنيا مما لا بقاء له ولعمرى هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ولكن حق على كلّ واحد أن يكون مصروف الهمة إلى نفسه مشغول القلب بخوفه لعاقبته لا أن يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بسوء الظن مولع وشفقة كل إنسان على نفسه فاذا حبس جماعة فى جناية ووعدوا بأن تضرب رقابهم لم يتفرغوا لتكبر بعضهم على بعض وإن عمهم الخطر إذ شغل كل واحد همّ نفسه عن الالتفات إلى همّ غيره حتى كأن كل واحد هو وحده فى مصيبته وخطره . فان قلت فكيف أبغض المبتدع فى الله وأبغض الفاسق وقد أمرت ببغضهما ثم مع ذلك أتواضع لهما والجمع بينهما متناقض . فاعلم أن هذا أمر مشتبه يلتبس على أكثر الخلق إذ يمتزج غضبك لله فى إنكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع فكم من عابد جاهل وعالم مغرور إذا رأى فاسقا جلس بجنبه أزعجه من عنده وتنزه عنه بكبر باطن فى نفسه وهو ظان أنه قد غضب لله كما وقع لعابد بنى إسرائيل مع خليعهم وذلك لأن الكبر على المطيع ظاهر كونه شرا والحذر منه ممكن والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فان الغضبان أيضا يتكبر على من غضب عليه والمتكبر يغضب وأحدهما يثمر الآخر ويوجبه وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما إلا الموفقون والذى يخلصك من هذا أن يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع أو الفاسق أو عند أمرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلاثة أمور :

القبلة منتظرا مجىء الليل وصلاة المغرب مقيما فى ذلك على أنواع الأذكار ومن أولاها التسبيح والاستغفار قال الله تعالى لنبيه ـ واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار ـ ومن ذلك أن يواصل بين العشاءين بالصلاة أو بالتلاوة أو بالذكر وأفضل ذلك الصلاة فانه إذا واصل بين العشاءين ينغسل عن باطنه آثار الكدورة الحادثة فى أوقات النهار من رؤية الخلق ومخالطتهم وسماع كلامهم فان ذلك كله له أثر وخدش فى القلوب

أحدها التفاتك إلى ماسبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك فى عينك . والثانى أن تكون ملاحظتك لما أنت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث إنها نعمة من الله تعالى عليك فله المنة فيه لالك فترى ذلك منه حتى لاتعجب بنفسك وإذا لم تعجب لم تتكبر . والثالث ملاحظة إبهام عاقبتك ، وعاقبته أنه ربما يختم لك بالسوء ويختم له بالحسنى حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه . فان قلت : فكيف أغضب مع هذه الأحوال ؟ فأقول : تغضب لمولاك وسيدك إذ أمرك أن تغضب له لالنفسك وأنت فى غضبك لاترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك أكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة ، وأعرفك ذلك بمثال لتعلم أنه ليس من ضرورة الغضب لله أن تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره . فأقول : إذا كان للملك غلام وولد هو قرة عينه وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وأمره أن يضربه مهما أساء أدبه واشتغل بمالا يليق به ويغضب عليه فان كان الغلام محبا مطيعا لمولاه فلا يجد بدا أن يغضب مهما رأى ولده قد أساء الأدب وإنما يغضب عليه لمولاه ولأنه أمره به ولأنه يريد التقرب بامتثال أمره إليه ولأنه جرى من ولده مايكره مولاه فيضرب ولده ويغضب عليه من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لأن الولد أعز لامحالة من الغلام ، فاذن ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك أن تنظر إلى المبتدع والفاسق وتظن أنه ربما كان قدرهما فى الآخرة عند الله أعظم لما سبق لهما من الحسنى فى الأزل ولما سبق لك من سوء القضاء فى الأزل وأنت غافل عنه ، ومع ذلك فتغضب بحكم الأمر محبة لمولاك إذ جرى مايكرهه مع التواضع لمن يجوز أن يكون عنده أقرب منك فى الآخرة ، فهكذا يكون بعض العلماء الأكياس فينضم إليه الخوف والتواضع . وأما المغرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه أكثر مما يرجوه لغيره مع جهله بالعاقبة ، وذلك غاية الغرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله أو اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الأمر . السبب السابع : التكبر بالورع والعبادة وذلك أيضا فتنة عظيمة على العباد وسبيله أن يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو أن يعلم أن من يتقدم عليه بالعلم لاينبغى أن يتكبر عليه كيفما كان لما عرفه من فضيلة العلم ، وقد قال تعالى ـ هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون ـ . وقال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى[1] » إلى غير ذلك مما ورد فى فضل العلم ، فان قال العابد : ذلك لعالم عامل بعلمه وهذا عالم فاجر ، فيقال له : أما عرفت أن الحسنات يذهبن السيئات ، وكما أن العلم يمكن أن يكون حجة على العالم فكذلك يمكن أن يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن ، وقد وردت الأخبار بما يشهد لذلك ، وإذا كان هذا الأمر غائبا عنه لم يجز له أن يحتقر عالما بل يجب عليه التواضع له . فان قلت : فان صح هذا فينبغى أن يكون للعالم أن يرى نفسه فوق العابد لقوله عليه السلام « فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى » . فاعلم أن ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة أمره وخاتمة الأمر مشكوك فيها فيحتمل أن يموت بحيث يكون حاله عند الله أشد من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان يحسبه هينا وهو عند الله عظيم وقد مقته به ، وإذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا فاذا كان كل واحد من العابد والعالم خائفا على نفسه وقد كلف أمر نفسه لاأمر غيره فينبغى أن يكون الغالب عليه فى حق نفسه الخوف وفى حق غيره الرجاء وذلك يمنعه من التكبر بكل حال فهذا

حتى النظر إليهم يعقب كدرا فى القلب يدركه من يرزق صفاء القلب فيكون أثر النظر إلى الخلق للبصيرة كالقذى فى العين للبصر وبالمواصلة بين العشاءين يرجى ذهاب ذلك الأثر . ومن ذلك ترك الحديث بعد العشاء الآخرة فان الحديث فى ذلك الوقت يذهب طراوة النور الحادث فى القلب من مواصلة العشاءين ويقيد عن قيام الليل سيما إذا كان عريا عن يقظة القلب ، ثم تجديد الوضوء بعد العشاء الآخرة أيضا

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى الترمذى من حديث أبى أمامة وتقدم فى العلم .

حال العابد مع العالم فأما مع غير العالم فهم منقسمون فى حقه إلى مستورين وإلى مكشوفين فينبغى أن لا يتكبر على المستور فلعله أقل منه ذنوبا وأكثر منه عبادة وأشد منه حبا لله . وأما المكشوف حاله إن لم يظهر لك من الذنوب إلا ماتزيد عليه ذنوبك فى طول عمرك فلا ينبغى أن تتكبر عليه ولا يمكن أن تقول هو أكثر منى ذنبا لأن عدد ذنوبك فى طول عمرك وذنوب غيرك فى طول العمر لاتقدر على إحصائها حتى تعلم الكثرة ، نعم يمكن أن تعلم أن ذنوبه أشد كما لو رأيت منه القتل والشرب والزنا ومع ذلك فلا ينبغى أن تتكبر عليه إذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والغل واعتقاد الباطل والوسوسة فى صفات الله تعالى وتخيل الخطأ فى ذلك كل ذلك شديد عند الله فربما جرى عليك فى باطنك من خفايا الذنوب ماصرت به عند الله ممقوتا وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله وإخلاص وخوف وتعظيم ماأنت خال عنه وقد كفر الله بذلك عنه سيئاته فينكشف الغطاء يوم القيامة فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا ممكن والإمكان البعيد فيما عليك ينبغى أن يكون قريبا عندك إن كنت مشفقا على نفسك فلا تتفكر فيما هو ممكن لغيرك بل فيما هو مخوف فى حقك فانه لاتزر وازرة وزر أخرى وعذاب غيرك لايخفف شيئا من عذابك فاذا تفكرت فى هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن أن ترى نفسك فوق غيرك ، وقد قال وهب بن منبه ماتم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعد تسعة حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره أن يرى الناس كلهم خيرا منه وإنما الناس عنده فرقتان : فرقة هى أفضل منه وأرفع وفرقة هى شر منه وأدنى فهو يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه إن رأى من هو خير منه سره ذلك وتمنى أن يلحق به وإن رأى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو وأهلك أنا فلا تراه إلا خائفا من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا أدرى لعل فيه خلقا كريما بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عليه ويختم له بأحسن الأعمال وبرى ظاهر فذلك شر لى فلا يأمن فيما أظهره من الطاعة أن يكون دخلها الآفات فأحبطتها ثم قال فحينئذ كمل عقله وساد أهل زمانه فهذا كلامه . وبالجملة فمن جوز أن يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء فى الأزل بشقوته فما له سبيل إلى أن يتكبر بحال من الأحوال ، نعم إذا غلب عليه الخوف رأى كل أحد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة كما روى أن عابدا آوى إلى جبل فقيل له فى النوم ائت فلانا الاسكاف فسله أن يدعو لك فأتاه فسأله عن عمله فأخبره أنه يصوم النهار ويكتسب فيتصدق ببعضه ويطعم عياله ببعضه فرجع وهو يقول إن هذا لحسن ولكن ليس هذا كالتفرغ لطاعة الله فأتى فى النوم ثانيا فقيل له ائت فلانا الاسكاف فقل له ماهذا الصفار الذى بوجهك فأتاه فسأله فقال له مارأيت أحدا من الناس إلا وقع لى أنه سينجو وأهلك أنا فقال العابد بهذه والذى يدل على فضيلة هذه الخصلة قوله تعالى ـ يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ـ أى أنهم يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال تعالى ـ إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون ـ وقال تعالى ـ إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين ـ وقد وصف الله تعالى الملائكة عليهم السلام مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادات على الدءوب بالاشفاق فقال تعالى مخبرا عنهم ـ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ـ وهم من خشيته مشفقون ـ فمتى زال الاشفاق والحذر مما سبق به القضاء فى الأزل وينكشف عند خاتمة الأجل غلب الأمن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الأمن والأمن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد ، فاذن مايفسده العابد بإضمار الكبر واحتقار الخلق والنظر إليهم بعين الاستصغار أكثر مما يصلحه بظاهر الأعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب

معين على قيام الليل . حكى لى بعض الفقراء عن شيخ له بخراسان أنه كان يغتسل فى الليل ثلاث مرات مرة بعد العشاء الآخرة ومرة فى أثناء الليل بعد الانتباه من النوم ومرة قبل الصبح فللوضوء والغسل بعد العشاء الآخرة أثر ظاهر فى تيسير قيام الليل ومن ذلك التعود على الذكر أو القيام بالصلاة حتى يغلب النوم فان التعود على ذلك يعين على سرعة الانتباه إلا أن يكون واثقا من نفسه وعادته فيتعمل للنوم

لاغير إلاأن النفس بعد هذه المعرفة قد تضمر التواضع وتدعى البراءة من الكبر وهى كاذبة فاذا وقعت الواقعة عادت إلى طبعها ونسيت وعدها فمن هذا لاينبغى أن يكتفى فى المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغى أن تكمل بالعمل وتجرب بأفعال المتواضعين فى مواقع هيجان الكبر من النفس ، وبيانه أن يمتحن النفس بخمس امتحانات هى أدلة على استخراج مافى الباطن وإن كانت الامتحانات كثيرة: الامتحان الأول أن يناظر فى مسألة مع واحد من أقرانه فان ظهر شئ من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقيادله والاعتراف به والشكرله على تنبيهه وتعريفه وإخراجه الحق فذلك يدل على أن فيه كبرا دفينا فليتق الله فيه ويشتغل بعلاجه ، أمامن حيث العلم فبأن يذكر نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته وأن الكبر لايليق إلابالله تعالى وأما العمل فبأن يكلف نفسه ماثقل عليه من الاعتراف بالحق وأن يطاق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ماأحسن مافطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما نبهتنى له فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغى أن يشكر من دله عليها فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعا وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على أقرانه بما فيهم ففيه كبر فان كان ذلك لايثقل عليه فى الخلوة ويثقل عليه فى الملأ فليس فيه كبر وإنما فيه رياء فليعالج الرياء بماذكرناه من قطع الطمع عن الناس ويذكر القلب بأن منفعته فى كماله فى ذاته وعندالله لاعند الخلق إلى غير ذلك من أدوية الرياء وإن ثقل عليه فى الخلوة والملأ جميعا ففيه الكبر والرياء جميعا ولاينفعه الخلاص من أحدهما مالم يتخلص من الثانى فليعالج كلا الداءين فانهما جميعا مهلكان . الامتحان الثانى أن يجتمع مع الأقران والأمثال فى المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشى خلفهم ويجلس فى الصدور تحتهم فان ثقل عليه ذلك فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزايله الكبر وههنا للشيطان مكيدة وهو أن يجلس فى صف النعال أو يجعل بينه وبين الأقران بعض الأرذال فيظن أن ذلك تواضع وهو عين الكبر فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين إذ يوهمون أنهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع أيضا بل ينبغى أن يقدم أقرانه ويجلس بينهم بجنبهم ولاينحط عنهم إلى صف النعال فذلك هو الذى يخرج خبث الكبر من الباطن . الامتحان الثالث أن يجيب دعوة الفقير ويمر إلى السوق فى حاجة الرفقاء والأقارب فان ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه الأفعال من مكارم الأخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس عنها ليس إلا لخبث فى الباطن فليشتغل بازالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ماذكرناه من المعارف التى تزيل داء الكبر . الامتحان الرابع أن يحمل حاجة نفسه وحاجة أهله ورفقائه من السوق إلى البيت فان أبت نفسه ذلك فهو كبر أو رياء فان كان يثقل ذلك عليه مع خلو الطريق فهو كبر وإن كان لايثقل عليه إلا مع مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من أمراض القلب وعلله المهلكة له إن لم تتدارك وقد أهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الأجساد مع أن الأجساد قد كتب عليها الموت لامحالة والقلوب لاتدرك السعادة إلا بسلامتها إذ قال تعالى ـ إلا من أتى الله بقلب سليم ـ ويروى عن عبدالله بن سلام أنه حمل حزمة حطب فقيل له ياأبا يوسف قد كان فى غلمانك وبنتك مايكفيك قال أجل ولكن أردت أن أجرب نفسى هل تنكر ذلك فلم يقنع منها بما أعطته من العزم على ترك الأنفة حتى جربها أهى صادقة أم كاذبة وفى الخبر «من حمل الفاكهة أو الشئ فقد برئ من الكبر[1]» . الامتحان الخامس أن يلبس ثيابا بذلة فان نفور النفس عن ذلك فى الملأ رياء وفى الخلوة كبر . وكان عمر بن عبدالعزيز رضى الله

ويستجلبه ليقوم فى وقته المعهود وإلا فالنوم عن الغلبة هو الذى يصلح للمريدين والطالبين وبهذا وصف المحبون قيل نومهم نوم الغرقى وأكلهم أكل المرضى وكلامهم ضرورة فمن نام عن غلبة بهم مجتمع متعلق بقيام الليل يوفق لقيام الليل وإنما النفس إذا أطمعت ووطنت على النوم استرسلت فيه وإذا أزعجت بصدق العزيمة لاتسترسل فى الاستقرار وهذا الانزعاج فى النفس بصدق العزيمة

(١) حديث من حمل الشئ والفاكهة فقد برئ من الكبر البيهقى فى الشعب من حديث أبى أمامة وضعفه بلفظ من حمل بضاعته .

عنه له مسح يلبسه بالليل وقد قال صلى الله عليه وسلم «من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر [1]». وقال عليه الصلاة والسلام «إنما أنا عبد آكل بالأرض وألبس الصوف وأعتقل البعير وألعق أصابعى وأجيب دعوة المملوك، فمن رغب عن سنتى فليس منى [2]». وروى أن أبا موسى الأشعرى قيل له إن أقواما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة فصلى فيها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فما يختص بالملأ فهو الرياء، ومايكون فى الخلوة فهو الكبر، فاعرف فان من لايعرف الشر لايتقيه، ومن لايدرك المرض لايداويه.

(بيان غاية الرياضة فى خلق التواضع)

اعلم أن هذا الخلق كسائر الأخلاق له طرفان وواسطة: فطرفه الذى يميل إلى الزيادة يسمى تكبرا وطرفه الذى يميل إلى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة، والوسط يسمى تواضعا. والمحمود أن يتواضع فى غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفى الأمور ذميم. وأحب الأمور إلى الله تعالى أوساطها فمن يتقدم على أمثاله فهو متكبر ومن يتأخر عنهم فهو متواضع أى وضع شيئا من قدره الذى يستحقه والعالم إذا دخل عليه إسكاف فتنحى له عن مجلسه وأجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله وغدا إلى باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل، وهذا أيضا غير محمود بل المحمود عند الله العدل، وهو أن يعطى كل ذى حق حقه فينبغى أن يتواضع بمثل هذا لأقرانه ومن يقرب من درجته فأما تواضعه للسوقى فبالقيام والبشر فى الكلام والرفق فى السؤال وإجابة دعوته والسعى فى حاجته وأمثال ذلك وأن لايرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه أخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لايعرف خاتمة أمره، فاذن سبيله فى اكتساب التواضع أن يتواضع للأقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود فى محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وإن كان يثقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكلف لامتواضع بل الخلق مايصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فان خف ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى أحب التملق والتخاسس فقد خرج إلى طرف النقصان، فليرفع نفسه إذ ليس للمؤمن أن تذل نفسه إلى أن يعود إلى الوسط الذى هو الصراط المستقيم وذلك غامض فى هذا الخلق وفى سائر الأخلاق والميل عن الوسط إلى طرف النقصان وهو التملق أهون من الميل إلى طرف الزيادة بالتكبر كما أن الميل إلى طرف التبذير فى المال أحمد عند الناس من الميل إلى طرف البخل، فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان وأحدهما أفحش، وكذلك نهاية التكبر ونهاية التنقص والتذلل مذمومان وأحدهما أقبح من الآخرة، والمحمود المطلق هو العدل ووضع الأمور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب كما يعرف ذلك بالشرع والعادة، ولنقتصر على هذا القدر من بيان أخلاق الكبر والتواضع.

الشطر الثانى: من الكتاب فى العجب وفيه بيان ذم العجب وآفاته وبيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما وبيان علاج العجب على الجملة وبيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه.

(بيان ذم العجب وآفاته)

اعلم أن العجب مذموم فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى ـ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ـ ذكر ذلك فى معرض الإنكار وقال عز وجل ـ وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ـ فرد على الكفار فى إعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى ـ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ـ وهذا أيضا يرجع إلى العجب بالعمل. وقد

هو التجافى الذى قال الله تعالى ـ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ـ لأن الهمم بقيام الليل وصدق العزيمة يجعل بين الجنب والمضجع نبوا وتجافيا وقد قيل للنفس نظران: نظر إلى تحت لاستيفاء الأقسام البدنية ونظر إلى فوق لاستيفاء الأقسام العلوية الروحانية. فأرباب العزيمة تجافت جنوبهم عن المضاجع لنظرهم إلى فوق إلى الأقسام العلوية الرحمانية فأعطوا النفوس حقها من النوم ومنعوها حظها فالنفس

(١) حديث من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر البيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بزيادة فيه وفى إسناده القاسم اليعمرى ضعيف جدا.

(٢) إنما أنا عبد آكل بالأرض وألبس الصوف الحديث تقدم بعضه ولم أجد بقيته.

يعجب الانسان بعمل هو مخطىء فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه . وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه (١) » وقال لأبى ثعلبة حيث ذكر آخر هذه الأمة ، فقال « إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك نفسك (٢) » . وقال ابن مسعود : الهلاك فى اثنتين القنوط والعجب وإنما جمع بينهما لأن السعادة لاتنال إلا بالسعى والطلب والجد والتشمر والقانط لايسعى ولا يطلب والمعجب يعتقد أنه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسعى فالموجود لايطلب والمحال لايطلب والسعادة موجودة فى اعتقاد المعجب حاصلة له ومستحيلة فى اعتقاد القانط فمن ههنا جمع بينهما . وقد قال تعالى ـ فلا تزكوا أنفسكم ـ قال ابن جريج معناه إذا عملت خيرا فلا تقل عملت . وقال زيد بن أسلم لاتبروها أى لاتعتقدوا أنها بارة وهو معنى العجب ووقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بنفسه فأكب عليه حتى أصيبت كفه فكأنه أعجبه فعله العظيم إذ فداه بروحه حتى جرح فتفرس ذلك عمر فيه فقال مازال يعرف فى طلحة نأو منذ أصيبت أصبعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) والنأو هو العجب فى اللغة إلا أنه لم ينقل فيه أنه أظهره واحتقر مسلما ولما كان وقت الشورى قال له ابن عباس أين أنت من طلحة قال ذلك رجل فيه نخوة ، فاذا كان لايتخلص من العجب أمثالهم فكيف يتخلص الضعفاء إن لم يأخذوا حذرهم . وقال مطرف لأن أبيت نائما وأصبح نادما أحب إلى من أن أبيت قائما وأصبح معجبا . وقال صلى الله عليه وسلم « لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ماهو أكبر من ذلك العجب العجب (٤) » فجعل العجب أكبر الذنوب . وكان بشر بن منصور من الذين إذ رؤوا ذكر الله تعالى والدار الآخرة لمواظبته على العبادة فأطال الصلاة يوما ورجل خلفه ينظر ففطن له بشر ، فلما انصرف عن الصلاة قال له لا يعجبنك مارأيت منى فان إبليس لعنه الله قد عبد الله تعالى مع الملائكة مدة طويلة ثم صار إلى ماصار إليه . وقيل لعائشة رضى الله عنها متى يكون الرجل مسيئا قالت إذا ظن أنه محسن وقد قال تعالى ـ لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ـ والمن نتيجة استعظام الصدقة واستعظام العمل هو العجب ، فظهر بهذا أن العجب مذموم جدا .

(بيان آفة العجب)

اعلم أن آفات العجب كثيرة فان العجب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه كما ذكرناه فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التى لا تخفى هذا مع العباد . وأما مع الله تعالى فالعجب يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها فبعض ذنوبه لايذكرها ولا يتفقدها لظنه أنه مستغن عن تفقدها فينساها وما يتذكره منها فيستصغره ولا يستعظمه فلا يجتهد فى تداركه وتلافيه بل يظن أنه يغفر له . وأما العبادات والأعمال فانه يستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم إذا أعجب بها عمى عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سعيه ضائعا فان الأعمال الظاهرة إذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب قلما تنفع وإنما يتفقد من يغلب عليه الإشفاق والخوف

بما فيها مركوز من الترابية والجمادية ترسب وتستحلس وتستلذ النوم . قال الله تعالى ـ هو الذى خلقكم من تراب ـ وللآدمى بكل أصل من أصول خلقته طبيعة لازمة له . والرسوب صفة التراب والكسل والتقاعد والتناوم بسبب ذلك طبيعة فى الانسان ، فأرباب الهمة أهل العلم الذين حكم الله تعالى لهم بالعلم فى قوله تعالى ـ أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ـ حتى قال ـ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون ـ حكم لهؤلاء الذين قاموا بالليل بالعلم

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث أبى ثعلبة إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه وقد تقدم (٣) حديث وقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وأكب عليه حتى أصيبت كفه البخارى من رواية قيس ابن أبى حازم قال رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبى صلى الله عليه وسلم (٤) حديث لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ماهو أكبر من ذلك العجب العجب البزار وابن حبان فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من حديث أنس وفيه سلام بن أبى الصهباء قال البخارى منكر الحديث . وقال أحمد حسن الحديث ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى سعيد بسند ضعيف جدا .

دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وبرأيه ويأمن مكر الله وعذابه ويظن أنه عند الله بمكان وأن له عند الله منة وحقا بأعماله التى هى نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب إلى أن يثنى على نفسه ويحمدها ويزكيها وإن أعجب برأيه وعمله وعقله منع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورأيه ويستنكف من سؤال من هو أعلم منه وربما يعجب بالرأى الخطأ الذى خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخواطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر إلى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطئه فان كان رأيه فى أمر دنيوى فيحقق فيه وإن كان فى أمر دينى لاسيما فيما يتعلق بأصول العقائد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال أهل البصيرة لكان ذلك يوصله إلى الحق، فهذا وأمثاله من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات ومن أعظم آفاته أن يفترفى السعى لظنه أنه قد فاز وأنه قد استغنى وهو الهلاك الصريح الذى لاشبهة فيه . نسأل الله تعالى العظيم حسن التوفيق لطاعته.

(بيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما)

اعلم أن العجب إنما يكون بوصف هو كمال لاحالة وللعالم بكمال نفسه فى علم وعمل ومال وغيره حالتان: إحداهما أن يكون خائفا على زواله ومشفقا على تكدره أو سلبه من أصله فهذا ليس بمعجب والأخرى أن لايكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث إنه نعمة من الله تعالى عليه لامن حيث إضافته إلى نفسه وهذا أيضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة هى العجب وهى أن يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا إليه ويكون فرحه به من حيث إنه كمال ونعمة وخير ورفعة لامن حيث إنه عطية من الله تعالى ونعمة منه فيكون فرحه به من حيث إنه صفته ومنسوب إليه بأنه له لامن حيث إنه منسوب إلى الله تعالى بأنه منه فمهما غلب على قلبه أنه نعمة من الله مهما شاء سلبها عنه زال العجب بذلك عن نفسه فاذن العجب هو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم فان انضاف إلى ذلك أن غلب على نفسه أن له عند الله حقا وأنه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة فى الدنيا واستبعد أن يجرى عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده مايجرى على الفساق سمى هذا إدلالا بالعمل فكأنه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطى غيره شيئا فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبا فان استخدمه أو اقترح عليه الاقتراحات أو استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه وقال قتادة فى قوله تعالى ـ ولا تمنن تستكثر ـ أى لاتدل بعملك وفى الخبر « إن صلاة المدل لاترفع فوق رأسه ولأن تضحك وأنت معترف بذنبك خير من أن تبكى وأنت مدل بعملك (١) » والادلال وراء العجب فلا مدل وهو معجب ورب معجب لايدل إذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والادلال لايتم إلا مع توقع جزاء فان توقع إجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب منه كان مدلا بعمله لأنه لايتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والادلال وهو من مقدمات الكبر وأسبابه ، والله تعالى أعلم.

(بيان علاج العجب على الجملة)

اعلم أن علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق وإصلاحهم فان العجب بهذا أغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول : الورع التقوى والعبادة والعمل الذى به يعجب إنما يعجب به من حيث إنه فيه

فهم لموضع علمهم أزعجوا النفوس عن مقار طبيعتها ورقوها بالنظر إلى اللذات الروحانية إلى ذرا حقيقتها فتجافت جنوبهم عن المضاجع وخرجوا من صفة الغافل الهاجع . ومن ذلك أن يغير العادة فان كان ذا وسادة يترك الوسادة وإن كان ذا وطاء يترك الوطاء وقد كان بعضهم يقول لأن أرى فى بيتى شيطانا أحب إلى من أن أرى وسادة فانها تدعونى إلى النوم ولتغيير العادة فى الوسادة والغطاء

(١) حديث إن صلاة المدل لاترفع فوق رأسه الحديث لم أجد له أصلا .

فهو محله ومجراه أومن حيث إنه منه وبسببه وبقدرته وقوته فإن كان يعجب به من حيث إنه فيه وهو محله ومجراه يجرى فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لأن المحل مسخر ومجرى لامدخل له فى الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس إليه وإن كان يعجب به من حيث إنه هو منه وإليه وباختياره حصل وبقدرته تم فينبغى أن يتأمل فى قدرته وإرادته وأعضائه وسائر الأسباب التى بها يتم عمله أنها من أين كانت له فان كان جميع ذلك نعمة من الله عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلى بها فينبغى أن يكون إعجابه بجود الله وكرمه وفضله إذ أفاض عليه مالا يستحق وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فهما برز الملك لغلمانه ونظر إليهم وخلع من جملتهم على واحد منهم لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا لجمال ولا لخدمة فينبغى أن يتعجب للنعم عليه من فضل الملك وحكمه وإيثاره من غير استحقاق وإعجابه بنفسه من أين وما سببه ولا ينبغى أن يعجب هو بنفسه ، نعم يجوز أن يعجب العبد فيقول للملك حكم عدل لايظلم ولا يقدم ولا يؤخر إلا لسبب فلولا أنه تفطن فى صفة من الصفات المحمودة الباطنة لما اقتضى الايثار بالخلعة ولما آثرنى بها فيقال وتلك الصفة أيضا هى من خلعة الملك وعطيته التى خصصك بها من غيرك من غير وسيلة أو هى عطية غيره فان كانت من عطية الملك أيضا لم يكن لك أن تعجب بها بل كان كما لو أعطاك فرسا فلم تعجب به فأعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول إنما أعطانى غلاما لأنى صاحب فرس فأما غيرى فلا فرس له فيقال وهو الذى أعطاك الفرس فلا فرق بين أن يعطيك الفرس والغلام معا أو يعطيك أحدهما بعد الآخر فاذا كان الكل منه فينبغى أن يعجبك جوده وفضله لا نفسك وأما إن كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد أن تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور فى حق الملوك ولا يتصور فى حق الجبار القاهر ملك الملوك المنفرد باختراع الجميع المنفرد بإيجاد الموصوف والصفة فانك إن أعجبت بعبادتك وقلت وفقنى للعبادة لحبى له فيقال ومن خلق الحب فى قلبك فتقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتدأك بهما من غير استحقاق من جهتك إذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب بجوده إذ أنعم بوجودك ووجود صفاتك وبوجود أعمالك وأسباب أعمالك فاذا لامعنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغنى بغناه لأن كل ذلك من فضل الله وإنما هو محل لفيضان فضل الله تعالى وجوده والمحل أيضا من فضله وجوده . فان قلت: لا يمكننى أن أجهل أعمالى وأنى أنا عملتها فانى أنتظر عليها ثوابا ولولا أنها عملى لما انتظرت ثوابا فان كانت الأعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن أين لى الثواب وإن كانت الأعمال منى وبقدرتى فكيف لا أعجب بها . فاعلم أن جوابك من وجهين : أحدهما هو صريح الحق والآخر فيه مسامحة. أما صريح الحق فهو أنك وقدرتك وإرادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه فما عملت إذ عملت وماصليت إذ صليت ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى فهذا هو الحق الذى انكشف لأرباب القلوب بمشاهدة أوضح من إبصار العين بل خلقك وخلق أعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الإرادة ولو أردت أن تنفى شيئا من هذا عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات فى أعضائك مستبدا باختراعها من غير مشاركة من جهتك معه فى الاختراع إلا أنه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة مالم يخلق فى العضو قوة وفى القلب إرادة ولم يخلق إرادة مالم يخلق علما بالمراد ولم يخلق علما مالم يخلق القلب الذى هو محل العلم فتدريجه فى الخلق شيئا بعد شىء هو الذى خيل لك أنك أوجدت عملك وقد غلطت ، وإيضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله سيأتى تقريره فى كتاب الشكر فانه أليق به فارجع إليه ، ونحن الآن نزيل إشكالك بالجواب الثانى الذى فيه مسامحة ما وهو أن تحسب أن العمل حصل بقدرتك فمن أين قدرتك ولا يتصور العمل إلا بوجودك

والوطاء تأثير فى ذلك ومن ترك شيئا من ذلك والله عالم بنيته وعزيمته يثيبه على ذلك بتيسير مارام ومن ذلك خفة المعدة من الطعام ثم تناول ما يأكل من الطعام إذا اقترن بذكر الله ويقظة الباطن أعان على قيام الليل لأن بالذكر يذهب داؤه فان وجد للطعام ثقلا على المعدة ينبغى أن يعلم أن ثقله على القلب أكثر فلا ينام حتى يذيب الطعام بالذكر والتلاوة والاستغفار قال بعضهم لأن أنقص من عشائى لقمة أحب إلىّ من

ووجود عملك وإرادتك وقدرتك وسائر أسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك فان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه وهذا المفتاح بيد الله ومهما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل فالعبادات خزائن بها يتوصل إلى السعادات ومفاتيحها القدرة والإرادة والعلم وهى بيد الله لا محالة أرأيت لو رأيت خزائن الدنيا مجموعة فى قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن ولو جلست على بابها وحول حيطانها ألف سنة لم يمكنك أن تنظر إلى دينار مما فيها ولو أعطاك المفتاح لأخذته من قريب بأن تبسط يدك إليه فتأخذه فقط فاذا أعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها ومكنك منها فمددت يدك وأخذتها كان إعجابك باعطاء الخازن المفاتيح أو بما إليك من مد اليد وأخذها فلا تشك فى أنك ترى ذلك نعمة من الخازن لأن المؤنة فى تحريك اليد بأخذ المال قريبة وإنما الشأن كله فى تسليم المفاتيح فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الإرادة الجازمة وحركت الدواعى والبواعث وصرف عنك الموانع والصوارف حتى لم يبق صارف إلا دفع ولا باعث إلا وكل بك فالعمل هين عليك وتحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الأسباب كلها من الله ليس شىء منها إليك فمن العجائب أن تعجب بنفسك ولا تعجب بمن إليه الأمر كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه فى إيثاره إياك على الفساق من عباده إذ سلط دواعى الفساد على الفساق وصرفها عنك وسلط أخدان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من أسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة من الفاسق العاصى بل آثرك وقدمك واصطفاك بفضله وأبعد العاصى وأشقاه بعدله فما أعجب إعجابك بنفسك إذا عرفت ذلك فاذن لا تنصرف قدرتك إلى المقدور إلا بتسليط الله عليك داعية لا تجد سبيلا إلى مخالفتها فكأنه الذى اضطرك إلى الفعل إن كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والمنة لا لك وسيأتى فى كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الأسباب والمسببات ما تستبين به أنه لا فاعل إلا الله ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب إذا رزقه الله عقلا وأفقره ممن أفاض عليه المال من غير علم فيقول كيف منعنى قوت يومى وأنا العاقل الفاضل وأفاض على هذا نعيم الدنيا وهو الغافل الجاهل حتى يكاد يرى هذا ظلما ولا يدرى المغرور أنه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم أشبه فى ظاهر الحال إذ يقول الجاهل الفقير يارب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتنى منهما فهلا جمعتهما لى أو هلا رزقتنى أحدهما وإلى هذا أشار على رضى الله عنه حيث قيل له ما بال العقلاء فقراء فقال إن عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب أن العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغنى أحسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضا عن عقلك وفقرك لامتنع عنه فاذن ذلك يدل على أن نعمة الله عليه أكبر فلم يتعجب من ذلك والمرأة الحسناء الفقيرة ترى الحلى والجواهر على الدميمة القبيحة فتتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخصص مثل ذلك القبح ولا تدرى المغرورة أن الجمال محسوب عليها من رزقها وأنها لو خيرت بين الجمال وبين القبح مع الغنى لآثرت الجمال فاذن نعمة الله عليها أكبر وقول الحكيم الفقير العاقل بقلبه يارب لم حرمتنى الدنيا وأعطيتها الجهال كقول من أعطاه الملك فرسا فيقول أيها الملك لم لا تعطينى الغلام وأنا صاحب فرس فيقول كنت لا تتعجب من هذا لو لم أعطك الفرس فهب أنى ما أعطيتك فرسا أصارت نعمتى عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة أخرى ؟ فهذه أو هام لا تخلو الجهال عنها ومنشأ جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم المحقق بأن العبد وعمله وأوصافه كل ذلك من عند الله تعالى نعمة ابتدأه بها قبل الاستحقاق وهذا ينفى العجب والإدلال ويورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور أن يعجب

أن أقوم ليلة والأحوط أن يوتر قبل النوم فانه لا يدرى ماذا يحدث ويعد طهوره وسواكه عنده ولا يدخل النوم إلا وهو على الطهارة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا نام العبد وهو على الطهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة وإن لم ينم على الطهارة قصرت روحه عن البلوغ فتكون المنامات أضغاث أحلام لا تصدق » والمريد للتأهل إذا نام فى الفراش مع الزوجة ينتقض وضوءه باللمس ولا يفوته بذلك فائدة

بعلمه وعمله إذ يعلم أنّ ذلك من الله تعالى ولذلك قال داود عليه السلام يارب ما تأتى ليلة إلا وإنسان من آل داود قائم ولا يأتى يوم إلا وإنسان من آل داود صائم . وفى رواية ماتمرّ ساعة من ليل أو نهار إلا وعابد من آل داود يعبدك إما يصلى وإما يصوم وإما يذكرك فأوحى الله تعالى إليه يا داود ومن أين لهم ذلك إنّ ذلك لم يكن إلا بى ولولا عونى إياك ماقويت وسأكلك إلى نفسك . قال ابن عباس : إنما أصاب داود ماأصاب من الذنب بعجبه بعمله إذ أضافه إلى آل داود مدلا به حتى وكل إلى نفسه فأذنب ذنبا أورثه الحزن والندم . وقال داود : يارب إنّ بنى إسرائيل يسألونك بابراهيم وإسحق ويعقوب فقال إنى ابتليتهم فصبروا فقال يارب وأنا إن ابتليتنى صبرت فأذل بالعمل قبل وقته فقال الله تعالى فانى لم أخبرهم بأىّ شىء أبتليهم ولا فى أىّ شهر ولا فى أىّ يوم وأنا مخبرك فى سنتك هذه وشهرك هذا أبتليك غدا بامرأة فاحذر نفسك فوقع فيما وقع فيه وكذلك لما اتكل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوّتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله تعالى عليهم وقالوا لا نغلب اليوم من قلة(١) وكلوا إلى أنفسهم فقال تعالى ـ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ـ . روى ابن عيينة أن أيوب عليه السلام قال إلهى إنك ابتليتنى بهذا البلاء وماورد على أمر إلا آثرت هواك على هواى فنودى من غمامة بعشرة آلاف صوت يا أيوب أنى لك ذلك أى من أين لك ذلك ؟ قال فأخذ رمادا ووضعه على رأسه وقال منك يارب منك يارب فرجع من نسيانه إلى إضافة ذلك إلى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى ـ ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكا منكم من أحد أبدا ـ وقال النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهم خير الناس «مامنكم من أحد ينجيه عمله قالوا ولا أنت يارسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته (٢)» ولقد كان أصحابه من بعده يتمنون أن يكونوا ترابا وتبنا وطيرا مع صفاء أعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لذى بصيرة أن يعجب بعمله أو يدل به ولا يخاف على نفسه فاذن هذا هو العلاج القامع لمادّة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب بها بل هو ينظر إلى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الإيمان والطاعة بغير ذنب أذنبوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول إنّ من لا يبالى أن يحرم من غير جناية ويعطى من غير وسيلة لا يبالى أن يعود ويسترجع ماوهب فكم من مؤمن قد ارتدّ ومطيع قد فسق وختم له بسوء وهذا لا يبقى معه عجب بحال ، والله تعالى أعلم.

(بيان أقسام مابه العجب وتفصيل علاجه)

اعلم أنّ العجب بالأسباب التى بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالرأى الخطأ الذى يزين له بجهله فمابه العجب ثمانية أقسام : الأوّل أن يعجب ببدنه فى جماله وهيئته وصحته وقوّته وتناسب أشكاله وحسن صورته وحسن صوته وبالجملة تفصيل خلقته فيلتفت إلى جمال نفسه وينسى أنه نعمة من الله تعالى وهو بعرضة الزوال فى كل حال وعلاجه ماذكرناه فى الكبر بالجمال وهو التفكر فى أقذار باطنه وفى أوّل أمره وفى آخره وفى الوجوه الجميلة والأبدان الناعمة أنها كيف تمزقت فى التراب وأنتنت فى القبور حتى استقذرتها الطباع . الثانى : البطش والقوّة كما حكى عن قوم عاد

النوم على الطهارة مالم يسترسل فى التذاذ النفس باللمس ولا يعدم يقظة القلب فأما إذا استرسل فى الالتذاذ وغفل فتنحجب الروح أيضا لمكان صلافته ومن الطهارة التى تثمر صدق الرؤيا طهارة الباطن عن خدش الهوى وكدورة محبة الدنيا والتنزه عن أنجاس الغل والحقد والحسد وقد ورد «من أوى إلى فراشه لا ينوى ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجترم» وإذا طهرت النفس عن الرذائل انجلت مرآة القلب وقابل

(١) حديث قولهم يوم حنين لا نغلب اليوم من قلة البيهقى فى دلائل النبوّة من رواية الربيع بن أنس مرسلا أن رجلا قال يوم حنين لن تغلب اليوم من قلة فشقّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عزوجل ـ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ـ ولابن مردويه فى تفسيره من حديث أنس لما التقوا يوم حنين أعجبتهم كثرتهم فقالوا اليوم نقاتل فقروا ، فيه الفرج بن فضالة ضعفه الجمهور

(٢) حديث مامنكم من أحد ينجيه عمله الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة .

حين قالوا فيما أخبر الله عنهم ـ من أشد منا قوة ـ وكما اتكل عوج على قوته وأعجب بها فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فثقب الله تعالى تلك القطعة من الجبل بنقر هدهد ضعيف المنقار حتى صارت فى عنقه وقد يتكل المؤمن أيضا على قوته كما روى عن سليمان عليه السلام أنه قال: لأطوفن الليلة على مائة امرأة ولم يقل إن شاء الله تعالى فحرم ماأراد من الولد[1] وكذلك قول داود عليه السلام إن ابتليتنى صبرت وكان إعجابا منه بالقوة فلما ابتلى بالمرأة لم يصبر ويورث العجب بالقوة الهجوم فى الحروب وإلقاء النفس فى التهلكة والمبادرة إلى الضرب والقتل لكل من قصده بالسوء وعلاجه ماذكرناه وهو أن يعلم أن حمى يوم تضعف قوته وأنه إذا أعجب بها ربما سلبها الله تعالى بأدنى آفة يسلطها عليه . الثالث : العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الأمور من مصالح الدين والدنيا وثمرته الاستبداد بالرأى وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له ولرأيه ويخرج إلى قلة الإصغاء إلى أهل العلم إعراضا عنهم بالاستغناء بالرأى والعقل واستحقارا لهم وإهانة وعلاجه أن يشكر الله تعالى على مارزق من العقل ويتفكر أنه بأدنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك منه فلايأمن أن يسلب عقله إن أعجب به ولم يقل بشكره وليستقصر عقله وعلمه وليعلم أنه ماأوتى من العلم إلاقليلا وإن اتسع علمه وأن ماجهله مما عرفه الناس أكثر مما عرفه فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى وأن يتهم عقله وينظر إلى الحمقى كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر أن يكون منهم وهو لايدرى فان القاصر العقل قط لايعلم قصور عقله فينبغى أن يعرف مقدار عقله من غيره لامن نفسه ومن أعدائه لامن أصدقائه فان من يداهنه يثنى عليه فيزيده عجبا وهو لايظن بنفسه إلاالخير ولايفطن لجهل نفسه فيزداد به عجبا . الرابع: العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم أنه ينجو بشرف نسبه ونجاة آبائه وأنه مغفور له ويتخيل بعضهم أن جميع الخلق له موال وعبيد وعلاجه أن يعلم أنه مهما خالف آباءه فى أفعالهم وأخلاقهم وظن أنه ملحق بهم فقد جهل وإن اقتدى بآبائه فما كان من أخلاقهم العجب بل الخوف والإزراء على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لابالنسب فليتشرف بما شرفوا به وقد ساواهم فى النسب وشاركهم فى القبائل من لم يؤمن بالله واليوم الآخر وكانوا عند الله شرا من الكلاب وأخس من الخنازير ولذلك قال تعالى ـ ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ـ أى لاتفاوت فى أنسابكم لاجتماعكم فى أصل واحد ثم ذكر فائدة النسب فقال ـ وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ـ ثم بين أن الشرف بالتقوى لابالنسب فقال ـ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ـ «ولما قيل لرسول الله ﷺ من أكرم الناس من أكيس الناس لم يقل من ينتمى إلى نسبى ولكن قال أكرمهم أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم له استعدادا[2]» وإنما نزلت هذه الآية حين أذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن أسيد هذا العبد الأسود يؤذن فقال تعالى ـ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ـ وقال النبى صلى الله عليه وسلم «إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية أى كبرها كلكم بنو آدم وآدم من تراب[3]»

اللوح المحفوظ فى النوم وانتقشت فيه عجائب الغيب وغرائب الأنباء ففى الصديقين من يكون فى منامه مكالمة ومحادثة فيأمره الله تعالى وينهاه ويفهمه فى المنام ويعرفه ويكون موضع مايفتح له فى نومه من الأمر والنهى كالأمر والنهى الظاهر يعصى الله تعالى إن أخل بهما بل تكون هذه الأوامر آكد وأعظم وقعا لأن المخالفات الظاهرة تمحوها التوبة والتائب من الذنب كمن لاذنب له وهذه أوامر خاصة تتعلق بحاله

(١) حديث قال سليمان لأطوفن الليلة بمائة امرأة الحديث البخارى من حديث أبى هريرة (٢) حديث لما قيل له من أكرم الناس من أكيس الناس قال أكثرهم للموت ذكرا الحديث ابن ماجه من حديث ابن عمر دون قوله وأكرم الناس وهو بهذه الزيادة عند ابن أبى الدنيا فى ذكر الموت آخر الكتاب (٣) حديث إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية الحديث أبو داود والترمذى وحسنه من حديث أبى هريرة ورواه الترمذى أيضا من حديث ابن عمر وقال غريب .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « يامعشر قريش لاتأتى الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يامحمد يامحمد فأقول هكذا أى أعرض عنكم (١) » فبين أنهم إن مالوا إلى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش « ولما نزل قوله تعالى ـ وأنذر عشيرتك الأقربين ـ ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يافاطمة بنت محمد ياصفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملا لأنفسكما فانى لاأغنى عنكما من الله شيئا (٢) » فمن عرف هذه الأمور وعلم أن شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آبائه التواضع اقتدى بهم فى التقوى والتواضع وإلا كان طاعنا فى نسب نفسه بلسان حاله مهما انتمى إليهم ولم يشبههم فى التواضع والتقوى والخوف والإشفاق . فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم بعد قوله لفاطمة وصفية « إنى لاأغنى عنكما من الله شيئا إلا أن لكم رحما سأبلها ببلالها (٣) » وقال عليه الصلاة والسلام « أترجو سليم شفاعتى ولا يرجوها بنو عبد المطلب (٤) » فذلك يدل على أنه سيخص قرابته بالشفاعة . فاعلم أن كل مسلم فهو منتظر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنسيب أيضا جدير بأن يرجوها لكن بشرط أن يتقى الله أن يغضب عليه فانه إن يغضب عليه فلا يأذن لأحد فى شفاعته لأن الذنوب منقسمة إلى مايوجب المقت فلا يؤذن فى الشفاعة له وإلى مايعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذى مكانة عند الملك لايقدر على الشفاعة فيما اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب مالا تنجى منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى ـ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ـ وبقوله ـ من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه ـ وبقوله ـ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ـ وبقوله ـ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ـ وإذا انقسمت الذنوب إلى مايشفع فيه وإلى مالا يشفع فيه وجب الخوف والإشفاق لامحالة ولو كان ذنب تقبل فيه الشفاعة لما أمر قريشا بالطاعة ولما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة رضى الله عنها عن المعصية ولكان يأذن لها فى اتباع الشهوات لتكمل لذاتها فى الدنيا ثم يشفع لها فى الآخرة لكمل لذاتها فى الآخرة فالانهماك فى الذنوب وترك التقوى اتكالا على رجاء الشفاعة يضاهى انهماك المريض فى شهواته اعتمادا على طبيب حاذق قريب مشفق من أب أو أخ أو غيره وذلك جهل لأن سعى الطبيب وهمته وحذقه تنفع فى إزالة بعض الأمراض لافى كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتمادا على مجرد الطب بل للطبيب أثر على الجملة ولكن فى الأمراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج فهكذا ينبغى أن تفهم عناية الشفعاء من الأنبياء والصلحاء للأقارب والأجانب فانه كذلك قطعا وذلك لايزيل الخوف والحذر وكيف يزيل وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقد كانوا يتمنون أن يكونوا بهائم من خوف الآخرة مع كمال تقواهم وحسن أعمالهم وصفاء قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بالجنة خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة عامة ولم يتكلوا عليه ولم يفارق الخوف والخشوع قلوبهم ،

فيما بينه وبين الله تعالى فاذا أخل بها يخشى أن ينقطع عليه طريق الإرادة ويكون فى ذلك الرجوع عن الله واستيجاب مقام المقت فان ابتلى العبد فى بعض الأحايين بكسل وفتور عزيمة يمنع من تجديد الطهارة عند النوم بعد الحدث يمسح أعضاءه بالماء مسحا حتى يخرج بهذا القدر عن زمرة الغافلين حيث تقاعد عن فعل المتيقظين وهكذا إذا كسل عن القيام عقيب الانتباه يجتهد أن يستاك ويمسح أعضاءه بالماء مسحا حتى يخرج فى

(١) حديث يامعشر قريش لايأتى الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم الحديث الطبرانى من حديث عمران بن حصين إلا أنه قال يامعشر بنى هاشم وسنده ضعيف (٢) حديث لما نزل قوله تعالى ـ وأنذر عشيرتك الأقربين ـ ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يافاطمة بنت محمد ياصفية بنت عبد المطلب الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة ورواه مسلم من حديث عائشة (٣) حديث قوله بعد قوله المتقدم لفاطمة وصفية ألا إن لكما رحما سأبلها ببلالها مسلم من حديث أبى هريرة بلفظ غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها (٤) حديث أترجو سليم شفاعتى ولا ترجوها بنو عبد المطلب الطبرانى فى الأوسط من حديث عبد الله بن جعفر وفيه أصيرم بن حوشب عن إسحاق ابن واصل وكلاهما ضعيف جدا .

فكيف يعجب بنفسه ويتكل على الشفاعة من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم . الخامس : العجب بنسب السلاطين الظلمة وأعوانهم دون نسب الدين والعلم ، وهذا غاية الجهل وعلاجه أن يتفكر فى مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد فى دين الله وأنهم المقوتون عند الله تعالى ولو نظر إلى صورهم فى النار وأنتانهم وأقذارهم لاستنكف منهم ولتبرأ من الانتساب إليهم ولأنكر على من نسبه إليهم استقذارا واستحقارا لهم ولو انكشف له ذلهم فى القيامة وقد تعلق الخصماء بهم والملائكة آخذون بنواصيهم يجرونهم على وجوههم إلى جهنم فى مظالم العباد لتبرأ إلى الله منهم ولكان انتسابه إلى الكلب والخنزير أحب إليه من الانتساب إليهم فحق أولاد الظلمة إن عصمهم الله من ظلمهم أن يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لآبائهم إن كانوا مسلمين ، فأما العجب بنسبهم فجهل محض . السادس : العجب بكثرة العدد من الأولاد والخدم والغلمان والعشيرة والأقارب والأنصار والأتباع كما قال الكفار ـ نحن أكثر أموالا وأولادا ـ وكما قال المؤمنون يوم حنين لا نغلب اليوم من قلة وعلاجه ماذكرناه فى الكبر وهو أن يتفكر فى ضعفه وضعفهم وأن كلهم عبيد عجزة لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا . و ـ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ـ ثم كيف يعجب بهم وأنهم سيفترقون عنه إذا مات فيدفن فى قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه أهل ولا ولد ولا قريب ولا حميم ولا عشير فيسلمونه إلى البلى والحيات والعقارب والديدان ولا يغنون عنه شيئا وهو فى أحوج أوقاته إليهم وكذلك يهربون منه يوم القيامة ـ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ـ الآية ، فأى خير فيمن يفارقك فى أشد أحوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفعك فى القبر والقيامة وعلى الصراط إلا عملك وفضل الله تعالى فكيف تتكل على من لا ينفعك، وتنسى نعم من عملك نفعك وضرك وموتك وحياتك . السابع : العجب بالمال كما قال تعالى إخبارا عن صاحب الجنتين إذ قال ـ أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ـ « ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فانقبض عنه وجمع ثيابه فقال عليه السلام : أخشيت أن يعدو إليك فقره (١) » وذلك للعجب بالغنى وعلاجه أن يتفكر فى آفات المال وكثرة حقوقه وعظم غوائله وينظر إلى فضيلة الفقراء وسبقهم إلى الجنة فى القيامة وإلى أن المال غاد ورائح ولا أصل له وإلى أن فى اليهود من يزيد عليه فى المال وإلى قوله عليه الصلاة والسلام « بينما رجل يتبختر فى حلة له قد أعجبته نفسه إذ أمر الله الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة (٢) » أشار به إلى عقوبة إعجابه بماله ونفسه، وقال أبو ذر « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لى يا أبا ذر ارفع رأسك فرفعت رأسى فاذا رجل عليه ثياب جياد ثم قال ارفع رأسك فرفعت رأسى فاذا رجل عليه ثياب خلقة فقال لى يا أبا ذر هذا عند الله خير من قراب الأرض مثل هذا (٣) » وجميع ماذكرناه فى كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الأغنياء وشرف الفقراء عند الله تعالى فكيف يتصور من المؤمن أن يعجب بثروته بل لا يخلو المؤمن عن خوف من تقصيره فى القيام بحقوق المال فى أخذه من حله ووضعه فى حقه ومن لا يفعل ذلك فمصيره إلى الخزى والبوار فكيف يعجب بماله . الثامن : العجب بالرأى الخطأ . قال تعالى ـ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ـ وقال تعالى ـ وهم يحسبون أنهم

تقلباته وانتباهاته عن زمرة الغافلين ففى ذلك فضل كثير لمن كثر نومه وقل قيامه . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاك فى كل ليلة مرارا عند كل نوم وعند الانتباه منه ويستقبل القبلة فى نومه وهو على نوعين فإما على جنبه الأيمن كالملحود وإما على ظهره مستقبلا للقبلة كالميت للسجى ويقول باسمك اللهم وضعت جنبى وبك أرفعه اللهم إن أمسكت نفسى فاغفر لها وارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما

(١) حديث رأى النبى صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس لجنبه فقير فانقبض منه الحديث رواه أحمد فى الزهد (٢) حديث بينما رجل فى حلة قد أعجبته نفسه الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم (٣) حديث أبى ذر كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لى يا أبا ذر ارفع رأسك فرفعت رأسى الحديث وفيه هذا عند الله خير من قراب الأرض مثل هذا ابن حبان فى صحيحه .

يحسنون صنعا ـ وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ذلك يغلب على آخر هذه الأمة (١) وبذلك هلكت الأمم السالفة إذا فترقت فرقا فكل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون ، وجميع أهل البدع والضلال إنما أصروا عليها لعجبهم بآرائهم والعجب بالبدعة هو استحسان ما يسوق إليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا ، وعلاج هذا العجب أشد من علاج غيره لأن صاحب الرأى الخطأ جاهل بخطئه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذى لا يعرف والجهل داء لا يعرف فتعسر مداواته جدا لأن العارف يقدر على أن يبين للجاهل جهله ويزيله عنه إلا إذا كان معجبا برأيه وجهله فإن لا يصغى إلى العارف ويتهمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته فى اعتقاده وإنما علاجه على الجملة أن يكون متهما لرأيه أبدا لا يغتر به إلا أن يشهد له قاطع من كتاب أو سنة أو دليل عقلى صحيح جامع لشروط الأدلة ولن يعرف الانسان أدلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها إلا بقريحة تامة وعقل ثاقب وجد وتشمر فى الطلب وممارسة للكتاب والسنة ومجالسة لأهل العلم طول العمر ومدارسة للعلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط فى بعض الأمور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره فى العلم أن لا يخوض فى المذاهب ولا يصغى إليها ولا يسمعها ولكن يعتقد أن الله تعالى واحد لا شريك له وأنه ـ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ـ وأن رسوله صادق فيما أخبر به ويتبع سنة السلف ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتنقير وسؤال عن تفصيل بل يقول آمنا وصدقنا ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصى وأداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الأعمال فإن خاض فى المذاهب والبدع والتعصب فى العقائد هلك من حيث لا يشعر ، هذا حق كل من عزم على أن يشتغل فى عمره بشىء غير العلم ، فأما الذى عزم على التجرد للعلم فأول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الأمر فيه والوصول إلى اليقين والمعرفة فى أكثر المطالب شديد لا يقدر عليه إلا الأقوياء المؤيدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا ، فنسأل الله تعالى العصمة من الضلال ونعوذ به من الاغترار بخيالات الجهال .

تم كتاب ذم الكبر والعجب والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

﴿ كتاب ذم الغرور ﴾

(وهو الكتاب العاشر من ربع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى بيده مقاليد الأمور ، وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور ، مخرج أوليائه من الظلمات إلى النور ، ومورد أعدائه ورطات الغرور ، والصلاة على محمد مخرج الخلائق من الديجور ، وعلى آله وأصحابه الذين لم تغرهم الحياة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور ، صلاة تتوالى على ممر الدهور ومكر الساعات والشهور .

[أما بعد] فمفتاح السعادة التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة فلا نعمة لله على عباده أعظم من الايمان والمعرفة ولا وسيلة إليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة ولا نقمة أعظم من الكفر والمعصية ، ولا داعى إليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالأكياس وأرباب البصائر

(١) حديث أنه يغلب على آخر هذه الأمة الاعجاب بالرأى هو حديث أبى ثعلبة المتقدم فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك وهو عند أبى داود والترمذى .

تحفظ به عبادك الصالحين اللهم إنى أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى إليك وفوضت أمرى إليك وألجأت ظهرى إليك رهبة منك ورغبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك الحمد لله الذى حكم فقهر الحمد لله الذى بطن فخبر الحمد لله الذى ملك فقدر الحمد لله الذى هو يحيى الموتى وهو على كل شىء قدير اللهم إنى أعوذ بك من غضبك وسوء عقابك

قلوبهم كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درىّ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضىء ولولم تمسسه نار نور على نور والمغترون قلوبهم كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور فالأكياس هم الذين أراد الله أن يهديهم فشرح صدورهم للاسلام والهدى والمغترون هم الذين أراد الله أن يضلهم فجعل صدرهم ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء والمغرور هو الذى لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلا وبقى فى العمى فاتخذ الهوى قائدا والشيطان دليلا ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا، وإذا عرف أن الغرور هو أم الشقاوات ومنبع المهلكات فلابد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل مايكثر وقوع الغرور فيه ليحذره المريد بعد معرفته فيتقيه فالموفق من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد فأخذ منها حذره وبنى على الحزم والبصيرة أمره ونحن نشرح أجناس مجارى الغرور وأصناف المغترين من القضاة والعلماء والصالحين الذين اغتروا بمبادىء الأمور، الجميلة ظواهرها القبيحة سرائرها ونشير إلى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فان ذلك وإن كان أكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على أمثلة تغنى عن الاستقصاء وفرق المغترين كثيرة ولكن يجمعهم أربعة أصناف. الصنف الأول من العلماء. الصنف الثانى من العباد. الصنف الثالث من المتصوفة. الصنف الرابع من أرباب الأموال والمغترمن كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى المنكر معروفا كالذى يتخذ المسجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين مايسعى فيه لنفسه وبين مايسعى فيه لله تعالى كالواعظ الذى غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الأهم ويشتغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذى يكون همه فى الصلاة مقصورا على تصحيح مخارج الحروف إلى غير ذلك من مداخل لاتتضح إلا بتفصيل الفرق وضرب الأمثلة ولنبدأ أولا بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحده.

(بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثلته)

اعلم أن قوله تعالى – فلاتغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور – وقوله تعالى – ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى – الآية. كاف فى ذم الغرور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الأرض من المغترين [1]» وقال صلى الله عليه وسلم «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله [2]» وكل ماورد فى فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لأن الغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل إذ الجهل هو أن يعتقد الشىء ويراه على خلاف ماهو به والغرور هو جهل إلا أن كل جهل ليس بغرور بل يستدعى الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به وهو الذى يغره فمهما كان المجهول المعتقد شيئا يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن أنها دليل ولاتكون دليلا سمى الجهل الحاصل به غرورا فالغرور هو سكون النفس إلى مايوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد أنه على خير إما فى العاجل أو فى الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور وأكثر الناس يظنون بأنفسهم

(١) حديث حبذا نوم الأكياس وفطرهم الحديث ابن أبى الدنيا فى كتاب اليقين من قول أبى الدرداء بنحوه وفيه انقطاع وفى بعض الروايات أبى الورد موضع أبى الدرداء ولم أجده مرفوعا (٢) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث الترمذى وابن ماجه من حديث شداد بن أوس

وشر عبادك وشر الشيطان وشركه ويقرأ خمس آيات من البقرة الأربع من الأول الآية الخامسة – إن فى خلق السموات والأرض – وآية الكرسى، وآمن الرسول. وإن ربكم الله. وقل ادعوا الله، وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر وقل ياأيها الكافرون وقل هو الله أحد والمعوذتين، وينفث بهن فى يديه ويمسح بهما وجهه وجسده وإن اضاف إلى ماقرأ عشرا من أول الكهف وعشرا من آخرها فحسن ويقول اللهم

الخير وهم مخطئون فيه فأكثر الناس إذن مغرورون وإن اختلفت أصناف غرورهم واختلفت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض وأظهرها وأشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفساق فنورد لهما أمثلة لحقيقة الغرور . المثال الأول : غرور الكفار فمنهم من غرته الحياة الدنيا ومنهم من غره بالله الغرور أما الذين غرتهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئة والدنيا نقد والآخرة نسيئة فهي إذن خير فلا بد من إيثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا نترك اليقين بالشك وهذه أقيسة فاسدة تشبه قياس إبليس حيث قال ـ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ـ وإلى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى ـ أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ـ وعلاج هذا الغرور إما بتصديق الايمان وإما بالبرهان أما التصديق بمجرد الايمان فهو أن يصدق الله تعالى في قوله ـ ماعندكم ينفد وماعند الله باق ـ وفي قوله عز وجل ـ وما عند الله خير ـ وقوله ـ والآخرة خير وأبقى ـ وقوله ـ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ـ وقوله ـ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ـ وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوائف من الكفار فقلدوه وصدقوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان(١) . ومنهم من قال نشدتك الله أبعثك الله رسولا ؟ فكان يقول نعم فيصدق (٢) وهذا إيمان العامة وهو يخرج من الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والده في أن حضور المكتب خير من حضور الملعب مع أنه لايدري وجه كونه خيرا وأما المعرفة بالبيان والبرهان فهو أن يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان فان كل مغرور فلغروره سبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون إليه وإن كان صاحبه لايشعر به ولا يقدر على نظمه بألفاظ العلماء فالقياس الذي نظمه الشيطان فيه أصلان : أحدهما أن الدنيا نقد والآخرة نسيئة وهذا صحيح والآخر قوله إن النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبيس فليس الأمر كذلك بل إن كان النقد مثل النسيئة في المقدار والمقصود فهو خير وإن كان أقل منها فالنسيئة خير فان الكافر المغرور يبذل في تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا أتركه وإذا حذره الطبيب الفواكه ولذائذ الأطعمة ترك ذلك في الحال خوفا من ألم المرض في المستقبل فقد ترك النقد ورضي بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الأسفار نقدا لأجل الراحة والربح نسيئة فان كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فأنسب لذة الدنيا من حيث مدتها إلى مدة الآخرة فان أقصى عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشير من جزء من ألف ألف جزء من الآخرة فكأنه ترك واحدا ليأخذ ألف ألف بل ليأخذ مالا نهاية له ولا حد وإن نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا مكدرة مشوبة بأنواع المنغصات ولذات الآخرة صافية غير مكدرة فاذن قد غلط في قوله النقد خير من النسيئة فهذا غرور منشؤه قبول لفظ عام مشهور أطلق

أيقظني في أحب الساعات إليك واستعملني بأحب الأعمال إليك التي تقربني إليك زلفى وتبعدني من سخطك بعدا أسألك فتعطيني وأستغفرك فتغفر لي وأدعوك فتستجيب لي اللهم لاتؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين . ورد أن من قال هذه الكلمات بعث الله تعالى إليه ثلاثة أملاك يوقظونه للصلاة فان صلى ودعا أمنوا على دعائه وإن لم يقم تعبدت الأملاك في الهواء وكتب

(١) حديث تصديق بعض الكفار بما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيمانهم من غير مطالبة بالبرهان هو مشهور في السنن من ذلك قصة إسلام الأنصار وبيعتهم وهي عند أحمد من حديث جابر وفيه حتى بعثنا الله إليه من يثرب فآويناه وصدقناه فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون باسلامه الحديث وهي عند أحمد باسناد جيد (٢) حديث قول من قال له نشدتك الله أبعثك رسولا فيقول نعم فيصدق متفق عليه من حديث أنس في قصة ضمام بن ثعلبة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم آلله أرسلك للناس كلهم فقال اللهم نعم وفي آخره فقال الرجل آمنت بما جئت به وللطبراني من حديث ابن عباس في قصة ضمام قال نشدتك به أهو أرسلك بما أتتنا كتبك وأتتنا رسلك أن نشهد أن لا إله إلا الله وأن ندع اللات والعزى قال نعم الحديث .

وأريد به خاص فغفل به المغرور عن خصوص معناه فان من قال النقد خير من النسيئة أراد به خيرا من نسيئة هي مثله وإن لم يصرح به وعند هذا يفزع الشيطان إلى القياس الآخر وهو أن اليقين خير من الشك والآخرة شك وهذا القياس أكثر فسادا من الأول لأن كلا أصليه باطل إذ اليقين خير من الشك إذا كان مثله والا فالتاجر في تعبه على يقين وفي ربحه على شك والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي إدراك رتبة العلم على شك والصياد في تردده في المقتنص على يقين وفي الظفر بالصيد على شك وكذا الحزم دأب العقلاء بالاتفاق وكل ذلك ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول إن لم أتجر بقيت جائعا وعظم ضرري وإن اتجرت كان تعبي قليلا وربحي كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قليل بالاضافة إلى ما أخافه من المرض والموت فكذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم أن يقول أيام الصبر قلائل وهو منتهى العمر بالاضافة إلى ما يقال من أمر الآخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني إلا التنعم أيام حياتي وقد كنت في العدم من الأزل إلى الآن لا أتنعم فأحسب أني بقيت في العدم وإن كان ما قيل صدقا فأبقى في النار أبدا الآباد وهذا لا يطاق . ولهذا قال علي كرم الله وجهه لبعض الملحدين إن كان ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وإن كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال هذا عن شك منه في الآخرة ولكن كلم الملحد على قدر عقله وبين له أنه وإن لم يكن متيقنا فهو مغرور . وأما الأصل الثاني من كلامه وهو أن الآخرة شك فهو أيضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان: أحدهما الإيمان والتصديق تقليدا للأنبياء والعلماء وذلك أيضا يزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام وأكثر الخواص ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الأطباء وأهل الصناعة من عند آخرهم على أن دواءه النبت الفلاني فانه تطمئن نفس المريض إلى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل يثق بقولهم ويعمل به ولو بقي سوادي أو معتوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن الأحوال أنهم أكثر منه عددا وأغزر منه فضلا وأعلم منه بالطب بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتقد كذبهم بقوله ولا يغتر في علمهم بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الأطباء كان معتوها مغرورا فكذلك من نظر إلى المقرين بالآخرة والمخبرين عنها والقائلين بأن التقوى هو الدواء النافع في الوصول إلى سعادتها وجدهم خير خلق الله وأعلاهم رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل وهم الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء واتبعهم عليه الخلق على أصنافهم وشذ منهم آحاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم إلى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بأنهم من أهل النار فجحدوا الآخرة وكذبوا الأنبياء فكما أن قول الصبي وقول السوادي لا يزيل طمأنينة القلب إلى ما اتفق عليه الأطباء فكذلك قول هذا الغبي الذي استرقته الشهوات لا يشكك في صحة أقوال الأنبياء والأولياء والعلماء وهذا القدر من الايمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محالة والغرور يزول به. وأما المدرك الثاني لمعرفة الآخرة فهو الوحي للأنبياء والالهام للأولياء ولا تظنن أن معرفة النبي عليه السلام لأمر الآخرة ولأمور الدين تقليد لجبريل عليه السلام بالسماع منه كما أن معرفتك تقليد للنبي صلى الله عليه وسلم حتى تكون معرفتك مثل معرفته وإنما يختلف المقلد فقط وهيهات فان التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والأنبياء عارفون ومعنى معرفتهم أنه كشف لهم حقيقة الأشياء كما هي عليها فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد أنت المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك بأن يكشف لهم عن حقيقة الروح وأنه من أمر الله تعالى وليس المراد بكونه من أمر الله الأمر الذي يقابل النهي ، لأن ذلك الأمر كلام والروح ليس بكلام ، وليس المراد بالأمر

لهم ثواب عبادتهم ويسبح ويحمد ويكبر كل واحد ثلاثا وثلاثين ويتمم المائة بلا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

[الباب السابع والأربعون في أدب الانتباه من النوم والعمل بالليل]

إذا فرغ المؤذن من أذان المغرب يصلي ركعتين خفيفتين بين الأذان والاقامة وكان العلماء يصلون هاتين الركعتين في البيت يعجلون بهما قبل الخروج إلى الجماعة كيلا يظن الناس أنهما

الشأن حتى يكون المراد به أنه من خلق الله فقط لأن ذلك عام فى جميع المخلوقات بل العالم عالمان عالم الأمر وعالم الخلق ولله الخلق والأمر فالأجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق إذ الخلق عبارة عن التقدير فى وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فانه من عالم الأمر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة فى ذكره لاستضرار أكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذى منع من إفشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه وإذا عرف نفسه وربه عرف أنه أمر ربانى بطبعه وفطرته وأنه فى العالم الجسمانى غريب وأن هبوطه إليه لم يكن بمقتضى طبعه فى ذاته بل بأمر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على آدم صلى الله عليه وسلم وعبر عنه بالمعصية وهى التى حطته عن الجنة التى هى أليق به بمقتضى ذاته فانها فى جوار الرب تعالى وأنه أمر ربانى وحنينه إلى جوار الرب تعالى له طبعى ذاتى لا أن يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه إذ قيل له ـ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ـ أى الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن كمامها إذا خرجت عن معدنها الفطرى وهذه إشارة إلى أسرار يهتز لاستنشاق روائحها العارفون وتشمئز من سماع ألفاظها القاصرون فانها تضر بهم كما تضر رياح الورد بالجعل وتبهر أعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس أبصار الخفافيش وانفتاح هذا الباب من سر القلب إلى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبه وليا وعارفا وهى مبادى مقامات الأنبياء وآخر مقامات الأولياء أول مقامات الأنبياء.

ولنرجع إلى الغرض المطلوب فالمقصود أن غرور الشيطان بأن الآخرة شك يدفع إما بيقين تقليدى وإما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بألسنتهم وبعقائدهم إذا ضيعوا أوامر الله تعالى وهجروا الأعمال الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصى فهم مشاركون للكفار فى هذا الغرور لأنهم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة نعم أمرهم أخف لأن أصل الإيمان يعصمهم عن عقاب الأبد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكنهم أيضا من المغرورين فانهم اعترفوا بأن الآخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا إلى الدنيا وآثروها ومجرد الايمان لا يكفى للفوز قال تعالى ـ وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ـ وقال تعالى ـ إن رحمت الله قريب من المحسنين ـ ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم «الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه (١)» وقال تعالى ـ والعصر إن الانسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصو بالحق وتواصوا بالصبر ـ فوعد المغفرة فى جميع كتاب الله تعالى منوط بالايمان والعمل الصالح جميعا لا بالايمان وحده فهؤلاء أيضا مغرورون أعنى المطمئنين إلى الدنيا الفرحين بها المترفين بنعيمها المحبين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة لما بعده فهذا مثال الغرور للدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا. ولنذكر للغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين، فأما غرور الكفار بالله فمثاله قول بعضهم فى أنفسهم وبألسنتهم إنه لو كان لله من معاد فنحن أحق به من غيرنا ونحن أوفر حظا فيه وأسعد حالا كما أخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين المتحاورين إذ قال ـ وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا ـ وجملة أمرهما كما نقل فى التفسير أن الكافر منهما بنى قصرا بألف دينار واشترى بستانا بألف دينار وخدما بألف دينار وتزوج امرأة على ألف دينار وفى ذلك كله يعظه المؤمن ويقول اشتريت قصرا يفنى ويخرب ألا اشتريت قصرا فى الجنة لا يفنى واشتريت بستانا يخرب ويفنى ألا اشتريت بستانا فى الجنة لا يفنى وخدما لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا تموت وفى كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شىء وما قيل من ذلك فهو أكاذيب وإن كان

سنة مرتبة فيقتدى بهم ظنا منهم أنهما سنة وإذا صلى المغرب يصلى ركعتى السنة بعد المغرب يعجل بهما فانهما يرفعان مع الفريضة يقرأ فيهما بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ثم يسلم على ملائكة الليل والكرام الكاتبين فيقول مرحبا بملائكة الليل مرحبا بالملكين الكريمين الكاتبين اكتبا فى صحيفتى أنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأشهد أن الجنة حق والنار حق والحوض حق

(١) حديث الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم.

فليكونن لى فى الجنة خير من هذا وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل إذ يقول ـ لأوتين مالا وولدا ـ فقال الله تعالى ردّا عليه ـ أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا ـ وروى عن خباب ابن الأرت أنه قال «كان لى على العاص بن وائل دين فجئت أتقاضاه فلم يقض لى فقلت إنى آخذه فى الآخرة ، فقال لى إذا صرت إلى الآخرة فان لى هناك مالا وولدا أقضيك منه فأنزل الله تعالى قوله ـ أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا (١)» ـ وقال الله تعالى ـ ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضرّاء مسته ليقولنّ هذا لى وما أظنّ الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربى إنّ لى عنده للحسنى ـ وهذا كله من الغرور بالله . وسببه قياس من أقيسة إبليس نعوذ بالله منه ، وذلك أنهم ينظرون مرة إلى نعم الله عليهم فى الدنيا فيقيسون عليها نعمة الآخرة وينظرون مرة إلى تأخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى ـ ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ـ فقال تعالى جوابا لقولهم ـ حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ـ ومرة ينظرون إلى المؤمنين ، وهم فقراء شعث غبر فيزدرون بهم ويستحقرونهم ، فيقولون ـ أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ـ ويقولون ـ لو كان خيرا ماسبقونا إليه ـ وترتيب القياس الذى نظمه فى قلوبهم أنهم يقولون قد أحسن الله إلينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن أيضا فى المستقبل كما قال الشاعر :

لقد أحسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقى

وإنما يقيس المستقبل على الماضى بواسطة الكرامة والحب إذ يقول لولا أنى كريم عند الله ومحبوب لما أحسن إلى والتلبيس تحت ظنه أن كل محسن محب لا بل تحت ظنه أن إنعامه عليه فى الدنيا إحسان فقد اغتر بالله إذ ظن أنه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوى البصائر يدل على الهوان . ومثاله أن يكون للرجل عبدان صغيران يبغض أحدهما ويحب الآخر ، فالذى يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الأدب ويمنعه من الفواكه وملاذ الأطعمة التى تضره ويسقيه الأدوية التى تنفعه والذى يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكتب ويأكل كل مايشتهى فيظن هذا العبد المهمل أنه عند سيده محبوب كريم لأنه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع أغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض الغرور وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها فانها مهلكات ومبعدات من الله «فان الله يحمى عبده من الدنيا وهو يحبه كما يحمى أحدكم مريضه من الطعام والشراب وهو يحبه (٢)» هكذا ورد فى الخبر عن سيد البشر . وكان أرباب البصائر إذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته ورأوا ذلك علامة المقت والاهمال ، وإذا أقبل عليهم الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين . والمغرور إذا أقبلت عليه الدنيا ظن أنها كرامة من الله ، وإذا صرفت عنه ظن أنها هوان كما أخبر الله تعالى عنه إذ قال ـ فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن ـ فأجاب الله عن ذلك ـ كلا ـ أى ليس كما قال إنما هو ابتلاء نعوذ بالله من شر البلاء ونسأل الله التثبيت فبين أن ذلك غرور . قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا باكرامى ولا هذا بهوانى ولكن الكريم من أكرمته بطاعتى غنيا كان أو فقيرا . والمهان من أهنته بمعصيتى غنيا كان أو فقيرا وهذا الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان إما بالبصيرة أو بالتقليد . أما البصيرة فبأن يعرف وجه كون الالتفات

والشفاعة حق والصراط والميزان حق ، وأشهد أن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور اللهم أودعك هذه الشهادة ليوم حاجتى إليها . اللهم احطط بها وزرى واغفر بها ذنبى وثقل بها ميزانى وأوجب لى بها أمانى وتجاوز عنى يا أرحم الراحمين فان واصل بين العشاءين فى مسجد جماعته يكون جامعا بين الاعتكاف ومواصلة العشاءين وإن رأى انصرافه إلى منزله وأن المواصلة بين العشاءين

(١) حديث خباب بن الأرت قال كان لى على العاص بن وائل دين فجئت أتقاضاه الحديث فى نزول قوله تعالى ـ أفرأيت الذى كفر بآياتنا ـ الآية البخارى ومسلم (٢) حديث إن الله يحمى عبده من الدنيا وهو يحبه الحديث الترمذى وحسنه والحاكم وصححه من حديث قتادة بن النعمان .

إلى شهوات الدنيا مبعدا عن الله ووجه كون التباعد عنها مقربا إلى الله ويدرك ذلك بالإلهام في منازل العارفين والأولياء وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة. وأما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو أن يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله وقد قال تعالى ـ أيحسبون أن ما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ـ وقال تعالى ـ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ـ وقال تعالى ـ فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ـ وفي تفسير قوله تعالى ـ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ـ أنهم كلما أحدثوا ذنبا أحدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى ـ إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ـ وقال تعالى ـ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ـ إلى غير ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله فمن آمن به تخلص من هذا الغرور فان منشأ هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا يأمن مكره ولا يغتر بأمثال هذه الخيالات الفاسدة وينظر إلى فرعون وهامان وقارون وإلى ملوك الأرض وما جرى لهم كيف أحسن الله إليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا فقال تعالى ـ هل تحس منهم من أحد ـ الآية وقد حذر الله تعالى من مكره واستدراجه فقال ـ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ـ وقال تعالى ـ ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون ـ وقال عز وجل ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ـ وقال تعالى ـ إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا ـ فكما لا يجوز للعبد المهمل أن يستدل بإهمال السيد إياه وتمكينه من النعم على حب السيد بل ينبغي أن يحذر أن يكون ذلك مكرا منه وكيدا مع أن السيد لم يحذره مكر نفسه فبأن يجب ذلك في حق الله تعالى مع تحذيره استدراجه أولى فاذن من أمن مكر الله فهو مغترور ومنشأ هذا الغرور أنه استدل بنعم الدنيا على أنه كريم عند ذلك المنعم واحتمل أن يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب إلى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حد الغرور . المثال الثاني : غرور العصاة من المؤمنين بقولهم إن الله كريم وإنا نرجو عفوه واتكالهم على ذلك وإهمالهم الأعمال وتحسين ذلك بتسمية تمنيهم واغترارهم رجاء وظنهم أن الرجاء مقام محمود في الدين وأن نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم وأين معاصي العباد في بحار رحمته وإنا موحدون ومؤمنون فنرجوه بوسيلة الايمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بسلاح الآباء وعلو رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفة سيرة آبائهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم أنهم أكرم على الله من آبائهم إذ آباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع غاية الفسق والفجور آمنون وذلك نهاية الاغترار بالله تعالى فقياس الشيطان للعلوية أن من أحب إنسانا أحب أولاده وأن الله قد أحب آباءكم فيحبكم فلا تحتاجون إلى الطاعة وينسى المغرور أن نوحا عليه السلام أراد أن يستصحب ولده معه في السفينة فلم يرد فكان من المغرقين ـ فقال رب إن ابني من أهلي ـ فقال تعالى ـ يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ـ وأن ابراهيم عليه السلام استغفر لأبيه فلم ينفعه ، وأن نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفى استأذن ربه في أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار فجلس يبكي على قبر أمه لرقته لها بسبب القرابة حتى أبكى من حوله (١) فهذا أيضا اغترار بالله تعالى وهذا لأن الله تعالى يحب المطيع ويبغض العاصي فكما أنه لا يبغض الأب المطيع يبغضه للولد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي

في بيته أسلم لدينه وأقرب إلى الاخلاص وأجمع للهم فليفعل . وسئل رسول الله عليه السلام عن قوله تعالى ـ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ـ فقال هي الصلاة بين العشاءين وقال عليه السلام « عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغاة النهار وتهذب آخره » ويجعل من الصلاة بين العشاءين ركعتين بسورة البروج والطارق ثم ركعتين بعد ركعتين يقرأ في الأولى عشر آيات من أول سورة البقرة والآيتين والهكم إله

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم استأذن أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

بحبه للأب المطيع ولو كان الحب يسرى من الأب إلى الولد لأوشك أن يسرى البغض أيضا بل الحق أن لاتزر وازرة وزر أخرى ، ومن ظن أنه ينجو بتقوى أبيه كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه ويروى بشرب أبيه ويصير عالما بتعلم أبيه ويصل إلى الكعبة ويراها بمشى أبيه فالتقوى فرض عين فلا يجزى فيه والد عن ولده شيئا وكذا العكس وعند الله جزاء التقوى ـ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ـ إلا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فيأذن فى الشفاعة له كما سبق فى كتاب الكبر والعجب . فان قلت فأين الغلط فى قول العصاة والفجار إن الله كريم وإنا نرجو رحمته ومغفرته وقد قال أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى خيرا فما هذا إلا كلام صحيح مقبول الظاهر فى القلوب. فاعلم أن الشيطان لايغوى الانسان إلا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبى صلى الله عليه وسلم كشف عن ذلك فقال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله (١) » وهذا هو التمنى على الله تعالى غير الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع به الجهال وقد شرح الله الرجاء فقال ـ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ـ يعنى أن الرجاء بهم أليق وهذا لأنه ذكر أن ثواب الآخرة أجر وجزاء على الأعمال قال الله تعالى ـ جزاء بما كانوا يعملون ـ وقال تعالى ـ وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ـ أفترى أن من استؤجر على إصلاح أوان وشرط له أجرة عليها وكان الشارط كريما يفى بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فجاء الأجير وكسر الأوانى وأفسد جميعها ثم جلس ينتظر الأجر ويزعم أن المستأجر كريم أفتراه العقلاء فى انتظاره متمنيا مغرورا أو راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء والغرة قيل للحسن قوم يقولون نرجو الله ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك أمانيهم يترجحون فيها من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه. وقال مسلم بن يسار : لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاى فقال له رجل إنا لنرجو الله فقال مسلم هيهات هيهات من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكما أن الذى يرجو فى الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح أو نكح ولم يجامع أو جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن أو آمن ولم يعمل صالحا أو عمل ولم يترك المعاصى فهو مغرور فكما أنه إذا نكح ووطىء وأنزل بقى مترددا فى الولد يخاف ويرجو فضل الله فى خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الأم إلى أن يتم فهو كيس فكذلك إذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقى مترددا بين الخوف والرجاء يخاف أن لايقبل منه وأن لايدوم عليه وأن يختم له بالسوء ويرجو من الله تعالى أن يثبته بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل إلى الشهوات بقية عمره حتى لايميل إلى المعاصى فهو كيس ومن عدا هؤلاء فهم المغرورون بالله ـ وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا ـ . ولتعلمن نبأه بعد حين ـ وعند ذلك يقولون كما أخبر الله عنهم ـ ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون ـ أى علمنا أنه كما لا يولد إلا بوقاع ونكاح ولا ينبت زرع إلا بحراثة وبث بذر فكذلك لايحصل فى الآخرة ثواب وأجر إلا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الآن صدقك فى قولك ـ وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ـ. كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير ـ أى ألم نسمعكم سنة الله فى عباده وأنه ـ توفى كل نفس ما كسبت ـ . وأن ـ كل نفس بما كسبت رهينة ـ فما الذى غركم بالله بعد أن سمعتم وعقلتم ـ قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير ـ.

(١) حديث الكيس من دان نفسه تقدم قريبا .

واحد إلى آخر الآيتين وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد وفى الثانية آية الكرسى وآمن الرسول وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد ويقرأ فى الركعتين الأخيرتين من سورة الزمر والواقعة ويصلى بعد ذلك ماشاء فان أراد أن يقرأ شيئا من حزبه فى هذا الوقت فى الصلاة أو غيرها وإن شاء صلى عشرين ركعة خفيفة بسورة الاخلاص والفاتحة ولو واصل بين العشاءين بركعتين يطيلهما فحسن وفى هاتين الركعتين يطيل القيام

فان قلت فأين مظنة الرجاء وموضعه المحمود . فاعلم أنه محمود فى موضعين : أحدهما فى حق العاصى المنهمك إذا خطرت له التوبة فقال له الشيطان وأنى تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله تعالى فيجب عند هذا أن يقمع القنوط بالرجاء ويتذكر ـ إنّ الله يغفر الذنوب جميعا ـ وأنّ الله كريم يقبل التوبة عن عباده وأنّ التوبة طاعة تكفر الذنوب قال الله تعالى ـ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وأنيبوا إلى ربكم ـ أمرهم بالإنابة وقال تعالى ـ وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ـ فاذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج وإن توقع المغفرة مع الإصرار فهو مغرور كما أن من ضاق عليه وقت الجمعة وهو فى السوق فخطر له أن يسعى إلى الجمعة فقال له الشيطان إنك لاتدرك الجمعة فأقم على موضعك فكذب الشيطان ومرّ يعدو وهو يرجو أن يدرك الجمعة فهو راج وإن استمرّ على التجارة وأخذ يرجو تأخير الامام للصلاة لأجله إلى وسط الوقت أو لأجل غيره أو لسبب من الأسباب التى لايعرفها فهو مغرور. الثانى أن تفتر نفسه عن فضائل الأعمال ويقتصر على الفرائض فيرجى نفسه نعيم الله تعالى وماوعد به الصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى ـ قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ـ إلى قوله ـ أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ـ فالرجاء الأول يقمع القنوط المانع من التوبة والرجاء الثانى يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمر فكل توقع حثّ على توبة أو على تشمر فى العبادة فهو رجاء وكل رجاء أوجب فتورا فى العبادة وركونا إلى البطالة فهو غرّة كما إذا خطر له أن يترك الذنب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان مالك ولإيذاء نفسك وتعذيبها ولك ربّ كريم غفور رحيم فيفتر بذلك عن التوبة والعبادة فهو غرّة وعند هذا واجب على العبد أن يستعمل الخوف فيخوّف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه ويقول إنه مع أنه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وإنه مع أنه كريم خلد الكفار فى النار أبد الآباد مع أنه لم يضرّه كفرهم بل سلط العذاب والمحن والأمراض والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده فى الدنيا وهو قادر على إزالتها فمن هذه سنته فى عباده وقد خوّفنى عقابه فكيف لاأخافه وكيف أغترّ به فالخوف والرجاء قائدان وسائقان يبعثان الناس على العمل فما لا يبعث على العمل فهو تمنّ وغرور ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب إقبالهم على الدنيا وسبب إعراضهم عن الله تعالى وإهمالهم السعى للآخرة فذلك غرور فقد أخبر ﷺ وذكر أن الغرور سيغلب على قلوب آخر هذه الأمة (١) وقد كان ماوعد به صلى الله عليه وسلم فقد كان الناس فى الأعصار الأول يواظبون على العبادات ويؤتون ماآتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون يخافون على أنفسهم وهم طول الليل والنهار فى طاعة الله يبالغون فى التقوى والحذر من الشبهات والشهوات ويبكون على أنفسهم فى الخلوات وأما الآن فترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع إكبابهم على المعاصى وانهماكهم فى الدنيا وإعراضهم عن الله تعالى زاعمين أنهم واثقون بكرم الله تعالى وفضله راجون لعفوه ومغفرته كأنهم يزعمون أنهم عرفوا من فضله وكرمه مالم يعرفه الأنبياء والصحابة والسلف الصالحون فان كان هذا الأمر يدرك بالمنى وينال بالهوينى فعلام إذن كان بكاء أولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الأمور فى كتاب الخوف والرجاء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه معقل بن يسار «يأتى على الناس زمان يخلق فيه القرآن فى قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الأبدان أمرهم كله يكون

تاليا للقرآن حزبه أو مكررا آية فيها الدعاء والتلاوة مثل أن يقرأ مكررا ـ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ـ أو آية أخرى فى معناها فيكون جامعا بين التلاوة والصلاة والدعاء ففى ذلك جمع للهمّ وظفر بالفضل ثم يصلى قبل العشاء أربعا وبعدها ركعتين ثم ينصرف إلى منزله أو موضع خلوته فيصلى أربعا أخرى وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى بيته أول مايدخل قبل أن يجلس أربعا ويقرأ فى هذه

(١) حديث إن الغرور يغلب على آخر هذه الأمة تقدمّ فى آخر ذم الكبر والعجب وهو حديث أبى ثعلبة فى إعجاب كل ذى رأى برأيه .

طمعا لاخوف معه إن أحسن أحدهم قال يتقبل منى وإن أساء قال يغفرلى(١) فأخبر أنهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن ومافيه وبمثله أخبر عن النصارى إذ قال تعالى ـ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا ـ ومعناه أنهم ورثوا الكتاب أى هم علماء ويأخذون عرض هذا الأدنى أى شهواتهم من الدنيا حراما كان أو حلالا وقد قال تعالى ـ ولمن خاف مقام ربه جنتان ـ ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد ـ والقرآن من أوله إلى آخره تحذير وتخويف لايتفكر فيه متفكر إلا ويطول حزنه ويعظم خوفه إن كان مؤمنا بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها وكأنهم يقرءون شعرا من أشعار العرب لايهمهم الالتفات إلى معانيه والعمل بما فيه وهل فى العالم غرور يزيد على هذا فهذه أمثلة الغرور بالله وبيان الفرق بين الرجاء والغرور ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاص إلا أن معاصيهم أكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أنهم تترجح كفة حسناتهم مع أن ما فى كفة السيئات أكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون مايتناول من أموال المسلمين والشبهات أضعافه ولعل ماتصدّق به من أموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظنّ أن أكل ألف درهم حرام يقاومه التصدّق بعشرة من الحرام أو الحلال وماهو إلا كمن وضع عشرة دراهم فى كفة ميزان وفى الكفة الأخرى ألفا وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله، نعم . ومنهم من يظن أن طاعاته أكثر من معاصيه لأنه لايحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه وإذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذى يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله فى اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق أعراضهم ويتكلم بما لايرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره إلى عدد سبحته أنه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذى لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة أو ألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعده الله بالعقاب على كل كلمة فقال ـ مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ـ فهذا أبدا يتأمل فى فضائل التسبيحات والتهليلات ولايلتفت إلى ماورد من عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين يظهرون من الكلام مالايضمرونه إلى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور ولعمرى لوكان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذى زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته ومانطق به فى فتراته كان يعده ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لايفضل عليه أجرة نسخه فياعجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط يفوته فى الأجرة على النسخ ولايحتاط خوفا من فوت الفردوس الأعلى ونعيمه ماهذه إلا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها لقد دفعنا إلى أمر إن شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وإن صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فماهذه أعمال من يصدق بما جاء به القرآن وإنا نبرأ إلى الله أن نكون من أهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان وماأجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب أن يخشى ويتقى ولايغتر به اتكالا على أباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى والله أعلم .

(بيان أصناف المغترين وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف)

الصنف الأول : أهل العلم والمغترون منهم فرق . ففرقة أحكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصى وإلزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا

(١) حديث معقل بن يسار يأتى على الناس زمان يخلق فيه القرآن فى قلوب الرجال الحديث أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس نحوه بسند فيه جهالة ولم أره من حديث معقل.

الأربع سورة لقمان ويس وحم الدخان وتبارك الملك وإن أراد أن يخفف فيقرأ فيها آية الكرسى وآمن الرسول وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر ويصلى بعد الأربع إحدى عشرة ركعة يقرأ فيها ثلثمائة آية من القرآن من ـ والسماء والطارق ـ إلى آخر القرآن ثلثمائة آية هكذا ذكر الشيخ أبو طالب المكى رحمه الله وإن أراد قرأ هذا القدر فى أقل من هذا العدد من الركعات وإن قرأ من سورة

أنهم عند الله بمكان وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغا لايعذب الله مثلهم بل يقبل فى الخلق شفاعتهم وأنه لايطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا أن العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة ، فأما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة أخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهى علوم لاتراد إلا للعمل ولولا الحاجة إلى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلاقيمة له دون العمل فمثال هذا كمريض به علة لايزيلها إلا دواء مركب من أخلاط كثيرة لايعرفها إلا حذاق الأطباء فيسعى فى طلب الطبيب بعد أن هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل له الأخلاط وأنواعها ومقاديرها ومعادنها التى منها تجتلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية خلطه وعجنه فتعلم ذلك وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع إلى بيته وهو يكررها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها أفترى أن ذلك يغنى عنه من مرضه شيئا هيهات هيهات لو كتب منه ألف نسخة وعلمه ألف مريض حتى شفى جميعهم وكرره كل ليلة ألف مرة لم يغنه ذلك من مرضه شيئا إلا أن يزن الذهب ويشترى الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه فى وقته وبعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه وإذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف إذا لم يشربه أصلا فمهما ظن أن ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذى أحكم علم الطاعات ولم يعملها وأحكم علم المعاصى ولم يجتنبها وأحكم علم الأخلاق المذمومة ومازكى نفسه منها وأحكم علم الأخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور إذ قال تعالى ـ قد أفلح من زكاها ـ ولم يقل قد أفلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علم ذلك وعلمه الناس وعند هذا يقول له الشيطان لايغرنك هذا المثال فان العلم بالدواء لايزيل المرض وإنما مطلبك القرب من الله وثوابه والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الأخبار الواردة فى فضل العلم فان كان المسكين معتوها مغرورا وافق ذلك مراده وهواه فاطمأن إليه وأهمل العمل وإن كان كيسا فيقول الشيطان أتذكرنى فضائل العلم وتنسينى ماورد فى العالم الفاجر الذى لايعمل بعلمه كقوله تعالى ـ فمثله كمثل الكلب ـ وكقوله تعالى ـ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ـ فأى خزى أعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال ﷺ «من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعدا[1]» وقال أيضا «يلقى العالم فى النار فتندلق أقتابه فيدور بها فى النار كما يدور الحمار فى الرحى[2]» وكقوله عليه الصلاة والسلام «شر الناس العلماء السوء[3]» وقول أبى الدرداء: ويل للذى لايعلم مرة ولو شاء الله لعلمه وويل للذى يعلم ولا يعمل سبع مرات : أى أن العلم حجة عليه إذ يقال له ماذا عملت فيما علمت وكيف قضيت شكر الله وقال ﷺ «أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه[4]» فهذا وأمثاله مما أوردناه فى كتاب العلم فى باب علامة علماء الآخرة أكثر من أن يحصى إلا أن هذا فيما لايوافق هوى العالم الفاجر وماورد فى فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه إلى مايهواه وذلك عين الغرور فانه إن نظر بالبصيرة فمثاله ماذكرناه وإن نظر بعين الايمان فالذى أخبره بفضيلة العلم هو الذى أخبره بذم العلماء السوء وإن حالهم عند الله أشد من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده أنه على خير مع تأكد حجة الله عليه غاية الغرور وأما الذى يدعى علوم المكاشفة كالعلم بالله وبصفاته وأسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع أمر الله وحدوده فغروره أشد ومثاله مثال من أراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف أخلاقه وأوصافه ولونه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه

الملك إلى آخر القرآن وهو ألف آية فهو خير عظيم كثير وإن لم يحفظ القرآن يقرأ فى كل ركعة خمس مرات قل هو الله أحد إلى عشر مرات إلى أكثر ولا يؤخر الوتر إلى آخر التهجد إلا أن يكون واثقا من نفسه فى عادتها بالانتباه للتهجد فيكون تأخير الوتر إلى آخر التهجد حينئذ أفضل . وقد كان بعض العلماء إذا أوتر قبل النوم ثم قام يتهجد يصلى ركعة يشفع بها وتره ثم يتنفل ما شاء ويوتر فى آخر ذلك واذا كان الوتر من أوله

(١) حديث من ازداد علما ولم يزدد هدى الحديث تقدم فى العلم (٢) حديث يلقى العالم فى النار فتندلق أقتابه الحديث تقدم غير مرة (٣) حديث شر الناس علماء السوء تقدم فى العلم (٤) حديث أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله تعالى بعلمه تقدم فيه .

ولم يتعرف مايحبه ويكرهه وما يغضب عليه وما يرضى به أو عرف ذلك إلا أنه قصد خدمته وهو ملابس لجميع مايغضب به وعليه وعاطل عن جميع مايحبه من زى وهيئة وكلام وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخا بجميع ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع مايحبه متوسلا إليه بمعرفته له ولنسبه واسمه وبلده وصورته وشكله وعادته فى سياسة غلمانه ومعاملة رعيته فهذا مغرور جدا إذ لو ترك جميع ماعرفه واشتغل بمعرفته فقط ومعرفة ما يكرهه ويحبه لكان ذلك أقرب إلى نيله المراد من قربه والاختصاص به بل تقصيره فى التقوى واتباعه للشهوات يدل على أنه لم ينكشف له من معرفة الله إلا الأسامى دون المعانى إذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه واتقاه فلا يتصور أن يعرف الأسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام خفنى كما تخاف السبع الضارى نعم من يعرف من الأسد لونه وشكله واسمه قد لا يخافه وكأنه ماعرف الأسد فمن عرف الله تعالى عرف من صفاته أنه يهلك العالمين ولا يبالى ويعلم أنه مسخر فى قدرة من لو أهلك مثله آلافا مؤلفة وأبد عليهم العذاب أبد الآباد لم يؤثر ذلك فيه أثرا ولم تأخذه عليه رقة ولا اعتراه عليه جزع ولذلك قال تعالى ـ إنما يخشى الله من عباده العلماء ـ وفاتحة الزبور رأس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا واستفتى الحسن عن مسألة فأجاب فقيل له إن فقهاءنا لايقولون ذلك فقال وهل رأيت فقيها قط الفقيه القائم ليله الصائم نهاره الزاهد فى الدنيا وقال مرة الفقيه لايدارى ولا يمارى ينشر حكمة الله فان قبلت منه حمد الله وإن ردت عليه حمد الله فاذن الفقيه من فقه عن الله أمره ونهيه وعلم من صفاته ما أحبه وما كرهه وهو العالم ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وإذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين. وفرقة أخرى: أحكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصى إلا أنهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلاء وإرادة السوء للأقران والنظراء وطلب الشهرة فى البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم أن ذلك مذموم فهو مكب عليها غير متحرز عنها ولا يلتفت إلى قوله ﷺ « أدنى الرياء شرك (١) » وإلى قوله عليه السلام « لايدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر (٢) » وإلى قوله عليه الصلاة والسلام « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب (٣) » وإلى قوله عليه الصلاة والسلام « حب الشرف والمال ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل (٤) » إلى غير ذلك من الأخبار التى أوردناها فى جميع ربع المهلكات فى الأخلاق المذمومة فهؤلاء زينوا ظواهرهم وأهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله لاينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم (٥) » فتعهدوا الأعمال وما تعهدوا القلوب والقلب هو الأصل إذ لا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم ومثال هؤلاء كبئر الحش ظاهرها جص وباطنها نتن أو كقبور الموتى ظاهرها مزين وباطنها جيفة أو كبيت مظلم باطنه وضع سراج على سطحه فاستنار ظاهره وباطنه مظلم أو كرجل قصد الملك ضيافته إلى داره فجصص باب داره وترك المزابل فى صدر داره ولا يخفى أن ذلك غرور بل أقرب مثال إليه رجل زرع زرعا فنبت ونبت معه حشيش يفسده فأمر بتنقية الزرع عن الحشيش بقلعه من أصله فأخذ يجز رءوسه وأطرافه فلا تزال تقوى أصوله فتنبت لأن مغارس المعاصى هى الأخلاق الذميمة فى القلب فمن

(١) حديث أدنى الرياء شرك تقدم فى ذم الجاه والرياء (٢) حديث لايدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر تقدم غير مرة (٣) حديث الحسد يأكل الحسنات الحديث تقدم فى العلم وغيره (٤) حديث حب الشرف والمال ينبتان النفاق فى القلب الحديث تقدم (٥) حديث إن الله لا ينظر إلى صوركم الحديث تقدم.

الليل يصلى بعد الوتر ركعتين جالسا يقرأ فيهما بإذا زلزلت وألهاكم وقيل فعل الركعتين قاعدا بمنزلة الركعة قائما يشفع له الوتر حتى إذا أراد التهجد يأتى به ويوتر فى آخر تهجده ونية هاتين الركعتين نية النفل لاغير ذلك وكثيرا مارأيت الناس يتفاوضون فى كيفية نيتهما وإن قرأ فى كل ليلة المسبحات وأضاف إليها سورة الأعلى فتصير ستا فقد كان العلماء يقرءون هذه السور ويترقبون بركتها فاذا استيقظ

لا يطهر القلب منها لا تتم له الطاعات الظاهرة إلا مع الآفات الكثيرة بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد أمر بالطلاء وشرب الدواء فالطلاء ليزيل ما على ظاهره والدواء ليقطع مادته من باطنه فقنع بالطلاء وترك الدواء وبقي يتناول ما يزيد في المادة فلا يزال يطلي الظاهر والجرب دائم به يتفجر من المادة التي في الباطن.

وفرقة أخرى: علموا أن هذه الأخلاق الباطنة مذمومة من جهة الشرع إلا أنهم لعجبهم بأنفسهم يظنون أنهم منفكون عنها وأنهم أرفع عند الله من أن يبتليهم بذلك وإنما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم فأما هم فأعظم عند الله من أن يبتليهم ثم إذا ظهر عليهم مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قالوا ما هذا كبر وإنما هو طلب عز الدين وإظهار شرف العلم ونصرة دين الله وإرغام أنف المخالفين من المبتدعين وإني لو لبست الدون من الثياب وجلست في الدون من المجالس لشمت بي أعداء الدين وفرحوا بذلك وكان ذلي ذلا على الاسلام ونسي المغرور أن عدوه الذي حذره منه مولاه هو الشيطان وأنه يفرح بما يفعله ويسخر به وينسى أن النبي صلى الله عليه وسلم بماذا نصر الدين وبماذا أرغم الكافرين ونسي ما روي عن الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والمسكنة حتى عوتب عمر رضي الله عنه في بذاذة زيه عند قدومه إلى الشام فقال: إنا قوم أعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والديبق والابريسم المحرم والخيول والمراكب ويزعم أنه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك مهما أطلق اللسان بالحسد في أقرانه أو فيمن رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه أن ذلك حسد ولكن قال إنما هذا غضب للحق ورد على المبطل في عدوانه وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يعتقد أنه لو طعن في غيره من أهل العلم أو منع غيره من رياسة وزوحم فيها هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله أم لا يغضب مهما طعن في عالم آخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لأقرانه من خبث باطنه وهكذا يرائي بأعماله وعلومه وإذا خطر له خاطر الرياء قال هيهات إنما غرضي من إظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا إلى دين الله تعالى فيتخلصوا من عقاب الله تعالى ولا يتأمل المغرور أنه ليس يفرح باقتداء الخلق بغيره كما يفرح باقتدائه به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم فانه لا يفرق بين أن يحصل شفاؤهم على يده أو على يد طبيب آخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان أيضا ويقول إنما ذلك لأنهم إذا اهتدوا بي كان الأجر لي والثواب لي فانما فرحي بثواب الله لا بقبول الخلق قولي هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع من ضميره على أنه لو أخبره نبي بأن ثوابه في الخمول وإخفاء العلم أكثر من ثوابه في الاظهار وحبس مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل لاحتال في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع إلى موضعه الذي به تظهر رياسته من تدريس أو وعظ أو غيره وكذلك يدخل على السلطان ويتودد إليه ويثني عليه ويتواضع له وإذا خطر له أن التواضع للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيهات إنما ذلك عند الطمع في مالهم فأما أنت فغرضك أن تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر أعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه أنه لو ظهر لبعض أقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفعه في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين ثقل ذلك عليه ولو قدر على أن يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه والكذب عليه لفعل وكذلك قد ينتهي غرور بعضهم إلى أن يأخذ من مالهم وإذا خطر له أنه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وأنت إمام المسلمين وعالمهم وبك قوام الدين أفلا يحل لك أن تأخذ قدر حاجتك فيغتر بهذا التلبيس في ثلاثة أمور: أحدها في أنه مال لا مالك له فانه يعرف أنه يأخذ الخراج من المسلمين وأهل السواد والذين أخذ منهم أحياء وأولادهم وورثتهم أحياء وغاية الأمر وقوع الخلط

من النوم فمن أحسن الأدب عند الانتباه أن يذهب بباطنه إلى الله ويصرف فكره إلى أمر الله قبل أن يجول الفكر في شيء سوى الله ويشتغل اللسان بالذكر فالصادق كالطفل المكلف بالشيء إذا نام ينام على محبة الشيء وإذا انتبه يطلب ذلك الشيء الذي كان كلف به وعلى حسب هذا الكلف والشغل يكون الموت والقيام إلى الحشر فلينظر وليعتبر عند انتباهه من النوم ما همه فانه هكذا يكون عند القيام من القبر إن

فى أموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة أنفس وخالطها فلاخلاف فى أنه مال حرام ولا يقال هو مال لامالك له ويجب أن يقسم بين العشرة ويرد إلى كل واحد عشرة وإن كان مال كل واحد قد اختلط بالآخر الثانى فى قوله إنك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ، ولعلّ الذين فسد دينهم واستحلوا أموال السلاطين ورغبوا فى طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والإعراض عن الآخرة بسببه أكثر من الذين زهدوا فى الدنيا ورفضوها وأقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا إمام الدين إذ الإمام هو الذى يقتدى به فى الإعراض عن الدنيا والاقبال على الله كالأنبياء عليهم السلام والصحابة وعلماء السلف . والدجال هو الذى يقتدى به فى الاعراض عن الله والاقبال على الدنيا فلعل موت هذا أنفع للمسلمين من حياته وهو يزعم أنه قوام الدين ومثله كما قال المسيح عليه السلام للعالم السوء إنه كصخرة وقعت فى فم الوادى فلاهى تشرب الماء ولاهى تترك الماء يخلص إلى الزرع وأصناف غرور أهل العلم فى هذه الأعصار المتأخرة خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير ، وفرقة أخرى أحكموا العلم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظواهر المعاصى وتفقدوا أخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والحقد والكبر وطلب العلوّ وجاهدوا أنفسهم فى التبرى منها وقلعوا من القلوب منابتها الجلية القوية ولكنهم بعد مغرورون إذ بقيت فى زوايا القلب من خفايا مكايد الشيطان وخبايا خداع النفس مادق وغمض مدركه فلم يفطنوا لها وأهملوها وإنما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش رآه فقلعه إلا أنه لم يفتش على مالم يخرج رأسه بعد من تحت الأرض وظنّ أن الكلّ قد ظهر وبرز وكان قد نبت من أصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فأهملها وهو يظنّ أنه قد اقتلعها فاذا هو بها فى غفلته وقد نبتت وقويت وأفسدت أصول الزرع من حيث لايدرى فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد للدفائن فتراه يسهر ليله ونهاره فى جمع العلوم وترتيبها وتحسين ألفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى أن باعثه الحرص على إظهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعثه الخفى هو طلب الذكر وانتشار الصيت فى الأطراف وكثرة الرحلة إليه من الآفاق وانطلاق الألسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم له فى المهمات وإيثاره فى الأغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الاصغاء عند حسن اللفظ والايراد والتمتع بتحريك الرؤوس إلى كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الأصحاب والأتباع والمستفيدين والسرور بالتخصص بهذه الخاصية من بين سائر الأقران والأشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن به من إطلاق لسان الطعن فى الكافة المقبلين على الدنيا لاعن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن إدلال بالتميز واعتداد بالتخصيص ولعل هذا المسكين المغرور حياته فى الباطن بما انتظم له من أمر وإمارة وعزّ وانقياد وتوقير وحسن ثناء فلو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من أعماله فعساه يتشوّش عليه قلبه وتختلط أوراده ووظائفه وعساه يعتذر بكلّ حيلة لنفسه وربما يحتاج إلى أن يكذب فى تغطية عيبه وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وإن كان قد اعتقد فيه فوق قدره وينبو قلبه عمن عرف حدّ فضله وورعه وإن كان ذلك على وفق حاله وعساه يؤثر بعض أصحابه على بعض وهو يرى أنه يؤثره لتقدمه فى الفضل والورع وإنما ذلك لأنه أطوع له وأتبع لمراده وأكثر ثناء عليه وأشدّ إصغاء إليه وأحرص على خدمته ولعلهم يستفيدون منه ويرغبون فى العلم وهو يظن أن قبولهم له لاخلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على مايسر على لسانه من منافع خلقه ويرى أن ذلك مكفر لذنوبه ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو وعد بمثل ذلك الثواب فى إيثاره الخمول

كان همه الله فهمه هو وإلا فهمه غير الله والعبد إذا انتبه من النوم فباطنه عائد إلى طهارة الفطرة فلا يدع الباطن يتغير بغير ذكر الله تعالى حتى لايذهب عنه نور الفطرة الذى انتبه عليه ويكون فارّا إلى ربه بباطنه خوفا من ذكر الأغيار ومهما وفى الباطن بهذا المعيار فقد انتقى طريق الأنوار وطرق النفحات الإلهية فجدير أن تنصب إليه أقسام الليل انصبابا ويصير جناب القرب له موئلا ومآبا ويقول

والعزلة وإخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده فى العزلة ولاختفاء لذة القبول وعزة الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من بنى آدم أنه بعلمه امتنع منى فبجهله وقع فى حبائلى وعساه يصنف ويجتهد فيه ظانا أنه يجمع علم الله لينتفع به وإنما يريد به استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدع تصنيفه ومحا عنه اسمه ونسبه إلى نفسه ثقل عليه ذلك مع علمه بأن ثواب الاستفادة من التصنيف إنما يرجع إلى المصنف والله يعلم بأنه هو المصنف لا من ادعاه ولعله فى تصنيفه لا يخلو من الثناء على نفسه إما صريحا بالدعاوى الطويلة العريضة وإما ضمنا بالطعن فى غيره ليستبين من طعنه فى غيره أنه أفضل ممن طعن فيه وأعظم منه علما ولقد كان فى غنية عن الطعن فيه ، ولعله يحكى من الكلام المزيف مايزيد تزييفه فيعزيه إلى قائله وما يستحسنه فلعله لا يعزيه إليه ليظن أنه من كلامه فينقله بعينه كالسارق له أو يغيره أدنى تغيير كالذى يسرق قميصا فيتخذه قباء حتى لا يعرف أنه مسروق ، ولعله يجتهد فى تزيين ألفاظه وتسجيعه وتحسين نظمه كيلا ينسب إلى الركاكة ويرى أن غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون أقرب إلى نفع الناس وعساه غافلا عما روى أن بعض الحكماء وضع ثلثمائة مصحف فى الحكمة فأوحى الله إلى نبى زمانه قل له قد ملأت الأرض نفاقا وإنى لا أقبل من نفاقك شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين إذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه فلو افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من أصحابه نظر كل واحد إلى كثرة من يتبعه وأنه أكثر تبعا أو غيره فيفرح إن كان أتباعه أكثر وإن علم أن غيره أحق بكثرة الأتباع منه ثم إذا تفرقوا واشتغلوا بالافادة تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف إلى واحد منهم إذا انقطع عنه إلى غيره ثقل على قلبه ووجد فى نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه لإكرامه ولا يتشمر لقضاء حوائجه كما كان يتشمر من قبل ولا يحرص على الثناء عليه كما أثنى مع علمه بأنه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز منه إلى فئة أخرى كان أنفع له فى دينه لآفة من الآفات كانت تلحقه فى هذه الفئة وسلامته عنها فى تلك الفئة ومع ذلك لا تزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم إذا تحركت فيه مبادى الحسد لم يقدر على إظهاره فيتعلل بالطعن فى دينه وفى ورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول إنما غضبت لدين الله لا لنفسى ، ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح له وإن أثنى عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه إذا ذكرت عيوبه يظهر أنه كاره لغيبة المسلمين وسر قلبه راض به ومريد له والله مطلع عليه فى ذلك ، فهذا وأمثاله من خفايا القلوب لا يفطن له إلا الأكياس ولا يتنزه عنه إلا الأقوياء ولا مطمع فيه لأمثالنا من الضعفاء إلا أن أقل الدرجات أن يعرف الانسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على إصلاحه فاذا أراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجو الحال وأمره أقرب من المغرور المزكى لنفسه المتن على الله بعمله وعلمه الظان أنه من خيار خلقه فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار ومن المعرفة بخفايا العيوب مع الاهمال ، هذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا فى العمل بالعلم ، ولنذكر الآن غرور الذين قنعوا من العلوم بما لم يهمهم وتركوا المهم وهم به مغترون إما لاستغنائهم عن أصل ذلك العلم وإما لاقتصارهم عليه ، فمنهم فرقة اقتصروا على علم الفتاوى فى الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح العباد وخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الأعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يخرسوا اللسان عن الغيبة ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن المشى إلى السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يخرسوا قلوبهم عن الكبر والحسد والرياء وسائر المهلكات فهؤلاء مغرورون من وجهين : أحدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم . أما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وأن مثالهم

باللسان الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور ويقرأ العشر الأواخر من سورة آل عمران ثم يقصد الماء الطهور قال الله تعالى ـ وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ـ وقال عز وجل ـ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ـ قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما الماء القرآن والأودية القلوب فسالت بقدرها واحتملت ماوسعت والماء مطهر والقرآن مطهر والقرآن بالتطهير أجدر فالماء

مثال المريض إذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه لا بل مثالهم مثال من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك ومحتاج إلى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بأنه رجل لا يحيض ولا يستحاض ولكن يقول ربما تقع علة الاستحاضة لامرأة وتسألني عن ذلك وذلك غاية الغرور فكذلك المتفقه المسكين قد يسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات الباطنة وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والإجارة والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوى والبينات وبكتاب الحيض وهو لا يحتاج إلى شيء من ذلك قط في عمره لنفسه وإذا احتاج غيره كان في المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والرياسة والمال وقد دهاه الشيطان وما يشعر إذ يظن المغرور بنفسه أنه مشغول بفرض دينه وليس يدري أن الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين معصية ، هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وقد كان قصد بالفقه وجه الله تعالى فانه وإن قصد وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه في جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل ، وأما غروره من حيث العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن أنه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما طعن في المحدثين وقال إنهم نقلة أخبار وحملة أسفار لا يفقهون وترك أيضا علم تهذيب الأخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بادراك جلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فترآه آمنا من الله مغترا به متكلا على أنه لا بد وأن يرحمه فانه قوام دينه وأنه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التي هي أهم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر أن ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى إذ قال تعالى ـ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ـ والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الأموال بشروط المعاملات وحفظ الأبدان بالأموال وبدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله آلة والبدن مركب وإنما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين العبد وبين الله تعالى وإذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله فمثاله في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك في أنه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه ليس من الحج في شيء ولا بسبيله وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه إلا تعلم طريق المجادلة والإلزام وإفحام الخصوم ودفع الحق لأجل الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات أرباب المذاهب والتفقد لعيوب الأقران والتلقف لأنواع التسبيبات المؤذية وهؤلاء هم سباع الإنس طبعهم الايذاء وهمهم السفه ولا يقصدون العلم إلا لضرورة ما يلزمهم لمباهات الأقران فكل علم لا يحتاجون إليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق إلى الله تعالى بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ وإنما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجري بين المتصارعين في الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الذين من قبلهم في علم الفتاوى لكن زادوا إذا اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات أيضا بل جميع دقائق الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف ، وأما أدلة الأحكام فيشتمل عليها علم المذهب وهو كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيهما . وأما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية فانما أبدعت لإظهار الغلبة والإفحام وإقامة سوق الجدل بها فغرور هؤلاء أشد

كثيرا

يقوم غيره مقامه والقرآن والعلم لا يقوم غيرهما مقامهما ولا يسد مسدهما فالماء الطهور يطهر الظاهر والعلم والقرآن يطهران الباطن ويذهبان رجز الشيطان فالنوم غفلة وهو من آثار الطبع وجدير أن يكون من رجز الشيطان لما فيه من الغفلة عن الله تعالى وذلك أن الله تعالى أمر بقبض القبضة من التراب من وجه الأرض فكانت القبضة جلدة الأرض والجلدة ظاهرها بشرة وباطنها أدمة قال الله تعالى

كثيرا وأقبح من غرور من قبلهم . وفرقة أخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة فى الأهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق فى مناظرة أولئك وإفحامهم وافترقوا فى ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا أنه لا يكون لعبد عمل إلا بإيمان ولا يصح إيمان إلا بأن يتعلم جدلهم وما سموه أدلة عقائدهم وظنوا أنه لا أحد أعرف بالله وبصفاته منهم وأنه لا إيمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعت كل فرقة منهم إلى نفسها ثم هم فرقتان ضالة ومحقة فالضالة هى التى تدعو إلى غير السنة والمحقة هى التى تدعو إلى السنة والغرور شامل لجميعهم . أما الضالة فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاه وهم فرق كثيرة يكفر بعضهم بعضا وإنما أتيت من حيث إنها لم تهم رأيها ولم تحكم أولا شروط الأدلة ومناهجها فرأى أحدهم الشبهة دليلا والدليل شبهة . وأما الفرقة المحقة فإنما اغترارها من حيث إنها ظنت بالجدل أنه أهم الأمور وأفضل القربات فى دين الله وزعمت أنه لا يتم لأحد دينه مالم يفحص ويبحث وأن من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن أو ليس كامل الإيمان ولا مقرب عند الله فلهذا الظن الفاسد قطعت أعمارها فى تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم وأهملوا أنفسهم وقلوبهم حتى عميت عليهم ذنوبهم وخطاياهم الظاهرة والباطنة وأحدهم يظن أن اشتغاله بالجدل أولى وأقرب عند الله وأفضل ولكنه لالتذاذه بالغلبة والإفحام ولذة الرياسة وعز الانتماء إلى الذب عن دين الله تعالى عميت بصيرته فلم يلتفت إلى القرن الأول فإن النبى صلى الله عليه وسلم شهد لهم بأنهم خير الخلق وأنهم قد أدركوا كثيرا من أهل البدع والهوى فما جعلوا أعمارهم ودينهم غرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم وأحوالهم بل لم يتكلموا فيه إلا من حيث رأوا حاجة وتوسموا مخايل قبول فذكروا بقدر الحاجة مايدل الضال على ضلالته وإذا رأوا مصرا على ضلالة هجروه وأعرضوا عنه وأبغضوه فى الله ولم يلزموا الملاحاة معه طول العمر بل قالوا إن الحق هو الدعوة إلى السنة ومن السنة ترك الجدل فى الدعوة إلى السنة إذ روى أبو أمامة الباهلى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «ما ضل قوم قط بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل (١)» وخرج رسول الله ﷺ يوما على أصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كأنه فقئ فى وجهه حب الرمان (٢) حمرة من الغضب فقال: «ألهذا بعثتم أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا إلى ماأمرتم به فاعملوا وما نهيتم عنه فانتهوا» فقد زجرهم عن ذلك وكانوا أولى خلق الله بالحجاج والجدال ثم إنهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعث إلى كافة أهل الملل فلم يقعد معهم فى مجلس مجادلة لإلزام وإفحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وإيراد إلزام فما جادلهم إلا بتلاوة القرآن المنزل عليهم ولم يزد فى المجادلة عليه لأن ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها الإشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقائق الأقيسة وأن يعلم أصحابه كيفية الجدل والإلزام ولكن الأكياس وأهل الحزم لم يغتروا بهذا وقالوا لو نجا أهل الأرض وهلكنا لم تنفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا فى المجادلة أكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى وأهل الملل وماضيعوا العمر بتحرير مجادلاتهم فما لنا نضيع العمر ولا نصرفه إلى ماينفعنا فى يوم فقرنا وفاقتنا ولم نخوض فيما لا نأمن على أنفسنا الخطأ فى تفاصيله ؟ ثم نرى أن المبتدع ليس يترك بدعته بجداله بل يزيده التعصب والخصومة تشددا فى بدعته فاشتغالى بمخاصمة نفسى ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للآخرة أولى هذا لو كنت لم أنه عن الجدل

(١) حديث ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل تقدم فى العلم وفى آفات اللسان (٢) حديث خرج يوما على أصحابه وهم يجادلون ويختصمون فغضب حتى كأنه فقئ فى وجهه حب الرمان الحديث تقدم.

– إنى خالق بشرا من طين – فالبشرة والبشر عبارة عن ظاهره وصورته والأدمة عبارة عن باطنه وآدميته والآدمية مجمع الأخلاق الحميدة وكان التراب موطئ أقدام إبليس ومن ذلك اكتسب ظلمة وصارت تلك الظلمة معجونة فى طينة الآدمى . ومنها الصفات المذمومة والأخلاق الرديئة . ومنها الغفلة والسهو فإذا استعمل الماء وقرأ القرآن أتى بالمطهرين جميعا ويذهب عنه رجز الشيطان وأثر وطأته ويحكم له بالعلم والخروج من

والخصومة فكيف وقد نهيت عنه وكيف أدعو إلى السنة بترك السنة فالأولى أتفقد نفسي وأنظر من صفاتها مايبغضه الله تعالى وما يحبه لأتنزه عما يبغضه وأتمسك بما يحبه . وفرقة أخرى: اشتغلوا بالوعظ والتذكير وأعلاهم رتبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والإخلاص والصدق ونظائره وهم مغرورون يظنون بأنفسهم أنهم إذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق إليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله إلا عن قدر يسير لاينفك عنه عوام المسلمين وغرور هؤلاء أشد الغرور لأنهم يعجبون بأنفسهم غاية الإعجاب ويظنون أنهم ماتبحروا في علم المحبة إلا وهم محبون لله وما قدروا على تحقيق دقائق الاخلاص إلا وهم مخلصون وما وقفوا على خفايا عيوب النفس إلا وهم عنها منزهون ولولا أنه مقرب عند الله لما عرفه معنى القرب والبعد وعلم السلوك إلى الله وكيفية قطع المنازل في طريق الله فالمسكين بهذه الظنون يرى أنه من الخائفين وهو آمن من الله تعالى ويرى أنه من الراجين وهو من المغترين المضيعين ويرى أنه من الراضين بقضاء الله وهو من الساخطين ويرى أنه من المتوكلين على الله وهو من المتكلين على العز والجاه والمال والأسباب ويرى أنه من المخلصين وهو من المرائين بل يصف الإخلاص فيترك الاخلاص في الوصف ويصف الرياء ويذكره وهو يرائي بذكره ليعتقد فيه أنه لولا أنه مخلص لما اهتدى إلى دقائق الرياء ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعاء إلى الله وهو منه فار ويخوف بالله تعالى وهو منه آمن ويذكر بالله تعالى وهو له ناس ويقرب إلى الله وهو منه متباعد ويحث على الاخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات المذمومة وهو بها متصف ويصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق أشد حرصا لو منع عن مجلسه الذي يدعو الناس فيه إلى الله لضاقت عليه الأرض بما رحبت ويزعم أن غرضه إصلاح الخلق ولو ظهر من أقرانه من أقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا ولو أثنى أحد من المترددين إليه على بعض أقرانه لكان أبغض خلق الله إليه فهؤلاء أعظم الناس غرة وأبعدهم عن التنبه والرجوع إلى السداد لأن المرغب في الأخلاق المحمودة والمنفر عن المذمومة هو العلم بغوائلها وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه وإنما المخوف مايتلوه على عباد الله فيخافون وهو ليس بخائف نعم إن ظن نفسه أنه موصوف بهذه الصفات المحمودة يمكن أن يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو أن يدعي مثلا حب الله فما الذي تركه من محاب نفسه لأجله ويدعي الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف ويدعي الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعي الأنس بالله فمتى طابت له الخلوة ومتى استوحش من مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه يمتلىء بالحلاوة إذا أحدق به المريدون وتراه يستوحش إذا خلا بالله تعالى فهل رأيت محبا يستوحش من محبوبه ويستروح منه إلى غيره فالأكياس يمتحنون أنفسهم بهذه الصفات ويطلبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموثق من الله غليظ والمغترون يحسنون بأنفسهم الظنون وإذا كشف الغطاء عنهم في الآخرة يفتضحون بل يطرحون في النار فتندلق أقتابهم فيدور بها أحدهم كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر لأنهم يأمرون بالخير ولا يأتونه وينهون عن الشر ويأتونه وإنما وقع الغرور لهؤلاء من حيث إنهم يصادفون في قلوبهم شيئا ضعيفا من أصول هذه المعاني وهو حب الله والخوف منه والرضا بفعله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية في هذه المعاني فظنوا أنهم ماقدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله علمه وما نفع الناس بكلامهم فيها إلا لاتصافهم بها وذهب عليهم أن القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة للعلم وأن كل ذلك غير الاتصاف بالصفة

حيز الجهل فاستعمال الطهور أمر شرعي له تأثير في تنوير القلب بإزاء النوم الذي هو الحكم الطبيعي الذي له تأثير في تكدير القلب فيذهب نور هذا بظلمة ذلك ولهذا رأى بعض العلماء الوضوء مما مست النار وحكم أبو حنيفة رحمه الله بالوضوء من القهقهة في الصلاة حيث رآها حكما طبيعيا جالبا للاثم والإثم رجز من الشيطان والماء يذهب رجز الشيطان حتى كان بعضهم يتوضأ من الغيبة والكذب وعند الغضب لظهور

فلم يفارق آحاد المسلمين فى الاتصاف بصفة الحبّ والخوف بل فى القدرة على الوصف بل ربما زاد أمنه وقلّ خوفه وظهر إلى الخلق ميله وضعف فى قلبه حب الله تعالى ، وإنما مثاله مثال مريض يصف المرض ويصف دواءه بفصاحته ويصف الصحة والشفاء وغيره من المرضى لايقدر على وصف الصحة والشفاء وأسبابه ودرجاته وأصنافه فهو لايفارقهم فى صفة المرض والاتصاف به وإنما يفارقه فى الوصف والعلم بالطبّ فظنه عند علمه بحقيقة الصحة أنه صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف والحبّ والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بحقائقها ، ومن التبس عليه وصف الحقائق بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور فهذه حالة الوعاظ الذين لاعيب فى كلامهم بل منهاج وعظهم منهاج وعظ القرآن والأخبار ووعظ الحسن البصرى وأمثاله رحمة الله عليهم . وفرقة أخرى . منهم عدلوا عن المنهاج الواجب فى الوعظ وهم وعاظ أهل هذا الزمان كافة إلا من عصمه الله على الندور فى بعض أطراف البلاد إن كان ولسنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبا للإغراب ، وطائفة شغفوا بطيارات النكت وتسجيع الألفاظ وتلفيقها فأكثر هممهم بالأسجاع والاستشهاد بأشعار الوصال والفراق وغرضهم أن تكثر فى مجالسهم الزعقات والتواجد ولو على أغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الانس ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل فان الأوّلين وإن لم يصلحوا أنفسهم فقد أصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم ، وأما هؤلاء فانهم يصدّون عن سبيل الله ويجرّون الخلق إلى الغرور بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جراءة على المعاصى ورغبة فى الدنيا ، لاسيما إذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمراكب فانه تشهد هيئته من فرقه إلى قدمه بشدة حرصه على الدنيا فما يفسده هذا المغرور أكثر مما يصلحه بل لايصلح أصلا ويضل خلقا كثيرا ولا يخفى وجه كونه مغرورا . وفرقة أخرى منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد وأحاديثهم فى ذمّ الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدّونها من غير إحاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على المنابر ، وبعضهم فى المحاريب ، وبعضهم فى الأسواق مع الجلساء وكل منهم يظنّ أنه إذا تميز بهذا القدر عن السوقة والجندية إذ حفظ كلام الزهاد وأهل الدين دونهم فقد أفلح ونال الغرض وصار مغفورا له وأمن عقاب الله من غير أن يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام ولكنه يظنّ أن حفظه لكلام أهل الدين يكفيه ، وغرور هؤلاء أظهر من غرور من قبلهم . وفرقة أخرى استغرقوا أوقاتهم فى علم الحديث أعنى فى سماعه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الأسانيد الغريبة العالية فهمة أحدهم أن يدور فى البلاد ويرى الشيوخ ليقول أنا أروى عن فلان ولقد رأيت فلانا ومعى من الاسناد ما ليس مع غيرى ، وغرورهم من وجوه : منها أنهم كملة الأسفار فانهم لايصرفون العناية إلى فهم معانى السنة فعلمهم قاصر وليس معهم إلا النقل ويظنون أنّ ذلك يكفيهم . ومنها أنهم إذا لم يفهموا معانيها لايعملون بها وقد يفهمون بعضها أيضا ولايعملون به . ومنها أنهم يتركون العلم الذى هو فرض عين وهو معرفة علاج القلب ويشتغلون بتكثير الأسانيد وطلب العالى منها ولا حاجة بهم إلى شئ من ذلك . ومنها وهو الذى أكب عليه أهل الزمان أنهم أيضا لايقيمون بشرط السماع فان السماع بمجرده وإن لم تكن له فائدة ولكنه مهم فى نفسه للوصول إلى إثبات الحديث إذ التفهم بعد الاثبات والعمل بعد التفهم فالأول السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبى يحضر فى مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ ينام والصبى يلعب ثم يكتب اسم الصبى فى السماع فاذا كبر تصدى ليسمع منه والبالغ الذى يحضر ربما يغفل ولايسمع ولايصغى ولايضبط وربما يشتغل بحديث أو نسخ والشيخ الذى يقرأ عليه لو صحف وغير ما يقرأ عليه

النفس وتصرف الشيطان فى هذه المواطن ، ولو أن المتحفظ المراعى المراقب المحاسب كلما انطلقت النفس فى مباح من كلام أو مساكنة إلى مخالطة الناس أو غير ذلك مما هو بعرضة تحليل عقد العزيمة كالخوض فيما لايعنى قولا وفعلا عقب ذلك بتجديد الوضوء لثبت القلب على طهارته ونزاهته ولكان الوضوء لصفاء البصيرة بمثابة الجفن الذى لايزال بخفة حركته يجلو البصر ـ وما يعقلها إلا العالمون ـ فتفكر

لم يشعر به ولم يعرفه ، وكل ذلك جهل وغرور . إذ الأصل فى الحديث أن يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحفظه كما سمعه ويرويه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان عجزت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من الصحابة أو التابعين وصار سماعك عن الراوى كسماع من سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن تصغى لتسمع فتحفظ وتروى كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفا ولو غير غيرك منه حرفا أو أخطأ علمت خطأه ولحفظك طريقان : أحدهما أن تحفظ بالقلب وتستديمه بالذكر والتكرار كما تحفظ ماجرى على سمعك فى مجارى الأحوال . والثانى أن تكتب كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه حتى لا تصل إليه يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب معك وفى خزانتك فانه لو امتدت إليه يد غيرك ربما غيره فاذا لم تحفظه لم تشعر بتغييره فيكون محفوظا بقلبك أو بكتابك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته وتأمن فيه من التغيير والتحريف ، فاذا لم تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة لذلك الشيخ وجوّزت أن يكون مافيه مغيرا أو يفارق حرف منه للنسخة التى سمعتها لم يجز لك أن تقول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدرى لعلك لم تسمع مافيه بل سمعت شيئا يخالف مافيه ولو فى كلمة ، فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها لتقابل بها فمن أين تعلم أنك سمعت ذلك وقد قال الله تعالى ـ ولا تقف ماليس لك به علم ـ وقول الشيوخ كلهم فى هذا الزمان إنا سمعنا مافى هذا الكتاب إذا لم يوجد الشرط الذى ذكرناه فهو كذب صريح . وأقل شروط السماع أن يجرى الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر معه بالتغيير ، ولو جاز أن يكتب سماع الصبى والغافل والنائم والذى ينسخ لجاز أن يكتب سماع المجنون والصبى فى المهد ، ثم إذا بلغ الصبى وأفاق المجنون يسمع عليه ولا خلاف فى عدم جوازه ولو جاز ذلك لجاز أن يكتب سماع الجنين فى البطن فان كان لا يكتب سماع الصبى فى المهد لأنه لا يفهم ولا يحفظ. فالصبى الذى يلعب والغافل والمشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ وإن استجرأ جاهل فقال يكتب سماع الصبى فى المهد فليكتب سماع الجنين فى الباطن فان فرق بينهما بأن الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فما ينفع هذا وهو إنما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر إذا صار شيخا على أن يقول سمعت بعد بلوغى أنى فى صباى حضرت مجلسا يروى فيه حديث كان يقرع سمعى صوته ولا أدرى ماهو فلا خلاف فى أن الرواية كذلك لا تصح ومازاد عليه فهو كذب صريح ولو جاز إثبات سماع التركى الذى لا يفهم العربية لأنه سمع صوتا غفلا لجاز إثبات سماع صبى فى المهد وذلك غاية الجهل ، ومن أين يأخذ هذا ؟ وهل للسماع مستند إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فأدّاها كما سمعها (١)» وكيف يؤدّى كما سمع من لا يدرى ماسمع فهذا أفحش أنواع الغرور وقد بلى بهذا أهل الزمان ولو احتاط أهل الزمان لم يجدوا شيوخا إلا الذين سمعوه فى الصبا على هذا الوجه مع الغفلة إلا أن للمحدّثين فى ذلك جاها وقبولا فخاف المساكين أن يشترطوا ذلك فيقل من يجتمع لذلك فى حلقهم فينقص جاههم وتقل أيضا أحاديثهم التى قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدموا ذلك واتضحوا فاصطلحوا على أنه ليس يشترط إلا أن يقرع سمعه دمدمة وإن كان لا يدرى مايجرى ، وصحة السماع لا تعرف من قول المحدثين لأنه ليس من علمهم بل من علم

(١) حديث نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها الحديث أصحاب السنن وابن حبان من حديث زيد ابن ثابت والترمذى وابن ماجه من حديث ابن مسعود وقال الترمذى حديث حسن صحيح وابن ماجه فقط من حديث جبير بن مطعم وأنس .

فيما نبهتك عليه تجد بركته وأثره ، ولو اغتسل عند هذه المتجدّدات والعوارض والانتباه من النوم لكان أزيد فى تنوير قلبه ولكان الأجدر أن العبد يغتسل لكل فريضة باذلا مجهوده فى الاستعداد لمناجاة الله ويجدّد غسل الباطن بصدق الإنابة وقد قال الله تعالى ـ منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ـ قدم الإنابة للدخول فى الصلاة ولكن من رحمة الله تعالى وحكم الحنيفية السهلة السمحة أن رفع الحرج وعوض

علماء الأصول بالفقه وما ذكرناه مقطوع به فى قوانين أصول الفقه فهذا غرور هؤلاء ولو صمموا على الشرط لكانوا أيضا مغرورين فى اقتصارهم على النقل وفى إفناء أعمارهم فى جمع الروايات والأسانيد وإعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معانى الأخبار بل الذى يقصد من الحديث سلوك طريق الآخرة ربما يكفيه الحديث الواحد عمره كما روى عن بعض الشيوخ أنه حضر مجلس السماع فكان أول حديث روى قوله عليه الصلاة والسلام « من حسن إسلامه المرء تركه مالا يعنيه[1] » فقام وقال يكفينى هذا حتى أفرغ منه ثم أسمع غيره ، فهكذا يكون سماع الأكياس الذين يحذرون الغرور . وفرقة أخرى : اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا أنهم قد غفر لهم وأنهم من علماء الأمة إذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو فأفنى هؤلاء أعمارهم فى دقائق النحو وفى صناعة الشعر وفى غريب اللغة ومثالهم كمن يفنى جميع العمر فى تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها ويزعم أن العلوم لا يمكن حفظها إلا بالكتابة فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعلم أنه يكفيه أن يتعلم أصل الخط بحيث يمكن أن يقرأ كيفما كان والباقى زيادة على الكفاية وكذلك الأديب لو عقل لعرف أن لغة العرب كلغة الترك والمضيع عمره فى معرفة لغة العرب كالمضيع له فى معرفة لغة الترك والهند وإنما فارقتها لغة العرب لأجل ورود الشريعة بها فيكفى من اللغة علم الغريبين فى الأحاديث والكتاب ومن النحو مايتعلق بالحديث والكتاب فأما التعمق فيه إلى درجات لاتتناهى فهو فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه وأعرض عن معرفة معانى الشريعة والعمل بها فهذا أيضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع عمره فى تصحيح مخارج الحروف فى القرآن واقتصر عليه وهو غرور إذ المقصود من الحروف المعانى وإنما الحروف ظروف وأدوات ومن احتاج إلى أن يشرب السكنجبين ليزول مابه من الصفراء وضيع أوقاته فى تحسين القدح الذى يشرب فيه السكنجبين فهو من الجهال المغرورين فكذلك غرور أهل النحو واللغة والأدب والقراءات والتدقيق فى مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها وتجردوا لها وعرجوا عليها أكثر مما يحتاج إليه فى تعلم العلوم التى هى فرض عين فالب الأقصى هو العمل والذى فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة إلى مافوقه وما فوقه هو سماع الألفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بطريق الاضافة إلى المعرفة ولب بالاضافة إلى مافوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهو القشر الأعلى العلم بمخارج الحروف والقانعون بهذه الدرجات كلهم مغترون إلا من اتخذ هذه الدرجات منازل فلم يعرج عليها إلا بقدر حاجته فتجاوز إلى ماوراء ذلك حتى وصل إلى لباب العمل فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه ورجى عمره فى حمل النفس عليه وتصحيح الأعمال وتصفيتها عن الشوائب والآفات فهذا هو المقصود المحمود من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل إليه وقشور له ومنازل بالاضافة إليه وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان فى المنزل القريب أو فى المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها أربابها . فأما علم الطب والحساب والصناعات وما يعلم أنه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد أصحابها أنهم ينالون المغفرة بها من حيث إنها علوم فكان الغرور بها أقل من الغرور بعلوم الشرع لأن العلوم الشرعية مشتركة فى أنها محمودة كما يشارك القشر اللب فى كونه محمودا ولكن المحمود منه لعينه هو المنتهى والثانى محمود للوصول به إلى المقصود الأقصى فمن اتخذ القشر مقصودا وعرج عليه فقد اغتر به . وفرقة أخرى : عظم غرورهم

(١) من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه الترمذى وقال غريب وابن ماجه من حديث أبى هريرة وهو عند مالك من رواية على بن الحسين مرسلا وقد تقدم .

بالوضوء عن الغسل وجوز أداء مفترضات بوضوء واحد دفعا للحرج عن عامة الأمة وللخواص وأهل العزيمة مطالبات من بواطنهم تحكم عليهم بالأولى وتلجئهم إلى سلوك طريق الأعلى فاذا قام إلى الصلاة وأراد استفتاح التهجد يقول الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ويقول سبحان الله والحمد لله الكلمات عشر مرات ويقول الله أكبر ذو الملك والملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال

في فن الفقه فظنوا أن حكم العبد بينه وبين الله يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا الحيل في دفع الحقوق وأساءوا تأويل الألفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر وأخطئوا فيها وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والغرور فيه والخطأ في الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة إلا الأكياس منهم فنشير إلى أمثلة : فمن ذلك فتواهم بأن المرأة متى أبرأت من الصداق برئ الزوج بينه وبين الله تعالى وذلك خطأ بل الزوج قد يسيء إلى الزوجة بحيث يضيق عليها الأمور بسوء الخلق فتضطر إلى طلب الخلاص فتبرىء الزوج لتتخلص منه فهو إبراء لاعلى طيبة نفس وقد قال تعالى ـ فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ـ وطيبة النفس غير طيبة القلب فقد يريد الانسان بقلبه مالا تطيب به نفسه فانه يريد الحجامة بقلبه ولكن تكرهها نفسه وإنما طيبة النفس أن تسمح نفسها بالإبراء لاعن ضرورة تقابله حتى إذا رددت بين ضررين اختارت أهونهما فهذه مصادرة على التحقيق باكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والأغراض فينظر إلى الإبراء الظاهر وأنها لم تكره بسبب ظاهر والاكراه الباطن ليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى القاضي الأكبر في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الإبراء ولذلك لايحل أن يؤخذ مال إنسان إلا بطيب نفس منه فلو طلب من الانسان مالا على ملأ من الناس فاستحيا من الناس أن لايعطيه وكان يود أن يكون سؤاله في خلوة حتى لايعطيه ولكن خاف ألم مذمة الناس وخاف ألم تسليم المال وردد نفسه بينهما فاختار أهون الألمين وهو ألم التسليم فسلمه فلافرق بين هذا وبين المصادرة إذ معنى المصادرة إيلام البدن بالصوت حتى يصير ذلك أقوى من ألم القلب ببذل المال فيختار أهون الألمين والسؤال في مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب بالسوط ولافرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فان الباطن عند الله تعالى ظاهر وإنما حاكم الدنيا هو الذي يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت لأنه لايمكنه الوقوف على مافي القلب وكذلك من يعطي اتقاء لشر لسانه أو لشر سعايته فهو حرام عليه وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام ألا ترى ماجاء في قصة داود عليه السلام حيث قال بعد أن غفر له يارب كيف لي بخصمي فأمر بالاستحلال منه وكان ميتا فأمر بندائه في صخرة بيت المقدس فنادى ياأوريا فأجابه لبيك يانبي الله أخرجتني من الجنة فماذا تريد ؟ فقال إني أسأت إليك في أمر فهبه لي قال قد فعلت ذلك يانبي الله فانصرف وقد ركن إلى ذلك فقال له جبريل عليه السلام هل ذكرت له مافعلت ؟ قال لا قال فارجع فبين له فرجع فناداه فقال لبيك يانبي الله فقال إني أذنبت إليك ذنبا قال ألم أهبه لك قال ألا تسألني مادلك الذنب قال ماهو يانبي الله ؟ قال كذا وكذا وذكر شأن المرأة فانقطع الجواب ، فقال ياأوريا ألا تجيبني قال يانبي الله ماهكذا يفعل الانبياء حتى أقف معك بين يدي الله فاستقبل داود البكاء والصراخ من الرأس حتى وعده الله أن يستوهبه منه في الآخرة ، فهذا ينبهك أن الهبة من غير طيبة قلب لاتفيد وأن طيبة القلب لاتحصل إلا بالمعرفة فكذلك طيبة القلب لاتكون في الابراء والهبة وغيرهما إلا إذا خلى الانسان واختياره حتى تنبعث الدواعي من ذات نفسه لاأن تضطر بواعثه إلى الحركة بالحيل والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة في آخر الحول من زوجته واتهابه مالها لاسقاط الزكاة فالفقيه يقول سقطت الزكاة فان أراد به أن مطالبة السلطان والساعي سقطت عنه فقد صدق فان مطمح نظرهم ظاهر الملك وقد زال وإن ظن أنه يسلم في القيامة ويكون كمن لم يملك المال أو كمن باع لحاجته إلى البيع لاعلى هذا القصد فما أعظم جهله بفقه الدين وسر الزكاة فان سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال صلى الله عليه وسلم

والقدرة اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ومن عليهن أنت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد عليه السلام حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ماقدمت وماأخرت وماأسررت وما أعلنت أنت المقدم

«ثلاث مهلكات شح مطاع (١)» وإنما صار شحه مطاعا بما فعله وقبله لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه بما يظن أن فيه خلاصه فان الله مطلع على قلبه وحبه المال وحرصه عليه وأنه بلغ من حرصه على المال أن استنبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهل والغرور ومن ذلك إباحة الله مال المصالح للفقيه وغيره بقدر الحاجة والفقهاء المغرورون لا يميزون بين الأماني والفضول والشهوات وبين الحاجات بل كل مالا تتم رعونتهم إلا به يرونه حاجة وهو محض الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد إليها فى العبادة وسلوك طريق الآخرة فكل ماتناوله العبد للاستعانة به على الدين والعبادة فهو حاجته وماعدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولو ذهبنا نصف غرور الفقهاء فى أمثال هذا لملأنا فيه مجلدات والغرض من ذلك التنبيه على أمثلة تعرف الأجناس دون الاستيعاب فان ذلك يطول . الصنف الثانى : أرباب العبادة والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره فى الصلاة ومنهم من غروره فى تلاوة القرآن ومنهم فى الحج ومنهم فى الغزو ومنهم فى الزهد و كذلك كل مشغول بنهج من مناهج العمل فليس خاليا عن غرور إلا الأكياس وقليل ماهم . فمنهم فرقة : أهملوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل والنوافل وربما تعمقوا فى الفضائل حتى خرجوا إلى العدوان والسرف كالذى تغلب عليه الوسوسة فى الوضوء فيبالغ فيه ولا يرضى الماء المحكوم بطهارته فى فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة فى النجاسة وإذا آل الأمر إلى أكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما أكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء إلى الطعام لكان أشبه بسيرة الصحابة إذ توضأ عمر رضى الله عنه بماء فى جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان مع هذا يدع أبوابا من الحلال مخافة من الوقوع فى الحرام ثم من هؤلاء من يخرج إلى الاسراف فى صب الماء وذلك منهى عنه (٢) وقد يطول الأمر حتى يضيع الصلاة ويخرجها عن وقتها وإن لم يخرجها أيضا عن وقتها فهو مغرور لما فاته من فضيلة أول الوقت وإن لم يفته فهو مغرور لاسرافه فى الماء وإن لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذى هو أعز الأشياء فيما له مندوحة عنه إلا أن الشيطان يصد الخلق عن الله بطريق سنى ولا يقدر على صد العباد إلا بما يخيل إليهم أنه عبادة فيبعدهم عن الله بمثل ذلك . وفرقة أخرى : غلب عليها الوسوسة فى نية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلاة عن الوقت وإن تم تكبيره فيكون فى قلبه بعد تردد فى صحة نيته وقد يوسوسون فى التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك فى أول الصلاة ثم يغفلون فى جميع الصلاة فلا يحضرون قلوبهم ويغترون بذلك ويظنون أنهم إذا أتعبوا أنفسهم فى تصحيح النية فى أول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم . وفرقة أخرى : تغلب عليهم الوسوسة فى إخراج حروف الفاتحة وسائر الأذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط فى التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف فى جميع صلاته لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلا عن معنى القرآن والاتعاظ به وصرف الفهم إلى أسراره وهذا من أقبح أنواع الغرور فانه لم يكلف الخلق فى تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف إلا بما جرت به عادتهم فى الكلام .

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث النهى عن الاسراف فى الوضوء الترمذى وضعفه وابن ماجه من حديث أبى بن كعب إن للوضوء شيطانا يقال له الولهان الحديث وتقدم فى عجائب القلب .

وأنت المؤخر لا إله إلا أنت اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم اهدنى لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت أسألك مسئلة البائس المسكين وأدعوك دعاء الفقير الذليل فلا تجعلنى بدعائك رب شقيا وكن بى رءوفا رحيما ياخير المسئولين ويا أكرم المعطين ثم يصلى ركعتين تحية الطهارة يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة

ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة إلى مجلس سلطان وأمر أن يؤدّيها على وجهها فأخذ يؤدّي الرسالة ويتأنق فى مخارج الحروف ويكررها ويعيدها مرة بعد أخرى وهو فى ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فما أحراه بأن تقام عليه السياسة ويرد إلى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل.

وفرقة أخرى : اغتروا بقراءة القرآن فيهذونه هذا وربما يختمونه فى اليوم والليل مرة ولسان أحدهم يجرى به وقلبه يتردد فى أودية الأمانى إذ لا يتفكر فى معانى القرآن لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند أوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار فيه إلى غير ذلك مما ذكرناه فى كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن أن المقصود من إنزال القرآن الهمهمة به مع الغفلة عنه.

ومثاله : مثال عبد كتب إليه مولاه ومالكه كتابا وأشار عليه فيه بالأوامر والنواهى فلم يصرف عنايته إلى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما أمره به مولاه إلا أنه يكرر الكتاب بصوته ونغمته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة ومهما ظن أن ذلك هو المراد منه فهو مغرور . نعم تلاوته إنما تراد لكيلا ينسى بعد لحفظه وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويلتذ به ويغتر باستلذاذه ويظن أن ذلك لذة مناجاة الله تعالى وسماع كلامه وإنما هى لذته فى صوته ولو ردد ألحانه بشعر أو كلام آخر لالتذ به ذلك الالتذاذ فهو مغرور إذ لم يتفقد قلبه فيعرفه أن لذته بكلام الله تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه أو بصوته.

وفرقة أخرى : اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر أو صاموا الأيام الشريفة وهم فيها لا يحفظون ألسنتهم عن الغيبة وخواطرهم عن الرياء وبطونهم عن الحرام عند الإفطار وألسنتهم عن الهذيان بأنواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيهمل الفرائض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور . وفرقة أخرى : اغتروا بالحج فيخرجون إلى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الاسلام ويضيعون فى الطريق الصلاة والفرائض ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يحذرون فى الطريق من الرفث والخصام وربما جمع بعضهم الحرام وأنفقه على الرفقاء فى الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فيعصى الله تعالى فى كسب الحرام أولا وفى إنفاقه بالرياء ثانيا فلا هو أخذه من حله ولا هو وضعه فى حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذائل الأخلاق وذميم الصفات لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن أنه على خير من ربه فهو مغرور .

وفرقة أخرى : أخذت فى طريق الحسبة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ينكر على الناس ويأمرهم بالخير وينسى نفسه وإذا أمرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعزة وإذا باشر منكرا ورد عليه غضب وقال أنا المحتسب فكيف تنكر على وقد يجمع الناس إلى مسجده ومن تأخر عنه أغلظ القول عليه وإنما غرضه الرياء والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يؤذن ويظن أنه يؤذن لله ولو جاء غيره وأذن فى وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لم آخذ حقى وزوحمت على مرتبتى وكذلك قد يتقلد إمامة مسجد ويظن أنه على خير وإنما غرضه أن يقال إنه إمام المسجد فلو تقدم غيره وإن كان أورع وأعلم منه ثقل عليه . وفرقة أخرى: جاوروا بمكة أو المدينة واغتروا بمكة ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم فقلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة إلى قول من يعرفه أن فلانا مجاور بذلك وتراه يتحدى ويقول قد جاورت بمكة كذا كذا سنة وإذا سمع أن ذلك قبيح ترك صريح التحدى وأحب أن يعرفه الناس بذلك ثم إنه قد يجاور ويمد عين طمعه إلى أوساخ أموال الناس وإذا جمع من ذلك شيئا شح به وأمسكه لم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على فقير فيظهر فيه الرياء والبخل

والطمع

— ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم — الآية وفى الثانية — ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما — ويستغفر بعد الركعتين مرات ثم يستفتح الصلاة بركعتين خفيفتين إن أراد يقرأ فيهما بآية الكرسى وآمن الرسول وإن أراد غير ذلك ثم يصلى ركعتين طويلتين هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتهجد هكذا ثم يصلى ركعتين طويلتين أقصر من الأوليين وهكذا يتدرج إلى أن

والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك المجاورة ولكن حب المحمدة وأن يقال إنه من المجاورين ألزمه المجاورة مع التضمخ بهذه الرذائل فهو أيضا مغرور وما من عمل من الأعمال وعبادة من العبادات إلا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتها واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك إلا من جملة كتب إحياء علوم الدين فيعرف مداخل الغرور فى الصلاة من كتاب الصلاة وفى الحج من كتاب الحج والزكاة والتلاوة وسائر القربات من الكتب التى رتبناها فيها وإنما الغرض الآن الاشارة إلى مجامع ما سبق فى الكتب . وفرقة أخرى زهدت فى المال وقنعت من اللباس والطعام بالدون ومن السكن بالمساجد وظنت أنها أدركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب فى الرياسة والجاه إما بالعلم أو بالوعظ أو بمجرد الزهد فقد ترك أهون الأمرين وباء بأعظم المهلكين فان الجاه أعظم من المال ولو ترك الجاه وأخذ المال كان إلى السلامة أقرب فهذا مغرور إذ ظن أنه من الزهاد فى الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدر أن منتهى لذاتها الرياسة وأن الراغب فيها لا بد وأن يكون منافقا وحسودا ومتكبرا ومرائيا ومتصفا بجميع خبائث الأخلاق نعم وقد يترك الرياسة ويؤثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور إذ يتطول بذلك على الأغنياء ويخشن معهم الكلام وينظر إليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله ويتصف بجملة من خبائث القلوب وهو لا يدرى وربما يعطى المال فلا يأخذه خيفة من أن يقال بطل زهده ولو قيل له إنه حلال فخذه فى الظاهر ورده فى الخفية لم تسمح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب فى حمد الناس وهو من ألذ أبواب الدنيا ويرى نفسه أنه زاهد فى الدنيا وهو مغرور ومع ذلك فربما لا يخلو من توقير الأغنياء وتقديمهم على الفقراء والميل إلى المريدين له والمثنين عليه والنفرة عن السائلين إلى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان نعوذ بالله منه وفى العباد من يشدد على نفسه فى أعمال الجوارح حتى ربما يصلى فى اليوم والليلة مثلا ألف ركعة ويختم القرآن وهو فى جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات فلا يدرى أن ذلك مهلك وإن علم ذلك فلا يظن بنفسه ذلك وإن ظن بنفسه ذلك توهم أنه مغفور له لعمله الظاهر وأنه غير مؤاخذ بأحوال القلب وإن توهم فيظن أن العبادات الظاهرة تترجح بها كفة حسناته وهيهات وذرة من ذى تقوى وخلق واحد من أخلاق الأكياس أفضل من أمثال الجبال عملا بالجوارح ثم لا يخلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته وتلوث باطنه عن الرياء وحب الثناء فاذا قيل له أنت من أوتاد الأرض وأولياء الله وأحبابه فرح المغرور بذلك وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن أن تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا يدرى أن ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه . وفرقة أخرى حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض ترى أحدهم يفرح بصلاة الضحى وبصلاة الليل وأمثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها فى أول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه « ماتقرب المتقربون إلى بمثل أداء ماافترضت عليهم (١) » وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الانسان فرضان : أحدهما يفوت والآخر لا يفوت، أو فضلان أحدهما يضيق وقته والآخر يتسع وقته فان لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى فان المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وإنما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم الفرائض كلها على النوافل وتقديم فروض الأعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ماقاربه غيره وتقديم الأهم

(١) حديث ماتقرب المتقربون إلى بمثل أداء ما افترضت عليهم ، البخارى من حديث أبى هريرة بلفظ ماتقرب إلى عبدى .

يصلى اثنتى عشرة ركعة أو ثمان ركعات، أو يزيد على ذلك فان فى ذلك فضلا كثيرا والله أعلم .

[الباب الثامن والأربعون فى تقسيم قيام الليل]

قال الله تعالى ـ والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ـ وقيل فى تفسير قوله تعالى ـ فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ـ كان عملهم قيام الليل وقيل فى تفسير قوله تعالى ـ استعينوا بالصبر والصلاة ـ استعينوا بصلاة الليل على مجاهدة النفس ومصابرة العدو

من فروض الأعيان على مادونه وتقديم مايفوت على مالا يفوت وهذا كما يجب تقديم حاجة الوالدة على حاجة الوالد إذ « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له : من أبر يارسول الله . قال أمك ثم من قال أمك . قال ثم من قال أمك . قال ثم من قال أباك . قال ثم من . قال أدناك فأدناك[1] » فينبغي أن يبدأ في الصلة بالأقرب، فان استويا فبالأحوج فان استويا فبالأتقى والأورع وكذلك من لا يفي ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو مغرور بل ينبغي أن يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض أهم على فرض هو دونه وكذلك إذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة فالجمعة تفوت والاشتغال بالوفاء بالوعد معصية وإن كان هو طاعة في نفسه ، وكذلك قد تصيب ثوبه النجاسة فيغلظ القول على أبويه وأهله بسبب ذلك فالنجاسة محذورة وإيذاؤها محذور . والحذر من الايذاء أهم من الحذر من النجاسة . وأمثلة تقابل المحذورات والطاعات لاتنحصر . ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور ، وهذا غرور في غاية الغموض لأن المغرور فيه في طاعة إلا أنه لا يفطن لصيرورة الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هي أهم منها ومن جملته الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل من الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب لأن مقصود الفقه معرفة مايحتاج إليه غيره في حوائجه ، فمعرفة مايحتاج هو إليه في قلبه أولى به إلا أن حب الرياسة والجاه ولذة المباهاة وقهر الأقران والتقدم عليهم يعمى عليه حتى يغتر به مع نفسه ويظن أنه مشغول بهم دينه . الصنف الثالث المتصوفة وما أغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق كثيرة . ففرقة منهم وهم متصوفة أهل الزمان إلا من عصمه الله اغتروا بالزى والهيئة والمنطق فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم وفي ألفاظهم وفي آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث إلى غير ذلك من الشمائل والهيئات فلما تكلفوا هذه الأمور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضا صوفية ولم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم في الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئا منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم أعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه . وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امرأة عجوز سمعت أن الشجعان والأبطال من القاتلين ثبتت أسماؤهم في الديوان ويقطع لكل واحد منهم قطر من أقطار المملكة فتاقت نفسها إلى أن يقطع لها مملكة فلبست درعا ووضعت على رأسها مغفرا وتعلمت من رجز الأبطال أبياتا وتعودت إيراد تلك الأبيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيفية تبخترهم في الميدان وكيف تحريكهم الأيدى وتلقفت جميع شمائلهم في الزى والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت إلى المعسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان فلما وصلت إلى المعسكر أنفذت إلى ديوان العرض وأمر بأن تجرد عن المغفر والدرع وينظر ماتحته وتمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر عنائها في الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فاذا هي عجوزة ضعيفة زمنة لاتطيق حمل الدرع والمغفر ؟ فقيل لها أجئت للاستهزاء بالملك وللاستخفاف بأهل حضرته والتلبيس عليهم

(١) حديث من أبر قال أمك الحديث الترمذى والحاكم وصححه من حديث زيد بن حكيم عن أبيه عن جده وقد تقدم في آداب الصحبة .

وفي الخبر «عليكم بقيام الليل فانه مرضاة لربكم وهو دأب الصالحين قبلكم ومنهاة عن الاثم وملغاة للوزر ومذهب كيد الشيطان ومطردة للداء عن الجسد . وقد كان جمع من الصالحين يقومون الليل كله حتى نقل ذلك عن أربعين من التابعين كانوا يصلون الغداة بوضوء العشاء . منهم سعيد بن المسيب وفضيل بن عياض . ووهيب بن الورد . وأبو سليمان الدارانى . وعلى بن بكار . وحبيب العجمى . وكهمس ابن المنهال . وأبو حازم ومحمد بن المنكدر . وأبو حنيفة رحمه الله

خذوها فألقوها قدام الفيل لسخفها فألقيت إلى الفيل فهكذا يكون حال المدعين للتصوف في القيامة إذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الأكبر الذي لا ينظر إلى الزي والرقع بل إلى سر القلب. وفرقة أخرى: زادت على هؤلاء في الغرور إذ شق عليها الاقتداء بهم في بذاذة الثياب والرضاء بالدون فأرادت أن تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزين بزيهم فتركوا الحرير والإبريسم وطلبوا المرقعات النفيسة والفوط الرقيقة والسجادات المصبغة ولبسوا من الثياب وهو أرفع قيمة من الحرير والإبريسم وظن أحدهم مع ذلك أنه متصوف بمجرد لون الثوب وكونه مرقعا ونسي أنهم إنما لونوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لإزالة الوسخ، وإنما لبسوا المرقعات إذ كانت ثيابهم مخرقة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد. فأما تقطيع الفوط الرقيقة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن أين يشبه ما اعتادوه فهؤلاء أظهر حماقة من كافة المغرورين فانهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الأطعمة ويطلبون رغد العيش ويأكلون أموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بأنفسهم الخير وشر هؤلاء مما يتعدى إلى الخلق إذ يهلك من يقتدي بهم ومن لا يقتدي بهم تفسد عقيدته في أهل التصوف كافة ويظن أن جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك من شؤم المتشبهين وشرهم. وفرقة أخرى: ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والأحوال والملازمة في عين الشهود والوصول إلى القرب ولا يعرف هذه الأمور إلا بالأسامي والألفاظ لأنه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن أن ذلك أعلى من علم الأولين والآخرين فهو ينظر إلى الفقهاء والمفسرين والمحدثين وأصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام، حتى إن الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم أياما معدودة ويلتقف منهم تلك الكلمات المزيفة فيرددها كأنه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الأسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء، فيقول في العباد إنهم أجراء متعبون، ويقول في العلماء إنهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعي لنفسه أنه الواصل إلى الحق وأنه من المقربين، وهو عند الله من الفجار المنافقين، وعند أرباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه. وفرقة أخرى: وقعت في الاباحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الأحكام وسووا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم أن الله مستغن عن عملي فلم أتعب نفسي. وبعضهم يقول: قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن، وإنما يغتر به من لم يجرب. وأما نحن فقد جربنا وأدركنا أن ذلك محال، ولا يعلم الأحمق أن الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من أصلهما بل إنما كلفوا قلع مادتهما بحيث ينقاد كل واحد منهما لحكم العقل والشرع. وبعضهم يقول الأعمال بالجوارح لا وزن لها، وإنما النظر إلى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصلة إلى معرفة الله وإنما نخوض في الدنيا بأبداننا وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون أنهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية وأن الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها ويرفعون درجة أنفسهم على درجة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذ كانت تصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية وأصناف غرور أهل الاباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على أغاليط ووساوس يخدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل إحكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم صالح للاقتداء به وإحصاء أصنافهم يطول.

تعالى وغيرهم عدهم وسماهم بأنسابهم الشيخ أبو طالب المكي في كتابه قوت القلوب فمن عجز عن ذلك يستحب له قيام ثلثيه أو ثلثه. وأقل الاستحباب سدس الليل فإما أن ينام ثلث الليل الأول ويقوم نصفه وينام سدسه الآخر أو ينام النصف الأول ويقوم ثلثه أو ينام السدس. روى أن داود عليه السلام قال يارب إني أحب أن أتعبد لك فأي وقت أقوم فأوحى الله تعالى إليه: يا داود لا تقم أول الليل ولا آخره فانه من قام أوله نام آخره ومن قام آخره نام أوله ولكن قم وسط الليل حتى

وفرقة أخرى : جاوزت حدّ هؤلاء واجتنبت الأعمال وطلقت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار أحدهم يدعى للمقامات من الزهد والتوكل والرضاء والحبّ من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها ، فمنهم من يدعى الوجد والحب لله تعالى ويزعم أنه واله بالله ولعله قد تخيل فى الله خيالات هى بدعة أو كفر فيدعى حب الله قبل معرفته ثم إنه لايخلو عن مقارفة مايكره الله عز وجل وعن إيثار هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الأمور حياء من الخلق ولو خلا لما تركه حياء من الله تعالى وليس يدرى أن كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يميل إلى القناعة والتوكل فيخوض البوادى من غير زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدرى أن ذلك بدعة لم تنقل عن السلف والصحابة وقد كانوا أعرف بالتوكل منه فما فهموا أن التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لاعلى الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الأسباب واثق به وما من مقام من المقامات المنجيات إلا وفيه غرور وقد اغترّ به قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات فى ربع المنجيات من الكتاب فلا يمكن إعادتها ، وفرقة أخرى : ضيقت على نفسها فى أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص وأهملوا تفقد القلب والجوارح فى غير هذه الخصلة الواحدة ، ومنهم من أهمل الحلال فى مطعمه وملبسه ومسكنه وأخذ يتعمق فى غير ذلك وليس يدرى المسكين أن الله تعالى لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الأعمال دون طلب الحلال بل لايرضيه إلا تفقد جميع الطاعات والمعاصى ، فمن ظنّ أن بعض هذه الأمور يكفيه وينجيه فهو مغرور . وفرقة أخرى : ادّعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدّوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وإنما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاع وهم يظهرون أن غرضهم الارفاق وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون أن غرضهم الخدمة والتبعية ثم إنهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم لتكثر أتباعهم وينشر بالخدمة اسمهم وبعضهم يأخذ أموال السلاطين لينفق عليهم وبعضهم يأخذها لينفق فى طريق الحج على الصوفية ويزعم أن غرضه البرّ والانفاق وباعث جميعهم الرياء والسمعة وآية ذلك إهمالهم لجميع أوامر الله تعالى عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم بأخذ الحرام والانفاق منه ومثال من ينفق الحرام فى طريق الحج لارادة الخير كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالعذرة ويزعم أن قصده العمارة . وفرقة أخرى : اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الأخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرفة فهم فى جميع أحوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام فى آفاتها فيقولون هذا فى النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والالتفات إلى كونه عيبا عيب ويشغفون فيه بكلمات مسلسلة تضيع الأوقات فى تلفيقها ومن جعل طول عمره فى التفتيش عن عيوب وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لايغنيه . وفرقة أخرى : جاوزوا هذه الرتبة وابتدءوا سلوك الطريق وانفتح لهم أبواب المعرفة فكلما تشمموا من مبادى المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها وأعجبتهم غرابتها فتقيدت قلوبهم بالالتفات إليها والتفكر فيها وفى كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور لأن عجائب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل أعجوبة وتقيد بها قصرت خطاه وحرم الوصول إلى المقصد وكان مثاله مثال من قصد ملكا فرأى على باب ميدانه روضة فيها أزهار وأنوار لم يكن قد رأى قبل ذلك مثلها فوقف ينظر إليها ويتعجب حتى فاته الوقت الذى يمكن فيه لقاء الملك . وفرقة أخرى : جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا إلى مايفيض عليهم من الأنوار فى

تخلوبى وأخلو بك وارفع إلىّ حوائجك ويكون القيام بين نومتين وإلا فيغالب النفس من أول الليل ويتنفل فاذا غلبه النوم ينام فاذا انتبه يتوضأ فيكون له قومتان ونومتان ويكون ذلك من أفضل مايفعله ولا يصلى وعنده نوم يشغله عن الصلاة والتلاوة حتى يعقل مايقول ، وقد ورد «لاتكابدوا الليل» وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانة تصلى من الليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال «ليصل أحدكم من الليل ماتيسر

الطريق ولا إلى ماتيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات إليها جادين فى السير حتى قاربوا فوصلوا إلى حد القربة إلى الله تعالى فظنوا أنهم قد وصلوا إلى الله فوقفوا وغلطوا فان لله تعالى سبعين حجابا من نور لايصل السالك إلى حجاب من تلك الحجب فى الطريق إلا ويظن أنه قد وصل ، وإليه الإشارة بقول إبراهيم عليه السلام إذ قال الله تعالى إخبارا عنه ـ فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى ـ وليس المعنى به هذه الأجسام المضيئة فانه كان يراها فى الصغر ويعلم أنها ليست آلهة وهى كثيرة وليست واحدا والجهال يعلمون أن الكوكب ليس بإله فمثل إبراهيم عليه السلام لا يغره الكوكب الذى لايغر السوادية ، ولكن المراد به أنه نور من الأنوار التى هى من حجب الله عز وجل وهى على طريق السالكين ولا يتصور الوصول إلى الله تعالى إلا بالوصول إلى هذه الحجب وهى حجب من نور بعضها أكبر من بعض وأصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه وأعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل إبراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات حيث قال تعالى ـ وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ـ يصل إلى نور بعد نور ويتخيل إليه فى أول ما كان يلقاه أنه قد وصل ثم كان يكشف له أن وراءه أمرا فيترقى إليه ويقول قد وصلت فيكشف له ماوراءه حتى وصل إلى الحجاب الأقرب الذى لاوصول إلا بعده فقال هذا أكبر فلما ظهر له أنه مع عظمه غير خال عن الهوى فى حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال ـ قال لاأحب الآفلين ـ إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض ـ وسالك هذه الطريق قد يغتر فى الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الأول وأول الحجب بين الله وبين العبد هو نفسه فانه أيضا أمر ربانى وهو نور من أنوار الله تعالى : أعنى سر القلب الذى تتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى إنه ليتسع لجملة العالم ويحيط به وتنجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره إشراقا عظيما إذ يظهر فيه الوجود كله على ماهو عليه وهو فى أول الأمر محجوب بمشكاة هى كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد إشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب إلى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه وربما يسبق لسانه فى هذه الدهشة فيقول أنا الحق فان لم يتضح له ماوراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من أنوار الحضرة الالهية ولم يصل بعد إلى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس إذ المتجلى يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يتراءى فى المرآة بالمرآة فيظن أنه لون المرآة وكما يلتبس مافى الزجاج بالزجاج كما قيل :

رقّ الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وبهذه العين نظر النصارى إلى المسيح فرأوا إشراق نور الله قد تلألأ فيه فغلطوا فيه كمن يرى كوكبا فى مرآة أو فى ماء فيظن أن الكوكب فى المرآة أو فى الماء فيمد يده إليه ليأخذه وهو مغرور وأنواع الغرور فى طريق السلوك إلى الله تعالى لاتحصى فى مجلدات ولا تستقصى إلا بعد شرح جميع علوم المكاشفة وذلك مما لارخصة فى ذكره ولعل القدر الذى ذكرناه أيضا كان الأولى تركه إذ السالك لهذا الطريق لايحتاج إلى أن يسمعه من غيره والذى لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به إذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع مالا يفهم ولكن فيه فائدة وهو إخراجه من الغرور الذى هو فيه بل ربما يصدق بأن الأمر أعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجدله المزخرف ويصدق أيضا بما يحكى له من المكاشفات التى أخبر عنها أولياء الله ومن عظم غروره ربما أصر مكذبا بما يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل . الصنف الرابع : أرباب الأموال والمغترون منهم فرق

فاذا غلبه النوم فليم» وقال عليه السلام : « لاتشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه» ولا تبغضن إلى نفسك عبادة الله ولا يليق بالطالب ولا ينبغى له أن يطلع الفجر وهو نائم إلا أن يكون قد سبق له فى الليل قيام طويل فيعذر فى ذلك على أنه إذا استيقظ قبل الفجر بساعة مع قيام قليل سبق فى الليل يكون أفضل من قيام طويل ثم النوم إلى بعد طلوع الفجر فاذا استيقظ قبل الفجر يكثر الاستغفار والتسبيح ويغتنم تلك الساعة وكلما يصلى بالليل يجلس قليلا بعد كل ركعتين

ففرقة منهم : يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون أساميهم بالآجر عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت أثرهم وهم يظنون أنهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين : أحدهما أنهم يبنونها من أموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشا والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله فى كسبها وتعرضوا لسخطه فى إنفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها فاذن قد عصوا الله بكسبها فالواجب عليهم التوبة والرجوع إلى الله وردها إلى ملاكها إما بأعيانها وإما برد بدلها عند العجز فان عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها إلى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها إلى أهم المصالح وربما يكون الأهم التفرقة على المساكين وهم لا يفعلون ذلك خيفة من أن يظهر ذلك للناس فيبنون الأبنية بالآجر وغرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء أسمائهم المكتوبة فيها لا لبقاء الخير . والوجه الثانى أنهم يظنون بأنفسهم الإخلاص وقصد الخير فى الإنفاق على الأبنية ولو كلف واحد منهم أن ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذى أنفق عليه لشق عليه ذلك ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه أو لم يكتب ولولا أنه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر إلى ذلك . وفرقة أخرى : ربما اكتسبت المال من الحلال وأنفقت على المساجد وهى أيضا مغرورة من وجهين : أحدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون فى جواره أو بلده فقراء وصرف المال إليهم أهم وأفضل وأولى من الصرف إلى بناء المساجد وزينتها وإنما يخف عليهم الصرف إلى المساجد ليظهر ذلك بين الناس . والثانى أنه يصرف إلى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التى هى منهى عنها وشاغلة قلوب المصلين ومختطفة أبصارهم (١) والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع إليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى أنه من الخيرات ويعد ذلك وسيلة إلى الله تعالى وهو مع ذلك قد تعرض لسخط الله تعالى وهو يظن أنه مطيع له وممتثل لأمره وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم به إلى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك فى بيوتهم ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله فى رقبته إذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى. قال مالك ابن دينار : أتى رجلان مسجدا فوقف أحدهما على الباب وقال مثلى لا يدخل بيت الله فكتبه الملكان عند الله صديقا فهكذا ينبغى أن تعظم المساجد وهو أن يرى تلويث المسجد بدخوله فيه بنفسه جناية على المسجد لا أن يرى تلويث المسجد بالحرام أو بزخرف الدنيا منة على الله تعالى ، وقال الحواريون للمسيح عليه السلام انظر إلى هذا المسجد ما أحسنه فقال أمتى أمتى بحق أقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر إلا أهلكه بذنوب أهله إن الله لا يعبأ بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التى تعجبكم شيئا وإن أحب الأشياء إلى الله تعالى القلوب الصالحة بها يعمر الله الأرض وبها يخرب إذا كانت على غير ذلك . وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم (٢) » وقال الحسن « إن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبنى مسجد المدينة أتاه جبريل عليه السلام فقال له ابنه سبعة أذرع طولا فى السماء لا تزخرفه ولا تنقشه (٣) » فضرر هذا من حيث

ويسبح ويستغفر ويصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجد بذلك ترويحا وقوة على القيام وقد كان بعض الصالحين يقول هى أول نومة فان انتبهت ثم عدت إلى نومة أخرى فلا أنام الله عينى . وحكى لى بعض الفقراء عن شيخ له أنه كان يأمر الأصحاب بنومة واحدة بالليل وأكلة واحدة لليوم والليلة . وقد جاء فى الخبر « قم من الليل ولو قدر حلب شاة » وقيل يكون ذلك قدر أربع ركعات وقدر ركعتين . وقيل فى تفسير قوله تعالى ـ تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ـ

(١) حديث النهى عن زخرفة المساجد وتزيينها بالنقوش البخارى من قول عمر بن الخطاب أكن الناس ولا تحمر ولا تصفر (٢) حديث إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم ابن المبارك فى الزهد وأبو بكر بن أبى داود فى كتاب المصاحف موقوفا على أبى الدرداء (٣) حديث الحسن مرسلا لما أراد أن يبنى مسجد المدينة أتاه جبريل فقال ابنه سبعة أذرع طولا فى السماء ولا تزخرفه ولا تنقشه لم أجده .

إنه رأى المنكر واتكل عليه . وفرقة أخرى : ينفقون الأموال فى الصدقات على الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والإفشاء للمعروف ويكرهون التصدق فى السر ويرون إخفاء الفقير لما يأخذ منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرصون على إنفاق المال فى الحج فيحجون مرة بعد أخرى وربما تركوا جيرانهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود فى آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويبسط لهم فى الرزق ويرجعون محرومين مساويين يهوى بأحدهم بعيره بين الرمال والقفار وجاره مأسور إلى جنبه لا يواسيه وقال أبو نصر التمار إن رجلا جاء يودع بشر ابن الحرث وقال قد عزمت على الحج فتأمرنى بشىء فقال له كم أعددت للنفقة فقال ألفى درهم قال بشر فأى شىء تبتغى بحجك تزهدا أو اشتياقا إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله قال ابتغاء مرضاة الله قال فان أصبت مرضاة الله تعالى وأنت فى منزلك وتنفق ألفى درهم وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى أتفعل ذلك قال نعم قال ادهب فأعطها عشرة أنفس مديون يقضى دينه وفقير يرم شعثه ومعيل يغنى عياله ومربى يتيم يفرحه وإن قوى قلبك تعطيها واحدا فافعل فان إدخالك السرور على قلب المسلم وإغاثة اللهفان وكشف الضر وإعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فأخرجها كما أمرناك وإلا فقل لنا مافى قلبك فقال ياأبا نصر سفرى أقوى فى قلبى فتبسم بشر رحمه الله وأقبل عليه وقال له المال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس أن تقضى به وطرا فأظهرت الأعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل المتقين . وفرقة أخرى : من أرباب الأموال اشتغلوا بها يحفظون الأموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التى لا يحتاج فيها إلى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لأن البخل المهلك قد استولى على بواطنهم فهو يحتاج إلى قمعه باخراج المال فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها ومثاله مثال من دخل فى ثوبه حية وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفراء ومن قتلته الحية متى يحتاج إلى السكنجبين ، ولذلك قيل لبشر إن فلانا الغنى كثير الصوم والصلاة فقال المسكين ترك حاله ودخل فى حال غيره وإنما حال هذا إطعام الطعام للجياع والانفاق على المساكين فهذا أفضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه للدنيا ومنعه للفقراء . وفرقة أخرى : غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم إلا بأداء الزكاة فقط ثم إنهم يخرجون من المال الخبيث الردىء الذى يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد فى حاجاتهم أو من يحتاجون إليه فى المستقبل للاستسخار فى خدمة أو من لهم فيه على الجملة غرض أو يسلمون ذلك إلى من يعينه واحد من الأكابر ممن يستظهر بحشمه لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور ويظن أنه مطيع لله تعالى وهو فاجر إذ طلب بعبادة الله عوضا من غيره فهذا وأمثاله من غرور أصحاب الأموال أيضا لا يحصى وإنما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على أجناس الغرور . وفرقة أخرى: من عوام الخلق وأرباب الأموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا أن ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون أن لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ أجرا وهم مغرورون لأن فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا فى الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لأنها تبعث على العمل فان ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير فيها ومايراد لغيره فاذا قصر عن الأداء إلى ذلك الغير فلا قيمة له وربما يغتر بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل البكاء وربما تدخله رقة كرقة النساء فيبكى ولا عزم وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على أن يصفق بيديه ويقول ياسلام سلم أو نعوذ بالله أو سبحان الله ويظن أنه قد أتى بالخير كله وهو مغرور

هو قيام الليل ومن حرم قيام الليل كسلا وفتورا فى العزيمة أو تهاونا به لقلة الاعتداد بذلك أو اغترارا بحاله فليبك عليه فقد قطع عليه طريق كبير من الخير وقد يكون من أرباب الأحوال من يكون له إيواء إلى القرب ويجد من دعة القرب مايفتر عليه داعية الشوق ويرى أن القيام وقوف فى مقام الشوق وهذا يغلط فيه ويهلك به خلق من المدعين والذى له ذلك ينبغى أن يعلم أن استمرار هذه الحالة متعذر والانسان متعرض للقصور والتخلف والشبهة ولا حالة أجل

وإنما مثاله مثال المريض الذى يحضر مجالس الأطباء فيسمع مايجرى أو الجائع الذى يحضر عنده من يصف له الأطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف وذلك لا يغنى عنه من مرضه وجوعه شيئا فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل بها لا يغنى من الله شيئا فكل وعظ لم يغير منك صفة تغييرا يغير أفعالك حتى تقبل على الله تعالى إقبالا قويا أو ضعيفا وتعرض عن الدنيا فلذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا رأيته وسيلة لك كنت مغرورا . فان قلت فما ذكرته من مداخل الغرور أمر لا يتخلص منه أحد ولا يمكن الاحتراز منه وهذا يوجب اليأس إذ لا يقوى أحد من البشر على الحذر من خفايا هذه الآفات. فأقول الانسان إذا فترت همته فى شىء أظهر اليأس منه واستعظم الأمر واستوعر الطريق وإذا صح منه الهوى اهتدى إلى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق فى الوصول إلى الغرض حتى إن الانسان إذا أراد أن يستنزل الطير المحلق فى جو السماء مع بعده منه استنزله وإذا أراد أن يخرج الحوت من أعماق البحار استخرجه وإذا أراد أن يستخرج الذهب أو الفضة من تحت الجبال استخرجه وإذا أراد أن يقتنص الوحوش المطلقة فى البرارى والصحارى اقتنصها وإذا أراد أن يستسخر السباع والفيلة وعظيم الحيوانات استسخرها وإذا أراد أن يأخذ الحيات والأفاعى ويعبث بها أخذها واستخرج الدرياق من أجوافها وإذا أراد أن يتخذ الديباج الملون المنقش من ورق التوت اتخذه وإذا أراد أن يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها استخرج بدقيق الهندسة ذلك وهو مستقر على الأرض وكل ذلك باستنباط الحيل وإعداد الآلات فسخر الفرس للركوب والكلب للصيد وسخر البازى لاقتناص الطيور وهيأ الشبكة لاصطياد السمك إلى غير ذلك من دقائق حيل الآدمى كل ذلك لأن همه أمر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو أهمه أمر آخرته فليس عليه إلا شغل واحد وهو تقويم قلبه فعجز عن تقويم قلبه وتخاذل وقال هذا محال ومن الذى يقدر عليه وليس ذلك بمحال لو أصبح وهمه هذا الهم الواحد بل هو كما يقال * لو صح منك الهوى أرشدت للحيل * فهذا شىء لم يعجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم باحسان فلا يعجز عنه أيضا من صدقت إرادته وقويت همته بل لا يحتاج إلى عشر تعب الخلق فى استنباط حيل الدنيا ونظم أسبابها . فان قلت قد قربت الأمر فيه مع أنك أكثرت فى ذكر مداخل الغرور فبم ينجو العبد من الغرور . فاعلم أنه ينجو منه بثلاثة أمور : بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلاثة أمور لابد منها . أما العقل فأعنى به الفطرة الغريزية والنور الأصلى الذى به يدرك الانسان حقائق الأشياء فالفطنة والكيس فطرة الحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على التحفظ عن الغرور فصفاء العقل وذكاء الفهم لابد منه فى أصل الفطرة فهذا إن لم يفطر عليه الانسان فاكتسابه غير ممكن، نعم إذا حصل أصله أمكن تقويته بالممارسة فأساس السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تبارك الله الذى قسم العقل بين عباده أشتاتا (١) » إن الرجلين ليستوى عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان فى العقل كالذرة فى جنب أحد وما قسم الله لخلقه حظا هو أفضل من العقل واليقين . وعن أبى الدرداء أنه قيل « يارسول الله أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو فى سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويعين الضعيف ولا يعلم منزلته عند الله يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما يجزى على قدر عقله (٢) » وقال

من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما استغنى عن قيام الليل وقام حتى تورمت قدماه وقد يقول بعض من يحاج فى ذلك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك تشريعا فنقول مابالنا لا نتبع تشريعه وهذه دقيقة فتعلم أن رؤية الفضيلة فى ترك القيام وادعاء الايواء إلى جناب القرب واستواء النوم واليقظة امتلاء وابتلاء حالى وهو تقييد بالحال وتحكيم للحال وتحكم من الحال فى العبد والأقوياء لا يتحكم فيهم الحال ويصرفون الحال فى صور الأعمال فهم متصرفون فى الحال لا الحال متصرف فيهم

(١) حديث تبارك الذى قسم العقل بين عباده الحديث الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول من رواية طاوس مرسلا وفى أوله قصة وإسناده ضعيف ورواه بنحوه من حديث أبى حميد وهو ضعيف أيضا (٢) حديث أبى الدرداء أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل الحديث وفيه إنما يجزى على قدر عقله الخطيب فى التاريخ وفى أسماء من روى عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه ولم أره من حديث أبى الدرداء.

أنس «أثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف عقله ؟ قالوا يارسول الله نقول من عبادته وفضله وخلقه فقال كيف عقله فان الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر وإنما يقرّب الناس يوم القيامة على قدر عقولهم (١)» وقال أبو الدرداء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله فاذا قالوا حسن قال ارجوه وإن قالوا غير ذلك قال لن يبلغ (٢) وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشئ قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون فالذكاء صحيح وغريزة العقل نعمة من الله تعالى فى أصل الفطرة فان فاتت ببلادة وحماقة فلا تدارك لها . الثانى : المعرفة وأعنى بالمعرفة أن يعرف أربعة أمور: يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريبا فى هذا العالم وأجنبيا من هذه الشهوات البهيمية وإنما الموافق له طبعا هو معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه فقط فلا يتصور أن يعرف هذا مالم يعرف نفسه ولم يعرف ربه فليستعن على هذا بما ذكرناه فى كتاب المحبة وفى كتاب شرح عجائب القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر إذ فيها إشارات إلى وصف النفس وإلى وصف جلال الله ويحصل به التنبه على الجملة وكمال المعرفة وراءه فان هذا من علوم المكاشفة ولم نطنب فى هذا الكتاب إلا فى علوم المعاملة وأما معرفة الدنيا والآخرة فيستعين عليها بما ذكرنا فى كتاب ذم الدنيا وكتاب ذكر الموت ليتبين له أن لانسبة للدنيا إلى الآخرة فاذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والآخرة نار من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها ويصير أهم أموره مايوصله إلى الله تعالى وينفعه فى الآخرة وإذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحت نيته فى الأمور كلها فان أكل مثلا أو اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته واندفع عنه كل غرور منشؤه تجاذب الأغراض والنزوع إلى الدنيا والجاه والمال فان ذلك هو المفسد للنية ومادامت الدنيا أحب إليه من الآخرة وهو نفسه أحب إليه من رضا الله تعالى فلا يمكنه الخلاص من الغرور فاذا غلب حب الله على قلبه بمعرفته بالله وبنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج إلى المعنى الثالث وهو العلم أعنى العلم بمعرفة كيفية سلوك الطريق إلى الله والعلم بما يقرّب به من الله ومايبعده عنه والعلم بآفات الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك قد أودعناه كتب إحياء علوم الدين فيعرف من ربع العبادات شروطها فيراعيها وآفاتها فيتقيها ومن ربع العادات أسرار المعايش وماهو مضطر إليه فيأخذه بأدب الشرع وماهو مستغن عنه فيعرض عنه ومن ربع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة فى طريق الله فان المانع من الله الصفات المذمومة فى الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربع المنجيات الصفات المحمودة التى لابد وأن توضع خلفا عن المذمومة بعد محوها فاذا أحاط بجميع ذلك أمكنه الحذر من الأنواع التى أشرنا إليها من الغرور وأصل ذلك كله أن يغلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الارادة وتصح به النية ولا يحصل ذلك إلا بالمعرفة التى ذكرناها . فان قلت فاذا فعل جميع ذلك فما الذى يخاف عليه . فأقول يخاف عليه أن يخدعه الشيطان ويدعوه إلى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس إلى ماعرفه من دين الله فان المريد المخلص إذا فرغ من تهذيب نفسه وأخلاقه وراقب القلب حتى صفاه من جميع المكدرات واستوى على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا فى عينه فتركها وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت إليهم ولم يبق إلا هم

(١) حديث أنس أثنى على رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال كيف عقله الحديث داود بن المحبر فى كتاب العقل وهو ضعيف وتقدم فى العلم (٢) حديث أبى الدرداء كان إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله الحديث الترمذى الحكيم فى النوادر وابن عدىّ ومن طريقه البيهقى فى الشعب وضعفه.

فليعلم ذلك فإنا رأينا من الأصحاب من كان فى ذلك ثم انكشف لنا بتأييد الله تعالى أن ذلك وقوف وقشور . قيل للحسن ياأباسعيد إنى أبيت مافى وأحب قيام الليل وأعدّ طهورى فما بالى لاأقوم قال ذنوبك قيدتك فليحذر العبد فى نهاره ذنوبا تقيده فى ليله وقال النووى رحمه الله حرمت قيام الليام سبعة أشهر بذنب أذنبته فقيل له ما كان الذنب قال رأيت رجلا بكاء فقلت فى نفسى هذا مراء . وقال بعضهم : دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكى فقلت مابالك أتاك نعى بعض أهلك؟ فقال

واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق إلى لقائه وقد عجز الشيطان عن إغوائه إذ يأتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فيأتيه من جهة الدين ويدعوه إلى الرحمة على خلق الله والشفقة على دينهم والنصح لهم والدعاء إلى الله فينظر العبد برحمته إلى العبيد فيراهم حيارى فى أمرهم سكارى فى دينهم صما عميا قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وفقدوا الطبيب وأشرفوا على العطب فغلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم إلى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومؤنة ولزوم غرامة فكان مثله كمثل رجل كان به داء عظيم لا يطاق ألمه وقد كان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الألم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة فى تناوله فاستعمله فبرئ وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدأ بالنهار بعد شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية الكدر وأصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر إلى عدد كثير من المسلمين وإذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع إلى السماء أنينهم فتذكر أن دواءهم هو الذى يعرفه ويقدر على شفائهم بأسهل ما يكون وفى أرجى زمان فأخذته الرحمة والرأفة ولم يجد فسحة من نفسه فى التراخى عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد أن اهتدى إلى الطريق وشفى من أمراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم وأعضل داؤهم وقرب هلاكهم وإشفاؤهم وسهل عليه دواؤهم فانبعث من ذات نفسه عزم جازم فى الاشتغال بنصحهم وحرضه الشيطان على ذلك رجاء أن يجد مجالا للفتنة فلما اشتغل بذلك وجد الشيطان مجالا للفتنة فدعاه إلى الرياسة دعاء خفيا أخفى من دبيب النمل لا يشعر به المريد فلم يزل ذلك الدبيب فى قلبه حتى دعاه إلى التصنع والتزين للخلق بتحسين الألفاظ والنغمات والحركات والتصنع فى الزى والهيئة فأقبل الناس إليه يعظمونه ويبجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك إذ رأوه شافيا لأدوائهم بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم وأقاربهم فآثروه بأبدانهم وأموالهم وصاروا له خولا كالعبيد والخدم فخدموه وقدموه فى المحافل وحكموه على الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت لذة يالها من لذة أصابت من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة فكان قد ترك الدنيا فوقع فى أعظم لذاتها فعند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت إلى قلبه يده فهو يستعمله فى كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وأمارة انتشار الطبع وركون النفس إلى الشيطان أنه لو أخطأ فرد عليه بين يدى الخلق غضب فاذا أنكر على نفسه ما وجده من الغضب بادر الشيطان فخيل إليه أن ذلك غضب لله لأنه إذا لم يحسن اعتقاد المريدين فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع فى الغرور فربما أخرجه ذلك إلى الوقيعة فيمن رد عليه فوقع فى الغيبة المحظورة بعد تركه الحلال المتسع ووقع فى الكبر الذى هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد أن كان يحذر من طوارق الخطرات وكذلك إذا سبقه الضحك أو فتر عن بعض الأوراد جزعت النفس أن يطلع عليه فيسقط قبوله فأتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وربما زاد فى الأعمال والأوراد لأجل ذلك والشيطان يخيل إليه إنك إنما تفعل ذلك كيلا يفتر رأيهم عن طريق الله فيتركون الطريق بتركه وإنما ذلك خدعة وغرور بل هو جزع من النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لا تجزع نفسه من اطلاع الناس على مثل ذلك من أقرانه بل ربما يحب ذلك ويستبشر به ولو ظهر من أقرانه من مالت القلوب إلى قبوله وزاد أثر كلامه فى القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا أن النفس قد استبشرت واستلذت الرياسة لكان يغتم ذلك إذ مثاله أن يرى الرجل جماعة من إخوانه قد وقعوا فى بئر وتغطى رأس البئر بحجر كبير فعجزوا عن الرقى من البئر بسببه فرق قلبه لاخوانه فجاء ليرفع الحجر من رأس البئر فشق عليه فجاءه من أعانه على ذلك حتى تيسر عليه أو كفاه ذلك ونحاه بنفسه فيعظم بذلك فرحه لا محالة

أشد فقلت وجع يؤلمك قال أشد فقلت وماذاك، قال بابى مغلق وسترى مسبل ولم أقرأ حزبى البارحة وماذاك إلا بذنب أحدثته . وقال بعضهم : الاحتلام عقوبة وهذا صحيح لأن الراعى المتحفظ يحسن تحفظه وعلمه بحاله يقدر ويتمكن من سد باب الاحتلام ولا يتطرق الاحتلام إلا على جاهل بحاله أو مهمل حكم وقته وأدب حاله ومن كمل تحفظه ورعايته وقيامه بأدب حاله قد يكون من ذنبه الموجب للاحتلام ووضع الرأس على الوسادة إذا كان ذا عزيمة فى ترك الوسادة وقد يتمهد للنوم ووضع الرأس على

إذ غرضه خلاص إخوانه من البئر فان كان غرض الناصح خلاص إخوانه المسلمين من النار فاذا ظهر من أعانه أو كفاه ذلك لم يثقل عليه أرأيت لو اهتدوا جميعهم من أنفسهم أكان ينبغي أنه يثقل ذلك عليه إن كان غرضه هدايتهم فاذا اهتدوا بغيره فلم يثقل عليه ومهما وجد ذلك فى نفسه دعاه الشيطان إلى جميع كبائر القلوب وفواحش الجوارح وأهلكه فنعوذ بالله من زيغ القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء . فان قلت فمتى يصح له أن يشتغل بنصح الناس . فأقول إذا لم يكن له قصد إلا هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد من يعينه أو لو اهتدوا بأنفسهم وانقطع بالكلية طمعه عن ثنائهم وعن أموالهم فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم إذا كان الله يحمده ولم يفرح بحمدهم إذا لم يقترن به حمد الله تعالى ونظر إليهم كما ينظر إلى السادات وإلى البهائم أما إلى السادات فمن حيث إنه لا يتكبر عليهم ويرى كلهم خيرا منه لجهله بالخاتمة وأما إلى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة فى قلوبهم فانه لا يبالى كيف تراه البهائم فلا يتزين لها ولا يتصنع بل راعى الماشية إنما غرضه رعاية الماشية ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية إليه فما لم يرسائر الناس كالماشية التى لا يلتفت إلى نظرها ولا يبالى بها لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم، نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه باصلاحهم فيكون كالسراج يضىء لغيره ويحترق فى نفسه . فان قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ إلا عند نيل هذه الدرجة لخلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب . فأقول قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب الدنيا رأس كل خطيئة (١) » ولو لم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعايش وهلكت القلوب والأبدان جميعا إلا أنه صلى الله عليه وسلم علم أن حب الدنيا مهلك وأن ذكر كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلوب الأكثرين لا الأقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر ما فى حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من أن يترك نفسه بالشهوات المهلكة التى سلطها الله على عباده ليسوقهم بها إلى جهنم تصديقا لقوله تعالى ـ ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ـ فكذلك لا تزال ألسنة الوعاظ مطلقة لحب الرياسة ولا يدعونها بقول من يقول إن الوعظ لحب الرياسة حرام كما لا يدع الخلق الشرب والزنا والسرقة والرياء والظلم وسائر المعاصى بقول الله تعالى ورسوله إن ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب من حديث الناس فان الله تعالى يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد وأشخاص ـ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ـ وإن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فانما يخشى أن يفسد طريق الاتعاظ فأما أن تخرس ألسنة الوعاظ ووراءهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك أبدا . فان قلت فان علم المريد هذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح أو نصح وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذى يخاف عليه وما الذى بقى بين يديه من الأخطار وحبائل الاغترار . فاعلم أنه بقى عليه أعظمه وهو أن الشيطان يقول له قد أعجزتنى وأفلت منى بذكائك وكمال عقلك وقد قدرت على جملة من الأولياء والكبراء وما قدرت

الوسادة بحسن النية من لا يكون ذلك ذنبه وله فيه نيه للعون على القيام وقد يكون ذلك ذنبا بالنسبة إلى بعض الناس فاذا كان هذا القدر يصلح أن يكون ذنبا جالبا للاحتلام فقس على هذا ذنوب الأحوال فانها تختص بأربابها ويعرفها أصحابها وقد يرتفق بأنواع الرفق من الفراش الوطىء والوسادة ولا يعاقب بالاحتلام وغيره على فعله إذا كان عالما ذا نية يعرف مداخل الأمور ومخارجها وكم من نائم يسبق القائم لوفر علمه وحسن نيته وفى الخبر « إذا نام العبد

(١) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة البيهقى فى الشعب من حديث الحسن مرسلا وقد تقدم فى كتاب ذم الدنيا .

تم الجزء الثالث من تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقى
ويليه الجزء الرابع ، وأوله : كتاب التوبة

عليك فما أصبرك وما أعظم عند الله قدرك ومحلك إذ قواك على قهرى ومكنك من التفطن لجميع مداخل غرورى فيصغى إليه ويصدقه ويعجب بنفسه فى فراره من الغرور كله فيكون إعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الأكبر فالعجب أعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن آدم إذا ظننت أنك بعلمك تخلصت منى فبجهلك قد وقعت فى حبائلى . فان قلت فلو لم يعجب بنفسه إذ علم أن ذلك من الله تعالى لامنه وإن مثله لايقوى على دفع الشيطان إلا بتوفيق الله ومعونته ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن أقل القليل فاذا قدر على مثل هذا الأمر العظيم علم أنه لم يقو عليه بنفسه بل بالله تعالى فما الذى يخاف عليه بعد نفى العجب ، فأقول : يخاف عليه الغرور بفضل الله والثقة بكرمه والأمن من مكره حتى يظن أنه يبقى على هذه الوتيرة فى المستقبل ولا يخاف من الفترة والانقلاب فيكون حاله الاتكال على فضل الله فقط دون أن يقارنه الخوف من مكره ومن أمن مكر الله فهو خاسر جدا بل سبيله أن يكون مشاهدا جملة ذلك من فضل الله ثم خائفا على نفسه أن يكون قد سدت عليه صفة من صفات قلبه من حب دنيا ورياء وسوء خلق والتفات إلى عز وهو غافل عنه. ويكون خائفا أن يسلب حاله فى كل طرفة عين غير آمن من مكر الله ولا غافل عن خطر الخاتمة وهذا خطر لامحيص عنه وخوف لانجاة منه إلا بعد مجاوزة الصراط ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الأولياء فى وقت النزع وكان قد بقى له نفس فقال أفلت منى يافلان فقال لابعد ولذلك قيل : الناس كلهم هلكى إلا العالمون والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فاذن المغرور هالك والمخلص الفار من الغرور على خطر فلذلك لايفارق الخوف والحذر قلوب أولياء الله أبدا .

فنسأل الله تعالى العون والتوفيق وحسن الخاتمة ، فان الأمور بخواتيمها .

تم كتاب ذم الغرور وبه تم ربع المهلكات ، ويتلوه فى أول ربع المنجيات كتاب التوبة والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله وسلم على من لانبى بعده وهو حسبى ونعم الوكيل ولا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم .

تم الجزء الثالث من إحياء علوم الدين
ويليه الجزء الرابع ، وأوله : كتاب التوبة .

عقد الشيطان على رأسه ثلاث عقد فان قعد وذكر الله تعالى انحلت عقدة وإن توضأ انحلت عقدة أخرى وإن صلى ركعتين انحلت العقد كلها فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح كسلان خبيث النفس » وفى خبر آخر « إن من نام حتى يصبح بال الشيطان فى أذنه » والذى يخل بقيام الليل كثرة الاهتمام بأمور الدنيا وكثرة أشغال الدنيا وإتعاب الجوارح والامتلاء من الطعام وكثرة الحديث واللغو واللغط وإهمال القيلولة والموفق من يغتنم وقته ويعرف داءه ودواءه ولا يهمل فيهمل .

صفحة

٢ (كتاب شرح عجائب القلب)
وهو الكتاب الأول من ربع المهلكات
٣ بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وماهو المراد بهذه الأسامى
٥ بيان جنود القلب
٦ بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة
٧ بيان خاصية قلب الانسان
١٠ بيان مجامع أوصاف القلب وأمثلته
١٢ بيان مثل القلب بالاضافة إلى العلوم خاصة
١٥ بيان حال القلب بالاضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والأخروية
١٧ بيان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية فى استكشاف الحق وطريق النظار
١٩ بيان الفرق بين القامين بمثال محسوس
٢٢ بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف فى اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد
٢٥ بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها
٣٠ بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب
٣٩ بيان مايؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها ومايعفى عنه ولا يؤاخذ به
٤٢ بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا
٤٤ بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب فى التغير والثبات
٤٧ (كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب)
وهو الكتاب الثانى من ربع المهلكات
٤٨ بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق

صفحة

٥١ بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق
٥٤ بيان قبول الأخلاق للتغيير بطريق الرياضة
٥٦ بيان السبب الذى به ينال حسن الخلق على الجملة
٥٩ بيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق
٦١ بيان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها إلى الصحة
٦٢ بيان الطريق الذى يعرف به الإنسان عيوب نفسه
٦٣ بيان شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق فى معالجة أمراض القلوب ترك الشهوات وأن مادة أمراضها هى اتباع الشهوات
٦٧ بيان علامات حسن الخلق
٦٩ بيان الطريق فى رياضة الصبيان فى أول نشوهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم
٧٢ بيان شروط الإرادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد فى سلوك سبيل الرياضة
٧٧ (كتاب كسر الشهوتين)
وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات
٧٨ بيان فضيلة الجوع وذم الشبع
٨١ بيان فوائد الجوع وآفات الشبع
٨٦ بيان طريق الرياضة فى كسر شهوة البطن
٩٣ بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه
٩٥ بيان آفة الرياء المتطرق إلى من ترك أكل الشهوات وقلل الطعام
٩٦ القول فى شهوة الفرج
٩٨ بيان ماعلى المريد فى ترك التزويج وفعله
١٠١ بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

صفحة

١٠٤ (كتاب آفات اللسان)
وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات
١٠٥ بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت
١٠٨ الآفة الأولى من آفات اللسان الكلام فيما لا يعنيك
١١١ الآفة الثانية فضول الكلام
١١٢ الآفة الثالثة الخوض فى الباطل
١١٣ الآفة الرابعة المراء والجدال
١١٥ الآفة الخامسة الخصومة
١١٦ الآفة السادسة التقعر فى الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة الخ
١١٧ الآفة السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان
١١٩ الآفة الثامنة اللعن
١٢٣ الآفة التاسعة الغناء والشعر
١٢٤ الآفة العاشرة المزاح
١٢٨ الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء
الآفة الثانية عشرة إفشاء السر
١٢٩ الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب
١٣٠ الآفة الرابعة عشرة الكذب فى القول واليمين
١٣٤ بيان مارخص فيه من الكذب
١٣٦ بيان الحذر من الكذب بالمعاريض
١٣٨ الآفة الخامسة عشرة الغيبة
١٤٠ بيان معنى الغيبة وحدودها
١٤٢ بيان أن الغيبة لاتقتصر على اللسان
١٤٣ بيان الأسباب الباعثة على الغيبة
١٤٥ بيان العلاج الذى به يمنع اللسان عن الغيبة
١٤٧ بيان تحريم الغيبة بالقلب
١٤٨ بيان الأعذار المرخصة فى الغيبة
١٥٠ بيان كفارة الغيبة
١٥١ الآفة السادسة عشرة النميمة
١٥٢ بيان حد النميمة وما يجب فى ردها

صفحة

١٥٤ الآفة السابعة عشرة كلام ذى اللسانين
١٥٦ الآفة الثامنة عشرة المدح
١٥٧ بيان ماعلى الممدوح
١٥٨ الآفة التاسعة عشرة الغفلة عن دقائق الخطأ فى فحوى الكلام
١٥٩ الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف الخ
١٦٠ (كتاب ذم الغضب والحقد والحسد)
وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات
١٦١ بيان ذم الغضب
١٦٣ بيان حقيقة الغضب
١٦٥ بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا
٢٦٨ بيان الأسباب المهيجة للغضب
١٦٩ بيان علاج الغضب بعد هيجانه
١٧١ بيان فضيلة كظم الغيظ
١٧٢ بيان فضيلة الحلم
١٧٥ بيان القدر الذى يجوز الانتصار والتشفى به من الكلام
١٧٧ القول فى معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق
١٧٧ فضيلة العفو والاحسان
١٨١ فضيلة الرفق
١٨٣ القول فى ذم الحسد وفى حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب فى إزالته
بيان ذم الحسد
١٨٥ بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه
١٨٨ بيان أسباب الحسد والمنافسة
١٩٠ بيان السبب فى كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبنى العم والأقارب وتأكده وقلته فى غيرهم وضعفه
١٩٢ بيان الدواء الذى ينفى مرض الحسد عن القلب

صفحة

١٩٥ بيان القدر الواجب فى نفى الحسد عن القلب

١٩٦ (كتاب ذم الدنيا)

وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات

١٩٧ بيان ذم الدنيا

٢٠٦ بيان المواعظ فى ذم الدنيا وصفتها

٢٠٩ بيان صفة الدنيا بالأمثلة

٢١٤ بيان حقيقة الدنيا وماهيتها فى حق العبد

٢١٩ بيان حقيقة الدنيا فى نفسها وأشغالها التى استغرقت همم الخلق حتى أنستهم أنفسهم وخالقهم ومصدرهم ومُوردهم

٢٢٥ (كتاب ذم البخل وذم حب المال)

وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات

٢٢٦ بيان ذم المال وكراهة حبه

٢٢٨ بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم

٢٣٠ بيان تفصيل آفات المال وفوائده

٢٣٢ بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس مما فى أيدى الناس

٢٣٥ بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذى يكتسب به صفة القناعة

٢٣٧ بيان فضيلة السخاء

٢٤٢ حكايات الأسخياء

٢٤٧ بيان ذم البخل

٢٥٠ حكايات البخلاء

٢٥١ بيان الإيثار وفضله

٢٥٣ بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما

٢٥٥ بيان علاج البخل

٢٥٧ بيان مجموع الوظائف التى على العبد فى ماله

٢٥٨ بيان ذم الغنى ومدح الفقر

صفحة

٢٦٨ (كتاب ذم الجاه والرياء)

وهو الكتاب الثامن من ربع المهلكات وفيه شطران

٢٦٩ الشطر الأول فى حب الجاه والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول الخ

بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت

٢٧٠ بيان فضيلة الخمول

٢٧١ بيان ذم حب الجاه

٢٧٢ بيان معنى الجاه وحقيقته

٢٧٣ بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب إلا بشديد المجاهدة

٢٧٦ بيان الكمال الحقيقى والكمال الوهمى الذى لا حقيقة له

٢٧٨ بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم

٢٧٩ بيان السبب فى حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطبع إليه وبغضها للذم ونفرتها منه

٢٨٠ بيان علاج حب الجاه

٢٨١ بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم

٢٨٣ بيان علاج كراهة الذم

٢٨٤ بيان اختلاف أحوال الناس فى المدح والذم

٢٨٥ الشطر الثانى من الكتاب فى طلب الجاه والمنزلة بالعبادات وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء إلى آخره

٢٨٦ بيان ذم الرياء

٢٩٠ بيان حقيقة الرياء وما يراءى به

٢٩٣ بيان درجات الرياء

٢٩٧ بيان الرياء الخفى الذى هو أخفى من دبيب النمل

٢٩٩ بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفى والجلى ، وما لا يحبط

٣٠٢ بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه

صفحة
٣٠٨ بيان الرخصة فى قصد إظهار الطاعات
٣١١ بيان الرخصة فى كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليه وكراهة ذمهم له
٣١٣ بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات
٣٢٠ بيان مايصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق ومالايصح
٣٢٣ بيان ماينبغى للمريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه
٣٢٦ (كتاب ذم الكبر والعجب)
وهو الكتاب التاسع من ربع المهلكات وفيه شطران
٣٢٧ الشطر الأول من الكتاب فى الكبر وفيه بيان ذم الكبر الخ
بيان ذم الكبر
٣٢٩ بيان ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر فى المشى وجر الثياب
٣٣٠ بيان فضيلة التواضع
٣٣٤ بيان حقيقة الكبر وآفته
٣٣٦ بيان التكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات الكبر فيه
٣٣٨ بيان مابه التكبر
٣٤٣ بيان البواعث على التكبر وأسبابه المهيجة له

صفحة
٣٤٤ بيان أخلاق المتواضعين وعجائب مايظهر فيه أثر التواضع والتكبر
٣٤٨ بيان الطريق فى معالجة الكبر واكتساب التواضع له
٣٥٨ بيان غاية الرياضة فى خلق التواضع
الشطر الثانى من الكتاب فى العجب وفيه بيان ذم العجب وآفاته الخ
بيان ذم العجب وآفاته
٣٥٩ بيان آفة العجب
٣٦٠ بيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما
بيان علاج العجب على الجملة
٣٦٣ بيان أقسام مابه العجب وتفصيل علاجه
٣٦٧ (كتاب ذم الغرور)
وهو الكتاب العاشر من ربع المهلكات
٣٦٨ بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثلته
٣٧٦ بيان أصناف المغترين وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف
الصنف الأول أهل العلم والمغترون منهم فرق
٣٨٩ الصنف الثانى أرباب العبادة والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة الخ
٣٩٢ الصنف الثالث المتصوفة والمغترون منهم فرق كثيرة الخ
٣٩٥ الصنف الرابع أرباب الأموال والمغترون منهم فرق الخ.

[تمت]

فهـــرس

بقية عوارف المعارف للسهروردى الذى بالهامش

صفحة

٢ الباب الثلاثون فى تفاصيل أخلاق الصوفية

١١٠ الباب الحادى والثلاثون فى ذكر الأدب ومكانه من التصوف

١٢٣ الباب الثانى والثلاثون فى آداب الحضرة الالهية لأهل القرب

١٣٩ الباب الثالث والثلاثون فى آداب الطهارة ومقدماتها

١٥١ الباب الرابع والثلاثون فى آداب الوضوء وأسراره

١٦١ سنن الوضوء ثلاثة عشر

١٦٢ الباب الخامس والثلاثون فى آداب أهل الخصوص والصوفية فى الوضوء

١٧٣ الباب السادس والثلاثون فى فضيلة الصلاة وكبر شأنها

١٨٩ الباب السابع والثلاثون فى وصف صلاة أهل القرب

٢٢٥ الباب الثامن والثلاثون فى ذكر آداب الصلاة وأسرارها

صفحة

٢٤٧ الباب التاسع والثلاثون فى فضل الصوم وحسن أثره

٢٥٤ الباب الأربعون فى اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والإفطار

٢٦٥ الباب الحادى والأربعون فى آداب الصوم ومهامه

٢٧٨ الباب الثانى والأربعون فى ذكر الطعام ومافيه من المصلحة والمفسدة

٢٩٥ الباب الثالث والأربعون فى آداب الأكل

٣١٥ الباب الرابع والأربعون فى ذكر أدبهم فى اللباس ونياتهم ومقاصدهم فيه

٣٤٠ الباب الخامس والأربعون فى ذكر فضل قيام الليل

٣٥٣ الباب السادس فى ذكر الأسباب المعينة على قيام الليل وأدب النوم

٣٧٠ الباب السابع فى أدب الانتباه من النوم والعمل بالليل

٣٩١ الباب الثامن والأربعون فى تقسيم قيام الليل

إحياء علوم الدين

تصنيف

الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي

المتوفى في ٥٠٥ هـ

وبذيله كتاب

المغني عن حمل الأسفار في الأسفار

في تخريج ما في الإحياء من الأخبار

للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي

المتوفى في ٨٠٦ هـ

وتماما للنفع ألحقنا بالكتاب في آخره ثلاثة كتب:

الأول: تعريف الأحياء بفضائل الإحياء، للعلامة عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوي

الثاني: الإملاء عن إشكالات الإحياء، للإمام الغزالي، رد به اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من الإحياء.

الثالث: عوارف المعارف، للعارف بالله تعالى الإمام السهروردي

الجزء الأول

ترجمة الإمام الغزالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الهادى إلى الصواب . وأشهد أن لا إله إلا الله الكريم الوهاب ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله من آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب . اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن أحيا سننه إلى يوم الدين .

أما بعد : فهذه نبذة من تاريخ حياة الإمام الغزالى رحمه الله تعالى نوردها ليعلم القارىء شيئاً عنه وبالله التوفيق

هو الإمام الجليل ، محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الطوسى الغزالى ، حجة الإسلام . ومحجة الدين التى يتوصل بها إلى دار السلام ، جامع أشتات العلوم ، والمبرز فى المنقول منها والمفهوم . جرت الأئمة قبله لشأو ما قنع منه بالغاية ، ولا وقف عند مطلب بل لم يبرح فى دأب لا يقضى له بنهاية ، حتى أخمل من الأقران كل خصم بلغ مبلغ السها ، وأخمد من نيران البدع كل مالا تستطيع أيدى المجالدين مسها . كان رضى الله عنه ضرغاما إلا أن الأسود تتضاءل لديه وتتوارى ، وبدراً تماما إلا أن هداه يشرق نهارا ، وبشرا من الخلق إلا أنه الطود العظيم ، وبعض الناس ولكن مثل ما بعض الجماد الدر النظيم . . جاء والناس إلى رد فرية الفلاسفة أحوج من الظلماء لمصابيح السماء . وأفقر من الجدباء إلى قطرات الماء ، فلم يزل يناضل عن الدين الحنيفى بجلاد مقاله ، ويحمى حوزة الدين ولا يلطخ بدم المعتدين حد نصاله ، حتى أصبح الدين وثيق العرى . وانكشفت غياهب الشبهات وما كانت إلا حديثاً مفترى .

هذا مع ورع طوى عليه ضميره ، وخلوة لم يتخذ فيها غير الطاعة سميره ، ترك الدنيا وراء ظهره ، وأقبل على الآخرة مخلصاً لله فى سره وجهره .

مولده

ولد بطوس سنة خمسين وأربعمائة ، وكان والده يغزل الصوف ويبيعه فى دكان بطوس ، ولما حضرته الوفاة وصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له متصوف من أهل الخير وقال له : إن لى لتأسفا عظيما على تعلم الخط وأشتهى استدراك مافاتنى فى ولدى هذين فعليهما ولا عليك أن ينفد فى ذلك جميع ما أخلفه لهما . فلما مات أقبل الصوفى على تعليمهما إلى أن فنى ذلك النزر اليسير الذى خلفه لهما أبوهما وتعذر على الصوفى

القيام بقوتهما فقال لهما : اعلما أنى قد أنفقت عليكما ما كان لكما وأنا رجل من أهل الفقر والتجريد . ليس لى مال فأواسيكما به . وأصلح ما أرى لكما أن تلجأ إلى مدرسة كأنكما من طلبة العلم فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما ففعلا ذلك وكان هو السبب فى سعادتهما وعلو درجتهما . وكان الغزالى يحكى هذا ويقول : طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله .

صفة والده

ويحكى أن أباه كان فقيراً صالحاً لا يأكل إلا من كسب يده فى عمل غزل الصوف ويطوف على المتفقهة ويجالسهم ويتوفر على خدمتهم ويجد فى الإحسان إليهم والنفقة بما يمكنه عليهم وأنه كان إذا سمع كلامهم بكى وتضرع وسأل الله أن يرزقه ولداً ويجعله فقيهاً ويحضر مجالس الوعظ فإذا طاب وقته بكى وسأل الله أن يرزقه ولداً واعظاً . فاستجاب الله دعوتيه .

أما أبو حامد فكان أفقر أقرانه ، وإمام أهل زمانه . وفارس ميدانه . كلمة شهد بها الموافق والمخالف ، وأقر بحقيقتها المعادى والمخالف .

وأما أحمد فكان واعظاً تنفلق الصم عند استماع تحذيره . وترعد فرائص الحاضرين فى مجالس تذكيره

تلقيه العلوم

قرأ الغزالى رضى الله عنه فى صباه طرفا من الفقه ببلده على أحمد بن محمد الراذكانى ثم سافر إلى جرجان أبى نصر الإسماعيلى وعلق عنه التعليقة ثم رجع إلى طوس . قال الإمام أسعد الميهنى فسمعته يقول : قطعت علينا الطريق وأخذ العيارون جميع مامعى ومضوا . فتبعتهم . فالتفت إلى مقدمهم وقال : ارجع ويحك وإلا هلكت . فقلت له : أسألك بالذى ترجو فسلامة منه أن ترد على تعليقتى فقط فما هى شىء تنتفعون به . فقال لى : وما هى تعليقتك ؟ فقلت : كتب فى تلك المخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها . فضحك وقال : كيف تدعى أنك عرفت علمها . وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم ثم أمر بعض أصحابه فسلم إلى المخلاة .

قال الغزالى رحمه الله : فقلت هذا مستنطق أنطقه الله ليرشدنى به أمرى . فلما وافيت طوس أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ماعلقته . وصرت بحيث لو قطع الطريق لم أتجرد من علمى . وقد روى هذه الحكاية عن الغزالى أيضاً الوزير نظام الملك كما هو مذكور فى ترجمة نظام الملك من ذيل ابن السمعانى .

قدومه نيسابور وملازمته لإمام الحرمين

ثم إن الغزالى قدم نيسابور ولازم إمام الحرمين وجد واجتهد حتى برع المذهب والخلاف والأصلين والجدل والمنطق ؛ وقرأ الحكمة والفلسفة وأحكم كل ذلك ، وفهم كلام أرباب هذه العلوم ، وتصدى للرد عليهم وإبطال دعاويهم . وصنف فى كل فن من هذه العلوم كتبا أحسن تأليفها وأجاد وضعها وترصيفها

وكان رضى الله عنه شديد الذكاء عجيب الفطرة مفرط الإدراك ، بعيد الغور ، غواصاً على المعانى الدقيقة جبل علم مناظراً محجاجا وكان إمام الحرمين يصف تلامذته فيقول : الغزالى بحر مغرق ، والكيا : أسد مخرق ، والخوافى : نار تحرق .

زيارته للوزير نظام الملك

ثم لما مات إمام الحرمين خرج الغزالى إلى العسكر قاصداً للوزير نظام الملك ، وناظر الأئمة والعلماء فى مجلسه وقهر الخصوم ، وظهر كلامه على الجميع ، واعترفوا بفضله ، وتلقاه الصاحب بالتعظيم والتبجيل ، وولاه تدريس مدرسته ببغداد . وأمره بالتوجه إليها ، فقدم بغداد فى سنة أربع وثمانين وأربعمائة ودرس بالنظامية ، وأعجب الخلق حسن كلامه وكمال فضله وفصاحة لسانه ونكته الدقيقة وإشاراته اللطيفة ، وأحبوه وأحلوه محل العين بل أعلى وقالوا أهلا بمن أصبح لأجل المناصب أهلا .

إقامته على التدريس

وأقام على التدريس وتعليم العلم مدة عظيم الجاه زائد الحشمة عالى الرتبة مشهور الإسم ، تضرب به الامثال وتشد إليه الرحال إلى أن شرفت نفسه عن رذائل الدنيا فرفض مافيها من التقدم والجاه ، وترك كل ذلك وراء ظهره وقصد بيت الله الحرام ، لحج وتوجه إلى الشام فى ذى القعدة سنة ثمان وثمانين ، واستناب أخاه فى التدريس وجاور بيت المقدس ، ثم عاد إلى دمشق واعتكف فى زاويته بالجامع الأموى المعروفة اليوم بالغزالية نسبة إليه .

زهده وورعه

ولبس الثياب الخشنة ، وقلل طعامه وشرابه ، وأخذ فى التصنيف للاحياء ، وصار يطوف المشاهد ، ويزور الترب والمساجد ، ويأوى إلى القفار ، ويروض نفسه ويجاهدها جهاد الأبرار ، ويكلفها مشاق العبادات ، ويبلوها بأنواع القرب والطاعات ، إلى أن صار قطب الوجود ، والبركة العامة لكل موجود ، والطريق الموصل إلى رضا الرحمن .

تكلمه على لسان أهل الحقيقة

ثم رجع إلى بغداد وعقد بها مجلس الوعظ ، وتكلم على لسان أهل الحقيقة ، وحدث بكتاب الإحياء . قال ابن النجار : ولم يكن له أستاذ ولا طلب شيئاً من الحديث ، لم أر له إلا حديثا واحداً سيأتى ذكره فى هذا الكتاب — يعنى تاريخه — قلت : ولم أره ذكر هذا الحديث بعد . وقد أخبرنا أبو الحافظ بحديث من حديثه أوردناه فى الطبقات الكبرى .

ماشهد له به العلماء العاملون

قال الإمام محمد بن يحيى : الغزالى هو الشافعى الثانى : وقال أسعد الميهنى لا يصل إلى معرفة علم الغزالى

وفضله إلا من بلغ أو كاد يبلغ الكمال فى عقله وقال أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد المنعم العبدرى : رأيت بالاسكندرية فيما يرى النائم كأن الشمس طلعت من مغربها ، فعبر ذلك بعض المعبرين ببدعة تحدث فيهم فوصلت بعد أيام والمركب بإحراق كتب الغزالى بالمرية .

توزيع أعماله على الأوقات

ثم إن الغزالى عاد إلى خراسان ودرس بالمدرسة النظامية بنيسابور مدة يسيرة . ثم رجع إلى طوس واتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء وخانقاه للصوفية ؛ ووزع أوقاته على وظائف من ختم القرآن ، ومجالسة أرباب القلوب والتدريس لطلبة العلم ، وإدامة الصلاة والصيام وسائر العبادات إلى أن انتقل إلى رحمة الله ورضوانه طيب الثناء ، أعلى منزلة من نجوم السماء ؛ وأهدى للأمة من البدر فى الظلماء لا يبغضه إلا حاسد أو زنديق .

ما حصل لمبغضيه من البلاء

ولقد كان فى ثغر الاسكندرية من مدة قريبة أدركها أشياخنا شخص يبغض الغزالى ويغتابه ، فرأى النبى ﷺ فى المنام ؛ وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما إلى جانبه ، وكأن الغزالى واقف بين يديه وهو يقول : يارسول الله هذا - يعنى الرائى - يتكلم فى ويؤذينى قال : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هاتوا السياط . وأمر به فضرب بين يديه لأجل الغزالى وقام هذا الرجل من النوم وأثر السياط على ظهره .

مصنفاته رضى الله عنه

ومن تصانيف الغزالى : البسيط ، والوسيط ، والوجيز ، والخلاصة ، والمستصفى ، والمنخول ، وتحصين الأدلة ، وشفاء العليل ، والأسماء الحسنى ، والرد على الباطنية ، ومنهاج العابدين وإحياء علوم الدين . وغير ذلك من التصانيف .

وفاته رحمه الله تعالى

توفى بطوس يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة ، ولو أردنا استيعاب ترجمته لطال الشرح وفيما أوردناه مقنع وبلاغ .

ترجمة الإمام العراقى

وإليك ترجمة الإمام العراقى مخرج أحاديث الإحياء :

قال الإمام الحافظ السيوطى فى كتابه حسن المحاضرة فى باب ذكر من كان بمصر من حفاظ الحديث ونقاده:

العراقى هو الإمام الكبير الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم ابن الحسين بن عبد الرحمن حافظ العصر ، ولد بمنشاة المهرانى بين مصر والقاهرة فى جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، وعنى بالفن وتقدم فيه بحيث كان شيوخ عصره يبالغون فى الثناء عليه بالمعرفة . كالسبكى والعلائى وابن كثير وغيرهم . ونقل عنه الإسنوى فى المهمات ووصفه بحافظ العصر . وكذلك وصفه فى الترجمة ابن سيد الناس .

وله مؤلفات فى الفن بديعة كالألفية التى اشتهرت فى الآفاق وشرحها ، ونظم الاقتراح ، وتخريج أحاديث الإحياء ـ وهو الذى بين يدى القارئ ـ وتكملة شرح الترمذى لابن سيد الناس .

وشرع فى إملاء الحديث من سنة ست وتسعين فأحيا الله تعالى به سنة الإملاء بعد أن كانت دائرة فأملى أكثر من أربعمائة مجلس ، وكان صالحاً متواضعا ضيق المعيشة . مات فى ثامن شعبان سنة ست وثمانمائة ورثاه تلميذه الحافظ ابن حجر العسقلانى بقصيدة غراء فانظرها هناك .

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله أولا ، حمداً كثيراً متوالياً ؛ وإن كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين .
وأصلى وأسلم على رسله ثانياً صلاة تستغرق مع سيد البشر سائر المرسلين .
وأستخيره تعالى ثالثاً فيما انبعث عزمى من تحرير كتاب فى إحياء علوم الدين .
وأنتدب لقطع تعجبك رابعاً أيها العاذل المتغالى فى العذل من بين زمرة الجاحدين ، المسرف فى التقريع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أحيا علوم الدين فأينعت بعد اضمحلالها ، وأعيا فهوم الملحدين عن دركها فرجعت بكلالها ، أحمده وأستكين له من مظالم أنقضت الظهور بأثقالها ؛ وأعبده وأستعين به لعصام الأمور وعضالها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة وافية بحصول الدرجات وظلالها ؛ واقية من حلول الدركات وأهوالها ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أطلع به فجر الإيمان من ظلمة القلوب وضلالها ، وأسمع به وقر الآذان وجلا به زين القلوب بصقالها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم صلاة لاقاطع لاتصالها .

وبعد : فلما وفق الله تعالى لإكمال الكلام على أحاديث «إحياء علوم الدين» فى سنة إحدى وخمسين تعذر الوقوف على بعض أحاديثه فأخرت تبييضه إلى سنة ستين فظفرت بكثير مما عزب عنى علمه ثم شرعت فى تبييضه فى مصنف متوسط حجمه وأنا مع ذلك متباطئ فى إكماله غير متعرض لتركه وإهماله إلى أن ظفرت بأكثر ما كنت لم أقف عليه وتكرر السؤال من جماعة فى إكماله فأجبت وبادرت إليه ولكنى اختصرته فى غاية الاختصار ليسهل تحصيله وحمله فى الأسفار فاقتصرت فيه على ذكر طرف الحديث وصحابيه ومخرجه وبيان صحته أو حسنه أو ضعف مخرجه فإن ذلك هو المقصود الأعظم عند أبناء الآخرة بل وعند كثير من المحدثين عند المذاكرة والمناظرة وأبين ماليس له أصل فى كتب الأصول ، والله أسأل أن ينفع به إنه خير مسئول .

فإن كان الحديث فى الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليه وإلا عزوته إلى من خرجه من بقية الستة وحيث كان فى أحد الستة لم أعزه إلى غيرها إلا لغرض صحيح بأن يكون فى كتاب التزم مخرجه الصحة أو يكون أقرب إلى لفظه فى الإحياء وحيث كرر المصنف ذكر الحديث ، فإن كان فى باب واحد منه اكتفيت بذكره أول مرة وربما ذكرته فيه ثانياً وثالثاً لغرض أو لذهول عن كونه تقدم ، وإن كرره فى باب آخر ذكرته ونبهت على أنه قد تقدم وربما لم أنبه على تقدمه لذهول عنه ، وحيث عزوت الحديث لمن خرجه من الأئمة فلا أريد ذلك اللفظ بعينه بل قد يكون بلفظه وقد يكون بمعناه أو باختلاف على قاعدة المستخرجات ، وحيث لم أجد ذلك الحديث ذكرت مايغنى عنه غالباً وربما لم أذكره . وسميته :

المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار : فى تخريج مافى الإحياء من الأخبار

جعله الله خالصاً لوجهه الكريم ووسيلة إلى النعيم المقيم .

والإنكار من بين طبقات المنكرين الغافلين ؛ فلقد حل عن لسانى عقدة الصمت وطوقنى عهدة الكلام وقلادة النطق : ما أنت مثابر عليه من العمى عن جلية الحق ، مع اللجاج فى نصرة الباطل وتحسين الجهل ، والتشغيب على من آثر النزوع قليلا عن مراسم الخلق ومال ميلا يسيراً عن ملازمة الرسم إلى العمل بمقتضى العلم طمعاً فى نيل ماتعبده الله تعالى به من تزكية النفس وإصلاح القلب ، وتداركا لبعض مافرط من إضاعة العمر يائساً عن تمام حاجتك فى الحيرة وانحيازاً عن غمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله سبحانه بعلمه [1] » ولعمرى إنه لاسبب لإصرارك على التكبر إلا الداء الذى عم الجم الغفير بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر والجهل بأن الأمر إدّ والخطب جدّ والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والأجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سدّ ، وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير ردّ وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكدّ : فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، وقد شغر منهم الزمان ولم يبق إلا المترسمون وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان ، وأصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفا ، فصار يرى المعروف منكراً والمنكر معروفا حتى ظل علم الدين مندرساً ، ومنار الهدى فى أقطار الأرض منطمساً ، ولقد خيلوا إلى الخلق أن لا علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام ، أو جدل يتدرع به طالب المباهاة إلى الغلبة والإلحام أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام ، إذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام .

فأما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه فى كتابه : فقها وحكمة وعلما وضياء ونوراً وهداية ورشداً ، فقد أصبح من بين الخلق مطوياً وصار نسياً منسيا .

ولما كان هذا ثلما فى الدين ملماً وخطباً مدلهما ، رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهماً ، إحياء لعلوم الدين ، وكشفا عن مناهج الأئمة المتقدمين ، وإيضاحا لمباهى العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين .

وقد أسسته على أربعة أرباع وهى : ربع العبادات ، وربع العادات ، وربع المهلكات ، وربع المنجيات .

وصدرت الجملة بكتاب العلم لأنه غاية المهم لأكشف أولا عن العلم الذى تعبد الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم الأعيان بطلبه ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «طلب العلم فريضة على كل مسلم[2]» وأميز فيه العلم النافع من الضارّ ، إذ قال صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من علم لاينفع [3] » وأحقق ميل أهل العصر عن شاكلة الصواب ، وانخداعهم بلامع السراب ، واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب .

ويشتمل ربع العبادات على عشرة كتب :

كتاب العلم ، وكتاب قواعد العقائد ، وكتاب أسرار الطهارة ، وكتاب أسرار الصلاة ، وكتاب أسرار الزكاة ، وكتاب أسرار الصيام ، وكتاب أسرار الحج ، وكتاب آداب تلاوة القرآن ، وكتاب الأذكار والدعوات ، وكتاب ترتيب الأوراد فى الأوقات .

أحاديث الخطبة

(١) حديث « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » رواه الطبرانى فى الصغير والبيهقى فى شعب الإيمان من حديث أبى هريرة بإسناد ضعيف (٢) حديث « طلب العلم فريضة على كل مسلم » رواه ابن ماجه من حديث أنس وضعفه أحمد والبيهقى وغيرهما (٣) حديث « نعوذ بالله من علم لاينفع » رواه ابن ماجه من حديث جابر بإسناد حسن .

وأما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب :

كتاب آداب الأكل ، وكتاب آداب النكاح ، وكتاب أحكام الكسب ، وكتاب الحلال والحرام ، وكتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق ، وكتاب العزلة ، وكتاب آداب السفر ، وكتاب السماع والوجد ، وكتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وكتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة .

وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب :

كتاب شرح عجائب القلب ، وكتاب رياضة النفس ، وكتاب آفات الشهوتين : شهوة البطن وشهوة الفرج ، وكتاب آفات اللسان ، وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد ، وكتاب ذم الدنيا ، وكتاب ذم المال والبخل، وكتاب ذم الجاه والرياء ، وكتاب ذم الكبر والعجب ، وكتاب ذم الغرور .

وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب :

كتاب التوبة ، وكتاب الصبر والشكر ، وكتاب الخوف والرجاء ، وكتاب الفقر والزهد ، وكتاب التوحيد والتوكل ، وكتاب المحبة والشوق والأنس والرضا ، وكتاب النية والصدق والإخلاص ، وكتاب المراقبة والمحاسبة ، وكتاب التفكر ، وكتاب ذكر الموت .

فأما ربع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليه ، بل لايكون من علماء الآخرة من لايطلع عليه ، وأكثر ذلك مما أهمل فى فن الفقهيات .

وأما ربع العادات فأذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع فى مجاريها وهى مما لايستغنى عنها متدين .

وأما ربع المهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن بإماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه ، وأذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حده وحقيقته ، ثم أذكر سببه الذى منه يتولد ، ثم الآفات التى عليها تترتب ثم العلامات التى بها تتعرف ، ثم طرق المعالجة التى بها منها يتخلص ، كل ذلك مقروناً بشواهد الآيات والأخبار والآثار .

وأما ربع المنجيات فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التى بها يتقرب العبد من رب العالمين وأذكر فى كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذى به تجتلب وثمرتها التى منها تستفاد وعلامتها التى بها تتعرف وفضيلتها التى لأجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ؛ ولقد صنف الناس فى بعض هذه المعانى كتباً ، ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة أمور (الأول) حل ما عقدوه وكشف ما أجملوه (الثانى) ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه (الثالث) إيجاز ما طولوه وضبط ما قرروه (الرابع) حذف ما كرروه وإثبات ما حرروه (الخامس) تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأفهام لم يتعرض لها فى الكتب أصلا إذ الكل وإن تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر أن يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لأمر يخصه ويغفل عنه رفقاؤه ، أو لا يغفل عن التنبيه ولكن يسهو عن إيراده فى الكتب ، أو لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف ؛ فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاوياً لمجامع هذه العلوم .

وإنما حملنى على تأسيس هذا الكتاب على أربعة أرباع أمران : أحدهما ـ وهو الباعث الأصلى ـ أن هذا الترتيب فى التحقيق والتفهيم كالضرورة لأن العلم الذى يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة وعلم المكاشفة ، وأعنى

بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط ، وأعنى بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التى لارخصة فى إيداعها الكتب وإن كانت هى غاية مقصد الطالبين ومطمع نظر الصديقين ، وعلم المعاملة طريق إليه ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلا فى علم الطريق والإرشاد إليه . وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال ، علماً منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال ـ والعلماء ورثة الأنبياء ـ فما لهم سبيل إلى العدول عن نهج التأسى والاقتداء ثم إن علم المعاملة ينقسم إلى علم ظاهر ، أعنى العلم بأعمال الجوارح ـ وإلى علم باطن ـ أعنى العلم بأعمال القلوب والجارى على الجوارح إما عادة وإما عبادة ، والوارد على القلوب التى هى بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت إما محمود وإما مذموم فبالواجب انقسم هذا العلم إلى شطرين ظاهر وباطن والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم إلى عادة وعبادة ، والشطر الباطن المتعلق بأحوال القلب وأخلاق النفس انقسم إلى مذموم ومحمود ، فكان المجموع أربعة أقسام ولا يشذ نظر فى علم المعاملة عن هذه الأقسام . الباعث الثانى . أنى رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة فى الفقه الذى صلح عند من لا يخاف الله سبحانه وتعالى المتدرع به إلى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته فى المنافسات وهو مرتب على أربعة أرباع والمتزيى بزى المحبوب محبوب فلم أبعد أن يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفاً فى استدراج القلوب ولهذا تلطف بعض من رام استمالة قلوب الرؤساء إلى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعا فى الجداول والرقوم وسماه تقويم الصحة ليكون أنسهم بذلك الجنس جاذباً لهم إلى المطالعة والتلطف فى اجتذاب القلوب إلى العلم الذى يفيد حياة الأبد أهم من التلطف فى اجتذابها إلى الطب الذى لايفيد إلا صحة الجسد، فثمرة هذا العلم طب القلوب والأرواح المتوصل به إلى حياة تدوم أبد الآباد ، فأين منه الطب الذى يعالج به الأجساد وهى معرضة بالضرورة للفساد فى أقرب الآماد ؟ فنسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والسداد ، إنه كريم جواد .

كتاب العلم

وفيه سبعة أبواب

(الباب الأول) فى فضل العلم والتعليم والتعلم (الباب الثانى) فى فرض العين وفرض الكفاية من العلوم وبيان حد الفقه والكلام من علم الدين وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا (الباب الثالث) فيما تعده العامة من علوم الدين وليس منه ، وفيه بيان جنس العلم المذموم وقدره (الباب الرابع) فى آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل (الباب الخامس) فى آداب المعلم والمتعلم (الباب السادس) فى آفات العلم والعلماء والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة (الباب السابع) فى العقل وفضله وأقسامه وما جاء فيه من الأخبار .

الباب الأول

فى فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهده من النقل والعقل

فضيلة العلم

شواهدها من القرآن قوله عز وجل (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط) فانظر

كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم ؛ وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلاء ونبلا . وقال الله تعالى ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما : للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام . وقال عز وجل ﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ وقال تعالى ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وقال تعالى ﴿ قل كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾ وقال تعالى ﴿ قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به ﴾ تنبيها على أنه اقتدر بقوة العلم . وقال عز وجل ﴿ وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ﴾ بين أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم . وقال تعالى ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ وقال تعالى ﴿ ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ ردّ حكمه فى الوقائع إلى استنباطهم وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء فى كشف حكم الله . وقيل فى قوله تعالى ﴿ يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم ـ يعنى العلم ـ وريشاً ـ يعنى اليقين ـ ولباس التقوى ﴾ يعنى الحياء . وقال عز وجل ﴿ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم ﴾ وقال تعالى ﴿ فلنقصن عليهم بعلم ﴾ وقال عز وجل ﴿ بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ﴾ وقال تعالى ﴿ خلق الإنسان علمه البيان ﴾ وإنما ذكر ذلك فى معرض الامتنان . وأما الأخبار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ويلهمه رشده »[1] وقال صلى الله عليه وسلم « العلماء ورثة الأنبياء »[2] ، ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة . وقال صلى الله عليه وسلم « يستغفر للعالم ما فى السموات والأرض »[3] وأى منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك »[4] ، وقد نبه بهذا على ثمراته فى الدنيا ، ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى . وقال صلى الله عليه وسلم « خصلتان لا يكونان فى منافق : حسن سمت وفقه فى الدين »[5] ولا تشكن فى الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان ، فانه ما أراد به الفقه الذى ظننته ، وسيأتى معنى الفقه . وأدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا ، وهذه المعرفة إذا صدقت وغلبت عليه برئ بها من النفاق والرياء . وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الناس المؤمن العالم الذى إن احتيج إليه نفع وإن استغنى عنه أغنى نفسه »[6] ، وقال صلى الله عليه وسلم « الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم »[7] وقال صلى الله عليه وسلم « أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد : أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل ، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم

كتاب العلم : الباب الأول

(١) حديث (من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ويلهمه رشده) متفق عليه من حديث معاوية دون قوله (ويلهمه رشده) وهذه الزيادة عند الطبرانى فى الكبير (٢) حديث (العلماء ورثة الأنبياء) أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى الدرداء (٣) حديث (يستغفر للعالم ما فى السموات والأرض) هو بعض حديث أبى الدرداء المتقدم حديث (الحكمة تزيد الشريف شرفا . . . . الحديث) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ، وابن عبد البر فى بيان العلم ، وعبد الغنى الأزدى فى آداب المحدث من حديث أنس باسناد ضعيف (٥) حديث (خصلتان لا تجتمعان فى منافق ... الحديث) أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال حديث غريب (٦) حديث (أفضل الناس المؤمن العالم .... الحديث) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان موقوفا على أبى الدرداء باسناد ضعيف ولم أره مرفوعا (٧) حديث (الإيمان عريان ... الحديث) أخرجه الحاكم فى تاريخ نيسابور من حديث أبى الدرداء باسناد ضعيف

على ما جاءت به الرسل [١] » . وقال صلى الله عليه وسلم « لموت قبيلة أيسر من موت عالم [٢] » ، وقال عليه الصلاة والسلام « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا » [٣] وقال صلى الله عليه وسلم « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء [٤] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « من حفظ على أمتى أربعين حديثا من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة [٥] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « من حمل من أمتى أربعين حديثا لقى الله عز وجل يوم القيامة فقيها عالما [٦] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « من تفقه فى دين الله عز وجل كفاه الله تعالى ما أهمه ورزقه من حيث لا يحتسب [٧] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام : يا إبراهيم إنى عليم أحب كل عليم [٨] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « العالم أمين الله سبحانه فى الأرض [٩] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « صنفان من أمتى إذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس : الأمراء والفقهاء » [١٠] وقال عليه السلام « إذا أتى علىّ يوم لاأزداد فيه علما يقربنى إلى الله عز وجل فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم [١١] » ، وقال صلى الله عليه وسلم فى تفضيل العلم على العبادة والشهادة « فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى [١٢] » ، فانظر كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وإن كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التى يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة ؟ وقال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب [١٣] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء [١٤] » ، فأعظم بمرتبة هى تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد فى فضل الشهادة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماعبد الله تعالى بشىء أفضل من فقه فى الدين ، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ، ولكل شىء عماد وعماد هذا الدين الفقه [١٥] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « خير دينكم أيسره وخير العبادة الفقه [١٦] وقال صلى الله عليه وسلم « فضل المؤمن العالم على

---

(١) حديث « أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد ... الحديث » أخرجه أبو نعيم فى فضل العالم العفيف من حديث ابن عباس باسناد ضعيف (٢) حديث « لموت قبيلة أيسر من موت عالم » أخرجه الطبرانى وابن عبد البر من حديث أبي الدرداء ، وأصل الحديث عند أبي الدرداء (٣) حديث « الناس معادن ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٤) حديث « يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودماء الشهداء » اخرجه ابن عبد البر من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف .

(٥) حديث « من حفظ على أمتى أربعين حديثا من السنة حتى يؤديها اليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة » أخرجه ابن عبد البر فى العلم من حديث ابن عمر وضعفه (٦) حديث « من حمل من أمتى أربعين حديثا لقى الله يوم القيامة فقيها عالما » أخرجه ابن عبد البر من حديث أنس وضعفه (٧) حديث « من تفقه فى دين الله كفاه الله همه .. الحديث » رواه الخطيب فى التاريخ من حديث عبد الله بن جزء الزبيدى بإسناد ضعيف (٨) حديث « أوحى الله الى إبراهيم يا إبراهيم انى عليم أحب كل عليم » ذكره ابن عبد البر تعليقا ولم اظفر له بإسناد (٩) حديث « العالم أمين الله فى الأرض » أخرجه ابن عبد البر من حديث معاذ بسند ضعيف (١٠) حديث « صنفان من أمتى إذا صلحوا صلح الناس .. الحديث » أخرجه ابن عبد البر وأبو نعيم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (١١) حديث « إذا أتى على يوم لاازداد فيه علما يقربنى ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الحلية وابن عبد البر فى العلم من حديث عائشة باسناد ضعيف (١٢) حديث « فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى » أخرجه الترمذى من حديث أبى أمامة وقال حسن صحيح (١٣) حديث « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان ، وهو قطعة من حديث أبى الدرداء المتقدم (١٤) حديث « يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء » رواه ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان باسناد ضعيف (١٥) حديث « ماعبد الله بشىء أفضل من فقه فى الدين ... الحديث » رواه الطبرانى فى الأوسط ، وأبو بكر الآجرى فى كتاب فضل العلم ، وأبو نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث أبى هريرة باسناد ضعيف . وعند الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس بسند ضعيف « فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد » (١٦) حديث « خير دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه » أخرجه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف ، والشطر الأول عند أحمد من حديث محجن ابن الأدرع باسناد جيد ، والشطر الثانى عند الطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف

المؤمن العابد بسبعين درجة (١) ، وقال صلى الله عليه وسلم « إنكم أصبحتم فى زمن كثير فقهاؤه قليل قراؤه وخطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه ، العمل فيه خير من العلم . وسيأتى على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه ، العلم فيه خير من العمل (٢) ، وقال صلى الله عليه وسلم « بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة (٣) ، وقيل : يارسول الله ، أى الأعمال أفضل ؟ فقال « العلم بالله عز وجل » فقيل : أى العلم تريد ؟ قال صلى الله عليه وسلم « العلم بالله سبحانه » فقيل له : نسأل عن العمل وتجيب عن العلم ! فقال صلى الله عليه وسلم « إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله ، وإن كثير العمل لاينفع مع الجهل بالله (٤) ، وقال صلى الله عليه وسلم « يبعث الله سبحانه العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول : يامعشر العلماء ، إنى لم أضع علمى فيكم إلا لعلمى بكم ولم أضع علمى فيكم لأعذبكم ، اذهبوا فقد غفرت لكم (٥) ، نسأل الله حسن الخاتمة . وأما الآثار فقد قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لكميل : ياكميل ، العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو بالإنفاق . وقال على أيضا رضى الله عنه : العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد ، وإذا مات العالم ثلم فى الإسلام ثلمة لايسدها إلا خلف منه وقال رضى الله عنه نظما :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا ... الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقال أبو الأسود : ليس شىء أعز من العلم ، الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك وقال ابن عباس رضى الله عنهما : خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطى المال والملك معه ، وسئل ابن المبارك : من الناس ؟ فقال : العلماء . قيل : فمن الملوك ؟ قال : الزهاد . قيل : فمن السفلة ؟ قال : الذين يأكلون الدنيا بالدين ولم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصية التى يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم ؛ فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله ، وليس ذلك بقوة شخصه ، فان الجمل أقوى منه ، ولا بعظمه فإن الفيل أعظم منه ، ولا بشجاعته فإن السبع أشجع منه ، ولا بأكله فإن الثور أوسع بطنا منه ، ولا ليجامع فإن أخس العصافير أقوى على السفاد منه ، بل لم يخلق إلا للعلم . وقال بعض العلماء : ليت شعرى أى شىء أدرك من فاته العلم ، وأى شىء فاته من أدرك العلم . وقال عليه الصلاة والسلام « من أوتى القرآن فرأى أن أحدا أوتى خيرا منه فقد حقر ما عظم الله تعالى » وقال فتح الموصلى رحمه الله : أليس المريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت ؟ قالوا : بلى قال : كذلك القلب إذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت . ولقد صدق فإن غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته ، كما أن غذاء الجسد الطعام ، ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به ؛ إذ حب الدنيا

---

(١) حديث (فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة) . أخرجه ابن عدى من حديث أبى هريرة باسناد ضعيف ولأبى يعلى نحوه من حديث عبد البر بن عوف . (٢) حديث (إنكم أصبحتم فى زمان كثير فقهاؤه .... الحديث) أخرجه الطبرانى من حديث حزام بن حكيم عن عمه ، وقيل عن أبيه وإسناده ضعيف . (٣) حديث (بين العالم والعابد مائة درجة) الأصفهانى فى الترغيب والترهيب من حديث ابن عمر عن أبيه وقال (سبعون درجة) بسند ضعيف ، وكذا رواه صاحب مسند الفردوس من حديث أبى هريرة (٤) حديث (قيل يارسول الله أى الأعمال أفضل فقال العلم بالله . . . الحديث) أخرجه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف (٥) حديث (يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ... الحديث) رواه الطبرانى من حديث أبى موسى بسند ضعيف .

وشغله بها أبطل إحساسه ؛ كما أن غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح فى الحال وإن كان واقعا ؛ فإذا حط الموت عنه أعباء الدنيا أحس بهلاكه وتحسر تحسراً عظيما ثم لا ينفعه ذلك كإحساس الآمن خوفه والمفيق من سكره بما أصابه من الجراحات فى حالة السكر أو الخوف ، فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء فإن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا . وقال الحسن رحمه الله : يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : عليكم بالعلم قبل أن يرفع ، ورفعه موت رواته ، فوالذى نفسى بيده ليودّنّ رجال قتلوا فى سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم ، فإن أحداً لم يولد عالما وإنما العلم بالتعلم . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلىّ من إحيائها ، وكذلك عن أبى هريرة رضى الله عنه وأحمد بن حنبل رحمه الله . وقال الحسن فى قوله تعالى ﴿ ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ﴾ إن الحسنة فى الدنيا هى العلم والعبادة ، وفى الآخرة هى الجنة . وقيل لبعض الحكماء : أى الأشياء تقتنى ؟ قال : الأشياء التى إذا غرقت سفينتك سبحت معك ، يعنى العلم وقيل . أراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت . وقال بعضهم : من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس إماما ، ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار . وقال الشافعى رحمة الله عليه : من شرف العلم أن كل من نسب إليه ولو فى شىء حقير فرح ، ومن رفع عنه حزن . وقال عمر رضى الله عنه : ياأيها الناس عليكم بالعلم فإن لله سبحانه رداء يحبه ، فمن طلب بابا من العلم ردّاه الله عز وجل بردائه ، فإن أذنب ذنباً استعتبه ثلاث مرات لئلا يسلبه رداءه ذلك وإن تطاول به ذلك الذنب حتى يموت . وقال الأحنف رحمه الله : كاد العلماء أن يكونوا أربابا وكل عز لم يوطد بعلم فإلى ذل مصيره . وقال سالم بن أبى الجعد : اشترانى مولاى بثلثمائة درهم وأعتقنى ، فقلت بأى شىء أحترف ؟ فاحترفت بالعلم فما تمت لى سنة حتى أتانى أمير المدينة زائراً فلم آذن له . وقال الزبير بن أبى بكر : كتب إلىّ أبى بالعراق : عليك بالعلم فإنك إن افتقرت كان لك مالا ، وإن استغنيت كان لك جمالا . وحكى ذلك فى وصايا لقمان لابنه قال : يابنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله سبحانه يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الأرض بوابل السماء . وقال بعض الحكماء : إذا مات العالم بكاه الحوت فى الماء والطير فى الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره . وقال الزهرى رحمه الله : العلم ذكر ولا تحبه إلا ذكران الرجال .

فضـــيلة التعـــلم

أما الآيات فقوله تعالى ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ﴾ وقوله عز وجل ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون ﴾ وأما الأخبار فقوله صلى الله عليه وسلم « من سلك طريقاً يطلب فيه علما سلك الله به طريقاً إلى الجنة [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من أن تصلى مائة ركعة [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم

(١) حديث (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً ... الحديث) أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة (٢) حديث (إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع) أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال

(٣) حديث (لأن تغدو فتتعلم باباً من الخير خير من أن تصلى مائة ركعة) أخرجه ابن عبد البر من حديث أبى ذر وليس إسناده بذاك ، والحديث عند ابن ماجه بلفظ آخر (٤) حديث (باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا) أخرجه ابن حبان فى روضة العقلاء ، وابن عبد البر موقوفا على الحسن البصرى ، ولم أره مرفوعا إلا بلفظ (خير له من مائة ركعة) رواه الطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف من حديث أبى ذر

ولو بالصين [١] ، وقال صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وقال عليه الصلاة والسلام « العلم خزائن مفاتيحها السؤال ، ألا فاسألوا فإنه يؤجر فيه أربعة . السائل والعالم والمستمع والمحب لهم [٢] وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينبغى للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه [٣] » وفى حديث أبى ذر رضى الله عنه « حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة » فقيل يا رسول الله ، ومن قراءة القرآن ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « وهل ينفع القرآن إلا بالعلم ؟ [٤] » وقال عليه الصلاة والسلام « من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام فبينه وبين الأنبياء فى الجنة درجة واحدة [٥] » وأما الآثار فقال ابن عباس رضى الله عنهما ذللت طالبا فعززت مطلوبا . وكذلك قال ابن أبى مليكة رحمه الله : ما رأيت مثل ابن عباس ، إذا رأيته رأيت أحسن الناس وجها . وإذا تكلم فأعرب الناس لسانا وإذا أفتى فأكثر الناس علما . وقال ابن المبارك رحمه الله : عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة ؟ وقال بعض الحكماء : إنى لا أرحم رجالا كرحمتى لأحد رجلين : رجل يطلب العلم ولا يفهم ، ورجل يفهم العلم ولا يطلبه . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : لأن أتعلم مسألة أحب إلى من قيام ليلة . وقال أيضا : كن عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك . وقال عطاء : مجلس علم يكفر سبعين مجلساً من مجالس اللهو . وقال عمر رضى الله عنه : موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه . وقال الشافعى رضى الله عنه : طلب العلم أفضل من النافلة . وقال ابن عبد الحكم رحمه الله: كنت عند مالك أقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لأصلى فقال : يا هذا ما الذى قمت إليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النية . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : من رأى أن الغدو إلى طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص فى رأيه وعقله .

فضيلة التعليم

أما الآيات فقوله عز وجل : ﴿ ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ والمراد هو التعليم والإرشاد . وقوله تعالى ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ﴾ وهو إيجاب للتعليم . وقوله تعالى ﴿ وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ وهو تحريم للكتمان كما قال تعالى فى الشهادة ﴿ ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « ما آتى الله عالما علما إلا وأخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينوه للناس ولا يكتموه [٦] » وقال تعالى ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا ﴾ وقال تعالى ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ وقال تعالى ﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ وأما الأخبار فقوله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً رضى الله عنه إلى اليمن « لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا ومافيها [٧]

---

(١) حديث «اطلبوا العلم ولو بالصين» أخرجه ابن عدى والبيهقى فى المدخل والشعب من حديث أنس ، وقال البيهقى: متنه مشهور وأسانيده ضعيفة (٢) حديث (العلم خزائن مفاتيحها السؤال ... الحديث) رواه أبو نعيم من حديث على مرفوعا بإسناد ضعيف

(٣) حديث « لا ينبغى للجاهل أن يسكت على جهله » أخرجه الطبرانى فى الأوسط وابن مردويه فى التفسير وابن السنى وأبو نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف (٤) حديث أبى ذر (حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة ... الحديث » ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات من حديث عمر ولم أجده من طريق أبى ذر (٥) حديث « من جاءه الموت وهو يطلب العلم ... الحديث » أخرجه الدارمى وابن السنى فى رياضة المتعلمين من حديث الحسن ، فقيل : هو ابن على ، وقيل : هو ابن يسار البصرى مرسلا (٦) حديث « ما آتى الله عالما علما إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين ... الحديث » أخرجه أبو نعيم فى فضل العالم العفيف من حديث ابن مسعود بنحوه ، وفى الخلعيات نحوه من حديث أبى هريرة

(٧) حديث قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن « لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك ... الحديث » أخرجه أحمد من حديث معاذ ، وفى الصحيحين من حديث سهل ابن سعد أنه قال ذلك لعلى

وقال صلى الله عليه وعلى آله و سلم « من تعلم باباً من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقا [١] » وقال عيسى صلى الله عليه وسلم : من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما فى ملكوت السموات . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة يقول الله سبحانه للعابدين والمجاهدين : ادخلوا الجنة ، فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا ، فيقول الله عز وجل : أنتم عندى كبعض ملائكتى اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة [٢] » وهذا إنما يكون بالعلم المتعدى بالتعليم لا العلم اللازم الذى لا يتعدى . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل لا ينتزع العلم انتزاعا من الناس بعد أن يؤتيهم إياه ولكن يذهب بذهاب العلماء ، فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم ، حتى إذا لم يبق إلا رؤساء جهالا إن سئلوا أفتوا بغير علم فيضلون ويضلون [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « من علم علماً فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوى عليها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم تعلمه إياها تعدل عبادة سنة [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله سبحانه وماوالاه أو معلما أو متعلما [٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله سبحانه وملائكته وأهل سمواته وأرضه حتى النملة فى جحرها حتى الحوت فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير [٧] » وقال صلى الله عليه وسلم « ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغه فبلغه [٨] » وقال صلى الله عليه وسلم « كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعلمها ويعمل بها خير له من عبادة سنة [٩] » وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله عز وجل ويرغبون إليه والثانى يعلمون الناس ، فقال « أما هؤلاء فيسألون الله تعالى فان شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيعلمون الناس وإنما بعثت معلما ثم عدل إليهم وجلس معهم [١٠] » وقال صلى الله عليه وسلم « مثل ما بعثنى الله عز وجل به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله عز وجل بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وكانت منها طائفة قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ [١١] » اه ، فالأول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه ، والثانى ذكره مثلا للنافع ، والثالث للمحروم منهما

---

(١) حديث « من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقاً » رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٢) حديث « إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة . . . الحديث » أخرجه أبو العباس الذهبى فى العلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٣) حديث « إن الله لاينتزع العلم انتزاعا من الناس . . . الحديث » متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو (٤) حديث « من علم علماً فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة ، قال الترمذى : حديث حسن (٥) حديث « نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها . . . الحديث » أخرجه الطبرانى من حديث ابن عباس نحوه بإسناد ضعيف (٦) حديث « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها . . . الحديث » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة ، قال الترمذى حسن غريب .

(٧) حديث « إن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير » أخرجه الترمذى من حديث أبى أمامة وقال غريب ، وفى نسخة : حسن صحيح (٨) حديث « ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن . . الحديث » أخرجه ابن عبد البر من رواية محمد بن المنكدر مرسلا نحوه ، ولأبى نعيم من حديث عبد الله بن عمرو « ماأهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة تزيده هدى أو ترده عن ردى » (٩) حديث « كلمة من الحكمة يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها . . . الحديث » أخرجه ابن المبارك فى الزهد والرقائق من رواية زيد بن أسلم مرسلا نحوه ، وفى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة بسند ضعيف « كلمة حكمة يسمعها الرجل خير له من عبادة سنة » (١٠) حديث : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله . . . الحديث : أخرجه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف . (١١) حديث « مثل ما بعثنى الله به من العلم والهدى . . . الحديث » متفق عليه من حديث أبى موسى

وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : علم ينتفع به [١] الحديث » وقال صلى الله عليه وسلم « الدال على الخير كفاعله [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « لاحسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله عزوجل حكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس ، ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الخير [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « على خلفائى رحمة الله » قيل : ومن خلفاؤك ؟ قال « الذين يحيون سنتى ويعلمونها عباد الله [٤] » وأما الآثار فقد قال عمر رضى الله عنه : من حدث حديثا فعمل به فله مثل أجر من عمل ذلك العمل . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : معلم الناس الخير يستغفر له كل شىء حتى الحوت فى البحر . وقال بعض العلماء : العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل . وروى أن سفيان الثورى رحمه الله قدم عسقلان فكث لايسأله إنسان ، فقال : اكروا لى لأخرج من هذا البلد ، هذا بلد يموت فيه العلم . وإنما قال ذلك حرصاً على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به وقال عطاء رضى الله عنه : دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكى ، فقلت : مايبكيك ؟ قال : ليس أحد يسألنى عن شىء . وقال بعضهم : العلماء سرج الأزمنة ، كل واحد مصباح زمانه يستضىء به أهل عصره . وقال الحسن رحمه الله : لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم : أى أنهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية إلى حد الإنسانية . وقال عكرمة : إن لهذا العلم ثمنا . قيل وماهو ؟ قال : أن تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه . وقال يحيى بن معاذ : العلماء أرحم بأمة محمد صلى الله عليه وسلم من آبائهم وأمهاتهم . قيل : وكيف ذلك ؟ قال لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة . وقيل : أول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره . وقيل : علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم ماتجهل ؛ فإنك إذا فعلت ذلك علمت ماجهلت وحفظت ما علمت . وقال معاذ بن جبل فى التعليم والتعلم ورأيته أيضا مرفوعا « تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لايعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، وهو الأنيس فى الوحدة ، والصاحب فى الخلوة ، والدليل على الدين ، والمصبر على السراء والضراء ، والوزير عند الأخلاء ، والقريب عند الغرباء ، ومنار سبيل الجنة ، يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة سادة هداة ، يقتدى بهم ، أدلة فى الخير تقتص آثارهم وترمق أفعالهم وترغب الملائكة فى خلتهم وبأجنحتها تمسحهم ، وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها [٥] ، لأن العلم حياة القلوب من العمى . ونور الأبصار من الظلم ، وقوة الأبدان من الضعف ، يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى ، والتفكر فيه يعدل بالصيام ، ومدارسته بالقيام ، به يطاع الله عز وجل وبه يعبد ، وبه يوحد وبه يمجد ، وبه يتورع ، وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام ، وهو إمام والعمل تابعه ، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء . نسأل الله تعالى حسن التوفيق .

---

(١) حديث (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ... الحديث) أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة

(٢) حديث (الدال على الخير كفاعله) أخرجه الترمذى من حديث أنس وقال غريب . ورواه مسلم وأبو داود والترمذى وصححه عن أبى مسعود البدرى بلفظ (من دل على خير فله مثل أجر فاعله) (٣) حديث (لاحسد إلا فى اثنتين ... الحديث) متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث (على خلفائى رحمة الله ... الحديث) رواه ابن عبد البر فى العلم ، والهروى فى ذم الكلام من حديث الحسن ، فقيل هو ابن على وقيل ابن يسار البصرى فيكون مرسلا ، ولابن السنى وأبى نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث على نحوه . (٥) حديث معاذ (تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة .. الحديث بطوله) رواه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب ، وابن عبد البر وقال : ليس له إسناد قوى

فى الشواهد العقلية

اعلم أن المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته ، ومالم تفهم الفضيلة فى نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن أن تعلم وجودها صفة للعلم أولغيره من الخصال ، فلقد ضل عن الطريق من طمع أن يعرف أن زيداحكيم أم لا ، وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها . والفضيلة مأخوذة من الفضل وهى الزيادة ؛ فإذا تشارك شيئان فى أمر واختص أحدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل عليه مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشيء كما يقال : الفرس أفضل من الحمار بمعنى أنه يشاركه فى قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة ، فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة لم يقل إنه أفضل ؛ لأنّ تلك زيادة فى الجسم ونقصان فى المعنى وليست من الكمال فى شيء، والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لالجسمه ؛ فإذا فهمت هذا لم يخف عليك أن العلم فضيلة إن أخذته بالإضافة إلى سائر الأوصاف ، كما أن للفرس فضيلة إن أخذته بالإضافة إلى سائر الحيوانات ؛ بل شدّة العدو فضيلة فى الفرس وليست فضيلة على الإطلاق ، والعلم فضيلة فى ذاته وعلى الإطلاق من غير إضافة ؛ فإنه وصف كمال الله سبحانه وبه شرف الملائكة والأنبياء ، بل الكيس من الخيل خير من البليد فهى فضيلة على الإطلاق من غير إضافة . واعلم أن الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى مايطلب لغيره ، وإلى مايطلب لذاته ، وإلى مايطلب لغيره ولذاته جميعا فما يطلب لذاته أشرف وأفضل مما يطلب لغيره ، والمطلوب لغيره : الدراهم والدنانير فإنهما حجران لامنفعة لهما ، ولولا أن الله سبحانه وتعالى يسر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصباء بمثابة واحدة . والذى يطلب لذاته : فالسعادة فى الآخرة ولذة النظر لوجه الله تعالى . والذى يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن ، فإن سلامة الرجل مثلا مطلوبة من حيث إنها سلامة للبدن عن الألم ومطلوبة للمشى بها والتوصل إلى المآرب والحاجات ، وبهذا الاعتبار إذا نظرت إلى العلم رأيته لذيذا فى نفسه فيكون مطلوبا لذاته ، ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها وذريعة إلى القرب من الله تعالى ولايتوصل إليه إلا به ، وأعظم الأشياء رتبة فى حق الآدمى السعادة الأبدية وأفضل الأشياء ماهو وسيلة إليها ولن يتوصل إليها إلا بالعلم والعمل ولايتوصل إلى العمل إلا بالعلم بكيفية العمل ، فأصل السعادة فى الدنيا والآخرة هو العلم فهو إذن أفضل الأعمال ، وكيف لاوقد تعرف فضيلة الشيء أيضاً بشرف ثمرته ! وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بأفق الملائكة ومقارنة الملأ الأعلى ، هذا فى الآخرة وأما فى الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام فى الطباع حتى إن أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الإنسان لشعورها بتمييز الإنسان بكمال مجاوز لدرجتها : هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم كما سيأتى بيانه وتتفاوت لامحالة فضائلها بتفاوتها . وأما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة مما ذكرناه ، فإن العلم إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طلبا للأفضل فكان تعليمه إفادة للأفضل ، وبيانه أن مقاصد الخلق مجموعة فى الدين والدنيا ولانظام للدين إلا بنظام الدنيا ، فإن الدنيا مزرعة الآخرة وهى الآلة الموصلة إلى الله عزوجل لمن اتخذها آلة ومنزلا لمن يتخذها مستقرا ووطنا ؛ وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين . وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر فى ثلاثة أقسام :

(أحدها) أصول لاقوام للعالم دونها ، وهى أربعة : الزراعة ، وهى للمطعم . والحياكة ، وهى للملبس . والبناء ،

وهو للمسكن . والسياسة ، وهى للتأليف والاجتماع والتعاون على أسباب المعيشة وضبطها .

(الثانى) ماهى مهيئة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها : كالحدادة فإنها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات بإعداد آلاتها كالحلاجة والغزل فإنها تخدم الحياكة بإعداد عملها .

(الثالث) ماهى متممة للأصول ومزينة ، كالطحن والخبز للزراعة ؛ وكالقصارة والخياطة للحياكة ؛ وذلك بالإضافة إلى قوام أمر العالم الأرضى مثل أجزاء الشخص بالإضافة إلى جملته فإنها ثلاثة أضرب أيضا : إما أصول كالقلب والكبد والدماغ ؛ وإما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والأعصاب والأوردة ، وإما مكملة لها ومزينة كالأظفار والأصابع والحاجبين ، وأشرف هذه الصناعات أصولها ، وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح ولذلك تستدعى هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها مالايستدعيه سائر الصناعات ، ولذلك يستخدم لامحالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع والسياسة فى استصلاح الخلق وإرشادهم إلى الطريق المستقيم المنجى فى الدنيا والآخرة على أربع مراتب : الأولى ـ وهى العليا : سياسة الأنبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً فى ظاهرهم وباطنهم . والثانية : الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً ولكن على ظاهرهم لاعلى باطنهم . والثالثة : العلماء بالله عز وجل وبدينه الذين هم ورثة الأنبياء ، وحكمهم على باطن الخاصة فقط ، ولا يرتفع فهم العامة على الاستفادة منهم ولاتنتهى قوتهم إلى التصرف فى ظواهرهم بالإلزام والمنع والشرع .

والرابعة : الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط ؛ فأشرف هذه الصناعات الأربع بعد النبوة إفادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم ؛ وإنما قلنا إن هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات لأن شرف الصناعات يعرف بثلاثة أمور : إما بالالتفات إلى الغريزة التى بها يتوصل إلى معرفتها كفضل العقول العقلية على اللغوية : إذ تدرك الحكمة بالعقل ، واللغة بالسمع ، والعقل أشرف من السمع ؛ وإما بالنظر إلى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة ، وإما بملاحظة المحل الذى فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة : إذ محل أحدهما الذهب ومحل الآخر جلد الميتة ؛ وليس يخفى أن العلوم الدينية وهى فقه طريق الآخرة إنما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء ، والعقل أشرف صفات الإنسان كما سيأتى بيانه ؛ إذ به تقبل أمانة الله ، وبه يتوصل إلى جوار الله سبحانه . وأما عموم النفع فلا يستراب فيه فإن نفعه وثمرته سعادة الآخرة . وأما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف فى قلوب البشر ونفوسهم ، وأشرف موجود على الأرض جنس الإنس وأشرف جزء من جواهر الإنسان قلبه ، والمعلم مشتغل بتكميله وتجليته وتطهيره وسياقته إلى القرب من الله عز وجل ، فتعليم العلم من وجه : عبادة لله تعالى ، ومن وجه خلافة لله تعالى ، وهو من أجل خلافة الله ؛ فإن الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذى هو أخص صفاته . فهو كالخازن لأنفس خزائنه ؛ ثم هو مأذون له فى الإنفاق منه على كل محتاج إليه ؛ فأى رتبة أجل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه فى تقريبهم إلى التمزلى وسياقتهم إلى جنة المأوى ، جعلنا الله منهم بكرمه ؛ وصلى الله على كل عبد مصطفى .

الباب الثانى

فى العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما

وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية ، وبيان أن موقع الكلام والفقه من علم الدين إلى أى حد هو وتفضيل علم الآخرة .

بيان العلم الذى هو فرض عين : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالصين » واختلف الناس فى العلم الذى هو فرض على كل مسلم ، فتفرقوا فيه أكثر من عشرين فرقة ، ولا نطيل بنقل التفصيل ، ولكن حاصله أن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذى هو بصدده ، فقال المتكلمون : هو علم الكلام ، إذ به يدرك التوحيد ويعلم به ذات الله سبحانه وصفاته ، وقال الفقهاء : هو علم الفقه إذ به تعرف العبادات والحلال والحرام ومايحرم من المعاملات وما يحل ، وعنوا به مايحتاج إليه الآحاد دون الوقائع النادرة ، وقال المفسرون والمحدثون : هو علم الكتاب والسنة ، إذ بهما يتوصل إلى العلوم كلها . وقال المتصوفة : المراد به هذا العلم ، فقال بعضهم : هو علم العبد بحاله ومقامه من الله عز وجل . وقال بعضهم : هو العلم بالإخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان . وقال بعضهم : هو علم الباطن ، وذلك يجب على أقوام مخصوصين هم أهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه . وقال أبو طالب المكى : هو العلم بما يتضمنه الحديث الذى فيه مبانى الإسلام ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله [1] » إلى آخر الحديث ، لأن الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب . والذى ينبغى أن يقطع به المحصل ولايستريب فيه ماسنذكره : وهو أن العلم كما قدمناه فى خطبة الكتاب ينقسم إلى علم معاملة وعلم مكاشفة ، وليس المراد بهذا العلم إلا علم المعاملة . والمعاملة التى كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلاثة : اعتقاد ، وفعل ، وترك ؛ فإذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلا فأول واجب عليه تعلم كلمتى الشهادة وفهم معناهما وهو قول « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلة ، بل يكفيه أن يصدق به ويعتقده جزما من غير اختلاج ريب واضطراب نفس ، وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث ولا برهان ؛ إذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والإقرار من غير تعلم دليل [2] . فإذا فعل ذلك فقد أدى واجب الوقت وكان العلم الذى هو فرض عين عليه فى الوقت تعلم الكلمتين وفهمهما ، وليس يلزمه أمر وراء هذا فى الوقت ، بدليل أنه لو مات عقيب ذلك مات مطيعاً لله عز وجل غير عاص له ، وإنما يجب غير ذلك بعوارض تعرض وليس ذلك ضروريا فى حق كل شخص بل يتصور الانفكاك وتلك العوارض إما أن تكون فى الفعل وإما فى الترك وإما فى الاعتقاد . أما الفعل : فبأن يعيش من ضحوة نهاره إلى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة ، فإن كان صحيحاً وكان بحيث لو صبر إلى وقت زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل فى الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم ، فلا يبعد أن يقال : الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت . ويحتمل أن يقال : وجوب العلم الذى هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال ، وهكذا فى بقية الصلوات فإن عاش إلى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم : وهو أن وقته من الصبح إلى غروب الشمس ؛ وأن الواجب فيه النية والإمساك عن الأكل والشرب والوقاع ، وأن ذلك يتمادى إلى رؤية الهلال أو شاهدين ؛ فإن تجدد له مال أو كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم مايجب عليه من الزكاة ، ولكن لايلزمه فى الحال إنما يلزمه عند

الباب الثانى

(١) حديث (بنى الإسلام على خمس ... الحديث) متفق عليه من حديث ابن عمر (٢) حديث : اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والإقرار من غير تعلم دليل : مشهور فى كتب السير والحديث ؛ انظر مسلم قصة ضمام بن ثعلبة .

تمام الحول من وقت الإسلام ؛ فإن لم يملك إلا الإبل لم يلزمه إلا تعلم زكاة الإبل ، وكذلك فى سائر الأصناف ، فإذا دخل فى أشهر الحج فلا يلزمه المبادرة إلى علم الحج مع أن فعله على التراخى فلا يكون تعلمه على الفور ، ولكن ينبغى لعلماء الإسلام أن ينبهوه على أن الحج فرض على التراخى على كل من ملك الزاد والراحلة إذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه فى المبادرة فعند ذلك إذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه إلا تعلم أركانه وواجباته دون نوافله ، فإن فعل ذلك نفل فعلمه أيضاً نفل فلا يكون تعلمه فرض عين وفى تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب أصل الحج فى الحال نظر يليق بالفقه ، وهكذا التدريج فى علم سائر الأفعال التى هى فرض عين . وأما التروك فيجب تعلم علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال ، وذلك يختلف بحال الشخص إذ لا يجب على الأبكم تعلم ما يحرم من الكلام ، ولا على الأعمى تعلم ما يحرم من النظر ، ولا على البدوى تعلم ما يحرم الجلوس فيه من المساكن ، فذلك أيضاً واجب بحسب ما يقتضيه الحال ، فما يعلم أنه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الإسلام لابساً للحرير ، أو جالساً فى الغصب ، أو ناظراً إلى غير ذى محرم ، فيجب تعريفه بذلك وما ليس ملابساً له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالأكل والشرب فيجب تعليمه ، حتى إذا كان فى بلد يتعاطى فيه شرب الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه ، وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه . وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر ، فإن خطر له شك فى المعانى التى تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به إلى إزالة الشك . فإن لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله سبحانه قديم وأنه مرئى وأنه ليس محلا للحوادث إلى غير ذلك مما يذكر فى المعتقدات ، فقد مات على الإسلام إجماعاً ، ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها يخطر بالسماع من أهل البلد ، فإن كان فى بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغى أن يصان فى أول بلوغه عنها بتلقين الحق ، فإنه لو ألقى اليه الباطل لوجبت إزالته عن قلبه وربما عسر ذلك ، كما أنه لو كان هذا المسلم تاجراً وقد شاع فى البلد معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا ، وهذا هو الحق فى العلم الذى هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب ، فمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذى هو فرض عين ، وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو ولمة الملك حق أيضاً ولكن فى حق من يتصدى له ، فإذا كان الغالب أن الإنسان لا ينفك عن دواعى الشر والرياء والحسد فيلزمه أن يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجا إليه ، وكيف لا يجب عليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه »[1] ولا ينفك عنها بشر ، وبقية ما سنذكره من مذمومات أحوال القلب كالكبر والعجب وأخواتها تتبع هذه الثلاث المهلكات ، وإزالتها فرض عين ، ولا يمكن إزالتها إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها ؛ فإن من لا يعرف الشر يقع فيه ، والعلاج هو مقابلة السبب بضده ، وكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب ، وأكثر ما ذكرناه فى ربع المهلكات من فروض الأعيان ، وقد تركها الناس كافة اشتغالا بما لا يعنى . ومما ينبغى أن يبادر فى إلقائه إليه إذا لم يكن قد انتقل عن ملة إلى ملة أخرى : الإيمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق ، وهو من تتمة كلمتى الشهادة ، فإنه بعد التصديق بكونه عليه السلام رسولا

(١) حديث (ثلاث مهلكات : شح مطاع ... الحديث) أخرجه البزار والطبرانى وأبو نعيم والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بإسناد ضعيف

ينبغى أن يفهم الرسالة التى هو مبلغها : وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة ، ومن عصاهما فله النار ، فإذا انتبهت لهذا التدريج علمت أن المذهب الحق هو هذا ، وتحققت أن كل عبد هو فى مجارى أحواله فى يومه وليلته لايخلو من وقائع فى عبادته ومعاملاته عن تجدد لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر ويلزمه المبادرة إلى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالبا ؛ فإذا تبين أنه عليه الصلاة والسلام إنما أراد بالعلم المعرف بالألف واللام فى قوله صلى الله عليه وسلم ؛ طلب العلم فريضة على كل مسلم ؛ علم العمل الذى هو مشهور الوجوب على المسلمين لاغير ؛ فقد اتضح وجه التدريج ووقت وجوبه ، والله أعلم .

بيان العلم الذى هو فرض كفاية

اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم والعلوم بالإضافة إلى الغرض الذى نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية ؛ وأعنى بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب ، ولا التجربة مثل الطب ، ولا السماع مثل اللغة : فالعلوم التى ليست بشرعية تنقسم إلى ماهو محمود وإلى ما هو مذموم وإلى ما هو مباح ، فالمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم إلى ما هو فرض كفاية وإلى ما هو فضيلة وليس بفريضة : أما فرض الكفاية فهو علم لا يستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا كالطب ، إذ هو ضرورى فى حاجة بقاء الأبدان . وكالحساب ؛ فإنه ضرورى فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما . وهذه هى العلوم التى لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد . وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين . فلايتعجب من قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات فان أصول الصناعات أيضاً من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة . فإنه لوخلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك . فإن الذى أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد إلى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه . فلا يجوز التعرض للهلاك بإهماله . وأما ما يعد فضيلة لافريضة فالتعمق فى دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه . ولكنه يفيد زيادة قوة فى القدر المحتاج إليه . وأما المذموم فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات . وأما المباح منه فالعلم بالأشعار التى لا سخف فيها . وتواريخ الأخبار وما يجرى مجراه .

أما العلوم الشرعية وهى المقصودة بالبيان : فهى محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن أنها شرعية وتكون مذمومة فتنقسم إلى المحمودة والمذمومة . أما المحمودة فلها أصول وفروع ومقدمات ومتممات وهى أربعة أضرب (الضرب الأول) الأصول : وهى أربعة كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله عليه السلام وإجماع الأمة وآثار الصحابة والإجماع أصل من حيث إنه يدل على السنة فهو أصل فى الدرجة الثالثة . وكذا الأثر فإنه أيضاً يدل على السنة . لأن الصحابة رضى الله عنهم قد شاهدوا الوحى والتنزيل وأدركوا بقرائن الأحوال ما غاب عن غيرهم عيانه وربما لاتحيط العبارات بما أدرك بالقرائن . فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص على وجه مخصوص عند من يراه ولا يليق بيانه بهذا الفن (الضرب الثانى) الفروع : وهو مافهم من هذه الأصول لابموجب ألفاظها بل بمعان تنبه لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ به غيره كما فهم من قوله عليه السلام « لايقضى القاضى وهو غضبان [1] » أنه لايقضى إذا كان خائفاً أو جائعاً أو متألماً بمرض .

(١) حديث (لا يقضى القاضى وهو غضبان) متفق عليه من حديث أبى بكرة .

وهذا على ضربين : أحدهما : يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه والمتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا . والثانى : مايتعلق بمصالح الآخرة وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة والمذمومة وما هو مرضى عند الله تعالى ، وماهو مكروه وهو الذى يحويه الشطر الأخير من هذا الكتاب ، أعنى جملة كتاب إحياء علوم الدين ، ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح فى عباداتها وعاداتها ، وهو الذى يحويه الشطر الأول من هذا الكتاب . (والضرب الثالث) المقدمات ، وهى التى تجرى منه مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو ؛ فإنهما آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية فى أنفسهما ، ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة لاتظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ومن الآلات علم كتابة الخط إلا أن ذلك ليس ضروريا إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] أميا . ولو تصور استقلال الحفظ بجميع مايسمع لاستغنى عن الكتابة ، ولكنه صار بحكم العجز فى الغالب ضروريا (الضرب الرابع) المتممات : وذلك فى علم القرآن ؛ فإنه ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءات ومخارج الحروف وإلى مايتعلق بالمعنى كالتفسير ؛ فإن اعتماده أيضاً على النقل ، إذ اللغة بمجردها لاتستقل به وإلى مايتعلق بأحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر . وكيفية استعمال البعض منه مع البعض ، وهو العلم الذى يسمى أصول الفقه ويتناول السنة أيضا . وأما المتممات فى الآثار والأخبار فالعلم بالرجال وأسمائهم وأنسابهم وأسماء الصحابة وصفاتهم ، والعلم بالعدالة فى الرواة ، والعلم بأحوالهم ليميز الضعيف عن القوى ، والعلم بأعمارهم ليميز المرسل عن المسند وكذلك مايتعلق به ؛ فهذه هى العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات . فإن قلت . لم ألحقت الفقه بعلم الدنيا ؟ فاعلم أن الله عز وجل أخرج آدم عليه السلام من التراب وأخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق ، فأخرجهم من الأصلاب إلى الأرحام ومنها إلى الدنيا ثم إلى القبر ثم إلى العرض ثم إلى الجنة أو إلى النار ؛ فهذا مبدؤهم وهذا غايتهم وهذه منازلهم . وخلق الدنيا زاداً للمعاد ليتناول منها مايصلح للتزود ؛ فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة إلى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان إلى قانون يسوسهم به ؛ فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا بحكم الشهوات ؛ فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده إلى طرق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم أمورهم فى الدنيا ، ولعمرى إنه متعلق أيضاً بالدين ، لكن لابنفسه بل بواسطة الدنيا ؛ فإن الدنيا مزرعة الآخرة ، ولا يتم الدين إلا بالدنيا . والملك والدين توأمان ؛ فالدين أصل والسلطان حارس ، وما لاأصل له فمهدوم ، وما لاحارس له فضائع ، ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان وطريق الضبط فى فصل الحكومات بالفقه . وكما أن سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين فى الدرجة الأولى ؛ بل هو معين على ما لايتم الدين إلا به ، فكذلك معرفة طريق السياسة فمعلوم أن الحج لايتم إلا ببذرقة تحرس من العرب فى الطريق ولكن الحج شىء وسلوك الطريق إلى الحج شىء ثان ، والقيام بالحراسة التى لايتم الحج الا بها شىء ثالث ، ومعرفة طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شىء رابع ، وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روى مسندا « لا يفتى الناس إلا ثلاثة : أمير أو مأمور

(١) حديث : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أميا : أى لا يحسن الكتابة : أخرجه ابن مردويه فى التفسير من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا « أنا محمد النبى الأمى » ونبه ابن لهيعة ، ولابن حبان والدارقطنى والحاكم والبيهقى وصححه من حديث ابن مسعود « قولوا اللهم صل على محمد النبى الأمى » وللبخارى من حديث البراء « وأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب » .

أو متكلف [١] ، فالأمير هو الإمام وقد كانوا هم المفتون ، والمأمور نائبه ، والمتكلف غيرهما : وهو الذى يتقلد تلك العهدة من غير حاجة . وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يحترزون عن الفتوى ، حتى كان يحيل كل منهم على صاحبه ، وكانوا لايحترزون إذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة . وفى بعض الروايات بدل المتكلف : المرائى ؛ فإن من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به إلا طلب الجاه والمال . فإن قلت : هذا إنما استقام لك فى أحكام الجراحات والحدود والغرامات وفصل الخصومات ، فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة ولا فيما يشتمل عليه ربع العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام ، فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الأعمال التى هى أعمال الآخرة ثلاثة : الإسلام والصلاة والزكاة والحلال والحرام ؛ فإذا تأملت منتهى نظر الفقيه فيها علمت أنه لايجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة ، وإذا عرفت هذا فى هذه الثلاثة فهو فى غيرها أظهر . أما الإسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفى شروطه وليس يلتفت فيه إلا إلى اللسان . وأما القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم أرباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال « هلا شققت عن قلبه ؟ [٢] » للذى قتل من تكلم بكلمة الإسلام معتذرا بأنه قال ذلك من خوف السيف ، بل يحكم الفقيه بصحة الإسلام تحت ظلال السيوف ، مع أنه يعلم أن السيف لم يكشف له عن نيته ولم يدفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة ، ولكنه مشير على صاحب السيف فإن السيف ممتد إلى رقبته واليد ممتدة إلى ماله وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله مادام له رقبة ومال ، وذلك فى الدنيا ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « امرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم [٣] » جعل أثر ذلك فى الدم والمال . وأما الآخرة فلا تنفع فيها الأموال بل أنوار القلوب وأسرارها وإخلاصها . وليس ذلك من الفقه ، وإن خاض الفقيه فيه كان كما لو خاض فى الكلام والطب وكان خارجا عن فنه . وأما الصلاة فالفقيه يفتى بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط وإن كان غافلا فى جميع صلاته من أولها إلى آخرها مشغولا بالتفكير فى حساب معاملاته فى السوق إلا عند التكبير ، وهذه الصلاة لاتنفع فى الآخرة ، كما أن القول باللسان فى الإسلام لاينفع ، ولكن الفقيه يفتى بالصحة أى أن ما فعله حصل به امتثال صيغة الأمر وانقطع به عنه القتل والتعزير ، فأما الخشوع وإحضار القلب الذى هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لايتعرض له الفقيه ولو تعرض له لكان خارجا عن فنه ، وأما الزكاة فالفقيه ينظر إلى ما يقطع به مطالبة السلطان حتى إنه إذا امتنع عن أدائها فأخذها السلطان قهرا حكم بأنه برئت ذمته . وحكى أن أبا يوسف القاضى كان يهب ماله لزوجته آخر الحول ويستوهب مالها إسقاطا للزكاة ، فحكى ذلك لأبى حنيفة رحمه الله فقال ذلك من فقهه . وصدق فإن ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته فى الآخرة أعظم من كل جناية ، ومثل هذا هو العلم الضار . وأما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين ، ولكن الورع له أربع مراتب (الأولى) الورع الذى يشترط فى عدالة الشهادة : وهو الذى يخرج بتركه الإنسان عن أهلية الشهادة والقضاء والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر (الثانية) ورع الصالحين : وهو التوقى من الشبهات التى يتقابل فيها الاحتمالات . قال صلى الله عليه وسلم « دع ما يريبك إلى مالا يريبك [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « الإثم حزاز القلوب [٥] » (الثالثة) ورع

---

(١) حديث « لايفتى الناس الا ثلاثة . . . الحديث » أخرجه ابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ لايقض على الناس » وإسناده حسن . (٢) حديث « هلا شققت عن قلبه » أخرجه مسلم من حديث أسامة بن زيد

(٣) حديث « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله . . الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة وعمر وابن عمر

(٤) حديث « دع ما يريبك إلى مالا يريبك » أخرجه الترمذى وصححه والنسائى وابن حبان من حديث الحسن بن على

(٥) حديث « الإثم حزاز القلوب » أخرجه البيهقى فى شعب الايمان من حديث ابن مسعود ، ورواه العدنى فى مسنده موقوفا عليه

المتقين وهو ترك الحلال المحض الذى يخاف منه أداؤه إلى الحرام . قال صلى الله عليه وسلم « لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس [1] » وذلك مثل التورع عن التحدث بأحوال الناس خيفة من الانجرار إلى الغيبة ، والتورع عن أكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر المؤدى إلى مقارفة المحظورات (الرابعة) ورع الصديقين وهو الإعراض عما سوى الله تعالى خوفا من صرف ساعة من العمر إلى مالا يفيد زيادة قرب عند الله عز وجل وإن كان يعلم ويتحقق أنه لا يفضى إلى حرام ، فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه إلا الدرجة الأولى : وهو ورع الشهود والقضاء وما يقدح فى العدالة والقيام بذلك لا ينفى الإثم فى الآخرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابصة « استفت قلبك وإن أفتوك وإن أفتيوك وإن أفتوك [2] » والفقيه لا يتكلم فى حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح فى العدالة فقط ، فان جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التى بها صلاح طريق الآخرة ، فان تكلم فى شىء من صفات القلب وأحكام الآخرة فذلك يدخل فى كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل فى كلامه شىء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام ، وكما تدخل الحكمة فى النحو والشعر . وكان سفيان الثورى وهو إمام فى علم الظاهر يقول : إن طلب هذا ليس من زاد الآخرة ، كيف وقد اتفقوا على أن الشرف فى العلم العمل به فكيف يظن أنه علم الظهار واللعان والسلم والإجارة والصرف ، ومن تعلم هذه الأمور ليتقرب بها إلى الله تعالى فهو مجنون ، وإنما العمل بالقلب والجوارح فى الطاعات ، والشرف هو تلك الأعمال * فان قلت : لم سويت بين الفقه والطب إذ الطب أيضا يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد وذلك يتعلق به أيضا صلاح الدين ، وهذه التسوية تخالف إجماع المسلمين ؟ فاعلم أن التسوية غير لازمة بل بينهما فرق ، وأن الفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه (أحدها) أنه علم شرعى إذ هو مستفاد من النبوة ، بخلاف الطب فانه ليس من علم الشرع (والثانى) أنه لا يستغنى عنه أحد من سالكى طريق الآخرة ألبتة لا الصحيح ولا المريض . واما الطب فلا يحتاج إليه إلا المرضى وهم الأقلون (والثالث) أن علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لأنه نظر فى أعمال الجوارح ، ومصدر أعمال الجوارح ومنشؤها صفات القلوب ، فالمحمود من الأعمال يصدر عن الأخلاق المحمودة المنجية فى الآخرة ، والمذموم يصدر من المذموم ، وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب . وأما الصحة والمرض فمنشؤهما صفاء فى المزاج والاخلاط وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب ، فهما أضيف الفقه إلى الطب ظهر شرفه ، وإذا أضيف علم طريق الآخرة إلى الفقه ظهر أيضا شرف علم طريق الآخرة * فان قلت : فصل لى علم طريق الآخرة تفصيلا يشير إلى تراجمه وإن لم يمكن استقصاء تفاصيله . فاعلم أنه قسمان : علم مكاشفة وعلم معاملة ، فالقسم الأول علم المكاشفة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم ، فقد قال بعض العارفين : من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة ، وأدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله . وقال آخر : من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشىء من هذا العلم : بدعة ، أو كبر . وقيل : من كان محبا للدنيا أو مصراً على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم ، وأقل عقوبة من ينكره أنه لا يذوق منه شيئا وينشد على قوله :

وارض لمن غاب عنك غيبته فذاك ذنب عقابه فيـــه

وهو علم الصديقين والمقربين ، أعنى علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر فى القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته

(١) حديث « لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به .. الحديث » أخرجه الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث عطية السعدى . (٢) حديث « استفت قلبك وإن أفتوك » أخرجه أحمد من حديث وابصة .

المذمومة ، وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معانى مجملة غير متضحة ، فتتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه ، وبصفاته الباقيات التامات ، وبأفعاله ، وبحكمه فى خلق الدنيا والآخرة ، ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا ، والمعرفة بمعنى النبوة والنبى ، ومعنى الوحى ، ومعنى الشيطان ، ومعنى لفظ الملائكة والشياطين ، وكيفية معاداة الشياطين للإنسان ، وكيفية ظهور الملك للأنبياء ، وكيفية وصول الوحى إليهم ، والمعرفة بملكوت السموات والأرض ، ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ، ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ، ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ، ومعنى قوله تعالى ﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ ومعنى قوله تعالى ﴿ وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر إلى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول فى جواره ، ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ الأعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ، ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدرى فى جوف السماء إلى غير ذلك مما يطول تفصيله ، إذ للناس فى معانى هذه الأمور بعد التصديق بأصولها مقامات شتى ، فبعضهم يرى أن جميع ذلك أمثلة وأن الذى أعده الله لعباده الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وأنه ليس مع الخلق من الجنة إلا الصفات والأسماء . وبعضهم يرى أن بعضها أمثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من ألفاظها ، وكذا يرى بعضهم أن منتهى معرفة الله عز وجل الاعتراف بالعجز عن معرفته ، وبعضهم يدعى أموراً عظيمة فى المعرفة بالله عز وجل ، وبعضهم يقول حد معرفة الله عز وجل ما انتهى إليه اعتقاد جميع العوام : وهو أنه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم ، فنعنى بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق فى هذه الأمور اتضاحا يجرى مجرى العيان الذى لا يشك فيه ، وهذا ممكن فى جوهر الإنسان لولا ان مرآة القلب قد تراكم صدؤها وخبثها بقاذورات الدنيا ، وإنما نعنى بعلم طريق الآخرة : العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التى هى الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله ، وإنما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فى جميع أحوالهم ، فبقدر ما ينجلى من القلب ويحاذى به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه ، ولا سبيل إليه إلا بالرياضة التى يأتى تفصيلها فى موضعها ، وبالعلم والتعليم ، وهذه هى العلوم التى لا تسطر فى الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشىء منها إلا مع أهله ، وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة ، وبطريق الأسرار ، وهذا هو العلم الخفى الذى أراده صلى الله عليه وسلم بقوله « إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى ، فاذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى فلا تحقروا عالما آتاه الله تعالى علما منه ، فان الله عز وجل لم يحقره إذ آتاه إياه [1] » وأما القسم الثانى : وهو علم المعاملة ، فهو علم أحوال القلب : أما ما يحمد منها فكالصبر ، والشكر ، والخوف ، والرجاء ، والرضا ، والزهد ، والتقوى ، والقناعة ، والسخاء ، ومعرفة المنة لله تعالى فى جميع الأحوال ، والإحسان ، وحسن الظن ، وحسن الخلق ، وحسن المعاشرة ، والصدق ، والإخلاص ، فمعرفة حقائق هذه الأحوال وحدودها وأسبابها التى بها تكتسب وثمرتها وعلامتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود من علم الآخرة ،

(١) حديث « إن من العلم كهيئة المكنون ... الحديث » رواه أبو عبد الرحمن السلمى فى الأربعين له فى التصوف من حديث أبى هريرة بإسناد ضعيف .

وأما ما يذم ، فخوف الفقر ، وسخط المقدور ، والغل ، والحقد ، والحسد ، والغش ، وطلب العلو ، وحب الثناء ، وحب طول البقاء فى الدنيا للتمتع ، والكبر ، والرياء ، والغضب ، والأنفة ، والعداوة ، والبغضاء والطمع ، والبخل ، والرغبة ، والبذخ ، والأشر ، والبطر ، وتعظيم الأغنياء ، والاستهانة بالفقراء ، والفخر ، والخيلاء ، والتنافس ، والمباهاة والاستكبار عن الحق ، والخوض فيما لا يعنى ، وحب كثرة الكلام ، والصلف ، والتزين للخلق ، والمداهنة ، والعجب ، والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس ، وزوال الحزن من القلب ، وخروج الخشية منه ، وشدة الانتصار للنفس إذا نالها الذل ، وضعف الانتصار للحق ، واتخاذ إخوان العلانية على عداوة السر ، والأمن من مكر الله سبحانه وتعالى فى سلب ما أعطى ، والاتكال على الطاعة ، والمكر ، والخيانة ، والمخادعة وطول الأمل ، والقسوة ، والفظاظة ، والفرح بالدنيا والأسف على فواتها ، والأنس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفاء ، والطيش ، والعجلة ، وقلة الحياء ، وقلة الرحمة ، فهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الأعمال المحظورة . وأضدادها ـ وهى الأخلاق المحمودة ـ منبع الطاعات والقربات ، فالعلم بحدود هذه الأمور وحقائقها وأسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة ، وهو فرض عين فى فتوى علماء الآخرة ، فالمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك فى الآخرة ، كما أن المعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا ، فنظر الفقهاء فى فروض العين بالإضافة إلى صلاح الدنيا ، وهذا بالإضافة إلى صلاح الآخرة . ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعانى حتى عن الإخلاص مثلا أو عن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع أنه فرض عينه الذى فى إهماله هلاكه فى الآخرة ، ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمى لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التى تنقضى الدهور ولا يحتاج إلى شىء منها ، وإن احتيج لم تخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها ، فلا يزال يتعب فيها ليلا ونهاراً وفى حفظه ودرسه يغفل عما هو مهم فى نفسه فى الدين ، وإذا روجع فيه قال : اشتغلت به لأنه علم الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره فى تعلمه ، والفطن يعلم أنه لو كان غرضه أداء حق الأمر فى فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين ، بل قدم عليه كثيراً من فروض الكفايات ؛ فكم من بلدة ليس فيها طبيب إلا من أهل الذمة ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه ، ثم لا نرى أحداً يشتغل به ، ويتهاترون على علم الفقه لاسيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع ؛ فليت شعرى كيف يرخص فقهاء الدين فى الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة وإهمال ما لا قائم به ؟ هل لهذا سبب إلا أن الطب ليس يتيسر الوصول به إلى تولى الأوقاف والوصايا وحيازة مال الأيتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الأقران والتسلط به على الأعداء ؟ هيهات هيهات ، قد اندرس علم الدين بتلبيس العلماء السوء ؛ فالله تعالى المستعان وإليه الملاذ فى أن يعيذنا من هذا الغرور الذى يسخط الرحمن ويضحك الشيطان ، وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقترين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب : كان الإمام الشافعى رضى الله عنه يجلس بين يدى شيبان الراعى كما يقعد الصبى فى المكتب ويسأله : كيف يفعل فى كذا وكذا ؟ فيقال له : مثلك يسأل هذا البدوى ؟ فيقول : إن هذا وفق لما أغفلناه . وكان أحمد بن حنبل رضى الله عنه ويحيى بن معين يختلفان إلى معروف الكرخى ولم يكن فى علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسألانه ، وكيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما قيل له كيف نفعل إذا جاءنا أمر لم نجده فى كتاب ولا سنة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « سلوا الصالحين واجعلوه شورى

بينهم [1] ، ولذلك قيل : علماء الظاهر زينة الأرض والملك ، وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت . وقال الجنيد رحمه الله قال لي السري شيخي يوماً : إذا قمت من عندي فمن تجالس ؟ قلت : المحاسبي ، فقال : نعم خذ من علمه وأدبه ، ودع عنك تشقيقه الكلام ورده على المتكلمين ، ثم لما وليت سمعته يقول : جعلك الله صاحب حديث صوفياً ولا جعلك صوفياً صاحب حديث: أشار إلى أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوف أفلح ، ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه . فإن قلت : فلم لم تورد في أقسام العلوم : الكلام والفلسفة ، وتبين أنهما مذمومان أو محمودان ؟ فاعلم أن حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التي ينتفع بها ، فالقرآن والأخبار مشتملة عليه ، وما خرج عنهما فهو إما مجادلة مذمومة وهي من البدع كما سيأتي بيانه ، وإما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق لها ، وتطويل بنقل المقالات التي أكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع ، وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء منه مألوفا في العصر الأول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ، ولكن تغير الآن حكمه إذ حدثت البدعة الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ، ونبغت جماعة لفقهوا لها شبهاً ورتبوا فيها كلاماً مؤلفاً ، فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة مأذوناً فيه ، بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذي يقابل به المبتدع إذا قصد الدعوة إلى البدعة ، وذلك إلى حد محدود ـ سنذكره في الباب الذي يلي هذا إن شاء الله تعالى ـ وأما الفلسفة فليست علماً برأسها بل هي أربعة أجزاء (أحدها) الهندسة والحساب ، وهما مباحان كما سبق ولا يمنع عنهما إلا من يخاف عليه أن يتجاوز بهما إلى علوم مذمومة ؛ فإن أكثر المارسين لها قد خرجوا منهما إلى البدع ، فيصان الضعيف عنهما ـ لا لعينهما ـ كما يصان عصبي عن شاطئ النهر خيفة عليه من الوقوع في النهر وكما يصان حديث العهد بالإسلام عن مخالطة الكفار خوفاً عليه ، مع أن القوي لا يندب إلى مخالطتهم (الثاني) المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ، ووجه الحد وشروطه ، وهما داخلان في علم الكلام (الثالث) الإلهيات ، وهو بحث عن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته ؛ وهو داخل في الكلام أيضاً ، والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم ، بل انفردوا بمذاهب : بعضها كفر وبعضها بدعة ، وكما أن الاعتزال ليس علماً برأسه بل أصحابه طائفة من المتكلمين وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة ، فكذلك الفلاسفة (والرابع) الطبيعيات ، وبعضها مخالف للشرع والدين والحق ، فهو جهل وليس بعلم حتى نورده في أقسام العلوم ، وبعضها بحث عن صفات الاجسام وخواصها وكيفية إستحالتها وتغيرها ، وهو شبيه بنظر الاطباء ؛ إلا أن الطبيب ينظر في بدن الإنسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح ، وهم ينظرون في جميع الاجسام من حيث تتغير وتتحرك ؛ ولكن للطب فضل عليه وهو أنه محتاج إليه . وأما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة إليها فإذن الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخيلات المبتدعة ، وإنما حدث ذلك بحدوث البدع كما حدثت حاجة الإنسان إلى استئجار البذرقة في طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ؛ ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج ؛ فلذلك لو ترك المبتدع هذيانه لما افتقر إلى الزيادة على ماعهد في عصر الصحابة رضي الله عنهم ؛ فليعلم المتكلم حده من الدين وأن موقعه منه موقع الحارس في طريق الحج ؛ فإذا تجرد الحارس للحراسة لم يكن من جملة الحاج ، والمتكلم إذا تجرد للمناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد

(١) حديث : قيل له كيف نعمل إذا جاء أمر لم نجده في كتاب الله ولا سنة رسوله ؟ ... الحديث . رواه الطبراني من حديث ابن عباس وفيه عبد الله بن كيسان ضعفه الجمهور .

القلب وصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين أصلا ، وليس عند المتكلم من الدين إلا العقيدة التي شاركه فيها سائر العوام وهي من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان ، وإنما يتميز عن العامي بصنعة المجادلة والحراسة ، فأما معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا إليه في علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام ، بل يكاد أن يكون الكلام حجابا عليه ومانعا عنه ، وإنما الوصول إليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال تعالى ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ * فإن قلت : فقد رددت حد المتكلم إلى حراسة عقيدة العوام عن تمويش المبتدعة ، كما أن حد البذرقة حراسة أقمشة الحجيج عن نهب العرب ، ورددت حد الفقيه إلى حفظ القانون الذي به يكف السلطان شر بعض أهل العدوان عن بعض ، وهاتان رتبتان نازلتان بالإضافة إلى علم الدين ، وعلماء الأمة المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم أفضل الخلق عند الله تعالى ، فكيف تنزل درجاتهم إلى هذه المنزلة السافلة بالإضافة إلى علم الدين ؟ فاعلم أن من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال ، فاعرف الحق تعرف أهله إن كنت سالكا طريق الحق ، وإن قنعت بالتقليد والنظر إلى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلو منصبهم ، فقد أجمع الذين عرضت بذكرهم على تقدمهم وأنهم لا يدرك في الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها ، وما فضل أبو بكر رضي الله عنه الناس بكثرة صيام ولا صلاة ولا بكثرة رواية ولا فتوى ولا كلام ، ولكن بشيء وقر في صدره [1] كما شهد له سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ فليكن حرصك في طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدر المكنون ، ودع عنك ما تطابق أكثر الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لأسباب ودواع يطول تفصيلها ، فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آلاف من الصحابة رضي الله عنهم كلهم علماء بالله ، أثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن فيهم أحد يحسن صنعة الكلام ، ولا نصب نفسه للفتيا منهم أحد إلا بضعة عشر رجلا ، ولقد كان ابن عمر رضي الله عنهما منهم ، وكان إذا سئل عن الفتيا يقول للسائل : اذهب إلى فلان الأمير الذي تقلد أمور الناس ، وضعها في عنقه إشارة إلى أن الفتيا في القضايا والأحكام من توابع الولاية والسلطنة ، ولما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود : مات تسعة أعشار العلم ، فقيل له : أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة ؟ فقال : لم أرد علم الفتيا والأحكام إنما أريد العلم بالله تعالى ، أفترى أنه أراد صنعة الكلام والجدل ، فما بالك لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذي مات بموت عمر تسعة أعشاره ، وهو الذي سد باب الكلام والجدل وضرب ضبيعا بالدرة لما أورد عليه سؤالا في تعارض آيتين في كتاب الله ، وهجره وأمر الناس بهجره وأما قولك إن المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون ، فاعلم أن ما ينال به الفضل عند الله شيء وما ينال به الشهرة عند الناس شيء آخر ؛ فلقد كان شهرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة وكان فضله بالسر الذي وقر في قلبه وكان شهرة عمر رضي الله عنه بالسياسة وكان فضله بالعلم بالله الذي مات تسعة أعشاره بموته ، وبقصده التقرب إلى الله عز وجل في ولايته وعدله وشفقته على خلقه ، وهو أمر باطن في سره ، فأما سائر أفعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب في الشهرة ، فتكون الشهرة فيما هو المهلك ، والفضل فيما هو سر لا يطلع عليه أحد ، فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة والعلماء ، وقد انقسموا ، فمنهم من أراد الله سبحانه بعلمه وفتواه وذبه عن

---

(١) حديث « ما فضل أبو بكر الناس بكثرة صلاة ولا كثرة صيام ... الحديث » أخرجه الترمذي الحكيم في النوادر من قول أبي بكر بن عبد الله المزني ولم أجده مرفوعا

سنة نبيه ولم يطلب به رياء ولا سمعة ، فأولئك أهل رضوان الله تعالى وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ولإرادتهم وجه الله سبحانه بفتواهم ونظرهم ، فإن كل علم عمل فإنه فعل مكتسب ، وليس كل عمل علما ، والطبيب يقدر على التقرب إلى الله تعالى بعلمه فيكون مثابا على علمه من حيث إنه عامل لله سبحانه وتعالى به ، والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضيا عند الله سبحانه ومثابا ، لامن حيث إنه متكفل بعلم الدين ، بل من حيث هو متقلد بعمل يقصد به التقرب إلى الله عزوجل بعلمه . وأقسام مايتقرب به إلى الله تعالى ثلاثة : علم مجرد وهو علم المكاشفة ، وعمل مجرد وهو كعدل السلطان مثلا وضبطه للناس ، ومركب من عمل وعلم وهو علم طريق الآخرة فإن صاحبه من العلماء والعمال جميعا ، فانظر إلى نفسك أتكون يوم القيامة فى حزب علماء الله ، وأعمال الله تعالى ، أوفى حزبيهما فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما ، فهذا أهم عليك من التقليد لمجرد الاشتهار كما قيل :

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به فى طلعة الشمس مايغنيك عن زحل

على أنا سننقل من سيرة فقهاء السلف ماتعلم به أن الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم وأنهم من أشد خصمائهم يوم القيامة فإنهم ماقصدوا بالعلم إلا وجه الله تعالى ، وقد شوهد من أحوالهم ماهو من علامات علماء الآخرة كما سيأتى بيانه فى باب علامات علماء الآخرة ، فإنهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه ، بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها ، ولكن صرفهم عن التدريس والتصنيف فيه ماصرف الصحابة عن التصنيف والتدريس فى الفقه ، مع أنهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتوى والصوارف والدواعى متيقنة ، ولا حاجة إلى ذكرها .

ونحن الآن نذكر من أحوال فقهاء الإسلام ما تعلم به أن ما ذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن أظهر الاقتداء بهم منتحلا مذاهبهم وهو مخالف لهم فى أعمالهم وسيرهم ، فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق ـ أعنى الذين كثر أتباعهم فى المذاهب خمسة : الشافعى ، ومالك ، وأحمد بن حنبل ، وأبو حنيفة ، وسفيان الثورى رحمهم الله تعالى . وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما بعلوم الآخرة وفقيها فى مصالح الخلق فى الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى ، فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جملتها على خصلة واحدة وهى التشمير والمبالغة فى تفاريع الفقه ، لأن الخصال الأربع لاتصلح إلا للآخرة ، وهذه الخصلة الواحدة تصلح الدنيا والآخرة ، إن أريد بها الآخرة قل صلاحها للدنيا شمروا لها وادعوا بها مشابهة أولئك الأئمة ، وهيهات أن تقاس الملائكة بالحدادين ، فلنورد الآن من أحوالهم مايدل على هذه الخصال الأربع ، فإن معرفتهم بالفقه ظاهرة .

أما الإمام الشافعى رحمه الله تعالى فيدل على أنه كان عابدا : ماروى أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء : ثلثا للعلم ، وثلثا للعبادة . وثلثا للنوم . قال الربيع : كان الشافعى رحمه الله يختم القرآن فى رمضان ستين مرة كل ذلك فى الصلاة. وكان البويطى أحد أصحابه يختم القرآن فى رمضان فى كل يوم مرة . وقال الحسن الكرابيسى : بت مع الشافعى غير ليلة فكان يصلى نحوا من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية ، فإذا أكثر فمائة آية ، وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله لنفسه ولجميع المسلمين والمؤمنين ، ولا يمر بآية عذاب إلا تعوذ فيها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين ، وكأنما جمع له الرجاء والخوف معا ، فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين آية على تبحره فى أسرار القرآن وتدبره فيها وقال الشافعى رحمه الله : ما شبعت منذ ست عشرة سنة لأن الشبع يثقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة ، فانظر إلى حكمته فى ذكر آفات الشبع ، ثم فى جده فى العبادة ، إذ طرح الشبع لأجلها ، ورأس التعبد تقليل الطعام . وقال الشافعى رحمه الله : ماحلفت بالله تعالى لاصادقا ولا كاذبا قط ، فانظر

إلى حرمته وتوقيره لله تعالى ، ودلالة ذلك على علمه بجلال الله سبحانه . وسئل الشافعي رضي الله عنه عن مسئلة فسكت ، فقيل له : ألا تجيب رحمك الله ؟ فقال : حتى أدري الفضل في سكوتي أو في جوابي ؟ فانظر في مراقبته للسانه مع أنه أشد الأعضاء تسلطا على الفقهاء وأعصاها عن الضبط والقهر ، وبه يستبين أنه كان لا يتكلم ولا يسكت لا لنيل الفضل وطلب الثواب . وقال أحمد بن يحيى بن الوزير : خرج الشافعي رحمه الله تعالى يوما من سوق القناديل فتبعناه فإذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم ، فالتفت الشافعي إلينا وقال : نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به ، فإن المستمع شريك القائل ، وإن السفيه لينظر إلى أخبث شيء في إنائه فيحرص أن يفرغه في أوعيتكم ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما شقي بها قائلها . وقال الشافعي رضي الله عنه : كتب حكيم إلى حكيم : قد أوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم . وأما زهده رضي الله عنه فقد قال الشافعي رحمه الله : من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب . وقال الحميدي : خرج الشافعي رحمه الله إلى اليمن مع بعض الولاة فانصرف إلى مكة بعشرة آلاف درهم فضرب له خباء في موضع خارجا من مكة فكان الناس يأتونه ، فما برح من موضعه ذلك حتى فرقها كلها . وخرج من الحمام مرة فأعطى الحمامي مالا كثيرا . وسقط سوطه من يده مرة فرفعه إنسان إليه فأعطاه جزاء عليه خمسين دينارا . وسخاوة الشافعي رحمه الله أشهر من أن تحكى ورأس الزهد السخاء ، لأن من أحب شيئا أمسكه ولم يفارق المال إلا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى الزهد . ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همته بالآخرة : ماروى أنه روى سفيان بن عيينة حديثا في الرقائق فغشي على الشافعي فقيل له : قد مات ، فقال : ان مات فقد مات أفضل زمانه . وماروى عبد الله بن محمد البلوي قال : كنت أنا وعمر بن نباتة جلوسا نتذاكر العباد والزهاد فقال لي عمر : مارأيت أورع ولا أفصح من محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه : خرجت أنا وهو والحارث بن لبيد إلى الصفا وكان الحارث تلميذ الصالح المري فافتتح يقرأ وكان حسن الصوت ، فقرأ هذه الآية عليه ﴿ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ فرأيت الشافعي رحمه الله وقد تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما أفاق جعل يقول : أعوذ بك من مقام الكاذبين وإعراض الغافلين ، اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لك رقاب المشتاقين ، إلهي هب لي جودك وجللني بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك . قال : ثم مشى وانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقعدت على الشط أتوضأ للصلاة إذ مر بي رجل فقال لي : يا غلام أحسن وضوءك أحسن الله إليك في الدنيا والآخرة ، فالتفت فإذا أنا برجل يتبعه جماعة ، فأسرعت في وضوئي وجعلت أقفو أثره ، فالتفت إلي فقال : هل لك من حاجة ؟ فقلت : نعم ، تعلمني مما علمك الله شيئا ، فقال لي اعلم أن من صدق الله نجا ، ومن أشفق على دينه سلم من الردى ، ومن زهد في الدنيا قرت عيناه مما يراه من ثواب الله تعالى غدا ، أفلا أزيدك ؟ قلت : نعم . قال من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الإيمان : من أمر بالمعروف وائتمر ونهى عن المنكر وانتهى ، وحافظ على حدود الله تعالى ، ألا أزيدك ؟ قلت بلى ، : فقال : كن في الدنيا زاهدا وفي الآخرة راغبا واصدق الله تعالى في جميع أمورك تنج مع الناجين ، ثم مضى ، فسألت : من هذا ؟ فقالوا : هو الشافعي فانظر إلى سقوطه مغشيا عليه ثم إلى وعظه كيف يدل ذلك على زهده وغاية خوفه ! ولا يحصل هذا الخوف والزهد إلا من معرفة الله عز وجل فإنه ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ ولم يستفد الشافعي رحمه الله هذا الخوف والزهد من علم كتاب السلم والإجارة وسائر كتب الفقه ، بل هو من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والأخبار

إذحكم الأولين والآخرين مودعة فيهما . وأما كونه عالما بأسرار القلب وعلوم الآخرة فنعرفه من الحكم المأثورة عنه ، روى أنه سئل عن الرياء فقال على البديهة : الرياء فتنة عقدها الهوى حيال أبصار قلوب العلماء فنظروا إليها بسوء اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم . وقال الشافعى رحمه الله تعالى : إذا أنت خفت على عملك العجب فانظر رضا من تطلب ؟ وفى أى ثواب ترغب ؟ ومن أى عقاب ترهب ؟ وأى عافية تشكر ؟ وأى بلاء تذكر ؟ فإنك إذا تفكرت فى واحد من هذه الخصال صغر فى عينك عملك ، فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب ! وقال الشافعى رضى الله عنه : من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه . وقال رحمه الله : من أطاع الله تعالى بالعلم نفعه سره . وقال : مامن أحد إلا له محب ومبغض ، فإذا كان كذلك فكن مع أهل طاعة الله عز وجل ، وروى أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان يسأل الشافعى رضى الله عنه عن مسائل فى الورع والشافعى رحمه الله يقبل عليه لورعه ، وقال للشافعى يوما : أيما أفضل الصبر أو المحنة أو التمكين ، فقال الشافعى رحمه الله : التمكين درجة الأنبياء ، ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة ، فإذا امتحن صبر وإذا صبر مكن ؛ ألا ترى أن الله عز وجل امتحن إبراهيم عليه السلام ثم مكنه ، وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه ، وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنه ، وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه وآتاه ملكا ، والتمكين أفضل الدرجات ، قال الله عز وجل ﴿ وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ﴾ وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مكن ، قال الله تعالى ﴿ وآتيناه أهله ومثلهم معهم - الآية ﴾ فهذا الكلام من الشافعى رحمه الله يدل على تبحره فى أسرار القرآن واطلاعه على مقامات السائرين إلى الله تعالى من الأنبياء والأولياء ، وكل ذلك من علوم الآخرة . وقيل للشافعى رحمه الله : متى يكون الرجل عالما ؟ قال : إذا تحقق فى علم الدين فعلمه وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاته فعند ذلك يكون عالما ، فإنه قيل لجالينوس إنك تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجمعة ! فقال : إنما المقصود منها واحد وإنما يجعل معه غيره لتسكن حدته لأن الإفراد قاتل ، فهذا وأمثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته فى معرفة الله تعالى وعلوم الآخرة . وأما إرادته بالفقه والمناظرة فيه وجه الله تعالى : فيدل عليه ماروى عنه قال : وددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب إلى شىء منه ، فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم له وكيف كان منزه القلب عن الالتفات إليه بمجرد النية فيه لوجه الله تعالى . وقال الشافعى رضى الله عنه . ماناظرت أحداً قط فأحببت أن يخطئ . وقال : ما كلمت احداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ ، وما كلمت أحداً قط وأنا أبالى أن يبين الله الحق على لسانى أو على لسانه : وقال : ماأوردت الحق والحجة على أحد فقبلها منى إلا هبته واعتقدت محبته ، ولا كابرنى أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عينى ورفضته ، فهذه العلامات هى التى تدل على إرادة الله تعالى بالفقه والمناظرة ، فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط ، ثم كيف خالفوه فيها أيضا ، ولهذا قال أبو ثور رحمه الله : مارأيت ولا رأى الراءون مثل الشافعى رحمه الله تعالى . وقال أحمد بن حنبل رضى الله عنه : ماصليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعى رحمه الله تعالى ، فانظر إلى إنصاف الداعى وإلى درجة المدعو له وقس به الأقران والأمثال من العلماء فى هذه الأعصار ومابينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم فى دعوى الاقتداء بهؤلاء ، ولكثرة دعائه له قال له ابنه : أى رجل كان الشافعى حتى تدعو له كل هذا الدعاء ؟ فقال أحمد : يابنى كان الشافعى رحمه الله تعالى كالشمس للدنيا وكالعافية للناس ، فانظر هل لهذين من خلف وكان أحمد رحمه الله يقول : مامس أحد بيده محبرة إلا وللشافعى رحمه الله فى عنقه منة . وقال يحيى بن سعيد القطان :

ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو فيها للشافعى لما فتح الله عز وجل عليه من العلم ووفقه للسداد فيه . واقتصر على هذه النبذة من أحواله فان ذلك خارج عن الحصر ، وأكثر هذه المناقب نقلناه من الكتاب الذى صنفه الشيخ نصر بن إبراهيم المقدسى رحمه الله تعالى فى مناقب الشافعى رضى الله عنه وعن جميع المسلمين .

وأما الإمام مالك رضى الله عنه فانه كان أيضا متحليا بهذه الخصال الخمس ، فانه قيل له : ما تقول يامالك فى طالب العلم ؟ فقال : حسن جميل ولكن انظر إلى الذى يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسى فالزمه ، وكان رحمه الله تعالى فى تعظيم علم الدين مبالغا ، حتى كان إذا أراد أن يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث ، فقيل له فى ذلك فقال : أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال مالك : العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية ، وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى . وأما إرادته وجه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله : الجدال فى الدين ليس بشىء . ويدل عليه قول الشافعى رحمه الله : إنى شهدت مالكا وقد سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال فى اثنتين وثلاثين منها : لاأدرى . ومن يرد غير وجه الله تعالى بعلمه فلا تسمح نفسه بأن يقر على نفسه بأنه لا يدرى ، ولذلك قال الشافعى رضى الله عنه : إذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب ، وما أحد أمن على من مالك . وروى أن أبا جعفر المنصور منعه من رواية الحديث فى طلاق المكره ثم دس عليه من يسأله ، فروى على ملأ من الناس : ليس على مستكره طلاق ، فضربه بالسياط ، ولم يترك رواية الحديث . وقال مالك رحمه الله : ما كان رجل صادقا فى حديثه ولا يكذب إلا متع بعقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا خرف . وأما زهده فى الدنيا فيدل عليه ما روى أن المهدى أمير المؤمنين سأله فقال له : هل لك من دار ؟ فقال : لا ولكن أحدثك « سمعت ربيعة بن أبى عبد الرحمن يقول : نسب المرء داره » وسأله الرشيد : هل لك دار ؟ فقال : لا ، فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال : اشتر بها دارا فأخذها ولم ينفقها ، فلما أراد الرشيد الشخوص قال لمالك رحمه الله : ينبغى أن تخرج معنا فانى عزمت على أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان رضى الله عنه الناس على القرآن ، فقال له : أما حمل الناس على الموطأ فليس إليه سبيل ، لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده فى الأمصار فحدثوا ، فعند كل أهل مصر علم وقد قال صلى الله عليه وسلم « اختلاف أمتى رحمة [1] » وأما الخروج معك فلا سبيل إليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون [2] » وقال عليه الصلاة والسلام « المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد [3] » وهذه دنانيركم كما هى إن شئتم فخذوها وإن شئتم فدعوها ، يعنى أنك إنما تكلفنى مفارقة المدينة لما اصطنعته إلى فلا أوثر الدنيا على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهكذا كان زهد مالك فى الدنيا . ولما حملت إليه الأموال الكثيرة من أطراف الدنيا لانتشار علمه وأصحابه كان يفرقها فى وجوه الخير ودل سخاؤه على زهده وقلة حبه للدنيا وليس الزهد فقد المال : وإنما الزهد فراغ القلب عنه ولقد كان سليمان عليه السلام فى ملكه من الزهاد . ويدل على احتقاره للدنيا ما روى عن الشافعى رحمه الله أنه قال : رأيت على باب مالك كراعا من أفراس خراسان ويقال مصر ما رأيت أحسن منه فقلت لمالك رحمه الله : ما أحسنه فقال : هو هدية منى إليك يا أبا عبد الله ، فقلت : دع لنفسك منها دابة تركبها

---

(١) حديث « اختلاف أمتى رحمة » ذكره البيهقى فى رسالته الأشعرية تعليقاً وأسنده فى المدخل من حديث ابن عباس بلفظ « اختلاف أصحابى لكم رحمة » وإسناده ضعيف (٢) حديث « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » متفق عليه من حديث سفيان ابن أبى زهير (٣) حديث « المدينة تنفى خبثها . . الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة .

فقال : إنى أستحيي من الله تعالى أن أطأ تربة فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة فانظر إلى سخائه إذ وهب جميع ذلك دفعة واحدة وإلى توقيره لتربة المدينة . ويدل على إرادته بالعلم وجه الله تعالى واستحقار الدنيا : ماروى أنه قال دخلت على هرون الرشيد فقال لى : يا أبا عبد الله ينبغى أن تختلف إلينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ . قال : فقلت أعز الله مولانا الأمير ، إن هذا العلم منكم خرج فان أنتم أعززتموه عزوإن أنتم أذللتموه ذل والعلم يؤتى ولا يأتى ، فقال : صدقت ، اخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا مع الناس .

وأما أبو حنيفة رحمه الله تعالى فلقد كان أيضا عابدا زاهدا ، بالله تعالى ، خائفا منه ، مريدا وجه الله تعالى بعلمه ، فأما كونه عابدا فيعرف بما روى عن ابن المبارك أنه قال : كان أبو حنيفة رحمه الله له مروءة وكثرة صلاة . وروى حماد بن أبى سليمان أنه كان يحيي الليل كله . وروى أنه كان يحيي نصف الليل فمر يوما فى طريق فأشار إليه إنسان وهو يمشى فقال لآخر : هذا هو الذى يحيي الليل كله ، فلم يزل بعد ذلك يحيي الليل كله وقال : أنا أستحيي من الله سبحانه أن أوصف بما ليس فى من عبادته . وأما زهده فقد روى عن الربيع بن عاصم قال : أرسلنى يزيد بن عمر بن هبيرة فقدمت بأبى حنيفة عليه ، فأراده أن يكون حاكما على بيت المال فأبى ، فضربه عشرين سوطا . فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب ! قال الحكم بن هشام الثقفى : حدثت بالشام حديثا فى أبى حنيفة أنه كان من أعظم الناس أمانة وأراده السلطان على أن يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختار عذابهم له على عذاب الله تعالى . وروى أنه ذكر أبو حنيفة عند ابن المبارك ، فقال : أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففرّ منها . وروى عن محمد بن شجاع عن بعض أصحابه أنه قيل لأبى حنيفة : قد أمر لك أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم . قال : فما رضى أبو حنيفة ، قال : فلما كان اليوم الذى توقع أن يؤتى بالمال فيه صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم ، فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال ، فدخل عليه ، فلم يكلمه ، فقال بعض من حضر : ما يكلمنا إلا بالكلمة بعد الكلمة ، أى هذه عادته . فقال : ضعوا المال فى هذا الجراب فى زاوية البيت ، ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته وقال لابنه : إذا مت ودفنتمونى فخذ هذه البدرة واذهب بها إلى الحسن ابن قحطبة فقل له خذ وديعتك التى أودعتها أبا حنيفة . قال ابنه : ففعلت ذلك ، فقال الحسن : رحمة الله على أبيك فلقد كان شحيحا على دينه . وروى أنه دعى إلى ولاية القضاء فقال : أنا لا أصلح لهذا ، فقيل له : لم ؟ فقال : إن كنت صادقا فما أصلح لها ، وإن كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضاء . وأما علمه بطريق الآخرة وطريق أمور الدين ومعرفته بالله عز وجل فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده فى الدنيا ، وقد قال ابن جريج : قد بلغنى عن كوفيكم هذا النعمان بن ثابت أنه شديد الخوف لله تعالى . وقال شريك النخعى : كان أبو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس ، فهذا من أوضح الأمارات على العلم الباطنى والاشتغال بمهمات الدين ، فمن أوتى الصمت والزهد فقد أوتى العلم كله ، فهذه نبذة من أحوال الأئمة الثلاثة .

وأما الإمام أحمد بن حنبل وسفيان الثورى رحمهما الله تعالى فأتباعهما أقل من أتباع هؤلاء ، وسفيان أقل أتباعا من أحمد ، ولكن اشتهارهما بالورع والزهد أظهر ، وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات أفعالهما وأقوالهما فلا حاجة إلى التفصيل الآن ، فانظر الآن فى غير هؤلاء الأئمة الثلاثة وتأمل أن هذه الأحوال والأقوال والأفعال فى الإعراض عن الدنيا والتجرد لله عز وجل هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والإجارة والظهار والإيلاء واللعان ، أو يثمرها علم آخر أعلى وأشرف منه ، وانظر إلى الذين ادعوا الاقتداء بهؤلاء أصدقوا فى دعواهم أم لا

الباب الثالث

فيما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها

وفيه بيان الوجه الذى قد يكون به بعض العلوم مذموما وبيان تبديل أسامى العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها .

بيان علة ذم العلم المذموم لعلك تقول : العلم هو معرفة الشيء على ما هو به وهو من صفات الله تعالى فكيف يكون الشيء علما ويكون مع كونه علما مذموما ؟ فاعلم أن العلم لا يذم لعينه وإنما يذم فى حق العباد لأحد أسباب ثلاثة (الأول) أن يكون مؤديا إلى ضرر ما إما لصاحبه أو لغيره ، كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق ، إذ شهد القرآن له وأنه سبب يتوصل به إلى التفرقة بين الزوجين ، وقد سحر [1] رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه حتى أخبره جبريل عليه السلام بذلك وأخرج السحر من تحت حجر فى قعر بئر ، وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمور حسابية فى مطالع النجوم ، فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويرصد به وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ، ويتوصل بسببها إلى الاستعانة بالشياطين ، ويحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله تعالى العادة أحوال غريبة فى الشخص المسحور ، ومعرفة هذه الأسباب من حيث إنها معرفة ليست بمذمومة ولكنها ليست تصلح إلا للإضرار بالخلق والوسيلة إلى الشر شر ، فكان ذلك هو السبب فى كونه علما مذموما ، بل من اتبع وليا من أولياء الله ليقتله وقد اختفى منه فى موضع حريز إذا سأل الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه ؛ بل وجب الكذب فيه ؛ وذكر موضعه إرشاد وإفادة علم بالشيء على ما هو عليه ، ولكنه مذموم لأدائه إلى الضرر (الثانى) أن يكون مضرا بصاحبه فى غالب الأمر ، كعلم النجوم ، فانه فى نفسه غير مذموم لذاته ، إذ هو قسمان : قسم حسابى ، وقد نطق القرآن بأن مسير الشمس والقمر محسوب ، إذ قال عز وجل ﴿ الشمس والقمر بحسبان ﴾ وقال عز وجل ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ . والثانى : الأحكام ، وحاصله يرجع إلى الاستدلال على الحوادث بالأسباب وهو يضاهى استدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض ، وهو معرفة لمجارى سنة الله تعالى وعادته فى خلقه ولكن قد ذمه الشرع . قال صلى الله عليه وسلم : إذا ذكر القدر فأمسكوا ، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا ، وإذا ذكر أصحابى فأمسكوا [2] » . وقال صلى الله عليه وسلم « أخاف على أمتى بعدى ثلاثا : حيف الأئمة ، والإيمان بالنجوم ، والتكذيب بالقدر [3] » . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : تعلموا من النجوم ما تهتدون به فى البر والبحر ثم أمسكوا ، وإنما زجر عنه من ثلاثة أوجه : أحدها : أنه مضر بأكثر الخلق ، فانه إذا ألقى إليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب ، وقع فى نفوسهم أن الكواكب هى المؤثرة ، وأنها الآلهة المدبرة لأنها جواهر شريفة سماوية ، ويعظم وقعها فى القلوب فيبقى القلب ملتفتا إليها ، ويرى الخير والشر محذورا أو مرجوا من جهتها ،

الباب الثالث

(١) حديث « سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم » متفق عليه من حديث عائشة

(٢) حديث « إذا ذكر القدر فأمسكوا ... الحديث » رواه الطبرانى من حديث ابن مسعود بإسناد حسن

(٣) حديث « أخاف على أمتى بعدى ثلاثاً : حيف الأئمة ... الحديث » أخرجه ابن عبد البر من حديث أبى محجن بإسناد ضعيف

وينمحى ذكر الله سبحانه عن القلب ، فإن الضعيف يقصر نظره على الوسائط ، والعالم الراسخ هو الذى يطلع على أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره سبحانه وتعالى ، ومثال نظر الضعيف إلى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس ، مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس وهى تنظر إلى سواد الخط يتجدد ، فتعتقد أنه فعل القلم ولا تترقى فى نظرها إلى مشاهدة الأصابع ، ثم منها إلى اليد ، ثم منها إلى الإرادة المحركة اليد ، ثم منها إلى الكاتب القادر المريد ، ثم منه إلى خالق اليد والقدرة والإرادة ؛ فأكثر نظر الخلق مقصور على الأسباب القريبة السافلة . مقطوع من الترقى إلى مسبب الأسباب ؛ فهذا أحد أسباب النهى عن النجوم . وثانيها : أن أحكام النجوم تخمين محض ليس يدرك فى حق آحاد الأشخاص لا يقيناً ولا ظناً ، فالحكم به حكم بجهل ، فيكون ذمه على هذا من حيث إنه جهل لا من حيث إنه علم ، فلقد كان ذلك معجزة لإدريس عليه السلام فيما يحكى وقد اندرس وانمحى ذلك العلم وانمحق ، وما يتفق من إصابة المنجم على ندور فهو اتفاق لأنه قد يطلع على بعض الأسباب ولا يحصل المسبب عقيبها إلا بعد شروط كثيرة ليس فى قدرة البشر الاطلاع على حقائقها ، فإن اتفق أن قدر الله تعالى بقية الأسباب وقعت الإصابة ، وإن لم يقدر أخطأ ، ويكون ذلك كتخمين الإنسان فى أن السماء تمطر اليوم مهما رأى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك ، وربما يحمى النهار بالشمس ويذهب الغيم ، وربما يكون بخلافه ، ومجرد الغيم ليس كافياً فى مجىء المطر وبقية الأسباب لا تدرى ، وكذلك تخمين الملاح أن السفينة تسلم اعتماداً على ما ألفه من العادة فى الرياح ولتلك الرياح أسباب خفية هو لا يطلع عليها ، فتارة يصيب فى تخمينه وتارة يخطئ ، ولهذه العلة يمنع القول عن النجوم أيضاً . وثالثها : أنه لا فائدة فيه ، فأقل أحواله أنه خوض فى فضول لا يغنى وتضييع العمر الذى هو أنفس بضاعة الإنسان فى غير فائدة وذلك غاية الخسران ؛ فقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال « ما هذا ؟ فقالوا : رجل علامة . فقال : بماذا ؟ قالوا بالشعر وأنساب العرب . فقال : علم لا ينفع وجهل لا يضر[1] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما العلم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة » فإذن الخوض فى النجوم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض فى جهالة من غير فائدة ، فإن ما قدر كائن ، والاحتراز منه غير ممكن ، بخلاف الطب فإن الحاجة ماسة إليه وأكثر أدلته بما يطلع عليه ، وبخلاف التعبير وإن كان تخميناً لأنه جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ولا خطر فيه (السبب الثالث) الخوض فى علم لا يستفيد الخائض فيه فائدة علم ، فهو مذموم فى حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها ، وخفيها قبل جليها ، وكالبحث عن الأسرار الإلهية ، إذ يطلع الفلاسفة والمتكلمون إليها ولم يستقلوا بها ، ولم يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها إلا الأنبياء والأولياء ، فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم إلى ما نطق به الشرع ، ففى ذلك مقنع للموفق ، فكم من شخص خاض فى العلوم واستضر بها ولو لم يخض فيها لكان حاله أحسن فى الدين مما صار اليه ولا ينكر كون العلم ضاراً لبعض الناس كما يضر لحم الطير وأنواع الحلوى اللطيفة بالصبى الرضيع ، بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الأمور ، فلقد حكى أن بعض الناس شكا إلى طبيب عقم امرأته وأنها لا تلد ، فجس الطبيب نبضها وقال : لا حاجة لك إلى دواء الولادة فانك ستموتين إلى

---

(١) حديث : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون فقال « ما هذا ؟ فقالوا : رجل علامة ... الحديث » أخرجه ابن عبد البر من حديث أبى هريرة وضعفه . وفى آخر الحديث « إنما العلم آية محكمة ... إلى آخره » وهذه القطعة عند أبى داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو

أربعين يوما ، وقد دل النبض عليه ، فاستشعرت المرأة الخوف العظيم وتنغص عليها عيشها ، وأخرجت أموالها وفرقتها ، وأوصت ، وبقيت لا تأكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت ، فجاء زوجها إلى الطبيب وقال له : لم تمت ، فقال الطبيب : قد علمت ذلك فجامعها الآن فإنها تلد ؛ فقال : كيف ذاك؟ قال : رأيتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها ، فعلمت أنها لا تهزل إلا بخوف الموت ، فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة : فهذا ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من علم لا ينفع [1] » فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بحاثا عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها ، ولازم الاقتداء بالصحابة رضى الله عنهم ، واقتصر على أتباع السنة ، فالسلامة فى الاتباع ، والخطر فى البحث عن الأشياء والاستقلال ، ولا تكثر اللجج برأيك ومعقولك ودليلك وبرهانك وزعمك أنى أبحث عن الأشياء لأعرفها على ما هى عليه ، فأى ضرر فى التفكر فى العلم فإن ما يعود عليك من ضرره أكثر ، وكم من شىء تطلع عليه فيضرك اطلاعك عليه ضرراً يكاد يهلكك فى الآخرة إن لم يتداركك الله برحمته . واعلم أنه كما يطلع الطبيب الحاذق على أسرار فى المعالجات يستبعدها من لا يعرفها فكذلك الأنبياء أطباء القلوب والعلماء بأسباب الحياة الأخروية ، فلا تتحكم على سننهم بمعقولك فتهلك ، فكم من شخص يصيبه عارض فى أصبعه فيقتضى عقله أن يطليه ، حتى ينبهه الطبيب الحاذق أن علاجه أن يطلى الكف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انشعاب الأعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن ؟ فهكذا الأمر فى طريق الآخرة ، وفى دقائق سنن الشرع وآدابه ، وفى عقائده التى تعبد الناس بها أسرار ولطائف ليست فى سعة العقل وقوته الإحاطة بها ، كما أن فى خواص الأحجار أموراً عجائب غاب عن أهل الصنعة علمها حتى لم يقدر أحد على أن يعرف السبب الذى به يجذب المغناطيس الحديد ؛ فالعجائب والغرائب فى العقائد والأعمال ، وإفادتها لصفاء القلوب ونقائها وطهارتها وتزكيتها وإصلاحها للترقى إلى جوار الله تعالى وتعرضها لنفحات فضله أكثر وأعظم مما فى الأدوية والعقاقير ، وكما أن العقول تقصر عن إدراك منافع الأدوية مع أن التجربة سبيل إليها ؛ فالعقول تقصر عن إدراك ما ينفع فى حياة الآخرة مع أن التجربة غير متطرقة إليها ، وإنما كانت التجربة تتطرق إليها لو رجع إلينا بعض الأموات فأخبرنا عن الأعمال المقبولة النافعة المقربة إلى الله تعالى زلفى وعن الأعمال المبعدة عنه ، وكذا عن العقائد ، وذلك مما لا يطمع فيه فيكفيك من منفعة العقل أن يهديك إلى صدق النبى صلى الله عليه وسلم ويفهمك موارد إشاراته ، فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم إلا به والسلام ؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن من العلم جهلا وإن من القول عيا [2] » ، ومعلوم أن العلم لا يكون جهلا ولكنه يؤثر تأثير الجهل فى الإضرار . وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « قليل من التوفيق خير من كثير من العلم [3] » ، وقال عيسى عليه السلام : ما أكثر الشجر وليس كلها بمثمر وليس كلها بطيب ، وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع !

بيان ما بدل من ألفاظ العلوم

اعلم أن منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسامى المحمودة وتبديلها ونقلها بالأغراض

---

(١) حديث « نعوذ بالله من علم لا ينفع » أخرجه ابن عبد البر من حديث جابر بسند حسن ، وهو عند ابن ماجه بلفظ « تعوذوا » وقد تقدم . (٢) حديث « إن من العلم جهلا ... الحديث » رواه أبو داود من حديث بريدة وفى إسناده من يجهل . (٣) حديث « قليل من التوفيق خير من كثير من العلم » لم أجد له أصلا ، وقد ذكره صاحب الفردوس من حديث أبى الدرداء ، وقال « العقل بدل العلم » ، ولم يخرجه ولده فى مسنده

الفاسدة إلى معان غير ما أراده السلف الصالح والقرن الأول ، وهى خمسة ألفاظ : الفقه ، والعلم ، والتوحيد ، والتذكير ، والحكمة ؛ فهذه أسام محمودة ، والمتصفون بها أرباب المناصب فى الدين ، ولكنها نقلت الآن إلى معان مذمومة ، فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع إطلاق هذه الأسامى عليهم (اللفظ الأول) الفقه ؛ فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل ؛ إذا خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة فى الفتاوى والوقوف على دقائق علمها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها ؛ فمن كان أشد تعمقا فيها وأكثر اشتغالا بها يقال هو الأفقه ، ولقد كان اسم الفقه فى العصر الأول مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب ؛ ويدلك عليه قوله عزوجل ﴿ ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾ وما يحصل به الإنذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق والعتاق واللعان والسلم والإجارة ؛ فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف ، بل التجرد له على الدوام يقسى القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد الآن من المتجردين له . وقال تعالى ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ﴾ وأراد به معانى الإيمان دون الفتاوى ؛ ولعمرى إن الفقه والفهم فى اللغة اسمان بمعنى واحد ، وإنما يتكلم فى عادة الاستعمال به قديما وحديثا . قال تعالى ﴿ لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ﴾ الآية ؛ فأحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه ؛ فانظر إن كان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى ، أو هو نتيجة عدم ماذكرناه من العلوم . وقال صلى الله عليه وسلم « علماء فقهاء [1] » للذين وفدوا عليه . وسئل سعد بن إبراهيم الزهرى رحمه الله أى أهل المدينة أفقه ؟ فقال : أتقاهم لله تعالى ؛ فكأنه أشار إلى ثمرة الفقه ، والتقوى ثمرة العلم الباطنى دون الفتاوى والأقضية . وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه ؟ قالوا بلى ، قال : من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يؤمنهم من مكر الله ، ولم يؤيسهم من روح الله ، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ماسواه [2] » ولما روى أنس بن مالك قوله صلى الله عليه وسلم « لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب [3] » قال : فالتفت إلى زيد الرقاشى وزياد النميرى وقال : لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص احدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سردا ، إنما كنا نقعد فنذكر الإيمان ونتدبر القرآن ونتفقه فى الدين ونعد نعم الله علينا تفقها ، فسمى تدبر القرآن وعد النعم تفقها . قال صلى الله عليه وسلم « لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس فى ذات الله ، وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة [4] » وروى أيضا موقوفا على أبى الدرداء رضى الله عنه مع قوله « ثم يقبل على نفسه فيكون لها أشد مقتا » وقد سأل فرقد السبخى الحسن عن الشىء فأجابه ، فقال : إن الفقهاء يخالفونك ؛ فقال الحسن رحمه الله : ثكلتك أمك فرقد ، وهل رأيت فقيها بعينك ؟ إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا الراغب فى الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف نفسه عن أعراض المسلمين العفيف عن أموالهم الناصح لجماعتهم ؛ ولم يقل فى جميع ذلك : الحافظ لفروع الفتاوى ، ولست أقول إن اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى فى الأحكام الظاهرة ، ولكن كان بطريق

---

(١) حديث « علماء حكماء فقهاء » رواه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الزهد ، والخطيب فى التاريخ من حديث سويد بن الحارث بإسناد ضعيف (٢) حديث « ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه ... الحديث » رواه أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق ، وأبو بكر بن السنى وابن عبد البر من حديث على . وقال ابن عبد البر : أكثرهم يوقفونه عن على (٣) حديث أنس « لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس ... الحديث » رواه أبو داود بإسناد حسن .

(٤) حديث « لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس فى ذات الله ... الحديث » أخرجه ابن عبد البر من حديث شداد بن أوس وقال : لا يصح مرفوعا .

العموم والشمول أو بطريق الاستتباع ؛ فكان إطلاقهم له على علم الآخرة أكثر . فبان من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والإعراض عن علم الآخرة وأحكام القلوب ، ووجدوا على ذلك معيناً من الطبع ، فإن علم الباطن غامض والعمل به عسير ، والتوصل به إلى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر ، فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك فى القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذى هو اسم محمود فى الشرع (اللفظ الثانى) العلم : وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى وبآياته وبأفعاله فى عباده وخلقه ، حتى أنه لما مات عمر رضى الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله ، لقد مات تسعة أعشار العلم فعرفه بالألف واللام ثم فسره العلم بالله سبحانه وتعالى ، وقد تصرفوا فيه أيضاً بالتخصيص حتى شهروه فى الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم فى المسائل الفقهية وغيرها ؛ فيقال : هو العالم على الحقيقة ، وهو الفحل فى العلم ، ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه فى زمرة أهل العلم . وهذا أيضاً تصرف بالتخصيص ، ولكن ما ورد من فضائل العلم والعلماء أكثره فى العلماء بالله تعالى وبأحكامه وبأفعاله وصفاته . وقد صار الآن مطلقاً على من لا يحيط من علوم الشرع بشىء سوى رسوم جدلية فى مسائل خلافية ، فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والأخبار وعلم المذهب وغيره ، وصار ذلك سبباً مهلكا لخلق كثير من أهل الطلب للعلم (اللفظ الثالث) التوحيد . وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والإحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الأسئلة وإثارة الشبهات وتأليف الإلزامات ، حتى لقب طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد وسمى المتكلمون العلماء بالتوحيد ، مع أن جميع ما هو خاصة هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شىء فى العصر الأول بل كان يشتد منهم النكير على من كان يفتح بابا من الجدل والمماراة ؛ فأما ما يشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التى تسبق الأذهان إلى قبولها فى أول السماع فلقد كان ذلك معلوما للكل ، وكان العلم بالقرآن هو العلم كله ، وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين ، وإن فهموه لم يتصفوا به : وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط ، فلا يرى الخير والشر كله إلا منه جل جلاله ؛ فهذا مقام شريف إحدى ثمراته التوكل كما سيأتى بيانه فى كتاب التوكل . ومن ثمراته أيضاً ترك شكاية الخلق ، وترك الغضب عليهم ، والرضا والتسليم لحكم الله تعالى . وكانت إحدى ثمراته قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه لما قيل له فى مرضه أنطلب لك طبيباً فقال : الطبيب أمرضنى ، وقول آخر لما مرض فقيل له ماذا قال لك الطبيب فى مرضك ؟ فقال : قال لى إنى فعال لما أريد . وسيأتى فى كتاب التوكل وكتاب التوحيد شواهد ذلك . والتوحيد جوهر نفيس وله قشران : أحدهما أبعد عن اللب من الآخر ، فخصص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر وأهملوا اللب بالكلية ؛ فالقشر الأول : هو أن تقول بلسانك لا إله إلا الله ، وهذا يسمى توحيداً مناقضاً للتثليث الذى صرح به النصارى ، ولكنه قد يصدر من المنافق الذى يخالف سره جهره . والقشر الثانى : أن لا يكون فى القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده وكذلك التصديق به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة . والثالث : وهو اللباب ـ أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط ، وأن يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره ، ويخرج عن هذا التوحيد أتباع الهوى ، فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده . قال الله تعالى ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « أبغض إله عبد فى الأرض

عند الله تعالى هو الهوى [١] ، وعلى التحقيق من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم وانما يعبد هواه ، إذ نفسه مائلة إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل ، وميل النفس إلى المألوفات أحد المعانى التى يعبر عنها بالهوى ، ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والالتفات إليهم ، فإنّ من يرى الكل من الله عز وجل كيف يتسخط على غيره ، فلقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو مقام الصدّيقين ، فانظر إلى ماذا حول وبأى قشر قنع منه ، وكيف اتخذوا هذا معتصما فى التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الإفلاس عن المعنى الذى يستحق الحمد الحقيق ، وذلك كإفلاس من يصبح بكرة ويتوجه إلى القبلة ويقول ﴿ وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً ﴾ وهو أول كذب يفاتح الله به كل يوم إن لم يكن وجه قلبه متوجهاً إلى الله تعالى على الخصوص : فإنه إن أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه إلا إلى الكعبة وما صرفه إلا عن سائر الجهات ، والكعبة ليست جهة للذى فطر السموات والأرض ، حتى يكون المتوجه اليها متوجهاً إليه ، تعالى عن أن تحده الجهات والأقطار . وإن أراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق فى قوله وقلبه متردّد فى أوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف فى طلب الحيل فى جمع الأموال والجاه واستكثار الأسباب ، ومتوجه بالكلية إليها ، فمتى وجه وجهه للذى فطر السموات والأرض وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد ، فالموحد هو الذى لا يرى إلا الواحد ولا يوجه وجهه إلا إليه ، وهو امتثال قوله تعالى ﴿ قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ﴾ وليس المراد به القول باللسان ، فإنما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب أخرى . وإنما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه هو القلب ، وهو معدن التوحيد ومنبعه (اللفظ الرابع) الذكر والتذكير ، فقد قال الله تعالى ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ وقد ورد فى الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قيل : وما رياض الجنة ؟ قال . مجالس الذكر [٢] » وفى الحديث « إنّ لله تعالى ملائكة سياحين فى الدنيا سوى ملائكة الخلق إذا رأوا مجالس الذكر ينادى بعضهم بعضاً ألا هلموا إلى بغيتكم فيأتونهم ويحفون بهم ويستمعون . ألا فاذكروا الله وذكروا أنفسكم [٣] » فنقل ذلك إلى ماترى أكثر الوعاظ فى هذا الزمان يواظبون عليه وهو القصص والأشعار والشطح والطامات ، أما القصص فهى بدعة ، وقد ورد نهى السلف عن الجلوس إلى القصاص وقالوا لم يكن ذلك فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤] ولا فى زمن أبى بكر ولا عمر رضى الله عنهما ، حتى ظهرت الفتنة وظهر القصاص وروى أن ابن عمر رضى الله عنهما خرج من المسجد فقال : ما أخرجنى إلا القاص ولولاه لما خرجت . وقال ضمرة : قلت لسفيان الثورى نستقبل القاص بوجوهنا ؟ فقال ولوا البدع ظهوركم ، وقال ابن عون : دخلت على ابن سيرين فقال : ما كان اليوم من خبر ؟ فقلت : نهى الأمير القصاص أن يقصوا . فقال : وفق للصواب . ودخل الأعمش جامع البصرة فرأى قاصاً يقص ويقول : حدثنا الأعمش ، فتوسط الحلقة وجعل ينتف شعر إبطه ، فقال القاص ، ياشيخ ، ألا تستحى ! فقال : لم ؟ أنا فى سنة وأنت فى كذب ، أنا الأعمش وما حدثتك وقال أحمد ، أكثر الناس كذباً القصاص والسؤال . وأخرج على رضى الله عنه القصاص من مسجد جامع البصرة ،

(١) حديث « أبغض إله عبد فى الأرض عند الله هو الهوى » أخرجه الطبرانى من حديث أبى أمامة بإسناد ضعيف .

(٢) حديث « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أنس وحسنه .

(٣) حديث « إن لله ملائكة سياحين فى الهواء سوى ملائكة الخلق ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة دون قوله فى الهواء والترمذى « سياحين فى الأرض » وقال مسلم سياره .

(٤) حديث : لم تكن القصص فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه ابن ماجه من حديث عمر بإسناد حسن

فلما سمع كلام الحسن البصرى لم يخرجه إذا كان يتكلم فى علم الآخرة والتفكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله ونعمائه وتقصير العبد فى شكره ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها ونكث عهدها وخطر الآخرة وأهوالها ، فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذى روى الحث عليه فى حديث أبى ذر رضى الله عنه حيث قال « حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة . وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض ، وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة ، فقيل : يا رسول الله ، ومن قراءة القرآن ؟ قال : وهل تنفع قراءة القرآن إلا بالعلم [1] » وقال عطاء رحمه الله : مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو ، فقد اتخذ المزخرفون هذه الأحاديث حجة على تزكية أنفسهم ، ونقلوا اسم التذكير إلى خرافاتهم : وذهلوا عن طريق الذكر المحمود ، واشتغلوا بالقصص التى تتطرق إليها الاختلافات والزيادة والنقص وتخرج عن القصص الواردة فى القرآن وتزيد عليها ، فان من القصص ما ينفع سماعه ، ومنها ما يضر وإن كان صدقا . ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار ، فمن هذا نهى عنه ، ولذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله : ما أحوج الناس إلى قاص صادق ، فان كانت القصة من قصص الأنبياء عليهم السلام فيما يتعلق بأمور دينهم وكان القاص صادقا صحيح الرواية فلست أرى بها بأسا ، فليحذر الكذب وحكايات أحوال تومئ إلى هفوات أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتفكيرات متداركة بحسنات تغطى عليها ، فان العامى يعتصم بذلك فى مساهلاته وهفواته ، ويمهد لنفسه عذراً فيه ، ويحتج بأنه حكى كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الأكابر ، فكلنا بصدد المعاصى ، فلا غرو إن عصيت الله تعالى فقد عصاه من هو أكبر منى ، ويفيده ذلك جراءة على الله تعالى من حيث لا يدرى ، فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلا بأس به ، وعند ذلك يرجع إلى القصص المحمودة وإلى ما يشتمل عليه القرآن ، ويصح فى الكتب الصحيحة من الأخبار ، ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة فى الطاعات ويزعم أن قصده فيها دعوة الخلق إلى الحق ، فهذه من نزعات الشيطان ، فإن فى الصدق مندوحة عن الكذب ، وفيما ذكر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم غنية عن الاختراع فى الوعظ ، كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع . قال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه لابنه عمر ـ وقد سمعه يسجع ـ : هذا الذى يبغضك إلى لاقضيت حاجتك أبدا حتى تتوب ـ وقد كان جاءه فى حاجة ـ وقد قال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة فى سجع من ثلاث كلمات « إياك والسجع يا ابن رواحة [2] » فكأن السجع المحذور المتكلف ما زاد على كلمتين : ولذلك لما قال الرجل فى دية الجنين : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح ولا استهل ؛ ومثل ذلك يطل . فقال النبى صلى الله عليه وسلم « أسجع كسجع الأعراب [3] » وأما الأشعار فتكثيرها فى المواعظ مذموم . قال الله تعالى ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ﴾ وقال تعالى ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغى له ﴾ وأكثر ما اعتاده الوعاظ من الأشعار : ما يتعلق بالتواصف فى العشق وجمال المعشوق وروح الوصال وألم الفراق ، والمجلس لا يحوى إلا أجلاف العوام ، وبواطنهم مشحونة بالشهوات ، وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات إلى الصور المليحة ؛ فلا تحرك الأشعار من قلوبهم إلا ما هو مستكن

---

(١) حديث أبى ذر « حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة » تقدم فى الباب الأول

(٢) حديث « إياك والسجع يا ابن رواحة » لم أجده هكذا ، ولأحمد وأبى يعلى وابن السنى وأبى نعيم فى كتاب الرياضة من حديث عائشة بإسناد صحيح أنها قالت للسائب إياك والسجع فان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا لا يسجعون ولابن حبان واجتنب السجع ، وفى البخارى نحوه من قول ابن عباس (٣) حديث « أسجع كسجع الأعراب » أخرجه مسلم من حديث المغيرة .

فيها فتشتعل فيها نيران الشهوات ، فيزعقون ويتواجدون ؛ وأكثر ذلك أو كله يرجع إلى نوع فساد، فلا ينبغى أن يستعمل من الشعر إلا ما فيه موعظة أو حكمة على سبيل استشهاد واستئناس . وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن من الشعر لحكمة [1] » ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله تعالى ولم يكن معهم غيرهم ، فان أولئك لا يضر معهم الشعر الذى يشير ظاهره إلى الخلق ، فإن المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولى على قلبه ، كما سيأتى تحقيق ذلك فى كتاب السماع ، ولذلك كان الجنيد رحمه الله يتكلم على بضعة عشر رجلا ، فإن كثروا لم يتكلم ، وما تم أهل مجلسه قط عشرين . وحضر جماعة باب دار ابن سالم ، فقيل له : تكلم فقد حضر أصحابك ، فقال : لا ، ما هؤلاء أصحابى ، إنما هم أصحاب المجلس ، إن أصحابى هم الخواص : وأما الشطح : فنعنى به صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية (أحدهما) الدعاوى الطويلة العريضة فى العشق مع الله تعالى والوصال المغنى عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهى قوم إلى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب ، فيقولون : قيل لنا كذا ، وقلنا كذا ، ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذى صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس ، ويستشهدون بقوله أنا الحق ، وبما حكى عن أبى يزيد البسطامى أنه قال سبحانى سبحانى ، وهذا فن من الكلام عظيم ضرره فى العوام ، حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم وأظهروا مثل هذه الدعاوى ، فإن هذا الكلام يستلذه الطبع إذ فيه البطالة من الأعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والأحوال ، فلا تعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلفق كلمات مخبطة مزخرفة ، ومهما أنكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن أن يقولوا: هذا إنكار مصدره العلم والجدال، والعلم حجاب ، والجدل عمل النفس ، وهذا الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق ، فهذا ومثله مما قد استطار فى البلاد شرره وعظم فى العوام ضرره ، حتى من نطق بشىء منه فقتله أفضل فى دين الله من إحياء عشرة ، وأما أبو يزيد البسطامى رحمه الله فلا يصح عنه ما يحكى وإن سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله عز وجل فى كلام يردده فى نفسه ، كما لو سمع وهو يقول « إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى » فإنه ما كان ينبغى أن يفهم منه ذلك إلا على سبيل الحكاية (الصنف الثانى) من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل ، إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط فى عقله وتشويش فى خياله لقلة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الأكثر . وإما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على ضميره ، لقلة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعانى بالألفاظ الرشيقة ، ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام إلا أنه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الأذهان ، أو يحمل على أن يفهم منها معانى ما أريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه . وقد قال صلى الله عليه وسلم « ما حدث أحدكم قوما بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم [2] » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتريدون أن يكذب الله ورسوله [3] » وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع ، فكيف فيما لا يفهمه قائله . فإن كان يفهمه القائل دون المستمع فلا يحل ذكره . وقال عيسى

---

(١) حديث « ان من الشعر لحكمة » أخرجه البخارى من حديث أبى بن كعب

(٢) حديث « ما حدث أحدكم قوما بحديث لا يفهمونه إلا كان فتنة عليهم » رواه العقيلى فى الضعفاء وابن السنى وأبو نعيم فى الرياء من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف ، ولمسلم فى مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود (٣) حديث « كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون ... الحديث » رواه البخارى موقوفا على على ، ورفعه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبى نعيم

عليه السلام : لاتضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ، كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء فى موضع الداء . وفى لفظ آخر من وضع الحكمة فى غير أهلها فقد جهل ، ومن منعها أهلها فقد ظلم ؛ إن للحكمة حقا وإن لها أهلا ، فأعط كل ذى حق حقه . وأما الطامات فيدخلها ماذكرناه فى الشطح ؛ وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لايسبق منها إلى الأفهام فائدة ، كدأب الباطنية فى التأويلات ؛ فهذا أيضا حرام وضرره عظيم ؛ فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ فإن ما يسبق منه إلى الفهم لايوثق به والباطن لاضبط له ، بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى ؛ وهذا أيضا من البدع الشائعة العظيمة الضرر ، وإنما قصد أصحابها الإغراب ؛ لأن النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذة له ؛ وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكيناه من مذاهبهم فى كتاب المستظهر المصنف فى الرد على الباطنية . ومثال تأويل أهل الطامات قول بعضهم فى تأويل قوله تعالى ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى ﴾ أنه إشارة إلى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغى على كل إنسان . وفى قوله تعالى ﴿ وأن ألق عصاك ﴾ أى مايتوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله عز وجل فينبغى أن يلقيه . وفى قوله صلى الله عليه وسلم « تسحروا فإن فى السحور بركة [1] » أراد به الاستغفار فى الأسحار وأمثال ذلك حتى يحرفون القرآن من أوله إلى آخره عن ظاهره ، وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعا ، كتنزيل فرعون على القلب ؛ فإن فرعون شخص محسوس تواتر إلينا النقل بوجوده ودعوة موسى له وكأبى جهل وأبى لهب وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة مما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل إلى ألفاظه ، وكذا حمل السحور على الاستغفار ، فإنه كان صلى الله عليه وسلم يتناول الطعام ويقول : تسحروا [2] ، وهلموا إلى الغذاء المبارك [3] ، فهذه أمور يدرك بالتواتر والحس بطلانها نقلا ، وبعضها يعلم بغالب الظن ، وذلك فى أمور لايتعلق بها الإحساس ؛ فكل ذلك حرام وضلالة وإفساد للدين على الخلق ، ولم ينقل شىء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصرى مع إكبابه على دعوة الخلق ووعظهم ، فلا يظهر لقوله صلى الله عليه وسلم « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار [4] » معنى إلا هذا النمط : وهو أن يكون غرضه ورأيه تقرير أمر وتحقيقه ، فيستجر شهادة القرآن إليه ، ويحمله عليه ، من غير أن يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية أو نقلية ، ولا ينبغى أن يفهم منه أنه يجب أن لايفسر القرآن بالاستنباط والفكر ، فإن من الآيات مانقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة . ونعلم أن جميعها غير مسموع من النبى صلى الله عليه وسلم ، فإنها قد تكون متنافية لاتقبل الجمع ، فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنه « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل [5] » .

---

(١) حديث « تسحروا فإن فى السحور بركة » متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث « تناول الطعام فى السحور » رواه البخارى من حديث أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم وزيد بن ثابت تسحرا (٣) حديث « هلموا إلى الغذاء المبارك » رواه أبو داود والنسائى وابن حبان من حديث العرباض بن سارية وضعفه ابن القطان .

(٤) حديث « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » أخرجه الترمذى من حديث ابن عباس وحسنه ، وهو عند أبى داود من رواية ابن العبد ، وعند النسائى فى الكبرى (٥) حديث « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » قاله لابن عباس رواه البخارى من حديث ابن عباس دون قوله « وعلمه التأويل » وهو بهذه الزيادة عند أحمد وابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد

ومن يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مرادة بالألفاظ ويزعم أنه يقصد بها دعوة الخلق إلى الخالق يضاهى من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو فى نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع ، كمن يضع فى كل مسئلة يراها حقا حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم فذلك ظلم وضلال ودخول فى الوعيد المفهوم من قوله صلى الله عليه وسلم « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار [1] » بل الشر فى تأويل هذه الألفاظ أطم وأعظم ، لأنها مبدلة للثقة بالألفاظ ، وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعى الخلق عن العلوم المحمودة إلى المذمومة ، فكل ذلك من تلبيس علماء السوء بتبديل الأسامى فإن اتبعت هؤلاء اعتمادا على الاسم المشهور من غير التفات إلى ما عرف فى العصر الأول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيما ، فإن اسم الحكيم ، صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم فى هذا العصر ، وذلك بالغفلة عن تبديل الألفاظ (اللفظ الخامس) وهو الحكمة ، فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذى يدحرج القرعة على أكف السوادية فى شوارع الطرق . والحكمة هى التى أثنى الله عز وجل عليها فقال تعالى ﴿ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا ومافيها [2] » فانظر ما الذى كانت الحكمة عبارة عنه ، وإلى ماذا نقل ، وقس به بقية الألفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء ، فإن شرهم على الدين أعظم من شر الشياطين ، إذ الشيطان بواسطتهم يتدرج إلى انتزاع الدين من قلوب الخلق ، ولهذا لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق أبى وقال « اللهم اغفر » حتى كرروا عليه فقال « هم علماء السوء [3] » فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس وإليك الخيرة فى أن تنظر لنفسك فتقتدى بالسلف . أو تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف ، فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس ، وما أكب الناس عليه فأكثره مبتدع ومحدث ، وقد صح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء » فقيل : ومن الغرباء ؟ قال « الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتى والذين يحيون ما أماتوه من سنتى [4] » وفى آخر « هم المتمسكون بما أنتم عليه اليوم [5] » وفى حديث آخر « الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير ، من يبغضهم فى الخلق أكثر ممن يحبهم [6] » وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ، ولذلك قال الثورى رحمه الله : إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه مخلط ، لأنه إن نطق بالحق أبغضوه .

بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة

اعلم أن العلم بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام : قسم هو مذموم قليله وكثيره وقسم هو محمود قليله وكثيره ، وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه ، وهو مثل

---

(١) حديث « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » متفق عليه من حديث أبى هريرة وعلى وأنس .

(٢) حديث « كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا » تقدم بنحوه (٣) حديث لما سئل عن شر الخلق أبى وقال « اللهم اغفر » الحديث ، رواه الدارمى بنحوه من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا وهو ضعيف ، ورواه البزار فى مسنده من حديث معاذ بسند ضعيف .

(٤) حديث « بدأ الإسلام غريباً ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة مختصراً ، وهو بتمامه عند الترمذى من حديث عمرو بن عوف وحسنه (٥) حديث « هم المتمسكون بما أنتم عليه اليوم » يقوله فى وصف الغرباء ، لم أر له أصلا .

(٦) حديث « الغرباء ناس قليلون صالحون » أخرجه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو .

أحوال البدن ، فان منها ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ، ومنها مايذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ، ومنها مايحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فانّ التبذير لايحمد فيه وهو بذل ، وكالشجاعة فان التهور لايحمد فيها ، وإن كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم . فالقسم المذموم منه قليله وكثيره هو مالا فائدة فيه فى دين ولا دنيا ، إذ فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم ، فبعضه لافائدة فيه أصلا ، وصرف العمر الذى هو أنفس ما يملكه الإنسان إليه إضاعة ، وإضاعة النفيس مذمومة . ومنه مافيه ضرر يزيد على ما يظن أنه يحصل به من قضاء وطر فى الدنيا ، فانّ ذلك لايعتدّ به بالإضافة إلى الضرر الحاصل عنه . وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله ، وسنته فى خلقه ، وحكمته فى ترتيب الآخرة على الدنيا ، فان هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به إلى سعادة الآخرة ، وبذل المقدور فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب ، فانه البحر الذى لا يدرك غوره وإنما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر مايسر لهم ، وما خاض أطرافه إلا الأنبياء والأولياء والراسخون فى العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله تعالى فى حقهم ، وهذا هو العلم المكنون الذى لا يسطر فى الكتب ، ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة أحوال علماء الآخرة ، كما سيأتى علامتهم ، هذا فى أول الأمر ويعين عليه فى الآخرة المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا والتشبه فيها بالأنبياء والأولياء ، ليتضح منه لكل ساع إلى طلبه بقدر الرزق لابقدر الجهد ولكن لاغنى فيه عن الاجتهاد ، فالمجاهدة مفتاح الهداية لامفتاح لها سواها وأما العلوم التى لا يحمد منها إلا مقدار مخصوص فهى العلوم التى أوردناها فى فروض الكفايات ، فإن فى كل علم منها اقتصاراً وهو الأقل ، واقتصاداً وهو الوسط ، واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لامرد له إلى آخر العمر ، فكن أحد رجلين : إما مشغولا بنفسك ، وإما متفرغا لغيرك بعد الفراغ من نفسك ، وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك ، فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذى هو فرض عليك بحسب مايقتضيه حالك ، وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم ، وإنما الأهم الذى أهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم ، إذ لاينفك بشر عن الصفات المذمومة مثل الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها وجميع ذلك مهلكات ، وإهمالها من الواجبات ، مع أن الاشتغال بالأعمال الظاهرة يضاهى الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذى بالجرب والدماميل والتهاون بإخراج المادة بالفصد والإسهال ، وحشوية العلماء يشيرون بالأعمال الظاهرة كما يشير الطرقية من الأطباء بطلاء ظاهر البدن ، وعلماء الآخرة لايشيرون إلا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بإفساد منابتها وقلع مغارسها من القلب ، وإنما فزع الأكثرون إلى الأعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة أعمال الجوارح واستصعاب أعمال القلوب ، كما يفزع إلى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الأدوية المرة ، فلا يزال يتعب فى الطلاء ويزيد فى المواد وتتضاعف به الأمراض ، فان كنت مريداً للآخرة وطالباً للنجاة وهارباً من الهلاك الأبدى فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه فى ربع المهلكات ، ثم ينجز بك ذلك إلى المقامات المحمودة المذكورة فى ربع المنجيات لامحالة ، فان القلب إذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود ، والأرض إذا نقيت من الحشيش نبت فيها أصناف الزرع والرياحين ، وإن لم تفرغ من ذلك لم تنبت ذاك ، فلا تشتغل بفروض الكفاية لاسيما وفى زمرة الخلق من قد قام بها فان مهلك نفسه فيما به صلاح غيره سفيه ، فما أشد حماقة من دخلت الأفاعى والعقارب تحت ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لايغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب إذا همت به . وإن تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الإثم وباطنه وصار ذلك ديدنا

لك وعادة متيسرة فيك ـ وما أبعد ذلك منك ـ فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدريج فيها ؛ فابتدئ ، بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك فى السنة ، ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ، ثم بأصول الفقه ؛ وهكذا إلى بقية العلوم على مايتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ؛ ولاتستغرق عمرك فى فن واحد منها طلباً للاستقصاء ؛ فان العلم كثير والعمر قصير ، وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها ، وكل مايطلب لغيره فلا ينبغى أن ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه ؛ فاقتصر من شائع علم اللغة على ماتفهم منه كلام العرب وتنطق به ، ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه ، واقتصر من النحو على مايتعلق بالكتاب والسنة فما من علم إلا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء . ونحن نشير إليها فى الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها ، فالاقتصار فى التفسير ما يبلغ ضعف القرآن فى المقدار كما صنفه على الواحدى النيسابورى وهو الوجيز ؛ والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة أضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط فيه وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه فلا مرد له إلى انتهاء العمر . وأما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل مافى الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث . وأما حفظ أسامى الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ؛ ولك أن تعول على كتبهم ، وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله تحصيلا تقدر منه على طلب ماتحتاج إليه عند الحاجة ؛ وأما الاقتصاد فيه فأن تضيف إليهما ماخرج عنهما مما ورد فى المسندات الصحيحة . وأما الاستقصاء فما وراء ذلك إلى استيعاب كل مانقل من الضعيف والقوى والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة فى النقل ومعرفة أحوال الرجال وأسمائهم وأوصافهم . وأما الفقه فالاقتصار فيه على مايحويه مختصر المزنى رحمه الله وهو الذى رتبناه فى خلاصة المختصر ، والاقتصاد فيه مايبلغ ثلاثة أمثاله وهو القدر الذى أوردناه فى الوسيط من المذهب ، والاستقصاء ماأوردناه فى البسيط إلى ما وراء ذلك من المطولات . وأما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التى نقلها أهل السنة من السلف الصالح لاغير ؛ وما وراء ذلك طلب لكشف حقائق الأمور من غير طريقتها ، ومقصود حفظ السنة تحصيل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر ؛ وهو القدر الذى أوردناه فى كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب ، والاقتصاد فيه مايبلغ قدر مائة ورقة وهو الذى أوردناه فى كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد ، ويحتاج إليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامى ، وذلك لاينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم ، وأما المبتدع بعد أن يعلم من الجدل ولو شيئا يسيرا فقلما ينفع معه الكلام ؛ فإنك إن ألحمته لم يترك مذهبه وأحال بالقصور على نفسه وقدر أن عند غيره جوابا ما وهو عاجز عنه ، وإنما أنت ملبس عليه بقوة المجادلة . وأما العامى إذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن أن يرد إليه بمثله قبل أن يشتد التعصب للأهواء ؛ فإذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم ؛ إذ التعصب سبب يرسخ العقائد فى النفوس وهو من آفات علماء السوء ؛ فإنهم يبالغون فى التعصب للحق وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار ، فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة ، وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ، ويقوى غرضهم فى التمسك بما نسبوا إليه ، ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح فى الخلوة ـ لافى معرض التعصب والتحقير ـ لانجحوا فيه ، ولكن لما كان الجاه لايقوم إلا بالاستتباع ولايستميل الأتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم ، اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم ، وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن المسلمين ، وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة

فى النفوس. وأما الخلافيات التى أحدثت فى هذه الأعصار المتأخرة وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات مالم يعهد مثلها فى السلف فإياك وأن تحوم حولها ، واجتنبها اجتناب السم القاتل فإنها الداء العضال وهو الذى رد الفقهاء كلهم إلى طلب المنافسة والمباهاة على ما سيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتها . وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال : الناس أعداء ما جهلوا فلا تظن ذلك ، فعلى الخبير سقطت . فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زمانا ، وزاد فيه على الأولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ، ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه : فلا يغرنك قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا يعرف علله إلا بعلم الخلاف ، فإن علل المذهب مذكورة فى المذهب ، والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الأولون ولا الصحابة وكانوا أعلم بعلل الفتاوى من غيرهم ، بل هى مع أنها غير مفيدة فى علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه ، فإن الذى يشهد له حدس المفتى إذا صح ذوقه فى الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل فى أكثر الأمر ، فمن ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الإذعان لذوق الفقه ، وإنما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بأنه يطلب علل المذهب ، وقد ينقضى عليه العمر ولا تنصرف همته إلى علم المذهب ، فكن من شياطين الجن فى أمان ، واحترز من شياطين الإنس فإنهم أراحوا شياطين الجن من التعب فى الإغواء والإضلال ، وبالجملة فالمرضى عند العقلاء أن تقدر نفسك فى العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار ، وتأمل فيما يعنيك مما بين يديك ، ودع عنك ماسواه والسلام . وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء فى المنام فقال له : ما خبر تلك العلوم التى كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يده ونفخ فيها وقال : طاحت كلها هباء منثورا وما انتفعت إلا بركعتين خلصتا لى فى جوف الليل . وفى الحديث « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل [1] » ثم قرأ ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون ﴾ وفى الحديث فى معنى قوله تعالى ﴿ فأما الذين فى قلوبهم زيغ ﴾ الآية : « هم أهل الجدل الذين عناهم الله بقوله تعالى : فاحذرهم [2] » وقال بعض السلف : يكون فى آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل ويفتح لهم باب الجدل . وفى بعض الأخبار إنكم فى زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتى قوم يلهمون الجدل [3] وفى الخبر المشهور « ابغض الخلق إلى الله تعالى الألد الخصم [4] » وفى الخبر « ما أتى قوم المنطق إلا منعوا العمل » [5] والله أعلم .

الباب الرابع

فى سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط إباحتها

اعلم أن الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاها الخلفاء الراشدون المهديون وكانوا أئمة علماء بالله تعالى فقهاء فى أحكامه وكانوا مستقلين بالفتاوى فى الأقضية ، فكانوا لا يستعينون بالفقهاء إلا نادرا فى وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة ، فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها ، وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا ، وأقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم ؛ فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام تولوها

---

(١) حديث « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » رواه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى أمامة . قال الترمذى : حسن صحيح .

(٢) حديث « هم أهل الجدل الذين عنى الله بقوله فاحذرهم » متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث « انكم فى زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتى قوم يلهمون الجدل » لم أجده (٤) حديث « أبغض الخلق الى الله الألد الخصم » متفق عليه من حديث عائشة (٥) حديث « ما أوتى قوم المنطق إلا منعوا العمل » لم أجد له أصلا .

بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام ، اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء وإلى استصحابهم فى جميع أحوالهم لاستفتائهم فى مجارى أحكامهم ، وكان قد بقى من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف ، فكانوا إذا طلبوا هربوا وأعرضوا ؛ فاضطر الخلفاء إلى الإلحاح فى طلبهم لتولية القضاء والحكومات ، فرأى أهل تلك الأعصار عز العلماء وإقبال الأئمة والولاة عليهم مع إعراضهم عنهم ، فاشرأبوا لطلب العلم توصلا إلى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة ؛ فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولاة ، وتعرفوا إليهم ، وطلبوا الولايات والصلات منهم ، فمنهم من حرم ومنهم من أنجح ، والمنجح لم يخل من ذل الطلب ومهانة الابتذال ، فأصبح الفقهاء ـ بعد أن كانوا مطلوبين ـ طالبين ، وبعد أن كانوا أعزة بالإعراض عن السلاطين أذلة بالإقبال عليهم ، إلا من وفقه الله تعالى فى كل عصر من علماء دين الله ، وقد كان أكثر الإقبال فى تلك الأعصار على علم الفتاوى والأقضية لشدة الحاجة إليها فى الولايات والحكومات ، ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من يسمع مقالات الناس فى قواعد العقائد ومالت نفسه إلى سماع الحجج فيها : فعلت رغبته إلى المناظرة والمجادلة فى الكلام فأكب الناس على علم الكلام وأكثروا فيه التصانيف ، ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات فى المقالات ، وزعموا أن غرضهم الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع المبتدعة ، كما زعم من قبلهم أن غرضهم بالاشتغال بالفتاوى الدين وتقلد أحكام المسلمين ، إشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم . ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض فى الكلام وفتح باب المناظرة فيه . لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية المفضية إلى إهراق الدماء وتخريب البلاد ، ومالت نفسه إلى المناظرة فى الفقه وبيان الأولى من مذهب الشافعى وأبى حنيفة رضى الله عنهما على الخصوص ، فترك الناس الكلام وفنون العلم وانثالوا على المسائل الخلافية بين الشافعى وأبى حنيفة على الخصوص ، وتساهلوا فى الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم ، وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد أصول الفتاوى ، وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها أنواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون عليه إلى الآن ، ولسنا ندرى ما الذى يحدث الله فيما بعدنا من الأعصار ؟ فهذا هو الباعث على الإكباب على الخلافيات والمناظرات لا غير ولو مالت نفوس أرباب الدنيا إلى الخلاف مع إمام آخر من الأئمة أو إلى علم آخر من العلوم لمالوا أيضاً معهم ، ولم يسكنوا عن التعلل بأن ما اشتغلوا به هو علم الدين وأن لا مطلب لهم سوى التقرب إلى رب العالمين

بيان التلبيس فى تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف

أعلم أن هؤلاء قد يستدرجون الناس إلى ذلك بأن غرضنا من المناظرات المباحثة عن الحق ليتضح ، فإن الحق مطلوب والتعاون على النظر فى العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر ، هكذا كان عادة الصحابة رضى الله عنهم فى مشاوراتهم كتشاورهم فى مسألة الجد والأخوة وحد شرب الخمر ووجوب الغرم على الإمام إذا أخطأ ، كما نقل من إجهاض المرأة جنينها خوفا من عمر رضى الله عنه ؛ وكما نقل من مسائل الفرائض وغيرها وما نقل عن الشافعى وأحمد ومحمد بن الحسن ومالك وأبى يوسف وغيرهم من العلماء رحمهم الله تعالى . ويطلعك على هذا التلبيس ما أذكره وهو أن التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات ثمان ، الأول : أن لا يشتغل به وهو من

فروض الكفايات من لم يتفرغ من فروض الأعيان ، ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم أن مقصده الحق فهو كذاب . ومثاله من يترك الصلاة فى نفسه ويتجرد فى تحصيل الثياب ونسجها ويقول غرضى أستر عورة من يصلى عرياناً ولا يجد ثوباً ؛ فإن ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه أن وقوع النوادر التى عنها البحث فى الخلاف ممكن . والمشتغلون بالمناظرة مهملون لأمور هى فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه رد وديعة فى الحال فقام وأحرم بالصلاة التى هى أقرب القربات إلى الله تعالى عصى به ، فلا يكفى فى كون الشخص مطيعاً كون فعله من جنس الطاعات مالم يراع فيه الوقت والشروط والترتيب . الثانى : أن لا يرى فرض كفاية أهم من المناظرة فإن رأى ما هو أهم وفعل غيره عصى بفعله وكان مثاله مثال من يرى جماعة من العطاش أشرفوا على الهلاك وقد أهملهم الناس وهو قادر على إحيائهم بأن يسقيهم الماء فاشتغل بتعلم الحجامة ، وزعم أنه من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها لهلك الناس وإذا قيل له فى البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول هذا لايخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية . فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطاش من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفى البلد فروض كفايات مهملة لا قائم بها فأما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بلد من جملة الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء إليها وأقربها الطب ؛ إذ لايوجد فى أكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول فيه على قول الطبيب شرعا ولا يرغب أحد من الفقهاء فى الاشتغال به ، وكذا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهو من فروض الكفايات وربما يكون المناظر فى مجلس مناظرته مشاهداً للحرير ملبوساً ومفروشاً وهو ساكت ويناظر فى مسألة لايتفق وقوعها قط وإن وقعت قام بها جماعة من الفقهاء ، ثم يزعم أنه يريد أن يتقرب إلى الله تعالى بفروض الكفايات . وقد روى أنس رضى الله عنه أنه « قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ فقال عليه السلام : إذا ظهرت المداهنة فى خياركم والفاحشة فى شراركم وتحول الملك فى صغاركم والفقه فى أراذلكم [1] » الثالث : أن يكون المناظر مجتهداً يفتى برأيه لا بمذهب الشافعى وأبى حنيفة وغيرهما حتى إذا ظهر له الحق من مذهب أبى حنيفة ترك مايوافق رأى الشافعى وأفتى بما ظهر له كما كان يفعله الصحابة رضى الله عنهم والأئمة . فأما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم كل أهل العصر وإنما يفتى فيما يسأل عنه ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجز له أن يتركه ، فأى فائدة له فى المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره ؟ وما يشكل عليه يلزمه أن يقول : لعل عند صاحب مذهبى جواباً عن هذا فإنى لست مستقلا بالاجتهاد فى أصل الشرع : ولو كانت مباحثته عن المسائل التى فيها وجهان أو قولان لصاحبه لكان أشبه ، فإنه ربما يفتى بأحدهما فيستفيد من البحث ميلا إلى أحد الجانبين ولا يرى المناظرات جارية فيها قط ، بل ربما ترك المسألة التى فيها وجهان أو قولان وطلب مسألة يكون الخلاف فيها مبتوتا . الرابع : أن لايناظر إلا فى مسألة واقعة أو قريبة الوقوع غالباً فإن الصحابة رضى الله عنهم ماتشاوروا إلا فيما تجدد من الوقائع أو مايغلب وقوعه كالفرائض ، ولا نرى المناظرين يهتمون بانتقاد المسائل التى تعم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التى تسمع فيتسع مجال الجدل فيها كيفما كان الأمر ،

الباب الرابع

(١) حديث أنس «قيل يارسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . . الحديث» أخرجه ابن ماجه بإسناد حسن .

وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسألة خبرية أو هي من الزوايا وليست من الطبوليات ، فمن العجائب أن يكون المطلب هو الحق ثم يتركون المسألة لأنها خبرية ومدرك الحق فيها هو الإخبار ! أو لأنها لأنها ليست من الطبول فلا نطول فيها الكلام . والمقصود فى الحق أن يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا أن يطول .

الخامس : أن تكون المناظرة فى الخلوة أحب إليه وأهم من المحافل وبين أظهر الأكابر والسلاطين فإن الخلوة أجمع للفهم وأحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق ، وفى حضور الجمع مايحرك دواعى الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا كان أو مبطلا ، وأنت تعلم أن حرصهم على المحافل والمجامع ليس لله وأن الواحد منهم يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب وإذا ظهر متقدم أو انتظم مجمع لم يغادر فى قوس الاحتيال منزعا حتى يكون هو المتخصص بالكلام . السادس : أن يكون فى طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه ويرى رفيقه معينا لاخصما ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق ، كما لو أخذ طريقاً فى طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته فى طريق آخر فإنه كان يشكره ولا يذمه ويكرمه ويفرح به ؛ فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضى الله عنهم حتى أن امرأة ردت على عمر رضى الله عنه ونبهته على الحق وهو فى خطبته على ملإ من الناس فقال : أصابت امرأة وأخطأ رجل . وسأل رجل عليا رضى الله عنه فأجابه فقال : ليس كذلك ياأمير المؤمنين ولكن كذا كذا فقال : أصبت وأخطأت وفوق كل ذى علم عليم . واستدرك ابن مسعود على أبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما فقال أبو موسى ؛ لاتسألونى عن شيء وهذا الحبر بين أظهركم . وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل فى سبيل الله فقتل فقال : هو فى الجنة . وكان أمير الكوفة فقام ابن مسعود فقال : أعده على الأمير فلعله لم يفهم ؟ فأعادوا عليه فأعاد الجواب فقال ابن مسعود . وأنا أقول إن قتل فأصاب الحق فهو فى الجنة . فقال أبو موسى : الحق ما قال . وهكذا يكون إنصاف طالب الحق ؟ ولو ذكر مثل هذا الآن لأقل فقيه لأنكره واستبعده وقال : لايحتاج إلى أن يقال أصاب الحق فإن ذلك معلوم لكل أحد . فانظر إلى مناظرى زمانك اليوم كيف يسود وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجهد فى مجاحدته بأقصى قدرته وكيف يذم من ألجمه طول عمره ثم لايستحى من تشبيه نفسه بالصحابة رضى الله عنهم فى تعاونهم على النظر فى الحق ؟ السابع : أن لا يمنع معينه فى النظر من الانتقال من دليل إلى دليل ومن إشكال إلى إشكال ، فهكذا كانت مناظرات السلف : ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل المبتدعة فيماله وعليه كقوله : هذا لايلزمنى ذكره ، وهذا يناقض كلامك الأول فلا يقبل منك : فإن الرجوع إلى الحق مناقض للباطل ويجب قبوله . وأنت ترى أن جميع المجالس تنقضى فى المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل على أصل بعلة يظنها فيقال له : ما الدليل على أن الحكم فى الأصل معلل بهذه العلة ؟ فيقول : هذا ما ظهر لى ؛ فإن ظهر لك ماهو أوضح منه وأولى فاذكره حتى أنظر فيه . فيصر المعترض ويقول فيه معان سوى ماذكرته وقد عرفتها ولاأذكرها إذ لايلزمنى ذكرها ، ويقول المستدل عليك إيراد ماتدعيه وراء هذا ويصر المعترض على أنه لايلزمه ويتوخى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وأمثاله ولا يعرف هذا المسكين أن قوله : إنى أعرفه ولا أذكره إذ لايلزمنى ، كذب على الشرع : فإنه إن كان لايعرف معناه وإنما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصى الله تعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها وإن كان صادقا فقد فسق بإخفائه ماعرفه من أمر الشرع . وقد سأله أخوه المسلم ليفهمه وينظر فيه فإن كان قويا رجع إليه وإن كان ضعيفاً أظهر له ضعفه وأخرجه عن ظلمة الجهل إلى نور العلم . ولا خلاف أن إظهار

ماعلم من علوم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم فمعنى قوله : لا يلزمنى ؛ أى فى شرع الجدل الذى أبدعناه بحكم التشهى والرغبة فى طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لايلزمنى وإلا فهو لازم بالشرع ، فإنه بامتناعه عن الذكر إما كاذب وإما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رضى الله عنهم هل سمعت فيها ما يضاهى هذا الجنس وهل منع أحد من الانتقال من دليل إلى دليل ومن قياس إلى أثر ومن خبر إلى آية ؟ بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس إذ كانوا يذكرون كل مايخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه . الثامن : أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم . والغالب أنهم يحترزون من مناظرة الفحول والأكابر خوفا من ظهور الحق على ألسنتهم فيرغبون فيمن دونهم طمعاً فى ترويج الباطل عليهم ووراء هذه شروط دقيقة كثيرة ولكن فى هذه الشروط الثمانية مايهديك إلى من يناظر لله ومن يناظر لعلة : واعلم بالجملة أن من لايناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو أعدى عدو له ولا يزال يدعوه إلى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره فى المسائل التى المجتهد فيها مصيب أو مساهم للمصيب فى الأجر فهو ضحكة الشيطان وعبرة للمخلصين ولذلك شمت الشيطان به لما غمسه فيه من ظلمات الآفات التى نعددها ونذكر تفاصيلها ؛ فنسأل الله حسن العون والتوفيق .

بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق

اعلم وتحقق أن المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والإلحام وإظهار الفضل والشرف والتشدق عند الناس وقصد المباهاة والمماراة واستمالة وجوه الناس هى منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله المحمودة عند عدو الله إبليس . ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة . وكما أن الذى خير بين الشرب والفواحش وسائر الفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه فدعاه ذلك إلى ارتكاب بقية الفواحش فى سكره فكذلك من غلب عليه حب الإلحام والغلبة فى المناظرة وطلب الجاه والمباهاة دعاه ذلك إلى إضمار الخبائث كلها فى النفس وهيج فيه جميع الأخلاق المذمومة . وهذه الأخلاق ستأتى أدلة مذمتها من الأخبار والآيات فى ربع المهلكات . ولكنا نشير الآن إلى مجامع ما تهيجه المناظرة فمنها الحسد ؛ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب[1] » ولا ينفك المناظر عن الحسد فانه تارة يغلب وتارة يغلب وتارة يحمد كلامه وأخرى يحمد كلام غيره . فما دام يبقى فى الدنيا واحد يذكره بقوة العلم والنظر أو يظن أنه أحسن منه كلاماً وأقوى نظراً فلا بد أن يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف القلوب والوجوه عنه إليه . والحسد نار محرقة فمن بلى به فهو فى العذاب فى الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأعظم ؛ ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما : خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض فإنهم يتغايرون كما تتغاير التيوس فى الزريبة . ومنها التكبر والترفع على الناس فقد قال صلى الله عليه وسلم « من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله[2] » وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى « العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما قصمته[3] » ولا ينفك المناظر عن التكبر على

---

(١) حديث « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » أخرجه أبو داود من حديث أبى هريرة ، وقال البخارى : لايصح . وهو عند ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف ، وفى تاريخ بغداد بإسناد حسن

(٢) حديث « من تكبر وضعه الله ... الحديث » أخرجه الخطيب من حديث عمر باسناد صحيح وقال : غريب من حديث الثورى » ولابن ماجه نحوه من حديث أبى سعيد بسند حسن (٣) حديث « الكبرياء ردائى والعظمة إزارى... الحديث » أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة وهو عند مسلم بلفظ « الكبرياء رداؤه » من حديث أبى هريرة وأبى سعيد .

الأقران والأمثال والترفع إلى فوق قدره حتى إنهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه فى الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدر والبعد منها والتقدم فى الدخول عند مضايق الطرق ، وربما يتعلل الغبى والمكار الخداع منهم بأنه يبغى صيانة عز العلم ، « وأن المؤمن منهى عن الإذلال لنفسه[1] » فتعبر عن التواضع الذى أثنى الله عليه وسائر أنبيائه بالذل وعن التكبر الممقوت عند الله بعز الدين تحريفاً للاسم وإضلالا للخلق به كما فعل فى اسم الحكمة والعلم وغيرهما . ومنها الحقد فلا يكاد المناظر يخلو عنه . وقد قال صلى الله عليه وسلم « المؤمن ليس بحقود[2] » وورد فى ذم الحقد مالا يخفى . ولا ترى مناظراً يقدر على أن لا يضمر حقداً على من يحرك رأسه من كلام خصمه ويتوقف فى كلامه فلا يقابله بحسن الإصغاء بل يضطر إذا شاهد ذلك إلى إضمار الحقد وتربيته فى نفسه وغاية تماسكه الإخفاء بالنفاق ويترشح منه إلى الظاهر لا محالة فى غالب الأمر . وكيف ينفك عن هذا ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع أحواله فى إيراده وإصداره ؟ بل لو صدر من خصمه أدنى سبب فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس فى صدره حقد لا يقلعه مدى الدهر إلى آخر العمر . ومنها الغيبة وقد شبهها الله بأكل الميتة ولا يزال المناظر مثابراً على أكل الميتة فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته ، وغاية تحفظه أن يصدق فيما يحكيه عليه ولا يكذب فى الحكاية عنه فيحكى عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو الغيبة ، فأما الكذب فبهتان وكذلك لا يقدر على أن يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض عن كلامه ويصغى إلى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه إلى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة . ومنها تزكية النفس ، قال الله سبحانه وتعالى ﴿ فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴾ وقيل لحكيم : ما الصدق القبيح ؟ فقال : ثناء المرء على نفسه . ولا يخلو المناظر من الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم على الأقران ولا ينفك فى أثناء المناظرة عن قوله : لست ممن يخفى عليه أمثال هذه الأمور وأنا المتفنن فى العلوم والمستقل بالأصول وحفظ الأحاديث وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة إلى ترويج كلامه . ومعلوم أن الصلف والتمدح مذمومان شرعا وعقلا ومنها التجسس وتتبع عورات الناس ، وقد قال تعالى ﴿ ولا تجسسوا ﴾ والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه وتتبع عورات خصومه حتى إنه ليخبر بورود مناظر إلى بلده فيطلب من يخبر بواطن أحواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة لنفسه فى إفضاحه وتخجيله إذا مست اليه حاجة حتى إنه ليستكشف عن أحوال صباه وعن عيوب بدنه فعساه يعثر على هفوة أو على عيب به من قرع أو غيره ، ثم إذا أحس بأدنى غلبة من جهته عرض به إن كان متماسكا ويستحسن ذلك منه ويعد من لطائف التسبب ولا يمتنع عن الإفصاح به إن كان متبجحا بالسفاهة والاستهزاء ، كما حكى عن قوم من أكابر المناظرين المعدودين من فحولهم . ومنها الفرح لمساءة الناس والغم لمسارهم ومن لا يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد من أخلاق المؤمنين ، فكل من طلب المباهاة بإظهار الفضل يسره لا محالة ما يسوء أقرانه وأشكاله الذين يسامونه فى الفضل ويكون التباغض بينهم كما بين الضرائر فكما أن إحدى الضرائر إذا رأت صاحبتها من بعيد ارتعدت فرائصها واصفر لونها فكذا ترى المناظر إذا رأى مناظراً تغير لونه واضطرب عليه فكره فكأنه يشاهد شيطانا ماردا أو سبعاً ضارياً ، فأين الاستئناس والاسترواح الذى كان يجرى بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من المؤاخاة والتناصر والتساهم فى السراء

(١) حديث « نهى المؤمن عن إذلال نفسه » أخرجه الترمذى وصححه وابن ماجه من حديث حذيفة « لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه »

(٢) حديث « المؤمن ليس بحقود » لم أقف له على أصل .

والمضراء حتى قال الشافعى رضى الله عنه : العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل ؟ فلا أدرى كيف يدعى الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة ! فهل يتصور أن ينسب الأنس بينهم مع طلب الغلبة والمباهاة هيهات هيهات وناهيك بالشر شرا أن يلزمك أخلاق المنافقين ويبرئك عن أخلاق المؤمنين والمتقين . ومنها النفاق فلا يحتاج إلى ذكر الشواهد فى ذمه وهم مضطرون إليه فإنهم يلقون الخصوم ومحبيهم وأشياعهم ولا يجدون بدا من التودد إليهم باللسان وإظهار الشوق والاعتداد بمكانهم وأحوالهم ، ويعلم ذلك المخاطب والمخاطب وكل من يسمع منهم أن ذلك كذب وزور ونفاق وفجور فإنهم متوددون بالألسنة متباغضون بالقلوب نعوذ بالله العظيم منه ؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا فى الأرحام لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم[1] » رواه الحسن وقد صح ذلك بمشاهدة هذه الحالة . ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على المماراة فيه حتى إن أبغض شىء إلى المناظر أن يظهر على لسان خصمه الحق ومنهما ظهر تشمر لجحده وإنكاره بأقصى جهده وبذل غاية إمكانه فى المخادعة والمكر والحيلة لدفعه حتى تصير المماراة فيه عادة طبيعية فلا يسمع كلاما إلا وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه فى أدلة القرآن وألفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض ، والمراء فى مقابلة الباطل محذور إذ ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ترك المراء بالحق على الباطل . قال صلى الله عليه وسلم « من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا فى ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا فى أعلى الجنة[2] » وقد سوى الله تعالى بين من افترى على الله كذبا وبين من كذب بالحق فقال تعالى ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه ﴾ وقال تعالى ﴿ فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه ﴾ ومنها الرياء وملاحظة الخلق والجهد فى استمالة قلوبهم وصرف وجوههم . والرياء هو الداء العضال الذى يدعو إلى أكبر الكبائر ـ كما سيأتى فى كتاب الرياء ـ والمناظر لا يقصد إلا الظهور عند الخلق وانطلاق ألسنتهم بالثناء عليه ؛ فهذه عشر خصال من أمهات الفواحش الباطنة سوى ما يتفق لغير المتماسكين منهم من الخصام المؤدى إلى الضرب واللكم واللطم وتمزيق الثياب والأخذ باللحى وسب الوالدين وشتم الأستاذين والقذف الصريح فإن أولئك ليسوا معدودين فى زمرة الناس المعتبرين وإنما الأكابر والعقلاء منهم هم الذين لا ينفكون عن هذه الخصال العشر ، نعم قد يسلم بعضهم من بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه أو ظاهر الارتفاع عليه أو هو بعيد عن بلده وأسباب معيشته ، ولا ينفك أحد منهم عنه مع أشكاله المقارنين له فى الدرجة . ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الخصال العشر عشر أخرى من الرذائل لم نطول بذكرها وتفصيل آحادها مثل : الأنفة ، والغضب ، والبغضاء ، والطمع ، وحب طلب المال ، والجاه للتمكن من الغلبة ، والمباهاة ، والأشر ، والبطر ، وتعظيم الأغنياء والسلاطين والتردد إليهم والأخذ من حرامهم ، والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المحظورة ، والاستحقار للناس بالفخر والخيلاء ، والخوض فيما لا يعنى ، وكثرة الكلام ، وخروج الخشية والخوف والرحمة من القلب ، واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدرى المصلى منهم فى صلاته ما صلى وما الذى يقرأ ومن الذى يناجيه ؟ ولا يحس بالخشوع من قلبه مع استغراق العمر فى العلوم التى تعين فى المناظرة مع أنها لا تنفع فى الآخرة : من تحسين العبارة وتسجيع اللفظ

---

(١) حديث « إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب ... الحديث » أخرجه الطبرانى من حديث سلمان بإسناد ضعيف (٢) حديث « من ترك المراء وهو مبطل ... الحديث » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أنس مع اختلاف . قال الترمذى : حسن .

وحفظ النوادر إلى غير ذلك من أمور لاتحصى . والمناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولاينفك أعظمهم ديناً وأكثرهم عقلا عن جمل من مواد هذه الأخلاق وإنما غايته إخفاؤها ومجاهدة النفس بها .

واعلم أن هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ أيضاً إذا كان قصده طلب القبول وإقامة الجاه ونيل الثروة والعزة وهى لازمة أيضاً للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى إذا كان قصده طلب القضاء وولاية الأوقاف والتقدم على الأقران . وبالجملة هى لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الله تعالى فى الآخرة فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الأبد أو يحييه حياة الأبد ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه » فلقد ضره مع أنه لم ينفعه ؛ وليته نجا منه رأسا برأس ؛ وهيهات هيهات لخطر العلم عظيم ؛ وطالبه طلب الملك المؤبد ، والنعيم السرمد ، فلا ينفك عن الملك أو الهلك ؛ وهو كطالب الملك فى الدنيا ، فإن لم يتفق له الإصابة فى الأموال لم يطمع فى السلامة من الإذلال بل لابد من لزوم أفضح الأحوال . فإن قلت : فى الرخصة فى المناظرة فائدة وهى ترغيب الناس فى طلب العلم إذ لولا حب الرياسة لاندرست العلوم ؛ فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد إذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير ما رغب الصبيان فى المكتب وذلك لايدل على أن الرغبة فيه محمودة ، ولولا حب الرياسة لاندرس العلم . ولايدل ذلك على أن طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال صلى الله عليه وآله وسلم فيهم « إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر [2] » فطالب الرياسة فى نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره إن كان يدعو إلى ترك الدنيا وذلك فيمن كان ظاهر حاله فى ظاهر الأمر ظاهر حال علماء السلف ولكنه يضمر قصد الجاه ، فمثاله مثال الشمع الذى يحترق فى نفسه ويستضىء به غيره فصلاح غيره فى هلاكه فأما إذا كان يدعو إلى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التى تأكل نفسها وغيرها . فالعلماء ثلاثة : إما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها ، وإما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون الخلق إلى الله سبحانه ظاهراً وباطنا ، وإما مهلك نفسه مسعد غيره وهو الذى يدعو إلى الآخرة وقد رفض الدنيا فى ظاهره وقصده فى الباطن قبول الخلق وإقامة الجاه ، فانظر من أى الأقسام أنت ومن الذى اشتغلت بالاعتداد له ؟ فلا تظنن أن الله تعالى يقبل غير الخالص لوجهه تعالى من العلم والعمل . وسيأتيك فى كتاب الرياء بل فى جميع ربع المهلكات ما ينفى عنك الريبة فيه إن شاء الله تعالى .

الباب الخامس

فى آداب المتعلم والمعلم

أما المتعلم فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظم تفاريقها عشر جمل :

الوظيفة الأولى : تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف إذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن إلى الله تعالى ؛ وكما لا تصح الصلاة التى هى وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث فكذلك لاتصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس

(١) حديث « إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم » أخرجه النسائى من حديث أنس بإسناد صحيح .

(٢) حديث « إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » متفق عليه من حديث أبى هريرة .

الأوصاف. قال صلى الله عليه وسلم « بنى الدين على النظافه[1] » وهو كذلك باطنا وظاهرا قال الله تعالى ﴿إنما المشركون نجس﴾ تنبيها للعقول على الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر أى باطنه ملطخ بالخبائث . والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن أهم بالاجتناب فإنها مع خبثها فى الحال مهلكات فى المآل . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب[2] » والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أنوارهم ومحل استقرارهم ! والصفات الرديئة مثل والغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها كلاب نابحة فأنى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لايقذفه الله تعالى فى القلب إلا بواسطة الملائكة ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه مايشاء﴾ وهكذا مايرسل من رحمة العلوم إلى القلوب إنما تتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون المبرءون عن الصفات المذمومات فلا يلاحظون إلا طيبا ولا يمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله إلا طيبا طاهرا . ولست أقول المراد بلفظ « البيت » هو القلب و « بالكلب » هو الغضب والصفات المذمومة ولكنى أقول هو تنبيه عليه ، وفرق بين تعبير الظواهر إلى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ، ففارق الباطنية بهذه الدقيقة ، فإن هذه طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والأبرار إذ معنى الاعتبار أن يعبر ماذكر إلى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى الغافل مصيبة لغيره فيكون فيها له عبرة بأن يعبر منها إلى التنبه لكونه أيضا عرضة المصائب وكون الدنيا بصدد الانقلاب ، فعبوره من غيره إلى نفسه ومن نفسه إلى أصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر أنت أيضا من البيت الذى هو بناء الخلق إلى القلب الذى هو بيت من بناء الله تعالى ومن الكلب الذى ذم لصفته ـ لالصورته ـ وهو مافيه من سبعية ونجاسة إلى الروح الكلبية وهى السبعية . واعلم أن القلب المشحون بالغضب والشره إلى الدنيا والتكلب عليها والحرص على التمزيق لأعراض الناس كلب فى المعنى وقلب فى الصورة ، فنور البصيرة يلاحظ المعانى لاالصور . والصور فى هذا العالم غالبة على المعانى والمعانى باطنة فيها . وفى الآخرة تتبع الصور المعانى وتغلب المعانى . فلذلك يحشر كل شخص على صورته المنوبة « فيحشر الممزق لأعراض الناس كلبا ضاريا . والشره إلى أموالهم ذئبا عاديا ، والمتكبر عليهم فى صورة نمر ، وطالب الرياسة فى صورة أسد[3] » وقد وردت بذلك الأخبار وشهد به الاعتبار عند ذوى البصائر والأبصار * فإن قلت : كم من طالب ردىء الأخلاق حصل العلوم فهيهات ما بعده عن العلم الحقيقى النافع فى الآخرة الجالب للسعادة فإن من أوائل ذلك العلم أن يظهر له أن المعاصى سموم قاتلة مهلكة وهل رأيت من يتناول سما مع علمه بكونه سما قاتلا ؟ إنما الذى تسمعه من المترسمين حديث يلفقونه بألسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم أخرى وليس ذلك من العلم فى شىء . قال ابن مسعود رضى الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يقذف فى القلب . وقال بعضهم : إنما العلم الخشية لقوله تعالى ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ وكأنه أشار إلى أخص ثمرات العلم . ولذلك قال بعض المحققين : معنى قولهم « تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله » أن العلم أبى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته وإنما حصل لنا

الباب الخامس

(١) حديث « بنى الدين على النظافة » لم أجده هكذا . وفى الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة « تنظفوا فإن الاسلام نظيف » وللطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف جداً من حديث ابن مسعود « النظافة تدعو إلى الايمان » (٢) حديث « لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب » متفق عليه من حديث أبى طلحة الأنصارى (٣) حديث « حشر الممزق لأعراض الناس فى صورة كلب ضار ... الحديث » أخرجه الثعلبى فى التفسير من حديث البراء بسند ضعيف .

حديثه وألفاظه » فإن قلت : أرى جماعة من العلماء والفقهاء المحققين برزوا فى الفروع والأصول وعدوا من جملة الفحول وأخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها ؟ فيقال : إذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك أن مااشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علما وإنما غناؤه من حيث كونه عملا لله تعالى إذا قصد به التقرب إلى الله تعالى وقد سبقت إلى هذا إشارة . وسيأتيك فيه مزيد بيان وإيضاح إن شاء الله تعالى . الوظيفة الثانية : أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الأهل والوطن فإن العلائق شاغلة وصارفة ﴿ ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ﴾ ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل « العلم لايعطيك بعضه حتى تعطيك كلك فإذا أعطيته كلك فأنت من إعطائه إياك بعضه على خطر » . والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الأرض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه مايجتمع ويبلغ المزدرع . الوظيفة الثالثة : أن لايتكبر على العلم ولا يتأمر على معلم بل يلقى إليه زمام أمره بالكلية فى كل تفصيل ويذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق . وينبغى أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته . قال الشعبى « صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت إليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد : خل عنه ياابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد بن ثابت يده وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس من أخلاق المؤمن التملق إلا فى طلب العلم [2] » فلا ينبغى لطالب العلم أن يتكبر على المعلم ومن تكبره على المعلم أن يستنكف عن الاستفادة إلا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة فإن العلم سبب النجاة والسعادة ، ومن يطلب مهربا من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين أن يرشده إلى الهرب مشهور أو خامل ، وضراوة سباع النار بالجهال بالله تعالى أشد من ضراوة كل سبع فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها إليه كائنا من كان ؛ فلذلك قيل :

العلم حرب للفتى المتعالى كالسيل حرب للمكان العالى

فلا ينال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع قال الله تعالى ﴿ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلا للعلم فهما ، ثم لاتعينه القدرة على الفهم حتى يلقى السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما القى إليه بحسن الإصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة . فليكن المتعلم لمعلمه كأرض دمثة نالت مطرا غزيرا فتشربت جميع أجزائها وأذعنت بالكلية لقبوله . ومهما أشار عليه المعلم بطريق فى التعلم فليقلده وليدع رأيه فإن خطأ مرشده أنفع له من صوابه فى نفسه إذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع أنه يعظم نفعها ، فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب فى بعض أوقاته بالحرارة ليزيد فى قوته إلى حد يحتمل صدمة العلاج فيعجب منه من لاخبرة له به ، وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر ﴿ إنك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا ﴾ ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال ﴿ فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا ﴾ ثم لم يصبر ولم يزل فى مراودته إلى أن كان ذلك سبب الفراق بينهما . وبالجملة كل متعلم استبق لنفسه رأيا واختيارا

(١) حديث « أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت » وقوله « هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء » أخرجه الطبرانى والحاكم والبيهقى فى المدخل إلا أنهم قالوا « هكذا نفعل » قال الحاكم : صحيح الاسناد على شرط مسلم (٢) حديث « ليس من أخلاق المؤمن الملق إلا فى طلب العلم » أخرجه ابن عدى من حديث معاذ وأبى أمامة بإسنادين ضعيفين

دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالإخفاق والخسران .

* فإن قلت : فقد قال الله تعالى ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون ﴾ فالسؤال مأمور به ؟ فاعلم أنه كذلك ولكن فيما يأذن المعلم فى السؤال عنه فإن السؤال عما لم تبلغ مرتبتك إلى فهمه مذموم ، ولذلك منع الخضر موسى عليه السلام من السؤال : أى دع السؤال قبل أوانه فالمعلم أعلم بما أنت أهل له وبأوان الكشف . ومالم يدخل أوان الكشف فى كل درجة من مراقى الدرجات لايدخل أو ان السؤال عنه . وقد قال على رضى الله عنه : إن من حق العالم أن لاتكثر عليه بالسؤال ولا تعنته فى الجواب ، ولا تلح عليه إذا كسل ولاتأخذ بثوبه إذا نهض ، ولا تفشى له سرا ولاتغتابن أحدا عنده ولا تطلبن عثرته ، وإن زل قبلت معذرته ، وعليك أن توقره وتعظمه لله تعالى مادام يحفظ أمر الله تعالى ، ولا تجلس أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته .

الوظيفه الرابعة : أن يحترز الخائض فى العلم فى مبدإ الأمر عن الإصغاء إلى اختلاف الناس ، سواء كان ماخاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة : فإن ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رأيه ويؤيسه عن الإدراك والاطلاع ، بل ينبغى أن يتقن أولا الطريق الحميدة الواحدة المرضية عند أستاذه ، ثم بعد ذلك يصغى إلى المذاهب والشبه . وإن لم يكن أستاذه مستقلا باختيار رأى واحد وإنما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها فليحذر منه فإن إضلاله أكثر من إرشاده فلايصلح الأعمى لقود العميان وإرشادهم ، ومن هذاحاله يعد فى عمى الحيرة وتيه الجهل ، ومنع المبتدئ عن الشبه يضاهى منع الحديث العهد بالإسلام عن مخالطة الكفار ، وندب القوى إلى النظر فى الاختلافات يضاهى حث القوى على مخالطة الكفار ؛ ولهذا يمنع الجبان عن التهجم على صف الكفار ويندب الشجاع له . ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء أن الاقتداء بالأقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ، ولم يدر أن وظائف الأقوياء تخالف وظائف الضعفاء . وفى ذلك قال بعضهم : من رآنى فى البداية صار صديقا ، ومن رآنى فى النهاية صار زنديقاً ، إذ النهاية ترد الأعمال إلى الباطن وتسكن الجوارح إلا عن رواتب الفرائض ؛ فيتراءى للناظرين أنها بطالة وكسل وإهمال ، وهيهات فذلك مرابطة القلب فى عين الشهود والحضور وملازمة الذكر الذى هو أفضل الأعمال على الدوام ؛ وتشبه الضعيف بالقوى فيما يرى من ظاهره أنه هفوة يضاهى اعتذار من يلقى نجاسة يسيرة فى كوز ماء ويتعلل بأن أضعاف هذه النجاسة قد يلقى فى البحر والبحر أعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز أجوز . ولا يدرى المسكين أن البحر بقوته يحيل النجاسة ماء فتنقلب عين النجاسة باستيلائه إلى صفته ، والقليل من النجاسه يغلب على الكوز ويحيله إلى صفته ، ولمثل هذا جوز للنبى صلى الله عليه وسلم مالم يجوز لغيره حتى أبيح له تسع نسوة [1] إذ كان له من القوة مايتعدى منه صفة العدل إلى نسائه وإن كثرن ، وأما غيره فلا يقدر على بعض العدل بل يتعدى مابينهن من الضرار إليه حتى ينجر إلى معصية الله تعالى فى طلبه رضاهن . فما أفلح من قاس الملائكة بالحدادين

الوظيفة الخامسة : أن لايدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من أنواعه إلا وينظر فيه نظراً يطلع به على مقصده وغايته ، ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية ؛ فإن العلوم متعاونه وبعضها مرتبط ببعض ، ويستفيد منه فى الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب

(١) حديث « أبيح له صلى الله عليه وسلم تسعة نسوة » وهو معروف . وفى الصحيحين من حديث ابن عباس « كان عند النبى صلى الله عليه وسلم تسع ... الحديث » .

جهله ؛ فإن الناس أعداء ماجهلوا قال تعالى ﴿ وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ﴾ . قال الشاعر :

ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها إما سالكة بالعبد إلى الله تعالى ، أو معينة على السلوك نوعا من الإعانة ، ولها منازل مرتبة فى القرب والبعد من المقصود ، والقوام بها حفظة كحفاظ الرباطات والثغور ، ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر فى الآخرة إذا قصد به وجه الله تعالى .

الوظيفة السادسة : أن لايخوض فى فن من فنون العلم دفعة بل يراعى الترتيب ويبتدئ بالأهم . فإن العمر إذا كان لايتسع لجميع العلوم غالباً فالحزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه ويكتفى منه بشمه ويصرف جمام قوته فى الميسور من علمه إلى استكمال العلم الذى هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة أعنى قسمى المعاملة والمكاشفة ، فغاية المعاملة المكاشفة . وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى ؛ ولست أعنى به الاعتقاد الذى يتلقفه العامى وراثة أو تلقفا ؛ ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة فى تحصين الكلام عن مرواغات الخصوم كما هو غاية المتكلم ، بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى فى قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهى إلى رتبة إيمان أبى بكر رضى الله عنه الذى لووزن بإيمان العالمين لرجح[1] كما شهد له به سيد البشر صلى الله عليه وسلم ، فما عندى أن مايعتقده العامى ويرتبه المتكلم الذى لا يزيد على العامى إلا فى صنعة الكلام ، ولأجله سميت صناعته كلاما ، وكان يعجز عنه عمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضى الله عنهم ، حتى كان يفضلهم أبو بكر بالسر الذى وقر فى صدره . والعجب ممن يسمع مثل هذه الأقوال من صاحب الشرع ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ثم يزدرى مايسمعه على وفقه ويزعم أنه من ترهات الصوفية وأن ذلك غير معقول ؛ فينبغى أن تتئد فى هذا فعنده ضيعت رأس المال ، فكن حريصاً على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين ولا يرشدك إليه إلا حرصك فى الطلب .

وعلى الجملة فأشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل وهو بحر لايدرك منتهى غوره ، وأقصى درجات البشر فيه رتبة الأنبياء ثم الأولياء ثم الذين يلونهم . وقد روى أنه رؤى صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين فى مسجد وفى يد أحدهما رقعة فيها : إن أحسنت كل شيء فلا تظنن أنك أحسنت شيئا حتى تعرف الله تعالى وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء . وفى يد الآخر كنت قبل أن أعرف الله تعالى أشرب وأظمأ ، حتى إذا عرفته رويت بلا شرب

الوظيفة السابعة : أن لايخوض فى فن حتى يستوفى الفن الذى قبله ؛ فإن العلوم مرتبة ترتيباً ضروريا وبعضها طريق إلى بعض ، والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج . قال الله تعالى ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته ﴾ أى لايجاوزون فناحتى يحكموه علماً وعملا ، وليكن قصده فى كل علم يتحراه الترقى إلى ماهوفوقه ؛ فينبغى ألا يحكم على علم بالفساد لوقوع الخلف بين أصحابه فيه ، ولا بخطأ واحد أو آحاد فيه ، ولا بمخالفتهم موجب علمهم بالعمل ؛ فترى جماعة تركوا النظر فى العقليات والفقهيات ، متعللين فيها بأنها لوكان لها أصل لأدركه أربابها ؛ وقد مضى كشف هذه الشبه فى كتاب (معيار العلم) وترى طائفة يعتقدون بطلان الطب لخطأ شاهدوه من طبيب ، وطائفة اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفق لواحد ، وطائفة اعتقدوا بطلانه لخطأ اتفق لآخر . والكل خطأ ، بل

(١) حديث « لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان العالمين لرجح » أخرجه ابن عدى من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف ؛ ورواه البيهقى فى الشعب موقوفا على عمر بإسناد صحيح.

ينبغى أن يعرف الشىء فى نفسه ، فلا كل علم يستقل بالإحاطة به كل شخص ولذلك قال على رضى الله عنه : لاتعرف الحق بالرجال . اعرف الحق تعرف أهله

الوظيفة الثامنة : أن يعرف السبب الذى به يدرك أشرف العلوم ، وأن ذلك يراد به شيئان : أحدهما : شرف الثمرة والثانى : وثاقة الدليل وقوته ، وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان ثمرة أحدهما الحياة الأبدية وثمرة الآخر الحياة الفانية فيكون علم الدين أشرف . ومثل علم الحساب وعلم النجوم فان علم الحساب أشرف لوثاقة أدلته وقوتها وإن نسب الحساب إلى الطب كان الطب أشرف باعتبار ثمرته والحساب أشرف باعتبار أدلته وملاحظة الثمرة أولى ؛ ولذلك كان الطب أشرف وإن كان أكثره بالتخمين . وبهذا تبين أن أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل إلى هذه العلوم فاياك أن ترغب إلا فيه وأن تحرص إلا عليه .

الوظيفة التاسعة : أن يكون قصد المتعلم فى الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفى المآل القرب من الله سبحانه والترقى إلى جوار الملأ الأعلى من الملائكة والمقربين ، ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الأقران وإن كان هذا مقصده طلب لا محالة الأقرب إلى مقصوده وهو علم الآخرة : ومع هذا فلا ينبغى له أن ينظر بعين الحقارة إلى سائر العلوم أعنى علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما أوردناه فى المقدمات والمتممات من ضروب العلوم التى هى فرض كفاية ، ولا تفهمن من غلونا فى الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدين فى سبيل الله فمنهم المقاتل ومنهم الرده ومنهم الذى يسقيهم الماء ومنهم الذى يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك أحد منهم عن أجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء قال الله تعالى ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ وقال تعالى ﴿ هم درجات عند الله ﴾ والفضيلة نسبية . واستحقارنا للصيارفة عند قياسهم بالملوك لايدل على حقارتهم إذا قيسوا بالكناسين فلا تظن أن ما نزل عن الرتبة القصوى ساقط القدر بل الرتبة العليا للأنبياء ثم الأولياء ثم العلماء الراسخين فى العلم ثم للصالحين على تفاوت درجاتهم وبالجملة ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ ومن قصد الله تعالى بالعلم أى علم كان نفعه ورفعه لا محالة .الوظيفة العاشرة : أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد كيما يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ـ ومعنى المهم ما يهمك ـ ولا يهمك إلا شأنك فى الدنيا والآخرة . وإذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجرى مجرى العيان فالأهم ما يبقى أبد الآباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والأعمال سعياً إلى المقصد ولا مقصد إلا لقاء الله تعالى ففيه النعيم كله وإن كان لايعرف فى هذا العالم قدره إلا الأقلون . والعلوم بالإضافة إلى سعادة لقاء الله سبحانه والنظر إلى وجهه الكريم ـ أعنى النظر الذى طلبه الأنبياء وفهموه دون ما سبق إلى فهم العوام والمتكلمين ـ على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو أن العبد الذى علق عتقه وتمكينه من الملك بالحج وقيل له إن حججت وأتممت وصلت إلى العتق والملك جميعا وإن ابتدأت بطريق الحج والاستعداد له وعاقك فى الطريق مانع ضرورى فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك فله ثلاثة أصناف من الشغل ، الأول . تهيئة الأسباب بشراء الناقة وخرز الراوية وإعداد الزاد والراحلة والثانى السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه إلى الكعبة منزلا بعد منزل . والثالث : الاشتغال بأعمال الحج ركنا بعد ركن ثم بعد الفراغ والنزوع عن هيئة الإحرام وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة ، وله فى كل مقام منازل من أول إعداد الأسباب إلى آخره ،

من أول سلوك البوادى إلى آخره ، ومن أول أركان الحج إلى آخره. وليس قرب من ابتدأ بأركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد فى إعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك بل هو أقرب منه ، فالعلوم أيضاً ثلاثة أقسام : قسم يجرى مجرى إعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن فى الدنيا . وقسم يجرى مجرى سلوك البوادى وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة التى عجز عنها الأولون والآخرون إلا الموفقين فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله وكما لا يغنى علم المنازل وطرق البوادى دون سلوكها كذلك لا يغنى علم تهذيب الأخلاق دون مباشرة التهذيب ولكن المباشرة دون العلم غير ممكن . وقسم ثالث يجرى مجرى نفس الحج وأركانه وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وأفعاله وجميع ماذكرناه فى تراجم المكاشفة وههنا نجاة وفوز بالسعادة والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق إذا كان غرضه المقصد الحق وهو السلامة . وأما الفوز بالسعادة فلا يناله إلا العارفون بالله تعالى وهم المقربون المنعمون فى جوار الله تعالى بالروح والريحان وجنة النعيم وأما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال الله عز وجل ﴿ فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين ﴾ وكل من لم يتوجه إلى المقصد ولم ينتهض له أو انتهض إلى جهته لا على قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو من أصحاب الشمال ومن الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم . واعلم أن هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين أعنى أنهم أدركوه بمشاهدة من الباطن هى أقوى وأجلى من مشاهدة الأبصار وترقوا فيه عن حد التقليد لمجرد السماع ، وحالهم حال من أخبر فصدق ثم شاهد فحقق وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والإيمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان . فالسعادة وراء علم المكاشفة وعلم المكاشفة وراء علم المعاملة التى هى سلوك طريق الآخرة وقطع عقبات الصفات . وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك فى ذلك وراء علم سلامة البدن ومساعدة أسباب الصحة . وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذى يتوصل به إلى الملبس والمطعم والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه فى ضبط الناس على منهج العدل والسياسة فى ناصية الفقيه.. وأما أسباب الصحة ففى ناصية الطبيب ومن قال «العلم علمان : علم الأبدان وعلم الأديان» وأشار به إلى الفقه أراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا للعلوم العزيزة الباطنة * فإن قلت : لم شبهت علم الطب والفقه بإعداد الزاد والراحلة ؟ فاعلم أن الساعى إلى الله تعالى لينال قربه هو القلب دون البدن ولست أعنى بالقلب اللحم المحسوس بل هو من أسرار الله عز وجل لا يدركه الحس ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح وتارة بالنفس المطمئنة ، والشرع يعبر عنه بالقلب لأنه المطية الأولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة ، وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مضنون به بل لا رخصة فى ذكره ، وغاية المأذون فيه أن يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز أشرف من هذه الأجرام المرئية وإنما هو أمر إلهى كما قال تعالى ﴿ ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ﴾ وكل المخلوقات منسوبة إلى الله تعالى ولكن نسبته أشرف من نسبة سائر أعضاء البدن فلله الخلق والأمر جميعا ، والأمر أعلى من الخلق . وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لأمانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والأرضين والجبال إذ أبين أن يحملنها وأشفقن منها من عالم الأمر : ولا يفهم من هذا أنه تعريض بقدمها فان القائل بقدم الأرواح مغرور جاهل لا يدرى ما يقول فلنقبض عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده . والمقصود أن هذه اللطيفة هى الساعية إلى قرب الرب لأنها من أمر الرب فمنه مصدرها واليه

مرجعها ، وأما البدن فمطيتها التى تركبها وتسعى بواسطتها ، فالبدن لها فى طريق الله تعالى كالناقة للبدن فى طريق الحج وكالراوية الخازنة الماء الذى يفتقر إليه البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية . ولا يخفى أن الطب كذلك فإنه قد يحتاج إليه فى حفظ الصحة على البدن ولو كان الإنسان وحده لاحتاج إليه : والفقه يفارقه فى أنه لو كان الإنسان وحده ربما كان يستغنى عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكنه أن يعيش وحده إذ لا يستقل بالسعى وحده فى تحصيل طعامه بالحراثة والزرع والخبز والطبخ وفى تحصيل الملبس والمسكن وفى إعداد آلات ذلك كله فاضطر إلى المخالطة والاستعانة . ومهما اختلط الناس وثارت شهواتهم تجاذبوا أسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الأخلاط من داخل ، وبالطب يحفظ الاعتدال فى الأخلاط المتنازعة من داخل ، وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال فى التنافس من خارج ، وعلم طريق اعتدال الأخلاط طب ، وعلم طريق اعتدال أحوال الناس فى المعاملات والأفعال فقه . وكل ذلك لحفظ البدن الذى هو مطية فالمتجرد لعلم الفقه أو الطب إذا لم يجاهد نفسه ولا يصلح قلبه كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها إذا لم يسلك بادية الحج . والمستغرق عمره فى دقائق الكلمات التى تجرى فى مجادلات الفقه كالمستغرق عمره فى دقائق الأسباب التى بها تستحكم الخيوط التى تخرز بها الراوية للحج . ونسبة هؤلاء من السالكين لطريق إصلاح القلب الموصل إلى علم المكاشفة كنسبة أولئك إلى سالكى طريق الحج أو ملابسى أركانه : فتأمل هذا أولا واقبل النصيحة مجانا ممن قام عليه ذلك غالبا ولم يصل إليه إلا بعد جهد جهيد وجراءة تامة على مباينة الخلق العامة والخاصة فى النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة ، فهذا القدر كاف فى وظائف المتعلم .

بيان وظائف المرشد المعلم

اعلم أن الإنسان فى علمه أربعة أحوال كحالة فى اقتناء الأموال : إذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسبا ، وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال ، وحال إنفاق على نفسه فيكون منتفعا ، وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو أشرف أحواله . فكذلك العلم يقتنى كما يقتنى المال فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغنى عن السؤال وحال استبصار وهو التفكر فى المحصل والتمتع به وحال تبصير وهو أشرف الأحوال : فمن علم وعمل وعلم فهو الذى يدعى عظيما فى ملكوت السموات فإنه كالشمس تضىء لغيرها وهى مضيئة فى نفسها وكالمسك الذى يطيب غيره وهو طيب . والذى يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذى يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسن الذى يشحذ غيره ولا يقطع والإبرة التى تكسو غيرها وهى عارية وذبالة المصباح تضىء لغيرها وهى تحترق كما قيل :

ما هو إلا ذبالة وقدت تضىء للناس وهى تحترق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه (الوظيفة الأولى) الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما أنا لكم مثل الوالد لولده [1] » بأن يقصد إنقاذهم من نار الآخرة وهو أهم من إنقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا : ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين فإن الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية والمعلم سبب الحياة الباقية . ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة أعنى معلم علوم الآخرة أو علوم

(١) حديث « إنما أنا لكم مثل الوالد لولده » أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة

الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا ، فأما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك نعوذ بالله منه . وكما أن حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتوادد ولا يكون إلا كذلك إن كان مقصدهم الآخرة ولا يكون إلا التحاسد والتباغض إن كان مقصدهم الدنيا . فإن العلماء وأبناء الآخرة مسافرون إلى الله تعالى وسالكون إليه الطريق من الدنيا ، وسنوها وشهورها منازل الطريق . والترافق فى الطريق بين المسافرين إلى الأمصار سبب التواد والتحاب فكيف السفر إلى الفردوس الأعلى والترافق فى طريقه ؟ ولا ضيق فى سعادة الآخرة فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع ولا سعة فى سعادات الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم . والعادلون إلى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى (إنما المؤمنون إخوة) وداخلون فى مقتضى قوله تعالى (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) (الوظيفة الثانية) أن يقتدى بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فلا يطلب على إفادة العلم أجرا ولا يقصد به جزاء ولا شكراً بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبا للتقرب إليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وإن كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم لأن تتقرب إلى الله تعالى بزراعة العلوم فيها ، كالذى يعيرك الأرض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الأرض فكيف تقلده منة وثوابك فى التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى ؟ ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الأجر إلا من الله تعالى كما قال عز وجل (ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجرى إلا على الله) فإن المال وما فى الدنيا خادم البدن والبدن مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم إذ به شرف النفس . فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وذلك هو الانتكاس على أم الرأس ، ومثله هو الذى يقوم فى العرض الأكبر مع المجرمين ناكسى رءوسهم عند ربهم . وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم فانظر كيف انتهى أمر الدين إلى قوم يزعمون أن مقصودهم التقرب إلى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفى غيرهما ؟ فانهم يبذلون المال والجاه ويتحملون أصناف الذل فى خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف إليهم ثم يتوقع المعلم من المتعلم أن يقوم له فى كل نائبة وينصر وليه ويعادى عدوه وينتهض جهارا له فى حاجاته ومسخرا بين يديه فى أوطاره : فإن قصر فى حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه . فأخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحيي من أن يقول غرضى من التدريس نشر العلم تقربا إلى الله تعالى ونصرة لدينه ! فانظر إلى الأمارات حتى ترى ضروب الاغترارات (الوظيفه الثالثة) أن لا يدع من نصح المتعلم شيئا وذلك بأن يمنعه من التصدى لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفى قبل الفراغ من الجلى ثم ينبهه على أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ، ويقدم تقبيح ذلك فى نفسه بأقصى مايمكن فليس مايصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده : فإن علم من باطنه أنه لايطلب العلم إلا للدنيا نظر إلى العلم الذى يطلبه فإن كان هو علم الخلاف فى الفقه والجدل فى الكلام والفتاوى فى الخصومات والأحكام فيمنعه من ذلك فإن هذه العلوم ليست من علوم الآخرة ولا من العلوم التى قيل فيها « تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله » وإنما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الأولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها فإذا تعلمه الطالب وقصد به الدنيا فلا بأس أن يتركه فإنه يثمر له طمعا فى الوعظ والاستتباع ولكن قد يتنبه فى أثناء الأمر أو آخره إذ فيه العلوم المخوفة من الله تعالى المحقرة للدنيا المعظمة للآخرة ، وذلك

يوشك أن يؤدى إلى الصواب فى الآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره . ويجرى حب القبول والجاه مجرى الحب الذى ينثر حوالى الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده إذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها إلى بقاء النسل . وخلق أيضا حب الجاه ليكون سببا لإحياء العلوم وهذا متوقع فى هذه العلوم فأما الخلافيات المحضة ومجادلات الكلام ومعرفة التفاريع الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الإعراض عن غيرها إلا قسوة القلب وغفلة عن الله تعالى وتماديا فى الضلال وطلبا للجاه إلا من تداركه الله تعالى برحمته أو مزج به غيره من العلوم الدينية . ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك فى العباد والبلاد والله المستعان . وقد رؤى سفيان الثورى رحمه الله حزينا فقيل له : مالك ؟ فقال : صرنا متجرا لأبناء الدنيا يلزمنا أحدهم حتى إذا تعلم جعل قاضيا أو عاملا أو قهرمانا (الوظيفة الرابعة) وهى من دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ماأمكن ولا يصرح . وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الإصرار إذ قال صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم « لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا مانهينا عنه إلا وفيه شىء [1] » وينبهك على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام وما نهيا عنه ؛ فما ذكرت القصة معك لتكون سمراً بل لتتنبه بها على سبيل العبرة ولأن التعريض أيضاً يميل النفوس الفاضلة والأذهان الذكية إلى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة فى العلم به ليعلم أن ذلك مما لايعزب عن فطنته (الوظيفة الخامسة) أن المتكفل ببعض العلوم ينبغى أن لا يقبح فى نفس المتعلم العلوم التى وراءه ، كمعلم اللغة إذ عادته تقبيح علم الفقه . ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وأن ذلك نقل محض وسماع وهو شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه ، ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول : ذلك فروع وهو كلام فى حيض النسوان فأين ذلك من الكلام فى صفة الرحمن ؟ فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغى أن تجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغى أن يوسع على المتعلم طريق التعلم فى غيره وإن كان متكفلا بعلوم فينبغى أن يراعى التدريج فى ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة (الوظيفة السادسة) أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى إليه مالا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله اقتداء فى ذلك بسيد البشر صلى الله عليه وسلم حيث قال « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم [2] » فليبث إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها وقال صلى الله عليه وسلم « ما أحد يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم » وقال على رضى الله عنه ـ وأشار إلى صدره ـ « إن ههنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة » وصدق رضى الله عنه فقلوب الأبرار قبور الأسرار . فلاينبغى أن يفشى العالم كل ما يعلم إلى كل أحد ؛ هذا إذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلا للانتفاع به فكيف فيما لايفهمه ؟ وقال عيسى عليه السلام : لاتعلقوا الجواهر فى أعناق الخنازير فإن الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير « ولذلك قيل : كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار : وسئل بعض العلماء عن شىء فلم يجب فقال السائل : أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار [3] » ؟ فقال :

---

(١) حديث « لو منع الناس عن فت البعر لفتوه ... الحديث » لم أجده (٢) حديث « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ... الحديث » رويناه فى جزء من حديث أبى بكر بن الشخير من حديث عمر أخصر منه . وعند أبى داود من حديث عائشة « أنزلوا الناس منازلهم » (٣) حديث « من كتم علماً نافعاً جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار » أخرجه ابن ماجه من حديث أبى سعيد بإسناد ضعيف ؛ وتقدم حديث أبى هريرة بنحوه .

اترك اللجام واذهب فإن جاء من يفقه وكتمته فليلجمنى فقد قال الله تعالى (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) تنبيها على أن حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى ، وليس الظلم فى إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم فى منع المستحق :

أأنثر درا بين سارحة النعم فأصبح مخزونا براعية الغنم
لأنهم أمسوا بجهل لقدره فلا أنا أضحى أن أطوقه البهم
فإن لطف الله اللطيف بلطفه وصادفت أهلا للعلوم وللحكم
نشرت مفيداً واستفدت مودة وإلا فمخزون لدى ومكتتم
فمن منح الجهال علما أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

(الوظيفة السابعة) أن المتعلم الناصر ينبغى أن يلقى إليه الجلى اللائق به ولا يذكر له وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه فإن ذلك يفتر رغبته فى الجلى ويشوش عليه قلبه ويوهم إليه البخل به عنه إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق . فما من أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه فى كمال عقله وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلا هو أفرحهم بكمال عقله . وبهذا يعلم أن من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ فى نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل وحسن مع ذلك سريرته ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك فلا ينبغى أن يشوش عليه اعتقاده بل ينبغى أن يخلى وحرفته ، فإنه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخوض فيرتفع عنه السد الذى بينه وبين المعاصى وينقلب شيطانا مريداً يهلك نفسه وغيره ؛ بل لا ينبغى أن يخاض مع العوام فى حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الأمانة فى الصناعات التى هم بصددها ويملأ قلوبهم من الرغبة والرهبة فى الجنة والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة فإنه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويعسر عليه حلها فيشقى ويهلك . وبالجملة لا ينبغى أن يفتح للعوام باب البحث فإنه يعطل عليهم صناعاتهم التى بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص (الوظيفة الثامنة) أن يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر . فإذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئا وقال للناس لاتتناولوه فإنه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون لولا أنه اطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به . ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود فكيف ينتقش الطين بما لانقش فيه ومتى استوى الظل والعود أعوج ؟ ولذلك قيل فى المعنى :

لاتنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) ولذلك كان وزر العالم فى معاصيه أكثر من وزر الجاهل إذ يزل بزلته عالم كثير ويقتدون به . ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها . ولذلك قال على رضى الله عنه قصم ظهرى رجلان ؛ عالم متهتك وجاهل متنسك ؛ فالجاهل يغر الناس بتنسكه ، والعالم يغرهم بتهتكه . والله اعلم .

الباب السادس

فى آفات العلم وبيان علامات علما الآخرة والعلماء السوء

قد ذكرنا ماورد من فضائل العلم والعلماء ، وقد ورد فى العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على أنهم أشد الخلق عذابا يوم القيامة . فمن المهمات العظيمه معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ونعنى بعلماء الدنيا

علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها قال صلى الله عليه وسلم « إنّ أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لايكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « العالم علمان : علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وعلم فى القلب فذلك العلم النافع [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « يكون فى آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « لاتتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو فى النار [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « من كتم علماً عنده ألجمه الله بلجام من نار » وقال صلى الله عليه وسلم « لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال . فقيل : وما ذلك ؟ فقال : من الأئمة المضلين [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « من ازداد علماً ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعداً [6] » وقال عيسى عليه السلام : إلى متى تصفون الطريق المدلجين وأنتم مقيمون مع المتحيرين ، فهذا وغيره من الأخبار يدل على عظيم خطر العلم فان العالم إما متعرّض لهلاك الأبد أو لسعادة الأبد وإنه بالخوض فى العلم قد حرم السلامة إن لم يدرك السعادة . وأما الآثار فقد قال عمر رضى الله عنه : إنّ أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم . قالوا : وكيف يكون منافقا عليما ؟ قال : عليم اللسان جاهل القلب والعمل . وقال الحسن رحمه الله : لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجرى فى العمل مجرى السفهاء . وقال رجل لأبى هريرة رضى الله عنه : أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال : كفى بترك العلم إضاعة له . وقيل لإبراهيم بن عيينة : أى الناس أطول ندما ؟ قال : أما فى عاجل الدنيا فصانع المعروف إلى من لايشكره وأما عند الموت فعالم مفرّط . وقال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة ، رجل يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك عالم فاتبعوه ، ورجل يدرى ولايدرى أنه يدرى فذلك نائم فأيقظوه ، ورجل لا يدرى ويدرى أنه لايدرى فذلك مسترشد فأرشدوه ، ورجل لايدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك جاهل فارفضوه . وقال سفيان الثورى رحمه الله : يهتف العلم بالعمل فان أجابه وإلا ارتحل . وقال ابن المبارك : لا يزال المرء عالما ماطلب العلم فاذا ظنّ أنه قد علم فقد جهل . وقال الفضيل ابن عياض رحمه الله : إنى لأرحم ثلاثة : عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر وعالما تلعب به الدنيا . وقال الحسن : عقوبة العلماء موت القلب ، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وأنشدوا :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشترى دنياه بالدين اعجب
واعجب من هذين من باع دينه بدنيا سواه فهو من ذين اعجب

الباب السادس

(١) حديث « لايكون المرء عالماً حتى يكون بعلمه عاملا » أخرجه ابن حبان فى كتاب روضة العقلاء ، والبيهقى فى المدخل موقوفا على أبى الدرداء ولم أجده مرفوعا (٢) حديث « العلم علمان علم على اللسان ... الحديث » أخرجه الترمذى الحكيم فى النوادر وابن عبدالبر من حديث الحسن مرسلا بإسناد صحيح ، وأسنده الخطيب فى التاريخ من رواية الحسن عن جابر بإسناد جيد وأعله ابن الجوزى (٣) حديث « يكون فى آخر الزمان عباد جهال وعلماء فسقة » أخرجه الحاكم من حديث أنس وهو ضعيف (٤) حديث « لاتتعلموا العلم لتباهوا به العلماء » أخرجه ابن ماجه من حديث جابر بإسناد صحيح (٥) حديث « لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال .. الحديث » أخرجه أحمد من حديث أبى ذر بإسناد جيد (٦) حديث « من ازداد علماً ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعداً » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس وحديث على بإسناد ضعيف إلا أنه قال « زهداً » وروى ابن حبان فى روضة العقلاء موقوفا على الحسن « من ازداد علما ثم ازداد على الدنيا حرصاً لم يزدد من الله إلا بعدا » وروى أبو الفتح الأزدى فى الضعفاء من حديث على « من ازداد بالله علما ثم ازداد للدنيا حباً ازداد الله عليه غضبا »

وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ العالم ليعذب عذاباً يطيف به أهل النار استعظاماً لشدة عذابه [1] » أراد به العالم الفاجر . وقال أسامة بن زيد : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه [2] » وإنما يضاعف عذاب العالم فى معصيته لأنه عصى عن علم ولذلك قال الله عز وجل ﴿ إنّ المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ﴾ لأنهم جحدوا بعد العلم ، وجعل اليهود شراً من النصارى مع أنهم ما جعلوا لله سبحانه ولداً ولا قالوا : إنه ثالث ثلاثة ، إلا أنهم أنكروا بعد المعرفة إذ قال الله ﴿ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ وقال تعالى ﴿ فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ وقال تعالى ـ فى قصة بلعام بن باعوراء ـ ﴿ واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ﴾ حتى قال ﴿ فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾ فكذلك العالم الفاجر فان بلعام أوتى كتاب الله تعالى فأخلد إلى الشهوات فشبه بالكلب أى سواء أوتى الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث إلى الشهوات . وقال عيسى عليه السلام : مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لا هى تشرب الماء ولا هى تترك الماء يخلص إلى الزرع ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ، ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى : فهذه الأخبار والآثار تبين أن العالم الذى هو من أبناء الدنيا أخس حالا وأشد عذابا من الجاهل . وأن الفائزين المقربين هم علماء الآخرة ولهم علامات : فمنها أن لا يطلب الدنيا بعلمه فان أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم أنهما متضادتان وأنهما كالضرتين مهما أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى وأنهما ككفتى الميزان مهما رجحت إحداهما خفت الأخرى وأنهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من أحدهما بعدت عن الآخر وأنهما كقدحين أحدهما مملوء والآخر فارغ فبقدر ما تصب منه فى الآخر حتى يمتلئ يفرغ الآخر . فان من لايعرف حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذاتها بآلامها ثم انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل . فان المشاهدة والتجربة ترشد إلى ذلك فكيف يكون من العلماء من لاعقل له ؟ ومن لايعلم عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الإيمان فكيف يكون من العلماء من لاإيمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة وأن الجمع بينهما طمع فى غير مطمع ؟ فهو جاهل بشرائع الأنبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن كله من أوله إلى آخر فكيف يعد من زمرة العلماء ؟ ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من حزب العلماء من هذه درجته؟ وفى أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى « إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوته على محبتى أن أحرمه لذيذ مناجاتى ، ياداود لا تسأل عنى عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتى أولئك قطاع الطريق على عبادى ، ياداود إذا رأيت لى طالباً فكن له خادما ؛ ياداود من رد إلى هاربا كتبته جهبذا ومن كتبته جهبذا لم أعذبه أبدا » ولذلك قال الحسن رحمه الله : عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة . ولذلك قال يحيى بن معاذ: إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا . وقال سعيد بن المسيب رحمه الله : إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء

---

(١) حديث « إن العالم يعذب عذابا يطيف به أهل النار .. الحديث » لم أجده بهذا اللفظ وهو معنى حديث أسامة المذكور بعده

(٢) حديث أسامة بن زيد « يؤتى بالعالم يوم القيامة ويلقى فى النار فتندلق أقتابه . الحديث » متفق عليه بلفظ « الرجل » بدل « العالم »

فهو لص ، وقال عمر رضى الله عنه : إذا رأيتم للعالم محباً للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما أحب وقال مالك بن دينار رحمه الله : قرأت فى بعض الكتب السالفة إن الله تعالى يقول إن أهون ما أصنع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتى من قلبه . وكتب رجل إلى أخ له : إنك قد أوتيت علماً فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم فى نور علمهم ، وكان يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله يقول لعلماء الدنيا: يا أصحاب العلم قصوركم قيصريه وبيوتكم كسروية وأثوابكم ظاهرية وأخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية وأوانيكم فرعونية ومآثمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فأين الشريعة المحمدية ؟ قال الشاعر :

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب ؟

وقال الآخر :

يا معشر القــراء يا ملح البلد ما يصلح الملح إذا الملح فسد ؟

وقيل لبعض العارفين : أترى أن من تكون المعاصى قرة عينه لا يعرف الله ؟ قال لا شك أن من تكون الدنيا عنده آثر من الآخرة أنه لا يعرف الله تعالى . وهذا دون ذلك بكثير ولا تظن أن ترك المال يكفى فى اللحوق بعلماء الآخرة فان الجاه أضر من المال . ولذلك قال بشر « حدثنا » باب من أبواب الدنيا فاذا سمعت الرجل يقول « حدثنا » فانما يقول : أوسعوا لى . ودفن بشر بن الحرث بضعة عشر ما بين قطرة وقوصرة من الكتب وكان يقول : أنا أشتهى أن أحدث ، ولو ذهبت عنى شهوة الحديث لحدثت ، وقال هو وغيره : إذا اشتهيت أن تحدث فاسكت فاذا لم تشته فحدث . وهذا لأن التلذذ بجاه الإفادة ومنصب الإرشاد أعظم لذة من كل تنعم فى الدنيا فمن أجاب شهوته فيه فهو من أبناء الدنيا . ولذلك قال الثورى : فتنة الحديث أشد من فتنة الأهل والمال والولد وكيف لا تخاف فتنته وقد قيل لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا) وقال سهل رحمه الله : العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به والعمل كله هباء إلا الإخلاص . وقال : الناس كلهم موتى إلا العلماء والعلماء سكارى إلا العاملين والعاملون كلهم مغرورون إلا المخلصين والمخلص على وجل حتى يدرى ماذا يختم له به . وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله : إذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر فى طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا وإنما أراد به طلب الأسانيد العالية أو طلب الحديث الذى لا يحتاج اليه فى طلب الآخرة ، وقال عيسى عليه السلام : كيف يكون من أهل العلم من مسيره إلى آخرته وهو مقبل على طريق دنياه وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به ؟ وقال صالح بن كيسان البصرى : أدركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة . وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من طلب علماً مما يبتغى به وجه الله تعالى ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة[1] » وقد وصف الله علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد . فقال عز وجل فى علماء الدنيا (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلا) وقال تعالى فى علماء الآخرة (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم) وقال بعض السلف : العلماء يحشرون فى زمرة الأنبياء والقضاة يحشرون فى زمرة السلاطين . وفى معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه . وروى

(١) حديث أبى هريرة « من طلب علما مما يبتغى به وجه الله ليصيب به عرضا ... الحديث » أخرجه أبو داود وابن ماجه بإسناد جيد

أبو الدرداء رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أوحى الله عز وجل إلى بعض الأنبياء : قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر إياى يخادعون وبى يستهزئون لأفتحن لهم فتنة تذر الحليم حيران[1] » وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « علماء هذه الأمة رجلان : رجل آتاه الله علماً فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعاً ولم يشتر به ثمناً فذلك يصلى عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الأرض والكرام الكاتبون يقدم على الله عز وجل يوم القيامة سيداً شريفاً حتى يرافق المرسلين ، ورجل آتاه الله علماً فى الدنيا فضن به على عباد الله وأخذ عليه طمعاً واشترى به ثمناً فذلك يأتى يوم القيامة ملجما بلجام من نار ينادى مناد على رءوس الخلائق هذا فلان بن فلان آتاه الله علماً فى الدنيا فضن به على عباده وأخذ به طمعاً واشترى به ثمنا فيعذب حتى يفرغ من حساب الناس[2] » وأشد من هذا ماروى « أن رجلا كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول حدثنى موسى صفى الله حدثنى موسى نجى الله حدثنى موسى كليم الله حتى أثرى وكثر ماله فنقده موسى عليه السلام فجعل يسأل عنه ولا يحس له خبراً حتى جاءه رجل ذات يوم وفى يده خنزير وفى عنقه حبل أسود فقال له موسى عليه السلام : أتعرف فلانا ؟ قال : نعم قال هو هذا الخنزير ، فقال موسى : يارب أسألك أن تردّه إلى حاله حتى أسأله بم أصابه هذا ؟ فأوحى الله عز وجل اليه : لو دعوتنى بالذى دعانى به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه ولكن أخبرك لم صنعت هذا به ؟ لأنه كان يطلب الدنيا بالدين » وأغلظ من هذا ماروى معاذ بن جبل رضى الله عنه موقوفا ومرفوعا فى رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب اليه من الاستماع[3] » وفى الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ وفى الصمت سلامة وعلم . ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك فى الدرك الأول من النار . ومن العلماء من يكون فى علمه بمنزلة السلطان إن رد عليه شىء من علمه أو تهوون بشىء من حقه غضب فذلك فى الدرك الثانى من النار . ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لأهل الشرف واليسار ولا يرى أهل الحاجة له أهلا فذلك فى الدرك الثالث من النار . ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتى بالخطأ والله تعالى يبغض المتكلفين فذلك فى الدرك الرابع من النار . ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك فى الدرك الخامس من النار . ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلا وذكراً فى الناس فذلك فى الدرك السادس من النار . ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فان وعظ عنف وإن وعظ أنف فذلك فى الدرك السابع من النار . فعليك ياأخى بالصمت فبه تغلب الشيطان . وإياك أن تضحك من غير عجب أو تمشى فى غير أرب . وفى خبر آخر « إن العبد لينشر له من الثناء ما يملأ ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة[4] » وروى أن الحسن حمل اليه رجل من خراسان كيساً بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البز وقال . ياأباسعيد هذه نفقة وهذه كسوة ! فقال الحسن . عافاك الله تعالى ، ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك إنه من

---

(٢) حديث أبي الدرداء « أوحى الله الى بعض الأنبياء : قل للذين يتفقهون لغير الدين . الحديث » أخرجه ابن عبد البر بإسناد ضعيف (٢) حديث ابن عباس « علماء هذه الأمة رجلان . . الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط بإسناد ضعيف

(٣) حديث معاذ « من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب اليه من الاستماع . . . الحديث » أخرجه أبو نعيم وابن الجوزى فى الموضوعات (٤) حديث « إن العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة » لم أجده هكذا وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة « إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لايزن عند الله جناح بعوضة »

جلس مثل مجلسى هذا وقبل من الناس مثل هـذا اتى الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له . وعن جابر رضى الله عنه موقوفا ومرفوعا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا تجلسوا عند كل عالم إلا إلى عالم يدعوكم من خمس إلى خمس : من الشك إلى اليقين ، ومن الرياء إلى الإخلاص ، ومن الرغبة إلى الزهد ، ومن الكبر إلى التواضع ، ومن العداوة إلى النصيحة [1] ، وقال تعالى ﴿ فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن ﴾ الآية ، فعرّف أهل العلم بإيثار الآخرة على الدنيا . ومنها أن لا يخالف فعله قوله بل لا يأمر بالشئ ما لم يكن هو أول عامل به . قال الله تعالى ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ وقال تعالى (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) وقال تعالى فى قصة شعيب (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) وقال تعالى (واتقوا الله ويعلمكم الله) وقال تعالى (واتقوا الله واعلموا ـ واتقوا الله واسمعوا) وقال تعالى لعيسى عليه السلام « يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحى منى » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت ليلة أسرى بى بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت : من أنتم ؟ فقالوا : كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « هلاك أمتى عالم فاجر وعابد جاهل ، وشر الشرار شرار العلماء ، وخير الخيار خيار العلماء [3] » وقال الأوزاعى رحمه الله : شكت النواويس ما تجد من نتن جيف الكفار فأوحى الله إليها : بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه . وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : بلغنى أن الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات . وقال الشعبى : يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم : ما أدخلكم النار وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم ؟ فيقولون إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وننهى عن الشر ونفعله . وقال حاتم الأصم رحمه الله ليس فى القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك هو . وقال مالك ابن دينار : إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا . وأنشدوا :

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما ... إذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا ... فالموبقات لعمرى أنت جانيها
تعيب دنيا وناسا راغبين لها ... وأنت أكثر منهم رغبة فيها

وقال آخر : لا تنه عن خلق وتأتى مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله : مررت بحجر بمكة مكتوب عليه « اقلبنى تعتبر » فقلبته فإذا عليه مكتوب « أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم مالم تعلم » ؟ وقال ابن السماك رحمه الله : كم من مذكر بالله ناس لله ! وكم من مخوف بالله جرىء على الله : وكم من مقرب إلى الله بعيد من الله ! وكم من داع إلى الله فار من الله ! وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله ! وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله : لقد أعربنا فى كلامنا فلم نلحن ولحنا فى أعمالنا فلم نعرب . وقال الأوزاعى : إذا جاء الإعراب ذهب الخشوع . وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم أنه قال : حدثنى عشرة

---

(١) حديث جابر « لا تجلسوا عند كل عالم .. الحديث » أخرجه أبو نعيم فى الحلية وابن الجوزى فى الموضوعات

(٢) حديث « مررت ليلة أسرى بى بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار .. الحديث » أخرجه ابن حبان من حديث أنس .

(٣) حديث « هلاك أمتى عالم فاجر وشر الشرار شرار العلماء .. الحديث » أخرجه الدارمى من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا بآخر الحديث نحوه وقد تقدم ولم أجد صدر الحديث

من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ، كنا ندرس العلم فى مسجد قباء إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال . تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا [1] ، وقال عيسى عليه السلام : مثل الذى يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت فى السر فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رءوس الأشهاد . وقال معاذ رحمه الله : احذروا زلة العالم لأن قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته . وقال عمر رضى الله عنه : إذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق ، وقال عمر رضى الله عنه : ثلاث بهن ينهدم الزمان إحداهن زلة العالم . وقال ابن مسعود : سيأتى على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع بالعلم يومئذ عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها عذوبة ، وذلك إذا مالت قلوب العلماء إلى حب الدنيا وإيثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة ويطفئ مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه أنه يخشى الله بلسانه والفجور ظاهر فى عمله ، فما أخصب الألسن يومئذ وما أجدب القلوب ! فوالله الذى لا إله إلا هو ما ذلك إلا لأن المعلمين علموا لغير الله تعالى والمتعلمين تعلموا لغير الله تعالى . وفى التوراة والإنجيل مكتوب : لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم . وقال حذيفة رضى الله عنه : إنكم فى زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك ، وسيأتى زمان من عمل فيه بعشر ما يعلم نجا وذلك لكثرة البطالين . واعلم أن مثل العالم مثل القاضى وقد قال صلى الله عليه وسلم « القضاة ثلاثة : قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك فى الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم أو لا يعلم فهو فى النار وقاض قضى بغير ما أمر الله به فهو فى النار [2] » وقال كعب رحمه الله : يكون فى آخر الزمان علماء يزهدون الناس فى الدنيا ولا يزهدون ، ويخوفون الناس ولا يخافون ، وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم ، ويؤثرون الدنيا على الآخرة يأكلون بألسنتهم ، يقربون الأغنياء دون الفقراء ، يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال ؛ يغضب أحدهم على جليسه إذا جالس غيره ، أولئك الجبارون أعداء الرحمن . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان ربما يسوفكم بالعلم ، فقيل : يا رسول الله وكيف ذلك ؟ قال صلى الله عليه وسلم : يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال للعلم قائلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل [3] » وقال سرى السقطى (اعتزل رجل للتعبد كان حريصا على طلب علم الظاهر فسألته فقال : رأيت فى النوم قائلا يقول لى « إلى كم تضيع العلم ضيعك الله » فقلت . إنى لأحفظه فقال « حفظ العلم العمل به » فتركت الطلب وأقبلت على العمل . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : (ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية) وقال الحسن : تعلموا ما شئتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا فإن السفهاء همتهم الرواية والعلماء همتهم الرعاية : وقال مالك رحمه الله : إن طلب العلم لحسن وإن نشره لحسن إذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسى فلا تؤثرن عليه شيئا . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : أنزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسيأتى قوم يثقفونه مثل القناة ليسوا بخياركم والعالم الذى لا يعمل كالمريض الذى يصف الدواء وكالجائع الذى يصف لذائذ الأطعمة ولا يجدها . وفى مثله قوله تعالى ﴿ ولكم الويل مما تصفون ﴾ وفى الخبر « إنما أخاف على أمتى زلة عالم

---

(١) حديث عبد الرحمن بن غنم عن عشرة من الصحابة « تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا » علقه ابن عبد البر وأسنده ابن عدى وأبو نعيم والخطيب — فى كتاب اقتضاء العلم العمل — من حديث معاذ فقط بإسناد ضعيف ورواه الدارمى موقوفا على معاذ بسند صحيح .

(٢) حديث « القضاة ثلاثة .. الحديث » أخرجه أصحاب السنن من حديث بريدة وهو صحيح

(٣) حديث « إن الشيطان ربما يسوفكم بالعلم . . الحديث » فى الجامع من حديث أنس بسند ضعيف

وجدال منافق فى القرآن [١] ، ومنها أن تكون عنايته بتحصيل العلم النافع فى الآخرة المرغب فى الطاعات مجتنباً للعلوم التى يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال . فمثال من يعرض عن علم الأعمال ويشتغل بالجدال مثل رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيبا حاذقا فى وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير والأدوية وغرائب الطب وترك مهمه الذى هو مؤاخذ به ، وذلك محض السفه . وقد روى « أنّ رجلا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : علمنى من غرائب العلم ، فقال له : ما صنعت فى رأس العلم ؟ فقال : وما رأس العلم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم ، هل عرفت الرب تعالى ؟ قال : نعم ، فما صنعت فى حقه ؟ قال : ما شاء الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : هل عرفت الموت ؟ قال نعم ، قال: فما أعددت له ؟ قال : ما شاء الله ، قال صلى الله عليه وسلم : إذهب فأحكم ما هناك ثم تعال نعلمك من غرائب العلم [٢] » بل ينبغى أن يكون المتعلم من جنس ماروى عن حاتم الأصم ـ تلميذ شقيق البلخى رضى الله عنهما ـ أنه قال له : شقيق منذ كم صحبتنى ؟ قال حاتم : منذ ثلاث وثلاثين سنة ، قال : فما تعلمت منى فى هذه المدة ؟ قال : ثمانى مسائل ، قال شقيق له : إنا لله وإنا اليه راجعون ذهب عمرى معك ولم تتعلم إلا ثمانى مسائل ؟ قال : يا أستاذ لم أتعلم غيرها وإنى لا أحب أن أكذب ، فقال هات هذه الثمانى مسائل حتى أسمعها ، قال حاتم : نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه إلى القبر فاذا وصل إلى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبى فاذا دخلت القبر دخل محبوبى معى . فقال : أحسنت ياحاتم فما الثانية ؟ فقال : نظرت فى قول الله عز وجل ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فانّ الجنة هى المأوى ﴾ فعلمت أنّ قوله سبحانه وتعالى هو الحق فأجهدت نفسى فى دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى . الثالثة أنى نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل من معه شىء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت إلى قول الله عز وجل ﴿ ماعندكم ينفد وما عند الله باق ﴾ فكلما وقع معى شىء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله ليبقى عنده محفوظاً . الرابعة : أنى نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحسب والشرف والنسب فنظرت فيها فاذا هى لاشىء ثم نظرت إلى قول الله تعالى ﴿ إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ فعملت فى التقوى حتى أكون عند الله كريما . الخامسة : أنى نظرت إلى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم فى بعض ويلعن بعضهم بعضاً وأصل هذا كله الحسد ثم نظرت إلى قول الله عز وجل (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه وتعالى فتركت عداوة الخلق عنى . السادسة : نظرت إلى هذا الخلق يبغى بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضاً فرجعت إلى قول الله عز وجل (إن الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدواً) فعاديته وحده واجتهدت فى أخذ حذرى منه لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدوّ لى فتركت عداوة الخلق غيره . السابعة : نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لايحل له ثم نظرت إلى قوله تعالى ﴿ وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ﴾ فعلمت أنى واحد من هذه الدواب التى على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى على وتركت مالى عنده . الثامنة : نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق ـ هذا على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه ـ وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله فرجعت إلى

---

(١) حديث « إنما أخاف على أمتى زلة عالم .. الحديث » أخرجه الطبرانى من حديث أبى الدرداء ، ولابن حبان نحوه من حديث عمران بن حصين (٢) حديث « أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علمنى من غرائب العلم ... الحديث » رواه ابن السنى وأبو نعيم فى كتاب الرياضة لهما ، وابن عبد البر من حديث عبد الله بن المبارك مرسلا وهو ضعيف جدا

قوله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) فتوكلت على الله عز وجل فهو حسبي ، قال شقيق : ياحاتم وفقك الله تعالى فإني نظرت فى علوم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم فوجدت جميع أنواع الخير والديانة وهى تدور على هذه الثمان مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة فهذا الفن من العلم لا يهتم بإدراكه والتفطن له إلا علماء الآخرة فأما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون أمثال هذه العلوم التى بعث الله بها الأنبياء كلهم عليهم السلام وقال الضحاك بن مزاحم : أدركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض إلا الورع وهم اليوم ما يتعلمون إلا الكلام . ومنها أن يكون غير مائل إلى الترفه فى المطعم والمشرب والتنعم فى الملبس والتجمل فى الأثاث والمسكن بل يؤثر الاقتصاد فى جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله تعالى ويميل إلى الاكتفاء بالأقل فى جميع ذلك وكلما زاد إلى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه وارتفع فى علماء الآخرة حزبه . ويشهد لذلك ماحكى عن أبى عبد الله الخواص - وكان من أصحاب حاتم الأصم - قال : دخلت مع حاتم إلى الرى ومعنا ثلثمائة وعشرون رجلا يريد الحج وعليهم الزرمانقات وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فأضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم: ألك حاجة فإنى أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل ؟ قال حاتم عيادة المريض فيها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أيضاً أجىء معك . وكان العليل محمد بن مقاتل - قاضى الرى - فلما جئنا إلى الباب فإذا قصر مشرف حسن فبقى حاتم متفكراً يقول : باب عالم على هذه الحالة ؟ ثم أذن لهم فدخلوا فإذا دار حسناء فوراء واسعة نزهة وإذا بزة وستور فبقى حاتم متفكراً ثم دخلوا إلى المجلس الذى هو فيه وإذا بفرش وطيئة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة فقعد الزائر عند رأسه وسأل عن حاله وحاتم قائم فأومأ إليه ابن مقاتل أن اجلس فقال لا أجلس فقال لعل لك حاجة فقال: نعم، قال: وما هى؟ قال: مسئلة أسألك عنها قال : سل ، قال : قم فاستو جالساً حتى أسألك . فاستوى جالساً قال حاتم : علمك هذا من أين أخذته ؟ فقال : من الثقات حدثونى به ، قال : عمن ؟ قال : عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ؟ قال : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ؟ قال : عن جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل . قال حاتم فنعما أداه جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأداه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وأصحابه إلى الثقات وأداه الثقات إليك هل سمعت فيه من كان فى داره إشراف وكانت سعتها أكثر كان له عند الله عز وجل المنزلة أكبر : قال : لا . قال : فكيف سمعت ؟ قال : سمعت أنه من زهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كانت له عند الله المنزلة ، قال له حاتم : فأنت بمن اقتديت أبالنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم والصالحين رحمهم الله ام بفرعون ونمروذ اول من بنى بالجص والآجر ؟ ياعلماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول : العالم على هذه الحالة : أفلا أكون أنا شراً منه ؟ وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ أهل الرى ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له : إن الطنافسى بقزوين أكثر توسعاً منه . فسار حاتم متعمداً فدخل عليه فقال . رحمك الله أنا رجل أعجمى أحب أن تعلمنى مبتدأ دينى ومفتاح صلاتى كيف أتوضأ للصلاة ؟ قال : نعم وكرامة ياغلام هات إناء فيه ماء . فأتى به فقعد الطنافسى فتوضأ ثلاثاً ثلاثاً ثم قال : هكذا فتوضأ . فقال حاتم : مكانك حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكد لما أريد ، فقام الطنافسى وقعد حاتم فتوضأ ثم غسل ذراعيه أربعاً اربعاً فقال الطنافسى : ياهذا اسرفت . قال له حاتم : فبماذا ؟ قال غسلت ذراعيك اربعاً . فقال حاتم : يا سبحان الله العظيم انا فى كف من ماء أسرفت وأنت فى جميع هذا كله لم تسرف ؟ فعلم الطنافسى

أنه قصد ذلك دون التعلم فدخل منزله فلم يخرج إلى الناس أربعين يوما فلما دخل حاتم بغداد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا : يا أبا عبد الرحمن أنت رجل ولكن أعجمي وليس يكلمك أحد إلا قطعته ، قال : معي ثلاث خصال أظهر بهن على خصمي أفرح إذا أصاب خصمي وأحزن إذا أخطأ وأحفظ نفسي أن لا أجهل عليه . فبلغ ذلك الإمام أحمد بن حنبل فقال : سبحان الله ماأعقله قوموا بنا إليه . فلما دخلوا عليه قال له : يا أباعبد الرحمن ما السلامة من الدنيا ؟ قال : يا أباعبد الله لاتسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال : تنفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك منهم وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم آيسا ، فإذا كنت هكذا سلمت ، ثم سار إلى المدينة فاستقبله أهل المدينة فقال : ياقوم أية مدينة هذه ؟ قالوا : مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فأين قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصلي فيه ؟ قالوا : ما كان له قصر إنما كان له بيت لاطئ بالأرض ، قال : فأين قصور أصحابه رضى الله عنهم ؟ قالوا : ما كان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لاطئة بالأرض ؛ قال حاتم : ياقوم فهذه مدينة فرعون ، فأخذوه وذهبوا به إلى السلطان وقالوا . هذا العجمي يقول هذه مدينة فرعون ، قال الوالي : ولم ذلك ؟ قال حاتم : لاتعجل على أنا رجل أعجمي غريب دخلت البلد فقلت مدينة من هذه فقالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت فأين قصر . . . وقص القصة ، ثم قال : وقد قال الله تعالى ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ فأنتم بمن تأسيتم أبرسول الله صلى الله عليه وسلم أم بفرعون أول من بنى بالجص والآجر ؟ فخلوا عنه وتركوه . فهذه حكاية حاتم الأصم رحمه الله تعالى . وسيأتي من سيرة السلف في البذاذة وترك التجمل ما يشهد لذلك في مواضعه . والتحقيق فيه أن التزين بالمباح ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الأنس به حتى يشق تركه ، واستدامة الزينة لا تمكن إلا بمباشرة أسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصي من المداهنة ومراعاة الخلق ومراءاتهم وأمور أخر هي محظورة والحزم اجتناب ذلك لأن من خاض في الدنيا لا يسلم منها ألبتة ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض فيها لكان صلى الله عليه وسلم لايبالغ في ترك الدنيا حتى نزع القميص المطرز بالعلم [1] ونزع خاتم الذهب في أثناء الخطبة [2] إلى غير ذلك مما سيأتي بيانه . وقد حكى أن يحيى بن يزيد النوفلي كتب إلى مالك ابن أنس رضى الله عنهما « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسوله محمد في الأولين والآخرين ، من يحيى ابن يزيد بن عبد الملك إلى مالك بن أنس ، أما بعد فقد بلغني أنك تلبس الدقاق وتأكل الرقاق وتجلس على الوطيء وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم وقد ضربت إليك المطي وارتحل إليك الناس واتخذوك إماما ورضوا بقولك ؛ فاتق الله تعالى يامالك وعليك بالتواضع . كتبت إليك بالنصيحة مني كتابا ماأطلع عليه غير الله سبحانه وتعالى والسلام » فكتب إليه مالك « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على الله سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . من مالك ابن أنس إلى يحيى بن يزيد سلام الله عليك ، أما بعد : فقد وصل إلى كتابك فوقع مني موقع النصيحة والشفقة والأدب أمتعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا وأسأل الله تعالى التوفيق ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم ، فأما ماذكرت لي أني آكل الرقاق وألبس الدقاق وأحتجب وأجلس على الوطيء فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى فقد قال الله تعالى ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ وإني لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه . ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلام » فانظر إلى إنصاف مالك إذ اعترف أن

(١) حديث « نزع القميص المعلم » متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث « نزع الخاتم الذهب في أثناء الخطبة » متفق عليه من حديث ابن عمر .

ترك ذلك خير من الدخول فيه وأفتى بأنه مباح وقد صدق فيهما جميعا ومثل مالك فى منصبه إذا سمحت نفسه بالإنصاف والاعتراف فى مثل هذه النصيحة فتقوى أيضا نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لايحمله ذلك على المراءاة والمداهنة والتجاوز إلى المكروهات وأما غيره فلا يقدر عليه فالتعريج على التنعم بالمباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصية علماء الله تعالى الخشية وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر . ومنها أن يكون مستقصيا عن السلاطين فلايدخل عليهم ألبته مادام يجد إلى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغى أن يحترز عن مخالطتهم وإن جاءوا إليه فإن الدنيا حلوة خضرة وزمامها بأيدى السلاطين . والمخالط لايخلو عن تكلف فى طيب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع أنهم ظلمة . ويجب على كل متدين الإنكار عليهم وتضييق صدرهم بإظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم إما أن يلتفت إلى تجملهم فيزدرى نعمة الله عليه أو يسكت عن الإنكار عليهم فيكون مداهنا لهم أو يتكلف فى كلامه كلاما لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح أو أن يطمع فى أن ينال من دنياهم وذلك هو السحت وسيأتى فى كتاب الحلال والحرام مايجوز أن يؤخذ من أموال السلاطين ومالا يجوز من الإدرار والجوائز وغيرها . وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للشرور وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط . وقال صلى الله عليه وسلم « من بدا جفا - يعنى من سكن البادية جفا - ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن[1] » وقال صلى الله عليه وسلم « سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضى وتابع أبعده الله تعالى . قيل : أفلا نقاتلهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم : لاماصلوا[2] » وقال سفيان : فى جهنم واد لايسكنه إلا القراء الزائرون للملوك . وقال حذيفة : إياكم ومواقف الفتن ، قيل وما هى ؟ قال : أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول فيه ماليس فيه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « العلماء أمناء الرسل على عباد الله تعالى مالم يخالطوا السلاطين فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم[3] » رواه أنس . وقيل للأعمش : ولقد أحييت العلم لكثرة من يأخذه عنك فقال : لاتعجلوا ثلث ! يموتون قبل الإدراك وثلث يلزمون أبواب السلاطين فهم شر الخلق والثلث الباقى لايفلح منه إلا القليل . ولذلك قال سعيد بن المسيب رحمه الله : إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فاحترزوا منه فإنه لص . وقال الأوزاعى ما من شىء أبغض إلى الله تعالى من عالم يزور عاملا . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء[4] » وقال مكحول الدمشقى رحمه الله ، من تعلم القرآن وتفقه فى الدين ثم صحب السلطان تملقا إليه وطمعا فيما لديه خاض فى بحر من نار جهنم بعدد خطاه . وقال سمنون : ماأسمج بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلايوجد فيسئل عنه فيقال هو عند الأمير ! قال : وكنت أسمع أنه يقال إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك ؛ إذ مادخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسى بعد الخروج فأرى عليها الدرك وأنتم ترون ماألفاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت أن انجو من الدخول عليه كفافا مع أنى لاأخذ منه شيئا ولاأشرب له شربة ماء . ثم قال : وعلماء زماننا شر من علماء بنى إسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق

---

(١) حديث « من بدا جفا .. الحديث » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه والنسائى من حديث ابن عباس

(٢) حديث « سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون .. الحديث » أخرجه مسلم من حديث أم سلمة (٣) حديث أنس « العلماء أمناء الرسل على عباد الله .. الحديث » أخرجه العقيلى فى الضعفاء ، وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات .

(٤) حديث « شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء » أخرجه ابن ماجه بالشطر الأول نحوه من حديث أبى هريرة بسند ضعيف .

هواه ولو أخبروه بالذى عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم عليه وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم. وقال الحسن: كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم فى الإسلام وصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قال عبد الله بن المبارك عنى به سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ـ قال وكان لا يغشى السلاطين وينفر عنهم . فقال له بنوه : يأتى هؤلاء من ليس هو مثلك فى الصحبة والقدم فى الإسلام فلو أتيتهم ، فقال : يابنى آتى جيفة قد أحاط بها قوم والله لئن استطعت لأشاركهم فيها ؛ قالوا ياأبانا إذن نهلك هزالا قال ، يابنى لأن أموت مؤمنا مهزولا أحب إلى من أن أموت منافقا سمينا قال الحسن : خصمهم والله إذ علم أن التراب يأكل اللحم والسمن دون الإيمان . وفى هذا إشارة إلى أن الداخل على السلطان لايسلم من النفاق ألبتة وهو مضاد الإيمان . وقال أبو ذر لسلمة : يا سلمة لا تغش أبواب السلاطين فإنك لاتصيب شيئا من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه . وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لاسيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو ، إذ لا يزال الشيطان يلقى إليه : أن فى وعظك لهم ودخولك عليهم مايزجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع إلى أن يخيل إليه أن الدخول عليهم من الدين ، ثم إذا دخل لم يلبث أن يتلطف فى الكلام ويداهن ويخوض فى الثناء والإطراء وفيه هلاك الدين . وكان يقال : العلماء إذا علموا عملوا فإذا عملوا شغلوا فإذا شغلوا فقدوا فإذا فقدوا طلبوا فإذا طلبوا هربوا : وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى الحسن : أما بعد فأشر على بأقوام أستعين بهم على أمر الله تعالى . فكتب إليه : أما أهل الدين فلا يريدونك وأما أهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالأشراف فإنهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة . هذا فى عمر بن عبد العزيز رحمه الله وكان أزهد أهل زمانه ! فإذا كان شرط أهل الدين الهرب منه فكيف يستنسب طالب غيرهم ومخالطته ؟ ولم يزل السلف العلماء مثل الحسن والثورى وابن المبارك والفضيل وإبراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط يتكلمون فى علماء الدنيا من أهل مكة والشام وغيرهم إما لميلهم إلى الدنيا وإما لمخالطتهم السلاطين منها أن لايكون مسارعا إلى الفتيا بل يكون متوقفاً ومحترزاً ماوجد إلى الخلاص سبيلا . فإن سئل عما يعلمه تحقيقاً بنص كتاب الله أو بنص حديث أو إجماع أو قياس جلى أفتى ، وإن سئل عما يشك فيه قال : لاأدرى ! وإن سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره إن كان فى غيره غنية هذا هو الحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفى الخبر « العلم ثلاثة : كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدرى (١) » قال الشعبى : « لاأدرى » نصف العلم . ومن سكت حيث لايدرى لله تعالى فليس بأقل أجرا ممن نطق لأن الاعتراف بالجهل أشد على النفس فهكذا كانت عادة الصحابة والسلف رضى الله عنهم . كان ابن عمر إذا سئل عن الفتيا قال : اذهب إلى هذا الأمير الذى تقلد أمور الناس فضعها فى عنقه ؛ وقال ابن مسعود رضى الله عنه : إن الذى يفتى الناس فى كل مايستفتونه لمجنون ، وقال : جنة العالم « لاأدرى » فإن أخطأها فقد أصيبت مقاتله . وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله : ليس شىء أشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم ، يقول : انظروا إلى هذا سكوته أشد على من كلامه . ووصف بعضهم الأبدال فقال : أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة ؛ أى لايتكلمون حتى يسألوا وإذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا فإن اضطروا أجابوا وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام . ومر على وعبد الله رضى الله عنهما برجل يتكلم على الناس فقال : هذا يقول اعرفونى . وقال بعضهم : إنما العالم الذى إذا سئل عن المسئلة فكأنما يقلع ضرسه . وكان ابن عمر يقول : تريدون

(١) حديث « العلم ثلاثة : كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدرى » أخرجه الخطيب فى أسماء من روى عن مالك موقوفا على ابن عمر ولأبى داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا نحوه مع اختلاف وقد تقدم

أن تجعلونا جسرا تعبرون علينا إلى جهنم . وقال أبو حفص النيسابوري : العالم هو الذي يخاف عند السؤال أن يقال له يوم القيامة من أين أجبت ؟ وكان إبراهيم التيمي إذا سئل عن مسئلة يبكي ويقول : لم تجدوا غيري حتى احتجتم إلي . وكان أبو العالية الرياحي وإبراهيم بن أدهم والثوري يتكلمون على الاثنين والثلاثة والنفر اليسير فإذا كثروا انصرفوا . وقال صلى الله عليه وسلم « ماأدري أعزير نبي أم لا ؟ وماأدري أتبع ملعون أم لا ؟ وماأدري ذو القرنين نبي أم لا ؟ [1] » ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خير البقاع في الأرض وشرها قال « لاأدري » حتى نزل عليه جبريل عليه السلام فسأله فقال « لا أدري » إلى أن أعلمه الله عز وجل أن خير البقاع المساجد وشرها الأسواق [2] » وكان ابن عمر رضي الله عنهما يسئل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع . وكان ابن عباس رضي الله عنهما يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة . وكان في الفقهاء من يقول « لاأدري » أكثر ممن يقول « أدري » منهم سفيان الثوري ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل والفضيل ابن عياض وبشر بن الحرث . وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى : أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم أحد يسئل عن حديث أو فتيا إلا ود أن أخاه كفاه ذلك . وفي لفظ آخر : كانت المسئلة تعرض على أحدهم فيردها إلى الآخر ويردها الآخر إلى الآخر حتى تعود إلى الأول وروى أن أصحاب الصفة أهدى إلى واحد منهم رأس مشوي وهو في غاية الضر فأهداه إلى الآخر وأهداه الآخر إلى الآخر ؛ هكذا دار بينهم حتى رجع إلى الأول . فانظر الآن كيف انعكس أمر العلماء فصار المهروب منه مطلوبا والمطلوب مهروبا عنه ؟ ويشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتاوى ما روى مسندا عن بعضهم . أنه قال : لايفتي الناس إلا ثلاثة : أمير أو مأمور أو متكلف . وقال بعضهم : كان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء ؛ الإمامة والوصية والوديعة والفتيا . وقال بعضهم : كان أسرعهم إلى الفتيا أقلهم علما واشدهم دفعا لها أورعهم . وكان شغل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في خمسة أشياء : قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وذلك لما سمعوه من قوله صلى الله عليه وسلم « كل كلام ابن آدم عليه لاله إلا ثلاثة : أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله تعالى [3] » وقال تعالى ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴾ الآية . ورأى بعض العلماء بعض أصحاب الرأي من أهل الكوفة في المنام فقال : مارأيت فيما كنت عليه من الفتيا والرأي ؟ فكره وجهه وأعرض عنه وقال : ماوجدناه شيئا وماحمدنا عاقبته . وقال ابن حصين : إن أحدهم ليفتي في مسئلة لو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها اهل بدر . فلم يزل السكوت دأب أهل العلم إلا عند الضرورة . وفي الحديث « إذا رأيتم الرجل قد أوتي صمتا وزهدا فاقتربوا منه فإنه يلقن الحكمة [4] » وقيل العالم إما عالم عامة وهو المفتي وهم أصحاب السلاطين أو عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد وأعمال القلوب ، وهم أصحاب الزوايا المتفرقون المنفردون . وكان يقال : مثل أحمد بن حنبل مثل دجلة كل احد يغترف منها ، ومثل بشر بن الحرث مثل بئر عذبة مغطاة لايقصدها إلا واحد بعد واحد . وكانوا يقولون : فلان عالم

---

(١) حديث « ما أدري أعزير نبي أم لا .. الحديث » أخرجه أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة

(٢) حديث « لما سئل عن خير البقاع وشرها قال لا أدري حتى نزل جبريل .. الحديث » أخرجه أحمد وأبو يعلى والبزار والحاكم وصححه ونحوه من حديث ابن عمر

(٣) حديث « كل كلام ابن آدم عليه لاله إلا ثلاثة .. الحديث » أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أم حبيبة قال الترمذي حديث غريب

(٤) حديث « إن رأيتم الرجل قد أوتي صمتا وزهدا .. الحديث أخرجه ابن ماجه من حديث ابن خلاد بإسناد ضعيف.

وفلان متكلم وفلان أكثر كلاما وفلان أكثر عملا ، وقال أبو سليمان : المعرفة إلى السكوت أقرب منها إلى الكلام وقيل : إذا كثر العلم قل الكلام وإذا كثر الكلام قل العلم وكتب سلمان إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما ـ وكان قد آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] . يا أخي بلغني أنك قعدت طبيبا تداوي المرضى ، فانظر فان كنت طبيبا فتكلم فإن كلامك شفاء وإن كنت متطبيا فالله الله لاتقتل مسلما . فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك إذا سئل وكان أنس رضي الله عنه إذا سئل يقول : سلوا مولانا الحسن . وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا سئل يقول : سلوا حارثة ابن زيد وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : سلوا سعيد بن المسيب . وحكى أنه روى صحابي في حضرة الحسن عشرين حديثاً فسئل عن تفسيرها فقال : ماعندي إلا ماروبت ، فأخذ الحسن في تفسيرها حديثا حديثا ، فتعجبوا من حسن تفسيره وحفظه ! فأخذ الصحابي كفا من حصى ورماهم به وقال : تسألوني عن العلم وهذا الحبر بين أظهركم ومنها أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة تفضي إلى المشاهدة ، ودقائق علوم القلب تنفجر بها ينابيع الحكمة من القلب ، وأما الكتب والتعليم فلا تفي بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد إنما تتفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الأعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله عز وجل في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكرة والانقطاع إلى الله تعالى عما سواه فذلك مفتاح الإلهام ومنبع الكشف ، فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة ، وكم من مقتصر على المهم في التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ماتحار فيه عقول ذوي الألباب ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم[2] » وفي بعض الكتب السالفة : يابني إسرائيل لاتقولوا العلم في السماء من ينزل به إلى الأرض ولا في تخوم الأرض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر به ، العلم مجعول في قلوبكم تأدبوا بين يدي بآداب الروحانيين وتخلقوا لي بأخلاق الصديقين أظهر العلم في قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم . وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله : خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء . ثم تلا قوله تعالى (وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو) الآية ولولا أن إدراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال صلى الله عليه وسلم « استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك » وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى « لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به[3] . . . الحديث » فكم من معان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب المتجردين للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين وإذا انكشف ذلك للمريد المراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية وألطاف الله تعالى بالهمم العالية المتوجهة اليه . وكذلك في علوم المكاشفة وأسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب فان كل علم من هذه العلوم بحر لايدرك عمقه وإنما يخوضه كل طالب بقدر مارزق منه وبحسب ما وفق له من حسن العمل وفي وصف هؤلاء العلماء قال علي رضي الله عنه في حديث طويل . القلوب أوعية وخيرها أوعاها للخير ، والناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع اتباع لكل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا

---

(١) حديث « مؤاخاته صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء » أخرجه البخاري من حديث أبي جحيفة

(٢) حديث « من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم » أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وضعفه (٣) حديث « لايزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا » متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ « سمعه وبصره » وهو في الحلية كما ذكره المؤلف من حديث أنس بسند ضعيف

بنور العلم ولم يلجئوا الى ركن وثيق ، العلم خير من المال ، العلم يحرسك وانت تحرس المال . والعلم يزكو على الإنفاق والمال ينقصه الإنفاق ، والعلم دين يدان به تكتسب به الطاعة فى حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته ؛ العلم حاكم والمال محكوم عليه ، ومنفعة المال تزول بزواله مات ، خزان الأموال وهم احياء والعلماء احياء باقون مابقى الدهر ، ثم تنفس الصعداء وقال . هاه إن ههنا علما جما لو وجدت له حملة ، بل اجد طالبا غير مأمون يستعمل آلة الدين فى طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله على اوليائه ويستظهر بحجته على خلقه ، او منقادا لأهل الحق لكن ينزرع الشك فى قلبه بأول عارض من شبهة لابصيرة له لاذا ولا ذاك ؛ أو منهوما باللذات سلس القياد فى طلب الشهوات ، أو مغرى بجمع الأموال والادخار منقاداً لهواه أقرب شبها بهم الأنعام السائمة ؛ اللهم هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه ثم لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهر مكشوف وإما خائف مقهور لكيلا تبطل حجج الله تعالى وبيناته وكم وأين أولئك ؟ هم الأقلون عدداً الأعظمون قدراً أعيانهم مفقودة وامثالهم فى القلوب موجودة يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها من وراءهم ويزرعوها فى قلوب أشباههم : هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه الغافلون، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك أولياء الله عز وجل من خلقه وأمناؤه وعماله فى أرضه والدعاة إلى دينه ثم بكى وقال : واشوقاه إلى رؤيتهم فهذا الذى ذكره أخيراً هو وصف علماء الآخرة وهو العلم الذى يستفاد أكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة .

ومنها أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين فإن اليقين هو رأس مال الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اليقين الإيمان كله »[1] ، فلا بد من تعلم علم اليقين أعنى أوائله ثم ينفتح للقلب طريقه ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « تعلموا اليقين »[2] ، ومعناه جالسوا الموقنين واستمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوى يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير من العمل . وقال صلى الله عليه وسلم « لما قيل له : رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد فى العبادة قليل اليقين ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما من آدمى إلا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لأنه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة »[3] ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن من أفل ما أوتيتم : اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال مافاته من قيام الليل وصيام النهار »[4] ، وفى وصية لقمان لابنه يابنى لايستطاع العمل إلا باليقين ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه ، وقال يحيى بن معاذ إن للتوحيد نوراً وللشرك ناراً ، وإن نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين ، وأراد به اليقين ، وقد أشار الله تعالى فى القرآن إلى ذكر الموقنين فى مواضع دل بها على أن اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات ، فان قلت : فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه أولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فان مالا تفهم صورته لايمكن طلبه ؟ فاعلم أن اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين أما النظار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك إذ ميل النفس إلى التصديق بالشىء له أربع مقامات ، الأول أن يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك ، كما إذا سئلت عن

---

(١) حديث « اليقين الايمان كله » اخرجه البيهقى فى الزهد والخطيب فى التاريخ من حديث ابن مسعود باسناد حسن

(٢) حديث « تعلموا اليقين » اخرجه ابو نعيم من رواية ثور بن يزيد مرسلا وهو معضل رواه ابن أبى الدنيا فى اليقين من قول خالد بن معدان (٣) حديث (قيل له : رجل حسن اليقين كثير الذنوب) أخرجه الترمذى الحكيم فى النوادر من حديث أنس باسناد مظلم (٤) حديث (من أول ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر .. الحديث) لم أقف له على أصل ، وروى ابن عبد البر من حديث معاذ (ما أنزل الله شيئا أقل من اليقين ولا قسم شيئا بين الناس أقل من الحلم) الحديث .

شخص معين ، أن الله تعالى يعاقبه أم لا ؟ وهو مجهول الحال عندك فإن نفسك لاتميل إلى الحكم فيه بإثبات ولا نفى بل يستوى عندك إمكان الأمرين فيسمى هذا شكا . الثانى . أن تميل نفسك إلى أحد الأمرين مع الشعور بإمكان نقيضه ولكنه إمكان لايمنع ترجيح الأول ، كما إذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى أنه بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب ؟ فإن نفسك تميل إلى أنه لا يعاقب أكثر من ميلها إلى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح . ومع هذا فأنت تجوز اختفاء أمر موجب للعقاب فى باطنه وسريرته فهذا التجويز مساو لذلك الميل ولكنه غير دافع رجحانه فهذه الحالة تسمى ظنا . الثالث : أن تميل النفس إلى التصديق بشىء بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال غيره ولو خطر بالبال تأبى النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك مع معرفة محققة إذ لو أحسن صاحب هذا المقام التأمل والإصغاء إلى التشكيك والتجويز اتسعت نفسه للتجويز ، وهذا يسمى اعتقاداً مقارباً لليقين وهو اعتقاد العوام فى الشرعيات كلها إذ رسخ فى نفوسهم بمجرد السماع حتى إن كل فرقة تثق بصحة مذهبها وإصابة إمامها ومتبوعها ، ولو ذكر لأحدهم إمكان خطأ إمامه نفر عن قبوله . الرابع . المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذى لا يشك فيه ولا يتصور الشك فيه فاذا امتنع وجود الشك وإمكانه يسمى يقينا عند هؤلاء ، ومثاله أنه إذا قيل للعاقل هل فى الوجود شىء هو قديم ؟ فلا يمكنه التصديق به بالبديهة لأن القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فإنه يصدق بوجودهما بالحس وليس العلم بوجوده شىء قديم أزلى ضرورياً مثل العلم بأن الاثنين أكثر من الواحد ومثل العلم بأن حدوث حادث بلا سبب محال ، فان هذا أيضا ضرورى لحق غريزة العقل أن تتوقف عن التصديق بوجود القديم على الارتجال والبديهة ، ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقا جزما ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام . ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو أن يقال له . إن لم يكن فى الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة فإن كانت كلها حادثة فهى حادثة بلا سبب أو فيها حادث بلا سبب وذلك محال ، فالمؤدى إلى المحال محال ، فيلزم فى العقل التصديق بوجود شىء قديم بالضرورة لأن الأقسام ثلاثة . وهى أن تكون الموجودات كلها قديمة أو كلها حادثة أو بعضها قديمة وبعضها حادثة فان كانت كلها قديمة فقد حصل المطلوب إذ ثبت على الجملة قديم ، وإن كان الكل حادثا فهو محال إذ يؤدى إلى حدوث بغير سبب فيثبت القسم الثالث أو الأول . وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا عند هؤلاء سواء حصل بنظر مثل ماذكرناه أو حصل بحس أو بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب أو بتواتر ، كالعلم بوجود مكة أو بتجربة كالعلم بأن السقمونيا المطبوخ مسهل أو بدليل كما ذكرنا فشرط إطلاق هذا الاسم عندهم عدم الشك فكل علم لا شك فيه يسمى يقينا عند هؤلاء وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف إذ لاتفاوت فى نفى الشك . الاصطلاح الثانى اصطلاح الفقهاء والمتصوفة وأكثر العلماء وهو أن لا يلتفت فيه إلى اعتبار التجويز والشك بل إلى استيلائه وغلبته على العقل : حتى يقال . فلان ضعيف اليقين بالموت مع أنه لاشك فيه ؛ ويقال : فلان قوى اليقين فى إتيان الرزق مع أنه قد يجوز أنه لايأتيه ، فهما مالت النفس إلى التصديق بشىء وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف فى النفس بالتجويز والمنع سمى ذلك يقينا ولا شك فى أن الناس يشتركون فى القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ، ولكن فيهم من لا يلتفت اليه ولا إلى الاستعداد له وكأنه غير موقن به . ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق جميع همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ، ولذلك قال بعضهم . مارأيت يقينا لاشك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من

الموت ، وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحن إنما أردنا بقولنا « إن من شأن علماء الآخرة صرف العناية إلى تقوية اليقين » بالمعنيين جميعا وهو نفى الشك ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكم عليها المتصرف فيها . فاذا فهمت هذا علمت أن المراد من قولنا « إن اليقين ينقسم ثلاثة أقسام » بالقوة والضعف والكثرة والقلة والخفاء والجلاء ، فأما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثانى وذلك فى الغلبة والاستيلاء على القلب ودرجات معانى اليقين فى القوة والضعف لاتتناهى وتفاوت الخلق فى الاستعداد للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعانى وأما التفاوت بالخفاء والجلاء فى الاصطلاح الأول فلا ينكر أيضاً ، أما فيما يتطرق إليه التجويز فلا ينكر - أعنى الاصطلاح الثانى - وفيما انتفى الشك أيضا عنه لاسبيل إلى إنكاره فإنك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود فدك مثلا وبين تصديقك بوجود موسى ووجود يوشع عليهما السلام مع أنك لا تشك فى الأمرين جميعا فمستندهما جميعا التواتر ، ولكن ترى أحدهما أجلى وأوضح فى قلبك من الثانى لأن السبب فى أحدهما أقوى وهو كثرة المخبرين ، وكذلك يدرك الناظر هذا فى النظريات المعروفة بالأدلة فانه ليس وضوح مالاح له بدليل واحد كوضوح مالاح له بالأدلة الكثيرة مع تساويهما فى نفى الشك ، وهذا قد ينكره المتكلم الذى يأخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الأحوال . وأما القلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين ، كما يقال : فلان أكثر علما من فلان ، أى معلوماته أكثر . ولذلك قد يكون العالم قوى اليقين فى جميع ماورد الشرع به وقد يكون قوى اليقين فى بعضه » فإن قلت : قد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته وقلته وجلاءه وخفاءه بمعنى نفى الشك أو بمعنى الاستيلاء على القلب فما معنى متعلقات اليقين ومجاريه وفيماذا يطلب اليقين فإنى مالم أعرف ما يطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه ؟ فاعلم أن جميع ماورد به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من أوله إلى آخره هو من مجارى اليقين فإن اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقه المعلومات التى وردت بها الشرائع فلا مطمع فى إحصائها ولكنى أشير إلى بعضها وهى أمهاتها . فمن ذلك : التوحيد . وهو أن يرى الأشياء كلها من مسبب الأسباب ولا يلتفت إلى الوسائط بل يرى الوسائط مسخرة لاحكم لها فالمصدق بهذا موقن ، فإن انتفى عن قلبه مع الإيمان إمكان الشك فهو مرقن بأحد المعنيين ، فان غلب على قلبه مع الإيمان غلبة أزالت عنه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم ونزل الوسائط فى قلبه منزلة القلم واليد فى حق المنعم بالتوقيع فانه لايشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما آلتين مسخرتين وواسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثانى وهو الإشراف ، وهو ثمرة اليقين الأول وروحه وفائدته . ومهما تحقق أن الشمس والنجوم والجمادات والنبات والحيوان وكل مخلوق فهى مسخرات بأمره حسب تسخير القلم فى يد الكاتب وأن القدرة الأزلية هى المصدر للكل استولى على قلبه غلبة التوكل والرضا والتسليم وصار موقنا بريئا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق ، فهذا أحد أبواب اليقين . ومن ذلك : الثقة بضمان الله سبحانه بالرزق فى قوله تعالى ﴿وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها﴾ واليقين بأن ذلك يأتيه وأن ماقدر له سيساق اليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا فى الطلب ولم يشتد حرصه وشرهه وتأسفه على ما فاته ، وأثمر هذا اليقين أيضا جملة من الطاعات والأخلاق الحميدة . ومن ذلك : أن يغلب على قلبه أن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات إلى الثواب كنسبة الخبز إلى الشبع ، ونسبة المعاصى إلى العقاب كنسبة السموم والأفاعى إلى الهلاك فكما يحرص على التحصيل للخبز طلبا للشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعات كلها قليلها

وكثيرها ، وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها فكذلك يجتنب المعاصى قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها ؛ فاليقين بالمعنى الأول قد يوجد لعموم المؤمنين أما بالمعنى الثانى فيختص به المقربون ، وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة فى الحركات والسكنات الخطرات والمبالغة فى التقوى والتحرز عن كل السيئات ، وكلما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشد والتشمير أبلغ . ومن ذلك ؛ اليقين بأن الله تعالى مطلع عليك فى كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك فهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الأول وهو عدم الشك وأما بالمعنى الثانى وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون ، وثمرته أن يكون الإنسان فى خلوته متأدباً فى جميع أحواله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر إليه فإنه لايزال مطرقا متأدباً فى جميع أعماله متماسكا محترزاً عن كل حركة تخالف هيئة الأدب ويكون فى فكرته الباطنة كهو فى أعماله الظاهرة إذ يتحقق أن الله تعالى مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره فتكون مبالغته فى عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بعين الله تعالى الكائنة أشد من مبالغته فى تزيين ظاهره لسائر الناس ، وهذا المقام فى اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الأخلاق المحمودة ، وهذه الأخلاق تورث أنواعا من الطاعات رفيعة فاليقين فى كل باب من هذه الأبواب مثل الشجرة وهذه الأخلاق فى القلب مثل الأغصان المتفرعة منها وهذه الأعمال والطاعات الصادرة من الأخلاق كالثمار وكالأنوار المتفرعة من الأغصان فاليقين هو الأصل والأساس وله مجار وأبواب أكثر مما عددناه ، وسيأتى ذلك فى ربع المنجيات إن شاء الله تعالى . وهذا القدر كاف فى معنى اللفظ الآن . ومنها أن يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر أثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته لا ينظر إليه ناظر إلا وكان نظره مذكرا لله تعالى وكانت صورته دليلا على عمله فالجواد عينه مرآته وعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم فى السكينة والذلة والتواضع ، وقد قيل ماألبس الله عبدا لبسة أحسن من خشوع فى سكينة فهى لبسة الأنبياء وسيما الصالحين والصديقين والعلماء وأما التهافت فى الكلام والتشدق والاستغراق فى الضحك والحدة فى الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطر والأمن والغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه وهو دأب أبناء الدنيا الغافلين عن الله دون العلماء به ، وهذا لأن العلماء ثلاثة كما قال سهل التسترى رحمه الله : عالم بأمر الله تعالى لابأيام الله وهم المفتون فى الحلال والحرام وهذا العلم لايورث الخشية ، وعالم بالله تعالى لابأمر الله ولا بأيام الله وهم عموم المؤمنين ، وعالم بالله تعالى وبأمر الله تعالى وبأيام الله تعالى وهم الصديقون ، والخشية والخشوع إنما تغلب عليهم ، وأراد بأيام الله أنواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التى أفاضها على القرون السالفة واللاحقة فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه . وقال عمر رضى الله عنه : تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولاتكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم . ويقال ما آتى الله عبدا علما إلا آتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورفقا فذلك هو العلم النافع . وفى الأثر : من آتاه الله علما وزهدا وتواضعا وحسن خلق فهو إمام المتقين . وفى الخبر « إن من خيار أمتى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من خوف عذابه ، أبدانهم فى الأرض وقلوبهم فى السماء ، أرواحهم فى الدنيا وعقولهم فى الآخرة ، يتمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة [1] » ، وقال الحسن : الحلم وزير العلم والرفق أبوه والتواضع سرباله . وقال بشر بن الحارث من طلب

(١) حديث « إن من خيار أمتى قوماً يضحكون جهراً من سعة رحمة الله ويبكون سراً من خوف عذابه .. الحديث » أخرجه الحاكم والبيهقى فى شعب الإيمان وضعفه من حديث عياش بن سليمان

الرياسة بالعلم فتقرب إلى الله تعالى ببغضه فإنه ممقوت فى السماء والأرض . ويروى فى الإسرائيليات أن حكيما صنف ثلاثمائة وستين مصنفا فى الحكمة حتى وصف بالحكيم فأوحى الله تعالى إلى نبيهم . قل لفلان قد ملأت الأرض نفاقا ولم تردنى من ذلك بشىء وإنى لا أقبل من نفاقك شيئا . فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة فى الأسواق وواكل بنى إسرائيل وتواضع فى نفسه فأوحى الله تعالى إلى نبيهم : قل له الآن وفقت لرضاى . وحكى الأوزاعى رحمه الله عن بلال بن سعد : أنه كان يقول ينظر أحدكم إلى الشرطى فيستعيذ بالله منه وينظر إلى علما الدنيا المتصنعين للخلق المتشوفين إلى الرياسة فلا يمقتهم وهم أحق بالمقت من ذلك الشرطى . وروى أنه قيل « يارسول الله أى الأعمال أفضل ؟ قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله تعالى ، قيل : فأى الأصحاب خير ؟ قال صلى الله عليه وسلم صاحب إن ذكرت الله أعانك وإن نسيته ذكرك ، قيل : فأى الأصحاب شر ؟ قال صلى الله عليه وسلم : صاحب إن نسيت لم يذكرك وإن ذكرت لم يعنك ، قيل : فأى الناس أعلم ؟ قال : أشدهم لله خشية ، قيل : فأخبرنا بخيارنا نجالسهم ، قال صلى الله عليه وسلم : الذين إذا رؤوا ذكر الله، قيل : فأى الناس شر ؟ قال : اللهم غفرا ، قالوا : أخبرنا يارسول الله قال: العلماء إذا فسدوا [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أكثر الناس أمانا يوم القيامة أكثرهم فكرا فى الدنيا وأكثر الناس ضحكا فى الآخرة أكثرهم بكاء فى الدنيا وأشد الناس فرحا فى الآخرة أطولهم حزنا فى الدنيا [2] » وقال على رضى الله عنه فى خطبة له : ذمتى رهينة وأنا به زعيم إنه لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على الهدى سنخ أصل ، وإن أجهل الناس من لا يعرف قدره ، وإن أبغض الخلق إلى الله تعالى رجل قمش علما أغار به فى أغباش الفتنة سماه أشباه له من الناس وأرذالهم عالما ولم يعش فى العلم يوما سالما ، تكثر واستكثر فما قل منه وكفى خير مما كثر وألهى حتى إذا ارتوى من ماء آجن وأكثر من غير طائل جلس للناس معلما لتخليص ما التبس على غيره ، فإن نزلت به إحدى المهمات هيأ لها من رأيه حشو الرأى فهو من قطع الشبهات فى مثل نسج العنكبوت لا يدرى أخطأ أم أصاب ؟ ركاب جهالات خباط عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم ، تبكى منه الدماء وتستحل بقضائه الفروج الحرام لا ملىء والله بإصدار ما ورد عليه ولا هو أهل لما فوض إليه أولئك الذين حلت عليهم المثلات وحقت عليهم النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا . وقال على رضى الله عنه : إذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب . وقال بعض السلف : العالم إذا ضحك ضحكة مج من العلم مجة . وقيل : إذا جمع المعلم ثلاثا تمت النعمة بها على المتعلم : الصبر والتواضع وحسن الخلق . وإذا جمع المتعلم ثلاثا تمت النعمة بها على المعلم : العقل والأدب وحسن الفهم . وعلى الجملة فالأخلاق التى ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة لأنهم يتعلمون القرآن للعمل لا للرياسة . وقال ابن عمر رضى الله عنهما : لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وأوامرها وزواجرها وما ينبغى أن يقف عنده منها ، ولقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدرى ما آمره وما زاجره وما ينبغى ان يقف عنده ينثره الدقل [3] . وفى خبر آخر بمثل معناه : كنا اصحاب رسول الله صلى الله

---

(١) حديث « قيل يارسول الله أى الأعمال افضل » قال : اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله . . الحديث » لم أجده هكذا بطوله ، وفى زيادات الزهد لابن المبارك من حديث الحسن مرسلا « سئل النبى صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أفضل . قال : أن تموت يوم تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى » وللدارمى من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا « ألا إن شر الشر شرار العلماء وإن خير الخير خيار العلماء » وقد تقدم . (٢) حديث « إن أكثر الناس أمنا يوم القيامة أكثرهم خوفا فى الدنيا . . الحديث » لم أجد له أصلا (٣) حديث ابن عمر « لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن الحديث » أخرجه الحاكم وصححه على شرط الشيخين والبيهقى

عليه وسلم أوتينا الإيمان قبل القرآن وستأتى بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الإيمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده وحقوقه يقولون قرأنا فمن أقرأ منا وعلمنا فمن أعلم منا ؟ فذلك حظهم [1] . وفى لفظ أولئك شرار هذه الأمة . وقيل خمس من الأخلاق هى من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات من كتاب الله عز وجل : الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وإيثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد ، فأما الخشية فمن قوله تعالى ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وأما الخشوع فمن قوله تعالى ﴿ خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا ﴾ وأما التواضع فمن قوله تعالى ﴿ واخفض جناحك للمؤمنين ﴾ وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ﴾ وأما الزهد فمن قوله تعالى ﴿ وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ﴾ ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ فقيل له ما هذا الشرح ؟ فقال «إن النور إذا قذف فى القلب انشرح له الصدر وانفسح» قيل : فهل لذلك من علامة ؟ قال صلى الله عليه وسلم « نعم التجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله [2] » ومنها أن يكون أكثر بحثه عن علم الأعمال وعما يفسدها ويشوش القلوب ويهيج الوسواس ويثير الشر فإن أصل الدين التوقى من الشر ولذلك قيل :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

ولأن الأعمال الفعلية قريبة وأقصاها بل أعلاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان وإنما الشأن فى معرفة ما يفسدها ويشوشها وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفريعه ، وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة إليه وتعم به البلوى فى سلوك طريق الآخرة ، وأما علماء الدنيا فإنهم يتبعون غرائب التفريعات فى الحكومات والأقضية ويتعبون فى وضع صور تنقضى الدهور ولا تقع أبدا ، وإن وقعت فإنما تقع لغيرهم لا لهم ، وإذا وقعت كان فى القائمين بها كثرة ، ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم آناء الليل وأطراف النهار فى خواطرهم ووساوسهم وأعمالهم ، وما أبعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر إيثارا للتقرب والقبول من الخلق على التقرب من الله سبحانه . وشرها فى أن يسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق وجزاؤه من الله أن لا ينتفع فى الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين ، ولقد كان الحسن البصرى رحمه الله أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأقربهم هديا من الصحابة رضى الله عنهم اتفقت الكلمة فى حقه على ذلك وكان أكثر كلامه فى خواطر القلوب وفساد الأعمال ووساس النفوس والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس ؛ وقد قيل له ؛ يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن أين أخذته ؟ قال : من حذيفة بن اليمان . وقيل لحذيفة : نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته ؟ قال : خصنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسبقنى علمه [3] وقال مرة : فعلمت أن من

---

(١) حديث « كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الإيمان قبل القرآن .. الحديث » أخرجه ابن ماجه من حديث جندب مختصراً مع اختلاف (٢) حديث « لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) .. الحديث » أخرجه الحاكم والبيهقى فى الزهد من حديث ابن مسعود

(٣) حديث حذيفة « كان الناس يسألون رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر .. الحديث » أخرجاه مختصراً .

لا يعرف الشر لا يعرف الخير . وفى لفظ آخر : كانوا يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا ؟ يسألونه عن فضائل الأعمال وكنت أقول يارسول الله مايفسد كذا وكذا ؟ فلما رآنى أسأله عن آفات الأعمال خصنى بهذا العلم . وكان حذيفة رضى الله عنه أيضا قد خص بعلم المنافقين وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن ، فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضى الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة ، وكان يسأل عن المنافقين فيخبر بعدد من بقى منهم ولا يخبر بأسمائهم ، وكان عمر رضى الله عنه يسأل عن نفسه هل يعلم فيه شيئا من النفاق ؟ فبرأه من ذلك ، وكان عمر رضى الله عنه إذا دعى إلى جنازة ليصلى عليها نظر فإن حضر حذيفة صلى عليها وإلا ترك ، وكان يسمى صاحب السر . فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة لأن القلب هو الساعى إلى قرب الله تعالى وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا وإذا تعرض العالم لشىء منه استغرب واستبعد وقيل هذا تزويق المذكرين فأين التحقيق ؟ ويرون أن التحقيق فى دقائق المجادلات ولقد صدق من قال :

الطرق شتى وطرق الحق مفردة والسالكون طريق الحق أفراد
لا يعرفون ولا تدرى مقاصدهم فهم على مهل يمشون قصاد
والناس فى غفلة عما يراد بهم لجهلهم عن سبيل الحق رقاد

وعلى الجملة فلا يميل أكثر الخلق إلا إلى الأسهل والأوفق لطباعهم فإن الحق مر والوقوف عليه صعب وإدراكه شديد وطريقه مستوعر ولا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق المذمومة فإن ذلك نزع للروح على الدوام ، وصاحبه ينزل منزلة الشارب للدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه فهو يقاسى الشدائد ليكون فطره عند الموت ، ومتى تكثر الرغبة فى هذا الطريق ؟ ولذلك قيل : إنه كان فى البصرة مائة وعشرين متكلما فى الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم فى علم اليقين وأحوال القلوب وصفات الباطن إلا ثلاثة منهم ـ سهل التسترى والصبيحى وعبد الرحيم ـ وكان يجلس إلى أولئك الخلق الكثير الذى لا يحصى وإلى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة ، لأن النفيس العزيز لا يصلح إلا لأهل الخصوص وما يبذل للعموم فأمره قريب . ومنها أن يكون اعتماده فى علومه على بصيرته وإدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وإنما المقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما أمر به وقاله وإنما يقلد الصحابة رضى الله عنهم من حيث إن فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم إذا قلد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فى تلقى أقواله وأفعاله بالقبول فينبغى أن يكون حريصا على فهم أسراره فإن المقلد إنما يفعل الفعل لأن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فعله ، وفعله لا بد وأن يكون لسر فيه فينبغى أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال فإنه إن اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولا يكون عالما . ولذلك كان يقال : فلان من أوعية العلم ؛ فلا يسمى عالما إذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والأسرار . ومن كشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار فى نفسه متبوعا مقلدا فلا ينبغى أن يقلد غيره . ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما : ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على أبى بن كعب ثم خالفهما فى الفقه

(١) حديث ابن عباس « ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم » أخرجه الطبرانى من حديثه يرفعه بلفظة « من قوله ويدع »

والقراءة جميعا . وقال بعض السلف : ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة رضى الله عنهم فنأخذ منه ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال : وإنما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق قلوبهم أمورا أدركت بالقرائن فسددهم ذلك إلى الصواب من حيث لا يدخل فى الرواية والعبارة إذ فاض عليهم من نور النبوة مايحرسهم فى الأكثر عن الخطأ . وإذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليداً غير مرضى فالاعتماد على الكتب والتصانيف أبعد . بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها فى زمن الصحابة وصدر التابعين وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجملة التابعين رضى الله عنهم وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين ؛ بل كان الأولون يكرهون كتب الأحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر وقالوا : احفظوا كما كنا نحفظ . ولذلك كره أبو بكر وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم تصحيف القرآن فى مصحف وقالوا : كيف نفعل شيئاً ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا : نترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والإقراء ليكون هذا شغلهم وهمهم ، حتى أشار عمر رضى الله عنه وبقية الصحابة بكتب القرآن خوفا من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذراً من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع إليه فى كلمة أو قراءة من المتشابهات فانشرح صدر أبى بكر رضى الله عنه لذلك لجمع القرآن فى مصحف واحد . وكان أحمد بن حنبل ينكر على مالك فى تصنيفه الموطأ ويقول : ابتدع ما لم تفعله الصحابة رضى الله عنهم وقيل : أول كتاب صنف فى الإسلام كتاب ابن جريج فى الآثار وحروف التفاسير عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس رضى الله عنهم بمكة . ثم كتاب معمر بن راشد الصنعانى باليمن جمع فيه سننا مأثورة نبوية ، ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس ، ثم جامع سفيان الثورى . ثم فى القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض فى الجدال والغوص فى إبطال المقالات ، ثم مال الناس إليه وإلى القصص والوعظ بها فأخذ علم اليقين فى الاندراس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان وأعرض عن ذلك إلا الأقلون ، فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالما ، وهذا لأن العوام هم المستمعون إليهم فكان لا يتميز لهم حقيقة العلم من غيره ، ولم تكن سيرة الصحابة رضى الله عنهم وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث اللقب خلف عن سلف وأصبح علم الآخرة مطويا ، وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام إلا عن الخواص منهم كانوا إذا قيل لهم ؛ فلان أعلم أم فلان ؟ يقولون : فلان أكثر علما وفلان أكثر كلاما . فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام . هكذا ضعف الدين فى قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا ؟ وقد انتهى الأمر إلى أن مظهر الإنكار يستهدف لنسبته إلى الجنون فالأولى أن يشتغل الإنسان بنفسه ويسكت . ومنها أن يكون شديد التوقى من محدثات الأمور وإن اتفق عليها الجمهور فلا يغرنه إطباق الخلق على ماأحدث بعد الصحابة رضى الله عنهم وليكن حريصا على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم وما كان فيه أكثر همهم اكان فى التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية وتولى الأوقاف والوصايا واكل مال الأيتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم فى العشرة ؟ ام كان فى الخوف والحزن والتفكر المجاهدة ومراقبة الظاهر والباطن واجتناب دقيق الإثم وجليله والحرص على إدراك خفايا شهوات النفوس ومكايد الشيطان إلى غير ذلك

من علوم الباطن ؟ واعلم تحقيقاً أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق السلف فهم أخذ الدين . ولذلك قال على رضى الله عنه « خيرنا أتبعنا لهذا الدين » لما قيل له : خالفت فلانا . فلا ينبغى أن يكترث بمخالفة أهل العصر فى موافقة أهل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الناس رأوا رأيا فيما هم فيه لميل طباعهم إليه ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف بأن ذلك سبب الحرمان من الجنة فادعوا أنه لا سبيل إلى الجنة سواه . ولذلك قال الحسن : محدثان أحدثا فى الإسلام : رجل ذو رأى سيئ زعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيه ، ومترف يعبد الدنيا لها يغضب ولها يرضى وإياها يطلب فارفضوهما إلى النار . وإن رجلا أصبح فى هذه الدنيا بين مترف يدعوه إلى دنياه وصاحب هوى يدعوه إلى هواه وقد عصمه الله تعالى منهما يحن إلى السلف الصالح يسأل عن أفعالهم ويقتفى آثارهم متعرض لأجر عظيم فكذلك كونوا . وقد روى عن ابن مسعود موقوفا ومسندا أنه قال : « إنما هما اثنتان الكلام والهدى ، فأحسن الكلام كلام الله تعالى ، وأحسن الهدى هدى رسول الله تعالى صلى الله عليه وآله وسلم ، ألا وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن شر الأمور محدثاتها ، وإن كل محدثة بدعة ، وإن كل بدعة ضلالة ، ألا لا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم ، ألا كل ماهو آت قريب ، ألا إن البعيد ما ليس بآت[1] » وفى خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط أهل الفقه والحكم وجانب أهل الزلل والمعصية ، طوبى لمن ذل فى نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره ، طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها إلى بدعة[2] » وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول : حسن الهدى فى آخر الزمان خير من كثير من العمل ، وقال : أنتم فى زمان خيركم فيه المسارع فى الأمور وسيأتى بعدكم زمان يكون خيرهم فيه المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات . وقد صدق فمن لم يتوقف فى هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا فيه هلك كما هلكوا . وقال حذيفة رضى الله عنه : أعجب من هذا أنّ معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وأنّ منكركم اليوم معروف زمان قد أتى وإنكم لا تزالون بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به . ولقد صدق فإنّ أكثر معروفات هذه الأعصار منكرات فى عصر الصحابة رضى الله عنهم إذ من غرر المعروفات فى زماننا تزيين المساجد وتنجيدها وإنفاق الأموال العظيمة فى دقائق عماراتها وفرش البسط الرفيعة فيها ، ولقد كان يعدّ فرش البوارى فى المسجد بدعة ، وقيل إنه من محدثات الحجاج . فقد كان الأوّلون قلما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا . وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة من أجل علوم أهل الزمان ويزعمون أنه من أعظم القربات ، وقد كان من المنكرات . ومن ذلك التلحين فى القرآن والأذان . ومن ذلك التعسف فى النظافة والوسوسة فى الطهارة وتقدير الأسباب البعيدة فى نجاسة الثياب مع التساهل فى حل الأطعمة وتحريمها إلى نظائر ذلك . ولقد صدق ابن مسعود رضى الله عنه حيث قال : أنتم اليوم فى زمان الهوى فيه تابع للعلم وسيأتى عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى . وقد كان أحمد بن حنبل يقول : تركوا العلم وأقبلوا على الغرائب ما أقل العلم فيهم والله المستعان . وقال مالك بن أنس رحمه الله : لم تكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الأمور كما يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال ولكن أدركتهم يقولون مستحب ومكروه

(١) حديث ابن مسعود « إنما هما اثنتان الكلام والهدى » . الحديث » أخرجه ابن ماجه

(٢) حديث « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق مالا اكتسبه . . الحديث » أخرجه أبو نعيم من حديث الحسين بن على بسند ضعيف والبزار من حديث أنس أول الحديث وآخره والطبرانى والبيهقى من حديث ركب المصرى وسط الحديث وكلها ضعيفة

(ومعناه أنهم كانوا ينظرون فى دقائق الكراهة والاستحباب فأما الحرام فكان لحشه ظاهرا) وكان هشام بن عروة يقول : لاتسألوهم اليوم عما أحدثوه بأنفسهم فإنهم قد أعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فإنهم لا يعرفونها . وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله يقول : لا ينبغى لمن ألهم شيئا من الخير أن يعمل به حتى يسمع به فى الأثر فيحمد الله تعالى إذا وافق ما فى نفسه ، وإنما قال هذا لأن ما قد أبدع من الآراء قد قرع الأسماع وعلق بالقلوب وربما يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الآثار . ولهذا لما أحدث مروان المنبر فى صلاة العيد عند المصلى قام إليه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه فقال : يا مروان ما هذه البدعة ؟ فقال : إنها ليست ببدعة إنها خير مما تعلم إن الناس قد كثروا فأردت أن يبلغهم الصوت ، فقال أبو سعيد : والله لا تأتون بخير مما أعلم أبداً ووالله لاصليت وراءك اليوم ! وإنما أنكر ذلك عليه ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوكأ فى خطبة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا لا على المنبر[1] ، وفى الحديث المشهور « من أحدث فى ديننا ما ليس منه فهو رد »[2] ، وفى خبر آخر « من غش أمتى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، قيل : يا رسول الله وما غش أمتك ؟ قال : أن يبتدع بدعة يحمل الناس عليها »[3] ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله عز وجل ملكا ينادى كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعته »[4] ، ومثال الجانى على الدين بإبداع مايخالف السنة بالنسبة إلى من يذنب ذنبا مثال من عصى الملك فى قلب دولته بالنسبة إلى من خالف أمره فى خدمة معينة ، وذلك قد يغفر له فأما فى قلب الدولة فلا . وقال بعض العلماء : ماتكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وماسكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف . وقال غيره : الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى . وقال صلى الله عليه وسلم « عليكم بالنمط الأوسط الذى يرجع إليه العالى ويرتفع إليه التالى »[5] ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما : الضلالة لها حلاوة فى قلوب أهلها قال الله تعالى ﴿ وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا ﴾ وقال تعالى ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ﴾ فكل ما أحدث بعد الصحابة رضى الله عنهم مما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من اللعب واللهو . وحكى عن إبليس لعنه الله أنه بث جنوده فى وقت الصحابة رضى الله عنهم فرجعوا إليه محسورين فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : مارأينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيئا وقد أتعبونا ! فقال : إنكم لاتقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سيأتى بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم . فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا إليه منكسين فقالوا : مارأينا أعجب من هؤلاء نصيب منهم الشىء بعد الشىء من الذنوب فإذا كان آخر النهار أخذوا فى الاستغفار فيبدل الله سيئاتهم حسنات ! فقال : إنكم لن تنالوا من هؤلاء شيئا لصحة توحيدهم واتباعهم لسنة نبيهم ولكن سيأتى بعد هؤلاء قوم تقر أعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بأزمة أهوائهم كيف شئتم إن استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فيبدل الله سيئاتهم

---

(١) حديث « كان يتوكأ فى خطبة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا » أخرجه الطبرانى من حديث البراء ونحوه فى يوم الأضحى ليس فيه الاستسقاء وهو ضعيف ، رواه فى الصغير من حديث سعد القرظى « كان إذا خطب فى العيدين خطب على قوس وإذا خطب فى الجمعة خطب على عصا » وهو عند ابن ماجه بلفظ « كان إذا خطب فى الحرب خطب على قوس .. الحديث »

(٢) حديث « من أحدث فى ديننا ما ليس فيه فهو رد » متفق عليه من حديث عائشة بلفظ « فى أمرنا ما ليس منه » وعند أبى داود « فيه »

(٣) حديث « من غش أمتى فعليه لعنة الله .. الحديث » أخرجه الدارقطنى فى الأفراد من حديث أنس بسند ضعيف جدا

(٤) حديث « إن لله ملكا ينادى كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعته » لم أجد له أصلا

(٥) حديث « عليكم بالنمط الأوسط .. الحديث » أخرجه أبو عبيد فى غريب الحديث موقوفا على على بن أبى طالب ولم أجده مرفوعا .

حسنات ، قال : فجاء قوم بعد القرن الأول فبث فيهم الأهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لايستغفرون الله منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الأعداء وقادوهم أين شاءوا » فإن قلت : من أين عرف قائل هذا ما قاله إبليس ولم يشاهد إبليس ولا حدثه بذلك ؟ فاعلم أن أرباب القلوب يكاشفون بأسرار الملكوت تارة على سبيل الإلهام بأن يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لايعلمون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة فى اليقظة على سبيل كشف المعانى بمشاهدة الأمثلة ـ كما يكون فى المنام ـ وهذا أعلى الدرجات وهى من درجات النبوة العالية كما أن الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة . فإياك أن يكون حظك من هذا العلم إنكار ما جاوز حد قصورك ففيه هلك المتخذلقون من العلماء الزاعمون أنهم أحاطوا بعلوم العقول ، فالجهل خير من عقل يدعو إلى إنكار مثل هذه الأمور لأولياء الله تعالى ، ومن أنكر ذلك للأولياء لزمه إنكار الأنبياء وكان خارجا عن الدين بالكلية . قال بعض العارفين : إنما انقطع الأبدال فى أطراف الأرض واستتروا عن أعين الجمهور لأنهم لا يطيقون النظر إلى علماء الوقت لأنهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند أنفسهم وعند الجاهلين علماء . قال سهل التسترى رضى الله عنه : إن من أعظم المعاصى الجهل بالجهل والنظر إلى العامة واستماع كلام أهل الغفلة . وكل عالم خاض فى الدنيا فلا ينبغى أن يصغى إلى قوله بل ينبغى أن يتهم فى كل مايقول لأن كل إنسان يخوض فيما أحب ويدفع مالا يوافق محبوبه ، ولذلك قال الله عزوجل ﴿ ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ والعوام العصاة أسعد حالا من الجهال بطريق الدين المعتقدين أنهم من العلماء ؛ لأن العامى العاصى معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان أنه عالم وأن ماهو مشتغل به من العلوم التى هى وسائله إلى الدنيا عن سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر ؛ بل لايزال مستمرا عليه إلى الموت . وإذ غلب هذا على أكثر الناس إلا من عصمه الله تعالى وانقطع الطمع من إصلاحهم فالأسلم لذى الدين احتياط العزلة والانفراد عنهم ـ كما سيأتى فى كتاب العزلة بيانه إن شاء الله تعالى ـ ولذلك كتب يوسف بن أسباط إلى حذيفة المرعشى : ما ظنك بمن بقى لا يجد أحدا يذكر الله تعالى معه إلا كان آثما أو كانت مذاكرته معصية وذلك أنه لايجد أهله ؟ ولقد صدق فإن مخالطة الناس لا تنفك عن غيبة أو سماع غيبة أو سكوت على منكر وأن أحسن أحواله أن يفيد علما أو يستفيده ولو تأمل هذا المسكين وعلم أن إفادته لا تخلو عن شوائب الرياء وطلب الجمع والرياسة علم أن المستفيد إنما يريد أن يجعل ذلك آلة إلى طلب الدنيا ووسيلة إلى الشر فيكون هو معينا له على ذلك وردءا وظهيرا ومهيئا لأسبابه كالذى يبيع السيف من قطاع الطريق . فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو ، ولذلك لايرخص له فى البيع ممن يعلم بقرائن أحواله أنه يريد به الاستعانة على قطع الطريق . فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة منها جملة من أخلاق علماء السلف ؛ فكن أحد رجلين إما متصفا بهذه الصفات أو معترفا بالتقصير مع الإقرار به وإياك أن تكون الثالث فتلبس على نفسك بأن تبدل آلة الدنيا بالدين وتشبه سيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين وتلتحق بجهلك وإنكارك بزمرة الهالكين الآيسين . نعوذ بالله من خدع الشيطان ، فبها هلك الجمهور . فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن لا تغره الحياة الدنيا ولا يغره بالله الغرور .

الباب السابع

فى العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه — بيان شرف العقل

اعلم أن هذا مما لا يحتاج إلى تكلف فى إظهاره لا سيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه والعلم يجرى منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة فى الدنيا والآخرة ؟ أو كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتى إن أعظم البهائم بدنا وأشدها ضراوة وأقواها سطوة إذا رأى صورة الإنسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه عليه لما خص به من إدراك الحيل . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته[1] » وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التى هى ثمرة عقله . ولذلك ترى الأتراك والأكراد وأجلاف العرب وسائر الخلق مع قرب منزلتهم من رتبة البهائم يوقرون المشايخ بالطبع . ولذلك حين قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقعت أعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وتراءى لهم ما كان يتلألأ على ديباجة وجهه من نور النبوة وإن كان ذلك باطنا فى نفسه بطون العقل فشرف العقل ما يدرك بالضرورة ؛ وإنما القصد أن نورد ما وردت به الأخبار والآيات فى ذكر شرفه وقد سماه الله نورا فى قوله تعالى ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة﴾ وسمى العلم المستفاد منه روحا ووحيا وحياة فقال تعالى ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾ وقال سبحانه ﴿أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس﴾ وحيث ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل كقوله ﴿يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتم عنه واعلموا أنه ينجدكم عند ربكم واعلموا أنّ العاقل من أطاع الله وإن كان دميم المنظر حقير الخطر دنىء المنزلة رث الهيئة ، وأنّ الجاهل من عصى الله تعالى وإن كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا فالقردة والخنازير أعقل عند الله تعالى ممن عصاه ، ولا تغتر بتعظيم أهل الدنيا إياهم فإنهم من الخاسرين[2] » . وقال صلى الله عليه وسلم « أول ما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر ، ثم قال الله عز وجل وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أكرم على منك ، بك آخذ وبك أعطى وبك أثيب وبك أعاقب[3] » . فإن قلت : فهذا العقل إن كان عرضا فكيف خلق قبل الأجسام ؟ وإن كان جوهرا فكيف يكون جوهر قائم بنفسه ولا يتحيز ؟ فاعلم أن هذا من علم المكاشفة فلا يليق ذكره بعلم المعاملة ، وغرضنا الآن ذكر علوم المعاملة . وعن أنس رضى الله عنه قال « أثنى قوم على رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال صلى الله عليه وسلم كيف عقل الرجل ؟ فقالوا : نخبرك عن اجتهاده فى العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « إنّ الأحمق يصيب بجهله أكثر من الجور

الباب السابع فى العقل

(١) حديث « الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته » أخرجه ابن حبان فى الضعفاء من حديث ابن عمر وأبو منصور الديلمى من حديث أبى رافع بسند ضعيف .

(٢) حديث « يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل .. الحديث » أخرجه داود بن المحبر أحد الضعفاء فى كتاب العقل من حديث أبى هريرة ؛ وهو فى مسند الحارث بن أبى أسامة عن داود (٣) حديث « أول ما خلق الله العقل قال له أقبل .. الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى أمامة وأبو نعيم من حديث عائشة بإسنادين ضعيفين.

الفاجر وإنما يرتفع العباد غدا فى الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم[١] » . وعن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدى صاحبه إلى هدى ويرده عن ردى وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله[٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم إيمانه وأطاع ربه وعصى عدوه إبليس[٣] » وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شىء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته أما سمعتم قول الفجار فى النار (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير[٤]) وعن عمر رضى الله عنه أنه قال لتميم الدارى « ماالسودد فيكم ؟ قال : العقل ، قال : صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتك فقال كما قلت ، ثم قال سألت جبريل عليه السلام ما السودد ؟ فقال : العقل[٥] » وعن البراء ابن عازب رضى الله عنه قال : كثرت المسائل يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا أيها الناس إن لكل شىء مطية ومطية المرء العقل وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلا[٦] » وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال « لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون : فلان أشجع من فلان وفلان أبلى مالم يبل فلان ونحو هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما هذا فلا علم لكم به ، قالوا : وكيف ذلك يارسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : إنهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فأصيب منهم من أصيب على منازل شتى فإذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم[٧] » وعن البراء بن عازب أنه صلى الله عليه وسلم قال « جد الملائكة واجتهدوا فى طاعة الله سبحانه وتعالى بالعقل وجد المؤمنون من بنى آدم على قدر عقولهم فأعمالهم بطاعة الله عز وجل أوفرهم عقلا[٨] » وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « قلت يا رسول الله بم يتفاضل الناس فى الدنيا ؟ قال : بالعقل ، قلت : وفى الآخرة ؟ قال : بالعقل ، قلت : أليس إنما يجزون بأعمالهم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : يا عائشة وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم عز وجل من العقل ؟ فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون[٩] » وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شىء آلة وعدة وإن آلة المؤمن العقل ولكل شىء مطية ومطية المرء العقل ولكل شىء دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم داع وداعى العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل أهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب

---

(١) حديث أنس « أثنى قوم على رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فى الثناء فقال كيف عقل الرجل . . الحديث » أخرجه ابن المجبر فى العقل بتمامه والترمذى الحكيم فى النوادر مختصراً (٢) حديث عمر « ما اكتسب رجل مثل فضل عقل . الحديث » أخرجه ابن المجبر فى العقل وعنه الحارث بن أبى أسامة (٣) حديث « إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله .. الحديث » أخرجه ابن المجبر من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به والحديث عند الترمذى مختصر دون قوله « ولا يتم » من حديث عائشة وصححه (٤) حديث أبى سعيد « لكل شىء دعامة ودعامة المؤمن عقله . . الحديث » أخرجه ابن المجبر وعنه الحارث (٥) حديث عمر أنه قال لتميم الدارى « ما السودد فيكم ، قال العقل قال صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم . . الحديث » أخرجه ابن المجبر وعنه الحارث (٦) حديث البراء « كثرت المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس إن لكل شىء مطية . . الحديث » أخرجه ابن المجبر وعنه الحارث

(٧) حديث أبى هريرة « لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون كان فلان أشجع من فلان . . الحديث » أخرجه ابن المجبر (٨) حديث البراء بن عازب « جد الملائكة واجتهدوا فى طاعة الله بالعقل . . الحديث » أخرجه ابن المجبر كذلك وعنه الحارث فى مسنده ، ورواه البغوى فى معجم الصحابة من حديث ابن عازب رجل من الصحابة غير البراء وهو بالسند الذى رواه ابن المجبر (٩) حديث عائشة « قالت يارسول الله بأى شىء يتفاضل الناس فى الدنيا قال بالعقل . . الحديث » أخرجه ابن المجبر والترمذى الحكيم فى النوادر نحوه

عمارة وعمارة الآخرة العقل ، ولكل امرىء عقب ينسب إليه ويذكر به وعقب الصدّيقين الذى ينسبون إليه ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل [١] ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحب المؤمنين إلى الله عز وجل من نصب فى طاعة الله عز وجل ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه فأبصر وعمل به أيام حياته فأفلح وأنجح [٢] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « أتمكم عقلا أشدكم لله تعالى خوفا وأحسنكم فيما أمركم به ونهى عنه نظرا وإن كان أقلكم تطوعا [٣] » .

بيان حقيقة العقل وأقسامه

اعلم أن الناس اختلفوا فى حدّ العقل وحقيقته وذهل الأكثرون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم . والحق الكاشف للغطاء فيه أن العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان ـ كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدّة وما يجرى هذا المجرى فلا ينبغى أن يطلب لجميع أقسامه حدّ واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه ـ فالأول : الوصف الذى يفارق الإنسان به سائر البهائم وهو الذى استعدّ به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذى أراده الحارث بن أسد المحاسبى حيث قال فى حد العقل : إنه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف فى القلب به يستعد لإدراك الأشياء ولم ينصف من أنكر هذا ورد العقل إلى مجرد العلوم الضرورية فإن الغافل عن العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع فقد العلوم . وكما أن الحياة غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والإدراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها تتهيأ بعض الحيوانات للعلوم النظرية ولو جاز أن يسوّى بين الإنسان والحمار فى الغريزة والإدراكات الحسية . فيقال لا فرق بينهما إلا أن الله تعالى بحكم إجراء العادة يخلق فى الإنسان علوما وليس يخلقها فى الحمار والبهائم لجاز أن يسوى بين الحمار والجماد فى الحياة ، ويقال لا فرق إلا أن الله عز وجل يخلق فى الحمار حركات مخصوصة بحكم إجراء العادة . فإنه لو قدر الحمار جمادا ميتا لوجب القول بأن كل حركة تشاهد منه فالله سبحانه وتعالى قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد . وكما وجب أن يقال لم يكن مفارقته للجماد فى الحركات إلا بغريزة اختصت به عبر عنها بالحياة فكذا مفارقة الإنسان البهيمة فى إدراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهو كالمرآة التى تفارق غيرها من الأجسام فى حكاية الصور والألوان بصفة اختصت بها وهى الصقالة . وكذلك العين تفارق الجبهة فى صفات وهيئات بها استعدت للرؤية فنسبه هذه الغريزة إلى العلوم كنسبة العين إلى الرؤية ونسبة القرآن والشرع إلى هذه الغريزة فى سيافها إلى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس إلى البصر فهكذا ينبغى أن تفهم هذه الغريزة . الثانى : هى العلوم التى تخرج إلى الوجود فى ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد وأن الشخص الواحد لا يكون فى مكانين فى وقت واحد ، وهو الذى عناه بعض المتكلمين حيث قال فى حد العقل : إنه بعض العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وهو أيضا صحيح فى نفسه لأن هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهر وإنما الفاسد أن تنكر تلك الغريزة ويقال لا موجود إلا هذه العلوم . الثالث : علوم تستفاد من التجارب بمجارى الأحوال فإن من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال إنه عاقل فى العادة ومن لا يتصف بهذه الصفة فيقال

---

(١) حديث ابن عباس « لكل شىء آلة وعدة وإن آلة المؤمن العقل .. الحديث » أخرجه ابن المجبر وعنه الحارث

(٢) حديث « إن أحب المؤمنين إلى الله من نصب فى طاعة الله . . الحديث » أخرجه ابن المجبر من حديث ابن عمر ، ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس بإسناد آخر ضعيف (٣) حديث « أتمكم عقلا أشدكم لله خوفا .. الحديث » أخرجه ابن المجبر من حديث أبى قتادة

إنه غبي غمر جاهل ، فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا . الرابع : أن تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها فإذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلا من حيث إن إقدامه وإحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه أيضا من خواص الإنسان التي بها يتميز عن سائر الحيوان ، فالأول : هو الأس والسنخ والمنبع . والثاني : هو الفرع الأقرب إليه . والثالث: فرع الأول والثاني ؛ إذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع : هو الثمرة الأخيرة وهي الغاية القصوى ، فالأولان بالطبع والأخيران بالاكتساب . ولذلك قال علي كرم الله وجهه :

رأيت العقل عقلين فطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

والأول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم « ما خلق الله عز وجل خلقا أكرم عليه من العقل [1] » ، والأخير هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم « إذا تقرب الناس بأبواب البر والأعمال الصالحة فتقرب أنت بعقلك [2] » وهو المراد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي الدرداء رضي الله عنه « ازدد عقلا تزدد من ربك قربا » فقال : بأبي أنت وأمي ! وكيف لي بذلك ؟ فقال : اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائض الله سبحانه تكن عاقلا واعمل بالصالحات من الأعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل في آجل العقبى بها من ربك عز وجل القرب والعز [3] » ، وعن سعيد بن المسيب « أن عمر وأبي بن كعب وأبا هريرة رضي الله عنهم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله من أعلم الناس ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : العاقل ؟ قالوا : فمن أعبد الناس ؟ قال : العاقل . قالوا : فمن أفضل الناس ؟ قال العاقل قالوا : أليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته ؟ فقال صلى الله عليه وسلم (وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين) إن العاقل هو المتقي وإن كان في الدنيا خسيسا ذليلا [4] » ، قال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر « إنما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته [5] » ، ويشبه أن يكون أصل الاسم في أصل اللغة لتلك الغريزة وكذلك في الاستعمال وإنما أطلق على العلوم من حيث إنها ثمرتها كما يعرف الشيء بثمرته فيقال : العلم هو الخشية والعالم من يخشى الله تعالى . فإن الخشية ثمرة العلم فتكون كالمجاز لغير تلك الغريزة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة . والمقصود أن هذه الأقسام الأربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها إلا في القسم الأول ، والصحيح وجودها بل هي الأصل . وهذه العلوم كأنها مضمنة في تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر في الوجود إذا جرى سبب يخرجها إلى الوجود حتى كأن هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج وكأنها كانت مستكنة فيها فظهرت ، ومثاله الماء في الأرض فإنه يظهر بحفر البئر ويجتمع ويتميز بالحس لا بأن يساق إليها شيء جديد ، وكذلك الدهن في اللوز ، وماء الورد في الورد ولذلك قال تعالى (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم

---

(١) حديث « ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل » أخرجه الترمذي الحكيم في النوادر بسند ضعيف من رواية الحسن عن عدة من الصحابة (٢) حديث « إذا تقرب الناس بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك » أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث علي « إذا اكتسب الناس من أنواع البر ليتقربوا بها إلى ربنا عز وجل فاكتسب أنت من أنواع العقل تسبقهم بالزلفة والقرب » وإسناده ضعيف (٣) حديث « ازدد عقلا تزدد من ربك قربا .. الحديث » قاله لأبي الدرداء أخرجه ابن الجبر ومن طريقه الحارث ابن أبي أسامة والترمذي الحكيم في النوادر (٤) حديث ابن المسيب « أن عمر وأبي بن كعب وأبا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس فقال العاقل .. الحديث » أخرجه ابن الجبر (٥) حديث « إنما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته » أخرجه ابن الجبر من حديث سعيد بن المسيب مرسلا وفيه قصة

ألست بربكم قالوا بلى ﴾ فالمراد به إقرار نفوسهم لا إقرار الألسنة فإنهم انقسموا فى إقرار الألسنة حيث وجدت الألسنة والأشخاص إلى مقر وإلى جاحد ولذلك قال تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾ معناه إن اعتبرت أحوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم ﴿ فطرة الله التى فطر الناس عليها ﴾ أى كل آدمى فطر على الإيمان بالله عز وجل بل على معرفة الأشياء على ماهى عليه أعنى أنها كالمضمنة فيها لقرب استعدادها للإدراك . ثم لما كان الإيمان مركوزاً فى النفوس بالفطرة انقسم الناس إلى قسمين : إلى من أعرض فنسى وهم الكفار ، وإلى من أجال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها . ولذلك قال عز وجل (لعلهم يتذكرون ـ وليتذكر أولوا الباب ـ واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به ـ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر) وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد فكأنّ التذكر ضربان ؛ أحدهما : أن يذكر صورة كانت حاضرة الوجود فى قلبه لكن غابت بعد الوجود . والآخر : أن يذكر صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة . وهذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من يستروجه[1] السماع والتقليد دون الكشف والعيان . ولذلك تراه يتخبط فى مثل هذه الآيات ويتعسف وفى تأويل التذكر بإقرار النفوس أنواعا من التعسفات ويتخايل إليه فى الأخبار والآيات ضروب من المناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر إليها بعين الاستحقار ويعتقد فيها التهافت . ومثاله مثال الأعمى الذى يدخل داراً فيعثر فيها بالأوانى المصفوفة فى الدار فيقول : ما لهذه الأوانى لا ترفع من الطريق وترد إلى مواضعها ؟ فيقال له : إنها فى مواضعها وإنما الخلل فى بصرك . فكذلك خلل البصيرة يجرى مجراه وأطم منه وأعظم إذ النفس كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس أضر من عمى الفرس ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى) وقال تعالى (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض) الآية وسمى ضده عمى فقال تعالى (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) وقال تعالى (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا) وهذه الأمور التى كشفت للأنبياء بعضها كان بالبصر وبعضها كان بالبصيرة وسمى الكل رؤية . وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة لم يعلق به من الدين إلا قشوره وأمثلته دون لبابه وحقائقه . فهذه أقسام ما ينطلق اسم العقل عليها .

بيان تفاوت النفوس فى العقل

قد اختلف الناس فى تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الأولى والأهم المبادرة إلى التصريح بالحق . والحق الصريح فيه أن يقال إن التفاوت يتطرق إلى الأقسام الأربعة سوى القسم الثانى : وهو العلم الضرورى بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات . فإن من عرف أن الاثنين أكثر من الواحد عرف أيضاً استحالة كون الجسم فى مكانين وكون الشىء الواحد قديما حادثا وكذا سائر النظائر وكل مايدركه إدراكا محققا من غير شك ، وأما الأقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق إليها ، أما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت أحوال الشخص الواحد فيه ، وهذا التفاوت يكون تارة لتفاوت الشهوة إذ قد يقدر العاقل ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه . فإن الشاب قد يعجز عن ترك الزنا وإذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة الرياء والرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفا ، وقد يكون سببه التفاوت فى العلم المعرف لغائلة تلك الشهوة ، ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الأطعمة المضرة وقدم من يساويه فى العقل على ذلك

(١) قوله « يستروجه » من الرواج أى يكون السماع والتقليد رائجا عنده فتأمل اه مصححه

إذا لم يكن طبيبا وإن كان يعتقد على الجملة فيه مضرة لكن إذا كان علم الطبيب أتم كان خوفه أشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدة له فى قمع الشهوات وكسرها . وكذلك يكون العالم أقدر على ترك المعاصى من الجاهل لقوة علمه بضرر المعاصى وأعنى به العالم الحقيقى دون أرباب الطيالسة وأصحاب المذيان . فإن كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع إلى تفاوت العقل وإن كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلا أيضاً فإنه يقوى غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية إليه وقد يكون بمجرد التفاوت فى غريزة العقل فإنها إذا قويت كان قمعها للشهوة لامحالة أشد . وأما القسم الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فإنهم يتفاوتون بكثرة الإصابة وسرعة الإدراك ويكون سببه إما تفاوتا فى الغريزة وإما تفاوتا فى الممارسه ، فأما الأول وهو الأصل أعنى الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل إلى جحده فإنه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادى إشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نموا خفى التدريج إلى أن يتكامل بقرب الأربعين سنة ؛ ومثاله نور الصبح فإن أوائله تخفى خفاء يشق إدراكه ثم يتدرج إلى الزيادة إلى أن يكمل بطلوع قرص الشمس ، وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر والفرق مدرك بين الأعمش وبين حاد البصر بل سنة الله عز وجل جارية فى جميع خلقه بالتدريج فى الإيجاد حتى إن غريزة الشهوة لا تظهر فى الصبى عند البلوغ دفعة وبغتة بل تظهر شيئاً فشيئاً على التدريج وكذلك جميع القوى والصفات ، ومن أنكر تفاوت الناس فى هذه الغريزة فكأنه منخلع عن ربقة العقل ، ومن ظن أن عقل النبى صلى الله عليه وسلم مثل عقل آحاد السوادية وأجلاف البوادى فهو أخس فى نفسه من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلف الناس فى فهم العلوم ولما انقسموا إلى بليد لا يفهم بالتفهيم إلا بعد تعب طويل من المعلم وإلى ذكى يفهم بأدنى رمز وإشارة وإلى كامل تنبعث من نفسه حقائق الأمور بدون التعليم ؟ كما قال تعالى (يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور) وذلك مثل الأنبياء عليهم السلام إذ يتضح لهم فى بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالإلهام ، وعن مثله عبر النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال « إن روح القدس نفث فى روعى : أحبب من أحببت فإنك مفارقه وعش ماشئت فإنك ميت واعمل ماشئت فإنك مجزى به »[1] ، وهذا النمط من تعريف الملائكة للأنبياء يخالف الوحى الصريح الذى هو سماع الصوت بحاسة الأذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك أخبر عن هذا بالنفث فى الروع ، ودرجات الوحى كثيرة والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة . ولا تظنن أن معرفة درجات الوحى تستدعى منصب الوحى إذ لا يبعد أن يعرف الطبيب المريض درجات الصحة ويعلم العالم الفاسق درجات العدالة وإن كان خاليا عنها فالعلم شىء ووجود المعلوم شىء آخر فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبياً ولا ولياً ولا كل من عرف التقوى والورع ودقائقه كان تقيا . وانقسام الناس إلى من يتنبه من نفسه ويفهم وإلى من لا يفهم إلا بتنبيه وتعليم وإلى من لا ينفعه التعليم أيضاً ولا التنبيه كانقسام الأرض إلى ما يجتمع فيه الماء فيقوى فيتفجر بنفسه عيونا وإلى ما يحتاج إلى الحفر ليخرج إلى القنوات وإلى مالا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الأرض فى صفاتها فكذلك اختلاف النفوس فى غريزة العقل . ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل : ما روى أن عبد الله بن سلام رضى الله عنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل فى آخره وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت « يا ربنا هل خلقت شيئاً أعظم من العرش ؟

---

(١) حديث « إن روح القدس نفث فى روعى : أحبب من أحببت فإنك مفارقه . . الحديث » أخرجه الشيرازى فى الألقاب من حديث سهل بن سعد نحوه ، والطبرانى فى الأصغر والأوسط من حديث على وكلاهما ضعيف

قال : نعم : العقل ، قالوا : ومابلغ من قدره ؟ قال : هيهات لايحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل ؟ قالوا : لا ، قال الله عز وجل : فإنى خلقت العقل أصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من أعطى حبة ومنهم من أعطى حبتين ومنهم من أعطى الثلاث والأربع ومنهم من أعطى فرقا ومنهم من أعطى وسقا ومنهم من أعطى أكثر من ذلك [1] » فإن قلت : فما بال أقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول ؟ فاعلم أن السبب فيه أن الناس نقلوا اسم العقل المعقول إلى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والإلزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على أن يقرروا عندهم أنكم أخطأتم فى التسمية إذ كان لا ينمحى عن قلوبهم بعد تداول الألسنة به ورسوخه فى القلوب فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم . فأما نور البصيرة التى بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق رسله فكيف يتصور ذمه وقد أثنى الله تعالى عليه وإن ذم فما الذى بعده يحمد ؟ فإن كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع ؟ فإن علم بالعقل المذموم الذى لايوثق به فيكون الشرع أيضا مذموما ولا يلتفت إلى من يقول : إنه يدرك بعين اليقين ونور الإيمان لا بالعقل . فإنا نريد بالعقل : مايريده بعين اليقين ونور الإيمان ، وهى الصفة الباطنة التى يتميز بها الآدمى عن البهائم حتى أدرك بها حقائق الأمور : وأكثر هذه التخبيطات إنما ثارت من جهل أقوام طلبوا الحقائق من الألفاظ فتخبطوا فيها لتخبط اصطلاحات الناس فى الألفاظ ؛ فهذا القدر كاف فى بيان العقل والله أعلم .

تم كتاب العلم بحمد الله تعالى ومنه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب قواعد العقائد والحمد لله وحده أولا وآخرا .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب قواعد العقائد وفيه أربعة فصول

الفصل الأول

فى ترجمة عقيدة أهل السنة فى كلمتى الشهادة التى هى أحد مبانى الإسلام

فنقول وبالله التوفيق : الحمد لله المبدئ المعيد الفعال لما يريد ذى العرش المجيد والبطش الشديد الهادى صفوة العبيد إلى المنهج الرشيد والمسلك السديد المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم إلى اتباع رسوله المصطفى واقتفاء آثار صحبه الأكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد المتجلى لهم فى ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التى لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد المعرف إياهم أنه فى ذاته واحد لاشريك له فرد لا مثيل له صمد لا ضد له منفرد لاند له وأنه واحد قديم لا أول له أزلى لابداية له مستمر الوجود لا آخر له أبدى لانهاية له قيوم لا انقطاع له دائم لاانصرام له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال

---

(١) حديث ابن سلام « سئل النبى صلى الله عليه وسلم » فى حديث طويل فى آخره وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت يارب هل خلقت شيئا أعظم من العرش الحديث أخرجه ابن المجبر من حديث أنس بتمامه والترمذى الحكيم فى النوادر مختصراً

لايقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض الآجال بل ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾

التنزيه : وأنه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر وأنه لا يماثل والأجسام ولافى التقدير ولا فى قبول الانقسام وأنه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الأعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ ولا هو مثل شيء . وأنه لا يحده المقدار ولا تحويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات . وأنه مستو على العرش على الوجه الذى قاله وبالمعنى الذى أراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون فى قبضته . وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى ، فوقية لاتزيده قربا إلى العرش والسماء كما لاتزيده بعدا عن الأرض والثرى بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى . وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد ﴿ وهو على كل شيء شهيد ﴾ إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام وأنه لا يحل فى شيء ولا يحل فيه شيء تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان . وأنه بائن عن خلقه بصفاته ليس فى ذاته سواه ولا فى سواه ذاته وأنه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال فى نعوت جلاله منزها عن الزوال وفى صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال . وأنه فى ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئى الذات بالأبصار نعمة منه ولطفا بالأبرار فى دار القرار وإتماما منه للنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم .

الحياة والقدرة : وأنه تعالى حى قادر جبار قاهر لايعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وأنه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والأمر والسموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون فى قبضته . وأنه المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالإيجاد والإبداع خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لايشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور ، لاتحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته

العلم : وأنه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجرى من تخوم الأرضين إلى أعلى السموات وأنه عالم لايعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر فى جو الهواء ويعلم السر وأخفى ، ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم أزلى لم يزل موصوفا به فى أزل الآزال لابعلم متجدد حاصل فى ذاته بالحلول والانتقال ،

الإرادة : وأنه تعالى مريد للكائنات مدبر للحادثات فلايجرى فى الملك والملكوت قليل أو كثير صغير أو كبير خير أو شر نفع أو ضر إيمان أو كفر عرفان أو نكر فوز أو خسران زيادة أو نقصان طاعة أو عصيان إلا بقضائه وقدره وحكمته ومشيئته . فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن لايخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولافلتة خاطر بل هو المبدئ المعيد الفعال لما يريد لاراد لأمره ولا معقب لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته . ولا قوة له على طاعته إلا بمشيئته وإرادته فلو اجتمع الإنس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا فى العالم ذرة أويسكنوها دون إرادته ومشيئته اعجزوا عن ذلك . وأن إرادته قائمة بذاته فى جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها

مريدا فى أزله لوجود الأشياء فى أوقاتها التى قدرها فوجدت فى أوقاتها كما أراده فى أزله من غير تقدم ولا تأخر بل وقعت على وفق علمه وإرادته من غير تبدّل ولا تغير . دبر الأمور لا بترتيب أفكار ولا تربص زمان فلذلك لم يشغله شأن عن شأن .

السمع والبصر : وأنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى ولا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفى . ولا يغيب عن رؤيته مرئى وإن دق . ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام . يرى من غير حدقة وأجفان ويسمع من غير أصمخة وآذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة إذ لاتشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق .

الكلام : وأنه تعالى متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام أزلى قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو اصطكاك أجرام ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان . وأن القرآن والتوراة والإنجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله عليهم السلام . وأن القرآن مقروء بالألسنة مكتوب فى المصاحف محفوظ فى القلوب وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لايقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق ، وأن موسى صلى الله عليه وسلم سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف ، كما يرى الأبرار ذات الله تعالى فى الآخرة من غير جوهر ولا عرض . وإذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام لابمجرد الذات .

الأفعال : وأنه سبحانه وتعالى لا موجود سواه إلا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأتمها وأعدلها وأنه حكيم فى أفعاله عادل فى أقضيته لايقاس عدله بعدل العباد إذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه فى ملك غيره . ولا يتصور الظلم من الله تعالى فإنه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما ، فكل ما سواه من إنس وجن وملك وشيطان وسماء وأرض وحيوان ونبات وجماد وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وأنشأه إنشاء بعد أن لم يكن شيئا إذ كان موجودا وحده ولم يكن معه غيره فأحدث الخلق بعد ذلك إظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من إرادته ولما حق فى الأزل من كلمته لا لافتقاره إليه وحاجته . وأنه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالإنعام والإصلاح لا عن لزوم ، فله الفضل والإحسان والنعمة والامتنان إذ كان قادرا على أن يصب على عباده أنواع العذاب ويبتليهم بضروب الآلام والأوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن منه قبيحا ولا ظلما . وأنه عزوجل يثبت عباده المؤمنين على الطاعات بحكم الكرم والوعد لابحكم الاستحقاق واللزوم له إذ لايجب عليه لأحد فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لأحد عليه حق . وأن حقه فى الطاعات وجب على الخلق بإيجابه على ألسنة أنبيائه عليهم السلام لا بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به .

(معنى الكلمة الثانية) وهى الشهادة للرسل بالرسالة وأنه بعث النبى الأمى القرشى محمدا صلى الله عليه وسلم برسالته إلى كافة العرب والعجم والجن والإنس فنسخ بشريعته الشرائع إلا ما قرره منها . وفضله على سائر الأنبياء وجعله سيد البشر . ومنع كمال الإيمان بشهادة التوحيد وهو قول « لا إله إلا الله » مالم تقترن بها شهادة الرسول وهو قولك « محمد رسول الله » وألزم الخلق تصديقه فى جميع ماأخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة . وأنه لايتقبل

إيمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت ، وأوله : سؤال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد فى قبره سويا ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان له : من ربك ومادينك ومن نبيك [1] ؟ وهما فتانا القبر [2] وسؤالهما أول فتنة بعد الموت [3] . وأن يؤمن بعذاب القبر [4] وأنه حق وحكمه عدل على الجسم والروح على مايشاء . وأن يؤمن بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته فى العظم أنه مثل طبقات السموات والأرض توزن الأعمال بقدرة الله تعالى ، والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام العدل ، وتوضع صحائف الحسنات فى صورة حسنة فى كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله وتطرح صحائف السيئات فى صورة قبيحة فى كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله [5] . وأن يؤمن بأن الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعرة تزل عليه أقدام الكافرين بحكم الله سبحانه فتهوى بهم إلى النار وتثبت عليه أقدام المؤمنين بفضل الله فيساقون إلى دار القرار [6] . وأن يؤمن بالحوض المورود حوض محمد صلى الله عليه وسلم يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط [7] من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا عرضه مسيرة شهر ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عددها بعدد نجوم السماء [8] فيه ميزابان يصبان فيه من الكوثر [9] . وأن يؤمن بالحساب وتفاوت الناس فيه إلى مناقش فى الحساب وإلى مسامح فيه وإلى من يدخل

كتاب قواعد العقائد

(١) حديث « سؤال منكر ونكير » أخرجه الترمذى وصححه ابن حبان من حديث أبي هريرة « إذا قبر الميت — أو قال أحدكم — أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير » وفى الصحيحين من حديث أنس « إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وأنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه .. الحديث » (٢) حديث « إنهما فتانا القبر » أخرجه أحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمرو « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فتاني القبر فقال عمر : أترد علينا عقولنا ؟ .. الحديث » (٣) حديث « إن سؤالهما أول فتنة بعد الموت » لم أجده (٤) حديث « عذاب القبر » أخرجاه من حديث عائشة « إنكم تفتنون أو تعذبون فى قبوركم . الحديث » ولهما من حديث أبي هريرة وعائشة « استعاذته صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر » (٥) حديث « الإيمان بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته فى العظم أنه مثل طباق السموات والأرض » أخرجه البيهقى فى البعث من حديث عمر « قال : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان ... الحديث » وأصله عند مسلم ليس فيه ذكر الميزان ، ولأبى داود من حديث عائشة « أما فى ثلاثة مواطن لا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل ؟ » زاد ابن مردويه فى تفسيره « قالت عائشة : أى حق قد علمنا الموازين هى الكفتان توضع فى هذه الضياء ويوضع فى هذه الضياء فترجح إحداهما وتخف الأخرى » والترمذى وحسنه من حديث أنس « واطلبانى عند الميزان » ومن حديث عبد الله بن عمر فى « حديث البطاقة « فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة .. الحديث » وروى ابن شاهين فى كتاب السنة عن ابن عباس « كفة الميزان كأطباق الدنيا كلها » (٦) حديث « الإيمان بالصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر » أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة « ويضرب الصراط بين ظهرانى جهنم » ولهما من حديث أبي سعيد « ثم يضرب الجسر على جهنم » زاد مسلم « قال أبو سعيد : إن الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف » ورفعه أحمد من حديث عائشة والبيهقى فى الشعب ، والبعث من حديث أنس وضعفه ؛ وفى البعث من رواية عبد الله بن عمير مرسلا ومن قول ابن مسعود « الصراط كحد السيف » وفى آخر الحديث مايدل على أنه مرفوع

(٧) حديث « الإيمان بالحوض وأنه يشرب منه المؤمنون » أخرجه مسلم من حديث أنس فى نزول (إنا أعطيناك الكوثر) « هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم » ولهما من حديث ابن مسعود وعقبة ابن عامر وجندب وسهل بن سعد « أنا فرطكم على الحوض » ومن حديث ابن عمر « أمامكم حوض كما بين جرباء وأذرح » وقال الطبرانى « كما بينكم وبين جرباء وأذرح » وهو الصواب . وذكر الحوض فى الصحيح من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وعبد الله بن عمر وحذيفة وأبي ذر وجابر ابن سمرة وحارثة بن وهب وثوبان وعائشة وأم سلمة وأسماء . (٨) حديث « من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا عرضه مسيرة شهر أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عدد نجوم السماء » من حديث عبد الله بن عمرو ولهما من حديث أنس « فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء » وفى رواية لمسلم « أكثر من عدد النجوم » (٩) حديث « فيه ميزابان يصبان من الكوثر » أخرجه مسلم من حديث ثوبان « ينبت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق

الجنة بغير حساب وهم المقربون فيسأل الله تعالى[١] من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين[٢] ويسأل المبتدعة عن السنة[٣] ويسأل المسلمين عن الأعمال[٤] . وأن يؤمن بأخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لايبقى فى جهنم موحد بفضل الله تعالى فلا يخلد فى النار موحد[٥] . وأن يؤمن بشفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين على حسب جاهه ومنزلته عند الله تعالى ومن بقى من المؤمنين ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله عز وجل فلا يخلد فى النار مؤمن بل يخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان[٦]. وأن يعتقد فضل الصحابة رضى الله عنهم وترتيبهم وأن أفضل الناس بعد النبى صلى الله عليه وسلم : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم[٧] . وأن يحسن الظن بجميع الصحابة ويثنى عليهم كما أثنى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين[٨] فكل ذلك مما وردت به الأخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من أهل الحق وعصابة السنة وفارق رهط الضلال وحزب البدعة . فنسأل الله كمال اليقين وحسن الثبات فى الدين لنا ولكافة المسلمين برحمته إنه أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

---

(١) حديث «الايمان بالحساب وتفاوت الخلق فيه إلى مناقش فى الحساب ومسامح فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب» أخرجه البيهقى فى البعث من حديث عمر « فقال يارسول الله ما الايمان ، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالموت والبعث من بعد الموت والحساب والجنة والنار والقدر كله .. الحديث » وهو عند مسلم دون ذكر « الحساب » والشيخين من حديث عائشة «من نوقش الحساب عذب قالت قلت يقول الله تعالى (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) قال ذاك العرض » ولهما من حديث ابن عباس « عرضت على الأمم فقيل هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب » ولمسلم من حديث أبى هريرة وعمران بن حصين « يدخل من أمتى الجنة سبعون ألفا بغير حساب » زاد البيهقى فى البعث من حديث عمرو بن حزم « وأعطانى مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا » زاد أحمد من حديث عبد الرحمن بن أبى بكر بعده : هذه الزيادة فقال « فهلا استزدته قال قد استزدته فأعطانى مع كل رجل سبعين ألفا قال عمر فهلا استزدته قال قد استزدته فأعطانى هكذا — وفرج عبد الرحمن بن أبى بكر بين يديه — . الحديث » (٢) حديث « سؤال من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين » أخرجه البخارى من حديث أبى سعيد « يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا رب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمته فيقولون ما أتانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وأمته ... الحديث » ولابن ماجه « يجىء النبى يوم القيامة ... الحديث » وفيه « فيقال هل بلغت قومك ... الحديث » (٣) حديث « سؤال المبتدعة عن السنة » رواه ابن ماجه من حديث عائشة « من تكلم بشىء من القدر سئل عنه يوم القيامة » ومن حديث أبى هريرة « ما من داع يدعو إلى شىء الا وقف يوم القيامة لازما لدعوة ما دعا إليه وان دعا رجل رجلا » وأسنادهما ضعيف (٤) حديث «سؤال المسلمين عن الأعمال» أخرجه أصحاب السنن ، من حديث أبى هريرة « إن أول مايحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته .. الحديث » وسيأتى فى الصلاة .

(٥) حديث « إخراج الموحدين من النار حتى لايبقى فيها موحد بفضل الله سبحانه » أخرجه الشيخان من حديث أبى هريرة فى حديث طويل « حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لايشرك بالله شيئاً ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله الا الله .. الحديث » (٦) حديث شفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين ومن بقى من المؤمنين ولم يكن لهم شفيع أخرج بفضل الله فلا يخلد فى النار مؤمن بل يخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان » أخرجه ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان « يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء » وقد تقدم فى العلم . وللشيخين من حديث أبى سعيد الخدرى « من وجدتم فى قلبه مثقال حبة من خردل من الايمان فأخرجوه » وفى رواية « من خير » وفيه « فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفعت النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط .. الحديث » (٧) حديث « أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على » أخرجه البخارى من حديث ابن عمر قال «كنا نخير بين الناس فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان » ولأبى داود « كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حى أفضل أمة النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضى الله عنهم » زاد الطبرانى « ويسمع ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ولا ينكره » (٨) حديث « إحسان الظن بجميع الصحابة والثناء عليهم » أخرجه الترمذى من حديث عبد الله ابن مغفل « الله الله فى أصحابى لاتتخذوهم غرضا بعدى » وللشيخين من حديث أبى سعيد « لا تسبوا أصحابى » وللطبرانى من من حديث ابن مسعود « إذا ذكر أصحابى فأمسكوا »

الفصـــل الثـانى

فى وجه التدريج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد . اعلم أنّ ما ذكرناه فى ترجمة العقيدة ينبغى أن يقدم إلى الصبى فى أوّل نشوه ليحفظه حفظاً ثم لا يزال ينكشف له معناه فى كبره شيئاً فشيئاً ؛ فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به ، وذلك مما يحصل فى الصبى بغير برهان . فمن فضل الله سبحانه على قلب الإنسان أن شرحه فى أوّل نشوه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان ، وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مباديها التلقين المجرّد والتقليد المحض ؟ نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرّد التقليد غير خال عن نوع من الضعف فى الابتداء على معنى أنه يقبل الإزالة بنقيضه لو ألقى إليه فلا بد من تقويته وإثباته فى نفس الصبى والعامى حتى يترسخ ولا يتزلزل . وليس الطريق فى تقويته وإثباته إن يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه . ويشتغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها وبما يسرى إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وسماعهم وهيآتهم فى الخضوع لله عز وجل والخوف منه والاستكانة له فيكون أوّل التلقين كإلقاء بذر فى الصدر ، وتكون هذه الأسباب كالسقى والتربية له حتى ينمو ذلك البذر يقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها فى السماء . وينبغى أن يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة فإنّ ما يشوّشه الجدل أكثر مما يمهده وما يفسده أكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل تضاهى ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد رجاء تقويتها بأن تكثر أجزاؤها وربما يفتتها ذلك ويفسدها وهو الأغلب . والمشاهدة تكفيك فى هذا بيانا فناهيك بالعيان برهانا . فقس عقيدة أهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامى فى الثبات كالطود الشامخ لاتحركه الدواهى والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل فى الهواء تفيئه الرياح مرة هكذا ومرة هكذا إلا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليداً كما تلقف نفس الاعتقاد تقليدا ؛ إذ لا فرق فى التقليد بين تعليم الدليل أو تعلم المدلول فتلقين الدليل شىء والاستدلال بالنظر شىء آخر بعيد عنه . ثم الصبى إذا وقع نشوه على هذه العقيدة إن اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم فى الآخرة باعتقاد أهل الحق ، إذ لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد ، فأما البحث والتفتيش وتكلف نظم الأدلة فلم يكلفوه أصلا . وإن أراد أن يكون من سالكى طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتحت له أبواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهى يقذف فى قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده عز وجل إذ قال (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) وهو الجوهر النفيس الذى هو غاية إيمان الصدّيقين والمقرّبين ، وإليه الإشارة بالسر الذى وقر فى صدر أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه حيث فضل به الخلق . وانكشاف ذلك السر بل تلك الأسرار له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن فى النظافة والطهارة عما سوى الله تعالى وفى الاستضاءة بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق فى أسرار الطب والفقه وسائر العلوم إذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة فى الذكاء والفطنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه (مسألة) فإن قلت : تعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم أو هو

مباح أو مندوب اليه ؟ فاعلم أنّ للناس فى هذا غلوا وإسرافا فى أطراف فمن قائل إنه بدعة أو حرام وأنّ العبد إن لقى الله عز وجل بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام ، ومن قائل إنه واجب وفرض إما على الكفاية أو على الأعيان وأنه أفضل الأعمال وأعلى القربات فإنه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله تعالى . وإلى التحريم ذهب الشافعى ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف . قال ابن عبد الأعلى رحمه الله سمعت الشافعى رضى الله عنه يوم ناظر حفصا الفرد ـ وكان من متكلمى المعتزلة ـ يقول : لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير من أن يلقاه بشىء من علم الكلام ولقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه ، وقال أيضا : قد اطلعت من أهل الكلام على شىء ما ظننته قط ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ماعدا الشرك خير له من أن ينظر فى الكلام . وحكى الكرابيسى « أنّ الشافعى رضى الله عنه سئل عن شىء من الكلام فغضب وقال : سل عن هذا حفصا الفرد وأصحابه ، أخزاهم الله ، ولما مرض الشافعى رضى الله عنه دخل عليه حفص الفرد فقال له : من أنا ؟ فقال : حفص الفرد ، لاحفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه . وقال أيضا لو علم الناس ما فى الكلام من الأهواء لفروا منه فرارهم من الأسد ؟ وقال أيضا إذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى ؟ فاشهد بأنه من أهل الكلام ولا دين له . قال الزعفرانى : قال الشافعى حكمى فى أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم فى القبائل والعشائر ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ فى الكلام ؟ وقال أحمد بن حنبل : لايفلح صاحب الكلام أبداً ، ولا تكاد ترى أحداً نظر فى الكلام إلا وفى قلبه دغل ، وبالغ فى ذمه حتى هجر الحارث المحاسبى مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا فى الرد على المبتدعة وقال له : ويحك ألست تحكى بدعتهم أولا ثم ترد عليهم ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر فى تلك الشبهات فيدعوهم ذلك إلى الرأى والبحث ! وقال احمد رحمه الله : علماء الكلام زنادقة . وقال مالك رحمه الله : أرأيت إن جاءه من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد ؟ يعنى أن أقوال المتجادلين تتفاوت . وقال مالك رحمه الله أيضا : لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء ؛ فقال بعض أصحابه ـ فى تأويله ـ أنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أى مذهب كانوا . وقال أبو يوسف : من طلب العلم بالكلام تزندق . وقال الحسن : لاتجادلوا أهل الأهواء ولا تجالسوهم ولا تسمعوا منهم ، وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا . ولا ينحصر مانقل عنهم من التشديدات فيه وقالوا ما سكت عنه الصحابة ـ مع أنهم أعرف بالحقائق وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم ـ إلا لعلمهم بمايتولد منه من الشر . ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم « هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون[1] » أى المتعمقون فى البحث والاستقصاء . واحتجوا أيضا بأن ذلك لو كان من الدين لكان ذلك أهم مايأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم طريقه ويثنى عليه وعلى أربابه ، فقد علمهم الاستنجاء[2] ، وندبهم إلى علم الفرائض وأثنى عليهم[3] ونهاهم عن الكلام فى القدر وقال أمسكوا[4] عن القدر . وعلى هذا استمر الصحابة رضى الله عنهم فالزيادة على الأستاذ طغيان وظلم . وهم الأستاذون والقدوة ونحن الأتباع والتلامذة . وأما الفرقة الأخرى فاحتجوا بأن قالوا : إن المحذور من الكلام إن كان هو لفظ الجوهر والعرض وهذه الاصطلاحات الغريبة التى لم تعهدها الصحابة

(١) حديث « هلك المتنطعون » أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود (٢) حديث أن النبى صلى الله عليه وسلم علمهم الاستنجاء » أخرجه مسلم من حديث سلمان الفارسى (٣) حديث « ندبهم الى علم الفرائض وأثنى عليهم » أخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة (تعلموا الفرائض وعلموها الناس ... الحديث) وللترمذى من حديث أنس وأفرضهم زيد بن ثابت

(٤) حديث (نهاهم عن الكلام فى القدر وقال أمسكوا) تقدم فى العلم

رضى الله عنهم فالأمر فيه قريب ، إذا ما من علم إلا وقد أحدث فيه اصطلاحات لأجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدية وفساد الوضع إلى جميع الأسئلة التى تورد على القياس لما كانوا يفقهونه . فإحداث عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كإحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها فى مباح ، وإن كان المحذور هو المعنى فنحن لا نعنى به إلا معرفة الدليل على حدوث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كما جاء فى الشرع فمن أين تحرم معرفة الله تعالى بالدليل ، وإن كان المحذور هو التشعب والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضى إليه الكلام فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه كما أن الكبر والعجب والرياء وطلب الرياسة مما يفضى إليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم يجب الاحتراز عنه ولكن لا يمنع من العلم لأجل أدائه إليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظوراً وقد قال الله تعالى (قل هاتوا برهانكم) وقال عز وجل (ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة) وقال تعالى (هل عندكم من سلطان بهذا) أى حجة وبرهان وقال تعالى (قل فلله الحجة البالغة) وقال تعالى (ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه - إلى قوله - فبهت الذى كفر) إذ ذكر سبحانه احتجاج إبراهيم ومجادلته وإلحامه خصمه فى معرض الثناء عليه وقال عز وجل (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه) وقال تعالى (قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا) وقال تعالى فى قصة فرعون (وما رب العالمين - إلى قوله - أولو جئتك بشىء مبين) وعلى الجملة فالقرآن من أوله إلى آخره محاجة مع الكفار فعمدة أدلة المتكلمين فى التوحيد قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) وفى النبوة (وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) وفى البعث (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) إلى غير ذلك من الآيات والأدلة . ولم تزل الرسل صلوات الله عليهم يحاجون المنكرين ويجادلونهم قال تعالى (وجادلهم بالتى هى أحسن) فالصحابة رضى الله عنهم أيضا كانوا يحاجون المنكرين ويجادلون ولكن عند الحاجة . وكانت الحاجة اليه قليلة فى زمانهم وأول من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة إلى الحق : على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، إذ بعث ابن عباس رضى الله عنهما إلى الخوارج فكلمهم فقال : ما تنقمون على إمامكم ؟ قالوا : قاتل ولم يسب ولم يغنم ، فقال : ذلك فى قتال الكفار ! أرأيتم لو سبيت عائشة رضى الله عنها فى سهم أحدكم أكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهى أمكم فى نص الكتاب ؟ فقالوا : لا ، فرجع منهم إلى الطاعة بمجادلته ألفان . وروى أن الحسن ناظر قدريا فرجع عن القدر . وناظر على بن أبى طالب كرم الله وجهه رجلا من القدرية . وناظر عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يزيد بن عميرة فى الإيمان ، قال عبد الله : لو قلت إنى مؤمن لقلت إنى فى الجنة ؟ فقال له يزيد بن عميرة : ياصاحب رسول الله هذه زلة منك وهل الإيمان إلا أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والميزان وتقيم الصلاة والصوم والزكاة ؟ ولنا ذنوب لو نعلم أنها تغفر لنا لعلمنا أننا من أهل الجنة ، فمن أجل ذلك نقول إنا مؤمنون ولا نقول إنا من أهل الجنة . فقال ابن مسعود صدقت والله إنها منى زلة ، فينبغى أن يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيراً لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس واتخاذه صناعة ، فيقال أما قلة خوضهم فيه فانه كان لقلة الحاجة إذا لم تكن البدعة تظهر فى ذلك الزمان ، وأما القصر فقد كان لغاية إلجام الخصم واعترافه وانكشاف الحق وازالة الشبهة ، فلو طال إشكال الخصم أو لجاجه لطال لا محالة إلزامهم . وما كانوا يقدرون قدر الحاجة بميزان ولا مكيال بعد الشروع فيها ، وأما عدم تصديهم للتدريس والتصنيف فيه فهكذا كان دأبهم فى الفقه والتفسير والحديث أيضا ، فان جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التى لا تتفق إلا على الندور إما إدخار اليوم وقوعها وإن كان نادرا أو تشحيذا للخواطر فنحن أيضا نرتب طرق

المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة أو هيجان مبتدع أو لتشحيذ الخاطر أو لادخار الحجة حتى لا يعجز عنها عند الحاجة على البديهة والارتجال ، كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا مايمكن أن يذكر للفريقين * فإن قلت : فما المختار عندك فيه ؟ فاعلم أن الحق فيه أن إطلاق القول بذمه فى كل حال أو بحمده فى كل حال خطأ بل لابد فيه من تفصيل . فاعلم أولا أن الشىء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة وأعنى بقولى « لذاته » أن علة تحريمه وصف فى ذاته وهو الإسكار والموت . وهذا إذا سئلنا عنه أطلقنا القول بأنه حرام ولايلتفت إلى إباحة الميتة عند الاضطرار وإباحة تجرع الخمر إذا غص الإنسان بلقمة ولم يجد ما يسيغها سوى الخمر وإلى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع أخيك المسلم فى وقت الخيار والبيع وقت النداء ، وكأكل الطين فإنه يحرم لما فيه من الإضرار وهذا ينقسم إلى ما يضر قليلة وكثيره فيطلق القول عليه بأنه حرام كالسم الذى يقتل قليله وكثيره ، وإلى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالإباحة كالعسل فإن كثيره يضر بالمحرور ، وكأكل الطين . وكأن إطلاق التحريم على الطين والخمر والتحليل على العسل التفات إلى أغلب الأحوال ؛ فإن تصدى شىء تقابلت فيه الأحوال فالأولى والأبعد عن الالتباس أن يفصل فنعود إلى علم الكلام ونقول : إن فيه منفعة وفيه مضرة ، فهو باعتبار منفعته فى وقت الانتفاع حلال أو مندوب إليه أو واجب كما يقتضيه الحال ، وهو باعتبار مضرته فى وقت الاستضرار ومحله حرام أما مضرته فإثارة الشبهات وتحريك العقائد وإزالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل فى الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ، ويختلف فيه الأشخاص ، فهذا ضرره فى الاعتقاد الحق . وله ضرر آخر فى تأكيد اعتقاد المبدعة للبدعة وتثبيته فى صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الإصرار عليه ولكن هذا الضرر بواسطة التعب الذى يثور من الجدل ولذلك ترى المبتدع العامى يمكن أن يزول اعتقاده باللطف فى أسرع زمان إلا إذا كان نشؤه فى بلد يظهر فيها الجدل والتعصب فإنه لو اجتمع عليه الأولون والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولى على قلبه ويمنعه من إدراك الحق حتى لو قيل له : هل تريد أن يكشف الله تعالى لك الغطاء ويعرفك بالعيان أن الحق مع خصمك لكره ذلك خيفة من أن يفرح به خصمه ؟ وهذا هو الداء العضال الذى استطار فى البلاد والعباد وهو نوع فساد أثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره . وأما منفعته فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ماهى عليه وهيهات فليس فى الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف ، وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوى ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ماجهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك إلى التعمق فى علوم أخر تناسب نوع الكلام وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود . ولعمرى لاينفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور ولكن على الندور فى أمور جلية تكاد تفهم قبل التعمق فى صنعة الكلام بل منفعته شىء واحد وهو حراسة العقيدة التى ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة بأنواع الجدل فإن العامى ضعيف يستفزه جدل المبتدع وإن كان فاسدا ، ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه . والناس متعبدون بهذه العقيدة التى قدمناها إذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم وأجمع السلف الصالح عليها والعلماء يتعبدون بحفظها على العوام من تلبيسات المبتدعة كما تعبد السلاطين بحفظ أموالهم عن تهجمات الظلمة والغصاب وإذا وقعت الإحاطة بضرره ومنفعته فينبغى أن يكون كالطبيب الحاذق فى استعمال الدواء الخطر إذ لايضعه إلا فى موضعه وذلك فى وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة . وتفصيله أن العوام المشتغلين بالحرف والصناعات يجب أن يتركوا على سلامة عقائدهم

التى اعتقدوها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذى ذكرناه فإن تعليمهم الكلام ضرر محض فى حقهم إذ ربما يثير لهم شكا ويزلزل عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالإصلاح . وأما العامى المعتقد للبدعة فينبغى أن يدعى إلى الحق بالتلطف لا بالتعصب وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر فى القلب القريب من سياق أدلة القرآن والحديث الممزوج بفن من الوعظ والتحذير فإن ذلك أنفع من الجدال الموضوع على شرط المتكلمين ؛ إذ العامى إذا سمع ذلك اعتقد أنه نوع صنعة من الجدل تعلمها المتكلم ليستدرج الناس إلى اعتقاده فإن عجز عن الجواب قدر أن المجادلين من أهل مذهبه أيضا يقدرون على دفعه . فالجدل مع هذا ومع الأول حرام وكذلك مع من وقع فى شك إذ يجب إزالته باللطف والوعظ والأدلة القريبة المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام . واستقصاء الجدل إنما ينفع فى موضع واحد وهو أن يفرض عامى اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود إلى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له من الأنس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامية فقد انتهى هذا إلى حالة لا يشفيه منها إلا دواء الجدل لجاز أن يلقى إليه . وأما فى بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد الذى ذكرناه ولا يتعرض للأدلة ويتربص وقوع شبهة فإن وقعت ذكر بقدر الحاجة فإن كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان أن يخدعوا فلا بأس أن يعلموا القدر الذى أودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تأثير مجادلات المبتدعة إن وقعت إليهم وهذا مقدار مختصر وقد أودعناه هذا الكتاب لاختصاره فإن كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع سؤال أو ثارت فى نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا بأس أن يرقى منه إلى القدر الذى ذكرناه فى كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد ـ وهو قدر خمسين ورقة ـ وليس فيه خروج عن النظر فى قواعد العقائد إلى غير ذلك من مباحث المتكلمين . فإن أقنعه ذلك كف عنه وإن لم يقنعه ذلك فقد صارت العلة مزمنة والداء غالبا والمرض ساريا فليتلطف به الطبيب بقدر إمكانه وينتظر قضاء الله تعالى فيه إلى أن ينكشف له الحق بتنبيه من الله سبحانه أو يستمر على الشك والشبهة إلى ما قدر له فالقدر الذى يحويه ذلك الكتاب وجنسه من المصنفات هو الذى يرجى نفعه . فأما الخارج منه فقسمان ؛ أحدهما : بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتمادات وعن الأكوان وعن الإدراكات وعن الخوض فى الرؤية هل لها ضد يسمى المنع أو العمى ؟ وإن كان فذلك واحد هو منع عن جميع ما لا يرى أو ثبت لكل مرئى يمكن رؤيته منع بحسب عدده إلى غير ذلك من الترهات المضلات . والقسم الثانى : زيادة تقرير لتلك الأدلة فى غير تلك القواعد وزيادة أسئلة وأجوبة وذلك أيضاً استقصاء لا يزيد إلا ضلالا وجهلا فى حق من لم يقنعه ذلك القدر فرب كلام يزيده الإطناب والتقرير غموضاً . ولو قال قائل : البحث عن حكم الإدراكات والاعتمادات فيه فائدة تشحيذ الخواطر . والخاطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا بأس بتشحيذه كان كقوله لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من الدين أيضاً وذلك هوس فإن الخاطر يتشحذ بسائر علوم الشرع ولا يخاف فيها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام والحال التى يذم فيها والحال التى يحمد فيها والشخص الذى ينتفع به والشخص الذى لا ينتفع به . فإن قلت : مهما اعترفت بالحاجة إليه فى دفع المبتدعة والآن قد ثارت البدع وعمت البلوى وأرهقت الحاجة فلا بد أن يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق كالقضاء والولاية وغيرهما ؟ وما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولو ترك بالكلية لاندرس وليس فى مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة مالم

يتعلم فينبغى أن يكون التدريس فيه والبحث عنه أيضا من فروض الكفايات بخلاف زمن الصحابة رضى الله عنهم فإنّ الحاجة ما كانت ماسة إليه . فاعلم أن الحق أنه لا بد فى كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل يدفع شبه المبتدعة التى ثارت فى تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير فإن هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء لايحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من أنواع الضرر . فالعالم الذى ينبغى أن يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال ؛ إحداها : التجرد للعلم والحرص عليه ، فإن المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام وإزالة الشكوك إذا عرضت . الثانية : الذكاء والفطنة والفصاحة فإن البليد لا ينتفع بفهمه والفدم لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه نفعه . الثالثة : أن يكون فى طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا تكون الشهوات غالبة عليه فإن الفاسق بأدنى شبهة ينخلع عن الدين فإن ذلك يحل عنه الحجر ويرفع للسد الذى بينه وبين الملاذ فلايحرص على إزالة الشبهة بل يغتنمها ليتخلص من أعباء التكليف فيكون ما يفسده مثل هذا المتعلم أكثر مما يصلحه . وإذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك أن هذه الحجة المحمودة فى الكلام إنما هى من جنس حجج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة فى القلوب المقنعة للنفوس دون التغلغل فى التقسيمات والتدقيقات التى لايفهمها أكثر الناس وإذا فهموها اعتقدوا أنها شعوذة وصناعة تعلمها صاحبها للتلبيس ، فإذا قابله مثله فى الصنعة قاومه . وعرفت أن الشافعى وكافة السلف إنما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذى نبهنا عليه . وأن ما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما من مناظرة الخوارج وما نقل عن على رضى الله عنه من المناظرة فى القدر وغيره كان من الكلام الجلى الظاهر وفى محل الحاجة وذلك محمود فى كل حال . نعم قد تختلف الأعصار فى كثرة الحاجة وقلتها فلا يبعد أن يختلف الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة التى تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها فأما إزالة الشبهة وكشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ما هى عليه وإدراك الأسرار التى يترجمها ظاهر ألفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح له إلا المجاهدة وقمع الشهوات والإقبال بالكلية على الله تعالى وملازمة الفكر الصافى عن شوائب المجادلات وهى رحمة من الله عز وجل تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر الرزق وبحسب التعرض وبحسب قبول المحل وطهارة القلب وذلك البحر الذى لايدرك غوره ولا يبلغ ساحله (مسألة) فإن قلت : هذا الكلام يشير إلى أن هذه العلوم لها ظواهر وأسرار وبعضها جلى يبدو أولا وبعضها خفى يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافى والسر الخالى عن كل شىء من أشغال الدنيا سوى المطلوب وهذا يكاد يكون مخالفاً للشرع إذ ليس للشرع ظاهر وباطن وسر وعلن بل الظاهر والباطن والسر والعلن واحد فيه ؟ فاعلم أن انقسام هذه العلوم إلى خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة وإنما ينكرها القاصرون الذى تلقفوا فى أوائل الصبا شيئاً وجمدوا عليه فلم يكن لهم ترق إلى شأو العلماء ومقامات العلماء والأولياء وذلك ظاهر من أدلة الشرع قال صلى الله عليه وسلم « إنّ للقرآن ظاهراً وباطناً وحدّا ومطلعا [1] » وقال على رضى الله عنه ـ وأشار إلى صدره ـ إنّ ههنا علوما جمة لو وجدت لها حملة . وقال صلى الله عليه وسلم « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « ماحدث أحد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم إلا كان فتنة عليهم [3] » وقال الله تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) وقال

(١) حديث « إن للقرآن ظاهرا وباطنا .. الحديث » أخرجه ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن مسعود بنحوه (٢ حديث « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم .. الحديث) تقدم فى العلم (٣) حديث (ماحدث أحد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم ... الحديث) تقدم فى العلم

صلى الله عليه وسلم « إنّ من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العالمون بالله تعالى [١] » الحديث إلى آخره كما أوردناه في كتاب العلم . وقال صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا [٢] » فليت شعري إن لم يكن ذلك سرا منع من إفشائه لقصور الأفهام عن إدراكه أو لمعنى آخر فلم لم يذكره لهم ولا شك أنهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم ؟ وقال ابن عباس رضى الله عنهما في قوله عز وجل (الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن) لو ذكرت تفسيره لرجمتموني . وفي لفظ آخر : لقلتم إنه كافر ، وقال أبو هريرة رضى الله عنه : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين أما أحدهما فبثثته وأما الآخر لو بثثته لقطع هذا الحلقوم . وقال صلى الله عليه وسلم « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسر وقر في صدره [٣] » رضى الله عنه ولا شك في أن ذلك السر كان متعلقا بقواعد الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين لم يكن خافيا بظواهره على غيره ، وقال سهل التسترى رضى الله عنه : للعالم ثلاثة علوم : علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر وعلم باطن لا يسعه إظهاره إلا لأهله وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لأحد . وقال بعض العارفين : إفشاء سر الربوبية كفر . وقال بعضهم : للربوبية سر لو أظهر لبطلت النبوة ، وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم ، وللعلماء بالله سر لو أظهروه لبطلت الأحكام ، وهذا القائل إن لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق الضعفاء لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق بل الصحيح أنه لا تناقض فيه وأن الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ، وملاك الورع النبوة (مسألة) فإن قلت : هذه الآيات والأخبار يتطرق إليها تأويلات فبين لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن فإنّ الباطن إن كان مناقضاً للظاهر ففيه إبطال الشرع ، وهو قول من قال : إن الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر لأن الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عبارة عن الباطن وإن كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو فيزول به الانقسام ولا يكون للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفى والجلى واحد ؟ فاعلم أن هذا السؤال يحرك خطبا عظيما وينجر إلى علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة وهو غرض هذه الكتب فإن العقائد التى ذكرناها من أعمال القلوب وقد تعبدنا بتلقينها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا بأن يتوصل إلى أن ينكشف لنا حقائقها فإن ذلك لم يكلف به كافة الخلق « ولولا أنه من الأعمال لما أوردناه في هذا الكتاب ، ولولا أنه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما أوردناه في الشطر الأول من الكتاب وإنما الكشف الحقيقى هو صفة سر القلب وباطنه ولكن إذا انجر الكلام إلى تحريك خيال في منافضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز في حله . فمن قال : إن الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يناقض الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان بل الأسرار التى يختص بها المقربون بدركها ولا يشاركهم الأكثرون في علمها ويمتنعون عن إفشائها إليهم ترجع الى خمسة أقسام : القسم الأول : أن يكون الشيء في نفسه دقيقا تكل أكثر الأفهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعليهم أن لا يفشوه إلى غير أهله فيصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر أفهامهم عن الدرك . وإخفاء سر الروح وكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيانه [٤] من هذا القسم فإن حقيقته مما تكل الأفهام عن دركه وتقصر الأوهام عن تصور كنهه . ولا تظنن أنّ ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنّ من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه ومن لم يعرف نفسه

---

(١) حديث (لمن من العلم كهيئة المكنون .. الحديث) تقدم في العلم (٢) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً) أخرجاه من حديث عائشة وأنس (٣) حديث (ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام . الحديث) تقدم في العلم

(٤) حديث (كف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيان الروح) أخرجه الشيخان من حديث ابن مسعود حين سأله اليهود عن الروح قال (فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئا ... الحديث)

فكيف يعرف ربه سبحانه ؟ ولا يبعد أن يكون ذلك مكشوفا لبعض الأولياء والعلماء وإن لم يكونوا أنبياء ولكنهم يتأدبون بآداب الشرع فيسكتون عما سكت عنه بل فى صفات الله عز وجل من الخفايا ما تقصر أفهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها إلا الظواهر الأفهام من العلم والقدرة وغيرهما حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها إلى علمهم وقدرتهم إذ كان لهم من الأوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة . ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شىء لم يفهموه ، بل لذة الجماع إذا ذكرت للصبى أو العنين لم يفهمها إلا بمناسبة إلى لذة المطعوم الذى يدركه ولا يكون ذلك فهما على التحقيق . والمخالفة بين علم الله تعالى وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم أكثر من المخالفة بين لذة الجماع والأكل . وبالجملة فلا يدرك الإنسان إلا نفسه وصفات نفسه بما هى حاضرة له فى الحال أو بما كانت له من قبل ثم بالمقايسة إليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بأن بينهما تفاوتا فى الشرف والكمال فليس فى قوة البشر إلا أن يثبت لله تعالى ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بأن ذلك أكمل وأشرف فيكون معظم تحريمه على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به من الجلال . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »[1] ، وليس المعنى أنى أعجز عن التعبير عما أدركته بل هو اعتراف بالقصور عن إدراك كنه جلاله . ولذلك قال بعضهم : ما عرف الله بالحقيقة سوى الله عز وجل . وقال الصديق رضى الله عنه : الحمد لله الذى لم يجعل للخلق سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته . ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط ولنرجع إلى الغرض وهو أن أحد الأقسام ما تكل الأفهام عن إدراكه ومن جملته الروح ومن جملته بعض صفات الله تعالى . ولعل الإشارة إلى مثله فى قوله صلى الله عليه وسلم « إن لله سبحانه وتعالى سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره »[2] .

القسم الثانى : من الخفيات التى تمتنع الأنبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم فى نفسه لا يكل الفهم عنه لكن ذكره يضر بأكثر المستمعين ولا يضر بالأنبياء والصديقين . وسر القدر الذى منع أهل العلم من إفشائه من هذا القسم ، فلا يبعد أن يكون ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بأبصار الخفافيش وكما تضر رياح الورد بالجعل ، وكيف يبعد هذا وقولنا إن الكفر والزنا والمعاصى والشرور كله بقضاء الله تعالى وإرادته ومشيئته حق فى نفسه وقد أضر سماعه بقوله إذ أوهم ذلك عندهم أنه دلالة على السفه ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم ؟ وقد ألحد ابن الراوندى وطائفة من المخذولين بمثل ذلك . وكذلك سر القدر لو أفشى لأوهم عند أكثر الخلق عجزا إذ تقصر أفهامهم عن إدراك ما يزيل ذلك الوهم عنهم ، ولو قال قائل : إن القيامة لو ذكر ميقاتها وأنها بعد ألف سنة أو أكثر أو أقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فلعل المدة اليها بعيدة فيطول الأمد ، وإذا استبطأت النفوس وقت العقاب قل اكتراثها ولعلها كانت قريبة فى علم الله سبحانه ولو ذكرت لعظم الخوف وأعرض الناس عن الأعمال وخربت الدنيا ، فهذا المعنى لو اتجه وصح فيكون مثالا لهذا القسم

---

(١) حديث (لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) أخرجه مسلم من حديث عائشة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك فى سجوده (٢) حديث (إن لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره) أخرجه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب العظمة من حديث أبى هريرة (بين الله وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجابا من نور) وإسناده ضعيف . وفيه أيضا من حديث أنس قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل هل ترى ربك ؟ قال إن بينى وبينه سبعين حجابا من نور وفى الأكبر للطبرانى من حديث سهل بن سعد (دون الله تعالى ألف حجاب من نور وظلمة) ولمسلم من حديث أبى موسى (حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه) ولابن ماجه (شىء أدركه بصره)

القسم الثالث : أن يكون الشيء بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه فى قلب المستمع أغلب وله مصلحة فى أن يعظم وقت ذلك الأمر فى قلبه ، كما لو قال قائل : رأيت فلانا يقلد الدرّ فى أعناق الخنازير ؛ فكنى به عن إفشاء العلم وبث الحكمة إلى غير أهلها فالمستمع قد يسبق إلى فهمه ظاهر اللفظ ، والمحقق إذا نظر وعلم أن ذلك الإنسان لم يكن معه درّ ولا كان فى موضعه خنزير تفطن لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس فى ذلك ، ومن هذا قال الشاعر :

رجلان خياط وآخر حائك متقابلان على السماك الأعزل

لازال ينسج ذاك خرقة مدبر وينخيط صاحبه ثياب المقبل

فانه عبر عن سبب سماوى فى الإقبال والإدبار برجلين صانعين وهذا النوع يرجع إلى التعبير عن المعنى بالصورة التى تتضمن عين المعنى أو مثله ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « إن المسجد لينزوى من النخامة كما تنزوى الجلدة على النار [1] » وأنت ترى أن ساحة المسجد لاتنقبض بالنخامة ، ومعناه أن روح المسجد كونه معظما ورمى النخامة فيه تحقير له فيضاد معنى المسجدية مضادة النار لاتصال أجزاء الجلدة ، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول رأسه رأس حمار [2] » وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون ؛ ولكن من حيث المعنى هو كائن إذ رأس الحمار لم يكن بحقيقته لكونه وشكله بل بخاصيته وهى البلادة والحمق ، ومن رفع رأسه قبل الإمام فقد صار رأسه رأس حمار فى معنى البلادة والحمق وهو المقصود دون الشكل الذى هو قالب المعنى. إذ من غاية الحمق أن يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فإنهما متناقضان . وإنما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر إما بدليل عقلى أو شرعى ، أما العقلى فأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن [3] » إذ لو فتشنا عن قلوب المؤمنين لم نجد فيها أصابع فعلم أنها كناية عن القدرة التى هى سر الأصابع وروحها الخفى ، وكنى بالأصابع عن القدرة لأن ذلك أعظم وقعاً فى تفهم تمام الاقتدار . ومن هذا القبيل فى كنايته عن الاقتدار قوله تعالى ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ فإن ظاهره ممتنع إذ قوله « كن » إن كان خطابا للشيء قبل وجوده فهو محال إذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل وإن كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين . ولكن لما كانت هذه الكناية أوقع فى النفوس فى تفهيم غاية الاقتدار عدل إليها وأما المدرك بالشرع فهو أن يكون إجراؤه على الظاهر ممكنا ولكنه يروى أنه أريد به غير الظاهر كما ورد فى تفسير قوله تعالى ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ﴾ الآية وأن معنى الماء ههنا هو القرآن ومعنى الأودية هى القلوب وأنّ بعضها احتملت شيئاً كثيراً وبعضها قليلا وبعضها لم يحتمل . والزبد مثل الكفر والنفاق فإنه وإن ظهر وطفا على رأس الماء فإنه لا يثبت والهداية التى تنفع الناس تمكث . وفى هذا القسم تعمق جماعة فأوّلوا ما ورد فى الآخرة من الميزان والصراط وغيرهما وهو بدعة إذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية وإجراؤه على الظاهر غير محال فيجب إجراؤه على الظاهر . القسم الرابع : أن يدرك الإنسان الشيء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بأن يصير حالا ملابسا له فيتفاوت العلمان ويكون الأول كالقشر والثانى كاللباب ، والأول كالظاهر والثانى كالباطن.

---

(١) حديث (إن المسجد لينزوى من النخامة .. الحديث) لم أجد له أصلا (٢) حديث (أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الامام .. الحديث) أخرجاه من حديث أبى هريرة (٣) حديث (قلب العبد بين أصبعين من أصابع الرحمن) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو

وذلك كما يتمثل للإنسان فى عينه شخص فى الظلمة أو على البعد فيحصل له نوع علم فإذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظلام أدرك تفرقة بينهما ، ولا يكون الأخير ضدّ الأول بل هو استكمال له . فكذلك العلم والإيمان والتصديق ، إذ قد يصدّق الإنسان بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه ولكن تحققه به عند الوقوع أكمل من تحققه قبل الوقوع بل للإنسان فى الشهوة والعشق وسائر الأحوال ثلاثة أحوال متفاوتة وإدراكات متباينة ، الأول: تصديقه بوجوده قبل وقوعه . والثانى . عند وقوعه . والثالث : بعد تصرمه . فإن تحققك بالجوع بعد زواله يخالف التحقيق قبل الزوال وكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالإضافة إلى ما قبل ذلك ، ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها . فى هذه الأقسام الأربعة تتفاوت الخلق وليس فى شىء منها باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر والسلام . الخامس : أن يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقا ، والبصير بالحقائق يدرك السر فيه وهذا كقول القائل :قال الجدار للوتد لم تشقنى ؟ قال : سل من يدقنى فلم يتركنى ورائى الحجر الذى ورائى ؟ فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ، ومن هذا قوله تعالى ﴿ ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ﴾ فالبليد يفتقر فى فهمه إلى أن يقدّر لها حيـــاة وعقلا وفهما للخطاب وخطابا هو صوت وحرف تسمعه السماء والأرض فتجيبان بحرف وصوت وتقولان ﴿ أتينا طائعين ﴾ والبصير يعلم أن ذلك لسان الحال وأنه إنباء عن كونهما مسخرتين بالضرورة ومضطرتين إلى التسخير . ومن هذا قوله تعالى (وإن من شىء إلا يسبح بحمده) فالبليد يفتقر فيه إلى أن يقدر للجمادات حياة وعقلا ونطقا بصوت وحرف حتى يقول « سبحان الله » ليتحقق تسبيحه . والبصير يعلم أنه ما أريد به نطق اللسان بل كونه مسبحا بوجوده ومقدسا بذاته وشاهدا بوحدانية الله سبحانه كما يقال :

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد

وكما يقال : هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكمال العلم لا بمعنى أنها تقول أشهد بالقول ولكن بالذات والحال . وكذلك ما من شىء إلا وهو محتاج فى نفسه إلى موجد يوجده ويبقيه ويديم أوصافه ويردده فى أطواره فهو بحاجته يشهد لخالقه بالتقديس يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجامدين على الظواهر . ولذلك قال تعالى (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وأما القاصرون فلا يفقهون أصلا وأما المقربون والعلماء الراسخون فلا يفقهون كنهه وكماله إذ لكل شىء شهادات شتى على تقديس الله سبحانه وتسبيحه ، ويدرك كل واحد بقدر عقله وبصيرته ، وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم المعاملة . فهذا الفن أيضا مما يتفاوت أرباب الظواهر وأرباب البصائر فى علمه وتظهر به مفارقة الباطن للظاهر . وفى هذا المقام لأرباب المقامات إسراف واقتصاد فمن مسرف فى رفع الظواهر انتهى إلى تغيير جميع الظواهر والبراهين أو أكثرها حتى حملوا قوله تعالى (وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم) وقوله تعالى (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء) وكذلك المخاطبات التى تجرى من منكر ونكير وفى الميزان والصراط والحساب ومناظرات أهل النار وأهل الجنة فى قولهم (أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله) زعموا أن ذلك كله بلسان الحال . وغلا آخرون فى حسم الباب منهم أحمد بن حنبل رضى الله عنه حتى منع تأويل قوله (كن فيكون) وزعموا أن ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى فى كل لحظة بعدد كون مكون حتى سمعت بعض أصحابه يقول : إنه حسم باب التأويل إلا لثلاثة ألفاظ قوله

صلى الله عليه وسلم « الحجر الأسود يمين الله فى أرضه [1] » وقوله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمنين بين أصبعين من أصابع الرحمن » وقوله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم « إنى لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن [2] » ومال إلى حسم الباب أرباب الظواهر . والظن بأحمد بن حنبل رضى الله عنه أنه علم أن الاستواء ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ولكنه منع من التأويل حسما للباب ورعاية لصلاح الخلق . فإنه إذا فتح الباب اتسع الخرق وخرج الأمر عن الضبط وجاوز حد الاقتصاد إذ حد ما جاوز الاقتصاد لا ينضبط فلا بأس بهذا الزجر ويشهد له سيرة السلف فإنهم كانوا يقولون : أمروها كما جاءت ، حتى قال مالك رحمه الله لما سئل عن الاستواء : الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة . وذهبت طائفة إلى الاقتصاد وفتحوا باب التأويل فى كل ما يتعلق بصفات الله سبحانه وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها ومنعوا التأويل فيه وهم الأشعرية . وزاد المعتزلة عليهم حتى أولوا من صفاته تعالى الرؤية وأولوا كونه سميعا بصيرا وأولوا المعراج وزعموا أنه لم يكن بالجسد وأولوا عذاب القبر والميزان والصراط وجملة من أحكام الآخرة . ولكن أقروا بحشر الأجساد وبالجنة واشتمالها على المأكولات والمشمومات والمنكوحات والملاذ المحسوسة ، وبالنار واشتمالها على جسم محسوس يحرق بحرق الجلود ويذيب الشحوم . ومن ترقيهم إلى هذا الحد زاد الفلاسفة فأولوا كل ما ورد فى الآخرة وردوه إلى آلام عقلية وروحانية ولذات عقلية وأنكروا حشر الأجساد وقالوا ببقاء النفوس وأنها تكون إما معذبة وإما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس وهؤلاء هم المسرفون . وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال كله وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه إلا الموفقون الذين يدركون الأمور بنور إلهى لا بالسماع ، ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هى عليه نظروا إلى السمع والألفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه وما خالف أولوه . فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد فلا يستقر له فيها قدم ولا يتعين له موقف . والألبق بالمقتصر على السمع المجرد : مقام أحمد بن حنبل رحمه الله . والآن فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد فى هذه الأمور داخل فى علم المكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه ؛ والغرض بيان موافقة الباطن الظاهر وأنه غير مخالف له فقد انكشف بهذه الأقسام الخمسة أمور كثيرة . وإذا رأينا أن نقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التى حررناها وأنهم لا يكلفون غير ذلك فى الدرجة الأولى إلا إذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة فيرقى فى الدرجة الثانية إلى عقيدة فيها لوامع من الأدلة مختصرة من غير تعمق . فلنورد فى هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر فيها على ما حررناه لأهل القدس وسميناه « الرسالة القدسية فى قواعد العقائد » وهى مودعة فى هذا الفصل الثالث من هذا الكتاب

الفصل الثالث

من كتاب قواعد العقائد فى لوامع الأدلة للعقيدة التى ترجمناها بالقدس فنقول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى ميز عصابة السنة بأنوار اليقين وآثر رهط الحق بالهداية إلى دعائم الدين وجنبهم زيغ الزائغين وضلال الملحدين ووفقهم للاقتداء بسيد المرسلين وسددهم للتأسى بصحبه الأكرمين ويسر لهم اقتفاء آثار السلف

---

(١) حديث (الحجر يمين الله فى الأرض) أخرجه الحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمر (٢) حديث (إنى لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن) أخرجه أحمد من حديث أبى هريرة فى حديث قال فيه (وأجد نفس ربكم من قبل اليمن) ورجاله ثقات

الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين ومن سير الأوّلين وعقائدهم بالمنهج المبين ، فجمعوا بالقول بين نتائج العقول وقضايا الشرع المنقول ، وتحققوا أنّ النطق بما تعبدوا به من قول « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ليس له طائل ولا محصول إن لم تتحقق الإحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من الأقطاب والأصول ، وعرفوا أن كلمتى الشهادة على إيجازها تتضمن إثبات ذات الإله وإثبات صفاته وإثبات أفعاله وإثبات صدق الرسول ، وعلموا أن بناء الإيمان على هذه الأركان وهى أربعة ويدور كل ركن منها على عشرة أصول (الركن الأوّل) فى معرفة ذات الله تعالى ومداره على عشرة أصول : وهى العلم بوجود الله تعالى وقدمه وبقائه وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وأنه سبحانه ليس مختصاً بجهة ولا مستقرّا على مكان وأنه يرى وأنه واحد (الركن الثانى) فى صفاته ويشتمل على عشرة أصول : وهو العلم بكونه حيا عالما قادراً مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حلول الحوادث وأنه قديم الكلام والعلم والإرادة (الركن الثالث) فى أفعاله تعالى ومداره على عشرة أصول : وهى أنّ أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وأنها مكتسبة للعباد وأنها مرادة لله تعالى وأنه متفضل بالخلق والاختراع وأنّ له تعالى تكليف ما لا يطاق ، وأنّ له إيلام البرىء ولا يجب عليه رعاية الأصلح ، وأنه لا واجب إلا بالشرع وأنّ بعثه الأنبياء جائز وأنّ نبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة مؤيدة بالمعجزة (الركن الرابع) فى السمعيات ومداره على عشرة أصول : وهى إثبات الحشر والنشر وسؤال منكر ونكير وعذاب القبر والميزان والصراط وخلق الجنة والنار وأحكام الإمامة وأنّ فضل الصحابة على حسب ترتيبهم وشروط الإمامة .

فأما الركن الأوّل من أركان الإيمان : فى معرفة ذات الله سبحانه وتعالى وأنّ الله تعالى واحد ومداره على عشرة أصول

(الأصل الأوّل) معرفة وجوده تعالى وأوّل ما يستضاء به من الأنوار ويسلك من طريق الاعتبار ما أرشد إليه القرآن فليس بعد بيان الله سبحانه بيان وقد قال تعالى ﴿ ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شداداً وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا ﴾ وقال تعالى ﴿ إنّ فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ وقال تعالى ﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجا والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا ﴾ وقال تعالى ﴿ أفرأيتم ما تمنون ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ﴾ إلى قوله ﴿ للمقوين ﴾ فليس يخفى على من معه أدنى مسكة من عقل إذا تأمل بأدنى فكرة مضمون هذه الآيات وأدار نظره على عجائب خلق الله فى الأرض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات أن هذا الأمر العجيب والترتيب المحكم لا يستغنى عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره ؛ بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفة بمقتضى تدبيره . ولذلك قال الله تعالى ﴿ أفى الله شك فاطر السموات والأرض ﴾ ولهذا بعث الأنبياء صلوات الله عليهم لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا « لا إله إلا الله » وما أمروا أن يقولوا لنا إله وللعالم إله . فإن ذلك كان مجبولا فى فطرة عقولهم من مبدإ نشوهم وفى عنفوان شبابهم . ولذلك قال عز وجل ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ وقال تعالى ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى

فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾ فإذاً فى فطرة الإنسان وشواهد القرآن مايغنى عن إقامة البرهان . ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار نقول : من بداهة العقول أن الحادث لايستغنى فى حدوثه عن سبب يحدثه ، والعالم حادث فإذاً لايستغنى فى حدوثه عن سبب . أما قولنا « إن الحادث لايستغنى فى حدوثه عن سبب » فجلى فإن كل حادث مختص بوقت يجوز فى العقل تقديره وتأخيره فاختصاصه بوقته دون ماقبله وما بعده يفتقر بالضرورة إلى المخصص وأما قولنا « العالم حادث » فبرهانه أن أجسام العالم لاتخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لايخلو عن الحوادث فهو حادث . فى هذا البرهان ثلاث دعاوى ؛ الأولى : قولنا « إن الأجسام لاتخلو عن الحركة والسكون » وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار فلا يحتاج فيها إلى تأمل وافتكار فإن من عقل جسما لا ساكناً ولا متحركا كان لمتن الجهل راكباً وعن نهج العقل ناكبا . الثانية : قولنا « إنهما حادثان » ويدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك مشاهد فى جميع الأجسام ماشوهد منها ومالم يشاهد فما من ساكن إلا والعقل قاض بجواز حركته وما من متحرك إلا والعقل قاض بجواز سكونه فالطارئ منهما حادث لطريانه والسابق حادث لعدمه ؛ لأنه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه ـ على ما سيأتى بيانه وبرهانه فى إثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس ـ الثالثة : قولنا « ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث » . وبرهانه أنه لولم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا أول لها ولو لم تنقض تلك الحوادث بجملتها لاتنتهى النوبة إلى وجود الحادث الحاضر فى الحال وانقضاء ما لانهاية له محال ، ولأنه لوكان للفلك دورات لانهاية لها لكان لايخلو عددها عن أن تكون شفعاً أو وتراً أو شفعاً ووتراً جميعاً أو لاشفعاً ولا وترا ، ومحال أن يكون شفعاً ووتراً جميعاً أولاشفعاً ولا وترا . فإن ذلك جمع بين النفى والإثبات ؛ إذ فى إثبات أحدهما نفى الآخر وفى نفى أحدهما إثبات الآخر . ومحال أن يكون شفعاً لأن الشفع يصير وتراً بزيادة واحد . وكيف يعوز ما لانهاية له : واحد ؟ ومحال أن يكون وتراً إذ الوتر يصير شفعاً بواحد فكيف يعوزها واحد مع أنه لانهاية لأعدادها . ومحال أن يكون لاشفعاً ولاوتراً إذ لانهاية . فتحصل من هذا أن العالم لايخلو عن الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو إذن حادث . وإذا ثبت حدوثه كان افتقاره إلى المحدث من المدركات بالضرورة (الأصل الثانى) العلم بأن الله تعالى قديم لم يزل ، أزلى ليس لوجوده أول بل هو أول كل شىء وقبل كل ميت وحى . وبرهانه أنه لوكان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو أيضاً إلى محدث وافتقر محدثه إلى محدث وتسلسل ذلك إلى مالانهاية ، وما تسلسل لم يتحصل أو ينتهى إلى محدث قديم هو الأول وذلك هو المطلوب الذى سميناه صانع العالم ومبدئه وبارئه ومحدثه ومبدعه (الأصل الثالث) العلم بأنه تعالى مع كونه أزليا أبديا ليس لوجوده آخر فهو الأول والآخر والظاهر والباطن لأن ماثبت قدمه استحال عدمه ، وبرهانه أنه لو انعدم لكان لايخلو إما أن ينعدم بنفسه أو بمعدم يضاده ولو جاز أن ينعدم شىء يتصور دوامه لجاز أن يوجد شىء يتصور عدمه بنفسه فكما يحتاج طريان الوجود إلى سبب فكذلك يحتاج طريان العدم إلى سبب . وباطل أن ينعدم بمعدم يضاده لأن ذلك المعدم لوكان قديما لما تصور الوجود معه . وقد ظهر بالأصلين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده فى القدم ومعه ضده ؟ فإن كان الضد المعدم حادثا كان محالا ؛ إذ ليس الحادث فى مضادته للقديم حتى يقطع وجوده بأولى من القديم فى مضادته للحادث حتى يدفع وجوده ، بل الدفع أهون من القطع والقديم أقوى وأولى من الحادث (الأصل الرابع) العلم بأنه تعالى ليس بجوهر يتحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز . وبرهانه أن كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من أن يكون ساكنا فيه أو متحركا عنه ، فلا يخلو عن الحركة أو السكون

وهما حادثان ، ومالا يخلو عن الحوادث فهو حادث. ولو تصوّر جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم فإن سماه جسم جوهراً ولم يرد به المتحيز كان مخطئاً من حيث اللفظ لا من حيث المعنى ﴿الأصل الخامس﴾ العلم بأنه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر . إذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر ، وإذا بطل كونه جوهرا مخصوصا بحيز بطل كونه جسما لأن كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر فالجوهر يستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدوث. ولو جاز أن يعتقد أن صانع العالم جسم لجاز أن يعتقد الإلهية للشمس والقمر أو لشيء آخر من أقسام الأجسام . فإن تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسما من غير إرادة التأليف من الجواهر كان ذلك غلطا فى الاسم مع الإصابة فى نفى معنى الجسم ﴿الأصل السادس﴾ العلم بأنه تعالى ليس بعرض قائم بجسم أو حال فى محل لأن العرض ما يحل فى الجسم ، فكل جسم فهو حادث لامحالة ويكون محدثه موجودا قبله . فكيف يكون حالا فى الجسم وقد كان موجودا فى الأزل وحده وما معه غيره ، ثم أحدث الأجسام والأعراض بعده ؟ ولأنه عالم قادر مريد خالق - كما سيأتى بيانه - وهذه الأوصاف تستحيل على الأعراض بل لاتعقل إلا لموجود قائم بنفسه مستقل بذاته . وقد تحصل من هذه الأصول أنه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض . وأن العالم كله جواهر وأعراض وأجسام فاذا لايشبه شيئا ولا يشبهه شيء بل هو الحى القيوم الذى ليس كمثله شيء وأنى يشبه المخلوق خالقه والمقدور مقدره والمصوّر مصوّره . والأجسام والأعراض كلها من خلقه وصنعه فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابهته ﴿الأصل السابع﴾ العلم بأنّ الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات فان الجهة إما فوق وإما أسفل وأما يمين وإما شمال أو قدام أو خلف ، وهذه الجهات هو الذى خلقها وأحدثها بواسطة خلق الإنسان إذ خلق له طرفين أحدهما يعتمد على الأرض ويسمى رجلا ، والآخر يقابله ويسمى رأساً . فحدث اسم الفوق لما يلى جهة الرأس واسم السفل لما يلى جهة الرجل حتى إنّ النملة التى تدب منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق فى حقها تحتا وإن كان فى حقنا فوقا . وخلق للإنسان اليدين وإحداهما أقوى من الأخرى فى الغالب فحدث اسم اليمين للأقوى واسم الشمال لما يقابله وتسمى الجهة التى تلى اليمين يمينا والأخرى شمالا ، وخلق له جانبين يبصر من أحدهما ويتحرك اليه فحدث اسم القدام للجهة التى يتقدم اليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها ، فالجهات حادثة بحدوث الإنسان ولو لم يخلق الإنسان بهذه الخلقة بل خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود ألبته . فكيف كان فى الأزل مختصا بجهة والجهة حادثة ؟ وكيف صار مختصا بجهة بعد أن لم يكن له ؟ أبأن خلق العالم فوقه ويتعالى عن أن يكون له فوق إذ تعالى أن يكون له رأس والفوق عبارة عما يكون جهة الرأس أو خلق العالم تحته فتعالى عن أن يكون له تحت إذ تعالى عن أن يكون له رجل والتحت عبارة عما يلى جهة الرجل ؛ وكل ذلك مما يستحيل فى العقل ولأن المعقول من كونه مختصا بجهة أنه مختص بحيز اختصاص الجواهر أو مختص بالجواهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرا أو عرضا فاستحال كونه مختصا بالجهة ؛ وإن أريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطا فى الاسم مع المساعدة على المعنى ولأنه لو كان فوق العالم لكان محاذياً له ، وكل محاذ لجسم فإما أن يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر وكل ذلك تقدير محوج بالضرورة إلى مقدّر ويتعالى عنه الخالق الواحد المدبر ، فأما رفع الأيدى عند السؤال إلى جهة السماء فهو لأنها قبلة الدعاء . وفيه أيضا إشارة إلى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء ﴿الأصل

الثامن) العلم بأنه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذى أراد الله تعالى بالاستواء وهو الذى لاينافى وصف الكبرياء ولا يتطرق اليه سمات الحدوث والفناء وهو الذى أريد بالاستواء إلى السماء حيث قال فى القرآن (ثم استوى إلى السماء وهى دخان) وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

واضطر أهل الحق إلى هذا التأويل كما اضطر أهل الباطن إلى تأويل قوله تعالى ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ إذ حمل ذلك بالاتفاق على الإحاطة والعلم ، وحمل قوله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » على القدرة والقهوة ، وحمل قوله صلى الله عليه وسلم « الحجر الأسود يمين الله فى أرضه » على التشريف والإكرام لأنه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن جسما مماسا للعرش إما مثله أو أكبر منه أو أصغر وذلك محال ، وما يؤدى إلى المحال فهو محال ﴿الأصل التاسع﴾ العلم بأنه تعالى مع كونه منزها عن الصورة والمقدار مقدسا عن الجهات والأقطار مرئى بالأعين والأبصار فى الدار الآخرة دار القرار لقوله تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ ولا يرى فى الدنيا تصديقا لقوله عز وجل ﴿ لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ ولقوله تعالى فى خطاب موسى عليه السلام ﴿ ان ترانى ﴾ وليت شعرى كيف عرف المعتزل من صفات رب الأرباب ماجهله موسى عليه السلام ؟ وكيف سأل موسى عليه السلام الرؤية مع كونها محالا ؟ ولعل الجهل بذوى البدع والأهواء من الجهلة الأغبياء أولى من الجهل بالأنبياء صلوات الله عليهم ، وأما وجه إجراء آية الرؤية على الظاهر فهو أنه غير مؤد إلى المحال ، فإن الرؤية نوع كشف وعلم إلا أنه أتم وأوضح من العلم فاذا جاز تعلق العلم به وليس فى جهة جاز تعلق الرؤية به وليس بجهة ، وكما يجوز أن يرى الله تعالى الخلق وليس فى مقابلتهم جاز أن يراه الخلق من غير مقابلة ، وكما جاز أن يعلم من غير كيفية وصورة جاز أن يرى كذلك ﴿الأصل العاشر﴾ العلم بأن الله عز وجل واحد لاشريك له فرد لاند له انفرد بالخلق والإبداع واستند بالإيجاد والاختراع لامثل له يساهمه ويساويه ولا ضد له فينازعه ويناويه : وبرهانه قوله تعالى ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ وبيانه أنه لو كانا اثنين وأراد أحدهما أمرا فالثانى إن كان مضطرا إلى مساعدته كان هذا الثانى مقهورا عاجزا ولم يكن إلها قادرا ، وإن كان قادرا على مخالفته ومدافعته كان الثانى قويا قاهرا والأول ضعيفا قاصرا ولم يكن إلها قادرا

الركن الثانى العلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة أصول

﴿ الأصل الأول ﴾ العلم بأن صانع العالم قادر وأنه تعالى فى قوله ﴿ وهو على كل شىء قدير ﴾ صادق لأن العالم محكم فى صنعته مرتب فى خلقته ومن رأى ثوبا من ديباج حسن النسج والتأليف متناسب التطريز والتطريف ثم توهم صدور نسجه عن ميت لا استطاعة له أو عن إنسان لاقدرة له كان منخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا فى سلك أهل الغباوة والجهل ﴿الأصل الثانى﴾ العلم بأنه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات (لايعزب عن علمه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء) صادق فى قوله ﴿ وهو بكل شىء عليم ﴾ ومرشد إلى صدقه بقوله تعالى (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) أرشدك إلى الاستدلال بالخلق على العلم بأنك لاتستريب فى دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب ولو فى الشىء الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى فى الهداية والتعريف (الأصل الثالث) العلم بكونه عز وجل حيا فان من ثبت

علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ولو تصور قادر وعالم فاعل مدبر دون أن يكون حيا لجاز أن يشك فى حياة الحيوانات عند ترددها فى الحركات والسكنات بل فى حياة أرباب الحرف والصناعات وذلك انغماس فى غمرة الجهالات والضلالات (الأصل الرابع) العلم بكونه تعالى مريدا لأفعاله فلا موجود إلا وهو مستند إلى مشيئته وصادر عن إرادته فهو المبدئ المعيد والفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه أمكن أن يصدر منه ضده؟ ومالا ضد له أمكن أن يصدر منه ذلك بعينه قبله أو بعده . والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة فلابد من إرادة صارفة للقدرة إلى أحد المقدورين . ولو أغنى العلم عن الإرادة فى تخصيص المعلوم حتى يقال إنما وجد فى الوقت الذى سبق بوجوده لجاز أن يغنى عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لأنه سبق العلم بوجوده فيه (الأصل الخامس) العلم بأنه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكير ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصخرة الصماء : وكيف لا يكون سميعا بصيرا والسمع والبصر كمال لا محالة وليس بنقص ؟ فكيف يكون المخلوق أكمل من الخالق والمصنوع أسنى وأتم من الصانع ؟ وكيف تعتدل القسمة مهما وقع النقص فى جهته والكمال فى خلقه وصنعته أو كيف تستقيم حجة إبراهيم صلى الله عليه وسلم على أبيه إذ كان يعبد الأصنام جهلا وغيا فقال له ﴿ لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ﴾ ولو انقلب ذلك عليه فى معبوده لأضحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تعالى ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ﴾ وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب ودماغ فليعقل كونه بصيرا بلا حدقة وسميعا بلا أذن إذ لا فرق بينهما (الأصل السادس) أنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام وهو وصف قائم بذاته ليس بصوت ولا حرف بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره . والكلام بالحقيقة كلام النفس وإنما الأصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والإشارات وكيف التبس هذا على طائفة من الأغبياء ولم يلتبس على جهلة الشعراء حيث قال قائلهم :

إنّ الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ومن لم يعقله عقله ولا نهاه نهاه عن أن يقول : لسانى حادث ولكن ما يحدث فيه بقدرتى الحادثة قديم ، فاقطع عن عقلة طمعك وكف عن خطابه لسانك . ومن لم يفهم أن القديم عبارة عما ليس قبله شىء . وأن الباء قبل السين فى قولك بسم الله فلا يكون السين المتأخر عن الباء قديما فنزه عن الالتفات إليه قلبك فلله سبحانه سر فى إبعاد بعض العباد ﴿ ومن يضلل الله فماله من هاد ﴾ ومن استبعد أن يسمع موسى عليه السلام فى الدنيا كلاما ليس بصوت ولا حرف فليستنكر أن يرى فى الآخرة موجودا ليس بجسم ولا لون : وإن عقل أن يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا كمية وهو إلى الآن لم ير غيره فليعقل فى حاسة السمع ماعقله فى حاسة البصر . وإن عقل أن يكون له علم واحد هو علم بجميع الموجودات فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع مادل عليه من العبارات . وإن عقل كون السموات السبع وكون الجنة والنار مكتوبة فى ورقة صغيرة ومحفوظة فى مقدار ذرة من القلب وأن كل ذلك مرئى فى مقدار عدسة من الحدقة من غير أن تحل ذات السموات والأرض والجنة والنار فى الحدقة والقلب والورقة فليعقل كون الكلام مقروءا بالألسنة محفوظا فى القلوب مكتوبا فى المصاحف من غير حلول ذات الكلام فيها إذ لو حلت بكتاب الله ذات الكلام فى الورق لحل ذات الله تعالى بكتابة اسمه فى الورق وحلت ذات النار بكتابه اسمها فى الورق ولاحترق (الأصل السابع) أن الكلام القائم بنفسه قديم وكذا جميع صفاته إذ يستحيل أن يكون محلا

للحوادث داخلا تحت التغير بل يجب للصفات من نعوت القدم مايجب للذات فلا تعتريه التغيرات ولا تحله الحادثات بل لم يزل فى قدمه موصوفا بمحامد الصفات ولا يزل فى أبده كذلك منزها عن تغير الحالات لأن ما كان محل الحوادث لا يخلو عنها ومالا يخلو عن الحوادث فهو حادث . وإنما ثبت نعت الحدوث للأجسام من حيث تعرضها للتغير وتقلب الأوصاف فكيف يكون خالقها مشاركا لها فى قبول التغير ؟ وينبنى على هذا أن كلامه قديم قائم بذاته وإنما الحادث هى الأصوات الدالة عليه ، وكما عقل قيام طلب التعلم وإرادته بذات الوالد للولد قبل أن يخلق ولده حتى إذا خلق ولده وعقل وخلق الله له علما متعلقا بما فى قلب أبيه من الطلب صار مأمورا بذلك الطلب الذى قام بذات أبيه ودام وجوده إلى وقت معرفة ولده له فليعقل قيام الطلب الذى دل عليه قوله عز وجل (اخلع نعليك) بذات الله ومصير موسى عليه السلام مخاطبا به بعد وجوده إذ خلقت له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم (الأصل الثامن) أن علمه قديم فلم يزل عالما بذاته وصفاته ومايحدثه من مخلوقاته . ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الأزلى إذ لو خلق لنا علم به بقدوم زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك العلم تقديرا حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند طلوع الشمس معلوما لنا بذلك العلم من غير تجدد علم آخر . فكهذا ينبغى أن يفهم قدم علم الله تعالى (الأصل التاسع) أن إرادته قديمة وهى فى القدم تعلقت بإحداث الحوادث فى أوقاتها اللائقة بها على وفق سبق العلم الأزلى إذ لو كانت حادثة لصار محل الحوادث ، ولو حدثت فى غير ذاته لم يكن هو مريدا لها كما لا تكون أنت متحركا بحركة ليست فى ذاتك وكيفما قدرت فيفتقر حدوثها إلى إرادة أخرى ، وكذلك الإرادة الأخرى تفتقر إلى أخرى ويتسلسل الأمر إلى غير نهاية ، ولو جاز أن يحدث إرادة بغير إرادة لجاز أن يحدث العالم بغير إرادة (الأصل العاشر) أن الله تعالى عالم بعلم ، حى بحياة ، قادر بقدرة ، ومريد بإرادة ، ومتكلم بكلام ، وسميع بسمع ، وبصير ببصر ، وله هذه الأوصاف من هذه الصفات القديمة . وقول القائل : عالم بلا علم كقوله : غنى بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم ، فإن العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل ، وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قتيل ولا يتصور قتيل بلا قاتل ولا قتل كذلك لا يتصور عالم بلا علم ولا علم بلا معلوم ولا معلوم بلا عالم بل هذه الثلاثة متلازمة فى العقل لا ينفك بعض منها عن البعض فمن جوز انفكاك العالم عن العلم فليجوز انفكاكه عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم إذ لا فرق بين هذه الأوصاف .

الركن الثالث : العلم بأفعال الله تعالى ، ومداره على عشرة أصول

(الأصل الأول) العلم بأن كل حادث فى العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لا خالق له سواه ولا محدث له إلا إياه . خلق الخلق وصنعهم وأوجد قدرتهم وحركتهم لجميع أفعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته تصديقا له فى قوله تعالى (الله خالق كل شىء) وفى قوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) وفى قوله تعالى (وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) أمر العباد بالتحرز فى أقوالهم وأفعالهم وإسرارهم وإضمارهم لعلمه بموارد أفعالهم . واستدل على العلم بالخلق ، وكيف لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته تامة لا قصور فيها وهى متعلقة بحركة أبدان العباد والحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذى يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون البعض مع تماثلها ؟ أو كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات مايتحير فيه عقول ذوى الألباب فكيف انفردت هى باختراعها دون رب الأرباب وهى غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب ؟ هيهات هيهات ! ذلت المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت

جبار الأرض والسموات (الأصل الثانى) أنّ انفراد الله سبحانه باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله تعالى خلق القدرة والمقدور جميعاً وخلق الاختيار والمختار جميعاً . فأما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه وليست بكسب له . وأما الحركة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسب له فإنها خلقت مقدورة بقدرة هى وصفه وكانت للحركة نسبة إلى صفة أخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبا ، وكيف تكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية ؟ أوكيف يكون خلقا للعبد وهو لايحيط علما بتفاصيل أجزاء الحركات المكتسبة وأعدادها وإذا بطل الطرفان لم يبق إلا الاقتصاد فى الاعتقاد وهو أنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وبقدرة العبد على وجه آخر من التعليق يعبر عنه بالاكتساب . وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع فقط ؛ إذ قدرة الله تعالى فى الأزل قد كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلا بها وهى عند الاختراع متعلقة به نوعا آخر من التعلق فيه يظهر أنّ تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها (الأصل الثالث) أن فعل العبد وإن كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا لله سبحانه . فلا يجرى فى الملك والملكوت طرفة عين ولا لفتة خاطر ولا فلتة ناظر إلا بقضاء الله وقدرته وبإرادته ومشيئته . ومنه الشر والخير والنفع والضر والإسلام والكفر والعرفان والنكر والفوز والخسران والغواية والرشد والطاعة والعصيان والشرك والإيمان لاراد لقضائه ولا معقب لحكمه يضل من يشاء ويهدى من يشاء ﴿لايسئل عما يفعل وهم يسألون﴾ ويدل عليه من النقل قول الأمة قاطبة «ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن» وقول الله عز وجل ﴿أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً﴾ وقوله تعالى ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ ويدل عليه من جهة العقل أن المعاصى والجرائم إن كان الله يكرهها ولا يريدها وإنما هى جارية على وفق إرادة العدو إبليس لعنه الله مع أنه عدو لله سبحانه ، والجارى على وفق إرادة العدو أكثر من الجارى على وفق إرادته تعالى فليت شعرى كيف يستجيز المسلم أن يرد ملك الجبار ذى الجلال والإكرام إلى رتبة لو ردت إليها رياسة زعيم ضيعة لاستنكف منها ؛ إذ لو كان ما يستمر لعدو الزعيم فى القرية أكثر مما يستقيم له لاستنكف من زعامته وتبرأ عن ولايته . والمعصية هى الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف إرادة الحق تعالى وهذا غاية الضعف والعجز ، تعالى رب الأرباب عن قول الظالمين علوا كبيراً . ثم مهما ظهر أن أفعال العباد مخلوقة لله صح أنها مرادة له * فإن قيل : فكيف ينهى عما يريد ويأمر بما لايريد ؟ قلنا : الأمر غير الإرادة . ولذلك إذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان ـ فأراد إظهار حجته بأن يأمر العبد بفعل ويخالفه بين يديه ـ فقال له : أسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان ، فهو يأمره بما لايريد امتثاله ، ولو لم يكن آمراً لما كان عذره عند السلطان ممهدا ، ولو كان مريداً لامتثاله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محال (الأصل الرابع) أنّ الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجباً عليه . وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد وهو محال ؛ إذ هو الموجب والآمر والناهى وكيف يتهدف لإيجاب أو يتعرض للزوم وخطاب ؟ والمراد بالواجب أحد أمرين : إما الفعل الذى فى تركه ضرر إما آجل ؛ كما يقال يجب على العبد أن يطيع الله حتى لا يعذبه فى الآخرة بالنار ، أو ضرر عاجل : كما يقال يجب على العطشان أن يشرب حتى لا يموت . وإما أن يراد به الذى يؤدى عدمه إلى محال كما يقال لوجود المعلوم واجب إذ عدمه يؤدى إلى محال وهو أن يصير العلم جهلا ، فإن أراد الخصم بأنّ الخلق واجب على الله بالمعنى الأول

فقد عرضه للضرر وإن أراد به المعنى الثانى فهو مسلم ؛ إذ بعد سبق العلم لا بد من وجود المعلوم وإن أراد به معنى ثالثاً فهو غير مفهوم . وقوله « يجب لمصلحة عباده » كلام فاسد فإنه إذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب فى حقه معنى . ثم إنّ مصلحة العباد فى أن يخلقهم فى الجنة فأما أن يخلقهم فى دار البلايا ويعرضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر العقاب وهول العرض والحساب فما فى ذلك غبطة عند ذوى الألباب (الأصل الخامس) أنه يجوز على الله سبحانه أن يكلف الخلق مالايطيقونه ـ خلافا للمعتزلة ـ ولولم يجز ذلك لاستحال سؤال دفعه وقدسألوا ذلك فقالوا ﴿ ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾ ولأنّ الله تعالى أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بأنّ أبا جهل لا يصدقه ، ثم أمره بأن يأمره بأن يصدّقه فى جميع أقواله وكان من جملة أقواله أنه لا يصدّقه ، فكيف يصدّقه فى أنه لا يصدّقه وهل هذا إلا محال وجوده ؟ (الأصل السادس) أنّ لله عز وجل إيلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لا حق خلافا للمعتزلة ـ لأنه متصرف فى ملكه ولا يتصوّر أن يعدو تصرفه ملكه ، والظلم هو عبارة عن التصرف فى ملك الغير بغير إذنه وهو محال على الله تعالى فإنه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما : ويدل على جواز ذلك وجوده فإنّ ذبح البهائم إيلام لها وماصب عليها من أنواع العذاب من جهة الآدميين لم يتقدمها جريمة . فإن قيل : إنّ الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما قاسته من الآلام ويجب ذلك على الله سبحانه ؟ فقول : من زعم أنه يجب على الله إحياء كل نملة وطئت وكل بقة عركت حتى يثيبها على آلامها فقد خرج عن الشرع والعقل ؛ إذ يقال وصف الثواب والحشر بكونه واجبا عليه إن كان المراد به أن يتضرر بتركه فهو محال ، وإن أريد به غيره فقد سبق أنه غير مفهوم إذ خرج عن المعانى المذكورة للواجب (الأصل السابع) أنه تعالى يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده لما ذكرناه من أنه لا يجب عليه سبحانه شيء بل لا يعقل فى حقه الوجوب فإنه ﴿ لايسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ وليت شعرى بما يجيب المعتزلى فى قوله « إنّ الأصلح واجب عليه » فى مسألة نعرضها عليه : وهو أن يفرض مناظرة فى الآخرة بين صبي وبين بالغ ماتا مسلمين فإنّ الله سبحانه يزيد فى درجات البالغ ويفضله على الصبي لأنه تعب بالإيمان والطاعات بعد البلوغ ، ويجب عليه ذلك ـ عند المعتزلى ـ فلو قال الصبي : يارب لم رفعت منزلته على فيقول : لأنه بلغ واجتهد فى الطاعات ، ويقول الصبي : أنت أمتنى فى الصبا فكان يجب عليك أن تديم حياتى حتى أبلغ فأجتهد ، فقد عدلت عن العدل فى التفضل عليه بطول العمر له دونى فلم فضلته ؟ فيقول الله تعالى : لأنى علمت أنك لو بلغت لأشركت أو عصيت فكان الأصلح لك الموت فى الصبا ـ هذا عذر المعتزلى عن الله عز وجل ـ وعند هذا ينادى الكفار من دركات لظى ويقولون : يارب أما علمت أننا إذا بلغنا أشركنا فهلا أمتنا فى الصبا فإنا رضينا بما دون منزلة الصبي المسلم ؟ فماذا يجاب عن ذلك وهل يجب عند هذا إلا القطع بأنّ الأمور الإلهية تتعالى بحكم الجلال عن أن توزن بميزان أهل الاعتزال ؟ . فإن قيل : مهما قدر على رعاية الأصلح للعباد ثم سلط عليهم أسباب العذاب كان ذلك قبحاً لا يليق بالحكمة ؟ قلنا : القبح ما لايوافق الغرض حتى إنه قد يكون الشيء قبيحا عند شخص حسنا عند غيره إذا وافق غرض أحدهما دون الآخر حتى يستقبح قتل الشخص أولياؤه ويستحسنه أعداؤه . فإن أريد بالقبيح مالا يوافق غرض البارى سبحانه فهو محال إذ لاغرض له فلا يتصوّر منه قبح كما لايتصور منه ظلم إذ لايتصوّر منه التصرف فى ملك الغير . وإن أريد بالقبيح ما لايوافق غرض الغير فلم قلتم إن ذلك عليه محال ؟ وهل هذا إلا مجرد تشه يشهد بخلافه ماقد فرضناه من مخاصمة أهل النار ؟ ثم الحكيم معناه العالم بحقائق الأشياء القادر على إحكام فعلها على وفق إرادته وهذا من أين يوجب رعاية

الأصلح ؟ وأما الحكيم منا يراعى الأصلح نظرا لنفسه ليستفيد به فى الدنيا ثناء وفى الآخرة ثوابا أو يدفع به عن نفسه آفة . وكل ذلك محال على الله سبحانه وتعالى (الأصل الثامن) أن معرفة الله سبحانه وطاعته واجبة بإيجاب الله تعالى وشرعه لا بالعقل - خلافا للمعتزلة - لأن العقل وإن أوجب الطاعة فلا يخلو إما أن يوجبها لغير فائدة وهو محال فإن العقل لايوجب العبث ، وإما أن يوجبها لفائدة وغرض وذلك لايخلو إما أن يرجع إلى المعبود وذلك محال فى حقه تعالى فانه يتقدس عن الأغراض والفوائد بل الكفر ، والإيمان والطاعة والعصيان فى حقه تعالى سيان ، وإما أن يرجع ذلك إلى غرض العبد وهو أيضا محال لأنه لا غرض له فى الحال بل يتعب به وينصرف عن الشهوات لسببه وليس فى المآل إلا الثواب والعقاب . ومن أين يعلم أن الله تعالى يثيب على المعصية والطاعة ولا يعاقب عليهما مع أن الطاعة والمعصية فى حقه يتساويان ، إذ ليس له إلى أحدهما ميل ولا به لأحدهما اختصاص وإنما عرف تمييز ذلك بالشرع ، ولقد زل من أخذ هذا من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق بين الشكر والكفران لما له من الارتياح والاهتزاز والتلذذ بأحدهما دون الآخر * فان قيل : فإذا لم يجب النظر والمعرفة إلا بالشرع والشرع لايستقر مالم ينظر المكلف فيه ؛ فإذا قال المكلف للنبي : إن العقل ليس يوجب على النظر والشرع لايثبت عندى إلا بالنظر ولست أقدم على النظر ، أدى ذلك إلى إفحام الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ قلنا : هذا يضاهى قول القائل للواقف فى موضع من المواضع إن وراءك سبعا ضاريا فإن لم تبرح عن المكان قتلك وإن التفت وراءك ونظرت عرفت صدقى ، فيقول الواقف لايثبت صدقك مالم ألتفت ورائى ولا ألتفت ورائى ، ولا أنظر ما لم يثبت صدقك ؛ فيدل هذا على حماقة هذا القائل وتهدفه للهلاك ولاضرر فيه على الهادى المرشد ؛ فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن وراءكم الموت ودونه السباع الضارية والنيران المحرقة إن لم تأخذوا منها حذركم وتعرفوا لى صدق بالالتفات إلى معجزتى وإلا هلكتم ، فمن التفت عرف واحترز ونجا ومن لم يلتفت وأصر هلك وتردى ولا ضرر على إن هلك الناس كلهم أجمعون ، وإنما على البلاغ المبين » فالشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت ، والعقل يفيدفهم كلامه والإحاطة بإمكان مايقوله فى المستقبل . والطبع يستحث على الحذر من الضرر ، ومعنى كون الشيء واجبا أن فى تركه ضررا ، ومعنى كون الشرع موجبا أنه معرف للضرر المتوقع فإن العقل لايهدى إلى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات ، فهذا معنى الشرع والعقل وتأثيرهما فى تقدير الواجب ، ولولا خوف العقاب على ترك ما أمر به لم يكن الوجوب ثابتا ، إذ لامعنى للواجب إلا مايرتبط بتركه ضرر فى الآخرة (الأصل التاسع) أنه ليس يستحيل بعثة الأنبياء عليهم السلام - خلافا للبراهمة - حيث قالوا : لافائدة فى بعثتهم إذ فى العقل مندوحة عنهم لأن العقل لايهدى إلى الأفعال المنجية فى الآخرة كما لايهدى إلى الأدوية المفيدة للصحة ، لحاجة الخلق إلى الأنبياء كحاجتهم إلى الأطباء ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة . (الأصل العاشر) أن الله سبحانه قد أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من شرائع اليهود والنصارى والصابئين ؟ وأيده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة كانشقاق القمر [1] وتسبيح الحصى [2] وإنطاق العجماء [3] وماتفجر من بين أصابعه من الماء . ومن آياته الظاهرة التى تحدى بها - مع كافة العرب - القرآن العظيم

(١) حديث : انشقاق القمر ؛ متفق عليه من حديث أنس وابن مسعود وابن عباس (٢) حديث « تسبيح الحصى » أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة من حديث أبى ذر . وقال صالح بن أبى الأخضر ليس بالحافظ والمحفوظ رواية رجل من بنى سليم لم يسم عن أبى ذر (٣) حديث : انطاق العجماء ، أخرجه أحمد والبيهقى بإسناد صحيح من حديث يعلى بن مرة فى البعير الذى شكا الى النبى صلى الله عليه وسلم أهله . وقد ورد فى كلام الضب والذئب والحمرة أحاديث رواها البيهقى فى الدلائل

فانهم مع تمييزهم بالفصاحة والبلاغة تهدفوا اسبه ونهبه وقتله وإخراجه ـ كما أخبر الله عز وجل ـ عنهم ولم يقدروا على معارضته بمثل القرآن ، إذ لم يكن فى قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه ، هذا مع مافيه من أخبار الأولين مع كونه أميا غير ممارس للكتب والإنباء عن الغيب فى أمور تحقق صدقه فيها فى الاستقبال كقوله تعالى ﴿ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين ﴾ وكقوله ﴿ ألم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين ﴾ ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل أن كل ما عجز عنه البشر لم يكن إلا فعلا لله تعالى . فلهما كان مقرونا بتحدى النبي صلى الله عليه وسلم ينزل منزلة قوله « صدقت » وذلك مثل القائل بين يدى الملك المدعى على رعيته أنه رسول الملك إليهم فانه مهما قال لذلك إن كنت صادقا فقم على سريرك ثلاثا واقعد ـ على خلاف عادتك ـ ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضرورى بأن ذلك نازل منزلة قوله « صدقت »

الركن الرابع فى السمعيات وتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه

ومداره على عشرة أصول

(الأصل الأول) الحشر والنشر [1] وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق بهما واجب لأنه فى العقل ممكن ؛ ومعناه الإعادة بعد الإفناء وذلك مقدور لله تعالى كابتدا. الإنشاء قال الله تعالى (قال من يحيي العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) فاستدل بالابتداء على الإعادة وقال عز وجل (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) والإعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء الأول (الأصل الثانى) سؤال منكر ونكير [2] وقد وردت به الأخبار فيجب التصديق به لأنه ممكن إذ ليس يستدعى إلا إعادة الحياة إلى جزء من الأجزاء الذى به فهم الخطاب وذلك ممكن فى نفسه ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون أجزاء الميت وعدم سماعنا للسؤال له ، فان النائم ساكن بظاهره ويدرك بباطنه من الآلام واللذات مايحس بتأثيره عند التنبه ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع كلام جبريل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لايسمعونه ولا يرونه [3] ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء فإذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه (الأصل الثالث) عذاب القبر وقد ورد الشرع به قال الله تعالى ﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ واشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح الاستعاذة من عذاب القبر [4] وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق أجزاء الميت فى بطون السباع وحواصل الطيور ؛ فان المدرك لألم العذاب من الحيوان أجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على إعادة الإدراك إليها (الأصل الرابع) الميزان وهو حق قال الله تعالى ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ وقال تعالى (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه) الآية ووجهها أن الله تعالى يحدث فى صحائف الأعمال وزنا بحسب درجات الأعمال عند الله تعالى فتصير مقادير أعمال العباد معلومة

---

(١) حديث : الحشر والنشر ، أخرجه الشيخان من حديث ابن عباس « إنكم لمحشورون إلى الله .. الحديث » ومن حديث سهل « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء .. الحديث » ومن حديث عائشة « يحشرون يوم القيامة حفاة » ومن حديث أبى هريرة « يحشر الناس على ثلاث طرائق .. الحديث » ولابن ماجه من حديث ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم « أفتنا فى بيت المقدس وأرض المحشر والمنشر .. الحديث » واسناده جيد (٢) حديث : سؤال منكر ونكير ، تقدم

(٣) حديث « كان يسمع كلام جبريل ويشاهده ومن حوله لايسمعونه ولا يرونه » أخرجه البخارى ومسلم من حديث عائشة قالت « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يا عائشة هـذا جبريل يقرئك السلام فقلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى مالا أرى » قلت وهذا هو الأغلب والا فقد رأى جبريل جماعة من الصحابة منهم عمر وابنه عبد الله وكعب بن ملك مالك وغيرهم .

(٤) حديث « استعاذ من عذاب القبر » أخرجاه من حديث أبى هريرة وعائشة وقد تقدم

للعباد حتى يظهر لهم العدل فى العقاب أو الفضل فى العفو وتضعيف الثواب (الأصل الخامس) الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أرق من الشعرة وأحدّ من السيف قال الله تعالى ﴿ فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم إنهم مسئولون ﴾ وهذا ممكن فيجب التصديق به فإن القادر على أن يطير الطير فى الهواء قادر على أن يسير الإنسان على الصراط (الأصل السادس) أن الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ فقوله تعالى ﴿ أعدّت ﴾ دليل على أنها مخلوقة فيجب إجراؤه على الظاهر إذ لا استحالة فيه ، ولا يقال لا فائدة فى خلقهما قبل يوم الجزاء لأنّ الله تعالى ﴿ لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ﴾ (الأصل السابع) أنّ الإمام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إمام أصلا ؛ إذ لو كان لكان أولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة والأمراء على الجنود فى البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفى هذا ؟ وإن ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل إلينا ؟ فلم يكن أبو بكر إماما إلا بالاختيار والبيعة وأما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كلهم إلى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرق الإجماع ، وذلك مما لا يستجرئ على اختراعه إلا الروافض ، واعتاد أهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما أثنى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم . وما جرى بين معاوية وعلى رضى الله عنهما كان مبنيا على الاجتهاد لا منازعة من معاوية فى الإمامة ؛ إذ ظن على رضى الله عنه أن تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدى إلى اضطراب أمر الإمامة فى بدايتها فرأى التأخير أصوب ، وظن معاوية أنّ تأخير أمرهم مع عظم جنايتهم يوجب الإغراء بالأئمة ويعرض الدماء للسفك . وقد قال أفاضل العلماء : كل مجتهد مصيب . وقال قائلون : المصيب واحد ولم يذهب إلى تخطئة على ذو تحصيل أصلا (الأصل الثامن) أن فضل الصحابة رضى الله عنهم على ترتيبهم فى الخلافة إذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله عز وجل وذلك لا يطلع عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد ورد فى الثناء على جميعهم آيات وأخبار كثيرة[1] وإنما يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه المشاهدون للوحى والتنزيل بقرائن الأحوال ودقائق التفصيل ، فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الأمر كذلك إذ كانوا لا تأخذهم فى الله لومة لائم ولا يصرفهم عن الحق صارف . (الأصل التاسع) أنّ شرائط الإمامة بعد الإسلام والتكليف خمسة : الذكورة والورع والعلم والكفاية ونسبة قريش ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم « الأئمة من قريش[2] » وإذا اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات فالإمام من انعقدت له البيعة من أكثر الخلق ، والمخالف للأكثر باغ يجب رده إلى الانقياد إلى الحق (الأصل العاشر) أنه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للإمامة وكان فى صرفه إثارة فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد إمامته ، لأنا بين أن نحرك فتنة بالاستبدال ، فما يلقى المسلمون فيه من الضرر يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التى أثبتت لمزية المصلحة فلا يهدم أصل المصلحة شغفا بمزاياها كالذى يبنى قصرا ويهدم مصرا وبين أن نحكم بخلو البلاد عن الإمام وبفساد الأقضية وذلك محال . ونحن نقضى بنفوذ قضاء أهل البغى فى بلادهم لمسيس حاجتهم فكيف لا نقضى بصحة الإمامة عند الحاجة والضرورة ؟ فهذه الأركان الأربعة الحاوية للأصول الأربعين هى قواعد العقائد فمن اعتقدها كان موافقا لأهل السنة ومباينا لرهط البدعة . فالله تعالى يسددنا بتوفيقه ويهدينا إلى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده وفضله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وكل عبد مصطفى .

---

(١) حديث « الثناء على الصحابة » تقدم (٢) حديث « الأئمة من قريش » أخرجه النسائى من حديث أنس والحاكم من حديث ابن عمر

الفصل الرابع من قواعد العقائد

فى الإيمان والإسلام وما بينهما من الاتصال وما يتطرق إليه من الزيادة والنقصان

ووجه استثناء السلف فيه وفيه ثلاث مسائل

﴿ مسألة ﴾ اختلفوا فى أن الإسلام هو الإيمان أو غيره وإن كان غيره فهل هو منفصل عنه يوجد دونه أو مرتبط به يلازمه ؟ فقيل إنهما شىء واحد وقيل إنهما شيئان لا يتواصلان وقيل إنهما شيئان ولكن يرتبط أحدهما بالآخر . وقد أورد أبو طالب المكى فى هذا كلاما شديد الاضطراب كثير التطويل فلنهجم الآن على التصريح بالحق من غير تعريج على نقل مالا تحصيل له ، فنقول فى هذا ثلاثة مباحث : بحث عن موجب اللفظين فى اللغة ، وبحث عن المراد بهما فى إطلاق الشرع ، وبحث عن حكمهما فى الدنيا والآخرة ، والبحث الأول لغوى ، والثانى تفسيرى ، والثالث فقهى شرعى . البحث الأول : فى موجب اللغة ؛ والحق فيه أن الإيمان عبارة عن التصديق ؛ قال الله تعالى ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ﴾ أى ؛ بمصدق ، والإسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالإذعان والانقياد وترك التمرد والإباء والعناد ، وللتصديق محل خاص وهو القلب ، واللسان ترجمان . وأما التسليم فإنه عام فى القلب واللسان والجوارح فإن كل تصديق بالقلب فهو تسليم وترك الإباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح . فموجب اللغة أن الإسلام أعم والإيمان أخص فكان الإيمان عبارة عن أشرف أجزاء الإسلام ؛ فإذن كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقا : البحث الثانى : عن إطلاق الشرع ؛ والحق فيه أن الشرع قد ورد باستعمالهما على سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل ، أما الترادف ففى قوله تعالى (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) ولم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد وقال تعالى (ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) وقال صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على خمس [1] » ، وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس [2] وأما الاختلاف فقوله تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) ومعناه استسلمنا فى الظاهر ، فأراد بالإيمان ههنا التصديق بالقلب فقط وبالإسلام الاستسلام ظاهراً باللسان والجوارح ، وفى حديث جبرائيل عليه السلام لما سأله عن الإيمان فقال « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالبعث بعد الموت وبالحساب وبالقدر خيره وشره ، فقال : فما الإسلام ؟ فأجاب بذكر الخصال الخمس [3] » فعبر بالإسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل . وفى الحديث عن سعد أنه صلى الله عليه وسلم « أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر ؛ فقال له سعد : يارسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن ؟ فقال صلى الله عليه وسلم أو مسلم فأعاد عليه فأعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم [4] » ، وأما التداخل فما روى أيضا أنه

---

(١) حديث « بنى الإسلام على خمس » أخرجاه من حديث ابن عمر (٢) حديث « سئل عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس أخرجه البيهقى فى الاعتقاد من حديث ابن عباس فى قصة وفد عبد القيس « تدرون ما الإيمان : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتصوموا رمضان وتحجوا البيت الحرام » والحديث فى الصحيحين لكن ليس فيه ذكر الحج وزاد « وأن تؤتوا خمساً من المغنم » (٣) حديث جبريل لما سأله عن الإيمان « فقال أن تؤمن بالله وملائكته .. الحديث » أخرجاه من حديث أبى هريرة ومسلم من حديث عمر دون ذكر « الحساب » فرواه البيهقى فى البعث وقد تقدم

(٤) حديث سعد « أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يارسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال أو مسلم. الحديث » أخرجاه بنحوه

سئل « فقيل أى الأعمال أفضل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : الإسلام ، فقال : أى الإسلام أفضل ، فقال صلى الله عليه وسلم : الإيمان [1] » وهذا دليل على الاختلاف وعلى التداخل وهو أوفق الاستعمالات فى اللغة لأن الإيمان عمل من الأعمال وهو أفضلها ، والإسلام هو تسليم إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح وأفضلها الذى بالقلب وهو التصديق الذى يسمى إيمانا والاستعمال لها على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز فى اللغة . أما الاختلاف فهو أن يجعل الإيمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق للغة ، والإسلام عبارة عن التسليم ظاهراً وهو أيضا موافق للغة فإنّ التسليم ببعض محال التسليم ينطلق عليه اسم التسليم ، فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن أن يوجد المعنى فيه فإنّ من لمس غيره ببعض بدنه يسمى لامسا وإن لم يستغرق جميع بدنه ، فإطلاق اسم الإسلام على التسليم الظاهر عندعدم تسليم الباطن مطابق للسان وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث سعد « أو مسلم » لأنه فضل أحدهما على الآخر ، ويريد بالاختلاف تفاضل المسميين .

وأما التداخل فموافق أيضا للغة فى خصوص الإيمان وهو أن يجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا ، والإيمان عبارة عن بعض مادخل فى الإسلام وهو التصديق بالقلب وهو الذى عنيناه بالتداخل وهو موافق للغة فى خصوص الإيمان وعموم الإسلام للكل ، وعلى هذا خرج قوله « الإيمان » فى جواب قول السائل « أى الإسلام أفضل » لأنه جعل الإيمان خصوصا من الإسلام فأدخله فيه ، وأما استعماله فيه على سبيل الترادف بأن يجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا فإنّ كل ذلك تسليم وكذا الإيمان ويكون التصرف فى الإيمان على الخصوص بتعميمه وإدخال الظاهر فى معناه وهو جائز لأن تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته ، وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمره على سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الإسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه ولا ينقص ؛ وعليه خرج قوله ﴿ فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾ البحث الثالث : عن الحكم الشرعى . والإسلام والإيمان حكمان أخروى ودنيوى . أما الأخروى فهو الإخراج من النار ومنع التخليد إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان [2] » وقد اختلفوا فى أن هذا الحكم على ماذا يترتب ؟ وعبروا عنه بأن الإيمان ماذا هو ؟ فمن قائل إنه مجرد العقد ومن قائل يقول إنه عقد بالقلب وشهادة باللسان ومن قائل يزيد ثالثا وهو العمل بالأركان ، ونحن نكشف الغطاء عنه ونقول من جمع بين هذه الثلاثة فلاخلاف فى أن مستقره الجنة وهذه درجة . الدرجة الثانية : أن يوجد اثنان وبعض الثالث ـ وهو القول والعقد وبعض الأعمال ـ ولكن ارتكب صاحبه كبيرة أو بعض الكبائر ؛ فعند هذا قالت المعتزلة : خرج بهذا عن الإيمان ولم يدخل فى الكفر بل اسمه فاسق وهو على منزلة بين المنزلتين وهو مخلد فى النار ؛ وهذا باطل كما سنذكره الدرجة الثالثة : أن يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الأعمال بالجوارح ، وقد

---

(١) حديث « سئل أى الأعمال أفضل فقال الإسلام فقال أى الاسلام أفضل فقال الايمان » أخرجه احمد والطبرانى من حديث عمرو بن عنبسة فالشطر الأخير « فقال يارسول الله أى الاسلام افضل قال الإيمان » وإسناده صحيح

(٢) حديث « يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان » أخرجاه من حديث أبى سعيد الخدرى فى الشفاعة ، وفيه « اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه . . الحديث » ولهما من حديث أنس « فيقال انطلق فأخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة ـ أوخردلة ـ من إيمان » لفظ البخارى « منهما » وله تعليقا من حديث أنس « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن ذرة من إيمان » وهو عندهما متصل بلفظ « خير » مكان « إيمان »

اختلفوا فى حكمه ، فقال أبو طالب المكى : العمل بالجوارح من الإيمان ولا يتم دونه وادعى الإجماع فيه واستدل بأدلة تشعر بنقيض غرضه كقوله تعالى ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ إذ هذا يدل على أن العمل وراء الإيمان لا من نفس الإيمان وإلا فيكون العمل فى حكم المعاد ؟ والعجب أنه ادعى الإجماع فى هذا وهو مع ذلك ينقل قوله صلى الله عليه وسلم « لا يكفر أحد إلا بعد جحوده لما أقر به [1] » وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد فى النار بسبب الكبائر ؛ والقائل بهذا قائل بنفس مذهب المعتزلة ؛ إذ يقال له من صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات فى الحال فهل هو فى الجنة ؟ فلابد أن يقول نعم ، وفيه حكم بوجود الإيمان دون العمل ، فنزيد ونقول لو بقى حيا حتى دخل عليه وقت صلاة واحدة فتركها ثم مات أو زنى ثم مات ، فهل يخلد فى النار ؟ فإن قال نعم فهو مراد المعتزله ، وإن قال لا فهو تصريح بأن العمل ليس ركنا من نفس الإيمان ولا شرطا فى وجوده ولا فى استحقاق الجنة به ، وإن قال أردت به أن يعيش مدة طويلة ولا يصلى ولا يقدم على شىء من الأعمال الشرعية ، فنقول فما ضبط تلك المدة وما عدد تلك الطاعات التى بتركها يبطل الإيمان وما عدد الكبائر التى بارتكابها يبطل الإيمان ؟ وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصر إليه صائر أصلا . الدرجة الرابعة : أن يوجد التصديق بالقلب قبل أن ينطق باللسان أو يشتغل بالأعمال ومات فهل نقول مات مؤمنا بينه وبين الله تعالى : وهذا مما اختلف فيه ومن شرط القول لتمام الإيمان يقول هذا مات قبل الإيمان وهو فاسد إذ قال صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان » وهذا قلبه طافح بالإيمان فكيف يخلد فى النار ؟ ولم يشترط فى حديث جبريل عليه السلام للإيمان إلا التصديق بالله تعالى وملائكته وكتبه واليوم الآخر كما سبق . الدرجة الخامسة : أن يصدق بالقلب ويساعده من العمر مهلة النطق بكلمتى الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل أن يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلاة ، ونقول هو مؤمن غير مخلد فى النار ، والإيمان هو التصديق المحض واللسان ترجمان الإيمان فلا بد أن يكون الإيمان موجودا بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان وهذا هو الأظهر ؛ إذ لا مستند إلا اتباع موجب الألفاظ ووضع اللسان أن الإيمان هو عبارة عن التصديق بالقلب . وقد قال صلى الله عليه وسلم « يخرج من كان فى قلبه مثقال ذرة » ولا ينعدم الإيمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب ، وقال قائلون : القول ركن إذ ليس كلمتا الشهادة إخبارا عن القلب بل هو إنشاء عقد آخر وابتداء شهادة والتزام والأول أظهر ، وقد غلا فى هذا طائفة المرجئة فقالوا هذا لا يدخل النار أصلا وقالوا إن المؤمن وإن عصى فلا يدخل النار وسنبطل ذلك عليهم . الدرجة السادسة أن يقول بلسانه « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ولكن لم يصدق بقلبه فلا نشك فى أن هذا فى حكم الآخرة من الكفار وأنه مخلد فى النار ، ولا نشك فى أنه فى حكم الدنيا للذى يتعلق بالأئمة والولاة من المسلمين لأن قلبه لا يطلع عليه ، وعلينا أن نظن به أنه ما قاله بلسانه إلا وهو منطو عليه فى قلبه وإنما نشك فى أمر ثالث وهو الحكم الدنيوى فيما بينه وبين الله تعالى ، وذلك بأن يموت له فى الحال قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم يستفتى ويقول كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت والميراث الآن فى يدى فهل يحل لى بينى وبين الله تعالى ؟ أو نكح مسلمة ثم صدق بقلبه هل تلزمه إعادة النكاح ؟ هذا محل نظر فيحتمل أن يقال أحكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهرا وباطنا ويحتمل أن يقال تناط بالظاهر فى حق غيره لأن باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له فى نفسه بينه وبين الله تعالى ، والأظهر والعلم عند الله

(١) حديث « لا تكفروا أحدا إلا بجحود بما أقر به » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى سعيد « لن يخرج أحد من الإيمان إلا بجحود ما دخل فيه » وإسناده ضعيف .

تعالى أنه لايحل له ذلك الميراث ويلزمه إعادة النكاح ولذلك كان حذيفة رضى الله عنه لايحضر جنازة من يموت من المنافقين وعمر رضى الله عنه كان يراعى ذلك منه فلا يحضر إذا لم يحضر حذيفة رضى الله عنه ، والصلاة فعل ظاهر فى الدنيا وإن كانت من العبادات . والتوقى عن الحرام أيضا من جملة ما يجب لله كالصلاة لقوله صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فريضة بعد فريضة » وليس هذا مناقضاً لقولنا إن الإرث حكم الإسلام وهو الاستسلام بل الاستسلام التام هو ما يشمل الظاهر والباطن ، وهذه مباحث فقهية ظنية تبنى على ظواهر الألفاظ والعمومات والأقيسة فلا ينبغى أن يظن القاصر فى العلوم أن المطلوب فيه القطع من حيث جرت العادة بإيراده فى فن الكلام الذى يطلب فيه القطع فما أفلح من نظر إلى العادات والمراسم فى العلوم . فإن قلت : فما شبهة المعتزلة والمرجئة وما حجة بطلان قولهم ؟ فأقول شبهتهم عمومات القرآن ؛ أما المرجئة فقالوا لا يدخل المؤمن النار وإن أتى بكل المعاصى لقوله عز وجل (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا) ولقوله سبحانه وتعالى (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) الآية ولقوله تعالى (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها - إلى قوله - فكذبنا وقلنا مانزل الله من شىء) فقوله (كلما ألقى فيها فوج) عام فينبغى أن يكون من ألقى فى النار مكذبا ولقوله تعالى (لا يصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى) وهذا حصر وإثبات ونفى ولقوله تعالى (من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون) فالإيمان رأس الحسنات ولقوله تعالى (والله يحب المحسنين) وقال تعالى (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا) ولا حجة لهم فى ذلك فإنه حيث ذكر الإيمان فى هذه الآيات أريد به الإيمان مع العمل إذ بينا أن الإيمان قد يطلق ويراد به الإسلام وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل ، ودليل هذا التأويل أخبار كثيرة فى معاقبة العاصين ومقادير العقاب وقوله صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان » فكيف يخرج إذا لم يدخل ؟ ومن القرآن قوله تعالى (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) والاستثناء بالمشيئة يدل على الانقسام وقوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها) وتخصيصه بالكفر تحكم وقوله تعالى (ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم) وقال تعالى (ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار) فهذه العمومات فى معارضة عموماتهم ولا بد من تسليط التخصص والتأويل على الجانبين لأن الأخبار مصرحة بأن العصاة يعذبون [1] بل قوله تعالى (وإن منكم إلا واردها) كالصريح فى أن ذلك لا بد منه للكل إذ لايخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه وقوله تعالى (لا يصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى) أراد به من جماعة مخصوصين أو أراد بالأشقى شخصا معينا أيضا وقوله تعالى (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها) أى فوج من الكفار، وتخصيص العمومات قريب . ومن هذه الآية وقع للأشعرى وطائفة من المتكلمين إنكار صيغ العموم وأن هذه الألفاظ يتوقف فيها إلى ظهور قرينة تدل على معناها . وأما المعتزلة فشبهتهم قوله تعالى (وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) وقوله تعالى (والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقوله تعالى (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا) ثم قال (ثم ننجى الذين اتقوا) وقوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم) وكل آية ذكر الله عز وجل العمل الصالح فيها مقرونا بالإيمان وقوله تعالى (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاءه جهنم خالداً فيها) وهذه العمومات أيضا مخصوصة بدليل قوله تعالى

---

(١) حديث : تعذيب العصاة . أخرجه البخارى من حديث أنس « ليصيبن أقواما سفع من النار بذنوب أصابوها . الحديث » ويأتى فى ذكر الموت عدة أحاديث

(ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) فينبغى فينبغى أن تبقى له مشيئة فى مغفرة ماسوى الشرك . وكذلك قوله عليه السلام « يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان » وقوله تعالى (إنا لانضيع أجر من أحسن عملا) وقوله تعالى (إن الله لايضيع أجر المحسنين) فكيف يضيع أجر أصل الإيمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة ؟ وقوله تعالى (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) أى لإيمانه وقد ورد على مثل هذا السبب * فإن قلت : فقدمال الاختيار إلى أن الإيمان حاصل دون العمل . وقد اشتهر عن السلف قولهم : الإيمان عقد وقول وعمل ؛ فما معناه ؟ قلنا . لايبعد أن يعد العمل من الإيمان لأنه مكمل له ومتمم كما يقال الرأس واليدان من الإنسان ومعلوم أنه يخرج عن كونه إنسانا بعدم الرأس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك يقال التسبيحات والتكبيرات من الصلاة وإن كانت لاتبطل بفقدها فالتصديق بالقلب من الإيمان كالرأس من وجود الإنسان إذ ينعدم بعدمه وبقية الطاعات كالأطراف بعضها أعلى من بعض وقد قال صلى الله عليه وسلم « لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن [1] » والصحابة رضى الله عنهم ما اعتقدوا مذهب المعتزلة فى الخروج عن الإيمان بالزنا ولكن معناه غير مؤمن حقا إيمانا تاما كاملا كما يقال للعاجز المقطوع الأطراف هذا ليس بإنسان أى ليس له الكمال الذى هو وراء حقيقة الإنسانية

(مسألة) فان قلت : فقد اتفق السلف على أن الإيمان يزيد وينقص - يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية - فاذا كان التصديق هو الإيمان فلا يتصور فيه زيادة ولا نقصان ؟ فأقول : السلف هم الشهود العدول وما لأحد عن قولهم عدول فما ذكروه حق وإنما الشأن فى فهمه ، وفيه دليل على أن العمل ليس من أجزاء الإيمان وأركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والزائد موجود والناقص موجود والشىء لا يزيد بذاته ، فلا يجوز أن يقال الإنسان يزيد برأسه بل يقال يزيد بلحيته وسمنه ، ولا يجوز أن يقال الصلاة تزيد بالركوع والسجود بل تزيد بالآداب والسنن فهذا تصريح بأن الإيمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان * فان قلت : فالإشكال قائم فى أن التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة ؟ فأقول : إذا تركنا المداهنة ولم نكترث بتشغيب من تشغب وكشفنا الغطاء ارتفع الإشكال فنقول: الإيمان اسم مشترك يطلق من ثلاثة أوجه الأول : أنه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر وهو إيمان العوام بل إيمان الخلق كلهم إلا الخواص ، وهذا الاعتقاد عقدة عن القلب تارة تشتد وتقوى وتارة تضعف وتسترخى كالعقدة على الخيط مثلا . ولا تستبعد هذا واعتبره باليهودى وصلابته فى عقيدته التى لايمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ولا بتخييل ووعظ ولا تحقيق وبرهان وكذلك النصرانى والمبتدعة وفيهم من يمكن تشكيكه بأدنى كلام ويمكن استنزاله عن اعتقاده بأدنى استمالة أو تخويف مع أنه غير شاك فى عقده كالأول ولكنهما متفاوتان فى شدة التصميم . وهذا موجود فى الاعتقاد الحق أيضا والعمل يؤثر فى نماء هذا التصميم وزيادته كما يؤثر سقى الماء فى نماء الأشجار ولذلك قال الله تعالى (فزادتهم إيمانا) وقال تعالى (ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم) وقال صلى الله عليه وسلم فيما يروى فى بعض الأخبار « الإيمان يزيد وينقص [2] » وذلك بتأثير الطاعات فى القلب وهذا لايدركه إلا من راقب أحوال نفسه فى أوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع أوقات الفتور وإدراك التفاوت فى السكون إلى عقائد الإيمان فى هذه الأحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك بل من يعتقد فى اليتيم معنى الرحمة إذا عمل بموجب اعتقاده فمسح رأسه وتلطف به أدرك

---

(١) حديث « لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث « الإيمان يزيد وينقص » أخرجه ابن عدى فى الكامل وأبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث أبى هريرة وقال ابن عدى باطل فيه محمد بن أحمد بن حرب الملحى يتعمد الكذب وهو عند ابن ماجه موقوف على أبى هريرة وابن عباس وأبى الدرداء

من باطنه تأكيد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل : وكذلك معتقد التواضع إذا عمل بموجبه عملا مقبلا أو ساجدا لغيره أحس من قلبه بالتواضع عند إقدامه على الخدمة . وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها أعمال الجوارح ثم يعود أثر الأعمال عليها فيؤكدها ويزيدها ، وسيأتى هذا فى ربع المنجيات والمهلكات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والأعمال بالعقائد والقلوب فإن ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت وأعنى بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس وبالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت والأعضاء وأعمالها من عالم الملك . ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى إلى حد ظن بعض الناس اتحاد أحدهما بالآخر وظن آخرون أنه لا عالم إلا عالم الشهادة وهو هذه الأجسام المحسوسة . ومن أدرك الأمرين وأدرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه فقال :

رق الزجاج ورقت الخمر وتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

ولنرجع إلى المقصود فإن هذا العلم خارج عن علم المعاملة ولكن بين العلمين أيضا اتصال وارتباط فلذلك ترى علوم المكاشفة تتسلق كل ساعة على علوم المعاملة إلى أن تنكشف عنها بالتكليف فهذا وجه زيادة الإيمان بالطاعة بموجب هذا الإطلاق ، ولهذا قال على كرم الله وجهه : إن الإيمان ليبدو لمعة بيضاء فإذا عمل العبد الصالحات نمت فزادت حتى يبيض القلب كله وإن النفاق ليبدو نكتة سوداء فإذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه فذلك هو الختم وتلا قوله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم) الآية . الإطلاق الثانى : أن يراد به التصديق والعمل جميعا كما قال صلى الله عليه وسلم « الإيمان بضع وسبعون بابا [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » وإذا دخل العمل فى مقتضى لفظ الإيمان لم تخف زيادته ونقصانه وهل يؤثر ذلك فى زيادة الإيمان الذى هو مجرد التصديق ؟ هذا فيه نظر وقد أشرنا إلى أنه يؤثر فيه . الإطلاق الثالث : أن يراد به التصديق اليقينى على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة وهذا أبعد الأقسام عن قبول الزيادة ولكنى أقول الأمر اليقينى الذى لاشك فيه تختلف طمأنينة النفس إليه فليس طمأنينة النفس إلى أن الاثنين أكثر من الواحد كطمأنينتها إلى أن العالم مصنوع حادث وإن كان لاشك فى واحد منهما فإن اليقينيات تختلف فى درجات الإيضاح ودرجات طمأنينة النفس إليها ، وقد تعرضنا لهذا فى فصل اليقين من كتاب العلم فى باب علامات علماء الآخرة فلا حاجة إلى الإعادة . وقد ظهر فى جميع الإطلاقات أن ما قالوه من زيادة الإيمان ونقصانه حق وكيف وفى الأخبار « أنه يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان » وفى بعض المواضع فى خبر آخر « مثقال دينار [2] » فأى معنى لاختلاف مقاديره إن كان مافى القلب لايتفاوت ؟

﴿ مسألة ﴾ فإن قلت : ماوجه قول السلف « أنا مؤمن إن شاء الله » والاستثناء شك والشك فى الإيمان كفر وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالإيمان ويحترزون عنه . فقال سفيان الثورى رحمه الله ، من قال أنا مؤمن عند الله فهو من الكذابين ومن قال أنا مؤمن حقا فهو بدعة ، فكيف يكون كاذبا وهو يعلم أنه مؤمن فى نفسه ومن كان مؤمنا فى نفسه كان مؤمنا عند الله ؟ كما أن من كان طويلا وسخيا فى نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا من

(١) حديث « الايمان بضع وسبعون بابا » وذكر بعد هذا فزاد فيه « أدناها إماطة الأذى عن الطريق » أخرجه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة « الايمان بضع وسبعون » زاد مسلم فى رواية « وأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها » فذكره ورواه بلفظ المصنف الترمذى وصححه . (٢) حديث « يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال دينار » متفق عليه من حديث أبى سعيد ، وسيأتى ذكر الموت وما بعده

كان مسرورا أو محزونا أو سميعا أو بصيرا ، ولو قيل للإنسان هل أنت حيوان : لم يحسن أن يقول أنا حيوان إن شاء الله . ولما قال سفيان ذلك قيل له فماذا نقول ؟ قال : قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وأى فرق بين أن يقول آمنا بالله وما أنزل إلينا وبين أن يقول أنا مؤمن ؟ وقيل للحسن : أمؤمن أنت ؟ فقال إن شاء الله ، فقيل له : لم تستثنى يا أبا سعيد فى الإيمان ؟ فقال أخاف أن أقول نعم فيقول الله سبحانه كذبت ياحسن فتحق على الكلمة . وكان يقول : مايؤمننى أن يكون الله سبحانه قداطلع على فى بعض مايكره فمقتنى وقال اذهب لاقبلت لك عملا ! فأنا أعمل فى غير معمل . وقال إبراهيم بن أدهم : إذا قيل لك أمؤمن أنت ؟ فقل لا إله إلا الله وقال مرة : قل أنا لا أشك فى الإيمان وسؤالك إياى بدعة . وقيل لعلقمة : أمؤمن أنت ؟ قال : أرجو إن شاء الله . وقال الثورى : نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وما ندرى ما نحن عند الله تعالى ؟ فما معنى هذه الاستثناءات ؟ فالجواب : أن هذا الاستثناء صحيح وله أربعة أوجه ؛ وجهان مستندان إلى الشك لا فى أصل الإيمان ولكن فى خاتمته أو كماله ، ووجهان لا يستندان إلى الشك . الوجه الأول ـ الذى لايستند إلى معارضة الشك : الاحتراز من الجزم خيفة مافيه من تزكية النفس قال الله تعالى (فلا تزكوا أنفسكم) وقال (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم) وقال تعالى (انظر كيف يفترون على الله الكذب) وقيل لحكيم : ما الصدق القبيح : فقال : ثناء المرء على نفسه . والإيمان من أعلى صفات المجد والجزم تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كأنها ثقل من عرف التزكية ، كما يقال للإنسان أنت طبيب أو فقيه أو مفسر ؟ فيقول : نعم إن شاء الله ، لا فى معرض التشكيك ولكن لإخراج نفسه عن تزكية نفسه فالصيغة صيغة الترديد والتضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف للازم من لوازم الخبر وهو التزكية . وبهذا التأويل لو سئل عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء . الوجه الثانى : التأدب بذكر الله تعالى فى كل حال وإحالة الأمور كلها إلى مشيئة الله سبحانه فقد أدب الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى (ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) ثم لم يقتصر على ذلك فيما لايشك فيه بل قال تعالى (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين) وكان الله سبحانه عالما بأنهم يدخلون لا محالة وأنه شاءه ولكن المقصود تعليمه ذلك فتأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ما كان يخبر عنه معلوما كان أو مشكوكا حتى قال صلى الله عليه وسلم لما دخل المقابر « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون [1] » واللحوق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الأدب ذكر الله تعالى وربط الأمور به . وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار بعرف الاستعمال عبارة عن إظهار الرغبة والتمنى ، فإذا قيل لك إن فلانا يموت سريعا فتقول إن شاء الله فيفهم منه رغبتك لاتشككك ، وإذا قيل لك فلان سيزول مرضه ويصح فتقول إن شاء الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك إلى معنى الرغبة وكذلك العدول إلى معنى التأدب لذكر الله تعالى كيف كان الأمر : الوجه الثالث : مستنده الشك ومعناه أنا مؤمن حقا إن شاء الله ، إذ قال الله تعالى لقوم مخصوصين بأعيانهم (أولئك هم المؤمنون حقا) فانقسموا إلى قسمين ويرجع هذا إلى الشك فى كمال الإيمان لا فى أصله ، وكل إنسان شاك فى كمال إيمانه وذلك ليس بكفر . والشك فى كمال الإيمان حق من وجهين ؛ أحدهما : من حيث إن النفاق يزيل كمال الإيمان وهو خفى لاتتحقق البراءة منه . والثانى : أنه يكمل بأعمال الطاعات ولا يدرى وجودها على الكمال : أما العمل فقد قال الله تعالى (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون) فيكون

(١) حديث « لما دخل المقابر قال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين .. الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة

الشك فى هذا الصدق وكذلك قال الله تعالى ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾ فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد . ثم قال تعالى ﴿أولئك الذين صدقوا﴾ وقد قال تعالى ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ وقال تعالى ﴿لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل﴾ الآية وقد قال تعالى ﴿هم درجات عند الله﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « الإيمان عريان ولباسه التقوى[1] » الحديث وقال صلى الله عليه وسلم « الإيمان بضع وسبعون بابا أدناها إماطة الأذى عن الطريق » فهذا مايدل على ارتباط كمال الإيمان بالأعمال وأما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الخفى فقوله صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلى وزعم أنه مؤمن : من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وإذا خاصم فجر[2] » وفى بعض الروايات « وإذا عاهد غدر » وفى حديث أبى سعيد الخدرى « القلوب أربعة : قلب أجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأى المادتين غلب عليه حكم له بها[3] » وفى لفظ آخر « غلبت عليه ذهبت به » وقال عليه السلام « أكثر منافقى هذه الأمة قراؤها[4] » وفى حديث « الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل على الصفا[5] » وقال حذيفة رضى الله عنه « كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا إلى أن يموت وإنى لأسمعها من أحدكم فى اليوم عشر مرات[6] » وقال بعض العلماء : أقرب الناس من النفاق من يرى أنه برىء من النفاق . وقال حذيفة : المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فكانوا إذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق الإيمان وكماله وهو خفى وأبعد الناس منه من يتخوفه وأقربهم منه من يرى أنه برىء منه . فقد قيل للحسن البصرى : يقولون أن لا نفاق اليوم فقال يا أخى لو هلك المنافقون لاستوحشتم فى الطريق . وقال هو أو غيره : لو نبتت للمنافقين أذناب ماقدرنا أن نطأ على الأرض بأقدامنا « وسمع ابن عمر رضى الله عنه رجلا يتعرض للحجاج فقال : أرأيت لو كان حاضراً يسمع أكنت تتكلم فيه ؟ فقال : لا ، فقال : كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم »[7] وقال صلى الله عليه وسلم « من كان ذا لسانين فى الدنيا جعله الله ذا لسانين فى الآخرة » وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم « شر الناس ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه ويأتى هؤلاء بوجه » وقيل للحسن : إنّ قوما يقولون إنا لا نخاف النفاق ، فقال : والله لأن أكون أعلم أنى برىء من النفاق أحب إلى من تلاع الأرض ذهبا . وقال الحسن : إنّ من النفاق اختلاف اللسان والقلب ، والسر والعلانية ، والمدخل والمخرج . وقال رجل لحذيفة رضى الله عنه : إنى أخاف أن أكون منافقاً ، فقال : لو كنت منافقاً ما خفت النفاق إنّ المنافق قد أمن النفاق . وقال ابن أبى مليكة : أدركت

---

(١) حديث « الإيمان عريان » تقدم فى العلم (٢) حديث « أربع من كن فيه فهو منافق .. الحديث » متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث « القلوب أربعة : قلب أجرد .. الحديث » أخرجه أحمد من حديث أبى سعيد وفيه ليث ابن أبى سليم مختلف فيه (٤) حديث « أكثر منافقى هذه الأمة قراؤها » أخرجه أحمد والطبرانى من حديث عقبة بن عامر

(٥) حديث « الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل على الصفا » أخرجه أبو يعلى وابن عدى وابن حبان فى الضعفاء من حديث أبى بكر ولأحمد والطبرانى نحوه من حديث أبى موسى ، وسيأتى فى ذم الجاه والرياء (٦) حديث حذيفة « كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا . الحديث » أخرجه أحمد بإسناد فيه جهالة ، وحديث حذيفة « المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .. الحديث » أخرجه البخارى إلا أنه قال (شر) بدل أكثر

(٧) حديث « سمع ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج فقال أرأيت لو كان حاضرا أكنت تتكلم فيه قال لا قال كنا نعد هذا نفاقاً على على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » رواه أحمد والطبرانى بنحوه وليس فيه ذكر الحجاج

ثلاثين ومائة - وفى رواية خمسين ومائة - من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون النفاق . وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً فى جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق نعله بيده وبين عينيه أثر السجود فقالوا : يا رسول الله هو هذا الرجل الذى وصفناه ، فقال صلى الله عليه وسلم : أرى على وجهه سفعة من الشيطان ، فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نشدتك الله هل حدثت نفسك حين أشرفت على القوم أنه ليس فيهم خير منك ؟ فقال : اللهم نعم[1] ، فقال صلى الله عليه وسلم فى دعائه « اللهم إنى أستغفرك لما علمت ولما لم أعلم ، فقيل له : أتخاف يارسول الله ؟ فقال : وما يؤمننى والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ! وقد قال سبحانه (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون)[2] ، قيل فى التفسير : عملوا أعمالا ظنوا أنها حسنات فكانت فى كفة السيئات . وقال سرى السقطى : لو أن إنساناً دخل بستانا فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور فخاطبه كل طير منها بلغة ؛ فقال : السلام عليك ياولى الله ، فسكنت نفسه إلى ذلك كان أسيراً فى يديها فهذه الأخبار والآثار تعرفك خطر الأمر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفى وأنه لا يؤمن منه حتى كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وأنه هل ذكر فى المنافقين ؟ وقال أبو سليمان الدارانى : سمعت من بعض الأمراء شيئاً فأردت أن أنكره فخفت أن يأمر بقتلى ولم أخف من الموت ولكن خشيت أن يعرض لقلبى التزين للخلق عند خروج روحى فكففت . وهذا من النفاق الذى يضاد حقيقة الإيمان وصدقه وكماله وصفاءه لا أصله . فالنفاق نفاقان ، أحدهما : يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك فى زمرة المخلدين فى النار . والثانى : يفضى بصاحبه إلى النار مدة أو ينقص من درجات عليين ويحط من رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه ولذلك حسن الاستثناء فيه . وأصل هذا النفاق تفاوت بين السر والعلانية ، والأمن من مكر الله ، والعجب ، وأمور أخر لايخلو عنها إلا الصديقون . الوجه الرابع : وهو أيضاً مستند إلى الشك وذلك من خوف الخاتمة فإنه لا يدرى أيسلم له الإيمان عند الموت أم لا ؟ فإن ختم له بالكفر حبط عمله السابق لأنه موقوف على سلامة الآخر ، ولو سئل الصائم ضحوة النهار عن صحة صومه فقال : أنا صائم قطعاً ، فلو أفطر فى أثناء نهاره بعد ذلك لتبين كذبه إذ كانت الصحة موقوفة على التمام إلى غروب الشمس من آخر النهار . وكما أن النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام صحة الإيمان ووصفه بالصحة قبل آخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه ، والعاقبة مخوفة ولأجلها كان بكاء أكثر الخائفين لأجل أنها ثمرة القضية السابقة والمشيئة الأزلية التى لاتظهر إلا بظهور المقضى به ولامطلع عليه لأحد من البشر ، لخوف الخاتمة كخوف السابقة وربما يظهر فى الحال ماسبقت الكلمة بنقيضه ، فمن الذى يدرى أنه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى ؟ وقيل فى معنى قوله تعالى (وجاءت سكرة الموت بالحق) أى بالسابقة يعنى أظهرتها . وقال بعض السلف : إنما يوزن من الأعمال خواتيمها . وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يحلف بالله مامن أحد يأمن أن يسلب إيمانه إلا سلبه . وقيل من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك . وقيل هى عقوبات دعوى الولاية والكرامة بالافتراء . وقال بعض العارفين : لو عرضت على الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد

---

(١) حديث « كان جالسا فى جماعة من أصحابه فذكروا رجلا فأكثروا الثناء عليه فبينما هم كذلك إذ طلع رجل عليهم ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء .. الحديث » أخرجه أحمد والبزار والدارقطنى من حديث أنس (٢) حديث « اللهم إنى أستغفرك لما علمت وما لم أعلم . . الحديث » أخرجه مسلم من حديث عائشة « اللهم إنى أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر مالم أعمل » ولأبى بكر بن الضحاك فى الشمائل فى حديث مرسل « وشر ما أعلم وشر مالا أعلم »

عند باب الحجرة لاخترت الموت على التوحيد عند باب الحجرة لأنى لاأدرى مايعرض لقلبي من التغيير عن التوحيد إلى باب الدار ؟ وقال بعضهم : لوعرفت واحدا بالتوحيد خمسين سنة ثم حال بيني وبينه سارية ومات لم أحكم أنه مات على التوحيد . وفى الحديث « من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل [1] » وقيل فى قوله تعالى (وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا) صدقا لمن مات على الإيمان وعدلا لمن مات على الشرك وقد قال تعالى (ولله عاقبة الأمور) فهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجبا لأن الإيمان عبارة عما يفيد الجنة كما أن الصوم عبارة عما يبرئ الذمة . وما فسد قبل الغروب لايبرئ الذمة فيخرج عن كونه صوما فكذلك الإيمان بل لا يبعد أن يسأل عن الصوم الماضى الذى لايشك فيه بعد الفراغ منه فيقال أصمت بالأمس ؟ فيقول نعم إن شاء الله تعالى إذ الصوم الحقيقى هو المقبول والمقبول غائب عنه لايطلع عليه إلا الله تعالى فمن هذا حسن الاستثناء فى جميع أعمال البر ويكون ذلك شكا فى القبول، إذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة أسباب خفية لايطلع عليها إلا رب الأرباب جل جلاله فيحسن الشك فيه . فهذه وجوه حسن الاستثناء فى الجواب عن الإيمان وهى آخر مانختم به « كتاب قواعد العقائد » تم الكتاب بحمد الله تعالى وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى

كتاب أسرار الطهارة

وهو الكتاب الثالث من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافة ، وأفاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم أنواره وألطافه ، وأعد لظواهرهم تطهيرا لها الماء المخصوص بالرقة واللطافة ، وصلى الله على النبي محمد المستغرق بنور الهدى أطراف العالم وأكنافه ، وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة تنجينا بركاتها يوم المخافة ، وتنتصب جنة بيننا وبين كل آفة . أما بعد . فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « بنى الدين على النظافة [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « مفتاح الصلاة الطهور [3] » وقال الله تعالى (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « الطهور نصف الإيمان [4] » وقال الله تعالى (مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم) فتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر أن أم الأمور تطهير السرائر إذ يبعد أن يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم « الطهور نصف الإيمان » عمارة الظاهر بالتنظيف بإفاضة الماء وإلقائه وتخريب الباطن وإبقائه مشحونا بالأخباث والأقذار هيهات

---

(١) حديث « من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل » أخرجه الطبرانى فى الأوسط بالشطر الأخير منه من حديث ابن عمر وفيه ليث بن أبي سليم تقدم ، والشطر الأول روى من قول يحيى بن أبى كثير رواه الطبرانى فى الأصغر بلفظ « من قال أنا فى الجنة فهو فى النار » وسنده ضعيف

كتاب الطهارة

(٢) حديث (بنى الدين على النظافة) لم أجده هكذا ، وفى الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة (تنظفوا فان الاسلام نظيف) والطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود (النظافة تدعوا الى الايمان) (٣) حديث (مفتاح الصلاة الطهور) أخرجه د ت ه من حديث على ، قال الترمذى : هذا أصح شىء فى هذا الباب وأحسن (٤) حديث (الطهور نصف الايمان) أخرجه ت من حديث رجل من بنى سليم وقال . حسن ، ورواه مسلم من حديث أبى مالك الأشعرى بلفظ (شطر) كما فى الإحياء

هيهات ! والطهارة لها أربع مراتب (المرتبة الأولى) تطهير الظاهر عن الأحداث وعن الأخباث والفضلات (المرتبة الثانية) تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام (المرتبة الثالثة) تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة (المرتبة الرابعة) تطهير السر عما سوى الله تعالى وهى طهارة الأنبياء صلوات الله عليهم والصديقين ، والطهارة فى كل رتبة نصف العمل الذى فيها فإن الغاية القصوى فى عمل السر أن ينكشف له جلال الله تعالى وعظمته ولن تحل معرفة الله تعالى بالحقيقة فى السر مالم يرتحل ماسوى الله تعالى عنه . ولذلك قال الله عز وجل (قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) لأنهما لايجتمعان فى قلب (وما جعل الله لرجل فى قلبين فى جوفه) وأما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالأخلاق المحمودة والعقائد المشروعة ولن يتصف بها مالم ينظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة والرذائل الممقوتة ، فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذى هو شرط فى الثانى فكان الطهور شطر الإيمان بهذا المعنى ، وكذلك تطهير الجوارح عن المناهى أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذى هو شرط فى الثانى، فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول وعمارتها بالطاعات الشطر الثانى فهذه مقامات الإيمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية إلا أن يجاوز الطبقة السافلة ،فلا يصل الى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة مالم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق المذموم وعمارته بالخلق المحمود ، ولن يصل إلى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهى وعمارتها بالطاعات ، وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظن أن هذا الأمر يدرك وينال بالهوينى، نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة إلا الدرجة الأخيرة التى هى كالقشرة الأخيرة الظاهرة بالإضافة إلى اللب المطلوب ،فصار يمعن فيها ويستقصى فى مجاريها ويستوعب جميع أوقاته فى الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وتخيل العقل أن الطهارة المطلوبة الشريفة هى هذه فقط وجهالة بسيرة الأولين واستغراقهم جميع الهم والفكر فى تطهير القلب وتساهلهم فى أمر الظاهر ، حتى إن عمر رضى الله عنه مع علو منصبه توضأ من ماء فى جرة نصرانية ، وحتى إنهم ما كانوا يغسلون اليد من الدسومات والأطعمة بل كانوا يمسحون أصابعهم بأخمص أقدامهم وعدوا الأشنان من البدع المحدثة ، ولقد كانوا يصلون على الأرض فى المساجد ويمشون حفاة فى الطرقات ، ومن كان لايجعل بينه وبين الأرض حاجزاً فى مضجعه كان من أكابرهم ، وكانوا يقتصرون على الحجارة فى الاستنجاء . وقال أبو هريرة وغيره من أهل الصفة : « كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة فندخل أصابعنا فى الحصى ثم نفركها بالتراب ونكبر[1] » وقال عمر رضى الله عنه : « ما كنا نعرف الأشنان فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانت مناديلنا بطون أرجلنا [2] كنا إذا أكلنا الغمر مسحنا بها » ويقال أول ماظهر من البدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع : المناخل والأشنان والموائد والشبع . فكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم: الصلاة فى النعلين أفضل « لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزع نعليه فى صلاته بإخبار جبريل عليه السلام له أن بهما نجاسة وخلع الناس نعالهم قال صلى الله عليه وسلم لم خلعتم نعالكم [3] » ؟ وقال النخعى فى الذين يخلعون نعالهم « وددت لو أن محتاجا جاء اليها فأخذها » منكراً لخلع النعال . فهكذا كان تساهلهم فى هذه الأمور بل كانوا يمشون فى طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويصلون

---

(١) حديث « كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة فندخل أصابعنا فى الحصباء .. الحديث) أخرجه « من حديث عبدالله بن الحارث ابن جزء. ولم أره من حديث أبى هريرة (٢) حديث عمر (ما كنا نعرف الأشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانت مناديلنا بطن أرجلنا .. الحديث) لم أجده من حديث عمر ولابن ماجه نحوه مختصرا من حديث جابر

(٣) حديث (خلع نعليه فى الصلاة لما أخبره جبريل عليه الصلاة والسلام أن عليه نجاسة) أخرجه د ك وصححه من حديث أبى سعيد الخدرى

فى المساجد على الأرض، ويأكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليه، ولا يحترزون من عرق الإبل والخيل مع كثرة تمرغها فى النجاسات ، ولم ينقل قط عن أحد منهم سؤال فى دقائق النجاسات فهكذا كان تساهلهم فيها . وقد انتهت النوبة الآن إلى طائفة يسمون الرعونة نظافة فيقولون هى مبنى الدين فأكثر أوقاتهم فى تزيينهم الظواهر ، كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق ولا يستنكرون ذلك ولا يتعجبون منه ! ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر أو مشى على الأرض حافيا أو صلى على الأرض أو على بوارى المسجد من غير سجادة مفروشة أو مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من أدم أو توضأ من آنية عجوز أو رجل غير متقشف أقاموا عليه القيامة وشدّوا عليه النكير ولقبوه بالقذر وأخرجوه من زمرتهم واستنكفوا عن مؤاكلته ومخالطته . فسموا البذاذة التى هى من الإيمان قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكراً ! وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس حقيقته وعلمه * فإن قلت: أفتقول إن هذه العادات التى أحدثها الصوفية فى هيئاتهم ونظافتهم من المحظورات أو المنكرات ؟ فأقول حاش لله أن أطلق القول فيه من غير تفصيل ولكنى أقول إنّ هذا التنظيف والتكلف وإعداد الأوانى والآلات واستعمال غلاف القدم والإزار المقنع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الأسباب إن وقع النظر إلى ذاتها على سبيل التجرد فهى من المباحات وقد يقترن بها أحوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات ، فأما كونها مباحة فى نفسها فلا يخفى أنّ صاحبها متصرف بها فى ماله وبدنه وثيابه فيفعل بها مايريد إذا لم يكن فيه إضاعة وإسراف ، وأما مصيرها منكراً فبأن يجعل ذلك أصل الدين ويفسر به قوله صلى الله عليه وسلم « بنى الدين على النظافة » حتى ينكر به على من يتساهل فيه الأوّلين أو يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرهم ، فإن ذلك هو الرياء المحظور فيصير منكراً بهذين الاعتبارين ، أما كونه معروفا فبأن يكون القصد منه الخير دون التزين وأن لاينكر على من ترك ذلك ولا يؤخر بسببه الصلاة عن أوائل الأوقات ولا يشتغل به عن عمل هو أفضل منه أو عن علم أو غيره ، فاذا لم يقترن به شىء من ذلك فهو مباح يمكن أن يجعل قربة بالنية ولكن لا يتيسر ذلك إلا للبطالين الذين لو لم يشتغلوا بصرف الأوقات فيه لاشتغلوا بنوم أو حديث فيما لايعنى فيصير شغلهم به أولى لأن الاشتغال بالطهارات يجدّد ذكر الله تعالى وذكر العبادات فلا بأس به إذا لم يخرج إلى منكر أو إسراف . وأما أهل العلم والعمل فلا ينبغى أن يصرفوا من أوقاتهم اليه إلا قدر الحاجة فالزيادة عليه منكر فى حقهم وتضييع العمر الذى هو أنفس الجواهر وأعزها فى حق من قدر على الإنتفاع به . ولا يتعجب من ذلك فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين . ولا ينبغى للبطال أن يترك النظافة وينكر على المتصوفة ويزعم أنه يتشبه بالصحابة إذ التشبه بهم فى أن لايتفرغ إلا لما هو أهم منه ، كما قيل لداود الطائى لم لا تسرح لحيتك ؟ قال : إنى إذن لفارغ . فلهذا لا أرى للعالم ولا للمتعلم ولا للعامل أن يضيع وقته فى غسل الثياب إحترازا من أن يلبس الثياب المقصورة وتوهما بالقصار تقصيراً فى الغسل ؛ فقد كانوا فى العصر الأوّل يصلون فى الفراء المدبوغة ولم يعلم منهم من فرّق بين المقصورة والمدبوغة فى الطهارة والنجاسة ، بل كانوا يجتنبون النجاسة إذا شاهدوها ولا يدققون نظرهم فى استنباط الاحتمالات الدقيقة ، بل كانوا يتأملون فى دقائق الرياء والظلم حتى قال سفيان الثورى لرفيق له كان يمشى معه فنظر إلى باب دار مرفوع معمور : لاتفعل ذلك فإنّ الناس لو لم ينظروا اليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الإسراف . فالناظر إليه معين له على الإسراف . فكانوا يعدّون جمام الذهن لاستنباط مثل هذه الدقائق لا فى احتمالات النجاسة . فلو وجد العالم عاميا

يتعاطى له غسل الثياب محتاطاً فهو أفضل فإنه بالإضافة إلى التساهل خير . وذلك العامى ينتفع بتعاطيه إذ يشغل نفسه الأمارة بالسوء بعمل المباح فى نفسه فيمتنع عليه المعاصى فى تلك الحال . والنفس إن لم تشغل بشىء شغلت صاحبها وإذا قصد به التقرب إلى العالم صار ذلك عنده من أفضل القربات . فوقت العالم أشرف من أن يصرفه إلى مثله فيبقى محفوظا عليه ، وأشرف وقت العامى أن يشتغل بمثله فيتوفر الخير عليه من الجوانب كلها . وليتفطن بهذا المثل لنظائره من الأعمال وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على بعض ، فتدقيق الحساب فى حفظ لحظات العمر بصرفها إلى الأفضل أهم من التدقيق فى أمور الدنيا بحذافيرها . وإذا عرفت هذه المقدمة واستبنت أن الطهارة لها أربع مراتب . فاعلم أنا فى هذا الكتاب لسنا نتكلم إلا فى المرتبة الرابعة وهى نظافة الظاهر لأنافى الشطر الأول من الكتاب لانتعرض قصدا إلا للظواهر . فنقول طهارة الظاهر ثلاثة أقسام : طهارة عن الخبث وطهارة عن الحدث وطهارة عن فضلات البدن ، وهى التى تحصل بالقلم والاستحداد واستعمال النورة والختان وغيره .

القسم الأول : فى طهارة الخبث ، والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال به والإزالة

الطرف الأول فى المزال

وهى النجاسة . والأعيان ثلاثة : جمادات وحيوانات وأجزاء حيوانات . أما الجمادات فطاهرة كلها إلا الخمر وكل منتبذ مسكر ، والحيوانات طاهرة كلها إلا الكلب والخنزير وما تولد منهما أو من أحدهما . فاذا ماتت فكلها نجسة إلا خمسة : الآدمى والسمك والجراد ودود التفاح ـ وفى معناه كل ما يستحيل من الأطعمة ـ وكل ماليس له نفس سائلة كالذباب والخنفساء وغيرهما فلاينجس الماء بوقوع شىء منها فيه . وأما أجزاء الحيوانات فقسمان ، أحدهما : مايقطع منه وحكمه حكم الميت . والشعر لاينجس بالجز ، والموت والعظم ينجس . الثانى : الرطوبات الخارجة من باطنه فكل ماليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط ، وما له مقر وهو مستحيل فنجس ، إلا ماهو مادة الحيوان كالمنى والبيض . والقيح والدم والروث والبول نجس من الحيوانات كلها . ولا يعفى عن شىء من هذه النجاسات قليلها وكثيرها إلا عن خمسة ، الأول : أثر النجو بعد الاستجمار بالأحجار يعفى عنه مالم يعد المخرج والثانى : طين الشوارع وغبار الروث فى الطريق يعفى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه ، وهو الذى لاينسب المتلطخ به إلى تفريط أو سقطة . الثالث : ما على أسفل الخف من نجاسة لايخلو الطريق عنها فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة . الرابع : دم البراغيث ما قل منه أو كثر إلا إذا جاوز حد العادة سواء كان فى ثوبك أو فى ثوب غيرك فلبسته . الخامس : دم البثرات وما ينفصل منها من قيح وصديد . ودلك ابن عمر رضى الله عنه بثرة على وجهه فخرج منها الدم وصلى ولم يغتسل . وفى معناه ما يترشح من لطخات الدماميل التى تدوم غالبا وكذلك أثر الفصد إلا ما يقع نادرا من خراج أو غيره فيلحق بدم الاستحاضة ، ولايكون فى معنى البثرات التى لايخلو الإنسان عنها فى أحواله . ومسامحة الشرع فى هذه النجاسات الخمس تعرفك أن أمر الطهارة على التساهل وما ابتدع فيها وسوسة لا أصل لها .

الطرف الثانى : فى المزال به

وهو إما جامد وإما مائع ؛ أما الجامد فحجر الاستنجاء وهو مطهر تطهير تخفيف بشرط أن يكون صلبا طاهرا منشفا غير محترم ، وأما المائعات فلا تزال النجاسات بشىء منها إلا الماء ؛ ولا كل ماء بل الطاهر الذى لم يتفاحش

تغيره بمخالطة ما يستغنى عنه . ويخرج الماء عن الطهارة بأن يتغير بملاقاة النجاسة طعمه أو لونه أو ريحه . فإن لم يتغير وكان قريبا من مائتين وخمسين منا ـ وهو خمسمائة رطل برطل العراق ـ لم ينجس لقوله صلى الله عليه وسلم « إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا [1] » وإن كان دونه صار نجسا عند الشافعى رضى الله عنه . هذا فى الماء الراكد . وأما الماء الجارى إذا تغير بالنجاسة فالجرية المتغيرة نجسة دون ما فوقها وما تحتها لأن جريات الماء متفاصلات . وكذا النجاسة الجارية إذا جرت بمجرى الماء فالنجس موقعها من الماء وماعن يمينها وشمالها إذا تقاصر عن قلتين . وإن كان جرى الماء أقوى من جرى النجاسة فما فوق النجاسة طاهر وما سفل عنها فنجس وإن تباعد وكثر إلا إذا اجتمع فى حوض قدر قلتين . وإذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجسا بالتفريق . هذا هو مذهب الشافعى رضى الله عنه . وكنت أود أن يكون مذهبه كمذهب مالك رضى الله عنه فى أن الماء وإن قل لاينجس إلا بالتغير إذ الحاجة ماسة إليه ومثار الوسواس اشترط القلتين ، ولأجله شق على الناس ذلك : وهو لعمرى سبب المشقة ويعرفه من يجربه ويتأمله . ومما لا أشك فيه أن ذلك لو كان مشروطا لكان أولى المواضع بتعسر الطهارة : مكة والمدينة ؛ إذ لا يكثر فيهما المياه الجارية ولا الراكدة الكثيرة . ومن أول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آخر عصر أصحابه لم تنقل واقعة فى الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات . وكانت أوانى مياههم يتعاطاها الصبيان والإماء الذين لا يحترزون عن النجاسات . وقد توضأ عمر رضى الله عنه بماء فى جرة نصرانية ، وهذا كالصريح فى أنه لم يعول إلا على عدم تغير الماء وإلا فنجاسة النصرانية وإنائها غالبة تعلم بظن قريب ، فإذا عسر القيام بهذا المذهب . وعدم وقوع السؤال فى تلك الأعصار ؛ دليل أول . وفعل عمر رضى الله عنه : دليل ثان . والدليل الثالث : إصغاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الإناء للهرة [2] وعدم تغطية الأوانى منها : بعد أن يرى أنها تأكل الفأرة ولم يكن فى بلادهم حياض تلغ السنانير فيها وكانت لا تنزل الآبار . والرابع : أن الشافعى رضى الله عنه نص على أن غسالة النجاسة طاهرة إذا لم تتغير ونجسة إن تغيرت ، وأى فرق بين أن يلاقى الماء النجاسة بالورود عليها أو بورودها عليه ؟ وأى معنى لقول القائل إنّ قوة الورود تدفع النجاسة مع أن الورود لم يمنع مخالطة النجاسة ؟ وإن أحيل ذلك على الحاجة فالحاجة أيضا ماسة إلى هذا فلا فرق بين طرح الماء فى إجانة فيها ثوب نجس أو طرح الثوب النجس فى الإجانة وفيها ماء ؟ وكل ذلك معتاد فى غسل الثياب والأوانى ، والخامس : أنهم كانوا يستنجون على أطراف المياه الجارية القليلة ، ولاخلاف فى مذهب الشافعى رضى الله عنه أنه إذا وقع بول فى ماء جار ولم يتغير أنه يجوز التوضؤ به وإن كان قليلا . وأى فرق بين الجارى والراكد ؟ وليت شعرى هل الحوالة على عدم التغير أولى أو على قوة الماء بسبب الجريان ؟ ثم ماحد تلك القوة أتجرى فى المياه الجارية فى أنابيب الحمامات أم لا ؟ فإن لم تجر فما الفرق وإن جرت فما الفرق بين مايقع فيها وبين مايقع فى مجرى الماء من الأوانى على الأبدان وهى أيضا جارية ؟ ثم البول أشد اختلاطا بالماء الجارى من نجاسة جامدة ثابتة إذ اقضى بأن مايجرى عليها وإن لم يتغير نجس أن يجتمع فى مستنقع قلتان ، فأى فرق بين الجامد والمائع والماء واحد والاختلاط أشد من المجاورة ؟ والسادس : أنه إذا وقع رطل من البول فى قلتين ثم فرقتا فكل كوز يغترف منه طاهر ، ومعلوم أن البول منتشر فيه وهو قليل وليت شعرى هل تعليل طهارته بعدم التغير أولى أو بقوة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوالها مع

(١) حديث (إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا) أخرجه أصحاب السنن وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن عمر .

(٢) حديث (إصغاء الإناء للهرة ، أخرجه الطبرانى فى الأوسط والدارقطنى من حديث عائشة ؛ وروى أصحاب السنن ذلك من فعل أبى قتادة

تحقق بقاء أجزاء النجاسة فيها ؟ والسابع : أن الحمامات لم تزل فى الأعصار الخالية يتوضأ فيها المتقشفون ويغمسون الأيدى والأوانى فى تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بأن الأيدى النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليها . فهذه الأمور مع الحاجة الشديدة تقوى فى النفس أنهم كانوا ينظرون إلى عدم التغير معولين على قوله صلى الله عليه وسلم خلق الماء طهورا لاينجسه شىء إلا ماغير طعمه أو لونه أوريحه [1] وهذا فيه تحقيق ، وهو أن طبع كل مائع أن يقلب إلى صفة نفسه كل مايقع فيه وكان مغلوبا من جهته ؛ فكما ترى الكلب يقع فى المملحة فيستحيل ملحا ويحكم بطهارته بصيرورته ملحا وزوال صفة الكلبية عنه ، فكذلك الخل يقع فى الماء وكذا اللبن يقع فيه وهو قليل فتبطل صفته ويتصور بصفة الماء وينطبع بطبعه إلا إذا كثر وغلب وتعرف غلبته بغلبة طعمه أو لونه أوريحه فهذا المعيار . وقد أشار الشرع إليه فى الماء القوى على إزالة النجاسة وهو جدير بأن يعول عليه فيندفع به الحرج ويظهر به معنى كونه طهورا إذ يغلب عليه فيطهره ، كما صار كذلك فيما بعد القلتين وفى الغسالة وفى الماء الجارى وفى إصغاء الإناء للهرة ولا تظن ذلك عفوا إذ لو كان كذلك لكان كأثر الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاقى له نجسا ولا ينجس بالغسالة ولا بولوغ السنور فى الماء القليل . وأما قوله صلى الله عليه وسلم « لايحمل خبثا » فهو فى نفسه مبهم فإنه يحمل إذا تغير » فإن قيل . أراد به إذا لم يتغير فيمكن أن يقال إنه أراد به أنه فى الغالب لايتغير بالنجاسات المعتادة ؟ ثم هو تمسك بالمفهوم فيما إذا لم يبلغ قلتين ، وترك المفهوم بأقل من الأدلة التى ذكرناها ممكن وقوله « لايحمل خبثا » ظاهره نفى الحمل أى يقلبه إلى صفة نفسه ، كما يقال للمملحة لاتحمل كلبا ولاغيره أى ينقلب ، وذلك لأن الناس قد يستنجون فى المياه القليلة وفى الغدران ويغمسون الأوانى النجسة فيها ثم يترددون فى أنها تغيرت تغيرا مؤثرا أم لا ؟ فتبين أنه إذا كان قلتين لايتغير بهذه النجاسة المعتادة » فإن قلت : فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « لايحمل خبثا » ومهما كثرت حملها فهذا ينقلب عليك فإنها مهما كثرت حملها حكما كما حملها حسا . فلا بد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعا . وعلى الجملة فميل فى أمور النجاسات المعتادة إلى التساهل فهما من سيرة الأولين وحسما لمادة الوسواس وبذلك أفتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه فى مثل هذه المسائل .

الطرف الثالث : فى كيفية الإزالة

والنجاسة إن كانت حكمية وهى التى ليس لها جرم محسوس فيكفى إجراء الماء على جميع مواردها ، وإن كانت عينية فلا بد من إزالة العين ، وبقاء الطعم يدل على بقاء العين وكذا بقاء اللون إلا فيما يلتصق به فهو معفو عنه بعد الحت والقرص . أما الرائحة فبقاؤها يدل على بقاء العين ولا يعفى عنها إلا إذا كان الشىء له رائحة فائحة يعسر إزالتها فالدلك والعصر مرات متواليات يقوم مقام الحت والقرص فى اللون ، والمزيل للوسواس أن يعلم أن الأشياء خلقت طاهرة بيقين فما لايشاهد عليه نجاسة ولايعلمها يقينا يصلى معه ، ولاينبغى أن يتوصل بالاستنباط إلى تقدير النجاسات القسم الثانى : طهارة الأحداث ، ومنها الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجاء ، فلنورد كيفيتها على الترتيب مع آدابها وسننها مبتدئين بسبب الوضوء وآداب قضاء الحاجة إن شاء الله تعالى .

باب آداب قضاء الحاجة

ينبغى أن يبعد عن أعين الناظرين فى الصحراء وأن يستتر بشىء إن وجده وأن لايكشف عورته قبل الانتهاء

(١) حديث (خلق الله الماء طهورا لاينجسه شىء إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه) أخرجه ابن ماجه من حديث أبى أمامة بإسناد ضعيف ، وقد رواه بدون الاستثناء أبو داود والنسائى والترمذى من حديث أبى سعيد وصححه أبو داود وغيره

إلى موضع الجلوس وأن لايستقبل الشمس والقمر وأن لايستقبل القبلة ولايستدبرها إلى إذا كان فى بناء ، والعدول أيضا عنها فى البناء أحب وإن استتر فى الصحراء براحلته جاز وكذلك بذيله ، وأن يتقى الجلوس فى متحدث الناس وأن لايبول فى الماء الراكد ولا تحت الشجرة المثمرة ولافى الجحر ، وأن يتقى الموضع الصلب ومهاب الرياح فى البول استنزاها من رشاشه وأن يتكىء فى جلوسه على الرجل اليسرى وإن كان فى بنيان يقدم الرجل اليسرى فى الدخول واليمنى فى الخروج ولا يبول قائما . قالت عائشة رضى الله عنها « من حدثكم أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه [1] » وقال عمر رضى الله عنه « رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبول قائما فقال : ياعمر لا تبل قائما [2] » قال عمر : فما بلت قائما بعد ، وفيه رخصة إذ روى حذيفة رضى الله عنه « أنه عليه الصلاة والسلام بال قائما فأتيته بوضوء فتوضأ ومسح على خفيه [3] » ولا يبول فى المغتسل قال صلى الله عليه وسلم « عامة الوسواس منه [4] » وقال ابن المبارك : قد وسع فى البول فى المغتسل إذا جرى الماء عليه ذكره الترمذى وقال عليه الصلاة والسلام « لا يبولن أحدكم فى مستحمه ثم يتوضأ فيه فأن عامة الوسواس منه » وقال ابن المبارك : إن كان الماء جاريا فلا بأس به ولا يستصحب شيئا عليه اسم الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا يدخل بيت الماء حاسر الرأس . وأن يقول عند الدخول « بسم الله أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم » وعند الخروج « الحمد لله الذى أذهب عنى مايؤذينى وأبقى على ماينفعنى » ويكون ذلك خارجا عن بيت الماء وأن يعد النبل قبل الجلوس وأن لا يستنجى بالماء فى موضع الحاجة وأن يستبرئ من البول بالتنحنح والنثر ـ ثلاثا ـ وإمرار اليد على أسفل القضيب ولا يكثر التفكر فى الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه الأمر وما يحس به من بلل فايقدر أنه بقية الماء . فإن كان يؤذيه ذلك فليرش عليه الماء حتى يقوى فى نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس . وفى الخبر أنه صلى الله عليه وسلم فعله أعنى رش الماء [5] وقد كان أخفهم استبراء أفقههم فتدل الوسوسة فيه على قلة الفقه . وفى حديث سلمان رضى الله عنه « علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شىء حتى الخراءة فأمرنا أن لا نستنجى بعظم ولا روث ونهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول [6] » وقال رجل لبعض الصحابة من الأعراب وقد خاصمه : لاأحسبك تحسن الخراء قال : بلى وأبيك إنى لأحسنها وإنى بها لحاذق أبعد الأثر وأعد المدر وأستقبل الشيح وأستدبر الريح وأقعى إقعاء الظبى وأجفل إجفال النعام ـ الشيح نبت طيب الرائحة بالبادية ، والإقعاء ههنا أن يستوفز على صدور قدميه ، والإجفال أن يرفع عجزه . ومن الرخصة أن يبول الانسان قريبا من صاحبه مستترا عنه [7] فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شدة حيائه ليبين للناس ذلك .

---

(١) حديث عائشة (من حدثكم أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه) أخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجه قال الترمذى هو أحسن شىء فى هذا الباب واصح (٢) حديث عمر (رآنى النبى صلى الله عليه وسلم وانا أبول قائما فقال ياعمر لاتبل قائما » أخرجه ابن ماجه بإسناد ضعيف ، رواه ابن حبان من حديث ابن عمر ليس فيه ذكر لعمر (٣) حديث (انه عليه الصلاة والسلام بال قائما .. الحديث) متفق عليه (٤) حديث (قال فى البول فى المغتسل : عامة الوسواس منه) اخرجه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن مغفل قال الترمذى غريب قلت وإسناده صحيح (٥) حديث « رش الماء بعد الوضوء » وهو الانتضاح أخرجه أبوداود والنسائى وابن ماجه من حديث سفيان بن الحكم الثقفى أو الحكم بن سفيان وهو مضطرب كما قاله الترمذى وابن عبد البر (٦) حديث سلمان « علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شىء حتى الخراءة ... الحديث » أخرجه مسلم وقد تقدم فى قواعد العقائد (٧) حديث « البول قريبا من صاحبه » متفق عليه من حديث حذيفة

كيفية الاستنجاء

ثم يستنجى لمقعدته بثلاثة أحجار ، فإن أنقى وإلا استعمل رابعاً ، فإن أنقى وإلا استعمل خامسا لأن الإنقاء واجب والايتار مستحب . قال عليه السلام « من استجمر فليوتر[1] » ، ويأخذ الحجر بيساره ويضعه على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة ويمره بالمسح والإدارة إلى المؤخر ، ويأخذ الثانى ويضعه على المؤخر كذلك ويمره إلى المقدمة ، ويأخذ الثالث فيديره حول المسربة إدارة فإن عسرت الإدارة ومسح من المقدمة إلى المؤخر أجزأه ، ثم يأخذ حجرا كبيراً بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح ثلاثا فى ثلاثة مواضع أوفى ثلاثة أحجار أو فى ثلاثة مواضع من جدار إلى أن لا يرى الرطوبة فى محل المسح ، فإن حصل ذلك بمرتين أتى بالثالثة ، ووجب ذلك إن أراد الاقتصار على الحجر ، وإن حصل بالرابعة استحب الخامسة للإيتار. ثم ينتقل من ذلك الموضع إلى موضع آخر ويستنجى بالماء بأن يفيضه باليمنى على محل النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى أثر يدركه الكف بحس اللمس ، ويدرك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فإن ذلك منبع الوسواس ، وليعلم أن كل ما لا يصل إليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة مالم تظهر ، وكل ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسة لحق ظهوره أن يصل الماء إليه فيزيله ولا معنى للوسواس . ويقول عند الفراغ من الاستنجاء « اللهم طهر قلبى من النفاق وحصن فرجى من الفواحش » ويدلك يده بحائط أو بالأرض إزالة للرائحة إن بقيت . والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روى « أنه لما نزل قوله تعالى ﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل قباء : ما هذه الطهارة التى أثنى الله بها عليكم ، قالوا . كنا نجمع بين الماء والحجر[2] » .

كيفية الوضوء

إذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم قط خارجا من الغائط إلا توضأ ويبتدئ بالسواك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أفواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك[3] » ، فينبغى أن ينوى عند السواك تطهير فمه لقراءة القرآن وذكر الله تعالى فى الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم « صلاة على أثر سوالا أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك[4] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة[5] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « مالى أراكم تدخلون على قلحا استاكوا[6] » ، أى صفر الأسنان ، وكان عليه الصلاة والسلام يستاك فى الليلة مرارا[7] » ، وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : « لم يزل صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شىء[8] » ، وقال عليه السلام « عليكم بالسواك فإنه

---

(١) حديث « من استجمر فليوتر » متفق عليه من حديث أبى هريرة (٢) حديث « لما نزل قوله تعالى ﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا ﴾ الحديث فى أهل قباء وجمعهم بين الحجر والماء ؟ . » أخرجه البزار من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبى أيوب وجابر وأنس فى الاستنجاء بالماء ليس فيه ذكر « الحجر » وقول النووى تبعا لابن الصلاح « ان الجمع بين الماء والحجر فى أهل قباء لا يعرف » مردود بما تقدم (٣) حديث « إن أفواهكم طرق القرآن » أخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث على ورواه ابن ماجه موقوفا على على وكلاهما ضعيف (٤) حديث « صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك » رواه أبو نعيم فى كتاب السواك من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف ورواه أبو داود والحاكم وصححه والبيهقى وضعفه من حديث عائشة وضعفه بلفظ من سبعين صلاة (٥) حديث « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » متفق عليه من حديث أبى هريرة (٦) حديث « مالى اراكم تدخلون على قلحا استاكوا » اخرجه البزار والبيهقى من حديث العباس بن عبد المطلب وابو داود والبغوى من حديث تمام ابن العباس والبيهقى من حديث عبد الله بن عباس وهو مضطرب (٧) حديث « كان يستاك من الليل مرارا » اخرجه مسلم من حديث ابن عباس (٨) حديث ابن عباس « لم يزل يأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شىء » رواه احمد

مطهرة للفم ومرضاة للرب[1] » وقال على بن أبي طالب كرم الله وجهه : السواك يزيد فى الحفظ ويذهب البلغم[2] وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يروحون والسواك على آذانهم . وكيفيته : أن يستاك بخشب الأراك أو غيره من قضبان الأشجار مما يخشن ويزيل القلح ويستاك عرضا وطولا وإن اقتصر فعرضا . ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وإن لم يصل عقيبه وعند تغير النكهة بالنوم أو طول الأزم أو كل ما تكره رائحته ، ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء مستقبل القبلة ويقول « بسم الله الرحمن الرحيم » قال صلى الله عليه وسلم « لا وضوء لمن لم يسم الله تعالى[3] » أى لا وضوء كامل . ويقول عند ذلك « أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون » ثم يغسل يديه ثلاثا قبل أن يدخلهما الإناء ، ويقول « اللهم إنى أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة » ثم ينوى رفع الحدث أو استباحة الصلاة ويستديم النية إلى غسل الوجه فإن نسيها عند الوجه لم يجزه ، ثم يأخذ غرفة لفيه بيمينه فيتمضمض بها ثلاثاً ويغرغر بأن يرد الماء إلى الغاصمة إلا أن يكون صائما فيرفق ويقول « اللهم أعنى على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك » ثم يأخذ غرفة لأنفه ويستنشق ثلاثا ويصعد الماء بالنفس إلى خياشيمه ويستنثر ما فيها ويقول فى الاستنشاق « اللهم أوجد لى رائحة الجنة وأنت عنى راض » وفى الاستنثار « اللهم إنى أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار » لأن الاستنشاق إيصال والاستنثار إزالة ، ثم يغرف غرفة لوجهه فيغسله من مبدإ سطح الجبهة إلى منتهى ما يقبل من الذقن فى الطول ، ومن الأذن إلى الأذن فى العرض ، ولا يدخل فى حد الوجه النزعتان اللتان على طرفى الجبينين فهما من الرأس ، ويوصل الماء إلى موضع التحذيف وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو القدر الذى يقع فى جانب الوجه ، مهما وضع طرف الخيط على رأس الأذن والطرف الثانى على زاوية الجبين ، ويوصل الماء إلى منابت الشعور الأربعة : الحاجبان والشاربان والعذاران والأهداب : لأنها خفيفة فى الغالب . والعذاران هما ما يوازيان الأذنين من مبدإ اللحية . ويجب إيصال الماء إلى منابت اللحية الخفيفة أعنى ما يقبل من الوجه وأما الكثيفة فلا ، وحكم العنفقة حكم اللحية فى الكثافة والخفة ، ثم يفعل ذلك ثلاثاً ويفيض الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية ويدخل الأصابع فى محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما . فقد روى أنه عليه السلام فعل ذلك[4] ويأمل عند ذلك خروج الخطايا من عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول عنده « اللهم بيض وجهى بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهى بظلماتك يوم تسود وجوه أعدائك » ويخلل اللحية الكثيفة عند غسل الوجه فإنه مستحب ، ثم يغسل يديه إلى مرفقيه ثلاثا ويحرك الخاتم ويطيل الغرة ويرفع الماء إلى أعلى العضد فإنهم يحشرون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء ، كذلك ورد الخبر . قال عليه السلام « من استطاع أن

---

(١) حديث « عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم مرضاة للرب » أخرجه البخارى تعليقا مجزوما من حديث عائشة والنسائى وابن خزيمة موصولا ، قلت وصل المصنف هذا الحديث بحديث ابن عباس الذى قبله وقد رواه من حديث ابن عباس الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى شعب الايمان (٢) حديث « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يروحون والسواك على آذانهم » أخرجه الخطيب فى كتاب أسماء من روى عن مالك وعند أبى داود والترمذى وصححه « أن زيد بن خالد كان يشهد الصلوات وسواكه على أذنه موضع القلم من أذن الكاتب (٣) حديث « لا وضوء لمن لم يسم الله » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة ونقل الترمذى عن البخارى أنه أحسن شىء فى هذا الباب (٤) حديث « إدخاله الأصبع فى محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل » أخرجه أحمد من حديث أبى أمامة كان يتعاهد المنافقين ورواه الدارقطنى من حديث أبى هريرة بإسناد ضعيف « اشربوا الماء أعينكم »

يطيل غرته فليفعل[١] ، وروى أن الحلية تبلغ مواضع الوضوء[٢] ويبدأ باليمنى ويقول « اللهم أعطنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيرا » ويقول عند غسل الشمال « اللهم إنى أعوذ بك أن تعطينى كتابى بشمالى أو من وراء ظهرى » ثم يستوعب رأسه بالمسح بأن يبل يديه ويلصق رءوس أصابع يديه اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدمة الرأس ويمدهما إلى القفا ثم يردهما إلى المقدمة ، وهذه مسحة واحدة ، يفعل ذلك ثلاثا ويقول « اللهم غشنى برحمتك وأنزل على من بركاتك وأظلنى تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك » ثم يمسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد بأن يدخل مسبحتيه فى صماخى أذنيه ويدير إبهاميه على ظاهر أذنيه ثم يضع الكف على الأذنين استظهارا ، ويكرره ثلاثا ويقول « اللهم اجعلنى من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اللهم اسمعنى منادى الجنة مع الأبرار » ثم يمسح رقبته بماء جديد لقوله صلى الله عليه وسلم « مسح الرقبة أمان من الغل يوم القيامة[٣] » ويقول « اللهم فك رقبتى من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال » ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثا ويخلل باليد اليسرى من أسفل أصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من الرجل اليسرى ويقول « اللهم ثبت قدمى على الصراط المستقيم يوم تزل الأقدام فى النار » ويقول عند غسل اليسرى « أعوذ بك أن تزل قدمى عن الصراط يوم تزل فيه أقدام المنافقين » ويرفع الماء إلى أنصاف الساقين . فإذا فرغ رفع رأسه إلى السماء وقال « أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسى أستغفرك اللهم وأتوب إليك فاغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين واجعلنى من عبادك الصالحين واجعلنى عبدا صبورا شكورا واجعلنى أذكرك كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا » يقال: إن من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله تعالى ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك إلى يوم القيامة . ويكره فى الوضوء أمور : منها أن يزيد على الثلاث فمن زاد فقد ظلم ، وأن يسرف فى الماء « توضأ عليه السلام ثلاثا وقال من زاد فقد ظلم وأساء[٤] » وقال « سيكون قوم من هذه الأمة يعتدون فى الدعاء والطهور[٥] » ويقال : من وهن علم الرجل ولوعه بالماء فى الطهور[٦] وقال إبراهيم بن أدهم : يقال إن أول ما يبتدئ الوسواس من قبل الطهور ، وقال الحسن : إن شيطانا يضحك بالناس فى الوضوء يقال له الولهان . ويكره أن ينفض اليد فيرش الماء وأن يتكلم فى أثناء الوضوء وأن يلطم وجهه بالماء لطما . وكره قوم التنشيف وقالوا : الوضوء يوزن، قاله سعيد بن المسيب والزهرى ، لكن روى معاذ رضى الله عنه « أنه عليه السلام مسح وجهه بطرف ثوبه[٧] » وروت عائشة رضى الله عنها « أنه صلى الله عليه وسلم كانت له منشفة[٨] » ولكن طعن فى هذه الرواية عن عائشة . ويكره أن يتوضأ من إناء صفر وأن يتوضأ بالماء المشمس وذلك من جهة الطب . وقد روى عن ابن عمر وأبى هريرة رضى الله عنهما كراهية إناء الصفر: وقال بعضهم : أخرجت لشعبة ماء فى إناء صفر فأبى أن يتوضأ منه . ونقل كراهية

---

(١) حديث « من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل » أخرجاه من حديث أبى هريرة (٢) حديث « تبلغ الحلية من المؤمن ما يبلغ ماء الوضوء » أخرجاه من حديثه (٣) حديث « مسح الرقبة أمان من الغل » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث عمرو وهو ضعيف (٤) حديث « توضأ ثلاثا ثلاثا وقال من زاد فقد أساء وظلم » أخرجه أبو داود والنسائى واللفظ له وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٥) حديث « سيكون قوم من هذه الأمة يعتدون فى الدعاء والطهور » أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله ابن مغفل (٦) حديث « من وهن علم الرجل ولوعه فى الماء فى التطهير » لم أجد له أصلا (٧) حديث معاذ « أن النبى صلى الله عليه وسلم مسح وجهه بطرف ثوبه » أخرجه الترمذى وقال غريب وإسناده ضعيف (٨) حديث عائشة « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان له منشفة » أخرجه الترمذى وقال ليس بالقائم ، قال ولا يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب شىء

ذلك عن ابن عمر وأبي هريرة رضى الله عنهما . ومهما فرغ من وضوئه وأقبل على الصلاة فينبغي أن يخطر بباله أنه طهر ظاهره وهو موضع نظر الخلق أن يستحي من مناجاة الله تعالى من غير تطهير قلبه وهو موضع نظر الرب سبحانه . وليحقق طهارة القلب بالتوبة . والخلو عن الأخلاق المذمومة والتخلق بالأخلاق الحميدة أولى . وأن من يقتصر على طهارة الظاهر كمن يدعو ملكا إلى بيته فتركه مشحونا بالقاذورات واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البرانى من الدار . وما أجدر مثل هذا الرجل بالتعرض للمقت والبوار ! والله سبحانه وتعالى أعلم .

فضيلة الوضوء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه[1] » وفى لفظ آخر « ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه » وقال صلى الله عليه وسلم أيضا « ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ إسباغ الوضوء على المكاره ونقل الأقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ـ ثلاث مرات ـ[2] » « وتوضأ صلى الله عليه وسلم مرة مرة وقال : هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به ، وتوضأ مرتين مرتين وقال : من توضأ مرتين مرتين أتاه الله أجره مرتين ، وتوضأ ثلاثا ثلاثا وقال : هذا وضوئى ووضوء الأنبياء من قبلى ووضوء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام[3] » وقال صلى الله عليه وسلم « من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه إلا ما أصاب الماء[4] » وقال صلى الله عليه وسلم « من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات[5] » وقال صلى الله عليه وسلم « الوضوء على الوضوء نور على نور[6] » وهذا كله حث على تجديد الوضوء وقال عليه السلام « إذا توضأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره فاذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت أذنيه وإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة له[7] » ويروى « إن الطاهر كالصائم[8] » قال عليه الصلاة والسلام « من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء[9] » وقال عمر رضى الله عنه :

---

(١) حديث « من توضأ وأسبغ الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » وفى لفظ آخر « ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه » أخرجه ابن المبارك فى كتاب الزهد والرقائق باللفظين معا وهو متفق عليه من حديث عثمان بن عفان دون قوله « بشيء من الدنيا » ودون قوله « ولم يسه فيهما » وأخرجه أبو داود من حديث زيد بن خالد « ثم صلى ركعتين لا يسهو فيهما الحديث » (٢) حديث « ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات .. الحديث » أخرجه مسلم عن أبي هريرة (٣) حديث « توضأ مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به .. الحديث » أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف (٤) حديث « من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله .. الحديث » رواه الدارقطنى من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف (٥) حديث « من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات » أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف (٦) حديث « الوضوء على الوضوء نور على نور » لم أجده أصلا (٧) حديث « إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه الحديث » أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث الصنابحى إسناده صحيح ، ولكن اختلف فى صحته وعند مسلم من حديث أبى هريرة وعمرو بن عبسة نحوه مختصراً (٨) حديث « الطاهر النائم كالصائم » أخرجه أبو منصور الديلمى من حديث عمرو بن حريث « الطاهر النائم كالصائم القائم » وسنده ضعيف (٩) حديث « من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله ... الحديث » أخرجه أبو داود من حديث عقبة بن عامر وهو عند مسلم دون قوله « ثم رفع هكذا » عزاه المزى فى الأطراف ولد رواه النسائى « فى اليوم والليلة من رواية عقبة بن عامر وكذا رواه الدارمى فى مسنده

إنّ الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان . وقال مجاهد : من استطاع أن لايبيت إلا طاهراً ذاكراً مستغفراً فليفعل فإنّ الأرواح تبعث على ما قبضت عليه .

كيفية الغسل

وهو أن يضع الإناء عن يمينه ثم يسمى الله تعالى ويغسل يديه ثلاثا ، ثم يستنجى كما وصفت لك ويزيل ما على بدنه من نجاسة إن كانت ، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة كما وصفنا إلا غسل القدمين فإنه يؤخرهما فإن غسلهما ثم وضعهما على الأرض كان إضاعة للماء ، ثم يصب الماء على رأسه ثلاثا ، ثم على شقه الأيمن ثلاثاً ، ثم على شقه الأيسر ثلاثاً ، ثم يدلك ما أقبل من بدنه ويخلل شعر الرأس واللحية ويوصل الماء إلى منابت ما كثف منه أو خف ، وليس على المرأة نقض الضفائر إلا إذا علمت أنّ الماء لايصل إلى خلال الشعر ، ويتعهد معاطف البدن وليتق أن يمس ذكره فى أثناء ذلك فإن فعل ذلك فليعد الوضوء ، وإن توضأ قبل الغسل فلا يعيده بعد الغسل . فهذه سنن الوضوء والغسل ذكرنا منها مالا بدّ لسالك طريق الآخرة من علمه وعمله ، وما عداه من المسائل التى يحتاج إليها فى عوارض الأحوال فليرجع فيها إلى كتب الفقه . والواجب من جملة ما ذكرناه فى الغسل أمران . النية واستيعاب البدن بالغسل . وفروض الوضوء . النية وغسل الوجه وغسل اليدين إلى المرفقين ومسح ما ينطلق عليه الاسم من الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين والترتيب . وأما الموالاة فليست بواجبه . والغسل الواجب بأربعة : بخروج المنى والتقاء الختانين والحيض والنفاس ، وما عداه من الأغسال سنة كغسل العيدين والجمعة والأعياد والإحرام والوقوف بعرفة ومزدلفة ولدخول مكة وثلاثة أغسال أيام التشريق ولطواف الوداع ـ على قول ـ والكافر إذا أسلم غير جنب والمجنون إذا أفاق ولمن غسل ميتا ، فكل ذلك مستحب

كيفية التيمم

من تعذر عليه استعمال الماء ـ لفقده بعد الطلب أو بمانع له عن الوصول إليه من سبع أو حابس أو كان الماء الحاضر يحتاج اليه لعطشه أو لعطش رفيقه أو كان ملكا لغيره ولم يبعه إلا بأكثر من ثمن المثل أو كان به جراحة أو مرض وخاف من استعماله فساد العضو أو شدة الضنا ـ فينبغى أن يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة ، ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب طاهر خالص لين بحيث يثور منه غبار ، ويضرب عليه كفيه ضاما بين أصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة ، وينوى عند ذلك استباحة الصلاة ، ولا يكلف إيصال الغبار إلى ما تحت الشعور خفت أو كثفت ، ويجتهد أن يستوعب بشرة وجهه بالغبار ـ ويحصل ذلك بالضربة الواحدة فإنّ عرض الوجه لايزيد على عرض الكفين ـ ويكفى فى الاستيعاب غالب الظنّ ، ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية يفرج فيها بين أصابعه ثم يلصق ظهور يده اليمنى ببطون أصابع يده اليسرى ـ بحيث لا يجاوز أطراف الأنامل من إحدى الجهتين عرض المسبحة من الأخرى ـ ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده الأيمن إلى المرفق ، ثم يقلب بطن كفه اليسرى على باطن ساعده الأيمن ويمرها إلى الكوع ، ويمر بطن إبهامه اليسرى على ظاهر إبهامه اليمنى ، ثم يفعل باليسرى كذلك . ثم يمسح كفيه ويخلل بين أصابعه ، وغرض هذا التكليف تحصيل الاستيعاب إلى المرفقين بضربة واحدة فإن عسر عليه ذلك فلا بأس بأن يستوعب بضربتين وزيادة . وإذا صلى به الفرض فله أن يتنفل كيف شاء ، فإن جمع بين فريضتين فينبغى أن يعيد التيمم للثانية . وهكذا يفرد كل فريضة بتيمم والله أعلم.

القسم الثالث من النظافة : التنظيف عن الفضلات الظاهرة وهى نوعان أوساخ وأجزاء

النوع الأول : الأوساخ والرطوبات المترشحة وهى ثمانية :

(الأول) ما يجتمع فى شعر الرأس من الدرن والقمل فالتنظيف عنه مستحب بالغسل والترجيل والتدهين إزالة للشعث عنه ، وكان صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر ويرجله غبا ويأمر به [1] ويقول عليه الصلاة والسلام : ادهنوا غبا [2] وقال عليه الصلاة والسلام من كان له شعرة فليكرمها [3] أى ليصنها عن الأوساخ ، ودخل عليه رجل ثائر الرأس أشعث اللحية فقال : أما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال: يدخل أحدكم كأنه شيطان [4] ، (الثانى) ما يجتمع من الوسخ فى معاطف الأذن ، والمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع فى قعر الصماخ فينبغى أن ينظف برفق عند الخروج من الحمام فان كثرة ذلك ربما تضر بالسمع . (الثالث) ما يجتمع فى داخل الأنف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبه ويزيلها بالاستنشاق والاستنثار . (الرابع) ما يجتمع على الأسنان وطرف اللسان من القلح فيزيله السواك والمضمضة وقد ذكرناهما . (الخامس) ما يجتمع فى اللحية من الوسخ والقمل إذا لم يتعهد ويستحب إزالة ذلك بالغسل والتسريح بالمشط . وفى الخبر المشهور أنه صلى الله عليه وسلم « كان لا يفارقه المشط والمدرى والمرآة فى سفر ولا حضر [5] » وهى سنة العرب وفى خبر غريب « أنه صلى الله عليه وسلم كان يسرح لحيته فى اليوم مرتين [6] » وكان صلى الله عليه وسلم كث اللحية [7] ، وكذلك كان أبو بكر ، وكان عثمان طويل اللحية رقيقها وكان على عريض اللحية قد ملأت مابين منكبيه . وفى حديث أغرب منه قالت عائشة رضى الله عنها « اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فرأيته يطلع فى الحب يسوى من رأسه ولحيته [8] فقلت أو تفعل ذلك يارسول الله ؟ فقال : نعم إن الله يحب من عبده أن يتجمل لإخوانه إذا خرج إليهم » والجاهل ربما يظن أن ذلك من حب التزين للناس قياسا على اخلاق غيره وتشبيها الملائكة بالحدادين وهيهات ! فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمورا بالدعوة وكان من وظائفه أن يسعى فى تعظيم أمر نفسه فى قلوبهم كيلا تزدريه نفوسهم ويحسن صورته فى أعينهم كيلا تستصغره أعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك فى تنفيرهم . وهذا القصد واجب على كل عالم تصدى لدعوة الخلق إلى الله عز وجل ، وهو أن يراعى من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه . والاعتماد فى مثل هذه الأمور على النية فانها أعمال فى أنفسها تكتسب الأوصاف من المقصود ، فالتزين

---

(١) حديث « كان يدهن الشعر ويرجله » أخرجه الترمذى فى الشمائل بإسناد ضعيف من حديث أنس « كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته » وفى الشمائل أيضاً بإسناد حسن من حديث صحابى لم يسم « أنه عليه الصلاة والسلام كان يترجل غبا » (٢) حديث « ادهنوا غبا » قال ابن الصلاح لم أجد له أصلا وقال النووى غير معروف وعند أبى داود والترمذى والنسائى من حديث عبد الله بن مغفل « النهى عن الترجل إلا غبا » بإسناد صحيح (٣) حديث « من كانت له شعرة فليكرمها » من حديث أبى هريرة وقال « به شعر فليكرمه » وليس لإسناده بالقوى (٤) حديث « دخل عليه رجل ثائر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره .. الحديث » أخرجه أبو داود والترمذى وابن حبان من حديث جابر بإسناد جيد (٥) حديث « كان لا يفارقه المشط والمدرى فى سفر ولا حضر » أخرجه ابن طاهر فى كتاب صفة التصوف من حديث أبى سعيد « كان لا يفارق مصلاه سواكه ومشطه » ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة وإسنادهما ضعيف . وسيأتى فى آداب السفر مطولا (٦) حديث « كان يسرح لحيته كل يوم مرتين » تقدم حديث أنس « كان يكثر تسريح لحيته » والخطيب فى الجامع من حديث الحكم مرسلا « كان يسرح لحيته بالمشط » (٧) حديث « كان كث اللحية » أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث هند ابن أبى هالة وأبو نعيم فى دلائل النبوة من حديث على وأصله عند الترمذى (٨) حديث عائشة « اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فرأيته يطلع فى الحب يسوى من رأسه ولحيته » اخرجه ابن عدى وقال حديث منكر

على هذا القصد محبوب وترك الشعث فى اللحية إظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور وتركه شغلا بما هو أهم منه محبوب . وهذه أحوال باطنة بين العبد وبين الله عزوجل . والناقد بصير والتلبيس غير رائج عليه بحال ، وكم من جاهل يتعاطى هذه الأمور التفاتا إلى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى غيره ويزعم أن قصده الخير ، فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون أن قصدهم إرغام المبتدعة والمجاذلين والتقرب إلى الله تعالى به . وهذا أمر ينكشف يوم تبلى السرائر ، ويوم يبعثر ما فى القبور ويحصل ما فى الصدور ؛ فعند ذلك تتميز السبيكة الخالصة من البهرجة فنعوذ بالله من الخزى يوم العرض الأكبر (السادس) وسخ البراجم وهى معاطف ظهور الأنامل ، كانت العرب لاتكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع فى تلك الغضون وسخ فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسل البراجم [1] (السابع) تنظيف الرواجب [2] أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العرب بتنظيفها وهى رءوس الأنامل وماتحت الأظفار من الوسخ لأنها كانت لايحضرها المقراض فى كل وقت فتجتمع فيها أوساخ ؛ فوقت لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قلم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة أربعين يوما [3] لكنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيف ماتحت الأظفار [4] وجاء فى الأثر « أن النبى صلى الله عليه وسلم استبطأ الوحى فلما هبط عليه جبريل عليه السلام قال له : كيف ننزل عليكم وأنتم لاتغسلون براجمكم ولاتنظفون رواجبكم [5] وقلحا لاتستاكون . مرأمتك بذلك » والاف وسخ الظفر ، والتف وسخ الأذن وقوله عز وجل ﴿ فلا تقل لهما أف ﴾ تعبهما أى بما تحت الظفر من الوسخ ، وقيل لاتتأذ بهما كما تتأذى بما تحت الظفر (الثامن) الدرن الذى يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق ، وذلك يزيله الحمام ولا بأس بدخول الحمام ، دخل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام وقال بعضهم : نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار : روى ذلك عن أبى الدرداء وأبى أيوب الأنصارى رضى الله عنهما . وقال بعضهم . بئس البيت بيت الحمام يبدى العورة ويذهب الحياء . فهذا تعرض لآفته وذاك تعرض لفائدته ولابأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته . ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات ، فعليه واجبان فى عورته وواجبان فى عورة غيره . أما الواجبان فى عورته فهو أن يصونها عن نظر الغير ويصونها عن مس الغير فلايتعاطى أمرها وإزالة وسخها إلا بيده ، ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة إلى العانة ، وفى إباحة مس ماليس بسوءة لإزالة الوسخ احتمال ، ولكن الأقيس التحريم إذ ألحق مس السوأتين فى التحريم بالنظر فكذلك ينبغى أن تكون بقية العورة أعنى الفخذين . والواجبان فى عورة الغير أن يغض بصر نفسه عنها وأن ينهى عن كشفها لأن النهى عن المنكر واجب ، وعليه ذكر ذلك وليس عليه القبول ولايسقط عنه وجوب الذكر إلا لخوف ضرب أو شتم أو مايجرى عليه مما هو حرام فى نفسه ، فليس عليه أن ينكر حراما يرهق المنكر عليه إلى مباشرة حرام آخر . فأما قوله أعلم أن ذلك لايفيد ولا يعمل به فهذا

---

(١) حديث « الأمر بغسل البراجم » أخرجه الترمذى الحكيم فى النوادر من حيث عبد الله بن بسر « نقوا براجمكم » ولابن عدى فى حديث لأنس « وأن يتعاهد البراجم اذا توضأ » ولمسلم من حديث عائشة « عشر من الفطرة ـ وفيه ـ وغسل البراجم » (٢) الأمر بتنظيف الرواجب » أخرجه أحمد من حديث ابن عباس « أنه قيل له يارسول الله لقد أبطأ عنك جبريل فقيل ولم لا يبطئ وأنتم لا تستنون ولا تقلمون أظافركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم » وفيه إسماعيل بن عياش (٣) حديث « التوقيت فى قلم الأظافر ونتف الأبط وحلق العانة أربعين يوما » أخرجه مسلم من حديث أنس (٤) حديث « الأمر بتنظيف ما تحت الأظافر » أخرجه الطبرانى من حديث وابصة بن سعيد « سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن كل شىء حتى سألته عن الوسخ الذى يكون بين الأظافر فقال دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » (٥) حديث « استبطاء الوحى : فلما هبط عليه جبريل قال له : كيف ننزل عليكم وأنتم لاتغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم » تقدم قبل هذا بحديثين

لا يكون عذرا بل لابد من الذكر ، فلا يخلو قلب عن التأثر من سماع الإنكار واستشعار الاحتراز عند التعبير بالمعاصى وذلك يؤثر فى تقبيح الأمر فى عينه وتنفير نفسه فلا يجوز تركه ، ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام فى هذه الأوقات إذ لاتخلو عن عورات مكشوفة لا سيما ماتحت السرة إلى مافوق العانة ؛ إذ الناس لايعدونها عورة وقد ألحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحريم لها ولهذا يستحب تخلية الحمام . وقال بشر بن الحرث : ماأعنف رجلا لايملك إلا درهما دفعه ليخلى له الحمام . ورؤى ابن عمر رضى الله عنهما فى الحمام ووجهه إلى الحائط وقدعصب عينيه بعصابة وقال بعضهم : لابأس بدخول الحمام ولكن بإزارين : إزار للعورة وإزار للرأس يتقنع به ويحفظ عينيه ، وأما السنن فعشرة ، فالأول : النية وهو أن لايدخل لعاجل دنيا ولا عابثا لأجل هوى بل يقصد به التنظف المحبوب تزينا للصلاة ، ثم يعطى الحامى الأجرة قبل الدخول فإن مايستوفيه مجهول وكذا ماينتظره الحامى ، فتسليم الأجرة قبل الدخول دفع للجهالة من أحد العوضين وتطييب لنفسه ، ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ، ثم يدخل وقت الخلوة أو يتكلف تخلية الحمام فإنه إن لم يكن فى الحمام إلا أهل الدين والمحتاطين للعورات فالنظر إلى الأبدان مكشوفة فيه شائبة من قلة الحياء وهو مذكر للنظر فى العورات ، ثم لايخلو الإنسان فى الحركات عن انكشاف العورات بانعطاف فى أطراف الإزار فيقع البصر على العورة من حيث لايدرى ، ولأجله عصب ابن عمر رضى الله عنهما عينيه ، ويغسل الجناحين عند الدخول ولايعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق فى الأول ، وأن لايكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فإنه المأذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه الحامى لكرهه ، لاسيما الماء الحار فله مئونة وفيه تعب وأن يتذكر حر النار بحرارة الحمام ويقدر نفسه محبوسا فى البيت الحار ساعة ويقيسه إلى جهنم ، فإنه أشبه بيت بجهنم : النار من تحت والظلام من فوق نعوذ بالله من ذلك ، بل العاقل لايغفل عن ذكر الآخرة فى لحظة فإنها مصيره ومستقره فيكون له فى كل مايراه من ماء أو نار أو غيرهما عبرة وموعظة ، فإن المرء ينظر بحسب همته . فإذا دخل بزاز ونجار وبناء وحائك دارا معمورة مفروشة فإذا تفقدتهم رأيت البزاز ينظر إلى الفرش يتأمل قيمتها والحائك ينظر إلى الثياب يتأمل نسجها والنجار ينظر إلى السقف يتأمل كيفية تركيبها والبناء ينظر إلى الحيطان يتأمل كيفية إحكامها واستقامتها . فكذلك سالك طريق الآخرة لايرى من الأشياء شيئا إلا ويكون له موعظة وذكرى للآخرة، بل لاينظر إلى شىء إلا ويفتح الله عز وجل له طريق عبرة فإن نظر إلى سواد تذكر ظلمة اللحد وإن نظر إلى حية تذكر أفاعى جهنم وإن نظر إلى صورة قبيحة شنيعة تذكر منكرا ونكيرا والزبانية ، وإن سمع صوتا هائلا تذكر نفخة الصور وإن رأى شيئا حسنا تذكر نعيم الجنة وإن سمع كلمة رد أو قبول فى سوق أو دار تذكر ماينكشف من آخر أمره بعد الحساب من الرد والقبول وما أجدر أن يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل إذ لايصرفه عنه إلا مهمات الدنيا ! فإذا نسب مدة المقام فى الدنيا إلى مدة المقام فى الآخرة استحقرها إن لم يكن ممن أغفل قلبه وأعميت بصيرته . ومن السنن : أن لايسلم عند الدخول وإن سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت إن أجاب غيره وإن أحب قال « عافاك الله » ولا بأس بأن يصافح الداخل ويقول « عافاك الله » لابتداء الكلام . ثم لايكثر الكلام فى الحمام ولا يقرأ القرآن إلا سرا ولابأس بإظهار الاستعاذة من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشاءين وقريبا من الغروب فإن ذلك وقت انتشار الشياطين ، ولا بأس أن يدلكه غيره فقد نقل ذلك عن يوسف بن أسباط أوصى بأن يغسله إنسان لم يكن من أصحابه وقال : إنه دلكنى فى الحمام مرة فأردت أن أكافئه بما يفرح به وإنه

ليفرح بذلك . ويدل على جوازه ماروى بعض الصحابة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا فى بعض أسفاره فنام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره فقلت : ماهذا يارسول الله ؟ فقال : إن الناقة تقحمت بى [1] » ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله عز وجل على هذه النعمة . فقد قيل الماء الحار فى الشتاء من النعيم الذى يسأل عنه . وقال ابن عمر رضى الله عنهما : الحمام من النعيم الذى أحدثوه . هذا من جهة الشرع . أما من جهة الطب فقد قيل : الحمام بعد النورة أمان من الجذام . وقيل : النورة فى كل شهر مرة تطفىء المرة الصفراء وتنقى اللون وتزيد فى الجماع . وقيل : بولة فى الحمام قائما فى الشتاء أنفع من شربة دواء . وقيل : نومة فى الصيف بعد الحمام تعدل شربة دواء . وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام أمان من النقرس ويكره صب الماء البارد على الرأس عند الخروج وكذا شربه، هذا حكم الرجال : وأما النساء فقد قال صلى الله عليه وسلم « لايحل للرجل أن يدخل حليلته الحمام [2] » وفى البيت مستحم ، والمشهور أنه حرام على الرجال دخول الحمام إلا بمئزر [3] » وحرام على المرأة دخول الحمام إلا نفساء أو مريضة . ودخلت عائشة رضى الله عنها حماما من سقم بها . فإن دخلت لضرورة فلاتدخل إلا بمئزر سابغ ، ويكره للرجل أن يعطيها أجرة الحمام فيكون معينا لها على المكروه .

النوع الثانى : فيما يحدث فى البدن من الأجزاء وهى ثمانية

(الأول) شعر الرأس ولا بأس بحلقه لمن أراد التنظيف ولا بأس بتركه لمن يدهنه ويرجله إلا إذا تركه قزعا ، أى قطعا وهو دأب أهل الشطارة ، أو أرسل الذوائب على هيئة أهل الشرف حيث صار ذلك شعاراً لهم فإنه إذا لم يكن شريفا كان ذلك تلبيسا (الثانى) شعر الشارب وقد قال صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم « قصوا الشارب » وفى لفظ آخر « جزوا الشوارب » وفى لفظ آخر « حفوا الشوارب وأعفوا اللحى [4] » أى اجعلوها حفاف الشفة أى حولها ، وحفاف الشىء : حوله . ومنه ﴿ وترى الملائكة حافين من حول العرش ﴾ وفى لفظ آخر « احفوا » وهذا يشعر بالاستئصال وقوله « حفوا » يدل على مادون ذلك . وقال الله عز وجل ﴿ إن يسئلكموها فيحفكم تبخلوا ﴾ أى يستقصى عليكم ، وأما الحلق فلم يرد . والإحفاء القريب من الحلق نقل عن الصحابة : نظر بعض التابعين إلى رجل أحفى شاربه فقال : ذكرتنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال المغيرة بن شعبة « نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربى فقال : تعال فقصه لى على سواك [5] » ولا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب ، فعل ذلك عمر وغيره لأن ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام إذ لا يصل إليه : وقوله صلى الله عليه وسلم « اعفوا اللحى » أى كثروها وفى الخبر « إن اليهود يعفون شواربهم

---

(١) حديث « نزل منزلا فى بعض أسفاره فنام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث عمر بسند ضعيف (٢) حديث « لا يحل لرجل أن يدخل حليلته الحمام .. الحديث » يأتى فى الذى يليه مع اختلاف

(٣) حديث « حرام على الرجال دخول الحمام الا بمئزر .. الحديث » أخرجه النسائى والحاكم وصححه من حديث جابر « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر » ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام » وللحاكم من حديث عائشة « الحمام حرام على نساء أمتى » قال صحيح الإسناد ولأبى داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر « فلا يدخلها الرجال الا بالإزار وامنعوها النساء الا من مريضة أو نفساء » (٤) حديث « قصوا » وفى لفظ « جزوا » وفى لفظ « احفوا الشوارب واعفوا اللحى » متفق عليه من حديث ابن عمر بلفظ « احفوا » ولمسلم من حديث أبى هريرة « جزوا » ولأحمد من حديثه « قصوا » (٥) حديث المغيرة ابن شعبة « نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربى فقال : تعال فقصه لى على سواك » أخرجه أبو داود والنسائى والترمذى فى الشمائل

ويقصون لحاهم [١] لمخالفوهم ، وكره بعض العلماء الحلق ورآه بدعة (الثالث) شعر الإبط ويستحب نتفه فى كل أربعين يوما مرة وذلك سهل على من تعوّد نتفه فى الابتداء ، فأما من تعوّد الحلق فيكفيه الحلق إذ فى النتف تعذيب وإيلام ، والمقصود النظافة وأن لايجتمع الوسخ فى خللها ويحصل ذلك بالحلق (الرابع) شعر العانة ويستحب إزالة ذلك إما بالحلق أو بالنورة ولا ينبغى أن تتأخر عن أربعين يوماً (الخامس) الأظفار وتقليمها مستحب لشناعة صورتها إذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة أقلم أظفارك فإنّ الشيطان يقعد على ما طال منها [٢] » ، ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضوء لأنه لا يمنع وصول الماء ولأنه يتساهل فيه للحاجة لا سيما فى أظفار الرجل وفى الأوساخ التى تجتمع على البراجم وظهور الأرجل والأيدى من العرب وأهل السواد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهم بالقلم وينكر عليهم ما يرى تحت أظفارهم من الأوساخ ولم يأمرهم بإعادة الصلاة ، ولو أمر به لكان فيه فائدة أخرى وهو التغليظ والزجر عن ذلك . ولم أر فى الكتب خبرا مرويا فى ترتيب قلم الأظفار ولكن سمعت « أنه صلى الله عليه وسلم بدأ بمسبحته اليمنى وختم بإبهامه اليمنى وابتدأ فى اليسرى بالخنصر إلى الإبهام [٣] » ، ولما تأملت فى هذا خطر لى من المعنى ما يدل على أنّ الرواية فيه صحيحة إذ مثل هذا المعنى لاينكشف ابتداء إلا بنور النبوّة ، وأما العالم ذو البصيرة فغايته أن يستنبطه من العقل بعد نقل الفعل إليه . فالذى لاح لى فيه والعلم عند الله سبحانه أنه لا بدّ من قلم أظفار اليد والرجل ، واليد أشرف من الرجل فيبدأ بها ، ثم اليمنى أشرف من اليسرى فيبدأ بها ، ثم على اليمنى خمسة أصابع والمسبحة أشرفها إذ هى المشيرة فى كلمتى الشهادة من جملة الأصابع ، ثم بعدها ينبغى أن يبتدئ بما على يمينها إذ الشرع يستحب إدارة الطهور وغيره على اليمين ، وإن وضعت ظهر الكف على الأرض فالإبهام هو اليمين ، وإن وضعت بطن الكف فالوسطى هى اليمنى ، واليد إذا تركت بطبعها كان الكف مائلا إلى جهة الأرض إذ جهة حركة اليمين إلى اليسار واستتمام الحركة إلى اليسار يجعل ظهر الكف عاليا فما يقتضيه الطبع أولى ، ثم إذا وضعت الكف على الكف صارت الأصابع فى حكم حلقة دائرة ، فيقتضى ترتيب الدور الذهاب عن يمين المسبحة إلى أن يعود إلى المسبحة ، فتقع البداءة بخنصر اليسرى والختم بإبهامها ويبقى إبهام اليمنى فيختم به التقليم . وإنما قدّرت الكف موضوعة على الكف حتى تصير الأصابع كأشخاص فى حلقة ليظهر ترتيبها . وتقدير ذلك أولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف أو وضع ظهر الكف على ظهر الكف فإن ذلك لا يقتضيه الطبع . وأما أصابع الرجل فالأولى عندى - إن لم يثبت فيها نقل - أن يبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كما فى التخليل ، فإنّ المعانى التى ذكرها فى اليد لا تتجه ههنا إذ لا مسبحة فى الرجل . وهذه الأصابع فى حكم صف واحد ثابت على الأرض فيبدأ من جانب اليمنى فإنّ تقديرها حلقة بوضع الأخمص على الأخمص يأباه الطبع بخلاف اليدين . وهذه الدقائق فى الترتيب تنكشف بنور النبوّة فى لحظة واحدة وإنما يطول التعب علينا . ثم لو سئلنا ابتداء عن الترتيب فى ذلك ربما لم يخطر لنا . وإذا ذكرنا فعله صلى الله عليه

---

(١) حديث « إن اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم » أخرجه أحمد من حديث أبى أمامة « قلنا يارسول الله إن أهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم فقال قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا أهل الكتاب » قلت والمشهور أن هذا فعل المجوس ففى صحيح ابن عمر فى المجوس « أنهم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم »

(٢) حديث « ياأبا هريرة قلم ظفرك فإن الشيطان يقعد على ما طال منها » أخرجه الخطيب فى الجامع بإسناد ضعيف من حديث جابر « قصوا أظافيركم » فإن الشيطان يجرى ما بين اللحم والظفر (٣) حديث « البداءة فى قلم الأظافر بمسبحة اليمنى والختم بإبهامها وفى اليسرى بالخنصر إلى الإبهام » لم أجد له أصلا وقد أنكره أبو عبد الله المازرى فى الرد على الغزالى وشنع عليه به

وسلم وترتيبه ربما تيسر لنا مما عاينه صلى الله عليه وسلم بشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى استنباط المعنى ، ولا تظنن أنّ أفعاله صلى الله عليه وسلم فى جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب بل جميع الأمور الاختيارية التى ذكرناها يتردد فيها الفاعل بين قسمين أو أقسام كان لايقدم على واحد معين بالاتفاق بل بمعنى يقتضى الإقدام والتقديم ، فإنّ الاسترسال مهملا ـ كما يتفق ـ سجية البهائم ، وضبط الحركات بموازين المعانى سجية أولياء الله تعالى. وكلما كانت حركات الإنسان وخطراته إلى الضبط أقرب وعن الإهمال وتركه ـ دى أبعد : كانت مرتبته إلى رتبة الأنبياء والأولياء أكثر وكان قربه من الله عز وجل أظهر ؛ إذ القريب من النبى صلى الله عليه وسلم هو القريب من الله عز وجل والقريب من الله لا بد أن يكون قريبا فالقريب من القريب قريب بالإضافة إلى غيره فنعوذ بالله أن يكون زمام حركاتنا وسكناتنا فى يد الشيطان بواسطة الهوى . واعتبر فى ضبط الحركات باكتحاله صلى الله عليه وسلم « فإنه كان يكتحل فى عينه اليمنى ثلاثا وفى اليسرى اثنين[1] » فيبدأ باليمنى لشرفها . وتفاوته بين العينين لتكون الجملة وترا ، فإنّ للوتر فضلا عن الزوج فإنّ الله سبحانه وتر يحب الوتر فلا ينبغى أن يخلو فعل العبد من مناسبة لوصف من أوصاف الله تعالى . ولذلك استحب الإيتار فى الاستجمار . وإنما لم يقتصر على الثلاث وهو وتر لأنّ اليسرى لا يخصها إلا واحدة والغالب أن الواحدة لا تستوعب أصول الأجفان بالكحل ، وإنما خصص اليمين بالثلاث لأنّ التفضيل لابدّ منه للإيتار واليمين أفضل فهى بالزيادة أحق * فإن قلت ؛ فلم اقتصر على اثنين لليسرى وهى زوج ؟ فالجواب أنّ ذلك ضرورة إذ لو جعل لكل واحدة وترا لكان المجموع زوجا إذ الوتر مع الوتر زوج ، ورعايته الإيتار فى مجموع الفعل وهو فى حكم الخصلة الواحدة أحب من رعايته فى الآحاد . ولذلك أيضاً وجه وهو أن يكتحل فى كل واحدة ثلاثا على قياس الوضوء[2] وقد نقل ذلك فى الصحيح وهو الأولى . ولو ذهبت أستقصى دقائق ما راعاه صلى الله عليه وسلم فى حركاته لطال الأمر فقس بما سمعته ما لم تسمعه . واعلم أنّ العالم لايكون وارثا للنبى صلى الله عليه وسلم إلا إذا اطلع على جميع معانى الشريعة حتى لايكون بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم إلا درجة واحدة وهى درجة النبوّة ، وهى الدرجة الفارقة بين الوارث والموروث ، إذ الموروث هو الذى حصل المال له واشتغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذى لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل إليه وتلقاه منه بعد حصوله له ، فأمثال هذه المعانى مع سهولة أمرها بالإضافة إلى الأغوار والأسرار لا يستقل بدركها ابتداء إلا الأنبياء ولا يستقل باستنباطها تلقيا بعد تنبيه الأنبياء عليها إلا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء عليهم السلام (السادس والسابع) زيادة السرة وقلفة الحشفة ؛ أما السرة فتقطع فى أوّل الولادة وأما التطهير بالختان فعادة اليهود فى اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير إلى أن يثغر الولد أحب وأبعد عن الخطر قال صلى الله عليه وسلم « الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء[3] » وينبغى أن لايبالغ فى خفض المرأة قال صلى الله عليه وسلم لأم عطية وكانت تخفض « ياأم عطية أشمى ولا تنهكى فإنه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج[4] » أى أكثر لماء الوجه ودمه وأحسن فى جماعها فانظر إلى جزالة لفظه صلى الله عليه وسلم فى الكناية وإلى إشراق نور النبوّة من مصالح الآخرة التى هى أهم مقاصد النبوة إلى

---

(١) حديث « كان يكتحل فى عينه اليمنى » ثلاثا « وفى اليسرى اثنين » أخرجه الطبرانى من حديث ابن عمر باسناد ضعيف

(٢) حديث « الاكتحال فى كل عين ثلاثا » قال الغزالى ونقل ذلك فى الصحيح ، قلت هو عند الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس قال الترمذى حديث حسن .

(٣) حديث « الختان سنة الرجال مكرمة النساء » أخرجه أحمد والبيهقى من رواية أبى الملبح بن أسامة عن أبيه باسناد ضعيف

(٤) حديث « أم عطية أشمى ولا تنهكى .. الحديث » أخرجه الحاكم والبيهقى من حديث الضحاك بن قيس ولأبى داود نحوه من حديث أم عطية وكلاهما ضعيف

مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو أمى من هذا الأمر النازل قدره مالو وقعت الغفلة عنه خيف ضرره فسبحان من أرسله رحمة للعالمين ليجمع لهم بيمن بعثته مصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وسلم (الثامنة) ما طال من اللحية وإنما أخرناها لنلحق بها مافى اللحية من السنن والبدع إذ هذا أقرب موضع يليق به ذكرها وقد اختلفوا فيما طال منها فقيل إن قبض الرجل على لحيته وأخذ مافضل عن القبضة فلا بأس فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبى وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة وقالا تركها عافية أحب لقوله صلى الله عليه وسلم « اعفوا اللحى » والأمر فى هذا قريب إن لم ينته إلى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب فإن الطول المفرط قد يشوه الخلقة ويطلق ألسنة المغتابين بالنبذ إليه فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية . وقال النخعى عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا يأخذ من لحيته ويجعلها بين لحيتين فإن التوسط فى كل شىء حسن ، ولذلك قيل كلما طالت اللحية تشمر العقل .

فصـــل

وفى اللحية عشر خصال مكروهة وبعضها أشد كراهة من بعض ؛ خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت ونتفها ونتف الشيب منها والنقصان منها والزيادة وتسريحها تصنعا لأجل الرياء وتركها شعثة إظهارا للزهد والنظر إلى سوادها عجبا بالشباب وإلى بياضها تكبرا بعلو السن وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبها بالصالحين . أما الأول وهو الخضاب بالسواد فهو منهى عنه لقوله صلى الله عليه وسلم « خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم [1] » والمراد بالتشبه بالشيوخ فى الوقار لا فى تبييض الشعر و « نهى عن الخضاب بالسواد [2] » وقال هو خضاب أهل النار [3] » وفى لفظ آخر « الخضاب بالسواد خضاب الكفار » وتزوج رجل على عهد عمر رضى الله عنه وكان يخضب بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبته فرفعه أهل المرأة إلى عمر رضى الله عنه فرد نكاحه وأوجعه ضربا وقال : غررت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك ويقال أول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « يكون فى آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة [4] » الثانى : الخضاب بالصفرة والحمرة وهو جائز تلبيسا للشيب على الكفار فى الغزو والجهاد فإن لم يكن على هذه النية بل للتشبه بأهل الدين فهو مذموم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين [5] » وكانوا يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة ، وخضب بعض العلماء بالسواد لأجل الغزو وذلك لا بأس به إذا صحت النية ولم يكن فيه هوى وشهوة . الثالث : تبييضها بالكبريت استعجالا لإظهار علو السن توصلا إلى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترفعا عن الشباب وإظهارا لكثرة العلم ظنا بأن كثرة الأيام تعطيه فضلا وهيهات فلا يزيد كبر السن للجاهل إلا جهلا فالعلم ثمرة العقل وهى غريزة ولا يؤثر الشيب فيها ومن كانت غريزته الحمق فطول المدة يؤكد حماقته وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب

---

(١) حديث « خير شبابكم من تشبه بكهولكم .. الحديث » أخرجه الطبراني من حديث واثلة باسناد ضعيف

(٢) حديث « نهى عن الخضاب بالسواد » أخرجه ابن سعد فى الطبقات من حديث عمرو بن العاص باسناد منقطع ، ولمسلم من حديث جابر « وغيروا هذا بشىء واجتنبوا السواد » قاله حين رأى بياض شعر أبى قحافة

(٣) حديث « الخضاب بالسواد خضاب أهل النار » وفى لفظ « خضاب الكفار » أخرجه الطبراني والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ « الكافر » قال ابن أبى حاتم منكر .

(٤) حديث « يكون فى آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد ... الحديث » أخرجه أبو داود والنسائى من حديث ابن عباس باسناد جيد . (٥) حديث « الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين » أخرجه الطبرانى والحاكم بلفظ الإفراد من حديث ابن عمر قال ابن أبى حاتم منكر .

بالعلم . كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن على أكابر الصحابة ويسأله دونهم . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ما آتى الله عز وجل عبدا علما إلا شابا والخير كله فى الشباب ثم تلا قوله عز وجل ﴿ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ﴾ وقوله تعالى ﴿ إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ﴾ وقوله تعالى ﴿وآتيناه الحكم صبيا﴾ وكان أنس رضى الله عنه يقول « قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له يا أبا حمزة فقد أسن فقال لم يشنه الله بالشيب فقيل أهو شين فقال كلكم يكرهه[1] » ويقال إن يحيى بن أكثم ولى القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة فقال له رجل فى مجلسه يريد أن يخجله بصغر سنه كم سن القاضى أيده الله فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة مكة وقضاءها فألجمه[2] وروى عن مالك رحمه الله أنه قال قرأت فى بعض الكتب لا تغرنكم اللحى فإن التيس له لحية وقال أبو عمرو بن العلاء إذا رأيت الرجل طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فافض عليه بالحق ولو كان أمية ابن عبد شمس وقال أيوب السختيانى أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه . وقال على بن الحسين من سبق فيه العلم قبلك فهو إمامك فيه وإن كان أصغر سنا منك ، وقيل لأبى عمرو بن العلاء أيحسن من الشيخ أن يتعلم من الصغير فقال إن كان الجهل يقبح به فالتعلم يحسن به وقال يحيى بن معين لأحمد بن حنبل وقد رآه يمشى خلف بغلة الشافعى يا أبا عبد الله تركت حديث سفيان بعلوه وتمشى خلف بغلة هذا الفتى وتسمع منه فقال له أحمد لو عرفت لكنت تمشى من الجانب الآخر إن علم سفيان إن فاتنى بعلو أدركته بنزول وإن عقل هذا الشاب إن فاتنى لم أدركه بعلو ولا نزول (الرابع) نتف بياضها استنكافا من الشيب « وقد نهى عليه السلام عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن[3] » وهو فى معنى الخضاب بالسواد وعلة الكراهية ماسبق والشيب نور الله تعالى والرغبة عنه رغبة عن النور (الخامس) نتفها أو نتف بعضها بحكم العبث والهوس وذلك مكروه ومشوه للخلقة ونتف الفنيكين بدعة وهما جانبا العنفقة . شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان ينتف فنيكيه فرد شهادته ورد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وابن أبى ليلى قاضى المدينة شهادة من كان ينتف لحيته وأما نتفها فى أول النبات تشبها بالمرد فمن المنكرات الكبار فإن اللحية زينة الرجال فإن لله سبحانه ملائكة يقسمون والذى زين بنى آدم باللحى وهو من تمام الخلق وبها يتميز الرجال عن النساء وقيل فى غريب التأويل اللحية هى المراد بقوله تعالى ﴿ يزيد فى الخلق ما يشاء ﴾ قال أصحاب الأحنف بن قيس وددنا أن نشترى للأحنف لحية ولو بعشرين ألفا وقال شريح القاضى وددت أن لى لحية ولو بعشرة آلاف وكيف تكره اللحية وفيها تعظيم الرجل والنظر إليه بعين العلم والوقار والرفع فى المجالس وإقبال الوجوه إليه والتقديم على الجماعة ووقاية العرض ؟ فإن من يشتم يعرض باللحية إن كان للمشتوم لحية وقد قيل إن أهل الجنة مرد إلا هرون أخا موسى صلى الله عليهما وسلم فإن له لحية إلى سرته تخصيصاً له وتفضيلا (السادس) تقصيصها كالتعبية طاقة على طاقة

---

(١) حديث « قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له ياأبا حمزة وقد أسن فقال لم يشبه الله بالشيب » متفق عليه من حديث أنس دون قوله « فقيل ...الخ » ولمسلم من حديثه « وسئل عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماشانه الله بيضاء (٢) حديث يحيى بن أكثم « ولى القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة فقيل له كم سن القاضى فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة مكة وقضاءها يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ ابن جبل حين وجه به رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل اليمن » أخرجه الخطيب فى التاريخ بإسناد فيه نظر وما ذكره ابن أكثم صحيح بالنسبة إلى عتاب بن أسيد فإنه كان حين الولاية ابن عشرين ، وأما بالنسبة إلى معاذ فإنما يتم له ذلك على قول يحيى ابن سعيد الأنصارى ومالك وابن أبى حاتم إنه كان حين مات ابن ثمان وعشرين سنة والمرجح أنه مات ابن ثلاث وثلاثين سنة فى الطاعون سنة ثمانية عشر والله أعلم (٣) حديث « نهى عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه النسائى وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده

للتزين للنساء والتصنع قال كعب : يكون فى آخر الزمان أقوام يقصون لحاهم كذنب الحمامة ويعرقبون نعالهم كالمناجل أولئك لا خلاق لهم (السابع) الزيادة فيها وهو أن يزيد فى شعر العارضين من الصدغين وهو من شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللحى وينتهى إلى نصف الخد وذلك يباين هيئة أهل الصلاح . (الثامن) تسريحها لأجل الناس قال بشر : فى اللحية شركان : تسريحها لأجل الناس وتركها متفتلة لإظهار الزهد . (التاسع والعاشر) النظر فى سوادها أو فى بياضها بعين العجب وذلك مذموم فى جميع أجزاء البدن بل فى جميع الأخلاق والأفعال على ماسيأتى بيانه فهذا ما أردنا أن نذكره من أنواع التزين والنظافة وقد حصل من ثلاثة أحاديث من سنن الجسد اثنتا عشرة خصلة خمس منها فى الرأس وهى فرق شعر الرأس[1] والمضمضة والاستنشاق[2] وقص الشارب والسواك وثلاثة فى اليد والرجل وهى القلم وغسل البراجم وتنظيف الرواجب[3] وأربعة فى الجسد وهى نتف الإبط والاستحداد والختان والاستنجاء بالماء فقد وردت الأخبار بمجموع ذلك وإذا كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر على هذا وليتحقق أنّ فضلات الباطن وأوساخه التى يجب التنظيف منها أكثر من أن تحصى وسيأتى تفصيلها فى ربع المهلكات مع تعريف الطرق فى إزالتها وتطهير القلب منها إن شاء الله عز وجل .

تم كتاب أسرار الطهارة بحمد الله تعالى وعونه . ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الصلاة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

كتاب أسرار الصلاة ومهماتها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى غمر العباد بلطائفه ، وعمر قلوبهم بأنوار الدين ووظائفه التى تنزل عن عرش الجلال إلى السماء الدنيا من درجات الرحمة إحدى عواطفه فارق الملوك مع التفرد بالجلال والكبرياء بترغيب الخلق فى السؤال والدعاء فقال : هل من داع فأستجيب له وهل من مستغفر فأغفر له ؟ وباين السلاطين بفتح الباب ، ورفع الحجاب فرخص للعباد فى المناجاة بالصلوات كيفما تقلبت بهم الحالات فى الجماعات والخلوات ولم يقتصر على الرخصة بل تلطف بالترغيب والدعوة وغيره من ضعفاء الملوك لايسمح بالخلوة إلا بعد تقديم الهدية والرشوة فسبحانه ماأعظم شأنه وأقوى سلطانه ، وأتم لطفه ، وأعم إحسانه ؛ والصلاة على محمد نبيه المصطفى ووليه المجتبى وعلى آله وأصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليما . أما بعد : فإنّ الصلاة عماد الدين ، وعصام اليقين ، ورأس القربات ، وغرّة الطاعات ؛ وقد استقصينا فى فن الفقه ـ فى بسيط المذهب ووسيطه ووجيزه ـ أصولها وفروعها ، صارفين جمام العناية إلى تفاريعها النادرة . ووقائعها الشاذة لتكون خزانة للمفتى منها يستمد ومعولا له إليها يفزع ويرجع . ونحن الآن

(١) حديث « فرق شعر الرأس .. الخ » من حديث ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره إلى أن قال ثم فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه » (٢) حديث « عشر من الفطرة .. الحديث » أخرجه مسلم من حديث عائشة ولفظه « قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء ـ قال وكيع يعنى الاستنجاء ـ قال مصعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة » ولأبى داود وابن ماجه من حديث عمار بن ياسر نحوه فذكر فيه المضمضة والاختتان والانتضاح ولم يذكر إعفاء اللحية وانتقاص الماء قال أبو داود روى نحوه عن ابن عباس . قال « خمس كلها فى الرأس » وذكر منها « الفرق » ولم يذكر « إعفاء اللحية » وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة « الفطرة خمس : الختان .. الحديث » (٣) حديث « تنظيف الرواجب » تقدم

فى هذا الكتاب نقتصر على مالابدّ للمريد منه من أعمالها الظاهرة وأسرارها الباطنه ، وكاشفون من دقائق معانيها الخفية فى معانى الخشوع والإخلاص والنية ما لم تجر العادة بذكره فى فن الفقه ؛ ومرتبون الكتاب على سبعة أبواب . الباب الأوّل : فى فضائل الصلاة . الباب الثانى : فى تفضيل الأعمال الظاهرة من الصلاة . الباب الثالث : فى تفضيل الأعمال الباطنة منها . الباب الرابع : فى الإمامة والقدوة . الباب الخامس : فى صلاة الجمعة وأدابها . الباب السادس : فى مسائل متفرقة تعم بها البلوى يحتاج المريد إلى معرفتها . الباب السابع : فى التطوعات وغيرها .

الباب الأول : فى فضائل الصلاة السجود والجماعة والأذان وغيرها

فضيلة الأذان

قال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود لا يهولهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس : رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل وأم بقوم وهم به راضون ؛ ورجل أذن فى مسجد ودعا إلى الله عز وجل ابتغاء وجه الله ؛ ورجل ابتلى بالرزق فى الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يسمع نداء المؤذن جن ولا إنس ولا شىء إلا شهد له يوم القيامة [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه [3] » وقيل فى تفسير قوله عز وجل ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا ﴾ نزلت فى المؤذنين ، وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سمعتم النداء فقولوا مثل مايقول المؤذن [4] » وذلك مستحب إلا فى الحيعلتين فإنه يقول فيهما : لاحول ولاقوة إلا بالله ؛ وفى قوله قد قامت الصلاة أقامها الله وأدامها ما دامت السموات والأرض وفى التثويب صدقت وبررت ونصحت ؛ وعند الفراغ يقول : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته إنك لا تخلف الميعاد . وقال سعيد بن المسيب من صلى بأرض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فإن أذن وأقام صلى وراءه أمثال الجبال من الملائكة .

فضيلة المكتوبة

قال الله تعالى ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئاً استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقى من درنه قالوا لاشىء قال صلى الله عليه

باب أسرار الصلاة

(١) حديث « الاثة يوم القيامة على كثيب من مسك . . الحديث » أخرجه الترمذى وحسنه من حديث ابن عمر مختصرا وهو فى الصغير للطبرانى بنحو مما ذكره المؤلف (٢) حديث « لايسمع صوت المؤذن » جن ولا إنس ولا شىء إلا شهد له يوم القيامة أخرجه البخارى من حديث أبي سعيد

(٣) حديث « يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه » أخرجه الطبرانى فى الأوسط والحسن بن سعيد فى مسنده من حديث أنس باسناد ضعيف . (٤) حديث « إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن » متفق عليه من حديث أبى سعيد

(٥) حديث « خمس صلوات كتبهن الله على العباد . . . الحديث » أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان من حديث عبادة بن الصامت وصححه ابن عبد البر

وسلم فإن الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن[١] ، وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر[٢] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما[٣] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « من لقى الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسناته[٤] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين[٥] » ، وسئل صلى الله عليه وسلم « أى الأعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها[٦] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « من حافظ على الخمس بإكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان[٧] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « مفتاح الجنة الصلاة[٨] » ، وقال « ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة ولو كان شيء أحب إليه منها لتعبد به ملائكته فمنهم راكع ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد[٩] » ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من ترك صلاة متعمدا فقد كفر[١٠] » ، أى قارب أن ينخلع عن الإيمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة إنه بلغها ودخلها . وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك صلاة معتمدا فقد برئ من ذمة محمد عليه السلام[١١] » ، وقال أبو هريرة رضى الله عنه : من توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج عامدا إلى الصلاة فإنه فى صلاة ما كان يعمد إلى الصلاة وأنه يكتب له بإحدى خطوتيه حسنة وتمحى عنه بالأخرى سيئة فإذا سمع أحدكم الإقامة فلا ينبغى له أن يتأخر فإنّ أعظمكم أجرا أبعدكم دارا ، قالوا لم يا أبا هريرة؟ قال : من أجل كثرة الخطا . ويروى « إن أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة[١٢] فإن وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وإن وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب[١٣] » ، وقال بعض العلماء : مثل المصلى مثل التاجر الذى لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال ، وكذلك المصلى لا تقبل له نافلة حتى يؤدى الفريضة . وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول: إذا حضرت الصلاة قوموا إلى ناركم التى أوقدتموها فأطفئوها .

فضيلة إتمام الأركان

قال صلى الله عليه وسلم « مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى[١٤] » ، وقال يزيد الرقاشى « كانت

---

(١) حديث « مثل خمس صلوات كمثل نهر .. الحديث » أخرجه مسلم من حديث جابر ولها نحوه من حديث أبى هريرة (٢) حديث « الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة (٣) حديث « بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح » أخرجه مالك من رواية سعيد بن المسيب مرسلا (٤) حديث « من لقى الله مضيعا الصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسناته » وفى معناه حديث « أول ما يحاسب به العبد الصلاة » وفيه « فإن فسدت فسد سائر عمله » رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس (٥) حديث « الصلاة عماد الدين » رواه البيهقى فى الشعب بسند ضعفه من حديث عمر قال الحاكم : عكرمة لم يسمع من عمر قال ورواه ابن عمر لم يقف عليه ابن الصلاح فقال فى مشكل الوسيط إنه غير معروف (٦) حديث « سئل أى الأعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها » متفق عليه من حديث ابن مسعود (٧) حديث « من حافظ على الخمس بإكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا .. الحديث » أخرجه احمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمرو (٨) حديث « مفاتيح الجنة الصلاة » رواه أبو داود الطيالسى من حديث جابر وهو عند الترمذى ولكن ليس داخلا فى الرواية (٩) حديث « ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد شيئا أحب اليه من الصلاة .. الحديث » لم أجده هكذا وآخر الحديث عند الطبرانى من حديث جابر وعند الحاكم من حديث ابن عمر (١٠) حديث « من ترك صلاة متعمدا فقد كفر » أخرجه البزار من حديث ابى الدرداء بإسناد فيه مقال . (١١) حديث « من ترك صلاة متعمدا فقد تبرأ من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم » أخرجه احمد والبيهقى من حديث أم أيمن بنحوه ورجاله ثقات (١٢) حديث « أول ما ينظر الله فيه يوم القيامة من عمل العبد الصلاة .. الحديث » رويناه فى الطيوريات من حديث أبى سعيد بإسناد ضعيف ولأصحاب السنن الأربعة والحاكم وصححه إسناده نحوه من حديث أبى هريرة وسيأتى (١٣) حديث « يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك الرزق من حيث لا تحتسب » لم أقف له على أصل (١٤) حديث « مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من اوفى استوفى » أخرجه ابن المبارك فى الزهد من حديث الحسن مرسلا وأسنده البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بإسناد فيه جهالة

صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة [١] ، وقال صلى الله عليه وسلم «إنّ الرجلين من أمتى ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وإنّ مابين صلاتيهما مابين السماء والأرض [٢] ، وأشار إلى الخشوع وقال صلى الله عليه وسلم « لاينظر الله يوم القيامة إلى العبد لايقيم صلبه بين ركوعه وسجوده [٣] ، وقال صلى الله عليه وسلم « أما يخاف الذى يحوّل وجهه فى الصلاة أن يحوّل الله وجهه وجه حمار [٤] ، وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى صلاة لوقتها وأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهى بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتنى ومن صلى لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولاخشوعها عرجت وهى سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتنى حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه [٥] ، وقال صلى الله عليه وسلم « أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته [٦] ، وقال ابن مسعود رضى الله عنه وسلمان رضى الله عنه : الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى ، ومن طفف فقد علم ماقال الله فى المطففين .

فضـــيلة الجـماعة

قال صلى الله عليه وسلم « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة [٧] ، وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم فقد ناسا فى بعض الصلوات فقال « لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأحرق عليهم بيوتهم [٨] ، وفى رواية أخرى « ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فآمر بهم فتحرق عليهم بيوتهم بحزم الحطب ولو علم أحدهم أنه يجد عظما سمينا أو مرماتين لشهدها » يعنى صلاة العشاء . وقال عثمان رضى الله عنه مرفوعا « من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة [٩] ، وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى صلاة فى جماعة فقد ملأ نحره عبادة [١٠] ، وقال سعيد بن المسيب : ما أذن مؤذن منذ عشرين سنة إلا وأنا فى المسجد . وقال محمد بن واسع : ما أشتهى من الدنيا إلا ثلاثة : أخا إنه إن تعوجت قومنى وقوتا من الرزق عفوا من غير تبعة وصلاة فى جماعة يرفع عنى سهوها ويكتب لى فضلها . وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أم قوما مرة فلما انصرف قال : مازال الشيطان بى آنفا حتى أريت أنّ لى فضلا عن غيرى لا أؤم أبدا . وقال الحسن : لاتصلوا خلف رجل لايختلف إلى العلماء . وقال النخعى : مثل الذى يؤم الناس بغير علم مثل الذى يكيل الماء فى البحر لا يدرى

---

(١) حديث يزيد الرقاشى « كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة » رواه ابن المبارك فى الزهد ومن طريقه أبو الوليد الصفار فى كتاب الصلاة وهو مرسل ضعيف (٢) حديث « إن الرجلين من أمتى ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد . الحديث » أخرجه ابن الجبر فى العقل من حديث أبى أيوب الانصارى بنحوه وهو موضوع ورواه الحارث ابن أبى أسامة فى مسنده عن ابن الجبر (٣) حديث « لاينظر الله الى عبد لايقيم صلبه بين ركوعه وسجوده » أخرجه أحمد من حديث أبى هريرة باسناد صحيح (٤) حديث « أما يخاف الذى يحول وجهه فى الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار » أخرجه ابن عدى فى عوالى مشايخ مصر من حديث جابر « مايؤمنه إذا التفت فى صلاته ان يحول الله عز وجل وجهه وجه كلب او وجه خنزير » قال منكر بهذا الإسناد . وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة « أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الامام أن يجعل الله وجهه وجه حمار »

(٥) حديث « من صلى الصلاة لوقتها فأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرضت وهى بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتنى . . الحديث » اخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف والطيالسى والبيهقى فى الشعب من حديث عبادة ابن الصامت بسند ضعيف نحوه (٧) حديث « أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته » اخرجه احمد والحاكم وصحح اسناده من حديث ابى قتادة (٢) حديث « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » متفق عليه من حديث ابن عمر

(٨) حديث أبى هريرة « لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم أخالف الى رجال يتخلفون .. الحديث » متفق عليه

(٩) حديث عثمان « من شهد صلاة العشاء فكأنما قام نصف ليلة ... الحديث » اخرجه مسلم من حديثه مرفوعا قال الترمذى وروى عن عثمان موقوفا (١٠) حديث « من صلى صلاة فى جماعة فقد ملأ نحره عبادة » لم اجده مرفوعا وانما هو من قول سعيد بن المسيب رواه محمد بن نصر فى كتاب الصلاة

زيادته من نقصانه ؟ وقال حاتم الأصم : فاتتني الصلاة في الجماعة فعزاني أبو إسحق البخاري وحده ، ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشر آلاف لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا . وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سمع المنادي فلم يجب لم يرد خيرا لم يرد به خير . وقال أبو هريرة رضي الله عنه : لأن تملأ أذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من أن يسمع النداء ثم لايجيب . وروى أن ميمون بن مهران أتى المسجد فقيل له : إن الناس قد انصرفوا فقال ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ لفضل هذه الصلاة أحب إلي من ولاية العراق . وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لاتفوته فيها تكبيرة الإحرام كتب الله له براءتين : براءة من النفاق وبراءة من النار[1] » ويقال إنه إذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدري فتقول لهم الملائكة : ما كانت أعمالكم ؟ فيقولون : كنا إذا سمعنا الأذان قمنا إلى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم تحشر طائفة وجوههم كالأقمار فيقولون بعد السؤال : كنا نتوضأ قبل الوقت ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون : كنا نسمع الأذان في المسجد . وروى أن السلف كانوا يعزون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى ويعزون سبعا إذا فاتتهم الجماعة .

فضيلة السجود

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما تقرب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود خفي[2] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة[3] » وروي « أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك وأن يرزقني مرافقتك في الجنة فقال صلى الله عليه وسلم . أعني بكثرة السجود[4] » وقيل « إن أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجدا[5] » وهو معنى قوله عز وجل ﴿ واسجد واقترب ﴾ وقال عز وجل ﴿ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ فقيل هو مايلتصق بوجوههم من الأرض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فإنه يشرق من الباطن على الظاهر ، وهو الأصح وقيل هي الغرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلاه أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فعصيت فلي النار[6] » ويروى عن علي بن عبد الله بن عباس أنه كان يسجد في كل يوم ألف سجدة وكانوا يسمونه السجاد . ويروى أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان لا يسجد إلا على التراب . وكان يوسف بن أسباط يقول : يامعشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض فما بقي أحد أحسده إلا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك . وقال سعيد بن جبير : ما آسى على شيء من الدنيا إلا على السجود . وقال عقبة بن مسلم : ما من خصلة في العبد أحب إلى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله عز وجل وما من ساعة العبد فيها أقرب إلى الله عز وجل

---

(١) حديث من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لاتفوته تكبيرة الإحرام ... الحديث أخرجه الترمذي من حديث أنس بإسناد رجاله ثقات (٢) حديث « تقرب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود خفي » رواه ابن المبارك في الزهد من حديث ضمرة بن حبيب مرسلا (٣) حديث « ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه خطيئة » أخرجه ابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت بإسناد صحيح ولمسلم نحوه من حديث ثوبان وأبي الدرداء (٤) حديث « إن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أدع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك ويرزقني مرافقتك في الجنة .. الحديث » أخرجه مسلم من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي نحوه وهو الذي سأله ذلك (٥) حديث « إن أقرب ما يكون العبد الى الله أن يكون ساجدا » أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة

(٦) حديث « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي .. الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة

منه حيث يخرّ ساجدا . وقال أبو هريرة رضى الله عنه : أقرب ما يكون للعبد إلى الله عز وجل إذا سجد فأكثروا الدعاء عند ذلك .

فضيلة الخشوع

قال الله تعالى ﴿ وأقم الصلاة لذكرى ﴾ وقال تعالى ﴿ ولا تكن من الغافلين ﴾ وقال عز وجل ﴿ لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ قيل سكارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا . وقال وهب : المراد به ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا إذ بين فيه العلة فقال ﴿ حتى تعلموا ما تقولون ﴾ وكم من مصل لم يشرب خمرا وهو لا يعلم ما يقول فى صلاته . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشىء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه[1] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتأوه وتنادم وتضع يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهى خداج[2] » وروى عن الله سبحانه فى الكتب السالفة أنه قال « ليس كل مصل أتقبل صلاته إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتى ولم يتكبر على عبادى وأطعم الفقير الجائع لوجهى » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لإقامة ذكر الله تعالى فإذا لم يكن فى قلبك للذكور الذى هو المقصود والمبتغى عظمة ولاهيبة فما قيمة ذكرك[3] » وقال صلى الله عليه وسلم للذى أوصاه « وإذا صليت فصل صلاة مودع[4] » أى مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سائر إلى مولاه كما قال عز وجل ﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه ﴾ وقال تعالى ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ وقال تعالى ﴿ واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا[5] » والصلاة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة ؟ وقال بكر بن عبد الله : يا ابن آدم إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فإذا أنت قد دخلت على مولاك بغير إذن فتكلمه بغير ترجمان . وعن عائشة رضى الله عنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه[6] » اشتغالا بعظمة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله إلى صلاة لايحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه[7] » وكان إبراهيم الخليل إذا قام إلى الصلاة يسمع وجيب قلبه على ميلين . وكان سعيد التنوخى إذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته

---

(١) حديث « من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشىء من الدنيا غفر له ماتقدم من ذنبه » أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف من حديث صلة بن أشيم مرسلا وهو فى الصحيحين من حديث عثمان بزيادة فى أوله دون قوله « بشىء من الدنيا » وزاد الطيالسى الا بخير

(٢) حديث « إنما الصلاة تمسكن ودعاء وتضرع .. الحديث » أخرجه الترمذى والنسائى بنحوه من حديث الفضل بن عباس باسناد مضطرب (٣) حديث « إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لإقامة ذكر الله » أخرجه أبو داود والترمذى من حديث عائشة نحوه دون ذكر « الصلاة » قال الترمذى حسن صحيح (٤) حديث « إذا صليت فصل صلاة مودع » أخرجه ابن ماجه من حديث أبى أيوب والحاكم من حديث سعد بن أبى وقاص » وقال صحيح الإسناد والبيهقى فى الزهد من حديث ابن عمر ومن حديث بنحوه (٥) حديث « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا » أخرجه على بن معبد فى كتاب الطاعة والمعصية من حديث الحسن مرسلا بإسناد صحيح ورواه الطبرانى وأسنده ابن مردويه فى تفسيره من حديث ابن عباس باسناد لين والطبرانى من قول ابن مسعود « من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر .. الحديث » وإسناده صحيح

(٦) حديث عائشة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه » أخرجه الأزدى فى الضعفاء من حديث سويد بن غفلة مرسلا « كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا سمع الأذان كأنه لايعرف أحدا من الناس »

(٧) حديث « لاينظر الله إلى صلاة لايحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه لم أجده بهذا اللفظ وروى محمد بن نصر فى كتاب الصلاة من رواية عثمان بن دهرش مرسلا « لايقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه » ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى بن كعب وإسناده ضعيف

« ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه [١] ويروى أن الحسن نظر إلى رجل يعبث بالحصى ويقول « اللهم زوجنى الحور العين » فقال : بئس الخاطب أنت تخطب الحور العين وأنت تعبث بالحصى . وقيل لخلف بن أيوب : ألا يؤذيك الذباب فى صلاتك فتطردها قال : لا أعود نفسى شيئا يفسد على صلاتى ، قيل له : وكيف تصبر على ذلك ؟ قال . بلغنى أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك فأنا قائم بين يدى ربى أفاتحرك لذبابة ؟ ويروى عن مسلم بن يسار أنه كان إذا أراد الصلاة قال لأهله : تحدثوا أنتم فإنى لست أسمعكم . ويروى عنه أنه كان يصلى يوما فى جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة . وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه فقيل له : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فيقول جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها . ويروى عن على بن الحسين أنه كان إذ توضأ اصفر لونه فيقول له أهله : ما هذا الذى يعتريك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم ؟ ويروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال « قال داود صلى الله عليه وسلم فى مناجاته : إلهى من يسكن بيتك وممن تتقبل الصلاة ؟ فأوحى الله إليه : يا داود إنما يسكن بيتى وأقبل الصلاة منه من تواضع لعظمتى وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات ، من أجلى يطعم الجائع ويؤوى الغريب ويرحم المصاب فذلك الذى يضىء نوره فى السموات كالشمس ، إن دعانى لبيته وإن سألنى أعطيته ، أجعل له فى الجهل حلما وفى الغفلة ذكرا وفى الظلمة نورا ، وإنما مثله فى الناس كالفردوس فى أعلى الجنان لا تيبس أنهارها ولا تتغير ثمارها » ويروى عن حاتم الأصم رضى الله عنه أنه سئل عن صلاته فقال : إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذى أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحى ، ثم أقوم إلى صلاتى وأجعل الكعبة بين حاجبى والصراط تحت قدمى والجنة عن يمينى والنار عن شمالى وملك الموت ورائى أظنها آخر صلاتى ، ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيرا بتحقيق وأقرأ قراءة بترتيل وأركع ركوعا بتواضع وأسجد سجودا بتخشع وأقعد على الورك الأيسر وأفرش ظهر قدمها وأنصب القدم اليمنى على الإبهام وأتبعها الإخلاص ، ثم لا أدرى أقبلت منى أم لا ؟ وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه .

فضيلة المسجد وموضع الصلاة

قال الله عز وجل ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له قصرا فى الجنة [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « من ألف المسجد ألفه الله تعالى [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « الملائكة تصلى على أحدكم ما دام

---

(١) حديث « رأى رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه » أخرجه الترمذى الحكيم فى النوادر من حديث أبى هريرة بسند ضعيف أنه من قول سعيد بن المسيب رواه ابن أبى شيبة فى المصنف وفيه رجل لم يسم

(٢) حديث « من بنى لله مسجدا ولو مثل مفحص قطاة ... الحديث » أخرجه ابن ماجه من حديث جابر بسند صحيح وابن حبان من حديث أبى ذر وهو متفق عليه من حديث عثمان دون قوله « ولو مثل مفحص القطاة »

(٣) حديث « من ألف المسجد ألفه الله تعالى » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى سعيد بسند ضعيف (٤) حديث « إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس » متفق عليه من حديث أبى قتادة (٥) حديث « لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد » أخرجه الدارقطنى من حديث جابر وأبى هريرة بإسنادين ضعيفين والحاكم من حديث أبى هريرة

فى مصلاه الذى يصلى فيه تقول : اللهم صل عليه اللهم ارحمه اللهم اغفر له ما لم يحدث أو يخرج من المسجد [١] ، وقال صلى الله عليه وسلم « يأتى فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لاتجالسوهم فليس لله بهم حاجة [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل فى بعض الكتب إن بيوتى فى أرضى المساجد وإنّ زوّارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور أن يكرم زائره [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان [٤] » وقال سعيد بن المسيب من جلس فى المسجد فإنما يجالس ربه فما حقه أن يقول إلا خيرا . ويرى فى الأثر أو الخبر « الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهائم الحشيش [٥] » وقال النخعى : كانوا يرون أن المشى فى الليلة المظلمة إلى المسجد موجب للجنة : وقال أنس بن مالك : من أسرج فى المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام فى ذلك المسجد ضوءه . وقال على كرّم الله وجهه : إذا مات العبد يبكى عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ، ثم قرأ ﴿ فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ﴾ وقال ابن عباس : تبكى عليه الأرض أربعين صباحا . وقال عطاء الخراسانى : ما من عبد يسجد لله سجدة فى بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت . وقال أنس بن مالك : ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر إلا افتخرت على ماحولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل إلى منتهاها من سبع أرضين وما من عبد يقوم يصلى إلا تزخرفت له الأرض . ويقال : ما من منزل ينزل فيه قوم إلا أصبح ذلك المنزل يصلى عليهم أو يلعنهم .

الباب الثانى : فى كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وما قبله

ينبغى للمصلى إذا فرغ من الوضوء والطهارة من الخبث فى البدن والمكان والثياب وستر العورة من السرة إلى الركبة أن ينتصب قائما متوجها إلى القبلة ويزاوج بين قدميه ولا يضمهما فإنّ ذلك مما كان يستدل به على فقه الرجل وقد « نهى صلى الله عليه وسلم عن الصفن والصفد فى الصلاة [٦] » والصفد هو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى ﴿ مقرنين فى الأصفاد ﴾ والصفن هو رفع إحدى الرجلين ومنه قوله عز وجل ﴿ الصافنات الجياد ﴾ هذا ما يراعيه فى رجليه عند القيام ويراعى فى ركبتيه ومعقد نطاقه الانتصاب ، وأما رأسه إن شاء تركه على استواء القيام وإن شاء أطرق والإطراق أقرب للخشوع وأغض للبصر وليكن بصره محصورا على مصلاه الذى يصلى عليه ، فإن لم يكن له

---

(١) حديث « الملائكة تصلى على أحدكم مادام فى مصلاه ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث « يأتى فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا .. الحديث » أخرجه ابن حبان من حديث ابن مسعود والحاكم من حديث أنس وقال صحيح الاسناد (٣) حديث « قال الله تعالى : إن بيوتى فى أرضى المساجد وإن زوارى فيها عمارها . الحديث » أخرجه أبو نعيم من حديث أبى سعيد بسند ضعيف « يقول الله عز وجل يوم القيامة ابن جيرانى فتقول الملائكة من هذا الذى ينبغى له أن يجاورك فيقول أين قراء القرآن وعمار المساجد » وهو فى الشعب نحوه موقوفا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسناد صحيح ، وأسند ابن حبان فى الضعفاء آخر الحديث من حديث سلمان وضعفه (٤) حديث إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث ابى سعيد

(٥) حديث « الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش » لم اقف له على اصل

الباب الثانى

(٦) حديث « النهى عن الصفن والصفد فى الصلاة » عزاه رزين إلى الترمذى ولم اجده عنده ولا عند غيره وإنما ذكره اصحاب الغريب كابن الأثير فى النهاية . وروى سعيد بن منصور ان ابن مسعود راى رجلا صافا أو صافنا قدميه فقال : اخطأ هذا السنة

مصلى فليقرب من جدار الحائط أو ليخط خطا ، فإن ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر وليحجر على بصره أن يجاوز أطراف المصلى وحدود الخط ؟ وليدم على هذا القيام كذلك إلى الركوع من غير التفات . هذا أدب القيام فإذا استوى قيامه واستقباله وإطراقه كذلك فليقرأ ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ تحصنا به من الشيطان ، ثم ليأت بالإقامة وإن كان يرجو حضور من يقتدى به فليؤذن أولا ثم ليحضر النية وهو أن ينوى فى الظهر مثلا ويقول بقلبه : أؤدى فريضة الظهر لله ، ليميزها بقوله أؤدى : عن القضاء وبالفريضة عن النفل ، وبالظهر عن العصر وغيره ، ولتكن معانى هذه الألفاظ حاضرة فى قلبه فإنه هو النية ، والألفاظ مذكرات وأسباب لحضورها ، ويجتهد أن يستديم ذلك إلى آخر التكبير حتى لا يعزب فإذا حضر فى قلبه ذلك فليرفع يديه إلى حذو منكبيه بعد إرسالها بحيث يحاذى بكفيه منكبيه وبإبهامية شحمتى أذنيه وبرءوس أصابعه رءوس أذنيه [1] ليكون جامعا بين الأخبار الواردة فيه ، ويكون مقبلا بكفيه وإبهاميه إلى القبلة ويبسط الأصابع ولا يقبضها ، ولا يتكلف فيها تفريجا ولا ضما بل يتركها على مقتضى طبعها ، إذ نقل فى الأثر النشر والضم [2] وهذا بينهما فهو أولى ، وإذا استقرت اليدان فى مقرهما ابتدأ التكبير مع إرسالها وإحضار النيه ، ثم يضع اليدين على مافوق السرة وتحت الصدر ويضع اليمنى على اليسرى إكراما لليمنى بأن تكون محمولة ، وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض بالإبهام والخنصر والبنصر على كوع اليسرى ، وقد روى أن التكبير مع رفع اليدين [3] ومع استقرارهما [4] ومع الإرسال [5] فكل ذلك لاحرج فيه وأراه بالإرسال أليق فإنه كلمة العقد ، ووضع إحدى اليدين على الأخرى فى صورة العقد ومبدؤه الإرسال وآخره الوضع . ومبدأ التكبير الألف وآخره الراء فيليق مراعاة التطابق بين الفعل والعقد ، وأما رفع اليد فكالمقدمة لهذه البداية . ثم لاينبغى أن يرفع يديه إلى قدام رفعا عند التكبير ولا يردهما إلى خلف منكبيه ولا ينفضهما عن يمين وشمال نفضا اذا فرغ من التكبير ويرسلهما إرسالا خفيفا رفيقا ويستأنف وضع اليمين على الشمال بعد الإرسال ، وفى بعض الروايات أنه صلى الله عليه وسلم « كان إذا كبر أرسل يديه وإذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى [6] » فإن صح هذا فهو أولى مما ذكرناه . وأما التكبير فينبغى أن يضم الهاء من قوله « الله » ضمة خفيفة من غير مبالغة ولا يدخل بين الهاء والألف شبه الواو ، وذلك ينساق إليه بالمبالغة : ولا يدخل بين باء أكبر ورائه ألفا ، كأنه يقول « أكبار » ويجزم راء التكبير ولا يضمها فهذه هيئة التكبير وما معه .

القـــراءة

ثم يبتدى بدعاء الاستفتاح وحسن أن يقول عقب قوله الله أكبر « الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيرا وسبحان

---

(١) حديث « رفع اليدين إلى حذو المنكبين » وورد « إلى شحمة أذنيه » وورد « إلى رءوس أذنيه » متفق عليه من حديث ابن عمر باللفظ الأول وأبو داود من حديث وائل بن حجر بإسناد ضعيف « إلى شحمة أذنيه » ولمسلم من حديث مالك بن الحويرث « فروع أذنيه » (٢) حديث « نشر الأصابع عند الافتتاح » وقيل « ضمها » وقال عطاء وابن خزيمة من حديث أبي هريرة والبيهقى « ولم يفرج بين أصابعه ولم يضمها » ولم أجد التصريح بضم الأصابع (٣) حديث التكبير مع رفع اليدين أخرجه البخارى من حديث ابن عمر « كان يرفع يديه حين يكبر » ولأبي داود من حديث وائل « يرفع يديه مع التكبير » (٤) حديث التكبير مع استقرار اليدين أى مرفوعتين أخرجه مسلم من حديث ابن عمر « كان إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه ثم كبر » زاد أبو داود « وهما كذلك » (٥) حديث « التكبير مع إرسال اليدين » أخرجه أبو داود من حديث أبي حميد « كان إذا قام إلى الصلاة يرفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه ثم كبر حتى يقر كل عظم فى موضعه معتدلا » قال ابن الصلاح فى المشكل فكلمه « حتى » التى هى الغاية تدل بالمعنى على ماذكره أى من ابتداء التكبير مع الإرسال (٦) « كان إذا كبر أرسل يديه فإذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى » أخرجه الطبرانى من حديث معاذ بإسناد ضعيف

الله بكرة وأصيلا [١] وجهت وجهى - إلى قوله - وأنا من المسلمين [٢] » ثم يقول « سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا إله غيرك [٣] » ليكون جامعا بين متفرقات ما ورد فى الأخبار . وإن كان خلف الإمام اختصر إن لم يكن الإمام سكتة طويلة يقرأ فيها ثم يقول « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » ثم يقرأ الفاتحة يبتدئ فيها بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » بتمام تشديداتها وحروفها ويجتهد فى الفرق بين الضاد والظاء ويقول « آمين » فى آخر الفاتحة ويمدها مدا ، ولا يصل « آمين » بقوله « ولا الضالين » وصلا . ويجهر بالقراءة فى الصبح والمغرب والعشاء إلا أن يكون مأموما ، ويجهر بالتأمين . ثم يقرأ السورة أو قدر ثلاث آيات من القرآن فما فوقها ، ولا يصل آخر السورة بتكبير الهوى بأن يفصل بينهما بقدر قوله « سبحان الله » ، ويقرأ فى الصبح من السور الطوال من المفصل وفى المغرب من قصاره ، وفى الظهر والعصر والعشاء نحو ﴿ والسماء ذات البروج ﴾ وما قاربها . وفى الصبح فى السفر ﴿ قل ياأيها الكافرون وقل هو الله أحد ﴾ وكذلك فى ركعتى الفجر والطواف والتحية وهو فى جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما وصفنا فى أول الصلاة .

الركوع ولواحقه

ثم يركع ويراعى فيه أمورا وهو أن يكبر للركوع وأن يرفع يديه مع تكبيرة الركوع وأن يمد التكبير مدا إلى الانتهاء إلى الركوع وأن يضع راحتيه على ركبتيه فى الركوع وأصابعه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق وأن ينصب ركبتيه ولا يثنيهما وأن يمد ظهره مستويا وأن يكون عنقه ورأسه مستويين مع ظهره كالصفيحة الواحدة لايكون رأسه أخفض ولا أرفع وأن يجافى مرفقيه عن جنبيه . وتضم المرأة مرفقيها إلى جنبيها . وأن يقول « سبحان ربى العظيم » ثلاثا والزيادة إلى السبعة وإلى العشرة حسن ، إن لم يكن إماما ، ثم يرتفع من الركوع إلى القيام ويرفع يديه ويقول « سمع الله لمن حمده » ويطمئن فى الاعتدال ويقول « ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد » ولا يطول هذا القيام إلا فى صلاة التسبيح والكسوف والصبح . ويقنت فى الصبح فى الركعة الثانية بالكلمات المأثورة قبل السجود [٤] .

السجود

ثم يهوى إلى السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الأرض ويضع جبهته وأنفه وكفيه مكشوفة ويكبر عند الهوى ولا يرفع يديه فى غير الركوع ، وينبغى أن يكون أول مايقع منه على الأرض ركبتاه وأن يضع بعدهما يديه ثم يضع بعدهما وجهه وأن يضع جبهته وأنفه على الأرض وأن يجافى مرفقيه عن جنبيه : ولاتفعل المرأة ذلك . وأن يفرج بين رجليه . ولاتفعل المرأة ذلك . وأن يكون فى سجوده مخويا على الأرض . ولا تكون المرأة مخوية .

---

(١) حديث « أنه يقول بعد قوله الله أكبر : الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا » أخرجه مسلم من حديث ابن عمر قال « بينا نحن نصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال رجل من القوم الله أكبر كبيرا .. الحديث » أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث جبير بن مطعم « أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة قال : الله أكبر كبيراً ... الحديث » (٢) حديث « دعاء الاستفتاح وجهت وجهى ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث على

(٣) حديث « سبحانك اللهم وبحمدك .. الحديث » فى الاستفتاح أيضا أخرجه أبو داود والترمذى والحاكم وصححه من حديث عائشة وضعفه الترمذى والدارقطنى ورواه مسلم موقوفا على عمر وعند البيهقى من حديث جابر الجمع بين « وجهت » وبين « سبحانك اللهم »

(٤) حديث « القنوت فى الصبح بالكلمات المأثورة » أخرجه البيهقى من حديث ابن عباس « كان النبى صلى الله عليه وسلم يقنت فى صلاة الصبح وفى وتر الليل بهؤلاء الكلمات : اللهم اهدنى فيمن هديت . . . الحديث » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه والنسائى من حديث الحسن « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعلمه هؤلاء الكلمات يقولهن فى الوتر » وإسناده صحيح

والتخوية : رفع البطن عن الفخذين والتفريج بين الركبتين . وأن يضع يديه على الأرض حذاء منكبيه ولا يفرج بين أصابعهما بل يضمهما ويضم الإبهام إليهما ، وإن لم يضم الإبهام فلا بأس ، ولا يفترش ذراعيه على الأرض كما يفترش الكلب [1] فإنه منهى عنه . وأن يقول « سبحان ربى الأعلى » ثلاثا فان زاد فحسن إلا أن يكون إماما . ثم يرفع من السجود فيطمئن جالسا معتدلا فيرفع رأسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذيه والأصابع منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها . ويقول « رب اغفر لى وارحمنى وارزقنى وأهدنى واجبرنى وعافنى واعف عنى » ولا يطول هذه الجلسة إلا فى سجود التسبيح . ويأتى بالسجدة الثانية كذلك ويستوى منها جالسا جلسة خفيفة للاستراحة فى كل ركعة لا تشهد عقيبها . ثم يقوم فيضع اليد على الأرض ولا يقدم إحدى رجليه فى حال الارتفاع ويمد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه من القعود إلى وسط ارتفاعه إلى القيام . بحيث تكون الهاء من قوله « الله » عند استوائه جالسا ؛ وكاف «أكبر» عند اعتماده على اليد للقيام ، وراء «أكبر» فى وسط ارتفاعه إلى القيام ويبتدئ فى وسط ارتفاعه إلى القيام حتى يقع التكبير فى وسط انتقاله ولا يخلو عنه إلا طرفاه وهو أقرب إلى التعميم . ويصلى الركعة الثانية كالأولى ويعيد التعوذ كالابتداء .

التشهـــد

ثم يتشهد فى الركعة الثانية التشهد الأول . ثم يصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ويقبض أصابعه اليمنى إلا المسبحة ، ولا بأس بارسال الإبهام أيضا ، ويشير بمسبحة يمناه وحدها عند قوله «إلا الله» لا عند قوله « لا إله » ويجلس فى هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدتين . وفى التشهد الأخير يستكمل الدعاء المأثور [2] بعد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وسننه كسنن التشهد الأول لكن يجلس فى الأخير على وركه الأيسر ، لأنه ليس مستوفزا للقيام بل هو مستقر ، ويضجع رجله اليسرى خارجة من تحته وينصب اليمنى ويضع رأس الإبهام إلى جهة القبلة إن لم يشق عليه . ثم يقول « السلام عليكم ورحمة الله » ويلتفت يمينا بحيث يرى خده الأيمن من وراءه من الجانب اليمين ويلتفت شمالا كذلك . ويسلم تسليمة ثانية وينوى الخروج من الصلاة بالسلام وينوى بالسلام من على يمينه الملائكة والمسلمين فى الأولى ، وينوى مثل ذلك فى الثانية . ويجزم التسليم [3] ولا يمده مدا فهو السنة . وهذه هيئة صلاة المنفرد ، ويرفع صوته بالتكبيرات ولا يرفع صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه . وينوى الإمام الإمامة لينال الفضل فان لم ينو صحت صلاة القوم إذا نووا الاقتداء ونالوا فضل الجماعة ، ويسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ، ويجهر بالفاتحة والسورة فى جميع الصبح وأولى العشاء والمغرب . وكذلك المنفرد . ويجهر بقوله « آمين » فى الصلاة الجهرية وكذلك المأموم . ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الإمام معا لا تعقيبا . ويسكت الإمام سكتة عقيب الفاتحة ليثوب إليه نفسه ويقرأ المأموم الفاتحة فى الجهرية فى هذه السكتة ليتمكن من الاستماع عند قراءة الإمام . ولا يقرأ المأموم السور فى الجهرية إلا إذا لم يسمع صوت الإمام . ويقول الإمام «سمع الله لمن حمده» عند رفع رأسه من الركوع وكذا المأموم . ولا يزيد الإمام على الثلاث فى تسبيحات الركوع والسجود ، ولا يزيد

---

(١) حديث « النهى عن أن يفترش ذراعيه على الأرض كما يفترش الكلب » متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث «الدعاء المأثور بعد التشهد » أخرجه مسلم من حديث على فى دعاء الاستفتاح قال « ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم : اللهم اغفر لى ما قدمت .. الحديث » وفى الصحيحين من حديث عائشة « إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع : من عذاب جهنم ... الحديث » وفى وفى الباب غير ذلك جميعها فى الأصل (٣) حديث « جزم السلام سنة » أخرجه أبو داود والترمذى من حديث أبى هريرة وقال حسن صحيح وضعفه ابن القطان .

فى التشهد الأول بعد قوله « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد » ويقتصر فى الركعتين الأخيرتين على الفاتحة ولا يطول على القوم ولا يزيد على دعائه فى التشهد الأخير على قدر التشهد والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وينوى عند السلام : السلام على القوم والملائكة . وينوى القوم بتسليمهم جوابه ويثبت الإمام ساعة حتى يفرغ الناس من السلام ويقبل على الناس بوجهه . والأولى أن يثبت إن كان خلف الرجال نساء لينصرفن قبله ، ولا يقوم واحد من القوم حتى يقوم . وينصرف الإمام حيث يشاء عن يمينه وشماله واليمين أحب إلى . ولا يخص الإمام نفسه بالدعاء فى قنوت الصبح بل يقول « اللهم اهدنا » ويجهر به ويؤمن القوم ويرفعون أيديهم حذاء الصدور ، ويمسح لوجه عند ختم الدعاء . لحديث نقل فيه ، وإلا فالقياس أن لا يرفع اليدكما فى آخر التشهد .

المنهيـــات

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصفن فى الصلاة والصفد وقد ذكرناهما وعن الإقعاء [١] وعن السدل [٢] والكفت [٣] وعن الاختصار [٤] وعن الصلب [٥] وعن المواصلة [٦] وعن صلاة الحاقن [٧] والحاقب [٨] والحازق [٩] وعن صلاة الجائع والغضبان والمتلثم [١٠] وهو ستر الوجه . أما الإقعاء : فهو عند أهل اللغة أن يجلس على وركيه وينصب ركبتيه ويجعل يديه على الأرض كالكلب . وعند أهل الحديث أن يجلس على ساقيه جاثيا وليس على الأرض منه إلا رءوس أصابع الرجلين والركبتين . وأما السدل : فذهب أهل الحديث فيه أن يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك . وكان هذا فعل اليهود فى صلاتهم فنهوا عن التشبه بهم . والقميص فى معناه فلا ينبغى أن يركع ويسجد ويداه فى بدن القميص . وقيل معناه أن يضع وسط الإزار على رأسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير أن يجعلهما على كتفيه . والأول أقرب . وأما الكف فهو أن يرفع ثيابه من بين يديه أو من خلفه إذا أراد السجود . وقد يكون الكف فى شعر الرأس فلا يصلين وهو عاقص شعره والنهى للرجال . وفى الحديث « أمرت

---

(١) حديث « النهى عن الإقعاء » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث على بسند ضعيف « لا يقع بين السجدتين » ومسلم من حديث عائشة « كان ينهى عن عقبة الشيطان » والحاكم من حديث سمرة وصححه « نهى عن الإقعاء » (٢) حديث « نهى عن السدل فى الصلاة » أخرجه أبو داود والترمذى والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة (٣) حديث « النهى عن الكفت فى الصلاة » متفق عليه من حديث ابن عباس « أمرنا النبى صلى الله عليه وسلم أن نسجد على سبعة أعظم ولا نكفت شعرا ولا ثوبا » (٤) حديث « النهى عن الاختصار » أخرجه أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بلفظ « نهى أن يصلى الرجل مختصرا »

(٥) حديث « النهى عن الصلب فى الصلاة » أخرجه أبو داود والنسائى من حديث ابن عمر بإسناد صحيح (٦) حديث « النهى عن المواصلة » عزاه رزين إلى الترمذى ولم أجده عنده ، وقد فسره الغزالى بوصل القراءة بالتكبير ووصل القراءة بالركوع وغير ذلك . وقد روى أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث سمرة « سكتتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل فى صلاته : إذا فرغ من قراءته وإذا فرغ من قراءة القرآن » وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة « كان يسكت بين التكبير والقراءة إسكاتة .. الحديث » (٧) حديث « النهى عن صلاة الحاقن » أخرجه ابن ماجه والدارقطنى من حديث أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يصلى الرجل وهو حاقن » وأبو داود من حديث أبى هريرة « لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصلى وهو حاقن » وله وللترمذى وحسنه نحوه من حديث ثوبان ومسلم من حديث عائشة « لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان » (٨) حديث « النهى عن صلاة الحاقب » لم أجده بهذا اللفظ وفسره المصنف تبعا للأزهرى بمدافعة الغائط وفيه حديث عائشة الذى قبل هذا . (٩) حديث « النهى عن صلاة الحازق » عزاه رزين إلى الترمذى ولم أجده عنده و الذى ذكره أصحاب الغريب حديث « لا رأى لحازق » وهو صاحب الخف الضيق » (١٠) حديث « النهى عن التلثم فى الصلاة » أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث أبى هريرة بسند حسن « نهى أن يغطى الرجل فاه فى الصلاة » رواه الحاكم وصححه قال الخطابى هو التلثم على الأفواه

أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكفت شعرا ولا ثوبا [١] ، وكره أحمد بن حنبل رضى الله عنه أن يأتزر فوق القميص فى الصلاة ورآه من الكفت ، وأما الاختصار : فان يضع يديه على خاصرتيه . وأما الصلب فأن يضع يديه على خاصرتيه فى القيام ويجافى بين عضديه فى القيام . وأما المواصلة : فهى خمسة ؛ اثنان على الإمام أن لا يصل قراءته بتكبيرة الإحرام ولا ركوعه بقراءته ، واثنان على المأموم أن لا يصل تكبيرة الإحرام بتكبيرة الإمام ولا تسليمه بتسليمه ، وواحدة بينهما أن لا يصل تسليمة الفرض بالتسليمة الثانية وليفصل بينهما وأما الحاقن : فمن البول ، والحاقب : من الغائط . والحازق : صاحب الخف الضيق . فانّ كل ذلك يمنع من الخشوع . وفى معناه الجائع والمهتم . وفهم نهى الجائع من قوله صلى الله عليه وسلم « إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء إلا أن يضيق الوقت أو يكون ساكن القلب [٢] » وفى الخبر « لا يدخلن أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان [٣] » وقال الحسن : كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى إلى العقوبة أسرع . وفى الحديث « سبعة أشياء فى الصلاة من الشيطان : الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والحكاك والالتفات والعبث بالشىء [٤] » وزاد بعضهم « السهو والشك » وقال بعض السلف : أربعة فى الصلاة من الجفاء ـ الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصى وأن تصلى بطريق من يمر بين يديك » ونهى أيضا عن أن يشبك أصابعه [٥] أو يفرقع أصابعه [٦] أو يستر وجهه [٧] أو يضع إحدى كفيه على الأخرى يدخلهما بين فخذيه فى الركوع [٨] ، وقال بعض الصحابة رضى الله عنهم : كنا نفعل ذلك فنهينا عنه . ويكره أيضا أن ينفخ فى الأرض عند السجود للتنظيف وأن يسوّى الحصى بيده فإنها أفعال مستغنى عنها ولا يرفع إحدى قدميه فيضعها على فخذه ولا يستند فى قيامه إلى حائط فإن استند بحيث لو سل ذلك الحائط لسقط فالأظهر بطلان صلاته والله أعلم .

تمييز الفرائض والسنن

جملة ما ذكر يشتمل على فرائض وسنن وآداب وهيئات مما ينبغى لمريد طريق الآخرة أن يراعى جميعها . فالفرض من جملتها اثنتا عشرة خصلة : النية والتكبير والقيام والفاتحة ، والانحناء فى الركوع إلى أن تنال راحتاه ركبتيه مع الطمأنينة والاعتدال عنه قائما ، والسجود مع الطمأنينة ولا يجب وضع اليدين والاعتدال عنه قاعدا ، والجلوس للتشهد الأخير والتشهد الأخير والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، والسلام الأول . فأما نية الخروج فلا تجب وما عدا هذا فليس بواجب بل هى سنن وهيئات فيها وفى الفرائض : أما السنن فمن الأفعال أربعة : رفع اليدين فى تكبيرة الإحرام وعند الهوى إلى الركوع وعند الارتفاع إلى القيام ، والجلسة للتشهد الأول . فأما ما ذكرناه من كيفية

---

(١) حديث « أمرت ان اسجد على سبعة أعضاء ولا اكفت شعرا ولا ثوبا » متفق عليه من حديث ابن عباس

(٢) حديث « إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء » متفق عليه من حديث ابن عمر وعائشة (٣) حديث « لا يدخل أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان » لم أجده (٤) حديث « سبعة أشياء من الشيطان فى الصلاة : الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والالتفات » وزاد بعضهم « السهو والشك » اخرجه الترمذى من رواية عدى بن ثابت عن ابيه عن جده فذكر منها الرعاف والنعاس والتثاؤب وزاد ثلاثة أخرى وقال حديث غريب ولمسلم من حديث عثمان بن أبى العاص « يارسول الله إن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى الحديث » وللبخارى من حديث عائشة فى الالتفات فى الصلاة هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة أحدكم وللشيخين من حديث أبى هريرة التثاؤب من الشيطان ولهما من حديث أبى هريرة إن احدكم إذا قام يصلى جاء الشيطان فلبس عليه صلاته حتى لا يدرى كم صلى (٥) حديث « النهى عن تشبيك الأصابع » أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة وابو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان نحوه من حديث كعب بن عجرة (٦) حديث « النهى تفقيع الأصابع فى الصلاة » أخرجه ابن ماجه من حديث على باسناد ضعيف لا تفقع فى أصابعك الصلاة (٧) حديث « النهى عن ستر الوجه أخرجه أبو داود وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة (٨) حديث « النهى عن التطبيق فى الركوع » متفق عليه من حديث سعد بن ابى وقاص : كنا نفعله فنهينا عنه وامرنا ان نضع الأيدى على الركب

نشر الأصابع وحدّ رفعها فهى هيئات تابعة لهذه السنة ، والتورك والافتراش هيئات تابعة للجلسة والإطراق وترك الالتفات هيئات للقيام وتحسين صورته ، وجلسة الاستراحة لم نعدّها من أصول السنة فى الأفعال لأنها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود إلى القيام لأنها ليست مقصودة فى نفسها ولذلك لم تفرد بذكر . وأما السنن من الأذكار فدعاء الاستفتاح ثم التعوذ ثم قوله « آمين » فإنه سنة مؤكدة ثم قراءة السورة ثم تكبيرات الانتقالات ، ثم الذكر فى الركوع والسجود والاعتدال عنهما ، ثم التشهد الأول والصلاة فيه على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم الدعاء فى آخر التشهد الأخير ، ثم التسليمة الثانية وإن جمعناها فى اسم السنة فلها درجات متفاوتة إذ تجبر أربعة منها بسجود السهو . وأما من الأفعال فواحدة : وهى الجلسة الأولى للتشهد الأول فإنها مؤثرة فى ترتيب نظم الصلاة فى أعين الناظرين حتى يعرف بها أنها رباعية أم لا ؟ بخلاف رفع اليدين فإنه لا يؤثر فى تغيير النظم فعبر عن ذلك بالبعض . وقيل الأبعاض تجبر بالسجود : وأما الأذكار فكلها لا تقتضى سجود السهو إلا ثلاثة : القنوت والتشهد الأول والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه ، بخلاف تكبيرات الانتقالات وأذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما ، لأنّ الركوع والسجود فى صورتهما مخالفان للعادة ويحصل بهما معنى العبادة مع السكوت عن الأذكار وعن تكبيرات الانتقالات فعدم تلك الأذكار لا تغير صورة العبادة . وأما الجلسة للتشهد الأول ففعل معتاد وما زيدت إلا للتشهد فتركها ظاهر التأثير . وأما دعاء الاستفتاح والسورة فتركهما لا يؤثر مع أنّ القيام صار معمورا بالفاتحة ومميزا عن العادة بها ، وكذلك الدعاء فى التشهد الأخير والقنوت أبعد ما يجبر بالسجود ولكن شرع مدّ الاعتدال فى الصبح لأجله فكان كمد جلسة الاستراحة إذ صارت بالمدّ مع التشهد جلسة للتشهد الأول . فبقى هذا قياما ممدودا معتادا ليس فيه ذكر واجب وفى الممدود احتراز عن غير الصبح وفى خلوه عن ذكر واجب احتراز عن أصل القيام فى الصلاة * فإن قلت : تمييز السنن عن الفرائض معقول إذ تفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة ويتوجه العقاب به دونها فأما تمييز سنة عن سنة والكل مأمور به على سبيل الاستحباب ولا عقاب فى ترك الكل والثواب موجود على الكل فما معناه ؟ فاعلم أنّ اشتراكهما فى الثواب والعقاب والاستحباب لا يرفع تفاوتهما ، ولنكشف ذلك لك بمثال : وهو أنّ الإنسان لا يكون إنسانا موجودا كاملا إلا بمعنى باطن وأعضاء ظاهرة ، فالمعنى الباطن هو الحياة والروح ، والظاهر أجسام أعضائه . ثم بعض تلك الأعضاء ينعدم الإنسان بعدمها كالقلب والكبد والدماغ ، وكل عضو تفوت الحياة بفواته ، وبعضها لا تفوت بها الحياة ولكن يفوت بها مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل واللسان ، وبعضها لا يفوت بها الحياة ولا مقاصدها ولكن يفوت بها الحسن كالحاجبين واللحية والأهداب وحسن اللون ، وبعضها لا يفوت بها أصل الجمال ولكن كماله كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية والأهداب وتناسب خلقة الأعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض فى اللون فهذه درجات متفاوتة ؛ فكذلك العبادة صورة صورها الشرع وتعبدنا باكتسابها فروحها وحياتها الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والإخلاص - كما سيأتى - ونحن الآن فى أجزائها الظاهرة فالركوع والسجود والقيام وسائر الأركان تجرى منها مجرى القلب والرأس والكبد إذ يفوت وجود الصلاة بفواتها . والسنن التى ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح والتشهد الأول تجرى منها مجرى اليدين والعينين والرجلين ولا تفوت الصحة بفواتها كما لا تفوت الحياة بفوات هذه الأعضاء ولكن يصير الشخص بسبب فواتها مشوه الخلقة مذموما غير مرغوب فيه ، فكذلك من اقتصر على أقل ما يجزى من الصلاة كان كمن أهدى إلى ملك من الملوك عبدا حيا مقطوع الأطراف . وأما الهيئات وهى ماوراء السنن فتجرى مجرى أسباب الحسن من الحاجبين واللحية والأهداب

وحسن اللون ، وأما وظائف الأذكار فى تلك السنن فهى مكملات للحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرهما . فالصلاة عندك قربة وتحفة تتقرب بها إلى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة من السلاطين إليهم وهذه التحفة تعرض على الله عز وجل . ثم ترد عليك يوم العرض الأكبر فإليك الخيرة فى تحسين صورتها وتقبيحها . فإن أحسنت فلنفسك وإن أسأت فعليها . ولا ينبغى أن يكون حظك من ممارسة الفقه أن يتميز لك السنة عن الفرض فلا يعلق بفهمك من أوصاف السنة إلا أنه يجوز تركها فتتركها فإن ذلك يضاهي قول الطبيب : إن فقء العين لا يبطل وجود الإنسان ولكن يخرجه عن أن يصدق رجاء المتقرب فى قبول السلطان إذا أخرجه فى معرض الهدية ـ فهكذا ينبغى أن تفهم مراتب السنن والهيئات والآداب ، فكل صلاة لم يتم الإنسان ركوعها وسجودها فهى الخصم الأول على صاحبها تقول : ضيعك الله كما ضيعتنى . فطالع الأخبار التى أوردناها فى كمال أركان الصلاة ليظهر لك وقعها .

الباب الثالث : فى الشروط الباطنة من أعمال القلب

ولنذكر فى هذا الباب ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب . ثم نذكر المعانى الباطنة وحدودها وأسبابها وعلاجها . ثم لنذكر تفصيل ماينبغى أن يحضر فى كل ركن من أركان الصلاة لتكون صالحة لزاد الآخرة .

بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب

اعلم أن أدلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى ﴿ أقم الصلاة لذكرى ﴾ وظاهر الأمر الوجوب ، والغفلة تضاد الذكر فمن غفل فى جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلاة لذكره ؟ وقوله تعالى (ولا تكن من الغافلين) نهى وظاهره التحريم وقوله عز وجل (حتى تعلموا ما تقولون) تعليل لنهى السكران وهو مطرد فى الغافل المستغرق الهم بالوسواس وأفكار الدنيا وقوله صلى الله عليه وسلم « إنما الصلاة تمسكن وتواضع » حصر بالألف واللام وكلمة «إنما» للتحقيق والتوكيد ، وقد فهم الفقهاء من قوله عليه السلام «إنما الشفعة فيما لم يقصر» الحصر والاثبات والنفى ، وقوله صلى الله عليه وسلم « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا » وصلاة الغافل لاتمنع من الفحشاء والمنكر ، وقال صلى الله عليه وسلم « كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب[1] » وماأراد به إلا الغافل وقال صلى الله عليه وسلم (ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها[2]) والتحقيق فيه أن المصلى مناج ربه عز وجل[3] » كما ورد به الخبر والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة ألبتة ، وبيانه أن الزكاة إن غفل الإنسان عنها مثلا فهى فى نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس ، وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى الذى هو آلة للشيطان عدو الله ، فلا يبعد أن يحصل منها مقصود مع الغفلة ، وكذلك الحج أفعاله شاقة شديدة وفيه من المجاهدة مايحصل به

الباب الثالث

(١) حديث « كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب » أخرجه النسائى من حديث أبى هريرة « رب قائم ليس له من قيامه إلا السهر » ولأحمد « رب قائم حظه من صلاته السهر » وإسناده حسن .

(٢) حديث « ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل » لم أجده مرفوعا وروى محمد بن نصر المروزى فى كتاب الصلاة من رواية عثمان ابن أبى دهرش مرسلا « لايقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه » ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى ابن كعب ولابن المبارك فى الزهد موقوفا على عمار لايكتب للرجل من صلاته ماسها عنه

(٣) حديث « المصلى يناجى ربه » متفق عليه من حديث أنس

الإيلام كان القلب حاضراً مع أفعاله أو لم يكن ؟ أما الصلاة فليس فيها إلا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود ، فأما الذكر فإنه مجاورة ومناجاة مع الله عز وجل فأما أن يكون المقصود منه كونه خطابا ومجاورة أو المقصود منه الحروف والأصوات إمتحاناً للسان بالعمل كما تمتحن المعدة والفرج بالإمساك فى الصوم ، وكما يمتحن البدن بمشاق الحج ، ويمتحن بمشقة إخراج الزكاة واقتطاع المال المعشوق . ولا شك أن هذا القسم باطل فان تحريك اللسان بالهذيان ما أخفه على الغافل فليس فيه امتحان من حيث أنه عمل بل المقصود الحروف من حيث أنه نطق ، ولا يكون نطقا إلا إذا أعرب عما فى الضمير ولا يكون معربا إلا بحضور القلب، فأى سؤال فى قوله (إهدنا الصراط المستقيم) إذا كان القلب غافلا ؟ وإذا لم يقصد كونه تضرعا ودعاء فأى مشقة فى تحريك اللسان به مع الغفلة لاسيما بعد الاعتياد ؟ هذا حكم الأذكار بل أقول لو حلف الإنسان وقال : لأشكرن فلانا وأثنى عليه وأسأله حاجة ؛ ثم جرت الألفاظ الدالة على هذه المعانى على لسانه فى النوم لم يبر فى يمينه ، ولو جرت على لسانه فى ظلمة وذلك الإنسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير باراً فى يمينه إذ لا يكون كلامه خطاباً ونطقا معه مالم يكن هو حاضرا فى قلبه ، فلو كانت تجرى هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر إلا أنه فى بياض النهار غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الأفكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب اليه عند نطقه لم يصر باراً فى يمينه . ولا شك أن المقصود من القراءة والأذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء ، والمخاطب هو الله عز وجل وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التى شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله عز وجل ورسوخ عقد الإيمان به ! هذا حكم القراءة والذكر . وبالجملة فهذه الخاصية لا سبيل إلى إنكارها فى النطق وتمييزها عن الفعل . وأما الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم قطعا ولو جاز أن يكون معظما لله عز وجل بفعله وهو غافل عنه لجاز أن يكون معظما لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه، أو يكون معظما للحائط الذى بين يديه وهو غافل عنه ، وإذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق إلا مجرد حركة الظهر والرأس وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به ، ثم يجعله عماد الدين والفاصل بين الكفر والإسلام ويقدم على الحج وسائر العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص ، وما أرى أن هذه العظمة كلها للصلاة من حيث أعمالها الظاهرة إلا أن يضاف اليها مقصود المناجاة فان ذلك يتقدم على الصوم والزكاة والحج وغيره بل الضحايا والقرابين التى هى مجاهدة للنفس بتنقيص المال قال الله تعالى (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) أى الصفة التى استولت على القلب حتى حملته على امتثال الأوامر هى المطلوبة فكيف الأمر فى الصلاة ولا أرب فى أفعالها ؟ فهذا ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب * فان قلت : إن حكمت ببطلان الصلاة وجعلت حضور القلب شرطا فى صحتها خالفت إجماع الفقهاء فانهم لم يشترطوا إلا حضور القلب عند التكبير ؟ فاعلم أنه قد تقدم فى كتاب العلم : أن الفقهاء لا يتصرفون فى الباطن ولا يشقون عن القلوب ولا فى طريق الآخرة بل يبنون أحكام الدين على ظاهر أعمال الجوارح ؛ وظاهر الأعمال كاف لسقوط القتل وتعزير السلطان ؛ فأما أنه ينفع فى الآخرة فليس هذا من حدود الفقه على أنه لا يمكن أن يدعى الإجماع. فقد نقل عن بشر بن الحارث فيما رواه عنه أبو طالب المكى عن سفيان الثورى أنه قال : من لم يخشع فسدت صلاته وروى عن الحسن أنه قال : كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى إلى العقوبة أسرع . وعن معاذ بن جبل: من عرف من على يمينه وشماله متعمدا ، وهو فى الصلاة فلا صلاة له . وروى أيضا مسندا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« إن العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل[1] منها » وهذا لو نقل عن غيره لجعل مذهبا فكيف لا يتمسك به ؟ وقال عبد الواحد بن زيد : أجمعت العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها ، لجعله إجماعا ، وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى . والحق الرجوع إلى أدلة الشرع والأخبار ، والآثار ظاهرة فى هذا الشرط إلا أن مقام الفتوى فى التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق . فلا يمكن أن يشترط على الناس إحضار القلب فى جميع الصلاة فان ذلك يعجز عنه كل البشر إلا الأفلين وإذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مردّ له إلا أن يشترط منه ما يطلق عليه الاسم ولو فى اللحظة الواحدة ، وأولى اللحظات به لحظة التكبير فاقتصرنا على التكليف بذلك . ونحن مع ذلك نرجو أن لا يكون حال الغافل فى جميع صلاته مثل حال التارك بالكلية . فانه على الجملة أقدم على العمل ظاهرا وأحضر القلب لحظة . وكيف لا والذى صلى مع الحدث ناسيا صلاته باطلة عند الله تعالى ولكن له أجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ، ومع هذا الرجاء فيخشى أن يكون حاله أشد من حال التارك وكيف لا والذى يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر أشد حالا من الذى يعرض عن الخدمة ؟ وإذا تعارض أسباب الخوف والرجاء وصار الأمر مخطرا فى نفسه فاليك الخيرة بعده فى الاحتياط والتساهل . ومع هذا فلا مطمع فى مخالفة الفقهاء فيما أفتوا به من الصحة مع الغفلة فان ذلك من ضرورة الفتوى ـ كما سبق التنبيه عليه ـ ومن عرف سر الصلاة علم أن الغفلة تضادها . ولكن قد ذكرنا فى باب الفرق بين العلم الباطن والظاهر فى كتاب قواعد العقائد أن قصور الخلق أحد الأسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من أسرار الشرع . فلنقتصر على هذا القدر من البحث فان فيه مقنعا للمريد الطالب لطريق الآخرة . وأما المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن وحاصل الكلام أن حضور القلب هو روح الصلاة وأن أقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير . فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح فى أجزاء الصلاة . وكم من حى لا حراك به قريب من ميت ؟ فصلاة الغافل فى جميعها إلا عند التكبير كمثل حى لا حراك به نسأل الله حسن العون

بيان المعانى الباطنة التى تتم بها حياة الصلاة

إعلم أن هذه المعانى تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ست جمل وهى : حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء . فلنذكر تفاصيلها ثم أسبابها ثم العلاج فى اكتسابها . أما التفاصيل : فالأول ، حضور القلب ونعنى به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به ، فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ، ولا يكون الفكر جائلا فى غيرهما ، ومهما انصرف فى الفكر عن غير ما هو فيه وكان فى قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شىء فقد حصل حضور القلب ولكن التفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب ، فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ ؛ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذى أردناه بالتفهم . وهذا مقام يتفاوت الناس فيه إذ ليس يشترك الناس فى تفهم المعانى للقرآن والتسبيحات . وكم من معان لطيفة يفهمها المصلى فى أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ؟ ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر ، فإنها تفهم أمورا ؛ تلك الأمور تمنع عن الفحشاء لا محالة . وأما التعظيم فهو أمر وراء حضور القلب والفهم إذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب

(١) حديث « إن العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها ... الحديث » أخرجه أبو داود والنسائى وابن حبان من حديث عمار بن ياسر بنحوه

فيه ومتفهم لمعناه ولايكون معظما له فالتعظيم زائد عليهما . وأما الهيبة فزائدة على التعظيم بل هى عبارة عن خوف منشؤه التعظيم لأن من لايخاف لايسمى هائبا ، والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد ومايجرى مجراه من الأسباب الخسيسة لاتسمى مهابة ، بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة ، والهيبة خوف مصدرها الإجلال . وأما الرجا فلا شك أنه زائد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه أو يخاف سطوته ولكن لايرجو مثوبته . والعبد ينبغى أن يكون راجيا بصلاته ثواب الله عز وجل كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله عز وجل ، وأما الحياء فهو زائد على الجملة لأن مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لايكون توهم تقصير وارتكاب ذنب . وأما أسباب هذه المعانى الستة فاعلم أن حضور القلب سببه الهمة فإن قلبك تابع لهمتك فلا يحضر إلافيما يهمك . ومهما أهمك أمر حضر القلب فيه شاء أم أبى فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه . والقلب إذا لم يحضر فى الصلاة لم يكن متعطلا بل جائلا فيما الهمة مصروفة إليه من أمور الدنيا ، فلا حيلة ولا علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلى الصلاة ، والهمة لاتنصرف إليها مالم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الإيمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى وأن الصلاة وسيلة إليها ، فإذا أضيف هذا إلى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعها حضور القلب فى الصلاة ، وبمثل هذه العلة يحضر قلبك إذا حضرت بين يدى بعض الأكابر ممن لايقدر على مضرتك ومنفعتك ، فإذا كان لايحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذى بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلاتظنن أن له سببا سوى ضعف الإيمان فاجتهد الآن فى تقوية الإيمان ـ وطريقه يستقصى فى غير هذا الموضع ـ وأما التفهم فسببه بعد حضور القلب إدمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك المعنى وعلاجه ما هو علاج إحضار القلب مع الإقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر . وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها أعنى النزوع عن تلك الأسباب التى تنجذب الخواطر إليها ، ومالم تنقطع تلك المواد لاتنصرف عنها الخواطر فمن أحب شيئا أكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة ، لذلك ترى أن من أحب غيرالله لاتصفوله صلاة عن الخواطر. وأما التعظيم فهى حالة للقلب تتولد من معرفتين ، إحداهما : معرفة جلال الله عز وجل وعظمته وهو من أصول الإيمان فإن من لايعتقد عظمته لاتذعن النفس لتعظيمه . الثانية ، معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه فيعبر عنه بالتعظيم ، ومالم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله لاتنتظم حالة التعظيم والخشوع فإن المستغنى عن غيره الآمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لأن القرينة الأخرى وهى معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن إليه ، وأما الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة به ، وأنه لو أهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما يجرى على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف مايشاهد من ملوك الأرض . وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة ـ وسيأتى أسباب ذلك فى كتاب الخوف من ربع المنجيات ـ وأما الرجاء فسببه معرفة لطف الله عزوجل وكرمه وعميم إنعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه فى وعده الجنة بالصلاة ، فإذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لامحالة : وأما الحياء فباستشعاره التقصير فى العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عزوجل ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة إخلاصها وخبث دخلتها وميلها إلى الحظ العاجل فى جميع أفعالها مع العلم بعظيم مايقتضيه جلال الله عز وجل والعلم

بأنه مطلع على السر وخطرات القلب وإن دقت وخفيت ، وهذه المعارف إذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء فهذه أسباب هذه الصفات وكل ما طلب تحصيله فعلاجه إحضار سببه ففى معرفة السبب معرفة العلاج . ورابطة جميع هذه الأسباب الإيمان . واليقين أعنى به هذه المعارف التى ذكرناها ومعنى كونها يقينا انتفاء الشك واستيلاؤها على القلب ، كما سبق فى بيان اليقين من كتاب العلم - وبقدر اليقين يخشع القلب ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه » وقد روى أن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام « ياموسى إذا ذكرتنى فاذكرنى وأنت تنتفض أعضاؤك وكن عند ذكرى خاشعا مطمئنا وإذا ذكرتنى فاجعل لسانك من وراء قلبك وإذا قمت بين يدى فقم قيام العبد الذليل وناجنى بقلب وجل ولسان صادق » وروى أن الله تعالى أوحى إليه « قل لعصاة أمتك لايذكرونى فإنى آليت على نفسى أن من ذكرنى ذكرته فإذا ذكرونى ذكرتهم باللعنة » هذا فى عاص غير غافل فى ذكره فكيف إذا اجتمعت الغفلة والعصيان ؟ وباختلاف المعانى التى ذكرناها فى القلوب انقسم الناس إلى غافل يتمم صلاته ولم يحضر قلبه فى لحظة منها . وإلى من يتمم ولم يغب قلبه فى لحظة بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لايحس بما يجرى بين يديه . ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط الاسطوانة فى المسجد اجتمع الناس عليها . وبعضهم كان يحضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره . ووجيب قلب إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه كان يسمع على ميلين . وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم . وكل ذلك غير مستبعد فإن أضعافه مشاهد فى همم أهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع عجزهم وضعفهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على ملك أو وزير ويحدثه بمهمته ثم يخرج ، ولو سئل عن حواليه أو عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الإخبار عنه لاشتغال همه به عن ثوبه وعن الحاضرين حواليه ﴿ ولكل درجات مما عملوا ﴾ لحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فإن موقع نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهر الحركات . ولذلك قال بعض الصحابة رضى الله عنهم : يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم فى الصلاة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود النعيم بها واللذة ، ولقد صدق فإنه يحشر كل على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه : ويراعى فى ذلك حال قلبه لاحال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور فى الدار الآخرة ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم ، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه

بيان الدواء النافع فى حضور القلب

اعلم أن المؤمن لابد أن يكون معظما لله عز وجل وخائفا منه وراجيا له ومستحييا من تقصيره فلا ينفك عن هذه الأحوال بعد إيمانه ، وإن كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها فى الصلاة لا سبب له إلا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة . ولا يلهى عن الصلاة إلا الخواطر الواردة الشاغلة ، فالدواء فى إحضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشىء إلا بدفع سببه فلتعلم سببه . وسبب موارد الخواطر إما أن يكون أمرا خارجا أو أمرا فى ذاته باطنا . أما الخارج فما يقرع السمع أو يظهر للبصر فإن ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكرة إلى غيره ويتسلسل ، ويكون الإبصار سببا للافتكار ، ثم تصير بعض تلك الأفكار سببا للبعض . ومن قويت نيته وعلت همته لم يلهه ماجرى على حواسه ولكن الضعيف لا بد وأن يتفرق به فكره . وعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يغض بصره أو يصلى فى بيت مظلم أو لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة بصره ، ويحترز من الصلاة على الشوارع

وفى المواضع المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش المصبوغة . ولذلك كان المتعبدون يتعبدون فى بيت صغير مظلم سمته قدر السجود ليكون ذلك أجمع للهم . والأقوياء منهم كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزون به موضع السجود ويرون كمال الصلاة فى أن لايعرفوا من على يمينهم وشمالهم . وكان ابن عمر رضى الله عنهما لا يدع فى موضع الصلاة مصحفا ولاسيفا إلانزعه ولا كتابا إلا محاه . وأما الأسباب الباطنة فهى أشد فإنّ من تشعبت به الهموم فى أودية الدنيا لاينحصر فكره فى فن واحد بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب وغض البصر لا يغنيه ، فإن ما وقع فى القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه أن يرد النفس قهرا إلى فهم ما يقرؤه فى الصلاة ويشغلها به عن غيره ، ويعينه على ذلك أن يستعدّ له قبل التحريم بأن يحدّد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدى الله سبحانه وهو المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت إليه خاطره . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن أبى شيبة « إنى نسيت أن أقول لك أن تخمر القدر الذى فى البيت[1] » فإنه لاينبغى أن يكون فى البيت شىء يشغل الناس عن صلاتهم ؛ فهذا طريق تسكين الأفكار . فإن كان لايسكن هوائج أفكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه إلا المسهل الذى يقمع مادة الداء من أعماق العروق وهو أن ينظر فى الأمور الصارفة الشاغلة عن إحضار القلب ، ولا شك أنها تعود إلى مهماته وأنها إنما صارت مهمات لشهواته فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق ، فكل مايشغله عن صلاته فهو ضدّ دينه وجند إبليس عدوّه فإمساكه أضر عليه من إخراجه فيتخلص منه بإخراجه كما روى أنه صلى الله عليه وسلم « لما لبس الخميصة التى أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته ، وقال صلى الله عليه وسلم : اذهبوا بها إلى أبى جهم فإنها ألهتنى آنفا عن صلاتى وائتونى بأنبجانية أبى جهم[2] » . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجديد شراك نعله ثم نظر إليه فى صلاته إذ كان جديدا فأمر أن ينزع منها ويرد الشراك الخلق[3] . « وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى نعلا فأعجبه حسنها فسجد وقال : تواضعت لربى عز وجل كى لا يمقتنى » ثم خرج بها فدفعها إلى أول سائل لقيه ، ثم أمر عليا رضى الله عنه أن يشترى له نعلين سبتيتين جرداوين فلبسهما[4] . وكان صلى الله عليه وسلم فى يده خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال شغلنى هذا : نظرة إليه ونظرة إليكم[5] وروى « أن أبا طلحة صلى فى حائط وفيه شجر فأعجبه دبسى طار فى الشجر يلتمس مخرجا فأتبعه بصره ساعة ثم لم يدركم صلى ؟ فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصابه من الفتنة ثم قال : يارسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت[6] » . وعن رجل آخر أنه صلى فى حائط له والنخل مطوقة بثمرها فنظر إليها فأعجبته ولم يدركم صلى ؟ فذكر ذلك لعثمان رضى الله عنه وقال : هو صدقة فاجعله فى سبيل الله عز وجل

---

(١) حديث « إنى نسيت ان أقول لك تخمر القربتين اللتين فى البيت .. الحديث » اخرجه ابو داود من حديث عثمان الحجبى وهو عثمان بن طلحة كما فى مسند احمد ووقع للمصنف انه قال ذلك لعثمان بن أبى شيبة وهو وهم .

(٢) حديث « نزع الخميصة وقال ائتونى بأنبجانية أبى جهم » متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم فى العلم

(٣) حديث « أمره بنزع الشراك الجديد ورد الشراك الخلق إذ نظر اليه فى صلاته » أخرجه ابن المبارك فى الزهد من حديث أبى النضر مرسلا باسناد صحيح (٤) حديث « احتذى نعلا فأعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربى .. الحديث » أخرجه أبو عبد الله ابن حقيق فى شرف الفقراء من حديث عائشة باسناد ضعيف (٥) حديث « رميه بالخاتم الذهب من يده وقال شغلنى هذا نظرة اليه ونظره اليكم » أخرجه النسائى من حديث ابن عباس باسناد صحيح وليس فيه بيان أن الخاتم كان ذهبا ولا فضة إنما هو معلق (٦) حديث « إن أبا طلحة صلى فى حائط له فيه شجر فأعجبه ريش طائر فى الشجر .. الحديث » أخرجه فى سهوه فى الصلاة وتصدقه بالحائط مالك عن عبد الله بن أبى بكر أن أبا طلحة الأنصارى فذكره بنحوه

قباعه عثمان بخمسين ألفا . فكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القاطع لمادة العلة ولا يغنى غيره . فأما ماذكرناه من التلطف بالتسكين والرد إلى فهم الذكر فذلك ينفع فى الشهوات الضعيفة والهمم التى لا تشغل إلاحواشى القلب . فأما الشهوة القوية المرهقة فلاينفع فيها التسكين بل لاتزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضى جميع صلاتك فى شغل المجاذبة . ومثاله : رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره وكانت أصوات العصافير تشوش عليه ، فلم يزل يطيرها بخشبة فى يده ويعود إلى فكره فتعود العصافير فيعود إلى التنفير بالخشبة ، فقيل له : إنّ هذا أسير السوانى ولا ينقطع فإن أردت الخلاص فاقطع الشجرة . فكذلك شجرة الشهوات إذا تشعبت وتفرعت أغصانها انجذبت إليها الأفكار انجذاب العصافير إلى الأشجار وانجذاب الذباب إلى الأقذار والشغل يطول فى دفعها فإنّ الذباب كلما ذب آب ولأجله سمى ذبابا . فكذلك الخواطر ، وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو العبد عنها ويجمعها أصل واحد وهو حب الدنيا ، وذلك رأس كل خطيئة وأساس كل نقصان ومنبع كل فساد . ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال إلى شىء منها لا ليتزود منها ولا ليستعين بها على الآخرة فلا يطمعن فى أن تصفو له لذة المناجاة فى الصلاة . فإنّ من فرح بالدنيا لا يفرح بالله سبحانه وبمناجاته . وهمة الرجل مع قرة عينه فإن كانت قرة عينه فى الدنيا انصرف لا محالة إليها همه ولكن مع هذا فلاينبغى أن يترك المجاهدة ورد القلب إلى الصلاة وتقليل الأسباب الشاغلة ، فهذا هو الدواء المر ولمرارته استبشعته الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا ، حتى إنّ الأكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين لايحدثوا أنفسهم فيها بأمور الدنيا فعجزوا عن ذلك فإذن لامطمع فيه لأمثالنا ، وليته سلم لنا من الصلاة شطرها أو ثلثها من الوسواس لنكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئاً . وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة فى القلب مثل الماء الذى يصب فى قدح مملوء بخل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج منه من الخل لا محالة ولا يجتمعان .

بيان تفصيل ما ينبغى أن يحضر فى القلب ـ عند كل ركن وشرط ـ من أعمال الصلاة

فنقول : حقك إن كنت من المريدين للآخرة أن لا تغفل أولا عن التنبيهات التى فى شروط الصلاة وأركانها . أما الشروط السوابق فهى الأذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما والنية . فإذا سمعت نداء المؤذن فأحضر فى قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك الإجابة والمسارعة ؛ فإنّ المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فإن وجدته مملوءا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة إلى الابتدار فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أرحنا يا بلال[1] » أى أرحنا بها وبالنداء إليها إذ كان قرة عينه فيها صلى الله عليه وسلم . وأما الطهارة فإذا أتيت بها فى مكانك وهو ظرفك الأبعد ثم فى ثيابك وهى غلافك الأقرب ، ثم فى بشرتك وهى قشرك الأدنى فلا تغفل عن لبك الذى هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرطت وتصميم العزم على الترك فى المستقبل فطهر بها باطنك فإنه موضع نظر معبودك . وأما ستر العورة فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق فإنّ ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق فما بالك فى عورات باطنك وفضائح سرائرك التى لا يطلع عليها إلا ربك عز وجل ؟ فأحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق أنه لايستر عن عين الله سبحانه

(١) حديث « بها أرحنا يا بلال » أخرجه الدارقطنى فى العلل من حديث بلال ولأبى داود نحوه من حديث رجل من الصحابة لم يسم باسناد صحيح .

ساتر . وإنما يغفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد بإحضارها فى قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنهما فتدل بها بنفسك ويستكين تحت الخجلة قلبك وتقوم بين يدى الله عز وجل قيام العبد المجرم المسىء الآبق الذى ندم فرجع إلى مولاه ناكسا رأسه من الحياء والخوف . وأما الاستقبال فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى ، أفترى أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى الله عز وجل ليس مطلوبا منك مهيات فلا مطلوب سواه . وإنما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالإثبات فى جهة واحدة حتى لا تبغى على القلب فإنها إذا بغت وظلمت فى حركاتها والتفاتها إلى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله عز وجل فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك . فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب إلى الله عز وجل إلا بالتفرغ عما سواه وقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا قام العبد إلى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه إلى الله عز وجل انصرف كيوم ولدته أمه[1] » وأما الاعتدال قائما فإنما هو مثول بالشخص والقلب بين يدى الله عز وجل ، فليكن رأسك الذى هو أرفع أعضائك مطرقا مطأطئا متنكسا ، وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبيها على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبرى عن الترؤس والتكبر ، وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدى الله عز وجل فى هول المطلع عند العرض للسؤال . واعلم فى الحال أنك قائم بين يدى الله عز وجل وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدى بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر فى دوام قيامك فى صلاتك أنك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من أهلك أو ممن ترغب فى أن يعرفك بالصلاح ، فإنه تهدأ عند ذلك أطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع . وإذا أحسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها : إنك تدعين معرفة الله وحبه أفلا تستحين من استجرائك عليه مع توقيرك عبدا من عباده أو تخشين الناس ولا تخشينه وهو أحق أن يخشى ؟ ولذلك لما قال أبو هريرة « كيف الحياء من الله فقال صلى الله عليه وسلم تستحى منه كما تستحى من الرجل الصالح من قومك[2] » وروى « من أهلك » وأما النية فاعزم على إجابة الله عز وجل فى امتثال أمره بالصلاة وإتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها وإخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه متقلدا للمنة منه بإذنه إياك فى المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك ، وعظم فى نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجى وكيف تناجى وبماذا تناجى ؟ وعند هذا ينبغى أن يعرق جبينك من الخجل وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف . وأما التكبير فإذا نطق به لسانك فينبغى أن لا يكذبه قلبك فإن كان فى قلبك شىء هو أكبر من الله سبحانه فالله يشهد إنك لكاذب وإن كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين فى قولهم : إنه صلى الله عليه وسلم رسول الله . فإن كان هواك أغلب عليك من أمر الله عز وجل فأنت أطوع له منك لله تعالى فقد اتخذته إلهك وكبرته فيوشك أن يكون قولك « الله أكبر » كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته ! وما أعظم الخطر فى ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه . وأما دعاء الاستفتاح فأول كلماته قولك « وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض » وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فإنك إنما وجهته إلى جهة القبلة والله سبحانه يتقدس

---

(١) حديث « إذا قام العبد إلى صلاته وكان وجهه وهواه إلى الله انصرف كيوم ولدته أمه » لم أجده

(٢) حديث « قال أبو هريرة كيف الحياء من الله قال تستحى منه كما تستحى من الرجل الصالح من قومك » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق والبيهقى فى الشعب من حديث سعيد بن زيد مرسلا بنحوه وأرسله البيهقى بزيادة ابن عمر فى السند وفى العلل الدارقطنى عن ابن عمر له وقال إنه أشبه شىء بالصواب لوروده من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة

عن أن تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه . وإنما وجه القلب هو الذي تتوجه به إلى فاطر السموات والأرض فانظر إليه أمتوجه هو إلى أمانيه وهمه في البيت والسوق متبع للشهوات أو مقبل على فاطر السموات ؟ وإياك أن تكون أول مفاتحتك المناجاة بالكذب والاختلاق . ولن ينصرف الوجه إلى الله تعالى إلا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه اليه وإن عجزت عنه على الدوام فليكن قولك في الحال صادقا . وإذا قلت «حنيفا مسلما» فينبغي أن يخطر ببالك أن المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فإن لم تكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد في أن تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق من الأحوال . وإذا قلت «وما أنا من المشركين» فأخطر ببالك الشرك الخفي فإن قوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن حذرا مشفقا من هذا الشرك ، واستشعر الخجلة في قلبك إن وصفت نفسك بأنك لست من المشركين من غير براءة عن هذا الشرك فإن اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه . وإذا قلت «محياي ومماتي لله» فاعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده وأنه إن صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة ورهبته من الموت لأمور الدنيا لم يكن ملائما للحال. وإذا قلت «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» فاعلم أنه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله عز وجل حسدا لك على مناجاتك مع الله عز وجل وسجودك له مع أنه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها ، وأن استعاذتك بالله سبحانه منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله عز وجل لا بمجرد قولك ، فإن من قصده سبع أو عدو ليفترسه أو يقتله فقال : أعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه ، فإن ذلك لا ينفعه ، بل لا يعيذه إلا تبديل المكان ؛ فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عز وجل عن شر الشيطان وحصنه «لا إله إلا الله» إذ قال عز وجل فيما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم «لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي[1]» ، والمتحصن به لا معبود له سوى الله سبحانه فأما من اتخذ إلهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله عز وجل. واعلم أن من مكايده أن يشغلك في صلاتك بذكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرأ . فاعلم أن كل ما يشغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وسواس فإن حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها : فأما القراءة فالناس فيها ثلاثة ، رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره وهي درجات أصحاب اليمين ، ورجل يسبق قلبه إلى المعاني أولا ثم يخدم اللسان القلب فيترجمه . ففرق بين أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب . وتفصيل ترجمة المعاني أنك إذا قلت «بسم الله الرحمن الرحيم» فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله سبحانه ، وافهم أن الأمور كلها بالله سبحانه . وأن المراد بالاسم ههنا هو المسمى . وإذا كانت الأمور بالله سبحانه فلا جرم كان «الحمد لله» ومعناه أن الشكر لله إذ النعم من الله . ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله سبحانه بشكر لا من حيث إنه مسخر من الله عز وجل ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله تعالى . فإذا قلت «الرحمن الرحيم» فأحضر في قلبك جميع أنواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث بها رجاؤك . ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك «مالك يوم الدين» أما العظمة فلأنه لا ملك إلا له

(١) حديث «قال الله تعالى لا اله إلا الله حصني» أخرجه الحاكم في التاريخ وأبو نعيم في الحلية من طريق أهل البيت من حديث علي بإسناد ضعيف جداً ، وقول أبي منصور الديلمي إنه حديث ثابت مردود عليه .

وأما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذى هو مالكه . ثم جدد الإخلاص بقولك « إياك نعبد » وجدد العجز والاحتياج والتبرى من الحول والقوة بقولك و « إياك نستعين » وتحقق أنه ما تيسرت طاعتك إلا بإعانته وأنّ له المنة إذ وفقك لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك أهلا لمناجاته . ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين . ثم إذا فرغت من التعوذ ومن قولك « بسم الله الرحمن الرحيم » ومن التحميد ومن إظهار الحاجة إلى الإعانة مطلقا فعين سؤالك ولا تطلب إلا أهم حاجاتك وقل « إهدنا الصراط المستقيم » الذى يسوقنا إلى جوارك ويفضى بنا إلى مرضاتك . وزده شرحا وتفصيلا وتأكيدا واستشهادا بالذين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين ثم التمس الإجابة وقل « آمين » فإذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين نصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل[1] » يقول العبد « الحمد لله رب العالمين » فيقول الله عز وجل : حمدنى عبدى وأثنى على . وهو معنى قوله « سمع الله لمن حمده ... الحديث الخ » فلو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك فى جلاله وعظمته فناهيك بذلك غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله ؟ وكذلك ينبغى أن تفهم ما تقرؤه من السور ـ كما سيأتى فى كتاب تلاوة القرآن ـ فلا تغفل عن أمره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر مننه وإحسانه . ولكل واحد حق فالرجاء حق الوعد ؛ والخوف حق الوعيد ؛ والعزم حق الأمر والنهى ؛ والاتعاظ حق الموعظة ، والشكر حق ذكر المنة ، والاعتبار حق إخبار الأنبياء . وروى أن زرارة بن أوفى لما انتهى إلى قوله تعالى (فاذا نقر فى الناقور) خرّ ميتا وكان إبراهيم النخعى إذا سمع قوله تعالى (إذا السماء انشقت) اضطرب حتى تضطرب أوصاله . وقال عبد الله بن واقد : رأيت ابن عمر يصلى مغلوبا عليه ؛ وحق له أن يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده فانه عبد مذنب ذليل بين يدى جبار قاهر . وتكون هذه المعانى بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب . ودرجات ذلك لاتنحصر . والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف أسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الأذكار والتسبيحات أيضا . ثم يراعى الهيبة فى القراءة فيرتل ولا يسرد فإن ذلك أيسر للتأمل . ويفرق بين نغماته فى آية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتحميد والتعظيم والتمجيد . كان النخعى إذا مر بمثل قوله عز وجل (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله) يخفض صوته كالمستحيى عن أن يذكره بكل شىء لايليق به . وروى أنه يقال لقارئ القرآن « إقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا[2] » وأما دوام القيام فانه تنبيه على إقامة القلب مع الله عز وجل على نعت واحد من الحضور قال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل مقبل على المصلى ما لم يلتفت[3] » وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات إلى غير الصلاة . فاذا التفت إلى غيره فذكره باطلاع الله عليه وبقبح التهاون بالمناجى عند غفلة المناجى ليعود اليه . وألزم الخشوع للقلب فإن الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع . ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى رجلا مصليا يعبث بلحيته « أما هذا

---

(١) حديث « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ... الحديث » أخرجه مسلم عن أبى هريرة (٢) حديث « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق . . الحديث » أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث عبد الله بن عمر وقال الترمذى حسن صحيح

(٣) « إن الله يقبل على المصلى ما لم يلتفت » أخرجه أبو داود والنسائى والحاكم وصحح اسناده أبى ذر

لو خشع قلبه لخشعت جوارحه ، فإنّ الرعية بحكم الراعى . ولهذا ورد فى الدعاء « اللهم أصلح الراعى والرعية [1] » وهو القلب والجوارح . وكان الصدّيق رضى الله عنه فى صلاته كأنه وتد . وابن الزبير رضى الله عنه كأنه عود . وبعضهم كان يسكن فى ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كأنه جماد ، وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدى من يعظم من أبناء الدنيا فكيف لايتقاضاه بين يدى ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك ؟ وكل من يطمئن بين يدى غير الله عز وجل خاشعا وتضطرب أطرافه بين يدى الله عابثا فذلك لقصور معرفته عن جلال الله عز وجل وعن اطلاعه على سره وضميره . وقال عكرمة فى قوله عز وجل ﴿ الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين ﴾ قال : قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه . وأما الركوع والسجود فينبغى أن تجدّد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه وترفع يديك مستجيرا بعفو الله عزوجل من عقابه بتجديد نية ومتبعا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم . ثم تستأنف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد فى ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك . وتستعين على تقرير ذلك فى قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وأنه أعظم من كل عظيم وتكرّر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار . ثم ترتفع من ركوعك راجيا أنه راحم لك ومؤكدا للرجاء فى نفسك بقولك « سمع الله لمن حمده » أى أجاب لمن شكره . ثم تردف ذلك الشكر المتقاضى للمزيد فتقول « ربنا لك الحمد » وتكثر الحمد بقولك « ملء السموات وملء الأرض » ثم تهوى إلى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة فتمكن أعز أعضائك وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب . وإن أمكنك أن لاتجعل بينهما حائلا فتسجد على الأرض فافعل فإنه أجلب للخشوع وأدل على الذل . وإذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم أنك وضعتها موضعها ورددت الفرع إلى أصله فإنك من التراب خلقت وإليه تعود فعند هذا جدّد على قلبك عظمة الله وقل « سبحان ربى الأعلى » وأكده بالتكرار فإنّ الكرّة الواحدة ضعيفة الأثر فإذا رق قلبك وظهر ذلك فاتصدق رجاءك فى رحمة الله فإن رحمته تتسارع إلى الضعف والذل لا إلى التكبر والبطر فارفع رأسك مكبرا وسائلا حاجتك وقائلا « رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم » أو ما أردت من الدعاء . ثم أكد التواضع بالتكرار فعد إلى السجود ثانيا كذلك . وأما التشهد فإذا جلست له فاجلس متأدبا وصرح بأن جميع ماتدلى به من الصلوات والطيبات أى من الأخلاق الطاهرة لله . وكذلك الملك لله وهو معنى « التحيات » وأحضر فى قلبك النبى صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم وقل « سلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته » وليصدّق أملك فى أنه يبلغه ويرد عليك ما هو أوفى منه . ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين . ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلاما وافيا بعدد عباده الصالحين . ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولمحمد نبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة مجدّدا عهد الله سبحانه بإعادة كلمتى الشهادة ومستأنفا للتحصن بها . ثم ادع فى آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء بالإجابة . وأشرك فى دعائك أبويك وسائر المؤمنين . واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وانو ختم الصلاة به . واستشعر شكر الله سبحانه على توفيقه لإتمام هذه الطاعة . وتوهم أنك مودع لصلاتك هذه وأنك ربما لاتعيش لمثلها . وقال صلى الله عليه وسلم للذى أوصاه « صل صلاة مودع » ثم أشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير فى الصلاة ، وخف أن لا تقبل صلاتك وأن تكون ممقوتا بذنب ظاهر أو باطن فترد صلاتك فى وجهك ، وترجو مع ذلك أن يقبلها بكرمه وفضله . كان يحيى بن وثاب إذا صلى مكث ما شاء الله تعرف عليه كآبة الصلاة .

---

(١) حديث « اللهم أصلح الراعى والرعية » لم أقف له على أصل فسره المصنف بالقلب والجوارح

وكان إبراهيم يمكث بعد الصلاة ساعة كأنه مريض . فهذا تفصيل صلاة الخاشعين ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ... والذين هم على صلواتهم يحافظون . . . والذين هم على صلاتهم دائمون . والذين هم يناجون الله على قدر استطاعتهم فى العبودية فليعرض الإنسان نفسه على هذه الصلاة ، فبالقدر الذى يسر له منه ينبغى أن يفرح وعلى مايفوته ينبغى أن يتحسر وفى مداراة ذلك ينبغى أن يجتهد . وأما صلاة الغافلين فهى مخطرة إلا أن يتغمده الله برحمته والرحمة واسعة والكرم فائض فنسأل الله أن يتغمدنا برحمته ويغمرنا بمغفرته إذ لا وسيلة لنا إلا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته . واعلم أنّ تخليص الصلاة عن الآفات وإخلاصها لوجه الله عزوجل وأداءها بالشروط الباطنة التى ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول أنوار فى القلب تكون تلك الأنوار مفاتيح علوم المكاشفة . فأولياء الله المكاشفون بملكوت السموات والأرض وأسرار الربوبية إنما يكاشفون فى الصلاة لاسيما فى السجود إذ يتقرب العبد من ربه عز وجل بالسجود . ولذلك قال تعالى ﴿ واسجد واقترب ﴾ وإنما تكون مكاشفة كل مصل على قدر صفائه عن كدورات الدنيا ، ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة وبالجلاء والخفاء حتى ينكشف لبعضهم الشيء بعينه وينكشف لبعضهم الشيء بمثاله ، كما كشف لبعضهم الدنيا فى صورة جيفة والشيطان فى صورة كلب جاثم عليها يدعو إليها . ويختلف أيضا بما فيه المكاشفة فبعضهم ينكشف له من صفات الله تعالى وجلاله ولبعضهم من أفعاله ولبعضهم من دقائق علوم المعاملة . ويكون لتعين تلك المعانى فى كل وقت أسباب خفية لاتحصى وأشدها مناسبة الهمة فإنها إذا كانت مصروفة إلى شيء معين كان ذلك أولى بالانكشاف ولما كانت هذه الأمور لاتتراءى إلا فى المرائى الصقيلة وكانت المرآة كلها صدئة فاحتجبت عنها الهداية لا لبخل من جهة المنعم بالهداية بل لخبث متراكم الصدإ على مصب الهداية تسارعت الألسنة إلى إنكار مثل ذلك ، إذ الطبع مجبول على إنكار غير الحاضر ، ولو كان للجنين عقل لأنكر إمكان وجود الإنسان فى متسع الهواء ، ولو كان للطفل تمييز ما ربما أنكر مايزعم العقلاء إدراكه من ملكوت السموات والأرض ، وهكذا الإنسان فى كل طور يكاد ينكر مابعده . ومن أنكر طور الولاية لزمه أن ينكر طور النبوة ، وقد خلق الخلق أطوارا فلاينبغى أن ينكر كل واحد ماوراء درجته ، نعم لما طلبوا هذا من المجادلة والمباحثة المشوشة ولم يطلبوها من تصفية القلوب عما سوى الله عز وجل فقدوه فأنكروه . ومن لم يكن من أهل المكاشفة فلاأقل من أن يؤمن بالغيب ويصدق به إلى أن يشاهد بالتجربة ففى الخبر « إنّ العبد إذا قام فى الصلاة رفع الله سبحانه الحجاب بينه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه إلى الهواء بصلاته ويؤمنون على دعائه ـ وإن المصلى لينثر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه وينادى مناد : لوعلم هذا المناجى ماالتفت . وإنّ أبواب السماء تفتح للمصلين . وإن الله عز وجل يباهى ملائكته بعبده المصلى [1] » ففتح أبواب السماء ومواجهة الله تعالى إياه بوجهه كناية عن الكشف الذى ذكرناه . وفى التوراة مكتوب : ياابن آدم لاتعجز أن تقوم بين يدى مصليا باكيا فأنا الله الذى اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نورى ، قال : فكنا نرى أن تلك الرقة والبكاء والفتوح الذى يجده المصلى فى قلبه من دنو الرب سبحانه من القلب . وإذا لم يكن هذا الدنو هو القرب بالمكان فلا معنى له إلا الدنو بالهداية والرحمة وكشف الحجاب . ويقال إن العبد إذا صلى ركعتين عجب منه عشرة صفوف من الملائكة كل صف منهم عشرة آلاف وباهى الله به مائة ألف ملك . وذلك أنّ العبد قد جمع فى الصلاة بين القيام والقعود والركوع والسجود وقد فرق الله ذلك على أربعين ألف ملك ، فالقائمون

(١) حديث « إن العبد إذا قام فى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبين عبده . . الحديث » لم أجده

لا يركعون إلى يوم القيامة والساجدون لا يرفعون إلى يوم القيامة ، وهكذا الراكعون والقاعدون ، فإن ما رزق تعالى الملائكة من القرب والرتبة لازم مستمر على حال واحد لا يزيد ولا ينقص لذلك أخبر الله عنهم أنهم قالوا ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ وفارق الإنسان الملائكة فى الترقى من درجة إلى درجة فإنه لا يزال يتقرب إلى الله تعالى فيستفيد مزيد قربه وباب المزيد مسدود على الملائكة عليهم السلام وليس لكل واحد إلا رتبته التى هى وقف عليه . وعبادته التى هو مشغول بها لا ينتقل إلى غيرها ولا يفترعنها ﴿لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ ومفتاح مزيد الدرجات هى الصلوات . قال الله عز وجل ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون﴾ فمدحهم بعد الإيمان بصلاة مخصوصة وهى المقرونة بالخشوع . ثم ختم أوصاف المفلحين بالصلاة أيضا فقال تعالى ﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾ ثم قال تعالى فى ثمرة تلك الصفات ﴿أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ فوصفهم بالفلاح أولا وبوراثة الفردوس آخرا ، وما عندى أن هذرمة اللسان مع غفلة القلب تنتهى إلى هذا الحد ولذلك قال الله عز وجل فى أضدادهم (ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين) فالمصلون هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله تعالى والمتمتعون بقربه ودنوه من قلوبهم . نسأل الله أن يجعلنا منهم وأن يعيذنا من عقوبة من تزينت أقواله وقبحت أفعاله إنه الكريم المنان القديم الإحسان وصلى الله على كل عبد مصطفى .

حكايات وأخبار فى صلاة الخاشعين رضى الله عنهم

اعلم أن الخشوع ثمرة الإيمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله عز وجل ومن رزق ذلك فإنه يكون خاشعا فى الصلاة وفى غير الصلاة بل فى خلوته وفى بيت المال عند الحاجة ، فإن موجب الخشوع معرفة اطلاع الله تعالى على العبد ومعرفة جلاله ومعرفة تقصير العبد . فمن هذه المعارف يتولد الخشوع وليست مختصة بالصلاة ولذلك روى عن بعضهم أنه لم يرفع رأسه إلى السماء أربعين سنة حياء من الله سبحانه وخشوعا له ، وكان الربيع بن خيثم من شدة غضه لبصره وإطراقه يظن بعض الناس أنه أعمى ، وكان يختلف إلى منزل ابن مسعود عشرين سنة فإذا رأته جاريته قالت لابن مسعود : صديقك الأعمى قد جاء ، فكان يضحك ابن مسعود من قولها ، وكان إذا دق الباب تخرج الجارية إليه فتراه مطرقا غاضا بصره ، وكان ابن مسعود إذا نظر إليه يقول (وبشر المخبتين) أما والله لو رآك محمد صلى الله عليه وسلم لفرح بك ـ وفى لفظ آخر : لأحبك وفى لفظ آخر : لضحك ـ ومشى ذات يوم مع ابن مسعود فى الحدادين فلما نظر إلى الأكوار تنفخ وإلى النار تلتهب صعق وسقط مغشيا عليه وقعد ابن مسعود عند رأسه إلى وقت الصلاة فلم يفق فحمله على ظهره إلى منزله ، فلم يزل مغشيا عليه إلى مثل الساعة التى صعق فيها ففاتته خمس صلوات وابن مسعود عند رأسه يقول : هذا والله هو الخوف . وكان الربيع يقول ، ما دخلت فى صلاة قط فأعنى فيها إلا ما أقول وما يقال لى ، وكان عامر بن عبد الله من خاشعى المصلين وكان إذ صلى ربما ضربت ابنته بالدف وتحدث النساء بما يردن فى البيت ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله ، وقيل له ذات يوم هل تحدثك نفسك فى الصلاة بشىء ؟ قال : نعم بوقوفى بين يدى الله عز وجل ومنصرفى إحدى الدارين ، قيل : فهل تجد شيئا مما تجد من أمور الدنيا ؟ فقال : لأن تختلف الأسنة فى أحب إلى من أن أجد فى صلاتى ما تجدون وكان يقول : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا . وقد كان مسلم بن يسار منهم ، وقد نقلنا أنه لم يشعر بسقوط اسطوانة فى المسجد وهو فى الصلاة . وتأكل طرف من أطراف بعضهم واحتيج فيه إلى القطع فلم يمكن منه فقيل : إنه فى الصلاة لا يحس بما يجرى عليه ؛ فقطع وهو فى الصلاة . وقال بعضهم : الصلاة من الآخرة فإذا دخلت فيها

خرجت من الدنيا وقيل لآخر : هل تحدّث نفسك بشيء من الدنيا فى الصلاة ؟ فقال : لافى الصلاة ولافى غيرها . وسئل بعضهم هل تذكر فى الصلاة شيئا ؟ فقال : وهل شيء أحب إلى من الصلاة فأذكره فيها ؟ وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول : من فقه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله فى الصلاة ليدخل فى الصلاة وقلبه فارغ . وكان بعضهم يخفف الصلاة خيفة الوسواس ، وروى أنّ عمار بن ياسر صلى صلاة فأخفها فقيل له : خففت ياأبا اليقظان فقال : هل رأيتمونى نقصت من حدودها شيئا ؟ قالوا : لا : قال : إنى بادرت سهو الشيطان ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن العبد ليصلى الصلاة لايكتب له نصفها . ولاثلثها ولاربعها ولا خمسها ولاسدسها ولاعشرها » وكان يقول « إنما يكتب للعبد من صلاته ماعقل منها [1] » ويقال إن طلحة والزبير وطائفة من الصحابة رضى الله عنهم كانوا أخف الناس صلاة ، وقالوا نبادر بها وسوسة الشيطان . وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال على المنبر : إنّ الرجل ليشيب عارضاه فى الإسلام وماأكمل لله تعالى صلاة ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لايتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله عز وجل فيها : وسئل أبو العالية عن قوله تعالى (الذين هم عن صلاتهم ساهون) قال هو الذى يسهو فى صلاته فلا يدرى على كم ينصرف أعلى شفع أم على وتر ؟ وقال الحسن : هو الذى يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج وقال بعضهم : هو الذى إنّ صلاها فى أول الوقت لم يفرح وإن أخرها عن الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها خيرا ولا تأخيرها إثما ، واعلم أن الصلاة قد يحسب بعضها ويكتب بعضها دون بعض كما دلت الأخبار عليه وإن كان الفقيه يقول : إن الصلاة فى الصحة لاتتجزأ ، ولكن ذلك له معنى آخر ذكرناه وهذا المعنى دلت عليه الأحاديث إذ ورد جبر نقصان الفرائض بالنوافل [2] وفى الخبر « قال عيسى عليه السلام : يقول الله تعالى بالفرائض نجامنى عبدى وبالنوافل تقرّب إلى عبدى » وقال النبى صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى لاينجو منى عبدى إلا بأداء ماافترضته عليه [3] » وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم ، صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما انفتل قال ماذا قرأت فسكت القوم ؛ فسأل أبى بن كعب رضى الله عنه فقال : قرأت سورة كذا وتركت آية كذا فما ندرى أنسخت أم رفعت ؟ فقال : أنت لها يا أبى ، ثم أقبل على الآخرين فقال : مابال أقوام يحضرون صلاتهم ويتمون صفوفهم ونبيهم بين أيديهم لا يدرون مايتلو عليهم من كتاب ربهم ؟ ألا إن بنى إسرائيل كذا فعلوا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أنّ قل لقومك تحضرونى أبدانكم وتعطونى ألسنتكم وتغيبون عنى بقلوبكم باطل ماتذهبون إليه [4] » وهذا يدل على أن استماع مايقرأ الإمام وفهمه بدل عن قراءة السورة بنفسه : وقال بعضهم إن الرجل يسجد السجدة عنده أنه تقرّب بها إلى الله عز وجل ولو قسمت ذنوبه فى سجدته على أهل مدينته لهلكوا : قيل وكيف يكون ذلك ؟ قال . يكون ساجدا عند الله وقلبه مصغ إلى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه . فهذه صفة الخاشعين . فدلت هذه الحكايات والأخبار مع ماسبق على أن الأصل فى الصلاة الخشوع وحضور القلب وأن مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى فى المعاد والله أعلم . نسأل الله حسن التوفيق

---

(١) حديث « إن عمار بن ياسر صلى فأخفها فقيل له خففت يا أبا اليقظان .. الحديث » وفيه « إن العبد ليصلى صلاة لايكتب له نصفها ولا ثلثها » . إلى آخره » أخرجه أحمد بإسناد صحيح وتقدم المرفوع عنه وهو عند أبى داود والنسائى

(٢) حديث « جبر نقصان الفرائض بالنوافل رواه أصحاب السنن والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة « إن أول مايحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته » وفيه فان انتقص من فرضه شيئا قال الرب عز وجل انظروا هل لعبدى من تطوع . فيكمل بها ما نقص من الفريضة » (٣) حديث « قال الله تعالى لاينجو منى عبدى الا بأداء ما افترضت عليه » لم أجده

(٤) حديث « صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما انفتت قال ماذا قرأت فسكت القوم فسأل أبى بن كعب .. الحديث » رواه محمد بن نصر فى كتاب الصلاة مرسلا وأبو منصور الديلمى من حديث أبى بن كعب ورواه النسائى مختصراً من حديث عبد الرحمن بن أبزى بإسناد صحيح

الباب الرابع فى الإمامة والقدوة

وعلى الإمام وظائف قبل الصلاة وفى القراءة وفى أركان الصلاة وبعد السلام :

أما الوظائف التى هى قبل الصلاة فستة (أولها) أن لايتقدم للإمامة على قوم يكرهونه فإن اختلفوا كان النظر إلى الأكثرين ، فإن كان الأقلون هم أهل الخير والدين فالنظر إليهم أولى وفى الحديث « ثلاثة لاتجاوز صلاتهم رءوسهم : العبد الآبق وامرأة زوجها ساخط عليها وإمام أم قوما وهم له كارهون [1] » وكما ينهى عن تقدمه مع كراهيتهم فكذلك ينهى عن التقدمة إن كان وراءه من هو أفقه منه إلا إذا امتنع من هو أولى منه فله التقدم ، فإن لم يكن شىء من ذلك فليتقدم مهما قدم وعرف من نفسه القيام بشروط الإمامة . ويكره عند ذلك المدافعة فقد قيل إن قوما تدافعوا الإمامة بعد إقامة الصلاة فخسف بهم . وما روى من مدافعة الإمامة بين الصحابة رضى الله عنهم فسببه إيثارهم من رأوه أنه أولى بذلك أو خوفهم على أنفسهم السهو وخطر ضمان صلاتهم ، فإن الأئمة ضمناء وكأن من لم يتعود ذلك ربما يشتغل قلبه ويتشوش عليه الإخلاص فى صلاته حياء من المقتدين لاسيما فى جهره بالقراءة ، فكان لاحتراز من احترز أسباب من هذا الجنس . (الثانية) إذا خير المرء بين الأذان والإمامة فينبغى أن يختار الإمامة فإن لكل واحد منهما فضلا ولكن الجمع مكروه بل ينبغى أن يكون الإمام غير المؤذن ، وإذا تعذر الجمع فالإمامة أولى . وقال قائلون : الأذان أولى لما نقلناه من فضيلة الأذان ولقوله صلى الله عليه وسلم « الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن [2] » فقالوا ، فيها خطر الضمان . وقال صلى الله عليه وسلم « الإمام أمين فإذا ركع فاركعوا وإذا سجد فاسجدوا [3] » وفى الحديث « فإن أتم فله ولهم وإن نقص فعليه لاعليهم [4] » ولأنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين [5] » والمغفرة أولى بالطلب فإن الرشد يراد للمغفرة وفى الخبر « من أم فى مسجد سبع سنين وجبت له الجنة بلاحساب ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب [6] » ولذلك نقل عن الصحابة رضى الله عنهم أنهم كانوا يتدافعون الإمامة : والصحيح أن الإمامة أفضل إذ واظب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما والأئمة بعدهم . نعم فيها خطر الضمان والفضيلة مع الخطر كما أن رتبة الإمارة أفضل لقوله صلى الله عليه وسلم « ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة [7] » ولكن فيها خطر ولذلك وجب تقديم الأفضل

الباب الرابع

(١) حديث « ثلاثة لاتجاوز صلاتهم رءوسهم : العبد الآبق ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أبى أمامه وقال حسن غريب وضعفه البيهقى (٢) حديث « الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن » أخرجه ابو داود والترمذى من حديث أبي هريرة ، وحكى عن ابن المدينى انه لم يثبته ورواه أحمد من حديث أبي أمامة بإسناد حسن (٣) حديث « الامام أمين فاذا ركع فاركعوا .. الحديث » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة دون قوله « الإمام أمين » وهو بهذه الزيادة فى مسند الحميدى وهو متفق عليه من حديث أنس دون هذه الزيادة (٤) حديث « فان أتم فله ولهم وان انتقص فعليه ولا عليهم » أخرجه ابوداود وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث عقبة بن عامر والبخارى من حديث أبي هريرة « يصلون بكم فان أصابوا فلكم وان أخطئوا فلكم وعليهم »

(٥) حديث « اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين » هو بقية حديث « الإمام ضامن » وتقدم قبل بحديثين (٦) حديث « من أذن فى مسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس بالشطر الأول نحوه قال الترمذى حديث غريب (٧) حديث « ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة » أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس بسند حسن بلفظ ستين

والأفقه فقد قال صلى الله عليه وسلم « أئمتكم شفعاؤكم ـ أو قال وفدكم إلى الله ـ فإن أردتم أن تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم[١] » وقال بعض السلف . ليس بعد الأنبياء أفضل من العلماء ولا بعد العلماء أفضل من الأئمة المصلين لأن هؤلاء قاموا بين يدى الله عز وجل وبين خلقه هذا بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدين وهو الصلاة . وبهذه الحجة احتج الصحابة فى تقديم أبى بكر الصديق رضى الله عنه وعنهم للخلافة ، إذ قالوا نظرنا فإذا الصلاة عماد الدين فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا[٢] وما قدموا بلالا احتجاجا بأنه رضيه للأذان[٣] وما روى « أنه قال له رجل : يا رسول الله دلنى على عمل أدخل به الجنة قال : كن مؤذنا ، قال لا أستطيع ، قال : كن إماما ، قال : لا أستطيع ، فقال : صل بازاء الإمام[٤] » فلعله ظن أنه لا يرضى بإمامته إذ الأذان إليه والإمامة إلى الجماعة وتقديمهم له . ثم بعد ذلك توهم أنه ربما يقدر عليها (الثالثة) أن يراعى الإمام أوقات الصلوات فيصلى فى أوائلها ليدرك رضوان الله سبحانه ففضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا[٥] هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الحديث « إن العبد ليصلى الصلاة فى آخر وقتها ولم تفته ، ولما فاته من أول وقتها خير له من الدنيا وما فيها[٦] » ولا ينبغى أن يؤخر الصلاة لانتظار كثرة الجماعة بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة أول الوقت فهى أفضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة . وقد قيل كانوا إذا حضر اثنان فى الجماعة لم ينتظروا الثالث ، وإذا حضر أربعة فى الجنازة لم ينتظروا الخامس « وقد تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر وكانوا فى سفر وإنما تأخر للطهارة فلم ينتظر وقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام يقضيها ، قال : فأشفقنا من ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد أحسنتم هكذا فافعلوا[٧] » وقد تأخر فى صلاة الظهر فقدموا أبا بكر رضى الله عنه حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى الصلاة فقام إلى جانبه[٨] » وليس على الإمام انتظار المؤذن وإنما على المؤذن انتظار الإمام للإقامة فإذا حضر فلا ينتظر غيره (الرابعة) أن يؤم مخلصا لله عز وجل ومؤديا أمانة الله تعالى فى طهارته وجميع شروط صلاته . أما الإخلاص

---

(١) حديث « أئمتكم وفدكم الى الله تعالى فان اردتم ان تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم » اخرجه الدارقطنى والبيهقى وضعف إسناده من حديث ابن عمر والبغوى وابن قانع والطبرانى فى معاجمهم والحاكم من حديث مرثد بن أبى مرثد نحوه وهو منقطع وفيه يحيى بن يحيى الأسلمى وهو ضعيف (٢) حديث « تقديم الصحابة ابا بكر وقولهم اخترنا لدنيانا من اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا » اخرجه ابن شاهين فى شرح مذهب أهل السنة من حديث على قال « لقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلى بالناس وانى شاهد ـ ما أنا بغائب ولا بى مرض ـ فرضينا لدنيانا مارضى به النبى صلى الله عليه وسلم لديننا » والمرفوع منه متفق عليه من حديث عائشة وأبى موسى فى حديث « قال مروا أبا بكر فليصل بالناس » (٣) حديث « تقديم الصحابة بلالا » احتجاجا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيه للاذان أما المرفوع منه فرواه ابو داود والترمذى وصححه وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان من حديث عبد الله بن زيد فى بدء الأذان وفيه « قم مع بلال فألق عليه ما رأيت فيؤذن به .. الحديث » واما تقديمهم له بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم فروى الطبرانى « أن بلالا جاء إلى أبى بكر فقال يا خليفة رسول الله أردت أن أرابط نفسى فى سبيل الله حتى اموت فقال ابو بكر انشدك بالله يابلال وحرمتى وحقى لقد كبرت سنى وضعفت قوتى واقترب اجلى فأقام بلال معه ، فلما توفى ابو بكر جاء عمر فقال له مثل ما قال لأبى بكر فأبى عليه فقال عمر فمن يابلال ، فقال إلى سعد فانه قد اذن بقباء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمر الأذان إلى سعد وعقبة » وفى إسناده جهالة (٤) حديث « قال له رجل يارسول الله دلنى على عمل ادخل به الجنة فقال كن مؤذنا ... الحديث » أخرجه البخارى فى التاريخ والعقيلى فى الضعفاء والطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس باسناد ضعيف (٥) حديث « فضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٦) حديث « إن العبد ليصلى الصلاة فى آخر وقتها ولم تفته .. الحديث » أخرجه الدارقطنى من حديث أبى هريرة نحوه باسناد ضعيف (٧) حديث « تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما عن صلاة الفجر وكان فى سفر وانما تأخر للطهارة فقدموا عبد الرحمن بن عوف .. الحديث » متفق عليه من حديث المغيرة (٨) حديث « تأخر فى صلاة الظهر فقدموا أبا بكر ... الحديث » متفق عليه من حديث سهل بن سعد

فبأن لا يأخذ عليها أجرة فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن أبي العاص الثقفي وقال « اتخذ مؤذنا لا يأخذ على الأذان أجرا [١] » فالأذان طريق إلى الصلاة فهي أولى بأن لا يؤخذ عليها أجر ، فإن أخذ رزقا من مسجد قد وقف على من يقوم بإمامته أو من السلطان أو آحاد الناس فلا يحكم بتحريمه ولكنه مكروه . والكراهية في الفرائض أشد منها في التراويح ، وتكون أجرة له على مداومته على حضور الموضع ومراقبة مصالح المسجد في إقامة الجماعة لا على نفس الصلاة . وأما الأمانة فهي الطهارة باطناً عن الفسق والكبائر والإصرار على الصغائر فالمترشح للإمامة ينبغي أن يحترز عن ذلك بجهده فإنه كالوفد والشفيع للقوم فينبغي أن يكون خير القوم وكذا الطهارة ظاهراً عن الحدث والخبث فإنه لا يطلع عليه سواه ، فإن تذكر في أثناء صلاته حدثا أو خرج منه ريح فلا ينبغي أن يستحي بل يأخذ بيد من يقرب منه ويستخلفه ، فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنابة في أثناء الصلاة فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل في الصلاة [٢] ، وقال سفيان : صل خلف كل بر وفاجر إلا مدمن خمر أو معلن بالفسوق أو عاق لوالديه أو صاحب بدعة أو عبد آبق (الخامسة) أن لا يكبر حتى تستوى الصفوف فليلتفت يميناً وشمالا فإن رأى خللا أمر بالتسوية . قيل كانوا يتحاذون بالمناكب ويتضامون بالكعاب . ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الإقامة . والمؤذن يؤخر الإقامة عن الأذان بقدر استعداد الناس في الصلاة . ففي الخبر « ليتمهل المؤذن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره [٣] » وذلك لأنه نهى عن مدافعة الأخبثين [٤] وأمر بتقديم العشاء على العشاء [٥] طلباً لفراغ القلب (السادسة) أن يرفع صوته بتكبيرة الإحرام وسائر التكبيرات ولا يرفع المأموم صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه . وينوى الإمامة لينال الفضل فإن لم ينو صحت صلاته وصلاة القوم إذا نووا الاقتداء . ونالوا فضل القدوة وهو لا ينال فضل الإمامة ، وليؤخر المأموم تكبيره عن تكبيرة الإمام فيبتدئ بعد فراغه والله أعلم . وأما وظائف القراءة فثلاثة (أولها) أن يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة والسورة بعدها في جميع الصبح وأولي العشاء والمغرب وكذلك المنفرد . ويجهر بقوله « آمين » في الصلاة الجهرية وكذا المأموم ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الإمام معاً لا تعقيبا [٦] ويجهر بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » والأخبار فيه متعارضة [٧] واختيار الشافعي رضي الله عنه الجهر (الثانية) أن يكون للإمام في القيام ثلاث سكتات [٨] هكذا رواه سمرة بن جندب وعمران بن الحصين عن

---

(١) حديث « اتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجرة » أخرجه أصحاب السنن والحاكم وصححه من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي

(٢) حديث « تذكر النبي صلى الله عليه وسلم الجنابة في صلاته فاستخلف واغتسل ثم رجع » أخرجه أبو داود من حديث أبي بكرة بإسناد صحيح وليس فيه ذكر الاستخلاف وإنما قال « ثم أومأ إليهم ان مكانكم .. الحديث » وورد الاستخلاف من فعل عمر وعلي وعند البخاري استخلاف عمر في قصة طعنه (٣) حديث « يمهل المؤذن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره » أخرجه الترمذي والحاكم من حديث جابر « يا بلال اجعل بين أذانك وإقامتك قدر ما يفرغ الآكل من أكله والشارب من شربه والمعتصر إذا دخل لقضاء حاجته » قال الترمذي : إسناده مجهول وقال الحاكم ليس في إسناده مطعون فيه غير عمرو بن قايد . قلت : بل فيه عبد المنعم الدباجي منكر الحديث قاله البخاري وغيره (٤) حديث النهي عن مدافعة الأخبثين أخرجه مسلم من حديث عائشة بلفظ « صلاة » والبيهقي « لا يصلين أحدكم .. الحديث » (٥) « الأمر بتقديم العشاء على العشاء » تقدم من حديث ابن عمر وعائشة « إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء » متفق عليه . (٦) حديث الجهر بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » أخرجه الدارقطني والحاكم وصححه من حديث ابن عباس (٧) حديث « ترك الجهر بها » أخرجه مسلم من حديث أنس « صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلم أسمع أحدا منهم يقرأ ببسم الله الرحمن الرحيم » والنسائي يجهر له « ببسم الله الرحمن الرحيم »

(٨) حديث سمرة بن جندب وعمران بن حصين في سكتات الامام رواه الإمام أحمد من حديث سمرة قال « كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سكتات في صلاته . وقال عمران : أنا أحفظها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبوا في ذلك إلى أبي ابن كعب ؟ فكتب إن سمرة قد حفظ » هكذا وجدته في غير نسخة صحيحة من المسند والمعروف أن عمران أنكر ذلك على سمرة هكذا في غير موضع من المسند رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان ، وروى الترمذي « فأنكر ذلك عمران وقال حفظنا سكتة وقال حديث =

رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أولاهن : إذا كبر وهى الطولى منهن مقدار ما يقرأ من خلفه فاتحة الكتاب وذلك وقت قراءته لدعاء الاستفتاح فإنه إن لم يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه ما نقص من صلاتهم ، فإن لم يقرءوا الفاتحة فى سكوته واشتغلوا بغيرها فذلك علية لاعليهم . السكتة الثانية : إذا فرغ من الفاتحة ليتم من يقرأ الفاتحة فى السكتة الأولى فاتحته وهى كنصف السكتة الأولى . السكتة الثالثة : إذا فرغ من السورة قبل أن يركع وهى أخفها وذلك بقدر ماتنفصل القراءة عن التكبير فقد نهى عن الوصل فيه . ولايقرأ المأموم وراء الإمام إلا الفاتحة فإن لم يسكت الإمام قرأ فاتحة الكتاب معه والمقصر هو الإمام . وإن لم يسمع المأموم فى الجهرية لبعده أوكان فى السرية فلا بأس بقراءة السورة (الوظيفة الثالثة) أن يقرأ فى الصبح سورتين من المثانى مادون المائة فإنّ الإطالة فى قراءة الفجر والتغليس بها سنة ، ولايضره الخروج منها مع الإسفار ، ولا بأس بأن يقرأ فى الثانية بأواخر السور نحو الثلاثين أو العشرين إلى أن يختمها لأنّ ذلك لايتكرّر على الأسماع كثيراً فيكون أبلغ فى الوعظ وأدعى إلى التفكر ، وإنما كره بعض العلماء قراءة بعض أوّل السور وقطعها . وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى إلى ذكر موسى وفرعون قطع فركع [1] وروى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ فى الفجر آية من البقرة [2] وهى قوله ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ﴾ وفى الثانية ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت ﴾ وسمع بلالا يقرأ من ههنا وههنا ؛ فسأله عن ذلك فقال : أخلط الطيب بالطيب ، فقال : أحسنت [3] ويقرأ فى الظهر بطوال المفصل إلى ثلاثين آية وفى العصر بنصف ذلك وفى المغرب بأواخر المفصل . وآخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم : المغرب ؛ قرأ فيها سورة المرسلات ماصلى بعدها حتى قبض [4] . وبالجملة التخفيف أولى لاسيما إذا كثر الجمع قال صلى الله عليه وسلم فى هذه الرخصة « إذا صلى أحدكم بالناسّ فليخفف فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة وإذا صلى لنفسه فليطول ماشاء [5] » وقد كان معاذ بن جبل يصلى بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة وأتم لنفسه ، فقالوا : نافق الرجل ، فتشاكيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجر رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذاً فقال « أفتان أنت يامعاذ اقرأ سورة سبح والسماء والطارق والشمس وضحاها [6] » وأما وظائف الأركان فثلاثة ؛ أولها : أن يخفف الركوع والسجود فلا يزيد فى التسبيحات على ثلاث فقد روى عن أنس أنه قال « مارأيت أخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تمام [7] » نعم روى أيضاً أن أنس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أميراً بالمدينة قال « ماصليت وراء أحد أشبه صلاة بصلاة رسول الله صلى الله عليه

= حسن انتهى وليس فى حديث سمرة إلا سكتتان : ولكن اختلف عنه فى محل الثانية . فروى عنه بعد الفاتحة وروى عنه بعد السورة وقد ارقطنى من حديث أبى هريرة وضعفه « من صلى صلاة مكتوبة مع الإمام فليقرأ بفاتحة الكتاب فى سكتاته »

(١) حديث «قرأ بعض سورة يونس ، فلما انتهى الى ذكر موسى وفرعون قطع وركع» أخرجه مسلم من حديث عبدالله بن السائب وقال : سورة المؤمنين وقال موسى وهارون وعلقه البخارى (٢) حديث قرأ فى الفجر (قولوا آمنا بالله) الآية ، وفى الثانية (ربنا آمنا بما أنزلت) أخرجه مسلم من حديث ابن عباس كان يقرأ فى ركعتى الفجر فى الأولى منها (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا) الآية التى فى البقرة وفى الآخرة منها (آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون) رواه أبو داود من حديث أبى هريرة (قل آمنا بالله وماأنزل علينا) الآية وفى الركعة الآخرة (ربنا آمنا بما أنزلت) أو (إنا أرسلناك بالحق) (٣) حديث «سمع بلالا يقرأ من ههنا ومن ههنا » فسأله عن ذلك فقال أخلط الطيب بالطيب فقال أحسنت » أخرجه أبو داود من حديث أبى هريرة بإسناد صحيح نحوه

(٤) حديث « قراءته فى المغرب بالمرسلات وهى آخر صلاة صلاها » متفق عليه من حديث أم الفضل

(٥) حديث « إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف .. الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة (٦) حديث «صلى معاذ بقوم» العشاء فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة .. الحديث» متفق عليه من حديث جابر وليس فيه ذكر (والسماء والطارق) وهى عند البيهقى

(٧) حديث أنس « ما رأيت أخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تمام » متفق عليه

وسلم من هذا الشاب قال : وكنا نسبح وراءه عشرا عشرا [١] ، وروى مجملا أنهم قالوا «كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الركوع والسجود عشرا عشرا [٢] » وذلك حسن ولكن الثلاث إذا كثر الجمع أحسن . فاذا لم يحضر إلا المتجردون للدين فلا بأس بالعشر ، هذا وجه الجمع بين الروايات . وينبغى أن يقول الإمام عند رفع رأسه من الركوع « سمع الله لمن حمده » الثانية : فى المأموم ؛ ينبغى أن لا يساوى الإمام فى الركوع والسجود بل يتأخر فلا يهوى للسجود إلى إذا وصلت جبهة الإمام إلى المسجد ، هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم [٣] ولا يهوى للركوع حتى يستوى الإمام راكعاً . وقد قيل إن الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام ؛ طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد الإمام : وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساوونه ، وطائفة بلا صلاة وهم الذين يسابقون الإمام . وقد اختلف فى أن الإمام فى الركوع هل ينتظر لحوق من يدخل لينال فضل الجماعة وإدراكهم لتلك الركعة ؟ ولعل الأولى أن ذلك مع الإخلاص لا بأس به إذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فان حقهم مرعى فى ترك التطويل عليهم . الثالثة : لا يزيد فى دعاء التشهد على مقدار التشهد حذرا من التطويل ولا يخص نفسه فى الدعاء بل يأتى بصيغة الجمع فيقول « اللهم اغفر لنا » ولا يقول « اغفر لى » فقد كره الإمام أن يخص نفسه ولا بأس أن يستعيذ فى التشهد بالكلمات الخمس المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول «نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين [٤] » وقيل سمى مسيحاً لأنه يمسح الأرض بطولها وقيل لأنه ممسوح العين أى مطموسها ، وأما وظائف التحلل فثلاثة ، أولها : أن ينوى بالتسليمتين السلام على القوم والملائكة . الثانية : أن يثبت عقيب السلام كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما فيصلى النافلة فى موضع آخر . فإن كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن [٥] وفى الخبر المشهور « أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقعد إلا قدر قوله : اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام [٦] » الثالثة : إذا وثب فينبغى أن يقبل بوجهه على الناس ويكره للمأموم القيام قبل انتقال الامام . فقد روى عن طلحة والزبير رضى الله عنهما أنهما صليا خلف إمام فلما سلما قالا للإمام ما أحسن صلاتك وأتمها إلا شيئا واحداً أنك لما سلمت لم تنفتل بوجهك . ثم قالا للناس : ما أحسن صلاتكم إلا أنكم انصرفتم قبل أن ينفتل إمامكم . ثم ينصرف الإمام حيث شاء من يمينه وشماله واليمين أحب . هذه وظيفة الصلوات ، وأما الصبح فزيد فيها القنوت فيقول الإمام « اللهم اهدنا » ولا يقول اللهم اهدنى ، ويؤمن المأموم فاذا انتهى إلى قوله « إنك تقضى ولا يقضى عليك » فلا يليق به التأمين وهو ثناء ، فيقرأ معه فيقول مثل قوله أو يقول «بلى وأنا على ذلك من الشاهدين » أو « صدقت وبررت » وما أشبه ذلك . وقد روى حديث فى رفع اليدين فى القنوت [٧] فاذا صح

---

(١) حديث أنس « أنه صلى خلف عمر بن عبد العزيز فقال ما صليت وراء أحد أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب . الحديث أخرجه أبو داود والنسائى بإسناد جيد وضعفه ابن القطان (٢) حديث « كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الركوع والسجود عشرا لم أجد له أصلا فى الحديث الذى قبله وفيه « فحزرنا فى ركوعه عشر تسبيحات وفى سجوده عشر تسبيحات »

(٣) حديث « كان الصحابة لا يهوون للسجود إلا إذا وصلت جبهة النبى صلى الله عليه وسلم إلى الأرض » متفق عليه من حديث البراء بن عازب (٤) حديث « التعوذ فى التشهد من عذاب جهنم وعذاب القبر .. الحديث » تقدم وزاد فيه الغزالى هنا « وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين » ولم أجده مقيدا بآخر الصلاة وللترمذى من حديث ابن عباس « وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون » روى الحاكم نحوه من حديث ثوبان وعبد الرحمن بن عايش وصححهما وسيأتى فى الدعاء

(٥) حديث « المكث بعد السلام » أخرجه البخارى من حديث أم سلمة (٦) حديث « أنه لم يكن يقعد إلا بقدر قوله : اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام » أخرجه مسلم من حديث عائشة (٧) حديث « رفع اليدين فى القنوت » أخرجه البيهقى من حديث أنس بسند جيد فى قصة قتل القراء « ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما صلى الغداة رفع يديه » يدعو عليهم

الحديث استحب ذلك وإن كان على خلاف الدعوات فى آخر التشهد إذ لا يرفع بسببها اليد بل التعويل على التوقيف وبينهما أيضا فرق أن للأيدى وظيفة فى التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لهما ههنا ، فلا يبعد أن يكون رفع اليدين هو الوظيفة فى القنوت ، فانه لائق بالدعاء والله أعلم . فهذه جمل آداب القدوة والإمامة والله الموفق .

الباب الخامس : فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها

فضيلة الجمعة

إعلم أن هذا يوم عظيم عظم الله به الإسلام وخصص به المسلمين . قال الله تعالى (إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) لحرم الاشتغال بأمور الدنيا وبكل صارف عن السعى إلى الجمعة . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل فرض عليكم الجمعة فى يومى هذا فى مقامى هذا [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه [2] » وفى لفظ آخر « فقد نبذ الإسلام وراء ظهره [3] » واختلف رجل إلى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة ، فقال : فى النار ، فلم يزل يتردد اليه شهراً يسأله عن ذلك وهو يقول فى النار وفى الخبر : إن أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله تعالى له وأخره لهذه الأمة وجعله عيداً لهم فهم أولى الناس به سبقا وأهل الكتابين لهم تبع [4] . وفى حديث أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « أتانى جبريل عليه السلام فى كفه مرآة بيضاء وقال : هذه الجمعة يفرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولأمتك من بعدك . قلت : فما لنا فيها ؟ قال : لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير قسم له أعطاه الله سبحانه إياه أو ليس له قسم ذخر له ما هو أعظم منه ؛ أو تعوذ من شر مكتوب عليه إلا أعاذه الله عز وجل من أعظم منه وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه فى الآخرة يوم المزيد ، قلت : ولم ؟ قال : إن ربك عز وجل اتخذ فى الجنة وادياً أفيح من المسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة نزل تعالى من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى ينظروا إلى وجهه الكريم [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط إلى الأرض وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة ، وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميه الملائكة فى السماء وهو يوم النظر إلى الله تعالى فى الجنة [6] » وفى الخبر « إن لله عز وجل فى كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار [7] » وفى حديث أنس رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم

الباب الخامس

(١) حديث « إن الله فرض عليكم الجمعة فى يومى هذا .. الحديث » أخرجه ابن ماجه من حديث جابر بإسناد ضعيف

(٢) حديث « من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه » أخرجه أحمد واللفظ له وأصحاب السنن ورواه الحاكم وصححه من حديث أبى الجعد الضمرى (٣) حديث « من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر فقد نبذ الإسلام وراء ظهره » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس (٤) حديث « إن أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه .. الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة بنحوه

(٥) حديث أنس « أتانى جبريل فى كفه مرآة بيضاء فقال هذه الجمعة .. الحديث » أخرجه الشافعى فى المسند والطبرانى فى الأوسط وابن مردويه فى التفسير بأسانيد ضعيفة مع اختلاف (٦) حديث « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة .. الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة (٧) حديث « إن لله فى كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار » أخرجه ابن عدى وابن حبان فى الضعفاء وفى الشعب من حديث أنس قال الدارقطنى فى العلل والحديث غير ثابت

قال « إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام[1] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ الجحيم تسعر فى كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس فى كبد السماء فلا تصلوا فى هذه الساعة إلا يوم الجمعة فانه صلاة كله وإن جهنم لاتسعر فيه[2] » وقال كعب : إن الله عز وجل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة ومن الليالى ليلة القدر ويقال إن الطير والهوام يلقى بعضها بعضا فى يوم الجمعة فتقول : سلام سلام يوم صالح وقال صلى الله عليه وسلم « من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر[3] » .

بيان شروط الجمعة

اعلم أنها تشارك جميع الصلوات فى الشروط وتتميز عنها بستة شروط (الأول) الوقت : فان وقعت تسليمة الإمام فى وقت العصر فاتت الجمعة وعليه أن يتمها ظهرا أربعا ، والمسبوق إذا وقعت ركعته الأخيرة خارجا من الوقت ففيه خلاف (الثانى) المكان : فلا تصح فى الصحارى والبرارى وبين الخيام بل لا بد من بقعة جامعة لأبنية لا تنقل بجمع أربعين ممن تلزمهم الجمعة والقرية فيه كالبلد ، ولا يشترط فيه حضور السلطان ولا إذنه ولكن الأحب استئذانه (الثالث) العدد : فلا تنعقد بأقل من أربعين ذكوراً مكلفين أحراراً مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفا ، فان انفضوا حتى نقص العدد إما فى الخطبة أو فى الصلاة لم تصح الجمعة بل لابد منهم من الأول إلى الآخر (الرابع) الجماعة : فلو صلى أربعون فى قرية أو فى بلد متفرقين لم تصح جمعتهم . ولكن المسبوق إذا أدرك الركعة الثانية جاز له الانفراد بالركعة الثانية . وإن لم يدرك ركوع الركعة الثانية اقتدى ونوى الظهر وإذا سلم الإمام تمها ظهرا (الخامس) أن لاتكون الجمعة مسبوقة بأخرى فى ذلك البلد . فان تعذر اجتماعهم فى جامع واحد جاز فى جامعين وثلاثة وأربعة بقدر الحاجة . وإن لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التى يقع بها التحريم أولا . وإذا تحققت الحاجة فالأفضل الصلاة خلف الأفضل من الإمامين ، فان تساويا فالمسجد الأقدم ، فإن تساويا ففى الأقرب ، ولكثرة الناس أيضا فضل يراعى (السادس) الخطبتان : فهما فريضتان والقيام فيهما فريضة والجلسة بينهما فريضة . وفى الأولى أربع فرائض : التحميد وأقله الحمد لله . والثانية : الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . والثالثة : الوصية بتقوى الله سبحانه وتعالى والرابعة : قراءة آية من القرآن . وكذا فرائض الثانية أربعة إلا أنه يجب فيها الدعاء بدل القراءة . واستماع الخطبتين واجب من الأربعين . وأما السنن : فإذا زالت الشمس وأذن المؤذن وجلس الإمام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية ، والكلام لاينقطع إلا بافتتاح الخطبة . ويسلم الخطيب على الناس إذا أقبل عليهم بوجهه ويردون عليه السلام فإذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه لا يلتفت يمينا ولا شمالا ويشغل يديه بقائم السيف أو العنزة والمنبر كى لا يعبث بهما أو يضع إحداهما على الأخرى . ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة . ولا يستعمل غريب اللغة ولا يمطط ولا يتغنى . وتكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة . ويستحب أن يقرأ آية فى الثانية أيضاً . ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فإن سلم لم يستحق جواباً ، والإشارة بالجواب حسن ، ولا يشمت العاطسين أيضا . هذه شروط الصحة . فأما شروط الوجوب : فلا تجب الجمعة إلا على ذكر بالغ عاقل مسلم حر مقيم فى قرية تشتمل على أربعين جامعين

---

(١) حديث أنس « إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام » أخرجه ابن حبان فى الضعفاء وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب من حديث عائشة ولم أجده من حديث أنس (٢) حديث « إن الجحيم تسعر كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس — إلى أن قال — إلا يوم الجمعة .. الحديث » أخرجه أبو داود من حديث أبى قتادة وأعله بالانقطاع (٣) حديث « من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر » أخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث جابر روى الزندى نحوه مختصراً من حديث عبد الله بن عمر وقال غريب ليس إسناده بمتصل . قلت . وصله الترمذى الحكيم فى النوادر

لهذه الصفات ، أو فى قرية من سواد البلد يبلغها نداء البلد من طرف بابها والأصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى (إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) ويرخص لهؤلاء فى ترك الجمعة لعذر المطر والوحل والفزع والمرض والتمريض إذا لم يكن للمريض قيم غيره . ثم يستحب لهم - أعنى أصحاب الأعذار - تأخير الظهر إلى أن يفرغ الناس من الجمعة ، فان حضر الجمعة مريض أو مسافر أو عبد أو امرأة صحت جمعتهم وأجزأت عن الظهر والله أعلم

بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة وهى عشر جمل

(الأول) أن يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد العصر يوم الخميس لأنها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة فى يوم الجمعة . قال بعض السلف : إنّ لله عز وجل فضلا سوى أرزاق العباد لا يعطى من ذلك الفضل إلا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة ، ويغسل فى هذا اليوم ثيابه ويبيضها ويعد الطيب إن لم يكن عنده ، ويفرغ قلبه من الأشغال التى تمنعه من البكور إلى الجمعة ، وينوى فى هذه الليلة صوم يوم الجمعة فإن له فضلا وليكن مضموما إلى يوم الخميس أو السبت - لا مفردا فإنه مكروه - ويشتغل بإحياء هذه الليلة بالصلاة وختم القرآن فلها فضل كثير وينسحب عليها فضل يوم الجمعة . ويجامع أهله فى هذه الليلة أو فى يوم الجمعة فقد استحب ذلك قوم حملوا عليه قوله صلى الله عليه وسلم « رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل [1] » وهو حمل الأهل على الغسل . وقيل معناه غسل ثيابه - فروى بالتخفيف - واغتسل لجسده . وبهذا تتم آداب الاستقبال ويخرج من زمرة الغافلين الذين إذا أصبحوا قالوا ما هذا اليوم؟ قال بعض السلف : أوفى الناس نصيبا من الجمعة من انتظرها ورعاها من الأمس ، وأخفهم نصيبا من إذا أصبح يقول : أيش اليوم ؟ وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة فى الجامع لأجلها (الثانى) إذا أصبح ابتدأ بالغسل بعد طلوع الفجر ، وإن كان لا يبكر فأقربه إلى الرواح أحب ليكون أقرب عهدا بالنظافة ، فالغسل مستحب استحبابا مؤكدا ، وذهب بعض العلماء إلى وجوبه قال صلى الله عليه وسلم « غسل الجمعة واجب على كل محتلم [2] » والمشهور من حديث نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما « من أتى الجمعة فليغتسل [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل [4] » وكان أهل المدينة إذا تساب المتسابان يقول أحدهما للآخر : لأنت أشر ممن لا يغتسل يوم الجمعة . وقال عمر لعثمان رضى الله عنهما لما دخل وهو يخطب « أهذه الساعة ؟ - منكراً عليه ترك البكور - فقال : ما زدت بعد أن سمعت الأذان على أن توضأت وخرجت فقال : والوضوء أيضا : وقد علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا بالغسل [5] » وقد عرف جواز ترك الغسل بوضوء عثمان رضى الله تعالى عنه وبما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال « من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل [6] » ومن اغتسل للجنابة فليفض الماء على بدنه مرة أخرى

---

(١) حديث « رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل ... الحديث » رواه أصحاب السنن وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أوس بن أوس « من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر .. الحديث » وحسنه الترمذى

(٢) حديث « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم » متفق عليه من حديث أبى سعيد (٣) حديث نافع عن ابن عمر « من أتى الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل » متفق عليه وهذا لفظ ابن حبان (٤) حديث « من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا » أخرجه ابن حبان والبيهقى من حديث ابن عمر (٥) حديث « قال عمر لعثمان لما دخل وهو يخطب : أهذه الساعة .. الحديث - الى أن قال - والوضوء أيضا وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل » متفق عليه من حديث أبى هريرة ولم يسم البخارى عثمان (٦) حديث « من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ... الحديث » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه ورواه النسائى من حديث سمرة

على نية غسل الجمعة ، فإن اكتفى بغسل واحد أجزأه وحصل له الفضل إذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة فى غسل الجنابة . وقد دخل بعض الصحابة على ولده وقد اغتسل فقال له : أللجمعة ؟ فقال : بل عن الجنابة ، فقال : أعد غسلا ثانيا ، وروى الحديث فى غسل الجمعة على كل محتلم . وإنما أمره به لأنه لم يكن نواه . وكان لا يبعد أن يقال المقصود النظافة وقد حصلت دون النية ، ولكن هذا ينقدح فى الوضوء أيضا وقد جعل فى الشرع قربة فلا بد من طلب فضلها . ومن اغتسل ثم أحدث توضأ ولم يبطل غسله والأحب أن يحترز عن ذلك (الثالثة) الزينة ، وهى مستحبة فى هذا اليوم وهى ثلاثة : الكسوة والنظافة وتطييب الرائحة . أما النظافة فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقص الشارب وسائر ما سبق فى كتاب الطهارة . قال ابن مسعود : من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله عز وجل منه داء وأدخل فيه شفاء ، فإن كان قد دخل الحمام فى الخميس أو الأربعاء فقد حصل المقصود . فليتطيب فى هذا اليوم بأطيب طيب عنده ليغلب بها الروائح الكريهة ويوصل بها الروح والرائحة إلى مشام الحاضرين فى جواره ، وأحب طيب الرجال ماظهر ريحه وخفى لونه وطيب النساء ماظهر لونه وخفى ريحه[1] ، وروى ذلك فى الأثر . وقال الشافعى رضى الله عنه : من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله . وأما الكسوة فأحبها البياض من الثياب ـ إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البيض ـ ولا يلبس ما فيه شهرة . ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل بل كره جماعة النظر إليه لأنه بدعة محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمامة مستحبة فى هذا اليوم . وروى واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال إن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة[2] ، فإن أكربه الحر فلا بأس بنزعها قبل الصلاة وبعدها ولكن لا ينزع فى وقت السعى من المنزل إلى الجمعة ولا فى وقت الصلاة ولا عند صعود الإمام المنبر وفى خطبته (الرابع) البكور إلى الجامع : ويستحب أن يقصد الجامع من فرسخين وثلاث وليبكر . ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وفضل البكور عظيم . وينبغى أن يكون فى سعيه إلى الجمعة خاشعاً متواضعاً ناويا للاعتكاف فى المسجد إلى وقت الصلاة قاصداً للمبادرة إلى جواب نداء الله عز وجل إلى الجمعة إياه . والمسارعة إلى مغفرته ورضوانه وقد قال صلى الله عليه وسلم ، من راح إلى الجمعة فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة فإذا خرج الإمام طويت الصحف ورفعت الأقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فإنما جاء لحق الصلاة ليس له من الفضل شىء[3] ، والساعة الأولى إلى طلوع الشمس ؛ والثانية إلى ارتفاعها ، والثالثة إلى انبساطها حين ترمض الأقدام ، والرابعة والخامسة بعد الضحى الأعلى إلى الزوال وفضلها قليل ؛ ووقت الزوال حق الصلاة ولا فضل فيه . وقال صلى الله عليه وسلم ، ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا ركض الإبل فى طلبهن ؛ الأذان والصف الأول والغدو إلى الجمعة[4] ، وقال أحمد بن حنبل رضى الله عنه : أفضلهن الغدو إلى الجمعة . وفى الخبر

---

(١) حديث « طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفى لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه والنسائى من حديث أبى هريرة (٢) حديث واثلة بن الأسقع «إن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة» أخرجه الطبرانى وعدى ، وقال منكر من حديث أبى الدرداء ولم أره من حديث واثلة (٣) حديث « من راح الى الجمعة فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة .. الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة وأنس وفيه « ورفعت الأقلام» وهذه اللفظة عند البيهقى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٤) حديث « ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا ركض الإبل فى طلبهن : الأذان والصف الأول والغدو إلى الجمعة » أخرجه أبو الشيخ فى ثواب الأعمال من حديث أبى هريرة « ثلاث لو يعلم الناس مافيهن ما أخذتهن الا بالاستهام عليهن حرصا على ما فيهن من الخير والبركة .. الحديث » قال « والتهجير الى الجمعة » وفى الصحيحين من حديثه « لو يعلم الناس مافى النداء والصف الأول ثم لم يجدوا الا أن يستهموا لاستهموا ولو يعلمون مافى التهجير لاستبقوا اليه .

« إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المساجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأول فالأول على مراتبهم[١] » وجاء فى الخبر « إنّ الملائكة يتفقدون الرجل إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه : ما فعل فلان وما الذى أخره عن وقته ؟ فيقولون : اللهم إن كان أخره فقر فأغنه وإن كان أخره مرض فاشفه وإن كان أخره شغل ففرّغه لعبادتك وإن كان أخره لهو فأقبل بقلبه إلى طاعتك[٢] » وكان يرى فى القرن الأول سحراً وبعد الفجر الطرقات مملوءة من الناس يمشون فى السرج ويزدحمون بها إلى الجامع كأيام العيد حتى اندرس ذلك فقيل : أوّل بدعة حدثت فى الإسلام ترك البكور إلى الجامع . وكيف لايستحى المسلمون من اليهود والنصارى وهم يبكرون إلى البيع والكنائس يوم السبت والأحد ؟ وطلاب الدنيا كيف يبكرون إلى رحاب الأسواق للبيع والشراء والربح فلم لا يسابقهم طلاب الآخرة ؟ ويقال : إنّ الناس يكونون فى قربهم عند النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى على قدر بكورهم إلى الجمعة . ودخل ابن مسعود رضى الله عنه بكرة الجامع فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتم لذلك وجعل يقول فى نفسه معاتبا لها . رابع أربعة : وما رابع أربعة من البكور ببعيد

(الخامس) فى هيئة الدخول : ينبغى أن لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين أيديهم والبكور يسهل ذلك عليه فقد ورد وعيد شديد فى تخطى الرقاب وهو أنه يجعل جسرا يوم القيامة يتخطاه الناس[٣] » وروى ابن جريج مرسلا « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب يوم الجمعة إذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبى صلى الله عليه وسلم صلاته عارض الرجل حتى لقيه فقال : يافلان مامنعك أن تجمع اليوم معنا ؟ قال : يانبى الله قد جمعت معكم : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ألم ترك تتخطى رقاب الناس[٤] » أشار به إلى أنه أحبط عمله . وفى حديث مسند أنه قال « ما منعك أن تصلى معنا ؟ قال : أو لم ترنى يارسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : رأيتك تأنيت وآذيت[٥] » أى تأخرت عن البكور وآذيت الحضور . ومهما كان الصف الأول متروكا خاليا فله أن يتخطى رقاب الناس لأنهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة . قال الحسن : تخطوا رقاب الناس الذين يقعدون على أبواب الجوامع يوم الجمعة فإنه لا حرمة لهم . وإذا لم يكن فى المسجد إلا من يصلى فينبغى أن لا يسلم لأنه تكليف جواب فى غير محله (السادس) أن لا يمرّ بين يدى الناس ويجلس حيث هو إلى قرب أسطوانة أو حائط حتى لا يمرون بين يديه أعنى بين يدى المصلى فإن ذلك لا يقطع الصلاة ولكنه منهى عنه قال صلى الله عليه وسلم « لأن يقف أربعين عاما خير له من أن يمر بين يدى المصلى[٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « لأن يكون الرجل رمادا أو رميما

---

(١) حديث « إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب .. الحديث » أخرجه ابن مردويه فى التفسير من حديث على بإسناد ضعيف « إذا كان يوم الجمعة نزل جبريل فركز لواء بالمسجد الحرام وغدا سائر الملائكة الى المساجد التى يجمع فيها يوم الجمعة فركزوا ألويتهم وراياتهم بباب المساجد ثم نشروا قراطيس من فضة وأقلاما من ذهب

(٢) حديث « إن الملائكة يفتقدون العبد إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا ما فعل فلان » أخرجه البيهقى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مع زيادة ونقص بإسناد حسن . واعلم أن المصنف ذكر هذا فان لم يرد به حديثا مرفوعا فليس من شرطنا وإنما ذكرناه احتياطا (٣) حديث « من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا الى جهنم » أخرجه الترمذى وضعفه وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس (٤) حديث ابن جريج مرسلا أن النبى صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب إذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس . الحديث وفيه مامنعك أن تجمع معنا اليوم » أخرجه ابن المبارك فى الرقائق (٥) حديث « مامنعك أن تصلى معنا فقال أو لم ترنى قال رأيتك آنيت وآذيت » أخرجه أبو داود والنسائى وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن بسر مختصرا

(٦) حديث « لأن يقف أربعين سنة خير له من أن يمر بين يدى المصلى » أخرجه البزار من حديث زيد بن خالد وفى الصحيحين من حديث أبى جهم « أن يقف أربعين » قال أبو النضر : لا أدرى « أربعين يوما أو شهرا أو سنة » رواه أبو داود وابن حبان من حديث أبى هريرة « مائة عام »

تذروه الرياح خير من أن يمر بين يدى المصلى[1] » وقد روى فى حديث آخر فى المار والمصلى حيث صلى على الطريق أو قصر فى الدفع فقال « لو يعلم المار بين يدى المصلى والمصلى ما عليهما فى ذلك لكان أن يقف أربعين سنة خيراً له من أن يمر بين يديه[2] » والأسطوانة والحائط والمصلى المفروش حد للمصلى فمن اجتاز به فينبغى أن يدفعه قال صلى الله عليه وسلم « ليدفعه فإن أبى فليدفعه فإن أبى فليقاتله فإنه شيطان[3] » وكان أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه ، فربما تعلق به الرجل فاستعدى عليه عند مروان فيخبره أن النبى صلى الله عليه وسلم أمره بذلك . فإن لم يجد أسطوانة فلينصب بين يديه شيئا طوله قدر ذراع ليكون ذلك علامة لحده (السابع) أن يطلب الصف الأول فإن فضله كثير كما رويناه وفى الحديث « من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع كان ذلك له كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام[4] » وفى لفظ آخر « غفر الله له إلى الجمعة الأخرى » وقد اشترط فى بعضها « ولم يتخط رقاب الناس[5] » ولا يغفل فى طلب الصف الأول عن ثلاثة أمور ، أولها : أنه إذا كان يرى بقرب الخطيب منكرا يعجز عن تغييره - من لبس حرير من الإمام أو غيره أو صلى فى سلاح كثير ثقيل شاغل أو سلاح مذهب أو غير ذلك - مما يجب فيه الإنكار فالتأخر له أسلم وأجمع للهم ، فعل ذلك جماعة من العلماء طلبا للسلامة . قيل لبشر بن الحرث : نراك تبكر وتصلى فى آخر الصفوف ، فقال : إنما يراد قرب القلوب لا قرب الأجساد . وأشار به إلى أن ذلك أقرب لسلامة قلبه . ونظر سفيان الثورى إلى شعيب بن حرب عند المنبر يسمع إلى الخطبة من أبى جعفر المنصور فلما فرغ من الصلاة قال : شغل قلبى قربك من هذا هل أمنت أن تسمع كلاما يجب عليك إنكاره فلا تقوم به ؟ ثم ذكر ما أحدثوا من لبس السواد فقال : يا أبا عبد الله أليس فى الخبر « أدن واستمع[6] » فقال : ويحك ذاك للخلفاء الراشدين المهديين ، فأما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر اليهم كان أقرب إلى الله عز وجل . وقال سعيد بن عامر « صليت إلى جنب أبى الدرداء فجعل يتأخر فى الصفوف حتى كنا فى آخر صف ؛ فلما صلينا قلت له : أليس يقال خير الصفوف أولها ؟ قال : نعم إلا أن هذه الأمة مرحومة منظور اليها من بين الأمم[7] فإن الله تعالى إذا نظر إلى عبد فى الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس فإنما تأخرت رجاء أن يغفر لى بواحد منهم ينظر الله اليه . وروى بعض الرواة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك ، فمن تأخر على هذه النية إيثارا وإظهارا لحسن الخلق فلا بأس ، وعند هذا يقال « الأعمال بالنيات » ثانيها : إن لم تكن مقصورة عند الخطيب مقتطعة عن المسجد للسلاطين فالصف الأول محبوب وإلا فقد كره بعض العلماء دخول المقصورة . كان الحسن وبكر المزنى لا يصليان فى المقصورة ورأيا أنها قصرت على السلاطين وهى بدعة أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المساجد . والمسجد مطلق لجميع الناس وقد اقتطع ذلك على خلافه . وصلى أنس بن مالك

---

(١) حديث « لأن يكون الرجل رمادا تذروه الرياح خيراً له من أن يمر بين يدى المصلى » أخرجه أبو نعيم فى تاريخ أصبهان وابن عبد البر فى التمهيد موقوفا على عبد الله بن عمر وزاد « متعمدا » (٢) حديث « لو يعلم المار بين يدى المصلى والمصلى ما عليهما فى ذلك .. الحديث » رواه هكذا أبو العباس محمد بن يحيى السراج فى مسنده من حديث زيد بن خالد باسناد صحيح

(٣) حديث أبى سعيد « فليدفعه فان أبى فليقاتله فانما هو شيطان » متفق عليه (٤) حديث « من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الإمام واستمع .. الحديث » أخرجه الحاكم من حديث أوس بن أوس وأصله عند أصحاب السنن

(٥) حديث « أنه اشترط فى بعضها ولم يتخط رقاب الناس » أخرجه أبو داود وابن حبان والحاكم من حديث أبى سعيد وأبى هريرة وقال صحيح على شرط مسلم (٦) حديث « ادن فاستمع » أخرجه أبو داود من حديث سمرة « احضروا الذكر وادنوا من الإمام » وتقدم بلفظ « من هجر ودنا واستمع » وهو عند أصحاب السنن من حديث شداد

(٧) حديث أبى الدرداء « إن هذه الامة مرحومة منظور اليها من بين الأمم وان الله إذا نظر الى عبد فى الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس » لم أجده

وعمران بن حصين فى المقصورة ولم يكرها ذلك لطلب القرب . ولعل الكراهية تختص بحالة التخصيص والمنع فأما مجرد المقصورة إذا لم يكن منع فلا يوجد كراهة وثالثها: أن المنبر يقطع بعض الصفوف وإنما الصف الأول الواحد المتصل الذى فى فناء المنبر وما على طرفيه مقطوع . وكان الثورى يقول : الصف الأول هو الخارج بين يدى المنبر وهو متجه لانه متصل ولأن الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع منه . ولا يبعد أن يقال الأقرب إلى القبلة هو الصف الأول ولا يراعى هذا المعنى . وتكره الصلاة فى الأسواق والرحاب الخارجة عن المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب (الثامن) أن يقطع الصلاة عند خروج الإمام ويقطع الكلام أيضا بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة . وقد جرت عادة بعض العوام بالسجود عند قيام المؤذنين ولم يثبت له أصل فى أثر ولا خبر ، ولكنه إن وافق سجود تلاوة فلا بأس بها للدعاء لأنه وقت فاضل : ولا يحكم بتحريم هذا السجود فإنه لاسبب لتحريمه ، وقد روى عن على وعثمان رضى الله عنهما أنهما قالا: من استمع وأنصت فله أجران ومن لم يستمع وأنصت فله أجر ومن سمع ولغا فعليه وزران ومن لم يستمع ولغا فعليه وزر واحد . وقال صلى الله عليه وسلم « من قال لصاحبه والإمام يخطب أنصت أو مه فقد لغا ومن لغا والإمام يخطب فلا جمعة له [1] » وهذا يدل على أن الإسكات ينبغى أن يكون بإشارة أو رمى حصاة لا بالنطق . وفى حديث أبى ذر « أنه لما سأل أبيا والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب فقال : متى أنزلت هذه السورة ؟ فأومأ اليه أن أسكت : فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أبى : اذهب فلا جمعة لك ، فشكاه أبو ذر إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : صدق أبى [2] » وإن كان بعيدا من الإمام فلا ينبغى أن يتكلم فى العلم وغيره بل يسكت لأن كل ذلك يتسلل ويفضى إلى هينمة حتى ينتهى إلى المستمعين ولا يجلس فى حلقة من يتكلم فمن عجز عن الاستماع بالبعد فلينصت فهو المستحب . وإذا كان تكره الصلاة فى وقت خطبة الإمام فالكلام أولى بالكراهية . وقال على كرم الله وجهه : تكره الصلاة فى أربع ساعات ؛ بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلاة والإمام يخطب (التاسع) أن يراعى فى قدوة الجمعة ماذكرناه فى غيرها فاذا سمع قراءة الامام لم يقرأ سوى الفاتحة . فإذا فرغ من الجمعة قرأ « الحمد لله » سبع مرات قبل أن يتكلم « وقل هو الله أحد والمعوذتين » سبعا سبعا وروى بعض السلف أن من فعله عصم من الجمعة إلى الجمعة وكان حرزا له من الشيطان ويستحب أن يقول بعد الجمعة « اللهم ياغنى ياحميد يامبدئ يامعيد يارحيم ياودود أغننى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك » يقال من داوم على هذا الدعاء أغناه الله سبحانه عن خلقه ورزقه من حيث لايحتسب ، ثم يصلى بعد الجمعة ست ركعات ، فقد روى ابن عمر رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى بعد الجمعة ركعتين [3] ، وروى أبو هريرة أربعا [4] ، وروى على وعبد الله ابن عباس رضى الله عنهم ستا [5] والكل صحيح فى أحوال مختلفة ، والأكمل أفضل

---

(١) حديث « من قال لصاحبه والإمام يخطب أنصت فقد لغا ومن لغا لا جمعة له » أخرجه الترمذى والنسائى عن أبى هريرة روى الترمذى قوله « ومن لغا فلا جمعة له » قال الترمذى حديث حسن صحيح وهو فى الصحيحين بلفظ « إذا قلت لصاحبك » أخرجه أبو داود من حديث على « من قال صه فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له » (٢) حديث أبى ذر « لما سأل أبيا والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب وقال متى أنزلت هذه السورة .. الحديث » أخرجه البيهقى وقال فى المعرفة إسناده صحيح أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث أبى بن كعب بسند صحيح أن السائل له أبو الدرداء وأبو ذر ولأحمد من حديث أبى الدرداء أنه سأل أبيا ولابن حبان من حديث جابر أن السائل عبد الله بن مسعود ولأبى يعلى من حديث جابر قال «قال سعد بن أبى وقاص لرجل: لاجمعة لك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لم ياسعد فقال لأنه كان يتكلم وأنت تخطب فقال صدق سعد »

(٣) حديث ابن عمر فى الركعتين بعد الجمعة متفق عليه (٤) حديث أبى هريرة فى الأربع ركعات بعد الجمعة أخرجه مسلم « إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعا » (٥) حديث على وعبد الله فى صلاة ست ركعات بعد الجمعة أخرجه البيهقى مرفوعا عن على وله موقوفا على ابن مسعود أربعا وأبو داود من حديث ابن عمر : كان إذا كان بمكة صلى بعد الجمعة ستا

(العاشر) أن يلازم المسجد حتى يصلى العصر فإن أقام إلى المغرب فهو الأفضل . يقال من صلى العصر فى الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى المغرب فله ثواب حجة وعمرة فإن لم يأمن التصبع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق إلى اعتكافه أو خاف الخوض فيما لا يعنى فالأفضل أن يرجع إلى بيته ذاكرا الله عز وجل مفكرا فى آلائه شاكرا الله تعالى على توفيقه خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه إلى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة . ولا ينبغى أن يتكلم فى الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا قال صلى الله عليه وسلم « يأتى على الناس زمان يكون حديثهم فى مساجدهم أمر دنياهم ليس لله تعالى فيهم حاجة فلا تجالسوهم [1] » .

بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذى يعم جميع النهار وهى سبعة أمور

(الأول) أن يحضر مجالس العلم بكرة أو بعد العصر ولا يحضر مجالس القصاص فلا خير فى كلامهم . ولا ينبغى أن يخلو المريد فى جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو فى خير ولا ينبغى أن يحضر الحلق قبل الصلاة . وروى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما « أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة [2] » إلا أن يكون عالما بالله يذكر بأيام الله ويفقه فى دين الله يتكلم فى الجامع بالغداة فيجلس إليه فيكون جامعا بين البكور وبين الاستماع . واستماع العلم النافع فى الآخرة أفضل من اشتغاله بالنوافل فقد روى أبو ذر « إن حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة [3] » قال أنس بن مالك فى قوله تعالى ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ أما إنه ليس بطلب دنيا لكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة أخ فى الله عز وجل . وقد سمى الله عز وجل العلم فضلا فى مواضع قال تعالى ﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ وقال تعالى ﴿ ولقد آتينا داود منا فضلا ﴾ يعنى العلم فتعلم العلم فى هذا اليوم وتعليمه من أفضل القربات . والصلاة أفضل من مجالس القصاص إذ كانوا يرونه بدعة ويخرجون القصاص من الجامع : بكر ابن عمر رضى الله عنهما إلى مجلسه فى المسجد الجامع فإذا قاص فى موضعه فقال : قم عن مجلسى ! فقال : لا أقوم وقد جلست وسبقتك إليه ، فأرسل ابن عمر إلى صاحب الشرطة فأقامه . فلو كان ذلك من السنة لما جازت إقامته فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يقيمن أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا [4] » ، وكان ابن عمر إذا قام الرجل له من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود إليه . وروى أن قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة رضى الله عنها فأرسلت إلى ابن عمر : إن هذا قد آذانى بقصصه وشغلنى عن سبحتى ، فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده (الثانى) أن يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة ففى الخبر المشهور « إن فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها شيئا إلا أعطاه [5] » ، وفى خبر آخر « لا يصادفها عبد يصلى [6] » ، واختلف فيها فقيل إنها عند طلوع الشمس وقيل عند الزوال وقيل مع الأذان وقيل إذا صعد الإمام المنبر وأخذ فى الخطبة وقيل إذا قام

---

(١) حديث « يأتى على أمتى زمن يكون حديثهم فى مساجدهم أمر دنياهم ... الحديث » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث الحسن مرسلا وأسنده الحاكم من حديث أنس وصحح إسناده وأخرج ابن حبان نحوه من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

(٢) حديث « عبد الله بن عمر فى النهى عن التحلق يوم الجمعة » أخرجه أبو داود والنسائى ورواه ابن ماجه من رواية عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده من حديث ابن عمر (٣) حديث أبى ذر « حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة » تقدم فى العلم (٤) حديث « لا يقيمن أحدكم أخاه من مجلسه .. الحديث » متفق عليه من حديث ابن عمر (٥) حديث « إن فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث عمرو بن عوف المزنى .

(٦) حديث « لا يصادفها عبد مصلى » متفق عليه من حديث أبى هريرة

الناس إلى الصلاة وقيل آخر وقت العصر - أعنى وقت الاختيار - وقيل قبل غروب الشمس ، وكانت فاطمة رضى الله عنها تراعى ذلك الوقت وتأمر خادمتها أن تنظر إلى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ فى الدعاء والاستغفار إلى أن تغرب الشمس ، وتخبر بأن تلك الساعة هى المنتظرة وتؤثره عن أبيها صلى الله عليه وسلم وعليها [1] ، وقال بعض العلماء : هى مبهمة فى جميع اليوم مثل ليلة القدر تتوفر الدواعى على مراقبتها . وقيل إنها تنتقل فى ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا هو الأشبه ، وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره ولكن ينبغى أن يصدق بما قال صلى الله عليه وسلم « إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها [2] » ويوم الجمعة من جملة تلك الأيام فينبغى أن يكون العبد فى جميع نهاره متعرضا لها بإحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع عن وساوس الدنيا فعساه يحظى بشىء من تلك النفحات . وقد قال كعب الأحبار : إنها فى آخر ساعة من يوم الجمعة وذلك عند الغروب ، فقال أبو هريرة : وكيف تكون آخر ساعة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلى ولات حين صلاة ! فقال كعب : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد ينتظر الصلاة فهو فى الصلاة [3] قال : بلى ، قال : فذلك صلاة ؟ فسكت أبو هريرة . وكان كعب مائلا إلى أنها رحمة من الله سبحانه للقائمين بحق هذا اليوم وأوان إرسالها عند الفراغ من تمام العمل . وبالجملة هذا وقت شريف مع وقت صعود الإمام المنبر فليكثر الدعاء فيهما (الثالث) يستحب أن يكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا اليوم فقد قال صلى الله عليه وسلم « من صلى على فى يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يارسول الله كيف الصلاة عليك ؟ قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى ، وتعقد واحدة ، وإن قلت اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضاء ولحقه أداء وأعطه الوسيلة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته واجزه عنا ماهو أهله واجزه أفضل ماجازيت نبيا عن أمته وصل عليه وعلى جميع إخوانه من النبيين والصالحين ياأرحم الراحمين [4] » تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها فى سبع جمع فى كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته صلى الله عليه وسلم . وإن أراد أن يزيد أتى بالصلاة المأثورة فقال « اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامى بركاتك وشرائف زكواتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قائد الخير وفاتح البر ونبى الرحمة وسيد الأمة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه يغبطه به الأولون والآخرون اللهم اعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيفة اللهم أعط محمدا سؤله وبلغه مأموله واجعله أول شافع وأول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وأبلج حجته وارفع فى أعلى المقربين درجته اللهم احشرنا فى زمرته واجعلنا من أهل شفاعته وأحينا على سنته وتوفنا على ملته

---

(١) حديث فاطمة « فى ساعة الجمعة أخرجه الدارقطنى فى العلل والبيهقى فى الشعب وعلته الاختلاف (٢) حديث « إن لربكم فى أيام دهركم نفحات . . الحديث » أخرجه الحكيم فى النوادر والطبرانى فى الأوسط من حديث محمد بن مسلمة ولابن عبد البر فى التمهيد نحوه من حديث أنس ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الفرج من حديث أبى هريرة واختلف فى اسناده

(٣) حديث « اختلاف كعب وأبى هريرة فى ساعة الجمعة وقول أبى هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلى ولات حين صلاة فقال كعب ألم يقل عليه الصلاة والسلام من قعد ينتظر الصلاة فهو فى صلاة » قلت فى الإحياء أن كعبا هو القائل لها آخر ساعة وليس كذلك وإنما هو عبد الله بن سلام وأما كعب فإنما قال إنها فى كل سنة مرة ثم رجع والحديث رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان من حديث أبى هريرة وابن ماجه ونحوه من حديث عبد الله بن سلام

(٤) حديث « من صلى على فى يوم الجمعة ثمانين مرة ... الحديث » أخرجه الدارقطنى من رواية ابن المسيب قال أظنه عن أبى هريرة وقال حديث غريب ، وقال ابن النعمان حديث حسن

وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين آمين يارب العالمين [١] ، وعلى الجملة فكل ماأتى به من ألفاظ الصلاة ولو بالمشهورة فى التشهد كان مصليا . وينبغى أن يضيف إليه الاستغفار فإن ذلك أيضا مستحب فى هذا اليوم (الرابع) قراءة القرآن فليكثر منه وليقرأ سورة الكهف خاصة . فقد روى عن ابن عباس وأبى هريرة رضى الله عنهما « أنّ من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطى نورا من حيث يقرؤها إلى مكة وغفر له إلى يوم الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وعوفى من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال [٢] » ، ويستحب أن يختم القرآن فى يوم الجمعة وليلتها إن قدر ، وليكن ختمه للقرآن فى ركعتى الفجر إن قرأ بالليل أوفى ركعتى المغرب أوبين الأذان والإقامة للجمعة فله فضل عظيم . وكان العابدون يستحبون أن يقرءوا يوم الجمعة قل هو الله أحد ألف مرة . ويقال إنّ من قرأها فى عشر ركعات أو عشرين فهو أفضل من ختمة وكانوا يصلون على النبى صلى الله عليه وسلم ألف مرة وكانوا يقولون « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » ألف مرة وإن قرأ المسبحات الست فى يوم الجمعة أو ليلتها فحسن . وليس يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ سورا بأعيانها إلا فى يوم الجمعة وليلتها كان يقرأ فى صلاة المغرب ليلة الجمعة « قل ياأيها الكافرون . وقل هو الله أحد » وكان يقرأ فى صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة : سورة الجمعة والمنافقين [٣] وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرؤهما فى ركعتى الجمعة . وكان يقرأ فى الصبح يوم الجمعة . سورة سجدة لقمان وسورة هل أتى على الإنسان [٤] (الخامس) الصلوات يستحب إذا دخل الجامع أن لايجلس حتى يصلى أربع ركعات يقرأ فيهن « قل هو الله أحد » مائتى مرة فى كل ركعة خمسين مرة [٥] فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنّ من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له » ولا يدع ركعتى التحية وإن كان الإمام يخطب ولكن يخفف . أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك [٦] وفى حديث غريب « أنه صلى الله عليه وسلم سكت للداخل حتى صلاهما [٧] » فقال الكوفيون : إن سكت له الإمام صلاهما . ويستحب فى هذا اليوم أوفى ليلته أن يصلى أربع ركعات بأربع سور : الأنعام والكهف وطه ويس . فإن لم يحسن قرأ يس وسورة سجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك . ولايدع قراءة هذه الأربع سور فى ليلة الجمعة ففيها فضل كثير . ومن لا يحسن القرآن قرأ ما يحسن فهو له بمنزلة الختمة . ويكثر من قراءة سورة الإخلاص . ويستحب أن يصلى صلاة التسبيح ـ كما سيأتى فى باب التطوعات كيفيتها ـ لأنه صلى الله عليه وسلم قال لعمه العباس « صلها فى كل جمعة [٨] » وكان ابن عباس رضى الله عنهما لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال

---

(١) حديث « اللهم اجعل فضائل صلواتك .. الحديث » أخرجه ابن أبى عاصم فى كتاب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم من حديث ابن مسعود نحوه بسند ضعيف وقفه على ابن مسعود (٢) حديث ابن عباس وأبى هريرة « من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة .. الحديث » لم أجده من حديثهما (٣) حديث « القراءة فى المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ، وفى عشائها الجمعة والمنافقين » أخرجه ابن حبان والبيهقى من حديث سمرة وفى ثقات ابن حبان المحفوظ عن سماك مرسلا قلت لايصح مسنداً ولا مرسلا (٤) حديث « القراءة فى الجمعة بالجمعة والمنافقين » وفى صبح الجمعة بالسجدة وهل أتى » أخرجه مسلم من حديث ابن عباس وأبى هريرة (٥) حديث « من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى أربع ركعات يقرأ فيها قل هو الله أحد مائتى مرة .. الحديث » أخرجه الخطيب فى الرواة عن مالك من حديث ابن عمر وقال غريب جدا

(٦) حديث « الأمر بالتخفيف فى التحية إذا دخل والإمام يخطب » أخرجه مسلم من حديث جابر والبخارى « الأمر بالركعتين » ولم يذكر التخفيف (٧) حديث « سكوته صلى الله عليه وسلم عن الخطبة للداخل حتى فرغ من التحية » أخرجه الدارقطنى من حديث أنس وقال أسنده عبيد بن محمد ووهم فيه والصواب عن معتمر عن أبيه مرسلا (٨) حديث « صلاة التسبيح وقوله لعمه العباس صلها فى كل جمعة » أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن خزيمة والحاكم من حديث ابن عباس وقال العقيلى وغيره ليس فيها حديث صحيح

وكان يخبر عن جلالة فضلها . والأحسن أن يجعل وقته إلى الزوال للصلاة وبعد صلاة الجمعة إلى العصر لاستماع العلم وبعد العصر إلى المغرب للتسبيح والاستغفار . (السادس) الصدقة مستحبة فى هذا اليوم خاصة فإنها تتضاعف إلا على من سأل والإمام يخطب وكان يتكلم فى كلام الإمام فهذا مكروه . وقال صالح بن محمد : سأل مسكين يوم الجمعة والإمام يخطب ـ وكان إلى جانب أبى ـ فأعطى رجل أبى قطعة ليناوله إياها فلم يأخذها منه أبى . وقال ابن مسعود إذا سأل الرجل فى المسجد فقد استحق أن لايعطى وإذا سأل على القرآن فلا تعطوه . ومن العلماء من كره الصدقة على السؤال فى الجامع الذين يتخطون رقاب الناس ؛ إلا أن يسأل قائما أوقاعدا فى مكانه من غير تخط . وقال كعب الأحبار : من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما وخشوعهما ثم يقول : اللهم إنى أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذى لا إله إلا الله هو الحى القيوم الذى لاتأخذه سنة ولا نوم ، لم يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه . وقال بعض السلف . من أطعم مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ أحدا ثم قال حين يسلم الإمام « بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم أسألك أن تغفر لى وترحمنى وتعافينى من النار » ثم دعا بما بداله استجيب له (السابع) أن يجعل يوم الجمعة للآخرة فيكف فيه عن جميع أشغال الدنيا ويكثر فيه الأوراد ولايبتدئ فيه السفر فقد روى « أنه من سافر فى ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه [1] » وهو بعد طلوع الفجر حرام إلا إذا كانت الرفقة تفوت . وكره بعض السلف شراء الماء فى المسجد من السقاء ليشربه أو يسبله حتى لا يكون مبتاعا فى المسجد فإن البيع والشراء فى المسجد مكروه . وقالوا : لا بأس لو أعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب أو سبل فى المسجد . وبالجملة ينبغى أن يزيد فى الجمعة فى أوراده وأنواع خيراته فإن الله سبحانه إذا أحب عبدا استعمله فى الأوقات الفاضلة بفواضل الأعمال وإذا مقته استعمله فى الأوقات الفاضلة بسىء الأعمال ليكون ذلك أوجع فى عقابه وأشد لمقته لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت . ويستحب فى الجمعة دعوات ، وسيأتى ذكرها فى كتاب الدعوات إن شاء الله تعالى . وصلى الله على كل عبد مصطفى .

الباب السادس : فى مسائل متفرقة تعم بها البلوى ويحتاج المريد إلى معرفتها

فأما المسائل التى تقع نادرة فقد استقصيناها فى كتب الفقه

(مسألة) الفعل القليل وإن كان لايبطل الصلاة فهو مكروه إلا لحاجة وذلك فى دفع المار وقتل العقرب التى تخاف ويمكن قتلها بضربة اوضربتين فإذا صارت ثلاثا فقد كثرت وبطلت الصلاة ، وكذلك القملة والبرغوث مهما تأذى بهما كان له دفعهما ، وكذلك حاجته إلى الحك الذى يشوش عليه الخشوع . كان معاذ يأخذ القملة والبرغوث فى الصلاة . وابن عمر كان يقتل القملة فى الصلاة حتى يظهر الدم على يده . وقال النخعى : يأخذها ويوهنها ولا شىء عليه إن قتلها . وقال ابن المسيب : يأخذها ويخدرها ثم يطرحها . وقال مجاهد : الأحب إلى أن يدعها إلا أن تؤذيه فتشغله عن صلاته فيوهنها قدرما لاتؤذى ثم يلقيها . وهذه رخصة وإلا فالكمال الاحتراز عن الفعل وإن قل . ولذلك كان بعضهم لايطرد الذباب وقال : لا أعود نفسى ذلك فأفسد على صلاتى . وقد سمعت أن الفساق بين يدى

---

(١) حديث « من سافر يوم الجمعة دعا عليه ملكاه » أخرجه الدارقطنى فى الأفراد من حديث ابن عمر وفيه ابن لهيعة وقال غريب والخطيب فى الرواة عن مالك من حديث أبى هريرة بسند ضعيف

الملوك يصبرون على أذى كثير ولا يتحركون . ومهما تثاءب فلا بأس أن يضع يده على فيه وهو الأولى . وإن عطس حمد الله عز وجل فى نفسه ولا يحرك لسانه . وإن تجشأ فينبغى أن لا يرفع رأسه إلى السماء وإن سقط رداؤه فلا ينبغى أن يسويه وكذلك أطراف عمامته فكل ذلك مكروه إلا لضرورة .

(مسألة) الصلاة فى النعلين جائزة وإن كان نزع النعلين سهلا ، وليست الرخصة فى الخف لعسر النزع بل هذه النجاسة معفو عنها . وفى معناها المداس « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نعليه ، ثم نزع فنزع الناس نعالهم فقال : لم خلعتم نعالكم ؟ قالوا : رأيناك خلعت فخلعنا فقال صلى الله عليه وسلم : إنّ جبرائيل عليه السلام أتانى فأخبرنى أن بهما خبثا فإذا أراد أحدكم المسجد فليقلب نعليه ولينظر فيهما فإن رأى خبثا فليمسحه بالأرض وليصل فيهما[1] » وقال بعضهم : الصلاة فى النعلين أفضل لأنه صلى الله عليه وسلم قال « لم خلعتم نعالكم ؟ » وهذه مبالغة فإنه صلى الله عليه وسلم سألهم ليبين لهم سبب خلعه إذ علم أنهم خلعوا على موافقته . وقد روى عبد الله بن السائب « أن النبى صلى الله عليه وسلم خلع نعليه[2] » فإذن قد فعل كليهما فمن خلع فلا ينبغى أن يضعهما عن يمينه ويساره فيضيق الموضع ويقطع الصف بل يضعهما بين يديه ولا يتركهما وراءه فيكون قلبه ملتفتا إليهما . ولعل من رأى الصلاة فيهما أفضل راعى هذا المعنى وهو التفات القلب إليهما . روى أبو هريرة رضى الله عنه . أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه[3] » وقال أبو هريرة لغيره : اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما . ووضعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على يساره وكان إماما[4] فللإمام أن يفعل ذلك إذ لا يقف أحد على يساره . والأولى أن لا يضعهما بين قدميه فتشغلانه ولكن قدام قدميه ، ولعله المراد بالحديث . وقد قال جبير بن مطعم . وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة .

(مسألة) إذا بزق فى صلاته لم تبطل صلاته لأنه فعل قليل . وما لا يحصل به صوت لا يعد كلاما وليس على شكل حروف الكلام إلا أنه مكروه فينبغى أن يحترز منه إلا كما أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه إذ روى بعض الصحابة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى القبلة نخامة فغضب غضباً شديداً ثم حكها بعرجون كان فى يده وقال : ائتونى بعبير ، فلطخ أثرها بزعفران ثم التفت إلينا وقال : أيكم يحب أن يبزق فى وجهه ؟ فقلنا : لا أحد ، قال : فإن أحدكم إذا دخل فى الصلاة فإن الله عز وجل بينه وبين القبلة[5] » وفى لفظ آخر « واجهه الله تعالى فلا يبزقن أحدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه ولكن عن شماله أو تحت قدمه اليسرى فإنّ بدرته بادرة فليبصق فى ثوبه وليقل به هكذا ودلك بعضه ببعض »

(مسألة) لوقوف المقتدى : سنة وفرض ؛ أما السنة : فأن يقف الواحد عن يمين الإمام متأخرا عنه قليلا ، والمرأة الواحدة تقف خلف الإمام ؛ فإن وقفت بجنب الإمام لم يضر ذلك ولكن خالفت السنة . فإن كان معها رجل

الباب السادس

(١) حديث « صلى فى نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم .. الحديث » أخرجه أحمد واللفظ لابن ماجه وأبو داود والحاكم وصححه من حديث أبى سعيد (٢) حديث عبد الله بن السائب فى « خلع النبى صلى الله عليه وسلم نعليه » أخرجه مسلم

(٣) حديث أبى هريرة « إذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه » أخرجه أبو داود بسند صحيح وضعفه المنذرى وليس بجيد

(٤) حديث « وضعه نعليه على يساره » أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن السائب

(٥) حديث « رأى فى القبلة نخامة فغضب .. الحديث » أخرجه مسلم من حديث جابر واتفقا عليه مختصراً من حديث أنس وعائشة وأبى سعيد وأبى هريرة وابن عمر .

وقف الرجل عن يمين الإمام وهى خلف الرجل . ولا يقف أحد خلف الصف منفردا بل يدخل فى الصف أو يجر إلى نفسه واحدا من الصف . فإن وقف منفردا صحت صلاته مع الكراهية . وأما الفرض . فاتصال الصف وهو أن يكون بين المقتدى والإمام رابطة جامعة فإنهما فى جماعة فإن كانا فى مسجد كفى ذلك جامعا لأنه بنى له فلا يحتاج إلى اتصال صف بل إلى أن يعرف أفعال الإمام ، صلى أبو هريرة رضى الله عنه على ظهر المسجد بصلاة الإمام . وإذا كان المأموم على فناء المسجد فى طريق أو صحراء مشتركة وليس بينهما اختلاف بناء مفرق فيكفى القرب بقدر غلوة سهم وكفى بها رابطة إذ يصل فعل أحدهما إلى الآخر . وإنما يشترط إذا وقف فى صحن دار على يمين المسجد أو يساره وبابها لاطىء فى المسجد فالشرط أن يمد صف المسجد فى دهليزها من غير انقطاع إلى الصحن . ثم تصح صلاة من فى ذلك الصف ومن خلفه دون من تقدم عليه وهكذا حكم الأبنية المختلفة فأما البناء الواحد والعرصة الواحدة فكالصحراء .

(مسألة) المسبوق إذا أدرك آخر صلاة الإمام فهو أول صلاته فليوافق الإمام وليبن عليه وليقنت فى الصبح فى آخر صلاة نفسه . وإن قنت مع الإمام وإن أدرك مع الإمام بعض القيام فلا يشتغل بالدعاء وليبدأ بالفاتحة وليخففها . فإن ركع الإمام قبل تمامها وقدر على لحوقه فى اعتداله من الركوع فليتم . فإن عجز وافق الإمام وركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها فتسقط عنه بالسبق . وإن ركع الامام وهو فى السورة فليقطعها . وإن أدرك الإمام فى السجود أو التشهد كبر الإحرام ثم جلس ولم يكبر بخلاف ما إذا أدركه فى الركوع فإنه يكبر ثانيا فى الهوى لأن ذلك انتقال محسوب له . والتكبيرات للانتقالات الأصلية فى الصلاة لا للعوارض بسبب القدوة . ولا يكون مدركا للركعة مالم يطمئن راكعا فى الركوع والإمام بعد فى حد الراكعين . فإن لم يتم طمأنينته إلا بعد مجاوزة الإمام حد الراكعين فاتته تلك الركعة .

(مسألة) من فاتته صلاة الظهر إلى وقت العصر فليصل الظهر أولا ثم العصر ، فإن ابتدأ بالعصر أجزأه ولكن ترك الأولى واقتحم شبهة الخلاف . فإن وجد إماما فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده فإن الجماعة بالأداء أولى . فإن صلى منفردا فى أول الوقت ثم أدرك جماعة صلى فى الجماعة ونوى صلاة الوقت والله يحتسب أيهما شاء . فإن نوى فائتة أو تطوعا جاز . وإن كان قد صلى فى الجماعة فأدرك جماعة أخرى فلينو الفائتة أو النافلة فإعادة المؤداة بالجماعة مرة أخرى لا وجه له وإنما احتمل ذلك لدرك فضيلة الجماعة .

(مسألة) من صلى ثم رأى على ثوبه نجاسة فالأحب قضاء الصلاة ولا يلزمه . ولو رأى النجاسة فى أثناء الصلاة رمى بالثوب وأتم والأحب الاستئناف . وأصل هذا قصة خلع النعلين حين أخبر جبرائيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن عليهما نجاسة فإنه صلى الله عليه وسلم لم يستأنف الصلاة .

(مسألة) من ترك التشهد الأول أو القنوت أو ترك الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التشهد الأول أو فعل فعلا سهواً وكانت تبطل الصلاة بتعمده أو شك فلا يدر أصلى ثلاثاً أو أربعا : أخذ باليقين وسجد سجدتى السهو قبل السلام . فإن نسى فبعد السلام مهما تذكر على القرب . فإن سجد بعد السلام وبعد أن أحدث بطلت صلاته . فإنه لما دخل فى السجود كأنه جعل سلامه نسيانا فى غير محله فلا يحصل التحلل به وعاد إلى الصلاة فلذلك يستأنف السلام بعد السجود . فإن تذكر سجود السهو بعد خروجه من المسجد أو بعد طول الفصل فقد فات .

(مسألة) الوسوسة فى نية الصلاة سببها خبل فى العقل أو جهل بالشرع لأن امتثال أمر الله عز وجل مثل

امتثال أمر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره فى حق القصد . ومن دخل عليه عالم فقام له فلو قال : نويت أن أنتصب قائما تعظيما لدخول زيد الفاضل لأجل فضله مقبلا عليه بوجهى ، كان سفها فى عقله بل كما يراه ويعلم فضله تنبعث داعية التعظيم فتقيمه ويكون معظما إلا إذا قام لشغل آخر أو فى غفلة : واشتراط كون الصلاة ظهرا أداء فرضا فى كونه امتثالا كاشتراط كون القيام مقرونا بالدخول مع الإقبال بالوجه على الداخل وانتفاء باعث آخر سواه . وقصد التعظيم به ليكون تعظيما . فإنه لو قام مدبرا عنه أو صبر فقام بعد ذلك بمدة لم يكن معظما . ثم هذه الصفات لابد وأن تكون معلومة وأن تكون مقصودة ثم لايطول حضورها فى النفس فى لحظة واحدة وإنما يطول نظم الألفاظ الدالة عليها إما تلفظا باللسان وإما تفكرا بالقلب . فمن لم يفهم نية الصلاة على هذا الوجه فكأنه لم يفهم النية . فليس فيه إلا أنك دعيت إلى أن تصلى فى وقت فأجبت وقمت فالوسوسة محض الجهل . فإن هذه القصود وهذه العلوم تجتمع فى النفس فى حالة واحدة ولاتكون مفصلة الآحاد فى الذهن بحيث تطالعها النفس وتتأملها . وفرق بين حضور الشىء فى النفس وبين تفصيله بالفكر . والحضور مضاد للعزوب والغفلة ، وإن لم يكن مفصلا . فإن من علم الحادث مثلا فيعلمه بعلم واحد فى حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علوما هى حاضرة وإن لم تكن مفصله فإن من علم الحادث فقد علم الموجود والمعدوم والتقدم والتأخر والزمان ، وأن التقدم للعدم وأن التأخر للوجود ، فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث ، بدليل أن العالم بالحادث إذا لم يعلم غيره لو قيل له هل علمت التقدم فقط أو التأخر أو العدم أو تقدم العدم أو تأخر الوجود أو الزمان المنقسم إلى المتقدم والمتأخر ؟ فقال ماعرفته قط كان كاذبا وكان قوله مناقضا لقوله : إنى أعلم الحادث . ومن الجهل بهذه الدقيقة يثور الوسواس فإن الموسوس يكلف نفسه أن يحضر فى قلبه الظهرية والأدائية والفرضية فى حالة واحدة مفصلة بألفاظها وهو يطالعها وذلك محال . ولو كلف نفسه ذلك فى القيام لأجل العالم لتعذر عليه . فبهذه المعرفة يندفع الوسواس وهو أن امتثال أمر الله سبحانه فى النية كامتثال أمر غيره ثم أزيد على سبيل التسهيل والترخص وأقول . لو لم يفهم الموسوس النية إلا بإحضار هذه الأمور مفصلة ولم يمثل فى نفسه الامتثال دفعة واحدة وأحضر جملة ذلك فى أثناء التكبير من أوله إلى آخره بحيث لايفرغ من التكبير إلا وقد حصلت النية كفاه ذلك . ولا نكلفه أن يقرن الجميع بأول التكبير أو آخره فإن ذلك تكليف شطط . ولو كان مأمورا به لوقع للأولين سؤال عنه ولوسوس واحد من الصحابة فى النية ، فعدم وقوع ذلك دليل على أن الأمر على التساهل ، فكيفما تيسرت النية للموسوس ينبغى أن يقنع به حتى يتعود ذلك وتفارقه الوسوسة ، ولايطالب نفسه بتحقيق ذلك فإن التحقيق يزيد فى الوسوسة . وقد ذكرنا فى الفتاوى وجوها من التحقيق فى تحقيق العلوم . والقصود المتعلقه بالنية تفتقر العلماء إلى معرفتها أما العامة فربما ضرها سماعها ويهيج مخيلتها الوسواس فلذلك تركناها .

(مسألة) ينبغى أن لايتقدم المأموم على الإمام فى الركوع والسجود والرفع منهما ولا فى سائر الأعمال ولاينبغى أن يساويه بل يتبعه ويقفو أثره فهذا معنى الاقتداء ، فإن ساواه عمدا لم تبطل صلاته كما لو وقف بجنبه غير متأخر عنه . فإن تقدم عليه ففى بطلان صلاته خلاف ، ولايبعد أن يقضى بالبطلان تشبيها بما لو تقدم فى الموقف على الإمام ؛ بل هذا أولى لأن الجماعة اقتداء فى الفعل لافى الموقف فالتبعية فى الفعل أهم . وإنما شرط ترك التقدم فى الموقف تسهيلا للمتابعة فى الفعل وتحصيلا لصورة التبعية إذ اللائق بالمقتدى به أن يتقدم فالتقدم عليه فى الفعل لاوجه له إلا أن يكون سهوا . ولذلك شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم النكير فيه فقال « أمايخشى

الذى يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار [١] ، وأما التأخر عنه بركن واحد فلا يبطل الصلاة ، وذلك بأن يعتدل الإمام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ولكن التأخر إلى هذا الحد مكروه فإن وضع الإمام جبهته على الأرض وهو بعد لم ينته إلى حد الراكعين بطلت صلاته . وكذا إن وضع الإمام جبهته للسجود الثانى وهو بعد لم يسجد السجود الأول .

(مسألة) حق على من حضر الصلاة إذا رأى من غيره إساءة فى صلاته أن يغيره وينكر عليه . وإن صدر من جاهل رفق بالجاهل وعلمه . فمن ذلك الأمر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد بالوقوف خارج الصف ، والإنكار على من يرفع رأسه قبل الإمام إلى غير ذلك من الأمور . فقد قال صلى الله عليه وسلم « ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه [٢] » وقال ابن مسعود رضى الله عنه : من رأى من يسىء صلاته فلم ينهه فهو شريكه فى وزرها . وعن بلال بن سعد أنه قال : الخطيئة إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها فإذا أظهرت فلم تغير أضرت بالعامة . وجاء فى الحديث « أن بلالا كان يسوى الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة [٣] » وعن عمر رضى الله عنه قال : تفقدوا إخوانكم فى الصلاة فإذا فقدتموهم فإن كانوا مرضى فعودوهم وإن كانوا أصحاء فعاتبوهم . والعتاب إنكار على من ترك الجماعة ولا ينبغى أن يتساهل فيه . وقد كان الأولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة إلى بعض من تخلف عن الجماعة إشارة إلى أن الميت هو الذى يتأخر عن الجماعة دون الحى . ومن دخل المسجد ينبغى أن يقصد يمين الصف ؛ ولذلك تزاحم الناس عليه فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قيل له : تعطلت الميسرة فقال صلى الله عليه وسلم « من عمر ميسرة المسجد كان له كفلان من الأجر [٤] » ومهما وجد غلاما فى الصف ولم يجد لنفسه مكانا فله أن يخرجه إلى خلف ويدخل فيه - أعنى إذا لم يكن بالغا - وهذا ما أردنا أن نذكره من المسائل التى تعم بها البلوى . وسيأتى أحكام الصلوات المتفرقة فى كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى .

الباب السابع : فى النوافل من الصلوات

اعلم أن ما عدا الفرائض من الصلوات ينقسم إلى ثلاثة أقسام : سنن ومستحبات وتطوعات . ونعنى بالسنن ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المواظبة عليه كالرواتب عقيب الصلوات وصلاة الضحى والوتر والتهجد وغيرها ؛ لأن السنة عبارة عن الطريق المسلوكة . ونعنى بالمستحبات ما ورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه - كما سننقله فى صلوات الأيام والليالى فى الأسبوع - وكالصلاة عند الخروج من المنزل والدخول فيه وأمثاله . ونعنى بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد فى عينه أثر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب فى مناجاة الله عز وجل بالصلاة التى ورد الشرع بفضلها مطلقا ؛ فكأنه متبرع به إذا لم يندب إلى تلك الصلاة بعينها وإن ندب إلى الصلاة مطلقا ، والتطوع عبارة عن التبرع . وسميت الأقسام الثلاثة نوافل من حيث إن النفل هو الزيادة وجملتها زائد على الفرائض . فلفظ : النافلة والسنة والمستحب والتطوع ؛ أردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد . ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا مشاحة فى الألفاظ بعد فهم المقاصد . وكل قسم من هذه الأقسام تتفاوت درجاته فى

---

(١) حديث « أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الإمام » متفق عليه من حديث أبى هريرة .
(٢) حديث « ويل للعالم من الجاهل .. الحديث » أخرجه صاحب مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف .
(٣) حديث « أن بلالا كان يسوى الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة » لم أجده .
(٤) حديث « قيل له قد تعطلت الميسرة فقال من عمر ميسرة المسجد ... الحديث » أخرجه ابن ماجه من حديث عمر بسند ضعيف

الفضل بحسب ما ورد فيها من الأخبار والآثار المعرفة لفضلها وبحسب طول مواظبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وبحسب صحة الأخبار الواردة فيها واشتهارها ، ولذلك يقال سنن الجماعات أفضل من سنن الانفراد . وأفضل سنن الجماعات : صلاة العيد ثم الكسوف ثم الاستسقاء . وأفضل سنن الانفراد : الوتر ثم ركعتا الفجر ثم مابعدهما من الرواتب على تفاوتها . واعلم أن النوافل باعتبار الإضافة إلى معلقاتها تنقسم إلى مايتعلق بأسباب كالكسوف والاستسقاء وإلى مايتعلق بأوقات ، والمتعلق بالأوقات ينقسم إلى مايتكرر بتكرر اليوم والليلة أوبتكرر الأسبوع أو بتكرر السنة فالجملة أربعة أقسام .

القسم الأول: ما يتكرر بتكرر الأيام والليالى وهى ثمانية ، خمسة هى رواتب الصلوات الخمس ، وثلاثة وراءها وهى صلاة الضحى وإحياء مابين العشاءين والتهجد

(الأولى) راتبة الصبح وهى ركعتان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ركعتا الفجر خير من الدنيا ومافيها[1] » ويدخل وقتها بطلوع الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل . وإدراك ذلك بالمشاهدة عسير فى أوله إلا أن يتعلم منازل القمر أو يعلم اقتراع طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر . فيستدل بالكواكب عليه . ويعرف بالقمر فى ليلتين من الشهر فإن القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ، ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثنى عشر من الشهر هذا هو الغالب ، ويتطرق إليه تفاوت فى بعض البروج وشرح ذلك يطول . وتعلم منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الأوقات بالليل وعلى الصبح ، ويفوت وقت ركعتى الفجر بفوات وقت فريضة الصبح وهو طلوع الشمس ، ولكن السنة أداؤهما قبل الفرض . فإن دخل المسجد وقد قامت الصلاة فليشتغل بالمكتوبة فانه صلى الله عليه وسلم قال « إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة[2] » ثم إذا فرغ من المكتوبة قام إليهما وصلاهما ، والصحيح أنهما أداء ما وقعتا قبل طلوع الشمس لأنهما تابعتان للفرض فى وقته وإنما الترتيب بينهما سنة فى التقديم والتأخير إذا لم يصادف جماعة . فإذا صادف جماعة انقلب الترتيب وبقيتا أداء . والمستحب أن يصليهما فى المنزل ويخففهما ، ثم يدخل المسجد ويصلى ركعتين تحية المسجد ، ثم يجلس ولا يصلى إلى أن يصلى المكتوبة . وفيما بين الصبح إلى طلوع الشمس الأحب فيه الذكر والفكر والاقتصار على ركعتى الفجر والفريضة (الثانية) راتبة الظهر وهى ست ركعات : ركعتان بعدها وهى أيضاً سنة مؤكدة ، وأربع قبلها وهى أيضا سنة وإن كانت دون الركعتين الأخيرتين . روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى الليل[3] » ، وكان صلى الله عليه وسلم لايدع أربعا بعد الزوال يطيلهن ويقول إن أبواب السماء تفتح فى هذه الساعة فأحب أن يرفع لى فيها عمل[4] » رواه أبو أيوب الأنصارى وتفرد به ، ودل عليه أيضا ماروت أم حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى فى كل يوم اثنتى عشرة ركعة غير المكتوبة بنى له بيت فى الجنة

الباب السابع

(١) حديث « ركعتا الفجر خير من الدنيا .. الحديث » أخرجه مسلم من حديث عائشة .

(٢) حديث « إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة .

(٣) حديث أبى هريرة « من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن . الحديث » ذكره عبد الملك بن حبيب بلاغا من حديث أبى مسعود ولم أره من حديث أبى هريرة (٤) حديث أبى أيوب « كان لايدع أربعا بعد الزوال . الحديث » أخرجه أحمد بسند ضعيف نحوه وهو عند أبى داود وابن ماجه مختصرا وروى الترمذى نحوه من حديث عبد الله بن السائب وقال حسن

ركعتين قبل الفجر وأربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب[1] ، وقال ابن عمر رضى الله عنهما : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل يوم عشر ركعات [2] فذكر ماذكرته أم حبيبة رضى الله عنها إلا ركعتى الفجر فإنه قال : تلك ساعة لم يكن يدخل فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن حدثتنى أختى حفصة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى ركعتين فى بيتها ثم يخرج . وقال فى حديثه : ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد العشاء . فصارت الركعتان قبل الظهر آكد من جملة الأربعة . ويدخل وقت ذلك بالزوال . والزوال يعرف بزيادة ظل الأشخاص المنتصبة مائلة إلى جهة الشرق ، إذيقع للشخص ظل عند الطلوع فى جانب المغرب يستطيل فلا تزال الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف عن جهة المغرب إلى أن تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل . فإذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع أخذ الظل فى الزيادة فمن حيث صارت الزيادة مدركة بالحس دخل وقت الظهر . ويعلم قطعا أن الزوال فى علم الله سبحانه وقع قبله ولكن التكاليف لاترتبط إلا بما يدخل تحت الحس . والقدر الباقى من الظل الذى منه يأخذ فى الزيادة يطول فى الشتاء ويقصر فى الصيف ، ومنتهى طوله بلوغ الشمس أول الجدى ، ومنتهى قصره بلوغها أول السرطان . ويعرف ذلك بالأقدام والموازين . ومن الطرق القريبة من التحقيق لمن أحسن مراعاته أن يلاحظ القطب الشمالى بالليل ويضع على الأرض لوحا مربعا وضعاً مستويا بحيث يكون أحد أضلاعه من جانب القطب ، بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب إلى الأرض ثم توهمت خطا من مسقط الحجر إلى الضلع الذى يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين أى لايكون الخط مائلا إلى أحد الضلعين ، ثم تنصب عمودا على اللوح نصبا مستويا فى موضع علامة ه وهو بإزاء القطب فيقع ظله على اللوح فى أول النهار مائلا إلى جهة المغرب فى صوب خط ا ثم لايزال يميل إلى أن ينطبق على خط ب ، بحيث لو مد رأسه لانتهى على الاستقامة إلى مسقط الحجر ، ويكون موازيا للضلع الشرقى والغربى غير مائل إلى أحدهما ، فإذا بطل ميله إلى الجانب الغربى فالشمس فى منتهى الارتفاع ، فإذا انحرف الظل عن الخط الذى على اللوح إلى جانب الشرق فقد زالت الشمس . وهذا يدرك بالحس تحقيقا فى وقت هو قريب من أول الزوال فى علم الله تعالى ، ثم يعلم على رأس الظل عند انحرافه علامة ، فإذا صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر فهذا القدر لا بأس بمعرفته فى علم الزوال وهذه صورته :

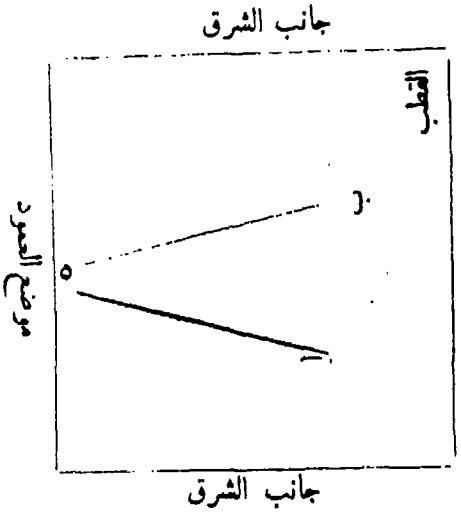

(الثالثة) راتبة العصر وهى أربع ركعات قبل العصر . روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « رحم الله عبداً صلى قبل العصر أربعاً [3] » ففعل ذلك على رجاء الدخول فى دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستحب استحبابا مؤكدا فإن دعوته تستجاب لامحالة له . ولم تكن مواظبته على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر (الرابعة) راتبة المغرب وهما ركعتان بعد الفريضة لم

(١) حديث أم حبيبة « من صلى فى يوم اثنتى عشرة ركعة .. الحديث » أخرجه النسائى والحاكم وصحح اسناده على شرط مسلم ورواه مسلم مختصرا ليس فيه تعيين أوقات الركعات (٢) حديث ابن عمر « حفظت من النبى صلى الله عليه وسلم فى كل يوم عشر ركعات .. الحديث » متفق عليه واللفظ للبخارى ولم يقل فى كل يوم (٣) حديث أبى هريرة « رحم الله عبدا صلى أربعا قبل العصر » =

تختلف الرواية فيهما ، وأما ركعتان قبلها بين أذان المؤذن وإقامة المؤذن على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كأبي بن كعب وعبادة بن الصامت وأبي ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال عبادة أو غيره : كان المؤذن إذا أذن لصلاة المغرب ابتدر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السوارى يصلون ركعتين [١] وقال بعضهم : كنا نصلى الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب أنا صلينا فيسأل أصليتم المغرب ؟ وذلك يدخل فى عموم قوله صلى الله عليه وسلم « بين كل أذانين صلاة لمن شاء [٣] » ، وكان أحمد بن حنبل يصليهما فعابه الناس فتركهما فقيل له فى ذلك فقال : لم أر الناس يصلونهما ، فتركتهما وقال : لئن صلاهما الرجل فى بيته أو حيث لا يراه الناس لحسن . ويدخل وقت المغرب بغيبوبة الشمس عن الأبصار فى الأراضى المستوية التى ليست محفوفة بالجبال فإن كانت محفوفة بها فى جهة المغرب فيتوقف إلى أن يرى إقبال السواد من جانب المشرق قال صلى الله عليه وسلم « إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم [٤] » ، والأحب المبادرة فى صلاة المغرب خاصة وإن أخرت وصليت قبل غيبوبة الشفق الأحمر وقعت أداء ولكنه مكروه . وأخر عمر رضى الله عنه صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فأعتق رقبة وأخرها ابن عمر حتى طلع كوكبان فأعتق رقبتين (الخامسة) راتبة العشاء الآخرة أربع ركعات بعد الفريضة . قالت عائشة رضى الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام [٥] » ، واختار بعض العلماء من مجموع الأخبار أن يكون عدد الرواتب سبع عشرة كعدد المكتوبة : ركعتان قبل الصبح وأربع قبل الظهر وركعتان بعدها وأربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وثلاث بعد العشاء الآخرة وهى الوتر [٦] ومهما عرفت الأحاديث الواردة فيه فلا معنى للتقدير فقد قال صلى الله عليه وسلم « الصلاة خير موضع فمن شاء أكثر ومن شاء أقل [٧] » ، فإذاً اختيار كل مريد من هذه الصلاة بقدر رغبته فى الخير فقد ظهر فيما ذكرناه أن بعضها آكد من بعض ، وترك الآكد أبعد لاسيما والفرائض تكمل بالنوافل فمن لم يستكثر منها يوشك أن لا تسلم له فريضة من غير جابر (السادسة) الوتر : قال أنس بن مالك « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات ، يقرأ فى الأولى سبح اسم ربك الأعلى وفى الثانية قل يا أيها الكافرون وفى الثالثة قل هو الله أحد [٨] » ، وجاء فى الخبر « أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى بعد الوتر ركعتين جالسا وفى بعضها متربعا [٩] » ، وفى بعض الأخبار « إذا أراد أن يدخل فراشه زحف إليه وصلى فوقه ركعتين قبل أن يرقد يقرأ فيهما إذا زلزلت الأرض وسورة التكاثر [١٠] » ، وفى رواية أخرى « قل يا أيها الكافرون » ، ويجوز الوتر مفصولا وموصولا ، بتسليمة واحدة

= أخرجه أبو داود والترمذى وابن حبان من حديث ابن عمر وأعله ابن القطان ولم أره من حديث أبى هريرة

(١) حديث عبادة أو غيره « فى ابتدار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السوارى إذا أذن لصلاة المغرب » متفق عليه من حديث أنس لا من حديث عبادة ، وروى عبد الله بن أحمد فى زيادات المسند « أن أبى بن كعب وعبد الرحمن بن عوف كانا يركعان حين تغرب الشمس ركعتين قبل المغرب (٢) حديث « كنا نصلى الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب أنا صلينا » أخرجه مسلم من حديث أنس (٣) حديث « بين كل أذانين صلاة لمن شاء » متفق عليه من حديث عبد الله بن مغفل

(٤) حديث « إذا أقبل الليل من ههنا .. الحديث » متفق عليه من حديث عمر (٥) حديث عائشة « كان يصلى بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام » أخرجه أبو داود (٦) حديث « الوتر بثلاث بعد العشاء » أخرجه أحمد واللفظ له والنسائى من حديث عائشة « كان يوتر بثلاث لا يفصل بينهن » (٧) حديث « الصلاة خير موضع » أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبى ذر (٨) حديث أنس « كان يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ فى الأولى سبح .. الحديث » أخرجه ابن عدى فى ترجمة محمد بن أبان ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس بسند صحيح (٩) حديث « كان يصلى بعد الوتر ركعتين جالسا » أخرجه مسلم من حديث عائشة (١٠) حديث « إذا أراد أن يدخل فراشه زحف اليه ثم صلى ركعتين .. الحديث » أخرجه البيهقى من حديث أبى أمامة وأنس نحوه وضعفه وليس فيه « زحف اليه » ولا ذكر « ألهاكم التكاثر »

وتسليمتين : وقد أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم بركعة[١] وثلاث[٢] وخمس[٣] وهكذا بالأوتار[٤] إلى إحدى عشرة ركعة[٥] والرواية مترددة فى ثلاث عشرة[٦] وفى حديث شاذ « سبع عشرة ركعة[٧] » وكانت هذه الركعات - أعنى ما سمينا جملتها وترا - صلاة بالليل وهو التهجد والتهجد بالليل سنة مؤكدة - وسيأتى ذكر فضلها فى كتاب الأوراد وفى الأفضل خلاف فقيل إن الإيتار بركعة فردة أفضل إذ صح أنه صلى الله عليه وسلم كان يواظب على الإيتار بركعة فردة وقيل الموصولة أفضل للخروج عن شبهة الخلاف لاسيما الإمام إذ قد يقتدى به من لا يرى الركعة الفردة صلاة ، فإن صلى موصولا نوى بالجميع الوتر وإن اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتى العشاء أو بعد فرض العشاء نوى الوتر وصح . لأن شرط الوتر أن يكون فى نفسه وترا وأن يكون موترا لغيره مما سبق قبله وقد أوتر الفرض ولو أوتر قبل العشاء لم يصح أى لا ينال فضيلة الوتر الذى هو خير له من حمر النعم[٨] كما ورد به الخبر . وإلا فركعة فردة صحيحة فى أى وقت كان وإنما لم يصح قبل العشاء لأنه خرق إجماع الخلق فى الفعل ولأنه لم يتقدم ما يصير به وترا . فأما إذا أراد أن يوتر بثلاث مفصولة ففى نيته فى الركعتين نظر . فإنه إن نوى بهما التهجد أو سنة العشاء لم يكن هو من الوتر . وإن نوى الوتر لم يكن هو فى نفسه وترا . وإنما الوتر ما بعده . ولكن الأظهر أن ينوى الوتر كما ينوى فى الثلاث الموصولة الوتر . ولكن للوتر معنيان ، أحدهما : أن يكون فى نفسه وترا ، والآخر أن ينشأ ليجعل وترا بما بعده فيكون مجموع الثلاثة وترا ، والركعتان من جملة الثلاث إلا أن وتريته موقوفة على الركعة الثالثة . وإذا كان هو على عزم أن يوترهما بثالثة كان له أن ينوى بهما الوتر . والركعة الثالثة وتر بنفسها وموترة لغيرها . والركعتان لا يوتران غيرهما وليستا وترا بأنفسهما ولكنهما موترتان بغيرهما . والوتر ينبغى أن يكون آخر صلاة الليل فيقع بعد التهجد . وسيأتى فضائل الوتر والتهجد وكيفية الترتيب بينهما فى كتاب ترتيب الأوراد (السابعة) صلاة الضحى : فالمواظبة عليها من عزائم الأفعال وفواضلها ، أما عدد ركعاتها فأكثر ما نقل فيه ثمان ركعات . روت أم هانئ أخت على بن أبى طالب رضى الله عنهما « أنه صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ثمانى ركعات أطالهن وحسنهن[٩] » ولم ينقل هذا القدر غيرها . فأما عائشة رضى الله عنها فإنها ذكرت « أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى أربعا ويزيد ما شاء الله سبحانه[١٠] » فلم تحد الزيادة أى أنه كان يواظب على الأربعة ولا ينقص منها وقد يزيد زيادات . وروى فى حديث مفرد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى ست ركعات[١١] ، وأما وقتها فقد روى على رضى الله عنه « أنه

---

(١) حديث « الوتر بركعة » متفق عليه من حديث ابن عمر وهو لمسلم من حديث عائشة (٢) حديث « الوتر بثلاث » تقدم
(٣) حديث « الوتر بخمس » من حديث عائشة « يوتر من ذلك بخمس ولا يجلس فى شىء إلا فى آخرها »
(٤) حديث « الوتر بسبع » أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى « واللفظ له من حديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كبر وضعف أوتر بسبع ركعات لا يقعد إلا فى السادسة ثم ينهض ولا يسلم فيصلى السابعة » حديث « الوتر بتسع » أخرجه مسلم من حديث عائشة وهو فى الذى قبله (٥) حديث الوتر بإحدى عشرة » أخرجه أبو داود بإسناد صحيح من حديث عائشة « كان يوتر بأربع وثلاث ، وست وثلاث ، وثمان وثلاث ، وعشر وثلاث . . الحديث » ولمسلم من حديثها « كان يصلى بالليل إحدى عشرة ركعة . . الحديث » (٦) حديث « الوتر بثلاث عشرة » تقدم فى الذى قبله . وللترمذى والنسائى من حديث أم سلمة « كان يوتر بثلاث عشرة » وقال الترمذى حسن . ولمسلم من حديث عائشة « كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة » زاد فى رواية « بركعتى الفجر » (٧) حديث « الوتر سبع عشرة » أخرجه ابن المبارك من حديث طاوس مرسلا « كان يصلى سبع عشرة ركعة من الليل » (٨) حديث « الوتر خير من حمر النعم » أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث خارجة ابن حذافة « إن الله أمدكم بصلاة هى خير لكم من حمر النعم » وضعفه البخارى وغيره . (٩) حديث أم هانئ « صلى الضحى ثمانى ركعات أطالهن وأحسنهن » متفق عليه دون زيادة « أطالهن وأحسنهن » وهى منكرة (١٠) حديث عائشة « كان يصلى الضحى أربعا ويزيد ما شاء الله » أخرجه مسلم (١١) حديث « كان يصلى الضحى ست ركعات » أخرجه الحاكم فى فضل صلاة الضحى من حديث جابر ورجاله ثقات

صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى ستا فى وقتين ، إذا أشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين ـ وهو أول الورد الثانى من أوراد النهار كما سيأتى ـ وإذا انبسطت الشمس وكانت فى ربع السماء من جانب الشرق صلى أربعا [1] ، فالأول إنما يكون إذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح والثانى إذا مضى من النهار ربعه بإزاء صلاة العصر فإن وقته أن يبقى من النهار ربعه ، والظهر على منتصف النهار ، ويكون الضحى على منتصف مابين طلوع الشمس إلى الزوال ، كما أن العصر على منتصف مابين الزوال إلى الغروب . وهذا أفضل الأوقات . ومن وقت ارتفاع الشمس إلى ماقبل الزوال وقت للضحى على الجملة . (الثامنة) إحياء مابين العشاءين وهى سنة مؤكدة ومما نقل عدده من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين العشاءين ست ركعات [2] ولهذه الصلاة فضل عظيم . وقيل إنها المراد بقوله عز وجل (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى بين المغرب والعشاء فإنها من صلاة الأوابين [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو بقرآن كان حقا على الله أن يبنى له قصرين فى الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه أهل الأرض لوسعهم [4] » وسيأتى بقية فضائلها فى كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى .

القسم الثانى مايتكرر بتكرر الأسابيع

وهى صلاة أيام الأسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة

أما الأيام فنبدأ فيها بيوم الأحد . يوم الأحد : روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الأحد أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله له بعدد كل نصرانى ونصرانية حسنات وأعطاه الله ثواب نبى وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة ألف صلاة وأعطاه الله فى الجنة بكل حرف مدينة من مسك أذفر [5] » وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد فإنه سبحانه واحد لا شريك له فمن صلى يوم الأحد بعد صلاة الظهر أربع ركعات بعد الفريضة والسنة يقرأ فى الأولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة ، وفى الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك ثم تشهد وسلم ثم قام فصلى ركعتين أخريين يقرأ فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسأل الله سبحانه حاجته كان حقا على الله أن يقضى حاجته [6] » .

يوم الاثنين : روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسى مرة وقل هو الله أحد والمعوذتين مرة مرة فإذا سلم

---

(١) حديث « كان إذا أشرقت وارتفعت قام وصلى ركعتين وإذا انبسطت الشمس وكانت فى ربع النهار من جانب المشرق صلى أربعا » أخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث على كان نبى الله صلى الله عليه وسلم « إذا زالت الشمس من مطلعها قيد رمح أو رمحين كقدر صلاة العصر من مغربها صلى ركعتين ثم أمهل حتى إذا ارتفع الضحى صلى أربع ركعات » لفظ النسائى وقال الترمذى حسن . (٢) حديث « صلى بين العشاءين ست ركعات » أخرجه ابن منده فى الضحى والطبرانى فى الأوسط والأصفر من حديث عمار ابن ياسر بسند ضعيف والترمذى وضعفه من حديث أبى هريرة « من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتى عشرة سنة » (٣) حديث « من صلى بين المغرب والعشاء فإنها من صلاة الأوابين » أخرجه ابن المبارك فى الرقائق من رواية ابن المنذر مرسلا (٤) حديث « من عكف نفسه بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة » أخرجه أبو الوليد الطيالسى فى كتاب الصلاة ـ من طريق عبد الملك بن حبيب بلاغا له من حديث عبد الله بن عمر (٥) حديث « من صلى يوم الأحد أربع ركعات ... الحديث » أخرجه أبو موسى المدينى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٦) حديث على « وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد » بالحديث ما ذكره أبو موسى المدينى فيه بنحو إسناد .

استغفر الله عشر مرات وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عشر مرات غفر الله تعالى له ذنوبه كلها[١] ، وروى أنس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الاثنين ثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى مرة فإذا فرغ قرأ قل هو الله أحد اثنتى عشرة واستغفر اثنتى عشرة مرة ينادى به يوم القيامة : أين فلان بن فلان ليقم فليأخذ ثوابه من الله عز وجل ؟ فأول مايعطى من الثواب ألف حلة ويتوج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة الف ملك مع كل ملك هدية يشيعونه حتى يدور على ألف قصر من نور يتلألا [٢] » .

يوم الثلاثاء : روى يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال « قال صلى الله عليه وسلم : من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار[٣] » وفى حديث آخر « عند ارتفاع النهار يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات لم تكتب عليه خطيئة إلى سبعين يوما فإن مات إلى سبعين يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة .

يوم الأربعاء : روى أبو إدريس الخولانى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الأربعاء ثنتى عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات والمعوذتين ثلاث مرات نادى مناد عند العرش : ياعبد الله استأنف العمل فقد غفر لك ماتقدم من ذنبك ورفع الله سبحانه عنك عذاب القبر وضيقه وظلمته ورفع عنك شدائد القيامة ، ورفع له من يومه عمل نبى [٤] » .

يوم الخميس : عن عكرمة عن ابن عباس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ فى الأولى فاتحة الكتاب وآية الكرسى مائة مرة وفى الثانية فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد مائة مرة ويصلى على محمد مائة مرة أعطاه الله ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من آمن بالله سبحانه وتوكل عليه حسنة [٥] » .

يوم الجمعة ، روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « يوم الجمعة صلاة كله ما من عبد مؤمن قام إذا استقلت الشمس وارتفعت قدر رمح أو أكثر من ذلك فتوضأ ثم أسبغ الوضوء فصلى سبحة الضحى ركعتين إيمانا واحتسابا إلا كتب الله له مائتى حسنة ومحا عنه مائتى سيئة ومن صلى أربع ركعات رفع الله سبحانه له فى الجنة أربعمائة درجة ومن صلى ثمانى ركعات رفع الله تعالى له فى الجنة ثمانمائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى ثنتى عشرة ركعة كتب الله له ألفين ومائتى حسنة ومحا عنه ألفين ومائتى سيئة ورفع له فى الجنة ألفين ومائتى درجة [٦] » وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من دخل الجامع

---

(١) حديث جابر « من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين .. الحديث » أخرجه أبو موسى المدينى من حديث جابر عن عمر مرفوعا وهو حديث منكر (٢) حديث أنس « من صلى يوم الاثنين اثنتى عشرة ركعة ... الحديث » ذكره أبو موسى المدينى بغير سند وهو منكر . (٣) حديث يزيد الرقاشى عن أنس « من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار .. الحديث » أخرجه أبو موسى المدينى بسند ضعيف ولم يقل « عند انتصاف النهار ولا عند ارتفاعه »

(٤) حديث أبى إدريس الخولانى عن معاذ « من صلى يوم الأربعاء اثنتى عشرة ركعة ... الحديث » أخرجه أبو موسى المدينى وقال رواته ثقات والحديث مركب . قلت : بل فيه غير مسمى وهو محمد بن حميد الرازى أحد الكذابين

(٥) حديث عكرمة عن ابن عباس « من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين ... الحديث » أخرجه أبو موسى المدينى بسند ضعيف جدا (٦) حديث على « يوم الجمعة صلاة كله ما من عبد مؤمن قام إذا استقلت الشمس .. الحديث » لم أجد له أصلا وهو باطل

يوم الجمعة فصلى أربع ركعات قبل صلاة الجمعة يقرأ فى كل ركعة الحمد لله وقل هو الله أحد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له [١] » .

يوم السبت : روى أبو هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من صلى يوم السبت أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات فإذا فرغ قرأ آية الكرسى كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف أجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها وأعطاه الله عزوجل بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهداء [٢] » .

وأما الليالى . ليلة الأحد : روى أنس بن مالك فى ليلة الأحد أنه صلى الله عليه وسلم قال « من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمسين مرة والمعوذتين مرة مرة واستغفر الله عزوجل مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم مائة مرة وتبرأ من حوله وقوته والتجأ إلى الله ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن آدم صفوة الله وفطرته وإبراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله ومحمدا حبيب الله كان له من الثواب بعدد من دعا لله ولدا ومن لم يدع لله ولدا وبعثه الله عزوجل يوم القيامة مع الآمنين وكان حقا على الله تعالى أن يدخله الجنة مع النبيين [٣] » .

ليلة الاثنين : روى الأعمش عن أنس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات يقرأ فى الركعة الأولى الحمد لله وقل هو الله أحد عشر مرات ، وفى الركعة الثانية الحمد لله وقل هو الله أحد عشرين مرة ، وفى الثالثة الحمد لله وقل هو الله أحد ثلاثين مرة ، وفى الرابعة الحمد لله وقل هو الله أحد أربعين مرة ثم يسلم ويقرأ قل هو الله أحد خمسا وسبعين مرة واستغفر الله لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة ثم سأل الله حاجته كان حقا على الله أن يعطيه سؤله ماسأل [٤] » وهى صلاة الحاجة .

ليلة الثلاثاء : من صلى ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوذتين خمس عشرة مرة ، ويقرأ بعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسى واستغفر الله تعالى خمس عشرة مرة كان له ثواب عظيم وأجر جسيم . وروى عن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ليلة الثلاثاء ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وإنا أنزلناه وقل هو الله أحد سبع مرات أعتق الله رقبته من النار ويكون يوم القيامة قائده ودليله إلى الجنة [٥] » .

ليلة الأربعاء : روت فاطمة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ليلة الأربعاء ركعتين يقرأ فى الأول فاتحة الكتاب وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات ، وفى الثانية بعد الفاتحة قل أعوذ برب الناس عشر مرات

---

(١) حديث نافع عن ابن عمر « من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى أربع ركعات . . الحديث » أخرجه الدارقطنى فى غرائب مالك وقال لا يصح وعبد الله بن وصيف مجهول والخطيب فى الرواة عن مالك وقال غريب جدا ولا أعرف له وجها غير هذا

(٢) حديث أبى هريرة « من صلى يوم السبت أربع ركعات .. الحديث » أخرجه أبو موسى المدينى فى كتاب وظائف الليالى والأيام بسند ضعيف جدا

(٣) حديث « من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة .. الحديث » ذكره أبو موسى المدينى بغير اسناد وهو منكر وروى أبو موسى من حديث أنس « فى فضل الصلاة فيها ست ركعات وأربع ركعات » وكلاهما ضعيف جدا

(٤) حديث « الأعمش عن أنس « من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات .. الحديث » ذكره أبو موسى المدينى هكذا عن الأعمش بغير اسناد من رواية يزيد الرقاشى عن أنس حديثا « فى صلاة ست ركعات فيها » وهو منكر .

(٥) حديث « الصلاة فى ليلة الثلاثاء ركعتين .. الحديث » ذكره أبو موسى بغير اسناد حكاية عن بعض المصنفين وأسند من حديث ابن مسعود وجابر حديثا « فى صلاة أربع ركعات فيها » وكلها منكرة

ثم إذا سلم استغفر الله عشر مرات ثم يصلى على محمد صلى الله عليه وسلم عشر مرات نزل من كل سماء سبعون ألف ملك يكتبون ثوابه إلى يوم القيامة [١] ، وفى حديث آخر « ست عشرة ركعة يقرأ بعد الفاتحة ماشاء الله ويقرأ فى آخر الركعتين آية الكرسى ثلاثين مرة وفى الأولين ثلاثين مرة قل هو الله أحد يشفع فى عشرة من أهل بيته كلهم وجبت عليهم النار » وروت فاطمة رضى الله عنها أنها قالت « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى ليلة الأربعاء ست ركعات قرأ فى ركعة بعد الفاتحة قل اللهم مالك الملك إلى آخر الآية فإذا فرغ من صلاته يقول جزى الله محمدا عنا ماهو أهله غفر له ذنوب سبعين سنة وكتب له براءة من النار [٢] » .

ليلة الخميس : قال أبو هريرة رضى الله عنه « قال النبى صلى الله عليه وسلم : من صلى ليلة الخميس مابين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى خمس مرات وقل هو الله أحد خمس مرات والمعوذتين خمس مرات فإذا فرغ من صلاته استغفر الله تعالى خمس عشر مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد أدى حق والديه عليه وإن كان عاقا لهما وأعطاه الله تعالى ما يعطى الصديقين والشهداء [٣] » .

ليلة الجمعة : قال جابر « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة فكأنما عبد الله تعالى اثنتى عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلها [٤] » وقال أنس « قال النبى صلى الله عليه وسلم : من صلى ليلة الجمعة صلاة العشاء الآخرة فى جماعة وصلى ركعتى السنة ثم صلى بعدهما عشر ركعات قرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوذتين مرة مرة ثم أوتر بثلاث ركعات ونام على جنبه الأيمن وجّهه إلى القبلة فكأنما أحيا ليلة القدر [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « أكثروا من الصلاة على فى الليلة الغراء واليوم الأزهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة [٦] » .

ليلة السبت : قال أنس « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة بنى له قصر فى الجنة وكأنما تصدّق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهود وكان حقا على الله أن يغفر له [٧] » .

القسم الثالث مايتكرر بتكرر السنين

وهى أربعة : صلاة العيدين والتراويح وصلاة رجب وشعبان (الأولى) صلاة العيدين : وهى سنة مؤكدة وشعار من شعائر الدين وينبغى أن يراعى فيها سبعة أمور : الأول . التكبير ثلاثا نسقا فيقول « الله أكبر الله أكبر

---

(١) حديث « من صلى ليلة الأربعاء ركعتين . الحديث » لم أجد فيه إلا حديث جابر « فى صلاة أربع ركعات فيها » ورواه أبو موسى المدينى وروى من حديث أنس « ثلاثين ركعة » (٢) حديث فاطمة « من صلى ست ركعات فى ليلة الأربعاء ... الحديث » أخرجه أبو موسى المدينى بسند ضعيف جدا (٣) حديث أبى هريرة « من صلى ليلة الخميس مابين المغرب والعشاء ركعتين .. الحديث » أخرجه أبو موسى المدينى وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس بسند ضعيف جدا وهو منكر

(٤) حديث جابر « من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة .. الحديث » باطل لا أصل له

(٥) حديث أنس « من صلى ليلة الجمعة العشاء الآخرة فى جماعة وصلى ركعتى السنة ثم صلى بعدها عشر ركعات .. الحديث » باطل لا أصل له وروى المظفر بن الحسين الأرجانى فى كتاب فضائل القرآن وإبراهيم بن المظفر فى كتاب وصول القرآن للميت من حديث أنس « من صلى ركعتين ليلة الجمعة قرأ فيهما بفاتحة الكتاب وإذا زلزلت خمس عشرة مرة » وقال إبراهيم بن المظفر « خمسين مرة أمنه الله من عذاب القبر ومن أهوال يوم القيامة » ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من هذا الوجه ومن حديث ابن عباس أيضاً وكلها ضعيفة منكرة وليس يصح فى أيام الأسبوع ولياليه شىء والله أعلم (٦) حديث « أكثروا على من الصلاة فى الليلة الغراء واليوم الأزهر » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة وفيه عبد المنعم بن بشير ضعفه ابن معين وابن حبان (٧) حديث أنس « من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة .. الحديث » لم أجد له أصلا

الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » يفتتح بالتكبير ليلة الفطر إلى الشروع فى صلاة العيد ، وفى العيد الثانى يفتتح التكبير عقيب الصبح يوم عرفة إلى آخر النهار يوم الثالث عشر ، وهذا أكمل الأقاويل . ويكبر عقيب الصلوات المفروضة وعقيب النوافل وهو عقيب الفرائض آكد : الثانى : إذا أصبح يوم العيد يغتسل ويتزين ويتطيب كما ذكرناه فى الجمعة والرداء والعمامة هو الأفضل للرجال ، وليجنب الصبيان الحرير والعجائز التزين عند الخروج . الثالث : أن يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر[1] هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم « يأمر بإخراج العواتق وذوات الخدور[2] » . الرابع : المستحب الخروج إلى الصحراء إلا بمكة وبيت المقدس ، فإن كان يوم مطر فلا بأس بالصلاة فى المسجد ، ويجوز فى يوم الصحو أن يأمر الإمام رجلا يصلى بالضعفة فى المسجد ويخرج بالأقوياء مكبرين . الخامس : يراعى الوقت فوقت صلاة العيد ما بين طلوع الشمس إلى الزوال . ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر خطبتين وركعتين إلى آخر اليوم الثالث عشر . ويستحب تعجيل صلاة الأضحى لأجل الذبح وتأخير صلاة الفطر لأجل تفريق صدقة الفطر قبلها . هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] . السادس : فى كيفية الصلاة فليخرج الناس مكبرين فى الطريق . وإذا بلغ الإمام المصلى لم يجلس ولم يتنفل ويقطع الناس التنفل . ثم ينادى مناد : الصلاة جامعة . ويصلى الإمام بهم ركعتين يكبر فى الأولى سوى تكبيرة الإحرام والركوع سبع تكبيرات يقول بين كل تكبيرتين « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » ويقول « وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض » عقيب تكبيرة الافتتاح ويؤخر الاستعاذة إلى ما وراء الثامنة ويقرأ « سورة ق » فى الأولى بعد الفاتحة « واقتربت » فى الثانية . والتكبيرات الزائدة فى الثانية خمس سوى تكبيرتى القيام والركوع . وبين كل تكبيرتين ما ذكرناه . ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة ومن فاتته صلاة العيد قضاها ، السابع : أن يضحى بكبش « ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين وذبح بيده وقال « بسم الله والله أكبر هذا عنى وعمن لم يضح من أمتى[4] » وقال صلى الله عليه وسلم : « من رأى هلال ذى الحجة وأراد أن يضحى فلا يأخذ من شعره ولا من أظفاره شيئاً[5] » قال أبو أيوب الأنصارى : كان الرجل يضحى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة عن أهل بيته ويأكلون ويطعمون[6] . وله أن يأكل من الضحية بعد ثلاثة أيام فما فوق ، وردت فيه الرخصة بعد النهى عنه . وقال سفيان الثورى : يستحب أن يصلى بعد عيد الفطر اثنتى عشرة ركعة وبعد عيد الأضحى ست ركعات[7] وقال هو من السنة (الثانية) التراويح : وهى عشرون ركعة

---

(١) حديث « الخروج فى طريق والرجوع فى أخرى » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة

(٢) حديث « كان يأمر بإخراج العواتق وذوات الخدور » متفق عليه من حديث أم عطية

(٣) حديث « تعجيل صلاة الأضحى وتأخير صلاة الفطر » أخرجه الشافعى من رواية أبى الحويرث مرسلا أن النبى صلى الله عليه وسلم كتب إلى عمرو بن حزم وهو بنجران أن عجل الأضحى وأخر الفطر

(٤) حديث « ضحى بكبشين أملحين وذبح بيده وقال . بسم الله والله أكبر هذا عنى وعمن لم يضح من أمتى » متفق عليه دون قوله « عنى » الخ من حديث أنس وهذه الزيادة عند أبى داود والترمذى من حديث جابر وقال الترمذى غريب ومنقطع .

(٥) حديث « من رأى هلال ذى الحجة وأراد أن يضحى فلا يأخذ من شعره وأظفاره » أخرجه من حديث أم سلمة .

(٦) حديث أبى أيوب « كان الرجل يضحى على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشاة عن أهله فيأكلون ويطعمون » أخرجه الترمذى وابن ماجه قال الترمذى حسن صحيح (٧) قال سفيان الثورى : من السنة أن يصلى بعد الفطر اثنتى عشرة ركعة وبعد الأضحى ست ركعات . لم أجد له أصلا فى كونه سنة وفى الحديث الصحيح ما يخالفه وهو أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل قبلها ولا بعدها وقد اختلفوا فى قول التابعى : من السنة كذا ؛ وأما قول تابعى التابع كذلك كالثورى فهو مقطوع .

وكيفيتها مشهورة وهي سنة مؤكدة وإن كانت دون العيدين واختلفوا في أنّ الجماعة فيها أفضل أم الانفراد ؟ وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ليلتين أو ثلاثا للجماعة ثم لم يخرج وقال « أخاف أن توجب عليكم[1] » وجمع عمر رضي الله عنه الناس عليها في الجماعة حيث أمن من الوجوب بانقطاع الوحي ؛ فقيل إنّ الجماعة أفضل لفعل عمر رضي الله عنه ولأنّ الاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرائض ولأنه ربما يكسل في الانفراد وينشط عند مشاهدة الجمع . وقيل الانفراد أفضل لأنّ هذه سنة ليست من الشعائر كالعيدين فإلحاقها بصلاة الضحى وتحية المسجد أولى ولم تشرع فيها جماعة . وقد جرت العادة بأن يدخل المسجد جمع معا ثم لم يصلوا التحية بالجماعة ولقوله صلى الله عليه وسلم « فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت[2] » وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال « صلاة في مسجدي هذا أفضل من مائة صلاة في غيره من المساجد وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدي ، وأفضل من ذلك كله رجل يصلي في زاوية بيته ركعتين لا يعلمها إلا الله عز وجل[3] » وهذا لأنّ الرياء والتصنع ربما يتطرق إليه في الجمع ويأمن منه في الوحدة فهذا ما قيل فيه . والمختار أن الجماعة أفضل كما رآه عمر رضي الله عنه . فإنّ بعض النوافل قد شرعت فيها الجماعة وهذا جدير أن يكون من الشعائر التي تظهر . وأما الالتفات إلى الرياء في الجمع والكسل في الانفراد عدول عن مقصود النظر في فضيلة الجمع من حيث إنه جماعة ، وكأنّ قائله يقول : الصلاة خير من تركها بالكسل والإخلاص خير من الرياء . فلنفرض المسألة فيمن يثق بنفسه أنه لا يكسل لو انفرد ولا يرائي لو حضر الجمع فأيهما أفضل له ؟ فيدور النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الإخلاص وحضور القلب في الوحدة ، فيجوز أن يكون في تفضيل أحدهما على الآخر تردد ومما يستحب القنوت في الوتر في النصف الأخير من رمضان . أما صلاة رجب : فقد روى بإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما من أحد يصوم أول خميس من رجب ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وإنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات وقل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة ، فإذا فرغ من صلاته صلى على سبعين مرة يقول : اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة : سبوح قدوس رب الملائكة والروح ، ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة : رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم ، ثم يسجد سجدة أخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الأولى ثم يسأل حاجته في سجوده فإنها تقضى[4] » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يصلي أحد هذه الصلاة إلا غفر

---

(١) حديث « خرجه لقيام رمضان ليلتين أو ثلاثا ثم لم يخرج وقال أخاف أن يوجب عليكم » متفق عليه من حديث عائشة بلفظ « خشيت أن تفرض عليكم » (٢) حديث « فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت » رواه آدم بن أبي إياس في كتاب الفوات من حديث ضمرة بن حبيب مرسلا ورواه ابن أبي شيبة في المصنف لجعله عن ضمرة بن حبيب عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم موقوفا . وفي سنن أبي داود بإسناد صحيح من حديث زيد بن ثابت صلاة المرء في بيته أفضل من صلاته في مسجدي هذا إلا المكتوبة

(٣) حديث « صلاة في مسجدي هذا أفضل من مائة صلاة في غيره وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدي وأفضل من هذا كله رجل يصلي ركعتين في زاوية بيته لا يعلمها الا الله » أخرجه أبو الشيخ في الثواب من حديث أنس « صلاة في مسجدي تعدل بعشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة والصلاة بأرض الرباط تعدل بألفي ألف صلاة وأكثر من ذلك كله الركعتان يصليهما العبد في جوف الليل لا يريد بهما إلا وجه الله عز وجل » وإسناده ضعيف وذكر أبو الوليد الصفار في كتاب الصلاة تعليقا من حديث الأوزاعي قال : دخلت على يحيى فأسند لي حديثا فذكره ، إلا أنه قال في الأولى « ألف » وفي الثانية « مائة » (٤) حديث « ما من أحد يصوم أول خميس من رجب ... الحديث » في صلاة الرغائب أورده رزين في كتابه وهو حديث موضوع

الله تعالى له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الأشجار ويشفع يوم القيامة فى سبعمائة من أهل بيته ممن قد استوجب النار ، فهذه صلاة مستحبة ، وإنما أوردناها فى هذا القسم لأنها تتكرر بتكرر السنين وإن كانت رتبتها لاتبلغ رتبة التراويح وصلاة العيد لأنّ هذه الصلاة نقلها الآحاد ،ولكنى رأيت أهل القدس بأجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها فأحببت إيرادها . وأما صلاة شعبان : فليلة الخامس عشر منه يصلى مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة ، وإن شاء صلى عشر ركعات يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله أحد ، فهذا أيضا مروى فى جملة الصلوات كان السلف يصلون هذه الصلاة ويسمونها صلاة الخير ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة . روى عن الحسن أنه قال: حدثنى ثلاثون من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أنّ من صلى هذه الصلاة فى هذه الليلة نظر الله اليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة[1]

القسم الرابع من النوافل : مايتعلق بأسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهى تسعة

صلاة الخسوف والكسوف والاستسقاء وتحية المسجد وركعتى الوضوء وركعتين بين الأذان والإقامة وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول فيه . ونظائر ذلك فنذكر منها ما يحضرنا الآن ﴿ الأولى ﴾ صلاة الخسوف: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة [2] » قال ذلك لما مات ولده إبراهيم صلى الله عليه وسلم وكسفت الشمس فقال الناس . إنما كسفت لموته . والنظر فى كيفيتها ووقتها ، أما الكيفية . فإذا كسفت الشمس فى وقت الصلاة فيه مكروهة أو غير مكروهة نودى « الصلاة جامعة » وصلى الإمام بالناس فى المسجد ركعتين وركع فى كل ركعة ركوعين أوائلهما أطول من أواخرهما . ولا يجهر فيقرأ فى الأولى من قيام الركعة الأولى الفاتحة والبقرة ؛ وفى الثانية الفاتحة وآل عمران ، وفى الثالثة الفاتحة وسورة النساء ، وفى الرابعة الفاتحة وسورة المائدة ، أو مقدار ذلك من القرآن من حيث أراد ، ولو اقتصر على الفاتحة فى كل قيام أجزأه ولو اقتصر على سور قصار فلا بأس . ومقصود التطويل دوام الصلاة إلى الإنجلاء . ويسبح فى الركوع الأول قدر مائة آية ، وفى الثانى قدر ثمانين ، وفى الثالث قدر سبعين ، وفى الرابع قدر خمسين . وليكن السجود على قدر الركوع فى كل ركعة . ثم يخطب خطبتين بعد الصلاة بينهما جلسة ويأمر الناس بالصدقة والعتق والتوبة . وكذلك يفعل بخسوف القمر إلا أنه يجهر فيها لأنها ليلية . فأما وقتها فعند ابتداء الكسوف إلى تمام الانجلاء ويخرج وقتها بأن تغرب الشمس كاسفة . وتفوت صلاة خسوف القمر بأن يطلع قرص الشمس إذ يبطل سلطان الليل ولا تفوت بغروب القمر خاسفا لأن الليل كله سلطان القمر، فان انجلى فى أثناء الصلاة أتمها مخففة . ومن أدرك الركوع الثانى مع الإمام فقد فاتته تلك الركعة لأن الأصل هو الركوع الأول ﴿ الثانية ﴾ صلاة الاستسقاء : فاذا غارت الأنهار وانقطعت الأمطار أو إنهارت قناة فيستحب للإمام أن يأمر الناس أولا بصيام ثلاثة أيام وما أطاقوا من الصدقة والخروج من المظالم والتوبة من المعاصى ، ثم يخرج بهم فى اليوم الرابع وبالعجائز والصبيان متنظفين فى ثياب بذلة واستكانة متواضعين ـ بخلاف العيد ـ وقيل يستحب

---

(١) حديث « صلاة ليلة نصف شعبان » حديث باطل رواه ابن ماجه من حديث على « إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها » وأسناده ضعيف (٢) حديث « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله .. الحديث » أخرجاه من حديث المغيرة بن شعبة

إخراج الدواب لمشاركتها فى الحاجة ولقوله صلى الله عليه وسلم « لولا صبيان رضع ومشايخ ركع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا [1] » ولو خرج أهل الذمة أيضا متميزين لم يمنعوا فإذا اجتمعوا فى المصلى الواصل من الصحراء نودى « الصلاة جامعة » فصلى بهم الامام ركعتين مثل صلاة العيد - بغير تكبير - ثم يخطب خطبتين وبينهما جلسة خفيفة ، وليكن الاستغفار معظم الخطبتين ، وينبغى فى وسط الخطبة الثانية ، أن يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحول رداءه فى هذه الساعة تفاؤلا بتحويل الحال [2] . هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجعل أعلاه أسفله وما على اليمين على الشمال وما على الشمال على اليمين . وكذلك يفعل الناس ويدعون فى هذه الساعة سراً ، ثم يستقبلهم فيختم الخطبة ويدعون أرديتهم محولة كما هى حتى ينزعوها متى نزعوا الثياب . ويقول فى الدعاء : اللهم إنك أمرتنا بدعائك ووعدتنا إجابتك فقد دعوناك كما أمرتنا فأجبنا كما وعدتنا اللهم فامنن علينا بمغفرة ما قارفنا وإجابتك فى سقيانا وسعة أرزاقنا . ولا بأس بالدعاء أدبار الصلوات فى الأيام الثلاثة قبل الخروج ولهذا الدعاء آداب وشروط باطنة من التوبة ورد المظالم وغيرها ، وسيأتى ذلك فى كتاب الدعوات (الثالثة) صلاة الجنائز : وكيفيتها مشهورة وأجمع دعاء مأثور ماروى فى الصحيح عن عوف بن مالك قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على جنازة فحفظت من دعائه : اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وأبدله داراً خيراً من داره وأهلا خيرا من أهله وزوجا خيرا من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار [3] » حتى قال عوف : تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت . ومن أدرك التكبيرة الثانية فينبغى أن يراعى ترتيب الصلاة فى نفسه ويكبر مع تكبيرات الإمام فإذا سلم الإمام قضى تكبيره الذى فات كفعل المسبوق ، فإنه لو بادر التكبيرات لم تبق للقدوة فى هذه الصلاة معنى ، فالتكبيرات هى الأركان الظاهرة ، وجدير بأن تقام مقام الركعات فى سائر الصلوات ، هذا هو الأوجه عندى وإن كان غيره محتملا . والأخبار الواردة فى فضل صلاة الجنازة وتشييعها مشهورة فلا نطيل بإيرادها ، وكيف لا يعظم فضلها وهى من فرائض الكفايات ؟ وإنما تصير نفلا فى حق من لم تتعين عليه بحضور غيره ، ثم ينال بها فضل فرض الكفاية وإن لم يتعين لأنهم بجملتهم قاموا بما هو فرض الكفاية وأسقطوا الحرج عن غيرهم ، فلا يكون ذلك كنفل لا يسقط به فرض عن أحد ، ويستحب طلب كثرة الجمع تبركا بكثرة الهمم والأدعية واشتماله على ذى دعوة مستجابة لما روى كريب عن ابن عباس: أنه مات له ابن فقال : يا كريب أنظر ما اجتمع له من الناس قال : فخرجت فاذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته فقال : تقول هم أربعون قلت : نعم ،قال : أخرجوه فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفعهم الله عز وجل فيه [4] » وإذا شيع الجنازة فوصل المقابر أو دخلها ابتداء قال : السلام عليكم أهل هذه الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون . والأولى أن لا ينصرف حتى يدفن الميت فاذا سوى على الميت قبره قام عليه وقال : اللهم عبدك رد اليك فارأف به وارحمه اللهم جاف الأرض عن جنبيه وافتح أبواب السماء لروحه وتقبله منك بقبول حسن اللهم

(١) حديث « لولا صبيان رضع ومشايخ ركع .. الحديث » أخرجه البيهقى وضعفه من حديث أبى هريرة (٢) حديث « استدار الناس واستقبال القبلة وتحويل الرداء فى بالاستسقاء » أخرجاه من حديث عبد الله بن زيد المازنى (٣) حديث عوف بن مالك فى الصلاة على الجنازة « اللهم اغفر لى وله وارحمنى وارحمه وعافنى وعافه .. الحديث » أخرجه مسلم دون الدعاء للمصلى

(٤) حديث ابن عباس « مامن رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون ... الحديث » أخرجه مسلم

إن كان محسنا فضاعف له في إحسانه وإن كان مسيئا فتجاوز عنه (الرابعة) تحية المسجد : ركعتان فصاعدا سنة مؤكدة حتى أنها لا تسقط وإن كان الإمام يخطب يوم الجمعة مع تؤكد وجوب الإصغاء إلى الخطيب . وإن اشتغل بفرض أو قضاء تأدى به التحية وحصل الفضل إذ المقصود أن لا يخلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياما بحق المسجد . ولهذا يكره أن يدخل المسجد على غير وضوء فان دخل لعبور أو جلوس فليقل « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » يقولها أربع مرات يقال إنها عدل ركعتين في الفضل . ومذهب الشافعي رحمه الله أنه لا تكره التحية في أوقات الكراهية : وهي بعد العصر وبعد الصبح ووقت الزوال ووقت الطلوع والغروب ، لما روى « أنه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين بعد العصر فقيل له أما نهيتنا عن هذا ؟ فقال : هما ركعتان كنت أصليهما بعد الظهر فشغلني عنهما الوفد [1] » فأفاد هذا الحديث فائدتين إحداهما : أن الكراهية مقصورة على صلاة لا سبب لها ومن أضعف الأسباب قضاء النوافل إذ اختلف العلماء في أن النوافل هل تقضى وإذا فعل مثل ما فاته هل يكون قضاء ؟ وإذا انتفت الكراهية بأضعف الأسباب فبأحرى أن تنتفي بدخول المسجد وهو سبب قوي . ولذلك لا تكره صلاة الجنازة إذ حضرت ولا صلاة الخسوف والاستسقاء في هذه الأوقات لأن لها أسبابا . الفائدة الثانية : قضاء النوافل إذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولنا فيه أسوة حسنة . وقالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غلبه نوم أو مرض فلم يقم تلك الليلة صلى من أول النهار اثنتي عشرة ركعة [2] » وقد قال العلماء : من كان في الصلاة ففاته جواب المؤذن فإذا سلم قضى وأجاب وإن كان المؤذن سكت ، ولا معنى الآن لقول من يقول : إن ذلك مثل الأول وليس يقضى ، إذ لو كان كذلك لما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت الكراهة . نعم من كان له ورد فعاقه عن ذلك عذر فينبغي أن لا يرخص لنفسه في تركه بل يتداركه في وقت آخر حتى لا تميل نفسه إلى الدعة والرفاهية . وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولأنه صلى الله عليه وسلم قال « أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل [3] » فيقصد به أن لا يفتر في دوام عمله وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من عبد الله عز وجل بعبادة ثم تركها ملالة مقته الله عز وجل [4] » فليحذر أن يدخل تحت الوعيد . وتحقيق هذا الخبر . أنه مقته الله تعالى بتركها ملالة فلولا المقت والإبعاد لما سلطت الملالة عليه (الخامسة) ركعتان بعد الوضوء مستحبتان لأن الوضوء قربة ومقصودها الصلاة والأحداث عارضة فربما يطرأ الحدث قبل صلاة فينتقض الوضوء ويضيع السعي فالمبادرة إلى ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوات . وعرف ذلك بحديث بلال إذ قال صلى الله عليه وسلم « دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت لبلال بم سبقتني إلى الجنة ؟ فقال بلال لا أعرف شيئا إلا أني لا أحدث وضوءا إلا أصلي عقيبه ركعتين [5] » (السادسة) ركعتان عند دخول المنزل وعند الخروج منه : روى أبو هريرة رضي الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء وإذا دخلت إلى منزلك فصل ركعتين

---

(١) حديث « صلى ركعتين بعد العصر قيل له أما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت أصليهما بعد الظهر ... الحديث » أخرجاه من حديث أم سلمة ولمسلم من حديث عائشة « كان يصلي ركعتين قبل العصر ثم انه شغل عنهما .. الحديث »

(٢) حديث عائشة « كان إذا غلبه نوم أو مرض فلم يقم تلك الليلة .. الحديث » أخرجه مسلم (٣) حديث « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » أخرجاه من حديث عائشة (٤) حديث عائشة « من عبد الله عبادة ثم تركها ملالة مقته الله » ورواه ابن السني في رياضة المتعبدين موقوفا على عائشة (٤) حديث « دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت يا بلال بم سبقتني إلى الجنة .. الحديث » أخرجاه من حديث أبي هريرة

يمنعانك مدخل السوء[١] ، وفى معنى هذا كل أمر يبتدأ به مما له وقع، ولذلك ورد ركعتان عند الإحرام[٢] وركعتان عند ابتداء السفر[٣] وركعتان عند الرجوع من السفر[٤] فى المسجد قبل دخول البيت فكل ذلك مأثور من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان بعض الصالحين إذا أكل أكلة صلى ركعتين وإذا شرب شربة صلى ركعتين ، وكذلك فى كل أمر يحدثه . وبداية الأمور ينبغى أن يتبرك فيها بذكر الله عز وجل وهى على ثلاث مراتب : بعضها يتكرر مراراً كالأكل والشرب فيبدأ فيه باسم الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر[٥] » الثانية : مالا يكثر تكرره وله وقع كعقد النكاح وابتداء النصيحة والمشورة فالمستحب فيها أن يصدر بحمد الله فيقول المزوج « الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجتك ابنتى » ويقول القابل « الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلت النكاح » وكانت عادة الصحابة رضى الله عنهم فى ابتداء أداء الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم التحميد . الثالثة : مالا يتكرر كثيراً وإذا وقع دام وكان له وقع كالسفر وشراء دار جديدة والاحرام وما يجرى مجراه فيستحب تقديم ركعتين عليه وأداء الخروج من المنزل والدخول اليه فإنه نوع سفر قريب (السابعة) صلاة الاستخارة : فمن هم بأمر وكان لا يدرى عاقبته ولا يعرف أن الخير فى تركه أو فى الإقدام عليه فقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم « بأن يصلى ركعتين يقرأ فى الأولى فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون ، وفى الثانية الفاتحة وقل هو الله أحد ، فإذا فرغ دعا وقال اللهم إنى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ودنياى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فاقدره لى وبارك لى فيه ثم يسره لى وإن كنت تعلم ان هذا الأمر شر لى فى دينى ودنياى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فاصرفنى عنه واصرفه عنى واقدر لى الخير أينما كان إنك على كل شىء قدير[٦] » رواه جابر بن عبد الله قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا هم احدكم بأمر فليصل ركعتين ثم ليسم الامر ويدعو بما ذكرناه » وقال بعض الحكماء من اعطى اربعا لم يمنع اربعا ، من اعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطى التوبة لم يمنع القبول ومن اعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطى المشورة لم يمنع الصواب (الثامنة) صلاة الحاجة[١] فمن ضاق عليه الامر ومسته حاجة فى صلاح دينه ودنياه إلى امر تعذر عليه فليصل هذه الصلاة فقد روى عن وهيب بن الورد انه قال : إن من الدعاء الذى لا يرد ان يصلى العبد ثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة

---

(١) حديث أبى هريرة « إذا خرجت من منزلك فصلى ركعتين يمنعانك مخرج السوء وإذا دخلت منزلك . . الحديث » أخرجه البيهقى فى الشعب من رواية بسكر بن عمرو عن صفوان بن سليم ، قال بكر حسبته عن أبى سلمة عن أبى هريرة فذكره : وروى الخرائطى فى مكارم الأخلاق وابن عدى فى الكامل من حديث أبى هريرة « إذا دخل أحدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين فإن لله جاعل له من ركعتيه خيرا » قال ابن عدى : وهو بهذا الإسناد منكر وقال البخارى لا أصل له (٢) حديث « ركعتى الإحرام » أخرجه البخارى من حديث ابن عمر . (٣) حديث « صلاة ركعتين عند ابتداء السفر » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث أنس « ما استخلف فى أهله من خليفة أحب الى الله من أربع ركعات يصليهن العبد فى بيته إذا شد عليه ثياب سفره .. الحديث » وهو ضعيف (٤) حديث « الركعتين عند القدوم من السفر » أخرجاه من حديث كعب بن مالك (٥) حديث « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بسم الله فهو أبتر » أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة

(٦) حديث « صلاة الاستخارة » أخرجه البخارى من حديث جابر قال أحمد حديث منكر (٦) حديث ابن مسعود « فى صلاة الحاجة اثنتى عشرة ركعة » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس باسنادين ضعيفين جدا فيهما عمرو بن هارون البلخى كذبه ابن معين وفيه علل أخرى وقد وردت « صلاة الحاجة ركعتين » رواه الترمذى وابن ماجه من حديث عبد الله بن أبى أوفى وقال الترمذى حديث غريب وفى إسناده مقال

بأم الكتاب وآية الكرسى وقل هو الله أحد فإذا فرغ خرّ ساجدا ثم قال « سبحان الذى لبس العز وقال به سبحان الذى تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذى أحصى كل شىء بعلمه سبحان الذى لاينبغى التسبيح إلا له سبحان ذى المن والفضل سبحان ذى العز والكرم سبحان ذى الطول أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم وجدك الأعلى وكلماتك التامات العامات التى لايجاوزهن بر ولا فاجر أن تصلى على محمد وعلى آل محمد » ثم يسأل حاجته التى لامعصية فيها فيجاب إن شاء الله عز وجل . قال وهيب : بلغنا أنه كان يقال : لا تعلموها لسفهائكم فيتعاونون بها على معصية الله عزوجل (التاسعة) صلاة التسبيح : وهذه الصلاة مأثورة على وجهها ولاتختص بوقت ولا بسبب ويستحب أن لايخلو الأسبوع عنها مرة واحدة أو الشهر مرة . فقد روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما « أنه صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب : ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك بشىء إذا أنت فعلته غفر الله لك ذنبك أوله وآخره قديمه وحديثه خطأه وعمده سره وعلانيته تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة ، فإذا فرغت من القراءة فى أول ركعة وأنت قائم تقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشر مرات ، ثم ترفع من الركوع فتقولها قائما عشرا ، ثم تسجد فتقولها عشرا ، ثم ترفع من السجود فتقولها جالسا عشرا ، ثم تسجد فتقولها وأنت ساجد عشرا ، ثم ترفع من السجود فتقولها عشرا ، فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة تفعل ذلك فى أربع ركعات إن استطعت أن تصليها فى كل يوم مرة فافعل فإن لم تفعل ففى كل جمعة مرة فإن لم تفعل ففى كل شهر مرة فإن لم تفعل ففى السنة مرة [1] » وفى رواية أخرى « أنه يقول فى أول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك إسمك وتعالى جدك وتقدست أسماؤك ولا إله غيرك ، ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشرا بعد القراءة والباقى كما سبق عشرا عشرا ولايسبح بعد السجود الأخير قاعدا ، وهذا هو الأحسن وهو اختيار ابن المبارك . والمجموع من الروايتين ثلثمائة تسبيحة فإن صلاها نهارا فبتسليمة واحدة وإن صلاها ليلا فبتسليمتين أحسن ؛ إذ ورد . أن صلاة الليل مثنى مثنى [2] » وإن زاد بعد التسبيح قوله « لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم » فهو حسن فقد ورد ذلك فى بعض الروايات فهذه الصلوات المأثورة . ولا يستحب شىء من هذه النوافل فى الأوقات المكروهة إلا تحية المسجد « وما أوردناه بعد التحية من ركعتى الوضوء وصلاة السفر والخروج من المنزل والاستخار فلا لأن النهى مؤكد وهذه الأسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الخسوف والاستسقاء والتحية . وقد رأيت بعض المتصوفة يصلى فى الأوقات المكروهة ركعتى الوضوء وهو فى غاية البعد لأن الوضوء لايكون سببا للصلاة بل الصلاة سبب الوضوء . فينبغى أن يتوضأ ليصلى لاأنه يصلى لأنه توضأ . وكل محدث يريد أن يصلى فى وقت الكراهية فلا سبيل له إلا أن يتوضأ ويصلى فلا يبقى للكراهية معنى . ولاينبغى أن ينوى ركعتى الوضوء كما ينوى ركعتى التحية بل إذا توضأ صلى ركعتين تطوعا كيلا يتعطل وضوءه كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء . وحديث بلال لم يدل على أن الوضوء سبب كالخسوف والتحية حتى ينوى ركعتى الوضوء فيستحيل أن ينوى بالصلاة الوضوء بل ينبغى أن ينوى بالوضوء الصلاة . وكيف ينتظم أن يقول فى وضوئه أتوضأ لصلاتى وفى صلاته يقول أصلى لوضوئى ، بل من أراد أن يحرس وضوءه عن التعطيل فى وقت الكراهية فليتو قضاء إن كان يجوز أن يكون فى ذمته صلاة تطرق إليها خلل لسبب من الأسباب فإن قضاء الصلوات فى أوقات الكراهية غير مكروه « فأمانية التطوع فلا وجه لها . ففى النهى فى أوقات الكراهية مهمات ثلاثة

(١) حديث « صلاة التسبيح » تقدم (٢) حديث « صلاة الليل مثنى مثنى » أخرجاه من حديث ابن عمر

أحدها التوقى من مضاهاة عبدة الشمس ، والثانى : الاحتراز من انتشار الشياطين إذ قال صلى الله عليه وسلم « إن الشمس لتطلع ومعها قرن الشيطان فإذا طلعت قارنها وإذا ارتفعت فارقها فإن استوت قارنها فإذا زالت فارقها فإذا تضيفت للغروب قارنها فإذا غربت فارقها » ونهى عن الصلوات فى هذه الأوقات ونبه به على العلة ، والثالث : أن سالكى طريق الآخرة لايزالون يواظبون على الصلوات فى جميع الأوقات . والمواظبة على نمط واحد من العبادات يورث الملل . ومهما منع منها ساعة زاد النشاط وانبعثت الدواعى ، والإنسان حريص على مامنع منه ففى تعطيل هذه الأوقات زيادة تحريض وبعث على انتظار انقضاء الوقت ، فخصصت هذه الأوقات بالتسبيح والاستغفار حذرا من الملل بالمداومة وتفرجا بالانتقال من نوع عبادة إلى نوع آخر . ففى الاستطراف والاستجداد لذة ونشاط وفى الاستمرار على شىء واحد استثقال وملال . ولذلك لم تكن الصلاة سجودا مجردا ولا ركوعا مجردا ولا قياما مجردا بل رتبت العبادات من أعمال مختلفة وأذكار متباينة ، فإن القلب يدرك من كل عمل منهما لذة جديدة عند الانتقال إليها ولو واظب على الشىء الواحد لتسارع إليه الملل . فإذا كانت هذه أمورا مهمة فى النهى عن ارتكاب أوقات الكراهة إلى غير ذلك من أسرار أخر ليس فى قوة البشر الاطلاع عليها والله ورسوله أعلم بها . فهذه المهمات لاتترك إلا بأسباب مهمة فى الشرع مثل قضاء الصلوات وصلاة الاستسقاء والخسوف وتحية المسجد . فأما ما ضعف عنها فلا ينبغى أن يصادم به مقصود النهى . هذا هو الأوجه عندنا والله أعلم .

كمل كتاب : أسرار الصلاة من كتاب إحياء علوم الدين . يتلوه إن شاء الله كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه . والحمد لله وحده وصلاته على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

كتاب أسرار الزكاة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أسعد وأشقى وأمات وأحيا وأضحك وأبكى وأوجد وأفنى وأفقر وأغنى وأضر وأقنى الذى خلق الحيوان من نطفة تمنى ، ثم تفرد عن الخلق بوصف الغنى ، ثم خصص بعض عباده بالحسنى فأفاض عليهم من نعمة ماأيسر به من شاء واستغنى وأحوج إليه من أخفق فى رزقه وأكدى إظهارا للامتحان والابتلا . ثم جعل الزكاة للدين أساسا ومبنى وبين أن بفضله تزكى من عباده من تزكى ومن غناه زكى ماله من زكى والصلاة على محمد المصطفى سيد الورى وشمس الهدى وعلى آله وأصحابه المخصوصين بالعلم والتقى .

أما بعد : فإن الله تعالى جعل الزكاة إحدى مبانى الإسلام وأردف بذكرها الصلاة التى هى أعلى الأعلام فقال تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وقال صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة [٢] » وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) ومعنى الإنفاق فى سبيل الله إخراج حق الزكاة قال

---

(١) حديث « إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها ... الحديث » أخرجه النسائى من حديث عبد الله الصنابحى وهو مرسل ومالك هو الذى يقول عبد الله الصنابحى ووهم فيه والصواب عبد الرحمن ولم ير النبى صلى الله عليه وسلم

كتاب أسرار الزكاة

(٢) حديث « بنى الإسلام على خمس » أخرجاه من حديث ابن عمر

الأحنف بن قيس : كنت فى نفر من قريش فمر أبو ذر فقال بشر الكانزين بكى فى ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكى فى أقفائهم يخرج من جباههم . وفى رواية أنه يوضع على حلمة ثدى أحدهم فيخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل ـ وقال أبو ذر : انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رآنى قال « هم الأخسرون ورب الكعبة فقلت ومن هم : قال : الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ماهم ، مامن صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لايؤدى زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ماكانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس [1] » وإذا كان هذا التشديد مخرجا فى الصحيحين فقد صار من مهمات الدين الكشف عن أسرار الزكاة وشروطها الجلية والخفية ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصار على مالايستغنى عن معرفته مؤدى الزكاة وقابضها وينكشف ذلك فى أربعة فصول (الفصل الأول) فى أنواع الزكاة وأسباب وجوبها (الثانى) آدابها وشروطها الباطنة والظاهرة (الثالث) فى القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضه (الرابع) فى صدقة التطوع وفضلها

الفصل الأول : فى أنواع الزكاة وأسباب وجوبها والزكوات باعتبار متعلقاتها ستة أنواع : زكاة النعم والنقدين والتجارة وزكاة الركاز والمعادن وزكاة المعشرات وزكاة الفطر

النوع الأول : زكاة النعم

ولاتجب هذه الزكاة وغيرها إلا على حر مسلم . ولا يشترط البلوغ بل تجب فى مال الصبى والمجنون هذا شرط من عليه . وأما المال فشروطه خمسة : أن يكون نعما سائمة باقية حولا نصابا كاملا مملوكا على الكمال (الشرط الأول) كونه نعما فلا زكاة إلا فى الإبل والبقر والغنم . أما الخيل والبغال والحمير والمتولد من بين الظباء والغنم فلازكاة فيها (الثانى) السوم : فلا زكاة فى معلوفة وإذا أسيمت فى وقت وعلفت فى وقت تظهر بذلك مؤنتها فلازكاة فيها (الثالث) الحول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا زكاة فى مال حتى يحول عليه الحول [2] » ويستثنى من هذا نتاج الحول (الرابع) كمال الملك والتصرف : فتجب الزكاة فى الماشية المرهونة لأنه الذى حجر على نفسه فيه ولاتجب فى الضال والمغصوب إلا إذا عاد بجميع نمائه فيجب زكاة مامضى عند عوده ولو كان عليه دين يستغرق ماله فلا زكاة عليه فإنه ليس غنيا به إذ الغنى مايفضل عن الحاجه . (الخامس) كمال النصاب .

أما الإبل فلا شىء فيها حتى تبلغ خمسا ففيها جذعة من الضأن والجذعة هى التى تكون فى السنة الثانية ، أو ثنية من المعز وهى التى تكون فى السنة الثالثة . وفى عشر شاتان ، وفى خمس عشرة ثلاث شياه . وفى عشرين أربع شياه . وفى خمس وعشرين بنت مخاض وهى التى فى السنة الثانية ، فإن لم يكن فى ماله بنت مخاض فابن لبون ذكر وهو الذى فى السنة الثالثة يؤخذ إن كان قادرا على شرائها . وفى ست وثلاثين ابنة لبون . ثم إذا بلغت ستا وأربعين ففيها حقة وهى التى فى السنة الرابعة . فإذا صارت إحدى وستين ففيها جذعة وهى التى فى السنة الخامسة ، فإذا صارت ستا وسبعين ففيها بنتا لبون . فإذا صارت إحدى وتسعين ففيها حقتان . فإذا صارت إحدى وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون . فإذا صارت مائة وثلاثين فقد استقر الحساب ؛ ففى كل خمسين حقة ، وفى كل أربعين بنت لبون .

---

(١) حديث أبى ذر « انتهيت الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رآنى قال هم الأخسرون ورب الكعبة . . الحديث » أخرجاه مسلم والبخارى (٢) حديث « لا زكاة فى مال حتى يحول عليه الحول » أخرجه أبو داود من حديث على بإسناد جيد وابن ماجه من حديث عائشة بإسناد ضعيف

وأما البقر فلا شيء فيها حتى تبلغ ثلاثين ففيها تبيع وهو الذى فى السنة الثانية . ثم فى أربعين مسنة وهى التى فى السنة الثالثة . ثم فى ستين تبيعان . واستقر الحساب بعد ذلك . ففى كل أربعين مسنة . وفى كل ثلاثين تبيع .

وأما الغنم فلا زكاة فيها حتى تبلغ أربعين ففيها شاة جذعة من الضأن أو ثنية من المعز . ثم لاشيء فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان . إلى مائتى شاة وواحدة فيها ثلاث شياه إلى أربعمائة ففيها أربع شياه . ثم استقر الحساب فى كل مائة شاة . وصدقة الخليطين كصدقة المالك الواحد فى النصاب فإذا كان بين رجلين أربعون من الغنم ففيها شاة . وإن كان بين ثلاثة نفر مائة شاة وعشرون ففيها شاة واحدة . على جميعهم . وخلطة الجوار كخلطة الشيوع ولكن يشترط أن يريحا معا ويسقيا معا ويحلبا معا ويسرحا معا ويكون المرعى معا ويكون إنزاء الفحل معا . وأن يكونا جميعاً من أهل الزكاة ولا حكم للخلطة مع الذمى والمكاتب . ومهما نزل فى واجب الإبل عن سنّ إلى سنّ فهو جائز مالم يجاوز بنت مخاض فى النزول . ولكن تضم إليه جبران السنّ لسنة واحدة شاتين أو عشرين درهما . ولسنتين أربع شياه أو أربعين درهما . وله أن يصعد فى السنّ مالم يجاوز الجذعة فى الصعود ويأخذ الجبران من الساعين من بيت المال . ولا تؤخذ فى الزكاة مريضة إذا كان بعض المال صحيحا ولو واحدة . ويؤخذ من الكرائم كريمة ومن اللئام لئيمة . ولا يؤخذ من المال الأكولة ولا الماخض ولا الربا ولا الفحل ولا غراء المال .

النوع الثانى : زكاة المعشرات

فيجب العشر فى كل مستنبت مقتات بلغ ثمانمائة منّ ولا شيء فيما دونها ولا فى الفواكه والقطن ، ولكن فى الحبوب التى تقتات وفى التمر والزبيب . ويعتبر أن تكون ثمانمائة منّ تمراً أو زبيباً لارطبا وعنبا ، ويخرج ذلك بعد التجفيف . ويكمل مال أحد الخليطين بمال الآخر فى خلطة الشيوع كالبستان المشترك بين ورثة لجميعهم ثمانمائة منّ من زبيب ، فيجب على جميعهم ثمانون منا من زبيب بقدر حصصهم . ولا يعتبر خلطة الجوار فيه . ولا يكمل نصاب الحنطة بالشعير . ويكمل نصاب الشعير بالسلت فإنه نوع منه ، هذا قدر الواجب إن كان يسقى بسيح أوقناة فإن كان يسقى بنضح أو دالية فيجب نصف العشر ، فإن اجتمعا فالأغلب يعتبر . وأما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابس والحب اليابس بعد التنقية . ولا يؤخذ عنب ولا رطب إلا إذا حلت بالأشجار آفة وكانت المصلحة فى قطعها قبل تمام الإدراك ، فيؤخذ الرطب فيكال تسعة للمالك وواحد للفقير . ولا يمنع من هذه القسمة قولنا : إنّ القسمة بيع ، بل يرخص فى مثل هذا للحاجة . ووقت الوجوب أن يبدو الصلاح فى الثمار وأن يشتد الحب . ووقت الأداء بعد الجفاف .

النوع الثالث : زكاة النقدين

فإذا تم الحول على وزن مائتى درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم ، وهو ربع العشر ، وما زاد فبحسابه ولو درهما . ونصاب الذهب عشرون مثقالا خالصاً بوزن مكة ففيها ربع العشر ، وما زاد فبحسابه ، وإن نقص من النصاب حبة فلا زكاة . وتجب على من معه دراهم مغشوشة إذا كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة . وتجب الزكاة فى التبر وفى الحلى المحظور كأوانى الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال . ولا تجب فى الحلى المباح . وتجب فى الدين الذى هو على ملىء ولكن تجب عند الاستيفاء وإن كان مؤجلا فلا تجب إلا عند حلول الأجل .

النوع الرابع : زكاة التجارة

وهى كزكاة النقدين ، وإنما ينعقد الحول من وقت ملك النقد الذى به اشترى البضاعة إن كان النقد نصابا ؛ فإن كان ناقصا أو اشترى بعرض على نية التجارة فالحول من وقت الشراء . وتؤدى الزكاة من نقد البلد وبه يقوّم . فإن كان ما به الشراء نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به أولى من نقد البلد . ومن نوى التجارة من مال قنية فلا ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشترى به شيئاً ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكاة . والأولى أن تؤدى زكاة تلك السنة ، وما كان من ربح فى السلعة فى آخر الحول وجبت الزكاة فيه بحول رأس المال ولم يستأنف له حولا كما فى النتاج . وأموال الصيارفة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات وزكاة ربح مال القراض على العامل وإن كان قبل القسمة ؛ هذا هو الأقيس .

النوع الخامس : الركاز والمعدن

والركاز مال دفن فى الجاهلية ووجد فى أرض لم يجر عليها فى الإسلام ملك ، فعلى واجده فى الذهب والفضة منه الخمس والحول غير معتبر . والأولى أن لا يعتبر النصاب أيضاً لأنّ إيجاب الخمس يؤكد شبهه بالغنيمة . واعتباره أيضاً ليس ببعيد لأنّ مصرف الزكاة ولذلك يخصص على الصحيح بالنقدين .

وأما المعادن فلا زكاة فيما استخرج منها سوى الذهب والفضة ؛ ففيها بعد الطحن والتخليص ربع العشر على أصح القولين ، وعلى هذا يعتبر النصاب . وفى الحول قولان ، وفى قول : يجب الخمس ؛ فعلى هذا لا يعتبر . وفى النصاب قولان والأشبه ـ والعلم عند الله تعالى ـ أن يلحق فى قدر الواجب بزكاة التجارة فإنه نوع اكتساب . وفى الحول بالمعشرات فلا يعتبر لأنه عين الرفق ويعتبر النصاب كالمعشرات ، والاحتياط أن يخرج الخمس من القليل والكثير ، ومن عين النقدين أيضا خروجا عن شبهة هذه الاختلافات فإنها ظنون قريبة من التعارض وجزم الفتوى فيها خطر لتعارض الاشتباه .

النوع السادس : فى صدقة الفطر

وهى واجبة ـ على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات[1] بصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منوان وثلثا منّ ، يخرجه من جنس قوته أو من أفضل منه . فإن اقتات بالحنطة لم يجز الشعير . وإن اقتات حبوبا مختلفة اختار خيرها ومن أيها أخرج أجزأه . وقسمتها كقسمة زكاة الأموال فيجب فيها استيعاب الأصناف ولا يجوز إخراج الدقيق والسويق . ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته ومماليكه وأولاده وكل قريب هو فى نفقته أعنى من تجب عليه نفقته من الآباء والأمهات والأولاد . قال صلى الله عليه وسلم « أدوا صدقة الفطر عمن تمونون[2] » . وتجب صدقة العبد المشترك على الشريكين ولا تجب صدقة العبد الكافر . وإن تبرعت الزوجة بالإخراج عن نفسها أجزأها وللزوج الإخراج عنها دون إذنها . وإن فضل عنه ما يؤدى عن بعضهم أدى عن بعضهم ، وأولاهم بالتقديم من كانت نفقته آكد . وقد

---

(١) حديث « وجوب صدقة الفطر على كل مسلم » أخرجاه من حديث ابن عمر قال « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان .. الحديث » (٢) حديث « أدوا زكاة الفطر عمن تمونون » أخرجه الدارقطنى والبيهقى من حديث ابن عمر « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد ممن تمونون » قال البيهقى إسناده غير قوى

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم[1] فهذه أحكام فقهية لابد للفتى من معرفتها ، وقد تعرض له وقائع نادرة خارجة عن هذا فله أن يتكل فيها على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد إحاطته بهذا المقدار .

الفصل الثانى : فى الأداء وشروطه الباطنة والظاهرة

اعلم أنه يجب على مؤدى الزكاة خمسة أمور (الأول) النية : وهو أن ينوى بقلبه زكاة الفرض ويسن عليه تعيين الأموال . فإن كان له مال غائب فقال هذا عن مالى الغائب إن كان سالما وإلا فهو نافلة جاز ؛ لأنه إن لم يصرح به فكذلك يكون عند إطلاقه . ونية الولى تقوم مقام نية المجنون والصبى . ونية السلطان تقوم مقام نية المالك الممتنع عن الزكاة ولكن فى ظاهر حكم الدنيا ـ أعنى فى قطع المطالبة عنه ـ أما فى الآخرة فلا بل تبقى ذمته مشغولة إلى أن يستأنف الزكاة وإذا وكل بأداء الزكاة ونوى عند التوكيل أو وكل الوكيل بالنية كفاه لأن توكيله بالنية نية (الثانى) البدار عقيب الحول وفى زكاة الفطر لا يؤخرها عن يوم الفطر . ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس من آخر يوم من شهر رمضان . ووقت تعجيلها شهر رمضان كله . ومن أخر زكاة ماله مع التمكن عصى ولم يسقط عنه بتلف ماله وتمكنه بمصادفة المستحق . وإن أخر لعدم المستحق فتلف ماله سقطت الزكاة عنه . وتعجيل الزكاة جائز بشرط أن يقع بعد كمال النصاب وانعقاد الحول . ويجوز تعجيل زكاة حولين . ومهما عجل فمات المسكين قبل الحول أو ارتد أو صار غنيا بغير ما عجل إليه أو تلف مال المالك أو مات ، فالمدفوع ليس بزكاة ، واسترجاعه غير ممكن إلا إذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن المعجل مراقبا آخر الأمور وسلامة العاقبة (الثالث) أن لا يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج المنصوص عليه ، فلا يجزئ ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق وإن زاد عليه فى القيمة . ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعى رضى الله عنه يتساهل فى ذلك ويلاحظ المقصود من سد الخلة وما أبعده عن التحصيل ، فإن سد الخلة مقصود وليس هو كل المقصود بل واجبات الشرع ثلاثة أقسام : قسم هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ والأغراض فيه . وذلك كرمى الجمرات مثلا إذ لا حظ للجمرة فى وصول الحصى إليها ، فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى ، لأن ما يعقل معناه فقد يساعده الطبع عليه ويدعوه إليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية ، إذ العبودية تظهر بأن تكون الحركة لحق أمر المعبود فقط لا لمعنى آخر . وأكثر أعمال الحج كذلك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى إحرامه «لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا»[2] ، تنبيها على أن ذلك اظهار للعبودية بالانقياد لمجرد الأمر وامتثاله كما أمر من غير استئناس العقل منه بما يميل إليه ويحث عليه . القسم الثانى : من واجبات الشرع ما المقصود منه حظ معقول وليس يقصد منه التعبد كقضاء دين الآدميين ورد المغصوب فلا جرم لا يعتبر فيه فعله ونيته . ومهما وصل الحق إلى مستحقه بأخذ المستحق أو ببدل عنه عند رضاه تأدى الوجوب وسقط خطاب الشرع . فهذان قسمان لا تركيب فيهما يشترك فى دركهما جميع الناس والقسم الثالث : هو المركب الذى يقصد منه الأمران جميعا وهو حظ العباد وامتحان المكلف بالاستعباد ، فيجتمع فيه تعبد رمى الجمار وحظ رد الحقوق فهذا قسم فى نفسه معقول ، فإن ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ولا ينبغى أن

---

(١) حديث « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم » أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة بسند صحيح وابن حبان والحاكم وصححه ورواه النسائي وابن حبان بتقديم « الزوجة على الولد » وسيأتى

(٢) حديث « لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا » أخرجه البزار والدارقطنى فى العلل من حديث أنس

ينسى أدق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق بسبب أجلاهما ، ولعل الأدق هو الأهم والزكاة من هذا القبيل ولم ينتبه له غير الشافعى رضى الله عنه لحظ الفقير مقصود فى سد الخلة وهو جلى سابق إلى الأفهام وحق التعبد فى اتباع التفاصيل مقصود للشرع . وباعتباره صارت الزكاة قرينة للصلاة والحج فى كونها من مبانى الإسلام . ولاشك فى أن على المكلف تعبا فى تمييز أجناس ماله وإخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته . ثم توزيعه على الأصناف الثمانية كما سيأتى . والتساهل فيه غير قادح فى حظ الفقير لكنه قادح فى التعبد . ويدل على أن التعبد مقصود بتعيين الأنواع أمور ذكرناها فى كتب الخلاف من الفقهيات . ومن أوضحها أنّ الشرع أوجب فى خمس من الإبل شاة فعدل من الإبل إلى الشاة ولم يعدل إلى النقدين والتقويم وإن قدّر أنّ ذلك لقلة النقود فى أيدى العرب بطل بذكره عشرين درهما فى الجبران مع الشاتين فلم يذكر فى الجبران قدر النقصان من القيمة ؟ ولم قدر بعشرين درهما وشاتين ؟ وإن كانت الثياب والأمتعة كلها فى معناها . فهذا وأمثاله من التخصيصات يدل على أن الزكاة لم تترك خالية عن التعبدات كما فى الحج ولكن جمع بين المعنيين . والأذهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات فهذا شأن الغلط فيه (الرابع) أن لاينقل الصدقة إلى بلد آخر فإن أعين المساكين فى كل بلدة تمتد إلى أموالها ، وفى النقل تخييب للظنون . فإن فعل ذلك أجزأه فى قول ولكن الخروج عن شبهة الخلاف أولى فليخرج زكاة كل مال فى تلك البلدة . ثم لا بأس أن يصرف إلى الغرباء فى تلك البلدة (الخامس) أن يقسم ماله بعدد الأصناف الموجودين فى بلده ، فإن استيعاب الأصناف واجب وعليه يدل ظاهر قوله تعالى ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين ﴾ الآية فإنه يشبه قول المريض إنما ثلث مالى للفقراء والمساكين وذلك يقتضى التشريك فى التمليك . والعبادات ينبغى أن يتوقى عن الهجوم فيها على الظواهر . وقد عدم من الثمانية صنفان فى أكثر البلاد : وهم المؤلفة قلوبهم والعاملون على الزكاة . ويوجد فى جميع البلاد أربعة أصناف : الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون ـ أعنى أبناء السبيل ـ وصنفان يوجدان فى بعض البلاد دون البعض : وهم الغزاة والمكاتبون . فإن وجد خمسة أصناف مثلا قسم بينهم زكاة ماله بخمسة أقسام متساوية أو متقاربة وعين لكل صنف قسم . ثم قسم كل قسم ثلاثة أسهم فما فوقه إما متساوية أو متفاوتة وليس عليه التسوية بين آحاد الصنف فإن له أن يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد . وأما الأصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغى أن ينقص فى كل صنف عن ثلاثة إن وجد . ثم لو لم يجب إلا صاع للفطرة ووجد خمسة أصناف فعليه أن يوصله إلى خمسة عشر نفرا . ولو نقص منهم واحد مع الإمكان غرم نصيب ذلك الواحد. فإن عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليتشارك جماعة ممن عليهم الزكاة وليخلط مال نفسه بمالهم وليجمع المستحقين وليسلم إليهم حتى يتساهموا فيه فإن ذلك لابد منه .

بيان دقائق الآداب الباطنة فى الزكاة

اعلم أن على مريد طريق الآخرة بزكاته وظائف الوظيفة الأولى : فهم وجوب الزكاة ومعناها ووجه الامتحان فيها وأنها لم جعلت من مبانى الإسلام مع أنها تصرف مالى وليست من عبادة الأبدان وفيه ثلاث معان ؛ الأوّل : أن التلفظ بكلمتى الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بإفراد المعبود وشرط تمام الوفاء به أن لايبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فإن المحبة لاتقبل الشركة ، والتوحيد باللسان قليل الجدوى وإنما يمتحن به درجة المحب بمفارقة المحبوب والأموال محبوبة عند الخلائق لأنها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع أن فيه لقاء المحبوب ، فامتحنوا بتصديق دعواهم فى المحبوب واستنزلوا عن المال الذى هو مرموقهم ومعشوقهم . ولذلك قال

الله تعالى ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقا إلى لقاء الله عز وجل والمسامحة بالمال أهون . ولما فهم هذا المعنى فى بذل الأموال انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام : قسم صدّقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع أموالهم فلم يدخروا دينارا ولا درهما فأبوا أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة فى مائتى درهم ؟ فقال : أما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم ، وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع . ولهذا تصدق أبو بكر رضى الله عنه بجميع ماله وعمر رضى الله عنه بشطر ماله فقال صلى الله عليه وسلم « ماأبقيت لأهلك » فقال : مثله ، وقال لأبى بكر رضى الله عنه « ماأبقيت لأهلك » قال الله ورسوله ، فقال صلى الله عليه وسلم « بينكما مابين كلمتيكما [1] » فالصدّيق وفى بتمام الصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله . القسم الثانى : درجتهم دون درجة هذا وهم الممسكون أموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات ، فيكون قصدهم فى الادخار الإنفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة إلى وجوه البر مهما ظهر وجوهها ، وهؤلاء لايقتصرون على مقدار الزكاة . وقد ذهب جماعة من التابعين إلى أن فى المال حقوقا سوى الزكاة كالنخعى والشعبى وعطاء ومجاهد . قال الشعبى بعد أن قيل له هل فى المال حق سوى الزكاة ؟ قال: نعم أما سمعت قوله عزوجل ﴿ وآتى المال على حبه ذوى القربى ﴾ الآية واستدلوا بقوله عزوجل ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ وبقوله تعالى ﴿ وأنفقوا مما رزقناكم ﴾ وزعموا أن ذلك غير منسوخ بآية الزكاة بل هو داخل فى حق المسلم على المسلم ، ومعناه أنه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا أن يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة والذى يصح فى الفقه من هذا الباب أنه مهما أرهقته حاجته كانت إزالتها فرض كفاية إذ لايجوز تضييع مسلم ، ولكن يحتمل أن يقال ليس على الموسر إلا تسليم مايزيل الحاجة قرضا ولايلزمه بذله بعد أن أسقط الزكاة عن نفسه ، ويحتمل أن يقال يلزمه بذله فى الحال ولايجوز له الاقتراض أى لايجوز له تكليف الفقير قبول القرض وهذا مختلف فيه ، والاقتراض نزول إلى الدرجة الأخيرة من درجات العوام وهى درجة القسم الثالث الذين يقتصرون على أداء الواجب فلا يزيدون عليه ولاينقصون عنه وهى أقل الرتب ، وقد اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال وميلهم إليه وضعف حبهم للآخرة قال الله تعالى ﴿ إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ﴾ يحفكم أى يستقص عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بأن له الجنة وبين عبد لايستقصى عليه لبخله ؛ فهذا أحد معانى أمر الله سبحانه عباده ببذل الأموال المعنى الثانى : التطهير من صفة البخل فإنه من المهلكات قال صلى الله عليه وسلم « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه [2] » وقال تعالى ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ وسيأتى فى ربع المهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية التقصى منه ، وإنما تزول صفة البخل بأن تتعود بذل المال فحب الشىء لاينقطع إلا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا . فالزكاة بهذا المعنى طهرة أى تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وإنما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه بإخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى . المعنى الثالث : شكر النعمة فإن لله عزوجل على عبده نعمة فى نفسه وفى ماله فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال . وما أخس من ينظر إلى الفقير وقد ضيق عليه الرزق وأحوج إليه ثم لاتسمح نفسه بأن يؤدى شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه بربع العشر أو العشر من ماله .

---

(١) حديث « جاء أبو بكر بجميع ماله وعمر بشطر ماله .. الحديث » أخرجه أبو داود والترمذى والحاكم وصححه من حديث ابن عمر وليس فيه قوله « بينكما مابين كلمتيكما » . (٢) حديث « ثلاث مهلكات .. الحديث » تقدم

الوظيفة الثانية : فى وقت الأداء ؛ ومن آداب ذوى الدين التعجيل عن وقت الوجوب إظهارا للرغبة فى الامتثال بإيصال السرور إلى قلوب الفقراء ومبادرة لعوائق الزمان أن تعوقه عن الخيرات وعلما بأن فى التأخير آفات مع ما يتعرض العبد له من العصيان لو أخر عن وقت الوجوب . ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغى أن يغتنم فإنّ ذلك لمة الملك ، وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن ، فما أسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر . وله لمة عقيب لمة الملك فليغتنم الفرصة فيه وليعين لزكاتها إن كان يؤديها جميعا شهرا معلوما وليجتهد أن يكون من أفضل الأوقات ليكون ذلك سببا لنماء قربته وتضاعف زكاته . وذلك كشهر المحرم فإنه أول السنة وهو من الأشهر الحرم أو رمضان فقد كان صلى الله عليه وسلم أجود الخلق وكان فى رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئاً [1] ولرمضان فضيلة ليلة القدر وأنه أنزل فيه القرآن . وكان مجاهد يقول : لا تقولوا رمضان فإنه اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان . وذو الحجة أيضاً من الشهور الكثيرة الفضل فإنه شهر حرام وفيه الحج الأكبر وفيه الأيام المعلومات وهى العشر الأول والأيام المعدودات وهى أيام التشريق . وأفضل أيام شهر رمضان العشر الأواخر . وأفضل أيام ذى الحجة العشر الأول .

الوظيفة الثالثة : الإسرار ؛ فإنّ ذلك أبعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصدقة جهد المقل إلى فقير فى سر [2] » وقال بعض العلماء . ثلاث من كنوز البر منها إخفاء الصدقة [3] وقد روى أيضاً مسندا . وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ العبد ليعمل عملا فى السر فيكتبه الله له سرا فإن أظهره نقل من السر وكتب فى العلانية فإن تحدّث به نقل من السر والعلانية وكتب رياء [4] وفى الحديث المشهور « سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله أحدهم رجل تصدّق بصدقة فلم تعلم شماله بما أعطت يمينه [5] » وفى الخبر « صدقة السر تطفئ غضب الرب [6] » وقال تعالى ﴿وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾ وفائدة الإخفاء الخلاص من آفات الرياء والسمعة فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته يطلب السمعة والمعطى فى ملأ من الناس يبغى الرياء والإخفاء والسكوت هو المخلص منه [7] » وقد بالغ فى فضل الإخفاء جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطى فكان بعضهم يلقيه فى يد أعمى وبعضهم يلقيه فى طريق الفقير وفى موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطى وبعضهم كان يصره فى ثوب الفقير وهو نائم . وبعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطى وكان يستكتم المتوسط شأنه ويوصيه بأن لا يفشيه : كل ذلك توصلا إلى إطفاء غضب الرب سبحانه واحترازاً من الرياء والسمعة . ومهما لم يتمكن إلا بأن يعرفه شخص واحد فتسليمه إلى وكيل ليسلم إلى المسكين والمسكين لا يعرف أولى ؛ إذ فى معرفة المسكين الرياء والمنة جميعا وليس فى معرفة المتوسط إلا الرياء . ومهما كانت الشهرة مقصودة له

---

(١) حديث « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الخلق وأجود ما يكون فى رمضان .. الحديث » أخرجاه من حديث ابن عباس

(٢) حديث « أفضل الصدقة جهد المقل الى فقير فى سر » أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم من حديث أبى ذر ولأبى داود من حديث أبى هريرة « أى الصدقة أفضل ؟ قال جهد المقل » (٣) حديث « ثلاث من كنوز البر فذكر منها إخفاء الصدقة » أخرجه أبو نعيم فى كتاب الإيجاز وجوامع الكلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٤) حديث « ان العبد ليعمل عملا فى السر فيكتبه الله له سرا فان أظهره نقل من السر .. الحديث » أخرج الخطيب فى التاريخ من حديث أنس نحوه باسناد ضعيف

(٥) حديث « سبعة يظلهم الله فى ظله . . الحديث » أخرجاه من حديث أبى هريرة (٦) حديث « صدقة السر تطفئ غضب الرب » أخرجه الطبرانى من حديث أبى أمامة ورواه أبو الشيخ فى كتاب الثواب والبيهقى فى الشعب من حديث أبى سعيد كلاهما ضعيف والترمذى وحسنه من حديث أبى هريرة « إن الصدقة لتطفئ غضب الرب » ولابن حبان نحوه من حديث أنس وهو ضعيف أيضا (٧) حديث « لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان » لم أظفر به هكذا

حبط عمله لأن الزكاة إزالة للبخل وتضعيف لحب المال . وحب الجاه أشد استيلاء على النفس من حب المال وكل واحد منهما مهلك فى الآخرة ؛ ولكن صفة البخل تنقلب فى القبر فى حكم المثال عقربا لادغا ، وصفة الرياء تنقلب فى القبر أفعى من الأفاعى وهو مأمور بتضعيفهما أو قتلهما لدفع أذاهما أو تخفيف أذاهما فهما قصد الرياء والسمعة فكأنه جعل بعض أطراف العقرب مقويا للحية فبقدر ماضعف من العقرب زاد فى قوة الحية ولو ترك الأمر كما كان لكان الأمر أهون عليه . وقوة هذه الصفات التى بها قوتها العمل بمقتضاها ، وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها فأى فائدة فى أن يخالف دواعى البخل ويجيب دواعى الرياء فيضعف الأدنى ويقوى الأقوى ؟ وستأتى أسرار هذه المعانى فى ربع المهلكات .

الوظيفة الرابعة : أن يظهر حيث يعلم أن فى إظهاره ترغيبا للناس فى الاقتداء ويحرس سره من داعية الرياء بالطريق الذى سنذكره فى معالجة الرياء فى كتاب الرياء فقد قال الله عز وجل ﴿ إن تبدوا الصدقات فنعما هى ﴾ وذلك حيث يقتضى الحال الإبداء إما للاقتداء وإما لأن السائل إنما سأل على ملأ من الناس فلا ينبغى أن يترك التصدق خيفة من الرياء فى الإظهار بل ينبغى أن يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الإمكان ، وهذا لأن فى الإظهار محذورا ثالثا سوى المن والرياء وهو هتك ستر الفقير ، فإنه ربما يتأذى بأن يرى فى صورة المحتاج فمن أظهر السؤال فهو الذى هتك ستر نفسه . فلا يحذر هذا المعنى فى إظهاره وهو كإظهار الفسق على من تستر به فإنه محظور ، والتجسس فيه والاعتياد بذكره منهى عنه : فأما من أظهره فإقامة الحد عليه إشاعة ولكن هو السبب فيها . وبمثل هذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم « من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له »[1] ، وقد قال الله تعالى ﴿ وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ﴾ ندب إلى العلانية أيضا لما فيها من فائدة الترغيب فليكن العبد دقيق التأمل فى وزن هذه الفائدة بالمحذور الذى فيه فإن ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص ، فقد يكون الإعلان فى بعض الأحوال لبعض الأشخاص أفضل . ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الأولى والأليق بكل حال .

الوظيفة الخامسة : أن لا يفسد صدقته بالمن والأذى قال الله تعالى (لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) واختلفوا فى حقيقة المن والأذى فقيل المن أن يذكرها والأذى أن يظهرها : وقال سفيان : من منّ فسدت صدقته فقيل له كيف المن ، فقال : أن يذكره ويتحدث به . وقيل : المن أن يستخدمه بالعطاء ، والأذى أن يعيره بالفقر . وقيل : المن أن يتكبر عليه لأجل عطائه ، والأذى أن ينتهره أو يوبخه بالمسألة . وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يقبل الله صدقة منان »[2] ، وعندى أن المن له أصل ومغرس وهو من أحوال القلب وصفاته : ثم يتفرع عليه أحوال ظاهرة على اللسان والجوارح فأصله أن يرى نفسه محسنا إليه ومنعما عليه ، وحقه أن يرى الفقير محسنا إليه بقبول حق الله عز وجل منه الذى هو طهرته ونجاته من النار ، وأنه لو يقبله لبقى مرتهنا به لحقه أن يتقلد منة الفقير إذ جعل كفه نائبا عن الله عز وجل فى قبض حق الله عز وجل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الصدقة تقع بيد الله عز وجل قبل أن تقع فى يد السائل »[3] ، فليتحقق أنه مسلم إلى عز وجل حقه والفقير آخذ من الله تعالى . رزقه بعد صيرورته إلى الله عز وجل . ولو كان عليه دين لإنسان فأحال به عبده أو خادمه الذى هو متكفل برزقه

---

(١) حديث « من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له » أخرجه ابن عدى وابن حبان فى الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف

(٢) حديث « لا يقبل الله صدقة منان » هو كالذى قبله بحديث لم أجده (٣) حديث « إن الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع فى يد السائل » أخرجه الدارقطنى فى الأفراد من حديث ابن عباس وقال غريب من حديث عكرمة عنه ورواه البيهقى فى الشعب بسند ضعيف

لكان اعتقاد مؤدى الدين كون القابض تحت منته سفهاوجهلا ، فإن المحسن إليه هو المتكفل برزقه . أماهو فإنما يقضى الذى لزمه بشراء ماأحبه فهو ساع فى حق نفسه فلم يمن به على غيره . ومهما عرف المعانى الثلاثةالتى ذكرناها فى فهم وجوب الزكاة أو أحدها لم ير نفسه محسنا إلا إلى نفسه ؛ إما ببذل ماله إظهارا لحب الله تعالى أو تطهيرا لنفسه عن رذيلة البخل أوشكرا على نعمة المال طلبا للمزيد . وكيفما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسنا إليه ، ومهما حصل هذا الجهل بأن رأى نفسه محسنا إليه تفرّع منه على ظاهره ما ذكر فى معنى المن وهو التحدث به وإظهاره وطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق والتقديم فى المجالس والمتابعة فى الأمور ؛ فهذه كلها ثمرات المنة ، ومعنى المنة فى الباطن ماذكرناه . وأما الأذى : فظاهره التوبيخ والتعيير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك الستر بالإظهار وفنون الاستخفاف ، وباطنه وهو منبعه أمران ؛ أحدهما : كراهيته لرفع اليد عن المال وشدّة ذلك على نفسه فإنّ ذلك يضيق الخلق لا محالة . والثانى : رؤيته أنه خير من الفقير وأن الفقير لسبب حاجته أخس منه وكلاهما منشؤه الجهل . أما كراهية تسليم المال فهو حمق لأن من كره بذل درهم فى مقابلة ما يساوى ألفا فهو شديد الحمق . ومعلوم أنه يبذل المال لطلب رضا الله عز وجل والثوب فى الدار الآخرة وذلك أشرف مما بذله أو يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل أو شكرا لطلب المزيد . وكيفما فرض فالكراهة لاوجه لها . وأماالثانى : فهو أيضا جهل لأنه لوعرف فضل الفقرعلى الغنى وعرف خطر الأغنياء لما استحقر الفقير بل تبرك به وتمنى درجته ، فصلحاء الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « هم الأخسرون ورب الكعبة فقال أبو ذر : من هم ؟ قال : هم الأكثرون أموالا » الحديث ؟ ثم كيف يستحقر الفقير وقدجعله الله تعالى متجرة له ؟ إذ يكتسب المال بجهده ويستكثرمنه ويجتهد فى حفظه بمقدار الحاجة وقد ألزم أن يسلم إلى الفقير قدر حاجته ويكف عنه الفاضل الذى يضره لوسلم إليه ؛ فالغنى مستخدم للسعى فى رزق الفقير ويتميز عليه بتقليد المظالم والتزام المشاق وحراسة الفضلات إلى أن يموت فيأكله أعداؤه ، فإن مهما انتقلت الكراهية وتبدّلت بالسرور والفرح بتوفيق الله تعالى له أداء الواجب وتفضيله الفقير حتى يخلصه عن عهدته بقبوله منه انتفى الأذى والتوبيخ وتقطيب الوجه وتبدّل بالاستبشار والثناء وقبول المنة فهذا منشأ المن والأذى . فإن قلت : فرؤيته نفسه فى درجة المحسن أمر غامض فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف بها أنه لم ير نفسه محسنا ؟ فاعلم أنّ له علامة دقيقة واضحة وهو أن يقدّر أن الفقير لوجنى عليه جناية أومالا عدوّا له عليه مثلا هل كان يزيد استنكاره واستبعاده له على استنكاره قبل التصدّق ؟ فإن زاد لم تخل صدقته عن شائبة المنة لأنه توقع بسببه ما لم يكن يتوقعه قبل ذلك . فإن قلت ، فهذا أمر غامض ولا ينفك قلب أحد عنه فما دواؤه ؟ فاعلم أن له دواء باطنا ودواء ظاهراً : أما الباطن : فالمعرفة بالحقائق التى ذكرناها فى فهم الوجوب وأن الفقير هو المحسن إليه فى تطهيره بالقبول . وأما الظاهر : فالأعمال التى يتعاطاها متقلد المنة فإن الأفعال التى تصدر عن الأخلاق تصبغ القلب بالأخلاق ـ كما سيأتى أسراره فى الشطر الأخير من الكتاب ـ ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدى الفقير ويتمثل قائما بين يديه يسأله قبولها حتى يكون هو فى صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لو رده . وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير من كفه وتكون يد الفقير هى العليا . وكانت عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما إذا أرسلتا معروفا إلى فقير قالتا للرسول : احفظ ما يدعو به ثم كانتا تردان عليه مثل قوله ، وتقولان : هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا . فكانوا لايتوقعون الدعاء لأنه شبه المكافأة وكانوا يقابلون الدعاء

بمثله . وهكذا فعل عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضى الله عنهما . وهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من حيث الظاهر إلا هذه الأعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة ومن حيث الباطن المعارف التى ذكرناها ؛ هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم . ولا يعالج القلب إلا بمعجون العلم والعمل ، وهذه الشريطة من الزكوات تجرى مجرى الخشوع من الصلاة وثبت ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم « ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها [1] . وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم « لايتقبل الله صدقة منان » وكقوله عز وجل ﴿ لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ﴾ وأما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنها دون هذا الشرط لحديث آخر وقد أشرنا إلى معناه فى كتاب الصلاة .

الوظيفة السادسة : أن يستصغر العطية فإنه إن استعظمها أعجب بها والعجب من المهلكات وهو محبط للأعمال قال تعالى ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ﴾ ويقال إن الطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله عز وجل . والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله عز وجل . وقيل لايتم المعروف إلا بثلاثة أمور : تصغيره وتعجيله وستره . وليس الاستعظام هو المن والأذى ، فإنه لو صرف ماله إلى عمارة مسجد أو رباط أمكن فيه الاستعظام ولا يمكن فيه المن والأذى بل العجب والاستعظام يجرى فى جميع العبادات ودواؤه علم وعمل . أما العلم : فهو أن يعلم أن العشر أو ربع العشر قليل من كثير وأنه قد قنع لنفسه بأخس درجات البذل ـ كما ذكرنا فى فهم الوجوب ـ فهو جدير بأن يستحيي منه فكيف يستعظمه ؟ وإن ارتقى إلى الدرجة العليا فبذل كل ماله أو أكثره فليتأمل أنه من أين له المال وإلى ماذا يصرفه ؟ فالمال لله عز وجل وله المنة عليه إذ أعطاه ووفقه لبذله فلم يستعظم فى حق الله تعالى ما هو عين حق الله سبحانه ؟ وإن كان مقامه يقتضى أن ينظر إلى الآخرة وأنه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ماينتظر عليه أضعافه ؟ وأما العمل : فهو أن يعطيه عطاء الخجل من بخله بإمساك بقية ماله عن الله عز وجل فتكون هيئته الانكسار والحياء ، كهيئة من يطالب برد وديعة فيمسك بعضها ويرد البعض ، لأن المال كله لله عز وجل وبذل جميعه هو الأحب عند الله سبحانه ، وإنما لم يأمر به عبده لأنه يشق عليه بسبب بخله كما قال الله عز وجل ﴿ فيحفكم تبخلوا ﴾ .

الوظيفة السابعة : أن ينتقى من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه فإن الله تعالى طيب لايقبل إلا طيبا . وإذا كان المخرج من شبهة فربما لايكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموقع . وفى حديث أبان عن أنس بن مالك « طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية [2] » وإذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الأدب إذ قد يمسك الجيد لنفسه أو لعبده أو لأهله فيكون قد آثر على الله عز وجل غيره ، ولو فعل هذا بضيفه وقدم إليه أردأ طعام فى بيته لأوغر بذلك صدره ، هذا إن كان نظره إلى الله عز وجل ، وإن كان نظره إلى نفسه وثوابه فى الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه ، وليس له من ماله إلا ماتصدق به فأبقى أو أكل فأفنى ، والذى يأكله قضاء وطر فى الحال فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار وقد قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولاتيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ﴾ أى لاتأخذوه إلا مع كراهية وحياء وهو معنى الإغماض فلاتؤثروا به ربكم . وفى الخبر « سبق درهم مائة ألف درهم [3] » .

---

(١) حديث « ليس للمؤمن من صلاته إلا ما عقل منها » تقدم فى الصلاة

(٢) حديث أنس « طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية » أخرجه ابن عدى والبزار (٣) حديث « سبق درهم مائة الف » أخرجه النسائي وابن حبان وصححه من حديث أبى هريرة

وذلك بأن يخرجه الإنسان وهو من أحل ماله وأجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل ، وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك على أنه ليس يؤثر الله عز وجل بشيء مما يحبه . وبذلك ذم الله تعالى قوما جعلوا لله ما يكرهون فقال تعالى ﴿ ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا ﴾ وقف بعض القراء على النفي تكذيباً لهم ، ثم ابتدأ وقال ﴿ جرم أن لهم النار ﴾ أي كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار .

الوظيفة الثامنة : أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ولا يكتفي بأن يكون من عموم الأصناف الثمانية فإن في عمومهم خصوص صفات فليراع خصوص تلك الصفات وهي ستة . الأولى : أن يطلب الأتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة قال صلى الله عليه وسلم « لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي [1] » . وهذا لأن التقي يستعين به على التقوى فتكون شريكا في طاعته بإعانتك إياه ، وقال صلى الله عليه وسلم « أطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين [2] » ، وفي لفظ آخر « أضف بطعامك من تحبه في الله تعالى » وكان بعض العلماء يؤثر بالطعام فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له : لو عممت بمعروفك جميع الفقراء لكان أفضل . فقال : لا هؤلاء قوم همهم لله سبحانه فإذا طرقتهما فاقة تشتت هم أحدهم فلأن أرد همة واحد إلى الله عز وجل أحب إلي من أن أعطي ألفا ممن همته الدنيا ، فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال : هذا ولي من أولياء الله تعالى وقال ما سمعت منذ زمان كلاما أحسن من هذا ، ثم حكي أن هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث إليه الجنيد مالا وقال : اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فإن التجارة لا تضر مثلك ، وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه . الصفة الثانية : أن يكون من أهل العلم خاصة فإن ذلك إعانة له على العلم ، والعلم أشرف العبادات مهما صحت فيه النية . وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه أهل العلم فقيل له : لو عممت ، فقال : إني لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فإذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم أفضل . الصفة الثالثة : أن يكون صادقا في تقواه وعلمه بالتوحيد . وتوحيده أنه إذا أخذ العطاء حمد الله عز وجل وشكره ورأى أن النعمة منه ولم ينظر إلى واسطة فهذا هو أشكر العباد لله سبحانه وهو أن يرى أن النعمة كلها منه . وفي وصية لقمان لابنه : لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما . ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف المنعم ولم يتيقن أن الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله عز وجل إذ سلط الله تعالى عليه دواعي الفعل ويسر له الأسباب فأعطى وهو مقهور ، ولو أراد تركه لم يقدر عليه بعد أن ألقى الله عز وجل في قلبه أن صلاح دينه ودنياه في فعله . فهما قوي الباعث أوجب ذلك جزم الإرادة وانتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوي الذي لا تردد فيه والله عز وجل خالق للبواعث ومهيجها ومزيل للضعف والتردد عنها ومسخر القدرة للانتهاض بمقتضى البواعث . فمن تيقن هذا لم يكن له نظر إلا إلى مسبب الأسباب : وتيقن مثل هذا العبد أنفع للمعطي من ثناء غيره وشكره ، فذلك حركة لسان يقل في الأكثر جدواه وإعانة مثل هذا العبد الموحد لا تضيع . وأما الذي يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ويدعو بالشر عند الإيذاء وأحواله متفاوتة . وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم بعث معروفا إلى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول ؛ فلما أخذ قال : الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره . ثم قال اللهم إنك لم تنس فلانا - يعني نفسه - فاجعل فلانا لا ينساك - يعني بفلان نفسه - فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك

---

(١) حديث « لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي » أخرجه أبو داود والترمذي من حديث أبي سعيد بلفظ « لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي » (٢) حديث « أطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين » أخرجه ابن المبارك في البر والصلة من حديث أبي سعيد الخدري قال ابن طاهر غريب فيه مجهول (٣) حديث « أضف بطعامك من يحبه الله » أخرجه ابن المبارك أنبأنا جويبر عن الضحاك مرسلا .

فسر وقال صلى الله عليه وسلم : علمت أنه يقول ذلك [١] ، فانظر كيف قصر التفاته على الله وحده ، وقال صلى الله عليه وسلم لرجل : تب فقال أتوب إلى الله وحده ولا أتوب إلى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لأهله [٢] ، ولما نزلت براءة عائشة رضى الله عنها فى قصة الإفك قال أبو بكر رضى الله عنه : قومى فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لا أفعل ولا أحمد إلا الله فقال صلى الله عليه وسلم : دعها يا أبا بكر [٣] ، وفى لفظ آخر ، أنها رضى الله عنها قالت لأبى بكر رضى الله عنه : بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك ، فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ذلك مع أن الوحى وصل إليها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورؤية الأشياء من غير الله سبحانه وصف الكافرين قال الله تعالى ﴿ وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ﴾ ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط إلا من حيث إنهم وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفى سره . فليتق الله سبحانه فى تصفية توحيده عن كدورات الشرك وشوائبه . الصفة الرابعة : أن يكون مستترا مخفيا حاجته لا يكثر البث والشكوى أو يكون من أهل المروءة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش فى جلباب التجمل قال الله تعالى ﴿ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا ﴾ أى لا يلحون فى السؤال لأنهم أغنياء بيقينهم أعزة بصبرهم ، وهذا ينبغى أن يطلب بالتفحص عن أهل الدين فى كل محلة ويستكشف عن بواطن أحوال أهل الخير والتجمل فثواب صرف المعروف إليهم أضعاف ما يصرف إلى المجاهرين بالسؤال . الصفة الخامسة : أن يكون مقيلا أو محبوسا بمرض أو بسبب من الأسباب فيوجد فيه معنى قوله عز وجل ﴿ للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله ﴾ أى حبسوا فى طريق الآخرة بعيلة أو ضيق معيشة أو إصلاح قلب ﴿ لا يستطيعون ضربا فى الأرض ﴾ لأنهم مقصوصو الجناح مقيدو الأطراف . فبهذه الأسباب كان عمر رضى الله عنه يعطى أهل البيت القطيع من الغنم ـ العشرة فما فوقها ـ وكان صلى الله عليه وسلم يعطى العطاء على مقدار العيلة [٤] وسأل عمر رضى الله عنه عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال . الصفة السادسة : أن يكون من الأقارب وذوى الأرحام فتكون صدقة وصلة رحم وفى صلة الرحم من الثواب ما لا يحصى . قال على رضى الله عنه : لأن أصل أخا من إخوانى بدرهم أحب إلى من أن أتصدق بعشرين درهما ولأن أصله بعشرين درهما أحب إلى من أتصدق بمائة درهم ولأن أصله بمائة درهم أحب إلى من أن أعتق رقبة . والأصدقاء وإخوان الخير أيضا

---

(١) حديث « بعث معروفا إلى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما أخذه قال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره ... الحديث » لم أجد له أصلا إلا فى حديث ضعيف من حديث ابن عمر وروى ابن منده فى الصحابة أوله ولم يسق هذه القطعة التى أوردها المصنف وسمى الرجل حديرا ، فقد رويا من طريق البيهقى « أنه وصل لحدير من أبى الدرداء شىء فقال اللهم إنك لم تنس حديرا فاجعل حديرا لا ينساك » وقيل إن هذا آخر لا صحبة له يكنى أبا جريرة وقد ذكره ابن حبان فى ثقات التابعين .

(٢) حديث « قال لرجل تب فقال أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمد . . الحديث » أخرجه أحمد والطبرانى من حديث الأسود ابن سريع بسند ضعيف (٣) حديث « لما نزلت براءة عائشة قال أبو بكر قومى فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث » أخرجه أبو دواد من حديث عائشة بلفظ « فقال أبواى قومى فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أحمد الله لا إياكما » وللبخارى تعليقا « فقال أبواى قومى إليه فقلت لا والله لا أقوم إليه ولا أحمدكما ولكن أحمد الله » وله ولمسلم « فقالت لى أمى قومى إليه فقلت لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله » وللطبرانى « فقالت بحمد الله لا بحمد صاحبك » وله من حديث ابن عباس « فقالت لا بحمدك ولا بحمد صاحبك » وله من حديث ابن عمر « فقال أبو بكر قومى فاحتضنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا والله لا أدنو منه . . الحديث » وفيه « أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم بحمد الله لا بحمدك »

(٤) حديث « كان يعطى العطاء على مقدار العيلة » لم أر له أصلا ولأبى داود من حديث عوف بن مالك « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتاه الفىء قسمه فى يومه وأعطى الآهل حظين وأعطى العزب حظا »

يقدمون على المعارف كما يتقدم الأقارب على الأجانب ؛ فليراع هذه الدقائق فهذه هي الصفات المطلوبة ، وفي كل صفة درجات فينبغي أن يطلب أعلاها ، فإن وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى . ومهما اجتهد في ذلك وأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد ، فإن أحد أجريه في الحال تطهير نفسه عن صفة البخل وتأكيد حب الله عز وجل في قلبه واجتهاده في طاعته ، وهذه الصفات هي التي تقوى في قلبه فتشوقه إلى لقاء الله عز وجل . والأجر الثاني ما يعود إليه من فائدة دعوة الآخذ وهمته فإن قلوب الأبرار لها آثار في الحال والمآل ، فإن أصاب حصل الأجران وإن أخطأ حصل الأول دون الثاني فبهذا يضاعف أجر المصيب في الاجتهاد ههنا وفي سائر المواضع والله أعلم .

الفصل الثالث في القابض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه

بيان أسباب الاستحقاق

اعلم أنه لا يستحق الزكاة إلا حر مسلم ليس بهاشمي ولا مطلبي اتصف بصفة من صفات الأصناف الثمانية المذكورين في كتاب الله عز وجل . ولا تصرف زكاة إلى كافر ولا إلى عبد ولا إلى هاشمي ولا إلى مطلبي . أما الصبي والمجنون فيجوز الصرف إليهما إذا قبض وليهما فلنذكر صفات الأصناف الثمانية (الصنف الأول) الفقراء : والفقير هو الذي ليس له مال ولا قدرة له على الكسب ، فإن كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين ، وإن كان معه نصف قوت يومه فهو فقير ، وإن كان معه قميص وليس معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تفي بجميع ذلك كما يليق بالفقراء فهو فقير ، لأنه في الحال قد عدم ما هو محتاج إليه وما هو عاجز عنه فلا ينبغي أن يشترط في الفقير أن لا يكون له كسوة سوى ساتر العورة فإن هذا غلو ، والغالب أنه لا يوجد مثله ولا يخرجه عن الفقر كونه معتاداً للسؤال ، فلا يجعل السؤال كسبا بخلاف ما لو قدر على كسب فإن ذلك يخرجه عن الفقر فإن قدر على الكسب بآلة فهو فقير ويجوز أن يشترى له آلة . وإن قدر على كسب لا يليق بمروءته وبحال مثله فهو فقير ، وإن كان متفقها ويمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته ، وإن كان متعبدا يمنعه الكسب من وظائف العبادات وأوراد الأوقات فليكتسب لأن الكسب أولى من ذلك قال صلى الله عليه وسلم «طلب الحلال فريضة بعد الفريضة [1] » وأراد به السعي في الاكتساب . وقال عمر رضي الله عنه : كسب في شبهة خير من مسألة . وإن كان مكتفيا بنفقة أبيه أو من تجب عليه نفقته فهذا أهون من الكسب فليس بفقير (الصنف الثاني) المساكين : والمسكين هو الذي لا يفي دخله بخرجه فقد يملك ألف درهم وهو مسكين وقد لا يملك إلا فأسا وحبلا وهو غني ، والدويرة التي يسكنها والثوب الذي يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين ، وكذا أثاث البيت - أعني ما يحتاج إليه - وذلك ما يليق به ، وكذا كتب الفقه لا تخرجه عن المسكنة وإذا لم يملك إلا الكتب فلا تلزمه صدقة الفطر . وحكم الكتاب حكم الثوب وأثاث البيت فإنه محتاج إليه ولكن ينبغي أن يحتاط في قطع الحاجة بالكتاب ، فالكتاب محتاج إليه لثلاثة أغراض : التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة . أما حاجة التفرج فلا تعتبر كاقتناء كتب الأشعار وتواريخ الأخبار وأمثال ذلك مما لا ينفع في الآخرة ولا يجري في الدنيا إلا مجرى التفرج والاستئناس ، فهذا يباع في الكفارة وزكاة الفطر وتمنع اسم المسكنة . وأما حاجة التعليم إن كان لأجل الكسب كالمؤدب والمعلم والمدرس بأجره فهذه آلته فلا تباع في الفطرة كأدوات الخياط وسائر المحترفين ، وإن كان يدرس للقيام بفرض

---

(١) حديث « طلب الحلال فريضة بعد الفريضة » أخرجه الطبراني والبيهقي في شعب الإيمان من حديث ابن مسعود بسند ضعيف .

الكفاية فلا تباع ولايسلبه ذلك اسم المسكين لأنها حاجة مهمة ، وأما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب كادخاره كتب طب ليعالج بها نفسه أو كتاب وعظ ليطالع فيه ويتعظ به فإن كان فى البلد طبيب وواعظ فهذا مستغنى عنه وإن لم يكن فهو محتاج إليه . ثم ربما لايحتاج إلى مطالعة الكتاب إلا بعد مدة فينبغى أن يضبط مدة الحاجة . والأقرب أن يقال مالايحتاج إليه فى السنة فهو مستغنى عنه فإنّ من فضل من قوت يومه شيء لزمته الفطرة . فإذا قدرنا القوت باليوم لحاجة أثاث البيت وثياب البدن ينبغى أن تقدّر بالسنة ؛ فلا تباع ثياب الصيف فى الشتاء والكتب بالثياب والأثاث أشبه وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة إلى إحداهما * فإن قال : إحداهما أصح والأخرى أحسن فأنا محتاج إليهما ؟ قلنا : اكتف بالأصح وبع الأحسن ودع التفرج والترفه . وإن كان نسختان من علم واحد إحداهما بسيطة والأخرى وجيزة فإن كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيطة وإن كان قصده التدريس فيحتاج إليهما إذ فى كل واحدة فائدة ليست فى الأخرى . وأمثال هذه الصور لاتنحصر ولم يتعرض له فى فنّ الفقه وإنما أوردناه لعموم البلوى والتنبيه بحسن هذا النظر على غيره . فإنّ استقصاء هذه الصور غير ممكن إذ يتعدّى مثل هذا النظر فى أثاث البيت فى مقدارها وعددها ونوعها وفى ثياب البدن وفى الدار وسعتها وضيقها . وليس لهذه الأمور حدود محدودة ولكنّ الفقيه يجتهد فيها برأيه ويقرب فى التحديدات بما يراه ويقتحم فيه خطر الشبهات . والمتورّع يأخذ فيه بالأحوط ويدع مايريبه إلى مالايريبه . والدرجات المتوسطة المشكلة بين الأطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولاينجى منها إلا الاحتياط والله أعلم . (الصنف الثالث) العاملون : وهم السعاة الذين يجمعون الزكوات سوى الخليفة والقاضى ويدخل فيه العريف والكاتب والمستوفى والحافظ والنقال ولايزاد واحد منهم على أجرة المثل ؛ فإن فضل شيء من الثمن عن أجر مثلهم رد على بقية الأصناف وإن نقص كمل من مال المصالح (الصنف الرابع) المؤلفة قلوبهم على الإسلام : وهم الأشراف الذين أسلموا وهم مطاعون فى قومهم ، وفى إعطائهم تقريرهم على الإسلام وترغيب نظائرهم وأتباعهم (الصنف الخامس) المكاتبون : فيدفع إلى السيد سهم المكاتب وإن دفع إلى المكاتب جاز ولايدفع السيد زكاته إلى مكاتب نفسه لأنه يعدّ عبدا له . (الصنف السادس) الغارمون : والغارم هو الذى استقرض فى طاعة أومباح وهو فقير فإن استقرض فى معصية فلايعطى إلا إذا تاب ، وإن كان غنيا لم يقض دينه إلا إذا كان قد استقرض لمصلحة أو إطفاء فتنة (الصنف السابع) الغزاة : الذين ليس لهم مرسوم فى ديوان المرتزقة فيصرف إليهم سهم وإن كانوا أغنياء إعانة لهم على الغزو (الصنف الثامن) ابن السبيل : وهو الذى شخص من بلده ليسافر فى غير معصية أو اجتاز بها فيعطى إن كان فقيرا وإن كان له مال ببلد آخر أعطى بقدر بلغته * فإن قلت : فبم تعرف هذه الصفات ؟ قلنا : أما الفقر والمسكنة فبقول الآخذ ولايطالب ببينة ولايحلف بل يجوز اعتماد قوله إذا لم يعلم كذبه . وأما الغزو والسفر فهو أمر مستقبل فيعطى بقوله إنى غاز فإن لم يف به استرد . وأما بقية الأصناف فلا بدّ فيها من البينة فهذه شروط الاستحقاق . وأما مقدار مايصرف إلى كل واحد فسيأتى .

بيان وظائف القابض وهى خمسة

(الأولى) أن يعلم أنّ الله عزوجل أوجب صرف الزكاة إليه ليكفى همه ويجعل همومه هما واحدا . فقد تعبد الله عزوجل الخلق بأن يكون همهم واحدا وهو الله سبحانه واليوم الآخر وهو المعنى بقوله تعالى ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ ولكن لما اقتضت الحكمة أن يسلط على العبد الشهوات والحاجات وهى تفرق همه

اقتضى الكرم إفاضة نعمة تكفى الحاجات فأكثر الأموال وصبها فى أيدى عباده لتكون آلة لهم فى دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعاتهم ، فمنهم من أكثر ماله فتنة وبلية فأقحمه فى الخطر ومنهم من أحبه لحماه عن الدنيا كما يحمى المشفق مريضه فزوى عنه فضولها وساق إليه قدر حاجته على يد الأغنياء ليكون سهل الكسب والتعب فى الجمع والحفظ عليهم ، وفائدته تنصب إلى الفقراء فيتجردون لعبادة الله والاستعداد لما بعد الموت فلا تصرفهم عنها فضول الدنيا ولا تشغلهم عن التأهب الفاقة وهذا منتهى النعمة . لحق الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق أن فضل الله عليه فيما زواه عنه أكثر من فضله فيما أعطاه ـ كما سيأتى فى كتاب الفقر تحقيقه وبيانه إن شاء الله تعالى ـ فليأخذ ما يأخذه من الله سبحانه رزقا له وعونا له على الطاعة ولتكن نيته فيه أن يتقوى به على طاعة الله فإن لم يقدر عليه فليصرفه إلى ما أباحه الله عز وجل فإن استعان به على معصية الله كان كافرا لأنعم الله عز وجل مستحقا للبعد والمقت من الله سبحانه (الثانيه) أن يشكر المعطى ويدعو له ويثنى عليه ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله سبحانه إليه ، وللطريق حق من حيث جعله الله طريقا وواسطة وذلك لا ينافى رؤية النعمة من الله سبحانه فقد قال صلى الله عليه وسلم « من لم يشكر الناس لم يشكر الله [1] » وقد أثنى الله عز وجل على عباده فى مواضع على أعمالهم وهو خالقها وفاطر القدرة عليها نحو قوله تعالى ﴿ نعم العبد إنه أواب ﴾ إلى غير ذلك . وليقل القابض فى دعائه طهر الله قلبك فى قلوب الأبرار وزكى عملك فى عمل الأخيار وصلى على روحك فى أرواح الشهداء وقد قال صلى الله عليه وسلم « من أسدى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تستطيعوا فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه [2] » ومن تمام الشكر أن يستر عيوب العطاء إن كان فيه عيب ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع إذا منع ويفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه . فوظيفة المعطى الاستصغار ووظيفة القابض تقلد المنة والاستعظام . وعلى كل عبد القيام بحقه ؛ وذلك لا تناقض فيه إذ موجبات التصغير والتعظيم تتعارض . والنافع للمعطى ملاحظة أسباب التصغير ويضره خلافه والآخذ بالعكس منه . وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله عز وجل فإن من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل وإنما المنكر أن يرى الواسطة أصلا (الثالثة) أن ينظر فيما يأخذه فإن لم يكن من حل تورع عنه (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) ولن يعدم المتورع عن الحرام فتوحا من الحلال . فلا يأخذ من أموال الأتراك والجنود وعمال السلاطين ومن أكثر كسبه من الحرام إلا إذا ضاق الأمر عليه وكان ما يسلم إليه لا يعرف له مالكا معينا فله أن يأخذ بقدر الحاجة ؛ فإن فتوى الشرع فى مثل هذا أن يتصدق به ـ على ما سيأتى بيانه فى كتاب الحلال والحرام ـ وذلك إذا عجز عن الحلال فإذا أخذ لم يكن أخذه أخذ زكاة إذ لا يقع زكاة عن مؤديه وهو حرام (الرابعة) أن يتوقى مواقع الريبة والاشتباه فى مقدار ما يأخذه فلا يأخذ إلا المقدار المباح ولا يأخذ إلا إذا تحقق أنه موصوف بصفة الاستحقاق . فإن كان يأخذه بالكتابة والغرامة فلا يزيد على مقدار الدين . وإن كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على أجرة المثل . وإن أعطى زيادة أبى وامتنع إذ ليس المال للمعطى حتى يتبرع به . وإن كان مسافرا لم يزد على الزاد وكراء الدابة إلى مقصده. وإن كان غازيا لم يأخذ إلا ما يحتاج إليه للغزو خاصة من خيل وسلاح ونفقة . وتقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حد ، وكذا زاد السفر ، والورع ترك ما يريبه إلا ما لا يريبه . وإن أخذ بالمسكنة فلينظر أولا إلى أثاث بيته وثيابه

(١) حديث « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » أخرجه الترمذى وحسنه من حديث أبى سعيد وله ولأبى داود وابن حبان نحوه من حديث أبى هريرة وقال حسن صحيح (٢) حديث « من أسدى إليكم معروفا فكافئوه .. الحديث » أخرجه أبو داود والنسائى من حديث ابن عمر بإسناد صحيح بلفظ « من صنع »

وكتبه هل فيها مايستغنى عنه بعينه أو يستغنى عن نفاسته فيمكن أن يبدل بما يكفى ويفضل بعض قيمته ؟ وكل ذلك إلى اجتهاده . وفيه طرف ظاهر يتحقق معه أنه مستحق وطرف آخر مقابل يتحقق معه أنه غير مستحق وبينهما أوساط مشتبهة ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، والاعتماد فى هذا على قول الآخذ ظاهرا. والمحتاج فى تقدير الحاجات مقامات فى التضييق والتوسيع ولاتحصر مراتبه وميل الورع إلى التضييق وميل المتساهل إلى التوسيع حتى يرى نفسه محتاجا إلى فنون من التوسع وهو ممقوت فى الشرع . ثم إذا تحققت حاجته فلا يأخذ مالا كثيرا بل مايتمم كفايته من وقت أخذه إلى سنة . فهذا أقصى مايرخص فيه من حيث أنّ السنة إذا تكررت تكررت أسباب الدخل . ومن حيث إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخر لعياله قوت سنة [1] فهذا أقرب مايحدّ به حدّ الفقير والمسكين ولو اقتصر على حاجة شهره أو حاجة يومه فهو أقرب للتقوى . ومذاهب العلماء فى قدر المأخوذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة فمن مبالغ فى التقليل إلى حد أوجب الاقتصار على قدر قوت يومه وليلته وتمسكوا بما روى سهل بن الحنظلية « أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن السؤال مع الغنى فسئل عن غناه فقال صلى الله عليه وسلم غداؤه وعشاؤه [2] » وقال آخرون : يأخذ إلى حدّ الغنى . حدّ الغنى نصاب الزكاة إذ لم يوجب الله تعالى الزكاة إلا على الأغنياء فقالوا له أن يأخذ بنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة . وقال آخرون : حد الغنى خمسون درهما أو قيمتها من الذهب لما روى ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال « من سأل وله مال يغنيه جاء يوم القيامة وفى وجهه خموش فسئل وماغناه ؟ قال خمسون درهما أوقيمتها من الذهب [3] » وقيل : راويه ليس بقوى وقال قوم : أربعون ، لما رواه عطاء بن يسار منقطعا أنه صلى الله عليه وسلم قال « من سأل وله أوقية فقد ألحف فى السؤال [4] » . وبالغ آخرون فى التوسيع فقالوا : له أن يأخذ مقدار مايشترى به ضيعة فيستغنى به طول عمره أو يهيئ بضاعة ليتجر بها ويستغنى بها طول عمره لأن هذا هو الغنى وقد قال عمر رضى الله عنه : إذا أعطيتم فأغنوا ، حتى ذهب قوم إلى أن من افتقر فله أن يأخذ بقدر مايعود به إلى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم إلا إذا خرج عن حد الاعتدال . ولما شغل أبو طلحة ببستانه عن الصلاة قال : جعلته صدقة . فقال صلى الله عليه وسلم « اجعله فى قرابتك فهو خير لك [5] » فأعطاه حسان وأبا قتادة . فحائط من نخل لرجلين كثير مغن وأعطى عمر رضى الله عنه أعرابيا ناقة معها ظئر لها ، فهذا ماحكى فيه فأما التقليل إلى قوت اليوم أو الأوقية فذلك ورد فى كراهية السؤال والتردد على الأبواب وذلك مستنكر وله حكم آخر ، بل التجويز إلى أن يشترى ضيعة فيستغنى بها أقرب إلى الاحتمال وهو أيضاً مائل إلى الإسراف . والأقرب إلى الاعتدال كفاية سنة فما وراءه فيه خطر وفيما دونه تضييق . وهذه الأمور إذا لم يكن فيها تقدير جزم بالتوقيف فليس للمجتهد إلا الحكم بما يقع له . ثم يقال للورع « استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك [6] » كما قاله صلى الله عليه وسلم إذ الإثم حزاز القلوب ، فإذا وجد القابض فى نفسه شيئا مما يأخذه فليتق الله فيه ولا يترخص تعللا بالفتوى من

---

(١) حديث « ادخر لعياله قوت سنة » أخرجاه من حديث عمر « كان يعزل نفقة أهله سنة » والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس « كان إذا ادخر لأهله قوت سنة تصدق بما بقى » قال الذهبى حديث منكر

(٢) حديث سهل بن الحنظلية « فى النهى عن السؤال مع الغنى فيسأل ما يغنيه فقال غداؤه وعشاؤه » أخرجه أبو داود وابن حبان بلفظ « من سأل وله ما يغنيه فإنما يستكثر من جمر جهنم .. الحديث » (٣) حديث ابن مسعود « من سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة وفى وجهه خموش .. الحديث » أخرجه أصحاب السنن وحسنه الترمذى وضعفه النسائى والخطابى (٤) حديث عطاء بن يسار منقطعا « من سأل وله أوقية فقد ألحف فى السؤال » أخرجه أبو داود والنسائى من رواية عطاء عن رجل من بنى أسد متصلا وليس بمنقطع كما ذكر المصنف لأن الرجل صحابى فلا يضر عدم تسميته وأخرجه أبو داود والنسائى وابن حبان من حديث أبى سعيد (٥) حديث « لما شغل أبا طلحة بستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة » تقدم فى الصلاة

(٦) حديث « استفت قلبك وإن أفتوك » تقدم فى العلم .

علماء الظاهر فإن لفتواهم قيودا ومطلقات من الضرورات ، وفيها تخمينات واقتحام شبهات . والتوقى من الشبهات من شيم ذوى الدين وعادات السالكين لطريق الآخرة (الخامسة) أن يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه فإن كان مايعطيه فوق الثمن فلا يأخذه منه فإنه لايستحق مع شريكه إلا الثمن فلينقص من الثمن مقدار مايصرف إلى اثنين من صنفه . وهذا السؤال واجب على أكثر الخلق فإنهم لايراعون هذه القسمة إما لجهل وإما لتساهل ، وإنما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الأمور إذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم . وسيأتى ذكر مظان السؤال ودرجة الاحتمال فى كتاب الحلال والحرام إن شاء الله تعالى .

الفصل الرابع : فى صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها وإعطائها

بيان فضيلة الصدقة

من الأخبار : قوله صلى الله عليه وسلم « تصدقوا ولو بتمرة فإنها تسد من الجائع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار [1] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة [2] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولايقبل الله إلا الطيب إلا كان الله آخذها بيمينه فيربيها كما يربى أحدكم فصيله حتى تبلغ التمرة مثل أحد [3] » ، وقال صلى الله عليه وسلم لأبى الدرداء « إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر إلى أهل بيت من جيرانك فأصبهم منه بمعروف [4] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « ماأحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله عزوجل الخلافة على تركته [5] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « كل امرئ فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس [6] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « الصدقة تسد سبعين بابا من الشر [7] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « صدقة السر تطفئ غضب الرب عزوجل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماالذى أعطى من سعة بأفضل أجرا من الذى يقبل من حاجة [8] » ، ولعل المراد به الذى يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين فيكون مساويا للمعطى الذى يقصد بإعطائه عمارة دينه . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أى الصدقة افضل ؟ قال : أن تصدق وأنت صحيح تأمل البقاء وتخشى الفاقة ولاتمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان [9] » ، وقد قال صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه « تصدقوا فقال رجل إن عندى دينارا فقال أنفقه على نفسك فقال : إن عندى آخر قال أنفقه

---

(١) حديث « تصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجائع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار » أخرجه ابن المبارك فى الزهد من حديث عكرمة مرسلا ولأحمد من حديث عائشة بسند حسن « استتروا من النار ولو بشق تمرة فانها تسد من الجائع مسدها من الشبعان » ولأبى يعلى والبزار من حديث أبى بكر « اتقوا النار ولو بشق تمرة فانها تقوم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع موقعها من الشبعان » ولسناده ضعيف وللترمذى والنسائى فى الكبرى وابن ماجه فى حديث معاذ « والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار » (٢) حديث « اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة » أخرجاه من حديث عدى بن حاتم

(٣) حديث « ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا .. الحديث » أخرجه البخارى تعليقا ومسلم والترمذى والنسائى فى الكبرى واللفظ لابن ماجه من حديث أبى هريرة (٤) حديث « قال لأبى الدرداء اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها .. الحديث » أخرجه من حديث أبى ذر أنه قال ذلك له وما ذكره المصنف أنه قال لأبى الدرداء وهم

(٥) حديث « ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله الخلافة على تركته » أخرجه ابن المبارك فى الزهد من حديث ابن شهاب مرسلا بإسناد صحيح وأسنده الخطيب فيمن روى عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه (٦) حديث « كل امرئ فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس » أخرجه ابن حبان والحاكم وصححه على شرط مسلم من حديث عقبة بن عامر (٧) حديث « الصدقة تسد سبعين بابا من الشر » أخرجه ابن المبارك فى البر من حديث أنس بسند ضعيف « إن الله ليدرأ بالصدقة سبعين بابا من ميتة السوء » (٨) حديث « ما المعطى من سعة بأفضل أجرا من الذى يقبل من حاجة » أخرجه ابن حبان فى الضعفاء والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس ورواه فى الكبير من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٩) حديث « سئل أى الصدقة أفضل قال أن تصدق وانت صحيح شحيح ... الحديث » أخرجاه من حديث أبى هريرة

على زوجتك قال إن عندى آخر قال أنفقه على ولدك قال إن عندى آخر قال أنفقه على خادمك قال إن عندى آخر قال صلى الله عليه وسلم أنت أبصر به [١] ، وقال صلى الله عليه وسلم « لاتحل الصدقة لآل محمد إنما هى أوساخ الناس [٢] » وقال « ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « لو صدق السائل ما أفلح من رده [٤] » وقال عيسى عليه السلام . من رد سائلا خائبا من بيته لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام « وكان نبينا صلى الله عليه وسلم لايكل خصلتين إلى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمره وكان يناول المسكين بيده [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان إنما المسكين المتعفف اقرءوا إن شئتم لايسألون الناس إلحافا [٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن مسلم يكسو مسلما إلا كان فى حفظ الله عز وجل مادامت عليه منه رقعة [٧] » « الآثار : قال عروة بن الزبير لقد تصدقت عائشة رضى الله عنها بخمسين ألفا وإن درعها لمرقع وقال مجاهد فى قول الله عز وجل ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ﴾ فقال : وهم يشتهونه وكان عمر رضى الله عنه يقول : اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون به على ذوى الحاجة منا . وقال عمر عبد العزيز : الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه . وقال ابن أبى الجعد: إن الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء وفضل سرها على علانيتها بسبعين ضعفا وإنها لتفك لحي سبعين شيطاناً . وقال ابن مسعود : إن رجلا عبد الله سبعين سنة ثم أصاب فاحشة فأحبط عمله ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين سنة . وقال لقمان لابنه : إذا أخطأت خطيئة فأعط الصدقة . وقال يحيى بن معاذ ماأعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا الحبة من الصدقة . وقال عبد العزيز بن أبى رواد : كان يقال ثلاثة من كنوز الجنة كتمان المرض وكتمان الصدقة وكتمان المصائب . وروى مسندا وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن الأعمال تباهت فقالت الصدقة أنا أفضلكن. وكان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر ويقول سمعت الله يقول ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ والله يعلم أنى أحب السكر . وقال النخعى : إذا كان الشيء لله عز وجل لايسرنى أن يكون فيه عيب . وقال عبيد بن عمير: يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأعطش ما كانوا قط وأعرى ما كانوا قط ، فمن أطعم لله عز وجل أشبعه الله ومن سقى لله عز وجل سقاه الله ومن كسا لله عز وجل كساه الله ، وقال الحسن : لو شاء الله لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض . وقال الشعبي : من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه . وقال مالك : لانرى بأسا بشرب المؤمن من الماء الذى يتصدق به ويسقى فى المسجد لأنه إنما جعل للعطشان من كان ، ولم يرد به أهل الحاجة والمسكنة على الخصوص ويقال : إن الحسن مر به نخاس

---

(١) حديث « قال يوما لأصحابه تصدقوا فقال رجل إن عندى دينارا فقال أنفقه على نفسك .. الحديث » أخرجه أبو دواد والنسائى واللفظ له وابن حبان والحاكم من حديث أبى هريرة وقد تقدم قبل بيسير

(٢) « حديث لاتحل الصدقة لآل محمد .. الحديث » أخرجه مسلم من حديث المطلب بن ربيعة .

(٣) حديث « ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام » أخرجه العقيلى فى الضعفاء من حديث عائشة

(٤) حديث « لوصدق السائل ما أفلح من رده » أخرجه العقيلى فى الضعفاء وابن عبد البر فى التمهيد من حديث عائشة ، قال العقيلى لايصح فى هذا الباب شيء وللطبرانى نحوه من حديث أبى أمامة بسند ضعيف (٥) حديث « كان لا يكل خصلتين إلى غيره .. الحديث » أخرجه الدارقطنى من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ابن المبارك فى البر مرسلا

(٦) حديث « ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان .. الحديث » متفق عليه من حديث عائشة

(٧) حديث « ما من مسلم يكسو مسلما إلا كان فى حفظ الله .. الحديث » أخرجه الترمذى وحسنه والحاكم وصحح اسناده من حديث ابن عباس وفيه خالد بن طهمان ضعيف

ومعه جارية فقال للنخاس أترضى فى ثمنها الدرهم والدرهمين ؟ قال : لا ، قال فاذهب فإن الله عز وجل رضى فى الحور العين بالفلس واللقمة .

بيان إخفاء الصدقة وإظهارها

قد اختلف طريق طلاب الإخلاص فى ذلك فمال قوم إلى أن الإخفاء أفضل ومال قوم إلى أن الإظهار أفضل ونحن نشير إلى ما فى كل واحد من المعانى والآفات ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه .

أما الإخفاء ففيه خمسة معان (الأول) أنه أبقى للستر على الآخذ فإن أخذه ظاهراً هتك لستر المروءة وكشف عن الحاجة وخروج عن هيئة التعفف والتصون المحبوب الذى يحسب الجاهل أهله أغنياء من التعفف . (الثانى) أنه أسلم لقلوب الناس وألسنتهم فإنهم ربما يحسدون أو ينكرون عليه أخذه ويظنون أنه آخذ مع الاستغناء أو ينسبونه إلى أخذ زيادة . والحسد وسوء الظن والغيبة من الذنوب الكبائر وصيانتهم عن هذه الجرائم أولى . وقال أبو أيوب السختيانى : إنى لأترك لبس الثوب الجديد خشية أن يحدث فى جيرانى حسدا . وقال بعض الزهاد : ربما تركت استعمال الشىء لأجل إخوانى يقولون من أين له هذا ؟ وعن ابراهيم التيمى : أنه رؤى عليه قميص جديد فقال بعض إخوانه من أين لك هذا ؟ فقال كسانيه أخى خيثمة ولو علمت أن أهله علموا به ما قبلته . (الثالث) إعانة المعطى على إسرار العمل فإن فضل السر على الجهر فى الإعطاء أكثر والإعانة على إتمام المعروف معروف ، والكتمان لا يتم إلا باثنين فهما أظهر هذا انكشف أمر المعطى . ودفع رجل إلى بعض العلماء شيئاً ظاهراً فرده إليه ودفع إليه آخر شيئاً فى السر فقبله ، فقيل له فى ذلك فقال : إن هذا عمل الأدب فى إخفاء معروفه فقبلته وذاك أساء أدبه فى عمله فرددته عليه وأعطى رجل لبعض الصوفية شيئاً فى الملأ فرده فقال له : لم ترد على الله عز وجل ما أعطاك ؟ فقال : إنك أشركت غير الله سبحانه فيما كان لله تعالى ولم تقنع بالله عز وجل فرددت عليك شركك . وقبل بعض العارفين فى السر شيئاً كان رده فى العلانية فقيل له فى ذلك ؛ فقال عصيت الله بالجهر فلم أك عونا لك على المعصية وأطعته بالإخفاء فأعنتك على برك . وقال الثورى : لو علمت أن أحدهم لا يذكر صدقته ولا يتحدث بها لقبلت صدقته . (الرابع) أن فى إظهار الأخذ ذلا وامتهانا وليس للمؤمن أن يذل نفسه . كان بعض العلماء يأخذ فى السر ولا يأخذ فى العلانية ويقول : إنّ فى إظهاره إذلالا للعلم وامتهانا لأهله فما كنت بالذى أرفع شيئاً من الدنيا بوضع العلم وإذلال أهله (الخامس) الاحتراز عن شبهة الشركة قال صلى الله عليه وسلم « من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها [1] » وبأن يكون ورقا أو ذهبا لا يخرج عن كونه هدية قال صلى الله عليه وسلم « أفضل ما يهدى الرجل إلى أخيه ورقا أو يطعمه خبزا [2] » فجعل الورق هدية بانفراده فما يعطى فى الملأ مكروه إلا برضا جميعهم ولا يخلو عن شبهة ، فإذا انفرد سلم من هذه الشبهة .

أما الإظهار والتحدث به ففيه معان أربعة (الأول) الإخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والمراءاة (والثانى) إسقاط الجاه والمنزلة وإظهار العبودية والمسكنة والتبرى عن الكبرياء ودعوى الاستغناء وإسقاط النفس من أعين الخلق . قال بعض العارفين لتلميذه : أظهر الأخذ على كل حال إن كنت آخذ فإنك لا تخلو عن أحد رجلين:

---

(١) حديث « من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها » أخرجه العقيلى وابن حبان فى الضعفاء والطبرانى فى الأوسط والبيهقى من حديث ابن عباس قال العقيلى لا يصح فى هذا المتن حديث (٢) حديث « أفضل ما يهدى الرجل إلى أخيه ورقا أو يعطيه خبزاً » أخرجه ابن عدى وضعفه من حديث ابن عمر « أفضل العمل عند الله أن يقضى عن مسلم دينه أو يدخل عليه سرورا أو يطعمه خبزا » ولأحمد والترمذى وصححه من حديث البراء « من منح منحة ورق أو منحة لبن أو أهدى رقاقا فهو كعتاق نسمة »

رجل تسقط من قلبه إذا فعلت ذلك فذلك هو المراد لأنه أسلم لدينك وأقل لآفات نفسك ، أورجل تزداد فى قلبه بإظهارك الصدق فذلك الذى يريده أخوك لأنه يزداد ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه إياك فتؤجرأنت إذ كنت سبب مزيد ثوابه . (الثالث) هو أن العارف لا نظر له إلا إلى الله عز وجل والسروالعلانيةفىحقه واحد فاختلاف الحال شرك فى التوحيد . قال بعضهم : كنا لانعبأ بدعاء من يأخذ فى السر ويرد فى العلانية . والالتفات إلى الخلق حضروا أم غابوا نقصان فى الحال ، بل ينبغى أن يكون النظر مقصور على الواحد الفرد . حكىأنبعض الشيوخ كان كثير الميل إلى واحد من جملة المريدين فشق على الآخرين فأراد أن يظهر لهم فضيلة ذلك المريد ، فأعطى كل واحد منهم دجاجة وقال : لينفرد كل واحد منكم بها وليذبحها حيث لا يراه أحد . فانفرد كل واحد وذبح إلا ذلك المريد فإنه رد الدجاجة ، فسألهم فقالوا : فعلنا ما أمرنا به الشيخ ، فقال الشيخ للمريد : مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك ؟ فقال ذلك المريد . لم أقدر على مكان لايرانى فيه أحد فإن الله يرانى فى كل موضع ، فقال الشيخ : لهذا أميل إليه لأنه لايلتفت لغير الله عز وجل . (الرابع) أن الإظهار إقامة لسنة الشكر وقد قال تعالى ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ والكتمان كفران النعمة وقد ذم الله عز وجل من كتم ما آتاه الله عز وجل وقرنه بالبخل فقال تعالى ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ماآتاهم الله من فضله ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن ترى نعمته عليه [1] » وأعطى رجل بعض الصالحين شيئاً فى السر فرفع به يده وقال : هذا من الدنيا والعلانية فيها أفضل والسر فى أمور الآخرة أفضل . ولذلك قال بعضهم . إذا أعطيت فى الملأ فخذ ثم اردد فى السر والشكر فيه محثوث عليه . قال صلى الله عليه وسلم « من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل [2] » والشكر قائم مقام المكافأة حتى قال صلى الله عليه وسلم « من أسدى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تستطيعوا فأثنوا عليه به خيرا وادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه » ولما قال المهاجرون فى الشكر « يا رسول الله مارأينا خيراً من قوم نزلنا عندهم قاسمونا الأموال حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كله فقال صلى الله عليه وسلم كل ما شكرتم لهم وأثنيتم عليهم به فهو مكافأة [3] » .

فالآن إذا عرفت هذه المعانى فاعلم أن ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا فى المسئلة بل هو اختلاف حال ، فكشف الغطاء فى هذا أنا لانحكم حكما بتا بأن الإخفاء أفضل فى كل حال أو الإظهارأفضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات وتختلف النيات باختلاف الأحوال والأشخاص . فينبغى أن يكون المخلص مراقبا لنفسه حتى لايتدلى بحبل الغرور ولاينخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان والمكروالخداع أغلب فىمعانى الإخفاء منه فى الإظهار مع أن له دخلا فى كل واحد منهما . فأما مدخل الخداع فى الإسرار فمن ميل الطبع إليه لما فيه من فى خفض الجاه والمنزلة وسقوط القدر عن أعين الناس ونظر الخلق إليه بعين الازدراء وإلى المعطى بعين المنعم المحسن فهذا هو الداء الدفين ويستكن فى النفس . والشيطان بواسطته يظهر معانىالخير حتىيتعلل بالمعانى الخمسةالتى ذكرناها . ومعيار كل ذلك ومحكه أمر واحد وهو أن يكون تألمه بانكشاف أخذه الصدقة كتألمه بانكشاف صدقة أخذها بعض نظرائه وأمثاله ، فإنه إن كان يبغى صيانة الناس عن الغيبة والحسد وسوء الظن أو يتقى

---

(١) حديث « إذا أنعم الله تعالى على عبد نعمة أحب أن ترى عليه » أخرجه أحمد من حديث عمران بن حصين بسند صحيح وحسنه الترمذى من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » تقدم

(٣) حديث « قالت المهاجرون يارسول الله مارأينا خيرا من قوم نزلنا عليهم .. الحديث » أخرجه الترمذى وصححه من حديث أنس ورواه مختصرا أبو داود والنسائى فى اليوم والليلة والحاكم وصححه ابن ماجه

انتهاك الستر أو إعانة المعطى على الإسرار أو صيانة العلم عن الابتذال فكل ذلك مما يحصل بانكشاف صدقة أخيه ، فإن كان انكشاف أمره أثقل عليه من انكشاف أمر غيره فتقديره الحذر من هذه المعانى أغاليط وأباطيل من مكر الشيطان وخدعه ، فإن إذلال العلم محذور من حيث إنه علم لا من حيث إنه علم زيد أو علم عمرو . والغيبة محذورة من حيث إنها تعرض لعرض مصون لا من حيث إنها تعرض لعرض زيد على الخصوص ومن أحسن من ملاحظة مثل هذا ربما يعجز الشيطان عنه وإلا فلا يزال كثير العمل قليل الحظ . وأما جانب الإظهار فميل الطبع إليه من حيث إنه تطييب لقلب المعطى واستحثاث له على مثله وإظهاره عند غيره أنه من المبالغين فى الشكر حتى يرغبوا فى إكرامه وتفقده وهذا داء دفين فى الباطن ، والشيطان لا يقدر على المتدين إلا بأن يروج عليه هذا الخبث فى معرض السنة ويقول له الشكر من السنة والإخفاء من الرياء ويورد عليه المعانى التى ذكرناها ليحمله على الإظهار وقصده الباطن ما ذكرناه ومعيار ذلك ومحكه أن ينظر إلى ميل نفسه إلى الشكر حيث لا ينتهى الخبر إلى المعطى ولا إلى من يرغب فى عطائه ؛ وبين يدى جماعة يكرهون إظهار العطية ويرغبون فى إخفائها وعادتهم أنهم لا يعطون إلا من يخفى ولا يشكر . فإن استوت هذه الأحوال عنده فليعلم أن باعثه هو إقامة السنة فى الشكر والتحدث بالنعمة وإلا فهو مغرور . ثم إذا علم أن باعثه السنة فى الشكر فلا ينبغى أن يغفل عن قضاء حق المعطى فينظر فإن كان هو ممن يحب الشكر والنشر فينبغى أن يخفى ولا يشكر ، لأن قضاء حقه أن لا ينصره على الظلم وطلبه الشكر ظلم . وإذا علم من حاله أنه لا يحب الشكر ولا يقصده فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للرجل الذى مدح بين يديه « ضربتم عنقه لو سمعها ما أفلح [1] » مع أنه صلى الله عليه وسلم كان يثنى على قوم فى وجوههم لثقته بيقينهم وعلمه بأن ذلك لا يضرهم بل يزيد فى رغبتهم فى الخير فقال لواحد « إنه سيد أهل الوبر [2] » وقال صلى الله عليه وسلم فى آخر « إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه [3] » وسمع كلام رجل فأعجبه فقال صلى الله عليه وسلم « إن من البيان لسحراً [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا علم أحدكم من أخيه خيرا فليخبره فإنه يزداد رغبة فى الخير [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مدح المؤمن ربا الإيمان فى قلبه [6] » وقال الثورى : من عرف نفسه لم يضره مدح الناس . وقال أيضاً ليوسف بن أسباط : إذا أوليتك معروفا كنت أنا أسر به منك ورأيت ذلك نعمة من الله عز وجل على فاشكر وإلا فلا تشكر . ودقائق هذه المعانى ينبغى أن يلحظها من يراعى قلبه فإن أعمال الجوارح مع إهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان وشماتة له لكثرة التعب وقلة النفع ، ومثل هذا العلم هو الذى يقال فيه : إن تعلم مسألة واحدة منه أفضل من عبادة سنة إذ بهذا العلم تحيا عبادة العمل وبالجهل به تموت عبادة العمل كله وتتعطل . وعلى الجملة فالأخذ فى الملأ والرد فى السر أحسن المسالك وأسلمها ، فلا ينبغى أن يدفع بالتزويقات إلا أن تكمل المعرفة

---

(١) حديث « قال للرجل الذى مدح بين يديه ضربتم عنقه لو سمعها ما أفلح » متفق عليه من حديث أبى بكرة بلفظ « ويحك قطعت عنق صاحبك » زاد الطبرانى فى رواية « والله لو سمعها ما أفلح أبدا » وفى سنده على بن زيد بن جدعان متكلم فيه وابن ماجه نحوه من حديث أبى موسى (٢) حديث « إنه سيد الوبر » أخرجه العنبرى والطبرانى وابن قانع فى معاجمهم وابن حبان فى الثقات من حديث قيس بن عاصم المقرى « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له ذلك » .

(٣) حديث « إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه » أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر ورواه أبو داود فى المراسيل من حديث الشعبى مرسلا بسند صحيح وقال روى متصلا وهو ضعيف والحاكم نحوه من حديث معبد بن خالد الأنصارى عن أبيه وصحح إسناده

(٤) حديث « إن من البيان لسحرا » أخرجه البخارى من حديث ابن عمر

(٥) حديث « إذا علم أحدكم من أخيه خيرا فليخبره فانه يزداد رغبة فى الخير » أخرجه الدارقطنى فى العلل من رواية ابن المسيب عن أبى هريرة . وقال لا يصح عن الزهرى وروى عن ابن المسيب مرسلا

(٦) حديث « إذا مدح المؤمن ربا الإيمان فى قلبه » أخرجه الطبرانى من حديث أسامة بن زيد بسند ضعيف

بحيث يستوى السر والعلانية وذلك هو الكبريت الأحمر الذى يتحدث به ولا يرى . نسأل الله الكريم حسن العون والتوفيق .

بيان الأفضل من أخذ الصدقة أو الزكاة

كان إبراهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون أن الأخذ من الصدقة أفضل فإن فى أخذ الزكاة مزاحمة للمساكين وتضييقا عليهم ولأنه ربما لايكمل فى أخذه صفة الاستحقاق كما وصف فى الكتاب العزيز وأما الصدقة فالأمر فيها أوسع . وقال قائلون : بأخذ الزكاة دون الصدقة لأنها إعانة على الواجب . ولو ترك المساكين كلهم أخذ الزكاة لأثموا : ولأن الزكاة لامنة فيها وإنما هو حق واجب لله سبحانه رزقا لعباده المحتاجين . ولأنه أخذ بالحاجة والإنسان يعلم حاجة نفسه قطعا . وأخذ الصدقة أخذ بالدين فإنّ الغالب أنّ المتصدّق يعطى من يعتقد فيه خيرا ؛ ولأنّ مرافقة المساكين أدخل فى الذل والمسكنة وأبعد من التكبر ؛ إذ قد يأخذ الإنسان الصدقة فى معرض الهدية فلا تتميز عنه ؛ وهذا تنصيص على ذل الآخذ وحاجته . والقول الحق فى هذا يختلف بأحوال الشخص وما يغلب عليه وما يحضره من النية فإن كان فى شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق فلاينبغى أن يأخذ الزكاة . فإذا علم أنه مستحق قطعا إذا حصل عليه دين صرفه إلى خير وليس له وجه فى قضائه فهو مستحق قطعا . فإذا خير هذا بين الزكاة وبين الصدقة فإذا كان صاحب الصدقة لا يتصدّق بذلك المال لو لم يأخذه هو فليأخذ الصدقة ؛ فإنّ الزكاة الواجبة يصرفها صاحبها إلى مستحقها ففى ذلك تكثير للخير وتوسيع على المساكين . وإن كان المال معرّضا للصدقة ولم يكن فى أخذ الزكاة تضييق على المساكين فهو مخير والأمر فيهما يتفاوت . وأخذ الزكاة أشدّ فى كسر النفس وإذلالها فى أغلب الأحوال والله أعلم .

كمل كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ؛ ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الصوم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى الملائكة والمقربين من أهل السموات والأرضين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل ،

كتاب أسرار الصوم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أعظم على عباده المنة ، بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه ، ورد أمله وخيب ظنه ؛ إذ جعل الصوم حصنا لأوليائه وجنة ، وفتح لهم به أبواب الجنة ، وعرّفهم أنّ وسيلة الشيطان إلى قلوبهم الشهوات المستكنة ، وإنّ بقمعها تصبح النفس المطمئنة ظاهرة الشوكة فى قصم خصمها قوية المنة ، والصلاة على محمد قائد الخلق وممهد السنة وعلى آله وأصحابه ذوى الأبصار الثاقبة والعقول المرجحنة وسلم تسليما كثيرا . أما بعد : فإن الصوم ربع الإيمان بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم « الصوم نصف الصبر [1] » وبمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم « الصبر نصف

كتاب أسرار الصيام

(١) حديث « الصوم نصف الصبر » أخرجه الترمذى وحسنه من حديث رجل من بنى سليم وابن ماجه من حديث أبى هريرة

الإيمان [١] ، ثم هو متميز بخاصية النسبة إلى الله تعالى من بين سائر الأركان إذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم « كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به [٢] » وقد قال الله تعالى (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب وناهيك فى معرفة فضله قوله صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يقول الله عز وجل إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجلى فالصوم لى وأنا أجزى به [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « للجنة باب يقال له الريان لايدخله إلا الصائمون وهو موعود بلقاء الله تعالى فى جزء صومه [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « للصائم فرحتان فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربه [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « لكل شىء باب وباب العبادة الصوم [٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « نوم الصائم عبادة [٧] » وروى أبو هريرة رضى الله عنه « أنه صلى الله عليه وسلم قال : إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين ونادى مناد ياباغى الخير هلم ويا باغى الشر أقصر [٨] » وقال وكيع فى قوله تعالى (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية) هى أيام الصيام إذ تركوا فيها الأكل والشرب وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رتبة المباهاة بين الزهد فى الدنيا وبين الصوم فقال « إن الله تعالى يباهى ملائكته بالشاب العابد فيقول : أيها الشاب التارك شهوته لأجلى المبذل شبابه لى أنت عندى كبعض ملائكتى [٩] » وقال صلى الله عليه وسلم فى الصائم « يقول الله عز وجل : انظروا يلاملائكتى إلى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلى [١٠] » وقيل فى قوله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) قيل كان عملهم الصيام لأنه قال (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) فيفرغ للصائم جزاؤه إفراغا ويجازف جزافا فلا يدخل تحت وهم وتقدير ، وجدير بأن يكون كذلك لأن الصوم إنما كان له ومشرفا بالنسبة إليه وإن كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة إلى نفسه والأرض كلها له لمعنيين ؛ أحدهما : أن الصوم كف وترك وهو فى نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد . وجميع أعمال الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لايراه إلا الله عز وجل فإنه عمل فى الباطن بالصبر المجرد . والثانى : أنه قهر لعدو الله عز وجل فإن وسيلة الشيطان لعنة الله الشهوات ؛ وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان

---

(١) حديث « الصبر نصف الإيمان » أخرجه أبو نعيم فى الحلية والخطيب فى التاريخ من حديث ابن مسعود بسند حسن

(٢) حديث « كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا الصوم الحديث .. » أخرجاه من حديث أبى هريرة

(٣) حديث « والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم . . الحديث » أخرجاه من حديثه وهو بعض الذى قبله

(٤) حديث « للجنة باب يقال له الريان .. الحديث » أخرجاه من حديث سهل بن سعد (٥) حديث الصائم فرحتان . . الحديث » أخرجاه من حديث أبى هريرة (٦) حديث « لكل شىء باب وباب العبادة الصوم » أخرجه ابن المبارك فى الزهد ومن طريقه أبو الشيخ فى الثواب من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف (٧) حديث « نوم الصائم عبادة » رويناه فى أمالى ابن منده من رواية ابن المنيرة القواس عن عبد الله بن عمر بسند ضعيف ولعله عبد الله بن عمرو فانهم لم يذكروا لابن المنيرة رواية إلا عنه ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث عبدالله بن أبى أوفى وفيه سليمان بن عمرو النخعى أحد الكذابين

(٨) حديث « إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة » أخرجه الترمذى وقال غريب وابن ماجه والحاكم وصححه على شرطهما من حديث أبى هريرة وصحح البخارى وقفه على مجاهد وأصله متفق عليه دون قوله « ونادى مناد »

(٩) حديث « إن الله تعالى يباهى ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته ... الحديث » أخرجه ابن عدى من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (١٠) حديث « يقول الله تعالى للملائكته ياملائكتى انظروا الى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلى »

ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع [١] ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها « داومى قرع باب الجنة ؛ قالت : بماذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم : بالجوع [٢] » ـ وسيأتى فضل الجوع فى كتاب : شره الطعام ـ وعلاجه من ربع المهلكات ـ فلما كان الصوم على الخصوص قمعا للشيطان وسدا لمسالكه وتضييقا لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة إلى الله عز وجل ففى قمع عدو الله نصرة لله سبحانه وناصر الله تعالى موقوف على النصرة له قال الله تعالى (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) فالبداية بالجهد من العبد والجزاء بالهداية من الله عز وجل ولذلك قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وقال تعالى (إنّ الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وإنما التغير تكثير الشهوات فهى مرتع الشياطين ومرعاهم فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم وما داموا يترددون لم ينكشف للعبد جلال الله سبحانه وكان محجوبا عن لقائه . وقال صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السموات [٣] » فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة وإذا عظمت فضيلته إلى هذا الحد فلابد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر أركانه وسننه وشروطه الباطنة ، ونبين ذلك بثلاثة فصول .

الفصل الأول : فى الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بإفساده

أما الواجبات الظاهرة فستة

(الأول) مراقبة أول شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فإن غم فاستكمال ثلاثين يوما من شعبان . ونعنى بالرؤية العلم ، ويحصل ذلك بقول عدل واحد . ولا يثبت هلال شوال إلا بقول عدلين احتياطا للعبادة . ومن سمع عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وإن لم يقض القاضى به فليتبع كل عبد فى عبادته موجب ظنه ، وإذا رؤى الهلال ببلدة ولم ير بأخرى وكان بينهما أقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل ، وإن كان أكثر كان لكل بلدة حكمها ولا يتعدّى الوجوب (الثانى) النية : ولا بد لكل ليلة من نية مبينة معينة جازمة فلو نوى أن يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكفه ، وهو الذى عنينا بقولنا « كل ليلة » ولو نوى بالنهار لم يجزه صوم رمضان ولا صوم الفرض إلا التطوع ، وهو الذى عنينا بقولنا « مبيتة » ولو نوى الصوم مطلقا أو الفرض مطلقا لم يجزه حتى ينوى فريضة الله عزوجل صوم رمضان ولو نوى ليلة الشك أن يصوم غدا إن كان من رمضان لم يجزه فإنها ليست جازمة إلا أن تستند نيته إلى قول شاهد عدل ، واحتمال غلط العدل أو كذبه لا يبطل الجزم أو يستند إلى استصحاب حال كالشك فى الليلة الأخيرة من رمضان ، فذلك لا يمنع جزم النية أو يستند إلى اجتهاد كالمحبوس فى المطمورة إذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشكه لا يمنعه من النية . ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزمه النية باللسان فإن النية محلها القلب . ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال فى وسط رمضان : أصوم غدا إن كان من رمضان فإن ذلك لا يضره لأنه ترديد لفظ ومحل النية لا يتصور فيه تردد بل هو قاطع بأنه من رمضان : ومن نوى ليلا ثم أكل لم تفسد نيته ولو نوت امرأة فى الحيض ثم طهرت قبل الفجر صح صومها (الثالث) الإمساك عن إيصال شىء إلى الجوف عمدا مع ذكر الصوم فيفسد صومه بالأكل والشرب والسعوط والحقنة . ولا يفسد بالفصد والحجامة

---

(١) حديث « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم .. الحديث » متفق عليه من حديث صفية دون قوله « فضيقوا مجاريه بالجوع » (٢) حديث « قال لعائشة داومى قرع باب الجنة .. الحديث » لم أجد له أصلا

(٣) حديث « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم . . الحديث » أخرجه أحمد من حديث أبى هريرة بنحوه

والاكتحال وإدخال الميل فى الأذن والإحليل إلا أن يقطر فيه مايبلغ المثانة وما يصل بغير قصد من غبار الطريق أو ذبابة تسبق إلى جوفه أو ما يسبق إلى جوفه فى المضمضة ، فلا يفطر إلا إذا بالغ فى المضمضة فيفطر لأنه مقصر وهو الذى أردنا بقولنا « عمدا » فأما ذكر الصوم فأردنا به الاحتراز عن الناسى فإنه لايفطر . أما من أكل عامدا فى طرفى النهار ثم ظهر له أنه أكل نهارا بالتحقيق فعليه القضاء . وإن بقى على حكم ظنه واجتهاده فلاقضاء عليه ولاينبغى أن يأكل فى طرفى النهار إلا بنظر واجتهاد . (الرابع) الإمساك عن الجماع : وحده مغيب الحشفة وإن جامع ناسيا لم يفطر وإن جامع ليلا أواحتلم فأصبح جنبا لم يفطر وإن طلع الفجر وهو مخالط أهله فنزع فى الحال صح صومه فإن صبر فسد ولزمته الكفارة . (الخامس) الإمساك عن الاستمناء : وهو إخراج المنى قصدا بجماع أو بغير جماع فإن ذلك يفطر ولايفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها مالم ينزل ، لكن يكره ذلك إلا أن يكون شيخا أو مالكا لإربه ، فلا بأس بالتقبيل وتركه أولى . وإذا كان يخاف من التقبيل أن ينزل فقبل وسبق المنى أفطر لتقصيره . (السادس) الإمساك عن إخراج القىء فالاستقاء يفسد الصوم وإن ذرعه القىء لم يفسد صومه ، وإذا ابتلع نخامة من حلقه أو صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به إلا أن يبتلعه بعد وصوله إلى فيه فإنه يفطر عند ذلك .

وأما لوازم الإفطار فأربعة

القضاء والكفارة والفدية وإمساك بقية النهار تشبيها بالصائمين . أما القضاء : فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر أو بغير عذر ، فالحائض تقضى الصوم وكذا المرتد . وأما الكافر والصبى والمجنون فلاقضاء عليهم ولا يشترط التتابع فى قضاء رمضان ولكن يقضى كيف شاء متفرقا ومجموعا .

وأما الكفارة : فلاتجب إلا بالجماع . وأما الاستمناء والأكل والشرب وماعدا الجماع لايجب به كفارة فالكفارة عتق رقبة فإن أعسر فصوم شهرين متتابعين وإن عجز فإطعام ستين مسكينا مدا مدا .

وأما إمساك بقية النهار : فيجب على من عصى بالفطر أو قصر فيه . ولا يجب على الحائض إذا طهرت إمساك بقية نهارها ولا على المسافر إذا قدم مفطرا من سفر بلغ مرحلتين . ويجب الإمساك إذا شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك . والصوم فى السفر أفضل من الفطر إلا إذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيما فى أوله ولا يوم يقدم إذا قدم صائما .

وأما الفدية : فتجب على الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفا على ولديهما ، لكل يوم مد حنطة لمسكين واحد مع القضاء والشيخ الهرم إذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا .

وأما السنن فست : تأخير السحور ؛ وتعجيل الفطر بالتمر أو الماء قبل الصلاة ، وترك السواك بعد الزوال ، والجود فى شهر رمضان لما سبق من فضائله فى الزكاة ، ومدارسة القرآن ، والاعتكاف فى المسجد ، لاسيما فى العشر الأخير فهو عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان إذا دخل العشر الأواخر طوى الفراش وشد المئزر وداب وأدأب أهله [1] ، أى أداموا النصب فى العبادة إذ فيها ليلة القدر والأغلب أنها فى أوتارها وأشبه الأوتار ليلة إحدى وثلاث وخمس وسبع . والتتابع فى هذا الاعتكاف أولى فإن نذر اعتكافا متتابعا أونواه انقطع تتابعه بالخروج من

(١) حديث « كان إذا دخل العشر الأواخر طوى الفراش .. الحديث » متفق عليه من حديث عائشة بلفظ « أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر » .

غير ضرورة ؛ كما لو خرج لعيادة أو شهادة أو جنازة أو زيارة أو تجديد طهارة ، وإن خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع. وله أن يتوضأ فى البيت . ولا ينبغى أن يعرج على شغل آخر ، كان صلى الله عليه وسلم لا يخرج إلا لحاجة الإنسان ولا يسأل عن المريض إلا مارا [1] ، ويقطع التتابع بالجماع ولا ينقطع بالتقبيل . ولا بأس فى المسجد بالطيب وعقد النكاح وبالأكل والنوم وغسل اليد فى الطست فكل ذلك قد يحتاج إليه فى التتابع . ولا ينقطع التتابع بخروج بعض بدنه ، كان صلى الله عليه وسلم يدنى رأسه فترجله عائشة رضى الله عنها وهى فى الحجرة [2] ، ومهما خرج المعتكف لقضاء حاجته فإذا عاد ينبغى أن يستأنف النية إلا إذا كان قد نوى أولا عشرة أيام مثلا . والأفضل مع ذلك التجديد .

الفصل الثانى : فى أسرار الصوم وشروطه الباطنة

اعلم أن الصوم ثلاث درجات : صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص . أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله . وأما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام . وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية ، ويحصل الفطر فى هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله عز وجل واليوم الآخر وبالفكر فى الدنيا إلا دنيا تراد للدين ، فإن ذلك من زاد الآخرة وليس من الدنيا حتى قال أرباب القلوب : من تحركت همته بالتصرف فى نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة ، فإن ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عز وجل وقلة اليقين برزقة الموعود ، وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقربين ولا يطول النظر فى تفصيلها قولا ولكن فى تحقيقها عملا ، فإنه إقبال بكنه الهمة على الله عز وجل وانصراف عن غير الله سبحانه وتلبس بمعنى قوله عز وجل ﴿ قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ﴾ وأما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الآثام وتمامه بستة أمور : الأول : غض البصر وكفه عن الاتساع فى النظر إلى كل ما يذم ويكره وإلى كل ما يشغل القلب ويلهى عن ذكر الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس لعنه الله فمن تركها خوفا من الله آتاه الله عز وجل إيمانا يجد حلاوته فى قلبه [3] » وروى جابر عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة [4] » . الثانى : حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء ، وإلزامه السكوت وشغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان . وقد قال سفيان : الغيبة تفسد الصوم . رواه بشر بن الحارث عنه . وروى ليث عن مجاهد : خصلتان يفسدان الصيام الغيبة والكذب . وقال صلى الله عليه وسلم « إنما الصوم جنة فإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إنى صائم إنى صائم [5] » وجاء فى الخبر « أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا فبعثتا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذناه فى الإفطار فأرسل إليهما قدحا وقال صلى الله عليه وسلم : قل لهما

---

(١) حديث « كان لا يخرج إلا لحاجة ولا يسأل عن المريض إلا مارا » متفق على الشطر الأول من حديث عائشة والشطر الثانى » رواه أبو داود بنحوه بسند لين (٢) حديث « كان يدنى رأسه لعائشة » متفق عليه من حديثها (٣) حديث « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس .. الحديث » أخرجه الحاكم وصحح إسناده من حديث حذيفة (٤) حديث جابر عن أنس « خمس يفطرن الصائم ... الحديث » أخرجه الأزدى فى الضعفاء من رواية جابان عن أنس وقوله جابر تصحيف قال أبو حاتم الرازى هذا كذاب
(٥) حديث « الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائما ... الحديث » أخرجاه من حديث أبى هريرة

قيئا فيه ما أكلتما فقاءت إحداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما . قعدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا يغتابان الناس فهذا ما أكلتا من لحومهم[1] » الثالث : كف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه لأن كل ما حرم قوله حرم الإصغاء إليه ولذلك سوى الله عز وجل بين المستمع وآكل السحت فقال تعالى ﴿ سماعون للكذب أكالون للسحت ﴾ وقال عز وجل ﴿ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت ﴾ فالسكوت على الغيبة حرام وقال تعالى ﴿ إنكم إذاً مثلهم ﴾ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « المغتاب والمستمع شريكان فى الإثم[2] » الرابع : كف بقية الجوارح عن الآثام من اليد والرجل عن المكاره ، وكف البطن عن الشبهات وقت الإفطار . فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الإفطار على الحرام . فمثال هذا الصائم مثال من يبنى قصرا ويهدم مصرا فإن الطعام الحلال إنما يضر بكثرته لا بنوعه ، فالصوم لتقليله . وتارك الاستكثار من الدواء خوفا من ضرره إذا عدل إلى تناول السم كان سفيها . والحرام سم مهلك للدين . والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره . وقصد الصوم تقليله . وقد قال صلى الله عليه وسلم « كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش[3] » فقيل هو الذى يفطر على الحرام ، وقيل هو الذى يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام ، وقيل هو الذى لا يحفظ جوارحه عن الآثام . الخامس : أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلئ جوفه فما من وعاء أبغض إلى الله عز وجل من بطن ملئ من حلال . وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه فى ألوان الطعام ؟ حتى استمرت العادات بأن تدخر جميع الأطعمة لرمضان فيؤكل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل فى عدة أشهر . ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى . وإذا دفعت المعدة من ضحوة نهار إلى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات وأشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها . فروح الصوم وسره تضعيف القوى التى هى وسائل الشيطان فى العود إلى الشرور ، ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل وهو أن يأكل أكلته التى كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم فأما إذا جمع ما كان يأكل ضحوة إلى ما كان يأكل ليلا فلم ينتفع بصومه . بل من الآداب أن لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم فى كل ليلة قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجده وأوراده ، فعسى الشيطان أن لا يحوم على قلبه فينظر إلى ملكوت السماء . وليلة القدر عبارة عن الليلة التى ينكشف فيها شىء من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب . ومن أخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله عز وجل وذلك هو الأمر كله . ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام . وسيأتى له مزيد بيان فى كتاب الأطعمة إن شاء الله عز وجل . السادس : أن يكون قلبه بعد الإفطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء إذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من المقربين أو يرد عليه فهو من الممقوتين ؟ وليكن كذلك فى آخر كل عبادة يفرغ

(١) حديث « أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث » فى الغيبة للصائم أخرجه أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بسند فيه مجهول (٢) حديث « المغتاب والمستمع شريكان فى الإثم » غريب والطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة

(٣) حديث « كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش » أخرجه النسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة

منها فقد روى عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه مر بقوم وهم يضحكون فقال : إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق قوم ففازوا وتخلف أقوام فخابوا فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون . أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته أي كان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك . وعن الاحنف بن قيس : أنه قيل له إنك شيخ كبير وإن الصيام يضعفك فقال : إني أعده لسفر طويل والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه . فهذه هي المعاني الباطنة في الصوم . فإن قلت : فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعاني فقد قال الفقهاء . صومه صحيح فما معناه ؟ فاعلم أن فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بأدلة هي أضعف من هذه الأدلة التي أوردناها في هذه الشروط الباطنة لاسيما الغيبة وأمثالها ، ولكن ليس إلى فقهاء الظاهر من التكليفات إلا ما يتيسر على عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحته . فأما علماء الآخرة فيعنون بالصحة القبول وبالقبول الوصول إلى المقصود. ويفهمون أن المقصود من الصوم التخلق بخلق من أخلاق الله عز وجل وهو الصمدية ، والاقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بحسب الإمكان فإنهم منزهون عن الشهوات . والإنسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها ، فكلما انهمك في الشهوات انحط إلى أسفل السافلين والتحق بغمار البهائم ، وكلما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين والتحق بأفق الملائكة . والملائكة مقربون من الله عز وجل والذي يقتدي بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله عز وجل كقربهم ، فإن الشبيه من القريب قريب ، وليس القرب ثم بالمكان بل بالصفات . وإذا كان هذا سر الصوم عند أرباب الألباب وأصحاب القلوب فأي جدوى لتأخير أكلة وجمع أكلتين عند العشاء مع الانهماك في الشهوات الأخر طول النهار ؟ ولو كان لمثله جدوى فأي معنى لقوله صلى الله عليه وسلم « كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش » ولهذا قال أبو الدرداء : ياحبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف لا يعيبون صوم الحمق وسهرهم ! ولذرة من ذوي يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغتربين . ولذلك قال بعض العلماء كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم . والمفطر الصائم هو الذي يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب ، والصائم المفطر هو الذي يجوع ويعطش ويطلق جوارحه . ومن فهم معنى الصوم وسره علم أن مثل من كف عن الأكل والجماع وأفطر بمخالطة الآثام كمن مسح على عضو من أعضائه في الوضوء ثلاث مرات فقد وافق في الظاهر العدد إلا أنه ترك المهم وهو الغسل فصلاته مردودة عليه بجهله ، ومثل من أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل أعضاؤه مرة مرة فصلاته متقبلة إن شاء الله لإحكامه الأصل وإن ترك الفضل . ومثل من جمع بينهما كمن غسل كل عضو ثلاث مرات لجمع بين الأصل والفضل وهو الكمال . وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته [1] » ولما تلا قوله عز وجل (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) وضع يده على سمعه وبصره فقال : السمع أمانة والبصر أمانة [2] » ولولا أنه من أمانات الصوم لما قال صلى الله عليه وسلم « فليقل إني صائم » أي إني أودعت لساني لأحفظه فكيف أطلقه بجوابك ؟ فإذن قد ظهر أن لكل عبادة ظاهرا وباطنا

(١) حديث « إنما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته » أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود في حديث في الأمانة والصوم وإسناده حسن (٢) حديث « لما تلا قوله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) وضع يده على سمعه وبصره وقال السمع أمانة والبصر أمانة » أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة دون قوله « السمع أمانة ».

وقشرا ولبا ولقشرها درجات ولكل درجة طبقات . فإليك الخيرة الآن فى ان تقنع بالقشر عن اللباب أو تتحيز إلى غمار أرباب الألباب .

الفصل الثالث : فى التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه

اعلم أن استحباب الصوم يتأكد فى الأيام الفاضلة وفواضل الأيام بعضها يوجد فى كل سنة وبعضها يوجد فى كل شهر وبعضها فى كل أسبوع . أما فى السنة بعد أيام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء والعشر الأول من ذى الحجة والعشر الأول من المحرم . وجميع الأشهر الحرم مظان الصوم وهى أوقات فاضلة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر صوم شعبان حتى كان يظن أنه فى رمضان [1] ، وفى الخبر ، أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم [2] . لأنه ابتداء السنة فبناؤها على الخير أحب وأرجى لدوام بركته . وقال صلى الله عليه وسلم ، صوم يوم من شهر حرام أفضل من ثلاثين من غيره وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلاثين من شهر حرام [3] ، وفى الحديث ، من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله له بكل يوم عبادة تسعمائة عام [4] ، وفى الخبر : إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان [5] ولهذا يستحب أن يفطر قبل رمضان أياما فإن وصل شعبان برمضان لجائز [6] فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة وفصل مرارا كثيرة [7] ولا يجوز أن يقصد استقبال رمضان بيومين أو ثلاثة إلا أن يوافق وردا له وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حتى لا يضاهى بشهر رمضان . فالأشهر الفاضلة : ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان . والأشهر الحرم : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ، واحد فرد وثلاثة سرد . وأفضلها ذو الحجة لأن فيه الحج والأيام المعلومات والمعدودات . وذو القعدة من الأشهر الحرم وهو من أشهر الحج ، وشوال من أشهر الحج وليس من الحرم ، والمحرم ورجب ليسا من أشهر الحج . وفى الخبر ، ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب إلى الله عز وجل من أيام عشر ذى الحجة إن صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه تعدل قيام ليلة القدر ، قيل : ولا الجهاد فى سبيل الله تعالى ، قال : ولا الجهاد فى سبيل الله عز وجل إلا من عقر جواده وأهريق دمه [8] ، وأما ما يتكرر فى الشهر : فأول الشهر وأوسطه وآخره ، ووسطه الأيام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر . وأما فى الأسبوع : فالاثنين والخميس والجمعة فهذه هى الأيام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات لتضاعف أجورها ببركة هذه الأوقات . وأما صوم الدهر فإنه

---

(١) حديث «كان يكثر صيام شعبان .. الحديث» متفق عليه من حديث عائشة

(٢) حديث « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة (٣) حديث « صوم يوم من شهر حرام أفضل من صوم ثلاثين .. الحديث » لم أجده هكذا وفى المعجم الصغير للطبرانى من حديث ابن عباس « من صام يوما من المحرم فله بكل يوم ثلاثون يوما » (٤) حديث « من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت .. الحديث » أخرجه الأزدى فى الضعفاء من حديث أنس (٥) حديث « إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان » أخرجه الأربعة من حديث أبى هريرة وابن حبان فى صحيحه عنه « إذا كان النصف من شعبان فأفطروا حتى يجىء رمضان » وصححه الترمذى (٦) حديث « وصل شعبان برمضان مرة » أخرجه الأربعة من حديث أم سلمة « لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما إلا شعبان يصل به رمضان وأخرج أبو داود والنسائى نحوه من حديث عائشة (٧) حديث « فصل شعبان من رمضان مرارا » أخرجه أبو داود من حديث عائشة قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحفظ من هلال شعبان مالا يتحفظ من غيره فإن غم عليه عد ثلاثين يوما ثم صام » وأخرجه الدارقطنى وقال إسناده صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين (٨) حديث « ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب إلى الله من عشر ذى الحجة .. الحديث » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة دون قوله « قيل ولا الجهاد الخ وعند البخارى من حديث ابن عباس « ما العمل فى أيام أفضل من العمل فى هذا العشر قالوا ولا الجهاد قال ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشىء »

شامل للكل وزيادة وللسالكين فيه طرق فمنهم من كره ذلك إذ وردت أخبار تدل على كراهته . والصحيح أنه إنما يكره لشيئين ؛ أحدهما : أن لا يفطر فى العيدين وأيام التشريق فهو الدهر كله [1] والآخر أن يرغب عن السنة فى الإفطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه مع أن الله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه . فإذا لم يكن شىء من ذلك ورأى صلاح نفسه فى صوم الدهر فليفعل ذلك . فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم . وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو موسى الأشعرى « من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين [2] » ومعناه لم يكن له فيها موضع ، ودونه درجة أخرى وهو صوم نصف الدهر بأن يصوم يوما ويفطر يوما وذلك أشد على النفس وأقوى فى قهرها ، وقد ورد فى فضله أخبار كثيرة لأن العبد فيه بين صوم يوم وشكر يوم فقد قال صلى الله عليه وسلم « عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الأرض فرددتها وقلت أجوع يوما وأشبع يوما أحمدك إذا شبعت وأتضرع إليك إذا جعت [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصيام صوم أخى داود كان يصوم ويفطر يوما [4] » ومن ذلك « منازلته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو رضى الله عنهما فى الصوم وهو يقول ؛ إنى أطيق أكثر من ذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم : صم يوما وأفطر يوما ، فقال : إنى أريد أفضل من ذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم : لا أفضل من ذلك [5] » وقد روى « أنه صلى الله عليه وسلم ما صام شهرا كاملا قط إلا رمضان [6] » بل كان يفطر منه ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس بثلثه وهو أن يصوم ويفطر يومين . وإذا صام ثلاثة من من أول الشهر وثلاثة من الوسط وثلاثة من الآخر فهو ثلث ، وواقع فى الأوقات الفاضلة . وإن صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث . وإذا ظهرت أوقات الفضيلة فالكمال فى أن يفهم الإنسان معنى الصوم وأن مقصوده تصفية القلب وتفريغ الهم لله عز وجل . والفقيه بدقائق الباطن ينظر إلى أحواله فقد يقتضى حاله دوام الصوم وقد يقتضى دوام الفطر وقد يقتضى مزج الإفطار بالصوم . وإذا فهم المعنى وتحقق حده فى سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا . ولذلك روى أنه صلى الله عليه وسلم « كان يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم وينام حتى يقال لا يقوم ويقوم حتى يقال لا ينام [7] » وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الأوقات . وقد كره العلماء أن يوالى بين الإفطار أكثر من أربعة أيام تقديرا بيوم العيد وأيام التشريق وذكروا أن ذلك يقسى القلب ويولد ردىء العادات ويفتح أبواب الشهوات ولعمرى هو كذلك فى حق أكثر الخلق لاسيما من يأكل فى اليوم والليل مرتين . فهذا ما أردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوع به والله أعلم بالصواب .

تم كتاب : أسرار الصوم ، والحمد لله بجميع محامده كلها ما علمنا منها وما لم نعلم على جميع نعمه كلها ما علمنا منها

---

(١) الأحاديث الدالة على كراهة صيام الدهر أخرجها البخارى ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو وفى حديث لابن ماجه « لا صام من صام الأبد » ولمسلم من حديث أبى قتادة « قيل يارسول الله كيف بمن صام الدهر قال لا صام ولا أفطر » وأخرج النسائى نحوه من حديث عبد الله بن عمر وعمران بن حصين وعبد الله بن الشخير

(٢) حديث أبى موسى الأشعرى « من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم هكذا وعقد تسعين » أخرجه أحمد والنسائى فى الكبرى وابن حبان وحسنه أبو على الطوسى (٣) حديث « عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا .. الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أبى أمامة بلفظ « عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا » وقال حسن (٤) حديث « أفضل الصيام صوم أخى داود .. الحديث » أخرجاه من حديث عبد الله بن عمر (٥) حديث « منازلته لعبد الله بن عمر وقوله : صم يوما وأفطر يوما .. الحديث » أخرجاه من حديثه (٦) حديث « ما صام شهرا كاملا قط إلا رمضان » أخرجاه من حديث عائشة

(٧) حديث « كان يصوم حتى لا يقال لا يفطر .. الحديث » أخرجاه من حديث عائشة وابن عباس دون ذكر « القيام والنوم » والبخارى من حديث أنس « كان يفطر من الشهر حتى يظن أن لا يصوم منه شيئا ويصوم حتى يظن أن لا يفطر منه شيئا وكان لا تشاء تراه من الليل مصليا إلا رأيته ولا نائما إلا رأيته »

وما لم نعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وكرم وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب : أسرار الحج ، والله المعين لارب غيره وما توفيق إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل .

كتاب أسرار الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا . وجعل البيت العتيق مثابة للناس وأمنا ، وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشريفا وتحصينا ومنا ، وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد وبين العذاب ومجنا ، والصلاة على محمد نبى الرحمة وسيد الأمة وعلى آله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم تسليما كثيرا . أما بعد : فإن الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الأمر وتمام الإسلام وكمال الدين . فيه أنزل الله عز وجل (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) وفيه قال صلى الله عليه وسلم « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا [1] » فأعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال ويساوى تاركها اليهود والنصارى فى الضلال ، وأجدر بها أن تصرف العناية إلى شرحها وتفصيل أركانها وسننها وآدابها وفضائلها وأسرارها . وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله عز وجل فى ثلاثة أبواب :

الباب الأول : فى فضائلها وفضائل مكة والبيت العتيق وجمل أركانها وشرائط وجوبها .

الباب الثانى : فى أعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدإ السفر إلى الرجوع .

الباب الثالث : فى آدابها الدقيقة وأسرارها الخفية وأعمالها الباطنة . فلنبدأ بالباب الأول وفيه فصلان :

الفصل الأول : فى فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى وشد الرحال إلى المساجد

فضيلة الحج

قال الله عز وجل (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) وقال قتادة لما أمر الله عز وجل إبراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وعلى كل عبد مصطفى أن يؤذن فى الناس بالحج نادى : يا أيها الناس إن الله عز وجل بنى بيتا فحجوه وقال تعالى (ليشهدوا منافع لهم) قيل التجارة فى الموسم والأجر فى الآخرة . ولما سمع بعض السلف هذا قال : غفر لهم ورب الكعبة . وقيل فى تفسير قوله عز وجل (لأقعدن لهم صراطك المستقيم) أى طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس منها وقال صلى الله عليه وسلم « من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه [2] » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « ماروى

كتاب أسرار الحج

(١) حديث « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا » أخرجه ابن عدى من حديث أبى هريرة والترمذى نحوه من حديث على وقال غريب وفى إسناده مقال

(٢) حديث « من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » أخرجاه من حديث أبى هريرة

الشيطان فى يوم اصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة [١] ، وما ذلك إلا لما يرى من نزول الرحمة وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب العظام إذ يقال « إن من الذنوب ذنوبا لايكفرها إلا الوقوف بعرفة [٢] » وقد أسنده جعفر بن محمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر بعض المكاشفين من المقربين أن إبليس لعنه الله عليه ظهر له فى صورة شخص بعرفة فاذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكى العين مقصوف الظهر فقال له : ما الذى أبكى عينك ؟ قال : خروج الحاج إليه بلا تجارة ، أقول قد قصدوه أخاف أن لايخيبهم فيحزننى ذلك قال : فما الذى أنحل جسمك ؟ قال : صهيل الخيل فى سبيل الله عز وجل ولو كانت فى سبيلى كان أحب إلى ، قال : فما الذى غير لونك ؟ قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية كان أحب إلى ، قال : فما الذى قصف ظهرك ؟ قال : قول العبد أسألك حسن الخاتمة ، أقول يا ويلتى متى يعجب هذا بعمله أخاف أن يكون قد فطن ؟ وقال صلى الله عليه وسلم « من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجرى له أجر الحاج المعتمر إلى يوم القيامة ومن مات فى أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « الحجاج والعمار وفد الله عز وجل وزواره إن سألوه أعطاهم وإن استغفروه غفر لهم وإن دعوا استجيب لهم وإن شفعوا شفعوا [٥] » وفى حديث مسند من طريق أهل البيت عليهم السلام « أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله تعالى لم يغفر له [٦] » وروى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « ينزل على هذا البيت فى كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين [٧] » وفى الخبر « استكثروا من الطواف بالبيت فإنه من أجل شىء تجدونه فى صحفكم يوم القيامة وأغبط عمل تجدونه [٨] » ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة وفى الخبر « من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا فى المطر غفر له ما سلف من ذنبه [٩] » ويقال : إن الله عزوجل إذا غفر لعبد ذنبا فى الموقف غفره لكل من أصابه فى ذلك الموقف . وقال بعض السلف : إذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل أهل عرفة وهو أفضل

---

(١) حديث « ما رؤى الشيطان فى يوم هو أصغر .. الحديث » أخرجه مالك عن إبراهيم بن أبى عبلة عن طلحة بن عبد الله بن كريز مرسلا (٢) حديث « من الذنوب ذنوب لايكفرها إلا الوقوف بعرفة » لم أجد له أصلا

(٣) حديث « من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجرى الله له أجر الحاج المعتمر إلى يوم القيامة ومن مات فى أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له أدخل الجنة » أخرجه البيهقى فى الشعب بالشطر الأول من حديث أبى هريرة . وروى هو والدارقطنى من حديث عائشة الشطر الثانى نحوه وكلاهما ضعيف (٤) حديث « حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء الا الجنة » أخرجاه من حديث أبى هريرة الشطر الثانى بلفظ « الحج المبرور » وقال « إن الحجة المبرورة » وعند ابن عدى « حجة مبرورة » (٥) حديث « الحجاج والعمار وفد الله وزواره .. الحديث » أخرجه من حديث أبى هريرة دون قوله « وزواره » ودون قوله « إن سألوه أعطاهم وإن شفعوا شفعوا » وله من حديث ابن عمر « وسألوه فأعطاهم » ورواه ابن حبان (٦) حديث « أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له » أخرجه الخطيب فى المتفق والمفترق وأبو منصور شهر دار بن شيرويه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر باسناد ضعيف (٧) حديث « ينزل على هذا البيت فى كل يوم مائة وعشرون رحمة » أخرجه ابن حبان فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بإسناد حسن وقال أبو حاتم حديث منكر (٨) حديث « استكثروا من الطواف بالبيت . الحديث » أخرجه ابن حبان والحاكم من حديث ابن عمر « استمتعوا من هذا البيت فإنه هدم مرتين ويرفع فى الثالثة » وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين .

(٩) حديث « من طاف أسبوعا حافيا حاسراً كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا فى المطر غفر له ما سلف من ذنوبه » لم أجده هكذا وعند الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر « من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة » لفظ الترمذى وحسنه .

يوم فى الدنيا ، وفيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان واقفا إذ نزل قوله عز وجل (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) [1] ، قال أهل الكتاب . لو أنزلت هذه الآية علينا لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضى الله عنه : أشهد لقد نزلت هذه الآية فى يوم عيدين اثنين ؛ يوم عرفة ويوم جمعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة ، وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج [2] » ، ويروى أن على بن موفق حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حججا قال : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى : يا ابن موفق حججت عنى ؟ قلت : نعم ، قال : ولبيت عنى ؟ قلت : نعم . قال : فإنى أكافئك بها يوم القيامة آخذ بيدك فى الموقف فأدخلك الجنة والخلائق فى كرب الحساب . وقال مجاهد وغيره من العلماء : إن الحجاج إذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الإبل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا . وقال الحسن : من مات عقيب رمضان أو عقيب غزو أو عقيب حج مات شهيدا . وقال عمر رضى الله عنه : الحاج مغفور له ولمن يستغفر له فى شهر ذى الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الأول . وقد كان من سنة السلف رضى الله عنهم أن يشيعوا الغزاة وأن يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألوهم الدعاء ويبادرون ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام . ويروى عن على بن موفق قال : حججت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمنى فى مسجد الخيف فرأيت فى المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى أحدهما صاحبه : يا عبد الله فقال الآخر : لبيك يا عبد الله ، قال : تدرى كم حج بيت ربنا عز وجل فى هذه السنة ؟ قال : لا أدرى قال : حج بيت ربنا ستمائة ألف أفتدرى كم قبل منهم ؟ قال : لا ، قال : ستة أنفس ، قال : ثم ارتفعا فى الهواء فغابا عنى فانتبهت فزعا واغتممت غما شديدا وأهمنى أمرى فقلت : إذا قبل حج ستة أنفس فأين أكون أنا فى ستة أنفس ؟ فلما أفضت من عرفة قمت عند المشعر الحرام فجعلت أفكر فى كثرة الخلق وفى قلة من قبل منهم ؛ فحملنى النوم فإذا الشخصان قد نزلا على هيئتهما ؛ فنادى أحدهما صاحبه واعاد الكلام بعينه ثم قال : أتدرى ماذا حكم ربنا عزوجل فى هذه الليلة ؟ قال : لا ، قال : فإنه وهب لكل واحد من الستة مائة ألف ، قال : فانتبهت وبى من السرور ما يجل عن الوصف . وعنه أيضا رضى الله عنه قال : حججت سنة فلما قضيت مناسكى تفكرت فيمن لا يقبل حجه فقلت : اللهم إنى قد وهبت حجتى وجعلت ثوابها لمن لم تقبل حجته قال : فرأيت رب العزة فى النوم جل جلاله فقال لى : يا على تتسخى على وأنا خلقت السخاء والأسخياء وأنا أجود الأجودين وأكرم الأكرمين وأحق بالجود والكرم من العالمين قد وهبت كل من لم أقبل حجه لمن قبلته .

فضيلة البيت ومكة المشرفة

قال صلى الله عليه وسلم « إن الله عزوجل قد وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة ألف فإن نقصوا أكملهم الله عزوجل من الملائكة [3] » ، وإن الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها يتعلق بأستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفى الخبر « إن الحجر الأسود ياقوتة من يواقيت الجنة وإنه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق

(١) حديث « وقوفه فى حجة الوداع يوم الجمعة ونزول (اليوم أكملت لكم دينكم) الحديث » أخرجاه من حديث عمر

(٢) حديث « اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج » أخرجه الحاكم من حديث أبى هريرة وقال صحيح على شرط مسلم

(٣) حديث « إن الله قد وعد هذا البيت أن يحجه فى كل سنة ستمائة ألف .. الحديث » لم أجد له أصلا

به يشهد لكل من استلمه بحق وصدق [١] ، وكان صلى الله عليه وسلم يقبله كثيرا [٢] وروى أنه صلى الله عليه وسلم سجد عليه وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن [٣] وقبله عمر رضى الله عنه ثم قال: إنى لأعلم أنك حجر لاتضر ولاتنفع [٤] ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ماقبلتك ، ثم بكى حتى علا نشيجه فالتفت إلى ورائه فرأى عليا كرم الله وجهه ورضى الله عنه فقال : يا أبا الحسن ههنا تسكب العبرات وتستجاب الدعوات ، فقال على رضى الله عنه : ياأمير المؤمنين بل هو يضر وينفع ، قال : وكيف ؟ قال : إن الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم القمه هذا الحجر ؛ فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود . قيل : فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام « اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك . وروى عن الحسن البصرى رضى الله عنه : انّ صوم يوم فيها بمائة ألف يوم وصدقة درهم بمائة ألف درهم وكذلك كل حسنة بمائة ألف ويقال : طواف سبعة أسابيع يعدل عمرة وثلاث عمر تعدل حجة . وفى الخبر الصحيح « عمرة فى رمضان كحجة معى [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « انا أوّل من تنشق عنه الأرض ثم آتى أهل البقيع فيحشرون معى ثم آتى أهل مكة فأحشر بين الحرمين [٦] » وفى الخبر « إنّ آدم صلى الله عليه وسلم لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا : بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام [٧] » وجاء فى الأثر : إنّ الله عزوجل ينظر فى كل ليلة إلى أهل الأرض فأوّل من ينظر إليه أهل الحرم وأوّل من ينظر إليه من أهل الحرم أهل المسجد الحرام فمن رآه طائفا غفر له ومن رآه مصليا غفر له ومن رآه قائما مستقبل الكعبة غفر له . وكوشف بعض الأولياء رضى الله عنهم قال: إنى رأيت الثغور كلها تسجد لعبادان ورأيت عبادان ساجدة لجدّة . ويقال : لاتغرب الشمس من يوم إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال ، ولايطلع الفجر من ليلة إلا طاف به واحد من الأوتاد ، وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لايرى الناس لها اثرا ، وهذا إذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد . ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فإذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ، ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة . ثم يرجع الناس إلى الأشعار والأغانى واخبار الجاهلية . ثم يخرج الدجال وينزل عيسى عليه السلام فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب التى تتوقع ولادتها . وفى الخبر « استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع فقد هدم مرتين ويرفع فى الثالثة [٨] » وروى عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : قال

---

(١) حديث « إن الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة ويبعث يوم القيامة له عينان . الحديث » أخرجه الترمذى وصححه النسائى من حديث ابن عباس « الحجر الأسود من الجنة » لفظ النسائى وباقى الحديث رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصحح إسناده من حديث ابن عباس أيضا وللحاكم من حديث أنس « إن الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة » وصحح إسناده ورواه النسائى وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو .

(٢) حديث « أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبله كثيرا » أخرجاه من حديث عمر دون قوله « كثيرا » والنسائى « أنه كان يقبله كل صبحة ثلاثا ان رآه خاليا » (٣) حديث « إنه كان يسجد عليه » أخرجه البزار والحاكم من حديث عمر وصحح إسناده .

(٤) « قبله عمر وقال إنى لاعلم أنك حجر » أخرجاه دون الزيادة التى رواها على ورواه بتلك الزيادة الحاكم وقال ليس من شرط الشيخين (٥) حديث « عمرة فى رمضان كحجة معى » أخرجاه من حديث ابن عباس دون قوله « معى » فهى عند مسلم على الشك « تقضى حجة أو حجة معى » ورواه الحاكم بزيادتها من غير شك (٦) حديث « أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم آتى أهل البقيع فيحضرون معى .. الحديث » أخرجه الترمذى وحسنه ابن حبان من حديث ابن عمر

(٧) حديث « إن آدم لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم .. الحديث » رواه المفضل الجعدى ومن طريقه ابن الجوزى فى العلل من حديث ابن عباس وقال لا يصح ورواه الأزرقى فى تاريخ مكة موقوفا على ابن عباس

(٨) حديث « استكثروا من الطواف بهذا البيت .. الحديث » أخرجه البزار وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن عمر « استمتعوا من هذا البيت فانه هدم مرتين ويرفع فى الثالثة »

الله تعالى « إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتي فخربته ثم أخرب الدنيا على أثره [1] » .

فضيلة المقام بمكة حرسها الله تعالى وكراهيته

كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لمعان ثلاثة (الأول) خوف التبرم والأنس بالبيت ، فإن ذلك ربما يؤثر فى تسكين حرقة القلب فى الاحترام ، وهكذا كان عمر رضى الله عنه يضرب الحجاج إذا حجوا ويقول : ياأهل اليمن يمنكم وياأهل الشام شامكم وياأهل العراق عراقكم . ولذلك هم عمر رضى الله عنه بمنع الناس من كثرة الطواف ، وقال : خشيت أن يأنس الناس بهذا البيت (الثانى) تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العودة فإن الله تعالى جعل البيت مثابة للناس وأمنا أى يثوبون ويعودون إليه مرة بعد أخرى ولا يقضون منه وطرا . وقال بعضهم تكون فى بلد وقلبك مشتاق إلى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه وأنت متبرم بالمقام وقلبك فى بلد آخر . وقال بعض السلف : كم من رجل بخراسان وهو أقرب إلى هذا البيت ممن يطوف به ؟ ويقال : إن لله تعالى عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا إلى الله عزوجل (الثالث) الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها ، فإن ذلك مخطر وبالحرى أن يورث مقت الله عز وجل لشرف الموضع . وروى عن وهيب بن الورد المكى قال : كنت ذات ليلة فى الحجر أصلى فسمعت كلاما بين الكعبة والأستار يقول إلى الله أشكو ثم إليك ياجبرائيل ماألقى من الطائفين حولى من تفكرهم فى الحديث ولغوهم ولهوهم لئن لم ينتهوا عن ذلك لأنتفضن انتفاضة يرجع كل حجر منى إلى الجبل الذى قطع منه . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : مامن بلد يؤاخذ فيه العبد بالنية قبل العمل إلا مكة وتلا قوله تعالى ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ أى أنه على مجرد الإرادة . ويقال : إن السيئات تضاعف بها كما تضاعف الحسنات . وكان ابن عباس رضى الله عنه يقول : الاحتكار بمكة من الإلحاد فى الحرم ، وقيل : الكذب أيضا وقال ابن عباس : لأن أذنب سبعين ذنبا بركية أحب إلى من أن أذنب ذنبا واحدا بمكة . وركية منزل بين مكة والطائف . والخوف ذلك انتهى بعض المقيمين إلى أن لم يقض حاجته فى الحرم بل كان يخرج إلى الحل عند قضاء الحاجة . وبعضهم أقام شهرا وما وضع جنبه على الأرض . وللمنع من الإقامة كره بعض العلماء أجور دور مكة . ولا تظنن أن كراهة المقام يناقض فضل البقعة لأن هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع فمعنى قولنا إن ترك المقام به أفضل أى بالإضافة إلى مقام مع التقصير والتبرم ، أما أن يكون أفضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيهات ! وكيف لا ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة استقبل الكعبة وقال « إنك لخير أرض الله عزوجل وأحب بلاد الله تعالى إلى ولولا أنى أخرجت منك لما خرجت [2] » وكيف لا والنظر إلى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناه .

فضيلة المدينة الشريفة على سائر البلاد

ما بعد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالأعمال فيها أيضا مضاعفة قال صلى الله عليه وسلم « صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام [3] » وكذلك كل عمل بالمدينة بألف

---

(١) حديث « قال الله إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتى فخربته ثم أخرب الدنيا على أثره » ليس له أصل

(٢) حديث « إنك لخير أرض الله وأحب بلاد الله إلى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت » أخرجه الترمذى وصححه النسائى فى الكبرى وابن ماجه وابن حبان من حديث عبد الله بن عدى بن الحمراء (٣) حديث « صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » متفق عليه من حديث أبى هريرة ورواه مسلم من حديث ابن عمر

وبعد مدينته الأرض المقدسة فإن الصلاة فيها بخمسمائة صلاة فيما سواها إلا المسجد الحرام ، وكذلك سائر الأعمال . وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « صلاة فى مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة فى المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة [١] » وقال صلى الله عليه وسلم « من صبر على شدتها ولأوائها كنت له شفيعا يوم القيامة [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فإنه لن يموت بها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة [٣] » وما بعد هذه البقاع الثلاث فالمواضع فيها متساوية إلا الثغور فإن المقام بها للمرابطة فيها فيه فضل عظيم . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى [٤] » وقد ذهب بعض العلماء إلى الاستدلال بهذا الحديث فى المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء . وما تبين لى أن الأمر كذلك بل الزيارة مأمور بها قال صلى الله عليه وسلم « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا [٥] » والحديث إنما ورد فى المساجد وليس فى معناها المشاهد ، لأن المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة ولا بلد إلا وفيه مسجد فلا معنى للرحلة إلى مسجد آخر ، وأما المشاهد فلا تتساوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله عز وجل ، نعم لو كان فى موضع لامسجد فيه فله أن يشد الرحال إلى موضع فيه مسجد وينتقل إليه بالكلية إن شاء ثم ليت شعرى هل يمنع هذا القائل من شد الرحال إلى قبور الأنبياء عليهم السلام مثل إبراهيم وموسى ويحيى وغيرهم عليهم السلام، فالمنع من ذلك فى غاية الإحالة ، فإذا جوز هذا فقبور الأولياء والعلماء والصلحاء فى معناها ، فلا يبعد أن يكون ذلك من أغراض الرحلة كما أن زيارة العلماء فى الحياة من المقاصد ؛ هذا فى الرحلة . أما المقام فالأولى بالمريد أن يلازم مكانه إذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله فى وطنه ؛ فإن لم يسلم فيطلب من المواضع ماهو أقرب إلى الخمول وأسلم للدين وأفرغ للقلب وأيسر للعبادة فهو أفضل المواضع له ، قال صلى الله عليه وسلم « البلاد بلاد الله عز وجل والخلق عباده فأى موضع رأيت فيه رفقا فأقم واحمد الله تعالى [٦] » وفى الخبر « من بورك له فى شىء فليلزمه ومن جعلت معيشته فى شىء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه [٧] » وقال أبو نعيم : رأيت سفيان الثورى وقد جعل جرابه على كتفه وأخذ نعليه بيده فقلت : إلى أين يا أبا عبد الله ؟ قال : إلى بلد أملأ فيه جرابى بدرهم . وفى حكاية أخرى بلغنى عن قرية فيها رخص أقيم فيها ، قال فقلت : وتفعل هذا يا أبا عبد الله ؟ فقال : نعم إذا سمعت برخص فى بلد فاقصده فإنه أسلم لدينك وأقل لهمك ، وكان يقول هذا زمان سوء لايؤمن فيه على الخاملين فكيف

---

(١) حديث ابن عباس « صلاة فى مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة فى المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة » غريب لم أجده بجملته هكذا وأخرجه ابن ماجه من حديث ميمونة باسناد جيد فى بيت المقدس « الثوه فصلوا فيه فان الصلاة فيه كألف صلاة فى غيره » ولابن ماجه من حديث أنس « صلاة بالمسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة وصلاة فى مسجدى بخمسين الف صلاة » وليس فى إسناده من ضعف وقال الذهبى إنه منكر

(٢) حديث « لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة » من حديث أبى هريرة وابن عمر وأبى سعيد

(٣) حديث « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها . . الحديث » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر قال الترمذى حسن صحيح (٤) حديث « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد . . الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد (٥) حديث « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » أخرجه مسلم من حديث بريدة بن الحصيب

(٦) حديث « البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فأى موضع رأيت فيه رفقا فأقم » أخرجه أحمد والطبرانى من حديث الزبير بسند ضعيف (٧) حديث « من رزق فى شىء فليلزمه ومن جعلت معيشته فى شىء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه » أخرجه ابن ماجه من حديث أنس بالجملة الأولى بسند حسن ومن حديث عائشة بسند فيه جهالة بلفظ « إذا سبب الله لأحدكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير أو يتنكر له »

بالمشهورين ؟ هذا زمان تنقل يتنقل الرجل من قرية إلى قرية يفرّ بدينه من الفتن . ويحكى عنه أنه قال : والله ما أدرى أى البلاد أسكن ؟ فقيل له : خراسان ، فقال : مذاهب مختلفة وآراء فاسدة ، قيل : فالشام ، قال : يشار إليك بالأصابع - أراد الشهرة - قيل؟ فالعراق ، قال : بلد الجبابرة ، قيل: مكة ، قال : مكة تذيب الكيس والبدن . وقال له رجل غريب : عزمت على المجاورة بمكة فأوصنى ، قال : أوصيك بثلاث : لا تصلين فى الصف الأول ولا تصحبن قرشيا ولا تظهرن صدقة . وإنما كره الصف الأول لأنه يشتهر فيفتقد إذا غاب فيختلط بعمله التزين والتصنع .

الفصل الثانى : فى شروط وجوب الحج وصحة أركانه وواجباته ومحظوراته

أما الشرائط فشرط صحة الحج اثنان : الوقت والإسلام . فيصح حج الصبى ويحرم بنفسه إن كان مميزا ويحرم عنه وليه إن كان صغيرا ويفعل به ما يفعل فى الحج من الطواف والسعى وغيره . وأما الوقت فهو شوّال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر ، فمن أحرم بالحج فى غير هذه المدة فهى عمرة وجميع السنة وقت العمرة ، ولكن من كان معكوفا على النسك ايام منى فلا ينبغى أن يحرم بالعمرة لأنه لا يتمكن من الاشتغال عقيبه لاشتغاله بأعمال منى . وأما شروط وقوعه عن حجة الإسلام فخمسة : الإسلام والحرية والبلوغ والعقل والوقت . فإن أحرم الصبى أو العبد ولكن عتق العبد وبلغ الصبى بعرفة أو بمزدلفة وعاد إلى عرفة قبل طلوع الفجر أجزأهما عن حجة الإسلام ، لأنّ الحج عرفة ، وليس عليهما دم إلا شاة . وتشترط هذه الشرائط فى وقوع العمرة عن فرض الإسلام إلا الوقت . وأما شروط وقوع الحج نفلا عن الحر البالغ فهو بعد براءة ذمته عن حجة الإسلام فحج الإسلام متقدّم ، ثم القضاء لمن أفسده فى حالة الوقوف ؛ ثم النذر ، ثم النيابة ، ثم النفل ؛ وهذا الترتيب مستحق ، وكذلك يقع وإن نوى خلافه . وأما شروط لزوم الحج فخمسة : البلوغ والإسلام والعقل والحرية والاستطاعه . ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة . ومن أراد دخول مكة لزيارة أو تجارة ولم يكن حطابا لزمه الإحرام على قول ثم يتحلل بعمل عمرة أو حج . وأما الاستطاعة فنوعان : أحدهما المباشرة وذلك له أسباب أما فى نفسه فبالصحة ، وأما فى الطريق فبأن تكون خصبة آمنة بلا بحر مخطر ولا عدوّ قاهر ، وأما فى المال فبأن يجد نفقة ذهابه وإيابه إلى وطنه - كان له أهل أو لم يكن - لأن مفارقة الوطن شديدة وأن يملك نفقة من تلزمه نفقته فى هذه المدة وأن يملك ما يقضى به ديونه وأن يقدر على راحلة أو كرائها بمحمل أو زاملة إن استمسك على الزاملة وأما النوع الثانى : فاستطاعة المعضوب بماله وهو أن يستأجر من يحج عنه بعد فراغ الأجير عن حجة الإسلام لنفسه . ويكفى نفقة الذهاب بزاملة فى هذا النوع ، والابن إذا عرض طاعته على الأب الزمن صار به مستطيعا ولو عرض ماله لم يصر به مستطيعا ؛ لأن الخدمة بالبدن فيها شرف للولد ، وبذل المال فيه منة على الوالد . ومن استطاع لزمه الحج وله التأخير ولكنه فيه على خطر فإن تيسر له ولو فى آخر عمره سقط عنه ؟ وإن مات قبل الحج لقى الله عز وجل عاصيا بترك الحج ، وكان الحج فى تركته يحج عنه وإن لم يوص كسائر ديونه . وإن استطاع فى سنة فلم يخرج مع الناس وهلك ماله فى تلك السنة - قبل حج الناس - ثم مات لقى الله عز وجل ولا حج عليه . ومن مات ولم يحج مع اليسار فأمره شديد عند الله تعالى . قال عمر رضى الله عنه : لقد هممت أن أكتب فى الأمصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع إليه سبيلا . وعن سعيد بن جبير وإبراهيم النخعى ومجاهد وطاوس: لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ما صليت عليه وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه . وكان ابن عباس يقول : من مات ولم يزك ولم يحج سأل الرجعة إلى الدنيا وقرأ قوله عز وجل ﴿رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت﴾ قال :

الحج وأما الأركان التى لايصح الحج بدونها فخمسة : الإحرام والطواف والسعى بعده والوقوف بعرفة والحلق بعده على قول وأركان العمرة كذلك إلا الوقوف والواجبات المجبورة بالدم ست: الإحرام من الميقات فمن تركه وجاوز الميقات محلا فعليه شاة والرمى فيه الدم قولا واحدا ، وأما الصبر بعرفة إلى غروب الشمس والمبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وطواف الوداع فهذه الأربعة يجبر تركها بالدم على أحد القولين ، وفى القول الثانى فيهادم على وجه الاستحباب . وأما وجوه أداء الحج والعمرة فثلاثة (الأول) الإفراد وهو الأفضل وذلك أن يقدم الحج وحده فإذا فرغ خرج إلى الحل فأحرم واعتمر . وأفضل الحل لإحرام العمرة الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية . وليس على المفرد دم إلا أن يتطوع (الثانى) القران وهو أن يجمع فيقول « لبيك بحجة وعمرة معا » فيصير محرما بهما ويكفيه أعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الغسل ؛ إلا أنه إذا طاف وسعى قبل الوقوف بعرفة فسعيه محسوب من النسكين وأما طوافه فغير محسوب ، لأن شرط الطواف الفرض فى الحج أن يقع بعد الوقوف . وعلى القارن دم شاة إلا أن يكون مكيا فلا شىء عليه لأنه لم يترك ميقاته إذ ميقاته مكة (الثالث) التمتع وهو أن يجاوز الميقات محرما بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات إلى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتعا إلا بخمس شرائط . أحدها أن لا يكون من حاضرى المسجد الحرام وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة . الثانى . أن يقدم العمرة على الحج . الثالث . أن تكون عمرته فى أشهر الحج . الرابع : أن لايرجع إلى ميقات الحج ولا إلى مثل مسافته لإحرام الحج . الخامس : أن يكون حجه وعمرته عن شخص واحد فإذا وجدت هذه الأوصاف كان متمتعاً ولزمه دم شاة ؛ فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج قبل يوم النحر متفرقة أو متتابعة وسبعة إذا رجع إلى الوطن ، وإن لم يصم الثلاثة حتى رجع إلى الوطن صام العشرة تتابعا أو متفرقا وبدل دم القران والتمتع سواء . والأفضل الإفراد ثم التمتع ثم القران . وأما محظورات الحج والعمرة فستة ؛ الأول : اللبس للقميص والسراويل والخف والعمامة بل ينبغى أن يلبس إزاراً ورداء ونعلين ، فإن لم يجد نعلين فكعبين فإن لم يجد إزاراً فسراويل ولا بأس بالمنطقة والاستظلال فى المحمل ولكن لاينبغى أن يغطى رأسه فإن إحرامه فى الرأس وللمرأة أن تلبس كل مخيط بعد أن لاتستر وجهها بما يماسه فإن إحرامها فى وجهها . الثانى الطيب فليجتنب كل ما يعده العقلاء طيبا فإن تطيب أو لبس فعليه دم شاة . الثالث : الحلق والقلم وفيهما الفدية أعنى دم شاة ، ولا بأس بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر ، الرابع : الجماع وهو مفسد قبل التحلل الأول وفيه بدنة أو بقرة أوسبع شياه وإن كان بعد التحلل الأول لزمه البدنة ولم يفسد حجه . والخامس : مقدمات الجماع كالقبلة والملامسة التى تنقض الطهر مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكذا فى الاستمناء ، ويحرم النكاح والإنكاح ولا دم فيه لأنه لاينعقد . السادس : قتل صيد البر أعنى مايؤكل أو هو متولد من الحلال والحرام فإن قتل صيدا فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب فى الخلقة وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه .

الباب الثانى فى ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر إلى الرجوع وهى عشر جمل

الجملة الأولى : فى السير من أول الخروج إلى الإحرام وهى ثمانية

(الأولى) فى المال : فينبغى أن يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع ويرد ماعنده من الودائع . ويستصحب من المال الحلال الطيب مايكفيه لذهابه وإيابه من غير

تقتير بل على وجه يمكنه معه التوسع فى الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء . ويتصدق بشىء قبل خروجه ويشترى لنفسه دابة قوية على الحمل لاتضعف أو يكتريها فإن اكترى فليظهر المكارى كل مايريد أن يحمله من قليل أو كثير ويحصل رضاه فيه (الثانية) فى الرفيق : ينبغى أن يلتمس رفيقاً صالحاً محباً للخير معينا عليه إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه وإن جبن شجعه وإن عجز قواه وإن ضاق صدره صبره . ويودع رفقاءه المقيمين وإخوانه وجيرانه فيودعهم ويلتمس أدعيتهم فإن الله تعالى جاعل فى أدعيتهم خيرا والسنة فى الوداع أن يقول أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك [1] وكان صلى الله عليه وسلم يقول لمن أراد السفر « فى حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما كنت [2] » (الثالثة) فى الخروج من الدار : ينبغى إذا هم بالخروج أن يصلى ركعتين أولا يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة : قل يا أيها الكافرون وفى الثانية الإخلاص فإذا فرغ رفع يديه ودعا الله سبحانه عن إخلاص صاف ونية صادقة وقال : اللهم أنت الصاحب فى السفر وأنت الخليفة فى الأهل والمال والولد والأصحاب احفظنا وإياهم من كل آفة وعاهة . اللهم إنا نسألك فى مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى . اللهم إنا نسألك أن تطوى لنا الأرض وتهون علينا السفر وأن ترزقنا فى سفرنا سلامة البدن والدين والمال وتبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم . اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى الأهل والمال والولد والأصحاب . اللهم اجعلنا وإياهم فى جوارك ولا تسلبنا وإياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك (الرابعة) إذا حصل على باب الدار قال : بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أذل أو أذل أو أزل أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على . اللهم إنى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولاسمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا إلى لقائك . فإذا مشى قال : اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت وإليك توجهت . اللهم أنت ثقتى وأنت رجائى فاكفنى ما أهمنى وما لاأهتم به وما أنت أعلم به منى عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك . اللهم زودنى التقوى واغفرلى ذنبى ووجهنى للخير أينما توجهت . ويدعو بهذا الدعاء فى كل منزل يدخل عليه (الخامسة) فى الركوب . فإذا ركب الراحلة يقول : بسم الله وبالله والله أكبر توكلت على الله ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون . اللهم إنى وجهت وجهى إليك وفوضت أمرى كله إليك وتوكلت فى جميع أمورى عليك أنت حسبى ونعم الوكيل . فإذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ـ سبع مرات ـ وقال ﴿ الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لو أن هدانا الله ﴾ اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور (السادسة) فى النزول : والسنة أن لالا ينزل حتى يحمى النهار ويكون أكثر سيره بالليل قال صلى الله عليه وسلم « عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار [3] » وليقلل نومه بالليل حتى يكون

الباب الثانى ـ فى ترتيب الأفعال الظاهرة

(١) حديث « أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك » أخرجه الترمذى وصححه والنسائى من حديث ابن عمر « أنه كان يقول للرجل إذا أراد سفرا : أدن حتى أودعك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعنا »

(٢) حديث « كان صلى الله عليه وسلم يقول لمن أراد سفرا . فى حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وغفر الله ذنبك ووجهك للخير أينما توجهت » أخرجه الطبرانى فى الدعاء من حديث أنس وهو عند الترمذى وحسنه دون قوله « فى حفظ الله وكنفه »

(٣) حديث « عليكم بالدلجة فان الأرض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار » أخرجه أبو داود من حديث أنس دون قوله « مالا تطوى بالنهار » وهذه الزيادة فى الموطأ من حديث خالد بن معدان مرسلا

عونا على السير . ومهما أشرف على المنزل فليقل : اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شره وشر ما فيه اصرف عنى شر شرارهم . فإذا نزل المنزل صلى ركعتين فيه ثم قال : أعوذ بكلمات الله التامات التى لايجاوزهن بر ولا فاجر من شر ماخلق . فإذا جن عليه الليل يقول : يا أرض ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر مافيك وشر مادب عليك أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد ووالد وماولد ﴿وله ماسكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم﴾ (السابعة) فى الحراسة : ينبغى أن يحتاط بالنهار فلا يمشى منفردا خارج القافلة لأنه ربما يغتال أو ينقطع ، ويكون بالليل متحفظا عند النوم فإن نام فى ابتداء الليل افترش ذراعه ، وإن نام فى آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه فى كفه ، هكذا كان ينام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفره [1] لأنه ربما استثقل النوم فتطلع الشمس وهو لايدرى فيكون مايفوته من الصلاة أفضل مما يناله من الحج والأحب فى الليل أن يتناوب الرفيقان فى الحراسة فإذا نام أحدهما حرس الآخر [2] فهو السنة فإن قصده عدو أو سبع فى ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسى وشهد الله والإخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله ماشاء الله لاقوة إلا بالله حسبى الله توكلت على الله ماشاء الله لا يأتى بالخير إلا الله ما شاء الله لايصرف السوء إلا الله حسبى الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز﴾ تحصنت بالله العظيم واستغثت بالحى الذى لا يموت اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام واكنفنا بركنك الذى لا يرام . اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا . اللهم أعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة إنك أنت أرحم الراحمين (الثامنة) مهما علا نشزا من الأرض فى الطريق فيستحب أن يكبر ثلاثا ثم يقول : اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال . ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة فى سفره قال : سبحان الله الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت .

الجملة الثانية : فى آداب الإحرام من الميقات إلى دخول مكة وهى خمسة

(الأول) أن يغتسل وينوى به غسل الإحرام أعنى إذا انتهى إلى الميقات المشهور الذى يحرم الناس منه . ويتمم غسله بالتنظيف ويسرح لحيته ورأسه ويقلم اظفاره ويقص شاربه ويستكمل النظافة التى ذكرناها فى الطهارة (الثانى) أن يفارق الثياب المخيطة ويلبس ثوبى الإحرام فيرتدى ويتزر بثوبين أبيضين فالأبيض هو أحب الثياب إلى الله عز وجل ، ويتطيب فى ثيابه وبدنه ولا بأس بطيب يبقى جرمه بعد الإحرام ؛ فقد رؤى بعض المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الإحرام مما كان استعمله قبل الإحرام [3] (الثالث) أن يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحلته إن كان راكبا أو يبدأ بالسير إن كان راجلا فعند ذلك ينوى الإحرام بالحج أو بالعمرة

---

(١) حديث « كان إذا نام فى أول الليل افترش ذراعه واذا نام فى آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل ذراعه فى كفه » أخرجه أحمد والترمذى فى الشمائل من حديث أبى قتادة باسناد صحيح وعزاه أبو مسعود الدمشقى والحميدى إلى مسلم ولم أره فيه .

(٢) حديث « تناوب الرفيقين فى الحراسة فاذا نام أحدهما حرس الآخر » أخرجه البيهقى من طريق ابن اسحق من حديث جابر فى حديث فيه « فقال الأنصارى أى الليل أحب اليك أن أكفيكه أوله أو آخره ؟ فقال : بل اكفنى أوله فاضطجع المهاجرى .. الحديث » والحديث عند أبى داود ولكن ليس فيه قول الأنصارى للمهاجرين (٣) حديث رؤية وبيص المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الإحرام » متفق عليه من حديث عائشة قالت « كأنما أنظر الى وبيص المسك » الحديث .

قرانا أو إفرادا كما أراد . ويكفى مجرد النية لانعقاد الإحرام ولكن السنة أن يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول « لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك» وإن زاد قال « لبيك وسعديك والخير كله بيديك والرغباء إليك لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد » (الرابع) إذا انعقد إحرامه بالتلبية المذكورة فيستحب أن يقول : اللهم إنى أريد الحج فيسره لى وأعنى على أداء فرضه وتقبله منى . اللهم إنى نويت أداء فريضتك فى الحج فاجعلنى من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا أمرك واجعلنى من وفدك الذين رضيت عنهم وارتضيت وقبلت منهم . اللهم فيسرلى أداء مانويت من الحج ، اللهم قد أحرم لك لحمى وشعرى ودمى وعصبى ومخى وعظامى وحرمت على نفسى النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة . ومن وقت الإحرام حرم عليه المحظورات الستة التى ذكرناها من قبل فليجتنبها (الخامس) يستحب تجديد التلبية فى دوام الإحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق وعند اجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب ونزول رافعا بها صوته بحيث لايبح حلقه ولا ينبهر ، فإنه لاينادى أصم ولا غائبا [1] كما ورد فى الخبر . ولا بأس برفع الصوت بالتلبية فى المساجد الثلاثة فإنها مظنة المناسك - أعنى المسجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد الميقات - وأما سائر المساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت : وكان صلى الله عليه وسلم إذا أعجبه شىء قال « لبيك إن العيش عيش الآخرة [2] » .

الجملة الثالثة فى آداب دخول مكة إلى الطواف وهى ستة

(الأول) أن يغتسل بذى طوى لدخول مكة . والاغتسالات المستحبة المسنونة فى الحج تسعة . الأول : للإحرام من الميقات ثم لدخول مكة ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بمزدلفة ثم ثلاثة أغسال لرمى الجمار الثلاث ؛ ولا غسل لرمى جمرة العقبة ، ثم لطواف الوداع . ولم ير الشافعى رضى الله عنه فى الجديد : الغسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع فتعود إلى سامة ، الثانى : أن يقول عند الدخول فى أول الحرم وهو خارج مكة « اللهم هذا حرمك وأمنك فحرم لحمى ودمى وشعرى وبشرى على النار وآمنى من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلنى من أوليائك وأهل طاعتك . الثالث أن يدخل مكة من جانب الأبطح وهو ثنية كدا - بفتح الكاف - عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادة الطريق إليها [3] فالتأسى به أولى ، وإذا خرج خرج من ثنيه كدى - بضم الكاف - وهى الثنية السفلى والأولى هى العليا . الرابع : إذا دخل مكة وانتهى إلى رأس الردم فعنده يقع بصره على البيت فليقل « لا إله إلا الله والله أكبر اللهم أنت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام اللهم إن هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حجة يرا وكرامة اللهم افتح لى أبواب رحمتك وأدخلنى جنتك وأعذنى من الشيطان الرجيم » . الخامس : إذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بنى شيبة وليقل « بسم الله وبالله ومن الله وإلى وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . اللهم

---

(١) حديث « انكم لاتنادون أصم ولا غائبا » متفق عليه من حديث أبي موسى (٢) حديث « كان إذا أعجبه شىء قال : لبيك ان العيش عيش الآخرة » أخرجه الشافعى فى المسند من حديث مجاهد مرسلا بنحوه والحاكم وصححه من حديث ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف بعرفات فلما قال لبيك اللهم لبيك » قال « إنما الخير خير الآخرة »

(٣) حديث « دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثنية كداء — بفتح الكاف — » متفق عليه من حديث ابن عمر قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل مكة دخل من الثنية العليا التى بالبطحاء .. الحديث »

صل على محمد عبدك ورسولك وعلى إبراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك ، وليرفع يديه وليقل « اللهم إنى أسألك فى مقامى هذا فى أول مناسكى أن تتقبل توبتى وأن تتجاوز عن خطيئتى وتضع عنى وزرى الحمد لله الذى بلغنى بيته الحرام الذى جعله مثابة للناس وأمنا وجعله مباركا وهدى للعالمين . اللهم إنى عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جئتك أطلب رحمتك وأسألك مسئلة المضطر الخائف من عقوبتك الراجى لرحمتك الطالب مرضاتك . السادس : أن تقصد الحجر الأسود بعد ذلك وتمسه بيدك اليمنى وتقبله وتقول « اللهم أمانتى أديتها وميثاقى وفيته اشهد لى بالموافاة فإن لم يستطع التقبيل وقف فى مقابلته ويقول ذلك . ثم لا يعرّج على شىء دون الطواف وهو طواف القدوم إلا أن يجد الناس فى المكتوبة فيصلى معهم ثم يطوف .

الجملة الرابعة : فى الطواف

فإذا أراد افتتاح الطواف إما للقدوم وإما لغيره فينبغى أن يراعى أمورا ستة (الأول) أن يراعى شروط الصلاة من طهارة الحدث والخبث فى الثوب والبدن والمكان وستر العورة . فالطواف بالبيت صلاة ولكن الله سبحانه أباح فيه الكلام . وليضطبع قبل ابتداء الطواف وهو أن يجعل وسط ردائه تحت إبطه اليمنى ويجمع طرفيه على منكبه الأيسر فيرخى طرفا وراء ظهره وطرفا على صدره . ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويشتغل بالأدعية التى سنذكرها (الثانى) إذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره وليقف عند الحجر الأسود وليتنح عنه قليلا ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه فى ابتداء طوافه . وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريبا من البيت فإنه أفضل ولكيلا يكون طائفا على الشاذروان فإنه من البيت ، وعند الحجر الأسود قد يتصل الشاذروان بالأرض ويلتبس به ، والطائف عليه لا يصح طوافه ؛ لأنه طائف فى البيت . والشاذروان هو الذى فضل عن عرض جدار البيت بعد أن ضيق أعلى الجدار ثم من هذا الموقف يبتدئ الطواف (الثالث) أن يقول قبل مجاوزة الحجر بل فى ابتداء الطواف « بسم الله والله أكبر اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم » ويطوف . فأول ما يجاوز الحجر ينتهى إلى باب البيت فيقول « اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا الأمن أمنك وهذا مقام العائذ بك من النار » وعند ذكر المقام يشير بعينه إلى مقام إبراهيم عليه السلام « اللهم إن بيتك عظيم ووجهك كريم وأنت أرحم الراحمين فأعذنى من النار ومن الشيطان الرجيم وحرّم لحمى ودمى على النار وآمنى من أهوال يوم القيامة واكفنى مؤنة الدنيا والآخرة » ثم يسبح الله تعالى ويحمده حتى يبلغ الركن العراقى فعنده يقول « اللهم إنى أعوذ بك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الأخلاق وسوء المنظر فى الأهل والمال والولد » فإذا بلغ الميزاب قال « اللهم أظلنا تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك اللهم اسقنى بكأس محمد صلى الله عليه وسلم شربة لا أظمأ بعدها أبداً » فإذا بلغ الركن الشامى قال « اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم » فإذا بلغ الركن اليمانى قال « اللهم إنى أعوذ بك من الكفر وأعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من الخزى فى الدنيا والآخرة » ويقول بين الركن اليمانى والحجر الأسود « اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا برحمتك فتنة القبر وعذاب النار » فإذا بلغ الحجر الأسود قال اللهم اغفر لى برحمتك أعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر » وعند ذلك قد تم شوط واحد فيطوف كذلك سبعة أشواط فيدعو بهذه الأدعية فى كل شوط (الرابع) أن يرمل فى ثلاثة أشواط ويمشى فى الأربعة الأخر

على الهيئة المعتادة . ومعنى الرمل الإسراع فى المشى مع تقارب الخطا ، وهو دون العدو وفوق المشى المعتاد . والمقصود منه ومن الاضطباع إظهار الشطارة والجلادة والقوة ، هكذا كان القصد أولا قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك السنة[1] والأفضل الرمل مع الدنو من البيت فإن لم يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد أفضل فيخرج إلى حاشية المطاف وليرمل ثلاثا ثم ليقرب إلى البيت فى المزدحم وليمش أربعا . وإن أمكنه استلام الحجر فى كل شوط فهو الأحب ، وإن منعه الزحمة أشار باليد وقبل يده ، وكذلك استلام الركن اليمانى يستحب من سائر الأركان . وروى « أنه صلى الله عليه وسلم كان يستلم الركن اليمانى[2] ويقبله[3] ويضع خده عليه[4] » ومن أراد تخصيص الحجر بالتقبيل واقتصر فى الركن اليمانى على الاستلام أغنى عن اللمس باليد فهو أولى (الخامس) إذا تم الطواف سبعا فليأت الملتزم وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة ، وليلتزق بالبيت وليتعلق بالأستار وليلصق بطنه بالبيت وليضع عليه خده الأيمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه ، وليقل « اللهم يارب البيت العتيق أعتق رقبتى من النار وأعذنى من الشيطان الرجيم وأعذنى من كل سوء وقنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيما آتيتنى اللهم إن هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار اللهم اجعلنى من أكرم وفدك عليك » ثم ليحمد الله كثيرا فى هذا الموضع وليصل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الرسل كثيرا وليدع بحوائجه الخاصة وليستغفر من ذنوبه . كان بعض السلف فى هذا الموضع يقول لمواليه : تنحوا عنى حتى أقر لربى بذنوبى (السادس) إذا فرغ من ذلك ينبغى أن يصلى خلف المقام ركعتين يقرأ فى الأولى قل يا أيها الكافرون وفى الثانية الإخلاص وهما ركعتا الطواف . قال الزهرى : مضت السنة أن يصلى لكل سبع ركعتين[5] وإن قرن بين أسابيع وصلى ركعتين جاز[6] فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل أسبوع طواف . وليدع بعد ركعتى الطواف وليقل « اللهم يسر لى اليسرى وجنبنى العسرى واغفر لى فى الآخرة والأولى واعصمنى بألطافك حتى لا أعصيك وأعنى على طاعتك بتوفيقك وجنبنى معاصيك واجعلنى ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين . اللهم حببنى إلى ملائكتك ورسلك وإلى عبادك الصالحين اللهم فكما هديتنى إلى الإسلام فثبتنى عليه بألطافك وولايتك واستعملنى لطاعتك وطاعة رسولك وأجرنى من مضلات

---

(١) حديث « مشروعية الرمل والاضطباع قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك السنة » أما الرمل فمتفق عليه من حديث ابن عباس قال « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال المشركون إنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الأشواط الثلاثة ... الحديث » وأما الاضطباع فروى أبو داود وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث عمر قال « فيم الرملان الآن والكشف عن المناكب وقد أظهر الله الإسلام ونفى الكفر وأهله ومع ذلك لاندع شيئا كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٢) حديث « استلامه صلى الله عليه وسلم للركن اليمانى » متفق عليه من حديث ابن عمر قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقدم مكة إذا استلم الركن الأسود ... الحديث » ولهما من حديثه « لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمس من الأركان إلا اليمانيين » ولمسلم من حديث ابن عباس « لم أره يستلم غير الركنين اليمانيين » وله من حديث جابر الطويل « حتى إذا أتيت البيت معه استلم الركن » (٣) حديث « تقبيله صلى الله عليه وسلم له » متفق عليه من حديث عمر « أنه قبل الحجر وقال لولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك » وللبخارى من حديث ابن عمر « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله » وله فى التاريخ من حديث ابن عباس « كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا استلم الركن اليمانى قبله » (٤) حديث « وضع الخد عليه » أخرجه الدارقطنى من حديث ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الركن اليمانى .. الحديث » قال الحاكم صحيح الإسناد قلت فيه عبد الله بن مسلم بن هرمز ضعفه الجمهور (٥) حديث الزهرى « مضت السنة أن يصلى لكل أسبوع ركعتين » ذكره البخارى تعليقا السنة أفضل لم يطف النبى صلى الله عليه وسلم أسبوعا إلا صلى ركعتين وفى الصحيحين من حديث ابن عمر « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين (٦) حديث « قرانه صلى الله عليه وسلم بين أسابيع » رواه ابن أبى حاتم من حديث ابن عمر « أن النبى صلى الله عليه وسلم قرن ثلاثة أطواف ليس بينهما صلاة » ورواه العقيلى فى الضعفاء وابن شاهين فى أماليه من حديث أبى هريرة وزاد « ثم صلى لكل أسبوع ركعتين » وفى إسنادها عبد السلام بن أبى الجنوب منكر الحديث

الفتن . ثم ليعد إلى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف قال صلى الله عليه وسلم، من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة [1] ، وهذه كيفية الطواف . والواجب من جملته بعد شروط الصلاة أن يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت ، وأن يبتدئ بالحجر الأسود ويجعل البيت على يساره وأن يطوف داخل المسجد وخارج البيت لا على الشاذروان ولا فى الحجر ، وأن يوالى بين الأشواط ولا يفرقها تفريقا خارجا عن المعتاد وما عدا هذا فهو سنن وهيئات .

الجملة الخامسة : فى السعى

فإذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو فى محاذاة الضلع الذى بين الركن اليمانى والحجر . فإذا خرج من ذلك الباب وانتهى إلى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجات فى حضيض الجبل بقدر قامة الرجل . رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت له الكعبة [2] . وابتداء السعى من أصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة ، ولكن بعض تلك الدرج مستحدثة فينبغى أن لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعى ، وإذا ابتدأ من ههنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات . وعند رقيه فى الصفا ينبغى أن يستقبل البيت ويقول « الله أكبر الله أكبر الحمد لله على ما هدانا الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شىء قدير لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا إله إلا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ﴾ اللهم إنى أسألك إيمانا دائما ويقينا صادقا وعلما نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا وأسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة ويصلى على محمد صلى الله عليه وسلم » ويدعو الله عز وجل بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء . ثم ينزل ويبتدئ السعى وهو يقول « رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » ويمشى على هينة حتى ينتهى إلى الميل الأخضر وهو أول ما يلقاه إذا نزل من الصفا ـ وهو على زاوية المسجد الحرام ـ فإذا بقى بينه وبين محاذاة الميل ستة أذرع أخذ فى السير السريع وهو الرمل حتى ينتهى إلى الميلين الأخضرين . ثم يعود إلى الهينة فإذا انتهى إلى المروة صعدها كما صعد الصفا وأقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء وقد حصل السعى مرة واحدة ؛ فإذا عاد إلى الصفا حصلت مرتان . يفعل ذلك سبعا ويرمل فى موضع الرمل فى كل مرة ويسكن فى موضع السكون ـ كما سبق ـ وفى كل نوبة يصعد الصفا والمروة فإذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعى وهما سنتان . والطهارة مستحبة للسعى وليست بواجبة بخلاف الطواف وإذا سعى فينبغى أن لا يعيد السعى بعد الوقوف ويكتفى بهذا ركنا ؛ فإنه ليس من شروط السعى أن يتأخر عن الوقوف وإنما ذلك شرط فى طواف الركن . نعم شرط كل سعى أن يقع بعد طواف أى طواف كان .

---

(١) حديث « من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة » أخرجه الترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه من حديث ابن عمر « من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة » لفظ ابن ماجه وقال « الآخر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة » والبيهقى فى الشعب « من طاف أسبوعا وركع ركعتين كانت كعتاق رقبة »

(٢) حديث « أنه رقى على الصفا حتى بدت له الكعبة » أخرجه مسلم من حديث جابر « فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت » وله من حديث أبى هريرة « أتى الصفا فعلا عليه حتى نزل إلى البيت » .

الجملة السادسة : فى الوقوف وما قبله

الحاج إذا انتهى يوم عرفة إلى عرفات يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف . وإذا وصل قبل ذلك بأيام فطاف طواف القدوم فيمكث محرما إلى اليوم السابع من ذى الحجة . فيخطب الإمام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ويأمر الناس بالاستعداد للخروج إلى منى يوم التروية والمبيت بها ، وبالغدو منها إلى عرفة لإقامة فرض الوقوف بعد الزوال ؛ إذ وقت الوقوف من الزوال إلى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر ، فينبغى أن يخرج إلى منى ملبيا : ويستحب له المشى من مكة فى المناسك إلى انقضاء حجته إن قدر عليه . والمشى من مسجد إبراهيم عليه السلام إلى الموقف أفضل وآكد . فإذا انتهى إلى منى قال « اللهم هذه منى فامنن على بما منذت به على أو لياءك وأهل طاعتك وليمكث هذه الليلة بمنى ـ وهو مبيت منزل لايتعلق به نسك ـ فإذا أصبح يوم عرفة صلى الصبح فإذا طلعت الشمس على ثبير سار إلى عرفات ويقول « اللهم أجعلها خيرغدوة غدوتها قط وأقربها من رضوانك وأبعدها من سخطك اللهم إليك غدوت وإياك رجوت وعليك اعتمدت ووجهك أردت فاجعلنى ممن تباهى به اليوم من هو خير منى وأفضل . فإذا أتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريباً من المسجد فثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبته [1] ونمرة هى بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة . وليغتسل للوقوف فإذا زالت الشمس خطب الإمام خطبة وجيزة وقعد ، وأخذ المؤذن فى الأذان والإمام فى الخطبة الثانية ووصل الإقامة بالأذان ، وفرغ الإمام مع تمام إقامة المؤذن . ثم جمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين ، وقصر الصلاة ، وراح إلى الموقف فليقف بعرفة ولايقفن فى وادى عرنة . وأمامسجد إبراهيم عليه السلام فصدره فى الوادى وأخرياته من عرفة فمن وقف فى صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة . ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت ثم . والأفضل أن يقف عند الصخرات بقرب الإمام مستقبلا للقبلة راكبا . وليكثر من أنواع التحميد والتسبيح والتهليل والثناء على الله عز وجل والدعاء والتوبة . ولا يصوم فى هذا اليوم ليقوى على المواظبة على الدعاء . ولايقطع التلبية يوم عرفة بل الأحب أن يلبى تارة ويكب على الدعاء أخرى . وينبغى أن لاينفصل من طرف عرفة إلا بعد الغروب ليجمع فى عرفة بين الليل والنهار : وإن أمكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند إمكان الغلط فى الهلال فهو الحزم وبه الأمن من الفوات . ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج ، فعليه أن يتحلل عن إحرامه بأعمال العمرة ثم يريق دما لأجل الفوات ، ثم يقضى العام الآتى ، وليكن أهم اشتغاله فى هذا اليوم الدعاء . فى مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجى إجابة الدعوات . والدعاء المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] وعن السلف

---

(١) حديث « ضربه صلى الله عليه وسلم قبته بنمرة » أخرجه مسلم من حديث جابر الطويل « أمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة .. الحديث » (٢) حديث « الدعاء المأثور فى يوم عرفة لا إله إلا الله وحده لاشريك له .. الحديث » أخرجه الترمذى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى لاإله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير » وقال حسن غريب وله من حديث على قال « أكثر مادعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة فى الموقف اللهم لك الحمد كالذى تقول وخيرا مما نقول لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى واليك مآبى ولك رب تراثى اللهم إنى أعوذ بك من شر ماتجىء به الريح » وقال ليس بالقوى اسناده وروى المستغفرى فى الدعوات من حديثه « ياعلى إن أكثر دعاء من قبلى يوم عرفه أن اقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير اللهم اجعل فى صدرى نورا وفى سمعى نورا وفى قلبى نورا اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى اللهم انى أعوذ بك من وسواس الصدر وشتات الأمر وفتنة القبر وشر ما يلج فى الليل وشر ما يلج فى النهار وشر ماتهب به الرياح ومن شر بوائق الدهر » واسناده ضعيف وروى الطبرانى فى المعجم الصغير من حديث ابن عباس قال « كان مما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة : اللهم إنك ترى مكانى وتسمع كلامى وتعلم سرى وعلانيتى ولا يخفى عليك شىء من أمرى أنا البائس =

فى يوم عرفة أول مايدعو به فليقل « لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير . اللهم اجعل فى قلبي نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا وفى لسانى نورا . اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى وليقل : اللهم رب الحمد لك الحمد كما تقول وخيراً مما نقول لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى وإليك مآبى وإليك ثوابى . اللهم إنى أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر وعذاب القبر . اللهم إنى أعوذ بك من شر مايلج فى الليل ومن شر مايلج فى النهار ومن شر ماتهب به الرياح . ومن شر بوائق الدهر . اللهم إنى أعوذ بك من تحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك . اللهم اهدنى بالهدى واغفر لى فى الآخرة والأولى ياخير مقصود وأسنى منزول به وأكرم مسئول مالديه أعطنى العشية أفضل ماأعطيت أحداً من خلقك وحجاج بيتك ياأرحم الراحمين. اللهم يارفيع الدرجات ومنزل البركات ويافاطر الأرضين والسموات ضجت إليك الأصوات بصنوف اللغات يسألونك الحاجات وحاجتى إليك أن لاتنسانى فى دار البلاء. إذا نسينى أهل الدنيا . اللهم إنك تسمع كلامى وترى مكانى وتعلم سرى وعلانيتى ولايخفى عليك شيء من أمرى أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المعترف بذنبه أسألك مسئلة المسكين وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك أنفه . اللهم لاتجعلنى بدعائك رب شقيا وكن بى رءوفا رحيما ياخير المسئولين وأكرم المعطين إلهى من مدح لك نفسه فإنى لائم نفسى . . إلهى أخرست المعاصى لسانى فمالى وسيلة عن عمل ولاشفيع سوى الأمل . إلهى إنى أعلم أنّ ذنوبى لم تبق لى عندك جاها ولا للاعتذار وجهاً ولكنك أكرم الأكرمين. إلهى إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فإن رحمتك أهل أن تبلغنى ورحمتك وسعت كل شيء وأنا شيء إلهى إنّ ذنوبى وإن كانت عظاما ولكنها صغار فى جنب عفوك فاغفرها لى يا كريم إلهى أنت أنت وأنا أنا ، أنا العوّاد إلى الذنوب وأنت العوّاد إلى المغفرة. إلهى إن كنت لاترحم إلا أهل طاعتك فإلى من يفزع المذنبون . إلهى تجنبت عن طاعتك عمداً وتوجهت إلى معصيتك قصداً فسبحانك ما أعظم حجتك على وأكرم عفوك عنى فبوجوب حجتك على وانقطاع حجتى عنك وفقرى إليك وغناك عنى إلا غفرت لى ياخير من دعاه داع وأفضل من رجاه راج بحرمة الإسلام وبذمة محمد عليه السلام أتوسل إليك فاغفر لى جميع ذنوبى واصرفنى من موقفى هذا مقضى الحوائج وهب لى ماسألت وحقق رجائى فيما تمنيت . إلهى دعوتك بالدعاء الذى علمتنيه فلا تحرمنى الرجاء الذى عرفتنيه إلهى ماأنت صانع العشية بعبد مقر لك بذنبه خاشع لك بذلته مستكين بجرمه متضرع إليك من عمله تائب إليك من اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتهل إليك فى العفو عنه طالب إليك نجاح حوائجه راج إليك فى موقفه مع كثرة ذنوبه فياملجأ كل حى وولى كل مؤمن من أحسن فبرحمتك يفوز ومن أخطأ فبخطيئته يهلك . اللهم إليك خرجنا وبفنائك أنخنا وإياك أملنا وماعندك طلبنا ولإحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك أشفقنا وإليك بأثقال الذنوب هربنا ولبيتك الحرام حججنا يامن يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين يامن ليس معه رب يدعى ويامن ليس فوقه خالق يخشى ويامن ليس له وزير يؤتى ولاحاجب يرشى يامن لايزداد على كثرة السؤال إلا جوداً وكرما وعلى كثرة الحوائج إلا تفضلا وإحسانا . اللهم إنك جعلت لكل ضيف قرى ونحن أضيافك فاجعل قرانا منك الجنة . اللهم إن لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية ولكل راج ثواباً ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل

= الفقير » فذكر الحديث إلى قوله « ياخير المسئولين وياخير المعطين » وإسناده ضعيف وباقى الدعاء من دعاء بعض السلف فى بعضه ما هو مرفوع ولكن ليس مقيدا بموقف عرفه .

مسترحم عندك رحمة ولكل راغب إليك زلفى ولكل متوسل إليك عفواً وقد وفدنا إلى بيتك الحرام ووقفنا بهذه المشاعر العظام وشهدنا هذه المشاهد الكرام رجاء لما عندك فلا تخيب رجاءنا . إلهنا تابعت النعم حتى اطمأنت الأنفس بتتابع نعمك وأظهرت العبر حتى نطقت الصوامت بحجتك وظاهرت المنن حتى اعترف أولياؤك بالتقصير عن حقك وأظهرت الآيات حتى أفصحت السموات والأرضون بأدلتك وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزتك وعنت الوجوه لعظمتك إذا أساءت عبادك حلمت وأمهلت وإن أحسنوا تفضلت وقبلت وإن عصوا سترت وإن أذنبوا عفوت وغفرت وإذا دعونا أجبت وإذا نادينا سمعت وإذا أقبلنا إليك قربت وإذا ولينا عنك دعوت . إلهنا إنك قلت فى كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين ﴿ قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف ﴾ فأرضاك عنهم الإقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وإنا نشهد لك بالتوحيد مخبتين ولمحمد بالرسالة مخلصين فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف الإجرام ولاتجعل حظنا فيه أنقص من حظ من دخل فى الإسلام . إلهنا إنك أحببت التقرب إليك بعتق ماملكت أيماننا ونحن عبيدك وأنت أولى بالتفضل فاعتقنا . وإنك أمرتنا أن نتصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك وأنت أحق بالتطول فتصدق علينا . ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا وأنت أحق بالكرم فاعف عنا . ربنا اغفر لنا وارحمنا أنت مولانا ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار، وليكثر من دعاء الخضر عليه السلام وهو أن يقول « يامن لايشغله شأن عن شأن ولاسمع عن سمع ولاتشتبه عليه الأصوات ، يامن لا تغلطه المسائل ولاتختلف عليه اللغات ، يامن لايبرمه إلحاح الملحين ولاتضجره مسئلة السائلين أذقنا برد عفوك وحلاوة مناجاتك » وليدع بما بدا له وليستغفر له ولو الديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات وليلح فى الدعاء وليعظم المسألة فإن الله لايتعاظمه شيء ، وقال مطرف بن عبدالله وهو بعرفة : اللهم لاترد الجميع من أجلى . وقال بكر المزنى : قال رجل لما نظرت إلى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم لولا أنى كنت فيهم .

الجملة السابعة : فى بقية أعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمى والنحر والحلق والطواف

فإذا أفاض من عرفة بعد غروب الشمس فينبغى أن يكون على السكينة والوقار وليجتنب وجيف الخيل وإيضاع الإبل كما يعتاده بعض الناس . فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم « نهى عن وجيف الخيل وإيضاع الإبل وقال : اتقوا الله وسيروا سيراً جميلا لاتطأوا ضعيفاً ولاتؤذوا مسلما [1] » فإذا بلغ المزدلفة اغتسل لها لأن المزدلفة من الحرم فليدخله بغسل ، وإن قدر على دخوله ماشيا فهو أفضل وأقرب إلى توقير الحرم . ويكون فى الطريق رافعاً صوته بالتلبية فإذا بلغ المزدلفة قال « اللهم إن هذه مزدلفة جمعت فيها ألسنة مختلفة تسألك حوائج مؤتنفه فاجعلنى ممن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيته » ثم يجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة فى وقت العشاء قاصراً له بأذان وإقامتين ليس بينهما نافلة ، ولكن يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين ، ويبدأ بنافلة المغرب ثم بنافلة العشاء كما فى الفريضتين . فإن ترك النوافل فى السفر خسران ظاهر . وتكليف إيقاعها فى الأوقات إضرار وقطع للتبعية بينهما وبين الفرائض فإذا جاز أن يؤدى النوافل مع الفرائض بتيمم واحد بحكم التبعية فبأن يجوز أداؤهما على حكم الجمع بالتبعية أولى . ولايمنع من هذا مفارقة النفل للفرض فى جواز أدائه على الراحلة لما أو مأنا إليه من التبعية والحاجة . ثم يمكث تلك الليلة

(١) حديث « نهى النبى عن وجيف الخيل وإيضاع الأبل » أخرجه النسائى والحاكم وصححه من حديث أسامة بن زيد « عليكم بالسكينة والوقار فان البر ليس فى إيضاع الإبل » وقال الحاكم « ليس البر بإيجاف الخيل والإبل » والبخارى من حديث ابن عباس « فان البر ليس بالإيضاع » .

بمزدلفة وهو مبيت نسك ، ومن خرج منها فى النصف الأول من الليل ولم يبت فعليه دم ، وإحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه ثم إذا انتصف الليل يأخذ فى التأهب للرحيل ويتزود الحصى منها - ففيها أحجار رخوة - فليأخذ سبعين حصاة فإنها قدر الحاجة ، ولا بأس بأن يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضها . ولتكن الحصى خفافا بحيث يحتوى عليه أطراف البراجم . ثم ليغلس بصلاة الصبح وليأخذ فى المسير حتى إذا انتهى إلى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف ويدعو إلى الإسفار ويقول « اللهم بحق المشعر الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والركن والمقام أبلغ روح محمد منا التحية والسلام وأدخلنا دار السلام ياذا الجلال والإكرام » ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهى إلى موضع يقال له وادى محسر فيستحب له أن يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادى وإن كان راجلا أسرع فى المشى . ثم إذا أصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فيلبى تارة ويكبر أخرى . فينتهى إلى منى ومواضع الجمرات وهى ثلاثة فيتجاوز الأولى والثانية فلا شغل له معهما يوم النحر ، حتى ينتهى إلى جمرة العقبة وهى على يمين مستقبل القبلة فى الجادة - والمرمى مرتفع قليلا فى سفح الجبل وهو ظاهر بمواقع الجمرات - ويرمى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر رمح . وكيفيته أن يقف مستقبلا القبلة وإن استقبل الجمرة فلا بأس ويرمى سبع حصيات رافعاً يده ، ويبدل التلبية بالتكبير ويقول مع كل حصاة « الله أكبر على طاعة الرحمن ، ورغم الشيطان اللهم تصديقاً بكتابك واتباعا لسنة نبيك » فإذا رمى قطع التلبية والتكبير إلا التكبير عقيب فرائض الصلوات من ظهر يوم النحر إلى عقيب الصبح من آخر أيام التشريق . ولا يقف فى هذا اليوم للدعاء بل يدعو فى منزله . وصفة التكبير أن يقول « الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده لاشريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله والله أكبر » ثم ليذبح الهدى إن كان معه والأولى أن يذبح بنفسه وليقل « بسم الله والله أكبر اللهم منك وبك وإليك تقبل منى كما تقبلت من خليلك إبراهيم » والتضحية بالبدن أفضل ثم بالبقر ثم بالشاة . والشاة أفضل من مشاركة ستة فى البدنة أو البقرة . والضأن أفضل من المعز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير الأضحية الكبش الأقرن والبيضاء أفضل من الغبراء والسوداء [1] » وقال أبو هريرة : البيضاء أفضل فى الأضحى من دم سوداوين وليأكل منه إن كانت من هدى التطوع ولا يضحين بالعرجاء والجدعاء والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء . والجدع فى الأنف والأذن للقطع منهما ، والعضب فى القرن وفى نقصان القوائم والشرقاء المشقوقة الأذن من فوق ، والخرقاء من أسفل ، والمقابلة المخروقة الأذن من قدام ، والمدابرة من خلف . والعجفاء المهزولة التى لاتنقى أى لامخ فيها من الهزال . ثم ليحلق بعد ذلك والسنة أن يستقبل القبلة ويبتدئ بمقدم رأسه فيحلق الشق الأيمن إلى العظمين المشرفين على القفا ثم ليحلق الباقى ويقول « اللهم أثبت لى بكل شعرة حسنة وامح عنى بها سيئة وارفع لى بها عندك درجة » والمرأة تقصر الشعر . والأصلع يستحب له إمرار الموسى على رأسه ومهما حلق بعد رمى الجمرة فقد حصل له التحلل الأول وحل له كل المحذورات إلا النساء والصيد . ثم يفيض إلى مكة ويطوف كما وصفناه . وهذا الطواف طواف ركن فى الحج ويسمى طواف الزيارة وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر ، وأفضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بل له أن يؤخر إلى أى وقت شاء ، ولكن يبقى مقيداً بعلقة الإحرام فلا تحل له النساء إلى أن يطوف . فإذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الإحرام بالكلية ولم يبق

(١) حديث « خير الأضحية الكبش » أخرجه أبو داود من حديث عبادة بن الصامت والترمذى من حديث أبى أمامة قال الترمذى غريب وغفير يضعف فى الحديث .

إلا رمى أيام التشريق والمبيت بمنى وهى واجبات بعد زوال الإحرام على سبيل الاتباع للحق وكيفية هذا الطواف مع الركعتين كما سبق فى طواف القدوم . فإذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفنا إن لم يكن سعى بعد طواف القدوم وإن كان قد سعى فقد وقع ذلك ركنا فلا ينبغى أن يعيد السعى . وأسباب التحلل ثلاثة : الرمى والحلق والطواف الذى هو ركن . ومهما أتى باثنين من هذه الثلاثة فقد تحلل أحد التحللين ، ولا حرج عليه فى التقديم والتأخير بهذه الثلاث مع الذبح ، ولكن الأحسن أن يرمى ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف . والسنة للإمام فى هذا اليوم أن يخطب بعد الزوال وهى خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم ففى الحج أربع خطب : خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة وخطبة يوم النحر [1] وخطبة يوم النفر الأول ، وكلها عقيب الزوال وكلها إفراد إلا خطبة يوم عرفة فانها خطبتان بينهما جلسة . ثم إذا فرغ من الطواف عاد إلى منى للمبيت والرمى فيبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القر لأن الناس فى غد يقرّون بمنى ولا ينفرون . فإذا أصبح اليوم الثانى من العيد وزالت الشمس اغتسل للرمى وقصد الجمرة الأولى التى تلى عرفة وهى على يمين الجادة ويرمى إليها بسبع حصيات ، فإذا تعداها انحرف قليلا عن يمين الجادة ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلا على الدعاء ، ثم يتقدم إلى الجمرة الوسطى ويرمى كما رمى الأولى ويقف كما وقف للأولى ثم يتقدم إلى جمرة العقبة ويرمى سبعاً ، ولا يعرج على شغل بل يرجع إلى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الأول ، ويصبح فإذا صلى الظهر فى اليوم الثانى من أيام التشريق رمى فى هذا اليوم إحدى وعشرين حصاة كاليوم الذى قبله . ثم هو مخير بين المقام بمنى وبين العود إلى مكة . فإن خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شىء عليه وإن صبر إلى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه المبيت حتى يرمى فى يوم النفر الثانى أحداً وعشرين حجراً كما سبق . وفى ترك المبيت والرمى إراقة دم وليتصدق باللحم . وله أن يزور البيت فى ليالى منى بشرط أن لا يبيت إلا بمنى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك [2] ولا يتركنّ حضور الفرائض مع الإمام فى مسجد الخيف فإنّ فضله عظيم فإذا أفاض من منى فالأولى أن يقيم بالمحصب من منى ويصلى العصر والمغرب والعشاء ويرقد رقدة [3] فهو السنة . رواه جماعة من الصحابة رضى الله عنهم . فإن لم يفعل ذلك فلا شىء عليه .

الجملة الثامنة : فى صفة العمرة وما بعدها إلى طواف الوداع

من أراد أن يعتمر قبل حجه أو بعده كيفما أراد فليغتسل ويلبس ثياب الإحرام كما سبق فى الحج ويحرم بالعمرة من ميقاتها ، وأفضل مواقيتها الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية . وينوى العمرة ويلبى ويقصد مسجد عائشة رضى الله

---

(١) حديث « الخطبة يوم النحر وهى خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم » أخرجه البخارى من حديث أبى بكرة « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر » وله من حديث ابن عباس « خطب الناس يوم النحر » وفى حديث علقه البخارى ووصله ابن ماجه من حديث ابن عمر « وقف النبى صلى الله عليه وسلم يوم النحر بين الجمرات فى الحجة التى حج فيها فقال : أى يوم هذا ؟ الحديث » وفيه « ثم ودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع »

(٢) حديث « زيارة البيت فى ليالى منى والمبيت بمنى » أخرجه أبو داود فى المراسيل من حديث طاوس « قال أشهد أن ابن عباس قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور البيت أيام منى » وفيه عمرو بن رباح ضعيف والمرسل صحيح الإسناد ولأبى داود من حديث عائشة « أن النبى صلى الله عليه وسلم مكث بمنى ليالى أيام التشريق »

(٣) حديث « نزول المحصب وصلاة العصر والمغرب والعشاء به والرقود به رقدة » أخرجه البخارى من حديث أنس « أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالبطحاء ثم هجع هجعة . . الحديث »

عنها ويصلى ركعتين ويدعو بما شاء . ثم يعود إلى مكة وهو يلبى حتى يدخل المسجد الحرام . فإذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعاً كما وصفنا . فإذافرغ حلق رأسه وقد تمت عمرته . والمقيم بمكة ينبغى أن يكثر الاعتمار والطواف . وليكثر النظر إلى البيت . فإذا دخله فليصل ركعتين بين العمودين فهو الأفضل وليدخله حافياً موقراً . قيل لبعضهم : هل دخلت بيت ربك اليوم ؟ فقال : والله ماأرى هاتين القدمين أهلا للطواف حول بيت ربى فكيف أراهما أهلا لأن أطأ بهما بيت ربى ! وقد علمت حيث مشيتا وإلى أين مشيتا . وليكثر شرب ماء زمزم وليستق بيده من غير استنابة إن أمكنه وليرتو منه حتى يتضلع وليقل : اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم وارزقنى الإخلاص واليقين والمعافاة فى الدنيا والآخرة قال صلى الله عليه وسلم « ماء زمزم لما شرب له [1] » أى يشفى ما قصد به .

الجملة التاسعة : فى طواف الوداع

مهما عنّ له الرجوع إلى الوطن بعد الفراغ من إتمام الحج والعمرة فلينجز أولاً أشغاله وليشد رحاله وليجعل آخر أشغاله وداع البيت . ووداعه بأن يطوف به سبعاً كما سبق ولكن من غير رمل واضطباع . فإذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام وشرب من ماء زمزم . ثم يأتى الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول « اللهم إن البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملتنى على ماسخرت لى من خلقك حتى سيرتنى فى بلادك وبلغتنى بنعمتك حتى أعنتنى على قضاء مناسكك ، فإن كنت رضيت عنى فازدد عنى رضا وإلا فمن الآن قبل تباعدى عن بيتك هذا أوان انصرافى إن أذنت لى غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك . اللهم أصحبنى العافية فى بدنى والعصمة فى دينى وأحسن منقلبى وارزقنى طاعتك أبداً ما أبقيتنى واجمع لى خير الدنيا والآخرة إنك على كل شىء قدير . اللهم لاتجعل هذا آخر عهدى ببيتك الحرام وإن جعلته آخر عهدى فعوضنى عنه الجنة » والأحب أن لايصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه .

الجملة العاشرة : فى زيارة المدينة وآدابها

قال صلى الله عليه وسلم «من زارنى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى[2] » وقال صلى الله عليه وسلم « من وجد سعة ولم يفد إلى فقد جفانى [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « من جاءنى زائراً لايهمه إلا زيارتى كان حقا على الله سبحانه أن أكون له شفيعاً [4] » فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريقه كثيراً . فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال « اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لى وقاية من النار وأمانا من العذاب وسوء الحساب » وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة وليتطيب وليلبس أنظف ثيابه . فإذا دخلها فليدخلها

---

(١) حديث « ماء زمزم لما شرب له » أخرجه ابن ماجه من حديث جابر بسند ضعيف ورواه الدارقطنى والحاكم فى المستدرك من حديث ابن عباس قال الحاكم صحيح الإسناد لان سلم من محمد بن حبيب الجلارودى قال ابن القطان سلم منه فان الخطيب قال فيه كان صدوقا ، قال ابن القطان لكن الراوى عنه مجهول وهو محمد بن همام المروزى (٢) حديث « من زارنى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى » أخرجه الطبرانى والدارقطنى من حديث ابن عمر (٣) حديث « من وجد سعة ولم يفد الى فقد جفانى » أخرجه ابن عدى والدارقطنى فى غرائب مالك وابن حبان فى الضعفاء والخطيب فى الرواة عن مالك فى حديث ابن عمر « من حج ولم يزرنى فقد جفانى » وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات . وروى ابن النجار فى تاريخ المدينة من حديث أنس « ما من أحد من أمتى له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر » (٤) حديث « من جاءنى زائراً لاتهمه الا زيارتى كان حقا على الله أن أكون له شفيعا » أخرجه الطبرانى من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن .

متواضعاً معظما وليقل : بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيرا ﴾ ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلى بجنب المنبر ركعتين . ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن ويستقبل السارية التى إلى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التى فى قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يغير المسجد . وليجتهد أن يصلى فى المسجد الأول قبل أن يزاد فيه . ثم يأتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه وذلك بأن يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو من أربعة أذرع من السارية التى فى زاوية جدار القبر ، ويجعل القنديل على رأسه وليس من السنة أن يمس الجدار ولا أن يقبله بل الوقوف من بعد أقرب الاحترام ، فيقف ويقول « السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبى الله السلام عليك يا أمين الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك ياخيرة الله السلام عليك ياأحمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا أبا القاسم السلام عليك يا ماحى السلام عليك ياعاقب السلام عليك ياحاشر السلام عليك يا بشير السلام عليك يا نذير السلام عليك يا طهر السلام عليك ياطاهر السلام عليك يا أكرم ولد آدم السلام عليك ياسيد المرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين السلام عليك يا رسول رب العالمين السلام عليك يا قائد الخير السلام عليك يافاتح البر السلام عليك يانبى الرحمة السلام عليك يا هادى الأمة السلام عليك ياقائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبياً عن قومه ورسولا عن أمته وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون وكلما غفل عنك الغافلون وصلى عليك فى الأولين والآخرين أفضل وأكمل وأعلى وأجل وأطيب وأطهر ما صلى على أحد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك من الجهالة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وصفيه وخيرته من خلقه وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت عدوك وهديت أمتك وعبدت ربك حتى أتاك اليقين فصلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين وسلم وشرف وكرم وعظم وإن كان قد أوصى بتبليغ سلام فيقول « السلام عليك من ـ فلان ـ السلام عليك من ـ فلان ـ ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبى بكر الصديق رضى الله عنه لأن رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورأس عمر رضى الله عنه عند منكب أبى بكر رضى الله عنه . ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضى الله عنه ويقول « السلام عليكما ياوزيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعاونين له على القيام بالدين مادام حياً والقائمين فى أمته بعده بأمور الدين تتبعان فى ذلك آثاره وتعملان بسنته فجزاكما الله خير ماجزى وزيرى نبى عن دينه . ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بين القبر والاسطوانة اليوم ـ ويستقبل القبلة وليحمد الله عز وجل وليمجده وليكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول « اللهم إنك قد قلت وقولك الحق ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ﴾ اللهم إنا قد سمعنا قولك وأطعنا أمرك وقصدنا نبيك متشفعين به إليك فى ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا فتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك . اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان . اللهم لاتجعله آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا أرحم الراحمين . ثم يأتى الروضة فيصلى فيها ركعتين ويكثر من الدعاء مااستطاع لقوله صلى الله

عليه وسلم « مابين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى [١] » ويدعو عند المنبر ويستحب أن يضع يده على الرمانة السفلى التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع يده عليها عند الخطبة [٢] ويستحب له أن يأتى أحدا يوم الخميس ويزور قبور الشهداء فيصلى الغداة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم . ثم يخرج ويعود إلى المسجد لصلاة الظهر فلا يفوته فريضة فى الجماعة فى المسجد . ويستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزور قبر عثمان رضى الله عنه وقبر الحسن بن على رضى الله عنهما ، وفيه أيضا قبر على ابن الحسين ومحمد بن على وجعفر بن محمد رضى الله عنهم ، ويصلى فى مسجد فاطمة رضى الله عنها ويزور قبر إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك كله بالبقيع . ويستحب له أن يأتى مسجد قباء فى كل سبت ويصلى فيه لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال من خرج من بيته حتى يأتى مسجد قباء ويصلى فيه كان له عدل عمرة [٣] » ويأتى بئر أريس يقال إن النبى صلى الله عليه وسلم تفل فيها وهى عند المسجد فيتوضأ منها ويشرب من مائها [٤] ويأتى مسجد الفتح وهو على الخندق . وكذا يأتى سائر المساجد والمشاهد ويقال إن جميع المشاهد والمساجد بالمدينة ثلاثون موضعا يعرفها أهل البلد فيقصد ما قدر عليه وكذلك يقصد الآبار التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها [٥] وهى سبع آبار طلبا للشفاء

---

(١) حديث « مابين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى » متفق عليه من حديث أبى هريرة وعبد الله ابن زيد (٢) حديث « وضعه صلى الله عليه وسلم يده عند الخطبة على رمانة المنبر » لم أقف له على أصل وذكر محمد بن الحسن ابن زبالة فى تاريخ المدينة أن طول رمانتى المنبر اللتين كان يمسكهما صلى الله عليه وسلم بيديه الكريمتين إذا جلس شبر وأصبعان .

(٣) حديث « من خرج من بيته حتى يأتى مسجد قباء ويصلى فيه كان عدل عمرة » أخرجه النسائى وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف بإسناد صحيح (٤) حديث « أن النبى صلى الله عليه وسلم تفل فى بئر أريس » لم أقف له على أصل وإنما ورد أنه تفل فى بئر البصة وبئر غرس — كما سيأتى عند ذكرها — (٥) حديث « الآبار التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يتوضأ ويغتسل ويشرب منها » وهى سبعة آبار . قلت : وهى بئر أريس وبئر حا وبئر رومة وبئر غرس وبئر بضاعة وبئر البصة وبئر السقيا أو العهن أو بئر جمل . فحديث « بئر أريس » رواه مسلم من حديث أبى موسى الأشعرى فى حديث فيه « حتى دخل بئر أريس قال فجلست عند بابها وبابها من حديد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته وتوضأ . . الحديث » وحديث « بئر حا » متفق عليه من حديث أنس قال « كان أبو طلحة أكثر أنصارى بالمدينة نخلا وكان أحب أمواله اليه بئر حا وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب . . . الحديث » وحديث « بئر رومة » رواه الترمذى والنسائى من حديث عثمان « أنه قال أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشترى بئر رومة ويجعل دلوه مع دلاء المسلمين ... الحديث » قال الترمذى حديث حسن . وفى رواية لها « هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بالثمن فابتعتها فجعلتها للغنى والفقير وابن السبيل ... الحديث » وقال حسن صحيح وروى البغوى والطبرانى من حديث بشير الأسلمى قال « لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بنى غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع منها القربة بمد . . الحديث » وحديث « بئر غرس » رواه ابن حبان فى الثقات من حديث أنس « أنه قال ائتونى بماء من بئر غرس فانى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويتوضأ » ولابن ماجه بإسناد جيد مرفوعا « إذا أنا مت فاغسلونى بسبع قرب من بئرى بئر غرس » وروينا فى تاريخ المدينة لابن النجار بإسناد ضعيف مرسلا « أن النبى صلى الله عليه وسلم توضأ منها وبزق فيها وغسل منها حين توفى » وحديث « بئر بضاعة » رواه أصحاب السنن من حديث أبى سعيد الخدرى « أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنتوضأ من بئر بضاعة » وفى رواية « أنه يستقى لك من بئر بضاعة .. الحديث » قال يحيى بن معين إسناده جيد وقال الترمذى حسن وللطبرانى من حديث أبى أسيد « بصق النبى صلى الله عليه وسلم فى بئر بضاعة » وروينا أيضا فى تاريخ ابن النجار من حديث سهل بن سعد . وحديث « بئر البصة » رواه ابن عدى من حديث أبى سعيد الخدرى « أن النبى صلى الله عليه وسلم جاءه يوما فقال هل عندكم من سدر أغسل به رأسى فان اليوم الجمعة ؟ قال نعم فأخرج له سدرا وخرج معه الى البصة فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وصب غسالة رأسه ومراق شعره فى البصة » وفيه محمد بن الحسن بن زبالة ضعيف وحديث « بئر السقيا » رواه أبو داود من حديث عائشة « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يستعذب له من بيوت السقيا » زاد البزار فى مسنده « أو من بئر السقيا » ولأحمد من حديث على « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بالسقيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتونى بوضوء فلما توضأ =

وتبركا به صلى الله عليه وسلم وإن أمكنه الإقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم قال صلى الله عليه وسلم « لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فإنه لن يموت بها أحد إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة [2] » ثم إذا فرغ من أشغاله وعزم على الخروج من المدينة فالمستحب أن يأتى القبر الشريف ويعيد دعاء الزيارة - كما سبق - ويودع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسأل الله عز وجل أن يرزقه العودة إليه ويسأل السلامة فى سفره . ثم يصلى ركعتين فى الروضة الصغيرة وهى موضع مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن زيدت المقصورة فى المسجد . فإذا خرج فليخرج رجله اليسرى أولا ثم اليمنى وليقل « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك وحط أوزارى بزيارته وأصحبنى فى سفرى السلامة ويسر رجوعى إلى أهلى ووطنى سالما يا أرحم الراحمين » وليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه . وليتتبع المساجد التى بين المدينة ومكة فيصلى فيها وهى عشرون موضعا .

فصل : فى سنن الرجوع من السفر

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على رأس كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده [3] » وفى بعض الروايات « وكل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون » فينبغى أن يستعمل هذه السنة فى رجوعه . وإذا أشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول « اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا » ثم ليرسل إلى أهله من يخبرهم بقدومه كى لا يقدم عليهم بغتة فذلك هو السنة [4] ولا ينبغى أن يطرق أهله ليلا فإذا دخل البلد فليقصد المسجد أولا وليصل ركعتين فهو السنة [5] كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإذا دخل بيته قال « توبا توبا لربنا أوبا لا يغادر علينا حوبا » فإذا استقر فى منزله فلا ينبغى أن ينسى ما أنعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه صلى الله عليه وسلم فيكفر تلك النعمة بأن يعود إلى الغفلة واللهو والخوض فى المعاصى ، فما ذلك علامة الحج المبرور بل علامته أن يعود زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة متأهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت .

الباب الثالث : فى الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة

بيان دقائق الآداب وهى عشرة

(الأول) أن تكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردا

= قام .. الحديث » وأما بثر جمل ففى الصحيحين من حديث أبى الجهم « أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بئر جمل .. الحديث » وصله البخارى وعلقه مسلم والمشهور أن الآثار بالمدينة سبعة . وقد روى الدارمى من حديث عائشة « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه : صبوا على سبع قرب من آبار شتى ..الحديث » وهو عند البخارى دون قوله « من آبار شتى »

(١) حديث « لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة » تقدم فى الباب قبله (٢) حديث « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها .. الحديث » تقدم فى الباب قبله (٣) حديث « كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ... الحديث » متفق عليه من حديث ابن عمر وما زاده فى آخره فى بعض الروايات من قوله « وكل شىء هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون » رواه المحاملى فى الدعاء باسناد جيد .

(٤) حديث « إرسال المسافر إلى أهل بيته من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة » لم أجد فيه ذكر الإرسال وفى الصحيحين من حديث جابر « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل فقال أمهلوا حتى ندخل ليلا أى عشاء كى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة » (٥) حديث « صلاة ركعتين فى المسجد عند القدوم من السفر » تقدم فى الصلاة

لله تعالى والقلب مطمئنا منصرفا إلى ذكر الله تعالى وتعظيم شعائره . وقد روى فى خبر من طريق أهل البيت « إذا كان آخر الزمان خرج الناس إلى الحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة وأغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للسمعة [1] » وفى الخبر إشارة إلى جملة أغراض الدنيا التى يتصور أن تتصل بالحج ، فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص ؛ لا سيما إذا كان متجرداً بنفس الحج بأن يحج لغيره بأجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة . وقد كره الورعون وأرباب القلوب ذلك إلا أن يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا بأس أن يأخذ ذلك على هذا القصد ، لا ليتوصل بالدين إلى الدنيا بل بالدنيا إلى الدين . فعند ذلك ينبغى أن يكون قصده زيارة بيت الله عز وجل ومعاونة أخيه المسلم بإسقاط الفرض عنه . وفى مثله ينزل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل الله سبحانه بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة : الموصى بها والمنفذ لها ومن حج بها عن أخيه [2] » ولست أقول لا تحل الأجرة أو يحرم ذلك بعد أن أسقط فرض الإسلام عن نفسه ، ولكن الأولى أن لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره فإن الله عز وجل يعطى الدنيا بالدين ولا يعطى الدين بالدنيا . وفى الخبر « مثل الذى يغزو فى سبيل الله عز وجل ويأخذ أجرا مثل أم موسى عليه السلام ترضع ولدها وتأخذ أجرها [3] » فمن كان مثاله فى أخذ الأجرة على الحج مثال أم موسى فلا بأس بأخذه فإنه يأخذ ليتمكن من الحج والزيارة فيه ، وليس يحج ليأخذ الأجرة بل يأخذ الأجرة ليحج كما كانت تأخذ أم موسى ليتيسر لها الإرضاع بتلبيس حالها عليهم (الثانى) أن لا يعاون أعداء الله سبحانه بتسليم المكس وهم الصادون عن المسجد الحرام من أمراء مكة والأعراب المترصدين فى الطريق . فإن تسليم المال إليهم إعانة على الظلم وتيسير لأسبابه عليهم فهو كالإعانة بالنفس ؛ فليتلطف فى حيلة الخلاص فإن لم يقدر فقد قال بعض العلماء ـ ولا بأس بما قاله ـ إن ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق أفضل من إعانة الظلمة فإن هذه بدعة أحدثت وفى الانقياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل جزية . ولا معنى لقول القائل إن ذلك يؤخذ منى وأنا مضطر فإنه لو قعد فى البيت أو رجع من الطريق لم يؤخذ منه شىء بل ربما يظهر أسباب الترفه فتكثر مطالبته فلو كان فى زى الفقراء لم يطالب فهو الذى ساق نفسه إلى حالة الاضطرار (الثالث) التوسع فى الزاد وطيب النفس بالبذل والإنفاق من غير تقتير ولا إسراف بل على اقتصاد ، وأعنى بالإسراف التنعم بأطيب الأطعمة والترفه بشرب أنواعها على عادة المترفين . فأما كثرة البذل فلا سرف فيه : إذ لا خير فى السرف ولا سرف فى الخير ، كما قيل . وبذل الزاد فى طريق الحج نفقته فى سبيل الله عز وجل والدرهم بسبعمائة درهم . قال ابن عمر رضى الله عنهما : من كرم الرجل طيب زاده فى سفره . وكان يقول أفضل الحاج أخلصهم نية وأزكاهم نفقة وأحسنهم يقينا . وقال صلى الله عليه وسلم « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة فقيل له يارسول الله ما بر الحج ؟ فقال : طيب الكلام وإطعام الطعام [4] » (الرابع) ترك الرفث والفسوق

الباب الثالث : فى الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة

(١) حديث « اذا كان فى آخر الزمان خرج الناس للحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة وأغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للسؤال وقراؤهم للسمعة » أخرجه الخطيب من حديث أنس باسناد مجهول وليس فيه ذكر السلاطين ، ورواه أبو عثمان الصابونى فى كتاب المائتين فقال « تحج أغنياء أمتى للنزهة وأوساطهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للرياء والسمعة » (٢) حديث « يدخل بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الموصى بها والمنفذ لها ومن حج بها عن أخيه » أخرجه البيهقى من حديث جابر بسند ضعيف

(٣) حديث « مثل الذى يغزو ويأخذ أجرا مثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها » أخرجه ابن عدى من حديث معاذ وقال مستقيم الإسناد منكر المتن (٤) حديث « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » فقيل له ما بر الحج ؟ قال طيب الكلام وإطعام الطعام » أخرجه أحمد من حديث جابر باسناد لين ورواه الحاكم مختصراً وقال صحيح الإسناد

والجدال كما نطق به القرآن . والرفث اسم جامع لكل لغو وخنى وفحش من الكلام ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن والتحدث بشأن الجماع ومقدماته ، فإن ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والداعى إلى المحظور محظور . والفسق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله عز وجل . والجدال هو المبالغة فى الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ويفرق فى الحال الهمة ويناقض حسن الخلق . وقد قال سفيان : من رفث فسد حجه . وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الكلام مع إطعام الطعام من بر الحج . والمماراة تناقض طيب الكلام فلا ينبغى أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيره من أصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين إلى بيت الله عز وجل ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كف الأذى بل احتمال الأذى وقيل سمى السفر سفرا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال . ولذلك قال عمر رضى الله عنه لمن زعم أنه يعرف رجلا : هل صحبته فى السفر الذى يستدل به على مكارم الأخلاق ؟ قال : لا ، فقال : ما أراك تعرفه (الخامس) أن يحج ماشيا إن قدر عليه فذلك الأفضل . أوصى عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما بنيه عند موته فقال . يا بنى حجوا مشاة فإن للحاج الماشى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم ، قيل وما حسنات الحرم ؟ قال : الحسنة بمائة ألف والاستحباب فى المشى فى المناسك والتردد من مكة إلى الموقف وإلى منى آكد منه فى الطريق . وإن أضاف إلى المشى الإحرام من دويرة أهله فقد قيل إن ذلك من إتمام الحج قاله عمر وعلى وابن مسعود رضى الله عنهم فى معنى قوله عز وجل ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ وقال بعض العلماء : الركوب أفضل لما فيه من الإنفاق والمؤنة ولأنه أبعد عن ضجر النفس وأقل لأذاه وأقرب إلى سلامته وتمام حجه . وهذا عند التحقيق ليس مخالفا للأول بل ينبغى أن يفصل . ويقال من سهل عليه المشى فهو أفضل فإن كان يضعف ويؤدى به ذلك إلى سوء الخلق وقصور عن عمل فالركوب له أفضل ، كما أن الصوم للمسافر أفضل وللمريض مالم يفض إلى ضعف وسوء خلق . وسئل بعض العلماء عن العمرة : أيمشى فيها أو يكترى حمارا بدرهم؟ فقال : إن كان وزن الدرهم أشد عليه فالكراء أفضل من المشى ، وإن كان المشى أشد عليه كالأغنياء فالمشى له أفضل ؛ فكأنه ذهب فيه إلى طريق مجاهدة النفس وله وجه . ولكن الأفضل له أن يمشى ويصرف ذلك الدرهم إلى خير فهو أولى من صرفه إلى المكارى عوضا عن ابتذال الدابة . فإذا كانت لا تتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس ونقصان المال فما ذكره غير بعيد فيه (السادس) أن لا يركب إلا زاملة أما المحمل فليجتنبه إلا إذا كان يخاف على الزاملة أن لا يستمسك عليها لعذر وفيه معنيان أحدهما : التخفيف على البعير فإن المحمل يؤذيه . والثانى : اجتناب زى المترفين المتكبرين « حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم[1] وطاف على الراحلة لينظر الناس إلى هديه وشمائله[2] » وقال صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم « خذوا عنى مناسككم[3] » وقيل إن هذه المحامل أحدثها الحجاج وكان العلماء فى وقته ينكرونها . فروى سفيان الثورى عن أبيه أنه قال : برزت من الكوفة إلى القادسية للحج ووافيت الرفاق من البلدان فرأيت الحاج كلهم على زوامل وجوالقات ورواحل ومارأيت فى جميعهم إلا محملين . وكان ابن عمر إذا نظر إلى ماأحدث الحجاج من الزى والمحامل يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر إلى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال : هذا نعم من الحجاج .

---

(١) حديث « حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم » أخرجه الترمذى فى الشمائل وابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث « طوافه صلى الله عليه وسلم على راحلته » تقدم .
(٣) حديث « خذوا عنى مناسككم » أخرجه مسلم والنسائى واللفظ له من حديث جابر

(السابع) أن يكون رث الهيئة أشعث أغبر غير مستكثر من الزينة ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر فيكتب فى ديوان المتكبرين المترفهين ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين وخصوص الصالحين ، فقد أمر صلى الله عليه وسلم بالشعث والاختفاء [1] ونهى عن التنعم والرفاهية [2] فى حديث فضالة بن عبيد وفى الحديث « إنما الحاج الشعث التفث [3] ويقول الله تعالى : انظروا إلى زوار بيتى قد جاءونى شعثا غبرا من كل فج عميق [4] » وقال تعالى ﴿ ثم ليقضوا تفثهم ﴾ والتفث الشعث والاغبرار ، وقضاؤه بالحلق وقص الشارب والأظفار ، وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أمراء الأجناد : اخلولقوا واخشوشنوا . أى البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة فى الأشياء . وقد قيل : زين الحجيج أهل اليمن لأنهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف . فينبغى أن يجتنب الحمرة فى زيه على الخصوص والشهرة كيفما كانت على العموم . فقد روى « أنه صلى الله عليه وسلم كان فى سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الإبل فنظر إلى أكسية حمر على الأقتاب فقال صلى الله عليه وسلم أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم [5] قالوا فقمنا إليها ونزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الإبل » (الثامن) أن يرفق بالدابة فلا يحملها مالا تطيق والمحمل خارج عن حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة عن قعود وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال صلى الله عليه وسلم « لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسى [6] » ، ويستحب أن ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة [7] وفيه آثار عن السلف . وكان بعض السلف يكترى بشرط أن لا ينزل ويوفى الأجرة ثم كان ينزل عنها ليكون بذلك محسنا إلى الدابة ، فيكون فى حسناته ويوضع فى ميزانه لا فى ميزان المكارى . وكل من آذى بهيمة وحملها مالا تطيق طولب به يوم القيامة . قال أبو الدرداء لبعير له عند الموت : يا أيها البعير لا تخاصمنى إلى ربك فإنى لم أكن أحملك فوق طاقتك . وعلى الجملة فى كل كبد حرّاء أجر فليراع حق الدابة وحق المكارى جميعا وفى نزوله ساعة ترويح الدابة وسرور قلب المكارى . قال رجل لابن المبارك : احمل لى هذا الكتاب معك لتوصله فقال : حتى استأمر الجمال فإنى قد اكتريت . فانظر كيف تورّع من استصحاب كتاب لا وزن له ؟ وهو طريق الحزم فى الورع فإنه إذا فتح باب القليل انجرّ إلى الكثير يسيرا يسيرا (التاسع) أن يتقرب بإراقة دم وإن لم يكن واجبا عليه ويجتهد أن يكون من سمين النعم ونفيسه ، وليأكل منه إن كان تطوعا ولا يأكل منه إن كان واجبا . قيل فى تفسير قوله تعالى ﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله ﴾ إنه تحسينه وتسمينه . وسوق الهدى من الميقات أفضل إن كان لا يجهده ولا يكده . وليترك المكاس فى شرائه فقد كانوا يغالون فى ثلاث ويكرهون

---

(١) حديث « الأمر بالشعث والاختفاء » أخرجه البغوى والطبرانى من حديث عبد الله بن أبى حدرد قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعددوا واخشوشنوا وانتضلوا وامشوا حفاة » وفيه اختلاف ورواه ابن عدى من حديث أبى هريرة وكلاهما ضعيف (٢) حديث فضالة بن عبيد « فى النهى عن التنعم والرفاهية وأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان ينهى عن كثير من الإرفاه » ولأحمد من حديث معاذ إياك والتنعم .. الحديث » (٣) حديث « إنما الحاج الشعث التفث » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر وقال غريب (٤) حديث « يقول الله تعالى أنظروا الى زوار بيتى قد جاءوا شعثا غبرا من كل فج عميق » أخرجه الحاكم وصححه من حديث أبى هريرة دون قوله « من كل فج عميق » وكذا رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمر (٤) حديث « أنه صلى الله عليه وسلم كان فى سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الإبل فنظر إلى أكسية حمر على الأقتاب فقال أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم . الحديث » أخرجه أبو داود من حديث رافع بن خديج وفيه رجل لم يسم .

(٦) حديث « لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسى » أخرجه أحمد من حديث سهل بن معاذ بسند ضعيف ورواه الحاكم وصححه من رواية معاذ بن أنس عن أبيه . (٧) حديث « النزول عن الدابة غدوة وعشية يريحها بذلك » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس بإسناد جيد « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى الفجر فى السفر مشى » ورواه البيهقى فى الأدب وقال « مشى قليلا وقاته تقاد »

المكاس فيهن : الهدى والأضحية والرقبة ، فإن أفضل ذلك أغلاه ثمنا وأنفسه عند أهله ، وروى ابن عمر ، أن عمر رضى الله عنهما أهدى بختية فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها [1] ، وذلك لأن القليل الجيد خير من الكثير الدون . وفى ثلثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم إنما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله عز وجل فـ ﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ﴾ وذلك يحصل بمراعاة النفاسة فى القيمة كثر العدد أو قل ، وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم مابر الحج فقال العج والثج [2] ، والعج هو رفع الصوت بالتلبية ، والثج هو نحر البدن . وروت عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، ما عمل آدمى يوم النحر أحب إلى الله عز وجل من إهراقه دما وإنها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأظلافها وإن الدم يقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع بالأرض فطيبوا بها نفسا [3] ، وفى الخبر ، لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وإنها لتوضع فى الميزان فابشروا [4] ، وقال صلى الله عليه وسلم ، استنجدوا هداياكم فإنها مطاياكم يوم القيامة ، (العاشر) أن يكون طيب النفس بما أنفقه من نفقة وهدى وبما أصابه من خسران ومصيبة فى مال أو بدن إن أصابه ذلك فإن ذلك من دلائل قبول حجه . فإن المصيبة فى طريق الحج تعدل النفقة فى سبيل الله عز وجل الدرهم بسبعمائة درهم بمثابة الشدائد فى طريق الجهاد فله بكل أذى احتمله وخسران أصابه ثواب فلا يضيع منه شىء عند الله عز وجل . ويقال إن من علامة قبول الحج أيضا ترك ما كان عليه من المعاصى وأن يتبدل بإخوانه البطالين إخوانا صالحين ، وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة .

بيان الأعمال الباطنة ووجه الإخلاص فى النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر لأسرارها ومعانيها من أول الحج إلى آخره

اعلم أن أول الحج الفهم ـ أعنى فهم موقع الحج فى الدين ـ ثم الشوق إليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة منه ثم شراء ثوب الإحرام ثم شراء الزاد ثم اكتراء الراحلة ثم الخروج ثم المسير فى البادية ثم الإحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الأفعال كما سبق . وفى كل واحد من هذه الأمور تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق وتعريف وإشارة للفطن . فلنرمز إلى مفاتحها حتى إذا انفتح بابها وعرفت أسبابها انكشفت لكل حاج من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة فهمه .

أما الفهم : اعلم أنه لا وصول إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه فى جميع الحركات والسكنات . ولأجل هذا انفرد الرهبانيون فى الملل السالفة

---

(١) حديث ابن عمر « أن عمر أهدى نجيبه فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها » أخرجه أبو داود وقال « انحرها » (٢) حديث « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم مابر الحج ؟ فقال : العج والثج » أخرجه الترمذى واستغربه وابن ماجه والحاكم وصححه والبزار واللفظ له من حديث أبى بكر وقال الباقولى « أى الحج أفضل » (٣) حديث عائشة « ماعمل ابن آدم يوم النحر أحب الى الله من إهراقه دما.. الحديث » أخرجه الترمذى وحسنه ابن ماجه وضعفه ابن حبان وقال البخارى إنه مرسل ووصله ابن خزيمة (٤) حديث « لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وإنها لتوضع فى الميزان فأبشروا » أخرجه ابن ماجه وصححه البيهقى من حديث زيد بن أرقم فى حديث فيه « بكل شعرة حسنة قالوا فالصوف قال بكل شعرة من الصوف حسنة » وفى رواية للبيهقى « بكل قطرة حسنة » قال البخارى لا يصح وروى أبو الشيخ فى كتاب الضحايا من حديث على « أما إنها يجاء بها يوم القيامة بلحومها ودمائها حتى توضع فى ميزانك » يقولها لفاطمة .

عن الخلق وانحازوا إلى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الأنس بالله عز وجل فتركوا لله عز وجل اللذات الحاضرة وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة طمعا فى الآخرة وأثنى الله عزوجل عليهم فى كتابه فقال ﴿ ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لايستكبرون ﴾ فلما اندرس ذلك وأقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله عز وجل وفتروا عنه بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم لإحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين فى سلوكها . فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياحة فى دينه فقال صلى الله عليه وسلم : أبدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف [1] يعنى الحج ، وسئل صلى الله عليه وسلم عن السائحين فقال : هم الصائمون [2] ، فأنعم الله عز وجل على هذه الأمة بأن جعل الحج رهبانية لهم فشرف البيت العتيق بالإضافة إلى نفسه تعالى . ونصبه مقصدا لعباده وجعل ماحواليه حرما لبيته تفخيما لأمره . وجعل عرفات كالميزاب على فناء حوضه : وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره . ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته . مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ليكون ذلك ابلغ فى رقهم وعبوديتهم وأتم فى إذعانهم وانقيادهم . ولذلك وظف عليهم فيها أعمالا لا تأنس بها النفوس ولا تهتدى إلى معانيها العقول كرمى الجمار بالأحجار ، والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار . وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية . فإن الزكاة إرفاق ووجهه مفهوم وللعقل إليه ميل . والصوم كسر للشهوة التى هى آلة عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل . والركوع والسجود فى الصلاة تواضع لله عز وجل بأفعال هى هيئة التواضع وللنفوس أنس بتعظيم الله عز وجل . فأما ترددات السعى ورمى الجمار وأمثال هذه الأعمال فلا حظ للنفوس ولا أنس فيها ولا اهتداء للعقل إلى معانيها فلا يكون فى الإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد وقصد الامتثال للأمر من حيث إنه أمر واجب الاتباع فقط . وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل أنسه فإن كل ماأدرك العقل معناه ؛ مال الطبع إليه ميلا ما . فيكون ذلك الميل معينا للأمر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى الحج على الخصوص « لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا [3] » ولم يقل ذلك فى صلاة ولا غيرها . وإذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم وأن يكون زمامها بيد الشرع فيترددون فى أعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد . كان مالا يهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات فى تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق . مقتضى الاسترقاق . وإذا تفطنت لهذا فهمت أن تعجب النفوس من هذه الأفعال العجيبة مصدره الذهول عن أسرار التعبدات . وهذا القدر كاف فى تفهم أصل الحج إن شاء الله تعالى .

وأما الشوق : فإنما ينبعث بعد الفهم والتحقق بأن البيت بيت الله عزوجل وأنه وضع على مثال حضرة الملوك

---

(١) حديث « سئل عن الرهبانية والسياحة فقال : بدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف » أخرجه أبو داود من حديث أبي أمامة « أن رجلا قال يارسول الله ائذن لى فى السياحة فقال إن سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله » رواه الطبرانى بلفظ « إن لكل أمة سياحة وسياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله ولكل أمة رهبانية ورهبانية أمتى الرباط فى نحر العدو » والبيهقى فى الشعب من حديث أنس « رهبانية أمتى الجهاد فى سبيل الله » وكلاهما ضعيف والترمذى وحسنه والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه من حديث أبى هريرة « أن رجلا قال يارسول الله انى أريد أن أسافر فأوصنى قال عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف » .

(٢) حديث « سئل عن السائحين فقال هم الصائمون » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة وقال المحفوظ عن عبيد بن عمير عن عمر مرسلا .

(٣) حديث « لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا » تقدم فى الزكاة .

فقاصده قاصد إلى الله عز وجل وزائر له وأن من قصد البيت فى الدنيا جدير بأن لايضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة فى ميعاده المضروب له وهو النظر إلى وجه الله الكريم فى دار القرار ، من حيث إن العين القاصرة الفانية فى دار الدنيا لاتتهيأ لقبول النظر إلى وجه الله عز وجل ولا تطيق احتماله ولا تستعد للاكتحال به لقصورها ، وأنها إن أمدت فى الدار الآخرة بالبقاء ونزهت عن أسباب التغير والفناء استعدت للنظر والإبصار ولكنها بقصد البيت والنظر إليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم . فالشوق إلى لقاء الله عزوجل يشوقه إلى أسباب اللقاء لامحالة ، هذا مع أن المحب مشتاق إلى كل ماله إلى محبوبه إضافة والبيت مضاف إلى الله عزوجل فبالحرى أن يشتاق إليه لمجرد هذه الإضافة فضلا عن الطلب لنيل ماوعد عليه من الثواب الجزيل .

وأما العزم : فليعلم أنه بعزمه قاصدا إلى مفارقة الأهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات متوجها إلى زيارة بيت الله عزوجل . وليعظم فى نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره وأن من طلب عظيما خاطر بعظيم . وليجعل عزمه خالصا لوجه الله سبحانه بعيدا عن شوائب الرياء والسمعة ، وليتحقق أنه لايقبل من قصده وعمله إلا الخالص وإن من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الله وحرمه والمقصود غيره . فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه بإخلاصه وإخلاصه باجتناب كل مافيه رياء وسمعة فليحذر أن يستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير .

وأما قطع العلائق : فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن جملة المعاصى فكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلابيبه ينادى عليه ويقول : إلى أين تتوجه أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيع أمره فى منزلك هذا ومستهين به ومهمل له ؟ أولاتستحى أن تقدم عليه قدوم العبد العاصى فيردك ولايقبلك ؟ فإن كنت راغبا فى قبول زيارتك فنفذ أوامره ورد المظالم وتب إليه أولا من جميع المعاصى واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ماوراءك لتكون متوجها إليه بوجه قلبك كما أنك متوجه إلى بيته بوجه ظاهرك . فإن لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك أولا إلا النصب والشقاء وآخرا إلا الطرد والرد . وليقطع العلائق عن وطنه انقطع من قطع عنه وقدر أن لايعود إليه وليكتب وصيته لأولاد وأهله فإن المسافر وماله لعلى خطر إلا من وقى الله سبحانه . وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فإن ذلك بين يديه على القرب ومايقدمه من هذا السفر طمع فى تيسير ذلك السفر فهو المستقر وإليه المصير . فلاينبغى أن يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد بهذا السفر .

وأما الزاد : فليطلبه من موضع حلال وإذا أحس من نفسه الحرص على استكثاره وطلب مايبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتذكر أن سفر الآخرة أطول من هذا السفر ، وأن زاده التقوى وأن ماعداه مما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه ، كالطعام الرطب الذى يفسد فى أول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيرا محتاجا لاحيلة له . فليحذر أن تكون أعماله التى هى زاده إلى الآخرة لاتصحبه بعد الموت بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير .

وأما الراحلة : إذا أحضرها فليشكر الله بقلبه على تسخير الله عز وجل له الدواب لتحمل عنه الأذى وتخفف عنه المشقة . وليتذكر عنده المركب الذى يركبه إلى دار الآخرة وهى الجنازة التى يحمل عليها . فإن أمر الحج من وجه يوازى أمر السفر إلى الآخرة ولينظر أيصلح سفره على هذا المركب لأن يكون زادا له لذلك السفر على ذلك المركب ؟ فما أقرب ذلك منه . وما يدريه لعل الموت قريب ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمل . وركوب

الجنازة مقطوع به وتيسر أسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاط فى أسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر فى زاده وراحلته ويهمل أمر السفر المستيقن ؟

وأما شراء ثوبى الإحرام : فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه فإنه سيرتدى ويتزر بثوبى الإحرام عند القرب من بيت الله عز وجل وربما لا يتم سفره إليه . وأنه سيلقى الله عز وجل ملفوفا فى ثياب الكفن لا محالة . فكما لا يلقى بيت الله عز وجل إلا مخالفا عادته فى الزى والهيئة فلا يلقى الله عز وجل بعد الموت إلا فى زى مخالف لزى الدنيا . وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس فيه مخيط كما فى الكفن .

وأما الخروج من البلد : فليعلم عنده أنه فارق الأهل والوطن متوجها إلى الله عزوجل فى سفر لا يضاهى أسفار الدنيا . فليحضر فى قلبه أنه ماذا يريد وأين يتوجه وزيارة من يقصد ؟ وأنه متوجه إلى ملك الملوك فى زمرة الزائرين له الذين نودوا فأجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستنهضوا فنهضوا وقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق وأقبلوا على بيت الله عز وجل الذى فخم أمره وعظم شأنه ورفع قدره تسليا بلقاء البيت عن لقاء رب البيت إلى أن يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم . وليحضر فى قلبه رجاء الوصول والقبول لا إدلالا بأعماله فى الارتحال ومفارقة الأهل والمال ولكن ثقة بفضل الله عز وجل ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته . وليرج أنه إن لم يصل إليه وأدركته المنية فى الطريق لقى الله عز وجل وافداً إليه إذ قال جل جلاله ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾ .

وأما دخول البادية إلى الميقات ومشاهدة تلك العقبات : فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات يوم القيامة وما بينهما من الأهوال والمطالبات . وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادى عقارب القبر وديدانه ومافيه من الأفاعى والحيات ومن انفراده من أهله وأقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته . وليكن فى هذه المخاوف فى أعماله وأقواله متزوداً لمخاوف القبر .

وأما الإحرام والتلبية من الميقات . فليعلم أن معناه إجابة نداء الله عز وجل فارج أن تكون مقبولا واخش أن يقال لك لا لبيك ولا سعديك فكن بين الرجاء والخوف مترددا وعن حولك وقوتك متبرئا وعلى فضل الله عز وجل وكرمه متكلا . فإن وقت التلبية هو بداية الأمر وهى محل الخطر . قال سفيان بن عيينة : حج على ابن الحسين رضى الله عنهما فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبى فقيل له : لم لا تلبى ؟ فقال : أخشى أن يقال لى لا لبيك ولا سعديك . فلما لبى غشى عليه ووقع عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه وقال أحمد بن أبى الحوارى : كنت مع أبى سليمان الدارانى رضى الله عنه حين أراد الإحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا فأخذته الغشية ثم أفاق وقال : يا أحمد إن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام مرظلة بنى إسرائيل أن يقلوا من ذكرى فإنى أذكر من ذكرنى منهم باللعنة . ويحك يا أحمد بلغنى أن من حج من غير حله ثم لبى قال الله عز وجل لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما فى يديك فما نأمن أن يقال لنا ذلك . وليتذكر الملبى عند رفع الصوت بالتلبية فى الميقات إجابته لنداء الله عز وجل إذ قال ﴿ وأذن فى الناس بالحج ﴾ ونداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم فى عرصات القيامة مجيبين لنداء الله سبحانه ؛ ومنقسمين إلى مقربين وممقوتين . ومقبولين ومردودين . ومترددين فى أول الأمر بين الخوف والرجاء تردد الحاج فى الميقات حيث لا يدرون أيتيسر لهم إتمام الحج وقبوله أم لا ؟

وأما دخول مكة : فليتذكر عندها أنه قد انتهى إلى حرم الله تعالى آمنا وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله عزوجل وليخش أن لايكون أهلا للقرب فيكون بدخوله الحرم خائباً ومستحقا للمقت . وليكن رجاؤه فى جميع الأوقات غالبا فالكرم عميم والرب رحيم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعى وذمام المستجير اللائذ غير مضيع .

وأما وقوع البصر على البيت : فينبغى أن يحضر عنده عظمة البيت فى القلب ويقدر كأنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه إياه . وارج أن يرزقك الله تعالى النظر إلى وجهه الكريم كما رزقك الله النظر إلى بيته العظيم . واشكر الله تعالى على تبليغه إياك هذه الرتبة وإلحاقه إياك بزمرة الوافدين عليه . واذكر عند ذلك انصباب الناس فى القيامة إلى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ثم انقسامهم إلى مأذونين فى الدخول ومصروفين انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين . ولا تغفل عن تذكر أمور الآخرة فى شىء مما تراه فإن كل أحوال الحاج دليل على أحوال الآخرة .

وأما الطواف بالبيت : فاعلم أنه صلاة فأحضر فى قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة مافصلناه فى كتاب الصلاة . واعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله . ولاتظنن أن المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لاتبتدئ الذكر إلا منه ولاتختم إلا به كما تبتدئ الطواف من البيت وتختم بالبيت . واعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية . وأن البيت مثال ظاهر فى عالم الملك لتلك الحضرة التى لاتشاهد بالبصر وهى عالم الملكوت ، كما أن البدن مثال ظاهر فى عالم الشهادة للقلب الذى لايشاهد بالبصر وهو فى عالم الغيب . وأن عالم الملك والشهادة مدركة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح الله له الباب وإلى هذه الموازنة وقعت الإشارة بأن البيت المعمور فى السموات بإزاء الكعبة . فإن طواف الملائكة به كطواف الأنس بهذا البيت . ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الإمكان ووعدوا بأن من تشبه بقوم فهو منهم [1] والذى يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذى يقال إن الكعبة تزوره وتطوف به على مارآه بعض المكاشفين لبعض أولياء الله سبحانه وتعالى .

وأما الاستلام : فاعتقد عنده أنك مبايع لله عز وجل على طاعته فصمم عزيمتك على الوفاء ببيعتك فمن غدر فى المبايعة استحق المقت . وقد روى ابن عباس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « الحجر الأسود يمين الله عزوجل فى الأرض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه [2] » .

وأما التعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم : فلتكن نيتك فى الالتزام طلب القرب حبا وشوقا للبيت ولرب البيت وتبركا بالمماسة ورجاء للتحصن عن النار فى كل جزء من بدنك لافى البيت . ولتكن نيتك فى التعلق بالستر الإلحاح فى طلب المغفرة وسؤال الأمان كالمذنب المتعلق بثياب من أذنب إليه المتضرع إليه فى عفوه عنه المظهر له أنه لاملجأ له منه إلا إليه ولا مفزع له إلا كرمه وعفوه وأنه لايفارق ذيله إلا بالعفو وبذل الأمن فى المستقبل .

وأما السعى بين الصفا والمروة فى فناء البيت : فإنه يضاهى تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد أخرى

---

(١) حديث « من تشبه بقوم فهو منهم » أخرجه أبو دواد من حديث ابن عمر بسند صحيح .

(٢) حديث ابن عباس « الحجر يمين الله فى الأرض يصافح بها خلقه .. الحديث » تقدم فى العلم من حديث عبدالله بن عمرو .

إظهارا للخلوص فى الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة ، كالذى دخل على الملك وخرج وهو لايدرى ما الذى يقضى به الملك فى حقه من قبول أو رد ؟ فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن يرحم فى الثانية إن لم يرحم فى الأولى . وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتى الميزان فى عرصات القيامة وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات . وليتردده بين الكفتين ناظرا إلى الرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران .

وأما الوقوف بعرفة : فاذكر - بما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق أئمتهم فى الترددات على المشاعر اقتفاء لهم وسيرا بسيرهم - عرصات القيامة واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة واقتفاء كل أمة نبيها وطمعهم فى شفاعتهم وتحيرهم فى ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول . وإذا تذكرت ذلك فألزم قلبك الضراعة والابتهال إلى الله عزوجل فتحشر فى زمرة الفائزين المرحومين وحقق رجاءك بالإجابة فالموقف شريف والرحمة إنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من أوتاد الأرض . ولاينفك الموقف عن طبقة من الأبدال والأوتاد وطبقة من الصالحين وأرباب القلوب . فإذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت إلى الله سبحانه أيديهم وامتدت إلى أعنافهم وشخصت نحو السماء أبصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظنن أنه يخيب أملهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم. ولذلك قيل: إن من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله تعالى لم يغفر له . وكأن اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده فلا طريق إلى استدرار رحمة الله سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب فى وقت واحد .

وأما رمى الجمار : فاقصد به الانقياد للأمر إظهارا للرق والعبودية وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه . ثم اقصد به التشبه بإبراهيم عليه السلام حيث عرض له إبليس لعنه الله تعالى فى ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية فأمره الله عزوجل أن يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لأمله . فإن خطر لك : أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه وأما أنا فليس يعرض لى الشيطان ؟ فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان وأنه الذى ألقاه فى قلبك ليفتر عزمك فى الرمى ويخيل إليك أنه فعل لافائدة فيه وأنه يضاهى اللعب فلم تشتغل به؟ فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير فى الرمى فيه برغم أنف الشيطان . واعلم أنك فى الظاهر ترمى الحصى إلى العقبة وفى الحقيقة ترمى به وجه الشيطان وتقصم به ظهره إذ لا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيما له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه .

وأما ذبح الهدى : فاعلم أنه تقرب إلى الله تعالى بحكم الامتثال فأكل الهدى وارج أن يعتق الله بكل جزء منه جزءا منك من النار [1] فهكذا ورد الوعد . فكلما كان الهدى أكبر وأجزاؤه أوفر كان فداؤك من النار أعم

وأما زيارة المدينة : فإذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر أنها البلدة التى اختارها الله عزوجل لنبيه صلى الله عليه وسلم وجعل إليها هجرته وأنها داره التى شرع فيها فرائض ربه عزوجل وسنته وجاهد عدوه وأظهر بها دينه إلى أن

---

(١) حديث « أنه يعتق بكل جزء من الأضحية جزءاً من المضحى من النار » لم أقف له على أصل وفى كتاب الضحايا لأبى الشيخ من حديث أبى سعيد « فان لك بأول قطرة تقطر من دمها أن يغفر لك ما تقدم من ذنوبك » يقوله لفاطمة رضى الله عنها وإسناده ضعيف .

توفاه الله عز وجل . ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق بعده رضى الله عنهما . ثم مثل فى نفسك مواقع أقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ترددداته فيها وأنه ما من موضع قدم تطؤه إلا وهو موضع أقدامه العزيزة فلا تضع قدمك عليه إلا عن سكينة ووجل . وتذكر مشيه وتخطيه فى سككها وتصور خشوعه وسكينته فى المشى وما استودع الله سبحانه قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره مع ذكره تعالى حتى قرنه بذكر نفسه وإحباطه عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته . ثم تذكر مامن الله تعالى به على الذين أدركوا صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه وأعظم تأسفك على مافاتك من صحبته وصحبة أصحابه رضى الله عنهم . ثم اذكر أنك قد فاتتك رؤيته فى الدنيا وأنك من رؤيته فى الآخرة على خطر . وأنك ربما لاتراه إلا بحسرة وقد حيل بينك وبين قبوله إياك بسوء عملك كما قال صلى الله عليه وسلم « يرفع الله إلى أقواما فيقولون يا محمد فأقول يارب أصحابى فيقول إنك لاتدرى ماأحدثوا بعدك فأقول بعدا وسحقاً [1] » فإن تركت حرمة شريعته ولو فى دقيقة من الدقائق فلا تأمن أن يحال بينك وبينه بعدولك عن محجته . وليعظم مع ذلك رجاؤك أن لايحول الله تعالى بينك وبينه بعد أن رزقك الإيمان وأشخصك من وطنك لأجل زيارته من غير تجارة ولاحظ فى دنيا بل لمحض حبك له وشوقك إلى أن تنظر إلى آثاره وإلى حائط قبره ؛ إذ سمحت نفسك بالسفر بمجرد ذلك لما فاتتك رؤيته فما أجدرك بأن ينظر الله تعالى إليك بعين الرحمة . فإذا بلغت المسجد فاذكر أنها العرصة التى اختارها الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ولأول المسلمين وأفضلهم عصابة . وان فرائض الله سبحانه أول ما أقيمت فى تلك العرصة . وأنها جمعت أفضل خلق الله حيا وميتا فليعظم أملك فى الله سبحانه أن يرحمك بدخولك إياه فادخله خاشعاً معظما . وما أجدر هذا المكان بأن يستدعى الخشوع من قلب كل مؤمن كما حكى عن أبى سليمان أنه قال : حج أويس القرنى رضى الله عنه ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له : هذا قبر النبى صلى الله عليه وسلم فغشى عليه . فلما أفاق قال : أخرجونى فليس يلذ لى بلد فيه محمد صلى الله عليه وسلم مدفون .

وأما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم : فينبغى أن تقف بين يديه كما وصفنا وتزوره ميتا كما تزوره حياً ولا تقرب من قبره إلا كما كنت تقترب من شخصه الكريم لو كان حيا . وكما كنت ترى الحرمة فى أن لاتمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد مائلا بين يديه فكذلك فافعل فإن المس والتقبيل للمشاهد عادة النصارى واليهود . واعلم أنه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وأنه يبلغه سلامك وصلاتك : فمثل صورته الكريمة فى خيالك موضوعا فى اللحد بإزائك وأحضر عظيم رتبته فى قلبك فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم « أن الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته [2] » هذا فى حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادى شوقا إلى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم إذ فاته مشاهدة غرته الكريمة ؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم « من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه عشرا [3] » فهذا جزاؤه فى الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته ببدنه ؟ ثم ائت منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وتوهم صعود النبى صلى الله عليه وسلم المنبر ومثل فى قلبك طلعته البهية كأنها على المنبر

(١) حديث « يرفع الى أقوام فيقولون يا محمد يا محمد فأقول يارب أصحابى فيقول انك لاتدرى ما أحدثوا بعدك فأقول بعدا وسحقا » متفق عليه من حديث ابن مسعود وأنس وغيرهما دون قوله « ياعمد ياعمد » (٢) حديث « ان الله وكل بقبره صلى الله عليه وسلم ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته » أخرجه النسائى وابن حبان والحاكم من حديث ابن مسعود بلفظ « ان لله ملائكة سياحين فى الأرض يبلغونى عن أمتى السلام »

(٢) حديث « من أصلى على واحدة صلى الله عليه عشرا » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة وعبد الله بن عمرو

وقد أحدق به المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم وهو صلى الله عليه وسلم يحثهم على طاعة الله عز وجل بخطبته وسل الله عز وجل أن لايفرق فى القيامة بينك وبينه فهذه وظيفة القلب فى أعمال الحج . فإذا فرغ منها كلها فينبغى أن يلزم قلبه الحزن والهم والخوف وأنه ليس يدرى أقبل منه حجه وأثبت فى زمرة المحبوبين أم رد حجه وألحق بالمطرودين ؟ وليتعرف ذلك من قلبه وأعماله فإن صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور وانصرافا إلى دار الأنس بالله تعـالى ووجد أعماله قد اتزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول فإن الله تعالى لا يقبـل إلا من أحبـه ؛ ومن أحبه تولاه وأظهر عليه آثار محبته وكف عنـه سطوة عدوه إبليس لعنـه الله . فإذا ظهر ذلك عليـه دل على القبول ، وإن كان الأمر بخلافه فيـوشك أن يكون حظـه من سفره : العنـاء والتعب نعوذبالله سبحانه وتعـالى من ذلك .

تم كتاب : أسرار الحج . يتلوه إن شاء الله تعـالى كتاب . آداب تلاوة القرآن .

كتاب آداب تلاوة القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى امتن على عباده بنبيه المرسل صلى الله عليه وسلم وكتابه المنزل ﴿ الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميـد ﴾ حتى اتسع على أهل الأفـكار طريق الاعتبار بمـا فيه من القصص والأخبار . واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصل فيه من الأحكام . وفرق بين الحـلال والحرام فهو الضياء والنور وبه النجاة من الغرور وفيه شفاء لمـا فى الصدور . ومن خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم فى غيره أضله الله . هو حبل الله المتين ونوره المبين والعروة الوثقى والمعتصم الأوفى وهو المحيط بالقليـل والكثير والصغير والكبير . لاتنقضى عجائبـه ولا تتناهى غرائبه لايحيط بفوائده عند أهل العلم تحـديد ولا يخلقـه عند أهل التلاوة كثرة الترديد هو الذى أرشـد الأولين والآخرين ولمـا سمعه الجن لم يلبثوا أن ولوا إلى قومهـم منذرين ﴿ فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدى إلى الرشد فـآمنا به وان نشرك بربنا أحدا ﴾ فـكل من آمن به فقـد وفق ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدى ومن عمل به فقد فاز وقال تعـالى ﴿ إنا نحن نزلنـا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ ومن أسباب حفظه فى القلوب والمصاحف استدامة تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه والمحافظة على مافيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة . وذلك لابد من بيانه وتفصيله وتنكشف مقاصده فى أربعـة أبواب : (البـاب الأول) فى فضل القرآن وأهله . (البـاب الثـانى) فى آداب التلاوة فى الظاهر . (البـاب الثـالث) فى الأعمـال البـاطنـة عنـد التـلاوة . (البـاب الرابع) فى فهم القرآن وتفسيره بالرأى وغيره .

الباب الأول : فى فضل القرآن وأهله وذم المقصرين فى تلاوته

فضيـــله القـرآن

قال صلى الله عليه وسلم « من قرأ القرآن ثم رأى أن أحداً أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ما عظمه الله

تعالى [١] ، وقال صلى الله عليه وسلم ، ما من شفيع أفضل منزلة عند الله تعالى من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره [٢] ، وقال صلى الله عليه وسلم ، لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار [٣] ، وقال صلى الله عليه وسلم ، أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن [٤] ، وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً ، إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت : طوبى لأمة ينزل عليهم هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسنة تنطق بهذا [٥] ، وقال صلى الله عليه وسلم ، خيركم من تعلم القرآن وعلمه [٦] ، وقال صلى الله عليه وسلم ، يقول الله تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين [٧] ، وقال صلى الله عليه وسلم ، ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ مابين الناس : رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل والخ أم به قوما وهم به رضوان [٨] ، وقال صلى الله عليه وسلم ، أهل القرآن أهل الله وخاصته [٩] ، وقال صلى الله عليه وسلم ، إنّ القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد فقيل يارسول الله وما جلاؤها ؟ فقال : تلاوة القرآن وذكر الموت [١٠] ، وقال صلى الله عليه وسلم ، لله أشد أذنا إلى قارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته [١١] ، الآثار : قال أبو أمامة الباهلي : اقرءوا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فإن الله لا يعذب قلبا هو وعاء للقرآن . وقال ابن مسعود : إذا أردتم العلم فانثروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين . وقال أيضاً : اقرءوا القرآن فإنكم تؤجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات أما إني لا أقول : الحرف ألم ولكنّ الألف حرف واللام حرف والميم حرف . وقال أيضاً : لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن ويعجبه فهو يحب الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم . وقال عمرو بن العاص : كل آية في القرآن درجة في الجنة ومصباح في بيوتكم وقال أيضاً : من قرأ القرآن فقد ادرجت النبوّة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه . وقال أبو هريرة :

كتاب آداب تلاوة القرآن

الباب الأول في فضل القرآن وأهله

(١) حديث « من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظمه الله » أخرجه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (٢) حديث « ما من شفيع أعظم منزلة عند الله من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره » رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسلا والطبراني من حديث ابن مسعود « القرآن شافع مشفع » ولمسلم من حديث أبي أمامة « اقرءوا القرآن فانه يجيء يوم القيامة شفيعا لصاحبه »

(٣) حديث « لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار » أخرجه الطبراني وابن حبان في الضعفاء من حديث سهل بن سعد ولأحمد والدارمي والطبراني من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة ورواه ابن عدي والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عصمة ابن مالك بإسناد ضعيف (٤) حديث « أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن » أخرجه أبو نعيم في فضائل القرآن من حديث النعمان ابن بشير وأنس وإسنادهما ضعيف (٥) حديث « إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام .. الحديث » أخرجه الدارمي من حديث أبي مريرة بسند ضعيف (٦) حديث « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » أخرجه البخاري من حديث عثمان بن عفان (٧) حديث « يقول الله من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسئلتي أعطيته ثواب الشاكرين » أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد « من شغله القرآن عن ذكري أو مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين » وقال حسن غريب ورواه ابن شاهين بلفظ المصنف (٨) حديث « ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك . . الحديث » تقدم في الصلاة

(٩) حديث « أهل القرآن أهل الله وخاصته » أخرجه النسائي في الكبرى وابن ماجه والحاكم من حديث أنس باسناد حسن .

(١٠) حديث « إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل ما جلاؤها قال تلاوة القرآن وذكر الموت » أخرجه البيهقي في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف (١١) حديث « لله أشد أذنا إلى قارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته » أخرجه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث فضالة بن عبيد

إن البيت الذى يتلى فيه القرآن اتسع بأهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين ، وإن البيت الذى لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل : ضاق بأهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين . وقال أحمد ابن حنبل : رأيت الله عز وجل فى المنام فقلت : يا رب ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك ؟ قال : بكلامى يا أحمد ، قال قلت : يا رب بفهم أو بغير فهم ؟ قال : بفهم وبغير فهم . وقال محمد بن كعب القرظى : إذا سمع الناس القرآن من الله عز وجل يوم القيامه فكأنهم لم يسمعوه قط . وقال الفضيل بن عياض : ينبغى لحامل القرآن أن لايكون له إلى أحد حاجة ولا إلى الخلفاء فمن دونهم فينبغى أن تكون حوائج الخلق إليه . وقال أيضا حامل القرآن حامل راية الإسلام فلاينبغى أن يلهو مع من يلهو ولايسهو مع من يسهو ولايلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن . وقال سفيان الثورى : إذا قرأ الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه . وقال عمرو بن ميمون : من نشر مصحفا حين يصلى الصبح فقرأ منه مائة آية رفع الله عز وجل له مثل عمل جميع أهل الدنيا . ويروى « أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرأ على القرآن فقرأ عليه ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ﴾ الآية فقال له أعد فأعاد فقال : والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمورق وإن أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر [1] » وقال الحسن والله مادون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة . وقال الفضيل : من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسى ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القاسم بن عبد الرحمن : قلت لبعض النساك ما ههنا أحد نستأنس به فمد يده إلى المصحف ووضعه على حجره وقال : هذا . وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : ثلاث يزدن فى الحفظ ويذهبن البلغم : السواك والصيام وقراءة القرآن .

فى ذم تلاوة الغافلين

قال أنس بن مالك : رب تال للقرآن والقرآن يلعنه . وقال ميسرة : الغريب هو القرآن فى جوف الفاجر وقال أبو سليمان الدارانى : الزبانية أسرع إلى حملة القرآن الذين يعصون الله عز وجل منهم إلى عبدة الأوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القرآن . وقال بعض العلماء : إذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط ثم عاد فقرأ قيل له : مالك ولكلامى . وقال ابن الرماح : ندمت على استظهارى القرآن لأنه بلغنى أن أصحاب القرآن يسألون عما يسأل عنه الأنبياء يوم القيامة . وقال ابن مسعود ، ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس ينامون وبنهاره إذا الناس يفرطون وبحزنه إذا الناس يفرحون وببكائه إذا الناس يضحكون وبصمته إذا الناس يخوضون وبخشوعه إذا الناس يختالون . وينبغى لحامل القرآن أن يكون مستكينا لينا ولا ينبغى له أن يكون جافيا ولا ماريا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا . وقال صلى الله عليه وسلم « أكثر منافقى هذه الأمة قرّاؤها [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « اقرإ القرآن ما نهاك فإن لم ينهك فلست تقرؤه [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « ما آمن بالقرآن من استحل محارمه [4] » وقال بعض السلف :

---

(١) حديث « أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرأ على القرآن فقرأ عليه (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى) فقال : أعد فأعاد فقال : إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر » ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب بغير إسناد ورواه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد إلا أنه قال « الوليد بن المغيرة » بدل « خالد بن عقبة » وكذا ذكره ابن إسحق فى السيرة بنحوه

(٢) حديث « أكثر منافقى أمتى قراؤها » أخرجه أحمد من حديث عقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو وفيهما ابن لهيعة

(٣) حديث « اقرأ القرآن ما نهاك فإن لم ينهك فلست تقرؤه » أخرجه الطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف

(٤) حديث « ما آمن بالقرآن من استحل محارمه » أخرجه الترمذى من حديث صهيب وقال ليس إسناده بالقوى

إن العبد ليفتتح سورة فتصلى عليه الملائكة حتى يفرغ منها ، وإن العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ فقال : إذا أحل حلالها وحرم حرامها صلت عليه وإلا لعنته . وقال بعض العلماء : إن العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لايعلم يقول ﴿ ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ وهو ظالم نفسه ﴿ ألا لعنة الله على الكاذبين ﴾ وهو منهم . وقال الحسن : إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملا فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله ، وإن من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار . وقال ابن مسعود أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا إن أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد أسقط العمل به . وفى حديث ابن عمر وحديث جندب رضى الله عنهما : لقد عشنا دهرا طويلا وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغى أن يقف عنده منها . ثم لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ مابين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لايدرى ما آمره ولا زاجره ولا مايتبغى أن يقف عنده منه ينثره نثر الدقل[1] وقد ورد فى التوراة : ياعبدى أما تستحى منى يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت فى الطريق تمشى فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله وتقرؤه وتتدبره حرفا حرفا حتى لايفوتك شىء منه ، وهذا كتابى أنزلته إليك انظر كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك ؟ يا عبدى يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغى إلى حديثه بكل قلبك فإن تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن كف وها أنا ذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عنى أفجعلتنى أهون عندك من بعض إخوانك ؟

الباب الثانى : فى ظاهر آداب التلاوة وهى عشرة

(الأول) فى حال القارئ : وهو أن يكون على الوضوء واقعا على هيئة الأدب والسكون إما قائما وإما جالسا مستقبل القبلة مطرقا رأسه غير متربع ولا متكئ ولا جالس على هيئة التكبر . ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدى أستاذه . وأفضل الأحوال أن يقرأ فى الصلاة قائما وأن يكون فى المسجد فذلك من أفضل الأعمال . فإن قرأ على غير وضوء وكان مضطجعا فى الفراش فله أيضا فضل ولكنه دون ذلك . قال الله تعالى ﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ﴾ فأثنى على الكل ولكن قدم القيام فى الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعا . قال على رضى الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم فى الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس فى الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة . ومن قرأه فى غير صلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة . ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات . وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب ، قال أبو ذر الغفارى رضى الله عنه : إن كثرة السجود بالنهار وإن طول القيام بالليل أفضل (الثانى) فى مقدار القراءة : وللقراء عادات مختلفة فى الاستكثار والاختصار فمنهم من يختم القرآن فى اليوم والليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم إلى ثلاث ومنهم من يختم فى الشهر مرة وأولى مايرجع إليه فى التقديرات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث لم يفقهه »[2] ، وذلك لأن الزيادة عليه تمنعه الترتيل . وقد قالت عائشة

---

(١) حديث ابن عمر وحديث جندب « لقد عشنا دهرا وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن .. الحديث » تقدما فى العلم الباب الثانى فى ظاهر آداب التلاوة

(٢) حديث « من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث لم يفقهه » أخرجه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو وصححه الترمذى

رضى الله تعالى عنها ـ لما سمعت رجلا يهذر القرآن هذرا ـ « إن هذا ماقرأ القرآن ولا سكت » وأمر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن يختم القرآن فى كل سبع [1] وكذلك كان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم يختمون القرآن فى كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبى بن كعب رضى الله عنهم . فى الختم أربع درجات : الختم فى يوم وليلة وقد كرهه جماعة والختم فى كل شهر كل يوم جزء من ثلاثين جزءا ـ وكأنه مبالغة فى الاقتصار كما أن الأول مبالغة فى الاستكثار ـ وبينهما درجتان معتدلتان إحداهما فى الأسبوع مرة والثانية فى الأسبوع مرتين تقريبا من الثلاث . والأحب أن يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار ، ويجعل ختمه بالنهار يوم الاثنين فى ركعتى الفجر أو بعدهما ، ويجعل ختمه بالليل ليلة الجمعة فى ركعتى المغرب أو بعدهما ، ليستقبل أول النهار وأول الليل بختمته . فإن الملائكة عليهم السلام تصلى عليه إن كانت ختمته ليلا حتى يصبح وإن كان نهارا حتى يمسى فتشمل بركتهما جميع الليل والنهار . والتفصيل فى مقدار القراءة أنه إن كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغى أن ينقص عن ختمتين فى الأسبوع . وإن كان من السالكين بأعمال القلب وضروب الفكر أو من المشتغلين بنشر العلم فلا بأس أن يقتصر فى الأسبوع على مرة . وإن كان نافذ الفكر فى معانى القرآن فقد يكتفى فى الشهر بمرة لكثرة حاجته إلى كثرة الترديد والتأمل (الثالث) فى وجه القسمة : أما من ختم فى الأسبوع مرة فيقسم القرآن سبعة أحزاب فقد حزب الصحابة رضى الله عنهم القرآن أحزابا [2] فروى أن عثمان رضى الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة ، وليلة السبت بالأنعام إلى هود ، وليلة الأحد بيوسف إلى مريم ، وليلة الاثنين بطه إلى طسم ، موسى وفرعون ، وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى ص ، وليلة الأربعاء بتنزيل إلى الرحمن ، ويختم ليلة الخميس . وابن مسعود كان يقسمه أقساما لا على هذا الترتيب وقيل أحزاب القرآن سبعة فالحزب الأول ثلاث سور والحزب الثانى خمس سور والحزب الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس إحدى عشرة سورة والسادس ثلاث عشرة سورة والسابع المفصل من ق إلى آخره . فهكذا حزبه الصحابة رضى الله عنهم وكانوا يقرءونه كذلك . وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قبل أن تعمل الأخماس والأعشار والأجزاء فماسوى هذا محدث (الرابع) فى الكتابة : يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا بأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فإنها تزيين وتبيين وصدّ عن الخطأ واللحن لمن يقرؤه . وقد كان الحسن وابن سيرين ينكرون الأخماس والعواشر والأجزاء . وروى عن الشعبى وإبراهيم كراهية النقط بالحمرة وأخذ الأجرة على ذلك ، وكانوا يقولون جرّدوا القرآن . والظنّ بهؤلاء أنهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من أن يؤدى إلى إحداث زيادات وحسبما للباب وتشوقا إلى حراسة القرآن عما يطرق إليه تغييرا . وإذا لم يؤد إلى محظور واستقر أمر الأمة فيه على مايحصل به مزيد معرفة فلا بأس به . ولا يمنع من ذلك كونه محدثا فكم من محدث حسن كما قيل فى إقامة الجماعات فى التراويح إنها من محدثات عمر رضى الله عنه وأنها بدعة حسنة . إنما البدعة المذمومة مايصادم السنة القديمة أويكاد يفضى إلى تغييرها . وبعضهم كان يقول . أقرأ من المصحف فى المنقوط ولا أنقطه بنفسى وقال الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير : كان القرآن مجرّدا فى المصاحف فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا

---

(١) حديث « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو أن يختم القرآن فى كل أسبوع » متفق عليه من حديثه .

(٢) حديث « تحزيب القرآن على سبعة أجزاء » أخرجه ابن ماجه من حديث أوس بن حذيفة فى حديث فيه « طرأ على حزبى من القرآن » قال أوس فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا : ثلاث وخمس وسبع وتسع وأحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل . وفى رواية الطبرانى فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزئ القرآن ؟ فقالوا : كان يجزئه ثلاثا : فذكره مرفوعا وإسناده حسن

لابأس به فإنه نور له . ثم أحدثوا بعده نقطا كبارا عند منتهى الآى فقالوا : لابأس به يعرف به رأس الآية . ثم أحدثوا بعد ذلك الخواتم والفواتح . قال أبو بكر الهذلى سألت الحسن عن تنقيط المصاحف بالأحمر فقال: وما تنقيطها ؟ قلت : يعربون الكلمة بالعربية قال : أما إعراب القرآن فلا بأس به وقال خالد الحذاء : دخلت على ابن سيرين فرأيته يقرأ فى مصحف منقوط وقد كان يكره النقط . وقيل : إنّ الحجاج هو الذى أحدث ذلك وأحضر القراء حتى عدّوا كلمات القرآن وحروفه وسووا أجزاءه وقسموه إلى ثلاثين جزءا وإلى أقسام أخر. (الخامس) الترتيل : هو المستحب فى هيئة القرآن لأنا سنبين أنّ المقصود من القراءة التفكر والترتيل معين عليه . ولذلك نعتت أم سلمة رضى الله عنها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا [1] وقال ابن عباس رضى الله عنه : لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما أحب إلى من أن أقرأ القرآن هذرمة . وقال أيضا: لأن أقرأ إذا زلزلت والقارعة أتدبرهما أحب إلى من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهذيرا . وسئل مجاهد عن رجلين دخلا فى الصلاة فكان قيامهما واحدا إلا أنّ أحدهما قرأ البقرة فقط والآخر القرآن كله فقال . هما فى الأجر سواء . واعلم أن الترتيل مستحب لالمجرّد التدبر فإن العجمى الذى لايفهم معنى القرآن يستحب له فى القراءة أيضا الترتيل والتؤدة لأنّ ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشدّ تأثيرا فى القلب من الهذرمة والاستعجال (السادس) البكاء : البكاء مستحب مع القراءة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يتغن بالقرآن [3] » وقال صالح المرّى : قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى ياصالح هذه القراءة فأين البكاء ؟ وقال ابن عباس رضى الله عنهما : إذا قرأتم سجدة سبحان ؛ فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه وإنما طريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء قال صلى الله عليه وسلم « إنّ القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا [4] » ووجه إحضار الحزن أن يتأمل مافيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود . ثم يتأمل تقصيره فى أوامره ونواهيه فيحزن لامحالة ويبكى . فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء فإنّ ذلك أعظم المصائب . (السابع) أن يراعى حق الآيات : فإذا مر بآية سجدة سجد ، وكذلك إذا سمع من غيره سجدة سجد إذا سجد التالى ، ولايسجد إلا إذا كان على طهارة . وفى القرآن أربع عشرة سجدة . وفى الحج سجدتان وليس فى ص سجدة وأقله أن يسجد بوضع جبهته على الأرض وأكمله أن يكبر فيسجد ويدعو فى سجوده بما يليق بالآية التى قرأها مثل أن يقرأ قوله تعالى ﴿ خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لايستكبرون ﴾ فيقول « اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك أو على أوليائك » وإذا قرأ قوله تعالى ﴿ ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا ﴾ فيقول « اللهم اجعلنى من الباكين إليك الخاشعين لك » وكذلك كل سجدة ، ويشترط فى هذه السجدة شروط الصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب والبدن من الحدث والخبث . ومن لم يكن على طهارة عند السماع فإذا تطهر يسجد ، وقد قيل فى كمالها أنه يكبر رافعا يديه لتحريمه ثم يكبر للهوى للسجود ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم . وزاد زائدون

---

(١) حديث « نعتت أم سلمة قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فاذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا » أخرجه أبو داود والنسائى والترمذى وقال حسن صحيح

(٢) حديث « اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا » أخرجه ابن ماجه من حديث سعد ابن أبى وقاص بإسناد جيد

(٣) حديث « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة

(٤) حديث « إن القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا » أخرجه أبو يعلى وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف .

التشهد ولاأصل لهذا إلا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد فإنه ورد الأمر فى السجود فليتبع فيه الأمر وتكبيرة الهوى أقرب للبداية وماعدا ذلك ففيه بعد . ثم المأموم ينبغى أن يسجد عند سجود الإمام ولايسجد لتلاوة نفسه إذا كان مأموما (الثامن) أن يقول فى مبتدإ قراءته : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ﴿ رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ وافقرأ : قل أعوذ برب الناس وسورة الحمد لله وليقل عند فراغه من القراءة : صدق الله تعالى وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين وأستغفر الله الحى القيوم . وفى أثناء القراءة إذا مربآية تسبيح سبح وكبر ، وإذا مر بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر ، وإن مر بمرجو سأل وإن مر بمخوف استعاذ . يفعل ذلك بلسانه أوبقلبه فيقول : سبحان الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا . قال حذيفة : صليت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فابتدأ سورة البقرة فكان لايمر بآية رحمة إلا سأل ولا بآية عذاب إلا استعاذ ولا بآية تنزيه إلا سبح [1] ، فإذا فرغ قال ما كان يقول صلوات الله وسلامه عند ختم القرآن « اللهم ارحمنى بالقرآن واجعله لى إماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه مانسيت وعلمنى منه ماجهلت وارزقنى تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله لى حجة يارب العالمين [2] » (التاسع) فى الجهر بالقراءة : ولاشك فى أنه لابدّ أن يجهر به إلى حدّ يسمع نفسه إذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف ولابدّ من صوت فأقله مايسمع نفسه فإن لم يسمع نفسه لم تصح صلاته . فأما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر . ويدل على استحباب الإسرار ماروى أنه صلى الله عليه وسلم قال « فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية » وفى لفظ آخر « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر به كالمسر بالصدقة [3] » وفى الخبر العام « يفضل عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفا [4] » وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « خير الرزق مايكفى وخير الذكر الخفى [5] » وفى الخبر « لايجهر بعضكم على بعض فى القراءة بين المغرب والعشاء [6] » وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة فى صلاته وكان حسن الصوت فقال لغلامه : اذهب إلى هذا المصلى فمره أن يخفض صوته ، فقال الغلام : إنّ المسجد ليس لنا وللرحل فيه نصيب ، فرفع سعيد صوته وقال : ياأيها المصلى إن كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض صوتك وإن كنت تريد الناس فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ، فسكت عمر بن عبد العزيز وخفف ركعته فلما سلم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ أمير المدينة . ويدل على استحباب الجهر ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع جماعة من أصحابه يجهرون فى صلاة الليل فصوّب ذلك [7] وقد قال صلى الله

---

(١) حديث حذيفة « كان لايمر بآية عذاب إلا تعوذ ولا بآية رحمة إلا سأل ولا بآية تنزيه إلا سبح » أخرجه مسلم مع اختلاف لفظ (٢) حديث « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند ختم القرآن اللهم ارحمنى بالقرآن واجعله لى إماما وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمنى منه ما جهلت وارزقنى تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله لى حجة يارب العالمين » رواه أبو منصور المظفر بن الحسين الأرجانى فى فضائل القرآن وأبو بكر بن الضحاك فى الشمائل كلاهما من طريق أبى ذر الهروى من رواية داود بن قيس معضلا (٣) حديث « فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية » قال وفى لفظ آخر « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة » أخرجه أبو داود والنسائى والترمذى وحسنه من حديث عقبة بن عامر باللفظ الثانى (٤) حديث « يفضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث عائشة (٥) حديث « خير الرزق مايكفى وخير الذكر الخفى » أخرجه أحمد وابن حبان من حديث سعد بن أبى وقاص (٦) حديث « لا يجهر بعضكم على بعض فى القراءة بين المغرب والعشاء » رواه أبو داود من حديث البياضى دون قوله « بين المغرب والعشاء » والبيهقى فى الشعب من حديث على « قبل العشاء وبعدها » وفيه الحارث الأعور وهو ضعيف (٧) حديث « أنه سمع جماعة من الصحابة يجهرون فى صلاة الليل فصوب ذلك » فى الصحيحين من حديث عائشة « أن رجلا قام من الليل فقرأ فرفع صوته بالقرآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله فلانا ... الحديث » ومن حديث أبى موسى قال =

عليه وسلم « إذا قام أحدكم من الليل يصلى فليجهر بالقراءة فإن الملائكة وعمار الدار يستمعون قراءته ويصلون بصلاته [١] » ومر صلى الله عليه وسلم بثلاثة من أصحابه رضى الله عنهم مختلفى الأحوال فمر على أبى بكر رضى الله عنه وهو يخافت فسأله عن ذلك فقال : إن الذى أناجيه هو يسمعنى . ومر على عمر رضى الله عنه وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال : أوقظ الوسنان وأزجر الشيطان . ومر على بلال وهو يقرأ آيا من هذه السورة وآيا من هذه السورة فسأله عن ذلك فقال أخلط الطيب بالطيب . فقال صلى الله عليه وسلم : كلكم قد أحسن وأصاب [٢] . فالوجه فى الجمع بين هذه الأحاديث أن الإسرار أبعد عن الرياء والتصنع فهو أفضل فى حق من يخاف ذلك على نفسه فإن لم يخف ولم يكن فى الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر ، ولأن فائدته أيضاً تتعلق بغيره فالخير المتعدى أفضل من اللازم ، ولأنه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه إلى الفكر فيه ويصرف إليه سمعه ، ولأنه يطرد النوم فى رفع الصوت ولأنه يزيد فى نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ، ولأنه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب إحيائه ، ولأنه قد يراه بطال غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق إلى الخدمة ، فمتى حضره شىء من هذه النيات فالجهر أفضل . وإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر وبكثرة النيات تزكو أعمال الأبرار وتتضاعف أجورهم فإن كان فى العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر أجور . ولهذا نقول قراءة القرآن فى المصاحف أفضل إذ يزيد فى العمل النظر وتأمل المصحف وحمله فيزيد الأجر بسببه . وقد قيل الختمة فى المصحف بسبع لأن النظر فى المصحف أيضاً عبادة . وخرق عثمان رضى الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما فكان كثير من الصحابة يقرءون فى المصاحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا فى المصحف . ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعى رضى الله عنه فى السحر وبين يديه مصحف فقال له الشافعى : شغلكم الفكر عن القرآن إنى لأصلى العتمة وأضع المصحف بين يدى فما أطبقه حتى أصبح (العاشر) تحسين القراءة وترتيلها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم فذلك سنة قال صلى الله عليه وسلم « زينوا القرآن بأصواتكم [٣] » وقال عليه السلام « ما أذن الله لشىء إذنه لحسن الصوت بالقرآن [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » فقيل أراد به الاستغناء وقيل أراد به الترنم وترديد الألحان به وهو أقرب عند أهل اللغة . وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ليلة ينتظر عائشة رضى الله عنها فأبطأت عليه فقال صلى الله عليه وسلم : ما حبسك قالت : يارسول الله كنت أستمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه ، فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع إليه طويلا ثم رجع فقال صلى الله عليه وسلم : هذا سالم مولى أبى حذيفة الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله [٥] » واستمع صلى الله عليه وسلم أيضاً ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فوقفوا طويلا ثم قال

= « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رأيتنى وأنا أسمع قراءتك البارحة... الحديث » ومن حديث أيضاً « إنما أعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن ... الحديث » (١) حديث « إذا قام أحدكم من الليل يصلى فليجهر بقراءته فإن الملائكة وعمار الدار يستمعون إلى قراءته ويصلون بصلاته » رواه بنحوه بزيادة فيه أبو بكر البزار ونصر المقدسى فى المواعظ وأبو شجاع من حديث معاذ بن جبل وهو حديث منكر منقطع .

(٢) حديث « مروره صلى الله عليه وسلم بأبى بكر وهو يخافت وبعمر وهو يجهر وببلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة .. الحديث » تقدم فى الصلاة (٣) حديث « زينوا القرآن بأصواتكم » أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث البراء بن عازب (٤) حديث « ما أذن الله لشىء إذنه لحسن الصوت بالقرآن » متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ « ما أذن الله لشىء ما أذن لنبى يتغنى بالقرآن » زاد مسلم « لنبى حسن الصوت » وفى رواية له « كإذنه لنبى يتغنى بالقرآن » .

(٥) حديث « كان ينتظر عائشة فأبطأت عليه فقال ما حبسك قالت يارسول الله كنت أسمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع إليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى أبى حذيفة الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله » أخرجه أبو داود من حديث عائشة ورجال إسناده ثقات .

صلى الله عليه وسلم « من أراد أن يقرأ القرآن غضا طريا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد[1] » وقال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود « اقرأ على فقال يارسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل فقال صلى الله عليه وسلم : إنى أحب أن أسمعه من غيرى فكان يقرأ وعينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تفيضان[2] » واستمع صلى الله عليه وسلم إلى قراءة أبى موسى فقال « لقد أوتى هذا من مزامير آل داود » فبلغ ذلك أباموسى فقال : يارسول الله لوعلمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا[3] ورأى هيثم القارئ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام قال : فقال لى أنت الهيثم الذى تزين القرآن بصوتك قلت نعم قال جزاك الله خيرا . وفى الخبر . كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن . وقد كان عمر يقول لأبى موسى رضى الله عنهما : ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط فيقال ياأمير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول : أولسنا فى صلاة ؟ إشارة إلى قوله عزوجل ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « من استمع إلى آية من كتاب الله عزوجل كانت له نورا يوم القيامة[4] » وفى الخبر : كتب له عشر حسنات . ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالى هو السبب فيه كان شريكا فى الأجر إلا أن يكون قصده الرياء والتصنع .

الباب الثالث : فى أعمال الباطن فى التلاوة وهى عشرة

فهم أصل الكلام . ثم التعظيم . ثم حضور القلب . ثم التدبر . ثم التفهم . ثم التخلى عن موانع الفهم . ثم التخصيص . ثم التأثر . ثم الترقى . ثم التبرى . (فالأول) فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه فى نزوله عن عرش جلاله إلى درجة إفهام خلقه . فلينظر كيف لطف بخلقه فى إيصال معانى كلامه الذى هو صفة قديمة قائمة بذاته إلى أفهام خلقه ؟ وكيف تجلت لهم تلك الصفة فى طى حروف وأصوات هى صفات البشر إذ يعجز البشر عن الوصول إلى فهم صفات الله عز وجل إلا بوسيلة صفات نفسه . ولولا استتار كنه جلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى مابينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره . ولولا تبيت الله عزوجل لموسى عليه السلام لما أطاق لسماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادى تجليه حيث صار دكا . ولايمكن تفهيم عظمة الكلام إلا بأمثلة على حد فهم الخلق . ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال : إن كل حرف من كلام الله عز وجل فى اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف وإن الملائكة عليهم السلام لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ماأطاقوه حتى يأتى إسرافيل عليه السلام وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله بإذن الله عزوجل ورحمته لابقوته وطاقته ولكن الله عزوجل طوقه ذلك واستعمله به ، ولقد تألق بعض الحكماء فى التعبير عن وجه اللطف فى إيصال معانى الكلام مع علو درجته إلى فهم الإنسان وتثبيته مع قصور رتبته وضرب له مثلا لم يقصر فيه ؛ وذلك أنه دعا

---

(١) حديث « استمع ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر فوقفوا طويلا ثم قال من أراد أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد » أخرجه أحمد والنسائي فى الكبرى من حديث عمر والترمذى وابن ماجه من حديث ابن مسعود « أن أبا بكر وعمر بشراه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن يقرأ القرآن... الحديث » قال الترمذى حسن صحيح (٢) حديث « أنه قال لابن مسعود : اقرأ فقال يارسول الله أقرأ وعليك أنزل فقال إنى أحب أن أسمعه من غيرى ... الحديث » متفق عليه من حديث ابن مسعود . (٣) حديث « استمع إلى قراءة أبى موسى فقال لقد أوتى هذا من مزامير آل داود » متفق عليه من حديث أبى موسى . (٤) حديث « من استمع إلى آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة » وفى الخبر « كتب له عشر حسنات » أخرجه أحمد من حديث أبى هريرة « من استمع إلى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة » وفيه ضعف وانقطاع .

بعض الملوك حكيم إلى شريعة الأنبياء عليهم السلام فسأله الملك عن أمور فأجاب بما لايحتمله فهمه ؛ فقال الملك : أرأيت ماتأتى به الأنبياء إذا ادعت أنه ليس بكلام الناس وأنه كلام الله عزوجل فكيف يطيق الناس حمله ؟ فقال الحكيم : إنا رأينا الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتأخيرها وإقبالها وإدبارها ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنوار عقولهم مع حسنه وتزيينه وبديع نظمه ، فنزلوا إلى درجة تمييز البهائم وأوصلوا مقاصدهم إلى بواطن البهائم بأصوات يضعونها لائقة بهم من النقر والصفير والأصوات القريبة من أصواتها لكى يطيقوا حملها . وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله عزوجل بكنهه وكمال صفاته . فصاروا بما تراجعوا بينهم من الأصوات التى سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذى سمعت به الدواب من الناس . ولم يمنع ذلك معانى الحكمة المخبوءة فى تلك الصفات من أن شرف الكلام أى الأصوات لشرفها وعظم لتعظيمها ، فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا والحكمة للصوت نفسا وروحا . فكما أن أجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك أصوات الكلام تشرف للحكمة التى فيها . والكلام على المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم فى الحق والباطل . وهو القاضى العدل والشاهد المرتضى يأمر وينهى . ولاطاقة للباطل أن يقوم قدام كلام الحكمة كما لايستطيع الظل أن يقول قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس ، ولكنهم ينالون من ضوء عين الشمس ما تحيا به أبصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط . فالكلام كالملك المحجوب الغائب وجهه النافذ أمره وكالشمس الغزيرة الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم الزهرة التى قد يهتدى بها من لايقف على سيرها فهو مفتاح الخزائن النفيسة وشراب الحياة الذى من شرب منه لم يمت ودواء الأسقام الذى من سقى منه لم يسقم . فهذا الذى ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لاتليق بعلم المعاملة فينبغى أن يقتصر عليه . (الثانى) التعظيم للمتكلم : فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغى أن يحضر فى قلبه عظمة المتكلم ويعلم أن مايقرؤه ليس من كلام البشر وان فى تلاوة كلام الله عز وجل غاية الخطر فإنه تعالى قال (لايمسه إلا المطهرون) وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا كان متطهرا ، فباطن معناه أيضا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب إلا إذا كان متطهرا عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير . وكما لايصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب . ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبى جهل إذا نشر المصحف غشى عليه ويقول : هو كلام ربى هو كلام ربى ؟ فتعظيم الكلام تعظيم المتكلم ولن تحضره عظمة المتكلم مالم يتفكر فى صفاته وجلاله وأفعاله . فإذا حضر بباله العرش والكرسى والسموات والأرض وما بينهما من الجن والإنس والدواب والأشجار ، وعلم أن الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد ، وأن الكل فى قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته إن أنعم فبفضله وإن عاقب فبعدله ، وأنه الذى يقول هؤلاء إلى الجنة ولا أبالى وهؤلاء إلى النار ولا أبالى وهذا غاية العظمة والتعالى . فبالتفكر فى أمثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام (الثالث) حضور القلب وترك حديث النفس : قيل فى تفسير (يايحيى خذ الكتاب بقوة) أى بجد واجتهاد وأخذه بالجد أن يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهمة إليه عن غيره ، وقيل لبعضهم : إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشىء ؟ فقال أو شىء أحب إلى من القرآن حتى أحدث به نفسى ! وكان بعض السلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها اعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فإن المعظم للكلام الذى يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه . فنى القرآن مايستأنس به القلب إن كان التالى أهلا له فكيف يطلب الأنس بالفكر فى غيره وهو فى متنزه ومتفرج

والذى يتفرج فى المتنزهات لا يتفكر فى غيرها ؟ فقد قيل إن فى القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس ودبابيج ورياضا وخانات فالميمات ميادين القرآن والراءات بساتين القرآن والحاءات مقاصيره والمسبحات عرائس القرآن والحاميمات دبابيج القرآن والمفصل رياضه والخانات ماسوى ذلك فإذا دخل القارئ الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الدبابيج وتنزه فى الرياض وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه ولم يتفرق فكره .

(الرابع) التدبر : وهو وراء حضور القلب فإنه قد لا يتفكر فى غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره . والمقصود من القراءة التدبر . ولذلك سن لأن الترتيل فيه الترتيل فى الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن . قال على رضى الله عنه : لا خير فى عبادة لا فقه فيها ولا فى قراءة لا تدبر فيها . وإذا لم يتمكن من التدبر إلا بترديد فليردد إلا أن يكون خلف إمام . فإنه لو بقى فى تدبر آية وقد اشتغل الإمام بآية أخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه . وكذلك إن كان فى تسبيح الركوع وهو متفكر فى آية قرأها إمامه فهذا وسواس . فقد روى عن عامر بن عبد قيس أنه قال : الوسواس يعترينى فى الصلاة ، فقيل : فى أمر الدنيا ؟ فقال : لأن تختلف فى الأسنة أحب إلى من ذلك ، ولكن يشتغل قلبى بموقفى بين يدى ربى عز وجل . وأنى كيف انصرف ، فعد ذلك وسواسا وهو كذلك فإنه يشغله عن فهم ما هو فيه والشيطان لا يقدر على مثله إلا بأن يشغله بمهم دينى ولكن يمنعه به عن الأفضل . ولما ذكر ذلك للحسن قال إن كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله ذلك عندنا . ويروى « أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة [1] » وإنما رددها صلى الله عليه وسلم لتدبره فى معانيها . وعن أبى ذر قال « قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا ليلة فقام بآية يرددها وهى (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم [2]) الآية » وقام تميم الدارى ليلة بهذه الآية (أم حسب الذين اجترحوا السيئات) الآية . وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الآية (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) وقال بعضهم : إنى لأفتتح السورة فيوقفنى بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر . وكان بعضهم يقول : آية لا أتفهمها ولا يكون قلبى فيها لا أعد لها ثوابا ، وحكى عن أبى سليمان الدارانى أنه قال : إنى لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال ولولا أنى أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها . وعن بعض السلف أنه بقى فى سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها . وقال بعض العارفين : لى فى كل جمعة ختمة وفى كل شهر ختمة وفى كل سنة ختمة ولى ختمه منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد . وذلك بحسب درجات تدبره وتفتيشه . وكان هذا أيضا يقول : أقمت نفسى مقام الأجراء فأنا أعمل مياومة ومجامعة ومشاهرة ومسانهة .

(الخامس) التفهم : وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل . وذكر أفعاله . وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام . وذكر أحوال المكذبين لهم وأنهم كيف أهلكوا ، وذكر أوامره وزواجره ، وذكر الجنة والنار .

أما صفات الله عز وجل فكقوله تعالى (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) وكقوله تعالى (الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر) فليتأمل معانى هذه الأسماء والصفات لينكشف له أسرارها فتحتها معان

الباب الثالث : فى أعمال الباطن فى التلاوة

(١) حديث « أنه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة » رواه أبو ذر الهروى فى معجمه من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٢) حديث أبى ذر « قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا ليلة بآية يرددها وهى (إن تعذبهم فإنهم عبادك) » أخرجه النسائى وابن ماجه بسند صحيح

مدفونة لا تنكشف إلا للموفقين : وإليه أشار على رضى الله عنه بقوله ما أسر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا كتمه عن الناس إلا أن يؤتى الله عز وجل عبدا فهما فى كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم [1] وقال ابن مسعود رضى الله عنه : من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن . وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله عز وجل وصفاته إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا أمورا لائقة بأفهامهم ولم يعثروا على أغوارها .

وأما أفعاله تعالى فكذكره خلق السموات والأرض وغيرها . فليفهم التالى منها صفات الله عز وجل وجلاله إذ الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمته . فينبغى أن يشهد فى الفعل الفاعل دون الفعل ، فمن عرف الحق رآه فى كل شىء إذ كل شىء فهو منه وإليه وبه وله فهو الكل على التحقيق . ومن لا يراه فى كل ما يراه فكأنه ما عرفه . ومن عرفه عرف أن كل شىء ما خلا الله باطل وأن كل شىء هالك إلا وجهه ؛ لأنه سيبطل فى ثانى الحال ؛ بل هو الآن باطل إن اعتبر ذاته من حيث هو إلا أن يعتبر وجوده من حيث إنه موجود بالله عز وجل وبقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات وبطريق الاستقلال بطلان محض ، وهذا مبدأ من مبادى علم المكاشفة : ولهذا ينبغى إذا قرأ التالى قوله عز وجل ﴿ أفرأيتم ما تحرثون - أفرأيتم ما تمنون - أفرأيتم الماء الذى تشربون - أفرأيتم النار التى تورون ﴾ فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمنى بل يتأمل فى المنى وهو نطفة متشابهة الأجزاء ثم ينظر فى كيفية انقسامها إلى اللحم والعظم والعروق والعصب وكيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة كما قال تعالى ﴿ أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾ فيتأمل هذه العجائب ليترقى منها إلى عجب العجائب وهو الصفة التى منها صدرت هذه الأعاجيب فلا يزال ينظر إلى الصنعة فيرى الصانع .

وأما أحوال الأنبياء عليهم السلام : فإذا سمع منها كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم . فليفهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل والمرسل إليهم وأنه لو أهلك جميعهم لم يؤثر فى ملكه شيئا . وإذا سمع نصرتهم فى آخر الأمر فليفهم قدرة الله عز وجل وإرادته لنصرة الحق .

وأما أحوال المكذبين ؛ كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته وليكن حذله منه الاعتبار فى نفسه وأنه إن غفل وأساء الأدب واغتر بما أمهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية : وكذلك إذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما فى القرآن فلا يمكن استقصاء ما يفهم منه لأن ذلك لا نهاية له وإنما لكل عبد بقدر رزقه ، فلا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا ﴾ ولذلك قال على رضى الله عنه : لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب . فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهيم لينفتح بابه فأما الاستقصاء فلا مطمع فيه . ومن لم يكن له فهم ما فى القرآن ولو فى أدنى الدرجات دخل فى قوله تعالى (ومنهم من يستمع إليك حتى إذا

---

(١) حديث على « ما أسر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً كتمه عن الناس إلا أن يؤتى الله عبدا فهما فى كتابه » أخرجه النسائى من رواية أبى جحيفة قال « سألنا عليا فقلنا هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شىء سوى القرآن ؟ فقال : لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يعطى الله عبدا فهما فى كتابه .. الحديث » وهو عند البخارى بلفظ « هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس فى القرآن » وفى رواية « وقال مرة ما ليس عند الناس » ولأبى داود والنسائى « فقلنا هل عهد اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهده الى الناس ؟ قال : لا إلا ما فى كتابى هذا ... الحديث » ولم يذكر « الفهم فى القرآن »

خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم ﴾ والطابع هى الموانع التى سنذكرها فى موانع الفهم . وقد قيل : لايكون المريد مريدا حتى يجد فى القرآن كل مايريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغنى بالمولى عن العبيد (السادس) التخلى عن موانع الفهم فإن أكثر الناس منعوا عن فهم معانى القرآن لأسباب وحجب أسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن قال صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى الملكوت [1] » ومعانى القرآن من جملة الملكوت وكل ما غاب عن الحواس ولم يدرك إلا بنور البصيرة فهو من الملكوت . وحجب الفهم أربعة ؛ أولها : أن يكون الهم منصرفا إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها ، وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معانى كلام الله عز وجل فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه . فهذا يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف فأنى تنكشف له المعانى ؟ وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعاً لمثل هذا التلبيس . ثانيها ؛ أن يكون مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت فى نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة . فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه ، فإن لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعانى التى تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك ، فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثله . ولمثل هذا قالت الصوفية : إن العلم حجاب وأرادوا بالعلم العقائد التى استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها إليهم . فأما العلم الحقيقى الذى هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجابا وهو منتهى المطلب ؟ وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعاً كمن يعتقد فى الاستواء على العرش التمكن والاستقرار فإن خطر له مثلا فى القدوس أنه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك فى نفسه . . ولو استقر فى نفسه لانجر إلى كشف ثان وثالث ولتواصل . ولكن يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل . وقد يكون حقا ويكون أيضاً مانعا من الفهم والكشف لأن الحق الذى كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وغور باطن وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول إلى الغور الباطن ـ كما ذكرناه فى الفرق بين العلم الظاهر والباطن فى كتاب قواعد العقائد ـ ثالثها : أن يكون مصرا على ذنب أو متصفا بكبر أو مبتلى فى الجملة بهوى فى الدنيا مطاع فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه ، وهو كالخبث على المرآة فيمنع جلية الحق من أن يتجلى فيه وهو أعظم حجاب للقلب وبه حجب الأكثرون . وكلما كانت الشهوات أشد تراكما كانت معانى الكلام أشد احتجابا وكلما خف عن القلب أثقال الدنيا قرب تجلى المعنى فيه . فالقلب مثل المرآة والشهوات مثل الصدإ ومعانى القرآن مثل الصور التى تتراءى فى المرآة . والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إذا عظمت أمتى الدينار والدرهم نزع منها هيبة الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حرموا بركة الوحى [2] » قال الفضيل : يعنى حرموا فهم القرآن . وقد شرط الله عز وجل الإنابة فى الفهم والتذكير فقال تعالى (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) وقال عز وجل (وما يتذكر إلا من ينيب) وقال تعالى (إنما يتذكر أولو الألباب) فالذى آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة

---

(١) حديث « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى الملكوت » تقدم فى الصلاة

(٢) حديث « إذا عظمت أمتى الدينار والدرهم نزع منها هيبة الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف حرموا بركة الوحى » رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الأمر بالمعروف مفصلا من حديث الفضل بن عياض قال : ذكر عن نبى الله صلى الله عليه وسلم

فليس من ذوى الألباب ولذلك لاتنكشف له أسرار الكتاب . رابعها: أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقد أنه لامعنى لكلمات القرآن إلا ماتناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما . وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأى وأن من فسر القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار فهذا أيضاً من الحجب العظيمة . وسنبين معنى التفسير بالرأى فى الباب الرابع وأن ذلك لايناقض قول على رضى الله عنه إلا أن يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن . وأنه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلفت الناس فيه (السابع) التخصيص وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب فى القرآن فإن سمع أمرا أو نهيا قدر أنه المنهى والمأمور وإن سمع وعدا أو وعيدا فكمثل ذلك ، وإن سمع قصص الأولين والأنبياء علم أن السمر غير مقصود وإنما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه مايحتاج إليه فما من قصة فى القرآن إلا وسياقها لفائدة فى حق النبى صلى الله عليه وسلم وأمته . ولذلك قال تعالى ﴿ مانثبت به فؤادك ﴾ فليقدر العبد أن الله ثبت فؤاده بما يقصه عليه من أحوال الأنبياء وصبرهم على الإيذاء وثباتهم فى الدين لانتظار نصر الله تعالى . وكيف لا يقدر هذا والقرآن ماأنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ؟ ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال تعالى ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ﴾ وقال عز وجل ﴿ لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلاتعقلون وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم . كذلك يضرب الله للناس أمثالهم . واتبعوا أحسن ماأنزل إليكم من ربكم . هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون . هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ﴾ وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد فهذا القارئ الواحد مقصود فماله ولسائر الناس فليقدر أنه المقصود قال الله تعالى (وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ) قال محمد بن كعب القرظى : من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله . وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذى كتبه إليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه . ولذلك قال بعض العلماء : هـــذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا عز وجل بعهوده نتدبرها فى الصلوات ونقف عليها فى الخلوات وننفذها فى الطاعات والسنن المتبعات . وكان مالك بن دينار يقول: مازرع القرآن فى قلوبكم يا أهل القرآن إن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض . وقال قتادة : لم يجالس أحد هذا القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان قال تعالى ﴿ هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ﴾ (الثامن) التأثر وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره . ومهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه فإن التضييق غالب على آيات القرآن فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة إلا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلهـــا كقوله عز وجل (وإنى لغفار) ثم أتبع ذلك بأربعة شروط (لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) وقوله تعالى (والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) ذكر أربعة شروط وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال تعالى (إن رحمة الله قريب من المحسنين) فالإحسان يجمع الكل وهكذا من يتصفح القرآن من أوله إلى آخره . ومن فهم ذلك لجدير بأن يكون حاله الخشية والحزن . ولذلك قال الحسن: والله ماأصبح اليوم عبد يتلو القرآن يؤمن به إلا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته . وقال وهيب بن الورد نظرنا فى هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئاً أرق للقلوب ولاأشد استجلابا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره . فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت . وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من

الفرح . وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته . وعند ذكر الكفار مايستحيل على الله عز وجل كذكرهم لله عز وجل ولدا وصاحبة يغض صوته ويكسر فى باطنه حياء قبح مقالتهم . وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا إليها . وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا منها ، ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود « اقرأ على [1] قال : فافتتحت سورة النساء فلما بلغت ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ رأيت عينيه تذرفان بالدمع فقال لى : حسبك الآن » وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية . ولقد كان فى الخائفين من خر مغشيا عليه عند آيات الوعيد . ومنهم من مات فى سماع الآيات . فمثل هذه الأحوال يخرجه عن أن يكون حاكيا فى كلامه . فإذا قال ﴿ إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم ﴾ ولم يكن خائفا كان حاكيا . وإذا قال (عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير) ولم يكن حاله التوكل والإنابة كان حاكيا . وإذا قال (ولنصبرن على ما آذيتمونا) فليكن حاله الصبر أو العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة . فإن لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه فى قوله تعالى (ألا لعنة الله على الظالمين) وفى قوله تعالى (كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) وفى قوله عز وجل (وهم فى غفلة معرضون) وفى قوله (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا) وفى قوله تعالى (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) إلى غير ذلك من الآيات وكان داخلا فى معنى قوله عز وجل (ومنهم أميون لايعلمون الكتاب إلا أمانى) يعنى التلاوة المجردة وقوله عز وجل (وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) لأن القرآن هو المبين لتلك الآيات فى السموات والأرض ، ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضاً عنها . ولذلك قيل : إن من لم يكن متصفا بأخلاق القرآن فإذا قرأ القرآن ناداه الله تعالى : مالك ولكلامى وأنت معرض عنى دع عنك كلامى إن لم تتب إلى . ومثال العاصى إذا قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك فى كل يوم مرات وقد كتب إليه فى عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه ؛ فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان أبعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت . ولذلك قال يوسف بن أسباط : إنى لأهم بقراءة القرآن فإذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فاعدل إلى التسبيح والاستغفار . والمعرض عن العمل به أريد بقوله عز وجل (فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلا فبئس مايشترون) ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فإذا اختلفتم فلستم تقرءونه ـ وفى بعضها ـ فإذا اختلفتم فقوموا عنه [2] » قال الله تعالى (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون) وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذى إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « لايسمع القرآن من أحد أشهى ممن يخشى الله عز وجل [4] » يراد لاستجلاب هذه الأحوال إلى القلب والعمل به ؛ وإلا فالمؤنة فى تحريك اللسان بحروفه خفيفة . ولذلك قال بعض القراء : قرأت القرآن على شيخ لى ثم رجعت لأقرأ ثانياً فانتهرنى وقال جعلت القرآن على عملا اذهب فاقرأ على الله عز وجل . فانظر بماذا يأمرك وبماذا ينهاك . وبهذا كان شغل

---

(١) حديث « أنه قال لابن مسعود اقرأ على . . الحديث » تقدم فى الباب قبله (٢) حديث « اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرءونه ـ وفى بعضها ـ فاذا اختلفتم فقوموا عنه » متفق عليه من حديث جندب ابن عبد الله البجلى فى اللفظ الثانى دون قوله « ولانت جلودكم » (٣) حديث « إن أحسن الناس صوتا بالقرآن الذى إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى » أخرجه ابن ماجه بسند ضعيف (٤) حديث « لا يسمع القرآن من أحد أشهى ممن يخشى الله تعالى » رواه أبو عبد الله الحاكم فيما ذكره أبو القاسم الغافقى فى كتاب فضائل القرآن

الصحابة رضى الله عنهم فى الأحوال والأعمال . فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة اختلف فى اثنين منهم . وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين . وكان الذى يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم [1] ولما جاء واحد ليتعلم القرآن فانتهى إلى قوله عز وجل (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره[2]) قال : يكفى هذا وانصرف . فقال صلى الله عليه وسلم : انصرف الرجل وهو فقيه . وإنما العزيز مثل تلك الحالة التى منّ الله عز وجل بها على قلب المؤمن عقيب فهم الآية . فأما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى . بل التالى باللسان المعرض عن العمل جدير بأن يكون هو المراد بقوله تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فإنّ له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) وبقوله عز وجل (كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) أى تركتها ولم تنظر إليها ولم تعبأ بها فإن المقصر فى الأمر يقال إنه نسى الأمر وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب ، لحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعانى وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالازجار والائتمار . فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ . (التاسع) الترقى : وأعنى به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لا من نفسه ، فدرجات القراءة ثلاث ، أدناها : أن يقدر العبد كأنه يقرؤه على الله عز وجل واقفا بين يديه وهو ناظر إليه ومستمع منه ، فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال . الثانية : أن يشهد بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بألطافه ويناجيه بإنعامه وإحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والإصغاء والفهم . الثالثة : أن يرى فى الكلام المتكلم وفى الكلمات الصفات فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ولا إلى تعلق الإنعام به من حيث إنه منعم عليه بل يكون مقصورا الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره . وهذه درجة المقربين وما قبله درجة أصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين . وعن الدرجة العليا أخبر جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه قال : والله لقد تجلى الله عز وجل لخلقه فى كلامه ولكنهم لا يبصرون . وقال أيضا وقد سألوه عن حالة لحقته فى الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سرى عنه قيل له فى ذلك فقال : ما زلت اردد الآية على قلبى حتى سمعتها من المتكلم

---

(١) حديث « مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم عن عشرين ألفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم الا ستة ـ اختلف فى اثنين منهم ـ وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذى يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم » قلت : قوله « مات عن عشرين ألفا » لعله أراد بالمدينة والا فقد رويا عن أبى زرعه الرازى أنه قال : قبض عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه انتهى . وأما من حفظ القرآن فى عهده ففى الصحيحين من حديث أنس قال « جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة ـ كلهم من الأنصار ـ أبى بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد وأبو زيد » قلت : ومن أبو زيد ؟ قال . أحد عمومتى » وزاد بن أبى شيبه كالمصنف من رواية الشعبى مرسلا وأبو الدرداء وسعيد بن عبيد وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو « استقرئوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبى حذيفة ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب » وروى ابن الأنبارى بسنده الى عمر قال « كان الفاضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدر هذه الأمة من يحفظ من القرآن السور ونحوها ... الحديث » وسنده ضعيف وللترمذى وحسنه من حديث أبى هريرة قال « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم ذو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل مامعه من القرآن فأتى على رجل من أحدثهم سنا فقال مامعك يافلان ؟ قال معى كذا وكذا ، وسورة البقرة فقال : أمعك سورة البقرة ؟ قال نعم ، قال : اذهب فأنت أميرهم ... الحديث » (٢) حديث « الرجل الذى جاء ليتعلم فانتهى الى قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) فقال يكفنى هذا وانصرف ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : انصرف الرجل وهو فقيه » أخرجه أبوداود والنسائى فى الكبرى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو قال « أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرئنى يارسول الله ... الحديث » وفيه « فأقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت حتى فرغ منها فقال الرجل : والذى بعثك بالحق لاأزيد عليهما أبدا . ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلح الرويجل أفلح الرويجل » ولأحمد والنسائى فى الكبرى من حديث صعصعة عم الفرزدق أنه صاحب القصة فقال « حسبى لاأبالى أن لاأسمع غيرها » .

بها فلم يثبت جسمى لمعاينة قدرته ، فى مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة . ولذلك قال بعض الحكماء : كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأنى أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على أصحابه ، ثم رفعت إلى مقام فوقه كنت أتلوه كأنى أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله عليه وسلم ، ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا أصبر عنه . وقال عثمان وحذيفة رضى الله عنهما : لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن ، وإنما قالوا ذلك لأنها بالطهارة تترقى إلى مشاهدة المتكلم فى الكلام . ولذلك قال ثابت البنانى : كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة . وبمشاهدة المتكلم دون ماسواه يكون العبد ممتثلا لقوله عز وجل ﴿ ففروا إلى الله ﴾ ولقوله ﴿ ولا تجعلوا مع الله إلها آخر ﴾ فمن لم يره فى كل شىء فقد رأى غيره وكل ماالتفت إليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيئا من الشرك الخفى ، بل التوحيد الخالص أن لايرى فى كل شىء إلا الله عز وجل . (العاشر) التبرى : وأعنى به أن يتبرأ من حوله وقوته والالتفات إلى نفسه بين الرضا والتزكية . فإذا تلا بآيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوف إلى أن يلحقه الله عز وجل بهم ، وإذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد على نفسه هناك وقدر أنه المخاطب خوفا وإشفاقا . ولذلك كان ابن عمر رضى الله عنهما يقول : اللهم إنى أستغفرك لظلمى وكفرى ، فقيل له : هذا الظلم فما بال الكفر ؟ فتلا قوله عز وجل (إن الإنسان لظلوم كفار) وقيل ليوسف ابن أسباط : إذا قرأت القرآن بماذا تدعو ، فقال : بماذا أدعو أستغفر الله عز وجل من تقصيرى سبعين مرة . فإذا رأى نفسه بصورة التقصير فى القراءة كان رؤيته سبب قربه . فإن من شهد البعد فى القرب لطف به فى الخوف حتى يسوقه الخوف إلى درجة أخرى فى القرب وراءها . ومن شهد القرب فى البعد مكربه بالأمن الذى يفضيه إلى درجة أخرى فى البعد أسفل مما هو فيه . ومهما كان مشاهدا نفسه بعين الرضا صارا محجوبا بنفسه ، فإذا جاوز حد الالتفات إلى نفسه ولم يشاهد إلا الله تعالى فى قراءته كشف له سر الملكوت . قال أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه : وعد ابن ثوبان أخاله أن يفطر عنده فأبطأ عليه حتى طلع الفجر فلقيه أخوه من الغد فقال له : وعدتنى أنك تفطر عندى فأخلفت فقال لولا ميعادى معك ما أخبرتك الذى حبسنى عنك ! إنى لما صليت العتمة قلت . أوتر قبل أن أجيئك لأنى لا آمن مايحدث من الموت فلما كنت فى الدعاء من الوتر رفعت إلى روضة خضراء فيها أنواع الزهر من الجنة فمازلت أنظر إليها حتى أصبحت . وهذه المكاشفات لاتكون إلا بعد التبرى عن النفس وعدم الالتفات إليها وإلى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب أحوال المكاشف فحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عيانا وإن غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها . وذلك لأن كلام الله عز وجل يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب أوصافه ، إذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش . فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب فى اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بأمر يناسب تلك الحالة ويقاربها ؛ إذ يستحيل أن يكون حالة المستمع واحدا والمسموع مختلفا إذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالى وكلام حنان متعطف لايهمل .

الباب الرابع : فى فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل

لعلك تقول : عظمت الأمر فيما سبق فى فهم أسرار القرآن وما ينكشف لأرباب القلوب الزكية من معانيه

فكيف يستحب ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار [١] » ؟ وعن هذا شنع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل التصوف من المقصرين المنسوبين إلى التصوف فى تأويل كلمات فى القرآن على خلاف مانقل عن ابن عباس وسائر المفسرين وذهبوا إلى أنه كفر فإن صح ماقاله أهل التفسير فما معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره ؟ وإن لم يصح ذلك فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » ؟ فاعلم أن من زعم أن لامعنى للقرآن إلا ماترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب فى الإخبار عن نفسه ، ولكنه مخطئ فى الحكم برد الخلق كافة إلى درجته التى هى حده ومحطه بل الأخبار والآثار تدل على أن فى معانى القرآن متسعا لأرباب الفهم [٢] قال على رضى الله عنه : إلا أن يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن . فإن لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم ؟ وقال صلى الله عليه وسلم « إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا [٣] » ، ويروى أيضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير . فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع ؟ وقال على كرم الله وجهه : لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب . فما معناه وتفسير ظاهرها فى غاية الاقتصار ؟ وقال أبو الدرداء . لايفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها . وقد قال بعض العلماء : لكل آية ستون ألف فهم ومابقى من فهمها أكثر . وقال آخرون : القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتى علم إذ كل كلمة علم . ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع . وترديد رسول الله صلى الله عليه وسلم « بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة [٤] » لايكون إلا لتدبره باطن معانيها وإلا فترجمتها وتفسيرها ظاهر لايحتاج مثله إلى تكرير . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن . وذلك لايحصل بمجرد تفسير الظاهر . وبالجملة فالعلوم كلها داخلة فى أفعال الله عز وجل وصفاته ، وفى القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته : وهذه العلوم لانهاية لها ، وفى القرآن إشارة إلى مجامعها . والمقامات فى التعمق فى تفصيله راجع إلى فهم القرآن . ومجرد ظاهره التفسير لايشير إلى ذلك ، بل كل ماأشكل فيه على النظار واختلف فيه الخلائق فى النظريات والمعقولات ففى القرآن إليه رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها . فكيف يفى بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ؟ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « اقرءوا القرآن والتمسوا غرائبه [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث على كرم الله وجهه « والذى بعثنى بالحق نبيا ليفترقن أمتى عن أصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون إلى النار فإذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله عز وجل فإن فيه نبأ من كان قبلكم ونبأ ما يأتى بعدكم وحكم مابينكم ، من خالفه من الجبابرة قصمه الله عز وجل ومن ابتغى العلم فى غيره أضله الله عز وجل وهو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاؤه النافع ، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لايعوج فيقوم ولايزيغ فيستقيم ولاتنقضى عجائبه ولا يخلقه كثرة الترديد [٦] »

الباب الرابع : فى فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل

(١) حديث « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » تقدم فى الباب الثالث من العلم (٢) حديث « الأخبار والآثار الدالة على أن فى معانى القرآن متسعا لارباب الفهم » تقدم قول على فى الباب « إلا أن يؤتى الله عبدا فهما فى كتابه » .

(٣) حديث « إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا » تقدم فى قواعد العقائد (٤) حديث « تكرير النبى صلى الله عليه وسلم البسملة عشرين مرة » تقدم فى الباب قبله .

(٥) حديث « اقرءوا القرآن والتمسوا غرائبه » أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف وأبو يعلى الموصلى والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بلفظ « أعربوا » وسنده ضعيف (٦) حديث على « والذى بعثنى بالحق لتفترقن أمتى على أصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعو إلى النار فإذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله فإن فيه نبأ من كان قبلكم ... الحديث » بطوله هو عند الترمذى دون ذكر افتراق الامة بلفظ « ألا إنها ستكون فتنة مضلة فقلت ما المخرج منها يارسول الله قال كتاب الله فيه نبأ من كان قبلكم » فذكره مع اختلاف وقال غريب وإسناده مجهول

الحديث وفى حديث حذيفة « لما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاختلاف والفرقة بعده قال : فقلت يارسول الله فماذا تأمرنى إن أدركت ذلك ؟ فقال : تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك ، قال : فأعدت عليه ذلك ثلاثا ، فقال صلى الله عليه وسلم ثلاثا . تعلم كتاب الله عز وجل واعمل بما فيه ففيه النجاة [1] » وقال على كرم الله وجهه : من فهم القرآن فسر به جمل العلم ، أشار به إلى أن القرآن يشير إلى مجامع العلوم كلها ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ﴾ يعنى الفهم فى القرآن . وقال عز وجل ﴿ ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما ﴾ سمى ما آتاهما علما وحكما وخصص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم وجعله مقدما على الحكم والعلم . فهذه الأمور تدل على أن فى فهم معانى القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغا وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه . فأما قوله صلى الله عليه وسلم : « من فسر القرآن برأيه » ونهيه عنه [2] صلى الله عليه وسلم وقول أبى بكر رضى الله عنه أى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى إذا قلت فى القرآن برأيى ؟ إلى غير ذلك مما ورد فى الأخبار والآثار فى النهى عن تفسير القرآن بالرأى ، فلا يخلو إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم . أو المراد به أمرا آخر ، وباطل قطعا أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد فى القرآن إلا بما يسمعه لوجوه (أحدها) انه يشترط أن يكون ذلك مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسندا إليه وذلك مما لا يصادف إلا فى بعض القرآن . فأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهم فينبغى أن لا يقبل ويقال هو تفسير بالرأى لأنهم لم يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا غيرهم من الصحابة رضى الله عنهم . (والثانى) أن الصحابة والمفسرين اختلفوا فى تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها ، وسماع جميعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال ، ولو كان الواحد مسموعا لرد الباقى ، فتبين على القطع أن كل مفسر قال فى المعنى بما ظهر له باستنباطه ، حتى قالوا فى الحروف التى فى أوائل السور سبعة أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها فقيل : إن « الر » هى حروف من الرحمن ، وقيل إن الألف الله واللام لطيف والراء رحيم وقيل غير ذلك . والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعا ؟ (والثالث) أنه صلى الله عليه وسلم « دعا لابن عباس رضى الله عنه وقال : اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل [3] » فإن كان التأويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك ؟ (والرابع) أنه قال عز وجل (لعلمه الذى يستنبطونه منهم) فأثبت لأهل العلم استنباطا ، ومعلوم أنه وراء السماع . وجملة ما نقلناه من الآثار فى فهم القرآن يناقض هذا الخيال فبطل أن يشترط السماع فى التأويل ، وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله . وأما النهى فإنه ينزل على أحد وجهين ، أحدهما : أن يكون له فى الشىء رأى وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ، ولو لم يكن له ذلك الرأى والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى . وهذا تارة يكون مع العلم كالذى يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم انه ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه . وتارة يكون مع الجهل ولكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذى

---

(١) حديث حذيفة فى الاختلاف والفرقة بعده « فقلت ماتأمرنى ان أدركت ذلك ؟ قال : تعلم كتاب الله واعمل بما فيه ... الحديث » أخرجه أبو داود والنسائى فى الكبرى وفيه « تعلم كتاب الله واتبع ما فيه — ثلاث مرات — »

(٢) حديث « النهى عن تفسير القرآن بالرأى » غريب . (٣) حديث دعائه لابن عباس « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » تقدم فى الباب الثانى من العلم .

يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه ، فيكون قد فسر برأيه أى رأيه هو الذى حمله على ذلك التفسير ، ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه . وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه مما يعلم أنه ما أريد به كمن يدعو إلى الاستغفار بالأسحار فيستدل بقوله صلى الله عليه وسلم «تسحروا فان فى السحور بركة»[1] ، ويزعم أن المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم أن المراد به الأكل ، وكالذى يدعو إلى مجاهدة القلب القاسى فيقول قال الله عز وجل ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ ويشير إلى قلبه ويومئ إلى أنه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ فى المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع . وقد تستعمله الباطنية فى المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعا أنها غير مرادة به . فهذه الفنون أحد وجهى المنع من التفسير بالرأى .. ويكون المراد بالرأى الرأى الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والرأى يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص باسم الرأى . والوجه الثانى أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير . فمن لم يحكم بظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعانى بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل فى زمرة من يفسر بالرأى . فالنقل والسماع لا بد منه فى ظاهر التفسير أولا ليتقى به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط . والغرائب التى لا تفهم إلا بالسماع كثيرة ، ونحن نرمز إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها ويعلم أنه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولا . ولا مطمع فى الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر . ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعى البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب . أو يدعى فهم مقاصد الأتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك . فان ظاهر التفسير يجرى مجرى تعليم اللغة التى لا بد منها للفهم . وما لا بد فيه من السماع فنون كثيرة : منها الإيجاز بالحذف والإضمار كقوله تعالى ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها﴾ معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها ، فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ، ولم يدر أنهم بماذا ظلموا غيرهم أو أنفسهم . وقوله تعالى ﴿وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم﴾ أى حب العجل ، فحذف الحب وقوله عز وجل ﴿إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات﴾ أى ضعف عذاب الأحياء وضعف عذاب الموتى فحذف العذاب ، وأبدل الأحياء والموتى بذكر الحياة والموت وكل ذلك جائز فى فصيح اللغة . وقوله تعالى (واسئل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها) أى أهل العير فالأهل فيهما محذوف مضمر . وقوله عز وجل (ثقلت فى السموات والأرض) معناه خفيت على أهل السموات والأرض والشىء إذا خفى ثقل فأبدل اللفظ به وأقيم (فى) مقام (على) وأضمر الأهل وحذف . وقوله تعالى (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) أى شكر رزقكم وقوله عز وجل (آتنا ما وعدتنا على رسلك) أى على ألسنة رسلك فحذف ألسنة وقوله تعالى (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) أراد القرآن وما سبق له ذكر . وقال عز وجل (حتى توارت بالحجاب) أراد الشمس وما سبق لها ذكر . وقوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) أى يقولون ما نعبدهم . وقوله عز وجل (فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) معناه لا يفقهون حديثا يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله فان لم يرد هذا كان مناقضا لقوله (قل كل من عند الله) وسبق إلى الفهم منه مذهب القدرية . ومنها المنقول المنقلب كقوله تعالى (وطور سينين) أى طور

(١) حديث « تسحروا فإن فى السحور بركة » تقدم فى الباب الثالث من العلم .

سيناء (سلام على آل ياسين) أى على الياس وقيل إدريس ، لأن فى حرف ابن مسعود ﴿ سلام على إدراسين ﴾ ومنها المكرر القاطع لوصل الكلام فى الظاهر كقوله عز وجل ﴿ وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن ﴾ وقوله عز وجل ﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم ﴾ معناه: الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا ومنها المقدم والمؤخر وهو مظنة الغلط كقوله عز وجل ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى ﴾ معناه لولا الكلمة وأجل مسمى لكان لزاما ولولاه لكان نصبا كاللزام وقوله تعالى ﴿ يسألونك كأنك حفى عنها ﴾ أى يسألونك عنها كأنك حفى بها وقوله عز وجل (لهم مغفرة ورزق كريم كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) فهذا الكلام غير متصل وإنما هو عائد إلى قوله السابق (قل الانفال لله والرسول - كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) أى فصارت أنفال الغنائم لك إذ أنت راض بخروجك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الأمر بالتقوى وغيره ومن هذا النوع قوله عز وجل (حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه) الآية . ومنها المبهم وهو اللفظ المشترك بين معان من كلمة أو حرف . أما الكلمة فكالشىء والقرين والأمة والروح ونظائرها قال الله تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شىء) أراد به النفقة مما رزق وقوله عز وجل (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شىء) أى الأمر بالعدل والاستقامة وقوله عز وجل (فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء) أراد به من صفات الربوبية ، وهو العلوم التى لا يحل السؤال عنها حتى يبتدئ بها العارف فى أوان الاستحقاق . وقوله عز وجل (أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون) أى من غير خالق فربما يتوهم به أنه يدل على أنه لا يخلق شىء إلا من شىء . وأما القرين فكقوله عز وجل ﴿ وقال قرينه هذا ما لدى عتيد ألقيا فى جهنم كل كفار ﴾ أراد به الملك الموكل به وقوله تعالى (قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان) أراد به الشيطان . وأما الأمة فتطلق على ثمانية أوجه ، الأمة : الجماعة كقوله تعالى (وجد عليه أمة من الناس يسقون) وأتباع الأنبياء كقولك عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ورجل جامع للخير يقتدى به كقوله تعالى (إن ابراهيم كان أمة قانتا لله) والأمة : الدين كقوله عز وجل (إنا وجدنا آباءنا على أمة) والأمة : الحين والزمان كقوله عز وجل ﴿ إلى أمة معدودة ﴾ وقوله عز وجل (وادّكر بعد أمة) والأمة : القامة يقال فلان حسن الأمة أى القامة ، وأمة : رجل منفرد بدين لا يشركه فيه أحد قال صلى الله عليه وسلم « يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده [1] » ، والأمة يقال هذه أمة زيد أى أم زيد . والروح أيضا ورد فى القرآن على معان كثيرة فلا نطول بإيرادها . وكذلك قد يقع الإبهام فى الحروف مثل قوله عز وجل (فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا) فالهاء الأولى : كناية عن الحوافر وهى المسوريات أى أثرن بالحوافر نقعا والثانية : كناية عن الإغارة وهى المغيرات صبحا فوسطن به جمعا جمع المشركون فأغاروا بجمعهم وقوله تعالى (فأنزلنا به الماء) يعنى السحاب ﴿ فأخرجنا به من كل الثمرات ﴾ يعنى الماء . وأمثال هذا فى القرآن لا ينحصر . ومنها التدريج فى البيان كقوله عز وجل ﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ﴾ إذ لم يظهر به أنه ليل أو نهار، وبان بقوله عز وجل (إنا أنزلناه فى ليلة مباركة) ولم يظهر به أى ليلة فظهر بقوله تعالى (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) وربما يظن فى الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات ، فهذا وأمثاله مما لا يغنى فيه إلا النقل والسماع فالقرآن من أوله إلى آخره غير خال عن هذا الجنس لأنه أنزل بلغة العرب فكان مشتملا على أصناف كلامهم من إيجاز وتطويل وإضمار وحذف وإبدال وتقديم وتأخير ، ليكون ذلك مفحما لهم ومعجزا فى حقهم . فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر إلى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسماع والنقل فى هذه الأمور فهو داخل فيمن فسر القرآن برأيه . مثل أن يفهم من الأمة المعنى الأشهر منه فيميل طبعه ورأيه اليه فاذا سمعه فى موضع آخر مال برأيه إلى ما سمعه من مشهور

(١) حديث « يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده » أخرجه النسائى فى الكبرى من حديث زيد بن حارثة وأسماء بنت أبى بكر بإسنادين جيدين

معناه وترك تتبع النقل فى كثير معانيه فهذا مايمكن أن يكون منهيا عنه دون التفهم لأسرار المعانى ـ كما سبق ـ فإذا حصل السماع بأمثال هذه الأمور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الألفاظ . ولا يكفى ذلك فى فهم حقائق المعانى . ويدرك الفرق بين حقائق المعانى وظاهر التفسير بمثال : وهو أن الله عز وجل قال ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ فظاهره تفسير واضح وحقيقة معناه غامض . فإنه إثبات للرمى ونفى له . وهما متضادان فى الظاهر مالم يفهم أنه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذى لم يرم رماه الله عز وجل . وكذلك قال تعالى ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ﴾ فإذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله سبحانه هو المعذب ؟ وإن كان الله تعالى هو المعذب بتحريك أيديهم فما معنى أمرهم بالقتال ؟ فحقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات لايغنى عنه ظاهر التفسير وهو أن يعلم وجه ارتباط الأفعال بالقدرة الحادثة . ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله عز وجل حتى ينكشف ـ بعد إيضاح أمور كثيرة غامضة ـ صدق قوله عزوجل ﴿ ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ ولعل العمر لوأنفق فى استكشاف أسرار هذا المعنى ومايرتبط بمقدماته ولواحقه لانقضى العمر قبل استيفاء جميع لواحقه ومامن كلمة من القرآن إلا وتحقيقها محوج إلى مثل ذلك . وإنما ينكشف للراسخين فى العلم من أسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب . ويكون لكل واحد حد فى الترقى إلى درجة أعلى منه . فأما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مداداً والأشجار أقلاما فأسرار كلمات الله لانهاية لها فتنفد الأبحر قبل أن تنفد كلمات الله عزوجل . فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق فى الفهم بعد الاشتراك فى معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لايغنى عنه . ومثاله فهم بعض أرباب القلوب من قوله صلى الله عليه وسلم فى سجوده أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك [1] » أنه قبل له اسجد واقترب فوجد القرب فى السجود فنظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض ؛ فإن الرضا والسخط وصفان ثم زاد قربه فاندرج القرب الأول فيه فرقى إلى الذات فقال « أعوذ بك منك » ثم زاد قربه بما استحيا به من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء فأثنى بقوله « لاأحصى ثناء عليك » ثم علم أن ذلك قصور فقال « أنت كما أثنيت على نفسك » فهذه خواطر تفتح لأرباب القلوب . ثم لها أغوار وراء هذا وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به . وأسرار ذلك كثيرة : ولا يدل تفسير ظاهر عليه وليس اللفظ هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول إلى لبابه عن ظاهره فهذا ما نورده لفهم المعانى الباطنة لاما يناقض الظاهر والله أعلم . تم كتاب : آداب التلاوة . والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين وعلى آل محمد وصحبه وسلم . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب : الأذكار والدعوات . والله المستعان لارب سواه .

كتاب الأذكار والدعوات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الشاملة رأفته العامة رحمته الذى جازى عباده عن ذكرهم بذكرهم فقال تعالى (فاذكرونى أذكركم)

---

(١) حديث « قوله صلى الله عليه وسلم فى سجوده أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث عائشة .

ورغبهم فى السؤال والدعاء بأمره فقال (ادعونى أستجب لكم) فأطمع المطيع والعاصى والدانى والقاصى فى الانبساط إلى حضرة جلاله برفع الحاجات والأمانى بقوله (فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) والصلاة على محمد سيد أنبيائه وعلى آله وأصحابه خيرة أصفيائه وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد : فليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل عبادة تؤدى باللسان أفضل من ذكر الله تعالى ورفع الحاجات بالأدعية الخالصة إلى الله تعالى . فلابد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل فى أعيان الأذكار . وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه ونقل المأثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها . ويتحرر المقصود من ذلك بذكر أبواب خمسة (الباب الأول) فى فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلا (الباب الثانى) فى فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . الباب الثالث) فى أدعية مأثورة ومعزية إلى أصحابها وأسبابها (الباب الرابع) فى أدعية منتخبة محذوفة الإسناد من الأدعية المأثورة (الباب الخامس) فى الأدعية المأثورة عند حدوث الحوادث .

الباب الأول : فى فضيلة الذكر وفائدته على الجملة والتفصيل من الآيات والاخبار والآثار

ويدل على فضيلة الذكر على الجملة من الآيات : قوله سبحانه وتعالى (فاذكرونى أذكركم) قال ثابت البنانى رحمه الله : إنى أعلم متى يذكرنى ربى عز وجل ، ففزعوا منه وقالوا : كيف تعلم ذلك ؟ فقال: إذا ذكرته ذكرنى . وقال تعالى (اذكروا الله ذكرا كثيرا) وقال تعالى (فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم) وقال عز وجل (فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا) وقال تعالى (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) وقال تعالى (فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) قال ابن عباس رضى الله عنهما : أى بالليل والنهار فى البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية . وقال تعالى فى ذم المنافقين (ولا يذكرون الله إلا قليلا) وقال عز وجل (واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) وقال تعالى (ولذكر الله أكبر) قال ابن عباس رضى الله عنهما : له وجهان أحدهما أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه ، والآخر : أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه . إلى غير ذلك من الآيات . وأما الأخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله فى الغافلين كالشجرة فى وسط الهشيم [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل بين الفارين » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل أنا مع عبدى ماذكرنى وتحركت شفتاه بى [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « ماعمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل ، قالوا يارسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد فى سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم

كتاب الأذكار والدعوات

الباب الأول : فى فضيلة الذكر

(١) حديث « ذاكر الله فى الغافلين كالشجرة الخضراء فى وسط الهشيم » أخرجه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقال « فى وسط الشجر » الحديث . (٢) حديث « يقول الله تعالى أنا مع عبدى ماذكرنى وتحركت بى شفتاه » أخرجه البيهقى وابن حبان من حديث أبى هريرة والحاكم من حديث أبى الدرداء وقال صحيح الإسناد

تضرب به حتى ينقطع ، ثم تضرب به حتى ينقطع [١] فقال صلى الله عليه وسلم « من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل [٢] » وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أى الأعمال أفضل ؟ فقال : أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسى وليس عليك خطيئة [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « لذكر الله عز وجل بالغداة والعشى أفضل من حطم السيوف فى سبيل الله ومن إعطاء المال سحا [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تبارك وتعالى إذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملئه وإذا تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا وإذا تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا وإذا مشى إلى هرولت إليه [٦] » يعنى بالهرولة سرعة الإجابة . وقال صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله عزوجل فى ظله يوم لاظل إلا ظله - من جملتهم - رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله [٧] » وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم قالوا وماذاك يارسول الله ؟ قال ذكر الله عزوجل دائما [٨] » وقال صلى الله عليه وسلم « قال الله عزوجل من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ماأعطى السائلين [٩] » وأما الآثار : فقد قال الفضيل : بلغنا أن الله عزوجل قال عبدى اذكرنى بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك مابينهما . وقال بعض العلماء : إن الله عزوجل يقول أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه . وقال الحسن الذكر ذكران ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ماحرم الله عز وجل . ويروى « إن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا ذاكر الله عز وجل » وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه : ليس يتحسر أهل الجنة على شىء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها ، والله تعالى أعلم .

---

(١) حديث « ماعمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يارسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع - ثلاث مرات » أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف والطبرانى من حديث معاذ بإسناد حسن (٢) حديث « من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى » أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف والطبرانى من حديث معاذ بسند ضعيف ورواه الطبرانى فى الدعاء من حديث أنس وهو عند الترمذى بلفظ « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » وقد تقدم فى الباب الثالث من العلم (٣) حديث « سئل أى الأعمال أفضل ؟ قال أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى » أخرجه ابن حبان والطبرانى فى الدعاء والبيهقى فى الشعب من حديث معاذ

(٤) حديث « أمس وأصبح ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسى وليس عليك خطيئة » أخرجه أبو القاسم الأصبهانى فى الترغيب والترهيب من حديث أنس « من أصبح وأمسى ولسانه رطب من ذكر الله يمسى ويصبح وليس عليه خطيئة » وفيه من لايعرف (٥) حديث « لذكر الله بالغداة والعشى أفضل من حطم السيوف فى سبيل الله ومن إعطاء المال سحا » رويناه من حديث أنس بسند ضعيف فى الأصل وهو معروف من قول ابن عمر كما رواه ابن عبد البر فى التمهيد .

(٦) حديث « قال الله عزوجل إذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة .

(٧) حديث « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلا ظله - من جملتهم - رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » متفق عليه من حديث أبى هريرة أيضاً (٨) حديث « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم ... الحديث » أخرجه الترمذى والحاكم وابن ماجه وصحح إسناده من حديث أبى الدرداء (٩) حديث « قال الله تعالى من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » أخرجه البخارى فى التاريخ والبزار فى المسند والبيهقى فى الشعب من حديث عمر بن الخطاب وفيه صفوان بن أبى الصفا ذكره ابن حبان فى الضعفاء وفى الثقات أيضاً

فضيـــلة مجالس الذكر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماجلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده [١] » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لايريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفوراً لكم قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات [٢] » وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم « ماقعد قوم مقعداً لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة [٣] » وقال داود صلى الله عليه وسلم: إلهى إذا رأيتنى أجاوز مجالس الذاكرين إلى مجالس الغافلين فاكسر رجلى دونهم فإنها نعمة تنعم بها على . وقال صلى الله عليه وسلم « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفى ألف مجلس من مجالس السوء [٤] » وقال أبو هريرة رضى الله عنه إن أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض التى يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم . وقال سفيان بن عيينة رحمه الله إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا : ألا ترين مايصنعون ؟ فتقول الدنيا : دعهم فإنهم إذا تفرقوا أخذت بأعناقهم إليك . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه دخل السوق وقال : أراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فى المسجد ؟ فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا ، فقالوا : يا أبا هريرة مارأينا ميراثا يقسم فى المسجد ؟ قال : فماذا رأيتم ؟ قالوا : رأينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرءون القرآن ، قال . فذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم [٥] وروى الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن لله عز وجل ملائكة سياحين فى الأرض فضلا عن كتاب الناس فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم إلى السماء فيقول الله تبارك وتعالى . أى شىء تركتم عبادى يصنعونه فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك فيقول الله تبارك وتعالى وهل رأونى فيقولون لافيقول جل جلاله كيف لو رأونى فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسبيحاً وتحميدا وتمجيدا . فيقول لهم من أى شىء يتعوذون فيقولون من النار فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول الله عز وجل فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد هرباً منها وأشد نفورا . فيقول الله عز وجل وأى شىء يطلبون فيقولون الجنة فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول تعالى فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصاً . فيقول جل جلاله إنى أشهدكم أنى قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم إنما جاء لحاجة فيقول الله عز وجل هم القوم لايشقى جليسهم [٦] » .

---

(١) حديث « ماجلس قوم مجلسا يذكرون الله تعالى إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة (٢) حديث « مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لايريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات » أخرجه أحمد وأبو يعلى والطبرانى بسند ضعيف من حديث أنس (٣) حديث « ماقعد قوم مقعدا لم يذكروا الله ولم يصلوا على النبى صلى الله عليه وسلم فيه إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة » أخرجه الترمذى وحسنه من حديث أبى هريرة . (٤) حديث « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفى ألف مجلس من مجالس السوء » ذكره صاحب الفردوس من حديث ابن وداعه وهو مرسل ولم يخرجه ولده وكذلك لم أجد له إسنادا (٥) حديث أبى هريرة « أنه دخل السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فى المسجد فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى المعجم الصغير بإسناد فيه جهالة أو انقطاع

(٦) حديث الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة أو أبى سعيد الخدرى عنه صلى الله عليه وسلم « أنه قال إن لله عز وجل ملائكة سياحين فى الأرض فضلا عن كتاب الناس ... الحديث » رواه الترمذى من هذا الوجه والحديث فى الصحيحين من حديث أبى هريرة وحده وقد تقدم فى الباب الثالث من العلم .

فضيلة التهليل

قال صلى الله عليه وسلم « أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له [١] » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى قبورهم ولا فى نشورهم كأنى أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رءوسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً لأبى هريرة « يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامه إلا شهادة أن لا إله إلا الله فإنها لاتوضع فى ميزان ، لأنها لو وضعت فى ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والأرضون السبع ومافيهن كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم (لو جاء قائل لا إله إلا الله صادقا بقراب الأرض ذنوبا لغفر الله له ذلك [٦]) وقال صلى الله عليه وسلم (ياأبا هريرة لقن الموتى شهادة أن لا إله إلا الله فإنها تهدم الذنوب هدما ، قلت يارسول الله هذا للموتى فكيف للأحياء قال صلى الله عليه وسلم : هى أهدم وأهدم [٧]) وقال صلى الله عليه وسلم (من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة [٨]) وقال صلى الله عليه وسلم (لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد عن الله عز وجل شراد البعير عن أهله فقيل يا رسول الله من الذى يأبى ويشرد عن الله قال من لم يقل لا إله إلا الله [٩]) فأكثروا من قول لا إله إلا الله قبل أن

---

(١) حديث « أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله ... الحديث » تقدم فى الباب الثانى من الحج

(٢) حديث « من قال لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة . . الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة (٣) حديث « مامن عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله ... الحديث » أخرجه من حديث عقبة بن عامر وقد تقدم فى الطهارة .

(٤) حديث « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى قبورهم ولا فى النشور .. الحديث » أخرجه أبو يعلى والطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٥) حديث « ياأبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة الا شهادة أن لا إله إلا الله فإنها لاتوضع فى ميزان ؟ لانها لووضعت فى ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والأرضون السبع ومافيهن كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك » قلت وصية أبى هريرة هذه موضوعة . وآخر الحديث رواه المستغفرى فى الدعوات « ولو جعلت لا إله إلا الله » وهو معروف من حديث أبى سعيد مرفوعا « لو أن السموات السبع والأرضين السبع فى كفة مالت بهن لا إله إلا الله » رواه النسائى فى اليوم والليلة وابن حبان والحاكم وصححه .

(٦) حديث « لوجاء حامل لا إله إلا الله صادقا بقراب الأرض ذنوبا لغفر الله له » غريب بهذا اللفظ . وللترمذى فى حديث لأنس « يقول الله يابن آدم إنك لوأتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لاتشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة » ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث أنس « يارب ماجزاء من هلل مخلصا من قلبه قال جزاؤه أن يكون كيوم ولدته أمه من الذنوب » وفيه انقطاع .

(٧) حديث « ياأبا هريرة لقن الموتى شهادة أن لا اله الا الله فانها تهدم الذنوب ... الحديث » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق ابن المقرى من حديث أبى هريرة وفيه موسى ابن وردان مختلف فيه ورواه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف ورواه ابن أبى الدنيا فى المحتضرين من حديث الحسن مرسلا (٨) حديث « من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة » أخرجه الطبرانى من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف (٩) حديث « لتدخلن الجنة كلكم الامن أبى وشرد على الله شرود البعير على أهله » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة « كل أمتى يدخلون الجنة الا من أبى » زاد الحاكم وصححها « وشرد على الله شرود البعير على أهله » قال البخارى « قالوا يارسول الله ومن يأبى قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى » ولابن عدى وأبى يعلى والطبرانى فى الدعاء من حديثه « أكثروا من قول لا اله الا الله قبل أن يحال بينكم وبينها » وفيه ابن وردان أيضاً ، ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث الحكم بن عمير الثمالى مرسلا « اذا قلت لا اله الا الله وهى كلمة =

يحال بينكم وبينها فإنها كلمة التوحيد وهى كلمة الإخلاص وهى كلمة التقوى وهى كلمة طيبة وهى دعوة الحق وهى العروة الوثقى وهى ثمن الجنة ، وقال الله عز وجل ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ فقيل الإحسان فى الدنيا قول لا إله إلا الله وفى الآخرة الجنة . وكذا قوله تعالى ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ وروى البراء بن عازب أنه صلى الله عليه وسلم قال « من قال لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير - عشر مرات - كانت له عدل رقبة أو قال نسمة [1] » وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال فى يوم مائتى مرة لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير لم يسبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد بعده إلا من عمل بأفضل من عمله [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال فى سوق من الأسواق لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة وبنى له بيتا فى الجنه » ويروى « إن العبد إذا قال لا إله إلا الله أتت إلى صحيفته فلا تمر على خطيئة إلى محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إلى جنبها [3] » وفى الصحيح عن أيوب عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قال لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسمعيل صلى الله عليه وسلم [4] » وفى الصحيح أيضا عن عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم قال اللهم اغفرلى غفر له او دعا استجيب له فإن توضا وصلى قبلت صلاته [5] » .

فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الأذكار

قال صلى الله عليه وسلم « من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وختم المائة بلا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو كل شىء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر [6] » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال سبحان الله وبحمده فى اليوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر [7] » وروى « أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : تولت عنى الدنيا وقلت ذات

= التوحيد ... الحديث » والحكم ضعيف ، ولأبى بكر بن الضحاك فى الشمائل من حديث ابن مسعود فى اجابة المؤذن « اللهم رب هذه الدعوة المجابة المستجاب لها دعوة الحق وكلمة الإخلاص » ولابن عدى من حديث ابن عمر فى اجابة المؤذن « دعوة الحق » وللطبرانى فى الدعاء عن عبدالله بن عمرو « كلمة الإخلاص لا اله الا الله ... الحديث » وللطبرانى من حديث سلمة بن الاكوع « وألزمهم كلمة التقوى قال : لا اله الا الله » وللطبرانى فى الدعاء عن ابن عباس « كلمة طيبة قال شهادة أن لا اله الا الله » وله عنه فى قوله « دعوة الحق » قال « شهادة أن لا اله الا الله » وله عنه « فقد استمسك بالعروة الوثقى » قال « لا اله الا الله » ولابن عدى والمستغفرى من حديث أنس « ثمن الجنة لا اله الا الله » ولا يصح شىء منها (١) حديث البراء « من قال لا اله الا الله وحده لاشريك له ... الحديث » أخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وهو فى مسند أحمد دون قوله « عشر مرات » .

(٢) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال فى كل يوم مائة مرة لا اله الا الله وحده لاشريك له ... الحديث » أخرجه أحمد بلفظ « مائة » وكذا رواه الحاكم فى المستدرك واسناده جيد وهكذا هو فى بعض نسخ الإحياء .

(٣) حديث « ان العبد اذا قال لا اله الا الله أتت الى صحيفته فلا تمر على خطيئة الا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس اليها » أخرجه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث أبى أيوب « من قال لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد اسمعيل » متفق عليه (٥) حديث عبادة بن الصامت « من تعار من الليل فقال لا اله الا الله ... الحديث » رواه البخارى (٦) حديث « من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة (٧) حديث « من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر » متفق عليه من حديث أبى هريرة

يدى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون ؟ قال : فقلت وماذا يارسول الله ؟ قال : قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله مائة مرة مابين طلوع الفجر إلى أن تصلى الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله عز وجل من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة لك ثوابه [1] ، وقال صلى الله عليه وسلم « إذا قال العبد الحمد لله ملأت مابين السماء والأرض فإذا قال الحمد لله الثانية ملأت مابين السماء السابعة إلى الأرض السفلى فإذا قال الحمد لله الثالثة قال الله عز وجل سل تعط [2] » ، وقال رفاعة الزرقى « كنا يوما نصلى وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم : ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاته قال : من المتكلم آنفا ؟ قال : أنا يارسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أولا [3] » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الباقيات الصالحات هنّ لاإله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولاحول ولاقوة إلابالله [4] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « ماعلى الأرض رجل يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر [5] » ، رواه ابن عمر وروى النعمان بن بشير عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتكبيره وتحميده ينعطفن حول العرش لهنّ دوى كدوى النحل يذكرون بصاحبهنّ أو لايحب أحدكم أن لا يزال عند الله مايذكر به [6] » ، وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس [7] » ، وفى رواية أخرى زاد « لا حول ولا قوة إلا بالله وقال هى خير من الدنيا وما فيها » ، وقال صلى الله عليه وسلم « أحب الكلام إلى الله تعالى أربع : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لايضرك بأيهن بدأت [8] » ، رواه سمرة بن جندب .

---

(١) حديث « أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تولت عنى الدنيا وقلت ذات يدى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين أنت عن صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون ... الحديث » أخرجه المستغفرى فى الدعوات من حديث ابن عمر وقال غريب من حديث مالك ولاأعرف له أصلا فى حديث مالك ولأحمد من حديث عبدالله بن عمرو « أن نوحا قال لابنه آمرك بلا اله الا الله ... الحديث » ثم قال « وسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شىء وبها يرزق الخلق » واسناده صحيح

(٢) حديث « اذا قال العبد الحمد لله ملأت مابين السماء والأرض واذا قال الحمد لله الثانية ملأت مابين السماء السابعة الى الأرض واذا قال الحمد لله الثالثة قال الله تعالى سل تعطه » غريب بهذا اللفظ لم أجده .

(٣) حديث رفاعة الزرقى « كنا يوما نصلى وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه .. الحديث » رواه البخارى (٤) حديث « الباقيات الصالحات هن لا اله الا الله وسبحان الله والله أكبر والحمد لله ولاحول ولاقوة الا بالله » أخرجه النسائى فى اليوم الليلة وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبى سعيد والنسائى والحاكم من حديث أبى هريرة دون قوله « ولاحول ولاقوة الا بالله » .

(٥) حديث « ماعلى الأرض رجل يقول لااله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولاحول ولقوة إلا بالله الا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر » أخرجه الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم وهو عند الترمذى وحسنه والنسائى فى اليوم والليلة مختصرا دون قوله « سبحان الله والحمد لله » (٦) حديث النعمان بن بشير « الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتمجيده وتهليله وتحميده ينعطف حول العرش له دوى كدوى النحل يذكرون بصاحبهن .. الحديث » أخرجه ابن ماجه والحاكم وصححه على شرط مسلم (٧) حديث أبى هريرة « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس » وزاد فى رواية « ولاحول ولا قوة إلا بالله وقال خير من الدنيا ومافيها » أخرجه مسلم باللفظ الأول والمستغفرى فى الدعوات من رواية مالك بن دينار « أن أبا أمامة قال للنبي صلى الله عليه وسلم قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير من الدنيا ومافيها قال أنت أغنم القوم » وهو مرسل جيد الإسناد .

(٨) حديث سمرة بن جندب « أحب الكلام الى الله أربع .. الحديث » رواه مسلم .

وروى أبو مالك الأشعرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والله أكبر يملآن ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها أو مشتر نفسه فمعتقها [١] » وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم [٢] » وقال أبو ذر رضى الله عنه « قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الكلام أحب إلى الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم ما اصطفى الله سبحانه لملائكته : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم [٣] » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى اصطفى من الكلام : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر [٤] » فإذا قال العبد « سبحان الله » كتبت له عشرون حسنة وتحط عنه عشرون سيئة وإذا قال « الله أكبر » فمثل ذلك وذكر إلى آخر الكلمات . وقال جابر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة [٥] » وعن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال : قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم « ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم فقال : أو ليس قد جعل لكم ما تصدقون به ؟ إن بكل تسبيحة صدقة وتحميدة صدقة وتهليلة صدقة وتكبيرة صدقة وأمر بمعروف صدقة ونهى عن منكر صدقة ويضع أحدكم اللقمة فى فى أهله فهى له صدقة . وفى بضع أحدكم صدقة . قالوا يارسول الله يأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال صلى الله عليه وسلم : أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه فيها وزر ؟ قالوا : نعم . قال : كذلك ان وضعها فى الحلال كان له فيها أجر [٦] » وقال أبو ذر رضى الله عنه : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم « سبق أهل الأموال بالأجر يقولون كما نقول وينفقون ولا ننفق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا أدلك على عمل إذا أنت عملته أدركت من قبلك وفقت من بعدك إلا من قال مثل قولك ؟ تسبح الله بعد كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتحمده ثلاثا وثلاثين وتكبر أربعا وثلاثين [٧] » وروت بسرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن واعقدن بالأنامل فإنها مستنطقات [٨] » يعنى بالشهادة فى القيامة . وقال ابن عمر : رأيته صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح [٩] وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما شهد عليه أبو هريرة وأبو سعيد الخدرى « إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر قال الله عز وجل صدق عبدى لا إله إلا أنا وأنا أكبر وإذا قال العبد : لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال تعالى صدق عبدى لا إله إلا أنا وحدى لا شريك لى ، وإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة

---

(١) حديث أبى مالك الأشعرى « الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان .. الحديث » رواه مسلم وقد تقدم فى الطهارة

(٢) حديث أبى هريرة « كلمتان خفيفتان على اللسان... الحديث » متفق عليه (٣) حديث أبى ذر « أى الكلام أحب إلى الله قال ما اصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » رواه مسلم وأبو داود والنسائى « قوله سبحان الله العظيم » .

(٤) حديث « إن الله اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله .. الحديث » أخرجه النسائى فى اليوم والليلة والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وصححه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد الا أنهما قالا فى ثواب الحمد لله « كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون سيئة » (٥) حديث جابر « من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة » أخرجه الترمذى وقال حسن والنسائى فى اليوم والليلة وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وصححه (٦) حديث أبى ذر « قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلى .. الحديث » رواه مسلم (٧) حديث أبى ذر « قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبق أهل الأموال بالأجر يقولون كما نقول وينفقون ولا ننفق ... الحديث » رواه ابن ماجه الا أنه قال : قال سفيان لا أدرى أيتهن أربع . ولأحمد فى هذا الحديث « وتحمد أربعا وثلاثين » واسنادها جيد ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث أبى الدرداء « وتكبر أربعا وثلاثين » كما ذكر المصنف (٨) حديث بسرة « عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ولا تغفلن واعقدن بالأنامل فإنها مستنطقات » أخرجه أبو داود والترمذى والحاكم بإسناد جيد (٩) حديث ابن عمر « رأيته صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح » قلت : انما هو عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه أبو داود والنسائى والترمذى وحسنه والحاكم .

إلا بالله يقول الله سبحانه صدق عبدى لاحول ولاقوة إلا بى ومن قالهن عند الموت لم تمسه النار [١] ، وروى مصعب ابن سعد عن أبيه عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة فقيل : كيف ذلك يارسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف سيئة [٢] » .

وقال صلى الله عليه وسلم « ياعبد الله بن قيس ـ أو يا أبا موسى ـ أولا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ قال : بلى ، قال : قل لاحول ولاقوة إلا بالله [٣] » وفى رواية أخرى « ألا أعلمك كلمة من كنز تحت العرش : لاحول ولاقوة إلا بالله » وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أدلك على عمل من كنوز الجنة من تحت العرش قول لاحول ولاقوة إلا بالله يقول الله تعالى أسلم عبدى واستسلم [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال حين يصبح رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبالقرآن إماما وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا رسولا كان حقا على الله أن يرضيه يوم القيامة [٥] » وفى رواية « من قال ذلك رضى الله عنه » وقال مجاهد إذا خرج الرجل من بيته فقال : بسم الله ، قال الملك : هديت : فإذا قال : توكلت على الله ، قال الملك : كفيت . وإذا قال : لاحول ولاقوة إلا بالله ، قال الملك : وقيت فتتفرق عنه الشياطين فيقولون ماتريدون من رجل قد هدى وكفى ووقى ؟ لاسبيل لكم إليه .

« فإن قلت : فما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها ؟ فاعلم أن تحقيق هذا لايليق إلا بعلم المكاشفة . والقدر الذى يسمح بذكره فى علم المعاملة : أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فأما الذكر باللسان والقلب لاه فهو قليل الجدوى . وفى الأخبار مايدل عليه أيضا [٦] وحضور القلب فى لحظة بالذكر والذهول عن الله عز وجل مع الاشتغال بالدنيا أيضا قليل الجدوى . بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أوفى أكثر الأوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية . والذكر أول وآخر ؛ فأوله يوجب الأنس والحب لله وآخره يوجب الأنس والحب ويصدر عنه ، والمطلوب ذلك الأنس والحب . فإن المريد فى بداية أمره قد يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى ذكر الله عز وجل . فإن وفق المداومة أنس به وانغرس فى قلبه حب المذكور . ولاينبغى أن يتعجب من هذا فإن من المشاهد فى العادات أن تذكر غائبا غير مشاهد بين يدى شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيحبه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر . ثم إذا عشق بكثرة الذكر المتكلف أولا صار مضطرا إلى كثرة الذكر آخرا بحيث لايصبر عنه . فإن من أحب شيئا أكثر من ذكره . ومن أكثر ذكر شىء ـ وإن كان تكلفا ـ أحبه . فكذلك أول الذكر متكلف إلى أن يثمر الأنس بالمذكور والحب له ثم يمتنع الصبر عنه آخرا فيصير الموجب موجبا

---

(١) حديث أبى هريرة وأبى سعيد « اذا قال العبد لااله الا الله والله أكبر قال الله صدق عبدى .. الحديث » أخرجه الترمذى وقال حسن والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه والحاكم وصححه (٢) حديث مصعب بن سعد عن أبيه « أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة ... الحديث » أخرجه مسلم الا أنه قال « أو يحط » كما ذكره المصنف وقال حسن صحيح .

(٣) حديث « ياعبد الله بن قيس — أو ياأبا موسى — ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لاحول ولاقوة الابالله » متفق عليه (٤) حديث أبى هريرة « عمل من كنز الجنة ومن تحت العرش قول لاحول ولاقوة الا بالله يقول الله أسلم عبدى واستسلم » أخرجه النسائى فى اليوم والليلة والحاكم « من قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولاحول ولا قوة الا بالله قال أسلم عبدى واستسلم » وقال صحيح الإسناد . (٥) حديث « من قال حين يصبح رضيت بالله ربا .. الحديث » أخرجه أبو داود والنسائى فى اليوم والليلة والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث خادم النبى صلى الله عليه وسلم ورواه الترمذى من حديث ثوبان وحسنه وفيه نظر ففيه سعد بن المرزبان ضعيف جدا (٦) حديث « الدال على أن الذكر والقلب لاه قليل الجدوى » أخرجه الترمذى وقال حسن والحاكم وقال حديث مستقيم الإسناد من حديث أبى هريرة « واعلموا أن الله لايقبل الدعاء من قلب لاه » .

والثمر مثمرا . وهذا معنى قول بعضهم . كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة . ولا يصدر التنعم إلا من الأنس والحب . ولا يصدر الأنس إلا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعا . فكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الإنسان تناول طعام يستبشعه أولا ويكابد أكله ويواظب عليه فيصير موافقا لطبعه حتى لا يصبر عنه فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف ، هي النفس ماعودتها تتعود ، أي ما كلفتها أولا يصير لها طبعا آخرا . ثم إذا حصل الأنس بذكر الله سبحانه انقطع عن غير ذكر الله وماسوى الله عزوجل هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى إلا ذكر الله عز وجل . فإن كان قد أنس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه إذ ضرورات الحاجات في الحياة الدنيا تصد عن ذكر الله عز وجل ، ولا يبقى بعد الموت عائق ؛ فكأنه خلي بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعا فيه عما به أنسه . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فإنك مفارقه [1] » أراد به كل ما يتعلق بالدنيا فإن ذلك يفنى في حقه بالموت فـ (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وإنما تفنى الدنيا بالموت في حقه إلى أن تفنى في نفسها عند بلوغ الكتاب أجله . وهذا الأنس يتلذذ به العبد بعد موته إلى أن ينزل في جوار الله عزوجل ويترقى من الذكر إلى اللقاء . وذلك بعد أن يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه الموت فيقول إنه أعدم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل ؟ فإنه لم يعدم عدما يمنع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت . وإلى ما ذكرناه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة [2] » وبقوله صلى الله عليه وسلم « أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر [3] » وبقوله صلى الله عليه وسلم لقتلى بدر من المشركين « يافلان يافلان وقد سماهم النبي صلى الله عليه وسلم هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقا [4] » فسمع عمر رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله كيف يسمعون وأنى يجيبون وقد جيفوا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لكلامي منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا » والحديث في الصحيح . هذا قوله عليه السلام في المشركين فأما المؤمنون والشهداء فقد قال صلى الله عليه وسلم « أرواحهم في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش [5] » وهذه الحالة وما أشير بهذه الالفاظ إليه لا ينافي ذكر الله عز وجل وقال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) الآية ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة لأن المطلوب الخاتمة ونعني بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله عز وجل منقطع العلائق

---

(١) حديث « إن روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فانك مفارقه » تقدم في الكتاب السابع من العلم .

(٢) حديث « القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة » أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد بتقديم وتأخير وقال غريب قلت فيه عبيد الله بن الوليد الوصافي ضعيف . (٣) حديث « أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر » أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود « أنه سئل عن هذه الآية (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا) الآية قال : أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال أرواحهم في جوف طير خضر فلم يسم فيه النبي صلى الله عليه وسلم » وفي رواية الترمذي « أما إنا سألنا عن ذلك فأخبرنا » وذكر صاحب مسند الفردوس أن ابن منيع صرح برفعه في مسنده . (٤) حديث « لدائه لقتلى بدر من المشركين يافلان يافلان وقد سماهم إني قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟ أخرجه مسلم من حديث أنس .

(٥) حديث « أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش » أخرجه ابن ماجه من حديث كعب بن مالك « إن أرواح المؤمنين في طير خضر تعلق بشجر الجنة » وروى النسائي بلفظ « إنما نسمة المؤمن طائر » ورواه الترمذي بلفظ « أرواح الشهداء » وقال حسن صحيح .

عن غيره . فإن قدر عبد على أن يجعل همه مستغرقا بالله عز وجل فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا فى صف القتال . فإنه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فإنه يريدها لحياته وقد هوّن على قلبه حياته فى حب الله عز وجل وطلب مرضاته فلا تجرد لله أعظم من ذلك ، ولذلك عظم أمر الشهادة وورد فيه من الفضائل مالا يحصى . فمن ذلك أنه لما استشهد عبد الله بن عمرو الأنصارى يوم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر (ألا أبشرك يا جابر ! قال : بلى بشرك الله بالخير قال: إن الله عز وجل أحيا أباك فأقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى : تمنّ على ياعبدى ماشئت أعطيكه فقال يارب أن تردنى إلى الدنيا حتى أقتل فيك وفى نبيك مرة أخرى . فقال عز وجل . سبق القضاء منى بأنهم إليها لايرجعون[1]) ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فإنه لو لم يقتل وبقى مدّة ربما عادت شهوات الدنيا إليه وغلبت على ما استولى على قلبه من ذكر الله عز وجل . ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الخاتمة . فإن القلب وإن ألزم ذكر الله عز وجل فهو متقلب لايخلو عن الالتفات إلى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريه . فإذا تمثل فى آخر الحال فى قلبه أمر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيحن بعد الموت إليه ويتمنى الرجوع إلى الدنيا . وذلك لقلة حظه فى الآخرة إذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على مامات عليه . فأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة إذ لم يكن قصد الشهيد نيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك[2] كما ورد به الخبر بل حب الله عز وجل وإعلاء كلمته فهذه الحالة هى التى عبر عنها (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة . وحالة الشهيد توافق معنى قولك (لا إله إلا الله) فإنه لامقصود له سوى الله عز وجل وكل مقصود معبود وكل معبود إله فهذا الشهيد قائل بلسان حاله (لاإله إلا الله) إذ لامقصود له سواه . ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فأمره فى مشيئة الله عز وجل ولا يؤمن فى حقه الخطر . ولذلك فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم قول لاإله إلا الله على سائر الأذكار[3] وذكر ذلك مطلقاً فى مواضع الترغيب . ثم ذكر فى بعض المواضع الترغيب . ثم ذكر فى بعض المواضع الصدق والإخلاص فقال مرة (من قال لا إله إلا الله مخلصاً) ومعنى الإخلاص مساعدة الحال للمقال . فنسأل الله تعالى أن يجعلنا فى الخاتمة من أهل لا إله إلا الله حالا ومقالا ظاهراً وباطنا حتى نودع الدنيا غيرمتلفتين إليها بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله فإن من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . فهذه مرامز إلى معانى الذكر التى لايمكن الزيادة عليها فى علم المعاملة .

الباب الثانى : فى آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية المأثورة وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فضيلة الدعاء

قال الله تعالى ﴿ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى ﴾ وقال تعالى

---

(١) حديث « ألا أبشرك ياجابر قال بلى بشرك الله بالخير قال إن الله أحيا أباك وأقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمن على ... الحديث » أخرجه الترمذى وقال حسن وابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث جابر . (٢) حديث « الرجل يقاتل لنيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك » متفق عليه من حديث أبى موسى « قال جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن فى سبيل الله ؟ قال من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » . (٣) حديث « تفضيل لا إله إلا الله على سائر الأذكار » أخرجه الترمذى وقال حسن والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه من حديث جابر .

﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لايحب المعتدين ﴾ وقال تعالى ﴿ وقال ربكم ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ﴾ وقال عز وجل ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ وروى النعمان بن بشير عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ ﴿ ادعونى أستجب لكم ﴾ [1] » الآية ـ وقال صلى الله عليه وسلم (الدعاء مخ العبادة [2]) وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال (ليس شىء أكرم على الله عز وجل من الدعاء [3]) وقال صلى الله عليه وسلم (إن العبد لايخطئه من الدعاء إحدى ثلاث : إما ذنب يغفر له وإما خير يعجل له وإما خير يدخر له [4]) وقال أبو ذر رضى الله عنه : يكفى من الدعاء مع البر مايكفى الطعام من الملح . وقال صلى الله عليه وسلم (سلوا الله تعالى من فضله فإن الله تعالى يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج [5]) .

آداب الدعاء وهى عشرة

(الأول) أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة . ورمضان من الأشهر ويوم الجمعة من الأسبوع ، ووقت السحر من ساعات الليل . قال تعالى ﴿ وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم (ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول عز وجل من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له [6]) وقيل إن يعقوب صلى الله عليه وسلم إنما قال (سوف أستغفر لكم ربى) ليدعو فى وقت السحر . فقيل إنه قام فى وقت السحر يدعو وأولاده يؤمنون خلفه فأوحى الله عز وجل إنى قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء (الثانى) أن يغتنم الأحوال الشريفة . قال أبو هريرة رضى الله عنه: إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف فى سبيل الله تعالى وعند نزول الغيث وعند إقامة الصلوات المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها وقال مجاهد : إن الصلاة جعلت فى خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات . وقال صلى الله عليه وسلم (الدعاء بين الأذان والإقامة لايرد [7]) وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً (الصائم لاترد دعوته [8]) وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضاً إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه وفراغه من المشوشات . ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله عز وجل فهذا أحد أسباب شرف الأوقات سوى مافيها من أسرار لايطلع البشر عليها . وحالة السجود أيضاً أجدر بالإجابة قال أبو هريرة رضى الله عنه : قال النبى

الباب الثانى فى آداب الدعاء وفضله .

(١) حديث النعمان بن بشير « ان الدعاء هو العبادة » أخرجه أصحاب السنن والحاكم وقال صحيح الإسناد وقال الترمذى حسن صحيح . (٢) حديث « الدعاء مخ العبادة » أخرجه الترمذى من حديث أنس وقال غريب من هذا الوجه لانعرفه إلا من حديث ابن لهيعة . (٣) حديث أبى هريرة « ليس شىء أكرم عند الله من الدعاء » أخرجه الترمذى وقال غريب وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد . (٤) حديث « إن العبد لايخطئه من الدعاء إحدى ثلاث : إما ذنب يغفر له وإما خير يعجل له وإما خير يدخر له » أخرجه الديلمى فى الفردوس من حديث أنس وفيه روح . أخرجه ابن مسافر عن أبان بن عياش وكلاهما ضعيف ولأحمد والبخارى فى الأدب والحاكم وصحح إسناده من حديث أبى سعيد « إما أن تعجل له دعوته وإما أن يدخر له فى الآخرة وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها » . (٥) حديث « سلوا الله من فضله فان الله يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج » أخرجه الترمذى من حديث ابن مسعود وقال حماد بن واقد ليس بالحافظ قلت وضعفه ابن معين وغيره .

(٦) حديث « ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة .

(٧) حديث « الدعاء بين الأذان والإقامة لايرد » أخرجه أبو داود والنسائى فى اليوم والليلة والترمذى وحسنه من حديث أنس وضعفه ابن عدى وابن القطان ورواه فى اليوم والليلة بإسناد آخر جيد وابن حبان والحاكم وصححه . (٨) حديث « الصائم لاترد دعوته » أخرجه الترمذى وقال حسن وابن ماجه من حديث أبى هريرة بزيادة فيه .

صلى الله عليه وسلم « أقرب مايكون العبد من ربه عزوجل وهو ساجد فأكثروا فيه من الدعاء [١] وروى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إنى نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا فأما الركوع فعظموا فيه الرب تعالى وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فإنه قمن أن يستجاب لكم [٢] » (الثالث) أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض إبطيه . وروى جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس [٣] » وقال سلمان : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن ربكم حي كريم يستحيي من عبيده إذا رفعوا أيديهم إليه أن يردها صفرا [٤] » وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم « كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه فى الدعاء ولا يشير بأصبعيه [٥] وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم مر على إنسان يدعو ويشير بإصبعيه السبابتين فقال صلى الله عليه وسلم أحد أحد [٦] » أى اقتصر على الواحدة . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه . ارفعوا هذه الأيدى قبل أن تغل بالأغلال . ثم ينبغى أن يمسح بهما وجهه فى آخر الدعاء : قال عمر رضى الله عنه « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مد يديه فى الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه [٧] » وقال ابن عباس « كان صلى الله عليه وسلم إذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلى وجهه [٨] » فهذه هيئات اليد ولا يرفع بصره إلى السماء قال صلى الله عليه وسلم « لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم [٩] » (الرابع) خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روى أن أبا موسى الأشعرى قال : قدمنا مع رسول الله فلما دنونا من المدينة كبر وكبر الناس ورفعوا أصواتهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس إن الذى تدعون ليس بأصم ولا غائب إن الذى تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم [١٠] » وقالت عائشة رضى الله عنها فى قوله عزوجل ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها [١١] ﴾ أى بدعائك وقد أثنى الله عزوجل على نبيه زكرياء عليه السلام حيث قال ﴿ إذ نادى ربه نداء خفيا ﴾ وقال عز وجل ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية ﴾ (الخامس) أن لا يتكلف السجع فى الدعاء فإن حال الداعى ينبغى أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه قال صلى الله عليه وسلم « سيكون قوم يعتدون فى الدعاء [١٢] » وقد قال عز وجل : ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه

---

(١) حديث أبى هريرة « أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء » رواه مسلم (٢) حديث ابن عباس « انى نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أوساجدا ... الحديث » أخرجه مسلم أيضاً (٣) حديث جابر « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس ... الحديث » أخرجه مسلم دون قوله « يدعو » فقال مكانها « واقفا » والنسائي من حديث أسامة بن زيد « كنت ردفه بعرفات فرفع يديه يدعو » ورجاله ثقات .

(٤) حديث سلمان « ان ربكم حيى كريم يستحى من عبده اذا رفع يديه أن يردهما صفراً » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وقال اسناده صحيح على شرطهما (٥) حديث أنس « كان يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه فى الدعاء ولايشير بأصبعه » أخرجه مسلم دون قوله ولا يشير بأصبعه . والحديث متفق عليه لكن مقيد بالاستسقاء (٦) حديث أبي هريرة « مر على انسان يدعو بأصبعيه السبابتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد أحد » أخرجه النسائى وقال حسن وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد (٧) حديث عمر « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مديديه فى الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه) أخرجه الترمذى وقال غريب والحاكم فى المستدرك وسكت عليه وهو ضعيف (٨) حديث ابن عباس « كان صلى الله عليه وسلم اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلى وجهه » أخرجه الطبرانى فى الكبير بسند ضعيف .

(٩) حديث « لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم الى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة وقال عند الدعاء فى الصلاة (١٠) حديث أبى موسى الأشعرى « يا أيها الناس ان الذى تدعون ليس بأصم ولاغائب » متفق عليه مع اختلاف ، واللفظ الذى ذكره المصنف لأبى داود (١١) حديث عائشة فى قوله تعالى ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولاتخافت بها) أى بدعائك متفق عليه . (١٢) حديث « سيكون قوم يعتدون فى الدعاء » وفى رواية « والطهور » أخرجه أبوداود وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن مغفل

لايحب المعتدين ﴾ قيل معناه التكلف للأسجاع والأولى أن لايجاوز الدعوات المأثورة فإنه قد يعتدى فى دعائه فيسأل مالا تقتضيه مصلحته فما كل أحد يحسن الدعاء ولذلك روى عن معاذ رضى الله عنه : إن العلماء يحتاج إليهم فى الجنة إذيقال لأهل الجنة تمنوا فلايدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء ؟ وقدقال صلى الله عليه وسلم « إياكم والسجع فى الدعاء حسب أحدكم أن يقول اللهم إنى أسألك الجنة وماقرب إليها من قول وعمل وأعوذبك من النار وماقرب إليها من قول وعمل [1] » وفى الخبر : سيأتى قوم يعتدون فى الدعاء والطهور . ومر بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال له : أعلى الله تبالغ ؟ أشهد لقد رأيت حبيبا العجمى يدعو ومايزيد على قوله : اللهم اجعلنا جيدين اللهم لاتفضحنا يوم القيامة اللهم وفقنا للخير ، والناس يدعون من كل ناحية وراءه وكان يعرف بركة دعائه . وقال بعضهم . ادع بلسان الذلة والافتقار لابلسان الفصاحة والانطلاق . ويقال إن العلماء والأبدال لايزيدون فى الدعاء على سبع كلمات فمادونها ويشهد له آخر سورة البقرة فإن الله تعالى لم يخبر فى موضع من أدعية عبادة أكثر من ذلك . واعلم أن المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام فإن ذلك لا يلائم الضراعة والذلة وإلا فنى الأدعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله صلى الله عليه وسلم « أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وإنك تفعل ماتريد [2] » وأمثال ذلك فليقتصر على المأثور من الدعوات أوليلتمس بلسان التضرع والخشوع من غير سجع وتكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله عز وجل (السادس) التضرع والخشوع والرغبة والرهبة قال الله تعالى ﴿ إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهبا ﴾ وقال عز وجل ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه [3] » . (السابع) أن يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يقل أحدكم إذا دعا اللهم اغفر لى إن شئت اللهم ارحمنى إن شئت ليعزم المسألة فإنه لا مكره له [4] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شىء [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله عز وجل لايستجيب دعاء من قلب غافل [6] » وقال سفيان بن عيينة : لايمنعن أحدكم من الدعاء مايعلم من نفسه فإن الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق إبليس لعنه الله ﴿ إذ قال رب فانظرنى إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين ﴾ (الثامن) أن يلح فى الدعاء ويكرره ثلاثا قال ابن مسعود :

---

(١) حديث « اياكم والسجع فى الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل » غريب بهذا السياق وللبخارى عن ابن عباس « وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فانى عهدت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لايفعلون الا ذلك » وابن ماجه والحاكم واللفظ له وقال صحيح الإسناد من حديث عائشة « عليك بالكوامل » وفيه « وأسألك الجنة ... إلى آخره » (٢) حديث « اسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وإنك تفعل ما تريد » أخرجه الترمذى من حديث ابن عباس « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته ... فذكر حديثا طويلا من جملته هذا » وقال حديث غريب انتهى . وفيه محمد بن عبدالرحمن بن أبى ليلى سيئ الحفظ (٣) حديث « إذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس « إذا أحب الله عبدا صب عليه البلاء صبا ... الحديث » وفيه « دعه فإنى أحب أن أسمع صوته » وللطبرانى من حديث أبى أمامة « إن الله يقول للملائكة انطلقوا إلى عبدى فصبوا عليه البلاء ... الحديث » وفيه « فانى أحب أن أسمع صوته » وسندهما ضعيف (٤) حديث « لايقل أحدكم اللهم اغفرلى ان شئت اللهم ارحمنى ان شئت ليعزم المسألة فانه لا مكره له » متفق عليه من حديث أبى هريرة (٥) حديث « إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فان الله لايتعاظمه شىء » أخرجه ابن حبان من حديث أبى هريرة .

(٦) حديث « ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لايستجيب دعاء من قلب غافل » أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال غريب والحاكم وقال مستقيم الإسناد تفرد به صالح المرى وهو أحد زهاد البصرة قلت لكنه ضعيف فى الحديث .

كان عليه السلام إذا دعا دعا ثلاثا وإذا سأل سأل ثلاثا [١] » وينبغي أن لا يستبطئ الإجابة لقوله صلى الله عليه وسلم « يستجاب لأحدكم مالم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لى فإذا دعوت فاسأل الله كثيرا فإنك تدعو كريما [٢] » وقال بعضهم : انى أسأل الله عز وجل منذ عشرين سنة حاجة وما أجابنى وأنا أرجو الإجابة سألت الله تعالى أن يوفقنى لترك مالا يعنينى . وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سأل أحدكم ربه مسألة فتعرف الإجابة فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عنه من ذلك فليقل الحمد لله على كل حال [٣] » . (التاسع) أن يفتتح الدعاء بذكر الله عز وجل فلا يبدأ بالسؤال . قال سلمة بن الأكوع « ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء إلا استفتحه بقول : سبحان ربى العلى الأعلى الوهاب [٤] قال أبو سليمان الدارانى رحمه الله : من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يسأله حاجته ثم يختم بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع مابينهما ، وروى فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا سألتم الله عز وجل حاجة فابتدئوا بالصلاة على فإن الله تعالى أكرم من أن يسئل حاجتين فيقضى إحداهما ويرد الأخرى [٥] » رواه أبو طالب المكى (العاشر) وهو الأدب الباطن وهو الأصل فى الإجابة : التوبة ورد المظالم والإقبال على الله عز وجل بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب فى الإجابة . فيروى عن كعب الأحبار أنه قال : أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج موسى ببنى إسرائيل يستسقى بهم فلم يسقوا حتى خرج ثلاث مرات ولم يسقوا ، فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام : إنى لا أستجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمام ، فقال موسى : يارب ومن هو حتى نخرجه من بيننا فأوحى الله عز وجل إليه : ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما ! فقال موسى : لبنى إسرائيل : توبوا إلى ربكم بأجمعكم عن النميمة فتابوا فأرسل الله تعالى عليهم الغيث . وقال سعيد بن جبير قحط الناس فى زمن ملك من ملوك بنى إسرائيل فاستسقوا فقال الملك لبنى إسرائيل : ليرسلن الله تعالى علينا السماء أو لنؤذينه قيل له وكيف تقدر أن تؤذيه وهو فى السماء ؟ فقال أقتل أولياءه وأهل طاعته فيكون ذلك أذى له فأرسل الله تعالى عليهم السماء . وقال سفيان الثورى : بلغنى أن بنى إسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة من المزابل وأكلوا الأطفال وكانوا كذلك يخرجون إلى الجبال يبكون ويتضرعون ، فأوحى الله عز وجل إلى أنبيائهم عليهم السلام لو مشيتم إلى بأقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ أيديكم عنان السماء وتكل ألسنتكم عن الدعاء فإنى لا أجيب لكم داعيا ولا أرحم لكم باكيا حتى تردوا المظالم إلى أهلها ففعلوا فمطروا من يومهم . وقال مالك بن دينار . أصاب الناس فى بنى إسرائيل قحط فخرجوا مرارا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن أخبرهم أنكم تخرجون إلى بأبدان نجسة وترفعون إلى أكفا قد سفكتم بها الدماء وملأتم بطونكم من الحرام الآن قد اشتد غضبى عليكم ولن تزدادوا منى إلا بعدا ، وقال أبو الصديق الناجى : خرج سليمان عليه السلام يستسقى فمر بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها

---

(١) حديث ابن مسعود « كان صلى الله عليه وسلم إذا دعا دعا ثلاثا وإذا سأل سأل ثلاثا » رواه مسلم وأصله متفق عليه .

(٢) حديث « يستجاب لأحدكم مالم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لى » متفق عليه من حديث أبى هريرة .

(٣) حديث « إذا سأل أحدكم مسألة فتعرف الإجابة فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عنه من ذلك شىء فليقل الحمد لله على كل حال » أخرجه البيهقى فى الدعوات من حديث أبى هريرة والحاكم نحوه من حديث عائشة مختصرا باسناد ضعيف .

(٤) حديث سلمة بن الأكوع « ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا استفتحه وقال سبحان ربى العلى الأعلى الوهاب » أخرجه أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد قلت فيه عمر بن راشد اليمانى ضعفه الجمهور (٥) حديث « إذا سألتم الله حاجة فابدءوا بالصلاة على فان الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيعطى إحداهما ويرد الأخرى » لم أجده مرفوعا وإنما هو موقوف على أبى الدرداء .

إلى السماء وهى تقول : اللهم إنا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا ، فقال سليمان عليه السلام : ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم . وقال الأوزاعى : خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يامعشر من حضر ألستم مقرين بالإساءة ؟ فقالوا : اللهم نعم ، فقال : اللهم إنا قد سمعناك تقول ﴿ ماعلى المحسنين من سبيل ﴾ وقد أقررنا بالإساءة فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا ؛ اللهم فاغفر لنا وارحمنا واسقنا ؛ فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا . وقيل لمالك بن دينار : ادع لنا ربك فقال إنكم تستبطئون المطر وأنا أستبطئ الحجارة . وروى أن عيسى صلوات الله عليه وسلامه خرج يستسقى فلما ضجروا قال لهم عيسى عليه السلام : من أصاب منكم ذنبا فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق معه فى المفازة إلا واحد ، فقال له عيسى عليهم السلام : أمالك من ذنب ؟ فقال : والله ماعلمت من شىء غير أنى كنت ذات يوم أصلى فمرت بى امرأة فنظرت إليها بعينى هذه فلما جاوزتنى أدخلت أصبعى فى عينى فانتزعتها وتبعت المرأة بها . فقال له عيسى عليه السلام : فادع الله حتى أؤمن على دعائك ، قال : فدعا فتجللت السماء سحابا ثم صبت فسقوا ، وقال يحيى الغسانى ، أصاب الناس قحط على عهد داود عليه السلام فاختاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم فقال أحدهم : اللهم إنك أنزلت فى توراتك أن نعفو عمن ظلمنا اللهم إناقد ظلمنا أنفسنافاعف عنا : وقال الثانى : اللهم إنك أنزلت فى توراتك أن نعتق أرقاءنا اللهم إنا أرقاؤك فأعتقنا . وقال الثالث : اللهم إنك أنزلت فى توراتك أن لانرد المساكين إذا وقفوا بأبوابنا اللهم إنا مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا فسقوا ، وقال عطاء السلمى : منعنا الغيث فخرجنا نستسقى فإذا نحن بسعدون المجنون فى المقابر فنظر إلى فقال ياعطاء أهذا يوم النشور أوبعثر مافى القبور ؟ فقلت : لا ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقى فقال ياعطاء : بقلوب أرضية أم بقلوب سماوية ؟ فقلت : بل بقلوب سماوية فقال : هيهات ياعطاء قل للمتبهرجين لاتتبهرجوا فإن الناقد بصير . ثم رمق السماء بطرفه وقال إلهى وسيدى ومولاى لاتهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالسر المكنون من أسمائك وما وارت الحجب من آلائك إلا ماسقيتنا ماء غدقا فراتا تحيى به العباد وتروى به البلاد يامن هو على كل شىء قدير ، قال عطاء : فما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت وجادت بمطر كأفواه القرب فولى وهو يقول :

أفلح الزاهدون والعابدونا إذ لمولاهم أجاعوا البطونا
أسهروا الأعين العليلة حبا فانقضى ليلهم وهم ساهرونا
شغلتهم عبادة الله حتى حسب الناس أن فيهم جنونا

وقال ابن المبارك : قدمت المدينة فى عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون فخرجت معهم إذا أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش قد اتزر بإحداهما وألقى الأخرى على عاتقه فجلس إلى جنبى فسمعته يقول إلهى أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوى الأعمال وقد حبست عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك فأسألك ياحليما ذا أناة يامن لايعرف عباده منه إلا الجميل أن تسقيهم الساعة الساعة فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كل جانب ، قال ابن المبارك : فجئت إلى الفضيل فقال مالى أراك كئيبا ؟ فقلت أمر سبقنا إليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل وخر مغشيا عليه . ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استسقى بالعباس رضى الله عنه فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس : اللهم إنه لم ينزل بلاء من السماء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه بى القوم إليك لمكانى من نبيك صلى الله عليه وسلم وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة وأنت

الراعى لاتهمل الضالة ولاتدع الكبير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الأصوات بالشكوى وأنت تعلم السر وأخفى اللهم فأغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا فإنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون قال فما تم كلامه حتى ارتفعت السماء مثل الجبال .

فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضله صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ وروى أنه صلى الله عليه وسلم « جاء ذات يوم والبشرى ترى فى وجهه فقال صلى الله عليه وسلم إنه جاءنى جبريل عليه السلام فقال أماترضى يامحمد أن لايصلى عليك أحد من أمتك صلاة واحدة إلا صليت عليه عشرا ولايسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرا [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى على صلت عليه الملائكة ماصلى على فليقلل عند ذلك أو ليكثر [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أولى الناس بى أكثرهم على صلاة [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « بحسب المؤمن من البخل أن أذكر عنده فلا يصلى على [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى على من أمتى كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيآت [6] » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والشفاعة يوم القيامه حلت له شفاعتى [7] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له مادام اسمى فى ذلك الكتاب [8] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن فى الأرض ملائكة سياحين يبلغونى عن أمتى السلام [9] » وقال صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث « أنه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى ترى فى وجهه فقال انه جاءنى جبريل عليه الصلاة والسلام فقال أما ترضى يامحمد أن لايصلى عليك أحد من أمتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك الا سلمت عليه عشرا » أخرجه النسائى وابن حبان من حديث أبى طلحة باسناد جيد (٢) حديث « من صلى على صلت عليه الملائكة ماصلى فليقلل عبد من ذلك أو ليكثر » أخرجه ابن ماجه من حديث عامر بن ربيعة باسناد ضعيف والطبرانى فى الأوسط باسناد حسن .

(٣) حديث « ان أولى الناس بى أكثرهم على صلاة » أخرجه الترمذى من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب وابن حبان

(٤) حديث « بحسب امرئ من البخل أن أذكر عنده فلا يصلى على » أخرجه قاسم بن أصبغ من حديث الحسن بن على هكذا والنسائى وابن حبان من حديث أخيه الحسين « البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على » ورواه الترمذى من رواية الحسين بن على عن أبيه وقال حسن صحيح . (٥) حديث « أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة » أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط البخارى من حديث أوس بن أوس وذكره ابن أبى حاتم فى العلل وحكى عن أبيه أنه حديث منكر . (٦) حديث « من صلى على من أمتى كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات » أخرجه النسائى فى اليوم والليلة من حديث عمرو بن دينار وزاد فيه « مخلصا من قلبه صلى الله عليه بها عشر صلوات ورفعه بها عشر درجات » وله فى السير ولابن حبان من حديث أنس نحوه دون قوله « مخلصا من قلبه » ودون ذكر : محو السيئات . ولم يذكر ابن حبان أيضا : رفع الدرجات . (٧) حديث « من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتى » أخرجه البخارى من حديث جابر دون ذكر الإقامة والشفاعة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وقال النداء وللمستغفرى فى الدعوات « حين يسمع الدعاء الصلاة » وزاد ابن وهب ذكر الصلاة والشفاعة فيه بسند ضعيف وزاد الحسن بن على المعمرى فى اليوم والليلة من حديث أبى الدرداء ذكر الصلاة فيه وله وللمستغفرى فى الدعوات سند ضعيف من حديث أبى رافع « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع الأذان » فذكر حديثاً فيه « وإذا قال قد قامت الصلاة قال اللهم رب هذه الدعوة التامة ... الحديث » وزاد « وتقبل شفاعته فى أمته » ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا على ثم سلوا الله لى الوسيلة » وفيه « فمن سأل الوسيلة حلت عليه الشفاعة » . (٨) حديث « من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمى فى ذلك الكتاب » أخرجه الطبرانى فى الأوسط وأبو الشيخ فى الثواب والمستغفرى فى الدعوات من حديث أبى هريرة بسند ضعيف .

(٩) حديث « إن فى الأرض ملائكة سياحين يبلغونى عن أمتى السلام » تقدم فى آخر الحج .

« ليس أحد يسلم على إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام [١] » و « قيل له يارسول الله كيف نصلى عليك ؟ فقال قولوا اللهم صل على محمد عبدك وعلى آله وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد [٢] » وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكى ويقول : بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك كانت أولى بالحنين إليك لما فارقتهم ، بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعل طاعتك طاعته فقال عز وجل ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالذنب فقال تعالى ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم ﴾ بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك فى أولهم فقال عزوجل ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم ﴾ الآية بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ، بأبى أنت وأمى يارسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تتفجر منه الأنهار فماذا بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك ، بأبى أنت وأمى يارسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فماذا بأعجب من البراق حين سريت عليه إلى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح صلى الله عليك ، بأبى أنت وأمى يارسول الله لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله إحياء الموتى فماذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهى مشوية فقالت لك الذراع : لاتأكلنى فإنى مسمومة ، بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا بمثلها لهلكنا فلقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومى فإنهم لايعلمون ، بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد اتبعك فى قلة سنك وقصر عمرك مالم يتبع نوحا فى كثرة سنه وطول عمره ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا القليل ، بأبى أنت وأمى يارسول الله لو لم تجالس إلا كفؤاً لك ماجالستنا ولو لم تنكح إلا كفؤاً لك مانكحت إلينا ولو لم تؤاكل إلا كفؤاً لك ماواكلتنا فلقد والله جالستنا ونكحت إلينا وواكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك ووضعت طعامك على الأرض ولعقت أصابعك تواضعا منك صلى الله عليك وسلم [٣] . وقال بعضهم : كنت أكتب

---

(١) حديث « ليس أحد يسلم على الا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام » أخرجه أبو داود من حديث أبى هريرة بسند جيد

(٢) حديث « قيل له يارسول الله كيف نصلى عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته . الحديث » متفق عليه من حديث أبى حميد الساعدى . (٣) حديث عمر « فى حنين الجذع ونبع الماء من بين أصابعه والإسراء به على البراق الى السماء السابعة ثم صلاة الصبح من ليلته بالأبطح وكلام الشاة المسمومة وأنه دمى وجهه وكسرت رباعيته فقال اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون وأنه لبس الصوف وركب الحمار وأردف خلفه ووضع طعامه بالأرض ولعق أصابعه » وهو غريب بطوله من حديث عمر وهو معروف من أوجه أخرى . فحديث حنين الجذع متفق عليه من حديث جابر وابن عمر ، وحديث نبع الماء من بين أصابعه متفق عليه من حديث أنس وغيره وحديث الإسراء متفق عليه من حديث أنس دون ذكر صلاة الصبح بالأبطح ، وحديث كلام الشاة المسمومة رواه أبو داود من حديث جابر وفيه انقطاع ، وحديث أنه دمى وجهه وكسرت رباعيته متفق عليه من حديث سهل بن سعد فى غزوة أحد ، وحديث اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون رواه البيهقى فى دلائل النبوة والحديث فى الصحيح من حديث ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم حكاه عن نبى من الأنبياء ضربه قومه ، وحديث لبس الصوف رواه الطيالسى من حديث سهل بن سعد ، وحديث ركوبه الحمار وارداقه خلفه متفق عليه من حديث أسامة بن زيد ، وحديث وضع طعامه بالأرض رواه أحمد فى الزهد من حديث الحسن مرسلا وللبخارى من حديث أنس ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان قط ، وحديث لعقه أصابعه رواه مسلم من حديث كعب بن مالك وأنس بن مالك

الحديث وأصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فيه ولا أسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى : اماتتم الصلاة على فى كتابك ؟ فما كتبت بعد ذلك إلا صليت وسلمت عليه . وروى عن أبى الحسن قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت : يارسول الله بم جوزى الشافعى عنك حيث يقول فى كتابه الرسالة « وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون » ؟ فقال صلى الله عليه وسلم جوزى عنى أنه لايوقف للحساب .

فضيلة الاستغفار

قال الله عزوجل ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ﴾ وقال علقمة والأسود قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنهم : فى كتاب الله عزوجل آيتان ماأذنب عبد ذنبا فقرأهما واستغفر الله عزوجل إلا غفر الله تعالى له ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أوظلموا أنفسهم ﴾ الآية وقوله عزوجل (ومن يعمل سوءا أويظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) وقال عزوجل (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) وقال تعالى (والمستغفرين بالأسحار) وكان صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول « سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى إنك أنت التواب الرحيم [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « من أكثر من الاستغفار جعل الله عزوجل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لايحتسب [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنى لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه فى اليوم سبعين مرة [3] » هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وقال صلى الله عليه وسلم « إنه ليغان على قلبى حتى إنى لأستغفر الله تعالى فى كل يوم مائة مرة [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال حين يأوى إلى فراشه استغفر الله العظيم الذى لاإله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر - أو عدد رمل عالج أو عدد ورق الشجر أو عدد أيام الدنيا - [5] » وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر « من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فارا من الزحف [6] » وقال حذيفة . كنت ذرب اللسان على أهلى فقلت « يارسول الله لقد خشيت أن يدخلنى لسانى النار » فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فأين أنت من الاستغفار ؟ فإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة [7] » وقالت عائشة رضى الله عنها : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار [8] » وكان صلى الله

---

(١) حديث « كان النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى انك أنت التواب الرحيم » أخرجه الحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح ان كان أبو عبيدة سمع من أبيه والحديث متفق عليه من حديث عائشة « أنه كان يكثر أن يقول ذلك فى ركوعه وسجوده » دون قوله « انك أنت التواب الرحيم » .

(٢) حديث « من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل غم مخرجا ورزقه من حيث لايحتسب » أخرجه أبو داود والنسائي فى اليوم والليلة وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث ابن عباس وضعفه ابن حبان .

(٣) حديث « انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم سبعين مرة » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة الا أنه قال « أكثر من سبعين » وهو فى الدعاء للطبرانى كما ذكره المصنف (٤) حديث « انه ليغان على قلبى حتى انى لاستغفر الله فى كل يوم مائة مرة » أخرجه مسلم من حديث الأغر (٥) حديث « من قال حين يأوى الى فراشه استغفر الله العظيم الذى لااله الاهو الحى القيوم وأتوب اليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد وقال غريب لانعرفه الا من حديث عبد الله بن الوليد الوصافى . قلت الوصافى وان كان ضعيفا فقد تابعه عليه عصام بن قدامة وهو ثقة ورواه البخارى فى التاريخ دون قوله « حين يأوى الى فراشه » وقوله « ثلاث مرات » (٦) حديث « من قال ذلك غفرت ذنوبه وان كان فارا من الزحف » أخرجه أبو داود والترمذى من حديث زيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم وقال غريب « قلت ورجاله موثقون ورواه ابن مسعود والحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث حذيفة « كنت ذرب اللسان على أهلى ... الحديث » وفيه « أين أنت من الاستغفار » أخرجه النسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين (٨) حديث عائشة « ان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار » =

عليه وسلم يقول فى الاستغفار « اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى وإسرافى فى أمرى وما أنت أعلم به منى اللهم اغفر لى هزلى وجدّى وخطئى وعمدى وكل ذلك عندى اللهم اغفر لى ما قدمت وماأخرت وماأسررت وما أعلنت وما أنت اعلم به منى أنت المقدّم وأنت المؤخر وأنت على كل شىء قدير [١] » وقال على رضى الله عنه : كنت رجلا إذاسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعنى الله عز وجل بما شاء أن ينفعنى منه وإذا حدّثنى أحد من أصحابه استحلفته فإذا حلف صدّقته ، قال : وحدّثنى أبو بكر وصدق أبو بكر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله عزوجل إلا غفر له ثم تلا قوله عزوجل (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم) [٢] الآية » وروى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إنّ المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها فإن زاد زادت حتى تغلف قلبه [٣] فذلك الران الذى ذكره الله عزوجل فى كتابه (كلابل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « إنّ الله سبحانه ليرفع الدرجة للعبد فى الجنة فيقول يارب أنى لى هذه فيقول عزوجل باستغفار ولدك لك [٤] » وروت عائشة رضى الله عنها : أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم اجعلنى من الذين إذا احسنوا استبشروا وإذا اساءوا استغفروا [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أذنب العبد ذنبا فقال اللهم اغفر لى فيقول الله عزوجل أذنب عبدى ذنبا فعلم أنّ له ربا يأخذ بالذنب ويغفر الذنب عبدى اعمل ماشئت فقد غفرت لك [٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « ما أصر من استغفر وإن عاد فى اليوم سبعين مرة [٧] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ رجلا لم يعمل خيرا قط نظر إلى السماء فقال إن لى ربا يارب فاغفر لى فقال الله عز وجل قد غفرت لك [٨] » وقال صلى الله عليه وسلم « من أذنب ذنبا فعلم أن الله قد إطلع عليه غفر له وإن لم يستغفر [٩] » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى ياعبادى كلكم مذنب إلا من عافيته فاستغفرونى أغفر لكم ومن علم أنى ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالى [١٠] » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال سبحانك ظلمت نفسى وعملت سوءا فاغفر لى فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت غفرت له ذنوبه ولو كانت كدب النمل [١١] » وروى

= متفق عليه دون قوله « فإن التوبة .. الخ » وزاد « أو توبى إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه » وللطبرانى فى الدعاء « فإن العبد إذا أذنب ثم استغفر الله غفر له » (١) حديث « كان يقول اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى وإسرافى فى أمرى وماأنت أعلم به منى اللهم اغفرلى جدى وهزلى » متفق عليه من حديث أبى موسى واللفظ لمسلم (٢) حديث على عن أبى بكر « مامن عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له » أخرجه أصحاب السنن وحسنه الترمذى

(٣) حديث أبى هريرة « إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء فى قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه... الحديث » أخرجه الترمذى وصححه والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه وابن حبان والحاكم (٤) حديث أبى هريرة « إن الله ليرفع العبد الدرجة فى الجنة فيقول يارب أنى لى هذه فيقول باستغفار ولدك لك » رواه أحمد بإسناد حسن . (٥) حديث عائشة « اللهم اجعلنى من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا » أخرجه ابن ماجه وفيه على بن زيد بن جدعان مختلف فيه .

(٦) حديث « إذا أذنب العبد فقال اللهم اغفر لى يقول الله أذنب عبدى ذنباً فعلم أن له ربا يأخذ بالذنب ويغفر الذنب ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة . (٧) حديث « ما أصر من استغفر وإن عاد فى اليوم سبعين مرة » أخرجه أبو داود والترمذى من حديث أبى بكر وقال غريب وليس إسناده بالقوى . (٨) حديث « إن رجلا لم يعمل خيرا قط نظر الى السماء فقال إن لى ربا يارب اغفر لى فقال الله تعالى قد غفرت لك » لم أقف له على أصل . (٩) حديث « من أذنب فعلم أن الله قد اطلع عليه غفر له وإن لم يستغفر » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن مسعود بسند ضعيف . (١٠) حديث « يقول الله ياعبادى كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفرونى أغفر لكم ومن علم أنى ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالى » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى ذر وقال الترمذى حسن وأصله عند مسلم بلفظ آخر . (٢١) حديث « من قال سبحانك ظلمت نفسى وعملت سوءا فاغفرلى إنه لايغفر الذنوب إلا أنت غفرت ذنوبه وإن كانت كدب النمل » أخرجه البيهقى فى الدعوات من حديث على « أن =

« إن أفضل الاستغفار اللهم أنت ربى وأنا عبدك خلقتنى وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ماصنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء على نفسى بذنبى فقد ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفرلى ذنوبى ما قدمت منها وما أخرت فإنه لايغفر الذنوب جميعها إلا أنت [1] » والآثار : قال خالد بن معدان يقول الله عز وجل إنّ أحب عبادى إلى المتحابون بحبى والمتعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالأسحار أولئك الذين إذا أردت أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم . وقال قتادة رحمه الله : القرآن يدلكم عن دائكم ودوائكم. أما داؤكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار . وقال على كرم الله وجهه : العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل وما هى ؟ قال الاستغفار . وكان يقول : ما ألهم الله سبحانه عبدا الاستغفار وهو يريد أن يعذبه . وقال الفضيل : قول العبد « أستغفر الله » تفسيرها : أقلنى . وقال بعض العلماء : العبد بين ذنب ونعمة لايصلحهما إلا الحمد والاستغفار . وقال الربيع بن خيثم رحمه الله : لايقولن أحدكم أستغفر الله وأتوب إليه فيكون ذنبا وكذبا إن لم يفعل ؟ ولكن ليقل: اللهم اغفرلى وتب على . وقال الفضيل رحمه الله : الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين : وقالت رابعة العدوية رحمها الله : استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير . وقال بعض الحكماء : من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا بالله عزوجل وهو لايعلم . وسمع أعرابى وهو متعلق بأستار الكعبة يقول : اللهم إن استغفارى مع إصرارى للؤم وإن تركى استغفارك مع علمى بسعة عفوك لعجز ، فكم تتحبب إلى بالنعم مع غناك عنى وكم أتبغض إليك بالمعاصى مع فقرى إليك ! يامن إذا وعد وفى وإذا أوعد عفا أدخل عظيم جرمى فى عظيم عفوك يا أرحم الراحمين . وقال أبو عبد الله الوراق : لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبا لمحيت عنك إذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصا إن شاء الله تعالى « اللهم إنى أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ماوعدتك به من نفسى ولم أوف لك به وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على فاستعنت بها على معصيتك وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيته فى ضياء النهار وسواد الليل فى ملأ أوخلاء وسر وعلانية ياحليم . ويقال إنه استغفار آدم عليه والسلام وقيل الخضر عليه الصلاة والسلام .

الباب الثالث : فى أدعية مأثورة ومعزية إلى أسبابها وأربابها مما يستحب أن يدعو بها المرء صباحا ومساء وبعقب كل صلاة

فمنها : دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتى الفجر قال ابن عباس رضى الله عنهما . بعثنى العباس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته ممسيا وهو فى بيت خالتى ميمونة فقام يصلى من الليل فلما صلى ركعتى الفجر قبل صلاة الصبح قال « اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى وتجمع بها شملى وتلم بها شعثى وترد بها الفتن عنى وتصلح بها دينى وتحفظ بها غائبى وترفع بها شاهدى وتزكى بها عملى وتبيض بها وجهى وتلهمنى بها رشدى وتعصمنى بها من كل سوء . اللهم أعطنى إيمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة . اللهم إنى أسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء ومرافقة الأنبياء . اللهم إنى

= رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أعلمك كلمات تقولهن لوكان عليك كمدد الرمل ـ أو كمدد الدر ـ ذنوبا غفرها الله لك » فذكره بزيادة « لااله إلا أنت » فى أوله وفيه ابن لهيعة . (١) حديث « أفضل الاستغفار اللهم أنت ربى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك مااستطعت ... الحديث » أخرجه البخارى من حديث شداد بن أوس دون قوله « وقد ظلمت نفسى واعترفت بذنبى » ودون قوله « ذنوبى ماقدمت منها وما أخرت » ودون قوله « جميعا » .

أنزل بك حاجتي وإن ضعف رأيي وقلت حيلتي وقصر عملي وافتقرت إلى رحمتك فأسألك يا كافي الأمور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور . اللهم ما قصر عنه رأيي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي وأمنيتي من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك فإني أرغب إليك فيه وأسألكه يارب العالمين . اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لأعدائك وسلما لأوليائك نحب بحبك من أطاعك من خلقك ونعادي بعداوتك خالفك من خلقك . اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ذي الحبل الشديد والأمر الرشيد أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركوع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وأنت تفعل ما تريد . سبحان الذي لبس العز وقال به سبحان الذي تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي العزة والكرم سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه . اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي . اللهم زدني نورا وأعطني نورا واجعل لي نورا [1] »

دعاء عائشة رضي الله عنها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها « عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه ومالم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت ومالم أعلم وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل وأسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا أرحم الراحمين [2] »

دعاء فاطمة رضي الله عنها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يافاطمة ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به ؟ أن تقولي : يا حي ياقيوم برحمتك أستغيث لا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله

دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه

علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يقول « اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك وروحك وبتوراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد صلى الله عليه وسلم

الباب الثالث : في أدعية مأثورة

(١) حديث ابن عباس « اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي ... الحديث » أخرجه الترمذي وقال غريب ولم يذكر في أوله : بعث العباس لابنه عبد الله ولا نومه في بيت ميمونة ، وهو بهذه الزيادة في الدعاء للطبراني.

(٢) حديث قوله لعائشة « عليك بالجوامع الكوامل قولي : اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم ... الحديث » أخرجه ابن ماجه والحاكم وصححه من حديثها (٣) حديث « يافاطمة ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي ياحي ياقيوم برحمتك أستغيث لا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله » أخرجه النسائي في اليوم والليلة والحاكم من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين .

وعليهم أجمعين وبكل وحى أوحيته أو قضاء قضيته أو سائل أعطيته أو غنى أفقرته أو فقير أغنيته أو ضال هديته وأسألك باسمك الذى أنزلته على موسى صلى الله عليه وسلم وأسألك باسمك الذى بثثت به أرزاق العباد وأسألك باسمك الذى وضعته على الأرض فاستقرت وأسألك باسمك الذى وضعته على السموات فاستقلت وأسألك باسمك الذى وضعته على الجبال فرست وأسألك باسمك الذى استقل به عرشك وأسألك باسمك الطهر الطاهر الأحد الصمد الوتر المنزل فى كتابك من لدنك من النور المبين وأسألك باسمك الذى وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فأظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك الكريم أن ترزقنى القرآن والعلم به وتخلطه بلحمى ودمى وسمعى وبصرى وتستعمل به جسدى بحولك وقوتك فإنه لاحول ولا قوة إلا بك يا أرحم الراحمين [1] » .

دعاء بريدة الأسلمى رضى الله عنه .

وروى أنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « يابريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيرا علمهن إياه ثم لم ينسهن إياه أبدا قال : فقلت بلى يارسول الله قال قل : اللهم إنى ضعيف فقو فى رضاك ضعفى وخذ إلى الخير بناصيتى واجعل الإسلام منتهى رضاى ، اللهم إنى ضعيف فقونى وإنى ذليل فأعزنى وإنى فقير فأغننى يا أرحم الراحمين [2] »

دعاء قبيصة بن المخارق

إذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم « علمنى كلمات ينفعنى الله عز وجل بها فقد كبر سنى وعجزت عن أشياء كثيرة كنت أعملها فقال عليه السلام : أما لدنياك فإذا صليت الغداة فقل ثلاث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فإنك إذا قلتهن أمنت من الغم والجذام والبرص والفالج . وأما لآخرتك فقل : اللهم أهدنى من عندك وأفض على من فضلك وانشر على من رحمتك وأنزل على من بركاتك . ثم قال صلى الله عليه وسلم : أما إنه إذا وافى بهن عبد يوم القيامة لم يدعهن فتح له أربعة أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء [3]

دعاء أبى الدرداء رضى الله عنه

قيل لأبى الدرداء رضى الله عنه : قد احترقت دارك ـ وكانت النار قد وقعت فى محلته ـ فقال ما كان الله ليفعل ذلك ، فقيل له ذلك ثلاثا وهو يقول : ما كان الله ليفعل ذلك . ثم أتاه آت فقال : ياأبا الدرداء إن النار حين دنت من دارك طفئت ، قال . قد علمت ذلك ، فقيل له : ماندرى أى قوليك أعجب ؟ قال : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يقول هؤلاء الكلمات فى ليل أو نهار لم يضره شىء وقد قلتهن وهى « اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علما وأحصى كل شىء عددا . اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى

---

(١) حديث « علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه أن يقول اللهم إنى أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك ... الحديث » فى الدعاء لحفظ القرآن رواه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب من رواية عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه « أن أبا بكر أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال إنى أتعلم القرآن وينفلت منى » . فذكره وعبد الملك وأبوه ضعيفان وهو منقطع بين هارون وأبى بكر . (٢) حديث « يابريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيرا علمهن إياه ... الحديث » أخرجه الحاكم من حديث بريدة وقال صحيح الإسناد (٣) حديث « ان قبيصة بن المخارق قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم علمنى كلمات ينفعنى الله بها فقد كبرت سنى وعجزت ... الحديث » أخرجه ابن السنى فى اليوم والليلة من حديث ابن عباس وهو عند أحمد فى المسند مختصرا من حديث قبيصة نفسه وفيه رجل لم يسم

ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم [1] » .

دعاء الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام

كان يقول إذا أصبح : اللهم إن هذا خلق جديد فافتحه على بطاعتك واختمه لى بمغفرتك ورضوانك وارزقنى فيه حسنة تقبلها منى وزكها وضعفها لى وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لى إنك غفور رحيم ودود كريم . قال : ومن دعا بهذا الدعاء إذا أصبح فقد أدى شكر يومه .

دعاء عيسى عليه الصلاة والسلام

كان يقول . اللهم إنى أصبحت لاأستطيع دفع ماأكره ولاأملك نفع ماأرجو وأصبح الأمر بيد غيرى وأصبحت مرتهنا بعملى فلا فقير أفقر منى . اللهم لاتشمت بى عدوى ولا تسؤ بى صديقى ولا تجعل مصيبتى فى دينى ولا تجعل الدنيا أكبر همى ولا تسلط على من لا يرحمنى ياحى يا قيوم .

دعاء الخضر عليه السلام

يقال : إن الخضر وإلياس عليهما السلام إذا التقيا فى كل موسم لم يفترقا إلاعن هذه الكلمات « بسم الله ماشاءالله لا قوة إلا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لايصرف السوء إلا الله » فمن قالها ثلاث مرات إذا أصبح أمن من الحرق والغرق والسرق إن شاء الله تعالى .

دعاء معروف الكرخى رضى الله عنه

قال محمد بن حسان ؛ قال لى معروف الكرخى رحمه الله ألا أعلمك عشر كلمات خمس للدنيا وخمس للآخرة من دعا الله عز وجل بهن وجد الله تعالى عندهن : قلت . اكتبها لى قال لا . ولكن أرددها عليك كما رددها على بكر بن خنيس رحمه الله حسبى الله لدينى حسبى الله لدنياى حسبى الله الكريم لما أهمنى حسبى الله الحليم القوى لمن بغى على حسبى الله الشديد لمن كادنى بسوء حسبى الله الرحيم عند الموت حسبى الله الرءوف عند المسألة فى القبر حسبى الله الكريم عند الحساب حسبى الله اللطيف عند الميزان حسبى الله القدير عند الصراط حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » وقد روى عن أبى الدرداء أنه قال « من قال فى كل يوم سبع مرات (فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) كفاه الله عز وجل ما أهمه من أمر آخرته صادقا كان أو كاذبا » .

دعاء عتبة الغلام

وقد رؤى فى المنام بعد موته فقال : دخلت الجنة بهذه الكلمات « اللهم ياهادى المضلين وياراحم المذنبين ويامقيل عثرات العاثرين أرحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الأخيار المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين .

دعاء آدم عليه الصلاة والسلام

قالت عائشة رضى الله عنها : لما أراد الله عز وجل أن يتوب على آدم صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت سبعا

---

(١) حديث « قيل لأبى الدرداء : أحرقت دارك فقال ما كان الله ليفعل ذلك ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الدعاء من حديث أبى الدرداء ضعيف .

وهو يومئذ ليس بمبنى ربوة حمراء ثم قام فصلى ركعتين ثم قال « اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم حاجتى فأعطنى سؤلى وتعلم مافى نفسى فاغفر لى ذنوبى . اللهم إنى أسألك إيماناً يباشر قلبى ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلا ما كتبته على والرضا بما قسمته لى ياذا الجلال والإكرام » فأوحى الله عز وجل إليه إنى قد غفرت لك ولم يأتنى أحد من ذريتك فيدعونى بمثل الذى دعوتنى به إلا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهى راغمة وإن كان لا يريدها .

دعاء على بن أبى طالب رضى الله عنه

رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله تعالى يمجد نفسه كل يوم ويقول : إنى أنا الله رب العالمين . إنى أنا الله لا إله إلا أنا الحى القيوم . إنى أنا الله لا إله إلا أنا العلى العظيم . إنى أنا الله لا إله إلا أنا لم ألد ولم أولد إنى أنا الله لا إله إلا أنا العفو الغفور . إنى أنا الله لا إله إلا أنا مبدئ كل شىء وإلى يعود العزيز الحكيم الرحمن الرحيم مالك يوم الدين خالق الخير والشر خالق الجنة والنار الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا الفرد الوتر عالم الغيب والشهادة الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الكبير المتعال المقتدر القهار الحليم الكريم أهل الثناء والمجد أعلم السر وأخفى القادر الرزاق فوق الخلق والخليقة [1] » وذكر قبل كل كلمة « إنى أنا الله لا إله إلا أنا » كما أوردناه فى الأول فمن دعا بهذه الأسماء فليقل « إنك أنت الله لا إله إلا أنت كذا وكذا » فمن دعا بهن كتب من الساجدين المخبتين الذين يجاورون محمداً وإبراهيم وموسى وعيسى والنبيين صلوات الله عليهم فى دار الجلال . وله ثواب العابدين فى السموات والأرضين وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى .

دعاء ابن المعتمر وهو سليمان التيمى وتسبيحاته رضى الله عنه

روى أن يونس بن عبيد رأى رجلا فى المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم فقال : ماأفضل مارأيت ثم من الأعمال ؟ قال : رأيت تسبيحات ابن المعتمر من الله عز وجل بمكان وهى هذه « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ماخلق وزنة ماهو خالق وملء ما خلق وملء ماهو خالق وملء سمواته وملء أرضه ومثل ذلك وأضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه حتى يرضى وإذا رضى وعدد ما ذكره به خلقه فى جميع مامضى وعدد ماهم ذاكروه فيما بقى فى كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات وشم ونفس من الأنفاس وأبد من الآباد من أبد إلى أبد أبد الدنيا وأبد الآخرة وأكثر من ذلك لا ينقطع أوله ولا ينفد آخره » .

دعاء إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه

روى إبراهيم بن بشار خادمه : أنه كان يقول هذا الدعاء فى كل يوم جمعة إذا أصبح وإذا أمسى « مرحبا بيوم المزيد والصبح الجديد والكاتب والشهيد يومنا هذا يوم عيد اكتب لنا فيه مانقول بسم الله الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال فى خلقه ما يريد أصبحت بالله مؤمنا وبلقائه مصدقا وبحجته معترفا ومن ذنبى مستغفرا ولربوبية الله خاضعاً

---

(١) حديث على « إن الله تعالى يمجد نفسه كل يوم فيقول إنى أنا الله رب العالمين إنى أنا الله لا إله إلا أنا الحى القيوم .. الحديث » بطوله لم أجده أصلا .

ولسوى الله فى الآلهة جاحداً وإلى الله فقيرا وعلى الله متكلا وإلى الله منيبا أشهد الله وأشهد ملائكته وأنبيائه ورسله وحملة عرشه ومن خلقه ومن هو خالقه بأنه هو الله الذى لا إله إلا هو وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وأن الجنة حق وأن النار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق ووعدك حق ووعيدك حق ولقاءك حق والساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور على ذلك أحيا وعليه أموت وعليه أبعث إن شاء الله . اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك اللهم من شر ما صنعت ومن شر كل ذى شر . اللهم إنى ظلمت نفسى فاغفر لى ذنوبى فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت واهدنى لأحسن الأخلاق فإنه لايهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها فإنه لا يصرف سيئها إلا أنت لبيك وسعديك والخير كله بيديك أنا لك وإليك أستغفرك وأتوب إليك . آمنت اللهم بما أرسلت من رسول وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب وصلى الله على محمد النبي الأمى وعلى آله وسلم تسليما كثيرا خاتم كلامى ومفتاحه وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين يارب العالمين . اللهم أوردنا حوض محمد واسقنا بكأسه مشربا رويا سائغا هنيا لا نظمأ بعده أبدا واحشرنا فى زمرته غير خزايا ولا ناكثين للعهد ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوب علينا ولا ضالين . اللهم اعصمنى من فتن الدنيا ووفقنى لما تحب وترضى وأصلح لى شأنى كله وثبتنى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولاتضلنى وإن كنت ظالما سبحانك ، سبحانك ياعلى ياعظيم يابارئ يارحيم ياعزيز ياجبار سبحان من سبحت له السموات بأكنافها وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها وسبحان من سبحت له الجبال بأصدائها وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم فى السماء بأبراجها وسبحان من سبحت له الأشجار بأصولها وثمارها وسبحان من سبحت له السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحان من سبح له كل شىء من مخلوقاته تباركت وتعاليت سبحانك ، سبحانك ياحى ياقيوم ياعليم ياحليم سبحانك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك تحيى وتميت وأنت حى لا تموت بيدك الخير وأنت على كل شىء قدير .

الباب الرابع

فى أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضى الله عنهم

محذوفة الأسانيد منتخبة من جملة ما جمعه أبو طالب المكى وابن خزيمة وابن منذر رحمهم الله

يستحب للمريد إذا أصبح أن يكون أحب أوراده الدعاء - كما سيأتى ذكره فى كتاب الأوراد - فإن كنت من المريدين لحرث الآخرة المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما دعا به فقل فى مفتتح دعواتك [1] أعقاب صلواتك [2] سبحان ربى العلى الأعلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . وقل : رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا [3] - ثلاث مرات - وقل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شىء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه [4] وقل : اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى وأقل

الباب الرابع : فى أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) حديث « افتتاح الدعاء بسبحان ربى العلى الأعلى الوهاب » تقدم فى الباب الثانى فى الدعاء (٢) حديث « القول عقب الصلوات لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير » متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة .

(٣) حديث « رضيت بالله ربا .. الحديث » تقدم فى الباب الأول من الأذكار (٤) حديث « اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شىء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه » . =

عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن أغتال من تحتي [١] اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا تنزع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين [٢] وقل : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت [٣] ـ ثلاث مرات ـ وقل : اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا إله إلا أنت [٤] ـ ثلاث مرات ـ وقل : اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك الكريم وشوقا إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أعتدي أو يعتدى علي أو أكسب خطيئة أو ذنبا لا تغفره [٥] اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة في الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا خاشعا سليما ولسانا صادقا وعملا متقبلا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم فإنك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب [٦] اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني فإنك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير وعلى كل غيب شهيد [٧] اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الأبد ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم في أعلى جنة الخلد [٨] اللهم إني أسألك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين أسألك حبك وحب من أحبك وحب كل عمل يقرب إلى حبك وأن تتوب علي وتغفر لي وترحمني وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون [٩] اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك وأعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة . واللهم زينا

= أخرجه أبو داود والترمذي وصححه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة « أن أبا بكر الصديق قال : يارسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت قال قل اللهم » فذكره (١) حديث « اللهم إني أسألك العافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورتي وآمن روعتي وأقل عثرتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي » أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث ابن عمر « قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح » (٢) حديث « اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين » رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس دون قوله « ولا تولني غيرك » وإسناده ضعيف (٣) حديث « اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » أخرجه البخاري من حديث شداد بن أوس وقد تقدم (٤) حديث « اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا إله إلا أنت ـ ثلاث مرات ـ » أخرجه أبو داود والنسائي في اليوم والليلة من حديث أبي بكرة وقال النسائي جعفر بن ميمون ليس بالقوي (٥) حديث « اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء ... الحديث » إلى قوله « أو ذنبا لا يغفر » أخرجه أحمد والحاكم من حديث زيد بن ثابت في أثناء حديث وقال صحيح الإسناد (٦) حديث « اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد ... الحديث » إلى قوله « وأنت علام الغيوب » أخرجه الترمذي والنسائي والحاكم وصححه من حديث شداد بن أوس . قلت : بل هو منقطع وضعيف (٧) حديث « اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ... الحديث » إلى قوله « وعلى كل غيب شهيد » متفق عليه من حديث أبي موسى دون قوله « وعلى كل غيب شهيد » وقد تقدم في الباب الثاني من هذا الكتاب (٨) حديث « اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الأبد ... الحديث » أخرجه النسائي في اليوم والليلة والحاكم من حديث عبد الله بن مسعود دون قوله « وقرة عين الابد » وقال صحيح الإسناد والنسائي من حديث عمار بن ياسر بإسناد جيد « وأسألك نعيما لا يبيد وقرة عين لا تنقطع » (٩) حديث « اللهم إني أسألك الطيبات وفعل الخيرات .. الحديث » إلى قوله غير مفتون » أخرجه الترمذي من حديث معاذ « اللهم إني أسألك فعل الخيرات ... الحديث » وقال حسن صحيح ولم يذكر « الطيبات » وهي في الدعاء للطبراني من حديث عبد الرحمن بن عايش وقال أبو حاتم ليست له صحبة

بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين [١] اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا والآخرة [٢] اللهم املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا منك فرقا واسكن فى نفوسنا من عظمتك ما تذلل به جوارحنا لخدمتك واجعلك اللهم أحب إلينا من سواك واجعلنا أخشى لك من سواك [٣] اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوله رحمة واوسطه نعمة وآخره تكرمة ومغفرة [٤] الحمد لله الذى تواضع كل شىء لعظمته وذل كل شىء لعزته وخضع كل شىء لملكه واستسلم كل شىء لقدرته والحمد لله الذى سكن كل شىء لهيبته وأظهر كل شىء بحكمته وتصاغر كل شىء لكبريائه [٥] اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأزواج محمد وذريته وبارك على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد [٦] اللهم صلى على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى رسولك الأمين وأعطه المقام المحمود الذى وعدته يوم الدين [٧] اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين واستعملنا لمرضاتك عنا ووفقنا لمحابك منا وصرفنا بحسن اختيارك لنا [٨] نسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه [٩] اللهم بقدرتك على تب على إنك أنت التواب الرحيم وبحلمك عنى اعف عنى إنك أنت الغفار الحليم وبعلمك بى ارفق بى إنك أنت أرحم الراحمين وبملكك لى ملكنى نفسى ولا تسلطها على إنك أنت الملك الجبار [١٠] سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفر لى ذنبى إنك أنت ربى ولا يغفر الذنوب إلا أنت [١١] اللهم ألهمنى رشدى وقنى شر نفسى [١٢] اللهم ارزقنى حلالا لا تعاقبنى عليه وقنعنى بما رزقتنى

---

(١) حديث « اللهم انى أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرا لى ... الحديث » الى قوله « واجعلنا هداة مهتدين » أخرجه النسائى والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث عمار بن ياسر « قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به » (٢) حديث « اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك . الحديث » أخرجه الترمذى وقال حسن والنسائى فى اليوم والليلة والحاكم وقال صحيح على شرط البخارى من حديث ابن عمر « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يختم مجلسه بذلك » (٣) حديث « اللهم املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا بك فرحا ... الحديث » الى قوله « واجعلنا أخشى لك من سواك » لم أقف له على أصل (٤) حديث « اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكرمة » أخرجه عبد بن حميد فى المنتخب والطبرانى من حديث ابن أوفى بالشطر الأول فقط الى قوله « نجاحا » واسناده ضعيف .

(٥) حديث « الحمد لله الذى تواضع كل شىء لعظمته وذل كل شىء لعزته ... الحديث » الى قوله « وتصاغر كل شىء لكبريائه » أخرجه الطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف دون قوله « والحمد لله الذى سكن كل شىء لهيبته » الى آخره وكذلك رواه فى الدعاء من حديث أم سلمة وسنده ضعيف أيضاً (٦) حديث « اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته ... الحديث » الى قوله « حميد مجيد » تقدم فى الباب الثانى (٧) حديث « اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى رسول الأمين وأعطه المقام المحمود يوم الدين » لم أجده بهذا اللفظ مجموعا والبخارى من حديث أبى سعيد « اللهم صل على محمد عبدك ورسولك » وابن حبان والدارقطنى والحاكم والبيهقى من حديث ابن مسعود « اللهم صل على محمد النبى الامى » والنسائى من حديث جابر « وابعثه المقام المحمود الذى وعدته » وهو عند البخارى بلفظ « وابعثه مقاما محمودا » قال الدارقطنى اسناده حسن وقال الحاكم صحيح وقال البيهقى فى المعرفة اسناده صحيح (٨) حديث « اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين ... الحديث » إلى قوله « صرفنا بحسن اختيارك لنا » لم أقف له على أصل (٩) حديث « نسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه » أخرجه الطبرانى من حديث أم سلمه « أنه كان يدعو بهؤلاء الكلمات » فذكر منها « اللهم انى أسألك فواتح الخير وخواتمه وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلى من الجنة آمين » فيه عاصم بن عبيد لا أعلم روى عنه إلا موسى ابن عقبة (١٠) حديث « اللهم بقدرتك على تب على إنك أنت التواب الرحيم وبحلمك على اعف عنى ... الحديث » الى قوله « إنك الملك الجبار » لم أقف له على أصل (١١) حديث « سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفر لى ذنبى أنت ربى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » أخرجه البيهقى فى الدعوات من حديث على دون قوله « ذنبى إنك أنت ربى » وقد تقدم فى الباب الثانى (١٢) حديث « اللهم ألهمنى رشدى وقنى شر نفسى » أخرجه الترمذى من حديث عمران بن حصين =

واستعملني به صالحا تقبله مني [١] اللهم إني أسألك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة [٢] يامن لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي مالا يضرك وأعطني مالا ينقصك ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين . أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين . أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين . واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك . ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير . ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين . ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم . ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم . ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا . ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان - إلى قوله عز وجل - إنك لا تخلف الميعاد . ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا - إلى آخر السورة [٣] - رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا . واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات [٤] رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم وأنت خير الراحمين وأنت خير الغافرين وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد خاتم النبيين وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا [٥] .

أنواع الاستعاذة المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم

اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر [٦] اللهم إني أعوذ بك من طبع يهدي إلى طمع ومن طمع في غير مطمع ومن

= « أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه لحصين » وقال حسن غريب ورواه النسائي في اليوم والليلة والحاكم من حديث حصين والد عمران وقال صحيح على شرط الشيخين (١) حديث « اللهم ارزقني حلالا لاتباعدني فيه وقنعني بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله مني » أخرجه الحاكم من حديث ابن عباس « كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه وأخلف على كل غائبة لي بخير » وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٢) حديث « اللهم إني أسألك العفو والعافية والمعافاة وحسن اليقين في الدنيا والآخرة » أخرجه النسائي من حديث أبي بكر الصديق بلفظ « سلوا الله المعافاة فإنه لم يؤت أحد بعد اليقين خيرا من المعافاة » وفي رواية للبيهقي « سلوا الله العفو والعافية واليقين في الأولى والآخرة فانه ماأوتي العبد بعد اليقين خيرا من العافية » وفي رواية لأحمد « أسأل الله العفو والعافية » (٣) حديث « يامن لاتضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي مالايضرك وأعطني مالاينقصك » أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بسند ضعيف (٤) حديث « رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات » أخرجه أبو داود وابن ماجه بإسناد حسن من حديث أبي أسيد الساعدي « قال رجل من بني سلمة هل بقي علي من برأبوي شيء ؟ قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما ... الحديث » ولأبي الشيخ ابن حبان في الثواب والمستغفري في الدعوات من حديث أنس « من استغفر للمؤمنين والمؤمنات رد الله عليه عن كل مؤمن مضى من أول الدهر أومن كائن إلى يوم القيامة » وسنده ضعيف وفي صحيح ابن حبان من حديث أبي سعيد « أيما رجل مسلم لم يكن عنده صدقة فليقل في دعائه اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فإنها زكاة » (٥) حديث « رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم وأنت خير الراحمين وخير الغافرين » أخرجه أحمد من حديث أم سلمة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول رب اغفر وارحم واهدني السبيل الأقوم » وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه ، وللطبراني في الدعاء من حديث ابن مسعود « أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا سعى في بطن المسيل اللهم اغفر وارحم وأنت الأعز الأكرم » وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه ورواه موقوفا عليه بسند صحيح (٦) حديث « اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد الى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر » أخرجه البخاري من حديث سعيد بن أبي وقاص .

طمع حيث لا مطمع [١] اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع . وأعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ومن الخيانة فإنها بئست البطانة ومن الكسل والبخل والجبن والهرم ومن أن أرد إلى أرذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات . اللهم إنا نسألك قلوباً أواهة مخبتة منيبة فى سبيلك . اللهم إنى أسألك عزائم مغفرتك وموجبات رحمتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار [٢] . اللهم إنى أعوذ بك من التردى وأعوذبك من الغم والغرق والهدم وأعوذبك من أن أموت فى سبيلك مدبرا وأعوذ بك من أن أموت فى تطلب الدنيا [٣] اللهم إنى أعوذ بك شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم [٤] . اللهم جنبنى منكرات الأخلاق والأعمال والأدواء والأهواء [٥] . اللهم إنى أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء [٦] اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال [٧] اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى وبصرى وشر لسانى وقلبى وشر ومنيى [٨] . اللهم إنى أعوذ بك من جار السوء فى دار المقامة فإن جار البادية يتحول [٩] . اللهم إنى أعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة وأعوذ بك من الكفر والفقر والفسوق والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق وضيق الأرزاق والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والعمى والجنون والجذام والبرص وسيء الأسقام [١٠] اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحول عافيتك ومن فجأة نقمتك ومن جميع سخطك [١١] اللهم إنى أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر فتنة

---

(١) حديث « اللهم اني أعوذ بك من طبع يهدى الى طمع وطمع فى غير مطمع ومن طمع حيث لامطمع » أخرجه أحمد والحاكم من حديث معاذ وقال مستقيم الإسناد .

(٢) حديث « اللهم انى أعوذ بك من علم لاينفع وقلب لايخشع ودعاء لايسمع ... الحديث » الى قوله « والنجاة من النار » أخرجه الحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح الإسناد وليس كما قال الا أنه ورد مفرقا فى أحاديث جيدة الأسانيد .

(٣) حديث « اللهم انى أعوذ بك من التردى وأعوذ بك من الغم ... الحديث » الى قوله وأعوذ بك أن أموت فى تطلب الدنيا » أخرجه أبو داود والنسائى والحاكم وصحح اسناده من حديث أبى اليسر واسمه كعب بن عمر بزيادة فيه دون قوله « وأعوذ بك أن أموت فى تطلب دنيا » وتقدم من عند البخارى الاستعاذة من فتنة الدنيا . (٤) حديث « اللهم انى أعوذ بك من شر ما علمت ومن شر مالم أعلم » قلت : هكذا فى غير نسخة « علمت » وانما هو « عملت » وأعمل » كذا رواه مسلم من حديث عائشة ولأبى بكر بن الضحاك فى الشمائل فى حديث مرسل فى الاستعاذة وفيه « وشر مالم أعمل وشر مالم أعلم » .

(٥) حديث « اللهم جنبنى منكرات الأخلاق والأعمال والأدواء والأهواء » أخرجه الترمذى وحسنه والحاكم وصححه واللفظ له من حديث قطبة بن مالك . (٦) حديث « اللهم انى أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء » متفق عليه من حديث أبى هريرة . (٧) حديث « اللهم انى أعوذ بك من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال » أخرجه النسائى والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه كان يقول من الكفر والدين » وفى رواية للنسائى « من الكفر والفقر » ولمسلم من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « أنه كان يتعوذ من عذاب القبر وعذاب جهنم وفتنة الدجال » وللشيخين من حديث عائشة فى حديث قال فيه « ومن شر فتنة المسيح الدجال » . (٨) حديث « اللهم انى أعوذ بك من شر سمعى وشر بصرى وشر لسانى وقلبى وشر منيى » أخرجه أبو داود والنسائى والترمذى وحسنه الحاكم وصحح اسناده من حديث سهل بن حنيف . (٩) حديث « اللهم انى أعوذ بك من جار السوء فى دار المقامة فان جار البادية يتحول » أخرجه النسائى والحاكم من حديث أبى هريرة وقال صحيح على شرط مسلم .

(١٠) حديث « اللهم انى أعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيىء الاسقام » أخرجه أبو داود والنسائى مقتصرين على الأربعة الأخيرة والحاكم بتمامه من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين .

(١٢) حديث « اللهم انى أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك ومن جميع سخطك » أخرجه مسلم من حديث ابن عمر .

المسيح الدجال وأعوذ بك من المغرم والمأثم [١] اللهم إنى أعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلاة لاتنفع ودعوة لاتستجاب وأعوذ بك من شر الغم وفتنة الصدر [٢] . اللهم إنى أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء [٣] وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين آمين .

الباب الخامس : فى الأدعية المأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث

إذا أصبحت وسمعت الأذان فيستحب لك جواب المؤذن وقد ذكرناه وذكرنا أدعية دخول الخلاء والخروج منه وأدعية الوضوء فى كتاب الطهارة . فإذا خرجت إلى المسجد فقل « اللهم اجعل فى قلبى نوراً وفى لسانى نوراً واجعل فى سمعى نورا واجعل فى بصرى نورا واجعل خلفى نورا وأمامى نورا واجعل من فوقى نورا اللهم أعطنى [٤] نورا » وقل أيضا : اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا إليك [٥] فإنى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تنقذنى من النار وأن تغفر لى ذنوبى إنه لايغفر الذنوب إلا أنت » فإن خرجت من المنزل لحاجة فقل « بسم الله رب أعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على [٦] بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم بسم الله التكلان على الله [٧] » فإذا انتهيت إلى المسجد تريد دخوله فقل « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم اغفر لى جميع ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك [٨] » وقدم رجلك اليمنى فى الدخول فإذا رأيت فى المسجد من يبيع أو يبتاع فقل « لا أربح الله تجارتك [٩] » وإذا رأيت من ينشد ضالة فى المسجد فقل « لا ردها الله عليك » أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم [١٠] فإذا صليت ركعتى الصبح فقل « بسم الله اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى . . الدعاء إلى آخره [١١]

---

(١) حديث « اللهم إنى أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من المأثم والمغرم » متفق عليه من حديث عائشة . (٢) حديث « اللهم إنى أعوذ بك من نفس لاتشبع وقلب لايخشع وصلاة لاتنفع ودعوة لاتستجاب وأعوذ بك من سوء العمر وفتنة الصدر » أخرجه مسلم من حديث زيد بن أرقم فى أثناء حديث « اللهم إنى أعوذ بك من قلب لايخشع ونفس لاتشبع وعمل لايرفع ودعوة لايستجاب لها وصلاة لاتنفع » وشك أبو المعتمر فى سماعه من أنس وللنسائى بإسناد جيد من حديث عمر فى أثناء حديث « وأعوذ بك » وأبو داود من حديث أنس « اللهم إنى أعوذ بك من سوء العمر وأعوذ بك من فتنة الصدر » . (٣) حديث « اللهم إنى أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء » أخرجه النسائى والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم .

الباب الخامس : فى الأدعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث

(٤) حديث « القول عند الخروج الى المسجد اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى لسانى نورا ... الحديث » متفق عليه من حديث ابن عباس . (٥) حديث « اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا إليك ... الحديث » من حديث أبى سعيد الخدرى بإسناد حسن . (٦) حديث « القول عند الخروج من المنزل لحاجته بسم الله رب أعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على » أخرجه أصحاب السنن من حديث أم سلمة قال الترمذى حسن صحيح . (٧) حديث « بسم الله الرحمن الرحيم ولاحول ولاقوة إلا بالله التكلان على الله » أخرجه ابن ماجه من حديث أبى هريرة « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من منزله قال بسم الله » فذكره إلا أنه لم يقل « الرحمن الرحيم » وفيه ضعف . (٨) حديث « القول عند دخول المسجد اللهم صل على محمد اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الترمذى حسن وليس إسناده بمتصل ولمسلم من حديث أبى حميد أو أبى أسيد « إذا دخل أحدكم المسجد فليقل اللهم افتح لى أبواب رحمتك » وزاد أبو داود فى أوله « فليسلم على النبى صلى الله عليه وسلم » .

(٩) حديث « القول إذا رأى من يبيع أو يبتاع فى المسجد لاأربح الله تجارتك » أخرجه الترمذى وقال حسن غريب والنسائى فى اليوم والليلة من حديث أبى هريرة . (١٠) حديث « القول إذا رأى من ينشد ضالة فى المسجد لاردها الله عليك » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة . (١١) حديث ابن عباس فى القول بعد ركعتى الصبح « اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى » الخ قد تقدم فى الدعاء

كما أوردناه عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فإذا ركعت فقل فى ركوعك « اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت أنت ربى خشع سمعى وبصرى ومخى وعظمى وعصبى وما استقلت به قدمى لله رب العالمين [1] » وإن أحببت فقل « سبحان ربى العظيم - ثلاث مرات - [2] أو سبوح قدوس رب الملائكة والروح [3] » فإذا رفعت رأسك من الركوع فقل « سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد [4] » وإذا سجدت فقل اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين اللهم سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى أبوء بنعمتك على وأبوء بذنبي وهذا ماجنيت على نفسى فاغفرلى فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت [5] أو تقول « سبحان ربى الأعلى - ثلاث مرات - [6] » فإذا فرغت من الصلاة فقل « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام [7] » وتدعو بسائر الأدعية التى ذكرناها . فإذا قمت من المجلس وأردت دعاء يكفر لغو المجلس فقل « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفرلى فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت [8] » فإذا دخلت السوق فقل « لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير [9] » بسم الله اللهم إنى أسألك خير هذه السوق وخير مافيها اللهم إنى أعوذ بك من شرها وشر مافيها اللهم إنى أعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة أو صفقة خاسرة [10] » فإن كان عليك دين فقل « اللهم أكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك [11] » فإذا لبست ثوبا جديدا فقل اللهم كسوتنى هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ماصنع له وأعوذ بك من شره وشر ماصنع له [12] » وإذا

---

(١) حديث ابن عباس فى القول فى الركوع « اللهم لك ركعت ولك أسلمت ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث على

(٢) حديث القول فيه « سبحان ربى العظيم » ثلاثا أخرجه أبو داود والترمذى والبيهقى من حديث ابن مسعود وفيه انقطاع

(٣) حديث القول فيه « سبوح قدوس رب الملائكة والروح » أخرجه مسلم من حديث عائشة

(٤) حديث القول عند الرفع من الركوع « سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى وابن عباس دون قوله « سمع الله لمن حمده » فهى فى اليوم والليلة للحسن بن على المعمرى وهى عند مسلم من حديث ابن أبى أوفى وعند البخارى من حديث أبي هريرة (٥) حديث القول فى السجود « اللهم لك سجدت ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث على « اللهم سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى أبوء بنعمتك على وأبوء بذنبي وهذا ماجنيت على نفسى فاغفر لى فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت » أخرجه الحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح الإسناد وليس كما قال بل هو ضعيف (٦) حديث « سبحان ربى الأعلى » ثلاثا أخرجه أبو داود والترمذى والبيهقى من حديث ابن مسعود وهو منقطع .

(٧) حديث القول إذا فرغ من الصلاة « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام » أخرجه مسلم من حديث ثوبان (٨) حديث « كفارة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لااله إلاأنت » أخرجه النسائى فى اليوم والليلة من حديث رافع بن خديج بإسناد حسن (٩) حديث القول عند دخول السوق « لااله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير » من حديث عمر وقال غريب والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين . (١٠) حديث « بسم الله اللهم إنى أسألك خير هذه السوق وخير مافيها اللهم إنى أعوذ بك من شرها وشر مافيها اللهم إنى أعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة أو صفقة خاسرة » أخرجه الحاكم من حديث بريدة وقال أقربها لشرائط هذا الكتاب حديث بريدة . قلت فيه أبو عمر جار لشعيب بن حرب ولعله حفص بن سليمان الأسدى مختلف فيه

(١١) حديث دعاء الدين « اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك » أخرجه الترمذى وقال حسن غريب والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث على بن أبي طالب (١٢) حديث الدعاء إذا لبس ثوبا جديدا « اللهم كسوتنى هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ماصنع له وأعوذ بك من شره وشر ماصنع له » أخرجه أبو داود والترمذى وقال حسن والنسائي فى اليوم والليلة من حديث أبى سعيد الخدرى ورواه ابن السنى بلفظ المصنف .

رأيت شيئا من الطيرة تكرهه فقل « اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ولايذهب بالسيئات إلا أنت لاحول ولاقوة إلا بالله [١] » وإذا رأيت الهلال فقل « اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والبر والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى والحفظ عمن تسخط ، ربى وربك الله [٢] » ويقول « هلال رشد وخير آمنت بخالقك [٣] اللهم إنى أسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم الحشر [٤] » وتكبر قبله أولا ثلاثا . وإذا هبت الريح فقل « اللهم إنى أسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها ومن شر ما أرسلت به [٥] » وإذا بلغك وفاة أحد فقل « إنا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه فى المحسنين واجعل كتابه فى عليين واخلفه على عقبه فى الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله [٦] وتقول عند التصدق ﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ وتقول عند الخسران ﴿ عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون ﴾ وتقول عند ابتداء الأمور ﴿ ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ـ رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى ﴾ وتقول عند النظر إلى السماء ﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ـ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ﴾ وإذا سمعت صوت الرعد فقل ﴿ سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته [٧] ﴾ فإن رأيت الصواعق فقل « اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك [٨] » قاله كعب . فإذا أمطرت السماء فقل « اللهم سقيا هنيئا وصيبا نافعا [٩] اللهم اجعله صيب رحمة ولا تجعله صيب عذاب [١٠] » فإذا غضبت فقل « اللهم اغفر لى ذنبى وأذهب غيظ قلبى

---

(١) حديث القول إذا رأى شيئاً من الطيرة يكرهه « اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ولايذهب بالسيئات إلا أنت لاحول ولا قوة إلا بالله » أخرجه ابن أبى شيبة وأبو نعيم فى اليوم والليلة والبيهقى فى الدعوات من حديث عروة بن عامر مرسلا ورجاله ثقات وفى اليوم والليلة لابن السنى عن عقبة بن عامر لجعله مسندا (٢) حديث « التكبير عند رؤية الهلال ـ ثلاثا ـ ثم يقول : اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله » أخرجه الدارمى من حديث ابن عمر إلا أنه أطلق التكبير ولم يقل « ثلاثا » ورواه الترمذى وحسنه من حديث طلحة بن عبيد الله دون ذكر التكبير والبيهقى فى الدعوات من حديث قتادة مرسلا « كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال كبر ثلاثا » (٣) حديث « هلال خير ورشد آمنت بخالقك » أخرجه أبو داود مرسلا من حديث قتادة « أنه بلغه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال هلال خير ورشد هلال خير ورشد آمنت بالذى خلقك ـ ثلاث مرات ـ » وأسنده الدارقطنى فى الأفراد والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس وقال أبو داود وليس فى هذا عن النبى صلى الله عليه وسلم حديث مسند صحيح (٤) حديث « اللهم إنى أسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم الحشر » أخرجه ابن أبى شيبة وأحمد فى مسنديهما من حديث عبادة بن الصامت وفيه من لم يسم بل قال الراوى عنه حدثنى من لاأتهم (٥) حديث « القول إذا هبت الريح : اللهم إنى أسألك خير هذه الريح وخير مافيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به » أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى فى اليوم والليلة من حديث أبى بن كعب (٦) حديث « القول إذا بلغه وفاة أحد إنا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه من المحسنين واجعل كتابه فى عليين واخلفه على عقبه فى الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولاتفتنا بعده واغفر لنا وله » أخرجه ابن السنى فى اليوم والليلة وابن حبان من حديث أم سلمة « إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل إنا لله وإنا إليه راجعون » ولمسلم من حديثها « اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المهديين واخلفه فى عقبه فى الغابرين واغفر لنا وله يارب العالمين وافسح له فى قبره ونور له فيه .

(٧) حديث « القول إذا سمع صوت الرعد : سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته » أخرجه مالك فى الموطأ عن عبد الله بن الزبير موقوفا ولم أجده مرفوعا . (٨) حديث « القول عند الصواعق : اللهم لاتقتلنا بغضبك ولاتهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك » أخرجه الترمذى وقال غريب والنسائى فى اليوم والليلة من حديث ابن عمر وابن السنى بإسناد حسن .

(٩) حديث « القول عند المطر : اللهم سقيا هنيئا وصيبا نافعا » أخرجه البخارى من حديث عائشة « كان إذا رأى المطر قال : اللهم اجعله صيبا نافعا » وابن ماجه « سيبا » بالسين أوله والنسائى فى اليوم والليلة « اللهم اجعله صيبا هنيئا » وإسنادها صحيح

(١٠) حديث « اللهم اجعله صيب رحمة ولاتجعله صيب عذاب » أخرجه النسائى فى اليوم والليلة من حديث سعيد بن المسيب مرسلا .

وأجرنى من الشيطان الرجيم [١] ، فإذا خفت قوما فقل « اللهم إنا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم [٢] » فإذا غزوت فقل « اللهم أنت عضدى ونصيرى وبك أقاتل [٣] » وإذا طنت أذنك فصل على محمد صلى الله عليه وسلم وقل « ذكر الله من ذكرنى بخير [٤] » فإذا رأيت استجابة دعائك فقل الحمد لله الذى بعزته وجلاله تتم الصالحات » وإذا أبطأت فقل « الحمد لله على كل حال [٥] » وإذا سمعت أذان المغرب فقل « اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لى [٦] » وإذا أصابك هم فقل « اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء غمى وذهاب حزنى وهمى [٧] » قال صلى الله عليه وسلم « ما أصاب أحداً حزن فقال ذلك إلا أذهب الله همه وأبدله مكانه فرحا فقيل له يا رسول الله أفلا نتعلمها ؟ فقال صلى الله عليه وسلم بل ينبغى لمن سمعها أن يتعلمها » وإذا وجدت وجعاً فى جسدك أو جسد غيرك فارقه برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا اشتكى الإنسان قرحة أو جرحا وضع سبابته على الأرض ثم رفعها وقال بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا [٨] » وإذا وجدت وجعاً فى جسدك فضع يدك على الذى يتألم من جسدك وقل « بسم الله - ثلاثا - وقل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر [٩] » فإذا أصابك كرب فقل « لا إله إلا الله العلى الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم [١٠] » فإن أردت النوم فتوضأ أولا ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة ثم كبر الله تعالى أربعا وثلاثين وسبحه ثلاثا وثلاثين واحمده ثلاثا وثلاثين [١١] » ثم قل « اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم إنى لا أستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثنيت على نفسك [١٢] اللهم باسمك أحيا وأموت [١٣] اللهم رب السموات ورب الأرض ورب كل شىء ومليكه فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل

---

(١) حديث « القول اذا غضب : اللهم اغفر ذنبى وأذهب غيظ قلبى وأجرنى من الشيطان الرجيم » أخرجه ابن السنى فى اليوم والليلة من حديث عائشة بسند ضعيف . (٢) حديث « القول اذا خاف قوما : اللهم انى أجعلك فى نحورهم وأعوذ بك من شرورهم » أخرجه أبو داود والنسائى فى اليوم والليلة من حديث أبى موسى بسند صحيح . (٣) حديث « القول اذا غزا : اللهم أنت عضدى ونصيرى بك أقاتل » أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث أنس قال الترمذى حسن غريب .

(٤) حديث « القول عند طنين الأذن : اللهم صل على محمد ذكر الله بخير من ذكرنى » أخرجه الطبرانى وابن عدى وابن السنى فى اليوم والليلة من حديث أبى رافع بسند ضعيف . (٥) حديث « القول اذا رأى استجابة دعائه : الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات » تقدم فى الدعاء . (٦) حديث « القول اذا سمع أذان المغرب : اللهم هذا إقبال ليلك وادبار نهارك وأصوات دعاتك وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لى » أخرجه الترمذى وأبو داود وقال غريب والحاكم من حديث أم سلمة دون قوله « وحضور صلواتك » فإنها عند الخرائطى فى مكارم الأخلاق والحسن بن على المعمرى فى اليوم والليلة . (٧) حديث « القول اذا أصابه هم : اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ... الحديث » أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط مسلم ان سلم من ارسال عبد الرحمن عن أبيه فإنه مختلف فى سماعه من أبيه .

(٨) حديث « رقية رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا » متفق عليه من حديث عائشة . (٩) حديث « وضع يده على الذى يألم من جسده ويقول : بسم الله - ثلاثا - ويقول : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات » أخرجه مسلم من حديث عثمان بن أبى العاص . (١٠) حديث « دعاء الكرب لا اله الا الله العلى الحليم .. الحديث » متفق عليه من حديث ابن عباس . (١١) حديث « التكبير عند النوم أربعا وثلاثين والتسبيح ثلاثا وثلاثين والتحميد ثلاثا وثلاثين » متفق عليه من حديث على . (١٢) حديث « القول عند ارادة النوم : اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم لا أستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثنيت على نفسك » أخرجه النسائى فى اليوم والليلة من حديث على وفيه انقطاع . (١٣) حديث « اللهم باسمك أحيا وأموت » أخرجه البخارى من حديث حذيفة ومسلم من حديث البراء .

والقرآن أعوذ بك من شر كل ذى شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنى الدين وأغننى من الفقر (١) اللهم إنك خلقت نفسى وأنت تتوفاها لك مماتها ومحياها اللهم إن أمتها فاغفر لها وإن أحييتها فاحفظها اللهم إنى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة (٢) باسمك ربى وضعت جنبى فاغفر لى ذنبى (٣) اللهم قنى عذابك يوم تجمع عبادك (٤) اللهم أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى إليك وفوضت أمرى إليك والجأت ظهرى إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت (٥) » ويكون هذا آخر دعائك فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وليقل قبل ذلك « اللهم أيقظنى فى أحب الساعات إليك واستعملنى بأحب الأعمال إليك تقربنى إليك زلفى وتبعدنى من سخطك بعداً أسألك فتعطينى واستغفرك فتغفر لى وأدعوك فتستجيب لى (٦) » فإذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل « الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور (٧) أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله (٨) أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين (٩) اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير (١٠) اللهم إنى أسألك أن تبعثنا فى هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه سوءا أو نجره إلى مسلم فإنك قلت ﴿ وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ﴾ (١١) اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا أسألك خير هذا اليوم وخير مافيه وأعوذ بك من شره وشر مافيه (١٢) بسم الله ماشاء الله لاقوة إلا بالله ماشاء الله

---

(١) حديث « اللهم رب السموات والأرض رب كل شيء ومليكه فالق الحب والنوى ... الحديث » الى قوله « وأغننا من الفقر » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة . (٢) حديث « اللهم أنت خلقت نفسى وأنت تتوفاها .. الحديث » الى قوله « اللهم انى أسألك العافية » أخرجه مسلم من حديث ابن عمر . (٣) حديث « باسمك ربى وضعت جنبى فاغفر لى ذنبى » أخرجه النسائى فى اليوم والليلة من حديث عبد الله بن عمرو بسند جيد وللشيخين من حديث أبى هريرة « باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه ان أمسكت نفسى فاغفر لها » وقال البخارى « فارحمها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » .

(٤) حديث « اللهم قنى عذابك يوم تجمع عبادك » أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث ابن مسعود وهو عند أبى داود من حديث حفصة بلفظ « تبعث » وكذا رواه الترمذى من حديث حذيفة وصححه من حديث البراء وحسنه .

(٥) حديث « اللهم انى أسلمت نفسى اليك وفوضت أمرى اليك .. الحديث » متفق عليه من حديث البراء . (٦) حديث « اللهم أيقظنى فى أحب الساعات اليك واستعملنى فى أحب الأعمال اليك تقربنى اليك زلفى وتبعدنى من سخطك بعدا أسألك فتعطينى وأستغفرك فتغفر لى وأدعوك فتستجيب لى » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس « اللهم ابعثنا فى أحب الساعات اليك حتى نذكرك فتذكرنا ونسألك فتعطينا وندعوك فتستجيب لنا ونستغفرك فتغفر لنا » وإسناده ضعيف وهو معروف من قول حبيب الطائى كما رواه ابن ابى الدنيا فى الدعاء . (٧) حديث « القول : اذا استيقظ من منامه الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور » أخرجه البخارى من حديث حذيفة ومسلم من حديث البراء . (٨) حديث « أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة أصبحنا وأصبح الملك والحمد والحول والقوة والقدرة والسلطان والسموات والأرض وكل شيء لله رب العالمين » وله فى الدعاء من حديث ابن أبى أوفى « أصبحت وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والليل والنهار وما سكن فيهما لله » وإسنادها ضعيف ولمسلم من حديث ابن مسعود « أصبحنا وأصبح الملك لله » . (٩) حديث « أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين » أخرجه النسائى فى اليوم والليلة من حديث عبد الرحمن بن أبزى بسند صحيح ورواه أحمد من حديث ابن أبزى عن أبى بن كعب مرفوعا . (١٠) حديث « اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت واليك المصير » أخرجه أصحاب السنن وابن حبان وحسنه الترمذى إلا أنهم قالوا « واليك النشور » ولابن السنى « واليك المصير » . (١١) حديث « اللهم انا نسألك أن تبعثنا فى هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه سوءا أو نجره الى مسلم ... الحديث » لم أجد أوله والترمذى من حديث أبى بكر فى حديث له وأعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه وأن نقترف على أنفسنا سوءا أو نجره الى مسلم » رواه أبو داود من حديث أبى مالك الأشعرى بإسناد جيد . (١٢) حديث « اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس =

كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لايصرف السوء إلا الله [١] رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ـ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير [٢] ـ وإذا أمسى قال ذلك إلا أنه يقول « أمسينا » ويقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ماذرأ وبرأ ومن شر كل ذى شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إنّ ربى على صراط مستقيم [٣] وإذا نظر فى المرآة قال الحمد لله الذى سوّى خلقى فعدله وكرم صورة وجهى وحسنها وجعلنى من المسلمين [٤] وإذا اشتريت خادما أو غلاما أو دابة فخذ بناصيته وقل اللهم إنى أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ماجبل عليه [٥] وإذا هنأت بالنكاح فقل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير [٦] وإذا قضيت الدين فقل للمقضى له بارك الله لك فى أهلك ومالك إذ قال صلى الله عليه سلم « وإنما جزاء السلف الحمد والأداء [٧] » .

فهذه أدعية لايستغنى المريد عن حفظها وماسوى ذلك من أدعية السفر والصلاة والوضوء ذكرناها فى كتاب الحج والصلاة والطهارة * فإن قلت : فما فائدة الدعاء والقضاء لامرد له ؟ فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب

= والقمر حسبانا أسألك خير هـذا اليوم وخير مافيه وأعوذ بك من شره وشر مافيه » قلت هو مركب من حديثين فروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى سعيد قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اقض عنى الدين وأغننى من الفقر وقونى على الجهاد فى سبيلك » وللدارقطنى فى الأفراد من حديث البراء « نسألك خير هـذا اليوم وخير ما بعده ونعوذ بك من شر هـذا اليوم وشر ما بعده » وأبو داود من حديث أبى مالك الأشعرى « اللهم إنا نسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وهداه وبركته وأعوذ بك من شر مافيه وشر ما بعده » وسنده جيد وللحسن بن على المعمرى فى اليوم والليلة من حديث ابن مسعود « اللهم انى أسألك خير مافى هذا اليوم وخير مابعده وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده » والحديث عند مسلم فى المساء « خير مافى هذه الليلة ... الحديث » ثم قال : وإذا أصبح قال ذلك أيضاً .

(١) حديث « بسم الله ماشاء الله لاقوة إلا بالله ماشاء الله كل نعمة فمن الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لايصرف السوء إلا الله » عد فى الكامل من حديث ابن عباس ولا أعلمه إلا مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال يلتقى الخضر وإلياس عليهما الصلاة والسلام كل عام بالموسم بمنى فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه فيفترقان عن هذه الكلمات » فذكره ولم يقل « الخير كله بيد الله » قال موضعها « لايسوق الخير إلا الله » قال ابن عباس : من قالهن حين يصبح وحين يمسى أمنه الله من الغرق والحرق وأحسبه قال : ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب . أورده فى ترجمة الحسين بن رزين قال ليس بالمعروف وهو بهذا الإسناد منكر .

(٢) حديث « رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا » تقدم فى الباب الأول . (٣) حديث « القول عند المساء مثل الصباح الا أنك تقول : أمسينا وتقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ماذرأ وبرأ ومن شر كل ذى شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم » أخرجه أبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث عبد الرحمن بن عوف « من قال حين يصبح أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وبرأ وذرأ اعتصم من شر الثقلين ... الحديث » وفيه « وان قالهن حين يمسى كن له كذلك حتى يصبح » وفيه ابن لهيعة ولأحمد من حديث عبد الرحمن بن حسن فى حديث « ان جبريل قال يامحمد قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق وذرأ وبرأ ومن شر مايخرج من السماء ... الحديث » وإسناده جيد ولمسلم من حديث أبى هريرة فى الدعاء عند النوم « أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها » وللطبرانى فى الدعاء من حديث أبى الدرداء « اللهم انى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة ... الخ الحديث » وقد تقدم فى الباب الثانى . (٤) حديث « القول اذا نظر فى المرآة : الحمد لله الذى سوى خلقى فعدله وكرم صورة وجهى وحسنها وجعلنى من المسلمين » أخرجه الطبرانى فى الأوسط وابن السنى فى اليوم والليلة من حديث أنس بسند ضعيف . (٥) حديث « القول اذا اشترى خادما أو دابة : اللهم انى أسألك خيره وخير ماجبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ماجبل عليه » أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند جيد . (٦) حديث « التهنئة بالنكاح : بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير » أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة قال الترمذى حسن صحيح .

(٧) حديث « الدعاء لصاحب الدين اذا قضى الله دينه : بارك الله لك فى أهلك ومالك انما جزاء السلف الحمد والأداء » أخرجه النسائى من حديث عبد الله بن أبى ربيعة قال « استقرض منى النبى صلى الله عليه وسلم أربعين ألفا فجاءه مال فدفعه الى » قال فذكره واسناده حسن .

لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما أن الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان . وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يحمل السلاح وقد قال تعالى ﴿ خذوا حذركم ﴾ وأن لا يسقى الأرض بعد بث البذر فيقال إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر وإن لم يسبق لم ينبت . بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذى هو كلمح البصر أو هو أقرب وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذى قدر الخير قدره بسبب ، والذى قدر الشر قدر لدفعه سببا فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته . ثم فى الدعاء من الفائدة ما ذكرناه فى الذكر فإنه يستدعى حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الدعاء مخ العبادة [1] » والغالب على الخلق أنه لا تنصرف قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل إلا عند إلمام حاجة وإرهاق ملمة فإن الإنسان إذا مسه الشر فذو دعاء عريض . فالحاجة تحوج إلى الدعاء والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذى هو أشرف العبادات . ولذلك صار البلاء موكلا بالأنبياء عليهم السلام ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل لأنه يرد القلب بالافتقار والتضرع إلى الله عز وجل ويمنع من نسيانه وأما الغنى فسبب للبطر فى غالب الأمور فإن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى . فهذا ما أردنا أن نورده من جملة الأذكار والدعوات والله الموفق للخير . وأما بقية الدعوات فى الأكل والسفر وعيادة المريض وغيرها فستأتى فى مواضعها إن شاء الله تعالى وعلى الله التكلان . نجز كتاب الأذكار والدعوات ، بكماله . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب : الأوراد . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل

وهو الكتاب العاشر من إحياء علوم الدين

وبه اختتام ربع العبادات نفع الله به المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله على آلائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا يغادر فى القلب استكبارا ولا نفورا ونشكره إذ جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ونصلى على نبيه الذى بعثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى آله الطاهرين وصحبه الأكرمين الذين اجتهدوا فى عبادة الله غدوة وعشيا وبكرة وأصيلا حتى أصبح كل واحد منهم نجما فى الدين هاديا وسراجا منيرا .

أما بعد : فإن الله تعالى جعل الأرض ذلولا لعباده لا ليستقروا فى مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودوا منها زادا يحملهم فى سفرهم إلى أوطانهم ويكتنزون منها تحفا لنفوسهم عملا وفضلا محترزين من مصايدها ومعاطبها ويتحققون أن العمر يسير بهم سير السفينة براكبها . فالناس فى هذا العالم سفر وأول منازلهم المهد وآخرها اللحد والوطن هو الجنة أو النار . والعمر مسافة السفر ؛ فسنوه مراحله ، وشهوره فراسخه ، وأيامه أمياله وأنفاسه خطواته وطاعته بضاعته وأوقاته رءوس أمواله ، وشهواته وأغراضه قطاع طريقه ، وربحه الفوز بلقاء الله تعالى فى دار السلام مع الملك

---

(١) حديث « الدعاء مخ العبادة » تقدم فى الباب الأول

الكبير والنعيم المقيم ، وخسرانه البعد من الله تعالى مع الأنكال والأغلال والعذاب الأليم فى دركات الجحيم . فالغافل فى نفس من أنفاسه حتى ينقضى فى غير طاعة تقربه إلى الله زلفى متعرض فى يوم التغابن لغبينة وحسرة مالها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر . ورتبوا بحسب تكرر الأوقات وظائف الأوراد حرصا على إحياء الليل والنهار فى طلب القرب من الملك الجبار والسعى إلى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول فى كيفية قسمة الأوراد وتوزيع العبادات التى سبق شرحها على مقادير الأوقات ويتضح هذا المهم بذكر بابين . (الباب الأول) فى فضيلة الأوراد وترتيبها فى الليل والنهار . (الباب الثانى) فى كيفية إحياء الليل وفضيلته وما يتعلق به .

الباب الأول : فى فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها

فضيلة الأوراد وبيان أن المواظبة عليها هى الطريق إلى الله تعالى

اعلم أن الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة إلا فى لقاء الله تعالى وأنه لاسبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد محبا لله تعالى وعارفا بالله سبحانه . وأن المحبة والأنس لا تحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه . وأن المعرفة به لاتحصل إلا بدوام الفكر فيه وفى صفاته وأفعاله . وليس فى الوجود سوى الله تعالى وأفعاله . ولن يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لايتم إلا باستغراق أوقات الليل والنهار فى وظائف الأذكار والأفكار . والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملال لا تصبر على فن واحد من الأسباب المعينة على الذكر والفكر بل إذا ردت إلى نمط واحد أظهرت الملال والاستثقال وأن الله تعالى لا يمل حتى تملوا . فمن ضرورة اللطف بها أن تروح بالتنقل من فن إلى فن ومن نوع إلى نوع بحسب كل وقت لتغزر بالانتقال لذتها وتعظم باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها . فلذلك تقسم الأوراد قسمة مختلفة فالذكر والفكر ينبغى أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثرها فإن النفس بطبعها مائلة إلى ملاذ الدنيا . فإن صرف العبد شطر أوقاته إلى تدبيرات الدنيا وشهواتها المباحة مثلا والشطر الآخر إلى العبادات رجح جانب الميل إلى الدنيا لموافقتها الطبع إذ يكون الوقت متساويا ؛ فأنى يتقاومان والطبع لأحدهما مرجح إذ الظاهر والباطن يتساعدان على أمور الدنيا ويصفو فى طلبها القلب ويتجرد . وأما الرد إلى العبادات فتكلف ولايسلم إخلاص القلب فيه وحضوره إلا فى بعض الأوقات فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقاته فى الطاعة . ومن أراد أن تترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب فى الطاعة أكثر أوقاته فإن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فأمره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله تعالى أن يغفر له بجوده وكرمه ؛ فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة ؛ فإن لم تكن من أهله فانظر إلى خطاب الله تعالى لرسوله واقتبسه بنور الإيمان فقد قال الله تعالى لأقرب عباده إليه وأرفعهم درجة لديه ﴿ إن لك فى النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا ﴾ وقال تعالى ﴿ واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ﴾ وقال تعالى ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود ﴾ وقال سبحانه ﴿ وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم ﴾ وقال تعالى ﴿ إن ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا ﴾ وقال تعالى ﴿ ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ﴾ وقال عز وجل ﴿ وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم فقال تعالى ﴿ أمن هو قانت

آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون) وقال تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا) وقال عزوجل (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) وقال عزوجل (كانوا قليلا من الليل مايهجعون وبالأسحار هم يستغفرون) وقال عزوجل (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) وقال تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) فهذا كله يبين لك أن الطريق إلى تعالى مراقبة الأوقات وعمارتها بالأوراد على سبيل الدوام . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أحب عباد الله إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر والأظلة لذكر الله تعالى [1] » وقد قال تعالى (الشمس والقمر بحسبان) وقال تعالى (ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا) وقال تعالى (والقمر قدرناه منازل) وقال تعالى (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) فلا تظنن أن المقصود من سير الشمس والقمر بحسبان منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم أن يستعان بها على أمور الدنيا بل لتعرف بها مقادير الأوقات فتشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الآخرة يدلك عليه قوله تعالى (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا) أى يخلف أحدهما الآخر ليتدارك فى أحدهما مافات فى الآخر وبين أن ذلك للذكر والشكر لاغير . وقال تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب) وإنما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة ونسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه .

بيان أعداد الأوراد وترتيبها

اعلم أن أوراد النهار سبعة : فما بين طلوع الصبح إلى طلوع قرص الشمس ورد ، وما بين طلوع الشمس إلى الزوال وردان ، وما بين الزوال إلى وقت العصر وردان ، وما بين العصر إلى المغرب وردان . والليل ينقسم إلى أربعة أوراد : وردان من المغرب إلى وقت نوم الناس ، ووردان من النصف الأخير من الليل إلى طلوع الفجر . فلنذكر فضيلة كل ورد ووظيفته وما يتعلق به .

فالورد الأول : مابين طلوع الصبح إلى طلوع الشمس وهو وقت شريف ويدل على شرفه وفضله إقسام الله تعالى به إذ قال (والصبح إذا تنفس) وتمدحه به إذ قال (فالق الإصباح) وقال تعالى (قل أعوذ برب الفلق) وإظهاره القدرة بقبض الظل فيه إذ قال تعالى (ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً) وهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس وإرشاده الناس إلى التسبيح فيه بقوله تعالى (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) وبقوله تعالى (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) وقوله عز وجل (ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى) وقوله تعالى (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) .

فأما ترتيبه : فليأخذ من وقت انتباهه من النوم فإذا انتبه فينبغى أن يبتدئ بذكر الله تعالى فيقول الحمد لله الذى أحيانا بعد ماأماتنا وإليه النشور إلى آخر الأدعية والآيات التى ذكرناها فى دعاء الاستيقاظ من كتاب الدعوات

كتاب الأوراد وفضل إحياء الليل

الباب الأول فى فضيلة الأوراد

(١) حديث «أحب عباد الله إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر والأهلة لذكر الله» أخرجه الطبرانى والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث ابن أبى أوفى بلفظ «خيار عباد الله» .

وليلبس ثوبه وهو فى الدعاء وينوى به ستر عورته امتثالا لأمر الله تعالى واستعانة به على عبادته من غير قصد رياء ولا رعونة ثم يتوجه إلى بيت الماء إن كان به حاجة إلى بيت الماء ويدخل أولا رجله اليسرى ويدعو بالأدعية التى ذكرناها فيه فى كتاب الطهارة عند الدخول والخروج . ثم يستاك على السنة ـ كما سبق ـ ويتوضأ مراعياً لجميع السنن والأدعية التى ذكرناها فى الطهارة فإنا إنما قدمنا آحاد العبادات لكى نذكر فى هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط . فإذا فرغ من الوضوء صلى ركعتى الفجر أعنى السنة فى منزله [1] كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرأ بعد الركعتين سواء أداهما فى البيت أو المسجد الدعاء الذى رواه ابن عباس رضى الله عنهما ويقول « اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى إلا آخر الدعاء ... [2] » ثم يخرج من البيت متوجهاً إلى المسجد ولا ينسى دعاء الخروج إلى المسجد ولا يسعى إلى الصلاة سعياً بل يمشى وعليه السكينة والوقار [3] كما ورد به الخبر ولا يشبك بين أصابعه . ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو بالدعاء المأثور لدخول المسجد [4] ثم يطلب من المسجد الصف الأول إن وجد متسعا ولا يتخطى رقاب الناس ولا يزاحم ـ كما سبق ذكره فى كتاب الجمعة ـ ثم يصلى ركعتى الفجر إن لم يكن صلاهما فى البيت ويشتغل بالدعاء المذكور بعدهما . وإن كان قد صلى ركعتى الفجر صلى ركعتى التحية وجلس منتظراً للجماعة . والأحب التغليس بالجماعة فقد كان صلى الله عليه وسلم يغلس بالصبح [5] ولا ينبغى أن يدع الجماعة فى الصلاة عامة وفى الصبح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل . فقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فى صلاة الصبح « من توضأ ثم توجه إلى المسجد ليصلى فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئة والحسنة بعشر أمثالها ، فإذا صلى ثم انصراف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة فى جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فإن جلس حتى يركع الضحى كتب له بكل ركعة ألفا ألف حسنة ، ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة [6] » وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر . قال رجل من التابعين « دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فلقيت أباهريرة فدسبقنى فقال لى : يا ابن أخى لأى شىء خرجت من منزلك فى هذه الساعة ؟ فقلت : لصلاة الغداة فقال : أبشر فإنا كنا نعد خروجنا وقعودنا فى المسجد فى هذه الساعة بمنزلة غزوة فى سبيل الله تعالى [7] ـ أو قال ـ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة رضى الله عنهما وهما نائمان فقال : ألا تصليان قال على : فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله تعالى فإذا شاء أن يبعثها بعثها فانصرف صلى الله عليه وسلم فسمعته وهو منصرف يضرب فخذه ويقول : وكان الإنسان أكثر شىء جدلا [8] . ثم ينبغى أن يشتغل بعد ركعتى الفجر ودعائه بالاستغفار والتسبيح إلى أن تقام الصلاة فيقول : أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه سبعين مرة

---

(١) حديث « صلاة ركعتى الصبح فى المنزل » متفق عليه من حديث حفصة . (٢) حديث « الدعاء بعد ركعتى الصبح : اللهم إنى أسألك رحمة من عندك . » الحديث « تقدم . (٣) حديث « المشى إلى الصلاة وعليه السكينة » متفق عليه من حديث أبى هريرة . (٤) حديث « الدعاء المأثور لدخول المسجد » تقدم فى الباب الخامس من الأذكار . (٥) حديث « التغليس فى الصبح » متفق عليه من حديث عائشة . (٦) حديث « أنس فى صلاة الصبح : من توضأ ثم توجه الى المسجد يصلى فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئة والحسنة بعشر أمثالها واذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة فى جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فإن جلس حتى يركع كتب له بكل ركعة ألفا ألف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بحجة مبرورة » لم أجد له أصلا بهذا السياق وفى شعب الإيمان للبيهقى من حديث أنس بسند ضعيف « ومن صلى المغرب فى جماعة كان له كحجة مبرورة وعمرة متقبلة » (٧) حديث أبى هريرة « كنا نعد خروجنا وقعودنا فى المجلس فى هذه الساعة بمنزلة غزوة فى سبيل الله » لم أقف له على أصل . (٨) حديث على « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة وهما نائمان فقال ألا تصليان قال على : فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله ... الحديث » متفق عليه .

وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ، ثم يصلى الفريضة مراعيا جميع ماذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة فى الصلاة والقدوة . فإذا فرغ منها قعد فى المسجد إلى طلوع الشمس فى ذكر الله تعالى كما سنرتبه فقد قال صلى الله عليه وسلم « لأن أقعد فى مجلسى أذكر الله تعالى فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب [1] » وروى « أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى الغداة قعد فى مصلاه حتى تطلع الشمس ـ وفى بعضها ـ ويصلى ركعتين [2] » أى بعد الطلوع وقدورد فى فضل ذلك مالايحصى . وروى الحسن « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكره من رحمة ربه يقول إنه قال : ياابن آدم اذكرنى بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك مابينهما [3] » وإذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم إلى طلوع الشمس بل ينبغى أن تكون وظيفته إلى الطلوع أربعة أنواع أدعية وأذكار ويكررها فى سبحة وقراءة قرآن وتفكر . أما الأدعية : فكلما يفرغ من صلاته فليبدأ وليقل « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام » ثم يفتتح الدعاء بما كان يفتتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله « سبحان ربى العلى الأعلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون [4] » ثم يبدأ بالأدعية التى أوردناها فى الباب الثالث والرابع من كتاب الأدعية فيدعو بجميعها إن قدر عليه أو يحفظ من جملتها مايراه أوفق بحاله وأرق لقلبه وأخف على لسانه .

وأما الأذكار المكررة فهى كلمات ورد فى تكرارها فضائل لم نطول بإيرادها وأقل ما ينبغى أن يكرر كل واحد منها ثلاثا أو سبعاً وأكثره مائة أوسبعون وأوسطه عشر . فليكررها بقدر فراغة وسعة وقته وفضل الأكثر أكثر . والأوسط الأقصد أن يكررها عشر مرات فهو أجدر بأن يدوم عليه وخير الأمور أدومها وإن قل . وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع المداومة أفضل وأشد تأثيرا فى القلب مع كثيرها مع الفترة . ومثال القليل الدائم كقطرات ماء تتقاطر على الأرض على التوالى فتحدث فيها حفيرة ولو وقع ذلك على الحجر . ومثال الكثير المتفرق ماء يصب دفعة أو دفعات متفرقة متباعدة الأوقات فلا يبين لها أثر ظاهر وهذه الكلمات عشرة (الأولى) قوله : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير [5] (الثانية) قوله : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله

---

(١) حديث « لأن أقعد فى مجلس أذكر الله فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب » أخرجه أبو داود من حديث أنس وتقدم فى الباب الثالث من العلم . (٢) حديث « كان إذا صلى الغداة قعد فى مصلاه حتى تطلع الشمس وفى بعضها ويصلى ركعتين أى بعد الطلوع » أخرجه مسلم من حديث جابر بن سمرة دون ذكر الركعتين والترمذى من حديث أنس وحسنه « من صلى الفجر فى جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة » . (٣) حديث الحسن « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكر من رحمة ربه أنه قال : ياابن آدم اذكرنى من بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك مابينهما » أخرجه ابن المبارك فى الزهد هكذا مرسلا . (٤) حديث « كان يفتتح الدعاء بسبحان ربى العلى الأعلى الوهاب » تقدم . (٥) حديث « الفضل فى تكرار لاإله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير » تقدم من حديث أبى أيوب تكرارها عشرا دون قوله « يحيى ويميت وهو حى لايموت بيده الخير » فإنها فى اليوم والليلة للنسائى من حديث أبى ذر دون قوله « وهو حى لايموت » وهى كلها عند البزار من حديث عبد الرحمن بن عوف فيما يقال عند الصباح والمساء وتقدم تكرارها مائة ومائتين وللطبرانى الدعاء من حديث عبد الله بن عمر وتكرارها ألف مرة وإسناده ضعيف .

العلى العظيم [١] (الثالثة) قوله : سبوح قدوس رب الملائكة والروح [٢] . (الرابعة) قوله : سبحان الله العظيم وبحمده [٣] (الخامسة) قوله : أستغفر الله العظيم الذى لاإله إلاهو الحى القيوم وأسأله التوبة [٤] (السادسة) قوله : اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد [٥] (السابعة) قوله : لا إله إلا الله الملك الحق المبين [٦] (الثامنة) قوله : بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم [٧] (التاسعة) اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمى وعلى آله وصحبه وسلم [٨] (العاشرة) قوله : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون [٩] فهذه العشر كلمات إذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة مرة « فهو أفضل من أن يكرر ذكرا واحدا مائة مرة » لأن لكل واحدة من هؤلاء الكلمات فضلا على حياله وللقلب بكل واحد نوع تنبه وتلذذ وللنفس فى الانتقال من كلمة إلى كلمة نوع استراحة وأمن من الملل . فأما القراءة فيستحب له قراءة جملة من الآيات

---

(١) حديث « الفضل فى تكرار : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولاحول ولاقوة الا بالله » أخرجه النسائى فى اليوم والليلة وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبى سعيد الخدرى « استكثروا من الباقيات الصالحات » فذكرها

(٢) حديث « تكرار : سبوح قدوس رب الملائكة والروح » لم أجد ذكرها مكررة ولكن عند مسلم من حديث عائشة « أنه صلى الله عليه وسلم كان يقولها فى ركوعه وسجوده » وقد تقدم ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث البراء « أكثر من أن تقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح » . (٣) حديث « تكرار : سبحان الله وبحمده » متفق عليه من حديث أبى هريرة « من قال ذلك فى يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر » . (٤) حديث « تكرار أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأسأله التوبة » أخرجه المستغفرى فى الدعوات من حديث معاذ « أن من قالها بعد الفجر وبعد العصر ثلاث مرات كفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر » ولفظه « وأتوب اليه » وفيه ضعف وهكذا رواه الترمذى من حديث أبى سعيد فى قولها « ثلاثا » وللبخارى من حديث أبى هريرة « انى لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة » ولم يقل الطبرانى « أكثر » ولمسلم من حديث الأعرابى « لأستغفر الله فى كل يوم مائة مرة » تقدمت هذه الأحاديث فى الباب الثانى من الأذكار . (٥) حديث « تكرار . اللهم لامانع لما أعطيت ولامعطى لما منعت ولاينفع ذا الجد منك الجد » لم أجد تكرارها فى حديث وانما وردت مطلقة عقب الصلوات وفى الرفع من الركوع . (٦) حديث « تكرار : لااله الا الله الملك الحق المبين » أخرجه المستغفرى فى الدعوات والخطيب فى الرواة عن مالك من حديث على « من قالها فى يوم مائة مرة كان له أمان من الفقر وأمان من وحشة القبر واستجلب به الغنى واستفرع باب الجنة » وفيه الفضل بن غانم ضعيف ولأبى نعيم فى الحلية « من قال ذلك فى كل يوم وليلة مائتى مرة لم يسأل الله فيهما حاجة الا قضاها » وفيه سليم الخواص ضعيف وقال فيه : أظنه عن على . (٧) حديث « تكرار : بسم الله الذى لايضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم » أخرجه أصحاب السنن وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عثمان « من قال ذلك ثلاث مرات حين يمسى لم يصبه فجأة بلاء حتى يصبح ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم يصبه فجأة بلاء حتى يمسى » قال الترمذى حسن صحيح غريب .

(٨) حديث « تكرار : اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمى وعلى آل محمد » ذكره أبو القاسم محمد بن عبد الواحد النافقى فى فضائل القرآن من حديث ابن أبي أوفى « من أراد أن يموت فى السماء الرابعة فليقل كل يوم ثلاث مرات » فذكره وهو منكر . قلت : ورد التكرار عند الصباح والمساء من غير تعبير لهذه الصيغة رواه الطبرانى من حديث أبى الدرداء بلفظ « من صلى على حين يصبح عشرا وحين يمسى عشرا أدركته شفاعتى يوم القيامة » وفيه انقطاع .

(٩) حديث « تكرار : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم أعوذ بالله من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون » أخرجه الترمذى من حديث معقل بن يسار « من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك .. الحديث » ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة وقال حسن غريب ولابن أبى الدنيا من حديث أنس مثل حديث معقوع قبله « من قالها حين يصبح عشر مرات أجير من الشيطان الى المسيح ... الحديث » ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث عائشة « ألا أعلمك ياخالد كلمات تقولها ثلاث مرات قل : أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون » والحديث عند أبى داود والترمذى وحسنه والحاكم وصححه فيما يقال عند الفزع دون تكرارها ثلاثا من حديث عبد الله بن عمرو .

وردت الأخبار بفضلها وهو أن يقرأ سورة الحمد [١] وآية الكرسى [٢] وخاتمة البقرة [٣] من قوله آمن الرسول وشهد الله [٤] وقل اللهم مالك الملك الآيتين [٥] وقوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها [٦] وقوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق إلى آخرها [٧] وقوله سبحانه الحمد لله لم يتخذ ولدا [٨] الآية وخمس آيات من أول الحديد [٩] وثلاثا من آخر سورة الحشر [١٠] وإن قرأ المسبعات العشر التى أهداها الخضر عليه السلام إلى إبراهيم التيمى رحمه الله ووصاه أن يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة جملة الأدعية المذكورة . فقد روى عن كرز بن وبرة رحمه الله وكان من الأبدال قال « أتانى أخ لى من أهل الشام فأهدى لى هدية وقال : يا كرز اقبل منى هذه الهدية فإنها نعمت الهدية » فقلت : يا أخى ومن أهدى لك هذه الهدية ؟ قال : أعطانيها إبراهيم التيمى ، قلت أفلم تسأل إبراهيم من أعطاه إياها ؟ قال : كنت جالسا فى فناء الكعبة وأنا فى التهليل والتسبيح والتحميد والتمجيد فجاءنى رجل فسلم على وجلس عن يمينى فلم أر فى زمانى أحسن منه وجها ولا أحسن منه ثيابا ولا أشد بياضا ولا أطيب ريحا منه فقلت يا عبد الله من أنت ومن أين جئت ؟ فقال : أنا الخضر ، فقلت : فى أى شىء جئتنى ؟ فقال : جئتك للسلام عليك وحبا لك فى الله وعندى هدية أريد أن أهديها لك فقلت : ماهى ؟ قال : أن تقول

---

(١) حديث « فضل سورة الحمد » أخرجه البخارى من حديث أبى سعيد بن المعلى أنها أعظم السور فى القرآن ومسلم من حديث ابن عباس « فى الملك الذى نزل الى الأرض وقال للنبى صلى الله عليه وسلم أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك : فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة ، لم تقرأ بحرف منها إلا أعطيته » . (٢) حديث « فضل آية الكرسى » أخرجه مسلم من حديث أبى بن كعب « يا أبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قلت : الله لا إله إلا هو الحى القيوم ... الحديث » والبخارى من حديث أبى هريرة فى توكيله بحفظ تمر الصدقة ومجىء الشيطان إليه وقوله « إذا آويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ... الحديث » وفيه « فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إنه قد صدقك وهو كذوب » . (٣) حديث « فضل خاتمة البقرة » متفق عليه من حديث أبى مسعود « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه » وتقدم حديث ابن عباس قبله بحديث

(٤) حديث « فضل » شهد الله » أخرجه أبو الشيخ وابن حبان فى كتاب الثواب من حديث ابن مسعود « من قرأ شهد الله — إلى قوله — الإسلام ثم قال وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى عنده وديعة جىء به يوم القيامة فقيل له عبدى هذا عهد إلى عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى الجنة » وفيه عمر بن المختار روى الأباطيل قاله ابن عدى وسيأتى حديث على بعده

(٥) حديث « فضل : قل اللهم مالك الملك الآيتين » أخرجه المستغفرى فى الدعوات من حديث على « أن فاتحة الكتاب وآية الكرسى والآيتين من آل عمران شهد الله إلى قوله الإسلام وقل اللهم مالك الملك إلى قوله بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله حجاب .. الحديث » وفيه « فقال الله لا يقرأ كن أحد من عبادى دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مثواه ... الحديث » وفيه الحارث ابن عمير وفى ترجمته ذكره ابن حبان فى الضعفاء وقال موضوع لا أصل له والحارث يروى عن الاثبات الموضوعات . قلت : وتبعه حماد بن زيد وابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائى وروى له البخارى تعليقا . (٦) حديث « فضل : لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها أخرجه الطبرانى فى الدعاء من حديث أنس بسند ضعيف « علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحترز به من كل شيطان رجيم ومن كل جبار عنيد » فذكر حديثا وفى آخره « فقل حسبى الله إلى آخر السورة » وذكر أبو القاسم النافقى فى فضائل القرآن فى رغائب القرآن لعبد الملك بن حبيب من رواية محمد بن بكار « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من لزم قراءة لقد جاءكم رسول من أنفسكم ... إلى آخر السورة — لم يمت هدما ولا غرقا ولا حرقا ولا ضربا بحديدة » وهو ضعيف .

(٧) حديث « فضل : لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق » لم أجد فيه حديثا يخصها ، لكن فى فضل سورة الفتح ما رواه أبو الشيخ فى كتاب من حديث أبى بن كعب « من قرأ سورة الفتح فكأنما شهد فتح مكة مع النبى صلى الله عليه وسلم » وهو حديث موضوع . (٨) حديث « فضل : الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ... الآية » أخرجه أحمد والطبرانى من حديث معاذ بن أنس « آية العز : الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ... الآية كلها » وإسناده ضعيف . (٩) حديث « فضل : خمس آيات من أول الحديد » ذكر أبو القاسم النافقى فى فضائل القرآن من حديث على « إذا أردت أن تسأل الله حاجة فاقرأ خمس آيات من أول سورة الحديد إلى قوله — عليم بذات الصدور — ومن آخر سورة الحشر من قوله — لو أنزلنا هذا القرآن على جبل — إلى آخر السورة ثم تقول يا من هو كذا افعل بى كذا وتدعو بما تريد . (١٠) حديث « فضل ثلاث آيات من آخر سورة الحشر » أخرجه الترمذى من حديث معقل بن يسار وقد تقدم قبل هذا والبيهقى فى الشعب من حديث أبى أمامة بسند ضعيف « من قرأ خواتيم سورة الحشر فى ليل أو نهار فمات من يومه أو ليلته فقد أوجب الله له الجنة » .

قبل طلوع الشمس وقبل انبساطها على الأرض وقبل الغروب سورة الحمد وقل أعوذ برب الناس وقل أعوذ برب الفلق وقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون وآية الكرسى كل واحدة سبع مرات وتقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبعا وتصلى على النبي صلى الله عليه وسلم سبعا وتستغفر لنفسك ولوالديك والمؤمنين والمؤمنات سبعا وتقول : اللهم افعل بى وبهم عاجلا وآجلا فى الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يامولانا ما نحن له أهل إنك غفور حليم جواد كريم رءوف رحيم سبع مرات وانظر أن لاتدع ذلك غدوة وعشية فقلت : أحب أن تخبرنى من أعطاك هذه العطية العظيمة ؟ فقال : أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم[1] فقلت : أخبرنى بثواب ذلك ؟ فقال : إذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فاسأله عن ثوابه فإنه يخبرك بذلك ، فذكر إبراهيم التيمى : أنه رأى ذات يوم فى منامه كأن الملائكة جاءته فاحتملته حتى أدخلوه الجنة فرأى ما فيها ووصف أمورا عظيمة مما رآه فى الجنة قال . فسألت الملائكة فقلت : لمن هذا ؟ فقالوا : للذى يعمل مثل عملك وذكر أنه أكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال : فأتانى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب فسلم على وأخذ بيدى فقلت : يا رسول الله الخضر أخبرنى أنه سمع منك هذا الحديث فقال : صدق الخضر صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم أهل الأرض وهو رئيس الأبدال وهو من جنود الله تعالى فى الأرض فقلت يا رسول الله فمن فعل هذا أو عمله ولم ير مثل الذى رأيت فى منامى هل يعطى شيئاً مما أعطيته ؟ فقال والذى بعثنى بالحق نبيا إنه ليعطى العامل بهذا وإن لم يرنى ولم ير الجنة إنه ليغفر له جميع الكبائر التى عملها ويرفع الله تعالى عنه غضبه ومقته ويأمر صاحب الشمال أن لا يكتب عليه خطيئة من السيئات إلى سنة والذى بعثنى بالحق نبيا ما يعمل بهذا إلا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه إلا من خلقه الله شقيا ، وكان إبراهيم التيمى يمكث أربعة أشهر لم يطعم ولم يشرب فلعله كان بعد هذه الرؤيا . فهذه وظيفة القراءة ؛ فإن أضاف إليها شيئا مما انتهى إليه ورده من القرآن أو اقتصر عليه فهو حسن فإن القرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر كما ذكرنا فضله وآدابه فى باب التلاوة . وأما الأفكار : فليكن ذلك إحدى وظائفه ـ وسيأتى تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته فى كتاب التفكر من ربع المنجيات ـ ولكن مجامعه ترجع إلى فنين ؛ أحدهما : أن يتفكر فيما ينفعه من المعاملة بأن يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ويرتب وظائفه فى يومه الذى بين يديه ويدبر فى دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق إليه الخلل من أعماله ليصلحه ويحضر فى قلبه النيات الصالحة من أعماله فى نفسه وفى معاملته للمسلمين. والفن الثانى : فيما ينفعه فى علم المكاشفة وذلك بأن يتفكر مرة فى نعم الله تعالى وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها أو فى عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الإله واستغنائه ويزيد خوفه منها . ولكل واحد من هذه الأمور شعب كثيرة يتسع التفكر فيها على بعض الخلق دون البعض وإنما نستقصى ذلك فى كتاب التفكر . ومهما تيسر الفكر فهو أشرف العبادات إذ فيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة أمرين ، أحدهما : زيادة المعرفة إذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف . والثانى : زيادة المحبة إذ لا يحب القلب إلا من اعتقد تعظيمه ولا تنكشف عظمة الله سبحانه وجلاله إلا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب أفعاله . فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة . والذكر أيضا يورث الأنس وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التى سببها المعرفة

(١) حديث كرز بن وبرة من أهل الشام عن إبراهيم التيمى « أن الخضر علمه المسبعات العشرة » وقال فى آخرها « أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم » ليس له أصل ولم يصح فى حديث قط اجتماع الخضر بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا عدم اجتماعه ولا حياته ولا موته .

أقوى وأثبت وأعظم . ونسبة محبة العارف إلى أنس الذاكر من غير تمام الاستبصار كنسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين واطلع على حسن أخلاقه وأفعاله وفضائله وخصاله الحميدة بالتجربة إلى أنس من كرر على سمعه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن فى الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما فليس محبته له كمحبة المشاهد وليس الخبر كالمعاينة . فالعباد المواظبون على ذكر الله بالقلب واللسان الذين يصدقون بما جاءت به الرسل بالإيمان التقليدى ليس معهم من محاسن صفات الله تعالى إلا أمور جميلة اعتقدوها بتصديق عن وصفها لهم . والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة الباطنة التى هى أقوى من البصر الظاهر لأن أحدا لم يحط بكنه جلاله وجماله فإن ذلك غير مقدور لأحد من الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر مارفع له من الحجاب ولا نهاية لجمال حضرة الربوبية ولا لحجبها . وإنما عدد حجبها التى استحقت أن تسمى نورا وكاد يظن الواصل إليها أنه قد تم وصوله إلى الأصل سبعون حجابا . قال صلى الله عليه وسلم « إن لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ماأدرك بصره [1] » وتلك الحجب أيضا مترتبة وتلك الأنوار متفاوتة فى الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب ويبدو فى الأول أصغرها ثم ما يليه وعليه أول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لإبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم فى ترقيه وقال ﴿فلما جن عليه الليل﴾ أى أظلم عليه الأمر ﴿رأى كوكبا﴾ أى وصل إلى حجاب من حجب النور فعبر عنه بالكوكب وماأريد به هذه الأجسام المضيئة فإن آحاد العوام لايخفى عليهم أن الربوبية لاتليق بالأجسام بل يدركون ذلك بأوائل نظرهم فما لايضلل العوام لايضلل الخليل عليه السلام . والحجب المسماة أنوارا ماأريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل أريد بها ماأريد بقوله تعالى ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾ الآية ولنتجاوز هذه المعانى فإنها خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل إلى حقائقها إلا الكشف التابع للفكر الصافى وقل من ينفتح له بابه والمتيسر على جماهير الخلائق الفكر فيما يفيد فى علم المعاملة وذلك أيضا مما تغزر فائدته ويعظم نفعه . فهذه الوظائف الأربعة أعنى : الدعاء والذكر والقراءة والفكر ، ينبغى أن تكون وظيفة المريد بعد صلاة الصبح بل فى كل ورد بعد الفراغ من وظيفة الصلاة فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الأربع ، ويقوى على ذلك بأن يأخذ سلاحه ومجنته والصوم هو الجنة التى تضيق مجارى الشيطان المعادى الصارف له عن سبيل الرشاد . وليس بعد طلوع الصبح صلاة سوى ركعتى الفجر وفرض الصبح إلى طلوع الشمس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم يشتغلون فى هذا الوقت بالأذكار [2] وهو الأولى إلى أن يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع إلا بالصلاة فلو صلى لذلك فلا بأس به .

الورد الثانى : مابين طلوع الشمس إلى ضحوة النهار وأعنى بالضحوة منتصف مابين طلوع الشمس إلى الزوال وذلك بمضى ثلاث ساعات من النهار إذا فرض النهار اثنتى عشرة ساعة وهو الربع . وفى هذا الربع من النهار وظيفتان زائدتان ؛ إحداهما : صلاة الضحى ـ وقد ذكرناها فى كتاب الصلاة ـ وأن الأولى أن يصلى ركعتين عند الإشراق وذلك إذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر نصف رمح ويصلى أربعا أوستا أوثمانيا إذا رمضت الفصال وضحيت الأقدام بحر الشمس . فوقت الركعتين هو الذى أراد الله تعالى بقوله ﴿يسبحن بالعشى والإشراق﴾ فإنه وقت إشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازات البخارات والغبارات التى على وجه الأرض

(١) حديث « إن لله سبعين حجابا من نور ... الحديث » تقدم فى قواعد العقائد .

(٢) حديث « اشتغاله بالأذكار من الصبح إلى طلوع الشمس » تقدم حديث جابر بن سمرة عند مسلم فى جلوسه صلى الله عليه وسلم إذا صلى الفجر فى مجلسه حتى تطلع الشمس وليس فيه ذكر اشتغاله بالذكر وإنما هو من قوله عما تقدم من حديث أنس :

فإنها تمنع إشراقها التام ، ووقت الركعات الأربع هو الضحى الأعلى الذى أقسم الله تعالى به فقال ﴿ والضحى والليل إذا سجى ﴾ « وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يصلون عند الإشراق فنادى بأعلى صوته : ألا إن صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال [1] » فلذلك نقول إذا كان يقتصر على مرة واحدة فى الصلاة فهذا الوقت أفضل لصلاة الضحى وإن كان أصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفى وقتى الكراهة وهو ما بين ارتفاع الشمس بطلوع نصف رمح بالتقريب إلى ما قبل الزوال فى ساعة الاستواء . واسم الضحى ينطلق على الكل وكأن ركعتى الإشراق تقع فى مبتدأ وقت الإذن فى الصلاة وانقضاء الكراهة إذ قال صلى الله عليه وسلم « إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فإذا ارتفعت فارقها [2] » فأقل ارتفاعها أن ترتفع عن بخارات الأرض وغبارها وهذا يراعى بالتقريب .

الوظيفة الثانية فى هذا الوقت : الخيرات المتعلقة بالناس التى جرت بها العادات بكرة من عيادة مريض وتشييع جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور مجلس علم وما يجرى مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها . فإن لم يكن شىء من ذلك عاد إلى الوظائف الأربع ـ التى قدمناها من الأدعية والذكر والقراءة والفكر والصلوات ـ المتطوع بها إن شاء فإنها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست مكروهة الآن . فتصير الصلاة قسما خامسا من جملة وظائف هذا الوقت لمن أراده أما بعد فريضة الصبح فتكره كل صلاة لا سبب لها . وبعد الصبح الأحب أن يقتصر على ركعتى الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلاة بل بالأذكار والقراءة والدعاء والفكر .

الورد الثالث : من ضحوة النهار إلى الزوال ونعنى بالضحوة المنتصف وما قبله بقليل ، وإن كان بعد كل ثلاث ساعات أمر بصلاة فإذا انقضى ثلاث ساعات بعد الطلوع فعندها وقبل مضيها صلاة الضحى . فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالظهر . فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالعصر . فإذا مضت ثلاث أخرى فالمغرب . ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والغروب ، إلا أن الضحى لم تفرض لأنه وقت انكباب الناس على أشغالهم فخفف عنهم . الوظيفة الرابعة : فى هذا الوقت الأقسام الأربعة ، وزيد أمران : أحدهما ؟ الاشتغال بالكسب وتدبير المعيشة وحضور السوق . فإن كان تاجراً فينبغى أن يتجر بصدق وأمانة وإن كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة ولا ينسى ذكر الله تعالى فى جميع أشغاله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على أن يكتسب فى كل يوم لقوته . فإذا حصل كفاية يومه فليرجع إلى بيت ربه وليتزود لآخرته فإن الحاجة إلى زاد الآخرة أشد والتمتع به أدوم فاشتغاله بكسبه أهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت . فقد قيل : لا يوجد المؤمن إلا فى ثلاث مواطن مسجد يعمره أو بيت يستره أو حاجة لابد له منها . وقل من يعرف القدر فيما لابد منه بل أكثر الناس يقدرون فيما عنه بد أنه لابد لهم منه وذلك لأن الشيطان يعدهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء فيصغون إليه ويجمعون مالا يأكلون خيفة الفقر والله يعدهم مغفرة منه وفضلا فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه . الأمر الثانى : القيلولة وهى سنة يستعان بها على قيام الليل كما أن السحر سنة يستعان به على صيام النهار . فإن كان لا يقوم بالليل لكن لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما خالط أهل الغفلة وتحدث معهم فالنوم أحب له إذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع إلى الأذكار والوظائف المذكورة إذ فى النوم الصمت والسلامة ، وقد قال بعضهم : يأتى على الناس زمان الصمت والنوم فيه أفضل أعمالهم . وكم من عابد أحسن أحواله النوم وذلك إذا كان يرائى بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالغافل

---

(١) حديث « خرج على أصحابه وهم يصلون عند الإشراق فنادى بأعلى صوته : ألا إن صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال » أخرجه الطبرانى من حديث زيد بن أرقم دون قوله « فنادى بأعلى صوته » وهو عند مسلم دون ذكر الإشراق . (٢) حديث « إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فإذا ارتفعت فارقها » تقدم فى الصلاة .

الفاسق ؟ قال سفيان الثورى رحمه الله : كان يعجبهم إذا تفرّغوا أن يناموا طلبا للسلامة فإذا كان نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل كان نومه قربة . ولكن ينبغى أن يتنبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلاة فان ذلك من فضائل الأعمال وان لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة والذكر فهو أفضل أعمال النهار لأنه وقت غفلة الناس عن الله عز وجل واشتغالهم بهموم الدنيا فالقلب المتفرّغ لخدمة ربه عند إعراض العبيد عن بابه جدير بأن يزكيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته . وفضل ذلك كفضل إحياء الليل فإن الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا وأحد معنى قوله تعالى : ﴿ وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر ﴾ أى يخلف أحدهما الآخر فى الفضل والثانى : أنه يخلفه فيتدارك فيه مافات فى أحدهما .

الورد الرابع : ما بين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر وراتبته وهذا أقصر أوراد النهار وأفضلها : فاذا كان قد توضأ قبل الزوال وحضر المسجد فهما زالت الشمس وابتدأ المؤذن الأذان فليصبر إلى الفراغ من جواب أذانه ثم ليقم إلى إحياء مابين الأذان والإقامة فهو وقت الإظهار الذى أراده الله تعالى بقوله ﴿وحين تظهرون﴾ وليصل فى هذا الوقت أربع ركعات لايفصل بينهن بتسليمة واحدة [1] وهذه الصلاة وحدها من بين سائر صلوات النهار نقل بعض العلماء أنه يصليها بتسليمة واحدة ولكن طعن فى تلك الرواية ، ومذهب الشافعى رضى الله عنه أنه يصلى مثنى مثنى كسائر النوافل ويفصل بتسليمة [2] وهو الذى صحت به الأخبار وليطول هذه الركعات إذ فيها تفتح أبواب السماء كما أوردنا الخبر فيه فى باب صلاة التطوع وليقرأ فيها سورة البقرة أو سورة من المئين أو أربعا من المثانى فهذه ساعات يستجاب فيها الدعاء . وأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرتفع له فيها عمل ، ثم يصلى الظهر بجماعة بعد أربع ركعات طويلة ـ كما سبق ـ أو قصيرة لا ينبغى أن يدعها . ثم ليصل بعد الظهر ركعتين ثم أربعا فقد كره ابن مسعود أن تتبع الفريضة بمثلها من غير فاصل . ويستحب أن يقرأ فى هذه النافلة آية الكرسى وآخر سورة البقرة والآيات التى أوردناها فى الورد الأول ليكون ذلك جامعا له بين الدعاء والذكر والقراءة والصلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت .

الورد الخامس : مابعد ذلك إلى العصر ويستحب فيه العكوف فى المسجد مشتغلا بالذكر والصلاة أو فنون الخير ويكون فى انتظار الصلاة معتكفا . فمن فضائل الأعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سنة السلف . كان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويا كدوى النحل من التلاوة . فإن كان بيته أسلم لدينه وأجمع لهمه فالبيت أفضل فى حقه فإحياء هذا الورد وهو أيضا وقت غفلة الناس كإحياء الورد الثالث فى الفضل . وفى هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال إذ يكره نومتان بالنهار . قال بعض العلماء : ثلاث يمقت الله عليها ، الضحك بغير عجب والأكل من غير جوع والنوم بالنهار من غير سهر بالليل . والحد فى النوم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فالاعتدال فى نومه ثمان ساعات فى الليل والنهار جميعا فإن نام هذا القدر بالليل فلامعنى للنوم بالنهار ، وإن نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار فحسب ابن آدم إن عاش ستين سنة أن ينقص من عمره عشرون سنة . ومهما نام ثمان ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء الروح كما أن الطعام غذاء الأبدان

---

(١) حديث « صلاة أربع بعد الزوال بتسليمة واحدة » وفيه « أنها فيها تفتح أبواب السماء وأنها ساعة يستجاب فيها الدعاء وأحب أن يرفع لى فيها عمل صالح » أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث أبى أيوب وقد تقدم فى الصلاة فى الباب السادس .

(٢) حديث « صلاة الليل والنهار مثنى مثنى » أخرجه أبو داود وابن حبان من حديث ابن عمر .

وكما أن العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه عنه وقدر الاعتدال هذا والنقصان منه ربما يفضى إلى اضطراب البدن إلا من يتعود السهر تدريجا فقد يمرن نفسه عليه من غير اضطراب . وهذا الورد من أطول الأوراد وأمتعها للعباد وهو أحد الآصال التى ذكرها الله تعالى إذ قال ﴿ ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال ﴾ وإذا سجد لله عزوجل الجمادات فكيف يجوز أن يغفل العبد العاقل عن أنواع العبادات ؟

الورد السادس : إذا دخل وقت العصر دخل وقت الورد السادس وهو الذى أقسم الله تعالى به فقال تعالى ﴿ والعصر ﴾ هذا أحد معنى الآية وهو المراد بالآصال فى أحد التفسيرين وهو العشى المذكور فى قوله ﴿ وعشيا ﴾ وفى قوله ﴿ بالعشى والإشراق ﴾ وليس فى هذا الورد صلاة إلا أربع ركعات بين الأذان والإقامة ـ كما سبق فى الظهر ـ ثم يصلى الفرض ويشتغل بالأقسام الأربعة المذكورة فى الورد الأول إلى أن ترتفع الشمس إلى رءوس الحيطان وتصفر . والأفضل فيه إذ منع عن الصلاة تلاوة القرآن بتدبر وتفهم إذ يجمع ذلك بين الذكر والدعاء والفكر فيندرج فى هذا القسم أكثر مقاصد الأقسام الثلاثة .

الورد السابع : إذا اصفرت الشمس بأن تقرب من الأرض بحيث يغطى نورها العبارات والبخارات التى على وجه الأرض ويرى صفرة فى ضوئها دخل وقت هذا الورد وهو مثل الورد الأول من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأنه قبل الغروب كما أن ذلك قبل الطلوع وهو المراد بقوله تعالى ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ﴾ وهذا هو الطرف الثانى المراد بقوله تعالى ﴿ فسبح وأطراف النهار ﴾ قال الحسن . كانوا أشد تعظيما للعشى منهم لأول النهار . وقال بعض السلف : كانوا يجعلون أول النهار للدنيا وآخره للآخرة : فيستحب فى هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وسائر ماذكرناه فى الورد الأول مثل أن يقول : أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأسأله التوبة وسبحان الله العظيم وبحمده ، مأخوذ من قوله تعالى ﴿ واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والإبكار ﴾ والاستغفار على الأسماء التى فى القرآن أحب كقوله ﴿ أستغفر الله إنه كان غفارا ـ أستغفر الله إنه كان توابا ـ رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين ـ فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ـ فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾ ويستحب أن يقرأ قبل غروب الشمس : والشمس وضحاها والليل إذا يغشى والمعوذتين . ولتغرب الشمس عليه وهو فى الاستغفار فإذا سمع الأذان قال ، اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك ـ كما سبق ـ ثم يجيب المؤذن ويشتغل بصلاة المغرب . وبالغروب قد انتهت أوراد النهار فينبغى أن يلاحظ العبد أحواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة ، فان ساوى يومه أمسه فيكون مغبونا وإن كان شرا منه فيكون معلونا فقد قال صلى الله عليه وسلم ، لابورك لى فى يوم لا أزداد فيه خيرا [1] ، فإن رأى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره مترفها عن التجشم كانت بشارة فليشكر الله تعالى على توفيقه وتسديده إياه لطريقه وإن تكن الأخرى فالليل خلقة النهار فليعزم على تلافى ماسبق من تفريطه فإن الحسنات يذهبن السيئات . وليشكر الله تعالى على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره طول ليله ليشتغل بتدارك تقصيره وليحضر فى قلبه أن نهار العمر له آخر تغرب فيه شمس الحياة فلا يكون لها بعدها طلوع . وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر إلا أياما معدودة تنقضى لا محالة جملتها بانقضاء آحادها .

---

(١) حديث « لابورك لى فى يوم لا أزداد فيه خيرا » تقدم فى العلم فى الباب الأول إلا أنه قال « علما » بدل « خيرا » .

بيـان أوراد الليل وهى خمسة

الأول : إذا غربت الشمس صلى المغرب واشتغل بإحياء ما بين العشاءين فآخر هذا الورد عند غيبوبة الشفق أعنى الحمرة التى بغيبوبتها يدخل وقت العتمة وقد أقسم الله تعالى به فقـال ﴿ فلا أقسم بالشفق ﴾ والصلاة فيه هى ناشئة الليل لأنه أول نشو ساعاته وهو آن من الآناء المذكورة فى قوله تعالى ﴿ومن آناء الليل فسبح ﴾ وهى صلاة الأوابين . وهى المراد بقوله تعالى ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ روى ذلك عن الحسن وأسنده ابن أبى زياد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه سئل عن هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم : الصلاة بين العشاءين ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : عليكم بالصلاة بين العشاءين فإنها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره[1] » والملاغات جمع ملغاة من اللغو . وسئل أنس رحمه الله عمن ينام بين العشاءين فقال : لاتفعل فإنها الساعة المعنية بقوله تعالى ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ وسيأتى فضل إحياء مابين العشاءين فى الباب الثانى . وترتيب هذا الورد أن يصلى بعد المغرب ركعتين أولا يقرأ فيهما قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولاشغل ثم يصلى أربعا يطيلها ثم يصلى إلى غيبوبة الشفق ما تيسر له . وإن كان المسجد قريبا من المنزل فلا بأس أن يصليها فى بيته إن لم يكن عزمه العكوف فى المسجد وإن عزم على العكوف فى انتظار العتمة فهو الأفضل إذا كان آمنا من التصنع والرياء .

والورد الثانى : يدخل بدخول وقت العشاء الآخرة إلى حد نومة الناس وهو أول استحكام الظلام وقد أقسم الله تعالى به إذ قال ﴿ والليل وما وسق ﴾ أى وماجمع من ظلمته وقال ﴿ إلى غسق الليل ﴾ فهناك يغسق الليل وتستوسق ظلمته . وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلاثة أمور (الأول) أن يصلى سوى فرض العشاء عشر ركعات : أربعا قبل الفرض إحياء لما بين الأذانين وستا بعد الفرض ركعتين ثم أربعا ويقرأ فيها من القرآن الآيات المخصوصة كآخر البقرة وآية الكرسى وأول الحديد وآخر الحشر وغيرها . (والثانى) أن يصلى ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر فإنه أكثر ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى بها من الليل[2] والأكياس يأخذون أوقاتهم من أول الليل والأقوياء من آخره . والحزم التقديم فإنه ربما لايستيقظ أو يثقل عليه القيام إلا إذا صار ذلك عادة له فآخر الليل أفضل . ثم ليقرأ فى هذه الصلاة قدر ثلثمائة آية من السور المخصوصة التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر قراءتها مثل يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة[3] فإن لم يصل فلا يدع قراءة هذه السور أو بعضها

---

(١) حديث « سئل عن قوله تعالى ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ فقال الصلاة بين العشاءين ثم قال عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره » قال المصنف أسنده ابن أبى الزناد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت : إنما هو إسماعيل بن أبى زياد بالياء المثناة من تحت رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من رواية إسماعيل بن أبى زياد الشامى عن الأعمش . حدثنا أبو العلاء العنبرى عن سلمان قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغات أول النهار ومهذبة آخره » وإسماعيل هذا متروك يضع الحديث قاله الدارقطنى . واسم أبى زياد مسلم وقد اختلف فيه على الأعمش ولابن مردويه من حديث أنس « أنها نزلت فى الصلاة بين المغرب والعشاء » والحديث عند الترمذى وحسنه بلفظ « نزلت فى انتظار الصلاة التى تدعى العتمة .

(٢) حديث « الوتر ثلاث عشرة ركعة يعنى بالليل وأنه أكثر ماصلى به النبى صلى الله عليه وسلم من الليل » أخرجه أبو داود من حديث عائشة « لم يكن يوتر بأنقص من سبع ولا بأكثر من ثلاث عشرة ركعة » والبخارى من حديث ابن عباس « وكانت صلاته ثلاث عشرة ركعة يعنى بالليل » ومسلم « كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة » وفى رواية للشيخين « منها ركعتا الفجر » ولهما أيضاً ماكان يزيد فى رمضان ولاغيره على إحدى عشرة ركعة » . (٣) حديث « إكثاره صلى الله عليه وسلم من قراءة يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة » غريب لم أقف على ذكر الإكثار فيه وابن حبان من حديث

قبل النوم فقد روى فى ثلاث أحاديث ما كان يقرؤه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل ليلة أشهرها : السجدة وتبارك الملك [١] والزمر والواقعة وفى رواية : الزمر وبنى إسرائيل [٢] وفى أخرى : أنه كان يقرأ المسبحات فى كل ليلة ويقول فيها آية أفضل من ألف آية [٣] وكان العلماء يجعلونها ستا فيزيدون سبح اسم ربك الأعلى إذ فى الخبر «أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب سبح اسم ربك الأعلى . وكان يقرأ فى ثلاث ركعات الوتر ثلاث سور سبح اسم ربك الأعلى [٤] وقل يا أيها الكافرون والإخلاص [٥] فإذا فرغ قال : سبحان الملك القدوس ثلاث مرات» (الثالث) الوتر : وليوتر قبل النوم إن لم يكن عادته القيام قال أبو هريرة رضى الله عنه : أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أنام إلا على وتر [٦] وإن كان معتادا صلاة الليل فالتأخير أفضل . قال صلى الله عليه وسلم « صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة [٧] » وقالت عائشة رضى الله عنها « أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر [٨] » وقال على رضى الله عنه : الوتر على ثلاثة أنحاء إن شئت أوترت أول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يعنى أنه يصير وترا بما مضى وإن شئت أوترت بركعة فإذا استيقظت شفعت إليها أخرى ثم أوترت من آخر الليل وإن شئت أخرت الوتر ليكون آخر صلاتك ، هذا ما روى عنه والطريق الأول والثالث لا بأس به وأما نقض الوتر فقد صح فيه نهى فلا ينبغى أن ينقض [٩] وروى مطلقا أنه صلى الله عليه وسلم قال «لا وتران فى ليلة [١٠] » ولمن يتردد فى استيقاظه تلطف استحسنه بعض العلماء وهو أن يصلى بعد الوتر ركعتين جالسا على فراشه عند النوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينحرف إلى فراشه ويصليهما ويقرأ فيهما إذا زلزلت وألهاكم [١١] لما فيهما من التحذير والوعيد وفى رواية قل يا أيها الكافرون لما فيها من التبرئة وإفراد العبادة لله تعالى ، فقيل إن استيقظ قامتا مقام ركعة واحدة وكان له أن يوتر بواحدة فى آخر صلاة الليل وكأنه صار ما مضى شفعا بهما . وحسن استئناف الوتر واستحسن هذا أبو طالب المكى وقال فيه ثلاثة أعمال قصر الأمل وتحصيل الوتر والوتر آخر الليل ، وهو كما

= جندب « من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر له والترمذى من حديث جابر « كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذى بيده الملك » وله من حديث عائشة « كان لا ينام حتى يقرأ بنى اسرائيل والزمر » وقال حسن غريب وله من حديث أبي هريرة « من قرأ حم الدخان فى ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك » قال غريب ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث عائشة « من قرأ فى ليلة الم تنزيل ويس وتبارك الذى بيده الملك واقتربت كن له نورا ... الحديث » ولأبى منصور المظفر بن الحسين النزنوى فى فضائل القرآن من حديث على « ياعلى أكثر من قراءة يس ... الحديث » وهو منكر وللحارث بن أبى أسامة من حديث ابن مسعود بسند ضعيف « من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا » والترمذى من حديث ابن عباس « شيبتنى هود والواقعة .. الحديث » وقال حسن غريب . (١) حديث « كان يقرأ فى كل ليلة السجدة وتبارك الملك » أخرجه الترمذى وتقدم فى الحديث قبله . (٢) حديث « كان يقرأ فى كل ليلة الزمر وبنى إسرائيل » أخرجه الترمذى وتقدم أيضاً .

(٣) حديث « كان يقرأ المسبحات فى كل ليلة ويقول : فيهن آية أفضل من ألف آية » أخرجه أبو داود والترمذى وقال حسن والنسائى فى الكبرى من حديث عرباض بن سارية .

(٤) حديث « كان يحب سبح اسم ربك الأعلى » أخرجه أحمد والبزار من حديث على بسند ضعيف . (٥) حديث « كان يقرأ فى ثلاث ركعات الوتر بسبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون والإخلاص » أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أبى بن كعب بإسناد صحيح وتقدم فى الصلاة من حديث أنس . (٦) حديث أبى هريرة « أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أنام إلا على وتر » متفق عليه بلفظ « أن أوتر قبل أن أنام » . (٧) حديث « صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة » متفق عليه من حديث ابن عمر . (٨) حديث عائشة « أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر » متفق عليه . (٩) حديث « النهى عن نقض الوتر » قال المصنف صح فيه نهى قلت : وإنما صح من قول عابد بن عمرو وله صحبة كما رواه البخارى ومن قول ابن عباس كما رواه البيهقى ولم يصرح بأنه مرفوع فالظاهر أنه إنما أراد ما ذكرناه عن الصحابة . (١٠) حديث «لا وتران فى ليلة » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه والنسائى من حديث طلق بن على . (١١) حديث « الركعتين بعد الوتر جالسا » تقدم فى الصلاة رواه مسلم من حديث عائشة ..

ذكره لكن ربما يخطر أنهما لو شفعتا ما مضى لكان كذلك ، وإن لم يستيقظ وأبطل وتره الأول فكونه شافعا إن استيقظ غير مشفع إن نام فيه نظر إلا أن يصح من رسول الله صلى الله عليه وسلم إيتاره قبلهما وإعادته الوتر فيفهم منه أن الركعتين شفع بصورتهما وتر بمعناهما فيحسب وتراً إن لم يستيقظ وشفعا إن استيقظ . ثم يستحب بعد التسليم من الوتر أن يقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والأرض بالعظمة والجبروت ، وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت روى « أنه صلى الله عليه وسلم ما مات حتى كان أكثر صلاته جالسا إلا المكتوبة [1] وقد قال « للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد [2] » وذلك يدل على صحة النافلة دائما .

الورد الثالث : النوم ولا بأس أن يعد ذلك فى الأوراد فإنه إذا روعيت آدابه احتسب عبادة فقد قيل : إنّ للعبد إذا نام على طهارة وذكر الله تعالى يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل فى شعاره ملك فإن تحرك فى نومه فذكر الله تعالى دعا له الملك واستغفر له الله [3] » وفى الخبر « إذا نام على طهارة رفع روحه إلى العرش [4] » هذا فى العوام فكيف بالخواص والعلماء وأرباب القلوب الصافية ؟ فإنهم يكاشفون بالأسرار فى النوم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح [5] » وقال معاذ لأبى موسى : كيف تصنع فى قيام الليل ؟ فقال أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيئا واتفوق القرآن فيه تفوقا قال معاذ : لكنى أنا أنام ثم أقوم واحتسب فى نومتى ما أحتسب فى قومتى . فذكرا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : معاذ أفقه منك [6] وآداب النوم عشرة (الأول) الطهارة والسواك : قال صلى الله عليه وسلم « إذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة وإن لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات أضغاث أحلام لا تصدق [7] » وهذا أريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا ، وطهارة الباطن هى المؤثرة فى انكشاف حجب الغيب (الثانى) أن يعد عنه رأسه سواكه وطهوره وينوى القيام للعبادة عند التيقظ وكلما يتنبه يستاك ؛ كذلك كان يفعله بعض السلف . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه كان يستاك فى كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها [8] وإن لم يتيسر له الطهارة يستحب له مسح الأعضاء بالماء فإن لم يجد فليقعد وليستقبل القبلة وليشتغل بالذكر والدعاء والتفكر فى آلاء الله تعالى وقدرته فذلك يقوم مقام قيام الليل . وقال صلى الله عليه وسلم « من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى [9] » (الثالث) أن لا يبيت من له وصية إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه فإنه لا يأمن

---

(١) حديث « ما مات حتى كان أكثر صلاته جالسا إلا المكتوبة » متفق عليه من حديث عائشة « لما بدن النبى صلى الله عليه وسلم وثقل كان أكثر صلاته جالسا » . (٢) حديث « القاعد نصف أجر القائم والنائم نصف أجر القاعد » أخرجه البخارى من حديث عمران بن حصين . (٣) حديث « قيل إنه إذا نام على طهارة ذاكرا الله تعالى يكتب مصليا ويدخل فى شعاره ملك .. الحديث » أخرجه ابن حبان من حديث ابن عمر « من بات طاهراً بات فى شعاره ملك فلم يستيقظ إلا قال الملك اللهم اغفر لعبدك فلان فانه بات طاهرا » (٤) حديث « إذا نام على الطهارة رفع روحه إلى العرش » أخرجه ابن المبارك فى الزهد موقوفا على أبى الدرداء والبيهقى فى الشعب موقوفا على عبد الله بن عمرو بن العاص . وروى الطبرانى فى الأوسط من حديث على « ما من عبد ولا أمة تنام فتثقل نوما إلا عرج بروحه إلى العرش فالذى لا يستيقظ إلا عند العرش فتلك الرؤيا التى تصدق والذى يستيقظ دون العرش فهى الرؤيا التى تكتب » هو ضعيف . (٥) حديث « نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح » قلت المعروف فيه الصائم دون العالم . وقد تقدم فى الصوم

(٦) حديث « قال معاذ لابى موسى كيف تصنع فى قيام الليل ؟ فقال أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيئا وأتفوق القرآن تفوقا قال معاذ لكنى أنام ثم أقوم وأحتسب فى نومتى ما احتسب فى قومتى فذكر ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : معاذ أفقه منك » متفق عليه بنحوه من حديث أبى سعيد وليس فيه « أنهما ذكرا ذلك النبى صلى الله عليه وسلم » ولا قوله « معاذ أفقه منك » وإنما زاد فيه الطبرانى « فكان معاذ أفضل منه » . (٧) حديث « إذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة » الحديث تقدم . (٨) حديث « أنه كان يستاك فى كل ليلة مرارا عند كل نومه وعند التنبه منها » تقدم فى الطهارة .

(٩) حديث « من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة من الله عليه » أخرجه النسائى وابن ماجه من حديث أبى الدرداء بسند صحيح .

القبض فى النوم فإنّ من مات من غير وصية لم يؤذن له فى الكلام بالبرزخ إلى يوم القيامة ، يتزاوره الأموات ويتحدّثون وهو لايتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات من غير وصية ، وذلك مستحب خوف موت الفجأة وموت الفجأة تخفيف إلا لمن ليس مستعداً للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم (الرابع) أن ينام تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم أحد ، ولا يعزم على معصية إن استيقظ ، قال صلى الله عليه وآله وسلم « من أوى إلى فراشه لاينوى ظلم أحد ولايحقد على أحد غفر له مااجترم[1] » (الخامس) أن لايتنعم بتمهيد الفرش الناعمة بل يترك ذلك أو يقتصد فيه . كان بعض السلف يكره التمهيد للنوم ويرى ذلك تكلفا . وكان أهل الصفة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا وإليها نرد وكانوا يرون ذلك أرق لقلوبهم وأجدر بتواضع نفوسهم فمن لم تسمح بذلك نفسه فليقتصد (السادس) أن لاينام مالم يغلبه النوم ولايتكلف استجلابه إلا إذا قصد به الاستعانة على القيام فى آخر الليل فقد كان نومهم غلبة وأكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا بأنهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وإن غلبه النوم عن الصلاة والذكر وصار لا يدرى مايقول فلينم حتى يعقل ما يقول . وكان ابن عباس رضى الله عنه يكره النوم قاعدا وفى الخبر « لا تكابدوا الليل[2] » وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ فلانة تصلى بالليل فإذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال : ليصل أحدكم من الليل ما تيسر له فإذا غلبه النوم فليرقد[3] » وقال صلى الله عليه وسلم « تكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لن يمل حتى تملوا[4] » وقال صلى الله عليه وسلم « خير هذا الدين أيسره[5] » وقيل له صلى الله عليه وسلم « إنّ فلانا يصلى فلا ينام ويصوم فلا يفطر فقال لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر هذه سنتى فمن رغب عنها فليس منى[6] » وقال صلى الله عليه وسلم « لا تشادوا هذا الدين فإنه متين فمن يشاده يغلبه فلا تبغض إلى نفسك عبادة الله[7] » (السابع) أن ينام مستقبل القبلة . والاستقبال على ضربين أحدهما . استقبال المحتضر ـ وهو المستلقى على قفاه ـ فاستقباله أن يكون وجهه وأخصاه إلى القبلة . والثانى : استقبال اللحد وهو أن ينام على جنب بأن يكون وجهه إليها مع قبالة بدنه إذا نام على شقه الأيمن (الثامن) الدعاء عند النوم فيقول باسمك ربى وضعت جنبى وباسمك أرفعه إلى آخر الدعوات المأثورة التى أوردناها فى كتاب الدعوات[8] ويستحب أن يقرأ الآيات المخصوصة مثل آية الكرسى وآخر البقرة وغيرهما وقوله تعالى ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو ﴾ إلى قوله ﴿ لقوم يعقلون ﴾ يقال إنّ من قرأها عند النوم حفظ الله عليه القرآن فلم ينسه ويقرأ من سورة الأعراف هذه الآية ﴿ إنّ ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ﴾ إلى قوله

---

(١) حديث « من أوى إلى فراشه لاينوى ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجترم » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب التية من حديث أنس « من أصبح ولم يهم بظلم أحد غفر له ما اجترم » وسنده ضعيف . (٢) حديث « لاتكابدوا الليل » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف وفى جامع سفيان الثورى موقوفا على ابن مسعود « لاتنابوا هذا الليل » . (٣) حديث « قيل له إن فلانة تصلى فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهاهن عن ذلك .. الحديث » متفق عليه من حديث أنس . (٤) حديث « تكلفوا من العمل ماتطيقون فان الله لايمل حتى تملوا » متفق عليه من حديث عائشة بلفظ « اكلفوا » . (٥) حديث « خير هذا الدين أيسره » أخرجه أحمد من حديث محجن بن الأدرع وتقدم فى العلم .

(٦) حديث « قيل له إن فلانا يصلى ولاينام ويصوم ولايفطر فقال : لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر هذه سنتى فمن رغب عنها فليس منى » أخرجه النسائى من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله « هذه سنتى » الخ وهذه الزيادة لابن خزيمة « من رغب عن سنتى فليس منى » وهى متفق عليها من حديث أنس . (٧) حديث « لاتشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه ولاتبغض الى نفسك عبادة الله » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة « لن يشاد هذا الدين أحدا الا غلبه فسددوا وقاربوا » وللبيهقى من حديث جابر « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولاتبغض الى نفسك عبادة الله » ولايصح إسناده . (٨) حديث « الدعاء المأثور عند النوم باسمك اللهم ربى وضعت جنبى ... الحديث » الى آخر الدعوات المأثوره التى أوردناها فى الدعوات تقدم هناك وبقية الدعوات .

(قريب من المحسنين) وآخر بنى إسرائيل (قل ادعوا الله) الآيتين فإنه يدخل فى شعاره ملك يوكل بحفظه فيستغفر له ويقرأ المعوذتين وينفث بهن فى يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده ، كذلك روى من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] وليقرأ عشرا من أول الكهف وعشرا من آخرها وهذه الآى للاستيقاظ لقيام الليل . وكان على كرم الله وجهه يقول : ماأرى أن رجلا مستكملا عقله ينام قبل أن يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين مرة : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . ليكون مجموع هذه الكلمات الأربع مائة مرة (التاسع) أن يتذكر عند النوم أن النوم نوع وفاة والتيقظ نوع بعث قال الله تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها) وقال (وهو الذى يتوفاكم بالليل) فسماه توفيا وكما أن المستيقظ تنكشف له مشاهدات لاتناسب أحواله فى النوم فكذلك المبعوث يرى مالم يخطر قط بباله ولا شاهده حسه . ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة . وقال لقمان لابنه : يابنى إن كنت تشك فى الموت فلا تنم فكما أنك تنام كذلك تموت ، وإن كنت تشك فى البعث فلا تنتبه فكما أنك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك . وقال كعب الأحبار : إذا نمت فاضطجع على شقك الأيمن واستقبل القبلة بوجهك فإنها وفاة . وقالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر مايقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى أنه ميت فى ليلته تلك اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شىء ومليكه [2] ، الدعاء إلى آخره كما ذكرناه فى كتاب الدعوات . فحق على العبد أن يفتش عن ثلاثة عند نومه : أنه على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله تعالى وحب لقائه أوحب الدنيا ؟ وليتحقق أنه يتوفى على ما هو الغالب عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فإن المرء مع من أحب ومع ماأحب (العاشر) الدعاء عند التنبه فليقل فى تيقظاته وتقلباته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار [3] » وليجتهد أن يكون آخر مايجرى على قلبه عند النوم ذكر الله تعالى وأول ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى فهو علامة الحب . ولا يلازم القلب فى هاتين الحالتين إلا ماهو الغالب عليه فليجرب قلبه به فهو علامة الحب فإنها علامة تكشف من باطن القلب وإنما استحبت هذه الأذكار لتستجر القلب إلى ذكر الله تعالى ، فإذا استيقظ ليقوم قال : الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور . إلى آخر ما أوردناه من أدعية التيقظ .

الورد الرابع . يدخل بمضى النصف الأول من الليل إلى أن يبقى من الليل سدسه وعند ذلك يقوم العبد للتهجد . فاسم التهجد يختص بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذى بعد الزوال وهو وسط النهار وبه أقسم الله تعالى فقال (والليل إذا سجى) أى إذا سكن وسكونه هدوءه فى هذا الوقت فلا تبقى عين إلا نائمة سوى الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم . وقيل إذا سجى إذا امتد وطال وقيل إذا أظلم . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أى الليل أسمع ؟ فقال جوف الليل [4] » وقال داود صلى الله عليه وسلم : إلهى إنى أحب أن أتعبد لك فأى وقت أفضل ؟ فأوحى الله تعالى إليه ياداود لاتقم أول الليل ولا آخره ، فإن من قام

---

(١) حديث « قراءة المعوذتين عند النوم ينفث بهن فى يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده » متفق عليه من حديث عائشة .

(٢) حديث عائشة « كان آخر مايقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم .. الحديث » تقدم فى الدعوات دون : وضع الخد على اليد وتقدم من حديث حفصة . (٣) حديث « كان يقول عند تيقظه : لاإله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار » أخرجه ابن السنى وأبو نعيم فى كتابيهما عمل اليوم والليلة من حديث عائشة . (٤) حديث « سئل أى الليل أسمع ؟ قال : جوف الليل » أخرجه أبو داود والترمذى وصححه من حديث عمرو بن عنبسة .

أوله نام آخره ، ومن قام آخره لم يقم أوله ، ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بى وأخلو بك ، وارفع إلى حوائجك وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أى الليل أفضل ؟ فقال : نصف الليل الغابر [1] » يعنى الباقى وفى آخر الليل وردت الأخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار تعالى إلى سماء الدنيا [2] وغير ذلك من الاخبار . وترتيب هذا الورد أنه بعد الفراغ من الأدعية التى للاستيقاظ يتوضأ وضوءا ـ كما سبق ـ بسننه وآدابه وأدعيته . ثم يتوجه إلى مصلاه ويقوم مستقبلا القبلة ، ويقول « الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا » ثم يسبح عشرا وليحمد الله عشرا ويهلل عشرا وليقل « الله أكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة » وليقل هذه الكلمات فإنها مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قيامه للتهجد « اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ومن عليهن أنت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنشور حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق . اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفرلى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وأسرفت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت [3] اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها [4] اللهم اهدنى لأحسن الأعمال لايهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها لايصرف عنى سيئها إلا أنت [5] أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء المفتقر الذليل فلا تجعلنى بدعائك رب شقيا وكن بى رءوفا رحيما يا خير المسئولين وأكرم المعطين [6] وقالت عائشة رضى الله عنها « كان صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته قال . اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم [7] » ثم يفتتح الصلاة ويصلى ركعتين خفيفتين . ثم يصلى مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر إن لم يكن قد صلى الوتر . ويستحب أن يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلاة وقد صح فى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل أنه صلى أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج إلى ثلاث عشرة

---

(١) حديث « سئل أى الليل أفضل ؟ قال : نصف الليل الغابر » أخرجه أحمد وابن حبان من حديث أبى ذر دون قوله « الغابر » وهى فى بعض طرق حديث عمرو بن عنبسة . (٢) الأخبار الواردة فى اهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن فى آخر الليل ونزول الجبار إلى سماء الدنيا ؛ أما حديث النزول فقد تقدم وأما الباقى فهى آثار رواها محمد بن نصر فى قيام الليل من رواية سعيد الجريرى قال « قال داود : ياجبريل أى الليل أفضل ؟ قال : ماأدرى غير أن العرش يهتز من السحر » وفى رواية له عن الجريرى عن سعيد بن أبى الحسن قال « إذا كان من السحر ألا ترى كيف تفوح ريح كل شجر » وله من حديث أبى الدرداء مرفوعا « إن الله تبارك وتعالى لينزل فى ثلاث ساعات بقين من الليل يفتتح الذكر فى الساعة الأولى » وفيه « ثم ينزل فى الساعة الثانية إلى جنة عدن ... الحديث » وهو مثله . (٣) حديث « الدعاء فى قيامه للتهجد : اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ... الحديث » متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله « أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت زين السموات والأرض » ودون قوله « ومن عليهن ومنك الحق » . (٤) حديث « اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها » أخرجه أحمد بإسناد جيد من حديث عائشة « أنها فقدت النبى صلى الله عليه وسلم من مضجعه فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول رب أعط نفسى تقواها ... الحديث » . (٥) حديث « اللهم اهدنى لأحسن الأعمال لايهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها لايصرف عنى سيئها إلا أنت » أخرجه مسلم من حديث على عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه كان إذا قام إلى الصلاة » فذكره بلفظ « لأحسن الأخلاق » وفيه زيادة فى أوله . (٦) حديث « أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء المضطر الذليل .. الحديث » أخرجه الطبرانى فى الصغير من حديث ابن عباس « أنه كان من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم عشية عرفة » تقدم فى الحج (٧) حديث عائشة « كان إذا قام من الليل افتتح صلاته قال : اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض ... الحديث » رواه مسلم .

ركعة [١] وسئلت عائشة رضى الله عنها « أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر فى قيام الليل أم يسر ؟ فقالت : ربما جهر وربما أسر [٢] وقال صلى الله عليه وسلم « صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة [٣] » وقال « صلاة المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل [٤] » وأكثر ماصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قيام الليل ثلاث عشرة ركعة [٥] ويقرأ فى هذه الركعات من ورده من القرآن أو من السور المخصوصة ماخف عليه وهو فى حكم هذا الورد قريب من السدس الأخير من الليل .

الورد الخامس : السدس الأخير من الليل وهو وقت السحر فإن الله تعالى قال ﴿ وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ قيل يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب للفجر الذى هو وقت انصراف ملائكة الليل وإقبال ملائكة النهار وقد أمر بهذا الورد سلمان أخاه أبا الدرداء رضى الله عنهما ليلة زاره [٦] فى حديث طويل قال فى آخره « فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان : نم فنام ثم ذهب ليقوم فقال له : نم فنام فلما كان عند الصبح قال له سلمان : قم الآن ، فقاما فصليا فقال : إن لنفسك عليك حقا وإن لضيفك عليك حقا وإن لأهلك عليك حقا فأعط كل ذى حق حقه ، وذلك أن امرأة أبى الدرداء أخبرت سلمان أنه لاينام الليل قال : فأتيا النبى صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له فقال : صدق سلمان . وهذا هو الورد الخامس وفيه يستحب السحور وذلك عند خوف طلوع الفجر والوظيفة فى هذين الوردين الصلاة . فإذا طلع الفجر انقضت أوراد الليل ودخلت أوراد النهار فيقوم ويصلى ركعتى الفجر وهو المراد بقوله تعالى ﴿ ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم ﴾ ثم يقرأ ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة ﴾ إلى آخرها . ثم يقول وأنا أشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته وأولو العلم من خلقه وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله تعالى وديعة وأسأله حفظها حتى يتوفانى عليها . اللهم احطط عنى بها وزرا واجعلها لى عندك ذخرا واحفظها على وتوفنى عليها حتى ألقاك بها غير مبدل تبديلا . فهذا ترتيب الأوراد للعباد وقد كانوا يستحبون أن يجمعوا مع ذلك فى كل يوم بين أربعة أمور صوم وصدقة وإن قلت وعيادة مريض وشهود جنازة ففى الخبر « من جمع بين هذه الأربع فى يوم غفر له [٧] » وفى رواية « دخل الجنة » فإن أنفق بعضها وعجز عن الآخر كان له أجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون أن ينقضى اليوم ولم يتصدقوا فيه بصدقة ولو بتمرة أو بصلة أو كسرة خبز لقوله صلى الله عليه وسلم « الرجل فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس [٨] » ولقوله صلى الله عليه وسلم « اتقوا النار ولو بشق تمرة [٩] » ودفعت عائشة رضى الله عنها إلى سائل عنبة واحدة فأخذها فنظر من كان عندها بعضهم إلى بعض فقالت : مالكم إن فيها لمثاقيل ذر كثير ؟ وكانوا لايستحبون رد السائل إذ كان من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك

---

(١) حديث « أنه صلى بالليل أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج إلى ثلاث عشرة ركعة » أخرجه مسلم من حديث زيد بن خالد الجهنى . (٢) حديث « سئلت عائشة أكان يجهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قيام الليل أم يسر ؟ فقالت ربما جهر وربما أسر » أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه باسناد صحيح . (٣) حديث « صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فأوتر بركعة » متفق عليه وقد تقدم .

(٤) حديث « صلاة المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل » أخرجه أحمد من حديث ابن عمر بإسناد صحيح .

(٥) حديث « القيام من الليل ثلاث عشرة ركعة فإنه أكثر ماصح عنه » تقدم . (٦) حديث « زار سلمان أبا الدرداء فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام ... الحديث » وفى آخره فقال « صدق سلمان » أخرجه البخارى من حديث أبى جحيفة . (٧) حديث « من جمع بين صوم وصدقة وعيادة مريض وشهود جنازة فى يوم غفر له » وفى رواية « دخل الجنة » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة « ماجتمعن فى امرئ إلا دخل الجنة » . (٨) حديث « الرجل فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس » تقدم فى الزكاة . (٩) حديث « اتقوا النار ولو بشق تمرة » تقدم فى الزكاة .

ماسأله أحد شيئا فقال : لا ، ولكنه إنلم يقدرعليه سكت [1] وفى الخبر « يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعنى المفصل وفى جسده ثلثمائة وستون مفصلا فأمرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك إلى الطريق صدقة وإماطتك الأذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل . ثم قال وركعتا الضحى تأتى على ذلك كله أو تجمعن لك ذلك كله [2] » .

بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال

اعلم أن المريد لحرث الآخرة السالك لطريقها لايخلو عن ستة أحوال فإنه : إما عابد وإما عالم وإما متعلم وإما وال وإما محترف وإما موحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره (الأول) العابد : وهو المتجرد للعبادة الذى لا شغل له غيرها أصلا ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب أوراده ماذكرناه ، نعم لايبعد أن تختلف وظائفه بأن يستغرق أكثر أوقاته إما فى الصلاة أو القراءة أو فى التسبيحات فقد كان فى الصحابة رضى الله عنهم من ورده فى اليوم اثنا عشر ألف تسبيحة . وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفا . وكان فيهم من ورده ثلثمائة ركعة إلى ستمائة وإلى ألف ركعة . وأقل مانقل فى أورادهم من الصلاة مائة ركعة فى اليوم والليلة . وكان بعضهم أكثر ورده القرآن وكان يختم الواحد منهم فى اليوم مرة وروى مرتين عن بعضهم : وكان بعضهم يقضى اليوم أو الليل فى التفكر فى آية واحدة يرددها . وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة فكان يطوف فى كل يوم سبعين أسبوعا وفى كل ليلة سبعين أسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن فى اليوم والليلة مرتين . فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ويكون مع كل أسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة وختمتان وعشرة فراسخ . فإن قلت : فما الأولى أن يصرف إليه أكثر الأوقات من هذه الأوراد فاعلم أن قراءة القرآن فى الصلاة قائما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما تعسر المواظبة عليه فالأفضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الأوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله تعالى وإيناسه به فلينظر المريد إلى قلبه فما يراه أشد تأثيرا فيه فليواظب عليه . فإذا أحس بملالة منه فلينتقل إلى غيره ولذلك نرى الأصوب لأكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الأوقات ـ كما سبق ـ والانتقال فيها من نوع إلى نوع لأن الملال هو الغالب على الطبع وأحوال الشخص الواحد فى ذلك أيضا تختلف . ولكن إذا فهم فقه الأوراد وسرها فليتبع المعنى فإن سمع تسبيحة مثلا وأحس لها بوقع قلبه فليواظب على تكرارها مادام يجد لها وقعا . وقد روى عن إبراهيم بن أدهم عن بعض الأبدال أنه قام ذات ليلة يصلى على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير أحدا فقال من أنت أسمع صوتك ولا أرى شخصك ؟ فقال : أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت قلت : فما اسمك ؟ قال : مهلهيائيل قلت : فما ثواب من قاله ؟ قال : من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له . والتسبيح هو قوله « سبحان الله العلى الديان سبحان الله الشديد الأركان سبحان من يذهب بالليل ويأتى بالنهار سبحان من لا يشغله شأن عن شأن سبحان الله الحنان المنان سبحان الله المسبح فى كل مكان » فهذا وأمثاله إذا سمعه المريد ووجد له فى قلبه وقعا فليلازمه . وأيا ما وجد القلب عنده وفتح له فيه خير فليواظب عليه (الثانى) العالم الذى ينفع الناس بعلمه فى فتوى أو تدريس أو تصنيف فترتيبه الأوراد يخالف ترتيب العابد ؛ فإنه يحتاج إلى المطالعة للكتب وإلى التصنيف والإفادة ، ويحتاج إلى مدة لها لامحالة فإن أمكنه استغراق الأوقات فيه فهو أفضل مايشتغل

---

(١) حديث « ماسأله أحد شيئاً فقال لا إن لم يقدر عليه سكت » أخرجه مسلم من حديث جابر وللبزار من حديث أنس « أو يسكت » . (٢) حديث « يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى ذر.

به بعد المكتوبات ورواتبها . ويدل على ذلك جميع ماذكرناه فى فضيلة التعليم والتعلم فى كتاب العلم . وكيف لايكون كذلك وفى العلم المواظبة على ذكر الله تعالى ؟ وتأمل ما قال الله تعالى وقال رسوله . وفيه منفعة الخلق وهدايتهم إلى طريق الآخرة ورب مسألة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلمها لكان سعيه ضائعا . وإنما نعنى بالعلم المقدم على العبادة العلم الذى يرغب الناس فى الآخرة ويزهدهم فى الدنيا أو العلم الذى يعينهم على سلوك طريق الآخرة إذا تعلموه على قصد الاستعانة به على السلوك ، دون العلوم التى تزيد بها الرغبة فى المال والجاه وقبول الخلق والأولى بالعالم أن يقسم أوقاته أيضا فإن استغراق الأوقات فى ترتيب العلم لايحتمله الطبع . فينبغى أن يخصص ما بعد الصبح إلى طلوع الشمس بالأذكار والأوراد كما ذكرناه فى الورد الأول . وبعد الطلوع إلى ضحوة النهار فى الإفادة والتعليم إن كان عنده من يستفيد علما لأجل الآخرة ، وإن لم يكن فيصرفه إلى الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين فإن صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات . ومن ضحوة النهار إلى العصر للتصنيف والمطالعة لايتركها إلا فى وقت أكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة إن طال النهار . ومن العصر إلى الاصفرار يشتغل بسماع مايقرأ بين يديه من تفسير أو حديث أو علم نافع . ومن الاصفرار إلى الغروب يشتغل بالذكر والاستغفار والتسبيح فيكون ورده الأول قبل طلوع الشمس فى عمل اللسان . وورده الثانى فى عمل القلب بالفكر إلى الضحوة . وورده الثالث إلى العصر فى عمل العين واليد بالمطالعة والكتابة . وورده الرابع بعد العصر فى عمل السمع ليروح فيه العين واليد فإن المطالعة والكتابة بعد العصر ربما أضرا بالعين . وعند الاصفرار يعود إلى ذكر اللسان فلا يخلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب فى الجميع . وأما الليل فأحسن قسم فيه قسمة الشافعى رضى الله عنه إذ كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء : ثلثا للمطالعة وترتيب العلم وهو الأول وثلثا للصلاة وهو الوسط وثلثا للنوم وهو الأخير . وهذا يتيسر فى ليالى الشتاء ، والصيف ربما لا يحتمل ذلك إلا إذا كان أكثر النوم بالنهار فهذا مانستحبه من ترتيب أوراد العالم (الثالث) المتعلم : والاشتغال بالتعلم أفضل من الاشتغال بالأذكار والنوافل لحكمه حكم العالم فى ترتيب الأوراد ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالإفادة وبالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف ويرتب أوقاته كما ذكرنا . وكل ماذكرناه فى فضيلة التعلم والعلم من كتاب العلم يدل على أن ذلك أفضل . بل إن لم يكن متعلما على معنى أنه يعلق ويحصل ليصير عالما . بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والوعظ والعلم أفضل من اشتغاله بالأوراد التى ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفى سائر الأوقات . ففى حديث أبى ذر رضى الله عنه « أن حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة وعيادة ألف مريض [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها فقيل يارسول الله وما رياض الجنة ؟ قال حلق الذكر [2] » وقال كعب الأحبار رضى الله عنه : لو أن ثواب مجالس العلماء بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذى إمارة إمارته وكل ذى سوق سوقه . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة ، فإذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه وانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب ، فلا تفارقوا مجالس العلماء فإن الله عز وجل لم يخلق على وجه الأرض تربة أكرم من مجالس العلماء . وقال رجل للحسن رحمه الله أشكو إليك قساوة قلبى فقال : أدنه من مجالس الذكر .

---

(١) حديث أبى ذر « حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة ... الحديث » تقدم فى العلم .

(٢) حديث « إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها ... الحديث » تقدم فى العلم .

ورأى عمار الزاهدى مسكينة الطفاوية فى المنام وكانت من المواظبات على حلق الذكر فقال : مرحبا يامسكينة فقالت : هيهات هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغنى ! فقال : هيه ! فقالت : ماتسأل عمن أبيح لها الجنة بحذافيرها ؟ قال : وبم ذلك ؟ قالت : بمجالسة أهل الذكر . وعلى الجملة فما ينحل عن القلب من عقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكى السيرة أشرف وأنفع من ركعات كثيرة مع اشتمال القلب على حب الدنيا (الرابع) المحترف الذى يحتاج إلى الكسب لعياله فليس له أن يضيع العيال ويستغرق الأوقات فى العبادات بل ورده فى وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغى أن لاينسى ذكر الله تعالى فى صناعته بل يواظب على التسبيحات الأذكار وقراءة القرآن فإن ذلك يمكن أن يجمع إلى العمل . وإنما لايتيسر مع العمل الصلاة إلا أن يكون ناظورا فإنه لايعجز عن إقامة أوراد الصلاة معه . ثم مهما فرغ من كفايته ينبغى أن يعود إلى ترتيب الأوراد . وإن داوم على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فهو أفضل من سائر الأوراد التى ذكرناها لأن العبادات المتعدية فائدتها أنفع من اللازمة والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له فى نفسه تقربه إلى الله تعالى ثم يحصل به فائدة للغير وتتجذب إليه بركات دعوات المسلمين ويتضاعف به الأجر (الخامس) الوالى : مثل الإمام والقاضى والمتولى فى أمور المسلمين فقيامه بحاجات المسلمين وأغراضهم على وفق الشرع وقصد الإخلاص أفضل من الأوراد المذكورة فحقه أن يشتغل بحقوق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة ويقيم الأوراد المذكورة بالليل ، كما كان عمر رضى الله عنه يفعله إذ قال : مالى وللنوم فلو نمت بالنهار ضيعت المسلمين ولو نمت بالليل ضيعت نفسى . وقد فهمت بما ذكرناه أنه يقدم على العبادات البدنية أمران أحدهما : العلم ، والآخر : الرفق بالمسلمين ، لأن كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل فى نفسه وعبادة تفضل سائر العبادات يتعدى فائدته وانتشار جدواه فكانا متقدمين عليه (السادس) الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذى أصبح وهمومه هم واحد فلا يحب إلا الله تعالى ولا يخاف إلا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر فى شىء إلا ويرى الله تعالى فيه . فمن ارتفعت رتبته إلى هذه الدرجة لم يفتقر إلى تنويع الأوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحد وهو حضور القلب مع الله تعالى فى كل حال ، فلا يخطر بقلوبهم أمر ولا يقرع سمعهم قارع ولا يلوح لأبصارهم لائح إلا كان لهم فيه عبرة وفكر ومزيد ، فلا محرك لهم ولا مسكن إلا الله تعالى فهؤلاء جميع أحوالهم تصلح أن تكون سببا لازديادهم فلا تتميز عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا إلى الله عز وجل كما قال تعالى ﴿ لعلكم تذكرون ففروا إلى الله ﴾ وتحقق فيهم قوله تعالى (وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ﴾ وإليه الإشارة بقوله (إنى ذاهب إلى ربى سيهدين) وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول إليها إلا بعد ترتيب الأوراد والمواظبة عليها دهرا طويلا فلاينبغى أن يغتر المريد بماسمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر عن وظائف عبادته فذلك علامته أن لا يهجس فى قلبه وسواس ولا يخطر فى قلبه معصية ولا ترجه هواجس الأهوال ولا تستفزه عظائم الأشغال . وأنى ترزق هذه الرتبة لكل أحد . فيتعين على الكافة ترتيب الأوراد كما ذكرناه وجميع ماذكرناه طرق إلى الله تعالى قال تعالى (قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) فكلهم مهتدون وبعضهم أهدى من بعض . وفى الخبر « الإيمان ثلاث وثلاثون وثلثمائة طريقة من لقى الله تعالى بالشهادة على طريق منها دخل الجنة [1] » وقال بعض العلماء : الإيمان ثلثمائة وثلاثة عشر خلقا

(١) حديث « الإيمان ثلاث وثلاثون وثلثمائة طريقة من لقى الله بالشهادة على طريق منها دخل الجنة » أخرجه ابن شاهين واللالكائى فى السنة والطبرانى والبيهقى فى الشعب من رواية المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده « الإيمان ثلثمائة وثلاثة وثلاثون شريعة من وافى شريعة منهن دخل الجنة » وقال الطبرانى والبيهقى « ثلثمائة وثلاثون » وفى إسناده جهالة .

بعدد الرسل فكل مؤمن على خلق منها فهو سالك الطريق إلى الله . فإذن الناس وإن اختلفت طرقهم في العبادة فكلهم على الصواب (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) وإنما يتفاوتون في درجات القرب لا في أصله ، وأقربهم إلى الله تعالى أعرفهم به ، وأعرفهم به لابد وأن يكون أعبدهم له ؛ فمن عرفه لم يعبد غيره. والأصل في الأوراد في حق كل صنف من الناس المداومة فإن المراد منه تغيير الصفات الباطنة . وآحاد الأعمال يقل آثارها بل لا يحس بآثارها وإنما يترتب الأثر على المجموع فإذا لم يعقب العمل الواحد أثرا محسوسا ولم يردف بثان وثالث على القرب انمحى الأثر الأول وكان كالفقيه يريد أن يكون فقيه النفس فإنه لا يصير فقيه النفس إلا بتكرار كثير ؛ فلو بالغ ليلة في التكرار وترك شهرا أو أسبوعا ثم عاد وبالغ ليلة لم يؤثر هذا فيه . ولو وزع ذلك القدر على الليالي المتواصلة لأثر فيه . ولهذا السر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل [1] . وسئلت عائشة رضي الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملا أثبته [2] » ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقته الله [3] » وهذا كان السبب في صلاته بعد العصر تداركا لما فاته من ركعتين شغله عنهما الوفد ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما بعد العصر ولكن في منزله لا في المسجد كيلا يقتدى به [4] روته عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما * فإن قلت : فهل لغيره أن يقتدى به في ذلك مع أن الوقت وقت كراهية ؟ فاعلم أن المعاني الثلاثة التي ذكرناها في الكراهية من الاحتراز عن التشبه بعبدة الشمس أو السجود وقت ظهور قرن الشيطان أو الاستراحة عن العبادة حذرا من الملال لا يتحقق في حقه فلا يقاس عليه في ذلك غيره . ويشهد لذلك فعله في المنزل حتى لا يقتدى به صلى الله عليه وسلم .

الباب الثاني : في الأسباب الميسرة لقيام الليل وفي الليالي التي يستحب إحياؤها وفي فضيلة إحياء الليل وما بين العشاءين وكيفية قسمة الليل

فضيلة إحياء مابين العشاءين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روت عائشة رضي الله عنها « إن أفضل الصلوات عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا عن مقيم فتح بها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرا في الجنة [5] » قال الراوي : لا أدري من ذهب أو فضة ؟ « ومن صلى بعدها أربع ركعات غفر له ذنب عشرين سنة أو قال أربعين سنة » وروت أم سلمة وأبو هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة كاملة أو كأنه صلى ليلة القدر [6] » وعن سعيد بن جبير عن ثوبان

---

(١) حديث « أحب الأعمال إلى الله أدومها وان قل » متفق عليه من حديث عائشة . (٢) حديث « سئلت عائشة عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملا أثبته » رواه مسلم . (٣) حديث « من عوده الله عبادة فتركها ملالا مقته الله » تقدم في الصلاة وهو موقوف على عائشة . (٤) حديث « شغله الوفد عن ركعتين فصلاهما بعد العصر ثم لم يزل يصليهما بعد العصر في منزله » متفق عليه من حديث أم سلمة « أنه صلى بعد العصر ركعتين وقال شغلني ناس من عبد القيس عن الركعتين بعد الظهر » ولهما من حديث عائشة « ما تركهما حتى لقي الله وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصليهما ولا يصليهما في المسجد مخافة أن يثقل على أمته » والله الموفق للصواب .

الباب الثاني : في الأسباب الميسرة لقيام الليل

(٥) حديث عائشة « إن أفضل الصلاة عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا عن مقيم ... الحديث » رواه أبو الوليد يونس بن عبيد الله الصفار في كتاب الصلاة ورواه الطبراني في الأوسط مختصرا واسناده ضعيف . (٦) حديث أم سلمة عن أبي هريرة « من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة أو كأنه صلى ليلة القدر » أخرجه الترمذي وابن ماجه بلفظ =

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قرآن كان حقا على الله أن يبنى له قصرين فى الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه أهل الدنيا لوسعهم [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « من ركع عشر ركعات مابين المغرب والعشاء بنى الله له قصرا فى الجنة فقال عمر رضى الله عنه : إذاً تكثر قصورنا يارسول الله فقال : الله أكثر وأفضل ـ أو قال ـ أطيب [2] » وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى المغرب فى جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولم يتكلم بشىء فيما بين ذلك من أمر الدنيا ويقرأ فى الركعة الأولى فاتحة الكتاب وعشر آيات من أول سورة البقرة وآيتين من وسطها والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إن فى خلق السموات والأرض إلى آخر الآية وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ثم يركع ويسجد فإذا قام فى الركعة الثانية قرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسى وآيتين بعدها إلى قوله (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وثلاث آيات من آخر سورة البقرة من قوله لله مافى السموات ومافى الأرض إلى آخرها وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة [3] » وصف من ثوابه فى الحديث مايخرج عن الحصر وقال كرز بن وبرة وهو من الأبدال : قلت للخضر عليه السلام علمنى شيئا أعمله فى كل ليلة فقال إذا صليت المغرب فقم إلى وقت صلاة العشاء مصليا من غير أن تكلم أحدا وأقبل على صلاتك التى أنت فيها وسلم من كل ركعتين واقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاثا فإن فرغت من صلاتك انصرف إلى منزلك ولا تكلم أحدا وصل ركعتين واقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد سبع مرات فى كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله تعالى سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم سبع مرات ، ثم ارفع رأسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل ياحى ياقيوم ياذا الجلال والإكرام ياإله الأولين والآخرين يارحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يارب يارب يارب ياالله يا الله ياالله ، ثم قم وأنت رافع يديك وأدع بهذا الدعاء ، ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبى صلى الله عليه وسلم وأدم الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم . فقلت له : أحب أن تعلمنى ممن سمعت هذا ؟ فقال : إنى حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعاء وأوحى إليه به فكنت عنده وكان ذلك بمحضر منى فتعلمته ممن علمه إياه [4] ويقال إن هذا الدعاء وهذه الصلاة من داوم عليهما بحسن يقين وصدق نية رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامه قبل أن يخرج من الدنيا ؛ وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى أنه أدخل الجنة ورأى فيها الأنبياء ورأى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وعلمه . وعلى الجملة ماورد فى فضل إحياء مابين العشاءين كثير حتى قيل لعبيد الله مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بصلاة غير المكتوبة ؟ قال : مابين المغرب والعشاء [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى مابين المغرب والعشاء تلك

= اثنتى عشرة سنة وضعفه الترمذى وأما قوله « كانه صلى ليلة القدر » فهو من قول كعب الأحبار كما رواه أبو الوليد الصفار ، ولأبى منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس « من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يكلم أحداً وضعت له فى عليين وكان كمن أدرك ليلة القدر فى المسجد الأقصى » وسنده ضعيف . (١) حديث سعيد بن جبير عن ثوبان « من عكف نفسه مابين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلاة أو قرآن كان حقا على الله أن يبنى له قصرين فى الجنة » لم أجد له أصلا من هذا الوجه وقد تقدم فى الصلاة من حديث ابن عمر . (٢) حديث « من ركع عشر ركعات بين المغرب والعشاء بنى الله له قصراً فى الجنة فقال عمر إذا تكثر قصورنا يارسول الله ... الحديث » أخرجه ابن المبارك فى الزهد من حديث عبد الكريم ابن الحارث مرسلا . (٣) حديث أنس « من صلى المغرب فى جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولايتكلم بشىء فيما بين ذلك من أمر الدنيا ويقرأ فى الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وعشر آيات من أول البقرة وآيتين من وسطها والهكم إله واحد .. الحديث » أخرجه أبو الشيخ فى الثواب من رواية زياد بن ميمون عنه مع اختلاف يسير وهو ضعيف (٤) حديث كرز بن وبرة « أن الخضر علمه صلاة بين المغرب والعشاء وفيه أن كرزاً سأل الخضر ممن سمعت هذا ؟ قال : إنى حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حين علم هذا الدعاء ... الحديث » وهذا باطل لاأصل له . (٥) حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له « هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بصلاة غير المكتوبة ؟ قال مابين المغرب والعشاء » رواه أحمد وفيه رجل لم يسم .

صلاة الأوابين [١] » وقال الأسود ماأتيت ابن مسعود رضى الله عنه فى هذا الوقت إلا ورأيته يصلى فسألته فقال : نعم هى ساعة الغفلة : وكان أنس رضى الله عنه يواظب عليها ويقول : هى ناشئة الليل ، ويقول : فيها نزل قوله تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) وقال أحمد بن أبى الحوارى : قلت لأبى سليمان الدارانى أصوم النهار وأتعشى بين المغرب والعشاء أحب إليك أو أفطر بالنهار وأحيى مابينهما ؟ فقال : اجمع بينهما ، فقلت : إن لم يتيسر ؟ قال أفطر وصل ما بينهما .

فضيلة قيام الليل

أما من الآيات : فقوله تعالى (إنّ ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل) الآية وقوله تعالى (إنّ ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا) وقوله سبحانه وتعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) وقوله تعالى (أمن هو قانت آناء الليل) الآية وقوله عزوجل (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) وقوله تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة) قيل هى قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس . ومن الأخبار : قوله صلى الله عليه وسلم « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فإن استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فإن توضأ انحلت عقدة فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان [٢] » وفى الخبر « أنه ذكر عنده رجل ينام كل الليل حتى يصبح فقال : ذاك رجل بال الشيطان فى أذنه [٣] » وفى الخبر « إنّ للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فإذا أسعط العبد ساء خلقه وإذا ألعقه ذرب لسانه بالشر وإذا ذره نام الليل حتى يصبح [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « ركعتان يركعهما العبد فى جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتى لفرضتهما عليهم [٥] » وفى الصحيح عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن من الليل ساعة لايوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه إياه » وفى رواية « يسأل الله تعالى خيرا من الدنيا والآخرة وذلك فى كل ليلة » وقال المغيرة بن شعبة : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تفطرت قدماه فقيل له : أما قد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : أفلا أكون عبدا شكورا [٦] ويظهر من معناه أن ذلك كناية عن زيادة الرتبة فإن الشكر سبب المزيد قال تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) وقال صلى الله عليه وسلم « ياأبا هريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك ياأبا هريرة صل فى زوايا بيتك يكن نور بيتك فى السماء كنور الكواكب والنجم عند أهل الدنيا [٧] » وقال صلى الله عليه وسلم « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم . فإن قيام الليل قربة إلى الله عزوجل وتكفير للذنوب

---

(١) حديث « من صلى ما بين المغرب والعشاء فذلك صلاة الأوابين » تقدم فى الصلاة .

(٢) حديث « يعقد الشيطان على قافيه رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد .. الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة .

(٣) حديث « ذكر عنده رجل نام حتى أصبح فقال : ذاك رجل بال الشيطان فى أذنه » متفق عليه من حديث ابن مسعود .

(٤) حديث « إن الشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا ... الحديث » أخرجه الطبرانى من حديث أنس « إن الشيطان لعوقا وكحلا فإذا لعق الإنسان من لعوقه ذرب لسانه بالشر وإذا كحله من كحله نامت عيناه عن الذكر » ورواه البزار من حديث سمرة بن جندب وسندهما ضعيف . (٥) حديث « ركعتان يركعهما العبد فى جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتى لفرضتهما عليهم » أخرجه آدم بن أبى إياس فى الثواب ومحمد بن نصر المروزى فى كتاب قيام الليل من رواية حسان بن عطية مرسلا ووصله أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر ولايصح . (٦) حديث المغيرة بن شعبة « قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تفطرت قدماه ... الحديث » متفق عليه . (٧) حديث « ياأبا هريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك ، ياأبا هريرة صل فى زوايا بيتك يكن نور بيتك فى السماء كنور الكواكب والنجوم عند أهل الدنيا » باطل لاأصل له .

ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الإثم [١] ، وقال صلى الله عليه وسلم « مامن امرئ تكون له صلاة بالليل فغلبه عليها النوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه [٢] » ، وقال صلى الله عليه وسلم لأبي ذر « لو أردت سفرا أعددت له عدة ؟ قال : نعم ، قال : فكيف سفر طريق القيامة ألا أنبئك يا أباذر بما ينفعك ذلك اليوم ؟ قال : بلى بأبي أنت وأمي ، قال : صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظائم الأمور وتصدق بصدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها [٣] » ، وروى « أنه كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول : يارب النار أجرني منها ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : إذا كان ذلك فآذنوني فأتاه فاستمع فلما أصبح قال : يا فلان هلا سألت الله الجنة ؟ قال : يارسول الله إني لست هناك ولا يبلغ عملي ذاك فلم يلبث إلا يسيرا حتى نزل جبرائيل عليه السلام وقال : أخبر فلانا أن الله قد أجاره من النار وأدخله الجنة [٤] » ، ويروى « أن جبرائيل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم : نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل ، فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل [٥] » ، قال نافع : كان يصلي بالليل ثم يقول : يانافع أسحرنا ؟ فأقول : لا ، فيقوم لصلاته ثم يقول يانافع أسحرنا ؟ فأقول : نعم ، فيقعد فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر . وقال علي بن أبي طالب شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله تعالى إليه : يايحيى أوجدت دارا خيرا لك من داري ؟ أم وجدت جوارا خيرا لك من جواري ؟ فوعزتي وجلالي يايحيى لو اطلعت إلى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت إلى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الجلد بعد المسوح » . وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق فقال : سينهاه مايعمل [٦] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح في وجهها الماء [٧] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى فإن أبى نضحت في وجهه الماء » ، وقال صلى الله عليه وسلم « من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات [٨] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل [٩] » ، وقال

---

(١) حديث « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ... الحديث » أخرجه الترمذي من حديث بلال وقال غريب ولا يصح ورواه الطبراني والبيهقي من حديث أبي أمامة بسند حسن وقال الترمذي إنه أصح .

(٢) حديث « مامن امرئ يكون له صلاة بالليل يغلبه عليها نوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه » أخرجه أبو داود والنسائي من حديث عائشة وفيه رجل لم يسم سماه النسائي في رواية الاسود بن يزيد لكن في طريقه ابن جعفر الرازي قال النسائي ليس بالقوي ورواه النسائي وابن ماجه من حديث أبي الدرداء نحوه بسند صحيح وتقدم في الباب قبله .

(٣) حديث إنه قال لأبي ذر « لو أردت سفرا أعددت له عدة فكيف بسفر طريق القيامة ألا أنبئك ياأبا ذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأبي وأمي قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور ... الحديث » أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد من رواية السري بن مخلد مرسلا والسري ضعفه الأزدي .

(٤) حديث « أنه كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول : يارب النار أجرني منها . فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : إذا كان ذلك فآذنوني ... الحديث » لم أقف له على أصل . (٥) حديث « أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم : نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل ... الحديث » متفق عليه من حديث ابن عمر « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك » وليس فيه ذكر لجبريل . (٦) حديث « قيل له إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق قال سينهاه مايعمل » أخرجه ابن حبان من حديث أبي هريرة . (٧) حديث « رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت ... الحديث » أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث أبي هريرة . (٨) حديث « من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات » أخرجه أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة وأبي سعيد بسند صحيح . (٩) حديث « أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل » أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة

عمر بن الخطاب رضى الله عنه : قال صلى الله عليه وسلم « من نام عن حزبه أو عن شيء منه بالليل فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل [1] » الآثار : روى أن عمر رضى الله عنه كان يمر بالآية من ورده بالليل فيسقط حتى يعاد منها أياما كثيرة كما يعاد المريض . وكان ابن مسعود رضى الله عنه إذا هدأت العيون قام فيسمع له دوى كدوى النحل حتى يصبح ويقال : إن سفيان الثورى رحمه الله شبع ليلة فقال : إن الحمار إذا زيد فى علفه زيد فى عمله فقام تلك الليلة حتى أصبح . وكان طاوس رحمه الله إذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما تتقلى الحبة على المقلاة ثم يثب ويصلى إلى الصباح ثم يقول : طير ذكر جهنم نوم العابدين . وقال الحسن رحمه الله : ما نعلم عملا أشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال فقيل له : ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها ؟ قال : لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره . وقدم بعض الصالحين من سفره فمهد له فراش فنام عليه حتى فاته ورده فحلف أن لا ينام بعدها على فراش أبدا . وكان عبد العزيز بن رواد إذا جن عليه الليل يأتى فراشه فيمر يده عليه ويقول : إنك للين ووالله إن فى الجنة لألين منك ولا يزال يصلى الليل كله . وقال الفضيل : إنى لأستقبل الليل من أوله فيهولنى طوله فأفتتح القرآن فأصبح وما قضيت نهمتى . وقال الحسن : إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل . وقال الفضيل : إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك . وكان صلة بن أشيم رحمه الله يصلى الليل كله فإذا كان فى السحر قال : إلهى ليس مثلى يطلب الجنة ولكن أجرنى برحمتك من النار . وقال رجل لبعض الحكماء : إنى لأضعف عن قيام الليل ، فقال له « يا أخى لا تعص الله تعالى ولا تقم بالليل . وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان فى جوف الليل قامت الجارية فقالت : يا أهل الدار الصلاة الصلاة ! فقالوا : أصبحنا أطلع الفجر ؟ فقالت : وما تصلون إلا المكتوبة ؟ قالوا : نعم ؛ فرجعت إلى الحسن فقالت : يا مولاى بعتنى من قوم لا يصلون إلا المكتوبة ؟ ردنى . فردها ، وقال الربيع : بت فى منزل الشافعى رضى الله عنه ليالى كثيرة فلم يكن ينام من الليل إلا يسيرا . وقال أبو الجويرية . لقد صحبت أبا حنيفة رضى الله عنه ستة أشهر فما فيها ليلة وضع جنبه على الأرض . وكان أبو حنيفة يحيى نصف الليل فمر بقوم فقالوا : إن هذا يحيى الليل كله : فقال : إنى أستحى أن أوصف بما لا أفعل فكان بعد ذلك يحيى الليل كله . ويروى أنه ما كان له فراش بالليل . ويقال : إن مالك بن دينار رضى الله عنه بات يردد هذه الآية ليلة حتى أصبح (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية : وقال المغيرة بن حبيب : رمقت مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء ثم قام إلى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول حرم شيبة مالك على النار إلهى قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فأى الرجلين مالك ؟ وأى الدارين دار مالك ؟ فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر . وقال مالك بن دينار : سهوت ليلة عن وردى ونمت فإذا أنا فى المنام بجارية كأحسن ما يكون وفى يدها رقعة فقالت لى : أتحسن تقرأ ؟ فقلت : نعم ، فدفعت إلى الرقعة فإذا فيها :

أألهتك اللذائذ والأمانى ... عن البيض الأوانس فى الجنان
تعيش مخلدا لا موت فيها ... وتلهو فى الجنان مع الحسان
تنبه من منامك إن خيرا ... من النوم التهجد بالقران

وقيل حج مسروق فما بات ليلة إلا ساجدا . ويروى عن أزهر بن مغيث وكان من القوامين أنه قال : رأيت فى

(١) حديث عمر « من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنه قرأه من الليل » رواه مسلم

المنام امرأة لاتشبه نساء أهل الدنيا فقلت لها : من أنت ؟ قالت : حوراء ؛ فقلت : زوجيني نفسك ؛ فقالت اخطبني إلى سيدي وأمهرني ؛ فقلت : ومامهرك ؟ قالت : طول التهجد . وقال يوسف بن مهران : بلغني أن تحت العرش ملكا في صورة ديك برائله من لؤلؤ وعنقه من زبرجد أخضر فإذا مضى ثلث الليل الأول ضرب بجناحيه وزقا وقال : ليقم القائمون فإذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال : ليقم المتهجدون ؛ فإذا مضى ثلثا الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال : ليقم المصلون ؛ فإذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقا وقال : ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم . وقيل إن وهب بن منبه اليماني ما وضع جنبه إلى الأرض ثلاثين سنة وكان يقول : لأن أرى في بيتي شيطانا أحب إلي من أن أرى في بيتي وسادة لأنها تدعو إلى النوم ، وكانت له مسورة من أدم إذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفزع إلى الصلاة . وقال بعضهم : رأيت رب العزة في النوم فسمعته يقول : وعزتي وجلالي لأكرمن مثوى سليمان التيمي فإنه صلى لي الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة . ويقال كان مذهبه أن النوم إذا خامر القلب بطل الوضوء ، وروى في بعض الكتب القديمة عن الله تعالى أنه قال : إن عبدي الذي هو عبدي حقا الذي لاينتظر بقيامه صياح الديكة .

بيان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل

اعلم أن قيام الليل عسير على الخلق إلا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا

فأما الظاهرة فأربعة أمور (الأول) أن لايكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام . كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول : معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتتحسروا عند الموت كثيرا . وهذا هو الأصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام (الثاني) أن لايتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تعيا بها الجوارح وتضعف بها الأعصاب فإن ذلك أيضا مجلبة للنوم (الثالث) أن لايترك القيلولة بالنهار فإنها سنة للاستعانة على قيام الليل[1] (الرابع) أن لايحتقب الأوزار بالنهار فإن ذلك مما يقسي القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة . قال رجل للحسن : يا أبا سعيد إني أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهوري فما بالي لا أقوم ؟ فقال : ذنوبك قيدتك . وكان الحسن رحمه الله إذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول : أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء فإنهم لا يقيلون . وقال الثوري : حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته ، قيل وما ذاك الذنب ؟ قال : رأيت رجلا يبكي فقلت في نفسي هذا مراء وقال بعضهم : دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت أتاك نعي بعض أهلك ؟ فقال : أشد ؛ فقلت : وجع يؤلمك ؟ قال : أشد ؛ قلت : فماذاك ؟ قال : بابي مغلق وستري مسبل ولم أقرأ حزبي البارحة وماذاك إلا بذنب أحدثته . وهذا لأن الخير يدعو إلى الخير والشر يدعو إلى الشر والقليل من كل واحد منهما يجر إلى الكثير . ولذلك قال أبو سليمان الداراني : لاتفوت أحدا صلاة الجماعة إلا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة بعد . وقال بعض العلماء : إذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى أي شيء تفطر فإن العبد ليأكل أكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود إلى حالته الأولى . فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل ، وأخصها بالتأثير تناول الحرام . وتؤثر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحريكه إلى الخير مالا يؤثر غيرها ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له . ولذلك قال بعضهم : كم من أكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة ؟ وإن العبد ليأكل أكلة أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة . وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات . وقال بعض السجانين

(١) حديث « الاستعانة بقيلولة النهار على قيام الليل » أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عباس وقد تقدم .

كنت سجانا نيفا وثلاثين سنة أسأل كل مأخوذ بالليل أنه هل صلى العشاء فى جماعة فكانوا يقولون : لا ؟ وهذا تنبيه على أن بركة الجماعة تنهى عن تعاطى الفحشاء والمنكر .

وأما الميسرات الباطنة فأربعة أمور : (الأول) سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لايتيسر له القيام ، وإن قام فلا يتفكر فى صلاته إلا فى مهماته ولا يجول إلا فى وساوسه وفى مثل ذلك يقال :

يخبرنى البـــواب أنك نائم وأنت إذا استيقظت أيضاً فنائم

(الثانى) : خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل فإنه إذا تفكر فى أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره كما قال طاوس : إنّ ذكر جهنم طير نوم العابدين . وكما حكى أن غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيدته : إنّ قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار ، فقال : إنّ صهيبا إذا ذكر النار لايأتيه النوم وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل فقال : إذا ذكرت النار اشتدّ خوفى وإذا ذكرت الجنة اشتدّ شوقى فلا أقدر أن أنام وقال ذو النون المصرى رحمه الله :

منع القران بوعده ووعيده مقل العيون بليلها أن تهجعا
فهموا عن الملك الجليل كلامه فرقابهم ذلت إليـــه تخضعا

وأنشدوا أيضاً :

يا طويل الرقاد والغفلات كثرة النوم تورث الحسرات
إن فى القبر إن نزلت إليه لرقادا يطول بعـــد الممات
ومهادا ممهـــدا لك فيه بذنوب عملت أو حسنات
أأمنت البيات من ملك المو ت وكم نال آمنا ببيات

وقال ابن المبارك :

إذا ما الليـل أظلم كابدوه فيسفر عنهـــم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن فى الدنيا هجوع

(الثالث) أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأخبار والآثار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه إلى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة فى درجات الجنان ؛ كما حكى أن بعض الصالحين رجع من غزوته فهدت امرأته فراشها وجلست تنتظره فدخل المسجد ولم يزل يصلى حتى أصبح فقالت له زوجته : كنا ننتظرك مدة فلما قدمت صليت إلى الصبح ؟ قال : والله إنى كنت أتفكر فى حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والمنزل فقمت طول ليلتى شوقا إليها .

(الرابع) وهو أشرف البواعث ؛ الحب لله وقوة الإيمان بأنه فى قيامه لايتكلم بحرف إلا وهو مناج ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة مايخطر بقلبه وأن تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه ، فإذا أحب الله تعالى أحب لامحالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام . ولا ينبغى أن يستبعد هذه اللذة إذ يشهد لها العقل والنقل . فأما العقل فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله أو لملك بسبب إنعامه وأمواله أنه كيف يتلذذ به فى الخلوة ومناجاته حتى لايأتيه النوم طول ليله ، فإن قلت : إن الجميل يتلذذ بالنظر إليه وإن الله تعالى لايرى ؟ فاعلم

أنه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر أو كان فى بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمجاورته المجردة دون النظر ودون الطمع فى أمر آخر سواه . وكان يتنعم بإظهار حبه عليه وذكره بلسانه بمسمع منه وإن كان ذلك أيضا معلوما عنده ، فإن قلت : إنه ينتظر جوابه فليتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله تعالى ؟ فاعلم أنه إن كان يعلم أنه لا يجيبه ويسكت عنه فقد بقيت له أيضا لذة فى عرض أحواله عليه ورفع سريرته إليه كيف والموقن يسمع من الله تعالى كل مايرد على خاطره فى أثناء مناجاته فيتلذذ به ؟ وكذا الذى يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته فى جنح الليل يتلذذ به فى رجاء إنعامه . والرجاء فى حق الله تعالى أصدق وما عند الله خير وأبقى وأنفع مما عند غيره فكيف لايتلذذ بعرض الحاجات عليه فى الخلوات ؟ وأما النقل فيشهد له أحوال قوام الليل فى تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب حتى قيل لبعضهم : كيف أنت والليل ؟ قال : ماراعيته قط يرينى وجهه ثم ينصرف وماتأملته بعد . وقال آخر : أنا والليل فرسا رهان مرة يسبقنى إلى الفجر ومرة يقطعنى عن الفكر . وقيل لبعضهم : كيف الليل عليك ؟ فقال : ساعة أنا فيها بين حالتين أفرح بظلمته إذا جاء وأغتم بفجره إذا طلع ، ماتم فرحى به قط وقال على بن بكار : منذ أربعين سنة ما أحزننى شىء سوى طلوع الفجر . وقال الفضيل بن عياض : إذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتى بربى وإذا طلعت حزنت لدخول الناس على . وقال أبو سليمان : أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو فى لهوهم ولولا الليل ما أحببت البقاء فى الدنيا . وقال أيضا : لو عوض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم مايجدونه من اللذة لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم . وقال بعض العلماء : ليس فى الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا مايجده أهل التملق فى قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة . وقال بعضهم : لذة المناجاة ليست من الدنيا إنما هى من الجنة أظهرها الله تعالى لأوليائه لايجدها سواهم ، وقال ابن المنكدر : مابقى من لذات الدنيا إلا ثلاث قيام الليل ولقاء الإخوان والصلاة فى الجماعة . وقال بعض العارفين : إن الله تعالى ينظر بالأسحار إلى قلوب المتيقظين فيملؤها أنواراً فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوانى إلى قلوب الغافلين . وقال بعض العلماء من القدماء : إن الله تعالى أوحى إلى بعض الصدّيقين إن لى عبادا من عبادى أحبهم ويحبوننى ويشتاقون إلى وأشتاق إليهم ويذكروننى وأذكرهم وينظرون إلى وأنظر إليهم فإن حذوت طريقهم أحببتك وإن عدلت عنهم مقتك ، قال يارب وماعلامتهم؟ قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى غنمه ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها فإذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا إلى أقدامهم وافترشوا إلى وجوههم وناجونى بكلامى وتملقوا إلى بإنعامى فبين صارخ وباكى وبين متأوه وشاكى بعينى مايتحملون من أجلى وبسمعى ما يشتكون من حبى أول ما أعطيهم أقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم . والثانية : لو كانت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهما فى موازينهم لاستقللتها لهم . والثالثة : أقبل بوجهى عليهم أفترى من أقبلت بوجهى عليه أيعلم أحد ما أريد أن أعطيه ؟ وقال مالك بن دينار رحمه الله إذا قام العبد يتهجد من الليل قرب منه الجبار عز وجل . وكانوا يرون ما يجدون من الرقة والحلاوة فى قلوبهم والأنوار من قرب الرب تعالى من القلب وهذا له سر وتحقيق ستأتى الإشارة إليه فى كتاب المحبة . وفى الأخبار عن الله عز وجل « أى عبدى أنا الله الذى اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نورى » وشكا بعض المريدين إلى أستاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم فقال أستاذه : يابنى إن لله نفحات فى الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطئ القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات ؛ فقال : ياسيدى تركتنى لاأنام بالليل ولا بالنهار

واعلم أن هذه النفحات بالليل أرجى لما فى قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل ، وفى الخبر الصحيح عن جابر بن عبدالله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن من الليل ساعة لايوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه إياه [1] » وفى رواية أخرى « يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه وذلك كل ليلة » ومطلوب القائمين تلك الساعة وهى مبهمة فى جملة الليل كليلة القدر فى شهر رمضان وكساعة يوم الجمعة وهى ساعة النفحات المذكورة والله أعلم .

بيان طرق القسمة لأجزاء الليل

اعلم أن إحياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب (الأولى) إحياء كل الليل وهذا شأن الأقوياء الذين تجردوا لعبادة الليل وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا المنام إلى النهار وفى وقت اشتغال الناس ، وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء . حكى أبو طالب المكى أن ذلك حكى على سبيل التواتر والاشتهار عن أربعين من التابعين وكان فيهم من واظب عليه أربعين سنة ، قال : منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم ـ المدنيان ـ وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد ـ المكيان ـ وطاوس ووهب بن منبه ـ اليمانيان ـ والربيع بن خيثم والحكم ـ الكوفيان ـ وأبو سليمان الدارانى وعلى بن بكار ـ الشاميان ـ وأبو عبدالله الخواص وأبو عاصم ـ العباديان ـ وحبيب أبو محمد وأبو جابر السلمانى ـ الفارسيان ـ ومالك بن دينار سليمان التيمى ويزيد الرقاشى وحبيب بن أبى ثابت ويحيى البكاء ـ البصريون ـ وكهمس بن المنهال وكان يختم فى الشهر تسعين ختمة ومالم يفهمه رجع وقرأه مرة أخرى . وأيضا من أهل المدينة : أبو حازم ومحمد بن المنكدر فى جماعة يكثر عددهم (المرتبة الثانية) أن يقوم نصف الليل : وهذا لاينحصر عدد المواظبين عليه من السلف . وأحسن فيه أن ينام الثلث الأول من الليل والسدس الأخير منه حتى يقع قيامه فى جوف الليل ووسطه فهو الأفضل (المرتبة الثالثة) أن يقوم ثلث الليل : فينبغى أن ينام النصف الأول والسدس الأخير ، وبالجملة نوم آخر الليل محبوب لأنه يذهب النعاس بالغداة ، وكانوا يكرهون ذلك ، ويقال صفرة الوجه والشهرة به فلو قام أكثر الليل ونام سحرا قلت صفرة وجهه وقل نعاسه . وقالت عائشة رضى الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حاجة إلى أهله دنا منهن وإلا اضطجع فى مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه للصلاة [2] » وقالت أيضا رضى الله عنها « ماألفيته بعد السحر إلا نائما [3] » حتى قال بعض السلف : هذه الضجعة قبل الصبح سنة ، منهم أبو هريرة رضى الله عنه . وكان نوم هذا الوقت سببا للمكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب وذلك لأرباب القلوب وفيه استراحة

---

(١) حديث جابر « إن من الليل ساعة لايوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة » رواه مسلم .

(٢) حديث « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حاجة إلى أهله دنا منهن وإلا اضطجع فى مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذن بالصلاة » أخرجه مسلم من حديث عائشة « كان ينام أول الليل ويحيى آخره ثم إن كان له حاجة إلى أهله قضى حاجته ثم ينام » وقال النسائى « فاذا كان من السحر أوتر ثم أتى فراشه فاذا كان له حاجة الى أهله » ولأبى داود « كان إذا قضى صلاته من آخر الليل نظر فان كنت مستيقظة حدثنى وإن كنت نائمة أيقظنى وصلى الركعتين ثم اضطجع حتى يأتيه المؤذن فيؤذنه بصلاة الصبح فيصلى ركعتين خفيفتين ثم يخرج الى الصلاة » وهو متفق عليه بلفظ « كان إذا صلى فان كنت مستيقظة حدثنى وإلا اضطجع حتى يوذن بالصلاة » وقال مسلم « إذا صلى ركعتى الفجر »

(٣) حديث عائشة « ماألفيته بعد السحر الأعلى إلا نائما » متفق عليه بلفظ « ماألفى رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر الأعلى فى بيتى أو عندى إلا نائما » لم يقل البخارى « الأعلى » وقال ابن ماجه « ماكنت ألقى أو ألفى النبى صلى الله عليه وسلم من آخر الليل إلا وهو نائم عندى »

تعين على الورد الأول من أوراد النهار وقيام ثلث الليل من النصف الأخير . ونوم السدس الأخير قيام داود صلى الله عليه وسلم (المرتبة الرابعة) أن يقوم سدس الليل أو خمسه وأفضله أن يكون فى النصف الأخير وقبل السدس الأخير منه (المرتبة الخامسة) أن لا يراعى التقدير فإن ذلك إنما يتيسر لنبى يوحى إليه أو لمن يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه ويواظبه ويوقظه ثم ربما يضطرب فى ليالى الغيم ، ولكنه يقوم من أول الليل إلى أن يغلبه النوم فإذا انتبه قام فإذا غلبه النوم عاد إلى النوم . فيكون له فى الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل وأشد الأعمال وأفضلها ، وقد كان هذا من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] ، وهو طريقة ابن عمرو أولى العزم من الصحابة وجماعة من التابعين رضى الله عنهم . وكان بعض السلف يقول : هى أول نومة فإذا انتبهت ثم عدت إلى النوم فلا أنام الله لى عينا . فأما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان يقوم نصف الليل أو ثلثه أو سدسه [2] يختلف ذلك فى الليالى ودل عليه قوله تعالى فى الموضعين من سورة المزمل (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه) فأدنى من ثلثى الليل كأنه بصفه ونصف سدسه فإن كسر قوله (ونصفه وثلثه) كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والربع . وإن نصب كان نصف الليل وقالت عائشة رضى الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يقوم إذا سمع الصارخ [3] ، يعنى الديك وهذا يكون السدس فما دونه . وروى غير واحد أنه قال « راعيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السفر ليلا فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر فى الأفق فقال (ربنا ما خلقت هذا باطلا) حتى بلغ (إنك لا تخلف الميعاد) ثم استل من فراشه سواكا فاستاك به وتوضأ وصلى حتى قلت : صلى مثل الذى نام . ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى . ثم استيقظ فقال ما قال أول مرة وفعل ما فعل أول مرة [4] » (المرتبة السادسة) وهى الأقل : أن يقوم مقدار اربع ركعات أو ركعتين أو تتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلا بالذكر والدعاء فيكتب فى جملة قوام الليل برحمة الله وفضله . وقد جاء فى الأثر : صل من الليل ولو قدر حلب شاة [5] فهذه طرق القسمة فليختر المريد لنفسه ما يراه أيسر عليه . وحيث يتعذر عليه القيام فى وسط الليل فلا ينبغى أن يهمل إحياء ما بين العشاءين والورد الذى بعد العشاء . ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح

---

(١) حديث « قيامه أول الليل الى أن يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه عاد الى النوم فيكون له فى الليل نومتان » أخرجه أبو داود والترمذى وصححه وابن ماجه من حديث أم سلمة « كان يصلى وينام قدر ما صلى ثم يصلى قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح » وللبخارى من حديث ابن عباس « صلى العشاء ثم جاء فصلى أربع ركعات ثم نام ثم قام » وفيه « فصلى خمس ركعات ثم صلى ركعتين ثم نام حتى سمعت غطيطه ... الحديث » .

(٢) حديث « ربما كان يقوم نصف الليل أو ثلثه أو ثلثيه أو سدسه » أخرجه الشيخان من حديث ابن عباس « قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ ... الحديث » وفى رواية للبخارى « فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء ... الحديث » ولأبى داود « قام حتى اذا ذهب ثلث الليل أو نصفه استيقظ ... الحديث » لمسلم من حديث عائشة « فيبعثه الله بما شاء أن يبعثه من الليل » . (٣) حديث عائشة « كان يقوم اذا سمع الصارخ » متفق عليه . (٤) حديث « غير واحد قال : راعيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السفر ليلا فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر فى الأفق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك — حتى بلغ — انك لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه سواكا فاستاك وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام .. الحديث » أخرجه النسائى من رواية حميد بن عبد الرحمن بن عوف « أن رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال : قلت وأنا فى سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأرقبن رسول الله صلى الله عليه وسلم » فذكر نحوه وروى أبو الوليد بن مغيث فى كتاب الصلاة من رواية اسحق بن عبد الله بن أبى طلحة « أن رجلا قال لأرمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم » فذكر الحديث وفيه « أنه أخذ سواكه من مؤخر الرجل » وهذا يدل أنه أيضا كان فى سفر .

(٥) حديث « صل من الليل ولو قدر حلب شاة » أخرجه أبو يعلى من حديث ابن عباس فى صلاة الليل مرفوعا « نصفه ثلثه ربعه فواق حلب ناقة فواق حلب شاة » ولأبى الوليد بن مغيث من رواية اياس بن معاوية مرسلا « لابد من صلاة الليل ولو حلبة ناقة أو حلبة شاة » .

نائما ويقوم بطرفى الليل (وهذه هى المرتبة السابعة ومهما كان النظر إلى المقدار فترتيب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره : وأما فى الرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيهما إلى القدر فليس يجرى أمرهما فى التقدم والتأخر على الترتيب المذكور إذ السابعة ليست دون ماذكرناه فى السادسة ، ولا الخامسة دون الرابعة .

بيان الليالى والأيام الفاضلة

اعلم أن الليالى المخصوصة بمزيد الفضل التى يتأكد فيها استحباب الإحياء فى السنة خمس عشرة ليلة لا ينبغى أن يغفل المريد عنها فإنها مواسم الخيرات ومظان التجارات . ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل المريد عن فضائل الأوقات لم ينجح . فستة من هذه الليالى فى شهر رمضان : خمس فى أوتار العشر الأخير إذ فيها يطلب ليلة القدر . وليلة سبع عشرة من رمضان ـ فهى ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ، فيه كانت وقعة بدر ، وقال ابن الزبير رحمه الله : هى ليلة القدر ـ وأما التسع الأخر : فأول ليلة من المحرم . وليلة عاشوراء وأول ليلة من رجب وليلة النصف منه . وليلة سبع وعشرين منه وهى ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة فقد قال صلى الله عليه وسلم « للعامل فى هذه الليلة حسنات مائة سنة [1] » فمن صلى فى هذه الليلة اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويتشهد فى كل ركعتين ويسلم فى آخرهن ثم يقول « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ثم يستغفر الله مائة مرة ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من أمر دنياه وآخرته ويصبح صائما فإن الله يستجيب دعاءه كله إلا أن يدعو فى معصية ـ وليلة النصف من شعبان ـ ففيها مائة ركعة يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة سورة الإخلاص عشر مرات كانوا لا يتركونها كما أوردناه فى صلاة التطوع ـ وليلة عرفة . وليلتا العيدين : قال صلى الله عليه وسلم « من أحيا ليلتى العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب [2] » .

وأما الأيام الفاضلة فتسعة عشر يستحب مواصلة الأوراد فيها : يوم عرفة . ويوم عاشوراء . ويوم سبعة وعشرين من رجب ـ له شرف عظيم روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا [3] » وهو اليوم الذى أهبط الله فيه جبرائيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ـ ويوم سبعة عشر من رمضان ـ وهو يوم وقعة بدر ـ ويوم النصف من شعبان . ويوم الجمعة ، ويوما العيدين والأيام المعلومات وهى عشر من ذى الحجة . والأيام المعدودات وهى أيام التشريق . وقد روى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة [4] » وقال بعض العلماء : من أخذه مهناة فى الأيام الخمسة فى الدنيا لم ينل مهناة فى الآخرة وأراد به العيدين والجمعة وعرفة وعاشوراء ومن فواضل الأيام فى الأسبوع يوم الخميس والاثنين ترفع فيهما الأعمال إلى الله تعالى : وقد ذكرنا فضائل الأشهر والأيام للصيام فى كتاب الصوم فلا حاجة إلى الإعادة والله أعلم ، وصلى الله على كل عبد مصطفى من كل العالمين .

---

(١) حديث « الصلاة المأثورة فى ليلة السابع والعشرين من رجب » ذكر أبو موسى المدينى فى كتاب فضائل والأيام الليالى : أن أبا محمد الحبارى رواه من طريق الحاكم أبى عبد الله من رواية محمد بن الفضل عن أبان عن أنس مرفوعا ، ومحمد بن الفضل وأبان ضعيفان جدا والحديث منكر . (٢) حديث « من أحيا ليلتى العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب » أخرجه بإسناد ضعيف من حديث أبى أمامة . (٣) حديث أبى هريرة « من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذى هبط فيه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم » رواه أبو موسى المدينى فى كتاب فضائل الليالى والأيام من رواية شهر بن حوشب عنه . (٤) حديث أنس « إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة » تقدم فى الباب الخامس من الصلاة فذكر يوم الجمعة فقط وقد رواه بجملته ابن حبان فى الضعفاء وأبو نعيم فى الحلية من حديث عائشة وهو ضعيف .

تم الربع الأول من كتاب : إحياء علوم الدين ، وهو ربع العبادات ويتلوه : الربع الثانى ، وهو ربع العادات

فهرس

الجزء الأول

من إحياء علوم الدين

صحيفة

ب ترجمة الإمام الغزالى
د ترجمة الإمام العراقى
١ خطبة الكتاب
٤ كتاب العلم وفيه سبعة أبواب
الباب الأول فى فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهده من النقل والعقل
فضيلة العلم
٨ فضيلة التعلم
٩ فضيلة التعليم
١٢ فى الشواهد العقلية
١٣ الباب الثانى فى العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما وفيه بيان ماهو فرض عين وماهو فرض كفاية وبيان أن موقع الكلام والفقه من علم الدين إلى أى حد هو وتفضيل علم الآخرة
بيان العلم الذى هو فرض عين
١٩ بيان العلم الذى هو فرض كفاية
٢٩ الباب الثالث فيما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذى قد يكون به بعض العلوم مذموما . بيان تبديل أسامى العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها . بيان علة ذم العلم المذموم
٣١ بيان مابدل من ألفاظ العلوم
٣٨ بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة
٤١ الباب الرابع فى سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط إباحتها
٤٢ بيان التلبيس فى تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رحمهم الله تعالى
٤٥ بيان آفات المناظرة ومايتولد منها من مهلكات الأخلاق
٤٨ الباب الخامس فى آداب المتعلم والمعلم أما المتعلم فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنتظم تفاريقها فى عشر جمل
٥٥ بيان وظائف المرشد المعلم
٥٨ الباب السادس فى آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء
٨٣ الباب السابع فى العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه . بيان شرف العقل
٨٥ بيان حقيقة العقل وأقسامه
٨٧ بيان تفاوت النفوس فى العقل
٨٩ كتاب قواعد العقائد
وفيه أربعة فصول
الفصل الأول فى ترجمة عقيدة أهل السنة فى كلمتى الشهادة الخ
٩٤ الفصل الثانى فى وجه التدريج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد
١٠٤ الفصل الثالث من كتاب قواعد العقائد فى لوامع الأدلة للعقيدة التى ترجمناها بالقدس وفيها أركان أربعة
١٠٥ فأما الركن الأول من أركان الإيمان فى معرفة ذات الله سبحانه وتعالى وأن الله تعالى واحد ومداره على عشرة أصول
١٠٨ الركن الثانى العلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة أصول
١١٠ الركن الثالث العلم بأفعال الله تعالى ومداره على عشرة أصول
١١٤ الركن الرابع فى السمعيات وتصديقه ﷺ فيما أخبر عنه ومداره على عشرة أصول
١١٦ الفصل الرابع فى الإيمان والإسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال وما يتطرق إليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه ثلاث مسائل مسألة اختلفوا فى أن الإسلام هو الإيمان أو غيره الخ

صحيفة

١٢٠ مسألة فان قلت فقد اتفق السلف على أن الإيمان يزيد وينقص الخ
١٢١ مسألة فان قلت ماوجه قول السلف أنا مؤمن إن شاء الله الخ
١٢٥ كتاب أسرار الطهارة
وهو الكتاب الثالث من ربع العبادات
١٢٨ القسم الأول فى طهارة الخبث والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال به والإزالة. الطرف الأول فى المزال
الطرف الثانى فى المزال به
١٣٠ الطرف الثالث فى كيفية الإزالة
القسم الثانى طهارة الأحداث ومنها الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجاء باب آداب قضاء الحاجة
١٣٢ كيفية الاستنجاء
كيفية الوضوء
١٣٥ فضيلة الوضوء
١٣٦ كيفية الغسل
كيفية التيمم
١٣٧ القسم الثالث فى النظافة والتنظيف عن الفضلات الظاهرة وهى نوعان أوساخ وأجزاء
النوع الأول الأوساخ والرطوبات المترشحة وهى ثمانية
١٤٠ النوع الثانى فيما يحدث فى البدن من الأجزاء وهى ثمانية
١٤٥ كتاب أسرار الصلاة ومهماتها
وفيه سبعة أبواب
١٤٦ الباب الأول فى فضائل الصلاة والسجود والجماعة والأذان وغيرها
فضيلة الأذان
فضيلة المكتوبة
١٤٧ فضيلة إتمام الأركان
١٤٨ فضيلة الجماعة

صحيفة

١٤٩ فضيلة السجود
١٥٠ فضيلة الخشوع
١٥١ فضيلة المسجد وموضع الصلاة
١٥٢ الباب الثانى فى كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وماقبله
١٥٣ القراءة
١٥٤ الركوع ولواحقه
السجود
١٥٥ التشهد
١٥٦ المنهيات
١٥٧ تمييز الفرائض والسنن
١٥٩ الباب الثالث فى الشروط الباطنة من أعمال القلب الخ
بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب
١٦١ بيان المعانى الباطنة التى تتم بها حياة الصلاة
١٦٣ بيان الدواء النافع فى حضور القلب
١٦٥ بيان تفصيل مايلبغى أن يحضر فى القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة
١٧١ حكايات وأخبار فى صلاة الخاشعين
١٧٣ الباب الرابع فى الإمامة والقدوة الخ
١٧٨ الباب الخامس فى فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها
فضيلة الجمعة
١٧٩ بيان شروط الجمعة
وأما السنن الخ
١٨٠ بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة وهى عشر جمل
١٨٥ بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذى يعم جميع النهار وهى سبعة أمور
١٨٨ الباب السادس فى مسائل متفرقة تعم بها البلوى، ويحتاج المريد إلى معرفتها
١٩٢ الباب الرابع فى النوافل من الصلوات وفيه أربعة أقسام

صحيفة

١٩٣ القسم الأول مايتكرر بتكرر الأيام والليالى وهى ثمانية
١٩٧ القسم الثانى مايتكرر بتكرر الأسابيع
٢٠٠ القسم الثالث مايتكرر بتكرر السنين
٢٠٣ القسم الرابع من النوافل مايتعلق بأسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهى تسعة
٢٠٨ كتاب أسرار الزكاة
وفيه أربعة فصول
٢٠٩ الفصل الأول فى أنواع الزكاة وأسباب وجوبها
النوع الأول زكاة النعم
٢١٠ النوع الثانى زكاة المعشرات
النوع الثالث زكاة النقدين
٢١١ النوع الرابع زكاة التجارة
النوع الخامس الركاز والمعدن
النوع السادس فى صدقة الفطر
٢١٢ الفصل الثانى فى الأداء وشروطه الباطنة والظاهرة
٢١٣ بيان دقائق الآداب الباطنة فى الزكاة
الوظيفة الأولى أى من الوظائف التى على مريد طريق الآخرة فهم وجوب الزكاة الخ
٢١٥ الوظيفة الثانية فى وقت الأداء
الوظيفة الثالثة الإسرار
٢١٦ الوظيفة الرابعة أن يظهر حيث يعلم أن فى إظهاره ترغيبا للناس الخ
الوظيفة الخامسة أن لا يفسد صدقته بالمن والأذى
٢١٨ الوظيفة السادسة أن يستصغر العطية
الوظيفة السابعة أن ينتقى من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه
٢١٩ الوظيفة الثامنة أن يطالب لصدقته من تزكو به الصدقة الخ
٢٢١ الفصل الثالث فى القابض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه
بيان أسباب الاستحقاق

صحيفة

٢٢٢ بيان وظائف القابض
٢٢٥ الفصل الرابع فى صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها وإعطائها
بيان فضيلة الصدقة
٢٢٧ بيان إخفاء الصدقة وإظهارها
٢٣٠ بيان الأفضل من أخذ الصدقة أو الزكاة
كتاب أسرار الصوم
وفيه ثلاثة فصول
٢٣٢ الفصل الأول فى الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بافساده
أما الواجبات الظاهرة فستة
٢٣٣ لوازم الإفطار أربعة
٢٣٤ الفصل الثانى فى أسرار الصوم وشروطه الباطنة
٢٣٧ الفصل الثالث فى التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه
٢٣٩ كتاب أسرار الحج
وفيه ثلاثة أبواب
الباب الأول وفيه فصلان
الفصل الأول فى فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى وشد الرحال إلى المساجد
فضيلة الحج
٢٤١ فضيلة البيت ومكة المشرفة
فضيلة المقام بمكة حرسها الله وكراهيته
٢٤٣ فضيلة المدينة الشريفة على سائر البلاد
٢٤٥ الفصل الثانى فى شروط وجوب الحج وصحة أركانه وواجباته ومحظوراته
٢٤٦ الباب الثانى فى ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر إلى الرجوع وهى عشرة جمل
الجملة الأولى فى السير من أول الخروج إلى الإحرام وهى ثمانية
٢٤٨ الجملة الثانية فى آداب الإحرام من الميقات إلى دخول مكة وهى خمسة

صحيفة

٢٤٩ الجملة الثالثة فى آداب دخول مكة إلى الطواف وهى ستة
٢٥٠ الجملة الرابعة فى الطواف الخ
٢٥٢ الجملة الخامسة فى السعى
٢٥٣ الجملة السادسة فى الوقوف وماقبله
٢٥٥ الجملة السابعة فى بقية أعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمى والنحر والحلق والطواف
٢٥٧ الجملة الثامنة فى صفة العمرة وما بعدها إلى طواف الوداع
٢٥٨ الجملة التاسعة فى طواف الوداع
الجملة العاشرة فى زيارة المدينة وآدابها
٢٦١ فصل فى سنن الرجوع من السفر
الباب الثالث فى الآداب الدقيقة والاعمال الباطنية
بيان دقائق الآداب وهى عشرة
٢٦٥ بيان الاعمال الباطنة ووجه الاخلاص فى النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر لاسرارها ومعانيها من أول الحج إلى آخره
٢٧٢ كتاب آداب تلاوة القرآن
وفيه أربعة ابواب
الباب الاول فى فضل القرآن وأهله وذم المقصرين فى تلاوته .
فضيلة القرآن
٢٧٤ فى ذم تلاوة الغافلين
٢٧٥ الباب الثانى فى ظاهر آداب التلاوة وهى عشرة
٢٨٠ الباب الثالث فى أعمال الباطن فى التلاوة وهى عشرة
٢٨٨ الباب الرابع فى فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل
٦٩٣ كتاب الاذكار والدعوات
وفيه خمسة أبواب

صحيفة

٢٩٤ الباب الأول فى فضيلة الذكر وفائدته على الجملة والتفصيل من الآيات والاخبار والآثار
٢٩٦ فضيلة مجالس الذكر
٢٩٧ فضيلة التهليل
٢٩٨ فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الاذكار
٣٠٣ الباب الثانى فى آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الادعية المأثورة وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فضيلة الدعاء
٣٠٤ آداب الدعاء وهى عشرة
٣٠٩ فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضله
٣٠٩ فضيلة الاستغفار
٣١٣ الباب الثالث فى أدعية مأثورة ومعزية إلى اسبابها وأربابها مما يستحب أن يدعو بها المرء صباحا ومساء وبعقب كل صلاة
٣١٤ دعاء عائشة رضى الله عنها
دعاء فاطمة رضى الله عنها
دعاء أبى بكر الصديق رضى الله عنه
٣١٥ دعاء بريدة الاسلمى رضى الله عنه
دعاء قبيصة بن المخارق
دعاء أبى الدرداء رضى الله عنه
دعاء الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام
دعاء عيسى صلى الله عليه وسلم
دعاء الخضر عليه السلام
دعاء معروف الكرخى رضى الله عنه
دعاء عتبة الغلام
دعاء آدم عليه الصلاة والسلام
٣١٧ دعاء على بن أبي طالب رضى الله عنه
دعاء ابن المعتمر وهو سليمان التيمى وتسبيحاته رضى الله عنه
دعاء إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه

صحيفة

٣١٨ الباب الرابع فى أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضى الله عنهم محذوفة الأسانيد منتخبة من جملة ماجمعه أبو طالب المكى وابن خزيمة وابن منذر رحمهم الله
٣٢١ أنواع الاستعاذة المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم
٣٢٣ الباب الخامس فى الادعية المأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث
٣٢٩ كتاب ترتيب الاوراد وتفصيل إحياء الليل وهو الكتاب العاشر من إحياء علوم الدين وبه اختتام ربع العبادات وفيه بابان
٣٣٠ الباب الاول فى فضيلة الاوراد وترتيبها وأحكامها

صحيفة

٣٣٠ فضيلة الأوراد وبيان أن المواظبة عليها هى الطريق إلى الله تعالى
٣٣١ بيان أعداد الأوراد وترتيبها
٣٣٢ بيان أوراد الليل والنهار
٣٤٨ بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال
٣٥١ الباب الثانى فى الأسباب الميسرة لقيام الليل وفى الليالى التى يستحب إحياؤها وفى فضيلة إحياء الليل ومابين العشاءين وكيفية قسمة الليل
٣٥١ فضيلة إحياء مابين العشاءين
٣٥٣ فضيلة إحياء الليل
٣٥٦ بيان الأسباب التى بها يتيسر قيام الليل
٣٥٩ بيان طرق القسمة لأجزاء الليل
٣٦١ بيان الليالى والأيام الفاضلة

تم الفهرس

إحياء علوم الدين

تصنيف

الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي

المتوفى في سنة ٥٠٥ هـ

وبذيله كتاب

المغني عن حمل الأسفار في الأسفار

في تخريج ما في الإحياء من الأخبار

للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي

المتوفى في سنة ٨٠٦ هـ

وتماما للنفع ألحقنا بالكتاب في آخره ثلاثة كتب:

الأول: تعريف الأحياء بفضائل الإحياء للعلامة عبد القادر بن شيخ بن عبد الله ابن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوي

الثاني: الإملاء عن إشكالات الإحياء للإمام الغزالي، رد به اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من الإحياء.

الثالث: عوارف المعارف: للعارف بالله تعالى الإمام السهروردي

الجزء الثاني

المكتبة التجارية الكبرى

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب آداب الأكل

وهو الكتاب الأول من ربع العادات من كتاب : إحياء العلوم

الحمد لله الذى أحسن تدبير الكائنات ، فخلق الأرض والسموات . وأنزل الماء الفرات من المعصرات ، فأخرج به الحب والنبات . وقدر الأرزاق والأقوات . وحفظ بالمأكولات قوى الحيوانات ، وأعان على الطاعات والأعمال الصالحات بأكل الطيبات ، والصلاة على محمد ذى المعجزات الباهرات ، وعلى آله وأصحابه صلاة تتوالى على ممر الأوقات وتتضاعف بتعاقب الساعات ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فإن مقصد ذوى الألباب لقاء الله تعالى فى دار الثواب ، ولا طريق إلى الوصول للقاء الله إلى بالعلم والعمل ولا تمكن المواظبة عليهما إلا بسلامة البدن ولا تصفو سلامة البدن إلا بالأطعمة والأقوات ، والتناول منها بقدر الحاجة على تكرر الأوقات ، فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين : إن الأكل من الدين ، وعليه نبه رب العالمين بقوله وهو أصدق القائلين ﴿كلوا من الطيبات واعملوا صالحا﴾ فمن يقدم على الأكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى فلا ينبغى أن يترك نفسه مهملا سدى ، يسترسل فى الأكل استرسال البهائم فى المرعى ، فإن ما هو ذريعة إلى الدين ووسيلة إليه ينبغى أن تظهر أنوار الدين عليه . وإنما أنوار الدين آدابه وسننه التى يزم العبد بزمامها ويلجم المتق بلجامها ، حتى يتزن بميزان الشرع شهوة الطعام فى إقدامها وإحجامها ، فيصير بسببها مدفعة للوزر ومجلبة للأجر وإن كان فيها أوفى حظ للنفس . قال صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليؤجر حتى فى اللقمة يرفعها إلى فيه وإلى فى امرأته [1] » وإنما ذلك إذا رفعها بالدين وللدين مراعيا فيه آدابه ووظائفه .

وهانحن نرشد إلى وظائف الدين فى الأكل فرائضها وسننها وآدابها ومروءاتها وهيئاتها فى أربعة أبواب ، وفصل فى آخرها . (الباب الأول) فيما لا بد للآكل من مراعاته وإن انفرد بالأكل (الباب الثانى) فيما يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الأكل (الباب الثالث) فيما يخص تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين (الباب الرابع) فيما يخص الدعوة والضيافة وأشباهها .

كتاب آداب الأكل

(١) حديث « إن الرجل ليؤجر فى اللقمة يرفعها إلى فيه وإلى فى امرأته » أخرجه البخارى من حديث لسعد بن أبى وقاص « وإنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمة ترفعها إلى فى امرأتك » .

الباب الأول : فيما لابد للمنفرد منه

وهو ثلاثة أقسام : قسم قبل الأكل ، وقسم مع الأكل ؛ وقسم بعد الفراغ منه

القسم الأول : فى الآداب التى تتقدم على الأكل وهى

الأول : أن يكون الطعام بعد كونه حلالا فى نفسه طيبا فى جهة مكسبه موافقا للسنة والورع لم يكتسب بسبب مكروه فى الشرع ولا بحكم هوى ومداهنة فى دين ـ على ماسيأتى فى معنى الطيب المطلق فى كتاب الحلال والحرام ـ وقد أمر الله تعالى بأكل الطيب وهو الحلال وقدم النهى عن الأكل بالباطل على القتل تفخيما لأمر الحرام وتعظيما لبركة الحلال فقال تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ إلى قوله ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ الآية ، فالأصل فى الطعام كونه طيبا وهو من الفرائض وأصول الدين .

الثانى : غسل اليد قال صلى الله عليه وسلم « الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر وبعده ينفى اللمم [1] » وفى رواية « ينفى الفقر قبل الطعام وبعده » ولأن اليد لاتخلو عن لوث فى تعاطى الأعمال فغسلها أقرب إلى النظافة والنزاهة . ولأن الأكل لقصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بأن يقدم عليه ما يجرى منه مجرى الطهارة من الصلاة :

الثالث : أن يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الأرض فهو أقرب إلى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفعه على المائدة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى بطعام وضعه على الأرض [2] » فهذا أقرب إلى التواضع فإن لم يكن فعلى السفرة فإنها تذكر السفر ويتذكر من السفر سفر الآخرة وحاجته إلى زاد التقوى . وقال أنس بن مالك رحمه الله « ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا فى سكرجة [3] » قيل فعلى ماذا كنتم تأكلون ؟ قال على السفرة . وقيل : أربع أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : الموائد والمناخل والأشنان والشبع واعلم أنا وإن قلنا الأكل على السفرة أولى فلسنا نقول الأكل على المائدة منهى عنه نهى كراهة أو تحريم إذا لم يثبت فيه نهى . وما يقال إنه أبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس كل ماأبدع منهيا ، بل المنهى بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع أمرا من الشرع مع بقاء علته ، بل الإبداع قد يجب فى بعض الأحوال إذا تغيرت الأسباب وليس فى المائدة إلا رفع الطعام عن الأرض لتيسير الأكل وأمثال ذلك مما لا كراهة فيه . والأربع التى جمعت فى أنها مبدعة ليست متساوية بل الأشنان حسن لما فيه من النظافة فإن الغسل مستحب للنظافة والأشنان أتم فى التنظيف ، وكانوا لا يستعملونه لأنه ربما كان لا يعتاد عندهم أو لا يتيسر ، أو كانوا مشغولين بأمور أهم من المبالغة فى النظافة فقد كانوا لا يغسلون اليد أيضا ، وكانت مناديلهم أخمص أقدامهم وذلك لا يمنع كون الغسل

الباب الأول

(١) حديث « الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر وبعده ينفى اللمم » وفى رواية « ينفى الفقر قبل الطعام وبعده » أخرجه القضاعى فى مسند الشهاب من رواية موسى الرضا عن آبائه متصلا باللفظ الأول ، والطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس « الوضوء قبل الطعام وبعده مما ينفى الفقر » ولأبى داود والترمذى من حديث سلمان « بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده » وكلها ضعيفة

(٢) حديث « كان إذا أتى بطعام وضعه على الأرض » أخرجه أحمد فى كتاب الزهد من رواية الحسن مرسلا ورواه البزار من حديث أبى هريرة نحوه وفيه جماعة وثقه أحمد وضعفه الدارقطنى . (٣) حديث أنس « ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا فى سكرجة ... » الحديث رواه البخارى .

مستحبا . وأما المنخل فالمقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح مالم ينته إلى التنعم المفرط . وأما المائدة فتيسير للأكل وهو أيضا مباح مالم ينته إلى الكبر والتعاظم . وأما الشبع فهو أشد هذه الأربعة فإنه يدعو إلى تهييج الشهوات وتحريك الأدواء فى البدن فلتدرك التفرقة بين هذه المبدعات .

الرابع : أن يحسن الجلسة على السفرة فى أول جلوسه ويستديمها كذلك ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جثا للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى [1] وكان يقول « لا آكل متكئا [2] إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد [3] » والشرب متكئا مكروه للمعدة أيضا ويكره الأكل نائما ومتكئا إلا مايتنقل به من الحبوب . روى عن على كرم الله وجهه أنه أكل كعكا على ترس وهو مضطجع ويقال منبطح على بطنه والعرب قد تفعله .

الخامس : أن ينوى بأكله أن يتقوى به على طاعة الله تعالى ليكون مطيعا بالأكل ولا يقصد التلذذ والتنعم بالأكل . قال إبراهيم بن شيبان : منذ ثمانين سنة ما أكلت شيئا لشهوتى . ويعزم مع ذلك على تقليل الأكل فإنه إذا أكل لأجل قوة العبادة لم تصدق نيته إلا بأكل مادون الشبع فإن الشبع يمنع من العبادة ولا يقوى عليها فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة وإيثار القناعة على الاتساع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماملأ آدمى وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن لم يفعل فثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس [4] » ومن ضرورة هذه النية أن لايمد اليد إلى الطعام إلا وهو جائع فيكون الجوع أحد مالابد من تقديمه على الأكل . ثم ينبغى أن يرفع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب ـ وسيأتى فائدة قلة الأكل وكيفية التدريج فى التقليل منه فى كتاب كسر شهوة الطعام من ربع المهلكات .

السادس : أن يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد فى التنعم وطلب الزيادة وانتظار الأدم بل من كرامة الخبز أن لاينتظر به الأدم وقد ورد الأمر بإكرام الخبز [5] فكل مايديم الرمق ويقوى على العبادة فهو خير كثير لاينبغى أن يستحقر بل لاينتظر بالخبز الصلاة إن حضر وقتها إذا كان فى الوقت متسع . قال صلى الله عليه وسلم « إذا حضر العشاء والعشاء فابدءوا بالعشاء [6] » وكان ابن عمر رضى الله عنهما ربما سمع قراءة الإمام ولا يقوم من عشائه . ومهما كانت النفس لاتتوق إلى الطعام ولم يكن فى تأخير الطعام ضرر فالأولى تقديم الصلاة . فأما إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة وكان فى التأخير مايبرد الطعام أو يشوش أمره فتقديمه أحب عند اتساع الوقت ، تاقت النفس أو لم تتق ، لعموم الخبر ولأن القلب لايخلو عن الالتفات إلى الطعام الموضوع وإن لم يكن الجوع غالبا

---

(١) حديث « ربما جثا الأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى » أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن بشير فى أثناء حديث « أتوا تلك القصعة فالتفوا عليها فلما كثروا جثا رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث » وله وللنسائى من حديث أنس « رأيته يأكل وهو مقعى من الجوع » وروى أبو الحسن بن المقرى فى الشمائل من حديثه « كان إذا قعد على الطعام استوفز على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأفعل كما يفعل العبد » وإسناده ضعيف . (٢) حديث « كان يقول لا آكل متكئا » أخرجه البخارى من حديث أبى جحيفة .

(٣) حديث « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد » تقدم قبله من حديث أنس بلفظ « وأفعل » بدل « وأجلس » ورواه البزار من حديث ابن عمر دون قوله « وأجلس » . (٤) حديث « ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ... الحديث » أخرجه الترمذى وقال حسن والنسائى وابن ماجه من حديث المقداد بن معد يكرب . (٥) حديث « أكرموا الخبز » أخرجه البزار والطبرانى وابن قانع من حديث عبد الله بن أم حرام بإسناد ضعيف جدا وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات .

(٦) حديث « إذا حضر العشا والعشاء فابدءوا بالعشاء » تقدم فى الصلاة والمعروف « وأقيمت الصلاة » .

السابع : أن يجتهد فى تكثير الأيدى على الطعام ولو من أهله وولده . قال صلى الله عليه وسلم « اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه [١] » وقال أنس رضى الله عنه « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل وحده [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « خير الطعام ما كثرت عليه الأيدى » .

القسم الثانى : فى آداب حالة الأكل

وهو أن يبدأ بـ « بسم الله » فى أوله وبـ « الحمد لله » فى آخره . ولو قال مع كل لقمة « بسم الله » فهو حسن حتى لا يشغله الشره عن ذكر الله تعالى ، ويقول مع اللقمة الأولى « بسم الله » ومع الثانية « بسم الله الرحمن » ومع الثالثة « بسم الله الرحمن الرحيم » ويجهر به ليذكر غيره . ويأكل باليمنى ويبدأ بالملح ويختم به ويصغر اللقمة ويجود مضغها ومالم يبتلعها لم يمد اليد إلى الأخرى فإن ذلك عجلة فى الأكل وأن لا يذم مأكولا « كان صلى الله عليه وسلم لا يعيب مأكولا كان إذا أعجبه أكله وإلا تركه [٣] » وأن يأكل مما يليه إلا الفاكهة فإن له أن يجيل يده فيها قال صلى الله عليه وسلم « كل مما يليك [٤] » ثم كان صلى الله عليه وسلم يدور على الفاكهة ، فقيل له فى ذلك فقال : ليس هو نوعا واحدا [٥] » وأن لا يأكل من دورة القصعة ولا من وسط الطعام بل يأكل من استدارة الرغيف إلا إذا قل الخبز فيكسر الخبز ولا يقطع بالسكين [٦] ولا يقطع اللحم أيضاً فقد نهى عنه وقال : انهشوه نهشا [٧] ولا يوضع على الخبز قصعة ولا غيرها إلا ما يأكل به قال صلى الله عليه وسلم « أكرموا الخبز فإن الله تعالى أنزله من بركات السماء » ولا يمسح يده بالخبز . وقال صلى الله عليه وسلم « إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها وليمط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه فإنه لا يدرى فى أى طعامه البركة [٨] » ولا ينفخ فى الطعام الحار [٩] فهو منهى عنه بل يصبر إلى أن يسهل أكله ويأكل من التمر ترا سبعا أو إحدى عشرة أو إحدى وعشرين أو ما اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى فى طبق ولا يجمع فى كفه بل يضع النواة من فيه على ظهر كفه ثم يلقيها ، وكذا كل ماله عجم وثفل . وأن لا يترك ما استرذله من الطعام ويطرحه فى القصعة بل يتركه مع الثفل حتى لا يلتبس على غيره فيأكله . وأن لا يكثر الشرب فى أثناء الطعام إلا إذا غص بلقمة أو صدق عطشه فقد قيل إن ذلك مستحب فى الطب وإنه دباغ المعدة .

وأما الشرب ؛ فأدبه أن يأخذ الكوز بيمينه ويقول « بسم الله » ويشربه مصا لا عبا قال صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث « اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه » أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث وحشى بن حرب باسناد حسن .

(٢) حديث أنس « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل وحده » رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف .

(٣) حديث أنس « كان لا يعيب مأكولا إن أعجبه أكله وإلا تركه » متفق عليه من حديث أبى هريرة . (٤) حديث « كل مما يليك » متفق عليه من حديث عمر بن أبى سلمة . (٥) حديث « كان يدور على الفاكهة وقال ليس هو نوعا واحدا » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث عكراش بن دويب وفيه « وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الطبق فقال يا عكراش كل من حيث شئت فانه غير لون واحد » قال الترمذى غريب ورواه ابن حبان فى الضعفاء . (٦) حديث « النهى عن قطع الخبز بالسكين » رواه ابن حبان فى الضعفاء من حديث أبى هريرة وفيه نوح ابن أبى مريم وهو كذاب ورواه البيهقى فى الشعب من حديث أم سلمة بسند ضعيف . (٧) حديث « النهى عن قطع اللحم بالسكين » أخرجه أبو داود من حديث عائشة وقال « فانهشوه نهشا » قال النسائى منكر . وأخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث صفوان بن أمية « وانهشوا اللحم نهشا » وسنده ضعيف .

(٨) حديث « إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها وليمط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه فانه لا يدرى فى أى طعامه البركة » أخرجه مسلم من حديث أنس وجابر . (٩) حديث « النهى عن النفخ فى الطعام والشراب » أخرجه أحمد فى مسنده من حديث ابن عباس وهو عند أبى داود والترمذى وصححه ابن ماجه إلا أنهم قالوا « فى الإناء » وأخرجه الترمذى وصححه من حديث أبى سعيد « نهى عن النفخ فى الشراب » .

مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا فإن الكباد من العب[1] » ولا يشرب قائما ولا مضطجعا فإنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الشرب قائما[2] » وروى أنه صلى الله عليه وسلم شرب قائما[3] » ولعله كان لعذر . ويراعى أسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر فى الكوز قبل الشرب ولا يتجشأ ولا يتنفس فى الكوز بل ينحيه عن فمه بالحمد ويرده بالتسمية . وقد قال صلى الله عليه وسلم بعد الشرب « الحمد لله الذى جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا[4] » والكوز وكل ما يدار على القوم يدار يمنة « وقد شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا وأبو بكر رضى الله عنه عن شماله وأعرابى عن يمينه وعمر ناحيته فقال عمر رضى الله عنه : أعط أبابكر فناول الأعرابى وقال الأيمن فالأيمن » ويشرب فى ثلاثة أنفاس يحمد الله فى أواخرها ويسمى الله فى أوائلها ويقول فى آخر النفس الأول « الحمد لله » وفى الثانى يزيد « رب العالمين » وفى الثالث يزيد « الرحمن الرحيم » فهذا قريب من عشرين أدبا فى حالة الأكل والشرب دلت عليها الأخبار والآثار .

القسم الثالث : ما يستحب بعد الطعام

وهو أن يمسك قبل الشبع ويلعق أصابعه ثم يمسح بالمنديل ثم يغسلها ويلتقط فتات الطعام قال صلى الله عليه وسلم « من أكل مايسقط من المائدة عاش فى سعة وعوفى فى ولده[5] » ويتخلل ولا يبتلع كل ما يخرج من بين أسنانه بالخلال إلا ما يجمع من أصول أسنانه بلسانه أما المخرج بالخلال فيرميه وليتمضمض بعد الخلال ففيه أثر عن أهل البيت عليهم السلام . وأن يلعق القصعة ويشرب ماءها . ويقال : من لعق القصعة وغسلها وشرب ماءها كان له عتق رقبة . وأن التقاط الفتات مهور الحور العين وأن يشكر الله تعالى بقلبه على ما أطعمه فيرى الطعام نعمة منه قال الله تعالى ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ﴾ ومهما أكل حلالا قال : الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم أطعمنا طيبا واستعملنا صالحا . وإن أكل شبهة فليقل : الحمد لله على كل حال اللهم لاتجعله قوة لنا على معصيتك ، ويقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ولإيلاف قريش . ولا يقوم عن المائدة حتى ترفع أولا فإن أكل طعام الغير فليدع له وليقل : اللهم أكثر خيره وبارك له فيما رزقته ويسر له أن يفعل فيه خيرا وقنعه بما أعطيته واجعلنا وإياه من الشاكرين . وإن أفطر عند قوم فليقل : أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة . وليكثر الاستغفار والحزن على ما أكل من شبهة ليطفئ بدموعه وحزنه حر النار التى تعرض لها لقوله صلى الله عليه وسلم « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به[6] » وليس من يأكل ويبكى كمن يأكل ويلهو . وليقل إذا أكل لبنا : اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه[7] فإن أكل غيره قال : اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيراً

---

(١) حديث « مصوا الماء مصا ولاتعبوه عبا » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بالعطر الأول ولأبى داود فى المراسيل من رواية عطاء بن أبى رباح « إذا شربتم فاشربوا مصا » . (٢) حديث « النهى عن الشراب قائما » أخرجه مسلم من حديث أنس وأبى سعيد وأبى هريرة . (٣) حديث « أنه صلى الله عليه وسلم شرب قائما » متفق عليه من حديث ابن عباس ، وذلك من زمزم » . (٤) حديث « كان يقول بعد الشرب الحمد لله الذى جعل الماء عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا » أخرجه الطبرانى فى الدعاء مرسلا من رواية أبى جعفر محمد بن على بن الحسين . (٥) حديث « من أكل ما سقط من المائدة عاش فى سعة وعوفى فى ولده » أخرجه أبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث جابر بلفظ « أمن من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده الحمق » وله من حديث الحجاج بن علاط « أعطى سعة من الرزق ووقى فى ولده » وكلاهما منكر جدا . (٦) حديث « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به » هو فى شعب الإيمان من حديث كعب بن عجرة بلفظ « سحت » وهو عند الترمذى وحسنه بلفظ « لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به » (٧) حديث « القول عند أكل اللبن اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث ابن عباس « إذا أكل أحدكم طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه » ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه » .

منه ، فذلك الدعاء مما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن لعموم نفعه . ويستحب عقيب الطعام أن يقول : الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافى من كل شىء ولا يكفى منه شىء أطعمت من جوع وآمنت من خوف فلك الحمد آويت من يتم وهديت من ضلالة وأغنيت من عيلة فلك الحمد حمداً كثيراً دائماً طيباً نافعاً مباركا فيه كما أنت أهله ومستحقه اللهم أطعمتنا طيباً فاستعملنا صالحاً واجعله عونا لنا عن طاعتك ونعوذ بك أن نستعين به على معصيتك ، وأما غسل اليدين بالأشنان فكيفيته أن يجعل الأشنان فى كفه اليسرى ويغسل الأصابع الثلاث من اليد اليمنى أولا ، ويضرب أصابعه على الأشنان اليابس فيمسح به شفتيه ، ثم ينعم غسل الفم بأصبعه ويدلك ظاهر أسنانه وباطنها والحنك واللسان ، ثم يغسل أصابعه من ذلك بالماء ثم يدلك ببقية الأشنان اليابس أصابعه ظهراً وبطنا ويستغنى بذلك عن إعادة الأشنان إلى الفم وإعادة غسله .

الباب الثانى : فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة فى الأكل وهى سبعة

(الأول) أن لايبتدئ بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر سن أو زيادة فضل إلا أن يكون هو المتبوع والمقتدى به فحينئذ ينبغى أن لايطول عليهم الانتظار إذا اشرأبوا للأكل واجتمعوا له (الثانى) أن لايسكتوا على الطعام فإن ذلك من سيرة العجم ولكن يتكلمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات الصالحين فى الأطعمة وغيرها .

(الثالث) أن يرفق برفيقه فى القصعة فلا يقصد أن يأكل زيادة على مايأكله فإن ذلك حرام إن لم يكن موافقا لرضا رفيقه مهما كان الطعام مشتركا . بل ينبغى أن يقصد الإيثار ولا يأكل تمرتين فى دفعة إلا إذا فعلوا ذلك أو استأذنهم . فإن قلل رفيقه نشطه ورغبه فى الأكل وقال له : « كل » ولا يزيد فى قوله « كل » على ثلاث مرات فإن ذلك إلحاح وإفراط . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خوطب فى شىء ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث [1] وكان صلى الله عليه وسلم يكرر الكلام ثلاثا [2] فليس من الأدب الزيادة عليه . فأما الحلف عليه بالأكل فممنوع قال الحسن بن على رضى الله عنهما : الطعام أهون من أن يحلف عليه (الرابع) أن لايحوج رفيقه إلى أن يقول له : كل . قال بعض الأدباء : أحسن الآكلين أكلا من لايحوج صاحبه إلى أن يتفقده فى الأكل وحمل عن أخيه مؤنة القول . ولاينبغى أن يدع شيئا مما يشتهيه لأجل نظر الغير إليه فإن ذلك تصنع بل يجرى على المعتاد ولا ينقص من عادته شيئا فى الوحدة ، ولكن يعود نفسه حسن الأدب فى الوحدة حتى لايحتاج إلى التصنع عند الاجتماع . نعم لو قال من أكله إيثاراً لإخوانه ونظراً لهم عند الحاجة إلى ذلك فهو حسن ، وإن زاد فى الأكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم فى الأكل فلا بأس به بل هو حسن . وكان ابن المبارك يقدم فاخر الرطب إلى إخوانه ويقول : من أكل أكثر أعطيته بكل نواة درهما . وكان يعد النوى ويعطى كل من له فضل نوى بعدده دراهم وذلك لدفع الحياء وزيادة النشاط فى الانبساط ، وقال جعفر بن محمد رضى الله عنهما . أحب إخوانى إلى أكثرهم أكلا وأعظمهم لقمة وأثقلهم على من يحوجنى إلى تعهده فى الأكل . وكل هذا إشارة إلى الجرى على المعتاد وترك التصنع . وقال جعفر رحمه الله أيضا : تتبين جودة محبة الرجل لأخيه بجودة أكله فى منزله (الخامس) أن غسل اليد فى الطست لابأس به وله أن يتنخم فيه

الباب الثانى : فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة فى الأكل

(١) حديث « كان إذا خوطب فى شىء ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث » أخرجه أحمد من حديث جابر فى حديث طويل ومن حديث أبى حدرد أيضا وإسنادهما حسن . (٢) حديث « كان يكرر الكلمة ثلاثا » أخرجه البخارى من حديث أنس « كان يعيد الكلمة ثلاثا » .

إن أكل وحده وإن أكل مع غيره فلا ينبغي أن يفعل ذلك . فإذا قدم الطست إليه غيره إكراما له فليقبله . اجتمع أنس بن مالك وثابت البنانى رضى الله عنهما على طعام فقدم أنس الطست إليه فامتنع ثابت فقال أنس : إذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا تردها فإنما يكرم الله عز وجل . . وروى أن هرون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير فصب الرشيد على يده فى الطست فلما فرغ قال : ياأبا معاوية تدرى من صب على يدك ؟ فقال لا ، قال : صبه أمير المؤمنين فقال . يا أمير المؤمنين إنما أكرمت العلم وأجللته فأجلك الله وأكرمك كما أجللت العلم وأهله . ولا بأس أن يجتمعوا على غسل اليد فى الطست فى حالة واحدة فهو أقرب إلى التواضع وأبعد عن طول الانتظار . فإن لم يفعلوه فلا ينبغى أن يصب ماء كل واحد بل يجمع الماء فى الطست قال صلى الله عليه وسلم « اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم [1] » قيل إن المراد هذا . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار : لا يرفع الطست من بين يدى قوم إلا مملوءة ولا تشبهوا بالعجم . وقال ابن مسعود : اجتمعوا على غسل اليد فى طست واحد ولا تستنوا بسنة الأعاجم . والخادم الذى يصب الماء على اليد كره بعضهم أن يكون قائما وأحب أن يكون جالسا لأنه أقرب إلى التواضع ، وكره بعضهم جلوسه فروى أنه صب الماء على يد واحد خادم جالسا فقام المصبوب عليه فقيل له : لم قمت ؟ فقال : أحدنا لابد وأن يكون قائما . وهذا أولى لأنه أيسر للصب والغسل وأقرب إلى تواضع الذى يصب وإذا كان له نية فيه فتمكينه من الخدمة ليس فيه تكبر فإن العادة جارية بذلك : فى الطست إذاً سبعة آداب : أن لا يبزق فيه ، وأن يقدم به المتبوع ، وأن يقبل الإكرام بالتقديم ؛ وأن يدار يمنة ، وأن يجتمع فيه جماعة ، وأن يجمع الماء فيه وأن يكون الخادم قائما وأن يمج الماء من فيه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على الفراش وعلى أصحابه ، وليصب صاحب المنزل بنفسه الماء على يد ضيفه ، هكذا فعل مالك بالشافعى رضى الله عنهما فى أول نزوله عليه وقال : لا يروعك ما رأيت منى لخدمة الضيف فرض . (السادس) أن لا ينظر إلى أصحابه ولا يراقب أكلهم فيستحيون بل يغض بصره عنهم ويشتغل بنفسه ولا يمسك قبل إخوانه إذا كانوا يحتشمون الأكل بعده بل يمد اليد ويقبضها ويتناول قليلا قليلا إلى أن يستوفوا فإن كان قليل الأكل توقف فى الابتداء وقلل الأكل حتى إذا توسعوا فى الطعام أكل معهم أخيرا ، فقد فعل ذلك كثير من الصحابة رضى الله عنهم ، فإن امتنع لسبب فليعتذر إليهم دفعا للخجلة عنهم . (السابع) أن لا يفعل ما يستقذره غيره فلا ينفض يده فى القصعة ولا يقدم إليها رأسه عند وضع اللقمة فى فيه ، وإن أخرج شيئا من فيه صرف وجهه عن الطعام وأخذه بيساره ولا يغمس اللقمة الدسمة فى الخل ولا الخل فى الدسومة فقد يكرهه غيره واللقمة التى قطعها بسنه لا يغمس بقيتها فى المرقة والخل ، ولا يتكلم بما يذكر المستقذرات .

الباب الثالث فى آداب تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين

تقديم الطعام إلى الإخوان فيه فضل كثير . قال جعفر بن محمد رضى الله عنهما : إذا قعدتم مع الإخوان على المائدة فأطيلوا الجلوس فإنها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم . وقال الحسن رحمه الله : كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يحاسب عليها ألبتة إلا نفقة الرجل على إخوانه فى الطعام فإن الله يستحيي أن يسأل عن ذلك . هذا مع ما ورد من الأخبار فى الإطعام قال صلى الله عليه وسلم « لا تزال الملائكة تصلى على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة

(١) حديث « اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم » رواه القضاعى فى مسند الشهاب من حديث أبي هريرة بإسناد لا بأس به وجعل ابن طاهر مكان أبى هريرة ابراهيم وقال إنه معضل وفيه نظر .

بين يديه حتى ترفع [١] ، وروى عن بعض علماء خراسان : أنه كان يقدم إلى إخوانه طعاما كثيرا لا يقدرون على أكل جميعه وكان يقول بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إنّ الإخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من أكل فضل ذلك [٢] » فأنا أحب أن أستكثر مما أقدمه إليكم لنأكل فضل ذلك . وفى الخبر « لا يحاسب العبد على ما يأكله مع إخوانه [٣] » وكان بعضهم يكثر الأكل مع الجماعة لذلك ويقال إذا أكل وحده . وفى الخبر « ثلاثة لا يحاسب عليها العبد : أكلة السحور وما أفطر عليه وما أكل مع الإخوان [٤] » وقال على رضى الله عنه : لأن أجمع إخوانى على صاع من طعام أحب إلى من أن أعتق رقبة . وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول : من كرم المرء طيب زاده فى سفره وبذله لأصحابه : وكان الصحابة رضى الله عنهم يقولون : الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق وكانوا رضى الله عنهم يجتمعون على قراءة القرآن ولا يتفرقون إلا عن ذواق . وقيل اجتماع الإخوان على الكفاية مع الأنس والألفة ليس هو من الدنيا . وفى الخبر « يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة يا ابن آدم جعت فلم تطعمنى فيقول كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ فيقول : جاع أخوك المسلم فلم تطعمه ولو أطعمته كنت أطعمتنى [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا جاءكم الزائر فأكرموه [٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها هى لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام [٧] » وقال صلى الله عليه وسلم « خيركم من أطعم الطعام [٨] » وقال صلى الله عليه وسلم « من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار بسبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام [٩] » .

وأما آدابه : فبعضها فى الدخول وبعضها فى تقديم الطعام . أما الدخول فليس من السنة أن يقصد قوما متربصا لوقت طعامهم فيدخل عليهم وقت الأكل فإن ذلك من المفاجأة وقد نهى عنه قال الله تعالى ﴿ لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ﴾ يعنى منتظرين حينه ونضجه . وفى الخبر « من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقا وأكل حراما [١٠] » ولكن حق الداخل إذا لم يتربص واتفق أن صادفهم على طعام أن لا يأكل ما لم يؤذن له ، فإذا قيل له : كل . نظر فإن علم أنهم يقولونه على محبة لمساعدته فليساعد ، وإن

الباب الثالث : فى آداب تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين

(١) حديث « لا تزال الملائكة تصلى على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى يرفع » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف . (٢) حديث « إن الإخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لا يحاسب من أكل من فضل ذلك الطعام » لم أقف له على أصل . (٣) حديث « لا يحاسب العبد بما يأكله مع إخوانه » هو فى الحديث الذى بعده بمعناه

(٤) حديث « ثلاثة لا يحاسب عليها العبد : أكلة السحور وما أفطر عليه وما أكل مع الإخوان » أخرجه الأزدى فى الضعفاء من حديث جابر « ثلاثة لا يسألون عن النعيم : الصائم والمتسحر والرجل يأكل مع ضيفه » أورده فى ترجمة سليمان بن داود الجزرى وقال فيه : منكر الحديث ، ولأبى منصور الديلمى فى مسند الفردوس نحوه من حديث أبى هريرة . (٥) حديث « يقول الله للعبد يوم القيامة يابن آدم جعت فلم تطعمنى ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة بلفظ « استطعمتك فلم تطعمنى » .

(٦) حديث « إذا جاءكم الزائر فأكرموه » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث أنس وهو حديث منكر قاله ابن أبى حاتم فى العلل عن أبيه . (٧) حديث « إن فى الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها هى لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام » أخرجه الترمذى من حديث على وقال غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن ابن إسحاق وقد تكلم فيه من قبل حفظه . (٨) حديث « خيركم من أطعم الطعام » أخرجه أحمد والحاكم من حديث صهيب وقال صحيح الإسناد . (٩) حديث « من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام » أخرجه الطبرانى من حديث عبد الله بن عمر وقال ابن حبان ليس من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الذهبى غريب منكر . (١٠) حديث « من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقا وأكل حراما » أخرجه البيهقى من حديث عائشة نحوه وضعفه ولأبى داود من حديث ابن عمر « من دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغيرا » إسناده ضعيف .

كانوا يقولونه حياء منه فلا ينبغى أن يأكل ، بل ينبغى أن يتعلل ، أما إذا كان جائعا فقصد بعض إخوانه ليطعمه ولم يتربص به وقت أكله فلا بأس به . قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما منزل أبى الهيثم بن التيهان وأبى أيوب الأنصارى لأجل طعام يأكلونه وكانوا جياعا [1] والدخول على مثل هذه الحالة إعانة لذلك المسلم على حيازة ثواب الإطعام وهى عادة السلف . وكان عون بن عبد الله المسعودى له ثلاثمائة وستون صديقا يدور عليهم فى السنة . ولآخر ثلاثون يدور عليهم فى الشهر . ولآخر سبعة يدور عليهم فى الجمعة . فكان إخوانهم معلومهم بدلا عن كسبهم وكان قيام أولئك بهم على قصد التبرك عبادة لهم فإن دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقا بصداقته عالما بفرحه إذا أكل من طعامه فله أن يأكل بغير إذنه ، إذ المراد من الإذن الرضا لاسيما فى الأطعمة وأمرها على السعة . فرب رجل يصرح بالإذن ويحلف وهو غير راض فأكل طعامه مكروه . ورب غائب لم يأذن وأكل طعامه محبوب . وقد قال تعالى ﴿ أو صديقكم ﴾ ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة وأكل طعامها وهى غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال : بلغت الصدقة محلها [2] وذلك لعلمه بسرورها بذلك . لذلك يجوز أن يدخل الدار بغير استئذان اكتفاء بعلمه بالإذن ، فإن لم يعلم فلابد من الاستئذان أو لائم الدخول . وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون مايجدون بغير إذن . وكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسر به ويقول : هكذا كنا . وروى عن الحسن رضى الله عنه أنه كان قائما يأكل من متاع بقال فى السوق يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه قسبة فقال له هشام مابدا لك ياأبا سعيد فى الورع تأكل متاع الرجل بغير إذنه ؟ فقال . يالكع اتل على آية الأكل فتلا إلى قوله تعالى ﴿ أوصديقكم ﴾ فقال . فمن الصديق ياأبا سعيد ؟ قال : من استروحت إليه النفس واطمأن إليه القلب . ومشى قوم إلى منزل سفيان الثورى فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وجعلوا يأكلون فدخل الثورى وجعل يقول : ذكرتمونى أخلاق السلف هكذا كانوا ، وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده مايقدمه إليهم فذهب إلى منزل بعض إخوانه فلم يصادفه فى المنزل فدخل فنظر إلى قدر قد طبخها وإلى خبز قد خبزه وغير ذلك فحمله كله فقدمه إلى أصحابه وقال . كلوا فجاء رب المنزل فلم ير شيئا فقيل له . قد أخذ فلان ، فقال : قد أحسن ، فلما لقيه قال : ياأخى إن عادوا فعد . فهذه آداب الدخول .

وأما آداب التقديم : فترك التكلف أولا وتقديم ماحضر فإن لم يحضره شىء ولم يملك فلا يستقرض لأجل ذلك فيشوش على نفسه . وإن حضره ماهو محتاج إليه لقوته ولم تسمح نفسه بالتقديم فلا ينبغى أن يقدم . دخل بعضهم على زاهد وهو يأكل فقال : لولا أنى أخذته بدين لأطعمتك منه ، وقال بعض السلف فى تفسير التكلف . أن تطعم أخاك مالاتأكله أنت بل تقصد زيادة عليه فى الجودة والقيمة . وكان الفضيل يقول : إنما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع إليه . وقال بعضهم . ما أبالى بمن أتانى من إخوانى فإنى لاأتكلف له إنما أقرب ماعندى ولو تكلفت له لكرهت مجيئه ومللته ؟ وقال بعضهم : كنت أدخل على أخ لى فيتكلف لى فقلت له إنك لاتأكل وحدك هذا ولا أنا فما بالنا إذا اجتمعنا أكلناه ؟ فإما أن تقطع هذا التكلف أو أقطع المجىء ، فقطع

(١) حديث « قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما منزل أبى الهيثم بن التيهان وأبى أيوب الأنصارى لأجل طعام يأكلونه » أما قصة أبى الهيثم فرواها الترمذى من حديث أبى هريرة وقال حسن غريب صحيح والقصة عند مسلم لكن ليس فيها ذكر لأبى الهيثم وإنما قال « رجل من الأنصار » وأما حديث قصدهم منزل أبى أيوب فرواها الطبرانى فى المعجم الصغير من حديث ابن عباس بسند ضعيف . (٢) حديث « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة وأكل طعامها وهى غائبة وكان من الصدقة فقال : بلغت الصدقة مكانها » متفق عليه من حديث عائشة « أهدى لبريرة لحم فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هو لها صدقة ولنا هدية » وأما قوله « بلغت محلها » فقاله فى الشاة التى أعطيتها نسيبة من الصدقة وهو متفق عليه أيضاً من حديث أم عطية .

التكلف ودام اجتماعنا بسببه ، ومن التكلف أن يقدم جميع ماعنده فيجحف بعياله ويؤذى قلوبهم . روى أن رجلا دعا عليا رضى الله عنه فقال على : أجيبك على ثلاث شرائط لاتدخل من السوق شيئا ولا تدخر مافى البيت ولا تجحف بعيالك . وكان بعضهم يقدم من كل مافى البيت فلايترك نوعا إلاويحضر شيئا منه . وقال بعضهم : دخلنا على جابر بن عبدالله فقدم إلينا خبزا وخلا وقال : لولا أنانهينا عن التكلف لتكلفت لكم [1] وقال بعضهم : إذا قصدت للزيارة فقدم ماحضر وإن استزرت فلا تبق ولا تذر . وقال سلمان أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لانتكلف للضيف ماليس عندنا وأن نقدم إليه ماحضرنا [2] وفى حديث يونس النبى صلى الله عليه وسلم : أنه زاره إخوانه فقدم إليهم كسرا وجزلهم بقلا كان يزرعه ثم قال لهم : كلوا لولا أن الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه وغيره من الصحابة : أنهم كانوا يقدمون ماحضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون : لاندرى أيهما أعظم وزرا الذى يحتقر مايقدم إليه أو الذى يحتقر ماعنده أن يقدمه ؟ (الأدب الثانى) وهو للزائر أن لايقترح ولايتحكم بشىء بعينه فربما يشق على المزور إحضاره فإن خيره أخوة بين طعامين فليتخير أيسرهما عليه ؛ كذلك السنة . ففى الخبر أنه ماخير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيئين إلا اختار أيسرهما [3] وروى الأعمش عن أبى وائل أنه قال : مضيت مع صاحب لى نزور سلمان فقدم إلينا خبز شعير وملحا جريشا ؛ فقال صاحبى : لو كان فى هذا الملح سعترا كان أطيب ، فخرج سلمان فرهن مطهرته وأخذ سعترا ، فلما أكلنا قال صاحبى : الحمدلله الذى قنعنا بما رزقنا : فقال سلمان : لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتى مرهونة . هذا إذا توهم تعذر ذلك على أخيه أو كراهته له فإن علم أنه يسر باقتراحه ويتيسر عليه ذلك فلا يكره له الاقتراح ، فعل الشافعى رضى الله عنه ذلك مع الزعفرانى إذ كان نازلا عنده ببغداد وكان الزعفرانى يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ويسلمها إلى الجارية فأخذ الشافعى الرقعة فى بعض الأيام وألحق بها لونا آخر بخطه ، فلما رأى الزعفرانى ذلك اللون أنكر وقال : ما أمرت بهذا ؟ فعرضت عليه الرقعة ملحقا فيها خط الشافعى فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك وأعتق الجارية سرورا باقتراح الشافعى عليه . وقال أبو بكر الكتانى : دخلت على السرى فجاء بفتيت وأخذ يجعل نصفه فى القدح فقلت له : أى شىء تعمل وأنا أشربه كله فى مرة واحدة ؟ فضحك وقال : هذا أفضل لك من حجة . وقال بعضهم : الأكل على ثلاثة أنواع ، مع الفقراء بالإيثار ومع الإخوان بالانبساط ومع أبناء الدنيا بالأدب (الأدب الثالث) أن يشهى المزور أخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل مايقترح فذلك حسن وفيه أجر وفضل جزيل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من صادف من أخيه شهوة غفر له ومن سر أخاه المؤمن فقد سر الله تعالى [4] » ، وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه جابر « من لذذ أخاه بما يشتهى كتب الله له ألف ألف حسنة ومحى عنه ألف ألف سيئة

---

(١) حديث « دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم إلينا خبزا وخلا وقال لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم » رواه أحمد دون قوله « لولا أنا نهينا » وهو من حديث سلمان الفارسى وسيأتى بعده وكلاهما ضعيف وللبخارى عن عمر بن الخطاب « نهينا عن التكلف » . (٢) حديث سلمان « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لانتكلف للضيف ماليس عندنا وأن نقدم إليه ماحضرنا » أخرجه الخراطى فى مكارم الأخلاق ، ولأحمد « لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا — أولولا أنا نهينا — أن يتكلف أحدنا لصاحبه لتكلفنا لك » وللطبرانى « نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتكلف للضيف ماليس عندنا » .

(٣) حديث « ماخير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيئين إلا اختار أيسرهما » متفق عليه من حديث عائشة وزاد « مالم يكن إثما » ولم يذكرها مسلم فى بعض طرقه . (٤) حديث « من صادف من أخيه شهوة غفر الله له ومن سر أخاه المؤمن فقد سر الله عزوجل » أخرجه البزار والطبرانى من حديث أبى الدرداء « من وافق من أخيه شهوة غفر له » قال ابن الجوزى حديث موضوع وروى ابن حبان والعقيلى فى الضعفاء من حديث أبى بكر الصديق « من سر مؤمنا فإنما سر الله ... الحديث » قال العقيلى باطل لاأصل له .

ورفع له ألف ألف درجة وأطعمه الله من ثلاث جنات جنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد [١] » (الأدب الرابع) أن لايقول له : هل أقدم لك طعاما ؟ بل ينبغى أن يقدم إن كان . قال الثورى : إذا زارك أخوك فلاتقل له : أتأكل؟ أو أقدم إليك ؟ ولكن قدم فإن أكل وإلا فارفع . وإن كان يريد أن يطعمهم طعاما فلا ينبغى أن يظهرهم عليه أو يصفه لهم . قال الثورى : إذا أردت أن لاتطعم عيالك مما تأكله فلا تحدثهم به ولا يرونه معك . وقال بعض الصوفية : إذا دخل عليكم الفقراء فقدموا إليهم طعاما وإذا دخل الفقهاء فسلوهم عن مسألة فإذا دخل القراء فدلوهم على المحراب .

الباب الرابع فى آداب الضيافة

ومظان الآداب فيها ستة : الدعوة أولا ثم الإجابة ثم الحضور ثم تقديم الطعام ثم الأكل ثم الانصراف ولنقدم على شرحها إن شاء الله تعالى .

فضيلة الضيافة : قال صلى الله عليه وسلم « لاتكلفوا للضيف فتبغضوه فإنه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « لا خير فيمن لايضيف [٣] » ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضيفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له . فقال صلى الله عليه وسلم : انظروا إليهما إنما هذه الأخلاق بيد الله فمن شاء أن يمنحه خلقا حسنا فعل [٤] . وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنه نزل به صلى الله عليه وسلم ضيف فقال . قل لفلان اليهودى نزل بى ضيف فأسلفنى شيئا من الدقيق إلى رجب ، فقال اليهودى : والله ما أسلفه إلا برهن فأخبرته فقال ؛ والله إنى لأمين فى السماء أمين فى الأرض ولو أسلفنى لأديته فاذهب بدرعى وارهنه عنده [٥] » وكان إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا أراد أن يأكل خرج ميلا أو ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى أبا الضيفان ، ولصدق نيته فيه دامت ضيافته فى مشهده إلى يومنا هذا ، فلا تنقضى ليلة إلا ويأكل عنده جماعة من بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة . وقال قوام الموضع إنه لن يخل إلى الآن ليلة عن ضيف ، وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الإيمان ؟ فقال : إطعام الطعام وبذل السلام [٦] وقال صلى الله عليه وسلم « فى الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام [٧] »

---

(١) حديث جابر « من لقنه أخاه بما يشتهى كتب الله له ألف ألف حسنة ... الحديث » ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات من رواية محمد بن نعيم عن ابن الزبير عن جابر وقال أحمد بن حنبل هذا باطل كذب .

الباب الرابع : فى آداب الضيافة

(٢) حديث « لاتكلفوا للضيف فتبغضوه فإنه من أبغض الله الضيف فقد أبغض ومن الله أبغض الله أبغضه الله » أخرجه أبو بكر ابن لال فى مكارم الأخلاق من حديث سلمان « لايتكلفن أحد لضيفه مالا يقدر عليه » وفيه محمد بن الفرج الأزرق متكلم فيه .

(٣) حديث « لاخير فيمن لايضيف » أخرجه أحمد من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة . (٤) حديث « مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له ... الحديث » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من رواية أبى المنهال مرسلا .

(٥) حديث أبى رافع « أنه نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فقال قل لفلان اليهودى نزل بى ضيف فأسلفنى شيئاً من الدقيق الى رجب ... الحديث » رواه اسحق بن راهويه فى مسنده والخرائطى فى مكارم الأخلاق وابن مردويه فى التفسير باسناد ضعيف . (٦) حديث « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الإيمان ؟ قال : إطعام الطعام وبذل السلام » متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ « أى الإسلام خير ؟ قال تطعم الطعام وتقرى السلام على من عرفت ومن لم تعرف » .

(٧) حديث « قال صلى الله عليه وسلم فى الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام » أخرجه الترمذى وصححه والحاكم من حديث معاذ وقد تقدم بعضه فى الباب الرابع من الأذكار وهو حديث « اللهم انى أسألك فعل الخيرات » .

وسئل عن الحج المبرور فقال « إطعام الطعام وطيب الكلام [١] » وقال أنس رضى الله عنه : كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة . والأخبار الواردة فى فضل الضيافة والإطعام لاتحصى فلنذكر آدابها .

أما الدعوة : فينبغى للداعى أن يعمد بدعوته الأتقياء دون الفساق قال صلى الله عليه سلم « أكل طعامك الأبرار [٢] » فى دعائه لبعض من دعا له وقال صلى الله عليه وسلم « لا تأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى [٣] » ويقصد الفقراء دون الأغنياء على الخصوص . قال صلى الله عليه وسلم « شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء دون الفقراء [٤] » وينبغى أن لايهمل أقاربه فى ضيافته فإن إهمالهم إيحاش وقطع رحم وكذلك يراعى الترتيب فى أصدقائه ومعارفه فإن فى تخصيص البعض إيحاشا لقلوب الباقين . وينبغى أن لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الإخوان والتسنن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إطعام الطعام وإدخال السرور على قلوب المؤمنين . وينبغى أن لا يدعو من يعلم أنه يشق عليه الإجابة وإذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الأسباب . وينبغى أن لا يدعو إلا من يحب إجابته قال سفيان : من دعا أحدا إلى طعام وهو يكره الإجابة فعليه خطيئة فإن أجاب المدعو فعليه خطيئتان . لأنه حمله على الأكل مع كراهة ولو علم ذلك لما كان يأكله . وإطعام التقى إعانة على الطاعة وإطعام الفاسق تقوية على الفسق . قال رجل خياط لابن المبارك : أنا أخيط ثياب السلاطين فهل تخاف أن أكون من أعوان الظلمة ؟ قال : لا إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والإبرة أما أنت فمن الظلمة نفسهم . وأما الإجابة فهى سنة مؤكدة وقد قيل بوجوبها فى بعض المواضع . قال صلى الله عليه وسلم « لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى ذراع لقبلت [٥] » .

والإجابة خمسة آداب (الأول) أن لايميز الغنى بالإجابة عن الفقير فذلك هو التكبر المنهى عنه ولأجل ذلك امتنع بعضهم عن أصل الإجابة وقال : انتظار المرقة ذل ، وقال آخر : إذا وضعت يدى فى قصعة غيرى فقد ذلت له رقبتى ومن المتكبرين من يجيب الأغنياء دون الفقراء وهو خلاف السنة . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين [٦] » ومر الحسن بن على رضى الله عنهما بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على الطريق وقد نشروا كسرا على الأرض فى الرمل وهم يأكلون وهو على بغلته فسلم عليهم فقالوا له : هلم إلى الغداء يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : نعم إن الله لايحب المستكبرين فنزل وقعد معهم على الأرض وأكل ثم سلم عليهم وركب وقال : قد أجبتكم فأجيبونى ، قالوا : نعم ، فوعدهم وقتا معلوما فحضروا فقدم إليهم فاخر الطعام وجلس يأكل معهم . وأما قول القائل إن من وضعت يدى فى قصعته فقد ذلت له رقبتى ؛ فقد قال بعضهم هذا خلاف السنة وليس كذلك فإنه ذل إذا كان الداعى لا يفرح بالإجابة ولا يتقلد منة وكان يرى ذلك يداً له على المدعو . ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحضر لعلمه أن الداعى له يتقلد منة ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه فى الدنيا والآخرة فهذا يختلف باختلاف الحال فمن ظن به أنه يستثقل الإطعام وإنما يفعل ذلك مباهاة أو تكلفا فليس من السنة إجابته [٧] » بل الأولى التعلل ، ولذلك قال بعض الصوفية . لاتجب إلا دعوة من يرى أنك أكلت رزقك وأنه

---

(١) حديث « سئل عن الحج المبرور فقال اطعام الطعام وطيب الكلام » تقدم فى الحج . (٢) حديث « أكل طعامكم الأبرار » أخرجه أبو داود من حديث أنس بإسناد صحيح . (٣) حديث « لا تأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى » تقدم فى الزكاة . (٤) حديث « شر الطعام طعام الوليمة ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة . (٥) حديث « لو دعيت الى كراع لأجبت ولو أهدى الى ذراع لقبلت » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة .

(٦) حديث « كان يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أنس دون ذكر المسكين وضعفه الترمذى وصححه الحاكم . (٧) حديث « ليس من السنة إجابة من يطعم مباهاة أو تكلفا » أخرجه أبو داود من حديث =

سلم إليك وديعة كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه فى قبول تلك الوديعة منه . وقال سرى السقطى رحمه الله : آه على لقمة ليس على لله فيها تبعة ولا لمخلوق فيها منة . فإذا علم المدعو أنه لامنة فى ذلك فلا ينبغى أن يرد . وقال أبو تراب النخشبى رحمة الله عليه : عرض على طعام فامتنعت فابتليت بالجوع أربعة عشر يوما فعلمت أنه عقوبته . وقيل لمعروف الكرخى رضى الله عنه كل من دعاك تمر إليه فقال : أنا ضيف أنزل حيث أنزلونى . (الثانى) أنه لاينبغى أن يمتنع عن الإجابة لبعد المسافة كما لايمتنع لفقر الداعى وعدم جاهه ، بل كل مسافة يمكن احتمالها فى العادة لاينبغى أن يمتنع لأجل ذلك . يقال فى التوراة أوبعض الكتب سر ميلا عد مريضا سر ميلين شيع جنازة سر ثلاثة أميال أجب دعوة سر أربعة أميال زر أخا فى الله . وإنما قدم إجابة الدعوة والزيارة لأن فيه قضاء حق الحى فهو أولى من الميت وقال صلى الله عليه وسلم لو دعيت إلى كراع بالغميم لأجبت [1] ، وهو موضع على أميال من المدينة أفطر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان [2] لما بلغه وقصر عنده فى سفره [3] (الثالث) أن لايمتنع لكونه صائما بل يحضر فإن كان يسر أخاه إفطاره فليفطر وليحتسب فى إفطاره بنية إدخال السرور على قلب أخيه ما يحتسب فى الصوم وأفضل وذلك فى صوم التطوع وان لم يتحقق سرور قلبه فليصدقه بالظاهر وليفطر وإن تحقق أنه متكلف فليتعلل . وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن امتنع بعذر الصوم « تكلف لك أخوك وتقول إنى صائم [4] » وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : من أفضل الحسنات إكرام الجلساء بالإفطار فالإفطار عبادة بهذه النية وحسن خلق فثوابه فوق ثواب الصوم . ومهما لم يفطر فضيافته الطيب والمجمرة والحديث الطيب . وقد قيل الكحل والدهن أحد القراءين . (الرابع) أن يمتنع من الإجابة إن كان الطعام طعام شبهة أو الموضع أو البساط المفروش من غير حلال ، أو كان يقام فى الموضع منكر من فرش ديباج أو إناء فضة أو تصوير حيوان على سقف أو حائط أو سماع شىء من المزامير والملاهى أو التشاغل بنوع من اللهو والعزف والهزل واللعب واستماع الغيبة والنميمة والزور والبهتان والكذب وشبه ذلك مما يمنع الإجابة واستحبابها ويوجب تحريمها أو كراهيتها ، وكذلك إذا كان الداعى ظالما أو مبتدعا أو فاسقا أو شريرا أو متكلفا طلبا للمباهاة والفخر . (الخامس) أن لا يقصد بالإجابة قضاء شهوة البطن فيكون عاملا فى أبواب الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالاجابة عاملا للآخرة وذلك بأن تكون نيته الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله « لو دعيت إلى كراع لأجبت » وينوى الحذر من معصية الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم « من لم يجب الداعى فقد عصى الله ورسوله [5] » وينوى إكرام أخيه المؤمن اتباعا لقوله صلى الله عليه وسلم « من أكرم أخاه المؤمن فكأنما أكرم الله [6] » وينوى إدخال السرور على قلبه امتثالا لقوله

= ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن طعام المتباريين » قال أبو داود من رواه عن جرير لم يذكر فيه ابن عباس وللعقيلى فى الضعفاء « نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن طعام المتباهيين » والمتباريان المتعارضان بفعلهما المباهاة والرياء قاله أبو موسى المدينى . (١) حديث « لو دعيت الى كراع بالغميم لأجبت » ذكر الغميم فيه ليعرف والمعروف « لو دعيت الى كراع » كما تقدم قبله بثلاثة أحاديث ويرد هذه الزيادة مارواه الترمذى من حديث أنس « لو أهدى الى كراع لقبلت » .

(٢) حديث « إفطاره صلى الله عليه وسلم فى رمضان لما بلغ كراع الغميم » رواه مسلم من حديث جابر فى عام الفتح .

(٣) حديث « قصره صلى الله عليه وسلم فى سفره عند كراع الغميم » لم أقف له على أصل وللطبرانى فى الصغير من حديث ابن عمر « كان يقصر الصلاة بالعقيق » يريد إذا بلغه وهذا يرد الأول لأن بين العقيق وبين المدينة ثلاثة أميال أو أكثر وكراع الغميم بين مكة وعسفان والله أعلم . (٤) حديث « وقال لمن امتنع بعذر الصوم تكلف لك أخوك وتقول إنى صائم » أخرجه البيهقى من حديث أبى سعيد الخدرى « صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما وأتانى هو وأصحابه فلما وضع الطعام قال رجل من القوم : إنى صائم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعاكم أخوكم وتكلف لكم . الحديث » وللدارقطنى نحوه من حديث جابر .

(٥) حديث « من لم يجب الداعى فقد عصى الله ورسوله » متفق عليه من حديث أبى هريرة . (٦) حديث « من أكرم أخاه المؤمن فإنما يكرم الله تعالى » ذكره الأصفهانى فى الترغيب والترهيب من حديث جابر والعقيلى فى الضعفاء من حديث أبى بكر وإسنادهما ضعيف

صلى الله عليه وسلم « من سر مؤمنا فقد سر الله » [١] وينوى مع ذلك زيارته ليكون من المتحابين فى الله إذ شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه التزاور والتباذل لله [٢] وقد حصل البذل من أحد الجانبين فتحصل الزيارة من جانبه أيضاً ، وينوى صيانة نفسه عن أن يساء به الظن فى امتناعه ويطلق اللسان فيه بأن يحمل على تكبر أوسوء خلق أواستحقار أخ مسلم أو مايجرى مجراه . فهذه ست نيات تلحق إجابته بالقربات آحادها فكيف بمجموعها ؟ وكان بعض السلف يقول : أنا أحب أن يكون لى فى كل عمل نية حتى فى الطعام والشراب وفى مثل هذا قال صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه [٣] » والنية إنما تؤثر فى المباحات والطاعات أما المنهيات فلا . فإنه لو نوى أن يسر إخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر أو حرام آخر لم تنفع النية ولم يجز أن يقال الأعمال بالنيات . بل لو قصد بالغزو الذى هو طاعة المباهاة وطلب المال انصرف من جهة الطاعة . وكذلك المباح المردد بين وجوه الخيرات وغيرها يلتحق بوجوه الخيرات بالنية فتؤثر النية فى هذين القسمين لا فى القسم الثالث .

وأما الحضور فأدبه أن يدخل الدار ولا يتصدر فيأخذ أحسن الأماكن بل يتواضع ولايطول الانتظار عليهم ولايعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد ، ولايضيق المكان على الحاضرين بالزحمة بل إن أشار إليه صاحب المكان بموضع لا يخالفه ألبتة فإنه قد يكون رتب فى نفسه موضع كل واحد فمخالفته تشوش عليه وإن أشار إليه بعض الضيفان بالارتفاع إكراما فليتواضع قال صلى الله عليه وسلم « إن من التواضع لله الرضا بالدون من المجلس [٤] » ولا ينبغى أن يجلس فى مقابلة باب الحجرة التى للنساء وسترهم . ولا يكثر النظر إلى الموضع الذى يخرج منه الطعام فإنه دليل على الشره . ويخص بالتحية والسؤال من يقرب منه إذا جلس . وإذا دخل ضيف للبيت فليعرفه صاحب المنزل عند الدخول القبلة وبيت الماء وموضع الوضوء ، كذلك فعل مالك بالشافعى رضى الله عنهما . وغسل مالك يده قبل الطعام قبل القوم وقال : الغسل قبل الطعام لرب البيت أولى : لأنه يدعو الناس إلى كرمه فحكمه أن يتقدم بالغسل وفى آخر الطعام يتأخر بالغسل لينتظر أن يدخل من يأكل فيأكل معه . وإذا دخل فرأى منكرا غيره إن قدر وإلا أنكر بلسانه وانصرف . والمنكر فرش الديباج واستعمال أوانى الفضة والذهب والتصوير على الحيطان وسماع الملاهى والمزامير وحضور النسوة المتكشفات الوجوه وغير ذلك من المحرمات حتى قال أحمد رحمه الله : إذا رأى مكحلة رأسها مفضض ينبغى أن يخرج ، ولم يأذن فى الجلوس إلا فى ضبة وقال : إذا رأى كلة فينبغى أن يخرج فإن ذلك تكلف لافائدة فيه ولاتدفع حرا ولا بردا ولاتستر شيئا ؛ وكذلك قال : يخرج إذا رأى حيطان البيت مستورة بالديباج كما تستر الكعبة . وقال : إذا اكترى بيتا فيه صورة أو دخل الحمام ورأى صورة فينبغى أن يحكها فإن لم يقدر خرج . وكل ما ذكره صحيح وإنما النظر فى الكلة وتزيين الحيطان بالديباج فإن ذلك لاينتهى إلى التحريم إذ الحرير يحرم على الرجال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذان حرام على ذكور أمتى حل لإناثها [٥] » وما على

---

(١) حديث « من سر مؤمنا فقد سر الله » تقدم فى الباب قبله . (٢) حديث « وجبت محبتى للمتزاورين فى والمتباذلين فى » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة ولم يذكر المصنف هذا الحديث وإنما أشار إليه . (٣) حديث « الأعمال بالنيات » متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب . (٤) حديث « إن من التواضع لله الرضا بالدون من المجلس » أخرجه الخرائطى فى مكارم الاخلاق وأبو نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث طلحة بن عبيد بسند جيد . (٥) حديث « هذان حرامان على ذكور أمتى » أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث على وفيه أبو أفلح الهمدانى جهله ابن القطان والنسائى والترمذى وصححه من حديث أبى موسى بنحوه . قلت الظاهر انقطاعه بين سعيد بن أبى هند وأبى موسى فأدخل أحمد بينهما رجلا لم يسم .

الحائط ليس منسوبا إلى الذكور ولو حرّم هذا لحرّم تزيين الكعبة بل الأولى إباحته لموجب قوله ﴿ قل من حرّم زينة الله ﴾ لاسيما فى وقت الزينة إذا لم يتخذ عادة للتفاخر . وإن تخيل أن الرجال ينتفعون بالنظر إليه ولا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر إلى الديباج مهما لبسه الجوارى والنساء . والخيطان فى معنى النساء إذ لسن موصوفات بالذكورة .

وأما إحضار الطعام فله آداب خمسة (الأول) تعجيل الطعام فذلك من إكرام الضيف وقد قال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه [1] » ومهما حضر الأكثرون وغاب واحد أو اثنان وتأخروا عن الوقت الموعود لحق الحاضر فى التعجيل أولى من حق أولئك فى التأخير ؛ إلا أن يكون المتأخر فقيرا أو ينكسر قلبه بذلك فلا بأس فى التأخير وأحد المعنيين فى قوله تعالى ﴿ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ﴾ أنهم أكرموا بتعجيل الطعام إليهم دل عليه قوله تعالى ﴿ فما لبث أن جاء بعجل حنيذ ﴾ وقوله ﴿ فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين ﴾ والروغان : الذهاب بسرعة وقيل فى خفية وقيل جاء بفخذ من لحم وإنما سمى عجلا لأنه عجله ولم يلبث . قال حاتم الأصم : العجلة من الشيطان إلا فى خمسة فإنها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إطعام الضيف وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب [2] ويستحب التعجيل فى الوليمة قبل الوليمة فى أول يوم سنة وفى الثانى معروف وفى الثالث رياء . (الثانى) ترتيب الأطعمة بتقديم الفاكهة أولا إن كانت فذلك أوفق فى الطب فإنها أسرع استحالة فينبغى أن تقع فى أسفل المعدة . وفى القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة فى قوله تعالى ﴿ وفاكهة مما يتخيرون ﴾ ثم قال ﴿ ولحم طير مما يشتهون ﴾ ثم أفضل مايقدّم بعد الفاكهة اللحم والثريد فقد قال عليه السلام « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » فإن جمع إليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات . ودل على حصول الإكرام باللحم قوله تعالى فى ضيف إبراهيم إذ أحضر العجل الحنيذ ـ أى المحنوذ وهو الذى أجيد نضجه ـ وهو أحد معنى الإكرام أعنى تقديم اللحم . وقال تعالى فى وصف الطيبات ﴿ وأنزلنا عليكم المن والسلوى ﴾ المن : العسل ، والسلوى . اللحم ؛ سمى سلوى لأنه يتسلى به عن جميع الإدام ولا يقوم غيره مقامه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « سيد الإدام اللحم » ثم قال بعد ذكر المنّ والسلوى ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ فاللحم والحلاوة من الطيبات . قال أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه : أكل الطيبات يورث الرضا عن الله . وتتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند الغسل . قال المأمون : شرب الماء بثلج يخلص الشكر . وقال بعض الأدباء : إذا دعوت إخوانك فأطعمتهم حصرمية وبورانية وسقيتهم ماء باردا فقد أكملت الضيافة . وأنفق بعضهم دراهم فى ضيافة فقال بعض الحكماء : لم نكن نحتاج إلى هذا إذا كان خبزك جيدا وماؤك باردا وخلك حامضا فهو كفاية . وقال بعضهم : الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الألوان ، والتمكن على المائدة خير من زيادة لونين .

---

(١) حديث « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » متفق عليه من حديث أبى شريح .

(٢) حديث حاتم الأصم « العجلة من الشيطان إلا فى خمسة فانها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إطعام الطعام وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب » أخرجه الترمذى من حديث سهل بن سعد « الأناة من الله والعجلة من الشيطان » وسنده ضعيف وأما الاستثناء فروى أبو داود من حديث سعد بن أبى وقاص « التؤدة فى كل شىء إلا فى عمل الآخرة » قال الأعمش لاأعلم إلا أنه رفعه وروى المزى فى التهذيب فى ترجمة محمد بن موسى بن نفيع عن مشيخة من قومه « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الاناة فى كل شىء إلا فى ثلاث إذا صيح فى خيل الله وإذا نودى بالصلاة وإذا كانت الجنازة ... الحديث » مرسل والترمذى من حديث على « ثلاثة لاتؤخرها : الصلاة إذا أتت والجنازة إذا حضرت والأيم إذا وجدت كفؤا » وسنده حسن .

ويقال إن الملائكة تحضر المائدة إذا كان عليها بقل فذلك أيضا مستحب ولما فيه من التزين بالخضرة . وفى الخبر : إن المائدة التى أنزلت على بنى إسرائيل كان عليها من كل البقول إلا الكرات . وكان عليها سمكة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح ، وسبعة أرغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان ، فهذا إذا اجتمع حسن للموافقة (الثالث) أن يقدم من الألوان ألطفها حتى يستوفى منها من يريد ولا يكثر الأكل بعده وعادة المترفين تقديم الغليظ ليستأنف حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده وهو خلاف السنة فإنه حيلة فى استكثار الأكل . وكان من سنة المتقدمين أن يقوموا جملة الألوان دفعة واحدة ويصففون القصاع من الطعام على المائدة ليأكل كل واحد مايشتهى . وإن لم يكن عنده إلا لون واحد ذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا أطيب منه . ويحكى عن بعض أصحاب المروءات أنه كان يكتب نسخة بما يستحضر من الألوان ويعرض على الضيفان . وقال بعض الشيوخ : قدم إلى بعض المشايخ لونا بالشام فقلت عندنا بالعراق إنما يقدم هذا آخرا ، فقال : وكذا عندنا بالشام ، ولم يكن له لون غيره فخجلت منه . وقال آخر : كنا جماعة فى ضيافة فقدم إلينا ألوان من الرءوس المشوية طبيخا وقديدا فكنا لا نأكل ننتظر بعدها لونا أو حملا ، فجاءنا بالطست ولم يقدم غيرها ، فنظر بعضنا إلى بعض فقال بعض الشيوخ وكان مزاحا : إن الله تعالى يقدر أن يخلق رءوسا بلا أبدان ، قال : وبتنا تلك الليلة جياعا نطلب فتيتا إلى السحور . فلهذا يستحب أن يقدم الجميع أو يخبر بما عنده (الرابع) أن لا يبادر إلى رفع الألوان قبل تمكنهم من الاستيفاء حتى يرفعوا الأيدى عنها فلعل منهم من يكون بقية ذلك اللون أشهى عنده مما استحضروه أو بقيت فيه حاجة إلى الأكل فيتنغص عليه بالمبادرة ، وهى من التمكن على المائدة التى يقال إنها خير من لونين فيحتمل أن يكون المراد به قطع الاستعجال ويحتمل أن يكون أراد به سعة المكان . حكى عن الستورى وكان صوفيا مزاحا فحضر عند واحد من أبناء الدنيا على مائدة فقدم إليهم حمل ـ وكان فى صاحب المائدة بخل ـ فلما رأى القوم مزقوا الحمل كل ممزق ضاق صدره وقال : ياغلام ارفع إلى الصبيان ، فرفع الحمل إلى داخل الدار فقام الستورى يعدو خلف الحمل فقيل له : إلى أين ؟ فقال : آكل مع الصبيان فاستحيا الرجل وأمر برد الحمل . ومن هذا الفن أن لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم فإنهم يستحيون بل ينبغى أن يكون آخرهم أكلا . كان بعض الكرام يخبر القوم بجميع الألوان ويتركهم يستوفون فإذا قاربوا الفراغ جثا على ركبتيه ومد يده إلى الطعام وأكل وقال . بسم الله ساعدونى بارك الله فيكم وعليكم ، وكان السلف يستحسنون ذلك منه (الخامس) أن يقدم من الطعام قدر الكفاية فإن التقليل عن الكفاية نقص فى المروءة والزيادة عليه تصنع ومراءاة لاسيما إذا كانت نفسه لا تسمح بأن يأكلوا الكل ، إلا أن يقدم الكثير وهو طيب النفس لو أخذوا الجميع ونوى أن يتبرك بفضلة طعامهم ، إذ فى الحديث لا يحاسب عليه . أحضر إبراهيم بن أدهم رحمه الله طعاما كثيرا على مائدته فقال له سفيان : ياأبا إسحق أما تخاف أن يكون هذا سرفا ؟ فقال إبراهيم : ليس فى الطعام سرف . فإن لم تكن هذه النية فالتكثير تكلف . قال ابن مسعود رضى الله عنه : نهينا أن نجيب دعوة من يباهى بطعامه وكره جماعة من الصحابة أكل طعام المباهاة . ومن ذلك كان لا يرفع من بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط لأنهم كانوا لا يقدمون إلا قدر الحاجة ولا يأكلون تمام الشبع . وينبغى أن يعزل أولا نصيب أهل البيت حتى لا تكون أعينهم طامحة إلى رجوع شىء منه فلعله لا يرجع فتضيق صدورهم وتنطلق فى الضيفان ألسنتهم ويكون قد أطعم الضيفان مايتبعه كراهية قوم وذلك خيانة فى حقهم . وما بقى من الأطعمة فليس للضيفان أخذه وهو الذى تسميه الصوفية الزلة إلا إذا صرح

صاحب الطعام بالإذن فيه عن قلب راض أو علم ذلك بقرينة حاله وأنه يفرح به ، فإن كان يظن كراهيته فلا ينبغى أن يؤخذ وإذا علم رضاه فينبغى مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء ؛ فلا ينبغى أن يأخذ الواحد إلا ما يخصه أو ما يرضى به رفيقه عن طوع لا عن حياء .

فأما الانصراف : فله ثلاثة آداب (الأول) أن يخرج مع الضيف إلى باب الدار وهو سنة وذلك من إكرام الضيف وقد أمر بإكرامه قال عليه الصلاة والسلام « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » وقال عليه السلام « إن من سنة الضيف أن يشيع إلى باب الدار » قال أبو قتادة « قدم وفد النجاشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه : نحن نكفيك يارسول الله فقال : كلا إنهم كانوا لأصحابى مكرمين وأنا أحب أن أكافئهم » وتمام الإكرام طلاقة الوجه وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة . قيل للأوزاعى رضى الله عنه ما كرامة الضيف ؟ قال طلاقة الوجه وطيب الحديث . وقال يزيد بن أبى زياد ما دخلت على عبد الرحمن بن أبى ليلى إلا حدثنا حديثا حسنا وأطعمنا طعاما حسنا (الثانى) أن ينصرف الضيف طيب النفس وإن جرى فى حقه تقصير ، فذلك من حسن الخلق والتواضع قال صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم » ودعى بعض السلف برسول فلم يصادفه الرسول فلما سمع حضر وكانوا قد تفرقوا وفرغوا وخرجوا فخرج إليه صاحب المنزل وقال : قد خرج القوم ، فقال : هل بقى بقية ؟ قال : لا ، قال فكسرة إن بقيت ؟ قال : لم تبق ، قال : فالقدر أمسحها ؟ قال : قد غسلتها ؟ فانصرف يحمد الله تعالى فقيل له فى ذلك فقال : قد أحسن الرجل دعانا بنية وردنا بنية ، فهذا هو معنى التواضع وحسن الخلق . وحكى أن أستاذ أبى القاسم الجنيد دعاه صبى إلى دعوة أبيه أربع مرات فرده الأب فى المرات الأربع وهو يرجع فى كل مرة تطييبا لقلب الصبى بالحضور ولقلب الأب بالانصراف ، فهذه نفوس قد ذللت بالتواضع لله تعالى واطمأنت بالتوحيد وصارت تشاهد فى كل رد وقبول عبرة فيما بينها وبين ربها ، فلا تنكسر بما يجرى من العباد من الإذلال كما لا تستبشر بما يجرى منهم من الإكرام بل يرون الكل من الواحد القهار . ولذلك قال بعضهم : أنا لا أجيب الدعوة إلا لأنى أتذكر بها طعام الجنة أى هو طعام طيب يخمل عنا كدّه ومؤنته وحسابه . (الثالث) أن لا يخرج إلا برضا صاحب المنزل وإذنه ويراعى قلبه فى قدر الإقامة ، وإذا نزل ضيفا فلا يزيد على ثلاثة أيام فربما يتبرم به ويحتاج إلى إخراجه قال صلى الله عليه وسلم « الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فصدقة [1] » نعم لو ألح رب البيت عليه عن خلوص قلب فله المقام إذ ذاك ويستحب أن يكون عنده فراش للضيف النازل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان [2] » .

فصل يجمع آدابا ومناهى طبية وشرعية متفرقة

(الأول) حكى عن إبراهيم النخعى أنه قال ، الأكل فى السوق دناءة [3] وأسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسناده قريب . وقد نقل ضده عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : كنا نأكل عهد رسول الله صلى الله

---

(١) حديث « الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فصدقة » متفق عليه من حديث أبى شريح الخزاعى . (٢) حديث « فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان » أخرجه مسلم من حديث جابر (٣) حديث « الأكل فى السوق دناءة » أخرجه الطبرانى من حديث أبى أمامة وهو ضعيف ورواه ابن عدى فى الكامل من حديثه وحديث أبى هريرة

عليه وسلم ونحن نمشى ونشرب ونحن قيام[١] . ورؤى بعض المشايخ من المتصوفة المعروفين يأكل فى السوق فقيل له فى ذلك فقال : ويحك أجوع فى السوق وآكل فى البيت ؛ فقيل تدخل المسجد ؟ قال : أستحى أن أدخل بيته للأكل فيه . ووجه الجمع أن الأكل فى السوق تواضع وترك تكلف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروءة من بعضهم فهو مكروه ، وهو مختلف بعادات البلاد وأحوال الأشخاص فمن لايليق ذلك بسائر أعماله حمل ذلك على قلة المروءة وفرط الشره ويقدح ذلك فى الشهادة ومن يليق ذلك بجميع أحواله وأعماله فى ترك التكلف كان ذلك منه تواضعا (الثانى) قال على رضى الله عنه : من ابتدأ غذاءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ، ومن أكل فى يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة فى بطنه ، ومن أكل كل يوم إحدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير فى جسده شيئا يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب والبسقارجات تعظم البطن وترخى الأليتين ، ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ، ولن تستشفى النفساء بشىء أفضل من الرطب ، والسمك يذيب الجسد ، وقراءة القرآن والسواك يذهبان البلغم ، ومن أراد البقاء ولا بقاء فليباكر بالغداء وليكرر العشاء وليلبس الحذاء ، ولن يتداوى الناس بشىء مثل السمن وليقل غشيان النساء وليخف الرداء وهو الدين (الثالث) قال الحجاج لبعض الأطباء : صف لى صفة آخذ بها ولا أعدوها قال . لاتنكح من النساء إلا فتاة ولا تأكل من اللحم إلا فتيا ولا تأكل المطبوخ حتى يتم نضجه ولا تشربن دواء إلا من علة ولا تأكل من الفاكهة إلا نضيجها ، ولا تأكلن طعاما إلا أجدت مضغه ، وكل ماأحببت من الطعام ولا تشربن عليه فإذا شربت فلاتأكلن عليه شيئا ، ولا تحبس الغائط والبول ، وإذا أكلت بالنهار فنم وإذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولومائة خطوة . وفى معناه قول العرب : تغد تمد تعش تمش يعنى تمدد كما قال الله تعالى ـ ثم ذهب إلى أهله يتمطى ـ أى يتمطط . ويقال إن حبس البول يفسد الجسد كما يفسد النهر ماحوله إذا سد مجراه (الرابع) فى الخبر « قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهرمة [٢] » والعرب تقول ترك الغداء يذهب بشحم الكاذة ـ يعنى الآلية ـ وقال بعض الحكماء لابنه : يابنى لاتخرج من منزلك حتى تأخذ حلمك أى تتغذى ، إذ به يبقى الحلم ويزول الطيش وهو أيضا أقل لشهوته لما يرى فى السوق . وقال حكيم لسمين : أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك فمم هى ؟ قال من أكل لباب البر وصغار المعز وأدهن بجام بنفسج وألبس الكتان . (الخامس) الحمية تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمريض ، هكذا قيل . وقال بعضهم : من احتمى فهو على يقين من المكروه وعلى شك من العوافى ، وهذا حسن فى حال الصحة ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيبا يأكل تمرا وإحدى عينيه رمداء فقال . أتأكل التمر وأنت رمد ؟ فقال : يارسول الله إنما آكل بالشق الآخر [٣] » يعنى جانب السليمة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم . (السادس) أنه يستحب أن يحمل طعام إلى أهل الميت ، ولما جاء نعى جعفر بن أبى طالب قال عليه السلام ، إن آل جعفر شغلوا بميتهم عن صنع طعامهم فاحملوا إليهم مايأكلون [٤] » فذلك سنة . وإذا قدم ذلك إلى الجمع حل الأكل منه مايهيأ للنوائح والمعينات عليه بالبكاء والجزع

---

(١) حديث ابن عمر « كنا نأكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشى ونشرب ونحن قيام » أخرجه الترمذى وصححه وابن ماجه وابن حبان . (٢) حديث « قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهرمة » أخرجه ابن عدى فى الكامل من حديث عبد الله بن جراد بالشطر الأول والترمذى من حديث أنس بالشطر الثانى وكلاهما ضعيف وروى ابن ماجه الشطر الثانى من حديث جابر . (٣) حديث « رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيبا يأكل تمراً وإحدى عينيه رمدة فقال له أتأكل التمر وأنت رمد فقال إنما أمضغ بالشق الآخر فضحك صلى الله عليه وسلم » أخرجه ابن ماجه من حديث صهيب بإسناد جيد . (٤) حديث « لما جاء نعى جعفر بن أبى طالب قال صلى الله عليه وسلم إن آل جعفر شغلوا بميتهم عن طعامهم فاحملوا إليهم مايأكلون » أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث عبد الله بن جعفر نحوه بسند حسن ولابن ماجه نحوه من حديث أسماء بنت عميس .

فلاينبغى أن يؤكل معهم (السابع) لاينبغى أن يحضر طعام ظالم فإن أكره فليقلل الأكل ولايقصد الطعام الأطيب رد بعض المزكين شهادة من حضر طعام سلطان فقال : كنت مكرها ، فقال : رأيتك تقصد الأطيب وتكبر اللقمة وما كنت مكرها عليه ؟ وأجبر السلطان هذا المزكى على الأكل فقال : إما أن آكل وأخلى التزكية أو أزكى ولا آكل فلم يجدوا بدا من تزكيته فتركوه . وحكى أن ذا النون المصرى حبس ولم يأكل أياما فى السجن فكانت له أخت فى الله فبعثت إليه طعاما من مغزلها على يد السجان فامتنع فلم يأكل ، فعاتبته المرأة بعد ذلك فقال : كان حلالا ولكن جاءنى على طبق ظالم وأشار به إلى يد السجان وهذا غاية الورع . (الثامن) حكى عن فتح الموصلى رحمه الله أنه دخل على بشر الحافى زائرا فأخرج بشر درهما فدفعه لأحمد الجلاء خادمه وقال : اشتر به طعاما جيدا وأدما طيبا ، قال : فاشتريت خبزا نظيفا وقلت : لم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لشىء اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه [1] سوى اللبن فاشتريت اللبن واشتريت تمرا جيدا فقدمت إليه فأكل وأخذ الباقى . فقال بشر : أتدرون لم قلت اشتر طعاما طيبا ؟ لأن الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر ، أتدرون لم لم يقل لى كل ؟ لأنه ليس للضيف أن يقول لصاحب الدار كل ، أتدرون لم حمل مابقى ؟ لأنه إذا صح التوكل لم يضر الحمل . وحكى أبو على الروذبارى رحمه الله تعالى أنه اتخذ ضيافة فأوقد فيها ألف سراج فقال له رجل : قد أسرفت ، فقال له : ادخل فكل ماأوقدته لغير الله فأطفئه فدخل الرجل فلم يقدر على إطفاء واحد منها فانقطع . واشترى أبو على الروذبارى أحمالا من السكر وأمر الحلاويين حتى بنوا جدارا من السكر عليه شرف ومحاريب على أعمدة منقوشة كلها من سكر ثم دعا الصوفية حتى هدموها وانتهبوها . (التاسع) قال الشافعى رضى الله عنه « الأكل على أربعة أنحاء : الأكل بأصبع من المقت ، وبأصبعين من الكبر ، وبثلاث أصابع من السنة [2] وبأربع وخمس من الشره وأربعة أشياء تقوى البدن : أكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان . وأربعة توهن البدن : كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء على الريق وكثرة أكل الحموضة . وأربعة تقوى البصر : الجلوس تجاه القبلة والكحل عند النوم والنظر إلى الخضرة وتنظيف الملبس . وأربعة توهن البصر : النظر إلى القذر والنظر إلى المصلوب والنظر إلى فرج المرأة والقعود فى استدبار القبلة . وأربعة تزيد فى الجماع : أكل العصافير وأكل الإطريفل الأكبر وأكل الفستق وأكل الجرجير . والنوم على أربعة أنحاء . فنوم على القفا وهو نوم الأنبياء عليهم السلام يتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ونوم على اليمين وهو نوم العلماء والعباد ، ونوم على الشمال وهو نوم الملوك ليهضمهم طعامهم ، ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين . وأربعة تزيد فى العقل : ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة الصالحين والعلماء . وأربعة هن من العبادة : لا يخطو خطوة إلا على وضوء وكثرة السجود ولزوم المساجد وكثرة قراءة القرآن » وقال أيضا : عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الأكل بعد أن يخرج كيف لايموت ؟ وعجبت لمن احتجم ثم يبادر الأكل كيف لايموت ؟ وقال : لم أر شيئا أنفع فى الوباء من البنفسج يدهن به ويشرب . والله أعلم بالصواب .

---

(١) حديث « اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه » قاله عند شرب اللبن تقدم فى آخر الباب الأول من آداب الأكل .

(٢) حديث « الأكل بثلاث أصابع من السنة » أخرجه مسلم من حديث كعب بن مالك « كان النبى صلى الله عليه وسلم يأكل بثلاث أصابع » وروى ابن الجوزى فى العلل من حديث ابن عباس موقوفا « كل بثلاث أصابع فانه من السنة » .

كتاب آداب النكاح

وهو الكتاب الثانى من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى لاتصادف سهام الأوهام فى عجائب صنعه مجرى ولاترجع العقول عن أوائل بدائعها إلا والهة حيرى ولا تزال لطائف نعمه على العالمين تترى فهى تتوالى عليهم اختيارا وقهرا . ومن بدائع ألطافه أن خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها الحراثة جبرا واستبقى به نسلهم إقهارا وقسرا . ثم عظم أمر الأنساب وجعل لها قدرا فحرم بسببها السفاح وبالغ فى تقبيحه ردعا وزجرا وجعل اقتحامه جريمة فاحشة وأمر إمرا وندب إلى النكاح وحث عليه استحبابا وأمرا فسبحان من كتب الموت على عباده فأذلهم به هدما وكسرا ثم بث بذور النطف فى أراضى الأرحام وأنشأ منها خلقا وجعله لكسر الموت جبرا تنبيها على أن بحار المقادير فياضة على العالمين نفعا وضرا وخيرا وشرا وعسرا ويسرا وطيا ونشرا والصلاة والسلام على محمد المبعوث بالإنذار والبشرى وعلى آله وأصحابه صلاة لايستطيع لها الحساب عدا ولا حصرا وسلم تسليما كثيرا . أما بعد : فإن النكاح معين على الدين ومهين للشياطين وحصن دون عدو الله حصين وسبب للتكثير الذى به مباهاة سيد المرسلين لسائر النبيين فما أحراه بأن تتحرى أسبابه وتحفظ سننه وآدابه وتشرح مقاصده وآرابه وتفصل فصوله وأبوابه . والقدر المهم من أحكامه ينكشف فى ثلاثة أبواب (الباب الأول) فى الترغيب فيه وعنه . (الباب الثانى) فى الآداب المرعية فى العقد والعاقدين . (الباب الثالث) فى آداب المعاشرة بعد العقد إلى الفراق .

الباب الأول : فى الترغيب فى النكاح والترغيب عنه

اعلم أن العلماء قد اختلفوا فى فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم أنه أفضل من التخلى لعبادة الله واعترف آخرون بفضله ولكن قدموا عليه التخلى لعبادة الله ، مهما لم تتق النفس إلى النكاح توقاناً يشوش الحال ويدعو إلى الوقاع . وقال آخرون : الأفضل تركه فى زماننا هذا وقد كان له فضيلة من قبل إذ لم تكن الأكساب محظورة وأخلاق النساء مذمومة . ولا ينكشف الحق فيه إلا بأن نقدم أولا ما ورد من الأخبار والآثار فى الترغيب فيه والترغيب عنه ثم نشرح فوائد النكاح وغوائله حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه فى حق كل من سلم من غوائله أو لم يسلم منها .

الترغيب فى النكاح

أما من الآيات : فقد قال الله تعالى ﴿ وأنكحوا الأيامى منكم ﴾ وهذا أمر وقال تعالى ﴿ فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن ﴾ وهذا منع من العضل ونهى عنه . وقال تعالى فى وصف الرسل ومدحهم ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية ﴾ فذكر ذلك فى معرض الامتنان وإظهار الفضل . ومدح أولياءه بسؤال ذلك فى الدعاء فقال ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ﴾ الآية ويقال إن الله تعالى لم يذكر

فى كتابه من الأنبياء إلا المتأهلين فقالوا إن يحيى صلى الله عليه وسلم قد تزوج ولم يجامع قيل إنما فعل ذلك لنيل الفضل وإقامة السنة ، وقيل لغض البصر ، وأما عيسى عليه السلام فإنه سينكح إذا نزل الأرض ويولد له . .

وأما الأخبار فقوله صلى الله عليه وسلم « النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فقد رغب عنى » وقال صلى الله عليه وسلم « النكاح سنتى فمن أحب فطرتى فليستن بسنتى [1] » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم (تناكحوا تكثروا فإنى أباهى بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط [2]) وقال أيضا عليه السلام (من رغب عن سنتى فليس منى وإن من سنتى النكاح فمن أحبنى فليستن بسنتى [3]) وقال النبى صلى الله عليه وسلم (من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا [4]) وهذا ذم لعلة الامتناع لا لأصل الترك وقال صلى الله عليه وسلم (من كان ذا طول فليتزوج [5]) وقال (من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لا فليصم فإن الصوم له وجاء [6]) وهذا يدل على أن سبب الترغيب فيه خوف الفساد فى العين والفرج . والوجاء هو عبارة عن رض الخصيتين للفحل حتى تزول فحولته ؛ فهو مستعار للضعف عن الوقاع فى الصوم . وقال صلى الله عليه وسلم (إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير [7]) وهذا أيضا تعليل الترغيب لخوف الفساد . وقال صلى الله عليه وسلم (من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله [8]) وقال صلى الله عليه وسلم (من تزوج فقد أحرز شطر دينه فليتق الله فى الشطر الثانى [9]) وهذا أيضا إشارة إلى أن فضيلته لأجل التحرز من المخالفة تحصنا من الفساد فكأن المفسد لدين المرء فى الأغلب فرجه وبطنه وقد كفى بالتزويج أحدهما . وقال صلى الله عليه وسلم (كل عمل ابن آدم ينقطع إلا ثلاث ولد صالح يدعو له ... [10]) الحديث . ولا يوصل إلى هذا إلا بالنكاح .

كتاب آداب النكاح

الباب الأول فى الترغيب فى النكاح

(١) حديث « النكاح سنتى فمن أحب فطرتى فليستن بسنتى » أخرجه أبو يعلى فى مسنده مع تقديم وتأخير من حديث ابن عباس بسند حسن . (٢) حديث « تناكحوا تكثروا فانى أباهى بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط » أخرجه أبو بكر بن مردويه فى تفسيره من حديث ابن عمر دون قوله « حتى بالسقط » وإسناده ضعيف وذكره بهذه الزيادة البيهقى فى المعرفة عن الشافعى أنه بلغه

(٣) حديث « من رغب عن سنتى فليس منى وإن من سنتى النكاح فمن أحبنى فليستن بسنتى » متفق على أوله من حديث أنس « من رغب عن سنتى فليس منى » وباقيه تقدم قبله بحديث . (٤) حديث « من ترك التزويج خوف العيلة فليس منا » رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى سعيد بسند ضعيف وللدارمى فى مسنده والبغوى فى معجمه وأبى داود فى المراسيل من حديث أبى نجيح « من قدر على أن ينكح فلم ينكح فليس منا » وأبو نجيح اختلف فى صحبته .

(٥) حديث « من كان ذا طول فليتزوج » أخرجه ابن ماجه من حديث عائشة بسند ضعيف . (٦) حديث « من استطاع منكم الباءة فليتزوج الحديث » متفق عليه من حديث ابن مسعود . (٧) حديث « إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة ونقل عن البخارى أنه لم يعده محفوظا وقال أبو داود إنه خطأ ورواه الترمذى أيضاً من حديث أبى حاتم المزنى وحسنه ورواه أبو داود فى المراسيل وأعله ابن القطان بإرساله وضعف رواته . (٨) حديث « من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله عزوجل » أخرجه أحمد بسند ضعيف من حديث معاذ بن أنس « من أعطى لله وأحب لله وأبغض لله وأنكح لله فقد استكمل إيمانه » . (٩) حديث « من تزوج فقد أحرز شطر دينه فليتق الله فى الشطر الآخر » أخرجه ابن الجوزى فى العلل من حديث أنس بسند ضعيف وهو عند الطبرانى فى الأوسط بلفظ « فقد استكمل نصف الإيمان » وفى المستدرك وصحح إسناده بلفظ « من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه ... الحديث » . (١٠) حديث « كل عمل ابن آدم ينقطع إلا ثلاثة » فذكر فيه « وولد صالح يدعو له » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة بنحوه . .

وأما الآثار : فقال عمر رضى الله عنه لايمنع من النكاح إلا عجز أو فجور . فبين أن الدين غير مانع منه وحصر المانع فى أمرين مذمومين . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : لايتم نسك الناسك حتى يتزوج . يحتمل أن جعله من النسك وتتمة له . ولكن الظاهر أنه أراد به أنه لايسلم قلبه لغلبة الشهوة إلا بالتزويج ولا يتم النسك إلا بفراغ القلب ، ولذلك كان يجمع غلمانه لما أدركوا عكرمة وكريبا وغيرهما ويقول : إن أردتم النكاح أنكحتكم فإن العبد إذا زنى نزع الإيمان من قلبه . وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول : لو لم يبق من عمرى إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج لكيلا ألقى الله عزبا ومات امرأتان لمعاذ بن جبل رضى الله عنه فى الطاعون وكان هو أيضا مطعونا فقال : زوجونى فإنى أكره أن ألقى الله عزبا . وهذا منهما يدل على أنهما رأيا فى النكاح فضلا لا من حيث التحرز عن غائلة الشهوة . وكان عمر رضى الله عنه يكثر النكاح ويقول : ماأتزوج إلا لأجل الولد . وكان بعض الصحابة قد انقطع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخدمه ويبيت عنده لحاجة إن طرقته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تتزوج ؟ فقال يارسول الله إنى فقير لاشىء لى وأنقطع عن خدمتك فسكت . ثم عاد ثانيا فأعاد الجواب . ثم تفكر الصحابى وقال : والله لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما يصلحنى فى دنياى وآخرتى وما يقربنى إلى الله منى ولئن قال لى الثالثة لأفعلن . فقال له الثالثة : ألا تتزوج ؟ قال : فقلت يارسول الله زوجنى ، قال . اذهب إلى بنى فلان فقل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تزوجونى فتاتكم قال : فقلت يارسول الله لاشىء لى ، فقال لأصحابه : اجمعوا لأخيكم وزن نواة من ذهب فجمعوا له فذهبوا به إلى القوم فأنكحوه فقال له : أولم وجمعوا له من الأصحاب شاة للوليمة[1] » وهذا التكرير يدل على فضل فى نفس النكاح ويحتمل أنه توسم فيه الحاجة إلى النكاح . وحكى أن بعض العباد فى الأمم السالفة فاق أهل زمانه فى العبادة فذكر لنبى زمانه حسن عبادته فقال : نعم الرجل هو لولا أنه تارك لشىء من السنة فاغتم العابد لما سمع ذلك فسأل النبى عن ذلك فقال : أنت تارك للتزويج ، فقال: لست أحرمه ولكنى فقير وأنا عيال على الناس ، قال : أنا أزوجك ابنتى فزوجه النبى عليه السلام ابنته . وقال بشر بن الحرث : فضل على أحمد بن حنبل بثلاث : بطلب الحلال لنفسه ولغيره وأنا أطلبه لنفسى فقط ولاتساعه فى النكاح وضيق عنه ولأنه نصب إماما للعامة . ويقال إن أحمد رحمه الله تزوج فى اليوم الثانى لوفاة أم ولده عبد الله وقال : أكره أن أبيت عزبا . وأما بشر فإنه لما قيل له . إن الناس يتكلمون فيك لتركك النكاح ويقولون هو تارك للسنة ، فقال : قولوا لهم هو مشغول بالفرض عن السنة . وعوتب مرة أخرى فقال : مايمنعنى من التزويج إلا قوله تعالى ﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف﴾ فذكر ذلك لأحمد فقال : وأين مثل بشر ؟ إنه قعد على مثل حد السنان . ومع ذلك فقد روى أنه رؤى فى المنام فقيل له : مافعل الله بك ؟ فقال : رفعت منازلى فى الجنة وأشرف بى على مقامات الأنبياء ولم أبلغ منازل المتأهلين . وفى رواية قال لى : ما كنت أحب أن تلقانى عزبا قال : فقلنا له ، مافعل أبو نصر التمار ؟ فقال : رفع فوقى بسبعين درجة ، قلنا : بماذا فقد كنا نراك فوقه ؟ قال : بصبره على بنياته والعيال . وقال سفيان بن عيينة : كثرة النساء ليست من الدنيا لأن عليا رضى الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية . فالنكاح سنة ماضيه وخلق من أخلاق الأنبياء . وقال رجل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله : طوبى لك فقد تفرغت للعبادة بالعزوبة ! فقال : لروعة منك بسبب العيال : أفضل من جميع ما أنا فيه ، قال: فما الذى

---

(١) حديث « كان بعض الصحابة قد انقطع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبيت عنده لحاجة إن طرقته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تتزوج ... الحديث » أخرجه أحمد من حديث ربيعة الأسلمى فى حديث طويل ـ وهو صاحب القصة ـ باسناد حسن .

يمنعك من النكاح ، فقال : مالى حاجة فى امرأة وما أريد أن أغر امرأة بنفسى . وقد قيل : فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد . وركعة من متأهل أفضل من سبعين ركعة من عزب .

وأما ماجاء فى الترهيب عن النكاح : فقد قال صلى الله عليه وسلم « خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذى لاأهل له ولا ولد [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « يأتى على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه مالا يطيق ، فيدخل المداخل التى يذهب فيها دينه فيهلك [2] » وفى الخبر « قلة العيال أحد اليسارين وكثرتهم أحد الفقرين [3] » وسئل أبو سليمان الدارانى عن النكاح فقال : الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار . وقال أيضا : الوحيد يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد المتأهل . وقال مرة : مارأيت أحداً من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته الأولى . وقال أيضا : ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا من طلب معاشا أو تزوج امرأة أو كتب الحديث . وقال الحسن رحمه الله : إذا أراد الله بعبد خيرا لم يشغله بأهل ولا مال ، وقال ابن أبى الحوارى : تناظر جماعة فى هذا الحديث فاستقر رأيهم على أنه ليس معناه أن لايكونا له بل أن يكونا له ولايشغلانه وهو إشارة إلى قول أبى سليمان الدارانى : ماشغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشئوم وبالجملة لم ينقل عن أحد الترغيب عن النكاح مطلقا إلا مقرونا بشرط . وأما الترغيب فى النكاح فقد ورد مطلقاً ومقرونا بشرط فلنكشف الغطاء عنه بحصر آفات النكاح وفوائده .

آفات النكاح وفوائده ، وفيه فوائد خمسة : الولد وكسر الشهوة ، وتدبير المنزل . وكثرة العشيرة ، ومجاهدة النفس بالقيام بهن .

الفائدة الأولى : الولد ؛ وهو الأصل وله وضع النكاح . والمقصود إبقاء النسل وأن لا يخلو العالم عن جنس الإنس . وإنما الشهوة خلقت باعثة مستحثة كالموكل بالفحل فى إخراج البذر وبالأنثى فى التمكين من الحرث تلطفا بهما فى السياقة إلى اقتناص الولد بسبب الوقاع ، كالتلطف بالطير فى بث الحب الذى يشتهيه ليساق إلى الشبكة وكانت القدرة الأزلية غير قاصرة عن اختراع الأشخاص ابتداء من غير حراثة وازدواج ، ولكن الحكمة اقتضت ترتيب المسببات على الأسباب مع الاستغناء عنها إظهارا للقدرة وإتماما لعجائب الصنعة وتحقيقا لما سبقت به المشيئة وحقت به الكلمة وجرى به القلم . وفى التوصل إلى الولد قربة من أربعة أوجه هى الأصل فى الترغيب فيه عند الأمن من غوائل الشهوة حتى لم يحب أحدهم أن يلقى الله عزبا . (الأول) موافقة محبة الله بالسعى فى تحصيل الولد لإبقاء جنس الإنسان (والثانى) طلب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تكثير من مباهاته . (والثالث) طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده (والرابع) طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله .

أما الوجه الأول : فهو أدق الوجوه وأبعدها عن أفهام الجماهير وهو أحقها وأقواها عند ذوى البصائر النافذة فى عجائب صنع الله تعالى ومجارى حكمه . وبيانه أن السيد إذاسلم إلى عبده البذر وآلات الحرث وهيأ له أرضاً مهيأة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة ووكل به من يتقاضاه عليها فإن تكاسل وعطل آلة الحرث وترك البذر ضائعا

---

(١) حديث « خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذى لاأهل له ولاولد » أخرجه أبو يعلى من حديث حذيفة ورواه الخطابى فى العزلة من حديثه وحديث أبى أمامة وكلاهما ضعيف . (٢) حديث يأتى على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه مالا يطيق فيدخل المداخل التى يذهب فيها دينه فيهلك » أخرجه الخطابى فى العزلة من حديث ابن مسعود نحوه والبيهقى فى الزهد نحوه فى حديث أبى هريرة وكلاهما ضعيف .

(٣) حديث « قلة العيال أحد اليسارين وكثرتهم أحد الفقرين » أخرجه القضاعى فى مسند الشهاب من حديث على وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث عبد الله بن عمر وابن هلال المزنى كلاهما بالشطر الأول بسندين ضعيفين .

حتى فسد ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة كان مستحقا للمقت والعتاب من سيده . والله تعالى خلق الزوجين وخلق الذكر والأنثيين وخلق النطفة فى الفقار وهيأ لها فى الأنثيين عروقا ومجارى وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط متقاضى الشهوة على كل واحد من الذكر والأنثى ، فهذه الأفعال والآلات تشهد بلسان ذلق فى الإعراب عن مراد خالقها وتنادى أرباب الألباب بتعريف ماأعدت له . هذا إن لم يصرح به الخالق تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بالمراد حيث قال « تناكحوا تناسلوا » فكيف وقد صرح بالأمر وباح بالسر ؟ فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر معطل لما خلق الله من الآلات المعدة وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الأعضاء بخط إلهى ليس برقم حروف وأصوات يقرؤه كل من له بصيرة ربانية نافذة فى إدراك دقائق الحكمة الأزلية ، ولذلك عظم الشرع الأمر فى القتل للأولاد وفى الوأد لأنه منع لتمام الوجود ، وإليه أشار من قال : العزل أحد الوأدين فالناكح ساع فى إتمام ما أحب الله تعالى تمامه والمعرض معطل ومضيع لما كره الله ضياعه ، ولأجل محبة الله تعالى لبقاء النفوس أمر بالإطعام وحث عليه وعبر عنه بعبادة القرض فقال ﴿ من ذا الذى يقرض له قرضا حسنا ﴾ . فإن قلت : قولك : إن بقاء النسل والنفس محبوب يوهم أن فناءها مكروه عند الله ، وهو فرق بين الموت والحياة بالاضافة إلى إرادة الله تعالى ، ومعلوم أن الكل بمشيئة الله وأن الله غنى عن العالمين فمن أين يتميز عنده موتهم عن حياتهم أو بقاؤهم عن فنائهم ؟ فاعلم أن هذه الكلمة حق أريد بها باطل فإن ماذكرناه لاينافى إضافة الكائنات كلها إلى إرادة الله خيرها وشرها ونفعها وضرها ، ولكن المحبة والكراهية يتضادان وكلاهما لايضادان الإرادة ، فرب مراد مكروه ، ورب مراد محبوب ، فالمعاصى مكروهة وهى مع الكراهة مرادة ، والطاعات مرادة ومن مع كونها مرادة محبوبة ومرضية أما الكفر والشر فلا نقول إنه مرضى ومحبوب بل هو مراد . وقد قال الله تعالى ﴿ ولا يرضى لعباده الكفر ﴾ فكيف يكون الفناء بالإضافة إلى محبة الله وكراهته كالبقاء ، فإنه تعالى يقول « ماترددت فى شىء كترددى فى قبض روح عبدى المسلم هو يكره الموت وأنا أكره مساءته ولابد له من الموت[1] » فقوله « لابد له من الموت » إشارة إلى سبق الإرادة والتقدير المذكور فى قوله تعالى ﴿ نحن قدرنا بينكم الموت ﴾ وفى قوله تعالى ﴿ الذى خلق الموت والحياة ﴾ ولا مناقضة بين قوله تعالى ﴿ نحن قدرنا بينكم الموت ﴾ وبين قوله « وأنا أكره مساءته » ، ولكن إيضاح الحق فى هذا يستدعى تحقيق معنى الإرادة والمحبة والكراهة وبيان حقائقها ، فإن السابق إلى الأفهام منها أمور تناسب إرادة الخلق ومحبتهم وكراهتهم ، وهيهات فبين صفات الله تعالى وصفات الخلق من البعد مابين ذاته العزيز وذاتهم وكما أن ذوات الخلق جوهر وعرض وذات الله مقدس عنه ، ولايناسب ماليس بجوهر وعرض الجوهر والعرض ، فكذا صفاته لاتناسب صفات الخلق ، وهذه الحقائق داخلة فى علم المكاشفة ، ووراء سر القدر الذى منع من إفشائه ، فلنقتصر عن ذكره ، ولنقتصر على مانبهنا عليه من الفرق بين الإقدام على النكاح والإحجام عنه ، فإن أحدهما مضيع نسلا أدام الله وجوده من آدم صلى الله عليه وسلم عقبا بعد عقب إلى أن انتهى إليه ؛ فالممتنع عن النكاح قد حسم الوجود المستدام من لدن وجود آدم عليه السلام على نفسه فمات أبتر لا عقب له ، ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة لما قال معاذ فى الطاعون : زوجونى لا ألقى الله عزبا . فإن قلت : فما كان معاذ يتوقع ولدا فى ذلك الوقت فما وجه رغبته فيه ؟ فأقول : الولد يحصل بالوقاع

(١) حديث أنه تعالى يقول « ماترددت فى شىء كترددى فى قبض روح عبدى المسلم يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له منه » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة ، انفرد به مخلد القطوانى وهو متكلم فيه .

بباعث الشهوة ، وذلك أمر لايدخل فى الاختيار ؛ وإنما المعلق باختيار العبد إحضار المحرك للشهوة ، وذلك متوقع فى كل حال ؛ فمن عقد فقد أدى ما عليه وفعل ما إليه ، والباقى خارج عن اختياره ، ولذلك يستحب النكاح للعنين أيضاً ، فإن نهضات الشهوة خفية لا يطلع عليها حتى إن الممسوح الذى لايتوقع له ولد لا ينقطع الاستحباب أيضا فى حقه على الوجه الذى يستحب للأصلع إمرار الموسى على رأسه اقتداء بغيره وتشبها بالسلف الصالحين ، وكما يستحب الرمل والاضطباع فى الحج الآن وقد كان المراد منه أولا إظهار الجلد للكفار . فصار الاقتداء والتشبه بالذين أظهروا الجلد سنة فى حق من بعدهم ، ويضعف هذا الاستحباب بالإضافة إلى الاستحباب فى حق القادر على الحرث وربما يزداد ضعفا بما يقابله من كراهة تعطيل المرأة وتضييعها فيما يرجع إلى قضاء الوطر ، فإن ذلك لا يخلو عن نوع من الخطر ؛ فهذا المعنى هو الذى ينبه على شدة إنكارهم لترك النكاح مع فتور الشهوة .

الوجه الثانى : السعى فى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه بتكثير مابه مباهاته ، إذ قد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، ويدل على مراعاة أمر الولد جملة بالوجوه كلها ماروى عن عمر رضى الله عنه أنه كان ينكح كثيرا ويقول : إنما أنكح للولد . وما روى من الأخبار فى مذمة المرأة العقيم ، إذ قال عليه السلام « لحصير فى ناحية البيت خير من امرأة لاتلد[1] » ، وقال خير نسائكم الولود الودود[2] » وقال « سوداء ولود ، خير من حسناء لاتلد[3] » ، وهذا يدل على أن طلب الولد أدخل فى اقتضاء فضل النكاح من طلب دفع غائلة الشهوة ، لأن الحسناء أصلح للتحصين وغض البصر وقطع الشهوة .

الوجه الثالث : أن يبقى بعده ولدا صالحا يدعو له ، كما ورد فى الخبر أن جميع عمل ابن آدم منقطع إلا ثلاثا فذكر الولد الصالح . وفى الخبر « إن الأدعية تعرض على الموتى على أطباق من نور[4] » وقول القائل : إن الولد ربما لم يكن صالحا : لا يؤثر فإنه مؤمن ، والصلاح هو الغالب على أولاد ذوى الدين لاسيما إذا عزم على تربيته وحمله على الصلاح ، وبالجملة دعاء المؤمن لأبويه مفيد برا كان أو فاجرا ، فهو مثاب على دعواته وحسناته فإنه من كسبه وغير مؤاخذ بسيئاته ، فإنه لاتزر وازرة وزر أخرى ، ولذلك قال تعالى ﴿ ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء ﴾ أى ما نقصناهم من أعمالهم ، وجعلنا أولادهم مزيدا فى إحسانهم .

الوجه الرابع : أن يموت الولد قبله فيكون له شفيعا ، فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الطفل يجر بأبويه إلى الجنة[5] » وفى بعض الأخبار « يأخذ بثوبه كما أنا الآن آخذ بثوبك[6] » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « إن المولود يقال ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محبنطئا » أى ممتلئا غيظا وغضبا « ويقول لا أدخل الجنة إلا وأبواى معى ، فيقال : أدخلوا أبويه معه الجنة[7] » وفى خبر آخر « إن الأطفال

---

(١) حديث « لحصير فى ناحية البيت خير من امرأة لاتلد » أخرجه أبو عمر الدوقانى فى كتاب معاشرة الأهلين موقوفا على عمر بن الخطاب ، ولم أجده مرفوعا .

(٢) حديث « خير نسائكم الولود الودود » أخرجه البيهقى من حديث ابن أبى أدية الصدفى ، وقال البيهقى : وروى باسناد صحيح عن سعيد بن يسار مرسلا . (٣) حديث « سوداء ولود خير من حسناء لاتلد » أخرجه ابن حبان فى الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ولايصح . (٤) حديث « إن الأدعية تعرض على الموتى على أطباق من نور » رويناه فى الأربعين المشهورة من رواية أبى هدية عن أنس فى الصدقة عن الميت ، وأبو هدية كذاب . (٥) حديث « إن الطفل يجر أبويه إلى الجنة » أخرجه ابن ماجه من حديث على وقال « السقط » بدل « الطفل » وله من حديث معاذ « إن الطفل ليجر أمه بسرره إلى الجنة إذا هى احتسبته » وكلاهما ضعيف . (٦) حديث « إنه يأخذ بثوبه كما أنا الآن آخذ بثوبك » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة

(٧) حديث « إن المولود يقال له ادخل الجنة » فيقف على باب الجنة فيظل محبنطئا أى ممتلئا غيظا وغضبا ، ويقول لا أدخل إلا وأبواى معى ... الحديث » أخرجه ابن حبان فى الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ولايصح ، والنسائى من حديث أبى هريرة « يقال لهم ادخلوا الجنة فيقولون حتى يدخل آباؤنا فيقال ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم » وإسناده جيد .

يجتمعون فى موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال الملائكة : اذهبوا بهؤلاء إلى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم : مرحبا بذرارى المسلمين ادخلوا لاحساب عليكم ، فيقولون : فأين آباؤنا وأمهاتنا ؟ فيقول الخزنة : إن آباءكم وأمهاتكم ليسوا مثلكم ، إنه كانت لهم ذنوب وسيئات فهم يحاسبون عليها ويطالبون . قال : فيتضاغون ويضجون على أبواب الجنة ضجة واحدة ، فيقول الله سبحانه وهو أعلم بهم : ماهذه الضجة ؟ فيقولون : ربنا أطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة إلا مع آبائنا ؛ فيقول الله تعالى : تخللوا الجمع فخذوا بأيدى آبائهم فأدخلوهم الجنة [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « من مات له اثنان من الولد فقد احتظر بحظار من النار [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم » قيل : يارسول الله واثنان ؟ قال « واثنان [3] » وحكى أن بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج فيأبى برهة من دهره ، قال فانتبه من نومه ذات يوم وقال : زوجونى زوجونى ، فزوجوه ، فسئل عن ذلك فقال : لعل الله يرزقنى ولدا ويقبضه فيكون لى مقدمة فى الآخرة ، ثم قال : رأيت فى المنام كأن القيامة قد قامت وكأنى فى جملة الخلائق فى الموقف ، وبى من العطش ما كاد أن يقطع عنقى ، وكذا الخلائق فى شدة العطش والكرب ، فنحن كذلك إذ ولدان يتخللون الجمع ، عليهم مناديل من نور ، وبأيديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب ، وهم يسقون الواحد بعد الواحد ، يتخللون الجمع ويتجاوزون أكثر الناس ، فمددت يدى إلى أحدهم وقلت : اسقنى فقد أجهدنى العطش ، فقال : ليس لك فينا ولد ، إنما نسقى آباءنا ، فقلت : ومن أنتم ؟ فقالوا : نحن من مات من أطفال المسلمين . وأحد المعانى المذكورة فى قوله تعالى ﴿ فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم ﴾ تقديم الأطفال إلى الآخرة ؛ فقد ظهر بهذه الوجوه الأربعة أن أكثر فضل النكاح لأجل كونه سبباً للولد .

الفائدة الثانية : التحصن من الشيطان ، وكسر التوقان ، ودفع غوائل الشهوة ، وغض البصر ، وحفظ الفرج ، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام « من نكح فقد حصن نصف دينه فليتق الله فى الشطر الآخر » وإليه الإشارة بقوله « عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء » وأكثر ما نقلناه من الآثار والأخبار إشارة إلى هذا المعنى ، وهذا المعنى دون الأول ؛ لأن الشهوة موكلة بتقاضى تحصيل الولد ؛ فالنكاح كاف لشغله دافع لجعله وصارف لشر سطوته ، وليس من يجيب مولاه رغبة فى تحصيل رضاه ، كمن يجيب لطلب الخلاص عن غائلة التوكيل ؛ فالشهوة والولد مقدران وبينهما ارتباط ، وليس يجوز أن يقال : المقصود اللذة ، والولد لازم منها كما يلزم مثلا قضاء الحاجة من الأكل وليس مقصودا فى ذاته ، بل الولد هو المقصود بالفطرة والحكمة ، والشهوة باعثة عليه ؛ ولعمرى فى الشهوة حكمة أخرى سوى الإرهاق إلى الإيلاد ، وهو ما فى قضائها من اللذة التى لا توازيها لذة لو دامت ، فهى منبهة على اللذات الموعودة فى الجنان ، إذ الترغيب فى لذة لم يجد لها ذواقا لا ينفع ، فلو رغب الجنين فى لذة الجماع أو الصبى فى لذة

---

(١) حديث « إن الأطفال يجتمعون فى موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال الملائكة اذهبوا بهؤلاء الى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بذرارى المسلمين ادخلوا لاحساب عليكم فيقولون أين آباؤنا وأمهاتنا ... » الحديث بطوله لم أجده أصلا يعتمد عليه . (٢) حديث « من مات له اثنان من الولد احتظر بحظار من النار » أخرجه البزار والطبرانى من حديث زهير بن أبى علقمة « جاءت امرأة من الأنصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، إنه مات لى ابنان سوى هذا فقال : لقد احتظرت من دون النار بحظار شديد » ولمسلم من حديث أبى هريرة فى المرأة التى قالت : دفنت ثلاثة « لقد احتظرت بحظار شديد من النار » (٣) حديث « من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم، قيل : يارسول الله واثنان ، قال : واثنان » أخرجه البخارى من حديث أنس دون ذكر الاثنين ، وهو عند أحمد بهذه الزيادة من حديث معاذ، وهو متفق عليه من حديث أبى سعيد بلفظ « أيما امرأة » بنحو منه .

الملك والسلطنة لم ينفع الترغيب ، وإحدى فوائد لذات الدنيا الرغبة فى دوامها فى الجنة ، ليكون باعثا على عبادة الله . فانظر إلى الحكمة ، ثم إلى الرحمة ، ثم إلى التعبية الإلهية كيف عبيت تحت شهوة واحدة حياتان حياة ظاهرة وحياة باطنة ، فالحياة الظاهرة حياة المرء ببقاء نسله فإنه نوع من دوام الوجود ، والحياة الباطنة هى الحياة الأخروية ، فإن هذه اللذة النافصة بسرعة الانصرام تحرك الرغبة فى اللذة الكاملة بلذة الدوام ، فيستحث على العبادة الموصلة إليها ، فيستفيد العبد بشدة الرغبة فيها تيسر المواظبة على مايوصله إلى نعيم الجنان ، ومامن ذرة من ذرات بدن الإنسان باطنا وظاهرا ، بل ذرات ملكوت السموات والأرض ، إلا وتحتها من لطائف الحكمة وعجائبها ماتحار العقول فيها ، ولكن إنما ينكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها وبقدر رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها وغوائلها ، فالنكاح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم فى الدين لكل من لايؤتى عن عجز وعنة وهم غالب الخلق ، فإن الشهوة إذا غلبت ولم يقاومها قوة التقوى جرت إلى اقتحام الفواحش ، وإليه أشار بقوله عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى ﴿ إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ﴾ وإن كان ملجما بلجام التقوى فغايته أن يكف الجوارح عن إجابة الشهوة ، فيغض البصر ويحفظ الفرج ، فأما حفظ القلب عن الوسواس والفكر فلا يدخل تحت اختياره ، بل لاتزال النفس تجاذبه وتحدثه بأمور الوقاع ولا يفترعنه الشيطان الموسوس إليه فى أكثر الأوقات ، وقد يعرض له ذلك فى أثناء الصلاة حتى يجرى على خاطره من أمور الوقاع ما لو صرح به بين يدى أخس الخلق لاستحيى منه ، والله مطلع على قلبه ، والقلب فى حق الله كاللسان فى حق الخلق ، ورأس الأمور للمريد فى سلوك طريق الآخرة قلبه ، والمواظبة على الصوم لاتقطع مادة الوسوسة فى حق أكثر الخلق إلا أن ينضاف إليه ضعف فى البدن وفساد فى المزاج ، ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما : لايتم نسك الناسك إلا بالنكاح . وهذه محنة عامة قل من يتخلص منها . قال قتادة فى معنى قوله تعالى ﴿ ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ﴾ هو الغلمة . وعن عكرمة ومجاهد أنهما قالا فى معنى قوله تعالى ﴿ وخلق الإنسان ضعيفا ﴾ أنه لايصبر عن النساء وقال فياض بن نجيح . إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله . وبعضهم يقول : ذهب ثلث دينه . وفى نوادر التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما ﴿ ومن شر غاسق إذا وقب ﴾ قال قيام الذكر ، وهذه بلية غالبة إذا هاجت لايقاومها عقل ولا دين ، وهى مع أنها صالحة لأن تكون باعثة على الحياتين كما سبق فهى أقوى آلة الشيطان على بنى آدم ، وإليه أشار عليه السلام بقوله « مارأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوى الألباب منكن [1] » وإنما ذلك لهيجان الشهوة . وقال صلى الله عليه وسلم فى دعائه « اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى وبصرى وقلبى وشر منيى [2] » وقال « أسألك أن تطهر قلبى وتحفظ فرجى [3] » فما يستعيذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يجوز التساهل فيه لغيره ، وكان بعض الصالحين يكثر النكاح حتى لايكاد يخلو من اثنتين وثلاث ، فأنكر عليه بعض الصوفية فقال : هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدى الله تعالى جلسة أو وقف بين يديه موقفا فى معاملة فخطر على قلبه خاطر شهوة ، فقالوا : يصيبنا من ذلك كثير ، فقال : لو رضيت فى عمرى كله بمثل حالكم فى وقت واحد لما تزوجت ، لكنى ماخطر على قلبى خاطر يشغلنى عن حالى إلا نفذته فأستريح وأرجع إلى شغلى ، ومنذ أربعين سنة ماخطر على قلبى معصية . وأنكر بعض الناس حال الصوفية فقال له

---

(١) حديث « مارأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوى الألباب منكن » أخرجه مسلم من حديث ابن عمر ، واتفقا عليه من حديث أبى سعيد ولم يسق مسلم لفظه . (٢) حديث « اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى وبصرى وشر منيى » تقدم فى الدعوات . (٣) حديث « أسألك أن تطهر قلبى وتحفظ فرجى » أخرجه البيهقى فى الدعوات من حديث أم سلمة بإسناد فيه لين .

بعض ذوى الدين : ماالذى تنكر منهم ؟ قال : يأكلون كثيرا . قال : وأنت أيضا لو جعت كما يجوعون لأكلت كما يأكلون ؛ قال : ينكحون كثيرا . قال : وأنت أيضا لو حفظت عينيك وفرجك كما يحفظون لنكحت كما ينكحون .

وكان الجنيد يقول : أحتاج إلى الجماع كما أحتاج إلى القوت ، فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب ، ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع نظره على امرأة فتاقت إليها نفسه أن يجامع أهله [1] ؛ لأن ذلك يدفع الوسواس عن النفس . وروى جابر رضى الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج . وقال صلى الله عليه وسلم « إن المرأة إذا أقبلت أقبلت بصورة شيطان ، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله معها مثل الذى معها [2] » وقال عليه السلام « لاتدخلوا على المغيبات - وهى التى غاب زوجها عنها - فإن الشيطان يجرى من أحدكم مجرى الدم » قلنا : ومنك ؟ قال « ومنى ، ولكن الله أعانى عليه فأسلم [3] » قال سفيان بن عيينة : فأسلم معناه فأسلم أنا منه ، هذا معناه ، فإن الشيطان لايسلم ، وكذلك حكى على ابن عمر رضى الله عنهما وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم أنه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الأكل ، وربما أنه جامع ثلاثا من جواريه فى شهر رمضان قبل العشاء الأخيرة . وقال ابن عباس خير هذه الأمة أكثرها نساء [4]

ولما كانت الشهوة أغلب على مزاج العرب كان استكثار الصالحين منهم للنكاح أشد ولأجل فراغ القلب أبيح نكاح الأمة عند خوف العنت مع أن فيه إرقاق الولد وهو نوع إهلاك ، وهو محرم على كل من قدر على حرة ، ولكن إرقاق الولد أهون من إهلاك الدين ، وليس فيه إلا تنغيص الحياة على الولد مدة ، وفى اقتحام الفاحشة تفويت الحياة الأخروية التى تستحقر الأعمار الطويلة بالاضافة إلى يوم من أيامها . وروى أنه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس وبقى شاب لم يبرح ، فقال له ابن عباس : هل لك من حاجة ؟ قال : نعم أردت أن أسأل مسألة فاستحييت من الناس ، وأنا الآن أهابك وأجلك ، فقال ابن عباس : إن العالم بمنزلة الوالد ، فما كنت أفضيت به إلى أبيك فأفض إلى به ، فقال : إنى شاب لازوجة لى ، وربما خشيت العنت على نفسى ، فربما استمنيت بيدى ، فهل فى ذلك معصية ؟ فأعرض عنه ابن عباس ثم قال : أف وتف نكاح الأمة خير منه ، وهو خير من الزنا ، فهذا تنبيه على أن العزب المغتلم مردد بين ثلاثة شرور أدناها نكاح الأمة ، وفيه إرقاق الولد ، وأشد منه الاستمناء باليد ، وأفحشه الزنا ، ولم يطلق ابن عباس الإباحة فى شىء منه لأنهما محذوران يفزع إليهما حذرا من الوقوع فى محذور أشد منه ، كما يفزع إلى تناول الميتة حذرا من هلاك النفس ، فليس ترجيح أهون الشرين فى معنى الإباحة المطلقة ولا فى معنى الخير المطلق ، وليس قطع اليد المتأكلة من الخيرات وإن كان يؤذن فيه عند إشراف النفس على الهلاك ، فإذا فى النكاح فضل من هذا الوجه ، ولكن هذا لايعم الكل بل الأكثر ، فرب شخص فترت شهوته لكبر سن أو مرض أو غيره فينعدم هذا الباعث فى حقه ، ويبقى ماسبق من أمر الولد . فإن ذلك عام إلا للممسوح

---

(١) حديث « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره على امرأة فتاقت نفسه إليها أن يجامع أهله » أخرجه أحمد من حديث أبى كبشة الأنمارى ، حين مرت به امرأة فوقع فى قلبه شهوة النساء فدخل فأتى بعض أزواجه وقال : فكذلك فافعلوا ، فانه من أماثل أفعالكم إتيان الحلال ، وإسناده جيد . (٢) حديث جابر « رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته » الحديث رواه مسلم والترمذى واللفظ له وقال : حسن صحيح . (٣) حديث « لاتدخلوا على المغيبات فان الشيطان يجرى من أحدكم مجرى الدم ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث جابر وقال غريب ، ولمسلم من حديث عبد الله بن عمر « ولايدخل بعد يومى هذا على مغيبة إلا ومعه رجل أو اثنان » . (٤) حديث ابن عباس « خير هذه الأمة أكثرها نساء » يعنى النبى صلى الله عليه وسلم رواه البخارى .

وهو نادر ، ومن الطباع ماتغلب عليها الشهوة بحيث لاتحصنه المرأة الواحدة فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة إلى الأربع ، فإن يسر الله له مودة ورحمة واطمأن قلبه بهن وإلا فيستحب له الاستبدال ، فقد نكح على رضى الله عنه بعد وفاة فاطمة عليها السلام بسبع ليال ، ويقال : إن الحسن بن على كان منكاحا حتى نكح زيادة على مائتى امرأة وكان ربما عقد على أربع فى وقت واحد ، وربما طلق أربعا فى وقت واحد واستبدل بهن ، وقد قال عليه الصلاة والسلام للحسن « أشبهت خلقى وخلقى [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « حسن منى وحسين من على [2] » فقال إن كثرة نكاحه أحد ماأشبه به خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتزوج المغيرة بن شعبة بثمانين امرأة ، وكان فى الصحابة من له الثلاث والأربع ، ومن كان له اثنتان لايحصى ، ومهما كان الباعث معلوما فينبغى أن يكون العلاج بقدر العلة فالمراد تسكين النفس فلينظر إليه فى الكثرة والقلة .

الفائدة الثالثة : ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة إراحة للقلب وتقوية له على العبادة فإن النفس ملول وهى عن الحق نفور لأنه على خلاف طبعها ، فلو كلفت المداومة بالإكراه على مايخالفها جمحت وثابت ، وإذا روحت باللذات فى بعض الأوقات قويت ونشطت ، وفى الاستئناس بالنساء من الاستراحة مايزيل الكرب ويروح القلب ، وينبغى أن يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات ، ولذلك قال الله تعالى ﴿ ليسكن إليها ﴾ وقال على رضى الله عنه : روحوا القلوب ساعة فإنها إذا أكرهت عميت . وفى الخبر « على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات : ساعة يناجى فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه . فإن فى هذه الساعة عونا على تلك الساعات [3] » ومثله بلفظ آخر « لايكون العاقل ظاعنا إلا فى ثلاث : تزود لمعاد ، أو مرمة لمعاش ، أو لذة فى غير محرم [4] » وقال عليه الصلاة السلام « لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته إلى سنتى فقد اهتدى [5] » والشرة الجد والمكابدة بحدة وقوة ، وذلك فى ابتداء الإرادة ، والفترة . الوقوف للاستراحة ، وكان أبو الدرداء يقول إنى لأستجم نفسى بشىء من اللهو لأتقوى بذلك فيما بعد على الحق . وفى بعض الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « شكوت إلى جبريل عليه السلام ضعفى عن الوقاع فدلنى على الهريسة [6] » وهذا إن صح لايحمل له إلا الاستعداد للاستراحة ، ولا يمكن تعليله بدفع الشهوة فإنه استثارة للشهوة ، ومن عدم الشهوة عدم الأكثر من هذا الأنس . وقال عليه الصلاة والسلام حبب إلى من دنياكم ثلاث : الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة [7] » فهذه أيضا فائدة لاينكرها من جرب إتعاب نفسه فى الأفكار والأذكار وصنوف الأعمال ، وهى خارجة عن

---

(١) حديث أنه قال للحسن بن على « أشبهت خلقى وخلقى » قلت المعروف أنه قال هذا اللفظ لجعفر بن أبى طالب ، كما هو متفق عليه من حديث البراء ، ولكن الحسن أيضا كان يشبه النبى صلى الله عليه وسلم ، كما هو متفق عليه من حديث أبى جحيفة ، والترمذى وصححه وابن حبان من حديث أنس « لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن » . (٢) حديث « حسن منى وحسين من على » رواه أحمد من حديث المقداد بن معديكرب بسند جيد . (٣) حديث « على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات : ساعة يناجى فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه » رواه ابن حبان من حديث أبى ذر فى حديث طويل : أن ذلك فى صحف إبراهيم . (٤) حديث « لايكون العاقل ظاعنا إلا فى ثلاث : تزود لمعاد ، أو مرمة لمعاش ، أو لذة فى غير محرم » رواه ابن حبان من حديث أبى ذر الطويل : أن ذلك فى صحف ابراهيم . (٥) حديث « لكل عامل شرة ، ولكل شرة فترة ، فمن كانت فترته إلى سنتى فقد اهتدى » رواه أحمد والطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو . والترمذى نحو من هذا من حديث أبى هريرة وقال حسن صحيح . (٦) حديث « شكوت إلى جبريل ضعفى عن الوقاع فدلنى على الهريسة » أخرجه ابن عدى من حديث حذيفة ؛ وابن عباس ، والعقيلى من حديث معاذ وجابر بن سمرة ، وابن حبان فى الضعفاء من حديث حذيفة ، والأزدى فى الضعفاء من حديث أبى هريرة بطرق كلها ضعيفة . قال ابن عدى : موضوع ، وقال العقيلى : باطل (٧) حديث « حبب إلى من دنياكم الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة » رواه النسائى والحاكم من حديث أنس باسناد جيد ، وضعفه العقيلى .

الفائدتين السابقتين ، حتى إنها تطرد فى حق الممسوح ومن لا شهوة له ، إلا أن هذه الفائدة تجعل للنكاح فضيلة بالإضافة إلى هذه النية ، وقل من يقصد بالنكاح ذلك . وأما قصد الولد وقصد دفع الشهوة وأمثالها فهو مما يكثر ثم رب شخص يستأنس بالنظر إلى الماء الجارى والخضرة وأمثالها ولا يحتاج إلى ترويح النفس بمحادثة النساء وملاعبتهن . فيختلف هذا باختلاف الأحوال والأشخاص فليتنبه له .

الفائدة الرابعة : تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الأوانى وتهيئة أسباب المعيشة ، فإن الإنسان لو لم يكن له شهوة الوقاع لتعذر عليه العيش فى منزله وحده ، إذ لو تكفل بجميع أشغال المنزل لضاع أكثر أوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل ، فالمرأة الصالحة المصلحة للمنزل عون على الدين بهذه الطريق ، واختلال هذه الأسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنغصات للعيش ، ولذلك قال أبو سليمان الدارانى رحمه الله : الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فإنها تفرغك للآخرة ، وإنما تفريغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعاً . وقال محمد بن كعب القرظى فى معنى قوله تعالى ﴿ ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ﴾ قال : المرأة الصالحة . وقال عليه الصلاة والسلام « ليتخذ أحدكم قلبا شاكراً ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته[1] » فانظر كيف جمع بينها وبين الذكر والشكر . وفى بعض التفاسير فى قوله تعالى ﴿ فلنحيينه حياة طيبة ﴾ قال الزوجة الصالحة ؛ وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : ما أعطى العبد بعد الإيمان بالله خيراً من امرأة صالحة ، وإن منهن غنما لا يحذى منه ، ومنهن غلالا يفدى منه . وقوله : لا يحذى أن يعتاض عنه بعطاء . وقال عليه الصلاة والسلام « فضلت على آدم بخصلتين : كانت زوجته عونا له على المعصية ، وأزواجى أعوان لى على الطاعة ، وكان شيطانه كافرا وشيطانى مسلم لا يأمر إلا بخير[2] » فعد معاونتها على الطاعة فضيلة : فهذه أيضاً من الفوائد التى يقصدها الصالحون إلا أنها تخص بعض الأشخاص الذين لا كافل لهم ولا مدبر ، ولا تدعو إلى امرأتين بل الجمع ربما ينغص المعيشة ويضطرب به أمور المنزل ؛ ويدخل فى هذه الفائدة قصد الاستكثار بعشيرتها وما يحصل من القوة بسبب تداخل العشائر ، فإن ذلك مما يحتاج إليه فى دفع الشرور وطلب السلامة ولذلك قيل : ذل من لا ناصر له ، ومن وجد من يدفع عنه الشرور سلم حاله وفرغ قلبه للعبادة ، فإن الذل مشوش للقلب والعز بالكثرة دافع بالذل .

الفائدة الخامسة : مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الأهل والصبر على أخلاقهن واحتمال الأذى منهن والسعى فى إصلاحهن وإرشادهن إلى طريق الدين والاجتهاد فى كسب الحلال لأجلهن والقيام بتربيته لأولاده ، فكل هذه أعمال عظيمة الفضل ، فإنها رعاية وولاية ، والأهل والولد رعية ، وفضل الرعاية عظيم ، إنما يحترز منها من يحترز خيفة من القصور عن القيام بحقها ، وإلا فقد قال عليه الصلاة والسلام « يوم من وال عادل أفضل من عبادة سبعين سنة » ثم قال « ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته[3] » وليس من اشتغل

---

(١) حديث « ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ولسانا ذاكراً وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته » أخرجه الترمذى وحسنه ، وابن ماجه واللفظ له من حديث ، وفيه انقطاع . (٢) حديث « فضلت على آدم صلى الله عليه وسلم بخصلتين : كانت زوجته عونا له على المعصية وأزواجى أعوان لى على الطاعة ، وكان شيطانه كافرا وشيطانى مسلم لا يأمر إلا بخير » رواه الخطيب فى التاريخ من حديث ابن عمر ، وفيه محمد بن وليد بن أبان بن الفلاسى قال ابن عدى كان يضع الحديث ، ولمسلم من حديث ابن مسعود « ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن » قالوا : وإياك يارسول الله ؟ قال « وأنا ، إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم ولا يأمرنى إلا بخير » . (٣) حديث « يوم من وال عادل أفضل من عبادة سبعين سنة » ثم قال « ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » رواه الطبرانى والبيهقى من حديث ابن عباس ، وقد تقدم بلفظ « ستين سنة » دون ما بعده فانه متفق عليه من حديث ابن عمر .

بإصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل بإصلاح نفسه فقط ، ولا من صبر على الأذى كمن رفه نفسه وأراحها ، فمقاساة الأهل والولد بمنزلة الجهاد فى سبيل الله ولذلك قال بشر : فضل على أحمد بن حنبل بثلاث : إحداها أنه يطلب الحلال لنفسه ولغيره ، وقد قال عليه الصلاة والسلام « ماأنفقه الرجل على أهله فهو صدقة ، وإن الرجل ليؤجر فى اللقمة يرفعها إلى فى امرأته[1] » وقال بعضهم لبعض العلماء : من كل عمل أعطانى الله نصيباً حتى ذكر الحج والجهاد وغيرهما فقال له : أين أنت من عمل الأبدان ؟ قال : وما هو ؟ قال كسب الحلال ، والنفقة على العيال . وقال ابن المبارك وهو مع إخوانه فى الغزو : تعلمون عملا أفضل مما نحن فيه ؟ قالوا : مانعلم ذلك. قال : أنا أعلم . قالوا: فما هو؟ قال رجل متعفف ذو عائلة قام من الليل فنظر إلى صبيانه نياما متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه ، فعمله أفضل مما نحن فيه . وقال صلى الله عليه وسلم من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معى فى الجنة كهاتين[2] » وفى حديث آخر « إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال[3] » وفى الحديث « إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم العيال ليكفرها عنه[4] » وقال بعض السلف : من الذنوب ذنوب لايكفرها إلا الغم بالعيال ، وفيه أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهم بطلب المعيشة[5] » وقال صلى الله عليه وسلم « من كان له ثلاث بنات فأنفق عليهن وأحسن إليهن حتى يغنيهن الله عنه أوجب الله له الجنة ألبتة ، إلا أن يعمل عملا لايغفر له[6] » وكان ابن عباس إذا حدث بهذا قال . والله هو من غرائب الحديث وغرره . وروى أن بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته إلى أن ماتت . فعرض عليه التزويج فامتنع وقال : الوحدة أروح لقلبى وأجمع لهمى ، ثم قال : رأيت فى المنام بعد جمعة من وفاتها كأن أبواب السماء فتحت وكأن رجالا ينزلون ويسيرون فى الهواء يتبع بعضهم بعضا ، فكلما نزل واحد نظر إلى وقال لمن وراءه : هذا هو المشئوم ، فيقول الآخر نعم ، ويقول الثالث كذلك ، ويقول الرابع نعم ، فخفت أن أسألهم هيبة من ذلك إلى أن مر بى آخرهم وكان غلاما، فقلت له : ياهذا من هذا المشئوم الذى تومئون إليه؟ فقال : أنت . فقلت: ولم ذاك ؟ قال : كنا نرفع عملك فى أعمال المجاهدين فى سبيل الله ، فمنذ جمعة أمرنا أن نضع عملك مع الخالفين ، فما ندرى ماأحدثت ؟ فقال لإخوانه : زوجونى زوجونى فلم يكن تفارقه زوجتان أو ثلاث . وفى أخبار الأنبياء عليهم السلام أن قوما دخلوا على يونس النبى عليه السلام فأضافهم ، فكان يدخل ويخرج إلى منزله فتؤذيه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت ، فتعجبوا من ذلك فقال : لاتعجبوا فإنى سألت الله تعالى وقلت : ما أنت معاقب لى به فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا ، فقال : إن عقوبتك بنت فلان ، تتزوج بها ، فتزوجت بها وأنا صابر على ماترون منها ، وفى الصبر على ذلك رياضة النفس وكسر الغضب

---

(١) حديث « ماأنفق الرجل على أهله فهو صدقة وان الرجل ليؤجر فى رفع اللقمة الى فى امرأته » متفق عليه من حديث ابن مسعود « إذا أنفق الرجل على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة » ولهما من حديث سعد بن أبى وقاص « ومهما أنفقت فهو لك صدقة حتى اللقمة ترفعها الى فى امرأتك » . (٢) حديث « من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معى فى الجنة كهاتين » أخرجه أبو يعلى من حديث أبى سعيد الخدرى بسند ضعيف . (٣) حديث « ان الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال » أخرجه ابن ماجه من حديث عمران بن حصين بسند ضعيف . (٤) حديث « اذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم العيال ليكفرها » رواه أحمد عن حديث عائشة الا أنه قال « بالحزن » وفيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه . (٥) حديث « من الذنوب ذنوب لايكفرها الا الهم بطلب المعيشة » أخرجه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الحلية والخطيب فى التلخيص المتشابه من حديث أبى هريرة بإسناد ضعيف . (٦) حديث « من كان له ثلاث بنات فأنفق عليهن وأحسن اليهن حتى يغنيهن الله عنه أوجب الله له الجنة ألبتة الا أن يعمل عملا لايغفر له » رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث ابن عباس بسند ضعيف ، وهو عنده بلفظ آخر . ولأبى داود واللفظ له والترمذى من حديث أبى سعيد « من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن اليهن فله الجنة » ورجاله ثقات ، وفى سنده اختلاف .

وتحسين الخلق ؛ فإن المنفرد بنفسه أو المشارك لمن حسن خلقه لاتترشح منه خبائث النفس الباطنة ولا تنكشف بواطن عيوبه ، فحق على سالك طريق الآخرة أن يجرب نفسه بالتعرض لأمثال هذه المحركات واعتياد الصبر عليها ، لتعتدل أخلاقه وترتاض نفسه ويصفو عن الصفات الذميمة باطنه والصبر على العيال مع أنه رياضة ومجاهدة تكفل لهم وقيام بهم وعبادة فى نفسها ، فهذه أيضاً من الفوائد ، ولكنه لاينتفع بها إلا أحد رجلين : إما رجل قصد المجاهدة والرياضة وتهذيب الأخلاق لكونه فى بداية الطريق ، فلا يبعد أن يرى هذا طريقا فى المجاهدة وترتاض به نفسه . وإما رجل من العابدين ليس له سير بالباطن وحركة بالفكر والقلب ، وإنما عمله عمل الجوارح بصلاة أو حج أو غيره ، فعمله لأهله وأولاده بكسب الحلال لهم والقيام بتربيتهم أفضل له من العبادات اللازمة لبدنه التى لايتعدى خيرها إلى غيره ، فأما الرجل المهذب الأخلاق إما بكفاية فى أصل الخلقة أو بمجاهدة سابقة إذا كان له سير فى الباطن وحركة بفكر القلب فى العلوم والمكاشفات ، فلا ينبغى أن يتزوج لهذا الغرض ، فإن الرياضة هو مكفى فيها . وأما العبادة فى العمل بالكسب لهم فالعلم أفضل من ذلك ، لأنه أيضاً عمل ، وفائدته أكثر من ذلك وأعم وأشمل لسائر الخلق من فائدة الكسب على العيال ، فهذه فوائد النكاح فى الدين التى بها يحكم له بالفضيلة .

أما آفات النكاح فثلاث : (الأولى) وهى أقواها العجز عن طلب الحلال فإن ذلك لايتيسر لكل أحد ، لاسيما فى هذه الأوقات مع اضطراب المعايش فيكون النكاح سببا فى التوسع للطلب والإطعام من الحرام ، وفيه هلاكه وهلاك أهله والمتعزب فى أمن من ذلك ، وأما المتزوج ففى الأكثر يدخل فى مداخل السوء فيتبع هوى زوجته ويبيع آخرته بدنياه . وفى الخبر « إن العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال فيسأل عن رعاية عائلته والقيام بهم ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، حتى يستغرق بتلك المطالبات كل أعماله ، فلا تبقى له حسنة ، فتنادى الملائكة : هذا الذى أكل عياله حسناته فى الدنيا وارتهن اليوم بأعماله[1] » ويقال : إن أول مايتعلق بالرجل فى القيامة أهله وولده فيوقفونه بين يدى الله تعالى ويقولون : ياربنا خذ لنا بحقنا منه فإنه ماعلمنا مانجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم ، فيقتص لهم منه . وقال بعض السلف : إذا أراد الله بعبد شرا سلط عليه فى الدنيا أنيابا تنهشه يعنى العيال . وقال عليه الصلاة والسلام « لايلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله[2] » فهذه آفة عامة قل من يتخلص منها إلا من له مال موروث أو مكتسب من حلال يفى به وبأهله وكان له من القناعة ما يمنعه من الزيادة ، فإن ذلك يتخلص من هذه الآفة ، أو من هو محترف ومقتد على كسب حلال من المباحات باحتطاب أو اصطياد ، أو كان فى صناعة لا تتعلق بالسلاطين ويقدر على أن يعامل به أهل الخير ، ومن ظاهره السلامة وغالب ماله الحلال وقال ابن سالم رحمه الله ـ وقد سئل عن التزويج ـ فقال : هو أفضل فى زماننا هذا لمن أدركه شبق غالب ، مثل الحماريرى الأتان فلا ينتهى عنها بالضرب ولا يملك نفسه ، فإن ملك نفسه فتركه أولى .

الآفة الثانية : القصور عن القيام بحقهن والصبر على أخلاقهن واحتمال الأذى منهن وهذه دون الأولى فى العموم فإن القدرة على هذا أيسر من القدرة على الأولى ، وتحسين الخلق مع النساء والقيام بحظوظهن أهون من طلب الحلال وفى هذا أيضا خطر ، لأنه راع ومسئول عن رعيته . وقال عليه الصلاة والسلام « كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول[3] »

(١) حديث « ان العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال ويسأل عن رعاية عياله والقيام بهن ... الحديث » لم أقف له على أصل . (٢) حديث « لايلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله » ذكره صاحب الفردوس من حديث أبى سعيد ، ولم يجده ولده أبو منصور فى مسنده . (٣) حديث « كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول » رواه أبو داود والنسائى بلفظ « من يقوت » وهو عند مسلم بلفظ آخر .

وروى أن الهارب من عياله بمنزلة العبد الهارب الآبق لا تقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع إليهم ، ومن يقصر عن القيام بحقهن وإن كان حاضرا فهو بمنزلة هارب ، فقد قال تعالى ﴿ قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ﴾ أمرنا أن نقيهم النار كما نقى أنفسنا ، والإنسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه ، وإذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضافت إلى نفسه نفس أخرى والنفس أمارة بالسوء ، إن كثرت عليها الحقوق كثر الأمر بالسوء غالبا ، ولذلك اعتذر بعضهم من التزويج وقال : أنا مبتلى بنفسى وكيف أضيف إليها نفسا أخرى ؟ كما قيل :

لن يسع الفأرة جحرها علقت المكنس فى دبرها

وكذلك اعتذر إبراهيم بن أدهم رحمه الله وقال : لا أغر امرأة بنفسى ولا حاجة لى فيهن : أى من القيام بحقهن وتحصينهن وإمتاعهن وأنا عاجز عنه ، وكذلك اعتذر بشر وقال : يمنعنى من النكاح قوله تعالى ﴿ ولهن مثل الذى عليهن ﴾ وكان يقول : لو كنت أعول دجاجة لخفت أن أصير جلادا على الجسر . وروى سفيان ابن عيينة رحمه الله على باب السلطان فقيل له : ما هذا موقفك ! فقال : وهل رأيت ذا عيال أفلح ؟ وكان سفيان يقول :

ياحبذا العزبة والمفتاح * ومسكن تخرقه الرياح * لاصخب فيه ولا صياح

فهذه آفة عامة أيضا وإن كانت دون عموم الأولى ، لايسلم منها إلا حكيم عاقل ، حسن الأخلاق ، بصير بعادات النساء ، صبور على لسانهن ، وقاف عن اتباع شهواتهن ، حريص على الوفاء بحقهن يتغافل عن زللهن ، ويدارى بعقله أخلاقهن ، والأغلب على الناس السفه والفظاظة والحدة والطيش وسوء الخلق وعدم الإنصاف مع طلب تمام الإنصاف ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادا من هذا الوجه لا محالة ، فالوحدة أسلم له .

الآفة الثالثة ـ وهى دون الأولى والثانية ـ : أن يكون الأهل والولد شاغلا له عن الله تعالى وجاذبا له إلى طلب الدنيا وحسن تدبير المعيشة للأولاد بكثرة جمع المال وادخاره لهم وطلب التفاخر والتكاثر بهم وكل ما شغل عن الله من أهل ومال وولد فهو مشئوم على صاحبه ، ولست أعنى بهذا أن يدعو إلى محظور ، فإن ذلك مما اندرج تحت الآفة الأولى والثانية ، بل أن يدعوه إلى التنعم بالمباح بل إلى الإغراق فى ملاعبة النساء ومؤانستهن والإمعان فى التمتع بهن ، ويثور من النكاح أنواع من الشواغل من هذا الجنس تستغرق القلب ، فينقضى الليل والنهار ولا يتفرغ المرء فيهما للتفكر فى الآخرة والاستعداد لها ، ولذلك قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله : من تعود أفخاذ النساء لم يجئ منه شىء . وقال أبو سليمان رحمه الله . من تزوج فقد ركن إلى الدنيا : أى يدعوه ذلك إلى الركون إلى الدنيا ، فهذه مجامع الآفات والفوائد ، فالحكم على شخص واحد بأن الأفضل له النكاح أو العزوبة مطلقا قصور عن الإحاطة بمجامع هذه الأمور بل تتخذ هذه الفوائد والآفات معتبرا ومحكا ويعرض المريد عليه نفسه ، فإن انتفت فى حقه الآفات واجتمعت الفوائد بأن كان له مال حلال وخلق حسن وجد فى الدين تام لايشغله النكاح عن الله ، وهو مع ذلك شاب محتاج إلى تسكين الشهوة ومنفرد يحتاج إلى تدبير المنزل والتحصن بالعشيرة ، فلا يمارى فى أن النكاح أفضل له مع مافيه من السعى فى تحصيل الولد ، فإن انتفت الفوائد واجتمعت الآفات فالعزوبة أفضل له . وإن تقابل الأمران وهو الغالب فينبغى أن يوزن بالميزان القسط حظ تلك الفائدة فى الزيادة من دينه وحظ تلك الآفات فى النقصان منه ، فإذا غلب على الظن رجحان أحدهما حكم به ، وأظهر الفوائد الولد وتسكين الشهوة ، وأظهر الآفات الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله ، فلنفرض تقابل هذه الأمور فنقول : من لم يكن فى أذية من الشهوة وكانت فائدة نكاحه فى السعى لتحصيل

الولد وكانت الآفة الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله فالعزوبة له أولى ، فلا خير فيما يشغل عن الله ، ولا خير فى كسب الحرام ، ولا يفى بنقصان هذين الأمرين أمر الولد ، فإن النكاح للولد سعى فى طلب حياة للولد موهومة ، وهذا نقصان فى الدين ناجز ، لحفظه لحياة نفسه وصونها عن الهلاك أهم من السعى فى الولد وذلك ربح والدين رأس مال . وفى فساد الدين بطلان الحياة الأخروية وذهاب رأس المال ، ولا تقاوم هذه الفائدة إحدى هاتين الآفتين . وأما إذا انضاف إلى أمر الولد حاجة كسر الشهوة لتوقان النفس إلى النكاح نظر : فإن لم يقو لجام التقوى فى رأسه وخاف على نفسه الزنا فالنكاح له أولى ، لأنه متردد بين أن يقتحم الزنا أو يأكل الحرام ، والكسب الحرام أهون الشرين ، وإن كان يثق بنفسه أنه لا يزنى ولكن لا يقدر مع ذلك على غض البصر عن الحرام فترك النكاح أولى ، لأن النظر حرام والكسب من غير وجهه حرام ، والكسب يقع دائما وفيه عصيانه وعصيان أهله ، والنظر يقع أحيانا وهو يخصه وينصرم على قرب ، والنظر زنا العين ولكن إذا لم يصدقه الفرج فهو إلى العفو أقرب من أكل الحرام ، إلا أن يخاف إفضاء النظر إلى معصية الفرج فيرجع ذلك إلى خوف العنت ؛ وإذا ثبت هذا فالحالة الثالثة : وهو أن يقوى على غض البصر ولكن لا يقوى على دفع الأفكار الشاغلة للقلب فذلك أولى بترك النكاح ، لأن عمل القلب إلى العفو أقرب ، إنما يراد فراغ القلب للعبادة ولا تتم عبادة مع الكسب الحرام وأكله وإطعامه ، فهكذا ينبغى أن توزن هذه الآفات بالفوائد ويحكم بحسبها ، ومن أحاط بهذا لم يشكل عليه شىء مما نقلنا عن السلف من ترغيب فى النكاح مرة ورغبة عنه أخرى ، إذ ذلك بحسب الأحوال صحيح .

* فإن قلت : فمن أمن الآفات فما الأفضل له . التخلى لعبادة الله ، أو النكاح ؟ * فأقول : يجمع بينهما ، لأن النكاح ليس مانعا من التخلى لعبادة الله من حيث إنه عقد ، ولكن من حيث الحاجة إلى الكسب ، فإن قدر على الكسب الحلال فالنكاح أيضا أفضل ، لأن الليل وسائر أوقات النهار يمكن التخلى فيه للعبادة ، والمواظبة على العبادة من غير استراحة غير ممكن ، فإن فرض كونه مستغرقا بالكسب حتى لا يبقى له وقت سوى أوقات المكتوبة والنوم والأكل وقضاء الحاجة ، فإن كان الرجل ممن لا يسلك سبيل الآخرة إلا بالصلاة النافلة أو الحج وما يجرى مجراه من الأعمال البدنية فالنكاح له أفضل ، لأن فى كسب الحلال والقيام بالأهل والسعى فى تحصيل الولد والصبر على أخلاق النساء أنواعا من العبادات لا يقصر فضلها عن نوافل العبادات وإن كان عبادته بالعلم والفكر وسير الباطن ، والكسب يشوش عليه ذلك ، فترك النكاح أفضل .

* فإن قلت : فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله ؟ وإن كان الأفضل التخلى لعبادة الله فلم استكثر رسولنا صلى الله عليه وسلم من الأزواج ؟ فاعلم أن الأفضل الجمع بينهما فى حق من قدر ومن قويت منته وعلت همته فلا يشغله عن الله شاغل ، ورسولنا عليه السلام أخذ بالقوة ، وجمع بين فضل العبادة والنكاح ، ولقد كان مع تسع من النسوة [1] متخليا لعبادة الله ، وكان قضاء الوطر بالنكاح فى حقه غير مانع ، كما لا يكون قضاء الحاجة فى حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم عن التدبير ، حتى يشتغلون فى الظاهر بقضاء الحاجة وقلوبهم مشغوفة بهمهم غير غافلة عن مهماتهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلو درجته لا يمنعه أمر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى ، فكان ينزل عليه الوحى وهو فى فراش امرأته [2] ، ومتى سلم مثل هذا المنصب لغيره فلا يبعد أن يغير السواقى

(١) حديث « جمعه صلى الله عليه وسلم بين تسع نسوة » أخرجه البخارى من حديث أنس ، وله من حديثه أيضا « وهن احدى عشرة » . (٢) حديث « كان ينزل عليه الوحى وهو فى فراش امرأته » أخرجه البخارى من حديث أنس « يا أم سلمة لا تؤذينى فى عائشة فانه والله ما نزل على الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها » .

مالا يغير البحر الخضم ، فلاينبغى أن يقاس عليه غيره . وأماعيسى صلى الله عليه وسلم فإنه أخذ بالحزم لابالقوة ، واحتاط لنفسه ، ولعل حالته كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال بالأهل ، أويتعذر معها طلب الحلال ، أو لايتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلى للعبادة فآثر التخلى للعبادة ، وهم أعلم بأسرار أحوالهم وأحكام أعصارهم فى طيب المكاسب وأخلاق النساء ، وما على الناكح من غوائل النكاح وماله فيه ، ومهما كانت الأحوال منقسمة حتى يكون النكاح فى بعضها أفضل وتركه فى بعضها أفضل ؛ لحقنا أن ننزل أفعال الأنبياء على الأفضل فى كل حال والله أعلم .

الباب الثانى : فيما يراعى حالة العقد من أحوال المرأة وشروط العقد

أماالعقد فأركانه وشروطه لينعقد ويفيد الحل أربعة : (الأول) إذن الولى ؛ فإن لم يكن فالسلطان (الثانى) رضا المرأة إن كانت ثيبا بالغا أو كانت بكرا بالغا ، ولكن يزوجها غير الأب والجد (الثالث) حضور شاهدين ظاهرى العدالة ، فإن كانامستورين حكمنا بالانعقاد للحاجة (الرابع) إيجاب وقبول متصل به بلفظ الإنكاح أوالتزويج أومعناهما الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة ، سواء كان هو الزوج أو الولى أو وكيلهما .

وأما آدابه . فتقديم الخطبة مع الولى لافى حال عدة المرأة ، بل بعد انقضائها إن كانت معتدة ، ولافى حال سبق غيره بالخطبة ، إذنهى عن الخطبة على الخطبة [1] . ومن آدابه . الخطبة قبل النكاح ، ومزج التحميد بالإيجاب والقبول فيقول المزوج : الحمدلله والصلاة على رسول الله زوجتك ابنتى فلانة . ويقول الزوج : الحمدلله والصلاة على رسول الله قبلت نكاحها على هذا الصداق . وليكن الصداق معلوما خفيفا ، والتحميد قبل الخطبة أيضا مستحب . ومن آدابه . أن يلقى أمر الزوج إلى سمع الزوجة وإن كانت بكرا فذلك أحرى وأولى بالألفة ؛ ولذلك يستحب النظر إليها قبل النكاح فإنه أحرى أن يؤدم بينهما . ومن الآداب : إحضار جمع من أهل الصلاح زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنان للصحة ، ومنها : أن ينوى بالنكاح إقامة السنة وغض البصر وطلب الولد وسائر الفوائد التى ذكرناها ، ولا يكون قصده مجرد الهوى والتمتع , فيصير عمله من أعمال الدنيا ، ولا يمنع ذلك هذه النيات ، فرب حق يوافق الهوى . قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : إذا وافق الحق الهوى فهو الزبد بالنرسيان ، ولا يستحيل أن يكون كل واحدمن حظ النفس وحق الدين باعثا معا ، ويستحب أن يعقد فى المسجد وفى شهر شوال . قالت عائشة رضى الله عنها : تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شوال ، وبنى بى فى شوال [2] .

وأما المنكوحة فيعتبر فيها نوعان : أحدهما للحل . والثانى لطيب المعيشة وحصول المقاصد :

النوع الأول مايعتبر فيها للحل : وهو أن تكون خلية عن موانع النكاح والموانع تسعة عشر : (الأول) أن تكون منكوحة للغير (الثانى) أن تكون معتدة للغير سواء كانت عدة وفاة أوطلاق أووطء شبهة أوكانت فى استبراء وطء عن ملك يمين (الثالث) أن تكون مرتدة عن الدين لجريان كلمة على لسانها من كلمات الكفر (الرابع) أن تكون مجوسية (الخامس) أن تكون وثنية أو زنديقة لاتنسب إلى نبى وكتاب ومنهن المعتقدات لمذهب الإباحة فلا يحل نكاحهن وكذلك كل معتقدة مذهبا فاسدا يحكم بكفر معتقده (السادس) أن تكون كتابية قددانت بدينهم بعدالتبديل أو بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فليست من نسب بنى إسرائيل ، فإذا عدمت كلتا الخصلتين

الباب الثانى : فيما يراعى حالة العقد

(١) حديث النهى عن الخطبة على الخطبة : متفق عليه من حديث ابن عمر ، ولايخطب على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله ويأذن له . (٢) حديث عائشة : تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شوال وبنى أبى فى شوال . رواه مسلم .

لم يحل نكاحها ، وإن عدمت النسب فقط ففيه خلاف (السابع) أن تكون رقيقة و الناكح حرّا قادرا على طول الحرّة أوغير خائف من العنت ، (الثامن) أن تكون كلها أو بعضها مملوكا للناكح ملك يمين (التاسع) أن تكون قريبة للزوج بأن تكون من أصوله أوفصوله ، أوفصول أوّل أصوله ، أومن أوّل فصل من كل أصل بعده أصل ، وأعنى بالأصول : الأمهات والجدّات ، وبفصوله : الأولادوالأحفاد ، وبفصول أول أصوله : الإخوة وأولادهم ، وبأوّل فصل من كل أصل بعده أصل : العمات والخالات دون أولادهن (العاشر) أن تكون محرّمة بالرضاع ويحرم من الرضاع مايحرم من النسب من الأصول والفصول كما سبق ، ولكن المحرّم خمس رضعات وما دون ذلك لايحرم (الحادى عشر) المحرم بالمصاهرة : وهو أن يكون الناكح قد نكح ابنتها أو جدتها أو ملك بعقد أو شبهة عقد من قبل ، أو وطئهن بالشبهة فى عقد أو وطئ أمها أو إحدى جداتها بعقد أو شبهة عقد ؛ فمجرد العقد على المرأة يحرم أمهاتها ، ولا يحرم فروعها إلا بالوطء ، أو يكون قد نكحها أبوه أو ابنه قبل (الثانى عشر) أن تكون المنكوحة خامسة أى يكون تحت الناكح أربع سواها إما فى نفس النكاح أو فى عدة الرجعة ، فإن كانت فى عدة بينونة لم تمنع الخامسة . (الثالث عشر) أن يكون تحت الناكح أختها أو عمتها أو خالتها ، فيكون بالنكاح جامعا بينهما ، وكل شخصين بينهما قرابة لوكان أحدهما ذكرا والآخرة أنثى لم يجز بينهما النكاح ، فلايجوز أن يجمع بينهما (الرابع عشر) أن يكون هذا الناكح قد طلقها ثلاثا فهى لا تحل له مالم يطأها زوج غيره فى نكاح صحيح (الخامس عشر) أن يكون الناكح قد لاعنها فإنها تحرم عليه أبدا بعداللعان (السادس عشر) أن تكون محرمة بحج أو عمرة أوكان الزوج كذلك فلا ينعقد النكاح إلا بعد تمام التحلل (السابع عشر) أن تكون ثيبا صغيرة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ . (الثامن عشر) أن تكون يتيمة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ (التاسع عشر) أن تكون من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن توفى عنها أودخل بها فإنهنّ أمهات المؤمنين وذلك لايوجد فى زماننا ؛ فهذه هى الموانع المحرّمة .

أما الخصال المطيبة للعيش التى لابد من مراعاتها فى المرأة ليدوم العقد وتتوفر مقاصده ثمانية : الدين ، والخلق ، والحسن ، وخفة المهر ، والولادة ، والبكارة ، والنسب ، وأن لاتكون قرابة قريبة (الأولى) أن تكون صالحة ذات دين ، فهذا هو الأصل وبه ينبغى أن يقع الاعتناء ، فإنها إن كانت ضعيفة الدين فى صيانة نفسهاوفرجها أزرت بزوجها وسوّدت بين الناس وجهه وشوّشت بالغيرة قلبه وتنغص بذلك عيشه ، فإن سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل فى بلاء ومحنة ؛ وإن سلك سبيل التساهل كان متهاونا بدينه وعرضه ومنسوبا إلى قلة الحمية والأنفة ، وإذا كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها أشدّ ، إذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها ، ويكون كالذى جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يارسول الله إنّ لى امرأة لاترد يد لامس . قال : طلقها ، فقال : إنى أحبها . قال : أمسكها[1] وإنما أمره بإمساكها خوفا عليه بأنه إذا طلقها أتبعها نفسه وفسد هو أيضا معها ؛ فرأى مافى دوام نكاحه من دفع الفساد عنه من ضيق قلبه أولى ، وإن كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله أوبوجه آخر لم يزل العيش مشوّشا معه . فإن سكت ولم ينكره كان شريكا فى المعصية مخالفا لقوله تعالى ﴿قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾ وإن أنكر وخاصم تنغص العمر ، ولهذا بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التحريض على ذات الدين فقال « تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها

(١) حديث « جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ان لى امرأة لاترد يد لامس ، قال : طلقها . . الحديث » رواه أبو داود والنسائى من حديث ابن عباس ؛ قال النسائى : ليس بثابت ، والمرسل أولى بالصواب . وقال أحمد : حديث منكر ، وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات .

ودينها فعليك بذات الدين تربت يداك [١] ، وفى حديث آخر « من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم جمالها ومالها ، ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « لاتنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يرديها ، ولا لمالها فلعل مالها يطغيها ، وانكح المرأة لدينها [٣] » . وإنما بالغ فى الحث على الدين لأن مثل هذه المرأة تكون عونا على الدين ؛ فأما إذا لم تكن متدينة كانت شاغلة عن الدين ومشوشة له . (الثانية) حسن الخلق ، وذلك أصل مهم فى طلب الفراغة والاستعانة على الدين : فإنها إذا كانت سليطة بذية اللسان سيئة الخلق كافرة للنعم ، كان الضرر منها أكثر من النفع ، والصبر على لسان النساء مما يمتحن به الأولياء . قال بعض العرب . لاتنكحوا من النساء ستة : لا أنانة . ولا منانة ، ولا حنانة ؛ ولا تنكحوا حذاقة : ولا براقة ، ولا شدّاقة . أما الأنانة فهى التى تكثر الأنين والتشكى وتعصب رأسها كل ساعة ؛ فنكاح الممراضة أو نكاح المتمارضة لاخير فيه ، والمنانة : التى تمن على زوجها فتقول : فعلت لأجلك كذا وكذا ، والحنانة : التى تحن إلى زوج آخر أوولدها من زوج آخر ، وهذا أيضا مما يجب اجتنابه ، والحذاقة : التى ترمى إلى كل شىء بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج شراءه ، والبراقة تحتمل معنيين : أحدهما أن تكون طول النهار فى تصقيل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق محصل بالصنع ، والثانى أن تغضب على الطعام فلا تأكل إلا وحدها وتستقل نصيبها من كل شىء ، وهذه لغة يمانية يقولون : برقت المرأة وبرق الصبى الطعام إذا غضب عنده ، والشداقة : المتشدقة الكثيرة الكلام ، ومنه قوله عليه السلام « إن الله تعالى يبغض الثرثارين المتشدقين [٤] » وحكى أن السائح الأزدى لقى إلياس عليه السلام فى سياحته فأمره بالتزوج ونهاه عن التبتل ، ثم قال لاتنكح أربعا : المختلعة ، والمبارية ، والعاهرة ، والناشز ، فأما المختلعة : فهى التى تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب ، والمبارية : المباهية بغيرها المفاخرة بأسباب الدنيا ، والعاهرة : الفاسقة التى تعرف بخليل وخدن وهى التى قال الله تعالى ﴿ ولا متخذات أخدان ﴾ والناشز التى تعلو على زوجها بالفعال والمقال . والنشز : العالى من الأرض ، وكان على رضى الله عنه يقول : شر خصال الرجال خير خصال النساء . البخل ، والزهو والجبن ؛ فإن المرأة إذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها ، وإذا كانت مزهوة استنكفت أن تكلم كل أحد بكلام لين مريب وإذا كانت جبانة فرقت من كل شىء فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهمة خيفة من زوجها ؛ فهذه الحكايات ترشد إلى مجامع الأخلاق المطلوبة فى النكاح . (الثالثة) حسن الوجه ؛ فذلك أيضا مطلوب ، إذ به يحصل التحصن والطبع لايكتفى بالدميمة غالبا ، كيف والغالب أن حسن الخلق والخلق لا يفترقان . وما نقلناه من الحث على الدين وأن المرأة لاتنكح لجمالها ليس زاجر عن رعاية الجمال ، بل هو زجر عن النكاح لأجل الجمال المحض مع الفساد فى الدين ؛ فإن الجمال وحده فى غالب الأمر يرغب فى النكاح ويهون أمر الدين ويدل على الالتفات إلى معنى الجمال أن الألفة والمودة تحصل به غالبا وقد ندب الشرع إلى مراعاة أسباب الألفة ولذلك استحب النظر فقال « إذا أوقع الله فى نفس

---

(١) حديث « تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها ، فعليك بذات الدين » متفق عليه من حديث أبى هريرة .

(٢) حديث « من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها . . الحديث » رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس « من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله الا ذلا ، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله الا فقرا ، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله الا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يرد بها الا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه » ورواه ابن حبان فى الضعفاء . (٣) حديث « لاتنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يرديها » أخرجه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف . (٤) حديث « إن الله يبغض الثرثارين المتشدقين » رواه الترمذى وحسنه من حديث جابر « وإن أبغضكم الى وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون والمتفيهقون » ولأبى داود والترمذى وحسنه من حديث عبد الله بن عمرو « ان الله يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها » .

أحدكم من امرأة فلينظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما[1] » أى يؤلف بينهما ، من وقوع الأدمة على الأدمة : وهى الجلدة الباطنة . والبشرة ، الجلدة الظاهرة. وإنما ذكر ذلك للمبالغة فى الائتلاف . وقال عليه الصلاة والسلام « إن فى أعين الأنصار شيئا فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر إليهن [2] » قيل كان فى أعينهن عمش . وقيل : صغر ، وكان بعض الورعين لاينكحون كرائمهم إلا بعد النظر احترازا من الغرور . قال الأعمش . كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم . ومعلوم أن النظر لا يعرف الخلق والدين والمال ، وإنما يعرف الجمال من القبح . وروى أن رجلا تزوج على عهد عمر رضى الله عنه وكان قد خضب فنصل خضابه ، فاستعدى عليه أهل المرأة إلى عمر وقالوا : حسبناه شابا : فأوجعه عمر ضربا وقال : غررت القوم : وروى أن بلالا وصهيبا أتيا أهل بيت من العرب فخطبا إليهم فقيل لهما ، من أنتما فقال بلال : أنا بلال وهذا أخى صهيب ، كنا ضالين فهدانا الله وكنا مملوكين فأعتقنا الله ، وكنا عائلين فأغنانا الله ؛ فإن تزوجونا فالحمد لله ، وإن تردونا فسبحان الله ، فقالوا بل تزوجان والحمد لله . فقال صهيب : لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اسكت فقد صدقت فأنكحك الصدق . والغرور يقع فى الجمال والخلق جميعا فيستحب إزالة الغرور فى الجمال بالنظر ، وفى الخلق بالوصف والاستيصاف فينبغى أن يقدم ذلك على النكاح ، ولا يستوصف فى أخلاقها وجمالها إلا من هو بصير صادق خبير بالظاهر والباطن ولا يميل إليها فيفرط فى الثناء ، ولا يحسدها فيقصر ، فالطباع مائلة فى مبادى النكاح ووصف المنكوحات إلى الإفراط والتفريط ، وقل من يصدق فيه ويقتصد ، بل الخداع والإغراء أغلب ، والاحتياط فيه مهم لمن يخشى على نفسه التشوف إلى غير زوجته . فأما من أراد من الزوجة مجرد السنة أو الولد أو تدبير المنزل ، فلو رغب عن الجمال فهو إلى الزهد أقرب لأنه على الجملة باب من الدنيا وإن كان قد يعين على الدين فى حق بعض الأشخاص . قال أبو سليمان الدارانى : الزهد فى كل شىء حتى فى المرأة يتزوج الرجل العجوز إيثاراً للزهد فى الدنيا . وقد كان مالك بن دينار رحمه الله يقول . يترك أحدكم أن يتزوج يتيمة فيؤجر فيها إن أطعمها وكساها تكون خفيفة المؤنة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان يعنى أبناء الدنيا فتشتهى عليه الشهوات وتقول اكسنى كذا وكذا ! واختار أحمد بن حنبل عوراء على أختها وكانت أختها جميلة ، فسأل : من أعقلهما ؟ فقيل : العوراء ، فقال : زوجونى إياها ، فهذا دأب من لم يقصد التمتع ، فأما من لا يأمن على دينه مالم يكن له مستمتع فليطلب الجمال ، فالتلذذ بالمباح حصن للدين . وقد قيل : إذا كانت المرأة حسناء خيرة الأخلاق سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهى على صورة الحور العين ؛ فإن الله تعالى وصف نساء أهل الجنة بهذه الصفة فى قوله ﴿ خيرات حسان ﴾ أراد بالخيرات حسنات الأخلاق ، وفى قوله ﴿قاصرات الطرف﴾ وفى قوله ﴿عرباً أتراباً﴾ العروب : هى العاشقة لزوجها المشتهية للوقاع وبه تتم اللذة والحور : البياض والحوراء : شديدة بياض العين شديدة سوادها فى سواد الشعر والعيناء الواسعة العين . وقال عليه الصلاة والسلام « خير نسائكم من إذا نظر إليها زوجها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته فى نفسها وماله [3] » وإنما يسر بالنظر إليها إذا كانت محبة للزوج (الرابعة) أن تكون خفيفة المهر .

---

(١) حديث « إذا أوقع الله فى نفس أحدكم من امرأة فلينظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما » أخرجه ابن ماجه بسند ضعيف من حديث أحمد بن مسلمة دون قوله « فإنه أحرى » وللترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه من حديث المغيرة بن شعبة : أنه خطب امرأة فقال النبى صلى الله عليه وسلم « انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » (٢) حديث « إن فى أعين الأنصار شيئا فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر إليهن » رواه مسلم من حديث أبى هريرة نحوه . (٣) حديث « خير نسائكم التى إذا نظر إليها زوجها سرته ، وإن أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » أخرج النسائى من حديث أبى هريرة نحوه بسند صحيح وقال « ولا تخالفه فى نفسها ولا مالها » وعند أحمد « فى نفسها وماله » ولأبى داود نحوه من حديث ابن عباس بسند صحيح .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا [١] ، وقد نهى عن المغالاة فى المهر [٢] تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحى يد وجرة ووسادة من أدم حشوها ليف [٣] وعلى ، وأولم على بعض نسائه بمدين من شعير [٤] وعلى أخرى بمدين من تمر ومدين من سويق [٥] ، وكان عمر رضى الله عنه ينهى عن المغالاة فى الصداق ويقول : ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم [٦] ، ولو كانت المغالاة بمهور النساء مكرمة لسبق إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد تزوج بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على نواة من ذهب قيمتها خمسة دراهم [٧] وزوج سعيد بن المسيب ابنته من أبى هريرة رضى الله عنه على درهمين ، ثم حملها هو إليه ليلا فأدخلها هو من الباب ثم انصرف ، ثم جاءها بعد سبعة أيام فسلم عليها ولو تزوج على عشرة دراهم للخروج من خلاف العلماء فلا بأس به . وفى الخبر « من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها » أى الولادة « ويسر مهرها [٨] » وقال أيضا « أبركهن أقلهن مهرا [٩] » وكما تكره المغالاة فى المهر من جهة المرأة فيكره السؤال عن مالها من جهة الرجل . ولا ينبغى أن ينكح طمعا فى المال . قال النورى : إذا تزوج وقال : أى شىء للمرأة ، فاعلم أنه لص ، وأذا أهدى إليهم فلا ينبغى أن يهدى ليضطرهم إلى المقابلة بأكثر منه ، وكذلك إذا أهدوا إليه فنية طلب الزيادة نية فاسدة ؛ فأما التهادى فمستحب وهو سبب المودة . قال عليه السلام « تهادوا تحابوا [١٠] » وأما طلب الزيادة فداخل فى قوله تعالى ﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾ أى تعطى لتطلب أكثر ، وتحت قوله تعالى (وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس) فإن الربا هو الزيادة ، وهذا طلب زيادة على الجملة ، وإن لم يكن فى الأموال الربوية فكل ذلك مكروه وبدعة فى النكاح يشبه التجارة والقمار ويفسد مقاصد النكاح . (الخامسة) أن تكون المرأة ولودا ؛ فإن عرفت بالعقر فليمتنع عن تزوجها . قال عليه السلام « عليكم

---

(١) حديث « خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا » أخرجه ابن حبان من حديث ابن عباس « خيرهن أيسرهن صداقا » وله من حديث عائشة « من يمن المرأة تسهيل أمرها وقلة صداقها » وروى أبو عمر التوقانى فى كتاب معاشرة الأهلين « إن أعظم النساء بركة أصبحهن وجوها وأقلهن مهرا » وصححه .

(٢) حديث « النهى عن المغالاة فى المهر » رواه أصحاب السنن الأربعة موقوفا على عمر وصححه الترمذى . (٣) حديث « تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحى يد وجرة ووسادة من أدم حشوها ليف » رواه أبو داود الطيالسى والبزار من حديث أنس : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة على متاع بيت قيمته عشرة دراهم . قال البزار : ورأيته فى موضع آخر تزوجها على متاع بيت ورحى قيمته أربعون درهما . ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى سعيد وكلاهما ضعيف . ولأحمد من حديث على لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة أدم حشوها ليف ورحيين وسقاء وجرتين » ورواه الحاكم وصحح إسناده ، وابن حبان مختصرا . (٤) حديث « أولم على بعض نسائه بمدين من شعير » أخرجه البخارى من حديث عائشة . (٥) حديث « وأولم على أخرى بمدى تمر ومدى سويق » رواه الأربعة من حديث أنس : أولم على صفية بسويق وتمر . ولمسلم : لجعل الرجل يجىء بفضل التمر وفضل السويق . وفى الصحيحين : التمر والأقط والسمن ، وليس فى شىء من الأصول تقييد التمر والسويق بمدين . (٦) حديث : كان عمر ينهى عن المغالاة ويقول : ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم . رواه الأربعة من حديث عمر . قال الترمذى : حسن صحيح .

(٧) حديث . تزوج بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم على وزن نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم . متفق عليه من حديث أنس أن عبد الرحمن بن عوف تزوج على ذلك وتقويمها بخمسة دراهم . رواه البيهقى . (٨) حديث « من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها » أى الولادة وتيسير مهرها . رواه أحمد والبيهقى من حديث عائشة « من يمن المرأة أن تتيسر خطبتها وأن يتيسر صداقها وأن يتيسر رحمها » قال عروة : يعنى الولادة ، وإسناده جيد . (٩) حديث « أبركهن أقلهن مهرا » رواه أبو عمر التوقانى فى معاشرة الأهلين من حديث عائشة « إن أعظم النساء بركة أصبحهن وجوها وأقلهن مهرا » وقد تقدم ، ولأحمد والبيهقى « إن أعظم النساء بركة أيسرهن صداقا » وإسناده جيد .

(١٠) حديث « تهادوا تحابوا » أخرجه البخارى فى كتاب الأدب المفرد ، والبيهقى من حديث أبى هريرة بسند جيد .

بالولود الودود [١] فإن لم يكن لها زوج ولم يعرف حالها فيراعى صحتها وشبابها ، فإنها تكون ولودا فى الغالب مع هذين الوصفين (السادسة) أن تكون بكراً قال عليه السلام لجابر : وقد نكح ثيبا « هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك [٢] » فى البكارة ثلاث فوائد ، إحداها : أن تحب الزوج وتألفه فيؤثر فى معنى الود ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « عليكم بالودود » والطباع مجبولة على الأنس بأول مألوف . وأما التى اختبرت الرجال ومارست الأحوال فربما لا ترضى بعض الأوصاف التى تخالف ما ألفته فتقلى الزوج : الثانية : أن ذلك أكمل فى مودته لها فإن الطبع ينفر عن التى مسها غير الزوج نفرة ما ، وذلك يثقل على الطبع مهما يذكر وبعض الطباع فى هذا أشد نفورا . الثالثة : أنها لا تحن إلى الزوج الأول وآكد الحب ما يقع مع الحبيب الأول غالبا . (السابعة) أن تكون نسيبة أعنى أن تكون من أهل بيت الدين والصلاح فإنها ستربى بناتها وبنيها ، فإذا لم تكن مؤدبة لم تحسن التأديب والتربية ، ولذلك قال عليه السلام « إياكم وخضراء الدمن » فقيل : ما خضراء الدمن : قال « المرأة الحسناء فى المنبت السوء [٣] » وقال عليه السلام تخيروا لنطفكم فإن العرق نزاع [٤] » الثامنة : أن لا تكون من القرابة القريبة ؛ فإن ذلك يقلل الشهوة : قال صلى الله عليه وسلم « لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاويا [٥] » أى نحيفا ، وذلك لتأثيره فى تضعيف الشهوة ، فإن الشهوة إنما تنبعث بقوة الإحساس بالنظر واللمس وإنما يقوى الإحساس بالأمر الغريب الجديد ، فأما المعهود الذى دام النظر إليه مدة فإنه يضعف الحس عن تمام إدراكه والتأثر به ولا تنبعث به الشهوة ، فهذه هى الخصال المرغبة فى النساء ، ويجب على الولى أيضا أن يراعى خصال الزوج ولينظر لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خلقه أو خلقه ، أو ضعف دينه ، أو قصر عن القيام بحقها أو كان لا يكافئها فى نسبها ، قال عليه السلام « النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته [٦] » والاحتياط فى حقها أهم لأنها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها ، والزوج قادر على الطلاق بكل حال ، ومهما زوج ابنته ظالما أو فاسقا أو مبتدعا أو شارب خمر فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله لما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار . وقال رجل للحسن : قد خطب ابنتى جماعة فمن أزوجها ؟ قال ، ممن يتقى الله ، فإن أحبها أكرمها ، وإن أبغضها لم يظلمها . وقال عليه السلام « من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها [٧] » .

---

(١) حديث « عليكم بالودود الولود » أخرجه أبو داود والنسائى من حديث معقل بن يسار « تزوجوا الودود الولود » وإسناده صحيح . (٢) حديث قال لجابر وقد نكح ثيباً « هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك » متفق عليه من حديث جابر .

(٣) حديث « إياكم وخضراء الدمن ؛ فقيل : وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء » رواه الدارقطنى فى الأفراد ، والرامهرمزى فى الأمثال من حديث أبى سعيد الخدرى ، قال الدارقطنى : تفرد به الواقدى وهو ضعيف .

(٤) حديث « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس » رواه ابن ماجه من حديث عائشة مختصراً دون قوله « فإن العرق » وروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس « تزوجوا فى الحجر الصالح فإن العرق دساس » وروى أبو موسى المدينى فى كتاب تضييع العمر والأيام من حديث ابن عمر « وانظر فى أى نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس » وكلاهما ضعيف .

(٥) حديث « لا تنكحوا القرابة فإن الولد يخلق ضاويا » قال ابن الصلاح : لم أجد له أصلا معتمدا . قلت : إنما يعرف من قول عمر أنه قال لآل السائب « قد أضويتم فانكحوا فى النوابغ » رواه إبراهيم الحربى فى غريب الحديث ، وقال : معناه تزوجوا الغرائب قال : ويقال : اغربوا لا تضووا .

(٦) حديث « النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته » رواه أبو عمر التوقانى فى معاشرة الأهلين موقوفا على عائشة وأسماء ابنتى أبى بكر . قال البيهقى . وروى ذلك مرفوعا والموقوف أصح (٧) حديث « من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها » رواه ابن حبان فى الضعفاء من حديث أنس ، ورواه فى الثقات من قول الذهبى بإسناد صحيح .

الباب الثالث : فى آداب المعاشرة وما يجرى فى دوام النكاح

والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة . أما الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والأدب فى اثنى عشر أمرا : فى الوليمة ، والمعاشرة ، والدعابة ، والسياسة ، والغيرة ، والنفقة ، والتعليم ، والقسم ، والتأديب فى النشوز ، والوقاع ، والولادة ، والمفارقة بالطلاق .

الأدب الأول : الوليمة ، وهى مستحبة ، قال أنس رضى الله عنه : « رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه أثر صفرة فقال « ماهذا » فقال . تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب . فقال « بارك الله لك ، أولم ولو بشاة [1] » وأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية بتمر وسويق [2] . وقال صلى الله عليه وسلم « طعام أول يوم حق ، وطعام الثانى سنة ، وطعام الثالث سمعة ، ومن سمع سمع الله به [3] » ولم يرفعه إلا زياد بن عبد الله وهو غريب . وتستحب تهنئته فيقول من دخل على الزوج : بارك الله لك وبارك عليك ، وجمع بينكما فى خير [4] . وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه عليه السلام أمر بذلك ، ويستحب إظهار النكاح . قال عليه السلام : فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت [5] » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعلنوا هذا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدفوف [6] » وعن الربيع بنت معوذ قالت « جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل غداة بنى بى فجلس على فراشى وجويريات لنا يضربن بدفهن ويندبن من قتل من آبائى إلى أن قالت إحداهن « وفينا نبى يعلم مافى غد » فقال لها : اسكتى عن هذه وقولى الذى كنت تقولين قبلها [7] » .

الأدب الثانى . حسن الخلق معهن واحتمال الأذى منهن ترحما عليهن لقصور عقلهن . وقال الله تعالى ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ وقال فى تعظيم حقهن ﴿ وأخذن منكم ميثاقا غليظا ﴾ وقال ﴿ والصاحب بالجنب ﴾ قيل هى المرأة وآخر ماوصى به رسول صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهم حتى تلجلج لسانه وخفى كلامه : جعل يقول : « الصلاة الصلاة ، وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم مالا يطيقون . الله الله فى النساء فإنهن عوان فى أيديكم - يعنى أسراء - أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله [8] » وقال عليه السلام « من صبر على سوء خلق امرأته

الباب الثالث : فى آداب المعاشرة

(١) حديث أنس : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن بن عوف أثر الصفرة فقال : « ماهذا ؟ » قال : تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب ، فقال « بارك الله لك ، أولم ولو بشاة » متفق عليه (٢) حديث « أولم على صفية بسويق وتمر » رواه الأربعة من حديث أنس ، ولمسلم نحوه وقد تقدم (٣) حديث « طعام أول يوم حق ، وطعام الثانى سنة ، وطعام الثالث سمعة ، ومن سمع سمع الله به » قال المصنف : لم يرفعه إلا زياد بن عبد الله . قلت . هكذا قال الترمذى بعد أن أخرجه من حديث ابن مسعود وضعفه (٤) حديث أبى هريرة فى تهنئة الزوج « بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير » رواه أبو داود والترمذى وصححه وابن ماجه وتقدم فى الدعوات (٥) حديث « فصل مابين الحلال والحرام الدف والصوت » رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث محمد بن حاطب (٦) حديث « أعلنوا هذا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدف » رواه الترمذى من حديث عائشة وحسنه وضعفه البيهقى (٧) حديث الربيع بنت معوذ : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على غداة بنى بى فجلس على فراشى وجويريات لنا يضربن بدفوفهن ... الحديث ، رواه البخارى وقال . يوم بدر وقع فى بعض نسخ الإحياء : يوم بعاث ، وهو وهم .

(٨) حديث « آخر ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث : كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفى كلامه ، جعل يقول « الصلاة وماملكت أيمانكم لاتكلفوهم مالا يطيقون ، الله الله فى النساء فانهن عوان عندكم ... الحديث » أخرجه النسائى فى الكبرى ، وابن ماجه من حديث أم سلمة أن النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى الموت جعل يقول « الصلاة وما ملكت أيمانكم » فما زال يقولها وما يفيض بها لسانه ، وأما الوصية بالنساء فالمعروف أن ذلك كان فى حجة الوداع . رواه مسلم من حديث جابر الطويل ، وفيه . « فاتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله ... » الحديث

أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ، ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون [١] » . وأعلم أنه ليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها ، بل احتمال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها ، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام ، وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل [٢] وراجعت امرأة عمر رضى الله عنه عمر فى الكلام فقال أتراجعينى بالكلام ؟ فقالت : إنّ أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك [٣] ؛ فقال عمر : خابت حفصة وخسرت إن راجعته ؛ ثم قال لحفصة . لا تغترى بابنة ابن أبى قحافة فإنها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوّفها من المراجعة . وروى أنه دفعت إحداهن فى صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها أمها ، فقال عليه السلام : دعيها فإنهن يصنعن أكثر من ذلك [٤] . وجرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخلا بينهما أبا بكر رضى الله عنه حكما واستشهده ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه سلم تكلمين أو أتكلم فقالت بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقا ، فلطمها أبو بكر حتى دمى فوها وقال : يا عدية نفسها ، أويقول غير الحق ! فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لم ندعك لهذا ولا أردنا منك هذا [٥] . وقالت له مرة فى كلام غضبت عنده : أنت الذى تزعم أنك نبى الله ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حلما وكرما [٦] . وكان يقول لها « إنى لأعرف غضبك من رضاك » قالت : وكيف تعرفه ؟ قال « إذا رضيت قلت لا وإله محمد ، وإذا غضبت قلت لا وإله إبراهيم » قالت : صدقت إنما أهجر اسمك [٧] » ويقال إنّ أوّل حب وقع فى الإسلام حب النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها [٨] . وكان يقول لها : كنت لك كأبى زرع لأم زرع ، غير أنى لا أطلقك [٩] ، وكان يقول لنسائه « لاتؤذونى فى عائشة ، فإنه والله ما نزل على الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها [١٠] » وقال أنس رضى الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان [١١] .

---

(١) حديث « من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ... الحديث » لم أقف له على أصل (٢) حديث : كان أزواجه صلى الله عليه وسلم يراجعنه الحديث وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل . متفق عليه من حديث عمر فى الحديث الطويل فى قوله تعالى ﴿ فان تظاهرا عليه ﴾

(٣) حديث : وراجعت امرأة عمر عمر فى الكلام فقال : أتراجعينى بالكلام ؟ قالت : إن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك . . الحديث ، هو الحديث الذى قبله وليس فيه قوله : بالكلام ، ولا قولها : هو خير منك .

(٤) حديث : دفعت إحداهن فى صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها أمها ، فقال صلى الله عليه وسلم « دعيها فانهن يصنعن أكثر من ذلك » لم أقف له على أصل (٥) حديث : جرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخل بينهما أبا بكر حكما ... الحديث . أخرجه الطبرانى فى الأوسط والخطيب فى التاريخ من حديث عائشة بسند ضعيف (٦) حديث : قالت له عائشة مرة غضبت عنده : وأنت الذى تزعم أنك نبى ، فتبسم رسول الله عليه وسلم . أخرجه أبو يعلى فى مسنده وأبو الشيخ فى كتاب الأمثال من حديث عائشة ، وفيه ابن اسحق وقد عنعنه .

(٧) حديث : كان يقول لعائشة « إنى لأعرف غضبك من رضاك ... الحديث » متفق عليه من حديثها . (٨) حديث « أول حب وقع فى الإسلام حب النبى صلى الله عليه وسلم عائشة » رواه الشيخان من حديث عمرو بن العاص أنه قال : أى الناس أحب إليك يارسول الله ؟ قال « عائشة ... الحديث » وأما كونه أول فرواه ابن الجوزى فى الموضوعات من حديث أنس ، ولعله أراد بالمدينة كما فى الحديث الآخر أن ابن الزبير أول مولود ولد فى الإسلام يريد بالمدينة ، والا فحبة النبى صلى الله عليه وسلم لخديجة أمر معروف تشهد له الأحاديث الصحيحة (٩) حديث : كان يقول لعائشة « كنت لك كأبى زرع لأم زرع غير أنى لا أطلقك » متفق عليه من حديث عائشة دون الاستثناء ، ورواه بهذه الزيادة الزبير بن بكار والخطيب . (١٠) حديث « لاتؤذونى فى عائشة فانه والله ما أنزل على الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها » رواه البخارى من حديث عائشة . (١١) حديث أنس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان . رواه مسلم بلفظ . مارأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد على بن عبد العزيز والبغوى : والصبيان .

الثالث : أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزح والملاعبة ؛ فهى التى تطيب قلوب النساء ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن وينزل إلى درجات عقولهن فى الأعمال والأخلاق ، حتى روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يسابق عائشة فى العدو فسبقته يوما ، وسبقها فى بعض الأيام ، فقال عليه السلام « هذه بتلك » [1] . وفى الخبر : أنه كان صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس مع نسائه [2] . وقالت عائشة رضى الله عنها « سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون فى يوم عاشوراء ؛ فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتحبين أن ترى لعبهم قالت قلت نعم ، فأرسل إليهم فجاؤا ، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين ، فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقنى على يده وجعلوا يلعبون وأنظر ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « حسبك » وأقول اسكت مرتين أو ثلاثا ، ثم قال « يا عائشة حسبك » فقلت نعم ، فأشار إليهم فانصرفوا [3] » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله [4] » وقال عليه السلام « خيركم خيركم لنسائه ، وأنا خيركم لنسائى [5] » وقال عمر رضى الله عنه مع خشونته : ينبغى للرجل أن يكون فى أهله مثل الصبى ؛ فإذا التمسوا ماعنده وجد رجلا . وقال لقمان رحمه الله : ينبغى للعاقل أن يكون فى أهله كالصبى ، وإذا كان فى القوم وجد رجلا . وفى تفسير الخبر المروى « إن الله يبغض الجعظرى الجوّاظ [6] » قيل هو الشديد على أهله المتكبر فى نفسه ؛ وهو أحد ماقيل فى معنى قوله تعالى ﴿ عتل ﴾ قيل العتل : هو الفظ اللسان الغليظ القلب على أهله . وقال عليه السلام لجابر « هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك [7] » ووصفت أعرابية زوجها وقد مات فقالت : والله لقد كان ضحوكا إذا ولج سكيتا إذا خرج ، آكلا ما وجد . غير مسائل عما فقد .

الرابع : أن لا يتبسط فى الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها إلى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته عندها ، بل يراعى الاعتدال فيه فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى منكرا ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات ألبتة ، بل مهما رأى ما يخالف الشرع والمروءة تنمر وامتعض . قال الحسن : والله ماأصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله فى النار . وقال عمر رضى الله عنه : خالفوا النساء فإن فى خلافهن البركة . وقد قيل : شاوروهن وخالفوهن . وقد قال عليه السلام « تعس عبد الزوجة [8] » وإنما قال ذلك لأنه إذا أطاعها فى هواها فهو عبدها

---

(١) حديث مسابقته صلى الله عليه وسلم لعائشة فسبقته ثم سبقها وقال « هذه بتلك » رواه أبو داود والنسائى فى الكبرى وابن ماجه من حديث عائشة بسند صحيح .

(٢) حديث : كان من أفكه الناس مع نسائه . رواه الحسن بن سفيان فى مسنده من حديث أنس دون قوله : مع نسائه . ورواه البزار والطبرانى فى الصغير والأوسط فقالا : مع صبى . وفى إسناده ابن لهيعة . (٣) حديث عائشة : سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون يوم عاشوراء فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتحبين أن ترى لعبهم » الحديث ، متفق عليه مع اختلاف دون ذكر يوم عاشوراء ، وإنما قال : يوم عيد ، ودون قولها : اسكت . وفى رواية للنسائى فى الكبرى : قلت : لاتعجل ، مرتين . وفيه فقال : ياحميراء ، وسنده صحيح . (٤) حديث « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله » رواه الترمذى والنسائى واللفظ له ، والحاكم وقال : رواته ثقات على شرط الشيخين . (٥) حديث « خياركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائى » أخرجه الترمذى وصححه من حديث أبى هريرة دون قوله « وأنا خيركم لنسائى » وله من حديث عائشة وصححه « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى » .

(٦) حديث « إن الله يبغض الجعظرى الجواظ » رواه أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق من حديث أبى هريرة بسند ضعيف ، وهو فى الصحيحين من حديث جارية بن وهب الخزاعى بلفظ « ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر » ولأبى داود « لايدخل الجنة الجواظ ولا الجعظرى » (٧) حديث قال لجابر « هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك » متفق عليه من حديثه ، وقد تقدم

(٨) حديث « تعس عبد الزوجة » لم أقف له على أصل ، والمعروف « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم ... الحديث » رواه البخارى من حديث أبى هريرة .

وقد تعس فإن الله ملكه المرأة فملكها نفسه فقد عكس الأمر وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قال ﴿ ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ﴾ إذ حق الرجل أن يكون متبوعا لا تابعا ، وقد سمى الله الرجال قوامين على النساء وسمى الزوج سيدا ، فقال تعالى ﴿ وألفيا سيدها لدى الباب ﴾ فإذا انقلب السيد مسخرا فقد بدل نعمة الله كفرا ، ونفس المرأة على مثال نفسك : إن أرسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا ، وإن أرخيت عذارها فتراً جذبتك ذراعا ، وإن كبحتها وشددت يدك عليها فى محل الشدة ملكتها . قال الشافعى رضى الله عنه : ثلاثة إن أكرمتهم أهانوك وإن أهنتهم أكرموك : المرأة ، والخادم . والنبطى : أراد به إن محضت الإكرام ولم تمزج غلظتك بلينك وفظاظتك برفقك . وكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الأزواج ، وكانت المرأة تقول لابنتها : اختبرى زوجك قبل الإقدام والجراءة عليه انزعى زج رمحه ، فإن سكت فقطعى اللحم على ترسه ، فإن سكت فكسرى العظام بسيفه ، فإن سكت فاجعلى الإكاف على ظهره وامتطيه فإنما هو حمارك . وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والأرض ، فكل ما جاوز حده انعكس على ضده ، فينبغى أن تسلك سبيل الاقتصاد فى المخالفة والموافقة وتتبع الحق فى جميع ذلك لتسلم من شرهن ، فإن كيدهن عظيم وشرهن فاش ، والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل ، ولا يعتدل ذلك منهن إلا بنوع لطف ممزوج بسياسة . وقال عليه السلام « مثل المرأة الصالحة فى النساء كمثل الغراب الأعصم بين مائة غراب [1] » والأعصم يعنى الأبيض البطن . وفى وصية لقمان لابنه : يابنى اتق المرأة السوء فإنها تشيبك قبل الشيب ، واتق شرار النساء فإنهن لا يدعون إلى خير ، وكن من خيارهن على حذر . وقال عليه السلام « استعيذوا من الفواقر الثلاث [2] » وعد منهن المرأة السوء فإنها المشيبة قبل الشيب . وفى لفظ آخر « إن دخلت عليها سبتك ، وإن غبت عنها خانتك » وقد قال عليه السلام فى خيرات النساء « إنكن صواحبات يوسف [3] » يعنى إن صرفكن أبا بكر عن التقدم فى الصلاة ميل منكن عن الحق إلى الهوى . قال الله تعالى حين أفشين سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ﴾ أى مالت وقال ذلك فى خير أزواجه [4] » وقال عليه السلام « لا يفلح قوم تملكهم امرأة [5] » وقد زبر عمر رضى الله عنه امرأته لما راجعته وقال : ما أنت إلا لعبة فى جانب البيت إن كانت لنا إليك حاجة وإلا جلست كما أنت ، فإذن فيهن شر وفيهن ضعف ؛ فالسياسة والخشونة علاج الشر ، والمطايبة والرحمة علاج الضعف ، فالطبيب الحاذق هو الذى يقدر العلاج بقدر الداء ، فلينظر الرجل أولا إلى أخلاقها بالتجربة ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها .

الخامس : الاعتدال فى الغيرة : وهو أن لا يتغافل عن مبادى الأمور التى تخشى غوائلها ، ولا يبالغ فى إساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن ، فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتبع عورات النساء [6] وفى لفظ آخر :

---

(٦) حديث « مثل المرأة الصالحة فى النساء كمثل الغراب الأعصم بين مائة غراب » رواه الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف ولأحمد من حديث عمرو بن العاص : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران ، فاذا بغربان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار فقال « لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب فى هذه الغربان » وإسناده صحيح ، وهو فى السنن الكبرى للنسائى .

(٢) حديث « استعيذوا من الفواقر الثلاث وعد منهن المرأة السوء فانها المشيبة قبل الشيب » وفى لفظ آخر « إن دخلت عليها لسنتك ، وإن غبت عنها خانتك » رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة بسند ضعيف . واللفظ الآخر رواه الطبرانى من حديث فضالة بن عبيد » ثلاث من الفواقر : وذكر منها وامرأة إن حضرت آذتك وإن غبت عنها خانتك » وسنده حسن . (٣) حديث « إنكن صواحبات يوسف » متفق عليه من حديث عائشة (٤) حديث نزول قوله تعالى ﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ﴾ فى خير أزواجه متفق عليه من حديث عمر ، والمرأتان عائشة وحفصة (٥) حديث « لا يفلح قوم تملكهم امرأة » رواه البخارى من حديث أبى بكرة نحوه (٦) حديث : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتبع عورات النساء رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث جابر : نهى أن تتطلب عثرات النساء ، والحديث عند مسلم بلفظ : نهى أن يطرق الرجل أهله ليلا =

أن تبغت النساء . ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره قال قبل دخول المدينة « لاتطرقوا النساء ليلا » فخالفه رجلان فسبقا ، فرأى كل واحد فى منزله مايكره [1] وفى الخبر المشهور « المرأة كالضلع إن قومته كسرته ، فدعه تستمتع به على عوج [2] » وهذا فى تهذيب أخلاقها . وقال صلى الله عليه وسلم « إن من الغيرة غيرة يبغضها الله عز وجل وهى غيرة الرجل على أهله من غير ريبة [3] » لأن ذلك من سوء الظن الذى نهينا عنه ، فإن بعض الظن إثم . وقال على رضى الله عنه : لاتكثر الغيرة على أهلك فترمى بالسوء من أجلك . وأما الغيرة فى محلها فلابد منها وهى محمودة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يغار والمؤمن يغار وغيرة الله تعالى أن يأتى الرجل المؤمن ماحرم الله عليه [4] » وقال عليه السلام « أتعجبون من غيرة سعد أنا والله أغير منه والله أغير منى [5] » ولأجل غيرة الله تعالى حرم الفواحش ماظهر منها ومابطن ، ولاأحد أحب إليه العذر من الله ، ولذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا أحد أحب إليه المدح من الله ولأجل ذلك وعد الجنة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت ليلة أسرى بى فى الجنة قصرا وبفنائه جارية ؛ فقلت : لمن هذا القصر ؟ فقيل : لعمر ؛ فأردت أن أنظر إليها فذكرت غيرتك ياعمر : فبكى عمر وقال : أعليك أغار يارسول الله [6] » وكان الحسن يقول : أتدعون نساءكم ليزاحمن العلوج فى الأسواق قبح الله من لا يغار ، وقال عليه الصلاة والسلام « إن من الغيرة ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله ، ومن الخيلاء ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله ، فأما الغيرة التى يحبها الله فالغيرة فى الريبة ، والغيرة التى يبغضها الله فالغيرة فى غير ريبة ، والاختيال الذى يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدمة ، والاختيال الذى يبغضه الله الاختيال فى الباطل [7] » وقال عليه الصلاة والسلام « إنى لغيور ، ومامن امرئ لايغار إلا منكوس القلب [8] » والطريق المغنى عن الغيرة أن لا يدخل عليها الرجال وهى لاتخرج إلى الأسواق . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة عليها السلام « أى شىء خير للمرأة ؟ » قالت : أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل ، فضمها إليه وقال « ذرية بعضها من بعض [9] » فاستحسن قولها . وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسدون الكوى والثقب فى الحيطان لئلا تطلع النسوان إلى الرجال . ورأى معاذ امرأته تطلع فى الكوة فضربها ، ورأى امرأته قد دفعت إلى غلامه تفاحة قد أكلت منها فضربها . وقال عمر رضى الله عنه : أعروا النساء يلزمن الحجال ، وإنما قال ذلك لأنهن لايرغبن فى

= يخونهم أو يطلب عثراتهم واقتصر البخارى منه على ذكر النهى عن الطروق ليلا (١) حديث أنه قال قبل دخول المدينة « لاتطرقوا أهلكم ليلا » فخالفه رجلان فسعيا إلى منازلهما فرأى كل واحد فى بيته مايكره . رواه أحمد من حديث ابن عمر بسند جيد .

(٢) حديث « المرأة كالضلع إن أردت تقيمه كسرته ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة (٣) حديث « غيرة يبغضها الله وهى غيرة الرجل على أهله من غير ريبة » رواه أبو داود والنسائى وابن حبان من حديث جابر بن عتيك .

(٤) حديث « الله ينار والمؤمن ينار ، وغيرة الله تعالى أن يأتى الرجل المؤمن ماحرم الله عليه » متفق عليه من حديث أبى هريرة ولم يقل البخارى : والمؤمن ينار (٥) حديث « أتعجبون من غيرة سعد ، والله لأنا أغير منه والله أغير منى ... الحديث » متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة .

(٦) حديث « رأيت ليلة أسرى بى فى الجنة قصرا وبفنائه جارية ، فقلت : لمن هذا القصر ؟ فقيل لعمر ... الحديث » متفق عليه من حديث جابر دون ذكر ليلة أسرى بى ولم يذكر الجارية ، وذكر الجارية فى آخر متفق عليه من حديث أبى هريرة « بينما أنا نائم رأيتنى فى الجنة ... الحديث » (٧) حديث « إن من الغيرة مايحبه الله تعالى ومنها مايبغضه الله تعالى ... الحديث » رواه أبو داود والنسائى وابن حبان من حديث جابر بن عتيك ، وهو الذى تقدم قبله بأربعة أحاديث (٨) حديث « إنى لغيور وما من امرئ لايغار إلا منكوس القلب » تقدم أوله . وأما آخره فرواه أبو عمر التوقانى فى كتاب معاشرة الأهلين من رواية عبد الله بن محمد مرسلا . والظاهر أنه عبد الله بن الحنفية (٩) حديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة « أى شىء خير للمرأة ؟ » فقالت : أن لاترى رجلا ... الحديث . رواه البزار والدارقطنى فى الافراد من حديث على بسند ضعيف .

الخروج فى الهيئة الرثة . وقال عوّدوا نساءكم « لا » وكان قد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء فى حضور المسجد [١] والصواب الآن المنع إلا العجائز ، بل استصوب ذلك فى زمان الصحابة حتى قالت عائشة رضى الله عنها : لو علم النبى صلى الله عليه وسلم ما أحدثت النساء بعده لمنعهن من الخروج [٢] . ولما قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتمنعوا إماء الله مساجد الله » فقال بعض ولده : بلى والله لنمنعهن ، فضربه وغضب عليه وقال تسمعنى أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تمنعوا » فتقول : بلى [٣] » وإنما استجرأ على المخالفة لعلمه بتغير الزمان ، وإنما غضب عليه لإطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهراً من غير إظهار العذر ، وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أذن لهن فى الأعياد خاصة أن يخرجن [٤] ولكن لايخرجن إلا برضا أزواجهن ، والخروج الآن مباح للمرأة العفيفة برضا زوجها ولكن القعود أسلم وينبغى أن لاتخرج إلا لمهم ، فإن الخروج للنظارات والأمور التى ليست مهمة تقدح فى المروءة وربما تفضى إلى الفساد ، فإذا خرجت فينبغى أن تغض بصرها عن الرجال ، ولسنا نقول إن وجه الرجل فى حقها عورة كوجه المرأة فى حقه ، بل هو كوجه الصبى الأمرد فى حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط ، فإن لم تكن فتنة فلا : إذ لم يزل الرجال على مر الزمان مكشوفى الوجوه والنساء يخرجن منتقبات ولو كان وجوه الرجال عورة فى حق النساء لأمروا بالتنقب أو منعن من الخروج إلا لضرورة .

السادس : الاعتدال فى النفقة فلا ينبغى أن يقتر عليهن فى الإنفاق ، ولاينبغى أن يسرف ، بل يقتصد . قال تعالى ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ وقال تعالى ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ﴾ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيركم خيركم لأهله [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « دينار أنفقته فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك : أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك [٦] » وقيل : كان لعلى رضى الله عنه أربع نسوة ، فكان يشترى لكل واحدة فى كل أربعة أيام لحما بدرهم ، وقال الحسن رضى الله عنه : كانوا فى الرجال مخاصيب ، والإناث والثياب مجاديب . وقال ابن سيرين : يستحب للرجل أن يعمل لأهله فى كل جمعة فالوذجة ، وكأن الحلاوة وإن لم تكن من المهمات ولكن تركها بالكلية تقتير فى العادة ، وينبغى أن يأمرها بالتصدق ببقايا الطعام وما يفسد لو ترك ! فهذا أقل درجات الخير ، وللمرأة أن تفعل ذلك بحكم الحال من غير صريح إذن من الزوج ، ولاينبغى أن يستأثر عن أهله بمأكول طيب فلا يطعمهم منه ، فإن ذلك مما يوغر الصدور ويبعد عن المعاشرة بالمعروف ، فإن كان مزمعا على ذلك فليأكله بخفية بحيث لايعرف أهله ولا ينبغى أن يصف عندهم طعاماً ليس يريد إطعامهم إياه ، وإذا أكل فيقعد العيال كلهم على مائدته ، فقد قال سفيان رضى الله عنه : بلغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة ، وأهم مايجب عليه مراعاته فى الإنفاق أن يطعمها من الحلال ولا يدخل مداخل السوء لأجلها ، فإن ذلك جناية عليها لامراعاة لها وقد أوردنا الأخبار الواردة فى ذلك عند ذكر آفات النكاح .

---

(١) حديث الإذن للنساء فى حضور المساجد . متفق عليه من حديث ابن عمر « ائذنوا للنساء بالليل الى المساجد » .

(٢) حديث قالت عائشة : لوعلم النبى صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء بعده لمنعهن من الخروج . متفق عليه . قال البخارى : لمنعهن من المساجد (٣) حديث ابن عمر « لاتمنعوا إماء الله مساجد الله » فقال بعض ولده : بلى والله ... الحديث متفق عليه.

(٤) حديث « الإذن لهن فى الخروج فى الأعياد » متفق عليه من حديث أم عطية . (٥) حديث « خيركم خيركم لأهله » أخرجه الترمذى من حديث عائشة وصححه ، وقد تقدم . (٦) حديث « دينار أنفقته فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك : أعظمها أجرا الدينار الذى أنفقته على أهلك » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة .

السابع : أن يتعلم المتزوج من علم الحيض وأحكامه مايحترز به الاحتراز الواجب ، ويعلم زوجته أحكام الصلاة وما يقضى منها فى الحيض وما لايقضى ، فإنه أمر بأن يقيها النار بقوله تعالى ﴿ قوا أنفسكم وأهليكم نارا ﴾ فعليه أن يلقنها اعتقاد أهل السنة ويزيل عن قلبها كل بدعة إن استمعت إليها ، ويخوفها فى الله إن تساهلت فى أمر الدين ، ويعلمها من أحكام الحيض والاستحاضة ماتحتاج إليه وعلم الاستحاضة يطول ؛ فأما الذى لابد من إرشاد النساء إليه فى أمر الحيض بيان الصلوات التى تقضيها ، فإنها مهما انقطع دمها قبيل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر ، وإذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشاء ، وهذا أقل مايراعيه النساء ، فإن كان الرجل قائماً بتعليمها فليس لها الخروج لسؤال العلماء وإن قصر علم الرجل ولكن ناب عنها فى السؤال فأخبرها بجواب المفتى فليس لها خروج ، فإن لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال بل عليها ذلك ويعصى الرجل بمنعها ومهما تعلمت ما هو من الفرائض عليها فليس لها أن تخرج إلى مجلس ذكر ولا إلى تعلم فضل إلا برضاه ومهما أهملت المرأة حكما من أحكام الحيض والاستحاضة ولم يعلمها الرجل حرج الرجل معها وشاركها فى الإثم .

الثامن : إذا كان له نسوة فينبغى أن يعدل بينهن ولا يميل إلى بعضهن ، فإن خرج إلى سفر وأراد استصحاب واحدة أقرع بينهن [1] ، كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن ظلم امرأة بليلتها قضى لها ، فإن القضاء واجب عليه ، وعند ذلك يحتاج إلى معرفة أحكام القسم وذلك يطول ذكره ؛ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى ـ وفى لفظ ـ ولم يعدل بينهما ؛ جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل [2] » وإنما عليه العدل فى العطاء والمبيت ، وأما فى الحب والوقاع فذلك لايدخل تحت الاختيار . قال الله تعالى ﴿وان تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾ أى أن تعدلوا فى شهوة القلب وميل النفس ، ويتبع ذلك التفاوت فى الوقاع . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بينهن فى العطاء والبيتوتة فى الليالى ويقول « اللهم هذا جهدى فيما أملك ولاطاقة لى فيما تملك ولا أملك [3] » يعنى الحب . وقد كانت عائشة رضى الله عنها أحب نسائه إليه [4] وسائر نسائه يعرفن ذلك . وكان يطاف به محمولا فى مرضه فى كل يوم وكل ليلة ، فيبيت عند كل واحدة منهن ويقول : أين أنا غدا ، ففطنت لذلك امرأة منهن فقالت : إنما يسأل عن يوم عائشة ؛ فقلن يا رسول الله قد أذنا لك أن تكون فى بيت عائشة فإنه يشق عليك أن تحمل فى كل ليلة ؛ فقال « وقد رضيتن بذلك ؟ فقلن : نعم . قال : فحولونى إلى بيت عائشة [5] » ومهما وهبت واحدة ليلتها لصاحبتها ورضى الزوج بذلك ثبت الحق لها . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه ، فقصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت

---

(١) حديث القرعة بين أزواجه إذا أراد سفراً : متفق عليه من حديث عائشة . (٢) حديث « من كان له امرأتان فمال الى إحداهما دون الاخرى » وفى لفظ آخر « لم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل » أخرجه أصحاب السنن وابن حبان من حديث أبى هريرة : قال أبو داود وابن حبان « فمال مع إحداهما » وقال الترمذى « فلم يعدل بينهما » . (٣) حديث : كان يعدل بينهن ويقول « اللهم هذا جهدى فيما أملك ولاطاقة لى فيما تملك ولا أملك » أخرجه أصحاب السنن وابن حبان من حديث عائشة نحوه . (٤) حديث : كانت عائشة أحب نسائه إليه : متفق عليه من حديث عمرو بن العاص أنه قال : أى الناس أحب إليك يارسول الله ؟ قال « عائشة » وقد تقدم . (٥) حديث : كان يطاف به محمولا فى مرضه كل يوم وليلة فيبيت عند كل واحدة ويقول « أين أنا غدا ... الحديث » رواه ابن سعد فى الطبقات من رواية محمد بن على بن الحسين أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحمل فى ثوب يطاف به على نسائه وهو مريض يقسم بينهن . وفى مرسل آخر له : لما ثقل قال « أين أنا غدا ؟ » قالوا : عند فلانة . قال « فأين أنا بعد غد ؟ » قالوا عند فلانة ، فعرف أزواجه أنه يريد عائشة ... الحديث . وللبخارى من حديث عائشة : كان يسأل فى مرضه الذى مات فيه : « أين أنا غدا ؟ » يريد يوم عائشة ، فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء وفى الصحيحين : لما ثقل استأذن أزواجه أن يمرض فى بيتى فأذن له .

فوهبت ليلتها لعائشة وسألته أن يقرها على الزوجية حتى تحشر فى زمرة نسائه ، فتركها وكان لايقسم لها ويقسم لعائشة ليلتين واسائر أزواجه ليلة ليلة [١] ، ولكنه صلى الله عليه وسلم لحسن عدله وقوته كان إذا تاقت نفسه إلى واحدة من النساء فى غير نوبتها لجامعها طاف فى يومه أوليلته على سائر نسائه ؛ فمن ذلك ماروى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نسائه فى ليلة واحدة [٢] . وعن أنس أنه عليه السلام طاف على تسع نسوة فى ضحوة نهار [٣] .

التاسع : فى النشوز ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم أمرهما : فإن كان من جانبهما جميعا أو من الرجل فلا تسلط الزوجة على زوجها ولا يقدر على إصلاحها فلا بد من حكمين : أحدهما من أهله والآخر من أهلها لينظرا بينهما ويصلحا أمرهما (إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما) وقد بعث عمر رضى الله عنه حكما إلى زوجين ، فعاد ولم يصلح أمرهما فعلاه بالدرة وقال : إن الله تعالى يقول (إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما) فعاد الرجل وأحسن النية وتلطف بهما فأصلح بينهما . وإما إذا كان النشوز من المرأة خاصة فالرجال قوامون على النساء ، فله أن يؤدبها ويحملها على الطاعة قهراً ، وكذا إذا كانت تاركة للصلاة فله حملها على الصلاة قهرا ، ولكن ينبغى أن يتدرج فى تأديبها : وهو أن يقدم أولا الوعظ والتحذير والتخويف ، فإن لم ينجح ولاها ظهره فى المضجع أو انفرد عنها بالفراش وهجرها وهو فى البيت معها من ليلة إلى ثلاث ليال . فإن لم ينجح ذلك فيها ضربها ضربا غير مبرح بحيث يؤلمها ولا يكسر لها عظما ولايدمى لها جسم . ولا يضرب وجهها فذلك منهى عنه . وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم . « ما حق المرأة على الرجل ؟ قال « يطعمها إذا طعم . ويكسوها إذا اكتسى . ولا يقبح الوجه . ولا يضرب إلا ضربا غير مبرح . ولا يهجرها إلا فى المبيت [٤] » وله أن يغضب عليها ويهجرها فى أمر من أمور الدين إلى عشر وإلى عشرين وإلى شهر . فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أرسل إلى زينب بهدية فردتها عليه . فقالت له التى هو فى بيتها : لقد اقأتك إذ ردت عليك هديتك [٥] . أى أذلتك واستصغرتك . فقال صلى الله عليه وسلم « أتتن أهون على الله أن تقمئننى » ثم غضب عليهن كلهن شهراً إلى أن عاد إليهن .

العاشر : فى آداب الجماع . ويستحب أن يبدأ باسم الله تعالى ويقرأ قل هو الله أحد أولا ويكبر ويهلل ويقول : بسم الله العلى العظيم . اللهم اجعلها ذرية طيبة إن كنت قدرت أن تخرج ذلك من صلبى . وقال عليه الصلاة والسلام « لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : اللهم جنبنى الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا . فإن كان بينهما ولد لم يضره

---

(١) حديث : كان يقسم بين نسائه ، فقصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت ، فوهبت ليلتها لعائشة ... الحديث رواه أبو داود من حديث عائشة : قالت سودة حين أسنت وفرقت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله يومى لعائشة ...الحديث ، وللطبرانى : فأراد أن يفارقها . وهو عند البخارى بلفظ : لما كبرت سودة وهبت يومها لعائشة وكان يقسم لها بيوم سودة ، وللبيهقى مرسلا : طلق سودة فقالت : أريدان أحشر فى أزواجك ... الحديث . (٢) حديث عائشة : طاف على نسائه فى ليلة واحدة . متفق عليه بلفظ : كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيطوف على نسائه ثم يصبح محرما ينضح طيبا

(٣) حديث أنس : أنه طاف على تسع نسوة فى ضحوة نهار ، رواه ابن عدى فى الكامل ، والبخارى : كان يطوف على نسائه فى ليلة واحدة وله تسع نسوة . (٤) حديث : قيل له : ماحق المرأة على الرجل ؟ فقال « يطعمها إذا طعم ، ويكسوها إذا اكتسى ، ولايقبح الوجه ، ولايضرب إلا ضربا غير مبرح ، ولايهجرها إلا فى البيت » رواه أبو داود والنسائى فى الكبرى ، وابن ماجه من رواية معاوية بن حيدة بسند جيد ، وقال : ولايضرب الوجه ولايقبح . وفى رواية لأبى داود : ولاتقبح الوجه ولاتضرب . (٥) حديث هجرة صلى الله عليه وسلم نساءه شهرا لما أرسل بهدية الى زينب فردتها فقالت له التى فى بيتها : لقد أقأتك ... الحديث ، ذكره ابن الجوزى فى الوفاء بغير اسناد . وفى الصحيحين من حديث عمر : كان أقسم أن لايدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن . وفى رواية من حديث جابر : ثم اعتزلهن شهرا

الشيطان [١] » وإذا قربت من الإنزال فقل فى نفسك ولا تحرك شفتيك : الحمد لله الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا . وكان بعض أصحاب الحديث يكبر حتى يسمع أهل الدار صوته ، ثم ينحرف عن القبلة ولا يستقبل القبلة بالوقاع إكراما للقبلة ، وليغط نفسه وأهله بثوب : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغطى رأسه ويغض صوته ويقول المرأة « عليك بالسكينة [٢] » وفى الخبر « إذا جامع أحدكم أهله فلا يتجردان تجرد العيرين [٣] » أى الحمارين ، وليقدم التلطف بالكلام والتقبيل قال صلى الله عليه وسلم « لايقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة ، وليكن بينهما رسول » قيل وما الرسول يارسول الله ؟ قال « القبلة والكلام [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم (ثلاث من العجز فى الرجل : أن يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعلم اسمه ونسبه ، والثانى : أن يكرمه أحد فيرد عليه كرامته ، والثالث : أن يقارب الرجل جاريته أو زوجته فيصيبها قبل أن يحدثها ويؤانسها ، ويضاجعها فيقضى حاجته منها قبل أن تقضى حاجتها منه [٥]) ويكره له الجماع فى ثلاث ليال من الشهر : الأول ، والآخر ، والنصف . يقال : إن الشيطان يحضر الجماع فى هذه الليالى ، ويقال : إن الشياطين يجامعون فيها ، وروى كراهة ذلك عن على ومعاوية وأبى هريرة رضى الله عنهم . ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة وليلته تحقيقاً لأحد التأويلين من قوله صلى الله عليه وسلم (رحم الله من غسل واغتسل [٦]) الحديث . ثم إذا قضى وطره فليتمهل على أهله حتى تقضى هى أيضاً نهمتها ، فإن إنزالها ربما يتأخر فيهيج شهوتها ، ثم القعود عنها إيذاء لها ، والاختلاف فى طبع الإنزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقا إلى الإنزال ، والتوافق فى وقت الإنزال ألذ عندها ليشتغل الرجل بنفسه عنها ، فإنها ربما تستحى . وينبغى أن يأتيها فى كل أربع ليال مرة فهو أعدل ، إذ عدد النساء أربعة فجاز التأخير إلى هذا الحد ، نعم ينبغى أن يزيد أو ينقص بحسب حاجتها فى التحصين ، فإن تحصينها واجب عليه ، وإن كان لا يثبت المطالبة بالوطء فذلك لعسر المطالبة والوفاء بها ، ولا يأتيها فى المحيض ، ولا بعد انقضائه وقبل الغسل ، فهو محرم بنص الكتاب ، وقيل : إن ذلك يورث الجذام فى الولد ، وله أن يستمتع بجميع بدن الحائض ولا يأتيها فى غير المأتى ، إذ حرم غشيان الحائض لأجل الأذى ، والأذى غير المأتى دائم فهو أشد تحريما من إتيان الحائض . وقوله تعالى ﴿ فأتوا حرثكم انى شئتم ﴾ أى أى وقت شئتم ، وله أن يستمنى بيديها ، وأن يستمتع بما تحت الإزار بما يشتهى سوى الوقاع . وينبغى أن تتزر المرأة بإزار من حقوها إلى فوق الركبة فى حال الحيض ، فهذا من الأدب ، وله أن يؤاكل الحائض ، ويخالطها فى المضاجعة وغيرها ، وليس عليه اجتنابها ، وإن أراد أن يجامع ثانيا بعد أخرى فليغسل فرجه أولا ، وإن احتلم فلا يجامع حتى يغسل فرجه أو يبول ، ويكره الجماع فى أول الليل حتى لا ينام على غير طهارة ، فإن أراد النوم أو الأكل فليتوضأ أولا وضوء الصلاة فذلك سنة . قال ابن عمر : قلت للنبى صلى الله عليه وسلم : أينام أحدنا وهو جنب ؟ قال « نعم إذا توضأ [٧] » ولكن قد وردت فيه رخصة قالت عائشة رضى الله

---

(١) حديث « لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : اللهم جنبنا الشيطان ... الحديث » متفق عليه من حديث ابن عباس .

(٢) حديث « كان يغطى رأسه ويغض صوته ويقول المرأة « عليك بالسكينة » رواه الخطيب من حديث أم سلمة بسند ضعيف .

(٣) حديث « إذا جامع أحدكم امرأته فلا يتجردان تجرد العيرين » أخرجه ابن ماجه من حديث عتبة بن عبد بسند ضعيف .

(٤) حديث « لايقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة ... الحديث . رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس وهو منكر . (٥) حديث « ثلاث من العجز فى الرجل . أن يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعرف اسمه ... الحديث » رواه أبو منصور الديلمى من حديث أخصر منه وهو بعض الحديث الذى قبله . (٦) حديث « رحم الله من غسل واغتسل » تقدم فى الباب الخامس من الصلاة . (٧) حديث ابن عمر : قلت للنبى صلى الله عليه وسلم : أينام أحدنا وهو جنب؟ قال « نعم إذا توضأ » ، متفق عليه من حديثه أن عمر سأل ، لا أن عبد الله هو السائل .

عنها « كان النبي صلى الله عليه وسلم ينام جنبا لم يمس ماء [١] » ومهما عاد إلى فراشه فليمسح وجه فراشه أو لينفضه ، فإنه لايدرى ما حدث عليه بعده ، ولا ينبغى أن يحلق أو يقلم أو يستحد أو يخرج الدم أو يبين من نفسه جزءا وهو جنب ؛ إذ ترد إليه سائر أجزائه فى الآخرة فيعود جنبا ، ويقال : إن كل شعرة تطالبه بجنابتها . ومن الآداب أن لايعزل ، بل لايسرح إلا إلى محل الحرث وهو الرحم ، فما من نسمة قدر الله كونها إلا وهى كائنة [٢] هكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن عزل فقد اختلف العلماء فى إباحته وكراهته على أربع مذاهب ، فمن مبيح مطلقا بكل حال ، ومن محرم بكل حال ، ومن قائل يحل برضاها ولا يحل دون رضاها ، وكأن هذا القائل يحرم الإيذاء دون العزل ، ومن قائل يباح فى المملوكة دون الحرة . والصحيح عندنا أن ذلك مباح ، وأما الكراهية فإنها تطلق لنهى التحريم ولنهى التنزيه ولترك الفضيلة ، فهو مكروه بالمعنى الثالث أى فيه ترك فضيلة ، كما يقال : يكره للقاعد فى المسجد أن يقعد فارغا لايشتغل بذكر أو صلاة ، ويكره للحاضر فى مكة مقيمها أن لايحج كل سنة ، والمراد بهذه الكراهية ترك الأولى والفضيلة فقط ، وهذا ثابت لما بيناه من الفضيلة فى الولد ، ولما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليجامع أهله فيكتب له بجماعه أجر ولد ذكر قاتل فى سبيل الله فقتل [٣] » وإنما قال ذلك لأنه لو ولد له مثل هذا الولد لكان له أجر التسبب إليه ، مع أن الله تعالى خالقه ومحييه ومقويه على الجهاد ، والذى إليه من التسبب فقد فعله وهو الوقاع ، وذلك عند الإمناء فى الرحم . وإنما قلنا لا كراهة بمعنى التحريم والتنزيه ، لأن إثبات النهى إنما يمكن بنص أو قياس على منصوص ولا نص ولا أصل يقاس عليه ، بل ههنا أصل يقاس عليه وهو ترك النكاح أصلا أو ترك الجماع بعد النكاح أو ترك الإنزال بعد الإيلاج ، فكل ذلك ترك للأفضل وليس بارتكاب نهى ولافرق ، إذ الولد يتكون بوقوع النطفة فى الرحم ، ولها أربعة أسباب : النكاح ، ثم الوقاع ، ثم الصبر إلى الإنزال بعد الجماع ، ثم الوقوف لينصب المنى فى الرحم ، وبعض هذه الأسباب أقرب من بعض ، فالامتناع عن الرابع كالامتناع عن الثالث ، وكذا الثالث كالثانى ، والثانى كالأول ، وليس هذا كالإجهاض والوأد ، لأن ذلك جناية على موجود حاصل ، وله أيضا مراتب وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة فى الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحياة وإفساد ذلك جناية ، فإن صارت مضغة وعلقة كانت الجناية أفحش ، وإن نفخ فيه الروح واستوت الخلقة ازدادت الجناية تفاحشا ، ومنتهى التفاحش فى الجناية بعد الانفصال حيا . وإنما قلنا مبدأ سبب الوجود من حيث وقوع المنى فى الرحم لامن حيث الخروج من الإحليل ، لأن الولد لايخلق من منى الرجل وحده بل من الزوجين جميعا إما من مائه ومائها أو من مائه ودم الحيض ، قال بعض أهل التشريح : إن المضغة تخلق بتقدير الله من دم الحيض ، وإن الدم منها كاللبن من الرائب ، وإن النطفة من الرجل شرط فى خثور دم الحيض وانعقاده كالأنفحة للبن ، إذ بها ينعقد الرائب ، وكيفما كان فماء المرأة ركن فى الانعقاد فيجرى الماءان مجرى الإيجاب والقبول فى الوجود الحكمى فى العقود ، فمن أوجب ثم رجع قبل القبول لايكون جانيا على العقد بالنقض والفسخ ، ومهما اجتمع الإيجاب والقبول كان الرجوع بعده رفعا وفسخا وقطعا ، وكما أن النطفة فى الفقار لا يتخلق منها الولد فكذا بعد الخروج من الإحليل مالم يمتزج بماء المرأة ودمها ، فهذا هو القياس الجلى .

---

(١) حديث عائشة : كان ينام جنبا لم يمس ماء رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه . وقال يزيد بن هارون : إنه وهم ، ونقل البيهقى عن الحافظ الطعن فيه ، قال : وهو صحيح من جهة الرواية .

(٢) حديث « مامن نسمة قدر الله كونها إلا وهى كائنة » متفق عليه من حديث أبى سعيد .

(٣) حديث « إن الرجل ليجامع أهله فيكتب له من جماعه أجر ولد ذكر يقاتل فى سبيل الله » لم أجد له أصلا .

* فإن قلت : فإن لم يكن العزل مكروها من حيث إنه دفع لوجود الولد فلا يبعد أن يكره لأجل النية الباعثة عليه ، إذ لا يبعث عليه إلا نية فاسدة فيها شيء من شوائب الشرك الخفي * فأقول : النيات الباعثة على العزل خمس : الأولى في السراري وهو حفظ الملك عن الهلاك باستحقاق العتاق وقصد استبقاء الملك بترك الإعتاق ودفع أسبابه ليس بمنهي عنه . الثانية : استبقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع واستبقاء حياتها خوفا من خطر الطلق ، وهذا أيضا ليس منهيا عنه . الثالثة : الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد والاحتراز من الحاجة إلى التعب في الكسب ودخول مداخل السوء ، وهذا أيضا غير منهي عنه ، فإن قلة الحرج معين على الدين ، نعم الكمال والفضل في التوكل والثقة بضمان الله حيث قال ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ ولا جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال وترك الأفضل ، ولكن النظر إلى العواقب وحفظ المال وادخاره مع كونه مناقضا للتوكل لا نقول إنه منهي عنه . الرابعة : الخوف من الأولاد الإناث لما يعتقد في تزويجهن من المعرة كما كانت من عادة العرب في قتلهم الإناث ، فهذه نية فاسدة لو ترك بسببها أصل النكاح أو أصل الوقاع أثم بها لا بترك النكاح والوطء ، فكذا في العزل ، والفساد في اعتقاد المعرة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد ، وينزل منزلة امرأة تركت النكاح استنكافا من أن يعلوها رجل فكانت تتشبه بالرجال ، ولا ترجع الكراهة إلى عين ترك النكاح . الخامسة : أن تمتنع المرأة لتعززها ومبالغتها في النظافة والتحرز من الطلق والنفاس والرضاع ، وكان ذلك عادة نساء الخوارج لمبالغتهن في استعمال المياه ، حتى كن يقضين صلوات أيام الحيض ولا يدخلن الخلاء إلا عراة ، فهذه بدعة تخالف السنة ، فهي نية فاسدة ؛ واستأذنت واحدة منهن على عائشة رضي الله عنها لما قدمت البصرة فلم تأذن لها ، فيكون القصد هو الفاسد دون منع الولادة .

* فإن قلت : فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا ثلاثا [1] » . قلت : فالعزل كترك النكاح . وقوله « ليس منا » أي ليس موافقا لنا على سنتنا وطريقتنا وسنتنا فعل الأفضل .

* فإن قلت : فقد قال صلى الله عليه وسلم في العزل « ذاك الوأد الخفي » وقرأ : وإذا الموءودة سئلت [2] » وهذا في الصحيح . قلنا : وفي الصحيح أيضا أخبار صحيحة [3] في الإباحة ، وقوله « الوأد الخفي » كقوله (الشرك الخفي) وذلك يوجب كراهة لا تحريما .

* فإن قلت : فقد قال ابن عباس : العزل هو الوأد الأصغر ، فإن الممنوع وجوده به هو الموءودة الصغرى .

قلنا : هذا قياس منه لدفع الوجود على قطعه وهو قياس ضعيف ، ولذلك أنكره عليه علي رضي الله عنه ، لما سمعه قال : ولا تكون موءودة إلا بعد سبع ، أي بعد الأخرى سبعة أطوار ، وتلا الآية الواردة في أطوار الخلقة وهي قوله تعالى ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ﴾ إلى قوله ﴿ ثم أنشأناه خلقا آخر ﴾ أي نفخنا فيه الروح ، ثم تلا قوله تعالى في الآية ﴿ وإذا الموءودة سئلت ﴾ وإذا نظرت إلى ما قدمناه في طريق القياس والاعتبار ، ظهر لك تفاوت منصب علي وابن عباس رضي الله عنهما في الغوص على المعاني ودرك

---

(١) حديث « من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا » تقدم في أوائل النكاح . (٢) حديث قال صلى الله عليه وسلم في العزل « ذلك الوأد الخفي » أخرجه مسلم من حديث جذامة بنت وهب . (٣) أحاديث إباحة العزل ، رواها مسلم من حديث أبي سعيد : أنهم سألوه عن العزل فقال « لا عليكم أن لا تفعلوه » ورواه النسائي من حديث أبي صرمة ، وللشيخين من حديث جابر : كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، زاد مسلم : فبلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا . وللنسائي من حديث أبي هريرة سئل عن العزل فقيل : اليهود تزعم أنها الموءودة الصغرى ؛ فقال : كذبت يهود . قال البيهقي : رواة الإباحة أكثر وأحفظ .

العلوم ، كيف وفى المتفق عليه فى الصحيحين على جابر أنه قال (كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل) وفى لفظ آخر (كنا نعزل فبلغ ذلك نبى الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا [1]) وفيه أيضا عن جابر أنه قال (إن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن لى جارية خادمتنا وساقيتنا فى النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل ، فقال عليه الصلاة السلام (اعزل عنها إن شئت فإنه سيأتيها ما قدر لها) فلبث الرجل ماشاء الله ثم أتاه فقال : إن الجارية قدحملت ، فقال (قد قلت سيأتيها ماقدر لها [2]) كل ذلك فى الصحيحين .

الحادى عشر : فى آداب الولادة وهى خمسة : (الأول) أن لايكثر فرحه بالذكر وحزنه بالأنثى ، فإنه لايدرى الخيرة له فى أيهما ، فكم من صاحب ابن يتمنى أن لايكون له ، أو يتمنى أن يكون بنتا ، بل السلامة منهن أكثر والثواب فيهن أجزل قال صلى الله عليه وسلم (من كان له ابنة فأدبها فأحسن تأديبها وغذاها فأحسن غذاءها وأسبغ عليها من النعمة التى أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار إلى الجنة [3]) وقال ابن عباس رضى الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما صحبتاه إلا أدخلتاه الجنة [4]) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ما صحبتاه كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين [5]) وقال أنس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئا فحمله إلى بيته فخص به الإناث دون الذكور نظر الله إليه ، ومن نظر الله إليه لم يعذبه [6]) وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من حمل طرفة من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليبدأ بالإناث قبل الذكور فإنه من فرح أنثى فكأنما بكى من خشية الله ومن بكى من خشيته حرم الله بدنه على النار [7]) وقال أبو هريرة : قال صلى الله عليه وسلم (من كانت له ثلاث بنات أو أخوات فصبر على لأوائهن وضرائهن أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن ، فقال رجل : وثنتان يا رسول الله ؟ قال : وثنتان . فقال رجل : أو واحدة ؟ فقال وواحدة [8]) (الأدب الثانى) . أن يؤذن فى اذن الولد : روى رافع عن أبيه قال (رأيت النبى صلى الله عليه وسلم قد أذن فى أذن الحسين حين ولدته فاطمة رضى الله عنها [9]) وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (من ولد له مولود فأذن فى أذنه اليمنى وأقام فى أذنه اليسرى دفعت عنه أم الصبيان [10]) ويستحب أن يلقنوه أول انطلاق لسانه

---

(١) حديث جابر المتفق عليه فى الصحيحين : كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا ، هو كما ذكر متفق عليه ، إلا أن قوله « فلم ينهنا » انفرد بها مسلم . (٢) حديث جابر : أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن لى جارية وهى خادمتنا وساقيتنا فى النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل ؟ فقال : اعزل عنها إن شئت .. الحديث ، ذكر المصنف أنه فى الصحيحين وليس كذلك ، وإنما انفرد به مسلم .

(٣) حديث « من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها وغذاها فأحسن غذاءها .. الحديث » أخرجه الطبرانى فى الكبير ، والخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف . (٤) حديث ابن عباس « مامن أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما صحبتاه إلا أدخلتاه الجنة » أخرجه ابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد . (٥) حديث أنس « من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ماصحبتاه كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين » رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف . ورواه الترمذى بلفظ « من عال جاريتين » وقال حسن غريب . (٦) حديث أنس « من خرج الى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئاً فحمله إلى بيته فخص به الإناث دون الذكور نظر الله إليه ، ومن نظر الله إليه لم يعذبه » أخرجه الخرائطى بسند ضعيف .

(٧) حديث أنس « من حمل طرفة من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة » أخرجه الخرائطى بسند ضعيف جدا ، وأخرجه ابن عدى فى الكامل . وقال ابن الجوزى : حديث موضوع . (٨) حديث أبى هريرة « من كانت له ثلاث بنات أو أخوات فصبر على لأوائهن . . الحديث » رواه الخرائطى واللفظ له والحاكم ولم يقل : أو أخوات وقال . صحيح الإسناد .

(٩) حديث أبى رافع : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن فى أذن الحسن حين ولدته فاطمة . أخرجه أحمد واللفظ له وأبو داود والترمذى وصححه ، إلا أنهما قالا « الحسن » مكبرا ، وضعفه ابن القطان . (١٠) حديث « من ولد له مولود وأذن فى أذنه اليمنى وأقام فى أذنه اليسرى دفعت عنه أم الصبيان » أبو يعلى الموصلى وابن السنى فى اليوم والليلة ، والبيهقى فى شعب الإيمان =

لا إله إلا الله ، ليكون أول حديثه ، والختان فى اليوم السابع ورد به خبر [١] (الأدب الثالث): أن تسميه اسما حسنا ؛ فذلك من حق الولد . وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سميتم فعبدوا [٢] » وقال عليه الصلاة والسلام « أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن [٣] » وقال « سموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى [٤] » قال العلماء : كان ذلك فى عصره صلى الله عليه وسلم إذ كان ينادى يا أبا القاسم والآن فلا بأس ، نعم لا يجمع بين اسمه وكنيته ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا تجمعوا بين اسمى وكنيتى [٥] » وقيل : إنّ هذا أيضا كان فى حياته ، وتسمى رجل أبا عيسى فقال عليه السلام « إنّ عيسى لا أب له [٦] » فيكره ذلك ، والسقط ينبغى أن يسمى . قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية : بلغنى أنّ السقط يصرخ يوم القيامة وراء أبيه فيقول : أنت ضيعتنى وتركتنى لا اسم لى ؛ فقال عمر بن عبد العزيز : كيف وقد لا يدرى أنه غلام أو جارية فقال عبد الرحمن : من الأسماء ما يجمعهما كحمزة وعمارة وطلحة وعتبة ، وقال صلى الله عليه وسلم إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم [٧] » ومن كان له اسم يكره يستحب تبديله ، أبدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص بعبد الله [٨] . وكان اسم زينب برة ، فقال عليه السلام « تزكى نفسها » فسماها زينب [٩] ، وكذلك ورد النهى فى تسمية أفلح ويسار ونافع وبركة [١٠] لأنه يقال : أثم بركة ؟ فيقال : لا (الرابع) العقيقة عن الذكر بشاتين ، وعن الأنثى بشاة ذكرا كان أو أنثى . وروت عائشة رضى الله عنها : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر فى الغلام أن يعق بشاتين مكافئتين ، وفى الجارية بشاة [١١] . وروى : أنه عق عن الحسن بشاة [١٢] وهذا رخصة فى الاقتصار على واحدة وقال صلى الله عليه وسلم « مع الغلام عقيقته فأهريقوا عنه دما وأميطوا عنه الأذى [١٣] » ، ومن السنة أن يتصدّق بوزن شعره ذهبا أو فضة ؛ فقد ورد فيه خبر : « أنه عليه السلام أمر فاطمة رضى الله عنها يوم سابع حسين أن تحلق شعره وتتصدّق بزنة شعره فضة [١٤] »

= من حديث الحسين بن على بسند ضعيف . (١) حديث : الختان فى اليوم السابع ، رواه الطبرانى فى الصغير من حديث جابر بسند ضعيف : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عق عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام وإسناده ضعيف . واختلف فى إسناده فقيل : عبد الملك بن إبراهيم بن زهير عن أبيه عن جده . (٢) حديث « إذا سميتم فعبدوا » رواه الطبرانى من حديث عبد الملك ابن أبي زهير عن أبيه معاذ ، وصحح إسناده والبيهقى من حديث عائشة .

(٣) حديث « أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن » أخرجه مسلم من حديث ابن عمر . (٤) حديث « سموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى » متفق عليه من حديث جابر . وفى لفظ « تسموا » . (٥) حديث « لا تجمعوا بين اسمى وكنيتى » رواه أحمد وابن حبان من حديث أبى هريرة ، ولأبى داود والترمذى وحسنه وابن حبان من حديث جابر « من سمى باسمى فلا يتكنى بكنيتى ، ومن تكنى بكنيتى فلا يتسمى باسمى » . (٦) حديث « أن عيسى لا أب له » أخرجه أبو عمر التوقانى فى كتاب معاشرة الأهلين من حديث ابن عمر بسند ضعيف ، ولأبى داود أن عمر ضرب ابناله تكنى أبا عيسى ، وأنكر على المغيرة بن شعبة تكنيه بأبى عيسى ، فقال : رسول الله عليه وسلم كنانى ، وإسناده صحيح . (٧) حديث « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم » أخرجه أبو داود من حديث أبى الدرداء . قال النووى : بإسناد جيد ، وقال البيهقى إنه مرسل . (٨) حديث : بدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص بعبد الله ، رواه البيهقى من حديث عبد الله بن الحارث ابن جزء الزبيدى بسند صحيح . (٩) حديث قال صلى الله عليه وسلم لزينب وكان اسمها برة تزكى نفسها فسماها زينب ، متفق عليه من حديث أبى هريرة . (١٠) حديث النهى فى تسمية أفلح ويسار ونافع وبركة ، أخرجه مسلم من حديث سمرة بن جندب إلا أنه جعل مكان بركة رباحا ، وله من حديث جابر : أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن ينهى أن يسمى بيعلى وبركة .. الحديث

(١١) حديث عائشة : أمر فى الغلام بشاتين مكافئتين ، وفى الجارية بشاة ، أخرجه الترمذى وصححه (١٢) حديث : عق عن الحسن بشاة ، أخرجه الترمذى من حديث على وقال : ليس إسناده بمتصل ، ووصله الحاكم ، إلا أنه قال حسين . ورواه أبو داود من حديث ابن عباس إلا أنه قال « كبشا » . (١٣) حديث « مع الغلام عقيقته فأهريقوا عنه دما وأميطوا عنه الأذى » أخرجه البخارى من حديث سلمان بن عامر الضبى . (١٤) حديث : أمر فاطمة يوم سابع حسين أن يحلق شعره ويتصدق بزنة شعره فضة ، أخرجه الحاكم وصححه من حديث على ، وهو عند الترمذى منقطع بلفظ « حسن » وقال : ليس إسناده بمتصل ، ورواه أحمد من حديث أبى رافع .

قالت عائشة رضى الله عنهما : لايكسر للعقيقة عظم . (الخامس) أن يحنكه بتمرة أو حلاوة . وروى عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت « ولدت عبد الله بن الزبير بقباء ، ثم أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعته فى حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل فى فيه [1] » فكان أول شىء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرك عليه ، وكان أول مولود ولد فى الإسلام ، ففرحوا به فرحا شديدا لأنهم قيل لهم : إن اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم .

الثانى عشر : فى الطلاق ، وليعلم أنه مباح ، ولكنه أبغض المباحات إلى الله تعالى ، وإنما يكون مباحا إذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل ، ومهما طلقها فقد آذاها ، ولا يباح إيذاء الغير إلا بجناية من جانبها أو بضرورة من جانبه ، قال الله تعالى ﴿ فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ﴾ أى لاتطلبوا حيلة للفراق وإن كرهها أبوه فليطلقها . قال ابن عمر رضى الله عنهما ، كان تحتى امرأة أحبها وكان أبى يكرهها ويأمرنى بطلاقها ، فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا ابن عمر طلق امرأتك [2] » فهذا يدل على أن حق الوالد مقدم ، ولكن والد يكرهها ـ لالغرض فاسد ـ مثل عمر ، ومهما آذت زوجها وبذت على أهله فهى جانية ، وكذلك مهما كانت سيئة الخلق أو فاسدة الدين . قال ابن مسعود فى قوله تعالى ﴿ ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ﴾ مهما بذت على أهله وآذت زوجها فهو فاحشة ، وهذا أريد به فى العدة ولكنه تنبيه على المقصود . وإن كان الأذى من الزوج فلها أن تفتدى ببذل مال ، يكره للرجل أن يأخذ منها أكثر مما أعطى فإن ذلك إجحاف بها وتحامل عليها وتجارة على البضع . قال تعالى (فلا جناح عليهما فيما افتدت به) فرد ما أخذته فما دونه لائق بالفداء . فان سألت الطلاق بغير ما بأس فهى آثمة ، قال صلى الله عليه وسلم « أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة [3] » وفى لفظ آخر « فالجنة عليها حرام » وفى لفظ آخر : أنه عليه السلام قال « المختلعات هن المنافقات [4] » ثم ليراع الزوج فى الطلاق أربعة أمور (الأول) أن يطلقها فى طهر لم يجامعها فيه ، فإن الطلاق فى الحيض أو الطهر الذى جامع فيه يدعى حرام وإن كان واقعا ، لما فيه من تطويل العدة عليها ؛ فإن فعل ذلك فليراجعها : طلق ابن عمر زوجته فى الحيض فقال صلى الله عليه وسلم لعمر : مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ، ثم إن شاء طلقها وإن شاء أمسكها . فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء [5] ، وإنما أمره بالصبر بعد الرجعة طهرين لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط (الثانى) أن يقتصر على طلقة واحدة فلا يجمع بين الثلاث ، لأن الطلقة الواحدة بعد العدة تفيد المقصود ويستفيد بها الرجعة إن ندم فى العدة وتجديد النكاح إن أراد بعد العدة ، وإذا طلق ثلاثا ربما ندم فيحتاج إلى أن يتزوجها محلل وإلى الصبر مدة ، وعقد المحلل منهى عنه ، ويكون هو الساعى فيه ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير وتطليقه ـ أعنى زوجة المحلل بعد أن زوج منه ـ ثم يورث ذلك تنفيرا من الزوجة ، وكل ذلك ثمرة الجمع ، وفى الواحدة

---

(١) حديث أسماء : ولدت عبدالله بن الزبير بقباء ثم أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه فى حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل فى فيه ... الحديث : متفق عليه . (٢) حديث ابن عمر : كانت تحتى امرأة أحبها وكان أبى يكرهها ، فأمرنى بطلاقها ... الحديث . رواه أصحاب السنن ، وقال الترمذى : حسن صحيح . (٣) حديث « أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة » وفى لفظ « فالجنة عليها حرام » رواه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث ثوبان . (٤) حديث « المختلعات هن المنافقات » رواه النسائى من حديث أبى هريرة وقال : لم يسمع الحسن من أبى هريرة . قال : ومع هذا لم أسمعه إلا من حديث أبى هريرة . قلت : رواه الطبرانى من حديث عقبة بن عامر بسند ضعيف .

(٥) حديث : طلق ابن عمر زوجته فى الحيض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر « مره فليراجعها ... الحديث » متفق عليه من حديث ابن عمر .

كفاية فى المقصود من غير محذور ، ولست أقول الجمع حرام ، لكنه مكروه بهذه المعانى ، وأعنى بالكراهة تركه النظر لنفسه . (الثالث) أن يتلطف فى التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف ، وتطييب قلبها بهدية على سبيل الإمتاع والجبر لما لحقها به من أذى الفراق . قال تعالى (ومتعوهن) وذلك واجب مهما لم يسم لها مهر فى أصل النكاح . كان الحسن بن على رضى الله عنهما مطلاقا ومنكاحا ، ووجه ذات يوم بعض أصحابه لطلاق امرأتين من نسائه وقال : قل لها اعتدا ، وأمره أن يدفع إلى كل واحدة عشرة آلاف درهم ، ففعل ، فلما رجع إليه قال : ماذا فعلتا ؟ قال أما إحداهما فنكست رأسها وتنكست ، وأما الأخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول : متاع قليل من حبيب مفارق فأطرق الحسن وترحم لها وقال : لو كنت مراجعا امرأة بعد ما فارقتها لراجعتها ، ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ـ فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه ضربت المثل عائشة رضى الله عنها حيث قالت لولم أسر مسيرى ذلك لكان أحب إلى من أن يكون لى ستة عشرا ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : فدخل عليه الحسن فى بيته ، فعظمه عبد الرحمن وأجلسه فى مجلسه وقال : ألا أرسلت إلى فكنت أجيئك ، فقال : الحاجة لنا . قال : وما هى ؟ قال جئتك خاطبا ابنتك ، فأطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه وقال : والله ما على وجه الأرض أحد يمشى عليها أعز على منك ، ولكنك تعلم أن ابنتى بضعة منى يسوءنى ما ساءها ويسرنى ما سرها ، وأنت مطلاق ، فأخاف أن تطلقها ، وإن فعلت خشيت أن يتغير قلبى فى محبتك وأكره أن يتغير قلبى عليك ، فأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن شرطت أن لا تطلقها زوجتك ، فسكت الحسن وقام وخرج وقال بعض أهل بيته . سمعته وهو يمشى ويقول : ما أراد عبد الرحمن إلا أن يجعل ابنته طوقا فى عنق . وكان على رضى الله عنه يضجر من كثرة تطليقه ، فكان يعتذر منه على المنبر ويقول فى خطبته ، إن حسنا مطلاقا فلا تنكحوه ، حتى قام رجل من همدان فقال : والله يا أمير المؤمنين لننكحنه ما شاء ، فإن أحب أمسك وإن شاء ترك ، فسر ذلك عليا وقال :

لو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلى بسلام

وهذا تنبيه على أن من طعن فى حبيبه من أهل وولد بنوع حياء فلا ينبغى أن يوافق عليه ، فهذه الموافقة قبيحة ، بل الأدب المخالفة ما أمكن ، فإن ذلك أسر لقلبه وأوفق لباطن ذاته ، والقصد من هذا بيان أن الطلاق مباح ، وقد وعد الله الغنى فى الفراق والنكاح جميعا فقال (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) وقال سبحانه وتعالى (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته) . (الرابع) أن لا يفشى سرها لا فى الطلاق ولا عند النكاح ، فقد ورد فى إفشاء سر النساء فى الخبر الصحيح وعيد عظيم [1] . ويروى عن بعض الصالحين أنه أراد طلاق امرأة ، فقيل له : ما الذى يريبك فيها ؟ فقال : العاقل : لا يهتك ستر امرأته ، فلما طلقها قيل له . لم طلقتها ؟ فقال : مالى ولامرأة غيرى ، فهذا بيان ما على الزوج .

القسم الثانى من هذا الباب : النظر فى حقوق الزوج عليها

والقول الشافى فيه أن النكاح نوع رق ، فهى رقيقة له ، فعليها طاعة الزوج مطلقا فى كل ما طلب منها فى نفسها مما لا معصية فيه ، وقد ورد فى تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة : قال صلى الله عليه وسلم « أيما امرأة

(١) حديث الوعيد فى إفشاء سر المرأة . رواه مسلم من حديث أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أعظم الخيانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم يفشى سرها » .

ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة [١] » . . وكان رجل قد خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لاتنزل من العلو إلى السفل وكان أبوها فى الأسفل ، فمرض فأرسلت المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن فى النزول إلى أبيها ، فقال صلى الله عليه وسلم « أطيعى زوجك » فمات فاستأمرته فقال « أطيعى زوجك » فدفن أبوها فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها يخبرها أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها [٢] ، وقال صلى الله عليه وسلم « إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها [٣] » وأضاف طاعة الزوج إلى مبانى الإسلام ؟ وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فقال « حاملات والدات مرضعات رحيمات بأولادهن لولا ما يأتين إلى أزواجهن دخل مصلياتهن الجنة [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « اطلعت فى النار فإذا أكثر أهلها النساء ، فقلن : لم يا رسول الله ؟ قال يكثرن اللعن ويكفرن العشير [٥] » يعنى الزوج المعاشر . وفى خبر آخر « اطلعت فى الجنة فإذا أقل أهلها النساء ، فقلت : أين النساء ؟ قال : شغلهن الأحمران الذهب والزعفران [٦] » يعنى الحلى ومصبغات الثياب : وقالت عائشة رضى الله عنها : أتت فتاة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله إنى فتاة أخطب فأكره التزويج ، فما حق الزوج على المرأة ؟ قال « لو كان من فرقه إلى قدمه صديد فلحسته ماأدت شكره » قالت : أفلا أتزوج ؟ قال « بلى تزوجى فإنه خير [٧] » قال ابن عباس : « أتت امرأة من خثعم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : إنى امرأة أيم وأريد أن تزوج ، فما حق الزوج ؟ قال : إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها عن نفسها وهى على ظهر بعير لا تمنعه ، ومن حقه أن لاتعطى شيئا من بيته إلا بإذنه ، فإن فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له ، ومن حقه أن لاتصوم تطوعا إلا بإذنه ، فإن فعلت جاعت وعطشت ولم يتقبل منها ، وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع إلى بيته أو تتوب [٨] » وقال صلى الله عليه وسلم « لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها [٩] » . وقال صلى الله عليه وسلم « أقرب ماتكون المرأة من وجه ربها إذا كانت فى قعر بيتها ، وإن صلاتها فى صحن دارها أفضل من صلاتها فى المسجد ، وصلاتها فى بيتها أفضل من صلاتها فى صحن دارها ، وصلاتها

---

(١) حديث « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » أخرجه الترمذى وقال حسن غريب ، وابن ماجه من حديث أم سلمة .

(٢) حديث : كان رجل خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لاتنزل من العلو إلى السفل وكان أبوها فى السفل فمرض ... الحديث ، أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف ، إلا أنه قال : غفر لأبيها . (٣) حديث « إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها ... الحديث » أخرجه ابن حبان من حديث أبى هريرة . (٤) حديث : ذكر النساء فقال « حاملات والدات مرضعات ... الحديث » أخرجه ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبى أمامة دون قوله « مرضعات » وهى عند الطبرانى فى الصغير . (٥) حديث « اطلعت فى النار فإذا أكثر أهلها النساء ... الحديث » متفق عليه من حديث ابن عباس .

(٦) حديث « اطلعت فى الجنة فاذا أقل أهلها النساء ، فقلت : أين النساء؟ قال : شغلهن الأحمران الذهب والزعفران » أخرجه أحمد من حديث أبى أمامة بسند ضعيف ، وقال « الحرير » بدل « الزعفران » ولمسلم من حديث عزة الأشجعية « ويل للنساء من الأحمرين : الذهب والزعفران » وسنده ضعيف . (٧) حديث عائشة : أتت فتاة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : يانبى الله ، انى فتاة أخطب وانى أكره التزويج فما حق الزوج على المرأة ؟ الحديث ، أخرجه الحاكم وصحح اسناده من حديث أبى هريرة دون قوله « بلى فتزوجى فانه خير » ولم أره من حديث عائشة . (٨) حديث ابن عباس : أتت امرأة من خثعم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : انى امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج ؟ الحديث ، أخرجه البيهقى مقتصرا على شطر الحديث ، ورواه بتمامه من حديث ابن عمر وفيه ضعف . (٩) حديث « لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والولد لأبيه من عظم حقهما عليها » أخرجه الترمذى وابن حبان من حديث أبى هريرة دون قوله « والولد لأبيه » فلم أرها وكذلك رواه أبو داود من حديث قيس بن سعد ، وابن ماجه من حديث عائشة ، وابن حبان من حديث ابن أبى أوفى .

فى مخدعها أفضل من صلاتها فى بيتها [١] ، والمخدع : بيت فى بيت ، وذلك للستر ، ولذلك قال عليه السلام « المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان [٢] » وقال أيضا « للمرأة عشر عورات ، فإذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة ؛ فإذا ماتت ستر القبر العشر عورات [٣] » لحقوق الزوج على الزوجة كثيرة ، وأهمها أمران ، أحدهما : الصيانة والستر . والآخر : ترك المطالبة بما وراء الحاجة ، والتعفف عن كسبه إذا كان حراما ، وهكذا كانت عادة النساء فى السلف : كان الرجل إذا خرج من منزله تقول له امرأته أو ابنته : إياك وكسب الحرام فإنا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار . وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره ، فقالوا لزوجته : لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة ؟ فقالت : زوجى منذ عرفته عرفته أكالا وما عرفته رزاقا ، ولى رب رزاق : يذهب الأكال ويبقى الرزاق . وخطبت رابعة بنت إسمعيل أحمد بن أبى الحوارى ، فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها : والله مالى همة فى النساء لشغلى بحالى ، فقالت : إنى لأشغل بحالى منك ومالى شهوة ، ولكن ورثت مالا جزيلا من زوجى فأردت أن تنفقه على إخوانك ، وأعرف بك الصالحين فيكون لى طريقا إلى الله عز وجل ، فقال : حتى استأذن أستاذى ، فرجع إلى ابى سليمان الدارانى ، قال : وكان ينهانى عن التزويج ويقول : ما تزوج أحد من أصحابنا إلا تغير ؛ فلما سمع كلامها قال : تزوج بها فإنها ولية لله ، هذا كلام الصديقين ، قال : فتزوجتها فكان فى منزلنا كن من جص ففنى من غسل أيدى المستعجلين للخروج بعد الأكل فضلا عمن غسل بالأشنان . قال : وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمنى الطيبات وتطيبنى وتقول : اذهب بنشاطك وقوتك إلى أزواجك ، وكانت رابعة هذه تشبه فى أهل الشام برابعة العدوية بالبصرة . ومن الواجبات عليها : أن لا تفرط فى ماله بل تحفظه عليه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام الذى يخاف فساده ، فإن أطعمت عن رضاه كان لها مثل أجره ، وإن أطعمت بغير إذنه كان له الأجر وعليها الوزر [٤] » ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن المعاشرة ، وآداب العشرة مع الزوج كما روى أن أسماء بنت خارجة الفزارى قالت لابنتها عند التزوج إنك خرجت من العش الذى فيه درجت فصرت إلى فراش لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكونى له أرضا يكن لك سماء وكونى له مهادا يكن لك عماداً وكونى له أمة يكن لك عبداً ، لا تلحفى به فيقلاك ولا تباعدى عنه فينساك إن دنا منك فاقربى منه ، وإن نأى فأبعدى عنه ، واحفظى أنفه وسمعه وعينه ، فلا يشمن منك إلا طيبا ، ولا يسمع إلا حسنا ، ولا ينظر إلا جميلا . وقال رجل لزوجته :

خذى العفو منى تستديمى مودتى ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب

---

(١) حديث « أقرب ما تكون المرأة من ربها إذا كانت فى قعر بيتها فإن صلاتها فى صحن دارها أفضل من صلاتها فى المسجد ... الحديث » أخرجه ابن حبان من حديث ابن مسعود بأول الحديث دون آخره ، وآخره رواه أبو داود مختصراً من حديثه دون ذكر صحن الدار . ورواه البيهقى من حديث عائشة بلفظ « ولأن تصلى فى الدار خير لها من أن تصلى فى المسجد » وإسناده حسن ؛ ولابن حبان من حديث أم حميد نحوه . (٢) حديث « المرأة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان » رواه الترمذى وقال حسن صحيح وابن حبان من حديث ابن مسعود . (٣) حديث « للمرأة عشر عورات فإذا تزوجت ستر الزوج عورة ... الحديث » أخرجه الحافظ أبوبكر محمد بن عمر الجعابى فى تاريخ الطالبيين من حديث على بسند ضعيف وللطبرانى فى الصغير من حديث ابن عباس « للمرأة ستران . قيل : وماهما ؟ قال : الزوج والقبر » . (٤) حديث « لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام ... الحديث » أخرجه أبو داود الطيالسى والبيهقى من حديث ابن عمر فى حديث فيه « ولا تعطى من بيته شيئاً إلا بإذنه ؛ فإن فعلت ذلك كان له الأجر وعليها الوزر » ولأبى داود من حديث سعد : قالت امرأة يارسول الله ، إنا كل على آبائنا وأبنائنا وأزواجنا ، فما يحل لنا من أموالهم ؟ قال « الرطب تأكلنه وتهدينه » وصحح الدارقطنى فى العلل أن سعداً هذا رجل من الأنصار ليس ابن أبى وقاص ، واختاره ابن القطان ، ولمسلم من حديث عائشة « إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ، ولزوجها أجره بما كسب » .

ولا تتقربي نقرك الدف مرة فإنك لا تدرين كيف المغيب
ولا تكثري الشكوى فتذهب بالهوى ويأباك قلبي والقلوب تقلب
فإني رأيت الحب في القلب والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

فالقول الجامع في آداب المرأة من غير تطويل : أن تكون قاعدة في قعر بيتها لازمة لمغزلها ، لا يكثر صعودها واطلاعها ، قليلة الكلام لجيرانها ، لا تدخل عليهم إلا في حال يوجب الدخول ، تحفظ بعلها في غيبته ، وتطلب مسرته في جميع أمورها ، ولا تخونه في نفسها وماله ، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه ، فإن خرجت بإذنه فمختفية في هيئة رثة ، تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق ، محترزة من أن يسمع غريب صوتها أو يعرفها بشخصها لا تتعرف إلى صديق بعلها في حاجاتها ، بل تتنكر على من تظن أنه يعرفها أو تعرفه ، همها صلاح شأنها وتدبير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها ، وإذا استأذن صديق لبعلها على الباب وليس البعل حاضرا لم تستفهم ولم تعاوده في الكلام غيرة على نفسها وبعلها ، وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله ، وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائر أقاربها ، متنظفة في نفسها مستعدة في الأحوال كلها للتمتع بها إن شاء ، مشفقة على أولادها ، حافظة للستر عليهم ، قصيرة اللسان عن سب الأولاد ومراجعة الزوج . وقد قال صلى الله عليه وسلم « أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين في الجنة : امرأة آمت من زوجها وحبست نفسها على بناتها حتى ثابوا أو ماتوا [1] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « حرم الله على كل آدمي الجنة يدخلها قبلي ، غير أني أنظر عن يميني فإذا امرأة تبادرني إلى باب الجنة فأقول : ما لهذه تبادرني ؟ فيقال لي : يا محمد ، هذه امرأة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها ، فصبرت عليهن حتى بلغ أمرهن الذي بلغ فشكر الله لها ذلك [2] » ، ومن آدابها : أن لا تتفاخر على الزوج بجمالها ولا تزدري زوجها لقبحه ، فقد روى أن الأصمعي قال : دخلت البادية فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجها تحت رجل من أقبح الناس وجها ، فقلت لها : يا هذه أترضين لنفسك أن تكوني تحت مثله ؟ فقالت : يا هذا اسكت فقد أسأت في قولك ، لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه ، أو لعلي أسأت فيما بيني وبين خالقي فجعله عقوبتي ، أفلا أرضى بما رضي الله لي فأسكتني . وقال الأصمعي : رأيت في البادية امرأة عليها قميص أحمر وهي مختضبة وبيدها سبحة ، فقلت : ما أبعد هذا من هذا ؟ فقالت :

ولله مني جانب لا أضيعه وللهو مني والبطالة جانب

فعلمت أنها امرأة صالحة لها زوج تتزين له . ومن آداب المرأة ملازمة الصلاح والانقباض في غيبة زوجها والرجوع إلى اللعب والانبساط وأسباب اللذة في حضور زوجها ، ولا ينبغي أن تؤذي زوجها بحال . روى عن معاذ ابن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله ، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا [3] » ، ومما يجب عليها من حقوق النكاح إذا مات عنها زوجها أن لا تحد عليه أكثر من أربعة أشهر وعشر وتتجنب الطيب والزينة في هذه المدة ، قالت زينب بنت أبي سلمة : دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب ،

---

(١) حديث « أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين .. الحديث » رواه أبو داود من حديث أبي مالك الأشجعي بسند ضعيف .
(٢) حديث « حرم الله على كل آدمي الجنة أن يدخل قبلي غير أني أنظر عن يميني فاذا امرأة تبادرني الى باب الجنة » رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة بسند ضعيف . (٣) حديث معاذ « لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه .. الحديث » رواه الترمذي وقال حسن غريب ، وابن ماجه .

فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره ، فدهنت به جارية ، ثم مست بعارضيها ، ثم قالت : والله مالى بالطيب من حاجة غير أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً [1] » ويلزمها لزوم مسكن النكاح إلى آخر العدة ، وليس لها الانتقال إلى أهلها ولا الخروج إلا لضرورة . ومن آدابها : أن تقوم بكل خدمة فى الدار تقدر عليها ، فقد روى عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما أنها قالت : تزوجنى الزبير وماله فى الأرض من مال ولا مملوك ولا شىء غير فرسه وناضحه فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه وأدق النوى لناضحه وأعلفه وأستقى الماء وأخرز غربه وأعجن ، وكنت أنقل النوى على رأسى من ثلثى فرسخ حتى أرسل إلى أبو بكر بجارية فكفتنى سياسة الفرس فكأنما أعتقنى [2]. ولقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ومعه أصحابه والنوى على رأسى فقال صلى الله عليه وسلم « أخ أخ » ليبيخ ناقته ويحملنى خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال ، وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس ، فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى قد استحييت ، فجئت الزبير فحكيت له ما جرى ، فقال : والله لحملك النوى على رأسك أشد على من ركوبك معه .

تم كتاب آداب النكاح بحمد الله ومنه وصلى الله على كل عبد مصطفى

كتاب آداب الكسب والمعاش

وهو الكتاب الثالث من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله حمد موحد انمحق فى توحيده ما سوى الواحد الحق وتلاشر . ونمجده تمجيد من يصرح بأن كل شىء ما سوى الله باطل ولا يتحاشى . وأن كل من فى السموات والأرض لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ولا فراشا . ونشكره إذ رفع السماء لعباده سقفا مبنيا ، ومهد الأرض بساطا لهم وفراشا . وكور الليل على النهار فجعل الليل لباسا والنهار معاشا . لينتشروا فى ابتغاء فضله وينتعشوا به عن ضراعة الحاجات انتعاشا ، ونصلى على رسوله الذى يصدر المؤمنون عن حوضه رواء بعد ورودهم عليه عطاشا . وعلى آله وأصحابه الذين لم يدعوا فى نصرة دينه تشمرا وانكماشا . وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد : فإن رب الأرباب ومسبب الأسباب . جعل الآخرة دار الثواب والعقاب ، والدنيا دار التحمل والاضطراب . والتشمر والاكتساب . وليس التشمر فى الدنيا مقصوراً على المعاد دون المعاش ، بل المعاش ذريعة إلى المعاد ومعين عليه ، فالدنيا مزرعة الآخرة ومدرجة إليها . والناس ثلاثة : رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الفائزين ، والأقرب إلى الاعتدال هو الثالث الذى شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين . ولن ينال رتبة

---

(١) حديث أم حبيبة « لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا » متفق عليه . (٢) حديث أسماء « تزوجنى الزبير وماله فى الأرض من مال ولا مملوك ولاشىء غير فرس وناضح ، فكنت أعلف فرسه ... الحديث » متفق عليه .

الاقتصاد من لم يلازم فى طلب المعيشة منهج السداد ، ولن ينتهض من طلب الدنيا وسيلة إلى الآخرة وذريعة ، مالم يتأدب فى طلبها بآداب الشريعة وها نحن نورد آداب التجارات والصناعات وضروب الاكتسابات وسننها ونشرحها فى خمسة أبواب (الباب الأول) فضل الكسب والحث عليه (الباب الثانى) فى علم صحيح البيع والشراء والمعاملات (الباب الثالث) فى بيان العدل فى المعاملة (الباب الرابع) فى بيان الإحسان فيها (الباب الخامس) فى شفقه التاجر على نفسه ودينه .

الباب الأول : فى فضل الكسب والحث عليه

أما من الكتاب فقوله تعالى ﴿ وجعلنا النهار معاشا ﴾ فذكره فى معرض الامتنان . وقال تعالى ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ﴾ لجعلها ربك نعمة وطلب الشكر عليها . وقال تعالى ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ﴾ وقال تعالى ﴿ وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله ﴾ وقال تعالى ﴿ فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ وأما الأخبار ؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهم فى طلب المعيشة [1] » وقال عليه الصلاة والسلام « التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسئلة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقى الله ووجهه كالقمر ليلة البدر [3] » وكان صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر يسعى ، فقالوا : ويح هذا ، لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله ؛ فقال صلى الله عليه وسلم « لا تقولوا هذا ، فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو فى سبيل الله ! وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو فى سبيل الله ، وإن كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو فى سبيل الشيطان [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغنى بها عن الناس ، ويبغض العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة [5] » وفى الخبر « إن الله تعالى يحب المؤمن المحترف [6] » وقال صلى الله عليه وسلم (أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور [7])

كتاب آداب الكسب : الباب الأول فى فضل الكسب والحث عليه

(١) حديث « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهم فى طلب المعيشة » تقدم فى النكاح . (٢) حديث « التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء » أخرجه الترمذى والحاكم من حديث أبى سعيد . قال الترمذى : حسن ، وقال الحاكم : إنه من مراسيل الحسن ، ولابن ماجه والحاكم نحوه من حديث ابن عمر . (٣) حديث « من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسألة وسعياً على عياله ... الحديث » أخرجه أبو الشيخ فى كتاب الثواب ، وأبو نعيم فى الحلية . والبيهقى فى شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بسند ضعيف . (٤) حديث : كان صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظر الى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر يسعى ، فقالوا : ويح هذا ، لو كان جلده فى سبيل الله ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى معاجمه الثلاثة من حديث كعب بن عجرة بسند ضعيف . (٥) حديث « ان الله يحب العبد يتخذ المهنة يستغنى بها عن الناس ... الحديث » لم أجده هكذا ، وروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على « ان الله يحب أن يرى عبده تعباً فى طلب الحلال » وفيه محمد بن سهل العطار قال الدارقطنى : يضع الحديث . (٦) حديث « ان الله يحب المؤمن المحترف » أخرجه الطبرانى وابن عدى وضعفه من حديث ابن عمر . (٧) حديث « أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور » أخرجه أحمد من حديث رافع بن خديج ، قيل : يارسول الله أى الكسب أطيب ؟ قال : عمل الرجل بيده وكل عمل مبرور . ورواه البزار والحاكم من رواية سعيد بن عمير عن عمه . قال الحاكم : صحيح الإسناد ، قال : وذكر يحيى بن معين أن عم سعيد : البراء بن عازب . ورواه البيهقى من رواية سعيد بن عمير مرسلا ، وقال : هذا هو المحفوظ ، وخطأ قول من قال عن عمه ، وحكاه عن البخارى ، ورواه أحمد والحاكم من رواية جميع ابن عمير عن خاله أبى بردة ، وجميع ضعيف والله أعلم .

وفى خبر آخر (أحل ما أكل العبد كسب يد الصانع إذا نصح [١]) وقال عليه الصلاة السلام (عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق [٢]) وروى أن عيسى عليه السلام رأى رجلا فقال : ما تصنع ؟ قال : أتعبد . قال : من يعولك ؟ قال أخى . قال : أخوك أعبد منك . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم (إنى لا أعلم شيئا يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار إلا أمرتكم به ، وإنى لا أعلم شيئا يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار إلا نهيتكم عنه ، وإن الروح الأمين نفث فى روعى : إن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها وإن أبطأ عنها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب) أمر بالإجمال فى الطلب ولم يقل اتركوا الطلب ، ثم قال فى آخره (ولا يحملنكم استبطاء شىء من الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله تعالى ، فإن الله لاينال ماعنده بمعصيته [٣]) وقال صلى الله عليه وسلم (الأسواق موائد الله تعالى ، فمن أتاها أصاب منها [٤]) وقال عليه السلام (لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يأتى رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه [٥]) وقال (من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر [٦]) . وأما الآثار ، فقد قال لقمان الحكيم لابنه : يا بنى ، استغن بالكسب الحلال عن الفقر ، فإنه ماافتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال : رقة فى دينه ، وضعف فى عقله ، وذهاب مروءته ، وأعظم من هذه الثلاث : استخفاف الناس به . وقال عمر رضى الله عنه : لايقعد أحدكم عن طلب الرزق يقول اللهم ارزقنى ، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة . وكان زيد بن مسلمة يغرس فى أرضه فقال له عمر رضى الله عنه : أصبت ، استغن عن الناس يكن أصون لدينك وأكرم لك عليهم ، كما قال صاحبكم أحيحة :

فلن أزال على الزوراء أغمرها إن الكريم على الإخوان ذو المال

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : إنى لأكره أن أرى الرجل فارغا لافى أمر دنياه ولا فى أمر آخرته . وسئل إبراهيم عن التاجر الصدوق ، أهو أحب إليك أم المتفرغ للعبادة ؟ قال التاجر الصدوق أحب إلى . لأنه فى جهاد يأتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل الأخذ والعطاء فيجاهده ، وخالفه الحسن البصرى فى هذا . وقال عمر رضى الله عنه : مامن موضع يأتينى الموت فيه أحب إلى من موطن أتسوق فيه لأهلى أبيع وأشترى . وقال الهيثم : ربما يبلغنى عن الرجل يقع فى فأذكر استغنائى عنه فيهون ذلك على . وقال أيوب : كسب فيه شىء أحب إلى من سؤال الناس . وجاءت ريح عاصفة فى البحر ، فقال أهل السفينة لإبراهيم بن أدهم رحمه الله وكان معهم فيها : أما ترى هذه الشدة ؟ فقال : ماهذه الشدة ، وإنما الشدة الحاجة إلى الناس . وقال أيوب قال لى أبو قلابة : الزم السوق فإن الغنى من العافيه ، يعنى الغنى عن الناس . وقيل لأحمد : ما تقول فيمن جلس فى بيته

---

(١) حديث « أحل ماأكل العبد كسب الصانع اذا نصح » رواه أحمد من حديث أبى هريرة « خير الكسب كسب العامل اذا نصح » واسناده حسن . (٢) حديث «عليكم بالتجارة فان فيها تسعة أعشار الرزق» رواه ابراهيم الحربى فى غريب الحديث من حديث نعيم بن عبد الرحمن « تسعة أعشار الرزق فى التجارة » ورجاله ثقات ، ونعيم هذا قال فيه ابن منده : ذكر فى الصحابة ولايصح . وقال أبو حاتم الرازى وابن حبان : انه تابعى فالحديث مرسل . (٣) حديث « انى لاأعلم شيئاً يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار إلانهيتكم عنه فإن الروح الأمين نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها ... الحديث » رواه ابن أبى الدنيا فى القناعة ، والحاكم من حديث ابن مسعود وذكره شاهداً لحديث أبى حميد وجابر وصححهما على شرط الشيخين ، وهما مختصران ، ورواه البيهقى فى شعب الإيمان وقال : إنه منقطع . (٤) حديث « الأسواق موائد الله فمن أتاها أصاب منها » رويناه فى الطيوريات من قول الحسن البصرى ، ولم أجده مرفوعا . (٥) حديث « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتى رجلا ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة . (٦) حديث «من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر » رواه الترمذى من حديث أبى كبشة الأنمارى « ولافتح عبد باب مسئلة إلا فتح الله عليه باب فقر » أو كلمة نحوها ، وقال : حسن صحيح .

أو مسجده وقال لاأعمل شيئا حتى يأتيني رزقي ؟ فقال أحمد : هذا رجل جهل العلم ، أما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي [1] » وقوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال « تغدو خماصا وتروح بطانا [2] » فذكر أنها تغدو في طلب الرزق ، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم والقدوة بهم . وقال أبو قلابة لرجل : لأن أراك تطلب معاشك أحب إلي من أن أراك في زاوية المسجد . وروى أن الأوزاعي لقي إبراهيم بن أدهم رحمهم الله وعلى عنقه حزمة حطب ؛ فقال له : ياأبا أسحق إلى متى هذا ؟ إخوانك يكفونك ؛ فقال : دعني عن هذا ياأبا عمرو ، فإنه بلغني أنه من وقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة . وقال أبو سليمان الداراني : ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يقوت لك ؟ ولكن ابدأ برغيفيك فأحرزهما ثم تعبد . وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه . ينادي مناد يوم القيامة : أين بغضاء الله في أرضه ؛ فيقوم سؤال المساجد ، فهذه مذمة الشرع للسؤال والاتكال على كفاية الأغيار . ومن ليس له مال موروث فلا ينجيه من ذلك إلا الكسب والتجارة .

فإن قلت : فقد قال صلى الله عليه وسلم « ماأوحى إلي أن اجمع المال وكن من التاجرين ، ولكن أوحى إلي أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين [3] » وقيل لسلمان الفارسي . أوصنا ؛ فقال: من استطاع منكم أن يموت حاجا أو غازيا أو عامرا لمسجد ربه فليفعل ، ولا يموتن تاجرا ولا خائنا » فالجواب : أن وجه الجمع بين هذه الأخبار تفصيل الأحوال ؛ فنقول : لسنا نقول التجارة أفضل مطلقا من كل شيء ، ولكن التجارة إما أن تطلب بها الكفاية أو الثروة أو الزيادة على الكفاية ؛ فإن طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادخاره لاليصرف إلى الخيرات والصدقات فهي مذمومة ، لأنه إقبال على الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة ، فإن كان مع ذلك ظالما خائنا فهو ظلم وفسق ، وهذا ماأراده سلمان بقوله ؛ لاتمت تاجرا ولاخائنا ، وأراد بالتاجر: طالب الزيادة ، فأما إذا طلب بها الكفاية لنفسه وأولاده وكان يقدر على كفايتهم بالسؤال فالتجارة تعففا عن السؤال أفضل ، وإن كان لايحتاج إلى السؤال وكان يعطى عن غير سؤال فالكسب أفضل ، لأنه إنما يعطى لأنه سائل بلسان حاله ومناد بين الناس بفقره ، فالتعفف والتستر أولى من البطالة ، بل من الاشتغال بالعبادات البدنية وترك الكسب أفضل لأربعة : عابد بالعبادات البدنية ؛ أو رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الأحوال والمكاشفات ، أو عالم مشتغل بتربية علم الظاهر مما ينتفع الناس به في دينهم كالمفتي والمفسر والمحدث وأمثالهم ، أو رجل مشتغل بمصالح المسلمين وقد تكفل بأمورهم كالسلطان والقاضي والشاهد ، فهؤلاء إذا كانوا يكفون من الأموال المرصدة للمصالح أو الأوقاف المسبلة على الفقراء أو العلماء ، فإقبالهم على ماهم فيه أفضل من اشتغالهم بالكسب ، ولهذا أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح إليه أن كن من التاجرين لأنه كان جامعا لهذه المعاني الأربعة إلى زيادات لايحيط بها الوصف ، ولهذا أشار الصحابة على أبي بكر رضي الله عنهم بترك التجارة لما ولي الخلافة إذ كان ذلك يشغله عن المصالح ، وكان يأخذ كفايته من مال المصالح : ورأى ذلك أولى ثم لما توفي أوصى برده إلى بيت المال ، ولكنه رآه في الابتداء أولى ، ولهؤلاء الأربعة حالتان أخريان : (أحداهما)

---

(١) حديث « إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي » رواه أحمد من حديث ابن عمر « جعل رزقي تحت ظل رمحي » وإسناده صحيح . (٢) حديث : ذكر الطير فقال « تغدو خماصا وتروح بطانا » أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذي : حسن صحيح . (٣) حديث « ماأوحى الي أن اجمع المال وكن من التاجرين ، ولكن أوحى الي أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين » رواه ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند فيه لين .

أن تكون كفايتهم عند ترك المكسب من أيدى الناس وما يتصدق به عليهم من زكاة أو صدقة من غير حاجة إلى سؤال ، فترك الكسب والاشتغال بما هم فيه أولى ، إذ فيه إعانة الناس على الخيرات وقبول منهم لما هو حق عليهم وأفضل لهم . (الحالة الثانية) الحاجة إلى السؤال ، وهذا فى محل النظر ، والتشديدات التى رويناها فى السؤال وذمه تدل ظاهرا على أن التعفف عن السؤال أولى وإطلاق القول فيه من غير ملاحظة الأحوال والأشخاص عسير ، بل هو موكول إلى اجتهاد العبد ونظره لنفسه بأن يقابل مايلقى فى السؤال من المذلة وهتك المروءة والحاجة إلى التثقيل والإلحاح بما يحصل من اشتغاله بالعلم والعمل من الفائدة له ولغيره ، فرب شخص تكثر فائدة الخلق وفائدته فى اشتغاله بالعلم أو العمل ، ويهون عليه بأدنى تعريض فى السؤال تحصيل الكفاية ، وربما يكون بالعكس ، وربما يتقابل المطلوب والمحذور ، فينبغى أن يستفتى المريد فيه قلبه وإن أفتاه المفتون ، فإن الفتاوى لاتحيط بتفاصيل الصور ودقائق الأحوال ولقد كان فى السلف من له ثلثمائة وستون صديقا ينزل على كل واحد منهم ليلة ومنهم من له ثلاثون ، وكانوا يشتغلون بالعبادة لعلمهم بأن المتكلفين بهم يتقلدون منة من قبولهم لمبراتهم ، فكان قبولهم لمبراتهم خيرا مضافا لهم إلى عباداتهم ، فينبغى أن يدقق النظر فى هذه الأمور فإن أجر الآخذ كأجر المعطى مهما كان الآخذ يستعين به على الدين والمعطى يعطيه عن طيب قلب . ومن اطلع على هذه المعانى أمكنه أن يتعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه ماهو الأفضل له بالإضافة إلى حاله ووقته ، فهذه فضيلة الكسب ، وليكن العقد الذى به الاكتساب جامعا لأربعة أمور : الصحة ، والعدل ، والإحسان ، والشفقة على الدين . ونحن نعقد فى كل واحد بابا ، ونبتدئ بذكر أسباب الصحة فى الباب الثانى .

الباب الثانى فى علم الكسب بطريق البيع والربا والسلم والإجارة والقراض والشركة
وبيان شروط الشرع فى صحة هذه التصرفات التى هى مدار المكاسب فى الشرع

اعلم أن تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مسلم مكتسب ، لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ، وإنما هو طلب العلم المحتاج إليه ، والمكتسب يحتاج إلى علم الكسب ، ومهما حصل علم هذا الباب وقف على مفسدات المعاملة فيتقيها ، وما شذ عنه من الفروع المشكلة فيقع على سبب إشكالها فيتوقف فيها إلى أن يسأل ، فإنه إذا لم يعلم أسباب الفساد بعلم جملى فلا يدرى متى يجب عليه التوقف والسؤال ، ولو قال لأقدم العلم ولكنى أصبر إلى أن تقع لى الواقعة فعندها أتعلم وأستفتى ، فيقال له : وبم تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم جمل مفسدات العقود ، فإنه يستمر فى التصرفات ويظنها صحيحة مباحة ، فلا بد له من هذا القدر من علم التجارة ليتميز له المباح عن المحظور ، وموضع الإشكال عن موضع الوضوح : ولذلك روى عن عمر رضى الله عنه أنه كان يطوف السوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول : لايبيع فى سوقنا إلا من يفقه ، وإلا أكل الرباشاء أم أبى ، وعلم العقود كثير ولكن هذه العقود الستة لاتنفك المكاسب عنها : وهى البيع والربا والسلم والإجارة والشركة والقراض ، فلنشرح شروطها :

العقد الأول : البيع

وقد أحله الله تعالى وله ثلاثة أركان : العاقد . والمعقود عليه ، واللفظ .

الركن الأول : العاقد ، ينبغى للتاجر أن لايعامل بالبيع أربعة : الصبى ، والمجنون ، والعبد ، والأعمى ، لأن الصبى غير مكلف ، وكذا المجنون ، وبيعهما باطل ، فلا يصح بيع الصبى وإن أذن له فيه الولى عند الشافعى ، وما أخذه منهما مضمون عليه لهما

وماسلمه فى المعاملة إليهما فضاع فى أيديهما فهو المضيع له . وأماالعبد العاقل فلا يصح بيعه وشراؤه إلا باذن سيده فعلى البقال والخباز والقصاب وغيرهم أن لايعاملوا العبيد مالم تأذن لهم السادة فى معاملتهم ، وذلك بأن يسمعه صريحا أو ينتشر فى البلد أنه مأذون له فى الشراء لسيده وفى البيع له ، فيعوّل على الاستفاضة أوعلى قول عدل يخبره بذلك ، فإن عامله بغير إذن السيد فعقده باطل ، وما أخذه منه مضمون عليه لسيده ، وماتسلمه إن ضاع فى يد العبد لايتعلق برقبته ولايضمنه سيده ، بل ليس له إلا المطالبة إذا عتق . وأماالأعمى فإنه يبيع ويشترى مالايرى فلايصح ذلك ، فليأمره بأن يوكل وكيلا بصيرا ليشترى له أو يبيع ، فيصح توكيله ويصح بيع وكيله ، فإن عامله التاجر بنفسه فالمعاملة فاسدة ، وما أخذه منه مضمون عليه بقيمته . وما سلمه إليه أيضا مضمون له بقيمته . وأما الكافر فتجوز معاملته لكن لا يباع منه المصحف ولا العبد المسلم ، ولا يباع منه السلاح إن كان من أهل الحرب ، فإن فعل فهى معاملات مردودة وهو عاص بها ربه . وأما الجندية من الأتراك والتركمانية والعرب والأكراد والسراق والخونة وأكلة الربا والظلمة وكل من أكثر ماله حرام ، فلا ينبغى أن يتملك مما فى أيديهم شيئا لأجل أنها حرام إلا إذا عرف شيئا بعينه أنه حلال ، وسيأتى تفصيل ذلك فى كتاب الحلال والحرام .

الركن الثانى فى المعقود عليه : وهو المال المقصود نقله من أحد العاقدين إلى الآخر ثمنا كان أومثمنا فيعتبر فيه ستة شروط . (الأول) أن لايكون نجسا فى عينه فلايصح بيع كلب وخنزير ، ولا بيع زبل وعذرة ، ولا بيع العاج والأوانى المتخذة منه ، فإنّ العظم ينجس بالموت ، ولايطهر الفيل بالذبح ، ولايطهر عظمه بالتذكية ، ولايجوز بيع الخمر ولا بيع الودك النجس المستخرج من الحيوانات التى لاتؤكل ، وإن كان يصلح للاستصباح أوطلاء السفن ، ولابأس ببيع الدهن الطاهر فى عينه الذى نجس بوقوع نجاسة أو موت فأرة فيه ، فإنه يجوز الانتفاع به فى غير الأكل ، وهو فى عينه ليس بنجس ، وكذلك لاأرى بأساً ببيع بزر القز ، فإنه أصل حيوان ينتفع به ، وتشبيهه بالبيض وهو أصل حيوان أولى من تشبيهه بالروث . ويجوز بيع فأرة المسك ويقضى بطهارتها إذا انفصلت من الظبية فى حالة الحياة . (الثانى) أن يكون منتفعا به فلا يجوز بيع الحشرات ولا الفأرة ولا الحية ، ولا التفات إلى انتفاع المشعبذ بالحية ، وكذا لاالتفات إلى انتفاع أصحاب الحلق بإخراجها من السلة وعرضها على الناس ، ويجوز بيع الهرّة والنحل وبيع الفهد والأسد وما يصلح لصيد أو ينتفع بجلده ، ويجوز بيع الفيل لأجل الحمل ، ويجوز بيع الطوطى وهى الببغاء والطاوس والطيور المليحة الصور وإن كانت لاتؤكل ، فإن التفرج بأصواتها والنظر إليها غرض مقصود مباح ، وإنما الكلب هو الذى لايجوز أن يقتنى إعجابا بصورته لنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه [1] . ولا يجوز بيع العود والصنج والمزامير والملاهى فإنه لامنفعة لها شرعا ، وكذا بيع الصور المصنوعة من الطين كالحيوانات التى تباع فى الأعياد للعب الصبيان فان كسرها واجب شرعا ، وصور الأشجار متسامح بها ، وأما الثياب والأطباق وعليها صور الحيوانات فيصح بيعها وكذا الستور ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها « اتخذى منها نمارق [2] » ولايجوز استعمالها منصوبة ، ويجوز موضوعة ، وإذا جاز الانتفاع من وجه صح البيع لذلك الوجه . (الثالث) أن يكون المتصرف فيه مملوكا للعاقد أو مأذونا من جهة المالك ، ولايجوز أن يشترى من غير المالك انتظاراً للإذن من المالك ، بل لو رضى بعد ذلك وجب استئناف العقد ، ولا ينبغى أن يشترى من الزوجة مال

الباب الثانى : فى علم الكسب

(١) حديث : النهى عن اقتناء الكلب : متفق عليه من حديث ابن عمر « من اقتنى كلبا إلا كلب ماشية أوضاريا نقص من عمله كل يوم قيراطان » . (٢) حديث « اتخذى منها نمارق » يقوله لعائشة : متفق عليه من حديثها .

الزوج ولا من الزوج مال الزوجة ، ولا من الوالد مال الولد ولا من الولد مال الوالد . اعتمادا على أنه لو عرف لرضى ، فإنه إذا لم يكن الرضا متقدماً لم يصح البيع ، وامثال ذلك مما يجرى فى الأسواق ؛ فواجب على العبد المتدين أن يحترز منه . (الرابع) أن يكون المعقود عليه مقدورا على تسليمه شرعا وحسا ؛ فما لا يقدر على تسليمه حسا لايصح بيعه كالآبق والسمك فى الماء والجنين فى البطن وعسب الفحل : وكذلك بيع الصوف على ظهر الحيوان ، واللبن فى الضرع لايجوز ، فإنه يتعذر تسليمه لاختلاط غير المبيع بالمبيع ، والمعجوز عن تسليمه شرعا كالمرهون والموقوف ، والمستولدة فلايصح بيعهاأيضا ، وكذا بيع الأم دون الولد إذا كان الولد صغيرا ، وكذا بيع الولد دون الأم ؛ لأنّ تسليمه تفريق بينهما وحرام ، فلايصح التفريق بينهما بالبيع . (الخامس) أن يكون المبيع معلوم العين والقدر والوصف ، أماالعلم بالعين فبأن يشير إليه بعينه ، فلوقال : بعتك شاة من هذا القطيع أى شاة أردت ، أوثوبا من هذه الثياب التى بين يديك ، أو ذراعا من هذا الكرباس ، وخذه من أى جانب شئت ، أوعشرة أذرع من هذه الأرض ، وخذه من أى طرف شئت ، فالبيع باطل ، وكل ذلك مما يعتاده المتساهلون فى الدين إلاأن يبيع شائعا ، مثل أن يبيع نصف الشىء أوعشره ، فإنّ ذلك جائز . وأماالعلم بالقدر فإنما يحصل بالكيل أوالوزن أوالنظر إليه ، فلو قال بعتك هذا الثوب بما باع به فلان ثوبه وهما لايدريان ذلك فهو باطل ، ولو قال : بعتك بزنة هذه الصنجة فهو باطل ، إذا لم تكن الصنجة معلومة ، ولو قال : بعتك هذه الصبرة من الحنطة فهو باطل : أو قال : بعتك بهذه الصرة من الدراهم أو بهذه القطعة من الذهب وهو يراها . صح البيع وكان تخمينه بالنظر كافيا فى معرفة المقدار . وأما العلم بالوصف فيحصل بالرؤية فى الأعيان ، ولا يصح بيع الغائب إلا إذا سبقت رؤيته منذ مدة لايغلب التغير فيها ، والوصف لايقوم مقام العيان . هذا أحد المذهبين ، ولايجوز بيع الثوب فى المنسج اعتمادا على الرقوم ، ولا بيع الحنطة فى سنبلها ، ويجوز بيع الأرز فى قشرته التى يدخر فيها ، وكذا بيع الجوز واللوز فى القشرة السفلى ، ولايجوز فى القشرتين ، ويجوز بيع الباقلاء الرطب فى قشرته للحاجة ، ويتسامح ببيع الفقاع لجريان عادة الأولين به ولكن نجعله إباحة بعوض ، فإن اشتراه ليبيعه فالقياس بطلانه لأنه ليس مستترا ستر خلقة ، ولايبعد أن يتسامح به ، إذفى إخراجه إفساده كالرمان وما يستر بستر خلق معه . (السادس) أن يكون المبيع مقبوضا إن كان قد استفاد ملكه بمعاوضة ، وهذا شرط خاص ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع مالم يقبض [1] ويستوى فيه العقار والمنقول ، فكل مااشتراه أوباعه قبل القبض فبيعه باطل ، وقبض المنقول بالنقل ، وقبض العقار بالتخلية ، وقبض ماابتاعه بشرط الكيل لايتم إلا بأن يكتاله ، وأما بيع الميراث والوصية والوديعة ومالم يكن الملك حاصلا فيه بمعاوضة ، فهو جائز قبل القبض .

الركن الثالث : لفظ العقد ، فلا بد من جريان إيجاب وقبول متصل به بلفظ دال على المقصود ، مفهم إما صريح أو كناية ، فلوقال : أعطيتك هذا بذاك ، بدل قوله : بعتك ، فقال : قبلته ، جاز مهما قصدا به البيع ، لأنه قد يحتمل الإعارة إذا كان فى ثوبين أودابتين ، والنية تدفع الاحتمال ، والصريح أقطع للخصومة ، ولكن الكناية تفيد الملك أيضا والحل فيما يختاره ، ولاينبغى أن يقرر بالبيع شرطا على خلاف مقتضى العقدة ، فلوشرط أن يزيد شيئا آخر ، وأن يحمل المبيع إلى داره ، أواشترى الحطب بشرط النقل إلى داره : كل ذلك فاسد إلاإذا أفرد استئجاره على النقل بأجرة معلومة منفردة عن الشراء للمنقول ، ومهما لم يجر بينهما إلا المعاطاة بالفعل دون التلطف باللسان لم ينعقد البيع

(١) حديث النهى عن بيع مالم يقبض : متفق عليه من حديث ابن عباس .

عندالشافعى أصلا ، وانعقد عند أبى حنيفة إن كان فى المحقرات ثم ضبط المحقرات عسير ؛ فإن رد الأمر إلى العادات فقد جاوز الناس المحقرات فى المعاطاة ، إذ يتقدم الدلال إلى البزاز يأخذ منه ثوبا ديباجا قيمته عشرة دنانير مثلا ويحمله إلى المشترى ويعود إليه بأنه ارتضاه ، فيقول له : خذ عشرة ، فيأخذ من صاحبه العشرة ويحملها ويسلمها إلى البزاز ، فيأخذها ويتصرف فيها ، ومشترى الثوب يقطعه ولم يجر بينهما إيجاب وقبول أصلا ، وكذلك يجتمع المجهزون على حانوت البياع ، فيعرض متاعا قيمته مائة دينار مثلا فيمن يزيد ، فيقول أحدهم : هذا على بتسعين ، ويقول الآخر : هذا على بخمسة وتسعين ، ويقول الآخر : هذا بمائة ، فيقال له زن ، فيزن ويسلم ويأخذ المتاع من غير إيجاب وقبول ؛ فقد استمرت به العادات ، وهذه من المعضلات التى ليست تقبل العلاج ، إذ الاحتمالات ثلاثة : إما فتح باب المعاطاة مطلقا فى الحقير والنفيس ـ وهو محال ، إذ فيه نقل الملك من غير لفظ دال عليه ، وقد أحل الله البيع ، والبيع اسم للإيجاب والقبول ، ولم يجر ولم ينطلق اسم البيع على مجرد فعل بتسليم وتسلم ، فبماذا يحكم بانتقال الملك من الجانبين ، لاسيما فى الجوارى والعبيد والعقارات والدواب النفيسة وما يكثر التنازع فيه ؛ إذ للمسلم أن يرجع ويقول : قد ندمت ومابعته ، إذ لم يصدر منى إلا مجرد تسليم ، وذلك ليس ببيع . (الاحتمال الثانى) أن نسد الباب بالكلية كما قال الشافعى رحمه الله من بطلان العقد ، وفيه إشكال من وجهين ، أحدهما : أنه يشبه أن يكون ذلك فى المحقرات معتادا فى زمن الصحابة : ولو كانوا يتكلفون الإيجاب والقبول من البقال والخباز والقصاب لثقل عليهم فعله ، ولنقل ذلك نقلا منتشرا ، ولكان يشتهر وقت الإعراض بالكلية عن تلك العادة ؛ فإن الأعصار فى مثل هذا تتفاوت . والثانى : أن الناس الآن قد انهمكوا فيه فلا يشترى الإنسان شيئا من الأطعمة وغيرها إلى ويعلم أن البائع قد ملكه بالمعاطاة ، فأى فائدة فى تلفظه بالعقد إذا كان الأمر كذلك ، (الاحتمال الثالث) أن يفصل بين المحقرات وغيرها كما قاله أبو حنيفة رحمه الله ، وعند ذلك يتعسر الضبط فى المحقرات ، ويشكل وجه نقل الملك من غير لفظ يدل عليه ، وقد ذهب ابن سريج إلى تخريج قول للشافعى رحمه الله على وفقه وهو أقرب الاحتمالات إلا الاعتدال ، فلا بأس لو ملنا إليه لمسيس الحاجات ، ولعموم ذلك بين الخلق ، ولما يغلب على الظن بأن ذلك كان معتادا فى الأعصار الأولى . فأما الجواب عن الإشكالين : فهو أن نقول : أما الضبط فى الفصل بين المحقرات وغيرها فليس علينا تكلفه بالتقدير ، فإن ذلك غير ممكن ، بل له طرفان واضحان إذ لا يخفى أن شراء البقل وقليل من الفواكه والخبز واللحم من المعدود من المحقرات التى لا يعتاد فيها إلا المعاطاة ، وطالب الإيجاب والقبول فيه يعد مستقصيا ويستبرد تكليفه لذلك ويستثقل وينسب إلى أنه يقيم الوزن لأمر حقير ولى وجه له هذا طرف الحقارة ، والطرف الثانى الدواب والعبيد والعقارات والثياب النفيسة فذلك مما لا يستبعد تكلف الإيجاب والقبول فيها ؟ وبينهما أوساط متشابهة يشك فيها هى فى محل الشبهة ؛ لحق ذى الدين أن يميل فيها إلى الاحتياط وجميع ضوابط الشرع فيما يعلم بالعادة كذلك ينقسم إلى أطراف واضحة وأوساط مشكلة . وأما الثانى ـ وهو طلب سبب لنقل الملك ، فهو أن يجعل الفعل باليد أخذا وتسليما سببا لعينه بل لدلالته ، وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع دلالة مستمرة فى العادة ، وانضم إليه مسيس الحاجة وعادة الأولين واطراد جميع العادات بقبول الهدايا من غير إيجاب وقبول مع التصرف فيها ، وأى فرق بين أن يكون فيه عوض أو لا يكون ، إذ الملك لابد من نقله فى الهبة أيضا ، إلا أن العادة السالفة لم تفرق فى الهدايا بين الحقير والنفيس ، بل كان طلب الإيجاب والقبول يستقبح فيه كيف كان ، وفى المبيع لم يستقبح فى غير المحقرات هذا ما نراه أعدل الاحتمالات وحق الورع المتدين أن لا يدع الإيجاب والقبول للخروج عن شبهة الخلاف ، فلا ينبغى أن يمتنع من ذلك لأجل

أن البائع قد تملكه بغير إيجاب وقبول ؛ فإن ذلك لا يعرف تحقيقا ؛ فربما اشتراه بقبول وإيجاب ، فإن كان حاضرا عند شرائه أو أقر البائع به فيمتنع منه وليشتر من غيره ، فإن كان الشيء محقرا وهو إليه محتاج فليتلفظ بالإيجاب والقبول فإنه يستفيد به قطع الخصومة فى المستقبل معه ، إذ الرجوع من اللفظ الصريح غير ممكن ، ومن الفعل ممكن .

فإن قلت : فإن أمكن هذا فيما يشتريه ، فكيف يفعل إذا حضر فى ضيافة أو على مائدة وهو يعلم أن أصحابها يكتفون بالمعاطاة فى البيع والشراء أوسمع منهم ذلك أورآه ؟ أيجب عليه الامتناع من الأكل ! فأقول : يجب عليه الامتناع من الشراء إذا كان ذلك الشيء الذى اشتروه مقدارا نفيسا ولم يكن من المحقرات . وأما الأكل ، فلا يجب الامتناع منه ، فإنى أقول ؛ إن ترددنا فى جعل الفعل دلالة على نقل الملك ، فلا ينبغى أن لانجعله دلالة على الإباحة ، فإن أمر الإباحة أوسع ، وأمر نقل الملك أضيق ، فكل مطعم جرى فيه بيع معاطاة فتسليم البائع إذن فى الأكل يعلم ذلك بقرينة الحال ، كإذن الحامى فى دخول الحمام ، والإذن فى الإطعام لمن يريده المشترى فينزل منزلة مالو قال : أبحت لك أن تأكل هذا الطعام ، أو تطعم من أردت ؛ فإنه يحل له ولو صرح وقال : كل هذا الطعام ثم أغرم لى عوضه ، لحل الأكل ويلزمه الضمان بعد الأكل ، هذا قياس الفقه عندى ، ولكنه بعد المعاطاة آكل ملكه ومتلفا له فعليه الضمان وذلك فى ذمته ، والثمن الذى سلمه إن كان مثل قيمته فقد ظفر المستحق بمثل حقه ، فله أن يتملكه مهما عجز عن مطالبة من عليه ، وإن كان قادرا على مطالبته فإنه لايتملك ماظفر به من ملكه ، لإنه ربما لايرضى بتلك العين أن يصرفها إلى دينه فعليه المراجعة . وأما ههنا فقد عرف رضاه بقرينة الحال عند التسليم ، فلا يبعد أن يجعل الفعل دلالة على الرضاء بأن يستوفى دينه مما يسلم إليه فيأخذه بحقه ، لكن على كل الأحوال جانب البائع أغمض لأن ما أخذه قد يريد المالك ليتصرف فيه ولا يمكنه التملك إلا إذا أتلف عين طعامه فى يد المشترى ، ثم ربما يفتقر إلى استئناف قصد التملك ، ثم يكون قد تملك بمجرد رضا استفاده من الفعل دون القول . وأما جانب المشترى للطعام وهو لا يريد إلا الأكل فهين ، فإن ذلك يباح بالإباحة المفهومة من قرينة الحال ، ولكن ربما يلزم من مشاورته أن الضيف يضمن ماأتلفه ، وإنما يسقط الضمان عنه إذا تملك البائع ماأخذه من المشترى فيسقط ، فيكون كالقاضى دينه والمتحمل عنه ، فهذا مانراه فى قاعدة المعاطاة على غموضها ، والعلم عند الله وهذه احتمالات وظنون رددناها ، ولا يمكن بناء الفتوى إلا على هذه الظنون ، وأما الورع فإنه ينبغى أن يستفتى قلبه ويتقى مواضع الشبه .

العقد الثانى : عقد الربا

وقد حرمه الله تعالى وشدد الأمر فيه ، ويجب الاحتراز منه على الصيارفة المتعاملين على النقدين ، وعلى المتعاملين على الأطعمة ، إذ لا ربا إلا فى نقد أو فى طعام . وعلى الصيرفى أن يحترز من النسيئة والفضل . أما النسيئة فأن لايبيع شيئا من جواهر النقدين بشيء من جواهر النقدين إلا يداً بيد : وهو أن يجرى التقابض فى المجلس ، وهذا احتراز من النسيئة ، وتسليم الصيارفة الذهب إلى دار الضرب وشراء الدنانير المضروبة حرام من حيث النساء ، ومن حيث إن الغالب أن يجرى فيه تفاضل ، إذ لايرد المضروب بمثل وزنه . وأما الفضل ، فيحترز منه فى ثلاثة أمور : فى بيع المكسر بالصحيح ، فلاتجوز المعاملة فيهما إلا مع المماثلة . وفى بيع الجيد بالردىء ، فلا ينبغى أن يشترى رديئا بجيد دونه فى الوزن ، أو يبيع رديئا بجيد فوقه فى الوزن ، أعنى إذا باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة ، فإن اختلف الجنسان فلاحرج فى الفضل . والثالث فى المركبات من الذهب والفضة كالدنانير المخلوطة من الذهب والفضة : إن كان

مقدرا الذهب مجهولا لم تصح المعاملة عليها أصلا إلا إذا كان ذلك نقدا جاريا فى البلد فإنا نرخص فى المعاملة عليه إذا لم يقابل بالنقد ، وكذا الدراهم المغشوشة بالنحاس إن لم تكن رائجة فى البلد لم تصح المعاملة عليها ، لأن المقصود منها النقرة وهى مجهولة ، وإن كان نقدا رائجا فى البلد رخصنا فى المعاملة لأجل الحاجة وخروج النقرة عن أن يقصد استخراجها ، ولكن لايقابل بالنقرة أصلا ، وكذلك كل حلى مركب من ذهب وفضة فلا يجوز شراؤه لا بالذهب ولا بالفضة ، بل ينبغى أن يشترى بمتاع آخر إن كان قدر الذهب منه معلوما ، إلا إذا كان مموها بالذهب تمويها لايحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار ، فيجوز بيعها بمثلها من النقرة بما أريد من غير النقرة ، وكذلك لايجوز للصيرفى أن يشترى قلادة فيها خرز وذهب بذهب ، ولا أن يبيعه ، بل بالفضة يدا بيد إن لم يكن فيها فضة ولا يجوز شراء ثوب منسوج بذهب يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار بذهب ، ويجوز بالفضة غيرها وأما المتعاملون على الأطعمة فعليهم التقابض فى المجلس ، اختلف جنس الطعام المبيع والمشترى أو لم يختلف ؛ فان اتحد الجنس فعليهم التقابض ومراعاة المماثلة ، والمعتاد فى هذا معاملة القصاب بأن يسلم إليه الغنم ويشترى بها اللحم نقدا أو نسيئة فهو حرام ، ومعاملة الخباز بأن يسلم إليه الحنطة ويشترى بها الخبز نسيئة أو نقدا فهو حرام ، ومعاملة العصار بأن يسلم إليه البزر والسمسم والزيتون ليأخذ منه الأدهان فهو حرام ، وكذا اللبان يعطى اللبن ليؤخذ منه الجبن والسمن والزبد وسائر أجزاء اللبن ، فهو أيضا حرام ، ولا يباع الطعام بغير جنسه من الطعام إلا نقدا ، وبجنسه إلا نقدا ومتماثلا ، وكل مايتخذ من الشىء المطعوم فلا يجوز أن يباع به متماثلا ولا متفاضلا ، فلا يباع بالحنطة دقيق وخبز وسويق ، ولا بالعنب والتمر دبس وخل وعصير ، ولا باللبن سمن وزبد ومخيض ومصل وجبن ، والمماثلة لاتفيد إذا لم يكن الطعام فى حال كمال الادخار ، فلا يباع الرطب بالرطب والعنب بالعنب متفاضلا ومتماثلا ، فهذه جمل مقنعة فى تعريف البيع والتنبيه على مايشعر التاجر بمثارات الفساد حتى يستفتى فيها إذا تشكك والتبس عليه شىء منها ، وإذا لم يعرف هذا لم يتفطن لمواضع السؤال ، واقتحم الربا والحرام وهو لايدرى .

العقد الثالث : السلم

وليراع التاجر فيه عشرة شروط : (الأول) أن يكون رأس المال معلوما على مثله حتى لو تعذر تسليم المسلم فيه أمكن الرجوع إلى قيمة رأس المال : فان أسلم كفا من الدراهم جزافا فى كر حنطة لم يصح فى أحد القولين . (الثانى) أن يسلم رأس المال فى مجلس العقد قبل التفرق فلو تفرقا قبل القبض انفسخ السلم . (الثالث) أن يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف أوصافه كالحبوب والحيوانات والمعادن والقطن والصوف والإبريسم والألبان واللحوم ومتاع العطارين وأشباهها ، ولا يجوز فى المعجونات والمركبات وما تختلف أجزاؤه كالقسى المنوعة والنبل المعمول والخفاف والنعال المختلفة أجزاؤها وصنعتها وجلود الحيوانات . ويجوز السلم فى الخبز . ومايتطرق إليه من اختلاف قدر الملح والماء بكثرة الطبخ وقلته يعفى عنه ويتسامح فيه . (الرابع) أن يستقصى وصف هذه الأمور القابلة للوصف . حتى لايبقى وصف تتفاوت به القيمة تفاوتا لايتغابن بمثله الناس إلا ذكره . فإن ذلك الوصف هو القائم مقام الرؤية فى البيع . (الخامس) أن يجعل الأجل معلوما إن كان مؤجلا فلا يؤجل إلى الحصاد ولا إلى إدراك الثمار بل إلى الأشهر والأيام ، فإن الإدراك قد يتقدم وقد يتأخر . (السادس) أن يكون المسلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت المحل ويؤمن فيه وجوده غالبا . فلا ينبغى أن يسلم فى العنب إلى أجل لايدرك فيه . وكذا سائر الفواكه ، فإن كان الغالب وجوده وجاء المحل وعجز عن التسليم بسبب آفة . فله أن يمهله إن شاء أو يفسخ ويرجع فى رأس المال

إن شاء . (السابع) أن يذكر مكان التسليم فيما يختلف الغرض به كي لايثير ذلك نزاعا (الثامن) أن لايعلقه بمعين فيقول : من حنطة هذا الزرع ، أو ثمرة هذا البستان ، فإن ذلك يبطل كونه دينا . نعم لو أضاف إلى ثمرة بلد أو قرية كبيرة ، لم يضر ذلك . (التاسع) أن لايسلم في شيء نفيس عزيز الوجود مثل درة موصوفة يعز وجود مثلها ، أو جارية حسناء معها ولدها ، أو غير ذلك مما لايقدر عليه غالبا . (العاشر) أن لايسلم في طعام مهما كان رأس المال طعاما سواء كان من جنسه أو لم يكن ، ولا يسلم في نقد إذا كان رأس المال نقداً ، وقد ذكرنا هذا في الربا .

العقد الرابع : الإجارة

وله ركنان : الأجرة ، والمنفعة . فأما العاقد واللفظ فيعتبر فيه ماذكرناه في البيع والأجرة كالثمن ، فينبغي أن يكون معلوما وموصوفا بكل ماشرطناه في المبيع إن كان عينا ، فإن كان دينا فينبغي أن يكون معلوم الصفة والقدر ، وليحترز فيه عن أمور جرت العادة بها ، وذلك مثل كراء الدار بعمارتها فذلك باطل ، إذ قدر العمارة مجهول . ولو قدر دراهم وشرط على المكتري أن يصرفها إلى العمارة لم يجز ، لأن عمله في الصرف إلى العمارة مجهول . ومنها استئجار السلاخ على أن يأخذ الجلد بعد السلخ ، واستئجار حمال الجيف بجلد الجيفة ، واستئجار الطحان بالنخالة أو بعض الدقيق فهو باطل ، وكذلك كل مايتوقف حصوله وانفصاله على عمل الأجير ، فلا يجوز أن يجعل أجرة . ومنها : أن يقدر في إجارة الدور والحوانيت مبلغ الأجر ، فلو قال لكل شهر دينار ولم يقدر أشهر الإجارة كانت المدة مجهولة ولم تنعقد الإجارة .

الركن الثاني : المنفعة المقصودة بالإجارة وهي العمل وحده إن كان عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع به الغير عن الغير ، فيجوز الاستئجار عليه ؛ وجملة فروع الباب تندرج تحت هذه الرابطة ، ولكنا لا نطول بشرحها فقد طولنا القول فيها في الفقهيات ، وإنما نشير إلى ماتعم به البلوى ، فليراع في العمل المستأجر عليه خمسة أمور : (الأول) أن يكون متقوماً ، بأن يكون فيه كلفة وتعب . فلو استأجر طعاما ليزين به الدكان . أو أشجارا ليجفف عليها الثياب ؛ أودراهم ليزين بها الدكان . لم يجز ، فإن هذه المنافع تجرى مجرى حبة سمسم وحبة بر من الأعيان وذلك لايجوز بيعه ، وهي كالنظر في مرآة الغير ، والشرب من بئره ، والاستظلال بجداره ، والاقتباس من ناره ولهذا لو استأجر بياعا على أن يتكلم بكلمة يروج بها سلعته لم يجز . وما يأخذه البياعون عوضاً عن حشمتهم وجاههم وقبول قولهم في ترويج السلع فهو حرام ، إذ ليس يصدر منهم إلا كلمة لاتعب فيها ولاقيمة لها ، وإنما يحل لهم ذلك إذ تعبوا بكثرة التردد أو بكثرة الكلام في تأليف أمر المعاملة . ثم لايستحقون إلا أجرة المثل ، فأما ماتواطأ عليه الباعة فهو ظلم وليس مأخوذا بالحق . (الثاني) أن لاتتضمن الإجارة استيفاء عين مقصودة فلا يجوز إجارة الكرم لارتفاقه . ولا إجارة المواشي للبنها . ولا إجارة البساتين لثمارها . ويجوز استئجار المرضعة ويكون اللبن تابعا : لأن إفراده غير ممكن . وكذا يتسامح بحبر الورق وخيط الخياط . لأنهما لايقصدان على حيالهما . (الثالث) أن يكون العمل مقدورا على تسليمه حساً وشرعا . فلا يصح استئجار الضعيف على عمل لايقدر عليه . ولا استئجار الأخرس على التعليم ونحوه وما يحرم فعله فالشرع يمنع من تسليمه . كالاستئجار على قلع سن سليمة أو قطع عضو لايرخص الشرع في قطعه ؛ أو استئجار الحائض على كنس المسجد . أو المعلم على تعليم السحر أو الفحش . أو استئجار زوجة الغير على الإرضاع دون إذن زوجها . أو استئجار المصور على تصوير الحيوانات . أو استئجار الصائغ على صيغة الأواني من الذهب والفضة فكل ذلك باطل . (الرابع) أن لايكون العمل واجباً على الأجير . أو لايكون بحيث لاتجرى

النيابة فيه عن المستأجر . فلا يجوز أخذ الأجرة على الجهاد ولا سائر العبادات التى لا نيابة فيها . إذ لا يقع ذلك عن المستأجر . ويجوز عن الحج وغسل الميت وحفر القبور ودفن الموتى وحمل الجنائز . وفى أخذ الأجرة على إمامة صلاة التراويح وعلى الأذان وعلى التصدى للتدريس وإقراء القرآن خلاف . أما الاستئجار على تعليم مسئلة بعينها أو تعليم سورة بعينها لشخص معين فصحيح . (الخامس) أن يكون العمل والمنفعة معلوما . فالخياط يعرف عمله بالثوب . والمعلم يعرف عمله بتعيين السورة ومقدارها . وحمل الدواب يعرف بمقدار المحمول وبمقدار المسافة . وكل مايثير خصومة فى العادة فلا يجوز إهماله . وتفصيل ذلك يطول . وإنما ذكرنا هذا القدر ليعرف به جليات الأحكام ويتفطن به لمواقع الإشكال . فيسأل . فإن الاستقصاء شأن المفتى لاشأن العوام .

العقد الخامس : القراض

وليراع فيه ثلاثة أركان :

الركن الأول : رأس المال ، وشرطه أن يكون نقدا معلوما مسلما إلى العامل ؛ فلا يجوز القراض على الفلوس ولا على العروض ؛ فإنّ التجارة تضيق فيه . ولايجوز على صرة من الدراهم ، لأن قدر الربح لايتبين فيه ، ولو شرط مالك اليد لنفسه لم يجز ، لأنّ فيه تضييق طريق التجارة .

الركن الثانى : الربح ، وليكن معلوما بالجزئية بأن يشترط له الثلث أو النصف أو ماشاء ، فلو قال : على أن لك من الربح مائة والباقى لى ، لم يجز إذ ربما لا يكون الربح أكثر من مائة فلايجوز تقديره بمقدار معين بل بمقدار شائع .

الثالث : العمل الذى على العامل ، وشرطه أن يكون تجارة غير مضيقه عليه بتعيين وتأقيت ، فلو شرط أن يشترى بالمال ماشية ليطلب نسلها فيتقاسمان النسل ، أو حنطة فيخبزها ويتقاسمان الربح ، لم يصح ، لأنّ القراض مأذون فيه فى التجارة وهو البيع والشراء ومايقع من ضرورتهمافقط ، وهذا حرف ـ أعنى الخبز ورعاية المواشى ، ولو ضيق عليه وشرط أن لا يشترى إلا من فلان أو لا يتجر إلا فى الخز الأحمر ، أو شرط ما يضيق باب التجارة فسد العقد ، ثم مهما انعقد فالعامل وكيل فيتصرف بالغبطه تصرف الوكلاء ، ومهما أراد المالك الفسخ فله ذلك ، فإذا فسخ فى حالة والمال كله فيها نقد لم يخف وجه القسمة وإن كان عروضا ولا ربح فيه رد عليه ولم يكن للمالك تكليفه أن يرده إلى النقد ، لأن العقد قد انفسخ وهو لم يلتزم شيئا ، وإن قال العامل : ابيعه ، وأبى المالك ، فالمتبوع رأى المالك ، إلا إذا وجد العامل زبونا يظهر بسببه ربح على رأس المال ، ومهما كان ربح فعلى العامل بيع مقدار رأس المال بجنس رأس المال لا بنقد آخر ، حتى يتميز الفاضل ربحا فيشتركان فيه ، وليس عليهم بيع الفاضل على رأس المال ، ومهما كان رأس السنة فعليهم تعرف قيمة المال لأجل الزكاة : فإذا كان قد ظهر من الربح شىء فالأقيس أن زكاة نصيب العامل على العامل وأنه يملك الربح بالظهور ، وليس للعامل أن يسافر بمال القراض دون إذن المالك ، فإن فعل صحت تصرفاته ، ولكنه إذا فعل ضمن الأعيان والأثمان جميعا ، لأن عدوانه بالنقل يتعدى إلى ثمن المنقول ، وإن سافر بالإذن جاز ونفقة النقل وحفظ المال على مال القراض ، كما أن نفقة الوزن والكيل والحمل الذى لايعتاد التاجر مثله على رأس المال ، فأما نشر الثوب وطيه والعمل اليسير المعتاد فليس له أن يبذل عليه أجرة . وعلى العامل نفقته وسكناه فى البلد ، وليس عليه أجرة الحانوت . ومهما تجرد فى السفر لمال القراض فنفقته فى السفر على مال القراض ، فإذا رجع فعليه أن يرد بقايا آلات السفر من المطهرة والسفرة وغيرها .

العقد السادس : الشركة

وهى أربعة أنواع : ثلاثة منها باطلة : (الأول) شركة المفاوضة : وهو أن يقولا : تفاوضنا المشترك فى كل مالنا وعلينا ومالاهما ممتازان ، فهى باطلة ، (الثانى) شركة الأبدان : وهو أن يتشارطا الاشتراك فى أجرة العمل فهى باطلة . (الثالث) شركة الوجوه : وهو أن يكون لأحدهما حشمة وقول مقبول فيكون من جهته التنفيل ومن جهة غيره العمل ، فهذا أيضا باطل . وإنما الصحيح العقد الرابع المسمى شركة العنان : وهو أن يختلط مالاهما بحيث يتعذر التمييز بينهما إلا بقسمه ، ويأذن كل واحد منهما لصاحبه فى التصرف ، ثم حكمهما توزيع الربح والخسران على قدر المالين ، ولا يجوز أن يغير ذلك بالشرط ، ثم بالعزل يمتنع التصرف عن المعزول ، وبالقسمة ينفصل الملك عن الملك ، والصحيح أنه يجوز عقد الشركة على العروض المشتراة ، ولا يشترط النقد ، بخلاف القراض .

فهذا القدر من علم الفقه يجب تعلمه على كل مكتسب ، وإلا اقتحم الحرام من حيث لا يدرى . وأما معاملة القصاب والخباز والبقال فلا يستغنى عنها المكتسب وغير المكتسب ، والخلل فيها من ثلاثة وجوه : من إهمال شروط البيع ، أو إهمال شروط السلم ، أو الاقتصار على المعاطاة ، إذ العادات جارية بكتبه الخطوط على هؤلاء بحاجات كل يوم ، ثم المحاسبة فى كل مدة ، ثم التقويم بحسب مايقع عليه التراضى ، وذلك مما نرى القضاء بإباحته للحاجة ، ويحمل تسليمهم على إباحة التناول مع انتظار العوض فيحل أكله ، ولكن يجب الضمان بأكله وتلزم قيمته يوم الإتلاف ، فتجتمع فى الذمة تلك القيم ، فإذا وقع التراضى على مقدار مافينبغى أن يلتمس منهم الإبراء المطلق لاتبقى عليه عهدة إن تطرق إليه تفاوت فى التقويم ، فهذا ما تجب القناعة به ، فإنّ تكليف وزن الثمن لكل حاجة من الحوائج فى كل يوم وكل ساعة تكليف شطط ، وكذا تكليف الإيجاب والقبول وتقدير ثمن كل قدر يسير منه فيه عسر ، وإذا كثر كل نوع سهل تقويمه ، والله الموفق .

الباب الثالث : فى بيان العدل واجتناب الظلم فى المعاملة

اعلم أنّ المعاملة قد تجرى على وجه يحكم المفتى بصحتها وانعقادها ولكنها تشتمل على ظلم يتعرض به المعامل لسخط الله تعالى ، إذ ليس كل نهى يقتضى فساد العقد ، وهذا الظلم يعنى به مااستضر به الغير ، وهو منقسم إلى مايعم ضرره وإلى مايخص المعامل .

القسم الأول : فيما يعم ضرره . وهو أنواع :

النوع الأول : الاحتكار فبائع الطعام يدّخر الطعام ينتظر به غلاء الأسعار ، وهو ظلم عام ، وصاحبه مذموم فى الشرع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من احتكر الطعام أربعين يوما ثم تصدّق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره [1] » وروى ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من احتكر الطعام أربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ الله منه [2] » وقيل : فكأنما قتل الناس جميعا ، وعن على رضى الله عنه : من احتكر الطعام أربعين يوما

الباب الثالث : فى بيان العدل

(١) حديث « من احتكر الطعام أربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره » رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على ، والخطيب فى التاريخ من حديث أنس بسندين ضعيفين . (٢) حديث ابن عمر « من احتكر الطعام أربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ الله منه » رواه أحمد والحاكم بسند جيد ، وقال ابن عدى : ليس بمحفوظ من حديث ابن عمر .

قسا قلبه . وعنه أيضا أنه أحرق طعام محتكر بالنار . وروى فى فضل ترك الاحتكار عنه صلى الله عليه وسلم « من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به » وفى لفظ آخر « فكأنما أعتق رقبة [1] » وقيل فى قوله تعالى ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ إنّ الاحتكار من الظلم وداخل تحته فى الوعيد . وعن بعض السلف أنه كان بواسط لجهز سفينة حنطة إلى البصرة وكتب إلى وكيله : بع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ولا تؤخره إلى غد ؛ فوافق سعة فى السعر فقال له التجار : لو أخرته جمعة ربحت فيه أضعافه ، فأخره جمعة فربح فيه أمثاله ، وكتب إلى صاحبه بذلك ؛ فكتب إليه صاحب الطعام : يا هذا ، إنا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا ، وإنك قد خالفت وما نحب أن نربح أضعافه بذهاب شىء من الدين فقد جنيت علينا جناية ؛ فإذا أتاك كتابى هذا فخذ المال كله فتصدق به على فقراء البصرة ، وليتنى أنجو من إثم الاحتكار كفافا لا على ولا لى . واعلم أن النهى مطلق ويتعلق النظر به فى الوقت والجنس ، أما الجنس فيطرد النهى فى أجناس الأقوات ، أما ما ليس بقوت ولا هو معين على القوت كالأدوية والعقاقير والزعفران وأمثاله ، فلا يتعدى النهى إليه وإن كان مطعوما . وأما ما يعين على القوت كاللحم والفواكه وما يسد مسدا يغنى عن القوت فى بعض الأحوال وإن كان لا يمكن المداومة عليه ، فهذا فى محل النظر ؛ فمن العلماء من طرد التحريم فى السمن والعسل والشيرج والجبن والزيت وما يجرى مجراه ؛ وأما الوقت فيحتمل أيضا طرد النهى فى جميع الأوقات ، وعليه تدل الحكاية التى ذكرنا فى الطعام الذى صادف بالبصرة سعة فى السعر ، ويحتمل أن يخصص بوقت قلة الأطعمة وحاجة الناس إليه حتى يكون فى تأخير بيعه ضر ما ؛ فأما إذا اتسعت الأطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها إلا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر قحطا ؛ فليس فى هذا إضرار . وإذا كان الزمان زمان قحط كان فى ادخار العسل والسمن والشيرج وأمثالها إضرار ؛ فينبغى أن يقضى بتحريمه ويعول فى نفى التحريم وإثباته على الضرار فإنه مفهوم قطعا من تخصيص الطعام ، وإذا لم يكن ضرار فلا يخلو احتكار الأقوات عن كراهية ، فإنه ينتظر مبادئ الضرار وهو ارتفاع الأسعار ، وانتظار مبادئ الضرار محذور كانتظار عين الضرار ولكنه دونه ، وانتظار عين الضرار أيضا هو دون الإضرار ، فبقدر درجات الإضرار تتفاوت درجات الكراهية والتحريم . وبالجملة التجارة فى الأقوات مما لا يستحب لأنه طلب ربح ، والأقوات أصول خلقت قواما ، والربح من المزايا ، فينبغى أن يطلب الربح فيما خلق من جملة المزايا التى لا ضرورة للخلق إليها ولذلك أوصى بعض التابعين رجلا وقال : لا تسلم ولدك فى بيعتين ولا فى صنعتين : بيع الطعام ، وبيع الأكفان فإنه يتمنى الغلاء وموت الناس . والصنعتان . أن يكون جزارا فإنها صنعة تقسى القلب ، أو صوّاغا فإنه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة .

النوع الثانى : ترويج الزيف من الدراهم فى أثناء النقد فهو ظلم ، إذ يستضر به المعامل إن لم يعرف ، وإن عرف فسيروّجه على غيره ، فكذلك الثالث والرابع ، ولا يزال يتردد فى الأيدى ويعم الضرر ويتسع الفساد ويكون وزر الكل ووباله راجعا عليه ، فإنه هو الذى فتح هذا الباب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئا [2] » . وقال بعضهم : إنفاق درهم

(١) حديث « من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به » وفى لفظ آخر « فكأنما أعتق رقبة » أخرجه ابن مردويه فى التفسير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف : « ما من جالب يجلب طعاما إلى بلد من بلدان المسلمين فيبيعه بسعر يومه إلا كانت منزلته عند الله منزلة الشهيد » وللحاكم من حديث اليسع بن المغيرة « إن الجالب إلى سوقنا كالمجاهد فى سبيل الله » وهو مرسل

(٢) حديث « من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شىء » أخرجه مسلم من حديث جرير بن عبد الله .

زيف أشد من سرقة مائة درهم ، لأنّ السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت ، وإنفاق الزيف بدعة أظهرها فى الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته إلى مائة سنة ، أو مائتى سنة .. إلى أن يفنى ذلك الدرهم ، ويكون عليه مافسد من أموال الناس بسنته ، وطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه ، والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتى سنة أو أكثر يعذب بها فى قبره ويسئل عنها إلى آخر انقراضها ، وقال تعالى ﴿ ونكتب ما قدموا وآثارهم ﴾ أى نكتب أيضا ما أخروه من آثار أعمالهم كما نكتب ماقدموه ، وفى مثله قوله تعالى ﴿ ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ﴾ وإنما أخر آثار أعماله من سنة سيئة عمل بها غيره . وليعلم أن فى الزيف خمسة أمور : (الأول) أنه إذا رد عليه شيء منه فينبغى أن يطرحه فى بئر بحيث لاتمتد إليه اليد ، وإياه أن يروجه فى بيع آخر . وإن أفسده بحيث لايمكن التعامل به جاز . (الثانى) أنه يجب على التاجر تعلم النقد لا ليستقصى لنفسه ولكن لئلا يسلم إلى مسلم زيفا وهو لايدرى فيكون آثما بتقصيره فى تعلم ذلك العلم . فكل علم عمل به يتم نصح المسلمين . فيجب تحصيله ولمثل هذا كان السلف يتعلمون علامات النقد نظراً لدينهم لا لدنياهم . (الثالث) أنه إن سلم وعرف المعامل أنه زيف لم يخرج عن الإثم . لأنه ليس يأخذه إلا ليروجه على غيره ولايخبره ، ولو لم يعزم على ذلك لكان لايرغب فى أخذه أصلا . فإنما يتخلص من إثم الضرر الذى يخص معامله فقط . (الرابع) أن يأخذ الزيف ليعمل بقوله صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء [1] » فهو داخل فى بركة هذا الدعاء إن عزم على طرحه فى بئر . وإن كان عازما على أن يروجه فى معاملة فهذا شر روجه الشيطان عليه فى معرض الخير فلا يدخل تحت من تساهل فى الاقتضاء . (الخامس) أن الزيف نعنى به مالانقرة فيه أصلا بل هو مموه . أو مالا ذهب فيه أعنى فى الدنانير . أما مافيه نقرة فإن كان مخلوطا بالنحاس وهو نقد البلد فقد اختلف العلماء فى المعاملة عليه ، وجل رأينا الرخصة فيه إذا كان ذلك نقد البلد ، سواء علم مقدار النقرة أو لم يعلم . وإن لم يكن هو نقد البلد لم يجز إلا إذا علم قدر النقرة ، فإن كان فى ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه أن يخبر به معامله ، وأن لايعامل به إلا من لايستحل الترويج فى جملة النقد بطريق التلبيس ، فأما من يستحل ذلك فتسليمه إليه تسليط له على الفساد ، فهو كبيع العنب ممن يعلم أنه يتخذه خمراً ، وذلك محظور وإعانة على الشر ومشاركة فيه ، وسلوك طريق الحق بمثال هذا فى التجارة أشد من المواظبة على نوافل العبادات والتخلى لها ، ولذلك قال بعضهم : التاجر الصدوق أفضل عند الله من المتعبد ، وقد كان السلف يحتاطون فى مثل ذلك حتى روى عن بعض الغزاة فى سبيل الله أنه قال : حملت على فرسى لأقتل علجا ، فقصر بى فرسى فرجعت ثم دنا منى العلج فحملت ثانية فقصر فرسى فرجعت ، ثم حملت الثالثة فنفر منى فرسى وكنت لا أعتاد ذلك منه ، فرجعت حزينا وجلست منكس الرأس منكسر القلب لما فاتنى من العلج وما ظهر لى من خلق الفرس ، فوضعت رأسى على عمود الفسطاط وفرسى قائم فرأيت فى النوم كأن الفرس يخاطبنى ويقول لى : بالله عليك أردت أن تأخذ على العلج ثلاث مرات وأنت بالأمس اشتريت لى علفا ودفعت فى ثمنه درهما زائفا لايكون هذا أبدا . قال : فانتبهت فزعا فذهبت إلى العلاف وأبدلت ذلك الدرهم ، فهذا مثال ما يعم ضرره وليقس عليه أمثاله .

القسم الثانى : ما يخص ضرره المعامل

فكل مايستضر به المعامل فهو ظلم ، وإنما العدل لايضر بأخيه المسلم ، والضابط الكلى فيه : أن لا يحب

---

(١) حديث « رحم الله امرءا سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء » أخرجه البخارى من حديث جابر .

لأخيه إلا مايحب لنفسه ؛ فكل مالو عومل به شق عليه وثقل على قلبه فينبغى أن لايعامل غيره به ؛ بل ينبغى أن يستوى عنده درهمه ودرهم غيره . قال بعضهم : من باع أخاه شيئا بدرهم وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه إلا بخمسة دوانق فإنه قد ترك النصح المأمور به فى المعاملة ولم يحب لأخيه مايحب لنفسه ، هذه جملته .

فأما تفصيله فى أربعة أمور . أن لايثنى على السلعة بما ليس فيها ، وأن لايكتم من عيوبها وخفايا صفاتها شيئا أصلا ، وأن لايكتم فى وزنها ومقدارها شيئا ، وأن لايكتم من سعرها مالو عرفه المعامل لامتنع عنه :

أما الأول ، فهو ترك الثناء ؛ فإن وصفه للسلعة إن كان بما ليس فيها فهو كذب ، فإن قبل المشترى ذلك فهو تلبيس وظلم مع كونه كذبا ، وإن لم يقبل فهو كذب وإسقاط مروءة ، إذ الكذب الذى لايروج قد لايقدح فى ظاهر المروءة ، وإن أثنى على السلعة بما فيها فهو هذيان وتكلم بكلام لايعنيه . وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه أنه لم تكلم بها . قال الله تعالى ﴿ مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ إلا أن يثنى على السلعة بما فيها مما لايعرفه المشترى مالم يذكره ، كما يصفه من خفى أخلاق العبيد والجوارى والدواب ؛ فلا بأس بذكر القدر الموجود منه من غير مبالغة وإطناب ، وليكن قصده منه أن يعرفه أخوه المسلم فيرغب فيه وتنقضى بسببه حاجته ، ولا ينبغى أن يحلف عليه ألبتة ؛ فإنه إن كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس وهى من الكبائر التى تذر الديار بلاقع ، وإن كان صادقا فقد جعل الله تعالى عرضة لأيمانه ، وقد أساء فيه ، إذ الدنيا أخس من أن يقصد ترويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة ، وفى الخبر « ويل للتاجر من بلى والله ولا والله ، وويل للصانع من غد وبعد » [1] وفى الخبر « اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للبركة » [2] وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاثة لاينظر الله إليهم يوم القيامة . عائل مستكبر ، ومنان بعطيته ، ومنفق سلعته بيمينه » [3] فإذا كان الثناء على السلعة مع الصدق مكروها من حيث إنه فضول لايزيد فى الرزق فلا يخفى التغليظ فى أمر اليمين ؛ وقد روى عن يونس بن عبيد وكان خزازا : أنه طلب منه خز للشراء ، فأخرج غلامه سقط الخز ونشره ونظر إليه وقال : اللهم ارزقنا الجنة ، فقال لغلامه : رده إلى موضعه ولم يبعه ، وخاف أن يكون ذلك تعريضا بالثناء على السلعة ، فمثل هؤلاء الذين اتجروا فى الدنيا ولم يضيعوا دينهم فى تجاراتهم ، بل علموا أن ربح الآخرة أولى بالطلب من ربح الدنيا .

الثانى : أن يظهر جميع عيوب المبيع خفيها وجليها ولايكتم منها شيئا ، فذلك واجب ، فإن أخفاه كان ظالما غاشا والغش حرام ، وكان تاركا للنصح فى المعاملة والنصح واجب ، ومهما أظهر أحسن وجهى الثوب وأخفى الثانى كان غاشا ، وكذلك إذا عرض الثياب فى المواضع المظلمة ، وكذلك إذا عرض أحسن فردى الخف أو النعل وأمثاله ويدل على تحريم الغش ماروى : أنه مر عليه الصلاة والسلام برجل يبيع طعاما فأعجبه ، فأدخل يده فيه فرأى بللا ، فقال : « ماهذا ؟ » قال : أصابته السماء ، فقال « فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ، من غشنا فليس منا [4] » ويدل على وجوب النصح بإظهار العيوب ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما بايع جريرا على الإسلام ذهب

---

(١) حديث « ويل للتاجر من بلى والله ولا والله ، وويل للصانع من غد وبعد غد » لم أقف له على أصل ، وذكر صاحب مسند الفردوس من حديث أنس بغير إسناد نحوه . (٢) حديث « اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للبركة » متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ « الحلف » وهو عند البيهقى بلفظ المصنف . (٣) حديث أبى هريرة « ثلاثة لاينظر الله إليهم يوم القيامة: عائل مستكبر ، ومنان بعطيته . ومنفق سلعته بيمينه » أخرجه مسلم من حديثه إلا أنه لم يذكر فيها إلا : عائل مستكبر ، ولها « ثلاثة لايكلمهم الله ولاينظر إليهم : رجل حلف على سلعة لقد أعطى فيها أكثر مما أعطى وهو كاذب ... الحديث » ولمسلم من حديث أبى ذر : « المنان ، والمسبل لإزاره ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » . (٤) حديث : مر برجل يبيع طعاما فأعجبه فأدخل يده فرأى بللا فقال « ماهذا ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة .

لينصرف لجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم [١] ، فكان جرير إذا قام إلى السلعة يبيعها بصر عيوبها ثم خيره وقال : إن شئت فخذ وإن شئت فاترك ، فقيل له : إنك إذا فعلت مثل هذا لم ينفذ لك بيع ، فقال : إنا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم . وكان واثلة بن الأسقع واقفا فباع رجل ناقة له بثلثمائة درهم ، فغفل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة ، فسعى وراءه وجعل يصيح به : ياهذا ، اشتريتها للحم أو للظهر ؟ فقال : بل للظهر ، فقال : إن بخفها نقبا قد رأيته ، وإنها لاتتابع السير ، فعاد فردها فنقصها البائع مائة درهم وقال لواثلة : رحمك الله أفسدت على بيعى ، فقال : إنا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم ، وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لايحل لأحد يبيع بيعا إلا أن يبين آفته ، ولايحل لمن يعلم ذلك إلا تبيينه [٢] » فقد فهموا من النصح أن لايرضى لأخيه إلا مايرضاه لنفسه ، ولم يعتقدوا أن ذلك من الفضائل وزيادة المقامات ، بل اعتقدوا أنه من شروط الإسلام الداخلة تحت بيعتهم ، وهذا أمر يشق على أكثر الخلق ، فلذلك يختارون التخلى للعبادة والاعتزال عن الناس ، لأن القيام بحقوق الله مع المخالطة والمعاملة مجاهدة لايقوم بها إلا الصديقون ، ولن يتيسر ذلك على العبد إلا بأن يعتقد أمرين : (أحدهما) أن تلبيسه العيوب وترويجه السلع لايزيد فى رزقه ، بل يمحقه ويذهب ببركته ، ومايجمعه من مفرقات التلبيسات يهلكه الله دفعة واحدة ، فقد حكى أن واحدا كان له بقرة يحلبها ويخلط بلبنها الماء ويبيعه ، فجاء سيل فغرق البقرة ، فقال بعض أولاده : إن تلك المياه المتفرقة التى صببناها فى اللبن اجتمعت دفعة واحدة وأخذت البقرة . كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم « البيعان إذا صدقا ونصحا بورك لهما فى بيعهما ، وإذا كتما وكذبا نزعت بركة بيعهما [٣] » وفى الحديث « يد الله على الشريكين مالم يتخاونا ، فإذا تخاونا رفع يده عنهما [٤] » فإذاً لايزيد مال من خيانة ، كما لاينقص من صدقة ، ومن لايعرف الزيادة والنقصان إلا بالميزان لم يصدق بهذا الحديث . ومن عرف أن الدرهم الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الإنسان فى الدنيا والدين ، والآلاف المؤلفة قد ينزع الله البركة منها حتى تكون سببا لهلاك مالكها بحيث يتمنى الإفلاس منها ويراه أصلح له فى بعض أحواله ، فيعرف معنى قولنا : إن الخيانة لاتزيد فى المال والصدقة لاتنقص منه (والمعنى الثانى) الذى لابد من اعتقاده ليتم له النصح ويتيسر عليه : أن يعلم أن ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا ، وأن فوائد أموال الدنيا تنقضى بانقضاء العمر وتبقى مظالمها وأوزارها فكيف يستجيز العاقل أن يستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ، والخير كله فى سلامة الدين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتزال لاإله إلا الله تدفع عن الخلق سخط الله مالم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم [٥] » وفى لفظ آخر « مالم يبالوا مانقص من دنياهم بسلامة دينهم ، فإذا فعلوا ذلك وقالوا : لاإله إلا الله ، قال الله تعالى : كذبتم لستم بها صادقين » وفى حديث آخر « من قال لاإله إلا الله مخلصا دخل الجنة . قيل . وما إخلاصه ؟ قال . أن يحرزه عما حرم الله [٦] » وقال أيضا . ما آمن بالقرآن من استحل محارمه ، ومن علم

---

(١) حديث جرير بن عبد الله : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم . متفق عليه . (٢) حديث واثلة « لايحل لأحد يبيع بيعا إلا بين مافيه ، ولايحل لمن يعلم ذلك إلا بينه » أخرجه الحاكم وقال : صحيح الإسناد ، والبيهقى .

(٣) حديث « البيعان إذا صدقا ونصحا بورك لهما فى بيعهما .. الحديث » متفق عليه من حديث حكيم بن حزام .

(٤) حديث « يد الله على الشريكين مالم يتخاونا ، فاذا تخاونا رفع يده عنهما » رواه أبو داود والحاكم من حديث أبى هريرة وقال : صحيح الإسناد . (٥) حديث « لاتزال لاإله إلا الله تدفع عن الخلق سخط الله مالم يؤثروا صفقة دنياهم على أخراهم ... الحديث » رواه أبو يعلى والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بسند ضعيف . وفى رواية للترمذى الحكيم فى النوادر « حتى إذا نزلوا بالمنزل الذى لايبالون مانقص من دينهم إذا سلمت لهم دنياهم . . الحديث » وللطبرانى فى الأوسط نحوه من حديث عائشة ، وهو ضعيف أيضاً . (٦) حديث « من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة » قيل : وما اخلاصها ؟ قال « تحجزه عما حرم الله » أخرجه الطبرانى من حديث زيد بن أرقم فى معجمه الكبير والأوسط بإسناد حسن .

أن هذه الأمور قادحة فى إيمانه ، وأن إيمانه رأس ماله فى الآخرة لم يضيع رأس ماله المعد لعمر لا آخر له بسبب ربح ينتفع به أياما معدودة . وعن بعض التابعين أنه قال : لو دخلت الجامع ومع وهو غاص بأهله وقيل لى : من خير هؤلاء ؟ لقلت : من أنصحهم لهم ؟ فإذا قالوا : هذا ، قلت : هو خيرهم . ولو قيل لى : من شرهم ؟ قلت : من أغشهم لهم ؟ فإذا قيل : هذا ، قلت : هو شرهم . والغش حرام فى البيوع والصنائع جميعا ، ولا ينبغى أن يتهاون الصانع بعمله على وجه لو عامله به غيره لما ارتضاه لنفسه ، بل ينبغى أن يحسن الصنعة ويحكمها ، ثم يبين عيبها إن كان فيها عيب ، فبذلك يتخلص . وسأل رجل حداء بن سالم فقال : كيف لى أن أسلم فى بيع النعال ؟ فقال : اجعل الوجهين سواء ، ولا تفضل اليمنى على الأخرى ، وجود الحشو ، وليكن شيئا واحدا تاما ، وقارب بين الخرز ، ولا تطبق إحدى النعلين على الأخرى . ومن هذا الفن ماسئل عنه أحمد بن حنبل رحمه الله من الرفو بحيث لايتبين ، قال : لايجوز لمن يبيعه أن يخفيه ، وإنما يحل للرفا إذا علم أنه يظهره أو أنه لايريده للبيع .

* فإن قلت : فلاتتم المعاملة مهما وجب على الإنسان أن يذكر عيوب المبيع * فأقول : ليس كذلك ، إذ شرط التاجر أن لايشترى للبيع إلا الجيد الذى يرتضيه لنفسه لو أمسكه ثم يقنع فى بيعه بربح يسير ، فيبارك الله له فيه ، ولا يحتاج إلى تلبيس ، وإنما تعذر هذا لأنهم لايقنعون بالربح اليسير ، وليس يسلم الكثير إلا بتلبيس ، فمن تعود هذا لم يشتر المعيب ، فإن وقع فى يده معيب نادرا فليذكره وليقنع بقيمته . باع ابن سيرين شاة فقال للمشترى : أبرأ إليك من عيب فيها إنها تقلب العلف برجلها . وباع الحسن بن صالح جارية فقال المشترى : إنها تنخمت مرة عندنا دما ، فهكذا كانت سيرة أهل الدين ، فمن لايقدر عليه فليترك المعاملة أو ليوطن نفسه على عذاب الآخرة .

الثالث : ألا يكتم فى المقدار شيئا وذلك بتعديل الميزان والاحتياط فيه وفى الكيل ، فينبغى أن يكيل كما يكتال قال الله تعالى ﴿ ويل للمطففين * الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴾ ولا يخلص من هذا إلا بأن يرجح إذا أعطى ، وينقص إذا أخذ ، إذ العدل الحقيق قلما يتصور ، فليستظهر بظهور الزيادة والنقصان ، فإن من استقصى حقه بكماله يوشك أن يتعداه . وكان بعضهم يقول : لا أشترى الويل من الله بحبة ، فكان إذا أخذ نقص نصف حبة ، وإذا أعطى زاد حبة ، وكان يقول : ويل لمن باع بحبة جنة عرضها السموات والأرض ؛ وما أخسر من باع طوبى بويل . وإنما بالغوا فى الاحتراز من هذا وشبهه لأنها مظالم لا يمكن التوبة منها ، إذ لايعرف أصحاب الحبات حتى يجمعهم ويؤدى حقوقهم ، ولذلك لما اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قال للوزان لما كان يزن ثمنه « زن وأرجح [1] » ونظر فضيل إلى ابنه وهو يغسل دينارا يريد أن يصرفه ويزيل تكحيله وينقيه حتى لايزيد وزنه بسبب ذلك فقال : يابنى فعلك هذا أفضل من حجتين وعشرين عمرة . وقال بعض السلف : عجبت للتاجر والبائع كيف ينجو ، يزن ويحلف بالنهار ، وينام بالليل . وقال سليمان عليه السلام لابنه : يابنى كما تدخل الحبة بين الحجرين ، كذلك تدخل الخطيئة بين المتبايعين . وصلى بعض الصالحين على مخنث ؛ فقيل له : إنه كان فاسقا ، فسكت ، فأعيد عليه فقال : كأنك قلت لى : كان صاحب ميزانين يعطى بأحدهما ويأخذ بالآخر ، أشار به إلى أن فسقه مظلمة بينه وبين الله تعالى ، وهذا من مظالم العباد ، والمسامحة والعفو فيه أبعد ، والتشديد فى أمر الميزان عظيم ، والخلاص منه يحصل بحبة ونصف حبة . وفى قراءة عبدالله بن مسعود رضى الله عنه ﴿ لاتطغوا فى الميزان * وأقيموا الوزن باللسان ولا تخسروا الميزان ﴾ أى لسان الميزان ، فإن النقصان والرجحان

(١) حديث : قال للوزان « زن وأرجح » رواه أصحاب السنن والحاكم من حديث سويد بن قيس . قال الترمذى : حسن صحيح وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم .

يظهر بمثله ، وبالجملة كل من ينتصف لنفسه من غيره ولم فى كلمة ولا ينصف بمثل ماينتصف ، فهو داخل تحت قوله تعالى ﴿ ويل للمطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ﴾ الآيات ، فإن تحريم ذلك فى المكيل ليس لكونه مكيلا ، بل لكونه أمرا مقصودا ترك العدل والنصفة فيه ، فهو جار فى جميع الأعمال ، فصاحب الميزان فى خطر الويل ، وكل مكلف فهو صاحب موازين فى أفعاله وأقواله وخطراته ، فالويل له إن عدل عن العدل ومال عن الاستقامة ، ولولا تعذر هذا واستحالته لما ورد قوله تعالى ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ﴾ فلا ينفك عبد ليس معصوماً عن الميل عن الاستقامة ، إلا أن درجات الميل تتفاوت تفاوتا عظيما ، فلذلك تتفاوت مدة مقامهم فى النار إلى أوان الخلاص ، حتى لايبقى بعضهم إلا بقدر تحلة القسم ، ويبقى بعضهم ألفا وألوف سنين ، فنسأل الله تعالى أن يقربنا من الاستقامة والعدل ، فإن الاشتداد على متن الصراط المستقيم من غير ميل عنه ، غير مطموع فيه ، فإنه أدق من الشعرة وأحد من السيف ، ولولاه لكان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط الممدود على متن النار الذى من صفته أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف ، وبقدر الاستقامة على هذا الصراط المستقيم يخف العبد يوم القيامة على الصراط ، وكل من خلط بالطعام ترابا أوغيره ثم كاله فهو من المطففين فى الكيل ، وكل قصاب وزن مع اللحم عظما لم تجر العادة بمثله ، فهو من المطففين فى الوزن ، وقس على هذا سائر التقديرات ، حتى فى الذرع الذى يتعاطاه البزاز ، فإنه إذا اشترى أرسل الثوب فى وقت الذرع ولم يمده مدا ، وإذا باعه مده فى الذرع ليظهر تفاوتا فى القدر ، فكل ذلك من التطفيف المعرض صاحبه للويل .

الرابع : أن يصدق فى سعر الوقت ولا يخفى منه شيئا ، فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تلقى الركبان[1] ونهى عن النجش[2] ، أما تلقى الركبان ، فهو أن يستقبل الرفقة ويتلقى المتاع ويكذب فى سعر البلد ، فقد قال صلى الله عليه وسلم « لاتتلقوا الركبان » ومن تلقاها فصاحب السلعة بالخيار بعد أن يقدم السوق ، وهذا الشراء منعقد ، ولكنه إن ظهر كذبه ثبت للبائع الخيار ، وإن كان صادقا فى الخيار خلاف لتعارض عموم الخبر مع زوال التلبيس ، ونهى أيضا أن يبيع حاضر لباد[3] : وهو أن يقدم البدوى البلد ومعه قوت يريد أن يتسارع إلى بيعه ، فيقول له الحضرى اتركه عندى حتى أغالى فى ثمنه وأنتظر ارتفاع سعره ، وهذا فى القوت محرم ، وفى سائر السلع خلاف ، والأظهر تحريمه لعموم النهى ، ولأنه تأخير للتضييق على الناس على الجملة من غير فائدة للفضولى المضيق ، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النجش . وهو أن يتقدم إلى البائع بين يدى الراغب المشترى ويطلب السلعة بزيادة وهو لايريدها ، وإنما يريد تحريك رغبة المشترى فيها ، فهذا إن لم تجر مواطأة مع البائع فهو فعل حرام من صاحبه والبيع منعقد ، وإن جرى مواطأة ففى ثبوت الخيار خلاف ، والأولى إثبات الخيار لأنه تغرير بفعل يضاهى التغرير فى المصراة وتلقى الركبان ، فهذه المناهى تدل على أنه لايجوز أن يلبس على البائع والمشترى فى سعر الوقت ويكتم منه أمرا لو علمه لما أقدم على العقد ، ففعل هذا من الغش الحرام المضاد للنصح الواجب ، فقد حكى عن رجل من التابعين أنه كان بالبصرة وله غلام بالسوس يجهز إليه السكر ، فكتب إليه غلامه : إن قصب السكر قد أصابته آفة فى هذه السنة ، فاشتر السكر ، قال : فاشترى سكرا كثيرا ، فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين ألفا ، فانصرف إلى منزله فأفكر

---

(١) حديث النهى عن تلقى الركبان : متفق عليه من حديث ابن عباس وأبى هريرة : (٢) حديث النهى عن النجش : متفق عليه من حديث ابن عمر وأبى هريرة . (٣) حديث النهى عن بيع الحاضر للبادى : متفق عليه من حديث ابن عباس وأبى هريرة وأنس .

ليلته وقال : ربحت ثلاثين ألفا وخسرت نصح رجل من المسلمين ، فلما أصبح غدا إلى بائع السكر فدفع إليه ثلاثين ألفا وقال : بارك الله لك فيها ، فقال : ومن أين صارت لى ؟ فقال : إنى كتمتك حقيقة الحال وكان السكر قد غلا فى ذلك الوقت ، فقال : رحمك الله قد أعلمتنى الآن وقد طيبتها لك ، قال : فرجع بها إلى منزله وتفكر وبات ساهرا وقال : ما نصحته ، فلعله استحيا منى فتركها لى فبكر إليه من الغد وقال : عافاك الله ، خذ مالك إليك فهو أطيب لقلبى ، فأخذ منه ثلاثين ألفا . فهذه الأخبار فى المناهى والحكايات تدل على أنه ليس له أن يغتنم فرصة وينتهز غفلة صاحب المتاع ويخفى من البائع غلاء السعر أو من المشترى تراجع الأسعار ، فإن فعل ذلك كان ظالما تاركا للعدل والنصح للمسلمين ، ومهما باع مرابحة بأن يقول : بعت بما قام على أو بما اشتريته ، فعليه أن يصدق ، ثم يجب عليه أن يخبر بما حدث بعد العقد من عيب أو نقصان ، ولو اشترى إلى أجل وجب ذكره ، ولو اشترى مسامحة من صديقه أو ولده يجب ذكره . لأن المعامل يعول على عادته فى الاستقصاء أنه لا يترك النظر لنفسه ، فإذا تركه بسبب من الأسباب فيجب إخباره ، إذ الاعتماد فيه على أمانته .

الباب الرابع : فى الاحسان فى المعاملة

وقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعاً ، والعدل سبب النجاة فقط ، وهو يجرى من التجارة مجرى رأس المال . والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة ، وهو يجرى من التجارة مجرى الربح ، ولا يعد من الغفلاء من قنع فى معاملات الدنيا برأس ماله ، فكذا فى معاملات الآخرة ، فلا ينبغى للمتدين أن يقتصر على العدل واجتناب الظلم ويدع أبواب الإحسان ، وقد قال الله ﴿ وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾ وقال عز وجل ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ وقال سبحانه ﴿ إن رحمت الله قريب من المحسنين ﴾ ونعنى بالإحسان : فعل ما ينتفع به المعامل ، وهو غير واجب عليه ، ولكنه تفضل منه ، فإن الواجب يدخل فى باب العدل وترك الظلم وقد ذكرناه ، وتنال رتبة الإحسان بواحد من ستة أمور .

الأول : فى المغابنة ، فينبغى أن لا يغبن صاحبه بما لا يتغابن به فى العادة ، فأما أصل المغابنة فمأذون فيه : لأن البيع للربح ، ولا يمكن ذلك إلا بغبن ما ، ولكن يراعى فيه التقريب ، فإن بذل المشترى زيادة على الربح المعتاد إما لشدة رغبته أو لشدة حاجته فى الحال إليه ، فينبغى أن يمتنع من قبوله ، فذلك من الإحسان . ومهما لم يكن تلبيس لم يكن أخذ الزيادة ظلما وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ، ولسنا نرى ذلك ، ولكن من الإحسان أن يحط ذلك الغبن . يروى أنه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الأثمان : ضرب قيمة كل حلة منها أربعمائة ، وضرب كل حلة قيمتها مائتان ، فمر إلى الصلاة وخلف ابن أخيه فى الدكان ، فجاء أعرابى وطلب حلة بأربعمائة فعرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها ، فاشتراها فمضى بها وهى على يديه ، فاستقبله يونس فعرف حلته ، فقال للأعرابى : بكم اشتريت ؟ فقال : بأربعمائة ، فقال : لا تساوى أكثر من مائتين فارجع حتى تردها ، فقال : هذه تساوى فى بلدنا خمسمائة وأنا أرتضيها ، فقال له يونس : انصرف فإن النصح فى الدين خير من الدنيا بما فيها ، ثم رده إلى الدكان ورد عليه مائتى درهم ، وخاصم ابن أخيه فى ذلك وقاتله وقال : أما استحييت ، أما اتقيت الله ، تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين ، فقال : والله ما أخذها إلا وهو راض بها . قال : فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك ، وهذا إن كان فيه إخفاء سعر وتلبيس ، فهو من

باب الظلم وقد سبق ، وفى الحديث « غبن المسترسل حرام [1] » وكان الزبير بن عدى يقول : أدركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم أحد يحسن يشترى لحما بدرهم ، فغبن مثل هؤلاء المسترسلين ظلم : إن كان من غير تلبيس فهو من ترك الإحسان ، وقلما يتم هذا إلا بنوع تلبيس وإخفاء سعر الوقت .

وإنما الإحسان المحض ما نقل عن السرى السقطى أنه اشترى كر لوز بستين ديناراً وكتب فى روزنامجه ثلاثة دنانير ربحه ، وكأنه رأى أن يربح على العشرة نصف دينار ، فصار اللوز بتسعين ، فأتاه الدلال وطلب اللوز فقال : خذه . قال : بكم ؟ فقال . بثلاثة وستين ، فقال الدلال وكان من الصالحين : فقد صار اللوز بتسعين ، فقال السرى: قد عقدت عقداً لا أحله ، لست أبيعه إلا بثلاثة وستين ، فقال الدلال : وأنا عقدت بينى وبين الله أن لا أغش مسلما ، لست آخذ منك إلا بتسعين . قال : فلا الدلال اشترى منه ، ولا السرى باعه ، فهذا محض الإحسان من الجانبين ، فإنه مع العلم بحقيقة الحال .

وروى عن محمد بن المنكدر أنه كان له شقق بعضها بخمسة وبعضها بعشرة ، فباع غلامه فى غيبته شقة من الخمسيات بعشرة ، فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الأعرابى المشترى طول النهار حتى وجده ، فقال له : إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوى خمسة بعشرة ، فقال : يا هذا قد رضيت ، فقال : وإن رضيت فإنا لانرضى لك إلا مانرضاه لأنفسنا ، فاختر إحدى ثلاث خصال : إما أن تأخذ شقة من العشريات بدراهمك ، وإما أن نرد عليك خمسة ، وإما أن ترد شقتنا وتأخذ دراهمك ، فقال : أعطنى خمسة ، فرد عليه خمسة وانصرف الأعرابى يسأل ويقول : من هذا الشيخ ؟ فقيل له : هذا محمد بن المنكدر ، فقال لاإله إلا الله ، هذا الذى نستسقى به فى البوادى إذا قحطنا . فهذا إحسان فى أن لا يربح على العشرة إلا نصفاً أوواحد على ماجرت به العادة فى مثل ذلك المتاع فى ذلك المكان ، ومن قنع بربح قليل كثرت معاملاته واستفاد من تكررها ربحا كثيرا ، وبه تظهر البركة .

كان على رضى الله عنه يدور فى سوق الكوفة بالدرة ويقول : معاشر التجار ، خذوا الحق تسلموا ، لاتردوا قليل الربح فتحرموا كثيره .

قيل لعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : ماسبب يسارك ؟ قال : ثلاث ، ماترددت ربحا قط ، ولا طلب منى حيوان فأخرت بيعه ، ولابعت بنسيئة . ويقال : إنه باع ألف ناقة فما ربح إلا عقالها : باع كل عقال بدرهم فربح فيها ألفا وربح من نفقته عليها ليومه ألفا .

الثانى : فى احتمال الغبن ، والمشترى إن اشترى طعاما من ضعيف أو شيئاً من فقير فلا بأس أن يحتمل الغبن ويتساهل ، ويكون به محسنا وداخلا فى قوله عليه السلام « رحم الله امرءاً سهل البيع سهل الشراء » فأما إذا اشترى من غنى تاجر يطلب الربح زيادة على حاجته ، فاحتمال الغبن منه ليس محموداً ، بل هو تضييع مال من غير أجر ولا حمد ، فقد ورد فى حديث من طريق أهل البيت « المغبون فى الشراء لامحمود ولا مأجور [2] » وكان إياس ابن معاوية بن قرة قاضى البصرة وكان من عقلاء التابعين يقول : لست بخب والخب لايغبننى ولا يغبن ابن سيرين ولكن يغبن الحسن ويغبن أبى - يعنى معاوية بن قرة ، والكمال فى أن لا يغبن ولا يغبن ، كما وصف بعضهم عمر

الباب الرابع : الإحسان فى المعاملة

(١) حديث « غبن المسترسل حرام » أخرجه الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف ، والبيهقى من حديث جابر بسند جيد، وقال « ربا » بدل « حرام » . (٢) حديث « المغبون فى الشراء لامحمود ولامأجور » أخرجه الترمذى الحكيم فى النوادر من رواية عبيد الله بن الحسن عن أبيه عن جده ، ورواه أبو يعلى من حديث الحسين بن على يرفعه . قال الذهبى : هو منكر .

رضى الله عنه فقال : كان أكرم من أن يخدع ، وأعقل من أن يخدع . وكان الحسن والحسين وغيرهما من خيار السلف يستقصون فى الشراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال ، فقيل لبعضهم : تستقصى فى شرائك على اليسير ثم تهب الكثير ولا تبالى ! فقال : إن الواهب يعطى فضله وإن المغبون يغبن عقله . وقال بعضهم : إنما أغبن عقلى وبصرى فلا أمكن الغابن منه ، وإذا وهبت أعطى لله ولا أستكثر منه شيئاً .

الثالث : فى استيفاء الثمن وسائر الديون والإحسان فيه : مرة بالمسامحة وحط البعض ، ومرة بالإمهال والتأخير ، ومرة بالمساهلة فى طلب جودة النقد ، وكل ذلك مندوب إليه ومحثوث عليه : قال النبى صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرءاً سهل البيع سهل الشراء سهل الاقتضاء [1] » فليغتنم دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم . وقال صلى الله عليه وسلم « اسمح يسمح لك [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « من انظر معسراً أو ترك له حاسبه الله حساباً يسيرا » وفى لفظ آخر « أظله الله تحت ظل عرشه يوم لاظل إلا ظله [3] » . وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا كان مسرفا على نفسه : حوسب فلم يوجد له حسنة ، فقيل له : هل عملت خيراً قط ؟ فقال : لا إلا أنى كنت رجلا أداين الناس فأقول لفتيانى : سامحوا الموسر وأنظروا المعسر [4] . وفى لفظ آخر « وتجاوزوا عن المعسر : فقال الله تعالى : نحن أحق بذلك منه ، فتجاوز الله عنه وغفر له » وقال صلى الله عليه وسلم « من أقرض ديناراً إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله ، فإذا حل الأجل فانظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة [5] » وقد كان من السلف من لايحب أن يقضى غريمه الدين لأجل هذا الخبر ، حتى يكون كالمتصدق بجميعه فى كل يوم . وقال صلى الله عليه وسلم « رأيت على باب الجنة مكتوبا : الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمان عشرة [6] » فقيل فى معناه : إن الصدقة تقع فى يد المحتاج وغير المحتاج ، ولايحتمل ذل الاستقراض إلا محتاج . ونظر النبى صلى الله عليه وسلم إلى رجل يلازم رجلا بدين ، فأومأ إلى صاحب الدين بيده أن ضع الشطر ففعل ، فقال للمديون : قم فأعطه [7] » وكل من باع شيئاً وترك ثمنه فى الحال ولم يرهق إلى طلبه فهو فى معنى المقرض .

وروى أن الحسن البصرى باع بغلة له بأربعمائة درهم ، فلما استوجب المال قال له المشترى : اسمح يا أبا سعيد . قال : قد أسقطت عنك مائة ، قال له : فأحسن ياأبا سعيد ، فقال : قد وهبت لك مائة أخرى ، فقبض من حقه مائتى درهم . فقيل له : يا أبا سعيد ، هذا نصف الثمن ، فقال : هكذا يكون الإحسان وإلا فلا .

وفى الخبر « خذ حقك فى كفاف وعفاف واف أو غير واف ، يحاسبك الله حسابا يسيراً [8] » .

---

(١) حديث « رحم الله امرءاً سهل البيع سهل الشراء » تقدم فى الباب قبله . (٢) حديث « اسمح يسمح لك » أخرجه الطبرانى من حديث ابن عباس ورجاله ثقات .

(٣) حديث « من أنظر معسراً أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا » وفى لفظ آخر « أظله الله تحت ظله يوم لاظل الاظله » رواه مسلم باللفظ الثانى من حديث أبى اليسر كعب بن عمرو . (٤) حديث : ذكر رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة ، فقيل له : هل عملت خيراً قط ، فقال : لاالا أنى كنت رجلا أداين الناس فأقول لفتيانى : سامحوا الموسر ... الحديث . رواه مسلم من حديث أبى مسعود الأنصارى ، وهو متفق عليه بنحوه من حديث حذيفة . (٥) حديث « من أقرض دينارا الى أجل فله بكل يوم صدقة الى أجله . فاذا حل الأجل فأنظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة » أخرجه ابن ماجه من حديث بريدة « من أنظر معسراً كان له كل يوم صدقة ؛ ومن أنظره بعد أجله كان له مثله فى كل يوم صدقة » وسنده ضعيف ، ورواه أحمد والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين .

(٦) حديث « رأيت على باب الجنة مكتوبا : الصدقة بعشر أمثالها ، والقرض بثمان عشرة » أخرجه ابن ماجه من حديث أنس باسناد ضعيف . (٧) حديث « أومأ الى صاحب الدين بيده ضع الشطر ... الحديث » متفق عليه من حديث كعب بن مالك .

(٨) حديث « خذ حقك فى عفاف ... الحديث » أخرجه ابن ماجه من حديث أبى هريرة باسناد حسن دون قوله « يحاسبك الله حسابا يسيرا » وله ولابن حبان والحاكم وصححه نحوه من حديث ابن عمر وعائشة .

الرابع : فى توفية الدين . ومن الإحسان فيه حسن القضاء ، وذلك بأن يمشى إلى صاحب الحق ولا يكلفه أن يمشى إليه يتقاضاه ، فقد قال صلى الله عليه وسلم « خيركم أحسنكم قضاء [1] » ، ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر إليه ولو قبل وقته ، وليسلم أجود مما شرط عليه وأحسن ، وإن عجز فلينو قضاءه مهما قدر . قال صلى الله عليه وسلم « من ادّان دينا وهو ينوى قضاءه وكل الله به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه [2] » ، وكان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر ، ومهما كلمه صاحب الحق بكلام خشن فليحتمله وليقابله باللطف ، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم : إذ جاءه صاحب الدين عند حلول الأجل ولم يكن قد اتفق قضاؤه ، فجعل الرجل يشدّد الكلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم به أصحابه فقال : دعوه فإنّ لصاحب الحق مقالا [3] » ، ومهما دار الكلام بين المستقرض والمقرض ، فالإحسان أن يكون الميل الأكثر للمتوسطين إلى من عليه الدين ، فإنّ المقرض يقرض عن غنى والمستقرض يستقرض عن حاجة ، وكذلك ينبغى أن تكون الإعانة للمشترى أكثر ؛ فإنّ البائع راغب عن السلعة يبغى ترويجها ، والمشترى محتاج إليها : هذا هو الأحسن ، إلا أن يتعدّى من عليه الدين حده ، فعند ذلك نصرته فى منعه عن تعدّيه وإعانة صاحبه ، إذ قال صلى الله عليه وسلم « انصر أخاك ظالما أو مظلوما . فقيل : كيف ننصره ظالما ؟ فقال : منعك إياه من الظلم نصرة له [4] » .

الخامس : أن يقيل من يستقيله ، فإنه لا يستقيل إلا متندم مستضر بالبيع ، ولا ينبغى أن يرضى لنفسه أن يكون سبب استضرار أخيه : قال صلى الله عليه وسلم « من أقال نادما صفقته أقال الله عثرته يوم القيامة [5] » أو كما قال .

السادس : أن يقصد فى معاملته جماعة من الفقراء بالنسيئة وهو فى الحال عازم على أن لا يطالبهم إن لم تظهر لهم ميسرة ، فقد كان فى صالحى السلف من له دفتران للحساب : أحدهما ترجمته مجهولة ، فيه أسماء من لا يعرفه من الضعفاء والفقراء ، وذلك أن الفقير كان يرى الطعام أو الفاكهة فيشتهيه فيقول : أحتاج إلى خمسة أرطال مثلا من هذا وليس معى ثمنه ، فكان يقول : خذه واقض ثمنه عند الميسرة ولم يكن يعدّ هذا من الخيار ، بل عدّ من الخيار من لم يكن يثبت اسمه فى الدفتر أصلا ولا يجعله دينا ، لكن يقول : خذ ما تريد ، فإن يسر لك فاقض ، وإلا فأنت فى حل منه وسعة : فهذه طرق تجارات السلف وقد اندرست ، والقائم به محى لهذه السنة ، وبالجملة ؛ التجارة محك الرجال ، وبها يمتحن دين الرجل وورعه ، ولذلك قيل :

لا يغرنك من المر * ء قميص رقعه أو إزار فوق كعـ * ـب الساق منه رفعه
أو جبين لاح فيه * أثر قد قلعه ولدى الدرهم فانظر * غيه أو ورعه

ولذلك قيل : إذا أثنى على الرجل جيرانه فى الحضر وأصحابه فى السفر ومعاملوه فى الأسواق فلا تشكوا فى صلاحه .

وشهد عند عمر رضى الله عنه شاهد فقال : ائتنى بمن يعرفك ، فأتاه برجل فأثنى عليه خيرا ، فقال عمر : أنت

---

(١) حديث « خيركم أحسنكم قضاء » متفق عليه من حديث أبى هريرة . (٢) حديث « من ادان دينا وهو ينوى قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه » أخرجه أحمد من حديث عائشة « مامن عبد كانت له نية فى أداء دينه إلا كان معه من الله عون وحافظ » وفى رواية له « لم يزل معه من الله حارس » وفى رواية الطبرانى فى الأوسط « إلا كان معه عون من الله عليه حتى يقضيه عنه » . (٣) حديث « دعوه فإن لصاحب الحق مقالا » متفق عليه من حديث أبى هريرة .
(٤) حديث « انصر أخاك ظالما أو مظلوما ... الحديث » متفق عليه من حديث أنس . (٥) حديث « من أقال نادما صفقته أقال الله عثرته يوم القيامة » أخرجه أبو داود والحاكم من حديث أبى هريرة وقال : صحيح على شرط مسلم .

جاره الأدنى الذى يعرف مدخله ومخرجه ؟ قال : لا ؛ فقال كنت رفيقه فى السفر الذى يستدل به على مكارم الأخلاق ؟ فقال : لا ، قال : فعاملته بالدينار والدرهم الذى يستبين به ورع الرجل ؟ قال : لا ، قال : أظنك رأيته قائما فى المسجد يهمهم بالقرآن يخفض رأسه طورا ويرفعه أخرى ! قال : نعم ، فقال : اذهب فلست تعرفه . وقال للرجل . آذهب فائتنى بمن يعرفك .

الباب الخامس : فى شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويعم آخرته

ولا ينبغى للتاجر أن يشغله معاشه عن معاده ، فيكون عمره ضائعا وصفقته خاسرة ، وما يفوته من الربح فى الآخرة لايفى به مايناله فى الدنيا ، فيكون اشترى الحياة الدنيا بالآخرة ، بل العاقل ينبغى أن يشفق على نفسه ، وشفقته على نفسه بحفظ رأس ماله ، ورأس ماله دينه وتجارته فيه . قال بعض السلف : أولى الأشياء بالعاقل أحوجه إليه فى العاجل ، وأحوج شىء إليه فى العاجل أحمده عاقبة فى الآجل . وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه فى وصيته : إنه لابد لك من نصيبك فى الدنيا ، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج فابدأ بنصيبك من الآخرة ، فخذه فإنك ستمر على نصيبك من الدنيا فتنظمه . قال الله تعالى ﴿ ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ أى لا تنس فى الدنيا نصيبك منها للآخرة ، فإنها مزرعة الآخرة ، وفيها تكتسب الحسنات .

وإنما تتم شفقة التاجر على دينه بمراعاة سبعة أمور :

الأول : حسن النية والعقيدة فى ابتداء التجارة ، فلينو بها الاستعفاف عن السؤال ، وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال عنهم ، واستعانة بما يكسبه على الدين ، وقياما بكفاية العيال ليكون من جملة المجاهدين به ، ولينو النصح للمسلمين ، وأن يحب لسائر الخلق مايحب لنفسه ، ولينو اتباع طريق العدل والإحسان فى معاملته كما ذكرناه ، ولينو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى كل مايراه فى السوق ، فاذا أضمر هذه العقائد والنيات كان عاملا فى طريق الآخرة ، فإن استفاد مالا فهو مزيد ، وإن خسر فى الدنيا ربح فى الآخرة .

الثانى : أن يقصد القيام فى صنعته أو تجارته بفرض من فروض الكفايات ، فإن الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعايش وهلك أكثر الخلق . فانتظام أمر الكل بتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمل ، ولو أقبل كلهم على صنعة واحدة لتعطلت البواقى وهلكوا ، وعلى هذا حمل بعض الناس قوله صلى الله عليه وسلم « اختلاف أمتى رحمة »[1] « أى اختلاف همهم فى الصناعات والحرف . ومن الصناعات ماهى مهمة ، ومنها مايستغنى عنها لرجوعها إلى طلب النعم والتزين فى الدنيا ، فليشتغل بصناعة مهمة ليكون فى قيامه بها كافيا عن المسلمين مهما فى الدين ، وليجتنب صناعة النقش والصياغة وتشييد البنيان بالجص وجميع ماتزخرف به الدنيا ، فكل ذلك كرهه ذوو الدين ، فأما عمل الملاهى والآلات التى يحرم استعمالها فاجتناب ذلك من قبيل ترك الظلم ، ومن جملة ذلك خياطة الخياط القباء من الإبريسم للرجال ، وصياغة الصائغ مراكب الذهب أو خواتيم الذهب للرجال فكل ذلك من المعاصى والأجرة المأخوذة عليه حرام ، ولذلك أوجبنا الزكاة فيها وإن كنا لانوجب الزكاة فى الحلى ، لأنها إذا قصدت للرجال فهى محرمة ، وكونها مهيأة للنساء لا يلحقها بالحلى المباح ، مالم يقصد ذلك بها فيكتسب حكمها من القصد . وقد ذكرنا أن بيع الطعام وبيع الأكفان مكروه لأنه يوجب انتظار موت الناس وحاجتهم بغلاء السعر ،

الباب الخامس : فى شفقة التاجر على دينه

(١) حديث « اختلاف أمتى رحمة » تقدم فى العلم .

ويكره أن يكون جزارا ، لما فيه من قساوة القلب ، وأن يكون حجاما أو كناسا لما فيه من مخامرة النجاسة ، وكذا الدباغ وما في معناه ، وكره ابن سيرين الدلالة ، وكره قتادة أجرة الدلال ، ولعل السبب فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب والإفراط في الثناء على السلعة لترويجها ، ولأن العمل فيه لا يتقدر فقد يقل وقد يكثر ، ولا ينظر في مقدار الأجرة إلى عمله بل إلى قدر قيمة الثوب ، هذا هو العادة ، وهو ظلم ، بل ينبغي أن ينظر إلى قدر التعب ، وكرهوا شراء الحيوان للتجارة ، لأن المشتري يكره قضاء الله فيه وهو الموت الذي بصدده لا محالة وحلوله . وقيل : بع الحيوان واشتر الموتان ، وكرهوا الصرف ، لأن الاحتراز فيه عن دقائق الربا عسير ، ولأنه طلب لدقائق الصفات فيما لا يقصد أعيانها وإنما يقصد رواجها ، وقلما يتم للصيرفي ربح إلا باعتماد جهالة معامله بدقائق النقد ، فقلما يسلم الصيرفي وإن احتاط ، ويكره للصيرفي وغيره كسر الصحيح والدنانير إلا عند الشك في جودته أو عند ضرورة . قال أحمد بن حنبل رحمه الله : ورد نهي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] وعن أصحابه في الصياغة من الصحاح ، وأنا أكره الكسر ، وقال : يشتري بالدنانير دراهم ثم يشتري بالدرهم ذهبا ويصوغه ، واستحبوا تجارة البز . قال سعيد بن المسيب: ما من تجارة أحب إلي من البز ، ما لم يكن فيها أيمان . وقد روي « خير تجارتكم البز وخير صناعتكم الخرز [2] » وفي حديث آخر « لو اتجر أهل الجنة لاتجروا في البز ، ولو اتجر أهل النار لاتجروا في الصرف [3] » وقد كان غالب أعمال الأخيار من السلف عشر صنائع : الخرز ، والتجارة ، والحمل ، والخياطة ، والحذو ، والقصارة ، وعمل الخفاف وعمل الحديد ، وعمل المغازل ، ومعالجة صيد البر والبحر ، والوراقة : قال عبد الوهاب الوراق . قال لي أحمد بن حنبل : ما صنعتك ؟ قلت : الوراقة . قال : كسب طيب ، ولو كنت صانعا بيدي لصنعت صنعتك ، ثم قال لي : لا تكتب إلا مواسطة ، واستبق الحواشي وظهور الأجزاء . وأربعة من الصناع موسومون عند الناس بضعف الرأي : الحاكة ، والقطانون ، والمغازليون ، والمعلمون. ولعل ذلك لأن أكثر مخالطتهم مع النساء والصبيان ، ومخالطة ضعفاء العقول تضعف العقل ، كما أن مخالطة العقلاء تزيد في العقل . وعن مجاهد : أن مريم عليها السلام مرت في طلبها لعيسى عليه السلام بحاكة ، فطلبت الطريق فأرشدوها غير الطريق ، فقالت : اللهم انزع البركة من كسبهم ، وأمتهم فقراء ، وحقرهم في أعين الناس ، فاستجيب دعاؤها . وكره السلف أخذ الأجرة على كل ما هو من قبيل العبادات وفروض الكفايات كغسل الموتى ودفنهم ، وكذا الأذان وصلاة التراويح ، وإن حكم بصحة الاستئجار عليه ، وكذا تعليم القرآن وتعليم علم الشرع ، فإن هذه أعمال حقها أن يتجر فيها للآخرة ، وأخذ الأجرة عليها استبدال بالدنيا عن الآخرة ولا يستحب ذلك .

الثالث ، أن يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة ، وأسواق الآخرة المساجد . قال الله تعالى ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ﴾ وقال الله تعالى ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾ فينبغي أن يجعل أول النهار إلى وقت دخول السوق لآخرته فيلازم المسجد ويواظب على الأوراد . كان عمر رضي الله عنه يقول للتجار : اجعلوا أول نهاركم لآخرتكم وما بعده لدنياكم . وكان صالحو السلف يجعلون أول

---

(١) حديث النهي عن كسر الدينار والدرهم ، رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم من رواية علقمة بن عبد الله عن أبيه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكسر سكة المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس . زاد الحاكم : أن يكسر الدرهم فيجعل فضة ، ويكسر الدينار فيجعل ذهبا . وضعفه ابن حبان . (٢) حديث « خير تجارتكم البز ، وخير صنائعكم الخرز » لم أقف له على إسناد ، وذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب . (٣) حديث « لو اتجر أهل الجنة لاتجروا في البز ، ولو اتجر أهل النار لاتجروا في الصرف » رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف . وروى أبو يعلى والعقيلي في الضعفاء الشطر الأول من حديث أبي بكر الصديق .

النهار وآخره للآخرة والوسط للتجارة ، ولم يكن يبيع الهريسة والرءوس بكرة إلا الصبيان وأهل الذمة ، لأنهم كانوا في المساجد بعد . وفي الخبر « إن الملائكة إذا صعدت بصحيفة العبد وفيها في أول النهار وفي آخره ذكر الله وخير : كفر الله عنهما ما بينهما من سيئ الأعمال [1] » وفي الخبر « تلتقي ملائكة الليل والنهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر ، فيقول الله تعالى وهو أعلم بهم : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وجئناهم وهم يصلون ؛ فيقول الله سبحانه وتعالى : أشهدكم أني قد غفرت لهم [2] » ثم مهما سمع الأذان في وسط النهار للأولى والعصر ، فينبغي أن لا يعرج على شغل ، وينزعج عن مكانه ، ويدع كل ما كان فيه ، فما يفوته من فضيلة التكبيرة الأولى مع الإمام في أول الوقت لا توازيها الدنيا بما فيها ، ومهما لم يحضر الجماعة عصى عند بعض العلماء . وقد كان السلف يبتدرون عند الأذان ويخلون الأسواق للصبيان وأهل الذمة ، وكانوا يستأجرون بالقراريط لحفظ الحوانيت في أوقات الصلوات ، وكان ذلك معيشة لهم . وقد جاء في تفسير قوله تعالى ﴿ لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ أنهم كانوا حدادين وخرازين ؛ فكان أحدهم إذا رفع المطرقة أو غرز الإشفى فسمع الأذان لم يخرج الإشفى من المغرز ولم يوقع المطرقة ورمى بها وقام إلى الصلاة . الرابع . أن لا يقتصر على هذا بل يلازم ذكر الله سبحانه في السوق ويشتغل بالتهليل والتسبيح ، فذكر الله في السوق بين الغافلين أفضل . قال صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل خلف الفارين ، وكالحي بين الأموات » وفي لفظ آخر « كالشجرة الخضراء بين الهشيم » وقال صلى الله عليه وسلم « من دخل السوق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، كتب الله له ألف ألف حسنة [3] » وكان ابن عمر وسالم بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم يدخلون السوق قاصدين لنيل فضيلة هذا الذكر . وقال الحسن : ذاكر الله في السوق يجيء يوم القيامة له ضوء كضوء القمر ، وبرهان كبرهان الشمس . ومن استغفر الله في السوق غفر الله له بعدد أهلها . وكان عمر رضي الله عنه إذا دخل السوق قال : اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفسوق ، ومن شر ما أحاطت به السوق ، اللهم إني أعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة . وقال أبو جعفر الفرغاني : كنا يوما عند الجنيد ، فجرى ذكر ناس يجلسون في المساجد ويتشبهون بالصوفية ويقصرون عما يجب عليهم من حق الجلوس ويعيبون من يدخل السوق ؛ فقال الجنيد : كم ممن هو في السوق حكمه أن يدخل المسجد ؟ ويأخذ بأذن بعض من فيه فيخرجه ويجلس مكانه ، وإني لأعرف رجلا يدخل السوق ورده كل يوم ثلثمائة ركعة وثلاثون ألف تسبيحة . قال : فسبق إلى وهمي أنه يعني نفسه ، فهكذا كانت تجارة من يتجر لطلب الكفاية لا للتنعم في الدنيا ؛ فإن من يطلب الدنيا للاستعانة بها على الآخرة كيف يدع ربح الآخرة ، والسوق والمسجد والبيت له حكم واحد ، وإنما النجاة بالتقوى . قال صلى الله عليه وسلم « اتق الله حيثما كنت [4] » فوظيفة التقوى لا تنقطع عن المتجردين للدين كيفما تقلبت بهم الأحوال ، وبه تكون حياتهم وعيشتهم ، إذ فيه يرون تجارتهم وربحهم . وقد قيل : من أحب الآخرة عاش ، ومن أحب الدنيا طاش ، والأحمق يغدو ويروح في لاش ، والعاقل عن عيوب نفسه فتاش .

---

(١) حديث « إن الملائكة إذا صعدت بصحيفة العبد وفي أول النهار وآخره ذكر وخير كفر الله ما بينهما من سيئ الأعمال » أخرجه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف بمعناه . (٢) حديث « تلتقي ملائكة الليل وملائكة النهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر ، فيقول الله وهو أعلم : كيف تركتم عبادي ؟ .. الحديث » متفق عليه من حديث أبي هريرة « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الغداة وصلاة العصر ... الحديث » . (٣) حديث « من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ... الحديث » تقدم في الأذكار .

(٤) حديث « اتق الله حيثما كنت » أخرجه الترمذي من حديث أبي ذر وصححه .

الخامس : أن لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة ، وذلك بأن يكون أول داخل وآخر خارج ، وبأن يركب البحر فى التجارة ، فهما مكروهان ، يقال إنّ من ركب البحر فقد استقصى فى طلب الرزق . وفى الخبر « لا يركب البحر إلا لحج أو عمرة أو غزو [1] » وكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما يقول : لا تكن أوّل داخل فى السوق ولا آخر خارج منها ، فإنّ بها باض الشيطان وفرّخ . روى عن معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر : أنّ إبليس يقول لولده زلنبور : سر بكتائبك فأت أصحاب الأسواق ، زين لهم الكذب والحلف والخديعة والمكر والخيانة ، وكن مع أوّل داخل وآخر خارج منها . وفى الخبر « شر البقاع الأسواق ، وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا [2] » وتمام هذا الاحتراز أن يراقب وقت كفايته ، فإذا حصل كفاية وقته انصرف واشتغل بتجارة الآخرة هكذا كان صالحو السلف ، فقد كان منهم من إذا ربح دانقا انصرف قناعة به . وكان حماد بن سلمة يبيع الخز فى سفط بين يديه ، فكان إذا ربح حبتين رفع سفطه وانصرف . وقال إبراهيم بن بشار : قلت لإبراهيم بن أدهم رحمه الله : أمر اليوم أعمل فى الطين فقال : يا ابن بشار ، إنك طالب ومطلوب ، يطلبك من لا تفوته وتطلب ما قد كفيته ! أما رأيت حريصا محروما وضعيفا مرزوقا ؟ فقلت : إن لى دانقا عند البقال ؛ فقال عز على بك ، تملك دانقا وتطلب العمل ؟ ! وقد كان فيهم من ينصرف بعد الظهر ، ومنهم بعد العصر ، ومنهم من لا يعمل فى الأسبوع إلا يوما أو يومين وكانوا يكتفون به .

السادس : أن لا يقتصر على اجتناب الحرام ، بل يتقى مواقع الشبهات ومظان الريب ولا ينظر إلى الفتاوى بل يستفتى قلبه ، فإذا وجد فيه حزازة اجتنبه ، وإذا حمل إليه سلعة رابه أمرها سأل عنها حتى يعرف وإلا أكل الشبهة « وقد حمل إلى رسول الله صلى الله عليه سلم لبن ، فقال « من أين لكم هذا ؟ » فقالوا : من الشاة ، فقال « ومن أين لكم هذه الشاة ؟ » فقيل : من موضع كذا ، فشرب منه ثم قال « إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن لا نأكل إلا طيباً ولا نعمل إلا صالحا [3] » وقال « إن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم [4] ﴾ فسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن أصل الشىء وأصل أصله ولم يزد ، لأن ما وراء ذلك يتعذر . وسنبين فى كتاب الحلال والحرام موضع وجوب هذا السؤال ، فإنه كان عليه السلام لا يسأل عن كل ما يحمل إليه [5] ، وإنما الواجب أن ينظر التاجر إلى من يعامله ، فكل منسوب إلى ظلم أو خيانة أو سرقة أو ربا فلا يعامله ، وكذا الأجناد والظلمة لا يعاملهم ألبتة ولا يعامل أصحابهم وأعوانهم ، لأنه معين بذلك على الظلم . وحكى عن رجل أنه تولى عمارة سور لثغر من الثغور . قال : فوقع فى نفسى من ذلك شىء ـ وإن كان ذلك العمل من الخيرات بل من فرائض الإسلام ، ولكن كان الأمير الذى تولى فى محلته من الظلمة . قال : فسألت سفيان رضى الله

---

(١) حديث « لا تركب البحر إلا لحجة أو عمرة أو غزو » أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو ، وقيل إنه منقطع .

(٢) حديث « شر البقاع الأسواق ، وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا » تقدم صدر الحديث فى الباب السادس من العلم . وروى أبو نعيم فى كتاب حرمة المساجد من حديث ابن عباس « أبغض البقاع إلى الله الأسواق وأبغض أهلها إلى الله أولهم دخولا وآخرهم خروجا » . (٣) حديث سؤاله عن اللبن والشاة ، وقوله « إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن لا نأكل إلا طيبا ولا نعمل إلا صالحا » رواه الطبرانى من حديث أم عبد الله أخت شداد بن أوس بسند ضعيف .

(٤) حديث « إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة .

(٥) حديث : كان لا يسأل عن كل ما يحمل اليه . رواه أحمد من حديث جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مروا بامرأة فذبحت لهم شاة ... الحديث ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمة فلم يستطع أن يسيغها ، فقال : هذه شاة ذبحت بغير اذن أهلها ... الحديث ، وله من حديث أبى هريرة : كان اذا أتى بطعام من غير أهله سأل عنه ... الحديث ، واسنادهما جيد . وفى هذا أنه كان لا يسأل عما أتى به من عند أهله ، والله أعلم .

عنه فقال : لا تكن عونا لهم على قليل ولا كثير ؛ فقلت : هذا سور فى سبيل الله للمسلمين ! فقال نعم ، ولكن أقل مايدخل عليك أن تحب بقاءهم ليوفوك أجرك ؛ فتكون قد أحببت بقاء من يعصى الله . وقد جاء فى الخبر « من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه [1] » وفى الحديث « إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق [2] » وفى حديث آخر « من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الإسلام [3] » ودخل سفيان على المهدى وبيده درج أبيض ، فقال : ياسفيان أعطنى الدواة حتى أكتب ، فقال : أخبرنى أى شىء تكتب ، فإن كان حقا أعطيتك . وطلب بعض الأمراء من بعض العلماء المحبوسين عنده أن يناوله طينا ليختم به الكتاب ، فقال : ناولنى الكتاب أولا حتى أنظر مافيه ، فهكذا كانوا يحترزون عن معاونة الظلمة ومعاملتهم أشد أنواع الإعانة : فينبغى أن يجتنبها ذوو الدين ماوجدوا إليه سبيلا . وبالجملة فينبغى أن ينقسم الناس عنده إلى من يعامل ومن لايعامل ، وليكن من يعامله أقل ممن لايعامله فى هذا الزمان . قال بعضهم : أتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول : من ترون لى أن أعامل من الناس فيقال له : عامل من شئت . ثم أتى زمان آخر كانوا يقولون : عامل من شئت إلا فلانا وفلانا ثم أتى زمان آخر فكان يقال : لاتعامل أحدا إلا فلانا وفلانا ، وأخشى أن يأتى زمان يذهب هذا أيضا . وكأنه قد كان الذى كان يحذر أن يكون ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

السابع : ينبغى أن يراقب جميع مجارى معاملته مع واحد من معامليه ، فإنه مراقب ومحاسب ، فليعدّ الجواب ليوم الحساب والعقاب فى كل فعلة وقولة إنه لم أقدم عليها ؟ ولأجل ماذا ؟ فإنه يقال : إنه يوقف التاجر يوم القيامة مع كل رجل كان باعه شيئا وقفة ، ويحاسب عن كل واحد فهو محاسب على عدد من عامله . قال بعضهم : رأيت بعض التجار فى النوم ، فقلت : ماذا فعل الله بك ؟ فقال : نشر على خمسين ألف صحيفة ، فقلت : هذه كلها ذنوب ، فقال ، هذه معاملات الناس بعدد كل إنسان عاملته فى الدنيا : لكل إنسان صحيفة مفردة فيما بينى وبينه من أول معاملته إلى آخرها فهذا ما على المكتسب فى عمله من العدل والإحسان والشفقة على الدين ، فإن اقتصر على العدل كان من الصالحين ، وإن أضاف إليه الإحسان كان من المقربين ، وإن راعى مع ذلك وظائف الدين كما ذكر فى الباب الخامس كان من الصدّيقين والله أعلم بالصواب .

تم كتاب الكسب والمعيشة بحمد الله ومنه

---

(١) حديث « من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه » لم أجده مرفوعا ، وإنما رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت من قول الحسن ، وقد ذكره المصنف هكذا على الصواب فى آفات اللسان . (٢) حديث « ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت ، وابن عدى فى الكامل ، وأبو يعلى والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بسند ضعيف .

(٣) حديث « من أكرم فاسقاً فقد أعان على هدم الإسلام » غريب بهذا اللفظ ، والمعروف « من وقر صاحب بدعة ... الحديث » رواه ابن عدى من حديث عائشة ، والطبرانى فى الأوسط ، وأبو نعيم فى الحلية من حديث عبد الله بن بسر بأسانيد ضعيفة قال ابن الجوزى : كلها موضوعة .

كتاب الحلال والحرام

وهو الكتاب الرابع من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق الإنسان من طين لازب وصلصال ، ثم ركب صورته فى أحسن تقويم وأتم اعتدال ، ثم غذاه فى أول نشوه بلبن استصفاه من بين فرث ودم سائغا كالماء الزلال ، ثم حماه بما آتاه من طيبات الرزق عن دواعى الضعف والانحلال ، ثم قيد شهوته المعادية له عن السطوة والصيال وقهرها بما افترضه عليه من طلب القوت الحلال ، وهزم بكسرها جند الشيطان المتشمر للإضلال ، ولقد كان يجرى من ابن آدم مجرى الدم السيال ، فضيق عليه عزة الحلال المجرى والمجال ، إذ كان لا يبذرقه إلى أعماق العروق إلا الشهوة المائلة إلى الغلبة والاسترسال ؛ فبقى لما زمت بزمام الحلال خائبا خاسرا ماله من ناصر ولا وال . والصلاة على محمد الهادى من الضلال وعلى آله خير آل ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد فقد قال صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فريضة على كل مسلم [1] » رواه ابن مسعود رضى الله عنه ، وهذه الفريضة من بين سائر الفرائض : أعصاها على العقول فهما ، وأثقلها على الجوارح فعلا ، ولذلك اندرس بالكلية علما وعملا ، وصار غموض علمه سببا لاندراس عمله ، إذ ظن الجهال أن الحلال مفقود ، وأن السبيل دون الوصول إليه مسدود ، وأنه لم يبق من الطيبات إلا الماء الفرات ، والحشيش النابت فى الموات ، وما عداه فقد أخبثته الأيدى العادية ، وأفسدته المعاملات الفاسدة ، وإذا تعذرت القناعة بالحشيش من النبات لم يبق وجه سوى الاتساع فى المحرمات ؛ فرفضوا هذا القطب من الدين أصلا ، ولم يدركوا بين الأموال فرقا وفصلا ، وهيهات هيهات ، فالحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات ! ولا تزال هذه الثلاثة مقترنات كيفما تقلبت الحالات . ولما كانت هذه بدعة عم فى الدين ضررها ، واستطار فى الخلق شررها ، وجب كشف الغطاء عن فسادها بالإرشاد إلى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة على وجه التحقيق والبيان ، ولا يخرجه التضييق عن حيز الإمكان .

ونحن نوضح ذلك فى سبعة أبواب : (الباب الأول) فى فضيلة طلب الحلال ومذمة الحرام ودرجات الحلال والحرام . (الباب الثانى) فى مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام . (الباب الثالث) فى البحث والسؤال والهجوم والإهمال ومظانها فى الحلال والحرام . (الباب الرابع) فى كيفية خروج التائب عن المظالم المالية (الباب الخامس) فى إدرارات السلاطين وصلاتهم ومايحل منها ومايحرم . (الباب السادس) فى الدخول على السلاطين ومخالطتهم . (الباب السابع) فى مسائل متفرقة .

كتاب الحلال والحرام

(١) حديث ابن مسعود « طلب الحلال فريضة على كل مسلم » تقدم فى الزكاة دون قوله « على كل مسلم » والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس « واجب على كل مسلم » وإسناده ضعيف .

الباب الأول : فى فضيلة الحلال ومذمة الحرام

وبيان أصناف الحلال ودرجاته وأصناف الحرام ودرجات الورع فيه

فضيلة الحلال ومذمة الحرام

قال الله تعالى ﴿ كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ﴾ أمر بالأكل من الطيبات قبل العمل . وقيل : إن المراد به الحلال . وقال تعالى ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ وقال تعالى ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما﴾ الآية . وقال تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ﴾ ثم قال ﴿ فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾ ثم قال ﴿ وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم ﴾ ثم قال ﴿ ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ جعل آكل الربا أول الأمر مؤذنا بمحاربة الله ، وفى آخره متعرضا للنار ، والآيات الواردة فى الحلال والحرام لاتحصى . وروى ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « طلب الحلال فريضة على كل مسلم » ولما قال صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم [1] » قال بعض العلماء : أراد به طلب علم الحلال والحرام ، وجعل المراد بالحديثين واحدا .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم « من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد فى سبيل الله ، ومن طلب الدنيا حلالا فى عفاف كان فى درجة الشهداء [2] » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه [3] » وفى رواية « زهده الله فى الدنيا » وروى : أن سعداً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله تعالى أن يجعله مجاب الدعوة ، فقال له : أطب طعمتك تستجب دعوتك [4] » ولما ذكر صلى الله عليه وسلم الحريص على الدنيا قال « رب أشعث أغبر مشرد فى الأسفار مطعمه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام ، يرفع يديه فيقول : يارب يارب ، فأنى يستجاب لذلك [5] » وفى حديث ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم « إن لله ملكا على بيت المقدس ينادى كل ليلة : من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل [6] » فقيل : الصرف النافلة ، والعدل الفريضة . وقال صلى الله عليه وسلم « من اشترى ثوبا

---

(١) حديث « طلب العلم فريضة على كل مسلم » تقدم فى العلم . (٢) حديث « من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد فى سبيل الله ، ومن طلب الدنيا فى عفاف كان فى درجة الشهداء » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة « من سعى على عياله ففى سبيل الله » ولأبى منصور فى مسند الفردوس « من طلب مكسبة من باب حلال يكف بها وجهه عن مسئلة الناس وولده وعياله جاء يوم القيامة مع النبيين والصديقين » ولسنادهما ضعيف . (٣) حديث « من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » أخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث أبى أيوب « من أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » ولابن عدى نحوه من حديث أبى موسى ، وقال : حديث منكر . (٤) حديث . أن سعداً سأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله أن يجعله مجاب الدعوة ، فقال له « أطب طعمتك تستجب دعوتك » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس وفيه من لاأعرفه . (٥) حديث « رب أشعث أغبر مشرد فى الأسفار مطعمه حرام وملبسه حرام ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة بلفظ : ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ... الحديث . (٦) حديث ابن عباس « ان لله ملكا على بيت المقدس ينادى كل ليلة : من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولاعدل » لم أقف له على أصل ؛ ولأبى منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن مسعود « من أكل لقمة من حرام لم تقبل منه صلاة أربعين ليلة ... الحديث » وهو منكر .

بعشرة دراهم وفى ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته مادام عليه منه شيء [١] » وقال صلى الله عليه وسلم « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النار [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « العبادة عشرة أجزاء : تسعة منها فى طلب الحلال [٤] » روى هذا مرفوعا وموقوفا على بعض الصحابة أيضا . وقال صلى الله عليه وسلم « من أمسى وانيا من طلب الحلال بات مغفوراً له وأصبح والله عنه راض [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحما أو تصدق به أو أنفقه فى سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم قذفه فى النار [٦] » وقال عليه السلام « خير دينكم الورع [٧] » وقال صلى الله عليه وسلم « من لقى الله ورعا أعطاه الله ثواب الإسلام كله [٨] » ويروى أن الله تعالى قال فى بعض كتبه : وأما الورعون فأنا أستحى أن أحاسبهم . وقال صلى الله عليه وسلم « درهم من ربا أشد عند الله من ثلاثين زنية فى الإسلام [٩] » وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه « المعدة حوض البدن والعروق إليها واردة ، فإذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة ، وإذا سقمت صدرت بالسقم [١٠] » ومثل الطعمة من الدين مثل الأساس من البنيان ، فإذا ثبت الأساس وقوى استقام البنيان وارتفع ، وإذا ضعف الأساس واعوج انهار البنيان ووقع . وقال الله عز وجل ﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ﴾ الآية . وفى الحديث « من اكتسب مالا من حرام فإن تصدق به لم يقبل منه ، وإن تركه وراءه كان زاده إلى النار [١١] » وقد ذكرنا جملة من الأخبار فى كتاب آداب الكسب تكشف عن فضيلة الكسب الحلال .

وأما الآثار : فقد ورد أن الصديق رضى الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم سأل عبده فقال : تكهنت لقوم فأعطونى ، فأدخل أصابعه فى فيه وجعل يقيء حتى ظننت أن نفسه ستخرج ، ثم قال : اللهم إنى أعتذر إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء [١٢] . وفى بعض الأخبار أنه صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال : أوعلمتم . أن الصديق

---

(١) حديث « من اشترى ثوبا بعشرة دراهم فى ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته وعليه منه شيء » رواه أحمد من حديث ابن عمر بسند ضعيف . (٢) حديث « كل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به » أخرجه الترمذى من حديث كعب بن عجرة وحسنه ، وقد تقدم

(٣) حديث « من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله عز وجل من أين أدخله النار » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر . قال ابن العربى فى عارضة الأحوذى شرح الترمذى : إنه باطل لم يصح ولا يصح .

(٤) حديث « العبادة عشرة أجزاء ، فتسعة منها فى طلب الحلال » رواه أبو منصور الديلمى من حديث أنس ، إلا أنه قال « تسعة منها فى الصمت والعاشرة كسب اليد من الحلال » وهو منكر . (٥) حديث « من أمسى وانيا من طلب الحلال بات مغفوراً له وأصبح والله عنه راض » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس « من أمسى كالا من عمل يديه أمسى مغفوراً له » وفيه ضعف . (٦) حديث « من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحما أو تصدق به أو أنفقه فى سبيل الله جمع الله ذلك جميعاً ثم قذفه فى النار » رواه أبو داود فى المراسيل من رواية القاسم بن مخيمرة مرسلا . (٧) حديث « خير دينكم الورع » تقدم فى العلم . (٨) حديث « من لقى الله ورعا أعطاه ثواب الإسلام كله » لم أقف له على أصل . (٩) حديث « درهم من ربا أشد عند الله من ثلاثين زنية فى الإسلام » رواه أحمد والدارقطنى من حديث عبد الله بن حنظلة وقال : « ستة وثلاثين » ورجاله ثقات ، وقيل : عن حنظلة الزاهد عن كعب مرفوعا ، وللطبرانى فى الصغير من حديث ابن عباس « ثلاثة وثلاثين » وسنده ضعيف . (١٠) حديث أبى هريرة « المعدة حوض البدن ، والعروق إليها واردة ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط ، والعقيلى فى الضعفاء وقال : باطل لا أصل له . (١١) حديث « من اكتسب مالا من حرام فان تصدق به لم يقبل منه » وإن تركه وراءه كان زاده إلى النار » رواه أحمد من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ؛ ولابن حبان من حديث أبى هريرة « من جمع مالا من حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان إصره عليه » . (١٢) حديث : إن أبا بكر شرب لبنا من كسب عبده ثم سأله فقال : تكهنت لقوم فأعطونى فأدخل أصبعه فى فيه وجعل يقيء . وفى بعض الأخبار أنه صلى الله عليه وسلم لما أخبر بذلك قال : أو ماعلمتم أن الصديق لا يدخل جوفه إلا طيبا . رواه البخارى من حديث عائشة : كان لأبى بكر غلام يخرج له الخراج ، وكان أبو بكر يأكل من خراجه ، فجاء يوما بشيء فأكل منه أبو بكر ؛ فقال له الغلام : أتدرى ماهذا؟ فقال : وماهو ؟ قال : كنت تكهنت لإنسان فى الجاهلية . فذكره ، دون المرفوع منه ، فلم أجده .

لايدخل جوفه إلا طيبا ؛ وكذلك شرب عمر رضى الله عنه من لبن إبل الصدقة غلطا ، فأدخل أصبعه وتقيأ . وقالت عائشة رضى الله عنها : إنكم لتغفلون عن أفضل العبادة ، هو الورع . وقال عبدالله بن عمر رضى الله عنه : لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا ، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار ، لم يقبل ذلك منكم إلا بورع حاجز . وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله : ماأدرك من أدرك إلا من كان يعقل مايدخل جوفه . وقال الفضيل : من عرف مايدخل جوفه كتبه الله صديقا ، فانظر عند من تفطر يامسكين . وقيل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله : لم لاتشرب من ماء زمزم ؟ فقال : لوكان لى دلو شربت منه . وقال سفيان الثورى رضى الله عنه : من أنفق من الحرام فى طاعة الله كان كمن طهر الثوب النجس بالبول والثوب النجس لايطهره إلا الماء ، والذنب لايكفره إلا الحلال . وقال يحيى بن معاذ الطاعة خزانة من خزائن الله إلا أن مفتاحها الدعاء ، وأسنانه لقم الحلال . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : لايقبل الله صلاة امرئ فى جوفه حرام ، وقال سهل التسترى : لايبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يكون فيه أربع خصال : أداء الفرائض بالسنة ، وأكل الحلال بالورع ، واجتناب النهى من الظاهر والباطن ، والصبر على ذلك إلى الموت . وقال : من أحب أن يكاشف بآيات الصديقين فلا يأكل إلا حلالا ولا يعمل إلا فى سنة أو ضرورة . ويقال : من أكل الشبهة أربعين يوما أظلم قلبه ، وهو تأويل قوله تعالى ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ وقال ابن المبارك : رد درهم من شبهة أحب إلى من أن أتصدق بمائة ألف درهم ومائة ألف ومائة ألف ، حتى بلغ إلى ستمائة ألف . وقال بعض السلف : إن العبد يأكل أكله فيتقلب قلبه ، فينغل كما ينغل الأديم ولا يعود إلى حاله أبدا . وقال سهل رضى الله عنه : من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى ، علم أو لم يعلم . ومن كانت طعمته حلالا أطاعته جوارحه ووفقت للخيرات وقال بعض السلف : إن أول لقمة يأكلها العبد من حلال يغفر له ماسلف من ذنوبه ، ومن أقام نفسه مقام ذل فى طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كتساقط ورق الشجر . وروى فى آثار السلف أن الواعظ كان إذا جلس للناس قال العلماء : تفقدوا منه ثلاثا ، فإن كان معتقدا لبدعة فلا تجالسوه فإنه عن لسان الشيطان ينطق ، وإن كان سىء الطعمة فعن الهوى ينطق ، فإن لم يكن مكين العقل فإنه يفسد بكلامه أكثر مما يصلح فلا تجالسوه . وفى الأخبار المشهورة عن على عليه السلام وغيره : إن الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب . وزاد آخرون : وشبهتها عتاب . وروى أنّ بعض الصالحين دفع طعاما إلى بعض الأبدال فلم يأكل ؛ فسأله عن ذلك فقال : نحن لانأكل إلا حلالا ، فلذلك تستقيم قلوبنا ويدوم حالنا ونكاشف الملكوت ونشاهد الآخرة ، ولو أكلنا مما تأكلون ثلاثة أيام لما رجعنا إلى شىء من علم اليقين ولذهب الخوف والمشاهدة من قلوبنا ؛ فقال له الرجل : فإنى أصوم الدهر وأختم القرآن فى كل شهر ثلاثين مرة ، فقال له البدل : هذه الشربة التى رأيتنى شربتها من الليل أحب إلى من ثلاثين ختمة فى ثلثمائة ركعة من أعمالك ، وكانت شربته من لبن ظبية وحشية . وقد كان بين أحمد بن حنبل ويحيى بن معين صحبة طويلة ، فهجره أحمد إذ سمعه يقول : إنى لاأسأل أحدا شيئا ، ولو أعطانى الشيطان شيئا لأكلته ، حتى اعتذر يحيى وقال : كنت أمزح ، فقال : تمزح بالدين ؛ أما علمت أن الأكل من الدين قدمه الله تعالى على العمل الصالح فقال ﴿ كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ﴾ وفى الخبر : أنه مكتوب فى التوراة « من لم يبال من أين مطعمه لم يبال الله من أى أبواب النيران أدخله » وعن على رضى الله عنه أنه لم يأكل بعد قد قتل عثمان ونهب الدار طعاما إلا مختوما حذرا من الشبهة . واجتمع الفضيل بن عياض وابن عيينة وابن المبارك عند وهيب بن الورد بمكة ، فذكروا الرطب ، فقال وهيب ؛ هو من أحب الطعام إلى ، إلا أنى لا آكله لاختلاط رطب مكة ببساتين زبيدة وغيرها ، فقال له

ابن المبارك : إن نظرت فى مثل هذا ضاق عليك الخبز . قال : وما سببه ؟ قال : إن أصول الضياع قد اختلط بالصوافى ، فغشى على وهيب ؛ فقال سفيان : قتلت الرجل ؛ فقال ابن المبارك : ما أردت إلا أن أهون عليه ؛ فلما أفاق قال : لله على أن لا آكل خبزا أبدا حتى ألقاه . قال : فكان يشرب اللبن ، قال فأتته أمه بلبن فسألها فقالت : هو من شاة بنى فلان ، فسأل عن ثمنها وأنه من أين كان لهم فذكرت : فلما أدناه من فيه قال : بقى أنها من أين كانت ترعى ؟ فسكتت ، فلم يشرب لأنها كانت ترعى من موضع فيه حق للمسلمين ؛ فقالت أمه : اشرب فإن الله يغفر لك ؛ فقال ، ما أحب أن يغفر لى وقد شربته فأنال مغفرته بمعصيته . وكان بشر الحافى رحمه الله من الورعين ؛ فقيل له : من أين تأكل ، فقال : من حيث تأكلون ، ولكن ليس من يأكل وهو يبكى كمن يأكل وهو يضحك . وقال : يد أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة ، وهكذا كانوا يحترزون من الشبهات .

أصناف الحلال ومداخله

اعلم أن تفصيل الحلال والحرام إنما يتولى بيانه كتب الفقه ، ويستغنى المريد عن تطويله بأن يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى حلها لا يأكل من غيرها ؛ فأما من يتوسع فى الأكل من وجوه متفرقة فيفتقر إلى علم الحلال والحرام كله كما فصلناه فى كتب الفقه .

ونحن الآن نشير إلى مجامعه فى سياق تقسيم : وهو أن المال إنما يحرم إما لمعنى فى عينه أو لخلل فى جهة اكتسابه .

القسم الأول : الحرام لصفة فى عينه كالخمر والخنزير وغيرهما

وتفصيله أن الأعيان المأكولة على وجه الأرض لا تعدو ثلاثة أقسام ، فإنها إما أن تكون من المعادن كالملح والطين وغيرهما ، أو من النبات ، أو من الحيوانات .

أما المعادن : فهى أجزاء الأرض وجميع ما يخرج منها ، فلا يحرم أكله إلا من حيث إنه يضر بالآكل ، وفى بعضها ما يجرى مجرى السم ، والخبز لو كان مضرا لحرم أكله ، والطين الذى يعتاد أكله لا يحرم إلا من حيث الضرر . وفائدة قولنا : إنه لا يحرم مع أنه لا يؤكل ، أنه لو وقع شىء منها فى مرقة أو طعام مائع لم يصر به محرما .

وأما النبات : فلا يحرم منه إلا ما يزيل العقل أو يزيل الحياة أو الصحة ؛ فمزيل العقل : البنج والخمر وسائر المسكرات ، ومزيل الحياة ؛ السموم ؛ ومزيل الصحة : الأدوية فى غير وقتها ، وكأن مجموع هذا يرجع إلى الضرر إلا الخمر والمسكرات ؛ فإن الذى لا يسكر منها أيضا حرام مع قلته لعينه ولصفته ، وهى الشدة المطربة . وأما السم فإذا خرج عن كونه مضرا لقلته أو لعجنه بغيره فلا يحرم

وأما الحيوانات : فتنقسم إلى ما يؤكل وإلى ما لا يؤكل ، وتفصيله فى كتاب الأطعمة ، والنظر يطول فى تفصيله ، لاسيما فى الطيور الغريبة وحيوانات البر والبحر ، وما يحل أكله منها فإنما يحل إذا ذبح ذبحا شرعيا روعى فيه شروط الذابح والآلة والذبح ، وذلك مذكور فى كتاب الصيد والذبائح ؛ وما لم يذبح ذبحا شرعيا أو مات فهو حرام ، ولا يحل إلا ميتتان : السمك والجراد ، وفى معناهما ما يستحيل من الأطعمة كدود التفاح والخل والجبن ، فإن الاحتراز منهما غير ممكن ؛ فأما إذا أفردت وأكلت فحكمها حكم الذباب والخنفساء والعقرب وكل ما ليس له نفس سائلة : لا سبب فى تحريمها إلا الاستقذار ، ولو لم يكن لكان لا يكره ، فإن وجد شخص لا يستقذره لم يلتفت إلى خصوص طبعه فإنه التحق بالخبائث لعموم الاستقذار ، فيكره أكله ، كما لو جمع المخاط وشربه كره

ذلك ، وليست الكراهة لنجاستها فإنّ الصحيح أنها لاتنجس بالموت ، إذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يمقل الذباب فى الطعام إذا وقع فيه [1] ، وربما يكون حارا ويكون ذلك سبب موته ، ولو تهرت نملة أو ذبابة فى قدر لم يجب إراقتها ، إذ المستقذر هو جرمه إذا بقى له جرم ، ولم ينجس حتى يحرم بالنجاسة ، وهذا يدل على أنّ تحريمه للاستقذار ، ولذلك نقول : لو وقع جزء من آدمى ميت فى قدر ولو وزن دانق حرم الكل لالنجاسته ، فإنّ الصحيح أن الآدمى لاينجس بالموت ، ولكن لأنّ أكله محرّم احتراما لا استقذارا . وأما الحيوانات المأكولة إذا ذبحت بشرط الشرع فلا تحل جميع أجزائها بل يحرم منها الدم والفرث وكل ما يقضى بنجاسته منها ، بل تناول النجاسه مطلقا محرّم ، ولكن ليس فى الأعيان شىء محرّم نجس إلا من الحيوانات . وأما من النبات فالمسكرات فقط دون ما يزيل العقل ولا يسكر كالبنج ، فإنّ نجاسة المسكر تغليظ للزجر عنه لكونه فى مظنة التشوّف ، ومهما وقعت قطرة من النجاسة أوجزء من نجاسة جامدة فى مرقة أوطعام أودهن حرم أكل جميعه ، ولايحرم الانتفاع به لغير الأكل ، فيجوز الاستصباح بالدهن النجس ، وكذا طلاء السفن والحيوانات وغيرها ، فهذه مجامع ما يحرم لصفة فى ذاته .

القسم الثانى : مايحرم لخلل فى جهة إثبات اليد عليه

وفية يتسع النظار فنقول ؛ أخذالمال إما أن يكون باختيار المالك أوبغير اختياره فالذى يكون بغير اختياره كالإرث ، والذى يكون باختياره إما أن لايكون من مالك كنيل المعادن ، أو يكون من مالك ، والذى أخذ من مالك فإما أن يؤخذ قهرا أو يؤخذ تراضيا ، والمأخوذ قهرا إما أن يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم ، أولاستحقاق الأخذ كزكاة الممتنعين والنفقات الواجبة عليهم ، والمأخوذ تراضيا إماأن يؤخذبعوض كالبيع والصداق والأجرة ، وإما أن يؤخذ بغير عوض كالهبة والوصية ، فيحصل من هذا السياق ستة أقسام :

الأول : ما يؤخذ من غير مالك : كنيل المعادن ، وإحياء الموات ، والاصطياد ، والاحتطاب ، والاستقاء من الأنهار ، والاحتشاش ، فهذا حلال بشرط أن لايكون المأخوذ مختصا بذى حرمة من الآدميين ، فإذا انفك من الاختصاصات ملكها آخذها . وتفصيل ذلك فى كتاب إحياء الموات .

الثانى : المأخوذة قهرا ممن لاحرمة له وهو الفىء والغنيمة وسائر أموال الكفار والمحاربين ، وذلك حلال للمسلمين إذا أخرجوا منها الخمس وقسموها بين المستحقين بالعدل ولم يأخذوها من كافر له حرمة وأمان وعهد . وتفصيل هذه الشروط فى كتاب السير من كتاب الفىء والغنيمة وكتاب الجزية .

الثالث : مايؤخذ قهراً باستحقاق عند امتناع من وجب عليه ، فيؤخذ دون رضاه ، وذلك حلال إذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق الذى به استحقاقه واقتصر على القدر المستحق ، واستوفاه ممن يملك الاستيفاء من قاض أو سلطان أو مستحق : وتفصيل ذلك فى كتاب تفريق الصدقات وكتاب الوقف وكتاب النفقات ، إذ فيها النظر فى صفة المستحقين للزكاة والوقف والنفقة وغيرها من الحقوق ، فإذا استوفيت شرائطها كان المأخوذ حلالا .

الرابع : مايؤخذ تراضيا بمعاوضة ، وذلك حلال إذا روعى شرط العوضين وشرط العاقدين وشرط اللفظين : أعنى الإيجاب والقبول ، مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة . وبيان ذلك فى كتاب البيع والسلم والإجارة والحوالة والضمان والقراض والشركة والمساقاة والشفعة والصلح والخلع والكتابة والصداق .

---

(١) حديث الأمر بأن يمقل الذباب فى الطعام إذا وقع فيه . رواه البخارى من حديث أبى هريرة .

وسائر المعاوضات .

الخامس : مايؤخذ عن رضا من غير عوض ، وهو حلال إذا روعى فيه شرط المعقود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يؤد إلى ضرر بوارث أو غيره وذلك مذكور فى كتاب الهبات والوصايا والصدقات .

السادس . ما يحصل بغير اختيار كالميراث ، وهو حلال إذا كان الموروث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمس على وجه حلال ، ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة وإخراج الزكاة والحج والكفارة إن كان واجبا ، وذلك مذكور فى كتاب الوصايا والفرائض : فهذه مجامع مداخل الحلال والحرام أومأنا إلى جملتها ليعلم المريد أنه إن كانت طعمته متفرقة لا من جهة معينة فلا يستغنى عن علم هذه الأمور ؛ فكل ما يأكله من جهة من الجهات ينبغى أن يستفتى فيه أهل العلم ولا يقدم عليه بالجهل ، فإنه كما يقال للعالم : لم خالفت علمك ؟ يقال للجاهل : لم لازمت جهلك ولم تتعلم بعد أن قيل لك طلب العلم فريضة على كل مسلم ؟

درجات الحلال والحرام

اعلم أن الحرام كله خبيث ، لكن بعضه أخبث من بعض ، والحلال كله طيب ، ولكن بعضه أطيب من بعض وأصفى من بعض ، وكما أن الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن يقول : بعضها حار فى الدرجة الأولى كالسكر ، وبعضها حار فى الثانية كالفانيذ ، وبعضها حار فى الثالثة كالدبس ، وبعضها حار فى الرابعة كالعسل . كذلك الحرام بعضه خبيث حار فى الدرجة الأولى ، وبعضه فى الثانية أو الثالثة أو الرابعة : وكذا الحلال تتفاوت درجات صفاته وطيبه ، فلنقتد بأهل الطب فى الاصطلاح على أربع درجات تقريبا . وإن كان التحقيق لا يوجب هذا الحصر ، إذ يتطرق إلى كل درجة من الدرجات أيضا تفاوت لا ينحصر ، فإن من السكر ما هو أشد حرارة من سكر آخر ، وكذا غيره ، فلذلك نقول : الورع عن الحرام على أربع درجات :

الأولى : ورع العدول ، وهو الذى يجب الفسق باقتحامه وتسقط العدالة به ويثبت اسم العصيان والتعرض للنار بسببه : وهو الورع عن كل ما تحرمه فتاوى الفقهاء .

الثانية : ورع الصالحين ، وهو الامتناع عما يتطرق إليه احتمال التحريم ، ولكن المفتى يرخص فى التناول بناء على الظاهر ، فهو من مواقع الشبهة على الجملة ، فلنسم التحرج عن ذلك ورع الصالحين وهو فى الدرجة الثانية .

الثالثة : مالا تحرمه الفتوى ولا شبهة فى حله ، ولكن يخاف منه أداؤه إلى محرم ، وهو ترك مالا بأس به مخافة مما به بأس ، وهذا ورع المتقين . قال صلى الله عليه وسلم « لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع مالا بأس به مخافة مابه بأس [1] » .

الرابعة : مالا بأس به أصلا ولا يخاف منه أن يؤدى إلى مابه بأس ، ولكنه يتناول لغير الله وعلى غير نية التقوى به على عبادة الله ، أو تتطرق إلى أسبابه المسهلة له كراهية أو معصية ، والامتناع منه ورع الصديقين ، فهذه درجات الحلال جملة إلى أن نفصلها بالأمثلة والشواهد .

وأما الحرام الذى ذكرناه فى الدرجة الأولى وهو الذى يشترط التورع عنه فى العدالة واطراح سمة الفسق ، فهو أيضا على درجات فى الخبث ، فالمأخوذ بعقد فاسد كالمعاطاة مثلا فيما لا يجوز فيه المعاطاة حرام ، ولكن ليس فى درجة المغصوب على سبيل القهر ، بل المغصوب أغلظ ، إذ فيه ترك طريق الشرع فى الاكتساب وإيذاء الغير ،

---

(١) حديث « لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع مالا بأس به مخافة مابه بأس » رواه ابن ماجه ، وقد تقدم .

وليس فى المعاطاة إيذاء ، وإنما فيه ترك طريق التعبد فقط ، ثم ترك طريق التعبد بالمعاطاة أهون من تركه بالربا ، وهذا التفاوت يدرك بتشديد الشرع ووعيده وتأكيده فى بعض المناهى ، على ما سيأتى فى كتاب التوبة عند ذكر الفرق بين الكبيرة والصغيرة ، بل المأخوذ ظلما من فقير أو صالح أو من يتيم أخبث وأعظم من المأخوذ من قوى أو غنى أو فاسق ، لأن درجات الإيذاء تختلف باختلاف درجات المؤذى ، فهذه دقائق فى تفاصيل الخبائث لاينبغى أن يذهل عنها ، فلولا اختلاف درجات العصاة لما اختلفت درجات النار وإذا عرفت مثارات التغليظ فلا حاجة إلى حصره فى ثلاث درجات أو أربعة ، فإن ذلك جار مجرى التحكم والتشهى ، وهو طلب حصر فيما لاحاصر له ، ويدلك على اختلاف درجات الحرام فى الخبث ما سيأتى فى تعارض المحذورات وترجيح بعضها على بعض ، حتى إذا اضطر إلى أكل ميتة أو أكل طعام الغير أو أكل صيد الحرم فإنا نقدم بعض هذا على بعض .

أمثلة الدرجات الأربع فى الورع وشواهدها

أما الدرجة الأولى : وهى ورع العدول ، فكل ما اقتضى الفتوى تحريمه مما يدخل فى المداخل الستة التى ذكرناها من مداخل الحرام لفقد شرط من الشروط ، فهو الحرام المطلق الذى ينسب مقتحمه إلى الفسق والمعصية ، وهو الذى نريده بالحرام المطلق ولا يحتاج إلى أمثلة وشواهد .

وأما الدرجة الثانية : فأمثلتها : كل شبهة لاتوجب اجتنابها ولكن يستحب اجتنابها كما سيأتى فى باب الشبهات إذ من الشبهات مايجب اجتنابها فتلحق بالحرام ، ومنها مايكره اجتنابها فالورع عنها ورع الموسوسين ، كمن يمتنع من الاصطياد خوفا من أن يكون الصيد قد أفلت من إنسان أخذه وملكه ، وهذا وسواس : ومنها . مايستحب اجتنابها ولايجب وهو الذى ينزل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « دع ما يريبك إلى مالا يريبك [1] » ونحمله على نهى التنزيه ، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « كل ما أصميت ودع ماأنميت [2] » والإنماء : أن يجرى الصيد فيغيب عنه ثم يدركه ميتا ، إذ يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر ، والذى نختاره كما سيأتى : أن هذا ليس بحرام ولكن تركه من ورع الصالحين . وقوله « دع مايريبك » أمر تنزيه ، إذ ورد فى بعض الروايات « كل منه وإن غاب عنك مالم تجد فيه أثرا غير سهمك » ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم فى الكلب المعلم « وإن أكل فلا تأكل فإنى أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه » على سبيل التنزيه لأجل الخوف . إذ قال لأبى ثعلبة الخشنى « كل منه » فقال : وإن أكل منه ؟ فقال « وإن أكل [3] » وذلك لأن حالة أبى ثعلبة وهو فقير مكتسب لاتحتمل هذا الورع ، وحال عدى كان يحتمله . يحكى عن ابن سيرين أنه ترك لشريك له أربعة آلاف درهم لأنه حاك فى قلبه شىء ، مع اتفاق العلماء على أنه لابأس به ، فأمثلة هذه الدرجة نذكرها فى التعرض لدرجات الشبهة فكل ماهو شبهة لايجب اجتنابه فهو مثال هذه الدرجة

أما الدرجة الثالثة : وهى ورع المتقين ، فيشهد لها قوله صلى الله عليه وسلم « لايبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع مالا بأس به مخافة مابه بأس » وقال عمر رضى الله عنه . كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع فى الحرام .

---

(١) حديث « دع مايريبك إلى مالا يريبك » أخرجه النسائى والترمذى والحاكم وصححاه من حديث الحسن بن على .

(٢) حديث « كل ماأصميت ودع ما أنميت » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس والبيهقى موقوفا عليه وقال : إن المرفوع ضعيف . (٣) حديث قال لأبى ثعلبة « كل منه » ؟ فقال : وإن أكل ؟ قال : « وإن أكل » رواه أبو داود من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . ومن حديث أبى ثعلبة أيضاً مختصراً وإسنادهما جيد ، والبيهقى موقوفا عليه وقال : إن المرفوع ضعيف .

وقيل : إن هذا عن ابن عباس رضى الله عنهما . وقال أبو الدرداء : إن من تمام التقوى أن يتقى العبد فى مثال ذرة حتى يترك بعض مايرى أنه حلال خشية أن يكون حراما حتى يكون حجابا بينه وبين النار ، ولهذا كان لبعضهم مائة درهم على إنسان ، فحملها إليه ، فأخذ تسعة وتسعين وتورّع عن استيفاء الكل خيفة الزيادة . وكان بعضهم يتحرّز ، فكل مايستوفيه يأخذه بنقصان حبة ومايعطيه يوفيه بزيادة حبة ، ليكون ذلك حاجزا من النار ، ومن هذه الدرجة الاحتراز عما يتسامح به الناس ، فإنّ ذلك حلال فى الفتوى ولكن يخاف من فتح بابه أن ينجرّ إلى غيره وتألف النفس الاسترسال وترك الورع : فمن ذلك ماروى عن على بن معبد أنه قال : كنت ساكنا فى بيت بكراء ، فكتبت كتابا وأردت أن آخذ من تراب الحائط لأتربه وأجففه ، ثم قلت : الحائط ليس لى ، فقالت لى نفسى : وماقدر تراب من حائط ، فأخذت من التراب حاجتى ، فلما نمت فإذا أنا بشخص واقف يقول : ياعلى بن معبد ، سيعلم غدا الذى يقول : وما قدر تراب من حائط ، ولعل معنى ذلك أنه يرى كيف يحط من منزلته ، فإن للتقوى درجة تفوت بفوات ورع المتقين ، وليس المراد به أن يستحق عقوبة على فعله . ومن ذلك ماروى أن عمر رضى الله عنه وصله مسك من البحرين فقال : وددت لو أنّ امرأة وزنت حتى أقسمه بين المسلمين ، فقالت امرأته عاتكة : أنا أجيد الوزن فسكت عنها ، ثم أعاد القول فأعادت الجواب ، فقال : لا أحببت أن تضعيه بكفة ثم تقولين فيها أثر الغبار فتمسحين بها عنقك فأصيب بذلك فضلا على المسلمين . وكان يوزن بين يدى عمر بن عبد العزيز مسك للمسلمين . فأخذ بأنفه حتى لاتصيبه الرائحة وقال : وهل ينتفع منه إلا بريحه لما استبعد ذلك منه . وأخذ الحسن رضى الله عنه تمرة من تمر الصدقة وكان صغيرا فقال النبى صلى الله عليه وسلم « كخ كخ [1] » أى ألقها . ومن ذلك ماروى بعضهم أنه كان عند محتضر ، فمات ليلا فقال : أطفئوا السراج قد حدث للورثة حق فى الدهن . وروى سليمان التيمى عن نعيمة العطارة قالت : كان عمر رضى الله عنه يدفع إلى امرأته طيباً من طيب المسلمين لتبيعه ، فباعتنى طيبا فجعلت تقوّم وتزيد وتنقص وتكسر بأسنانها ، فتعلق بأصبعها شىء منه فقالت به هكذا بأصبعها ، ثم مسحت به خمارها فدخل عمر رضى الله عنه فقال : ماهذه الرائحة ؟ فأخبرته فقال : طيب المسلمين تأخذينه ، فانتزع الخمار من رأسها وأخذ جرّة من الماء فجعل يصب على الخمار ثم يدلكه فى التراب ثم يشمه ، ثم يصب الماء ثم يدلكه فى التراب ويشمه ، حتى لم يبق له ريح ، قالت : ثم اتيتها مرة أخرى فلما وزنت علق منه شىء بأصبعها ، فأدخلت أصبعها فى فيها ثم مسحت به التراب ، فهذا من عمر رضى الله عنه ورع التقوى ، لخوف أداء ذلك إلى غيره ، وإلا فغسل الخمار ما كان يعيد الطيب إلى المسلمين ، ولكن أتلفه عليها زجرا وردعا واتقاء من أن يتعدّى الأمر إلى غيره . ومن ذلك ماسئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل يكون فى المسجد يحمل مجمرة لبعض السلاطين ويبخر المسجد بالعود فقال : ينبغى أن يخرج من المسجد ، فإنه لاينتفع من العود إلا برائحته ، وهذا قد يقارب الحرام ، فإنّ القدر الذى يعبق بثوبه من رائحة الطيب قد يقصد وقد يبخل به ، فلا يدرى أنه يتسامح به أم لا . وسئل أحمد بن حنبل عمن سقطت منه ورقة فيها أحاديث ، فهل لمن وجدها أن يكتب منها ثم يردها ؟ فقال : لابل يستأذن ثم يكتب ، وهذا أيضا قد يشك فى أنّ صاحبها هل يرضى به أم لا ، فما هو فى محل الشك والأصل تحريمه فهو حرام ، وتركه من الدرجة الأولى . ومن ذلك التورع عن الزينة لأنه يخاف منها أن تدعو إلى غيرها ـ وإن كانت الزينة مباحة فى نفسها . وقد سئل أحمد بن حنبل عن النعال السبتية فقال : أما أنا فلا أستعملها ولكن إن كان للطين فأرجو ، وأما من أراد الزينة فلا ، ومن ذلك أن عمر

(١) حديث : أخذ الحسن بن على تمرة من الصدقة وكان صغيراً فقال النبى صلى الله عليه وسلم « كخ كخ ، ألقها » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة .

رضى الله عنه لما ولى الخلافة كانت له زوجة يحبها ، فطلقها خيفة أن تشير عليه بشفاعة فى باطل فيطيعها ويطلب رضاها ، وهذا من ترك مالا بأس به مخافة مما به البأس : أى مخافة من أن يفضى إليه ، وأكثر المباحات داعية إلى المحظورات ، حتى استكثار الأكل واستعمال الطيب المتعزب فإنه يحرك الشهوة ، ثم الشهوة تدعو إلى الفكر ، والفكر يدعو إلى النظر ، والنظر يدعو إلى غيره ، وكذلك النظر إلى دور الأغنياء وتجملهم ، مباح فى نفسه ولكن يهيج الحرص ويدعو إلى طلب مثله ، ويلزم منه ارتكاب مالا يحل فى تحصيله ، وهكذا المباحات كلها إذا لم تؤخذ بقدر الحاجة فى وقت الحاجة مع التحرز من غوائلها بالمعرفة أولا ثم بالحذر ثانيا ، فقلما تخلو عاقبتها عن خطر ، وكذا كل ماأخذ بالشهوة فقلما يخلو عن خطر ، حتى كره أحمد بن حنبل تجصيص الحيطان وقال : أما تجصيص الأرض فيمنع التراب ، وأما تجصيص الحيطان فزينة لافائدة فيه ، حتى أنكر تجصيص المساجد وتزيينها ، واستدل بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه سئل أن يكحل المسجد ، فقال « لا ، عريش كعريش موسى [1] » وإنما هو شىء مثل الكحل يطلى به ، فلم يرخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، وكره السلف الثوب الرقيق وقالوا : من رق ثوبه رق دينه ، وكل ذلك خوفا من سريان اتباع الشهوات فى المباحات إلى غيرها ، فإن المحظور والمباح تشتهيهما النفس بشهوة واحدة ، وإذا تعودت الشهوة المسامحة استرسلت ، فاقتضى خوف التقوى الورع عن هذا كله ، فكل حلال انفك عن مثل هذه المخافة فهو الحلال الطيب فى الدرجة الثالثة ، وهو كل مالا يخاف أداؤه إلى معصية ألبتة .

أما الدرجة الرابعة : وهو ورع الصديقين ، فالحلال عندهم كل مالا تتقدم فى أسبابه معصية ولا يستعان به على معصية ولا يقصد منه فى الحال والمآل قضاء وطر ، بل يتناول لله تعالى فقط وللتقوى على عبادته واستبقاء الحياة لأجله ، وهؤلاء هم الذين يرون كل ماليس لله حراما ، امتثالا لقوله تعالى ﴿ قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ﴾ وهذه رتبة الموحدين المتجردين عن حظوظ أنفسهم ، المنفردين لله تعالى بالقصد ، ولاشك فى أن من يتورع عما يوصل إليه أو يستعان عليه بمعصية ليتورع عما يقترن بسبب اكتسابه معصية أو كراهية ؛ فمن ذلك ماروى عن يحيى بن كثير أنه شرب الدواء ، فقالت له امرأته : لو تمشيت فى الدار قليلا حتى يعمل الدواء ، فقال . هذه مشية لاأعرفها ، وأنا أحاسب نفسى منذ ثلاثين سنة ، فكأنه لم تحضره نية فى هذه المشية تتعلق بالدين ، فلم يجز الإقدام عليها . وعن سرى رحمه الله أنه قال : انتهيت إلى حشيش فى جبل وماء يخرج منه ، فتناولت من الحشيش وشربت من الماء ، وقلت فى نفسى : إن كنت قد أكلت يوما حلالا طيبا فهو هذا اليوم ، فهتف بى هاتف : إن القوة التى أوصلتك إلى هذا الموضع من أين هى ؟ فرجعت وندمت . ومن هذا ماروى عن ذى النون المصرى أنه كان جائعا محبوسا ، فبعثت إليه امرأة صالحة طعاما على يد السجان ، فلم يأكل ، ثم اعتذر وقال : جاءنى على طبق ظالم ، يعنى أن القوة التى أوصلت الطعام إلى لم تكن طيبة ، وهذه الغاية القصوى فى الورع . ومن ذلك أن بشراً رحمه الله كان لايشرب الماء من الأنهار التى حفرها الأمراء ، فإن النهر سبب لجريان الماء ووصوله إليه وإن كان الماء مباحا فى نفسه فيكون كالمنتفع بالنهر المحفور بأعمال الأجراء وقد أعطوا الأجرة من الحرام ؛ ولذلك امتنع بعضهم من العنب الحلال من كرم حلال ، وقال لصاحبه . أفسدته إذ سقيته من الماء الذى يجرى فى النهر الذى حفرته الظلمة ، وهذا أبعد عن الظلم من شرب نفس الماء ، لأنه احتراز من استمداد العنب من ذلك الماء . وكان بعضهم إذا مر فى طريق الحج لم يشرب من المصانع التى عملتها الظلمة ، مع أن الماء مباح ، ولكنه بقى محفوظا

(١) حديث : أنه سئل أن يكحل المسجد فقال « لا ، عريش كعريش موسى » أخرجه الدارقطنى فى الأفراد من حديث أبى الدرداء وقال : غريب .

بالمصنع الذى عمل به بمال حرام ، فكأنه انتفاع به . وامتناع ذى النون من تناول الطعام من يد السجان أعظم من هذا كله ؛ لأن يد السجان لاتوصف بأنها حرام ، بخلاف الطبق المغصوب إذا حمل عليه ، ولكنه وصل إليه بقوة اكتسبت بالغذاء الحرام ، ولذلك تقيأ الصديق رضى الله عنه من اللبن خيفة من أن يحدث الحرام فيه قوة مع أنه شربه عن جهل ، وكان لايجب إخراجه ولكن تخلية البطن عن الخبيث من ورع الصديقين ، ومن ذلك ؛ التورع من كسب حلال اكتسبه خياط يخيط فى المسجد ؛ فإن أحمد رحمه الله كره جلوس الخياط فى المسجد . وسئل عن المغازلى يجلس فى قبة فى المقابر فى وقت يخاف من المطر ؛ فقال. إنما هى من أمر الآخرة وكره جلوسه فيها . وأطفأ بعضهم سراجا أسرجه غلامه من قوم يكره مالهم . وامتنع من تسجير تنور للخبز وقد بقى فيه جمر من حطب مكروه . وامتنع بعضهم من أن يحكم شسع نعله فى مشعل السلطان ، فهذه دقائق الورع عند سالكى طريق الآخرة

والتحقيق فيه أن الورع له أول وهو الامتناع عما حرمته الفتوى وهو ورع العدول وله غاية وهو ورع الصديقين ، وذلك هو الامتناع من كل ماليس لله مما أخذ بشهوة أو توصل إليه بمكروه ، أواتصل بسببه مكروه وبينهما درجات فى الاحتياط ، فكلما كان العبد أشد تشديدا على نفسه كان أخف ظهرا يوم القيامة وأسرع جوازا على الصراط ، وأبعد عن أن تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته ، وتتفاوت المنازل فى الآخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات فى الورع ، كما تتفاوت درجات النار فى حق الظلمة بحسب تفاوت درجات الحرام فى الخبث ، وإذا علمت حقيقة الأمر فإليك الخيار ، فإن شئت فاستكثر من الاحتياط ، وإن شئت فرخص فلنفسك تحتاط وعلى نفسك ترخص ، والسلام .

الباب الثانى : فى مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لايعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ، ومن وقع فى الشبهات واقع الحرام ، كالراعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه [1] » فهذا الحديث نص فى إثبات الأقسام الثلاثة ، والمشكل منها القسم المتوسط الذى لايعرفه كثير من الناس وهو الشبهة ، فلا بد من بيانها وكشف الغطاء عنها ، فإن مالا يعرفه الكثير فقد يعرفه القليل ، فنقول :

الحلال المطلق : هو الذى خلا عن ذاته الصفات الموجبة للتحريم فى عينه ، وانحل عن أسبابه ماتطرق إليه تحريم أو كراهية ، ومثاله الماء الذى يأخذه الإنسان من المطر قبل أن يقع على ملك أحد يكون هو واقفا عند جمعه وأخذه من الهواء فى ملك نفسه أو فى أرض مباحة .

والحرام المحض : هو ما فيه صفة محرمة لايشك فيها ، كالشدة المطربة فى الخمر ، والنجاسة فى البول . أو حصل بسبب منهى عنه قطعا كالمحصل بالظلم والربا ونظائره ؛ فهذان طرفان ظاهران ، ويلتحق بالطرفين ماتحقق أمره ولكنه احتمل تغيره ، ولم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه ؛ فإن صيد البر والبحر حلال ؛ ومن أخذ ظبية فيحتمل أن يكون قد ملكها صياد ثم افلتت منه ، وكذلك السمك يحتمل أن يكون قد تزلق من الصياد بعد وقوعه فى يده وخريطته ؛ فمثل هذا الاحتمال لايتطرق إلى ماء المطر المختطف من الهواء ، ولكنه فى معنى ماء المطر ،

الباب الثانى : فى مراتب الشبهات

(١) حديث « الحلال بين والحرام بين ... الحديث » متفق عليه من حديث النعمان بن بشير .

والاحتراز منه وسواس ، ولنسم هذا الفن ورع الموسوسين ، حتى تلتحق به أمثاله وذلك لأن هذا وهم مجرد لادلالة عليه ، نعم لو دل عليه دليل : فإن كان قاطعا كما لو وجد حلقة فى أذن السمكة ، أو كان محتملا كما لو وجد على الظبية جراحة يحتمل أن يكون كيا لايقدر عليه إلا بعد الضبط . ويحتمل أن يكون جرحا ، فهذا موضع الورع ، وإذا انتفت الدلالة من كل وجه فالاحتمال المعدوم دلالته كالاحتمال المعدوم فى نفسه ، ومن هذا الجنس من يستعير دارا فيغيب عنه المعير فيخرج ويقول : لعله مات وصار الحق للوارث ؛ فهذا وسواس إذ لم يدل على موته سبب قاطع أو مشكك إذ الشبهة المحذورة ماتنشأ من الشك ، والشك عبارة عن اعتقادين متقابلين نشآ عن سببين ، فما لاسبب له لايثبت عقده فى النفس حتى يساوى العقد المقابل له فيصير شكا ، ولهذا نقول : من شك أنه صلى ثلاثا أو أربعا أخذ بالثلاث إذ الأصل عدم الزيادة . ولو سئل إنسان أن صلاة الظهر التى أداها قبل هذا بعشر سنين كانت ثلاثا أو أربعا لم يتحقق قطعا أنها أربعة ، وإذا لم يقطع جوز أن تكون ثلاثة ، وهذا التجويز لا يكون شكا ، إذ لم يحضره سبب أوجب اعتقاد كونها ثلاثا ، فلتفهم حقيقة الشك حتى لا يشتبه الوهم والتجويز بغير سبب فهذا يلتحق بالحلال المطلق . ويلتحق بالحرام المحض ما تحقق تحريمه وإن أمكن طريان محلل ولكن لم يدل عليه سبب ، كمن فى يده طعام لمورثه الذى لا وارث له سواه ، فغاب عنه فقال : يحتمل أنه مات وقد انتقل الملك إلى فمآ كله ، فإقدامه عليه إقدام على حرام محض ، لأنه احتمال لامستند له ، فلا ينبغى أن يعد هذا النمط من أقسام الشبهات ، وإنما الشبهة نعنى بها ما اشتبه علينا أمره بأن تعارض لنا فيه اعتقادان صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين . ومثارات الشبهة خمسة :

المثار الأول : الشك فى السبب المحلل والمحرم

وذلك لا يخلو إما أن يكون متعادلا ، أو غلب أحد الاحتمالين ، فإن تعادل الاحتمالان كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب ولا يترك بالشك ، وإن غلب أحد الاحتمالين عليه بأن صدر عن دلالة معتبرة كان الحكم للغالب ، ولا يتبين هذا إلا بالأمثال والشواهد ، فلنقسمه إلى أقسام أربعة :

القسم الأول : أن يكون التحريم معلوما من قبل ثم يقع الشك فى المحلل ، فهذه شبهة يجب اجتنابها ويحرم الإقدام عليها . مثاله أن يرمى إلى صيد فيجرحه ويقع فى الماء فيصادفه ميتا ولايدرى أنه مات بالغرق أو بالجرح ، فهذا حرام لأن الأصل التحريم ، إلا إذ مات بطريق معين وقد وقع الشك فى الطريق فلا يترك اليقين بالشك ، كما فى الأحداث والنجاسات وركعات الصلاة وغيرها ، وعلى هذا ينزل قوله صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم « لا تأكله فلعله قتله غير كلبك [1] » فلذلك كان صلى الله عليه وسلم إذا أتى بشىء اشتبه عليه أنه صدقة أو هدية سأل عنه حتى يعلم أيهما هو [2] . وروى « أنه صلى الله عليه وسلم أرق ليلة فقالت له بعض نسائه : أرقت يارسول الله ، فقال : أجل ، وجدت تمرة فخشيت أن تكون من الصدقة [3] » وفى رواية « فأكلتها فخشيت أن تكون من الصدقة » ومن ذلك ماروى عن بعضهم أنه قال : « كنا فى سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابنا الجوع ، فنزلنا منزلا

---

(١) حديث « لاتأكله فلعله قتله غير كلبك » قاله لعدى بن حاتم متفق عليه من حديثه . (٢) حديث « كان إذا أتى بشىء اشتبه عليه أنه صدقة أو هبة يسأل عنه » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة . (٣) حديث : أنه أرق ليلة فقال له بعض نسائه . أرقت يارسول الله ! فقال : « أجل ، وجدت تمرة فأكلتها ، فخشيت أن تكون من الصدقة » أخرجه أحمد من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده باسناد حسن .

كثير الضباب فبينا القدور تغلى بها إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمة مسخت من بنى إسرائيل أخشى أن تكون هذه » فأكفأنا القدور [١] ، ثم أعلمه الله بعد ذلك أنه لم يمسخ الله خلقا فجعل له نسلا [٢] . وكان امتناعه أولا لأن الأصل عدم الحل وشك فى كون الذبح محللا .

القسم الثانى أن يعرف الحل ويشك فى المحرم ، فالأصل الحل وله الحكم . كما إذا نكح امرأتين رجلان وطار طائر ، فقال أحدهما : إن كان هذا غرابا فامرأتى طالق ، وقال الآخر : إن لم يكن غرابا فامرأتى طالق . والتبس أمر الطائر فلا يقضى بالتحريم فى واحدة منهما ولا يلزمهما اجتنابهما ، ولكن الورع اجتنابهما وتطليقهما حتى يحلا لسائر الأزواج ، وقد أمر مكحول بالاجتناب فى هذه المسئلة ، وأفتى الشعبى بالاجتناب فى رجلين كانا قد تنازعا ، فقال أحدهما للآخر : أنت حسود ، فقال الآخر : أحسدنا زوجته طالق ثلاثا ، فقال الآخر : نعم ، وأشكل الأمر ، وهذا إن أراد به اجتناب الورع فصحيح ، وإن أراد التحريم المحقق فلا وجه له ، إذ ثبت فى المياه والنجاسات والأحداث والصلوات أن اليقين لا يجب تركه بالشك ، وهذا فى معناه .

ه فإن قلت : وأى مناسبة بين هذا وبين ذلك ؟ فاعلم أنه لا يحتاج إلى المناسبة ، فإنه لازم من غير ذلك فى بعض الصور ، فإنه مهما تيقن طهارة الماء ثم شك فى نجاسته جاز له أن يتوضأ به ، فكيف لا يجوز أن يشربه ؟ وإذا جوز الشرب فقد سلم أن اليقين لا يزال بالشك ، إلا أن ههنا دقيقة : وهو أن وزان الماء أن يشك فى أنه طلق زوجته أم لا ؟ فيقال : الأصل أنه ما طلق ووزان مسئلة الطائر أن يتحقق نجاسة أحد الإناءين ويشتبه عينه ؛ فلا يجوز أن يستعمل أحدهما بغير اجتهاد ، لأنه قابل يقين النجاسة بيقين الطهارة فيبطل الاستصحاب ، فكذلك ههنا قد وقع الطلاق على إحدى الزوجين قطعا ، والتبس عين المطلقة بغير المطلقة ، فنقول : اختلف أصحاب الشافعى فى الإناءين على ثلاثة أوجه ، فقال قوم : يستصحب بغير اجتهاد ، وقال قوم : بعد حصول يقين النجاسة فى مقابلة يقين الطهارة يجب الاجتناب ولا يغنى الاجتهاد . وقال المقتصدون : يجتهد وهو الصحيح ، ولكن وزانه أن تكون له زوجتان فيقول إن كان غرابا فزينب طالق ، وإن لم يكن فعمرة طالق ، فلا جرم لا يجوز له غشيانهما بالاستصحاب ولا يجوز الاجتهاد ، إذ لا علامة ، ونحرمهما عليه لإنه لو وطئهما كان مقتحما للحرام قطعا ، وإن وطئ إحداهما وقال : أقتصر على هذه ، كان متحكما بتعيينها من غير ترجيح . فى هذا افترق حكم شخص واحد أو شخصين ، لأن التحريم على شخص واحد متحقق ، بخلاف الشخصين . إذ كل واحد شك فى التحريم فى حق نفسه .

فإن قيل : فلو كان الإناءان لشخصين فينبغى أن يستغنى عن الاجتهاد ويتوضأ كل واحد بإنائه لأنه تيقن طهارته وقد شك الآن فيه ، فنقول . هذا محتمل فى الفقه والأرجح فى ظنى المنع ، وإن تعدد الشخصين ههنا كاتحاده ، لأن صحة الوضوء لا تستدعى ملكا ، بل وضوء الإنسان بماء غيره فى رفع الحدث كوضوئه بماء نفسه ، فلا يتبين لاختلاف الملك واتحاده أثر ، بخلاف الوطء لزوجة الغير فإنه لا يحل ، ولأن للعلامات مدخلا فى النجاسات ، والاجتهاد فيه ممكن بخلاف الطلاق ، فوجب تقوية الاستصحاب بعلامة ليدفع بها قوة يقين النجاسة المقابلة ليقين الطهارة ، وأبواب الاستصحاب والترجيحات من غوامض الفقه ودقائقه ، وقد استقصيناه فى كتب الفقه ، ولسنا نقصد الآن إلا التنبيه على قواعدها .

---

(١) حديث : كنا فى سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصابنا الجوع ، فنزلنا منزلا كثير الضباب ، فبينا القدور تغلى بها إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمة من بنى إسرائيل مسخت فأخاف أن تكون هذه » فأكفأنا القدور . أخرجه ابن حبان والبيهقى من حديث عبد الرحمن وحسنه . وروى أبو داود والنسائى وابن ماجه حديث ثابت بن زيد نحوه مع اختلاف قال البخارى : وحديث ثابت أصح . (٢) حديث : أنه لم يمسخ الله خلقا فجعل له نسلا . أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود .

القسم الثالث : أن يكون الأصل التحريم ، ولكن طرأ ماأوجب تحليله بظنّ غالب ، فهو مشكوك فيه ، والغالب حله ؛ فهذا ينظر فيه ؛ فإن استند غلبة الظنّ إلى سبب معتبر شرعا فالذى نختار فيه أنه يحل ، واجتنابه من الورع . مثاله : أن يرمى إلى صيدفيغيب ثم يدركه ميتا وليس عليه أثرسوى سهمه ، ولكن يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر ، فإن ظهرعليه أثر صدمة أو جراحة أخرى التحق بالقسم الأوّل . وقد اختلف قول الشافعى رحمه الله فى هذا القسم ، والمختار أنه حلال ، لأن الجرح سبب ظاهر وقد تحقق ، والأصل أنه لم يطرأ غيره عليه ، فطريانه مشكوك فيه ، فلا يدع اليقين بالشك .

فإن قيل : فقد قال ابن عباس : كل ما أصميت ودع ماأنميت . وروت عائشة رضى الله عنها : أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم بأرنب فقال : رميتى عرفت فيها سهمى ، فقال « أصميت أو أنميت ؟ » فقال : بل أنميت ، قال « إن الليل خلق من خلق الله لا يقدر قدره إلا الذى خلقه ، فلعله أعان على قتله شىء [1] » وكذلك قال صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم فى كلبه المعلم « وإن أكل فلا تأكل ، فإنى أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه [2] » والغالب أن الكلب المعلم لا يسىء خلقه ولا يمسك إلا على صاحبه ، ومع ذلك نهى عنه ، وهذا التحقيق : وهو أن الحل إنما يتحقق إذا تحقق تمام السبب ، وتمام السبب بأن يفضى إلى الموت سليما من طريان غيره عليه ، وقدشك فيه فهو شك فى تمام السبب حتى اشتبه أنّ موته على الحل أو على الحرمة ، فلا يكون هذا فى معنى ماتحقق موته على الحل فى ساعته ثم شك فيما يطرأ عليه . فالجواب : أنّ نهى ابن عباس ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمول على الورع والتنزيه ، بدليل ماروى فى بعض الروايات أنه قال « كل منه وإن غاب عنك مالم تجد فيه أثرا غير سهمك [3] » وهذا تنبيه على المعنى الذى ذكرناه : وهو أنه إن وجد أثرا اخر فقد تعارض السببان بتعارض الظن ، وإن لم يجد سوى جرحه حصل غلبة الظن فيحكم به على الاستصحاب ، كما يحكم على الاستصحاب بخبر الواحد والقياس المظنون والعمومات المظنونة وغيرها . وأما قول القائل : إنه لم يتحقق موته على الحل فى ساعة فيكون شكا فى السبب فليس كذلك ، بل السبب قد تحقق ، إذ الجرح سبب الموت ، فطريان الغير شك فيه ، ويدل على صحة هذا : الإجماع ، على أن من جرح وغاب فوجد ميتا فيجب القصاص على جارحه ، بل إن لم يغب يحتمل أن يكون موته بهيجان خلط فى باطنه ، كما يموت الإنسان فجأة ، فينبغى أن لا يجب القصاص إلا بحز الرقبة والجرح المذفف ، لأن العلل القاتلة فى الباطن لا تؤمن ، ولأجلها يموت الصحيح فجأة ، ولا قائل بذلك ، مع أن القصاص مبناه على الشبهة ، وكذلك جنين المذكاة حلال ، ولعله مات قبل ذبح الأصل لا بسبب ذبحه أو لم ينفخ فيه الروح ، وغرّة الجنين تجب ، ولعل الروح لم ينفخ فيه ، أو كان قد مات قبل الجناية بسبب آخر ، ولكن يبنى على الأسباب الظاهرة ، فإن الاحتمال الآخر إذا لم يستند إلى دلالة تدل عليه التحق بالوهم والوسواس كما ذكرناه ، فكذلك هذا . وأما قوله صلى الله عليه وسلم «أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه» فللشافعى رحمه الله

---

(١) حديث عائشة أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم بأرنب فقال : رميتى عرفت فيها سهمى ، فقال « أصميت أو أنميت ؟ » قال : بل أنميت . قال « إن الليل خلق من خلق الله لايقدر قدره إلا الذى خلقه لعله أعان على قتله شىء » ليس هذا من حديث عائشة ، وإنما رواه موسى بن أبى عائشة عن أبى رزين قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم بصيد فقال : إنى رميته من الليل فأعيانى ، ووجدت سهمى فيه من الغد وعرفت سهمى ؛ فقال « الليل خلق من خلق الله عظيم ، لعله أعانك عليها شىء » رواه أبو داود فى المراسيل ، والبيهقى وقال : أبو رزين اسمه مسعود . والحديث مرسل ، قاله البخارى . (٢) حديث : قال لعدى فى كلبه المعلم « وإن أكل فلا تأكل فإنى أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه » متفق عليه من حديثه .

(٣) حديث « كل منه وإن غاب عنك مالم تجد فيه أثر سهم غيرك » متفق عليه من حديث عدى بن حاتم .

فى هذه الصورة قولان ، والذى نختاره الحكم بالتحريم : لأن السبب قد تعارض ، إذ الكلب المعلم كالآلة والوكيل يمسك على صاحبه فيحل ، ولو استرسل المعلم بنفسه فأخذ ، لم يحل ؛ لأنه يتصور منه أن يصطاد لنفسه ، ومهما انبعث بإشارته ثم أكل دل ابتداء انبعاثه على أنه نازل منزلة آلته وأنه يسعى فى وكالته ونيابته ، ودل أكله آخرا على أنه أمسك لنفسه لا لصاحبه ، فقد تعارض السبب الدال فيتعارض الاحتمال ، والأصل التحريم فيستصحب ، ولا يزال بالشك ، وهو كما لو وكل رجلا بأن يشترى له جارية فاشترى جارية ومات قبل أن يبين أنه اشتراها لنفسه أو لموكله يحل للموكل وطؤها ، لأن الوكيل قدرة على الشراء لنفسه ولموكله جميعا ، ولا دليل مرجح والأصل التحريم ؛ فهذا يلتحق بالقسم الأول لا بالقسم الثالث .

القسم الرابع : أن يكون الحل معلوما ولكن يغلب على الظن طريان محرم بسبب معتبر فى غلبة الظن شرعا ، فيرفع الاستصحاب ويقضى بالتحريم ، إذ بان لنا أن الاستصحاب ضعيف ولا يبقى له حكم مع غالب الظن ، ومثاله أن يؤدى اجتهاده إلى نجاسة أحد الإناءين بالاعتماد على علامة معينة توجب غلبة الظن فتوجب تحريم شربه كما أوجبت منع الوضوء به ، وكذا إذا قال : إن قتل زيد عمراً أو قتل زيد صيدا منفردا بقتله فامرأتى طالق فجرحه وغاب عنه فوجد ميتا : حرمت زوجته ، لأن الظاهر أنه منفرد بقتله كما سبق ، وقد نص الشافعى رحمه الله أن من وجد فى الغدران ماء متغيرا احتمل أن يكون تغيره بطول المكث أو بالنجاسة فيستعمله ، ولو رأى ظبية بالت فيه ثم وجده متغيرا واحتمل أن يكون بالبول أو بطول المكث لم يجز استعماله ، إذ صار البول المشاهد دلالة مغلبة لاحتمال النجاسة وهو مثال ماذكرناه وهذا فى غلبة ظن استند إلى علامة متعلقة بعين الشىء ، فأما غلبة الظن لا من جهة علامة تتعلق بعين الشىء فقد اختلف قول الشافعى رضى الله عنه فى أن أصل الحل هل يزال به إذ اختلف قوله فى التوضؤ من أوانى المشركين ، ومدمن الخمر والصلاة فى المقابر المنبوشة والصلاة مع طين الشوارع ، أعنى المقدار الزائد على مايتعذر الاحتراز عنه ، وعبر الأصحاب عنه بأنه إذا تعارض الأصل والغالب فأيهما يعتبر ، وهذا جار فى حل الشرب من أوانى مدمن الخمر والمشركين ، لأن النجس لا يحل شربه ، فإذن مأخذ النجاسة والحل واحد ، فالتردد فى أحدهما يوجب التردد فى الآخر ، والذى أختاره أن الأصل هو المعتبر ، وأن العلامة إذا لم تتعلق بعين المتناول لم توجب رفع الأصل ، وسيأتى بيان ذلك وبرهانه فى المثار الثانى للشبهة وهى شبهة الخلط ، فقد اتضح من هذا حكم حلال شك فى طريان محرم عليه أو ظن ، وحكم حرام شك فى طريان محلل عليه أوظن ، وبان الفرق بين ظن يستند إلى علامة فى عين الشىء وبين مالا يستند إليه ، وكل ما حكمنا فى هذه الأقسام الأربعة بحله فهو حلال فى الدرجة الأولى والاحتياط تركه ، فالمقدم عليه لا يكون من زمرة المتقين والصالحين بل من زمرة العدول الذين لا يقضى فى فتوى الشرع بفسقهم وعصيانهم واستحقاقهم العقوبة ، إلا ما ألحقناه برتبة الوسواس فإن الاحتراز عنه ليس من الورع أصلا .

المثار الثانى للشبهة : شك منشؤه الاختلاط

وذلك بأن يختلط الحرام بالحلال ويشتبه الأمر ولا يتميز ، والخلط لا يخلو : إما أن يقع بعدد لا يحصر من الجانبين أو من أحدهما ، أو بعدد محصور ، فإن اختلط بمحصور فلا يخلو : إما أن يكون اختلاط امتزاج بحيث لا يتميز بالإشارة كاختلاط المائعات . أو يكون اختلاط استبهام مع التميز للأعيان كاختلاط الأعبد والدور والأفراس ، والذى يختلط بالاستبهام فلا يخلو : إما أن يكون مما يقصد عينه كالعروض ، أو لا يقصد كالنقود ،

فيخرج من هذا التقسيم ثلاثة أقسام :

القسم الأول : أن تستبهم العين بعدد محصور ، كالو اختلطت الميتة بمذكاة أو بعشر مذكيات ، أو اختلطت رضيعة بعشر نسوة ، أو يتزوج إحدى الأختين ثم تلتبس ، فهذه شبهة يجب اجتنابها بالإجماع ، لأنه لامجال للاجتهاد والعلامات فى هذا ، وإذا اختلطت بعدد محصور صارت الجملة كالشيء الواحد ، فتقابل فيه يقين التحريم والتحليل ، ولافرق فى هذا بين أن يثبت حل فيطرأ اختلاط بمحرم ، كما لو أوقع الطلاق على إحدى زوجتين فى مسئلة الطائر ، أو يختلط قبل الاستحلال كما لو اختلطت رضيعة بأجنبية فأراد استحلال واحدة ، وهذا قد يشكل فى طريان التحريم كطلاق إحدى الزوجتين لما سبق من الاستصحاب . وقد نبهنا على وجه الجواب : وهو أن يقين التحريم قابل يقين الحل فضعف الاستصحاب وجانب الحظر أغلب فى نظر الشرع ، فلذلك ترجح ، وهذا إذا اختلط حلال محصور بحرام محصور . فإن اختلط حلال محصور بحرام غير محصور ، فلايخفى أن وجوب الاجتناب أولى .

القسم الثانى : حرام محصور بحلال غير محصور ، كما لو اختلطت رضيعة أو عشر رضائع بنسوة بلد كبير ، فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح نساء أهل البلد ، بل له أن ينكح من شاء منهن ، وهذا لايجوز ان يعلل بكثرة الحلال ، إذ يلزم عليه أن يجوز النكاح إذا اختلطت واحدة حرام بتسع حلال ولاقائل به ، بل العله الغلبة والحاجة جميعا ، إذ كل من ضاع له رضيع أو قريب أو محرم بمصاهرة أو سبب من الأسباب فلا يمكن أن يسد عليه باب النكاح ، وكذلك من علم أن مال الدنيا خالطه حرام قطعا لايلزمه ترك الشراء والأكل ؛ فإن ذلك حرج ، ومافى الدين من حرج . ويعلم هذا بأنه لما سرق فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم مجن [1] وغل واحد فى الغنيمة عباءة [2] ، لم يمتنع أحد من شراء المجان والعباء فى الدنيا ، وكذلك كل ماسرق ، وكذلك كان يعرف أن فى الناس من يربى فى الدراهم والدنانير . وماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس الدراهم والدنانير بالكلية [3] . وبالجملة إنما تنفك الدنيا عن الحرام إذا عصم الخلق كلهم عن المعاصى ، وهو محال . وإذا لم يشترط هذا فى الدنيا لم يشترط أيضا فى بلد إلا إذا وقع بين جماعة محصورين ، بل اجتناب هذا من ورع الموسوسين ، إذ لم ينقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة ، ولا يتصور الوفاء به فى ملة من الملل ولا فى عصر من الأعصار .

* فإن قلت : فكل عدد محصور فى علم الله ، فما حد المحصور ؟ ولو أراد الإنسان أن يحصر أهل بلد لقدر عليه أيضا إن تمكن منه * فاعلم أن تحديد أمثال هذه الأمور غير ممكن ، وإنما يضبط بالتقريب . فنقول : كل عدد لواجتمع على صعيد واحد لعسر على الناظر عدهم بمجرد النظر ، كالألف والألفين فهو غير محصور ، وما سهل كالعشرة والعشرين فهو محصور ، وبين الطرفين أوساط متشابهة تلحق بأحد الطرفين بالظن ، وما وقع الشك فيه استفتى فيه القلب ، فإن الإثم حزاز القلوب . وفى مثل هذا المقام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابصة « استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك [4] » وكذا الأقسام الأربعة التى ذكرناها فى المثال الأول يقع فيها أطراف متقابلة واضحة فى النفى والإثبات وأوساط متشابهة ، فالمفتى يفتى بالظن ، وعلى المستفتى أن يستفتى

(١) حديث سرقة المجن فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم : متفق عليه من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقا فى مجن قيمته ثلاثة دراهم . (٢) حديث « غل واحد من الغنائم عباءة » رواه البخارى من حديث عبد الله ابن عمر ، واسم الغال : كركرة . (٣) حديث : إن فى الناس من كان يربى فى الدراهم والدنانير ؛ وماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس الدراهم بالكلية ، هذا معروف ، وسيأتى حديث جابر بعده بحديث . وهو يدل على ذلك .

(٤) حديث « استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك » قاله لوابصة تقدم .

قلبه ، فإن حاك فى صدره شىء فهو الإثم بينه وبين الله ، فلا ينجيه فى الآخرة فتوى المفتى ، فإنه يفتى بالظاهر والله يتولى السرائر .

القسم الثالث : أن يختلط حرام لايحصر بحلال لايحصر ، كحكم الأموال فى زماننا هذا ، فالذى يأخذ الأحكام من الصور قد يظن أن نسبة غير المحصور إلى غير المحصور كنسبة المحصور إلى المحصور ، وقد حكمنا ثم بالتحريم ، فلنحكم هنا به : والذى نختاره خلاف ذلك : وهو أنه لايحرم بهذا الاختلاط أن يتناول شىء بعينه احتمل أنه حرام وأنه حلال ، إلا أن يقترن بتلك العين علامة تدل على أنه من الحرام ، فإن لم يكن فى العين علامة تدل على أنه من الحرام فتركه ورع وأخذه حلال لايفسق به آكله . ومن العلامات : أن يأخذه من يد سلطان ظالم ، إلى غير ذلك من العلامات التى سيأتى ذكرها ، ويدل عليه الأثر والقياس ، فأما الأثر . فما علم فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده ، إذ كانت أثمان الخمور ودراهم الربا من أيدى أهل الذمة مختلطة بالأموال ، وكذا غلول الأموال ، وكذا غلول الغنيمة ، ومن الوقت الذى نهى صلى الله عليه وسلم عن الربا إذ قال « أول ربا أضعه ربا العباس [1] » ماترك الناس الربا بأجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمور وسائر المعاصى ، حتى روى أن بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم باع الخمر ، فقال عمر رضى الله عنه . لعن الله فلانا هو أول من سن بيع الخمر ، إذ لم يكن قد فهم أن تحريم الخمر تحريم لثمنها . وقال صلى الله عليه وسلم « إن فلانا يجر فى النار عباءة قد غلها [2] » ، وقتل رجل ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزات من خرز اليهود لاتساوى درهمين قد غلها [3] ، وكذلك أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراء الظلمة ولم يمتنع أحد منهم عن الشراء والبيع فى السوق بسبب نهب المدينة وقد نهبها أصحاب يزيد ثلاثة أيام ، وكان من يمتنع من تلك الأموال مشارا إليه فى الورع ، والأكثرون لم يمتنعوا مع الاختلاط وكثرة الأموال المنهوبة فى أيام الظلمة . ومن أوجب مالم يوجبه السلف الصالح وزعم أنه تفطن من الشر مالم يتفطنوا له فهو موسوس مختل العقل ولو جاز أن يزاد عليهم فى أمثال هذا لجاز مخالفتهم فى مسائل لامستند فيها سوى اتفاقهم كقولهم « إن الجدة كالأم فى التحريم وابن الابن كالابن وشعر الخنزير وشحمه كاللحم المذكور تحريمه فى القرآن ، والربا جار فيما عدا الأشياء الستة . وذلك محال فإنهم أولى بفهم الشرع من غيرهم . واما القياس فهو أنه لوفتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات وخرب العالم إذ الفسق يغلب على الناس ويتساهلون بسببه فى شروط الشرع فى العقود ويؤدى ذلك لامحالة إلى الاختلاط .

« فإن قيل . فقد نقلتم أنه صلى الله عليه وسلم امتنع من الضب وقال « أخشى أن يكون مما مسخه الله » وهو فى اختلاط غير المحصور ؟ قلنا يحمل ذلك على التنزه والورع أو نقول الضب شكل غريب ربما يدل على أنه من المسخ فهى دلالة فى عين المتناول .

« فإن قيل هذا معلوم فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة بسبب الربا والسرقة والنهب وغلول الغنيمة وغيرها ولكن كانت هى الأقل بالإضافة إلى الحلال فماذا تقول فى زماننا وقد صار الحرام أكثر مافى أيدى الناس لفساد المعاملات وإهمال شروطها وكثرة الربا وأموال السلاطين الظلمة ، فمن أخذ مالا لم يشهد

(١) حديث « أول ربا أضعه ربا العباس » أخرجه مسلم من حديث جابر .

(٢) حديث « إن فلانا فى النار يجر عباءة قد غلها » رواه البخارى من حديث عبدالله بن عمر ، وتقدم قبله بثلاثة أحاديث .

(٣) حديث : قتل رجل ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزا من خرز اليهود لايساوى درهمين قد غله . رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث زيد بن خالد الجهنى .

عليه علامة معينة فى عينه للتحريم فهل هو حرام أم لا ؟ فأقول ليس ذلك حراما وإنما الورع تركه وهذا الورع أهم من الورع إذا كان قليلا .

ولكن الجواب عن هذا أن قول القائل أكثر الأموال حرام فى زماننا غلط محض ومنشؤه الغفلة عن الفرق بين الكثير والأكثر فأكثر الناس بل أكثر الفقهاء يظنون أن ماليس بنادر فهو الأكثر ويتوهمون أنهما قسمان متقابلان ليس بينهما ثالث وليس كذلك بل الأقسام ثلاثة قليل وهو النادر وكثير وأكثر ومثاله أنّ الخنثى فيما بين الخلق نادر وإذا أضيف إليه المريض وجد كثيراً وكذا السفر حتى يقال المرض والسفر من الأعذار العامة والاستحاضة من الأعذار النادرة ، ومعلوم أنّ المرض ليس بنادر وليس بالأكثر أيضاً بل هو كثير . والفقيه إذا تساهل وقال المرض والسفر غالب وهو عذر عام أراد به أنه ليس بنادر فإن لم يرد هذا فهو غلط والصحيح والمقيم هو الأكثر والمسافر والمريض كثير والمستحاضة والخنثى نادر . فإذا فهم هذا فنقول : قول القائل الحرام أكثر باطل لأن مستند هذا القائل إما أن يكون كثرة الظلمة والجندية أو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة أو كثرة الأيدى التى تكررت من أول الإسلام إلى زماننا هذا على أصول الأموال الموجودة اليوم . أما المستند الأول فباطل فإن الظالم كثير وليس هو بالأكثر فإنهم الجندية إذ لايظلم إلا ذو غلبة وشوكة وهم إذا أضيفوا إلى كل العالم لم يبلغوا عشر عشيرهم ، فكل سلطان يجتمع عليه من الجنود مائة ألف مثلا فيملك إقليما يجمع ألف ألف وزيادة ولعل بلدة واحدة من بلاد مملكته يزيد عددها على جميع عسكره ، ولو كان عدد السلاطين أكثر من عدد الرعايا لهلك الكل إذ كان يجب على كل واحد من الرعية أن يقوم بعشرة منهم مثلا مع تنعمهم فى المعيشة ولايتصور ذلك بل كفاية الواحد كان منهم تجمع من ألف من الرعية وزيادة ، وكذا القول فى السراق فإن البلدة الكبيرة تشتمل منهم على قدر قليل . وأما المستند الثانى وهو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة فهى أيضاً كثيرة وليست بالأكثر إذ أكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع فعدد هؤلاء أكثر والذى يعامل بالربا أو غيره فلو عددت معاملاته وحده لكان عدد الصحيح منها يزيد على الفاسد إلا أن يطلب الإنسان بوهمه فى البلد مخصوصا بالمجانة والخبث وقلة الدين حتى يتصور أن يقال معاملاته الفاسدة أكثر ، ومثل ذلك المخصوص نادر وإن كان كثيراً فليس بالأكثر لو كان كل معاملاته فاسدة كيف ولايخلو هو أيضا عن معاملات صحيحة تساوى الفاسدة أو تزيد عليها وهذا مقطوع به لمن تأمله وإنما غلب هذا على النفوس لاستكثار النفوس الفساد واستبعادها إياه واستعظامها له وإن كان نادراً حتى ربما يظن أن الربا وشرب الخمر قد شاع كما شاع الحرام فيتخيل أنهم الأكثرون وهو خطأ فإنهم الأقلون وإن كان فيهم كثرة . وأما المستند الثالث وهو أخيلها أن يقال الأموال إنما تحصل من المعادن والنبات والحيوان ، والنبات والحيوان حاصلان بالتوالد ، فإذا نظرنا إلى شاة مثلا وهى تلد فى كل سنة فيكون عدد أصولها إلى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من خمسمائة ولايخلو هذا أن يتطرق إلى أصل من تلك الأصول غصب أو معاملة فاسدة فكيف يقدر أن تسلم أصولها عن تصرف باطل إلى زماننا هذا ؟ وكذا بذور الحبوب والفواكه تحتاج إلى خمسمائة أصل أو ألف أصل مثلا إلى أول زمان الشرع ولايكون هذا حلالا مالم يكن أصله وأصل أصله كذلك إلى أول زمان النبوة حلالا وأما المعادن فهى التى يمكن نيلها على سبيل الابتداء وهى أقل الأموال وأكثر ما يستعمل منها الدراهم والدنانير ولا تخرج إلا من دار الضرب وهى فى أيدى الظلمة مثل المعادن فى أيديهم يمنعون الناس منها ويلزمون الفقراء استخراجها بالأعمال الشاقة ثم يأخذونها منهم غصبا فإذا نظر إلى هذا علم أن بقاء دينار واحد بحيث لايتطرق إليه عقد فاسد

ولا ظلم وقت النيل ولا وقت الضرب فى دار الضرب ولابعده فى معاملات الصرف والربا بعيد نادر أو محال فلا يبقى إذن حلال إلا الصيد والحشيش فى الصحارى الموات والمفاوز والحطب المباح ثم من يحصله لايقدر على أكله فيفتقر إلى أن يشترى به الحبوب والحيوانات التى لاتحصل إلا بالاستنبات والتوالد فيكون قد بذل حلالا فى مقابلة حرام فهذا هو أشد الطرق تخيلا . والجواب أن هذه الغلبة لم تنشأ من كثرة الحرام المخلوط بالحلال فخرج عن النمط الذى نحن فيه والتحق بما ذكرناه من قبل وهو تعارض الأصل والغالب إذ الأصل فى هذه الأموال قبولها للتصرفات وجواز التراضى عليها وقد عارضه سبب غالب يخرجه عن الصلاح له فيصاهى هذا محل القولين للشافعى رضى الله عنه فى حكم النجاسات ، والصحيح عندنا أنه تجوز الصلاة فى الشوارع إذا لم يجد فيها نجاسة فإن طين الشوارع طاهر وأن الوضوء من أوانى المشركين جائز وأن الصلاة فى المقابر المنبوشة جائزة فثبت هذا أولا ثم نقيس مانحن فيه عليه ، ويدل على ذلك توضؤ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مزادة مشركة ، وتوضؤ عمر رضى الله عنه من جرة نصرانية مع أن مشربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولايحترزون عما نجسه شرعنا ، فكيف تسلم أوانيهم من أيديهم ؟ بل نقول نعلم قطعا أنهم كانوا يلبسون الفراء المدبوغة والثياب المصبوغة والمقصورة ، ومن تأمل أحوال الدباغين والقصارين والصباغين علم أن الغالب عليهم النجاسة ، وأنّ الطهارة فى تلك الثياب محال أو نادر ، بل نقول نعلم أنهم كانوا يأكلون خبز البر والشعير ولا يغسلونه مع أنه يداس بالبقر والحيوانات وهى تبول عليه وتروث وقلما يخلص منها وكانوا يركبون الدواب وهى تعرق وما كانوا يغسلون ظهورها مع كثرة تمرغها فى النجاسات بل كل دابة تخرج من بطن أمها وعليها رطوبات نجسة قد تزيلها الأمطار وقد لاتزيلها وما كان يحترز عنها ، وكانوا يمشون حفاة فى الطرق وبالنعال ويصلون معها ويجلسون على التراب ويمشون فى الطين من غير حاجة ، وكانوا لايمشون فى البول والعذرة ولايجلسون عليهما ويستنزهون منه ، ومتى تسلم الشوارع عن النجاسات مع كثرة الكلاب وأبوالها وكثرة الدواب وأرواثها ؟ ولاينبغى أن نظن أن الأعصار أو الأمصار تختلف فى مثل هذا حتى يظن أن الشوارع كانت تغسل فى عصرهم أوكانت تحرس من الدواب هيهات فذلك معلوم استحالته بالعادة قطعا فدل على أنهم لم يحترزوا إلا من نجاسة مشاهدة أوعلامة على النجاسة دالة على العين . فأما الظن الغالب الذى يستثار من رد الدراهم إلى مجارى الأحوال فلم يعتبروه وهذا عند الشافعى رحمه الله وهو يرى أن الماء القليل ينجس من غير تغير واقع إذ لم يزل الصحابة يدخلون الحمامات ويتوضئون من الحياض وفيها المياه القليلة والأيدى المختلفة تغمس فيها على الدوام ، وهذا قاطع فى هذا الغرض ومهما ثبت جواز التوضؤ من جرة نصرانية ثبت جواز شربه والتحق حكم الحل بحكم النجاسة .

* فإن قيل : لا يجوز قياس الحل على النجاسة إذ كانوا يتوسعون فى أمور الطهارات ويحترزون من شبهات الحرام غاية التحرز فكيف يقاس عليها ؟ قلنا إن أريد به أنهم صلوا معها مع النجاسة والصلاة معصية وهى عماد الدين فبئس الظن بل يجب أن نعتقد فيهم أنهم احترزوا عن كل نجاسة وجب اجتنابها وإنما تسامحوا حيث لم يجب وكان فى محل تسامحهم هذه الصورة التى تعارض فيها الأصل والغالب فبان أنّ الغالب الذى لا يستند إلى علامة تتعلق بعين ما فيه النظر مطرح ، وأما تورعهم فى الحلال فكان بطريق التقوى وهو ترك مالا بأس به مخافة ما به بأس لأنّ أمر الأموال مخوف والنفس تميل إليها إن لم تضبط عنها ، وأمر الطهارة ليس كذلك فقد امتنع طائفة منهم عن الحلال المحض خيفة أن يشغل قلبه . وقد حكى عن واحد منهم أنه احترز من الوضوء بماء البحر وهو الطهور المحض ، فالافتراق فى ذلك لايقدح فى الغرض الذى أجمعنا فيه ، على أنا نجرى فى هذا المستند

على الجواب الذى قدمنا فى المستندين السابقين ولا نسلم ماذكروه من أنّ الأكثر هو الحرام لأنّ المال وإن كثرت أصوله فليس بواجب أن يكون فى أصوله حرام بل الأموال الموجودة اليوم مما تطرق الظلم إلى أصول بعضها دون بعض ، وكما أن الذى يبتدأ غصبه اليوم هو الأقل بالإضافة إلى مالا يغصب ولايسرق فهكذا كل مال فى كل عصر وفى كل أصل فالمغصوب من مال الدنيا والمتناول فى كل زمان بالفساد بالإضافة إلى غيره أقل ، ولسنا ندرى أنّ هذا الفرع بعينه من أى القسمين ؟ فلا نسلم أن الغالب تحريمه فإنه كما يزيد المغصوب بالتوالد يزيد غير المغصوب بالتوالد فيكون فرع الأكثر لامحالة فى كل عصر وزمان أكثر ، بل الغالب أن الحبوب المغصوبة تغصب للأكل لا للبذر وكذا الحيوانات المغصوبة أكثرها يؤكل ولا يقتنى للتوالد فكيف يقال إن فروع الحرام أكثر ولم تزل أصول الحلال أكثر من أصول الحرام ؟ وليتفهم المسترشد من هذا طريق معرفة الأكثر فإنه مزلة قدم وأكثر العلماء يغلطون فيه فكيف العوام ؟ هذا فى المتولدات من الحيوانات والحبوب فأما المعادن فإنها مخلاة مسبلة يأخذها فى بلاد الترك وغيرها من شاء ولكن قد يأخذ السلاطين بعضها منهم أو يأخذون الأقل لا محالة لا الأكثر ، ومن حاز من السلاطين معدنا فظلمه يمنع الناس منه فأما ما يأخذه الآخذ منه فيأخذه من السلطان بأجرة والصحيح أنه يجوز الاستنابة فى إثبات اليد على المباحات والاستئجار عليها ، فالمستأجر على الاستقاء إذا حاز الماء دخل فى ملك المستقى له واستحق الأجرة فكذلك النيل فإذا فرعنا على هذا لم تحرم عين الذهب إلا أن يقدر ظلمه بنقصان أجرة العمل وذلك قليل بالإضافة ثم لايوجب تحريم عين الذهب بل يكون ظالما ببقاء الأجرة فى ذمته ، وأما دار الضرب فليس الذهب الخارج منها من أعيان ذهب السلطان الذى غصبه وظلم به الناس بل التجار يحملون إليهم الذهب المسبوك أو النقد الردىء ويستأجرونهم على السبك والضرب ويأخذون مثل وزن ماسلموه إليهم إلا شيئا قليلا يتركونه أجرة لهم على العمل وذلك جائز ، وإن فرض دنانير مضروبة من دنانير السلطان فهو بالإضافة إلى مال التجار أقل لا محالة ، نعم السلطان يظلم أجراء دار الضرب بأن يأخذ منهم ضريبة لأنه خصصهم بها من بين سائر الناس حتى توفر عليهم مال بحشمة السلطان فما يأخذه السلطان عوض من حشمته وذلك من باب الظلم وهو قليل بالإضافة إلى ما يخرج من دار الضرب فلا يسلم لأهل دار الضرب والسلطان من جملة مايخرج منه من المائة واحد وهو عشر العشير فكيف يكون هو الأكثر ؟ فهذه أغاليط سبقت إلى القلوب بالوهم وتشمر لتزيينها جماعة ممن رق دينهم حتى قبحوا الورع وسدّوا بابه واستقبحوا تمييز من يميز بين مال ومال وذلك عين البدعة والضلال .

* فإن قيل : فلو قدر غلبة الحرام وقد اختلط غير محصور بغير محصور فماذا تقولون فيه إذا لم يكن فى العين المتناولة علامة خاصة ؟ فنقول الذى نراه أن تركه ورع وأن أخذه ليس بحرام لأن الأصل الحل ولايرفع إلا بعلامة معينة كما فى طين الشوارع ونظائرها . بل ازيد وأقول : لوطبق الحرام الدنيا حتى علم يقينا أنه لم يبق فى الدنيا حلال لكنت أقول نستأنف تمهيد الشروط من وقتنا ونعفو عما سلف ونقول ماجاوز حدّه انعكس إلى ضدّه فهما حرم الكل حل الكل : وبرهانه أنه إذا وقعت هذه الواقعة فالاحتمالات خمسة (أحدها) أن يقال يدع الناس الأكل حتى يموتوا من عند آخرهم . (الثانى) أن يقتصروا منها على قدر الضرورة وسدّالرمق يزجون عليها أياما إلى الموت . (الثالث) أن يقال يتناولون قدر الحاجة كيف شاءوا سرقة وغصبا وتراضيا من غير تمييز بين مال ومال . وجهة وجهة . (الرابع) أن يتبعوا شروط الشرع ويستأنفوا قواعده من غير اقتصار على قدر الحاجة . (الخامس)

أن يقتصروا مع شروط الشرع على قدر الحاجة . أما الأول فلا يخفى بطلانه . وأما الثانى فباطل قطعا لأنه إذا اقتصر الناس على سد الرمق وزجوا أوقاتهم على الضعف فشا فيهم الموتان وبطلت الأعمال والصناعات وخربت الدنيا بالكلية - وفى خراب الدنيا خراب الدين لأنها مزرعة الآخرة - وأحكام الخلافة والقضاء والسياسات بل أكثر أحكام الفقه مقصودها حفظ مصالح الدنيا ليتم بها مصالح الدين . وأما الثالث وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير زيادة عليه مع التسوية بين مال ومال بالغصب والسرقة والتراضى وكيفما اتفق فهو رفع لسد الشرع بين المفسدين وبين أنواع الفساد فتمتد الأيدى بالغصب والسرقة وأنواع الظلم ولا يمكن زجرهم منه إذ يقولون ليس يتميز صاحب اليد باستحقاق عنا فإنه حرام عليه وعلينا وذو اليد له قدر الحاجة فقط فإن كان هو محتاجا فإنا أيضا محتاجون وإن كان الذى أخذته فى حق زائدا على الحاجة فقد سرقته ممن هو زائد على حاجته يومه وإذا لم يراع حاجة اليوم والسنة فما الذى نراعى وكيف يضبط ؟ وهذا يؤدى إلى بطلان سياسة الشرع وإغراء أهل الفساد بالفساد ، فلا يبقى إلا الاحتمال الرابع وهو أن يقال كل ذى يد على ما فى يده وهو أولى به لايجوز أن يؤخذ منه سرقة وغصبا بل يؤخذ برضاه والتراضى هو طريق الشرع وإذ لم يجز إلا بالتراضى فللتراضى أيضا منهاج فى الشرع تتعلق به المصالح ، فإن لم يعتبر فلم يتعين أصل التراضى وتعطل تفصيله ؟ وأما الاحتمال الخامس وهو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من أصحاب الأيدى فهو الذى نراه لائقا بالورع لمن يريد سلوك طريق الآخرة ولكن لاوجه لإيجابه على الكافة ولا لإدخاله فى فتوى العامة لأن أيدى الظلمة تمتد إلى الزيادة على قدر الحاجة فى أيدى الناس وكذا أيدى السراق ، وكل من غلب سلب وكل من وجد فرصة سرق ويقول لا حق له إلا فى قدر الحاجة وأنا محتاج ولا يبقى إلا أن يجب على السلطان أن يخرج كل زيادة على قدر الحاجة من أيدى الملاك ويستوعب بها أهل الحاجة ويدر على الكل الأموال - يوما فيوما أو سنة فسنة - وفيه تكليف شطط وتضييع أموال ، أما تكليف الشطط فهو أن السلطان لا يقدر على القيام بهذا مع كثرة الخلق بل لايتصور ذلك أصلا وأما التضييع فهو أن مافضل عن الحاجة من الفواكه واللحوم والحبوب ينبغى أن يلقى فى البحر أو يترك حتى يتعفن فإن الذى خلقه الله من الفواكه والحبوب زائد عن قدر توسع الخلق وترفههم فكيف على قدر حاجتهم ؟ ثم يؤدى ذلك إلى سقوط الحج والزكاة والكفارات المالية وكل عبادة نيطت بالغنى عن الناس إذا أصبح الناس لايملكون إلا قدر حاجتهم وهو فى غاية القبح ، بل أقول لو ورد نبى فى مثل هذا الزمان لوجب عليه أن يستأنف الأمر ويمهد تفصيل أسباب الأملاك بالتراضى وسائر الطرق ويفعل مايفعله لو وجد جميع الأموال حلالا من غير فرق .

وأعنى بقولى : يجب عليه ، إذا كان النبى ممن بعث لمصلحة الخلق فى دينهم ودنياهم إذ لا يتم الصلاح برد الكافة إلى قدر الضرورة والحاجة إليه فإن لم يبعث للصلاح لم يجب هذا . ونحن نجوز أن يقدر الله سببا يهلك به الخلق عن آخرهم فيفوت دنياهم ويضلون فى دينهم فإنه يضل من يشاء ويهدى من يشاء ويميت من يشاء ويحيى من يشاء ولكنا نقدر الأمر جاريا على ماألف من سنة الله تعالى فى بعثة الأنبياء لصلاح الدين والدنيا . ومالى أقدر هذا وقد كان ماأقدره ، فلقد بعث الله نبينا صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وكان شرع عيسى عليه السلام قد مضى عليه قريب من ستمائة سنة والناس منقسمون إلى مكذبين له من اليهود وعبدة الأوثان وإلى مصدقين له قد شاع الفسق فيهم كما شاع فى زماننا الآن والكفار مخاطبون بفروع الشريعة . والأموال كانت فى أيدى المكذبين له والمصدقين ، أما المكذبون فكانوا يتعاملون بغير شرع عيسى عليه السلام وأما المصدقون فكانوا يتساهلون مع أصل التصديق

كما يتساهل الآن المسلمون مع أن العهد بالنبوة أقرب فكانت الأموال كلها أو أكثرها أو كثير منها حراما . وعفا صلى الله عليه وسلم عما سلف ولم يتعرض له وخصص أصحاب الأيدى بالأموال ومهد الشرع وما ثبت تحريمه فى شرع لا ينقلب حلالا لبعثة رسول ولا ينقلب حلالا بأن يسلم الذى فى يده الحرام ، فإنا لا نأخذ فى الجزية من أهل الذمة ما نعرفه بعينه أنه ثمن خمر أومال ربا فقد كانت أموالهم فى ذلك الزمان كأموالنا الآن ، وأمر العرب كان أشد لعموم النهب والغارة فيهم . فبان أن الاحتمال الرابع متعين فى الفتوى ، والاحتمال الخامس هو طريق الورع ، بل تمام الورع الاقتصار فى المباح على قدر الحاجة وترك التوسع فى الدنيا بالكلية وذلك طريق الآخرة . ونحن الآن نتكلم فى الفقه المنوط بمصالح الخلق وفتوى الظاهر له حكم ومنهاج على حسب مقتضى المصالح وطريق الدين الذى لا يقدر على سلوكه إلا الآحاد ولو اشتغل الخلق كلهم به لبطل النظام وخرب العالم فإن ذلك طلب ملك كبير فى الآخرة ولو اشتغل كل الخلق بطلب ملك الدنيا وتركوا الحرف الدنيئة والصناعات الخسيسة لبطل النظام ثم يبطل ببطلانه الملك أيضا . فالمحترفون إنما سخروا لينتظم الملك للملوك وكذلك المقبلون على الدنيا سخروا ليسلم طريق الدين لذوى الدين وهو ملك الآخرة ولولاه لما سلم لذوى الدين أيضا دينهم فشرط سلامة الدين لهم أن يعرض الأكثرون عن طريقهم ويشتغلوا بأمور الدنيا وذلك قسمة سبقت بها المشيئة الأزلية وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ﴾ .

* فإن قيل : لاحاجة إلى تقدير عموم التحريم حتى لايبقى حلال فإن ذلك غير واقع وهو معلوم ولاشك فى أن البعض حرام وذلك البعض هو الأقل أو الأكثر فيه نظر ، وما ذكرتموه من أنه الأقل بالإضافة إلى الكل جلى ولكن لا بد من دليل محصل على تجويزه ليس من المصالح المرسلة وما ذكرتموه من التقسيمات كلها مصالح مرسلة فلا بد لها من شاهد معين تقاس عليه حتى يكون الدليل مقبولا بالاتفاق فإن بعض العلماء لا يقبل المصالح المرسلة ؟

* فأقول : إن سلم أن الحرام هو الأقل فيكفينا برهانا عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة مع وجود الربا والسرقة والغلول والنهب وإن قدر زمان يكون الأكثر الحرام هو فيحل التناول أيضا فبرهانة ثلاثة أمور : (الأول) التقسيم الذى حصرناه وأبطلنا منه أربعة وأثبتنا القسم الخامس فإن ذلك إذا أجرى فيما إذا كان الكل حراما كان أحرى فيما إذا كان الحرام هو الأكثر أو الأقل ، وقول القائل ؛ هو مصلحة مرسلة : هوس ، فإن ذلك إنما تخيل من تخيله فى أمور مظنونة وهذا مقطوع به فإنا لانشك فى أن مصلحة الدين والدنيا مراد الشرع وهو معلوم بالضرورة ، وليس بمظنون ولا شك فى أن رد كافة الناس إلى قدر الضرورة أو الحاجة أو إلى الحشيش والصيد مخرب للدنيا أولا وللدين بواسطة الدنيا ثانيا ، فما لايشك فيه لايحتاج إلى أصل يشهد له وإنما يستشهد على الخيالات المظنونة المتعلقة بآحاد الأشخاص . (البرهان الثانى) أن يعلل بقياس محرر مردود إلى أصل يتفق الفقهاء الآنسون بالأقيسة الجزئية عليه وإن كانت الجزئيات مستحقرة عند المحصلين بالإضافة إلى مثل ما ذكرناه من الأمر الكلى الذى هو ضرورة النبى لو بعث فى زمان عم التحريم فيه حتى لو حكم بغيره لخرب العالم ، والقياس المحرر الجزئى هو أنه قد تعارض أصل وغالب فيما انقطعت فيه العلامات المعينة من الأمور التى ليست محصورة فيحكم بالأصل لا بالغالب قياسا على طين الشوارع وجرة النصرانية وأوانى المشركين ، وذلك قد أثبتناه من قبل بفعل الصحابة ، وقولنا : انقطعت العلامات المعينة ، احتراز عن الأوانى التى يتطرق الاجتهاد إليها . وقولنا : ليست محصورة ، احتراز عن التباس الميتة والرضيعة بالذكية والأجنبية .

* فإن قيل : كون الماء طهورا مستيقن وهو الأصل ومن يسلم أن الأصل فى الأموال الحل بل الأصل فيها التحريم ؟
* فنقول : الأمور لا تحرم لصفة فى عينها حرمة الخمر والخنزير خلقت على صفة تستعد لقبول المعاملات بالتراضى كما خلق الماء مستعدا للوضوء وقد وقع الشك فى بطلان هذا الاستعداد منهما فلا فرق بين الأمرين فإنها تخرج عن قبول المعاملة بالتراضى بدخول الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول الوضوء بدخول النجاسة عليه ولا فرق بين الأمرين . والجواب الثانى : أن اليد دلالة ظاهرة دالة على الملك نازلة منزلة الاستصحاب وأقوى منه بدليل أن الشرع ألحقه به إذ من ادعى عليه دين فالقول قوله لأن الأصل براءة ذمته وهذا استصحاب . ومن ادعى عليه ملك فى يده فالقول أيضا قوله إقامة لليد مقام الاستصحاب فكل ما وجد فى يد إنسان فالأصل أنه ملكه ما لم يدل على خلافه علامة معينة .

(البرهان الثالث) هو أن كل مادل على جنس لا يحصر ولا يدل على معين لم يعتبر وإن كان قطعا فبأن لا يعتبر إذا دل بطريق الظن أولى وبيانه أن ماعلم أنه ملك زيد فحقه يمنع من التصرف فيه بغير إذنه ولو علم أن له مالكا فى العالم ولكن وقع اليأس عن الوقوف عليه وعلى وارثه فهو مال مرصد لمصالح المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم المصلحة ولو دل على أن له مالكا محصورا فى عشرة مثلا أو عشرين امتنع التصرف فيه بحكم المصلحة فالذى يشك فى أن له مالكا سوى صاحب اليد أم لا ؟ لا يزيد على الذى يتيقن قطعا أن له مالكا ولكن لا يعرف عينه فليجز التصرف فيه بالمصلحة والمصلحة ما ذكرناه فى الأقسام الخمسة ، فيكون هذا الأصل شاهدا له وكيف لا وكل مال ضائع فقد مالكه يصرفه السلطان إلى المصالح ومن المصالح الفقراء وغيرهم ، فلو صرف إلى فقير ملكه ونفذ فيه تصرفه فلو سرقه منه سارق قطعت يده فكيف نفذ تصرفه فى ملك الغير ليس ذلك إلا لحكمنا بأن المصلحة تقتضى أن ينتقل الملك إليه ويحل له فقضينا بموجب المصلحة .

* فإن قيل : ذلك يختص بالتصرف فيه السلطان ؟ فنقول : والسلطان لم يجوز له التصرف فى ملك غيره بغير إذنه لا سبب له إلا المصلحة وهو أنه لو ترك لضاع فهو مردد بين تضييعه وصرفه إلى مهم والصرف إلى مهم أصلح من التضييع فرجح عليه والمصلحة فيما يشك فيه ولا يعلم تحريمه أن يحكم فيه بدلالة اليد ويترك على أرباب الأيدى إذ انتزاعها بالشك وتكليفهم الاقتصار على الحاجة يؤدى إلى الضرر الذى ذكرناه ، وجهات المصلحة تختلف فإن السلطان تارة يرى أن المصلحة أن يبنى بذلك المال قنطرة وتارة أن يصرفه إلى جند الإسلام وتارة إلى الفقراء ويدور مع المصلحة كيفما دارت ، وكذلك الفتوى فى مثل هذا تدور على المصلحة وقد خرج من هذا أن الخلق غير مأخوذين فى أعيان الأموال بظنون لا تستند إلى خصوص دلالة فى ملك الأعيان كما لم يؤاخذ السلطان والفقراء الآخذون منه بعلمهم أن المال له مالك حيث لم يتعلق العلم بعين مالك مشار إليه ، ولا فرق بين عين المالك وبين عين الأملاك فى هذا المعنى فهذا بيان شبهة الاختلاط ولم يبق إلا النظر فى امتزاج المائعات والدراهم والعروض فى يد مالك واحد وسيأتى بيانه فى باب تفصيل طريق الخروج من المظالم .

المثار الثالث للشبهة : أن يتصل بالسبب المحلل معصية

إما فى قرائنه وإما فى لواحقه وإما فى سوابقه أو فى عوضه وكانت من المعاصى التى لا توجب فساد العقد وإبطال السبب المحلل .

مثال المعصية فى القرائن : البيع فى وقت النداء يوم الجمعة والذبح بالسكين المغصوبة والاحتطاب بالقدوم المغصوب

والبيع على بيع الغير والسوم على سومه فكل نهى ورد فى العقود ولم يدل على فساد العقد فإن الامتناع من جميع ذلك ورع ، وإن لم يكن المستفاد بهذه الأساليب محكوما بتحريمه . وتسمية هذا النمط شبهة فيه تسامح لأن الشبهة فى غالب الأمر تطلق لإرادة الاشتباه والجهل ولا اشتباه ههنا بل العصيان بالذبح بسكين الغير معلوم وحل الذبيحة أيضاً معلوم ولكن قد تشتق الشبهة من المشابهة ، وتناول الحاصل من هذه الأمور مكروه والكراهة تشبه التحريم فإن أريد بالشبهة هذا فتسمية هذا شبهة له وجه وإلا فينبغى أن يسمى هذا كراهة لا شبهة ، وإذا عرف المعنى فلا مشاحة فى الأسامى فعادة الفقهاء التسامح فى الاطلاقات . ثم اعلم أن هذه الكراهة لها ثلاث درجات : الأولى منها تقرب من الحرام والورع عنه مهم والأخيرة تنتهى إلى نوع من المبالغة تكاد تلتحق بورع الموسوسين وبينهما أوساط نازعة إلى الطرفين ، فالكراهة فى صيد كلب مغصوب أشد منها فى الذبيحة بسكين مغصوب أو المقتنص بسهم مغصوب إذ الكلب له اختيار وقد اختلف فى أن الحاصل به لمالك الكلب أو الصياد ، ويليه شبهة البذر المزروع فى الأرض المغصوبة فإن الزرع لمالك البذر ولكن فيه شبهة ولو أثبتنا حق الحبس لمالك الأرض فى الزرع لكان كالثمن الحرام ، ولكن الأقيس أن لا يثبت حق حبس كما لو طحن بطاحونة مغصوبة واقتنص بشبكة مغصوبة إذا لا يتعلق حق صاحب الشبكة فى منفعتها بالصيد ، ويليه الاحتطاب بالقدوم المغصوب ثم ذبحه ملك نفسه بالسكين المغصوب إذ لم يذهب أحد إلى تحريم الذبيحة ، ويليه البيع فى وقت النداء فإنه ضعيف التعلق بمقصود العقد وإن ذهب قوم إلى فساد العقد إذ ليس فيه إلا أنه اشتغل بالبيع عن واجب آخر كان عليه ، ولو أفسد البيع بمثله لأفسد بيع كل من عليه درهم زكاة أو صلاة فائتة وجوبها على الفور أو فى ذمته مظلمة دانق فإن الاشتغال بالبيع مانع له عن القيام بالواجبات فليس للجمعة إلا الوجوب بعد النداء ، وينجر ذلك إلى أن لا يصح نكاح أولاد الظلمة وكل من فى ذمته درهم لأنه اشتغل بقوله عن الفعل الواجب عليه ؛ إلا من حيث ورد فى يوم الجمعة نهى على الخصوص ربما سبق إلى الأفهام خصوصية فيه فتكون الكراهة اشد ولا بأس بالحذر منه ولكن قد ينجر إلى الوسواس حتى يتحرج عن نكاح بنات أرباب المظالم وسائر معاملاتهم . وقد حكى عن بعضهم أنه اشترى شيئا من رجل فسمع أنه اشتراه يوم الجمعة ، فرده خيفة أن يكون ذلك مما اشتراه وقت النداء وهذا غاية المبالغة أنه رد بالشك . ومثل هذا الوهم فى تقدير المناهى أو المفسدات لا ينقطع عن يوم السبت وسائر الأيام والورع حسن والمبالغة فيه أحسن ولكن إلى حد معلوم فقد قال صلى الله عليه وسلم « هلك المتنطعون[1] » فليحذر من أمثال هذه المبالغات فإنها وإن كانت لا تضر صاحبها ربما أوهم عند الغير أن مثل ذلك مهم ثم يعجز عما هو أيسر منه فيترك أصل الورع وهو مستند أكثر الناس فى زماننا هذا إذ ضيق عليهم الطريق فأيسوا عن القيام به فاطرحوه ، فكما أن الموسوس فى الطهارة قد يعجز عن الطهارة فيتركها فكذا بعض الموسوسين فى الحلال سبق إلى أوهامهم أن مال الدنيا كله حرام فتوسعوا فتركوا التميز وهو عين الضلال .

وأما مثال اللواحق : فهو كل تصرف يفضى فى سياقه إلى معصية وأعلاه بيع العنب من الخمار وبيع الغلام من المعروف بالفجور بالغلمان وبيع السيف من قطاع الطريق . وقد اختلف العلماء فى صحة ذلك وفى حل الثمن المأخوذ منه . والأقيس أن ذلك صحيح والمأخوذ حلال والرجل عاص بعقده كما يعصى بالذبح بالسكين المغصوب والذبيحة حلال ولكنه يعصى عصيان الإعانة على المعصية إذ لا يتعلق ذلك بعين العقد فالمأخوذ من هذا مكروه كراهية شديدة وتركه من الورع المهم وليس بحرام ، ويليه فى الرتبة بيع العنب ممن يشرب الخمر ولم يكن خمارا وبيع السيف ممن

(١) حديث « هلك المتنطعون » أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود ، وتقدم فى قواعد العقائد .

يغزو ويظلم أيضاً لأن الاحتمال قد تعارض . وقد كره السلف بيع السيف فى وقت الفتنة خيفة أن يشتريه ظالم فهذا ورع فوق الأول والكراهية فيه أخف ، ويليه ماهو مبالغة ويكاد يلتحق بالوسواس وهو قول جماعة أنه لايجوز معاملة الفلاحين بآلات الحارث لأنهم يستعينون بها على الحراثة ويبيعون الطعام من الظلمة ولايباع منهم البقر والفدان وآلات الحرث وهذا ورع الوسوسة إذ ينجر إلى أن لايباع من الفلاح طعام لأنه يتقوى به على الحراثة ولايسقى من الماء العام لذلك ، وينتهى هذا إلى حد التنطع المنهى عنه . وكل متوجه إلى شىء على قصد خير لابد وأن يسرف إن لم يذمه العلم المحقق ، وربما يقدم على مايكون بدعة فى الدين ليستضر الناس بعده بها وهو يظن أنه مشغول بالخير ؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى [1] » والمتنطعون هم الذين يخشى عليهم أن يكونوا ممن قيل فيهم ﴿ الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ وبالجملة لاينبغى للانسان أن يشتغل بدقائق الورع إلا بحضرة عالم متقن فإنه إذا جاوز ما رسم وتصرف بذهنه من غير سماع كان مايفسده أكثر مما يصلحه . وقد روى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه أحرق كرمه خوفا من أن يباع العنب ممن يتخذه خمرا . وهذا لاأعرف له وجها إن لم يعرف هو سببا خاصا يوجب الإحراق ؟ إذ ما أحرق كرمه ونخله من كان أرفع قدراً منه من الصحابة . ولو جاز هذا لجاز قطع الذكر خيفة من الزنا وقطع اللسان خيفة من الكذب إلى غير ذلك من الإتلافات .

وأما المقدمات : فلتطرق المعصية إليها ثلاث درجات : (الدرجة العليا) التى يشتد الكراهة فيها : مابقى أثره فى المتناول كالأكل من شاة علفت بعلف مغصوب أو رعت فى مرعى حرام فإن ذلك معصية وقد كان سبباً لبقائها وربما يكون الباقى من دمها ولحمها وأجزائها من ذلك العلف ، وهذا الورع مهم وإن لم يكن واجبا ، ونقل ذلك عن جماعة من السلف . وكان لأبى عبد الله الطوسى التروغندى شاة يحملها على رقبته كل يوم إلى الصحراء ويرعاها وهو يصلى وكان يأكل من لبنها فغفل عنها ساعة فتناولت من ورق كرم على طرف بستان فتركها فى البستان ولم يستحل أخذها .

* فإن قيل : فقد روى عن عبد الله بن عمر وعبيد الله أنهما اشتريا إبلا فبعثاها إلى الحمى فرعتها إبلهما حتى سمنت ؛ فقال عمر رضى الله عنه : أرعيتماها فى الحمى ؟ فقالا : نعم ؟ فشاطرهما . فهذا يدل على أنه رأى اللحم الحاصل من العلف لصاحب العلف فليوجب هذا تحريما * قلنا : ليس كذلك فإن العلف يفسد بالأكل واللحم خلق جديد وليس عين العلف فلا شركة لصاحب العلف شرعا ولكن عمر غرمهما قيمة الكلأ ورأى ذلك مثل شطر الإبل فأخذ الشطر بالاجتهاد ، كما شاطر سعد بن أبى وقاص ماله لما أن قدم من الكوفة ، وكذلك شاطر أبا هريرة رضى الله عنه إذ رأى أن كل ذلك لايستحقه العامل ورأى شطر ذلك كافيا على حق عملهم وقدره بالشطر اجتهادا .

(الرتبة الوسطى) مانقل عن بشر بن الحارث من امتناعه عن الماء المساق فى نهر احتفره الظلمة لأن النهر موصل إليه وقد عصى الله بحفره . وامتنع آخر عن عنب كرم يسقى بماء يجرى فى نهر حفر ظلما وهو أرفع منه وأبلغ فى الورع . وامتنع آخر من الشرب من مصانع السلاطين فى الطرق . وأعلى من ذلك امتناع ذى النون من طعام حلال أوصل إليه على يد سجان ، وقوله : إنه جاءنى على يد ظالم ، ودرجات هذه الرتب لاتنحصر . (الرتبة الثالثة) وهى قريب من الوسواس والمبالغة : أن يمتنع من حلال وصل على يد رجل عصى الله بالزنا أو القذف وليس هو كالعصى بأكل

(١) حديث « فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى » تقدم فى العلم .

الحرام فإن الموصل قوته الحاصلة من الغذاء الحرام والزنا والقذف لا يوجب قوة يستعان بها على الحل بل الامتناع من أخذ حلال وصل على يد كافر وسواس ، بخلاف أكل الحرام إذ الكفر لايتعلق بحمل الطعام وينجر هذا إلى أن لايؤخذ من يد من عصى الله ولو بغيبة أو كذبة وهو غاية التنطع والإسراف فليضبط ماعرف من ورع ذى النون وبشر بالمعصية فى السبب الموصل كالنهر وقوة اليد المستفادة بالغذاء الحرام . ولو امتنع عن الشرب بالكوز لأن صانع الفخار الذى عمل الكوز كان قد عصى الله يوما بضرب إنسان أو شتمه لكان هذا وسواسا . ولوامتنع من لحم شاة ساقها آكل حرام فهذا أبعد من يد السجان لأن الطعام يسوقه قوة السجان والشاة تمشى بنفسها والسائق يمنعها عن العدول فى الطريق فقط فهذا قريب من الوسواس . فانظر كيف تدرّجنا فى بيان ما تتداعى إليه هذه الأمور . واعلم أن كل هذا خارج عن فتوى علماء الظاهر فإن فتوى الفقيه تختص بالدرجة الأولى التى يمكن تكليف عامة الخلق بها ولو اجتمعوا عليه لم يخرب العالم دون ماعداه من ورع المتقين والصالحين . والفتوى فى هذا ماقاله صلى الله عليه وسلم لوابصة إذ قال « استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك » وعرف ذلك إذ قال « الإثم حزاز القلوب [1] » وكل ماحاك فى صدر المريد من هذه الأسباب فلو أقدم عليه مع حزازة القلب استضربه وأظلم قلبه بقدر الحزازة التى يجدها بل لو أقدم على حرام فى علم الله وهو يظن أنه حلال لم يؤثر ذلك فى قساوة قلبه ، ولو أقدم على ماهو حلال فى فتوى علماء الظاهر ولكنه يجد حزازة فى قلبه فذلك يضره . وإنما الذى ذكرناه فى النهى عن المبالغة أردنا به أن القلب الصافى المعتدل هو الذى لايجد حزازة فى مثل تلك الأمور فإن مال قلب موسوس عن الاعتدال ووجد الحزازة فأقدم مع مايجد فى قلبه فذلك يضره لأنه مأخوذ فى حق نفسه بينه وبين الله تعالى بفتوى قلبه . وكذلك يشدد على الموسوس فى الطهارة ونية الصلاة فإنه إذا غلب على قلبه أن الماء لم يصل إلى جميع أجزائه بثلاث مرات لغلبة الوسوسة عليه فيجب عليه أن يستعمل الرابعة وصار ذلك حكما فى حقه وإن كان مخطئا فى نفسه ، أولئك قوم شدّدوا فشدّد الله عليهم ، ولذلك شدّد على قوم موسى عليه السلام لما استقصوا فى السؤال عن البقرة ولو أخذوا أولا بعموم لفظ البقرة وكل ماينطلق عليه الاسم لأجزأهم ذلك . فلا تغفل عن هذه الدقائق التى رددناها نفيا وإثباتا فإن من لايطلع على كنه الكلام ولايحيط بمجامعه يوشك أن يزل فى درك مقاصده .

وأما المعصية فى العوض فله أيضاً درجات (الدرجة العليا) التى تشتد الكراهة فيها أن يشترى شيئا فى الذمة ويقضى ثمنه من غصب أو مال حرام فينظر فإن سلم إليه البائع الطعام قبل قبض الثمن بطيب قلبه فأكله قبل قضاء الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالإجماع أعنى قبل قضاء الثمن ولاهو أيضا من الورع المؤكد فإن قضى الثمن بعد الأكل من الحرام فكأنه لم يقض الثمن ، ولو لم يقضه أصلا لكان متقلدا للمظلمة بترك ذمته مرتهنة بالدين ولاينقلب ذلك حراما . فإن قضى الثمن من الحرام وأبرأه البائع مع العلم بأنه حرام فقد برئت ذمته ولم يبق عليه إلا مظلمة تصرفه فى الدراهم الحرام بصرفها إلى البائع وإن أبراه على ظن أنّ الثمن حلال فلا تحصل البراءة لأنه يبرئه مما أخذه إبراء استيفاء ولايصلح ذلك للإيفاء . هذا حكم المشترى والآكل منه وحكم الذمة وإن لم يسلم إليه بطيب قلب ولكن أخذه فأكله حرام سواء أكله قبل توفية الثمن من الحرام أو بعده لأن الذى تومئ الفتوى به ثبوت حق الحبس للبائع حتى يتعين ملكه بإقباض النقد كما تعين ملك المشترى ، وإنما يبطل حق حبسه إما بالإبراء

(١) حديث « الإثم حزاز القلوب » تقدم فى العلم .

أو الاستيفاء ولم يجر شيء منهما ولكنه أكل ملك نفسه وهو عاص به عصيان الراهن للطعام إذا أكله بغير إذن المرتهن ، وبينه وبين أكل طعام الغير فرق ولكن أصل التحريم شامل ، هذا كله إذا قبض قبل توفية الثمن إما بطيبة قلب البائع أو من غير طيبة قلبه . فأما إذا وفى الثمن الحرام أولا ثم قبض فإن كان البائع عالما بأن الثمن حرام ومع هذا أقبض المبيع بطل حق حبسه وبقى له الثمن فى ذمته إذ ما أخذه ليس بثمن ولا يصير أكل المبيع حراما بسبب بقاء الثمن فأما إذا لم يعلم أنه حرام وكانت بحيث لو علم لما رضى به ولا أقبض المبيع فحق حبسه لايبطل بهذا التلبيس فأكله حرام تحريم أكله المرهون إلى أن يبرئه أو يوفى من حلال أو يرضى هو بالحرام ويبرئ فيصح إبراؤه ولايصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه وبيان الحكم فى الدرجة الأولى من الحلال والحرمة فأما الامتناع عنه فمن الورع المهم لأن المعصية إذا تمكنت من السبب الموصل إلى الشيء تشتد الكراهية فيه ـ كما سبق ـ وأقوى الأسباب الموصلة الثمن ولولا الثمن الحرام لما رضى الله البائع بتسليمه إليه فرضاه لايخرجه عن كونه مكروها كراهية شديدة ولكن العدالة لاتنخرم به وتزول به درجة التقوى والورع . ولو اشترى سلطان مثلا ثوبا أو أرضا فى الذمة وقبضه برضا البائع قبل توفية الثمن وسلمه إلى فقيه أو غيره صلة أو خلعة وهو شاك فى أنه سيقضى ثمنه من الحلال أو الحرام فهذا أخف إذ وقع الشك فى تطرق المعصية إلى الثمن وتفاوت خفته بتفاوت كثرة الحرام وقلته فى مال ذلك السلطان ومايغلب على الظن فيه وبعضه أشد من بعض والرجوع فيه إلى ماينقدح فى القلب (الرتبة الوسطى) أن لا يكون العوض غصبا ولا حراما ولكن يتهيأ لمعصية ، كما لو سلم عوضا عن الثمن عنبا والآخذ شارب الخمر أو سيفا وهو قاطع طريق فهذا لايوجب تحريما فى مبيع اشتراه فى الذمة ولكن يقتضى فيه كراهية دون الكراهية التى فى الغصب . وتتفاوت درجات هذه الرتبة أيضا بتفاوت غلبة المعصية على قابض الثمن وندوره ومهما كان العوض حراما فبذله حرام وإن احتمل تحريمه ولكن أبيح بظن فبذله مكروه وعليه ينزل عندى النهى عن كسب الحجام وكراهته [1] إذ نهى عنه عليه السلام مرات ثم أمر بأن يعلف الناضح [2] وما سبق الى الوهم من أن سببه مباشرة النجاسة والقذر فاسد إذ يجب طرده فى الدباغ والكناس ولا قائل به وإن قيل به فلا يمكن طرده فى القصاب إذ كيف يكون كسبه مكروها وهو بدل عن اللحم واللحم فى نفسه غير مكروه ومخامرة القصاب النجاسة أكثر منه للحجام والفصاد فإن الحجام يأخذ الدم بالمحجمة ويمسحه بالقطنة ، ولكن السبب أن فى الحجامة والفصد تخريب بنية الحيوان وإخراجها لدمه وبه قوام حياته والأصل فيه التحريم وإنما يحل بضرورة وتعلم الحاجة والضرورة بحدس واجتهاد وربما يظن نافعا ويكون ضارا فيكون حراما عند الله تعالى ولكن يحكم بحله بالظن والحدس . ولذلك لايجوز للفصاد فصد صبى وعبد ومعتوه إلا بإذن وليه وقول طبيب ولولا أنه حلال فى الظاهر لما أعطى عليه السلام أجرة الحجام [3] ولولا أنه يحتمل التحريم لما نهى عنه فلا يمكن الجمع بين إعطائه ونهيه إلا باستنباط هذا المعنى . وهذا كان ينبغى أن نذكره فى القرائن المقرونة بالسبب فإنه أقرب إليه . (الرتبة السفلى) وهى درجة الموسوسين وذلك أن يحلف إنسان على

---

(١) حديث النهى عن كسب الحجام وكراهته : رواه ابن ماجه من حديث أبى مسعود الأنصارى ، والنسائى من حديث أبى هريرة باسنادين صحيحين : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كسب الحجام ، والبخارى من حديث أبى جحيفة : نهى عن ثمن الدم ، ولمسلم من حديث رافع بن خديج « كسب الحجام خبيث » . (٢) حديث : نهى عنه مرات ثم أمر بأن يعلف الناضح ، رواه أبو داود والترمذى وحسنه ، وابن ماجه من حديث محيصة أنه استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى إجارة الحجام ، فنهاه عنها ، فلم يزل يسأله ويستأذن حتى قال : أعلفه ناضحك وأطعمه رقيقك . وفى رواية لأحمد أنه زجره عن كسبه فقال : ألا أطعمه أيتامالى ، قال . لا ؟ قال : أفلا أتصدق به ؟ قال : لا ، فرخص له أن يعلفه ناضحه . (٣) حديث : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أجرة الحجام . متفق عليه من حديث ابن عباس .

أن لا يلبس من غزل أمه فباع غزلها واشترى به ثوباً فهذا لا كراهية فيه والورع عنه وسوسة . وروى عن المغيرة أنه قال فى هذه الواقعة : لا يجوز ، واستشهد بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لعن الله اليهود حرمت عليهم الخمور فباعوها وأكلوا أثمانها [1] » وهذا غلط لأن بيع الخمور باطل إذ لم يبق للخمر منفعة فى الشرع وثمن البيع الباطل حرام ، وليس هذا من ذلك بل مثال هذا أن يملك الرجل جارية هى أخته من الرضاع فتباع بجارية أجنبية فليس لأحد أن يتورع منه وتشبيه ذلك ببيع الخمر غاية السرف فى هذا الطرف . وقد عرفنا جميع الدرجات وكيفية التدريج فيها وإن كان تفاوت هذه الدرجات لا ينحصر فى ثلاث أو أربع ولا فى عدد ولكن المقصود من التعديد التقريب والتفهيم .

* فإن قيل : فقد قال صلى الله عليه وسلم « من اشترى ثوبا بعشرة دراهم فيها درهم حرام لم يقبل الله له صلاة ما كان عليه [2] » ثم أدخل ابن عمر أصبعيه فى أذنيه وقال : صمتا إن لم أكن سمعته منه . قلنا ذلك محمول على ما لو اشترى بعشرة بعينها لا فى الذمة وإذا اشترى فى الذمة فقد حكمنا بالتحريم فى أكثر الصور فليحمل عليها ، ثم كم من ملك يتوعد عليه بمنع قبول الصلاة لمعصية تطرقت إلى سببه وإن لم يدل ذلك على فساد العقد كالمشترى فى وقت النداء وغيره .

المثار الرابع : الاختلاف فى الأدلة

فإن ذلك كالاختلاف فى السبب لأن السبب سبب لحكم الحل والحرمة . والدليل سبب لمعرفة الحل والحرمة فهو سبب فى حق المعرفة ولم يثبت فى معرفة الغير فلا فائدة لثبوته فى نفسه وإن جرى سببه فى علم الله ، وهو إما أن يكون لتعارض أدلة الشرع أو لتعارض العلامات الدالة أو لتعارض التشابه .

القسم الأول : أن تتعارض أدلة الشرع مثل تعارض عمومين من القرآن أو السنة أو تعارض قياسين أو تعارض قياس وعموم . وكل ذلك يورث الشك ويرجع فيه إلى الاستصحاب أو الأصل المعلوم قبله إن لم يكن ترجيح ، فإن ظهر ترجيح فى جانب الحظر وجب الأخذ به وإن ظهر فى جانب الحل جاز الأخذ به ولكن الورع تركه . واتقاء مواضع الخلاف مهم فى الورع فى حق المفتى والمقلد . وإن كان المقلد يجوز له أن يأخذ بما أفتى له مقلده الذى يظن أنه أفضل علماء بلده ويعرف ذلك بالتسامع كما يعرف أفضل أطباء البلد بالتسامع والقرائن وإن كان لا يحسن الطب . وليس للمستفتى أن ينتقد من المذاهب أوسعها عليه ؛ بل عليه أن يبحث حتى يغلب على ظنه الأفضل ثم يتبعه فلا يخالفه أصلا ، نعم إن أفتى له إمامه بشىء ولإمامه فيه مخالف فالفرار من الخلاف إلى الإجماع من الورع المؤكد وكذا المجتهد إذا تعارضت عنده الأدلة ورجح جانب الحل بحدس وتخمين وظن فالورع له الاجتناب . فلقد كان المفتون يفتون بحل أشياء لا يقدمون عليها قط تورعا منها وحذرا من الشبهة فيها فلنقسم هذا أيضا على ثلاث مراتب (الرتبة الأولى) ما يتأكد الاستحباب فى التورع عنه وهو ما يقوى فيه دليل المخالف ويدق وجه ترجيح المذهب الآخر عليه . فمن المهمات التورع عن فريسة الكلب المعلم إذا أكل منها وإن أفتى المفتى بأنه حلال لأن الترجيح فيه غامض ، وقد اخترنا أن ذلك حرام وهو أقيس قولى الشافعى رحمه الله . ومهما وجد للشافعى

---

(١) حديث المغيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن اليهود إذ حرمت عليهم الخمور فباعوها : لم أجده هكذا ، والمعروف أن ذلك فى الشحوم ؛ ففى الصحيحين من حديث جابر « قاتل الله اليهود إن الله لما حرم عليهم شحومها جملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه » .

(٢) حديث « من اشترى ثوبا بعشرة دراهم :.. الحديث » تقدم فى الباب قبله .

قول جديد موافق لمذهب أبى حنيفة رحمه الله أو غيره من الأئمة كان الورع فيه مهما وإن أفتى المفتى بالقول الآخر . ومن ذلك الورع عن متروك التسمية وإن لم يختلف فيه قول الشافعى رحمه الله لأن الآية ظاهرة فى إيجابها والأخبار متواترة فيه فإنه صلى الله عليه وسلم قال لكل من سأله عن الصيد « إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت عليه اسم الله فكل [1] » ونقل ذلك على التكرر وقد شهر الذبح بالبسملة [2] وكل ذلك يقوى دليل الاشتراط ولكن لما صح قوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن يذبح على اسم الله تعالى سمى أو لم يسم [3] » واحتمل أن يكون هذا عاما موجبا لصرف الآية وسائر الأخبار عن ظواهرها ويحتمل أن يخصص هذا بالناسى ويترك الظواهر ولا تأويل ، وكان حمله على الناسى ممكنا تمهيدا لعذره فى ترك التسمية بالنسيان وكان تعميمه وتأويل الآية ممكنا إمكانا أقرب رجحنا ذلك ولا ننكر رفع الاحتمال المقابل له فالورع عن مثل هذا مهم واقع فى الدرجة الأولى .

(الرتبة الثانية) وهى مزاحمة لدرجة الوسواس أن يتورع الإنسان عن أكل الجنين الذى يصادف فى بطن الحيوان المذبوح وعن الضب . وقد صح فى الصحاح من الأخبار حديث الجنين ؛ إنّ ذكاته ذكاة أمه [4] صحة لا يتطرق احتمال إلى متنه ولا ضعف إلى سنده وكذلك صح أنه أكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم [5] وقد نقل ذلك فى الصحيحين . وأظن أنّ أبا حنيفة لم تبلغه هذه الأحاديث ولو بلغته لقال بها وإن أنصف وإن لم ينصف منصف فيه كان خلافه غلطا لا يعتد به ولا يورث شبهة كما لو لم يخالف وعلم الشىء بخبر الواحد .

(الرتبة الثالثة) أن لا يشتهر فى المسألة خلاف أصلا ولكن يكون الحل معلوما بخبر الواحد فيقول القائل قد اختلف الناس فى خبر الواحد فمنهم من لا يقبله فأنا أتورع . فإن النقلة وإن كانوا عدولا فالغلط جائز عليهم والكذب لغرض خفى جائز عليهم ، لأن العدل أيضاً قد يكذب والوهم جائز عليه فإنه قد يسبق إلى سمعهم خلاف ما يقوله القائل وكذا إلى فهمهم فهذا ورع لم ينقل مثله عن الصحابة فيما كانوا يسمعونه من عدل تسكن نفوسهم إليه . وأما إذا تطرقت شبهة بسبب خاص ودلالة معينة فى حق الراوى فللتوقف وجه ظاهر وإن كان عدلا . وخلاف من خالف فى أخبار الآحاد غير معتد به وهو كخلاف النظام فى أصل الإجماع . وقوله إنه ليس بحجة ولو جاز مثل هذا الورع لكان من الورع أن يمتنع الإنسان من أن يأخذ ميراث الجد أبى الأب ويقول ليس فى كتاب الله ذكر إلا للبنين وإلحاق ابن الابن بالابن بإجماع الصحابة وهم غير معصومين والغلط عليهم جائز إذ خالف النظام فيه ، وهذا هوس ويتداعى إلى أن يترك ما علم بعمومات القرآن إذ من المتكلمين من ذهب إلى أن

---

(١) حديث « إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل » متفق عليه من حديث عدى بن حاتم ، ومن حديث أبى ثعلبة الخشنى

(٢) حديث التسمية على الذبح : متفق عليه من حديث رافع بن خديج « ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ليس السن والظفر »

(٣) حديث « المؤمن يذبح على اسم الله سمى أو لم يسم » قال المصنف إنه صح . قلت : لا يعرف بهذا اللفظ فضلا عن صحته ؛ ولأبى داود فى المراسيل من رواية الصلت مرفوعا « ذبيحة المسلم حلال ذكر اسم الله أو لم يذكر » وللطبرانى فى الأوسط ، والدارقطنى ، وابن عدى ، والبيهقى من حديث أبى هريرة . قال رجل : يارسول الله ، الرجل منا يذبح وينسى أن يسمى الله ؛ فقال « اسم الله على كل مسلم » قال ابن عدى : منكر ، والدارقطنى والبيهقى من حديث ابن عباس « المسلم يكفيه اسمه ؛ فإن نسى أن يسمى حين يذبح فليسم وليذكر اسم الله ثم ليأكل » فيه محمد بن سنان ، ضعفه الجمهور .

(٤) حديث « ذكاة الجنين ذكاة أمه » قال المصنف : إنه صح صحة لا يتطرق احتمال إلى متنه ولا ضعف إلى سنده ، وأخذ هذا من إمام الحرمين ؛ فإنه كذا قال فى الأساليب ، والحديث رواه أبو داود والترمذى وحسنه ، وابن ماجه ، وابن حبان من حديث أبى سعيد ، والحاكم من حديث أبى هريرة وقال : صحيح الإسناد ، وليس كذلك . وللطبرانى فى الصغير من حديث ابن عمر بسند جيد . وقال عبد الحق : لا يحتج بأسانيده كلها

(٥) حديث أكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال المصنف : هو فى الصحيحين ، وهو كما ذكره من حديث ابن عمر وابن عباس وخالد بن الوليد .

العمومات لاصيغة لها وإنما يحتج بما فهمه الصحابة منها بالقرائن والدلالات وكل ذلك وسواس ؛ فإذن لاطرف من أطراف الشبهات إلا وفيها غلو وإسراف فليفهم ذلك . ومهما أشكل أمر من هذه الأمور فليستفت فيه القلب وليدع الورع مايريبه إلى مالا يريبه وليترك حزاز القلوب وحكاكات الصدور وذلك يختلف بالأشخاص والوقائع ولكن ينبغى أن يحفظ قلبه عن دواعى الوسواس حتى لايحكم إلا بالحق فلا ينطوى على حزازة فى مظان الوسواس ولا يخلو عن الحزازة فى مظان الكراهة ؛ وما أعز مثل هذا القلب ولذلك لم يرد عليه السلام كل أحد إلى فتوى القلب وإنما قال ذلك لوابصة لما كان قد عرف من حاله [1] .

القسم الثانى : تعارض العلامات الدالة على الحل والحرمة فإنه قد ينهب نوع من المتاع فى وقت ويندر وقوع مثله من غير النهب فيرى مثلا فى يد رجل من أهل الصلاح ، فيدل صلاحه على أنه حلال ويدل نوع المتاع وندوره من غير المنهوب على أنه حرام فيتعارض الأمران . وكذلك يخبر عدل أنه حرام وآخر أنه حلال أو تتعارض شهادة فاسقين أو قول صبى وبالغ ، فإن ظهر ترجيح حكم به والورع الاجتناب ، وإن لم يظهر ترجيح وجب التوقف وسيأتى تفصيله فى باب التعرف والبحث والسؤال .

القسم الثالث : تعارض الأشباه فى الصفات التى تناط بها الأحكام . مثاله أن يوصى بمال للفقهاء فيعلم أن الفاضل فى الفقه داخل فيه وأن الذى ابتدأ التعلم من يوم أو شهر لايدخل فيه وبينهما درجات لاتحصى يقع الشك فيها ، فالمفتى يفتى بحسب الظن والورع الاجتناب ، وهذا أغمض مثارات الشبهة فإن فيها صورا يتحير المفتى فيها تحيرا لازما لاحيلة له فيه إذ يكون المتصف بصفة فى درجة متوسطة بين الدرجتين المتقابلتين لايظهر له ميله إلى أحدهما . وكذلك الصدقات المصروفة إلى المحتاجين فإن من لاشىء له معلوم أنه محتاج ومن له مال كثير معلوم أنه غنى ويتصدى بينهما مسائل غامضة كمن له دار وأثاث وثياب وكتب فإن قدر الحاجة منه لايمنع من الصرف إليه والفاضل يمنع والحاجة ليست محدودة وإنما تدرك بالتقريب ، ويتعدى منه النظر فى مقدار سعة الدار وأبنيتها ومقدار قيمتها لكونها فى وسط البلد ووقوع الاكتفاء بدار دونها ، وكذلك فى نوع أثاث البيت إذا كان من الصفر لامن الخزف وكذلك فى عددها وكذلك فى قيمتهما وكذلك فيما لايحتاج إليه كل يوم ومايحتاج إليه كل سنة من آلات الشتاء ومالا يحتاج إليه إلا فى سنين ، وشىء من ذلك لاحد له . والوجه فى هذا ما قاله عليه السلام « دع مايريبك إلى مالا يريبك [2] » كل ذلك فى محل الريب إن توقف المفتى فلا وجه إلا التوقف وهو أهم مواقع الورع . وكذلك مايجب بقدر الكفاية من نفقة الأقارب وكسوة الزوجات وكفاية الفقهاء والعلماء على بيت المال إذ فيه طرفان يعلم أن أحدهما قاصر وأن الآخر زائد وبينهما أمور متشابهة تختلف باختلاف الشخص والحال . والمطلع على الحاجات هو الله تعالى وليس للبشر وقوف على حدودها ، فما دون الرطل المكى فى اليوم قاصر عن كفاية الرجل الضخم وما فوق ثلاثة أرطال زائد على الكفاية وما بينهما لايتحقق له حد . فليدع الورع ما يريبه وهذا جار فى كل حكم نيط بسبب يعرف ذلك السبب بلفظ العرب ، إذ العرب وسائر أهل اللغات لم يقدروا متضمنات اللغات بحدود محدودة تنقطع أطرافها عن مقابلاتها كلفظ الستة فإنه لايحتمل مادونها ومافوقها من الأعداد وسائر ألفاظ الحساب والتقديرات ، فليست الألفاظ اللغوية كذلك فلا لفظ فى كتاب الله وسنة رسول الله

---

(١) حديث : لم يرد كل أحد إلى فتوى قلبه وإنما قال ذلك لوابصة ، وتقدم حديث وابصة ، وروى الطبرانى من حديث واثلة أنه قال ذلك لواثلة أيضاً ، وفيه العلاء بن ثعلبة مجهول . (٢) حديث « دع مايريبك إلى مالا يريبك » تقدم فى الباب قبله

صلى الله عليه وسلم إلا ويتطرق الشك إلى أوساط في مقتضياتها تدور بين أطراف متقابلة فتعظم الحاجة إلى هذا الفن في الوصايا والأوقاف على الصوفية مثلا مما يصح ومن الداخل تحت موجب هذا اللفظ هذا من الغوامض فكذلك سائر الألفاظ . وسنشير إلى مقتضى لفظ الصوفي على الخصوص ليعلم به طريق التصرف في الألفاظ وإلا فلا مطمع في استيفائها ، فهذه اشتباهات تثور من علامات متعارضة تجذب إلى طرفين متقابلين ، وكل ذلك من الشبهات يجب اجتنابها إذا لم يترجح جانب الحل بدلالة تغلب على الظن أو باستصحاب بموجب قوله صلى الله عليه وسلم « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » وبموجب سائر الأدلة التي سبق ذكرها . فهذه مثارات الشبهات وبعضها أشد من بعض ولو تظاهرت شبهات شتى على شيء واحد كان الأمر أغلظ مثل أن يأخذ طعاما مختلفا فيه عوضا عن عنب باعه من خمار بعد النداء يوم الجمعة والبائع قد خالط ماله حرام وليس هو أكثر ماله ولكنه صار مشتبها به فقد يؤدي ترادف الشبهات إلى أن يشتد الأمر في اقتحامها ، فهذه مراتب عرفنا طريق الوقوف عليها وليس في قوة البشر حصرها فما اتضح من هذا الشرح أخذ به وما التبس فليجتنب فإن الإثم حزاز القلب . وحيث قضينا باستفتاء القلب أردنا به حيث أباح المفتي أما حيث حرمه فيجب الامتناع . ثم لا يعول على كل قلب فرب موسوس ينفر عن كل شيء ورب شره متساهل يطمئن إلى كل شيء ولا اعتبار بهذين القلبين وإنما الاعتبار بقلب العالم الموفق المراقب لدقائق الأحوال وهو المحك الذي يمتحن به خفايا الأمور ، وما أعز هذا القلب في القلوب فمن لم يثق بقلب نفسه فليلتمس النور من قلب بهذه الصفة وليعرض عليه واقعته ، وجاء في الزبور « إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام : قل لبني إسرائيل إني لا أنظر إلى صلاتكم ولا صيامكم ولكن أنظر إلى من شك في شيء فتركه لأجلي فذاك الذي أنظر إليه وأؤيده بنصري وأباهي به ملائكتي .

الباب الثالث : في البحث ، والسؤال ، والهجوم . والإهمال ومظانها

اعلم أن كل من قدم إليك طعاما أو هدية أو أردت أن تشتري منه أو تتهب فليس لك أن تفتش عنه وتسأل وتقول : هذا مما لا أتحقق حله فلا آخذه بل أفتش عنه . وليس لك أيضاً أن تترك البحث فتأخذ كل ما لا تتيقن تحريمه بل السؤال واجب مرة وحرام مرة ومندوب مرة ومكروه مرة فلا بد من تفصيله ، والقول الشافي فيه هو أن مظنة السؤال مواقع الريبة . ومنشأ الريبة ومثارها إما أمر يتعلق بالمال أو يتعلق بصاحب المال .

المثار الأول : أحوال المسالك

وله بالإضافة إلى معرفتك ثلاثة أحوال : إما أن يكون مجهولا أو مشكوكا فيه أو معلوما بنوع ظن يستند إلى دلالة .

الحالة الأولى : أن يكون مجهولا والمجهول هو الذي ليس معه قرينة تدل على فساده وظلمه كزي الأجناد ، ولا ما يدل على صلاحه كثياب أهل التصوف والتجارة والعلم وغيرها من العلامات . فإذا دخلت قرية لا تعرفها فرأيت رجلا لا تعرف من حاله شيئا ولا عليه علامة تنسبه إلى أهل صلاح أو أهل فساد فهو مجهول ؛ وإذا دخلت بلدة غريبا ودخلت سوقا ووجدت رجلا خبازا أو قصابا أو غيره ولا علامة تدل على كونه مريبا أو خائنا ولا ما يدل على نفيه فهو مجهول ولا يدري حاله ، ولا نقول إنه مشكوك فيه لأن الشك عبارة عن اعتقادين متقابلين لهما سببان متقابلان ، وأكثر الفقهاء لا يدركون الفرق بين ما لا يدري وبين ما يشك فيه ؛ وقد عرفت مما سبق أن الورع ترك ما لا يدري . قال يوسف بن أسباط : منذ ثلاثين سنة ما حاك في قلبي شيء إلا تركته . وتكلم جماعة في أشق الأعمال

فقالوا : هو الورع ؛ فقال لهم حسان بن أبي سنان : ماشيء عندى أسهل من الورع ، إذا حاك فى صدرى شيء تركته . فهذا شرط الورع ، وإنما نذكر الآن حكم الظاهر ، فنقول : حكم هذه الحالة أن المجهول إن قدم إليك طعاما أو حمل إليك هدية أو اردت أن تشترى من دكانه شيئا فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلما دلالتان كافيتان فى الهجوم على أخذه . وليس لك أن تقول الفساد والظلم غالب على الناس فهذه وسوسة وسوء ظن بهذا المسلم بعينه وإن بعض الظن إثم . وهذا المسلم يستحق بإسلامه عليك أن لاتسيء الظن به فإن أسأت الظن به فى عينه لأنك رأيت فسادا من غيره فقد جنيت عليه وأثمت به فى الحال نقدا من غير شك ، ولو أخذت المال لكان كونه حراما مشكوكا فيه . ويدل عليه أنا نعلم أن الصحابة رضى الله عنهم فى غزواتهم وأسفارهم كانوا ينزلون فى القرى ولا يردون القرى ويدخلون البلاد ولايحترزون من الأسواق ، وكان الحرام ايضا موجودا فى زمانهم ومانقل عنهم سؤال إلا عن ريبة إذ كان صلى الله عليه وسلم لايسأل عن كل مايحمل إليه بل سأل فى أول قدومه إلى المدينة عما يحمل إليه : أصدقة أم هدية [1] ؟ لأن قرينة الحال تدل وهو دخول المهاجرين المدينة وهم فقراء فغلب على الظن أن مايحمل إليهم بطريق الصدقة ، ثم إسلام المعطى ويده لايدلان على أنه ليس بصدقة . وكان يدعى إلى الضيافات فيجيب ولايسأل : أصدقة أم لا [2] ؟ إذ العادة ماجرت بالتصدق بالضيافة . ولذلك دعته أم سليم [3] ودعاه الخياط [4] كما فى الحديث الذى رواه أنس بن مالك رضى الله عنه وقدم إليه طعاما فيه قرع ، ودعاه الرجل الفارسى فقال عليه الصلاة والسلام أنا وعائشة ؟ فقال : لا ، فقال : « فلا » . ثم اجابه بعد فذهب هو وعائشة يتساوقان فقرب إليهما إهالة [5] ، ولم ينقل السؤال فى شيء من ذلك ، وسأل أبو بكر رضى الله عنه عبده عن كسبه لما رابه من أمره ، وسأل عمر رضى الله عنه الذى سقاه من لبن إبل الصدقة إذ رابه وكان أعجبه طعمه ولم يكن على ما كان يألفه كل مرة . وهذه أسباب الريبة وكل من وجد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن عاصيا بإجابته من غير تفتيش ، بل لو رأى فى داره تجملا ومالا كثيرا فليس له أن يقول الحلال عزيز وهذا كثير فمن أين يجتمع هذا من الحلال ؟ بل هذا الشخص بعينه يحتمل أن يكون ورث مالا أو اكتسبه فهو بعينه يستحق إحسان الظن به ، وازيد على هذا واقول : ليس له أن يسأله بل إن كان يتورع فلا يدخل جوفه إلا مايدرى من اين هو فهو حسن فليتلطف فى الترك ، وإن كان لا بد له من أكله فليأكل بغير سؤال إذ السؤال إيذاء وهتك ستر وإيحاش وهو حرام بلا شك .

* فإن قلت : لعله لا يتأذى ؟ فأقول . لعله يتأذى فإنت تسأل حذرا من « لعل » فإن قنعت فلعل ماله حلال وليس الإثم المحذور فى إيذاء مسلم بأقل من الإثم فى أكل الشبهة والحرام ، والغالب على الناس الاستيحاش بالتفتيش ولا يجوز له ان يسأل من غيره من حيث يدرى هو به لأن الإيذاء فى ذلك أكثر ، وإن سأل من حيث لايدرى هو ففيه إساءة ظن وهتك ستر وفيه تجسس وفيه تشبث بالغيبة وإن لم يكن ذلك صريحا . وكل ذلك منهى عنه فى آية

الباب الثالث : فى البحث والسؤال

(١) حديث سؤاله فى أول قدومه الى المدينة عما يحمل اليه أصدقة أم هدية : رواه أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث سلمان أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة أتاه سلمان بطعام ، فسأله عنه أصدقة أم هدية ... الحديث، تقدم فى الباب قبله من حديث أبى هريرة . (٢) حديث كان يدعى الى الصيافات فيجيب ولايسأل أصدقة أم لا : هذا معروف مشهور ، من ذلك فى الصحيحين من حديث أبى مسعود الأنصارى فى صنيع أبى شعيب طعاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاه خامس خمسة (٣) حديث دعته أم سليم : متفق عليه من حديث أنس . (٤) حديث أنس : أن خياطا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم إليه طعاما فيه قرع : متفق عليه . (٥) حديث دعاه الرجل الفارسى فقال « أنا وعائشة ... الحديث » رواه مسلم عن أنس .

واحدة قال الله تعالى ﴿ اجتنبوا اكثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ﴾ وكم زاهد جاهل يوحش القلوب فى التفتيش ويتكلم الكلام الخشن المؤذى وإنما يحسن الشيطان ذلك عنده طلبا للشهرة بأكل الحلال ، ولو كان باعثه محض الدين لكان خوفه على قلب مسلم أن يتأذى أشد من خوفه على بطنه أن يدخله مالا يدرى وهو غير مؤاخذ بما لا يدرى إذ لم يكن ثم علامة توجب الاجتناب فليعلم أن طريق الورع الترك دون التجسس ، وإذا لم يكن بد من الأكل فالورع الأكل وإحسان الظن ؛ هذا هو المألوف من الصحابة رضى الله عنهم ومن زاد عليهم فى الورع فهو ضال مبتدع وليس بمتبع فإن يبلغ أحد مد أحدهم ولا نصيفه ولو انفق ما فى الأرض جميعا كيف وقد أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام بريرة فقيل : إنه صدقة ؛ فقال : هو لها صدقة ولنا هدية [1] ، ولم يسأل على المتصدق عليها فكان مجهولا عنده ولم يمتنع .

الحالة الثانية : أن يكون مشكوكا فيه بسبب دلالة أورثت ريبة فلنذكر صورة ريبة ثم حكمها .

أما الخلقة : فبأن يكون على خلقة الأتراك والبوادى والمعروفين بالظلم وقطع الطريق ، وأن يكون طويل الشارب ، وأن يكون الشعر مفرقا على رأسه على دأب أهل الفساد . وأما الثياب : فالقباء والقلنسوة وزى أهل الظلم والفساد من الأجناد وغيرهم . وأما الفعل والقول : فهو أن يشاهد منه الإقدام على ما لا يحل ؛ فإن ذلك يدل على أنه يتساهل أيضاً فى المال ويأخذ ما لا يحل ؛ فهذه مواضع الريبة . فإذا أراد أن يشترى من مثل هذا شيئا ويأخذ منه هدية أو يجيبه إلى ضيافة وهو غريب مجهول عنده لم يظهر له منه إلا هذه العلامات ؛ فيحتمل أن يقال إن اليد تدل على الملك وهذه الدلالات ضعيفة فالإقدام جائز والترك من الورع . ويحتمل أن يقال إن اليد دلالة ضعيفة وقد قابلها مثل هذه الدلالة فأورثت ريبة فالهجوم غير جائز ، وهو الذى نختاره ونفتى به لقوله صلى الله عليه وسلم « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك [2] » فظاهره أمر وإن كان يحتمل الاستحباب لقوله صلى الله عليه وسلم « الإثم حزاز القلوب [3] » وهذا له وقع فى القلب لا ينكر ولأن النبى صلى الله عليه وسلم سأل : أصدقة هو أو هدية ؟ وسأل أبو بكر رضى الله عنه غلامه . وسأل عمر رضى الله عنه . وكل ذلك كان فى موضع الريبة وحمله على الورع وإن كان ممكنا ولكن لا يحمل عليه إلا بقياس حكمى والقياس ليس يشهد بتحليل هذا فإن دلالة اليد والإسلام وقد عارضتها هذه الدلالات أورثت ريبة فإذا تقابلا فالاستحلال لا مستند له . وإنما لا يترك حكم اليد والاستصحاب بشك لا يستند إلى علامة كما إذا وجدنا الماء متغيرا واحتمل أن يكون بطول المكث فإن رأينا ظبية بالت فيه ثم احتمل أن التغيير به تركنا الاستصحاب وهذا قريب منه . ولكن بين هذه الدلالات تفاوت فإن طول الشوارب ولبس القباء وهيئة الأجناد يدل على الظلم بالمال . أما القول والفعل المخالفان للشرع إن تعلقا بظلم المال فهو أيضا دليل ظاهر كما لو سمعه يأمر بالغصب والظلم أو يعقد عقد الربا . فأما إذا رآه قد شتم غيره فى غضبه أو اتبع نظره امرأة مرت به فهذه الدلالة ضعيفة فكم من إنسان يتحرج فى طلب المال ولا يكتسب إلا الحلال ومع ذلك فلا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة ؟ فليتنبه لهذا التفاوت ولا يمكن أن يضبط هذا بحد فليستفت العبد فى مثل ذلك قلبه . وأقول إن هذا إن رآه من مجهول فله حكم وإن رآه ممن عرفه بالورع فى الطهارة والصلاة وقراءة القرآن فله حكم آخر إذ تعارضت

(١) حديث أكله طعام بريرة فقيل إنها صدقة فقال « هو لها صدقة ولنا هدية » متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث « دع ما يريبك » تقدم فى البابين قبله . (٣) حديث « الإثم حزاز القلوب » تقدم فى العلم .

الدلالات بالإضافة إلى المال وتساقطنا وعاد الرجل كالمجهول إذ ليست إحدى الدلالتين تناسب المال على الخصوص فكم من متحرج فى المال لا يتحرج فى غيره وكم من محسن للصلاة والوضوء والقراءة ويأكل من حيث يجد فالحكم فى هذه المواقع مايميل إليه القلب فإن هذا أمر بين العبد وبين الله فلا يبعد أنّ يناط بسبب خفى لا يطلع عليه إلا هو ورب الأرباب وهو حكم حزازة القلب . ثم ليتنبه لدقيقة أخرى وهو أن هذه الدلالة ينبغى أن تكون بحيث تدل على أن أكثر ماله حرام بأن يكون جنديا أو عامل سلطان أو نائحة أو مغنية فإن دل على أن فى ماله حراما قليلا لم يكن السؤال واجبا بل كان السؤال من الورع .

الحالة الثالثة : أن تكون الحالة معلومة بنوع خبرة وممارسة بحيث يوجب ذلك ظنا فى حل المال أو تحريمه مثل أن يعرف صلاح الرجل وديانته وعدالته فى الظاهر وجوز أن يكون الباطن بخلافه فههنا لا يجب السؤال ولا يجوز كما فى المجهول ؛ فالأولى الإقدام . والإقدام ههنا أبعد عن الشبهة من الإقدام على طعام المجهول فإن ذلك بعيد عن الورع وإن لم يكن حراما . وأما أكل طعام أهل الصلاح فدأب الأنبياء والأولياء قال صلى الله عليه وسلم « لا تأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى [1] » فأما إذا علم بالخبرة أنه جندى أو مغن أو مرب واستغنى عن الاستدلال عليه بالهيئة والشكل والثياب ، فههنا السؤال واجب لامحالة كما فى موضع الريبة بل أولى .

المثار الثانى : مايستند الشك فيه إلى سبب المال لا فى حال المالك

وذلك بأن يختلط الحلال بالحرام كما إذا طرح فى سوق أحمال من طعام غصب واشتراها أهل السوق فليس يجب على من يشترى فى تلك البلدة وذلك السوق أن يسأل عما يشتريه إلا أن يظهر أنّ أكثر ما فى أيديهم حرام فعند ذلك يجب السؤال ، فإن لم يكن هو الأكثر فالتفتيش من الورع وليس بواجب . والسوق الكبير حكمه حكم بلد . والدليل على أنه لايجب السؤال والتفتيش إذا لم يكن الأغلب الحرام أن الصحابة رضى الله عنهم لم يمتنعوا من الشراء من الأسواق وفيها دراهم الربا وغلول الغنيمة وغيرها ، وكانوا لايسألون فى كل عقد ، وإنما السؤال نقل عن آحادهم نادرا فى بعض الأحوال وهى محال الريبة فى حق ذلك الشخص المعين ، وكذلك كانوا يأخذون الغنائم من الكفار الذين كانوا قد قاتلوا المسلمين ، وربما أخذوا أموالهم واحتمل أن يكون فى تلك الغنائم شىء مما أخذوه من المسلمين وذلك لايحل أخذه مجانا بالاتفاق بل يرد على صاحبه عند الشافعى رحمه الله ، وصاحبه أولى به بالثمن عند أبى حنيفة رحمه الله ، ولم ينقل قط التفتيش عن هذا . وكتب عمر رضى الله عنه إلى أذربيجان : إنكم فى بلاد تذبح فيها الميتة فانظروا ذكيه من ميته . أذن فى السؤال وأمر به ولم يأمر بالسؤال عن الدراهم التى هى أثمانها لأن أكثر دراهمهم لم تكن أثمان الجلود وإن كانت هى أيضا تباع وأكثر الجلود كان كذلك . وكذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه : إنكم فى بلاد أكثر قصابيها المجوس فانظروا الذكى من الميتة فخص بالأكثر الأمر بالسؤال . ولا يتضح مقصود هذا الباب إلا بذكر صور وفرض مسائل يكثر وقوعها فى العادات فلنفرضها :

مسألة : شخص معين خالط ماله الحرام مثل أن يباع على دكان طعام مغصوب أو مال منهوب ، ومثل أن يكون القاضى أو الرئيس أو العامل أو الفقيه الذى له إدرار على سلطان ظالم له أيضا مال موروث ودهقنة أو تجارة أو رجل

(١) حديث : لاتأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى . تقدم فى الزكاة .

تاجر يعامل بمعاملات صحيحة ويربى أيضا . فإن كان الأكثر من ماله حراما لايجوز الأكل من ضيافته ولا قبول هديته ولا صدقته إلا بعد التفتيش ، فإن ظهر أن المأخوذ من وجه حلال فذاك وإلا ترك ، وإن كان الحرام أقل والمأخوذ مشتبه فهذا فى محل النظر لأنه على رتبة بين الرتبتين ، إذ قضينا بأنه لو اشتبه ذكية بعشر ميتات مثلا وجب اجتناب الكل وهذا يشبهه من وجه من حيث إن مال الرجل الواحد كالمحصور لاسيما إذا لم يكن كثير المال مثل السلطان ، ويخالفه من وجه إذ الميتة يعلم وجودها فى الحال يقينا والحرام الذى خالط ماله يحتمل أن يكون قد خرج من يده وليس موجودا فى الحال وإن كان المال قليلا ، وعلم قطعا أن الحرام موجود فى الحال فهو ومسألة اختلاط الميتة واحد . وإن كثر المال واحتمل أن يكون الحرام غير موجود فى الحال فهذا أخف من ذلك ويشبه من وجه الاختلاط بغير محصور كما فى الأسواق والبلاد ولكنه أغلظ منه لاختصاصه بشخص واحد ، ولا يشك فى أن الهجوم عليه بعيد من الورع جدا ولكن النظر فى كونه فسقا مناقض للعدالة ، وهذا من حيث النقل أيضا غامض لتجاذب الأشياء ، ومن حيث النقل أيضا غامض لأن ماينقل فيه عن الصحابة من الامتناع فى مثل هذا وكذا عن التابعين يمكن حمله على الورع ولا يصادف فيه نص على التحريم . وما ينقل من إقدام على الأكل كأكل أبى هريرة رضى الله عنه طعام معاوية مثلا إن قدر فى جملة مافى يده حرام فذلك أيضا يحتمل أن يكون إقدامه بعد التفتيش واستبانة أن عين مايأكله من وجه مباح . فالأفعال فى هذا ضعيفة الدلالة ومذاهب العلماء المتأخرين مختلفة حتى قال بعضهم : لو أعطانى السلطان شيئا لأخذته وطرد الإباحة فيما إذا كان الأكثر أيضا حراما مهما لم يعرف عين المأخوذ واحتمل أن يكون حلالا ، واستدل بأخذ بعض السلف جوائز السلاطين ـ كما سيأتى فى باب بيان أموال السلاطين فأما إذا كان الحرام هو الأقل واحتمل أن لايكون موجودا فى الحال لم يكن الأكل حراما ، وإن تحقق وجوده فى الحال ـ كما فى مسألة اشتباه الذكية بالميتة ـ فهذا مما لا أدرى ما أقول فيه وهو من المتشابهات التى يتحير المفتى فيها لأنها مترددة بين مشابهة المحصور وغير المحصور . والرضيعة إذا اشتبهت بقرية فيها عشر نسوة وجب الاجتناب وإن كانت ببلدة فيها عشرة آلاف لم يجب . وبينهما أعداد ، ولو سئلت عنها لكنت لا أدرى ما أقول فيها ، ولقد توقف العلماء فى مسائل هى أوضح من هذه . إذ سئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل رمى صيدا فوقع فى ملك غيره أيكون الصيد للرامى أو لمالك الأرض ؟ فقال : لا أدرى ، فروجع فيه مرات فقال : لا أدرى . وكثيرا من ذلك حكيناه عن السلف فى كتاب العلم فليقطع المفتى طمعه عن درك الحكم فى جميع الصور . وقد سأل ابن المبارك صاحبه من البصرة عن معاملته قوما يعاملون السلاطين ، فقال : إن لم يعاملوا سوى السلطان فلا تعاملهم وإن عاملوا السلطان وغيره فعاملهم . وهذا يدل على المسامحة فى الأقل ويحتمل المسامحة فى الأكثر أيضا . وبالجملة فلم ينقل عن الصحابة أنهم كانوا يهجرون بالكلية معاملة القصاب والخباز والتاجر لتعاطيه عقدا واحدا فاسدا أو لمعاملة السلطان مرة ؛ وتقدير ذلك فيه بعد والمسألة مشكلة فى نفسها .

* فإن قيل : فقد روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه رخص فيه وقال : خذ ما يعطيك السلطان فإنما يعطيك من الحلال وما يأخذ من الحلال أكثر من الحرام . وسئل ابن مسعود رضى الله عنه ذلك فقال له السائل . إن لى جارا لاأعلمه إلا خبيثا يدعونا أو نحتاج فنستسلفه فقال : إذا دعاك فأجبه وإذا احتجت فاستسلفه فإن لك المهنأ وعليه المأثم . وأفتى سلمان بمثل ذلك . وقد علل علىّ بالكثرة وعلل ابن مسعود رضى الله عنه بطريق الإشارة بأن عليه المأثم لأنه يعرفه ولك المهنأ أى أنت لاتعرفه . وروى أنه قال رجل لابن مسعود

رضى الله عنه . إن لى جارا يأكل الربا فيدعونا إلى طعامه أفنأتيه ؟ فقال : نعم . وروى فى ذلك عن ابن مسعود رضى الله عنه روايات كثيرة مختلفة وأخذ الشافعى ومالك رضى الله عنهما جوائز الخلفاء والسلاطين مع العلم بأنه قد خالط مالهم الحرام ؟ قلنا : أما ما روى عن على رضى الله عنه فقد اشتهر من ورعه ما يدل على خلاف ذلك فإنه كان يمتنع من مال بيت المال حتى يبيع سيفه ولا يكون له إلا قميص واحد فى وقت الغسل لا يجد غيره . ولست أنكر أن رخصته صريح فى الجواز وفعله محتمل للورع ولكنه لو صح فمال السلطان له حكم آخر فإنه بحكم كثرته يكاد يلتحق بما لا يحصر ـ وسيأتى بيان ذلك ـ وكذا فعل الشافعى ومالك رضى الله عنهما متعلق بمال السلطان ـ وسيأتى حكمه ـ وإنما كلامنا فى آحاد الخلق وأموالهم قريبة من الحصر . وأما قول ابن مسعود رضى الله عنه فقيل إنه إنما نقله خوات التيمى وإنه ضعيف الحفظ والمشهور عنه ما يدل على توقى الشبهات إذ قال : لايقولن أحدكم أخاف وأرجو فإن الحلال بين والحرام بين ، وبين ذلك أمور مشتبهات فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك . وقال : اجتنبوا الحكاكات ففيها الإثم .

ه فإن قيل : فلم قلتم إذا كان الأكثر حراما لم يجز الأخذ مع أن المأخوذ ليس فيه علامة تدل على تحريمه على الخصوص ، واليد علامة على الملك حتى إن من سرق مال مثل هذا الرجل قطعت يده والكثرة توجب ظنا مرسلا لا يتعلق بالعين فليكن كغالب الظن فى طين الشوارع وغالب الظن فى الاختلاط بغير محصور إذا كان الأكثر هو الحرام ، ولايجوز أن يستدل على هذا بعموم قوله صلى الله عليه وسلم « دع مايريبك إلى مالايريبك » لأنه مخصوص ببعض المواضع بالاتفاق وهو أن يريبه بعلامة فى عين الملك بدليل اختلاط القليل بغير المحصور فإن ذلك يوجب ريبة ومع ذلك قطعتم بأنه لايحرم ؟ فالجواب أن اليد دلالة ضعيفة كالاستصحاب وإنما تؤثر إذا سلمت عن معارض قوى . فإذا تحققنا الاختلاط وتحققنا أن الحرام المخالط موجود فى الحال ، والمال غير خال عنه ، وتحققنا أن الأكثر هو الحرام وذلك فى حق شخص معين يقرب ماله من الحصر ظهر وجوب الإعراض عن مقتضى اليد وإن لم يحمل عليه قوله عليه السلام « دع مايريبك إلى مالا يريبك » لايبقى له محل إذ لا يمكن أن يحمل على اختلاط قليل بحلال غير محصور إذ كان ذلك موجودا فى زمانه وكان لايدعه . وعلى أى موضع حمل هذا كان هذا فى معناه . وحمله على التنزيه صرف له عن ظاهره بغير قياس فإن تحريم هذا غير بعيد عن قياس العلامات والاستصحاب ، وللكثرة تأثير فى تحقيق الظن وكذا للحصر وقد اجتمعا حتى قال أبو حنيفه رضى الله عنه : لاتجتهد فى الأوانى إلا إذا كان الطاهر هو الأكثر . فاشترط اجتماع الاستصحاب والاجتهاد بالعلامة وقوة الكثرة : ومن قال يأخذ أى آنية أراد بلا اجتهاد بناء على مجرد الاستصحاب فيجوز الشرب أيضا فيلزمه التجويز ههنا بمجرد علامة اليد . ولا يجرى ذلك فى بول اشتبه بماء إذ لااستصحاب فيه ولانطرده أيضا فى ميتة اشتبهت بذكية إذ لااستصحاب فى الميتة ، واليد لاتدل على أنه غير ميتة وتدل فى الطعام المباح على أنه ملك . فههنا أربع متعلقات . استصحاب ، وقلة فى المخلوط أو كثرة ، وانحصار أو اتساع فى المخلوط ، وعلامة خاصة فى عين الشىء يتعلق بها الاجتهاد . فمن يغفل عن مجموع الأربعة ربما يغلط فيشبه بعض المسائل بما لايشبهه . فحصل مما ذكرناه أن المختلط فى ملك شخص واحد إما أن يكون الحرام أكثره أو أقله وكل واحد إما أن يعلم بيقين أو بظن عن علامة أو توهم . فالسؤال يجب فى موضعين : وهو أن يكون الحرام أكثر يقينا أو ظنا كما لو رأى تركيا مجهولا يحتمل أن يكون كل ماله من غنيمة وإن كان الأقل معلوما باليقين فهو محل التوقف وتكاد تسير سير أكثر السلف وضرورة الأحوال إلى الميل إلى الرخصة . وأما الأقسام الثلاثة الباقية

فالسؤال واجب فيها أصلا .

مسألة : إذا حضر طعام إنسان علم أنه دخل فى يده حرام من إدرار كان قد أخذه أو وجه آخر ولا يدرى أنه بقى إلى الآن أم لا ، فله الأكل ولايلزمه التفتيش وإنما التفتيش فيه من الورع ، ولو علم أنه قد بقى منه شىء ولكن لم يدر أنه الأقل أو الأكثر فله أن يأخذ بأنه الأقل . وقد سبق أن أمر الأقل مشكل وهذا يقرب منه .

مسألة : إذا كان يد المتولى للخيرات أو الأوقاف أو الوصايا مالان يستحق هو أحدهما ولا يستحق الثانى لأنه غير موصوف بتلك الصفة فهل له أن يأخذ مايسلمه إليه صاحب الوقف ؟ نظر ، فإن كانت تلك الصفة ظاهرة يعرفها المتولى وكان المتولى ظاهر العدالة فله أن يأخذ بغير بحث لأن الظن بالمتولى أنه لايصرف إليه مايصرفه إلا من المال الذى يستحقه ، وإن كانت الصفة خفية وإن كان المتولى ممن عرف حاله أنه يخلط ولايبالى كيف يفعل فعليه السؤال ، إذ ليس ههنا يد ولا استصحاب يعول عليه ، وهو وزان سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة والهدية عند تردده فيهما لأن اليد لاتخصص الهدية عن الصدقة ولا الاستصحاب فلاينجى منه إلا السؤال ، فإن السؤال حيث أسقطناه فى المجهول أسقطناه بعلامة اليد والإسلام ، حتى لو لم يعلم أنه مسلم وأراد أن يأخذ من يده لحما من ذبيحته واحتمل أن يكون مجوسيا لم يجز له مالم يعرف أنه مسلم إذ اليد لاتدل فى الميتة ولا الصورة تدل على الإسلام إلا إذا كان أكثر أهل البلدة مسلمين ، فيجوز أن يظن بالذى ليس عليه علامة الكفر أنه مسلم وإن كان الخطأ ممكنا فيه فلاينبغى أن تلتبس المواضع التى تشهد فيها اليد والحال بالتى لا تشهد .

مسألة : له أن يشترى فى البلد دارا وإن علم أنها تشتمل على دور مغصوبة لأن ذلك الاختلاط بغير محصور ولكن السؤال احتياط وورع . وإن كان فى سكة عشر دور مثلا إحداها مغصوب أو وقف لم يجز الشراء مالم يتميز ويجب البحث عنه . ومن دخل بلدة وفيها رباطات خصص بوقفها أرباب المذاهب وهو على مذهب واحد من جملة تلك المذاهب فليس له أن يسكن أيها شاء ويأكل من وقفها بغير سؤال لأن ذلك من باب اختلاط المحصور فلا بد من التمييز ، ولا يجوز الهجوم مع الإبهام لأن الرباطات والمدارس فى البلد لابد أن تكون محصورة .

مسألة : حيث جعلنا السؤال من الورع فليس له أن يسأل صاحب الطعام والمال إذا لم يأمن غضبه وإنما أوجبنا السؤال إذا تحقق أن أكثر ماله حرام وعند ذلك لايبالى بغضب مثله ، إذ يجب إيذاء الظالم بأكثر من ذلك . والغالب أن مثل هذا لايغضب من السؤال . نعم إن كان يأخذ من يد وكيله أو غلامه أو تلميذه أو بعض أهله ممن هو تحت رعايته فله أن يسأل مهما استراب لأنهم لايغضبون من سؤاله ، ولأن عليه أن يسأل ليعلمهم طريق الحلال ولذلك سأل أبو بكر رضى الله عنه غلامه ، وسأل عمر من سقاه من إبل الصدقة ، وسأل أبا هريرة رضى الله عنه أيضا لما أن قدم عليه بمال كثير فقال : ويحك أكل هذا طيب ؟ من حيث إنه تعجب من كثرته وكان هو من رعيته لاسيما وقد رفق فى صيغة السؤال ، وكذلك قال على رضى الله عنه : ليس شىء أحب إلى الله تعالى من عدل إمام ورفقه ولاشىء أبغض إليه من جوره وخرقه .

مسألة . قال الحارث المحاسبى رحمه الله : لو كان له صديق أو أخ وهو يأمن غضبه لو سأله فلا ينبغى أن يسأله لأجل الورع ، لأنه ربما يبدو له ما كان مستورا عنه فيكون قد حمله على هتك الستر ثم يؤدى ذلك إلى البغضاء ، وما ذكره حسن لأن السؤال إذا كان من الورع لامن الوجوب فالورع فى مثل هذه الأمور الاحتراز عن هتك الستر ، وإثارة البغضاء أهم . وزاد على هذا فقال : وإن رابه منه شىء أيضا لم يسأله ويظن به أنه يطعمه من الطيب

ويجتنبه الخبيث فإن كان لايطمئن قلبه إليه فيحترز متلطفا ولا يهتك ستره بالسؤال ، قال : لأنى لم أر أحدا من العلماء فعله ، فهذا منه مع ما اشتهر به من الزهد يدل على مسامحة فيما إذا خالط المال الحرام القليل ولكن ذلك عند التوهم لا عند التحقيق لأن لفظ الريبة يدل على التوهم بدلالة تدل عليه ولا يوجب اليقين فليراع هذه الدقائق بالسؤال .

مسألة : ربما يقول القائل : أى فائدة فى السؤال ممن بعض ماله حرام ومن يستحل المال الحرام ربما يكذب فإن وثق بأمانته فليثق بديانته فى الحلال ؟ فأقول : مهما علم مخالطة الحرام لمال إنسان وكان له غرض فى حضورك ضيافته أو قبولك هديته فلا تحصل الثقة بقوله فلا فائدة للسؤال منه ، فينبغى أن يسأل من غيره ، وكذا إن كان بياعا وهو يرغب فى البيع لطلب الربح فلا تحصل الثقة بقوله إنه حلال ولا فائدة فى السؤال منه وإنما يسأل من غيره . وإنما يسأل من صاحب اليد إذا لم يكن متهما كما يسأل المتولى على المال الذى يسلمه أنه من أى جهة وكما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهدية والصدقة فإن ذلك لا يؤذى ولا يتهم القائل فيه ، وكذلك إذا اتهمه بأنه ليس يدرى طريق كسب الحلال ؛ فلا يتهم فى قوله إذا أخبر عن طريق صحيح ، وكذلك يسأل عبده وخادمه ليعرف طريق اكتسابه . فههنا يفيد السؤال فإذا كان صاحب المال متهما فليسأل من غيره فإذا أخبره عدل واحد قبله وإن أخبره فاسق يعلم من قرينة حاله أنه لا يكذب حيث لاغرض له فيه جاز قبوله لأن هذا أمر بينه وبين الله تعالى والمطلوب ثقة النفس ، وقد يحصل من الثقة بقول فاسق مالا يحصل بقول عدل فى بعض الأحوال ، وليس كل من فسق يكذب ولا كل من ترى العدالة فى ظاهره يصدق . وإنما نيطت الشهادة بالعدالة الظاهرة لضرورة الحكم فإن البواطن لايطلع عليها وقد قبل أبو حنيفة رحمه الله شهادة الفاسق . وكم من شخص تعرفه وتعرف أنه قد يقتحم المعاصى ثم إذا أخبرك بشىء وثقت به . وكذلك إذا أخبر به صبى مميز ممن عرفته بالتثبت فقد تحصل الثقة بقوله فيحل الاعتماد عليه . فأما إذا أخبر به مجهول لا يدرى من حاله شىء أصلا فهذا ممن جوزنا الأكل من يده لأن يده دلالة ظاهرة على ملكه . وربما يقال إسلامه دلالة ظاهرة على صدقه ؛ وهذا فيه نظر ، ولا يخلو قوله عن أثر ما فى النفس حتى لو اجتمع منهم جماعة تفيد ظنا قويا إلا أن أثر الواحد فيه فى غاية الضعف فلينظر إلى حد تأثيره فى القلب فإن المفتى هو القلب فى مثل هذا الموضع وللقلب التفاتات إلى قرائن خفية يضيق عنها نطاق النطق فليتأمل فيه . ويدل على وجوب الالتفات إليه ما روى عن عقبة بن الحارث « أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنى تزوجت امرأة فجاءت أمة سوداء فزعمت أنها قد أرضعتنا وهى كاذبة ، فقال : دعها ، فقال : إنها سوداء ـ يصغر من شأنها ـ فقال عليه السلام : فكيف وقد زعمت أنها قد أرضعتكما ؟ لا خير لك فيها دعها عنك [1] ـ وفى لفظ آخر ـ كيف وقد قيل » ومهما لم يعلم كذب المجهول ولم تظهر أمارة غرض له فيه كان له وقع فى القلب لا محالة ؛ فلذلك يتأكد الأمر بالاحتراز فإن اطمأن إليه القلب كان الاحتراز حتما واجبا .

مسألة : حيث يجب السؤال فلو تعارض قول عدلين تساقطا وكذا قول فاسقين ، ويجوز أن يترجح فى قلبه قول أحد العدلين أو أحد الفاسقين ، ويجوز أن يرجح أحد الجانبين بالكثرة أو بالاختصاص بالخبرة والمعرفة وذلك مما يتشعب تصويره .

مسألة : لو نهب متاع مخصوص فصادف من ذلك النوع متاعا فى يد إنسان وأراد أن يشتريه واحتمل أن لا يكون

---

(١) حديث عقبة : إنى تزوجت امرأة فجاءتنا أمة سوداء فزعمت أنها قد أرضعتنا وهى كاذبة ، رواه البخارى من حديث عقبة ابن الحارث .

من المغصوب فإن كان ذلك الشخص ممن عرفه بالصلاح جاز الشراء وكان تركه من الورع . وإن كان الرجل مجهولا لايعرف منه شيئا فإن كان يكثر نوع ذلك المتاع من غير المغصوب فله أن يشترى . وإن كان لايوجد ذلك المتاع فى تلك البقعة إلا نادرا وإنما كثر بسبب الغصب فليس يدل على الحل إلا اليد وقد عارضته علامة خاصة من شكل المتاع ونوعه ، فالامتناع عن شرائه من الورع المهم ، ولكن الوجوب فيه نظر فإن العلامة متعارضة . ولست أقدر على أن أحكم فيه بحكم إلا أرده إلى قلب المستفتى لينظر ما الأقوى فى نفسه فإن كان الأقوى أنه مغصوب لزمه تركه وإلا حل له شراؤه وأكثر هذه الوقائع يلتبس الأمر فيها فهى من المتشابهات التى لا يعرفها كثير من الناس فمن توقاها فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن اقتحمها فقد حام حول الحمى وخاطر بنفسه .

مسألة : لو قال قائل : قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبن قدم إليه فذكر أنه من شاة فسأل عن الشاة من أين هى فذكر له فسكت عن السؤال [1] فيجب السؤال عن أصل المال أم لا ، وإن وجب فعن أصل واحد أو اثنين أو ثلاثة وما الضبط فيه ؟ فأقول : لا ضبط فيه ولا تقدير بل ينظر إلى الريبة المقتضية للسؤال إما وجوبا أو ورعا . ولا غاية للسؤال إلا حيث تنقطع الريبة المقتضية له وذلك يختلف باختلاف الأحوال فإن كانت التهمة من حيث لايدرى صاحب اليد كيف طريق الكسب الحلال فإن قال : اشتريت ، انقطع بسؤال واحد ، وإن قال : من شاتى ، وقع الشك فى الشاة . فإذا قال : اشتريت ، انقطع وإن كانت الريبة من الظلم وذلك مما فى أيدى العرب ويتوالد فى أيديهم المغصوب فلا تنقطع الريبة بقوله : إنه من شاتى ، ولا بقوله : إن الشاة ولدتها شاتى ، فإن أسنده إلى الوراثة من أبيه وحالة أبيه مجهولة انقطع السؤال ، وإن كان يعلم أن جميع مال أبيه حرام فقد ظهر التحريم وإن كان يعلم أن أكثره حرام فبكثرة التوالد وطول الزمان وتطرق الإرث إليه لايغير حكمه فلينظر فى هذه المعانى .

مسألة : سئلت عن جماعة من سكان خانقاه الصوفية وفى يد خادمهم الذى يقدم إليهم الطعام وقف على ذلك المسكن ووقف آخر على جهة أخرى غير هؤلاء ، وهو يخلط الكل وينفق على هؤلاء وهؤلاء فأكل طعامه حلال أو حرام أو شبهة ؟ فقلت : إن هذا يلتفت إلى سبعة أصول : (الأصل الأول) أن الطعام الذى يقدم إليهم فى الغالب يشتريه بالمعاطاة والذى اخترناه صحة المعاطاة لا سيما فى الأطعمة والمستحقرات فليس فى هذا إلا شبهة الخلاف . (الأصل الثانى) أن ينظر أن الخادم هل يشتريه بعين المال الحرام أو فى الذمة ؟ فإن اشتراه بعين المال الحرام فهو حرام ، وإن لم يعرف فالغالب أنه يشترى فى الذمة ويجوز الأخذ بالغالب ، ولا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال بعيد وهو شراؤه بعين مال حرام . (الأصل الثالث) أنه من أين يشتريه فإن اشترى ممن أكثر ماله حرام لم يجز وإن كان أقل ماله ففيه نظر قد سبق ؛ وإذا لم يعرف جاز له الأخذ بأنه يشتريه ممن ماله حلال أو ممن لا يدرى المشترى حاله بيقين كالمجهول ، وقد سبق جواز الشراء من المجهول لأن ذلك هو الغالب فلا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال . (الأصل الرابع) أن يشتريه لنفسه أو للقوم فإن المتولى والخادم كالنائب وله أن يشترى له ولنفسه ولكن يكون ذلك بالنية أو صريح اللفظ وإذا كان الشراء يجرى بالمعاطاة فلا يجرى اللفظ ، والغالب أنه لاينوى عند المعاطاة ، والقصاب والخباز ومن يعامله يعول عليه ويقصد البيع منه لا ممن لا يحضرون فيقع عن جهته ويدخل فى ملكه وهذا الأصل ليس فيه تحريم ولا شبهة ولكن يثبت أنهم يأكلون من ملك الخادم .

---

(١) حديث : سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبن قدم إليه ... الحديث ، تقدم فى الباب الخامس من آداب الكسب والمعاش .

(الأصل الخامس) أن الخادم يقدم الطعام إليهم فلا يمكن أن يجعل ضيافة وهدية بغير عوض فإنه لا يرضى بذلك وإنما يقدم اعتماداً على عوضه من الوقف ، فهو معاوضة ولكن ليس ببيع ولا إقراض لأنه لو انتهض لمطالبتهم بالثمن استبعد ذلك وقرينة الحال لاتدل عليه . فأشبه أصل ينزل عليه هذه الحالة الهبة بشرط الثواب ـ أعنى هدية لالفظ فيها من شخص تقتضى قرينة حاله أنه يطمع فى ثواب ـ وذلك صحيح والثواب لازم وههنا ماطمع الخادم فى أن يأخذ ثوابا فيما قدمه إلا حقهم من الوقف ليقضى به دينه من الخباز والقصاب والبقال ، فهذا ليس فيه شبهة إذ لايشترط لفظ فى الهدية ولا فى تقديم الطعام وإن كان مع انتظار الثواب ، ولا مبالاة بقول من لايصحح هدية فى انتظار ثواب . (الأصل السادس) أن الثواب الذى يلزم فيه خلاف ، فقيل إنه أقل متمول وقيل قدر القيمة وقيل مايرضى به الواهب حتى له أن لايرضى بأضعاف القيمة ، والصحيح أنه يتبع رضاه فإذا لم يرض يرد عليه وههنا الخادم قد رضى بما يأخذ من حق السكان على الوقف ، فإن كان لهم من الحق بقدر ما أكلوه فقد تم الأمر وإن كان ناقصا ورضى به الخادم صح أيضا ، وإن علم أن الخادم لايرضى لولا أن فى يده الوقف الآخر الذى يأخذه بقوة هؤلاء السكان فكأنه رضى فى الثواب بمقدار بعضه حلال وبعضه حرام ، والحرام لم يدخل فى أيدى السكان ، فهذا كالخلل المتطرق إلى الثمن ـ وقد ذكرنا حكمه من قبل ـ وأنه متى يقتضى التحريم ومتى يقتضى الشبهة؟ وهذا لايقتضى تحريما على مافصلناه فلا تنقلب الهدية حراما يتوصل المهدى بسبب الهدية إلى حرام . (الأصل السابع) أنه يقضى دين الخباز والقصاب والبقال من ريع الواقفين فإن وفى ما أخذ من حقهم بقيمة ما أطعمهم فقد صح الأمر ، وإن قصر عنه فرضى القصاب والخباز بأى ثمن كان حراما أو حلالا ، فهذا خلل تطرق إلى ثمن الطعام أيضا فليلتفت إلى مافدمنا من الشراء فى الذمة ثم قضاء الثمن من الحرام ، هذا إذا علم أنه قضاه من حرام ، فإن احتمل ذلك واحتمل غيره فالشبهة أبعد ، وقد خرج من هذا أن أكل هذا ليس بحرام ولكنه أكل شبهة وهو بعيد من الورع ، لأن هذه الأصول إذا كثرت وتطرق إلى كل واحد احتمال صار احتمال الحرام بكثرته أقوى فى النفس كما أن الخبر إذا طال إسناده صار احتمال الكذب والغلط فيه أقوى مما إذا قرب إسناده . فهذا حكم هذه الواقعة وهى من الفتاوى وإنما أوردناها ليعرف كيفية تخريج الوقائع الملتفة الملتبسة وأنها كيف ترد إلى الأصول فإن ذلك مما يعجز عنه أكثر المفتين .

الباب الرابع : فى كيفية خروج التائب عن المظالم المالية

اعلم أن من تاب وفى يده مختلط فعليه وظيفة فى تمييز الحرام وإخراجه ووظيفة أخرى فى مصرف المخرج فلينظر فيهما .

النظر الأول : فى كيفية التمييز والإخراج

اعلم أن كل من تاب وفى يده ما هو حرام معلوم العين من غصب أو وديعة أو غيره فأمره سهل ؛ فعليه تمييز الحرام . وإن كان ملتبسا مختلطا فلا يخلو إما أن يكون فى مال هو من ذوات الأمثال كالحبوب والنقود والأدهان وإما أن يكون فى أعيان متمايزة كالعبيد والدور والثياب . فإن كان فى المتماثلات أو كان شائعا فى كله كمن اكتسب المال بتجارة يعلم أنه قد كذب فى بعضها فى المرابحة وصدق فى بعضها ، أو من غصب دهنا وخلطه بدهن نفسه ، أو فعل ذلك فى الحبوب ، أو الدراهم والدنانير فلا يخلو ذلك إما أن يكون معلوم القدر أو مجهولا . فإن كان معلوم القدر

مثل أن يعلم أن قدر النصف من جملة ماله حرام فعليه تمييز النصف . وإن أشكل فله طريقان أحدهما : الأخذ باليقين والآخر : الأخذ بغالب الظن ، وكلاهما قد قال به العلماء فى اشتباه ركعات الصلاة . ونحن لا نجوز فى الصلاة إلا الأخذ باليقين فإن الأصل اشتغال الذمة فيستصحب ولا يغير إلا بعلامة قوية وليس فى أعداد الركعات علامات يوثق بها ، وأما ههنا فلا يمكن أن يقال : الأصل أن مافى يده حرام ، بل هو مشكل فيجوز له الأخذ بغالب الظن اجتهادا ، ولكن الورع فى الأخذ باليقين . فإن أراد الورع فطريق التحرى والاجتهاد أن لايستبقى إلا القدر الذى يتيقن أنه حلال . وإن أراد الأخذ بالظن فطريقه مثلا أن يكون فى يده مال تجارة فسد بعضها فيتيقن أن النصف حلال وأن الثلث مثلا حرام ويبقى سدس يشك فيه فيحكم فيه بغالب الظن . وهكذا طريق التحرى فى كل مال وهو أن يقتطع القدر المتيقن من الجانبين فى الحل والحرمة . والقدر المتردد فيه إن غلب على ظنه التحريم أخرجه وإن غلب الحل جاز له الإمساك والورع إخراجه . وإن شك فيه جاز الإمساك والورع إخراجه ، وهذا الورع آكد لأنه صار مشكوكا فيه ، وجاز إمساكه اعتمادا على أنه فى يده فيكون الحل أغلب عليه وقد صار ضعيفا بعد يقين اختلاط الحرام . ويحتمل أن يقال الأصل التحريم ولا يأخذ إلا مايغلب على ظنه أنه حلال وليس أحد الجانبين بأولى من الآخر وليس يتبين لى فى الحال ترجيح وهو من المشكلات .

• فإن قيل : هب أنه أخذ باليقين لكن الذى يخرجه ليس يدرى أنه عين الحرام فلعل الحرام مابقى فى يده فكيف يقدم عليه ؟ ولو جاز هذا لجاز أن يقال : إذا اختلطت ميتة بتسع مذكاة فهى العشر فله أن يطرح واحدة أى واحدة كانت ـ ويأخذ الباقى ويستحله ولكن يقال : لعل الميته فيما استبقاه بل لو طرح التسع واستبقى واحدة لم تحل لاحتمال أنها الحرام ؟ فنقول : هذه الموازنة كانت تصح لولا أن المال يحل بإخراج البدل لتطرق المعاوضة إليه ، وأما الميتة فلا تتطرق المعاوضة إليها فليكشف الغطاء عن هذا الإشكال بالفرض فى درهم معين اشتبه بدرهم آخر فيمن له درهمان أحدهما حرام قد اشتبه عينه ، وقد سئل أحمد بن حنبل رضى الله عنه عن مثل هذا فقال: يدع الكل حتى يتبين ، وكان قد رهن آنية فلما قضى الدين حمل إليه المرتهن آنيتين وقال : لاأدرى أيتهما آنيتك؟ فتركهما فقال المرتهن : هذا الذى هو لك وإنما كنت اختبرك ؟ فقضى دينه ولم يأخذ الرهن وهذا ورع ولكنا نقول إنه غير واجب . فلنفرض المسألة فى درهم له مالك معين حاضر فنقول : إذا رد أحد الدرهمين عليه ورضى به مع العلم بحقيقة الحال حل له الدرهم الآخر ، لأنه لايخلو إما أن يكون المردود فى علم الله هو المأخوذ فقد حصل المقصود وإن كان غير ذلك فقد حصل لكل واحد درهم فى يد صاحبه ، فالاحتياط أن يتبايعا باللفظ فإن لم يفعلا وقع التقاص والتبادل بمجرد المعاطاة ، وإن كان المغصوب منه قد فات له درهم فى يد الغاصب وعسر الوصول إلى عينه واستحق ضمانه فلما أخذه وقع عن الضمان بمجرد القبض وهـذا فى جانبه واضح ، فإن المضمون له يملك الضمان بمجرد القبض من غير لفظ والإشكال فى الجانب الآخر أنه لم يدخل فى ملكه . فنقول : لأنه أيضا إن كان قد تسلم درهم نفسه فقد فات له أيضا درهم فى يد الآخر فليس يمكن الوصول إليه فهو كالغائب فيقع هذا بدلا عنه فى علم الله إن كان الأمر كذلك ، ويقع هذا التبادل فى علم الله كما يقع التقاص لو أتلف رجلان كل واحد منهما درهما على صاحبه ، بل فى عين مسألتنا لو ألقى كل واحد مافى يده فى البحر أو أحرقه كان قد أتلفه ولم يكن عليه عهدة للآخر بطريق التقاص ، فكذا إذا لم يتلف فإن القول بهذا أولى من المصير إلى أن من يأخذ درهما حراما ويطرحه فى ألف ألف درهم لرجل آخر يصير كل المال محجورا عليه لا يجوز التصرف

فيه وهذا المذهب يؤدى إليه ، فانظر ما فى هذا من البعد وليس فيما ذكرناه إلا ترك اللفظ . والمعاطاة بيع ومن لايجعلها بيعا فحيث يتطرق إليها احتمال إذ الفعل يضعف دلالته وحيث يمكن التلفظ ، وههنا هذا التسليم والتسلم للمبادله قطعا والبيع غير ممكن لأن المبيع غير مشار إليه ولا معلوم فى عينه وقد يكون مما لايقبل البيع كما لو خلط رطل دقيق بألف رطل دقيق لغيره وكذا الدبس والرطب وكل مالا يباع البعض منه بالبعض .

* فإن قيل : فأنتم جوزتم تسليم قدر حقه فى مثل هذه الصورة وجعلتموه بيعا ؟ قلنا : لانجعله بيعا بل نقول هو بدل عما فات فى يده فيملكه كما يملك المتلف عليه من الرطب إذا أخذ مثله ؛ هذا إذا ساعده صاحب المال فإن لم يساعده وأضر به وقال : لا آخذ درهما أصلا إلا عين ملكى فإن استبهم فأتركه ولا أهبه وأعطل عليك مالك . فأقول على القاضى أن ينوب عنه فى القبض حتى يطيب للرجل ماله فإن هذا محض التعنت والتضييق والشرع لم يرد به فإن عجز عن القاضى ولم يجده فليحكم رجلا متدينا ليقبض عنه فإن عجز فيتولى هو بنفسه ويفرد على نيه الصرف إليه درهما ويتعين ذلك له ويطيب له الباقى ، وهذا فى خلط المائعات أظهر وألزم .

* فإن قيل فينبغى أن يحل له الأخذ وينتقل الحق إلى ذمته فأى حاجة إلى الإخراج أولا ثم التصرف فى الباقى ؟ قلنا : قال قائلون يحل له أن يأخذ مادام يبقى قدر الحرام ولا يجوز أن يأخذ الكل ولو أخذ لم يجز له ذلك . وقال آخرون : ليس له أن يأخذ مالم يخرج قدر الحرام بالتوبة وقصد الإبدال ، وقال آخرون يجوز للآخذ فى التصرف أن يأخذ منه وأما هو فلا يعطى فإن أعطى عصى هو دون الآخذ منه ، وما جوز أحد أخذ الكل وذلك لأن المالك لو ظهر فله أن يأخذ حقه من هذه الجملة إذ يقول لعل المصروف إلى يقع عين حق . وبالتعيين وإخراج حق الغير وتمييزه يندفع هذا الاحتمال فهذا المال يترجح بهذا الاحتمال على غيره وما هو أقرب إلى الحق مقدم كما يقدم المثل على القيمة والعين على المثل فكذلك مايحتمل فيه رجوع المثل مقدم على مايحتمل فيه رجوع القيمة ومايحتمل فيه رجوع العين يقدم على مايحتمل فيه رجوع المثل ولو جاز لهذا أن يقول ذلك لجاز لصاحب الدرهم الآخر أن يأخذ الدرهمين ويتصرف فيهما ويقول على قضاء حقك من موضع آخر ؛ إذ الاختلاط من الجانبين وليس ملك أحدهما بان يقدر فائتا بأولى من الآخر إلا أن ينظر إلى الأقل فيقدر أنه فائت فيه أو ينظر إلى الذى خلط فيجعل بفعله متلفا لحق غيره وكلاهما بعيدان جدا . وهذا واضح فى ذوات الأمثال فإنها تقع عوضا فى الإتلافات من غير عقد فأما إذا اشتبه دار بدور أو عبد بعبيد فلا سبيل إلى المصالحة والتراضى فإن أبى أن يأخذ إلا عين حقه ولم يقدر عليه وأراد الآخر أن يعوق عليه جميع ملكه ، فإن كانت متماثلة القيم فالطريق أن يبيع القاضى جميع الدور ويوزع عليهم الثمن بقدر النسبة وإن كانت متفاوتة أخذ من طالب البيع قيمة أنفس الدور وصرف إلى الممتنع منه مقدار قيمة الأقل ، ويوقف قدر التفاوت إلى البيان أو الإصلاح لأنه مشكل ، وإن لم يوجد القاضى فللذى يريد الخلاص وفى يده الكل أن يتولى ذلك بنفسه ، هذه هى المصلحة وماعداها من الاحتمالات ضعيفة لانختارها وفيما سبق تنبيه على العلة ، وهذا فى الحنطة ظاهر ، وفى النقود دونه ، وفى العروض أغمض ، إذ لايقع البعض بدلا عن البعض ، فلذلك احتيج إلى البيع ولترسم مسائل يتم بها بيان هذا الأصل :

مسألة : إذا ورث مع جماعة وكان السلطان قد غصب ضيعة لمورثهم فرد عليه قطعة معينة فهى لجميع الورثة . ولو رد من الضيعة نصفا وهو قدر حقه ساهمه الورثة ، فإن النصف الذى له لايتميز حتى يقال : هو المردود ، والباقى هو المغصوب ، ولا يصير مميزا بنية السلطان ، وقصده حصر الغصب فى نصيب الآخرين .

مسألة . إذا وقع فى يده مال أخذه من سلطان ظالم ثم تاب والمال عقار وكان قد حصل منه انتفاع ؛ فينبغى أن يحسب أجر مثله لطول تلك المدة ، وكذلك كل مغصوب له منفعة أو حصل منه زيادة ، فلا تصح توبته مالم يخرج أجرة المغصوب ، وكذلك كل زيادة حصلت منه وتقدير أجرة العبيد والثياب والأوانى وأمثال ذلك مما لايعتاد إجارتها مما يعسر ولا يدرك ذلك إلا باجتهاد وتخمين ، وهكذا كل التقويمات تقع بالاجتهاد وطريق الورع الأخذ بالأقصى ، وماربحه على المال المغصوب فى عقود عقدها على الذمة وقضى الثمن منه ، فهو ملك له ولكن فيه شبهة ، إذ كان ثمنه حراما كما سبق حكمه ، وإن كان بأعيان تلك الأموال فالعقود كانت فاسدة ، وقد قيل : تنفذ بإجازة المغصوب منه المصلحة فيكون المغصوب منه أولى به ، والقياس أن تلك العقود تفسخ وتسترد الثمن وترد الأعواض فإن عجز عنه لكثرته فهى أموال حرام حصلت فى يده فللمغصوب منه قدر رأس ماله ، والفضل حرام يجب إخراجه لتتصدق به ، ولايحل للغاصب ولا للمغصوب منه ، بل حكمه حكم كل حرام يقع فى يده .

مسألة : من ورث مالا ولم يدر أن مورثه من أين اكتسبه أمن حلال أم من حرام ولم يكن ثم علامة ، فهو حلال باتفاق العلماء ، وإن علم أن فيه حراما وشك فى قدره أخرج مقدار الحرام بالتحرى ، فإن لم يعلم ذلك ولكن علم أن مورثه كان يتولى أعمالا للسلاطين واحتمل أنه لم يكن يأخذ فى عمله شيئا ، أو كان قد أخذ ولم يبق فى يده منه شىء لطول المدة ، فهذه شبهة يحسن التورع عنها ولايجب ، وإن علم أن بعض ماله كان من الظلم فيلزمه إخراج ذلك القدر بالاجتهاد . وقال بعض العلماء : لايلزمه والإثم على المورث ، واستدل بما روى أن رجلا ممن ولى عمل السلطان مات ، فقال صحابى : الآن طاب ماله : أى لوارثه ، وهذا ضعيف ، لأنه لم يذكر اسم الصحابى ولعله صدر من متساهل ، فقد كان فى الصحابة من يتساهل ، ولكن لانذكره لحرمة الصحبة ، وكيف يكون موت الرجل مبيحا للحرام المتيقن المختلط ومن أين يؤخذ هذا ؟ نعم إذا لم يتيقن يجوز أن يقال : هو غير مأخوذ بما لايدرى ، فيطيب لوارث لايدرى أن فيه حراما يقينا .

النظر الثانى : فى المصرف

فإذا أخرج الحرام فله ثلاثة أحوال :

إما أن يكون له مالك معين فيجب الصرف إليه أو إلى وارثه ، وإن كان غائبا فينتظر حضوره أو الإيصال إليه ، وإن كانت له زيادة ومنفعة فلتجمع فوائده إلى وقت حضوره .

وإما أن يكون لمالك غير معين وقع اليأس من الوقوف على عينه ولا يدرى أنه مات عن وارث أم لا ، فهذا لايمكن الرد فيه للمالك ويوقف حتى يتضح الأمر فيه ، وربما لا يمكن الرد لكثرة الملاك ، كغلول الغنيمة فإنها بعد تفرق الغزاة ، كيف يقدر على جمعهم ، وإن قدر فكيف يفرق دينارا واحدا مثلا على ألف أو ألفين ، فهذا ينبغى أن يتصدق به .

وإما من مال الفىء والأموال المرصدة لمصالح المسلمين كافة ، فيصرف ذلك إلى القناطر والمساجد والرباطات ومصانع طريق مكة ، وأمثال هذه الأمور التى يشترك فى الانتفاع بها كل من يمر بها من المسلمين ، ليكون عاما للمسلمين ، وحكم القسم الأول لاشبهة فيه . أما التصدق وبناء القناطر فينبغى أن يتولاه القاضى فيسلم إليه المال إن وجد قاضيا متدينا ، وإن كان القاضى مستحلا فهو بالتسليم إليه ضامن لو ابتدأ به فيما لايضمنه ، فكيف يسقط عنه به ضمان قد استقر عليه ، بل يحكم من أهل البلد عالما متدينا ، فإن التحكيم أولى من الانفراد ، فإن عجز فليتول

ذلك بنفسه ، فإن المقصود الصرف . وأما عين الصارف فإنما نطلبه لمصارف دقيقة فى المصالح ، فلا يترك أصل الصرف بسبب العجز عن صارف هو أولى عند القدرة عليه .

* فإن قيل : مادليل جواز التصدّق بما هو حرام ؟ وكيف يتصدّق بما لايملك ؟ وقد ذهب جماعة إلى أن ذلك غير جائز لأنه حرام . وحكى عن الفضيل أنه وقع فى يده درهمان فلما علم أنهما من غير وجههما رماهما بين الحجارة وقال : لاأتصدّق إلا بالطيب ولاأرضى لغيرى مالا أرضاه لنفسى . * فنقول : نعم ، ذلك له وجه واحتمال . وإنما اخترنا خلافه للخبر والأثر والقياس : أما الخبر فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدّق بالشاة المصلية التى قدمت إليه فكلمته بأنها حرام ، إذ قال صلى الله عليه وسلم أطعموها الأسارى [1] ولما نزل قوله تعالى ﴿ الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ﴾ كذبه المشركون وقالوا للصحابة : ألاترون ما يقول صاحبكم ، يزعم أن الروم ستغلب ، فخاطرهم أبو بكر رضى الله عنه بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما حقق الله صدقه وجاء أبو بكر رضى الله عنه بما قامرهم به قال عليه الصلاة والسلام : هذا سحت ، فتصدق به وفرح المؤمنون بنصر الله ، وكان قد نزل تحريم القمار بعد إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له فى المخاطرة مع الكفار [2] وأما الأثر فإن ابن مسعود رضى الله عنه اشترى جارية فلم يظفر بمالكها لينقده الثمن ، فطلبه كثيرا فلم يجده ، فتصدّق بالثمن وقال : اللهم هذا عنه إن رضى وإلا فالأجر لى . وسئل الحسن رضى الله عنه عن توبة الغال وما يؤخذ منه بعد تفرّق الجيش ، فقال يتصدق به . وروى أن رجلا سوّلت له نفسه فغل مائة دينار من الغنيمة ، ثم أتى أميره ليردها عليه فأبى أن يقبضها وقال له : تفرّق الناس ، فأتى معاوية فأبى أن يقبض ، فأتى بعض النساك فقال : ادفع خمسها إلى معاوية ، وتصدّق بما يبقى ، فبلغ معاوية قوله ، فتلهف إذلم يخطر له ذلك ، وقد ذهب أحمد بن حنبل والحارس المحاسبى وجماعة من الورعين إلى ذلك .

وأما القياس فهو أن يقال : إن هذا المال مردد بين أن يضيع وبين أن يصرف إلى خير ، إذ قد وقع اليأس من مالكه ، وبالضرورة يعلم أن صرفه إلى خير أولى من إلقائه فى البحر ، فإنا إن رميناه فى البحر فقد فوّتناه على أنفسنا وعلى المالك ولم تحصل منه فائدة : وإذا رميناه فى يد فقير يدعو لمالكه حصل للمالك بركة دعائه وحصل للفقير سدّ حاجته ، وحصول الأجر للمالك بغير اختياره فى التصدّق لاينبغى أن ينكر . فإن فى الخبر الصحيح « إن للزارع والغارس أجرا فى كل مايصيبه الناس والطيور من ثماره وزرعه [3] » وذلك بغير اختياره ، وأما قول القائل : لا تتصدق إلا بالطيب ، فذلك إذا طلبنا الأجر لأنفسنا ونحن الآن نطلب الخلاص من المظلمة لا الأجر

الباب الرابع : فى كيفية خروج التائب عن المظالم

(١) حديث : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالشاة المصلية التى قدمت بين يديه وكلمته بأنها حرام ، إذ قال « أطعموها الأسارى » رواه أحمد من حديث رجل من الأنصار قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة ، فلما رجعنا لقينا راعى امرأة من قريش فقال : إن فلانة تدعوك ومن معك إلى طعام ... الحديث ، وفيه : فقال « أجد لحم شاة أخذت بغير إذن أهلها » وفيه فقال « أطعموها الأسارى » وإسناده جيد . (٢) حديث : مخاطرة أبى بكر المشركين بإذنه صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى (الم غلبت الروم) وفيه فقال صلى الله عليه وسلم « هذا سحت » فتصدق به . أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة من حديث ابن عباس ، وليس فيه أن ذلك كان بإذنه صلى الله عليه وسلم ، والحديث عند الترمذى وحسنه ، والحاكم وصححه دون قوله أيضا « هذا سحت » فتصدق به .

(٣) حديث « أجر الزارع والغارس فى كل ما يصيب الناس والطيور » أخرجه البخارى من حديث أنس « ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كان له صدقة » .

وترددنا بين التضييع وبين التصدّق ورجحنا جانب التصدّق على جانب التضييع . وقول القائل : لانرضى لغيرنا مالانرضاه لأنفسنا ، فهو كذلك ولكنه علينا حرام لاستغنائنا عنه وللفقير حلال إذ أحله دليل الشرع ، وإذا اقتضت المصلحة التحليل وجب التحليل وإذا حل فقد رضينا له الحلال ونقول إن له أن يتصدّق على نفسه وعياله إذا كان فقيرا . أما عياله وأهله فلا يخفى لأن الفقر لاينتفى عنهم بكونهم من عياله وأهله بل هم أولى من يتصدّق عليهم ، وأما هو فله أن يأخذ منه قدر حاجته لأنه أيضا فقير ولو تصدّق به على فقير لجاز وكذا إذا كان هو الفقير ، ولنرسم فى بيان هذا الأصل أيضا مسائل

مسألة : إذا وقع فى يده مال من يد سلطان قال قوم : يرد إلى السلطان فهو أعلم بما تولاه فيقلده ما تقلده وهو خير من أن يتصدّق به ، واختار المحاسبى ذلك وقال : كيف يتصدّق به فلعل له مالكا معينا ؟ ولو جاز ذلك لجاز أن يسرق من السلطان ويتصدّق به ، وقال قوم : يتصدق به إذا علم أن السلطان لا يرده إلى المالك لأنّ ذلك إعانة للظالم وتكثير لأسباب ظلمه فالرد إليه تضييع لحق المالك ، والمختار أنه إذا علم من عادة السلطان أنه لا يرده إلى مالكه فيتصدق به عن مالكه فهو خير للمالك إن كان له مالك معين من أن يرد على السلطان لأنه ربما لايكون له مالك معين ويكون حق المسلمين فرده على السلطان تضييع فإن كان له مالك معين فالرد على السلطان تضييع وإعانة للسلطان الظالم وتفويت لبركة دعاء الفقير على المالك وهذا ظاهر ، فإذا وقع فى يده من ميراث ولم يتعدّ هو بالأخذ من السلطان فإنه شبيه باللقطة التى أيس عن معرفة صاحبها إذ لم يكن له أن يتصرف فيها بالتصدّق عن المالك ولكن له أن يتملكها ثم . وإن كان غنيا من حيث أنه اكتسبه من وجه مباح وهو الالتقاط وههنا لم يحصل المال من وجه مباح فيؤثر فى منعه من التملك ولا يؤثر فى المنع من التصدّق .

مسألة : إذا حصل فى يده مال لامالك له وجوزنا له أن يأخذ قدر حاجته لفقره ففى قدر حاجته نظر ذكرناه فى كتاب أسرار الزكاة ، فقد قال قوم : يأخذ كفاية سنة لنفسه وعياله وإن قدر على شراء ضيعة أو تجارة يكتسب بها للعائلة فعل ، وهذا مااختاره المحاسبى ولكنه قال : الأولى أن يتصدّق بالكل إن وجد من نفسه قوة التوكل وينتظر لطف الله تعالى فى الحلال ، فإن لم يقدر فله أن يشترى ضيعة أو يتخذ رأس مال يتعيش بالمعروف منه وكل يوم وجد فيه حلالا أمسك ذلك اليوم عنه ، فإذا فنى عاد إليه ، فإذا وجد حلالا معينا تصدق بمثل ماأنفقه من قبل ويكون ذلك قرضا عنده ، ثم إنه يأكل الخبز ويترك اللحم إن قوى عليه وإلا أكل اللحم من غير تنعم وتوسع ، وما ذكره لامزيد عليه ولكن جعل ما أنفقه قرضا عنده فيه نظر ولا شك فى أن الورع أن يجعله قرضا ، فإذا وجد حلالا تصدّق بمثله . ولكن مهما لم يجب ذلك على الفقير الذى يتصدّق به عليه فلا يبعد أن لا يجب عليه أيضا إذا أخذه لفقره لاسيما إذا وقع فى يده من ميراث ولم يكن متعديا بغصبه وكسبه حتى يغلظ الأمر عليه فيه .

مسألة : إذا كان فى يده حلال وحرام أو شبهة وليس يفضل الكل عن حاجته فإذا كان له عيال فليخص نفسه بالحلال لأن الحجة عليه أوكد فى نفسه منه فى عبده وعياله وأولاده الصغار والكبار من الأولاد يحرسهم من الحرام إن كانّ لايفضى بهم إلى ماهو أشد منه فإن أفضى فيطعمهم بقدر الحاجة . وبالجملة كل ما يحذره فى غيره فهو محذور فى نفسه وزيادة وهو أنه يتناول مع العلم والعيال ربما تعذر إذا لم تعلم إذ لم تتول الأمر بنفسها فليبدأ بالحلال بنفسه ثم بمن يعول ، وإذا تردد فى حق نفسه بين مايخص قوته وكسوته وبين غيره من المؤن كأجرة الحجام والصباغ والقصار والحمال والاطلاء بالنورة والدهن وعمارة المنزل وتعهد الدابة وتسجير التنور وثمن الحطب ودهن السراج فليخص

بالحلال قوته ولباسه ، فإن مايتعلق ببدنه ـ ولاغنى به عنه ـ هو أولى بأن يكون طيبا وإذا دار الأمر بين القوت واللباس فيحتمل أن يقال يخص القوت بالحلال لأنه ممتزج بلحمه ودمه ، وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به . وأما الكسوة ففائدتها ستر عورته ودفع الحر والبرد والأبصار عن بشرته وهذا هو الأظهر عندى . وقال الحارث المحاسبي يقدم اللباس لأنه يبقى عليه مدة والطعام لايبقى عليه لما روى أنه « لايقبل الله صلاة من عليه ثوب اشتراه بعشرة دراهم فيها درهم حرام [1] » وهذا محتمل ولكن أمثال هذا قد ورد فيمن فى بطنه حرام ونبت لحمه من حرام [2] فمراعاة اللحم والعظم أن ينبته من الحلال أولى ، ولذلك تقيأ الصدّيق رضى الله عنه ما شربه مع الجهل حتى لاينبت منه لحم يثبت ويبقى .

* فإن قيل : فإذا كان الكل منصرفا إلى أغراضه فأى فرق بين نفسه وغيره وبين جهة وجهة ومامدرك هذا الفرق ؟ قلنا : عرف ذلك بما روى أنّ رافع بن خديج رحمه الله مات وخلف ناضحا وعبدا حجاما فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنهى عن كسب الحجام فروجع مرات فمنع منه فقيل : إنّ له أيتاما فقال : أعلفوه الناضح [3] فهذا يدل على الفرق بين مايأكله هو أو دابته فإذا انفتح سبيل الفرق فقس عليه التفصيل الذى ذكرناه .

مسألة : الحرام الذى فى يده لو تصدّق به على الفقراء فله أن يوسع عليهم وإذا أنفق على نفسه فليضيق ماقدر وما أنفق على عياله فليقتصد ، وليكن وسطا بين التوسيع والتضييق فيكون الأمر على ثلاث مراتب . فإن أنفق على ضيف قدم عليه وهو فقير فليوسع عليه ، وإن كان غنيا فلا يطعمه إلا إذا كان فى برية أو قدم ليلا ولم يجد شيئا فإنه فى ذلك الوقت فقير ، وإن كان الفقير الذى حضر ضيفا تقيا لو علم ذلك لتورّع عنه فليعرض الطعام وليخبره جمعا بين حق الضيافة وترك الخداع فلا ينبغى أن يكرم أخاه بما يكره ، ولاينبغى أن يعوّل على أنه لايدرى فلا يضره فإنّ الحرام إذا حصل فى المعدة أثر فى قساوة القلب وإن لم يعرفه صاحبه ، ولذلك تقيأ أبوبكر وعمر رضى الله عنهما وكانا قد شربا على جهل ، وهذا وإن أفتينا بأنه حلال للفقراء أحللناه بحكم الحاجة إليه فهو كالخنزير والخمر إذا أحللناهما بالضرورة فلا يلتحق بالطيبات .

مسألة : إذا كان الحرام أو الشبهة فى يد أبويه فليمتنع عن مؤاكلتهما فإن كانا يسخطان فلا يوافقهما على الحرام المحض بل ينهاهما فلا طاعة لمخلوق فى معصية الله تعالى ، فإن كان شبهة وكان امتناعه للورع فهذا قد عارضه أن الورع طلب رضاهما بل هو واجب فليتلطف فى الامتناع ، فإن لم يقدر فليوافق وليقلل الأكل بأن يصغر اللقمة ويطيل المضغ ولايتوسع فإن ذلك عدوان والأخ والأخت قريبان من ذلك لأنّ حقهما أيضا مؤكد ، وكذلك إذا ألبسته أمه ثوبا من شبهة وكانت تسخط برده فليقبل وليلبس بين يديها وليتنزع فى غيبتها وليجتهد أن لايصلى فيه إلا عند حضورها فيصلى فيه صلاة المضطر ، وعند تعارض أسباب الورع ينبغى أن يتفقد هذه الدقائق . وقد حكى عن بشر رحمه الله أنه سلمت إليه أمه رطبة وقالت : بحق عليك أن تأكلها وكان يكرهه فأكل ثم صعد غرفة فصعدت

---

(١) حديث « لاتقبل صلاة من عليه ثوب اشتراه بعشرة دراهم وفيها درهم حرام » أخرجه أحمد من حديث ابن عمر وقد تقدم . (٢) حديث الجسد نبت من الحرام تقدم . (٣) حديث : أن رافع بن خديج مات وخلف ناضحا وعبدا حجاما ... الحديث . وفيه « أعلفوه الناضح » أخرجه أحمد والطبرانى من رواية عباية بن رفاعة بن خديج أن جده حين مات ترك جارية وناضحا وغلاما حجاما ... الحديث . وليس المراد بجده رافع بن خديج فانه بقى الى سنة أربع وسبعين فيحتمل أن المراد جده الأعلى وهو خديج ولم أره ذكراً فى الصحابة وفى رواية للطبرانى عن عباية بن رفاعه عن أبيه قال « مات أبى » وفى رواية له عن عباية قال « مات رفاعة على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ... الحديث » وهو مضطرب .

أمه وراءه فرأته يتقيأ ، وإنما فعل ذلك لأنه أراد أن يجمع بين رضاها وبين صيانة المعدة . وقد قيل لأحمد بن حنبل : سئل بشر هل للوالدين طاعة فى الشبهة ؟ فقال : لا . فقال أحمد : هذا شديد . فقيل له : سئل محمد بن مقاتل العبادانى عنها فقال : بر والديك ؛ فماذا تقول ؟ فقال للسائل : أحب أن تعفينى فقد سمعت ماقالا ثم قال : ماأحسن أن تداريهما .

مسألة : من فى يده مال حرام محض فلا حج عليه ولايلزمه كفارة مالية لأنه مفلس ولاتجب عليه الزكاة إذ معنى الزكاة وجوب إخراج ربع العشر مثلا ، وهذا يجب عليه إخراج الكل إما ردا على المالك إن عرفه أو صرفا إلى الفقراء إن لم يعرف المالك ، وأما إذا كان مال شبهة يحتمل أنه حلال فإذا لم يخرجه من يده لزمه الحج لأن كونه حلالا ممكن ولايسقط الحج إلا بالفقر ولم يتحقق فقره وقد قال الله تعالى ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ﴾ وإذا وجب عليه التصدق بما يزيد على حاجته حيث يغلب على ظنه تحريمه فالزكاة أولى بالوجوب ، وإن لزمته كفارة فليجمع بين الصوم والإعتاق ليتخلص بيقين . وقد قال قوم : يلزمه الصوم دون الإطعام إذ ليس له يسار معلوم . وقال المحاسبى : يكفيه الإطعام . والذى نختاره : أن كل شبهة حكمنا بوجوب اجتنابها وألزمناه إخراجها من يده لكون احتمال الحرام أغلب على ماذكرناه فعليه الجمع بين الصوم والإطعام ، أما الصوم فلأنه مفلس حكما ، وأما الإطعام فلأنه قد وجب عليه التصدق بالجميع ويحتمل أن يكون له فيكون اللزوم من جهة الكفارة .

مسألة : من فى يده مال حرام أمسكه للحاجة فأراد أن يتطوع بالحج فإن كان ماشيا فلا بأس به لأنه سيأكل هذا المال فى غير عبادة فأكله فى عبادة أولى . وإن كان لايقدر على أن يمشى ويحتاج إلى زيادة للمركوب فلا يجوز الأخذ لمثل هذه الحاجة فى الطريق كما لايجوز شراء المركوب فى البلد . وإن كان يتوقع القدرة على حلال لو أقام بحيث يستغنى به عن بقية الحرام فالإقامة فى انتظاره أولى من الحج ماشيا بالمال الحرام .

مسألة : من خرج لحج واجب بمال فيه شبهة فليجتهد أن يكون قوته من الطيب ، فإن لم يقدر فمن وقت الإحرام إلى التحلل ، فإن لم يقدر فليجتهد يوم عرفة أن لايكون قيامه بين يدى الله ودعاؤه فى وقت مطعمه حرام وملبسه حرام ؛ فليجتهد أن لايكون فى بطنه حرام ولا على ظهره حرام فإنا وإن جوزنا هذا بالحاجة فهو نوع ضرورة ، وما ألحقناه بالطيبات ، فإن لم يقدر فليلازم قلبه الخوف والغم لما هو مضطر إليه من تناول ماليس بطيب فعساه ينظر إليه بعين الرحمة ويتجاوز عنه بسبب حزنه وخوفه وكراهته .

مسألة : سئل أحمد بن حنبل رحمه الله فقال له قائل : مات أبى وترك مالا وكان يعامل من تكره معاملته ، فقال : تدع من ماله بقدر ماربح ، فقال : له دين وعليه دين ، فقال : تقضى وتقتضى ، فقال : أفترى ذلك ؟ فقال : أفتدعه محتبسا بدينه ؟ وماذكره صحيح وهو يدل على أنه رأى التحرى بإخراج مقدار الحرام إذ قال : يخرج قدر الربح ، وأنه رأى أن أعيان أمواله ملك له بدلا عما بذله فى المعاوضات الفاسدة بطريق التقاص والتقابل مهما كثر التصرف وعسر الرد ، وعوّل فى قضاء دينه على أنه يقين فلا يترك بسبب الشبهة .

الباب الخامس : فى إدرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم

اعلم أن من أخذ مالا من سلطان فلابد له من النظر فى ثلاثة أمور : فى مدخل ذلك إلى يد السلطان من أين هو ؟ وفى صفته التى بها يستحق الأخذ . وفى المقدار الذى يأخذه هل يستحقه إذا أضيف إلى حاله وحال شركائه فى الاستحقاق ؟ .

النظر الأول : فى جهات الدخل للسلطان

وكل مايحل للسلطان سوى الإحياء وما يشترك فيه الرعية قسمان :

مأخوذ من الكفار ـ وهو الغنيمة المأخوذة بالقهر ـ والفىء ، وهو الذى حصل من مالهم فى يده من غير قتال ، والجزية وأموال المصالحة ، وهى التى تؤخذ بالشروط والمعاقدة .

والقسم الثانى : المأخوذ من المسلمين ـ فلا يحل منه إلا قسمان : المواريث وسائر الأموال الضائعة التى لا يتعين لها مالك ، والأوقاف التى لامتولى لها . أما الصدقات فليست توجد فى هذا الزمان . وما عدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين والمصادرات وأنواع الرشوة كلها حرام .

فإذا كتب لفقيه أو غيره إدرار أو صلة أو خلعة على جهة فلا يخلو من أحوال ثمانية : فإنه إما أن يكتب له ذلك على الجزية ، أو على المواريث ، أو على الأوقاف ، أو على ملك أحياء السلطان ، أو على ملك اشتراه ، أو على عامل خراج المسلمين ، أو على بياع من جملة التجار ، أو على الخزانة .

فالأول : هو الجزية وأربعة أخماسها للمصالح وخمسها لجهات معينة . فما يكتب على الخمس من تلك الجهات أو على الأخماس الأربعة لما فيه مصلحة وروعى فيه الاحتياط فى القدر فهو حلال ، بشرط أن لاتكون الجزية إلا مضروبة على وجه شرعى ليس فيها زيادة على دينار أو على أربعة دنانير ، فإنه أيضا فى محل الاجتهاد وللسلطان أن يفعل ماهو فى محل الاجتهاد ، وبشرط أن يكون الذمى الذى تؤخذ الجزية منه مكتسبا من وجه لايعلم تحريمه فلا يكون عامل سلطان ظالما ولا بياع خمر ولا صبيا ولا امرأة ، إذ لاجزية عليهما . فهذه أمور تراعى فى كيفية ضرب الجزية ومقدارها وصفة من تصرف إليه ومقدار مايصرف فيجب النظر فى جميع ذلك .

الثانى : المواريث والأموال الضائعة فهى للمصالح والنظر أن الذى خلفه هل كان ماله كله حراما أو أكثره أو أقله وقد سبق حكمه ، فإن لم يكن حراما بقى النظر فى صفة من يصرف إليه بأن يكون فى الصرف إليه مصلحة ثم فى المقدار المصروف .

الثالث : الأوقاف ، وكذا يجرى النظر فيها كما يجرى فى الميراث مع زيادة أمر وهو شرط الواقف حتى يكون المأخوذ موافقا له فى جميع شرائطه .

الرابع : ماأحياه السلطان ، وهذا لايعتبر فيه شرط إذ له أن يعطى من ملكه ماشاء لمن شاء أى قدر شاء . وإنما النظر فى أن الغالب أنه أحياه بإكراه الأجراء أو بأداء أجرتهم من حرام . فإن الإحياء يحصل بحفر القناة والأنهار وبناء الجدران وتسوية الأرض ولا يتولاه السلطان بنفسه . فإن كانوا مكرهين على الفعل لم يملكه السلطان وهو حرام وإن كانوا مستأجرين ثم قضيت أجورهم من الحرام فهذا يورث شبهة قد نبهنا عليها فى تعلق الكراهة بالأعواض .

الخامس : ما اشتراه السلطان فى الذمة من أرض أو ثياب خلعة أو فرس أو غيره فهو ملكه وله أن يتصرف فيه ولكنه سيقضى ثمنه من حرام وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة أخرى . وقد سبق تفصيله .

السادس : أن يكتب على عامل خراج المسلمين أو من يجمع أمواله القسمة والمصادرة وهو الحرام السحت الذى لاشبهة فيه ، وهو أكثر الإدرارات فى هذا الزمان إلا ما على أراضى العراق فإنها وقف عند الشافعى رحمه الله على مصالح المسلمين .

السابع : ما يكتب على بياع يعامل السلطان فإن كان لا يعامل غيره فما له كمال خزانة السلطان . وإن كان يعامل غير السلاطين أكثر فما يعطيه قرض على السلطان وسيأخذ بدله من الخزانة فالخلل يتطرق إلى العوض . وقد سبق حكم الثمن الحرام .

الثامن : ما يكتب على الخزانة أو على عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام فإن لم يعرف للسلطان دخل إلا من الحرام فهو سحت محض . وإن عرف يقينا أن الخزانة تشتمل على مال حلال ومال حرام واحتمل أن يكون ما يسلم إليه بعينه من الحلال احتمالا قريباً له وقع فى النفس ، واحتمل أن يكون من الحرام وهو الأغلب لأن أغلب أموال السلاطين حرام فى هذه الأعصار والحلال فى أيديهم معدوم أو عزيز فقد اختلف الناس فى هذا فقال قوم : كل ما لاأتيقن أنه حرام فلى أن آخذه ، وقال آخرون : لايحل أن يؤخذ مالم يتحقق أنه حلال فلا تحل شبهة أصلا . وكلاهما إسراف ، والاعتدال ماقدمنا ذكره وهو الحكم بأن الأغلب إذا كان حراما حرم وإن كان الأغلب حلالا وفيه يقين حرام فهو موضع توقفنا فيه كما سبق .

ولقد احتج من جوز أخذ أموال السلاطين إذا كان فيها حرام وحلال ـ مهما لم يتحقق أن عين المأخوذ حرام ـ بما روى عن جماعة من الصحابة أنهم أدركوا أيام الأئمة الظلمة وأخذوا الأموال : منهم أبو هريرة وأبو سعيد الخدرى وزيد بن ثابت وأبو أيوب الأنصارى وجرير بن عبد الله وجابر وأنس بن مالك والمسور بن مخرمة . فأخذ أبو سعيد وأبو هريرة من مروان ويزيد بن عبد الملك . وأخذ ابن عمر وابن عباس من الحجاج . وأخذ كثير من التابعين منهم كالشعبى وإبراهيم والحسن وابن أبى ليلى . وأخذ الشافعى من هرون الرشيد ألف دينار فى دفعة . وأخذ مالك من الخلفاء أموالا جمة وقال على رضى الله عنه : خذ مايعطيك السلطان فإنما يعطيك من الحلال ومايأخذ من الحلال أكثر . وإنما ترك من ترك العطاء منهم تورعا مخافة على دينه أن يحمل على مالا يحل . ألا ترى قول أبى ذر للأحنف بن قيس : خذ العطاء ما كان نحلة فإذا كان أثمان دينكم فدعوه ؟ وقال أبو هريرة رضى الله عنه : إذا أعطينا قبلنا وإذا منعنا لم نسأل . وعن سعيد بن المسيب : أن أبا هريرة رضى الله عنه كان إذا أعطاه معاوية سكت وإن منعه وقع فيه . وعن الشعبى عن مسروق : لايزال العطاء بأهل العطاء حتى يدخلهم النار ـ أى يحمله ذلك على الحرام لا أنه فى نفسه حرام ـ وروى نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما : أن المختار كان يبعث إليه المال فيقبله ثم يقول : لاأسأل أحدا ولا أرد مارزقنى الله . وأهدى إليه ناقة فقبلها وكان يقال لها ناقة المختار ، ولكن هذا يعارضه ماروى أن ابن عمر رضى الله عنهما لم يرد هدية أحد إلا هدية المختار ، والإسناد فى رده أثبت . وعن نافع أنه قال : بعث ابن معمر إلى ابن عمر بستين ألفا فقسمها على الناس ، ثم جاءه سائل فاستقرض له من بعض من أعطاه وأعطى السائل . ولما قدم الحسن بن على رضى الله عنهما على معاوية رضى الله عنه فقال : لأجيزك بجائزة لم أجزها أحدا قبلك من العرب ولا أجيزها أحداً بعدك من العرب ، قال : فأعطاه أربعمائة ألف درهم فأخذها . وعن حبيب

ابن أبى ثابت قال : لقد رأيت جائزة المختار لابن عمر وابن عباس فقبلاها فقيل ماهى ؟ قال : مال وكسوة . وعن الزبير بن عدى أنه قال : قال سلمان إذا كان لك صديق عامل أو تاجر يقارف الربا فدعاك إلى طعام أو نحوه أو أعطاك رشيئا فاقبل فإن المهنأ لك وعليه الوزر . فإن ثبت هذا فى المربى فالظالم فى معناه . وعن جعفر عن أبيه أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا يقبلان جوائز معاوية . وقال حكيم بن جبير : مررنا على سعيد بن جبير وقد جعل عاملا على أسفل الفرات فأرسل إلى العشارين أطعمونا مما عندكم فارسلوا بطعام فأكل وأكلنا معه . وقال العلاء بن زهير الأزدى : أتى إبراهيم أبى ـ وهو عامل على حلوان ـ فأجازه فقبل وقال إبراهيم : لابأس بجائزة العمال إن للعمال مؤنة ورزقا . ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب فما أعطاك فهو من طيب ماله . فقد أخذ هؤلاء كلهم جوائز السلاطين الظلمة وكلهم طعنوا على من أطاعهم فى معصية الله تعالى . وزعمت هذه الفرقة أن مانقل من امتناع جماعة من السلف لايدل على التحريم بل على الورع كالخلفاء الراشدين وأبى ذر وغيرهم من الزهاد فإنهم امتنعوا من الحلال المطلق زهدا ومن الحلال الذى يخاف إفضاؤه إلى محذور ورعا وتقوى . فإقدام هؤلاء يدل على الجواز وامتناع أولئك لايدل على التحريم . ومانقل عن سعيد بن المسيب أنه ترك عطاءه فى بيت المال حتى اجتمع بضعة وثلاثين ألفا ومانقل عن الحسن من قوله لاأتوضأ من ماء صيرفى ولو ضاق وقت الصلاة لأنى لاأدرى أصل ماله : كل ذلك ورع لاينكر ، واتباعهم عليه أحسن من اتباعهم على الاتساع ولكن لايحرم اتباعهم على الاتساع أيضا . فهذه هى شبهة من يجوز أخذ مال السلطان الظالم .

والجواب ، أن مانقل من أخذ هؤلاء محصور قليل بالإضافة إلى مانقل من ردهم وإنكارهم ، وإن كان يتطرق إلى امتناعهم احتمال الورع فيتطرق إلى أخذ من أخذ ثلاثة احتمالات متفاوتة فى الدرجة بتفاوتهم فى الورع فإن للورع فى حق السلاطين أربع درجات .

الدرجة الأولى : أن لا يأخذ من أموالهم شيئا أصلا كما فعله الورعون منهم ، وكما كان يفعله الخلفاء الراشدون حتى أن أبا بكر رضى الله عنه حسب جميع ما كان أخذه من بيت المال فبلغ ستة آلاف درهم فغرمها لبيت المال ، وحتى إن عمر رضى الله عنه كان يقسم مال بيت المال يوما فدخلت ابنة له وأخذت درهما من المال فنهض عمر فى طلبها حتى سقطت الملحفة من أحد منكبيه ودخلت الصبية إلى بيت أهلها تبكى وجعلت الدرهم فى فيها فأدخل عمر أصبعه فأخرجه من فيها وطرحه على الخراج وقال : أيها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر إلا ما للمسلمين قريبهم وبعيدهم . وكسح أبو موسى الأشعرى بيت المال فوجد درهما فربى لعمر رضى الله عنه فأعطاه إياه فرأى عمر ذلك فى يد الغلام فسأله عنه فقال أعطانيه أبو موسى فقال . ياأبا موسى ما كان فى أهل المدينة بيت أهون عليك من آل عمر أردت أن لا يبقى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أحد إلا طلبنا بمظلمة ، ورد الدرهم إلى بيت المال . هذا مع أن المال كان حلالا ولكن خاف أن لايستحق هو ذلك القدر فكان يستبرئ لدينه ويقتصر على الأقل امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم « دع مايريبك إلى ما لا يريبك [1] » ولقوله « ومن تركها فقد استبرأ لعرضه ودينه [2] » ولما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من التشديدات فى الأموال السلطانية حتى قال صلى الله عليه وسلم حين

(١) حديث « دع مايريبك إلى مالايريبك » تقدم فى الباب الأول من الحلال والحرام . (٢) حديث « من تركها فقد استبرأ لدينه وعرضه » متفق عليه من حديث النعمان بن بشير وقد تقدم أوله فى أول الباب الثانى من الحلال والحرام .

بعث عبادة بن الصامت إلى الصدقة « اتق الله ياأبا الوليد لاتجئ يوم القيامة ببعير تحمله على رقبتك له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة لها تؤاج فقال يارسول الله أهكذا يكون ؟ قال نعم والذى نفسى بيده إلا من رحم الله . قال فوالذى بعثك بالحق لا أعمل على شىء أبدا [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنى لاأخاف عليكم أن تشركوا بعدى إنما أخاف عليكم أن تنافسوا [2] » وإنما خاف التنافس فى المال . ولذلك قال عمر رضى الله عنه فى حديث طويل يذكر فيه مال بيت المال : إنى لم أجد نفسى فيه إلا كالوالى مال اليتيم ؛ إن استغنيت استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف . وروى أن ابنا لطاوس افتعل كتابا عن لسانه إلى عمر بن عبدالعزيز فأعطاه ثلثمائة دينار ؛ فباع طاوس ضيعة له وبعث من ثمنها إلى عمر بثلثمائة دينار ، هذا مع أن السلطان ليس مثل عمر بن عبد العزيز . فهذه الدرجة العليا فى الورع .

الدرجة الثانية : هو أن يأخذ مال السلطان ولكن إنما يأخذ إذا علم أن ما يأخذه من جهة حلال فاشتمال يد السلطان على حرام آخر لايضره ، وعلى هذا ينزل جميع ما نقل من الآثار أو أكثرها أو ما اختص منها باكابر الصحابة والورعين منهم مثل ابن عمر فإنه كان من المبالغين فى الورع فكيف يتوسع فى مال السلطان ، وقد كان من أشدهم إنكارا عليهم وأشدهم ذما لأموالهم ؟ وذلك أنهم اجتمعوا عند ابن عامر ـ وهو فى مرضه وأشفق على نفسه من ولايته وكونه مأخوذا عند الله تعالى بها ـ فقالوا له : إنا لنرجو لك الخير ، حفرت الآبار وسقيت الحاج وصنعت ... وصنعت ... وابن عمر ساكت ، فقال : ماذا تقول يا ابن عمر ؟ فقال : أقول ذلك إذا طاب المكسب وزكت النفقة وسترد فترى . وفى حديث آخر أنه قال إن الخبيث لايكفر الخبيث وإنك قد وليت البصرة ولا أحسبك إلا قد أصبت منها شرا . فقال له ابن عامر : ألا تدعو لى ، فقال : ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يقبل الله صلاة بغير طهورا ولا صدقة من غلول [3] » وقد وليت البصرة فهذا قوله فيما صرفه إلى الخيرات . وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال فى أيام الحجاج : ماشبعت من الطعام منذ انتهبت الدار إلى يومى هذا وروى عن على رضى الله عنه أنه كان له سويق فى إناء مختوم يشرب منه فقيل : أتفعل هذا بالعراق مع كثرة طعامه ؟ فقال : أما إنى لاأختمه بخلابه ولكن أكره أن يجعل فيه ماليس منه واكره أن يدخل بطنى غير طيب ، فهذا هو المألوف منهم وكان ابن عمر لايعجبه شىء إلا خرج عنه فطلب منه نافع بثلاثين ألفا فقال : إنى أخاف أن تفتنى دراهم ابن عامر وكان هو الطالب اذهب فأنت حر . وقال أبو سعيد الخدرى : مامنا أحد إلا مالت به الدنيا إلا ابن عمر ؟ فبهذا يتضح أنه لايظن به وبمن كان فى منصبه أنه أخذ مالا يدرى أنه حلال .

الدرجة الثالثة : أن يأخذ ماأخذه من السلطان ليتصدق به على الفقراء أو يفرقه على المستحقين ، فإن مالا يتعين مالكه هذا حكم الشرع فيه . فإذا كان السلطان إن لم يأخذ منه لم يفرقه واستعان به على ظلم فقد نقول أخذه منه وتفرقته أولى من تركه فى يده ، وهذا قد رآه بعض العلماء وسيأتى وجهه . وعلى هذا ينزل ماأخذه أكثرهم ولذلك قال ابن المبارك : إن الذين يأخذون الجوائز اليوم ويحتجون بابن عمر وعائشة مايقتدون بهما ؟ لأن ابن عمر فرق ماأخذ حتى استقرض فى مجلسه بعد تفرقته ستين ألفا ، وعائشة فعلت مثل ذلك ، وجابر بن زيد جاءه مال فتصدق به وقال : رأيت أن آخذه منهم وأتصدق أحب إلى من أن أدعها فى أيديهم ، وهكذا فعل الشافعى رحمه الله بما قبله

---

(١) حديث « قال لعبادة بن الصامت حين بعثه إلى الصدقة اتق الله يا أبا الوليد لاتجئ يوم القيامة ببعير تحمله على رقبتك . . الحديث » أخرجه الشافعى فى المسند من حديث طاوس مرسلا ولأبى يعلى فى المعجم من حديث ابن عمر مختصراً أنه قاله لسعد بن عبادة وإسناده صحيح . (٢) حديث « انى لاأخاف عليكم أن تشركوا بعدى انما أخاف عليكم أن تنافسوا » متفق عليه من حديث عقبة بن عامر . (٣) حديث « لايقبل الله صلاة بغير طهور ولاصدقة من غلول » أخرجه مسلم من حديث ابن عمر

من هرون الرشيد فإنه فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه حبة واحدة .

الدرجة الرابعة : أن لا يتحقق أنه حلال ولا يفرق بل يستبق ولكن يأخذ من سلطان أكثر ماله حلال ، وهكذا كان الخلفاء فى زمان الصحابة رضى الله عنهم ، والتابعين بعد الخلفاء الراشدين ولم يكن أكثر مالهم حراما . ويدل عليه تعليل على رضى الله عنه حيث قال : فإن ما يأخذه من الحلال أكثر . فهذا مما قد جوزه جماعة من العلماء تعويلا على الأكثر . ونحن إنما توقفنا فيه فى حق آحاد الناس ، ومال السلطان أشبه بالخروج عن الحصر فلا يبعد أن يؤدى اجتهاد مجتهد إلى جواز أخذ مالم يعلم أنه حرام اعتمادا على الأغلب ، وإنما منعناه إذا كان الأكثر حراما فإذا فهمت هذه الدرجات تحققت أن إدرارات الظلمة فى زماننا لا تجرى مجرى ذلك وأنها تفارقه من وجهين قاطعين

أحدهما : أن أموال السلاطين فى عصرنا حرام كلها أو أكثرها ، وكيف لا والحلال هو الصدقات والفىء والغنيمة لا وجود لها وليس يدخل منها شئ فى يد السلطان ؟ ولم يبق إلا الجزية وأنها تؤخذ بأنواع من الظلم لا يحل أخذها به فإنهم يجاوزون حدود الشرع فى المأخوذ والمأخوذ منه والوفاء له بالشرط ، ثم إذا نسبت ذلك إلى ماينصب إليهم من الخراج المضروب على المسلمين ومن المصادرات والرشا وصنوف الظلم لم يبلغ عشر معشار عشيره .

والوجه الثانى : أن الظلمة فى العصر الأول لقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين كانوا مستشعرين من ظلمهم ومتشوفين إلى استمالة قلوب الصحابة والتابعين وحريصين على قبولهم عطاياهم وجوائزهم ، وكانوا يبعثون إليهم من غير سؤال وإذلال بل كانوا يتقلدون المنة بقبولهم ويفرحون به ، وكانوا يأخذون منهم ويفرقون ولا يطيعون السلاطين فى أغراضهم ولا يغشون مجالسهم ولا يكثرون جمعهم ولا يحبون بقاءهم بل يدعون عليهم ويطلقون اللسان فيهم وينكرون المنكرات منهم عليهم ، فما كان يحذر أن يصيبوا من دينهم بقدر ما أصابوا من دنياهم ولم يكن يأخذهم بأس ، فأما الآن فلا تسمح نفوس السلاطين بعطية إلا لمن طمعوا فى استخدامهم والتكثر بهم والاستعانة بهم على أغراضهم والتجمل بغشيان مجالسهم وتكليفهم المواظبة على الدعاء والثناء والتزكية والإطراء فى حضورهم ومغيبهم . فلو لم يذل الآخذ نفسه بالسؤال أولا ، وبالتردد فى الخدمة ثانيا ، وبالثناء والدعاء ثالثا ، وبالمساعدة له على أغراضه عند الاستعانة رابعا ، وبتكثير جمعه فى مجلسه وموكبه خامسا ، وبإظهار الحب والموالاة والمناصرة له على أعدائه سادسا ، وبالستر على ظلمه ومقابحه ومساوى أعماله سابعا ، لم ينعم عليه بدرهم واحد ولو كان فى فضل الشافعى رحمه الله مثلا ؛ فإذا لا يجوز أن يؤخذ منهم فى هذا الزمان ما يعلم أنه حلال لإفضائه إلى هذه المعانى فكيف ما يعلم أنه حرام أو يشك فيه ؟ فمن استجرأ على أموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين فقد قاس الملائكة بالحدادين . ففى أخذ الأموال منهم حاجة إلى مخالطتهم ومراعاتهم وخدمة عمالهم واحتمال الذل منهم والثناء عليهم والتردد إلى أبوابهم وكل ذلك معصية ـ على ما سنبين فى الباب الذى يلى هذا ـ فإذاً قد تبين مما تقدم مداخل أموالهم وما يحل منها وما لا يحل . فلو تصور أن يأخذ الإنسان منها مايحل بقدر استحقاقه وهو جالس فى بيته يساق إليه ذلك ـ لا يحتاج فيه إلى تفقد عامل وخدمته ولا إلى الثناء عليهم وتزكيتهم ولا إلى مساعدتهم ـ فلا يحرم الأخذ ولكن يكره لمعان سنبه عليها فى الباب الذى يلى هذا .

النظر الثانى من هذا الباب : فى قدر المأخوذ وصفة الآخذ

ولنفرض المال من أموال المصالح كأربعة أخماس الفىء والمواريث فإن ما عداه مما قد تعين مستحقه إن كان من وقف أو صدقة أو خمس فىء أو خمس غنيمة ، وما كان من ملك السلطان مما أحياه أو اشتراه فله أن يعطى

ما شاء لمن شاء . وإنما النظر فى الأموال الضائعة ومال المصالح فلا يجوز صرفه إلا إلى من فيه مصلحة عامة أو هو محتاج إليه عاجز عن الكسب ، فأما الغنى الذى لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال إليه ، هذا هو الصحيح وإن كان العلماء قد اختلفوا فيه . وفى كلام عمر رضى الله عنه ما يدل على أن لكل مسلم حقا فى بيت المال لكونه مسلما مكثرا جمع الإسلام ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على مخصوصين بصفات . فإذا ثبت هذا فكل من يتولى أمرا يقوم به تتعدى مصلحته إلى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه ، فله فى بيت المال حق الكفاية . ويدخل فيه العلماء كلهم ؛ أعنى العلوم التى تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى يدخل فيه المعلمون والمؤذنون . وطلبة هذه العلوم أيضا يدخلون فيه ، فإنهم إن لم يكفوا لم يتمكنوا من الطلب . ويدخل فيه العمال ، وهم الذين ترتبط مصالح الدنيا بأعمالهم وهم الأجناد المرتزقة الذين يحرسون المملكة بالسيوف عن أهل العداوة وأهل البغى وأعداء الإسلام . ويدخل فيه الكتاب والحساب والوكلاء وكل من يحتاج إليه فى ترتيب ديوان الخراج ، أعنى العمال على الأموال الحلال لا على الحرام ، فإن هذا المال للمصالح . والمصلحة إما أن تتعلق بالدين أو بالدنيا فبالعلماء حراسة الدين وبالأجناد حراسة الدنيا . والدين والملك توأمان فلا يستغنى أحدهما عن الآخر . والطبيب وإن كان لا يرتبط بعلمه أمر دينى ولكن يرتبط به صحة الجسد والدين يتبعه ؛ فيجوز أن يكون له ولمن يجرى مجراه فى العلوم المحتاج إليها فى مصلحة الأبدان أو مصلحة البلاد إدرار من هذه الأموال ليتفرغوا لمعالجة المسلمين ، أعنى من يعالج منهم بغير أجرة ، وليس يشترط فى هؤلاء الحاجة بل يجوز أن يعطوا مع الغنى . فإن الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والأنصار ولم يعرفوا بالحاجة . وليس يتقدر أيضا بمقدار بل هو إلى اجتهاد الامام وله أن يوسع ويغنى وله أن يقتصر على الكفاية على ما يقتضيه الحال وسعة المال . فقد أخذ الحسن عليه السلام من معاوية فى دفعة واحدة أربعمائة ألف درهم . وقد كان عمر رضى الله عنه يعطى لجماعة اثنى عشر ألف درهم نقرة فى السنة . وأثبتت عائشة رضى الله عنها فى هذه الجريدة ولجماعة عشرة آلاف ولجماعة ستة آلاف وهكذا . فهذا مال هؤلاء فيوزع عليهم حتى لا يبقى منه شىء . فإن خص واحدا منهم بمال كثير فلا بأس . وكذلك للسلطان أن يخص من هذا المال ذوى الخصائص بالخلع والجوائز فقد كان يفعل ذلك فى السلف ولكن ينبغى أن يلتفت فيه إلى المصلحة . ومهما خص عالم أو شجاع بصلة كان فيه بعث للناس وتحريض على الاشتغال والتشبه به فهذه فائدة الخلع والصلات وضروب التخصيصات وكل ذلك منوط باجتهاد السلطان . وإنما النظر فى السلاطين الظلمة فى شيئين (أحدهما) أن السلطان الظالم عليه أن يكف عن ولايته ، وهو إما معزول أو واجب العزل فكيف يجوز أن يأخذ من يده وهو على التحقيق ليس بسلطان ؟ (والثانى) أنه ليس يعمم بماله جميع المستحقين فكيف يجوز للآحاد أن يأخذوا ؟ أفيجوز لهم الأخذ بقدر حصصهم أم لا يجوز أصلا ؟ أم يجوز أن يأخذ كل واحد ما أعطى ؟

أما الأول : فالذى نراه أنه لا يمنع أخذ الحق ، لأن السلطان الظالم الجاهل مهما ساعدته الشوكة وعسر خلعه وكان فى الاستبدال به فتنة ثائرة لا تطاق وجب تركه ووجبت الطاعة له كما تجب طاعة الأمراء ، إذ قد ورد فى الأمر بطاعة الأمراء[1] والمنع من سل اليد عن مساعدتهم[2] أوامر وزواجر . فالذى نراه : أن الخلافة منعقدة المتكفل

(١) حديث « الأمر بطاعة الأمراء » أخرجه البخارى من حديث أنس « اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة » ولمسلم من حديث أبي هريرة « عليك بالطاعة فى منشطك ومكرهك ... الحديث » وله من حديث أبى ذر « أوصانى النبى صلى الله عليه وسلم أن أسمع وأطيع ولو لعبد مجدع الأطراف » . (٢) حديث « المنع من سل اليد عن مساعدتهم » =

بها من بنى العباس رضى الله عنه ، وأن الولاية نافذة للسلاطين فى أقطار البلاد والمبايعين للخليفة ـ وقد ذكرنا فى كتاب المستظهرى المستنبط من كتاب كشف الأسرار وهتك الأستار تأليف القاضى أبى الطيب فى الرد على أصناف الروافض من الباطنية ما يشير إلى وجه المصلحة فيه ـ والقول الوجيز أنا نراعى الصفات والشروط فى السلاطين تشوفا إلى مزايا المصالح . ولو قضينا ببطلان الولايات الآن لبطلت المصالح رأسا فكيف يفوت رأس المال فى طلب الربح ؟ بل الولاية الآن لا تتبع إلا الشوكة . فمن بايعه صاحب الشوكة فهو الخليفة . ومن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة فى أصل الخطبة والسكة فهو سلطان نافذ الحكم والقضاء فى أقطار الأرض ولاية نافذة الأحكام . وتحقيق هذا قد ذكرناه فى أحكام الإمامة من كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد فلسنا نطول الآن به .

وأما الإشكال الآخر وهو أن السلطان إذا لم يعمم بالعطاء كل مستحق فهل يجوز للواحد أن يأخذ منه ؟ فهذا مما اختلف العلماء فيه على أربع مراتب فغلا بعضهم وقال : كل ما يأخذه فالمسلمون كلهم فيه شركاء ولا يدرى أن حصته منه دانق أو حبة فليترك الكل وقال قوم : له أن يأخذ قدر قوت يومه فقط ، فإن هذا القدر يستحقه لحاجته على المسلمين . وقال قوم : له قوت سنة ، فإن أخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذو حق فى هذا المال فكيف يتركه ؟ وقال قوم : إنه يأخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقون . وهذا هو القياس لأن المال ليس مشتركا بين المسلمين كالغنيمة بين الغانمين ولا كالميراث بين الورثة لأن ذلك صار ملكا لهم . وهذا لو لم يتفق قسمه حتى مات هؤلاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث . بل هذا الحق غير متعين وإنما يتعين بالقبض . بل هو كالصدقات ومهما أعطى الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكا لهم ولم يمتنع بظلم المالك بقية الأصناف بمنع حقهم ، هذا إذا لم يصرف إليه كل المال بل صرف إليه من المال ما لو صرف إليه بطريق الإيثار والتفضيل مع تعميم الآخرين لجاز له أن يأخذه والتفضيل جائز فى العطاء . سوى أبو بكر رضى الله عنه فراجعه عمر رضى الله عنه فقال : إنما فضلهم عند الله وإنما الدنيا بلاغ . وفضل عمر رضى الله عنه فى زمانه فأعطى عائشة اثنى عشر ألفا وزينب عشرة آلاف وجويرية ستة آلاف وكذا صفية . وأقطع عمر لعلى خاصة رضى الله عنهما . وأقطع عثمان أيضا من السواد خمس جنات ، وآثر عثمان عليا رضى الله عنهما بها فقبل ذلك منه ولم ينكر . وكل ذلك جائز فى محل الاجتهاد وهو من المجتهدات التى أقول فيها : إن كل مجتهد مصيب ، وهى كل مسألة لا نص على عينها ولا على مسألة تقرب منها فتكون فى معناها بقياس جلى كهذه المسألة ومسألة حد الشرب فإنهم جلدوا أربعين وثمانين والكل سنة وحق وأن كل واحد من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما مصيب باتفاق الصحابة رضى الله عنهم ، إذ المفضول مارد فى زمان عمر شيئا إلى الفاضل مما قد كان أخذه فى زمان أبى بكر ، ولا الفاضل امتنع من قبول الفضل فى زمان عمر ، واشترك فى ذلك كل الصحابة واعتقدوا أن كل واحد من الرأيين حق . فليؤخذ هذا الجنس دستورا للخلافات التى يصوب فيها كل مجتهد . فأما كل مسألة شذ عن مجتهد فيها نص أو قياس جلى ـ بغفلة أو سوء رأى وكان فى القوة بحيث ينقض حكم المجتهد ـ فلا نقول فيها إن كل واحد مصيب بل المصيب من أصاب النص أو ما فى معنى النص . وقد تحصل من مجموع هذا أن من وجد من أهل الخصوص الموصوفين بصفة تتعلق بها مصالح الدين أو الدنيا وأخذ من السلطان خلعة أو إدرارا على التركات أو الجزية لم يصر فاسقا بمجرد أخذه ، وإنما يفسق بخدمته لهم ومعاونته إياهم ودخوله

= أخرجه الشيخان من حديث ابن عباس « ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت إلا مات ميتة جاهلية » ولمسلم من حديث أبى هريرة « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية » وله من حديث ابن عمر « من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حجة له » .

عليهم وثنائه وإطرائه لهم إلى غير ذلك من لوازم لا يسلم المال غالبا إلا بها كما سنبينه .

الباب السادس : فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة وما يحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والاكرام لهم

اعلم أن لك مع الأمراء والعمال الظلمة ثلاثة أحوال (الحالة الأولى) وهى شرها أن تدخل عليهم (والثانية) وهى دونها أن يدخلوا عليك (والثالثة) وهى الأسلم أن تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك .

أما الحالة الأولى : وهى الدخول عليهم فهو مذموم جدا فى الشرع وفيه تغليظات وتشديدات تواردت بها الأخبار والآثار ، فننقلها لتعرف ذم الشرع له ، ثم نتعرض لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما تقتضيه الفتوى فى ظاهر العلم .

أما الأخبار : فإنه لما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراء الظلمة قال « فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم أو كاد أن يسلم ومن وقع معهم فى دنياهم فهو منهم[1] » وذلك لأن من اعتزلهم سلم من إثمهم ولكن لم يسلم من عذاب يعمه معهم إن نزل بهم لتركه المنابذة والمنازعة . وقال صلى الله عليه وسلم « سيكون من بعدى أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ولم يرد على الحوض[2] » وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم « أبغض القراء إلى الله تعالى الذين يزورون الأمراء[3] » وفى الخبر « خير الأمراء الذين يأتون العلماء وشر العلماء الذين يأتون الأمراء » وفى الخبر « العلماء أمناء الرسل على عباد الله مالم يخالطوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم[4] » رواه أنس رضى الله عنه .

وأما الآثار : فقد قال حذيفة : إياكم ومواقف الفتن ! قيل : وماهى قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه . وقال أبو ذر لسلمة : ياسلمة لا تغش أبواب السلاطين فإنك لا تصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينك أفضل منه ، وقال سفيان : فى جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزوارون للملوك . وقال الأوزاعى : ما من شىء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملا . وقال سمنون : ما أسمج بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال عند الأمير . وكنت أسمع أنه يقال : إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك ، إذ مادخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسى بعد الخروج فأرى عليها الدرك مع ما أواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم . وقال عبادة بن الصامت : حب القارئ الناسك الأمراء نفاق وحبه الأغنياء رياء . وقال أبو ذر : من كثر سواد قوم فهو منهم أى من كثر سواد الظلمة . وقال ابن مسعود رضى الله عنه إن الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين له ، قيل له : ولم ؟ قال لأنه يرضيه بسخط الله . واستعمل عمر بن

الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين

(١) حديث « فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم أو كاد يسلم ومن وقع معهم فى دنياهم فهو منهم » أخرجه الطبرانى من حديث ابن عباس بسند ضعيف وقال « ومن خالطهم هلك » . (٢) حديث « سيكون بعدى أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ولم يرد على الحواض » أخرجه النسائى والترمذى وصححه والحاكم من حديث كعب ابن عجرة . (٣) حديث أبى هريرة « أبغض القراء إلى الله عزوجل الذين يأتون الأمراء » تقدم فى العلم .

(٤) حديث أنس « العلماء أمناء الرسل على عباد الله مالم يخالطوا السلطان ... الحديث » أخرجه العقيلى فى الضعفاء فى ترجمة حفص الابرى وقال حديثه غير محفوظ تقدم فى العلم .

عبد العزيز رجلا فقيل : كان عاملا للحجاج ، فعزله ، فقال الرجل : إنما عملت له شيء يسير ، فقال له عمر : حسبك بصحبته يوما أو بعض يوم شؤما وشرا . وقال الفضيل : ماازداد رجل من ذى سلطان قربا إلاازداد من الله بعدا . وكان سعيد بن المسيب يتجر فى الزيت ويقول إن فى هذا لغنى عن هؤلاء السلاطين . وقال وهيب : هؤلاء الذين يدخلون على الملوك لهم أضر على الأمة من المقامرين . وقال محمد بن سلمة : الذباب على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء . ولما خالط الزهرى السلطان كتب أخ له فى الدين إليه : عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغى لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك ، أصبحت شيخا كبيراً قد أثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء قال الله تعالى ﴿ لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾ واعلم أن أيسر ما ارتكبت واخف مااحتملت أنك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل البغى بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين أدناك ، اتخذوك قطبا تدور عليك رحى ظلمهم وجسرا يعبرون عليك إلى بلائهم وسلما يصعدون فيه إلى ضلالهم ويدخلون بك الشك على العلماء ، ويقتادون بك قلوب الجهلاء ، فما أيسر ماعمروا فى جنب ما خربوا عليك ، وما أكثر ماأخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك ، فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة ﴾ الآية وإنك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ رادك فقد حضر سفر بعيد ﴿ وما يخفى على الله من شيء فى الأرض ولا فى السماء ﴾ والسلام .

فهذه الأخبار والآثار تدل على ما فى مخالطة السلاطين من الفتن وأنواع الفساد ولكن نفصل ذلك تفصيلا فقهيا تميز فيه المحظور عن المكروه والمباح . فنقول : الداخل على السلطان متعرض لأن يعصى الله تعالى إما بفعله أو بسكوته وإما بقوله وإما باعتقاده فلا ينفك عن أحد هذه الأمور .

أما الفعل : فالدخول عليهم فى غالب الأحوال يكون إلى دور مغصوبة وتخطيها والدخول فيها بغير إذن الملاك حرام ؛ ولا يغرنك قول القائل : إنّ ذلك مما يتسامح به الناس كتمرة أو فتات خبز ذلك صحيح فى غير المغصوب ، أما المغصوب فلا . لأنه إن قيل : إن كل جلسة خفيفة لا تنقص الملك فهى فى محل التسامح ؟ وكذلك الاجتياز فيجرى هذا فى كل واحد فيجرى أيضا فى المجموع والغصب إنما تم بفعل الجميع ، وإنما يتسامح به إذا انفرد إذ لو علم المالك به ربما لم يكرهه ، فأما إذا كان ذلك طريقا إلى الاستغراق بالاشتراك فحكم التحريم ينسحب على الكل ، فلا يجوز أن يؤخذ ملك الرجل طريقا اعتمادا على أن كل واحد من المارين إنما يخطو خطوة لاتنقص الملك ، لأن المجموع مفتوت للملك وهو كضربة خفيفة فى التعليم تباح ولكن بشرط الانفراد ، فلو اجتمع جماعة بضربات توجب القتل وجب القصاص على الجميع مع أنّ كل واحدة من الضربات لو انفردت لكانت لا توجب قصاصا . فإن فرض كون الظالم فى موضع غير مغصوب كالموات مثلا فإن كان تحت خيمة أو مظلة من ماله فهو حرام ، والدخول إليه غير جائز لأنه انتفاع بالحرام واستظلال به . فإن فرض كل ذلك حلالا فلا يعصى بالدخول من حيث أنه دخول ولا بقوله : السلام عليكم ، ولكن إن سجد أو ركع أو مثل قائما فى سلامه وخدمته كان مكرما للظالم بسبب ولايته التى هى آلة ظلمه والتواضع للظالم معصية . بل من تواضع لغنى ليس يظالم لأجل غناه ـ لالمعنى آخر اقتضى التواضع ـ نقص ثلثا دينه فكيف إذا تواضع للظالم ؟ فلا يباح إلا مجرد السلام . فأما تقبيل اليد والانحناء فى الخدمة فهو معصية إلا عند الخوف ، أو الإمام عادل أو لعالم أو لمن يستحق ذلك بأمر دينى . قبل

أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه يد على كرم الله وجهه لما أن لقيه بالشام فلم ينكر عليه . وقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد جوابهم فى السلام والإعراض عنهم استحقارا لهم وعدّ ذلك من محاسن القربات . فأما السكوت عن رد الجواب ففيه نظر ، لأنّ ذلك واجب فلا ينبغى أن يسقط بالظلم . فإن ترك الداخل جميع ذلك واقتصر على السلام فلا يخلو من الجلوس على بساطهم وإذا كان اغلب أموالهم حراما فلا يجوز الجلوس على فرشهم ؛ هذا من حيث الفعل .

فأما السكوت : فهو أنه سيرى فى مجلسهم من الفرش الحرير وأوانى الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ماهو حرام . وكل من رأى سيئة وسكت عليها فهو شريك فى تلك السيئة . بل يسمع من كلامهم ماهو فحش وكذب وشتم وإيذاء والسكوت على جميع لك حرام . بل يراهم لابسين الثياب الحرام واكلين الطعام الحرام وجميع مافى أيديهم حرام والسكوت على ذلك غير جائز . فيجب عليه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بلسانه إن لم يقدر بفعله .

* فإن قلت : إنه يخاف على نفسه فهو معذور فى السكوت ؟ فهذا حق ولكنه مستغن عن أن يعرض نفسه لارتكاب مالايباح إلا بعذر ، فإنه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر . وعند هذا أقول من علم فسادا فى موضع وعلم أنه لايقدر على إزالته فلا يجوز له أن يحضر ليجرى ذلك بين يديه وهو يشاهده ويسكت ، بل ينبغى أن يحترز عن مشاهدته .

وأما القول : فهو أن يدعو للظالم أو يثنى عليه أو يصدّقه فيما يقول من باطل بصريح قوله أو بتحريك رأسه أو باستبشار فى وجهه ، أو يظهر له الحب والموالاة والاشتياق إلى لقائه والحرص على طول عمره وبقائه ، فإنه فى الغالب لايقتصر على السلام بل يتكلم ولايعدو كلامه هذه الأقسام .

أما الدعاء له : فلا يحل إلا أن يقول : أصلحك الله أووفقك الله للخيرات أو طوّل الله عمرك فى طاعته أومايجرى هذا المجرى . فأما الدعاء بالحراسة وطول البقاء وإسباغ النعمة مع الخطاب بالمولى ومافى معناه فغير جائز قال صلى الله عليه وسلم « من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه [1] » فإن جاوز الدعاء إلى الثناء فسيذكر ماليس فيه فيكون به كاذبا ومنافقا ومكرما لظالم ، وهذه ثلاث معاص . وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق [2] » وفى خبر آخر « من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الإسلام [3] » فإن جاوز ذلك إلى التصديق له فيما يقول ، والتزكية والثناء على ما يعمل : كان عاصيا بالتصديق وبالإعانة ؛ فإن التزكية والثناء إعانة على المعصية وتحريك للرغبة فيه كما أن التكذيب والمذمة والتقبيح زجر عنه وتضعيف لدواعيه . والإعانة على المعصية معصية ولو بشطر كلمة . ولقد سئل سفيان الثورى رضى الله عنه عن ظالم أشرف على الهلاك فى برية هل يسقى شربة ماء ؟ فقال : لا ، دعه حتى يموت فإن ذلك إعانة له . وقال غيره يسقى إلى أن تثوب إليه نفسه ثم يعرض عنه . فإن جاوز ذلك إلى إظهار الحب والشوق إلى لقائه وطول بقائه : فإن كان كاذبا عصى معصية الكذب والنفاق ، وإن كان صادقا عصى بحبه بقاء الظالم وحقه أن يبغضه فى الله ويمقته . فالبغض فى الله واجب ، ومحب المعصية والراضى بها عاص . ومن أحب ظالما فإن أحبه لظلمه فهو عاص لمحبته وإن أحبه لسبب آخر فهو عاص من حيث إنه لم يبغضه وكان الواجب عليه أن يبغضه . وإن اجتمع فى شخص خير وشر وجب أن يحب لأجل ذلك الخير ويبغض لأجل ذلك الشر . وسيأتى

---

(١) حديث «من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه» تقدم . (٢) حديث «إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق» تقدم . (٣) حديث « من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الإسلام » تقدم أيضا .

فى كتاب الإخوة والمتحابين فى الله وجه الجمع بين البغض والحب . فإن سلم من ذلك كله وهيهات ! فلا يسلم من فساد يتطرق إلى قلبه فإنه ينظر إلى توسعه فى النعمة ويزدرى نعم الله عليه ويكون مقتحما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « يامعشر المهاجرين لاتدخلوا على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق [1] » وهذا مع مافيه من اقتداء غيره به فى الدخول ومن تكثيره سواد الظلمة بنفسه وتجميله إياهم إن كان ممن يتجمل به ، وكل ذلك إما مكروهات أو محظورات . دعى سعيد بن المسيب إلى البيعة للوليد وسليمان ابنى عبد الملك بن مروان فقال : لاأبايع اثنين مااختلف الليل والنهار فإن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعتين [2] فقال : ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر ، فقال : لا والله لا يقتدى بى أحد من الناس ، فجلد مائة وألبس المسوح .

ولايجوز الدخول عليهم إلا بعذرين (أحدهما) أن يكون من جهتهم أمر إلزام لا أمر إكرام وعلم أنه لوامتنع أوذى أو فسد عليهم طاعة الرعية واضطرب عليهم أمر السياسة فيجب عليه الإجابة لا طاعة لهم بل مراعاة لمصلحة الخلق حتى لاتضطرب الولاية . (والثانى) أن يدخل عليهم فى دفع ظلم عن مسلم سواه أو عن نفسه إمابطريق الحسبة أو بطريق التظلم ، فذلك رخصة بشرط أن لايكذب ولايثنى ولايدع نصيحة يتوقع لها قبولا فهذا حكم الدخول .

الحالة الثانية : أن يدخل عليك السلطان الظالم زائرا فجواب السلام لابد منه . وأما القيام والإكرام له فلايحرم مقابلة له على إكرامه . فإنه بإكرام العلم والدين مستحق للإحماد كما أنه بالظلم مستحق للإبعاد . فالإكرام بالإكرام والجواب بالسلام . ولكن الأولى أن لايقوم إن كان معه فى خلوة ليظهر له بذلك عز الدين وحقارة الظلم ، ويظهر غضبه للدين وإعراضه عمن أعرض عن الله فأعرض الله تعالى عنه . وإن كان الداخل عليه فى جمع فمراعاة حشمة أرباب الولايات فيما بين الرعايا مهم فلا بأس بالقيام على هذه النية . وإن علم أن ذلك لا يورث فسادا فى الرعية ولا يناله أذى من غضبه فترك الإكرام بالقيام أولى . ثم يجب عليه بعد أن وقع اللقاء أن ينصحه فإن كان يقارف ما لايعرف تحريمه وهو يتوقع أن يتركه إذا عرف فليعرفه فذلك واجب . وأما ذكر تحريم مايعلم تحريمه من السرف والظلم فلا فائدة فيه بل عليه أن يخوفه فيما يرتكبه من المعاصى مهما ظن أن التخويف يؤثر فيه . وعليه أن يرشده إلى طريق المصلحة إن كان يعرف طريقا على وفق الشرع بحيث يحصل بها غرض الظالم من غير معصية ليصده بذلك عن الوصول إلى غرضه بالظلم . فإذاً يجب عليه التعريف فى محل جهله والتخويف فيما هو مستجرئ عليه والإرشاد إلى ما هو غافل عنه مما يغنيه عن الظلم ، فهذه ثلاثة أمور تلزمه . إذا توقع للكلام فيه أثرا ، وذلك أيضا لازم على كل من اتفق له دخول على السلطان بعذر أو بغير عذر . وعن محمد بن صالح قال : كنت عند حماد بن سلمة وإذا ليس فى البيت إلا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علبه ومطهرة يتوضأ منها ؟ فبينا أنا عنده إذ دق داق الباب فإذا هو محمد بن سليمان فأذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال له : مالى إذا رأيتك امتلأت منك رعبا ؟ قال حماد : لأنه قال عليه السلام « إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شىء وإن أراد أن يكنز به الكنوز هاب من كل شىء [3] » ثم عرض عليه أربعين ألف درهم وقال : تأخذها وتستعين بها قال : اردها على من ظلمته بها ،

---

(١) حديث « يامعشر المهاجرين لاتدخلوا على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق » أخرجه الحاكم من حديث عبد الله بن الشخير أقلوا الدخول على الأغنياء فإنه أجدر أن لاتزدروا نعم الله عز وجل » وقال صحيح الإسناد . (٢) حديث « دعى ابن المسيب إلى البيعة للوليد وسليمان ابنى عبد الملك فقال : لاأبايع اثنين مااختلف الليل والنهار فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعتين » أخرجه أبو نعيم فى الحلية بإسناد صحيح من رواية يحيى بن سعيد . (٣) حديث حماد بن سلمة مرفوعا « إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شىء وإذا أراد أن يكنز به الكنوز هاب من كل شىء » هذا معضل وروى أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب من حديث واثلة بن الأسقع « من خاف الله خوف الله منه كل شىء ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شىء » والعقيلى فى الضعفاء نحوه من حديث أبى هريرة وكلاهما منكر

قال : والله ما أعطيتك إلا ماورثته ، قال : لاحاجة لى بها : فتأخذها فتقسمها ، قال : لعلى إن عدلت فى قسمتها أخاف أن يقول بعض من لم يرزق منها إنه لم يعدل فى قسمتها فيأثم فازوها عنى .

الحالة الثالثة : أن يعتزلهم فلا يراهم ولا يرونه وهو الواجب إذ لاسلامة إلا فيه ؛ فعليه أن يعتقد بغضهم على ظلمهم ولايحب بقاءهم ولا يثنى عليهم ولايستخبر عن أحوالهم ولا يتقرب إلى المتصلين بهم ولايتأسف على مايفوت بسبب مفارقتهم ؛ وذلك إذا خطر بباله أمرهم ، وإن غفل عنهم فهو الأحسن . وإذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ماقاله حاتم الأصم : إنما بينى وبين الملوك يوم واحد فأما أمس فلا يجدون لذته وإنى وإياهم فى غد لعلى وجل وإنما هو اليوم وماعسى أن يكون فى اليوم ، وماقاله أبو الدرداء إذ قال: أهل الأموال يأكلون ونأكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس ولهم فضول أموال ينظرون إليها وننظر معهم إليها وعليهم حسابها ونحن منها براء. وكل من أحاط علمه بظلم ظالم ومعصية عاص فينبغى أن يحط ذلك من درجته فى قلبه . فهذا واجب عليه لأن من صدر منه مايكره نقص ذلك من رتبته فى القلب لا محالة . والمعصية ينبغى أن تكره فإنه إما أن يغفل عنها أو يرضى بها أو يكره ولا غفلة مع العلم ولا وجه للرضا فلا بد من الكراهة ، فليكن جناية كل أحد على حق الله كجنايته على حقك .

* فإن قلت : الكراهة لاتدخل تحت الاختيار فكيف تجب ؟ قلنا : ليس كذلك فإن المحب يكره بضرورة الطبع ماهو مكروه عند محبوبه ومخالف له فإن من لايكره معصية الله لايحب الله وإنما لايحب الله من لايعرفه والمعرفة واجبة والمحبة لله واجبة . وإذا أحبه كره ماكرهه وأحب ماأحبه وسيأتى تحقيق ذلك فى كتاب المحبة والرضا .

* فإن قلت : فقد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين ؟ فأقول : نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل ؛ كما حكى أن هشام بن عبد الملك قدم حاجا إلى مكة فلما دخلها قال ائتونى برجل من الصحابة فقيل : ياأمير المؤمنين قد تفانوا فقال : من التابعين ، فأتى بطاوس اليمانى فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم عليه بإمرة المؤمنين ولكن قال : السلام عليك ياهشام ، ولم يكنه وجلس بإزائه وقال : كيف أنت ياهشام ؟ فغضب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله ؛ فقيل له : أنت فى حرم الله وحرم رسوله ولا يمكن ذلك ، فقال : يا طاوس ما الذى حملك على ماصنعت ؟ قال : وما الذى صنعت ؟ فازداد غضبا وغيظا ؛ قال : خلعت نعليك بحاشية بساطى ولم تقبل يدى ولم تسلم على بإمرة المؤمنين ولم تكننى وجلست بإزائى بغير إذنى وقلت : كيف أنت يا هشام ؟ قال : أما ما فعلت من خلع نعلى بحاشية بساطك فإنى أخلعهما بين يدى رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبنى ولا يغضب على ، وأما قولك لم تقبل يدى فإنى سمعت أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول : لايحل لرجل أن يقبل يد أحد إلا امرأته من شهوة أو ولده من رحمة ، وأما قولك لم تسلم على بإمرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بإمرتك فكرهت أن أكذب ، وأما قولك لم تكننى فإن الله تعالى سمى أنبياءه وأولياءه فقال يايحيى ياعيسى ، وكنى اعداءه فقال ﴿ تبت يدا أبى لهب ﴾ وأما قولك جلست بإزائى فإنى سمعت أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه يقول : إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام . فقال له هشام : عظنى ، فقال سمعت من أمير المؤمنين على رضى الله عنه يقول : إن فى جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لايعدل فى رعيته . ثم قام وهرب . وعن سفيان الثورى رضى الله عنه قال : أدخلت على أبى جعفر المنصور بمنى فقال لى : ارفع الينا حاجتك ، فقلت له : اتق الله فقد ملأت الأرض ظلما وجورا . قال فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال: ارفع إلينا

حاجتك ، فقلت : إنما أنزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار وأبناؤهم يموتون جوعا فاتق الله وأوصل إليهم حقوقهم ، فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال : ارفع إلينا حاجتك ، فقلت : حج عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال لخازنه : كم أنفقت ؟ قال : بضعة عشر درهما ، وأرى ههنا أموالا لاتطيق الجمال حملها ، وخرج فهكذا كانوا يدخلون على السلاطين إذا ألزموا وكانوا يغترون بأرواحهم للانتقام لله من ظلمهم . ودخل ابن أبى شميلة على عبد الملك بن مروان فقال له : تكلم ، فقال له : إنّ الناس لاينجون فى القيامة من غصصها ومراراتها ومعاينة الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه ؛ فبكى عبد الملك وقال : لأجعلن هذه الكلمة مثالا نصب عينى ما عشت . ولما استعمل عثمان بن عفان رضى الله عنه عبد الله بن عامر أتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبطأ عنه أبو ذر ـ وكان له صديقا ـ فعاتبه ؛ فقال أبو ذرّ . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنّ الرجل إذا ولى ولاية تباعد الله عنه[1] » ، ودخل مالك بن دينار على أمير البصرة فقال : أيها الأمير قرأت فى بعض الكتب أن الله تعالى يقول ما أحمق من سلطان وما أجهل بمن عصانى ! ومن أعز ممن اعتزنى ؟ أيها الراعى السوء دفعت إليك غنما سمانا صحاحا فأكلت اللحم ولبست الصوف وتركها عظاما تتقعقع ، فقال له والى البصرة : أندرى ما الذى يحرمك علينا ويجنبنا عنك ؟ قال لا ، قال : قلة الطمع فينا وترك الإمساك لما فى أيدينا . وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان ابن عبد الملك ؛ فسمع سليمان صوت الرعد فجزع ووضع صدره على مقدمة الرحل ، فقال له عمر : هذا صوت رحمته فكيف إذا سمعت صوت عذابه ؟ ثم نظر سليمان إلى الناس فقال : ما أكثر الناس ، فقال عمر : خصماؤك يا أمير المؤمنين فقال له سليمان : ابتلاك الله بهم . وحكى أن سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فأرسل إلى أبى حازم فدعاه فلما دخل عليه قال له سليمان : يا أبا حازم مالنا نكره الموت ؟ فقال : لأنكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب فقال : يا أبا حازم كيف القدوم على الله ؟ قال يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله وأما المسىء فكالآبق يقدم على مولاه ، فبكى سليمان وقال : ليت شعرى مالى عند الله ؟ قال أبو حازم اعرض نفسك على كتاب الله تعالى حيث قال ﴿ إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم ﴾ قال : فأين رحمة الله قال : قريب من المحسنين ثم قال سليمان : يا أبا حازم أى عباد الله أكرم ؟ قال : أهل البر والتقوى قال : فأى الأعمال أفضل ؟ قال : أداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال : فأى الكلام أسمع ؟ قال قول الحق عند من تخاف وترجوا قال : فأى المؤمنين أكيس ؟ قال : رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس إليها ، قال : فأى المؤمنين أخسر ؟ قال : رجل خطا فى هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره ، قال سليمان : ما تقول فيما نحن فيه ؟ قال : أو تعفينى ؟ قال : لابد فإنها نصيحة تلقيها إلى ، قال : يا أمير المؤمنين إن آباءك قهروا الناس بالسيف وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا ، فلو شعرت بما قالوا وما قيل لهم ؟ فقال له رجل من جلسائه : بئسما قلت : قال أبو حازم : إن الله قد أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه . قال : وكيف لنا أن نصلح هذا الفساد ؟ قال : أن تأخذه من حله فتضعه فى حقه ، فقال سليمان : ومن يقدر على ذلك ؟ فقال : من يطلب الجنة ويخاف من النار . فقال سليمان : ادع لى . فقال أبو حازم : اللهم إن كان سليمان وليك فيسره لخيرى الدنيا والآخرة وإن كان عدوك فخذ بناصيته إلى ماتحب وترضى ، فقال سليمان : أوصنى ، فقال : أوصيك وأوجز ، عظم ربك ونزهه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك . وقال عمر

(١) حديث أبى ذر « إن الرجل إذا ولى ولاية تباعد الله عزوجل منه » لم أقف له على أصل .

ابن عبد العزيز لأبى حازم : عظنى ، فقال : اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك ثم أنظر إلى ماتحب أن يكون فيك تلك الساعة فخذ به الآن ، وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن ، ولعل تلك الساعة قريبة . ودخل أعرابى على سليمان بن عبد الملك ، فقال : تكلم ياأعرابى ، فقال : ياأمير المؤمنين إنى مكلمك بكلام فاحتمله وإن كرهته فإن وراءه ماتحب إن قبلته ، فقال : ياأعرابى إنا لنجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا نأمن غشه فكيف بمن نأمن غشه ونرجو نصحه ؟ فقال الأعرابى : ياأمير المؤمنين إنه قد تكنفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك فى الله تعالى ولم يخافوا الله فيك ، حرب الآخرة سلم الدنيا فلا تأتمنهم على ما ائتمنك الله تعالى عليه فإنهم لم يألوا فى الأمانة تضييعا وفى الأمة خسفا وعسفا وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا بمسئولين عما اجترحت ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره ، فقال له سليمان : ياأعرابى أما إنك قد سللت لسانك وهو أقطع سيفيك . قال : أجل ياأمير المؤمنين ولكن لك لا عليك . وحكى أن أبا بكرة دخل على معاوية فقال : اتق الله يامعاوية واعلم أنك فى كل يوم يخرج عنك وفى كل ليلة تأتى عليك لا تزداد من الدنيا إلا بعدا ومن الآخرة إلا قربا ، وعلى أثرك طالب لا تفوته وقد نصب لك علما لاتجوزه فما أسرع ما تبلغ العلم وما أوشك مايلحق بك الطالب وإنا وما نحن فيه زائل وفى الذى نحن إليه صائرون باق إن خيرا فخير وإن شرا فشر . فهكذا كان دخول أهل العلم على السلاطين أعنى علماء الآخرة فأما علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا إلى قلوبهم فيدلونهم على الرخص ويستنبطون لهم بدقائق الحيل طرق السعة فيما يوافق أغراضهم . وإن تكلموا بمثل ماذكرناه فى معرض الوعظ لم يكن قصدهم الإصلاح بل اكتساب الجاه والقبول عندهم . وفى هذا غروران يغتر بهما الخلق (أحدهما) أن يظهر أن قصدى فى الدخول عليهم إصلاحهم بالوعظ . وربما يلبسون على أنفسهم بذلك وإنما الباعث لهم شهوة خفية للشهرة وتحصيل المعرفة عندهم ، وعلامة الصدق فى طلب الإصلاح أنه لو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو من أقرانه فى العلم ووقع موقع القبول وظهر به أثر الصلاح فينبغى أن يفرح به ويشكر الله تعالى على كفايته هذا المهم ، كمن وجب عليه أن يعالج مريضا ضائعا فقام بمعالجته غيره فإنه يعظم به فرحه . فإن كان يصادف فى قلبه ترجيحا لكلامه على كلام غيره فهو مغرور (الثانى) أن يزعم أنى أقصد الشفاعة لمسلم فى دفع ظلامة . وهذا أيضا مظنة الغرور . ومعياره ما تقدم ذكره .

وإذا ظهر طريق الدخول عليهم فلنرسم فى الأحوال العارضة فى مخالطة السلاطين ومباشرة أموالهم مسائل :

مسألة : إذا بعث إليك السلطان مالا لتفرقه على الفقراء فإن كان له مالك معين فلا يحل أخذه وإن لم يكن بل كان حكمه أنه يجب التصدق به على المساكين ـ كما سبق ـ فلك أن تأخذه وتتولى التفرقة ولاتعصى بأخذه ولكن من العلماء من امتنع عنه فعند هذا ينظر فى الأولى فنقول :

الأولى أن تأخذه إن أمنت ثلاث غوائل .

الغائلة الأولى : أن يظن السلطان بسبب أخذك أن ماله طيب ولولا أنه طيب لما كنت تمد يدك إليه ولاتدخله فى ضمانك ؛ فإن كان كذلك فلا تأخذه ، فإن ذلك محذور ولا يفى الخير فى مباشرتك التفرقة بما يحصل لك من الجراءة على كسب الحرام .

الغائلة الثانية : أن ينظر إليك غيرك من العلماء والجهال فيعتقدون أنه حلال فيقتدون بك فى الأخذ ويستدلون به

على جوازه ثم لايفرقون ، فهذا أعظم من الأول . فإن جماعة يستدلون بأخذ الشافعي رضي الله عنه على جواز الأخذ ويغفلون عن تفرقته وأخذه على نية التفرقة ؛ فالمقتدى والمتشبه به ينبغي أن يحترز عن هذا غاية الاحتراز فإنه يكون فعله سبب ضلال خلق كثير . وقد حكى وهب بن منبه أن رجلا أتى به إلى ملك بمشهد من الناس ليكرهه على أكل لحم الخنزير فلم يأكل ، فقدم إليه لحم غنم وأكره بالسيف فلم يأكل ، فقيل له في ذلك فقال : إن الناس قد اعتقدوا أني طولبت بأكل لحم الخنزير ؛ فإذا خرجت سالما وقد أكلت فلا يعلمون ماذا أكلت فيضلون . ودخل وهب ابن منبه وطاوس على محمد بن يوسف ـ أخي الحجاج ـ وكان عاملا وكان في غداة باردة في مجلس بارز فقال لغلامه : هلم ذلك الطيلسان وألقه على أبي عبد الرحمن ـ أي طاوس ـ وكان قد قعد على كرسي فألقي عليه فلم يزل يحرك كتفيه حتى ألقى الطيلسان عنه ، فغضب محمد بن يوسف فقال وهب : كنت غنيا عن أن تغضبه لو أخذت الطيلسان وتصدقت به قال : نعم لولا أن يقول من بعدي إنه أخذه طاوس ـ ولا يصنع به ما أصنع به ـ إذن لفعلت .

الغائلة الثانية : أن يتحرك قلبك إلى حبك لتخصيصه إياك وإيثاره لك بما أنفذه إليك ، فإن كان كذلك فلا تقبل ذلك هو السم القاتل والداء الدفين أعني مايحبب الظلمة إليك ، فإن من أحببته لابد أن تحرص عليه وتداهن فيه . قالت عائشة رضي الله عنها : جبلت النفوس على حب من أحسن إليها . وقال عليه السلام « اللهم لاتجعل لفاجر عندي يدا فيحبه قلبي [1] » بين صلى الله عليه وسلم أن القلب لايكاد يمتنع من ذلك . وروى أن بعض الأمراء أرسل إلى مالك بن دينار بعشرة آلاف درهم فأخرجها كلها فأتاه محمد بن واسع فقال : ماصنعت بما أعطاك هذا المخلوق ؟ قال : سل أصحابي ؟ فقالوا . أخرجه كله ، فقال . أنشدك الله أقلبك أشد حبا له الآن أم قبل أن أرسل إليك ؟ : لا بل الآن ، قال : إنما كنت أخاف هذا . وقد صدق فإنه إذا أحبه أحب بقاءه وكره وعزله ونكبته وموته وأحب اتساع ولايته وكثرة ماله ، وكل ذلك حب لأسباب الظلم وهو مذموم . قال سلمان وابن مسعود رضي الله عنهما : من رضي بأمر وإن غاب عنه كان كمن شهده قال تعالى ﴿ ولاتركنوا إلى الذين ظلموا ﴾ قيل لاترضوا بأعمالهم فإن كنت في القوة بحيث لاتزداد حبا لهم بذلك فلا بأس بالأخذ . وقد حكى عن بعض عباد البصرة أنه كان يأخذ أموالا ويفرقها فقيل له : ألا تخاف أن تحبهم ؟ فقال : لو أخذ رجل بيدي وأدخلني الجنة ثم عصى ربه ماأحبه قلبي ، لأن الذي سخره للأخذ بيدي هو الذي أبغضه لأجله شكرا له على تصخيره إياه . وبهذا تبين أخذ المال الآن منهم وإن كان ذلك المال بعينه من وجه حلال محذور ومذموم لأنه لاينفك عن هذه الغوائل .

مسألة : إن قال قائل : إذا جاز أخذ ماله وتفرقته فهل يجوز أن يسرق ماله أو تخفى وديعته وتنكر وتفرق على الناس ؟ فنقول : ذلك غير جائز لأنه ربما يكون له مالك معين وهو على عزم أن يرده عليه ، وليس هذا كما لو بعثه إليك ؛ فإن العاقل لايظن به أنه يتصدق بمال يعلم مالكه فيدل تسليمه على أنه لا يعرف مالكه فإن كان ممن يشكل عليه مثله فلا يجوز أن يقبل منه المال مالم يعرف ذلك ثم كيف يسرق ويحتمل أن يكون ملكه قد حصل له بشراء في ذمته ؟ فإن اليد دلالة على الملك . فهذا لاسبيل إليه بل لو وجد لقطة وظهر أن صاحبها جندي واحتمل أن تكون له بشراء في الذمة أو غيره وجب الرد عليه . فإذاً لايجوز سرقة مالهم لامنهم ولامن أودع عنده . ولايجوز إنكار وديعتهم ويجب الحد على سارق مالهم إلا إذا ادعى السارق أنه ليس ملكا لهم فعند ذلك يسقط الحد بالدعوى .

---

(١) حديث « اللهم لاتجعل لفاجر عندي يدا فيحبه قلبي » أخرجه ابن مردويه في التفسير من رواية كثير بن عطية عن رجل لم يسم ، ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ وأبو موسى المديني في كتاب : تضييع العمر والأيام مرسلا وأسانيده كلها ضعيفة .

مسألة : المعاملة معهم حرام لأن أكثر مالهم حرام فما يؤخذ عوضا فهو حرام ، فإن أدى الثمن من موضع يعلم حله فيبقى النظر فيما سلم إليهم ، فإن علم أنهم يعصون الله به كبيع الديباج منهم وهو يعلم أنهم يلبسونه فذلك حرام كبيع العنب من الخمار ، وإنما الخلاف فى الصحة وإن أمكن ذلك وأمكن أن يلبسها نساءه فهو شبهة مكروهه، هذا فيما يعصى فى عينه من الأموال . وفى معناه بيع الفرس منهم ، لاسيما فى وقت ركوبهم إلى قتال المسلمين أو جباية أموالهم فإن ذلك إعانة لهم بفرسه وهى محظورة . فأما بيع الدراهم والدنانير منهم ومايجرى مجراها مما لايعصى فى عينه بل يتوصل بها فهو مكروه لما فيه من إعانتهم على الظلم لأنهم يستعينون على ظلمهم بالأموال والدواب وسائر الأسباب ، وهذه الكراهة جارية فى الإهداء إليهم وفى العمل لهم من غير أجرة حتى فى تعليمهم وتعليم أولادهم الكتابة والترسل والحساب ، وأما تعليم القرآن فلا يكره إلا من حيث أخذ الأجرة فإن ذلك حرام إلا من وجه يعلم حله ، ولو انتصب وكيلا لهم يشترى لهم فى الأسواق من غير جعل أو أجرة فهو مكروه من حيث الإعانة ، وإن اشترى لهم مايعلم أنهم يقصدون به المعصية كالغلام والديباج للعرش واللبس والفرس للركوب إلى الظلم والقتل فذلك حرام . فهما ظهر قصد المعصية بالمبتاع حصل التحريم ومهما لم يظهر واحتمل بحكم الحال ودلالتها عليه حصلت الكراهة .

مسألة : الأسواق التى بنوها بالمال الحرام تحرم التجارة فيها ولايجوز سكناها ، فإن سكنها تاجر واكتسب بطريق شرعى لم يحرم كسبه وكان عاصيا بسكناه ، وللناس أن يشتروا منهم ، ولكن لو وجدوا سوقا أخرى فالأولى الشراء منها فإن ذلك إعانة لسكناهم وتكثير لكراء حوانيتهم ، وكذلك معاملة السوق التى لاخراج لهم عليها أحب من معاملة سوق لهم عليها خراج ، وقد بالغ قوم حتى تحرزوا من معاملة الفلاحين وأصحاب الأراضى التى لهم عليها الخراج فإنهم ربما يصرفون ما يأخذون إلى الخراج فيحصل به الإعانة ، وهذا غلو فى الدين وحرج على المسلمين فإن الخراج قد عم الأراضى ولاغنى بالناس عن ارتفاق الأرض ولامعنى للمنع منه ، ولو جاز هذا لحرم على المالك زراعة الأرض حتى لايطلب خراجها . وذلك مما يطول ويتداعى إلى حسم باب المعاش .

مسألة : معاملة قضاتهم وعمالهم وخدمهم حرام كمعاملتهم بل أشد . أما القضاة فلأنهم يأخذون من أموالهم الحرام الصريح ويكثرون جمعهم ويغرون الخلق بزيهم فإنهم على زى العلماء ويختلطون بهم ويأخذون من أموالهم والطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بذوى الجاه والحشمة . فهم سبب انقياد الخلق إليهم . وأما الخدم والحشم فأكثر أموالهم من الغصب الصريح ولايقع فى أيديهم مال مصلحة وميراث وجزية ولاوجه حلال حتى تضعف الشبهة باختلاط الحلال بمالهم . قال طاوس : لاأشهد عندهم وإن تحققت لأنى أخاف تعديهم على من شهدت عليه . وبالجملة إنما فسدت الرعية بفساد الملوك ، وفساد الملوك بفساد العلماء فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد الملوك خوفا من إنكارهم . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لاتزال هذه الأمة تحت يد الله وكنفه ما يمالئ قراؤها أمراءها [1] » وإنما ذكر القراء لأنهم كانوا هم العلماء وإنما كان علمهم بالقرآن ومعانيه المفهومة بالسنة . وما وراء ذلك من العلوم فهى محدثة بعدهم . وقد قال سفيان : لاتخالط السلطان ولامن يخالطه . وقال : صاحب القلم وصاحب الدواة وصاحب القرطاس وصاحب الليطة بعضهم شركاء بعض . وقد صدق فإن رسول الله

---

(١) حديث « لاتزال هذه الأمة تحت يد الله وكنفه مالم يمالئ قراؤها أمراءها » أخرجه أبو عمرو الدانى فى كتاب الفتن من رواية الحسن مرسلا ورواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على وابن عمر بلفظ « مالم يعظم أبرارها فجارها ويداهن خيارها شرارها » وإسنادهما ضعيف .

صلى الله عليه وسلم لعن فى الخمر عشرة حتى العاصر والمعتصر [١] وقال ابن مسعود رضى الله عنه « آكل الربا وموكله وشاهداه وكاتبه ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم [٢] » وكذا رواه جابر وعمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣] وقال ابن سيرين : لاتحمل للسلطان كتابا حتى تعلم مافيه ، وامتنع سفيان رحمه الله من مناولة الخليفة فى زمانه دواة بين يديه وقال : حتى أعلم ما تكتب بها فكل من حواليهم من خدمهم وأتباعهم ظلمة مثلهم يجب بغضهم فى الله جميعا . روى عن عثمان بن زائدة أنه سأله رجل من الجند وقال : أين الطريق ؟ فسكت وأظهر الصمم وخاف أن يكون متوجها إلى ظلم فيكون هو بإرشاده إلى الطريق معينا . وهذه المبالغة لم تنقل عن السلف مع الفساق من التجار والحاكة والحجامين وأهل الحمامات والصاغة والصباغين وأرباب الحرف مع غلبة الكذب والفسق عليهم ، بل مع الكفار من أهل الذمة ، وإنما هذا فى الظلمة خاصة الآكلين لأموال اليتامى والمساكين والمواظبين على إيذاء المسلمين الذين تعاونوا على طمس رسوم الشريعة وشعائرها . وهذا لأن المعصية تنقسم إلى لازمة ومتعدية ، والفسق لازم لايتعدى ، وكذا الكفر وهو جناية على حق الله تعالى وحسابه على الله وأما معصية الولاة بالظلم وهو متعد فإنما يغلظ أمرهم لذلك وبقدر عموم الظلم وعموم التعدى يزدادون عند الله مقتا فيجب أن يزداد منهم اجتنابا ومن معاملتهم احترازاً فقد قال صلى الله عليه وسلم « يقال للشرطى دع سوطك وادخل النار [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « من أشراط الساعة رجال معهم سياط كأذناب البقر [٥] » فهذا حكمهم ومن عرف بذلك منهم فقد عرف ومن لم يعرف فعلامته القباء وطول الشوارب وسائر الهيئات المشهورة . فمن رؤى على تلك الهيئة تعين اجتنابه ولايكون ذلك من سوء الظن لأنه الذى جنى على نفسه إذ تزيا بزيهم ، ومساواة الزى تدل على مساواة القلب ولا يتجانس إلا مجنون ولا يتشبه بالفساق إلا فاسق ، نعم الفاسق قد يلتبس بأهل الصلاح فأما الصالح فليس له أن يتشبه بأهل الفساد لأن ذلك تكثير لسوادهم وإنما نزل قوله تعالى ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ﴾ فى قوم من المسلمين كانوا يكثرون جماعة المشركين بالمخالطة ، وقد روى أن الله تعالى أوحى إلى يوشع ابن نون إنى مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم ، فقال : مابال الأخيار ؟ قال : إنهم لايغضبون لغضبى فكانوا يؤاكلونهم ويشاربونهم . وبهذا يتبين أن بعض الظلمة والغضب لله عليهم واجب ، وروى ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم « إن الله لعن علماء بنى إسرائيل إذ خالطوا الظالمين فى معاشهم [٦] » .

---

(١) حديث « أن النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم لعن فى الخمر عشرة حتى العاصر والمعتصر » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أنس قال الترمذى حديث غريب . (٢) حديث ابن مسعود « آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم » رواه مسلم وأصحاب السنن واللفظ للنسائى دون قوله « وشاهده » ولأبى داود لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه » قال الترمذى وصححه وابن ماجه وشاهديه . (٣) حديث جابر لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه قال هم سواء » أخرجه مسلم من حديثه ، وأما حديث عمر فأشار إليه الترمذى بقوله وفى الباب ولابن ماجه من حديثه « إن آخر ما أنزلت آية الربا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يفسرها فدعوا الربا والريبة » وهو من رواية ابن المسيب عنه والجمهور على أنه لم يسمع منه . (٤) حديث « يقال للشرطى دع سوطك وادخل النار » أخرجه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف . (٥) حديث « من أشراط الساعة رجال معهم أسياط كأذناب البقر » أخرجه أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث أبى أمامة « يكون فى آخر الزمان رجال معهم سياط كأنها أذناب البقر ... الحديث » ولمسلم من حديث أبى هريرة « يوشك إن طالت بك مدة أن ترى قوما فى أيديهم مثل أذناب البقر » وفى رواية له صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر ... الحديث » .

(٦) حديث ابن مسعود « لعن الله علماء بنى إسرائيل إذ خالطوا الظالمين فى معايشهم » أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو اسرائيل فى المعاصى : نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم فى مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم » لفظ الترمذى وقال حسن غريب .

مسألة : المواضع التى بناها الظلمة كالقناطر والرباطات والمساجد والسقايات ينبغى أن يحتاط فيها وينظر أماالقنطرة فيجوزالعبور عليها للحاجة ، والورع الاحتراز ماأمكن وإن وجدعنه معدلاتأكد الورع . وإنماجوزنا العبور وإن وجد معدلا لأنه إذا لم يعرف الأعيان مالكا كان حكمها أن ترصد للخيرات وهذا خير ، فأما إذا عرف أن الآجر والحجر قد نقل من دار معلومة أو مقبرة أو مسجد معين فهذا لايحل العبور عليه أصلا إلا لضرورة يحل بها مثل ذلك من مال الغير ، ثم يجب عليه الاستحلال من المالك الذى يعرفه . وأما المسجد فإن بنى فى أرض مغصوبة أو بخشب مغصوب من مسجد آخر أو ملك معين فلا يجوز دخوله أصلا ولا للجمعة بل لو وقف الإمام فيه فليصل هو خلف الإمام وليقف خارج المسجد فإن الصلاة فى الأرض المغصوبة تسقط الفرض وتنعقد فى حق الاقتداء ، فلذلك جوزنا للمقتدى الاقتداء بمن صلى فى الأرض المغصوبة وإن عصى صاحبه بالوقوف فى الغصب . وإن كان من مال لا يعرف مالكه فالورع العدول إلى مسجد آخر إن وجد فإن لم يجد غيره فلا يترك الجمعة والجماعة به لأنه يحتمل أن يكون من الملك الذى بناه ولو على بعد وإن لم يكن له مالك معين فهو لمصالح المسلمين . ومهما كان فى المسجد الكبير بناء لسلطان ظالم فلا عذر لمن يصلى فيه مع اتساع المسجد ، أعنى فى الورع ، قيل لأحمد بن حنبل : ماحجتك فى ترك الخروج إلى الصلاة فى جماعة ونحن بالعسكر ؟ فقال . حجتى أن الحسن وإبراهيم التيمى خافا أن يفتنهما الحجاج وأنا أخاف أن أفتن أيضا . وأما الخلوق والتجصيص فلا يمنع من الدخول لأنه غير منتفع به فى الصلاة وإنما هو زينة والأولى أنه لا ينظر إليه ـ وأما البوارى التى فرشوها فإن كان لها مالك معين فيحرم الجلوس عليها وإلا فبعد أن أرصدت لمصلحة عامة جاز افتراشها ، ولكن الورع العدول عنها فإنها محل شبهة . وأما السقاية فحكمها ما ذكرناه وليس عن الورع الوضوء والشرب منها والدخول إليها إذا كان يخاف فوات الصلاة فيتوضأ وكذا مصانع طريق مكة . وأما الرباطات والمدارس فإن كانت رقبة الأرض مغصوبة أو الآجر منقولا من موضع معين يمكن الرد إلى مستحقه فلا رخصة للدخول فيه وإن التبس المالك فقد أرصد لجهة من الخير ، والورع اجتنابه ولكن لا يلزم الفسق بدخوله . وهذه الأبنية إن أرصدت من خدم السلاطين فالأمر فيها أشد إذ ليس لهم صرف الأموال الضائعة إلى المصالح ولأن الحرام أغلب على أموالهم إذ ليس لهم أخذ مال المصالح وإنما يجوز ذلك للولاة وأرباب الأمر .

مسألة : الأرض المغصوبة إذا جعلت شارعا لم يجز أن يتخطى فيه ألبتة وإن لم يكن له مالك معين جاز ، والورع العدول إن أمكن ، فإن كان الشارع مباحا وفوقه ساباط جاز العبور وجاز الجلوس تحت الساباط على وجه لايحتاج فيه إلى السقف كما يقع فى الشارع لشغل ، فإذا انتفع بالسقف فى دفع حر الشمس أو المطر أو غيره فهو حرام لأن السقف لايراد إلا لذلك ، وهكذا حكم من يدخل مسجدا أو أرضا مباحة سقف أو حوط بغصب فإنه بمجرد التخطى لايكون منتفعا بالحيطان والسقف إلا إذا كان له فائدة فى الحيطان والسقف لحر أو برد تستر عن بصر أو غيره فذلك حرام لأنه انتفاع بالحرام إذ لم يحرم الجلوس على الغصب لما فيه من المماسة بل الانتفاع ، والأرض تراد للاستقرار عليها والسقف للاستظلال به فلا فرق بينهما .

الباب السابع

فى مسائل متفرقة يكثر مسيس الحاجة إليها وقد سئل عنها فى الفتاوى

مسألة : سئل عن خادم الصوفية يخرج إلى السوق ويجمع طعاما أو نقدا ويشترى به طعاما فمن الذى يحل له أن يأكل منه ؟ وهل يختص بالصوفية أم لا ؟ فقلت : أما الصوفية فلا شبهة فى حقهم إذا أكلوه وأما غيرهم فيحل لهم إذا أكلوه برضا الخادم ولكن لايخلو عن شبهة ، أما الحل فلأن مايعطى خادم الصوفية إنما يعطى بسبب الصوفية وله أن يطعم غير العيال إذ يبعد أن يقال لم يخرج عن ملك المعطى ولا يتسلط الخادم على الشراء به التصرف فيه ؟ لأنّ ذلك مصير إلى أنّ المعاطاة لا تكفى وهو ضعيف ، ثم لا صائر اليه فى الصدقات والهدايا ، ويبعد أن يقال زال الملك إلى الصوفية الحاضرين الذين هم وقت سؤاله فى الخانقاه إذ لاخلاف أن له يطعم منه من يقدم بعدهم ولو ماتوا كلهم أوواحد منهم لايجب صرف نصيبه إلى وارثه ، ولايمكن أن يقال إنه وقع لجهة التصوّف ولايتعين له مستحق لأنّ إزالة الملك إلى الجهة لاتوجب تسليط الآحاد على التصرّف فإن الداخلين فيه لاينحصرون بل يدخل فيه من يولد إلى يوم القيامة ، وإنما يتصرف فيه الولاة ، والخادم لايجوز له أن ينتصب نائبا عن الجهة فلا وجه إلا أن يقال هو ملكه وإنما يطعم الصوفية بوفاء شرط التصوّف والمروءة فإن منعهم عنه منعوه عن أن يظهر نفسه فى معرض التكفل بهم حتى ينقطع وقفه كما ينقطع عمن مات عياله .

مسألة : سئل عن مال أوصى به للصوفية فمن الذى يجوز أن يصرف إليه ؟ فقلت : التصوّف أمر باطن لايطلع عليه ولا يمكن ضبط الحكم بحقيقته بل بأمور ظاهرة يعول عليها أهل العرف فى إطلاق اسم الصوفى ، والضابط الكلى أن كل من هو بصفة إذا نزل فى خانقاه الصوفية لم يكن نزوله فيها واختلاطه بهم منكرا عندهم فهو داخل فى غمارهم . والتفصيل أن يلاحظ فيه خمس صفات الصلاح والفقر وزى الصوفية وأن لايكون مشتغلا بحرفة وأن يكون مخالطا لهم بطريق المساكنة فى الخانقاه . ثم بعض هذه الصفات مما يوجب زوالها زوال الاسم وبعضها ينجبر بالبعض فالفسق يمنع الاستحقاق لأن الصوفى بالجملة عبارة عن رجل من أهل الصلاح بصفة مخصوصة ، فالذى يظهر فسقه وإن كان على زيهم لايستحق ماأوصى به للصوفية ولسنا نعتبر فيه الصغائر . وأما الحرفة والاشتغال بالكسب فانه يمنع هذا الاستحقاق فالدهقان والعامل والتاجر والصانع فى حانوته أو داره والأجير الذى يخدم بأجرة كل هؤلاء لايستحقون ماأوصى به للصوفية ولاينجبر هذا بالزى والمخالطة ، فأما الوراقة والخياطة ومايقرب منهما مما يليق بالصوفية تعاطيها ، فإذا تعاطاها لافى حانوت ولا على جهة اكتساب وحرفة فذلك لايمنع الاستحقاق وكان ذلك ينجبر بمساكنته إياهم مع بقية الصفات ، وأما القدرة على الحرف من غير مباشرة فلاتمنع ، وأما الوعظ والتدريس فلا ينافى اسم التصوف إذا وجدت بقية الخصال من الزى والمساكنة والفقر إذ لايتناقض أن يقال صوفى مقرئ وصوفى واعظ وصوفى عالم أو مدرس ، ويتناقض أن يقال صوفى تاجر وصوفى عامل ، وأما الفقر فإن زال بغنى مفرط ينسب الرجل إلى الثروة الظاهرة فلا يجوز معه أخذ وصية الصوفية ، وإن كان له مال ولايفى دخله بخرجه لم يبطل حقه ، وكذا إذا كان له مال قاصر عن وجوب الزكاة وإن لم يكن له خرج وهذه أمور لادليل لها إلا العادات . وأما المخالطة لهم ومساكنتهم فلها أثر ولكن من لايخالطهم وهو فى داره أوفى مسجد على زيهم ومتخلق بأخلاقهم فهو شريك فى سهمهم وكأن ترك المخالطة يجبرها ملازمة الزى فإن لم يكن على زيهم ووجد فيه بقية الصفات

فلا يستحق إلا إذا كان مساكنا لهم فى الرباط فينسحب عليه حكمهم بالتبعية . فالمخالطة والزى ينوب كل واحد منهما عن الآخر . والفقيه الذى ليس على زيهم هذا حكمه فإن كان خارجا لم يعد صوفيا وإن كان ساكنا معهم ووجدت بقية الصفات لم يبعد أن ينسحب بالتبعية عليه حكمهم . وأما لبس المرقعة من يد شيخ من مشايخهم فلايشترط ذلك فى الاستحقاق ، وعدمه لايضره مع وجود الشرائط المذكورة . وأما المتأهل المتردد بين الرباط والمسكن فلايخرج بذلك عن جملتهم .

مسألة : ماوقف على رباط الصوفية وسكانه فالأمر فيه أوسع مما أوصى لهم به لأن معنى الوقف الصرف إلى مصالحهم ؛ فلغير الصوفى أن يأكل معهم برضاهم على مائدتهم مرة أومرتين فإن أمر الأطعمة مبناه على التسامح حتى جاز الانفراد بها فى الغنائم المشتركة ، وللقوال أن يأكل معهم فى دعوتهم من ذلك الوقف وكان ذلك من مصالح معايشهم ، وما أوصى به للصوفية لايجوز أن يصرف إلى قوال الصوفية بخلاف الوقف ، وكذلك من أحضروه من العمال والتجار والقضاة والفقهاء ممن لهم غرض فى استمالة قلوبهم يحل لهم الأكل برضاهم ، فإن الواقف لايقف إلا معتقدا فيه ماجرت به عادات الصوفية فينزل على العرف ولكن ليس هذا على الدوام ، فلايجوز لمن ليس صوفيا أن يسكن معهم على الدوام ويأكل وإن رضوا به إذ ليس لهم تغيير شرط الواقف بمشاركة غير جنسهم . وأما الفقيه إذا كان على زيهم وأخلاقهم فله النزول عليهم ، وكونه فقيها لاينافى كونه صوفيا ، والجهل ليس بشرط فى التصوف عند من يعرف التصوف ، ولايلتفت إلى خرافات بعض الحمقى بقولهم : إن العلم حجاب فإن الجهل هو الحجاب . وقد ذكرنا تأويل هذه الكلمة فى كتاب العلم ، وأن الحجاب هو العلم المذموم دون المحمود ، وذكرنا المحمود والمذموم وشرحهما . وأما الفقيه إذا لم يكن على زيهم وأخلاقهم فلهم منعه من النزول عليهم فإن رضوا بنزوله فيحل له الأكل معهم بطريق التبعية فكان عدم الزى تجبره المساكنة ولكن برضا أهل الزى ، وهذه أمور تشهدلها العادات وفيها أمور متقابلة لايخفى أطرافها فى النفى والإثبات ومتشابه أوساطها فمن احترز فى مواضع الاشتباه فقد استبرأ لدينه كما نبهنا عليه فى أبواب الشبهات .

مسألة : سئل عن الفرق بين الرشوة والهدية مع أن كل واحد منهما يصدر عن الرضا ولايخلو عن غرض وقد حرمت إحداهما دون الأخرى . فقلت : باذل المال لايبذله قط إلا لغرض ، ولكن الغرض إما آجل كالثواب وإما عاجل ، والعاجل إما مال وإما فعل وإعانة على مقصود معين وإما تقرب إلى قلب المهدى إليه بطلب محبته إما المحبة فى عينها وإما للتوصل بالمحبة إلى غرض وراءها فالأقسام الحاصلة من هذه خمسة .

الأول : ماغرضه الثواب فى الآخرة وذلك إما أن يكون لكون المصروف إليه محتاجا أوعالما أومنتسبا بنسب دينى أوصالحا فى نفسه متدينا . فما علم الآخذ أنه يعطاه لحاجته لايحل له أخذه إن لم يكن محتاجا ، وماعلم أنه يعطاه لشرف نسبه لايحل له إن علم أنه كاذب فى دعوى النسب ، وما يعطى لعلمه فلايحل له أن يأخذه إلا أن يكون فى العلم كما يعتقده المعطى ، فإن كان خيل إليه كمالا فى العلم حتى بعثه بذلك على التقرب ولم يكن كاملا لم يحل له ، ومايعطى لدينه وصلاحه لايحل له أن يأخذه إن كان فاسقا فى الباطن فسقا لو علمه المعطى ماأعطاه . وقلما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لبقيت القلوب مائلة إليه وإنما ستر الله الجميل هو الذى يحبب الخلق إلى الخلق . وكان المتورعون يوكلون فى الشراء من لايعرف أنه وكيلهم حتى لايتسامحوا فى المبيع خيفة من أن يكون ذلك أكلا بالدين فإن ذلك مخطر والتقى خفى لا كالعلم والنسب والفقر فينبغى أن يجتنب الأخذ بالدين ماأمكن .

القسم الثانى : مايقصد به فى العاجل غرض معين كالفقير يهدى إلى الغنى طمعا فى خلعته فهذه هبة بشرط الثواب لايخفى حكمها وإنما تحل عند الوفاء بالثواب المطموع فيه وعند وجود شروط العقود .

الثالث : أن يكون المراد إعانة بفعل معين كالمحتاج إلى السلطان يهدى إلى وكيل السلطان وخاصته ومن له مكانة عنده فهذه هدية بشرط ثواب يعرف بقرينة الحال ؛ فلينظر فى ذلك العمل الذى هو الثواب ،إن كان حراما كالسعى فى تنجيز إدرار حرام أوظلم إنسان أو غيره حرم الأخذ ، وإن كان واجبا كدفع ظلم متعين على كل من يقدر عليه أو شهادة متعينة فيحرم عليه مايأخذه وهى الرشوة التى لايشك فى تحريمها ، وإن كان مباحا لاواجبا ولا حراما وكان فيه تعب بحيث لوعرف لجاز الاستئجار عليه فما يأخذه حلال مهما وفى بالغرض ، وهو جار مجرى الجعالة كقوله أوصل هذه القصة إلى يد فلان أو يد السلطان ولك دينار وكان بحيث يحتاج إلى تعب وعمل متقوم ، أو قال اقترح على فلان أن يعينني فى غرض كذا أو ينعم على بكذا وافتقر فى تنجيز غرضه إلى كلام طويل ، فذلك جعل كما يأخذه الوكيل بالخصومة بين يدى القاضى فليس بحرام إذا كان لايسعى فى حرام ، وإن كان مقصود يحصل بكلمة لاتعب فيها ولكن تلك الكلمة من ذى الجاه أو تلك الفعلة من ذى الجاه تفيد كقوله للبواب لاتغلق دونه باب السلطان أو كوضعه قصة بين يدى السلطان فقط ، فهذا حرام لأنه عوض من الجاه ، ولم يثبت فى الشرع جواز ذلك بل ثبت مايدل على النهى عنه ـ كما سيأتى فى هدايا الملوك ـ وإذا كان لايجوز العوض عن إسقاط الشفعة والرد بالعيب ودخول الأغصان فى هواء الملك وجملة من الأغراض مع كونها مقصودة فكيف يؤخذ عن الجاه ؟ ويقرب من هذا أخذ الطبيب العوض على كلمة واحدة ينبه بها على دواء ينفرد بمعرفته كواحد ينفرد بالعلم بنبت يقلع البواسير أوغيره فلا يذكره إلا بعوض فإن عمله بالتلفظ به غير متقوم كحبة من سمسم فلا يجوز أخذ العوض عليه ولاعلى علمه ، إذ ليس ينتقل علمه إلى غيره وإنما يحصل لغيره مثل علمه ويبقى هو عالما به ، ودون هذا : الحاذق فى الصناعة كالصيقلى مثلا الذى يزيل اعوجاج السيف أو المرآة بدقة واحدة لحسن معرفته بموضع الخلل ، ولحذقه بإصابته فتدبير بدقة واحدة مال كثير فى قيمة السيف والمرآة فهذا لا أرى بأسا بأخذ الأجرة عليه ، لأن مثل هذه الصناعات يتعب الرجل فى تعلمها ليكتسب بها ويخفف عن نفسه كثرة العمل .

الرابع : مايقصد به المحبة وجلبها من قبل المهدى إليه لالغرض معين ولكن طلبا للاستئناس وتأكيد الصحبة وتوددا إلى القلوب فذلك مقصود للعقلاء ومندوب إليه فى الشرع قال صلى الله عليه وسلم « تهادوا تحابوا [1] » وعلى الجملة فلا يقصد الإنسان فى الغالب أيضا محبة غيره لعين المحبة بل لفائدة فى محبته ولكن إذا لم تتعين تلك الفائدة ولم يتمثل فى نفسه غرض معين يبعثه فى الحال أو المآل سمى ذلك هدية وحل أخذها .

الخامس : أن يطلب التقرب إلى قلبه وتحصيل محبته لالمحبته ولا للأنس به من حيث إنه أنس فقط بل ليتوصل بجاهه إلى أغراض له ينحصر جنسها وإن لم ينحصر عينها وكان لولا جاهه وحشمته لكان لايهدى إليه ، فإن كان جاهه لأجل علم أو نسب فالأمر فيه أخف وأخذه مكروه فإن فيه مشابهة الرشوة ولكنها هدية فى ظاهرها ، فإن كان جاهه بولاية تولاها من قضاء أو عمل أو ولاية صدقة أوجباية مال أوغيره من الأعمال السلطانية حتى ولاية الأوقاف مثلا ، وكان لولا تلك الولاية لكان لايهدى إليه فهذه رشوة عرضت فى معرض الهدية إذ القصد

الباب السابع : فى مسائل متفرقة

(١) حديث « تهادوا تحابوا » أخرجه البيهقى من حديث أبى هريرة ، وضعفه ابن عدى .

بها فى الحال طلب التقرب واكتساب المحبة ولكن الأمر ينحصر فى جنسه إذ مايمكن التوصل إليه بالآيات لايخفى وآية أنه لايبغى المحبة أنه لو ولى فى الحال غيره لسلم المال إلى ذلك الغير ، فهذا مما اتفقوا على أن الكراهة فيه شديدة واختلفوا فى كونه حراما ، والمعنى فيه متعارضا فإنه دائر بين الهدية المحضة وبين الرشوة المبذوله فى مقابلة جاه فى غرض معين ، وإذا تعارضت المشابهة القياسية وعضدت الأخبار والآثار أحدهما تعين الميل إليه ، وقد دلت الأخبار على تشديد الأمر فى ذلك قال صلى الله عليه وسلم « يأتى على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البرىء لتوعظ به العامة[1] » ، وسئل ابن مسعود رضى الله عنه عن السحت فقال : يقضى الرجل الحاجة فتهدى له الهدية ولعله أراد قضاء الحاجة بكلمة لاتعب فيها أو تبرع بها لاعلى قصد أجرة ، فلايجوز أن يأخذ بعده شيئا فى معرض العوض ، شفع مسروق شفاعة فأهدى إليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال : لوعلمت مافى قلبك لما تكلمت فى حاجتك ولا أتكلم فيما بقى منها . وسئل طاوس عن هدايا السلطان فقال : سحت . وأخذ عمر رضى الله عنه ربح مال القراض الذى أخذه ولداه من بيت المال وقال : إنما أعطيتما لمكانكما منى إذ علم أنهما أعطيا لأجل جاه الولاية . وأهدت امرأة أبى عبيدة بن الجراح إلى خاتون ملكة الروم خلوقا فكافأتها بجوهر فأخذه عمر رضى الله عنه فباعه وأعطاها ثمن خلوقها ورد باقيه إلى بيت مال المسلمين . وقال جابر وأبو هريرة رضى الله عنهما : هدايا الملوك غلول . ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية قيل له « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية فقال : كان ذلك له هدية وهو لنا رشوة[2] » أى كان يتقرب إليه لنبوته لا لولايته ونحن إنما نعطى للولاية . وأعظم من ذلك كله ما روى أبو حميد الساعدى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث واليا على صدقات الأزد فلما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك بعض مامعه وقال : هذا لكم وهذا لى هدية ، فقال عليه السلام : ألا جلست فى بيت أبيك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا ، ثم قال : مالى أستعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم وهذا لى هدية ألا جلس فى بيت أمه ليهدى له والذى نفسى بيده لايأخذ منكم أحد شيئا بغير حقه إلا أتى الله يحمله فلا يأتين أحدكم يوم القيامة ببعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ، ثم رفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه ، ثم قال : اللهم هل بلغت[3] » . وإذا ثبتت هذه التشديدات فالقاضى والولى ينبغى أن يقدر نفسه فى بيت أمه وأبيه فما كان يعطى بعد العزل وهو فى بيت أمه يجوز له أن يأخذه فى ولايته ، ومايعلم أنه ، إنما يعطاه لولايته فحرام أخذه ، وما أشكل عليه فى هدايا أصدقائه أنهم هل كانوا يعطونه لو كان معزولا ؟ فهو شبهة فليجتنبه .

تم كتاب الحلال والحرام بحمد الله ومنه وحسن توفيقه والله أعلم

---

(١) حديث « يأتى على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة ، يقتل البرىء ليوعظ به العامة » لم أقف له على أصل . (٢) حديث : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية . أخرجه البخارى من حديث عائشة . (٣) حديث أبى حميد الساعدى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث واليا الى صدقات الأزد فلما جاء قال : هذا مالكم وهذا هدية لى . الحديث متفق عليه .

كتاب أداب الالفة والاخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق

وهو الكتاب الخامس من ربع العادات الثانى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص طولا وامتنانا . وألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانا . ونزع الغل من صدورهم فظلوا فى الدنيا أصدقاء وأخدانا . وفى الآخرة رفقاء وخلانا .

والصلاة والسلام على محمد المصطفى وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولا وفعلا وعدلا وإحسانا .

أما بعد : فإنّ التحاب فى الله تعالى والأخوة فى دينه من أفضل القربات ، وألطف مايستفاد من الطاعات فى مجارى العادات . ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين فى الله تعالى وفيها حقوق بمراعاتها تصفو الأخوة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان ، فبالقيام بحقوقها يتقرب إلى الله زلفى وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى ، ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب فى ثلاثة أبواب (الباب الأوّل) فى فضيلة الألفة والأخوة فى الله تعالى وشروطها ودرجاتها وفوائدها . (الباب الثانى) فى حقوق الصحبة وآدابها وحقيقتها ولوازمها . (الباب الثالث) فى حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من قد بلى بهذه الأسباب .

الباب الأول : فى فضيلة الالفة والاخوة وفى شروطها ودرجاتها وفوائدها

فضيلة الألفة والأخوة

أعلم أنّ الألفة ثمرة حسن الخلق ، والتفرق ثمرة سوء الخلق . فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر ، ومهما كان المثمر محمودا كانت الثمرة محمودة . وحسن الخلق لاتخفى فى الدين فضيلته وهو الذى مدح الله سبحانه به نبيه عليه السلام إذ قال ﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾ وقال النبى صلى الله عليه وسلم « أكثر مايدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق [1] » وقال أسامة بن شريك : قلنا يارسول الله ماخير ماأعطى الإنسان ؟ فقال : خلق حسن [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « بعثت لأتمم محاسن الإخلاق [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « أثقل مايوضع فى الميزان خلق حسن [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « ماحسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار [5] » وقال صلى الله علته وسلم « ياأباهريرة عليك بحسن الخلق ،

كتاب آداب الصحبة

الباب الأوّل : فى فضيلة الألفة والأخوة

(١) حديث « أول مايدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق » أخرجه الترمذى والحاكم من حديث أبى هريرة وقال : صحيح الإسناد وقد تقدم . (٢) حديث أسامة بن شريك : يارسول الله ، ماخير ماأعطى الإنسان ؟ قال « خلق حسن » أخرجه ابن ماجه بإسناد صحيح . (٣) حديث « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » رواه أحمد والبيهقى ، والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة (٤) حديث « أثقل مايوضع فى الميزان خلق حسن » رواه أبو داود والترمذى من حديث أبى الدرداء وقال : حسن صحيح (٥) حديث « ماحسن الله خلق امرئ وخلقه فتطعمه النار » أخرجه ابن عدى والطبرانى فى مكارم الأخلاق وفى الأوسط ، والبيهقى فى شعب الإيمان من حديث أبى هريرة . قال ابن عدى : فى إسناده بعض النكرة .

قال أبو هريرة رضى الله عنه : وما حسن الخلق يا رسول الله ؟ قال : تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك [١] ، ولا يخفى أن ثمرة الخلق الحسن الألفة وانقطاع الوحشة ومهما طاب المثمر طابت الثمرة ، وكيف وقد ورد فى الثناء على نفس الألفة سيما إذا كانت الرابطة هى التقوى والدين وحب الله من الآيات والأخبار والآثار ما فيه كفاية ومقنع ، قال الله تعالى مظهرا عظيم منته على الخلق بنعمة الألفة ﴿ لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴾ وقال ﴿ فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ أى بالألفة ، ثم ذم التفرقة وزجر عنها فقال عز من قائل ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ـ إلى ـ لعلكم تهتدون ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ أقربكم منى مجلسا أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « المؤمن إلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم فى الثناء على الأخوة فى الدين « من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « مثل الأخوين إذ التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى وما التقى مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرا [٥] » وقال عليه السلام فى الترغيب فى الأخوة فى الله « من آخى أخا فى الله رفعه الله درجة فى الجنة لا ينالها بشىء من عمله [٦] » وقال أبو إدريس الخولانى لمعاذ : إنى أحبك فى الله ، فقال له : أبشر ثم أبشر فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة ، وجوههم كالقمر ليلة البدر ، يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فقيل : من هؤلاء يارسول الله ؟ فقال : هم المتحابون فى الله تعالى [٧] » ورواه أبو هريرة رضى الله عنه وقال فيه « إنّ حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء ، فقالوا ، يارسول الله صفهم لنا ؛ فقال : هم المتحابون فى الله والمتجالسون فى الله

---

(١) حديث « ياأبا هريرة عليك بحسن الخلق » قال : وما حسن الخلق ؟ قال « تصل من قطعك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتعطى من حرمك » رواه البيهقى فى الشعب من رواية الحسن عن أبى هريرة ولم يسمع منه . (٢) حديث « إن أقربكم منى مجلسا أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون » رواه الطبرانى فى مكارم الأخلاق من حديث جابر بسند ضعيف .

(٣) حديث « المؤمن الف مألوف ولاخير فيمن لايألف ولايؤلف » رواه أحمد والطبرانى من حديث سهل بن سعد ، والحاكم من حديث أبى هريرة وصححه . (٤) حديث « من أراد الله به خيرا رزقه أخا صالحا إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه » غريب بهذا اللفظ ، والمعروف أن ذلك فى الأمير ورواه أبو داود من حديث عائشة « إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه ... الحديث » ضعفه ابن عدى ، ولأبى عبد الرحمن السلمى فى آداب الصحبة من حديث على « من سعادة المرء أن يكون لخوانه صالحين » . (٥) حديث « مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحدهما الأخرى » الحديث رواه السلمى فى آداب الصحبة ، وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس ، وفيه أحمد بن محمد بن غالب الباهلى كذاب ، وهو من قول سلمان الفارسى فى الأول من الحزبيات . (٦) حديث « من آخى أخا فى الله عزوجل رفعه الله درجة فى الجنة لاينالها بشىء من عمله » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الإخوان من حديث أنس « ما أحدث عبد أخا فى الله الا أحدث الله له درجة فى الجنة » واسناده ضعيف . (٧) حديث قال أبو ادريس الخولانى لمعاذ : انى أحبك فى الله فقال : أبشر ثم أبشر ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « تنصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة ... الحديث » أخرجه أحمد والحاكم فى حديث طويل : ان أبا ادريس قال : قلت والله انى لأحبك فى الله قال : فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان المتحابين بجلال الله فى ظل عرشه يوم لاظل الا ظله » قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ، وهو عند الترمذى من رواية أبى مسلم الخولانى عن معاذ بلفظ « المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء » قال حديث حسن صحيح ، ولأحمد من حديث أبى مالك الأشعرى « ان لله عباداً ليسوا بأنبياء ولاشهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على منازلهم وقربهم من الله ... الحديث » وفيه « تحابوا فى الله وتصافوا به يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فتجعل وجوههم نوراً وثيابهم نوراً يفزع الناس يوم القيامة ولايفزعون وهم أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون » وفيه شهر بن حوشب مختلف فيه .

والتزاورون فى الله [١] ، وقال صلى الله عليه وسلم « ماتحاب اثنان الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه [٢] » ، ويقال : إنّ الأخوين فى الله إذا كان أحدهما أعلى مقاما من الآخر رفع الآخر معه إلى مقامه وأنه يلتحق به كما تلتحق الذرية بالأبوين ، والأهل بعضهم ببعض لأن الأخوة إذا اكتسبت فى الله لم تكن دون أخوة الولادة . قال عز وجل ﴿ ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول حقت محبتى للذين يتزاورون من أجلى وحقت محبتى للذين يتحابون من أجلى وحقت محبتى للذين يتباذلون من أجلى وحقت محبتى للذين يتناصرون من أجلى [٣] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لاظل إلا ظلى [٤] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال إنى أخاف الله تعالى ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه [٥] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « مازار رجل رجلا فى الله شوقا إليه ورغبة فى لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة [٦] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن رجلا زار أخا له فى الله ، فأرصد الله له ملكا فقال : أين تريد ؟ قال : أريد أن أزور أخى فلانا ، فقال : لحاجة لك عنده ؟ قال : لا ، قال : لقرابة بينك وبينه ؟ قال : لا ، قال : فبنعمة له عندك ؟ قال : لا ، قال : فبم ؟ قال أحبه فى الله قال . فإن الله أرسلنى إليك يخبرك بأنه يحبك لحبك إياه وقد أوجب لك الجنة [٧] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله [٨] » ، فلهذا يجب أن يكون للرجل أعداء يبغضهم فى الله كما يكون له أصدقاء وإخوان يحبهم فى الله . ويروى أن الله تعالى أوحى إلى نبى من الأنبياء : أما زهدك فى الدنيا فقد تعجلت الراحة وأما انقطاعك إلى فقد تعززت بى ولكن هل عاديت فى عدوا أو هل واليت فى وليا ؟ وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم لاتجعل لفاجر على منة فترزقه منى محبة [٩] » ، ويروى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام ، لو أنك عبدتنى بعبادة أهل السماوات والأرض وحب فى الله ليس وبغض فى الله ليس ما أغنى عنك ذلك شيئا ، وقال عيسى عليه السلام : تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصى وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم والتمسوا رضا الله بسخطهم ، قالوا : ياروح الله فمن نجالس ؟ قال : جالسوا من تذكركم الله رؤيته ومن يزيد فى علمكم كلامه ومن يرغبكم فى الآخرة عمله . وروى فى الأخبار السالفة أن الله عز وجل أوحى إلى موسى

---

(١) حديث أبى هريرة « إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء ... الحديث » أخرجه النسائى فى سننه الكبرى ورجاله ثقات . (٢) حديث « ماتحاب اثنان فى الله إلا كان أحبهم إلى الله أشدهما حبا لصاحبه » أخرجه ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال : صحيح الإسناد .

(٣) حديث « إن الله يقول : حقت محبتى للذين يتزاورون من أجلى ، وحقت محبتى للذين يتحابون من أجلى ... الحديث » أخرجه أحمد من حديث عمرو بن عبسة وحديث عبادة بن الصامت ، ورواه الحاكم وصححه . (٤) حديث « إن الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالى ، اليوم أظلهم فى ظلى يوم لاظل إلا ظلى » أخرجه مسلم . (٥) حديث أبى هريرة « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلا ظله إمام عادل : الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم . (٦) حديث « مازار رجل رجلا فى الله شوقا إليه ورغبة فى لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة » أخرجه ابن عدى من حديث أنس دون قوله « شوقا إليه ورغبة فى لقائه » وللترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة « من عاد مريضا أو زار أخا فى الله ناداه مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا » قال الترمذى : غريب . (٧) حديث « إن رجلا زار أخا له فى الله فأرصد الله له ملكا فقال : أين تريد ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة . (٨) حديث « أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله » رواه أحمد من حديث البراء بن عازب ، وفيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه . والخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف . (٩) حديث « اللهم لاتجعل لفاجر على منة ... الحديث » تقدم فى الكتاب الذى قبله .

عليه السلام . يابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك إخوانا وكل خدن وصاحب لايوازرك على مسرتى فهولك عدو وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام فقال : ياداود مالى أراك منتبذا وحيدا ؟ قال : إلهى قليت الخلق من أجلك ، فقال : ياداود كن يقظانا وارتد لنفسك أخدانا وكل خدن لايوافقك على مسرتى فلا تصاحبه فإنه لك عدو يقسى قلبك ويباعدك منى . وفى أخبار داود عليه السلام أنه قال : يارب كيف لى أن يحبنى الناس كلهم وأسلم فيما بينى وبينك ؟ قال : خالق الناس بأخلاقهم وأحسن فيما بينى وبينك . وفى بعضها : خالق أهل الدنيا بأخلاق الدنيا وخالق أهل الآخرة بأخلاق الآخرة . وقال النبى صلى الله عليه وسلم « إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم إلى الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الإخوان [1] » وقال صلى الله عليه ماسلم « إن لله ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول : اللهم كما ألفت بين الثلج والنار كذلك ألف بين قلوب عبادك الصالحين [2] » وقال أيضا « ما أحدث عبد أخا فى الله إلا أحدث له درجة فى الجنة [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « المتحابون فى الله على عمود من ياقوتة حمراء فى رأس العمود سبعون ألف غرفة يشرفون على أهل الجنة يضىء حسنهم لأهل الجنة كما تضىء الشمس لأهل الدنيا فيقول أهل الجنة : انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين فى الله فيضىء حسنهم لأهل الجنة كما تضىء الشمس ، عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم : المتحابون فى الله [4] » .

الآثار : قال على رضى الله عنه : عليكم بالإخوان فإنهم عدة فى الدنيا والآخرة ألا تسمع إلى قول أهل النار ﴿ فمالنا من شافعين ولا صديق حميم ﴾ وقال عبدالله بن عمر رضى الله عنهما : والله لو صمت النهار لا أفطره وقمت الليل لا أنامه وأنفقت مالى غلقا غلقا فى سبيل الله أموت يوم أموت وليس فى قلبى حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله مانفعنى ذلك شيئا . وقال ابن السماك عند موته : اللهم إنك تعلم أنى إذا كنت أعصيك كنت أحب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لى إليك . وقال الحسن ـ على ضده ـ يابن آدم لايغرنك قول من يقول المرء مع من أحب فإنك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم . وهذه إشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة فى بعض الأعمال أو كلها لا ينفع وقال الفضيل فى بعض كلامه : هاه ! تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن فى داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ؟ بأى عمل عملته ؟ بأى شهوة تركتها ؟ بأى غيظ كظمته ؟ بأى رحم قاطع وصلتها ؟ بأى زلة لأخيك غفرتها ؟ بأى قريب باعدته فى الله ؟ بأى بعيد قاربته فى الله ؟ ويروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام : هل عملت لى عملا قط ؟ فقال : إلهى إنى صليت لك وصمت وتصدقت وزكيت ، فقال : إن الصلاة لك برهان والصوم جنة والصدقة ظل والزكاة نور فأى عمل عملت لى قال موسى إلهى دلنى على عمل هو لك ؟ قال : ياموسى هل واليت لى وليا قط ؟ وهل عاديت فى عدوا قط ؟ فعلم موسى أن أفضل الأعمال الحب فى الله والبغض فى الله . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : لو أن رجلا قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنه لبعثه الله يوم القيامة مع من يحب . وقال الحسن رضى الله عنه : مصارمة الفاسق قربان إلى الله وقال رجل لمحمد بن واسع : انى لأحبك فى الله ، فقال : أحبك الذى أحببتنى له . ثم حول وجهه وقال : اللهم انى

---

(١) حديث « إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط والصغير من حديث أبى هريرة بسند ضعيف . (٢) حديث « إن لله ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول . اللهم كما ألفت بين الثلج والنار كذلك ألف بين قلوب عبادك الصالحين » رواه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب العظمة من حديث معاذ بن جبل والعرباض بن سارية بسند ضعيف

(٣) حديث « ماأحدث عبد أخا فى الله تعالى إلا أحدث الله له درجة فى الجنة » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الإخوان من حديث أنس وقد تقدم . (٤) حديث « المتحابون فى الله على عمود من ياقوتة حمراء فى رأس العمود سبعون ألف غرفة . . . الحديث » رواه الحكيم الترمذى فى النوادر من حديث ابن مسعود بسند ضعيف .

أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لى مبغض . ودخل رجل على داود الطائى فقال له : ماحاجتك ؟ فقال : زيارتك ، فقال : أماأنت فقدعملت خيرا حين زرت ، ولكن انظر ماذا ينزل بى أنا إذا قيل لى : من أنت فتزار ؟ أمن الزهاد أنت ؟ لاوالله ، أمن العبادانت ؟ لاوالله أمن الصالحين أنت ؟ لاوالله . ثم أقبل يوبخ نفسه ويقول : كنت فى الشبيبة فاسقا فلما شخت صرت مرائيا والله للمرائى شر من الفاسق وقال عمر رضى الله عنه : إذا أصاب أحدكم ودا من أخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك . وقال مجاهد : المتحابون فى الله إذا التقوا فكشر بعضهم إلى بعض تتحات عنهم الخطايا كما يتحات ورق الشجر فى الشتاء إذا يبس . وقال الفضيل : نظر الرجل إلى وجه أخيه على المودة والرحمة عبادة.

بيان معنى الأخوة فى الله وتمييزها من الأخوة فى الدنيا

اعلم أن الحب فى الله والبغض فى الله غامض وينكشف الغطاء عنه بما نذكره : وهو أن الصحبة تنقسم إلى مايقع بالاتفاق ، كالصحبة بسبب الجوار أو بسبب الاجتماع فى المكتب أو فى المدرسة أو فى السوق أو على باب السلطان أو فى الأسفار ، وإلى ماينشأ اختيارا ويقصد ، وهو الذى نريد بيانه إذ الأخوة فى الدين واقعة فى هذا القسم لامحالة إذ لاثواب إلا على الأفعال الاختيارية ولا ترغيب إلا فيها . والصحبة عبارة عن المجالسة والمجاورة . وهذه الأمور لايقصد الإنسان بها غيره إلا إذا أحبه فإن غير المحبوب يجتنب ويباعد ولا تقصد مخالطته ، والذى يحب فإما أن يحب لذاته لا ليتوصل به إلى محبوب ومقصود وراءه وإما أن يحب للتوصل به إلى مقصود ، وذلك المقصود إما أن يكون مقصورا على الدنيا وحظوظها وإما أن يكون متعلقا بالآخرة وإما أن يكون متعلقا بالله تعالى فهذه أربعة أقسام :

أما القسم الأول وهو حبك الإنسان لذاته فذلك ممكن وهو أن يكون فى ذاته محبوبا عندك على معنى أنك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة أخلاقه لاستحسانك له ، فإن كل جميل لذيذ فى حق من أدرك جماله وكل لذيذ محبوب . واللذة تتبع الاستحسان والاستحسان يتبع المناسبة والملاءمة والموافقة بين الطباع ، ثم ذلك المستحسن إما أن يكون هو الصورة الظاهرة أعنى حسن الخلقة وإما أن يكون هو الصورة الباطنة أعنى كمال العقل وحسن الأخلاق ، ويتبع حسن الأخلاق حسن الأفعال لامحالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم ، وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل المستقيم ، وكل مستحسن فمستلذ به ومحبوب ، بل فى ائتلاف القلوب أمر أغمض من هذا فإنه قد تستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحة فى صورة ولاحسن فى خلق وخلق ولكن لمناسبة توجب الألفة والموافقة فإن شبه الشىء ينجذب إليه بالطبع ، والأشياء الباطنة خفية ولها أسباب دقيقة ليس فى قوة البشر الاطلاع عليها ، عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك حيث قال « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف [1] » فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف نتيجة التناسب الذى عبر عنه بالتعارف . وفى بعض الألفاظ « الأرواح جنود مجندة تلتقى فتتشام فى الهواء [2] » وقد كنى بعض العلماء عن هذا بأن قال : إنّ الله تعالى خلق الأرواح ففلق بعضها فلقا وأطافها حول العرش فأى روحين من فلقتين تعارفا هناك فالتقيا تواصلا فى الدنيا . وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ أرواح المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه قط [3] » وروى « أن امرأة بمكة كانت تضحك

(١) حديث « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة والبخارى تعليقا من حديث عائشة . (٢) حديث « الأرواح تلتقى فتتشام فى الهواء » أخرجه الطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف من حديث على « إن الأرواح فى الهواء جند مجندة تلتقى فتتشام ... الحديث » . (٣) حديث « إن أرواح المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه قط » أخرجه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ « تلتقى » وقال « أحدهم » وفيه ابن لهيعة عن دراج

النساء وكانت بالمدينة أخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عائشة رضى الله عنها فأضحكتها ، فقالت : أين نزلت ؟ فذكرت لها صاحبتها ، فقالت : صدق الله ورسوله [1] سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الأرواح جنود مجندة ... الحديث » والحق فى هذا أن المشاهدة والتجربة تشهد للائتلاف عند التناسب والتناسب فى الطباع والأخلاق باطنا وظاهرا أمر مفهوم . وأما الأسباب التى أوجبت تلك المناسبة فليس فى قوة البشر الاطلاع عليها ، وغاية هذيان المنجم أن يقول ، إذا كان طالعه على تسديس طالع غيره أو تثليثه فهذا نظر الموافقة والمودة فتقتضى التناسب والتواد ، وإذا كان على مقابلته أو تربيعه اقتضى التباغض والعداوة . فهذا لو صدق بكونه كذلك فى مجارى سنة الله فى خلق السموات والأرض لكن الإشكال فيه أكثر من الإشكال فى أصل التناسب ، فلا معنى للخوض فيما لم يكشف سره للبشر فما أوتينا من العلم إلا قليلا ، ويكفينا فى التصديق بذلك التجربة والمشاهدة فقد ورد الخبر به قال صلى الله عليه وسلم « لو أن مؤمنا دخل إلى مجلس فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه ، ولو أن منافقا دخل إلى مجلس فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس إليه [2] » وهذا يدل على أن شبه الشىء منجذب إليه بالطبع وإن كان هو لا يشعر به وكان مالك بن دينار يقول : لا يتفق اثنان فى عشرة إلا وفى أحدهما وصف من الآخر ، وإن أجناس الناس كأجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير فى الطيران إلا وبينهما مناسبة ، قال فرأى يوما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك فقال : اتفقا وليسا من شكل واحد ، ثم طارا فإذا هما أعرجان فقال : من ههنا اتفقا ؛ ولذلك قال بعض الحكماء : كل إنسان يأنس إلى شكله كما أن كل طير يطير مع جنسه ، وإذا اصطحب اثنان برهة من زمان ولم يتشاكلا فى الحال فلا بد أن يفترقا ، وهذا معنى خفى تفطن له الشعراء حتى قال قائلهم :

وقائل كيف تفارقتما فقلت قولا فيه إنصاف
لم يك من شكلى ففارقته والناس أشكال وألاف

فقد ظهر من هذا أن الإنسان قد يحب لذاته لا لفائدة تنال منه فى حال أو مآل بل لمجرد المجانسة والمناسبة فى الطباع الباطنة والأخلاق الخفية . ويدخل فى هذا القسم الحب للجمال إذا لم يكن المقصود قضاء الشهوة فإن الصور الجميلة مستلذة فى عينها وإن قدر فقد أصل الشهوة حتى يستلذ النظر إلى الفواكه والأنوار والأزهار والتفاح المشرب بالحمرة وإلى الماء الجارى والخضرة من غير غرض سوى عينها . وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله بل هو حب بالطبع وشهوة النفس ، ويتصور ذلك ممن لا يؤمن بالله إلا أنه إن اتصل به غرض مذموم صار مذموما كحب الصورة الجميلة لقضاء الشهوة حيث لا يحل قضاؤها . وإن لم يتصل به غرض مذموم فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم « إذ الحب إما محمود وإما مذموم وإما مباح لا يحمد ولا يذم .

القسم الثانى : أن يحبه لينال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة إلى محبوب غيره والوسيلة إلى المحبوب محبوب ، وما يحب لغيره كان ذلك الغير هو المحبوب بالحقيقة . ولكن الطريق إلى المحبوب محبوب ولذلك أحب الناس الذهب

---

(١) حديث : ان امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة أخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عائشة فذكرت حديث « الأرواح جنود مجندة » أخرجه الحسن بن سفيان فى مسنده بالقصة بسند حسن ، وحديث عائشة عند البخارى تعليقا مختصرا أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان موقوفا على ابن مسعود ، وذكره صاحب الفردوس من حديث معاذ بن جبل ، ولم يخرجه ولده فى المسند .

والفضة ولا غرض فيهما إذ لا يطعم ولا يلبس ولكنهما وسيلة إلى المحبوبات فمن الناس من يحب كما يحب الذهب والفضة من حيث إنه وسيله إلى المقصود إذ يتوصل به إلى نيل جاه أو مال أو علم كما يحب الرجل سلطانا لانتفاعه بماله أو جاهه ويحب خواصه لتحسينهم حاله عنده وتمهيدهم أمره فى قلبه ، فالمتوسل إليه إن كان مقصور الفائدة على الدنيا لم يكن حبه من جملة الحب فى الله ، وإن لم يكن مقصور الفائدة على الدنيا ولكنه ليس يقصد به إلا الدنيا كحب التلميذ لأستاذه فهو أيضا خارج عن الحب لله فإنه إنما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه فمحبوبه العلم ، فإذا كان لا يقصد العلم للتقرب إلى الله بل لينال به الجاه والمال والقبول ، عند الخلق فمحبوبه الجاه والقبول ، والعلم وسيلة إليه والأستاذ وسيلة إلى العلم ، فليس فى شىء من ذلك حب لله إذ لا يتصور كل ذلك ممن لا يؤمن بالله تعالى أصلا . ثم ينقسم هذا أيضا إلى مذموم ومباح فإن كان يقصد به التوصل إلى مقاصد مذمومة من قهر الأقران وحيازة أموال اليتامى وظلم الرعاة بولاية القضاء أو غيره كان الحب مذموما ، وإن كان يقصد به التوصل إلى مباح وإنما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من المقصد المتوصل إليه فإنها تابعة له غير قائمة بنفسها .

القسم الثالث : أن يحبه لا لذاته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعا إلى حظوظه فى الدنيا بل يرجع إلى حظوظه فى الآخرة فهذا أيضا ظاهر لا غموض فيه ، وذلك كمن يحب أستاذه وشيخه لأنه يتوصل به إلى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز فى الآخرة فهذا من جملة المحبين فى الله ، وكذلك من يحب تلميذه لأنه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويرقى به إلى درجة التعظيم فى ملكوت السماء ، إذ قال عيسى صلى الله عليه وسلم من علم وعمل فذلك يدعى عظيما فى ملكوت السماء . ولا يتم التعليم إلا بمتعلم فهو إذن آلة فى تحصيل هذا الكمال ، فإن أحبه لأنه آلة له إذ جعل صدره مزرعة لحرثه الذى هو سبب ترقيه إلى رتبة التعظيم فى ملكوت السماء فهو محب فى الله ، بل الذى يتصدق بأمواله لله ويجمع الضيفان ويهيئ لهم الأطعمة اللذيذة الغريبة تقربا إلى الله فأحب طباخا لحسن صنعته فى الطبخ فهو من جملة المحبين فى الله ، وكذا لو أحب من يتولى له إيصال الصدقة إلى المستحقين فقد أحبه فى الله ، بل نزيد على هذا ونقول : إذا أحب من يخدمه بنفسه فى غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه ويفرغه بذلك للعلم أو العمل ومقصوده من استخدامه فى هذه الأعمال الفراغ للعبادة فهو محب فى الله ، بل نزيد عليه ونقول : إذا أحب من ينفق عليه من ماله ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه وجميع أغراضه التى يقصدها فى دنياه ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل المقرب إلى الله فهو محب فى الله . فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفايتهم جماعة من أولى الثروة وكان المواسى والمواسى جميعا من المتحابين فى الله ، بل نزيد عليه ونقول : من نكح امرأة صالحة ليتحصن بها عن وسواس الشيطان يصون بها دينه أو ليولد منها له ولد صالح يدعو له وأحب زوجته لأنها آلة إلى هذه المقاصد الدينية فهو محب فى الله . ولذلك وردت الأخبار بوفور الأجر والثواب على الإنفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل فى فى امرأته [1] بل نقول : كل من استهتر بحب الله وحب رضاه وحب لقائه فى الدار الآخرة فإذا أحب غيره كان محبا فى الله لأنه لا يتصور أن يحب شيئا إلا لمناسبته لما هو محبوب عنده وهو رضا الله عز وجل ، بل أزيد على هذا وأقول : إذا اجتمع فى قلبه محبتان محبة الله ومحبة الدنيا واجتمع فى شخص واحد المعنيان جميعا حتى صلح لأن يتوسل به إلى الله وإلى الدنيا فإذا أحبه لصلاحه للأمرين فهو من المحبين فى الله ، كمن يحب أستاذه الذى يعلمه الدين ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة فى المال فأحبه من حيث إن فى طبعه طلب الراحة فى الدنيا

(١) حديث « الأجر فى الانفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل فى فى امرأته » تقدم .

والسعادة فى الآخرة فهو وسيله إليهما فهو محب فى الله ، وليس من شرط حب الله أن لايحب فى العاجل حظا ألبتة إذ الدعاء الذى أمر به الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه فيه جمع بين الدنيا والآخرة ومن ذلك قولهم ﴿ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة﴾ وقال عيسى عليه السلام فى دعائه : اللهم لاتشمت بى عدوى ولاتسؤ بى صديق ولاتجعل مصيبتى لدينى ولاتجعل الدنيا أكبر همى فدفع شماتة الأعداء من حظوظ الدنيا ، ولم يقل : ولاتجعل الدنيا أصلا من همى، بل قال : لاتجعلها أكبر همى . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم فى دعائه « اللهم إنى أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة [1] » وقال « اللهم عافنى من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة [2] » وعلى الجملة فإذا لم يكن حب السعادة فى الآخرة مناقضا لحب الله تعالى فحب السلامة والصحة والكفاية والكرامة فى الدنيا كيف يكون مناقضا لحب الله؟ والدنيا والآخرة عبارة عن حالتين إحداهما أقرب من الأخرى فكيف يتصور أن يحب الإنسان حظوظ نفسه غدا ولايحبها اليوم ؟ وإنما يحبها غدا لأن الغد سيصير حالا راهنة فالحالة الراهنة لابد أن تكون مطلوبة أيضا ، إلا أن الحظوظ العاجلة منقسمة إلى مايضاد حظوظ الآخرة ويمنع منها وهى التى احترز عنها الأنبياء والأولياء وأمروا بالاحتراز عنها وإلى مالايضاد وهى التى لم يمتنعوا منها كالنكاح الصحيح وأكل الحلال وغير ذلك ، فما يضاد حظوظ الآخرة فحق العاقل أن يكرهه ولايحبه أعنى أن يكرهه بعقله لابطبعه ، كما يكره التناول من طعام لذيذ لملك من الملوك يعلم أنه لو أقدم عليه لقطعت يده أو حزت رقبته لابمعنى أن الطعام اللذيذ يصير بحيث لايشتهيه بطبعه ولا يستلذه لو أكله فإن ذلك محال ، ولكن على معنى أنه يزجره عقله عن الإقدام عليه وتحصل فيه كراهة الضرر المتعلق به . والمقصود من هذا أنه لو أحب أستاذه لأنه يواسيه ويعلمه أو تلميذه لأنه يتعلم منه ويخدمه وأحدهما حظ عاجل والآخر آجل لكان فى زمرة المتحابين فى الله ، ولكن بشرط واحد وهو أن يكون بحيث لو منعه العلم مثلا أو تعذر عليه تحصيله منه لنقص حبه بسببه فالقدر الذى ينقص بسبب فقده هو لله تعالى ، وله على ذلك القدر ثواب الحب فى الله وليس بمستنكر أن يشتد حبك لإنسان لجملة أغراض ترتبط لك به فإن امتنع بعضها نقص حبك وإن زاد زاد الحب ، فليس حبك الذهب كحبك للفضة إذا تساوى مقدارهما لأن الذهب يوصل إلى أغراض هى أكثر مما توصل إليه الفضة ، فإذن يزيد الحب بزيادة الغرض ولا يستحيل اجتماع الأغراض الدنيوية والأخروية فهو داخل فى جملة الحب لله . وحده هو أن كل حب لولا الإيمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو حب فى الله ، وكذلك كل زيادة فى الحب لولا الإيمان بالله لم تكن تلك الزيادة فتلك الزيادة من الحب فى الله فذلك وإن دق فهو عزيز . قال الجريرى : تعامل الناس فى القرن الأول بالدين حتى رق الدين وتعاملوا فى القرن الثانى بالوفاء حتى ذهب الوفاء وفى الثالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة ولم يبق إلا الرهبة والرغبة .

القسم الرابع : أن يحب لله وفى الله لاليناله منه علما أو عملا أو يتوسل به إلى أمر وراء ذاته وهذا أعلى الدرجات وهو أدقها وأغمضها ، وهذا القسم أيضا ممكن فإن من آثار غلبة الحب أن يتعدى من المحبوب الى كل من يتعلق بالمحبوب ويناسبه ولو من بعد ، فمن أحب انسانا حبا شديدا أحب محب ذلك الإنسان وأحب محبوبه وأحب من يخدمه وأحب من يثنى عليه محبوبه وأحب من يتسارع إلى رضا محبوبه ، حتى قال بقية بن الوليد : إن المؤمن إذا أحب المؤمن أحب كلبه ؛ وهو كما قال : ويشهد له التجربة فى أحوال العشاق ويدل عليه أشعار الشعراء ولذلك يحفظ

---

(١) حديث « اللهم انى أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة » أخرجه الترمذى من حديث ابن عباس فى الحديث الطويل فى دعائه صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الليل وقد تقدم . (٢) حديث « اللهم عافنى من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة » أخرجه أحمد من حديث بعمر بن أبى أرطاة نحوه بسند جيد .

ثوب المحبوب ويخفيه تذكرة من جهته ويحب منزله ومحلته وجيرانه حتى قال مجنون بنى عامر :

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وماحب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

فإذن المشاهدة والتجربة تدل على أن الحب يتعدّى من ذات المحبوب إلى مايحيط به ويتعلق بأسبابه ويناسبه ولو من بعد ؛ ولكن ذلك من خاصية فرط المحبة فأصل المحبة لايكفى فيه ويكون اتساع الحب فى تعديه من المحبوب إلى مايكتنفه ويحيط به ويتعلق بأسبابه بحسب إفراط المحبة وقوتها ، وكذلك حب الله سبحانه وتعالى إذا قوى وغلب على القلب واستولى عليه حتى انتهى إلى حد الاستهتار فيتعدى إلى كل موجود سواه ، فإن كل موجود سواه أثر من آثار قدرته ومن أحب إنسانا أحب صنعته وخطه وجميع أفعاله ، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم إذا حمل إليه باكورة من الفواكه مسح بها عينيه وأكرمها وقال : إنه قريب العهد بربنا [1] وحب الله تعالى تارة يكون لصدق الرجاء فى مواعيده ومايتوقع فى الآخرة من نعيمه ، وتارة لما سلف من أياديه وصنوف نعمته ، وتارة لذاته لالأمر آخر وهو أدق ضرب المحبة وأعلاها ـ وسيأتى تحقيقها فى كتاب المحبة من ربع المنجيات إن شاء الله تعالى ـ وكيفما اتفق حب الله فإذا قوى تعدى إلى كل متعلق به ضربا من التعلق حتى يتعدى إلى ماهو فى نفسه مؤلم مكروه ولكن فرط الحب يضعف الإحساس بالألم والفرح بفعل المحبوب وقصده إياه بالإيلام يغمر إدراك الألم ، وذلك كالفرح بضربة من المحبوب أو قرصة فيها نوع مغاتبة فإن قوة المحبة تثير فرحا يغمر إدراك الألم فيه وقد انتهت محبة الله بقوم إلى أن قالوا لانفرق بين البلاء والنعمة فإن الكل من الله ولا نفرح إلا بما فيه رضاه حتى قال بعضهم لا أريد أن أنال مغفرة الله بمعصية الله . وقال سمنون :

وليس لى فى سواك حظ فكيفما شئت فاختبرنى

وسيأتى تحقيق ذلك فى كتاب المحبة . والمقصود أن حب الله إذ قوى أثمر حب كل من يقوم بحق عبادة الله فى علم أو عمل وأثمر حب كل من فيه صفة مرضية عند الله من خلق حسن أو تأدب بآداب الشرع . وما من محب للآخرة ومحب لله إلا إذا أخبر عن حال رجلين أحدهما عالم عابد والآخرة جاهل فاسق إلا وجد فى نفسه ميلا إلى العالم العابد ، ثم يضعف ذلك الميل ويقوى بحسب ضعف إيمانه وقوته وبحسب ضعف حبه لله وقوته وهذا الميل حاصل وإن كانا غائبين عنه بحيث يعلم أنه لايصيبه منهما خير ولا شر فى الدنيا ولافى الآخرة ، فذلك الميل هو حب فى الله ولله من غير حظ فإنه إنما يحبه لأن الله يحبه ولأنه مرضى عند الله تعالى ولأنه يحب الله تعالى ولأنه مشغول بعبادة الله تعالى إلا أنه إذا ضعف لم يظهر أثره ولا يظهر به ثواب ولا أجر ، فإذا قوى حمل على الموالاة والنصرة والذب بالنفس والمال واللسان وتتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم فى حب الله عز وجل ، ولو كان الحب مقصورا على حظ ينال من المحبوب فى الحال أو المآل لما تصور حب الموتى من العلماء والعباد ومن الصحابة والتابعين بل من الأنبياء المنقرضين صلوات الله عليهم وسلامه ، وحب جميعهم مكنون فى قلب كل مسلم متدين ، ويتبين ذلك بغضبه عند طعن أعدائهم فى واحد منهم ويفرحه عند الثناء عليهم وذكر محاسنهم وكل ذلك حب لله لأنهم خواص عباد الله

(١) حديث : كان اذا حمل اليه باكورة من الفواكه مسح بها عينيه وأكرمها وقال انها قريب عهد بربها . أخرجه الطبرانى فى الصغير من حديث ابن عباس ، وأبو داود فى المراسيل ، والبيهقى فى الدعوات من حديث أبى هريرة دون قوله « وأكرمها ... الخ » وقال : إنه غير محفوظ ، وحديث أبى هريرة فى الباكورة عند بقية أصحاب السنن دون : مسح عينيه بها وما بعده ، وقال الترمذى حسن صحيح .

ومن أحب ملكا أو شخصا جميلا أحب خواصه وخدمه وأحب من أحبه إلا أنه يمتحن الحب بالمقابلة بحظوظ النفس وقد يغلب بحيث لا يبقى للنفس حظ إلا فيما هو حظ المحبوب ، وعنه عبر قول من قال :

أريد وصاله ويريد هجرى فأترك ما أريد لما يريد

وقول من قال « وما لجرح إذا أرضاكم ألم » وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الحظوظ دون بعض كمن تسمح نفسه بأن يشاطر محبوبه فى نصف ماله أو فى ثلثه أو فى عشره فمقادير الأموال موازين المحبة إذ لا تعرف درجة المحبوب إلا بمحبوب يترك فى مقابلته ؛ فمن استغرق الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب سواه فلا يمسك لنفسه شيئا مثل أبى بكر الصديق رضى الله عنه فإنه لم يترك لنفسه أهلا ولا مالا فسلم ابنته التى هى قرة عينه وبذل جميع ماله . قال ابن عمر رضى الله عنهما « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خللها على صدره بخلال إذ نزل جبريل عليه السلام فاقرأه عن الله السلام وقال له : يا رسول الله ما لى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال ؟ فقال : أنفق ماله على قبل الفتح ، قال : فأقره من الله السلام وقل له يقول لك ربك أراض انت عنى فى فقرك هذا أم ساخط ؟ قال : فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم إلى أبى بكر وقال : يا أبا بكر هذا جبريل يقرئك السلام من الله ويقول أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط ؟ قال : فبكى أبو بكر رضى الله عنه وقال : أعلى ربى أسخط أنا عن ربى راض [1] » . فحصل من هذا أن كل من أحب عالما أو عابدا أو أحب شخصا راغبا فى علم أو فى خير فإنما أحبه فى الله ولله وله فيه من الأجر والثواب بقدر قوة حبه ، فهذا شرح الحب فى الله ودرجاته وبهذا يتضح البغض فى الله أيضا ولكن نزيده بيانا.

بيان البغض فى الله

اعلم أن كل من يحب فى الله لابد أن يبغض فى الله فإنك إن أحببت إنسانا لأنه مطيع لله ومحبوب عند الله فإن عصاه فلابد أن تبغضه لأنه عاص لله ومقوت عند الله ، ومن أحب بسبب فبالضرورة يبغض لضده وهذان متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر وهو مطرد فى الحب والبغض فى العادات ولكن كل واحد من الحب والبغض داء دفين فى القلب ، وإنما يترشح عند الغلبة ويترشح بظهور أفعال المحبين والمبغضين فى المقاربة والمباعدة وفى المخالفة والموافقة فإذا ظهر فى الفعل سمى موالاة ومعاداة ، ولذلك قال الله تعالى : هل واليت فى وليا وهل عاديت فى عدوا ؟ كما نقلناه ، وهذا واضح فى حق من لم يظهر لك إلا طاعاته تقدر على أن تحبه أو لم يظهر لك إلا فسقه وفجوره وأخلاقه السيئة فتقدر على أن تبغضه ، وإنما المشكل إذا اختلطت الطاعات بالمعاصى فإنك تقول كيف أجمع بين البغض والمحبة وهما متناقضان ؟ وكذلك تتناقض ثمرتهما من الموافقة والمخالفة والموالاة والمعاداة وأقول ذلك غير متناقض فى حق الله تعالى كما لا يتناقض فى الحظوظ البشرية ؛ فإنه مهما اجتمع فى شخص واحد خصال يحب بعضها ويكره بعضها فإنك تحبه من وجه وتبغضه من وجه ، فمن زوجة حسناء فاجرة أو ولد ذكى خدوم ولكنه فاسق فإنه يحبه من وجه ويبغضه من وجه ويكون معه على حالة بين حالتين ، إذ لو فرض له ثلاثة أولاد أحدهم ذكى بار والآخر بليد عاق والآخر بليد بار أو ذكى عاق فإنه يصادف نفسه معهم على ثلاثة أحوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم ، فكذلك ينبغى أن تكون حالك بالإضافة إلى من غلب عليه الفجور ومن غلبت

---

(١) حديث ابن عمر : بينما النبى صلى الله عليه وسلم جالس وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خللها على صدره بخلال فنزل جبريل فاقرأه من ربه السلام .. الحديث . أخرجه ابن حبان والعقيلى فى الضعفاء ، قال الذهبى فى الميزان : هو كذب .

عليه الطاعة ومن اجتمع فيه كلاهما متفاوتة على ثلاث مراتب ، وذلك بأن تعطى كل صفة حظها من البغض والحب والإعراض والإقبال والصحبة والقطيعة وسائر الأفعال الصادرة منه .

* فإن قلت : كل مسلم فإسلامه طاعة منه فكيف أبغضه مع الإسلام ؟ فأقول : تحبه لإسلامه وتبغضه لمعصيته وتكون معه على حالة لو قستها بحال كافر أو فاجر أدركت تفرقة بينهما وتلك التفرقة حب للإسلام وقضاء لحقه وقدر الجناية على حق الله والطاعة له كالجناية على حقك والطاعة لك . فمن وافقك على غرض وخالفك فى آخر فكن معه على حالة متوسطة بين الانقباض والاسترسال وبين الإقبال والإعراض وبين التودد إليه والتوحش عنه ، ولا تبالغ فى إكرامه مبالغتك فى إكرام من يوافقك على جميع أغراضك ، ولا تبالغ فى إهانته مبالغتك فى إهانة من خالفك فى جميع أغراضك . ثم ذلك التوسط تارة يكون ميله إلى طرف الإهانة عند غلبة الجناية وتارة إلى طرف المجاملة والإكرام عند غلبة الموافقة ؛ فهكذا ينبغى أن يكون فيمن يطيع الله تعالى ويعصيه ويتعرض لرضاه مرة ولسخطه أخرى .

* فإن قلت : فبماذا يمكن إظهار البغض؟ فأقول أما فى القول فبكف اللسان عن مكالمته ومحادثته مرة وبالاستخفاف والتغليظ فى القول أخرى . وأما فى الفعل فبقطع السعى فى إعانته مرة وبالسعى فى إساءته وإفساد مآربه أخرى . وبعض هذا أشد من بعض وهى بحسب درجات الفسق والمعصية الصادرة منه . أما ما يجرى مجرى الهفوة التى يعلم أنه متندم عليها ولا يصر عليها فالأولى فيه الستر والإغماض . أما ما أصر عليه من صغيرة أو كبيرة فإن كان ممن تأكدت بينك وبينه مودة وصحبة وأخوة فله حكم آخر ـ وسيأتى وفيه خلاف بين العلماء ـ وأما إذا لم تتأكد أخوة وصحبة فلا بد من إظهار أثر البغض إما فى الإعراض والتباعد عنه وقلة الالتفات إليه وإما فى الاستخفاف وتغليظ القول عليه . وهذا أشد من الإعراض وهو بحسب غلظ المعصية وخفتها ، وكذلك فى الفعل أيضا رتبتان ؛ إحداهما : قطع المعونة والرفق والنصرة عنه وهو أقل الدرجات ، والأخرى : السعى فى إفساد أغراضه عليه كفعل الأعداء المبغضين ، وهذا لابد منه ولكن فيما يفسد عليه طريق المعصية . أما مالا يؤثر فيه فلا ، مثاله رجل عصى الله بشرب الخمر وقد خطب امرأة لو تيسر له نكاحها لكان مغبوطا بها بالمال والجمال والجاه إلا أن ذلك لا يؤثر فى منعه من شرب الخمر ولا فى بعث وتحريض عليه ، فإذا قدرت على إعانته ليتم له غرضه ومقصوده وقدرت على تشويشة ليفوته غرضه فليس لك السعى فى تشويشه . أما الإعانة فلو تركتها إظهارا للغضب عليه فى فسقه فلا بأس ، وليس يجب تركها إذ ربما يكون لك نية فى أن تتلطف بإعانته وإظهار الشفقة عليه ليعتقد مودتك ويقبل نصحك فهذا حسن ، وإن لم يظهر لك ولكن رأيت أن تعينه على غرضه قضاء لحق إسلامه فذلك ليس بممنوع بل هو الأحسن إن كانت معصيته بالجناية على حقك أو حق من يتعلق بك . وفيه نزل قوله تعالى ﴿ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ إذ تكلم مسطح بن أثاثة فى واقعة الإفك [1] فحلف أبو بكر أن يقطع عنه رفقه ـ وقد كان يواسيه بالمال ـ فنزلت الآية مع عظم معصية مسطح ، وأية معصية تزيد على التعرض لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإطالة اللسان فى مثل عائشة رضى الله عنها ، إلا أن الصديق رضى الله عنه كان كالمجنى عليه فى نفسه بتلك الواقعة والعفو عمن ظلم والإحسان إلى من أساء من أخلاق الصديقين . وإنما يحسن الإحسان إلى من ظلمك ، فأما من ظلم غيرك وعصى الله به فلا يحسن إحسانك إليه لأن فى الإحسان إلى الظالم إساءة إلى المظلوم

(١) حديث : كلام مسطح فى الإفك وهجر أبى بكر له حتى نزلت : ولا يأتل أولوا الفضل منكم .. الآية . متفق عليه من حديث عائشة .

وحق المظلوم أولى بالمراعاة وتقوية قلبه بالإعراض عن الظالم أحب إلى الله من تقوية قلب الظالم فأما إذا كنت أنت المظلوم فالأحسن فى حقك العفو والصفح وطرق السلف قد اختلفت فى إظهار البغض مع أهل المعاصى وكلهم اتفقوا على إظهار البغض للظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله بمعصية متعدية منه إلى غيره ، فأما من عصى الله فى نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة إلى العصاة كلهم ، ومنهم من شدّد الإنكار واختار المهاجرة . فقد كان أحمد بن حنبل يهجر الأكابر فى أدنى كلمة ، حتى هجر يحيى بن معين لقوله : إنى لا أسأل أحدا شيئا ولو حمل السلطان إلى شيئا لأخذته . وهجر الحارث المحاسبى فى تصنيفه فى الرد على المعتزلة وقال : إنك لابد تورد أولا شبهتهم وتحمل الناس على التفكر فيها ثم ترد عليهم ، وهجر أبا ثور فى تأويله قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم على صورته [1] » وهذا أمر يختلف باختلاف النية وتختلف النية باختلاف الحال ، فإن كان الغالب على القلب النظر إلى اضطرار الخلق وعجزهم وأنهم مسخرون لما قدروا له أورث هذا تساهلا فى المعاداة والبغض وله وجه ولكن قد تلتبس به المداهنة فأكثر البواعث على الإغضاء عن المعاصى المداهنة ومراعاة القلوب والخوف من وحشتها ونفارها ، وقد يلبس الشيطان ذلك على الغبى الأحمق بأنه ينظر بعين الرحمة ومحك ذلك أن ينظر إليه بعين الرحمة إن جنى على خاص حقه ويقول إنه قد سخر له والقدر لا ينفع منه الحذر ، وكيف لا يفعله وقد كتب عليه فمثل هذا قد تصح له نية فى الإغماض عن الجناية على حق الله وإن كان يغتاظ عند الجناية على حقه ويترحم عند الجناية على حق الله فهذا مداهن مغرور بمكيدة من مكايد الشيطان فليتنبه له .

* فإن قلت : فأقل الدرجات فى إظهار البغض الهجر والإعراض وقطع الرفق والإعانة فهل يجب ذلك حتى يعصى العبد بتركه ؟ فأقول : لا يدخل ذلك فى ظاهر العلم تحت التكليف والإيجاب فإنا نعلم أن الذين شربوا الخمر وتعاطوا الفواحش فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة ما كانوا يهجرون بالكلية بل كانوا منقسمين فيهم إلى من يغلظ القول عليه ويظهر البغض له ، وإلى من يعرض عنه ولا يتعرض له ، وإلى من ينظر إليه بعين الرحمة ولا يؤثر المقاطعة والتباعد . فهذه دقائق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الآخرة ويكون عمل كل واحد على ما يقتضيه حاله ووقته ، ومقتضى الأحوال فى هذه الأمور إما مكروهة أو مندوبة فتكون فى رتبة الفضائل ولا تنتهى إلى التحريم والإيجاب فإن الداخل تحت التكليف أصل المعرفة لله تعالى وأصل الحب وذلك قد لا يتعدى من المحبوب إلى غيره وإنما المتعدى إفراط الحب واستيلاؤه ، وذلك لا يدخل فى الفتوى وتحت ظاهر التكليف فى حق عوام الخلق أصلا .

بيان مراتب الذين يبغضون فى الله وكيفية معاملتهم

* فإن قلت : إظهار البغض والعداوة بالفعل إن لم يكن واجبا فلا شك أنه مندوب إليه والعصاة والفساق على مراتب مختلفة فكيف ينال الفضل بمعاملتهم وهل يسلك بجميعهم مسلكا واحدا أم لا ؟ فاعلم أن المخالف لأمر الله سبحانه لا يخلو إما أن يكون مخالفا فى عقده أو فى عمله ، والمخالف فى العقد إما مبتدع أو كافر والمبتدع إما داع إلى بدعته أو ساكت والساكت إما بعجزه أو باختياره : فأقسام الفساد فى الاعتقاد ثلاثة :

الأول : الكفر ؛ فالكافر إن كان محاربا فهو يستحق القتل والإرقاق وليس بعد هذين إهانة ، وأما الذمى فإنه لا يجوز إيذاؤه إلا بالإعراض عنه والتحقير له بالاضطرار إلى أضيق الطرق وبترك المفاتحة بالسلام ، فإذا قال :

---

(١) حديث «إن الله خلق آدم على صورته» أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة .

السلام عليك ، قلت : وعليك . والأولى الكف عن مخالطته ومعاملته ومواكلته وأما الانبساط معه والاسترسال إليه كما يسترسل إلى الأصدقاء فهو مكروه كراهة شديدة يكاد ينتهى ما يقوى منها إلى حد التحريم قال الله تعالى ﴿ لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم ﴾ الآية ، وقال صلى الله عليه وسلم « المسلم والمشرك لاتتراءى ناراهما [1] » ، وقال عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ﴾ الآية .

الثانى : المبتدع الذى يدعو إلى بدعته . فإن كانت البدعة بحيث يكفر بها فأمره أشد من الذمى لأنه لايقر بجزية ولا يسامح بعقد ذمة وإن كان ممن لايكفر به فأمره بينه وبين الله أخف من أمر الكافر لامحالة ولكن الأمر فى الإنكار عليه أشد منه على الكافر لأن شر الكافر غير متعد ، فإن المسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون إلى قوله إذ لايدعى لنفسه الإسلام واعتقاد الحق . أما المبتدع الذى يدعو إلا البدعة ويزعم أن مايدعو إليه حق فهو سبب لغواية الخلق فشره متعد ، فالاستحباب فى إظهار بغضه ومعاداته والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه أشد ، وإن سلم فى خلوة فلابأس برد جوابه ، وإن علمت أن الإعراض عنه والسكوت عن جوابه يقبح فى نفسه بدعته ويؤثر فى زجره فترك الجواب أولى لأن جواب الإسلام وإن كان واجبا فيسقط بأدنى غرض فيه مصلحة حتى يسقط بكون الإنسان فى الحمام أو فى قضاء حاجته وغرض الزجر أهم من هذه الأغراض ، وإن كان فى ملأ فترك الجواب أول تنفيرا للناس عنه وتقبيحا لبدعته فى أعينهم وكذلك الأولى كف الإحسان إليه والإعانة له لاسيما فيما يظهر للخلق قال عليه السلام « من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا ومن أهان صاحب بدعة أمنه الله يوم الفزع الأكبر ومن ألان له وأكرمه أولقيه ببشر فقد استخف بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم [2] » .

الثالث : المبتدع العامى الذى لايقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتداء به فأمره أهون فالأولى أن لايقابح بالتغليظ والإهانة بل يتلطف به فى النصح فإن قلوب العوام سريعة التقلب ، فإن لم ينفع النصح وكان فى الإعراض عنه تقبيح لبدعته فى عينه تأكد الاستحباب فى الإعراض ، وإن علم أن ذلك لايؤثر فيه لجمود طبعه ورسوخ عقده فى قلبه فالإعراض أولى لأن البدعة إذا لم يبالغ فى تقبيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها . وأما العاصى بفعله وعمله لا باعتقاده فلا يخلو إما أن يكون بحيث يتأذى به غيره كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والتضريب بين الناس والمشى بالنميمة وأمثالها . أو كان مما لايقتصر عليه ويؤذى غيره وذلك ينقسم إلى مايدعو غيره إلى الفساد كصاحب المخاور الذى يجمع بين الرجال والنساء ويهيئ أسباب الشرب والفساد لأهل الفساد أو لايدعو غيره إلى فعله كالذى يشرب ويزنى ، وهذا الذى لايدعو غيره إما أن يكون عصيانه بكبيرة أو بصغيرة ، وكل واحد فإما أن يكون مصرا عليه أو غير مصر ، فهذه التقسيمات يتحصل منها ثلاثة أقسام ولكل قسم منها رتبة وبعضها أشد من بعض ولانسلك بالكل مسلكا واحدا .

(القسم الأول) وهو أشدها : ما يتضرر به الناس كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والنميمة فهؤلاء الأولى الإعراض عنهم وترك مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم لأن المعصية شديدة فيما يرجع إلى إيذاء الخلق . ثم هؤلاء

(١) حديث « المؤمن والمشرك لاتتراءى ناراهما » رواه أبو داود والترمذى من حديث جرير « أنا برىء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين » قالوا : يارسول الله ولم ؟ قال « لاتتراءى ناراهما » ورواه النسائى مرسلا وقال البخارى : الصحيح أنه مرسل

(٢) حديث « من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا ... الحديث » أخرجه أبو نعيم فى الحلية والهروى فى ذم الكلام من حديث ابن عمر بسند ضعيف .

ينقسمون إلى من يظلم فى الدماء وإلى من يظلم فى الأموال وإلى من يظلم فى الأعراض وبعضها أشد من بعض فالاستحباب فى إهانتهم والإعراض عنهم مؤكد جدا ومهما كان يتوقع من الإهانة زجرا لهم أو لغيرهم كان الأمر فيه آكد وأشد . (الثانى) صاحب الماخور الذى يهيئ أسباب الفساد ويسهل طرقه على الخلق فهذا لايؤذى الخلق فى دنياهم ولكن يختلس بفعله دينهم ، وإن كان وفق رضاهم فهو قريب من الأول ولكنه أخف منه فإن المعصية بين العبد وبين الله تعالى إلى العفو أقرب ولكن من حيث إنه متعدّ على الجملة إلى غيره فهو شديد ، وهذا أيضا يقتضى الإهانة والإعراض والمقاطعة وترك جواب السلام إذا ظن أن فيه نوعا من الزجر له أو لغيره . (الثالث) الذى يفسق فى نفسه بشرب خمر أو ترك واجب أو مقارفة محظور يخصه فالأمر فيه أخف ولكنه فى وقت مباشرته إن صودف يجب منعه بما يمتنع به منه ولو بالضرب والاستخفاف فإن النهى عن المنكر واجب ، وإذا فرغ منه وعلم أن ذلك من عادته وهو مصر عليه فإن تحقق أن نصحه يمنعه عن العود إليه وجب النصح وإن لم يتحقق ولكنه كان يرجو فالأفضل النصح والزجر بالتلطف أو بالتغليظ إن كان هو الأنفع ، فأما الإعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته حيث يعلم أنه يصر وأن النصح ليس ينفعه ، فهذا فيه نظر وسير العلماء فيه مختلفة ، والصحيح أن ذلك يختلف باختلاف نية الرجل فعند هذا يقال « الأعمال بالنيات إذ فى الرفق والنظر بعين الرحمة إلى الخلق نوع من التواضع وفى العنف والإعراض نوع من الزجر والمستفتى فيه القلب فما يراه أميل إلى هواه ومقتضى طبعه فالأولى ضده إذ قد يكون استخفافه وعنفه عن كبر وعجب والتذاذ بإظهار العلو والإدلال بالصلاح ، وقد يكون رفقه عن مداهنة واستمالة قلب للوصول به إلى غرض أو الخوف من تأثير وحشته ونفرته فى جاه أو مال بظن قريب أو بعيد وكل ذلك مردد على إشارات الشيطان وبعيد عن أعمال أهل الآخرة وكل راغب فى أعمال الدين مجتهد مع نفسه فى التفتيش عن هذه الدقائق ومراقبة هذه الأحوال ، والقلب هو المفتى فيه وقد يصيب الحق فى اجتهاده وقد يخطئ وقد يقدم على اتباع هواه وهو عالم به وقد يقدم وهو بحكم الغرور ظانّ انه عامل لله وسالك طريق الآخرة . وسيأتى بيان هذه الدقائق فى كتاب الغرور من ربع المهلكات . ويدل على تخفيف الأمر فى الفسق القاصر الذى هو بين العبد وبين الله ماروى أن شارب خمر ضرب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعود ، فقال واحد من الصحابة . لعنه الله ما أكثر مايشرب ، فقال صلى الله عليه وسلم « لا تكن عونا للشيطان على أخيك [1] » أو لفظا هذا معناه وكان هذا إشارة إلى أن الرفق أولى من العنف والتغليظ .

بيان الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته

اعلم أنه لايصلح للصحبة كل إنسان . قال صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل [2] » ولابد أن يتميز بخصال وصفات يرغب بسببها فى صحبته وتشترط تلك الخصال بحسب الفوائد المطلوبة من الصحبة إذ معنى الشرط مالا بد منه للوصول إلى المقصود فبالإضافة إلى المقصود تظهر الشروط . ويطلب من الصحبة فوائد دينية ودنيوية : أما الدنيوية فكالانتفاع بالمال أو الجاه أو مجرد الاستئناس بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من أغراضنا . وأما الدينية فيجتمع فيها أيضا أغراض مختلفة إذ منها الاستفادة من العلم والعمل ، ومنها الاستفادة من الجاه تحصنا به عن إيذاء من يشوش القلب ويصدّ عن العبادة ، ومنها استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الأوقات

(١) حديث « ان شارب خمر ضرب بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ... الحديث » وفيه « لاتكن عونا للشيطان على أخيك » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة (٢) حديث « المرء على دين خليله .. الحديث » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه والحاكم من حديث أبى هريرة وقال صحيح ان شاء الله .

فى طلب القوت ، ومنها الاستعانة فى المهمات فيكون عدة فى المصائب وقوة فى الأحوال ، ومنها التبرك بمجرد الدعاء ، ومنها انتظار الشفاعة فى الآخرة فقد قال السلف : استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل فى شفاعة أخيك . وروى فى غريب التفسير فى قوله تعالى ﴿ ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله ﴾ قال يشفعهم فى إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم . ويقال إذا غفر الله للعبد شفع فى إخوانه ؛ ولذلك حث جماعة من السلف على الصحبة والألفة والمخالطة وكرهوا العزلة والانفراد ؛ فهذه فوائد تستدعى كل فائدة شروطا لاتحصل إلا بها ، ونحن نفصلها : أما على الجملة فينبغى أن يكون فيمن تؤثر صحبته خمس خصال أن يكون عاقلا حسن الخلق غير فاسق ولامبتدع ولاحريص على الدنيا . أما العقل فهو رأس المال وهو الأصل فلا خير فى صحبة الأحمق فإلى الوحشة والقطيعة ترجع عاقبتها وإن طالت . قال على رضى الله عنه :

فلا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه فكم من جاهل أردى حليما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء إذا ما المرء ماشاه وللشىء من الشىء مقاييس وأشباه
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

كيف والأحمق قد يضرك وهو يريد نفعك وإعانتك من حيث لايدرى ولذلك قال الشاعر :

إنى لآمن من عدو عاقل وأخاف خلا يعتريه جنون
فالعقل فن واحد وطريقه أدرى فأرصدوا الجنون فنون

ولذلك قيل : مقاطعة الأحمق قربان إلى الله . وقال الثورى : النظر إلى وجه الأحمق خطيئة مكتوبة ، ونعنى بالعاقل الذى يفهم الأمور على ماهى عليه إما بنفسه وإما إذا فهم . وأما حسن الخلق فلا بد منه إذ رب عاقل يدرك الأشياء على ماهى عليه ولكن إذا غلبه غضب أوشهوة أو بخل أو جبن أطاع هواه وخالف ماهو المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته وتقويم أخلاقه فلا خير فى صحبته . وأما الفاسق المصر على الفسق فلا فائدة فى صحبته لأن من يخاف الله لايصر على كبيرة ومن لايخاف الله لاتؤمن غائلته ولايوثق بصداقته بل يتغير بتغير الأغراض . وقال تعالى ﴿ ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه ﴾ وقال تعالى ﴿ فلا يصدنك عنها من لايؤمن بها واتبع هواه ﴾ وقال تعالى ﴿ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ﴾ وقال ﴿ واتبع سبيل من أناب إلى ﴾ وفى مفهوم ذلك زجر عن الفاسق . وأما المبتدع ففى صحبته خطر سراية البدعة وتعدى شؤمها إليه فالمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة فكيف تؤثر صحبته ؟ وقد قال عمر رضى الله عنه فى الحث على طلب التدين فى الصديق فيما رواه سعيد بن المسيب قال: عليك بإخوان الصدق تعش فى أكنافهم فإنهم زينة فى الرخاء وعدة فى البلاء وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك مايغلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين من القوم ولا أمين إلا من خشى الله فلا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولاتطلعه على سرك واستشر فى أمرك الذين يخشون الله تعالى . وأما حسن الخلق فقد جمعه علقمة العطاردى فى وصيته لابنه حين حضرته الوفاة قال : يابنى إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك وإن صحبته زانك وإن تعدت بك مؤنة مانك ، اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها وإن رأى منك حسنة عدها وإن رأى سيئة سدها ، اصحب من إذا سألته أعطاك وإن سكت ابتداك وإن نزلت بك نازلة واساك ، اصحب من إذا قلت صدق قولك وإن حاولتما أمرا أمرك وإن تنازعتما آثرك ؛ فكأنه جمع بهذا جميع حقوق الصحبة وشرط أن يكون قائما بجميعها . قال ابن أكثم : قال المأمون فأين هذا ؟ فقيل له : أتدرى لم أوصاه بذلك ؟ قال

لا . قال : لأنه أراد أن لايصحب أحدا . وقال بعض الأدباء : لاتصحب من الناس إلا من يكتم سرك ويستر عيبك فيكون معك فى النوائب ويؤثرك بالرغائب وينشر حسنتك ويطوى سيئتك فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك .

وقال على رضى الله عنه :

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب زمان صدعك شتت فيه شمله ليجمعك

وقال بعض العلماء : لاتصحب إلا أحد رجلين : رجل تتعلم منه شيئا فى أمر دينك فينفعك ، أو رجل تعلمه شيئا فى أمر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب منه وقال بعضهم : الناس أربعة : فواحد حلو كله فلا يشبع منه . وآخر مر كله فلا يؤكل منه ، وآخر فيه حموضة تخذ من هذا قبل أن يأخذ منك ، وآخر فيه ملوحة تخذ منه وقت الحاجة فقط . وقال جعفر الصادق رضى الله عنه : لاتصحب خمسة : الكذاب فإنك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب ، والأحمق فإنك لست منه على شىء يريد أن ينفعك فيضرك . والبخيل فإنه يقطع بك أحوج ماتكون إليه ، والجبان فإنه يسلمك ويفر عند الشدة ، والفاسق فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها ، فقيل : وما أقل منها ؟ قال : الطمع فيها ثم لاينالها . وقال الجنيد : لأن يصحبنى فاسق حسن الخلق أحب إلى من أن يصحبنى قارئ سيء الخلق . وقال ابن أبى الحوارى : قال لى أستاذى أبو سليمان : ياأحمد لا تصحب إلا أحد رجلين : رجلا ترتفق به فى أمر دنياك ، أو رجلا تزيد معه وتنتفع به فى أمر آخرتك ، والاشتغال بغير هذين حمق كبير . وقال سهل بن عبدالله اجتنب صحبة ثلاثة من أصناف الناس : الجبابرة الغافلين ، والقراء المداهنين ، والمتصوفة الجاهلين . واعلم أن هذه الكلمات أكثرها غير محيط بجميع أغراض الصحبة ، والمحيط ما ذكرناه من ملاحظة المقاصد ومراعاة الشروط بالإضافة إليها فليس مايشترط للصحبة فى مقاصد الدنيا مشروطا للصحبة فى الآخرة والأخوة كما قال بشر : الإخوان ثلاثة : أخ لآخرتك وأخ لدنياك وأخ لتأنس به . وقلما تجتمع هذه المقاصد فى واحد بل تتفرق على جمع فتتفرق الشروط فيهم لا محالة . وقد قال المأمون : الإخوان ثلاثة : أحدهم مثله مثل الغذاء لايستغنى عنه ، والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه فى وقت دون وقت ، والثالث مثله مثل الداء لايحتاج إليه قط : ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذى لاأنس فيه ولانفع . وقد قيل : مثل جملة الناس كمثل الشجر والنبات ، فمنها ماله ظل وليس له ثمر وهو مثل الذى ينتفع به فى الدنيا دون الآخرة فإن نفع الدنيا كالظل السريع الزوال ، ومنها ماله ثمر وليس له ظل وهو مثل الذى يصلح للآخرة دون الدنيا ، ومنها ماله ثمر وظل جميعا ، ومنها ماليس له واحد منهما كأم غيلان تمزق الثياب ولاطعم فيهما ولاشراب ، ومثله من الحيوانات الفأرة والعقرب ، كما قال تعالى ﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير﴾ وقال الشاعر .

الناس شتى إذا ما أنت ذقتهم لايستوون كما لايستوى الشجر

هـذا له ثمر حلو مذاقته وذاك ليس له طعم ولاثمر

فإذا لم يجد رفيقا يؤاخيه ويستفيد به أحد هذه المقاصد فالوحدة أولى به . قال أبو ذر رضى الله عنه : الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة ، ويروى مرفوعا . وأما الديانة وعدم الفسق فقد قال الله تعالى ﴿واتبع سبيل من أناب الى﴾ ولأن مشاهدة الفسق والفساق تهون أمر المعصية على القلب وتبطل نفرة القلب عنها . قال سعيد بن المسيب : لاتنظروا الى الظلمة فتحبط أعمالكم الصالحة بل هؤلاء لاسلامة فى مخالطتهم وانما

السلامة فى الانقطاع عنهم . قال الله تعالى ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾ أى سلامة والألف بدل من الهاء ، ومعناه إنا سلمنا من إثمكم وأنتم سلمتم من شرنا ، فهذا ما أردنا أن نذكره من معانى الأخوة وشروطها وفوائدها فلنرجع فى ذكر حقوقها ولوازمها وطرق القيام بحقها . وأما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لايدرى صاحبه ، فمجالسة الحريص على الدنيا تحرك الحرص ومجالسة الزاهد تزهد فى الدنيا فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا ويستحب صحبة الراغبين فى الآخرة . قال على عليه السلام : أحيوا الطاعات بمجالسة من يستحيا منه . وقال أحمد بن حنبل رحمه الله : ماأوقعنى فى بلية إلا صحبة من لاأحتشمه . وقال لقمان : يابنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن القلوب لتحيا بالحكمة كما تحيا الأرض الميتة بوابل القطر .

الباب الثانى : فى حقوق الأخوة والصحبة

اعلم أن عقد الأخوه رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين ، وكما يقتضى النكاح حقوقا يجب الوفاء بها قياما بحق النكاح - كما سبق ذكره فى كتاب آداب النكاح - فكذا عقد الأخوة ، فلأخيك عليك حق فى المال والنفس وفى اللسان والقلب بالعفو والدعاء وبالإخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك يجمعه ثمانية حقوق :

الحق الأول : فى المال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى [1] » وإنما شبههما باليدين لا باليد والرجل لأنهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الأخوان إنما تتم أخوتهما إذا ترافقا فى مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد ، وهذا يقتضى المساهمة فى السراء والضراء والمشاركة فى المآل والحال وارتفاع الاختصاص والاستئثار . والمواساة بالمال مع الأخوة على ثلاث مراتب .

أدناها : أن تنزله منزلة عبدك أو خادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك ، فإذا سنحت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء ولم تحوجه إلى السؤال فان أحوجته إلى السؤال فهو غاية التقصير فى حق الأخوة .

الثانية : أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك فى مالك ونزوله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته فى المال قال الحسن : كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه .

الثالثة : وهى العليا أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين ومن ثمار هذه الرتبة الإيثار بالنفس أيضا ، كما روى أنه سعى بجماعة من الصوفية إلى بعض الخلفاء فأمر بضرب رقابهم وفيهم أبو الحسين النورى فبادر إلى السياف ليكون هو أول مقتول فقيل له فى ذلك فقال : أحببت أن أوثر إخوانى بالحياة فى هذه اللحظة ، فكان ذلك سبب نجاة جميعهم فى حكاية طويلة ، فإن لم تصادف نفسك فى رتبة من هذه الرتب مع أخيك فاعلم أن عقد الأخوة لم ينعقد بعد فى الباطن وإنما الجارى بينكما مخالطة رسمية لاوقع لها فى العقل والدين ، فقد قال ميمون بن مهران : من رضى من الإخوان بترك الإفضال فليؤاخ أهل القبور . وأما الدرجة الدنيا فليست أيضا مرضية عند ذوى الدين ، روى أن عتبة الغلام جاء إلى منزل رجل

الباب الثانى : فى حقوق الأخوة والصحبة

(١) حديث « مثل الأخوين مثل اليدين ... الحديث » تقدم فى الباب قبله .

كان قد آخاه فقال أحتاج من مالك إلى أربعة آلاف فقال خذ ألفين فأعرض عنه وقال آثرت الدنيا على الله أما استحييت أن تدعى الأخوة فى الله وتقول هذا ، ومن كان فى الدرجة الدنيا من الأخوة ينبغى أن لا تعامله فى الدنيا قال أبو حازم : إذا كان لك أخ فى الله فلا تعامله فى أمور دنياك وإنما أراد به من كان فى هذه الرتبة .

وأما الرتبة العليا : فهى التى وصف الله تعالى المؤمنين بها فى قوله ﴿ وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴾ أى كانوا خلطاء فى الأموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض ، وكان منهم من لا يصحب من قال : نعلى ، لأنه أضافه إلى نفسه . وجاء فتح الموصلى إلى منزل لأخ له وكان غائبا ، فأمر أهله فأخرجت صندوقه ففتحه وأخذ حاجته فأخبرت الجارية مولاها فقال : إن صدقت فأنت حرة لوجه الله سرورا بما فعل . وجاء رجل إلى أبى هريرة رضى الله عنه وقال : إنى أريد أن أواخيك فى الله فقال : أتدرى ماحق الإخاء ؟ قال : عرفنى ، قال : أن لا تكون أحق بدينارك ودرهمك منى ، قال : لم أبلغ هذه المنزلة بعد ؟ قال : فاذهب عنى . وقال على بن الحسين رضى الله عنهما لرجل هل يدخل أحدكم يده فى كم أخيه وكيسه فيأخذ منه مايريد بغير إذنه ؟ قال لا . قال فلستم بإخوان . ودخل قوم على الحسن رضى الله عنه فقالوا : ياأبا سعيد أصليت ؟ قال : نعم ، قالوا : فإن أهل السوق لم يصلوا بعد ، قال : ومن يأخذ دينه من أهل السوق ؟ بلغنى أن أحدهم يمنع أخاه الدرهم ! قاله كالمتعجب منه . وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم رحمه الله وهو يريد بيت المقدس فقال : إنى أريد أن أرافقك ، فقال له إبراهيم : على أن أكون أملك لشيئك منك : قال : لا ، قال : أعجبنى صدقك ، قال : فكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله إذا رافقه رجل لم يخالفه وكان لا يصحب إلا من يوافقه وصحبه رجل شراك فأهدى رجل إلى إبراهيم فى بعض المنازل قصعة من ثريد ففتح جراب رفيقه وأخذ حزمة من شراك وجعلها فى القصعة وردها إلى صاحب الهدية ، فلما جاء رفيقه قال : أين الشراك ؟ قال : ذلك الثريد الذى أكلته إيش كان ؟ قال : كنت تعطيه شراكين أو ثلاثة . قال : إسمح يسمح لك . وأعطى مرة حمارا كان لرفيقه - بغير إذنه - رجلا رآه راجلا فلما جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك . قال ابن عمر رضى الله عنهما : أهدى لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة ، فقال : أخى فلان أحوج منى إليه فبعث به إليه فبعثه ذلك الإنسان إلى آخر فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة . وروى أن مسروقا ادان دينا ثقيلا وكان على أخيه خيثمة دين قال : فذهب مسروق فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم ولما آخى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن : بارك الله لك فيهما [1] فآثره بما آثره به ، وكأنه قبله ثم آثره به وذلك مساواة والبداية إيثار والإيثار أفضل من المساواة . وقال أبو سليمان الدارانى : لو أن الدنيا كلها لى لجعلتها فى فم أخ من إخوانى لاستقللتها له . وقال أيضا : إنى لألقم اللقمة أخا من إخوانى فأجد طعمها فى حلقى . كان الإنفاق على الإخوان أفضل من الصدقات على الفقراء قال على رضى الله تعالى عنه : لعشرون درهما أعطيها أخى فى الله أحب إلى من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين . وقال أيضا : لأن أصنع صاعا من طعام وأجمع عليه إخوانى فى الله أحب إلى من أن أعتق رقبة . واقتداء الكل فى الإيثار برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتنى منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم إلى صاحبه ، فقال له : يا رسول الله كنت والله أحق بالمستقيم منى فقال « ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من النهار إلا سئل عن صحبته هل أقام فيها حق الله أم أضاعه [2] » فأشار بهذا إلى أن الإيثار

---

(١) حديث « لما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن بارك الله فيهما » رواه البخارى من حديث أنس . (٢) حديث « أنه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتنى منها سواكين =

هو القيام بحق الله فى الصحبة . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر يغتسل عندها فأمسك حذيفة بن اليمان الثوب وقام يستر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الثوب وقام يستر حذيفة عن الناس فأبى حذيفة وقال : بأبى أنت وأمى يارسول الله لاتفعل فأبى عليه السلام إلا أن يستره بالثوب حتى اغتسل[1] وقال صلى الله عليه وسلم « ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه [2] » وروى أن مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائبا فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل فقال له مالك : كف يدك حتى يجىء صاحب البيت : فلم يلتفت محمد إلى قوله وأقبل على الأكل ، وكان مالك أبسط منه وأحسن خلقا فدخل الحسن وقال : يامويلك هكذا كنا لا يحتشم بعضنا بعضا حتى ظهرت أنت وأصحابك . وأشار بهذا إلى أن الانبساط فى بيوت الإخوان من الصفاء فى الأخوة كيف وقد قال الله تعالى ﴿ أو صديقكم ﴾ وقال ﴿ أو ماملكتم مفاتحه ﴾ إذ كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويفوض له التصرف كما يريد ، وكان أخوه يتحرج عن الأكل بحكم التقوى حتى أنزل الله تعالى هذه الآية وإذن لهم فى الانبساط فى طعام الإخوان والأصدقاء .

الحق الثانى : فى الإعانة بالنفس فى قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة

وهذه أيضا لها درجات كما للمواساة بالمال فأدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح وقبول المنة : قال بعضهم : إذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله أن يكون قد نسى فإن لم يقضها فكبر عليه واقرأ هذه الآية ﴿ والموتى يبعثهم الله ﴾ وقضى ابن شبرمة حاجة لبعض إخوانه كبيرة فجاء بهدية ، فقال : ماهذا ؟ قال : لما أسديته إلى ؛ فقال : خذ مالك عافاك الله ، إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه فى قضائها فتوضأ للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعده فى الموتى . قال جعفر بن محمد : إنى لأتسارع إلى قضاء حوائج أعدائى مخافة أن أردهم فيستغنوا عنى : هذا فى الأعداء فكيف فى الأصدقاء ؟ وكان فى السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم إليهم ويمونهم من ماله فكانوا لايفقدون من أبيهم إلا عينه بل كانوا يرون منه مالم يروا من أبيهم فى حياته ، وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه ويسأل ويقول : هل لكم زيت ، هل لكم ملح ، هل لكم حاجة ؟ وكان يقوم بها حيث لايعرفه أخوه . وبهذا تظهر الشفقة والأخوة فإذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها . قال ميمون ابن مهران : من لم تنتفع بصداقته لم تضرك عداوته . وقال صلى الله عليه وسلم « ألا وإن لله أوانى فى أرضه وهى القلوب فأحب الأوانى إلى الله تعالى أصفاها وأصلبها وأرقها ، أصفاها من الذنوب وأصلبها فى الدين وأرقها على الإخوان[3] » وبالجملة فينبغى أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك أو أهم من حاجتك ، وأن تكون متفقداً لأوقات الحاجة غير غافل عن أحواله كما لاتغفل عن أحوال نفسك ، وتغنيه عن السؤال وإظهار الحاجه إلى الاستعانة ، بل

= أحدهما معوج والآخر مستقيم إلى صاحبه ... الحديث » لم أقف له على أصل (١) حديث « ستر حذيفة النبي صلى الله عليه وسلم بثوب حتى اغتسل ثم ستره صلى الله عليه وسلم لحذيفة حتى اغتسل » لم أجده أيضا (٢) حديث « ماصطحب اثنان قط إلا كان أحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه » تقدم فى الباب قبله بلفظ « أحدهما حبا لصاحبه » .

(٣) حديث « إن لله أواني فى أرضه وهى القلوب فأحب الأوانى إلى الله أصفاها وأصلبها » أخرجه الطبرانى من حديث أبي عتبة الخولانى إلا أنه قال « ألينها وأرقها » وإسناده جيد .

تقوم بحاجته كأنك لاتدرى أنك قمت بها ، ولا ترى لنفسك حقا بسبب قيامك بها بل تتقلد منة بقبوله سعيك فى حقه وقيامك بأمره . ولا ينبغى أن تقتصر على قضاء الحاجة بل تجتهد فى البداية بالإكرام فى الزيادة والإيثار والتقديم على الأقارب والولد . كان الحسن يقول : إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا ؛ لأنّ أهلنا يذكروننا بالدنيا وإخواننا يذكروننا بالآخرة . وقال الحسن : من شيع أخاه فى الله بعث الله ملائكة من تحت عرشه يوم القيامة يشيعونه إلى الجنة . وفى الأثر « مازار رجل أخا فى الله شوقا إلى لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة [1] » وقال عطاء : تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث فإن كانوا مرضى فعودوهم أو مشاغيل فأعينوهم أو كانوا نسوا فذكروهم . وروى « إنّ ابن عمر كان يلتفت يمينا وشمالا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فقال : أحببت رجلا فأنا أطلبه ولا أراه فقال : إذا أحببت أحداً فسله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله وإن كان مريضا عدته وإن كان مشغولا أعنته [2] » وفى رواية : وعن اسم جدّه وعشيرته . وقال الشعبى فى الرجل يجالس الرجل فيقول أعرف وجهه ولا أعرف اسمه : تلك معرفة النوكى . وقيل لابن عباس : من أحب الناس إليك ؟ قال : جليسى ، وقال : ما اختلف رجل إلى مجلسى ثلاثا من غير حاجة له إلى فعلمت ما مكافأته من الدنيا . وقال سعيد بن العاص : الجليسى على ثلاث : إذا دنا رحبت به وإذا حدث أقبلت عليه وإذا جلس أوسعت له . وقد قال تعالى ﴿ رحماء بينهم ﴾ إشارة إلى الشفقة والإكرام . ومن تمام الشفقة أن لا ينفرد بطعام لذيذ أو بحضور فى مسرة دونه بل يتنغص لفراقه ويستوحش بانفراده عن أخيه .

الحق الثالث : فى اللسان بالسكوت مرة وبالنطق أخرى

أما السكوت فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه فى غيبته وحضرته بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به ولا يماريه ولا يناقشه وأن يسكت عن التجسس والسؤال عن أحواله ، وإذا رآه فى طريق أو حاجة لم يفاتحه بذكر غرضه من مصدره ومورده ولا يسأله عنه فربما يثقل عليه ذكره أو يحتاج إلى أن يكذب فيه ، وليسكت عن أسراره التى بثها إليه ولا يبثها إلى غيره ألبتة ولا إلى أخص أصدقائه ولا يكشف شيئا منها ولو بعد القطيعة والوحشة ، فإن ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن ، وأن يسكت عن القدح فى احبابه وأهله وولده ، وأن يسكت عن حكاية قدح غيره فيه ، فإنّ الذى سبك من بلغك . وقال أنس « كان صلى الله عليه وسلم لا يواجه أحدا بشىء يكرهه [3] » والتأذى يحصل أولا من المبلغ ثم من القائل ، نعم لاينبغى أن يخفى ما يسمع من الثناء عليه فإنّ السرور به أولا يحصل من المبلغ للمدح ثم من القائل ، وإخفاء ذلك من الحسد . وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا إلا إذا وجب عليه النطق فى أمر بمعروف أو نهى عن منكر ولم يجد رخصة فى السكوت فإذ ذاك لا يبالى بكراهته فإن ذلك إحسان إليه فى التحقيق وإن كان يظن أنها إساءة فى الظاهر .

أما ذكر مساوية وعيوبه ومساوى أهله فهو من الغيبة وذلك حرام فى حق كل مسلم ويزجرك عنه أمران :

أحدهما : أن تطالع أحوال نفسك فإن وجدت فيها شيئا واحدا مذموما فهوّن على نفسك ما تراه من أخيك

---

(١) حديث « مازار رجل أخا فى .. الحديث » تقدم فى الباب قبله . (٢) حديث ابن عمر « إذا أحببت أحدا فاسأله عن اسمه واسم أبيه ومنزله وعشيرته ... الحديث » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق والبيهقى فى شعب الإيمان بسند ضعيف ورواه الترمذى من حديث يزيد بن لعامة وقال غريب ، ولايعرف ليزيد بن لعامة سماع من النبى صلى الله عليه وسلم .

(٣) حديث أنس « كان لايواجه أحدا بشىء يكرهه » أخرجه أبو داود والترمذى فى الشمائل والنسائى فى اليوم والليلة بسند ضعيف .

وقدر أنه عاجز عن قهر نفسه فى تلك الخصلة الواحدة كما أنك عاجز عما أنت مبتلى به ولا تستثقله بخصلة واحدة مذمومة فأى الرجال المهذب ؟ وكل مالاتصادفه من نفسك فى حق الله فلا تنتظره من أخيك فى حق نفسك فليس حقك عليه بأكثر من حق الله عليك .

والأمر الثانى : أنك تعلم أنك لو طلبت منزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولن تجد من تصاحبه أصلا فما من أحد من الناس إلا وله محاسن ومساو فإذا غلبت المحاسن المساوى فهو الغاية والمنتهى ، فالمؤمن الكريم أبدا يحضر فى نفسه محاسن أخيه لينبعث من قلبه التوقير والود والاحترام ، وأما المنافق اللئيم فإنه أبدا يلاحظ المساوى والعيوب . قال ابن المبارك : المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات . وقال الفضيل : الفتوة العفو عن زلات الإخوان ولذلك قال عليه السلام « استعيذوا بالله من جار السوء الذى إن رأى خيراً ستره وإن رأى شراً أظهره [1] » وما من شخص إلا ويمكن تحسين حاله بخصال فيه ويمكن تقبيحه أيضا . روى أن رجلا أثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد ذمه فقال عليه السلام : « أنت بالأمس تثنى عليه واليوم تذمه ؟ » فقال : والله لقد صدقت عليه بالأمس وما كذبت عليه اليوم إنه أرضانى بالأمس فقلت أحسن ماعلمت فيه وأغضبنى اليوم فقلت أقبح ماعلمت فيه فقال عليه السلام : « إن من البيان لسحرا [2] » وكأنه كره ذلك فشبهه بالسحر ، ولذلك قال فى خبر آخر : « البذاء والبيان شعبتان من النفاق [3] » وفى الحديث الآخر « إن الله يكره لكم البيان كل البيان » وكذلك قال الشافعى رحمه الله : ما أحد من المسلمين يطيع الله ولا يعصيه ولا أحد يعصى الله ولا يطيعه . فمن كانت طاعته أغلب من معاصيه فهو عدل وإذا جعل مثل هذا عدلا فى حق الله فبأن تراه عدلا فى حق نفسك ومقتضى أخوتك أولى . وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك إساءة الظن فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهى عنه أيضا ، وحده أن لا تحمل فعله على وجه فاسد ما أمكن أن تحمله على وجه حسن . فأما ما انكشف بيقين ومشاهدة فلا يمكنك أن لاتعلمه وعليك أن تحمل ماتشاهد على سهو ونسيان إن أمكن ، وهذا الظن ينقسم إلى مايسمى تفرسا وهو الذى يستند إلى علامة فإن ذلك يحرك الظن تحريكا ضروريا لايقدر على دفعه ، وإلى ما منشؤه سوء اعتقادك فيه حتى يصدر منه فعل له وجهان ، فيحملك سوء الاعتقاد فيه على أن تنزله على الوجه الأردأ من غير علامة تخصه به ، وذلك جناية عليه بالباطن وذلك حرام فى حق كل مؤمن . إذ قال صلى الله عليه وسلم « إن الله قد حرم على المؤمن من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث [5] » وسوء الظن

---

(١) حديث « استعيذوا بالله من جار السوء الذى إن رأى خيرا ستره وإن رأى شرا أظهره » أخرجه البخارى فى التاريخ من حديث أبى هريرة بسند ضعيف والنسائى من حديث أبى هريرة وأبى سعيد بسند صحيح « تعوذوا بالله من جار السوء فى دار المقام » . (٢) حديث أن رجلا أثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد ذمه ... الحديث » وفيه « فقال صلى الله عليه وسلم : إن من البيان لسحرا ... أخرجه الطبرانى فى الأوسط والحاكم فى المستدرك من حديث أبى بكرة إلا أنه ذكر المدح والذم فى مجلس واحد لايومين ورواه الحاكم من حديث ابن عباس أطول منه بسند ضعيف أيضا .

(٣) حديث « البذاء والبيان شعبتان من النفاق » أخرجه الترمذى وقال حسن غريب والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث أبى أمامة بسند ضعيف . (٤) حديث « إن الله حرم من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء » أخرجه الحاكم فى التاريخ من حديث ابن عباس دون قوله « وعرضه » ورجاله ثقات إلا أن أبا على النيسابورى قال: ليس هذا عندى من كلام النبى صلى الله عليه وسلم إنما هو عندى من كلام ابن عباس . ولابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر ، ولمسلم من حديث أبى هريرة « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه . (٥) حديث « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة .

يدعو إلى التجسس والتحسس ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « لاتحسسوا ولاتجسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا [١] » والتجسس فى تطلع الأخبار والتحسس بالمراقبة بالعين . فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة أهل الدين . ويكفيك تنبيها على كمال الرتبة فى ستر القبيح وإظهار الجميل أن الله تعالى وصف به فى الدعاء فقيل « يامن أظهر الجميل وستر القبيح . والمرضى عند الله من تخلق بأخلاقه فإنه ستار العيوب وغفار الذنوب ومتجاوز عن العبيد فكيف لاتتجاوز أنت عمن هو مثلك أو فوقك وما هو بكل حال عبدك ولا مخلوقك ؟ وقد قال عيسى عليه السلام للحواريين : كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائما وقد كشف الريح ثوبه عنه ؟ قالوا : نستره ونغطيه ، قال : بل تكشفون عورته ! قالوا : سبحان الله من يفعل هذا ؟ فقال : أحدكم يسمع بالكلمة فى أخيه فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها . واعلم أنه لايتم إيمان المرء مالم يحب لأخيه مايحب لنفسه . وأقل درجات الأخوة أن يعامل أخاه بما يحب أن يعامله به ولاشك أنه ينتظر منه ستر العورة والسكوت على المساوى والعيوب ، ولو ظهر له منه نقيض ماينتظره اشتد عليه غيظه وغضبه فما أبعده إذا كان ينتظر منه مالا يضمره له ولا يعزم عليه لأجله ، وويل له فى نص كتاب الله تعالى حيث قال (ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) وكل من يلتمس من الإنصاف أكثر مما تسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية . ومنشأ التقصير فى ستر العورة أو السعى فى كشفها الداء الدفين فى الباطن وهو الحقد والحسن فإن الحقود الحسود يملأ باطنه بالخبث ولكن يحبسه فى باطنه ويخفيه ولا يبديه مهما لم يجد له مجالا وإذا وجد فرصة انحلت الرابطة وارتفع الحياء ويترشح الباطن بخبثه الدفين . ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فالانقطاع أولى ، قال بعض الحكماء : ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ، ولايزيد لطف الحقود إلا وحشة منه ، ومن فى قلبه سخيمة على مسلم فإيمانه ضعيف وأمره مخطر وقلبه خبيث لايصلح للقاء الله . وقد روى عبدالرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه أنه قال : كنت باليمن ولى جار يهودى يخبرنى عن التوراة فقدم على اليهودى من سفر فقلت إن الله قد بعث فينا نبيا فدعانا إلى الإسلام فأسلمنا وقد أنزل علينا كتابا مصدقا للتوراة ، فقال اليهودى صدقت ولكنكم لاتستطيعون أن تقوموا بما جاءكم به ، إنا نجد نعته ونعت أمته فى التوراة : إنه لايحل لامرئ أن يخرج من عتبة بابه وفى قلبه سخيمة على أخيه المسلم . ومن ذلك أن يسكت عن إفشاء سره الذى استودعه ، وله أن ينكره وإن كان كاذبا فليس الصدق واجبا فى كل مقام ، فإنه كما يجوز للرجل أن يخفى عيوب نفسه وأسراره وإن احتاج إلى الكذب فله أن يفعل ذلك فى حق أخيه فإن أخاه نازل منزلته وهما كشخص واحد لايختلفان إلا بالبدن . هذه حقيقة الأخوة وكذلك لايكون بالعمل بين يديه مرائيا وخارجا عن أعمال السر إلى أعمال العلانية فإن معرفة أخيه بعمله كمعرفته بنفسه من غير فرق وقد قال عليه السلام « من ستر عورة أخيه ستره الله تعالى فى الدنيا والآخرة [٢] » وفى خبر آخر « فكأنما أحيا موءودة [٣] » وقال عليه السلام « إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة [٤] » وقال « المجالس بالأمانة

---

(١) حديث « لاتحسسوا ولاتجسسوا ولاتقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا » متفق عليه من حديث أبي هريرة وهو بعض الحديث الذى قبله . (٢) حديث « من ستر عورة أخيه ستره الله فى الدنيا والآخرة » أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عباس وقال « يوم القيامة » ولم يقل « فى الدنيا » ولمسلم من حديث أبى هريرة « من ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة » وللشيخين من حديث ابن عمر « من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » . (٣) حديث « فكأنما أحيا موءودة من قبرها » أخرجه أبو داود والنسائى والحاكم من حديث عقبة بن عامر « من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة » زاد الحاكم « من قبرها » وقال صحيح الإسناد .
(٤) حديث « إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة » أخرجه أبو داود والترمذى من حديث جابر وقال حسن .

إلا ثلاثة مجالس : مجلس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال من غير حله[1] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة ولا يحل لأحدهما أن يفشى على صاحبه مايكره[2] » .

قيل لبعض الأدباء : كيف حفظك للسر ؟ قال . أنا قبره . وقد قيل : صدور الأحرار قبور الأسرار . وقيل : إن قلب الأحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه ، أى لايستطيع الأحمق إخفاء مافي نفسه فيبديه من حيث لايدرى به . فمن هذا يجب مقاطعة الحمق والتوقى عن صحبتهم بل عن مشاهدتهم . وقد قيل لآخر . كيف تحفظ السر ؟ قال : أجحد المخبر وأحلف للمستخبر . وقال آخر : أستره واستر أنى أستره وعبر عنه ابن المعتز فقال :

ومستودعى سرا تبوأت كتمه فأودعته صدرى فصار له قبرا

وقال آخر وأراد الزيادة عليه :

وما السر فى صدرى كشاو بقبره لأنى أرى المقبور ينتظر النشرا
ولكننى أنساه حتى كأننى بما كان منه لم أحط ساعة خبرا
ولو جاز كتم السر بينى وبينه عن السر والأحشاء لم تعلم السرا

وأفشى بعضهم سرا له إلى أخيه ثم قال له . حفظت ؟ فقال : بل نسيت . وكان أبو سعيد الثورى يقول : إذا أردت أن تواخى رجلا فأغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك ، فإن قال خيرا وكتم سرك فاصحبه . وقيل لأبى يزيد : من تصحب من الناس ؟ قال ؛ من يعلم منك مايعلم الله ثم يستر عليك كما يستره الله . وقال ذو النون : لاخير فى صحبة من لايحب أن يراك إلا معصوما ومن أفشى السر عند الغضب فهو اللئيم لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها . وقد قال بعض الحكماء . لا تصحب من يتغير عليك عند أربع : عند غضبه ورضاه ، وعند طمعه وهواه . بل ينبغى أن يكون صدق الأخوة ثابتا على اختلاف هذه الأحوال ولذلك قيل :

وترى الكريم إذا تصرم وصله يخفى القبيح ويظهر الإحسانا
وترى اللئيم إذا تقضى وصله يخفى الجميل ويظهر البهتانا

وقال العباس لابنه عبد الله : إنى أرى هذا الرجل ـ يعنى عمر رضى الله عنه ـ يقدمك على الأشياخ فاحفظ عنى خمسا : لاتفشين له سرا ولاتغتابن عنده أحدا ولاتجربن عليه كذبا ، ولاتعصين له أمرا ، ولا يطلعن منك على خيانة فقال الشعبى : كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف . ومن ذلك السكوت عن المماراة والمدافعة فى كل مايتكلم به أخوك قال ابن عباس : لاتمار سفيها فيؤذيك ولا حليما فيقليك . وقد قال صلى الله عليه وسلم « من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى أعلى الجنة[3] » هذا مع أن تركه مبطلا واجب ، وقد جعل ثواب النفل أعظم لأن السكوت عن الحق أشد على النفس من السكوت على الباطل وإنما الأجر على قدر النصب . وأشد الأسباب لإثارة نار الحقد بين الإخوان المماراة والمنافسة فإنها عين التدابر والتقاطع فإن التقاطع

(١) حديث « المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس .. الحديث » أخرجه أبو داود من حديث جابر من رواية ابن أخيه غير مسمى عنه

(٢) حديث « إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة لايحل لأحدهما أن يفشى على صاحبه مايكره » أخرجه أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بإسناد ضعيف ورواه ابن المبارك فى الزهد من رواية أبي بكر بن حزم مرسلا والحاكم وصححه من حديث ابن عباس « إنكم تجالسون بينكم بالأمانة » .

(٣) حديث « من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة ... الحديث » تقدم فى العلم .

يقع أولا بالآراء ثم بالأقوال ثم بالأبدان . وقال عليه السلام « لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحرمه ولايخذله بحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم [1] » وأشد الاحتقار المماراة فإن من رد على غيره كلامه فقد نسبه إلى الجهل والحمق أو إلى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ماهو عليه وكل ذلك استحقار وإيغار للصدر وإيحاش . وفى حديث أبي أمامة الباهلى قال «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتمارى فغضب وقال : ذروا المراء لقلة خيره وذروا المراء فإن نفعه قليل وإنه يهيج العداوة بين الإخوان [2] » وقال بعض السلف : من لاحى الإخوان وماراهم قلت مروءته وذهبت كرامته . وقال عبد الله ابن الحسن إياك ومماراة الرجال فإنك لن تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم . وقال بعض السلف : أعجز الناس من قصر فى طلب الإخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وكثرة المماراة توجب التضييع والقطيعة وتورث العداوة وقد قال الحسن : لا تشتر عداوة رجل بمودة ألف رجل . وعلى الجملة فلا باعث على المماراة إلا إظهار التمييز بمزيد العقل والفضل واحتقار المردود عليه بإظهار جهله ، وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والإيذاء والشتم بالحمق والجهل ولامعنى للمعاداة إلا هذا فكيف تضامنه الأخوة والمصافاة ؟ فقد روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لاتمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه [3] » وقد قال عليه السلام « إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط وجه وحسن خلق [4] » والمماراة مضادة لحسن الخلق . وقد انتهى السلف فى الحذر عن المماراة والحض على المساعدة إلى حد لم يروا السؤال أصلا . وقالوا : إذا قلت لأخيك قم فقال إلى أين ؟ فلا تصحبه بل قالوا ينبغى أن يقوم ولايسأل . وقال أبو سليمان الدارانى : كان لى أخ بالعراق فكنت أجيئه فى النوائب فأقول : أعطنى من مالك شيئا ، فكان يلقى إلى كيسه فآخذ منه ما أريد ، فجئته ذات يوم فقلت : أحتاج إلى شيء . فقال : كم تريد ؟ فخرجت حلاوة إخائه من قلبي . وقال آخر : إذا طلبت من أخيك مالا فقال : ماذا تصنع به ؟ فقد ترك حق الإخاء . واعلم أن قوام الأخوة بالموافقة فى الكلام والفعل والشفقة . قال أبو عثمان الحيرى موافقة الإخوان خير من الشفقة عليهم ، وهو كما قال .

الحق الرابع : على اللسان بالنطق

فإن الأخوة كما تقتضى السكوت عن المكاره تقتضى أيضا النطق بالمحاب بل هو أخص بالأخوة لأن من قنع بالسكوت صحب أهل القبور ، وإنما تراد الإخوان ليستفاد منهم لا ليتخلص عن أذاهم ، والسكوت معناه كف الأذى فعليه أن يتودد إليه بلسانه ويتفقده فى أحواله التى يحب أن يتفقد فيها كالسؤال عن عارض إن عرض وإظهار شغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه ، وكذا جملة أحواله التى يكرهها ينبغى أن يظهر بلسانه وأفعاله كراهتها ، وجملة أحواله التى يسر بها ينبغى أن يظهر بلسانه مشاركته له فى السرور بها . فمعنى الأخوة المساهمة فى السراء والضراء وقد

---

(١) حديث « لاتدابروا ولاتباغضوا ولاتحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وأوله متفق عليه من حديثه وحديث أنس وقد تقدم بعضه قبل هذا بسبعة أحاديث (٢) حديث أبي أمامة « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتمارى فغضب وقال ذروا المراء لقلة خيره فإن نفعه قليل فإنه يهيج العداوة بين الإخوان » أخرجه الطبرانى فى الكبير من حديث أبي أمامة وأبي الدرداء وواثلة وأنس دون مابعد قوله « لقلة خيره » ومن هنا الى آخر الحديث رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبي أمامة فقط واسنادهما ضعيف .

(٣) حديث ابن عباس « لاتمار أخاك ولاتمازحه ولاتعده موعدا فتخلفه » أخرجه الترمذى وقال غريب لانعرفه الا من هذا الوجه يعنى من حديث ليث بن أبي سليم وضعفه الجمهور . (٤) حديث « انكم لاتسعون الناس بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق » أخرجه أبو يعلى الموصلى والطبراني فى مكارم الأخلاق وابن عدى فى الكامل وضعفه والحاكم وصححه والبيهقى فى الشعب من حديث أبي هريرة .

قال عليه السلام « إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره [١] » وإنما أمر بالإخبار لأن ذلك يوجب زيادة حب فإن عرف أنك تحبه أحبك بالطبع لامحالة ، فإذا عرفت أنه أيضا يحبك زاد حبك لامحالة فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف . والتحاب بين المؤمنين مطلوب فى الشرع ومحبوب فى الدين ولذلك علم فيه الطريق فقال « تهادوا تحابوا [٢] » ومن ذلك أن يدعوه بأحب أسمائه إليه فى غيبته وحضوره . قال عمر رضى الله عنه : ثلاث يصفين لك ود أخيك : أن تسلم عليه إذا لقيته أولا ، وتوسع له فى المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه . ومن ذلك أن تثنى عليه بما تعرف من محاسن أحواله عند من يؤثر هو الثناء عنده فإن ذلك من أعظم الأسباب فى جلب المحبة ، وكذلك الثناء على أولاده وأهله وصنعته وفعله حتى على عقله وخلقه وهيئته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع مايفرح به وذلك من غير كذب وإفراط ولكن تحسين مايقبل التحسين لابد منه وآكد من ذلك أن تبلغه ثناء من أثنى عليه مع إظهار الفرح فإن إخفاء ذلك محض الحسد ومن ذلك أن تشكره على صنيعه فى حقك بل على نيته وإن لم يتم ذلك . قال على رضى الله عنه : من لم يحمد أخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنيعة . وأعظم من ذلك تأثيرا فى جلب المحبة الذب عنه فى غيبته مهما قصد بسوء أو تعرض لعرضه بكلام صريح أو تعريض لحق الأخوة التشمير فى الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه والسكوت عن ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب وتقصير فى حق الأخوة . وإنما شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الأخوين باليدين تغسل إحداهما الأخرى لينصر أحدهما الآخر وينوب عنه [٣] وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يخذله ولا يثلبه [٤] » وهذا من الانثلام والخذلان فإن إهماله لتمزيق عرضه كإهماله لتمزيق لحمه . فأخسس بأخ يراك والكلاب تفترسك وتمزق لحومك وهو ساكت لاتحركه الشفقة والحمية للدفع عنك! وتمزيق الأعراض أشد على النفوس من تمزيق اللحوم ولذلك شبهه الله تعالى بأكل لحوم الميتة فقال ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ﴾ والملك الذى يمثله فى المنام ماتطالعه الروح من اللوح المحفوظ بالأمثلة المحسوسة يمثل الغيبة بأكل لحوم الميتة ، حتى إن من يرى أنه يأكل لحم ميته فإنه يغتاب الناس لأن ذلك الملك فى تمثيله يراعى المشاركة والمناسبة بين الشيء وبين مثاله فى المعنى الذى يجرى من المثال مجرى الروح ؛ لا فى ظاهر الصور . فإذن حماية الأخوة بدفع ذم الأعداء وتعنت المتعنتين واجب فى عقد الأخوة . وقد قال مجاهد : لاتذكر أخاك فى غيبته إلا كما تحب أن يذكرك فى غيبتك . فإذن لك فيه معياران ؛ أحدهما : أن تقدر أن الذى قيل فيه لو قيل فيك وكان أخوك حاضرا ما الذى كنت تحب أن يقوله أخوك فيك ؟ فينبغى أن تعامل المتعرض لعرضه به . والثانى : أن تقدر أنه حاضر من وراء جدار يسمع قولك ويظن أنك لاتعرف حضوره ؛ فما كان يتحرك فى قلبك من النصرة له بمسمع منه ومرأى ؟ فينبغى أن يكون فى مغيبه كذلك فقد قال بعضهم : ماذكر أخ لى بغيب إلا تصورته جالسا فقلت فيه مايحب أن يسمعه لو حضر : وقال آخر : ماذكر أخ لى إلا تصورت نفسى فى صورته فقلت فيه مثل ما أحب أن يقال فى . وهذا من صدق الإسلام وهو أن لايرى لأخيه إلا مايراه لنفسه . وقد نظر أبو الدرداء إلى ثورين يحرثان فى فدان فوقف أحدهما يحك جسمه فوقف الآخر ؛ فبكى وقال : هكذا الإخوان فى الله يعملان لله فإذا وقف أحدهما وافقه الآخر . وبالموافقة يتم الإخلاص ومن لم يكن مخلصا فى إخائه فهو منافق . والإخلاص استواء الغيب والشهادة

---

(١) حديث « اذا أحب أحدكم أخاه فليخبره » أخرجه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح والحاكم من حديث المقدام بن معديكرب . (٢) حديث « تهادوا تحابوا » أخرجه البيهقى من حديث أبى هريرة وقد تقدم غير مرة .

(٣) حديث « تشبيه الأخوين باليدين » تقدم فى الباب قبله . (٤) حديث « المسلم أخو المسلم » تقدم فى أثناء حديث قبله بسبعة أحاديث .

واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والخلوة والاختلاف ، والتفاوت فى شىء من ذلك مماذقة فى المودة وهو دخل فى الدين ووليجة فى طريق المؤمنين ، ومن لايقدر من نفسه على هذا فالانقطاع والعزلة أولى به من المؤاخاة والمصاحبة فإن حق الصحبة ثقيل لايطيقه إلا محقق فلاجرم أجره جزيل لايناله إلا موفق . ولذلك قال عليه السلام « أبا هر أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة صاحبك تكن مؤمنا [1] » فانظر كيف جعل الإيمان جزاء الصحبة والإسلام جزاء الجوار ؟ فالفرق بين فضل الإيمان وفضل الإسلام على حد الفرق بين المشقة فى القيام بحق الجوار والقيام بحق الصحبة . فإن الصحبة تقتضى حقوقا كثيرة فى أحوال متقاربة مترادفة على الدوام والجوار لايقتضى إلا حقوقا قريبة فى أوقات متباعدة لاتدوم . ومن ذلك التعليم والنصيحة فليس حاجة أخيك إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال : فإن كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وإرشاده إلى كل ماينفعه فى الدين والدنيا ، فإن علمته وأرشدته ولم يعمل بمقتضى العلم فعليك النصيحة وذلك بأن تذكر آفات ذلك الفعل وفوائد تركه وتخوفه بما يكرهه فى الدنيا والآخرة لينزجر عنه وتنبهه على عيوبه وتقبح القبيح فى عينه وتحسن الحسن ولكن ينبغى أن يكون ذلك فى سر لايطلع عليه أحد فما كان على الملأ فهو توبيخ وفضيحة وما كان فى السر فهو شفقة ونصيحة إذ قال صلى الله عليه وسلم « المؤمن مرآة المؤمن [2] » أى يرى منه مالايرى من نفسه فيستفيد المرء بأخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة . وقال الشافعى رضى الله عنه : من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه . وقيل لمسعر : أتحب من يخبرك بعيوبك ؟ فقال : إن نصحنى فيما بينى وبينه فنعم وإن قرعنى بين الملأ فلا . وقد صدق ، فإن النصح على الملأ فضيحة والله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه فى ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سرا ، وقد يدفع كتاب عمله مختوما إلى الملائكة الذين يحفون به إلى الجنة ، فإذا قاربوا باب الجنة أعطوه الكتاب مختوما ليقرأه ، وأما أهل المقت فينادون على رءوس الأشهاد وتستنطق جوارحهم بفضائحهم فيزدادون بذلك خزيا وافتضاحا ونعوذ بالله من الخزى يوم العرض الأكبر . فالفرق بين التوبيخ والنصيحة بالإسرار والإعلان كما أن الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الإغضاء . فإن أغضيت لسلامة دينك ولما ترى من إصلاح أخيك بالإغضاء فأنت مدار وإن أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداهن . وقال ذو النون : لاتصحب مع الله إلا بالموافقة ولا مع الخلق إلا بالمناصحة ولا مع النفس إلا بالمخالفة ولا مع الشيطان إلا بالعداوة .

* فإن قلت : فإذا كان فى النصح ذكر العيوب ففيه إيحاش القلب فكيف يكون ذلك من حق الأخوة ؟ فاعلم أن الإيحاش إنما يحصل بذكر عيب يعلمه أخوك من نفسه فأما تنبيهه على ما لا يعلمه فهو عين الشفقة وهو استمالة القلوب ، أعنى قلوب العقلاء ، وأما الحمقى فلا يلتفت إليهم فإن من ينبهك على فعل مذموم تعاطيته أو صفة مذمومة اتصفت بها لتزكى نفسك عنها كان كمن ينبهك على حية أو عقرب تحت ذيلك وقد همت بإهلاكك ، فإن كنت تكره ذلك فما أشد حمقك ! والصفات الذميمة عقارب وحيات وهى فى الآخرة مهلكات فإنها تلدغ القلوب والأرواح وألمها أشد مما يلدغ الظواهر والأجساد وهى مخلوقة من نار الله الموقدة ، ولذلك كان عمر رضى الله عنه

---

(١) حديث « أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا » أخرجه الترمذى وابن ماجه واللفظ له من حديث أبى هريرة بالشطر الأول فقط وقال الترمذى « مؤمنا » قال « وأحب للناس ماتحب لنفسك تكن مسلما » وقال ابن ماجه « مؤمنا » قال الدارقطنى والحديث ثابت ورواه القضاعى فى مسند الشهاب بلفظ المصنف .

(٢) حديث « المؤمن مرآة المؤمن » أخرجه أبو داود من حديث أبى هريرة بإسناد حسن .

يستهدى ذلك من إخوانه ويقول : رحم الله امرأ أهدى إلى أخيه عيوبه ، ولذلك قال عمر لسلمان وقد قدم عليه : ما الذى بلغك عنى مما تكره ؟ فاستعفى ، فألح عليه فقال : بلغنى أن لك حلتين تلبس إحداهما بالنهار والأخرى بالليل وبلغنى أنك تجمع بين إدامين على مائدة واحدة ، فقال عمر رضى الله عنه : أما هذان فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما ؟ فقال : لا . وكتب حذيفة المرعشى إلى يوسف بن أسباط : بلغنى أنك بعت دينك بحبتين : وقفت على صاحب لبن فقلت : بكم هذا ؟ فقال : بسدس ، فقلت له : لا ... بثمن ! فقال : هو لك ، وكان يعرفك . اكشف عن رأسك قناع الغافلين وانتبه عن رقدة الموتى واعلم أن من قرأ القرآن ولم يستغن وآثر الدنيا لم آمن أن يكون بآيات الله من المستهزئين ، وقد وصف الله تعالى الكاذبين ببغضهم للناصحين إذ قال ﴿ ولكن لا تحبون الناصحين ﴾ وهذا فى عيب هو غافل عنه فأما ماعلمت أنه يعلمه من نفسه فإنما هو مقهور عليه من طبعه فلا ينبغى أن يكشف فيه ستره إن كان يخفيه ، وإن كان يظهره فلا بد من التلطف فى النصح بالتعريض مرة وبالتصريح أخرى إلى حد لايؤدى إلى الإيحاش ، فإن علمت أن النصح غير مؤثر فيه وأنه مضطر من طبعه إلى الإصرار عليه فالسكوت عنه أولى ، وهذا كله فيما يتعلق بمصالح أخيك فى دينه أو دنياه ، أما مايتعلق بتقصيره فى حقك فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعامى عنه ، والتعرض لذلك ليس من النصح فى شىء ، نعم إن كان بحيث يؤدى استمراره عليه إلى القطيعة فالعتاب فى السر خير من القطيعة والتعريض به خير من التصريح والمكاتبة خير من المشافهة والاحتمال خير من الكل ، إذ ينبغى أن يكون قصدك من أخيك إصلاح نفسك بمراعاتك إياه وقيامك بحقه واحتمالك تقصيره لا الاستعانة به والاسترفاق منه . قال أبو بكر الكتانى : صحبنى رجل وكان على قلبى ثقيلا فوهبت له يوما شيئا على أن يزول ما فى قلبى فلم يزل ، فأخذت بيده يوما إلى البيت وقلت له : ضع رجلك على خدى ، فأبى ، فقلت ، لابد ، ففعل ، فزال ذلك من قلبى . وقال أبو على الرباطى : صحبت عبدالله الرازى وكان يدخل البادية فقال على أن تكون أنت الأمير أو أنا فقلت بل أنت فقال وعليك الطاعة فقلت نعم فأخذ مخلاة ووضع فيها الزاد وحملها على ظهره فإذا قلت له أعطنى قال ألست قلت أنت الأمير ؟ فعليك الطاعة فأخذنا المطر ليلة فوقف على رأسى إلى الصباح وعليه كساء وأنا جالس يمنع عنى المطر فكنت أقول مع نفسى ليتنى مت ولم أقل أنت الأمير .

الحق الخامس : العفو عن الزلات والهفوات

وهفوة الصديق لاتخلو إما أن تكون فى دينه بارتكاب معصية أو فى حقك بتقصيره فى الأخوة . أما ما يكون فى الدين من ارتكاب معصية والإصرار عليها فعليك التلطف فى نصحه بما يقوم أوده ويجمع شمله ويعيد إلى الصلاح والورع حاله . فإن لم تقدر وبقى مصرا فقد اختلفت طرق الصحابة والتابعين فى إدامة حق مودته أو مقاطعته . فذهب أبو ذر رضى الله عنه إلى الانقطاع وقال : إذا انقلب أخوك عما كان عليه فابغضه من حيث أحببته ، ورأى ذلك من مقتضى الحب فى الله والبغض فى الله . وأما أبو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا إلى خلافه ؛ فقال أبو الدرداء : إذا تغير أخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك فإن أخاك يعوج مرة ويستقيم أخرى . وقال إبراهيم النخعى لاتقطع أخاك ولاتهجره عند الذنب بذنبه فإنه يرتكبه اليوم ويتركه غدا . وقال أيضا : لاتحدثوا الناس بزلة العالم فإن العالم يزل الزلة ثم يتركها . وفى الخبر « اتقوا زلة العالم ولاتقطعوه وانتظروا فيئته [1] » وفى حديث عمر وقد سأل عن أخ كان آخاه فخرج إلى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه وقال :

(١) حديث « اتقوا زلة العالم ولاتقطعوه وانتظروا فيئته » رواه البغوى فى المعجم وابن عدى فى الكامل من حديث عمرو بن عوف المزنى وضعفاه .

مافعل أخى ؟ قال : ذلك أخو الشيطان قال : مه ، قال : إنه قارف الكبائر حتى وقع فى الخمر . قال : إذا أردت الخروج فآذنى فكتب عند خروجه إليه « بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ﴾ الآية » ثم عاتبه تحت ذلك وعذله . فلما قرأ الكتاب بكى وقال : صدق الله ونصح لى عمر فتاب ورجع . وحكى أن أخوين ابتلى أحدهما بهوى فأظهر عليه أخاه وقال : إنى قد اعتللت فإن شئت أن لاتعقد على صحبتى لله فافعل ، فقال : ما كنت لأحل عقد أخوتك لأجل خطيئتك أبدا ، ثم عقد أخوه بينه وبين الله أن لايأكل ولايشرب حتى يعافى الله أخاه من هواه ، فطوى أربعين يوما فى كلها يسأله عن هواه فكان يقول : القلب مقيم على حاله . وما زال هو ينحل من الغم والجوع حتى زال الهوى عن قلب أخيه بعد الأربعين فأخبره بذلك فأكل وشرب بعد أن كاد يتلف هزالا وضرا . وكذلك حكى عن أخوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة فقيل لأخيه : ألا تقطعه وتهجره ، فقال : أحوج ما كان إلى فى هذا الوقت لما وقع فى عثرته أن آخذ بيده وأتلطف له فى المعاتبة وأدعو له بالعود إلى ما كان عليه . وروى فى الإسرائيليات أن أخوين عابدين كانا فى جبل نزل أحدهما ليشترى من المصر لحما بدرهم فرأى بغيا عند اللحام فرمقها وعشقها واجتذبها إلى خلوة وواقعها ، ثم أقام عندها ثلاثا واستحيا أن يرجع إلى أخيه حياء من جنايته . قال : فافتقده أخوه واهتم بشأنه فنزل إلى المدينة فلم يزل يسأل عنه حتى دل عليه فدخل إليه وهو جالس معها فاعتنقه وجعل يقبله ويلتزمه وأنكر الآخر أنه يعرفه قط لفرط استحيائه منه فقال : قم ياأخى فقد علمت شأنك وقصتك وما كنت قط أحب إلى ولا أعز من ساعتك هذه ، فلما رأى أن ذلك لم يسقطه من عينه قام فانصرف معه . فهذه طريقة قوم وهى ألطف وأفقه من طريقة أبى ذر رضى الله عنه ، وطريقته أحسن وأسلم .

* فإن قلت : ولم قلت هذا ألطف وأفقه ومقارف هذه المعصية لاتجوز مؤاخاته ابتداء فتجب مقاطعته انتهاء لأن الحكم إذا ثبت بعلة فالقياس أن يزول بزوالها ، وعلة عقد الأخوة التعاون فى الدين ولايستمر ذلك مع مقارفة المعصية فأقول : أما كونه ألطف فلما فيه من الرفق والاستمالة والتعطف المفضى إلى الرجوع والتوبة لاستمرار الحياء عند دوام الصحبة ، ومهما قوطع وانقطع طمعه عن الصحبة أصر واستمر . وأما كونه أفقه فمن حيث إن الأخوة عقد ينزل منزلة القرابة فإذا انعقدت تأكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد ، ومن الوفاء به أن لايهمل أيام حاجته وفقره وفقر الدين أشد من فقر المال ، وقد أصابته جائحة وألمت به آفة افتقر بسببها فى دينه فينبغى أن يراقب ويراعى ولايهمل ، بل لايزال يتلطف به ليعان على الخلاص من تلك الوقعة التى ألمت به . فالأخوة عدة للنائبات وحوادث الزمان وهذا من اشد النوائب ، والفاجر إذا صحب تقيا وهو ينظر إلى خوفه ومداومته فسيرجع على قرب ويستحيى من الإصرار بل الكسلان يصحب الحريص فى العمل فيحرص حياء منه . قال جعفر بن سليمان : مهما فترت فى العمل نظرت إلى محمد بن واسع وإقباله على الطاعة فيرجع إلى نشاطى فى العبادة وفارقنى الكسل وعملت عليه أسبوعا وهذا التحقيق وهو أن الصداقة لحمة كلحمة النسب والقريب لايجوز أن يهجر بالمعصية ، ولذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فى عشيرته ﴿ فإن عصوك فقل إنى برىء مما تعملون ﴾ ولم يقل إنى برىء منكم مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب . وإلى هذا أشار أبو الدرداء لما قيل له : ألا تبغض أخاك وقد فعل كذا ؟ فقال : إنما أبغض عمله وإلا فهو أخى وأخوة الدين أوكد من أخوة القرابة . ولذلك قيل لحكيم : أيما أحب إليك أخوك أوصديقك ؟ فقال : إنما أحب أخى إذا كان صديقا لى . وكان الحسن يقول : كم من أخ لم تلده أمك ؟ ولذلك قيل :

القرابة تحتاج إلى مودة والمودة لا تحتاج إلى قرابة وقال جعفر الصادق رضى الله عنه : مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم مائية من قطعها قطعه الله . فإذن الوفاء بعقد الأخوة إذا سبق انعقادها واجب . وهذا جوابنا عن ابتداء المؤاخاة مع الفاسق فإنه لم يتقدم له حق فإن تقدمت له قرابة فلا جرم لاينبغى أن يقاطع بل يجامل . والدليل عليه أن ترك المؤاخاة والصحبة ابتداء ليس مذموما ولامكروها بل قال قائلون : الانفراد أولى ؛ فأما قطع الأخوة عن دوامها فنهى عنه ومذموم فى نفسه ونسبته إلى تركها ابتداء كنسبة الطلاق إلى ترك النكاح ، والطلاق أبغض إلى الله تعالى من ترك النكاح قال صلى الله عليه وسلم « شرار عباد الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة [1] » وقال بعض السلف فى ستر زلات الإخوان : ود الشيطان أن يلقى على أخيكم مثل هذا حتى تهجروه وتقطعوه ، فماذا اتقيتم من محبة عدوكم . وهذا لأن التفريق بين الأحباب من محاب الشيطان كما أن مقارفة العصيان من محابه ؛ فإذا حصل للشيطان أحد غرضيه فلاينبغى أن يضاف إليه الثانى ، وإلى هذا أشار عليه السلام فى الذى شتم الرجل الذى أتى فاحشة إذ قال « مه » وزبره وقال « لاتكونوا عونا للشيطان على أخيكم [2] » فبهذا كله يتبين الفرق بين الدوام والابتداء لأن مخالطة الفساق محذورة ، ومفارقة الأحباب والإخوان أيضا محذورة ، وليس من سلم عن معارضة غيره كالذى لم يسلم وفى الابتداء قد سلم فرأينا أن المهاجرة والتباعد هو الأولى وفى الدوام تعارضا فكان الوفاء بحق الأخوة أولى ، هذا كله فى زلته فى دينه .

أما زلته فى حقه بما يوجب إيحاشه فلا خلاف فى أن الأولى العفو والاحتمال بل كل ما يحتمل تنزيله على وجه حسن ويتصور تمهيد عذر فيه قريب أو بعيد فهو واجب بحق الأخوة ، فقد قيل : ينبغى أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذرا ؛ فإن لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك ، فتقول لقلبك : ماأقساك ! يعتذر إليك أخوك سبعين عذرا فلا تقبله ، فأنت المعيب لاأخوك ، فإن ظهر بحيث لم يقبل التحسين فينبغى أن لا تغضب إن قدرت ، ولكن ذلك لايمكن وقد قال الشافعى رحمه الله : من استغضب فلم يغضب فهو حمار ، ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان . فلاتكن حمارا ولا شيطانا ، واسترض قلبك بنفسك نيابة عن أخيك ، واحترز أن تكون شيطانا إن لم تقبل . قال الأحنف : حق الصديق أن تحتمل منه ثلاثا : ظلم الغضب ، وظلم الدالة ، وظلم الهفوة . وقال آخر : ماشتمت أحدا قط : لأنه إن شتمنى كريم فأنا احق من غفرها له أو لئيم فلا أجعل عرضى له غرضا ثم تمثل وقال :

وأغفر عوراء الكريم ادخاره ... وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

وقد قيل :

خذ من خليلك ما صفا ... ودع الذى فيه الكدر
فالعمر أقصر من معا ... تبة الخليل على الغير

ومهما اعتذر إليك أخوك كاذبا كان أو صادقا فاقبل عذره . قال عليه السلام « من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل إثم صاحب المكس [3] » وقال عليه السلام « المؤمن سريع الغضب سريع الرضا [4] » فلم يصفه بأنه

(١) حديث « شرار عباد الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة » رواه أحمد من حديث أسماء بنت يزيد بسند ضعيف

(٢) حديث « لاتكونوا أعوانا للشيطان على أخيكم » رواه البخارى من حديث أبى هريرة وتقدم فى الباب قبله .

(٣) حديث « من اعتذر اليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل إثم صاحب مكس » أخرجه ابن ماجه وأبو داود فى المراسيل من حديث جودان واختلف فى صحبته وجهله أبو حاتم وباقى رجاله ثقات ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث جابر بسند ضعيف .

(٤) حديث « المؤمن سريع الغضب سريع الرضا » لم أجده هكذا وللترمذى وحسنه من حديث أبى سعيد الخدرى « ألا إن بنى آدم خلقوا على طبقات شتى . . . الحديث » وفيه « ومنهم سريع الفىء فتلك بتلك »

لايغضب . وكذلك قال الله تعالى ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾ ولم يقل والفاقدين الغيظ ، وهذا لأن العادة لاتنتهى إلى أن يجرح الإنسان فلا يتألم ، بل تنتهى إلى أن يصبر عليه ويحتمل ، وكما أن التألم بالجرح مقتضى طبع البدن فالتألم بأسباب الغضب طبع القلب ، ولا يمكن قلعه ولكن ضبطه وكظمه والعمل بخلاف مقتضاه ، فإنه يقتضى التشفى والانتقام والمكافأة ، وترك العمل بمقتضاه ممكن ، وقد قال الشاعر :

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أى الرجال المهذب ؟

قال أبو سليمان الدارانى لأحمد بن ابى الحوارى : إذا واخيت احدا فى هذا الزمان فلا تعاتبه على ماتكرهه ، فإنك لاتأمن من أن ترى فى جوابك ماهو شر من الأول ، قال : فجربته فوجدته كذلك . وقال بعضهم : الصبر على مضض الأخ خير من معاتبته ، والمعاتبة خير من القطيعة ، والقطيعة خير من الوقيعة . وينبغى أن لايبالغ فى البغضة عند الوقيعة . قال تعالى ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ﴾ وقال عليه السلام « أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما : وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما [1] » وقال عمر رضى الله عنه : لايكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا : وهو أن تحب تلف صاحبك مع هلاكك .

الحق السادس

الدعاء للأخ فى حياته وبعد مماته بكل ما يحبه لنفسه ولأهله وكل متعلق به ، فتدعو له كما تدعو لنفسك ولاتفرق بين نفسك وبينه ، فإن دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق ؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا دعا الرجل لأخيه فى ظهر الغيب قال الملك : ولك مثل ذلك [2] » وفى لفظ آخر « يقول الله تعالى بك أبدا ياعبدى [3] » وفى الحديث « يستجاب للرجل فى أخيه مالا يستجاب له فى نفسه [4] » وفى الحديث « دعوة الرجل لأخته فى ظهر الغيب لاترد [5] » وكان أبو الدرداء يقول : إنى لأدعو لسبعين من إخوانى فى سجودى أسميهم بأسمائهم . وكان محمد بن يوسف الأصفهانى يقول : وأين مثل الأخ الصالح ؟ أهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بماخلفت ، وهو منفرد بحزنك مهتم بماقدمت وماصرت إليه ، يدعو لك فى ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى ، وكأن الأخ الصالح يقتدى بالملائكة ، إذ جاء فى الخبر « إذامات العبد قال الناس : ماخلفت ؟ وقالت الملائكة : ماقدم ؟ [6] » يفرحون له بما قدم ويسألون عنه ويشفقون عليه ، ويقال : من بلغه موت أخيه فترحم عليه واستغفر له كتب له كأنه شهد جنازته وصلى عليه . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مثل الميت فى قبره مثل الغريق يتعلق بكل شىء ينتظر دعوة من ولد أو والد أو أخ أو قريب [7] » وإنه ليدخل على قبور الأموات من دعاء الأحياء من الأنوار مثل الجبال . وقال بعض السلف الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء ، فيدخل الملك على الميت ومعه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول : هذه

---

(١) حديث « أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال غريب قلت رجاله ثقات رجال مسلم لكن الراوى تردد فى رفعه .

(٢) حديث « اذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب قال الملك ولك بمثل ذلك » أخرجه مسلم من حديث أبى الدرداء

(٣) حديث « الدعاء للأخ بظهر الغيب » وفيه « يقول الله بك أبدا ياعبدى » لم أجد هذا اللفظ (٤) حديث « يستجاب للرجل فى أخيه مالايستجاب له فى نفسه » لم أجده بهذا اللفظ ولأبى داود والترمذى وضعفه من حديث عبد الله بن عمرو « إن أسرع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب » (٥) حديث « دعوة الأخ لأخيه فى الغيب لاترد » أخرجه الدارقطنى فى العلل من حديث أبى الدرداء وهو عند مسلم إلا أنه قال « مستجابة » مكان « لاترد » (٦) حديث « إذا مات العبد قال الناس ماخلف وقالت الملائكة ماقدم » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٧) حديث « مثل الميت فى قبره مثل الغريق يتعلق بكل شىء ينتظر دعوة من ولد أو والد . . الحديث » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة قال الذهبى فى الميزان إنه خبر منكر جدا .

هدية لك من عند أخيك فلان ، من عند قريبك فلان . قال : فيفرح بذلك كما يفرح الحى بالهدية .

الحق السابع : الوفاء والإخلاص

ومعنى الوفاء : الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه ، فإن الحب إنما يراد للآخرة ، فإن انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعى ، ولذلك قال عليه السلام « فى السبعة الذين يظلهم الله فى ظله « ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه [1] » وقال بعضهم : قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره فى حال الحياة ، ولذلك روى أنه صلى الله عليه وسلم أكرم عجوزا دخلت عليه ، فقيل له فى ذلك ، فقال « إنها كانت تأتينا أيام خديجة ، وإن كرم العهد من الدين [2] » ، فمن الوفاء للأخ مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه والمتعلقين به ، ومراعاتهم أوقع فى قلب الصديق من مراعاة الأخ فى نفسه ، فإن فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر ، إذ لا يدل على قوة الشفقة والحب إلا تعديهما من المحبوب إلى كل من يتعلق به ، حتى الكلب الذى على باب داره ينبغى أن يميز فى القلب عن سائر الكلاب ، ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان ، فإنه لا يحسد متعاونين على بر كما يحسد متواخيين فى الله ومتحابين فيه فإنه يجهد نفسه لإفساد ما بينهما قال الله تعالى ﴿ وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم ﴾ وقال مخبرا عن يوسف ﴿ من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى ﴾ ويقال ما تواخى اثنان فى الله فتفرق بينهما إلا بذنب يرتكبه أحدهما . وكان بشر يقول : إذا قصر العبد فى طاعة الله سلبه الله من يؤنسه . وذلك لأن الإخوان مسلاة للهموم وعون على الدين . ولذلك قال ابن المبارك : ألذ الأشياء مجالسة الإخوان والانقلاب إلى كفاية ، والمودة الدائمة هى التى تكون فى الله ، وما يكون لغرض يزول بزوال ذلك الغرض . ومن ثمرات المودة فى الله أن لا تكون مع حسد فى دين ودنيا وكيف يحسده وكل ما هو لأخيه فإليه ترجع فائدته ؟ وبه وصف الله تعالى المحبين فى الله تعالى فقال ﴿ ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ﴾ ووجود الحاجة هو الحسد . ومن الوفاء أن لا يتغير حاله فى التواضع مع أخيه وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه فالترفع على الإخوان بما يتجدد من الأحوال لؤم . قال الشاعر :

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا ... من كان يألفهم فى المنزل الخشن

وأوصى بعض السلف ابنه فقال : يابنى لا تصحب من الناس إلا من إذا افتقرت إليه قرب منك وإن استغنيت عنه لم يطمع فيك وإن علت مرتبته لم يرتفع عليك . وقال بعض الحكماء : إذا ولى أخوك ولاية فثبت على نصف مودته لك فهو كثير . وحكى الربيع : أن الشافعى رحمه الله آخى رجلا ببغداد ثم إن أخاه ولى السيبين فتغير له عما كان عليه ، فكتب إليه الشافعى بهذه الأبيات :

اذهب فودك من فؤادى طالق ... أبدا وليس طلاق ذات البين
فإن ارعويت فإنها تطليقة ... ويدوم ودك لى على ثنتين
وإن امتنعت شفعتها بمثالها ... فتكون تطليقين فى حيضين
وإذا الثلاث أتتك منى بتة ... لم تغن عنك ولاية السيبين

---

(١) حديث « سبعة يظلهم الله فى ظله ... الحديث » تقدم غير مرة .

(٢) حديث « إكرامه صلى الله عليه وسلم لعجوز دخلت عليه وقوله لها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان » أخرجه الحاكم من حديث عائشة وقال صحيح على شرط الشيخين وليس له علة .

واعلم أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الحق فى أمر يتعلق بالدين بل الوفاء له المخالفة ، فقد كان الشافعى رضى الله عنه آخى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول ما يقيمنى بمصر غيره ؛ فاعتل محمد فعاده الشافعى رحمه الله تعالى فقال :

مرض الحبيب فعدته فمرضت من حذرى عليه
وأتى الحبيب يعودنى فبرئت من نظرى إليه

وظن الناس لصدق مودتهما أنه يفوض أمر حلقته إليه بعد وفاته ، فقيل للشافعى فى علته التى مات فيها رضى الله تعالى عنه : إلى من نجلس بعدك ياأبا عبدالله ؟ فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند رأسه ليومئ إليه ؛ فقال الشافعى : سبحان الله أيشك فى هذا أبو يعقوب البويطى ؟ فانكسر لها محمد ومال أصحابه إلى البويطى مع أن محمدا كان قد حمل عنه مذهبه كله ، لكن كان البويطى أفضل وأقرب إلى الزهد والورع . فنصح الشافعى لله وللمسلمين وترك المداهنة ولم يؤثر رضا الخلق على رضا الله تعالى . فلما توفى انقلب محمد بن عبد الحكم عن مذهبه ورجع إلى مذهب أبيه ودرس كتب مالك رحمه الله ، وهو من كبار أصحاب مالك رحمه الله . وآثر البويطى الزهد والخمول ولم يعجبه الجمع والجلوس فى الحلقة واشتغل بالعبادة وصنف « كتاب الأم » الذى ينسب الآن إلى الربيع بن سليمان ويعرف به ، وإنما صنفه البويطى ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه إلى نفسه ، فزاد الربيع فيه وتصرف وأظهره . والمقصود أن الوفاء بالمحبة من تمامها النصح لله . قال الأحنف : الإخاء جوهرة رقيقة إن لم تحرسها كانت معرضة للآفات فاحرسها بالكظم حتى تعتذر إلى من ظلمك وبالرضا حتى لاتستكثر من نفسك الفضل ولا من أخيك التقصير . ومن آثار الصدق والإخلاص وتمام الوفاء أن تكون شديد الجزع من المفارقة ، نفور الطبع عن أسبابها كما قيل :

وجدت مصيبات الزمان جميعها سوى فرقة الأحباب هينة الخطب

وأنشد ابن عيينة هذا البيت وقال : لقد عهدت أقواما فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما يخيل إلى أن حسرتهم ذهبت من قلبى . ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه لاسيما من يظهر أولا أنه محب لصديقه ـ كيلا يتهم ـ ثم يلقى الكلام عرضا وينقل عن الصديق ما يوغر القلب فذلك من دقائق الحيل فى التضريب ومن لم يحترز منه لم تدم مودته أصلا . قال واحد لحكيم : قد جئت خاطبا لمودتك ، قال : إن جعلت مهرها ثلاثا فعلت ، قال : وما هى ؟ قال : لاتسمع على بلاغة ولا تخالفنى فى أمر ولا توطئنى عشوة . ومن الوفاء أن لا يصادق عدو صديقه . قال الشافعى رحمه الله : إذا أطاع صديقك عدوك فقد اشتركا فى عداوتك .

الحق الثامن : التخفيف وترك التكلف والتكليف

وذلك بأن لا يكلف أخاه مايشق عليه بل يروح سره من مهماته وحاجاته ويرفهه عن أن يحمله شيئا من أعبائه ، فلا يستمد منه من جاه ومال ولا يكلفه التواضع له والتفقد لأحواله والقيام بحقوقه بل لايقصد بمحبته إلا الله تعالى تبركا بدعائه واستئناسا بلقائه واستعانة به على دينه وتقربا إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه وتحمل مؤنته . قال بعضهم : من اقتضى من إخوانه ما لا يقضونه فقد ظلمهم ، ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه فقد أتعبهم ، ومن لم يقتض فهو المتفضل عليهم . وقال بعض الحكماء : من جعل نفسه عند الإخوان فوق قدره أثم وأثموا ، ومن جعل نفسه فى قدره تعب وأتعبهم ، ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا وتمام التخفيف بطى بساط التكليف

حتى لا يستحى منه فيما لا يستحى من نفسه . وقال الجنيد : ماتواخى اثنان فى الله فاستوحش أحدهما من صاحبه أو احتشم إلا لعلة فى أحدهما . وقال على عليه السلام : شر الأصدقاء من تكلف لك ومن أحوجك إلى مداراة وألجأك إلى اعتذار . وقال الفضيل : إنما تقاطع الناس بالتكلف يزور أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه . وقالت عائشة رضى الله عنها : المؤمن أخو المؤمن لايغتنمه ولايحتشمه . وقال الجنيد : صحبت أربع طبقات من هذه الطائفة ـ كل طبقة ثلاثون رجلا ـ حارثا المحاسبي وطبقته ، وحسنا المسوحى وطبقته ، وسريا السقطى وطبقته ، وابن الكريبى وطبقته ، فما تواخى اثنان فى الله واحتشم أحدهما من صاحبه أو استوحش إلا لعلة فى أحدهما . وقيل لبعضهم : من نصحب ؟ قال : من يرفع عنك ثقل التكلف وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ . وكان جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنهما يقول : أثقل إخوانى على من يتكلف لى وأتحفظ منه ، وأخفهم على قلبى من أكون معه كما أكون وحدى . وقال بعض الصوفية : لا تعاشر من الناس إلا من لاتزيد عنده ببر ولا تنقص عنده بإثم يكون ذلك لك وعليك وأنت عنده سواء ، وإنما قال هذا لأنّ به يتخلص عن التكلف والتحفظ . وإلا فالطبع يحمله على أن يتحفظ منه إذا علم أنّ ذلك ينقصه عنده . وقال بعضهم : كن مع أبناء الدنيا بالأدب ومع أبناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت ! وقال آخر : لا تصحب إلا من يتوب عنك إذا أذنبت ويعتذر إليك إذا أسأت ويحمل مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه . وقائل هذا قد ضيق طريق الأخوة على الناس وليس الأمر كذلك بل ينبغى أن يواخى كل متدين عاقل ويعزم على أن يقوم بهذه الشرائط ولا يكلف غيره هذه الشروط حتى تكثر إخوانه ، إذ به يكون مواخيا فى الله وإلا كانت مواخاته لحظوظ نفسه فقط . ولذلك قال رجل للجنيد : قد عز الإخوان فى هذا الزمان أين أخ لى فى الله ؟ فأعرض الجنيد حتى أعاده ثلاثا ، فلما أكثر قال له الجنيد : إن أردت أخا يكفيك مؤنتك ويتحمل أذاك فهذا لعمرى قليل ، وإن أردت أخا فى الله تحمل أنت مؤنته وتصبر على أذاه فعندى جماعة أعرفهم لك . فسكت الرجل . واعلم أن الناس ثلاثة : رجل تنتفع بصحبته ، ورجل تقدر على أن تنفعه ولاتتضرر به ولكن لاتنتفع به . ورجل لاتقدر أيضا على أن تنفعه وتتضرر به وهو الأحمق أو السيء الخلق فهذا الثالث ينبغى أن تتجنبه ، فأما الثانى فلاتجتنبه لأنك تنتفع فى الآخرة بشفاعته وبدعائه وبثوابك على القيام به ، وقد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : إن أطعتنى فما أكثر إخوانك أى إن واسيتهم واحتملت منهم ولم تحسدهم . وقد قال بعضهم : صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بينى وبينهم خلاف فإنى كنت معهم على نفسى ومن كانت هذه شيمته كثر إخوانه . ومن التخفيف وترك التكلف أن لا يعترض فى نوافل العبادات . كان طائفة من الصوفية يصطحبون على شرط المساواة بين أربع معان : إن أكل أحدهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم ، وإن صام الدهر كله لم يقل له أفطر ، وإن نام الليل كله لم يقل له قم ؟ وإن صلى الليل كله لم يقل له : نم ، وتستوى حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان لأنّ ذلك إن تفاوت حرّك الطبع إلى الرياء والتحفظ لامحالة . وقد قيل : من سقطت كلفته دامت ألفته من خفت مؤنته دامت مودته . وقال بعض الصحابة : إنّ الله لعن المتكلفين وقال صلى الله عليه وسلم « أنا والأتقياء من أمتى برآء من التكلف [1] » وقال بعضهم : إذا عمل الرجل فى بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به [2] إذا أكل عنده ، ودخل الخلاء ، وصلى . ونام . فذكر ذلك لبعض المشايخ فقال : بقيت خامسة وهو أن يحضر مع الأهل فى بيت أخيه ويجامعها ، لأنّ البيت يتخذ للاستخفاء فى الأمور الخمس ،

---

(١) حديث « أنا وأمتى برآء من التكلف » أخرجه الدارقطنى فى الافراد من حديث الزبير بن العوام « ألا انى برىء من التكلف وصالحو أمتى » واسناده ضعيف (٢) حديث « إذا صنع الرجل فى بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به » الحديث لم أجد له أصلا .

وإلا فالمساجد أروح لقلوب المتعبدين ، فإذا فعل هذه الخمس فقد تم الإخاء وارتفعت الحشمة وتأكد الانبساط . وقول العرب فى تسليمهم يشير إلى ذلك ، إذ يقول أحدهم لصاحبه : مرحبا وأهلا وسهلا ، أى لك عندنا مرحب وهو السعة فى القلب والمكان ، ولك عندنا أهل تأنس بهم بلا وحشة لك منا ، ولك عندنا سهولة فى ذلك كله ، أى لايشتد علينا شيء مما تريد . ولايتم التخفيف وترك التكلف إلا بأن يرى نفسه دون إخوانه ويحسن الظن بهم ويسيء الظن بنفسه فإذا رآهم خيرا من نفسه فعند ذلك يكون هو خيرا منهم وقال أبو معاوية الأسود : إخوانى كلهم خير منى ، قيل وكيف ذلك ؟ قال : كلهم يرى لى الفضل عليه ومن فضلنى على نفسه فهو خير منى وقد قال صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله ولا خير فى صحبة من لايرى لك مثل ماترى له [1] » فهذه أقل الدرجات وهو النظر بعين المساواة والكمال فى رؤية الفضل للأخ . ولذلك قال سفيان : إذا قيل لك ياشر الناس فغضبت فأنت شر الناس أى ينبغى أن تكون معتقدا ذلك فى نفسك أبدا . وسيأتى وجه ذلك فى كتاب الكبر والعجب . وقد قيل فى معنى التواضع ورؤية الفضل للإخوان أبيات :

تذلل لمن إن تذللت له ... يرى ذاك للفضل لا للبله
وجانب صداقة من لا يرا ... ل على الأصدقاء يرى الفضل له

وقال آخر :

كم صديق عرفته بصديق ... صار أحظى من الصديق العتيق
ورفيق رأيته فى طريق ... صار عندى هو الصديق الحقيق

ومهما رأى الفضل لنفسه فقد احتقر أخاه وهذا فى عموم المسلمين مذموم . قال صلى الله عليه وسلم « بحسب المؤمن من الشر أن يحقر أخاه المسلم [2] » ومن تتمة الانبساط وترك التكلف أن يشاور إخوانه فى كل مايقصده ويقبل إشاراتهم فقد قال تعالى ﴿ وشاورهم فى الأمر ﴾ وينبغى أن لا يخفى عنهم شيئا من أسراره كما روى أن يعقوب ابن أخى معروف قال : جاء أسود بن سالم إلى عمى معروف وكان مواخيا له فقال : إن بشر بن الحرث يحب مؤاخاتك وهو يستحى أن يشافهك بذلك وقد أرسلنى إليك يسألك أن تعقد له فيما بينك وبينه أخوة يحتسبها ويعتد بها إلا أنه يشترط فيها شروطا : لايجب أن يشتهر بذلك ولايكون بينك وبينه مزاورة ولاملاقاة فإنه يكره كثرة الالتقاء ، فقال معروف : أما أنا لو آخيت أحدا لم أحب مفارقته ليلا ولانهارا ولزرته فى كل وقت وآثرته على نفسى فى كل حال ، ثم ذكر من فضل الأخوة والحب فى الله أحاديث كثيرة ، ثم قال فيها . وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فشاركه فى العلم [3] وقاسمه فى البدن [4] وأنكحه أفضل بناته وأحبهن إليه وخصه بذلك لمؤاخاته [5] وأنا

---

(١) حديث « المرء على دين خليله ولاخير فى صحبة من لايرى لك مثل ماترى له » تقدم الشطر الأول منه فى الباب قبله وأما الشطر الثانى فرواه ابن عدى فى الكامل من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث « بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة وتقدم فى أثناء حديث « لاتدابروا » فى هذا الباب

(٣) حديث « آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وشاركه فى العلم » أخرجه النسائى فى الخصائص من سننه الكبرى من حديث على قال « جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب ... الحديث » وفيه « فأيكم يبايعنى على أن يكون أخى وصاحبى ووارثى فلم يقم إليه أحد فقمت إليه » وفيه « حتى إذا كان فى الثالثة ضرب بيده على يدى » وله وللحاكم من حديث ابن عباس « أن عليا كان يقول فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم والله إنى لأخوه ووليه ووارث علمه ... الحديث » وكل ماورد فى أخوته فضعيف لايصح منه شيء وللترمذى من حديث ابن عمر « وأنت أخى فى الدنيا والآخرة » وللحاكم من حديث ابن عباس « أنا مدينة العلم وعلى بابها » وقال صحيح الإسناد وقال ابن حبان لاأصل له وقال ابن طاهر إنه موضوع وللترمذى من حديث على « أنا دار الحكمة وعلى بابها » وقال غريب (٤) حديث « مقاسمته عليا للبدن » أخرجه مسلم فى حديث جابر الطويل « ثم أعطى عليا فنحر ماغبر وأشركه فى هديه » (٥) حديث « أنه أنكح عليا أفضل بناته وأحبهن إليه » هذا معلوم مشهور فى الصحيحين من حديث على « لما أردت أن أبتنى بفاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم واعدت رجلا صواغا ... الحديث » وللحاكم من حديث =

أشهدك أنى قد عقدت له أخوة بينى وبينه وعقدت إخاءه فى الله لرسالتك ولمسألته على أن لايزورنى إن كره ذلك ولكنى أزوره متى أحببت ، ومره أن يلقانى فى مواضع نلتقى بها ، ومره أن لايخفى على شيئا من شأنه وأن يطلعنى على جميع أحواله ، فأخبر ابن سالم بشرا بذلك فرضى وسر به . فهذا جامع حقوق الصحبة وقد أجملناه مرة وفصلناه أخرى ، ولايتم ذلك إلا بأن تكون على نفسك للإخوان ولا تكون لنفسك عليهم وأن تنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتقيد بحقوقهم جميع جوارحك .

أما البصر فبأن تنظر إليهم نظر مودة يعرفونها منك وتنظر إلى محاسنهم وتتعامى عن عيوبهم ولاتصرف بصرك عنهم فى وقت إقبالهم عليك وكلامهم معك . روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يعطى كل من جلس إليه نصيبا من وجهه وما استصغاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مسألته وتوجهه للجالس إليه (١) وكان مجلسه مجلس حياء وتواضع وأمانة ، وكان عليه السلام أكثر الناس تبسما وضحكا فى وجوه أصحابه وتعجبا مما يحدثونه به ، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء منهم بفعله وتوقيرا له عليه السلام .

وأما السمع فبأن تسمع كلامه متلذذا بسماعه ومصدقا به ومظهرا للاستبشار به ولا تقطع حديثهم عليهم بمرادة ولا منازعة ومداخلة واعتراض فإن أرهقك عارض اعتذرت إليهم وتحرس سمعك عن سماع مايكرهون .

وأما اللسان فقد ذكرنا حقوقه فإن القول فيه يطول ومن ذلك أن لايرفع صوته عليهم ولا يخاطبهم إلا بما يفقهون .

وأما اليدان فأن لايقبضهما عن معاونتهم فى كل ما يتعاطى باليد .

وأما الرجلان فأن يمشى بهما وراءهم مشى الأتباع لا مشى المتبوعين ولا يتقدمهم إلا بقدر مايقدمونه ولايقرب منهم إلا بقدر مايقربونه ويقوم لهم إذا أقبلوا ولا يقعد إلا بقعودهم ويقعد متواضعا حيث يقعد . ومهما تم الاتحاد خف حمله من هذه الحقوق مثل القيام والاعتذار والثناء فإنها من حقوق الصحبة وفى ضمنها نوع من الأجنبية والتكلف فإذا تم الاتحاد انطوى بساط التكلف بالكلية فلا يسلك به إلا مسلك نفسه لأن هذه الآداب الظاهرة عنوان آداب الباطن وصفاء القلب . ومهما صفت القلوب استغنى عن تكلف إظهار مافيها ، ومن كان نظره إلى صحبة الخلق فتارة يعوج وتارة يستقيم ، ومن كان نظره إلى الخالق لزم الاستقامة ظاهرا وباطنا وزين باطنه بالحب لله ولخلقه وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة لعباده فإنها أعلى أنواع الخدمة لله إذ لا وصول إليها إلا بحسن الخلق ، ويدرك العبد بحسن خلقه درجة القائم الصائم وزيادة .

= أم أيمن « زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة عليا ... الحديث » وقال صحيح الاسناد وفى الصحيحين من حديث عائشة عن فاطمة « يافاطمة أما ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين ... الحديث » (١) حديث « كان يعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه ... الحديث » أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث على فى أثناء حديث فيه « يعطى كل جلسائه نصيبه لايحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه ممن جالسه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول » ثم قال « مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة » وفيه « يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه » وللترمذى من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء « مارأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم » وقال غريب .

خاتمة لهذا الباب

نذكر فيها جملة آداب العشرة والمجالسة مع أصناف الخلق

ملتقطة من كلام بعض الحكماء

إن أردت حسن العشرة فالق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم ، وتوقير من غير كبر ، وتواضع فى غير مذلة . وكن فى جميع أمورك فى أوسطها فكلا طرفى قصد الأمور ذميم . ولا تنظر فى عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات وإذا جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك أصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وتخليل أسنانك وإدخال أصبعك فى أنفك وكثرة بصاقك وتنخمك وطرد الذباب من وجهك وكثرة التمطى والتثاؤب فى وجوه الناس وفى الصلاة وغيرها ، وليكن مجلسك هاديا وحديثك منظوما مرتبا واصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك من غير إظهار تعجب مفرط ولا تسأله إعادته ، واسكت عن المضاحك والحكايات ولا تحدث عن إعجابك بولدك ولا جاريتك ولا شعرك ولا تصنيفك وسائر مايخصك ، ولاتتصنع تصنع المرأة فى التزين ولاتتبذل تبذل العبد وتوق كثرة الكحل والإسراف فى الدهن ، ولا تلح فى الحاجات ولا تشجع أحدا على الظلم ولاتعلم أهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فإنهم إن رأوه قليلا هنت عندهم وإن كان كثيرا لم تبلغ قط رضاهم ، وخوفهم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف ولا تهازل أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك ، وإذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر فى حجتك ولا تكثر الإشارة بيديك ولا تكثر الالتفات إلى من وراءك ولا تحث على ركبتيك ، وإذا هدأ غيظك فتكلم وإن قربك سلطان فكن منه على مثل حد السنان فإن استرسل إليك فلا تأمن انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبى وكلمه بما يشتهيه مالم يكن معصية ، ولا يحملنك لطفه بك أن تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه وإن كنت لذلك مستحقا عنده فإن سقطة الداخل بين الملك وبين أهله سقطة لاتنعش وزلة لاتقال ، وإياك وصديق العافية فإنه أعدى الأعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرضك ، وإذا دخلت مجلسا فالأدب فيه البداية بالتسليم وترك التخطى لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث يكون أقرب إلى التواضع ، وأن تحيى بالسلام من قرب منك عند الجلوس .

ولا تجلس على الطريق ، فإن جلست فأدبه غض البصر ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف وعون الضعيف وإرشاد الضال ورد السلام وإعطاء السائل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والارتياد لموضع البصاق ، ولا تبصق فى جهة القبلة ولا عن يمينك ولكن عن يسارك وتحت قدمك اليسرى .

ولا تجالس الملوك ، فإن فعلت فأدبه ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الألفاظ والإعراب فى الخطاب ، والمذاكرة بأخلاق الملوك وقلة المداعبة وكثرة الحذر منهم - وإن ظهرت لك المودة - وأن لاتتجشأ بحضرتهم ولا تتخلل بعد الأكل عنده ، وعلى الملك أن يحتمل كل شىء إلا إفشاء السر والقدح فى الملك والتعرض للحرم .

ولا تجالس العامة ، فإن فعلت فأدبه ترك الخوض فى حديثهم وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم والتغافل عما يجرى من سوء ألفاظهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة إليهم . وإياك أن تمازح لبيبا أو غير لبيب فإن اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترئ عليك لأن المزاح يخرق الهيبة ويسقط ماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الود ويشين فقه الفقيه ويجرئ

السفيه ويسقط المنزلة عند الحكيم ويمقته المتقون ، وهو يميت القلب ويباعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة ويورث الذلة وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر وبه تكثر العيوب وتبين الذنوب . وقد قيل : لايكون المزاح إلا من سخف أو بطر . ومن بلى فى مجلس بمزاح أو لغط فليذكر الله عند قيامه قال النبى صلى الله عليه وسلم « من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك . إلا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك [1] » .

الباب الثالث : فى حق المسلم والرحم والجوار والملك
وكيفية المعاشرة مع من يدلى بهذه الأسباب

اعلم أن الإنسان إما أن يكون وحده أو مع غيره وإذا تعذر عيش الإنسان إلا بمخالطة من هو من جنسه لم يكن له بد من تعلم آداب المخالطة . وكل مخالط فنى مخالطته أدب والأدب على قدر حقه وحقه على قدر رابطته التى بها وقعت المخالطة . والرابطة إما القرابة وهى أخصها أو أخوة الإسلام وهى أعمها ، وينطوى فى معنى الأخوة الصداقة والصحبة ، وإما الجوار ، وإما صحبة السفر والمكتب والدرس ، وإما الصداقة أو الأخوة .

ولكل واحد من هذه الروابط درجات . فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم المحرم آكد ، وللمحرم حق ولكن حق الوالدين آكد . وكذلك حق الجار ولكن يختلف بحسب قربه من الدار وبعده ، ويظهر التفاوت عند النسبة حتى إن البلدى فى بلاد الغربة يجرى مجرى القريب فى الوطن لاختصاصه بحق الجوار فى البلد . وكذلك حق المسلم يتأكد بتأكد المعرفة . وللمعارف درجات فليس حق الذى عرف بالمشاهدة كحق الذى عرف بالسماع بل آكد منه والمعرفة بعد وقوعها تتأكد بالاختلاط . وكذلك الصحبة تتفاوت درجاتها فحق الصحبة فى الدرس والمكتب آكد من حق صحبة السفر . وكذلك الصداقة تتفاوت فإنها إذا قويت صارت أخوة فإن ازدادت صارت محبة فإن ازدادت صارت خلة ، والخليل أقرب من الحبيب ؛ فالمحبة ما تتمكن من حبة القلب والخلة ما تتخلل سر القلب ؛ فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلا ، وتفاوت درجات الصداقة لا يخفى بحكم المشاهدة والتجربة فأما كون الخلة فوق الأخوة فمعناه أن لفظ الخلة عبارة عن حالة هى أتم من الأخوة وتعرفه من قوله صلى الله عليه وسلم « لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله [2] » إذ الخليل هو الذى يتخلل الحب جميع أجزاء قلبه ظاهرا وباطنا ويستوعبه ولم يستوعب قلبه عليه السلام سوى حب الله وقد منعته الخلة عن الاشتراك فيه مع أنه اتخذ عليا رضى الله عنه أخا فقال « على منى بمنزلة هرون من موسى إلا النبوة [3] » فعدل بعلى عن النبوة كما عدل بأبى بكر عن الخلة ، فشارك أبو بكر عليا رضى الله عنهما فى الأخوة وزاد عليه بمقاربة الخلة وأهليته لها لو كان للشركة فى الخلة مجال ، فإنه نبه عليه بقوله « لاتخذت أبا بكر خليلا » وكان صلى الله عليه وسلم حبيب الله وخليله ، وقد روى أنه صعد المنبر يوما مستبشرا فرحا فقال « إن الله قد اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ، فأنا حبيب الله وأنا خليل الله تعالى [4] » فإذن ليس قبل

---

(١) حديث « من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك .. الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة وصححه .

الباب الثالث : فى حقوق المسلم والرحم والجوار

(٢) حديث « لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدرى

(٣) حديث « على منى بمنزلة هارون من موسى الا النبوة » متفق عليه من حديث سعد بن أبى وقاص .

(٤) حديث « ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ... » أخرجه الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف دون قوله « فأنا حبيب الله وأنا خليل الله »

المعرفة رابطة ولابعد الخلة درجة ، وماسواهما من الدرجات بينهما . وقد ذكرنا حق الصحبة والأخوة ويدخل فيهما ماوراءهما من المحبة والخلة ، وإنما تتفاوت الرتب فى تلك الحقوق كما سبق بحسب تفاوت المحبة والأخوة ، حتى ينتهى أقصاها إلى أن يوجب الإيثار بالنفس والمال ، كما آثر أبو بكر رضى الله عنه نبينا صلى الله عليه وسلم ، وكما آثره طلحة ببدنه إذ جعل نفسه وقاية لشخصه العزيز صلى الله عليه وسلم ، فنحن الآن نريد أن نذكر حق أخوة الإسلام وحق الرحم وحق الوالدين ، وحق الجوار ، وحق الملك ـ أعنى ملك اليمين ـ فإن ملك النكاح قد ذكرنا حقوقه فى كتاب آداب النكاح .

حقوق المسلم

هى : أن تسلم عليه إذا لقيته ، وتجيبه إذا دعاك ، وتشمته إذا عطس ، وتعوده إذا مرض ، وتشهد جنازته إذا مات ، وتبر قسمه إذا أقسم عليك ، وتنصح له إذا استنصحك ، وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنك ، وتحب له ماتحب لنفسك وتكره له ماتكره لنفسك[1] ورد جميع ذلك فى أخبار وآثار . وقد روى أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « أربع من حق المسلمين عليك : أن تعين محسنهم ، وأن تستغفر لمذنبهم ، وأن تدعو لمدبرهم وأن تحب تائبهم [2] » وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى معنى قوله تعالى ﴿رحماء بينهم﴾ قال . يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم ، فإذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال : اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به ، وإذا نظر الصالح إلى الطالح قال : اللهم أهده وتب عليه واغفر له عثرته . ومنها أن يحب للمؤمنين مايحب لنفسه ويكره لهم مايكره لنفسه قال النعمان بن بشير : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالحمى والسهر [3] » وروى أبو موسى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا [4] » ومنها أن لايؤذى أحدا من المسلمين بفعل ولاقول ؟ قال صلى الله عليه وسلم « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده[5] » وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل يأمر فيه بالفضائل « فإن لم تقدر فدع الناس من الشر فإنها صدقة تصدقت بها على نفسك[6] » وقال أيضا « أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده [7] » وقال صلى الله عليه وسلم أتدرون من المسلم ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده . قالوا : فمن المؤمن ؟ قال : من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم ، قالوا : فمن المهاجر ؟ قال : من هجر السوء واجتنبه [8] » وقال رجل يارسول الله ماالإسلام

الأخبار الواردة فى حقوق المسلم على المسلم

(١) هو أن يسلم عليه إذا لقيه فذكر عشر خصال . أخرجه الشيخان من حديث أبى هريرة « حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض . واتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس » وفى رواية لمسلم « حق المسلم على المسلم ست : إذا لقيته تسلم عليه » وزاد « وإذا استنصحك فانصح له » وللترمذى وابن ماجه من حديث على « للمسلم على المسلم ست » فذكر منها « ويحب له ما يحب لنفسه » وقال « وينصح له إذا غاب أو شهد » ولأحمد من حديث معاذ « وأن تحب للناس ماتحب لنفسك وتكره لهم ماتكره لنفسك » وفى الصحيحين من حديث البراء : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع فذكر منها « وإبرار القسم ونصر المظلوم » (٢) حديث أنس « أربع من حقوق المسلمين عليك : أن تعين محسنهم ، وأن تستغفر لمذنبهم ، وأن تدعو لمدبرهم وأن تحب تائبهم » ذكره صاحب الفردوس ولم أجد له إسنادا (٣) حديث النعمان بن بشير « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد ... الحديث » متفق عليه (٤) حديث أبى موسى « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » متفق عليه

(٥) حديث « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو

(٦) حديث « فإن لم تقدر فدع الناس من الشر فإنها صدقة تصدق بها على نفسك » متفق عليه من حديث أبى ذر

(٧) حديث « أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده » متفق عليه من حديث أبى موسى (٨) حديث « أتدرون من المسلم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم قال « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » أخرجه الطبرانى والحاكم وصححه من حديث فضالة بن عبيد « ألا أخبركم بالمؤمن ؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمجاهد من =

قال : أن يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك ، وقال مجاهد : يسلط على أهل النار الجرب فيحتكون حتى يبدو عظم أحدهم من جلده، فينادى: يافلان : هل يؤذيك هذا ؟فيقول : نعم ، فيقول : هذا بما كنت تؤذى المؤمنين . وقال صلى الله عليه وسلم « لقد رأيت رجلا يتقلب فى الجنة فى شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين[1] » وقال أبو هريرة رضى الله عنه ؟ « يارسول الله ، علمنى شيئا أنتفع به . قال : اعزل الأذى عن طريق المسلمين[2] » وقال صلى الله عليه وسلم « من زحزح عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له به حسنة ، ومن كتب الله له حسنة أوجب له بها الجنة[3] » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يحل لمسلم أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه » و قال « لا يحل لمسلم أن يروع مسلما[4] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يكره أذى المؤمنين[5] » وقال الربيع ابن خثيم : الناس رجلان ، مؤمن فلا تؤذه ، وجاهل فلا تجاهله . ومنها أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه ، فإن الله لا يحب كل مختال فخور . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا حتى لايفخر أحد على أحد[6] » ثم إن تفاخر عليه غيره فليحتمل ، قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ وعن ابن أبى أوفى « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتواضع لكل مسلم ولا يأنف ولا يتكبر أن يمشى مع الأرملة والمسكين فيقضى حاجته[7] » ومنها أن لايسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم مايسمع من بعض . قال صلى الله عليه وسلم « لايدخل الجنة قتات[8] » وقال الخليل بن أحمد : من نم لك نم عليك ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك . ومنها أن لايزيد فى الهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام مهما غضب عليه . قال أبو أيوب الأنصارى : قال صلى الله عليه وسلم « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام[9] » وقد قال صلى الله عليه وسلم من أقال مسلما عثرته أقاله الله يوم القيامة[10] » قال عكرمة قال الله تعالى ليوسف بن يعقوب ، بعفوك عن إخوانك رفعت ذكرك فى الدارين . قالت عائشة رضى الله عنها « ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله[11] » وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ماعفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزا . وقال

= جاهد نفسه فى طاعة الله ، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب » ورواه ابن ماجه مقتصرا على « المؤمن والمهاجر » وللحاكم من حديث أنس وقال : على شرط مسلم ، والمهاجر من هجر السوء ؛ ولأحمد بإسناد صحيح من حديث عمر بن عبسة : قال رجل يارسول الله ما الاسلام ؟ قال « أن تسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك » (١) حديث « لقد رأيت رجلا فى الجنة يتقلب فى شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة (٢) حديث أبى هريرة : يارسول الله، علمنى شيئا أنتفع به ، قال « اعزل الأذى عن طريق المسلمين » أخرجه مسلم من حديث أبي برزة قال : قلت يانبي الله ... فذكره

(٣) حديث « من زحزح عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له بها حسنة ، ومن كتب له بها حسنة أوجب له بها الجنة » رواه أحمد من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف (٤) حديث « لايحل لمسلم أن ينظر إلى أخيه بنظر يؤذيه » أخرجه ابن المبارك فى الزهد من رواية حمزة بن عبيد مرسلا بسند ضعيف ، وفى البر والصلة له من زيادات الحسين المروزى حمزة بن عبد الله بن أبى سمى وهو الصواب (٥) حديث « إن الله تعالى يكره أذى المؤمنين » أخرجه ابن المبارك فى الزهد من رواية عكرمة بن خالد مرسلا بإسناد جيد (٦) حديث « إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لايفخر أحد على أحد » أخرجه أبو داود وابن ماجه واللفظ له من حديث عياض بن حماز ورجاله رجال الصحيح (٧) حديث ابن أبى أوفى : كان لايأنف ولايستكبر أن يمشى مع الأرملة والمسكين فيقضى حاجته ، أخرجه النسائي بإسناد صحيح ، والحاكم وقال : على شرط الشيخين .

(٨) حديث « لايدخل الجنة قتات » متفق عليه من حديث أبى أيوب (٩) « لايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ... الحديث » متفق عليه (١٠) حديث « من أقال مسلما عثرته أقاله الله يوم القيامة » أخرجه أبو داود والحاكم ، وقد تقدم

(١١) حديث عائشة : ماانتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط ، إلا أن تصاب حرمة الله فينتقم لله . متفق عليه بلفظ : إلا أن تنتهك .

صلى الله عليه وسلم « مانقص مال من صدقة ومازاد الله رجلا بعفو إلا عزا ومامن أحد تواضع لله إلا رفعه الله[١] » ومنها أن يحسن إلى كل من قدر عليه منهم ما استطاع لايميز بين الأهل وغير الأهل . روى على بن الحسين على أبيه عن جده رضى الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اصنع المعروف فى أهله وفى غير أهله فإن أصبت أهله فهو أهله وإن لم تصب أهله فأنت من أهله[٢] » وعنه بإسناده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس واصطناع المعروف إلى كل بر وفاجر[٣] » قال أبو هريرة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايأخذ أحد بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذى يرسلها ولم تكن ترى ركبته خارجة عن ركبة جليسه ولم يكن أحد يكلمه إلا أقبل عليه بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه[٤] » ومنها أن لايدخل على أحد منهم إلا بإذنه بل يستأذن ثلاثا فإن لم يؤذن له انصرف . قال أبو هريرة رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الاستئذان ثلاث فالأولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون[٥] » ومنها أن يخالق الجميع بخلق حسن ويعاملهم بحسب طريقته فإنه إن أراد لقاء الجاهل بالعلم والأمى بالفقه والعي بالبيان آذى وتأذى . ومنها أن يوقر المشايخ ويرحم الصبيان . قال جابر رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا[٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « من إجلال الله إكرام ذى الشيبة المسلم[٧] » ومن تمام توقير المشايخ أن لا يتكلم بين أيديهم إلا بالإذن ، وقال جابر « قدم وفد جهينة على النبي صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم فقال صلى الله عليه وسلم : مه فأين الكبير[٨] ؟ » وفى الخبر « ماوقر شاب شيخا إلا قيض الله له فى سنه من يوقره[٩] » وهذه بشارة بدوام الحياة فليتنبه لها فلايوفق لتوقير المشايخ إلا من قضى الله له بطول العمر ، وقال صلى الله عليه وسلم « لاتقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا وتفيض اللئام فيضا وتغيض الكرام غيضا ويجترئ الصغير على الكبير واللئيم على الكريم[١٠] » « والتلطف بالصبيان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم[١١] » . « كان صلى الله عليه وسلم يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يأمر بهم فيرفعون إليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه

---

(١) حديث « مانقص مال من صدقة ، وما زاد الله رجلا بعفو إلا عزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة (٢) حديث على بن الحسين عن أبيه عن جده « اصنع المعروف إلى أهله ، فإن لم تصب أهله فأنت أهله » ذكره الدارقطنى فى العلل وهو ضعيف ، ورواه القضاعى فى مسند الشهاب من رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرسلا بسند ضعيف (٣) حديث على بن الحسين عن أبيه عن جده « رأس العقل بعد الإيمان التودد إلى الناس واصطناع المعروف إلى كل بر وفاجر » أخرجه الطبرانى فى الأوسط ، والخطابى فى تاريخ الطالبيين ، وعند أبو نعيم فى الحلية دون قوله « واصطناع ... إلى آخره » وقال الطبرانى « التحبب » (٤) حديث أبى هريرة : كان لايأخذ أحد بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذى يرسلها ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن . ولأبى داود والترمذى وابن ماجه نحوه من حديث أنس بسند ضعيف

(٥) حديث أبى هريرة « الاستئذان ثلاث ؛ فالأولى يستنصتون ، والثانية يستصلحون ، والثالثة يأذنون أو يردون » أخرجه الدارقطنى فى الأفراد بسند ضعيف . وفى الصحيحين من حديث أبي موسى « الاستئذان ثلاث ؛ فإن أذن لك وإلا فارجع .

(٦) حديث جابر « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا » رواه الطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف ، وهو عند أبى داود ، والبخارى فى الأدب من حديث عبد الله بن عمرو بسند حسن (٧) حديث « من اجلال الله إكرام ذى الشيبة المسلم » أخرجه أبو داود من حديث أبي موسى الأشعرى بإسناد حسن (٨) حديث جابر : قدم وفد جهينة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقام غلام ليتكلم ، فقال صلى الله عليه وسلم « مه فأين الكبير؟ » أخرجه الحاكم وصححه (٩) حديث « ماوقر شاب شيخا لسنه إلا قيض الله له فى سنه من يوقره » أخرجه الترمذى من حديث أنس بلفظ « ما أكرم ، ومن يكرمه » وقال حديث غريب . وفى بعض النسخ حسن ، وفيه أبو الرجال وهو ضعيف (١٠) حديث « لاتقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا ... الحديث » رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث عائشة والطبرانى من حديث ابن مسعود . ولإسنادهما ضعيف (١١) حديث التلطف بالصبيان أخرجه البزار من حديث أنس : كان من أفكه الناس مع صبى ، وقد تقدم فى النكاح . وفى الصحيحين « ياأبا عمير مافعل النغير » وغير ذلك

ويأمر أصحابه أن يحملوا بعضهم [١] ، فربما تفاخر الصبيان بعد ذلك فيقول بعضهم لبعض : حملني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه وحملك أنت وراءه ، ويقول بعضهم : أمر أصحابه أن يحملوك وراءهم ، وكان يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة وليسميه فيأخذه فيضعه في حجره فربما بال الصبي فيصيح به بعض من يراه فيقول : لاتزرموا الصبي بوله فيدعه حتى يقضي بوله ثم يفرغ من دعائه له وتسميته ويبلغ سرور أهله فيه لئلا يروا أنه تأذى ببوله فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعده [٢] ، ومنها أن يكون مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه رفيقا . قال صلى الله عليه وسلم ، أتدرون على من حرمت النار ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال . على اللين الهين السهل القريب [٣] ، وقال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن الله يحب السهل الطلق الوجه [٤] ، وقال بعضهم ، يارسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة ، فقال : إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام [٥] ، وقال عبد الله بن عمر : إن البر شيء هين ؛ وجه طليق وكلام لين وقال صلى الله عليه وسلم ، اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة [٦] ، وقال صلى الله عليه وسلم ، إن في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها ؛ فقال أعرابي : لمن هي يارسول الله ؟ قال لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام [٧] ، وقال معاذ بن جبل : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح [٨] ، وقال أنس رضي الله عنه ، عرضت لنبي الله صلى الله عليه وسلم امرأة وقالت : لي معك حاجة ؛ وكان معه ناس من أصحابه ، فقال : اجلسي في أي نواحي السكك شئت أجلس إليك ، ففعلت فجلس إليها حتى قضت حاجتها [٩] ، وقال وهب بن منبه : إن رجلا من بني إسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل سبعة أيام ، فسأل الله تعالى أنه يريه كيف يغوي الشيطان الناس ؟ فلما طال عليه ذلك ولم يجب قال : لو اطلعت على خطيئتي وذنبي

---

(١) حديث : كان يقدم من السفر فتتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يأمر بهم فيرفعون إليه ... الحديث . رواه مسلم من حديث عبد الله بن جعفر : كان إذا قدم من سفر تلقي بنا . قال : فتلقي بي وبالحسن ، وقال : فحمل أحدنا بين يديه والآخر خلفه وفي رواية : تلقي بصبيان أهل بيته وأنه قدم من سفر فسبق بي إليه فحملني بين يديه ثم جيء بأحد ابني فاطمة فأردفه خلفه . وفي الصحيحين أن عبد الله بن جعفر قال لابن الزبير : أتذكر إذ تلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأنت وابن عباس ؟ قال : نعم حملنا وتركك ، لفظ مسلم . وقال البخاري : ان ابن الزبير قال لابن جعفر ، فالله أعلم (٢) حديث : كان يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة ويسميه فيأخذه ويضعه في حجره فربما بال الصبي فيصيح به بعض من رآه .. الحديث رواه مسلم من حديث عائشة كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم فأتي بصبي فبال عليه فدعا بماء فأتبعه بوله ولم يغسله . وأصله متفق عليه . وفي رواية لأحمد : فيدعو لهم ، وفيه ، صبوا عليه الماء صبا وللدارقطني : بال ابن الزبير على النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه أخذا عنيفا ... الحديث ، وفيه الحجاج بن أرطاة ضعيف ولأحمد بن منيع من حديث حسن بن علي عن امرأة منهم : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا على ظهره يلاعب صبيا اذ بال ، فقامت لتأخذه وتضربه فقال : « دعيه ، ائتوني بكوز من ماء ... الحديث » واسناده صحيح

(٣) حديث « أتدرون على من حرمت النار ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال على الهين اللين السهل القريب » أخرجه الترمذي من حديث ابن مسعود ولم يقل « اللين » وذكرها الخرائطي من رواية محمد بن أبي معيقيب عن أمه قال الترمذي حسن غريب

(٤) حديث أبي هريرة « ان الله يحب السهل الطلق » أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بسند ضعيف ورواه من رواية مورق العجلي مرسلا (٥) حديث « ان من واجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام » أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه والطبراني والخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له والبيهقي في شعب الإيمان من حديث هانئ بن يزيد بإسناد جيد (٦) حديث « اتقوا النار ولو بشق تمرة ... الحديث » متفق عليه من حديث عدي بن حاتم وتقدم في الزكاة (٧) حديث « ان في الجنة غرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها ... الحديث » أخرجه الترمذي من حديث علي وقال حديث غريب . قلت وهو ضعيف

(٨) حديث « معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث » أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق والبيهقي في كتاب الزهد وأبو نعيم في الحلية ولم يقل البيهقي « وخفض الجناح » واسناده ضعيف (٩) حديث أنس « عرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وقالت لي معك حاجة فقال اجلسي في أي نواحي السكك شئت أجلس اليك ... الحديث » رواه مسلم

بيني وبين ربي لكان خيرا لي من هذا الأمر الذي طلبته ، فأرسل الله إليه ملكا فقال له : إن الله أرسلني إليك وهو يقول لك : إن كلامك هذا الذي تكلمت به أحب إلي مما مضى من عبادتك ، وقد فتح الله بصرك فانظر ، فنظر فإذا جنود إبليس قد أحاطت بالأرض وإذا ليس أحد من الناس إلا والشياطين حوله كالذئاب فقال : أي رب من ينجو من هذا ؟ قال : الورع اللين . ومنها أن لا يعد مسلما بوعد إلا ويفي به قال صلى الله عليه وسلم « العدة عطية [1] » وقال « العدة دين [2] » وقال « ثلاث في المنافق : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان [3] » وقال « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى [4] » وذكر ذلك ومنها أن ينصف الناس من نفسه ولا يأتي إليهم إلا بما يحب أن يؤتى إليه قال صلى الله عليه وسلم « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال : الإنفاق من الإقتار والإنصاف من نفسه وبذل السلام [5] » وقال عليه السلام « من سره أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وليؤت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه [6] » وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا الدرداء أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما [7] » قال الحسن : أوحى الله تعالى إلى آدم صلى الله عليه وسلم بأربع خصال وقال : فيهن جماع الأمر لك ولولدك ، واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الخلق ، فأما التي لي : تعبدني ولا تشرك بي شيئا ، وأما التي لك : فعملك أجزيك به أفقر ما تكون إليه ، وأما التي بيني وبينك : فعليك الدعاء وعلي الإجابة ، وأما التي بينك وبين الناس فتصحبهم بالذي تحب أن يصحبوك به وسأل موسى عليه السلام الله تعالى فقال : أي رب أي عبادك أعدل ؟ قال من أنصف من نفسه . ومنها أن يزيد في توقير من تدل هيئته وثيابه على علو منزلته فينزل الناس منازلهم . روي أن عائشة رضي الله عنها كانت في سفر فنزلت منزلا فوضعت طعامها ، فجاء سائل فقالت عائشة : ناولوا هذا المسكين قرصا ، ثم مر رجل على دابة فقالت : ادعوه إلى الطعام . فقيل لها : تعطين المسكين وتدعين هذا الغني ؟ فقالت : إن الله تعالى أنزل الناس منازل لابد لنا من أن ننزلهم تلك المنازل ، هذا المسكين يرضى بقرص وقبيح بنا أن نعطي هذا الغني على هذه الهيئة قرصا . وروي أنه صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوته فدخل عليه أصحابه حتى غص المجلس وامتلأ ؛ فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد مكانا فقعد على الباب فلف رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه فألقاه إليه وقال له : اجلس على هذا فأخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكي ، ثم لفه ورمى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : ما كنت لأجلس على ثوبك ؛ أكرمك الله كما أكرمتني ، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا ثم قال « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه [8] » وكذلك كل من له عليه حق قديم

---

(١) حديث « العدة عطية » أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث قباث بن أشيم بسند ضعيف (٢) حديث « العدة دين » رواه الطبراني في معجميه الأوسط والأصغر من حديث علي وابن مسعود بسند فيه جهالة ورواه أبو داود في المراسيل

(٣) حديث « ثلاث في المنافق : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان » متفق عليه من حديث أبي هريرة نحوه

(٤) حديث « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى » رواه البخاري من حديث أبي هريرة وأصله متفق عليه ولفظ مسلم « وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم » وهذا ليس في البخاري

(٥) حديث « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال : الإنفاق من الإقتار والإنصاف من نفسه وبذل السلام » أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عمار بن ياسر ووقفه البخاري عليه (٦) حديث « من سره أن يزحزح عن النار فلتأته منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه » أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص نحوه والخرائطي في مكارم الأخلاق بلفظه (٧) حديث « يا أبا الدرداء أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما » أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف والمعروف أنه قاله لأبي هريرة وقد تقدم (٨) حديث « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » وفي أوله قصة في قدوم جرير بن عبد الله أخرجه الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وتقدم في الزكاة مختصرا .

فليكرمه . روى أن ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أرضعته جاءت إليه فبسط لها رداءه ثم قال لها مرحبا بأمى ثم أجلسها على الرداء ثم قال لها اشفعى تشفعى وسلى تعطى فقالت : قومى فقال : أما حق وحق بنى هاشم فهو ذلك ؛ فقام الناس من كل ناحية وقالوا : وحقنا يارسول الله . ثم وصلها بعد وأخدمها ووهب لها سهمانه بحنين [١] » فبيع ذلك من عثمان بن عفان رضى الله عنه بمائة ألف درهم » ولربما أتاه من يأتيه وهو على وسادة جالس ولا يكون فيها سعة يجلس معه فينزعها ويضعها تحت الذى يجلس إليه فإن أبى عزم عليه حتى يفعل [٢] » ومنها أن يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد إليه سبيلا . قال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة ؟ قالوا : بلى قال : إصلاح ذات البين وفساد ذات البين هى الحالقة [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصدقة إصلاح ذات البين [٤] » وعن النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه أنس رضى الله عنه قال « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر رضى الله عنه : يارسول الله بأبى أنت وأمى ماالذى أضحكك ؟ قال : رجلان من أمتى جثيا بين يدى رب العزة فقال أحدهما : يارب خذلى مظلمتى من هذا ، فقال الله تعالى : رد على أخيك مظلمته . فقال : يارب لم يبق لى من حسناتى شىء ، فقال الله تعالى للطالب : كيف تصنع بأخيك ولم يبق له من حسناته شىء ؟ فقال : يارب فليحمل عنى من أوزارى . ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء فقال : إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس فيه إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال : فيقول الله تعالى ـ أى للمتظلم ـ ارفع بصرك فانظر فى الجنان فقال : يارب أرى مدائن من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لأى نبى هذا أو لأى صديق أو لأى شهيد ؟ قال الله تعالى : هذا لمن أعطى الثمن قال : يارب ومن يملك ذلك ؟ قال : أنت تملكه ، قال : بماذا يارب ؟ قال : بعفوك عن أخيك ، قال : يارب قد عفوت عنه ، فيقول الله تعالى : خذ بيد أخيك فأدخله الجنة . ثم قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة [٥] » وقد قال صلى الله عليه وسلم « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا [٦] » وهذا يدل على وجوب الإصلاح بين الناس لأن ترك الكذب واجب ولا يسقط الواجب إلا بواجب آكد منه قال صلى الله عليه وسلم « كل الكذب مكتوب إلا أن يكذب الرجل فى الحرب [٧] » . فإن الحرب خدعة أو يكذب بين اثنين فيصلح بينهما أو يكذب لامرأته ليرضيها » ومنها أن يستر عورات المسلمين كلهم قال صلى الله عليه وسلم « من ستر على مسلم ستره الله

---

(١) حديث « لما ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أرضعته جاءت إليه فبسط لها رداءه .. الحديث » أخرجه أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبى الطفيل مختصرا فى بسط ردائه لها دون ما بعده

(٢) حديث « نزعه صلى الله عليه وسلم وسادته ووضعها تحت الذى يجلس إليه » أخرجه أحمد من حديث ابن عمرو « أنه دخل عليه صلى الله عليه وسلم فألقى إليه وسادة من أدم حشوها ليف ... الحديث » وإسناده صحيح وللطبرانى من حديث سلمان « دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكئ على وسادة فألقاه إلى .. الحديث » وسنده ضعيف قال صاحب الميزان هذا خبر ساقط

(٣) حديث « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال إصلاح ذات البين ، وفساد ذات البين هى الحالقة » رواه أبو داود والترمذى وصححه من حديث أبى الدرداء (٤) حديث « أفضل الصدقة إصلاح ذات البين » أخرجه الطبرانى فى الكبير والخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو وفيه عبد الرحمن بن زياد الإفريقى ضعفه الجمهور .

(٥) حديث أنس « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر يارسول الله بأبى وأمى ما الذى أضحكك ؟ قال رجلان من أمتى جثيا بين يدى الله عزوجل فقال أحدهما يارب خذ لى مظلمتى من هذا ... الحديث » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق والحاكم وقال صحيح الإسناد وكذا أبو يعلى الموصلى خرجه بطول وضعفه البخارى وابن حبان

(٦) حديث « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نمى خيرا » متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط

(٧) حديث « كل الكذب مكتوب إلا أن يكذب الرجل فى الحرب ... الحديث » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث النواس بن سمعان وفيه انقطاع وضعف ولمسلم نحوه من حديث أم كلثوم بنت عقبة .

تعالى فى الدنيا والآخرة [١] » وقال « لايستر عبد عبدا إلا ستره الله يوم القيامة [٢] » وقال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم « لايرى المؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم لماعز لما أخبره « لو سترته بثوبك كان خيرا لك [٤] » فإذن على المسلم أن يستر عورة نفسه لحق إسلامه واجب عليه كحق إسلام غيره . قال أبو بكر رضى الله عنه : لو وجدت شاربا لأحببت أن يستره الله ولو وجدت سارقا لأحببت أن يستره الله . وروى أن عمر رضى الله عنه كان يعس بالمدينة ذات ليلة فرأى رجلا وامرأة على فاحشة فلما أصبح قال للناس : أرأيتم لو أن إماما رأى رجلا وامرأة على فاحشة فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين ؟ قالوا : إنما أنت إمام ، فقال على رضى الله عنه : ليس ذلك لك ، إذاً يقام عليك الحد إن الله لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهود ، ثم تركهم ماشاء الله أن يتركهم ثم سألهم ، فقال القوم مقالتهم الأولى ، فقال على رضى الله عنه : مثل مقالته الأولى . وهذا يشير إلى أن عمر رضى الله عنه كان مترددا فى أن الوالى هل له أن يقضى بعلمه فى حدود الله ؟ فلذلك راجعهم فى معرض التقدير لا فى معرض الإخبار خيفة من أن لا يكون له ذلك فيكون قاذفا بإخباره ، ومال رأى على إلى أنه ليس له ذلك . وهذا من أعظم الأدلة على طلب الشرع لستر الفواحش فإن أفحشها الزنا ، وقد نيط بأربعة من العدول ـ يشاهدون ذلك منه فى ذلك منها كالمرود فى المكحلة ـ وهذا قط لا يتفق . وإن علمه القاضى تحقيقا لم يكن له أن يكشف عنه . فانظر إلى الحكمة فى حسم باب الفاحشة بإيجاب الرجم الذى هو أعظم العقوبات . ثم انظر إلى كشيف ستر الله كيف أسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق فى كشفه ؟ فنرجو أن لا نحرم هذا الكرم يوم تبلى السرائر : فى الحديث « إن الله إذا ستر على عبد عورته فى الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها فى الآخرة وإن كشفها فى الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها مرة أخرى [٥] » وعن عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه قال : خرجت مع عمر رضى الله عنه ليلة فى المدينة فبينما نحن نمشى إذ ظهر لنا سراج فانطلقنا نؤمه فلما دنونا منه إذا باب مغلق على قوم لهم أصوات ولغط فأخذ عمر بيدى وقال : أتدرى بيت من هذا ؟ قلت : لا ، فقال : هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شرب فما ترى ؟ قلت : أرى أنا قد أتينا مانهانا الله عنه قال الله تعالى ﴿ ولا تجسسوا ﴾ فرجع عمر رضى الله عنه وتركهم وهذا يدل على وجوب الستر وترك التتبع وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاوية « إنك إن تتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم [٦] » وقال صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم « يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان فى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو كان فى جوف بيته [٧] » وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : لو رأيت أحدا على حد من حدود الله تعالى

---

(١) حديث « من ستر على مسلم ستره الله فى الدنيا والآخرة » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة وللشيخين من حديث ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة (٢) حديث « لايستر عبد عبدا إلا ستره الله يوم القيامة » رواه مسلم من حديث أبى هريرة أيضا

(٣) حديث أبى سعيد الخدرى « لايرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة » رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير والخرائطى فى مكارم الأخلاق واللفظ له بسند ضعيف (٤) حديث « لو سترته بثوبك كان خيرا لك » رواه أبو داود والنسائى من حديث نعيم بن هزال والحاكم من حديث هزال نفسه وقال صحيح الإسناد ونعيم مختلف فى صحبته (٥) حديث « إن الله إذا ستر على عبده عورة فى الدنيا فهو أكرم من أن يكشفه فى الآخرة .. الحديث » أخرجه الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث على « من أذنب ذنبا فى الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من أن يرجع فى شىء قد عفا عنه ومن أذنب ذنبا فى الدنيا فعوقب عليه فالله أعدل من أن يثنى العقوبة على عبده » لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ولمسلم من حديث أبى هريرة « لاستر الله على عبد فى الدنيا إلا ستره يوم القيامة » (٦) حديث « إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم » قاله لمعاوية أخرجه أبو داود بإسناد صحيح من حديث معاوية (٧) حديث « يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ... الحديث » أخرجه أبو داود من حديث أبى برزة بإسناد جيد وللترمذى من حديث ابن عمر وحسنه .

ماأخذته ولا دعوت له أحدا حتى يكون معى غيرى . وقال بعضهم : كنت قاعدا مع عبدالله بن مسعود رضى الله عنه إذ جاءه رجل بآخر ، فقال : هذا نشوان ، فقال عبدالله بن مسعود : استنكهوه فاستنكهوه فوجده نشوانا فحبسه حتى ذهب سكره ، ثم دعا بسوط فكسر ثمره ثم قال للجلاد : اجلد وارفع يدك وأعط كل عضو حقه لجلده وعليه قباء أومرط : فلما فرغ قال للذى جاء به : ماأنت منه ؟ قال : عمه ، قال عبدالله : ماأدبت فأحسنت الأدب ولاسترت الحرمة ! إنه ينبغى للإمام إذا انتهى إليه حدّ أن يقيمه وإن الله عفو يحب العفو ثم قرأ ﴿وليعفوا وليصفحوا﴾ ثم قال « إنى لأذكر أوّل رجل قطعه النبى صلى الله عليه وسلم أتى بسارق فقطعه فكأنما أسف وجهه ، فقالوا : يارسول الله كأنك كرهت قطعه ، فقال : ومايمنعنى ! لاتكونوا عونا للشياطين على أخيكم ؟ فقالوا : ألاعفوت عنه ؟ فقال : إنه ينبغى للسلطان إذا انتهى إليه حدّ أن يقيمه إن الله عفو يحب العفو وقرأ ﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾ [1] » وفى رواية فكأنما سفى فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم رماد لشدّة تغيره وروى أنّ عمر رضى الله عنه كان يعس بالمدينة من الليل فسمع صوت رجل فى بيت يتغنى فتسوّر عليه فوجده عنده امرأة وعنده خمر ، فقال : يا عدوّ الله أظننت أن الله يسترك وأنت على معصيته ؟ فقال : وأنت يا أمير المؤمنين فلا تعجل فإن كنت قد عصيت الله واحدة فقد عصيت الله فى ثلاثا قال الله تعالى ﴿ولا تجسسوا﴾ وقد تجسست وقال الله تعالى ﴿وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها﴾ وقد تسوّرت على وقد قال الله تعالى ﴿لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم﴾ الآية وقد دخلت بيتى بغير إذن ولا سلام ، فقال عمر رضى الله عنه . هل عندك من خير إن عفوت عنك ؟ قال نعم والله ياأمير المؤمنين لئن عفوت عنى لاأعود إلى مثلها أبدا فعفا عنه وخرج وتركه . وقال رجل لعبدالله بن عمر . يا أباعبد الرحمن كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى يوم القيامة ؟ قال سمعته يقول « إنّ الله ليدنى منه المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول : أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول : نعم يارب ، حتى إذا قرره بذنوبه فرأى فى نفسه أنه قد هلك قال له : ياعبدى إنى لم أسترها عليك فى الدنيا إلا وأنا أريد أن أغفرها لك اليوم ، فيعطى كتاب حسناته . وأما الكافرون والمنافقون ﴿فتقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين﴾ [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « كل أمتى معافى إلا المجاهرين [3] » وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل السوء سرا ثم يخبر به وقال صلى الله عليه وسلم « من استمع خبر قوم وهو له كارهون صب فى أذنه الآنك يوم القيامة [4] » ومنها أن يتقى مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولألسنتهم عن الغيبة فإنهم إذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكا قال الله تعالى ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « كيف ترون من يسب أبويه فقالوا : وهل من أحد يسب أبويه ؟ فقال : نعم يسب أبوى غيره فيسبون أبويه [5] » وقد روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه « أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم إحدى نسائه فمرّ به رجل فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يافلان هذه زوجتى صفية » فقال :

---

(١) حديث ابن مسعود « انى لأذكر أول رجل قطعه النبى صلى الله عليه وسلم أتى بسارق فقطعه فكأنما أسف وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث » رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد والخرائطى فى مكارم الأخلاق : فكأنما سفى فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم رماد .. الحديث (٢) حديث ابن عمر « إن الله عز وجل ليدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول أتعرف ذنب كذا .. الحديث عليه (٣) حديث « كل أمتى معافى إلا المجاهرين ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة (٤) حديث « من استمع من قوم وهم له كارهون صب فى أذنيه الآنك يوم القيامة » رواه البخارى من حديث ابن عباس مرفوعا وموقوفا عليه وعلى أبى هريرة أيضاً . (٥) حديث « كيف ترون من سب أبويه فقالوا وهل من أحد يسب أبويه ... الحديث » متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو نحوه .

يارسول الله من كنت أظن فيه فإنى لم أكن أظن فيك ، فقال : إنّ الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم[١] ، وزاد فى رواية « إنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئا وكانا رجلين فقال : على رسلكما إنها صفية[٢] ... الحديث» وكانت قد زارته فى العشر الأواخر من رمضان : وقال عمر رضى الله عنه : من أقام نفسه مقام التهم فلا يلومن من أساء به الظن . ومر برجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فعلاه بالدرة فقال : ياأمير المؤمنين ، إنها امرأتى فقال : هلا حيث لايراك أحد من الناس ؟ ومنها أن يشفع لكل من له حاجة من المسلمين إلى من له عنده منزلة ويسعى فى قضاء حاجته بما يقدر عليه قال صلى الله عليه وسلم « إنى أوتى وأسأل وتطلب إلى الحاجة وأنتم عندى فاشفعوا لتؤجروا ويقضى الله على يدى نبيه ما أحب[٣] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشفعوا إلى لتؤجروا إنى أريد الأمر وأؤخره كى تشفعوا إلى فتؤجروا » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن صدقة أفضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك؟ قال : الشفاعة يحقن بها الدم وتجر بها المنفعة إلى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر[٤] » وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كأنى انظر إليه خلفها وهو يبكى ودموعه تسيل على لحيته ، فقال صلى الله عليه وسلم للعباس « ألا تعجب من شدّة حب مغيث لبريرة وشدة بغضها له ! فقال النبى صلى الله عليه وسلم . لو راجعته فإنه أبو ولدك ، فقالت : يارسول الله أتأمرنى فافعل ؟ فقال . لا إنما أنا شافع[٥] » ومنها أن يبدأ كل مسلم منهم بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند السلام قال صلى الله عليه وسلم « من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه حتى يبدأ بالسلام[٦] » وقال بعضهم : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم أستأذن فقال النبى صلى الله عليه وسلم « ارجع فقل السلام عليكم أأدخل[٧] » وروى جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فإن الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته[٨] » وقال أنس رضى الله عنه خدمت النبى صلى الله عليه وسلم ثمان حجج فقال لى « يا أنس أسبغ الوضوء يزد فى عمرك وسلم على من لقيته من أمتى تكثر حسناتك وإذا دخلت منزلك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك[٩] » وقال أنس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا التقى المؤمنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسع وستون لأحسنهما بشرا » وقال تعالى ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ﴾ وقال عليه السلام « والذى نفسى بيده لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولاتؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على عمل إذا عملتموه تحاببتم ؟ قالوا . بلى يارسول الله ،

---

(١) حديث أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم لحدى نسائه فمر به رجل فدعاه فقال يافلان هذه زوجتى فلانة ... الحديث » وفيه « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم » رواه مسلم (٢) حديث « إنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شرا وقال على رسلكما إنها صفية » متفق عليه من حديث صفية (٣) حديث « إنى أوتى وأسأل وتطلب إلى الحاجه وأنتم عندى فاشفعوا لتؤجروا ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى موسى نحوه (٤) حديث « مامن صدقة أفضل من صدقة اللسان .. الحديث » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق واللفظ له فى الكبير من حديث سمرة بن جندب ضعيف (٥) حديث عكرمة عن ابن عباس « أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كانى أنظر إليه خلفها يبكى ... الحديث » رواه البخارى (٦) حديث « من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه الحديث أخرجه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى اليوم والليلة واللفظ له من حديث ابن عمر بسند فيه لين

(٧) حديث : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم أستأذن فقال صلى الله عليه وسلم « ارجع فقل السلام عليكم أأدخل » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه من حديث كلدة بن الحنبل وهو صاحب القصة (٨) حديث جابر « إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فإن الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق وفيه ضعف .

(٩) حديث أنس : خدمت النبى صلى الله عليه وسلم ثمانى حجج فقال لى « ياأنس أسبغ الوضوء يزد فى عمرك وسلم على من لقيته من أمتى تكثر حسناتك وإذا دخلت بيتك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق واللفظ له والبيهقى فى الشعب واسناده ضعيف والترمذى وصححه « اذا دخلت على أهلك فسلم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك »

قال : أفشوا السلام بينكم [١] » وقال أيضا « إذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة [٢] وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم ولا يسلم عليه [٣] » وقال عليه السلام « يسلم الراكب على الماشي وإذا سلم من القوم واحد أجزأ عنهم [٤] » وقال قتادة : كانت تحية من كان قبلكم السجود فأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام وهي تحية أهل الجنة . وكان أبو مسلم الخولاني يمر على قوم فلا يسلم عليهم ويقول : ما يمنعني إلا أني أخشى أن لا يردوا فتلعنهم الملائكة . والمصافحة أيضا سنة مع السلام وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليكم ، فقال عليه السلام : عشر حسنات ، فجاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله فقال عشرون حسنة ، فجاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فقال : ثلاثون [٥] » وكان أنس رضي الله عنه يمر على الصبيان فيسلم عليهم [٦] ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فعل ذلك . وروى عبد الحميد ابن بهرام : أنه صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من الناس قعود فأومأ بيده بالسلام ، وأشار عبد الحميد بيده إلى الحكاية [٧] . فقال عليه السلام « لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه [٨] » وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تصافحوا أهل الذمة ولا تبدءوهم بالسلام فإذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيق الطرق » .

قالت عائشة رضي الله عنها : إنّ رهطا من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : السام عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم « عليكم » قالت عائشة رضي الله عنها : فقلت بل عليكم السام واللعنة فقال عليه السلام « يا عائشة إن الله يحب الرفق في كل شيء » قالت عائشة : ألم تسمع ما قالوا ؟ قال « فقد قلت عليكم [٩] » وقال عليه السلام « يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير [١٠] » وقال عليه السلام « لا تشبهوا باليهود والنصارى فإن تسليم اليهود بالإشارة بالأصابع وتسليم النصارى بالإشارة بالأكف [١١] » قال أبو عيسى إسناده ضعيف .

وقال عليه السلام « إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فإن بدا له أن يجلس فليجلس ، ثم إذا قام فليسلم فليست

---

(١) حديث « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث « إذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة » ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي هريرة ولم يسنده ولده في المسند (٣) حديث : الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم فلا يسلم عليه . لم أقف له على أصل

(٤) حديث « يسلم الراكب على الماشي وإذا سلم من القوم أحد أجزأ عنهم » رواه مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم مرسلا ولأبي داود من حديث علي « يجزي عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزي عن الجلوس أن يرد أحدهم » وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة « يسلم الراكب على الماشي ... الحديث » وسيأتي في بقية الباب (٥) حديث : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال سلام عليك فقال صلى الله عليه وسلم « عشر حسنات ... الحديث » أخرجه أبو داود والترمذي من حديث عمران ابن حصين قال الترمذي حسن غريب وقال البيهقي في الشعب اسناده حسن (٦) حديث أنس : كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم ورفعه متفق عليه (٧) حديث عبد الحميد بن بهرام : أنه صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من الناس قعود فأومأ بيده بالتسليم وأشار عبد الحميد بيده أخرجه الترمذي من رواية عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وقال حسن وابن ماجه من رواية ابن أبي حسين عن شهر ورواه أبو داود وقال أحمد لا بأس به (٨) حديث « لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام ... الحديث » رواه مسلم من حديث أبي هريرة

(٩) حديث عائشة : إن رهطا من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : السام عليك ... الحديث » متفق عليه (١٠) حديث « يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير » متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يقل مسلم « والصغير على الكبير » (١١) حديث « لا تشبهوا باليهود والنصارى فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع وتسليم النصارى الإشارة بالأكف » أخرجه الترمذي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال إسناده ضعيف

الأولى بأحق من الأخيرة [١] » وقال أنس رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا التقى المؤمنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسعة وستون لأحسنهما بشرا [٢] » وقال عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إذا التقى المسلمان وسلم كل واحد منهما على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادئ تسعون وللمصافح عشرة [٣] » وقال الحسن : المصافحة تزيد في الود . وقال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تمام تحياتكم المصافحة [٤] » وقال عليه السلام « قبلة المسلم أخاه المصافحة [٥] » ولا بأس بقبلة يد المعظم في الدين تبركا به وتوقيرا له . وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قبلنا يد النبي صلى الله عليه وسلم [٦] » وعن كعب بن مالك قال : لما نزلت توبتي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقبلت يده [٧] » وروى أن أعرابيا قال : يارسول الله ائذن لي فأقبل رأسك ويدك قال : فأذن له ففعل [٨] وأتى أبو عبيدة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فصافحه وقبل يده وتنحيا يبكيان وعن البراء بن عازب رضي الله عنه : أنه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه فرد عليه ومد يده إليه فصافحه فقال : يارسول الله ما كنت أرى هذا إلا من أخلاق الأعاجم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المسلمين إذا التقيا فتصافحا تحاتت ذنوبهما [٩] » وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم السلام وإن لم يردوا عليه رد عليه ملأ خير منهم وأطيب - أو قال وأفضل - [١٠] » والانحناء عند السلام منهي عنه قال أنس رضي الله عنه : قلنا يارسول الله أينحني بعضنا لبعض ؟ قال « لا » قال : فيقبل بعضنا بعضا ؟ قال « لا » قال : فيصافح بعضنا بعضا ؟ قال « نعم [١١] » والالتزام والتقبيل قد ورد به الخبر عند القدوم من السفر [١٢] وقال أبو ذر رضي الله عنه : مالقيته صلى الله عليه وسلم إلا صافحني ، وطلبني يوما فلم أكن في البيت فلما أخبرت جئت وهو على سرير فالتزمني فكانت أجود وأجود [١٣] .

---

(١) حديث « إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فان بدا له أن يجلس فليجلس ، ثم اذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الأخيرة » أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة (٢) حديث أنس « اذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما سبعون رحمة .. الحديث » أخرجه الخرائطي بسند ضعيف والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة « مائة رحمة تسعة وتسعون لأبشهما وأطلقهما وأبرهما وأحسنهما مسألة لأخيه » وفيه الحسن بن كثير بن يحيى بن أبي كثير مجهول (٣) حديث عمر بن الخطاب « اذا التقى المسلمان فسلم كل واحد على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة ... الحديث » أخرجه البزار في مسنده والخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له والبيهقي في الشعب وفي إسناده نظر (٤) حديث أبي هريرة « تمام تحياتكم بينكم المصافحة » أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق وهو عند الترمذي من حديث أبي أمامة وضعفه (٥) حديث « قبلة المسلم أخاه المصافحة » أخرجه الخرائطي وابن عدي من حديث أنس وقال غير محفوظ (٦) حديث ابن عمر : قبلنا يد رسول الله صلى الله عليه وسلم » أخرجه أبو داود بسند حسن (٧) حديث كعب بن مالك : « لما نزلت توبتي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقبلت يده » أخرجه أبو بكر بن المقرئ في كتاب الرخصة في تقبيل اليد . بسند ضعيف (٨) حديث : أن أعرابيا قال يارسول الله ائذن لي فأقبل رأسك ويدك فأذن له ففعل أخرجه الحاكم من حديث بريدة إلا أنه قال « رجليك » موضع « يدك » وقال صحيح الإسناد .

(٩) حديث البراء بن عازب : أنه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه ومد يده إليه فصافحه ... الحديث . رواه الخرائطي بسند ضعيف وهو عند أبي داود والترمذي وابن ماجه مختصرا « مامن مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا » قال الترمذي حسن غريب من حديث أبي إسحق عن البراء (١٠) حديث « إذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم السلام وان لم يردوا عليه رد عليه ملأ خير منهم وأطيب » أخرجه الخرائطي والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود مرفوعا وضعف البيهقي المرفوع ورواه موقوفا عليه بسند صحيح

(١١) حديث أنس : قلنا يارسول الله أينحني بعضنا لبعض ؟ قال « لا » الحديث . أخرجه الترمذي وحسنه وابن ماجه وضعفه أحمد والبيهقي (١٢) حديث : « الالتزام والتقبيل عند القدوم من السفر » أخرجه الترمذي من حديث عائشة قالت : قدم زيد بن حارثة ... الحديث » وفيه « فاعتنقه وقبله » وقال حسن غريب (١٣) حديث أبي ذر : مالقيته صلى الله عليه وسلم إلا صافحني .. الحديث . أخرجه أبو داود وفيه رجل من عزة لم يسم وسماه البيهقي في الشعب عبد الله

والأخذ بالركاب فى توقير العلماء ورد به الأثر فعل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت [١] وأخذ عمر بغرز زيد حتى رفعه وقال : هكذا فافعلوا بزيد وأصحاب زيد .

والقيام مكروه على سبيل الإعظام لا على سبيل الإكرام قال أنس : ما كان شخص أحب إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك [٢] وروى أنه عليه السلام قال مرة « إذا رأيتمونى فلا تقوموا كما تصنع الأعاجم [٣] » وقال عليه السلام « من سره أن يمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار [٤] » وقال عليه السلام « لايقم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا [٥] » وكانوا يحترزون عن ذلك لهذا النهى . وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أخذ القوم مجالسهم فإن دعا أحد أخاه فأوسع له فليأته فإنما هى كرامة أكرمه بها أخوه فإن لم يوسع له فلينظر إلى أوسع مكان يجده فيجلس فيه [٦] » وروى أنه سلم رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبول فلم يجب [٧] فيكره السلام على من يقضى حاجته ، ويكره أن يقول ابتداء : عليك السلام ، فإنه قاله رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام « إن عليك السلام تحية الموتى » قالها ثلاثا ، ثم قال « إذا لقى أحدكم أخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله [٨] » ويستحب للداخل إذا سلم ولم يجد مجلسا أن لا ينصرف بل يقعد وراء الصف . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فوجد فرجة فجلس فيها وأما الثانى فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهبا ، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا أخبركم عن النفر الثلاثة . أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله ، وأما الثانى فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه [٩] » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا [١٠] » وسلمت أم هانئ على النبى صلى الله عليه وسلم فقال « من هذه ؟ » فقيل له : أم هانئ فقال عليه السلام « مرحبا بأم هانئ [١١] » .

ومنها أن يصون عرض أخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر ويرد عنه ويناضل دونه وينصره فإن ذلك يجب عليه بمقتضى أخوة الإسلام . روى أبو الدرداء : أن رجلا نال من رجل عند رسول الله صلى عليه

---

(١) حديث : أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت . تقدم فى العلم

(٢) حديث أنس : ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك . أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح . (٣) حديث « إذا رأيتموني فلا تقوموا كما يصنع الأعاجم » أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث أبى أمامة وقال « كما يقوم الأعاجم » وفيه أبو العديس مجهول (٤) حديث: من سره أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار » أخرجه أبو داود والترمذى من حديث معاوية وقال حسن

(٥) حديث « لايقم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا » متفق عليه من حديث ابن عمر

(٦) حديث « إذا أخذ القوم مجالسهم فان دعا رجل أخاه فأوسع — يعنى له — فليجلس فانه كرامة من الله عز وجل ... الحديث » أخرجه البغوى فى معجم الصحابة من حديث ابن شيبة ورجاله ثقات وابن شيبة هذا ذكره أبو موسى المدينى فى ذيله فى الصحابة وقد رواه الطبرانى فى الكبير من رواية مصعب بن شيبة عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم أخصر منه ، وشيبة بن جبير والد منصور ليست له صحبة (٧) حديث . أن رجلا سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبول فلم يجب . أخرجه مسلم من حديث ابن عمر بلفظ : فلم يرد عليه (٨) حديث : قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليك السلام فقال « ان عليك السلام تحية الميت ... الحديث » أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى فى اليوم والليلة من حديث ابن جرى الهجيمى وهو صاحب القصة قال الترمذى حسن صحيح (٩) حديث : كان صلى الله عليه وسلم جالساً فى المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فوجد فرجة فجلس فيها . الحديث . متفق عليه من حديث أبى واقد الليثى

(١٠) حديث « مامن مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل أن يتفرقا » أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث البراء بن عازب (١١) حديث : سلمت أم هانئ عليه فقال « مرحباً بأم هانئ » أخرجه مسلم من حديث أم هانئ

عليه وسلم فرد عنه رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم « من رد عن عرض أخيه كان له حجابا من النار [١] » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة [٢] » وعن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من ذكر عنده أخوه المسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره أذله الله بها فى الدنيا والآخرة ومن ذكر عنده أخوه المسلم فنصره نصره الله تعالى فى الدنيا والآخرة [٣] » وقال عليه السلام « من حمى عن عرض أخيه المسلم فى الدنيا بعث الله تعالى له ملكا يحميه يوم القيامة من النار [٤] » وقال جابر وأبو طلحة : سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من امرئ مسلم ينصر مسلما فى موضع ينتهك فيه عرضه ويستحل حرمته إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصره وما من امرئ خذل مسلما فى موطن ينتهك فيه حرمته إلا خذله الله فى موضع يحب فيه نصرته [٥] » .

ومنها تشميت العاطس . قال عليه الصلاة والسلام فى العاطس « يقول . الحمد لله على كل حال ، ويقول الذى يشمته : يرحمكم الله ، ويرد عليه العاطس فيقول : يهديكم الله ويصلح بالكم [٦] » . وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا يقول « إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين ، فإذا قال ذلك فليقل من عنده : يرحمك الله فإذا قالوا ذلك فليقل : يغفر الله لى ولكم [٧] » وشمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاطسا ولم يشمت آخر فسأله عن ذلك فقال « إنه حمد الله وأنت سكت [٨] » وقال صلى الله عليه وسلم « يشمت العاطس المسلم إذا عطس ثلاثا فإن زاد فهو زكام [٩] » . وروى أنه شمت عاطسا ثلاثا فعطس أخرى فقال « إنك مزكوم [١٠] » وقال أبو هريرة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عطس غض صوته واستتر بثوبه أو يده [١١] . وروى : خمر وجهه . وقال أبو موسى الأشعرى : كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول « يهديكم الله [١٢] » . وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه : أن رجلا عطس خلف النبي صلى الله عليه وسلم فى الصلاة فقال : الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضى ربنا ويرضى والحمد لله على كل حال ،

---

(١) حديث أبى الدرداء « من رد عن عرض أخيه كان له حجابا من النار » أخرجه الترمذى وحسنه (٢) حديث « ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة » أخرجه أحمد من حديث أسماء بنت يزيد بنحوه والخرائطى فى مكارم الأخلاق وهو عند الطبرانى بهذا اللفظ من حديث أبى الدرداء وفيهما شهر بن حوشب

(٣) حديث أنس « من ذكر عنده أخوه المسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره ولو بكلمة أذله الله عز وجل بها فى الدنيا والآخرة ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت مقتصرا على ماذكر منه وإسناده ضعيف

(٤) حديث « من حمى عرض أخيه المسلم فى الدنيا بعث الله له ملكا يحميه يوم القيامة من النار » أخرجه أبو داود من حديث معاذ بن أنس نحوه بسند ضعيف (٥) حديث جابر وأبى طلحة « ما من امرئ ينصر مسلما فى موضع ينتهك فيه من عرضه ويستحل حرمته ... الحديث » أخرجه أبو داود مع تقديم وتأخير واختلف فى إسناده (٦) حديث « يقول العاطس الحمد لله على كل حال ويقول الذى يشمته يرحمك الله ويقول هو يهديكم الله ويصلح بالكم » أخرجه البخارى وأبو داود من حديث أبى هريرة ولم يقل البخارى « على كل حال » (٧) حديث ابن مسعود « إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين .. الحديث » أخرجه النسائى فى اليوم والليلة وقال حديث منكر ورواه أيضاً أبو داود والترمذى من حديث سالم بن عبد الله واختلف فى إسناده

(٨) حديث : شمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاطسا ولم يشمت آخر فسأله عن ذلك فقال « إنه حمد الله وأنت سكت » متفق عليه من حديث أنس (٩) حديث « شمتوا المسلم اذا عطس ثلاثا فان زاد فهو زكام » أخرجه أبو داود من حديث أبى هريرة « شمت أخاك ثلاثا ... الحديث » وإسناده جيد (١٠) حديث : أنه شمت عاطسا فعطس أخرى فقال « انك مزكوم » أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع (١١) حديث أبى هريرة : كان اذا عطس غض صوته وستر بثوبه أو يده . أخرجه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح وفى رواية لأبى نعيم فى اليوم والليلة « خمر وجهه وفاه » (١٢) حديث أبى موسى : كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول « يهديكم الله » أخرجه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح .

فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال « من صاحب الكلمات ؟ » فقال : أنا يارسول الله ماأردت بهن إلا خيرا ، فقال لقد رأيت اثنى عشر ملكا كلهم يبتدرونها أيهم يكتبها [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « من عطس عنده فسبق إلى الحمد لم يشتك خاصرته [2] » وقال عليه السلام « العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه ، فإذا قال : ها ها ، فإن الشيطان يضحك من جوفه [3] » وقال إبراهيم النخعى : إذا عطس فى قضاء الحاجة فلا بأس بأن يذكر الله . وقال الحسن : يحمد الله فى نفسه . وقال كعب : قال موسى عليه السلام يارب أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك ؟ فقال : أنا جليس من ذكرنى فقال : فإنا نكون على حال نجلك أن نذكرك عليها كالجنابة والغائط ، فقال : اذكرنى على كل حال .

ومنها أنه إذا بلى بذى شر فينبغى أن يتحمله ويتقيه قال بعضهم : خالص المؤمن مخالصة وخالق الفاجر مخالفة فإن الفاجر يرضى بالخلق الحسن فى الظاهر . وقال أبو الدرداء : إنا لنبش فى وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهى مع من يخاف شره قال الله تعالى ﴿ ادفع بالتى هى أحسن السيئة ﴾ قال ابن عباس فى معنى قوله ﴿ ويدرءون بالحسنة السيئة ﴾ أى الفحش والأذى بالسلام والمداراة . وقال فى قوله تعالى ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ﴾ قال بالرغبة والرهبة والحياء والمداراة . وقالت عائشة رضى الله عنها : استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو » فلما دخل ألان له القول حتى أن له عنده منزلة فلما خرج قلت له ، لما دخل قلت الذى قلت ، ثم ألنت له القول فقال « ياعائشة إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه [4] » وفى الخبر « ماوقى الرجل به عرضه فهو له صدقة [5] » .

وفى الأثر . خالطوا الناس بأعمالكم وزايلوهم بالقلوب . وقال محمد بن الحنفية رضى الله عنه ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لايجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له منه فرجا .

ومنها أن يجتنب مخالطة الأغنياء ويختلط بالمساكين ويحسن إلى الأيتام كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين [6] » وقال كعب الأحبار . كان سليمان عليه السلام فى ملكه إذا دخل المسجد فرأى مسكينا جلس إليه وقال : مسكين جالس مسكينا . وقيل ما كان من كلمة تقال لعيسى عليه السلام أحب إليه من أن يقال له يامسكين . وقال كعب الأحبار : مافى القرآن من ﴿ ياأيها الذين آمنوا ﴾ فهو فى التوراة « يا أيها المساكين » وقال عبادة بن الصامت . إن للنار سبعة أبواب ثلاثة للاغنياء وثلاثة للنساء وواحد للفقراء والمساكين وقال الفضيل : بلغنى أن نبيا من الأنبياء قال : يارب كيف لى أن أعلم رضاك عنى ؟ فقال . انظر كيف رضا المساكين عنك . وقال عليه الصلاة والسلام « إياكم ومجالسه الموتى ، قيل ومن الموتى يارسول الله ؟ قال: الأغنياء [7] » وقال موسى : إلهى أين أبغيك ؟ قال عند المكسرة قلوبهم . وقال صلى الله عليه وسلم « لاتغبطن فاجرا

---

(١) حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة : ان رجلا عطس خلف النبي صلى الله عليه وسلم فى الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ... الحديث » أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن عامر بن ربيعه عن أبيه وإسناده جيد

(٢) حديث « من عطس عنده فسبق إلى الحمد لم يشتك خاصرته » أخرجه الطبراني فى الأوسط وفى الدعاء من حديث على بسند ضعيف (٣) حديث « العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة دون قوله « العطاس من الله » فرواه الترمذى وحسنه والنسائى فى اليوم والليلة وقال البخارى « إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب ... الحديث »

(٤) حديث عائشه : استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ائذنوا له فبئس رجل العشيرة ... الحديث » متفق عليه (٥) حديث « ماوقى المرء به عرضه فهو له صدقة » أخرجه أبو يعلى وابن عدى من حديث جابر وضعفه

(٦) حديث « اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين » أخرجه ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبى سعيد والترمذى من حديث عائشة وقال غريب (٧) حديث « إياكم ومجالسة الموتى قيل وما الموتى ؟ قال الاغنياء » أخرجه الترمذى وضعفه والحاكم وصحح إسناده من حديث عائشة « إياك ومجالسة الاغنياء »

بنعمة فإنك لاتدرى إلى مايصير بعد الموت فإن من ورائه طالبا حثيثا[١] ، وأما اليتيم فقال صلى الله عليه وسلم « من ضم يتيما من أبوين مسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة ألبتة [٢] » وقال عليه السلام « أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين وهو يشير بأصبعيه [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « من وضع يده على رأس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه [٥] » .

ومنها النصيحة لكل مسلم والجهد فى إدخال السرور على قلبه قال صلى الله عليه وسلم « المؤمن يحب للمؤمن كما يحب لنفسه [٦] وقال صلى الله عليه وسلم « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحدكم مرآة أخيه فإذا رأى فيه شيئا فليمطه عنه [٧] » وقال صلى الله عليه وسلم « من قضى حاجة لأخيه فكأنما خدم الله عمره [٨] » وقال صلى الله عليه وسلم « من أقر عين مؤمن أقر الله عينه يوم القيامة » وقال صلى الله عليه وسلم « من مشى فى حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاها أو لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين [٩] » وقال عليه السلام « من فرج عن مؤمن مغموم أو أعان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة [١٠] » وقال صلى الله عليه وسلم « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » فقيل كيف ينصره ظالما ؟ قال « يمنعه من الظلم [١١] » وقال عليه السلام « إن من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على قلب المؤمن أو أن يفرج عنه غما أو يقضى عنه دينا أو يطعمه من جوع [١٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « من حمى مؤمنا من منافق يعنته بعث الله إليه ملكا يوم القيامة يحمى لحمه من نار جهنم » وقال صلى الله عليه وسلم « خصلتان ليس فوقهما شىء من الشر الشرك بالله والضر لعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شىء من البر الإيمان بالله والنفع لعباد الله [١٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « من لم يهتم للمسلمين فليس منهم [١٤] » وقال معروف الكرخى « من قال كل يوم « اللهم أرحم أمة محمد كتبه الله من الأبدال » وفى رواية

---

(١) حديث « لاتغبطن فاجرا بنعمة ... الحديث » رواه البخارى فى التاريخ والطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٢) حديث « من ضم يتيما من أبوين مسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة ألبتة » أخرجه أحمد والطبرانى من حديث مالك بن عمر وفيه على بن زيد بن جدعان متكلم فيه (٣) حديث « أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة » أخرجه البخارى من حديث سهل بن سعد ومسلم من حديث أبى هريرة . (٤) حديث « من وضع يده على رأس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة » أخرجه أحمد والطبرانى بإسناد ضعيف من حديث أبى أمامه دون قوله « ترحما » ولابن حبان فى الضعفاء من حديث ابن أبى أوفى « من مسح يده على رأس يتيم رحمه له ... الحديث » (٥) حديث « خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه » أخرجه ابن ماجه من حديث أبى هريرة وفيه ضعف (٦) حديث « المؤمن يحب للمؤمن مايحب لنفسه » تقدم بلفظ « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه » ولم أره بهذا اللفظ . (٧) حديث « ان أحدكم مرآة أخيه .. الحديث » رواه أبو داود والترمذى وقد تقدم . (٨) حديث « من قضى لأخيه حاجة فكأنما خدم الله عمره » أخرجه البخارى فى التاريخ والطبرانى والخرائطى كلاهما فى مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف مرسلا . (٩) حديث « من مشى فى حاجة أخيه ساعة من ليل او نهار قضاها أو لم يقضها كان خيراً له من اعتكاف شهرين » أخرجه الحاكم وصححه من حديث ابن عباس « لان يمشى أحدكم مع أخيه فى قضاء حاجته ـ وأشار بأصبعه ـ أفضل من أن يعتكف فى مسجدى هذا شهرين » والطبرانى فى الأوسط « من مشى فى حاجة أخيه كان خيراً له من اعتكافه عشر سنين » وكلاهما ضعيف . (١٠) حديث « من فرج عن مغموم أو أعان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة » أخرجه الخرائطى فى مكارم الاخلاق وابن حبان فى الضعفاء وابن عدى من حديث أنس بلفظ « من أغاث ملهوفا » . (١١) حديث « انصر اخاك ظالما أو مظلوما ... الحديث » متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم .

(١٢) حديث « ان من أحب الأعمال الى الله ادخال السرور على المؤمن .. الحديث » أخرجه الطبرانى فى الصغير والأوسط من حديث ابن عمر بسند ضعيف . (١٣) حديث « خصلتان ليس فوقهما شىء من الشر الشرك بالله والضر بعباد الله ... الحديث » ذكره صاحب الفردوس من حديث على ولم يسنده ولده فى مسنده . (١٤) حديث « من لم يهتم للمسلمين فليس منهم » أخرجه الحاكم من حديث حذيفة والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى ذر وكلاهما ضعيف .

أخرى ـ اللهم أصلح أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد ـ كل يوم ثلاث مرات ـ كتبه الله من الأبدال ، وبكى على بن الفضيل يوما فقيل له مايبكيك ؟ قال : أبكى على من ظلمنى إذا وقف غدا بين يدى الله تعالى وسئل عن ظلمه ولم تكن له حجة .

ومنها أن يعود مرضاهم فالمعرفة والإسلام كافيان فى إثبات هذا الحق ونيل فضله . وأدب العائد خفة الجلسة وقلة السؤال وإظهار الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع . وعند الاستئذان لايقابل الباب ويدق برفق ولا يقول : أنا ، إذا قيل له : من ! ولايقول ، ياغلام ، ولكن يحمد ويسبح وقال صلى الله عليه وسلم « تمام عيادة المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته أوعلى يده ويسأله كيف هو وتمام تحياتكم المصافحة » وقال صلى الله عليه وسلم « من عاد مريضا قعد فى مخارف الجنة حتى إذا قام وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى الليل [1] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا عاد الرجل المريض خاض فى الرحمة فإذا قعد عنده قرت فيه [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا عاد المسلم أخاه أوزاره قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك وتبوأت منزلا فى الجنة [3] » وقال عليه السلام « إذا مرض العبد بعث الله تبارك وتعالى إليه ملكين فقال : انظرا ماذا يقول لعواده ؟ فإن هو إذا جاءوه حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله وهو أعلم فيقول : لعبدى على إن توفيته ان أدخله الجنة وإن انا شفيته أن أبدل له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وإن أكفر عنه سيئاته [4] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يرد الله به خيرا يصب منه [5] » وقال عثمان رضى الله عنه مرضت فعادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « بسم الله الرحمن الرحيم أعيذك بالله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد من شر ماتجد » قالها مرارا [6] ودخل صلى الله عليه وسلم على على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو مريض فقال له « قل اللهم إنى إسألك تعجيل عافيتك أو صبرا على بليتك أو خروجا من الدنيا إلى رحمتك فإنك ستعطى إحداهن [7] » ويستحب للعليل أيضا أن يقول : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ماأجد وأحاذر . وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : إذا شكا أحدكم بطنه فليسأل امرأته شيئا من صداقها ويشترى به عسلا ويشربه بماء السماء فيجتمع له الهنىء والمرىء والشفاء

---

(١) حديث « من عاد مريضاً قعد فى مخارف الجنة ... الحديث » أخرجه أصحاب السنن والحاكم من حديث على « من أتى أخاه المسلم عائداً مشى فى خرافة الجنة حتى يجلس فاذا جلس غمرته الرحمة فإن كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى وإن كان مساء ... الحديث » لفظ ابن ماجه وصححه الحاكم وحسنه الترمذى ولمسلم من حديث ثوبان « من عاد مريضاً لم يزل فى خرفة الجنة » .

(٢) حديث « إذا عاد الرجل المريض خاض فى الرحمة فاذا قعد عنده قرت فيه » أخرجه الحاكم والبيهقى من حديث جابر وقال « انغمس فيها » قال الحاكم صحيح على شرط مسلم وكذا صححه ابن عبد البر ، وذكره مالك فى الموطأ بلاغا بلفظ « قرت فيه » ورواه الواقدى بلفظ « استقر فيها » وللطبرانى فى الصغير من حديث أنس « فاذا قعد عنده غمرته الرحمة » وله فى الأوسط من حديث كعب بن مالك وعمرو بن حزم « استنقع فيها » . (٣) حديث « إذا عاد المسلم أخاه أو زاره قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك وتبوأت منزلا فى الجنة » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة إلا أنه قال « ناداه مناد » قال الترمذى غريب قلت فيه عيسى بن سنان القسملى ضعفه الجمهور . (٤) حديث « اذا مرض العبد بعث الله تعالى ملكين فقال انظرا مايقوله لعواده الحديث » أخرجه مالك فى الموطأ مرسلا من حديث عطاء بن يسار ووصله ابن عبد البر فى التمهيد من روايته عن أبى سعيد الخدرى وفيه عباد بن كثير الثقفى ضعيف الحديث وللبيهقى من حديث أبى هريرة قال الله تعالى « إذا ابتليت عبدى المؤمن فلم يشكنى الى عواده أطلقته من اسارى ثم أبدله لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم يستأنف العمل » وإسناده جيد : (٥) حديث « من يرد الله به خيراً يصب منه » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة . (٦) حديث عثمان : مرضت فعادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « بسم الله الرحمن الرحيم أعيذك بالله الاحد الصمد ... الحديث » أخرجه ابن السنى فى اليوم والليلة والطبرانى والبيهقى فى الأدعية من حديث عثمان بن عفان باسناد حسن . (٧) حديث : دخل على على وهو مريض فقال « قل اللهم انى أسألك تعجيل عافيتك ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب المرض من حديث أنس بسند ضعيف : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على رجل وهو يشتكى ولم يسم عليا . وروى البيهقى فى الدعوات من حديث عائشة : أن جبريل علمها للنبى صلى الله عليه وسلم وقال إن الله يأمرك أن تدعو بهؤلاء الكلمات .

والمبارك . وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به فى أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار » قلت : بلى يارسول الله قال « يقول لا إله إلا الله يحيي ويميت وهو حى لايموت سبحان الله رب العباد والبلاد والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال . الله أكبر كبيرا إنّ كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان . اللهم إن أنت أمرضتنى لتقبض روحى فى مرضى هذا فاجعل روحى فى أرواح من سبقت لهم منك الحسنى وباعدنى من النار كما باعدت أولياءك الذين سبقت لهم منك الحسنى [1] » وروى أنه قال عليه السلام « عيادة المريض بعد ثلاث فواق ناقة [2] » وقال طاوس : أفضل العيادة أخفها . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : عيادة المريض مرة سنة فما ازدادت فنافلة ، وقال بعضهم : عيادة المريض بعد ثلاث . وقال عليه السلام « أغبوا فى العيادة وأربعوا فيها [3] » وجملة أدب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى والضجر والفزع إلى الدعاء والتوكل بعد الدواء على خالق الدواء .

ومنها أن يشيع جنائزهم قال صلى الله عليه وسلم « من شيع جنازة فله قيراط من الأجر فإن وقف حتى تدفن فله قيراطان [4] » وفى الخبر « القيراط مثل أحد [5] » ولما روى أبو هريرة هذا الحديث وسمعه ابن عمر قال : لقد فرطنا إلى الآن فى قراريط كثيرة . والقصد من التشييع قضاء حق المسلمين والاعتبار . وكان مكحول الدمشقى إذا رأى جنازة قال : اغدوا فإنا رائحون . موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الأول والآخر لاعقل له . وخرج مالك بن دينار خلف جنازة أخيه وهو يبكى ويقول : والله لاتقر عينى حتى أعلم إلى ماصرت ولا والله لا أعلم مادمت حيا . وقال الأعمش : كنا نشهد الجنائز فلاندرى لمن نعزى لحزن القوم كلهم ؟ ونظر إبراهيم الزيات إلى قوم يترحمون على ميت فقال لو ترحمون أنفسكم لكان أولى ! إنه نجا من أهوال ثلاث : وجه ملك الموت قد رأى ، ومرارة الموت قد ذاق ، وخوف الخاتمة قد أمن . وقال صلى الله عليه وسلم « يتبع الميت ثلاث فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله [6] » .

ومنها أن يزور قبورهم والمقصود من ذلك الدعاء والاعتبار وترقيق القلب قال صلى الله عليه وسلم « ما رأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه [7] » وقال عمر رضى الله عنه : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى المقابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه . فبكى وبكينا ، فقال « مايبكيكم ؟ » قلنا : بكينا لبكائك . قال « هذا قبر آمنة بنت وهب استأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى واستأذنته فى أن أستغفر لها فأبى على فأدركنى مايدرك الولد من الرقة [8] » وكان عمر رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى تبتل لحيته ويقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنّ القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر وإن لم ينج منه فما بعده أشد [9] » وقال مجاهد . أول

---

(١) حديث أبى هريرة « ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به فى أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الدعاء وفى المرض والكفارات . (٢) حديث « عيادة المريض فواق ناقة » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب المرض من حديث أنس باسناد فيه جهالة . (٣) حديث « أغبوا فى العيادة وأربعوا » رواه ابن أبى الدنيا وفيه أبو يعلى من حديث جابر وزاد « إلا أن يكون مغلوبا » واسناده ضعيف . (٤) حديث من تبع جنازة فله قيراط من الأجر فان وقف حتى تدفن فله قيراطان أخرجه الشيخان من حديث أبى هريرة . (٥) حديث « القيراط مثل جبل أحد » أخرجه مسلم من حديث ثوبان وأبى هريرة وأصله متفق عليه

(٦) حديث « يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد » أخرجه مسلم من حديث أنس . (٧) حديث « ما أريت منظراً إلا والقبر أفظع منه » أخرجه الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث عثمان وقال صحيح الإسناد وقال الترمذى حسن غريب

(٨) حديث عمر : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى المقابر فجلس الى قبر ... الحديث فى زيارته قبر أمه . أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة مختصراً وأحمد من حديث بريدة وفيه : فقام اليه عمر ففداه بالأب والأم يقول يارسول الله مالك .. الحديث

(٩) حديث عثمان بن عفان « ان القبر أول منازل الآخرة .. الحديث » أخرجه الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصحح اسناده

ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة . فهذا ما أعددت لك فما أعددت لى ؟ وقال أبو ذر : ألا أخبركم بيوم فقرى يوم أوضع فى قبرى . كان أبو الدرداء يقعد إلى القبور فقيل له فى ذلك فقال : أجلس إلى قوم يذكروننى معادى وإن قمت عنهم لم يغتابونى . وقال حاتم الأصم : من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم . وقال صلى الله عليه وسلم « ما من ليلة إلا وينادى مناد : يا أهل القبور من تغبطون ؟ قالوا : نغبط أهل المساجد لأنهم يصومون ولا نصوم ويصلون ولا نصلى ويذكرون الله ولا نذكره [1] » وقال سفيان من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار . وكان الربيع بن خيثم قد حفر فى داره قبرا فكان إذا وجد فى قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع فيه ومكث ساعة ثم قال ﴿رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت﴾ ثم يقول : يا ربيع قد أرجعت فاعمل الآن قبل أن لا ترجع . وقال ميمون بن مهران : خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة فلما نظر إلى القبور بكى وقال يا ميمون هذه قبور آبائى بنى أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذاتهم أما تراهم صرعى قد خلت بهم المثلات وأصاب الهوام من أبدانهم ؟ ثم بكى وقال والله ما أعلم أحدا أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله ؟

وآداب المعزى خفض الجناح وإظهار الحزن وقلة الحديث وترك التبسم .

وآداب تشييع الجنازة لزوم الخشوع وترك الحديث وملاحظة الميت والتفكر فى الموت والاستعداد له وأن يمشى أمام الجنازة بقربها والإسراع بالجنازة سنة [2] فهذه جمل آداب تنبه على آداب المعاشرة مع عموم الخلق .

والجملة الجامعة فيه أن لا تستصغر منهم أحدا حيا كان أو ميتا فتهلك لأنك لا تدرى لعله خير منك ؟ فإنه وإن كان فاسقا فلعله يختم لك بمثل حاله ويختم له بالصلاح ؟ ولا تنظر إليهم بعين التعظيم لهم فى حال دنياهم فإن الدنيا صغيرة عند الله صغير مافيها . ومهما عظم أهل الدنيا فى نفسك فقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله . ولا تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر فى أعينهم ثم تحرم دنياهم فإن لم تحرم كنت قد استبدلت الذى هو أدنى بالذى هو خير . ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة فيطول الأمر عليك فى المعاداة ويذهب دينك ودنياك فيهم ويذهب دينهم فيك ، إلا إذا رأيت منكرا فى الدين فتعادى أفعالهم القبيحة وتنظر إليهم بعين الرحمة لهم لتعرضهم لمقت الله وعقوبته بعصيانهم فحسبهم جهنم يصلونها ، فمالك تحقد عليهم ولا تسكن إليهم فى مودتهم لك وثنائهم عليك فى وجهك وحسن بشرهم لك فإنك إن طلبت حقيقة ذلك لم تجد فى المائة إلا واحدا وربما لا تجده . ولا تشك إليهم أحوالك فيكلك الله إليهم ولا تطمع أن يكونوا لك فى الغيب والسر كما فى العلانية فذلك طمع كاذب وأنى تظفر به ؟ ولا تطمع فيما فى أيديهم فتستعجل الذل ولا تنال الغرض . ولا تعل عليهم تكبرا لاستغنائك عنهم فإن الله يلجئك إليهم عقوبة على التكبر بإظهار الاستغناء . وإذا سألت أخا منهم حاجة فقضاها فهو أخ مستفاد وإن لم يقض فلا تعاتبه فيصير عدوا تطول عليك مقاساته . ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول فلا يسمع منك ويعاديك ، وليكن وعظك عرضا واسترسالا من غير تنصيص على الشخص . ومهما رأيت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله الذى سخرهم لك واستعذ بالله أن يكلك إليهم . وإذا بلغك عنهم غيبة أو رأيت منهم شرا أو أصابك منهم ما يسوءك فكل أمرهم إلى الله واستعذ بالله من شرهم . ولا تشغل نفسك بالمكافأة فيزيد الضرر ويضيع العمر بشغله . ولا تقل لهم لم تعرفوا موضعى .

---

(١) حديث « ما من ليلة إلا ينادى مناد يا أهل القبور من تغبطون ؟ فيقولون : نغبط أهل المساجد ... الحديث لم أجد له أصلا .

(٢) حديث : الإسراع بالجنازة . متفق عليه من حديث أبى هريرة « أسرعوا بالجنازة ... الحديث » .

واعتقد أنك لو استحقيت ذلك لجعل الله لك موضعا فى قلوبهم فالله المحبب والمبغض إلى القلوب وكن فيهم سميعا لحقهم أصم عن باطلهم نطوقا بحقهم صموتا عن باطلهم . واحذر صحبة أكثر الناس فإنهم لا يقيلون عثرة ولا يغفرون زلة ولا يسترون عورة ويحاسبون على النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير ، ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطأ والنسيان ولايعفون ، يغرون الإخوان على الإخوان بالنميمة والبهتان ، فصحبة أكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ، إن رضوا فظاهرهم الملق وإن سخطوا فباطنهم الحنق لا يؤمنون فى حنقهم ولا يرجون فى ملقهم ، ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب ، يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون ، يحصون عليك العثرات فى صحبتهم ليواجهوك بها فى غضبهم ووحشتهم ، ولاتعول على مودة من لم تخبره حق الخبرة ، بأن تصحبه مدة فى دار أو موضع واحد فتجربه فى عزله وولايته وغناه وفقره أو تسافر معه أو تعامله فى الدينار والدرهم أو تقع فى شدة فتحتاج إليه ، فإن رضيته فى الأحوال فاتخذه أبالك إن كان كبيرا أو ابنا لك إن كان صغيرا أو أخاك إن كان مثلك . فهذه جملة آداب المعاشرة مع أصناف الخلق .

حقوق الجوار

اعلم أن الجوار يقتضى حقا وراء ماتقتضيه أخوة الإسلام . فيستحق الجار المسلم مايستحقه كل مسلم وزيادة إذقال النبي صلى الله عليه وسلم « الجيران ثلاثة : جار له حق واحد ، وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق ، فالجار الذى له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم ، وأما الذى له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام ، وأما الذى له حق واحد فالجار المشرك [1] » فانظر كيف أثبت للمشرك حقا بمجرد الجوار ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما [2] » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « لايؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « أول خصمين يوم القيامة جاران [6] » وقال عليه الصلاة والسلام « إذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيته [7] » ويروى أن رجلا جاء إلى ابن مسعود رضى الله عنه فقال له : إن لى جارا يؤذينى ويشتمنى ويضيق على فقال اذهب فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه . وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها فقال صلى الله عليه وسلم « هى فى النار [8] » . وجاء رجل إليه عليه السلام يشكو جاره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم (اصبر) ثم قال له فى الثالثة أو الرابعة (اطرح متاعك فى الطريق) قال : فجعل الناس يمرون به ويقولون مالك ؟ فيقال آذاه جاره قال فجعلوا يقولون : لعنه الله ، فجاءه جاره فقال له رد متاعك فوالله لا أعود [9]

---

(١) حديث « الجيران ثلاثة جار له حق وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق ... الحديث » أخرجه الحسن بن سفيان والبزار فى مسنديهما وأبو الشيخ فى كتاب الثواب وأبو نعيم فى الحلية من حديث جابر وابن عدى من حديث عبدالله بن عمر وكلاهما ضعيف .

(٢) حديث « أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما » تقدم (٣) حديث « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » متفق عليه من حديث عائشة وابن عمر (٤) حديث « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » متفق عليه من حديث أبى شريح (٥) حديث « لايؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه » أخرجه البخارى من حديث أبى شريح أيضاً .

(٦) حديث « أول خصمين يوم القيامة جاران » أخرجه أحمد والطبرانى من حديث عقبة بن عامر بسند ضعيف .

(٧) حديث « إذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيته » لم أجد له أصلا (٨) حديث : إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها فقال هى فى النار » أخرجه أحمد والحاكم من حديث أبى هريرة وقال صحيح الإسناد (٩) حديث : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال اصبر ثم قال له فى الثالثة — أو الرابعة — اطرح متاعك على الطريق ... الحديث » أخرجه أبو داود وابن حبان والحاكم من حديث أبى هريرة وقال صحيح على شرط مسلم

وروى الزهرى : أنّ رجلا أتى النبى عليه السلام فجعل يشكو جاره فأمره النبى صلى الله عليه وسلم أن ينادى على باب المسجد « ألا إن أربعين دارا جار [1] » قال الزهرى : أربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأومأ إلى أربع جهات . وقال عليه السلام « اليمن والشؤم فى المرأة والمسكن والفرس ، فيمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها ، وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها . ويمن المسكن سعته وحسن جوار أهله . وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله . ويمن الفرس ذله وحسن خلقه ، وشؤمه صعوبته وسوء خلقه [2] » .

واعلم أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط بل احتمال الأذى ، فإن الجار أيضا قد كف أذاه فليس فى ذلك قضاء حق ، ولا يكفى احتمال الأذى بل لابد من الرفق وإسداء الخير والمعروف ، إذ يقال إن الجار الفقير يتعلق بجاره الغنى يوم القيامه فيقول : يارب سل هذا لم منعنى معروفه وسدّ بابه دونى ؟

وبلغ ابن المقفع أن جاراً له يبيع داره فى دين ركبه وكان يجلس فى ظل داره ، فقال : ماقمت إذاً بحرمة ظل داره إن باعها معدما فدفع إليه ثمن الدار وقال : لاتبعها .

وشكا بعضهم كثرة الفأر فى داره ، فقيل له : لو اقتنيت هرا ؟ فقال : أخشى أن يسمع الفأر صوت الهرّ فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أحببت لهم مالا أحب لنفسى .

وجملة حق الجار : أن يبدأه بالسلام ، ولايطيل معه الكلام ، ولا يكثر عن حاله السؤال ، ويعوده فى المرض ويعزيه فى المصيبة ، ويقوم معه فى العزاء ، ويهنئه فى الفرح ، ويظهر الشركة فى السرور معه ، ويصفح عن زلاته ، ولا يتطلع من السطح إلى عوراته ، ولايضايقه فى وضع الجذع على جداره ، ولا فى مصب الماء فى ميزابه ، ولا فى مطرح التراب فى فنائه ، ولا يضيق طرقه إلى الدار ، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره ، ويستر ماينكشف له من عوراته ، وينعشه من صرعته إذا نابته نائبة ، ولايغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ، ولايسمع عليه كلاما ، ويغض بصره عن حرمته ، ولايديم النظر إلى خادمته ، ويتلطف بولده فى كلمته ، ويرشده إلى مايجهله من أمر دينه ودنياه . هذا إلى جملة الحقوق التى ذكرناها لعامة المسلمين ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « أتدرون ماحق الجار ؟ إن استعان بك أعنته ، وإن استنصرك نصرته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن افتقر عدت عليه ، وإن مرض عدته ، وإن مات تبعت جنازته ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن أصابته مصيبة عزيته ، ولا تستعل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ، وإذا اشتريت فاكهة فأهد له ، فإن لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ، ولاتؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها ، ثم قال : أتدرون ماحق الجار ؟ والذى نفسى بيده لايبلغ حق الجار إلا من

---

(١) حديث الزهرى « ألا ان أربعين دارا جار » أخرجه أبو داود فى المراسيل ووصله الطبرانى من رواية الزهرى عن ابن كعب بن مالك عن أبيه ورواه أبو يعلى من حديث أبى هريرة وقال « أربعون ذراعا » وكلاهما ضعيف (٢) حديث « اليمن والشؤم فى المرأة والمسكن والفرس فيمن المرأة خفة مهرها . . . الحديث » أخرجه مسلم من حديث ابن عمر « الشؤم فى الدار والمرأة والفرس » وفى رواية له « إن يك من الشؤم شىء حقا » وله من حديث سهل بن سعد « إن كان ففى الفرس والمرأة والمسكن » وللترمذى من حديث حكيم ابن معاوية « لاشؤم وقد يكون اليمن فى الدار والمرأة والفرس » ورواه ابن ماجه فسماه محمد بن معاوية وللطبرانى من حديث أسماء بنت عميس : قالت يارسول الله ماسوء الدار ؟ قال « ضيق ساحتها وخبث جيرانها » قيل فما سوء الدابة ؟ قال « منعها ظهرها وسوء خلقها » قيل فما سوء المرأة ؟ قال « عقم رحمها وسوء خلقها » وكلاهما ضعيف ورويناه فى كتاب الخيل للدمياطى من رواية سالم بن عبد الله مرسلا « إذا كان الفرس ضروبا فهو مشئوم وإذا كانت المرأة قد عرفت زوجا قبل زوجها فحنت الى الزوج الأول فهى مشئومة وإذا كانت الدار بعيدة من المسجد لايسمع فيها الأذان والإقامة فهى مشئومة » وإسناده ضعيف ووصله صاحب مسند الفردوس بذكر ابن عمر فيه .

رحمه الله [١] ، هكذا رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال مجاهد : كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يسلخ شاة ، فقال : ياغلام إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى ، حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا ؟ فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه [٢] وقال هشام : كان الحسن لايرى بأسا أن تطعم الجار اليهودى والنصرانى من أضحيتك ، وقال أبو ذر رضى الله عنه . أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم وقال « إذا طبخت قدرا فأكثر ماءها ، ثم انظر بعض أهل بيت فى جيرانك فاغرف لهم منها [٣] » وقالت عائشة رضى الله عنها : قلت يارسول الله إن لى جارين أحدهما مقبل على بابه والآخر ناء ببابه عنى ، وربما كان الذى عندى لايسعهما ، فأيهما أعظم حقا ؟ فقال : المقبل عليك ببابه [٤] ورأى الصديق ولده عبد الرحمن وهو يناصى جارا له ، فقال لا تناص جارك ، فإنّ هذا يبقى والناس يذهبون . وقال الحسن بن عيسى النيسابورى : سألت عبد الله بن المبارك فقلت : الرجل المجاور يأتينى فيشكو غلامى أنه أتى إليه أمرا والغلام ينكره ، فأكره أن أضربه ولعله برىء وأكره أن أدعه فيجد على جارى ، فكيف أصنع ؟ قال : إن غلامك لعله أن يحدث حدثا يستوجب فيه الأدب فاحفظه عليه ، فإذا شكاه جارك فأدبه على ذلك الحدث ، فتكون قد أرضيت جارك وأدبته على ذلك الحدث ، وهذا تلطف فى الجمع بين الحقين .

وقالت عائشة رضى الله عنها : خلال المكارم عشر تكون فى الرجل ولا تكون فى أبيه وتكون فى العبد ولا تكون فى سيده ، يقسمها الله تعالى لمن أحب : صدق الحديث ، وصدق الناس ، وإعطاء السائل ، والمكافأة بالصنائع وصلة الرحم ، وحفظ الأمانة ، والتذمم للجار ، والتذمم للصاحب ، وقرى الضيف ، ورأسهن الحياء .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يامعشر المسلمات لاتحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة [٥] » قال صلى الله عليه وسلم « إن من سعادة المرء المسلم : المسكن الواسع ، والجار الصالح والمركب الهنى [٦] » وقال عبد الله : قال رجل : يارسول الله ، كيف لى أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت ، قال « إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت ، وإذا سمعتهم يقولون قد أسأت فقد أسأت [٧] » وقال جابر رضى الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم من كان له جار فى حائط أو شريك فلا يبعه حتى يعرضه عليه [٨] وقال أبو هريرة رضى الله عنه : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الجار يضع جذعه فى حائط جاره شاء أم أبى [٩] . وقال

---

(١) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « أتدرون ماحق الجار ؟ ان استعان بك أعنته وان استقرضك أقرضته .. الحديث » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق وابن عدى فى الكامل وهو ضعيف . (٢) حديث مجاهد « كنت عند عبد الله ابن عمر وغلام له يسلخ شاة فقال ياغلام إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى . الحديث » أخرجه أبو داود والترمذى وقال حسن غريب (٣) حديث أبي ذر : أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم « إذا طبخت فأكثر المرق ثم انظر بعض أهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها » رواه مسلم (٤) حديث عائشة : قلت يارسول الله إن لى جارين ... الحديث، رواه البخارى (٥) حديث أبي هريرة « ياساء المسلمين لاتحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة » رواه البخارى (٦) حديث « إن من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنىء » رواه أحمد من حديث نافع بن عبد الحارث وسعد بن أبي وقاص ، وحديث نافع أخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد (٧) حديث عبد الله : قال رجل يارسول الله كيف لى أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت ؟ قال « إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت » رواه أحمد والطبرانى وعبد الله هو ابن مسعود ، وإسناده جيد .

(٨) حديث جابر « من كان له جار فى حائط أو شريك فلا يبعه حتى يعرضه عليه » أخرجه ابن ماجه والحاكم دون ذكر الجار ، وقال : صحيح الإسناد ، وهو عند الخرائطى فى مكارم الأخلاق بلفظ المصنف ، ولابن ماجه من حديث ابن عباس « من كانت له أرض فأراد أن يبيعها فليعرضها على جاره » ورجاله رجال الصحيح (٩) حديث أبي هريرة : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الجار يضع جذعه فى حائط جاره شاء أم أبى . رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق هكذا ، وهو متفق عليه بلفظ « لايمنعن أحدكم جاره أن يغرز خشبة فى حائطه » رواه ابن ماجه بإسناد ضعيف ، واتفق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة .

ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يمنعن أحدكم جاره أن يضع خشبة فى جداره » وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول : مالى أراكم عنها معرضين ، والله لأرمينها بين أكتافكم . وقد ذهب بعض العلماء إلى وجوب ذلك . وقال صلى الله عليه وسلم « من أراد الله به خيرا عسله » قيل : وما عسله ؟ قال « يحببه إلى جيرانه [1] » .

حقوق الأقارب الرحم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى أنا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسماً من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « من سره أن ينسأ له فى أثره ويوسع عليه فى رزقه فليصل رحمه [3] » وفى رواية أخرى « من سره أن يمد له فى عمره ويوسع له فى رزقه فليتق الله وليصل رحمه » وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الناس أفضل ؟ قال « أتقاهم لله وأوصلهم لرحمه . وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر [4] » وقال أبو ذر رضى الله عنه « أوصانى خليلى عليه السلام بصلة الرحم وإن ادبرت وأمرنى أن اقول الحق وإن كان مرا [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ الرحم معلقة بالعرش ، وليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل الذى إذا انقطعت رحمه وصلها [6] » وقال عليه السلام « إنّ أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم ، حتى إن أهل البيت ليكونون فجارا ، فتنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا وصلوا أرحامهم [7] » وقال زيد بن اسلم : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عرض له رجل فقال : إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم فعليك ببنى مدلج ، فقال عليه السلام « إنّ الله قد منعنى من بنى مدلج بصلتهم الرحم [8] » وقالت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما : قدمت علىّ أمى ، فقلت : يارسول الله ، إنّ أمى قدمت على وهى مشركة أفأصلها ؟ قال « نعم [9] » . وفى رواية : أفأعطيها ؟ قال « نعم صليها » . وقال عليه السلام « الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان [10] » ولما أراد أبو طلحة أن يتصدق بحائط كان له يعجبه عملا بقوله تعالى ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ [11] قال :

---

(١) حديث « من أراد الله به خيراً عسله » رواه أحمد من حديث أبى عتبة الخولانى ، ورواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق ، والبيهقى فى الزهد من حديث عمرو بن الحمق . زاد الخرائطى : قيل وما عسله ؟ قال « حببه الى جيرانه » وقال البيهقى « يفتح له عملا صالحا قبل موته حتى يرضى عنه من حوله » وإسناده جيد .

(٢) حديث « يقول الله أنا الرحمن وهذه الرحم ... الحديث » متفق عليه من حديث عائشة . (٣) حديث « من سره أن ينسأ له فى أثره ويوسع له فى رزقه فليتق الله وليصل رحمه » متفق عليه من حديث أنس دون قوله « فليتق الله » وهو بهذه الزيادة عند أحمد والحاكم من حديث على باسناد جيد . (٤) حديث : أى الناس أفضل فقال « أتقاهم لله وأوصلهم للرحم » رواه أحمد والطبرانى من حديث درة بنت أبى لهب باسناد حسن . (٥) حديث أبى ذر : أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بصلة الرحم وإن أدبرت ، وأمرنى أن أقول الحق وإن كان مرا ، رواه أحمد وابن حبان وصححه . (٦) حديث « إن الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها » أخرجه الطبرانى والبيهقى من حديث عبد الله بن عمرو ، وهو عند البخارى دون قوله « الرحم معلقة بالعرش » فرواها مسلم من حديث عائشة . (٧) حديث « أعجل الطاعات ثوابا صلة الرحم ... الحديث » أخرجه ابن حبان من حديث أبى بكرة ، والخرائطى فى مكارم الأخلاق ، والبيهقى فى الشعب من حديث عبد الرحمن بن عوف بسند ضعيف . (٨) حديث زيد بن أسلم : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عرض له رجل فقال : إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم فعليك ببنى مدلج ؛ فقال « إن الله منعنى من بنى مدلج بصلتهم الرحم » رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق ، وزاد « وطعنهم فى لبات الإبل » وهو مرسل صحيح الإسناد (٩) حديث أسماء بنت أبى بكر : قدمت على أمى فقلت : يارسول الله ، قدمت على أمى وهى مشركة أفأصلها ؟ قال « نعم صليها » متفق عليه (١٠) حديث « الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذى الرحم صدقة وصلة » أخرجه الترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه من حديث سلمان ابن عامر الضبى (١١) حديث : لما أراد أبو طلحة أن يتصدق بحائط له كان يعجبه عملا بقوله تعالى ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ ... الحديث أخرجه البخارى وقد تقدم .

يارسول الله ، هو فى سبيل الله وللفقراء والمساكين فقال عليه السلام « وجب اجرك على الله قسمه فى أقاربك » وقال عليه السلام «أفضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح [1] » وهو فى معنى قوله «أفضل الفضائل أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتصفح عمن ظلمك [2] » وروى أن عمر رضى الله عنه كتب إلى عماله : مروا الأقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا ، وإنما قال ذلك لأن التجاور يورث التزاحم على الحقوق ، وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم .

حقوق الوالدين والولد

لايخفى أنه إذا تأكد حق القرابة والرحم فأخص الأرحام وأمسها الولادة ، فيتضاعف تأكد الحق فيها . وقد قال صلى الله عليه وسلم « لن يجزى ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه [3] » وقد قال صلى الله عليه وسلم « بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد فى سبيل الله [4] » وقد قال صلى الله عليه وسلم « من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة ، ومن أمسى فمثل ذلك ، وإن كان واحدا فواحدا ، وإن ظلما وإن ظلما . ومن أصبح مسخطاً لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار ، ومن أمسى مثل ذلك ، وإن كان واحدا فواحدا ، وإن ظلما وإن ظلما [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ، ولايجد ريحها عاق ولا قاطع رحم [6] » وقال صلى الله عليه وسلم « بر أمك وأباك وأختك وأخاك ، ثم أدناك فأدناك [7] » .

ويروى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : ياموسى ، إنه من بر والديه وعقنى كتبته بارا ، ومن برنى وعق والديه كتبته عاقا .

وقيل : لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يقم له : فأوحى الله إليه : أتتعاظم أن تقوم لأبيك ، وعزتى وجلالى لأأخرجت من صلبك نبيا .

وقال صلى الله عليه وسلم « ماعلى أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه إذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل اجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شىء [8] » وقال مالك بن ربيعة : بينما نحن

---

(١) حديث « أفضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح » أخرجه أحمد والطبرانى من حديث أبى أيوب ، وفيه الحجاج بن أرطاة ورواه البيهقى من حديث أم كلثوم بنت عقبة (٢) حديث « أفضل الفضائل أن تصل من قطعك ... الحديث » أخرجه أحمد من حديث معاذ بن أنس بسند ضعيف وللطبرانى نحوه من حديث أبى أمامه وقد تقدم (٣) حديث « لن يجزى ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة (٤) حديث « بر الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد » لم أجده هكذا . وروى أبو يعلى والطبرانى فى الصغير والأوسط من حديث أنس : أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انى أشتهى الجهاد ولا أقدر عليه . قال : « هل بقى من والديك أحد ؟ » قال : أمى . قال « فابل الله فى برها ، فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد » وإسناده حسن (٥) حديث « من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة ... الحديث » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس ولايصح .

(٦) حديث « إن الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولايجد ريحها عاق ولاقاطع رحم » أخرجه الطبرانى فى الصغير من حديث أبى هريرة دون ذكر القاطع ، وهى فى الأوسط من حديث جابر ، إلا أنه قال « من مسيرة ألف عام » وإسنادهما ضعيف .

(٧) حديث « برأمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك » أخرجه النسائى من حديث طارق المحاربى ، وأخرجه أحمد والحاكم من حديث أبى رمثة ، ولأبى داود نحوه من حديث كليب بن منفعه عن جده ، وله وللترمذى والحاكم وصححه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده : من أبر ؟ قال : « أمك ، ثم أمك ، ثم أمك ، ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب » وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة : قال رجل : من أحق الناس بحسن الصحبة ؟ قال « أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك » لفظ مسلم .

(٨) حديث « ما على أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقه أن يجعلها لوالديه إذا كانا مسلمين ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند ضعيف ـ دون قوله « إذا كانا مسلمين » .

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال : يا رسول الله ، هل بقى على من بر أبوى شىء أبرهما به بعد وفاتهما ؟ قال نعم ، الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم التى لاتوصل إلا بهما [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى الأب [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « بر الوالدة على الولد ضعفان [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « دعوة الوالدة أسرع إجابة . قيل : يارسول الله ، ولم ذاك ؟ قال : هى أرحم من الأب ودعوة الرحم لاتسقط [4] » .

وسأله رجل فقال : يارسول الله من أبر ؟ فقال : « بر والديك » فقال : ليس لى والدان ، فقال : « بر ولدك ، كما أن لوالديك عليك حقا ، كذلك لولدك عليك حق [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله والدا أعان ولده على بره [6] » أى لم يحمله على العقوق بسوء عمله . وقال صلى الله عليه وسلم « ساووا بين أولادكم فى العطية » وقد قيل : ولدك ريحانتك تشمها سبعا وخادمك سبعا ، ثم هو عدوك أو شريكك » وقال أنس رضى الله عنه : قال النبى صلى الله عليه وسلم « الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى ؛ فإذا بلغ ست سنين أدب ، فإذا بلغ تسع سنين عزل فراشه ، فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة ، فإذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه ؛ ثم أخذ بيده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك ، أعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الآخرة [7] » وقال صلى الله عليه وسلم « من حق الوالد على الولد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه [8] » .

وقال عليه الصلاة والسلام « كل غلام رهين أو رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه [9] » وقال قتادة : إذا ذبحت العقيقة أخذت صوفة منها فاستقبلت بها أوداجها ثم توضع على يافوخ الصبى حتى يسيل عنه مثل الخيط ثم يغسل رأسه ويحلق بعد .

وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فشكا إليه بعض ولده ، فقال : هل دعوت عليه ؟ قال : نعم . قال : أنت أفسدته .

ويستحب الرفق بالولد : رأى الأقرع بن حابس النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن ، فقال : إن لى

---

(١) حديث مالك بن ربيعة . بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءه رجل من بنى سلمة فقال هل بقى على من بر أبوى شىء ... الحديث » أخرجه أبو داود وابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد . (٢) حديث « إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه » أخرجه مسلم من حديث ابن عمر . (٣) حديث « بر الوالدة على الولد ضعفان » غريب بهذا اللفظ وقد تقدم قبل هذا بثلاثة أحاديث من حديث بهز بن حكيم وحديث أبى هريرة وهو معنى هذا الحديث . (٤) حديث دعوة الوالدة أسرع لإجابة .. الحديث » لم أقف له على أصل . (٥) حديث : قال رجل يارسول الله من أبر ؟ قال « بر والديك » فقال ليس لى والدان فقال « ولدك فكما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق » أخرجه أبو عمر النوقانى فى كتاب معاشرة الأهلين من حديث عثمان بن عفان دون قوله « فكما أن لوالديك » الخ وهذه القطعة رواها الطبرانى من حديث ابن عمر قال الدارقطنى فى العلل ان الأصح وقفه على ابن عمر . (٦) حديث « رحم الله والدا أعان ولده على بره » أخرجه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب من حديث على بن أبى طالب وابن عمر بسند ضعيف ورواه النوقانى من رواية الشعبى مرسلا .

(٧) حديث أنس : الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى فاذا بلغ ست سنين أدب فاذا بلغ سبع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاثة عشر ضرب على الصلاة والصوم فاذا بلغ ستة عشر زوجه أبوه ثم أخذ بيده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك أعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الآخرة أخرجه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الضحايا والعقيقة الا أنه قال « وأدبوه لسبع وزوجوه لسبع عشرة ولم يذكر الصوم » وفى اسناده من لم يسم . (٨) حديث « من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس وحديث عائشة وضعفهما .

(٩) حديث « كل غلام رهين أو رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه » أخرجه أصحاب السنن من حديث سمرة قال الترمذى حسن صحيح .

عشرة من الولد ماقبلت واحدا منهم ! فقال عليه الصلاة والسلام « إن من لايرحم لايرحم [١] » وقالت عائشة رضى الله عنها : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما « اغسلى وجه أسامة » فجعلت اغسله وأنا أنفة ، فضرب يدى ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال « قد أحسن بنا إذ لم يكن جارية [٢] » وتعثر الحسن - والنبي صلى الله عليه وسلم على منبره - فنزل فحمله وقرأ قوله تعالى ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ [٣] وقال عبدالله بن شداد : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بالناس ، إذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد ، فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر ، فلما قضى صلاته قالوا : قد أطلت السجود يارسول الله حتى ظننا أنه قد حدث أمر ! فقال « إن ابنى قد ارتحلنى فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته [٤] » وفى ذلك فوائد : إحداها القرب من الله تعالى فإن العبد أقرب مايكون من الله تعالى إذا كان ساجدا ، وفيه الرفق بالولد والبر ، وتعليم لأمته . وقال صلى الله عليه وسلم « ريح الولد من ريح الجنة [٥] » .

وقال يزيد بن معاوية : أرسل أبى إلى الأحنف بن قيس ، فلما وصل إليه قال له : ياأبا بحر ، ماتقول فى الولد ؟ قال : ياأمير المؤمنين ، ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة ، وسماء ظليلة ، وبهم نصول على كل جليلة ؛ فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فارضهم ، يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقلا ثقيلا ، فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك ؛ فقال له معاوية : لله أنت ياأحنف ، لقد دخلت على وأنا مملوء غضبا وغيظا على يزيد . فلما خرج الأحنف من عنده رضى عن يزيد وبعث إليه بمائتى ألف درهم ومائتى ثوب ؛ فأرسل يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب فقاسمه إياها على الشطر .

فهذه هى الأخبار الدالة على تأكد حق الوالدين وكيفية القيام بحقهما تعرف مما ذكرناه فى حق الأخوة ؛ فإن هذه الرابطة آكد من الأخوة بل يزيد ههنا أمران (أحدهما) أن أكثر العلماء على أن طاعة الأبوين واجبة فى الشبهات وإن لم تجب فى الحرام المحض ، حتى إذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما بالطعام فعليك أن تأكل معهما ، لأن ترك الشبهة ورع ، ورضا الوالدين حتم . وكذلك ليس لك أن تسافر فى مباح أو نافلة إلا بإذنهما ، والمبادرة إلى الحج الذى هو فرض الإسلام نفل ، لأنه على التأخير . والخروج لطلب العلم نفل إلا إذا كنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم ولم يكن فى بلدك من يعلمك ، وذلك كمن يسلم ابتداء فى بلد ليس فيها من يعلمه شرع الإسلام فعليه الهجرة ولا يتقيد بحق الوالدين .

قال أبو سعيد الخدرى : هاجر رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن وأراد الجهاد ، فقال عليه السلام « هل باليمن أبواك » قال : نعم ، قال « هل أذنا لك ؟ » قال : لا ، فقال عليه السلام « فارجع إلى أبويك

---

(١) حديث : رأى الأقرع بن حابس النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال إن لى عشرة من الولد ماقبلت واحدا منهم فقال « من لايرحم لايرحم » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة . (٢) حديث عائشة : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما « اغسلى وجه أسامة » فجعلت أغسله وأنا أنفة ؛ فضرب بيدى ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال « قد أحسن بنا إذ لم يكن جارية » لم أجده هكذا ولأحمد من حديث عائشة : أن أسامة عثر بعتبة الباب فدمى فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يمصه ويقول « لو كان أسامة جارية لحليتها ولكسوتها حتى أنفقها » وإسناده صحيح . (٣) حديث : عثر الحسن وهو على منبره صلى الله عليه وسلم فنزل فحمله وقرأ قوله تعالى (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) أخرجه أصحاب السنن من حديث بريدة فى الحسن والحسين معا يمشيان ويعثران قال الترمذى حسن غريب . (٤) حديث عبد الله بن شداد : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بالناس إذ جاء الحسن فركب عنقه . رواه النسائى من رواية عبد الله بن شداد عن أبيه وقال فيه الحسن أو الحسين على الشك ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين . (٥) حديث « ريح الولد من ريح الجنة » أخرجه الطبرانى فى الصغير والأوسط وابن حبان فى الضعفاء من حديث ابن عباس وفيه مندل بن على ضعيف .

فأستأذنهما ، فإن فعلا فجاهد ، وإلا فبرهما ما استطعت ، فإن ذلك خير ماتلقى الله به بعد التوحيد [١] » . وجاء آخر إليه صلى الله عليه وسلم ليستشيره فى الغزو فقال « ألك والدة ؟ » قال : نعم . قال « فالزمها فإن الجنة عند رجليها [٢] » . وجاء آخر يطلب البيعة على الهجرة وقال : ماجئتك حتى أبكيت والدى ، فقال « ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما [٣] » .

وقال صلى الله عليه وسلم « حق كبير الإخوة على صغيرهم كحق الوالد عن ولده [٤] » .

وقال عليه السلام « إذا استصعبت على أحدكم دابته أو ساء خلق زوجته أو أحد من أهل بيته فليؤذن فى أذنه [٥] » .

حقوق المملوك

اعلم أن ملك النكاح قد سبقت حقوقه فى آداب النكاح ، فأما ملك اليمين فهو أيضا يقتضى حقوقا فى المعاشرة لابد من مراعاتها ، فقد كان من آخر ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال « اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون ، فما أحببتم فأمسكوا وما كرهتم فبيعوا ، ولا تعذبوا خلق الله فإن الله ملككم إياهم ولو شاء لملكهم إياكم [٦] » ، وقال صلى الله تعالى عليه وسلم « للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق [٧] » ، وقال عليه السلام « لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خائن ولا سيئ الملكة [٨] » ، وقال عبدالله بن عمر رضى الله تعالى عنهما : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله كم نعفو عن الخادم ؟ فصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث أبى سعيد الخدرى : هاجر رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن وأراد الجهاد فقال صلى الله عليه وسلم « باليمن أبواك ؟ » قال : نعم ... الحديث . أخرجه أحمد وابن حبان دون قوله « مااستطعت » الخ . (٢) حديث: جاء آخر إلى النبى صلى الله عليه وسلم يستشيره فى الغزو فقال « ألك والدة ؟ » فقال : نعم ، قال فالزمها فان الجنة تحت قدمها » أخرجه النسائى وابن ماجه والحاكم من حديث معاوية بن جاهمة : أن جاهمة أتى النبى صلى الله عليه وسلم . قال الحاكم صحيح الإسناد . (٣) حديث جاء آخر فقال : ماجئتك حتى أبكيت والدى فقال « ارجع اليهما فأضحكهما كما أبكيتهما » أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح الإسناد . (٤) حديث « حق كبير الإخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده » أخرجه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب من حديث أبى هريرة ورواه أبو داود فى المراسيل من رواية سعيد بن عمرو ابن العاص مرسلا ووصله صاحب مسند الفردوس فقال عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه عن جده سعيد بن العاص واسناده ضعيف (٥) حديث « إذا استصعب على أحدكم دابته أوساء خلق زوجته أو أحد من أهل بيته فليؤذن فى أذنه » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث الحسين بن على بن أبى طالب بسند ضعيف نحوه (٦) حديث : كان من آخر ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال « اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون ... الحديث » الخ وهو مفرق فى عدة أحاديث فروى أبو داود من حديث على : كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم » وفى الصحيحين من حديث أنس : كان آخر وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت « الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم » ولهما من حديث أبى ذر « أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون ولاتكلفوهم مايغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم » لفظ رواية مسلم وفى رواية لأبى داود « من يلايمكم من مملوكيكم فأطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ومن لايلايمكم منهم فبيعوه ولاتعذبوا خلق الله تعالى » واسناده صحيح (٧) حديث « للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولايكلف من العمل مالا يطيق » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة . (٨) حديث « لايدخل الجنة خب ولا متكبر ولاخائن ولاسيئ الملكة » أخرجه أحمد مجموعا والترمذى مفرقا وابن ماجه مقتصرا على « سيئ الملكة » من حديث أبى بكر وليس عند أحد منهم متكبر وزاد أحمد والترمذى البخيل والمنان وهو ضعيف وحسن الترمذى أحد طريقيه .

ثم قال « اعف عنه فى كل يوم سبعين مرة [١] » وكان عمر رضى الله عنه يذهب إلى العوالى فى كل يوم سبت ، فإذا وجد عبدا فى عمل لا يطيقه وضع عنه منه . ويروى على أبى هريرة رضى الله عنه أنه رأى رجلا على دابته وغلامه يسعى خلفه فقال له : ياعبدالله احمله خلفك فإنما هو أخوك روحه مثل روحك فحمله ثم قال : لا يزال العبد يزداد من الله بعدا مامشى خلفه . وقالت جارية لأبى الدرداء : إنى سممتك منذ سنة فما عمل فيك شيئا فقال : لم فعلت ذلك ؟ فقالت : أردت الراحة منك ، فقال : اذهبى فأنت حرة لوجه الله . وقال الزهرى : متى قلت للمملوك أخزاك الله فهو حر . وقيل للأحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم ، فيل فما بلغ من حلمه ؟ قال : بينما هو جالس فى داره إذا أتته خادمة له بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن له فعقره فمات ، فدهشت الجارية ، فقال : ليس يسكن روع هذه الجارية إلا العتق فقال لها : أنت حرة لا بأس عليك . وكان عون ابن عبد الله إذا عصاه غلامه قال : ماأشبهك بمولاك ؟ مولاك يعصى مولاه وأنت تعصى مولاك ، فأغضبه يوما فقال : إنما تريد أن أضربك اذهب فأنت حر . وكان عند ميمون بن مهران ضيف فاستعجل على جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوءة ، فعثرت وأراقتها على رأس سيدها ميمون ؛ فقال : ياجارية أحرقتنى ، قالت : يامعلم الخير ومؤدب الناس ارجع إلى ماقال الله تعالى قال : وما قال الله تعالى ؟ قالت : قال ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾ قال : قد كظمت غيظى ، قالت ﴿ والعافين عن الناس ﴾ قال : قد عفوت عنك ، قالت : زد فإن الله تعالى يقول ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ قال : أنت حرة لوجه الله تعالى . وقال ابن المنكدر : إن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل العبد يقول : أسألك بالله أسألك بوجه الله ، فلم يعفه فسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صياح العبد فانطلق إليه ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك يده فقال رسول الله « سألك بوجه الله فلم تعفه فلما رأيتنى أمسكت يدك » قال : فإنه حر لوجه الله يارسول الله ، فقال « لولم تفعل لسفعت وجهك النار [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين [٣] » ولما اعتق أبو رافع بكى وقال : كان لى أجران فذهب أحدهما . وقال صلى الله عليه وسلم « عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار ، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة : فالشهيد ، وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده ، وعفيف متعفف ذو عيال ، وأول ثلاثة يدخلون النار : أمير مسلط وذو ثروة لا يعطى حق الله وفقير فخور [٤] » وعن أبى مسعود الأنصارى قال : بينا أنا أضرب غلاما لى إذ سمعت صوتا من خلفى « اعلم يا أبا مسعود » مرتين فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقيت السوط من يدى فقال « والله لله أقدر عليك منك على هذا [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شىء يطعمه الحلو فإنه أطيب لنفسه [٦] » رواه معاذ

---

(١) حديث ابن عمر : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كم نعفو عن الخادم ؟ فصمت ثم قال « اعف عنه كل يوم سبعين مرة » أخرجه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح غريب (٢) حديث ابن المنكدر : أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل العبد يقول : أسألك بالله أسألك بوجه الله ؛ فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد... الحديث» أخرجه ابن المبارك فى الزهد مرسلا وفى رواية لمسلم فى حديث أبى مسعود الآتى ذكره: فجعل يقول : أعوذ بالله . قال فجعل يضربه فقال : أعوذ برسول الله فتركه ، وفى رواية له : فقلت هو حر لوجه الله ، فقال « أما إنك لو لم تفعل للفحتك النار » أو « لمستك النار » (٣) حديث « إذا نصح العبد لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين » متفق عليه من حديث ابن عمر (٤) حديث « عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار : فأول ثلاثة يدخلون الجنة : الشهيد وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده .. الحديث» أخرجه الترمذى وقال حسن وابن حبان من حديث أبى هريرة

(٥) حديث أبى مسعود الأنصارى : بينا أنا أضرب غلاما لى سمعت صوتا من خلفى « اعلم أبا مسعود » مرتين ... الحديث . رواه مسلم . (٦) حديث معاذ : إذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شىء يطعمه الحلو فإنه أطيب لنفسه أخرجه الطبرانى فى الأوسط والخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فليجلسه وليأكل معه فإن لم يفعل فليناوله لقمة [1] » وفى رواية « إذا كفى أحدكم مملوكه صنعة طعامه ؛ فكفاه حره ومؤنته وقرّبه إليه فليجلسه وليأكل معه ، فإن لم يفعل فليناوله أو ليأخذ أكلة فليروغها ـ وأشار بيده ـ وليضعها فى يده وليقل كل هذه ودخل على سلمان رجل وهو يعجن فقال : يا أبا عبدالله ماهذا ؟ فقال : بعثنا الخادم فى شغل فكرهنا أن نجمع عليه عملين . وقال صلى الله عليه وسلم « من كانت عنده جارية فصانها وأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها فذلك له أجران [2] » وقد قال صلى الله عليه وسلم « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته [3] » .

فجملة حق المملوك أن يشركه فى طعمته وكسوته ، ولا يكلفه فوق طاقته ، ولا ينظر إليه بعين الكبر والازدراء وأن يعفو عن زلته ويتفكر عند غضبه عليه بهفوته أو بجنايته فى معاصيه وجنايته على حق الله تعالى وتقصيره فى طاعته مع أنّ قدرة الله عليه فوق قدرته . وروى فضالة بن عبيد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة لايسئل عنهم : رجل فارق الجماعة ، ورجل عصى إمامه فمات عاصيا فلايسأل عنهما ، وأمرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده فلايسأل عنها . وثلاثة لايسأل عنهم رجل ينازع الله رداءه ورداؤه الكبرياء وإزاره العز ، ورجل فى شك من الله ، وقنوط من رحمة الله [4] » .

تم كتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق .

كتاب آداب العزلة

وهو الكتاب السادس من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أعظم النعمة على خيرة خلقه وصفوته بأن صرف هممهم إلى مؤانسته ، وأجزل حظهم من التلذذ بمشاهدة آلائه وعظمته ، وروّح أسرارهم بمناجاته وملاطفته ، وحقر فى قلوبهم النظر إلى متاع الدنيا وزهرتها حتى اغتبط بعزلته كل من طويت الحجب عن مجارى فكرته فاستأنس بمطالعة سبحات وجهه تعالى فى خلوته ، واستوحش بذلك عن الأنس بالإنس وإن كان من أخص خاصته والصلاة على سيدنا محمد سيد أنبيائه وخيرته وعلى آله وصحابته سادة الحق وأئمته .

أما بعد : فإن للناس اختلافا كثيرا فى العزلة والمخالطة وتفضيل إحداهما على الأخرى ، ومع أن كل واحدة منهما لاتنفك عن غوائل تنفر عنها وفوائد تدعو إلى إليها ، وميل أكثر العباد والزهاد إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة وما ذكرناه فى كتاب الصحبة من فضيلة المخالطة والمؤاخاة والمؤالفة يكاد يناقض ما مال إليه الأكثرون من اختيار الاستيحاش والخلوة ، فكشف الغطاء عن الحق فى ذلك مهم . ويحصل ذلك برسم بابين (الباب الأول) فى نقل المذاهب والحجج فيها (الباب الثانى) فى كشف الغطاء عن الحق بحصر الفوائد والغوائل .

---

(١) حديث أبى هريرة « وليأكل معه فان أبى فليناوله » وفى رواية « إذا كفى أحدكم مملوكه صنعة طعامه ... الحديث » متفق عليه مع اختلاف لفظ وهو فى مكارم الأخلاق للخرائطى بالفظين اللذين ذكرهما المصنف غير أنه لم يذكر « علاجه » وهذه اللفظة عند البخارى

(٢) حديث « من كانت عنده جارية فعالها وأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها فذلك له أجران » متفق عليه من حديث أبى موسى.

(٣) حديث « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم . (٤) حديث فضالة بن عبيد « ثلاثة لايسأل عنهم : رجل فارق الجماعة وعصى امامه ومات عاصيا ... الحديث » أخرجه الطبرانى وصححه .

الباب الأول فى نقل المذاهب والأقاويل

وذكر حجج الفريقين فى ذلك

أما المذاهب فقد اختلف فيها وظهر هذا الاختلاف بين التابعين. فذهب إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة: سفيان الثورى، وإبراهيم بن أدهم، وداود الطائى، وفضيل بن عياض، وسليمان الخواص، ويوسف بن أسباط وحذيفة المرعشى، وبشر الحافى.

وقال أكثر التابعين باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والإخوان والتألف والتحبب إلى المؤمنين والاستعانة بهم فى الدين تعاونا على البر والتقوى ومال إلى هذا: سعيد بن المسيب، والشعبى، وابن أبى ليلى، وهشام بن عروة، وابن شبرمة، وشريح، وشريك بن عبد الله، وابن عيينة، وابن المبارك، والشافعى، وأحمد بن حنبل، وجماعة.

والمأثور عن العلماء من الكلمات ينقسم إلى كلمات مطلقة تدل على الميل إلى أحد الرأيين، وإلى كلمات مقرونة بما يشير إلى علة الميل. فلننقل الآن مطلقات تلك الكلمات لنبين المذاهب فيها، وما هو مقرون بذكر العلة نورده عند التعرض للغوائل والفوائد، فنقول؛ قد روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال: خذوا بحظكم من العزلة. وقال ابن سيرين: العزلة عبادة. وقال الفضيل: كفى بالله محبا وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا. وقيل: اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا. وقال أبو الربيع الزاهد لداود الطائى: عظنى؛ قال: صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الأسد. وقال الحسن رحمه الله: كلمات أحفظهن من التوراة؛ قنع ابن آدم فاستغنى، اعتزل الناس فسلم، ترك الشهوات فصار حرا، وترك الحسد فظهرت مروءته، صبر قليلا فتمتع طويلا. وقال وهيب ابن الورد: بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء، تسعة منها فى الصمت والعاشر فى عزلة الناس. وقال يوسف بن مسلم لعلى بن بكار: ما أصبرك على الوحدة؟ - وقد كان لزم البيت - فقال: كنت وأنا شاب أصبر على أكثر من هذا؛ كنت أجالس الناس ولا أكلمهم. وقال سفيان الثورى: هذا وقت السكوت وملازمة البيوت. وقال بعضهم: كنت فى سفينة ومعنا شاب من العلوية فمكث معنا سبعا لا نسمع له كلاما؛ فقلنا له: يا هذا قد جمعنا الله وإياك منذ سبع ولا نراك تخالطنا ولا تكلمنا، فأنشأ يقول:

قليل الهم لا ولد يموت ولا أمر يحاذره يفوت
قضى وطر الصبا وأفاد علما فغايته التفرد والسكوت

وقال إبراهيم النخعى لرجل تفقه ثم اعتزل، وكذا قال الربيع بن خثيم. وقيل كان مالك بن أنس يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطى الإخوان حقوقهم فترك ذلك واحدا واحدا حتى تركها كلها، وكان يقول: لا يتهيأ للمرء أن يخبر كل عذر له. وقيل لعمر بن عبد العزيز: لو تفرغت لنا؟ فقال: ذهب الفراغ فلا فراغ إلا عند الله تعالى وقال الفضيل: إنى لأجد للرجل عندى يدا: إذا لقينى أن لا يسلم على، وإذا مرضت أن لا يعودنى. وقال أبو سليمان الدارانى: بينما الربيع ابن خثيم جالس على باب داره إذ جاءه حجر فصك جبهته فشجه، فجعل يمسح الدم ويقول: لقد وعظت يا ربيع، فقام ودخل داره فما جلس بعد ذلك على باب داره حتى أخرجت جنازته. وكان سعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد لزما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا يأتيان المدينة لجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق. وقال يوسف بن أسباط: سمعت سفيان الثورى يقول، والله الذى لا إله إلا هو لقد حلت العزلة وقال بشر بن عبد الله: أقل من معرفة الناس فإنك لا تدرى ما يكون يوم القيامة، فإن تكن

فضيحة كان من يعرفك قليلا . ودخل بعض الأمراء على حاتم الأصم فقال له . ألك حاجة ؟ قال: نعم ، قال: وما هي؟ قال أن لا ترانى ولا أراك ولا تعرفنى . وقال رجل لسهل : أريد أن أصحبك ، فقال : إذا مات أحدنا فمن يصحب الآخر ؟ قال : الله قال : فليصحبه الآن . وقيل للفضيل : إن عليا ابنك يقول لوددت أنى فى مكان أرى الناس ولا يرونى ؛ فبكى الفضيل وقال : ياويح على أفلا أتمها فقال لا أراهم ولا يرونى ؟ وقال الفضيل أيضا : من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : أفضل المجالس مجلس فى قعر بيتك لا ترى ولا ترى . فهذه أقاويل المائلين إلى العزلة

ذكر حجج المائلين إلى المخالطة ووجه ضعفها

احتج هؤلاء بقوله تعالى ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا ﴾ الآية وبقوله تعالى ﴿ فألف بين قلوبكم ﴾ أمتن على الناس بالسبب المؤلف وهذا ضعيف ؛ لأن المراد به تفرق الآراء واختلاف المذاهب فى معانى كتاب الله وأصول الشريعة . والمراد بالألفة نزع الغوائل من الصدور وهى الأسباب المثيرة للفتن المحركة للخصومات ، والعزلة لا تنافى ذلك .

واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن إلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف[1] » وهذا ضعيف لأنه إشارة إلى مذمة سوء الخلق تمتنع بسببه المؤالفة ، ولا يدخل تحته الحسن الخلق الذى إن خالط ألف وألف ولكنه ترك المخالطة اشتغالا بنفسه وطلبا للسلامة من غيره .

واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم « من فارق الجماعة شبرا خلع ربقة الإسلام من عنقه » وقال « من فارق الجماعة فمات فميتته جاهلية[2] » وبقوله صلى الله عليه وسلم « من شق عصا المسلمين والمسلمون فى إسلام دامج فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه[3] » وهذا ضعيف لأن المراد به الجماعة التى اتفقت آراؤهم على إمام بعقد البيعة فالخروج عليهم بغى ، وذلك مخالفة بالرأى وخروج عليهم وذلك محظور لاضطرار الخلق إلى إمام مطاع يجمع رأيهم ولا يكون ذلك إلا بالبيعة من الأكثر ، فالمخالفة تشويش مثير للفتنة فليس فى هذا تعرض للعزلة .

واحتجوا بنهيه صلى الله عليه وسلم عن الهجر فوق ثلاث إذ قال « من هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار[4] » وقال عليه السلام « لا يحل لامرئ مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق بالصلح يدخل الجنة[5] » وقال « من هجر أخاه سنة فهو كسافك دمه[6] » قالوا والعزلة هجره بالكلية . وهذا ضعيف لأن المراد به الغضب على الناس واللجاج فيه بقطع الكلام والسلام والمخالطة المعتادة ، فلا يدخل فيه ترك المخالطة أصلا من غير غضب . مع أن الهجر فوق ثلاث جائز فى موضعين ؛ أحدهما : أن يرى فيه إصلاحا للمهجور فى الزيادة . الثانى . أن يرى لنفسه سلامة فيه .

كتاب العزلة

الباب الأول : فى نقل المذاهب والحجج فيها

(١) حديث « المؤمن الف مألوف ... الحديث » تقدم فى الباب الأول من آداب الصحبة . (٢) حديث « من ترك الجماعة فمات فميتته جاهلية » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة وقد تقدم فى الباب الخامس من كتاب الحلال والحرام . (٣) حديث « من شق عصا المسلمين والمسلمون فى اسلام دامج فقد خلع ربقة الإسلام » أخرجه الطبرانى والخطابى فى العزلة من حديث ابن عباس بسند جيد

(٤) حديث « من هجر أخا فوق ثلاث فمات دخل النار » أخرجه أبو داود من حديث أبى هريرة بإسناد صحيح .

(٥) حديث « لا يحل لامرئ أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق بالصلح يدخل الجنة » متفق عليه من حديث أنس دون قوله « والسابق بالصلح » زاد فيه الطبرانى « والذى يبدأ بالصلح يسبق الى الجنة » . (٦) حديث « من هجر أخاه سنة فهو كسافك دمه » أخرجه أبو داود من حديث أبى خراش السلمى واسمه حدرد بن أبى حدرد واسناده صحيح .

والنهى وإن كان عاما فهو محمول على ماوراء الموضعين المخصوصين بدليل ماروى عن عائشة رضى الله عنها . أن النبي صلى الله عليه وسلم هجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر [١] . وروى عن عمر : أنه صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وآلى منهن شهرا وصعد إلى غرفة له وهى خزانته فلبث تسعا وعشرين يوما ؛ فلما نزل قيل له : إنك كنت فيها تسعا وعشرين ، فقال « الشهر قد يكون تسعا وعشرين [٢] » وروت عائشة رضى الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام إلا أن يكون ممن لاتؤمن بوائقه [٣] » فهذا صريح فى التخصيص وعلى هذا ينزل قول الحسن رحمه الله حيث قال : هجران الأحمق قربة إلى الله فإن ذلك يدوم إلى الموت إذ الحماقة لاينتظر علاجها . وذكر عند محمد بن عمر الواقدى رجل هجر رجلا حتى مات ؛ فقال : هذا شيء قدم تقدم فيه قوم ؛ سعد بن أبى وقاص كان مهاجرا لعمار بن ياسر حتى مات ، وعثمان بن عفان كان مهاجرا لعبدالرحمن بن عوف وعائشة كانت مهاجرة لحفصة . وكان طاوس مهاجرا لوهب بن منبه حتى ماتا . وكل ذلك يحمل على رؤيتهم سلامتهم فى المهاجرة .

واحتجوا بما روى : أن رجلا أتى الجبل ليتعبد فيه فجىء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « لاتفعل أنت ولا أحد منكم لصبر أحدكم فى بعض مواطن الإسلام خير له من عبادة أحدكم وحده أربعين عاما [٤] » والظاهر أنّ هذا إنما كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدة وجوبه فى ابتداء الاسلام بدليل ما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه أنه قال : غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررنا بشعب فيه عيينة طيبة الماء ؛ فقال واحد من القوم : لو اعتزلت الناس فى هذا الشعب ولن أفعل ذلك حتى أذكره لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم « لاتفعل فإن مقام أحدكم فى سبيل الله خير من صلاته فى أهله ستين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم وتدخلون الجنة اغزوا فى سبيل الله فإنه من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة أدخله الله الجنة [٥] » .

واحتجوا بما روى معاذ بن جبل أنه صلى الله عليه وسلم قال « إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ القاصية والناحية والشاردة وإياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد [٦] » وهذا إنما أراد به من اعتزل قبل تمام العلم ، وسيأتى بيان ذلك وأن ذلك ينهى عنه إلا لضرورة .

ذكر حجج المائلين إلى تفضيل العزلة

احتجوا بقوله تعالى حكايه عن إبراهيم عليه السلام ﴿ وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى ﴾ الآية ثم قال تعالى ﴿ فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ﴾ إشارة إلى أن ذلك ببركة العزلة . وهذا ضعيف لأن مخالطة الكفار لافائدة فيها إلا دعوتهم إلى الدين . وعند اليأس من إجابتهم فلا وجه

---

(١) حديث : أنه صلى الله عليه وسلم هجر عائشة ذا الحجة والمحرم وبعض صفر . قلت : إنما هجر زينب هذه المدة كما رواه أبو داود من حديث عائشة وسكت عليه فهو عنده صالح . (٢) حديث عمر : أنه صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وآلى منهن شهرا ... الحديث . متفق عليه . (٣) حديث عائشة . لايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث إلا أن يكون ممن لايأمن بوائقه أخرجه ابن عدى وقال غريب المتن والإسناد وحديث عائشة عند أبى داود دون الاستثناء بإسناد صحيح . (٤) حديث : أن رجلا أتى الجبل ليتعبد فيه فجىء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « لاتفعل » الحديث . أخرجه البيهقى من حديث عبدالله بن سلامة قال ابن عبد البر يقولون ان حديثه مرسل وكذا ذكره ابن حبان فى ثقات التابعين . (٥) حديث أبى هريرة : غزونا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررنا بشعب فيه عيينة طيبة الماء غزيرة فقال واحد من القوم : لو اعتزلت الناس فى هذا الشعب ... الحديث » أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم الا أن الترمذى قال سبعين عاما .

(٦) حديث معاذ بن جبل : الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ القاصية » أخرجه أحمد والطبرانى ورجاله ثقات الا أن فيه انقطاعا .

إلا هجرهم وإنما الكلام فى مخالطة المسلمين وما فيها من البركة لما روى أنه قيل : يارسول الله الوضوء من جر مخمر أحب إليك أو من هذه المطاهر التى يتطهر منها الناس ؟ فقال « بل من هذه المطاهر التماسا لبركة أيدى المسلمين[1] » وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم ليشرب منها ؛ فإذا التمر المنقع فى حياض الأدم وقد مغثه الناس بأيديهم وهم يتناولون منه ويشربون ، فاستسقى منه وقال « اسقونى » فقال العباس : إن هذا النبيذ شراب قد مغث وخيض بالأيدى أولا آتيك بشراب أنظف من هذا من جر مخمر فى البيت ؟ فقال « اسقونى من هذا الذى يشرب منه الناس ألتمس بركة أيدى المسلمين » فشرب منه[2] فإذن كيف يستدل باعتزال الكفار والأصنام على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم ؟

واحتجوا أيضا بقول موسى عليه السلام ﴿ وإن لم تؤمنوا لى فاعتزلون ﴾ وأنه فزع إلى العزله عند اليأس منهم وقال تعالى فى أصحاب الكهف ﴿ وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ﴾ أمرهم بالعزلة . وقد اعتزل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والهجرة إلى أرض الحبشة[3] ، ثم تلاحقوا به إلى المدينه بعد أن أعلى الله كلمته . وهذا أيضا اعتزال عن الكفار بعد اليأس منهم فإنه صلى الله عليه وسلم لم يعتزل المسلمين ولا من توقع إسلامه من الكفار . وأهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضا وهم مؤمنون وإنما اعتزلوا الكفار ، وإنما النظر فى العزلة من المسلمين .

واحتجوا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم لعبدالله بن عامر الجهنى لما قال : يارسول الله ماالنجاة ؟ قال « ليسعك بيتك وأمسك عليك لسانك وابك على خطيئتك[4] » وروى أنه قيل له صلى الله عليه وسلم : أى الناس أفضل ؟ قال « مؤمن مجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله تعالى » قيل : ثم من ؟ قال « رجل معتزل فى شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره[5] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب العبد التقى النقى الخفى[6] » .

وفى الاحتجاج بهذه الأحاديث نظر ، فأما قوله لعبدالله بن عامر فلا يمكن تنزيله إلا على ماعرفه صلى الله عليه وسلم بنور النبوة من حاله ، وأن لزوم البيت كان أليق به وأسلم له من المخالطة ، فإنه لم يأمر جميع الصحابة بذلك ، ورب شخص تكون سلامته فى العزله لافى المخالطة كما قد تكون سلامته فى القعود فى البيت وأن لايخرج إلى الجهاد ،

---

(١) حديث : قيل له صلى الله عليه وسلم الوضوء من جر مخمر أحب إليك أو من هذه المطاهر التى يطهر منها الناس ؟ فقال « بل من هذه المطاهر ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عمر وفيه ضعف (٢) حديث : لما طاف بالبيت عدل الى زمزم يشرب منها فإذا التمر منقع فى حياض الأدم قد مغثه الناس بأيديهم ... الحديث . وفيه فقال « اسقونى من هذا الذى يشرب منه الناس » رواه الأزرقى فى تاريخ مكة من حديث ابن عباس بسند ضعيف ومن رواية طاوس مرسلا نحوه .

(٣) حديث : اعتزاله صلى الله عليه وسلم قريشاً لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والهجرة الى الحبشة ... الحديث . رواه موسى بن عقبة فى المغازى ومن طريقه البيهقى فى الدلائل عن ابن شهاب مرسلا ، ورواه ابن سعد فى الطبقات من رواية ابن شهاب على بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام مرسلا أيضا ، ووصله من رواية أبى سلمة الحضرمى عن ابن عباس الا أن ابن سعد ذكر أن المشركين حصروا بنى هاشم فى الشعب ، وذكر موسى بن عقبة أن أبا طالب جمع بنى عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ، ومغازى موسى بن عقبة أصح المغازى وذكر موسى بن عقبة أيضاً أنه أمر أصحابه حين دخل الشعب بالخروج الى أرض الحبشة ، ولأبى داود من حديث أبى موسى : أمرنا النبى صلى الله عليه وسلم أن ننطلق الى أرض النجاشى . قال البيهقى وإسناده صحيح ولأحمد من حديث ابن مسعود : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشى . وروى ابن إسحق بإسناد جيد ومن طريقه البيهقى فى الدلائل من حديث أم سلمة : ان بأرض الحبشة ملكا لايظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده ... الحديث (٤) حديث : سأله عقبة بن عامر : يارسول الله ما النجاة ؟ فقال : ليسعك بيتك ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث عقبة وقال حسن (٥) حديث : أى الناس أفضل ؟ فقال « مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله . قيل : ثم من ؟ قال : رجل معتزل ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدرى (٦) حديث « ان الله يحب العبد التقى النقى الخفى » أخرجه مسلم من حديث سعد بن أبى وقاص .

وذلك لايدل على أن ترك الجهاد أفضل . وفى مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذى لايخالط الناس ولا يصبر على أذاهم [1] » وعلى هذا ينزل قوله عليه السلام « رجل معتزل يعبد ربه ويدع الناس من شره » فهذا إشارة إلى شرير بطبعه تتأذى الناس بمخالطته . وقوله « إن الله يحب التقى الخفى » إشارة إلى إيثار الخمول وتوقى الشهرة . وذلك لايتعلق بالعزلة فكم من راهب معتزل تعرفه كافة الناس ؟ وكم من مخالط خامل لا ذكر له ولا شهرة ؟ فهذا تعرض لأمر لايتعلق بالعزلة .

واحتجوا بما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه « ألا أنبئكم بخير الناس » قالوا : بلى يارسول الله ، فأشار بيده نحو المغرب وقال « رجل آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه ألا أنبئكم بخير الناس بعده ؟ » وأشار بيده نحو الحجاز وقال « رجل فى غنمه يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويعلم حق الله فى ماله اعتزل شرور الناس [2] » فإذا ظهر أن هذه الأدلة لاشفاء فيها من الجانبين فلا بد من كشف الغطاء بالتصريح بفوائد العزلة وغوائلها ومقايسة بعضها بالبعض ليتبين الحق فيها .

الباب الثانى : فى فوائد العزلة وغوائلها
وكشف الحق فى فضلها

اعلم أن اختلاف الناس فى هذا يضاهى اختلافهم فى فضيلة النكاح والعزوبة . وقد ذكرنا أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص بحسب ما فصلناه من آفات النكاح وفوائده ، فكذلك القول فيما نحن فيه . فلنذكر أولا فوائد العزلة وهى تنقسم إلى فوائد دينية ودنيوية . والدينية تنقسم إلى ما يمكن من تحصيل الطاعات فى الخلوة والمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم ، وإلى تخلص من ارتكاب المناهى التى يتعرض الإنسان لها بالمخالطة ، كالرياء والغيبة والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة من جلساء السوء . وأما الدنيوية فتنقسم إلى مايمكن من التحصيل بالخلوة ؛ كتمكن المحترف فى خلوته إلى مايخلص من محذورات يتعرض لها بالمخالطة ، كالنظر إلى زهرة الدنيا وإقبال الخلق عليها وطمعه فى الناس وطمع الناس فيه وانكشاف ستر مروءته بالمخالطة والتأذى بسوء خلق الجليس فى مرائه أو سوء ظنه أو نميمته أو محاسدته أو التأذى بثقله وتشويه خلقته . وإلى هذا ترجع مجامع فوائد العزلة فلنحصرها فى ست فوائد .

الفائدة الأولى

التفرغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق ، والاشتغال باستكشاف أسرار الله تعالى فى أمر الدنيا والآخرة وملكوت السموات والأرض ، فإن ذلك يستدعى فراغا ولا فراغ مع المخالطة ، فالعزلة وسيلة إليه . ولهذا قال بعض الحكماء : لايتمكن أحد من الخلوة إلا بالتمسك بكتاب الله تعالى . والمتمسكون بكتاب الله تعالى هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله الذاكرون الله بالله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولقوا الله

---

(١) حديث : الذى يخالط الناس ولايصبر على أذاهم » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر ولم يسم الترمذى الصحابي قال شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والطريق واحد (٢) حديث : ألا أنبئكم بخير الناس ؟ قالوا : بلى ، قال : فأشار بيده نحو المغرب وقال « رجل أخذ بعنان فرسه فى سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه » الحديث أخرجه الطبرانى من حديث أم مبشر إلا أنه قال : نحو المشرق ، بدل : المغرب ، وفيه ابن اسحق رواه بالعنعنة وللترمذى والنسائي نحوه مختصرا من حديث ابن عباس قال الترمذى حديث حسن .

بذكر الله . ولاشك فى أن هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر فالعزلة أولى بهم . ولذلك كان صلى الله عليه وسلم فى ابتداء أمره يتبتل فى جبل حراء وينعزل إليه حتى قوى فيه نور النبوة [1] فكان الخلق لايحجبونه عن الله فكان ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله تعالى حتى كان الناس يظنون أن أبا بكر خليله . فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن استغراق همه بالله فقال « لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبابكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله [2] » ولن يسع الجمع بين مخالطة الناس ظاهرا والإقبال على الله سرا إلا قوة النبوة فلا ينبغى أن يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع فى ذلك ، ولايبعد أن تنتهى درجة بعض الأولياء إليه . فقد نقل عن الجنيد أنه قال : أنا أكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أنى أكلمهم . وهذا إنما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقا لايبقى لغيره فيه متسع وذلك غير منكر ، فنى المشتهرين بحب الخلق من يخالط الناس ببدنه وهو لايدرى مايقول ولا مايقال له لفرط عشقه لمحبوبه . بل الذى دهاه ملم يشوش عليه أمرا من أمور دنياه فقد يستغرقه الهم بحيث يخالط الناس ولايحس بهم ولايسمع أصواتهم لشدة استغراقه . وأمر الآخرة أعظم عند العقلاء فلاتستحيل ذلك فيه ولكن الأولى بالأكثرين الاستعانة بالعزلة . ولذلك قيل لبعض الحكماء ؟ ماالذى أرادوا بالخلوة واختيار العزلة ؟ فقال : يستدعون بذلك دوام الفكرة وتثبت العلوم فى قلوبهم ليحيوا حياة طيبة ويذوقوا حلاوة المعرفة . وقيل لبعض الرهبان : ماأصبرك على الوحدة ! فقال : ما أنا وحدى أنا جليس الله تعالى إذا شئت أن يناجينى قرأت كتابه وإذا شئت أن أناجيه صليت . وقيل لبعض الحكماء : إلى أى شىء أفضى بكم الزهد والخلوة ؟ فقال : إلى الأنس بالله . وقال سفيان بن عيينة : لقيت إبراهيم ابن أدهم رحمه الله فى بلاد الشام فقلت له : ياإبراهيم تركت خراسان ؟ فقال : ماتهنأت بالعيش إلا ههنا أفر بدينى من شاهق إلى شاهق ، فمن يرانى يقول موسوس أو حمال أو ملاح . وقيل لغزوان الرقاشى : هبك لاتضحك فما يمنعك من مجالسة إخوانك ؟ قال : إنى أصيب راحة قلبى فى مجالسة من عنده حاجتى . وقيل للحسن ياأبا سعيد : ههنا رجل لم تره قط جالسا إلا وحده خلف سارية . فقال الحسن : إذا رأيتموه فأخبرونى به ؛ فنظروا إليه ذات يوم فقالوا للحسن : هذا الرجل الذى أخبرناك به ؟ وأشاروا إليه ؛ فمضى إليه الحسن وقال له . ياعبد الله أراك قد حببت إليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس ؟ فقال : أمر شغلنى عن الناس ، قال : فما يمنعك أن تأتى هذا الرجل الذى يقال له الحسن فتجلس إليه ؟ فقال أمر شغلنى عن الناس . وعن الحسن : فقال له الحسن وماذاك الشغل يرحمك الله ؟ فقال : إنى أصبح وأمسى بين نعمة وذنب فرأيت أن أشغل نفسى بشكر الله تعالى على النعمة والاستغفار من الذنب فقال له الحسن : أنت ياعبد الله أفقه عندى من الحسن فالزم ما أنت عليه . وقيل : بينما أويس القرنى جالس إذ أتاه هرم بن حيان فقال له أويس : ماجاء بك ؟ قال : جئت لآنس بك ، فقال أويس : ما كنت أرى أن أحدا يعرف ربه فيأنس بغيره ؛ وقال الفضيل : إذا رأيت الليل مقبلا فرحت به وقلت أخلو بربى ، وإذا رأيت الصبح أدركنى استرجعت كراهية لقاء الناس وأن يجيئنى من يشغلنى عن ربى . وقال عبدالله بن زيد : طوبى لمن عاش فى الدنيا وعاش فى الآخرة ، قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : يناجى الله فى الدنيا ويجاوره فى الآخرة . وقال ذو النون المصرى : سرور المؤمن ولذته فى الخلوة بمناجاة ربه . وقال مالك بن دينار : من لم يأنس بمحادثة الله عز وجل عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمى

الباب الثانى : فى فوائد العزلة وغوائلها

(١) حديث : كان صلى الله عليه وسلم فى أول أمره يتبتل فى جبل حراء وينعزل إليه . متفق عليه من حديث عائشة نحوه : فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه ... الحديث . (٢) حديث « لو كنت متخذاً خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله » أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

قلبه وضيع عمره . وقال ابن المبارك : ماأحب حال من انقطع إلى الله تعالى ! ويروى عن بعض الصالحين أنه قال : بينما أنا أسير فى بعض بلاد الشام إذا أنا بعابد خارج من بعض تلك الجبال فلما نظر إلى تنحى إلى أصل شجرة وتستر بها فقلت : سبحان الله تبخل على بالنظر إليك ؟ فقال : هذا إنى أقمت فى هذا الجبل دهرا طويلا أعالج قلبى فى الصبر عن الدنيا وأهلها فطال فى ذلك تعبى وفنى فيه عمرى فسألت الله تعالى أن لايجعل حظى من أيامى فى مجاهدة قلبى ، فسكنه الله عن الاضطراب وألفه الوحدة والانفراد ، فلما نظرت إليك خفت أن أقع فى الأمر الأول فإليك عنى فإنى أعوذ من شرك برب العارفين وحبيب القانتين ، ثم صاح : واغماه من طول المكث فى الدنيا ، ثم حول وجهه عنى ، ثم نفض يديه وقال : إليك عنى يادنيا لغيرى فتزينى وأهلك فغرى ، ثم قال : سبحان من أذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع إليه ماألهى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان ، وجمع همهم فى ذكره فلاشىء ألذ عندهم من مناجاته . ثم مضى وهو يقول : قدوس قدوس . فإذاً فى الخلوة أنس بذكر الله واستكثار من معرفة الله وفى مثل ذلك قيل :

وإنى لأستغشى وما بى غشوة لعل خيالا منك يلقى خياليا
وأخرج من بين الجلوس لعلنى أحدث عنك النفس بالسر خاليا

ولذلك قال بعض الحكماء : إنما يستوحش الإنسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة فيكثر حينئذ ملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه بالكون معهم ، فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الواحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة . وقد قيل الاستئناس من علامات الإفلاس فإذاً هذه فائدة جزيلة ولكن فى حق بعض الخواص ومن يتيسر له بدوام الذكر الأنس بالله أو بدوام الفكر التحقق فى معرفة الله فالتجرد له أفضل من كل مايتعلق بالمخالطة . فإن غاية العبادات وثمرة المعاملات أن يموت الإنسان محبا لله عارفا بالله ولا محبة إلا بالأنس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة إلا بدوام الفكر . وفراغ القلب شرط فى كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة .

الفائدة الثانية

التخلص بالعزلة عن المعاصى التى يتعرض الإنسان لها غالبا بالمخالطة ويسلم منها فى الخلوة وهى أربعة : الغيبة والنميمة ، والرياء والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة التى يوجبها الحرص على الدنيا .

أما الغيبة فإذا عرفت من كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات وجوهها عرفت أن التحرز عنها مع المخالطة عظيم لاينجو منها إلا الصديقون . فإن عادة الناس كافة التضمض بأعراض الناس والتفكه بها والتنفل بحلاوتها وهى طعمتهم ولذتهم وإليها يستروحون من وحشتهم فى الخلوة . فإن خالطتهم ووافقتهم أثمت وتعرضت لسخط الله تعالى ، وإن سكت كنت شريكا ، والمستمع أحد المغتابين ، وإن أنكرت أبغضوك وتركوا ذلك المغتاب واغتابوك فازدادوا غيبة إلى غيبة ، وربما زادوا على الغيبة وانتهوا إلى الاستخفاف والشتم .

وأما الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهو من أصول الدين وهو واجب ـ كما سيأتى بيانه فى آخر هذا الربع ـ ومن خالط الناس فلايخلو عن مشاهدة المنكرات فإن سكت عصى الله به ، وإن أنكر تعرض لأنواع من الضرر إذ ربما يجره طلب الخلاص عنها إلى معاص هى أكبر مما نهى عنه ابتداء . وفى العزلة خلاص من هذا فإن الأمر فى إهماله شديد والقيام به شاق . وقدم قام أبو بكر رضى الله عنه خطيبا وقال « أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية

﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ وإنكم تضعونها فى غير موضعها وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب[1] » وقدقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليسأل العبد حتى يقول له ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره فإذا لقن الله لعبد حجته قال يارب رجوتك وخفت الناس[2] » وهذا إذا خاف من ضرب أو أمر لايطاق . ومعرفة حدود ذلك مشكلة وفيه خطر . وفى العزلة خلاص وفى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إثارة للخصومات وتحريك لغوائل الصدور كما قيل :

وكم سقت فى آثاركم من نصيحة وقد يستفيد البغضة المتنصح

ومن جرب الأمر بالمعروف ندم عليه غالبا فإنه كجدار مائل يريد الإنسان أن يقيمه فيوشك أن يسقط عليه ؛ فإذا سقط عليه يقول ياليتنى تركته مائلا . نعم لو وجد أعوانا أمسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة لاستقام وأنت اليوم لا تجد الأعوان فدعهم وانج بنفسك .

وأما الرياء فهو الداء العضال الذى يعسر على الأبدال والأوتاد الاحتراز عنه . وكل من خالط الناس داراهم ، ومن داراهم راءاهم ومن راءاهم وقع فيما وقعوا فيه وهلك كما هلكوا . وأقل مايلزم فيه النفاق فإنك إن خالطت متعاديين ولم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقه صرت بغيضا إليهما جميعا ، وإن جاملتهما كنت من شرار الناس . وقال صلى الله عليه وسلم « تجدون من شرار الناس ذا الوجهين يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه[3] » وقال عليه السلام « إن من شر الناس ذا الوجهين يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه[4] » وأقل مايجب فى مخالطة الناس إظهار الشوق والمبالغة فيه ولايخلو ذلك عن كذب إما فى الأصل وإما فى الزيادة ، وإظهار الشفقة بالسؤال عن الأحوال بقولك : كيف أنت؟ وكيف أهلك ؟ وأنت فى الباطن فارغ القلب من همومه « وهذا نفاق محض . قال سرى : لو دخل أخ لى فسويت لحيتى بيدى لدخوله لخشيت أن أكتب فى جريدة المنافقين . وكان الفضيل جالسا وحده فى المسجد الحرام فجاء إليه أخ له فقال له : ماجاءبك ؟ قال : المؤانسة ياأبا على فقال : هى والله بالمواحشة أشبه هل تريد إلا أن تتزين لى وأتزين لك وتكذب لى وأكذب لك ؟ إما أن تقوم عنى أو أقوم عنك . وقال بعض العلماء : ما أحب الله عبدا إلا أحب أن لايشعر به . ودخل طاوس على الخليفة هشام فقال : كيف أنت ياهشام ؟ فغضب عليه وقال : لم لم تخاطبنى بأمير المؤمنين ؟ فقال : لأن جميع المسلمين مااتفقوا على خلافتك فخشيت أن أكون كاذبا . فمن أمكنه أن يحترز هذا الاحتراز فليخالط الناس وإلا فليرض بإثبات اسمه فى جريدة المنافقين . فقد كان السلف يتلاقون ويحترزون فى قولهم كيف أصبحت ؟ وكيف أمسيت ؟ وكيف أنت ؟ وكيف حالك ؟ وفى الجواب عنه . فكان سؤالهم عن أحوال الدين لا عن أحوال الدنيا . قال حاتم الأصم لحامد اللفاف : كيف أنت فى نفسك ؟ قال : سالم معافى : فكره حاتم جوابه وقال : ياحامد السلامة من وراء الصراط والعافية فى الجنة . وكان إذا قيل لعيسى صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت ؟ قال أصبحت لاأملك تقديم ماأرجو ولاأستطيع دفع ماأحاذر وأصبحت مرتهنا بعملى والخير كله فى يد غيرى ولا فقير أفقر منى

---

(١) حديث أبى بكر إنكم تقرءون هذه الآية ﴿ ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ وإنكم لتضعونها فى غير موضعها ... الحديث . أخرجه أصحاب السنن . قال الترمذى : حسن صحيح . (٢) حديث . إن الله يسأل العبد حتى يقول مامنعك إذا رأيت المنكر فى الدنيا أن تنكره ... الحديث . أخرجه ابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى بإسناد جيد .

(٣) حديث « تجدون من شرار الناس ذا الوجهين » متفق عليه من حديث أبى هريرة . (٤) حديث « إن من شر الناس ذا الوجهين » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة وهو الذى قبله .

وكان الربيع بن خثيم إذا قيل له : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت من ضعفاء مذنبين نستوفى أرزاقنا وننتظر آجالنا . وكان أبو الدرداء إذا قيل له : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت بخير إن نجوت من النار . وكان سفيان الثورى إذا قيل له : كيف أصبحت ؟ يقول : أصبحت أشكر ذا إلى ذا وأذم ذا إلى ذا وأفر من ذا إلى ذا ، وقيل لأويس القرنى : كيف أصبحت ؟ قال : كيف يصبح رجل إذا أمسى لايدرى أنه يصبح وإذا أصبح لايدرى أنه يمسى ؟ وقيل لمالك بن دينار كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت فى عمر ينقص وذنوب تزيد . وقيل لبعض الحكماء : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت لاأرضى حياتى لماتى ولا نفسى لربى . وقيل لحكيم : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت آكل رزق ربى وأطيع عدوّه إبليس . وقيل لمحمد بن واسع : كيف أصبحت ؟ قال : ماظنك برجل يرتحل كل يوم إلى الآخرة مرحلة . وقيل لحامد اللفاف : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت أشتهى عافية يوم إلى الليل ، فقيل له : ألست فى عافية فى كل الأيام ؟ فقال . العافية يوم لاأعصى الله تعالى فيه . وقيل لرجل وهو يجود بنفسه : ماحالك ؟ فقال : وماحال من يريد سفرا بعيدا بلازاد ويدخل قبرا موحشا بلا مؤنس وينطلق إلى ملك عدل بلاحجة . وقيل لحسان ابن أبى سنان : ما حالك : قال : ماحال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب . وقال ابن سيرين لرجل : كيف حالك ؟ فقال : وما حال من عليه خمسمائة درهم دينا وهو معيل ؟ فدخل ابن سيرين منزله فأخرج له ألف درهم فدفعها إليه وقال : خمسمائة اقض بها دينك وخمسمائة عد بها على نفسك وعيالك ـ ولم يكن عنده غيرها ـ ثم قال : والله لاأسأل أحدا عن حاله أبدا . وإنما فعل ذلك لأنه خشى أن يكون سؤاله من غير اهتمام بأمره فيكون بذلك مرائيا منافقا . فقد كان سؤالهم عن أمور الدين وأحوال القلب فى معاملة الله وإن سألوا عن أمور الدنيا فعن اهتمام وعزم على القيام بما يظهر لهم من الحاجة . وقال بعضهم : إنى لأعرف أقواما كانوا لايتلاقون ولو حكم أحدهم على صاحبه بجميع مايملكه لم يمنعه ، وأرى الآن أقواما يتلاقون ويتساءلون حتى عن الدجاجة فى البيت . ولو انبسط أحدهم لحبة من مال صاحبه لمنعه فهل هذا إلا مجرد الرياء والنفاق ؟ وآية ذلك أنك ترى هذا يقول كيف أنت ؟ ويقول الآخر كيف أنت ؟ فالسائل لاينتظر الجواب والمسئول يشتغل بالسؤال ولايجيب ، وذلك لمعرفتهم بأن ذلك عن رياء وتكلف . ولعل القلوب لاتخلو عن ضغائن وأحقاد والألسنة تنطق بالسؤال . قال الحسن : إنما كانوا يقولون السلام عليكم ، إذا سلمت والله القلوب ، وأما الآن : فكيف أصبحت عافاك الله ؟ كيف أنت أصلحك الله ؟ فإن أخذنا بقولهم كانت بدعة لاكرامة فإن شاءوا غضبوا علينا ، وإن شاؤا لا . وإنما قال ذلك لأن البداية بقولك : كيف أصبحت بدعة . وقال رجل لأبى بكر بن عياش : كيف أصبحت ؟ فما أجابه . وقال دعونا من هذه البدعة . وقال : إنما حدث هذا فى زمان الطاعون الذى كان يدعى طاعون عمواس بالشام من الموت الذريع ، كان الرجل يلقاه أخوه غدوة فيقول كيف أصبحت من الطاعون ؟ ويلقاه عشية فيقول : كيف أمسيت ؟ والمقصود أن الالتقاء فى غالب العادات ليس يخلو عن أنواع من التصنع والرياء والنفاق ، وكل ذلك مذموم ، بعضه محظور وبعضه مكروه . وفى العزلة الخلاص من ذلك ، فإن من لقى الخلق ولم يخالقهم بأخلاقهم مقتوه واستثقلوه واغتابوه وتشمروا لإيذائه فيذهب دينهم فيه ويذهب دينه ودنياه فى الانتقام منهم .

وأما مسارقة الطبع بما يشاهده من أخلاق الناس وأعمالهم فهو داء دفين قلما يتنبه له العقلاء فضلا عن الغافلين ، فلا يجالس الإنسان فاسقا مدة مع كونه منكرا عليه فى باطنه إلا ولو قاس نفسه إلى ماقبل مجالسته لأدرك بينهما تفرقة فى النفرة عن الفساد واستثقاله إذ يصير للفساد بكثرة المشاهدة هينا على الطبع فيسقط وقعه واستعظامه له ،

وإنما الوازع عنه شدّة وقعه فى القلب فإذا صار مستصغرا بطول المشاهدة أوشك أن تنحل القوّة الوازعة ويذعن الطبع للميل إليه أولما دونه . ومهما طالت مشاهدته للكبائر من غيره استحقر الصغائر من نفسه : ولذلك يزدرى الناظر إلى الأغنياء نعمة الله عليه فتؤثر مجالستهم فى أن يستصغر ما عنده وتؤثر مجالسة الفقراء فى استعظام ما أتيح له من النعم . وكذلك النظر إلى المطيعين والعصاة هذا تأثيره فى الطبع من يقصر نظره على ملاحظة أحوال الصحابة والتابعين فى العبادة والتنزه عن الدنيا فلا يزال ينظر إلى نفسه بعين الاستصغار وإلى عبادته بعين الاستحقار : وما دام يرى نفسه مقصرا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة فى الاستكمال واستتماما للاقتداء . ومن نظر إلى الأحوال الغالبة على أهل الزمان وإعراضهم عن الله وإقبالهم على الدنيا واعتيادهم المعاصى استعظم أمر نفسه بأدنى رغبة فى الخير يصادفها فى قلبه وذلك هو الهلاك . ويكفى فى تغيير الطبع مجرد سماع الخير والشر فضلا عن مشاهدته . وبهذه الدقيقة يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم « عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة [1] » وإنما الرحمة دخول الجنة ولقاء الله وليس ينزل عند الذكر عين ذلك ولكن سببه وهو انبعاث الرغبة من القلب وحركة الحرص على الاقتداء بهم والاستنكاف عما هو ملابس له من القصور والتقصير . ومبدأ الرحمة فعل الخير ومبدأ فعل الخير الرغبة ، ومبدأ الرغبة ذكر أحوال الصالحين ، فهذا معنى نزول الرحمة . والمفهوم من فحوى هذا الكلام عند الفطن كالمفهوم من عكسه وهو أن عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنة لأن كثرة ذكرهم تهوّن على الطبع أمر المعاصى ، واللعنة هى البعد . ومبدأ البعد من الله هو المعاصى ، والإعراض عن الله بالإقبال على الحظوظ العاجلة والشهوات الحاضرة لا على الوجه المشروع . ومبدأ المعاصى سقوط ثقلها وتفاحشها عن القلب . ومبدأ سقوط الثقل وقوع الأنس بها بكثرة السماع . إذا كان هذا حال ذكر الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم ؟ بل قد صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « مثل الجليس السوء كمثل الكير إن لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه [2] » فكما أن الريح يعلق بالثوب ولا يشعر به فكذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر به . وقال « مثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك إن لم يهب لك منه تجد ريحه » ولهذا أقول من عرف من عالم زلة حرم عليه حكايتها لعلتين ، إحداهما : أنها غيبة ، والثانية وهى أعظمهما . أن حكايتها تهون على المستمعين أمر تلك الزلة ، ويسقط من قلوبهم استعظامهم الإقدام عليها فيكون ذلك سببا لتهوين تلك المعصية فإنه مهما وقع فيها فاستنكر ذلك دفع الاستنكار وقال كيف يستبعد هذا منا وكلنا مضطرون إلى مثله حتى العلماء والعباد ؟ ولو اعتقد أن مثل ذلك لا يقدم عليه عالم ولا يتعاطاه موفق معتبر لشق عليه الإقدام ، فكم من شخص يتكالب على الدنيا ويحرص على جمعها ويتهالك على حب الرياسة وتزيينها ويهوّن على نفسه قبحها ويزعم أن الصحابة رضى الله عنهم لم ينزهوا أنفسهم عن حب الرياسة ؟ وربما يستشهد عليه بقتال على ومعاوية ويخمن فى نفسه أن ذلك لم يكن لطلب الحق بل لطلب الرياسة ، فهذا الاعتقاد خطأ يهون عليه أمر الرياسة ولوازمها من المعاصى . والطبع اللئيم يميل إلى اتباع الهفوات والإعراض عن الحسنات بل إلى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالتنزيل على مقتضى الشهوة ليتعلل به وهو من دقائق مكايد الشيطان ، ولذلك وصف الله المراغمين للشيطان فيها بقوله ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ وضرب صلى الله عليه وسلم لذلك مثلا وقال مثل الذى يجلس يستمع الحكمة ثم لا يعمل إلا بشر ما يستمع كمثل رجل أتى راعيا فقال له يا راعى اجرر لى شاة من غنمك فقال اذهب فخذ خير شاة فيها فذهب

---

(١) حديث « عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة » ليس له أصل فى الحديث المرفوع وإنما هو من قول سفيان ابن عيينة كذا رواه ابن الجوزى فى مقدمة صفوة الصفوة .

(٢) حديث « مثل الجليس السوء كمثل الكير ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى موسى .

فأخذ بأذن كلب الغنم [١] » وكل من ينقل هفوات الأئمة فهذا مثاله أيضا . ومما يدل على سقوط وقع الشيء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته أن أكثر الناس إذا رأوا مسلما أفطر فى نهار رمضان استبعدوا ذلك منه استبعادا يكاد يفضى إلى اعتقادهم كفره ، وقد يشاهدون من يخرج الصلوات عن أوقاتها ولا تنفر عنه طباعهم كنفرتهم عن تأخير الصوم ، مع أن صلاة واحدة يقتضى تركها الكفر عند قوم وحز الرقبة عند قوم ، وترك صوم رمضان كله لا يقتضيه ولا سبب له إلا أن الصلاة تتكرر والتساهل فيها مما يكثر فيسقط وقعها بالمشاهدة عن القلب . ولذلك لو لبس الفقيه ثوبا من حرير أو خاتما من ذهب أو شرب من إناء فضة استبعدته النفوس واشتد إنكارها ، وقد يشاهد فى مجلس طويل لا يتكلم إلا بما هو اغتياب للناس ولا يستبعد منه ذلك . والغيبة أشد من الزنا فكيف لا تكون أشد من لبس الحرير ؟ ولكن كثرة سماع الغيبة ومشاهدة المغتابين أسقط وقعها عن القلوب وهون على النفس أمرها ، فتفطن لهذه الدقائق وفر من الناس فرارك من الأسد لأنك لا تشاهد منهم إلا ما يزيد فى حرصك على الدنيا وغفلتك عن الآخرة ويهون عليك المعصية ويضعف رغبتك فى الطاعة . فإن وجدت جليسا يذكرك الله رؤيته وسيرته فالزمه ولا تفارقه واغتنمه ولا تستحقره فإنها غنيمة العاقل وضالة المؤمن . وتحقق أن الجليس الصالح خير من الوحدة وأن الوحدة خير من الجليس السوء . ومهما فهمت هذه المعانى ولاحظت طبعك والتفت إلى حال من أردت مخالطته لم يخف عليك أن الأولى التباعد بالعزلة أو التقرب إليه بالخلطة . وإياك أن تحكم مطلقا على العزلة أو الخلطة بأن إحداهما أولى إذ كل مفصل فإطلاق القول فيه بلا أو نعم خلف من القول محض ولا حق فى المفصل إلا التفصيل .

الفائدة الثالثة

الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لأخطارها وقلما تخلو البلاد عن تعصبات وفتن وخصومات ، فالمعتزل عنهم فى سلامة منها . قال عبدالله بن عمرو بن العاص : لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتن ووصفها وقال « إذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا ـ وشبك بين أصابعه ـ ، قلت: فما تأمرنى ؟ فقال « الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة [٢] » وروى أبو سعيد الخدرى أنه صلى الله عليه وسلم قال « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن من شاهق إلى شاهق [٣] » وروى عبدالله ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال : « سيأتى على الناس زمان لا يسلم لذى دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاهق إلى شاهق ومن جحر إلى جحر كالثعلب الذى يروغ » قيل له : ومتى ذلك يارسول الله ؟ قال « إذا لم تنل المعيشة إلا بمعاصى الله تعالى فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة » قالوا : وكيف يارسول الله وقد أمرتنا بالتزويج ؟ قال « إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه فإن لم يكن له أبوان فعلى يدى زوجته وولده فإن لم يكن فعلى يدى قرابته » قالوا : وكيف ذلك يارسول الله ؟ قال « يعيرونه بضيق اليد فيتكلف مالا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة [٤] » وهذا الحديث وإن كان فى العزوبة فالعزلة مفهومة منه إذ لا يستغنى المتأهل عن

---

(١) حديث « مثل الذى يسمع الحكمة ثم لا يحمل منها إلا شر ما يسمع كمثل رجل أتى راعيا فقال يا راعى اجزر لى شاة من غنمك ... الحديث » أخرجه ابن ماجه من حديث أبى هريرة بسند ضعيف . (٢) حديث عبدالله بن عمرو بن العاص « إذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم ... الحديث » أخرجه أبو داود والنسائى فى اليوم والليلة بإسناد حسن. (٣) حديث أبى سعيد الخدرى « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعاف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » رواه البخارى (٤) حديث ابن مسعود « سيأتى على الناس زمان لا يسلم لذى دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاهق إلى شاهق » تقدم فى النكاح

المعيشة والمخالطة ثم لاينال المعيشة إلا بمعصية الله تعالى ، ولست أقول : هذا أوان ذلك الزمان فلقد كان هذا بأعصار قبل هذا العصر ، ولأجله قال سفيان : والله لقد حلت العزلة . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الفتنة وأيام الهرج قلت : وما الهرج ؟ قال « حين لايأمن الرجل جليسه » قلت : فبم تأمرنى إن أدركت ذلك الزمان ؟ قال « كف نفسك ويدك وادخل دارك » قال : قلت يارسول الله أرأيت إن دخل على دارى ؟ قال « فادخل بيتك » قلت : فإن دخل على بيتى ؟ قال « فادخل مسجدك واصنع هكذا » وقبض على الكوع « وقل ربى الله حتى تموت [1] » وقال سعد ـ لما دعى إلى الخروج أيام معاوية ـ لا ... إلا أن تعطونى سيفا له عينان بصيرتان ولسان ينطق بالكافر فأقتله وبالمؤمن فأكف عنه ، وقال : مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محجة بيضاء فبينما هم كذلك يسيرون إذ هاجت ريح عجاجة فضلوا الطريق فالتبس عليهم ؛ فقال بعضهم الطريق ذات اليمين فأخذوا فيها فتاهوا وضلوا ، وقال بعضهم ذات الشمال فأخذوا فيها فتاهوا وضلوا ، وأناخ آخرون وتوقفوا حتى ذهبت الريح وتبينت الطريق فسافروا . فاعتزل سعد وجماعة معه فارقوا الفتن ولم يخالطوا إلا بعد زوال الفتن . وعن ابن عمر رضى الله عنهما : أنه لما بلغه أن الحسين رضى الله عنه توجه إلى العراق تبعه فلحقه على مسيرة ثلاثة أيام فقال له : أين تريد ؟ فقال : العراق . فإذا معه طوامير وكتب ؛ فقال : هذه كتبهم وبيعتهم فقال : لاتنظر إلى كتبهم ولاتأتهم ؛ فأبى ، فقال : إنى أحدثك حديثا ؛ جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا وإنك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لايليها أحد منكم أبدا وماصرفها عنكم إلا للذى هو خير لكم ، فأبى أن يرجع ، فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال : أستودعك الله من قتيل أو أسير [2] . وكان فى الصحابة عشرة آلاف فما خف أيام الفتنة أكثر من أربعين رجلا . وجلس طاوس فى بيته فقيل له فى ذلك فقال : فساد الزمان وحيف الأئمة . ولما بنى عروة قصره بالعقيق ولزمه قيل له : لزمت القصر وتركت مسجد رسول صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : رأيت مساجدكم لاهية وأسواقكم لاغية والفاحشة فى فجاجكم عالية وفيما هناك عما أنتم فيه عافية . فإذن الحذر من الخصومات ، ومثارات الفتن إحدى فوائد العزلة .

الفائدة الرابعة : الخلاص من شر الناس

فإنهم يؤذونك مرة بالغيبة ومرة بسوء الظن والتهمة بالاقتراحات والأطماع الكاذبة التى يعسر الوفاء بها ، وتارة بالنميمة أو الكذب فربما يرون منك من الأعمال أو الأقوال مالاتبلغ عقولهم كنهه فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها لوقت تظهر فرصة للشر ، فإذا اعتزلتهم استغنيت من التحفظ عن جميع ذلك . ولذلك قال بعض الحكماء لغيره : أعلمك بيتين خير من عشرة آلاف درهم ؟ : ماهما ؟ قال :

اخفض الصوت إن نطقت بليل والتفت بالنهار قبل المقال
ليس للقول رجعة حين يبدو بقبيح يكون أو بجمال

ولا شك أن من اختلط بالناس وشاركهم فى أعمالهم لاينفك من حاسد وعدو يسىء الظن به ويتوهم أنه يستعد

---

(١) حديث ابن مسعود : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتنة وأيام الهرج قلت : وما الهرج ؟ قال « حين لايأمن الرجل جليسه ... الحديث » أخرجه أبو داود مختصراً والخطابى فى العزلة بتمامه وفى إسناده عند الخطابى انقطاع ووصله أبو داود بزيادة رجل اسمه سالم يحتاج إلى معرفته . (٢) حديث ابن عمر : أنه لما بلغه أن الحسين توجه إلى العراق لحقه على مسيرة ثلاثة أيام ... الحديث . وفيه : أنه صلى الله عليه وسلم خير بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة . رواه الطبرانى مقتصرا على المرفوع رواه فى الأوسط بذكر قصة الحسين مختصرة ولم يقل : على مسيرة ثلاثة أيام . وكذا رواه البزار بنحوه وإسنادهما حسن .

لمعاداته ونصب المكيدة عليه وتدسيس غائلة وراءه فالناس مهما اشتد حرصهم على أمر ﴿يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم﴾ وقد اشتد حرصهم على الدنيا فلا يظنون بغيرهم إلا الحرص عليها . قال المتنبي :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

وعادى محبيه بقول عداته فأصبح فى ليل من الشك مظلم

وقد قيل : معاشرة الأشرار تورث سوء الظن بالأبرار . وأنواع الشر الذى يلقاه الإنسان من معارفه وممن يختلط به كثيرة : ولسنا نطول بتفصيلها ففيما ذكرناه إشارة إلى مجامعها ، وفى العزلة خلاص من جميعها . وإلى هذا أشار الأكثر ممن اختار العزلة . فقال أبو الدرداء : أخبر تقله ، يروى مرفوعا . وقال الشاعر :

من حمد الناس ولم يبلهم ثم بلاهم ذم من يحمد

وصار بالوحدة مستأنسا يوحشه الأقرب والأبعد

وقال عمر رضى الله عنه : فى العزلة راحة من القرين السوء . وقيل لعبدالله بن الزبير : ألا تأتى المدينة ؟ فقال : مابقى فيها إلا حاسد نعمة أوفرح بنقمة . وقال ابن السماك : كتب صاحب لنا ، أما بعد فإن الناس كانوا دواء يتداوى به فصاروا داء لادواء له ففر منهم فرارك من الأسد . وكان بعض الأعراب يلازم شجرا ويقول : هو نديم فيه ثلاث خصال ، إن سمع منى لم ينم على ، وإن تفلت فى وجهه احتمل منى ، وإن عربدت عليه لم يغضب ، فسمع الرشيد ذلك فقال : زهدنى فى الندماء ، وكان بعضهم قد لزم الدفاتر والمقابر فقيل له ذلك فقال : لم أر أسلم من وحدة ولا أوعظ من قبر ، ولاجليسا أمتع من دفتر ، وقال الحسن رضى الله عنه : أردت الحج فسمع ثابت البنانى بذلك ـ وكان أيضا من أولياء الله ـ فقال : بلغنى أنك تريد الحج فأحببت أن أصحبك ، فقال له الحسن : ويحك دعنا نتعاشر بستر الله علينا إنى أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض مانتماقت عليه . وهذه إشارة إلى فائدة أخرى فى العزلة وهو بقاء الستر على الدين والمروءة والأخلاق والفقر وسائر العورات . وقد مدح الله سبحانه المتسترين فقال ﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾ وقال الشاعر :

ولا عار إن زالت عن الحر نعمة ولكن عارا أن يزول التجمل

ولا يخلو الإنسان فى دينه ودنياه وأخلاقه وأفعاله عن عورات الأولى فى الدين والدنيا سترها ولا تبقى السلامة مع انكشافها . وقال أبو الدرداء : كان الناس ورقا لاشوك فيه فالناس اليوم شوكا لا ورق فيه . إذا كان هذا حكم زمانه وهو فى أواخر القرن الأول فلا ينبغى أن يشك فى أن الأخير شر . وقال سفيان بن عيينة : قال لى سفيان الثورى ـ فى اليقظة فى حياته وفى المنام بعد وفاته ـ أقلل من معرفة الناس فإن التخلص منهم شديد ولا أحسب أنى رأيت ما أكره إلا ممن عرفت : وقال بعضهم : جئت إلى مالك بن دينار وهو قاعد وحده ، وإذا كلب قد وضع حنكه على ركبته : فذهب أطرده فقال : دعه ياهذا هذا لايضر ولا يؤذى وهو خير من جليس السوء . وقيل لبعضهم : ما حملك على أن تعتزل الناس ؟ قال : خشيت أن أسلب دينى ولا أشعر . وهذه إشارة إلى مسارقة الطبع من أخلاق القرين السوء . وقال أبو الدرداء : اتقوا الله واحذروا الناس فإنهم ماركبوا ظهر بعير إلا أدبروه ، ولا ظهر جواد إلا عقروه ، ولاقلب مؤمن إلا خربوه . وقال بعضهم : أقلل المعارف فإنه أسلم لدينك وقلبك ، وأخف لسقوط الحقوق عنك ، لأنه كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع . وقال بعضهم : أنكر من تعرف ولا تتعرف إلى من لاتعرف .

الفائدة الخامسة

أن ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس . فأما انقطاع طمع الناس عنك ففيه فوائد ، فإن رضا الناس غاية لاتدرك فاشتغال المرء بإصلاح نفسه أولى ومن أهون الحقوق وأيسرها حضور الجنازة وعيادة المريض وحضور الولائم والإملاكات ، وفيها تضييع الأوقات وتعرض للآفات ، ثم قدتعوق عن بعضها العوائق وتستقبل فيها المعاذير ، ولايمكن إظهار كل الأعذار فيقولون لهقمت بحق فلان وقصرت فى حقنا ، ويصير ذلك سبب عداوة فقد قيل : من لم يعد مريضا فى وقت العيادة اشتهى موته خيفة من تخجيله إذا صح على تقصيره . ومن عمم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم ، ولو خصص استوحشوا . وتعميمهم بجميع الحقوق لايقدر عليه المتجرد له طول الليل والنهار فكيف من له مهم يشغله فى دين أو دنيا ؟ قال عمرو بن العاص : كثرة الأصدقاء كثرة الغرماء . وقال ابن الرومى :

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب

وقال الشافعى رحمه الله : أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام . وأما انقطاع طمعك عنهم فهو أيضا فائدة جزيلة ، فإن من نظر إلى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه ولا يرى إلا الخيبة فى أكثر الأحوال فيتأذى بذلك . ومهما اعتزل لم يشاهد ، وإذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع ولذلك قال الله تعالى ﴿ ولا تمدنّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلىمن هو فوقكم فإنه أجدر أن لاتزدروا نعمة الله عليكم[1] » وقال عون بن عبدالله : كنتأجالس الأغنياء فلم أزل مغموما ، كنت أرى ثوبا أحسن من ثوبى ودابة أفره من دابتى فجالستالفقراء فاسترحت . وحكى أنالمزنى رحمه الله خرج من باب جامع الفسطاط وقد أقبل ابن عبد الحكم فى موكبه فبهره مارأى من حسن حاله وحسن هيئته فتلا قوله تعالى ﴿ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ﴾ ثم قال بلى أصبر وأرضى ، وكان فقيرا مقلا . فالذى هو فى بيته لايبتلى بمثل هذه الفتن . فإن من شاهد زينة الدنيا فإما أن يقوى دينه ويقينه فيصبر إلى أن يتجرع مرارة الصبر ـ وهو أمر من الصبر ـ أو تنبعث رغبته فيحتال فى طلب الدنيا فيهلك هلاكا مؤبدا ، أما فى الدنيا فبالطمع الذى يخيب فى أكثر الأوقات فليس كل من يطلب الدنيا تتيسر له ، وأما فى الآخرة فإيثاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتفرت إليه . ولذلك قال ابن الأعرابى :

إذا كان باب الذل من جانب الغنى سموت إلى العلياء من جانب الفقر

أشار إلى أن الطمع يوجب فى الحال ذلا .

الفائدة السادسة

الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمق ومقاساة حمقهم وأخلاقهم ، فإن رؤية الثقيل هى العمى الأصغر . قيل للأعمش : مم عمشت عيناك ؟ قال : من النظر إلى الثقلاء . ويحكى أنه دخل عليه أبوحنيفة فقال : فى الخبر « إن من

---

(١) حديث « انظروا الى من هو دونكم ولاتنظروا الى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لاتزدروا نعمة الله عليكم » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة .

سلب الله كريمتيه عوضه الله عنهما ماهو خير منهما [1] ، فما الذى عوضك ؟ فقال ـ فى معرض المطايبة ـ عوضنى الله منهما أنه كفانى رؤية الثقلاء وأنت منهم . وقال ابن سيرين : سمعت رجلا يقول نظرت إلى ثقيل مرة فغشى على . وقال جالينوس : لكل شىء حمى وحمى الروح النظر إلى الثقلاء . وقال الشافعى رحمه الله : ماجالست ثقيلا إلا وجدت الجانب الذى يليه من بدنى كأنه أثقل على من الجانب الآخر .

وهذه الفوائد ماسوى الأولين متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة ولكنها أيضا تتعلق بالدين . فإن الإنسان مهما تأذى برؤية ثقيل لم يأمن أن يغتابه وأن يستنكر ماهو صنع الله ، فإذا تأذى من غيره بغيبة أو سوء ظن أو محاسدة أو نميمة أو غير ذلك لم يصبر عن مكافأته . وكل ذلك يجر إلى فساد الدين وفى العزلة سلامة عن جميع ذلك فليفهم .

آفات العزلة

اعلم أن من المقاصد الدينية والدنيوية مايستفاد بالاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك إلا بالمخالطة . فكل مايستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة ، وفواته من آفات العزلة . فانظر إلى فوائد المخالطة والدواعى إليها ماهى ، وهى التعليم والتعلم ، والنفع والانتفاع ، والتأديب والتأدب ، والاستئناس والإيناس ، ونيل الثواب وإنالته فى القيام بالحقوق ، واعتياد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الأحوال والاعتبار بها . فلنفصل ذلك فإنها من فوائد المخالطة وهى سبع :

الفائدة الأولى : التعليم والتعلم

وقد ذكرنا فضلهما فى كتاب العلم وهما أعظم العبادات فى الدنيا . ولا يتصور ذلك إلا بالمخالطة إلا أن العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة ، وبعضها ضرورى فى الدنيا . فالمحتاج إلى التعلم لما هو فرض عليه عاص بالعزلة . وإن تعلم الفرض وكان لايتأتى منه الخوض فى العلوم ورأى الاشتغال بالعبادة فليعتزل . وإن كان يقدر على التبرز فى علوم الشرع والعقل فالعزلة فى حقه قبل التعلم غاية الخسران . ولهذا قال النخعى وغيره : تفقه ثم اعتزل فمن اعتزل قبل التعلم فهو فى الأكثر مضيع أوقاته بنوم أو فكر فى هوس ، وغايته أن يستغرق الأوقات بأوراد يستوعبها ، ولا ينفك فى أعماله بالبدن والقلب عن أنواع من الغرور يخيب سعيه ويبطل عمله بحيث لايدرى ، ولا ينفك اعتقاده فى الله وصفاته عن أوهام يتوهمها ويأنس بها وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها فيكون فى أكثر أحواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العباد . فالعلم هو أصل الدين فلا خير فى عزلة العوام والجهال ، أعنى من لايحسن العبادة فى الخلوة ولا يعرف جميع مايلزم فيها . فمثال النفس مثال مريض يحتاج إلى طبيب متلطف يعالجه ، فالمريض الجاهل إذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل أن يتعلم الطب تضاعف لامحالة مرضه . فلا تليق العزلة إلا بالعالم واما التعليم ففيه ثواب عظيم مهما صحت نية المعلم والمتعلم . ومهما كان القصد إقامة الجاه والاستكثار بالأصحاب والأتباع فهو هلاك الدين . وقد ذكرنا وجه ذلك فى كتاب العلم .

وحكم فى العالم فى هذا الزمان أن يعتزل إن أراد سلامة دينه . فإنه لايرى مستفيدا يطلب فائدة لدينه ، بل لاطالب إلا لكلام مزخرف ـ يستميل به العوام فى معرض الوعظ أو الجدل ـ معقد يتوصل به إلى إفحام الأقران ويتقرب به إلى السلطان ويستعمل فى معرض المنافسة والمباهاة ، وأقرب علم مرغوب فيه : المذهب ، ولايطلب غالبا إلا للتوصل إلى التقدم على الأمثال وتولى الولايات واجتلاب الأموال . فهؤلاء كلهم يقتضى الدين والحزم الاعتزال عنهم ،

---

(١) حديث « من سلب الله كريمتيه عوضه عنهما ماهو خير منهما » أخرجه الطبرانى بإسناد ضعيف من حديث جرير « من سلبت كريمتيه عوضته عنهما الجنة » وله ولأحمد نحوه من حديث أبى أمامة بسند حسن ، وللبخارى من حديث أنس « يقول الله تبارك وتعالى إذا ابتليت عبدى بحبيبتيه ثم صبر عوضته منهما الجنة » يريد عينيه .

فإن صودف طالب لله ومتقرب بالعلم إلى الله فأكبر الكبائر الاعتزال عنه وكتمان العلم منه ، وهذا لايصادف فى بلدة كبيرة أكثر من واحد أو اثنين إن صودف .

ولا ينبغى أن يغتر الإنسان بقول سفيان : تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله ، فإن الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون إلى الله . وانظر إلى أواخر أعمار الأكثرين منهم واعتبرهم أنهم ماتوا ، وهم هلكى على طلب الدنيا ومتكالبون عليها أوراغبون عنها وزاهدون فيها ، وليس الخبر كالمعاينة . واعلم أن العلم الذى أشار إليه سفيان هو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفه سير الأنبياء والصحابة ، فإن فيها التخويف والتحذير وهو سبب لإثارة الخوف من الله فإن لم يؤثر فى الحال أثر فى المآل .

وأما الكلام والفقه المجرد ـ الذى يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات ـ المذهب منه والخلاف لايرد الراغب فيه للدنيا إلى الله ، بل لايزال متماديا فى حرصه إلى آخر عمره . ولعل ماأودعناه هذاالكتاب إن تعلمه المتعلم رغبة فى الدنيا فيجوز أن يرخص فيه ، إذ يرجى أن ينزجر به فى آخر عمره فإنه مشحون بالتخويف بالله والترغيب فى الآخرة والتحذير من الدنيا ، وذلك مما يصادف فى الأحاديث وتفسير القرآن ولا يصادف فى كلام ولا فى خلاف ولافى مذهب . فلا ينبغى أن يخادع الإنسان نفسه فإن المقصر العالم بتقصيره أسعد حالامن الجاهل المغرور أوالمتجاهل المغبون وكل عالم اشتد حرصه على التعليم يوشك أن يكون غرضه القبول والجاه ، وحظه تلذذ النفس فى الحال باستشعار الإدلال على الجهال والتكبر عليهم ، فآفة العلم الخيلاء [1] كما قال صلى الله عليه وسلم . ولذلك حكى عن بشر أنه دفن سبعة عشر قمطرا من كتب الأحاديث التى سمعها ، وكان لايحدث ، ويقول : إنى أشتهى أن أحدث فلذلك لاأحدث ولو اشتهيت أن لاأحدث لحدثت ، ولذلك قال « حدثنا » باب من أبواب الدنيا ، وإذا قال الرجل « حدثنا » فإنما يقول أوسعوا لى . وقالت رابعة العدوية لسفيان الثورى : نعم الرجل أنت لولا رغبتك فى الدنيا ، قال : وفيماذا رغبت ؟ قالت : فى الحديث . ولذلك قال أبو سليمان الدارانى : من تزوج أو طلب الحديث أواشتغل بالسفر فقد ركن إلى الدنيا . فهذه آفات قد نبهنا عليها فى كتاب العلم ، والحزم الاحتراز بالعزلة وترك الاستكثار من الأصحاب ماأمكن ، بل الذى يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه فالصواب له إن كان غافلا فى مثل هذا الزمان أن يتركه . فلقد صدق أبو سليمان الخطابى حيث قال : دع الراغبين فى صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولاجمال ، إخوان العلانية أعداء السر ، إذا لقوك تملقوك وإذا غبت عنهم سلقوك ، من أتاك منهم كان عليك رقيبا وإذا خرج كان عليك خطيبا ، أهل نفاق ونميمة وغل وخديعة ، فلا تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم بل الجاه والمال وأن يتخذوك سلما إلى أوطارهم وأغراضهم وحمارا فى حاجاتهم ، إن قصرت فى غرض من أغراضهم كانوا أشد أعدائك ، ثم يعدون ترددهم إليك دالة عليك ويرونه حقاواجبا لديك ، ويفرضون عليك أن تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم فتعادى عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم ، وتنتهض لهم سفيها وقد كنت فقيها ، وتكون لهم تابعا خسيسا بعد أن كنت متبوعا رئيسا . ولذلك قيل : اعتزال العامة مروءة تامة . فهذا معنى كلامه وإن خالف بعض ألفاظه ، وهو حق وصدق . فإنك ترى المدرسين فى رق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يترددإليهم فكأنه يهدى تحفه إليهم ويرى حقه واجبا عليهم . وربما لايختلف إليه مالم يتكفل برزق له على الإدرار . ثم إن المدرس المسكين قد يعجز عن القيام بذلك من ماله ، فلا يزال مترددا إلى أبواب السلاطين ويقاسى الذل والشدائد مقاساة الذليل

---

(١) حديث « آفة العلم الخيلاء » المعروف مارواه مطين فى مسنده من حديث على بن أبى طالب بسند ضعيف « آفة العلم النسيان وآفة الحال الخيلاء » .

المهين حتى يكتب له على بعض وجوه السحت مال حرام ، ثم لايزال العامل يسترقه ويستخدمه ويمتهنه ويستذله إلى أن يسلم إليه مايقدره نعمة مستأنفة من عنده عليه ، ثم يبقى فى مقاساة القسمة على أصحابه إن سوى بينهم مقته المميزون ونسبوه إلى الحمق وقلة التمييز والقصور عن درك مصارفات الفضل والقيام بمقادير الحقوق بالعدل ، وإن فاوت بينهم سلقه السفهاء بألسنة حداد وثاروا عليه ثوران الأساود والآساد ، فلايزال فى مقاساتهم فى الدنيا وفى مطالبة مايأخذه ويفرقه عليهم فى العقبى . والعجب أنه مع هذا البلاء كله يمنى نفسه بالأباطيل ويدليها بحبل الغرور ويقول لها ، لاتغترى عن صنيعك فإنما أنت بما تفعلينه مريدة وجه الله تعالى ومذيعة شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشرة علم دين الله وقائمة بكفاية طلاب العلم من عباد الله ، وأموال السلاطين لامالك لها وهى مرصدة للمصالح وأى مصلحة أكبر من تكثير أهل العلم ؟ فبهم يظهر الدين ويتقوى أهله . ولو لم يكن ضحكة للشيطان لعلم بأدنى تأمل أن فساد الزمان لاسبب له إلا كثرة أمثال أولئك الفقهاء الذين يأكلون مايجدون ولا يميزون بين الحلال والحرام ، فتلحظهم أعين الجهال ويستجرئون على المعاصى باستجرائهم اقتداء بهم واقتفاء لآثارهم . ولذلك قيل : مافسدت الرعية إلا بفساد الملوك وما فسدت الملوك إلا بفساد العلماء . فنعوذ بالله من الغرور والعمى فإنه الداء الذى ليس له دواء ،

الفائدة الثانية : النفع والانتفاع

أما الانتفاع بالناس فبالكسب والمعاملة . وذلك لايتأتى إلا بالمخالطة والمحتاج إليه مضطر إلى ترك العزلة فيقع فى جهاد من المخالطة أن طلب موافقة الشرع فيه ـ كما ذكرناه فى كتاب الكسب ـ فإن كان معه مال لو اكتفى به قانعا لأتبعه فالعزلة أفضل له إذا أنسدت طرق المكاسب فى الأكثر إلى من المعاصى ، إلا أن يكون غرضه الكسب للصدقة . فإذا اكتسب من وجهه وتصدق به فهو أفضل من العزلة للاستغال بالنافلة ، وليس بأفضل من العزلة للاشتغال بالتحقق فى معرفة الله ومعرفة علوم الشرع ، ولا من الإقبال بكنه الهمة على الله تعالى والتجرد بها لذكر الله ؛ أعنى من حصل له أنس بمناجاة الله عن كشف وبصيرة لاعن أوهام وخيالات فاسدة .

وأما النفع فهو أن ينفع الناس إما بماله أو ببدنه فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسبة . فى النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب وذلك لاينال إلا بالمخالطة . ومن قدر عليها مع القيام بحدود الشرع فهى أفضل له من العزلة إن كان لايشتغل فى عزلته إلا بنوافل الصلوات والأعمال البدنية ، وإن كان ممن انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر أو فكر فذلك لايعدل به غيره ألبتة .

الفائدة الثالثة : التأديب والتأدب

ونعنى به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة فى تحمل أذاهم كسرا للنفس وقهرا للشهوات . وهى من الفوائد التى تستفاد بالمخالطة ، وهى أفضل من العزلة فى حق من لم تتهذب أخلاقه ولم تذعن لحدود الشرع شهواته ، ولهذا انتدب خدام الصوفية فى الرباطات فيخالطون الناس بخدمتهم وأهل السوق للسؤال منهم كسرا لرعونة النفس واستمدادا من بركة دعاء الصوفية المنصرفين بهممهم إلى الله سبحانه . وكان هذا هو المبدأ فى الأعصار الخالية والآن قد خالطته الأغراض الفاسدة ومال ذلك عن القانون كما مالت سائر شعائر الدين ، فصار يطلب من التواضع بالخدمة التكثير بالاستتباع والتذرع إلى جمع المال والاستظهار بكثرة الأتباع ، فإن كانت النية هذه فالعزلة خير من ذلك ولو إلى القبر ، وإن كانت النية رياضة النفس فهى خير من العزلة فى حق المحتاج إلى الرياضة : وذلك مما يحتاج إليه فى بداية الإرادة : فبعد حصول الارتياض ينبغى أن يفهم أن الدابة لايطلب من رياضتها عين رياضتها بل المراد منها أن تتخذ

مركبا يقطع به المراحل ويطوى على ظهره الطريق والبدن مطية للقلب يركبها ليسلك بها طريق الآخرة وفيها شهوات إن لم يكسرها جمحت به فى الطريق ، فمن اشتغل طول العمر بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها ، فلا يستفيد منها إلا الخلاص فى الحال فى عضها ورفسها ورمحها ، وهى لعمرى فائدة مقصودة ولكن مثلها حاصل فى البهيمة الميتة ، وإنما ترد الدابة لفائدة تحصل من حياتها ، فكذلك الخلاص من ألم الشهوات فى الحال يحصل بالنوم والموت ، ولا ينبغى أن يقنع به كالراهب الذى قيل له : ياراهب ، فقال : ما أبا راهب إنما أنا كلب عقور حبست نفسى حتى لاأعقر الناس : وهذا حسن بالإضافه إلى من يعقر الناس ولكن لاينبغى أن يقتصر عليه ، فإنّ من قتل نفسه أيضا لم يعقر الناس ، بل ينبغى أن يتشوف إلى الغاية المقصودة بها . ومن فهم ذلك واهتدى إلى الطريق وقدر على السلوك استبان له أن العزلة أعون له من المخالطة . فأفضل لمثل هذا الشخص المخالطة أولا والعزلة آخرا .

وأما التأديب فإنما نعنى به أن يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية معهم ، فإنه لايقدر على تهذيبهم إلا بمخالطتهم ، وحاله حال المعلم وحكمه ، ويتطرق إليه من دقائق الآفات والرياء ما يتطرق إلى نشر العلم إلا أن مخايل طلب الدنيا من المريدين الطالبين للارتياض أبعد منها من طلبه العلم ، ولذلك يرى فيهم قلة وفى طلبة العلم كثرة . فينبغى أن يقيس ماتيسر له من الخلوة بما تيسر له من المخالطة وتهذيب القوم ، وليقابل أحدهما بالآخر وليؤثر الأفضل ، وذلك يدرك بدقيق الاجتهاد ويختلف بالأحوال والأشخاص فلا يمكن الحكم عليه مطلقا بنفى ولا إثبات .

الفائدة الرابعة : الاستئناس والإيناس

وهو غرض من يحضر الولائم والدعوات ومواضع المعاشرة والأنس ، وهذا يرجع إلى حظ النفس فى الحال . وقد يكون ذلك على وجه حرام بمؤانسة من لاتجوز مؤانسته ، أو على وجه مباح . وقد يستحب ذلك لأمر الدين وذلك فيمن تستأنس بمشاهدة أحواله وأقواله فى الدين كالأنس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى . وقد يتعلق بحظ النفس ويستحب إذا كان الغرض منه ترويح القلب لتهييج دواعى النشاط فى العبادة ، فإنّ القلوب إذا أكرهت عميت ومهما كان فى الوحدة وحشة وفى المجالسة أنس يروح القلب فهى أولى ، إذ الوفق فى العبادة من حزم العبادة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إنّ الله لايمل حتى تملوا [1] » وهذا أمر لايستغنى عنه فإن النفس لاتألف الحق على الدوام مالم تروح ؛ وفى تكليفها الملازمة داعية للفترة وهذا عنى بقوله عليه السلام « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق » والإيغال فيه برفق دأب المستبصرين ولذلك قال ابن عباس : لولا مخافة الوسواس لم أجالس الناس ، وقال مرة : لدخلت بلادا لا أنيس بها ، وهل يفسد الناس إلا الناس ؟ فلا يستغنى المعتزل إذا عن رفيق يستأنس بمشاهدته ومحادثته فى اليوم والليلة ساعة فليجتهد فى طلب من لايفسد عليه فى ساعته تلك سائر ساعاته فقد قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل [2] ، وليحرص أن يكون حديثه عند اللقاء فى أمور الدين وحكاية أحوال القلب وشكواه وقصوره عن الثبات على الحق والاهتداء إلى الرشد ، فنى ذلك متنفس ومتروح للنفس ، فيه مجال رحب لكل مشغول بإصلاح نفسه فإنه لاتنقطع شكواه ولو عمر أعمارا طويلة ، والراضى عن نفسه مغرور قطعا . فهذا النوع من الاستئناس فى بعض أوقات النهار ربما يكون أفضل من العزلة فى حق بعض الأشخاص

---

(١) حديث « ان الله لايمل حتى تملوا » تقدم . (٢) حديث « المرء على دين خليله » تقدم فى آداب الصحبة .

فليتفقد فيه أحوال القلب وأحوال الجليس اولا ثم ليجالس .

الفائدة الخامس : فى نيل الثواب وإنالته

اما النيل فبحضور الجنائز وعيادة المريض وحضور العيدين ، وأما حضور الجمعة فلا بد منه . وحضور الجماعة فى سائر الصلوات أيضا لا رخصة فى تركه إلا لخوف ضرر ظاهر يقاوم مايفوت من فضيلة الجماعة ويزيد عليه ، وذلك لا يتفق إلا نادرا . وكذلك فى حضور الإملاكات والدعوات ثواب من حيث إنه إدخال سرور على قلب مسلم .

وأما إنالته فهو أن يفتح الباب لتعوده الناس أو ليعزوه فى المصائب أو يهنوه على النعم فإنهم ينالون بذلك ثوابا ، وكذلك إذا كان من العلماء وإذنهم فى الزيارة نالوا ثواب الزيارة ، وكان هو بالتمكين سببا فيه فينبغى أن يزن ثواب هذه المخالطات بآفاتها التى ذكرناها ، وعند ذلك قد ترجح العزلة وقد ترجح المخالطة . فقد حكى عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك إجابة الدعوات وعيادة المرضى وحضور الجنائز بل كانوا أحلاس بيوتهم لايخرجون إلا إلى الجمعة أو زيارة القبور ، وبعضهم فارق الأمصار وانحاز إلى قلل الجبال تفرغا للعبادة وفرارا من الشواغل .

الفائدة السادسة

من المخالطة التواضع ، فإنه من أفضل المقامات ولا يقدر عليه فى الوحدة ، وقد يكون الكبر سببا فى اختيار العزلة . فقد روى فى الإسرائيليات أن حكيما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصحفا فى الحكمة حتى ظن أنه قد نال عند الله منزلة ، فأوحى الله إلى نبيه : قل لفلان إنك قد ملأت الأرض نفاقا وإنى لا أقبل من نفاقك شيئا ، قال : فتخلى وانفرد فى سرب تحت الأرض وقال : الآن قد بلغت رضا ربى ، فأوحى الله إلى نبيه قل له : إنك لن تبلغ رضاى حتى تخالط الناس وتصبر على أذاهم ، فخرج فدخل الأسواق وخالط الناس وجالسهم وواكلهم وأكل الطعام بينهم ومشى فى الأسواق معهم ، فأوحى الله تعالى إلى نبيه : الآن قد بلغ رضاى . فكم من معتزل فى بيته وباعثه الكبر ومانعه عن المحافل أن لا يوقر أو لا يقدم ، أو يرى الترفع عن مخالطتهم أرفع لمحله وأتقى لطراوة ذكره بين الناس ، وقد يعتزل خيفة من أن تظهر مقابحه لو خالط فلا يعتقد فيه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ البيت سترا على مقابحه إبقاء على اعتقاد الناس فى زهده وتعبده من غير استغراق وقت الخلوة بذكر أو فكر ، وعلامة هؤلاء أنهم يحبون أن يزاروا ولا يحبون أن يزوروا ، ويفرحون بتقرب العوام والسلاطين إليهم واجتماعهم على بابهم وطرقهم وتقبيلهم أيديهم على سبيل التبرك ، ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذى يبغض إليه المخالطة وزيارة الناس لبغض إليه زياراتهم له ، كما حكيناه عن الفضيل حيث قال : وهل جئتنى إلا لأتزين لك وتتزين لى . وعن حاتم الأصم أنه قال للأمير الذى زاره : حاجتى أن لا أراك ولا ترانى . فمن ليس مشغولا مع نفسه بذكر الله فاعتزاله عن الناس سببه شدة اشتغاله بالناس ، لأن قلبه متجرد للالتفات إلى نظرهم إليه بعين الوقار والاحترام . والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه ، أحدها : أن التواضع والمخالطة لا تنقص من منصب من هو متكبر بعلمه أو دينه إذ كان على رضى الله عنه يحمل التمر والملح فى ثوبه ويده ويقول :

لا ينقص الكامل من كماله ماجر من نفع إلى عياله

وكان أبو هريرة وحذيفة وأبى وابن مسعود رضى الله عنهم يحملون حزم الحطب وجرب الدقيق على أكتافهم

وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول ـ وهو والى المدينة والحطب على رأسه ـ طرقوا لأميركم . وكان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يشترى الشيء فيحمله إلى بيته بنفسه ؛ فيقول له صاحبه : أعطنى أحمله فيقول « صاحب الشيء أحق بحمله [1] » وكان الحسن بن على رضى الله عنهما يمر بالسؤال وبين أيديهم كسر فيقولون : هلم إلى الغداء يا ابن رسول الله فكان ينزل ويجلس على الطريق ويأكل معهم ويركب ويقول ﴿إن الله لا يحب المستكبرين﴾ الوجه الثانى : أن الذى شغل نفسه بطلب رضا الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور لأنه لو عرف الله حق المعرفة علم أن الخلق لا يغنون عنه من الله شيئا ؛ وأن ضرره ونفعه بيد الله ولا نافع ولا ضار سواه وأن من طلب رضا الناس ومحبتهم بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس ، بل رضا الناس غاية لا تنال ، فرضا الله أولى بالطلب . ولذلك قال الشافعى ليونس بن عبد الأعلى : والله ما أقول لك إلا نصحا إنه ليس إلى السلامة من الناس من سبيل ، فانظر ماذا يصلحك فافعله ؟ ولذلك قيل :

من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور

ونظر سهل إلى رجل من أصحابه فقال له : اعمل كذا وكذا ـ لشيء أمره به ـ فقال : يا أستاذ لا أقدر عليه لأجل الناس ، فالتفت إلى أصحابه وقال : لا ينال عبد حقيقة من هذا الأمر حتى يكون بأحد وصفين ؛ عبد تسقط الناس من عينه فلا يرى فى الدنيا إلا خالقه ، وأن أحدا لا يقدر على أن يضره ولا ينفعه . وعبد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالى بأى حال يرونه . وقال الشافعى رحمه الله : ليس من أحد إلا وله محب ومبغض فإذا كان هكذا فكن مع أهل طاعة الله وقيل للحسن : يا أبا سعيد إن قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم إلا تتبع سقطات كلامك وتعنيتك بالسؤال ؛ فتبسم وقال للقائل : هون على نفسك فإنى حدثت نفسى بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت وما حدثت نفسى بالسلامة من الناس لأنى قد علمت أن خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم . وقال موسى صلى الله عليه وسلم يارب احبس عنى ألسنة الناس فقال : ياموسى هذا شيء لم أصطفه نفسى فكيف أفعله بك ؟ وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى عزير : إن لم تطب نفسا بأنى أجعلك علكا فى أفواه الماضغين لم أكتبك عندى من المتواضعين . فإذن من حبس نفسه فى البيت ليحسن اعتقادات الناس وأقوالهم فيه فهو فى عناء حاضر فى الدنيا ﴿ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ فإذن لا تستحب العزلة إلا لمستغرق الأوقات بربه ذكرا وفكرا وعبادة وعلما بحيث لو خالطه الناس لضاعت أوقاته وكثرت آفاته ولتشوشت عليه عباداته . فهذه غوائل خفية فى اختيار العزلة ينبغى أن تتقى فإنها مهلكات فى صور منجيات .

الفائدة السابعة : التجارب

فإنها تستفاد من المخالطة للخلق ومجارى أحوالهم . والعقل الغريزى ليس كافيا فى تفهم مصالح الدين والدنيا . وإنما تفيدها التجربة والممارسة ، ولا خير فى عزلة من لم تحنكه التجارب ؛ فالصبى إذا اعتزل بقى غمراً جاهلا بل ينبغى أن يشتغل بالتعلم ، ويحصل له فى مدة التعلم ما يحتاج إليه من التجارب ويكفيه ذلك ، ويحصل بقية التجارب بسماع الأحوال ولا يحتاج إلى المخالطة . ومن أهم التجارب أن يجرب نفسه وأخلاقه وصفات باطنه وذلك لا يقدر عليه فى الخلوة ، فإن كل مجرب فى الخلاء يسر ، وكل غضوب أو حقود أو حسود إذا خلا بنفسه لم يترشح منه خبثه وهذه الصفات مهلكات فى أنفسها يجب إماطتها وقهرها ولا يكفى تسكينها بالتباعد عما يحركها . فمثال القلب المشحون

---

(١) حديث : كان يشترى الشيء ويحمله الى بيته بنفسه فيقول له صاحبه أعطنى أحمله فيقول « صاحب المتاع أحق بحمله » أخرجه أبو يعلى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف فى حمله السراويل الذى اشتراه .

بهذه الخبائث مثال دمل ممتلئ بالصديد والمدة وقد لايحس صاحبه بألمه مالم يتحرك أو يمسه غيره ، فإن لم يكن له يد تمسه أو عين تبصر صورته ولم يكن من يحركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل فى نفسه وأعتقد فقده ، ولكن لو حركه محرك أو أصابه مشرط حجام لا نفجر منه الصديد وفار فوران الشيء المختنق إذا حبس عن الاسترسال ، فكذلك القلب المشحون بالحقد والبخل والحسد والغضب وسائر الأخلاق الذميمة إنما تتفجر منه خبائثه إذا حرك . وعن هذا كان السالكون لطريق الآخرة الطالبون لتزكيه القلوب يجربون أنفسهم . فمن كان يستشعر فى نفسه كبرا سعى فى إماطته حتى كان بعضهم يحمل قربة ماء على ظهره بين الناس أو حزمة حطب على رأسه ويتردد فى الأسواق ليجرب نفسه بذلك ؛ فإن غوائل النفس ومكايد الشيطان خفية قل من يتفطن لها ولذلك حكى عن بعضهم أنه قال : أعدت صلاة ثلاثين سنة مع أنى كنت أصليها فى الصف الأول ، ولكن تخلفت يوما بعذر فما وجدت موضعا فى الصف الأول فوقفت فى الصف الثانى فوجدت نفسى تستشعر خجلة من نظر الناس إلى وقد سبقت إلى الصف الأول ، فعلمت أن جميع صلواتى التى كنت أصليها كانت مشوبة بالرياء ممزوجة بلذة نظر الناس إلى ورؤيتهم إياى فى زمرة السابقين إلى الخير . فالمخالطة لها فائدة ظاهرة عظيمة فى استخراج الخبائث وإظهارها . ولذلك قيل : السفر يسفر عن الأخلاق فإنه نوع من المخالطة الدائمة . وستأتى غوائل هذه المعانى ودقائقها فى ربع المهلكات ، فإن بالجهل بها يحبط العمل الكثير وبالعلم بها يزكو العمل القليل ، ولولا ذلك مافضل العلم على العمل ، إذ يستحيل أن يكون العلم بالصلاة ولا يراد للصلاة إلا أفضل من الصلاة ، فإنا نعلم أن مايراد لغيره فإن ذلك الغير أشرف منه ، وقد قضى الشرع بتفضيل العالم على العابد حتى قال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى [1] » فمعنى تفضيل العلم يرجع إلى ثلاثة أوجه (أحدها) ماذكرناه (والثانى) عموم النفع لتعدى فائدته والعمل لاتتعدى فائدته (والثالث) أن يراد به العلم بالله وصفاته وأفعاله فذلك أفضل من كل عمل ، بل مقصود الأعمال صرف القلوب عن الخلق إلى الخالق لتنبعث بعد الانصراف إليه لمعرفته ومحبته ، فالعمل وعلم العمل مرادان لهذا العلم ، وهذا العلم غاية المريدين والعمل كالشرط له ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ فالكلم الطيب هو هذا العلم ، والعمل كالحمال الرافع له إلى مقصده فيكون المرفوع أفضل من الرافع . وهذا كلام معترض لايليق بهذا الكلام . فلنرجع إلى المقصود فنقول : إذا عرفت فوائد العزلة وغوائلها تحققت أن الحكم عليها مطلقا بالتفضيل نفيا وإثباتا خطأ ، بل ينبغى أن ينظر إلى الشخص وحاله وإلى الخليط وحاله وإلى الباعث على مخالطته وإلى الفائت بسبب مخالطته من هذه الفوائد المذكورة ، ويقاس الفائت بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الأفضل ، وكلام الشافعى رحمه الله هو فصل الخطاب إذ قال يابونس ، الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط . فلذلك يجب الاعتدال فى المخالطة والعزلة ، ويختلف ذلك بالأحوال . وبملاحظة الفوائد والآفات يتبين الأفضل . هذا هو الحق الصراح وكل ماذكر سوى هذا فهو قاصر . وإنما هو إخبار كل واحد عن حالة خاصة هو فيها ، ولا يجوز أن يحكم بها على غيره المخالف له فى الحال . والفرق بين العالم والصوفى فى ظاهر العلم يرجع إلى هذا وهو أن الصوفى لايتكلم إلا عن حاله فلا جرم تختلف أجوبتهم فى المسائل ، والعالم هو الذى يدرك الحق على ماهو عليه ولا ينظر إلى حال نفسه فيكشف الحق فيه ، وذلك مما لايختلف فيه فإن الحق واحد أبدا ، والقاصر عن الحق كثير لايحصى . ولذلك سئل الصوفية عن الفقر فما من واحد إلا وأجاب بجواب غير جواب الآخر ، وكل ذلك حق

---

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى تقدم فى العلم .

بالإضافة إلى حاله وليس بحق فى نفسه إذ الحق لايكون إلا واحدا . ولذلك قال أبو عبدالله الجلاء ـ وقد سئل عن الفقر ـ فقال : اضرب بكميك الحائط وقل ربى الله فهو الفقر . وقال الجنيد : الفقير هو الذى لايسأل أحدا ولا يعارض وإن عورض سكت . وقال سهل بن عبدالله : الفقير الذى لايسأل ولا يدخر . وقال آخر : هو أن لايكون لك فإن كان لك فلا يكون لك من حيث لم يكن لك . وقال إبراهيم الخواص : هو ترك الشكوى وإظهار أثر البلوى . والمقصود أنه لو سئل منهم مائة لسمع منهم مائة جواب مختلفة قلما يتفق منها اثنان ، وذلك كله حق من وجه فإنه خبر كل واحد عن حاله وما غلب على قلبه . ولذلك لا نرى اثنين منهم يثبت أحدهما لصاحبه قدما فى التصوف أو يثنى عليه ، بل كل واحد منهم يدعى أنه الواصل إلى الحق والواقف عليه ؛ لأن أكثر ترددهم على مقتضى الأحوال التى تعرض لقلوبهم فلا يشتغلون إلا بأنفسهم ولا يلتفتون إلى غيرهم . ونور العلم إذا أشرق أحاط بالكل وكشف الغطاء ورفع الاختلاف . ومثال نظر هؤلاء مارأيت من نظر قوم فى أدلة الزوال ـ بالنظر فى الظل ـ فقال بعضهم هو فى الصيف قدمان ، وحكى عن آخر أنه نصف قدم ، وآخر يرد عليه وأنه فى الشتاء سبعة أقدام ، وحكى عن آخر أنه خمسة أقدام ، وآخر يرد عليه ؛ فهذا يشبه أجوبة الصوفية واختلافهم ، فإن كل واحد من هؤلاء أخبر عن الظل الذى رآه ببلد نفسه ، فصدق فى قوله وأخطأ فى تخطئته صاحبه إذ ظن أن العالم كله بلده أو هو مثل بلده ، كما أن الصوفى لايحكم على العالم إلا بما هو حال نفسه : والعالم بالزوال هو الذى يعرف علة طول الظل وقصره وعلة اختلافه بالبلاد فيخبر بأحكام مختلفة فى بلاد مختلفة ويقول فى بعضها لايبقى ظل ، وفى بعضها يطول ، وفى بعضها يقصر

فهذا ما أردنا أن نذكره من فضيلة العزلة والمخالطة .

* فإن قلت : فمن آثر العزلة ورآها أفضل له وأسلم فما آدابه فى العزلة ؟ فنقول : إنما يطول النظر فى آداب المخالطة وقد ذكرناها فى كتاب آداب الصحبة . وأما آداب العزلة فلا تطول فينبغى للمعتزل أن ينوى بعزلته كف شر نفسه عن الناس أولا ، ثم طلب السلامة من شر الأشرار ثانيا ، ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا ، ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله رابعا ؛ فهذه آداب نيته . ثم ليكن فى خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ليجتنى ثمرة العزلة وليمنع الناس عن أن يكثروا غشيانه وزيارته فيشوش أكثر وقته . وليكف عن السؤال عن أخبارهم وعن الإصغاء إلى أراجيف البلد وما الناس مشغولون به ، فإن كل ذلك ينغرس فى القلب حتى ينبعث فى أثناء الصلاة أو الفكر من حيث لايحتسب ، فوقوع الأخبار فى السمع كوقوع البذر فى الأرض فلا بد أن ينبت وتتفرع عروقه وأغصانه ويتداعى بعضها إلى بعض . وأحد مهمات المعتزل قطع الوساوس الصارفة عن ذكر الله . والأخبار ينابيع الوساوس وأصولها . وليقنع باليسير من المعيشه وإلا اضطره التوسع إلى الناس واحتاج إلى مخالطتهم . وليكن صبورا على ما يلقاه من أذى الجيران وليسد سمعه عن الإصغاء إلى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة أو قدح فيه بترك الخلطة ، فإن كل ذلك يؤثر فى القلب ولو مدة يسيرة ، وحال اشتغال القلب به لابد أن يكون واقفا عن سيره إلى طريق الآخرة ، فإن السير إما بالمواظبة على ورد وذكر مع حضور قلب ، وإما بالفكر فى جلال الله وصفاته وأفعاله وملكوت سمواته وأرضه ، وإما بالتأمل فى دقائق الأعمال ومفسدات القلوب وطلب طرق التحصن منها . وكل ذلك يستدعى الفراغ والإصغاء إلى جميع ذلك مما يشوش القلب فى الحال . وقد يتجدد ذكره فى دوام الذكر من حيث لاينتظر . وليكن له أهل صالحة أو جليس صالح لتستريح نفسه إليه فى اليوم ساعة من كد المواظبة ففيه عون على بقية الساعات . ولا يتم له الصبر فى العزلة إلا بقطع الطمع عن الدنيا

وما الناس منهمكون فيه ، ولا ينقطع طمعه إلا بقصر الأمل بأن لا يقدّر لنفسه عمرا طويلا ، بل يصبح على أنه لايمسى ويمسى على أنه لايصبح ، فيسهل عليه صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو قدر تراخى الأجل . وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة . وليتحقق أن من لم يحصل فى قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به فلايطيق وحشه الوحدة بعد الموت . وأن من أنس بذكر الله ومعرفته فلايزيل الموت أنسه إذ لايهدم الموت محل الأنس والمعرفة بل يبقى حيا بمعرفته وأنسه فرحا بفضل الله عليه ورحمته ، كما قال الله تعالى فى الشهداء ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ﴾ وكل متجرّد لله فى جهاد نفسه فهو شهيد مهما أدركه الموت مقبلا غير مدبر « فالمجاهد من جاهد نفسه وهواه [1] » كما صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم . والجهاد الأكبر جهاد النفس كما قال بعض الصحابة رضى الله عنهم : رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، يعنون جهاد النفس .

تم كتاب العزلة ، ويتلوه : كتاب آداب السفر ، والحمد لله وحده

كتاب آداب السفر

وهو الكتاب السابع من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى فتح بصائر أوليائه بالحكم والعبر ، واستخلص هممهم لمشاهدة عجائب صنعه فى الحضر والسفر ، فأصبحوا راضين بمجارى القدر منزهين قلوبهم عن التلفت إلى متنزهات البصر إلا على سبيل الاعتبار بما يسبح فى مسارح النظر ومجارى الفكر ، فاستوى عندهم البر والبحر والسهل والوعر والبدو والحضر . والصلاة على محمد سيد البشر وعلى وصحبه المقتفين لآثاره فى الأخلاق والسير وسلم كثيرا .

أما بعد : فإن السفر وسيلة إلى الخلاص عن مهروب عنه أو الوصول إلى مطلوب ومرغوب فيه . والسفر سفران : سفر بظاهر البدن عن المستقرّ والوطن إلى الصحارى والفلوات ، وسفر بسير القلب عن أسفل السافلين إلى ملكوت السموات . وأشرف السفرين السفر الباطن . فإنّ الواقف على الحالة التى نشأ عليها عقيب الولادة ، الجامد على ما تلقفه بالتقليد من الآباء والأجداد ، لازم درجة القصور وقانع بمرتبة النقص ومستبدل بمتسع فضاء ﴿ جنة عرضها السموات والأرض ﴾ ظلمة السجن وضيق الحبس ، ولقد صدق القائل :

ولم أر فى عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام

إلا أن هذا السفر لما كان مقتحمه فى خطب خطير لم يستغن فيه عن دليل وخفير ، فاقتضى غموض السبيل وفقد الخفير والدليل وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب النازل القليل ، اندرس مسالكه . فانقطع فيه الرفاق وخلا عن الطائفين متنزهات الأنفس والملكوت والآفاق . وإليه دعا الله سبحانه بقوله ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ﴾ وبقوله تعالى ﴿ وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ وعلى القعود عن هذا السفر وقع الإنكار بقوله تعالى ﴿ وإنكم لتمرّون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون ﴾ وبقوله سبحانه ﴿ وكأين

---

(١) حديث « المجاهد من جاهد نفسه وهواه » أخرجه الحاكم من حديث فضالة بن عبيد وصححه دون قوله « وهواه » وقد تقدم فى الباب الثالث من آداب الصحبة .

من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ﴾ فمن يسر له هذا السفر لم يزل فى سيره متنزها فى جنة عرضها السموات والأرض وهو ساكن بالبدن مستقر فى الوطن . وهو السفر الذى لاتضيق فيه المناهل والموارد ولا يضر فيه التزاحم والتوارد ، بل تزيد بكثرة المسافرين غنائمه وتتضاعف ثمراته وفوائده ؛ فغنائمه دائمة غير ممنوعة وثمراته متزايدة غير مقطوعة إلا إذا بدا للمسافر فترة فى سفره ووقفة فى حركته فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا زاغوا أزاغ الله قلوبهم وما الله بظلام للعبيد ، ولكنهم يظلمون أنفسهم ومن لم يؤهل للجولان فى هذا الميدان والتطواف فى متنزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر بدنه فى مدة مديدة فراسخ معدودة مغتنما بها تجارة الدنيا أو ذخيرة للآخرة ، فإن كان مطلبه العلم والدين أو الكفاية للاستعانة على الدين كان من سالكى سبيل الآخرة ، وكان له فى سفره شروط وآداب إن أهملها كان من عمال الدنيا وأتباع الشيطان ، وإن واظب عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بعمال الآخرة ، ونحن نذكر آدابه وشروطه فى بابين إن شاء الله تعالى . (الباب الأول) فى الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع وفى نية السفر وفائدته وفيه فصلان . (الباب الثانى) فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات .

الباب الأول

فى الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع وفى نية السفر وفائدته وفيه فصلان :

الفصل الأول : فى فوائد السفر وفضله ونيته

اعلم أن السفر نوع حركة ومخالطة ، وفيه فوائد وله آفات ـ كما ذكرناه فى كتاب الصحبة والعزلة .

والفوائد الباعثة على السفر لاتخلو من هرب أو طلب . فإن المسافر إما أن يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر إليه ، وإما أن يكون له مقصد ومطلب .

والمهروب عنه إما أمر له نكاية فى الأمور الدنيوية . كالطاعون والوباء إذا ظهر ببلد أو خوف سببه فتنة أو خصومة أو غلاء سعر . وهو إما عام كما ذكرناه أو خاص كمن يقصد بأذية فى بلدة فيهرب منها . وإما أمر له نكاية فى الدين كمن ابتلى فى بلده بجاه ومال واتساع أسباب تصده عن التجرد لله ، فيؤثر الغربة والخمول ويجتنب السعة والجاه ، أو كمن يدعى إلى بدعة قهرا أو إلى ولاية عمل لاتحل مباشرته فيطلب الفرار منه .

وأما المطلوب فهو إما دنيوى كالمال والجاه أو دينى ، والدينى إما علم وإما عمل .

والعلم إما علم من العلوم الدينية وإما علم بأخلاق نفسه وصفاته على سبيل التجربة ؛ وإما علم بآيات الأرض وعجائبها كسفر ذى القرنين وطوافه فى نواحى الأرض .

والعمل إما عبادة وإما زيارة . والعبادة هو الحج والعمرة والجهاد . والزيارة أيضا من القربات وقد يقصد بها مكان كمكة والمدينة وبيت المقدس . والثغور فإن الرباط بها قربة . وقد يقصد بها الأولياء والعلماء وهم إما موتى فتزار قبورهم وإما أحياء فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر إلى أحوالهم قوة الرغبة فى الاقتداء بهم .

فهذه هى أقسام الأسفار ويخرج من هذه القسمة أقسام :

القسم الأول : السفر فى طلب العلم ، وهو إما واجب وإما نفل وذلك بحسب كون العلم واجبا أو نفلا . وذلك

العلم إما علم بأمور دينه أو بأخلاقه فى نفسه أو بآيات الله فى أرضه . وقد قال عليه السلام « من خرج من بيته فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع [1] » وفى خبر آخر « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة [2] » وكان سعيد بن المسيب يسافر الأيام فى طلب الحديث الواحد . وقال الشعبى : لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن فى كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى ما كان سفره ضائعا . ورحل جابر بن عبد الله من المدينة إلى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرا فى حديث بلغهم عن عبد الله أنيس الأنصارى يحدّث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعوه [3] وكل مذكور فى العلم محصل له ـ من زمان الصحابة إلى زماننا هذا ـ لم يحصل العلم إلا بالسفر وسافر لأجله ، وأما علمه بنفسه وأخلاقه فذلك أيضا مهم فإنّ طريق الآخرة لا يمكن سلوكها إلا بتحسين الخلق وتهذيبه : ومن لا يطلع على أسرار باطنه وخبائث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها . وإنما السفر هو الذى يسفر عن أخلاق الرجال وبه يخرج الله الخبء فى السموات والأرض وإنما سمى السفر سفرا لأنه يسفر عن الأخلاق : ولذلك قال عمر رضى الله عنه للذى زكى عنده بعض الشهود : هل صحبته فى السفر الذى يستدل به على مكارم أخلاقه ؟ فقال : لا ، فقال : ما أراك تعرفه . وكان بشر يقول : يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فإن الماء إذا ساح طاب ، وإذا طال مقامه فى موضع تغير . وبالجملة فإن النفس فى الوطن مع مواتاة الأسباب لا تظهر خبائث أخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المألوفات المعهودة ، فإذا حملت وعثاء السفر وصرفت عن مألوفاتها المعتادة وامتحنت بمشاق الغربة انكشفت غوائلها ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بعلاجها . وقد ذكرنا فى كتاب العزلة فوائد المخالطة والسفر مخالطة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق .

وأما آيات الله فى أرضه ففى مشاهدتها فوائد للمستبصر ، ففيها قطع متجاورات وفيها الجبال والبرارى والبحار وأنواع الحيوان والنبات ، وما من شىء منها إلا وهو شاهد لله بالوحدانية ومسبح له بلسان ذلق لا يدركه إلا من ألقى السمع وهو شهيد . وأما الجاحدون والغافلون والمغترون بلامع السراب من زهرة الدنيا فإنهم لا يبصرون ولا يسمعون لأنهم عن السمع معزولون وعن آيات ربهم محجوبون ﴿ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ وما أريد بالسمع السمع الظاهر ـ فإن الذين أريدوا به ما كانوا معزولين عنه ـ وإنما أريد به السمع الباطن ولا يدرك بالسمع الظاهر إلا الأصوات . ويشارك الإنسان فيه سائر الحيوانات . فأما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال الذى هو نطق وراء نطق المقال يشبه قول القائل ـ حكاية لكلام الوتد والحائط ـ قال الجدار للوتد : لم تشقنى ؟ فقال : سل من يدقنى ، ولم يتركنى ورائى الحجر الذى ورائى . وما من ذرّة فى السموات والأرض إلا ولها أنواع شاهدات لله تعالى بالوحدانية هى توحيدها ، وأنواع شاهدات لصانعها بالتقدس هى تسبيحها ، ولكن لا يفقهون تسبيحها ـ لأنهم لم يسافروا من مضيق سمع الظاهر إلى فضاء سمع الباطن ومن ركاكة لسان المقال

كتاب آداب السفر

الباب الأوّل . فى الآداب من أوّل النهوض إلى آخر الرجوع

(١) حديث « من خرج من بيته فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع » أخرجه الترمذى من حديث أنس وقال حسن غريب (٢) حديث « من سلك طريقا يلتمس فيه علما ... الحديث » رواه مسلم وتقدم فى العلم (٣) حديث : رحل جابر ابن عبد الله من المدينة الى مسيرة شهر فى حديث بلغه عن عبد الله بن أنيس . أخرجه الخطيب فى كتاب الرحلة بإسناد حسن ولم يسم الصحابى وقال البخارى فى صحيحه : رحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر الى عبد الله بن أنيس فى حديث واحد ورواه أحمد الا أنه قال إلى الشام وإسناده حسن ، ولأحمد أن أبا أيوب ركب الى عقبة بن عامر الى مصر فى حديث ، وله أن عقبة بن عامر أتى سلمة بن مخلد وهو أمير مصر فى حديث آخر وكلاهما منقطع .

إلى فصاحة لسان الحال ـ ولو قدر كل عاجز على مثل هذا السير لما كان سليمان عليه السلام مختصا بفهم منطق الطير ولما كان موسى عليه السلام مختصا بسماع كلام الله تعالى الذى يجب تقديسه عن مشابهة الحروف والأصوات. ومن يسافر ليستقرئ هذه الشهادات من الأسطر المكتوبة بالخطوط الإلهية على صفحات الجمادات لم يطل سفره بالبدن، بل يستقر فى موضع ويفرغ قلبه للتمتع بسماع نغمات التسبيحات من آحاد الذرات، فماله وللتردد فى الفلوات وله غنية فى ملكوت السموات؟ فالشمس والقمر والنجوم بأمره مسخرات. وهى إلى أبصار ذوى البصائر مسافرات فى الشهر والسنة مرات، بل هى دائبة فى الحركة على توالى الأوقات. فمن الغرائب أن يدأب فى الطواف بآحاد المساجد من أمرت الكعبة أن تطوف به، ومن الغرائب أن يطوف فى أكناف الأرض من يطوف به أقطار السماء. ثم مادام المسافر مفتقرا إلى أن يبصر عالم الملك والشهادة بالبصر الظاهر فهو بعد فى المنزل الأول من منازل السائرين إلى الله والمسافرين إلى حضرته، وكأنه معتكف على باب الوطن لم يفض به المسير إلى متسع الفضاء، ولا سبب لطول المقام فى هذا المنزل إلا الجبن والقصور. ولذلك قال بعض أرباب القلوب: إنّ الناس ليقولون افتحوا أعينكم حتى تبصروا، وأنا أقول: غمضوا أعينكم حتى تبصروا، وكل واحد من القولين حق إلا أنّ الأول خبر عن المنزل الأول القريب من الوطن، والثانى خبر عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التى لا يطؤها إلا مخاطر بنفسه؛ والمجاوز إليها ربما يتيه فيها سنين وربما يأخذ التوفيق بيده فيرشده إلى سواء السبيل، والهالكون فى التيه هم الأكثرون من ركاب هذه الطريق ولكن السائحون بنور التوفيق فازوا بالنعيم والملك المقيم وهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى، واعتبر هذا الملك بملك الدنيا فإنه يقل بالإضافة إلى كثرة الخلق طلابه، ومهما عظم المطلوب قل المساعد. ثم الذى يهلك أكثر من الذى يملك. ولا يتصدى لطلب الملك العاجز الجبان لعظيم الخطر وطول التعب:

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسام

وما أودع الله العز والملك فى الدين والدنيا إلا فى حيز الخطر. وقد يسمى الجبان الجبن والقصور باسم الحزم والحذر كما قيل:

ترى الجبناء أنّ الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم

فهذا حكم السفر الظاهر إذا أريد به السفر الباطن بمطالعة آيات الله فى الأرض.

فلنرجع إلى الغرض الذى كنا نقصده ولنبين القسم الثانى: وهو أن يسافر لأجل العبادة إما لحج أو جهاد وقد ذكرنا فضل ذلك وآدابه وأعماله الظاهرة والباطنة فى كتاب أسرار الحج، ويدخل فى جملته زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء، وكل من يتبرك بمشاهدته فى حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته. ويجوز شد الرحال لهذا الغرض ولا يمنع من هذا قوله عليه السلام «لا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى»[1]، لأن ذلك فى المساجد، فإنها متماثلة بعد هذه المساجد، وإلا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء والأولياء والعلماء فى أصل الفضل وإن كان يتفاوت فى الدرجات تفاوتا عظيما بحسب اختلاف درجاتهم عند الله.

وبالجملة زيارة الأحياء أولى من زيارة الأموات. والفائدة من زيارة الأحياء طلب بركة الدعاء وبركة النظر إليهم

(١) حديث «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ... الحديث» تقدم فى الحج.

فإن النظر إلى وجوه العلماء والصلحاء عبادة . وفيه أيضا حركة للرغبة فى الاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم وآدابهم؛ هذا سوى ماينتظر من الفوائد العلمية المستفادة من أنفاسهم وأفعالهم كيف ومجرد زيارة الإخوان فى الله فيه فضل ؟ كما ذكرناه فى كتاب الصحبة . وفى التوراة : سر أربعة أميال زر أخا فى الله .

وأما البقاع فلا معنى لزيارتها سوى المساجد الثلاثة وسوى الثغور للرباط بها ، فالحديث ظاهر فى أنه لاتشد الرحال لطلب بركة البقاع إلا إلى المساجد الثلاثة . وقد ذكرنا فضائل الحرمين فى كتاب الحج .

وبيت المقدس أيضا له فضل كبير . خرج ابن عمر من المدينة قاصدا بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم كر راجعا من الغد إلى المدينة . وقد سأل سليمان عليه السلام ربه عز وجل : أن من قصد هذا المسجد لايعنيه إلا الصلاة فيه ؛ أن لا تصرف نظرك عنه مادام مقيما فيه حتى يخرج منه ؛ وأن تخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه فأعطاه الله ذلك .

القسم الثالث : أن يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين . وذلك أيضاً حسن فالفرار مما لايطاق من سنن الأنبياء والمرسلين .

ومما يجب الهرب منه الولاية والجاه وكثرة العلائق والأسباب فإن كل ذلك يشوش فراغ القلب ، والدين لايتم إلا بقلب فارغ عن غير الله ، فإن لم يتم فراغه فلا يتصور أن يشتغل بالدين . ولا يتصور فراغ القلب فى الدنيا عن مهمات الدنيا والحاجات الضرورية ، ولكن يتصور تخفيفها وتثقيلها وقد نجا المخفون وهلك المثقلون . والحمد لله الذى لم يعلق النجاة بالفراغ المطلق عن جميع الأوزار والأعباء ، بل قبل المخف بفضله وشمله بسعة رحمته . والمخف هو الذى ليست الدنيا أكبر همه ، وذلك لايتيسر فى الوطن لمن اتسع جاهه وكثرت علائقه ، فلايتم مقصوده إلا بالغربة والخمول وقطع العلائق التى لابد عنها حتى يروض نفسه مدة مديدة . ثم ربما يمده الله بمعونته فينعم عليه بما يقوى به يقينه ويطمئن به قلبه فيستوى عنده الحضر والسفر ويتقارب عنده وجود الأسباب والعلائق وعدمها فلا يصده شيء منها عما هو بصدده من ذكر الله ، وذلك مما يعز وجوده جدا بل الغالب على القلوب الضعف والقصور عن الاتساع للخلق والخالق ، وإنما يسعد بهذه القوة الأنبياء والأولياء ، والوصول إليها بالكسب شديد وإن كان للاجتهاد والكسب فيها مدخل أيضا . ومثال تفاوت القوة الباطنة فيه كتفاوت القوة الظاهرة فى الأعضاء ، فرب رجل قوى ذى مرة سوى شديد الأعصاب محكم البنية يستقل بحمل ماوزنه ألف رطل مثلا ، فلو أراد الضعيف المريض أن ينال رتبته بممارسة الحمل والتدريج فيه قليلا قليلا لم يقدر عليه ، ولكن الممارسة والجهد يزيد فى قوته زيادة ما وإن كان ذلك لايبلغه درجته فلا ينبغى أن يترك الجهد عند اليأس عن الرتبة العليا فإن ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال . وقد كان من عادة السلف رضى الله عنهم مفارقة الوطن خيفة من الفتن . وقال سفيان الثورى : هذا زمان سوء لايؤمن فيه على الخامل فكيف على المشتهرين ؟ هذا زمان رجل ينتقل من بلد إلى بلد كلما عرف فى موضع تحول إلى غيره . وقال أبو نعيم : رأيت سفيان الثورى وقد علق قلته بيده ووضع جرابه على ظهره فقلت : إلى أين ياأبا عبد الله ؟ قال : بلغنى عن قرية فيها رخص أريد أن أقيم بها ، فقلت له : وتفعل هذا ؟ قال : نعم إذا بلغك أن قرية فيها رخص فأقم بها فإنه أسلم لدينك وأقل لهمك وهذا هرب من غلاء السعر . وكان سرى السقطى يقول للصوفية : إذا خرج الشتاء فقد خرج أذار وأورقت الأشجار وطاب الانتشار فانتشروا . وقد كان الخواص لايقيم ببلد أكثر من أربعين يوما . وكان من المتوكلين ويرى الإقامة اعتماداً على الأسباب قادحا فى التوكل . وسيأتى أسرار

الاعتماد على الأسباب فى كتاب التوكل إن شاء الله تعالى .

القسم الرابع : السفر هرباً مما يقدح فى البدن كالطاعون ، أو فى المال كغلاء السعر أو مايجرى مجراه . ولا حرج فى ذلك بل ربما يجب الفرار فى بعض المواضع ، وربما يستحب فى بعض بحسب وجوب مايترتب عليه من الفوائد واستحبابه ، ولكن يستثنى منه الطاعون فلا ينبغى أن يفر منه لورود النهى فيه . قال أسامة بن زيد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هذا الوجع - أو السقم - رجز عذب به بعض الأمم قبلكم ، ثم بقى بعد فى الأرض منه [1] » وقالت عائشة رضى الله عنها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ فناء أمتى بالطعن والطاعون فقلت : هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون ؟ قال : غدة كغدة البعير تأخذهم فى مراقهم ، المسلم الميت منه شهيد والمقيم عليه المحتسب كالمرابط فى سبيل الله ، والفار منه كالفار من الزحف [2] » وعن مكحول عن أم أيمن قالت . أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه ، لاتشرك بالله شيئاً وإن عذبت أو حرقت وأطع والديك وإن أمراك أن تخرج من كل شىء هو لك فاخرج منه . ولاتترك الصلاة عمداً فإن من ترك الصلاة عمداً فقد برئت ذمة الله منه ، وإياك والخمر فإنها مفتاح كل شر : وإياك والمعصية فإنها تسخط الله ، ولاتفر من الزحف ، وإن أصاب الناس موتان وأنت فيهم فاثبت فيهم ، أنفق من طولك على أهل بيتك ولاترفع عصاك عنهم أخفهم بالله [3] » فهذه الأحاديث تدل على أن الفرار من الطاعون منهى عنه وكذلك القدوم عليه . وسيأتى شرح ذلك فى كتاب التوكل .

فهذه أقسام الأسفار وقد خرج منه أن السفر ينقسم إلى مذموم وإلى محمود وإلى مباح . والمذموم ينقسم إلى حرام كإباق العبد وسفر العاق ، وإلى مكروه كالخروج من بلد الطاعون . والمحمود ينقسم إلى واجب كالحج وطلب العلم الذى هو فريضة على كل مسلم ، وإلى مندوب إليه كزيارة العلماء وزيارة مشاهدهم . ومن هذه الأسباب تتبين النية فى السفر فإن معنى النية الانبعاث للسبب الباعث والانتهاض لإجابة الداعية . ولتكن نيته الآخرة فى جميع أسفاره ، وذلك ظاهر فى الواجب والمندوب ؛ ومحال فى المكروه والمحظور .

وأما المباح فمرجعه إلى النية . فمهما كان قصده بطلب المال مثلا التعفف عن السؤال ورعاية ستر المروءة على الأهل والعيال والتصدق بما يفضل عن مبلغ الحاجة صار هذا المباح بهذه النية من أعمال الآخرة . ولو خرج إلى الحج وباعثه الرياء والسمعة لخرج عن كونه من أعمال الآخرة لقوله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات [4] » فقوله صلى الله عليه وسلم الأعمال بالنيات عام فى الواجبات والمندوبات والمباحات دون المحظورات فإن النية لاتؤثر فى إخراجها عن كونها من المحظورات : وقد قال بعض السلف : إن الله تعالى قد وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون إلى مقاصدهم فيعطى كل واحد على قدر نيته . فمن كانت نيته الدنيا أعطى منها ونقص من آخرته أضعافه ؛ وفرق عليه همه وكثر بالحرص والرغبة شغله . ومن كانت نيته الآخرة أعطى من البصيرة والحكمة والفطنة وفتح له من التذكرة والعبرة بقدر نيته وجمع له همه ودعت له الملائكة واستغفرت له .

وأما النظر فى أن السفر هو الأفضل أو الإقامه ، فذلك يضاهى النظر فى أن الأفضل هو العزلة أو المخالطة ؟

---

(١) حديث أسامة بن زيد « إن هذا الوجع أو السقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم ... الحديث » متفق عليه واللفظ لمسلم

(٢) حديث عائشة « إن فناء أمتى بالطعن والطاعون ... الحديث » رواه أحمد وابن عبد البر فى التمهيد بإسناد جيد .

(٣) حديث أم أيمن : أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أهله « لاتشرك بالله شيئاً وإن حرقت بالنار » أخرجه البيهقى وقال فيه إرسال .

(٤) حديث « الأعمال بالنيات » متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم .

وقد ذكر منهاجه فى كتاب العزلة فليفهم هذا منه فإن السفر نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة تفرق الهم وتشتت القلب فى حق الأكثرين . والأفضل فى هذا ماهو الأعون على الدين : ونهاية ثمرة الدين فى الدنيا تحصيل معرفة الله تعالى وتحصيل الأنس بذكر الله تعالى ، والأنس يحصل بدوام الذكر ، والمعرفة تحصل بدوام الفكر . ومن لم يتعلم طريق الفكر والذكر لم يتمكن منهما . والسفر هو المعين على التعلم فى الابتداء . والإقامة هى المعينة على العمل بالعلم فى الانتهاء . وأما السياحة فى الأرض على الدوام فمن المشوشات للقلب إلا فى حق الأقوياء ، فإن المسافر وماله لعلى قلق إلا ما وقى الله ، فلا يزال المسافر مشغول القلب تارة بالخوف على نفسه وماله ، وتارة بمفارقة ماألفه واعتاده فى إقامته . وإن لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يخلو عن الطمع والاستشراف إلى الخلق فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر ، وتارة يقوى باستحكام أسباب الطمع . ثم الشغل بالحط والترحال مشوش لجميع الأحوال ، فلا ينبغى أن يسافر المريد إلا فى طلب علم أومشاهدة شيخ يقتدى به فى سيرته وتستفاد الرغبة فى الخير من مشاهدته ، فإن اشتغل بنفسه واستبصروانفتح له طريق الفكر أوالعمل فالسكون أولى به ، إلا أن أكثر متصوفة هذه الأعصار ـ لما خلت بواطنهم عن لطائف الأفكار ودقائق الأعمال ولم يحصل لهم أنس بالله تعالى وبذكره فى الخلوة وكانوا بطالين غير محترفين ولا مشغولين ـ قد ألفوا البطالة واستثقلوا العمل ، واستوعروا طريق الكسب واستلانوا جانب السؤال والكدية ، واستطابوا الرباطات المبنية لهم فى البلاد ، واستسخروا الخدم المنتصبين للقيام بخدمة القوم واستخفوا عقولهم وأديانهم : من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة إلا الرياء والسمعة وانتشار الصيت واقتناص الأموال بطريق السؤال تعللا بكثرة الأتباع ، فلم يكن لهم فى الخانقاهات حكم نافذ ، ولا تأديب للمريدين نافع ، ولا حجر عليهم قاهر ، فبسوا المرقعات واتخذوا فى الخانقاهات متنزهات ، وربما تلقفوا ألفاظا مزخرفة من أهل الطامات ، فينظرون إلى أنفسهم وقد تشبهوا بالقوم فى خرقتهم وفى سياحتهم وفى لفظهم وعبارتهم وفى آداب ظاهرة من سيرتهم ، فيظنون بأنفسهم خيرا ويحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ويعتقدون أن كل سوداء تمرة ، ويتوهمون أنّ المشاركة فى الظاهر توجب المساهمة فى الحقائق وهيهات ! فما أغزر حماقة من لايميز بين الشحم والورم ؟ فهؤلاء بغضاء الله فإن الله تعالى يبغض الشاب الفارغ . ولم يحملهم على السياحة إلا الشباب والفراغ ، إلا من سافر لحج أو عمرة فى غير رياء ولاسمعة ، أو سافر لمشاهدة شيخ يقتدى به فى علمه وسيرته وقد خلت البلاد عنه الآن . والأمور الدينية كلها قد فسدت وضعفت إلا التصوف فإنه قد انمحق بالكلية وبطل ، لأنّ العلوم لم تندرس بعد ، والعالم وإن كان عالم سوء فإنما فساده فى سيرته لافى علمه ، فيبقى عالما غير عامل بعلمه ، والعمل غير العلم . وأما التصوف فهو عبارة عن تجرد القلب لله تعالى واستحقار ماسوى الله . وحاصله يرجع إلى عمل القلب والجوارح . ومهما فسد العمل فات الأصل . وفى أسفار هؤلاء نظر للفقهاء من حيث إنه إتعاب للنفس بلافائدة ، وقد يقال إنّ ذلك ممنوع . ولكن الصواب عندنا أن نحكم بالإباحة فإنّ حظوظهم التفرج عن كرب البطالة بمشاهدة البلاد المختلفة ، وهذه الحظوظ وإن كانت خسيسة فنفوس المتحركين لهذه الحظوظ أيضا خسيسة ، ولابأس بإتعاب حيوان خسيس لحظ خسيس يليق به ويعود إليه ، فهو المتأذى والمتلذذ . والفتوى تقتضى تشتيت العوام فى المباحات التى لا نفع فيها ولاضرر : فالسابحون فى غير مهم فى الدين والدنيا بل لمحض التفرج فى البلاد كالبهائم المترددة فى الصحارى فلا بأس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم ولم يلبسوا على الخلق حالهم ، وإنما عصيانهم فى التلبيس والسؤال على اسم التصوف والأكل من الأوقاف التى وقفت على الصوفية ، لأنّ الصوفى عبارة عن رجل صالح عدل فى دينه مع صفات أخر

وراء الصلاح ، ومن أقل صفات أحوال هؤلاء أكلهم أموال السلاطين ، وأكل الحرام من الكبائر فلا تبقى معه العدالة والصلاح ، ولو تصوّر صوفى فاسق لتصور صوفى كافر وفقيه يهودى . وكما أن الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفى عبارة عن عدل مخصوص لا يقتصر فى دينه على القدر الذى يحصل به العدالة . وكذلك من نظر إلى ظواهرهم ولم يعرف بواطنهم وأعطاهم من ماله على سبيل التقرب إلى الله تعالى حرم عليهم الأخذ وكان ما أكلوه سحتا ، وأعنى به إذا كان المعطى بحيث لو عرف بواطن أحوالهم ما أعطاهم : فأخذ المال بإظهار التصوف من غير اتصاف بحقيقته كأخذه بإظهار نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الدعوى ، ومن زعم أنه علوى وهو كاذب وأعطاه مسلم مالا لحبه أهل البيت ولو علم أنه كاذب لم يعطه شيئا فأخذه على ذلك حرام ، وكذلك الصوفى . ولهذا احترز المحتاطون عن الأكل بالدين فإن المبالغ فى الاحتياط لدينه لا ينفك فى باطنه عن عورات لو انكشفت للراغب فى مواساته لفترت رغبته عن المواساة . فلا جرم كانوا لا يشترون شيئا بأنفسهم مخافة أن يسامحوا لأجل دينهم فيكونوا قد أكلوا بالدين . وكانوا يوكلون من يشترى لهم ويشترطون على الوكيل أن لا يظهر أنه لمن يشترى . نعم إنما يحل أخذ ما يعطى لأجل الدين إذا كان الآخذ بحيث لو علم المعطى من باطنه ما يعلمه الله تعالى لم يقتض ذلك فتورا فى رأيه فيه ، والعاقل المنصف يعلم من نفسه أن ذلك ممتنع أو عزيز ؛ والمغرور الجاهل بنفسه أحرى بأن يكون جاهلا بأمر دينه : فإن أقرب الأشياء إلى قالبه قلبه فإذا التبس عليه أمر قلبه فكيف ينكشف له غيره ؟ ومن عرف هذه الحقيقة لزمه لا محالة أن لا يأكل إلا من كسبه ليأمن من هذه الغائلة ، أو لا يأكل إلا من مال من يعلم قطعا أنه لو انكشف له عورات باطنه لم يمنعه ذلك عن مواساته . فإن اضطر طالب الحلال ومريد طريق الآخرة إلى أخذ مال غيره فليصرح له ، وليقل إنك إن كنت تعطينى لما تعتقده فى من الدين فلست مستحقا لذلك ، ولو كشف الله تعالى سترى لم ترنى بعين التوقير ، بل اعتقدت أبى شر الخلق أو من شرارهم ، فإن أعطاه مع ذلك فليأخذ ، فإنه ربما يرضى منه هذه الخصلة وهو اعترافه على نفسه بركاكة الدين وعدم استحقاقه لما يأخذه . ولكن ههنا مكيدة للنفس بينة ومخادعة فليتفطن لها ، وهو أنه قد يقول ذلك مظهرا أنه متشبه بالصالحين فى ذمهم نفوسهم واستحقارهم لها ونظرهم إليها بعين المقت والازدراء ، فتكون صورة الكلام صورة القدح والازدراء وباطنه وروحه هو عين المدح والإطراء ، فكم من ذام نفسه وهو لها مادح بعين ذمه ، فذم النفس فى الخلوة مع النفس هو المحمود . وأما الذم فى الملأ فهو عين الرياء إلا إذا أورده إيرادا يحصل للمستمع يقينا بأنه مقترف للذنوب ومعترف بها . وذلك مما يمكن تفهيمه بقرائن الأحوال ويمكن تلبيسه بقرائن الأحوال . والصادق بينه وبين الله تعالى يعلم أن مخادعته لله عز وجل أو مخادعته لنفسه محال ، فلا يتعذر عليه الاحتراز عن أمثال ذلك . فهذا هو القول فى أقسام السفر ونية المسافر وفضيلته .

الفصل الثانى

فى آداب المسافر من أول نهوضه إلى آخر رجوعه وهى أحد عشر آدبا

الأول : أن يبدأ برد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لمن تلزمه نفقته ، وبرد الودائع إن كانت عنده ولا يأخذ لزاده إلا الحلال الطيب ، وليأخذ قدرا يوسع به على رفقائه . قال ابن عمر رضى الله عنهما من كرم الرجل طيب زاده فى سفره . ولا بد فى السفر من طيب الكلام وإطعام الطعام وإظهار مكارم الأخلاق فى السفر ، فإنه يخرج خبايا الباطن . ومن صلح لصحبة السفر صلح لصحبة الحضر : وقد يصلح فى الحضر من لا يصلح فى السفر . ولذلك

قيل : إذا أثنى على الرجل معاملوه فى الحضر ورفقاؤه فى السفر فلا تشكوا فى صلاحه . والسفر من أسباب الضجر ، ومن أحسن خلقه فى الضجر فهو الحسن الخلق ، وإلا فعند مساعدة الأمور على وفق الغرض قلما يظهر سوء الخلق .

وقد قيل ثلاثة لا يلامون على الضجر : الصائم والمريض والمسافر ، وتمام حسن خلق المسافر الإحسان إلى المكارى ومعاونة الرفقة بكل ممكن والرفق بكل منقطع بأن لا يجاوزه إلا بالإعانة بمركوب أو زاد أو توقف لأجله . وتمام ذلك مع الرفقاء بمزاح ومطايبة فى بعض الأوقات من غير فحش ولا معصية ليكون ذلك شفاء لضجر السفر ومشاقه .

الثانى : أن يختار رفيقا فلا يخرج وحده ، فالرفيق ثم الطريق . وليكن رفيقه ممن يعينه على الدين فيذكره إذا نسى ويعينه ويساعده إذا ذكر ، فإن المرء على دين خليله ولا يعرف الرجل إلا برفيقه . وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن أن يسافر الرجل وحده [1] وقال « الثلاثة نفر » [2] وقال أيضا « إذا كنتم ثلاثة فى السفر فأمروا أحدكم [3] » وكانوا يفعلون ذلك ويقولون : هذا أميرنا أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم [4] . وليؤمروا أحسنهم أخلاقا وأرفقهم بالأصحاب وأسرعهم إلى الإيثار وطلب الموافقة . وإنما يحتاج إلى الأمير لأن الآراء تختلف فى تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر ، ولا نظام إلا فى الوحدة ولا فساد إلا فى الكثرة . وإنما انتظم أمر العالم لأن مدبر الكل واحد ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ ومهما كان المدبر واحدا انتظم أمر التدبير . وإذا كثر المدبرون فسدت الأمور فى الحضر والسفر ، إلا أن مواطن الإقامة لا تخلو عن أمير عام كأمير البلد . وأمير خاص كرب الدار . وأما السفر فلا يتعين له أمير إلا بالتأمير . فلهذا وجب التأمير ليجتمع شتات الآراء . ثم على الأمير أن لا ينظر إلا لمصلحة القوم وأن يجعل نفسه وقاية لهم ، كما نقل عن عبد الله المروزى أنه صحبه أبو على الرباطى فقال : على أن تكون أنت الأمير أو أنا ، فقال : بل أنت ، فلم يزل يحمل الزاد لنفسه ولأبى على على ظهره فأمطرت السماء ذات ليلة فقام عبد الله طول الليل على رأس رفيقه وفى يده كساء يمنع عنه المطر فكلما قال له عبد الله : لا تفعل ، يقول ، ألم تقل إن الإمارة مسلمة لى ؟ فلا تتحكم على ولا ترجع عن قولك : حتى قال أبو على : وددت أنى مت ولم أقل له أنت الأمير ، فهكذا ينبغى أن يكون الأمير . وقد قال صلى الله عليه وسلم « خير الأصحاب أربعة [5] » وتخصيص الأربعة من بين سائر الأعداد لابد أن يكون له فائدة ، والذى ينقدح فيه أن المسافر لا يخلو عن رجل يحتاج إلى حفظه وعن حاجة يحتاج إلى التردد فيها ، ولو كانوا ثلاثة لكان المتردد فى الحاجة واحدا فيبقى فى السفر بلا رفيق ، فلا يخلو عن خطر وعن ضيق قلب لفقد أنس الرفيق ، ولو تردد فى الحاجة اثنان لكان الحافظ للرحل واحدا ، فلا يخلو أيضا عن الخطر وعن ضيق الصدر . فإذن ما دون الأربعة لا يفى بالمقصود ، وما فوق الأربعة يزيد فلا تجمعهم رابطة واحدة فلا ينعقد بينهم الترافق ، لأن الخامس زيادة بعد الحاجة ، ومن يستغنى عنه لا تنصرف الهمة إليه فلا تتم المرافقة معه . نعم فى كثرة الرفقاء فائدة للأمن من المخاوف

---

(١) حديث : النهى عن أن يسافر الرجل وحده . أخرجه أحمد من حديث ابن عمر بسند صحيح وهو عند البخارى بلفظ « لو يعلم الناس ما فى الوحدة ما سار راكب بليل وحده » . (٢) حديث « الثلاثة نفر » رويناه من حديث على فى وصيته المشهورة وهو حديث موضوع والمعروف « الثلاثة ركب » رواه أبو داود والترمذى وحسنه النسائى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . (٣) حديث « إذا كنتم ثلاثة فأمروا أحدكم » أخرجه الطبرانى من حديث ابن مسعود بإسناد حسن .

(٤) حديث : كانوا يفعلون ذلك ويقولون هو أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم . أخرجه البزار والحاكم عن عمر أنه قال : إذا كنتم ثلاثة فى سفر فأمروا عليكم أحدكم ذا أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين . (٥) حديث « خير الأصحاب أربعة » أخرجه أبو داود والترمذى والحاكم من حديث ابن عباس قال الترمذى حسن غريب وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين .

ولكن الأربعة خير للرفاقة الخاصة لا للرفاقة العامة . وكم من رفيق فى الطريق عند كثرة الرفاق لا يكلم ولا يخالط إلى آخر الطريق للاستغناء عنه .

الثالث : أن يودع رفقاء الحضر والأهل والأصدقاء : وليدع عند الوداع بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال بعضهم : صحبت عبد الله بن عمر رضى الله عنهما من مكة إلى المدينة حرسها الله ، فلما أردت أن أفارقه شيعنى وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، قال لقمان إن الله تعالى إذا استودع شيئا حفظه وإنى أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك [1] » وروى زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا أراد أحدكم سفراً فليودع إخوانه فإن الله تعالى جاعل له فى دعائهم البركة [2] » وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ودع رجلا قال « زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك إلى الخير حيث توجهت [3] » فهذا دعاء المقيم للمودع . وقال موسى بن وردان : أتيت أبا هريرة رضى الله عنه أودعه لسفر أردته ، فقال ألا أعلمك يا ابن أخى شيئاً علمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الوداع ، فقلت بلى قال قل « أستودعك الله الذى لا تضيع ودائعه [4] » وعن أنس بن مالك رضى الله عنه : أنّ رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنى أريد سفراً فأوصنى فقال له « فى حفظ الله وفى كنفه زوّدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث كنت أو أينما كنت [5] » شك فيه الراوى .

وينبغى إذا استودع الله تعالى ما يخلفه أن يستودع الجمع ولا يخصص . فقد روى أن عمر رضى الله عنه كان يعطى الناس عطاياهم إذ جاءه رجل معه ابن له فقال له عمر : ما رأيت أشبه بأحد من هذا بك ؟ فقال له الرجل : أحدثك عنه يا أمير المؤمنين بأمر ، إنى أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل به فقالت : تخرج وتدعنى على هذه الحالة ؟ فقلت : أستودع الله ما فى بطنك ، فخرجت ثم قدمت فإذا هى قد ماتت « فجلسنا نتحدث فإذا نار على قبرها فقلت للقوم : ما هذه النار ؟ فقالوا : هذه النار من قبر فلانة نراها كل ليلة ، فقلت : والله إنها كانت لصوّامة قوّامة ، فأخذت المعول حتى انتهينا إلى القبر فحفرنا فإذا سراج وإذا هذا الغلام يدب ، فقيل لى إنّ هذه وديعتك ولو كنت استودعت أمه لوجدتها ، فقال عمر رضى الله عنه : لهو أشبه بك من الغراب بالغراب .

الرابع : أن يصلى قبل سفره صلاة الاستخارة كما وصفناها فى كتاب الصلاة . ووقت الخروج يصلى لأجل السفر ، فقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه ، أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنى نذرت سفرا وقد كتبت وصيتى فإلى أى الثلاثة أدفعها ؟ إلى ابنى أم أخى أم أبى : فقال النبى صلى الله عليه وسلم « ما استخلف عبد فى أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصليهن فى بيته إذا شدّ عليه ثياب سفره ، يقرأ فيهن بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ثم يقول : اللهم إنى أتقرب بهن إليك فاخلفنى بهن فى أهلى ومالى فهى خليفته فى أهله وماله وحرز حول داره حتى يرجع إلى أهله [6] » .

---

(١) حديث ابن عمر : قال لقمان إن الله إذا استودع شيئاً حفظه وانى أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك . أخرجه النسائى فى اليوم والليلة ورواه أبو داود مختصراً وإسناده جيد . (٢) حديث زيد بن أرقم « إذا أراد أحدكم سفراً فليودع إخوانه فان الله جاعل له فى دعائهم البركة » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف . (٣) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : كان إذا ودع رجلا قال زودك الله التقوى . رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق والمحاملى فى الدعاء وفيه ابن لهيعة .

(٤) حديث أبى هريرة : أستودعك الله الذى لا تضيع ودائعه . أخرجه ابن ماجه والنسائى فى اليوم والليلة باسناد حسن .

(٥) حديث أنس « فى حفظ الله وفى كنفه زودك الله التقوى ... الحديث » تقدم فى الحج فى الباب الثانى . (٦) حديث أنس : أن رجلا قال انى نذرت سفراً وقد كتبت وصيتى فالى أى الثلاثة أدفعها ؟ إلى أبى أم أخى أم امرأتى فقال « ما استخلف عبد فى أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات ... الحديث » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق وفيه من لا يعرف .

الخامس : إذا حصل على باب الدار فليقل : بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على ، فإذا مشى قال : اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت وإليك توجهت اللهم أنت ثقتى وأنت رجائى فاكفنى ماأهمنى وما لا أهتم به وماأنت أعلم به منى عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اللهم زودنى التقوى واغفر لى ذنبى ووجهنى للخير أينما توجهت . وليدع بهذا الدعاء فى كل منزل يرحل عنه . فإذا ركب الدابة فليقل : بسم الله وبالله والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون . فإذا استوت الدابة تحته فليقل ﴿ الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾ اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور .

السادس : أن يرحل عن المنزل بكرة . روى جابر : أن النبى صلى الله عليه وسلم رحل يوم الخميس وهو يريد تبوك وقال « اللهم بارك لأمتى فى بكورها [1] : ويستحب أن يبتدئ بالخروج يوم الخميس ، فقد روى عبدالله بن كعب بن مالك عن أبيه قال : قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس [2] . وروى أنس : أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم بارك لأمتى فى بكورها يوم السبت » وكان صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية بعثها أول النهار [3] . وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم بارك لأمتى فى بكورها يوم خميسها [4] » وقال عبدالله بن عباس : إذا كان لك إلى رجل حاجة فاطلبها منه نهارا ولا تطلبها ليلا واطلبها بكرة ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم بارك لأمتى فى بكورها [5] » .

ولا ينبغى أن يسافر بعد طلوع الفجر من يوم الجمعة فيكون عاصيا بترك الجمعة ، واليوم منسوب إليها ـ فكان أوله من أسباب وجوبها . والتشييع للوداع مستحب وهو سنة قال صلى الله عليه وسلم « لأن أشيع مجاهدا فى سبيل الله فأكتنفه على رحله غدوة أو روحة أحب إلى الدنيا وما فيها [6] » .

السابع : أن لا ينزل حتى يحمى النهار فهى السنة ويكون أكثر سيره بالليل . قال صلى الله عليه وسلم « عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار [7] » ومهما أشرف على المنزل فليقل : اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وماذرين ورب البحار وماجرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر مافيه اصرف عنى شر شرارهم . فإذا نزل المنزل فليصل فيه ركعتين ثم ليقل : اللهم إنى أعوذ بكلمات الله التامات التى لايجاوزهن بر ولا فاجر من شر ماخلق . فإذا جن عليه الليل فليقل : ياأرض ! ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك ومن شر مافيك وشر مادب عليك أعوذ بالله

---

(١) حديث جابر : أنه صلى الله عليه وسلم رحل يوم الخميس يريد تبوك وقال « اللهم بارك لأمتى فى بكورها » رواه الخرائطى وفى السنن الأربعة من حديث صخر العامرى « اللهم بارك لأمتى فى بكورها » قال الترمذى حديث حسن . (٢) حديث كعب ابن مالك : قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس والسبت » أخرجه البزار مقتصراً على يوم خميسها والخرائطى مقتصراً على يوم السبت وكلاهما ضعيف . (٣) حديث : كان إذا بعث سرية بعثها أول النهار . أخرجه الأربعة من حديث صخر العامرى وحسنه الترمذى . (٤) حديث أبى هريرة « اللهم بارك لأمتى فى بكورها يوم خميسها » أخرجه ابن ماجه والخرائطى فى مكارم الأخلاق واللفظ له وقال ابن ماجه « يوم الخميس » وكلا الإسنادين ضعيف . (٥) حديث ابن عباس : إذا كانت لك الى رجل حاجة فاطلبها اليه نهارا ... الحديث أخرجه البزار والطبرانى فى الكبير والخرائطى فى مكارم الأخلاق واللفظ له واسناده ضعيف . (٦) حديث « لأن أشيع مجاهداً فى سبيل الله فأكتنفه على رحله غدوة أو روحة أحب الى من الدنيا ومافيها » رواه ابن ماجه بسند ضعيف من حديث معاذ بن أنس . (٧) حديث « عليكم بالدلجة .. الحديث . تقدم » فى الباب الثانى من الحج .

من شر كل أسد وأسود وحية وعقرب ومن شر ساكنى البلد ووالد وما ولد ﴿ وله ماسكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم ﴾ ومهما علا شرفا من الأرض فى وقت السير فينبغى ان يقول : اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ، ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة فى سفره قال : سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت .

الثامن : أن يحتاط بالنهار فلا يمشى منفردا خارج القافلة ـ لأنه ربما يغتال أو ينقطع ـ ويكون بالليل متحفظا عند النوم . كان صلى الله عليه وسلم إذا نام فى ابتداء الليل فى السفر افترش ذراعيه وإن نام فى آخر الليل نصب ذراعيه نصبا وجعل رأسه فى كفه [1] . والغرض من ذلك أن لايستثقل فى النوم فتطلع الشمس وهو نائم لايدرى فيكون مايفوته من الصلاة أفضل مما يطلبه بسفره .

والمستحب بالليل أن يتناوب الرفقاء فى الحراسة فإذا نام واحد حرس آخر [2] فهذه السنة . ومهما قصده عدو أو سبع فى ليل أونهار فليقرأ آية الكرسى وشهدالله وسور الإخلاص والمعوذتين . وليقل : بسم الله ماشاء الله لا قوة إلا بالله حسبى الله توكلت على الله ما شاء الله لا يأتى بالخيرات إلا الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله حسبى الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولادون الله ملجأ ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز ﴾ تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحى القيوم الذى لا يموت اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام واكنفنا بركنك الذى لايرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلانهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم أعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة إنك أنت أرحم الراحمين .

التاسع : أن يرفق بالدابة إن كان راكبا فلا يحملها مالا تطيق . ولا يضربها فى وجهها فإنه منهى عنه ، ولا ينام عليها فإنه يثقل بالنوم وتتأذى به الدابة كان أهل الورع لاينامون على الدواب إلا غفوة : وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسى [3] ويستحب أن ينزل عن الدابة غدوة وعشية يروحها بذلك [4] فهو سنة وفيه آثار عن السلف .

وكان بعض السلف يكترى بشرط أن لاينزل ويوفى الأجرة . ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا إلى الدابة فيوضع فى ميزان حسناته لافى ميزان حسنات المكارى . ومن آذى بهيمة بضرب أوحمل مالا تطيق طولب به يوم القيامة إذ فى كل كبد حراء أجر . قال أبو الدرداء رضى الله عنه لبعير له عند الموت : أيها البعير لاتخاصمنى إلى ربك فإنى لم أك أحملك فوق طاقتك . وفى النزول ساعة صدقتان ، إحداهما : ترويح الدابة : والثانية : إدخال السرور على قلب المكارى . وفيه فائدة أخرى وهى رياضة البدن وتحريك الرجلين . والحذر من خدر الأعضاء بطول الركوب .

وينبغى أن يقرر مع المكارى مايحمله عليها شيئا شيئا ويعرضه عليه ، ويستأجر الدابة بعقد صحيح لئلا يثور بينهما نزاع يؤذى القلب ويحمل على الزيادة فى الكلام ، فما يلفظ العبد من قول إلا لديه رقيب عتيد . فليحترز عن كثرة الكلام واللجاج مع المكارى ، فلاينبغى أن يحمل فوق المشروط شيئا وإن خف . فإن القليل يجر الكثير ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه . قال رجل لابن المبارك وهو على دابة : احمل لى هذه الرقعة إلى فلان ، فقال : حتى استأذن المكارى فإنى لم أشارطه على هذه الرقعة . فانظر كيف لم يلتفت إلى قول الفقهاء إن هذا مما يتسامح فيه ولكن

---

(١) حديث : كان اذا نام فى ابتداء الليل فى السفر افترش ذراعيه ... الحديث » تقدم فى الحج . (٢) حديث تناوب الرفقاء فى الحراسة . تقدم فى الحج فى الباب الثانى . (٣) حديث « لاتتخذوا ظهور دوابكم كراسى » تقدم فى الباب الثالث من الحج . (٤) حديث : النزول عن الدابة غدوة وعشية : تقدم فيه .

سلك طريق الورع ؟

العاشر : ينبغى أن يستصحب ستة أشياء . قالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول صلى الله عليه وسلم إذا سافر حمل معه خمسة أشياء . المرآة والمكحلة والمقراض والسواك والمشط [1] ، وفى رواية أخرى عنها ، ستة أشياء : المرآة والقارورة والمقراض والسواك والمكحلة والمشط . وقالت أم سعد الأنصارية : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايفارقه فى السفر المرآة والمكحلة [2] وقال صهيب قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « عليكم بالإثمد عند مضجعكم فإنه مما يزيد فى البصر وينبت الشعر [3] » وروى أنه كان يكتحل ثلاثا ثلاثا ، وفى رواية : انه اكتحل لليمنى ثلاثا ولليسرى ثنتين [4] وقد زاد الصوفية الركوة والحبل . وقال بعض الصوفية : إذالم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل على نقصان دينه . وإنما زادواهذا لما رأوه من الاحتياط فى طهارة الماء وغسل الثياب ، فالركوة لحفظ الماء الطاهر ، والحبل لتجفيف الثوب المغسول ولنزع الماء من الآبار . وكان الأولون يكتفون بالتيمم ويغنون أنفسهم عن نقل الماء . ولايبالون بالوضوء من الغدران ومن المياه كلها مالم يتيقنوا نجاستها حتى توضأ عمر رضى الله عنه من ماء فى جرة نصرانية . وكانوا يكتفون بالأرض والجبال عن الحبل فيفرشون الثياب المغسولة عليها . فهذه بدعة إلا أنها بدعة حسنة ، وإنما البدعة المذمومة ماتضاد السنن الثابتة ، وأما ما يعين على الاحتياط فى الدين فستحسن .

وقد ذكرنا احكام المبالغة فى الطهارات فى كتاب الطهارة . وأن المتجرد لأمر الدين لاينبغى أن يؤثر طريق الرخصة بل يحتاط فى الطهارة ما لم يمنعه ذلك عن عمل أفضل منه .

وقيل كان الخواص من المتوكلين وكان لايفارقه أربعة أشياء فى السفر والحضر : الركوة والحبل والإبرة بخيوطها والمقراض ، وكان يقول : هذه ليست من الدنيا .

الحادى عشر : فى آداب الرجوع من السفر : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة أو غيره يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول « لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده [5] » وإذا أشرف على مدينته فليقل : اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا . ثم ليرسل إلى أهله من يبشرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فيرى ما يكرهه ، ولا ينبغى له أن يطرقهم ليلا [6] فقد ورد النهى عنه . وكان صلى الله عليه وسلم إذا قدم دخل المسجد اولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت [7] وإذا دخل قال « توبا توبا لربنا أوبا أوبا لا يغادر علينا حوبا [8] » .

---

(١) حديث عائشة : كان اذا سافر حمل معه خمسة أشياء : المرآة والمكحلة والمدرى والسواك والمشط . وفى رواية : ستة أشياء . أخرجه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى سننه والخرائطى فى مكارم الأخلاق واللفظ له وطرقه كلها ضعيفة .

(٢) حديث أم سعد الأنصارية : كان لايفارقه فى السفر المرآة والمكحلة . رواه الخرائطى واسناده ضعيف .

(٣) حديث صهيب : عليكم بالإثمد عند مضجعكم فانه يزيد فى البصر وينبت الشعر . أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف وهو عند الترمذى وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث ابن عباس وصححه ابن عبدالبر وقال الخطابى صحيح الإسناد .

(٤) حديث : كان يكتحل اليمنى ثلاثا واليسرى ثنتين . أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عمر بسند لين .

(٥) حديث : كان اذا قفل من حج أو غزو أو غيره يكبر ... الحديث تقدم فى الحج . (٦) حديث : النهى عن طروق الأهل ليلا . تقدم . (٧) حديث : كان اذا قدم من سفر دخل المسجد أولا وصلى ركعتين . تقدم . (٨) حديث : كان اذا دخل قال « توبا توبا لربنا أوبا أوبا لايغادر علينا حوبا » أخرجه ابن السنى فى اليوم والليلة والحاكم من حديث ابن عباس وقال صحيح على شرط الشيخين .

وينبغى أن يحمل لأهل بيته وأقاربه تحفة من مطعوم أو غيره على قدر إمكانه فهو سنة . فقد روى : أنه إن لم يجد شيئا فليضع فى مخلاته حجرا [1] وكأن هذا مبالغة فى الاستحثاث على هذه المكرمة لأن الأعين تمتد إلى القادم من السفر والقلوب تفرح به ، فيتأكد الاستحباب فى تأكيد فرحهم وإظهار التفات القلب فى السفر إلى ذكرهم بما يستصحبه فى الطريق لهم فهذه جملة من الآداب الظاهرة

وأما الآداب الباطنة : فنى الفصل الأول بيان جملة منها . وجملته أن لايسافر إلا إذا كان زيادة دينه فى السفر . ومهما وجد قلبه متغيراً إلى نقصان فيقف ولينصرف ولا ينبغى أن يجاوز همه منزله بل ينزل حيث ينزل قلبه وينوى فى دخول كل بلدة أن يرى شيوخها ويجتهد أن يستفيد من كل واحد منهم أدبا أو كلمة لينتفع بها ، لا ليحكى ذلك ويظهر أنه لقى المشايخ . ولا يقيم ببلدة أكثر من أسبوع أو عشرة أيام إلا أن يأمره الشيخ المقصود بذلك . ولا يجالس فى مدة الإقامة إلا الفقراء الصادقين . وإن كان قصده زيارة أخ فلا يزيد على ثلاثة أيام فهو حد الضيافة إلا إذا شق على أخيه مفارقته . وإذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده أكثر من يوم وليلة . ولا يشغل نفسه بالعشرة فإن ذلك يقطع بركة سفره . وكلما دخل بلداً لايشتغل بشىء سوى زيارة الشيخ بزيارة منزله ، فإن كان فى بيته فلا يدق عليه بابه ولا يستأذن عليه إلى أن يخرج ، فإذا خرج تقدم إليه بأدب فسلم عليه ، ولا يتكلم بين يديه إلا أن يسأله ، فإن سأله أجاب بقدر السؤال ، ولا يسأله عن مسألة مالم يستأذن أولا . وإذا كان فى السفر فلا يكثر ذكر أطعمة البلدان وأسخيائها ولا ذكر أصدقائه فيها ، وليذكر مشايخها وفقراءها . ولا يهمل فى سفره زيارة قبور الصالحين بل يتفقدها فى كل قرية وبلدة . ولايظهر حاجته إلا بقدر الضرورة ومع من يقدر على إزالتها . ويلازم فى الطريق الذكر وقراءة القرآن بحيث لايسمع غيره . وإذا كلمه إنسان فليترك الذكر وليجبه مادام يحدثه ثم ليرجع إلى ما كان عليه . فإن تبرمت نفسه بالسفر أو بالإقامة فليخالفها فالبركة فى مخالفة النفس . وإذا تيسرت له خدمة قوم صالحين فلا ينبغى له أن يسافر تبرما بالخدمة فذلك كفران نعمة . ومهما وجد نفسه فى نقصان عما كان عليه فى الحضر فليعلم أن سفره معلول وليرجع إذ لو كان لحق لظهر أثره . قال رجل لأبى عثمان المغربى : خرج فلان مسافرا ، فقال : السفر غربة والغربة ذلة وليس للمؤمن أن يذل نفسه ، وأشار به إلى أن من ليس له فى السفر زيادة دين فقد أذل نفسه وإلا فعز الدين لاينال إلا بذلة الغربة . فليكن سفر المريد من وطن هواه ومراده وطبعه حتى يعز فى هذه الغربة ولايذل فإن من اتبع هواه فى سفره ذل لامحالة إما عاجلا وإما آجلا .

الباب الثانى : فيما لابد للمسافر من تعلمه
من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات

أعلم أن المسافر يحتاج فى أول سفره إلى أن يتزود لدنياه ولآخرته .

أما زاد الدنيا : فالطعام والشراب وما يحتاج إليه من نفقة . فإن خرج متوكلا من غير زاد فلا بأس به إذا كان سفره فى قافلة أو بين قرى متصلة . وإن ركب البادية وحده أو مع قوم لاطعام معهم ولاشراب فإن كان ممن يصبر على الجوع ـ أسبوعا أو عشرا مثلا ـ أو يقدر على أن يكتفى بالحشيش فله ذلك . وإن لم يكن له قوة الصبر على الجوع ولا القدرة على الاجتزاء بالحشيش فخروجه من غير زاد معصية فإنه ألقى نفسه بيده إلى التهلكة ولهذا سر سيأتى فى كتاب التوكل .

---

(١) حديث لطراق أهلا عند القدوم ولو بحجر . أخرجه الدارقطنى من حديث عائشة بإسناد ضعيف .

وليس معنى التوكل التباعد عن الأسباب بالكلية ، ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو والحبل ونزع الماء من البئر ، ولوجب أن يصبر حتى يسخر الله له ملكا أو شخصا آخر حتى يصب الماء فى فيه . فإن كان حفظ الدلو والحبل لايقدح فى التوكل وهو آلة الوصول إلى المشروب لحمل عين المطعوم والمشروب حيث لا ينتظر له وجود أولى بأن لا يقدح فيه . وستأتى حقيقة التوكل فى موضعها فإنه يلتبس إلا على المحققين من علماء الدين .

وأما زاد الآخرة : فهو العلم الذى يحتاج إليه فى طهارته وصومه وصلاته وعبادته فلا بد وأن يتزود منه ، إذ السفر تارة يخفف عنه أمورا فيحتاج إلى معرفة القدر الذى يخففه السفر كالقصر والجمع والفطر ، وتارة يشدد عليه أمورا كان مستغنيا عنها فى الحضر كالعلم بالقبلة وأوقات الصلوات ، فإنه فى البلد يكتفى بغيره من محاريب المساجد وأذان المؤذنين وفى السفر قد يحتاج إلى أن يتعرف بنفسه . فإذن مايفتقر إلى تعلمه ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : العلم برخص السفر

والسفر يفيد فى الطهارة رخصتين : مسح الخفين والتيمم ، وفى صلاة الفرض رخصتين : القصر والجمع ، وفى النفل رخصتين : أداؤه على الراحلة وأداؤه ماشيا ، وفى الصوم رخصة واحدة وهى الفطر . فهذه سبع رخص .

الرخصة الأولى : المسح على الخفين ، قال صفوان بن عسال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا مسافرين أو سفر أن لا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن [1] فكل من لبس الخف على طهارة مبيحة للصلاة ثم أحدث فله أن يمسح على خفه من وقت حدثه ثلاثة أيام ولياليهن إن كان مسافرا ، أو يوما وليلة إن كان مقيما ولكن بخمسة شروط :

الأول : أن يكون اللبس بعد كمال الطهارة فلو غسل الرجل اليمنى وأدخلها فى الخف ثم غسل اليسرى فأدخلها فى الخف لم يجز له المسح عند الشافعى رحمه الله حتى ينزع اليمنى ويعيد لبسه .

الثانى : أن يكون الخف قويا يمكن المشى فيه ، ويجوز المسح على الخف وإن لم يكن منعلا إذ العادة جارية بالتردد فيه فى المنازل لأن فيه قوة على الجملة ، بخلاف جورب الصوفيه فإنه لايجوز المسح عليه وكذا الجرموق الضعيف .

الثالث : أن لايكون فى موضع فرض الغسل خرق ، فإن تخرق بحيث انكشف محل الفرض لم يجز المسح عليه . وللشافعى قول قديم إنه يجوز مادام يستمسك على الرجل ، وهو مذهب مالك رضى الله عنه . ولا بأس به لمسيس الحاجة إليه وتعذر الخرز فى السفر فى كل وقت . والمداس المنسوج يجوز المسح عليه مهما كان ساترا لاتبدو بشرة القدم من خلاله ، وكذا المشقوق الذى يرد على محل الشق بشرج لأن الحاجة تمس إلى جميع ذلك فلا يعتبر إلا أن يكون ساترا إلى مافوق الكعبين كيفما كان . فأما إذا ستر بعض ظهر القدم وستر الباقى باللفافة لم يجز المسح عليه .

الرابع : أن لاينزع الخف بعد المسح عليه ، فإن نزع فالأولى له استئناف الوضوء ، فإن اقتصر على غسل القدمين جاز .

الخامس : أن يمسح على الموضع المحاذى لمحل فرض الغسل لا على الساق ، وأقله مايسمى مسحا على ظهر القدم

الباب الثانى : فيما لابدّ للمسافر من تعلمه

(١) حديث صفوان بن عسال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا مسافرين أو سفراً أن لاننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن . أخرجه الترمذى وصححه وابن ماجه والنسائى فى الكبرى وابن خزيمة وابن حبان .

من الخف . وإذا مسح بثلاث أصابع أجزأه ، والأولى أن يخرج من شبهة الخلاف وأكمله أن يمسح أعلاه وأسفله دفعة واحدة من غير تكرار [1] كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . ووصفه : أن يبل اليدين ويضع رءوس أصابع اليمنى من يده على رءوس أصابع اليمنى من رجله ويمسحه بأن يجر أصابعه إلى جهة نفسه ، ويضع رءوس أصابع يده اليسرى على عقبه من أسفل الخف ويمرها إلى رأس القدم . ومهما مسح مقيما ثم سافر أو مسافرا ثم أقام غلب حكم الإقامة فليقتصر على يوم وليلة . وعدد الأيام الثلاثة محسوب من وقت حدثه بعد المسح على الخف ، فلو لبس الخف فى الحضر ومسح فى الحضر ثم خرج وأحدث فى السفر وقت الزوال مثلا مسح ثلاثة أيام ولياليهن من وقت الزوال إلى الزوال من اليوم الرابع ، فإذا زالت الشمس من اليوم الرابع لم يكن له أن يصلى إلا بعد غسل الرجلين فيغسل رجليه ويعيد لبس الخف ، ويراعى وقت الحدث ويستأنف الحساب من وقت الحدث . ولو أحدث بعد لبس الخف فى الحضر ثم خرج بعد الحدث فله أن يمسح ثلاثة أيام لأن العادة قد تقتضى اللبس قبل الخروج ثم لا يمكن الاحتراز من الحدث . فأما إذا مسح فى الحضر ثم سافر اقتصر على مدة المقيمين .

ويستحب لكل من يريد لبس الخف فى حضر أو سفر أن ينكس الخف وينفض ما فيه حذرا من حية أو عقرب أو شوكة . فقد روى عن أبى أمامة أنه قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخفيه فلبس أحدهما ؛ فجاء غراب فاحتمل الآخر ثم رمى به فخرجت منه حية ؛ فقال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما [2] » .

الرخصة الثانية : التيمم بالتراب بدلا عن الماء عند العذر ؛ إنما يتعذر الماء بأن يكون بعيدا عن المنزل بعدا لو مشى إليه لم يلحقه غوث القافلة إن صاح أو استغاث ، وهو البعد الذى لا يعتاده أهل المنزل - فى ترددهم لقضاء الحاجة - التردد إليه . وكذا إن نزل على الماء عدو أو سبع فيجوز التيمم وإن كان الماء قريبا . وكذا إن احتاج إليه لعطشه فى يومه أو بعد يومه لفقد الماء بين يديه فله التيمم . وكذا إن احتاج إليه لعطش أحد رفقائه فلا يجوز له الوضوء ، ويلزمه بذله إما بثمن أو بغير ثمن ولو كان يحتاج إليه لطبخ مرقة أو لحم أو لبل فتيت يجمعه به لم يجز له التيمم بل عليه أن يجتزى بالفتيت اليابس ويترك تناول المرقة . ومهما وهب له الماء وجب قبوله ، وإن وهب له ثمنه لم يجب قبوله لما فيه من المنة . وإن بيع بثمن المثل لزمه الشراء وإن بيع بغبن لم يلزمه . فإذا لم يكن معه ماء وأراد أن يتيمم فأول ما يلزمه طلب الماء مهما جوز الوصول إليه بالطلب ، وذلك بالتردد حوالى المنزل وتفتيش الرحل وطلب البقايا من الأوانى والمطاهر . فإن نسى الماء فى رحله أو نسى بئرا بالقرب منه لزمه إعادة الصلاة لتقصيره فى الطلب . وإن علم أنه سيجد الماء فى آخر الوقت فالأولى أن يصلى بالتيمم فى أول الوقت فإن العمر لا يوثق به . وأول الوقت رضوان الله .

تيمم ابن عمر رضى الله عنهما فقيل له : أتتيمم وجدران المدينة تنظر إليك ؟ فقال : أو أبقى إلى أن أدخلها ؟ ومهما وجد الماء بعد الشروع فى الصلاة لم تبطل صلاته ولم يلزمه الوضوء . وإذا وجده قبل الشروع فى الصلاة لزمه الوضوء .

ومهما طلب فلم يجد فليقصد صعيدا طيبا عليه تراب يثور منه غبار ، وليضرب عليه كفيه بعد ضم أصابعهما

---

(١) حديث : مسحه صلى الله عليه وسلم على الخف وأسفله . أخرجه أبو داود والترمذى وضعفه وابن ماجه من حديث المغيرة وهكذا ضعفه البخارى وأبو زرعة . (٢) حديث أبى أمامة « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما » رواه الطبرانى ، وفيه من لا يعرف .

ضربة فيمسح بها وجهه ، ويضرب ضربة أخرى - بعد نزع الخاتم - ويفرج الأصابع ويمسح بها يديه إلى مرفقيه فإن لم يستوعب بضربة واحدة جميع يديه ضرب ضربة أخرى ، وكيفية التلطف فيه ماذكرناه فى كتاب الطهارة فلا نعيده .

ثم إذا صلى به فريضة واحدة فله أن يتنفل ماشاء بذلك التيمم . وإن أراد الجمع بين فريضتين فعليه أن يعيد التيمم للصلاة الثانية ، فلا يصلى فريضتين إلا بتيممين . ولاينبغى أن يتيمم لصلاة قبل دخول وقتها ؛ فإن فعل وجب عليه إعادة التيمم . ولينو عند مسح الوجه : استباحة الصلاة . ولو وجد من الماء مايكفيه لبعض طهارته فيستعمله ثم ليتيمم بعده تيمماً تاما .

الرخصة الثالثة : فى الصلاة المفروضة ، القصر : وله أن يقتصر فى كل واحدة من الظهر والعصر والعشاء على ركعتين ولكن بشروط ثلاثة : (الأول) أن يؤديها فى أوقاتها فلو صارت قضاء فالأظهر لزوم الإتمام (الثانى) أى ينوى القصر فلو نوى الإتمام لزمه الإتمام ، ولو شك فى أنه نوى القصر أو الإتمام لزمه الإتمام . (الثالث) أى لايقتدى بمقيم ولا بمسافر متم ، فإن فعل لزمه الإتمام بل إن شك فى أن إمامه مقيم أو مسافر لزمه الإتمام ، وإن تيقن بعده أنه مسافر لأن شعار المسافر لاتخفى فليكن متحققا عند النية ، وإن شك فى أن إمامه هل نوى القصر أم لا بعد أن عرف أنه مسافر - لم يضره ذلك ، لأن النيات لايطلع عليها . وهذا كله إذا كان فى سفر طويل مباح .

وحد السفر من جهة البداية والنهاية فيه إشكال فلا بد من معرفته . والسفر هو الانتقال من موضع الإقامة مع ربط القصد بمقصد معلوم ، فالهائم وراكب التعاسيف ليس له الترخص وهو الذى لايقصد موضعا معينا ، ولايصير مسافرا مالم يفارق عمران البلد ولايشترط أن يجاوز خراب البلدة وبساتينها التى يخرج أهل البلدة إليها للتنزه . وأما القرية فالمسافر منها ينبغى أن يجاوز البساتين المحوطة دون التى ليست بمحوطة . ولو رجع المسافر إلى البلد لأخذ شىء نسيه لم يترخص إن كان ذلك وطنه مالم يجاوز العمران ، وإن لم يكن ذلك هو الوطن فله الترخص إذ صار مسافرا بالانزعاج والخروج منه .

وأما نهاية السفر فبأحد أمور ثلاثة : (الأول) الوصول إلى العمران من البلد الذى عزم على الإقامة به . (الثانى) العزم على الإقامة ثلاثة أيام فصاعدا إما فى بلد أو فى صحراء . (الثالث) صورة الإقامة وإن لم يعزم كما إذا أقام على موضع واحد ثلاثة أيام سوى يوم الدخول لم يكن له الترخص بعده ، وإن لم يعزم على الإقامة وكان له شغل وهو يتوقع كل يوم إنجازه ولكنه يتعوق عليه ويتأخر فله أن يترخص وإن طالت المدة - على أقيس القولين - لأنه منزعج بلقبه ومسافر عن الوطن بصورته ولامبالاة بصورة الثبوت على موضع واحد مع انزعاج القلب ، ولافرق بين أن يكون هذا الشغل قتالا أوغيره ، ولابين أن تطول المدة أو تقصر ، ولابين أن يتأخر الخروج لمطر لايعلم بقاؤه ثلاثة أيام أو لغيره ؛ إذ ترخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصر فى بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد [1] . وظاهر الأمر أنه لو تمادى القتال لتمادى ترخصه ؛ إذ لامعنى للتقدير بثمانية عشر يوما . والظاهر أن قصره كان لكونه مسافرا لا لكونه غازيا مقاتلا هذا معنى القصر .

وأما معنى التطويل فهو أن يكون مرحلتين : كل مرحلة ثمانية فراسخ ، وكل فرسخ ثلاثة أميال ، وكل ميل

---

(١) حديث : قصره صلى الله عليه وسلم فى بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد . أخرجه أبو داود من حديث عمران بن حصين فى قصة الفتح : فأقام بمكة ثمانية عشر ليلة لايصلى إلا ركعتين . وللبخارى من حديث ابن عباس : أقام بمكة تسعة عشر يوما يقصر الصلاة . ولأبى داود : سبعة عشر . بتقديم السين وفى رواية له : خمسة عشر .

أربعة آلاف خطوة ، وكل خطوة ثلاثة أقدام .

ومعنى المباح أن لايكون عاقا لوالديه هاربا منهما ، ولاهاربا من مالكه ، ولاتكون المرأة هاربة من زوجها ، ولا أن يكون من عليه الدين هاربا من المستحق مع اليسار ، ولايكون متوجها فى قطع طريق ، أو قتل إنسان ، أو طلب إدرار حرام من سلطان ظالم ، أوسعى بالفساد بين المسلمين .

وبالجملة فلا يسافر الإنسان إلا فى غرض ، والغرض هو المحرك . فإن كان تحصيل ذلك الغرض حراما ولولا ذلك الغرض لكان لاينبعث لسفره فسفره معصية ولايجوز فيه الترخص . وأماالفسق فى السفر بشرب الخمروغيره فلا يمنع الرخصة . بل كل سفر ينهى الشرع عنه فلا يعين عليه بالرخصة ولو كان له باعثان أحدهما مباح والآخر محظور ، وكان بحيث لو لم يكن الباعث له المحظور لكان المباح مستقلا بتحريكه ولكان لامحالة يسافر لأجله فله الترخص . والمتصوفة الطوافون فى البلاد من غير غرض صحيح سوى التفرج لمشاهدة البقاع المختلفة فى ترخصهم خلاف ، والمختار أن لهم الترخص .

الرخصة الرابعة ، الجمع بين الظهر والعصر فى وقتيهما وبين المغرب والعشاء فى وقتيهما ؛ فذلك أيضا جائز فى كل سفر طويل مباح ، وفى جوازه فى السفر القصير قولان . ثم إن قدم العصر إلى الظهر فلينو الجمع بين الظهر والعصر فى وقتيهما قبل الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر وليقم ، وعند الفراغ يقيم للعصر ، ويجدد التيمم أولا إن كان فرضه التيمم ، ولايفرق بينهما بأكثر من تيمم وإقامة ، فإن قدم العصر لم يجز ، وإن نوى الجمع عند التحرم بصلاة العصر جاز عند المزنى ، وله وجه فى القياس إذلا مستند لايجاب تقديم النية بل الشرع جوز الجمع وهذا جمع ، وإنما الرخصة فى العصر فتكفى النية فيها ، وأما الظهر فجار على القانون . ثم إذا فرغ من الصلاتين فينبغى أن يجمع بين سنن الصلاتين؛ أما العصر فلا سنة بعدها ولكن السنة التى بعد الظهر يصليها بعد الفراغ من العصر إما راكبا أومقيما ، لأنه لوصلى راتبة الظهر قبل العصر لانقطعت الموالاة وهى واجبة - على وجه - ولو أراد أن يقيم الأربع المسنونة قبل الظهر والأربع المسنونة قبل العصر فليجمع بينهن قبل الفريضتين فيصلى سنة الظهر أولا ثم سنة العصر ، ثم فريضة الظهر ثم فريضة العصر ، ثم سنة الظهر الركعتان اللتان هما بعد الفرض : ولاينبغى أن يهمل النوافل فى السفر فما يفوته من ثوابها أكثر مما يناله من الربح ؛ لاسيما وقد خفف الشرع عليه وجوز له أداءها على الراحلة كى لايتعوق عن الرفقة بسببها . وإن أخر الظهر إلى العصر فيجرى على هذا الترتيب ولايبالى بوقوع راتبة الظهر بعد العصر فى الوقت المكروه لأن ماله سبب لايكره فى هذا الوقت ، وكذلك يفعل فى المغرب والعشاء والوتر . وإذا قدم أوأخر فبعد الفراغ من الفرض يشتغل بجميع الرواتب ويختم الجميع بالوتر . وإن خطر له ذكر الظهر قبل خروج وقته فليعزم على أدائه مع العصر جميعا فهو نية الجمع ؛ لأنه إنما يخلو عن هذه النية إما بنية الترك أو بنية التأخير عن وقت العصر ، وذلك حرام والعزم عليه حرام . وإن لم يتذكر الظهر حتى خرج وقته إما لنوم أو لشغل فله أن يؤدى الظهر مع العصر ولايكون عاصيا ، لأن السفر كما يشغل عن فعل الصلاة فقد يشغل عن ذكرها . ويحتمل أن يقال إن الظهر إنما تقع أداء إذا عزم على فعلها قبل خروج وقتها ، ولكن الأظهر أن وقت الظهر والعصر صار مشتركا فى السفر بين الصلاتين ، ولذلك يجب على الحائض قضاء الظهر إذا طهرت قبل الغروب . ولذلك ينقدح أن لاتشترط الموالاة ولا الترتيب بين الظهر والعصر عند تأخير الظهر ، أما إذا قدم العصر على الظهر لم يجز لأن مابعد الفراغ من الظهر هو الذى جعل وقتا للعصر ، إذ يبعد أن يشتغل بالعصر من هو عازم على ترك الظهر أو على تأخيره . وعذر المطر يجوز للجمع كعذر السفر . وترك الجمعة أيضاً من رخص السفر وهى متعلقة أيضاً بفرائض الصلوات . ولو نوى

الإقامة بعد أن صلى العصر فأدرك وقت العصر فى الحضر فعليه أداء العصر ، ومامضى إنما كان مجزئا بشرط أن يبقى العذر إلى خروج وقت العصر .

الرخصة الخامسة : التنفل راكبا ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى على راحلته أينما توجهت به دابته [1] وأوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الراحلة . وليس على المتنفل الراكب فى الركوع والسجود إلا الإيماء . وينبغى أن يجعل سجوده أخفض من ركوعه ، ولا يلزمه الانحناء إلى حد يتعرض به لخطر بسبب الدابة . فإن كان فى مرقد فليتم الركوع والسجود فإنه قادر عليه .

وأما استقبال القبلة فلا يجب لا فى ابتداء الصلاة ولا فى دوامها ، ولكن صوب الطريق يدل عن القبلة . فليكن فى جميع صلاته إما مستقبلا للقبلة أو متوجها فى صوب الطريق لتكون له جهة يثبت فيها ، فلو حرف دابته عن الطريق قصدا بطلت صلاته إلا إذا حرفها إلى القبلة . ولو حرفها ناسيا وقصر الزمان لم تبطل صلاته ، وإن طال ففيه خلاف وإن جمحت به الدابة فانحرفت لم تبطل صلاته ـ لأن ذلك مما يكثر وقوعه ـ وليس عليه سجود سهو إذ الجماح غير منسوب إليه ، بخلاف مالو حرف ناسيا فإنه يسجد للسهو بالإيماء .

الرخصة السادسة : التنفل للماشى جائز فى السفر ويومئ بالركوع والسجود ، ولايقعد للتشهد لأن ذلك يبطل فائدة الرخصة وحكمه حكم الراكب ؛ لكن ينبغى أن يتحرم بالصلاة مستقبلا للقبلة ؛ لأن الانحراف فى لحظة لاعسر عليه فيه بخلاف الراكب فإن فى تحريف الدابة وإن كان العنان بيده نوع عسر ؛ وربما تكثر الصلاة فيطول عليه ذلك . ولاينبغى أن يمشى فى نجاسة رطبة عمدا ؛ فإن فعل بطلت صلاته بخلاف مالو وطئت دابة الراكب نجاسة . وليس عليه أن يشوش المشى على نفسه بالاحتراز من النجاسات التى لاتخلو الطريق عنها غالبا. وكل هارب من عدو أو سيل أوسبع فله أن يصلى الفريضة راكبا أو ماشيا كما ذكرناه فى التنفل .

الرخصة السابعة : الفطر ، وهو فى الصوم . فللمسافر أن يفطر إلا إذا أصبح مقيما ثم سافر فعليه إتمام ذلك اليوم . وإن أصبح مسافرا صائما ثم أقام فعليه الإتمام . وإن أقام مفطر فليس عليه الإمساك بقية النهار . وإن أصبح مسافرا على عزم الصوم لم يلزمه بل له أن يفطر إذا أراد ، والصوم أفضل من الفطر . والقصر أفضل من الإتمام للخروج عن شبهة الخلاف ، ولأنه ليس فى عهدة القضاء بخلاف المفطر فإنه فى عهدة القضاء وربما يتعذر عليه ذلك بعائق فيبقى فى ذمته ، إلا إذا كان الصوم يضر به فالإفطار أفضل .

فهذه سبع رخص تتعلق ثلاث منها بالسفر الطويل وهى القصر والفطر والمسح ثلاثة أيام . وتتعلق اثنتان منها بالسفر طويلا كان أو قصيرا وهما سقوط الجمعة وسقوط القضاء عند أداء الصلاة بالتيمم . وأما صلاة النافلة ماشيا وراكبا ففيه خلاف والأصح جوازه فى القصير . والجمع بين الصلاتين فيه خلاف والأظهر اختصاصه بالطويل . وأما صلاة الفرض راكبا وماشيا للخوف فلاتتعلق بالسفر ، وكذا أكل الميتة ، وكذا أداء الصلاة فى الحال بالتيمم عند فقد الماء ، بل يشترك فيها الحضر والسفر مهما وجدت أسبابها .

* فإن قلت . فالعلم بهذه الرخص هل يجب على المسافر تعلمه قبل السفر أم يستحب له ذلك فاعلم أنه إن كان عازما على ترك المسح والقصر والجمع والفطر وترك التنفل راكبا وماشيا لم يلزمه علم شروط الترخص فى ذلك ، لأن الترخص ليس بواجب عليه . وأما علم رخصة التيمم فيلزمه لأن فقد الماء ليس إليه ، إلا أن يسافر على شاطئ نهر

---

(١) حديث : كان يصلى على راحلته أينما توجهت به دابته وأوتر على الراحلة . متفق عليه من حديث ابن عمر .

يوثق ببقاء مائه ، أو يكون معه فى الطريق عالم يقدر على استفتائه عند الحاجة ، فله أن يؤخر إلى وقت الحاجة . إما إذا كان يظن عدم الماء ولم يكن معه فيلزمه التعلم لامحالة .

* فإن قلت : التيمم يحتاج إليه لصلاة لم يدخل بعد وقتها فكيف يجب علم الطهارة لصلاة بعد لم تجب وربما لاتجب ؟ فأقول : من بينه وبين الكعبة مسافة لا تقطع إلا فى سنة ؛ فيلزمه قبل أشهر الحج ابتداء السفر . ويلزمه تعلم المناسك لامحالة إذا كان يظن أنه لايجد فى الطريق من يتعلم منه ؛ لأنّ الأصل الحياةواستمرارها . ومالايتوصل إلى الواجب إلابه فهو واجب . وكل مايتوقع وجوبه توقعا ظاهرا على الظن وله شرط لايتوصل إليه إلا بتقديم ذلك الشرط على وقت الوجوب فيجب تقديم تعلم الشرط لا محالة ، كعلم المناسك قبل وقت الحج وقبل مباشرته . فلايحل إذن للمسافر أن ينشئ السفر مالم يتعلم هذا القدر من علم التيمم . وإن كان عازما على سائر الرخص فعليه أن يتعلم أيضا القدر الذى ذكرناه من علم التيمم وسائر الرخص ؛ فإنه إذا لم يعلم القدر الجائز لرخصة السفر لم يمكنه الاقتصار عليه .

* فإن قلت : إنه إن لم يتعلم كيفية التنفل راكبا وماشيا ماذا يضره وغايته إن صلى أن تكون صلاته فاسدة ؟ وهى غير واجبة فكيف يكون علمها واجبا ؟ فأقول : من الواجب أن لايصلى النفل على نعت الفساد ، فالتنفل مع الحدث والنجاسة وإلى غير القبلة ومن غير إتمام شروط الصلاة وأركانها حرام ، فعليه أن يتعلم مايحترز به عن النافلة الفاسدة حذرا عن الوقوع فى المحظورات . فهذا بيان علم ماخفف عن المسافر فى سفره .

القسم الثانى : مايتجدّد من الوظيفة بسبب السفر

وهو علم القبلة والأوقات : وذلك أيضا واجب فى الحضر ، ولكن فى الحضر من يكفيه من محراب متفق عليه يغنيه عن طلب القبلة ومؤذن يراعى الوقت فيغنيه عن طلب علم الوقت .

والمسافر قد تشتبه عليه القبلة وقد يلتبس عليه الوقت فلا بدّ له من العلم بأدلة القبلة والمواقيت . أما أدلة القبلة فهى ثلاثة أقسام : أرضية ، كالاستدلال بالجبال والقرى والأنهار . وهوائية ، كالاستدلال بالرياح شمالها وجنوبها وصباها ودبورها . وسماوية ، وهى النجوم .

فأما الأرضية والهوائية فتختلف باختلاف البلاد ، فرب طريق فيه جبل مرتفع يعلم أنه على يمين المستقبل أوشماله أووراءه أوقدامه ، فليعلم ذلك وليفهمه . وكذلك الرياح قد تدل فى بعض البلاد فليفهم ذلك . ولسنانقدر على استقصاء ذلك إذ لكل بلد وإقليم حكم آخر .

وأما السماوية فأدلتها تنقسم إلى نهارية وإلى ليلية .

أما النهارية : فالشمس ، فلا بدّ أن يراعى قبل الخروج من البلد أن الشمس عند الزوال أين تقع منه ، أهى بين الحاجبين ؟ أوعلى العين اليمنى ؟ أو اليسرى ؟ أوتميل إلى الجبين ميلا أكثر من ذلك ؟ فإن الشمس لاتعدو فى البلاد الشمالية هذه المواقع . فإذا حفظ ذلك فهما عرف الزوال بدليله الذى سنذكره عرف القبلة به . وكذلك يراعى مواقع الشمس منه وقت العصر . فإنه فى هذين الوقتين يحتاج إلى القبلة بالضرورة . وهذا أيضا لما كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه

وأماالقبلة وقت المغرب فإنها تدرك بموضع الغروب . وذلك بأن يحفظ أنّ الشمس تغرب عن يمين المستقبل ، أوهى مائلة إلى وجهه ، أوقفاه . وبالشفق أيضا تعرف القبلة للعشاء الأخيرة .

وبمشرق الشمس تعرف القبلة لصلاة الصبح . فكأن الشمس تدل على القبلة فى الصلوات الخمس ، ولكن يختلف ذلك بالشتاء والصيف . فإن المشارق والمغارب كثيرة وإن كانت محصورة فى جهتين ، فلابد من تعلم ذلك أيضا . ولكن قد يصلى المغرب والعشاء بعد غيبوبة الشفق فلا يمكنه أن يستدل على القبلة به . فعليه أن يراعى موضع القطب . وهو الكوكب الذى يقال له : الجدى : فإنه كوكب كالثابت لا تظهر حركته عن موضعه ، وذلك إما أن يكون على قفا المستقبل ، أو على منكبه الأيمن من ظهره ، أو منكبه الأيسر فى البلاد الشمالية من مكة . وفى البلاد الجنوبية كاليمن وماوالاها فيقع فى مقابلة المستقبل ؛ فيتعلم ذلك ، وماعرفه فى بلده فليعوّل عليه فى الطريق كله إلا إذا طال السفر ، فإن المسافة إذا بعدت اختلف موقع الشمس وموقع القطب وموقع المشارق والمغارب ، إلا أن ينتهى فى أثناء سفره إلى بلاد فينبغى أن يسأل أهل البصيرة . أو يراقب هذه الكواكب وهو مستقبل محراب جامع البلد حتى يتضح له ذلك . فهما تعلم هذه الأدلة فله أن يعوّل عليها . فإن بان له أنه أخطأ من جهة القبلة إلى جهة أخرى من الجهات الأربع فينبغى أن يقضى . وإن انحرف عن حقيقة محاذاة القبلة ولكن لم يخرج عن جهتها لم يلزمه القضاء .

وقد أورد الفقهاء خلافا فى أنّ المطلوب جهة الكعبة أو عينها ، وأشكل معنى ذلك على قوم إذ قالوا : إن قلنا إن المطلوب العين فمتى يتصوّر هذا مع بعد الديار ؟ وإن قلنا : إن المطلوب الجهة فالواقف فى المسجد إن استقبل جهة الكعبة وهو خارج ببدنه عن موازاة الكعبة لا خلاف فى أنه لاتصح صلاته . وقد طوّلوا فى تأويل معنى الخلاف فى الجهة والعين . ولا بد أوّلا من فهم معنى مقابلة العين ومقابلة الجهة .

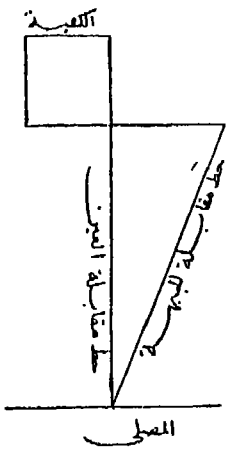

فمعنى مقابلة العين : أن يقف موقفا لو خرج خط مستقيم من بين عينيه إلى جدار الكعبة لاتصل به وحصل من جانبى الخط زاويتان متساويتان (وهذه صورته والخط الخارج من موقف المصلى يقدر أنه خارج من بين عينيه) وهذه صورة مقابلة العين :

وأما مقابلة الجهة . فيجوز فيها أن يتصل طرف الخط الخارجى من بين العينين إلى الكعبة من غير أن يتساوى الزاويتان عن جهتى الخط ، بل لا يتساوى الزاويتان إلا إذا انتهى الخط إلى نقطة معينة هى واحدة . فلو مدّ هذا الخط على الاستقامة إلى سائر النقط من يمينها أو شمالها كانت إحدى الزاويتين أضيق ، فيخرج عن مقابلة العين ولكن لا يخرج عن مقابلة الجهة ـ كالخط الذى كتبنا عليه مقابلة الجهة ـ فإنه لو قدر الكعبة على طرف ذلك الخط لكان الواقف مستقبلا لجهة الكعبة لا لعينها .

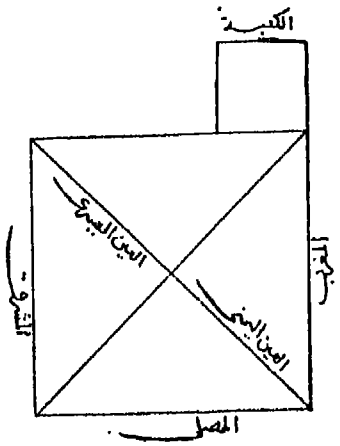

وحدّ تلك الجهة مايقع بين خطين يتوهمهما الواقف مستقبلا لجهة خارجين من العينين ، فيلتقى طرفاهما فى داخل الرأس بين العينين على زاوية قائمة ، فما يقع بين الخطين الخارجين من العينين فهو داخل فى الجهة . وسعة ما بين الخطين تتزايد بطول الخطين وبالبعد عن الكعبة (وهذه صورته) :

فإذا فهم معنى العين والجهة فأقول . الذى يصح عندنا فى الفتوى أن المطلوب العين إن كانت الكعبة مما يمكن رؤيتها ، وإن كان يحتاج إلى الاستدلال عليها لتعذر رؤيتها فيكفى استقبال الجهة .

فأما طلب العين عند المشاهدة فمجمع عليه . وأما الاكتفاء بالجهة عند تعذر المعاينة فيدل عليه الكتاب والسنة وفعل الصحابة رضى الله عنهم والقياس .

أما الكتاب : فقوله تعالى ﴿ وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ أى نحوه . ومن قابل جهة الكعبة يقال قد ولى وجهه شطرها .

وأما السنة : فما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأهل المدينة « مابين المغرب والمشرق قبلة[1] » . والمغرب يقع على يمين أهل المدينة والمشرق على يسارهم . فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع مايقع بينهما قبلة ومساحة الكعبة لا تفى بما بين المشرق والمغرب وإنما يفى بذلك جهتها . وروى هذا اللفظ أيضا عن عمر وابنه رضى الله عنهما .

وأما فعل الصحابة رضى الله عنهم : فما روى أن مسجد قباء كانوا فى صلاة الصبح بالمدينة مستقبلين لبيت المقدس مستدبرين الكعبة ـ لأن المدينة بينهما ـ فقيل لهم : الآن قد حولت القبلة إلى الكعبة . فاستداروا فى أثناء الصلاة من غير طلب دلالة[2] ولم ينكر عليهم . وسمى مسجدهم « ذا القبلتين » ، ومقابلة العين من المدينة إلى مكة لاتعرف إلا بأدلة هندسية يطول النظر فيها ؛ فكيف أدركوا ذلك على البديهة فى أثناء الصلاة وفى ظلمة الليل ؟ ويدل أيضا من فعلهم أنهم بنوا المساجد حوالى مكة وفى سائر بلاد الإسلام ولم يحضروا قط مهندسا عند تسوية المحاريب ، ومقابلة العين لاتدرك إلا بدقيق النظر الهندسى .

وأما القياس : فهو أن الحاجة تمس إلى الاستقبال وبناء المساجد فى جميع أقطار الأرض ، ولايمكن مقابلة العين إلا بعلوم هندسية لم يرد الشرع بالنظر فيها ، بل ربما يزجر عن التعمق فى علمها فكيف ينبنى أمر الشرع عليها ؟ فيجب الاكتفاء بالجهة للضرورة .

وأما دليل صحة الصورة التى صورناها : وهو حصر جهات العالم فى أربع جهات فقوله عليه السلام فى آداب قضاء الحاجة « لاتستقبلوا بها القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا[3] » وقال . هذا بالمدينة ـ والمشرق على يسار المستقبل بها والمغرب على يمينه ـ فنهى عن جهتين ورخص فى جهتين . ومجموع ذلك أربع جهات . ولم يخطر ببال أحد أن جهات العالم يمكن أن تفرض فى ست أوسبع أوعشر . وكيفما كان فما حكم الباقى ؟ بل الجهات تثبت فى الاعتقادات بناء على خلقة الإنسان ، وليس له إلا أربع جهات : قدام وخلف ويمين وشمال فكانت الجهات بالإضافة إلى الإنسان فى ظاهر النظر أربعا . والشرع لايبنى إلا على مثل هذه الاعتقادات فظهر أن المطلوب الجهة ، وذلك يسهل أمر الاجتهاد فيها وتعلم به أداة القبلة . فأما مقابلة العين فإنها تعرف بمعرفة مقدار عرض مكة عن خط الاستواء ، ومقدار درجات طولها وهو بعدها عن أول عمارة فى المشرق . ثم يعرف ذلك أيضا فى موقف المصلى ، ثم يقابل أحدهما بالآخر . ويحتاج فيه إلى آلات وأسباب طويلة ، والشرع غير مبنى عليها قطعا . فإذن القدر الذى

---

(١) حديث : مابين المشرق والمغرب قبلة . أخرجه الترمذى وصححه ، والنسائى وقال منكر ، وابن ماجه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث : إن أهل قباء كانوا فى صلاة الصبح مستقبلين لبيت المقدس فقيل لهم ألا إن القبلة قد حولت إلى الكعبة فاستداروا ... الحديث . أخرجه مسلم من حديث أنس واتفقا عليه من حديث ابن عمر مع اختلاف .

(٣) حديث : لاتستقبلوا القبلة ولاتستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا . متفق عليه من حديث أبى أيوب .

لابد من تعلمه من أدلة القبلة : موقع المشرق والمغرب فى الزوال ، وموقع الشمس وقت العصر . فبهذا يسقط الوجوب .

* فإن قلت : فلو خرج المسافر من غير تعلم ذلك هل يعصى ؟ فأقول : إن كان طريقه على قرى متصله فيها محاريب ، أوكان معه فى الطريق بصير بأدلة القبلة موثوق بعدالته وبصيرته ويقدر على تقليده فلا يعصى . وإن لم يكن معه شىء من ذلك عصى . لأنه سيتعرض لوجوب الاستقبال ولم يكن قد حصل علمه فصار ذلك كعلم التيمم وغيره . فإن تعلم هذه الأدلة واستبهم عليه الأمر بغيم مظلم . أوترك التعلم ولم يجد فى الطريق من يقلده ، فعليه أن يصلى فى الوقت على حسب حاله ، ثم عليه القضاء سواء أصاب أم أخطأ . والأعمى ليس له إلا التقليد فليقلد من يوثق بدينه وبصيرته إن كان مقلده مجتهدا فى القبلة ، وإن كانت القبلة ظاهرة فله اعتماد قول كل عدل يخبره بذلك فى حضر أوسفر وليس للأعمى ولا للجاهل أن يسافر فى قافلة ليس فيها من يعرف أدله القبلة ـ حيث يحتاج إلى الاستدلال ـ كما ليس للعامى أن يقيم ببلدة ليس فيها فقيه عالم بتفصيل الشرع ، بل يلزمه الهجرة إلى حيث يجد من يعلمه دينه ، وكذا إن لم يكن فى البلد إلا فقيه فاسق فعليه الهجرة أيضا إذ لايجوز له اعتماد فتوى الفاسق ، بل العدالة شرط لجواز قبول الفتوى ـ كما فى الرواية ـ وإن كان معروفا بالفقه مستور الحال فى العدالة والفسق فله القبول مهما لم يجد من له عدالة ظاهرة لأن المسافر فى البلاد لايقدر أن يبحث عن عدالة المفتين . فإن رآه لابسا للحرير أوما يغلب عليه الإبريسم أوراكبا لفرس عليه مركب ذهب فقد ظهر فسقه وامتنع عليه قبول قوله ، فليطلب غيره . وكذلك إذا رآه يأكل على مائدة سلطان أغلب ماله حرام أو يأخذ منه إدرارا أو صلة من غير أن يعلم أن الذى يأخذه من وجه حلال ، فكل ذلك فسق يقدح فى العدالة ويمنع من قبول الفتوى والرواية والشهادة .

وأما معرفة أوقات الصلوات الخمس فلابد منها . فوقت الظهر يدخل بالزوال ، فإن كل شخص لابد أن يقع له فى ابتداء النهار ظل مستطيل فى جانب المغرب ، ثم لايزال ينقص إلى وقت الزوال ، ثم يأخذ فى الزيادة فى جهة المشرق ولا يزال يزيد إلى الغروب . فليقم المسافر فى موضع أو لينصب عودا مستقيما ، وليعلم على رأس الظل ، ثم لينظر بعد ساعة فإن رآه فى النقصان فلم يدخل بعد وقت الظهر .

وطريقه فى معرفة ذلك أن ينظر فى البلد ـ وقت أذان المؤذن المعتمد ـ ظل قامته ، فإن كان مثلا ثلاثة أقدام بقدمه فهما صار كذلك فى السفر وأخذ فى الزيادة صلى . فإن زاد عليه ستة أقدام ونصفا بقدمه دخل وقت العصر ، إذ ظل كل شخص بقدمه ستة أقدام ونصف بالتقريب . ثم ظل الزوال يزيد كل يوم إن كان سفره من أول الصيف . وإن كان من أول الشتاء فينقص كل يوم . وأحسن مايعرف به ظل الزوال الميزان فليستصحبه المسافر . وليتعلم اختلاف الظل به فى كل وقت . وإن عرف موقع الشمس من مستقبل القبلة وقت الزوال وكان فى السفر فى موضع ظهرت القبلة فيه بدليل آخر ، فيمكنه أن يعرف الوقت بالشمس بأن تصير بين عينيه مثلا إن كانت كذلك فى البلد .

وأما وقت المغرب فيدخل بالغروب ، ولكن قد تحجب الجبال المغرب عنه ، فينبغى أن ينظر إلى جانب المشرق فمهما ظهر سواد فى الأفق مرتفع من الأرض قدر رمح فقد دخل وقت المغرب .

وأما العشاء فيعرف بغيبوبة الشفق ـ وهو الحمرة ـ فإن كانت محجوبة عنه بجبال فيعرفه بظهور الكواكب الصغار وكثرتها ، فإن ذلك يكون بعد غيبوبة الحمرة .

وأما الصبح فيبدو فى الأول مستطيلا كذنب السرحان فلا يحكم به إلى أن ينقضى زمان . ثم يظهر بياض

معترض لايعسر إدراكه بالعين لظهوره ، فهذا أوّل الوقت . قال صلى الله عليه وسلم « ليس الصبح هكذا ـ وجمع بين كفيه ـ وإنما الصبح هكذا ـ ووضع إحدى سبابتيه على الأخرى وفتحهما ـ [1] » وأشار به إلى أنه معترض . وقد يستدل عليه بالمنازل وذلك تقريب لاتحقيق فيه ، بل الاعتماد على مشاهدة انتشار البياض عرضا لأن قوما ظنوا أن الصبح يطلع قبل الشمس بأربع منازل ، وهذا خطأ لأن ذلك هو الفجر الكاذب . والذى ذكره المحققون أنه يتقدم على الشمس بمنزلتين وهذا تقريب ، ولكن لا اعتماد عليه فإن بعض المنازل تطلع معترضة منحرفة فيقصر زمان طلوعها ، وبعضها منتصبة فيطول زمان طلوعها ، ويختلف ذلك فى البلد اختلافا يطول ذكره . نعم تصلح المنازل لأن يعلم بها قرب وقت الصبح وبعده ، فأما حقيقة أول الصبح فلا يمكن ضبطه بمنزلتين أصلا . وعلى الجملة فإذا بقيت أربع منازل إلى طلوع قرن الشمس بمقدار منزلة يتيقن أنه الصبح الكاذب ، وإذا بقى قريب من منزلتين يتحقق طلوع الصبح الصادق ، ويبقى بين الصبحين قدر ثلثى منزلة بالتقريب يشك فيه أنه من وقت الصبح الصادق أو الكاذب ، وهو مبدأ ظهور البياض وانتشاره قبل اتساع عرضه . فمن وقت الشك ينبغى أن يترك الصائم السحور ، ويقدم القائم الوتر عليه ولا يصلى صلاة الصبح حتى تنقضى مدّة الشك ، فإذا تحقق صلى . ولو أراد مريد أن يقدّر على التحقيق وقتا معينا يشرب فيه متسحرا ويقوم عقيبه ويصلى الصبح متصلا به لم يقدر على ذلك ، فليس معرفة ذلك فى قوّة البشر أصلا ، بل لابد من مهلة للتوقف والشك . ولا اعتماد إلا على العيان ، ولا اعتماد فى العيان إلا على أن يصير الضوء منتشرا فى العرض حتى تبدو مبادى الصفرة . وقد غلط فى هذا جمع من الناس كثير يصلون قبل الوقت . ويدل عليه ما روى أبو عيسى الترمذى فى جامعه بإسناده عن طلق بن على : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كلوا واشربوا ولا يهيبنكم الساطع المصعد وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الأحمر [2] » وهذا صريح فى رعاية الحمرة . قال أبو عيسى ـ وفى الباب عن عدى بن حاتم وأبى ذرّ وسمرة بن جندب ـ وهو حديث حسن غريب والعمل على هذا عند أهل العلم . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : كلوا واشربوا مادام الضوء ساطعا . قال صاحب الغريبين : أى مستطيلا . فإذاً لاينبغى أن يعوّل إلا على ظهور الصفرة وكأنها مبادى الحمرة . وإنما يحتاج المسافر إلى معرفة الأوقات لأنه قد يبادر بالصلاة قبل الرحيل حتى لا يشق عليه النزول ، أو قبل النوم حتى يستريح . فإن وطن نفسه على تأخير الصلاة إلى أن يتيقن فتسمح نفسه بفوات فضيلة أول الوقت ويتجشم كلفة النزول وكلفة تأخير النوم إلى التيقن استغنى عن تعلم علم الأوقات . فإن المشكل أوائل الأوقات لا أوساطها .

---

(١) حديث : ليس الصبح هكذا ـ وجمع كفه ـ إنما الصبح هكذا ـ ووضع إحدى سبابتيه على الأخرى وفتحهما وأشار الى أنه معترض ـ أخرجه ابن ماجه من حديث ابن مسعود بإسناد صحيح مختصر دون الإشارة بالكف والسبابتين ، ولأحمد من حديث طلق بن على « ليس الفجر المستطيل فى الأفق لكنه المعترض الأحمر » وإسناده حسن . (٢) حديث طلق بن على : كلوا واشربوا ولايهيبنكم الساطع المصعد وكلوا وشربوا حتى يعترض لكم الأحمر » قال المصنف : رواه أبو عيسى الترمذى فى جامعه وقال : حسن غريب وهو كما ذكر ، ورواه أبو داود أيضا .

كتاب آداب السماع والوجد

وهو الكتاب الثامن من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أحرق قلوب أوليائه بنار محبته ، واسترق هممهم وأرواحهم بالشوق إلى لقائه ومشاهدته ، ووقف أبصارهم وبصائرهم على ملاحظة جمال حضرته ، حتى أصبحوا من تنسم روح الوصال سكرى ـ وأصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والهة حيرى ، فلم يروا فى الكونين شيئاسواه ، ولم يذكروا فى الدارين إلاإياه ، إن سنحت لأبصارهم صورة عبرت إلى المصور بصائرهم ، وإن قرعت أسماعهم نغمه سبقت إلى المحبوب سرائرهم ، وإن ورد عليهم صوت مزعج أومقلق أومطرب أومحزن أو مبهج أو مشوق أو مهيج لم يكن انزعاجهم إلا إليه ، ولا طربهم إلا به ولا قلقهم إلا عليه ، ولا حزنهم إلا فيه ولا شوقهم إلا إلى ما لديه ، ولا انبعاثهم إلا له ولا ترددهم إلا حواليه . فمنه سماعهم ، وإليه استماعهم ، فقد أقفل عن غيره أبصارهم وأسماعهم ، أولئك الذين اصطفاهم الله لولايته ، واستخلصهم من بين أصفيائه وخاصته . والصلاة على محمد المبعوث برسالته وعلى آله وأصحابه أئمة الحق وقادته ، وسلم كثيرا .

أما بعد : فإن القلوب والسرائر ، خزائن الأسرار ومعادن الجواهر ، وقد طويت فيها جواهرها كما طويت النار فى الحديد والحجر ، كما أخفى الماء تحت التراب والمدر ، ولا سبيل إلى استثارة خفاياها إلا بقوادح السماع ولامنفذ إلى القلوب إلى من دهليز الأسماع ، فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج مافيها ، وتظهر محاسنها أو مساويها ، فلا يظهر من القلب عند التحريك إلا مايحويه . كما لايرشح الإناء إلابما فيه ، فالسماع للقلب محك صادق ، ومعيار ناطق ، فلا يصل نفس السماع إليه ، إلا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه ، وإذا كانت القلوب بالطباع مطيعة للأسماع حتى أبدت بوارداتها مكامنها ، وكشفت بها عن مساويها وأظهرت محاسنها ، وجب شرح القول فى السماع والوجد وبيان ما فيهما من الفوائد والآفات ، وما يستحب فيهما من الآداب والهيئات ، وما يتطرق إليهما من خلاف العلماء فى أنهما من المحظورات أو المباحات . ونحن نوضح ذلك فى بابين . (الباب الأول) فى إباحة السماع . (الباب الثانى) فى آداب السماع وآثاره فى القلب بالوجد وفى الجوارح بالرقص والزعق وتمزيق الثياب .

الباب الأول : فى ذكر اختلاف العلماء فى إباحة السماع وكشف الحق فيه

بيان أقاويل العلماء والمتصوفة فى تحليله وتحريمه

اعلم أن السماع هو أول الأمر ، ويثمر السماع حالة فى القلب تسمى الوجد ، ويثمر الوجد تحريك الأطراف إمابحركة غير موزونه فتسمى الاضطراب وإما موزونة فتسمى التصفيق والرقص ، فلنبدأ بحكم السماع وهو الأول : وننقل فيه الأقاويل المعربة عن المذاهب فيه . ثم نذكر الدليل على إباحته ، ثم نردفه بالجواب عما تمسك به القائلون بتحريمه .

فأما نقل المذاهب : فقد حكى القاضى أبو الطيب الطبرى عن الشافعى ومالك وأبى حنيفة وسفيان وجماعة من

العلماء ألفاظا يستدل بها على أنهم رأوا تحريمه .

وقال الشافعى رحمه الله فى كتاب آداب القضاء : إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته .

وقال القاضى أبو الطيب : استماعه من المرأة التى ليست بمحرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعى رحمه الله بحال سواء كانت مكشوفة أومن وراء حجاب ، وسواء كانت حرة أو مملوكة وقال : قال الشافعى رضى الله عنه صاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته ، وقال : وحكى عن الشافعى أنه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن . وقال الشافعى رحمه الله : ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد أكثر مما يكره اللعب بشىء من الملاهى ، ولاأحب اللعب بالشطرنج وأكره كل مايلعب به الناس ؛ لأن اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا المروءة .

وأما مالك رحمه الله فقد نهى عن الغناء وقال : إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها . وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا ابن سعد وحده .

وأما أبو حنيفة رضى الله عنه فإنه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب ، وكذلك سائر أهل الكوفة: سفيان الثورى وحماد وإبراهيم والشعبى وغيرهم . فهذا كله نقله القاضى أبو الطيب الطبرى .

ونقل أبو طالب المكى إباحة السماع من جماعة فقال : سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم ، وقال : قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابى وتابعى بإحسان، وقال : لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع فى أفضل أيام السنة وهى الأيام المعدودات التى أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق ، ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع إلى زماننا هذا ، فأدركنا أبا مروان القاضى وله جوار يسمعن الناس التلحين قد أعدهن للصوفية ، قال : وكان لعطاء جاريتان يلحنان فكان إخوانه يستمعون إليهما . قال : وقيل لأبى الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسرى السقطى وذوالنون يستمعون ؟ فقال وكيف أنكر السماع وقد أجازه وسمعه من هو خير منى ؟ فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع ، وإنما أنكر اللهو واللعب فى السماع .

وروى عن يحيى بن معاذ أنه قال : فقدنا ثلاثة أشياء فما نراها ولاأراها تزداد إلا قلة ، حسن الوجه مع الصيانة ، وحسن القول مع الديانة ، وحسن الإخاء مع الوفاء . ورأيت فى بعض الكتب هذا محكيا بعينه عن الحارث المحاسبى وفيه مايدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده فى الدين وتشميره . قال : وكان ابن مجاهد لايجيب دعوة إلا أن يكون فيه سماع . وحكى غير واحد أنه قال : اجتمعنا فى دعوة ومعنا أبو القاسم ابن بنت منيع وأبو بكر ابن داود وابن مجاهد فى نظرائهم ، فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن داود فى أن يسمع فقال ابن داود : حدثنى أبى عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع وكان أبى يكرهه وأنا على مذهب أبى ، فقال أبو القاسم ابن بنت منيع : أما جدى أحمد ابن بنت منيع فحدثنى عن صالح بن أحمد أن أباه كان يسمع قول ابن الخبازة ، فقال ابن مجاهد لابن داود : دعنى أنت من أبيك ، وقال لابن بنت منيع : دعنى أنت من جدك أى شىء تقول ياأبا بكر فيمن أنشد بيت شعر أهو حرام ؟ فقال : ابن داود لا ، قال : فإن كان حسن الصوت حرم عليه إنشاده ؟ قال : لا، قال : فإن أنشده وطوله وقصر منه الممدود ومد منه المقصور أيحرم عليه ؟ قال : أنا لم أقو لشيطان واحد فكيف

أقوى لشيطانين ؟ قال : وكان أبو الحسن العسقلانى الأسود من الأولياء يسمع ويوله عند السماع ، وصنف فيه كتابا ورد فيه على منكريه ، وكذلك جماعة منهم صنفوا فى الرد على منكريه .

وحكى عن بعض الشيوخ أنه قال : رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام فقلت له : ماتقول فى هذا السماع الذى اختلف فيه أصحابنا ؟ فقال : هو الصفو الزلال الذى لايثبت عليه إلا أقدام العلماء . وحكى عن ممشاد الدينورى أنه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم فقلت : يارسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئاً ؟ فقال : ما أنكر منه شيئاً ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن . وحكى عن طاهر بن بلال الهمدانى الوراق ـ وكان من أهل العلم ـ أنه قال : كنت معتكفا فى جامع جدة على البحر فرأيت يوما طائفة يقولون فى جانب منه قولا ويستمعون ، فأنكرت ذلك بقلبي وقلت : فى بيت من بيوت الله يقولون الشعر ؟ قال : فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس فى تلك الناحية وإلى جنبة أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه وإذا أبو بكر يقول شيئاً من القول والنبي صلى الله عليه وسلم يستمع إليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك ، فقلت فى نفسى : ما كان ينبغى لى أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع وأبو بكر يقول؟ فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : هذا حق بحق ـ أوقال حق من حق ـ أنا أشك فيه .

وقال الجنيد : تنزل الرحمة على هذه الطائفة فى ثلاثة مواضع ، عند الأكل لأنهم لايأكلون إلا عن فاقة ، وعند المذاكرة لأنهم لايتحاورون إلا فى مقامات الصدّيقين ، وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا . وعن ابن جريج أنه كان يرخص فى السماع فقيل له : أيؤتى يوم القيامة فى جملة حسناتك أو سيئاتك ؟ فقال : لافى الحسنات ولافى السيئات ، لأنه شبيه باللغو وقال الله تعالى ﴿ لايؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ﴾

هذا مانقل من الأقاويل . ومن طلب الحق فى التقليد فهما استقصى تعارضت عنده هذه الأقاويل فيبقى متحيرا أو مائلا إلى بعض الأقاويل بالتشهى ، وكل ذلك قصور بل ينبغى أن يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدارك الحظر والإباحة كما سنذكره .

بيان الدليل على إباحة السماع

اعلم أن قول القائل : السماع حرام ، معناه أنّ الله تعالى يعاقب عليه ، وهذا أمر لايعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات محصورة فى النص أو القياس على المنصوص . وأعنى بالنص ما أظهره صلى الله عليه وسلم بقوله أو فعله ، وبالقياس المعنى المفهوم من ألفاظه وأفعاله . فإن لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول بتحريمه ، وبقى فعلا لاحرج فيه كسائر المباحات . ولايدل على تحريم السماع نص ولاقياس ، ويتضح ذلك فى جوابنا عن أدلة المائلين إلى التحريم . ومهما تم الجواب عن أدلتهم كان ذلك مسلكا كافيا فى إثبات هذا الغرض ، لكن نستفتح ونقول : قد دل النص والقياس جميعا على إباحته .

أما القياس : فهو أن الغناء اجتمعت فيه معان ينبغى أن يبحث عن أفرادها ثم عن مجموعها ، فإنّ فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك للقلب ، فالوصف الأعم أنه صوت طيب . ثم الطيب ينقسم إلى الموزون وغيره . والموزون ينقسم إلى المفهوم كالأشعار ، وإلى غير المفهوم كأصوات الجمادات وسائر الحيوانات .

أما سماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب فلا ينبغى أن يحرم بل هو حلال بالنص والقياس أما القياس فهو أنه يرجع إلى تلذذ حاسة السمع بإدراك ماهو مخصوص به ، وللإنسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة إدراك ،

وفى مدركات تلك الحاسة مايستلذ ، فلذة النظر فى المبصرات الجميلة كالخضرة والماء الجارى والوجه الحسن وبالجملة سائر الألوان الجميلة ، وهى فى مقابلة ما يكره من الألوان الكدرة القبيحة . وللشم الروائح الطيبة ، وهى فى مقابلة الأنتان المستكرهة . وللذوق الطعوم اللذيذة كالدسومة والحلاوة والحموضة ، وهى فى مقابلة المرارة المستبشعة . وللمس لذة اللين والنعومة والملاسة ، وهى فى مقابلة الخشونة والضراسة . وللعقل لذة العلم والمعرفة ، وهى فى مقابلة الجهل والبلادة .

فكذلك الأصوات المدركة بالسمع تنقسم إلى مستلذة كصوت العنادل والمزامير ، ومستكرهة كنهيق الحمير وغيرها . فما أظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها ؟

أما النص : فيدل عل إباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده إذ قال ﴿ يزيد فى الخلق مايشاء ﴾ فقيل هو الصوت الحسن وفى الحديث « ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « لله أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة لقينته [2] » وفى الحديث فى معرض المدح لداود عليه السلام « أنه كان حسن الصوت فى النياحة على نفسه وفى تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الإنس والجن والوحوش والطير لسماع صوته ، وكان يحمل فى مجلسه أربعمائة جنازة وما يقرب منها فى الأوقات [3] » وقال صلى الله عليه وسلم فى مدح أبى موسى الأشعرى « لقد أعطى مزمارا من مزامير آل داود [4] » وقول الله تعالى ﴿ إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن . ولو جاز أن يقال إنما أبيح ذلك بشرط أن يكون فى القرآن للزمه أن يحرم سماع صوت العندليب لأنه ليس من القرآن . وإذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والمعانى الصحيحة ؟ وإنّ من الشعر لحكمة . فهذا نظر فى الصوت من حيث أنه طيب حسن .

الدرجة الثانية : النظر فى الصوت الطيب الموزون ؛ فإنّ الوزن وراء الحسن فكم من صوت حسن خارج عن الوزن وكم من صوت موزون غير مستطاب . والأصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلاثة : فإنها إما أن تخرج من جماد كصوت المزامير والأوتار وضرب القضيب والطبل وغيره ، وإما أن تخرج من حنجرة حيوان ؛ وذلك الحيوان إما إنسان أو غيره كصوت العنادل والقمارى وذات السجع من الطيور ؛ فهى مع طيبها موزونة متناسبة المطالع والمقاطع فلذلك يستلذ سماعها . والأصل فى الأصوات حناجر الحيوانات ، وإنما وضعت المزامير على أصوات الحناجر وهو تشبيه للصنعة بالخلقة . وما من شىء توصل أهل الصناعات بصناعتهم إلى تصويره إلا وله مثال فى الخلقة التى استأثر الله تعالى باختراعها ؛ فمنه تعلم الصناع وبه قصدوا الاقتداء وشرح ذلك يطول . فسماع هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة أو موزونة فلا ذاهب إلى تحريم صوت العندليب وسائر الطيور .

كتاب السماع والوجد

الباب الأول فى ذكر اختلاف العلماء فى إباحته

(١) حديث : مابعث الله نبيا إلا حسن الصوت » أخرجه الترمذى فى الشمائل عن قتادة وزاد قوله « وكان نبيكم حسن الوجه حسن الصوت » ورويناه متصلا فى الغيلانيات من رواية قتادة عن أنس ، والصواب الأول قاله الدارقطنى ورواه ابن مردويه فى التفسير من حديث على بن أبى طالب وطرقه كلها ضعيفة .

(٢) حديث « لله أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته » تقدم فى كتاب تلاوة القرآن .

(٣) حديث : كان داود حسن الصوت فى النياحة على نفسه وفى تلاوة الزبور ... الحديث . لم أجد له أصلا ,

(٤) حديث « لقد أوتى مزمارا من مزامير آل داود » قاله فى مدح أبى موسى ؛ تقدم فى تلاوة القرآن .

ولافرق بين جنجرة وحنجرة ولا بين جماد وحيوان . فينبغى أن يقاس على صوت العندليب الأصوات الخارجة من سائر الأجسام باختيار الآدمى كالذى يخرج من حلقه أو من القضيب والطبل والدف وغيره .

ولا يستثنى من هذه إلا الملاهى والأوتار والمزامير التى ورد الشرع بالمنع منها [1] لا للذتها إذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يلتذ به الإنسان . ولكن حرمت الخمور واقتضت ضراوة الناس بها المبالغة فى الفطام عنها حتى انتهى الأمر فى الابتداء إلى كسر الدنان فحرم معها ما هو شعار أهل الشرب وهى الأوتار والمزامير فقط ، وكان تحريمها من قبل الاتباع كما حرمت الخلوة بالأجنبية لأنها مقدمة الجماع ، وحرم النظر إلى الفخذ لاتصاله بالسوأتين ، وحرم قليل الخمر وإن كان لايسكر لأنه يدعو إلى السكر ، وما من حرام إلا وله حريم يطيف به ، وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون حمى للحرام ووقاية له وحظارا مانعا حوله كما قال صلى الله عليه وسلم « إنّ لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه [2] » فهى محرمة تبعا لتحريم الخمر لثلاث علل (إحداها) أنها تدعو إلى شرب الخمر فإنّ اللذة الحاصلة بها إنما تتم بالخمر ، ولمثل هذه العلة حرم قليل الخمر . (الثانية) أنها فى حق قريب العهد بشرب الخمر تذكر مجالس الأنس بالشرب فهى سبب الذكر ، والذكر سبب انبعاث الشوق وانبعاث الشوق إذا قوى فهو سبب الإقدام . ولهذه العلة « نهى عن الانتباذ فى المزفت والحنتم والنقير [3] » وهى الأوانى التى كانت مخصوصة بها . فمعنى هذا أن مشاهدة صورتها تذكرها وهذه العلة تفارق الأولى إذ ليس فيها اعتبار لذة فى الذكر إذ لا لذة فى رؤية القنينة وأوانى الشرب لكن من حيث التذكر بها ، فإن كان السماع يذكر الشرب تذكيرا يشوق إلى الخمر عند من ألف ذلك مع الشرب فهو منهى عن السماع لخصوص هذه العلة فيه . (الثالثة) الاجتماع عليها : لما أن صار من عادة أهل الفسق فيمنع من التشبه بهم ؛ لأن من تشبه بقوم فهو منهم . وبهذه العلة نقول بترك السنة مهما صارت شعارا لأهل البدعة خوفا من التشبه بهم . وبهذه العلة يحرم ضرب الكوبة ـ وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين ـ وضربها عادة المخنثين ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحجيج والغزو ، وبهذه العلة نقول لو اجتمع جماعة وزينوا مجلسا وأحضروا آلات الشرب وأقداحه ، وصبوا فيها السكنجبين ، ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسقيهم ، فيأخذون من الساقى ويشربون ويحيى بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم ، وإن كان المشروب مباحا فى نفسه ، لأن فى هذا تشبها بأهل الفساد ، بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك الشعر على الرأس قزعا فى بلاد صار القباء فيها من لباس أهل الفساد ، ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتياد أهل الصلاح ذلك فيهم . فبهذه المعانى حرم المزمار العراقى والأوتار كلها كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها . وما عدا ذلك فليس فى معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب ، وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب لأن كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكر بها ولا يشوق إليها ولا يوجب التشبه بأربابها

---

(١) حديث : المنع من الملاهى والأوتار والمزامير . أخرجه البخارى من حديث أبى عامر أو أبى مالك الأشعرى « ليكونن فى أمتى أقوام يستحلون الحز والحرير والمعازف » صورته عند البخارى صورة التعليق ولذلك ضعفه ابن حزم ووصله أبو داود والاسماعيلى . والمعازف : الملاهى ؛ قاله الجوهرى ، ولأحمد من حديث أبى أمامة « إن الله أمرنى أن أمحق المزامير والكيارات ـ يعنى البرابط ـ والمعازف » وله من حديث قيس بن سعد بن عبادة « إن ربى حرم على الخمر والكوبة والقنين » وله فى حديث لأبى أمامة باستحلالهم الخمور وضربهم بالدفوف . وكلها ضعيفة ، ولأبى الشيخ من حديث مرسلا « الاستماع إلى الملاهى معصية ... الحديث » ولأبى داود من حديث ابن عمر : سمع مزماراً فوضع أصبعيه على أذنيه . قال أبو داود : وهو منكر .

(٢) حديث « إن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه » تقدم فى كتاب الحلال والحرام .

(٣) حديث : النهى عن الحنتم والمزفت والنقير . متفق عليه من حديث ابن عباس .

فلم يكن فى معناها . فبقى على أصل الإباحة قياسا على أصوات الطيور وغيرها ، بل أقول سماع الأوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ حرام أيضا . وبهذا يتبين أنه ليست العلة فى تحريمها مجرد اللذة الطيبة ، بل القياس تحليل الطيبات كلها إلا مافى تحليله فساد . قال الله تعالى ﴿ قل من حرّم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ فهذه الأصوات لاتحرم من حيث إنها أصوات موزونة وإنما تحرم بعارض آخر . كما سيأتى فى العوارض المحرّمة .

الدرجة الثالثة : الموزون والمفهوم ، وهو الشعر وذلك لايخرج إلا من حنجرة الإنسان فيقطع إباحة ذلك لأنه مازاد إلا كونه مفهوما ، والكلام المفهوم غير حرام والصوت الطيب الموزون غير حرام ، فإذا لم يحرم الآحاد فمن أين يحرم المجموع ؟ نعم ينظر فيما يفهم منه فإن كان فيه أمر محظور حرم نثره ونظمه وحرم النطق به سواء كان بألحان أو لم يكن ، والحق فيه ماقاله الشافعى رحمه الله إذ قال : الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح . ومهما جاز إنشاد الشعر بغير صوت وألحان جاز إنشاده مع الألحان . فإن أفراد المباحات إذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحا . ومهما انضم مباح إلى مباح لم يحرم إلا إذا تضمن المجموع محظورا لاتتضمنه الآحاد . ولامحظور ههنا وكيف ينكر إنشاد الشعر وقد أنشد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] ؟ وقال عليه السلام « إنّ من الشعر لحكمة [2] » وأنشدت عائشة رضى الله عنها :

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم وبقيت فى خلف كجلد الأجرب

وروى فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال رضى الله عنهما ، وكان بها وباء فقلت : يا أبت كيف تجدك ؟ ويا بلال كيف تجدك ؟ فكان أبو بكر رضى الله عنه إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلالٌ إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بواد وحولى إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

قالت عائشة رضى الله عنها : فأخبرت بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد [3] » وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم فى بناء المسجد وهو يقول :

---

(١) حديث : إنشاد الشعر بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ متفق عليه من حديث أبى هريرة : أن عمر مر بحسان وهو ينشد الشعر فى المسجد فلحظ إليه فقال : قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك ... الحديث ، ولمسلم من حديث عائشة إنشاد حسان :

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله فى ذاك الجزاء ... القصيدة

وإنشاد حسان أيضاً :

وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد

وللبخارى إنشاد ابن رواحة :

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع .. الأبيات

(٢) حديث « إن من الشعر لحكمة » رواه البخارى من حديث أبى بن كعب وتقدم فى العلم . (٣) حديث عائشة فى الصحيحين : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال ... الحديث . وفيه إنشاد أبى بكر :

كل امرئ مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

وإنشاد بلال :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بواد وحولى إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

قلت : هو فى الصحيحين كما ذكر المصنف لكن أصل الحديث والشعر عند البخارى فقط ليس عند مسلم .

هذا الحمـــال لاحمال خيبر هـذا ـ أبر ـ ربنـــا وأطهر

وقال أيضا صلى الله عليه وسلم مرة أخرى :

لاهم إنّ العيش عيش الآخره فارحم الأنصار والمهـــاجره[1]

وهذه فى الصحيحين . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينافح ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يؤيد حسان بروح القدس مانافح أوفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] » ولما أنشده النابغة شعره قال له صلى الله عليه وسلم « لا يفضض الله فاك [3] » وقالت عائشة رضى الله عنها « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم « يتناشدون عنده الأشعار وهو يتبسم [4] » وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال : أنشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول أمية بن أبى الصلت كل ذلك يقول « هيه هيه » ثم قال « إن كاد فى شعره ليسلم [5] » وعن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدى له فى السفر . وإنّ أنجشة كان يحدو بالنساء ، والبراء بن مالك كان يحدو بالرجال ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياأنجشة رويدك سوقك بالقوارير [6] » ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة رضى الله عنهم وما هو إلا أشعار تؤدى بأصوات طيبة وألحان موزونة ولم ينقل عن أحد من الصحابة إنكاره ، بل ربما كانوا يلتمسون

---

(١) حديث : كان صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم فى بناء المسجد وهو يقول :

هذا الحمال لاحمال خيبر هذا أبر ـ ربنا ـ وأطهر

وقال صلى الله عليه وسلم مرة أخرى :

اللهم إن العيش عيش الآخره فارحم الأنصار والمهاجره

قال المصنف : والبيتان فى الصحيحين . قلت : البيت الأول انفرد به البخارى فى قصة الهجرة من رواية عروة مرسلا وفيه البيت الثاني أيضاً إلا أنه قال « الأجر » بدل « العيش » تمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لى؛ قال ابن شهاب : ولم يبلغنا فى الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هـذا البيت والبيت الثانى فى الصحيحين من حديث أنس يرتجزون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم يقولون :

اللهم لاخير إلا خير الآخره فانصر الأنصار والمهاجره

وليس البيت الثانى موزونا ، وفى الصحيحين أيضاً أنه قال فى حفر الخندق بلفظ « فبارك فى الأنصار والمهاجره » وفى رواية « فاغفر » وفى رواية لمسلم « فأكرم » ولهما من حديث سهل بن سعد « فاغفر للمهاجرين والأنصار » .

(٢) حديث : كان يضع لحسان منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينافح ... الحديث. أخرجه البخارى تعليقا ، وأبو داود والترمذى والحاكم متصلا من حديث عائشة ، قال الترمذى : حسن صحيح ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، وفى الصحيحين أنها قالت « إنه كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٣) حديث أنه قال للنابغة لما أنشده شعرا « لايفضض الله فاك » رواه البغوى فى معجم الصحابة ، وابن عبد البر فى الاستيعاب بإسناد ضعيف من حديث النابغة واسمه قيس بن عبد الله قال : أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ولنا نرجو فوق ذلك مظهرا ... الأبيات

ورواه البزار بلفظ « علونا البلاد دفة وتكرما ... الأبيات » وفيه : فقال « أحسنت ياأبا ليلى لايفضض الله فاك » وللحاكم من حديث خزيم بن أوس : سمعت العباس يقول : يارسول الله إنى أريد أن أمتدحك ، فقال « قل لايفضض الله فاك » فقال العباس :

من قبلها طبت فى الظلال وفى مستودع حيث يخصف الورق ... الأبيات

(٤) حديث عائشة : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون الأشعار وهو يتبسم . أخرجه الترمذى من حديث جابر بن سمرة وصححه ولم أقف عليه من حديث عائشة . (٥) حديث الشريد : أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول أمية بن أبى الصلت كل ذلك يقول « هيه هيه ... الحديث » رواه مسلم . (٦) حديث أنس : كان يحدى له فى السفر وإن أنجشة كان يحدو بالنساء وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال ... الحديث . رواه أبو داود الطيالسى واتفق الشيخان منه على قصة أنجشة دون ذكر البراء بن مالك .

ذلك تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ . فلا يجوز أن يحرم من حيث إنه كلام مفهوم مستلذ مؤدى بأصوات طيبة وألحان موزونة .

الدرجة الرابعة : النظر فيه من حيث إنه محرك للقلب ومهيج لما هو الغالب عليه . فأقول : لله تعالى سر فى مناسبة النغمات الموزونة للأرواح حتى إنها لتؤثر فيها تأثيراً عجيبا . فمن الأصوات مايفرح ، ومنها مايحزن ، ومنها ماينوم ، ومنها مايضحك ويطرب ، ومنها مايستخرج من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس . ولا ينبغى أن يظن أنّ ذلك لفهم معانى الشعر ، بل جار فى الأوتار حتى قيل من لم يحركه الربيع وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج . وكيف يكون ذلك لفهم المعنى وتأثيره مشاهد فى الصبى فى مهده ؟ فإنه يسكنه الصوت الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه عما يبكيه إلى الإصغاء إليه . والجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثراً يستخف معه الأحمال الثقيلة . ويستقصر لقوة نشاطه فى سماعه المسافات الطويلة ، وينبعث فيه من النشاط مايسكره ويولهه ، فتراها إذا طالت عليها البوادى واعتراها الإعياء والكلال تحت المحامل والأحمال إذا سمعت منادى الحداء تمد أعناقها وتصغى إلى الحادى ناصية آذانها وتسرع فى سيرها حتى تنزعزع عليها أحمالها ومحاملها ، وربما تتلف أنفسها من شدة السير وثقل الحمل وهى لاتشعر به لنشاطها . فقد حكى أبو بكر محمد بن داود الدينورى ـ المعروف بالرقى ـ رضى الله عنه قال : كنت بالبادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فأضافنى رجل منهم وأدخلنى خباءه ، فرأيت فى الخباء عبداً أسود مقيداً بقيد ، ورأيت جمالا قدماتت بين يدى البيت وقدبقى منها جمل وهو ناحل ذابل كأنه ينزع روحه ، فقال لى الغلام : أنت ضيف ولك حق فتشفع فى إلى مولاى فإنه مكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك فى هذا القدر ، فعساه يحل القيد عنى ، قال . فلما أحضروا الطعام امتنعت وقلت لا آكل مالم أشفع فى هذا العبد ، فقال : إن هذا العبد قد أفقرنى وأهلك جميع مالى ، فقلت . ماذا فعل ؟ فقال . إنّ له صوتاً طيباً وإنى كنت أعيش من ظهور هذه الجمال ، فحملها أحمالا ثقالا وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام فى ليلة واحدة من طيب نغمته ، فلما حطت أحمالها ماتت كلها إلا هذا الجمل الواحد ، ولكن أنت ضيفى فلكرامتك قد وهبته لك ، قال : فأحببت أن أسمع صوته ، فلما أصبحنا أمره أن يحدو على جمل يستقى الماء من بئر هناك ، فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقعت أنا على وجهى ، فما أظن أنى سمعت قط صوتاً أطيب منه . فإذن تأثير السماع فى القلب محسوس . ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زائد فى غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على جميع البهائم ، فإن جميعها تتأثر بالنغمات الموزونة . ولذلك كانت الطيور تقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته . ومهما كان النظر فى السماع باعتبار تأثيره فى القلب لم يجز أن يحكم فيه مطلقاً بإباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالأحوال والأشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم مافى القلب .

قال أبو سليمان : السماع لايجعل فى القلب ماليس فيه ولكن يحرك ماهو فيه ، فالترنم بالكلمات المسجعة الموزونة معتاد فى مواضع لأغراض مخصوصة ترتبط بها آثار فى القلب وهى سبعة مواضع :

الأول : غناء الحجيج ، فإنهم أولا يدورون فى البلاد بالطبل والشاهين والغناء ، وذلك مباح لأنها أشعار نظمت فى وصف الكعبة والمقام والحطيم وزمزم وسائر المشاعر ووصف البادية وغيرها ، وأثر ذلك يهيج الشوق إلى حج بيت الله تعالى واشتعال نيرانه إن كان ثم شوق حاصل ، أو استثارة الشوق واجتلابه إن لم يكن حاصلا . وإذا كان الحج قربة والشوق إليه محمودا كان التشويق إليه بكل مايشوق محمودا . وكما يجوز للواعظ أن ينظم كلامه

فى الوعظ ويزينه بالسجع ويشوق الناس إلى الحج بوصف البيت والمشاعر ووصف الثواب عليه جاز لغيره ذلك على نظم الشعر ، فإن الوزن إذا انضاف إلى السجع صار الكلام أوقع فى القلب ، فإذا أضيف إليه صوت طيب ونغمات موزونة زاد وقعه ، فإن أضيف إليه الطبل والشاهين وحركات الإيقاع زاد التأثير . وكل ذلك جائز ما لم يدخل فيه المزامير والأوتار التى هى من شعار الأشرار ، نعم إن قصد به تشويق من لايجوز له الخروج إلى الحج كالذى أسقط الفرض عن نفسه ولم يأذن له أبواه فى الخروج ، فهذا يحرم عليه الخروج . فيحرم تشويقه إلى الحج بالسماع بكل كلام يشوق إلى الخروج فإن التشويق إلى الحرام حرام . وكذلك إن كانت الطريق غير آمنة وكان الهلاك غالبا لم يجز تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق .

الثانى : ما يعتاده الغزاة لتحريض الناس على الغزو . وذلك أيضا مباح كما للحاج ، ولكن ينبغى أن تخالف أشعارهم وطرق ألحانهم أشعار الحاج وطرق ألحانهم ، لأن استثارة داعية الغزو - بالتشجيع وتحريك الغيظ والغضب فيه على الكفار وتحسين الشجاعة واستحقار النفس والمال بالإضافة إليه - بالأشعار المشجعة . مثل قول المتنبى :

فإن لا تمت تحت السيوف مكرما تمت وتقاس الذل غير مكرم

وقوله أيضا :

يرى الجبناء أن الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم

وأمثال ذلك . وطرق الأوزان المشجعة تخالف الطرق المشوقة . وهذا أيضا مباح فى وقت يباح فيه الغزو . ومندوب إليه وقت يستحب فيه الغزو ، ولكن فى حق من يجوز له الخروج إلى الغزو .

الثالث : الرجزيات التى يستعملها الشجعان فى وقت اللقاء ، والغرض منها التشجيع للنفس وللأنصار وتحريك النشاط فيهم للقتال ، وفيه التمدح بالشجاعة والنجدة ، وذلك إذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان أوقع فى النفس ، وذلك مباح فى كل قتال مباح ، ومندوب فى قتال مندوب ، ومحظور فى قتال المسلمين وأهل الذمة . وكل قتال محظور ، لأن تحريك الدواعى إلى المحظور محظور . وذلك منقول عن شجعان الصحابة رضى الله عنهم كعلى وخالد رضى الله عنهما وغيرهما . ولذلك نقول : ينبغى أن يمنع من الضرب بالشاهين فى معسكر الغزاة فإن صوته مرقق محزن يحلل عقدة الشجاعة ويضعف صرامة النفس ويشوق إلى الأهل والوطن ويورث الفتور فى القتال ، وكذا سائر الأصوات والألحان المرققة للقلب ، فالألحان المرققة المحزنة تباين الألحان المحركة المشجعة فمن فعل ذلك على قصد تغيير القلوب وتفتير الآراء عن القتال الواجب فهو عاص ، ومن فعله على قصد التفتير عن القتال المحظور فهو بذلك مطيع .

الرابع : أصوات النياحة ونغماتها وتأثيرها فى تهييج الحزن والبكاء وملازمة الكآبة والحزن قسمان : محمود ومذموم .

فأما المذموم فكالحزن على مافات قال الله تعالى ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ﴾ والحزن على الأموات من هذا القبيل فإنه تسخط لقضاء الله تعالى وتأسف على مالاتدارك له . فهذا الحزن لما كان مذموما كان تحريكه بالنياحة مذموما فلذلك ورد النهى الصريح عن النياحة [1] .

وأما الحزن المحمود فهو حزن الإنسان على تقصيره فى أمر دينه ، وبكاؤه على خطاياه . والبكاء والتباكى

---

(١) حديث : النهى عن النياحة . متفق عليه من حديث أم عطية : أخذ علينا النبى صلى الله عليه وسلم فى البيعة أن لانوح .

والحزن والتحازن على ذلك محمود وعليه بكاء آدم عليه السلام . وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لأنه يبعث على التشمير للتدارك ، ولذلك كانت نياحة داود عليه السلام محمودة إذ كان ذلك مع دوام الحزن وطول البكاء بسبب الخطايا والذنوب ، فقد كان عليه السلام يبكي ويبكي ويحزن حتى كانت الجنائز ترفع من مجالس نياحته . وكان يفعل ذلك بألفاظه وألحانه : وذلك محمود لأن المفضى إلى المحمود محمود . وعلى هذا لايحرم على الواعظ الطيب الصوت أن ينشد على المنبر بألحانه الأشعار المحزنة المرققة للقلب ولا أن يبكي ويتباكى ليتوصل به إلى تبكية غيره وإثارة حزنه .

الخامس : السماع فى اوقات السرور تأكيدا للسرور وتهييجا له ، وهو مباح إن كان ذلك السرور مباحا كالغناء فى أيام العيد وفى العرس وفى وقت قدوم الغائب وفى وقت الوليمة والعقيقة وعند ولادة المولود وعند ختانه وعند حفظه القرآن العزيز . وكل ذلك مباح لأجل إظهار السرور به . ووجه جوازه أن من الألحان ما يثير الفرح والسرور والطرب فكل ماجاز السرور به جاز إثاره السرور فيه . ويدل على هذا من النقل إنشاد النساء على السطوح بالدف والألحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] .

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا * مادعا لله داع

فهذا إظهار السرور لقدومه صلى الله عليه وسلم وهو سرور محمود ، فإظهاره بالشعر والنغمات والرقص والحركات أيضا محمود . فقد نقل عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم أنهم حجلوا فى سرور أصابهم [2] - كما سيأتى فى أحكام الرقص - وهو جائز فى قدوم كل قادم يجوز الفرح به وفى كل سبب مباح من أسباب السرور . ويدل على هذا ماروى فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت « لقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون فى المسجد حتى أكون أنا الذى أسأمه [3] » فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو إشارة إلى طول مدة وقوفها . وروى البخارى ومسلم أيضا فى صحيحيهما حديث عقيل عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها : أن أبابكر رضى الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى تدففان وتضربان والنبي صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما أبوبكر رضى الله عنه فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال « دعهما ياأبابكر فإنها أيام عيد » وقالت عائشة رضى الله عنها : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون فى المسجد فزجرهم عمر رضى الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أمنا يا بنى أرفدة [4] » يعنى من الأمن ومن حديث عمرو بن الحرث عن ابن شهاب نحوه وفيه : تغنيان وتضربان [5] . وفى حديث أبى طاهر

---

(١) حديث . إنشاد النساء عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة من حديث عائشة معضلا وليس فيه ذكر الدف والألحان . (٢) حديث : حجل جماعة من الصحابة فى سرور أصابهم . أخرجه أبو داود من حديث على وسيأتى فى الباب الثانى . (٣) حديث عائشة : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم سترنى بردائه وأنا أنظر الى الحبشة يلعبون فى المسجد ... الحديث . هو كما ذكره المصنف أيضاً فى الصحيحين لكن قوله انه فيهما من رواية عقيل عن الزهرى ليس كما ذكر بل هو عند البخارى كما ذكر وعند مسلم من رواية عمرو بن الحارث عنه .

(٤) حديث عائشة : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترنى بثوبه وأنا أنظر الى الحبشة وهم يلعبون فى المسجد فزجرهم عمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أمنا يابنى أرفدة » تقدم قبله بحديث دون زجر عمر لهم ... إلى آخره . فرواه مسلم من حديث أبى هريرة دون قوله « أمنا يابنى أرفدة » بل قال « دعهم ياعمر » زاد النسائى « فإنهم بنو أرفدة » ولهما من حديث عائشة « دونكم بنى أرفدة » وقد ذكره المصنف بعد هذا . (٥) حديث عمرو بن الحارث عن ابن شهاب نحوه وفيه « يغنيان ويضربان » رواه مسلم وهو عند البخارى من رواية الأوزاعى عن ابن شهاب .

عن ابن وهب : والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتى والحبشة يلعبون بحرابهم فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسترنى بثوبه - أو بردائه - لكى أنظر إلى لعبهم ثم يقوم من أجلى حتى أكون أنا الذى أنصرف [1] ، وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت : كنت ألعب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان يأتينى صواحب لى فكن يتقنعن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسر لمجيئهن إلى فيلعبن معى [2] وفى رواية أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لها يوما « ماهذا ؟ » قالت : بناتى قال « فما هذا الذى أرى فى وسطهن ؟ » قالت : فرس قال « ماهذا الذى عليه ؟ » قالت : جناحان قال « فرس له جناحان » قالت : أو ماسمعت أنه كان لسليمان بن داود عليه السلام خيل لها أجنحة ؟ قالت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه . والحديث محمول عندنا على عادة الصبيان فى اتخاذ الصورة من الخزف والرقاع من غير تكميل صورته بدليل ماروى فى بعض الروايات أن الفرس كان له جناحان من رقاع . وقالت عائشة رضى الله عنها : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه فدخل أبو بكر رضى الله عنه فانتهرنى وقال : مزمار الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « دعهما » فلما غفل غمزتهما فخرجتا [3] . وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب فإما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم وإما قال « تشتهين تنظرين » فقلت : نعم ، فأقامنى وراءه وخدى على خده ويقول « دونكم يابنى أرفدة » حتى إذا مللت قال « حسبك » قلت : نعم ، قال « فاذهبى » وفى صحيح مسلم : فوضعت رأسى على منكبه فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا الذى انصرفت .

فهذه الأحاديث كلها فى الصحيحين وهو نص صريح فى أن الغناء واللعب ليس بحرام . وفيها دلالة على أنواع من الرخص (الأول) اللعب : ولايخفى عادة الحبشة فى الرقص واللعب . (والثانى) فعل ذلك فى المسجد (والثالث) قوله صلى الله عليه وسلم « دونكم يابنى أرفدة » وهذا أمر باللعب والتماس له فكيف يقدر كونه حراما ؟ (والرابع) منعه لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما عن الإنكار والتغيير وتعليله بأنه يوم عيد أى هو وقت سرور ؟ وهذا من أسباب السرور (والخامس) وقوفه طويلا فى مشاهدة ذلك وسماعه لموافقة عائشة رضى الله عنها . وفيه دليل على أن حسن الخلق فى تطييب قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب أحسن من خشونة الزهد والتقشف فى الامتناع والمنع منه (والسادس) قوله صلى الله عليه وسلم ابتداء لعائشة « أتشتهين أن تنظرى » ولم يكن ذلك عن اضطرار إلى مساعدة الأهل خوفا من غضب أو وحشة ، فإن الالتماس إذا سبق ربما كان الرد سبب وحشة وهو محذور فيقدم محذور على محذور . فأما ابتداء السؤال فلا حاجة فيه (والسابع) الرخصة فى الغناء والضرب بالدف من الجاريتين ، مع أنه شبه ذلك بمزمار الشيطان وفيه بيان أن المزمار المحرم غير ذلك (والثامن) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرع سمعه صوت الجاريتين وهو مضطجع ، ولو كان يضرب بالأوتار فى موضع لما جوز الجلوس ثم لقرع صوت الأوتار سمعه . فيدل هذا على أن صوت النساء غير محرم تحريم صوت المزامير بل إنما يحرم عند خوف الفتنة .

---

(١) حديث أبى طاهر عن ابن وهب : والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتى والحبشة يلعبون بحرابهم ... الحديث . رواه مسلم أيضاً .

(٢) حديث عائشة : كنت ألعب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث . وهو فى الصحيحين كما ذكر المصنف لكن مختصر الى قولها « فيلعبن معى » . وأما الرواية المطولة التى ذكرها المصنف بقوله : وفى رواية - فليست من الصحيحين إنما رواها أبو داود باسناد صحيح .

(٣) حديث عائشة : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث ... الحديث . هو فى الصحيحين كما ذكر المصنف ، والرواية التى عزاها لمسلم انفرد بها مسلم كما ذكر .

فهذه المقاييس والنصوص تدل على إباحة الغناء والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحراب والنظر إلى رقص الحبشة والزنوج فى أوقات السرور كلها ـ قياسا على يوم العيد ـ فإنه وقت سرور ، وفى معناه يوم العرس والوليمة والعقيقة والختان ويوم القدوم من السفر وسائر أسباب الفرح وهو كل مايجوز به الفرح شرعا ، ويجوز الفرح بزيارة الإخوان ولقائهم واجتماعهم فى موضع واحد على طعام أو كلام فهو أيضا مظنه السماع .

السادس : سماع العشاق تحريكا للشوق وتهييجا للعشق وتسلية للنفس . فإن كان فى مشاهدة المعشوق فالغرض تأكيد اللذة ، وإن كان مع المفارقة فالغرض تهييج الشوق . والشوق وإن كان ألما ففيه نوع لذة إذا انضاف إليه رجاء الوصال فإن الرجاء لذيذ واليأس مؤلم ، وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق والحب للشيء المرجو . فى هذا السماع تهييج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء المقدر فى الوصال مع الإطناب فى وصف حسن المحبوب . وهذا حلال إن كان المشتاق إليه ممن يباح وصاله كمن يعشق زوجته أو سريته ، فيصغى إلى غنائها لتضاعف لذته فى لقائها . فيحظى بالمشاهدة البصر ، وبالسماع الأذن ، ويفهم لطائف معانى الوصال والفراق القلب ، فتترادف أسباب اللذة . فهذه أنواع تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها ﴿وما الحياة الدنيا إلا لهو ولعب﴾ وهذا منه . وكذلك إن غضبت منه جارية أو حيل بينه وبينها بسبب من الأسباب فله أن يحرك بالسماع شوقه وأن يستثير به لذة رجاء الوصال ، فإن باعها أو طلقها حرم عليه ذلك بعده . إذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصال واللقاء . وأما من يتمثل فى نفسه صورة صبى أو امرأة لا يحل له النظر إليها وكان ينزل ما يسمع على ما تمثل فى نفسه فهذا حرام لأنه محرك للفكر فى الأفعال المحظورة ، ومهيج للداعية إلى ما لا يباح الوصول إليه . وأكثر العشاق والسفهاء من الشباب فى وقت هيجان الشهوة لا ينفكون عن إضمار شيء من ذلك : وذلك ممنوع فى حقهم لما فيه من الداء الدفين لا الأمر يرجع إلى نفس السماع . ولذلك سئل حكيم عن العشق فقال . دخان يصعد إلى دماغ الإنسان يزيله الجماع ويهيجه السماع .

السابع : سماع من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه فلا ينظر إلى شيء إلا رآه فيه سبحانه ، ولا يقرع سمعه قارع إلا سمعه منه أو فيه ، فالسماع فى حقه مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه وحبه ومور زناد قلبه ، ومستخرج منه أحوالا من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها وينكرها من كل حسه عن ذوقها . وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجدا مأخوذ من الوجود والمصادفة أى صادف من نفسه أحوالا لم يكن يصادفها قبل السماع . ثم تكون تلك الأحوال أسبابا لروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتنقيه من الكدورات كما تنقى النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث ، ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات وهى غاية مطالب المحبين لله تعالى ونهاية ثمرة القربات كلها فالمفضى إليها من جملة القربات لا من جملة المعاصى والمباحات . وحصول هذه الأحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى فى مناسبة النغمات الموزونة للأرواح وتسخير الأرواح لها وتأثرها بها شوقا وفرحا وحزنا وانبساطا وانقباضا . ومعرفة السبب فى تأثر الأرواح بالأصوات من دقائق علوم المكاشفات . والبليد الجامد القاسى القلب المحروم عن لذة السماع يتعجب من التذاذ المستمع ووجده واضطراب حاله وتغير لونه تعجب البهيمة من لذة اللوزينج ، وتعجب العنين من لذة المباشرة ، وتعجب الصبى من لذة الرياسة واتساع أسباب الجاه ، وتعجب الجاهل من لذة معرفة الله تعالى ومعرفة جلاله وعظمته وعجائب صنعه . ولكل ذلك سبب واحد وهو أن اللذة نوع إدراك والإدراك يستدعى مدركا ويستدعى قوة مدركة . فمن لم تكمل قوة إدراكه لم يتصور منه التلذذ فكيف يدرك لذة الطعوم من فقد الذوق ؟ وكيف يدرك لذة الألحان من فقد السمع ؟ ولذة المعقولات من فقد العقل ؟ وكذلك ذوق السماع

بالقلب بعد وصول الصوت إلى السمع يدرك بحاسة باطنة فى القلب ، فمن فقدها عدم لامحالة لذته

ولعلك تقول : كيف يتصور العشق فى حق الله تعالى حتى يكون السماع محركا له ؟ فاعلم أن من عرف الله أحبه لامحالة ، ومن تأكدت معرفته تأكدت محبته بقدر تأكد معرفته . والمحبة إذا تأكدت سميت عشقا فلا معنى للعشق إلا محبة مؤكدة مفرطة . ولذلك قالت العرب : إن محمدا قد عشق ربه . لما رأوه يتخلى للعبادة فى جبل حراء . واعلم أنّ كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال والله تعالى جميل يحب الجمال . ولكن الجمال إن كان بتناسب الخلقة وصفاء اللون أدرك بحاسة البصر . وإن كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات والأخلاق وإرادة الخيرات لكافة الخلق وإفاضتها عليهم على الدوام إلى غير ذلك من الصفات الباطنة أدرك بحاسة القلب . ولفظ الجمال قد يستعار أيضاً لها فيقال : إنّ فلاناً حسن وجميل ولا تراد صورته . وإنما يعنى به أنه جميل الأخلاق محمود الصفات حسن السيرة ، حتى قد يحب الرجل بهذه الصفات الباطنة استحساناً لها كما تحب الصورة الظاهرة . وقد تتأكد هذه المحبة فتسمى عشقا . وكم من الغلاة فى حب أرباب المذاهب كالشافعى ومالك وأبى حنيفة رضى الله عنهم ؟ حتى يبذلوا أموالهم وأرواحهم فى نصرتهم وموالاتهم ويزيدوا على كل عاشق فى الغلو والمبالغة . ومن العجب أن يعقل عشق شخص لم تشاهد قط صورته أجميل هو أم قبيح وهو الآن ميت ؟ ولكن لجمال صورته الباطنة وسيرته المرضية والخيرات الحاصلة من عمله لأهل الدين وغير ذلك من الخصال . ثم لا يعقل عشق من ترى الخيرات منه . بل على التحقيق من لاخير ولا جمال ولامحبوب فى العالم إلا وهو حسنة من حسناته وأثر من آثار كرمه وغرفة من بحر جوده ، بل كل حسن وجمال فى العالم ادرك بالعقول والأبصار والأسماع وسائر الحواس من مبتدإ العالم إلى منقرضه ومن ذروة الثريا إلى منتهى الثرى فهو ذرّة من خزائن قدرته ولمعة من أنوار حضرته ، فليت شعرى كيف لايعقل حب من هذا وصفه ؟ وكيف لايتأكد عند العارفين بأوصافه حبه حتى يجاوز حدّا يكون إطلاق اسم العشق عليه ظلماً فى حقه لقصوره عن الإنباء عن فرط محبته ؟ فسبحان من احتجب عن الظهور بشدّة ظهوره واستتر عن الأبصار بإشراق نوره ، ولولا احتجابه بسبعين حجاباً من نوره لأحرقت سبحات وجهه أبصار الملاحظين لجمال حضرته ، ولولا أنّ ظهوره سبب خفائه لبهتت العقول ودهشت القلوب وتخاذلت القوى وتنافرت الأعضاء ، ولو ركبت القلوب من الحجارة والحديد لأصبحت تحت مبادى أنوار تجليه دكا دكا ، فأنى تطيق كنه نور الشمس أبصار الخفافيش . وسيأتى تحقيق هذه الإشارة فى كتاب المحبة . ويتضح أن محبة غير الله تعالى قصور وجهل بل المتحقق بالمعرفة لايعرف غير الله تعالى ، إذ ليس فى الوجود تحقيقاً إلا الله وأفعاله . ومن عرف الأفعال من حيث إنها أفعال لم يجاوز معرفة الفاعل إلى غيره . فمن عرف الشافعى مثلا رحمه الله وعلمه وتصنيفه من حيث إنه تصنيفه ـ لا من حيث إنه بياض وجلد وحبر وورق وكلام منظوم ولغة عربية ـ فلقد عرفه ولم يجاوز معرفة الشافعى إلى غيره ، ولا جاوزت محبته إلى غيره ، فكل موجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وفعله وبديع أفعاله فمن عرفها من حيث هى صنع الله تعالى فرأى من الصنع صفات الصانع كما يرى من حسن التصنيف فضل المصنف وجلالة قدره كانت معرفته ومحبته مقصورة على الله تعالى غير مجاوزة إلى سواه . ومن حدّ هذا العشق أنه لا يقبل الشركة وكل ماسوى هذا العشق فهو قابل للشركة ؛ إذ كل محبوب سواه يتصور له نظير إما فى الوجود وإما فى الإمكان . فأما هذا الجمال فلا يتصور له ثان لافى الإمكان ولا فى الوجود . فكان اسم العشق على حب غيره مجازاً محضا لا حقيقة . نعم الناقص القريب فى نقصانه من البهيمة قد لايدرك من لفظة العشق إلا طلب الوصال الذى هو عبارة عن تماس

ظواهر الأجسام وقضاء شهوة الوقاع . فمثل هذا الحمار ينبغى أن لايستعمل معه لفظة العشق والشوق والوصال والأنس ، بل يجنب هذه الألفاظ والمعانى كما تجنب البهيمة النرجس والريحان وتخصص بالفت والحشيش وأوراق القضبان . فإنّ الألفاظ إنما يجوز إطلاقها فى حق الله تعالى إذا لم تكن موهمة معنى يجب تقديس الله تعالى عنه . والأوهام تختلف باختلاف الأفهام فليتنبه لهذه الدقيقة فى أمثال هذه الألفاظ ، بل لايبعد أن ينشأ من مجرّد السماع لصفات الله تعالى وجد غالب يقطع بسببه نياط القلب . فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه ذكر غلاما كان فى بنى إسرائيل على جبل فقال لأمه : من خلق السماء ؟ قالت : الله عزوجل ، قال : فمن خلق الأرض ؟ قالت : الله عز وجل ، قال : فمن خلق الجبال ؟ قالت . الله عز وجل ، قال : فمن خلق الغيم ؟ قالت : الله عز وجل ، قال : إنى لأسمع لله شأنا . ثم رمى بنفسه من الجبل فتقطع [1] . وهذا كأنه سمع مادل على جلال الله تعالى وتمام قدرته فطرب لذلك ووجد فرمى بنفسه من الوجد . وما أنزلت الكتب إلا ليطربوا بذكر الله تعالى . قال بعضهم : رأيت مكتوبا فى الإنجيل ؛ غنينا لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا . أى شوقناكم بذكر الله تعالى فلم تشتاقوا . فهذا ماأردنا أن نذكره من أقسام السماع وبواعثه ومقتضياته وقد ظهر على القطع إباحته فى بعض المواضع والندب إليه فى بعض المواضع .

* فإن قلت : فهل له حالة يحرم فيها ؟ فأقول إنه يحرم بخمسة عوارض : عارض فى المسمع ، وعارض فى آلة الإسماع ، وعارض فى نظم الصوت ، وعارض فى نفس المستمع أو فى مواظبته ، وعارض فى كون الشخص من عوام الخلق ، لأن أركان السماع هى المسمع والمستمع وآلة الإسماع .

العارض الأول ، أن يكون المسمع امرأة لايحل النظر إليها وتخشى الفتنة من سماعها ، وفى معناها الصبى الأمرد الذى تخشى فتنته ، وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنة وليس ذلك لأجل الغناء ، بل لوكانت المرأة بحيث يفتتن بصوتها فى المحاورة من غير ألحان فلا يجوز محاورتها ومحادثتها ولا سماع صوتها فى القرآن أيضا ، وكذلك الصبى الذى تخاف فتنته .

فإن قلت : فهل تقول إن ذلك حرام بكل حال حسما للباب أو لا يحرم إلا حيث تخاف الفتنة فى حق من يخاف العنت . فأقول : هذه مسألة محتملة من حيث الفقه يتجاذبها أصلان ؛ أحدهما ؟ أن الخلوة بالأجنبية والنظر إلى وجهها حرام سواء خيفت الفتنة أو لم تخف لأنها مظنة الفتنة على الجملة . فقضى الشرع بحسم الباب من غير التفات إلى الصور ؟ والثانى : أن النظر إلى الصبيان مباح إلا عند خوف الفتنة فلا يلحق الصبيان بالنساء فى عموم الحسم بل يتبع فيه الحال : وصوت المرأة دائر بين هذين الأصلين فإن قسناه على النظر إليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب ، ولكن بينهما فرق إذ الشهوة تدعو إلى النظر فى أول هيجانها ولاتدعو إلى سماع الصوت وليس تحريك النظر لشهوة المماسة كتحريك السماع بل هو أشد . وصوت المرأة فى غير الغناء ليس بعورة فلم تزل النساء فى زمن الصحابة رضى الله عنهم يكلمن الرجال فى السلام والاستفتاء والسؤال والمشاورة وغير ذلك . ولكن للغناء مزيد أثر فى تحريك الشهوة . فقياس هذا على النظر إلى الصبيان أولى لأنهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم تؤمر النساء بستر الأصوات . فينبغى أن يتبع مثار الفتن ويقصر التحريم عليه . هذا هو الأقيس عندى ويتأيد بحديث الجاريتين المغنيتين فى بيت عائشة رضى الله عنها ؛ إذ يعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يسمع أصواتهما ولم يحترز منه ، ولكن لم تكن

(١) حديث أبى هريرة : إن غلاما كان فى بنى إسرائيل على جبل فقال لأمه : من خلق السماء ؟ فقالت : الله ... الحديث . وفيه « ثم رمى نفسه من الجبل فتقطع » رواه ابن حبان .

الفتنة مخوفة عليه فلذلك لم يحترز . فإذن يختلف هذا بأحوال المرأة وأحوال الرجل فى كونه شابا وشيخا ولا يبعد أن يختلف الأمر فى مثل هذا بالأحوال . فإنا نقول : للشيخ أن يقبل زوجته وهو صائم وليس للشاب ذلك ؛ لأن القبلة تدعو إلى الوقاع فى الصوم وهو محظور ، والسماع يدعو إلى النظر والمقاربة وهو حرام فيختلف ذلك أيضا بالأشخاص .

العارض الثانى : فى الآلة ، بأن تكون من شعار أهل الشرف أو المخنثين وهى المزامير والأوتار وطبل الكوبة . فهذه ثلاثة أنواع ممنوعة . وماعدا ذلك يبقى على أصل الإباحة كالدف ـ وإن كان فيه الجلاجل ـ وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات .

العارض الثالث : فى نظم الصوت وهو الشعر فإن كان فيه شىء من الخنا والفحش والهجو أوماهو كذب على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم أوعلى الصحابة رضى الله عنهم ، كما رتبه الروافض فى هجاء الصحابة وغيرهم ، فسماع ذلك حرام بألحان وغير ألحان ، والمستمع شريك للقائل . وكذلك مافيه وصف امرأة بعينها فإنه لايجوز وصف المرأة بين الرجال . وأما هجاء الكفار وأهل البدع فذلك جائز . فقد كان حسان بن ثابت رضى الله عنه ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهاجى الكفار وأمره صلى الله عليه وسلم بذلك [1] فأما النسيب وهو التشبيه بوصف الخدود والأصداغ وحسن القد والقامة وسائر أوصاف النساء فهذا فيه نظر . والصحيح أنه لايحرم نظمه وإنشاده بلحن وغير لحن . وعلى المستمع أن لا ينزله على امرأة معينة فإن نزله فلينزله على من يحل له من زوجته وجاريته : فإن نزله على أجنبية فهو العاصى بالتنزيل وإحالة الفكر فيه . ومن هذا وصفه فينبغى أن يجتنب السماع رأسا فإن من غلب عليه عشق نزل كل مايسمعه عليه ؛ سوء كان اللفظ مناسبا له أو لم يكن ، إذ ما من لفظ إلا ويمكن تنزيله على معان بطريق الاستعارة ، فالذى يغلب على قلبه حب الله تعالى يتذكر بسواد الصدغ مثلا ظلمة الكفر ، وبنضارة الخد نور الإيمان ، وبذكر الوصال لقاء الله تعالى ، وبذكر الفراق الحجاب عن الله تعالى فى زمرة المردودين ، وبذكر الرقيب المشوش لروح الوصال عوائق الدنيا وآفاتها المشوشة لدوام الأنس بالله تعالى ، ولا يحتاج فى تنزيل ذلك عليه إلى استنباط وتفكر ومهلة ، بل تسبق المعانى الغالبة على القلب إلى فهمه مع اللفظ .

كما روى عن بعض الشيوخ ، أنه مر فى السوق فسمع واحدا يقول : الخيار عشرة بحبة ، فغلبه الوجد ، فسئل عن ذلك فقال : إذا كان الخيار عشرة بحبة فما قيمة الأشرار ؟ واجتاز بعضهم فى السوق فسمع قائلا يقول : ياسعتر برى ، فغلبه الوجد فقيل له : على ماذا كان وجدك ؟ فقال ؟ سمعته كأنه يقول اسع تر برى ، حتى إن العجمى قد يغلب عليه الوجد على الأبيات المنظومة بلغة العرب فإن بعض حروفها يوازن الحروف العجمية فيفهم منها معان أخر . أنشد بعضهم :

* وما زارنى فى الليل إلا خياله *

فتواجد عليه رجل أعجمى . فسئل عن سبب وجده فقال ، إنه يقول : ما زاريم . وهو كما يقول فإن لفظ « زار » يدل فى العجمية على المشرف على الهلاك ، فتوهم أنه يقول : كانا مشرفون على الهلاك ، فاستشعر عند ذلك خطر هلاك الآخرة .

والمحترق فى حب الله تعالى وجده بحسب فهمه ، وفهمه بحسب تخيله . وليس من شرط تخيله أن يوافق مراد

---

(١) حديث : أمره صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت بهجاء المشركين . متفق عليه من حديث البراء : أنه صلى الله عليه وسلم قال لحسان « اهجهم أو هاجهم وجبريل معك »

الشاعر ولغته . فهذا الوجد حق وصدق . ومن استشعر خطر هلاك الآخرة لجدير بأن يتشوش عليه عقله وتضطرب عليه أعضاؤه . فإذن ليس فى تغيير أعيان الألفاظ كبير فائدة ، بل الذى غلب عشق مخلوق ينبغى أن يحترز من السماع بأى لفظ كان ، والذى غلب عليه حب الله تعالى فلا تضره الألفاظ ولا تمنعه عن فهم المعانى اللطيفة المتعلقة بمجارى همته الشريفة .

العارض الرابع : فى المستمع ، وهو أن تكون الشهوة غالبة عليه وكان فى غرة الشباب وكانت هذه الصفة أغلب عليه من غيرها ، فالسماع حرام عليه سواء غلب على قلبه حب شخص معين أو لم يغلب ، فإنه كيفما كان فلا يسمع وصف الصدغ والخد والفراق والوصال إلا ويحرك ذلك شهوته وينزله على صورة معينة ينفخ الشيطان بها فى قلبه فتشتعل فيه نار الشهوة وتحتد بواعث الشر . وذلك هو النصرة لحزب الشيطان والتخذيل للعقل المانع منه الذى هو حزب الله تعالى ، والقتال فى القلب دائم جنود الشيطان وهى الشهوات ، وبين حزب الله تعالى وهو نور العقل ، إلا فى قلب قد فتحه أحد الجندين واستولى عليه بالكلية . وغالب القلوب الآن قد فتحها جند الشيطان وغلب عليها فتحتاج حينئذ إلى أن تستأنف أسباب القتال لازعاجها فكيف يجوز تكثير أسلحتها وتشحيذ سيوفها وأسنتها : والسماع مشحذ لأسلحة جند الشيطان فى حق مثل هذا الشخص . فليخرج مثل هذا عن مجمع السماع فإنه يستضر به .

العارض الخامس : أن يكون الشخص من عوام الخلق ولم يغلب عليه حب الله تعالى فيكون السماع له محبوبا ، ولو غلبت عليه شهوة فيكون فى حقه محظورا . ولكنه أبيح فى حقه كسائر أنواع اللذات المباحة ، إلا أنه إذا اتخذه ديدنه وهجيراه وقصر عليه أكثر أوقاته فهذا هو السفيه الذى تردشهادته ، فإن المواظبة على اللهو جناية . وكما أن الصغيرة بالإصرار والمداومة تصير كبيرة فكذلك بعض المباحات بالمداومة تصير صغيرة ، وهو كالمواظبة على متابعة الزوج والحبشة والنظر إلى لعبهم على الدوام فإنه ممنوع وإن لم يكن أصله ممنوعا إذ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن هذا القبيل اللعب بالشطرنج فإنه مباح ولكن المواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة . ومهما كان الغرض اللعب والتلذذ باللهو فذلك إنما يباح لما فيه من ترويح القلب ، إذ راحة القلب معالجة له فى بعض الأوقات لتنبعث دواعيه فيشتغل فى سائر الأوقات بالجد فى الدنيا كالكسب والتجارة ، أو فى الدين كالصلاة والقراءة . واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان الخال على الخد ، ولو استوعبت الخيلان الوجه لشوهته فما أقبح ذلك ! فيعود الحسن قبحا بسبب الكثرة فما كل حسن يحسن كثيره ولا كل مباح يباح كثيره ، بل الخبز مباح والاستكثار منه حرام . فهذا المباح كسائر المباحات .

* فإن قلت : فقد أدى مساق هذا الكلام إلى أنه مباح فى بعض الأحوال دون بعض فلم أطلقت القول أولا بالإباحة إذ إطلاق القول فى المفصل بلا أو بنعم خلف وخطأ ؟ فاعلم أن هذا غلط لأن الإطلاق إنما يمتنع لتفصيل ينشأ من عين ما فيه النظر ، فأما ما ينشأ من الأحوال العارضة المتصلة به من خارج فلا يمنع الإطلاق ، ألا ترى أنا إذا سئلنا عن العسل أهو حلال أم لا ؟ قلنا : إنه حلال ، على الإطلاق مع أنه حرام على المحرور الذى يستضر به وإذا سئلنا عن الخمر قلنا . إنها حرام . مع إنها تحل لمن غص بلقمة أن يشربها مهما لم يجد غيرها ، ولكن هى من حيث إنها خمر حرام وإنما أبيحت لعارض الحاجة . والعسل من حيث إنه عسل حلال وإنما حرم لعارض الضرر ، وما يكون لعارض فلا يلتفت إليه فإن البيع حلال ويحرم بعارض الوقوع فى وقت النداء يوم الجمعة ونحوه من العوارض ؛ والسماع من جملة المباحات من حيث إنه سماع صوت طيب موزون مفهوم وإنما تحريمه لعارض خارج

عن حقيقة ذاته . فإذا انكشف الغطاء عن دليل الإباحة فلا نبالى بمن يخالف بعد ظهور الدليل .

وأما الشافعى رضى الله عنه فليس تحريم الغناء من مذهبه أصلا . وقد نص الشافعى وقال فى الرجل يتخذه صناعة : لاتجوز شهادته . وذلك لأنه من اللهو المكروه الذى يشبه الباطل ، ومن اتخذه صنعة كان منسوبا إلى السفاهة وسقوط المروءة ، وإن لم يكن محرما بين التحريم . فإن كان لاينسب نفسه إلى الغناء ولايؤتى لذلك ولايأتى لأجله وإنما يعرف بأنه قد يطرب فى الحال فيترنم بها لم يسقط هذا مروءته ولم يبطل شهادته . واستدل بحديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان فى بيت عائشة رضى الله عنها ، وقال يونس بن عبد الأعلى : سألت الشافعى رحمه الله عن إباحة أهل المدينة للسماع فقال الشافعى . لا أعلم أحدا من علماء الحجاز كره السماع إلا ما كان منه فى الأوصاف ، فأما الحداء وذكر الأطلال والمرابع وتحسين الصوت بألحان الأشعار فمباح .

وحيث قال : إنه لهو مكروه يشبه الباطل فقوله « لهو » صحيح . ولكن اللهو من حيث إنه لهو ليس بحرام فلعب الحبشة ورقصهم لهو وقد كان صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ولا يكرهه . بل اللهو واللغو لا يؤاخذ الله تعالى به إن عنى به أنه فعل ما لا فائدة فيه . فإن الإنسان لو وظف على نفسه أن يضع يده على رأسه فى اليوم مائة مرة فهذا عبث لافائدة له ولا يحرم . قال الله تعالى ﴿ لايؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ﴾ فإذا كان ذكر اسم الله تعالى على الشىء على طريق القسم من غير عقد عليه ولا تصميم والمخالفة فيه مع أنه لافائدة فيه لايؤاخذ فكيف يؤاخذ به بالشعر والرقص ؟

وأما قوله « يشبه الباطل » فهذا لايدل على اعتقاد تحريمه ، بل لو قال : هو باطل صريحا . لما دل على التحريم وإنما يدل على خلوه عن الفائدة ، فالباطل مالا فائدة فيه . فقول الرجل لامرأته مثلا : بعت نفسى منك ، وقولها : اشتريت ، عقد باطل مهما كان القصد اللعب والمطايبة وليس بحرام الا إذا قصد به التمليك المحقق منع الشرع منه .

وأما قوله « مكروه » فينزل بعض المواضع التى ذكرتها لك أو ينزل على التنزيه فإنه نص على إباحة لعب الشطرنج وذكر أنى أكره لعب وتعليله يدل عليه فإنه قال : ليس ذلك من عادة ذوى الدين والمروءة . فهذا يدل على التنزيه . ورده الشهادة بالمواظبة عليه لايدل على تحريمه أيضا بل قد ترد الشهادة بالأكل فى السوق وما يخرم المروءة ، بل الحياكة مباحة وليست من صنائع ذوى المروءة ، وقد ترد شهادة المحترف بالحرفة الخسيسة فتعليله يدل على أنه أراد بالكراهة التنزيه . وهذا هو الظن أيضا بغيره من كبار الأئمة . وإن أرادوا التحريم فما ذكرناه حجة عليهم .

بيان حجج القائلين بتحريم السماع والجواب عنها

احتجوا بقوله تعالى ﴿ ومن الناس من يشترى لهو الحديث ﴾ قال ابن مسعود والحسن البصرى والنخعى رضى الله عنهم : إنّ لهو الحديث هو الغناء . وروت عائشة رضى الله عنها أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى حرّم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها [1] » فنقول : أما القينة فالمراد بها الجارية التى تغنى للرجال فى مجلس الشرب . وقد ذكرنا أن غناء الأجنبية للفساق ومن يخاف عليهم الفتنة حرام ، وهم لايقصدون بالفتنة إلا ما هو محظور ، فأما غناء الجارية لمالكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث ، بل لغير مالكها سماعها عند عدم الفتنة . بدليل ماروى فى الصحيحين من غناء الجاريتين فى بيت عائشة رضى الله عنها . وأما شراء لهو الحديث بالدين استبدالا به ليضل به عن سبيل الله

(١) حديث عائشة : إن الله حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها . أخرجه الطبرانى فى الأوسط بإسناد ضعيف ، قال البيهقى ليس بمحفوظ .

فهو حرام مذموم ، وليس النزاع فيه ، وليس كل غناء بدلا عن الدين مشترى به ومضلا عن سبيل الله تعالى ، وهو المراد فى الآية . ولو قرأ القرآن ليضل به عن سبيل الله لكان حراما .

حكى عن بعض المنافقين أنه كان يؤم الناس ولا يقرأ إلا سورة عبس لما فيها من العتاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمر بقتله ، ورأى فعله حراما لما فيه من الإضلال . فالإضلال بالشعر والغناء أولى بالتحريم .

واحتجوا بقوله تعالى ﴿ أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما : هو الغناء بلغة حمير ـ يعنى السمد ـ فنقول : ينبغى أن يحرم الضحك وعدم البكاء أيضا لأن الآية تشتمل عليه .

* فإن قيل : إنّ ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لإسلامهم ؟ فهذا أيضا مخصوص بأشعارهم وغنائهم فى معرض الاستهزاء بالمسلمين كما قال تعالى ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾ وأراد به شعراء الكفار . ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر فى نفسه .

واحتجوا بما روى جابر رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « كان إبليس أول من ناح وأوّل من تغنى [1] » فقد جمع بين النياحة والغناء ؟ قلنا : لا جرم كما استثنى منه نياحة داود عليه السلام ونياحة المذنبين على خطاياهم فكذلك يستثنى الغناء الذى يراد به تحريك السرور والحزن والشوق حيث يباح تحريكه ، بل كما استثنى غناء الجاريتين يوم العيد فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغناؤهن عند قدومه عليه السلام بقولهن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

واحتجوا بما روى أبو أمامة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « مارفع أحد صوته بغناء إلا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك [2] » قلنا : هو منزل على بعض أنواع الغناء الذى قدمناه وهو الذى يحرّك من القلب ماهو مراد الشيطان من الشهوة وعشق المخلوقين ، فأما مايحرّك الشوق إلى الله أو السرور بالعيد أو حدوث الولد أو قدوم الغائب فهذا كله يضاد مراد الشيطان . بدليل قصة الجاريتين والحبشة والأخبار التى نقلناها من الصحاح . فالتجويز فى موضع واحد نص فى الإباحة ، والمنع فى ألف موضع محتمل للتأويل ومحتمل للتنزيل . أما الفعل فلا تأويل له ، إذ ماحرم فعله إنما يحل بعارض الإكراه فقط ، وما أبيح فعله يحرم بعوارض كثيرة حتى النيات والقصود .

واحتجوا بما روى عقبة بن عامر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « كل شىء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته لامرأته [3] » قلنا : فقوله « باطل » لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة وقد يسلم ذلك . على أن التلهى بالنظر إلى الحبشة خارج عن هذه الثلاثة وليس بحرام ، بل يلحق بالمحصور غير المحصور قياسا كقوله صلى الله عليه وسلم « لايحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث [4] » فإنه يلحق به رابع وخامس فكذلك ملاعبة امرأته لا فائدة له إلا التلذذ . وفى هذا دليل على أنّ التفرّج فى البساتين وسماع أصوات الطيور وأنواع المداعبات مما يلهو به الرجل لايحرم عليه شىء منها وإن جاز وصفه بأنه باطل .

---

(١) حديث جابر : كان إبليس أول من ناح وأول من تغنى . لم أجد له أصلا من حديث جابر وذكره صاحب الفردوس من حديث على بن أبى طالب ولم يخرجه ولده فى مسنده . (٢) حديث أبى أمامة : ما رفع أحد عقيرته بغناء الا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك . أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الملاهى والطبرانى فى الكبير وهو ضعيف .

(٣) حديث عقبة بن عامر « كل شىء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته زوجته » أخرجه أصحاب السنن الأربعة وفيه اضطراب . (٤) حديث « لايحل دم امرئ إلا بإحدى ثلاث » متفق عليه من حديث ابن مسعود .

واحتجوا بقول عثمان رضى الله عنه : ماتغنيت ولاتمنيت ولامسست ذكرى بيمينى مذ بايعت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلنا : فليكن التمنى ومس الذكر باليمنى حراما ، إن كان هذا دليل تحريم الغناء فمن أين يثبت أن عثمان رضى الله عنه كان لايترك إلا الحرام ؟

واحتجوا بقول ابن مسعود رضى الله عنه : الغناء ينبت فى القلب النفاق ـ وزاد بعضهم ـ كماينبت الماء البقل [1] ورفعه بعضهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غير صحيح . قالوا : ومر على ابن عمر رضى الله عنهما قوم محرمون وفيهم رجل يتغنى فقال : ألا لا أسمع الله لكم ألا لا أسمع الله لكم . وعن نافع أنه قال : كنت مع ابن عمر رضى الله عنهما فى طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه فى أذنيه ثم عدل عن الطريق ؛ فلم يزل يقول : يانافع أتسمع ذلك ؟ حتى قلت : لافأخرج أصبعيه وقال . هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع [2] وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : الغناء رقية الزنا . وقال بعضهم : الغناء رائد من روّاد الفجور. وقال يزيد بن الوليد : إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ويزيد الشهوة ويهدم المروءة ، وإنه لينوب عن الخمر ويفعل مايفعله السكر ، فإن كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء فإن الغناء داعية الزنا . فنقول : قول ابن مسعود رضى الله عنه « ينبت النفاق » أراد به فى حق المغنى ، فإنه فى حقه ينبت النفاق إذ غرضه كله أن يعرض نفسه على غيره ويروّج صوته عليه ، ولايزال ينافق ويتودد إلى الناس ليرغبوا فى غنائه ، وذلك أيضاً لايوجب تحريما . فإن لبس الثياب الجميلة وركوب الخيل المهملجة وسائر أنواع الزينة والتفاخر بالحرث والأنعام والزرع وغير ذلك ينبت فى القلب النفاق والرياء ، ولا يطلق القول بتحريم ذلك كله . فليس السبب فى ظهور النفاق فى القلب المعاصى فقط ، بل المباحات التى هى مواقع نظر الخلق أكثر تأثيرا . ولذلك نزل عمر رضى الله عنه عن فرس هملج تحته وقطع ذنبه لأنه استشعر فى نفسه الخيلاء لحسن مطيته . فهذا النفاق من المباحات . وأما قول ابن عمر رضى الله عنهما : ألالا أسمع الله لكم . فلا يدل على التحريم من حيث إنه غناء بل كانوا محرمين ولا يليق بهم الرفث ، وظهر له من مخايلهم أن سماعهم لم يكن لوجد وشوق إلى زيارة بيت الله تعالى بل لمجرد اللهو ، فأنكر ذلك عليهم لكونه منكرا بالإضافة إلى حالهم وحال الإحرام . وحكايات الأحوال تكثر فيها وجوه الاحتمال . وأما وضعه أصبعيه فى أذنيه فيعارضه أنه لم يأمر نافعا بذلك ولاأنكر عليه سماعه ، وإنما فعل ذلك هو لأنه رأى أن ينزه سمعه فى الحال وقلبه عن صوت ربما يحرك اللهو ويمنعه عن فكر كان فيه أو ذكر هو أولى منه . وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ مع أنه لم يمنع ابن عمر ـ لايدل أيضا على التحريم بل يدل على أن الأولى تركه . ونحن نرى أن الأولى تركه فى أكثر الأحوال ، بل أكثر مباحات الدنيا الأولى تركها إذا علم أن ذلك يؤثر فى القلب . فقد خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبى جهم إذ كانت عليه أعلام شغلت قلبه [3] أفترى أن ذلك يدل على تحريم الأعلام على الثوب ؟ فلعله صلى الله عليه وسلم كان فى حالة كان صوت زمارة الراعى يشغله عن تلك الحالة كما شغله العلم عن الصلاة . بل الحاجة إلى استثارة الأحوال الشريفة من القلب بحيلة السماع قصور بالإضافة إلى من هو دائم الشهود للحق ، وإن كان كمالا بالإضافة إلى غيره . ولذلك قال الحصرى : ماذا أعمل بسماع ينقطع إذا مات من

---

(١) حديث ابن مسعود « الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل » قال المصنف والمرفوع غير صحيح لأن فى إسناده من لم يسم ، رواه أبو داود وهو فى رواية ابن العبد ليس فى رواية اللؤلؤى ورواه البيهقى مرفوعا وموقوفا . (٢) حديث نافع : كنت وابن عمر فى طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه فى أذنيه ... الحديث . ورفعه أبو داود وقال هذا حديث منكر

(٣) حديث : خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبى جهم إذ كان عليه أعلام شغلت قلبه . تقدم فى الصلاة .

يسمع منه ؟ إشارة إلى أن السماع من الله تعالى هو الدائم . فالأنبياء عليهم السلام على الدوام فى لذة السمع والشهود فلا يحتاجون إلى التحريك بالحيلة . وأما قول الفضيل : هو رقية الزنا . وكذلك ماعداه من الأقاويل القريبة منه . فهو منزل على سماع الفساق والمغتلمين من الشبان . ولو كان ذلك عاما لما سمع من الجاريتين فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما القياس : فغاية مايذكر فيه أن يقاس على الأوتار ، وقد سبق الفرق ، أو يقال هو لهو ولعب ، وهو كذلك ولكن الدنيا كلها لهو ولعب . قال عمر رضى الله عنه لزوجته : إنما أنت لعبة فى زاوية البيت . وجميع الملاعبة مع النساء لهو إلا الحراثة التى هى سبب وجود الولد . وكذلك المزح الذى لافحش فيه حلال . نقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة ، كما سيأتى تفصيله فى كتاب « آفات اللسان » إن شاء الله[1] وأى لهو يزيد على لهو الحبشة والزنوج فى لعبهم وقد ثبت بالنص إباحته ؟ على أنى أقول : اللهو مروّح للقلب ومخفف عنه أعباء الفكر ، والقلوب إذا أكرهت عميت وترويحها إعانة لها على الجدّ ، فالمواظب على التفقة مثلا ينبغى أن يتعطل يوم الجمعة لأنّ عطلة يوم تبعث على النشاط فى سائر الأيام ، والمواظب على نوافل الصلوات فى سائر الأوقات ينبغى أن يتعطل فى بعض الأوقات ، ولأجله كرهت الصلاة فى بعض الأوقات . فالعطلة معونة على العمل واللهو معين على الجدّ ، ولا يصبر على الجدّ المحض والحق المرّ إلا نفوس الأنبياء عليهم السلام . فاللهو دواء القلب من داء الإعياء والملال ، فينبغى أن يكون مباحا ولكن لاينبغى أن يستكثر منه كما لايستكثر من الدواء فإذاً اللهو على هذه النية يصير قربة ، هذا فى حق من لايحرّك السماع من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها بل ليس له إلا اللذة والاستراحة المحضة ، فينبغى أن يستحب له ذلك ليتوصل به إلى المقصود الذى ذكرناه . نعم هذا يدل على نقصان عن ذروة الكمال فإن الكامل هو الذى لايحتاج أن يروّح نفسه بغير الحق ، ولكن حسنات الأبرار سيئات المقربين ومن أحاط بعلم علاج القلوب ووجوه التلطف بها لسياقتها إلى الحق علم قطعا أن ترويحها بأمثال هذه الأمور دواء نافع لاغنى عنه .

الباب الثانى : آثار السماع وآدابه

اعلم أنّ أوّل درجة السماع فهم المسموع وتنزيله على معنى يقع للمستمع ، ثم يثمر الفهم الوجد ، ويثمر الوجد الحركة بالجوارح . فلينظر فى هذه المقامات الثلاثة .

المقام الأوّل : فى الفهم ، وهو يختلف باختلاف أحوال المستمع .

وللمستمع أربعة أحوال ، إحداها : أن يكون سماع بمجرّد الطبع أى لاحظ له فى السماع إلا استلذاذ الألحان والنغمات ، وهذا مباح وهو أخسر رتب السماع ، إذ الإبل شريكه له فيه وكذا سائر البهائم بل لايستدعى هذا الذوق إلا الحياة ، فلكل حيوان نوع تلذذ بالأصوات الطيبة .

الحالة الثانية : أن يسمع بفهم ولكن ينزله على صورة مخلوق إما معينا وإما غير معين ، وهو سماع الشباب وأرباب الشهوات ويكون تنزيلهم للمسموع على حسب شهواتهم ومقتضى أحوالهم ؛ وهذه الحالة أخس من أن نتكلم فيها إلا ببيان خستها والنهى عنها .

الحالة الثالثة : أن ينزل مايسمعه على أحوال نفسه فى معاملته لله تعالى وتقلب أحواله فى التمكن مرّة والتعذر أخرى ، وهذا سماع المريدين لاسيما المبتدئين ، فإنّ للمريد لامحالة مرادا هو مقصده ، ومقصده معرفة الله سبحانه

---

(١) حديث مزاحه صلى الله عليه وسلم . يأتى فى آفات اللسان كما قال المصنف .

ولقاؤه والوصول إليه بطريق المشاهدة بالسر وكشف الغطاء ، وله فى مقصده طريق هو سالكه ، ومعاملات هو مثابر عليها ، وحالات تستقبله فى معاملاته . فإذا سمع ذكر عتاب أو خطاب أو قبول أو رد أو وصل أو هجر أو قرب أو بعد أو تلهف على فائت أو تعطش إلى منتظر أو شوق إلى وارد أو طمع أو يأس أو وحشة أو استئناس أو وفاء بالوعد أو نقض للعهد أو خوف فراق أو فرح بوصال أو ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب أو هموم العبرات أو ترادف الحسرات أو طول الفراق أو عدة الوصال أو غير ذلك مما يشتمل على وصفه الأشعار فلابد أن يوافق بعضها حال المريد فى طلبه فيجرى ذلك مجرى القدح الذى يورى زناد قلبه ، فتشتعل به نيرانه ويقوى به انبعاث الشوق وهيجانه ويهجم عليه بسببه أحوال مخالفة لعادته ويكون له مجال رحب فى تنزيل الألفاظ على أحواله . وليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه ، بل لكل كلام وجوه ، ولكل ذى فهم فى اقتباس المعنى منه حظوظ . ولنضرب لهذه التنزيلات والفهوم أمثلة كى لا يظن الجاهل أن المستمع لأبيات فيها ذكر الفم والخد والصدغ إنما يفهم منها ظواهرها . ولا حاجة بنا إلى ذكر كيفية فهم المعانى من الأبيات ففى حكايات أهل السماع ما يكشف عن ذلك . فقد حكى أن بعضهم سمع قائلا يقول :

قال الرسول غدا نزو ر فقلت تعقل ماتقول

فاستفزه اللحن والقول وتواجد وجعل يكرر ذلك ويجعل مكان التاء : نونا . فيقول : قال الرسول غدا نزور ، حتى غشى عليه من شدة الفرح واللذة والسرور . فلما أفاق سئل عن وجده مم كان ؟ فقال : ذكرت قول الرسول صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة يزورون ربهم فى كل يوم جمعة مرة [1] » ، وحكى الرقى عن ابن الدراج أنه قال: كنت أنا وابن الفوطى مارين على دجلة بين البصرة والأبلة فإذا بقصر حسن له منظرة وعليه رجل بين يديه جارية تغنى وتقول :

كل يوم تتـــلون ؟ غير هـذا بك أحسن

فإذا شاب حسن تحت المنظرة وبيده ركوة وعليه مرقعة يستمع فقال : ياجارية بالله وبحياة مولاك إلا أعدت على هذا البيت . فأعادت فكان الشاب يقول : هـذا والله تلونى مع الحق فى حالى ، فشهق شهقة ومات . قال : فقلنا قد استقبلنا فرض . فوقفنا ، فقال صاحب القصر للجارية : أنت حرة لوجه الله تعالى قال ثم إن أهل البصرة خرجوا فصلوا عليه . فلما فرغوا من دفنه قال صاحب القصر : اشهدكم أن كل شىء لى فى سبيل الله ، وكل جوارى احرار ، وهذا القصر للسبيل . قال : ثم رمى بثيابه واتزر بإزار وارتدى بآخر ومر على وجهه والناس ينظرون إليه حتى غاب عن أعينهم ، وهم يبكون . فلم يسمع له بعد خبر . والمقصود أن هذا الشخص كان مستغرق الوقت بحاله مع الله تعالى ومعرفة عجزه عن الثبوت على حسن الأدب فى المعاملة وتأسفه على تقلب قلبه وميله عن سنن الحق ، فلما قرع سمعه ما يوافق حاله سمعه من الله تعالى كأنه يخاطبه ويقول له :

كل يوم تتـــلون ؟ غير هـذا بك أحسن

ومن كان سماعه من الله تعالى وعلى الله وفيه . فينبغى أن يكون قد أحكم قانون العلم فى معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته . وإلا خطر له من السماع فى حق الله تعالى ما يستحيل عليه ويكفر به . ففى سماع المريد المبتدى خطر إلا إذا

(١) حديث « إن أهل الجنة يزورون ربهم فى كل جمعة » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة وفيه عبد الحميد ابن حبيب بن أبى العشرين مختلف فيه وقال الترمذى . لانعرفه إلا من هذا الوجه قال : وقد روى سويد بن عمرو عن الأوزاعى شيئا من هذا .

لم ينزل مايسمع إلا على حاله من حيث لايتعلق بوصف الله تعالى . ومثال الخطأ فيه هذا البيت بعينه فلو سمعه فى نفسه وهو يخاطب به ربه عز وجل فيضيف التلوّن إلى الله تعالى فيكفر ، وهذا قد يقع عن جهل محض مطلق غير ممزوج بتحقيق ، وقد يكون عن جهل ساقه إليه نوع من التحقيق ، وهو أن يرى تقلب أحوال قلبه بل تقلب أحوال سائر العالم من الله وهو حق ، فإنه تارة يبسط قلبه وتارة يقبضه وتارة ينوره وتارة يظلمه وتارة يقسيه وتارة يلينه وتارة يثبته على طاعته ويقويه عليها وتارة يسلط الشيطان عليه ليصرفه عن سنن الحق ، وهذا كله من الله تعالى . ومن يصدر منه أحوال مختلفة فى أوقات متقاربة فقد يقال له فى العادة : إنه ذو بداوات وإنه متلوّن . ولعل الشاعر لم يرد به إلا نسبة محبوبه إلى التلوّن فى قبوله ورده وتقريبه وإبعاده وهذا هو المعنى . فسماع هذا كذلك فى حق الله تعالى كفر محض بل ينبغى أن يعلم أنه سبحانه وتعالى يلوّن ولا يتلوّن ويغير ولا يتغير بخلاف عباده . وذلك العلم يحصل للمريد باعتقاد تقليدى إيمانى . ويحصل للعارف البصير بيقين كشفى حقيقى . وذلك من أعاجيب أوصاف الربوبية وهو المغير من غير تغير ، ولا يتصوّر ذلك إلا فى حق الله تعالى ، بل كل مغير سواه فلا يغير مالم يتغير . ومن أرباب الوجد من يغلب عليه حال مثل السكر المدهش ، فيطلق لسانه بالعتاب مع الله تعالى ، ويستنكر اقتهاره للقلوب ، وقسمته للأحوال الشريفة على تفاوت . فإنه المستصفى لقلوب الصديقين ، والمبعد لقلوب الجاحدين والمغرورين ، فلا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ، ولم يقطع التوفيق عن الكفار لجناية متقدمة ، ولا أمد الأنبياء عليهم السلام بتوفيقه ونور هدايته لوسيلة سابقة ، ولكنه قال ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴾ وقال عز وجل ﴿ ولكن حق القول منى لأملأنّ جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ وقال تعالى ﴿ إنّ الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾ فإن خطر ببالك أنه لم اختلفت السابقة وهم فى ربقة العبودية مشتركون نوديت من سرادقات الجلال لاتجاوز حد الأدب ﴿ فإنه لايسئل عما يفعل وهم يسئلون ﴾ ولعمرى تأدب اللسان والظاهر بما يقدر عليه الأكثرون . فأما تأدب السر عن إضمار الاستبعاد بهذا الاختلاف الظاهر فى التقريب والإبعاد والإشقاء والإسعاد مع بقاء السعادة والشقاوة أبد الآباد فلا يقوى عليه إلا العلماء الراسخون فى العلم . ولهذا قال الخضر عليه السلام لما سئل عن السماع فى المنام : إنه الصفو الزلال الذى لايثبت عليه إلا أقدام العلماء لأنه محرّك لأسرار القلوب ومكامنها ، ومشوّش لها تشويش السكر المدهش الذى يكاد يحل عقدة الأدب عن السر إلا من عصمه الله تعالى بنور هدايته ولطيف عصمته . ولذلك قال بعضهم : ليتنا نجونا من هذا السماع رأسا برأس . فنى هذا الفن من السماع خطر يزيد على خطر السماع المحرّك للشهوة ، فإنّ غاية ذلك معصية وغاية الخطأ ههنا كفر .

واعلم أن الفهم قد يختلف بأحوال المستمع فيغلب الوجد على مستمعين لبيت واحد وأحدهما مصيب فى الفهم والآخر مخطئ ، أو كلاهما مصيبان وقد فهما معنيين مختلفين متضادين ، ولكنه بالإضافة إلى اختلاف أحوالهما لايتناقض . كما حكى عن عتبة الغلام أنه سمع رجلا يقول :

سبحان جبار السما إن المحب لفى عنا

فقال : صدقت . وسمعه رجل آخر فقال : كذبت . فقال بعض ذوى البصائر : أصابا جميعا وهو الحق فالتصديق كلام محب غير ممكن من المراد بل مصدود متعب بالصدّ والهجر . والتكذيب كلام مستأنس بالحب مستلذ لما يقاسيه بسبب فرط حبه غير متأثر به ، أو كلام محب غير مصدود عن مراده فى الحال ولا مستشعر بخطر

الصدّ فى المآل . وذلك لاستيلاء الرجاء وحسن الظن على قلبه . فباختلاف هذه الأحوال يختلف الفهم .

وحكى عن أبى القاسم بن مروان ـ وكان قد صحب أبا سعيد الخراز رحمه الله وترك حضور السماع سنين كثيرة ـ فحضر دعوة وفيها إنسان يقول :

واقف فى الماء عطشا ن ولكن ليس يسق

فقام القوم وتواجدوا ، فلما سكنوا سألهم عن معنى ماوقع لهم من معنى البيت ، فأشاروا إلى التعطش إلى الأحوال الشريفة والحرمان منها مع حضور أسبابها ، فلم يقنعه ذلك فقالوا له : فماذا عندك فيه ؟ فقال : أن يكون فى وسط الأحوال ويكرم بالكرامات ولايعطى منها ذرّة . وهذه إشارة إلى إثبات حقيقة وراء الأحوال ، والكرامات والأحوال سوابقها ، والكرامات تسنح فى مباديها ، والحقيقة بعد لم يقع الوصول إليها . ولافرق بين المعنى الذى فهمه وبين ماذكروه إلا فى تفاوت رتبة المتعطش إليه ، فإن المحروم عن الأحوال الشريفة أولا يتعطش إليها ، فإن مكن منها تعطش إلى ماوراءها ، فليس بين المعنيين اختلاف فى الفهم بل الاختلاف بين الرتبتين . وكان الشبلى رحمه الله كثيرا مايتواجد على هذا البيت :

ودادكم هجـــر وحبكم قـلى ووصلكم صرم وسلمكم حرب

وهذا البيت يمكن سماعه على وجوه مختلفة بعضها حق وبعضها باطل ، وأظهرها : أن يفهم هـذا فى الخلق بل فى الدنيا بأسرها بل فى كل ماسوى الله تعالى . فإن الدنيا مكارة خداعة قتالة لأربابها معادية لهم فى الباطن ومظهرة صورة الود ، فما امتلأت منها دار حبرة إلا امتلأت عبرة [1] ، كما ورد فى الخبر وكما قال الثعلبى فى وصف الدنيا :

تنح عن الدنيـــا فلا تخطبنها ولاتخطبن قتالة من تناكح
فليس يفى مرجـوها بمخوفها ومكروهها أما تأملت راجح
لقدقال فيها الواصفون فأكثروا وعندى لهـا وصف لعمرى صالح
سلاف قصاراها زعاف ومركب شهى إذا استذللته فهو جامح
وشخص جميل يؤثر الناس حسنه ولكن له أسرار سوء قبائح

والمعنى الثانى . أن ينزله على نفسه فى حق الله تعالى فإنه إذا تفكر فمعرفته جهل إذ ماقدروا الله حق قدره . وطاعته رياء إذ لا يتقى الله حق تقاته . وحبه معلول إذ لا يدع شهوة من شهواته فى حبه . ومن أراد الله به خيرا بصره بعيوب نفسه فيرى مصداق هذا البيت فى نفسه ، وإن كان علىّ المرتبة بالإضافة إلى الغافلين ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لاأحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك [2] » وقال عليه الصلاة والسلام « إنى لأستغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة [3] » وإنما كان استغفاره عن أحوال هى درجات بعد بالإضافة إلى مابعدها ، وإن كانت قربا بالإضافة إلى ماقبلها ، فلا قرب إلا ويبقى وراءه قرب لانهاية له ، إذ سبيل السلوك إلى الله تعالى غير متناه ، والوصول إلى أقصى درجات القرب محال . والمعنى الثالث أن ينظر فى مبادئ أحواله فيرتضيها ثم ينظر فى عواقبها فيزدريها لاطلاعه على خفايا الغرور فيها ، فيرى ذلك من الله تعالى فيستمع البيت فى حق الله تعالى شكاية من القضاء والقدر وهذا كفر ـ كما سبق بيانه ـ ومامن بيت إلا ويمكن تنزيله على معان ، وذلك بقدر غزارة علم

---

(١) حديث « ما امتلأت دار منها حبرة الا امتلأت عبرة » أخرجه ابن المبارك عن عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبى كثير مرسلا . (٢) حديث « لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » رواه مسلم وقد تقدم . (٣) حديث « إنى لأستغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة » تقدم فى الباب الثانى من الأذكار .

المستمع وصفاء قلبه .

الحالة الرابعة : سماع من جاوز الأحوال والمقامات فعزب عن فهم ماسوى الله تعالى حتى عزب عن نفسه وأحوالها ومعاملاتها ، وكان كالمدهوش الغائص فى بحر عين الشهود الذى يضاهى حاله حال النسوة اللاتى قطعن أيديهن فى مشاهدة جمال يوسف عليه السلام حتى دهشن وسقط إحساسهن . وعن مثل هذه الحاله تعبر الصوفية بأنه قد فنى عن نفسه . ومهما فنى عن نفسه فهو عن غيره أفنى فكأنه فنى عن كل شىء إلا عن الواحد المشهود . وفنى أيضا عن الشهود فإن القلب أيضا إذا التفت إلى الشهود وإلى نفسه بأنه مشاهد فقد غفل عن المشهود . فالمستهتر بالمرئى لاالتفات له فى حال استغراقه إلى رؤيته ولا إلى عينه التى بها رؤيته ولا إلى قلبه الذى به لذته ، فالسكران لاخبر له من سكره ، والمتلذذ لا خبر له من التذاذه ، وإنما خبره من المتلذذ به فقط . ومثاله العلم بالشىء : فإنه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشىء فالعالم بالشىء مهما وردعليه العلم بالعلم بالشىء كان معرضا عن الشىء . ومثل هذه الحالة قدتطرأ فى حق المخلوق وتطرأ أيضافى حق الخالق ، ولكنها فى الغالب تكون كالبرق الخاطف الذى لايثبت ولا يدوم ، وإن دام لم تطقه القوة البشرية ، فربما اضطرب تحت أعبائه اضطرابا تهلك به نفسه .

كما روى عن أبى الحسن النورى أنه حضر مجلسا فسمع هذا البيت :

مازلت أنزل من ودادك منزلا تتحير الألباب عند نزوله

فقام وتواجد وهام على وجهه . فوقع فى أجمة قصب قد قطع وبقيت أصوله مثل السيوف ، فصار يعدو فيها ويعيد البيت إلى الغداة والدم يخرج من رجليه ، حتى ورمت قدماه وساقاه وعاش بعد ذلك أياما ومات رحمه الله . فهذه درجة الصديقين فى الفهم والوجد فهى أعلى الدرجات لأن السماع على الأحوال نازل عن درجات الكمال وهى ممتزجة بصفات البشرية وهو نوع قصور ، وإنما الكمال أن يفنى بالكلية عن نفسه وأحواله ؛ أعنى أنه ينساها فلايبقى له التفات إليها كما لم يكن للنسوة التفات إلى الأيدى والسكاكين . فيسمع لله وبالله وفى الله ومن الله وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الأحوال والأعمال واتحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الإخلاص ، فلم يبق فيه منه شىء أصلا ، بل خمدت بالكلية بشريته وفنى التفاته إلى صفات البشرية رأسا ، ولست أعنى بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه ، ولست أعنى بالقلب اللحم والدم بل سر لطيف له إلى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سر الروح الذى هو من أمر الله عزوجل ـ عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ـ ولذلك السر وجود . وصورة ذلك الوجود مايحضر فيه فإذا حضر فيه غيره فكأنه لاوجود إلا للحاضر . ومثاله المرآة المجلوة إذ ليس لها لون فى نفسها بل لونها لون الحاضر فيها ، وكذلك الزجاجة فإنها تحكى لون قرارها ولونها لون الحاضر فيها . وليس لها فى نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ، ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول الألوان ، ويعرب عن هذه الحقيقة ـ أعنى سر القلب بالإضافة إلى مايحضر فيه ـ قول الشاعر :

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وهذا مقام من مقامات علوم المكاشفة منه نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد ، وقال أنا الحق وحوله يدندن كلام النصارى فى دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت أو تدرعها بها أو حلولها فيها على ما اختلف فيهم عباراتهم وهو غلط محض يضاهى غلط من يحكم على المرآة بصورة الحمرة إذ ظهر فيها لون الحمرة مقابلها وإذا كان هذا لاغير لائق

بعلم المعاملة فلنرجع إلى الغرض ؛ فقد ذكرنا تفاوت الدرجات فى فهم المسموعات .

المقام الثانى : بعد الفهم والتنزيل ؛ الوجد : وللناس كلام طويل فى حقيقة الوجد ـ أعنى الصوفية والحكماء الناظرين فى وجه مناسبة السماع للأرواح ـ فلننقل من أقوالهم ألفاظا ثم لنكشف عن الحقيقة فيه .

أما الصوفية فقد قال ذو النون المصرى رحمه الله فى السماع : إنه وارد حق جاء يزعج القلوب إلى الحق ، فمن أصغى إليه بحق تحقق، ومن أصغى إليه بنفس تزندق . فكأنه عبر عن الوجد بانزعاج القلوب إلى الحق وهو الذى يجده عند ورود وارد السماع إذ سمى السماع وارد حق . وقال أبو الحسين الدراج مخبرا عما وجده فى السماع : الوجد عبارة عما يوجد عند السماع ، وقال : جال بى السماع فى ميادين البهاء فأوجدنى وجود الحق عند العطاء فسقانى بكأس الصفاء فأدكت به منازل الرضاء وأخرجنى إلى رياض التنزه والفضاء . وقال الشبلى رحمه الله : السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة ؛ فمن عرف الإشارة حل له استماع العبارة وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية . وقال بعضهم : السماع غذاء الأرواح لأهل المعرفة لأنه وصف يدق عن سائر الأعمال ويدرك برقة الطبع لرقته وبصفاء السر لصفائه ولطفه عند أهله . وقال عمرو بن عثمان المكى : لا يقع على كيفية الوجد عبارة لأنه سر الله عند عباده المؤمنين الموقنين وقال بعضهم : الوجد مكاشفات من الحق . وقال أبو سعيد بن الأعرابى : الوجد رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ومحادثة السر وإيناس المفقود ، وهو فناؤك من حيث أنت ، وقال أيضا : الوجد أول درجات الخصوص وهو ميرات التصديق بالغيب فلما ذاقوه وسطع فى قلوبهم نوره زال عنهم كل شك وريب . وقال أيضا : الذى يحجب عن الوجد رؤية آثار النفس والتعلق بالعلائق والأسباب ؛ لأن النفس محجوبة بأسبابها فإذا انقطعت الأسباب وخلص الذكر وصحا القلب ورق وصفا ونجحت الموعظة فيه وحل من المناجاة فى محل قريب وخوطب وسمع الخطاب بأذن واعية وقلب شاهد وسر ظاهر فشاهد ما كان منه غائبا ؛ فذلك هو الوجد لأنه قد وجد ما كان معدوما عنده . وقال أيضا : الوجد ما يكون عند ذكر مزعج أو خوف مقلق أو توبيخ على زلة أو محادثة بلطيفة أو إشارة إلى فائدة أو شوق إلى غائب أو أسف على فائت أو ندم على ماض أو استجلاب إلى حال أو داع إلى واجب أو مناجاة بسر ، وهو مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والغيب بالغيب والسر بالسر واستخراج مالك بما عليك مما سبق للسعى فيه فيكتسب ذلك لك بعد كونه منك ، فيثبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا ذكر ، إذ كان هو المبتدئ بالنعم والمتولى وإليه يرجع الأمر كله فهذا ظاهر علم الوجد وأقوال الصوفية من هذا الجنس فى الوجد كثيرة .

وأما الحكماء فقال بعضهم : فى القلب فضيلة شريفة لم تقدر قوة النطق على إخراجها باللفظ فأخرجتها النفس بالألحان ، فلما ظهرت سرت وطربت إليها فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة الظواهر . وقال بعضهم : نتائج السماع استنهاض العاجز من الرأى واستجلاب العازب من الأفكار وحدة الكالّ من الأفهام والآراء حتى يثوب ما عزب وينهض ما عجز ويصفو ما كدر ويمرح فى كل رأى ونية ، فيصيب ولا يخطئ ويأتى ولا يبطئ . وقال آخر : كما أن الفكر يطرق العلم إلى المعلوم فالسماع يطرق القلب إلى العالم الروحانى . وقال بعضهم وقد سئل عن سبب حركة الأطراف بالطبع على وزن الألحان والإيقاعات فقال : ذلك عشق عقلى والعاشق العقلى لا يحتاج إلى أن يناغى معشوقه بالمنطق الجرمى بل يناغيه ويناجيه بالتبسم واللحظ والحركة اللطيفة بالحاجب والجفن والإشارة ، وهذه نواطق أجمع إلا أنها روحانية ، وأما العاشق البهيمى فإنه يستعمل المنطق الجرمى ليعبر به عن ثمرة ظاهر شوقه الضعيف وعشقه

الزائف . وقال آخر : من حزن فليسمع الألحان . فإن النفس إذا دخلها الحزن خمد نورها وإذا فرحت اشتعل نورها وظهر فرحها فيظهر الحنين بقدر قبول القابل وذلك بقدر صفائه ونقائه من الغش والدنس .

والأقاويل المقررة فى السماع والوجد كثيرة ولا معنى للاستكثار من إيرادها ، فلنشتغل بتفهيم المعنى الذى الوجد عبارة عنه فنقول : إنه عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد حق جديد عقيب السماع يجده المستمع من نفسه . وتلك الحالة لا تخلو عن قسمين : فإنها إما أن ترجع إلى مكاشفات ومشاهدات هى من قبيل العلوم والتنبيهات ، وإما أن ترجع إلى تغيرات وأحوال ليست من العلوم بل هى كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والأسف والندم والبسط والقبض ، وهذه الأحوال يهيجها السماع ويقويها ؛ فإن ضعف بحيث لم يؤثر فى تحريك الظاهر أو تسكينه أو تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته أو يطرق أو يسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم يسم وجدا ، وإن ظهر على الظاهر سمى وجدا إما ضعيفا وإما قويا ، بحسب ظهوره وتغييره للظاهر وتحريكه بحسب قوة وروده ، وحفظ الظاهر عن التغيير بحسب قوة الواجد وقدرته على ضبط جوارحه ؛ فقد يقوى الوجد فى الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه ؛ وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك وحل عقد التماسك . وإلى معنى الأول أشار أبو سعيد بن الأعرابى حيث قال فى الوجد : إنه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ، ولا يبعد أن يكون السماع سببا لكشف مالم يكن مكشوفا قبله ، فإن الكشف يحصل بأسباب : منها التنبيه والسماع منبه ، ومنها تغير الأحوال ومشاهدتها وإدراكها فإن إدراكها نوع علم يفيد إيضاح أمور لم تكن معلومة قبل الورود ، ومنها صفاء القلب والسماع يؤثر فى تصفية القلب والصفاء يسبب الكشف ، ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان تقصر عنه قبل ذلك قوته ، كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله . وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة أسرار الملكوت ، كما أن عمل البعير حمل الأثقال فبواسطة هذه الأسباب يكون سببا للكشف ، بل القلب إذا صفا ربما يمثل له الحق فى صورة مشاهدة أو فى لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف إذا كان فى اليقظة ، وبالرؤيا إذا كان فى المنام ، وذلك جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة . وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم المعاملة وذلك كما روى عن محمد بن مسروق البغدادى أنه قال : خرجت ليلة فى أيام جهالتى وأنا نشوان وكنت أغنى هذا البيت :

بطور سيناء كرم مامررت به ... إلا تعجبت ممن يشرب الماء

فسمعت قائلا يقول :

وفى جهنم ماء ماتجرعه ... خلق فأبقى له فى الجوف أمعاء

قال : فكان ذلك سبب توبتى واشتغالى بالعلم والعبادة . فانظر كيف أثر الغناء فى تصفية قلبه حتى تمثل له حقيقة الحق فى صفة جهنم فى لفظ مفهوم موزون وقرع ذلك سمعه الظاهر ؟ .

وروى عن مسلم العبادانى أنه قال ؟ قدم علينا صالح المرى وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد ومسلم الأسوارى فنزلوا على الساحل ، قال : فهيأت لهم ذات ليلة طعاما فدعوتهم إليه فجاؤا فلما وضعت الطعام بين أيديهم إذا بقائل يقول رافعا صوته هذا البيت :

وتلهيك عن دار الخلود مطاعم ... ولذة نفس غيها غير نافع

قال : فصاح عتبة الغلام صيحة وخر مغشيا عليه وبكى القوم ، فرفعت الطعام وماذاقوا والله منه لقمة .

وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب فيشاهد أيضاً بالبصر صورة الخضر عليه السلام فإنه يتمثل لأرباب القلوب بصور مختلفة . وفى مثل هذه الحالة تتمثل الملائكة للأنبياء عليهم السلام إما على حقيقة صورتها وإما على مثال يحاكى صورتها بعض المحاكاة . وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام مرتين فى صورته وأخبر عنه بأنه سد الأفق [1] وهو المراد بقوله تعالى ﴿ علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ﴾ إلى آخر هذه الآيات . وفى مثل هذه الأحوال من الصفاء يقع الاطلاع على ضمائر القلوب ، وقد يعبر عن ذلك الاطلاع بالتفرس . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله [2] » وقد حكى أن رجلا من المجوس كان يدور على المسلمين ويقول مامعنى قول النبى صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراسة المؤمن » فكان يذكر له تفسيره فلا يقنعه ذلك حتى انتهى إلى بعض المشايخ من الصوفية . فسأله ، فقال له معناه : أن تقطع الزنار الذى على وسطك تحت ثوبك . فقال : صدقت هذا معناه وأسلم ، وقال : الآن عرفت أنك مؤمن وأن إيمانك حق . وكما حكى عن إبراهيم الخواص قال : كنت ببغداد فى جماعة من الفقراء فى الجامع فأقبل شاب طيب الرائحة حسن الوجه فقلت لأصحابى : يقع لى أنه يهودى ، فكلهم كرهوا ذلك ، فخرجت وخرج الشاب ثم رجع إليهم وقال ؛ أى شىء قال الشيخ فى ؟ فاحتشموه فألح عليهم فقالوا له : قال إنك يهودى ، قال : فجاءنى وأكب على يدى وقبل رأسى وأسلم ، وقال : نجد فى كتبنا أن الصديق لا تخطئ فراسته فقلت : أمتحن المسلمين فتأملتهم فقلت : إن كان فيهم صديق ففى هذه الطائفة ؛ لأنهم يقولون حديثه سبحانه ويقرءون كلامه ؛ فلبست عليكم فلما اطلع على الشيخ وتفرس فى علمت أنه صديق قال ، وصار الشاب من كبار الصوفية .

وإلى مثل هذا الكشف الإشارة بقوله عليه السلام « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماء [3] » وإنما تحوم الشياطين على القلوب إذا كانت مشحونة بالصفات المذمومة فإنها مرعى الشيطان وجنده . ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفاه لم يطف الشيطان حول قلبه . وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ وبقوله تعالى ﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ﴾ والسماع سبب لصفاء القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء .

وعلى هذا يدل ماروى أن ذا النون المصرى رحمه الله دخل بغداد فاجتمع إليه قوم من الصوفية ومعهم قوال ؛ فاستأذنوه فى أن يقول لهم شيئا . فأذن لهم فى ذلك فأنشأ يقول :

صغير هواك عذبنى فكيف به إذا احتنكا وأنت جمعت فى قلبى
هوى قد كان مشتركا أما ترثى لمكتئب إذا ضحك الخلى بكى

فقام ذو النون وسقط على وجهه ، ثم قام رجل آخر فقال ذو النون : الذى يراك حين تقوم . فجلس ذلك الرجل وكان ذلك اطلاعا من ذى النون على قلبه . أنه متكلف متواجد ، فعرفه أن الذى يراه حين يقوم هو الخصم فى قيامه لغير الله تعالى ولو كان الرجل صادقا لما جلس . فإذاً قد رجع حاصل الوجد إلى مكاشفات وإلى حالات واعلم أن كل واحد منهما ينقسم إلى مايمكن التعبير عنه عند الإفاقة منه وإلى مالا تمكن العبارة عنه أصلا ، ولعلك تستبعد حالة أو علما لا تعلم حقيقته ولا يمكن التعبير عنه عن حقيقته ، فلا تستبعد ذلك فإنك تجد فى أحوالك القريبة لذلك شواهد.

---

(١) حديث : رأى جبريل عليه السلام مرتين فى صورته فأخبر أنه سد الأفق . متفق عليه من حديث عائشة .
(٢) حديث « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى » أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد وقال حديث غريب .
(٣) حديث « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماء » تقدم فى الصوم .

أما العلم فكم من فقيه تعرض عليه مسألتان متشابهتان فى الصورة ويدرك الفقيه بذوقه أن بينهما فرقا فى الحكم ؟ وإذا كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان على التعبير وإن كان من أفصح الناس ، فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه ، وإدراكه الفرق علم يصادفه فى قلبه بالذوق ولا يشك فى أن لوقوعه فى قلبه سببا وله عند الله تعالى حقيقة ؛ ولا يمكنه الإخبار عنه لا لقصور فى لسانه بل لدقة المعنى فى نفسه عن أن تناله العبارة . وهذا مما قد تفطن له المواظبون على النظر فى المشكلات .

وأما الحال فكم من إنسان يدرك فى قلبه فى الوقت الذى يصبح فيه قبضا أو بسطا ولا يعلم سببه ، وقد يتفكر إنسان فى شىء فيؤثر فى نفسه أثرا فينسى ذلك السبب ويبقى الأثر فى نفسه وهو يحس به ، وقد تكون الحالة التى يحسها سرورا ثبت فى نفسه بتفكره فى سبب موجب للسرور ، أو حزنا فينسى المتفكر فيه ويحس بالأثر عقيبه . وقد تكون تلك الحالة حالة غريبة لا يعرب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة مفصحة عن المقصود ، بل ذوق الشعر الموزون والفرق بينه وبين غير الموزون يختص به بعض الناس دون بعض ، وهى حالة يدركها صاحب الذوق بحيث لا يشك فيها ـ أعنى التفرقة بين الموزون والمنزحف ـ فلا يمكنه التعبير عنها بما يتضح مقصوده لمن لا ذوق له . وفى النفس أحوال غريبة هذا وصفها بل المعانى المشهورة من الخوف والحزن والسرور إنما تحصل فى السماع عن غناء مفهوم ، وأما الأوتار وسائر النغمات التى ليست مفهومة فإنها تؤثر فى النفس تأثيرا عجيبا ولا يمكن التعبير عن عجائب تلك الآثار ، وقد يعبر عنها بالشوق ولكن شوق لا يعرف صاحبه المشتاق إليه فهو عجيب ، والذى اضطرب قلبه بسماع الأوتار أو الشاهين وما أشبهه ليس يدرى إلى ماذا يشتاق ؟ ويجد فى نفسه حالة كأنها تتقاضى أمرا ليس يدرى ما هو ؟ حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب على قلبه لا حب آدمى ولا حب الله تعالى . وهذا له سر وهو أن كل شوق فله ركنان :

أحدهما : صفة المشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق إليه .

والثانى : معرفة المشتاق إليه ومعرفة صورة الوصول إليه ، فإن وجدت الصفة التى بها الشوق ووجد العلم بصورة المشتاق إليه كان الأمر ظاهرا ، وإن لم يوجد العلم بالمشتاق ووجدت الصفة المشوقة وحركت قلبك الصفة واشتعلت نارها أورث ذلك دهشة وحيرة لا محالة

ولو نشأ آدمى وحده بحيث لم ير صورة النساء ولا عرف صورة الوقاع ثم راهق الحلم وغلبت عليه الشهوة لكان يحس من نفسه بنار الشهوة ولكن لا يدرى أنه يشتاق إلى الوقاع لأنه ليس يدرى صورة الوقاع ولا يعرف صورة النساء : فكذلك فى نفسه الآدمى مناسبة مع العالم الأعلى واللذات التى وعد بها فى سدرة المنتهى والفراديس العلا ؛ إلا أنه لم يتخيل من هذا الأمور إلا الصفات والأسماء ، كالذى سمع لفظ الوقاع واسم النساء ولم يشاهد صورة امرأة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه فى المرآة ليعرف بالمقايسة ، فالسماع يحرك منه الشوق والجهل المفرط والاشتغال بالدنيا قد أنساه نفسه وأنساه ربه وأنساه مستقره الذى إليه حنينه واشتياقه بالطبع ، فيتقاضاه قلبه أمرا ليس يدرى ما هو ؟ فيدهش ويتحير ويضطرب ويكون كالمختنق الذى لا يعرف طريق الخلاص فهذا ، وأمثاله من الأحوال التى لا يدرك تمام حقائقها ولا يمكن المتصف بها أن يعبر عنها . فقد ظهر انقسام الوجد إلى ما يمكن إظهاره وإلى ما لا يمكن إظهاره .

واعلم أيضا أن الوجد ينقسم إلى هاجم وإلى متكلف ويسمى التواجد ، وهذا التواجد المتكلف فنه مذموم

وهو الذى يقصد به الرياء وإظهار الأحوال الشريفة مع الإفلاس منها ، ومنه ماهو محمود وهو التوصل إلى استدعاء الأحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها بالحيلة ، فإن للكسب مدخلا فى جلب الأحوال الشريفة ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحضره البكاء فى قراءة القرآن أن يتباكى ويتحازن [1] فإن هذه الأحوال قد تتكلف مباديها ثم تتحقق أواخرها . وكيف لا يكون التكلف سببا فى أن يصير المتكلف فى الآخرة طبعا ، وكل من يتعلم القرآن أو لايحفظه تكلفا ، ويقرؤه تكلفا مع تمام التأمل وإحضار الذهن ؛ ثم يصير ذلك ديدنا اللسان مطردا حتى يجرى به لسانه فى الصلاة وغيرها وهو غافل ؛ فيقرأ تمام السورة وتثوب نفسه إليه بعد انتهائه إلى آخرها ويعلم أنه قرأها فى حال غفلته ؟ وكذلك الكاتب يكتب فى الابتداء بجهد شديد ثم تتمرن على الكتابة يده فيصير الكتب له طبعا فيكتب أوراقا كثيرة وهو مستغرق القلب بفكر آخر ؟ فجميع ماتحتمله النفس والجوارح من الصفات لا سبيل إلى اكتسابه إلا بالتكلف والتصنع أولا ثم يصير بالعادة طبعا ، وهو المراد بقول بعضهم : العادة طبيعة خامسة . فكذلك الأحوال الشريفة لا ينبغى أن يقع اليأس منها عند فقدها ، بل ينبغى أن يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره ، فلقد شوهد فى العادات من اشتهى أن يعشق شخصا ولم يكن يعشقه فلم يزل يردد ذكره على نفسه ويديم النظر إليه ويقرر على نفسه الأوصاف المحبوبة والأخلاق المحمودة فيه حتى عشقه ورسخ ذلك فى قلبه رسوخا خرج عن حد اختياره ، فاشتهى بعد ذلك الخلاص منه فلم يتخلص . فكذلك حب الله تعالى والشوق إلى لقائه والخوف من سخطه وغير ذلك من الأحوال الشريفة ؛ إذا فقدها الانسان فينبغى أن يتكلف اجتلابها بمجالسة الموصوفين بها ومشاهدة أحوالهم وتحسين صفاتهم فى النفس وبالجلوس معهم فى السماع وبالدعاء والتضرع إلى الله تعالى فى أن يرزقه تلك الحلة بأن ييسر له أسبابها .

ومن اسبابها السماع ومجالسة الصالحين والخائفين والمحسنين والمشتاقين والخاشعين . فمن جالس شخصا سرت إليه صفاته من حيث لا يدرى . ويدل على إمكان تحصيل الحب وغيره من الأحوال بالأسباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعائه « اللهم ارزقنى حبك وحب من أحبك وحب من يقربنى إلى حبك [2] » فقد فزع عليه السلام إلى الدعاء فى طلب الحب . فهذا بيان انقسام الوجد إلى مكاشفات وإلى أحوال وانقسامه إلى ما يمكن الإفصاح عنه وإلى مالا يمكن ، وانقسامه إلى المتكلف وإلى المطبوع .

« فإن قلت : فما بال هؤلاء لايظهر وجدهم عند سماع القرآن وهو كلام الله ويظهر عند الغناء وهو كلام الشعراء ؟ فلو كان ذلك حقا من لطف الله تعالى ولم يكن باطلا من غرور الشيطان لكان القرآن أولى به من الغناء ؟ فنقول : الوجد الحق هو ماينشأ من فرط حب الله تعالى وصدق إرادته والشوق إلى لقائه ، وذلك يهيج بسماع القرآن أيضا . وإنما الذى لايهيج بسماع القرآن حب الخلق وعشق المخلوق . ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ وقوله تعالى ﴿ مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ وكل مايوجد عقيب السماع فى النفس فهو وجد . فالطمأنينة والاقشعرار والخشية ولين القلب كل ذلك وجد . وقد قال الله تعالى ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ وقال تعالى ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ﴾ فالوجل والخشوع وجد من قبيل الأحوال وإن لم يكن من قبيل المكاشفات . ولكن قد يصير سببا للمكاشفات والتنبيهات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « زينوا القرآن بأصواتكم [3] »

---

(١) حديث : البكاء عند قراءة القرآن فإن لم تبكوا فتباكوا . تقدم فى تلاوة القرآن فى الباب الثانى . (٢) حديث « اللهم ارزقنى حبك وحب من أحبك ... الحديث » تقدم فى الدعوات . (٣) حديث « زينوا القرآن بأصواتكم » تقدم فى تلاوة القرآن

وقال لأبي موسى الأشعري « لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود عليه السلام [١] » .

وأما الحكايات الدالة على أن أرباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القرآن فكثيرة فقوله صلى الله عليه وسلم « شيبتني هود وأخواتها [٢] » خبر عن الوجد ، فإن الشيب يحصل من الحزن والخوف وذلك وجد . وروى أن ابن مسعود رضي الله عنه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النساء ، فلما انتهى إلى قوله تعالى ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ قال « حسبك » وكانت عيناه تذرفان بالدموع [٣] . وفي رواية أنه عليه السلام قرأ هذا الآية أو قرئ عنده ﴿ إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما ﴾ فصعق [٤] وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قرأ ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك ﴾ فبكى [٥] وكان عليه السلام إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر [٦] والاستبشار وجد . وقد أثنى الله تعالى على أهل الوجد بالقرآن فقال تعالى ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ﴾ وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل [٧] .

وأما ما نقل من الوجد بالقرآن عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين فكثير : فمنهم من صعق ومنهم من بكى ومنهم من غشي عليه ومنهم من مات في غشيته . وروى أن زرارة بن أوفى ـ وكان من التابعين ـ كان يؤم الناس بالرقة فقرأ ﴿ فإذا نقر في الناقور ﴾ فصعق ومات في محرابه رحمه الله . وسمع عمر رضي الله عنه رجلا يقرأ ﴿ إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع ﴾ فصاح صيحة وخر مغشيا عليه فحمل إلى بيته ، فلم يزل مريضا في بيته شهرا . وأبو جرير ـ من التابعين ـ قرأ عليه صالح المري فشهق ومات . وسمع الشافعي رحمه الله قارئا يقرأ ﴿ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ فغشي عليه . وسمع علي بن الفضيل قارئا يقرأ ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ فسقط مغشيا عليه ، فقال الفضيل : شكر الله لك ما قد علمه منك . وكذلك نقل عن جماعة منهم .

وكذلك الصوفية : فقد كان الشبلي في مسجده ليلة من رمضان وهو يصلي خلف إمام له فقرأ الإمام ﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ﴾ فزعق الشبلي زعقة ظن الناس أنه قد طارت روحه واحمر وجهه وارتعدت فرائصه ، وكان يقول : بمثل هذا يخاطب الأحباب ، يردد ذلك مرارا . وقال الجنيد : دخلت على سري السقطي فرأيت بين يديه رجلا قد غشي عليه فقال لي : هذا رجل قد سمع آية من القرآن فغشي عليه ، فقلت : اقرءوا عليه تلك الآية بعينها فقرئت فأفاق ، فقال : من أين قلت هذا ؟ فقلت : رأيت يعقوب عليه السلام كان عماه من أجل مخلوق فبمخلوق أبصر ، ولو كان عماه من أجل الحق ما أبصر بمخلوق ، فاستحسن ذلك . ويشير إلى ما قاله الجنيد قول الشاعر :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

وقال بعض الصوفية : كنت أقرأ ليلة هذه الآية ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ فجعلت أرددها فإذا هاتف يهتف بي :

---

(١) حديث « لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود » قاله لأبي موسى تقدم فيه . (٢) حديث « شيبتني هود وأخواتها » أخرجه الترمذي من حديث أبي جحيفة وله والحاكم من حديث ابن عباس نحوه قال الترمذي حسن وقال الحاكم صحيح على شرط البخاري

(٣) حديث : إن ابن مسعود قرأ عليه فلما انتهى إلى قوله (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) قال « حسبك » الحديث . متفق عليه من حديثه . (٤) حديث : أنه قرئ عنده (إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما) فصعق رواه ابن عدي . في الكامل والبيهقي في الشعب من طريقه من حديث أبي حرب بن أبي الأسود مرسلا .

(٥) حديث : أنه قرأ (إن تعذبهم فإنهم عبادك) فبكى . أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو . (٦) حديث : كان إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر . تقدم في تلاوة القرآن دون قوله : واستبشر . (٧) حديث : أنه كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل . أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي في الشمائل من حديث عبد الله بن الشخير وقد تقدم .

كم تردد هذه الآية ؟ فقد قتلت أربعة من الجن مارفعوا رءوسهم إلى السماء منذ خلقوا . وقال أبو على المغازلى للشبلى : ربما تطرق سمعى آية من كتاب الله تعالى فتجذبنى إلى الإعراض عن الدنيا ثم أرجع إلى أحوالى وإلى الناس فلا أبقى على ذلك ، فقال : ماطرق سمعك من القرآن فاجتذبك به إليه فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك ، وإذاردك إلى نفسك فهو شفقة منه عليك فإنه لايصلح لك إلا التبرى من الحول والقوة فى التوجه إليه . وسمع رجل من أهل التصوف قارئا يقرأ ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية ﴾ فاستعادها من القارئ وقال : كم أقول لها ارجعى وليست ترجع ؟ وتواجد وزعق زعقة فخرجت روحه . وسمع بكر بن معاذ قارئا يقرأ ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة ﴾ الآية فاضطرب ثم صاح : ارحم من أنذرته ولم يقبل إليك بعد الإنذار بطاعتك ، ثم غشى عليه . وكان إبراهيم ابن أدهم رحمه الله إذا سمع أحدا يقرأ ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ اضطربت أوصاله حتى كان يرتعد . وعن محمد بن صبيح قال : كان رجل يغتسل فى الفرات فمر به رجل على الشاطئ يقرأ ﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ﴾ فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات . وذكر أن سلمان الفارسى أبصر شابا يقرأ فأتى على آية فاقشعر جلده فأحبه سلمان وفقده ، فسأل عنه فقيل له : إنه مريض ، فأتاه يعوده فإذا هو فى الموت ، فقال : ياعبدالله ! أرأيت تلك القشعريرة التى كانت بى ؟ فإنها أتتنى فى أحسن صورة فأخبرتنى أن الله قد غفر لى بها كل ذنب .

وبالجملة لايخلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن فإن كان القرآن لا يؤثر فيه أصلا فـ ﴿ مثله كمثل الذى ينعق بما لايسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون ﴾ بل صاحب القلب تؤثر فيه الكلمة من الحكمة يسمعها . قال جعفر الخلدى : دخل رجل من أهل خراسان على الجنيد وعنده جماعة فقال للجنيد : متى يستوى عند العبد حامده وذامه ؟ فقال بعض الشيوخ : إذا دخل البيمارستان وقيد بقيدين ، فقال الجنيد : ليس هذا من شأنك ؟ ثم أقبل على الرجل وقال : إذا تحقق أنه مخلوق فشهق الرجل شهقة ومات ،

* فإن قلت : فإن كان سماع القرآن مفيدا للوجد فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء من القوالين دون القارئين ؟ فكان ينبغى أن يكون اجتماعهم وتواجدهم فى حلق القراء لاحلق المغنين ؟ وكان ينبغى أن يطلب عند كل اجتماع فى كل دعوة قارئ لاقوال ؟ فإن كلام الله تعالى أفضل من الغناء لامحالة فاعلم أن الغناء أشد تهييجا الوجد من القرآن من سبعة أوجه :

الوجه الأول : أن جميع آيات القرآن لاتناسب حال المستمع ولا تصلح لفهمه وتنزيله على ما هو ملابس له ، فمن استولى عليه حزن أو شوق أو ندم فمن أين يناسب حاله قوله تعالى (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) وقوله تعالى (والذين يرمون المحصنات) ؟ وكذلك جميع الآيات التى فيها بيان أحكام الميراث والطلاق والحدود وغيرها ؟ وإنما المحرك لما فى القلب ما يناسبه . والأبيات إنما يضعها الشعراء إعرابا بها عن أحوال القلب فلا يحتاج فى فهم الحال منها إلى تكلف . نعم من يستولى عليه حالة غالبة قاهرة لم تبق فيه متسعا لغيرها ومعه تيقظ وذكاء ثاقب يتفطن به للمعانى البعيدة من الألفاظ ، فقد يخرج وجده على كل مسموع كمن يخطر له عند ذكر قوله تعالى (يوصيكم الله فى أولادكم) حالة الموت المحوج إلى الوصية وأن كل إنسان لابد أن يخلف ماله وولده وهما محبوباه من الدنيا ، فيترك أحد المحبوبين للثانى ويهجرهما جميعا فيغلب عليه الخوف والجزع أو يسمع ذكر الله فى قوله (يوصيكم الله فى أولادكم) فيدهش بمجرد الاسم عما قبله وبعده ، أو يخطر له رحمة الله على عباده وشفقته بأن تولى قسم مواريثهم بنفسه نظرا لهم فى حياتهم وموتهم فيقول : إذا نظر لأولادنا بعد موتنا فلا نشك بأنه ينظر لنا فيهيج

منه حال الرجاء ويورثه ذلك استبشارا وسرورا ، أو يخطر له من قوله تعالى ﴿ للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ تفضيل الذكر بكونه رجلا على الأنثى وأن الفضل فى الآخرة لرجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله . وأن من ألهاه غير الله تعالى عن الله تعالى فهو من الإناث لا من الرجال تحقيقا ، فيخشى أن يحجب أو يؤخر فى نعيم الآخرة كما أخرت الأنثى فى أموال الدنيا . فأمثال هذا قد يحرك الوجد ولكن لمن فيه وصفان (أحدهما) حالة غالبة مستغرقة قاهرة (والآخر) تفطن بليغ وتيقظ بالغ كامل للتنبيه بالأمور القريبة على المعانى البعيدة وذلك مما يعز ، فلأجل ذلك يفزع إلى الغناء الذى هو ألفاظ مناسبة للأحوال حتى يتسارع هيجانها . وروى أن أبا الحسين النورى كان مع جماعة فى دعوى فجرى بينهم مسألة فى العلم وأبو الحسين ساكت ثم رفع رأسه وأنشدهم :

رب ورقاء هتوف فى الضحى ذات شجو صدحت فى فنن
ذكرت إلفا ودهرا صالحا وبكت حزنا فهاجت حزنى
فبكائى ربما أرقها وبكاها ربما أرقنى
ولقد أشكو فما أفهمها ولقد تشكو فما تفهمنى
غير أنى بالجوى أعرفها وهى أيضا بالجوى تعرفنى

قال فما بقى أحد من القوم إلا قام وتواجد ، ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذى خاضوا فيه وإن كان العلم جدا وحقا .

الوجه الثانى : أن القرآن محفوظ للأكثرين ومتكرر على الأسماع والقلوب ، وكلما سمع أولا عظم أثره فى القلوب ، وفى الكرة الثانية يضعف أثره ، وفى الثالثة يكاد يسقط أثره . ولو كلف صاحب الوجد الغالب أن يحضر وجده على بيت واحد على الدوام فى مرات متقاربة فى الزمان ، فى يوم أو أسبوع لم يمكنه ذلك . ولو أبدل ببيت آخر لتجدد له أثر فى قلبه وإن كان معربا عن عين ذلك المعنى . ولكن كون النظم واللفظ غريبا بالإضافة إلى الأولى يحرك النفس وإن كان المعنى واحدا . وليس يقدر القارئ على أن يقرأ قرآنا غريبا فى كل وقت ودعوة فإن القرآن محصور لايمكن الزيادة عليه وكله محفوظ متكرر وإلى ماذكرناه أشار الصديق رضى الله عنه حيث رأى الأعراب يقدمون فيسمعون القرآن ويبكون فقال : كنا كما كنتم ولكن قست قلوبنا . ولا تظنن أن قلب الصديق رضى الله عنه كان أقسى من قلوب الأجلاف من العرب وأنه كان أخلى عن حب الله تعالى وحب كلامه من قلوبهم ، ولكن التكرار على قلبه اقتضى المرون عليه وقلة التأثر به لما حصل له من الأنس بكثرة استماعه ، إذ محال فى العادات أن يسمع السامع آية لم يسمعها قبل فيبكى ، ثم يدوم على بكائه عليها عشرين سنة ، ثم يرددها ويبكى ، ولا يفارق الأول الآخر إلا فى كونه غريبا جديدا ؟ ولكل جديد لذة ولكل طارئ صدمة ، ومع كل مألوف أنس يناقض الصدمة . ولذا هم عمر رضى الله عنه أن يمنع الناس من كثرة الطواف وقال : قد خشيت أن يتهاون الناس بهذا البيت أى يأنسوا به . ومن قدم حاجا فرأى البيت أولا بكى وزعق وربما غشى عليه إذ وقع عليه بصره ، وقد يقيم بمكة شهرا ولا يحس من ذلك فى نفسه بأثر ، فإذاً المغنى يقدر على الأبيات الغريبة فى كل وقت ولا يقدر فى كل وقت على آية غريبة .

الوجه الثالث : أن لوزن الكلام بذوق الشعر تأثيرا فى النفس فليس الصوت الموزون الطيب كالصوت الطيب الذى ليس بموزون ، وإنما يوجد الوزن فى الشعر دون الآيات ، ولو زحف المغنى البيت الذى ينشده أو لحن فيه

أو مال عن حد تلك الطريقة فى اللحن لاضطرب قلب المستمع وبطل جده وسماعه ونفر طبعه لعدم المناسبة.. وإذا نفر الطبع اضطرب القلب وتشوش ، فالوزن إذن مؤثر فلذلك طاب الشعر .

الوجه الرابع : أن الشعر الموزون يختلف تأثيره فى النفس بالألحان التى تسمى الطرق والاستانات وإنما اختلاف تلك الطرق بمد المقصور وقصر الممدود والوقف فى أثناء الكلمات والقطع والوصل فى بعضها . وهذا التصرف جائز فى الشعر ولا يجوز فى القرآن الا التلاوة كما أنزل ، فقصره ومده والوقف والوصل والقطع فيه على خلاف ماتقضيه التلاوة حرام أو مكروه . وإذا رتل القرآن كما أنزل سقط عنه الأثر الذى سببه وزن الألحان وهو سبب مستقل بالتأثير وإن لم يكن مفهوما ، كما فى الأوتار والمزمار والشاهين وسائر الأصوات التى لاتفهم .

الوجه الخامس : أن الألحان الموزونة تعضد وتؤكد بإيقاعات وأصوات أخر موزونة خارج الحلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره ، لأن الوجد الضعيف لايستثار إلا بسبب قوى ، وإنما يقوى بمجموع هذه الأسباب ولكل واحد منها حظ فى التأثير ، وواجب أن يصان القرآن عن مثل هذه القرائن لأن صورتها عند عامة الخلق صورة اللهو واللعب ، والقرآن جد كله عند كافة الخلق ، فلا يجوز أن يمزج بالحق المحض ما هو لهو عند العامة وصورته صورة اللهو عند الخاصة ، وإن كانوا لا ينظرون إليها من حيث إنها لهو ، بل ينبغى أن يوقر القرآن فلا يقرأ على شوارع الطرق بل فى مجلس ساكن ، ولا فى حال الجنابة . ولا على غير طهارة ولايقدر على الوفاء بحق حرمة القرآن فى كل حال إلا المراقبون لأحوالهم ، فيعدل إلى الغناء الذى لايستحق هذه المراقبة والمراعاة ، ولذلك لايجوز الضرب بالدف مع قراءة القرآن ليلة العرس . وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب الدف فى العرس فقال « أظهروا النكاح ولو بضرب الغربال [1] » أوبلفظ هذا معناه ، وذلك جائز مع الشعر دون القرآن . ولذلك لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار فسمع إحداهن تقول : وفينا نبى يعلم مافى غد . على وجه الغناء ، فقال صلى الله عليه وسلم « دعى هذا وقولى ما كنت تقولين [2] » وهذه شهادة بالنبوة فزجرها عنها وردها إلى الغناء الذى هو لهو ، لأن هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو . فإذاً يتعذر بسببه تقوية الأسباب التى بها يصير السماع محركا للقلب فواجب فى الاحترام العدول إلى الغناء عن القرآن كما وجب على تلك الجارية العدول عن شهادة النبوة إلى الغناء .

الوجه السادس . أن المغنى قد يغنى ببيت لايوافق حال السامع فيكرهه وينهاه عنه ويستدعى غيره فليس كل كلام موافقا لكل حال . فلو اجتمعوا فى الدعوات على القارئ فربما يقرأ آية لاتوافق حالهم إذ القرآن شفاء للناس كلهم على اختلاف الأحوال ، فآيات الرحمة شفاء الخائف ، وآيات العذاب شفاء المغرور الآمن . وتفصيل ذلك مما يطول . فإذاً لايؤمن أن لايوافق المقروء الحال وتكرهه النفس فيتعرض به لخطر كراهة كلام الله تعالى من حيث لايجد سبيلا إلى دفعه . فالاحتراز عن خطر ذلك حزم بالغ وحتم واجب إذ لايجد الخلاص عنه إلا بتنزيله على وفق حاله ولايجوز تنزيل كلام الله تعالى إلا على ماأراد الله تعالى . وأما قول الشاعر فيجوز تنزيله على غير مراده ففيه خطر الكراهة أوخطر التأويل الخطأ لموافقة الحال فيجب توقير كلام الله وصيانته عن ذلك ، وهذا ماينقدح فى علل انصراف الشيوخ إلى سماع الغناء عن سماع القرآن .

وههنا وجه سابع ذكره أبو نصر السراج الطوسى فى الاعتذار عن ذلك فقال : القرآن كلام الله وصفة من

---

(١) حديث : الأمر بضرب الدف فى العرس . تقدم فى النكاح . (٢) حديث : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يغنين .. الحديث . أخرجه البخارى من حديثها وقد تقدم فى النكاح .

صفاته وهو حق لاتطيقه البشرية ، لأنه غير مخلوق فلا تطيقه الصفات المخلوقة . ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيبته لتصدّعت ودهشت وتحيرت . والألحان الطيبة مناسبة للطباع ونسبتها نسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق ، والشعر نسبته نسبة الحظوظ . فإذا علقت الألحان والأصوات بما فى الأبيات من الإشارات واللطائف شاكل بعضها بعضا كان أقرب إلى الحظوظ وأخف على القلوب لمشاكلة المخلوق المخلوق . فما دامت البشرية باقية ونحن بصفاتنا وحظوظنا نتنعم بالنغمات الشجية والأصوات الطيبة ، فانبساطنا لمشاهدة بقاء هذه الحظوظ إلى القصائد أولى من انبساطنا إلى كلام الله تعالى الذى هو صفته وكلامه الذى منه بدأ وإليه يعود . وهذا حاصل المقصود من كلامه واعتذاره . وقد حكى عن أبى الحسن الدرّاج أنه قال قصدت يوسف بن الحسين الرازى من بغداد للزيارة والسلام عليه فلما دخلت الرى كنت أسأل عنه فكل من سألته عنه قال . أيش تعمل بذلك الزنديق ؟ فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف . ثم قلت فى نفسى : قد جبت هذا الطريق كله فلا أقل من أن أراه . فلم أزل أسأل عنه حتى دخلت عليه فى مسجد وهو قاعد فى المحراب وبين يديه رجل وبيده مصحف وهو يقرأ ، فإذا هو شيخ بهى حسن الوجه واللحية ، فسلمت عليه فأقبل على وقال : من أين أقبلت ؟ فقلت : من بغداد ، فقال : وما الذى جاء بك ؟ فقلت : قصدتك للسلام عليك ، فقال : لو أن فى بعض هذه البلدان قال لك إنسان أقم عندنا حتى نشترى لك دارا أو جارية أكان يقعدك ذلك عن المجىء ؟ فقلت : ما امتحننى الله بشىء من ذلك ولو امتحننى ما كنت أدرى كيف أكون ؟ ثم قال لى : أتحسن أن تقول شيئا ؟ فقلت : نعم ، فقال : هات ! فأنشأت أقول :

رأيتك تبنى دائما فى قطيعتى ولو كنت ذا حزم لهدّمت ماتبنى
كأنى بكم والليت أفضل قولكم ألا ليتنا كنا إذ الليت لا يغنى

قال : فأطبق المصحف ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته وابتل ثوبه ، حتى رحمته من كثرة بكائه ، ثم قال : يابنى تلوم أهل الرى يقولون يوسف زنديق ، هذا أنا من صلاة الغداة أقرأ فى المصحف لم تقطر من عينى قطرة ، وقد قامت القيامة على هذين البيتين . فإذاً القلوب وإن كانت محترقة فى حب الله تعالى فإن البيت الغريب يهيج منها مالا تهيج تلاوة القرآن ، وذلك لوزن الشعر ومشاكلته للطباع ، ولكونه مشاكلا للطبع اقتدر البشر على نظم الشعر ، وأما القرآن فنظمه خارج عن أساليب الكلام ومناهجه وهو لذلك معجز لايدخل فى قوة البشر لعدم مشاكلته لطبعه . وروى أن إسرافيل ـ أستاذ ذى النون المصرى ـ دخل عليه رجل فرآه وهو ينكت فى الأرض بأصبعه ويترنم ببيت فقال : هل تحسن أن تترنم بشىء ؟ فقال : لا ، قال : فأنت بلاقلب ـ إشارة إلى أن من له قلب وعرف طباعه علم أنه تحركه الأبيات والنغمات تحريكا لايصادف فى غيرها فيتكلف طريق التحريك إما بصوت نفسه أو بغيره ـ وقد ذكرنا حكم المقام الأول فى فهم المسموع وتنزيله ، وحكم المقام الثانى فى الوجد الذى يصادف فى القلب ، فلنذكر الآن أثر الوجد أعنى مايترشح منه إلى الظاهر من صعقة وبكاء وحركة وتمزيق ثوب وغيره فنقول :

المقام الثالث من السماع

نذكر فيه آداب السماع ظاهرا وباطنا وما يحمد من آثار الوجد وما يذم . فأما الآداب فهى خمس جمل :

الأول : مراعاة الزمان والمكان والإخوان . قال الجنيد : السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء وإلا فلاتسمع : الزمان والمكان والإخوان . ومعناه أن الاشتغال به فى وقت حضور طعام أو خصام أو صلاة أو صارف من الصوارف مع اضطراب القلب لافائدة فيه فهذا معنى مراعاة الزمان فيراعى حالة فراغ القلب له . وأما المكان : فقد يكون

شارعا مطروقا أوموضعا كريه الصورة أو فيه سبب يشغل القلب فيجتنب ذلك . وأما الإخوان : فسببه أنه إذا حضر غير الجنس من منكر السماع متزهد الظاهر مفلس من لطائف القلوب كان مستثقلا فى المجلس واشتغل القلب به . وكذلك إذا حضر متكبر من أهل الدنيا يحتاج إلى مراقبته وإلى مراعاته ، أو متكلف متواجد من أهل التصوف يرائى بالوجد والرقص وتمزيق الثياب ، فكل ذلك مشوشات . فترك السماع عند فقد هذه الشروط أولى ففى هذه الشروط نظر للمستمع .

الأدب الثانى : هو نظر الحاضرين أن الشيخ إذا كان حوله مريدون يضرهم السماع فلا ينبغى أن يسمع فى حضورهم فإن سمع فليشغلهم بشغل آخر . والمريد الذى يستضر بالسماع أحد ثلاثة :

أقلهم درجة . هو الذى لم يدرك من الطريق إلا الأعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق السماع ؛ فاشتغاله بالسماع اشتغال بما لا يعنيه ، فإنه ليس من أهل اللهو فيلهو ولا من أهل الذوق فيتنعم بذوق السماع ، فليشتغل بذكر أو خدمة وإلا فهو تضييع لزمانه .

الثانى : هو الذى له ذوق السماع ولكن فيه بقية من الحظوظ والالتفات إلى الشهوات والصفات البشرية ولم ينكسر بعد انكسارا تؤمن غوائله ، فربما يهيج السماع منه داعية اللهو والشهوة فيقطع عليه طريقه ويصده عن الاستكمال .

الثالث : أن يكون قد انكسرت شهوته وأمنت غائلته وانفتحت بصيرته واستولى على قلبه حب الله تعالى ولكنه لم يحكم ظاهر العلم ولم يعرف أسماء الله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل ؛ فإذا فتح له باب السماع نزل المسموع فى حق الله تعالى على ما يجوز وما لا يجوز فيكون ضرره من تلك الخواطر التى هى كفر أعظم من نفع السماع .

قال سهل رحمه الله : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل . فلا يصلح السماع لمثل هذا ولا لمن قلبه بعد ملوث بحب الدنيا وحب المحمدة والثناء ، ولا لمن يسمع لأجل التلذذ والاستطابة بالطبع فيصير ذلك عادة له ويشغله ذلك عن عبادته ومراعاة قلبه وينقطع عليه طريقه . فالسماع مزلة قدم يجب حفظ الضعفاء عنه . قال الجنيد : رأيت إبليس فى النوم فقلت له هل تظفر من أصحابنا بشىء ؟ قال : نعم فى وقتين ، وقت السماع ووقت النظر فإنى أدخل عليهم به . فقال بعض الشيوخ : لو رأيته أنا لقلت له ما أحمقك من سمع منه إذا سمع ونظر إليه إذا نظر كيف تظفر به ؟ فقال الجنيد : صدقت .

الأدب الثالث : أن يكون مصغيا إلى ما يقول القائل ، حاضر القلب ، قليل الالتفات إلى الجوانب ، متحرزا عن النظر إلى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من أحوال الوجد . مشتغلا بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله تعالى له من رحمته فى سره ، متحفظا عن حركة تشوش على أصحابه قلوبهم . بل يكون ساكن الظاهر ، هادئ الأطراف متحفظا عن التنحنح والتثاؤب ، ويجلس مطرقا رأسه ، لجلوسه فى فكر مستغرق لقلبه ، متماسكا عن التصفيق والرقص وسائر الحركات على وجه التصنع والتكلف والمراءاة ، ساكتا عن النطق فى أثناء القول بكل ما عنه بد فإن غلبه الوجد وحركه بغير اختيار فهو فيه معذور غير ملوم . ومهما رجع إليه الاختيار فليعد إلى هدوئه وسكونه . ولا ينبغى أن يستديمه حياء من أن يقال انقطع وجده على القرب ولا أن يتواجد خوفا من أن يقال هو قاسى القلب عديم الصفاء والرقة .

حكى أن شابا كان يصحب الجنيد فكان إذا سمع شيئا من الذكر يزعق فقال له الجنيد يوما ؛ إن فعلت ذلك مرة

أخرى لم تصحبنى فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر من كل شعرة منه قطرة ماء ولا يزعق ، فحكى أنه اختنق يوما لشدة ضبطه لنفسه .فشهق شهقة فانشق قلبه وتلفت نفسه . وروى أن موسى عليه السلام قص فى بنى إسرائيل فزق واحد منهم ثوبه أو قميصه فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل له : مزق لى قلبك ولا تمزق ثوبك . قال أبو القاسم النصراباذى لأبى عمرو بن عبيد أنا أقول : إذا اجتمع القوم فيكون معهم قوال يقول خيرا لهم من أن يغتابوا ؛ فقال أبو عمرو : الرياء فى السماع وهو أن ترى من نفسك حالا ليست فيك شر من أن تغتاب ثلاثين سنة أو نحو ذلك .

* فإن قلت : الأفضل هو الذى لايحركه السماع ولا يؤثر فى ظاهره أو الذى يظهر عليه ؟ فاعلم أن عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان ، وتارة يكون مع قوة الوجد فى الباطن لكن لايظهر لكمال القوة على ضبط الجوارح فهو كمال ، وتارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا فى الأحوال كلها فلا يتبين للسماع مزيد تأثير وهو غاية الكمال . فإن صاحب الوجد فى غالب الأحوال لايدوم وجده فمن هو فى وجد دائم فهو المرابط للحق والملازم لعين الشهود ؛ فهذا لاتغيره طوارق الأحوال ولايبعد أن تكون الإشارة بقول الصديق رضى الله عنه : كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا ، معناه قويت قلوبنا واشتدت فصارت تطيق ملازمة الوجد فى كل الأحوال فنحن فى سماع معانى القرآن على الدوام فلا يكون القرآن جديدا فى حقنا طارئا علينا حتى تتأثر به . فإذاً قوة الوجد تحرك وقوة العقل والتماسك تضبط الظاهر ـ وقد يغلب أحدهما الآخر إما الشدة قوته وإما لضعف مايقابله ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك فلا تظنن أن الذى يضطرب بنفسه على الأرض أتم وجدا من الساكن باضطرابه ، بل رب ساكن أتم وجدا من المضطرب . فقد كان الجنيد يتحرك فى السماع فى بدايته ثم صار لايتحرك فقيل له فى ذلك فقال ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء ﴾ إشارة إلى أن القلب مضطرب جائل فى الملكوت والجوارح متأدبة فى الظاهر ساكنة . وقال أبو الحسن محمد بن أحمد وكان بالبصرة : صحبت سهل بن عبد الله ستين سنة فما رأيته تغير عند شىء كان يسمعه من الذكر أو القرآن ، فلما كان فى آخر عمره قرأ رجل بين يديه ﴿ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ﴾ الآية فرأيته قد ارتعد وكاد يسقط ، فلما عاد إلى حاله سألته عن ذلك فقال : نعم ياحبيبى قد ضعفنا . وكذلك سمع مرة قوله تعالى ﴿ الملك يومئذ الحق للرحمن ﴾ فاضطرب فسأله ابن سالم ـ وكان من أصحابه ـ فقال : قد ضعفت . فقيل له : فإن كان هذا من مضعف فما قوة الحال فقال : أن لا يرد عليه وارد إلا وهو يلتقيه بقوة حاله ، فلا تغيره الواردات وإن كانت قوية . وسبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الأحوال بملازمة الشهود . كما حكى عن سهل رحمه الله تعالى أنه قال : حالتى قبل الصلاة وبعدها واحدة ، لأنه كان مراعيا للقلب حاضر الذكر مع الله تعالى فى كل حال . فكذلك يكون قبل السماع وبعده ، إذ يكون وجده دائما ، وعطشه متصلا ، وشربه مستمرا ، بحيث لا يؤثر السماع فى زيادته . كما روى أن ممشاد الدينورى أشرف على جماعة فيهم قوال فسكتوا فقال : ارجعوا إلى ما كنتم فيه فلو جمعت ملاهى الدنيا فى أذنى ما شغل همى ولا شغل بعض مابى . وقال الجنيد رحمه الله تعالى : لايضر نقصان الوجد مع فضل العلم . وفضل العلم أتم من فضل الوجد .

فإن قلت : فمثل هذا لم يحضر السماع ؟ فاعلم أن من هؤلاء من ترك السماع فى كبره وكان لا يحضر إلا نادرا لمساعدة أخ من الإخوان وإدخالا للسرور على قلبه ؛ وربما حضر ليعرف القوم كمال قوته فيعلمون أنه ليس الكمال بالوجد الظاهر ؛ فيتعلمون منه ضبط الظاهر عن التكلف وإن لم يقدروا على الاقتداء به فى صيرورته طبعا

لهم . وإن اتفق حضورهم مع غير أبناء جنسهم فيكونون معهم بأبدانهم نائين عنهم بقلوبهم وبواطنهم . كما يجلسون من غير سماع مع غير جنسهم بأسباب عارضة تقتضى الجلوس معهم . وبعضهم نقل عنه ترك السماع ويظن أنه كان سبب تركه استغناءه عن السماع بما ذكرناه . وبعضهم كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحانى فى السماع ولا كان من أهل اللهو ، فتركه لئلا يكون مشغولا بما لايعنيه . وبعضهم تركه لفقد الإخوان . قيل لبعضهم لم لا تسمع ؟ فقال : بمن ومع من ؟

الأدب الرابع : أن لايقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن إن رقص أو تباكى فهو مباح إذا لم يقصد به المراءاة ؛ لأنّ التباكى استجلاب للحزن ، والرقص سبب فى تحريك السرور والنشاط . فكل سرور مباح فيجوز تحريكه . ولو كان ذلك حراما لما نظرت عائشة رضى الله عنها إلى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفنون [1] هذا لفظ عائشة رضى الله عنها فى بعض الروايات . وقد روى عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم أنهم حجلوا لما ورد عليهم سرور أوجب ذلك ؛ وذلك فى قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها على بن أبى طالب وأخوه جعفر وزيد بن حارثة رضى الله عنهم فتشاحوا فى تربيتها فقال صلى الله عليه وسلم لعلى « أنت منى وأنا منك » فحجل على وقال لجعفر « أشبهت خلقى وخلقى » فحجل وراء حجل على وقال لزيد « أنت أخونا ومولانا » فحجل زيد وراء حجل جعفر ، ثم قال عليه السلام « هى لجعفر لأنّ خالتها تحته والخالة والدة [2] » وفى رواية أنه قال لعائشة رضى الله عنها « أتحبين أن تنظرى إلى زفن الحبشة » والزفن والحجل هو الرقص . وذلك يكون لفرح أو شوق فحكمه حكم مهيجه ، إن كان فرحه محمودا والرقص يزيده ويؤكده فهو محمود ، وإن كان مباحا فهو مباح ، وإن كان مذموما فهو مذموم . نعم لايليق اعتياد ذلك بمناصب الأكابر وأهل القدوة لأنه فى الأكثر يكون عن لهو ولعب ، وماله صورة اللعب واللهو فى أعين الناس فينبغى أن يجتنبه المقتدى به لئلا يصغر فى أعين الناس فيترك الاقتداء به .

وأما تمزيق الثياب فلا رخصة فيه إلا عند خروج الأمر عن الاختيار ، ولايبعد أن يغلب الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لايدرى لغلبة سكر الوجد عليه ، أو يدرى ولكن يكون كالمضطر الذى لايقدر على ضبط نفسه ، وتكون صورته صورة المكره إذ يكون له فى الحركة أو التمزيق متنفس ، فيضطر إليه اضطرار المريض إلى الأنين ، ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع أنه فعل اختيارى ، فليس كل فعل حصوله بالإرادة يقدر الإنسان على تركه ، فالتنفس فعل يحصل بالإرادة ، ولو كلف الإنسان أن يمسك النفس ساعة لاضطر من باطنه إلى أن يختار التنفس . فكذلك الزعقة وتمزيق الثياب قد يكون كذلك فهذا لايوصف بالتحريم . فقد ذكر عند السرى حديث الوجد الحاد الغالب فقال : نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لايدرى . فروجع فيه واستبعد أن ينتهى إلى هذا الحدّ فأصر عليه ولم يرجع . ومعناه : أنه فى بعض الأحوال قد ينتهى إلى هذا الحدّ فى بعض الأشخاص .

« فإن قلت : فما تقول فى تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع فإنهم يمزقونها قطعا صغارا ويفرقونها على القوم ويسمونها الخرقة ؟ فاعلم أنّ ذلك مباح إذا قطع قطعا مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات . فإن الكرباس يمزق حتى يخاط منه القميص ، ولايكون ذلك تضييعا لأنه تمزيق لغرض . وكذلك ترقيع الثياب لايمكن إلا بالقطع الصغار وذلك مقصود ، والتفرقة على الجميع ليعم ذلك الخير مقصود مباح . ولكل

(١) حديث : نظرت عائشة إلى رقص الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفنون . تقدم فى الباب قبله .

(٢) حديث : اختصم على وجعفر وزيد بن حارثة فى ابنة حمزة فقال لعلى « أنت منى وأنا منك » فحجل وقال لجعفر « أشبهت خلقى وخلقى » فحجل وقال لزيد « أنت أخونا ومولانا » فحجل ... الحديث أخرجه أبو داود من حديث على بإسناد حسن وهو عند البخارى دون « فحجل » .

مالك أن يقطع كرباسه مائة قطعة ويعطيها لمائة مسكين ، ولكن ينبغي أن تكون القطع بحيث يمكن أن ينتفع بها في الرقاع . وإنما منعنا في السماع التمزيق المفسد للثوب الذي يهلك بعضه بحيث لا يبقى منتفعا به فهو تضييع محض لا يجوز بالاختيار .

الأدب الخامس : موافقة القوم في القيام إذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف ، أو قام باختيار من غير إظهار وجد وقامت له الجماعة فلابد من الموافقة ، فذلك من آداب الصحبة . وكذلك إن جرت عادة طائفة بتنحية العمامة على موافقة صاحب الوجد إذا سقطت عمامته . أو خلع الثياب إذا سقط عنه ثوبه بالتمزيق ؛ فالموافقة في هذه الأمور من حسن الصحبة والعشرة ، إذ المخالفة موحشة ولكل قوم رسم ، ولابد من مخالقة الناس بأخلاقهم [1] كما ورد في الخبر ، لاسيما إذا كانت أخلاقا فيها حسن العشرة والمجاملة وتطييب القلب بالمساعدة . وقول القائل : إنّ ذلك بدعة لم يكن في الصحابة ؟ فليس كل ما يحكم بإباحته منقولا عن الصحابة رضي الله عنهم ، وإنما المحذور ارتكاب بدعة تراغم سنة مأثورة ، ولم ينقل النهي عن شيء من هذا .

والقيام عند الدخول للداخل لم يكن من عادة العرب بل كان الصحابة رضي الله عنهم لا يقومون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأحوال [2] كما رواه أنس رضي الله عنه . ولكن إذا لم يثبت فيه نهي عام فلا نرى به بأسا في البلاد التي جرت العادة فيها بإكرام الداخل بالقيام ، فإن المقصود منه الاحترام والإكرام وتطييب القلب به . وكذلك سائر أنواع المساعدات إذا قصد بها تطييب القلب واصطلح عليها جماعة فلا بأس بمساعدتهم عليها ، بل الأحسن المساعدة إلا فيما ورد فيه نهي لا يقبل التأويل ، ومن الأدب أن لا يقوم للرقص مع القوم إن كان يستثقل رقصه ، ولا يشوش عليهم أحوالهم إذ الرقص من غير إظهار التواجد مباح ، والمتواجد هو الذي يلوح للجميع منه أثر التكلف . ومن يقوم عن صدق لا تستثقله الطباع فقلوب الحاضرين إذا كانوا من أرباب القلوب محك للصدق والتكلف .

سئل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال : صحته قبول قلوب الحاضرين له إذا كانوا أشكالا غير أضداد .

فإن قلت : فما بال الطباع تنفر عن الرقص ويسبق إلى الأوهام أنه باطل ولهو ومخالف للدين فلا يراه ذو جد في الدين إلا وينكره ؟

فاعلم أنّ الجد لا يزيد على جد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد رأى الحبشة يرقصون في المسجد وما أنكره ، كان في وقت لائق به وهو العيد ، ومن شخص لائق به وهم الحبشة . نعم نفرة الطباع عنه ، لأنه يرى غالبا مقرونا باللهو واللعب ، واللهو واللعب مباح ولكن للعوام من الزنوج والحبشة ومن أشبههم . وهو مكروه لذوي المناصب لأنه لا يليق بهم ، وما كره لكونه غير لائق بمنصب ذي المنصب فلا يجوز أن يوصف بالتحريم ، فمن سأل فقيرا شيئا فأعطاه رغيفا كان ذلك طاعة مستحسنة ، ولو سأل ملكا فأعطاه رغيفا أو رغيفين لكان ذلك منكرا عند الناس كافة ، ومكتوبا في تواريخ الأخبار من جملة مساويه ويعير به أعقابه وأشياعه ، ومع هذا فلا يجوز أن يقال ما فعله حرام لأنه من حيث إنه أعطى خبزا للفقير حسن ، ومن حيث أنه بالإضافة إلى منصبه كالمنع بالإضافة إلى الفقير مستقبح ، فكذلك الراقص وما يجري مجراه من المباحات ، ومباحات العوام سيئات الأبرار ، وحسنات الأبرار

---

(١) حديث : مخالقة الناس بأخلاقهم . أخرجه الحاكم من حديث أبي ذر « خالقوا الناس بأخلاقهم ... الحديث » قال صحيح على شرط الشيخين . (٢) حديث : كانوا لا يقومون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأحوال . كما رواه أنس تقدم في آداب الصحبة .

سيئات المقربين ، ولكن هذا من حيث الالتفات إلى المناصب . وأما إذا نظر إليه فى نفسه وجب الحكم بأنه هو فى نفسه لاتحريم فيه والله أعلم ، فقد خرج من جملة التفصيل السابق أن السماع قد يكون حراما محضا ، وقد يكون مباحا ، وقد يكون مكروها ، وقد يكون مستحبا .

أما الحرام : فهو لأكثر الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا فلا يحرك السماع منهم إلا ماهو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة .

وأما المكروه : فهو لمن لاينزله على صورة المخلوقين ولكنه يتخذه عادة له فى أكثر الأوقات على سبيل اللهو .

وأما المباح : فهو لمن لاحظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن .

وأما المستحب : فهو لمن غلب عليه حب الله تعالى ولم يحرك السماع منه إلا الصفات المحمودة والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله .

كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

وهو الكتاب التاسع : من ربع العادات الثانى من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى لاتستفتح الكتب إلا بحمده ، ولا تستمنح النعم إلا بواسطة كرمه ورفده ، والصلاة على سيد الأنبياء محمد رسوله وعبده ، وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين من بعده .

أما بعد : فإن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الأعظم فى الدين ، وهو المهم الذى ابتعث الله له النبيين أجمعين ، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد ، وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد وقد كان الذى خفنا أن يكون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه ، وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه ، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس فى اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم ، وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه فى الله لومة لائم ، فمن سعى فى تلافى هذه الفترة وسد هذه الثلمة إما متكفلا بعملها أو متقلدا لتنفيذها مجددا لهذه السنة الداثرة ناهضا بأعبائها ومتشمرا فى إحيائها كان مستأثرا من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها ، ومستبدا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها ، وهانحن نشرح علمه فى أربعة أبواب . (الباب الأول) فى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفضيلته ، (الباب الثانى) فى أركانه وشروطه ، (الباب الثالث) فى مجاريه وبيان المنكرات المألوفة فى العادات (الباب الرابع) فى أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر

الباب الأول : فى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفضيلته والمذمة فى إهماله وإضاعته

ويدل على ذلك بعد إجماع الأمة عليه وإشارات العقول السليمة إليه : الآيات والأخبار والآثار

أما الآيات : فقوله تعالى ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم

المفلحون ﴾ فنى الآية بيان الإيجاب فإن قوله تعالى ﴿ ولتكن ﴾ أمر وظاهر الأمر الإيجاب ، وفيها بيان أن الفلاح منوط به إذ حصر وقال ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ وفيها بيان أنه فرض كفاية لا فرض عين وأنه إذا قام به أمة سقط الفرض عن الآخرين ، إذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف بل قال ﴿ ولتكن منكم أمة ﴾ فإذاً مهما قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين ، واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين ، وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لامحالة وقال تعالى ﴿ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين ﴾ فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقال تعالى ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ﴾ فقد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فالذى هجر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين فى هذه الآية ، وقال تعالى ﴿ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ وهذا غاية التشديد إذ علل استحقاقهم اللعنة بتركهم النهى عن المنكر ، وقال عزوجل ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ وهذا يدل على فضيلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذ بين أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس وقال تعالى ﴿ فلما نسوا ماذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ﴾ فبين أنهم استفادوا النجاة بالنهى عن السوء ويدل ذلك على الوجوب أيضا ، وقال تعالى ﴿ الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴾ فقرن ذلك بالصلاة والزكاة فى نعت الصالحين والمؤمنين وقال تعالى ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ وهو أمر جزم ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسدّ سبل الشر والعدوان بحسب الإمكان وقال تعالى ﴿ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ﴾ فبين أنهم أثموا بترك النهى وقال تعالى ﴿ فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض ﴾ الآية فبين أنه أهلك جميعهم إلا قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد وقال تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ﴾ وذلك هو الأمر بالمعروف للوالدين والأقربين وقال تعالى ﴿ لاخير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما ﴾ وقال تعالى ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾ الآية والإصلاح نهى عن البغى وإعادة إلى الطاعة فإن لم يفعل فقد أمر الله تعالى بقتاله فقال ﴿ فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ﴾ وذلك هو النهى عن المنكر

وأما الأخبار : فمنها ماروى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال فى خطبة خطبها : أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم [1] لايضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ وإنى

كتاب الأمر بالمعروف

الباب الأول : فى وجوب الأمر بالمعروف

(١) حديث أبى بكر : أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها ﴿ ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ﴾ .. الحديث . أخرجه أصحاب السنن وتقدم فى العزلة .

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن قوم عملوا بالمعاصى وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده » وروى عن أبى ثعلبة الخشنى : أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى ﴿ لايضركم من ضل إذا اهتديتم [1] ﴾ فقال « ياأبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فإذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام إن من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم المتمسك فيها بمثل الذى أنتم عليه أجر خمسين منكم » قيل : بل منهم يارسول الله . قال : « لابل منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانا ولايجدون عليه أعوانا » وسئل ابن مسعود رضى الله عنه عن تفسير هذه الآية فقال : إن هذا ليس زمانها إنها اليوم مقبولة ، ولكن قد أوشك أن يأتى زمانها تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا وتقولون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم [2] » معناه تسقط مهابتهم من أعين الأشرار فلا يخافونهم . وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم « ياأيها الناس إن الله يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « ما أعمال البر عند الجهاد فى سبيل الله إلا كنفثة فى بحر لجى ، وما جميع أعمال البر والجهاد فى سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلا كنفثة فى بحر لجى [4] » وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « إن الله تعالى ليسأل العبد مامنعك إذ رأيت المنكر أن تنكره ؟ فإذا لقن الله العبد حجته قال رب وثقت بك وفرقت من الناس [5] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إياكم والجلوس على الطرقات » قالوا مالنا بد إنما هى مجالسنا نتحدث فيها قال « فاذا أبيتم إلا ذلك فأعطوا الطريق حقها » قالوا : وما حق الطريق ؟ قال : « غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر [6] » وقال صلى الله عليه وسلم « كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا أمرا بمعروف أونهيا عن منكر أو ذكراً لله تعالى [7] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ الله لايعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين أظهرهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه [8] » وروى أبو أمامة الباهلى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « كيف أنتم إذا طغى نساؤكم وفسق شبانكم وتركتم جهادكم ؟ » قالوا : وإن ذلك لكائن يارسول الله قال « نعم والذى نفسى بيده وأشدّ منه سيكون » قالوا : وما أشد

---

(١) حديث أبى ثعلبة : أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى ﴿ لايضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ ... الحديث . أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه .

(٢) حديث « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم » أخرجه البزار من حديث عمر بن الخطاب والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة وكلاهما ضعيف والترمذى من حديث حذيفة نحوه الا أنه قال « أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم » قال هذا حديث حسن . (٣) حديث « ياأيها الناس ان الله سبحانه يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم » أخرجه أحمد والبيهقى من حديث عائشة بلفظ « مروا وانهوا » وهو عند ابن ماجه دون عزوه الى كلام الله تعالى وفى اسناده لين . (٤) حديث : « ماأعمال البر عند الجهاد فى سبيل الله الا كنفثة فى بحر لجى » رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس مقتصراً على الشطر الأول من حديث جابر باسناد ضعيف ، وأما الشطر الأخير فرواه على بن معبد فى كتاب الطاعة والمعصية من رواية يحيى بن عطاء مرسلا أو معضلا ، ولا أدرى من يحيى بن عطاء ؟ (٥) حديث « ان الله تعالى ليسأل العبد مامنعك اذ رأيت المنكر أن تنكره ... الحديث » أخرجه ابن ماجه وقد تقدم . (٦) حديث « اياكم والجلوس على الطرقات ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى سعيد

(٧) حديث « كل كلام ابن آدم عليه لا له الا أمراً بمعروف ... الحديث » تقدم فى العلم .

(٨) حديث « ان الله لايعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يروا المنكر ... الحديث » أخرجه أحمد من حديث عدى بن عميرة وفيه من يسم والطبرانى من حديث أخيه العرس بن عميرة وفيه من لم أعرفه .

منه يارسول الله ؟ « كيف أنتم إذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر ؟ » قالوا : وكائن ذلك يارسول الله ؟ قال « نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون » قالوا : وماأشد منه ؟ كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا ؟ » قالوا : وكائن ذلك يارسول الله ؟ قال « نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون » قالوا : وما أشد منه ؟ قال « كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ قالوا : وكائن ذلك يارسول الله ؟ قال « نعم والذى نفسى بيد وأشد منه سيكون ؟ يقول الله تعالى بى حلفت لأتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران[1] » وعن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتقفن عند رجل يقتل مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه ، ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه[2] » قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاينبغى لامرئ شهد مقاما فيه حق إلا تكلم به فإنه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقا هو له[3] » وهذا الحديث يدل على أنه لايجوز دخول دور الظلمة والفسقة ولا حضور المواضع التى يشاهد المنكر فيها ولا يقدر على تغييره ، فإنه قال « اللعنة تنزل على من حضر » ولا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذارا بأنه عاجز . ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات فى الأسواق والأعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير ، وهذا يقتضى لزوم الهجر للخلق . ولهذا قال عمر ابن عبد العزيز رحمه الله : ما ساح السواح وخلوا دورهم وأولادهم إلا بمثل ما نزل بنا حين رأوا الشر قد ظهر والخير قد اندرس ، ورأوا أنه لا يقبل ممن تكلم ، ورأوا الفتن ولم يأمنوا أن تعتريهم وأن ينزل العذاب بأولئك القوم فلا يسلمون منه ؛ فرأوا أن مجاورة السباع وأكل البقول خير من مجاوره هؤلاء فى نعيمهم ثم قرأ ﴿ ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين ﴾ قال : ففر قوم فلولا ماجعل الله جل ثناؤه فى النبوة من السر لقلنا ماهم بأفضل من هؤلاء « فيما بلغنا أن الملائكة عليهم السلام لتلقاهم وتصافحهم ، والسحاب والسباع تمر بأحدهم فيناديها فتجيبه ، ويسألها أين أمرت فتخبره ؟ وليس بنبى . وقال أبو هريرة رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها ، ومن غاب عنها فأحبها فكأنه حضرها[4] » ومعنى الحديث أن يحضر لحاجة أو يتفق جريان ذلك بيديه ، فأما الحضور قصدا فممنوع بدليل الحديث الأول . وقال ابن مسعود رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما بعث الله عز وجل نبيا إلا وله حوارى فيمكث النبى بين أظهرهم ما شاء الله تعالى يعمل فيهم بكتاب الله وبأمره حتى إذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبأمره وبسنة نبيهم فإذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رءوس المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فإذا رأيتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وليس وراءذلك إسلام[5] » .

---

(١) حديث أبى أمامة : كيف بكم إذا طغى نساؤكم وفسق شبابكم وتركتم جهادكم قالوا وإن ذلك كائن يارسول الله قال « نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون » قالوا وما أشد منه ؟ قال « كيف أنتم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا بإسناد ضعيف دون قوله « كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف » ورواه أبو يعلى من حديث أبى هريرة مقتصرا على الأسئلة الثلاثة الأول وأجوبتها دون الأخيرين وإسناده ضعيف .

(٢) حديث عكرمة عن ابن عباس « لاتقفن عند رجل يقتل مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه » أخرجه الطبرانى بسند ضعيف والبيهقى فى شعب الإيمان بسند حسن . (٣) حديث « لاينبغى لامرئ شهد مقاما فيه حق الا تكلم به فانه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقا هو له » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بسند الحديث الذى قبله وروى الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى سعيد « لايمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول الحق إذا علمه » .

(٤) حديث أبى هريرة « من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكأنه حضرها » رواه ابن عدى وفيه يحيى بن أبى سلمان قال البخارى منكر الحديث . (٥) حديث ابن مسعود « مابعث الله عزوجل نبيا الا وله حوارى ... الحديث » روى مسلم نحوه .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : كان أهل قرية يعملون بالمعاصى وكان فيهم أربعة نفر ينكرون مايعملون ، فقام أحدهم فقال : إنكم تعملون كذا وكذا فجعل ينهاهم ويخبرهم بقبيح مايصنعون فجعلوا يردون عليه ولا يرعوون عن أعمالهم فسبهم فسبوه وقاتلهم فغلبوه فاعتزل ثم قال اللهم إنى قد نهيتهم فلم يطيعونى وسببتهم فسبونى وقاتلتهم فغلبونى ثم ذهب ثم قام الآخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبهم فسبوه فاعتزل ثم قال اللهم إنى قد نهيتهم فلم يطيعونى وسببتهم فسبونى ولو قاتلتهم لغلبونى . ثم ذهب ثم قام الثالث فنهاهم فلم يطيعوه فاعتزل ثم قال اللهم إنى قد نهيتهم فلم يطيعونى ولو سببتهم لسبونى ولو قاتلتهم لغلبونى . ثم ذهب ثم قام الرابع فقال اللهم إنى لو نهيتهم لعصونى ولو سببتهم لسبونى ولو قاتلتهم لغلبونى ثم ذهب قال ابن مسعود رضى الله عنه كان الرابع أدناهم منزلة وقليل فيكم مثله ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما : قيل يارسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون ؟ قال « نعم » قيل بم يارسول الله قال « بتهاونهم وسكوتهم على معاصى الله تعالى[1] » ، وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوحى الله تبارك وتعالى إلى ملك من الملائكة أن أقلب مدينة كذا وكذا على أهلها فقال يارب إن فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين قال اقلبها عليه وعليهم فإن وجهه لم يتمعر فىّ ساعة قط[2] » وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الأنبياء قالوا يارسول الله كيف قال لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر[3] » وعن عروة عن أبيه قال قال موسى صلى الله عليه وسلم يارب أى عبادك أحب إليك قال الذى يتسرع إلى هواى كما يتسرع النسر إلى هواه والذى يكلف بعبادى الصالحين كما يكلف الصبى بالثدى والذى يغضب إذا أتيت محارمى كما يغضب النمر لنفسه فإن النمر إذا غضب لنفسه لم يبال قل الناس أم كثروا وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدة الخوف وقال أبو ذرّ الغفارى : قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : يارسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم ياأبا بكر إن لله تعالى مجاهدين فى الأرض أفضل من الشهداء أحياء مرزوقين يمشون على الأرض يباهى الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزينت أم سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم » فقال أبو بكر رضى الله عنه : يارسول الله ومن هم ؟ قال « الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون فى الله والمبغضون فى الله » ثم قال « والذى نفسى بيده إن العبد منهم ليكون فى الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء للغرفة منها ثلثمائة ألف باب منها الياقوت والزمرذ الأخضر على كل باب نور وإن الرجل منهم ليزوج بثلثمائة ألف حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت إلى واحدة منهن فنظر إليها تقول له : أتذكر يوم كذا وكذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر ؟ كلما نظر إلى واحدة منهن ذكرت له مقاما أمر فيه بمعروف ونهى فيه عن منكر[4] » ، وقال أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قلت : يارسول الله أى الشهداء أكرم على الله عز وجل ؟ قال « رجل قام إلى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فإن لم يقتله فإن القلم لا يجرى

---

(١) حديث ابن عباس : قيل يارسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون ؟ قال « نعم » قيل : بم يارسول الله ؟ قال « بتهاونهم وسكوتهم عن معاصى الله » أخرجه البزار والطبرانى بسند ضعيف . (٢) حديث جابر « أوحى الله الى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها قال فقال يارب إن فيهم عبدك فلانا ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب وضعفه وقال المحفوظ من قول مالك بن دينار . (٣) حديث عائشة « عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الأنبياء » لم أقف عليه مرفوعا وروى ابن أبى الدنيا وأبو الشيخ عن إبراهيم بن عمر الصنعانى « أوحى الله الى يوشع بن نون انى مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم قال يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار ؟ قال لأنهم لم يغضبوا لغضبى فكانوا يؤاكلونهم ويشاربونهم » . (٤) حديث أبى ذر : قال أبو بكر يارسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين ؟ قال « نعم ياأبا بكر إن لله تعالى مجاهدين فى الأرض أفضل من الشهداء » فذكر الحديث وفيه فقال « هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ... الحديث » بطوله لم أقف له على أصل وهو منكر .

عليه بعد ذلك وإن عاش ماعاش [١] ، وقال الحسن البصرى رحمه الله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل شهداء أمتى رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته فى الجنة بين حمزة وجعفر [٢] » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بئس القوم قوم لا يأمرون بالقسط وبئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر [٣] » .

وأما الآثار : فقد قال أبو الدرداء رضى الله عنه : لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعوا عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم . وسئل حذيفة رضى الله عنه عن ميت الأحياء فقال : الذى لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه . وقال مالك بن دينار : كان حبر من أحبار بنى إسرائيل يغشى الرجال والنساء منزله يعظهم ويذكرهم بأيام الله عز وجل فرأى بعض بنيه يوما وقد غمز بعض النساء فقال : مهلا يابنى مهلا ، وسقط من سريره فانقطع نخاعة وأسقطت امرأته وقتل بنوه فى الجيش ، فأوحى الله تعالى إلى نبى زمانه : أن أخبر فلانا الحبر أنى لا أخرج من صلبك صديقا أبدا أما كان من غضبك لى إلا أن قلت : مهلا يابنى مهلا . وقال حذيفة : يأتى على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم وأوحى الله تعالى إلى يوشع بن نون عليه السلام إنى مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم فقال : يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار ، قال : إنهم لم يغضبوا لغضبى وواكلوهم وشاربوهم . وقال بلال بن سعد : إن المعصية إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها فإذا أعلنت ولم تغير أضرت بالعامة ، وقال كعب الأحبار لأبى مسلم الخولانى : كيف منزلتك من قومك ؟ قال : حسنة . قال كعب : إن التوراة لتقول غير ذلك ؟ قال : وماتقول ؟ قال : تقول إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه ، فقال : صدقت التوراة وكذب أبو مسلم . وكان عبدالله بن عمر رضى الله عنهما يأتى العمال ثم قعد عنهم فقيل له : لو أتيتهم فلعلهم يجدون فى أنفسهم ، فقال : أرهب إن تكلمت أن يروا أن الذى بى غير الذى بى ، وإن سكت رهبت أن آثم . وهذا يدل على أن من عجز عن الأمر بالمعروف فعليه أن يبعد عن ذلك الموضع ويستتر عنه حتى لا يجرى بمشهد منه . وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : أول ماتغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ، ثم الجهاد بألسنتكم ، ثم الجهاد بقلوبكم ؛ فإذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر نكس فجعل أعلاه أسفله . وقال سهل بن عبد الله رحمه الله : أيما عبد عمل فى شىء من دينه بما أمر به أو نهى عنه وتعلق به عند فساد الأمور وتنكرها وتشوش الزمان فهو ممن قد قام لله فى زمانه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : معناه أنه إذا لم يقدر إلا على نفسه فقام بها وأنكر أحوال الغير بقلبه فقد جاء بما هو الغاية فى حقه . وقيل للفضيل : ألا تأمر وتنهى ؟ فقال : إن قوما أمروا ونهوا فكفروا وذلك أنهم لم يصبروا على ما أصيبوا . وقيل للثورى . ألا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فقال . إذا انبثق البحر فمن يقدر أن يسكره . فقد ظهر بهذه الأدلة أن الأمر بالمعروف والنهى عن

---

(١) حديث أبى عبيدة : قلت يارسول الله أى الشهداء أكرم على الله ؟ قال « رجل قام الى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله ... الحديث » أخرجه البزار مقتصرا على هذا دون قوله « فان لم يقتله ... الى آخره » وهذه الزيادة منكره وفيه أبو الحسن غير مشهور لايعرف . (٢) حديث الحسن البصرى مرسلا « أفضل شهداء أمتى رجل قام الى امام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته فى الجنة بين حمزة وجعفر » لم أره من حديث الحسن والحاكم فى المستدرك وصحح إسناده من حديث جابر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب « ورجل قام الى امام جائر فأمره ونهاه فقتله » . (٣) حديث عمر « بئس القوم قوم لايأمرون بالقسط وبئس القوم قوم لايأمرون بالمعروف ولاينهون عن المنكر » رواه أبو الشيخ ابن حبان من حديث جابر بسند ضعيف وأما حديث عمر فأشار اليه أبو منصور الديلمى بقوله وفى الباب ورواه على بن معبد فى كتاب الطاعة والمعصية من حديث الحسن مرسلا .

المنكر واجب وأن فرضه لايسقط مع القدرة إلا بقيام قائم به . فلنذكر الآن شروطه وشروط وجوبه :

الباب الثانى : فى أركان الأمر بالمعروف وشروطه

أعلم أن الأركان فى الحسبة التى هى عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أربعة : المحتسب ، والمحتسب عليه ، والمحتسب فيه ، ونفس الاحتساب . فهذه أربعة أركان ولكل واحد منها شروطه .

الركن الأول : المحتسب

وله شروط؛ وهو أن يكون مكلفا مسلما قادرا فيخرج منه المجنون والصبى والكافر والعاجز ، ويدخل فيه آحاد الرعايا وإن لم يكونوا مأذونين ، ويدخل فيه الفاسق والرقيق والمرأة . فلنذكر وجه اشتراط ما اشترطناه ووجه اطراح ما أطرحناه .

أما الشرط الأول ؛ وهو التكليف : فلا يخفى وجه اشتراطه فإن غير المكلف لا يلزمه أمر ، وما ذكرناه أردنا به شرط الوجوب ، فأما إمكان الفعل وجوازه فلا يستدعى إلا العقل ، حتى إن الصبى المراهق للبلوغ المميز ـ وإن لم يكن مكلفا ـ فله إنكار المنكر وله أن يريق الخمر ويكسر الملاهى ؛ وإذا فعل ذلك نال به ثوابا ولم يكن لأحد منعه من حيث إنه ليس بمكلف . فإن هذه قربة وهو من أهلها كالصلاة والإمامة وسائر القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ؛ ولذلك اثبتناه للعبد وآحاد الرعية . نعم فى المنع بالفعل وإبطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الإيمان كقتل المشرك وإبطال أسبابه وسلب أسلحته . فإن للصبى أن يفعل ذلك حيث لا يستضر به فالمنع من الفسق كالمنع من الكفر .

وأما الشرط الثانى ؛ وهو الإيمان : فلا يخفى وجه اشتراطه لأن هذا نصرة الدين فكيف يكون من أهله من هو جاحد لأصل الدين وعدو له ؟

وأما الشرط الثالث ؛ وهو العدالة : فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق أن يحتسب ، وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد على من يأمر بما لا يفعله مثل قوله تعالى ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ وقوله تعالى ﴿ كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ﴾ وبما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مررت ليلة أسرى بى بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت : من أنتم ؟ فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه [1] » ، وبما روى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى صلى الله عليه وسلم : عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحى منى . وربما استدلوا من طريق القياس بأن هداية الغير فرع للاهتداء ، وكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة ، والإصلاح ، زكاة عن نصاب الصلاح ، فمن ليس بصالح فى نفسه فكيف يصلح غيره ؟ ومتى يستقيم الظل والعود أعوج ؟ وكل ماذكروه خيالات وإنما الحق أن للفاسق أن يحتسب وبرهانه هو أن نقول : هل يشترط فى الاحتساب أن يكون متعاطيه معصوما عن المعاصى كلها ؟ فإن شرط ذلك فهو خرق للإجماع ثم حسم لباب الاحتساب إذ لاعصمة للصحابة فضلا عمن دونهم ، والأنبياء عليهم السلام قد اختلف فى عصمتهم عن الخطايا . والقرآن العزيز دال على نسبة آدم عليه السلام إلى المعصية وكذا جماعة من الأنبياء . ولهذا قال سعيد بن

الباب الثانى . فى أركان الأمر بالمعروف وشروطه

(١) حديث « مررت ليلة أسرى بى بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار .. الحديث » تقدم فى العلم .

جبير : إن لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر إلا من لا يكون فيه شيء ؛ لم يأمر أحد بشيء ، فأعجب مالكا ذلك من سعيد بن جبير . وإن زعموا أن ذلك لا يشترط عن الصغائر حتى يجوز للابس الحرير أن يمنع من الزنا وشرب الخمر فنقول :

وهل لشارب الخمر أن يغزو الكفار ويحتسب عليهم بالمنع من الكفر ؛ فإن قالوا : لا ، خرقوا الإجماع إذ جنود المسلمين لم تزل مشتملة على البر والفاجر وشارب الخمر وظالم الأيتام ولم يمنعوا من الغزو لا فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده . فإن قالوا : نعم ، فنقول : شارب الخمر هل له المنع من القتل أم لا ؟ فإن قالوا : لا ، قلنا . فما الفرق بينه وبين لابس الحرير ؟ إذ جاز له المنع من الخمر ، والقتل كبيرة بالنسبة إلى الشرب كالشرب بالنسبة إلى لبس الحرير ؛ فلا فرق . وإن قالوا : نعم ، وفصلوا الأمر فيه بأن كل مقدم على شيء فلا يمنع عن مثله ولا عما دونه وإنما يمنع عما فوقه فهذا تحكم فإنه كما لا يبعد أن يمنع الشارب من الزنا والقتل فمن أين يبعد أن يمنع الزانى من الشرب ؟ بل من أين يبعد أن يشرب ويمنع غلمانه وخدمه من الشرب ؟ ويقول يجب على الانتهاء والنهى فمن أين يلزمنى من العصيان بأحدهما أن أعصى الله تعالى بالثانى ؟ وإذا كان النهى واجبا على فمن أين يسقط وجوبه بإقدامى ؟ إذ يستحيل أن يقال يجب النهى عن شرب الخمر عليه مالم يشرب فإذا شرب سقط النهى . .

فإن قيل : فيلزم على هذا أن يقول القائل الواجب على الوضوء والصلاة فأنا أتوضأ وإن لم أصل وأتسحر وإن لم أصم لأن المستحب لى السحور والصوم جميعا ولكن يقال : أحدهما مرتب على الآخر ، فكذلك تقويم الغير مرتب على تقويمه نفسه فليبدأ بنفسه ثم بمن يعول . والجواب أن التسحر يراد للصوم ولولا الصوم لما كان التسحر مستحبا ، وما يراد لغيره لا ينفك عن ذلك الغير ، وإصلاح الغير لا يراد لإصلاح النفس ، ولا إصلاح النفس لإصلاح الغير فالقول بترتب أحدهما على الآخر تحكم .

وأما الوضوء والصلاة فهو لازم فلا جرم أن من توضأ ولم يصل كان مؤديا أمر الوضوء وكان عقابه أقل من عقاب من ترك الصلاة والوضوء جميعا فليكن من ترك النهى والانتهاء أكثر عقابا ممن نهى ولم ينته ، كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه ؟ بل للصلاة فلا حكم له دون الصلاة .

وأما الحسبة فليست شرطا فى الانتهاء والائتمار فلا مشابهة بينهما .

• فإن قيل : فيلزم على هذا أن يقال إذا زنى الرجل بامرأة وهى مكرهة مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها فأخذ الرجل يحتسب فى أثناء الزنا ويقول : أنت مكرهة فى الزنا ومختارة فى كشف الوجه لغير محرم ، وها أنا غير محرم لك فاستترى وجهك ، فهذا احتساب شنيع يستنكره قلب كل عاقل ويستشنعه كل طبع سليم ؟ فالجواب أن الحق قد يكون شنيعا وأن الباطل قد يكون مستحسنا بالطباع والمتبع الدليل دون نفرة الأوهام والخيالات فإنا نقول : قوله لها فى فى تلك الحالة « لا تكشفى وجهك » واجب أو مباح أو حرام ؟ فإن قلتم : إنه واجب فهو الغرض لأن الكشف معصية والنهى عن المعصية حق . وإن قلتم : إنه مباح ، فإذن له أن يقول ما هو مباح ؟ فما معنى قولكم ليس للفاسق الحسبة ؟ وإن قلتم : إنه حرام ، فنقول ، وكان هذا واجبا فمن أين حرم بإقدامه على الزنا ؟ ومن الغريب أن يصير الواجب حراما بسبب ارتكاب حرام آخر .

وأما نفرة الطباع عنه واستنكارها له فهو لسببين :

أحدهما : أنه ترك الأهم واشتغل بما هو مهم . وكما أن الطباع تنفر عن ترك المهم إلى ما لا يعنى فتنفر عن ترك الأهم

والاشتغال بالمهم كما تنفر عمن يتحرج عن تناول طعام مغصوب وهو مواظب على الربا ، وكما تنفر عمن يتصاون عن الغيبة ويشهد بالزور لأن الشهادة بالزور أفحش وأشد من الغيبة التى هى إخبار عن كائن يصدق فيه المخبر ، وهذا الاستبعاد فى النفوس لا يدل على أن ترك الغيبة ليس بواجب ، وأنه لو اغتاب أو أكل لقمة من حرام لم تزد بذلك عقوبته ، فكذلك ضرره فى الآخرة من معصيته أكثر من ضرره من معصية غيره ، فاشتغاله عن الأقل بالأكثر مستنكر فى الطبع ، من حيث إنه ترك الأكثر لا من حيث إنه أتى بالأقل ، فمن غصب فرسه ولجام فرسه فاشتغل بطلب اللجام وترك الفرس نفرت عنه الطباع ويرى مسيئا ، إذ قد صدر منه طلب اللجام وهو غير منكر ، ولكن المنكر تركه لطلب الفرس بطلب اللجام فاشتد الإنكار عليه لتركه الأهم بما دونه ، فكذلك حسبة الفاسق تستبعد من هذا الوجه وهذا لا يدل على أن حسبته من حيث إنها حسبة مستنكرة .

الثانى : أن الحسبة تارة تكون بالنهى بالوعظ وتارة بالقهر ، ولا ينجع وعظ من لا يتعظ أولا ونحن نقول : من علم أن قوله لا يقبل فى الحسبة لعلم الناس بفسقه فليس عليه الحسبة بالوعظ ؛ إذ لا فائدة فى وعظه فالفسق يؤثر فى إسقاط فائدة كلامه ، ثم إذا سقطت فائدة كلامه سقط وجوب الكلام ؛ فأما إذا كانت الحسبة بالمنع فالمراد منه القهر وتمام القهر أن يكون بالفعل والحجة جميعا ، وإذا كان فاسقا فإن قهر بالفعل فقد قهر بالحجة إذ يتوجه عليه أن يقال له : فأنت لم تقدم عليه ؟ فتنفر الطباع عن قهره بالفعل مع كونه مقهورا بالحجة وذلك لا يخرج الفعل عن كونه حقا كما أن يذب الظالم عن آحاد المسلمين ويهمل أباه وهو مظلوم معهم تنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقا . فخرج من هذا أن الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لأنه لا يتعظ ؛ وإذا لم يكن عليه ذلك ، وعلم أنه يفضى إلى تطويل اللسان فى عرضه بالإنكار فنقول : ليس له ذلك أيضا . فرجع الكلام إلى أن أحد نوعى الاحتساب وهو الوعظ قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه : وأما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حرج على الفاسق فى إراقة الخمور وكسر الملاهى وغيرها إذا قدر ، وهذا غاية الإنصاف والكشف فى المسألة وأما الآيات التى استدلوا بها فهو إنكار عليهم من حيث تركهم المعروف لا من حيث أمرهم . ولكن أمرهم دل على قوة علمهم وعقاب العالم أشد لأنه لا عذر له مع قوة علمه وقوله تعالى ﴿ لم تقولون مالا تفعلون ﴾ المراد به الوعد الكاذب وقوله عز وجل ﴿ وتنسون أنفسكم ﴾ إنكار من حيث إنهم نسوا أنفسهم لا من حيث إنهم أمروا غيرهم ولكن ذكر أمر الغير استدلالا به على علمهم وتأكيدا للحجة عليهم . وقوله « يا ابن مريم عظ نفسك ... الحديث » هو فى الحسبة بالوعظ . وقد سلمنا أن وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف فسقه . ثم قوله « فاستحى منى » لا يدل على تحريم وعظ الغير بل معناه استحى منى فلا تترك الأهم وتشتغل بالمهم كما يقال احفظ أباك ثم جارك وإلا فاستحى .

* فإن قيل . فليجز للكافر الذمى أن يحتسب على المسلم إذا رآه يزنى لأن قوله لا تزن حق فى نفسه فمحال أن يكون حراما عليه ، بل ينبغى أن يكون مباحا أو واجبا . قلنا : الكافر إن منع المسلم بفعله فهو تسلط عليه فيمنع من حيث إنه تسلط وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا . وأما بمجرد قوله « لا تزن » فليس بمحرم عليه من حيث إنه نهى عن الزنا ولكن من حيث إنه إظهار دالة الاحتكام على المسلم ، وفيه إذلال للمحتكم عليه ، والفاسق يستحق الإذلال ولكن لا من الكافر الذى هو أولى بالذل منه . فهذا وجه منعنا إياه من الحسبة وإلا فلسنا نقول إن الكافر يعاقب بسبب قوله : لا تزن ، من حيث إنه نهى بل نقول إنه إذا لم يقل لا تزن يعاقب عليه إن رأينا خطاب الكافر

بفروع الدين وفيه نظر استوفيناه فى الفقهيات ولا يليق بغرضنا الآن .

الشرط الرابع : كونه مأذونا من جهة الإمام والوالى ، فقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للآحاد من الرعية الحسبة ، وهذا الاشتراط فاسد ؛ فإن الآيات والأخبار التى أوردناها تدل على أن كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى إذ يجب نهيه أينما رآه وكيفما رآه على العموم ، فالتخصيص بشرط التفويض من الإمام تحكم لا أصل له . والعجب أن الروافض زادوا على هذا فقالوا : لايجوز الأمر بالمعروف مالم يخرج الإمام المعصوم وهو الإمام الحق عندهم . وهؤلاء أخس رتبة من أن يكلموا بل جوابهم أن يقال لهم ـ إذا جاءوا إلى القضاء طالبين لحقوقهم فى دمائهم وأموالهم ـ إن نصرتكم أمر بالمعروف واستخراج حقوقكم من أيدى من ظلمكم نهى عن المنكر وطلبكم لحقكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهى عن الظلم وطلب الحقوق لأن الإمام الحق بعد لم يخرج .

* فإن قيل : فى الأمر بالمعروف إثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه ، ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقا فينبغى أن لايثبت لآحاد الرعية إلا بتفويض من الوالى وصاحب الأمر ؟ فنقول : أما الكافر فممنوع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام ، والكافر ذليل فلا يستحق أن ينال عز التحكم على المسلم ، وأما آحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة ، ومافيه من عز السلطنة والاحتكام لايحوج إلى تفويض كعز التعليم والتعريف ، إذ لاخلاف فى أن تعريف التحريم والإيجاب لمن هو جاهل ومقدم على المنكر بجهله لايحتاج إلى إذن الوالى ، وفيه عز الإرشاد وعلى المعرف ذل التجهيل ، وذلك يكفى فيه مجرد الدين وكذلك النهى .

وشرح القول فى هذا أن الحسبة لها خمس مراتب ـ كما سيأتى ـ (أولها) التعريف . (والثانى) الوعظ بالكلام اللطيف (والثالث) السب والتعنيف ، ولست أعنى بالسب الفحش بل أن يقول : ياجاهل ، ياأحمق ألاتخاف الله ، وما يجرى هذا المجرى (والرابع) المنع بالقهر بطريق المباشرة ككسر الملاهى ، وإراقة الخمر ، واختطاف الثوب الحرير من لابسه ، واستلاب الثوب المغصوب منه ، ورده على صاحبه . (والخامس) التخويف والتهديد بالضرب ، ومباشرة الضرب له حتى يمتنع عما هو عليه كالمواظب على الغيبة والقذف فإن سلب لسانه غير ممكن ولكن يحمل على اختيار السكوت بالضرب . وهذا قد يحوج إلى استعانة وجمع أعوان من الجانبين ويجر ذلك إلى قتال وسائر المراتب لا يخفى وجه استغنائها عن إذن الإمام إلا المرتبة الخامسة فإن فيها نظرا ـ سيأتى ـ أما التعريف والوعظ فكيف يحتاج إلى إذن الإمام ؟ وأما التجهيل والتحميق والنسبة إلى الفسق وقلة الخوف من الله ومايجرى مجراه فهو كلام صدق ، والصدق مستحق بل أفضل الدرجات كلمة حق عند إمام جائر [1] كما ورد فى الحديث فإذا جاز الحكم على الإمام على مراغمته فكيف يحتاج إلى إذنه ؟ وكذلك كسر الملاهى وإراقة الخمور فإنه تعاطى مايعرف كونه حقا من غير اجتهاد فلم يفتقر إلى الإمام . وأما جمع الأعوان وشهر الأسلحة فذلك قد يجر إلى فتنة عامة ففيه نظر ـ سيأتى ـ واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاة قاطع بإجماعهم على الاستغناء عن التفويض ، بل كل من أمر بمعروف فإن كان الوالى راضيا به فذاك ، وإن كان ساخطا له فسخطه له منكر يجب الإنكار عليه فكيف يحتاج إلى إذنه فى الإنكار عليه . ويدل على ذلك عادة السلف فى الإنكار على الأئمة .

كما روى أن مروان بن الحكم خطب قبل صلاة العيد فقال له رجل : إنما الخطبة بعد الصلاة ، فقال له مروان : اترك ذلك يافلان ، فقال أبو سعيد : أما هذا فقد قضى ماعليه . قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رأى

---

(١) حديث « أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى .

منكم منكراً فلينكره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان (١) » فلقد كانوا فهموا من هذه العمومات دخول السلاطين تحتها فكيف يحتاج إلى إذنهم ؟ وروى أنّ المهدى لما قدم مكة لبث بها ماشاء الله فلما أخذ فى الطواف نحى الناس عن البيت فوثب عبد الله بن مرزوق فلببه بردائه ثم هزه وقال له : انظر ماتصنع ؟ من جعلك بهذا البيت أحق ممن أتاه من البعد ، حتى إذا صار عنده حلت بينه وبينه ؟ وقد قال الله تعالى ﴿ سواء العاكف فيه والباد ﴾ من جعل لك هذا ؟ فنظر فى وجهه ـ وكان يعرفه لأنه من مواليهم ـ فقال : أعبدالله ابن مرزوق ؟ قال : نعم ، فأخذ لجيء به إلى بغداد فكره أن يعاقبه عقوبة يشنع بها عليه فى العامة ، فجعله فى اصطبل الدواب ليسوس الدواب وضموا إليه فرسا عضوضا سيء الخلق ليعقره الفرس فلين الله تعالى له الفرس ، قال : ثم صيروه إلى بيت وأغلق عليه ، وأخذ المهدى المفتاح عنده فإذا هو قد خرج بعد ثلاث إلى البستان يأكل البقل ، فأوذن به المهدى فقال له : من أخرجك ؟ فقال : الذى حبسنى ، فضج المهدى وصاح وقال : ماتخاف أن أقتلك ؟ فرفع عبد الله إليه رأسه يضحك وهو يقول : لو كنت تملك حياة أو موتا ؟ ! فما زال محبوسا حتى مات المهدى ثم خلوا عنه فرجع إلى مكة . قال : وكان قد جعل على نفسه نذراً إن خلصه الله من أيديهم أن ينحر مائة بدنة فكان يعمل فى ذلك حتى نحرها .

وروى عن حبان بن عبد الله قال : تنزه هرون الرشيد بالدوين ومعه رجل من بنى هاشم وهو سليمان بن أبى جعفر فقال له هرون : قد كانت لك جارية تغنى فتحسن فجئنا بها ، قال : فجاءت فغنت فلم يحمد غناءها ، فقال لها : ماشأنك ؟ فقالت : ليس هذا عودى ، فقال للخادم ، جئنا بعودها ، قال : فجاء بالعود فوافق شيخا يلقط النوى فقال: الطريق ياشيخ ، فرفع الشيخ رأسه فرأى العود فأخذه من الخادم فضرب به الأرض ؛ فأخذه الخادم وذهب به إلى صاحب الربع فقال : احتفظ بهذا فإنه طلبة أمير المؤمنين ، فقال له صاحب الربع : ليس ببغداد أعبد من هذا فكيف يكون طلبة أمير المؤمنين ؟ فقال له : اسمع ما أقول لك ، ثم دخل على هرون فقال : إنى مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له : الطريق ، فرفع رأسه فرأى العود فأخذه فضرب به الأرض فكسره ؛ فاستشاط هرون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمان بن أبى جعفر : ماهذا الغضب ياأمير المؤمنين ؟ ابعث إلى صاحب الربع يضرب عنقه ويرم به فى الدجلة ، فقال : لا ، ولكن نبعث إليه ونناظره أولا ؛ فجاء الرسول فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال: نعم ، قال : اركب ، قال : لا ، فجاء يمشى حتى وقف على باب القصر ، فقيل لهرون : قد جاء الشيخ ، فقال للندماء أى شيء ترون ؟ نرفع ما قدامنا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ أو نقوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر؟ فقالوا له: نقوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر أصلح ، فقاموا إلى مجلس ليس فيه منكر ثم أمر بالشيخ فأدخل ـ وفى كمه الكيس الذى فيه النوى ـ فقال له الخادم : أخرج هذا من كمك وادخل على أمير المؤمنين ، فقال : من هذا عشائى الليلة ، قال : نحن نعشيك . قال : لاحاجة لى فى عشائكم ، فقال هرون للخادم : أى شيء تريد منه ؟ قال فى كمه نوى قلت له اطرحه وادخل على أمير المؤمنين فقال : دعه لايطرحه ، قال : فدخل وسلم وجلس ، فقال له هرون: ياشيخ ماحملك على ماصنعت ؟ قال : وأى شيء صنعت ؟ وجعل هرون يستحى أن يقول كسرت عودى ، فلما أكثر عليه قال . إنى سمعت أباك وأجدادك يقرءون هذه الآية على المنبر ﴿ إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ﴾ وأنا رأيت منكراً فغيرته ، فقال . فغيره . فوالله ماقال إلا هذا ، فلما خرج

(١) حديث : إن مروان خطب قبل الصلاة فى العيد ... الحديث . وفيه حديث أبى سعيد مرفوعا « من رأى منكراً ... الحديث » رواه مسلم .

أعطى الخليفة رجلا بدرة وقال . اتبع الشيخ فإن رأيته يقول : قلت لأمير المؤمنين وقال لى؛فلا تعطه شيئا ؛ وإن رأيته لا يكلم أحداً فأعطه البدرة . فلما خرج من القصر إذا هو بنواة فى الأرض قد غاصت فجعل يعالجها ولم يكلم أحداً فقال له : يقول لك أمير المؤمنين خذه هذه البدرة ، فقال : قل لأمير المؤمنين يردها من حيث أخذها . ويروى أنه أقبل بعد فراغه من كلامه على النواة التى يعالج قلعها من الأرض وهو يقول :

أرى الدنيا لمن هى فى يديه هموما كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصغر وتكرم كل من هانت عليه
إذا استغنيت عن شىء فدعه وخذ ماأنت محتاج إليه

وعن سفيان الثورى رحمه الله قال : حج المهدى سنة ست وستين ومائة فرأيته يرمى جمرة العقبة والناس يخبطون يمينا وشمالا بالسياط ، فوقفت فقلت : ياحسن الوجه حدثنا أيمن عن وائل عن قدامة بن عبدالله الكلابى قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى الجمرة يوم النحر على جمل لاضرب ولاطرد ولاجلد ولاإليك إليك [1] وها أنت يخبط الناس بين يديك يمينا وشمالا . فقال لرجل : من هذا ؟ قال : سفيان الثورى . فقال : ياسفيان لوكان المنصور ما احتملك على هذا ؟ فقال : لو أخبرك المنصور لقى لقصرت عما أنت فيه . قال : فقيل له إنه قال لك ياحسن الوجه ولم يقل لك ياأمير المؤمنين فقال : اطلبوه فطلب سفيان فاختفى وقد روى عن المأمون أنه بلغه أن رجلا محتسبا يمشى فى الناس يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . ولم يكن مأمورا من عنده بذلك فأمر بأن يدل عليه . فلما صار بين يديه قال له : إنى بلغنى أنك رأيت نفسك أهلا للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من غير أن نأمرك ـ وكان المأمون جالسا على كرسى ينظر فى كتاب أوقصة فأغفله فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر به ـ فقال له المحتسب : ارفع قدمك عن أسماء الله تعالى ثم قل ماشئت ؛ فلم يفهم المأمون مراده فقال ماذا تقول ؟ ـ حتى أعاده ثلاثا فلم يفهم ـ فقال : إما رفعت أو أذنت لى حتى أرفع . فنظر المأمون تحت قدمه فرأى الكتاب فأخذه وقبله وخجل . ثم عاد وقال : لم تأمر بالمعروف وقد جعل الله ذلك إلينا ـ أهل البيت ـ ونحن الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴾ فقال : صدقت ياأمير المؤمنين أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكن غير أنا أعوانك وأولياؤك فيه . ولا ينكر ذلك إلا من جهل كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف ﴾ الآية . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا [2] » وقد مكنت فى الأرض وهذا كتاب الله وسنة رسوله فإن انقدت لها شكرت لمن أعانك لحرمتهما . وإن استكبرت عنهما ولم تنقد لما لزمك منهما فإن الذى إليه أمرك وبيده عزك وذلك قد شرط أنه لايضيع أجر من أحسن عملا فقل الآن ماشئت ؛ فأعجب المأمون بكلامه وسر به وقال : مثلك يجوز له أن يأمر بالمعروف . فامض على ما كنت عليه بأمرنا وعن رأينا . فاستمر الرجل على ذلك . ففى سياق هذه الحكايات بيان الدليل على الاستغناء عن الإذن

* فإن قيل : أفتثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد والعبد على المولى والزوجة على الزوج والتلميذ على الأستاذ

---

(١) حديث قدامة بن عبد الله : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى الجمرة يوم النحر على جمل لاضرب ولاطرد ولاجلد ولا إليك إليك » رواه الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى وابن ماجه ، وأما قوله فى أوله : ان الثورى قال حج المهدى سنة ست وستين . فليس بصحيح فإن الثورى توفى سنة إحدى وستين . (٢) حديث « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » متفق عليه من حديث أبى موسى وقد تقدم فى الباب الثالث من آداب الصحبة .

والرعية على الوالى مطلقا ، كما يثبت للوالد على الولد والسيد على العبد والزوج على الزوجة والأستاذ على التلميذ والسلطان على الرعية أو بينهما فرق ؟ فاعلم أن الذى نراه : أنه يثبت أصل الولاية ولكن بينهما فرق فى التفصيل. ولنفرض ذلك فى الولد مع الوالد فنقول : قد رتبنا للحسبة خمس مراتب ، وللولد الحسبة بالرتبتين الأوليين وهما : التعريف ثم الوعظ والنصح باللطف . وليس له الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد ولا بمباشرة الضرب وهما الرتبتان الأخيرتان وهل له الحسبة بالرتبة الثالثة حيث تؤدى إلى أذى الوالد وسخطه ؟ هذا فيه نظر ، وهو بأن يكسر مثلا عوده ويريق خمره ويحل الخيوط عن ثيابه المنسوجة من الحرير ويرد إلى الملاك ما يجده فى بيته من المال الحرام الذى غصبه أو سرقه أو أخذه عن إدرار رزق من ضريبة المسلمين ـ إذا كان صاحبه معينا ـ ويبطل الصور المنقوشة على حيطانه والمنقورة فى خشب بيته ويكسر أوانى الذهب والفضة ؛ فإن فعله فى هذه الأمور ليس يتعلق بذات الأب بخلاف الضرب والسب ، ولكن الوالد يتأذى به ويسخط بسببه ، إلا أن فعل الولد حق ، وسخط الأب منشؤه حبه للباطل وللحرام والأظهر فى القياس أنه يثبت للولد ذلك بل يلزمه أن يفعل ذلك ، ولا يبعد أن ينظر فيه إلى قبح المنكر وإلى مقدار الأذى والسخط . فإن كان المنكر فاحشا وسخطه عليه قريبا كإراقة خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر ، وإن كان المنكر قريبا والسخط شديدا كما لو كانت له آنية من بلور أو زجاج على صور حيوان وفى كسرها خسران مال كثير ، فهذا مما يشتد فيه الغضب وليس تجرى هذه المعصية مجرى الخمر وغيره فهذا كله مجال النظر .

* فإن قيل : ومن أين قلتم ليس له الحسبة بالتعنيف والضرب والإرهاق إلى ترك الباطل ، والأمر بالمعروف فى الكتاب والسنة ورد عاما من غير تخصيص ؟ وأما النهى عن التأفيف والإيذاء فقد ورد وهو خاص فيما لا يتعلق بارتكاب المنكرات ؟ فنقول : قد ورد فى حق الأب على الخصوص ما يوجب الاستثناء من العموم إذ لا خلاف فى أن الجلاد ليس له أن يقتل أباه فى الزنا حدا ، ولا له أن يباشر إقامة الحد عليه ، بل لا يباشر قتل أبيه الكافر ، بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له أن يؤذيه فى مقابلته .

وقد ورد فى ذلك أخبار وثبت بعضها بالإجماع [1] فإذا لم يجز له إيذاؤه بعقوبة هى حق على جناية سابقة فلا يجوز له إيذاؤه بعقوبة هى منع عن جناية مستقبلة متوقعة بل أولى . وهذا الترتيب أيضاً ينبغى أن يجرى فى العبد والزوجة مع السيد والزوج فهما قريبان من الولد فى لزوم الحق وإن كان ملك اليمين آكد من ملك النكاح . ولكن فى الخبر أنه « لو جاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها [2] » وهذا يدل على تأكيد الحق أيضا . وأما الرعية مع السلطان فالأمر فيها أشد من الولد فليس لها معه إلا التعريف والنصح : فأما الرتبة الثالثة ففيها نظر من حيث إن الهجوم على أخذ الأموال من خزانته وردها إلى الملاك وعلى تحليل الخيوط من ثيابه الحرير وكسر آنية الخمور فى بيته يكاد يفضى إلى خرق هيبته وإسقاط حشمته ، وذلك محظور ورد النهى عنه كما ورد النهى عن السكوت على المنكر [3] فقد تعارض فيه أيضاً محذوران والأمر فيه موكول إلى اجتهاد منشؤه النظر فى تفاحش المنكر ومقدار

---

(١) الأخبار الواردة : فى أن الجلاد ليس له أن يجلد أباه فى الزنا ولا أن يباشر إقامة الحد عليه ولا يباشر قتل أبيه الكافر وأنه لو قطع يده لم يلزم القصاص ، ثم قال وثبت بعضها بالإجماع . قلت : لم أجد فيه إلا حديث « لا يقاد الوالد بالولد » رواه الترمذى وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذى فيه اضطراب . (٢) حديث « لو جاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » تقدم فى النكاح . (٣) حديث : النهى عن الإنكار على السلطان جهرة بحيث يؤدى إلى خرق هيبته . أخرجه الحاكم فى المستدرك من حديث عياض بن غنم الأشعرى : من كانت عنده نصيحة لذى سلطان فلا يكلمه بها علانية ولياخذه بيده فليخل به فإن قبلها قبلها وإلا كان قد أدى الذى عليه والذى له . قال : صحيح الأسناد وللترمذى وحسنه من حديث أبى بكرة « من أهان سلطان الله فى الأرض أهانه الله فى الأرض » .

مايسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك مما لايمكن ضبطه . وأما التلميذ والأستاذ فالأمر فيما بينهما أخف لأن المحترم هو الأستاذ المفيد للعلم من حيث الدين ولاحرمة لعالم لايعمل بعلمه فله أن يعامله بموجب علمه الذى تعلمه منه . وروى أنه سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على والده فقال : يعظه مالم يغضب فإن غضب سكت عنه.

الشرط الخامس : كونه قادرا ؛ ولايخفى أن العاجز ليس عليه حسبة إلا بقلبه إذ كل من أحب الله يكره معاصيه وينكرها . وقال ابن مسعود رضى الله عنه جاهدوا الكفار بأيديكم فإن لم تستطيعوا إلا أن تكفهروا فى وجوههم فافعلوا .

واعلم أنه لايقف سقوط الوجوب على العجز الحسى بل يلتحق به مايخاف عليه مكروها يناله فذلك فى معنى العجز ، وكذلك إذا لم يخف مكروها ولكن علم أن إنكاره لاينفع فليلتفت إلى معنيين ؛ أحدهما : عدم إفادة الإنكار امتناعا ، والآخر : خوف مكروه . ويحصل من اعتبار المعنيين أربعة أحوال (أحدهما) أن يجتمع المعنيان بأن يعلم أنه لاينفع كلامه ويضرب إن تكلم فلا تجب عليه الحسبة ، بل ربما تحرم فى بعض المواضع . نعم يلزمه أن لايحضر مواضع المنكر ويعتزل فى بيته حتى لايشاهد ولايخرج إلا لحاجة مهمة أو واجب ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة إلا إذا كان يرهق إلى الفساد أو يحمل على مساعدة السلاطين فى الظلم والمنكرات ؛ فيلزمه الهجرة إن قدر عليها فإن الإكراه لايكون عذرا فى حق من يقدر على الهرب من الإكراه .(الحالة الثانية) أن ينتفى المعنيان جميعا بأن يعلم أن المنكر يزول بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه فيجب عليه الإنكار وهذه هى القدرة المطلقة . (الحالة الثالثة) أن يعلم أنه لايفيد إنكاره لكنه لايخاف مكروها فلا تجب عليه الحسبة لعدم فائدتها ولكن تستحب لإظهار شعائر الإسلام وتذكير الناس بأمر الدين . (الحالة الرابعة) عكس هذه وهو أن يعلم أنه يصاب بمكروه ولكن يبطل المنكر بفعله كما يقدر على أن يرمى زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها ، ويريق الخمر ، أو يضرب العود الذى فى يده ضربة مختطفة فيكسره فى الحال ، ويتعطل عليه هذا المنكر ولكن يعلم أنه يرجع إليه فيضرب رأسه ، فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب . ويدل عليه الخبر الذى أوردناه فى فضل « كلمة حق عند إمام جائر » ولاشك فى أن ذلك مظنة الخوف . ويدل عليه أيضاً ماروى عن أبى سليمان الدارانى رحمه الله تعالى أنه قال : سمعت من بعض الخلفاء كلاما فأردت أن أنكر عليه وعلمت أنى أقتل ، ولم يمنعنى القتل ولكن كان فى ملأ من الناس فخشيت أن يعترينى التزين للخلق فأقتل من غير إخلاص فى الفعل .

« فإن قيل : فما معنى قوله تعالى ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ ؟ قلنا : لاخلاف فى أن المسلم الواحد له أن يهجم على صف الكفار ويقاتل وإن علم أنه يقتل ، وهذا ربما يظن أنه مخالف لموجب الآية وليس كذلك ، فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : ليس التهلكة ذلك ، بل ترك النفقة فى طاعة الله تعالى ؛ أى من لم يفعل ذلك فقد أهلك نفسه . وقال البراء بن عازب : التهلكة هو أن يذنب الذنب ثم يقول لايتاب على . وقال أبو عبيدة : هو أن يذنب ثم لايعمل بعده خيراً حتى يهلك . وإذا جاز أن يقاتل الكفار حتى يقتل جاز أيضاً له ذلك فى الحسبة ، ولكن لو علم أنه لانكاية لهجومه على الكفار كالأعمى يطرح نفسه على الصف أو العاجز فذلك حرام وداخل تحت عموم آية التهلكة . وإنما جاز له الإقدام إذا علم أنه يقاتل إلى أن يقتل أو علم أنه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جراءته واعتقادهم فى سائر المسلمين قلة المبالاة وحبهم للشهادة فى سبيل الله فتنكسر بذلك شوكتهم ؛ فكذلك يجوز للمحتسب بل يستحب له أن يعرض نفسه للضرب وللقتل إذا كان لحسبته تأثير فى رفع المنكر أو فى كسر جاه الفاسق أو فى

تقوية قلوب أهل الدين ، وأما إن رأى فاسقاً متغلباً وعنده سيف وبيده قدح ، وعلم أنه لو أنكر عليه لشرب القدح وضرب رقبته فهذا مما لاأرى للحسبة فيه وجهاً وهو عين الهلاك . فإن المطلوب أن يؤثر فى الدين أثراً ويفديه بنفسه ، فأما تعريض النفس للهلاك من غير أثر فلا وجه له بل ينبغى أن يكون حراما . وإنما يستحب له الإنكار إذا قدر على إبطال المنكر أو ظهر لفعله فائدة ، وذلك بشرط أن يقتصر المكروه عليه . فإن علم أنه يضرب معه غيره من أصحابه أو اقاربه أو رفقائه فلا تجوز له الحسبة بل تحرم لأنه عجز عن دفع المنكر إلا بأن يفضى ذلك إلى منكر آخر ، وليس ذلك من القدرة فى شىء . بل لوعلم أنه لواحتسب لبطل ذلك المنكر ولكن كان ذلك سببا لمنكر آخر يتعاطاه غير المحتسب عليه فلا يحل له الافكار الاظهر ، لأن المقصود عدم مناكير الشرع مطلقا لامين زيد أو عمرو ، وذلك بأن يكون مثلا مع الإنسان شراب حلال ـ نجس بسبب وقوع نجاسة فيه ـ وعلم أنه لوأراقه لشرب صاحبه الخمر أو تشرب أولاده الخمر لإعوازهم الشراب الحلال فلا معنى لإراقة ذلك . ويحتمل أن يقال إنه يريق ذلك فيكون هو مبطلا لمنكر . وأماشرب الخمر فهو الملوم فيه والمحتسب غير قادر على منعه من ذلك المنكر ، وقد ذهب إلى هذا ذاهبون . وليس ببعيد ، فإن هذه مسائل فقهية لايمكن فيها الحكم إلا بظن ، ولايبعد أن يفرق بين درجات المنكر المغير والمنكر الذى تفضى اليه الحسبة والتغيير ، فإنه إذا كان يذبح شاة لغيره ليأكلها وعلم أنه لومنعه من ذلك لذبح إنساناً واكله فلا معنى لهذه الحسبة . نعم لوكان منعه عن ذبح إنسان أو قطع طرقه يحمله على أخذ ماله فذلك له وجه . فهذه دقائق واقعة فى محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده فى ذلك كله ولهذه الدقائق نقول : العامى ينبغى له أن لايحتسب إلا فى الجليات المعلومة كشرب الخمر والزنا وترك الصلاة فأما مايعلم كونه معصية بالإضافة إلى مايطيف به من الأفعال ويفتقر فيه إلى اجتهاد فالعامى إن خاض فيه كان ما يفسده أكثر مما يصلحه ، وعن هذا يتأكد ظن من لايثبت ولاية الحسبة إلا بتعيين الوالى ؛ إذ ربما ينتدب لها من ليس أهلا لها لقصور معرفته أوقصور ديانته فيؤدى ذلك إلى وجوه من الخلل وسيأتى كشف الغطاء عن ذلك إن شاء الله

* فإن قيل : وحيث أطلقتم العلم بأن يصيبه مكروه أو أنه لاتفيد حسبته ؛ فلو كان بدل العلم ظن فما حكمه ؟ قلنا: الظن الغالب فى هذه الأبواب فى معنى العلم وإنما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم إذ يرجح العلم اليقينى على الظن ويفرق بين العلم والظن فى مواضع آخر ، وهو أنه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعا أنه لايفيد فإن كان غالب ظنه أنه لايفيد ولكن يحتمل أن يفيد وهو مع ذلك لايتوقع مكروها فقد اختلفوا فى وجوبه ، والأظهر وجوبه إذ لاضرر فيه وجدواه متوقعة ، وعموم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تقتضى الوجوب بكل حال ونحن إنما نستثنى عنه بطريق التخصيص ما اذا علم أنه لا فائدة فيه اما بالإجماع أو بقياس ظاهر وهو أن الأمر ليس يراد لعينه بل للمأمور ، فإذا علم اليأس عنه فلا فائدة فيه ، فأما اذا لم يكن يأس فينبغى أن لايسقط الوجوب

* فإن قيل : فالمكروه الذى تتوقع إصابته إن لم يكن متيقنا ولامعلوما بغالب الظن ولكن كان مشكوكا فيه ، أوكان غالب ظنه أنه لايصاب بمكروه ولكن احتمل أن يصاب بمكروه ، فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لايجب إلا عند اليقين بأنه لايصيبه مكروه أم يجب فى كل حال إلا إذا غلب على ظنه أنه يصاب بمكروه ؟ قلنا : ان غلب على الظن أنه يصاب لم يجب ، وان غلب أنه لايصاب وجب ـ ومجرد التجويز لايسقط الوجوب فإن ذلك

ممكن فى كل حسبة ، وإن شك فيه من غير رجحان فهذا محل النظر ، فيحتمل أن يقال الأصل الوجوب بحكم العمومات وإنما يسقط بمكروه ، والمكروه هو الذى يظن أو يعلم حتى يكون متوقعا ، وهذا هو الأظهر . ويحتمل أن يقال: إنه إنما يجب عليه إذا علم أنه لاضرر فيه عليه أو ظن أنه لاضرر عليه والأول أصح نظرا إلى قضية العمومات الموجبة للأمر بالمعروف .

* فإن قيل : فالتوقع للمكروه يختلف بالجبن والجراءة فالجبان الضعيف القلب يرى البعيد قريبا حتى كأنه يشاهده ويرتاع منه ، والمتهور الشجاع يبعد وقوع المكروه به بحكم ماجبل عليه من حسن الأمل حتى إنه لايصدق به إلا بعد وقوعه ، فعلى ماذا التعويل ؟ قلنا : التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والمزاج ، فإن الجبن مرض وهو ضعف فى القلب سببه قصور فى القوة وتفريط ، والتهور إفراط فى القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان ، وإنما الكمال فى الاعتدال الذى يعبر عنه بالشجاعة . وكل واحد من الجبن والتهور يصدر تارة عن نقصان العقل . وتارة عن خلل فى المزاج بتفريط أو إفراط ، فإن من اعتدل مزاجه فى صفة الجبن والجراءة فقد لايتفطن لمدارك الشر فيكون سبب جراءته جهله ، وقد لايتفطن لمدارك دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله ، وقد يكون عالما بحكم التجربة والممارسة بمداخل الشر ودوافعه ، ولكن يعمل الشر البعيد فى تخذيله وتحليل قوته فى الإقدام بسبب ضعف قلبه مايفعله الشر القريب فى حق الشجاع المعتدل الطبع . فلا التفات إلى الطرفين . وعلى الجبان أن يتكلف إزالة الجبن بإزالة علته وعلته جهل أو ضعف ، ويزول الجهل بالتجربة ، ويزول الضعف بممارسة الفعل المخوف منه تكلفا حتى يصير معتادا ، إذ المبتدئ فى المناظرة والوعظ مثلا قد يجبن عنه طبعه لضعفه فإذا مارس واعتاد فارقه الضعف ، فإن صار ذلك ضروريا غير قابل للزوال بحكم استيلاء الضعف على القلب فحكم ذلك الضعيف يتبع حاله فيعذر كما يعذر المريض فى التقاعد عن بعض الواجبات ، ولذلك قد نقول على رأى : لايجب ركوب البحر لأجل حجة الإسلام على من يغلب عليه الجبن فى ركوب البحر ويجب على من لايعظم خوفه منه فكذلك الأمر فى وجوب الحسبة .

* فإن قيل : فالمكروه المتوقع ماحده ؟ فإن الإنسان قد يكره كلمة وقد يكره ضربة وقد يكره طول لسان المحتسب عليه فى حقه بالغيبة ، وما من شخص يؤمر بالمعروف إلا يتوقع منه نوع من الأذى وقد يكون منه أن يسعى به إلى سلطان أو يقدح فيه فى مجلس يتضرر بقدحه فيه ، فما حد المكروه الذى يسقط الوجوب به ؟ قلنا : هذا أيضا فيه نظر غامض وصورته منتشرة ومجاريه كثيرة ، ولكنا نجتهد فى ضم نشره وحصر أقسامه .

فنقول : المكروه نقيض المطلوب ومطالب الخلق فى الدنيا ترجع إلى أربعة أمور : أما فى النفس فالعلم . وأما فى البدن فالصحة والسلامة . وأما فى المال فالثروة . وأما فى قلوب الناس فقيام الجاه ؛ فإذاً المطلوب العلم والصحة والثروة والجاه . ومعنى الجاه ملك قلوب الناس ، كما أن معنى الثروة ملك الدراهم لأن قلوب الناس وسيلة إلى الأعراض ، كما أن ملك الدراهم وسيلة إلى بلوغ الأغراض ـ وسيأتى تحقيق معنى الجاه وسبب ميل الطبع إليه فى ربع المهلكات ـ وكل واحدة من هذه الأربعة يطلبها الإنسان لنفسه ولأقاربه والمختصين به . ويكره فى هذه الأربعة أمران ؛ أحدهما : زوال ماهو حاصل موجود . والآخر . امتناع ماهو منتظر مفقود ؛ أعنى اندفاع مايتوقع وجوده . فلا ضرر إلا فى فوات حاصل وزواله ، أو تعويق منتظر ، فإن المنتظر عبارة عن الممكن حصوله والممكن حصوله كأنه حاصل وفوات إمكانه كأنه فوات حصوله : فرجع المكروه إلى قسمين ؛ أحدهما : خوف امتناع المنتظر وهذا

لاينبغى أن يكون مرخصاً فى ترك الأمر بالمعروف أصلا .

ولنذكر مثاله فى المطالب الأربعة ؛ أما العلم : فمثاله تركه الحسبة على من يختص بأستاذه خوفا من أن يقبح حاله عنده فيمتنع من تعليمه . وأما الصحة : فتركه الإنكار على الطبيب الذى يدخل عليه مثلا وهو لابس حريراً خوفاً من أن يتأخر عنه فتمتنع بسببه صحته المنتظرة . وأما المال : فتركه الحسبة على السلطان وأصحابه وعلى من يواسيه من ماله خيفة من أن يقطع إدراره فى المستقبل ويترك مواساته . وأما الجاه : فتركه الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاها فى المستقبل خيفة من أن لايحصل له الجاه أو خيفة من أن يقبح حاله عند السلطان الذى يتوقع منه ولاية .

وهذا كله لايسقط وجوب الحسبة لأن هذه زيادات امتنعت ، وتسمية امتناع حصول الزيادات ضررا مجاز . وإنما الضرر الحقيقى فوات حاصل ولا يستثنى من هذا شىء إلا ماتدعو إليه الحاجة ويكون فى فواته محذور يزيد على محذور السكوت على المنكر ، كما إذا كان محتاجا إلى الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة الطبيب ويعلم أن فى تأخره شدة الضنا به وطول المرض وقد يفضى إلى الموت . وأعنى بالعلم الظن الذى يجوز بمثله ترك استعمال الماء والعدول إلى التيمم فإذا انتهى إلى هذا الحد لم يبعد أن يرخص فى ترك الحسبة . وأما فى العلم فمثل أن يكون جاهلا بمهمات دينه ولم يجد إلا معلما واحدا ولا قدرة له على الرحلة إلى غيره وعلم أن المحتسب عليه قادر على أن يسد عليه طريق الوصول إليه لكون العالم مطيعا له أو مستمعا لقوله ، فإذاً الصبر على الجهل بمهمات الدين محذور والسكوت على المنكر محذور ، ولايبعد أن يرجح أحدهما ويختلف ذلك بتفاحش المنكر وبشدة الحاجة إلى العلم لتعلقه بمهمات الدين . وأما فى المال فكمن يعجز عن الكسب والسؤال وليس هو قوى النفس فى التوكل ولا منفق عليه سوى شخص واحد ولو احتسب عليه قطع رزقه وافتقر فى تحصيله إلى طلب إدرار حرام أو مات جوعا فهذا أيضاً إذا اشتد الأمر فيه لم يبعد أن يرخص له فى السكوت . وأما الجاه فهو أن يؤذيه شرير ولا يجد سبيلا إلى دفع شره إلا بجاه يكتسبه من سلطان ، ولا يقدر على التوصل إليه إلا بواسطة شخص يلبس الحرير أو يشرب الخمر ، ولو احتسب عليه لم يكن واسطة ووسيلة له فيمتنع عليه حصول الجاه ويدوم بسببه أذى الشرير . فهذه الأمور كلها إذا ظهرت وقويت لم يبعد استثناؤها ولكن الأمر فيها منوط باجتهاد المحتسب حتى يستفتى فيها قلبه ، ويزن أحد المحذورين بالآخر ، ويرجح بنظر الدين لا بموجب الهوى والطبع ، فإن رجح بموجب الدين سمى سكوته مداراة ، وإن رجح بموجب الهوى سمى سكوته مداهنة . وهذا أمر باطن لايطلع عليه إلا بنظر دقيق ولكن الناقد بصير ، فحق على كل متدين فيه أن يراقب قلبه ويعلم أن الله مطلع على باعثه وصارفه أنه الدين أو الهوى ، وستجد كل نفس ماعملت من سوء أو خير محضراً عند الله ولو فى فلتة خاطر أو فلتة ناظر من غير ظلم وجور فما الله بظلام للعبيد .

وأما القسم الثانى ، وهو فوات الحاصل : فهو مكروه ومعتبر فى جواز السكوت فى الأمور الأربعة إلا العلم ، فإن فواته غير مخوف إلا بتقصير منه وإلا فلا يقدر أحد على سلب العلم من غيره وإن قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة والمال ، وهذا أحد أسباب شرف العلم فإنه يدوم فى الدنيا ويدوم ثوابه فى الآخرة فلا انقطاع له أبد الآباد . وأما الصحة والسلامة ففواتهما بالضرب فكل من علم أنه يضرب ضربا مؤلما يتأذى به فى الحسبة لم تلزمه الحسبة وإن كان يستحب له ذلك - كما سبق - وإذا فهم هذا فى الإيلام بالضرب فهو فى الجرح والقطع والقتل أظهر . وأما الثروة فهو بأن يعلم أنه تنهب داره ويخرب بيته وتسلب ثيابه ، فهذا أيضا يسقط عنه الوجوب ويبقى

الاستحباب إذ لا بأس بأن يفدى دينه بدنياه ولكل واحد من الضرب والنهب حد فى القلة لايكترث به كالحبة فى المال واللطمة الخفيف ألمها فى الضرب وحد فى الكثرة يتعين اعتباره ووسط يقع فى محل الاشتباه والاجتهاد ، وعلى المتدين أن يجتهد فى ذلك ويرجح جانب الدين ما أمكن . وأما الجاه ففواته بأن يضرب ضربا غير مؤلم أو بسبب على ملأ من الناس أو يطرح منديله فى رقبته ويدار به فى البلد أو يسود وجهه ويطاف به ، وكل ذلك من غير ضرب مؤلم للبدن وهو قادح فى الجاه ومؤلم للقلب . وهذا له درجات فالصواب أن يقسم إلى مايعبر عنه بسقوط المروءة ، كالطواف به فى البلد حاسرا حافيا فهذا يرخص له فى السكوت لأن المروءة مأمور بحفظها فى الشرع ، وهذا مؤلم للقلب ألما يزيد على ألم ضربات متعددة وعلى فوات دريهمات قليلة فهذه درجة . الثانية : مايعبر عنه بالجاه المحض وعلو الرتبة ، فإن الخروج فى ثياب فاخرة تجمل ، وكذلك الركوب للخيول . فلو علم أنه لو احتسب لكلف المشى فى السوق فى ثياب لايعتاد هو مثلها . أو كلف المشى راجلا وعادته الركوب . فهذا من جملة المزايا . وليست المواظبة على حفظها محمودة . وحفظ المروءة محمود فلا ينبغى أن يسقط وجوب الحسبة بمثل هذا القدر . وفى معنى هذا ما لو خاف أن يتعرض له باللسان إما فى حضرته بالتجهيل والتحميق والنسبة إلى الرياء والبهتان . وأما فى غيبته بأنواع الغيبة فهذا لايسقط الوجوب إذ ليس فيه إلا زوال فضلات الجاه التى ليس إليها كبير حاجة . ولو تركت الحسبة بلوم لائم أو باغتياب فاسق أو شتمه وتعنيفه أو سقوط المنزلة عن قلبه وقلب أمثاله لم يكن للحسبة وجوب أصلا إذ لا تنفك الحسبة عنه إلا إذا كان المنكر هو الغيبة ، وعلم أنه لو أنكر لم يسكت عن المغتاب ولكن أضافه إليه وأدخله معه فى الغيبة فتحرم هذه الحسبة لأنها سبب زيادة المعصية ، وإن علم أنه يترك تلك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا تجب عليه الحسبة لأن غيبته أيضا معصية فى حق المغتاب ، ولكن يستحب له ذلك ليفدى عرض المذكور بعرض نفسه على سبيل الإيثار . وقد دلت العمومات على تأكد وجوب الحسبة وعظم الخطر فى السكوت عنها فلا يقابله إلا ماعظم فى الدين خطره ، والمال والنفس والمروءة قد ظهر فى الشرع خطرها فأما مزايا الجاه والحشمة ودرجات التجمل وطلب ثناء الخلق فكل ذلك لاخطر له . وأما امتناعه لخوف شىء من هذه المكاره فى حق أولاده وأقاربه فهو فى حقه دونه لأن تأذيه بأمر نفسه أشد من تأذيه بأمر غيره ، ومن وجه الدين هو فوقه لأن له أن يسامح فى حقوق نفسه وليس له المسامحة فى حق غيره . فإذاً ينبغى أن يمتنع فإنه إن كان ما يفوت من حقوقهم يفوت على طريق المعصية كالضرب والنهب فليس له هذه الحسبة لأنه دفع منكر يفضى إلى منكر ، وإن كان يفوت لا بطريق المعصية فهو إيذاء للمسلم أيضا وليس له ذلك إلا برضاهم . فإذا كان يؤدى ذلك إلى أذى قومه فليتركه وذلك كالزاهد الذى له أقارب أغنياء فإنه لا يخاف على ماله إن احتسب على السلطان ولكنه يقصد أقاربه انتقاما منه بواسطته ، فإذا كان يتعدى الأذى من حسبته إلى أقاربه وجيرانه فليتركها فإن إيذاء المسلمين محذور كما أن السكوت على المنكر محذور . نعم إن كان لاينالهم أذى فى مال أو نفس ولكن ينالهم الأذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ، ويختلف الأمر فيه بدرجات المنكرات فى تفاحشها ودرجات الكلام المحذور فى نكايته فى القلب وقدحه فى العرض .

* فإن قيل : فلو قصد الإنسان قطع طرف من نفسه وكان لا يمتنع عنه إلا بقتال ربما يؤدى إلى قتله فهل يقاتل عليه ؟ فإن قلتم : يقاتل ، فهو محال لأنه إهلاك نفس خوفا من إهلاك طرف وفى إهلاك النفس إهلاك الطرف أيضا ؟ قلنا : يمنعه عنه ويقاتله إذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه بل الغرض حسم سبيل المنكر والمعصية ، وقتله فى الحسبة ليس بمعصية وقطع طرف نفسه معصية . وذلك كدفع الصائل على مال مسلم بما يأتى على قتله فإنه جائز لا على معنى

أنا نفدى درهما من مال مسلم بروح مسلم فإن ذلك محال ولكن قصده لأخذ مال المسلمين معصية وقتله فى الدفع عن المعصية ليس بمعصية وإنما المقصود دفع المعاصى .

* فإن قيل : فلو علمنا أنه لوخلا بنفسه لقطع طرف نفسه فينبغى أن نقتله فى الحال حسما لباب المعصية ؟ قلنا : ذلك لايعلم يقينا ولا يجوز سفك دمه بتوهم معصية ولكنا إذا رأيناه فى حال مباشرة القطع دفعناه ، فإن قاتلنا قاتلناه ولم نبال بما يأتى على روحه .

فإذا المعصية لها ثلاثة أحوال : (إحداها) أن تكون متصرمة فالعقوبة على ماتصرم منها حد أو تعزير وهو إلى الولاة لا إلى الآحاد (الثانية) أن تكون المعصية راهنة وصاحبها مباشر لها كلابسه الحرير وإمساكه العود والخمر ، فإبطال هذه المعصية واجب بكل ما يمكن مالم تؤد إلى معصية أفحش منها أو مثلها ، وذلك يثبت للآحاد والرعية (الثالثة) أن يكون المنكر متوقعا كالذى يستعد بكنس المجلس وتزيينه وجمع الرياحين لشرب الخمر وبعده لم يحضر الخمر ؛ فهذا مشكوك فيه إذ ربما يعوق عنه عائق فلا يثبت للآحاد سلطنة على العازم على الشرب إلا بطريق الوعظ والنصح ، فأما بالتعنيف والضرب فلا يجوز للآحاد ولا للسلطان إلا إذا كانت تلك المعصية علمت منه بالعادة المستمرة وقد أقدم على السبب المؤدى إليها ولم يبق لحصول المعصية إلا ماليس له فيه إلا الانتظار ، وذلك كوقوف الأحداث على أبواب حمامات النساء للنظر إليهن عند الدخول والخروج ، فإنهم وإن لم يضيقوا الطريق لسعته فتجوز الحسبة عليهم بإقامتهم من الموضع ومنعهم عن الوقوف بالتعنيف والضرب ، وكان تحقيق هذا إذا بحث عنه يرجع إلى أن هذا الوقوف فى نفسه معصية وإن كان مقصد العاصى وراءه كما أن الخلوة بالأجنبية فى نفسها معصية لأنها مظنة وقوع المعصية ، وتحصيل مظنة المعصية معصية ونعنى بالمظنة مايتعرض الإنسان به لوقوع المعصية غالبا بحيث لايقدر على الانكفاف عنها ، فإذاً هو على التحقيق حسبة على معصية راهنة لاعلى معصية منتظرة .

الركن الثانى : للحسبة مافيه الحسبة

وهو كل منكر موجود فى الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوم كونه منكراً بغير اجتهاد فهذه أربعة شروط فلنبحث عنها :

الأول : كونه منكرا ، ونعنى به أن يكون محذور الوقوع فى الشرع وعدلنا عن لفظ المعصية إلى هذا لأن المنكر أعم من المعصية ، إذ من رأى صبيا أو مجنوناً يشرب الخمر فعليه أن يريق خمره ويمنعه ، وكذا إن رأى مجنوناً يزنى بمجنونة أو بهيمة فعليه أن يمنعه منه . وليس ذلك لتفاحش صورة الفعل وظهوره بين الناس بل لو صادف هذا المنكر فى خلوة لوجب المنع منه ، وهذا لايسمى معصية فى حق المجنون إذ معصية لاعاصى بها محال ، فلفظ المنكر أدل عليه وأعم من لفظ المعصية وقد أدرجنا فى عموم هذا الصغيرة والكبيرة فلا تختص الحسبة بالكبائر ، بل كشف العورة فى الحمام والخلوة بالأجنبية واتباع النظر للنسوة الأجنبيات كل ذلك من الصغائر ويجب النهى عنها وفى الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظر سيأتى فى كتاب التوبة :

الشرط الثانى : أن يكون موجودا فى الحال وهو احتراز أيضاً عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر ، فإن ذلك ليس إلى الآحاد وقد انقرض المنكر واحتراز عما سيوجد فى ثانى الحال ، كمن يعلم بقرينة حال أنه عازم على الشرب فى ليلته فلا حسبة عليه إلا بالوعظ ، وإن أنكر عزمه عليه لم يجز وعظه أيضاً فإن فيه إساءة ظن بالمسلم وربما صدق فى قوله ، وربما لايقدم على ماعزم عليه لعائق . وليتنبه للدقيقة التى ذكرناها وهو أن الخلوة بالأجنبية

معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء ومايجرى مجراه .

الشرط الثالث : أن يكون المنكر ظاهرا للمحتسب بغير تجسس . فكل من ستر معصية فى داره وأغلق بابه لايجوز أن يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى عنه . وقصة عمر وعبدالرحمن بن عوف فيه مشهورة ـ وقد أوردناها فى كتاب آداب الصحبة ـ وكذلك ماروى أن عمر رضى الله عنه تسلق دار رجل فرآه على حالة مكروهة فأنكر عليه فقال : ياأمير المؤمنين إن كنت أنا قد عصيت الله من وجه واحد فأنت قد عصيته من ثلاثة أوجه . فقال وماهى؟ فقال قد قال تعالى ﴿ ولاتجسسوا ﴾ وقد تجسست . وقال تعالى ﴿ وأتوا البيوت من أبوابها ﴾ وقد تسورت من السطح وقال ﴿ لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ﴾ وماسلمت . فتركه عمر وشرط عليه التوبة . ولذلك شاور عمر الصحابة رضى الله عنهم وهو على المنبر وسألهم عن الإمام إذا شاهد بنفسه منكرافهل له إقامة الحد فيه ؟ فأشار على رضى الله عنه بأن ذلك منوط بعدلين فلا يكفى فيه واحد . وقد أوردنا هذه الأخبار فى بيان حق المسلم من كتاب آداب الصحبة فلا نعيدها .

* فإن قلت : فما حد الظهور والاستتار ؟ فاعلم أن من أغلق باب داره وتستر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير إذنه لنعرف المعصية إلا أن يظهر فى الدار ظهورا يعرفه من هوخارج الدار كأصوات المزامير والأوتار إذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان الدار . فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهى وكذا إذا ارتفعت أصوات السكارى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعها أهل الشوارع فهذا إظهار موجب للحسبة . فإذن إنما يدرك مع تخلل الحيطان صوت أو رائحة . فإذا فاحت روائح الخمر فإن احتمل أن يكون ذلك من الخمور المحترمة فلا يجوز قصدها بالإراقة . وإن علم بقرينة الحال أنها فاحت لتعاطيهم الشرب فهذا محتمل . والظاهر جواز الحسبة . وقد تستر قارورة الخمر فى الكم وتحت الذيل وكذلك الملاهى فإذا رؤى فاسق وتحت ذيله شىء لم يجز أن يكشف عنه مالم يظهر بعلامة خاصة . فإن فسقه لايدل على أن الذى معه خمر . إذ الفاسق محتاج أيضا إلى الخل وغيره . فلا يجوز أن يستدل بإخفائه وأنه لوكان حلالا لما أخفاه لأن الأغراض فى الإخفاء مما تكثر . وإن كانت الرائحة فائحة فهذا محل النظر . والظاهر أن له الاحتساب لأن هذه علامة تفيد الظن والظن كالعلم فى أمثال هذه الأمور . وكذلك العود ربما يعرف بشكله إذا كان الثوب الساتر له رقيقا . فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهرت دلالته فهو غير مستور بل هو مكشوف وقد أمرنا بأن نستر ماستر الله وننكر على من أبدى لنا صفحته . والإبداء له درجات فتارة يبدو لنا بحاسة السمع . وتارة بحاسة الشم . وتارة بحاسة البصر . وتارة بحاسة اللمس ولايمكن أن يخصص ذلك بحاسة البصر بل المراد العلم . وهذه الحواس أيضاً تفيد العلم . فإذن إنما يجوز أن يكسر ماتحت الثوب إذا علم أنه خمر . وليس له أن يقول : أرنى لأعلم مافيه . هذا تجسس . ومعنى التجسس طلب الأمارات المعرفة فالأمارة المعرفة إن حصلت وأورثت المعرفة جاز العمل بمقتضاها فأما طلب الأمارة المعرفة فلا رخصة فيه أصلا .

الشرط الرابع : أن يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتهاد فكل ماهو فى محل الاجتهاد فلا حسبة . فليس للحنفى أن ينكر على الشافعى أكله الضب والضبع ومتروك التسمية . ولا للشافعى أن ينكر على الحنفى شربه النبيذ الذى ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوى الأرحام وجلوسه فى دار أخذها بشفعة الجوار إلى غير ذلك من مجارى الاجتهاد نعم لو رأى الشافعى شافعيا يشرب النبيذ وينكح بلا ولى ويطأ زوجته فهذا فى محل النظر والأظهر أن له الحسبة والإنكار إذ لم يذهب أحد من المحصلين إلى أن المجتهد يجوز له أن يعمل بموجب اجتهاد غيره . ولا أن

الذى أدى اجتهاده فى التقليد إلى شخص رآه أفضل العلماء أن له أن يأخذ بمذهب غيره فينتقد من المذاهب أطيبها عنده ، بل على كل مقلد اتباع مقلده فى كل تفصيل ، فإذن مخالفته للمقلد متفق على كونه منكرا بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة ، إلا أنه يلزم من هذا أمر أغمض منه ، وهو أنه يجوز للحنفى أن يعترض على الشافعى إذا نكح بغير ولى بأن يقول له : الفعل فى نفسه حق ولكن لا فى حقك فأنت مبطل بالإقدام عليه مع اعتقادك أن الصواب مذهب الشافعى ، ومخالفة ماهو صواب عندك معصية فى حقك وإن كانت صوابا عند الله . وكذلك الشافعى يحتسب على الحنفى إذا شاركه فى أكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول له : إما أن تعتقد أن الشافعى أولى بالاتباع ثم تقدم عليه ، أو لا تعتقد ذلك فلا تقدم عليه ، لأنه على خلاف معتقدك . ثم ينجر هذا إلى أمر آخر من المحسوسات وهو أن يجامع الأصم مثلا امرأة على قصد الزنا وعلم المحتسب أن هذه امرأته زوجه أبوه إياها فى صغره ، ولكنه ليس يدرى وعجز عن تعريفه ذلك لصممه أو لكونه غير عارف بلغته ، فهو فى الإقدام مع اعتقاده أنها أجنبية عاص ومعاقب عليه فى الدار الآخرة . فينبغى أن يمنعها عنه مع أنها زوجته وهو بعيد من حيث إنه حلال فى علم الله قريب من حيث إنه حرام عليه بحكم غلطه وجهله . ولاشك فى أنه لو علق طلاق زوجته على صفة فى قلب المحتسب مثلا من مشيئة أو غضب أو غيره وقد وجدت الصفة فى قلبه وعجز عن تعريف الزوجين ذلك ، ولكن علم وقوع الطلاق فى الباطن فإذا رآه يجامعها فعليه المنع - أعنى باللسان - لأن ذلك زنا إلا أن الزانى غير عالم به والمحتسب عالم بأنها طالقت منه ثلاثا ، وكونهما غير عاصيين لجهلهما بوجود الصفة لايخرج الفعل عن كونه منكرا ولا يتقاعد ذلك عن زنا المجنون وقد بينا أنه يمنع منه ، فإذا كان يمنع مما هو منكر عند الله وإن لم يكن منكرا عند الفاعل ولا هو عاص به لعذر الجهل ، فيلزم من عكس هذا أن يقال : ماليس بمنكر عند الله إنما هو منكر عند الفاعل لجهله لايمنع منه ، وهذا هو الأظهر والعلم عند الله . فتحصل من هذا أن الحنفى لايعترض على الشافعى فى النكاح بلا ولى ، وأن الشافعى يعترض على الشافعى فيه لكون المعترض عليه منكرا باتفاق المحتسب والمحتسب عليه . وهذه مسائل فقهية دقيقة والاحتمالات فيها متعارضة ، وإنما أفتينا فيها بحسب ماترجح عندنا فى الحال . ولسنا نقطع بخطأ ترجيح المخالف فيها إن رأى أنه لايجرى الاحتساب إلا فى معلوم على القطع ، وقد ذهب إليه ذاهبون وقالوا : لاحسبة إلا فى مثل الخمر والخنزير ومايقطع بكونه حراما ، ولكن الأشبه عندنا أن الاجتهاد يؤثر فى حق المجتهد ؛ إذ يبعد غاية البعد أن يجتهد فى القبلة ويعترف بظهور القبلة عنده فى جهة بالدلالات الظنية ثم يستدبرها ، ولايمنع منه لأجل ظن غيره لأن الاستدبار هو الصواب . ورأى من يرى أنه يجوز لكل مقلد أن يختار من المذاهب ماأراد غير معتد به ولعله لايصح ذهاب ذاهب إليه أصلا ؛ فهذا مذهب لايثبت وإن ثبت فلا يعتد به .

* فإن قلت : إذا كان لايعترض على الحنفى فى النكاح بلا ولى لأنه يرى أنه حق فينبغى أن لايعترض على المعتزلى فى قوله : إن الله لايرى ؟ وقوله : وإن الخير من الله والشر ليس من الله ؟ وقوله : كلام الله مخلوق ؟ ولا على الحشوى فى قوله : إن الله تعالى جسم وله صورة وإنه مستقر على العرش ؟ بل لاينبغى أن يعترض على الفلسفى فى قوله : الأجساد لاتبعث وإنما تبعث النفوس ؛ لأن هؤلاء أيضاً أدى اجتهادهم إلى ماقالوه وهم يظنون أن ذلك هو الحق . فإن قلت : بطلان مذهب هؤلاء ظاهر فبطلان مذهب من يخالف نص الحديث الصحيح أيضاً ظاهر ، وكما ثبت بظواهر النصوص أن الله تعالى يرى والمعتزلى ينكرها بالتأويل فكذلك ثبت بظواهر النصوص مسائل خالف فيها الحنفى كمسألة النكاح بلا ولى ومسألة شفعة الجوار ونظائرهما ؟ فاعلم أن المسائل تنقسم

إلى ما يتصور أن يقال فيه : كل مجتهد مصيب . وهى أحكام الأفعال فى الحل والحرمة وذلك هو الذى لايعترض على المجتهدين فيه إذ لم يعلم خطؤهم قطعا بل ظنا ، وإلى مالايتصور أن يكون المصيب فيه إلا واحد كمسألة الرؤية والقدر وقدم الكلام ونفى الصورة والجسمية والاستقرار عن الله تعالى ، فهذا مما يعلم خطأ المخطئ فيه قطعا ولايبقى لخطئه الذى هو جهل محض وجه . فإذن البدع كلها ينبغى أن تحسم أبوابها وتنكر على المبتدعين بدعهم وإن اعتقدوا أنها الحق ، كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم وإن كانوا يعتقدون أن ذلك حق لأن خطأهم معلوم على القطع بخلاف الخطأ فى مظان الاجتهاد .

* فإن قلت : فهما اعترضت على القدرى فى قوله : الشر ليس من الله ، اعترض عليك القدرى أيضا فى قولك: الشر من الله ، وكذلك فى قولك : إنّ الله يرى ، وفى سائر المسائل . إذ المبتدع محق عند نفسه ، والمحق مبتدع عند المبتدع ، وكل يدعى أنه محق وينكر كونه مبتدعا . فكيف يتم الاحتساب ؟ فاعلم أنا لأجل هذا التعارض نقول : ينظر إلى البلدة التى فيها أظهرت تلك البدعة ؛ فإن كانت البدعة غريبة والناس كلهم على السنة فلهم الحسبة عليه بغير إذن السلطان ، وإن انقسم أهل البلد إلى أهل البدعة وأهل السنة وكان فى الاعتراض تحريك فتنة بالمقاتلة فليس للآحاد الحسبة فى المذاهب الا بنصب السلطان . فإذا رأى السلطان الرأى الحق ونصره وأذن لواحد أن يزجر المبتدعة عن اظهار البدعة كان له ذلك وليس لغيره . فإن مايكون بإذن السلطان لايتقابل ، ومايكون من جهة الآحاد فيتقابل الأمر فيه . وعلى الجملة فالحسبة فى البدعة أهم من الحسبة فى كل المنكرات ، ولكن ينبغى أن يراعى فيها هذا التفصيل الذى ذكرناه كيلا يتقابل الأمر ولاينجر الى تحريك الفتنة . بل لوأذن السلطان مطلقا فى منع كل من يصرح بأن القرآن مخلوق ، أو أن الله لايرى ، أو أنه مستقر على العرش مماس له ، أو غير ذلك من البدع لتسلط الآحاد على المنع منه ولم يتقابل الأمر فيه وانما يتقابل عند عدم اذن السلطان فقط .

الركن الثالث : المحتسب عليه

وشرطه أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه فى حقه منكرا ، وأقل مايكفى فى ذلك أن يكون إنسانا ، ولا يشترط كونه مكلفا ، إذ بينا أن الصبى لوشرب الخمر منع منه واحتسب عليه وإن كان قبل البلوغ ، ولايشترط كونه مميزا إذ بينا أنّ المجنون لوكان يزنى بمجنونة أو يأتى بهيمة منعه منه . نعم من الأفعال مالا يكون منكرا فى حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره . ولكنا لسنا نلتفت إلى اختلاف التفاصيل فإن ذلك أيضا مما يختلف فيه المقيم والمسافر والمريض والصحيح . وغرضنا الإشارة إلى الصفة التى بها يتهيأ توجه أصل الإنكار عليه لاما بها يتهيأ للتفاصيل .

* فإن قلت : فاكتف بكونه حيوانا ولا تشترط كونه إنسانا ، فإن البهيمة لوكانت تفسد زرعا لإنسان لكنا نمنعها منه كما نمنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة ؟ فاعلم أن تسمية ذلك حسبة لاوجه لها ، إذ الحسبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله ، صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر ومنع المجنون عن الزنا وإتيان البهيمة لحق الله ، وكذا منع الصبى عن شرب الخمر . والإنسان إذا أتلف زرع غيره منع منه لحقين ، أحدهما : حق الله تعالى فإن فعله معصية ، والثانى : حق المتلف عليه ، فهما علتان تنفصل إحداهما عن الأخرى . فلو قطع طرف غيره بإذنه فقد وجدت المعصية وسقط حق المجنى عليه بإذنه فتثبت الحسبة والمنع بإحدى العلتين . والبهيمة إذا أتلفت فقد عدمت المعصية ولكن يثبت المنع بإحدى العلتين . ولكن فيه دقيقة وهو أنا لسنا نقصد بإخراج البهيمة منع البهيمة بل حفظ مال

المسلم ؛ إذ البهيمة لو أكلت ميتة أو شربت من إناء فيه خمر أوماء مشوب بخمر لم نمنعها منه ، بل يجوز إطعام كلاب الصيد الجيف والميتات ، ولكن مال المسلم إذا تعرض للضياع وقدرنا على حفظه بغير تعب وجب ذلك علينا حفظا للمال ، بل لو وقعت جرة لإنسان من علو وتحتها قارورة لغيره فتدفع الجرة لحفظ القارورة ، لالمنع الجرة من السقوط . فإنا لانقصد منع الجرة وحراستها من أن تصير كاسرة للقارورة ، ونمنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة وشرب الخمر وكذا الصبي ، لاصيانة للبهيمة المأتية أو الخمر المشروب : بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر وتنزيهاله من حيث إنه إنسان محترم . فهذه لطائف دقيقة لايتفطن لها إلا المحققون فلا ينبغي أن يغفل عنها ثم فيما يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر ، إذ قد يتردد في معنهما من لبس الحرير وغير ذلك . وسنتعرض لما نشير إليه في الباب الثالث .

• فإن قلت : فكل من رأى بهائم قد استرسلت في زرع إنسان فهل يجب عليه إخراجها ؟ وكل من رأى مالا لمسلم أشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه ؟ فإن قلتم : إن ذلك واجب فهذا تكليف شطط يؤدي إلى أن يصير الإنسان مسخرا لغيره طول عمره ؟ وإن قلتم ، لايجب فلم يجب الاحتساب على من يغصب مال غيره وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير ؟ فنقول : هذا بحث دقيق غامض . والقول الوجيز فيه أن نقول : مهماقدر على حفظه من الضياع من غير أن يناله تعب في بدنه أو خسران في ماله أو نقصان جاهه وجب عليه ذلك ، فذلك القدر واجب في حقوق المسلم بل هو أقل درجات الحقوق ، والأدلة الموجبة لحقوق المسلمين كثيرة وهذا أقل درجاتها وهو أولى بالإيجاب من رد السلام ، فإن الأذى في هذا أكثر من الأذى في ترك رد السلام ، بل لاخلاف في أن مال الإنسان إذا كان يضيع بظلم ظالم وكان عند الشهادة لو تكلم بها لرجع الحق إليه وجب عليه ذلك وعصى بكتمان الشهادة ففي معنى ترك الشهادة ترك كل دفع لاضرر على الدافع فيه ، فأما إن كان عليه تعب أو ضرر في مال أو جاه لم يلزمه السعي في ذلك ولكن إذا كان لايتعب بتنبيه صاحب الزرع من نوم أو بإعلامه يلزمه ، فإهمال تعريفه وتنبيهه كإهماله تعريف القاضي بالشهادة ، وذلك لارخصة فيه ، ولايمكن أن يراعى فيه الأقل والأكثر حتى يقال إن كان لايضيع من منفعته في مدة اشتغاله بإخراج البهائم إلا قدر درهم مثلا وصاحب الزرع يفوته مال كثير فيترجح جانبه لأن الدرهم الذي له هو يستحق حفظه كما يستحق صاحب الألف حفظ الألف ولاسبيل للمصير إلا ذلك ، فأما إذا كان فوات المال بطريق هو معصية كالغصب أو قتل عبد مملوك للغير ، فهذا يجب المنع منه وإن كان فيه تعب ما ، لأن المقصود حق الشرع ، والغرض دفع المعصية ، وعلى الإنسان أن يتعب نفسه في دفع المعاصي كما عليه أن يتعب نفسه في ترك المعاصي . والمعاصي كلها في تركها تعب وإنما الطاعة كلها ترجع إلى مخالفة النفس وهي غاية التعب . ثم لايلزمه احتمال كل ضرر بل التفصيل فيه كما ذكرناه من درجات المحذورات التي يخافها المحتسب .

وقد اختلف الفقهاء في مسئلتين تقربان من غرضنا ، إحداهما : أن الالتقاط هل هو واجب واللقطة ضائعة ؟ والملتقط مانع من الضياع وساع في الحفظ ؟ والحق فيه عندنا أن يفصل ويقال : إن كانت اللقطة في موضع لو تركها فيه لم تضع بل يلتقطها من يعرفها ، أو تترك كما لو كان في مسجد أو رباط يتعين من يدخله وكلهم أمناء فلا يلزمه الالتقاط ، وإن كانت في مضيعة ، نظر ، فإن كان عليه تعب في حفظها كما لو كانت بهيمة وتحتاج إلى علف واصطبل فلا يلزمه ذلك ؛ لأنه إنما يجب الالتقاط لحق المالك . وحقه بسبب كونه إنسانا محترما ، والملتقط أيضا إنسان وله حق في أن لايتعب لأجل غيره كما لايتعب غيره لأجله . فإن كانت ذهبا أو ثوبا أو شيئا لاضرر عليه فيه إلا مجرد تعب

التعريف فهذا ينبغي أن يكون في محل الوجهين . فقائل يقول : التعريف والقيام بشرطه فيه تعب فلا سبيل إلى إلزامه ذلك إلا أن يتبرع فيلتزم طبقا للثواب . وقائل يقول : إن هذا القدر من التعب مستصغر بالإضافة إلى مراعاة حقوق المسلمين ؛ فينزل هذا منزلة تعب الشاهد في حضور مجلس الحكم فإنه لا يلزمه السفر إلى بلدة أخرى إلا أن يتبرع به ، فإذا كان مجلس القاضي في جواره لزمه الحضور وكان التعب بهذه الخطوات لا يعد تعبا في غرض إقامة الشهادة وأداء الأمانة ، وإن كان في الطرف الآخر من البلد وأحوج إلى الحضور في الهاجرة وشدة الحر فهذا قد يقع في محل الاجتهاد والنظر ، فإن الضرر الذي ينال الساعي في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا يشك في أنه لا يبالي به ، وطرف في الكثرة لا يشك في أنه لا يلزم احتماله ، ووسط يتجاذبه الطرفان ويكون أبدا في محل الشبهة والنظر ، وهي من الشبهات المزمنة التي ليس في مقدور البشر إزالتها ؛ إذ لا علة تفرق بين أجزائها المتقاربة ، ولكن المتقي ينظر فيها لنفسه ويدع ما يريبه إلى ما لا يريبه ، فهذا نهاية الكشف عن هذا الأصل .

الركن الرابع : نفس الاحتساب

وله درجات وآداب : أما الدرجات ، فأولها التعرف ، ثم التعريف ، ثم النهي ، ثم الوعظ والنصح ، ثم السب والتعنيف ، ثم التغيير باليد ، ثم التهديد بالضرب ، ثم إيقاع الضرب وتحقيقه ، ثم شهر السلاح ، ثم الاستظهار فيه بالأعوان وجمع الجنود .

أما الدرجة الأولى : وهي التعرف ؛ ونعني طلب المعرفة بجريان المنكر وذلك منهي عنه - وهو التجسس الذي ذكرناه - فلا ينبغي أن يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الأوتار ، ولا أن يستنشق ليدرك رائحة الخمر ، ولا أن يمس ما في ثوبه ليعرف شكل المزمار ، ولا أن يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجري في داره . نعم لو أخبره عدلان ابتداء من غير استخبار بأن فلانا يشرب الخمر في داره أو بأن في داره خمرا أعده للشرب ، فله إذ ذاك أن يدخل داره ولا يلزم الاستئذان ، ويكون تخطي ملكه بالدخول للتوصل إلى دفع المنكر ككسر رأسه بالضرب للمنع مهما احتاج إليه . وإن أخبره عدلان أو عدل واحد - وبالجملة كل من تقبل روايته لا شهادته - ففي جواز الهجوم على داره بقولهم ، فيه نظر واحتمال ، والأولى أن يمتنع لأن له حقا في أن لا يتخطى داره بغير إذنه ، ولا يسقط حق المسلم عما ثبت عليه حقه إلا بشاهدين ؛ فهذا أولى ما يجعل مردا فيه . وقد قيل إنه كان نقش خاتم لقمان : الستر لما عاينت أحسن من إذاعة ما ظننت .

الدرجة الثانية : التعريف ؛ فإن المنكر قد يقدم عليه المقدم بجهله وإذا عرف أنه منكر تركه ، كالسوادي يصلي ولا يحسن الركوع والسجود ؛ فيعلم أن ذلك لجهله بأن هذه ليست بصلاة ولو رضي بأن لا يكون مصليا لترك أصل الصلاة ، فيجب تعريفه باللطف من غير عنف : وذلك لأن ضمن التعريف نسبة إلى الجهل والحمق ، والتجهيل إيذاء وقلما يرضى الإنسان بأن ينسب إلى الجهل بالأمور لاسيما بالشرع . ولذلك ترى الذي يغلب عليه الغضب كيف يغضب إذا نبه على الخطأ والجهل ؟ وكيف يجتهد في مجاحدة الحق بعد معرفته خيفة من أن تنكشف عورة جهله ؟ والطباع أحرص على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية ؛ لأن الجهل قبح في صورة النفس وسواد في وجهه ، وصاحبه ملوم عليه ، وقبح السوأتين يرجع إلى صورة البدن ، والنفس أشرف من البدن وقبحها أشد من قبح البدن . ثم هو غير ملوم عليه لأنه خلقة لم يدخل تحت اختياره حصوله ، ولا في اختياره إزالته وتحسينه . والجهل قبح يمكن إزالته وتبديله بحسن العلم ، فلذلك يعظم تألم الإنسان بظهور جهله ، ويعظم ابتهاجه في نفسه بعلمه

ثم لذته عند ظهور جمال علمه لغيره . وإذا كان التعريف كشفا للعورة مؤذيا للقلب فلابد وأن يعالج دفع أذاه بلطف الرفق فنقول له : إن الإنسان لا يولد عالما ولقد كنا أيضا جاهلين بأمور الصلاة فعلمنا العلماء ، ولعل قريتك خالية عن أهل العلم أو عالمها مقصر فى شرح الصلاة وإيضاحها ، إنما شرط الصلاة الطمأنينة فى الركوع والسجود . وهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير إيذاء ؛ فإن إيذاء المسلم حرام محذور كما أن تقريره على المنكر محذور ، وليس من العقلاء من يغسل الدم بالدم أو بالبول ، ومن اجتنب محذور السكوت على المنكر واستبدل عنه محذور الإيذاء للمسلم مع الاستغناء عنه فقد غسل الدم بالبول على بالتحقيق . وأما إذا وقفت على خطأ فى غير أمر الدين فلا ينبغى أن ترده عليه فإنه يستفيد منك علما ويصير لك عدوا ، إلا إذا علمت أنه يغتنم العلم وذلك عزيز جدا .

الدرجة الثالثة : النهى بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى ؛ وذلك فيمن يقدم على الأمر وهو عالم بكونه منكرا ، أو فيمن أصر عليه بعد أن عرف كونه منكرا ، كالذى يواظب على الشرب أو على الظلم أو على اغتياب المسلمين أو ما يجرى مجراه ، فينبغى أن يوعظ ويخوف بالله تعالى وتورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد فى ذلك وتحكى له سيرة السلف وعبادة المتقين ؛ وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب ، بل ينظر إليه نظر المترحم عليه ويرى إقدامه على المعصية مصيبة على نفسه إذ المسلمون كنفس واحدة ، وههنا آفة عظيمة ينبغى أن يتوقاها فإنها مهلكة ، وهى أن العالم يرى - عند التعريف - عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل ؛ فربما يقصد بالتعريف الإدلال وإظهار التميز بشرف العلم وإذلال صاحبه بالنسبة إلى خسة الجهل . فإن كان الباعث هذا فهذا المنكر أقبح فى نفسه من المنكر الذى يعترض عليه ؟ ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره من النار بإحراق نفسه وهو غاية فى الجهل . وهذه مذلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور للشيطان يتدلى بحبله كل إنسان إلا من عرفه الله عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته ، فإن فى الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من وجهين ، أحدهما : من جهة دالة العلم ، والآخر : من جهة دالة الاحتكام والسلطنة . وذلك يرجع إلى الرياء وطلب الجاه ، وهو الشهوة الخفية الداعية إلى الشرك الخفى ، وله محك ومعيار ينبغى أن يمتحن المحتسب به نفسه ، وهو أن يكون امتناع ذلك الإنسان عن المنكر بنفسه أو باحتساب غيره أحب إليه من امتناعه باحتسابه . فإن كانت الحسبة شاقة عليه ثقيلة على نفسه وهو يود أن يكفى بغيره فليحتسب فإن باعثه هو الدين ، وإن كان اتعاظ ذلك العاصى بوعظه وانزجاره بزجره أحب إليه من اتعاظه بوعظ غيره فما هو إلا متبع هوى نفسه ومتوسل إلى إظهار جاه نفسه بواسطة حسبته . فليتق الله تعالى فيه وليحتسب أولا على نفسه . وعند هذا يقال له ما قيل لعيسى عليه السلام : يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحى منى . وقيل لداود الطائى رحمه الله : أرأيت رجلا دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر ؟ فقال أخاف عليه السوط ، قال : إنه يقوى عليه ، قال : أخاف عليه السيف ، قال : إنه يقوى عليه ، قال : أخاف عليه الداء الدفين وهو العجب .

الدرجة الرابعة : السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن ، وذلك يعدل إليه عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادئ الإصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح ، وذلك مثل قول إبراهيم عليه السلام ﴿ أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴾ ولسنا نعنى بالسب والفحش بما فيه نسبة إلى الزنا ومقدماته ، ولا الكذب بل أن يخاطبه بما فيه مما لا يعد من جملة الفحش ، كقوله : يافاسق ياأحمق ياجاهل ألا تخاف الله ، وكقوله : ياسوادى يا غبى وما يجرى هذا المجرى . فإن كل فاسق فهو أحمق وجاهل ، ولولا حمقه لما عصى الله تعالى بل كل من ليس

بكيس فهو أحمق . والكيس من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكياسة حيث قال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت . والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله [1] » .

ولهذه الرتبة أدبان ؛ أحدهما : أن لا يقدم عليها إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف . والثانى : أن لا ينطق إلا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج إليه ؛ بل يقتصر على قدر الحاجة . فإن علم أن خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليست تزجره فلا ينبغى أن يطلقه . بل يقتصر على إظهار الغضب والاستحقار له والازدراء بمحله لأجل معصيته ، وإن علم أنه لو تكلم ضرب ولو اكفهر وأظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه ولم يكفه الإنكار بالقلب ، بل يلزمه أن يقطب وجهه ويظهر الإنكار له .

الدرجة الخامسة : التغيير باليد ؛ وذلك ككسر الملاهى وإراقة الخمر وخلع الحرير من رأسه وعن بدنه ومنعه من الجلوس عليه ودفعه عن الجلوس على مال الغير وإخراجه من الدار المغصوبة بالجر برجله وإخراجه من المسجد إذا كان جالسا وهو جنب وما يجرى مجراه ، ويتصور ذلك فى بعض المعاصى دون بعض .

فأما معاصى اللسان والقلب فلا يقدر على مباشرة تغييرها ، وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصى وجوارحه الباطنة .

وفى هذه الدرجة أدبان ، أحدهما : أن لا يباشر بيده التغيير مالم يعجز عن تكليف المحتسب عليه ذلك ، فإذا أمكنه أن يكلفه المشى فى الخروج عن الأرض المغصوبة والمسجد فلا ينبغى أن يدفعه أو يجره ، وإذا قدر على أن يكلفه إراقة الخمر وكسر الملاهى وحل دروز ثوب الحرير فلا ينبغى أن يباشر ذلك بنفسه ، فإن فى الوقوف على حد الكسر نوع عسر ، فإذا لم يتعاط بنفسه ذلك كفى الاجتهاد فيه وتولاه من لا حجر عليه فى فعله .

الثانى : أن يقتصر فى طريق التغيير على القدر المحتاج إليه ، وهو أن لا يأخذ بلحيته فى الإخراج ، ولا برجله إذا قدر على جره بيده ؛ فإن زيادة الأذى فيه مستغنى عنه ، وأن لا يمزق ثوب الحرير بل يحل دروزه فقط ، ولا يحرق الملاهى والصليب الذى أظهره النصارى بل يبطل صلاحيتها للفساد بالكسر . وحد الكسر أن يصير إلى حالة تحتاج فى استئناف إصلاحه إلى تعب يساوى تعب الاستئناف من الخشب ابتداء . وفى إراقة الخمر يتوقى كسر الأوانى إن وجد إليه سبيلا ، فإن لم يقدر عليها إلا بأن يرمى ظروفها بحجر فله ذلك ، وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الخمر إذ صار حائلا بينه وبين الوصول إلى إراقة الخمر ، ولو ستر الخمر ببدنه لكنا نقصد بدنه بالجرح والضرب لنتوصل إلى إراقة الخمر فإذن لا تزيد حرمة ملكه فى الظروف على حرمة نفسه . ولو كان الخمر فى قوارير ضيقة الرءوس ولو اشتغل بإراقتها طال الزمان وأدركه الفساق ومنعوه فله كسرها ، فهذا عذر . وإن كان لا يحذر ظفر الفساق به ومنعهم ولكن كان يضيع فى زمانه وتتعطل عليه أشغاله فله أن يكسرها فليس عليه أن يضيع منفعة بدنه وغرضه من أشغاله لأجل ظرف الخمر ، وحيث كانت الإراقة متيسرة بلا كسر فكسره لزمه الضمان .

• فإن قلت : فهلا جاز الكسر لأجل الزجر ؟ وهلا جاز الجر بالرجل فى الإخراج عن الأرض المغصوبة ليكون ذلك أبلغ فى الزجر ؟ فاعلم أن الزجر إنما يكون عن المستقبل ، والعقوبة تكون على الماضى ، والدفع على الحاضر الراهن . وليس إلى آحاد الرعية إلا الدفع وهو إعدام المنكر ، فما زاد على قدر الإعدام فهو إما عقوبة على

---

(١) حديث « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت .. الحديث » أخرجه الترمذى وقال حسن وابن ماجه من حديث شداد بن أوس .

جريمة سابقة أو زجر عن لاحق . وذلك إلى الولاة لا إلى الرعية . نعم الوالى له أن يفعل ذلك إذا رأى المصلحة فيه وأقول : له أن يأمر بكسر الظروف التى فيها الخمور زجرا . وقد فعل ذلك فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم تأكيدا للزجر [1] ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة إلى الزجر والفطام شديدة . فإذا رأى الوالى باجتهاده مثل الحاجة جاز له مثل ذلك . وإذا كان هذا منوطا بنوع اجتهاد دقيق لم يكن ذلك لآحاد الرعية .

* فإن قلت : فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصى بإتلاف أموالهم وتخريب دورهم التى فيها يشربون ويعصون وإحراق أموالهم التى بها يتوصلون إلى المعاصى ؟ فاعلم أن ذلك لو ورد الشرع به لم يكن خارجا عن سنن المصالح ولكنا لا نبتدع المصالح بل نتبع فيها . وكسر ظروف الخمر قد ثبت عند شدة الحاجة . وتركه بعد ذلك لعدم شدة الحاجة لا يكون نسخا بل الحكم يزول بزوال العلة ويعود بعودها . وإنما جوزنا ذلك للإمام بحكم الاتباع ومنعنا آحاد الرعية منه لخفاء وجه الاجتهاد فيه . بل نقول لو أريقت الخمور أولا فلا يجوز كسر الأوانى بعدها وإنما جاز كسرها تبعا للخمر . فإذا خلت عنها فهو إتلاف مال إلا أن تكون ضارية بالخمر لا تصلح إلا لها .

فكان الفعل المنقول عن العصر الأول كان مقرونا بمعنيين ؛ أحدهما : شدة الحاجة إلى الزجر ، والآخر : تبعية الظروف للخمر التى هى مشغولة بها . وهما معنيان مؤثران لا سبيل إلى حذفهما . ومعنى ثالث : وهو صدوره عن رأى صاحب الأمر لعلمه بشدة الحاجة إلى الزجر وهو أيضا مؤثر فلا سبيل إلى إلغائه . فهذه تصرفات دقيقة فقهية يحتاج المحتسب لا محالة إلى معرفتها .

الدرجة السادسة : التهديد والتخويف ؛ كقوله دع عنك هذا أو لأكسرن رأسك أو لأضربن رقبتك أو لآمرن بك وما أشبهه ، وهذا ينبغى أن يقدم على تحقيق الضرب إذا أمكن تقديمه . والأدب فى هذه الرتبة أن لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه ، كقوله لأنهبن دارك أو لأضربن ولدك أو لأسبين زوجتك ومايجرى مجراه ، بل ذلك إن قاله عن عزم فهو حرام ، وإن قاله من غير عزم فهو كذب . نعم إذا تعرض لوعيده بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه إلى حد معلوم يقتضيه الحال ، وله أن يزيد فى الوعيد على ماهو فى عزمه الباطن إذا علم أن ذلك يقمعه ويردعه . وليس ذلك من الكذب المحذور بل المبالغة فى مثل ذلك معتادة وهو معنى مبالغة الرجل فى إصلاحه بين شخصين وتأليفه بين الضرتين ، وذلك مما قد رخص فيه للحاجة وهذا فى معناه ، فإن القصد به إصلاح ذلك الشخص . وإلى هذا المعنى أشار بعض الناس أنه لا يقبح من الله أن يتوعد بما لا يفعل لأن الخلف فى الوعيد كرم ، وإنما يقبح أن يعد بما بما لا يفعل ، وهذا غير مرضى عندنا فإن الكلام القديم لا يتطرق إليه الخلف وعدا كان أو وعيدا ، وإنما يتصور هذا فى حق العباد ، وهو كذلك إذ الخلف فى الوعيد ليس بحرام .

الدرجة السابعة : مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح ، وذلك جائز للآحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة فى الدفع ، فإذا اندفع المنكر فينبغى أن يكف . والقاضى قد يرهق من ثبت عليه الحق إلى الأداء بالحبس ، فإن أصر المحبوس وعلم القاضى قدرته على أداء الحق وكونه معاندا فله أن يلزمه الأداء بالضرب على التدريج كما يحتاج إليه . وكذلك المحتسب يراعى التدريج فإن احتاج إلى شهر سلاح وكان يقدر على دفع المنكر بشهر السلاح وبالجرح فله أن يتعاطى ذلك مالم تثر فتنة . كما لو قبض فاسق مثلا على امرأة أو كان يضرب بمزمار

---

(١) حديث : تكسير الظروف التى فيها الخمور فى زمنه صلى الله عليه وسلم . أخرجه الترمذى من حديث أبى طلحة أنه قال : يانبى الله إنى اشتريت خمرا لأيتام فى حجرى قال « اهرق الخمر واكسر الدنان » وفيه ليث بن أبى سليم والأصح رواية السدى عن يحيى بن عباد عن أنس أن أبا طلحة كان عندى قاله الترمذى .

معه وبينه وبين المحتسب نهر حائل أو جدار مانع فيأخذ قوسه ويقول له : خل عنها أو لأرمينك . إن لم تخل عنها فله أن يرمى وينبغى أن لا يقصد المقتل بل الساق والفخذ وما أشبهه ويراعى فيه التدريج . وكذلك يسل سيفه ويقول اترك هذا المنكر أو لأضربنك . فكل ذلك دفع للمنكر ودفعه واجب بكل ممكن . ولا فرق فى ذلك بين ما يتعلق بخاص حق الله وما يتعلق بالآدميين .

وقالت المعتزلة : ما لا يتعلق بالآدميين فلا حسبة فيه إلا بالكلام أو بالضرب ولكن للإمام لا للآحاد .

الدرجة الثامنة : أن لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه إلى أعوان يشهرون السلاح . وربما يستمد الفاسق أيضا بأعوانه ويؤدى ذلك إلى أن يتقابل الصفان ويتقاتلا . . فهذا قد ظهر الاختلاف فى احتياجه إلى إذن الإمام . فقال قائلون : لا يستقل آحاد الرعية بذلك لأنه يؤدى إلى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد .

وقال آخرون : لا يحتاج إلى الإذن ـ وهو الأقيس ـ لأنه إذا جاز للآحاد الأمر بالمعروف وأوائل درجاته تجر إلى ثوان والثوانى إلى ثوالث . وقد ينتهى لا محالة إلى التضارب . والتضارب يدعو إلى التعاون فلا ينبغى أن يبالى بلوازم الأمر بالمعروف . ومنتهاه تجنيد الجنود فى رضا الله ودفع معاصيه . ونحن نجوز للآحاد من الغزاة أن يجتمعوا ويقاتلوا من أرادوا من فرق الكفار قمعا لأهل الكفر . فكذلك قمع أهل الفساد جائز لأن الكافر لا بأس بقتله والمسلم إن قتل فهو شهيد . فكذلك الفاسق المناضل عن فسقه لا بأس بقتله . والمحتسب المحق إن قتل مظلوما فهو شهيد . وعلى الجملة فانتهاء الأمر إلى هذا من النوادر فى الحسبة . فلا يغير به قانون القياس . بل يقال : كل من قدر على دفع منكر فله أن يدفع ذلك بيده وبسلاحه وبنفسه وبأعوانه . فالمسألة إذن محتملة ـ كما ذكرناه ـ فهذه درجات الحسبة فلنذكر آدابها والله الموفق .

باب آداب المحتسب

قد ذكرنا تفاصيل الآداب فى آحاد الدرجات . ونذكر الآن جملها ومصادرها فنقول جميع آداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات فى المحتسب : العلم . والورع . وحسن الخلق .

أما العلم : فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقتصر على حد الشرع فيه .

والورع : ليردعه عن مخالفة معلومة فما كل من علم عمل بعلمه . بل ربما يعلم أنه مسرف فى الحسبة وزائد على الحد المأذون فيه شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الأغراض . وليكن كلامه ووعظه مقبولا فإن الفاسق يهزأ به إذا احتسب ويورث ذلك جراءة عليه .

وأما حسن الخلق : فليتمكن به من اللطف والرفق وهو أصل الباب وأسبابه . والعلم والورع لا يكفيان فيه . فإن الغضب إذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع فى قمعه مالم يكن فى الطبع قبوله بحسن الخلق . وعلى التحقيق فلا يتم الورع إلا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب . وبه يصبر المحتسب على ما أصابه فى دين الله . وإلا فإذا أصيب عرضه أو ماله أو نفسه بشتم أو ضرب نسى الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه . بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم .

فهذه الصفات الثلاث بها تصير الحسبة من القربات وبها تندفع المنكرات . وإن فقدت لم يندفع المنكر . بل ربما كانت الحسبة أيضا منكرة لمجاوزة حد الشرع فيها ودل على هذه الآداب قوله صلى الله عليه وسلم « لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه فقيه

فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه [1] » وهذا يدل على أنه لا يشترط أن يكون فقيها مطلقا بل فيما يأمر به وينهى عنه وكذا الحلم . قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى : إذا كنت ممن يأمر بالمعروف فكن من آخذ الناس به وإلا هلكت وقد قيل :

لاتلم المرء على فعله وأنت منسوب إلى مثله
من ذم شيئا وأتى مثله فإنما يزرى على عقله

ولسنا نعنى بهذا أن الأمر بالمعروف يصير ممنوعا بالفسق ولكن يسقط أثره عن القلوب بظهور فسقه للناس . فقد روى عن أنس رضى الله عنه قال : قلنا يارسول الله لانأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله . فقال صلى الله عليه وسلم « بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله [2] » وأوصى بعض السلف بنيه فقال : إن أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مس الأذى ، فإذن من آداب الحسبة توطين النفس على الصبر . ولذلك قرن الله تعالى الصبر : بالأمر بالمعروف . فقال حاكيا عن لقمان ﴿ يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ﴾ .

ومن الآداب تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلائق حتى تزول عنه المداهنة فقد روى عن بعض المشايخ أنه كان له سنور وكان يأخذ من قصاب فى جواره كل يوم شيئا من الغدد لسنوره فرأى على القصاب منكرا ، فدخل الدار أولا وأخرج السنور ، ثم جاء واحتسب على القصاب فقال له القصاب : لا اعطينك بعد هذا شيئا لسنورك ، فقال : ما احتسبت عليك إلا بعد إخراج السنور وقطع الطمع منك . وهو كما قال فمن لم يقطع الطمع من الخلق لم يقدر على الحسبة ومن طمع فى أن تكون قلوب الناس عليه طيبة وألسنتهم بالثناء عليه مطلقة لم تتيسر له الحسبة . قال كعب الأحبار لأبى مسلم الخولانى : كيف منزلتك بين قومك ؟ قال : حسنة ، قال : إن التوراة تقول ، إنّ الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه . فقال أبو مسلم : صدقت التوراة وكذب أبو مسلم .

ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المأمون إذ وعظه واعظ وعنف له فى القول فقال : يارجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر منى وأمره بالرفق فقال تعالى ﴿فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أويخشى﴾ فليكن اقتداء المحتسب فى الرفق بالأنبياء صلوات الله عليهم . فقد روى أبو أمامة : أنّ غلاما شابا أتى النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فقال : يانبى الله تأذن لى فى الزنا ؟ فصاح الناس به ، فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم « قربوه ادن » فدنا حتى جلس بين يديه فقال النبى عليه الصلاة والسلام « أتحبه لأمك ؟ » فقال : لاجعلنى الله فداك ، قال « كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم أتحبه لابنتك ؟ » قال : لاجعلنى الله فداك ، قال « كذلك الناس لايحبونه لبناتهم أتحبه لأختك ؟ [3] » وزاد ابن عوف حتى ذكر العمة والخالة وهو يقول فى كل واحد : لا ،

---

(١) حديث « لايأمر بالمعروف ولاينهى عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه ... الحديث » لم أجده هكذا وللبيهقى فى الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف » .

(٢) حديث أنس : قلنا يارسول الله لانأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله ، فقال صلى الله عليه وسلم « بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله » أخرجه الطبرانى فى المعجم الصغير والأوسط وفيه عبد القدوس بن حبيب أجمعوا على تركه . (٣) حديث أبى أمامة : أن شابا قال : يارسول الله ائذن لى فى الزنا فصاح الناس به ... الحديث . رواه أحمد بإسناد جيد رجاله رجال الصحيح .

جعلنى الله فداك . وهو صلى الله عليه وسلم يقول « كذلك الناس لايحبونه » وقالا جميعا فى حديثهما أعنى ابن عوف والراوى الآخر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال « اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه » فلم يكن شىء أبغض إليه منه يعنى من الزنا .

وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله : إن سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال الفضيل : ماأخذ منهم إلا دون حقه ، ثم خلا به وعذله ووبخه فقال سفيان : يا أبا على إن لم نكن من الصالحين فإنا لنحب الصالحين . وقال حماد ابن سلمة : إنّ صلة بن أشيم مر عليه رجل قد أسبل إزاره فهم أصحابه أن يأخذوه بشدّة فقال : دعونى أنا أكفيكم ، فقال : ياابن أخى إنّ لى إليك حاجة قال : وماحاجتك ياعم ؟ قال : أحب أن ترفع من إزارك . فقال : نعم وكرامة ، فرفع إزاره فقال لأصحابه : لو أخذتموه بشدّة لقال : لا ولا كرامة وشتمكم . وقال محمد بن زكريا الغلابى : شهدت عبدالله بن محمد بن عائشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله ، وإذا فى طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امرأة فجذبها فاستغاثت فاجتمع الناس عليه يضربونه ، فنظر إليه ابن عائشة فعرفه فقال للناس : تنحوا عن ابن أخى ، ثم قال : إلى ياابن أخى ؛ فاستحى الغلام فجاء إليه فضمه إلى نفسه ، ثم قال له : امض معى ، فمضى معه حتى صار إلى منزله فأدخله الدار وقال لبعض غلمانه : بيته عندك فإذا أفاق من سكره فأعلمه بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى تأتينى به فلما أفاق ذكر له ما جرى فاستحيا منه وبكى وهم بالانصراف ؛ فقال الغلام : قد أمر أن تأتيه ؛ فأدخله عليه فقال له . أما استحييت لنفسك ؟ أما أستحييت لشرفك ؟ أما ترى من ولدك ؟ فاتق الله وانزع عما أنت فيه فبكى الغلام منكسا رأسه ثم رفع رأسه وقال : عاهدت الله تعالى عهداً يسألنى عنه يوم القيامة أنى لاأعود لشرب النبيذ ولا لشىء مما كنت فيه وأنا تائب ، فقال : ادن منى ، فقبل رأسه وقال أحسنت يابنى فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب عنه الحديث : وكان ذلك ببركة رفقه ثم قال : إنّ الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويكون معروفهم منكرا فعليكم بالرفق فى جميع أموركم تنالون به ما تطلبون . وعن الفتح بن شخرف قال : تعلق رجل بامرأة وتعرض لها وبيده سكين لايدنو منه أحد إلا عقره ، وكان الرجل شديد البدن ؛ فبينا الناس كذلك والمرأة تصيح فى يده إذ مر بشر بن الحارث فدنا منه وحك كتفه بكتف الرجل فوقع الرجل على الأرض ؛ ومشى بشر فدنوا من الرجل وهو يترشح عرقا كثيرا ومضت المرأة لحالها فسألوه ماحالك ؟ فقال : ماأدرى ! ولكن حاكنى شيخ وقال لى : إن الله عز وجل ناظر إليك وإلى ماتعمل ؛ فضعفت لقوله قدماى وهبته هيبة شديدة ولا أدرى من ذلك الرجل ؟ فقالوا له : هو بشر بن الحارث ، فقال : واسوأتاه كيف ينظر إلى بعد اليوم ؟ وحم الرجل من يومه ومات يوم السابع ، فكذا كانت عادة أهل الدين فى الحسبة . وقد نقلنا فيها آثاراً وأخبارا فى باب البغض فى الله والحب فى الله من كتاب آداب الصحبة فلانطول بالإعادة . فهذا تمام النظر فى درجات الحسبة وآدابها والله الموفق بكرمه والحمد لله على جميع نعمه .

الباب الثالث : فى المنكرات المألوفة فى العادات

فنشير إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها إذ لامطمع فى حصرها واستقصائها

فمن ذلك منكرات المساجد

أعلم أنّ المنكرات تنقسم إلى مكروهة وإلى محظورة ، فإذا قلنا : هذا منكر مكروه . فاعلم أن المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بحرام ، إلا إذا لم يعلم الفاعل أنه مكروه فيجب ذكره له لأن الكراهة حكم فى الشرع

يجب تبليغه إلى من لايعرفه . وإذا قلنا منكر محظور ، أوقلنا منكر مطلقا ، فنريد به المحظور ويكون السكوت عليه مع القدرة محظورا .

فما يشاهد كثيرا فى المساجد إساءة الصلاة بترك الطمأنينة فى الركوع والسجود وهو منكر مبطل للصلاة بنص الحديث فيجب النهى عنه إلا عند الحنفى الذى يعتقد أن ذلك لايمنع صحة الصلاة ، إذ لا ينفع النهى معه . ومن رأى مسيئا فى صلاته فسكت عليه فهو شريكه . هكذا ورد به الأثر . وفى الخبر مايدل عليه ، إذ ورد فى الغيبة أن المستمع شريك القائل [1] وكذلك كل ما يقدح فى صحة الصلاة من نجاسة على ثوبه لايراها ، أو انحراف عن القبلة بسبب ظلام أو عمى فكل ذلك تجب الحسبة فيه .

ومنها قراءة القرآن باللحن يجب النهى عنه ويجب تلقين الصحيح . فإن كان المعتكف فى المسجد يضيع أكثر أوقاته فى أمثال ذلك ويشتغل به عن التطوع والذكر فليشتغل به ، فإن هذا أفضل له من ذكره وتطوعه ، لأن هذا فرض وهى قربة تتعدى فائدتها ، فهى أفضل من نافلة تقتصر عليه فائدتها . وإن كان ذلك يمنعه عن الوراقة مثلا أو عن الكسب الذى هو طعمته ، فإن كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يجز له ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا ، وإن احتاج إلى الكسب لقوت يومه فهو عذر له فيسقط الوجوب عنه لعجزه والذى يكثر اللحن فى القرآن إن كان قادرا على التعلم فليمتنع من القراءة قبل التعلم فإنه عاص به ، وإن كان لا يطاوعه اللسان فإن كان أكثر مايقرؤه لحنا فليتركه وليجتهد فى تعلم الفاتحة وتصحيحها ، وإن كان الأكثر صحيحاً وليس يقدر على التسوية فلا بأس له أن يقرأ ، ولكن ينبغى أن يخفض به الصوت حتى لايسمع غيره . ولمنعه سرامنه أيضاً وجه ولكن إذا كان ذلك منتهى قدرته وكان له أنس بالقراءة وحرص عليها فلست أرى به بأسا والله أعلم .

ومنها تراسل المؤذنين فى الأذان وتطويلهم بمد كلماته وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر فى الحيعلتين ، أو انفراد كل واحد منهم بأذان ولكن من غير توقف إلى انقطاع أذان الآخر ، بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الأذان لتداخل الأصوات . فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريفها . فإن صدرت عن معرفة فيستحب المنع منها والحسبة فيها . وكذلك إذا كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغى أن يمنع من الأذان بعد الصبح ، فذلك مشوش للصوم والصلاة على الناس إلا إذا عرف أنه يؤذن قبل الصبح حتى لا يعول على أذانه فى صلاة وترك سحور ، أو كان معه مؤذن آخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح .

ومن المكروهات أيضا تكثير الأذان مرة بعد أخرى بعد طلوع الفجر فى مسجد واحد فى أوقات متعاقبة متقاربة ، إمامن واحد أوجماعة ، فإنه لافائدة فيه ، إذا لم يبق فى المسجد نائم ولم يكن الصوت مما يخرج عن المسجد حتى ينبه غيره فكل ذلك من المكروهات المخالفة لسنة الصحابة والسلف .

ومنها أن يكون الخطيب لابسا لثوب أسود يغلب عليه الإبريسم ، أو ممسكا لسيف مذهب فهو فاسق والإنكار عليه واجب ، وأما مجرد السواد فليس بمكروه لكنه ليس بمحبوب إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البيض . ومن قال إنه مكروه وبدعة أراد به أنه لم يكن معهودا فى العصر الأول ، ولكن إذا لم يرد فيه نهى فلا ينبغى أن يسمى بدعة ومكروها ولكنه ترك للأحب .

الباب الثالث : فى المنكرات المألوفة

(١) حديث « المغتاب والمستمع شريكان فى الإثم » تقدم فى الصوم .

ومنها كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة . فالقاص إن كان يكذب فى أخباره فهو فاسق والإنكار عليه واجب ، وكذا الواعظ المبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه إلا على قصد إظهار الرد عليه ؛ إما للكافة إن قدر عليه أو لبعض الحاضرين حواليه فإن لم يقدر فلا يجوز سماع البدع . قال الله تعالى لنبيه ﴿ فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ﴾ ومهما كان كلامه مائلا إلى الإرجاء وتجرئة الناس على المعاصى ، وكان الناس يزدادون بكلامه جراءة وبعفو الله وبرحمته وثوقا يزيد بسببه رجاؤهم على خوفهم فهو منكر ، ويجب منعه عنه لأن فساد ذلك عظيم ، بل لو رجح خوفهم على رجائهم فذلك أليق وأقرب بطباع الخلق فإنهم إلى الخوف أحوج وإنما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال عمر رضى الله عنه : لو نادى مناد يوم القيامة ؛ ليدخل النار كل الناس إلا رجلا واحداً لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ، ولو نادى مناد ؛ ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلا واحدا ، لخفت أن أكون أنا ذلك الرجل . ومهما كان الواعظ شابا متزينا للنساء فى ثيابه وهيئته كثير الأشعار والإشارات والحركات وقد حضر مجلسه النساء فهذا منكر يجب المنع منه ، فإن الفساد فيه أكثر من الصلاح ، ويتبين ذلك منه بقرائن أحواله ، بل لاينبغى أن يسلم الوعظ إلا لمن ظاهره الورع وهيئته السكينة والوقار وزيه زى الصالحين ، وإلا فلا يزداد الناس به إلا تماديا فى الضلال . ويجب أن يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فإن ذلك أيضاً مظنة الفساد ، والعادات تشهد لهذه المنكرات ، ويجب منع النساء من حضور المساجد للصلوات ومجالس الذكر إذا خيفت الفتنة بهن فقد منعتهن عائشة رضى الله عنها فقيل لها : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنعهن من الجماعات ، فقالت : لو علم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما أحدثن بعده لمنعهن [1] وأما اجتياز المرأة فى المسجد مستترة فلا تمنع منه إلا أن الأولى أن لا تتخذ المسجد مجازاً أصلا . وقراءة القراء بين يدى الوعاظ مع التمديد والألحان على وجه يغير نظم القرآن ، ويجاوز حد التنزيل منكر مكروه شديد الكراهة أنكره جماعة من السلف .

ومنها الحلق يوم الجمعة لبيع الأدوية والأطعمة والتعويذات ، وكقيام السؤال وقراءتهم القرآن وإنشادهم الأشعار وما يجرى مجراه ، فهذه الأشياء منها ما هو محرم لكونه تلبيسا وكذبا ، كالكذابين من طرقية الأطباء وكأهل الشعبذة والتلبيسات وكذا أرباب التعويذات فى الأغلب يتوصلون إلى بيعها بتلبيسات على الصبيان والسوادية فهذا حرام فى المسجد وخارج المسجد ويجب المنع منه . بل كل بيع فيه كذب وتلبيس وإخفاء عيب على المشترى فهو حرام .

ومنها ماهو مباح خارج المسجد كالخياطة وبيع الأدوية والكتب والأطعمة ، فهذا فى المسجد أيضا لا يحرم إلا بعارض وهو أن يضيق المحل على المصلين ويشوش عليهم صلاتهم ، فإن لم يكن شىء من ذلك فليس بحرام والأولى تركه ولكن شرط إباحته أن يجرى فى أوقات نادرة وأيام معدودة ، فإن اتخاذ المسجد دكانا على الدوام حرم ذلك ومنع منه . فمن المباحات مايباح بشرط القلة فإن كثر صار صغيرة . كما أن من الذنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الإصرار فإن كان القليل من هذا لو فتح بابه لخيف منه أن ينجر إلى الكثير فليمنع منه ، وليكن هذا المنع إلى الوالى أو إلى القيم بمصالح المسجد من قبل الوالى لأنه لا يدرك ذلك بالاجتهاد ، وليس للآحاد المنع مما هو مباح فى نفسه لخوفه أن ذلك يكثر .

---

(١) حديث عائشة : لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدثن — أى النساء — من بعده لمنعهن المساجد . متفق عليه .

ومنها دخول المجانين والصبيان والسكارى فى المسجد ، ولا بأس بدخول الصبى المسجد إذا لم يلعب ، ولا يحرم عليه اللعب فى المسجد ولا السكوت على لعبه إلا إذا اتخذ المسجد ملعبا وصار ذلك معتاداً فيجب المنع منه ، فهذا مما يحل قليله دون كثيره ، ودليل حل قليله ماروى فى الصحيحين « أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقف لأجل عائشة رضى الله عنها حتى نظرت إلى الحبشة يزفنون ويلعبون بالدرق والحراب يوم العيد فى المسجد ، ولا شك فى أن الحبشة لو اتخذوا المسجد ملعباً لمنعوا منه ، ولم ير ذلك على الندرة والقلة منكراً حتى نظر إليه ، بل أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبصرهم عائشة تطييبا لقلبها إذ قال دونكم « يابنى أرفدة » كما نقلناه فى كتاب السماع . وأما المجانين فلا بأس بدخولهم المسجد إلا أن يخشى تلويثهم له ، أو شتمهم أو نطقهم بما هو فحش ، أو تعاطيهم لما هو منكر فى صورته ككشف العورة وغيره . وأما المجنون الهادئ الساكن الذى قد علم بالعادة سكونه وسكوته فلا يجب إخراجه من المسجد . والسكران فى معنى المجنون فإن خيف منه القذف ـ أعنى القىء ـ أو الإيذاء باللسان وجب إخراجه . وكذا لو كان مضطرب العقل فإنه يخاف ذلك منه ، وإن كان قد شرب ولم يسكر والرائحة منه تفوح فهو منكر مكروه شديد الكراهة . وكيف لا ومن أكل الثوم والبصل (*) فقد نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حضور المساجد ؟ ولكن يحمل ذلك على الكراهة والأمر فى الخمر أشد .

* فإن قال قائل : ينبغى أن يضرب السكران ويخرج من المسجد زجرا . قلنا : لا ، بل ينبغى القعود فى المسجد ويدعى إليه ويؤمر بترك الشرب مهما كان فى الحال عاقلا ، فأما ضربه للزجر فليس ذلك إلى الآحاد بل هو إلى الولاة وذلك عند إقراره أو شهادة شاهدين ، فاما لمجرد الرائحة فلا . نعم إذا كان يمشى بين الناس متمايلا بحيث يعرف سكره فيجوز ضربه فى المسجد وغير المسجد منعا له عن إظهار أثر السكر ، فإن إظهار أثر الفاحشة فاحشة . والمعاصى يجب تركها ، وبعد الفعل يجب سترها وستر آثارها ، فإن كان مستترا مخفيا لأثره فلا يجوز أن يتجسس عليه . والرائحة قد تفوح من غير شرب ، بالجلوس فى موضع الخمر وبوصوله إلى الفم دون الابتلاع ، فلا ينبغى أن يعول عليه .

منكرات الأسواق

من المنكرات المعتادة فى الأسواق الكذب فى المرابحة ، وإخفاء العيب . فمن قال : اشتريت هذه السلعة مثلا بعشرة وأربح فيها كذا وكان كاذبا فهو فاسق . وعلى من عرف ذلك أن يخبر المشترى بكذبه ، فإن سكت مراعاة لقلب البائع كان شريكا له فى الخيانة وعصى بسكوته . وكذا إذا علم به عيبا فيلزمه أن ينبه المشترى عليه وإلا كان راضيا بضياع مال أخيه المسلم وهو حرام وكذا التفاوت فى الذراع والمكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه أو رفعه إلى الوالى حتى يغيره .

ومنها ترك الإيجاب والقبول والاكتفاء بالمعاطاة ، ولكن ذلك فى محل الاجتهاد فلا ينكر إلا على من اعتقد وجوبه . وكذا فى الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الإنكار فيها فإنها مفسدة للعقود . وكذا فى الربويات كلها وهى غالبة . وكذا سائر التصرفات الفاسدة .

ومنها بيع الملاهى وبيع أشكال الحيوانات المصورة فى أيام العيد لأجل الصبيان ، فتلك يجب كسرها والمنع من بيعها كالملاهى وكذلك بيع الأوانى المتخذة من الذهب والفضة وكذلك بيع ثياب الحرير ، وقلانس

(*) هذا الحديث لم يخرجه العراقى وقد خرجه الشارح عن البخارى ومسلم وغيرهما

الذهب والحرير أعنى التى لاتصلح إلا للرجال ، أو يعلم بعادة البلد أنه لايلبسه إلا الرجال ، فكل ذلك منكر محظور وكذلك من يعتاد بيع الثياب المبتذلة المقصورة التى يلبس على الناس بقصارتها وابتذالها ويزعم أنها جديدة فهذا الفعل حرام والمنع منه واجب . وكذلك تلبيس انخراق الثياب بالرفو وما يؤدى إلى الالتباس . وكذلك جميع أنواع العقود المؤدية إلى التلبيسات وذلك يطول إحصاؤه . فليقس بما ذكرناه مالم نذكره .

منكرات الشوارع

فمن المنكرات المعتادة فيها : وضع الاسطوانات ، وبناء الدكات متصلة بالأبنية المملوكة . وغرس الأشجار ، وإخراج الرواشن والأجنحة ، ووضع الخشب وأحمال الحبوب والأطعمة على الطرق ، فكل ذلك منكر إن كان يؤدى إلى تضييق الطرق واستضرار المارة وإن لم يؤد إلى ضرر أصلا لسعة الطريق فلا يمنع منه نعم يجوز وضع الحطب وأحمال الأطعمة فى الطريق فى القدر الذى ينقل إلى البيوت ، فإن ذلك يشترك فى الحاجة إليه الكافة ولا يمكن المنع منه . وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق وينجس المجتازين منكر يجب المنع منه إلا بقدر حاجة النزول والركوب . وهذا لأن الشوارع مشتركة المنفعة وليس لأحد أن يختص بها إلا بقدر الحاجة والمرعى هو الحاجة التى ترد الشوارع لأجلها فى العادة دون سائر الحاجات .

ومنها سوق الدواب وعليها الشوك بحيث يمزق ثياب الناس فذلك منكر إن أمكن شدها وضمها بحيث لاتمزق ، أو أمكن العدول بها إلى موضع واسع ، وإلا فلا منع إذ حاجة أهل البلد تمس إلى ذلك . نعم لاتترك ملقاة على الشوارع إلا بقدر مدة النقل . وكذلك تحميل الدواب من الأحمال مالاتطيقه منكر يجب منع الملاك منه . وكذلك ذبح القصاب إذا كان يذبح فى الطريق حذاء باب الحانوت ويلوث الطريق بالدم فإنه منكر يمنع منه ، بل حقه أن يتخذ فى دكانه مذبحا فإن فى ذلك تضييقا بالطريق وإضراراً بالناس بسبب ترشيش النجاسة ، وبسبب استقذار الطباع للقاذورات : وكذلك طرح القمامة على جواد الطرق ، وتبديد قشور البطيخ . أو رش الماء بحيث يخشى منه التزلق والتعثر كل ذلك من المنكرات وكذلك إرسال الماء من الميازيب المخرجة من الحائط فى الطريق الضيقة فإن ذلك ينجس الثياب . أو يضيق الطريق ، فلا يمنع منه فى الطرق الواسعة إذ العدول عنه ممكن فأما ترك مياه المطر والأوحال والثلوج فى الطرق من غير كسح فذلك منكر ، ولكن ليس يختص به شخص معين ، إلا الثلج الذى يختص بطرحه على الطريق واحد ، والماء الذى يجتمع على الطريق من ميزاب معين ، فعلى صاحبه على الخصوص كسح الطريق ، إن كان من المطر فذلك حسبة عامة فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها ، وليس للآحاد فيها إلا الوعظ فقط وكذلك إذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذى الناس فيجب منعه منه ، وإن كان لا يؤذى إلا بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه ، وإن كان يضيق الطريق ببسطه ذراعيه فيمنع منه ، بل يمنع صاحبه من أن ينام على الطريق أو يقعد قعودا يضيق الطريق ، فكلبه أولى بالمنع .

منكرات الحمامات

منها الصورة التى تكون على باب الحمام أو داخل الحمام يجب إزالتها على كل من يدخلها إن قدر ، فإن كان الموضع مرتفعا لاتصل إليه يده فلا يجوز له الدخول إلا لضرورة فليعدل إلى حمام آخر . فإن مشاهدة المنكر غير جائزة ويكفيه أن يشوه وجهها ويبطل به صورتها ولا يمنع من صور الأشجار وسائر النقوش سوى صورة الحيوان .

ومنها كشف العورات والنظر إليها . ومن جملتها كشف الدلاك عن الفخذ وماتحت السرة لتنحية الوسخ بل من جملتها إدخال اليد تحت الإزار فإن مس عورة الغير حرام كالنظر إليها .

ومنها الانبطاح على الوجه بين يدى الدلاك لتغميز الأفخاذ والأعجاز ، فهذا مكروه إن كان مع حائل ولكن لايكون محظورا إذا لم يخش من حركة الشهوة . وكذلك كشف العورة للحجام الذى من الفواحش . فإن المرأة لايجوز لها أن تكشف بدنها للذمية فى الحمام فكيف يجوز لها كشف العورات للرجال ؟

ومنها غمس اليد والأوانى النجسة فى المياه القليلة ، وغسل الإزار والطاس النجس فى الحوض وماؤه قليل ؛ فإنه منجس للماء ، إلا على مذهب مالك فلا يجوز الإنكار فيه على المالكية ويجوز على الحنفية والشافعية وإن اجتمع مالكى وشافعى فى الحمام فليس للشافعى منع المالكى من ذلك إلا بطريق الالتماس واللطف ؛ وهو أن يقول له : إنا نحتاج أن نغسل اليد أولا ثم نغمسها فى الماء ، وأما أنت فستغن عن إيذائى وتفويت الطهارة على ، وما يجرى مجرى هذا ، فإن مظان الاجتهاد لايمكن الحسبة فيها بالقهر .

ومنها أن يكون فى مداخل بيوت الحمام ومجارى مياهها حجارة ملساء مزلقة يزلق عليها الغافلون فهذا منكر ، ويجب قلعه وإزالته وينكر على الحمامى إهماله فإنه يفضى إلى السقطة ؛ وقد تؤدى السقطة إلى انكسار عضو أو انخلاعه وكذلك ترك السدر والصابون المزلق على أرض الحمام منكر ؛ ومن فعل ذلك وخرج وتركه فزلق به إنسان وانكسر عضو من أعضائه ، وكان ذلك فى موضع لا يظهر فيه بحيث يتعذر الاحتراز عنه فالضمان متردد بين الذى تركه وبين الحمامى ، إذ حقه تنظيف الحمام ، والوجه إيجاب الضمان على تاركه فى اليوم الأول ، وعلى الحمامى فى اليوم الثانى إذ عادة تنظيف الحمام كل يوم معتادة ، والرجوع فى مواقيت إعادة التنظيف إلى العادات ، فليعتبر بها . وفى الحمام أمور أخر مكروهة ذكرناها فى كتاب الطهارة فلتنظر هناك .

منكرات الضيافة

فمنها فرش الحرير للرجال فهو حرام . وكذلك تبخير البخور فى مجمرة فضة أو ذهب ، أو الشراب أو استعمال ماء الورد فى أوانى الفضة أو ما رءوسها من فضة .

ومنها إسدال الستور وعليها الصور .

ومنها سماع الأوتار أو سماع القينات .

ومنها اجتماع النساء على السطوح للنظر إلى الرجال مهما كان فى الرجال شباب يخاف الفتنة منهم ، فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره . ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج ، ومن لم يجز له الجلوس فلا رخصة له فى الجلوس فى مشاهدة المنكرات . وأما الصور التى على النمارق والزرابى المفروشة فليس منكرا . وكذلك على الأطباق والقصاع ، لا الأوانى المتخذة على شكل الصور ، فقد تكون رءوس بعض المجامر على شكل طير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه . وفى المكحلة الصغيرة من الفضة خلاف ، وقد خرج أحمد بن حنبل عن الضيافة بسببها . ومهما كان الطعام حراما ، أو كان الموضع مغصوبا أو كانت الثياب المفروشة حراما فهو من أشد المنكرات ، فإن كان من فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلايجوز الحضور ، إذ لايحل حضور مجالس الشرب وإن كان مع ترك الشرب ، ولايجوز مجالسة الفاسق فى حالة مباشرته للفسق ، وإنما النظر فى مجالسته بعد ذلك ، وأنه هل يجب بغضه فى الله ومقاطعته كما ذكرناه فى باب الحب والبغض فى الله ؟ وكذلك إن كان فيهم من يلبس الحرير أو خاتم الذهب فهو فاسق لايجوز

الجلوس معه من غير ضروره . فإن كان الثوب على صبي غير بالغ فهذا فى محل النظر . والصحيح أن ذلك منكر ويجب نزعه عنه إن كان مميزا لعموم قوله عليه السلام « هذان حرام على ذكور أمتى [1] » وكما يجب منع الصبي من شرب الخمر ـ لا لكونه مكلفاً ، لكن لأنه يأنس به ، فإذا بلغ عسر عليه الصبر عنه ـ فكذلك شهوة التزين بالحرير تغلب عليه إذا اعتاده ، فيكون ذلك بذرا للفساد يبذر فى صدره ، فتنبت منه شجرة من الشهوة راسخة يعسر قلعها بعد البلوغ . أما الصبي الذى لا يميز فيضعف معنى التحريم فى حقه ولا يخلو عن احتمال والعلم عند الله فيه والمجنون فى معنى الصبى الذى لا يميز ، نعم يحل التزين بالذهب والحرير للنساء من غير إسراف . ولا أرى رخصة فى تثقيب أذن الصبية لأجل تعليق حلق الذهب فيها ، فإن هذا جرح مؤلم ومثله موجب للقصاص فلا يجوز الا لحاجة مهمة كالفصد والحجامة والختان : والتزين بالحلق غير مهم بل فى التفريط بتعليقه على الأذن وفى المخانق والأسورة كفاية عنه . فهذا وإن كان معتادا فهو حرام والمنع منه واجب ، والاستئجار عليه غير صحيح ، والأجرة المأخوذة عليه حرام ؛ إلا أن يثبت من جهة النقل فيه رخصة ، ولم يبلغنا إلى الآن فيه رخصة .

ومنها أن يكون فى الضيافة مبتدع يتكلم فى بدعته ، فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرد ؛ فإن كان لا يقدر عليه لم يجز فان كان المبتدع لا يتكلم ببدعته فيجوز الحضور مع اظهار الكراهة عليه والاعراض عنه كما ذكرناه فى باب البغض فى الله . وإن كان فيها مضحك بالحكايات وأنواع النوادر فإن كان يضحك بالفحش والكذب لم يجز الحضور وعند الحضور يجب الإنكار عليه ، وإن كان ذلك بمزح لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح ـ أعنى ما يقل منه ـ فأما اتخاذه صنعة وعادة فليس بمباح . وكل كذب لا يخفى أنه كذب ولا يقصد به التلبيس فليس من جملة المنكرات ، كقول الإنسان مثلا : طلبتك اليوم مائة مرة ، وأعدت عليك الكلام ألف مرة ؛ وما يجرى مجراه مما يعلم أنه ليس يقصد به التحقيق فذلك لا يقدح فى العدالة ولا ترد الشهادة به . وسيأتى حد المزاح المباح والكذب المباح فى كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات .

ومنها الإسراف فى الطعام والبناء فهو منكر ، بل فى المال منكران ؛ أحدهما . الإضاعة . والآخر : الإسراف .

فالإضاعة : تفويت مال بلا فائدة يعتد بها كإحراق الثوب وتمزيقه ، وهدم البناء من غير غرض . والقاء المال فى البحر ، وفى معناه صرف المال إلى النائحة والمطرب ، وفى أنواع الفساد لأنها فوائد محرمة شرعا فصارت كالمعدومة .

وأما الإسراف : فقد يطلق لإرادة صرف المال إلى النائحة والمطرب والمنكرات ، وقد يطلق على الصرف إلى المباحات فى جنسها ولكن مع المبالغة .

والمبالغة تختلف بالإضافة إلى الأحوال فنقول : من لم يملك إلا مائة دينار مثلا ومعه عياله وأولاده ولا معيشة لهم سواه فأنفق الجميع فى وليمة فهو مسرف يجب منعه قال تعالى ﴿ ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ﴾ نزل هذا فى رجل بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيئا لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر على شىء وقال تعالى ﴿ ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ﴾ وكذلك قال عز وجل ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ﴾ فمن يسرف هذا الإسراف ينكر عليه ويجب على القاضى أن يحجر عليه ؛ إلا إذا كان الرجل وحده وكان له قوة فى التوكل صادقة ؛ فله أن ينفق جميع ماله فى أبواب البر . ومن له عيال أو كان عاجزا عن التوكل فليس له أن يتصدق

---

(١) حديث « هذا حرامان على ذكور أمتى » أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث على وقد تقدم فى الباب الرابع من آداب الأكل .

بجميع ماله . وكذلك لو صرف جميع ماله إلى نقوش حيطانه وتزيين بنيانه فهو أيضا إسراف محرم ، وفعل ذلك من له مال كثير ليس بحرام لأن التزيين من الأغراض الصحيحة ، ولم تزل المساجد تزين وتنقش أبوابها وسقوفها مع أن نقش الباب والسقف لا فائدة فيه إلا مجرد الزينة ، فكذا الدور ، وكذلك القول فى التجمل بالثياب والأطعمة فذلك مباح فى جنسه ، ويصير إسرافا باعتبار حال الرجل وثروته : وأمثال هذه المنكرات كثيرة لا يمكن حصرها . فقس بهذه المنكرات المجامع ومجالس القضاة ودواوين السلاطين ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية وخانات الأسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه أو محذور ، واستقصاء جميع المنكرات يستدعى استيعاب جميع تفاصيل الشرع أصولها وفروعها فلنقتصر على هذا القدر منها .

المنكرات العامة

اعلم أن كل قاعد فى بيته ـ أينما كان ـ فليس خاليا فى هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن إرشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف ، فأكثر الناس جاهلون بالشرع فى شروط الصلاة فى البلاد فكيف فى القرى والبوادى ؟ ومنهم الأعراب والأكراد والتركمانية وسائر أصناف الخلق ، وواجب أن يكون فى مسجد ومحلة من البلد فقيه يعلم الناس دينهم وكذا فى كل قرية وواجب على كل فقيه ـ فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية ـ أن يخرج إلى من يجاور بلده من أهل السواد ومن العرب والأكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ، ويستصحب مع نفسه زادا يأكله ولا يأكل من أطعمتهم فإن أكثرها مغصوب ، فإن قام بهذا الأمر واحد سقط الحرج عن الآخرين وإلا عم الحرج الكافة أجمعين .

أما العالم فلتقصيره فى الخروج . وأما الجاهل فلتقصيره فى ترك التعلم .

وكل عامى عرف شروط الصلاة فعليه أن يعرف غيره وإلا فهو شريك فى الإثم . ومعلوم أن الإنسان لا يولد عالما بالشرع وإنما يجب التبليغ على أهل العلم ، فكل من تعلم مسألة واحدة فهو من أهل العلم بها . ولعمرى الإثم على الفقهاء أشد لأن قدرتهم فيه أظهر وهو بصناعتهم أليق : لأن المحترفين لو تركوا حرفتهم لبطلت المعايش فهم قد تقلدوا أمرا لابد منه فى صلاح الخلق . وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن العلماء هم ورثة الأنبياء . وللإنسان أن يقعد فى بيته ولا يخرج إلى المسجد لأنه يرى الناس لا يحسنون الصلاة ، بل إذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهى . وكذا كل من تيقن أن فى السوق منكرا يجرى على الدوام أو فى وقت بعينه وهو قادر على تغييره فلا يجوز له أن يسقط ذلك عن نفسه بالقعود فى البيت ، بل يلزمه الخروج ، فإن كان لا يقدر على تغيير الجميع وهو محترز عن مشاهدته ويقدر على البعض لزمه الخروج ، لأن خروجه إذا كان لأجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضره مشاهدة ما لا يقدر عليه ، وإنما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر من غير غرض صحيح فحق على كل مسلم أن يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ، ثم يعلم ذلك أهل بيته ، ثم يتعدى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه ، ثم إلى أهل محلته ، ثم إلى أهل بلده ثم إلى أهل السوادى المكتنف ببلده ، ثم إلى أهل البوادى من الأكراد والعرب وغيرهم ، وهكذا إلى أقصى العالم ، فإن قام به الأدنى سقط عن الأبعد وإلا حرج به على كل قادر عليه قريبا كان أو بعيدا ، ولا يسقط الحرج ما دام يبقى على وجه الأرض جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر على أن يسعى إليه بنفسه أو بغيره فيعلمه فرضه ، وهذا شغل شاغل لمن يهمه أمر دينه يشغله عن تجزئة الأوقات فى التفريعات النادرة والتعمق فى دقائق العلوم التى هى من فروض الكفايات ولا يتقدم على هذا إلا فرض عين أو فرض كفاية هو أهم منه .

الباب الرابع : فى أمر الأمراء والسلاطين ونهيهم عن المنكر

قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف وأن أوله التعريف ، وثانيه والوعظ ، وثالثه التخشين فى القول ، ورابعه المنع بالقهر فى الحمل على الحق بالضرب والعقوبة . والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتان الأوليان وهما : التعريف والوعظ . وأما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعية مع السلطان ، فإن ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ، ويكون مايتولد منه من المحذور أكثر ، وأما التخشين فى القول كقوله : ياظالم يامن لايخاف الله وما يجرى مجراه فذلك إن كان يحرك فتنة يتعدى شرها إلى غيره لم يجز ، وإن كان لا يخاف إلا على نفسه فهو جائز بل مندوب إليه . فلقد كان من عادة السلف التعرض للأخطار والتصريح بالإنكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لأنواع العذاب لعلمهم بأن ذلك شهادة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير الشهداء حمزة بن عبدالمطلب ثم رجل قام إلى إمام فأمره ونهاه فى ذات الله تعالى فقتله على ذلك [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر [2] » ووصف النبى صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال « قرن من حديد لا تأخذه فى الله لومة لائم وتركه قوله الحق ماله من صديق [3] » ولما علم المتصلبون فى الدين أن أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر ، وأن صاحب ذلك إذا قتل فهو شهيد كما وردت به الأخبار ، قدموا على ذلك موطنين أنفسهم على الهلاك ومحتملين أنواع العذاب وصابرين عليه فى ذات الله تعالى ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله . وطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مانقل علماء السلف ، وقد أوردنا جملة من ذلك فى باب الدخول على السلاطين فى كتاب الحلال والحرام ، ونقتصر الآن على حكايات يعرف وجه الوعظ وكيفية الإنكار عليهم .

فمنها ماروى من إنكار أبى بكر الصديق رضى الله عنه على أكابر قريش حين قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوء . وذلك ماروى عن عروة رضى الله عنه قال : قلت لعبد الله بن عمرو ما أكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عدواته : فقال : حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما فى الحجر فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : مارأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل سفه أحلامنا وشتم اباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا ، ولقد صبرنا منه على أمر عظيم - أو كما قالوا - فبينما هم فى ذلك إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشى حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول قال فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مضى ، فلما مر الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك فى وجهه عليه السلام ثم مضى ، فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال « أتسمعون يامعشر قريش : أما والذى نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح » قال : فأطرق القوم حتى مامنهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى أن أشدهم فيه وطأة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن مايجد من القول ، حتى إنه ليقول : انصرف

الباب الرابع : فى أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر

(١) حديث « خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى رجل فأمره ونهاه فى ذات الله فقتله على ذلك » أخرجه الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الإسناد وتقدم فى الباب قبله (٢) حديث « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » تقدم

(٣) حديث : وصفه صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب بأنه قرن من حديد لاتأخذه فى الله لومة لائم تركه قوله الحق ماله من صديق . أخرجه الترمذى بسند ضعيف مقتصرا على آخر الحديث من حديث على : رحم الله عمر يقول الحق وان كان مرا تركه الحق ماله من صديق . وأما أول الحديث فرواه الطبرانى لمن عمر قال لكعب الأحبار كيف تجد نعتى ؟ قال : أجد نعتك قرنا من حديد قال . وما قرن من حديد ؟ قال : أمير شديد لاتأخذه فى الله لومة لائم .

يا أبا القاسم راشدا فوالله ما كنت جهولا قال : فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان من الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض : ذكرتم مابلغ منكم ومابلغكم عنه حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه ؛ فبينماهم فى ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون : أنت الذى تقول كذا ؟ أنت الذى تقول كذا ؟ لما كان قد بلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ، قال : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم أنا الذى أقول ذلك » قال : فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجامع ردائه قال : وقام أبو بكر الصديق رضى الله عنه دونه يقول - وهو يبكى - ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ؟ : ثم انصرفوا عنه وإن ذلك لأشد مارأيت قريشا بلغت منه [1] وفى رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلف ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم [2] ؟ وروى أن معاوية رضى الله عنه حبس العطاء فقام إليه أبو مسلم الخولانى فقال له : يامعاوية إنه ليس من كدك ولا من كد أبيك ولا من كد أمك . قال : فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال لهم : مكانكم ! وغاب عن أعينهم ساعة ثم خرج عليهم وقد اغتسل فقال : إن أبا مسلم كلمنى بكلام أغضبنى وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليغتسل [3] » وإنى دخلت فاغتسلت وصدق أبو مسلم أنه ليس من كدى ولا من كد أبى فهلموا إلى عطائكم . وروى عن ضبة بن محصن العنزى قال كان علينا أبو موسى الأشعرى أميرا بالبصرة فكان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وأنشأ يدعو لعمر رضى الله عنه قال : فغاظنى ذلك منه ، فقمت إليه فقلت له : أين أنت من صاحبه تفضله عليه ؟ فصنع ذلك جمعا ثم كتب إلى عمر يشكونى يقول : إن ضبة بن محصن العنزى يتعرض لى فى خطبتى . فكتب إليه عمر : أن أشخصه إلى . قال : فاشخصنى إليه فقدمت فضربت عليه الباب فخرج إلى فقال : من أنت ؟ فقلت . أنا ضبة فقال لى : لامرحبا ولاأهلا ، قلت . أما المرحب فمن الله ، وأما الأهل فلاأهل لى ولا مال ، فبماذا استحللت ياعمر إشخاصى من مصرى بلاذنب أذنبته ولاشىء أتيته ؟ فقال : ماالذى شجر بينك وبين عاملى ؟ قال : قلت الآن أخبرك به ، إنه كان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم أنشأ يدعو لك فغاظنى ذلك منه فقمت إليه فقلت له أين أنت من صاحبه تفضله عليه ؟ فصنع ذلك جمعا ثم كتب إليك يشكونى . قال : فاندفع عمر رضى الله عنه باكيا وهو يقول أنت والله أوفق منه وأرشد ، فهل أنت غافر لى ذنبى يغفر الله لك ؟ قال : قلت غفر الله لك ياأمير المؤمنين . قال : ثم اندفع باكيا وهو يقول : والله لليلة من أبى بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بليلته ويومه ؟ قلت : نعم ، قال :

أما الليلة : فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا فتبعه أبو بكر ، فجعل يمشى مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماهذا يا أبا بكر ؟ ماأعرف هذا من أفعالك » فقال يارسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك ، وأذكر الطلب

---

(١) حديث : عروة قلت لعبد الله بن عمرو ما أكثر مارأيت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته ... الحديث . أخرجه بطوله البخارى مختصرا وابن حبان بتمامه (٢) حديث عبد الله بن عمرو : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث رواه البخارى . (٣) حديث معاوية « الغضب من الشيطان ... الحديث » وفى أوله قصة رواه أبو نعيم فى الحلية وفيه من لاأعرفه .

فأكون خلفك ، ومرة عن يمينك ، ومرة عن يسارك ، لا آمن عليك . قال : فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت ؛ فلما رأى أبو بكر أنها قد حفيت حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى أتى فم الغار فأنزله ، ثم قال : والذى بعثك بالحق لاتدخله حتى أدخله فإن كان فيه شيء نزل بى قبلك ، قال : فدخل فلم ير فيه شيئا فحمله فأدخله وكان فى الغار خرق فيه حيات وأفاع فألقمه أبو بكر قدمه مخافة أن يخرج منه شيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه ، وجعلن يضربن أبا بكر فى قدمه وجعلت دموعه تنحدر على خديه من ألم مايجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له « ياأبا بكر لاتحزن إنّ الله معنا » فأنزل الله سكينته عليه والطمأنينة لأبى بكر فهذه ليلته .

وأما يومه فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فقال بعضهم : نصلى ولانزكى فأتيته لا آلوه نصحا فقلت : ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تألف الناس وارفق بهم . فقال لى : أجبار فى الجاهلية خوار فى الإسلام ؟ فبماذا أتألفهم ؟ قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحى فوالله لو منعونى عقالا كانوا يعطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه ، قال : فقاتلنا عليه فكان والله رشيد الأمر . فهذا يومه . ثم كتب إلى أبى موسى يلومه [1] .

وعن الأصمعى قال : دخل عطاء بن أبى رباح على عبد الملك بن مروان ـ وهو جالس على سريره وحواليه الأشراف من كل بطن وذلك بمكة فى وقت حجه فى خلافته ـ فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له : ياأبا محمد ماحاجتك ؟ فقال : ياأمير المؤمنين اتق الله فى حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة ، واتق الله فى أولاد المهاجرين والأنصار فإنك بهم جلست هذا المجلس ، واتق الله فى أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين ، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسئول عنهم ، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولاتغلق بابك دونهم . فقال له : أجل أفعل ، ثم نهض وقام . فقبض عليه عبد الملك فقال : ياأبا محمد إنما سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت ؟ فقال : مالى إلى مخلوق حاجة . ثم خرج فقال عبد الملك : هذا وأبيك الشرف ! وقد روى أنّ الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما : قف على الباب فإذا مر بك رجل فأدخله على ليحدثنى . فوقف الحاجب على الباب مدة فمر به عطاء بن أبى رباح وهو لايعرفه فقال له : ياشيخ ادخل إلى أمير المؤمنين فإنه أمر بذلك ؛ فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من الوليد قال : السلام عليك ياوليد ! قال : فغضب الوليد على حاجبه وقال له . ويلك أمرتك أن تدخل إلى رجلا يحدثنى ويسامرنى فأدخلت إلى رجلا لم يرض أن يسمينى بالاسم الذى اختاره الله لى . فقال له حاجبه : مامر بى أحد غيره ، ثم قال لعطاء : اجلس ، ثم أقبل عليه يحدثه فكان فيما حدثه به عطاء أن قال له : بلغنا أن فى جهنم واديا يقال له هبهب أعده الله لكل إمام جائر فى حكمه . فصعق الوليد من قوله ، وكان جالسا بين يدى عتبة باب المجلس فوقع على قفاه إلى جوف المجلس مغشيا عليه ؛ فقال عمر لعطاء : قتلت أمير المؤمنين . فقبض عطاء على ذراع عمر ابن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال له : ياعمر إن الأمر جد فجد ، ثم قام عطاء وانصرف . فبلغنا عن عمر بن

---

(١) حديث ضبة بن محصن : كان علينا أبو موسى الأشعرى أميرا بالبصرة وفيه من عمر أنه قال والله ليلة من أبى بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بيومه وليلته ؟ فذكر ليلة الهجرة ويوم الردة بطوله رواه البيهقى فى دلائل النبوة بإسناد ضعيف هكذا وقصة الهجرة رواها البخارى من حديث عائشة بغير هذا السياق واتفق عليها الشيخان من حديث أبى بكر بلفظ آخر ولهما من حديثه قال : قلت يارسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال : ياأبابكر ماظنك باثنين الله ثالثهما . وأما قتاله لأهل الردة ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر لأبى بكر كيف تقاتل الناس . . الحديث .

عبد العزيز رحمه الله أنه قال : مكثت سنة أجد ألم غمزته فى ذراعى . وكان ابن أبى شميلة يوصف بالعقل والأدب ؛ فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك : تكلم ، قال : بم أتكلم وقد علمت أن كل كلام تكلم به المتكلم عليه وبال إلا ما كان لله ؟ فبكى عبد الملك ثم قال : يرحمك الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون ،فقال الرجل : ياأمير المؤمنين إن الناس فى القيامة لاينجون من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه ؛ فبكى عبدالملك ثم قال : لاجرم لأجعلن هذه الكلمات مثالا نصب عينى ماعشت . ويروى عن ابن عائشة أن الحجاج دعا بفقهاء البصرة وفقهاء الكوفةفدخلنا عليه ، ودخل الحسن البصرى رحمه الله آخر من دخل ، فقال الحجاج مرحبا بأبى سعيد إلى إلى ، ثم دعا بكرسى فوضع إلى جنب سريره فقعد عليه ؛ فجعل الحجاج يذاكرنا ويسألنا إذ ذكر على بن أبى طالب رضى الله عنه فنال منه ونلنا منه مقاربة له وفرقامن شره ، والحسن ساكت عاض على إبهامه ؛ فقال : يا أبا سعيد مالى أراك ساكتا ؟ قال : ماعسيت أن أقول ؟ قال : أخبرنى برأيك فى أبى تراب ، قال : سمعت الله جل ذكره يقول ﴿ وماجعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ فعلى من هدى الله من أهل الإيمان ، فأقول : ابن عم النبى عليه السلام وختنه على ابنته وأحب الناس إليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع أنت ولاأحد من الناس أن يحظرها عليه ولايحول بينه وبينها . وأقول : إن كانت لعلى هناة فالله حسبه والله ماأجد فيه قولا أعدل من هذا . فبسروجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضبا فدخل بيتا خلفه وخرجنا . قال عامر الشعبى : فأخذت بيد الحسن فقلت : ياأبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره ، فقال : إليك عنى ياعامر ، يقول الناس عامر الشعبى عالم أهل الكوفة . أتيت شيطانا من شياطين الإنس تكلمه بهواه وتقاربه فى رأيه ويحك ياعامر هلا اتقيت إن سئلت فصدقت ، أوسكت فسلمت ؟ قال عامر : ياأبا سعيد قدقلتها وأنا أعلم مافيها ، قال الحسن : فذاك أعظم فى الحجة عليك وأشد فى التبعة . قال :وبعث الحجاج إلى الحسن فلما دخل عليه قال : أنت الذى تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم ؟ قال : نعم ، قال ماحملك على هذا ؟ قال : ماأخذ الله على العلماء من المواثيق ﴿ ليبينه للناس ولايكتمونه ﴾ قال ياحسن أمسك عليك لسانك وإياك أن يبلغنى عنك ما أكره فأفرق بين رأسك وجسدك . وحكى أن حطيطا الزيات جىء به إلى الحجاج فلما دخل عليه قال : أنت حطيط ؟ قال : نعم ، سل عما بدا لك ، فإنى عاهدت الله ـ عند المقام ـ على ثلاث خصال : إن سئلت لأصدقن ، وإن ابتليت لأصبرن ، وإن عوفيت لأشكرن . قال : فما تقول فى ؟ قال : أقول إنك من أعداء الله فى الأرض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة . قال : فما تقول فى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ؟ قال: أقول إنه أعظم جرما منك وإنما أنت خطيئة من خطاياه . قال : فقال الحجاج ، ضعوا عليه العذاب . قال : فانتهى به العذاب إلى أن شقق له القصب ثم جعلوه على لحمه وشدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئا . قال : فقيل للحجاج إنه فى آخر رمق فقال : أخرجوه فارموا به فى السوق . قال جعفر : فأتيته أنا وصاحب له فقلنا له : حطيط ألك حاجة ؟ قال : شربة ماء فأتوه بشربة ثم مات ، وكان ابن ثمان عشرة سنة رحمة الله عليه . وروى أن عمر بن هبيرة دعا بفقهاء أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرائها فجعل يسألهم وجعل يكلم عامر الشعبى فجعل لايسأله عن شىء إلا وجد عنده منه علما ، ثم أقبل على الحسن البصرى فسأله ، ثم قال : هما هذان ، هذا رجل أهل الكوفة ـ يعنى الشعبى ـ وهذا رجل

أهل البصرة - يعنى الحسن - فأمر الحاجب فاخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن . فأقبل على الشعبي فقال : ياأباعمرو إنى أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمنى حقهم فأنا أحب حفظهم وتعهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم ، وقد يبلغنى عن العصابة من أهل الديار الأمر أجد عليهم فيه فأقبض طائفة من عطائهم فأضعه فى بيت المال ومن نيتى أن أرده عليهم ، فيبلغ أمير المؤمنين أنى قد قبضته على ذلك النحو فيكتب إلى أن لاترده فلا أستطيع رد أمره ولا إنفاذ كتابه ، وإنما أنا رجل مأمور على الطاعة . فهل على فى هذا تبعة وفى أشباهه من الأمور والنية فيها على ما ذكرت ؟ قال الشعبي . فقلت أصلح الله الأمير إنما السلطان والدهقان يخطئ ويصيب ، قال . فسر بقولى وأعجب به ورأيت البشر فى وجهه وقال فلله الحمد ، ثم أقبل على الحسن فقال : ماتقول ياأبا سعيد قال : قد سمعت قول الأمير يقول إنه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمنى حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم ، وحق الرعية لازم لك وحق عليك أن تحوطهم بالنصيحة وإنى سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة [1] » ويقول : إنى ربما قبضت من عطائهم إرادة صلاحهم واستصلاحهم وأن يرجعوا إلى طاعتهم ، فيبلغ أمير المؤمنين أنى قبضتها على ذلك النحو فيكتب إلى أن لاترده فلا أستطيع رد أمره ولا أستطيع إنفاذ كتابه ، وحق الله ألزم من حق أمير المؤمنين والله أحق أن يطاع ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، فأعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فإن وجدته موافقا لكتاب الله فخذ به وإن وجدته مخالفا لكتاب الله فانبذه ؛ ياابن هبيرة اتق الله فإنه يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل على عملك ؛ ياابن هبيرة إن الله لينعك من يزيد ولا يمنعك يزيد من الله وإن أمر الله فوق كل أمر وإنه لاطاعة فى معصية الله وإنى أحذرك بأسه الذى لايرد عن القوم المجرمين . فقال ابن هبيرة : أربع على ظلعك أيها الشيخ وأعرض عن ذكر أمير المؤمنين ؛ فإن أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل وإنما ولاه الله تعالى ما ولاه من أمر هذه الأمة لعلمه به وما يعلمه من فضله ونيته . فقال الحسن : ياابن هبيرة ، الحساب من ورائك سوط بسوط وغضب بغضب والله بالمرصاد ، ياابن هبيرة : إنك إن تلق من ينصح لك فى دينك ويحملك على أمر آخرتك خير من أن تلق رجلا يغرك ويمنيك . فقام ابن هبيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه . قال الشعبي : فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته فقال : إليك عنى ياعامر ، قال : فخرجت إلى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان أهلا لما أدى إليه وكنا أهلا أن يفعل ذلك بنا . فمارأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء إلا مثل الفرس العربى بين المقارف وماشهدنا مشهدا إلا برز علينا . وقال لله عز وجل وقلنا مقاربة لهم . قال عامر الشعبي : وأنا أعاهد الله أن لاأشهد سلطانا بعد هذا المجلس فأحابيه . ودخل محمد بن واسع على بلال بن أبى بردة فقال له : ما تقول فى القدر ؟ فقال : جيرانك أهل القبور فتفكر فيهم فإن فيهم شغلا عن القدر .

وعن الشافعى رضى الله عنه قال : حدثنى عمى محمد بن على قال : إنى لحاضر مجلس أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور

---

(١) حديث الحسن عن عبد الرحمن بن سمرة : من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة . رواه البغوى فى معجم الصحابة بإسناد لين وقد اتفق عليه الشيخان بنحوه من رواية الحسن عن معقل بن يسار .

وفيه ابن أبي ذؤيب ، وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال : فأتى الغفاريون فشكوا إلى أبي جعفر شيئا من أمر الحسن ابن زيد ، فقال الحسن : ياأمير المؤمنين سل عنهم ابن أبي ذؤيب قال : فسأله ، فقال : ماتقول فيهم ياابن أبي ذؤيب ؟ فقال : أشهد أنهم أهل تحطم في أعراض الناس كثيرو الأذى لهم . فقال أبو جعفر : قد سمعتم ، فقال الغفاريون : ياأمير المؤمنين سله عن الحسن بن زيد . فقال : ياابن أبي ذؤيب ما تقول في الحسن بن زيد ؟ فقال : أشهد عليه أنه يحكم بغير الحق ويتبع هواه ، فقال : قد سمعت ياحسن ما قال فيك ابن أبي ذؤيب وهو الشيخ الصالح ؟ فقال : ياأمير المؤمنين اسأله عن نفسك . فقال : ماتقول في ؟ قال : تعفيني ياأمير المؤمنين ، قال : اسألك بالله إلا أخبرتني . قال : تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك ؟ قال : والله لتخبرني ، قال : أشهد أنك أخذت هذا المال من غير حقه فجعلته في غير أهله ، وأشهد أن الظلم ببابك فاش . قال : فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن أبي ذؤيب فقبض عليه ثم قال له : أما والله لولا أني جالس ههنا لأخذت فارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك ! قال : فقال ابن أبي ذؤيب ياأمير المؤمنين قد ولي أبو بكر وعمر فأخذا الحق وقسما بالسوية وأخذا بأقفاء فارس والروم وأصغرا آنافهم ، قال : فخلى أبو جعفر قفاه وخلى سبيله وقال : والله لولا أني أعلم أنك صادق لقتلتك ، فقال ابن أبي ذؤيب : والله ياأمير المؤمنين إني لأنصح لك من ابنك المهدي ، قال . فبلغنا أن ابن أبي ذؤيب لما انصرف من مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له : ياأبا الحرث لقد سرني ماخاطبت به هذا الجبار ولكن ساءني قولك له ابنك المهدي ، فقال : يغفر الله لك ياأبا عبدالله كلنا مهدي كلنا كان في المهد .

وعن الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال : بعث إلي أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالساحل فأتيته ، فلما وصلت إليه وسلمت عليه بالخلافة رد علي واستجلسني ثم قال لي : ما الذي أبطأ بك عنا يا أوزاعي ؟ قال : قلت وما الذي تريد ياأمير المؤمنين ؟ قال : أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم ، قال : فقلت فانظر ياأمير المؤمنين أن لاتجهل شيئا مما أقول لك ، قال : وكيف أجهله وأنا أسألك عنه وفيه وجهت إليك وأقدمتك له ؟ قال : قلت أخاف أن تسمعه ثم لاتعمل به ، قال : فصاح بي الربيع وأهوى بيده إلى السيف فانتهره المنصور وقال : هذا مجلس مثوبة لامجلس عقوبة [1] فطابت نفسي وانبسطت في الكلام . فقلت : ياأمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فإنها نعمة من الله سيقت إليه فإن قبلها بشكر وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إثما ويزداد الله بها سخطا عليه [2] » يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن ياسر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما وال مات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة [3] » ياأمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله . إن الله هو الحق المبين . إن الذي لين قلوب أمتكم لكم حين ولاكم أمورهم لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم رءوفا رحيما مواسيا لهم بنفسه في ذات يده محمودا عند الله وعند الناس فحقيق بك أن تقوم له فيهم بالحق . وأن تكون بالقسط له فيهم قائما ولعوراتهم ساترا . لاتغلق عليك دونهم الأبواب ولاتقيم دونهم الحجاب . تبتهج بالنعمة عندهم . وتبتئس بما أصابهم من سوء . ياأمير

---

(١) حديث : الأوزاعي مع المنصور وموعظته له وذكر فيها عشرة أحاديث مرفوعة . والقصة بجملتها رواها ابن أبي الدنيا في كتاب مواعظ الخلفاء ورويناها في مشيخة يوسف بن كامل الخفاف ومشيخة ابن طبرزد ، وفي إسنادها أحمد بن عبيد بن ناصح قال ابن عدي يحدث بمناكير وهو عندي من أهل الصدق وقد رأيت سرد الأحاديث المذكورة في الموعظة لنذكر هل لبعضها طريق غير هذا الطريق وليعرف صحابي كل حديث أو كونه مرسلا فأولها (٢) حديث عطية بن بشر « أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فإنها نعمة من الله ... الحديث . أخرجه ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء (٣) حديث عطية بن ياسر « أيما وال بات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة » أخرجه ابن أبي الدنيا فيه وابن عدي في الكامل في ترجمة أحمد بن عبيد .

المؤمنين قد كنت فى شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم ـ أحمرهم وأسودهم مسلمهم وكافرهم ـ وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك إذا انبعث منهم فئام وراء فئام وليس منهم أحد إلا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه أو ظلامة سقتها إليه ؟ ياأمير المؤمنين حدثنى مكحول عن عروة بن رويم قال : كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين ، فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له : يامحمد ماهذه الجريدة التى كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبا [1] ؟ فكيف بمن شق أستارهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه ؟ ياأمير المؤمنين حدثنى مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسلمة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى القصاص من نفسه فى خدش خدشه أعرابيا لم يتعمده فأتاه جبريل عليه السلام فقال : يامحمد إن الله لم يبعثك جبارا ولا متكبرا . فدعا النبى صلى الله عليه وسلم الأعرابى فقال « اقتص منى » فقال الأعرابى : قد أحللتك ؛ بأبى أنت وأمى وما كنت لأفعل ذلك أبدا ولو أتيت على نفسى . فدعا له بخير [2] ياأمير المؤمنين رض نفسك لنفسك وخذ لها الأمان من ربك وارغب فى جنة عرضها السموات والأرض التى يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقيد قوس أحدكم من الجنة خير له من الدنيا وما فيها [3] » ياأمير المؤمنين إن الملك لو بقى لمن قبلك لم يصل إليك ، وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك . ياأمير المؤمنين أتدرى ماجاء فى تأويل هذه الآية عن جدك ﴿ مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾ قال الصغيرة : التبسم ، والكبيرة : الضحك ، فكيف بما عملته الأيدى وحصدته الألسن ؟ ياأمير المؤمنين بلغنى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لو ماتت سخلة على شاطئ الفرات ضيعة لخشيت أن أسأل عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك ؟ ياأمير المؤمنين أتدرى ماجاء فى تأويل هذه الآية عن جدك ﴿ ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ قال الله تعالى فى الزبور : ياداود إذا قعد الخصمان بين يديك فكان لك فى أحدهما هوى فلا تتمنين فى نفسك أن يكون الحق له فيفلح على صاحبه فأمحوك عن نبوتى ثم لا تكون خلفتى ولا كرامة ، ياداود إنما جعلت رسلى إلى عبادى رعاء كرعاء الإبل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير ويدلوا الهزيل على الكلأ والماء . يا أمير المؤمنين إنك قد بليت بأمر لو عرض على السموات والأرض والجبال لأبين أن يحملنه وأشفقن منه ، ياأمير المؤمنين حدثنى يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن عمرة الأنصارى : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقيما فقال له : مامنعك من الخروج إلى عملك ؟ أما علمت أن لك مثل أجر المجاهد فى سبيل الله قال : لا ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : إنه بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مامن وال يلى شيئا من أمور الناس إلا أتى به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه لا يفكها إلا عدله فيوقف على جسر من النار ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب فإن كان محسنا نجا

---

(١) حديث عروة بن رويم : كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين ... الحديث . أخرجه ابن أبى الدنيا فيه وهو مرسل وعروة ذكره ابن حبان فى ثقات التابعين (٢) حديث حبيب بن مسلمة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى القصاص من نفسه فى خدش خدشه أعرابيا لم يتعمده ... الحديث . أخرجه ابن أبى الدنيا فيه ، وروى أبو داود والنسائى من حديث عمر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتص من نفسه . وللحاكم من رواية عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبيه : طعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خاصرة أسيد بن حضير ، فقال أوجعتنى قال اقتص .. الحديث . قال صحيح الإسناد (٣) حديث « لقيد قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومافيها » أخرجه ابن أبى الدنيا من رواية الأوزاعى معضلا لم يذكر إسناده ورواه البخارى من حديث أنس بلفظ « لقاب » .

بإحسانه وإن كان مسيئا انخرق به ذلك الجسر فيهوى به فى النار سبعين خريفا [١] » فقال له عمر رضى الله عنه. ممن سمعت هذا ؟ قال : من أبى ذرّ وسلمان فأرسل إليهما عمر فسألهما فقالا : نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر : واعمراه من يتولاها بما فيها ؟ فقال أبو ذرّ رضى الله عنه : من سلت الله أنفه وألصق خدّه بالأرض . قال : فأخذ المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكانى . ثم قلت : ياأمير المؤمنين قدسأل جدّك العباس النبى صلى الله عليه وسلم إمارة مكة أو الطائف أو اليمن فقال له النبى عليه السلام « ياعباس ياعم النبى نفس تحييها خير من إمارة لاتحصيها [٢] » نصيحة منه لعمه وشفقة عليه وأخبره أنه لايغنى عنه من الله شيئا إذ أوحى الله إليه ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ فقال « ياعباس وياصفية عمى النبى ويافاطمة بنت محمد إنى لست أغنى عنكم من الله شيئاً إنّ لى عملى ولكم عملكم [٣] » وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لايقيم أمر الناس إلا حصيف العقل أريب العقد لايطلع منه على عورة ولايخاف منه على حرّة ولاتأخذه فى الله لومة لائم . وقال : الأمراء أربعة ؛ فأمير قوى ظلف نفسه وعماله فذلك كالمجاهد فى سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة ، وأمير فيه ضعف ظلف نفسه وأرتع عماله لضعفه فهو على شفا هلاك إلا أن يرحمه الله ، وأمير ظلف عماله وأرتع نفسه فذلك الحطمة الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « شر الرعاة الحطمة فهو الهالك وحده [٤] » وأمير أرتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا . وقد بلغنى ياأمير المؤمنين أن جبرائيل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال « أتيتك حين أمر الله بمنافخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة ، فقال له : ياجبريل صف لى النار فقال : إن الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرّت ، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصفرّت ، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودّت فهى سوداء مظلمة لايضىء جمرها ولايطفأ لهبها ، والذى بعثك بالحق لو أنّ ثوبا من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعا ولو أن ذنوبا من شرابها صب فى مياه الأرض جميعا لقتل من ذاقه ولو أنّ ذراعا من السلسلة التى ذكرها الله وضع على جبال الأرض جميعا لذابت وماستقلت ، ولو أنّ رجلا أدخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه ؛ فبكى النبى صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل عليه السلام لبكائه فقال : أتبكى يامحمد وقد غفر لك ماتقدّم من ذنبك وماتأخر ؟ فقال « أفلا أكون عبدا شكورا ولم بكيت ياجبريل وأنت الروح الأمين أمين الله على وحيه » قال : أخاف أن أبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت فهو الذى منعنى من اتكالى على منزلتى عند ربى فأكون قد أمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء : ياجبريل ويامحمد إنّ الله قد آمنكما أن تعصياه فيعذبكما وفضل محمد على سائر الأنبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة [٥] » وقدبلغنى ياأميرالمؤمنين أنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : اللهم إن كنت تعلم أنى أبالى إذا قعد

---

(١) حديث عبد الرحمن بن عمر : أن عمر استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة ... الحديث . وفيه مرفوعا « مامن والٍ يلى شيئا من أمور الناس إلا أتى الله يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فيه من هذا الوجه ورواه الطبرانى من رواية سويد بن عبد العزيز عن يسار بن أبى الحكم عن أبى وائل : أن عمر استعمل بشر بن عاصم فذكر أخصر منه ، وأن بشرا سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم يذكر فيه : سلمان (٢) حديث « ياعباس ياعم النبى نفس تنجيها خير من إمارة لاتحصيها » أخرجه ابن أبى الدنيا هكذا معضلا بغير إسناد ورواه البيهقى من حديث جابر متصلا ومن رواية ابن المنكدر مرسلا وقال هذا هو المحفوظ مرسلا (٣) حديث « ياعباس وياصفية ويافاطمة لاأغنى عنكم من الله شيئا لى عملى ولكم عملكم » أخرجه ابن أبى الدنيا هكذا معضلا دون إسناد ورواه البخارى من حديث أبى هريرة متصلا دون قوله « لى عملى ولكم عملكم » (٤) حديث « شر الرعاة الحطمة » رواه مسلم من حديث عائذ بن عمرو المزنى متصلا وهو عند ابن أبى الدنيا من الأوزاعى معضلا كما ذكره المصنف . (٥) حديث : بلغنى أن جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أتيتك حين أمر الله بمنافيخ النار وضعت على النار تسعر ليوم القيامة ... الحديث بطوله أخرجه ابن أبى الدنيا فيه هكذا معضلا بغير إسناد .

الخصمان بين يدى على من مال الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلنى طرفة عين . ياأمير المؤمنين إنّ أشد الشدة القيام لله بحقه وإن أكرم الكرم عند الله التقوى وأنه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه . فهذه نصيحتى إليك والسلام عليك . ثم نهضت فقال لى : إلى أين ؟ فقلت : إلى الولد والوطن بإذن أمير المؤمنين إن شاء الله ، فقال : قد أذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه أستعين وعليه أتوكل وهو حسبى ونعم الوكيل فلا تخلنى من مطالعتك إياى بمثل هذا فإنك المقبول القول غير المتهم فى النصيحة . قلت : أفعل إن شاء الله . قال محمد بن مصعب : فأمر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال : أنا فى غنى عنه وما كنت لأبيع نصيحتى بعرض من الدنيا . وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه فى ذلك .

وعن ابن المهاجر قال : قدم أمير المؤمنين المنصور مكة شرفها الله حاجا ، فكان يخرج من دار الندوة إلى الطواف فى آخر الليل يطوف ويصلى ولايعلم به ، فإذا طلع الفجر رجع إلى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فيصلى بالناس ، فخرج ذات ليلة حين أسحر فبينا هو يطوف إذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول : اللهم إنى أشكو إليك ظهور البغى والفساد فى الأرض ومايحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع . فأسرع المنصور فى مشيه حتى ملأ مسامعه من قوله ، ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل إليه فدعاه فأتاه الرسول وقال له : أجب أمير المؤمنين ، فصلى ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور : ماهذا الذى سمعتك تقوله من ظهور البغى والفساد فى الأرض ومايحول بين الحق وأهله من الطمع والظلم ؛ فوالله لقد حشوت مسامعى ماأمرضنى وأقلقنى ؟ فقال : ياأمير المؤمنين إن أمنتنى على نفسى أنبأتك بالأمور من أصولها وإلا اقتصرت على نفسى ففيها لى شغل شاغل ، فقال له : أنت آمن على نفسك فقال : الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق وإصلاح ماظهر من البغى والفساد فى الأرض أنت . فقال : ويحك وكيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء فى يدى والحلو والحامض فى قبضتى؟ قال : وهل دخل أحدا من الطمع مادخلك ياأمير المؤمنين ؟ إن الله تعالى استرعاك أمور المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وأبوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ، ثم سجنت نفسك فيها منهم وبعثت عمالك فى جمع الأموال وجبايتها واتخذت وزراء وأعوانا ظلمة إن نسيت لم يذكروك وإن ذكرت لم يعينوك وقويتهم على ظلم الناس بالأموال والكراع والسلاح وأمرت بأن لايدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان نفر سميتهم ، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العارى ولا الضعيف ولا الفقير ، ولا أحد إلا وله فى هذا المال حق فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لايحجبوا عنك تجبى الأموال ولاتقسمها قالوا : هذا قد خان الله فما لنا لانخونه وقد سخر لنا ؟ فائتمروا على أن لايصل إليك من علم أخبار الناس شىء إلا ماأرادوا وأن لايخرج لك عامل فيخالف لهم أمرا إلا أقصوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره ، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس وهابوهم وكان أوّل من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليتقووا بهم على ظلم رعيتك ، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلأت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار هؤلاء القوم شركاءك فى سلطانك وأنت غافل ؛ فإن جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول إليك وإن أراد رفع صوته أو قصته إليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر فى مظالمهم ؛ فإن جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم أن لايرفع مظلمته وإن كانت للمتظلم به حرمة وإجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم ، فلا يزال المظلوم يختلف إليه ويلوذ به ويشكو

ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه ؛ فإذا جهد وأخرج وظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وأنت تنظر ولاتنكر ولاتغير ؛ فما بقاء الإسلام وأهله على هذا ؛ ولقد كانت بنو أمية وكانت العرب لاينتهى إليهم المظلوم إلا رفعت ظلامته إليهم فينصف ؛ ولقد كان الرجل يأتى من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادى : ياأهل الإسلام فيبتدرونه مالك مالك فيرفعون مظلمته إلى سلطانهم فينتصف ؛ ولقد كنت ياأمير المؤمنين أسافر إلى أرض الصين وبها ملك فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكى فقال له وزراؤه : مالك تبكى لابكت عيناك ؟ فقال : أما إنى لست أبكى على المصيبة التى نزلت بى ولكن أبكى لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته ، ثم قال : أما إن كان قد ذهب سمعى فإنّ بصرى لم يذهب نادوا فى الناس : ألا لايلبس ثوبا أحمر إلا مظلوم فكان يركب الفيل ويطوف طرفى النهار هل يرى مظلوما فينصفه ؟ هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه فى ملكه ، وأنت مؤمن بالله وابن عم نبى الله لاتغلبك رأفتك بالمسلمين ورقتك على شح نفسك ؛ فإنك لاتجمع الأموال إلا لواحد من ثلاثة ؛ إن قلت اجمعها لولدى فقد أراك الله عبرا فى الطفل الصغير يسقط من بطن أمه وماله على الأرض مال ، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله تعالى يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه ولست الذى تعطى بل الله يعطى من يشاء ، وإن قلت : أجمع المال لأشيد سلطانى . فقد أراك الله عبرا فيمن كان قبلك ماأغنى عنهم ماجمعوه من الذهب والفضة وما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع وماضرك وولد أبيك ما كنتم فيه من قلة الجدة والضعف حين أراد الله بكم ماأراد . وإن قلت أجمع المال . لطلب غاية هى أجسم من الغاية التى أنت فيها ، فوالله مافوق ماأنت فيه إلا منزلة لاتدرك إلا بالعمل الصالح ياأمير المؤمنين هل تعاقب من عصاك من رعيتك بأشد من القتل ؟ قال: لا ، قال : فكيف تصنع بالملك الذى خوّلك الله وما أنت عليه من ملك الدنيا وهو تعالى لايعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخلود فى العذاب الأليم وهو الذى يرى منك ماعقد عليه قلبك وأضمرته جوارحك ؟ فماذا تقول إذا انتزع الملك الحق المبين ملك الدنيا من يدك ودعاك إلى الحساب ؟ هل يغنى عنك عنده شىء مما كنت فيه مما شححت عليه من ملك الدنيا ؟ فبكى المنصور بكاء شديدا حتى نحب وارتفع صوته ثم قال . ياليتنى لم أخلق ولم أك شيئا ، ثم قال : كيف احتيالى فيما خولت فيه ولم أرمن الناس إلا خائنا ؟ قال : ياأمير المؤمنين عليك بالأئمة الأعلام المرشدين قال : ومن هم ؟ قال : العلماء ، قال : قد فروا منى ، قال : هربوا منك مخافة أن تحملهم على ماظهر من طريقتك من قبل عمالك ، ولكن افتح الأبواب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم من الظالم وامنع المظالم وخذ الشىء مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل وأنا ضامن على أنّ من هرب منك أن يأتيك فيعاونك على صلاح أمرك ورعيتك . فقال المنصور : اللهم وفقنى أن أعمل بما قال هذا الرجل . وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فخرج فصلى بهم ثم قال للحرسى : عليك بالرجل إن لم تأتنى به لأضربن عنقك ، واغتاظ عليه غيظا شديدا فخرج الحرسى يطلب الرجل فبينا هو يطوف فإذا هو بالرجل يصلى فى بعض الشعاب فقعد حتى صلى ثم قال : ياذا الرجل أماتتقى الله ؟ قال : بلى ، قال . أما تعرفه ؟ قال : بلى ، قال : فانطلق معى إلى الأمير فقد آلى أن يقتلنى إن لم آته بك ، قال : ليس لى إلى ذلك من سبيل ، قال : يقتلنى ، قال : لا ، قال : كيف ؟ قال : تحسن تقرأ ، قال : لا ، فأخرج من مزود كان معه رقا مكتوبا فيه شىء فقال : خذه فاجعله فى جيبك فإن فيه دعاء الفرج ، قال : وما دعاء الفرج ؟ قال : لايرزقه إلا الشهداء ، قلت : رحمك الله قد أحسنت إلى فإن رأيت أن تخبرنى ماهذا الدعاء ومافضله ؟ قال : من

دعابه مساء وصباحا هدمت ذنوبه ودام سروره ومحيت خطاياه واستجيب دعاؤه وبسط له رزقه وأعطى أمله وأعين على عدوه وكتب عند الله صديقا ولايموت إلاشهيدا ، تقول . اللهم كما لطفت فى عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ماتحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك ، وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر فى علمك ، وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذى سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لى من كل هم أمسيت فيه فرجا ومخرجا . اللهم إنّ عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى وسترك على قبيح عملى أطمعنى أن أسألك مالا أستوجبه بما قصرت فيه أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا وإنك المحسن إلى وأنا المسيء إلى نفسى فيما بينى وبينك تتودد إلى بنعمك وأتبغض إليك بالمعاصى ولكن الثقة بك حملتنى على الجراءة عليك فعد بفضلك وإحسانك على إنك أنت التواب الرحيم . قال . فأخذته فصيرته فى جيبى ثم لم يكن لى هم غير أمير المؤمنين فدخلت فسلمت عليه فرفع رأسه فنظر إلى وتبسم ثم قال . ويلك وتحسن السحر ؟ فقلت : لا والله يا أمير المؤمنين ، ثم قصصت عليه أمرى مع الشيخ فقال . هات الرق الذى أعطاك ، ثم جعل يبكى وقال . وقد نجوت ، وأمر بنسخه وأعطانى عشرة آلاف ، ثم قال . أتعرفه ؟ قلت . لا ، قال ذلك الخضر عليه السلام .

وعن أبى عمران الجونى قال : لما ولى هارون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنوه بما صار إليه من أمر الخلافة ففتح بيوت الأموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنية ، وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد ، وكان يظهر النسك والتقشف ، وكان مؤاخيا لسفيان بن سعيد بن المنذر الثورى قديما فهجره سفيان ولم يزره ، فاشتاق هرون إلى زيارته ليخلوا به ويحدثه فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولا بما صار إليه ، فاشتد ذلك على هرون فكتب إليه كتابا يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هرون الرشيد أمير المؤمنين إلى أخيه سفيان بن سعيد بن المنذر أما بعد ، يا أخى قد علمت أنّ الله تبارك وتعالى واخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله واعلم أنى قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حبلك ولم أقطع منها ودك وإنى منطو لك على أفضل المحبة والإرادة ، ولولا هذه القلادة التى قلدنيها الله لأتيتك ولو حبوا لما أجد لك فى قلبى من المحبة ، واعلم يا أبا عبد الله أنه مابقى من إخوانى وإخوانك أحد إلا وقد زارنى وهنانى بما صرت إليه وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسى وقرت به عينى وإنى استبطأتك فلم تأتنى ، وقد كتبت لك كتابا شوقا منى إليك شديدا ، وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء فى فضل المؤمن وزيارته ومواصلته ، فإذا ورد عليه كتابى فالعجل العجل . فلما كتب الكتاب التفت إلى من عنده فإذا كلهم يعرفون سفيان الثورى وخشونته فقال : على برجل من الباب ، فأدخل عليه رجل يقال له عباد الطالقانى . فقال : ياعباد خذ كتابى هذا فانطلق به إلى الكوفة فإذا دخلتها فسل عن قبيلة بنى ثور ، ثم سل عن سفيان الثورى فإذا رأيته فالق كتابى هذا إليه وع بسمعك وقلبك جميع ما يقول فأحص عليه دقيق أمره وجليله لتخبرنى به . فأخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسأل عن القبيلة فأرشد إليها ثم سأل عن سفيان فقيل له هو فى المسجد . قال عباد : فأقبلت إلى المسجد فلما رآنى قام قائما وقال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير . قال عباد : فوقعت الكلمة فى قلبى فجرحت ، فلما رآنى نزلت بباب المسجد قام يصلى ولم يكن وقت صلاة ، فربطت فرسى بباب المسجد ودخلت فإذا جلساؤه قعود قد نكسوا رءوسهم كأنهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من عقوبته ، فسلمت فما رفع أحد إلى رأسه وردوا السلام على برءوس الأصابع ، فبقيت واقفا فما منهم أحد يعرض على الجلوس وقد علانى من هيبتهم الرعدة

ومددت عيني إليهم فقلت إن المصلى هو سفيان فرميت بالكتاب إليه . فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له فى محرابه فركع وسجد وسلم وأدخل يده فى كمه ولفها بعباءته وأخذه ، فقلبه بيده ثم رماه إلى من كان خلفه وقال : يأخذه بعضكم يقرؤه فإنى أستغفر الله أن أمس شيئا مسه ظالم بيده . قال عباد : فأخذه بعضهم فحله كأنه خائف من فم حية تنهشه ، ثم فضه وقرأه ، وأقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته قال : اقلبوه واكتبوا إلى الظالم فى ظهر كتابه ، فقيل له : يا أبا عبد الله إنه خليفة فلو كتبت إليه فى قرطاس نقى . فقال : اكتبوا إلى الظالم فى ظهر كتابه فإن كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به ، وإن كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ولا يبقى شىء مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا . فقيل له : مانكتب ؟ فقال اكتبوا : بسم الله الرحمن الرحيم ، من العبد المذنب سفيان بن سعيد بن المنذر الثورى إلى العبد المغرور بالآمال هرون الرشيد الذى سلب حلاوة الإيمان . أما بعد : فإنى قد كتبت إليك أعرفك أنى قد صرمت حبلك وقطعت ودك وقليت موضعك فإنك قد جعلتنى شاهدا عليك بإقرارك على نفسك فى كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فأنفقته فى غير حقه وأنفذته فى غير حكمه ، ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناء عنى حتى كتبت إلى تشهدنى على نفسك . أما إنى قد شهدت عليك أنا وإخوانى الذين شهدوا قراءة كتابك وسنؤدى الشهادة عليك غدا بين يدى الله تعالى ، ياهرون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضى بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها فى أرض الله تعالى والمجاهدون فى سبيل الله وابن السبيل ؟ أم رضى بذلك حملة القرآن وأهل العلم والأرامل والأيتام ؟ أم هل رضى بذلك خلق من رعيتك ؟ فشد يا هرون مئزرك وأعد للمسألة جوابا وللبلاء جلبابا ، واعلم أنك ستقف بين يدى الحكم العدل فقد رزئت فى نفسك إذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ القرآن ومجالسة الأخيار ورضيت لنفسك أن تكون ظالما وللظالمين إماما ، ياهرون قعدت على السرير ولبست الحرير وأسبلت ستر آدون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين ، ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك ، يظلمون الناس ولا ينصفون ؟ يشربون الخمور ويضربون من يشربها ! ويزنون ويحدون الزانى ؟ ويسرقون ويقطعون السارق ! أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس ؟ فكيف بك ياهرون غدا إذا نادى المنادى من قبل الله تعالى ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾ أى الظلمة وأعوان الظلمة فقدمت بين يدى الله تعالى ويداك مغلولتان إلى عنقك لايفكهما إلا عدلك وإنصافك ، والظالمون حولك وأنت لهم سابق وإمام إلى النار ، كأنى بك يا هرون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت المساق وأنت ترى حسناتك فى ميزان غيرك وسيئات غيرك فى ميزانك زيادة عن سيئاتك ، بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة ، فاحتفظ بوصيتى واتعظ بموعظتى التى وعظتك بها ، واعلم أنى قد نصحتك وما أبقيت لك فى النصح غاية ، فاتق الله ياهرون فى رعيتك واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم فى أمته وأحسن الخلافة عليهم ، واعلم أن هذا الأمر لو بقى لغيرك لم يصل إليك وهو صائر إلى غيرك وكذا الدنيا تنتقل بأهلها واحد بعد واحد فمنهم من تزود زادا نفعه ومنهم من خسر دنياه وآخرته ، وإنى أحسبك ياهرون من خسر دنياه وآخرته فإياك إياك أن تكتب لى كتابا بعد هذا فلا أجيبك عنه والسلام . قال عباد : فألقى إلى الكتاب منشورا غير مطوى ولا مختوم فأخذته وأقبلت إلى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة من قلبى فناديت : ياأهل الكوفة ، فأجابونى فقلت لهم : ياقوم من يشترى رجلا هرب من الله إلى الله ؟ فأقبلوا إلى بالدنانير والدراهم ، فقلت : لاحاجة لى فى المال ولكن جبة صوف خشنه وعباءة قطوانية ، قال : فأتيت بذلك ونزعت ما كان على من اللباس الذى كنت ألبسه مع أمير المؤمنين ،

وأقبلت أقود البرذون وعليه السلاح الذى كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هرون حافيا راجلا ، فهزأ بى من كان على باب الخليفة . ثم استؤذن لى فلما دخلت عليه وبصر بى على تلك الحالة قام وقعد ، ثم قام قائما وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحزن ويقول : انتفع الرسول وخاب المرسل مالى وللدنيا مالى وللملك يزول عنى سريعا ؟ ثم ألقيت الكتاب إليه منشورا كما دفع إلى . فأقبل هرون يقرؤه ودموعه تنحدر من عينيه ويقرأ ويشهق فقال بعض جلسائه : ياأمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت إليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن كنت تجعله عبرة لغيره . فقال هرون : اتركونا يا عبيد الدنيا ، المغرور من غررتموه والشقى من أهلكتموه ، وإن سفيان أمة وحده فاتركوا سفيان وشأنه . ثم لم يزل كتاب سفيان إلى جنب هرون يقرؤه عند كل صلاة حتى توفى رحمه الله . فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى الله فيما يقدم عليه غدا من عمله فإنه عليه يحاسب وبه يجازى والله ولى التوفيق .

وعن عبد الله بن مهران قال : حج الرشيد فوافى الكوفة فأقام بها أياما ثم ضرب بالرحيل ، فخرج الناس ، وخرج بهلول المجنون فيمن خرج بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به ؛ إذ أقبلت هوادج هرون فكف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هرون نادى بأعلى صوته : يا أمير المؤمنين فكشف هرون السجاف بيده عن وجهه فقال : لبيك يابهلول فقال : يا أمير المؤمنين ؛ حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامرى قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم منصرفا من عرفة على ناقة له صهباء ؛ لاضرب ولاطرد ولاإليك إليك [1] وتواضعك فى سفرك هذا ياأمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك . قال : فبكى هرون حتى سقطت دموعه على الأرض ، ثم قال : يابهلول زدنا رحمك الله قال : نعم ياأمير المؤمنين ، رجل آتاه الله مالا وجمالا فأنفق من ماله وعف فى جماله كتب فى خالص ديوان الله تعالى مع الأبرار . قال : أحسنت يابهلول ، ودفع له جائزة : فقال : اردد الجائزة إلى من أخذتها منه فلاحاجة لى فيها ، قال : يا بهلول فإن كان عليك دين قضيناه ، قال : يا أمير المؤمنين هؤلاء أهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم أن قضاء الدين بالدين لايجوز ـ قال : يابهلول فنجرى عليك مايقوتك أو يقيمك ، قال : فرفع بهلول رأسه إلى السماء ثم قال : يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فمحال ان يذكرك وينسانى . قال : فأسبل هرون السجاف ومضى .

وعن أبى العباس الهاشمى عن صالح بن المأمون قال : دخلت على الحرث المحاسبى رحمه الله فقلت له : ياأباعبدالله هل حاسبت نفسك ؟ فقال : كان هذا مرة ، قلت له : فاليوم ؟ قال . أكاتم حالى ؟ إنى لاقرأ آية من كتاب الله تعالى فأضن بها أن تسمعها نفسى ولولا أن يغلبنى فيها فرح ما أعلنت بها . ولقد كنت ليلة قاعدا فى محرابى فإذا أنا بفتى حسن الوجه طيب الرائحة فسلم على ثم قعد بين يدى فقلت له من أنت ؟ فقال : أنا واحد من السياحين أقصد المتعبدين فى محاريبهم ولا أرى لك اجتهادا فأى شىء عملك ؟ قال : قلت له ؛ كتمان المصائب واستجلاب الفوائد ، قال : فصاح وقال : ماعلمت أن أحدا بين جنبى المشرق والمغرب هذه صفته ؟ قال الحرث : فأردت أن أزيد عليه فقلت له : أماعلمت أن أهل القلوب يخفون أحوالهم ويكتمون أسرارهم ويسألون الله كتمان ذلك عليهم فمن أين تعرفهم ؟ قال : فصاح صيحة غشى عليه منها فمكث عندى يومين لايعقل ، ثم أفاق وقد أحدث فى ثيابه ، فعلمت إزالة عقله فأخرجت له

---

(١) حديث قدامة بن عبد الله العامرى : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم منصرفا من عرفة على ناقة له صهباء لاضرب ولا طرد ولا إليك إليك . أخرجه الترمذى وصححه والنسائى وابن ماجه دون قوله منصرفا من عرفة وإنما قالوا : يرمى الجمرة ، وهو الصواب وقد تقدم فى الباب الثانى .

ثوبا جديدا وقلت له : هذا كفنى قد آثرتك به فاغتسل وأعد صلاتك فقال : هات الماء فاغتسل وصلى ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له : أين تريد ؟ فقال لى ؟ قم معى ، فلم يزل يمشى حتى دخل على المأمون فسلم عليه وقال : ياظالم أنا ظالم إن لم أقل لك ياظالم ، أستغفر الله من تقصيرى فيك ، أماتتقى الله تعالى فيما قد ملكك ؟ وتكلم بكلام كثير ثم أقبل يريد الخروج وأنا جالس بالباب فأقبل عليه المأمون وقال : من أنت ؟ قال : أنا رجل من السياحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلى فلم أجد لنفسى فيه حظا فتعلقت بموعظتك لعلى ألحقهم ، قال : فأمر بضرب عنقه ، فأخرج وأنا قاعد على الباب ملفوفا فى ذلك الثوب ومناد ينادى : من ولى هذا فليأخذه ، قال الحرث : فاختبأت عنه فأخذه أقوام غرباء فدفنوه وكنت معهم لاأعلمهم بحاله . فأقمت فى مسجد بالمقابر محزونا على الفتى فغلبتنى عيناى فإذا هو بين وصائف لم أر أحسن منهن وهو يقول : يا حارث أنت والله من الكاتمين الذين يخفون أحوالهم ويطيعون ربهم ، قلت : ومافعلوا ؟ قال الساعة يلقونك ، فنظرت إلى جماعة ركبان فقلت : من أنتم ؟ قالوا : الكاتمون أحوالهم حرك هذا الفتى كلامك له فلم يكن فى قلبه مما وصفت شىء فخرج للأمر والنهى وإن الله تعالى أنزله معنا وغضب لعبده .

وعن أحمد بن إبراهيم المقرى قال ؛ كان أبو الحسين النورى رجلا قليل الفضول لايسأل عمالايعنيه ولايفتش عما لايحتاج إليه ، وكان إذا رأى منكرا غيره ولوكان فيه تلفه ، فنزل ذات يوم إلى مشرعة تعرف بمشرعة الفحامين يتطهر للصلاة إذ رأى زورقا فيه ثلاثون دنا مكتوب عليها بالقار « لطف » فقرأه وأنكره لأنه لم يعلم فى التجارات ولافى البيوع شيئا يعبر عنه بلطف . فقال للملاح : إيش فى هذه الدنان ؟ قال : وإيش عليك امض فى شغلك ؟ فلما سمع النورى من الملاح هذا القول ازداد تعطشا إلى معرفته فقال : أحب أن تخبرنى إيش فى هذه الدنان ؛ قال : وإيش عليك أنت والله صوفى فضولى ، هذا خمر للمعتضد يريد أن يتمم به مجلسه ؟ فقال النورى : وهذا خمر ؟ قال : نعم ، فقال : أحب أن تعطينى ذلك المدرى ، فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه : أعطه حتى انظر مايصنع ، فلما صارت المدرى فى يده صعد إلى الزورق ولم يزل يكسرها دنا دنا حتى أتى على آخرها إلا دنا واحدا ، والملاح يستغيث ، إلى أن ركب صاحب الجسر وهو يومئذ ابن بشر أفلح فقبض على النورى وأشخصه إلى حضرة المعتضد ـ وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس فى أنه سيقتله ـ قال أبو الحسين : فأدخلت عليه وهو جالس على كرسى حديد وبيده عمود يقلبه فلما رآنى قال : من أنت ؟ قلت : محتسب ، قال : ومن ولاك الحسبة ؟ قلت : الذى ولاك الإمامة ولانى الحسبة ياأمير المؤمنين ، قال : فأطرق إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إلى وقال : ماالذى حملك على ماصنعت ؟ فقلت : شفقة منى عليك إذ بسطت يدى إلى صرف مكروه عنك فقصرت عنه . قال فأطرق مفكرا فى كلامى ثم رفع رأسه إلى وقال : كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان ؟ فقلت : فى تخلصه علة أخبر بها أمير المؤمنين إن أذن ، فقال : هات خبرنى ، فقلت : ياأمير المؤمنين إنى أقبلت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه لى بذلك وغمر قلبى شاهد الإجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عنى فأقدمت عليها بهذه الحال إلى أن صرت إلى هذا الدنّ ، فاستشعرت نفسى كبرا على أنى أقدمت على مثلك فمنعت ولو أقدمت عليه بالحال الأول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أبال ، فقال المعتضد : اذهب فقد أطلقنا يدك غير ماأحببت أن تغيره من المنكر . قال أبو الحسين فقلت : يا أمير المؤمنين بغض إلى التغيير لأنى كنت أغير عن الله تعالى وأنا الآن أغير عن شرطى فقال المعتضد : ما حاجتك ؟ فقلت : ياأمير المؤمنين تأمر بإخراجى سالما فأمر له بذلك وخرج إلى البصرة ، فكان أكثر أيامه بها خوفا من أن يسأله أحد حاجة يسألها المعتضد ، فأقام بالبصرة إلى توفى المعتضد ثم رجع إلى بغداد .

فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لكونهم اتكلوا على فضل الله تعالى أن يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة ، فلما أخلصوا لله النية أثر كلامهم فى القلوب القاسية فلينها وأزال قساوتها . وأما الآن فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا ، ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا . ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ، ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل فكيف على الملوك والأكابر ؟ والله المستعان على كل حال .

تم كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة

وهو الكتاب العاشر : من ربع العادات الثانى من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق كل شىء فأحسن خلقه وترتيبه ، وأدب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فأحسن تأديبه ، وزكى أوصافه وأخلاقه ثم اتخذه صفيه وحبيبه ، ووفق للاقتداء به من أراد تهذيبه ؛ وحرم عن التخلق بأخلاقه من أراد تخييبه وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم كثيرا .

أما بعد : فإن آداب الظواهر عنوان آداب البواطن ، وحركات الجوارح ثمرات الخواطر ، والأعمال نتيجة الأخلاق والآداب رشح المعارف ، وسرائر القلوب هى مغارس الأفعال ومنابعها ، وأنوار السرائر هى التى تشرق على الظواهر فتزينها وتجليها ، وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساويها . ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه . ومن لم يكن صدره مشكاة الأنوار الإلهية لم يفض على ظاهره جمال الآداب النبوية ، ولقد كنت عزمت على أن أختم ربع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة لئلا يشق على طالبها استخراجها من جميع هذه الكتب ، ثم رأيت كل كتاب من ربع العادات قد أتى على جملة من الآداب فاستثقلت تكريرها وإعادتها ، فإن طلب الإعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة المعادات ، فرأيت أن أقتصر فى هذا الكتاب على ذكر آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه المأثورة عنه بالإسناد فأسردها مجموعة فصلا فصلا محذوفة الأسانيد ليجتمع فيه مع جميع الآداب تجديد الإيمان وتأكيده بمشاهدة أخلاقه الكريمة التى شهد آحادها على القطع بأنه أكرم خلق الله تعالى وأعلاهم رتبة وأجلهم قدرا فكيف مجموعها ؟ ثم أضيف إلى ذكر أخلاقه ذكر خلقته ثم ذكر معجزاته التى صحت بها الأخبار ليكون ذلك معربا عن مكارم الأخلاق والشيم ، ومنتزعا عن آذان الجاحدين لنبوته صمام الصمم . والله تعالى ولى التوفيق للاقتداء بسيد المرسلين فى الأخلاق والأحوال وسائر معالم الدين فإنه دليل المتحيرين ومجيب دعوة المضطرين . ولنذكر فيه أولا بيان تأديب الله تعالى إياه بالقرآن ، ثم بيان جوامع من محاسن أخلاقه ، ثم بيان جملة من آدابه وأخلاقه ، ثم بيان كلامه وضحكه ، ثم بيان أخلاقه وآدابه فى الطعام ، ثم بيان أخلاقه وآدابه فى اللباس ، ثم بيان عفوه مع القدرة ثم بيان إغضائه عما كان يكره ، ثم بيان سخاوته وجوده ، ثم بيان شجاعته وبأسه ، ثم بيان تواضعه ، ثم بيان صورته وخلقته ، ثم بيان جوامع معجزاته وآياته صلى الله عليه وسلم .

بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال من الله تعالى أن يزينه بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق ، فكان يقول فى دعائه «اللهم حسن خلقى وخلقى [1] » ويقول « اللهم جنبنى منكرات الأخلاق [2] » فاستجاب الله تعالى دعاءه وفاء بقوله عز وجل ﴿ ادعونى أستجب لكم ﴾ فأنزل عليه القرآن وأدبه به فكان خلقه القرآن .

قال سعد بن هشام : دخلت على عائشة رضى الله عنها وعن أبيها فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : أما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، قالت : كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن [3] .

وإنما أدبه القرآن بمثل قوله تعالى ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ وقوله ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ﴾ وقوله ﴿ واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ وقوله ﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ وقوله ﴿ فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ﴾ وقوله ﴿ وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ وقوله ﴿ ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ﴾ وقوله ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ وقوله ﴿ اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ﴾ ولما كسرت رباعيته وشج يوم أحد فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم ويقول « كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم [4] » فأنزل الله تعالى ﴿ ليس لك من الأمر شىء ﴾ تأديبا له على ذلك .

وأمثال هذه التأديبات فى القرآن لا تحصر وهو عليه السلام المقصود الأول بالتأديب والتهذيب ، ثم منه يشرق النور على كافة الخلق فإنه أدب بالقرآن وأدب الخلق به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق [5] » ثم رغب الخلق فى محاسن الأخلاق بما أوردناه فى كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق فلا نعيده ، ثم لما أكمل الله تعالى خلقه أثنى عليه فقال تعالى ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ فسبحانه ما أعظم شأنه وأتم امتنانه ثم انظر إلى عميم لطفه وعظيم فضله كيف أعطى ثم أثنى ؟ فهو الذى زينه بالخلق الكريم ثم أضاف إليه ذلك فقال ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ ثم بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للخلق أن الله يحب مكارم الأخلاق ويبغض سفسافها [6] قال على رضى الله عنه يا عجبا لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لقد كان ينبغى له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق فإنها مما تدل على سبيل النجاة . فقال له رجل : أسمعته من رسول الله

كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة

(١) حديث : كان يقول فى دعائه « اللهم حسن خلقى وخلقى » أخرجه أحمد من حديث ابن مسعود ومن حديث عائشة ولفظهما « اللهم أحسنت خلقى فأحسن خلقى » وإسنادهما جيد وحديث ابن مسعود رواه ابن حبان (٢) حديث « اللهم جنبنى منكرات الأخلاق » أخرجه الترمذى وحسنه والحاكم وصححه واللفظ له من حديث قطبة بن مالك وقال الترمذى « اللهم إنى أعوذ بك » (٣) حديث سعد بن هشام : دخلت على عائشة فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن . رواه مسلم ووهم الحاكم فى قوله إنهما لم يخرجاه (٤) حديث : كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم أحد ... الحديث ، فى نزول « ليس لك من الأمر شىء » أخرجه مسلم من حديث أنس وذكره البخارى تعليقا (٥) حديث « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » أخرجه أحمد والحاكم والبيهقى من حديث أبى هريرة قال الحاكم صحيح على شرط مسلم وقد تقدم فى آداب الصحبة .

(٦) حديث « إن الله يحب معالى الأخلاق ويبغض سفسافها » أخرجه البيهقى من حديث سهل بن سعد متصلا ومن رواية طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلا ورجالهما ثقات .

صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؟ فقال نعم وما هو خير منه لما أتى بسبايا طيء وقفت جارية فى السبي فقالت : يامحمد إن رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب فإنى بنت سيد قومى وإن أبى كان يحمى الذمار ويفك العانى ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشى السلام ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا ابنة حاتم الطائى . فقال صلى الله عليه وسلم « ياجارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق وإن الله يحب مكارم الأخلاق » فقام أبو بردة بن نيار فقال : يارسول الله ؛ الله يحب مكارم الأخلاق ؟ فقال « والذى نفسى بيده لايدخل الجنة إلا حسن الأخلاق [1] » وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الله حف الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال [2] » ومن ذلك حسن المعاشرة وكرم الصنيعة ولين الجانب وبذل المعروف وإطعام الطعام وإفشاء السلام وعيادة المريض المسلم برا كان أو فاجرا وتشييع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاورت ـ مسلما كان أو كافرا ـ وتوقير ذى الشيبة المسلم وإجابة الطعام والدعاء عليه والعفو والإصلاح بين الناس والجود والكرم والسماحة والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس واجتناب ماحرمه الإسلام من اللهو والباطل والغناء والمعازف كلها وكل ذى وتر وكل ذى دخل والغابة والكذب والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة والنميمة وسوء ذات البين وقطيعة الأرحام وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة والبذخ والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغى والعدوان والظلم . قال أنس رضى الله عنه . فلم يدع نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها ولم يدع غشا ـ أو قال عيبا ، أو قال شيئا ـ إلا حذرناه ونهانا عنه [3] ويكفى من ذلك كله هذه الآية ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ الآية وقال معاذ : أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «يامعاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل ولزوم الإيمان والتفقه فى القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح ، وأنهاك أن تسب حكيما أو تكذب صادقا أو تطيع آثما أو تعصى إماما عادلا أو تفسد أرضا وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر ، وأن تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية [4] » فهكذا أدب عباد الله ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب .

بيان جملة من محاسن أخلاقه التى جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار

فقال : كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس [5] وأشجع الناس [6] وأعدل الناس [7] وأعف الناس لم تمس يده قط

---

(١) حديث على قوله : واعجبا لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا ... الحديث . وفيه مرفوعا « لما أتى بسبايا طيء وقفت جارية فى السبي فقالت : يامحمد إن رأيت أن تخلى عنى ... الحديث أخرجه الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول بإسناد فيه ضعف (٢) حديث معاذ « حف الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ... الحديث » بطوله لم أقف له على أصل وينفى عنه حديث معاذ الآتى بعده بحديث (٣) حديث أنس : لم يدع صلى الله عليه وسلم نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها . لم أقف له على اسناد وهو صحيح من حيث الواقع (٤) حديث « يامعاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث ... الحديث » أخرجه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الزهد وقد تقدم فى آداب الصحبة (٥) حديث : كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس . أخرجه أبو الشيخ فى كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عبد الرحمن بن أبزى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحلم الناس ... الحديث . وهو مرسل . وروى أبو حاتم بن حبان من حديث عبد الله بن سلام فى قصة اسلام زيد بن شعثة من أحبار اليهود وقول زيد لعمر بن الخطاب : ياعمر كل علامات النبوة قد عرفتها فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولاتزيده شدة الجهل عليه الا حلما فقد اختبرتهما .. الحديث » (٦) الحديث : أنه كان أشجع الناس . متفق عليه من حديث أنس (٧) حديث : كان أعدل الناس . أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث على بن أبى طالب فى الحديث الطويل فى صفته صلى الله عليه وسلم : لايقصر عن الحق ولايجاوزه . وفيه :

يد امرأة لايملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه [١] وكان أسخى الناس [٢] لايبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل شيء ولم يجد من يعطيه وجاء الليل لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه [٣] لايأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر مايجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك فى سبيل الله [٤] لايسأل شيئا إلا أعطاه [٥] ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى إنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء [٦] وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم فى مهنة أهله [٧] ويقطع اللحم معهن [٨] وكان أشد الناس حياء لايثبت بصره فى وجه أحد [٩] ويجيب دعوة العبد والحر [١٠] ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها [١١]

= قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وساروا عنده فى الحق سواء ... الحديث . وفيه من لم يسم (١) حديث : كان أعف الناس لم تمس يده قط يد امرأة لايملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم له . أخرجه الشيخان من حديث عائشة : مامست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة إلا امرأة يملكها (٢) حديث : كان صلى الله عليه وسلم أسخى الناس . أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس « فضلت على الناس بأربع . بالسخاء والشجاعة ... الحديث . ورجاله ثقات. وقال صاحب الميزان إنه منكر وفى الصحيحين من حديثه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس واتفقا عليه من حديث ابن عباس . وتقدم فى الزكاة (٣) حديث : كان لايبيت عنده دينار ولا درهم قط وإن فضل ولم يجد من يعطيه وجاء الليل لم يأو إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه . أخرجه أبو داود من حديث بلال فى حديث طويل فيه : أهدى صاحب فدك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركائب عليهن كسوة وطعام وبيع بلال لذلك ووفاء دينه ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد فى المسجد وحده . وفيه : قال « فضل شيء » قلت : نعم ، ديناران قال « انظر أن تريحنى منهما فلست بداخل على أحد من أهلى حتى تريحنى منهما » فلم يأتنا أحد فبات فى المسجد حتى أصبح وظل فى المسجد اليوم الثانى حتى إذا كان فى آخر النهار جاء راكبان فانطلقت بهما فكسوتهما وأطعمتهما حتى إذا صلى العتمة دعانى فقال « مافعل الذى قبلك ؟ » قلت : قد أراحك الله منه ؛ فكبر وحمد الله شفقا من أن يدركه الموت وعنده ذلك ثم اتبعته حتى جاء أزواجه ... الحديث . وللبخارى من حديث عقبة بن الحارث : ذكرت وأنا فى الصلاة فكرهت أن يمسى ويبيت عندنا فأمرت بقسمته . ولأبى عبيد فى غريبه من حديث الحسن بن محمد مرسلا : كان لايقبل مالا عنده ولايبيته (٤) حديث : كان لايأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر مايجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك فى سبيل الله . متفق عليه بنحوه من حديث عمر بن الخطاب وقد تقدم فى الزكاة .

(٥) حديث : كان لايسئل شيئاً إلا أعطاه . أخرجه الطيالسى والدارمى من حديث سهل بن سعد وللبخارى من حديثه : فى الرجل الذى سأله الشملة فقيل له سألته إياها وقد علمت أنه لايرد سائلا ... الحديث . ولمسلم من حديث أنس : ماسئل على الإسلام شيئاً إلا أعطاه . وفى الصحيحين من حديث جابر : ماسئل شيئاً قط فقال : لا (٦) حديث : أنه كان يؤثر مما ادخر لعياله حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام . هذا معلوم ويدل عليه مارواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث ابن عباس : أنه صلى الله عليه وسلم توفى ودرعه مرهونة بعشرين صاعا من طعام أخذه لأهله . وقال ابن ماجه بثلاثين صاعا من شعير . وإسناده جيد والبخارى من حديث عائشة : توفى ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين وفى رواية البيهقى : بثلاثين صاعا من شعير .

(٧) حديث : وكان صلى الله عليه وسلم يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم فى مهنة أهله . أخرجه أحمد من حديث عائشة : كان يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل فى بيته كما يعمل أحدكم فى بيته . ورجاله رجال الصحيح ورواه أبو الشيخ بلفظ : ويرقع الثوب . وللبخارى من حديث عائشة : كان يكون فى مهنة أهله .

(٨) حديث : أنه كان يقطع اللحم . أخرجه أحمد من حديث عائشة : أرسل إلينا آل أبى بكر بقائمة شاة ليلا فأمسكت وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم — أو قالت — فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعت . وفى الصحيحين من حديث عبد الرحمن ابن أبى بكر فى أثناء حديث : وايم الله مامن الثلاثين ومائة إلا حز له رسول الله صلى الله عليه وسلم من سواد بطنها .

(٩) حديث : كان من أشد الناس حياء لايثبت بصره فى وجه أحد . أخرجه الشيخان من حديث أبى سعيد الخدرى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها (١٠) حديث : كان يجيب دعوة العبد والحر . أخرجه الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث أنس : كان يجيب دعوة المملوك . قال الحاكم صحيح الإسناد . قلت : بل ضعيف وللدارقطنى فى غرائب مالك وضعفه والخطيب فى أسماء من روى عن مالك من حديث أبى هريرة : كان يجيب دعوة العبد إلى أى طعام دعى ويقول « لودعيت إلى كراع لأجبت » . وهذا بعمومه دال على إجابة دعوة الحر وهذه القطعة الأخيرة عند البخارى من حديث أبى هريرة وقد تقدم وروى ابن سعد من رواية حمزة بن عبد الله بن عتبة : كان لايدعوه أحر ولا أسود من الناس إلا اجابه ... الحديث . وهو مرسل (١١) حديث : كان يقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها أخرجه البخارى من حديث عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها . وأما ذكر : جرعة اللبن ، وفخذ الأرنب . فى الصحيحين من حديث أم الفضل : أنها أرسلت بقدح لبن إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة فشربه . ولأحمد من =

ويأكلها ولا يأكل الصدقة [١] ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين [٢] يغضب لربه ولا يغضب لنفسه [٣] وينفذ الحق وإن عاد ذلك عليه بالضرر أو على أصحابه . وعرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو فى قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيده فى عدد من معه فأبى وقال : أنا لا أنتصر بمشرك [٤] وجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وإن بأصحابه لحاجة إلى بعير واحد يتقوون به [٥] وكان يعصب الحجر على بطنه مرة من الجوع [٦] ومرة يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم حلال وإن وجد تمرا دون خبزا كله [٧] وإن وجد شواء اكله وإن وجد خبز بر أو شعير أكله وإن وجد حلوا أو عسلا أكله وإن وجد لبنا دون خبز اكتفى به وإن وجد بطيخا أو رطبا أكله ، لا يأكل متكئا [٨] ولا على خوان [٩] منديله باطن قدميه [١٠] لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية [١١] حتى لقى الله تعالى إيثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا يجيب الوليمة [١٢]

= حديث عائشة : أهدت أم سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا ... الحديث . وفى الصحيحين من حديث أنس : أن أبا طلحة بعث بورك أرنب أو فخذها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله (١) حديث : كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة . متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم (٢) حديث : كان لا يستكبر أن يمشى مع المسكين . أخرجه النسائى والحاكم من حديث عبد الله بن أبى أوفى بسند صحيح وقد تقدم فى الباب الثانى من آداب الصحبة ورواه الحاكم أيضاً من حديث أبى سعيد الخدرى وقال صحيح على شرط الشيخين (٣) حديث : كان يغضب لربه ولا يغضب لنفسه . أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث هند ابن أبى هالة وفيه : وكان لا تغضبه الدنيا وما كان منها فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شىء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها . وفيه من لم يسم (٤) حديث : وينفذ الحق وان عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو فى قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيد فى عدد من معه فأبى وقال « أنا لا أستنصر بمشرك » أخرجه مسلم من حديث عائشة : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ففرح به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فلما أدركه قال جئت لأتبعك وأصيب معك فقال له « أتؤمن بالله ورسوله » قال : لا . قال « فارجع فلن أستعين بمشرك ... الحديث » (٥) حديث : وجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم فوداه بمائة ناقة . . الحديث . متفق عليه من حديث سهل بن أبى حثمة ورافع بن خديج والرجل الذى وجد مقتولا هو عبد الله ابن سهل الأنصارى .

(٦) حديث : كان يعصب الحجر على بطنه من الجوع . متفق عليه من حديث جابر فى قصة حفر الخندق وفيه : فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم شد على بطنه حجرا ؛ وأغرب ابن حبان فقال فى صحيحه إنما هو الحجز — بضم الحاء وآخره زاى — جمع حجزة وليس بمتابع على ذلك . ويرد على ذلك ما رواه الترمذى من حديث أبى طلحة : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين . ورجاله كلهم ثقات

(٧) حديث : كان يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع من مطعم حلال إن وجد تمرا دون خبز أكله وإن وجد خبز بر أو شعير أكله وإن وجد حلوا أو عسلا أكله وإن وجد لبنا دون خبز اكتفى به وإن وجد بطيخا أو رطبا أكله . انتهى . هذا كله معروف من أخلاقه ففى الترمذى من حديث أم هانئ دخل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال « أعندك شىء ؟ » قلت : لا ، إلا خبز يابس وخل فقال « هات » الحديث ، وقال حسن غريب وفى كتاب الشمائل لأبى الحسن بن الضحاك بن المقرى من رواية الأوزاعى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أبالى ما رددت به الجوع » وهذا معضل ، ولمسلم من حديث جابر : أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل أهله الأدم فقالوا : ما عندنا إلا خل ، فدعا به ... الحديث . وله من حديث أنس : رأيته مقعيا يأكل تمرات والترمذى وصححه من حديث أم سلمة أنها قربت إليه جنبا مشويا فأكل منه ... الحديث . وللشيخين من حديث عائشة : ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا خبز بر حتى مضى لسبيله . لفظ مسلم وفى رواية له : ما شبع من خبز شعير يومين متتابعين . والترمذى وصححه وابن ماجه من حديث ابن عباس : كان أكثر خبزهم الشعير . وللشيخين من حديث عائشة : كان يحب الحلواء والعسل . ولهما من حديث ابن عباس : أن النبى صلى الله عليه وسلم شرب لبنا فدعا بماء فمضمض . والنسائى من حديث عائشة كان يأكل الرطب بالبطيخ وإسناده صحيح (٨) حديث : أنه كان لا يأكل متكئا . تقدم فى آداب الأكل من الباب الأول (٩) حديث : أنه كان لا يأكل على خوان . تقدم فى الباب المذكور (١٠) حديث : كان منديله باطن قدمه . لا أعرفه من فعله وإنما المعروف فيه ما رواه ابن ماجه من حديث جابر : كنا زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قليلا ما نجد الطعام فإذا وجدناه لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا . وقد تقدم فى الطهارة (١١) حديث : لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقى الله . تقدم فى جملة الأحاديث التى قبله بثلاثة أحاديث (١٢) حديث : كان يجيب الوليمة . هذا معروف وتقدم قوله « لو دعيت إلى كراع لأجبت » وفى الأوسط للطبرانى من حديث ابن عباس : أنه كان الرجل من أهل الموالى ليدعو رسول الله =

ويعود المرضى [١] ويشهد الجنائز ويمشى وحده بين أعدائه بلا حارس [٢] أشد الناس تواضعا وأسكنهم فى غير كبر [٣] وأبلغهم فى غير تطويل [٤] وأحسنهم بشرا [٥] لايهوله شىء من أمر الدنيا [٦] ويلبس ماوجد فمرة شملة ومرة برد حبرة يمانيا ومرة جبة صوف ماوجد من المباح لبس [٧] وخاتمه فضة [٨] يلبسه فى خنصره الأيمن [٩] والأيسر [١٠] يردف خلفه عبده أو غيره [١١] يركب ماأمكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة يمشى راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى فى أقصى المدينة [١٢] يحب الطيب ويكره الرائحة

صلى الله عليه وسلم بنصف الليل على خبز الشعير فيجيب : ولسناده ضعيف (١) حديث : كان يعود المريض ويشهد الجنازة أخرجه الترمذى وضعفه ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أنس ورواه الحاكم من حديث سهل بن حنيف ، وقال صحيح الإسناد وفى الصحيحين عدة أحاديث من عيادته للمرضى وشهوده للجنائز (٢) حديث : كان يمشى وحده بين أعدائه بلا حارس . أخرجه الترمذى والحاكم من حديث عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ فأخرج رأسه من القبة فقال « انصرفوا فقد عصمنى الله » قال الترمذى غريب وقال الحاكم صحيح الإسناد .

(٣) حديث : كان أشد الناس تواضعا وأسكنهم من غير كبر . رواه أبو الحسن بن الضحاك فى الشمائل من حديث أبى سعيد الخدرى فى صفته صلى الله عليه وسلم : هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه — الى أن قال — متواضع فى غير ذلة — وفيه — ذائب الإطراق . واسناده ضعيف وفى الأحاديث الصحيحة الدالة على شدة تواضعه غنية عنه منها عند النسائى من حديث ابن أبى أوفى : كان لايأنف ولايستكبر أن يمشى مع الأرملة والمسكين ... الحديث . وقد تقدم وعند أبى داود من حديث البراء : فجلس وجلسنا كأن على رءوسنا الطير .. الحديث . ولأصحاب السنن من حديث أسامة بن شريك : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه كأنما على رءوسهم الطير (٤) حديث : كان أبلغ الناس من غير تطويل . أخرجه البخارى ومسلم من حديث عائشة : كان يحدث حديثا لوعده العاد لأحصاه . ولهما من حديثها : لم يكن يسرد الحديث كسردكم علقه البخارى ووصله مسلم زاد الترمذى : ولكنه كان يتكلم بكلام يبينه فصل يحفظه من جلس اليه وله فى الشمائل من حديث ابن أبى هالة : يتكلم بجوامع الكلم فصل لافضول ولاتقصير (٥) حديث : كان أحسنهم بشرا . أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث على بن أبى طالب : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق ... الحديث وله فى الجامع من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء : مارأيت أحدا كان أكثر تبسما من رسول الله صلى عليه وسلم وقال غريب . قلت : وفيه ابن لهيعة .

(٦) حديث : كان لايهوله شىء من أمور الدنيا . أخرجه أحمد من حديث عائشة : مأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شىء من الدنيا ومأعجبه أحد قط الا ذو تقى وفى لفظ له : ما أعجب النبى صلى الله عليه وسلم شىء من الدنيا الا أن يكون فيها ذو تقى . وفيه ابن لهيعة (٧) حديث : كان يلبس ماوجد فمرة شملة ومرة حبرة ومرة جبة صوف ماوجد من المباح لبس . أخرجه البخارى من حديث سهل بن سعد : جاءت امرأة ببردة . قال سهل : هل تدرون ما البردة ؟ هى الشملة منسوج فى حاشيتها وفيه : فخرج الينا وأنها لإزاره . . الحديث ولابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى شملة قد عقد عليها . فيه الأحوص بن حكيم مختلف فيه وللشيخين من حديث أنس : كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلبسها الحبرة . ولهما من حديث المغيرة بن شعبة وعليه جبة من صوف (٨) حديث : خاتمه فضة . متفق عليه من حديث أنس : اتخذ خاتما من فضة (٩) حديث : لبسه الخاتم فى خنصره الأيمن أخرجه مسلم من حديث أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة فى يمينه . وللبخارى من حديثه : فإنى لأرى بريقه فى خنصره (١٠) حديث : تختمه فى الأيسر أخرجه مسلم من حديث أنس : كان خاتم النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه — وأشار الى الخنصر من يده اليسرى —

(١١) حديث : اردافه خلفه عبده أو غيره : أردف صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد من عرفة . كما ثبت فى الصحيحين من حديث ابن عباس ومن حديث أسامة ، وأردفه مرة أخرى على حمار وهو فى الصحيحين أيضاً من حديث أسامة وهو مولاه وابن مولاه ، وأردف الفضل بن عباس من المزدلفة وهو فى الصحيحين أيضاً من حديث أسامة ومن حديث ابن عباس والفضل بن عباس وأردف معاذ بن جبل وابن عمر وغيرهم من الصحابة .

(١٢) حديث : كان يركب ماأمكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة راجلا ومرة حافيا بلا رداء ولاعمامة ولاقلنسوة ، يعود المرضى فى أقصى المدينة . فى الصحيحين من حديث أنس : ركوبه صلى الله عليه وسلم فرسا لأبى طلحة . ولمسلم من حديث جابر بن سمرة ركوبه الفرس عريا حين انصرف من جنازة ابن الدحداح ولمسلم من حديث سهل بن سعد : كان النبى صلى الله عليه وسلم فرس يقال له : اللحيف . ولهما من حديث ابن عباس : طاف النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع على بعير . ولهما من حديث البراء : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء يوم حنين . ولهما من حديث أسامة : أنه صلى الله عليه وسلم ركب على حمار على اكاف .. الحديث . ولهما من حديث ابن عمر : كان يأتى قبا راكبا وماشيا . ولمسلم من حديثه فى عيادته صلى الله عليه وسلم لسعد بن عبادة : فقام وقمنا معه ونحن بضعة عشر ما علينا نعال ولا خفاف ولا قلانس ولا قمص نمشى فى السباخ ... الحديث .

الرديئة [١] ويجالس الفقراء [٢] ويؤاكل المساكين [٣] ويكرم أهل الفضل فى أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم [٤] يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم [٥] لايجفو على أحد [٦] يقبل معذرة المعتذر إليه [٧] يمزح ولا يقول إلا حقا [٨] يضحك من غير قهقهة [٩] يرى اللعب المباح فلاينكره [١٠] يسابق أهله [١١] وترفع الأصوات عليه فيصبر [١٢] وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها [١٣] وكان له عبيد وإماء لايرتفع عليهم فى

---

(١) حديث : كان يحب الطيب والرائحة الطيبة ويكره الروائح الرديئة . أخرجه النسائي من حديث أنس . حبب الى النساء والطيب وأبو داود والحاكم من حديث عائشة : أنها صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من صوف فلبسها فلما عرق وجد ريح الصوف فخلعها وكان يعجبه الريح الطيبة . لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ولابن عدى من حديث عائشة كان يكره أن يوجد منه الا ريح طيبة . (٢) حديث : كان يجالس الفقراء . أخرجه أبو داود من حديث أبى سعيد : جلست فى عصابة من ضعفاء المهاجرين وإن بعضهم ليستتر بعضا من العرى ... الحديث . وفيه : فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطنا ليعدل بنفسه فينا .. الحديث . وابن ماجه من حديث خباب : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا ... الحديث فى نزول قوله تعالى ﴿ ولاتطرد الذين يدعون ربهم ﴾ إسنادها حسن (٣) حديث : مؤاكلته للمساكين أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام لايأوون الى أهل ولا مال ولاعلى أحد ، إذا أتته صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها وإذا أتته هدية أرسل اليهم وأصاب منها وأشركهم فيها . (٤) حديث: كان يكرم أهل الفضل فى أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم . أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث على الطويل فى صفته صلى الله عليه وسلم : وكان من سيرته إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم فى الدين . وفيه . ويؤلفهم ولاينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ... الحديث . وللطبرانى من حديث جرير فى قصة إسلامه . فألقى الى كساءه ثم أقبل على أصحابه ثم قال إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه . وإسناده جيد ورواه الحاكم من حديث معبد بن خالد الأنصارى عن أبيه نحوه وقال صحيح الإسناد (٥) حديث . كان يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم . أخرجه الحاكم من حديث ابن عباس . كان يجل العباس لجلال الوالد والوالدة . وله من حديث سعد بن وقاص . أنه أخرج عمه العباس وغيره من المسجد فقال له العباس تخرجنا ونحن عصبتك وعمومتك وتسكن عليا فقال « ماأنا أخرجكم وأسكنه ولكن الله أخرجكم وأسكنه » قال فى الأول صحيح الإسناد وسكت عن الثانى وفيه مسلم الملائى ضعيف . فآثر عليا لفضله بتقدم إسلامه وشهوده بدرا والله أعلم وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد لايبقين فى المسجد باب الا سد إلا باب أبى بكر . (٦) حديث . كان لايجفو على أحد . رواه أبو داود والترمذى فى الشمائل والنسائى فى اليوم والليلة من حديث أنس كان قلما يواجه رجلا بشىء يكرهه . وفيه ضعف وللشيخين من حديث أبى هريرة : أن رجلا استأذن عليه صلى الله عليه وسلم فقال « بئس أخو العشيرة فلما دخل ألان له القول ... الحديث »

(٧) حديث . يقبل معذرة المعتذر إليه . متفق عليه من حديث كعب بن مالك فى قصة الثلاثة الذين خلفوا وفيه : طفق المخلفون يعتذرون اليه فقبل منهم علانيتهم ... الحديث . (٨) حديث : يمزح ولايقول إلا حقا . أخرجه أحمد من حديث أبى هريرة وهو عند الترمذى بلفظ : قالوا انك تداعبنا : قال « إنى ولا أقول إلا حقا » وقال حسن . (٩) حديث : ضحكه من غير قهقهة أخرجه الشيخان من حديث عائشة : ماأرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا حتى أرى لهواته انما كان يتبسم . والترمذى من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء : ماكان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تبسما . قال صحيح غريب وله فى الشمائل فى حديث هند بن أبى هالة : جل ضحكه التبسم . (١٠) حديث : يرى اللعب المباح ولايكرهه . أخرجه الشيخان من حديث عائشة : فى لعب الحبشة بين يديه فى المسجد وقال لهم « دونكم يابنى أرفدة » وقد تقدم فى كتاب السماع . (١١) حديث: مسابقته صلى الله عليه وسلم أهله . أخرجه أبو داود والنسائى فى الكبرى وابن ماجه من حديث عائشة : فى مسابقته لها : وتقدم فى الباب الثالث من النكاح . (١٢) حديث : ترفع الأصوات عنده فيصبر . أخرجه البخارى من حديث عبد الله بن الزبير : قدم ركب من بنى تميم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر : أمر القعقاع بن معبد ، وقال عمر : بل أمر الأقرع بن حابس . فقال أبو بكر : ماأردت الا خلافى ؟ وقال عمر : ماأردت خلافك . فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله ﴾ . (١٣) حديث : وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها . أخرجه محمد بن سعد فى الطبقات من حديث أم سلمة : كان عيشنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن — أو قالت أكثر عيشنا — كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاح بالغابة ... الحديث . وفى رواية له : كانت لنا أعنز سبع فكان الراعى يبلغ بهن مرة الحمى ومرة أحدا ويروح بهن علينا وكانت لقاح بذى الجدل فيؤوب الينا ألبانهم بالليل ... الحديث . وفى إسنادهما محمد بن عمر الواقدى ضعيف فى الحديث ، وفى الصحيحين من حديث سلمة بن الأكوع : كانت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ترعى بذى قرد ... الحديث. ولأبى داود من حديث لقيط بن صبرة . لنا غنم مائة لانريد أن تزيد فإذا ولد الراعى بهمة ذبحنا مكانها شاة ... الحديث

مأكل ولا ملبس [١] ولا يمضى له وقت فى غير عمل لله تعالى أو فيما لابد له منه من صلاح نفسه [٢] يخرج إلى بساتين أصحابه [٣] لا يحتقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء مستويا [٤] قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب ، نشأ فى بلاد الجهل والصحارى فى فقره وفى رعاية الغنم يتيما لا أب له ولا أم فعلمه الله تعالى جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز فى الآخرة والغبطة والخلاص فى الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول [٥] . وفقنا الله لطاعته فى أمره والتأسى به فى فعله آمين يارب العالمين .

بيان جملة أخرى من آدابه وأخلاقه

مما رواه أبو البختري قال : ماشتم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من المؤمنين بشتيمة إلا جعل لها كفارة ورحمة [٦] وما لعن امرأة قط ولا خادما بلعنة [٧] وقيل له وهو فى القتال : لو لعنتم يارسول الله فقال « إنما بعثت

---

(١) حديث : كان له عبيد وإماء فلا يرتفع عليهم فى مأكل ولا ملبس . أخرجه محمد بن سعد فى الطبقات من حديث سلمى قالت : كان خدم النبي صلى الله عليه وسلم أنا وخضرة ورضوى وميمونة بنت سعد أعتقهن كلهن . ولإسناده ضعيف ، وروى أيضا أن أبابكر بن حزم كتب إلى عمر بن عبد العزيز بأسماء خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر : بركة — أم أيمن — وزيد ابن حارثة وأبا كبشة وأنسة وشقران وسفينة وثوبان ورباحا ويسارا وأبا رافع وأنا مويهبة ورافعا ، أعتقهم كلهم ، وفضالة ومدعما وكركرة وروى أبوبكر بن الضحاك فى الشمائل من حديث أبى سعيد الخدرى بإسناد ضعيف : كان صلى الله عليه وسلم يأكل مع خادمه . ومسلم من حديث أبى اليسر « أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون ... الحديث » (٢) حديث : لا يمضى له وقت فى غير عمل لله تعالى أو فيما لابد منه من صلاح نفسه . أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث على بن أبى طالب : كان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءا لله وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ، ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فرد ذلك بالخاصة على العامة ... الحديث . (٣) حديث : يخرج إلى بساتين أصحابه . تقدم فى الباب الثالث من آداب الأكل (خروجه صلى الله عليه وسلم إلى بستان أبى الهيثم بن التيهان وأبى أيوب الأنصارى وغيرهما) .

(٤) حديث : لا يحتقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء واحدا . أخرجه البخارى من حديث سهل بن سعد : مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ماتقولون فى هذا ؟ » قالوا : حرى إن خطب أن ينكح ... الحديث . وفيه : فمر رجل من فقراء المسلمين فقال « ماتقولون فى هذا ؟ » قالوا : حرى إن خطب أن لا ينكح ... الحديث . وفيه « هذا خير من ملء الأرض مثل هذا » ومسلم من حديث أنس : أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقيصر والنجاشى وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عزوجل . (٥) حديث : قد جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ فى بلاد الجهل والصحارى وفى فقر وفى رعاية الغنم لا أب له ولا أم فعلمه الله جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز فى الآخرة والغبطة والخلاص فى الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول . هذا كله معروف معلوم نروى الترمذى فى الشمائل من حديث على بن أبى طالب فى حديثه الطويل فى صفته : وكان من سيرته فى جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه ... الحديث . وفيه : فسألته عن سيرته فى جلسائه فقال كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ... الحديث . وفيه : كان يخزن لسانه إلا فيما يعنيه . وفيه : قد ترك نفسه من ثلاث : من المراء والإكثار وما لا يعنيه ... الحديث . وقد تقدم بعضه ، وروى ابن مردويه من حديث ابن عباس فى قوله (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) قال : كان نبي الله صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ ولا يكتب . وقد تقدم فى العلم وللبخارى من حديث ابن عباس قال : إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ مافوق الثلاثين ومائة فى سورة الأنعام (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم) وأحمد وابن حبان من حديث أم سلمة فى قصة هجرة الحبشة : أن جعفرا قال للنجاشى أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ... الحديث . ولأحمد من حديث أبى بن كعب : إنى لفى صحراء ابن عشر سنين وأشهر فإذا كلام فوق رأسى .. الحديث والبخارى من حديث أبى هريرة : كنت أرعاها — أى الغنم — على قراريط لأهل مكة ولأبى يعلى وابن حبان من حديث حليمة : إنما نرجو كرامة الرضاعة من والد المولود وكان يتيما ... الحديث . وتقدم حديث « بعثت بمكارم الأخلاق » (٦) حديث « ماشتم أحدا من المؤمنين إلا جعلها الله كفارة ورحمة » متفق عليه من حديث أبى هريرة فى أثناء حديث فيه « فأى المؤمنين لعنته شتمته جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة » وفى رواية « فاجعلها زكاة ورحمة » وفى رواية « فاجعلها له كفارة وقربة » وفى رواية « فاجعل ذلك كفارة له يوم القيامة » (٧) حديث : مالعن امرأة ولا خادما قط . المعروف : ماضرب . مكان مالعن . كما هو متفق عليه من حديث عائشة وللبخارى من حديث أنس : لم يكن فاحشا ولا لعانا . وسيأتى الحديث الذى بعده فيه هذا المعنى » =

رحمة ولم أبعث لعانا [١] » وكان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه إلى الدعاء له [٢] وما ضرب بيده أحدا قط إلا أن يضرب بها فى سبيل الله تعالى ، وما انتقم من شىء صنع إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله ، وما خير بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك [٣] وما كان يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلا قام معه فى حاجته [٤] وقال أنس رضى الله عنه : والذى بعثه بالحق ماقال لى فى شىء قط كرهه « لم فعلته ؟ » ولا لامنى نساؤه إلا قال « دعوه إنما كان هذا بكتاب وقدر [٥] » قالوا : وما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مضجعا ، إن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرش له اضطجع على الأرض [٦] وقد وصفه الله تعالى فى التوراة قبل أن يبعثه فى السطر الأول فقال : محمد رسول الله عبدى المختار لافظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولايجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ، مولده بمكة وهجرته بطابة وملكه بالشام يأتزر على وسطه هو ومن معه دعاة للقرآن والعلم يتوضأ على أطرافه . وكذلك نعته فى الإنجيل . وكان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام [٧] ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف [٨] وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر [٩] وكان إذا لقى أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته عليها [١٠] وكان لايقوم ولايجلس إلا على ذكر الله [١١] وكان لايجلس إليه أحد وهو يصلى إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال « ألك حاجة ؟ »

---

(١) حديث « إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعانا » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة (٢) حديث : كان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه ودعا له . أخرجه الشيخان من حديث أبى هريرة : قالوا يارسول الله إن دوسا قد كفرت وأبت فادع عليهم فقيل : هلكت دوس ، فقال « اللهم اهد دوسا وائت بهم » (٣) حديث : ماضرب بيده أحدا قط الا أن يضرب فى سبيل الله وماانتقم فى شىء صنع اليه الا أن تنتهك حرمة الله ... الحديث . متفق عليه من حديث عائشة مع اختلاف وقد تقدم فى الباب الثالث من آداب الصحبة (٤) حديث : ما كان يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلا قام معه فى حاجته أخرجه البخارى تعليقا من حديث أنس : ان كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت ووصله ابن ماجه وقال : فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت من المدينة فى حاجتها . وقد تقدم ، وتقدم أيضاً من حديث ابن أبى أوفى : ولا يأنف ولايستكبر أن يمشى مع الأرملة والمسكين حتى يقضى لها حاجتها

(٥) حديث أنس : والذى بعثه بالحق ماقال فى شىء قط كرهه « لم فعلته ؟ » ولا لامنى أحد من أهله إلا قال « دعوه إنما كان هذا بكتاب وقدر » أخرجه الشيخان من حديث أنس : ماقال لشىء صنعته؟ « لم صنعته » ولا لشىء تركته « لم تركته ؟ » وروى أبو الشيخ فى كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث له قال فيه : ولا أمرنى بأمر فتوانيت فيه فعاتبنى عليه ، فإن عاتبنى أحد من أهله قال « دعوه فلو قدر شىء كان » وفى رواية له « كذا قضى » (٦) حديث . ماعاب مضجعا ان فرشوا له اضطجع وان لم يفرشوا له اضطجع على الأرض . لم أجده بهذا اللفظ والمعروف . ماعاب طعاما . ويؤخذ من عموم حديث على بن أبى طالب . ليس بفظ ، الى أن قال . ولا عياب رواه الترمذى فى الشمائل والطبرانى وأبو نعيم فى دلائل النبوة ، وروى ابن أبى عاصم فى كتاب السنة من حديث أنس . ماأعلمه عاب شيئا قط . وفى الصحيحين من حديث عمر . اضطجاعه على حصير والترمذى وصححه من حديث ابن مسعود نام على حصير فقام وقد أثر فى جنبه . . الحديث (٧) حديث : كان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام . أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة (٨) حديث : ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف أخرجه الطبرانى ومن طريقه أبو نعيم فى دلائل النبوة من حديث على بن أبى طالب وهو من حديث أنس كان إذا لقى الرجل يكلمه لم يصرف وجهه حتى يكون هو المنصرف . ورواه الترمذى نحوه وقال غريب (٩) حديث : وماأخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر . أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أنس الذى قبله : كان إذا استقبل الرجل فصافحه لاينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع . لفظ الترمذى وقال غريب .

(١٠) حديث : كان إذا لقى أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته . أخرجه أبو داود من حديث أبى ذر : وسأله رجل من عنزة هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصافحكم إذا لقيتموه ؟ قال : مالقيته قط إلا صافحنى ... الحديث ، وفيه الرجل الذى من عنزة ولم يسم وسماه البيهقى فى الأدب عبد الله وروينا فى علوم الحديث للحاكم من حديث أبى هريرة قال : شبك بيدى أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وهو عند مسلم بلفظ : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده

(١١) حديث : كان لايقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله عز وجل أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث على فى حديثه الطويل فى صفته قال : على ذكر — بالتنوين —

فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته [١] وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة [٢] ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه [٣] لأنه كان حيث انتهى به المجلس جلس [٤] وما رؤى قط مادّ رجليه بين أصحابه حتى لايضيق بهما على أحد إلا أن يكون المكان واسعا لاضيق فيه ، وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة [٥] وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه [٦] وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تحته فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل [٧] وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه [٨] حتى يعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف محاسنه وتوجهه للجالس إليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة قال الله تعالى ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ ولقد كان يدعو أصحابه بكناهم إكراما لهم واستمالة لقلوبهم [٩] ويكنى من لم تكن له كنية فكان يدعى بما كناه به [١٠] ويكنى أيضا النساء اللاتى لهن الأولاد واللاتى لم يلدن يبتدئ لهن الكنى [١١]

---

(١) حديث : كان لايجلس إليه أحد وهو يصلى إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال « ألك حاجة ؟ » فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته لم أجد له أصلا (٢) حديث : كان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة . أخرجه أبو داود والترمذى فى الشمائل من حديث أبي سعيد الخدرى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس فى المجلس احتبى بيديه وإسناده ضعيف والبخارى من حديث ابن عمر : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة محتبيا بيديه .

(٣) حديث : إنه لم يكن يعرف مجلسه من مجالس أصحابه . أخرجه أبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة وأبى ذر : قالا كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس بين ظهرانى أصحابه فيجىء الغريب فلا يدرى أيهم هو ؟ حتى يسأل ... الحديث

(٤) حديث : إنه حيثما انتهى به المجلس جلس . رواه الترمذى فى الشمائل فى حديث على الطويل .

(٥) حديث : مارؤى قط مادا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بها على أحد إلا أن يكون المكان واسعا لاضيق فيه أخرجه الدارقطنى فى غرائب مالك من حديث أنس وقال باطل والترمذى وابن ماجه لم ير مقدما ركبتيه بين يدى جليس له ، زاد ابن ماجه قط ، وسنده ضعيف (٦) حديث . كان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولارضاع يجلسه عليه . أخرجه الحاكم وصحح إسناده من حديث أنس . دخل جرير بن عبد الله على النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه . فأخذ بردته فألقاها عليه فقال « اجلس عليها ياجرير » الحديث وفيه « فإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » وقد تقدم فى الباب الثالث من آداب الصحبة . وللطبرانى فى الكبير من حديث جرير . فألقى الى كساء ولأبى نعيم فى الحلية . فبسط الى رداءه .

(٧) حديث كان يؤثر الداخل بالوسادة التى تكون تحته ... الحديث تقدم فى الباب الثالث من آداب الصحبة .

(٨) حديث . مااستصفاه أحد الا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى يعطى كل من جلس اليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه وتوجهه للجالس اليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة . أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث على الطويل وفيه . ويعطى كل جلسائه نصيبه لايحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه . مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة .

(٩) حديث . كان يدعو أصحابه بكناهم اكراما لهم واستمالة لقلوبهم . فى الصحيحين فى قصة الدار من حديث أبى بكر . يا أبابكر ماظنك باثنين الله ثالثهما . وللحاكم من حديث ابن عباس . أنه قال لعمر ياأبا حفص أبصرت وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال عمر . انه لأول يوم كنانى فيه بأبى حفص . وقال صحيح على شرط مسلم وفى الصحيحين أنه قال لعلى . قم ياأبا تراب وللحاكم من حديث رفاعة بن مالك : أن أبا حسن وجد مغضبا فى بطنه فتخلفت عليه — يريد عليا — ولأبى يعلى الموصلى من حديث سعد ابن أبى وقاص . فقال من هذا ؟ أبو اسحق ؟ فقلت . نعم ، وللحاكم من حديث ابن مسعود . أن النبي صلى الله عليه وسلم كناه أبا عبد الرحمن ولم يولد له . (١٠) حديث . كان يكنى من لم يكن له كنية وكان يدعى بما كناه به أخرجه الترمذى من حديث أنس . قال كنانى صلى الله عليه وسلم بفلة كنت أختلها — يعنى أبا حمزة — قال حديث غريب وابن ماجه . أن عمر قال لصهيب ابن مالك تكتنى وليس لك ولد ؟ قال كنانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى يحيى . وللطبرانى من حديث أبى بكرة . تدليت ببكرة من الطائف فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم فأنت أبو بكرة . (١١) حديث . كان يكنى النساء اللاتى لهن الأولاد واللاتى لم يلدن يبتدئ لهن الكنى . أخرجه الحاكم من حديث أم أيمن فى قصة شربها بول النبي صلى الله عليه وسلم . فقال « يا أم أيمن قومى الى تلك الفخارة ... الحديث » وابن ماجه من حديث عائشة . أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم كل أزواجك كنيته غيرى قال « فأنت أم عبد الله » والبخارى من حديث أم خالد . أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها « ياأم خالد هذا سناه » وكانت صغيرة وفيه مولى للزبير لم يسم ولأبى داود بإسناد صحيح أنها قالت . يارسول الله كل صواحبى لهن كنى قال « فاكتنى بابنك عبد الله ابن الزبير » .

ويكنى الصبيان فيستلين به قلوبهم [١] وكان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا [٢] وكان أرأف الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس [٣] ولم تكن ترفع فى مجلسه الأصوات [٤] وكان إذا قام من مجلسه قال « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك » ثم يقول « علمنيهن جبريل عليه السلام [٥] » .

بيان كلامه وضحكه صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم أفصح الناس منطقا وأحلاهم كلاما ويقول [٦] :

أنا أفصح العرب [٧] وإن أهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد صلى الله عليه وسلم [٨] وكان نزر الكلام سمح المقالة إذا نطق ليس بمهذار وكان كلامه كخرزات نظمن [٩] قالت عائشة رضى الله تعالى عنها : كان لا يسرد الكلام كسردكم هذا كان كلامه نزرا وأنتم تنثرون الكلام نثرا [١٠] قالوا : وكان أوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل وكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد [١١] وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كأنه يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه [١٢] وكان جهير الصوت أحسن الناس نغمة [١٣] وكان طويل السكوت لا يتكلم فى غير

---

(١) حديث . كان يكنى الصبيان . فى الصحيحين من حديث أنس . أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأخ له صغير « يا أبا عمير ما فعل النغير » . (٢) حديث . كان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا . هذا من المعلوم ويدل عليه اخباره صلى الله عليه وسلم أن بنى آدم خيرهم بطىء الغضب سريع الفىء رواه الترمذى من حديث أبى سعيد الخدرى وقال حديث حسن وهو صلى الله عليه وسلم خير بنى آدم وسيدهم وكان صلى الله عليه وسلم لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها . رواه الترمذى فى الشمائل من حديث هند ابن أبى هالة . (٣) حديث . كان أرأف الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس . هذا من المعلوم ورويناه فى الجزء الأول من فوائد أبى الدحداح من حديث على فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم : كان أرحم الناس بالناس .. الحديث بطوله .

(٤) حديث : لم تكن ترفع فى مجلسه الأصوات . أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث على الطويل . (٥) حديث : كان إذا قام من مجلسه قال « سبحانك اللهم وبحمدك .. الحديث » أخرجه النسائى فى اليوم والليلة والحاكم فى المستدرك من حديث رافع ابن خديج وتقدم فى الأذكار والدعوات . (٦) حديث : كان أفصح الناس منطقا وأحلاهم كلاما . أخرجه أبو الحسن بن الضحاك فى كتاب الشمائل وابن الجوزى فى الوفاء بإسناد ضعيف من حديث بريدة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفصح العرب وكان يتكلم بالكلام لا يدرون ما هو حتى يخبرهم ؟

(٧) حديث « أنا أفصح العرب » أخرجه الطبرانى فى الكبير من حديث أبى سعيد الخدرى : أنا أعرب العرب . وإسناده ضعيف والحاكم من حديث عمر قال : قلت يا رسول الله ما بالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا ؟ الحديث : وفى كتاب الرعد والمطر لابن أبى الدنيا فى حديث مرسل : أن أعرابيا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : ما رأيت أفصح منك ؟

(٨) حديث : إن أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه الحاكم من حديث ابن عباس وصححه : كلام أهل الجنة عربى

(٩) حديث : كان نزر الكلام سمح المقالة إذا نطق ليس بمهذار وكأن كلامه خرزات النظم أخرجه الطبرانى من حديث أم معبد وكان منطقه خرزات نظم ينحدرن حلو المنطق لا نزر ولا هذر . وقد تقدم وسيأتى فى حديث عائشة بعده : كان إذا تكلم تكلم نزرا وفى الصحيحين من حديث عائشة : كان يحدثنا حديثا لو عده العاد لأحصاه . (١٠) حديث عائشة : كان لا يسرد كسردكم هذا كان كلامه نزرا وأنتم تنثرونه نثرا . اتفق الشيخان على أول الحديث وأما الجملتان الأخيرتان فرواه الخلعى فى فوائده بإسناد منقطع .

(١١) حديث : كان أوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل وكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد أخرجه عبد بن حميد من حديث عمر بسند منقطع والدارقطنى من حديث ابن عباس بإسناد جيد : أعطيت جوامع الكلم واختصر لى الحديث اختصارا . وشطره الأول متفق عليه — كما سيأتى — قال البخارى بلفظى فى جوامع الكلم أن الله جمع له الأمور الكثيرة فى الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك . وللحاكم من حديث عمر المتقدم : كانت لغة اسمعيل قد درست فجاء بها جبريل فحفظنيها . (١١) حديث : كان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كلام يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه . رواه الترمذى فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة : بعثت بجوامع الكلم . ولأبى داود من حديث جابر : كان فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم ترتيل أو ترسيل . وفيه شيخ لم يسم وله وللترمذى من حديث عائشة : كان كلام النبى صلى الله عليه وسلم كلاما فصلا يفهمه كل من سمعه . وقال الترمذى : يحفظه من جلس إليه وقال الترمذى فى اليوم والليلة : يحفظه من سمعه وإسناده حسن .

(١٣) حديث : كان جهير الصوت أحسن الناس نغمة . أخرجه الترمذى والنسائى فى الكبرى من حديث صفوان بن عسال قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر بينا نحن عنده إذ ناداه أعرابى بصوت له جهورى : يا محمد فأجابه رسول الله صلى الله عليه =

حاجة [١] ولا يقول المنكر ولا يقول فى الرضا والغضب إلا الحق [٢] ويعرض عمن تكلم بغير جميل [٣] ويكنى عما اضطره الكلام إليه مما يكره [٤] وكان إذا سكت تكلم جلساؤه ولا يتنازع عنده [٥] فى الحديث ويعظ بالجد والنصيحة [٦] ويقول « لا تضربوا القرآن بعضه ببعض فإنه أنزل على وجوه [٧] » وكان أكثر الناس تبسما وضحكا فى وجوه أصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخلطا لنفسه بهم [٨] ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه [٩] وكان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا له [١٠] قالوا : ولقد جاءه أعرابى يوما وهو عليه السلام متغير اللون ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا : لا تفعل يا أعرابى فإنا ننكر لونه فقال : دعونى فوالذى بعثه بالحق نبيا لأدعه حتى يتبسم ، فقال : يا رسول الله بلغنا أن المسيح يعنى الدجال يأتى الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا أفترى لى بأبى أنت وأمى أن أكف عن ثريده تعففا وتنزها حتى أهلك هزالا أم أضرب فى ثريده حتى إذا تضلعت شبعا آمنت بالله وكفرت به ؟ قالوا : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال « لا بل يغنيك الله بما يغنى به المؤمنين [١١] » قالوا : وكان

= وسلم على نحو من صوته « هاؤم » الحديث . وقال أحمد فى مسنده : وأجابه نحوا مما تكلم به ... الحديث . وقد يؤخذ من هذا أنه صلى الله عليه وسلم كان جهورى الصوت ولم يكن يرفعه دائما ، وقد يقال لم يكن جهورى الصوت وإنما رفع صوته رفقا بالأعرابى حتى لا يكون صوته أرفع من صوته وهو الظاهر وللشيخين من حديث البراء : ما سمعت أحدا أحسن صوتا منه .

(١) حديث : كان طويل السكوت لا يتكلم فى غير حاجة . أخرجه فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة .

(٢) حديث : لا يقول المنكر ولا يقول فى الرضى والغضب إلا الحق . أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو قال : كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتنى قريش وقالوا تكتب كل شىء ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم فى الغضب والرضا فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأومأ بأصبعه إلى فيه وقال « اكتب فوالذى نفسى بيده ما يخرج منه إلا حق » رواه الحاكم وصححه . (٣) حديث : يعرض عمن تكلم بغير جميل . أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث على الطويل : يتغافل عما لا يشتهى الحديث . (٤) حديث : يكنى عما اضطره الكلام بما يكره فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لامرأة رفاعة « حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك » رواه البخارى من حديث عائشة : ومن ذلك ما اتفقا عليه من حديثها فى المرأة التى سألته عن الاغتسال من الحيض « خذى فرصة ممسكة فتطهرى بها ... الحديث » . (٥) حديث : كان إذا سكت تكلم جلساؤه ولا يتنازع عنده فى الحديث أخرجه الترمذى فى الشمائل فى حديث على الطويل . (٦) حديث يعظ بالجد والنصيحة . أخرجه مسلم من حديث جابر : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ... الحديث . (٧) حديث « لا تضربوا القرآن بعضه ببعض وأنه أنزل على وجوه » أخرجه الطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو بإسناد حسن « إن القرآن يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض » وفى رواية للهروى فى ذم الكلام « إن القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض » وفى رواية له « أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض » وفى الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف » . (٨) حديث : كان أكثر الناس تبسما وضحكا فى وجوه أصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخلطا لنفسه بهم أخرجه الترمذى من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء : ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى الصحيحين من حديث جرير : ولا رآنى إلا تبسم . والترمذى فى الشمائل من حديث على : يضحك مما تضحكون منه ويتعجب مما تعجبون منه . ومسلم من حديث جابر بن سمرة : كانوا يتحدثون فى أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم .

(٩) حديث : ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه : متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود فى قصة آخر من يخرج من النار وفى قصة الحبر الذى قال . إن الله يضع السموات على أصبع . ومن حديث أبى هريرة فى قصة المجامع فى رمضان وغير ذلك

(١٠) حديث : كان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا له . أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة فى أثناء حديثه الطويل : جل ضحكه التبسم (١١) حديث : جاءه أعرابى يوما وهو متغير ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا : لا تفعل يا أعرابى ، فإنا ننكر لونه فقال : دعونى والذى بعثه بالحق نبيا لأدعه حتى يتبسم . فقال : يا رسول الله بلغنا أن المسيح الدجال يأتى الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا ... الحديث . وهو حديث منكر لم أقف له على أصل ويرده قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث المغيرة بن شعبة المتفق عليه حين سأله : أنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء قال « هو أهون على الله من ذلك » وفى رواية لمسلم . أنهم يقولون معه جبالا من خبز ولحم . . الحديث . نعم فى حديث حذيفة وأبى مسعود المتفق عليهما . إن معه ماء ونارا الحديث ...

من أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا مالم ينزل عليه قرآن أو يذكر الساعة أو يخطب بخطبة عظة [١] وكان إذا سر ورضى فهو أحسن الناس رضا فإن وعظ وعظ بجد وإن غضب ـ وليس يغضب إلا لله ـ لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان فى أموره كلها [٢] وكان إذا نزل به الأمر فوض الأمر إلى الله وتبرأ من الحول والقوة واستنزل الهدى فيقول « اللهم أرنى الحق حقا فأتبعه وأرنى المنكر منكرا وارزقنى اجتنابه وأعذنى من أن يشتبه على فأتبع هواى بغير هدى منك واجعل هواى تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسى فى عافية واهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم [٣] » .

بيان أخلاقه وآدابه فى الطعام

كان صلى الله عليه وسلم يأكل ماوجد [٤] وكان أحب الطعام إليه ما كان على ضفف [٥] والضفف ما كثرت عليه الأيدى ، وكان إذا وضعت المائدة قال « بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة [٦] » وكان كثيرا إذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجلس المصلى إلا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد [٧] » وكان لا يأكل الحار ويقول « إنه غير ذى

---

(١) حديث : كان من أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا مالم ينزل عليه القرآن أو يذكر الساعة أو يخطب بخطبة عظة . تقدم حديث عبد الله بن الحارث : مارأيت أحدا أكثر تبسما منه . وللطبراني فى مكارم الأخلاق من حديث جابر : كان إذا نزل عليه الوحى قلت : نذير قوم ، فإذا سرى عنه فأكثر الناس ضحكا ... الحديث . ولأحمد من حديث على أو الزبير : كان يخطب فيذكر بأيام الله حتى يعرف ذلك فى وجهه وكأنه نذير قوم يصبحهم الأمر غدوة ، وكان إذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه ورواه أبو يعلى من حديث الزبير من غير شك وللحاكم من حديث جابر : كان إذا ذكر الساعة أحمرت وجنتاه واشتد غضبه . وهو عند مسلم بلفظ : كان إذا خطب (٢) حديث : كان إذا سر ورضى فهو أحسن الناس رضا وإن وعظ وعظ بجد وإن غضب ـ ولايغضب إلا الله ـ لم يقم لغضبه شيء ، وكذلك كان فى أموره كلها ، أخرجه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف غضبه ورضاه بوجهه كان إذا رضى فكأنما ملاحك الجدر وجهه ، وإسناده ضعيف والمراد به المرآة توضع فى الشمس فيرى ضوءها على الجدار ، وللشيخين من حديث كعب بن مالك قال : وهو يبرق وجهه من السرور . وفيه : وكان إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه ... الحديث ، ومسلم : كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه ... الحديث ، وقد تقدم والترمذى فى الشمائل فى حديث هند بن أبى هالة : لاتغضبه الدنيا وما كان منها فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ولايغضب لنفسه ولاينتصر لها ، وقد تقدم (٣) حديث : كان يقول « اللهم أرنى الحق حقا فأتبعه وأرنى المنكر منكرا وارزقنى اجتنابه وأعذنى من أن يشتبه على فأتبع هواى بغير هدى منك واجعل هواى تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسى فى عافية واهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم » لم أقف لأوله على أصل ، وروى المستغفرى فى الدعوات من حديث أبى هريرة . كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول « اللهم إنك سألتنا من أنفسنا مالا نملكه إلا بك فأعطنا منها مايرضيك عنا » ومسلم من حديث عائشة فيما كان يفتتح به صلاته من الليل « اهدنى لما اختلف فيه » إلى آخر الحديث

بيان أخلاقه وآدابه فى الطعام

(٤) حديث : كان يأكل ماوجد تقدم (٥) حديث : كان أحب الطعام إليه ما كان على ضفف أى كثرت عليه الأيدى أخرجه أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط وابن عدى فى الكامل من حديث جابر بسند حسن : أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدى . ولأبى يعلى من حديث أنس : لم يجتمع له غداء وعشاء خبز ولحم إلا على ضفف . وإسناده ضعيف (٦) حديث : كان إذا وضعت المائدة قال « بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة » أما التسمية فرواها النسائى من رواية ؛ من خدم النبى صلى الله عليه وسلم ثمان سنين : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرب إليه طعاما يقول « بسم الله ... الحديث » وإسناده صحيح وأما بقية الحديث فلم أجده (٧) حديث : كان كثيرا إذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وقدميه كما يفعل المصلى إلا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد » أخرجه عبد الرزاق فى المصنف من رواية أيوب معضلا : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل أحفز وقال « آكل كما يأكل العبد ... الحديث » وروى ابن الضحاك فى الشمائل من حديث أنس بسند ضعيف : كان إذا قعد على الطعام استوفز على ركبته =

بركة وإن الله لم يطعمنا نارا فأبردوه [١] » وكان يأكل مما يليه [٢] ويأكل بأصابعه الثلاث [٣] وربما استعان بالرابعة [٤] ولم يأكل بأصبعين ويقول « إن ذلك أكلة الشيطان [٥] » وجاءه عثمان بن عفان رضى الله عنه بفالوذج فأكل منه وقال « ماهذا ياعبد الله ؟ » قال : بأبى أنت وأمى نجعل السمن والعسل فى البرمة ونضعها على النار ثم نغليه ثم نأخذ مخ الحنطة إذا طحنت فنقليه على السمن والعسل فى البرمة ، ثم نسوطه حتى ينضج فيأتى كما ترى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هذا الطعام طيب [٦] » وكان يأكل خبز الشعير غير منخول [٧] وكان يأكل القثاء بالرطب [٨] وبالملح [٩] وكان أحب الفواكه الرطبة إليه البطيخ والعنب [١٠] وكان يأكل البطيخ بالخبز وبالسكر [١١] وربما أكله

= اليسرى وأقام اليمنى ثم قال « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأفعل كما يفعل العبد » وروى أبو الشيخ فى أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم بسند حسن من حديث أبى بن كعب : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يجثو على ركبتيه وكان لايتكئ . أورده فى صفة أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم . وللبزار من حديث ابن عمر « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد » ولأبى يعلى من حديث عائشة « آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد » وسندها ضعيف (١) حديث : كان لايأكل الحار ويقول « إنه غير ذى بركة وإن الله لم يطعمنا نارا » أخرجه البيهقى من حديث أبى هريرة بإسناد صحيح : أتى النبى صلى الله عليه وسلم يوما بطعام سخن فقال « مادخل بطنى طعام سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم » ولأحمد بإسناد جيد والطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث خولة بنت قيس : وقدمت له حريرة فوضع يده فيها فوجد حرها فقبضها . لفظ الطبرانى والبيهقى وقال أحمد : فأحرقت أصابعه فقال : حس . وللطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة « أبردوا الطعام فإن الطعام الحار غير ذى بركة » وله فيه وفى الصغير من حديثه أتى بصحفة تفور فرفع يده منها وقال « إن الله لم يطعمنا نارا » وكلاهما ضعيف (٢) حديث : كان يأكل مما يليه . أخرجه أبو الشيخ ابن حبان من حديث عائشة وفى إسناده رجل لم يسم وسماه فى رواية له وكذلك البيهقى فى روايته فى الشعب عبيد بن القاسم لسيب سفيان الثورى ، وقال البيهقى تفرد به عبيد هذا وقد رماه ابن معين بالكذب ، ولأبى الشيخ من حديث عبد الله بن جعفر نحوه (٣) حديث : أكله بأصابعه الثلاث . أخرجه مسلم من حديث كعب بن مالك (٤) حديث : استعانته بالرابعة . رويناه فى الغيلانيات من حديث عامر بن ربيعة وفيه القاسم بن عبد الله العمرى هالك وفى مصنف ابن أبى شيبة من رواية الزهرى مرسلا : كان النبى صلى الله عليه وسلم يأكل بالخمس (٥) حديث : لم يأكل بأصبعين ويقول « إن ذلك أكلة الشيطان » أخرجه الدارقطنى فى الأفراد من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف « لاتأكل بأصبع فإنه أكل الملوك ولا تأكل بأصبعين فإنه أكل الشياطين ... الحديث » .

(٦) حديث : جاءه عثمان بن عفان بفالوذج ... الحديث ، قلت : المعروف أن الذى صنعه عثمان : الخبيص رواه البيهقى فى الشعب من حديث ليث بن أبى سليم قال : إن أول من خبص الخبيص عثمان بن عفان ، قدمت عليه عير تحمل النقى والعسل . . الحديث . وقال هذا منقطع وروى الطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث عبد الله بن سلام : أقبل عثمان ومعه راحلة عليها غرارتان . وفيه : فإذا دقيق وسمن وعسل . وفيه : ثم قال لأصحابه كلوا هذا الذى تسميه فارس الخبيص . وأما خبر الفالوذج فرواه ابن ماجه بإسناد ضعيف من حديث ابن عباس قال : أول ماسمعنا بالفالوذج أن جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن أمتك تفتح عليهم الأرض ويفاض عليهم من الدنيا حتى إنهم ليأكلون الفالوذج ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : وما الفالوذج ؟ قال : يخلطون السمن والعسل جميعا . قال ابن الجوزى فى الموضوعات هذا حديث باطل لاأصل له (٧) حديث : كان يأكل خبز الشعير غير منخول : أخرجه البخارى من حديث سهل بن سعد (٨) حديث : كان يأكل القثاء بالرطب . متفق عليه من حديث عبد الله بن جعفر (٩) حديث : كان يأكل القثاء بالملح . أخرجه أبو الشيخ من حديث عائشة وفيه يحيى بن هاشم كذبه ابن معين وغيره ورواه ابن عدى وفيه عباد بن كثير متروك (١٠) حديث : كان أحب الفاكهة الرطبة إليه البطيخ والعنب . أخرجه أبو نعيم فى الطب النبوى من رواية أمية بن زيد العبسى : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحب من الفاكهة العنب والبطيخ . وروى أبو الشيخ وابن عدى فى الكامل والطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب من حديث أنس : كان يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره ويأكل الرطب بالبطيخ ؛ وكان أحب الفاكهة إليه . فيه يوسف ابن عطية الصفار يجمع على ضعفه وروى ابن عدى من حديث عائشة : كان أحب الفاكهة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرطب والبطيخ . وله من حديث آخر لها . فإن خير الفاكهة العنب . وكلاهما ضعيف (١١) حديث . كان يأكل البطيخ بالخبز والسكر . أما أكل البطيخ بالخبز فلم أره وإنما وجدت أكل العنب بالخبز فيما رواه ابن عدى من حديث عائشة مرفوعا « عليكم بالمرازمة » قيل يارسول الله وما المرازمة ؟ قال « أكل الخبز مع العنب . فإن خير الفاكهة العنب وخير الطعام الخبز » واسناده ضعيف . وأما أكل البطيخ بالسكر فإن أريد بالسكر نوع من التمر والرطب مشهور فهو الحديث الآتى بعده وإن أريد به السكر الذى هو الطبرزد فلم أر له أصلا إلا فى حديث منكر معضل رواه أبو عمر النوقانى فى كتاب البطيخ من رواية محمد بن على بن الحسين . أن النبى صلى الله عليه وسلم أكل بطيخا بسكر . وفيه موسى =

بالرطب [١] ويستعين باليدين جميعا ، وأكل يوما الرطب فى يمينه وكان يحفظ النوى فى يساره فمرت شاة فأشار إليها بالنوى فجعلت تأكل من كفه اليسرى وهو يأكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة [٢] وكان ربما أكل العنب خرطا يرى زؤانه على لحيته كخرز اللؤلؤ [٣] وكان أكثر طعامه الماء والتمر [٤] وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الأطيبين [٥] وكان أحب الطعام إليه اللحم ويقول « هو يزيد فى السمع وهو سيد الطعام فى الدنيا والآخرة ولو سألت ربى أن يطعمنيه كل يوم لفعل [٦] » وكان يأكل الثريد باللحم والقرع [٧] وكان يحب القرع ويقول « إنها شجرة أخى يونس عليه السلام [٨] » قالت عائشة رضى الله عنها وكان يقول « ياعائشة إذ طبختم قدرا فأكثروا فيها من الدباء فإنه يشد قلب الحزين [٩] » وكان يأكل لحم الطير الذى يصاد [١٠] وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له ويؤتى به فيأكله [١١] وكان إذا أكل اللحم لم يطأطئ رأسه إليه ويرفعه إلى فيه رفعا ثم ينتهشه انتهاشا [١٢] وكان يأكل الخبز والسمن [١٣] وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ، ومن القدر الدباء ومن الصباغ الخل ومن التمر

= ابن ابراهيم المروزى كذبه يحيى بن معين (١) حديث . أكل البطيخ بالرطب أخرجه الترمذى والنسائى من حديث عائشة وحسنه الترمذى وابن ماجه من حديث سهل بن سعد . كان يأكل الرطب بالبطيخ . وهو عند الدارمى بلفظ . البطيخ بالرطب

(٢) حديث . استعانته باليدين جميعاً فأكل يوما الرطب فى يمينه وكان يحفظ النوى فى يساره فمرت شاة فأشار اليها بالنوى فجعلت تأكل من كفه اليسرى وهو يأكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة . أما استعانته بيديه جميعا فرواه أحمد من حديث عبد الله بن جعفر قال . آخر مارأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى احدى يديه رطبات وفى الأخرى قثاء يأكل من هذه ويعض من هذه . وتقدم حديث أنس فى أكله بيديه قبل هذا بثلاثة أحاديث وأما قصته مع الشاة فرويناها فى فوائد أبى بكر الشافعى من حديث أنس بإسناد ضعيف .

(٣) حديث . ربما أكل العنب خرطا ... الحديث . أخرجه ابن عدى فى الكامل من حديث العباس والعقيلى فى الضعفاء من حديث ابن عباس هكذا مختصرا وكلاهما ضعيف . (٤) حديث . كان أكثر طعامه الماء والتمر . أخرجه البخارى من حديث عائشة . توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شبعنا من الأسودين التمر والماء . (٥) حديث . كان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الأطيبين » أخرجه أحمد من رواية اسماعيل بن أبى خالد عن أبيه قال . دخلت على رجل وهو يجمع لبنا بتمر وقال. ادن فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها الأطيبين ورجاله ثقات وإبهامه لايضر . (٦) حديث : كان أحب الطعام إليه اللحم ويقول « هو يزيد فى السمع وهو سيد الطعام فى الدنيا والآخرة ولو سألت ربى أن يطعمنيه كل يوم لفعل » أخرجه أبو الشيخ من رواية ابن سمعان قال : سمعت من علمائنا يقولون كان أحب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم ... الحديث . والترمذى فى الشمائل من حديث جابر : أتانا النبى صلى الله عليه وسلم فى منزلنا فذبحنا له شاة فقال « كأنهم علموا أنا نحب اللحم » وإسناده صحيح وابن ماجه من حديث أبى الدرداء بإسناد ضعيف : سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم . (٧) حديث : كان يأكل الثريد باللحم والقرع أخرجه مسلم من حديث أنس . (٨) حديث : كان يحب القرع ويقول « إنها شجرة أخى يونس » أخرجه النسائى وابن ماجه من حديث أنس : كان النبى صلى الله عليه وسلم يحب القرع . وقال النسائى : الدباء ، وهو عند مسلم بلفظ: تعجبه وروى ابن مردويه فى تفسيره من حديث أبى هريرة فى قصة يونس : فلفظته فى أصل شجرة ، وهى الدباء . (٩) حديث « ياعائشة إذا طبختم قدرا فأكثروا فيها من الدباء فإنها تشد قلب الحزين . رويناه فى فوائد أبى بكر الشافعى . (١٠) حديث: كان يأكل لحم الطير الذى يصاد . أخرجه الترمذى من حديث أنس قال : كان عند النبى صلى الله عليه وسلم طير فقال « اللهم ائتنى بأحب الخلق إليك يأكل معى هذا الطير » فجاء على فأكل معه ، قال حديث غريب قلت وله طرق كلها ضعيفة . وروى أبو داود والترمذى واستغربه من حديث سفينة قال : أكلت مع النبى صلى الله عليه وسلم لحم حبارى . (١١) حديث : كان لايتبعه ولايصيده ويحب أن يصاد له فيؤتى به فيأكله . قلت هذا هو الظاهر من أحواله فقد قال من تبع الصيد غفل رواه أبو داود والنسائى والترمذى من حديث ابن عباس وقال : حسن غريب وأما حديث صفوان بن أمية عند الطبرانى « قد كانت قبلى لله رسل كلهم يصطاد ويطلب الصيد » فهو ضعيف جدا . (١٢) حديث : كان إذا أكل اللحم لم يطأطئ رأسه اليه ورفعه الى فيه رفعا ثم نهشه . أخرجه أبو داود من حديث صفوان بن أمية قال : كنت آكل مع النبى صلى الله عليه وسلم فأخذ اللحم من العظم فقال « أدن اللحم من فيك فإنه أهنأ وأمرأ » والترمذى من حديثه « انهش اللحم نهشا فإنه أهنى وأمرأ » وهو منقطع والذى قبله منقطع أيضاً وللشيخين من حديث أبى هريرة : فتناول الذراع فنهش منها نهشة ... الحديث . (١٣) حديث : كان يأكل الخبز والسمن . متفق عليه من حديث أنس فى قصة طويلة فيها : فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت أم سليم عكة فآدمته .. الحديث . وفيه : ثم أكل النبى صلى الله عليه وسلم . وفى رواية ابن ماجه : فصنعت فيها شيئاً من سمن ولا يصح وأبو داود وابن ماجه من حديث ابن عمر : وددت أن عندى خبزة بيضاء من بر سمراء ملبقة بسمن ... الحديث . قال أبو داود منكر .

العجوة [١] ودعا فى العجوة بالبركة وقال « هى من الجنة وشفاء من السم والسحر [٢] » وكان يحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء التى يقال لها الرجلة [٣] : وكان يكره الكليتين لمكانهما من البول [٤] وكان لا يأكل من الشاة سبعا : الذكر والأنثيين والمثانة والمرارة والغدد والحيا والدم ، ويكره ذلك [٥] وكان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث [٦] وما ذم طعاما قط لكن إن أعجبه أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم يبغضه إلى غيره [٧] وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما [٨] وكان يلعق بأصابعه الصحفة ويقول : آخر الطعام أكثر بركة [٩] : وكان يلعق أصابعه من الطعام حتى تحمر [١٠] وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه واحدة واحدة ويقول : إنه لا يدرى فى أى الطعام البركة [١١] :

---

(١) حديث : كان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن القدر الدباء ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة . وروى الشيخان من حديث أبى هريرة قال : وضعت بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم قصعة من ثريد ولحم فتناول الذراع وكانت أحب الشاة إليه ... الحديث . وروى أبو الشيخ من حديث ابن عباس : كان أحب اللحم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتف . ولإسناده ضعيف ومن حديث أبى هريرة : لم يكن يعجبه من الشاة إلا الكتف . وتقدم حديث أنس : كان يحب الدباء . قبل هذا بستة أحاديث ولأبى الشيخ من حديث أنس : كان أحب الطعام إليه الدباء . وله من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف : كان أحب الصباغ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخل . وله بالإسناد المذكور : كان أحب التمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العجوة .

(٢) حديث : دعا فى العجوة بالبركة وقال « هى من الجنة وشفاء من السم والسحر » أخرجه البزار والطبرانى فى الكبير من حديث عبد الله بن الأسود قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد سدوس فأهدينا له تمرا . وفيه : حتى ذكرنا تمر أهلنا هذا الجذامى فقال « بارك الله فى الجذامى وفى حديقة خرج هذا منها ... الحديث » قال أبو موسى المدينى : قيل هو تمر أحمر والترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة « العجوة من الجنة وهى شفاء من السم » وفى الصحيحين من حديث سعد بن أبى وقاص « من تصبح بسبع تمرات من عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر » . (٣) حديث : كان يحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء — التى يقال لها الرجلة — أبو نعيم فى الطب النبوى من حديث ابن عباس « عليكم بالهندباء فإنه ما يوم إلا ويقطر عليه قطرة من قطر الجنة » وله من حديث الحسن بن على وأنس بن مالك نحوه وكلها ضعيفة وأما الباذروج فلم أجد فيه حديثا وأما الرجلة فروى أبو نعيم من رواية ثوير قال : مر النبى صلى الله عليه وسلم بالرجلة وفى رجله قرحة فداواها بها فبرئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بارك الله فيك أنبتى حيث شئت فأنت شفاء من سبعين داء أدناه الصداع » وهذا مرسل ضعيف

(٤) حديث : كان يكره الكليتين لمكانهما من البول . رويناه فى جزء من حديث أبى بكر محمد بن عبيد الله بن الشخير من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف فيه أبو سعيد الحسن بن على العدوى أحد الكذابين . (٥) حديث : كان لا يأكل من الشاة الذكر والأنثيين والمثانة والمرارة والغدة والحيا والدم . أخرجه ابن عدى ومن طريقه البيهقى من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف ورواه البيهقى من رواية مجاهد مرسلا . (٦) حديث : كان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث . أخرجه مالك فى الموطأ عن الزهرى عن سليمان بن يسار مرسلا ووصله الدارقطنى فى غرائب مالك عن الزهرى عن أنس وفى الصحيحين من حديث جابر : أتى بقدر فيه خضرات من بقول فوجد لها ريحا ... الحديث . وفيه : قال فانى أناجى من لا تناجى . ولمسلم من حديث أبى أيوب فى قصة بعثه إليه بطعام فيه ثوم فلم يأكل منه وقال « إنى أكرهه من أجل ريحه » . (٧) حديث : ما ذم طعاما قط لكن إن أعجبه أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم يبغضه إلى غيره . تقدم أول الحديث وفى الصحيحين من حديث ابن عمر فى قصة الضب فقال « كلوا فإنه ليس بحرام ولا بأس به ولكنه ليس من طعام قومى » (٨) حديث : كان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما أما الضب ففى الصحيحين عن ابن عباس « لم يكن بأرض قومى فأجدنى أعافه » ولهما من حديث ابن عمر « أحلت لنا ميتتان ودمان » وفيه « أما الدمان : فالكبد والطحال » وللبيهقى موقوفا على زيد بن ثابت « إنى لآكل الطحال وما بى إليه حاجة إلا ليعلم أهلى أنه لا بأس به »

(٩) حديث : كان يلعق الصحفة ويقول « آخر الطعام أكثر بركة » أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان من حديث جابر فى حديث قال فيه : ولا ترفع القصعة حتى تلعقها — أو تلعقها — فإن آخر الطعام فيه البركة ومسلم من حديث أنس : أمرنا أن نسلت الصحفة وقال « إن أحدكم لا يدرى أى طعامه يبارك له فيه ؟ » . (١٠) حديث . كان يلعق أصابعه من الطعام حتى تحمر . أخرجه من حديث كعب بن مالك دون قوله حتى تحمر فلم أقف له على أصل . (١١) حديث كان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه واحدة واحدة ويقول « إنه لا يدرى فى أى أصابعه البركة » أخرجه مسلم من حديث كعب بن مالك . أن النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يمسح يده حتى يلعقها وله من حديث جابر . فإذا فرغ فليلعق أصابعه فإنه لا يدرى فى أى طعامه تكون البركة ؟ وللبيهقى فى الشعب من حديثه « لا يمسح أحدكم يده بالمنديل حتى يلعق يده فإن الرجل لا يدرى فى أى طعامه يبارك له فيه » .

وإذا فرغ قال « الحمد لله اللهم لك الحمد أطعمت فأشبعت وسقيت فأرويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه[١] » وكان إذا أكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلا جيدا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه[٢] وكان يشرب فى ثلاث دفعات وله فيها ثلاث تسميات وفى أواخرها ثلاث تحميدات[٣] وكان يمص الماء مصا ولا يعب عبا[٤] وكان يدفع فضل سؤره إلى من على يمينه[٥] فإن كان من على يساره أجل رتبة قال للذى على يمينه « السنة أن تعطى فإن أحببت آثرتهم[٦] » وربما كان يشرب بنفس واحد حتى يفرغ[٧] وكان لا يتنفس فى الإناء بل ينحرف عنه[٨] وأتى بإناء فيه عسل ولبن فأبى أن يشربه وقال « شربتان فى شربة وإدامان فى إناء واحد ؟[٩] » ثم قال صلى الله عليه وسلم « لا أحرمه ولكنى أكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا وأحب التواضع فإن من تواضع لله رفعه الله » وكان فى بيته أشد حياء من العاتق لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه عليهم إن أطعموه أكل وما أعطوه قبل وما سقوه شرب[١٠] وكان ربما قام فأخذ ما يأكل بنفسه أو يشرب[١١] .

---

(١) حديث : وإذا فرغ قال « اللهم لك الحمد أطعمت وأشبعت وسقيت وأرويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه » أخرجه الطبرانى من حديث الحارث بن الحارث بسند ضعيف والبخارى من حديث أبى أمامة : كان إذا فرغ من طعامه قال « الحمد لله الذى كفانا وآوانا غير مكفى ولا مكفور » وقال مرة « الحمد لله ربنا غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا » (٢) حديث : كان إذا أكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلا جيدا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه » أخرجه أبو يعلى من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف من أكل من هذه اللحوم شيئا فليغسل يده من ريح وضره لا يؤذى من حذاءه » . (٣) حديث : كان يشرب فى ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات وفى آخرها ثلاث تحميدات » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة ورجاله ثقات ومسلم من حديث أنس : كان إذا شرب تنفس ثلاثا . (٤) حديث : كان يمص الماء مصا ولا يعبه عبا . أخرجه البغوى والطبرانى وابن عدى وابن قانع وابن منده وأبو نعيم فى الصحابة من حديث بهز : كان يستاك عرضا ويشرب مصا . والطبرانى من حديث أم سلمة : كان لا يعب . ولأبى الشيخ من حديث ميمونة : لا يعب ولا يلهث . وكلها ضعيفة . (٥) حديث : كان يدفع فضل سؤره الى من عن يمينه . متفق عليه من حديث أنس . (٦) حديث : استئذانه من على يمينه إذا كان من على يساره أجل رتبة . متفق عليه من حديث سهل بن سعد . (٧) حديث : شربه بنفس واحد . أخرجه أبو الشيخ من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف وللحاكم من حديث أبى قتادة وصححه « إذا شرب أحدكم فليشرب بنفس واحد » ولعل تأويل هذين الحديثين على ترك التنفس فى الإناء والله أعلم . (٨) حديث : كان لا يتنفس فى الإناء حتى ينحرف عنه . أخرجه الحاكم من حديث أبى هريرة « ولا يتنفس أحدكم فى الإناء إذا شرب منه ولكن إذا أراد أن يتنفس فليؤخره عنه ثم ليتنفس » وقال حديث صحيح الإسناد .

(٩) حديث : أتى بإناء فيه عسل ولبن فأبى أن يشربه وقال « شربتان فى شربة وإدامان فى إناء واحد .. الحديث » رواه البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله « شربتان فى شربة » إلى آخره وسنده ضعيف . (١٠) حديث : كان فى بيته أشد حياء من العاتق لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه عليهم إن أطعموه أكل وما أطعموه قبل وما سقوه شرب » رواه الشيخان من حديث أبى سعيد : كان أشد حياء من العذراء فى خدرها .. الحديث . وقد تقدم ، وأما كونه كان لا يسألهم طعاما فإنه أراد أى طعام بعينه من حديث عائشة : أنه قال ذات يوم « ياعائشة هل عندكم شىء ؟ » قالت : فقلت ماعندنا شىء ؟ الحديث وفيه : فلما رجع قلت : أهديت لنا هدية ، قال « ماهو » ؟ قلت : حيس ، قال « هاتيه » وفى رواية « قربيه » وفى رواية للنسائى « أصبح عندكم شىء تطعمينيه ؟ » ولأبى داود « هل عندكم طعام ؟ » والترمذى « أعندك غداء ؟ » وفى الصحيحين من حديث عائشة : فدعا بطعام فأتى بخبز وأدم من أدم البيت فقال « ألم أر برمة على النار فيها لحم ؟ .. الحديث » وفى رواية لمسلم « لوصنعتم لنا من هذا اللحم ... الحديث » فليس فى قصة بريرة إلا الاستفهام والرضا . والحكمة فيه بيان الحكم لا التشهى والله أعلم . وللشيخين من حديث أم الفضل : أنها أرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره فشربه . ولأبى داود من حديث أم هانئ : لما أتت الوليدة بإناء فيه شراب فتناوله فشرب منه . وإسناده حسن . (١١) حديث : وكان ربما قام فأخذ ما يأكل أو يشرب بنفسه . أخرجه أبو داود من حديث أم المنذر بنت قيس . دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب ومعه على — وعلى ناقه — ولنا دوال معلقة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل منها ... الحديث . وإسناده حسن والترمذى وصححه وابن ماجه من حديث كبشة : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب من فى قربة معلقة قائما ... الحديث .

بيان آدابه وأخلاقه فى اللباس

كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك (١) وكان يعجبه الثياب الخضر (٢) وكان أكثر لباسه البياض ويقول « ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم » وكان يلبس القباء المحشو للحرب وغير الحرب (٣) وكان له قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه (٤) وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الأزار فوق ذلك إلى نصف الساق (٥) وكان قميصه مشدود الأزرار وربما حل الأزرار فى الصلاة وغيرها (٦) وكانت له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها (٧) وربما ليس الكساء وحده ما عليه غيره (٨) وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول « إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد (٩) » وكان له ثوبان

بيان آدابه وأخلاقه فى اللباس

(١) حديث : كان يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك . أخرجه الشيخان من حديث عائشة . أنها أخرجت إزارا مما يصنع باليمن وكساء من هذه الملبدة فقالت فى هذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية : إزارا غليظا . ولهما من حديث أنس : كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه رداء نجرانى غليظ الحاشية ... الحديث . لفظ مسلم وقال البخارى برد نجرانى . وابن ماجه بسند ضعيف من حديث ابن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قميصا قصير اليدين والطول . وأبو داود والترمذى وحسنه . والنسائى من حديث أم سلمة : كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص . ولأبى داود من حديث أسماء بنت يزيد : كانت يد قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرسغ . وفيه شهر ابن حوشب مختلف فيه وتقدم قبل هذا الحديث حديث : الجبة والشملة والحبرة . (٢) حديث : كان أكثر لباسه البياض ويقول « ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم » أخرجه ابن ماجه والحاكم من حديث ابن عباس « خير ثيابكم البياض فألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم » قال الحاكم : صحيح الإسناد وله ولأصحاب السنن من حديث سمرة « عليكم بهذه الثياب البياض فليلبسها أحياؤكم وكفنوا فيها موتاكم » لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وقال الترمذى حسن صحيح .

(٣) حديث « كان يلبس القباء المحشو للحرب وغير الحرب » أخرجه الشيخان من حديث المسور بن مخرمة : أن النبى صلى الله عليه وسلم قدمت عليه أقبية من ديباج مزرر بالذهب ... الحديث . وليس فى طرق الحديث لبسها إلا فى طريق علقها البخارى قال : فخرج وعليه قباء من ديباج مزررة بالذهب ... الحديث ومسلم من حديث جابر : لبس النبى صلى الله عليه وسلم يوما قباء من ديباج أهدى له ثم نزعه ... الحديث . (٤) حديث كان له قباء سندس فيلبسه ... الحديث » أخرجه أحمد من حديث أنس : أن أكيدر دومة أهدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم جبة سندس أو ديباج قبل أن ينهى عن الحرير فلبسها . والحديث فى الصحيحين وليس فيه أنه لبسها وقال فيه : وكان ينهى عن الحرير وعند الترمذى وصححه النسائى أنه لبسها ولكنه قال : بجبة ديباج منسوجة فيها الذهب

(٥) حديث : كان ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق رواه أبو الفضل محمد بن طاهر فى كتاب صفوة التصوف من حديث عبد الله بن بسر : كانت ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم إزاره فوق الكعبين وقميصه فوق ذلك ورداؤه فوق ذلك وإسناده ضعيف والحاكم وصححه من حديث ابن عباس : كان يلبس قميصا فوق الكعبين ... الحديث . وهو عنده بلفظ : قميصا قصير اليدين والطول وعندهما والترمذى فى الشمائل من رواية الأشعث قال : سمعت عمتى تحدث عن عمها وذكر النبى صلى الله عليه وسلم وفيه : فإذا إزاره الى نصف ساقه ورواه النسائى وسمى الصحابى عبيد بن خالد واسم عمه الأشعث وهم بيت الأسود ولا يعرف (٦) حديث : كان قميصه مشدود الأزرار وربما حل الأزرار فى الصلاة وغيرها أبو داود والبيهقى والترمذى فى الشمائل من رواية معاوية بن قرة بن اياس عن أبيه قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فى رهط من مزينة وبايعناه وان قميصه لمطلق الأزرار . وللبيهقى من رواية زيد بن أسلم قال : رأيت ابن عمر يصلى محلولة أزراره فسألته عن ذلك فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله . وفى العلل للترمذى أنه سأل البخارى عن هذا الحديث فقال : أنا أتقى هذا الشيخ كأن حديثه موضوع يعنى زهير بن محمد راويه عن زيد بن أسلم قلت تابعه عليه الوليد بن مسلم عن زيد رواه ابن خزيمة فى صحيحه ، والطبرانى من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى محتبيا محلل الأزرار (٧) حديث : كان له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها أخرجه أبو داود والترمذى من حديث قيلة بنت مخرمة قالت : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وعليه أسمال ملاءتين كانتا بزعفران قال الترمذى لا نعرفه الا من عبد الله بن حسان . قلت ورواته موثقون وأبو داود من حديث قيس بن سعد فاغتسل ثم ناوله أبى سعد ملحفة مصبوغة بزعفران أو ورس فاشتمل بها الحديث ورجاله ثقات .

(٨) حديث : ربما لبس الكساء وحده ليس عليه غيره رواه ابن ماجه وابن خزيمة من حديث ثابت بن الصامت : أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى بنى عبد الأشهل وعليه كساء متلفف به ... الحديث . وفى رواية البزار فى كساء (٩) حديث : كان له كساء ملبد يلبسه ويقول « أنا عبد ألبس كما يلبس العبد » أخرجه الشيخان من رواية أبى بردة قال : أخرجت الينا عائشة كساء ملبدا

لجمعته خاصة سوى ثيابه فى غير الجمعة [١] وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره ويعقد طرفيه بين كتفيه [٢] وربما أم به الناس على الجنائز [٣] وربما صلى فى بيته فى الإزار الواحد ملتحفا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الإزار الذى جامع فيه يومئذ [٤] وكان ربما صلى بالليل فى الإزار ويرتدى ببعض الثوب مما يلى هدبه ويلقى البقية على بعض نسائه فيصلى كذلك [٥] ولقد كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمة : بأبى أنت وأمى مافعل ذلك الكساء الأسود ؟ فقال «كسوته» فقالت مارأيت شيئا قط كان أحسن من بياضك على سواده [٦] وقال أنس : وربما رأيته يصلى بنا الظهر فى شملة عاقدا بين طرفيه [٧] وكان يتختم [٨] وربما خرج وفى خاتمه الخيط المربوط يتذكر به الشىء [٩] وكان يختم به على الكتب ويقول الخاتم على الكتاب خير من التهمة [١٠] وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة ، وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلى إليها [١١] وربما لم تكن العمامة فيشد العصابة

= وازارا غليظا فقالت : فى هذين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم . وللبخارى من حديث عمر « انما أنا عبد » ولعبد الرزاق فى المصنف من رواية أيوب السختيانى مرفوعا معضلا « انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد » وتقدم من حديث أنس وابن عمر وعائشة . متصلا .

(١) حديث : كان له ثوبان لجمعته خاصة ... الحديث . أخرجه الطبرانى فى الصغير والأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف زاد : فاذا انصرف طويناهما الى مثله . ويرده حديث عائشه عند ابن ماجه : مارأيته يسب أحدا ولا يطوى له ثوب .

(٢) حديث : ربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره فعقد طرفيه بين كتفيه . أخرجه الشيخان من حديث عمر فى حديث اعتزاله أهله : فإذا عليه ازاره وليس عليه غيره . وللبخارى من رواية محمد بن المنكدر صلى بنا جابر فى ازار قد عقده من قبل قفاه وثيابه موضوعه على المشجب وفى رواية له وهو يصلى فى ثوب ملتحفا به ورداؤه موضوع وفيه : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يصلى هكذا (٣) حديث : ربما أم به الناس على الجنائز . لم أقف عليه (٤) حديث : ربما صلى فى بيته فى الإزار الواحد ملتحفا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الإزار الذى جامع فيه يومئذ أخرجه أبو يعلى بإسناد حسن من حديث معاوية قال : دخلت على أم حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى ثوب واحد فقلت : ياأم حبيبة أيصلى النبى صلى الله عليه وسلم فى الثوب الواحد ؟ قالت : نعم ، وهو الذى كان فيه ما كان — تعنى الجماع — ورواه الطبرانى فى الاوسط .

(٥) حديث : ربما كان يصلى بالليل ويرتدى ببعض الثوب مما يلى هدبه ويلقى البقية على بعض نسائه . أخرجه أبو داود من حديث عائشة : أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى ثوب بعضه على . ولمسلم : كان يصلى من الليل وأنا الى جنبه وأنا حائض وعلى مرط بعضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وللطبرانى فى الأوسط من حديث أبى عبد الرحمن حاضن عائشة : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وعائشة يصليان فى ثوب واحد لصفه على النبى صلى الله عليه وسلم ونصفه على عائشة . وسنده ضعيف .

(٦) حديث : كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمه : بأبى أنت وأمى مافعل ذلك الكساء ؟ ... الحديث . لم أقف عليه من حديث أم سلمة . ولمسلم من حديث عائشة : خرج النبى صلى الله عليه وسلم وعليه مرط مرجل أسود . ولأبى داود والنسائى : صنعت للنبى صلى الله عليه وسلم بردة سوداء من صوف فلبسها ... الحديث . وزاد فيه ابن سعد فى الطبقات : فذكرت بياض النبى صلى الله عليه وسلم وسوادها ورواه الحاكم بلفظ : جبة . وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث أنس . ربما رأيته يصلى بنا الظهر فى شملة عاقدا بين طرفيها . أخرجه البزار وأبو يعلى بلفظ : صلى بثوب واحد وقد خالف بين طرفيه . وللبزار : خرج فى مرضه الذى مات فيه مرتديا بثوب قطن فصلى بالناس ولسناده صحيح . وابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت : صلى فى شملة قد عقد عليها . وفى كامل ابن عدى : قد عقد عليها هكذا — وأشار سفيان الى قفاه — وفى جزء التطريف : فعقدها فى عنقه ماعليه غيرها . ولسناده ضعيف (٨) حديث : كان يتختم . أخرجه الشيخان من حديث ابن عمر وأنس (٩) حديث : ربما خرج وفى خاتمه خيط مربوط يتذكر به الشىء . أخرجه ابن عدى من حديث واثلة بسند ضعيف : كان إذا أراد الحاجة أوثق فى خاتمه خيطا . وزاد الحارث بن أبى أسامة فى مسنده من حديث ابن عمر : ليذكره به . وسنده ضعيف .

(١٠) حديث : كان يختم به على الكتب ويقول « الخاتم على الكتاب خير من التهمة » أخرجه الشيخان من حديث أنس : لما أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يكتب الى الروم قالوا . انهم لايقرءون الا كتابا مختوما فاتخذ خاتما من فضة ... الحديث . والنسائى والترمذى فى الشمائل من حديث ابن عمر : اتخذ خاتما من فضة كان يختم به ولايلبسه . وسنده صحيح وأما قوله « الخاتم على الكتاب خير من التهمة » فلم أقف له على أصل . (١١) حديث : كان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلى إليها » أخرجه الطبرانى وأبو الشيخ والبيهقى فى شعب الإيمان من حديث ابن عمر : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قلنسوة بيضاء . ولأبى الشيخ من حديث ابن عباس : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث قلانس . قلنسوة بيضاء مضربة وقلنسوة برد حبرة وقلنسوة ذات آذان يلبسها فى السفر فربما وضعها بين يديه إذا صلى =

على رأسه وعلى جبهته [١] وكانت له عمامه تسمى : السحاب ، فوهبها من على فربما طلع على فيها فيقول صلى الله عليه وسلم « أتاكم على فى السحاب [٢] » وكان إذا لبس ثوبا لبسه من قبل ميامنه [٣] ويقول « الحمد لله الذى كسانى ماأوارى به عورتى وأتجمل به فى الناس [٤] » وإذا نزع ثوبه أخرجه من مياسره [٥] وكان إذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول « مامن مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه إلا لله إلا كان فى ضمان الله وحرزه وخيره ماوارأه حيا وميتا [٦] » وكان له فراش من أدم حشوه ليف طوله ذراعان أو نحوه وعرضه ذراع وشبر أو نحوه [٧] وكانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تثنى طاقين تحته [٨] وكان ينام على الحصير ليس تحته شىء غيره [٩] وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه ، وكان اسم رايته : العقاب . واسم سيفه الذى يشهد به الحروب : ذوالفقار . وكان له سيف يقال له : المخذم . وآخر يقال له : الرسوب : وآخر يقال له : القضيب . وكانت قبضة سيفه محلاة بالفضة [١٠]

= وإسنادها ضعيف ولأبى داود والترمذى من حديث ركانة « فرق مابيننا وبين المشركين العمائم على القلانس » قال الترمذى : غريب وليس إسناده بالقائم . (١) حديث : ربما لم تكن العمامة فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته أخرجه من حديث ابن عباس صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر وقد عصب رأسه بعصابة دسماء ... الحديث . (٢) حديث : كانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من على فربما طلع على فيها فيقول صلى الله عليه وسلم « أتاكم على فى السحاب » أخرجه ابن عدى وأبو الشيخ من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده وهو مرسل ضعيف جدا ولابى نعيم فى دلائل النبوة من حديث عمر فى أثناء حديث : عمامته السحاب .. الحديث . (٣) حديث . كان إذا لبس ثوبا يلبسه من قبل ميامنه . أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة ورجاله رجال الصحيح وقد اختلف فى رفعه . (٤) حديث « الحمد لله الذى كسانى ماأوارى به عورتى وأتجمل به فى الناس » أخرجه الترمذى وقال غريب وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث عمر بن الخطاب . (٥) حديث : كان إذا نزع ثوبه خرج من مياسره أخرجه أبو الشيخ من حديث ابن عمر : كان إذا لبس شيئا من الثياب بدأ بالأيمن وإذا نزع بدأ بالايسر . وله من حديث أنس : كان إذا ارتدى أو ترجل أو انتعل بدأ بيمينه وإذا خلع بدأ بيساره . وسندها ضعيف وهو فى الانتعال فى الصحيحين من حديث أبى هريرة من قوله لا من فعله . (٦) حديث : كان إذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول « مامن مسلم يكسو مسلما .. الحديث » أخرجه الحاكم فى المستدرك والبيهقى فى الشعب من حديث عمر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بثيابه فلبسها فلما بلغ تراقيه قال « الحمد لله الذى كسانى ما أتجمل به فى حياتى وأوارى به عورتى » ثم قال « مامن مسلم يلبس ثوبا جديدا .. الحديث » دون ذكر : تصدقه صلى الله عليه وسلم بثيابه وهو عند الترمذى وابن ماجه دون ذكر لبس النبى صلى الله عليه وسلم لثيابه وهو أصح وقد تقدم قال البيهقى وهو غير قوى .

(٧) حديث : كان له فراش من أدم حشوه ليف ... الحديث . متفق عليه من حديث عائشة مقتصرا على هذا دون ذكر : عرضه وطوله . ولأبى الشيخ من حديث أم سلمة . كان فراش النبى صلى الله عليه وسلم نحو مايوضع الإنسان فى قبره . وفيه : من لم يسم . (٨) حديث : كانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تفرش طاقين تحته . أخرجه ابن سعد فى الطبقات وأبو الشيخ من حديث عائشة : دخلت على امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة مثنية ... الحديث . ولأبى سعيد عنها : أنها كانت تفرش للنبى صلى الله عليه وسلم عباءة باثنين ... الحديث وكلاهما لايصح والترمذى فى الشمائل من حديث حفصة : وسئلت ما كان فراشه ؟ قالت : مسح نثنيه ثنتين فينام عليه ... الحديث . وهو منقطع (٩) حديث : كان ينام على الحصير ليس تحته شىء غيره . متفق عليه من حديث عمر : فى قصة اعتزال النبى صلى الله عليه وسلم نساءه . (١٠) حديث : كان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذى يشهد به الحروب ذو الفقار وكان له سيف يقال له المخذم وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيب وكان قبضة سيفه محلاة بالفضة . أخرجه الطبرانى من حديث ابن عباس كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم سيف قائمته من فضة وقبيعته من فضة وكان يسمى ذا الفقار وكانت له قوس تسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجمع وكانت له درع موشحة بنحاس تسمى ذات الفضول وكانت له حربة تسمى النبعة وكانت له مجن تسمى الدفن وكان له ترس أبيض يسمى موجزا وكان له فرس أدهم يسمى السكب وكان له سرج يسمى الداج المؤخر وكان له بغلة شهباء يقال له الدلدل وكانت له ناقة تسمى القصواء وكان له حمار يسمى يعفور وكان له بساط يسمى الكر وكانت له عنزة تسمى الثمر وكانت لها ركوة تسمى الصادر وكانت له مرآة تسمى المرآة وكان له مقراض يسمى الجامع وكان له قضيب شوحط يسمى الممشوق . وفيه على بن غررة الدمشقى نسب الى وضع الحديث ورواه ابن عدى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف : كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء تسمى العقاب . ورواه أبو الشيخ من حديث الحسن مرسلا وله من حديث على بن أبى طالب : كان اسم سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذا الفقار . أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس : أنه صلى الله عليه وسلم تنفل سيفه ذا الفقار يوم بدر =

وكان يلبس المنطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة [١] وكان اسم قوسه : الكتوم . وجعبته الكافور [٢] وكان اسم ناقته : القصواء ، وهى التى يقال لها : العضبا ـ واسم بغلته : الدلدل : وكان اسم حماره يعفور واسم شاته التى يشرب لبنها عينة [٣] وكان له مطهرة من نحاس يتوضأ فيها ويشرب منها [٤] فيرسل الناس أولادهم الصغار الذين قدعقلوا فيدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلايدفعون عنه فإذا وجدوا فى المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم وأجسادهم ويبتغون بذلك البركة .

بيان عفوه صلى الله عليه وسلم مع قدرته

كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس [٥] وأرغبهم فى العفو مع القدرة حتى أتى بقلائد من ذهب وفضة فقسمها بين أصحابه فقام رجل من أهل البادية فقال : يا محمد والله لئن أمرك الله أن تعدل فما أراك تعدل : فقال ؛ ويحك فمن يعدل عليه بعدى » فلما ولى قال « ردوه على رويدا [٦] » روى جابر : أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبض للناس يوم خيبر من فضة فى ثوب بلال فقال له رجل : يارسول الله أعدل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل فقد خبت إذن وخسرت إن كنت لا اعدل » فقام عمر فقال : ألا أضرب عنقه فإنه منافق فقال : معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى [٧] : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرب فرأوا من المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال : من يمنعك منى ؟ فقال : « الله » فقال : فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقال : من يمنعك منى ؟ : فقال : كن خير آخذ قال : قل أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله : فقال : لا ، غير أنى لا أقاتلك ولا أكون معك

= والحاكم من حديث على فى أثناء حديث وسيفه ذو الفقار وهو ضعيف ولابن سعد فى الطبقات من رواية مروان بن أبى سعيد ابن المعلى مرسلا قال : أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بنى قينقاع ثلاثة أسياف : سيف قلعى وسيف يدعى بتارا وسيف يدعى الحتف ، وكان عنده بعد ذلك المخذم ورسوب أصابهما من القلس وفى سنده الواقدى وذكر ابن أبى خيثمة فى تاريخه: أنه يقال انه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ومعه سيفان يقال لأحدهما العضب شهد به بدرا ولأبى داود والترمذى وقال حسن والنسائى وقال منكر من حديث أنس : كانت قبيعة سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فضة . (١) حديث : كان يلبس المنطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة لم أقف له على أصل : ولابن سعد فى الطبقات وأبى الشيخ من رواية محمد بن على بن الحسين مرسلا : كان فى درع النبى صلى الله عليه وسلم حلقتان من فضة . (٢) حديث : كان اسم قوسه الكتوم وجعبته الكافور . لم أجد له أصلا وقد تقدم فى حديث ابن عباس : أنه كانت له قوس تسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجمع وقال ابن أبى خيثمة فى تاريخه : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد من سلاح بنى قينقاع ثلاثة قسى ؛ قوس اسمها الروحاء ، وقوس ذو حطة تدعى البيضاء ، وقوس صفراء تدعى الصفراء ؛ من سبع .

(٣) حديث : كان اسم ناقته القصواء وهى التى يقال لها العضباء واسم بغلته الدلدل واسم حماره يعفور واسم شاته التى يشرب لبنها عينة . تقدم بعضه من حديث ابن عباس عند الطبرانى ، وللبخارى من حديث أنس : كان للنبى صلى الله عليه وسلم ناقة يقال لها العضباء . ولمسلم من حديث جابر فى حجة الوداع : ثم ركب القصواء والحاكم من حديث على : ناقته القصواء وبغلته دلدل وحماره عفير ... الحديث . ورويناه فى فوائد ابن الدحداح فقال : حماره يعفور وفيه شاته بركة والبخارى من حديث معاذ : كنت ردف النبى صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له : عفير ، ولابن سعد فى الطبقات من رواية إبراهيم بن عبد الله من ولد عتبة بن غزوان : كانت مناع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنم سبعا : عجوة وزمزم وسقيا وبركة ورشة واهلال وأطراف . وفى سنده الواقدى وله من رواية مكحول مرسلا : كانت له شاة تسمى قر (٤) حديث : كانت له مطهرة من نحاس يتوضأ منها ويشرب فيها : الحديث . لم أقف له على أصل .

بيان عفوه مع القدرة

(٥) حديث : كان أحلم الناس . تقدم (٦) حديث : أتى بقلائد من ذهب وفضة فقسمها بين أصحابه .. الحديث أخرجه أبو الشيخ من حديث ابن عمر بإسناد جيد (٧) حديث جابر : أنه كان يقبض للناس يوم حنين من فضة فى ثوب بلال فقال له رجل : يانبى الله اعدل ... الحديث . رواه مسلم

ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، فخلى سبيله ، فجاء أصحابه فقال : جئتكم من عند خير الناس [١] وروى أنس : أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة ليأكل منها فجيء بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت : أردت قتلك ؛ فقال : ما كان الله ليسلطك على ذلك : قالوا : أفلا نقتلها ؟ فقال . لا [٢] : وسحره رجل من اليهود فأخبره جبريل عليه أفضل الصلاة والسلام بذلك حتى استخرجه وحل العقد فوجد لذلك خفة وما ذكر ذلك لليهودى ولا أظهره عليه قط [٣] وقال على رضى الله عنه : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا الزبير والمقداد فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها : فانطلقنا حتى أتينا روضة خاخ فقلنا أخرجى الكتاب فقالت : ما معى من كتاب فقلنا : لتخرجن الكتاب أو لننزعن الثياب ، فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبى صلى الله عليه وسلم فإذا فيه : من حاطب بن أبى بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم أمرا من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا حاطب ما هذا ؟ قال : يارسول الله لا تعجل على أنى كنت امرأ ملصقا فى قومى وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهلهم فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب منهم أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى ، ولم أفعل ذلك كفرا ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ولا ارتدادا عن دينى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه صدقكم : فقال عمر رضى الله عنه : دعنى أضرب عنق هذا المنافق ، فقال صلى الله عليه وسلم : إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم [٤] : وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة فقال رجل من الأنصار : هذه قسمة ما أريد بها وجه الله ؟ فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه وقال : رحم الله أخى موسى قد أوذى بأكثر من هذا فصبر [٥] : وكان صلى الله عليه وسلم يقول : لا يبلغنى أحد منكم عن أحد من أصحابى شيئا فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر [٦] :

بيان إغضائه صلى الله عليه وسلم عما كان يكرهه

كان رسول الله رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف فى وجهه غضبه ورضاه [٧] وكان إذا اشتد وجده أكثر من مس لحيته الكريمة [٨] وكان لا يشافه أحد بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها فلم يقل له شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم : لو قلتم لهذا أن يدع هذه [٩] : يعنى الصفرة . وبال أعرابى فى المسجد بحضرته فهم به

---

(١) حديث : كان فى حرب فرؤى فى المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف ... الحديث متفق عليه من حديث جابر بنحوه وهو فى مسند أحمد أقرب إلى لفظ المصنف وسمى الرجل غورث بن الحارث .

(٢) حديث أنس : أن يهودية أتت النبى صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة ... الحديث رواه مسلم وهو عند البخارى من حديث أبى هريرة (٣) حديث : سحره رجل من اليهود فأخبره جبريل بذلك حتى استخرجه ... الحديث . أخرجه النسائى بإسناد صحيح من حديث زيد بن أرقم وقصة سحره فى الصحيحين من حديث عائشة بلفظ آخر (٤) حديث على : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد وقال « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ... الحديث » متفق عليه (٥) حديث : قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة فقال رجل من الأنصار : هذه قسمة ما أريد بها وجه الله ... الحديث : متفق عليه من حديث ابن مسعود (٦) حديث « لا يبلغنى أحد منكم عن أحد من أصحابى شيئا فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر » أخرجه أبو داود والترمذى من حديث ابن مسعود وقال غريب من هذا الوجه .

بيان إغضائه صلى الله عليه وسلم عما يكرهه

(٧) حديث : كان رقيق البشرة لطيف الظاهر يعرف فى وجهه غضبه أخرجه أبو الشيخ من حديث ابن عمر : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف رضاه وغضبه بوجهه ... الحديث . وقد تقدم . (٨) حديث : كان إذا اشتد وجده أكثر من مس لحيته الكريمة ... الحديث . وقد تقدم أخرجه أبو الشيخ من حديث عائشة بإسناد حسن (٩) حديث : كان لا يشافه أحدا بما يكرهه . دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهه فلم يقل شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم « لو قلتم لهذا أن يدع هذه » يعنى الصفرة أخرجه أبو داود والترمذى فى الشمائل والنسائى فى اليوم والليلة من حديث أنس ولإسناده ضعيف .

الصحابة فقال صلى الله عليه وسلم « لاتزرموه » أى لاتقطعوا عليه البول ثم قال له « إنّ هذه المساجد لاتصلح لشىء من القذر والبول والخلاء [١] » وفى رواية « قربوا ولاتنفروا » . وجاءه أعرابى يوما يطلب منه شيئا فأعطاه صلى الله عليه وسلم ثم قال له « أحسنت إليك ؟ » قال الأعرابى : لا ، ولاأجملت ، قال : فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل إلى الأعرابى وزاده شيئا ثم قال « أحسنت إليك ؟ » قال : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « إنك قلت ماقلت وفى نفس أصحابى شىء من ذلك فإن أحببت فقل بين أيديهم ماقلت بين يدى حتى يذهب من صدورهم مافيها عليك قال : نعم ، فلما كان الغد أو العشى جاء فقال النبى صلى الله عليه وسلم « إنّ هذا الأعرابى قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضى أكذلك ؟ » فقال الأعرابى : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا ، فقال صلى الله عليه وسلم « إن مثلى ومثل هذا الأعرابى كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بينى وبين ناقتى فإنى أرفق بها وأعلم فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها هونا حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل ماقال فقتلتموه دخل النار [٢] » .

بيان سخاوته وجوده صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأسخاهم وكان فى شهر رمضان كالريح المرسلة لايمسك شيئاً [٣] وكان على رضى الله عنه إذا وصف النبى صلى الله عليه وسلم قال : كان أجود الناس كفا وأوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة ، من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته لم أر قبله ولابعده مثله [٤] وماسئل عن شىء قط على الإسلام إلا أعطاه [٥] وأنّ رجلا أتاه فسأله فأعطاه غنما سدت مابين جبلين فرجع إلى قومه وقال : أسلموا فإنّ محمدا يعطى عطاء من لايخشى الفاقة . وماسئل شيئاً قط فقال لا [٦] وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام إليها فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها [٧] وجاء رجل فسأله فقال « ماعندى شىء ولكن ابتع على فإذا جاءنا شىء قضيناه » فقال عمر : يارسول الله ما كلفك الله مالاتقدر عليه فكره النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الرجل : أنفق ولاتخش من ذى العرش إقلالا ، فتبسم النبى صلى الله

---

(١) حديث : بال أعرابى فى المسجد بحضرته فقال صلى الله عليه وسلم « لاتزرموه ... الحديث » متفق عليه من حديث أنس.

(٢) حديث : جاء أعرابى يوما يطلب منه شيئا فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « أحسنت اليك » فقال الأعرابى: لا ، ولاأجملت .. الحديث . بطوله أخرجه البزار وأبو الشيخ من حديث أبى هريرة بسند ضعيف .

بيان سخائه وجوده صلى الله عليه وسلم

(٣) حديث : كان أجود الناس وأسخاهم وكان فى شهر رمضان كالريح المرسلة . أخرجه الشيخان من حديث أنس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس . ولهما من حديث ابن عباس : كان أجود الناس بالخير وكان أجود مايكون فى شهر رمضان . وفيه : فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة . (٤) حديث : كان على إذا وصف النبى صلى الله عليه وسلم قال : كان أجود الناس كفا وأجرأ الناس صدرا ... الحديث . رواه الترمذى وقال ليس إسناده بمتصل .

(٥) حديث : ماسئل شيئا قط على الإسلام إلا أعطاه ... الحديث . متفق عليه من حديث أنس . (٦) حديث : ماسئل شيئا قط فقال : لا ، متفق عليه من حديث جابر . (٧) حديث : حمل إليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام إليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها . أخرجه أبو الحسن بن الضحاك فى الشمائل من حديث الحسن مرسلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم عليه مال من البحرين ثمانون ألفا لم يقدم عليه مال أكثر منه ، لم يسأله يومئذ أحد إلا أعطاه ولم يمنع سائلا ولم يعط ساكتا فقال له العباس ... الحديث . وللبخارى تعليقا من حديث أنس : أتى النبى صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين وكان أكثر مال أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث . وفيه : فما كان يرى أحدا إلا أعطاه إذ جاءه العباس ... الحديث ووصله عمر بن محمد البحرى فى صحيحه .

عليه وسلم وعرف السرور فى وجهه [١] ولما قفل من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « أعطونى ردائى لو كان لى عدد هذه العضاه نعما لقسمتها بينكم ثم لاتجدونى بخيلا ولا كذابا ولاجبانا [٢] » .

بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم أنجد الناس واشجعهم [٣] قال على رضى الله عنه : لقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا [٤] وقال أيضاً : كنا إذا احمر البأس ولقى القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه [٥] قيل : وكان صلى الله عليه وسلم قليل الكلام قليل الحديث فإذا أمر الناس بالقتال تشمر وكان من أشد الناس بأسا [٦] وكان الشجاع هو الذى يقرب منه فى الحرب لقربه من العدو [٧] وقال عمران بن بن حصين : مالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب [٨] وقالوا : كان قوى البطش [٩] ولما غشيه المشركون نزل عن بغلته فجعل يقول :

« أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب : فما رؤى يومئذ أحد كان أشد منه [١٠] » .

بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعا فى علو منصبه [١١] قال ابن عامر : رأيته يرمى الجمرة على ناقة شهباء لاضرب ولاطرد ولا إليك إليك [١٢] وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف [١٣] وكان يعود

---

(١) حديث : جاءه رجل فسأله فقال « ماعندى شىء ولكن ابتع على فإذا جاءنا شىء قضيناه فقال عمر : يارسول الله ماكلفك الله ... الحديث أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث عمر وفيه موسى بن علقمة الفروى لم يروه غير ابنه هرون .

(٢) حديث : لما قفل من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه الى شجرة فخطفت رداءه .. الحديث . أخرجه البخارى من حديث جبير بن مطعم .

بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم

(٣) حديث : كان أنجد الناس وأشجعهم . أخرجه الدارمى من حديث ابن عمر بسند صحيح : مارأيت أنجد ولا أجود ولا أشجع ولاأرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وللشيخين من حديث أنس : كان أشجع الناس وأحسن الناس ... الحديث

(٤) حديث على : لقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله عليه وسلم ... الحديث . أخرجه أبو الشيخ فى أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم بإسناد جيد (٥) حديث على أيضاً . كنا إذا حمى البأس ولقى القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث . أخرجه النسائى بإسناد صحيح ولمسلم نحوه من حديث البراء . (٦) حديث . كان قليل الكلام قليل الحديث فإذا أمر بالقتال تشمر ... الحديث أخرجه أبو الشيخ من حديث سعد بن عياض الثمالى مرسلا (٧) حديث . كان الشجاع هو الذى يقرب منه فى الحرب ... الحديث . أخرجه مسلم من حديث البراء . والله إذا حمى الوطيس نتقى به وإن الشجاع منا الذى يحاذى به (٨) حديث عمران بن حصين . مالقى كتيبة إلا كان أول من يضرب . أخرجه أبو الشيخ أيضاً وفيه من لم أعرفه .

(٩) حديث . كان قوى البطش . أخرجه أبو الشيخ أيضا من رواية أبى جعفر معضلا وللطبرانى فى الأوسط من حديث عبد الله ابن عمرو « أعطيت قوة أربعين فى البطش والجماع » وسنده ضعيف . (١٠) حديث . لما غشيه المشركون نزل فجعل يقول « أنا النبى لا كذب ... الحديث » متفق عليه من حديث البراء دون قوله . فما رؤى أحد يومئذ أشد منه . وهذه الزيادة لأبى الشيخ وله من حديث على فى قصة بدر . وكان من أشد الناس يومئذ بأسا .

بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم

(١١) حديث : كان أشد الناس تواضعا فى علو منصبه أخرجه أبو الحسن بن الضحاك فى الشمائل من حديث أبى سعيد الخدرى فى حديث طويل فى صفته قال فيه : متواضع فى غير مذلة . وإسناده ضعيف (١٢) حديث : قال ابن عامر رأيته يرمى الجمرة على ناقة شهباء لاضرب ولاطرد ولا إليك إليك . أخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث قدامة بن عبد الله بن عمار قال الترمذى حسن صحيح وفى كتاب أبى الشيخ قدامة بن عبد الله بن عامر كما ذكره المصنف . (١٣) حديث : كان يركب الحمار =

المريض ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك [١] ويخصف النعل ويرقع الثوب وكان يصنع في بيته مع أهله في حاجتهم [٢] وكان أصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك [٣] وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم [٤] وأتى صلى الله عليه وسلم برجل فأرعد من هيبته فقال له : هون عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد [٥] وكان يجلس بين أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم فيأتي الغريب فلا يدرى أيهم هو ؟ حتى يسأل عنه حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلسا يعرفه الغريب فبنوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه [٦] وقالت له عائشة رضى الله عنها كل - جعلني الله فداك - متكئا فإنه أهون عليك قال : فأصغى رأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الأرض ثم قال : بل آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد [٧] : وكان لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق بالله تعالى [٨] وكان لا يدعوه أحد من أصحابه وغيرهم إلا قال : لبيك [٩] : وكان إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى الآخرة أخذ معهم وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم وإن تكلموا في الدنيا تحدث معهم رفقا بهم وتواضعا لهم [١٠] وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحيانا ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون فيتبسم هو إذا ضحكوا ولا يزجرهم إلا عن حرام [١١] .

بيان صورته وخلقته صلى الله عليه وسلم

وكان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد بل كان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده ، ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فإذا فارقاه نسبا إلى الطول ونسب هو عليه السلام إلى الربعة ويقول صلى الله عليه وسلم : جعل الخير كله في الربعة [١٢] .

= موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يسترفد . متفق عليه من حديث أسامة بن زيد . (١) حديث : كان يعود المريض ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك . أخرجه الترمذى وضعفه والحاكم وصحح اسناده من حديث أنس وتقدم منقطعا . (٣) حديث : كان يخصف النعل ويرقع الثوب ويصنع في بيته مع أهله في حاجته . هو في المسند من حديث عائشة وقد تقدم في أوائل آداب المعيشة .

(٣) حديث : كان أصحابه لا يقومون له لما يعلمون من كراهته لذلك : هو عند الترمذى من حديث أنس وصححه وتقدم في آداب الصحبة . (٤) حديث : كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم . متفق عليه من حديث أنس وتقدم في آداب الصحبة .

(٥) حديث : أتى برجل فأرعد من هيبته فقال « هون الله عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد » أخرجه الحاكم من حديث جرير وقال صحيح على شرط الشيخين . (٦) حديث : كان يجلس مع أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم فيأتي الغريب فلا يدرى أيهم هو ؟ ... الحديث . أخرجه أبو داود والنسائى من حديث أبي هريرة وأبي ذر وقد تقدم .

(٧) حديث : قالت عائشة كل - جعلني الله فداك - متكئا فإنه أهون عليك ... الحديث . أخرجه أبو الشيخ من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عنها بسند ضعيف . (٨) حديث : كان صلى الله عليه وسلم لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لقى الله أخرجه البخارى من حديث أنس وتقدم في آداب الأكل . (٩) حديث : وكان صلى الله عليه وسلم لا يدعوه أحد من أصحابه ولا من غيرهم إلا قال « لبيك » أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عائشة وفيه حسين بن علوان متهم بالكذب وللطبرانى في الكبير بإسناد جيد من حديث محمد بن حاطب في أثناء حديث : أن أمة قالت يارسول الله فقال « لبيك وسعديك » الحديث (١٠) حديث : كان صلى الله عليه وسلم إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى أمر الآخرة أخذ معهم وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم ... الحديث . أخرجه الترمذى في الشمائل من حديث زيد بن ثابت دون ذكر : الشراب ، وفيه سليمان بن خارجة تفرد عنه الوليد بن أبي الوليد وذكره ابن حبان في الثقات .

(١١) حديث : كانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحيانا ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ... الحديث . أخرجه مسلم من حديث جابر بن سمرة دون قوله : ولا يزجرهم إلا عن حرام .

بيان صورته وخلقته صلى الله عليه وسلم

(١٢) حديث : كان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد ... الحديث بطوله . أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عائشة بزيادة ونقصان دون شعر أبي طالب الآتى ودون قوله : وربما جعل شعره =

وأما لونه فقد كان أزهر اللون ولم يكن بالآدم ولا بالشديد البياض. والأزهر هو الأبيض الناصع الذى لا تشوبه صفرة ولا حمرة ولا شىء من الألوان ، ونعته عمه أبو طالب فقال :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل (١)

ونعته بعضهم بأنه مشرب بحمرة فقالوا : إنما كان المشرب منه بالحمرة ماظهر للشمس والرياح كالوجه والرقبة والأزهر الصافى عن الحمرة ما تحت الثياب منه . وكان عرقه صلى الله عليه وسلم فى وجهه كاللؤلؤ أطيب من المسك الأذفر .

وأما شعره فقد كان رجل الشعر حسنه ليس بالسبط ولا الجعد القطط وكان إذا مشطه بالمشط يأتى كأنه حبك الرمل . وقيل : كان شعره يضرب منكبيه وأكثر الرواية أنه كان إلى شحمة أذنيه . وربما جعله غدائر أربعا تخرج كل أذن من بين غديرتين . وربما جعل شعره على أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ . وكان شيبه فى الرأس واللحية سبع عشرة شعرة ، مازاد على ذلك .

وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأنورهم لم يصفه واصف إلا شبهه بالقمر ليلة البدر، وكان يرى رضاه وغضبه فى وجهه لصفاء بشرته ، وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه حيث يقول :

أمين مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام

وكان صلى الله عليه وسلم واسع الجبهة أزج الحاجبين سابغهما وكان أبلج مابين الحاجبين كأن مابينهما الفضة المخلصة ، وكانت عيناه نجلاوين أدعجهما وكان فى عينيه تمزج من حمرة ، وكان أهدب الأشفار حتى تكاد تلتبس من كثرتها ، وكان أقنى العرنين ـ أى مستوى الأنف ـ وكان مفلج الأسنان ـ أى متفرقها ـ وكان إذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق إذا تلألأ ، وكان من أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم ، وكان سهل الخدين صلبهما ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم ، كث اللحية ، وكان يعفى لحيته ويأخذ من شاربه ، وكان أحسن عباد الله عنقا لا ينسب إلى الطول ولا إلى القصر ، ماظهر من عنقه للشمس والرياح فكأنه إبريق فضة مشرب ذهبا يتلألأ فى بياض الفضة وفى حمرة الذهب ، وكان صلى الله عليه وسلم عريض الصدر لا يعدو لحم بعض بدنه بعضاً كالمرآة فى استوائها وكالقمر فى بياضه موصول مابين لبته وسرته بشعر منقاد كالقضيب لم يكن فى صدره ولا بطنه شعر غيره ، وكانت له عكن ثلاث يغطى الإزار منها واحدة ويظهر اثنتان ، وكان عظيم المنكبين أشعرهما ضخم الكراديس ـ أى رءوس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين ـ وكان واسع الظهر مابين كتفيه خاتم النبوة وهو مما يلى منكبه الأيمن فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس ، وكان عبل العضدين والذراعين طويل

= على أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ . ودون قوله : وربما كان واسع الجبهة ـ إلى قوله ـ وكان سهل الخدين . وفيه صبيح بن عبد الله الفرعانى منكر الحديث قاله الخطيب . وفى الصحيحين من حديث البراء : له شعر يبلغ شحمة أذنيه وأبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أم هانئ : قدم إلى مكة وله أربع غدائر والترمذى من حديث على فى صفته صلى الله عليه وسلم : أدعج العينين أهدب الأشفار ... الحديث . وقال ليس إسناده بمتصل وله فى الشمائل من حديث ابن أبى هالة : أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ فى غير قرن ، بينهما عرق يدره الغضب . أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم ، كث اللحية سهل الخدين ضليع الفم مفلج الأسنان ... الحديث

(١) حديث : نعته عمه أبو طالب فقال : وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل .

ذكره ابن إسحاق فى السيرة وفى المسند عن عائشة : أنها تمثلت بهذا البيت وأبو بكر يقضى فقال أبو بكر : ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه على بن زيد بن جدعان مختلف فيه . وأخرجه البخارى تعليقا من حديث ابن عمر : ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستسقى فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب فأنشده . وقد وصله بإسناد صحيح .

الزندين رحب الراحتين سائل الأطراف كأن أصابعه قضبان الفضة ، كفه ألين من الخز ، كأن كفه كف عطار طيبا - مسها بطيب أو لم يمسها - يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على رأسه ، وكان عبل ماتحت الإزار من الفخذين والساق ، وكان معتدل الخلق فى السمن بدن فى آخر زمانه وكان لحمه متماسكا يكاد يكون على الخلق الأول لم يضره السمن .

وأما مشيه صلى الله عليه وسلم فكان يمشى كأنما يتقلع من صخر وينحدر من صبب يخطو تكفيا ويمشى الهوينى بغير تبختر - والهوينى تقارب الخطا - وكان عليه الصلاة والسلام يقول « أنا أشبه الناس بآدم صلى الله عليه وسلم وكان أبى إبراهيم صلى الله عليه وسلم أشبه الناس بى خلقا وخلقا » وكان يقول « إن لى عند ربى عشرة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا العاقب الذى ليس بعده أحد ، وأنا الحاشر يحشر الله العباد على قدمى ، وأنا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم والمقفى قفيت الناس جميعا وأنا قثم [1] » قال أبو البحترى والقثم الكامل الجامع ، والله أعلم .

بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه

اعلم أن من شاهد أحواله صلى الله عليه وسلم وأصغى إلى سماع أخباره المشتملة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وعاداته وسجاياه وسياسته لأصناف الخلق وهدايته إلى ضبطهم وتألفه أصناف الخلق وقوده إياهم إلى طاعته مع مايحكى من عجائب اجوبته فى مضايق الأسئلة وبدائع تدبيراته فى مصالح الخلق ومحاسن إشاراته فى تفصيل ظاهر الشرع الذى يعجز الفقهاء والعقلاء عن إدراك أوائل دقائقها فى طول أعمارهم ، لم يبق له ريب ولاشك فى أن ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها القوة البشرية ، بل لايتصور ذلك إلا بالاستمداد من تأييد سماوى وقوة إلهية ، وأن ذلك كله لايتصور لكذاب ولاملبس ، بل كانت شمائله وأحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى أن العربى القح كان يراه فيقول : والله ماهذا وجه كذاب فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائله فكيف من شاهد أخلاقه ومارس أحواله فى جميع مصادره وموارده ؟ وإنما أوردنا بعض أخلاقه لتعرف محاسن الأخلاق وليتنبه لصدقه عليه الصلاة والسلام وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله ؛ إذ آتاه الله جميع ذلك وهو رجل أمى لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط فى طلب علم ولم يزل بين أظهر الجهال من الأعراب يتيما ضعيفا مستضعفا ، فمن أين حصل له محاسن الأخلاق والآداب ومعرفة مصالح الفقه مثلا فقط دون غيره من العلوم فضلا عن معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح الوحى ؟ ومن أين لقوة البشر الاستقلال بذلك ؟ فلو لم يكن له إلا هذه الأمور الظاهرة لكان فيه كفاية . وقد ظهر من آياته ومعجزاته مالا يستريب فيه محصل ، فلنذكر من جملتها ما استفاضت به الأخبار واشتملت عليه الكتب الصحيحة إشارة إلى مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل .

فقد خرق الله العادة على يده غير مرة ؛ إذ شق له القمر بمكة لما سألته قريش آية [2] وأطعم النفر الكثير فى

---

(١) حديث : ان لى عند ربى عشرة أسماء ... الحديث . أخرجه ابن عدى من حديث على وجابر وأسامة بن زيد وابن عباس وعائشة بإسناد ضعيف ، وله ولأبى نعيم فى الدلائل من حديث أبى الطفيل : لى عند ربى عشرة أسماء . قال أبو الطفيل : حفظت منها ثمانية . فذكرها بزيادة ونقص وذكر سيف بن وهب : أن أبا جعفر قال : إن الاسمين طه ويس . وإسناده ضعيف وفى الصحيحين من حديث جبير بن مطعم : لى أسماء أنا أحمد وأنا محمد وأنا الحاشر وأنا الماحى وأنا العاقب . ولمسلم من حديث أبى موسى : والمقفى ونبى التوبة ونبى الرحمة . ولأحمد من حديث حذيفة : ونبى الملاحم . وسنده صحيح .

بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه

(٢) حديث : انشقاق القمر : متفق عليه من حديث ابن مسعود وابن عباس وأنس .

منزل جابر [١] وفى منزل أبى طلحة ويوم الخندق [٢] ومرة أطعم ثمانين من أربعة أمداد شعير وعناق [٣] وهو من أولاد المعز فوق العتود ، ومرة أكثر من ثمانين رجلا من أقراص شعير حملها أنس فى يده [٤] ومرة أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير فى يدها فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم [٥] ونبع الماء من بين أصابعه عليه السلام فشرب أهل العسكر كلهم وهم عطاش ، وتوضئوا من قدح صغير ضاق عن أن يبسط عليه السلام يده فيه [٦] وأهراق عليه السلام وضوءه فى عين تبوك ولا ماء فيها ، ومرة أخرى فى بئر الحديبية فجاشتا بالماء ؛ فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف حتى رووا وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء [٧] وأمر عليه السلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يزود أربعمائة راكب من تمر كان فى اجتماعه كربضة البعير ـ وهو موضع بروكه ـ فزودهم كلهم منه وبقى منه فحبسه [٨] ورمى الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك القرآن فى قوله تعالى ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ [٩] وأبطل الله تعالى الكهانة بمبعثه صلى الله عليه وسلم فعدمت وكان ظاهرة موجودة [١٠] وحن الجذع الذى كان يخطب إليه لما عمل له المنبر حتى سمع منه جميع أصحابه مثل صوت الإبل فضمه إليه فسكن [١١] ودعا اليهود إلى تمنى الموت وأخبرهم بأنهم لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه [١٢] وهذا مذكور فى سورة يقرأ بها فى جميع جوامع الإسلام من شرق الأرض إلى غربها يوم الجمعة

---

(١) حديث : إطعام النفر الكثير فى منزل جابر . متفق عليه من حديثه .

(٢) حديث : إطعامه النفر الكثير فى منزل أبى طلحة . متفق عليه من حديث أنس .

(٣) حديث : إطعامه ثمانين من أربعة أمداد شعير وعناق . أخرجه الإسماعيلى فى صحيحه ومن طريقه البيهقى فى دلائل النبوة من حديث جابر وفيه أنهم كانوا ثمانمائة أو ثلاثمائة وهو عند البخارى دون ذكر العدد وفى رواية أبى نعيم فى دلائل النبوة وهم ألف . (٤) حديث : إطعامه أكثر من ثمانين رجلا من أقراص شعير حملها أنس فى يده . أخرجه مسلم من حديث أنس وفيه : حتى فعل ذلك بثمانين رجلا ثم أكل النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وأهل البيت وتركوا سؤرا . وفى رواية لأبى نعيم فى الدلائل : حتى أكل منه بضع وثمانون رجلا . وهو متفق عليه لفظ : والقوم سبعون أو ثمانون رجلا .

(٥) حديث : إطعامه أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير فى يدها ... الحديث . أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة من طريق ابن إسحق حدثنا سعيد بن ميناء عن ابنة بشير بن سعد وإسناده جيد . (٦) حديث : نبع الماء من بين أصابعه فشرب أهل العسكر وهم عطاش وتوضؤا ... الحديث . متفق عليه من حديث أنس فى ذكر الوضوء فقط ولأبى نعيم من حديثه : خرج إلى قباء فأتى من بعض بيوتهم بقدح صغير . وفيه : ثم قال « هلم إلى الشرب » قال أنس : بصر عينى نبع الماء من بين أصابعه ولم يرد القدح حتى رووا منه . وإسناده جيد وللبزار واللفظ له والطبرانى فى الكبير من حديث ابن عباس . كان فى سفر فشكا أصحابه العطش فقال « ائتونى بماء » فأتوه بإناء فيه ماء فوضع يده فى الماء ينبع من بين أصابعه ... الحديث .

(٧) حديث : إهراقه وضوءه فى عين تبوك ولا ماء فيها ومرة أخرى فى بئر الحديبية فجاشتا بالماء ... الحديث وأخرجه مسلم من حديث معاذ بقصة عين تبوك ومن حديث سلمة بن الأكوع بقصة عين الحديبية وفيه : فإما دعا وإما بصق فيها فجاشت ... الحديث . وللبخارى من حديث البراء : أنه توضأ وصبه فيها . وفى الحديثين معا : أنهم كانوا أربعة عشر مائة وكذا عند البخارى من حديث البراء وكذلك عندهما من حديث جابر ، وقال البيهقى إنه الأصح ولهما من حديث أيضاً : ألف وخمسمائة . ولمسلم من حديث ابن أبى أوفى : ألف وثلثمائة (٨) حديث : أمر عمر أن يزود أربعمائة راكب من تمر كان كربضة البعير .. الحديث . أخرجه أحمد من حديث النعمان بن مقرن وحديث دكين بن سعيد بإسنادين صحيحين وأصل حديث دكين عند أبى داود مختصرا من غير بيان لعددهم (٩) حديث : رميه الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم ... الحديث أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع دون ذكر نزول الآية فرواه ابن مردويه فى تفسيره من حديث جابر وابن عباس (١٠) حديث : إبطال الكهانة بمبعثه أخرجه الخرائطى من حديث مرداس بن قيس الدوسى قال : حضرت النبى صلى الله عليه وسلم وذكرت عنده الكهانة وما كان من تنبيرها عند مخرجه .. الحديث . ولأبى نعيم فى الدلائل من حديث ابن عباس فى استراق الجن السمع فيلقونه على أوليائهم : فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم دحروا بالنجوم وأصله عند البخارى بغير هذا السياق (١١) حديث : حنين الجذع أخرجه البخارى من حديث جابر وسهل بن سعد (١٢) حديث : دعا اليهود إلى تمنى الموت وأخبرهم بأنهم لا يتمنونه ... الحديث أخرجه البخارى من حديث ابن عباس : لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ... الحديث . وللبيهقى فى الدلائل من حديث ابن عباس لا يقولها رجل منكم إلا غص بريقه فمات مكانه فأبوا أن يفعلوا ... الحديث . وإسناده ضعيف .

- جهرا - تعظيما للآية التى فيها .

وأخبر عليه السلام بالغيوب وأنذر عثمان بأن تصيبه بلوى بعدها الجنة [١] وبأن عمارا تقتله الفئة الباغية [٢] وأن الحسن يصلح الله به فئتين من المسلمين عظيمتين [٣] وأخبر عليه السلام عن رجل قاتل فى سبيل الله أنه من أهل النار [٤] فظهر ذلك بأن ذلك الرجل قتل نفسه وهذه كلها أشياء إلهية لا تعرف ألبتة بشىء من وجوه تقدمت المعرفة بها لا بنجوم ولا بكشف ولا بخط ولا بزجر لكن بإعلام الله تعالى له ووحيه إليه . واتبعه سراقة بن مالك فساخت قدما فرسه فى الأرض وأتبعه دخان حتى استغاثه فدعا له فانطلق الفرس ، وأنذره بأن سيوضع فى ذراعيه سوارا كسرى [٥] فكان كذلك وأخبر بمقتل الأسود العنسى الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن وأخبر بمن قتله [٦] وخرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رءوسهم ولم يروه [٧] وشكا إليه البعير بحضرة أصحابه وتذلل له [٨] وقال لنفر من أصحابه مجتمعين « أحدكم فى النار ضرسه مثل أحد فماتوا كلهم على استقامة وارتد منهم واحد فقتل مرتدا [٩] » وقال لآخرين منهم : آخركم موتا فى النار ؛ فسقط آخرهم موتا فى النار فاحترق فيها فمات [١٠] ودعا شجرتين فأتتاه واجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا . وكان عليه السلام نحو الربعة فإذا مشى مع الطوال طالهم [١١] ودعا عليه السلام النصارى إلى المباهلة فامتنعوا فعرفهم صلى الله عليه وسلم أنهم إن فعلوا ذلك هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا [١٢] وأتاه عامر بن الطفيل بن مالك وأربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتكاهم عازمين على قتله عليه السلام فحيل بينهما وبين ذلك ودعا عليهما فهلك عامر بغدة وهلك أربد بصاعقة أحرقته [١٣] وأخبر عليه السلام أنه يقتل

---

(١) حديث : إخباره بأن عثمان تصيبه بلوى بعدها الجنة . متفق عليه من حديث أبى موسى الأشعرى . (٢) حديث : إخباره بأن عمارا تقتله الفئة الباغية . أخرجه مسلم من حديث أبي قتادة وأم سلمة والبخارى من حديث أبى سعيد .

(٣) حديث : إخباره أن الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين . أخرجه البخارى من حديث أبو بكرة .

(٤) حديث : إخباره عن رجل قاتل فى سبيل الله أنه من أهل النار . متفق عليه من حديث أبى هريرة وسهل بن سعد .

(٥) حديث : اتباع سراقة بن مالك له فى قصة الهجرة فساخت قدما فرسه فى الأرض .·. الحديث . متفق عليه من حديث أبى بكر الصديق (٦) حديث : إخباره بمقتل الأسود العنسى ليلة قتل وهو بصنعاء اليمن ومن قتله . وهو مذكور فى السير والذى قتله فيروز الديلمى وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة « بينا أنا نائم رأيت فى يدى سوارين من ذهب فأهمنى شأنهما فأوحى الى فى المنام أن أنفخهما فنفختهما فطارا ، فتأولتهما كذابين يخرجان بعدى » فكان أحدهما العنسى صاحب صنعاء ... الحديث (٧) حديث : خرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رءوسهم ولم يروه . أخرجه ابن مردويه بسند ضعيف من حديث ابن عباس وليس فيه : أنهم كانوا مائة . وكذلك رواه ابن إسحاق من حديث محمد بن كعب القرظى مرسلا .

(٧) حديث : شكا اليه البعير وتذلل له . أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن جعفر فى أثناء حديث وفيه : فإنه شكا إلى أنك تجيعه وتدئبه . وأول الحديث عند مسلم دون ذكر قصة البعير (٩) حديث : قال لنفر من أصحابه « أحدكم ضرسه فى النار مثل أحد ... الحديث » ذكره الدارقطنى فى المؤتلف والمختلف من حديث أبى هريرة بغير إسناد فى ترجمة الرجال بن عنفرة وهو الذى ارتد - وهو بالجيم - وذكره عبد الغنى - بالمهملة - وسبقه إلى ذلك الواقدى والمدائنى والأول أصح وأكثر كما ذكره الدارقطنى وابن ماكولا ووصله الطبرانى من حديث رافع بن خديج بلفظ : أحد هؤلاء النفر فى النار . وفيه الواقدى عن عبد الله ابن نوح متروك . (١٠) حديث : قال لآخرين منهم « آخركم موتا فى النار » فسقط آخرهم موتا فى نار فاحترق فيها فمات أخرجه الطبرانى والبيهقى فى الدلائل من حديث ابن محذورة وفى رواية البيهقى : أن آخرهم موتا سمرة بن جندب ، لم يذكر أنه احترق ورواه البيهقى من حديث أبي هريرة نحوه ورواته ثقات وقال ابن عبد البر : إنه سقط فى قدر مملوءة ماء حارا فمات . روى ذلك بإسناد متصل إلا أن فيه داود بن المحبر وقد ضعفه الجمهور (١١) حديث : دعا شجرتين فأتتاه فاجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا . أخرجه أحمد من حديث على بن مرة بسند صحيح (١٢) حديث : دعا النصارى إلى المباهلة وأخبرهم أن فعلوا ذلك هلكوا فامتنعوا أخرجه البخارى من حديث ابن عباس فى أثناء حديث : ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا (١٣) حديث : أتاه عامر بن الطفيل بن مالك وأربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتكاهم عازمين على قتله فحيل بينهما وبين ذلك .. الحديث . أخرجه الطبرانى فى الأوسط والأكبر من حديث ابن عباس بطوله بسند لين .

أبي بن خلف الجمحي فخدشه يوم أحد خدشا لطيفا فكانت منيته فيه [١] .

وأطعم عليه الصلاة والسلام السم فمات الذى أكله معه وعاش هو صلى الله عليه وسلم بعده أربع سنين ، وكله الذراع المسموم [٢] .

وأخبر عليه السلام يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلا رجلا فلم يتعدوا حد منهم ذلك الموضع [٣] وأنذر عليه السلام بأن طوائف من أمته يغزون فى البحر فكان كذلك [٤] وزويت له الأرض فأرى مشارقها ومغاربها وأخبر بأن ملك أمته سيبلغ مازوى له منها فكان كذلك فقد بلغ ملكهم من أول المشرق : من بلاد الترك إلى آخر المغرب من بحر الأندلس وبلاد البربر ولم يتسعوا فى الجنوب ولا فى الشمال ـ كما أخبر صلى الله عليه وسلم سواء بسواء [٥] . وأخبر فاطمة ابنته رضى الله عنها بأنها أول أهله لحاقا به [٦] فكان كذلك . وأخبر نساءه بأن أطولهن يدا أسرعهن لحاقا به فكانت زينب بنت جحش الأسدية أطولهن يدا بالصدقة أولهن لحوقا به رضى الله عنها [٧] .

ومسح ضرع شاة حائل لالبن لها فدرت [٨] وكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود رضى الله عنه . وفعل ذلك مرة أخرى فى خيمة أم معبد الخزاعية . وندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها عليه السلام بيده فكانت أصح عينيه وأحسنهما [٩] وتفل فى عين على رضى الله عنه وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته وبعثه بالراية [١٠] وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم [١١] وأصيبت رجل بعض أصحابه صلى الله عليه وسلم فمسحها بيده فبرأت من حينها [١٢] وقل زاد جيش كان معه عليه السلام فدعا بجميع مابقى فاجتمع شىء يسير جدا فدعا فيه بالبركة ، ثم أمرهم فأخذوا فلم يبق وعاء فى العسكر إلا ملئ من ذلك [١٣] وحكى الحكم بن العاص بن وائل (*) مشيته

---

(١) حديث . اخباره أنه يقتل أبي بن خلف الجمحي فخدشه يوم أحد خدشا لطيفا فكانت منيته . أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة من رواية سعيد بن المسيب ومن رواية عروة بن الزبير مرسلا (٢) حديث : إنه أطعم السم فمات الذى أكله معه وعاش هو بعده أربع سنين ، وكله الذراع المسموم . أخرجه أبو داود من حديث جابر فى رواية له مرسلة : أن الذى مات بشر بن البراء ، وفى الصحيحين من حديث أنس : إن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها .. الحديث . وفيه : فمازلت أعرفها فى لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) حديث : إخباره صلى الله عليه وسلم يوم بدر بمصارع صناديد قريش .. الحديث . أخرجه مسلم من حديث عمر بن الخطاب (٤) حديث : إخباره بأن طوائف من أمته يغزون فى البحر فكان كذلك متفق عليه من حديث أم حرام (٥) حديث : زويت له الأرض مشارقها ومغاربها وأخبر بأن ملك أمته سيبلغ مازوى له منها .. الحديث . أخرجه مسلم من حديث عائشة وفاطمة أيضاً (٦) حديث : إخباره فاطمة أنها أول أهله لحاقا به . متفق عليه من حديث عائشة وفاطمة أيضاً (٧) حديث : أخبر نساءه أن أطولهن يدا أسرعهن لحاقا به فكانت زينب الحديث . أخرجه مسلم من حديث عائشة وفى الصحيحين : أن سودة كانت أولهن لحوقا به قال ابن الجوزى وهذا غلط من بعض الرواة بلا شك .

(٨) حديث : مسح ضرع شاة حائل لالبن لها فدرت فكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود . أخرجه أحمد من حديث ابن مسعود بإسناد جيد (٩) حديث : ندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها فكانت أصح عينيه وأحسنهما . أخرجه أبو نعيم والبيهقى كلاهما فى دلائل النبوة من حديث قتادة بن النعمان وهو الذى سقطت عينه ففى رواية للبيهقى : أنه كان ببدر . وفى رواية أبى نعيم : أنه كان بأحد : وفى إسناده اضطراب وكذا رواه البيهقى فيه من حديث أبى سعيد الخدرى .

(١٠) حديث : تفل فى عين على وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته وبعثه بالراية . متفق عليه من حديث على ومن حديث سهل بن سعد أيضاً . (١١) حديث : كانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه . أخرجه البخارى من حديث ابن مسعود .

(١٢) حديث : أصيبت رجل بعض أصحابه فمسحها بيده فبرأت من حينها . أخرجه البخارى فى قصة قتل أبى رافع

(١٣) حديث : قل زاد جيش معه فدعا بما بقى فاجتمع شىء يسير فدعا فيه بالبركة ... الحديث . متفق عليه من حديث سلمة ابن الأكوع .

(*) قوله : الحكم بن العاص بن وائل هكذا فى النسخ وصوابه كما فى الشارح الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس اه مصححه .

عليه السلام مستهزئا فقال صلى الله عليه وسلم : كذلك فكن : فلم يزل يرتعس حتى مات [1] وخطب عليه السلام امرأة فقال له أبوها : إن بها برصا - امتناعا من خطبته واعتذارا - ولم يكن بها برص فقال عليه السلام : فلتكن كذلك : [2] فبرصت وهي أم شبيب بن البرصاء الشاعر . إلى غير ذلك من آياته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم ، وإنما اقتصرنا على المستفيض . ومن يستريب في انخراق العادة على يده ويزعم أن آحاد هذه الوقائع لم تنقل تواترا بل المتواتر هو القرآن فقط كمن يستريب في شجاعة علي رضي الله عنه وسخاوة حاتم الطائي ومعلوم أن آحاد وقائعهم غير متواترة ولكن مجموع الوقائع يورث علما ضروريا ثم لا يتمارى في تواتر القرآن وهي المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق : وليس لنبي معجزة باقية سواه صلى الله عليه وسلم إذ تحدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغاء الخلق وفصحاء العرب وجزيرة العرب حينئذ مملوءة بآلاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم . وكان ينادي بين أظهرهم أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ وقال ذلك تعجيزا لهم فعجزوا عن ذلك وصرفوا عنه حتى عرضوا أنفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم للسبي ، وما استطاعوا أن يعارضوا ولا أن يقدحوا في جزالته وحسنه ثم انتشر ذلك بعده في أقطار العالم شرقا وغربا قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر وقد انقرض اليوم قريب من خمسمائة سنة فلم يقدر أحد على معارضته .

فأعظم بغباوة من ينظر في أحواله ، ثم في أقواله ، ثم في أفعاله ، ثم في أخلاقه ، ثم في معجزاته ، ثم في استمرار شرعه إلى الآن ، ثم في انتشاره في أقطار العالم ، ثم في إذعان ملوك الأرض له في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه .

وما أعظم توفيق من آمن به وصدقه واتبعه في كل ما ورد وصدر فنسأل الله تعالى أن يوفقنا للاقتداء به في الأخلاق والأفعال والأحوال والأقوال بمنه وسعة جوده .

---

(١) حديث : حكى الحكم بن العاص مشيته مستهزئا به فقال « كذلك فكن .. الحديث » أخرجه البيهقي في الدلائل من حديث هند بن خديج بإسناد جيد والحاكم في المستدرك من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر نحوه ولم يسم الحكم وقال صحيح الإسناد (٢) حديث : خطب امرأة فقال أبوها إن بها برصا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال « فلتكن كذلك » فبرصت المرأة . ذكرها ابن الجوزي في التلقيح وسماها جمرة بنت الحرث بن عوف المزني وتبعه على ذلك الدمياطي

تم الجزء الثاني من كتاب إحياء علوم الدين

ويليه الجزء الثالث ويشتمل على ربع المهلكات

فهرس

الجزء الثاني

من كتاب إحياء علوم الدين

لحجة الإسلام الإمام الغزالى

صحيفة

٢ كتاب آداب الأكل

وهو الأول من ربع العادات

٣ الباب الأول فيما لا بد للمتفرد منه وهو ثلاثة أقسام: قسم قبل الأكل، وقسم مع الأكل، وقسم بعد الفراغ منه

القسم الأول فى الآداب التى تتقدم على الأكل وهى سبعة

٥ القسم الثانى فى آداب حالة الأكل

٦ القسم الثالث ما يستحب بعد الطعام

٧ الباب الثانى فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة فى الأكل وهى سبعة

٨ الباب الثالث فى آداب تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين

١٢ الباب الرابع فى آداب الضيافة

١٨ فصل يجمع آدابا ومناهى طبية وشرعية متفرقة

٢١ كتاب آداب النكاح

وهو الكتاب الثانى من ربع العادات

٢١ الباب الأول فى الترغيب فى النكاح والترغيب عنه

الترغيب فى النكاح

٢٤ ما جاء فى الترهيب عن النكاح

٢٥ آفات النكاح وفوائده

٢٦ الباب الثانى فيما يراعى حالة العقد من أحوال المرأة وشروط العقد

صحيفة

٤٢ الباب الثالث فى آداب المعاشرة وما يجرى فى دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة

٥٦ القسم الثانى من هذا الباب النظر فى حقوق الزوج عليها

٦٠ كتاب آداب الكسب والمعاش

وهو الكتاب الثالث من ربع العادات

٦١ الباب الأول فى فضل الكسب والحث عليه

٦٤ الباب الثانى فى علم الكسب بطريق البيع الخ وبيان شروط الشرع فى صحة هذه التصرفات التى هى مدار المكاسب فى الشرع

العقد الأول البيع

٦٨ العقد الثانى عقد الربا

٦٩ العقد الثالث السلم

٧٠ العقد الرابع الإجارة

٧١ العقد الخامس القراض

٧٢ العقد السادس الشركة

٧٢ الباب الثالث فى بيان العدل واجتناب الظلم فى المعاملة

القسم الأول فيما يعم ضرره وهو أنواع

٧٤ القسم الثانى ما يخص ضرره المعامل

٧٩ الباب الرابع فى الإحسان فى المعاملة

٨٣ الباب الخامس فى شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويعم آخرته

صحيفة

٨٨ كتاب الحلال والحرام

وهو الكتاب الرابع من ربع العادات

٨٩ الباب الأول فى فضيلة الحلال ومذمة الحرام وبيان أصناف الحلال ودرجاته وأصناف الحرام ودرجات الورع فيه فضيلة الحلال ومذمة الحرام

٩٢ أصناف الحلال ومداخله

القسم الأول الحرام لصفة فى عينه الخ

٩٣ القسم الثانى مايحرم لحلل فى جهة إثبات اليد عليه

٩٤ درجات الحلال والحرام

٩٥ أمثلة الدرجات الأربع فى الورع وشواهدها

٩٨ الباب الثانى فى مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام

٩٩ المثار الأول الشك فى السبب المحلل والمحرم

١٠٢ المثار الثانى للشبهة شك منشؤه الاختلاط

١١٠ المثار الثالث للشبهة أن يتصل بالسبب المحلل معصية

١١٥ المثار الرابع الاختلاف فى الأدلة

١١٨ الباب الثالث فى البحث والسؤال والهجوم والإهمال ومظانها

المثار الأول أحوال المالك

١٢١ المثار الثانى مايستند الشك فيه إلى سبب المال لا فى حال المالك

١٢٧ الباب الرابع فى كيفية خروج التائب عن المظالم المالية وفيه نظران

النظر الأول فى كيفية التمييز والإخراج

١٣٠ النظر الثانى فى المصرف

١٣٥ الباب الخامس فى إدرارات السلاطين وما يحل منها ومايحرم وفيه نظران

١٣٥ النظر الأول فى جهات الدخل للسلطان

١٣٩ النظر الثانى من هذا الباب فى قدر المأخوذ وصفة الآخذ

١٤٢ الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ويحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والإكرام لهم

١٥٣ الباب السابع فى مسائل متفرقة يكثر مسيس الحاجة إليها قد سئل عنها فى الفتاوى

١٥٧ كتاب آداب الألفة والأخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق وهو الكتاب الخامس من ربع العادات الثانى وفيه ثلاثة أبواب

١٥٧ الباب الأول فى فضيلة الألفة والأخوة وفى شروطها ودرجاتها وفوائدها فضيلة الألفة والأخوة

١٦١ بيان معنى الأخوة فى الله وتمييزها من الأخوة فى الدنيا

١٦٦ بيان البغض فى الله

١٦٨ بيان مراتب الذين يبغضون فى الله وكيفية معاملتهم

١٥٧ بيان الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته

١٧٣ الباب الثانى فى حقوق الأخوة والصحبة الحق الأول فى المال

١٧٥ الحق الثانى فى الإعانة بالنفس الخ

١٧٦ الحق الثالث فى اللسان بالسكوت الخ

١٨٠ الحق الرابع على اللسان بالنطق

١٨٣ الحق الخامس العفو عن الزلات والهفوات

١٨٦ الحق السادس الدعاء للأخ فى حياته الخ

١٨٧ الحق السابع الوفاء والإخلاص

١٨٨ الحق الثامن التخفيف وترك التكلف الخ

١٩٢ خاتمة لهذا الباب نذكر فيها جملة الخ

١٩٣ الباب الثالث فى حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من يدلى بهذه الأسباب

١٩٤ حقوق المسلم

٢١٢ حقوق الجوار

صحيفة

٢١٥ حقوق الأقارب والرحم
٢١٦ حقوق الوالدين والولد
٢١٩ حقوق المملوك
٢٢١ كتاب آداب العزلة
وهو الكتاب السادس من ربع العادات
وفيه بابان
٢٢٢ الباب الأول فى نقل المذاهب والأويل
وذكر حجج الفريقين فى ذلك
٢٢٣ ذكر حجج المائلين إلى المخالطة ووجه ضعفها
٢٢٤ ذكر حجج المائلين إلى تفضيل العزلة
٢٢٦ الباب الثانى فى فوائد العزلة وغوائلها
وكشف الحق فى فضلها
الفائدة الأولى التفرغ للعبادة والفكر الخ
٢٢٨ الفائدة الثانية التخلص بالعزلة عن
المعاصى التى يتعرض الإنسان لها الخ
٢٣٢ الفائدة الثالثة الخلاص من الفتن
والخصومات وصيانة الدين والنفس الخ
٢٣٣ الفائدة الرابعة الخلاص من شر الناس
٢٣٥ الفائدة الخامسة أن ينقطع طمع الناس
عنك وينقطع طمعك عن الناس
٢٣٥ الفائدة السادسة الخلاص من مشاهدة الثقلاء
والحمق ومقاساة حمقهم وأخلاقهم الخ
٢٣٦ آفات العزلة المبنية على فوات فوائد المخالطة
السبعة الآتية .
الفائدة الأولى التعليم والتعلم
٢٣٨ الفائدة الثانية النفع والانتفاع
الفائدة الثالثة التأديب التأدب
٢٣٩ الفائدة الرابعة والاستئناس والإيناس
٢٤٠ الفائد الخامسة فى فضل الثواب وإنالته
الفائدة السادسة من فوائد المخالطة التواضع
٢٤١ الفائدة السابعة التجارب
٢٤٤ كتاب آداب السفر
وهو الكتاب السابع من ربع العادات
وفيه بابان

صحيفة

٢٤٥ الباب الأول فى الآداب من أول النهوض إلى
آخر الرجوع وفى نية السفر وفائدته وفيه
فصلان الفصل الأول فى فوائد السفر وفضله ونيته
٢٥١ الفصل الثانى فى آداب المسافر من أول نهوضه
إلى آخر رجوعه وهى أحد عشر أدبا
٢٥٧ الباب الثانى فيما لا بد للمسافر من تعلمه من
رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات الخ
القسم الأول العلم برخص السفر
٢٦٣ القسم الثانى ما يتجدد من الوظيفة الخ
٢٦٨ كتاب آداب السماع والوجد
وهو الكتاب الثامن من ربع العادات وفيه
بابان : الأول فى ذكر اختلاف العلماء
فى إباحة السماع وكشف الحق فيه بيان أقاويل
العلماء والمتصوفة فى تحليله وتحريمه
٢٧٠ بيان الدليل على إباحة السماع
٢٨٤ بيان حجج القائلين بتحريم السماع
والجواب عنها
٢٨٧ الباب الثانى فى آثار السماع وآدابه وفيه
مقامات ثلاث
٢٨٧ المقام الأول فى الفهم
٢٩١ المقام الثانى بعد الفهم والتنزيل الوجد
٣٠١ المقام الثالث من السماع نذكر فيه آداب السماع
ظاهراً وباطنا الخ
٣٠٦ كتاب الأمر بالمعروف
والنهى عن المنكر وهو الكتاب التاسع من
ربع العادات الثانى وفيه أربعة أبواب
٣٠٦ الباب الأول فى وجوب الأمر بالمعروف
والنهى عن المنكر وفضيلته والمذمة فى
إهماله وإضاعته
٣١٢ الباب الثانى فى أركان الأمر بالمعروف
وشروطه ، وأركانه أربعة
الركن الأول المحتسب
٣٢٤ الركن الثانى للحسبة ما فيه الحسبة
٣٢٧ الركن الثالث المحتسب عليه
٣٢٩ الركن الرابع نفس الاحتساب

صحيفة

٣٣٣ باب آداب المحتسب
٣٣٥ الباب الثالث فى المنكرات المألوفة فى العادات منكرات المساجد
٣٣٨ منكرات الأسواق
منكرات الشوارع
٣٣٩ منكرات الحمامات
٣٤٠ منكرات الضيافة
٣٤٢ المنكرات العامة
٣٤٣ الباب الرابع فى أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر
٣٥٧ كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة وهو الكتاب العاشر من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين
٣٥٨ بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمداً

صحيفة

صلى الله عليه وسلم بالقرآن
٣٦٤ بيان جملة من محاسن أخلاقه التى جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار
٣٦٤ بيان جملة أخرى من آدابه وأخلاقه
٣٧٧ بيان أخلاقه وآدابه فى الطعام
٣٧٤ بيان أخلاقه فى اللباس
٣٧٧ بيان عفوه صلى الله عليه وسلم مع القدرة
٣٧٨ بيان إغضائه ﷺ عما كان يكرهه
٣٧٩ بيان سخاوته وجوده صلى الله عليه وسلم
٣٨٠ بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم
بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم
١٨١ بيان ضرورته وخلعته صلى الله عليه وسلم
٣٨٣ بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه

إحياء علوم الدين

تصنيف

الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي

المتوفى في سنة ٥٠٥ هـ

وبذيله كتاب

المغني عن حمل الأسفار في الأسفار

في تخريج ما في الإحياء من الأخبار

للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي

المتوفى في سنة ٨٠٦ هـ

وتمامًا للنفع ألحقنا بالكتاب في آخره ثلاثة كتب:

الأول: تعريف الأحياء بفضائل الإحياء للعلامة عبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوي.

الثاني: الإملاء عن إشكالات الإحياء للإمام الغزالي، وذكر به اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من الإحياء.

الثالث: عوارف المعارف: للعارف بالله تعالى الإمام السهروردي

الجزء الرابع

المكتبة التجارية الكبرى

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التوبة

وهو الكتاب الأول من ربع المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى بتحميده يستفتح كل كتاب ، وبذكره يصدّر كل خطاب ، وبحمده يتنعم أهل النعيم فى دار الثواب ، وباسمه يتسلى الأشقياء وإن أرخى دونهم الحجاب ، وضرب بينهم وبين السعداء بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب . ونتوب إليه توبة من يوقن أنه رب الأرباب ومسبب الأسباب ، ونرجوه رجاء من يعلم أنه الملك الرحيم الغفور التواب ، ونمزج الخوف برجائنا مزج من لا يرتاب ، أنه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب .

ونصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه صلاة تنقذنا من هول المطلع يوم العرض والحساب . وتمهد لنا عند الله زلفى وحسن مآب .

أما بعد ؛ فإن التوبة عن الذنوب بالرجوع إلى ستار العيوب وعلام الغيوب ، مبدأ طريق السالكين ، ورأس مال الفائزين ، وأول أقدام المريدين ، ومفتاح استقامة المائلين ، ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين ، ولأبينا آدم عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الأنبياء أجمعين ، وما أجدر بالأولاد ، الاقتداء بالآباء والأجداد ، فلا غرو إن أذنب الآدمى واجترم ، فهى شنشنة نعرفها من أخزم ، ومن أشبه أباه فما ظلم . ولكن الأب إذا جبر بعد ما كسر وعمر بعد أن هدم ، فليكن النزوع إليه فى كلا طرفى النفى والإثبات والوجود والعدم ، ولقد قرع آدم سن الندم ، وتندم على ماسبق منه وتقدم . فمن اتخذه قدوة فى الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم ، بل التجرد لمحض الخير دأب الملائكة المقربين ، والتجرد للشر دون التلافى سجية الشياطين ، والرجوع إلى الخير بعد الوقوع فى الشر ضرورة الآدميين ؛ فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان ، والمتجرد للشر شيطان ، والمتلافى للشر بالرجوع إلى الخير بالحقيقة إنسان ؛ فقد ازدوج فى طينة الإنسان شائبتان ، واصطحب فيه سجيتان . وكل عبد مصحح نسبه إما إلى الملك أو إلى آدم أو إلى الشيطان ؛ فالتائب قد أقام البرهان ، على صحة نسبه إلى آدم بملازمة حد الإنسان ، والمصر على الطغيان مسجل على نفسه بنسب الشيطان ؛ فإما تصحيح النسب إلى الملائكة بالتجرد

لمحض الخير فخارج عن حيز الإمكان ؛ فإن الشر معجون مع الخير فى طينة آدم عجنا محكما لايخلصه إلا إحدى النارين : نار الندم أو نار جهنم ، فالإحراق بالنار ضرورى فى تخليص جوهر الإنسان من خبائث الشيطان وإليك الآن اختيار أهون النارين ، والمبادرة إلى أخف الشرين قبل أن يطوى بساط الاختيار ، ويساق إلى دار الاضطرار. إما إلى الجنة وإما إلى النار . وإذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع وجب تقديمها فى صدر ربع المنجيات بشرح حقيقتها وشروطها وسببها وعلامتها وثمرتها والآفات المانعة منها والأدوية الميسرة لها ، ويتضح ذلك بذكر أربعة أركان : (الركن الأول) فى نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها وأنها واجبة على الفور وعلى جميع الأشخاص وفى جميع الأحوال ، وأنها إذا صحت كانت مقبولة . (الركن الثانى) : فيما عنه التوبة وهو الذنوب وبيان انقسامها إلى صغائر وكبائر وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله تعالى وبيان كيفية توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات وبيان الأسباب التى بها تعظم الصغائر . (الركن الثالث) : فى بيان شروط التوبة ودوامها وكيفية تدارك مامضى من المظالم وكيفية تكفير الذنوب وبيان أقسام التائبين فى دوام التوبة . (الركن الرابع) : فى السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج فى حل عقدة الإصرار من المذنبين .

ويتم المقصود بهذه الأركان الأربعة إن شاء الله عز وجل .

الركن الأول : فى نفس التوبة

بيان حقيقة التوبة وحدها

اعلم أن التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة أمور مرتبة : علم ، وحال ، وفعل . فالعلم الأول والحال الثانى ، والفعل الثالث . والأول موجب للثانى ، والثانى موجب للثالث إيجابا اقتضاه إطراد سنة الله فى الملك والملكوت . أما العلم ، فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب ، فإذا عرف ذلك معرفة محققة بيقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفه تألم للقلب بسبب فوات المحبوب ، فإن القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألم ، فإن كان فواته بفعله تأسف على الفعل المفوت ، فيسمى تألمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ندما، فإذا غلب هذا الألم على القلب واستولى وانبعث من هذا الألم فى القلب حالة أخرى تسمى إرادة وقصدا إلى فعل له تعلق بالحال والماضى وبالاستقبال ، أما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذى كان ملابسا ، وأما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب إلى آخر العمر ، وأما بالماضى فبتلافى مافات بالجبر والقضاء إن كان قابلا للجبر، فالعلم هو الأول وهو مطلع هذه الخيرات وأعنى بهذا العلم الإيمان واليقين ، فإن الإيمان عبارة عن التصديق بأن الذنوب سموم مهلكة واليقين عبارة عن تأكد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب فيثمر نور هذا الإيمان مهما أشرق على القلب نار الندم فيتألم بها القلب حيث يبصر بإشراق نور الإيمان أنه صار محجوبا عن محبوبه، كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان فى ظلمة فيسطع النور عليه بانقشاع سحاب أو انحسار حجاب فرأى محبوبه وقد أشرف على الهلاك فتشعل نيران الحب فى قلبه وتنبعث تلك النيران بإرادته للانتهاض للتدارك، فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك فى الحال والاستقبال والتلافى للماضى ثلاثة معان مرتبة فى الحصول ، فيطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع المتأخر ، وبهذا الاعتبار قال عليه الصلاة والسلام « الندم توبة »[1] ، إذ لا يخلو الندم عن علم

---

(١) حديث « الندم توبة » أخرجه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصحح إسناده من حديث ابن مسعود ، ورواه ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين .

أوجبه وأثمره ، وعن عزم يتبعه ويتلوه ؛ فيكون الندم محفوفا بطرفيه أعنى ثمرته ومثمره ؛ وبهذا الاعتبار قيل فى حد التوبة إنه ذوبان الحشا لما سبق من الخطأ ؛ فإن هذا يعرض لمجرد الألم ، ولذلك قيل : هو نار فى القلب تلتهب ، وصدع فى الكبد لا ينشعب ، وباعتبار معنى الترك قيل فى حد التوبة إنه خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء . وقال سهل ابن عبد الله التسترى : التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ، ولا يتم ذلك إلا بالخلوة والصمت وأكل الحلال وكأنه أشار إلى المعنى الثالث من التوبة ، والأقاويل فى حدود التوبة لا تنحصر ؛ وإذا فهمت هذه المعانى الثلاثة وتلازمها وترتيبها عرفت أن جميع ما قيل فى حدودها قاصر عن الإحاطة بجميع معانيها ، وطلب العلم بحقائق الأمور أهم من طلب الألفاظ المجردة .

بيان وجوب التوبة وفضلها

اعلم أن وجوب التوبة ظاهر بالأخبار [1] والآيات ، وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته وشرح الله بنور الإيمان صدره حتى اقتدرت على أن يسعى بنوره الذى بين يديه فى ظلمات الجهل مستغنيا عن قائد يقوده فى كل خطوة . فالسالك إما أعمى لا يستغنى عن القائد فى خطوه ، وإما بصير يهدى إلى أول الطريق ثم يهتدى بنفسه ، وكذلك الناس فى طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام ، فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد فى خطوه فيفتقر إلى أن يسمع فى كل قدم نصا من كتاب الله أو سنة رسوله ، وربما يعوزه ذلك فيتحير ؛ فسير هذا وإن طال عمره وعظم جده مختصر وخطاه قاصرة . ومن سعيد شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فيتنبه بأدنى إشارة لسلوك طريق معوصة وقطع عقبات متعبة ويشرق فى قلبه نور القرآن ونور الإيمان ، وهو لشدة نور باطنه يجتزئ بأدنى بيان ، فكأنه يكاد زيته يضىء ولو لم تمسسه نار ؛ فإذا مسته نار فهو نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ، وهذا لا يحتاج إلى نص منقول فى كل واقعة ، فمن هذا حاله إذا أراد أن يعرف وجوب التوبة فينظر أولا بنور البصيرة إلى التوبة ماهى ، ثم إلى الوجوب ما معناه ، ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك فى ثبوته لها ، وذلك بأن يعلم بأن معنى الواجب ما هو واجب فى الوصول إلى سعادة الأبد والنجاة من هلاك الأبد ، فإنه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشىء وتركه لم يكن لوصفه بكونه واجبا معنى . وقول القائل : صار واجبا بالإيجاب ، حديث محض فإن مالا غرض لنا آجلا وعاجلا فى فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به ، أوجبه علينا غيرنا أو لم يوجبه؟ فإذا عرف معنى الوجوب وأنه الوسيلة إلى سعادة الأبد ، وعلم أن لا سعادة فى دار البقاء إلا فى لقاء الله تعالى ، وأن كل محجوب عنه يشقى لا محالة محول بينه وبين ما يشتهى محترق بنار الفراق ونار الجحيم . وعلم أنه لا مبعد عن لقاء الله إلا اتباع الشهوات والأنس بهذا العالم الفانى والإكباب على حب ما لابد من فراقه قطعا ، وعلم أنه لا مقرب من لقاء الله إلا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والإقبال بالكلية على الله طلبا للأنس به بدوام ذكره والمحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته ، وعلم أن الذنوب التى هى إعراض عن الله واتباع لمحاب الشياطين أعداء الله المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوبا مبعدا عن الله تعالى فلا يشك فى أن الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول إلى القرب ، وإنما يتم الانصراف بالعلم والندم والعزم ، فإنه مالم يعلم أن الذنوب أسباب البعد عن المحبوب لم يندم ولم يتوجع بسبب سلوكه فى طريق البعد ، ومالم يتوجع فلا يرجع ، ومعنى الرجوع الترك والعزم ، فلا يشك فى أن المعانى الثلاثة ضرورية فى الوصول

(١) الأخبار الدالة على وجوب التوبة : اخرج مسلم من حديث الأغر المزنى « يا أيها الناس توبوا الى الله ... الحديث » ولابن ماجه من حديث جابر « يا أيها الناس توبوا الى ربكم قبل أن تموتوا ... الحديث » وسنده ضعيف .

إلى المحبوب ، وهكذا يكون الإيمان الحاصل عن نور البصيرة ، وأما من لم يترشح لمثل هذا المقام المرتفع ذروته عن حدود أكثر الخلق ، ففي التقليد والاتباع له مجال رحب يتوصل به إلى النجاة من الهلاك ، فليلاحظ فيه قول الله وقول رسوله وقول السلف الصالحين فقد قال الله تعالى ﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ وهذا أمر على العموم وقال الله تعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا ...﴾ الآية ومعنى النصوح : الخالص لله تعالى خاليا عن الشوائب مأخوذ من النصح . ويدل على فضل التوبة قوله تعالى ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ وقال عليه السلام « التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له [1] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل فى أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال أرجع إلى مكانى الذى كنت فيه فأنام حتى أموت ، فوضع رأسه على ساعده ليموت ، فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه ؛ فالله تعالى أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته [2] » وفى بعض الألفاظ « قال من شدة فرحه إذ أراد شكر الله : أنا ربك وأنت عبدى » ويروى عن الحسن قال : لما تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام هنأته الملائكة وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا : يا آدم قرت عينك بتوبة الله عليك ، فقال آدم عليه السلام : ياجبريل فإن كان بعد هذه التوبة سؤال فأين مقامى ؟ فأوحى الله إليه : يا آدم ورثت ذويك التعب والنصب وورثتهم التوبة ، فمن دعانى منهم لبيته كما لبيتك ، ومن سألنى المغفرة لم أبخل عليه لأنى قريب مجيب يا آدم وأحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم مستجاب . والأخبار والآثار فى ذلك لا تحصى ، والإجماع منعقد من الأمة على وجوبها ؛ إذ معناه العلم بأن الذنوب والمعاصى مهلكات ومبعدات من الله تعالى ، وهذا داخل فى وجوب الإيمان ، ولكن قد تدهش الغفلة عنه ، فمعنى هذا العلم إزالة هذه الغفلة ، ولا خلاف فى وجوبها . ومن معانيها : ترك المعاصى فى الحال والعزم على تركها فى الاستقبال وتدارك ماسبق من التقصير فى سابق الأحوال ، وذلك لا يشك فى وجوبه . وأما التندم على ماسبق والتحزن عليه فواجب ، وهو روح التوبة ، وبه تمام التلافى ، فكيف لايكون واجبا ، بل هو نوع ألم يحصل لا محالة عقيب حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع فى سخط الله .

فإن قلت : تألم القلب أمر ضرورى لايدخل تحت الاختيار ، فكيف يوصف بالوجوب ؟ فاعلم أن سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله سبيل إلى تحصيل سببه ، وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لا بمعنى أن العلم يخلقه العبد ويحدثه فى نفسه فإن ذلك محال ، بل العلم والندم والفعل والإرادة والقدرة والقادر الكل من خلق الله وفعله ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ هذا هو الحق عند ذوى الأبصار وما سوى هذا ضلال .

* فإن قلت : أفليس للعبد اختيار فى الفعل والترك ؟ قلنا : نعم وذلك لا يناقض قولنا : إن الكل من خلق الله تعالى ، بل الاختيار أيضا من خلق الله ، والعبد مضطر فى الاختيار الذى له ، فإن الله إذا خلق اليد الصحيحة

---

(١) حديث « التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لاذنب له » أخرجه ابن ماجه من حديث ابن مسعود بالشطر الثانى دون الأول ، وأما الشطر الأول فروى ابن أبى الدنيا فى التوبة وأبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث أنس بسند ضعيف « ان الله يحب الشاب التائب » ولعبد الله بن أحمد فى زوائد المسند وأبى يعلى بسند ضعيف من حديث على « ان الله يحب العبد المؤمن المفتن التواب »

(٢) حديث « لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل فى أرض فلاة دوية مهلكة ... الحديث » متفق عليه من حديث ابن مسعود وأنس . زاد مسلم فى حديث أنس « ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح » ورواه مسلم بهذه الزيادة من حديث النعمان بن بشير ومن حديث أبى هريرة مختصرا .

وخلق الطعام اللذيذ وخلق الشهوة للطعام فى المعدة وخلق العلم فى القلب بأن هذا الطعام يسكن الشهوة ، وخلق الخواطر المتعارضة فى أن هذا الطعام هل فيه مضرة مع أنه يسكن الشهوة ، وهل دون تناوله مانع يتعذر معه تناوله أم لا ، ثم خلق العلم بأنه لا مانع ثم عند اجتماع هذه الأسباب تنجزم الارادة الباعثة على التناول ؛ فانجزام الإرادة بعد تردد الخواطر المتعارضة وبعد وقوع الشهوة للطعام يسمى اختيارا ، ولا بد من حصوله عند تمام أسبابه ؛ فإذا حصل انجزام الإرادة بخلق الله تعالى إياها تحركت اليد الصحيحة إلى جهة الطعام لا محالة ، إذ بعد تمام الإرادة والقدرة يكون حصول الفعل ضروريا ، فتحصل الحركة ، فتكون الحركة بخلق الله بعد حصول القدرة وانجزام الإرادة ، وهما أيضا من خلق الله ، وانجزام الإرادة يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم الموانع ، وهما أيضا من خلق الله تعالى ، ولكن بعض هذه المخلوقات يترتب على البعض ترتيبا جرت به سنة الله تعالى فى خلقه ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ فلا يخلق الله حركة اليد بكتابة منظومة ما لم يخلق فيها صفة تسمى قدرة وما لم يخلق فيها حياة وما لم يخلق إرادة مجزومة ، ولا يخلق الإرادة المجزومة ما لم يخلق شهوة وميلا فى النفس ، ولا ينبعث هذا الميل انبعاثا تاما ما لم يخلق علما بأنه موافق للنفس إما فى الحال أو فى المآل ، ولا يخلق العلم أيضا إلا بأسباب أخر ترجع إلى حركة وإرادة وعلم ؛ فالعلم والميل الطبيعى أبدا يستتبع الإرادة الجازمة ، والقدرة والإرادة أبدا تستردف الحركة ، وهكذا الترتيب فى كل فعل ، والكل من اختراع الله تعالى ، ولكن بعض مخلوقاته شرط لبعض ، فلذلك يجب تقدم البعض وتأخر البعض ، كما لا تخلق الإرادة إلا بعد العلم ، ولا يخلق العلم إلا بعد الحياة ، ولا تخلق الحياة إلا بعد الجسم ؛ فيكون خلق الجسم شرطا لحدوث الحياة لا أن الحياة تتولد من الجسم ، ويكون خلق الحياة شرطا لخلق العلم لا أن العلم يتولد من الحياة ، ولكن لا يستعد المحل لقبول العلم إلا إذا كان حيا ويكون خلق العلم شرطا لجزم الإرادة لا أن العلم يولد الإرادة ، ولكن لا يقبل الإرادة إلا جسم حى عالم ، ولا يدخل فى الوجود إلا ممكن ، والإمكان ترتيب لا يقبل التغيير لأن تغييره محال ، فهما وجد شرط الوصف استعد المحل به لقبول الوصف فحصل ذلك الوصف من الجود الإلهى والقدرة الأزلية عند حصول الاستعداد ، ولما كان للاستعداد بسبب الشروط ترتيب كان لحصول الحوادث بفعل الله تعالى ترتيب ، والعبد مجرى هذه الحوادث المرتبة ؛ وهى مرتبة فى قضاء الله تعالى الذى هو واحد كلمح البصر ترتيبا كليا لا يتغير ، وظهورها بالتفصيل مقدر بقدر لا يتعداها وعنه العبارة بقوله تعالى ﴿ إنا كل شىء خلقناه بقدر ﴾ وعن القضاء الكلى الأزلى العبارة بقوله تعالى ﴿ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ﴾ وأما العباد فإنهم مسخرون تحت مجارى القضاء والقدر ، ومن جملة القدر خلق حركة فى يد الكاتب بعد خلق صفة مخصوصة فى يده تسمى القدرة ، وبعد خلق ميل قوى جازم فى نفسه يسمى القصد ، وبعد علم بما إليه ميله يسمى الإدراك والمعرفة ، فإذا ظهرت من باطن الملكوت هذه الأمور الأربعة على جسم عبد مسخر تحت قهر التقدير سبق أهل عالم الملك والشهادة المحجوبون عن عالم الغيب والملكوت ، وقالوا يا أيها الرجل قد تحركت ورميت وكتبت ، ونودى من وراء حجاب الغيب وسرادقات الملكوت : وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى . وما قتلت إذ قتلت . ولكن قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم . وعند هذا تتحير عقول القاعدين فى بحبوحة عالم الشهادة ؛ فمن قائل إنه جبر محض ، ومن قائل إنه اختراع صرف ، ومن متوسط مائل إلى أنه كسب ، ولو فتح لهم أبواب السماء فنظروا إلى عالم الغيب والملكوت لظهر لهم أن كل واحد صادق من وجه ، وأن القصور شامل لجميعهم . فلم يدرك واحد منهم كنه هذا الأمر ولم يحط علمه بجوانبه ، وتمام علمه ينال بإشراق النور من كوة نافذة إلى عالم الغيب ، وأنه تعالى عالم الغيب والشهادة لا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول . وقد يطلع على الشهادة

من لم يدخل فى حيز الارتضاء ، ومن حرّك سلسلة الأسباب والمسببات وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط مناط سلسلتها بمسبب الأسباب انكشف له سر القدر وعلم علما يقينا أن لا خالق إلا الله ولا مبدع سواه .

* فإن قلت : قد قضيت على كل واحد من القائلين بالجبر والاختراع والكسب أنه صادق من وجه وهو مع صدقه قاصر وهذا تناقض ، فكيف يمكن فهم ذلك ؟ وهل يمكن إيصال ذلك إلى الأفهام بمثال ؟ فاعلم أنّ جماعة من العميان قد سمعوا أنه حمل إلى البلدة حيوان عجيب يسمى الفيل وما كانوا قط شاهدوا صورته ولا سمعوا اسمه ، فقالوا لا بدّ لنا من مشاهدته ومعرفته باللمس الذى نقدر عليه ، فطلبوه ، فلما وصلوا إليه لمسوه فوقع يد بعض العميان على رجليه ووقع يد بعضهم على نابه ووقع يد بعضهم على أذنه ، فقالوا قد عرفنا انصرفوا سألهم بقية العميان فاختلفت أجوبتهم ، فقال الذى لمس الرجل : إنّ الفيل ماهو إلا مثل أسطوانة خشنة الظاهر إلا أنه ألين منها ، وقال الذى لمس الناب : ليس كما يقول بل هو صلب لا لين فيه وأملس لا خشونة فيه وليس فى غلظ الأسطوانة أصلا بل هو مثل عمود ، وقال الذى لمس الأذن : لعمرى هو لين وفيه خشونة ، فصدق أحدهما فيه ولكن قال : ما هو مثل عمود ولا هو مثل اسطوانة وإنما هو مثل جلد عريض غليظ ، فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه إذ أخبر كل واحد عما أصابه من معرفة الفيل ، ولم يخرج واحد فى خبره عن وصف الفيل ، ولكنهم بجملتهم قصروا عن الإحاطة بكنه صورة الفيل ، فاستبصر بهذا المثال واعتبر به فإنه مثال أكثر مااختلف الناس فيه ، وإن كان هذا كلاما يناطح علوم المكاشفة ويحرّك أمواجها وليس ذلك من غرضنا ، فلنرجع إلى ما كنا بصدده وهو بيان أنّ التوبة واجبة بجميع أجزائها الثلاثة : العلم والندم والترك ، وأنّ الندم داخل فى الوجوب لكونه واقعا فى جملة أفعال الله المحصورة بين علم العبد وإرادته وقدرته المتخللة بينها ، وما هذا وصفه فاسم الوجوب يشمله .

بيان أن وجوب التوبة على الفور

أما وجوبها على الفور فلا يستراب فيه ، إذ معرفة كون المعاصى مهلكات من نفس الإيمان ، وهو واجب على الفور المتقصى عن وجوبه هو الذى عرفه معرفة زجره ذلك عن الفعل المكروه ، فإنّ هذه المعرفة ليست من علوم المكاشفات التى لا تتعلق بعمل ، بل هى من علوم المعاملة وكل علم يراد ليكون باعثا على عمل فلايقع التقصى عن عهدته ما لم يصر باعثا عليه ؛ فالعلم بضرر الذنوب إنما أريد ليكون باعثا لتركها ، فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الإيمان ، وهو المراد بقوله عليه السلام « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن [1] » ، وماأرادبه نفى الإيمان الذى يرجع إلى علوم المكاشفة كالعلم بالله ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله ، فإنّ ذلك لا ينفيه الزنا والمعاصى ، وإنما أراد به نفى الإيمان لكون الزنا مبعدا عن الله تعالى موجبا للمقت ، كما إذا قال الطبيب : هذا سم فلا تتناوله ، فإذا تناوله يقال تناول وهو غير مؤمن لا بمعنى أنه غير مؤمن بوجود الطبيب وكونه طبيبا وغير مصدّق به ، بل المراد أنه غير مصدّق بقوله إنه سم مهلك ؛ فإن العالم بالسم لا يتناوله أصلا ، فالعاصى بالضرورة ناقص الإيمان وليس الإيمان بابا واحدا بل هو نيف وسبعون بابا أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، ومثاله قول القائل : ليس الإنسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا أعلاها القلب والروح وأدناها إماطة الأذى عن البشرة بأن يكون مقصوص الشارب مقلوم الأظافر نقى البشرة عن

(١) حديث « لايزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن » متفق عليه من حديث أبي هريرة .

الخبث حتى يتميز عن البهائم المرسلة الملوثة بأروائها المستكرهة الصور بطول مخالبها وأظلافها ، وهذا مثال مطابق ، فالإيمان كالإنسان وفقد شهادة التوحيد يوجد البطلان بالكلية كفقد الروح ، والذى ليس له إلا شهادة التوحيد والرسالة هو كإنسان مقطوع الأطراف مفقوع العينين فاقد لجميع أعضائه الباطنة والظاهرة لا أصل الروح ،وكما أن من هذا حاله قريب من أن يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التى تخلف عنها الأعضاء التى تمدها وتقويها ؛ فكذلك من ليس له إلا أصل الإيمان وهو مقصر فى الأعمال قريب من أن تقتلع شجرة إيمانه إذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة للإيمان فى مقدمة قدوم ملك الموت وورود ؛ فكل إيمان لم يثبت فى اليقين أصله ولم تنتشر فى الأعمال فروعه لم يثبت على عواصف الأهوال عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة لا مايسق بالطاعات على توالى الأيام والساعات حتى رسخ وثبت . وقول العاصى للمطيع إنى مؤمن كما أنك مؤمن كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر : أنا شجرة وأنت شجرة ، وما أحسن جواب شجرة الصنوبر إذ قالت : ستعرفين اغترارك بشمول الاسم إذا عصفت رياح الخريف ، فعند ذلك تنقطع أصولك وتتناثر أوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة فى اسم الشجرة مع الغفلة عن أسباب ثبوت الأشجار :

سوف ترى إذا انجلى الغبار * أفرس تحتك أم حمار

وهذا أمر يظهر عند الخاتمة ، وإنما انقطع نياط العارفين خوفا من دواعى الموت ومقدماته الهائلة التى لا يثبت عليها إلا الأقلون ؛ فالعاصى إذا كان لا يخاف الخلود فى النار بسبب معصيته كالصحيح المنهمك فى الشهوات المضرة إذا كان لا يخاف الموت بسبب صحته وأن الموت غالبا لا يقع فجأة ، فيقال له : الصحيح يخاف المرض ثم إذا مرض خاف الموت ، وكذلك العاصى يخاف سوء الخاتمة ثم إذا ختم له بالسوء والعياذ بالله وجب الخلود فى النار ؛ فالمعاصى للإيمان كالمأكولات المضرة للأبدان ، فلا تزال تجتمع فى الباطن حتى تغير مزاج الأخلاط وهو لا يشعر بها ، إلى أن يفسد المزاج فيمرض دفعة ثم يموت دفعة ، فكذلك المعاصى ، فإذا كان الخائف من الهلاك فى هذه الدنيا المنقضية يجب عليه ترك السموم وما يضره من المأكولات فى كل حال وعلى الفور ، فالخائف من هلاك الأبد أولى بأن يجب عليه ذلك ، وإذا كان متناول السم إذا ندم يجب عليه أن يتقيأ ويرجع عن تناوله بإبطاله وإخراجه عن المعدة على سبيل الفور والمبادرة تلافيا لبدنه المشرف على هلاك لا يفوت عليه إلا هذه الدنيا الفانية ،فتناول سموم الدين وهى الذنوب أولى بأن يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن مادام يبقى للتدارك مهلة وهو العمر ، فإن المخوف من هذا السم فوات الآخرة الباقية التى فيها النعيم المقيم والملك العظيم ، وفى فواتها نار الجحيم والعذاب المقيم الذى تتصرم أضعاف أعمار الدنيا دون عشر عشير مدته ، إذ ليس لمدته آخر ألبتة ؛ فالبدار البدار إلى التوبة قبل أن تعمل سموم الذنوب بروح الإيمان عملا يجاوز الأمر فيه الأطباء واختيارهم ولا ينفع بعده الاحتماء فلا ينجح بعد ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين وتحق الكلمة عليه بأنه من الهالكين ، ويدخل تحت عموم قوله تعالى ﴿ إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون . وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ ولا يغرنك لفظ الإيمان ، فنقول: المراد بالآية الكافر ، إذ بين لك أن الإيمان بضع وسبعون بابا وأن الزانى لا يزنى حين يزنى وهو مؤمن ، فالمحجوب عن الإيمان الذى هو شعب وفروع سيحجب فى الخاتمة عن الإيمان الذى هو أصل ، كما أن الشخص الفاقد لجميع الأطراف التى هى حروف وفروع سيساق إلى الموت المعدم للروح التى هى أصل ؛ فلا بقاء للأصل دون الفرع ،

ولا وجود للفرع دون الأصل ، ولا فرق بين الأصل والفرع إلا فى شىء واحد : وهو أن وجود الفرع وبقاءه جميعا يستدعى وجود الأصل ، وأما وجود الأصل فلا يستدعى وجود الفرع ، فبقاء الأصل بالفرع ، ووجود الفرع بالأصل ، فعلوم المكاشفة وعلوم المعاملة متلازمة كتلازم الفرع والأصل فلا يستغنى أحدهما عن الآخر وإن كان أحدهما فى رتبة الأصل والآخر فى رتبة التابع ، وعلوم المعاملة إذا لم تكن باعثة على العمل فعدمها خير من وجودها ، فإن هى لم تعمل عملها الذى تراد له قامت مؤيدة للحجة على صاحبها ، ولذلك يزاد فى عذاب العالم الفاجر على عذاب الجاهل الفاجر ، كما أوردنا من الأخبار فى كتاب العلم .

بيان أن وجوب التوبة عام فى الأشخاص والأحوال فلا ينفك عنه أحد ألبتة

اعلم أن ظاهر الكتاب قد دل على هذا إذ قال تعالى ﴿ وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ فعمم الخطاب . ونور البصيرة أيضا يرشد إليه ، إذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله المقرب إلى الشيطان ، ولا يتصور ذلك إلا من عاقل ، ولا تكمل غريزة العقل إلا بعد كمال غريزة الشهوة والغضب وسائر الصفات المذمومة التى هى وسائل الشيطان إلى إغواء الإنسان . إذ كمال العقل إنما يكون عند مقاربة الأربعين ، وأصله إنما يتم عند مراهقة البلوغ ، ومباديه تظهر بعد سبع سنين ، والشهوات جنود الشيطان ، والعقول جنود الملائكة ، فإذا اجتمعا قام القتال بينهما بالضرورة ، إذ لا يثبت أحدهما للآخر لأنهما ضدان ، فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة ، ومهما غلب أحدهما أزعج الآخر بالضرورة ، وإذا كانت الشهوات تكمل فى الصبا والشباب قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان ووقع للقلب به أنس وإلف لامحالة مقتضيات الشهوات بالعادة وغلب ذلك عليه ويعسر عليه النزوع عنه ، ثم يلوح العقل الذى هو حزب الله وجنده ومنقذ أوليائه من أيدى أعدائه شيئا فشيئا على التدريج ، فإن لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان وأنجز اللعين موعده حيث قال ﴿ لأحتنكن ذريته إلا قليلا ﴾ وإن كمل العقل وقوى كان أول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع على سبيل القهر إلى العبادات ، ولا معنى للتوبة إلا هذا ، وهو الرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيره الشيطان ، إلى طريق الله تعالى ، وليس فى الوجود آدمى إلا وشهوته سابقة على عقله وغريزته التى هى عدة الشيطان متقدمة على غريزته التى هى عدة الملائكة ، فكان الرجوع عما سبق إليه على مساعدة الشهوات ضروريا فى حق كل إنسان نبيا كان أو غبيا ، فلا تظن أن هذه الضرورة اختصت بآدم عليه السلام ، وقد قيل :

فلا تحسبن هندا لها الغدر وحدها سجية نفس ، كل غانية هند

بل هو حكم أزلى مكتوب على جنس الإنس لايمكن فرض خلافه مالم تتبدل السنة الإلهية التى لامطمع فى تبديلها ، فإذن كل من بلغ كافرا جاهلا فعليه التوبة من جهله وكفره ، فإذا بلغ مسلما تبعا لأبويه غافلا عن حقيقة إسلامه فعليه التوبة من غفلته بتفهم معنى الإسلام ، فإنه لايغنى عنه إسلام أبويه شيئا مالم يسلم بنفسه ، فإن فهم ذلك فعليه الرجوع عن عادته وإلفه للاسترسال وراء الشهوات من غير صارف بالرجوع إلى قالب حدود الله فى المنع والإطلاق والانفكاك والاسترسال ، وهو من أشق أبواب التوبة ، وفيه هلك الأكثرون إذ عجزوا عنه ، وكل هذا رجوع وتوبة ، فدل على أن التوبة فرض عين فى حق كل شخص يتصور أن يستغنى عنها أحد من البشر كما لم يستغن آدم ، فخلقة الولد لاتتسع لما لم يتسع له خلقة الوالد أصلا . وأما بيان وجوبها على الدوام وفى كل حال فهو

أنّ كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه ، إذ لم يخل عنه الأنبياء كما ورد فى القرآن والأخبار من خطايا الأنبياء وتوبتهم وبكائهم على خطاياهم ، فإن خلا فى بعض الأحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب ؟ فإن خلا فى بعض الأحوال عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بإيراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله ، فإن خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور فى العلم بالله وصفاته وأفعاله ، وكل ذلك نقص وله أسباب ، وترك أسبابه بالتشاغل بأضدادها رجوع عن طريق إلى ضدّه والمراد بالتوبة الرجوع ، ولا يتصوّر الخلو فى حق الآدمى عن هذا النقص ، وإنما يتفاوتون فى المقادير ، فأما الأصل فلا بدّ منه ، ولهذا قال عليه السلام « إنه ليغان على قلبى حتى أستغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة [1] » الحديث ، ولذلك أكرمه الله تعالى بأن قال ﴿ ليغفر لك الله ماتقدّم من ذنبك وما تأخر ﴾ وإذا كان هذا حاله فكيف حال غيره ؟ .

فإن قلت : لايخفى أن مايطرأ على القلب من الهموم والخواطر نقص ، وأنّ الكمال فى الخلو عنه ، وأن القصور عن معرفة كنه جلال الله نقص ، وإنه كلما ازدادت المعرفة زاد الكمال ، وأنّ الانتقال إلى الكمال من أسباب النقصان رجوع ، والرجوع توبة ، ولكن هذه فضائل لافرائض ، وقد أطلقت القول بوجوب التوبة فى كل حال ، والتوبة عن هذه الأمور ليست بواجبة ، إذ إدراك الكمال غير واجب فى الشرع : فما المراد بقولك : التوبة واجبة فى كل حال ؟ فاعلم انه قد سبق أنّ الإنسان لايخلو فى مبدإ خلقته من اتباع الشهوات أصلا ، وليس معنى التوبة تركها فقط ، بل تمام التوبة بتدارك مامضى ، وكل شهوة اتبعها الإنسان ارتفع منها ظلمة إلى قلبه كما يرتفع عن نفس الإنسان ظلمة إلى وجه المرآة الصقيلة ، فإن تراكمت ظلمة الشهوات صار رينا كما يصير بخار النفس فى وجهه المرآة عند تراكمه خبثا ، كما قال تعالى ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ فإذا تراكم الرين صار طبعا فيطبع على قلبه ، كالخبث على وجه المرآة إذا تراكم وطال زمانه غاص فى جرم الحديد وأفسده وصار لايقبل الصقل بعده وصار كالمطبوع من الخبث ، ولا يكفى فى تدارك اتباع الشهوات تركها فى المستقبل ، بل لابد من محو تلك الآريان التى انطبعت فى القلب ، كما لايكفى فى ظهور الصور فى المرآة قطع الانفاس والبخارت المسوّدة لوجهها فى المستقبل مالم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الآريان ، وكما يرتفع إلى القلب ظلمة من المعاصى والشهوات فيرتفع إليه نور من الطاعات وترك الشهوات ، فتنمحى ظلمة المعصية بنور الطاعة ، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام « أتبع السيئة الحسنة تمحها [2] » فإذن لايستغنى العبد فى حال من أحواله عن محو آثار السيئات عن قلبه بمباشرة حسنات تضاد آثارها آثار تلك السيئات ؛ هذا فى قلب حصل أوّلا صفاؤه وجلاؤه ثم أظلم بأسباب عارضة ؛ فأما التصقيل الأوّل ففيه يطول الصقل ؛ إذ ليس شغل الصقل فى إزالة الصدإ عن المرآة كشغله فى عمل أصل المرآة ؛ فهذه أشغال طويلة لاتنقطع أصلا ، وكل ذلك يرجع إلى التوبة ، فأما قولك : إن هذا لايسمى واجبا بل هو فضل وطلب كمال ، فاعلم أنّ الواجب له معنيان : أحدهما مايدخل فى فتوى الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهو القدر الذى لو اشتغل به كافة الخلق لم يخرب العالم ، فلو كلف الناس كلهم أن يتقوا الله حق تقاته لتركوا المعايش ورفضوا الدنيا بالكلية ، ثم يؤدى ذلك إلى بطلان التقوى بالكلية ، فإنه مهما فسدت المعايش لم يتفرغ أحد للتقوى ، بل شغل الحياكة

---

(١) حديث « إنه ليغان على قلبى فأستغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة » أخرجه مسلم من حديث الأغر المزنى ، إلا أنه قال « فى اليوم مائة مرة » وكذا عند أبى داود ، وللبخارى من حديث أبى هريرة « إنى لأستغفر الله فى اليوم أكثر من سبعين مرة » وفى رواية البيهقى فى الشعب « سبعين » لم يقل « أكثر » وتقدم فى الأذكار والدعوات (٢) حديث « أتبع السيئة الحسنة تمحها » أخرجه الترمذى من حديث أبى ذر بزيادة فى أوله وآخره وقال حسن صحيح ، وقد تقدم فى رياضة النفس .

والحراثة والخبز يستغرق جميع العمر من كل واحد فيما يحتاج إليه ، فجميع هذه الدرجات ليست بواجبة بهذا الاعتبار ، والواجب الثانى هو الذى لابدّ منه للوصول به إلى القرب المطلوب من رب العالمين والمقام المحمود بين الصدّيقين ، والتوبة عن جميع ماذكرناه واجبة فى الوصول إليه كما يقال : الطهارة واجبة فى صلاة التطوع أى لمن يريدها. فإنه لايتوصل إليه إلا بها . فأما من رضى بالنقصان والحرمان عن فضل صلاة التطوع فالطهارة ليست واجبة عليه لأجلها، كما يقال : العين والأذن واليد والرجل شرط فى وجود الإنسان ، يعنى أنه شرط لمن يريد أن يكون إنسانا كاملا ينتفع بإنسانيته ويتوصل بها إلى درجات العلا فى الدنيا ، فأما من قنع بأصل الحياة ورضى أن يكون كلحم على وضم وكخرقة مطروحة فليس يشترط لمثل هذه الحياة عين ويد ورجل ، فأصل الواجبات الداخلة فى فتوى العامة لايوصل إلا إلى أصل النجاة ، وأصل النجاة كأصل الحياة ، وما وراء أصل النجاة من السعادات التى بها تنتهى الحياة يجرى مجرى الأعضاء والآلات التى بها تتهيأ الحياة وفيه سعى الأنبياء والأولياء والعلماء والأمثل فالأمثل ، وعليه كان حرصهم ، وحواليه كان تطوافهم ، ولأجله كان رفضهم لملاذ الدنيا بالكلية ، حتى انتهى عيسى عليه السلام إلى أن توسد حجرا فى منامه ، فجاء إليه الشيطان وقال أما كنت تركت الدنيا للآخرة؟ فقال: نعم، وما الذى حدث فقال : توسدك لهذا الحجر تنعم فى الدنيا فلم لا تضع رأسك على الأرض ؟ فرمى عيسى عليه السلام بالحجر ووضع رأسه على الأرض ، وكان رميه للحجر توبة عن ذلك التنعم ، أفترى أن عيسى عليه السلام لم يعلم أن وضع الرأس على الأرض لايسمى واجبا فى فتاوى العامة ؟ أفترى أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم لما شغله الثوب الذى كان عليه علم فى صلاته حتى نزعه [1] وشغله شراك نعله الذى جدده حتى أعاد الشراك الخلق [2] لم يعلم أن ذلك ليس واجبا فى شرعه الذى شرعه لكافة عباده ، فإذا علم ذلك فلم تاب عنه بتركه وهل كان ذلك إلا لأنه رآه مؤثرا فى قلبه أثرا يمنعه عن بلوغ المقام المحمود الذى قد وعد به ؟ أفترى أن الصديق رضى الله عنه بعد أن شرب اللبن وعلم أنه على غير وجه أدخل أصبعه فى حلقه ليخرجه حتى كاد يخرج معه روحه ما علم من الفقه هذا القدر ؟ وهو أن ما أكله عن جهل فهو غير آثم به ولا يجب فى فتوى الفقه إخراجه ؟ فلم تاب عن شرابه بالتدارك على حسب إمكانه بتخلية المعدة عنه؟ وهل كان ذلك إلا لسر وقر فى صدره عرّفه ذلك السر أن فتوى العامة حديث آخر ، وأن خطر طريق الآخرة لايعرفه إلا الصدّيقون ، فتأمل أحوال هؤلاء الذين هم أعرف خلق الله بالله وبطريق الله وبمكر الله وبمكامن الغرور بالله ، وإياك مرة واحدة أن تغرك الحياة الدنيا ، وإياك ثم إياك ألف ألف مرة أن يغرك بالله الغرور ، فهذه أسرار من استنشق مبادئ روائحها علم أن لزوم التوبة النصوح ملازم للعبد السالك فى طريق الله تعالى فى كل نفس من أنفاسه ولو عمر عمر نوح ، وأن ذلك واجب على الفور من غير مهلة ، ولقد صدق أبو سليمان الدارانى حيث قال لولم يبك العاقل فيما بقى من عمره إلا على تفويت ما مضى منه فى غير الطاعة لكان خليقا أن يحزنه ذلك إلى الممات ، فكيف من يستقبل مابقى من عمره بمثل ما مضى من جهله ؟ وإنما قال هذا لأن العاقل إذا ملك جوهرة نفيسة وضاعت منه بغير فائدة بكى عليها لا محالة ، وإن ضاعت منه وصار ضياعها سبب هلاكه كان بكاؤه منها أشد ، وكل ساعة من العمر بل كل نفس جوهرة نفيسة لا خلف لها ولا بدل منها ، فإنها صالحة لأن توصلك إلى سعادة الأبد وتنقذك من شقاوة الأبد ، وأى جواهر أنفس من هذا ؟ فإذا ضيعتها فى الغفلة فقد خسرت خسرانا مبينا ، وإن صرفتها إلى معصية

---

(١) حديث نزعه صلى الله عليه وسلم الثوب الذى كان عليه فى الصلاة : تقدم فى الصلاة أيضاً (٢) حديث نزعه الشراك الجديد وإعادة الشراك الخلق : تقدم فى الصلاة أيضاً .

فقد هلكت هلاكا فاحشا. فإن كنت لا تبكى على هذه المعصية فذلك لجهلك ، ومصيبتك بجهلك أعظم من كل مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف المصاب بها أنه صاحب مصيبة ، فإنّ نوم الغفلة يحول بينه وبين معرفته . والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ، فعند ذلك ينكشف لكل مفلس إفلاسه ولكل مصاب مصيبته ، وقد رفع الناس عن التدارك .

قال بعض العارفين : إن ملك الموت عليه السلام إذا ظهر للعبد أعلمه أنه بقى من عمرك ساعة وإنك لا تستأخر عنها طرفة عين ، فيبدو للعبد من الأسف والحسرة مالو كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج منها على أن يضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى ليستعتب فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد إليه سبيلا ، وهو أوّل ما يظهر من معانى قوله تعالى ﴿ وحيل بينهم وبين مايشتهون ﴾ وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين . ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها ﴾ فقيل : الأجل القريب الذى يطلبه : معناه أنه يقول عند كشف الغطاء للعبد ياملك الموت أخرنى يوما أعتذر فيه إلى ربى وأتوب وأتزوّد صالحا لنفسى ، فيقول : فنيت الأيام فلا يوم ، فيقول : فأخرنى ساعة فيقول : فنيت الساعات فلا ساعة ، فيغلق عليه باب التوبة فيتغرغر روحه وتتردد أنفاسه فى شراسفه ، ويتجرّع غصة اليأس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر ، فيضطرب أصل إيمانه فى صدمات تلك الأحوال ، فإذا زهقت نفسه فإن كان سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة ، وإن سبق له القضاء بالشقوة والعياذ بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة ، ولمثل هذا يقال ﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ﴾ وقوله ﴿ إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ﴾ ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة بأن يتندم عليها ويمحو أثرها بحسنة يردفها بها قبل أن يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أتبع السيئة الحسنة تمحها » ولذلك قال لقمان لابنه : يا بنى لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتى بغتة ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين (أحدهما) أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصى حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو (الثانى) أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد فى الخبر « إن أكثر صياح أهل النار من التسويف[1] » فما هلك من هلك إلا بالتسويف ؛ فيكون تسويده القلب نقدا وجلاؤه بالطاعة نسيئة إلى أن يختطفه الموت فيأتى الله بقلب غير سليم ، ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم ، فالقلب أمانة الله تعالى عند عبده والعمر أمانة الله عنده وكذا سائر أسباب الطاعة ، فمن خان فى الأمانة ولم يتدارك خيانته فأمره مخطر .

قال بعض العارفين : إن لله تعالى إلى عبده سرين يسرهما إليه على سبيل الإلهام : (أحدهما) إذا خرج من بطن أمه يقول له : عبدى قد أخرجتك إلى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك وائتمنتك عليه ، فانظر كيف تحفظ الأمانة وانظر إلى كيف تلقانى . (والثانى) عند خروج روحه يقول : عبدى ماذا صنعت فى أمانتى عندك هل حفظتها حتى تلقانى على العهد فألقاك على الوفاء ، أو أضعتها فألقاك بالمطالبة والعقاب . وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ أوفوا بعهدى أوف بعهدكم ﴾ وبقوله تعالى ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾ .

---

(١) حديث « إن أكثر صياح أهل النار من التسويف » لم أجد له أصلا .

بيان أن التوبة إذا استجمعت شرائطها فهى مقبولة لا محالة

اعلم أنك إذا فهمت معنى القبول لم تشك فى أن كل توبة صحيحة فهى مقبولة ، فالناظرون بنور البصائر المستمدون من أنوار القرآن علموا أن كل قلب سليم مقبول عند الله ومتنعم فى الآخرة فى جوار الله تعالى ومستعد لأن ينظر بعينه الباقية إلى وجه الله تعالى ، وعلموا أن القلب خلق سليما فى الأصل ، وكل مولود يولد على الفطرة وإنما تفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها وعلموا أن نار الندم تحرق تلك الغبرة ، وأن نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة ، وأنه لا طاقة لظلام المعاصى مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون ، وكما أن الثوب الوسخ لا يقبله الملك لأن يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله تعالى لأن يكون فى جواره ، وكما أن استعمال الثوب فى الأعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة ، فاستعمال القلب فى الشهوات يوسخ القلب ، وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره ويزكيه ، وكل قلب زكى طاهر فهو مقبول ، كما أن كل ثوب نظيف فهو مقبول ، فإنما عليك التزكية والتطهير . وأما القبول فمبذول قد سبق به القضاء الأزلى الذى لا مرد له ، وهو المسمى فلاحا فى قوله ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾ ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة أقوى وأجلى من المشاهدة بالبصر أن القلب يتأثر بالمعاصى والطاعات تأثرا متضادا يستعار لأحدهما لفظ الظلمة كما يستعار للجهل ، ويستعار للآخر لفظ النور كما يستعار للعلم ، وأن بين النور والظلمة تضادا ضروريا لا يتصور الجمع بينهما ، فكأنه لم يتلق من الدين إلا قشوره ولم يعلق به إلا أسماؤه وقلبه فى غطاء كثيف عن حقيقة الدين بل عن حقيقة نفسه وصفات نفسه ، ومن جهل نفسه فهو بغيره أجهل وأعنى به قلبه ، إذ بقلبه يعرف غير قلبه ، فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه ، فمن يتوهم أن التوبة تصح ولا تقبل كمن يتوهم أن الشمس تطلع والظلام لا يزول ، والثوب يغسل بالصابون والوسخ لا يزول إلا أن يغوص الوسخ لطول تراكمه فى تجاويف الثوب وخلله فلا يقوى الصابون على قلعه ، فمثال ذلك أن تتراكم الذنوب حتى تصير طبعا ورينا على القلب فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب ، نعم قد يقول باللسان تبت فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب أصلا ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن به ، فهذا حال امتناع أصل التوبة ، وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين عن الله بالكلية ، فهذا البيان كاف عند ذوى البصائر فى قبول التوبة ، ولكنا نعضد جناحه بنقل الآيات والأخبار والآثار فكل استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة لا يوثق به ، وقد قال تعالى ﴿ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ﴾ وقال تعالى ﴿ غافر الذنب وقابل التوب ﴾ إلى غير ذلك من الآيات . وقال صلى الله عليه وسلم « لله أفرح بتوبة أحدكم ... الحديث » والفرح وراء القبول ، فهو دليل على القبول وزيادة . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسىء الليل إلى النهار ولمسىء النهار إلى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها[1] » وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل ، فرب قابل ليس بطالب ولا طالب إلا وهو قابل . وقال صلى الله عليه وسلم « لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم[2] » وقال أيضا « إن العبد ليذنب

---

(١) حديث « إن الله يبسط يده بالتوبة لمسىء الليل الى النهار ... الحديث » رواه مسلم من حديث أبى موسى بلفظ « يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ... الحديث » وفى رواية للطبرانى « لمسىء الليل أن يتوب بالنهار . الحديث » (٢) حديث « لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم » أخرجه ابن ماجه من حديث أبى هريرة واسناده حسن بلفظ « لو أخطأتم » وقال « ثم تبتم » .

الذنب فيدخل به الجنة ، فقيل : كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : يكون نصب عينه تائبا منه فارّا حتى يدخل الجنة [١] » وقال صلى الله عليه وسلم « كفارة الذنب الندامة [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

ويروى « أن حبشيا قال : يارسول الله إنى كنت أعمل الفواحش فهل لى من توبة ؟ قال « نعم » فولى ثم رجع فقال : يارسول الله أكان يرانى وأنا أعملها ؟ قال « نعم » فصاح الحبشى صيحة خرجت فيها روحه [٣] » .

ويروى أن الله عز وجل لما لعن إبليس سأله النظرة فأنظره إلى يوم القيامة ، فقال : وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح ، فقال الله تعالى : وعزتى وجلالى لا حجبت عنه التوبة ما دام الروح فيه [٤] .

وقال صلى الله عليه وسلم « إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ [٥] » والأخبار فى هذا لاتحصى .

وأما الآثار : فقد قال سعيد بن المسيب أنزل قوله تعالى ﴿ إنه كان للأوابين غفورا ﴾ فى الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب .

وقال الفضيل : قال الله تعالى : بشر المذنبين بأنهم إن تابوا قبلت منهم ، وحذر الصدّيقين أنى إن وضعت عليهم عدلى عذبتهم .

وقال طاق بن حبيب : إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العبد ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين .

وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : من ذكر خطيئة ألم بها فوجل منها قلبه محيت عنه فى أم الكتاب .

ويروى أن نبيا من أنبياء بنى إسرائيل أذنب فأوحى الله تعالى إليه : وعزتى لئن عدت لأعذبنك فقال يارب أنت أنت وأنا أنا وعزتك إن لم تعصمنى لأعودن فعصمه الله تعالى .

وقال بعضهم : إن العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول إبليس : ليتنى لم أوقعه فى الذنب .

وقال حبيب بن ثابت : تعرض على الرجل ذنوبه يوم القيامة فيمر بالذنب فيقول . أما إنى قد كنت مشفقا منه ، : فيغفر له .

ويروى أن رجلا سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به هل له من توبة ؟ فأعرض عنه ابن مسعود ثم التفت إليه فرأى عينيه تذرفان ؛ فقال له : إن للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فإن عليه ملكا موكلا به لا يغلق فاعمل ولا تيأس .

وقال عبد الرحمن بن أبى القاسم : تذاكرنا مع عبد الرحيم توبة الكافر وقول الله تعالى ﴿ إن ينتهوا

---

(١) حديث « إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة ... الحديث » أخرجه ابن المبارك فى الزهد عن المبارك بن فضالة عن الحسن مرسلا ، ولأبى نعيم فى الحلية من حديث أبى هريرة « إن العبد ليذنب الذنب فإذا ذكره أحزنه ، فإذا نظر الله اليه أنه أحزنه غفر له .. الحديث » وفيه صالح المرى ، وهو رجل صالح لكنه مضعف فى الحديث . ولابن أبى الدنيا فى التوبة من ابن عمر « إن الله لينفع العبد بالذنب يذنبه » والحديث غير محفوظ ، قاله العقيلى (٢) حديث « كفارة الذنب الندامة » أخرجه أحمد والطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس ، وفيه يحيى بن عمرو بن مالك البكرى ضعيف .

(٣) حديث : أن حبشيا قال يارسول الله إنى كنت أعمل الفواحش فهل لى من توبة قال « نعم » الحديث لم أجد له أصلا

(٤) حديث « إن الله لما لعن ابليس سأله النظرة فأنظره الى يوم القيامة فقال: وعزتك لاخرجت من قلب ابن آدم مادام فيه الروح ... الحديث » أخرجه أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه من حديث أبى سعيد أن الشيطان قال : وعزتك يارب لاأزال أغوى عبادك مادامت أرواحهم فى أجسادهم ، فقال: وعزتى وجلالى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى ، أورده المصنف بصيغة : ويروى كذا ولم يعزه الى النبى صلى الله عليه ، فذكرته احتياطا (٥) حديث « ان الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ » لم أجده بهذا اللفظ ، وهو صحيح المعنى ، وهو بمعنى « أتبع السيئة الحسنة تمحها » رواه الترمذى وتقدم قريبا .

يغفر لهم ما قد سلف ﴾ فقال إنى لأرجو أن يكون المسلم عند الله أحسن حالا ، ولقد بلغنى أن توبة المسلم كإسلام بعد إسلام .

وقال عبد الله بن سلام : لا أحدثكم إلا عن نبى مرسل أو كتاب منزل ، إن العبد إذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه أسرع من طرفة عين .

قال عمر رضى الله عنه : اجلسوا إلى التوابين فإنهم أرق أفئدة .

وقال بعضهم : أنا أعلم متى يغفر الله لى . قيل : ومتى ؟ قال : إذا تاب على .

وقال آخر : أنا من أن أحرم التوبة أخوف من أن أحرم المغفرة ، أى المغفرة من لوازم التوبة وتوابعها لامحالة .

ويروى أنه كان فى بنى إسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ، ثم نظر فى المرآة فرأى الشيب فى لحيته فساءه ذلك فقال : إلهى أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة ، فإن رجعت إليك أتقبلنى ؟ فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصا : أحببتنا فأحببناك ، وتركتنا فتركناك ، وعصيتنا فأمهلناك ، وإن رجعت إلينا قبلناك .

وقال ذو النون المصرى رحمه الله تعالى : إن لله عبادا نصبوا أشجار الخطايا نصب روامق القلوب، وسقوها بماء التوبة فأثمرت ندما وحزنا ، فجنوا من غير جنون وتبلدوا من غير عى ولا بكم ، وإنهم هم البلغاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله ، ثم شربوا بكأس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء ، ثم تولهت قلوبهم فى الملكوت وجالت أفكارهم بين سرايا حجب الجبروت ، واستظلوا تحت رواق الندم وقرءوا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا إلى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة ، وسرحت أرواحهم فى العلا حتى أناخوا فى رياض النعيم وخاضوا فى بحر الحياة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة وأقلعوا بريح النجاة فى بحر السلامة حتى وصلوا إلى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة ، فهذا القدر كاف فى بيان أن كل توبة صحيحة مقبولة لا محالة .

فإن قلت : أفتقول ما قالته المعتزلة من أنّ قبول التوبة واجب على الله ؟ فأقول : لا أعنى بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله إلا ما يريده القائل بقوله : إن الثوب إذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ ، وإن العطشان إذا شرب الماء وجب زوال العطش ، وأنه إذا منع الماء مدّة وجب العطش ، وأنه إذا دام العطش وجب الموت ، وليس فى شىء من ذلك ما يريده المعتزلة بالإيجاب على الله تعالى ، بل أقول : خلق الله تعالى الطاعة مكفرة للمعصية ، والحسنة ماحية للسيئة ، كما خلق الماء مزيلا للعطش ، والقدرة متسعة بخلافه لو سبقت به المشيئة ، فلا واجب على الله تعالى ، ولكن ماسبقت به إرادته الأزلية فواجب كونه لا محالة

فإن قلت : فما من تائب إلا وهو شاك فى قبول توبته ، والشارب للماء لا يشك فى زوال عطشه فلم يشك فيه ؟ فأقول شكه فى القبول كشكه فى وجود شرائط الصحة ، فإنّ للتوبة أركانا وشروطا دقيقة كما سيأتى ، وليس يتحقق وجود جميع شروطها كالذى يشك فى دواء شربه للإسهال فإنه هل يسهل وذلك لشكه فى حصول شروط الإسهال فى الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء وطبخه وجودة عقاقيره وأدويته ، فهذا وأمثاله موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك فى قبولها لا محالة على ما سيأتى فى شروطها إن شاء الله تعالى ،

الركن الثانى فيما عنه التوبة وهى الذنوب صغائرها وكبائرها

اعلم أنّ التوبة ترك الذنب ، ولا يمكن ترك الشيء إلا بعد معرفته ، وإذا كانت التوبة واجبة كان مالا يتوصل إليها إلا به واجبا ، فمعرفة الذنوب إذن واجبة ، والذنب عبارة عن كل ماهو مخالف لأمر الله تعالى فى ترك أوفعل وتفصيل ذلك يستدعى شرح التكليفات من أوّلها إلى آخرها ، وليس ذلك من غرضنا ، ولكنا نشير إلى مجامعها وروابط أقسامها ، والله الموفق للصواب برحمته .

بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات العبد

اعلم أنّ للإنسان أوصافا وأخلاقا كثيرة على ما عرف شرحه فى كتاب عجائب القلب وغوائله ، ولكن تنحصر مثارات الذنوب فى أربع صفات : صفات ربوبية ، وصفات شيطانية ، وصفات بهيمية ، وصفات سبعية . وذلك لأن طينة الإنسان عجنت من أخلاط مختلفه ، فاقتضى كل واحد من الأخلاط فى المعجون منه أثرا من الآثار كما يقتضى السكر والخل والزعفران فى السكنجبين آثارا مختلفة ، فأما ما يقتضى النزوع إلى الصفات الربوبية فمثل الكبر والفخر والجبرية وحب المدح والثناء والغنى وحب دوام البقاء وطلب الاستعلاء على الكافة حتى كأنه يريد أن يقول : أنا ربكم الأعلى ، وهذا يتشعب منه جملة من كبائر الذنوب غفل عنها الخلق ولم يعدّوها ذنوبا وهى المهلكات العظيمة التى هى كالأمهات لأكثر المعاصى كما استقصيناه فى ربع المهلكات (الثانية) هى الصفة الشيطانية التى منها يتشعب الحسد والبغى والحيلة والخداع والأمر بالفساد والمكر وفيه يدخل الغش والنفاق والدعوة إلى البدع والضلال . (الثالثة) الصفة البهيمية ومنها يتشعب الشره والكلب والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ، ومنه يتشعب الزنا واللوط والسرقة وأكل مال الأيتام وجمع الحطام لأجل الشهوات . (الرابعة) الصفة السبعية ، ومنها يتشعب الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الأموال ، ويتفرّع عنها جمل من الذنوب ، وهذه الصفات لها تدريج فى الفطرة ، فالصفة البهيمية هى التى تغلب أوّلا ثم تتلوها الصفة السبعية ثانيا ، ثم إذا اجتمعا استعملا العقل فى الخداع والمكر والحيلة وهى الصفة الشيطانية ، ثم بالآخرة تغلب الصفات الربوبية وهى الفخر والعز والعلو وطلب الكبرياء وقصد الاستيلاء على جميع الخلق . فهذه أمهات الذنوب ومنابعها ثم تنفجر الذنوب من هذه المنابع على الجوارح ، فبعضها فى القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق وإضمار السوء للناس ، وبعضها على العين والسمع ، وبعضها على اللسان ، وبعضها على البطن والفرج ، وبعضها على اليدين والرجلين وبعضها على جميع البدن ، ولا حاجة إلى بيان تفصيل ذلك فإنه واضح .

قسمة ثانية : أعلم أنّ الذنوب تقسم إلى مابين العبد وبين الله تعالى وإلى ما يتعلق بحقوق العباد . فما يتعلق بالعبد خاصة كترك الصلاة والصوم والواجبات الخاصة به ومايتعلق بحقوق العباد كتركه الزكاة وقتله النفس وغصبه الأموال وشتمه الأعراض وكل متناول من حق الغير ، فإما نفس أو طرف أو مال أو عرض أو دين أو جاه ، وتناول الدين بالإغواء والدعاء إلى البدعه والترغيب فى المعاصى وتهييج أسباب الجراءة على الله تعالى كما يفعله بعض الوعاظ بتغليب جانب الرجاء على جانب الخوف وما يتعلق بالعباد فالأمر فيه أغلظ ، وما بين العبد وبين الله تعالى إذا لم يكن شركا فالعفو فيه أرجى وأقرب ، وقد جاء فى الخبر ، الدواوين ثلاثة : ديوان يغفر ، وديوان لايغفر ، وديوان لا يترك : فالديوان الذى يغفر : ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى : وأما الديوان الذى لايغفر : فالشرك

بالله تعالى . وأما الديوان الذى لا يترك : فظالم العباد [١] ، أى لابدّ وأن يطالب بها حتى يعفى عنها .

قسمة ثالثة : اعلم أنّ الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر ، وقد كثر اختلاف الناس فيها ، فقال قائلون : لا صغيرة ولا كبيرة ، بل كل مخالفة لله فهى كبيرة ، وهذا ضعيف ، إذ قال تعالى ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ﴾ وقال تعالى ﴿ الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة يكفرن مابينهن إن اجتنبت الكبائر [٢] » وفى لفظ آخر « كفارات لما بينهن إلا الكبائر » وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص « الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس [٣] » واختلف الصحابة والتابعون فى عدد الكبائر من أربع إلى سبع إلى تسع إلى إحدى عشرة فما فوق ذلك ، فقال ابن مسعود : هن أربع . وقال ابن عمر : هن سبع . وقال عبد الله بن عمرو : هن تسع . وكان ابن عباس إذا بلغه قول ابن عمر : الكبائر سبع ، يقول : هن إلى سبعين أقرب منها إلى سبع ، وقال مرة : كل مانهى الله عنه فهو كبيرة : وقال غيره : كل ماأوعد الله عليه بالنار فهو من الكبائر . وقال بعض السلف : كل ما أوجب عليه الحد فى الدنيا فهو كبيرة ، وقيل : إنها مبهمة لايعرف عددها كليلة القدر وساعة يوم الجمعة . وقال ابن مسعود لما سئل عنها : اقرأ من أول سورة النساء إلى رأس ثلاثين آية منها عند قوله ﴿ إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه ﴾ فكل مانهى الله عنه فى هذه السورة إلى هنا فهو كبيرة . وقال أبو طالب المكى : الكبائر سبع عشر جمعتها من جملة الأخبار [٤] ، وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر

---

(١) حديث « الدواوين ثلاثة : ديوان يغفر ... الحديث » أخرجه أحمد والحاكم وصححه من حديث عائشة ، وفيه صدقة بن موسى الدقيقى ضعفه ابن معين وغيره ، وله شاهد من حديث سلمان ، رواه الطبرانى . (٢) حديث « الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة تكفر مابينهن ان اجتنبت الكبائر » رواه مسلم من حديث أبى هريرة . (٣) حديث عبد الله بن عمرو « الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس » رواه البخارى .

(٤) الأخبار الواردة فى الكبائر حكى المصنف عن أبى طالب المكى أنه قال : الكبائر سبع عشرة جمعها من جملة الأخبار ، وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم . الشرك بالله ، والإصرار على معصيته ، والقنوط من رحمته ، والأمن من مكره ، وشهادة الزور ، وقذف المحصن ، واليمين الغموس ، والسحر ، وشرب الخمر والمسكر ، وأكل مال اليتيم ظلما وأكل الربا ، والزنا ، واللواط ، والقتل ، والسرقة ، والفرار من الزحف ، وعقوق الوالدين . انتهى . وسأذكر ما ورد منها مرفوعا ، وقد تقدم أربعة منها فى حديث عبد الله بن عمرو . وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا : يارسول الله وماهى ؟ قال « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف . وقذف المحصنات المؤمنات » ولهما من حديث أبى بكرة « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قال « الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور — أو قال قول الزور — » ولهما من حديث أنس : سئل عن الكبائر قال « الشرك بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين » وقال « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قال : قول الزور ، أو قال شهادة الزور » ولهما من حديث ابن مسعود : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الذنب أعظم : قال « أن تجعل لله ندا وهو خلقك » قلت ثم أى ؟ قال « أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك » قلت ثم أى ؟ قال « أن تزانى حليلة جارك » . وللطبرانى من حديث سلمة بن قيس : « إنهاهى أربع : لاتشركوا بالله شيئا ، ولاتقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ولاتزنوا ، ولاتسرقوا » وفى الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت : « بايعونى على أن لاتشركوا بالله شيئا ، ولاتزنوا ، ولاتسرقوا » وفى الأوسط للطبرانى من حديث ابن عباس « الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر » وفيه موقوفا على عبد الله بن عمرو « أعظم الكبائر شرب الخمر » وكلاهما ضعيف . وللبزار من حديث ابن عباس بإسناد حسن : أن رجلا قال يارسول الله ما الكبائر ؟ قال « الشرك بالله ، والإياس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله » وله من حديث بريدة « أكبر الكبائر الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، ومنع فضل الماء ومنع الفحل » وفيه صالح ابن حبان ضعفه ابن معين والنسائى وغيرهما ، وله من حديث أبى هريرة « الكبائر أولهن الاشراك بالله » وفيه « والانتقال الى الأعراب بعد هجرته » وفيه خالد بن يوسف السمين ضعيف وللطبرانى فى الكبير من حديث سهل بن أبى حثمة فى الكبائر « والتعرب بعد الهجرة » وفيه ابن لهيعة ، وله فى الأوسط من حديث أبى سعيد الخدرى « الكبائر سبع » وفيه « والرجوع الى الأعرابية بعد الهجرة » وفيه أبو بلال الأشعرى ضعفه الدارقطنى ، وللحاكم من حديث عبيد بن عمير عن أبيه « الكبائر تسع » فذكر منها

وغيرهم : أربعة فى القلب وهى الشرك بالله ، والإصرار على معصيته ، والقنوط من رحمته ، والأمن من مكره . وأربع فى اللسان ، وهى : شهادة الزور ، وقذف المحصن ، واليمين الغموس - وهى التى يحق بها باطلا أو يبطل بها حقا ، وقيل هى التى يقتطع بها مال امرئ مسلم باطلا ولو سواكا من أراك . وسميت غموسا لأنها تغمس صاحبها فى النار . والسحر : وهو كل كلام يغير الإنسان وسائر الأجسام عن موضوعات الخلقة . وثلاث فى البطن : وهى شرب الخمر والسكر من كل شراب ، وأكل مال اليتيم ظلما ، وأكل الربا وهو يعلم . واثنتان فى الفرج وهما : الزنا واللواط . واثنتان فى اليدين وهما : القتل والسرقة وواحدة فى الرجلين : وهى الفرار من الزحف الواحد من اثنتين والعشرة من العشرين . وواحدة فى جميع الجسد وهى عقوق الوالدين ، قال : وجملة عقوقهما أن يقسما عليه فى حق فلا يبر قسمهما ، وإن سألاه حاجة فلا يعطيهما ، وأن يسباه فيضربهما ، ويجوعان فلا يطعمهما : هذا ما قاله وهو قريب ، ولكن ليس يحصل به تمام الشفاء ، إذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه ، فإنه جعل أكل الربا ومال اليتيم من الكبائر ، وهى جناية على الأموال ، ولم يذكر فى كبائر النفوس إلا القتل ، فأما فقء العين وقطع اليدين وغير ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وأنواع العذاب فلم يتعرض له ، وضرب اليتيم وتعذيبه وقطع أطرافه لا شك فى أنه أكبر من أكل ماله ، كيف وفى الخبر « من الكبائر السبتان بالسبة ومن الكبائر استطالة الرجل فى عرض أخيه المسلم [1] » وهذا زائد على قذف المحصن . وقال أبو سعيد الخدرى وغيره من الصحابة: إنكم لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر [2] . وقالت طائفة كل عمد كبيرة وكل ما نهى الله عنه فهو كبيرة ، وكشف الغطاء عن هذا أن نظر الناظر فى السرقة أهى كبيرة

= واستحلال البيت الحرام » وللطبراني من حديث واثلة « إن من أكبر الكبائر أن يقول الرجل على ما لم أقل » وله أيضا من حديثه « إن من أكبر الكبائر أن ينتفى الرجل من ولده » ولمسلم من حديث جابر « بين الرجل وبين الشرك - أو الكفر ترك الصلاة » ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو « من الكبائر شتم الرجل والديه » ولأبي داود من حديث سعيد بن زيد « من أربى الربا الاستطالة فى عرض المسلم بغير حق » وفى الصحيحين من حديث ابن عباس : أنه صلى الله عليه وسلم مر على قبرين فقال إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير وإنه لكبير ، أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله » الحديث ولأحمد فى هذه القصة من حديث أبي بكرة « أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس » الحديث ولأبى داود والترمذى من حديث أنس « عرضت على ذنوب أمتى فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها » سكت عليه أبو داود واستغربه البخارى والترمذى . وروى ابن أبى شيبة فى التوبة من حديث ابن عباس « لا صغيرة مع إصرار » وفيه أبو شيبة الخراسانى والحديث منكر يعرف به . وأما الموقوفات فروى الطبرانى والبيهقى فى الشعب عن ابن مسعود قال الكبائر الإشراك بالله ، والأمن من مكر الله ، والقنوط من رحمة الله ، واليأس من روح الله . وروى البيهقى فيه عن ابن عباس قال : الكبائر الإشراك بالله ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس التى حرم الله ، وقذف المحصنات ، وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف ، وأكل الربا ، والسحر ، والزنا ، واليمين الغموس الفاجرة ، والغلول ، ومنع الزكاة . وشهادة الزور ، وكتمان الشهادة وشرب الخمر ، وترك الصلاة متعمدا وأشياء مما فرضها الله ، ونقض العهد ، وقطيعة الرحم . وروى ابن أبى الدنيا فى التوبة عن ابن عباس : كل ذنب أصر عليه العبد كبيرة ، وفيه الربيع بن صبيح مختلف فيه . وروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس عن أنس قوله : لا صغيرة مع الإصرار ، وإسناده جيد ؛ فقد اجتمع من المرفوعات والموقوفات ثلاثة وثلاثون أو اثنان وثلاثون ، إلا أن بعضها لا يصح إسناده كما تقدم ، وإنما ذكرت الموقوفات حتى يعلم ما ورد فى المرفوع وما ورد فى الموقوف . وللبيهقى فى الشعب عن ابن عباس أنه قيل له : الكبائر سبع ، فقال: هى إلى السبعين أقرب . وروى البيهقى أيضا فيه عن ابن عباس قال : كل ما نهى الله عنه كبيرة والله أعلم .

(١) حديث « من الكبائر السبتان بالسبة ومن الكبائر استطالة الرجل فى عرض أخيه المسلم » عزاه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس لأحمد وأبى داود من حديث سعيد بن زيد ، والذى عندهما من حديثه « من أربى الربا استطالة الرجل فى عرض المسلم بغير حق » كما تقدم . (٢) حديث أبى سعيد الخدرى وغيره من الصحابة : إنكم تعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر . أخرجه أحمد والبزار بسند صحيح وقال « من الموبقات » بدل الكبائر . ورواه البخارى من حديث أنس وأحمد والحاكم من حديث عبادة بن قرص وقال . صحيح الاسناد .

أم لا : لا يصح ، ما لم يفهم معنى الكبيرة ، والمراد بها كقول القائل : السرقة حرام أم لا ؟ ولا مطمع فى تعريفه إلا بعد تقرير معنى الحرام أوّلا ثم البحث عن وجوده فى السرقة ؛ فالكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص فى اللغة ولا فى الشرع ، وذلك لأنّ الكبير والصغير من الاضافات ، وما من ذنب إلا وهو كبير بالإضافة إلى مادونه ، وصغير بالإضافة إلى ما فوقه ، فالمضاجعة مع الأجنبية كبيرة بالإضافة إلى النظرة ، صغيرة بالإضافة إلى الزنا ، وقطع يد المسلم كبيرة بالإضافة إلى ضربه ، صغيرة بالإضافة إلى قتله . نعم للإنسان أن يطلق على ما توعد بالنار على فعله خاصة اسم الكبيرة ، ونعنى بوصفه بالكبيرة : أنّ العقوبة بالنار عظيمة ، وله أن يطلق على ما أوجب الحدّ عليه مصيرا إلى أنّ ما عجل عليه فى الدنيا عقوبة واجبة عظيم ، وله أن يطلق على ما ورد فى نص الكتاب النهى عنه فيقول : تخصيصه بالذكر فى القرآن يدل على عظمه ، ثم يكون عظيما وكبيرة لا محالة بالإضافة ، إذ منصوصات القرآن أيضاً تتفاوت درجاتها ، فهذه الإطلاقات لا حرج فيها ، وما نقل من ألفاظ الصحابة يتردّد بين هذه الجهات ، ولا يبعد تنزيلها على شىء من هذه الاحتمالات ، نعم من المهمات أن تعلم معنى قول الله تعالى ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلوات كفارات لما بينهن إلا الكبائر » فإن هذا إثبات حكم الكبائر . والحق فى ذلك أن الذنوب منقسمة فى نظر الشرع إلى ما يعلم استعظامه إياها ، وإلى ما يعلم إنها معدودة فى الصغائر ، وإلى ما يشك فيه ، فلا يدرى حكمه ، فالطمع فى معرفة حدّ حاصر أو عدد جامع مانع طلب لما لم يمكن فإن ذلك لا يمكن إلا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول : إنى أردت بالكبائر عشرا أو خمسا ويفصلها فإن لم يرد هذا ـ بل ورد فى بعض الألفاظ « ثلاث من الكبائر[1] » وفى بعضها « سبع من الكبائر[2] » ثم ورد « أن السبتين بالسبة الواحدة من الكبائر » وهو خارج عن السبع والثلاث : علم أنه لم يقصد به العدد بما يحصر ، فكيف يطمع فى عدد ما لم يعده الشرع؟ وربما قصد الشرع ابهامه ليكون العباد منه على وجل ، كما أبهم ليلة القدر ليعظم جدّ الناس فى طلبها ، نعم لنا سبيل كلى يمكننا أن نعرف به أجناس الكبائر وأنواعها بالتحقيق . وأما أعيانها فنعرفها بالظن والتقريب ، ونعرف أيضا أكبر الكبائر ، فأما أصغر الصغائر فلا سبيل إلى معرفته . وبيانه أنا نعلم بشواهد الشرع وأنوار البصائر جميعا أن مقصد الشرائع كلها سياق الخلق إلى جوار الله تعالى وسعادة لقائه ، وأنه لا وصول لهم إلى ذلك إلا بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وكتبه ورسله ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ أىّ ليكونوا عبيد لى ، ولا يكون العبد عبدا ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية ولا بدّ أن يعرف نفسه وربه ، فهذا هو المقصود الأقصى ببعثة الأنبياء ، ولكن لا يتم هذا إلا فى الحياة الدنيا ، وهو المعنى بقوله عليه الصلاة والسلام « الدنيا مزرعة الآخرة[3] » فصار حفظ الدنيا أيضا مقصودا تابعا للدين لأنه وسيلة إليه . والمتعلق من الدنيا بالآخرة شيئان : النفوس والأموال ، فكل ما يسدّ باب معرفة الله تعالى فهو أكبر الكبائر ويليه ما يسدّ باب حياة النفوس ويليه باب ما يسدّ المعايش التى بها حياة الناس ، فهذه ثلاث مراتب ، فحفظ

---

(١) حديث « ثلاث من الكبائر » أخرجه الشيخان من حديث أبى بكرة ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ـ ثلاث ـ الحديث » وقد تقدم . (٢) حديث « سبع من الكبائر » رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى سعيد « الكبائر سبع » وقد تقدم وله فى الكبير من حديث عبد الله بن عمر « من صلى الصلوات الخمس واجتنب الكبائر ... الحديث » ثم عدهن سبعا . وتقدم عن الصحيحين حديث أبى هريرة « اجتنبوا السبع الموبقات » . (٣) حديث « الدنيا مزرعة الآخرة » لم أجده بهذا اللفظ مرفوعا وروى العقيلى فى الضعفاء وأبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق من حديث طارق بن أشيم « نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لآخرته » الحديث ، وإسناده ضعيف .

المعرفة على القلوب ، والحياة على الأبدان ، والأموال على الأشخاص ضرورى فى مقصود الشرائع كلها ، وهذه ثلاثة أمور لا يتصوّر أن تختلف فيها الملل ، فلا يجوز أنّ الله تعالى يبعث نبيا يريد ببعثه إصلاح الخلق فى دينهم ودنياهم ثم يأمرهم بما يمنعهم عن معرفته ومعرفة رسله ؛ أو يأمرهم بإهلاك النفوس وإهلاك الأموال ، فحصل من هذا أن الكبائر على ثلاث مراتب : (الأولى) ما يمنع من معرفة الله تعالى ومعرفة رسله وهو الكفر ، فلا كبيرة فوق الكفر ، إذ الحجاب بين الله وبين العبد هو الجهل ، والوسيلة المقرّبة له إليه هو العلم والمعرفة ، وقربه بقدر معرفته ، وبعده بقدر جهله ، ويتلو الجهل الذى يسمى كفرا الأمن من مكر الله والقنوط من رحمته ، فإن هذا أيضا عين الجهل ، فمن عرف الله لم يتصوّر أن يكون آمنا ولا أن يكون آيسا ، ويتلو هذه الرتبة البدع كلها المتعلقة بذات الله وصفاته وأفعاله وبعضها أشدّ من بعض ، وتفاوتها على حسب تفاوت الجهل بها وعلى حسب تعلقها بذات الله سبحانه بأفعاله وشرائعه وبأوامره ونواهيه ، ومراتب ذلك لا تنحصر ، وهى تنقسم إلى ما يعلم أنها داخلة تحت ذكر الكبائر المذكورة فى القرآن ، وإلى ما يعلم أنه لا يدخل ؛ وإلى ما يشك فيه وطلب دفع الشك فى القسم المتوسط طمع فى غير مطمع . (المرتبة الثانية) النفوس إذ ببقائها وحفظها تدوم الحياة وتحصل المعرفة بالله ، فقتل النفس لا محالة من الكبائر وإن كان دون الكفر ، لأن ذلك يصدم عين المقصود وهذا يصدم وسيلة المقصود ، إذ حياة الدنيا لا تراد إلا للآخرة والتوصل إليها بمعرفة الله تعالى ، ويتلو هذه الكبيرة قطع الأطراف وكل ما يفضى إلى الهلاك حتى الضرب وبعضها أكبر من بعض ، ويقع فى هذه الرتبة تحريم الزنا واللواط ، لأنه لو اجتمع الناس على الاكتفاء بالذكور فى قضاء الشهوات انقطع النسل ، ودفع الموجود قريب من قطع الوجود . وأما الزنا فإنه لا يفوت أصل الوجود ولكن يشوّش الأنساب ويبطل التوارث والتناصر وجملة من الأمور التى لا ينتظم العيش إلا بها ، بل كيف يتم النظام مع إباحة الزنا ولا ينتظم أمور البهائم مالم يتميز الفحل منها بإناث يختص بها عن سائر الفحول ، ولذلك لا يتصور أن يكون الزنا مباحا فى أصل شرع قصد به الإصلاح ، وينبغى أن يكون الزنا فى الرتبة دون القتل ، لأنه ليس يفوت دوام الوجود ولا يمنع أصله ولكنه يفوت تمييز الأنساب ويحرّك من الأسباب ما يكاد يفضى إلى التقاتل وينبغى أن يكون أشدّ من اللواط لأن الشهوة داعية إليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويعظم أثر الضرر بكثرته . (المرتبة الثالثة) الأموال فإنها معايش الخلق فلا يجوز تسلط الناس على تناولها كيف شاءوا حتى بالاستيلاء والسرقة وغيرهما ، بل ينبغى أن تحفظ لتبقى ببقائها النفوس ، إلا أن الأموال إذا أخذت أمكن استردادها وإن أكلت أمكن تغريمها فليس يعظم الأمر فيها . نعم إذا جرى تناولها بطريق يعسر التدارك له فينبغى أن يكون ذلك من الكبائر ، وذلك بأربع طرق : أحدها الخفية ، وهى السرقة فإنه إذا لم يطلع عليه غالبا كيف يتدارك . الثانى : أكل مال اليتيم ، وهذا أيضا من الخفية وأعنى به فى حق الولى والقيم فإنه مؤتمن فيه وليس له خصم سوى اليتيم وهو صغير لا يعرفه فتعظيم الأمر فيه واجب ، بخلاف الغصب فإنه ظاهر يعرف ، وبخلاف الخيانة فى الوديعة فإن المودع خصم فيه ينتصف لنفسه . الثالث : تفويتها بشهادة الزور . الرابع : أخذ الوديعة وغيرها باليمين الغموس فإن هذه طريق لا يمكن فيها التدارك ولا يجوز أن تختلف الشرائع فى تحريمها أصلا ، وبعضها أشدّ من بعض وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس : وهذه الأربعة جديرة بأن تكون مرادة بالكبائر وإن لم يوجب الشرع الحد فى بعضها ، ولكن أكثر الوعيد عليها وعظم فى مصالح الدنيا تأثيرها . وأما أكل الربا فليس إلا أكل مال الغير بالتراضى مع الإخلال بشرط وضعه الشرع ولا يبعد أن تختلف الشرائع

فى مثله ، وإذا لم يجعل الغضب الذى هو أكل مال الغير بغيره رضاه وبغير رضا الشرع من الكبائر فأكل الربا أكل برضا المالك ولكن دون رضا الشرع ، وإن عظم الشرع الزنا بالزجر عنه فقد عظم أيضا الظلم بالغصب وغيره وعظم الخيانة ، والمصير إلى أنّ أكل دانق بالخيانة أو الغصب من الكبائر فيه نظر ، وذلك واقع فى مظنة الشك وأكثر ميل الظنّ إلى أنه غير داخل تحت الكبائر ، بل ينبغى أن تختص الكبيرة بما لا يجوز اختلاف الشرع فيه ليكون ضروريا فى الدين ، فيبقى مما ذكره أبو طالب المكى القذف والشرب والسحر والفرار من الزحف وحقوق الوالدين . أما الشرب لما يزيل العقل فهو جدير بأن يكون من الكبائر ، وقد دل عليه تشديدات الشرع وطريق النظر أيضا ، لأن العقل محظوظ كما أنّ النفس محظوظة ، بل لا خير فى النفس دون العقل ، فإزالة العقل من الكبائر ولكن هذا لايجرى فى قطرة من الخمر ، فلاشك فى أنه لو شرب ماء فيه قطرة من الخمر ، لم يكن ذلك كبيرة وإنما هو شرب ماء نجس ، والقطرة وحدها فى محل الشك ، وإيجاب الشرع الحدّ به يدل على تعظيم أمره ، فيعد ذلك من الكبائر بالشرع ، وليس فى قوّة البشرية الوقوف على جميع أسرار الشرع ، فإن ثبت إجماع فى أنه كبيرة وجب الاتباع ، ولا فللتوقف فيه مجال . وأما القذف فليس فيه إلا تناول الأعراض ، والأعراض دون الأموال فى الرتبة ، ولتناولها مراتب ، وأعظمها التناول بالقذف بالإضافة إلى فاحشة الزنا ، وقد عظم الشرع أمره ، وأظن ظنا غالباً أن الصحابة كانوا يعدّون كل مايجب به الحدّ كبيرة ، فهو بهذا الاعتبار لاتكفره الصلوات الخمس ، وهو الذى نريده بالكبيرة الآن ، ولكن من حيث إنه يجوز أن تختلف فيه الشرائع فالقياس بمجرّده لا يدل على كبره وعظمته ، بل كان يجوز أن يرد الشرع بأنّ العدل الواحد إذا رأى إنسانا يزنى فله أن يشهد ويجلد المشهود عليه بمجرّد شهادته ، فإن لم تقبل شهادته لحدّه ليس ضروريا فى مصالح الدنيا وإن كان على الجملة من المصالح الظاهرة الواقعة فى رتبة الحاجات ، فإذن هذا أيضا يلحق بالكبائر فى حق من عرف حكم الشرع ، فأما من ظن أنّ له أن يشهد وحده ، أوظن أنه يساعده على شهادة غيره فلا ينبغى أن يجعل فى حقه من الكبائر . وأما السحر فإن كان فيه كفر فكبيرة ، وإلا فعظمته بحسب الضرر الذى يتولد منه من هلاك نفس أو مرض أو غيره وأما الفرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا أيضا ينبغى أن يكون من حيث القياس فى محل التوقف ، وإذا قطع بأن سب الناس بكل شىء سوى الزنا ، وضربهم ، والظلم لهم بغصب أموالهم ، وإخراجهم من مساكنهم وبلادهم ، وإجلائهم من أوطانهم ليس من الكبائر ـ إذ لم ينقل ذلك فى السبع عشرة كبيرة وهو أكبر ماقيل فيه ـ فالتوقف فى هذا أيضا غير بعيد ، ولكن الحديث يدل على تسميته كبيرة فليلحق بالكبائر . فإذا رجع حاصل الأمر إلى أنا نعنى بالكبيرة مالاتكفره الصلوات بحكم الشرع . وذلك مما انقسم إلى ما علم أنه لا تكفره قطعا وإلى ماينبغى أن تكفره وإلى ما يتوقف فيه ، والمتوقف فيه بعضه مظنون للنفى والإثبات وبعضه مشكوك فيه وهو شك لا يزيله إلا نص كتاب أو سنة ، وإذن لامطمع فيه ـ فطلب رفع الشك فيه محال .

* فإن قلت . فهذا إقامة برهان على استحالة معرفة حدّها ، فكيف يردّ الشرع بما يستحيل معرفة حدّه ؟ فاعلم أنّ كل مالا يتعلق به حكم فى الدنيا فيجوز أن يتطرّق إليه الإبهام ، لأن دار التكليف هى دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها فى الدنيا من حيث إنها كبيرة ، بل كل موجبات الحدود معلومة بأسمائها كالسرقة والزنا وغيرهما ، وإنما حكم الكبيرة أنّ الصلوات الخمس لا تكفرها ، وهذا أمر يتعلق بالآخرة ، والإبهام أليق به حتى يكون الناس على وجل وحذر فلا يتجرءون على الصغائر اعتمادا على الصلوات الخمس ، وكذلك اجتناب الكبائر

يكفر الصغائر بموجب قوله تعالى ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ ولكن اجتناب الكبيرة إنما يكفر الصغيرة إذا اجتنبها مع القدرة والإرادة، كمن يتمكن من امرأة ومن مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع فيقتصر على نظر أو لمس ، فإن مجاهدة نفسه بالكف عن الوقاع أشد تأثيرا فى تنوير قلبه من إقدامه على النظر فى إظلامه ؛ فهذا معنى تكفيره ، فإن كان عنينا أو لم يكن امتناعه إلا بالضرورة للعجز أو كان قادرا ولكن امتنع لخوف أمر آخر فهذا لا يصلح للتكفير أصلا ، وكل من يشتهى الخمر بطبعه ولو أبيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التى هى مقدماته كسماع الملاهى والأوتار ، نعم من يشتهى الخمر وسماع الأوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة عن الخمر ويطلقها فى السماع فمجاهدته النفس بالكف ربما تمحو عن قلبه الظلمة التى ارتفعت إليه من معصية السماع ، فكل هذه أحكام أخروية ، ويجوز أن يبقى بعضها فى محل الشك وتكون من المتشابهات فلا يعرف تفصيلها إلا بالنص ولم يرد النص بعد ولاحد جامع ، بل ورد بألفاظ مختلفات ، فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلاة إلى الصلاة كفارة ، ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث : إشراك بالله ، وترك السنة ، ونكث الصفقة [1] » قيل ما ترك السنة ؟ قيل الخروج عن الجماعة . ونكث الصفقة : أن يبايع رجلا ثم يخرج عليه بالسيف يقاتله ، فهذا وأمثاله من الألفاظ لا يحيط بالعدد كله ولا يدل على حد جامع فيبقى لا محالة مبهما .

* فإن قلت : الشهادة لا تقبل إلا ممن يجتنب الكبائر ، والورع عن الصغائر ليس شرطا فى قبول الشهادة ، وهذا من أحكام الدنيا ! فاعلم أنا لا نخصص رد الشهادة بالكبائر ، فلا خلاف فى أن من يسمع الملاهى ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب ويشرب فى أوانى الذهب والفضة لا تقبل شهادته ، ولم يذهب أحد إلى أن هذه الأمور من الكبائر . وقال الشافعى رضى الله عنه : إذا شرب الحنفى النبيذ حددته ولم أرد شهادته، فقد جعله كبيرة بإيجاب الحد ولم يرد به الشهادة ، فدل على أن الشهادة نفيا وإثباتا لا تدور على الصغائر والكبائر ، بل كل الذنوب تقدح فى العدالة إلا ما لا يخلو الإنسان عنه غالبا بضرورة مجارى العادات . كالغيبة ، والتجسس ، وسوء الظن ، والكذب فى بعض الأقوال ، وسماع الغيبة ، وترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأكل الشبهات ، وسب الولد والغلام وضربهما بحكم الغضب زائدا على المصلحة ، وإكرام السلاطين الظلمة ، ومصادقة الفجار ، والتكاسل عن تعليم الأهل والولد جميع ما يحتاجون إليه من أمر الدين ، فهذه ذنوب لا يتصور أن ينفك الشاهد عن قليلها أو كثيرها إلا بأن يعتزل الناس ويتجرد لأمور الآخرة ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على سمعته مع المخالطة بعد ذلك ، ولو لم يقبل إلا قول مثله لعز وجوده وبطلت الأحكام والشهادات . وليس لبس الحرير وسماع الملاهى واللعب بالنرد ومجالسة أهل الشرب فى وقت الشرب والخلوة بالأجنبيات وأمثال هذه الصغائر من هذا القبيل، فإلى مثل هذا المنهاج ينبغى أن ينظر فى قبول الشهادة وردها لا إلى الكبيرة والصغيرة ، ثم آحاد هذه الصغائر التى لا ترد الشهادة بها لو واظب عليها لأثر فى رد الشهادة كمن اتخذ الغيبة وثلب الناس عادة ، وكذلك مجالسة الفجار ومصادقتهم ، والصغيرة تكبر بالمواظبة كما أن المباح يصير صغيرة بالمواظبة ، كاللعب بالشطرنج والترنم بالغناء على الدوام وغيره فهذا بيان حكم الصغائر والكبائر .

---

(١) حديث « الصلاة إلى الصلاة كفارة ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث إشراك بالله وترك السنة ونكث الصفقة ... الحديث أخرجه الحاكم من حديث أبى هريرة نحوه وقال صحيح الإسناد .

بيان كيفية توزع الدرجات والدركات فى الآخرة
على الحسنات والسيئات فى الدنيا

اعلم أنّ الدنيا من عالم الملك والشهادة ، والآخرة من عالم الغيب والملكوت ، وأعنى بالدنيا حالتك قبل الموت، وبالآخرة حالتك بعد الموت ، فدنياك وآخرتك صفاتك وأحوالك ، يسمى القريب الدانى منها دنيا ، والمتأخر آخرة . ونحن الآن نتكلم من الدنيا فى الآخرة ، فإنا الآن نتكلم فى الدنيا وهو عالم الملك وغرضنا شرح الآخرة وهى عالم الملكوت ، ولا يتصوّر شرح عالم الملكوت فى عالم الملك إلا بضرب الأمثال ، ولذلك قال تعالى ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ وهذا لأنّ عالم الملك نوم بالإضافة إلى عالم الملكوت ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا [1] » وما سيكون فى اليقظة لايتبين لك فى النوم إلا الأمثال المحوجة إلى التعبير ، فكذلك ماسيكون فى يقظة الآخرة لايتبين فى نوم الدنيا إلا فى كثرة الأمثال ، وأعنى بكثرة الأمثال مانعرفه من علم التعبير ، ويكفيك منه إن كنت فطناً ثلاثة أمثلة .

فقد جاء رجل إلى ابن سيرين فقال : رأيت كأن فى يدى خاتما أختم به أفواه الرجال وفروج النساء فقال : إنك مؤذن تؤذن فى رمضان قبل طلوع الفجر ، قال : صدقت . وجاء رجل آخر فقال : رأيت كأنى أصب الزيت فى الزيتون ، فقال : إن كان تحتك جارية اشتريتها ففتش عن حالها فإن أمك سبيت فى صغرك ، لأن الزيتون أصل الزيت فهو يرد إلى الأصل ، فنظر فإذا جاريته كانت أمه وقد سبيت فى صغره . وقال له آخر رأيت كأنى أقلد الدرّ فى أعناق الخنازير ، فقال : إنك تعلم الحكمة غير أهلها فكان كما قال ، والتعبير من أوله إلى آخره أمثال تعرفك طريق ضرب الأمثال ، وإنما نعنى بالمثل أداء المعنى فى صورة إن نظر إلى معناه وجده صادقا ، وإن نظر إلى صورته وجده كاذبا ، فالمؤذن إن نظر إلى صورة الخاتم والختم به على الفروج رآه كاذبا ، فإنه لم يختم به قط ، وإن نظر إلى معناه وجده صادقا إذ صدر منه روح الختم ومعناه وهو المنع الذى يراد الختم له ، وليس للأنبياء أن يتكلموا مع الخلق إلا بضرب الأمثال ، لأنهم كلفوا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم ، وقدر عقولهم أنهم فى النوم ، والنائم لايكشف له عن شىء إلا بمثل ، فإذا ماتوا انتبهوا ، وعرفوا أن المثل صادق ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن [2] » وهو من المثال الذى لايعقله إلا العالمون ، فأما الجاهل فلا يجاوز قدره ظاهر المثال لجهله بالتفسير الذى يسمى تأويلا ، كما يسمى تفسير مايرى من الأمثلة فى النوم تعبيراً فيثبت لله تعالى يداً وأصبعاً ـ تعالى الله عن قوله علوا كبيرا . وكذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم على صورته [3] » فإنه لايفهم من الصورة إلا اللون والشكل والهيئة فيثبت لله تعالى مثل ذلك — تعالى الله عن قوله علوا كبيرا . من ههنا زل من زلّ فى صفات إلهية حتى فى الكلام وجعلوه صوتا وحرفا إلى غير ذلك من الصفات ، والقول فيه يطول ، وكذلك قد يرد فى أمر الآخرة ضرب أمثله يكذب بها الملحد بجمود نظره على ظاهر المثال وتناقضه عنده ، كقوله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالموت يوم القيامة فى صورة كبش أملح فيذبح [4] » فيثور الملحد الأحمق ويكذب ويستدل به على كذب الأنبياء ويقول : ياسبحان الله . الموت عرض والكبش جسم فكيف ينقلب العرض جسما ؟ وهل هذا إلا

---

(١) حديث « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » لم أجده مرفوعا ، وإنما يعزى الى على بن أبى طالب .
(٢) حديث « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » تقدم (٣) حديث « ان الله خلق آدم على صورته » تقدم .
(٤) حديث « يؤتى بالموت يوم القيامة فى صورة كبش أملح فيذبح ... » الحديث متفق عليه من حديث أبى سعيد .

محال ، ولكن الله تعالى عزل هؤلاء الحمق عن معرفة أسراره فقال ﴿ وما يعقلها إلا العالمون ﴾ ولا يدرى المسكين أن من قال رأيت فى منامى أنه جىء بكبش وقيل هذا هو الوباء الذى فى البلد وذبح فقال المعبر: صدقت والأمر كما رأيت وهذا يدل على أن هذا الوباء ينقطع ولا يعود قط ، لأن المذبوح وقع اليأس منه ، فإذن المعبر صادق فى تصديقه وهو صادق فى رؤيته ، وترجع حقيقة ذلك إلى أن الموكل بالرؤيا وهو الذى يطلع الأرواح عند النوم على ما فى اللوح المحفوظ عرّفه بما فى اللوح المحفوظ بمثال ضربه له ، لأن النائم إنما يحتمل المثال فكان مثاله صادقا وكان معناه صحيحا ؛ فالرسل أيضا إنما يكلمون الناس فى الدنيا وهى بالإضافة إلى الآخرة نوم ، فيوصلون المعانى إلى أفهامهم بالأمثلة حكمة من الله ولطفا بعباده وتيسيرا لإدراك ما يعجزون عن إدراكه دون ضرب المثل ، فقوله « يؤتى بالموت فى صورة كبش أملح » مثال ضربه ليوصل إلى الأفهام حصول اليأس من الموت ، وقد جبلت القلوب على التأثر بالأمثلة وثبوت المعانى فيها بواسطتها ، ولذلك عبر القرآن بقوله ﴿ كن فيكون ﴾ عن نهاية القدرة ، وعبر صلى الله عليه وسلم بقوله « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » عن سرعة التقليب . وقد أشرنا إلى حكمة ذلك فى « كتاب قواعد العقائد » من ربع العبادات فلنرجع الآن إلى الغرض ، فالمقصود أن تعريف توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات لا يمكن إلا بضرب المثال . فلنفهم من المثل الذى نضربه معناه لا صورته . فنقول : الناس فى الآخرة ينقسمون أصنافا وتتفاوت درجاتهم ودركاتهم فى السعادة والشقاوة تفاوتا لا يدخل تحت الحصر كما تفاوتوا فى سعادة الدنيا وشقاوتها ولا تفارق الآخرة فى هذا المعنى أصلا ألبتة ، فإن مدبر الملك والملكوت واحد لا شريك له . وسنته الصادرة عن إرادته الأزلية مطردة لا تبديل لها ، إلا أنا إن عجزنا عن إحصاء آحاد الدرجات فلا نعجز عن إحصاء الأجناس . فنقول : الناس ينقسمون فى الآخرة بالضرورة إلى أربعة أقسام : هالكين ، ومعذبين ، وناجين ، وفائزين . ومثاله فى الدنيا أن يستولى ملك من الملوك على إقليم فيقتل بعضهم فهم الهالكون ، ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم المعذبون ، ويخلى بعضهم فهم الناجون ، ويخلع على بعضهم فهم الفائزون ، فإن كان الملك عادلا لم يقسمهم كذلك إلا باستحقاق ، فلا يقتل إلا جاحدا لاستحقاق الملك معاندا له فى أصل الدولة ، ولا يعذب إلا من قصر فى خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته ، ولا يخلى إلا معترفا له برتبة الملك لكنه لم يقصر ليعذب ولم يخدم ليخلع عليه ، ولا يخلع إلا على من أبلى عمره فى الخدمة والنصرة ، ثم ينبغى أن تكون خلع الفائزين متفاوتة الدرجات بحسب درجاتهم فى الخدمة ، وإهلاك الهالكين إما تحقيقا بجز الرقبة أو تنكيلا بالمثلة بحسب درجاتهم فى المعاندة ، وتعذيب المعذبين فى الخفة والشدة وطول المدة وقصرها واتحاد أنواعها واختلافها بحسب درجات تقصيرهم ، فتنقسم كل رتبة من هذه الرتب إلى درجات لا تحصى ولا تنحصر ، فكذلك فافهم أن الناس فى الآخرة هكذا يتفاوتون ، فمن هالك ، ومن معذب مدة ، ومن ناج يجل فى دار السلامة ومن فائز . والفائزون ينقسمون إلى من يحلون فى جنات عدن أو جنات المأوى أو جنات الفردوس ، والمعذبون ينقسمون إلى من يعذب قليلا وإلى من يعذب ألف سنة إلى سبعة آلاف سنة ، وذلك آخر من يخرج من النار كما ورد فى الخبر (١) ، وكذلك الهالكون الآيسون من رحمة الله تتفاوت دركاتهم ، وهذه الدرجات بحسب اختلاف الطاعات والمعاصى ، فلنذكر كيفية توزعها عليها .

---

(١) حديث « ان آخر من يخرج من النار يعذب سبعة آلاف سنة » أخرجه الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول من حديث أبى هريرة بسند ضعيف فى حديث قال فيه وأطولهم مكثا فيه مثل الدنيا من يوم خلقت الى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة .

(الرتبة الأولى) وهى رتبة الهالكين ونعنى بالهالكين الآيسين من رحمة الله تعالى ، إذ الذى قتله الملك فى المثال الذى ضربناه آيس من رضا الملك وإكرامه فلا تغفل عن معانى المثال ، وهذه الدرجة لا تكون إلا للجاحدين والمعرضين المتجردين للدنيا المكذبين بالله ورسله وكتبه ، فإن السعادة الأخروية فى القرب من الله والنظر إلى وجهه وذلك لا ينال أصلا إلا بالمعرفة التى يعبر عنها بالإيمان والتصديق ، والجاحدون هم المنكرون ، والمكذبون هم الآيسون من رحمة الله تعالى أبد الآباد وهم الذين يكذبون برب العالمين وبأنبيائه المرسلين ، إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا محالة وكل محجوب من محبوبه فمحول بينه وبين ما يشتهيه لا محالة فهو لا محالة يكون محترقا نار جهنم بنار الفراق ، ولذلك قال العارفون : ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاؤنا للحور العين وإنما مطالبنا اللقاء ومهربنا من الحجاب فقط ، وقالوا من يعبد الله بعوض فهو لئيم كأن يعبده لطلب جنته أو لخوف ناره ، بل العارف يعبده لذاته فلا يطلب إلا ذاته فقط ، فأما الحور العين والفواكه فقد لا يشتهيها وأما النار فقد لا يتقيها . إذ نار الفراق إذا استولت ربما غلبت النار المحرقة للأجسام ، فإن نار الفراق نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة ، ونار جهنم لا شغل لها إلا مع الأجسام ، وألم الأجسام يستحقر مع ألم الفؤاد ، ولذلك قيل :

وفى فؤاد المحب نار جوى أحر نار الجحيم أبردها

ولا ينبغى أن تنكر هذا فى عالم الآخرة إذ له نظير مشاهد فى عالم الدنيا ، فقد رؤى من غلب عليه الوجد فغدا على النار وعلى أصول القصب الجارحة القدم وهو لا يحس به لفرط غلبة ما فى قلبه ، وترى الغضبان يستولى عليه الغضب فى القتال فتصيبه جراحات وهو لا يشعر بها فى الحال لأن الغضب نار فى القلب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الغضب قطعة من النار [1] » ، واحتراق الفؤاد أشد من احتراق الأجساد ، والأشد يبطل الإحساس بالأضعف كما تراه فليس الهلاك من النار والسيف إلا من حيث إنه يفرق بين جزءين يرتبط أحدهما بالآخر برابطة التأليف الممكن فى الأجسام ، فالذى يفرق بين القلب وبين محبوبه الذى يرتبط به برابطة تأليف أشد إحكاما من تأليف الأجسام فهو أشد إيلاما إن كنت من أرباب البصائر وأرباب القلوب ولا يبعد أن لا يدرك من لا قلب له شدة هذا الألم ويستحقره بالإضافة إلى ألم الجسم ، فالصبى لو خير بين ألم الحرمان على الكرة والصولجان وبين ألم الحرمان عن رتبة السلطان لم يحس بألم الحرمان عن رتبة السلطان أصلا ولم يعد ذلك ألما وقال : العدو فى الميدان مع الصولجان أحب إلى من ألف سرير للسلطان مع الجلوس عليه ، بل من تغلبه شهوة البطن لو خير بين الهريسة والحلواء وبين فعل جميل يقهر به الأعداء ويفرح به الأصدقاء لآثر الهريسة والحلواء ، وهذا كله لفقد المعنى الذى بوجوده يصير الجاه محبوبا . ووجود المعنى الذى بوجوده يصير الطعام لذيذا ، وذلك لمن استرقته صفات البهائم والسباع ولم تظهر فيه صفات الملائكة التى لا يناسبها ولا يلذها إلا القرب من رب العالمين ولا يؤلمها إلا البعد والحجاب ، وكما لا يكون الذوق إلا فى اللسان والسمع إلا فى الآذان ، فلا تكون هذه الصفة إلا فى القلب ، فمن لا قلب له ليس له هذا الحس ، كمن لا سمع له ولا بصر ليس له لذة الألحان وحسن الصور والألوان ، وليس لكل إنسان قلب ؛ ولو كان لما صح قوله تعالى ﴿ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ﴾ فجعل من لم يتذكر بالقرآن مفلسا من القلب ، ولست أعنى بالقلب هذا الذى تكتنفه عظام الصدر بل أعنى به السر الذى هو من عالم الأمر ، واللحم الذى هو من عالم الخلق عرشه والصدر كرسيه ، وسائر الأعضاء

(١) حديث « الغضب قطعة من النار » أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد نحوه ، وقد تقدم .

عالمه ومملكته ، ولله الخلق والأمر جميعا ، ولكن ذلك السر الذى قال الله تعالى فيه ﴿قل الروح من أمر ربى﴾ هو الأمير والملك لأن بين عالم الأمر وعالم الخلق ترتيبا ، وعالم الأمر أمير على عالم الخلق ، وهو اللطيفة التى إذا صلحت صلح لها سائر الجسد ، من عرفها فقد عرف نفسه ، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه ، وعند ذلك يشم العبد مبادئ روائح المعنى المطوى تحت قوله صلى الله عليه وسلم « إنّ الله خلق آدم على صورته » ونظر بعين الرحمة إلى الحاملين له على ظاهر لفظه وإلى المتعسفين فى طريق تأويله ، وإن كانت رحمته للحاملين على اللفظ أكثر من رحمته للمتعسفين فى التأويل ، لأن الرحمة على قدر المصيبة ومصيبة أولئك أكثر ، وإن اشتركوا فى مصيبة الحرمان من حقيقة الأمر ، فالحقيقة فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وحكمته يختص بها من يشاء ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا﴾ ولنعد إلى الغرض فقد أرخينا الطول وطولنا النفس فى أمر هو أعلى من علوم المعاملات التى نقصدها فى هذا الكتاب ، فقد ظهر أنّ رتبة الهلاك ليس إلا للجهال المكذبين ، وشهادة ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لاتدخل تحت الحصر فلذلك لم نوردها .

(الرتبة الثانية) رتبة المعذبين وهذه رتبة من تحلى بأصل الإيمان ولكن قصر فى الوفاء بمقتضاه ، فإنّ رأس الإيمان هو التوحيد : وهو أن لايعبد إلا الله ، ومن اتبع هواه فقد اتخذ إلهه هواه ، فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة ، بل معنى قولك لا إله إلا الله معنى قوله تعالى ﴿قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون﴾ وهو أن تذر بالكلية غير الله ، ومعنى قوله تعالى ﴿الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ ولما كان الصراط المستقيم الذى لايكمل التوحيد إلا بالاستقامة عليه أدق من الشعر وأحدّ من السيف مثل الصراط الموصوف فى الآخرة ، فلا ينفك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو فى أمر يسير ، إذ لا يخلو عن اتباع الهوى ولو فى فعل قليل ، وذلك قادح فى كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم ، فذلك يقتضى لامحالة نقصانا فى درجات القرب ، ومع كل نقصان ناران : نار الفراق لذلك الكمال الفائت بالنقصان ، ونار جهنم كما وصفها القرآن ، فيكون كل مائل عن الصراط المستقيم معذبا مرتين من وجهين ، ولكن شدّة ذلك العذاب وخفته وتفاوته بحسب طول المدّة إنما يكون بسبب أمرين ، أحدهما : قوّة الإيمان وضعفه ، والثانى : كثرة اتباع الهوى وقلته ، وإذ لا يخلو بشر فى غالب الأمر عن واحد من الأمرين قال الله تعالى ﴿وإنّ منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا * ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ ولذلك قال الخائفون من السلف : إنما خوفنا لأنا تيقنا أنا على النار واردون وشككنا فى النجاة ، ولما روى الحسن الخبر الوارد فيمن يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادى ياحنان يامنان [1] قال الحسن : ياليتنى كنت ذلك الرجل . واعلم أن فى الأخبار مايدل على أنّ آخر من يخرج من النار بعد سبعة آلاف سنة ، وأن الاختلاف فى المدّة بين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة حتى قد يجوز بعضهم على النار كبرق خاطف ولا يكون له فيها لبث ، وبين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة درجات متفاوته من اليوم والأسبوع والشهر وسائر المدد وأنّ الاختلاف بالشدّة لا نهاية لأعلاه ، وأدناه التعذيب بالمناقشة فى الحساب ، كما أن الملك قد يعذب بعض المقصرين فى الأعمال بالمناقشة فى الحساب ثم يعفو ؛ وقد يضرب بالسياط ، وقد يعذب بنوع آخر من العذاب ، ويتطرق إلى العذاب اختلاف ثالث فى غير المدّة والشدّة وهو اختلاف الأنواع ، إذ ليس من يعذب بمصادرة المال فقط كمن يعذاب بأخذ المال وقتل الولد واستباحة الحريم وتعذيب الأقارب والضرب وقطع اللسان واليد

(١) حديث « من يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادى ياحنان يامنان » أخرجه أحمد وأبو يعلى من رواية أبى ظلال الفعلى عن أنس وأبو ظلال ضعيف واسمه هلال بن ميمون .

والأنف والأذن وغيره ؛ فهذه الاختلافات ثابتة فى عذاب الآخرة دل عليها قواطع الشرع ، وهى بحسب اختلاف قوة الإيمان وضعفه وكثرة الطاعات وقلتها وكثرة السيئات وقلتها . أما شدة العذاب فبشدة قبح السيئات وكثرتها وأما كثرته فبكثرتها ، وأما اختلاف أنواعه فباختلاف أنواع السيئات ؛ وقد انكشف هذا لأرباب القلوب مع شواهد القرآن بنور الإيمان وهو المعنى بقوله تعالى ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ وبقوله تعالى ﴿ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ﴾ وبقوله تعالى ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ وبقوله تعالى ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ إلى غير ذلك مما ورد فى الكتاب والسنة من كون العقاب والثواب جزاء على الأعمال ، وكل ذلك بعدل لا ظلم فيه ، وجانب العفو والرحمة أرجح ؛ إذ قال تعالى فيما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم « سبقت رحمتى غضبى [1] » وقال تعالى ﴿ وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ﴾ فإذن هذه الأمور الكلية من ارتباط الدرجات والدركات بالحسنات والسيئات معلومة بقواطع الشرع ونور المعرفة ، فأما التفصيل فلا يعرف إلا ظناً ومستنده ظواهر الأخبار ونوع حدس يستمد من أنوار الاستبصار بعين الاعتبار ، فنقول : كل من أحكم أصل الإيمان واجتنب جميع الكبائر وأحسن جميع الفرائض - أعنى الأركان الخمسة - ولم يكن منه إلا صغائر متفرقة لم يصر عليها ، فيشبه أن يكون عذابه المناقشة فى الحساب فقط ، فإنه إذا حوسب رجحت حسناته على سيئاته ، إذ ورد فى الأخبار أن الصلوات الخمسة والجمعة وصوم رمضان كفارات لما بينهن ، وكذلك اجتناب الكبائر بحكم نص القرآن مكفرا للصغائر ، وأقل درجات التكفير أن يدفع العذاب إن لم يدفع الحساب ، وكل من هذا حاله فقد ثقلت موازينه ، فينبغى أن يكون بعد ظهور الرجحان فى الميزان وبعد الفراغ من الحساب فى عيشه راضية ، نعم التحاقه بأصحاب اليمين أو بالمقربين ونزوله فى جنات عدن أو فى الفردوس الأعلى ، فكذلك يتبع أصناف الإيمان ، لأن الإيمان إيمانان : تقليدى كإيمان العوام يصدقون بما يستمعون ويستمرون عليه ، وإيمان كشفى يحصل بانشراح الصدر بنور الله حتى ينكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه ، فيتضح أن الكل إلى الله مرجعه ومصيره ، إذ ليس فى الوجود إلا الله تعالى وصفاته وأفعاله ، فهذا الصنف هم المقربون النازلون فى الفردوس الأعلى ، وهم على غاية القرب من الملأ الأعلى ، وهم أيضا على أصناف : فمنهم السابقون ومنهم من دونهم ؛ وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى : ودرجات العارفين فى المعرفة بالله تعالى لا تنحصر ، إذ الإحاطة بكنه جلال الله غير ممكنة وبحر المعرفة ليس له ساحل وعمق وإنما يغوص فيه الغواصون بقدر قواهم وبقدر ما سبق لهم من الله تعالى فى الأزل ؛ فالطريق إلى الله تعالى لا نهاية لمنازله ؛ فالسالكون سبيل الله لا نهاية لدرجاتهم . وأما المؤمن إيمانا تقليديا فمن أصحاب اليمين ودرجته دون درجة المقربين ، وهم أيضا على درجات ؛ فالأعلى من درجات أصحاب اليمين تقارب رتبته رتبة الأدنى من درجات المقربين ، هذا حال من اجتنب كل الكبائر وأدى الفرائض كلها - أعنى الأركان الخمسة التى هى النطق بكلمة الشهادة باللسان والصلاة والزكاة والصوم والحج ؛ فأما من ارتكب كبيرة أو كبائر أو أهمل بعض أركان الإسلام ، فإن تاب توبة نصوحا قبل قرب الأجل التحق بمن لم يرتكب ، لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والثوب المغسول كالذى لم يتوسخ أصلا ، وإن مات قبل التوبة فهذا أمر مخطر عند الموت ، إذ ربما يكون موته على الإصرار سبباً لتزلزل إيمانه فيختم له بسوء الخاتمة ، لا سيما إذا كان إيمانه تقليديا ، فإن التقليد وإن كان جزما فهو قابل للانحلال

(١) حديث « سبقت رحمتى غضبى » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة .

بأدنى شك وخيال ، والعارف البصير أبعد أن يخاف عليه سوء الخاتمة وكلاهما إن ماتا على الإيمان يعذبان إلا أن يعفو الله عذابا يزيد على عذاب المناقشة فى الحساب ، ، وتكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب كثرة مدة الإصرار ، ومن حيث الشدة بحسب قبح الكبائر ، ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف أصناف السيئات، وعند انقضاء مدة العذاب ينزل البله المقلدون فى درجات أصحاب اليمين ، والعارفون المستبصرون فى أعلى عليين ؛ ففى الخبر « آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف [1] » فلا تظن أن المراد به تقديره بالمساحة لأطراف الأجسام ، كأن يقابل فرسخ بفرسخين أو عشرة بعشرين ؛ فإن هذا جهل بطريق ضرب الأمثال، بل هذا كقول القائل : أخذمنه جملا وأعطاه عشرة أمثاله ، وكان الجمل يساوى عشرة دنانير فأعطاه مائة دينار ؛ فإن لم يفهم من المثل إلا المثل فى الوزن والثقل فلا تكون مائة دينار لو وضعت فى كفة الميزان والجمل فى الكفة الأخرى عشر عشيره ، بل هو موازنة معانى الأجسام وأرواحها دون أشخاصها وهياكلها ؛ فإن الجمل لا يقصد لثقله وطوله وعرضه ومساحته بل لماليته ، فروحه المالية وجسمه اللحم والدم ومائة دينار عشرة أمثاله بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسمانية ، وهذا صادق عند من يعرف روح المالية من الذهب والفضة ، بل لو أعطاه جوهرة وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال : أعطيته عشرة أمثاله ، كان صادقا ، ولكن لا يدرك صدقه إلا الجوهريون ؛ فإن روح الجوهرية لا تدرك بمجرد البصر بل بفطنة أخرى وراء البصر ، فلذلك يكذب به الصبى بل القروى والبدوى ويقول: ما هذه الجوهرة إلا حجر وزنه مثقال ، ووزن الجمل ألف ألف مثقال فقد كذب فى قوله : إنى أعطيته عشرة أمثاله، والكاذب بالتحقيق هو الصبى ولكن لا سبيل إلى تحقيق ذلك عنده إلا بأن ينتظر به البلوغ والكمال وأن يحصل فى قلبه النور الذى يدرك به أرواح الجواهر وسائر الأموال ، فعند ذلك ينكشف له الصدق ، والعارف عاجز عن تفهيم المقلد القاصر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الموازنة ، إذ يقول صلى الله عليه وسلم « الجنة فى السموات [2] » كما ورد فى الأخبار والسموات من الدنيا فكيف يكون عشرة أمثال الدنيا فى الدنيا ، وهذا كما يعجز البالغ عن تفهيم الصبى تلك الموازنة ، وكذلك تفهيم البدوى وكما أن الجوهرى مرحوم إذا بلى بالبدوى والقروى فى تفهيم تلك الموازنة ، فالعارف مرحوم إذ بلى بالبليد الأبله فى تفهيم هذه الموازنة ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « ارحموا ثلاثة : عالما بين الجهال ، وغنى قوم افتقر ، وعزيز قوم ذل [3] » والأنبياء مرحومون بين الأمة بهذا السبب ، ومقاساتهم لقصور عقول الأمة فتنة لهم وامتحان وابتلاء من الله وبلاء موكل بهم سبق بتوكيله القضاء الأزلى ، وهو المعنى بقوله عليه الصلاة والسلام « البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل [4] » فلا تظنن أن البلاء بلاء أيوب عليه السلام وهو الذى ينزل بالبدن ؛ فإن بلاء نوح عليه السلام أيضا من البلاء العظيم ، إذ بلى بجماعة كان لا يزيدهم دعاؤه إلى الله إلا فرارا ، ولذلك لما تأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام بعض الناس قال « رحم الله أخى موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر [5] » فإذن لا تخلو الأنبياء

---

(١) حديث « إن آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف » متفق عليه من حديث ابن مسعود .

(٢) حديث كون الجنة فى السموات : أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة فى أثناء حديث فيه « فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن » (٣) حديث « ارحموا ثلاثة : عالما بين الجهال ... الحديث » أخرجه ابن حبان فى الضعفاء من رواية عيسى بن طهمان عن أنس ، وعيسى ضعيف ، ورواه فيه من حديث ابن عباس إلا أنه قال « عالم تلاعب به الصبيان » وفيه أبو البخترى واسمه وهب بن وهب أحد الكذابين . (٤) حديث « البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل » أخرجه الترمذى وصححه ، والنسائى فى الكبرى ، وابن ماجه من حديث سعد بن أبى وقاص وقال : قلت يارسول الله أى الناس أشد بلاء ؟ فذكره دون ذكر الأولياء والطبرانى من حديث فاطمة « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ... الحديث » . (٥) حديث « رحم الله أخى موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر » أخرجه البخارى من حديث ابن مسعود.

عن الابتلاء بالجاحدين ، ولا تخلو الأولياء والعلماء عن الابتلاء بالجاهلين ، ولذلك قلما ينفك الأولياء عن ضروب من الإيذاء وأنواع البلاء بالإخراج من البلاد والسعاية بهم إلى السلاطين والشهادة عليهم بالكفر والخروج عن الدين ؛ وواجب أن يكون أهل المعرفة عند أهل الجهل من الكافرين ، كما يجب أن يكون المعتاض عن الجمل الكبير جوهرة صغيرة عند الجاهلين من المبذرين المضيعين ، فإذا عرفت هذه الدقائق فآمن بقوله عليه الصلاة والسلام « إنه يعطى آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات » وإياك أن تقتصر بتصديقك على ما يدركه البصر والحواس فقط فتكون حمارا برجلين ، لأن الحمار يشاركك فى الحواس الخمس وإنما أنت مفارق للحمار بسر إلهى عرض على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنه وأشفقن منه ، فإدراك ما يخرج عن عالم الحواس الخمس لا يصادف إلا فى عالم ذلك السر الذى فارقت به الحمار وسائر البهائم ؛ فمن ذهل عن ذلك وعطله وأهمله وقنع بدرجة البهائم ولم يجاوز المحسوسات فهو الذى أهلك نفسه بتعطيلها ونسيها بالإعراض عنها ، فلا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، فكل من لم يعرف إلا المدرك بالحواس فقد نسى الله ، إذ ليس ذات الله مدركا فى هذا العالم بالحواس الخمس ، وكل من نسى الله أنساه الله ـ لامحالة ـ نفسه ونزل إلى رتبة البهائم وترك النرقى إلى الأفق الأعلى وخان فى الأمانة التى أودعه الله تعالى وأنعم عليه كافرا لأنعمه ومتعرضا لنقمته إلا أنه أسوأ حالا من البهيمة ، فإن البهيمة تتخلص بالموت . وأما هذا فعنده أمانة سترجع لا محالة إلى مودعها ، فإليه مرجع الأمانة ومصيرها وتلك الأمانة كالشمس الزاهرة وإنما هبطت إلى هذه القالب الفانى وغربت فيه ، وستطلع هذه الشمس عند خراب هذا القالب من مغربها وتعود إلى بارئها وخالقها إما مظلمة منكسفة وإما زاهرة مشرقة . والزاهرة المشرقة غير محجوبة عن حضرة الربوبية ، والمظلمة أيضا راجعة إلى الحضرة ، إذ المرجع والمصير للكل إليه إلا أنها ناكسة رأسها عن جهة أعلى عليين إلى جهة أسفل سافلين ، ولذلك قال تعالى ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ﴾ فبين أنهم عند ربهم إلا أنهم منكوسون قد انقلبت وجوههم إلى أقفيتهم وانتكست رءوسهم عن جهة فوق إلى جهة أسفل ، وذلك حكم الله فيمن حرمه توفيقه ولم يهده طريقه ؛ فنعوذ بالله من الضلال والنزول إلى منازل الجهال ؛ فهذا حكم انقسام من يخرج من النار ويعطى مثل عشرة أمثال الدنيا أو أكثر ، ولا يخرج من النار إلا موحد . ولست أعنى بالتوحيد أن يقول بلسانه لا إله إلا الله ، فإن اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينفع إلا فى عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته وأيدى الغانمين عن ماله ، ومدة الرقبة والمال مدة الحياة ، بحيث لا تبقى رقبة ولا مال لا ينفع القول باللسان ، وإنما ينفع الصدق فى التوحيد وكمال التوحيد أن لا يرى الأمور كلها إلا من الله . وعلامته أن لا يغضب على أحد من الخلق بما يجرى عليه ، إذ لا يرى الوسائط وإنما يرى مسبب الأسباب كما سيأتى تحقيقه فى التوكل ، وهذا التوحيد متفاوت ، فمن الناس من له من التوحيد مثل الجبال ، ومنهم من له مثقال . ومنهم من له مقدار خردلة وذرة ، فمن فى قلبه مثقال دينار من إيمان فهو أول من يخرج من النار . وفى الخبر يقال « أخرجوا من النار من فى قلبه مثقال دينار من إيمان [1] » وآخر من يخرج من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان ، وما بين المثقال والذرة على قدر تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقال وبين طبقة الذرة ، والموازنة بالمثقال والذرة على سبيل ضرب المثل كما ذكرنا فى الموازنة بين أعيان الأموال وبين النقود ، وأكثر ما يدخل الموحدين النار مظالم العباد ، فديوان العباد هو الديوان الذى لا يترك ، فأما بقية السيئات فيتسارع العفو والتكفير إليها ، ففى الأثر « إن العبد

(١) حديث « أخرجوا من النار من فى قلبه مثقال دينار من إيمان » الحديث تقدم .

ليوقف بين يدى الله تعالى وله من الحسنات أمثال الجبال لو سلمت له لكان من أهل الجنة ، فيقوم أصحاب المظالم فيكون قد سب عرض هذا وأخذ مال هذا وضرب هذا فيقضى من حسناته حتى لاتبقى له حسنة ، فتقول الملائكة ياربنا هذا قد فنيت حسناته وبقى طالبون كثير ، فيقول الله تعالى : ألقوا من سيئاتهم على سيئاته وصكوا له صكا إلى النار ، وكما يهلك هو بسيئة غيره بطريق القصاص فكذلك ينجو المظلوم بحسنة الظالم ، إذ ينقل إليه عوضا عما ظلم به وقد حكى عن ابن الجلاء أن بعض إخوانه اغتابه ثم أرسل إليه يستحله فقال : لاأفعل ، ليس فى صحيفتى حسنة أفضل منها فكيف أمحوها . وقال هو وغيره : ذنوب إخوانى من حسناتى أريد أن أزين بها صحيفتى ، فهذا ماأردنا أن نذكره من اختلاف العباد فى المعاد فى درجات السعادة والشقاوة ، وكل ذلك حكم بظاهر أسباب يضاهى حكم الطبيب على مريض بأنه يموت لامحالة ولا يقبل العلاج ، وعلى مريض آخر بأن عارضه خفيف وعلاجه هين ، فإن ذلك ظن يصيب فى أكثر الأحوال ، ولكن قد تثوب إلى المشرف على الهلاك نفسه من حيث لايشعر الطبيب ، وقد يساق إلى ذى العارض الخفيف أجله من حيث لايطلع عليه ، وذلك من أسرار الله تعالى الخفية فى أرواح الأحياء وغموض الأسباب التى رتبها مسبب الأسباب بقدر معلوم ، إذ ليس فى قوة البشر الوقوف على كنهها ، فكذلك النجاة والفوز فى الآخرة لها أسباب خفية ليس فى قوة البشر الاطلاع عليها ، يعبر عن ذلك السبب الخفى المفضى إلى النجاة بالعفو والرضا وعما يفضى إلى الهلاك بالغضب والانتقام ، ووراء ذلك سر المشيئة الإلهية الأزلية التى لايطلع الخلق عليها ، فلذلك يجب علينا أن نجوز العفو عن العاصى وإن كثرت سيئاته الظاهرة والغضب على المطيع وإن كثرت طاعاته الظاهرة ؛ فإن الاعتماد على التقوى والتقوى فى القلب ، وهو أغمض من أن يطلع عليه صاحبه فكيف غيره ، ولكن قد انكشف لأرباب القلوب أنه لاعفو عن عبد إلا بسبب خفى فيه يقتضى العفو ، ولا غضب إلا بسبب باطن يقتضى البعد عن الله تعالى ، ولولا ذلك لم يكن العفو والغضب جزاء على الأعمال والأوصاف ، ولو لم يكن جزاء لم يكن عدلا ، ولو لم يكن عدلا لم يصح قوله تعالى ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ ولا قوله تعالى ﴿ إن الله لايظلم مثقال ذرة ﴾ وكل ذلك صحيح ، فليس للإنسان إلا ماسعى ، وسعيه هو الذى يرى ، وكل نفس بما كسبت رهينه ، فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ، ولما غيروا مابأنفسهم غير الله مابهم ، تحقيقا لقوله تعالى ﴿ إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ماباأنفسهم ﴾ وهذا كله قد انكشف لأرباب القلوب انكشافا أوضح من المشاهدة بالبصر ، إذ للبصر يمكن الغلط فيه ، إذ قد يرى البعيد قريبا والكبير صغيرا . ومشاهدة القلب لايمكن الغلط فيها ، وإنما الشأن فى انفتاح بصيرة القلب ، وإلا فما يرى بها بعد الانفتاح فلا يتصور فيه الكذب ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ ما كذب الفؤاد مارأى ﴾ .

(الرتبة الثالثة) رتبة الناجين ، وأعنى بالنجاة السلامة فقط دون السعادة والفوز ، وهم قوم لم يخدموا فيخلع عليهم ولم يقصروا فيعذبوا ، ويشبه أن يكون هذا حال المجانين والصبيان من الكفار والمعتوهين والذين لم تبلغهم الدعوة فى أطراف البلاد ، وعاشوا على البله وعدم المعرفة فلم يكن لهم معرفة ولا جحود ولا طاعة ولا معصية فلا وسيلة تقربهم ولا جناية تبعدهم ، فهم من أهل الجنة ولا من أهل النار ، بل ينزلون فى منزلة بين المنزلتين ومقام بين المقامين عبر الشرع عنه بالأعراف ، وحلول طائفة من الخلق [1] فيه معلوم يقينا من الآيات والأخبار ومن

---

(١) حديث حلول طائفة من الخلق الأعراف : أخرجه البزار من حديث أبى سعيد الخدرى : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال « هم رجال قتلوا فى سبيل الله وهم عصاة لآبائهم فمنعتهم الشهادة أن يدخلوا النار ومنعتهم المعصية أن يدخلوا الجنة ، وهم على سور بين الجنة والنار ... الحديث » وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف. ورواه الطبرانى من رواية =

أنوار الاعتبار ، فأما الحكم على العين كالحكم مثلا بأن الصبيان منهم ؛ فهذا مظنون وليس بمستيقن ؛ والاطلاع عليه تحقيقا فى عالم النبوة ؛ ويبعد أن ترتقى إليه رتبة الأولياء والعلماء ، والأخبار فى حق الصبيان أيضا متعارضة . حتى قالت عائشة رضى الله عنها لما مات بعض الصبيان : عصفور من عصافير الجنة ، فأنكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « وما يدريك » (١) فإذن الإشكال والاشتباه أغلب فى هذا المقام .

(الرتبة الرابعة) رتبة الفائزين وهم العارفون دون المقلدين ، وهم المقربون السابقون ؛ فإن المقلد وإن كان له فوز على الجملة بمقام فى الجنة فهو من أصحاب اليمين وهؤلاء هم المقربون وما يلقى هؤلاء يجاوز حد البيان ، والقدر الممكن ذكره مافصله القرآن ، فليس بعد بيان الله بيان ، والذى لايمكن التعبير عنه فى هذا العالم فهو الذى أجمله قوله تعالى ﴿ فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين ﴾ وقوله عز وجل « أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » والعارفون مطلبهم تلك الحاله التى لايتصور أن تخطر على قلب بشر فى هذا العالم وأما الحور والقصور والفاكهة واللبن والعسل والخمر والحلى والأساور فإنهم لايحرصون عليها ولو اعطوها لم يقنعوا بها ، ولا يطلبون إلا لذة النظر إلى وجه الله تعالى الكريم فهى غاية السعادات ونهاية اللذات ولذلك قيل لرابعة العدوية رحمة الله عليها : كيف رغبتك فى الجنة ؟ فقالت : الجار ثم الدار ؛ فهؤلاء قوم شغلهم حب رب الدار عن الدار وزينتها ، بل عن كل شىء سواه حتى عن أنفسهم ، ومثالهم مثال العاشق المستهتر بمعشوقه المستوفى همه بالنظر إلى وجهه والفكر فيه ، فإنه فى حال الاستغراق غافل عن نفسه لايحس بما يصيبه فى بدنه ، ويعبر على هذه الحالة بأنه فنى عن نفسه ، ومعناه أنه صار مستغرقا بغيره وصارت همومه هما واحداً وهو محبوبه ، ولم يبق فيه متسع لغير محبوبه حتى يلتفت إليه لانفسه ولا غير نفسه ، وهذه الحاله هى التى توصل فى الآخرة إلى قرة عين لايتصور أن

= أبى معشر عن يحيى بن شبل عن عمر بن عبد الرحمن المدنى عن أبيه مختصرا ، وأبو معشر نجيح السندى ضعيف ، ويحيى بن شبل لايعرف . وللحاكم عن حذيفة قال : « أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت سيئاتهم عن الجنة ... الحديث وقال صحيح على شرط الشيخين . وروى الثعلبى عن ابن عباس قال : الأعراف موضع عال فى الصراط عليه العباس وحمزة وعلى وجعفر ... الحديث ، هذا كذب موضوع وفيه جماعة من الكذابين .

(١) حديث عائشة أنها قالت لما مات بعض الصبيان : عصفور من عصافير الجنة فأنكر ذلك رسول الله وقال « مايدريك » رواه مسلم ، قال المصنف : والأخبار فى حق الصبيان متعارضة . قلت : روى البخارى من حديث سمرة بن جندب فى رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم ، وفيه « وأما الرجل الطويل الذى فى الروضة فإبراهيم عليه السلام ، وأما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة » فقيل : يارسول الله ، وأولاد المشركين ؟ قال وأولاد المشركين » وللطبرانى من حديثه : سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال « هم خدمة أهل الجنة » وفيه عباد بن منصور الناجى قاضى البصرة ، وهو ضعيف يرويه عن عيسى ابن شعيب ، وقد ضعفه ابن حبان . وللنسائى من حديث الأسود بن سريع . كنا فى غزاة لنا .. الحديث فى قتل الذرية ، وفيه « ألا إن خياركم أبناء المشركين » ثم قال « لاتقتلوا ذرية وكل نسمة تولد على الفطرة ... الحديث » وإسناده صحيح ، وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة « كل مولود يولد على الفطرة ... الحديث » وفى رواية لأحمد « ليس مولود يولد إلا على هذه الملة » ولأبى داود فى آخر الحديث : يارسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير ؟ فقال « الله أعلم بما كانوا عاملين » وفى الصحيحين من حديث ابن عباس : سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال « الله أعلم بما كانوا عاملين » وللطبرانى من حديث ثابت بن الحارث الأنصارى : كانت يهودى إذا هلك لهم صبى صغير قالوا . هو صديق ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « كذبت يهود ، مامن نسمة يخلقها الله فى بطن أمه إلا أنه شقى أو سعيد ... الحديث » وفيه عبدالله بن لهيعة ، ولأبى داود من حديث ابن مسعود الوائدة والموءودة فى النار » وله من حديث عائشة : قلت يارسول الله ذرارى المؤمنين ؟ فقال « مع آبائهم » قلت : بلا عمل ؟ قال « الله أعلم بما كانوا عاملين » قلت : فذرارى المشركين ؟ قال « مع آبائهم » قلت : بلا عمل ؟ قال « الله أعلم بما كانوا عاملين » وللطبرانى من حديث خديجة : قلت يارسول الله أين أطفالى منك ؟ قال « فى الجنة » قلت : بلا عمل ؟ قال « الله أعلم بما كانوا عاملين » قلت : أطفالى قبلك ؟ قال « فى النار » قلت : بلا عمل ؟ قال « لقد علم الله ما كانوا عاملين » وإسناده منقطع بين عبد الله بن الحارث وخديجة . وفى الصحيحين من حديث الصعب بن جثامة فى أولاد المشركين « هم من آبائهم » وفى رواية « هم منهم »

تخطر فى هذا العالم على قلب بشر ، كما لايتصور أن تخطر صورة الألوان والألحان على قلب الأصم والأكمه ، إلا أن يرفع الحجاب عن سمعه وبصره ، فعند ذلك يدرك حاله ويعلم قطعاً أنه لم يتصور أن تخطر بباله قبل ذلك صورته فالدنيا حجاب على التحقيق ، وبرفعه ينكشف الغطاء ، فعند ذلك يدرك ذوق الحياة الطيبة ﴿ وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ فهذا القدر كاف فى بيان توزع الدرجات على الحسنات ، والله الموفق بلطفه .

بيان ماتعظم به الصغائر من الذنوب

اعلم أن الصغيرة تكبر بأسباب : منها الإصرار والمواظبة ، ولذلك قيل : لاصغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار ، فكبيرة واحدة تنصرم ولايتبعها مثلها لو تصور ذلك كان العفو عنها أرجى من صغيرة يواظب العبد عليها ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على توال فتؤثر فيه ، وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة واحدة لم يؤثر ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير الأعمال أدومها وإن قل [1] » والأشياء تستبان بأضدادها وإن كان النافع من العمل هو الدائم وإن قل فالكثير المنصرم قليل النفع فى تنوير القلب وتطهيره ، فكذلك القليل من السيئات إذا دام عظم تأثيره فى إظلام القلب ، إلا أن الكبيرة قلما يتصور الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغائر ، فقلما يزنى الزانى بغتة من غير مراودة ومقدمات ، وقلما يقتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة ، فكل كبيرة تكتنفها صغائر سابقة ولاحقة ، ولو تصورت كبيرة وحدها بغتة ولم يتفق إليها عود ربما كان العفو فيها أرجى من صغيرة واظب الإنسان عليها عمره . ومنها أن يستصغر الذنب فإن الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله تعالى ، لأن استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهيته له ، وذلك النفور يمنع من شدة تأثره به ، واستصغاره يصدر عن الألف به وذلك يوجب شدة الأثر فى القلب ، والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات ، والمحذور تسويده بالسيئات ، ولذلك لايؤاخذ بما يجرى عليه فى الغفلة فإن القلب لايتأثر بما يجرى فى الغفلة ، وقد جاء فى الخبر « المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه ، والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فأطاره [2] » وقال بعضهم : الذنب الذى لايغفر قول العبد : ليت كل ذنب عملته مثل هذا ، وإنما يعظم الذنب فى قلب المؤمن لعلمه بجلال الله ، فإذا نظر إلى عظم من عصى به رأى الصغيرة كبيرة ، وقد أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه : لاتنظر إلى قلة الهدية وانظر إلى عظم مهديها ، ولا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها ، وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين : لاصغيرة ، بل كل مخالفة فهى كبيرة ، وكذلك قال بعض الصحابة رضى الله عنهم للتابعين : وإنكم لتعملون أعمالا هى فى أعينكم أدق من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات ، إذ كانت معرفة الصحابة بجلال الله أتم ، فكانت الصغائر عندهم بالإضافة إلى جلال الله تعالى من الكبائر ، وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ، ويتجاوز عن العامى فى أمور لا يتجاوز فى أمثالها عن العارف ، لأن الذنب والمخالفة يكبر بقدر معرفة المخالف . ومنها السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة ، فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم أثرها فى تسويد قلبه ، حتى إن من المذنبين من يتمدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه بمقارفته إياه ،

---

(١) حديث « خير الأعمال أدومها وإن قل » متفق عليه من حديث عائشة بلفظ « أحب » وقد تقدم .

(٢) حديث « المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه ... الحديث » أخرجه البخارى ، من رواية الحارث بن سويد قال حدثنا عبد الله ابن مسعود حديثين : أحدهما عن النبى صلى الله عليه وسلم ، والآخر عن نفسه ، فذكر هذا وحديث « لله أفرح بتوبة العبد » ولم يبين المرفوع من الموقوف ، وقد رواه البيهقى فى الشعب من هذا .

كما يقول : أما رأيتنى كيف مزقت عرضه ، ويقول المناظر إني مناظرته : أما رأيتنى كيف فضحته وكيف ذكرت مساويه حتى أخجلته وكيف استخففت به وكيف لبست عليه ؟ ويقول المعامل فى التجارة : أمارأيت كيف روجت عليه الزائف وكيف خدعته وكيف غبنته فى ماله وكيف استحمقته ؟ فهذا وأمثاله تكبر به الصغائر فإن الذنوب مهلكات ، وإذا دفع العبد إليها وظفر الشيطان به فى الحمل عليها فينبغى أن يكون فى مصيبة وتأسف بسبب غلبة العدو عليه وبسبب بعده من الله تعالى ، فالمريض الذى يفرح بأن ينكسر إناؤه الذى فيه دواؤه حتى يتخلص من ألم شربه لايرجى شفاؤه ومنها أن يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وإمهاله إياه ولا يدرى أنه إنما يمهل مقتا ليزداد بالإمهال إثما ، فيظن أن تمكنه من المعاصى عناية من الله تعالى به ، فيكون ذلك لأمنه من مكر الله وجهله بمكامن الغرور بالله ، كما قال تعالى ﴿ ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ﴾ ومنها أن يأتى الذنب ويظهره بأن يذكره بعد إتيانه أو يأتيه فى مشهد غيره فإن ذلك جناية منه على ستر الله الذى سدله عليه وتحريك لرغبة الشر فيمن أسمعه ذنبه أو أشهده فعله ، فهما جنايتان انضمتا إلى جنايته فغلظت به ، فإن انضاف إلى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الأسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الأمر ، وفى الخبر « كل الناس معافى إلا المجاهرين بيت أحدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله ويتحدث بذنبه [1] » وهذا لأن من صفات الله ونعمه أنه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستر ؟ فالإظهار كفران لهذه النعمة . وقال بعضهم : لاتذنب فإن كان ولا بد فلا ترغب غيرك فيه فتذنب ذنبين ، ولذلك قال تعالى ﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ﴾ وقال بعض السلف : ما انتهك المرء من أخيه حرمة أعظم من أن يساعده على معصية ثم يهونها عليه . ومنها أن يكون المذنب عالما يقتدى به فإذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الإبريسم وركوبه مراكب الذهب ، وأخذه مال الشبهة من أموال السلاطين ، ودخوله على السلاطين وتردده عليهم ومساعدته إياهم بترك الإنكار عليهم وإطلاق اللسان فى الأعراض وتعديه باللسان فى المناظرة وقصده الاستخفاف واشتغاله من العلوم بما لايقصد منه إلا الجاه كعلم الجدل والمناظرة ، فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت العالم ويبقى شره مستطيرا فى العالم آماد متطاولة ، فطوبى لمن إذا مات ماتت ذنوبه معه . وفى الخبر « من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لاينقص من أوزارهم شيئاً [2] » قال تعالى ﴿ ونكتب ماقدموا وآثارهم ﴾ والآثار ما يلحق من الأعمال بعد انقضاء العمل والعامل وقال ابن عباس : ويل للعالم من الأتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها فى الآفاق . وقال بعضهم : مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق ويغرق أهلها . وفى الإسرائيليات : أن عالما كان يضل الناس بالبدعة ثم أدركته توبة فعمل فى الإصلاح دهرا ، فأوحى الله تعالى إلى نبيهم : قل له إن ذنبك لو كان فيما بينى وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن أضللت من عبادى فأدخلتهم النار ، فبهذا يتضح أن أمر العلماء مخطر فعليهم وظيفتان : إحداهما ترك الذنب ، والأخرى إخفاءه ، وكما تتضاعف أوزارهم على الذنوب فكذلك يتضاعف ثوابهم على الحسنات إذا اتبعوا . فإذا ترك التجمل والميل إلى الدنيا وقنع منها باليسير ومن الطعام بالقوت ومن الكسوة بالخلق فيتبع عليه ويقتدى به العلماء والعوام فيكون له مثل ثوابهم ، وإن مال إلى التجمل مالت طباع من دونه إلى التشبه به ، ولايقدرون على التجمل إلا بخدمة السلاطين

---

(١) حديث « كل الناس معافى إلا المجاهرين ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ « كل أمتى » وقد تقدم

(٢) حديث « من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها .. الحديث » أخرجه مسلم من حديث جرير بن عبد الله وقد تقدم فى آداب الكسب .

وجمع الحطام من الحرام ويكون هو السبب فى جميع ذلك ، فحركات العلماء فى طورى الزيادة والنقصان تتضاعف آثارها إما بالربح وإما بالخسران ، وهذا القدر كاف فى تفاصيل الذنوب التى التوبة توبة عنها .

الركن الثالث : فى تمام التوبة وشروطها ودوامها إلى آخر العمر

قد ذكرنا أن التوبة عبارة عن ندم يورث عزما وقصدا ، وذلك الندم أورثه العلم بكون المعاصى حائلا بينه وبين محبوبه ، ولكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وتمام ، ولتمامها علامة ، ولدوامها شرط فلا بد من بيانها : أما العلم فالنظر فيه نظر فى سبب التوبة وسيأتى . وأما الندم فهو توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب وعلامته طول الحسرة والحزن وانسكاب الدمع وطول البكاء والفكر ، فمن استشعر عقوبة نازلة بولده أو ببعض أعزته طال عليه مصيبته وبكاؤه ، وأى عزيز أعز عليه من نفسه وأى عقوبة أشد من النار وأى شىء أدل على نزول العقوبة من المعاصى وأى مخبر أصدق من الله ورسوله ؟ ولو حدثه إنسان واحد يسمى طبيبا : أن مرض ولده المريض لا يبرأ وأنه سيموت منه ، لطال فى الحال حزنه ، فليس ولده بأعز من نفسه ولا الطبيب بأعلم ولا أصدق من الله ورسوله ولا الموت بأشد من النار ولا المرض بأدل على الموت من المعاصى على سخط الله تعالى والتعرض بها للنار ، فألم الندم كلما كان أشد كان تكفير الذنوب به أرجى ، فعلامة صحة الندم رقة القلب وغزارة الدمع وفى الخبر « جالسوا التوابين فإنهم أرق أفئدة [1] » ومن علامته أن تتمكن مرارة تلك الذنوب فى قلبه بدلا عن حلاوتها فيستبدل بالميل كراهية وبالرغبة نفرة . وفى الإسرائيليات : إن الله سبحانه وتعالى قال لبعض أنبيائه ـ وقد سأله قبول توبة عبد بعد أن اجتهد سنين فى العبادة ولم ير قبول توبته فقال ـ وعزتى وجلالى لو شفع فيه أهل السموات والأرض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذى تاب منه فى قلبه .

فإن قلت : فالذنوب هى أعمال مشتهاة بالطبع فكيف يجد مرارتها ؟ فأقول : من تناول عسلا كان فيه سم ولم يدركه بالذوق واستلذه ثم مرض وطال مرضه وألمه وتناثر شعره وفلجت أعضاؤه فإذا قدم إليه عسل فيه مثل ذلك السم وهو فى غاية الجوع والشهوة للحلاوة فهل تنفر نفسه عن ذلك العسل أم لا ؟ فإن قلت : لا ، فهو جحد للمشاهدة والضرورة ، بل ربما تنفر عن العسل الذى ليس فيه سم أيضا لشبهه به ، فوجدان التائب مرارة الذنب كذلك يكون ، وذلك لعلمه بأن كل ذنب فذوقه ذوق العسل وعمله عمل السم ، ولا تصح التوبة ولا تصدق إلا بمثل هذا الإيمان . ولما عز مثل هذا الإيمان عزت التوبة والتائبون ، فلا ترى إلا معرضا عن الله تعالى متهاونا بالذنوب مصرا عليها ، فهذا شرط تمام الندم وينبغى أن يدوم إلى الموت وينبغى أن يجد هذه المرارة فى جميع الذنوب وإن لم يكن قد ارتكبها من قبل ، كما يجد متناول السم فى العسل النفرة من الماء البارد مهما علم أن فيه مثل ذلك السم ، إذ لم يكن ضرره من العسل بل مما فيه ، ولم يكن ضرر التائب من سرقته وزناه من حيث إنه سرقة وزنا بل من حيث إنه من مخالفة أمر الله تعالى وذلك جار فى كل ذنب . وأما القصد الذى ينبعث منه وهو إرادة التدارك فله تعلق بالحال ؛ وهو يوجب ترك كل محظور هو ملابس له وأداء كل فرض هو متوجه عليه فى الحال . وله تعلق بالماضى ؛ وهو تدارك ما فرط . وبالمستقبل ؛ وهو دوام الطاعة ودوام ترك المعصية إلى الموت .

وشرط صحتها فيما يتعلق بالماضى أن يرد فكره إلى أول يوم بلغ فيه بالسن أو الاحتلام ويفتش عما مضى من

---

(١) حديث « جالسوا التوابين فإنهم أرق أفئدة » لم أجده مرفوعا وهو من قول عون بن عبد الله رواه ابن أبى الدنيا فى التوبة قال « جالسوا التوابين فإن رحمة الله إلى النادم أقرب » وقال أيضا « فالموعظة إلى قلوبهم أسرع وهم إلى الرقة أقرب » وقال أيضا « التائب أسرع دمعة وأرق قلبا » .

عمره سنة سنة وشهرا شهرا ويوما يوما ونفسا نفسا ، وينظر إلى الطاعات ما الذى قصر فيه منها ؟ وإلى المعاصى ما الذى قارفه منها ؟

فإن كان قد ترك صلاة أو صلاها فى ثوب نجس أو صلاها بنية غير صحيحة لجهلة بشرط النية فيقضيها عن آخرها ، فإن شك فى عدد مافاته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذى يستيقن أنه أداه ويقضى الباقى وله أن يأخذ فيه بغالب الظن ويصل إليه على سبيل التحرى والاجتهاد .

وأما الصوم فإن كان قد تركه فى سفر ولم يقضه أو أفطر عمدا أو نسى النية بالليل ولم يقض ؛ فيتعرف مجموع ذلك بالتحرى والاجتهاد ويشتغل بقضائه .

وأماالزكاة فيحسب جميع ماله وعدد السنين من أول ملكه - لا من زمان البلوغ فإن الزكاة واجبة فى مال الصبى - فيؤدى ما علم بغالب الظن أنه فى ذمته ، فإن أداه لا على وجه يوافق مذهبه بأن لم يصرف إلى الأصناف الثمانية اوأخرج البدل وهو على مذهب الشافعى رحمه الله تعالى فيقضى جميع ذلك ، فإن ذلك لا يجزيه أصلا ، وحساب الزكاة ومعرفة ذلك يطول ويحتاج فيه إلى تأمل شاف ويلزمه أن يسأل عن كيفية الخروج عنه من العلماء .

وأما الحج فإن كان قد استطاع فى بعض السنين ولم يتفق له الخروج والآن قد أفلس فعليه الخروج ، فإن لم يقدر مع الإفلاس فعليه أن يكتسب من الحلال قدر الزاد ، فإن لم يكن له كسب ولا مال فعليه أن يسأل الناس ليصرف إليه من الزكاة أو الصدقات مايحج به ، فإنه إن مات قبل الحج مات عاصيا قال عليه السلام « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا [1] » والعجز الطارئ بعد القدرة لا يسقط عنه الحج . فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها .

وأما المعاصى فيجب أن يفتش من أول بلوغه عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وسائر جوارحه ، ثم ينظر فى جميع أيامه وساعاته ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطلع على جميعها صغائرها وكبائرها ثم ينظر فيها فما كان من ذلك بينه وبين الله تعالى من حيث لا يتعلق بمظلمة العباد ، كنظر إلى غير محرم وقعود فى مسجد مع الجنابة ومس مصحف بغير وضوء واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع ملاه وغيره ذلك مما لا يتعلق بمظالم العباد ، فالتوبة عنها بالندم والتحسر عليها وبأن يحسب مقدارها من حيث الكبر ومن حيث المدة ويطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها فيأتى من الحسنات بمقدار تلك السيئات أخذا من قوله صلى الله عليه وسلم « اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها [2] » بل من قوله تعالى ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ فيكفر سماع الملاهى بسماع القرآن وبمجالس الذكر ، ويكفر القعود فى المسجد جنبا بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة ، ويكفر مس المصحف محدثا بإكرام المصحف وكثرة قراءة القرآن منه وكثرة تقبيله بأن يكتب مصحفا ويجعله وقفا ، ويكفر شرب الخمر بالتصدق بشراب حلال هو أطيب منه وأحب إليه ، وعد جميع المعاصى غير ممكن وإنما المقصود سلوك الطريق المضادة فإن المرض يعالج بضده ، فكل ظلمة ارتفعت إلى القلب بمعصية فلا يمحوها إلا نور يرتفع إليها بحسنة تضادها ، والمتضادات هى المتناسبات فلذلك ينبغى أن تمحى كل سيئة بحسنة من جنسها لكن تضادها ، فإن البياض يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة ، وهذا التدريج والتحقيق من التلطف فى طريق المحو فالرجاء فيه أصدق والثقة

---

(١) حديث «من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا ... الحديث» تقدم فى الحج (٢) حديث «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها» أخرجه الترمذى من حديث أبى ذر وصححه وتقدم أوله فى آداب الكسب وبعضه فى أوائل التوبة وتقدم فى رياضة النفس .

به أكثر من أن يواظب على نوع واحد من العبادات وإن كان ذلك أيضا مؤثرا فى المحو فهذا حكم مابينه وبين الله تعالى ويدل على أن الشيء يكفر بضده أن حب الدنيا رأس كل خطيئة وأثر اتباع الدنيا فى القلب السرو بها والحنين إليها فلا جرم كان كل أذى يصيب المسلم ينبو بسببه قلبه عن الدنيا يكون كفارة له ، إذ القلب يتجافى بالهموم والغموم عن دار الهموم قال صلى الله عليه وسلم « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهموم [1] » وفى لفظ آخر « إلا الهم بطلب المعيشة » وفى حديث عائشة رضى الله عنها « إذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له أعمال تكفرها أدخل الله تعالى عليه الهموم فتكون كفارة لذنوبه [2] » ويقال إنّ الهم الذى يدخل على القلب والعبد لا يعرف هو ظلمة الذنوب والهم بها ، وشعور القلب بوقفة الحساب وهول المطلع .

فإن قلت : هم الإنسان غالبا بماله وولده وجاهه وهو خطيئة فكيف يكون كفارة ؟ فاعلم أن الحب له خطيئة والحرمان عنه كفارة ولو تمتع به لتمت الخطيئة فقد روى أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه السلام فى السجن فقال له : كيف تركت الشيخ الكئيب ؟ فقال قد حزن عليك حزن مائة ثكلى قال : فماله عند الله ؟ قال : أجر مائة شهيد . فإذن الهموم أيضا مكفرات حقوق الله فهذا حكم مابينه وبين الله تعالى .

وأما مظالم العباد ففيها أيضا معصية وجناية على حق الله تعالى فإن الله تعالى نهى عن ظلم العباد أيضا ، فما يتعلق منه بحق الله تعالى تداركه بالندم والتحسر وترك مثله فى المستقبل والإتيان بالحسنات التى هى أضدادها ، فيقابل إيذاءه الناس بالإحسان إليهم ، ويكفر غصب أموالهم بالتصدق بملكه الحلال ، ويكفر تناول أعراضهم بالغيبة والقدح فيهم بالثناء على أهل الدين وإظهار مايعرف من خصال الخير من أقرانه وأمثاله ، ويكفر قتل النفوس بإعتاق الرقاب ـ لأن تلك إحياء إذ العبد مفقود لنفسه موجود لسيده والإعتاق إيجاد لايقدر الإنسان على أكثر منه فيقابل الإعدام بالإيجاد وبهذا تعرف أن ماذكرناه من سلوك طريق المضادة فى التكفير والمحو مشهود له فى الشرع حيث كفر القتل بإعتاق رقبة ، ثم إذا فعل ذلك كله لم يكفه مالم يخرج عن مظالم العباد ومظالم العباد إما فى النفوس أو الأموال أو الأعراض أو القلوب أعنى به الإيذاء المحض .

أما النفوس فإن جرى عليه قتل خطأ فتوبته بتسليم الدية ووصولها إلى المستحق إما منه أو من عاقلته وهو فى عهدة ذلك قبل الوصول . وإن كان عمدا موجبا للقصاص فبالقصاص ، فإن لم يعرف فيجب عليه أن يتعرف عند ولى الدم ويحكمه فى روحه فإن شاء عفا عنه وإن شاء قتله ولا تسقط عهدته إلا بهذا . ولا يجوز له الإخفاء وليس هذا كما لو زنى أو شرب أو سرق أو قطع الطريق أو باشر ما يجب عليه فيه حد الله تعالى فإنه لايلزمه فى التوبة أن يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس من الوالى استيفاء حق الله تعالى ، بل عليه أن يتستر بستر الله تعالى ويقيم حد الله على نفسه بأنواع المجاهدة والتعذيب ، فالعفو فى محض حقوق الله تعالى قريب من التائبين النادمين ، فإن أمر هذه إلى الوالى حتى أقام عليه الحد وقع موقعه وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله تعالى بدليل ماروى أن ماعز بن مالك أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله إنى قد ظلمت نفسى وزنيت وإنى أريد أن تطهرنى ! فرده فلما كان من الغد أتاه فقال : يا رسول الله إنى قد زنيت ! فرده الثانية فلما كان فى الثالثة أمر به فحفر له حفرة ثم أمر به

---

(١) حديث « من الذنوب ذنوب لايكفرها إلا الهموم » وفى لفظ آخر « إلا الهم فى طلب المعيشة » أخرجه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الحلية والخطيب فى التلخيص من حديث أبى هريرة بسند ضعيف تقدم فى النكاح .

(٢) حديث « اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له أعمال تكفرها أدخل الله عليه الهموم » وتقدم أيضا فى النكاح وهو عند أحمد من حديث عائشة بلفظ « ابتلاه الله بالحزن » .

فرجم ، فكان الناس فيه فريقين : فقائل يقول لقد هلك وأحاطت به خطيئته وقائل يقول ماتوبة أصدق من توبته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم [1] » وجاءت الغامدية فقالت : يارسول الله إنى قد زنيت فطهرنى ! فردها فلما كان من الغد قالت : يا رسول الله لم تردنى لعلك تريد أن تردنى كما رددت ماعزا ، فوالله إنى لحبلى : فقال صلى الله عليه وسلم « أما الآن فاذهبى حتى تضعى » فلما ولدت أتت بالصبى فى خرقة فقالت : هذا قد ولدته قال « اذهبى فأرضعيه حتى تفطميه » فلما فطمته أتت بالصبى وفى يده كسرة خبز فقالت : يانبى الله قد فطمته وقد أكل الطعام ! فدفع الصبى إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها ، فأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضح الدم على وجهه فسبها . فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبه إياها فقال « مهلا يا خالد فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له » ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت . [2] »

وأما القصاص وحد القذف : فلا بد من تحليل صاحبه المستحق فيه ، وإن كان المتناول مالا تناوله بغصب أو خيانة أو غبن فى معاملة بنوع تلبيس كترويج زائف أو ستر عيب من المبيع أو نقص أجرة أجير أو منع أجرته فكل ذلك يجب أن يفتش عنه لا من حد بلوغه بل من أول مدة وجوده ، فإن ما يجب فى مال الصبى يجب على الصبى إخراجه بعد البلوغ إن كان الولى قد قصر فيه فإن لم يفعل كان ظالما مطالباً به ، إذ يستوى فى الحقوق المالية الصبى والبالغ ، وليحاسب نفسه على الحبات والدوانق من أول يوم حياته إلى يوم توبته قبل أن يحاسب فى القيامة ، وليناقش قبل أن يناقش فمن لم يحاسب نفسه فى الدنيا طال فى الآخرة حسابه ، فإن حصل مجموع ما عليه بظن غالب ونوع من الاجتهاد يمكن فليكتبه وليكتب أسامى أصحاب المظالم واحداً واحدا وليطف فى نواحى العالم وليطلبهم وليستحلهم أو ليؤد حقوقهم ، وهذه التوبة تشق على الظلمة وعلى التجار فإنهم لا يقدرون على طلب المعاملين كلهم ولا على طلب ورثتهم ولكن على كل واحد منهم أن يفعل منه ما يقدر عليه فإن عجز فلا يبقى له طريق إلا أن يكثر من الحسنات حتى تفيض عنه يوم القيامة فتؤخذ حسناته وتوضع فى موازين أرباب المظالم ، ولكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فإنه إن لم تف بها حسناته حمل من سيئات أرباب المظالم فيهلك بسيئات غيره . فهذا طريق كل تائب فى رد المظالم وهذا يوجب استغراق العمر فى الحسنات لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف وذلك مما لا يعرف ؟ وربما يكون الأجل قريبا ؟ فينبغى أن يكون تشميره للحسنات والوقت ضيق أشد من تشميره الذى كان فى المعاصى فى متسع الأوقات . هذا حكم المظالم الثابتة فى ذمته .

أما أمواله الحاضرة فليرد إلى المالك ما يعرف له مالكا معينا وما لا يعرف له مالكا فعليه أن يتصدق به ، فإن اختلط الحلال بالحرام فعليه أن يعرف قدر الحرام بالاجتهاد ويتصدق بذلك المقدار كما سبق تفصيله فى كتاب الحلال والحرام .

وأما الجناية على القلوب بمشافهة الناس بما يسوؤهم أو يعيبهم فى الغيبة فيطلب كل من تعرض له بلسان أو آذى قلبه بفعل من أفعاله وليستحل واحدا واحدا منهم ومن مات أو غاب فقد فات أمره ولا يتدارك إلا بتكثير الحسنات لتؤخذ منه عوضا فى القيامة ، وأما من وجده وأحله بطيب قلب منه فذلك كفارته وعليه أن يعرفه قدر جنايته

---

(١) حديث : اعتراف ماعز بالزنا ورده صلى الله عليه وسلم حتى اعترف أربعا وقوله « لقد تاب توبة ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث بريدة بن الحصيب (٢) حديث الغامدية واعترافها بالزنا ورجمها وقوله صلى الله عليه وسلم « لقد تابت توبة ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث بريدة وهو بعض الذى قبله .

وتعرضه له فالاستحلال المبهم لا يكفى ، وربما لو عرف ذلك وكثرة تعديه عليه لم تطب نفسه بالإحلال وادخر ذلك فى القيامة ذخيرة يأخذها من حسناته أو يحمله من سيئاته ، فإن كان فى جملة جنايته على الغير مالو ذكره وعرفه لتأذى بمعرفته كزناه بجاريته أو أهله أو نسبته باللسان إلى عيب من خفايا عيوبه يعظم أذاه مهما شوفه به فقد انسد عليه طريق الاستحلال ، فليس له إلا أن يستحل منها ثم تبقى له مظلمة فليجبرها بالحسنات كما يجبر مظلمة الميت والغائب .

وأما الذكر والتعريف فهو سيئة جديدة يجب الاستحلال منها ، ومهما ذكر جنايته وعرفه المجنى عليه فلم تسمح نفسه بالاستحلال بقيت المظلمة عليه فإن هذا حقه ، فعليه أن يتلطف به ويسعى فى مهماته وأغراضه ويظهر من حبه والشفقة عليه ما يستميل به قلبه ، فإن الإنسان عبد الإحسان ، وكل من نفر بسيئة مال بحسنة فإذا طاب قلبه بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالإحلال ، فإن أبى إلا الإصرار فيكون تلطفه به واعتذاره إليه من جملة حسناته التى يمكن أن يجبر بها فى القيامة جنايته ، وليكن قدر سعيه فى فرحه وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه فى أذاه ، حتى إذا قاوم أحدهما الآخر أو زاد عليه أخذ ذلك منه عوضا فى القيامة بحكم الله به عليه ، كمن أتلف فى الدنيا مالا فجاء بمثله فامتنع من له المال من القبول وعن الإبراء فإن الحاكم يحكم عليه بالقبض منه شاء أم أبى ، فكذلك يحكم فى صعيد القيامة أحكم الحاكمين وأعدل المقسطين . وفى المتفق عليه من الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة ؟ قال : لا فقتله فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال له : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ قال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله عز وجل فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائباً مقبلا بقلبه إلى الله وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط ، فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه حكما بينهم فقال قيسوا مابين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة [1] » وفى رواية « فكان إلى القرية الصالحة أقرب منها بشبر فجعل من أهلها » وفى رواية « فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدى وإلى هذه أن تقربى وقال قيسوا مابينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له » فبهذا تعرف أنه لاخلاص إلا برجحان ميزان الحسنات ولو بمثقال ذرة فلا بد للتائب من تكثير الحسنات هذا حكم القصد المتعلق بالماضى .

وأما العزم المرتبط بالاستقبال فهو أن يعقد مع الله عقدا مؤكدا ويعاهده بعهد وثيق أن لايعود إلى تلك الذنوب ولا إلى أمثالها ، كالذى يعلم فى مرضه أن الفاكهة تضره مثلا فيعزم عزما جزما أنه لايتناول الفاكهة مالم يزل مرضه ، فإن هذا العزم يتأكد فى الحال وإن كان يتصور أن تغلبه الشهوة فى ثانى الحال ، ولكن لايكون تائباً مالم يتأكد عزمه فى الحال ، ولا يتصور أن يتم ذلك للتائب فى أول أمره إلا بالعزلة والصمت وقلة الأكل والنوم وإحراز قوت حلال ، فإن كان له مال موروث حلال أو كانت له حرفة يكتسب بها قدر الكفاية فليقتصر عليه ،

(١) حديث أبى سعيد الخدرى المتفق عليه « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين فسأل عن أعلم أهل الأرض .. الحديث » هو متفق عليه كما قال المصنف من حديث أبى سعيد .

فإن رأس المعاصى أكل الحرام فكيف يكون تائباً مع الإصرار عليه. ولا يكتفى بالحلال وترك الشبهات من لا يقدر على ترك الشهوات فى المأكولات والملبوسات ؟ وقد قال بعضهم من صدق فى ترك شهوة وجاهد نفسه لله سبع مرار لم يبتل بها . وقال آخر . من تاب من ذنب واستقام سبع سنين ، لم يعد إليه أبدا . ومن مهمات التائب إذا لم يكن عالما أن يتعلم مايجب عليه فى المستقبل ومايحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة ، وإن لم يؤثر العزلة لم تتم له الاستقامة المطلقة إلا أن يتوب عن بعض الذنوب ، كالذى يتوب عن الشرب والزنا والغصب مثلا ، وليست هذه توبة مطلقة

وقد قال بعض الناس إنّ هذه التوبة لاتصح ، وقال قائلون تصح ، ولفظ الصحة فى هذا المقام مجمل ، بل نقول لمن قال لاتصح : إن عنيت به أن تركه بعض الذنوب لايفيد أصلا بلا وجوده كعدمه فما أعظم خطأك ! فإنا نعلم أن كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب وقلتها سبب لقلته . ونقول لمن قال تصح إن أردت به أن التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولا يوصل إلى النجاة أو الفوز فهذا أيضا خطأ ! بل النجاة والفوز بترك الجميع . هذا حكم الظاهر ولسنا نتكلم فى خفايا أسرار عفو الله فإن قال من ذهب إلى أنها لاتصح إنى أردت به أن التوبة عبارة عن الندم . وإنما يندم على السرقة مثلا لكونها معصية لا لكونها سرقة ؛ ويستحيل أن يندم عليها دون الزنا إن كان توجعه لأجل المعصية فإنّ العلة شاملة لهما إذ من يتوجع على قتل ولده بالسيف يتوجع على قتله بالسكين لأنّ توجعه بفوات محبوبه سواء كان بالسيف أو بالسكين ، فكذلك توجع العبد بفوات محبوبه وذلك بالمعصية سواء عصى بالسرقة أو الزنا فكيف يتوجع على البعض دون البعض ؟ فالندم حالة يوجبها العلم بكون المعصية مفوتة للمحبوب من حيث إنها معصية فلا يتصوّر أن يكون على بعض المعاصى دون البعض ، ولو جاز هذا لجاز أن يتوب من شرب الخمر من أحد الدنين دون الآخر فإن استحال ذلك من حيث إن المعصية فى الخمرين واحد وإنما الدنان ظروف فكذلك أعيان المعاصى آلات للمعصية والمعصية من حيث مخالفة الأمر واحدة ، فإذن معنى عدم الصحة أن الله تعالى وعد التائبين رتبة وتلك الرتبة لاتنال إلا بالندم ولا يتصوّر الندم على بعض المتماثلات ، فهو كالملك المرتب على الإيجاب والقبول فإنه إذا لم يتم الإيجاب والقبول نقول إن العقد لايصح أى لم تترتب عليه الثمرة وهو الملك ، وتحقيق هذا أنّ ثمرة مجرّد الترك أن ينقطع عنه عقاب ماتركه وثمرة الندم تكفير ما سبق ، فترك السرقة لايكفر السرقة بل الندم عليها ولا يتصوّر الندم إلا لكونها معصية وذلك يعم جميع المعاصى ، وهو كلام مفهوم واقع يستنطق المنصف بتفصيل به ينكشف الغطاء .

فنقول : التوبة عن بعض الذنوب لاتخلو إما أن تكون عن الكبائر دون الصغائر ، أو عن الصغائر دون الكبائر ، أو عن كبيرة دون كبيرة . أما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فأمر ممكن لأنه يعلم أن الكبائر أعظم عند الله وأجلب لسخط الله ومقته ، والصغائر أقرب إلى تطرّق العفو إليها فلا يستحيل أن يتوب عن الأعظم ويتندم عليه ، كالذى يجنى على أهل الملك وحرمه ويجنى على دابته فيكون خائفا من الجناية على الأهل مستحقرا للجناية على الدابة ، والندم بحسب استعظام الذنب واعتقاد كونه مبعدا عن الله تعالى . وهذا ممكن وجوده فى الشرع فقد كثر التائبون فى الأعصار الخالية ولم يكن أحد منهم معصوما فلا تستدعى التوبة العصمة . والطبيب قد يحذر المريض العسل تحذيرا شديدا ، ويحذره السكر تحذيرا أخف منه على وجه يشعر معه أنه ربما لايظهر ضرر السكر أصلا ، فيتوب المريض بقوله عن العسل دون السكر فهذا غير محال وجوده وإن أكلهما جميعا بحكم شهوته ندم على أكل العسل دون السكر .

الثانى : أن يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا أيضا ممكن لاعتقاده أنّ بعض الكبائر أشدّ وأغلظ عند

الله ، كالذى يتوب عن القتل والنهب والظلم ومظالم العباد لعلمه أن ديوان العباد لايترك وما بينه وبين الله يتسارع العفو إليه ، فهذا أيضاً ممكن كما فى تفاوت الكبائر والصغائر ، لأنّ الكبائر أيضا متفاوتة فى أنفسها وفى اعتقاد مرتكبها ، ولذلك قد يتوب عن بعض الكبائر التى لاتتعلق بالعباد كما يتوب عن شرب الخمر دون الزنا مثلا ، إذ يتضح له أنّ الخمر مفتاح الشرور وأنه إذا زال عقله ارتكب جميع المعاصى وهو لايدرى فبحسب ترجح شرب الخمر عنده ينبعث منه خوف يوجب ذلك تركا فى المستقبل وندما على الماضى .

الثالث : أن يتوب عن صغيرة أو صغائر وهو مصر على كبيرة يعلم أنها كبيرة ، كالذى يتوب عن الغيبة أوعن النظر إلى غير المحرم أو مايجرى مجراه وهو مصر على شرب الخمر ، فهو أيضا ممكن ووجه إمكانه أنه مامن مؤمن إلا وهو خائف من معاصيه ونادم على فعله ندما إما ضعيفا وإما قويا ، ولكن تكون لذة نفسه فى تلك المعصية أقوى من ألم قلبه فى الخوف منها لأسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والغفلة ، وأسباب توجب قوة الشهوة فيكون الندم موجودا ولكن لايكون مليا بتحريك العزم ولاقويا عليه ، فإن سلم عن شهوة أقوى منه بأن لم يعارضه إلا ماهو أضعف قهر الخوف الشهوة وغلبها وأوجب ذلك ترك المعصية ، وقد تشتدضراوة الفاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر عنه ، وتكون له ضراوة ما بالغيبة وثلب الناس والنظر إلى غير المحرم ، وخوفه من الله قدبلغ مبلغا يقمع هذه الشهوة الضعيفة دون القوية فيوجب عليه جند الخوف انبعاث العزم للترك ؟ بل يقول هذا الفاسق فى نفسه ؛ إن قهرنى الشيطان بواسطة غلبة الشهوة فى بعض المعاصى فلاينبغى أن أخلع العذار وأرخى العنان بالكلية بل أجاهده فى بعض المعاصى ، فعسانى أغلبه فيكون قهرى له فى البعض كفارة لبعض ذنوبى . ولولم يتصور هذا لما تصور من الفاسق أن يصلى ويصوم ، ولقيل له إن كانت صلاتك لغير الله فلا تصح ، وإن كانت لله فاترك الفسق لله فإن أمر الله فيه واحد ، فلا يتصور أن تقصد بصلاتك التقرب إلى الله تعالى مالم تتقرب بترك الفسق؛ وهذا محال بأن يقول لله تعالى على أمران ولى على المخالفة فيهما عقوبتان ، وأناملى فى أحدهما بقهر الشيطان عاجز عنه فى الآخر ، فأنا أقهره فيما أقدر عليه ، وأرجو بمجاهدتى فيه أن يكفر عنى بعض ماعجزت عنه بفرط شهوتى فكيف لايتصور هذا وهو حال كل مسلم ؟ إذ لامسلم إلا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته ولاسبب له إلاهذا ، وإذا فهم هذا فهم أنّ غلبة الخوف للشهوة فى بعض الذنوب ممكن وجودها ، والخوف إذا كان من فعل ماض أورث الندم والندم يورث العزم وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « الندم توبة » ولم يشترط الندم على كل ذنب وقال « التائب من الذنب كمن لاذنب له » ولم يقل التائب من الذنوب كلها ، وبهذه المعانى تبين سقوط قول القائل إنّ التوبة عن بعض الذنوب غير ممكنة لأنها متماثلة فى حق الشهوة وفى حق التعرض إلى سخط الله تعالى ، نعم يجوز أن يتوب عن شرب الخمر دون النبيذ لتفاوتهما فى اقتضاء السخط ، ويتوب عن الكثير دون القليل لأنّ لكثرة الذنوب تأثيرا فى كثرة العقوبة فيساعد الشهوة بالقدر الذى يعجز عنه ويترك بعض شهوته لله تعالى ، كالمريض الذى حذره الطبيب الفاكهة فإنه قد يتناول قليلها ولكن لايستكثر منها ، فقد حصل من هذا أنه لايمكن أن يتوب عن شىء ولايتوب عن مثله بل لابدّ وأن يكون ماتاب عنه مخالفا لما بقى عليه إما فى شدّة المعصية وإما فى غلبة الشهوة ، وإذا حصل هذا التفاوت فى اعتقاد التائب تصور اختلاف حاله فى الخوف والندم ، فيتصور اختلاف حاله فى الترك فندمه على ذلك الذنب ووفاؤه بعزمه على الترك يلحقه بمن لم يذنب وإن لم يكن قد أطاع الله فى جميع الأوامر والنواهى .

فإن قلت هل تصح توبة العنين من الزنا الذى قارفه قبل طريان العنة ؟ فأقول لا ، لأنّ التوبة عبارة عن ندم

يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله ، ومالا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لابتركه إياه ، ولكنى أقول لو طرأ عليه بعد العنة كشف ومعرفة تحقق به ضرر الزنا الذى قارفه وثار منه احتراق وتحسر وندم بحيث لو كانت شهوة الوقاع به باقية لكانت حرقة الندم تقمع تلك الشهوة وتغلبها فإنى أرجو أن يكون ذلك مكفرا لذنبه وماحيا عنه سيئته ، إذ لاخلاف فى أنه لو تاب قبل طريان العنة ومات عقيب التوبة كان من التائبين وإن لم يطرأ عليه حالة تهيج فيها الشهوة وتتيسر أسباب قضاء الشهوة ، ولكنه تائب باعتبار أنّ ندمه بلغ مبلغا أوجب صرف قصده عن الزنا لوظهر قصده ، فإذن لايستحيل أن تبلغ قوة الندم فى حق العنين هذا المبلغ إلا أنه لايعرفه من نفسه ، فإن كل من لايشتهى شيئا يقدّر نفسه قادرا على تركه بأدنى خوف ، والله تعالى مطلع على ضميره وعلى مقدار ندمه فعساه يقبله منه ، بل الظاهر أنه يقبله .

والحقيقة فى هذا كله ترجع إلى ظلمة المعصية تنمحى عن القلب بشيئين ، أحدهما : حرقة الندم . والآخر : شدة المجاهدة بالترك فى المستقبل . وقد امتنعت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس محالا أن يقوى الندم بحيث يقوى على محوها دون المجاهدة ، ولولا هذا لقلنا إن التوبة لاتقبل مالم يعش التائب بعد التوبة مدة يجاهد نفسه فى عين تلك الشهوة مرات كثيرة ، وذلك مما لايدل ظاهر الشرع على اشتراطه أصلا .

فإن قلت : إذا فرضنا تائبين أحدهما سكنت نفسه عن النزوع إلى الذنب والآخر بقى فى نفسه نزوع إليه وهو يجاهدها ويمنعها فأيهما أفضل ؟ فاعلم أن هذا مما اختلف العلماء فيه ، فقال أحمد بن أبى الحوارى وأصحاب أبى سليمان الدارانى : إن المجاهد أفضل لأن له مع التوبة فضل الجهاد : وقال علماء البصرة : ذلك الآخر أفضل لأنه لوفتر فى توبته كان أقرب إلى السلامة من المجاهد الذى هو فى عرضة الفتور عن المجاهدة . وما قاله كل واحد من الفريقين لايخلو عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة .

والحق فيه أن الذى انقطع نزوع نفسه له حالتان (إحداهما) أن يكون انقطاع نزوعه إليها بفتور فى نفس الشهوة فقط ، فالمجاهد أفضل من هذا إذ تركه بالمجاهدة قد دل على قوة نفسه واستيلاء دينه على شهوته فهو دليل قاطع على قوة اليقين وعلى قوة الدين ؛ وأعنى بقوة الدين قوة الإرادة التى تنبعث بإشارة اليقين وتقمع الشهوة المنبعثة بإشارة الشياطين ، فهاتان قوتان تدل المجاهدة عليهما قطعا . وقول القائل إن هذا أسلم إذ لو فتر لا يعود إلى الذنب فهذا صحيح ، ولكن استعمال لفظ الأفضل فيه خطأ . وهو كقول القائل : العنين أفضل من الفحل لأنه فى أمن من خطر الشهوة ، والصبى أفضل من البالغ لأنه أسلم ، والمفلس أفضل من الملك القاهر القامع لأعدائه لأن المفلس لاعدو له والملك ربما يغلب مرّة وإن غلب مرّات ، وهذا كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر غير عالم بأن العز فى الأخطار وأن العلو شرطه اقتحام الأغرار . بل كقول القائل : الصياد الذى ليس له فرس ولا كلب أفضل فى صناعة الاصطياد وأعلى رتبة من صاحب الكلب والفرس ، لأنه آمن من أن يجمح به فرسه فتنكسر أعضاؤه عند السقوط على الأرض وآمن من أن يعضه الكلب ويعتدى عليه ، وهذا خطأ بل صاحب الفرس والكلب إذا كان قويا عالما بطريق تأديبها أعلى رتبة وأحرى بدرك سعادة الصيد .

(الحالة الثانية) أن يكون بطلان النزوع بسبب قوة اليقين وصدق المجاهدة السابقة إذ بلغ مبلغا قمع هيجان الشهوة حتى تأدبت بأدب الشرع ، فلا تهيج إلا بالإشارة من الدين وقد سكنت بسبب استيلاء الدين عليها . فهذا أعلى رتبة من المجاهد المقاسى لهيجان الشهوة وقمعها . وقول القائل : ليس لذلك فضل الجهاد قصور عن الإحاطة بمقصود

الجهاد فإن الجهاد كان مقصودا لعينه ، بل المقصود قطع ضراوة العدو حتى لا يستجرك إلى شهواته وإن عجز عن استجرارك فلا يصدك عن سلوك طريق الدين ، فإذا قهرته وحصلت المقصود فقد ظفرت وما دمت فى المجاهدة فأنت بعد فى طلب الظفر . ومثاله كمثال من قهر العدو واسترقه بالإضافة إلى من هو مشغول بالجهاد فى صف القتال ولا يدرى كيف يسلم . ومثاله أيضا مثال من علم كلب الصيد وراض الفرس فهما نائمان عنده بعد ترك الكلب الضراوة والفرس الجماح بالإضافة إلى من هو مشغول بمقاساة التأديب بعد ، ولقد زل فى هذا فريق فظنوا أن الجهاد هو المقصود الأقصى ولم يعلموا أن ذلك طلب للخلاص من عوائق الطريق . وظن آخرون أن قمع الشهوات وإماطتها بالكلية مقصود حتى جرب بعضهم نفسه فعجز عنه فقال : هذا محال ، فكذب بالشرع وسلك سبيل الإباحة واسترسل فى اتباع الشهوات . وكل ذلك جهل وضلال وقد قررنا ذلك فى كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات .

فإن قلت : فما قولك فى تائبين أحدهما نسى الذنب ولم يشتغل بالتفكر فيه والآخر جعله نصب عينه ولا يزال يتفكر فيه ويحترق ندما عليه فأيهما أفضل ؟ فاعلم أن هذا أيضا قد اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : حقيقة التوبة أن تنصب ذنبك بين عينيك . وقال آخر : حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك . وكل واحد من المذنبين عندنا على حق ولكن بالإضافة إلى حالين .

وكلام المتصوفة أبدا يكون قاصرا ، فإن عادة كل واحد منهم أن يخبر عن حال نفسه فقط ولا يهمه حال غيره فتختلف الأجوبة لاختلاف الأحوال ، وهذا نقصان بالإضافة إلى الهمة والإرادة والجد حيث يكون صاحبه مقصور النظر على حال نفسه لا يهمه أمر غيره ، إذ طريقه إلى الله نفسه ومنازله أحواله . وقد يكون طريق العبد إلى الله العلم فالطرق إلى الله تعالى كثيرة وإن كانت مختلفة فى القرب والبعد ، والله أعلم بمن هو أهدى سبيلا مع الاشتراك فى أصل الهداية ؟

فأقول : تصور الذنب وذكره والتفجع عليه كمال فى حق المبتدئ ، لأنه إذا نسيه لم يكثر احتراقه فلا تقوى إرادته وانبعاثه لسلوك الطريق ، لأن ذلك يستخرج منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع إلى مثله . فهو بالإضافة إلى الغافل كمال ولكنه بالإضافة إلى سالك الطريق نقصان فإنه شغل مانع عن سلوك الطريق . بل سالك الطريق ينبغى أن لا يعرج على غير السلوك ، فإن ظهر له مبادى الوصول وانكشف له أنوار المعرفة ولوامع الغيب استغرقه ذلك ولم يبق فيه متسع للالتفات إلى ما سبق من أحواله وهو الكمال . بل لو عاق المسافر عن الطريق إلى بلد من البلاد نهر حاجز طال تعب المسافر فى عبوره مدة من حيث إنه كان قد خرب جسره من قبل ، ولو جلس على شاطئ البحر بعد عبوره يبكى متأسفا على تخريبه الجسر كان هذا مانعا آخر اشتغل به بعد الفراغ من ذلك المانع . نعم إن لم يكن الوقت وقت الرحيل بأن كان ليلا فتعذر السلوك أو كان على طريقه أنهار وهو يخاف على نفسه أن يمر بها فليطل بالليل بكاؤه وحزنه على تخريب الجسر ليتأكد بطول الحزن عزمه على أن لا يعود إلى مثله ، فإن حصل له من التلبية ما وثق بنفسه أنه لا يعود إلى مثله فسلوك الطريق أولى به من الاشتغال بذكر تخريب الجسر والبكاء عليه ، وهذا لا يعرفه إلا من عرف الطريق والمقصد والعائق وطريق السلوك — وقد أشرنا إلى تلويحات منه فى كتاب العلم وفى ربع المهلكات — بل نقول شرط دوام التوبة أن يكون كثير الفكر فى النعيم فى الآخرة لتزيد رغبته ، ولكن إن كان شابا فلا ينبغى أن يطيل فكره فى كل ماله نظير فى الدنيا كالحور والقصور فإن ذلك الفكر ربما يحرك رغبته فيطلب العاجلة ولا يرضى بالآجلة . بل ينبغى أن يتفكر فى لذة النظر إلى وجه الله تعالى فقط فذلك لا نظير له فى الدنيا .

فكذلك تذكر الذنب قد يكون محركا للشهوة ،فالمبتدى أيضا قد يستضر به فيكون النسيان أفضل له عند ذلك . ولا يصدنك عن التصديق بهذا التحقيق ما يحكى لك من بكاء داود ونياحته عليه السلام ، فإن قياسك نفسك على الأنبياء قياس فى غاية الاعوجاج لأنهم قد ينزلون فى أقوالهم وأفعالهم إلى الدرجات اللائقة بأممهم ، فإنهم ما بعثوا إلا لإرشادهم فعليهم التلبس بما تنتفع أممهم بمشاهدته وإن كان ذلك نازلا عن ذروة مقامهم ، فلقد كان فى الشيوخ من لا يشير على مريده بنوع رياضة إلا ويخوض معه فيها وقد كان مستغنيا عنها لفراغه عن المجاهدة وتأديب النفس تسهيلا للأمر على المريد . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أما إنى لا أنسى ولكنى أنسى لأشرع [1] »وفى لفظ «إنما أسهو لأسن » . ولا تعجب من هذا فإن الأمم فى كنف شفقة الأنبياء كالصبيان فى كنف شفقة الآباء ، وكالمواشى فى كنف الرعاة . أما ترى الأب إذا أراد أن يستنطق ولده الصبي كيف ينزل إلى درجة نطق الصبي كما قال صلى الله عليه وسلم للحسن « كخ كخ [2] » لما أخذ تمرة من تمر الصدقة ووضعها فى فيه ؟ وما كانت فصاحته تقصر عن أن يقول ارم هذه التمرة فإنها حرام ، ولكنه لما علم أنه لا يفهم منطقه ترك الفصاحة ونزل إلى لكنته . بل الذى يعلم شاة أو طائرا يصوت به رغاء أو صفيرا تشبها بالبهيمة والطائر تلطفا فى تعليمه . فإياك أن تغفل عن أمثال هذه الدقائق فإنها مزلة أقدام العارفين فضلا عن الغافلين . نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه .

بيان أقسام العباد فى دوام التوبة

اعلم أن التائبين فى التوبة على أربع طبقات (الطبقة الأولى) أن يتوب العاصى ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره، فيتدارك مافرط من أمره ولا يحدث نفسه بالعود إلى ذنوبه إلا الزلات التى لاينفك البشر عنها فى العادات مهما لم يكن فى رتبة النبوة ، فهذا هو الاستقامة على التوبة ، وصاحبه هو السابق بالخيرات المستبدل بالسيئات حسنات واسم هذه التوبة : التوبة النصوح . واسم هذه النفس الساكنة : النفس المطمئنة ، التى ترجع إلى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين إليهم الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « سبق المفردون المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا [3] » فإن فيه إشارة إلى أنهم كانوا تحت أوزار وضعها الذكر عنهم . وأهل هذه الطبقة على رتب من حيث النزوع إلى الشهوات . فمن تائب سكنت شهواته تحت قهر المعرفة فمتر نزاعها ولم يشغله عن السلوك صرعها ، وإلى من لا ينفك عن منازعة النفس ولكنه ملى بمجاهدتها وردها .ثم تتفاوت درجات النزاع أيضا بالكثرة والقلة وباختلاف المدة وباختلاف الأنواع . وكذلك يختلفون من حيث طول العمر : فمن يختطف بموت قريبا من توبته يغبط على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة . ومن يمهل طال جهاده وصبره وتمادت استقامته وكثرت حسناته . وحال هذا أعلى وأفضل إذ كل سيئة فإنما تمحوها حسنة حتى قال بعض العلماء :إنما يكفر الذنب الذى ارتكبه العاصى أن يتمكن منه عشر مرات مع صدق الشهوة ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفا من الله تعالى ، واشتراط هذا بعيد وإن كان لا ينكر عظم أثره لو فرض . ولكن لاينبغى للمريد الضعيف أن يسلك هذا الطريق فتهيج الشهوة وتحضر الأسباب حتى يتمكن ثم يطمع فى الانكفاف ، فإنه لا يؤمن خروج عنان الشهوة عن

---

(١) حديث « أما إنى لا أنسى ولكن أنسى لأشرع » ذكره مالك بلاغا بغير إسناد وقال ابن عبد البر لايوجد فى الموطأ إلا مرسلا لاإسناد له وكذا قال حمزة الكتانى إنه لم يرد من غير طريق مالك وقال أبو طاهر الأنماطى : وقد طال بحثى عنه وسؤالى عنه للأئمة والحفاظ فلم أظفر به ولا سمعت عن أحد أنه ظفر به قال وادعى بعض طلبة الحديث أنه وقع له مسندا

(٢) حديث أنه قال للحسن « كخ كخ » لما أخذ تمرة من الصدقة ووضعها فى فيه : أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة وتقدم فى كتاب الحلال والحرام . (٣) حديث « سبق المفردون المستهترون بذكر الله ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة وحسنه وقد تقدم .

اختياره فيقدم على المعصية وينقض توبته . بل طريقها الفرار من ابتداء أسبابه الميسرة له حتى يسد طرقها على نفسه، ويسعى مع ذلك فى كسر شهوته بما يقدر عليه فبه تسلم توبته فى الابتداء .

(الطبقة الثانية) تائب سلك طريق الاستقامة فى أمهات الطاعات وترك كبائر الفواحش كلها ، إلا أنه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وتجريد قصد ولكن يبتلى بها فى مجارى أحواله من غير أن يقدم عزما على الإقدام عليها ، ولكنه كلما أقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف وجدد عزمه على أن يتشمر للاحتراز من أسبابها التى تعرّضه لها . وهذه النفس جديرة بأن تكون هى النفس اللوامة ، إذ تلوم صاحبها على ما تستهدف له من الأحوال الذميمة لا عن تصميم عزم وتخمين رأى وقصد ، وهذه أيضا رتبة عالية وإن كانت نازلة عن الطبقة الأولى ، وهى أغلب احوال التائبين لأن الشر معجون بطينة الآدمى قلما ينفك عنه ، وإنما غاية سعيه أن يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه فترجح كفة الحسنات ، فأما أن تخلو بالكلية كفة السيئات فذلك فى غاية البعد . وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى إذ قال تعالى ﴿ الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة ﴾ فكل إلمام يقع بصغيرة لا عن توطين نفسه عليه فهو جدير بأن يكون من اللمم المعفو عنه . قال تعالى ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ﴾ فأثنى عليهم مع ظلمهم لأنفسهم لتندمهم ولومهم أنفسهم عليه . وإلى مثل هذه الرتبة الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه على كرم الله وجهه « خياركم كل مفتن تواب [1] » وفى خبر آخر « المؤمن كالسنبلة يفىء أحيانا ويميل أحيانا [2] » وفى الخبر « لابد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة [3] » أى الحين بعد الحين . فكل ذلك أدلة قاطعة على أن هذا القدر لا ينقض التوبة ولا يلحق صاحبها بدرجة المصرين . ومن يؤيس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذى يؤيس الصحيح عن دوام الصحة بما يتناوله من الفواكه والأطعمة الحارة مرة بعد أخرى من غير مداومة واستمرار ، وكالفقيه الذى يؤيس المتفقه عن نيل درجة الفقهاء بفتوره عن التكرار والتعليق فى أوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة . وذلك يدل على نقصان الطبيب والفقيه . بل الفقيه فى الدين هو الذى لا يؤيس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومقارفة السيئات المختطفات قال النبى صلى الله عليه وسلم « كل بنى آدم خطاءون وخير الخطائين التوابون المستغفرون [4] » وقال تعالى ﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ﴾ فما وصفهم بعدم السيئة أصلا .

(الطبقة الثالثة) أن يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ، ثم تغلبه الشهوات فى بعض الذنوب فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة لعجزه عن قهر الشهوة ، إلا أنه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة ، وإنما قهرته هذه الشهوة الواحدة أو الشهوتان وهو يود لو أقدره الله تعالى على قمعها وكفاه شرها ، هذا أمنيته فى حال قضاء الشهوة عند الفراغ يتندم ويقول ليتنى لم أفعله وسأتوب عنه وأجاهد نفسى

---

(١) حديث على « خياركم كل مفتن تواب » أخرجه البيهقى فى الشعب بسند ضعيف (٢) حديث « المؤمن كالسنبلة تفىء أحيانا وتميل أحيانا » أخرجه أبو يعلى وابن حبان فى الضعفاء من حديث أنس والطبرانى من حديث عمار بن ياسر والبيهقى فى الشعب من حديث الحسن مرسلا وكلها ضعيفة وقالوا « تقوم » بدل « تفىء » وفى الأمثال للرامهرمزى بإسناد جيد لحديث أنس .

(٣) حديث « لابد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة » أخرجه الطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بأسانيد حسنة (٤) حديث « كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين المستغفرون » أخرجه الترمذى واستغربه والحاكم وصحح إسناده من حديث أنس وقال « التوابون » بدل « المستغفرون » قلت فيه على بن مسعدة ضعفه البخارى (٥) حديث « المؤمن واه رافع فخيرهم من مات على رفعه » أخرجه الطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث جابر بسند ضعيف وقالا « فسعيدهم » بدل « فخيرهم »

فى قهرها ، لكنه تسوّل نفسه ويسوف توبته مرة بعد أخرى ويوما بعد يوم . فهذه النفس هى التى تسمى : النفس المسوّلة ، وصاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ﴾ فأمره من حيث مواظبته على الطاعات وكراهته لما تعاطاه مرجو فعسى الله أن يتوب عليه ، وعاقبته مخطرة من حيث تسويفه وتأخيره ، فربما يختطف قبل التوبة ويقع أمره فى المشيئة فإن تداركه الله بفضله وجبر كسره وامتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين ، وإن غلبته شقوته وقهرته شهوته فيخشى أن يحق عليه فى الخاتمة ما سبق عليه من القول فى الأزل ، لأنه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاحتراز عن شواغل التعلم دل تعذره على أنه سبق له فى الأزل أن يكون من الجاهلين فيضعف الرجاء فى حقه ، وإذا يسرت له اسباب المواظبة على التحصيل دل على أنه سبق له فى الأزل أن يكون من جملة العالمين . فكذلك ارتباط سعادات الآخرة ودركاتها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الأسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الأغذية والأدوية ، وارتباط حصول فقه النفس الذى به تستحق المناصب العلية فى الدنيا بترك الكسل والمواظبة على تفقيه النفس ، فكما لايصلح لمنصب الرياسة والقضاء والتقدّم بالعلم إلا نفس صارت فقيهة بطول التفقيه فلا يصلح لملك الآخرة ونعيمها ولا القرب من رب العالمين إلا قلب سليم صار طاهرا بطول التزكية والتطهير . هكذا سبق فى الأزل بتدبير رب الأرباب . ولذلك قال تعالى ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ فمهما وقع العبد فى ذنب فصار الذنب نقدا والتوبة نسيئة كان هذا من علامات الخذلان . قال صلى الله عليه وسلم « إنّ العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس إنه من أهلها ولا يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها [1] » فإذن الخوف من الخاتمة قبل التوبة . وكل نفس فهو خاتمة ماقبله إذ يمكن أن يكون الموت متصلا به ، فليراقب الأنفاس وإلا وقع فى المحذور ودامت الحسرات حين لاينفع التحسر .

(الطبقة الرابعة) أن يتوب ويجرى مدة على الاستقامة ثم يعود إلى مقارفة الذنب أو الذنوب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة ومن غير أنّ يتأسف على فعله ، بل ينهمك انهماك الغافل فى اتباع شهواته فهذا من جملة المصرين ، وهذه النفس هى : النفس الأمارة بالسوء ، الفرارة من الخير ؛ ويخاف على هذا سوء الخاتمة وأمره فى مشيئة الله ، فإن ختم له بالسوء شقى شقاوة لا آخر لها وإن ختم له بالحسنى حتى مات على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين ، ولا يستحيل أن يشمله عموم العفو بسبب خفى لا تطلع عليه ، كما لا يستحل أن يدخل الإنسان خرابا ليجد كنزا فيتفق أن يجده ، وأن يجلس فى البيت ليجعله الله عالما بالعلوم من غير تعلم كما كان الأنبياء صلوات الله عليهم . فطلب المغفرة بالطاعات كطلب العلم بالجهد والتكرار ، وطلب المال بالتجارة وركوب البحار وطلبها بمجرّد الرجاء مع خراب الأعمال كطلب الكنوز فى المواضع الخربة وطلب العلوم من تعليم الملائكة ، وليت من اجتهد تعلم وليت من اتجر استغنى وليت من صام وصلى غفر له ، فالناس كلهم محرومون إلا العالمون والعالمون كلهم محرومون إلا العاملون والعاملون كلهم محرومون إلا المخلصون و المخلصون على خطر عظيم . وكما أن من خرب بيته وضيع ماله وترك نفسه وعياله جياعا يزعم أنه ينتظر فضل الله بأن يرزقه كنزا يجده تحت الأرض فى بيته الخرب يعدّ عنه ذوى البصائر من الحمق والمغرورين ـ وإن كان ماينتظره غير مستحيل فى قدرة الله تعالى وفضله ـ فكذلك من ينتظر

(١) حديث « ان العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة .. الحديث » متفق عليه من حديث سهل بن سعد دون قوله « سبعين سنة » ولمسلم من حديث أبى هريرة « إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ... الحديث » ولأحمد من رواية شهر بن حوشب عن أبى هريرة « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة » وشهر مختلف فيه .

المغفرة من فضل الى تعالى وهو مقصر عن الطاعة مصر على الذنوب غير سالك سبيل المغفرة يعد عند أرباب القلوب من المعتوهين . والعجب من عقل هذا المعتوه وترويجه حماقته فى صيغة حسنة إذ يقول : إن الله كريم وجنته ليست تضيق على مثلى ومعصيتى ليست تضره ، ثم تراه يركب البحار ويقتحم الأوعار فى طلب الدينار وإذا قيل له إن الله كريم ودنانير خزائنه ليست تقصر على فقرك ، وكسلك بترك التجارة ليس يضرك فاجلس فى بيتك فعساه يرزقك من حيث لاتحتسب فيستحمق قائل هذا الكلام ويستهزئ به ويقول : ماهذا الهوس ! السماء لاتمطر ذهبا ولافضة وإنما ينال ذلك بالكسب ، هكذا قدره مسبب الأسباب وأجرى به سنته ولاتبديل لسنة الله ، ولايعلم المغرور أن رب الآخرة ورب الدنيا واحد وأن سنته لاتبديل لها فيهما جميعا ، وأنه قد أخبر إذ قال ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ماسعى ﴾ فكيف يعتقد أنه كريم فى الآخرة وليس بكريم فى الدنيا ؟ وكيف يقول ليس مقتضى الكرم الفتور عن كسب المال ومقتضاه الفتور عن العمل للملك المقيم والنعيم الدائم ، وأن ذلك بحكم الكرم يعطيه من غير جهد فى الآخرة وهذا يمنعه مع شدة الاجتهاد فى غالب الأمر فى الدنيا ؟ وينسى قوله تعالى ﴿ وفى السماء رزقكم وما توعدون ﴾ فنعوذ بالله من العمى والضلال فما هذا إلا انتكاس على أم الرأس وانغماس فى ظلمات الجهل وصاحب هذا جدير بأن يكون داخلا تحت قوله تعالى ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا ﴾ أى أبصرنا أنك صدقت إذ قلت ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ فارجعنا نسعى وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب ويحق عليه العذاب فنعوذ بالله من دواعى الجهل والشك والارتياب السائق بالضرورة إلى سوء المنقلب والمآب .

بيان ما ينبغى أن يبادر إليه التائب إن جرى عليه ذنب
إما عن قصد وشهوة غالبة أو عن إلمام بحكم الاتفاق

اعلم أن الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضاده كما ذكرنا طريقه ، فإن لم تساعده النفس على العزم على الترك لغلبة الشهوة فقد عجز عن أحد الواجبين فلا ينبغى أن يترك الواجب الثانى وهو أن يدرأ بالحسنة السيئة ليمحوها فيكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا ، فالحسنات المكفرة للسيئات إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح ، ولتكن الحسنة فى محل السيئة وفيما يتعلق بأسبابها .

فأما بالقلب فليكفره بالتضرع إلى الله تعالى فى سؤال المغفرة والعفو ، ويتذلل تذلل العبد الآبق ، ويكون ذله بحيث يظهر لسائر العباد وذلك بنقصان كبره فيما بينهم ، فما للعبد الآبق المذنب وجه للتكبر على سائر العباد ، وكذلك يضمر بقلبه الخيرات للمسلمين والعزم على الطاعات .

وأما باللسان فبالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول : رب ظلمت نفسى وعملت سوءا فاغفر لى ذنوبى ، وكذلك يكثر من ضروب الاستغفار ـ كما أوردناه فى كتاب الدعوات والأذكار .

وأما بالجوارح فبالطاعات والصدقات وأنواع العبادات . وفى الآثار مايدل على أن الذنب إذا أتبع بثمانية أعمال كان العفو عنه مرجوا ؛ أربعة من أعمال القلوب وهى : التوبة أو العزم على التوبة ، وحب الإقلاع عن الذنب وتخوف العقاب عليه ، ورجاء المغفرة له . وأربعة من أعمال الجوارح وهى : أن تصلى عقيب الذنب ركعتين ثم تستغفر الله تعالى بعدهم سبعين مرة وتقول : سبحان الله العظيم وبحمده ، مائة مرة ثم تتصدق بصدقة ثم تصوم

يوما ، وفى بعض الآثار : تسبغ الوضوء وتدخل المسجد وتصلى ركعتين [١] وفى بعض الأخبار : تصلى أربع ركعات [٢] وفى الخبر « إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تكفرها ، السر بالسر والعلانية بالعلانيه [٣] » ولذلك قيل صدقة السر تكفر ذنوب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار . وفى الخبر الصحيح « أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى عالجت امرأة فأصبت منها كل شىء إلا المسيس فاقض على بحكم الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم « أو ماصليت معنا صلاة الغداة » قال : بلى ، فقال صلى الله عليه وسلم « إن الحسنات يذهبن السيئات [٤] » وهذا يدل على أنّ مادون الزنا من معالجة النساء صغيرة إذ جعل الصلاة كفارة له بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم « الصلوات الخمس كفارات لما بينهن إلا الكبائر » فعلى الأحوال كلها ينبغى أن يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته ويجتهد فى دفعها بالحسنات .

فإن قلت : فكيف يكون الاستغفار نافعا من غير حل عقدة الإصرار ، وفى الخبر « المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات الله [٥] » وكان بعضهم يقول أستغفر الله من قولى أستغفر الله ، وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين . وقالت رابعة العدوية : استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير ! فاعلم أنه قد ورد فى فضل الاستغفار أخبار خارجة عن الحصر ـ ذكرناها فى كتاب الأذكار والدعوات ـ حتى قرن الله الاستغفار ببقاء الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ فكان بعض الصحابة يقول : كان لنا أمانان ذهب أحدهما وهو كون الرسول فينا وبقى الاستغفار معنا فإن ذهب هلكنا [٦] فنقول : الاستغفار الذى هو توبة الكذابين هو الاستغفار بمجرّد اللسان من غير أن يكون للقلب فيه شركة ، كما يقول الإنسان بحكم العادة وعن رأس الغفلة أستغفر الله ، وكما يقول إذا سمع صفة النار نعوذ بالله منها من غير أن يتأثر به قلبه ، وهذا يرجع إلى مجرّد حركة اللسان ولا جدوى له ، فأما إذا انضاف إليه تضرع القلب إلى الله تعالى وابتهاله فى سؤال المغفرة عن صدق إرادة وخلوص نية ورغبة فهذه حسنة فى نفسها فتصلح لأن تدفع بها السيئة ، وعلى هذا تحمل الأخبار الواردة فى فضل الاستغفار حتى قال صلى الله عليه وسلم « ما أصر من استغفر ولو عاد فى اليوم سبعين مرة [٧] »

---

(١) أثر « إن من مكفرات الذنب أن تسبغ الوضوء وتدخل المسجد وتصلى ركعتين » أخرجه أصحاب السنن من حديث أبى بكر الصديق رضى الله عنه « مامن عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ثم يستغفر الله إلا غفر الله له » لفظ أبى داود وهو فى الكبرى للنسائى مرفوعا وموقوفا فلعل المصنف عبر بالأثر لارادة الموقوف فذكرته احتياطا والا فالآثار ليست من شرط كتابى

(٢) حديث : التكفير بصلاة أربع ركعات : أخرجه ابن مردويه فى التفسير والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس قال كان رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يهوى امرأة ... الحديث وفيه : فلما رآها جلس منها مجلس الرجل من امرأته وحرك ذكره فإذا هو مثل الهدبة فقام نادما فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « صل أربع ركعات » فأنزل الله عزوجل ﴿ وأقم الصلاة طرفى النهار ﴾ الآية وإسناده جيد .

(٣) حديث « إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث معاذ وفيه رجل لم يسم ورواه الطبرانى من رواية عطاء بن يسار عن معاذ ولم يلقه بلفظ « وما عملت من سوء فأحدث لله فيه توبة السر بالسر ... الحديث » (٤) حديث : أن رجلا قال يارسول الله إنى عالجت امرأة فأصبت منها كل شىء إلا المسيس ... الحديث فى نزول ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ متفق عليه من حديث ابن مسعود دون قوله « أو ماصليت معنا صلاة الغداة » ورواه مسلم من حديث أنس وفيه « هل حضرت معنا الصلاة » قال : نعم ، ومن حديث أبى أمامة وفيه « ثم شهدت الصلاة معنا » قال : نعم ... الحديث (٥) حديث « المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات الله » أخرجه ابن أبى الدنيا فى التوبة ومن طريقه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بلفظ « كالمستهزئ بربه » وسنده ضعيف .

(٦) حديث بعض الصحابة فى قوله تعالى ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴾ الآية « كان لنا أمانان ذهب أحدهما » أخرجه أحمد من قول أبى موسى الأشعرى ورفعه الترمذى من حديثه « أنزل الله على أمانين ... الحديث » وضعفه وابن مردويه فى تفسيره من قول ابن عباس (٧) حديث « ما أصر من استغفر ... الحديث » تقدم فى الدعوات .

وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب . وللتوبة والاستغفار درجات وأوائلها لاتخلو عن الفائدة وإن لم تنته إلى أواخرها ولذلك قال سهل : لابدّ للعبد فى كل حال من مولاه ، فأحسن أحواله أن يرجع إليه فى كل شىء فإن عصى قال يارب استر على ، فإذا فرغ من المعصية قال يارب تب على ، فإذا تاب قال يارب ارزقنى العصمة ، وإذا عمل قال يارب تقبل منى . وسئل أيضا عن الاستغفار الذى يكفر الذنوب فقال : أوّل الاستغفار الاستجابة ثم الإنابة ثم التوبة ، فالاستجابة أعمال الجوارح والإنابة أعمال القلوب والتوبة إقباله على مولاه بأن يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذى هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر ، فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ثم التنقل إلى الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم الفكر ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو الخلة ، ولا يستقر هذا فى قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضا زاده والتوكل صاحبه ، ثم ينظر الله إليه فيرفعه إلى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش . وسئل أيضا عن قوله صلى الله عليه وسلم « التائب حبيب الله » فقال: إنما يكون حبيبا إذا كان فيه جميع ماذكر فى قوله تعالى ﴿ التائبون العابدون ﴾ الآية . وقال : الحبيب هو الذى لايدخل فيما يكرهه حبيبه .

والمقصود أن للتوبة ثمرتين (إحداهما) تكفير السيئات حتى يصير كمن لاذنب له (والثانية) نيل الدرجات حتى يصير حبيبا . وللتكفير أيضا درجات : فبعضه محو لأصل الذنب بالكلية وبعضه تخفيف له ، ويتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة ، فالاستغفار بالقلب والتدارك بالحسنات ـ وإن خلا عن حل عقدة الإصرار . من أوائل الدرجات ـ فليس يخلو عن الفائدة أصلا ، فلا ينبغى أن تظن أن وجودها كعدمها . بل عرف أهل المشاهدة وأرباب القلوب معرفة لاريب فيها أن قول الله تعالى ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ﴾ صدق وأنه لاتخلو ذرة من الخير عن أثر ، كما لا تخلو شعيرة تطرح فى الميزان عن أثر ، ولو خلت الشعيرة الأولى عن أثر لكانت الثانية مثلها ولكان لايرجح الميزان بأحمال الذرّات وذلك بالضرورة محال ، بل ميزان الحسنات يرجح بذرات الخير إلى أن يثقل فترفع كفة السيئات ، فإياك أن تستصغر ذرات الطاعات فلا تأتيها وذرات المعاصى فلا تتقيها كالمرأة الخرقاء تكسل عن الغزل تعللا بأنها لاتقدر فى كل ساعة إلا على خيط واحد وتقول : أى غنى يحصل بخيط وماوقع ذلك فى الثياب ؟ ولاتدرى المعتوهة أن ثياب الدنيا اجتمعت خيطا خيطا وأن أجسام العالم مع اتساع أقطاره اجتمعت ذرة ذرة . فإذن التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لاتضيع عند الله أصلا . بل أقول : الاستغفار باللسان أيضا حسنة إذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان فى تلك الساعة بغيبة مسلم أو فضول كلام ، بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالإضافة إلى السكوت عنه وإنما يكون نقصانا بالإضافة إلى عمل القلب . ولذلك قال بعضهم لشيخه أبى عثمان المغربى : إن لسانى فى بعض الأحوال يجرى بالذكر والقرآن وقلبى غافل . فقال : اشكر الله إذ استعمل جارحة من جوارحك فى الخير وعوّده الذكر ولم يستعمله فى الشر ولم يعوده الفضول . وماذكره حق فإن تعوّد الجوارح للخير حتى يصير لها ذلك كالطبع يدفع جملة من المعاصى . فمن تعوّد لسانه الاستغفار إذا سمع من غيره كذبا ؛ سبق لسانه إلى ما تعوّد فقال: استغفر الله . ومن تعوّد الفضول سبق لسانه إلى قول ما أحمقك وما أقبح كذبك ! ومن تعوّد الاستعاذة إذا حدث بظهور مبادئ الشر من شرير قال بحكم سبق اللسان : نعوذ بالله ، وإذا تعوّد الفضول قال : لعنه الله ، فيعصى فى إحدى الكلمتين ويسلم فى الأخرى ، وسلامته أثر اعتياد لسانه الخير وهو من جملة معانى قوله تعالى ﴿ إن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ ومعانى قوله تعالى ﴿ وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه

أجرا عظيما ﴾ فانظر كيف ضاعفها إذ جعل الاستغفار فى الغفلة عادة اللسان ، حتى دفع بتلك العادة شر العصيان بالغيبة واللعن والفضول ، هذا تضعيف فى الدنيا لأدنى الطاعات ، وتضعيف الآخرة ﴿ أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ فإياك وأن تلمح فى الطاعات مجرد الآفات فتفتر رغبتك عن العبادات ، فإن هذه مكيدة روّجها الشيطان بلعنته على المغرورين وخيل إليهم أنهم أرباب البصائر وأهل التفطن للخفايا والسرائر ، فأى خير فى ذكرنا باللسان مع غفلة القلب ؟ فانقسم الخلق فى هذه المكيدة إلى ثلاثة أقسام : ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات . أما السابق فقال صدقت يا ملعون ولكن هى كلمة حق أردت بها باطلا . فلا جرم أعذبك مرتين وأرغم أنفك من وجهين فأضيف إلى حركة اللسان حركة القلب ، فكان كالذى داوى جرح الشيطان بنثر الملح عليه وأما الظالم المغرور : فاستشعر فى نفسه خيلاء الفطنة لهذه الدقيقة ثم عجز عن الإخلاص بالقلب فترك مع ذلك تعويد اللسان بالذكر فأسعف الشيطان وتدلى بحبل غروره فتمت بينهما المشاركة والموافقة كما قيل : وافق شنّ طبقه وافقه فاعتنقه . وأما المقتصد : فلم يقدر على إرغامه بإشراك القلب فى العمل وتفطن لنقصان حركة اللسان بالإضافة إلى القلب ، ولكن اهتدى إلى كماله بالإضافة إلى السكوت والفضول فاستمر عليه وسأل الله تعالى أن يشرك القلب مع اللسان فى اعتياد الخير . فكان السابق كالحائك الذى ذمت حياكته فتركها وأصبح كاتبا ، والظالم المتخلف كالذى ترك الحياكة أصلا وأصبح كناسا ، والمقتصد كالذى عجز عن الكتابة فقال : لا أنكر مقدمة الحياكة ولكن الحائك مذموم بالإضافة إلى الكاتب لا بالإضافة إلى الكناس فإذا عجزت عن الكتابة فلا أترك الحياكة . ولذلك قالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير . فلا تظن أنها تذم حركة اللسان من حيث إنه ذكر الله ، بل تذم غفلة القلب فهو محتاج إلى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه ، فإن سكت عن الاستغفار باللسان أيضا احتاج إلى استغفارين لا إلى استغفار واحد فهكذا ينبغى أن تفهم ذم ما يذم وحمد ما يحمد وإلا جهلت معنى ما قال القائل الصادق : حسنات الأبرار سيئات المقربين . فإن هذه أمور تثبت بالإضافة فلا ينبغى أن تؤخذ من غير إضافة ، بل ينبغى أن لا تستحقر ذرات الطاعات والمعاصى . ولذلك قال جعفر الصادق : إن الله تعالى خبأ ثلاثا فى ثلاث ؛ رضاه فى طاعته فلا تحقروا منها شيئا فلعل رضاه فيه ، وغضبه فى معاصيه فلا تحقروا منها شيئا فلعل غضبه فيه ، وخبأ ولايته فى عباده فلا تحقروا منهم أحدا فلعله ولى الله تعالى . وزاد : وخبأ إجابته فى دعائه فلا تتركوا الدعاء فربما كانت الإجابة فيه .

الركن الرابع

فى دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الإصرار

اعلم أن الناس قسمان : شاب لا صبوة له نشأ على الخير واجتناب الشر وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعجب ربك من شاب ليست له صبوة [1] » وهذا عزيز نادر . والقسم الثانى : هو الذى لا يخلو عن مقارفة الذنوب ، ثم هم ينقسمون إلى مصرين وإلى تائبين ، وغرضنا أن نبين العلاج فى حل عقدة الإصرار ونذكر الدواء فيه . فاعلم أن شفاء التوبة لا يحصل إلا بالدواء ولا يقف على الدواء من لا يقف على الداء ، إذ لا معنى للدواء إلا مناقضة أسباب الداء فكل داء حصل من سبب فدواؤه حل ذلك السبب ورفعه وإبطاله . ولا يبطل الشىء إلا بضده . ولا سبب للإصرار إلا الغفلة والشهوة ولا يضاد الغفلة إلا العلم ولا يضاد الشهوة إلا الصبر على قطع

(١) حديث « يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة » أخرجه أحمد والطبرانى من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة .

الأسباب المحركة للشهوة والغفلة رأس الخطايا قال الله تعالى ﴿ وأولئك هم الغافلون لاجرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون ﴾ فلا دواء إذن للتوبة إلا معجون يعجن من حلاوة العلم ومرارة الصبر ، وكما يجمع السكنجبين بين حلاوة السكر وحموضة الخل ويقصد بكل منهما غرض آخر فى العلاج بمجموعهما فيقمع الأسباب المهيجة للصفراء فهكذا ينبغى أن تفهم علاج القلب مما به من مرض الإصرار . فإن لهذا الدواء أصلان : أحدهما العلم والآخر الصبر ولا بد من بيانهما .

فإن قلت : أينفع كل علم لحل الإصرار أم لابد من علم مخصوص ؟ فاعلم أن العلوم بجملتها أدوية لأمراض القلوب ولكن لكل مرض علم يخصه ، كما أن علم الطب نافع فى علاج الأمراض بالجملة ولكن يخص كل علة علم مخصوص فكذلك دواء الإصرار . فلنذكر خصوص ذلك العلم على موازنة مرض الأبدان ليكون أقرب إلى الفهم فنقول : يحتاج المريض إلى التصديق بأمور :

(الأول) أن يصدق على الجملة بأن للمرض والصحة أسبابا يتوصل إليها بالاختيار على مارتبه مسبب الأسباب ، وهذا هو الإيمان بأصل الطب فإنّ من لايؤمن به لايشتغل بالعلاج ويحق عليه الهلاك . وهذا وزانه مما نحن فيه الإيمان بأصل الشرع وهو أنّ للسعادة فى الآخرة سببا هو الطاعة وللشقاوة سببا هو المعصية وهذا هو الإيمان بأصل الشرائع ، وهذا لابدّ من حصوله إما عن تحقيق أو تقليد وكلاهما من جملة الإيمان .

(الثانى) أنه لابد أن يعتقد المريض فى طبيب معين أنه عالم بالطب حاذق فيه صادق فيما يعبر عنه لايلبس ولا يكذب ، فإنّ إيمانه بأصل الطب لا ينفعه بمجرده دون هذا الإيمان . ووزانه مما نحن فيه : العلم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم والإيمان بأن كل مايقوله حق وصدق لا كذب فيه ولاخلف .

(الثالث) أنه لابد أن يصغى إلى الطبيب فيما يحذره عنه من تناول الفواكه والأسباب المضرة على الجملة حتى يغلب عليه الخوف فى ترك الاحتماء فتكون شدّة الخوف باعثه له على الاحتماء . ووزانه من الدين : الإصغاء إلى الآيات والأخبار المشتملة على الترغيب فى التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى ، والتصديق بجميع مايلقى إلى سمعه من ذلك من غير شك واستراية حتى ينبعث به الخوف المقوى على الصبر الذى هو الركن الآخر فى العلاج

(الرابع) أن يصغى إلى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما يلزمه فى نفسه الاحتماء عنه ليعرّفه أوّلا تفصيل مايضره من أفعاله وأحواله ومأكوله ومشروبه ، فليس على كل مريض الاحتماء عن كل شىء ولا ينفعه كل دواء بل لكل علة خاصة علم خاص وعلاج خاص . ووزانه من الدين : أن كل عبد فليس يبتلى بكل شهوة وارتكاب ذنب بل لكل مؤمن ذنب مخصوص أو ذنوب مخصوصة ؟ وإنما حاجته فى الحال مرهقة إلى العلم بأنها ذنوب ، ثم إلى العلم بآفاتها وقدر ضررها ، ثم العلم بكيفية التوصل إلى الصبر عنها ، ثم إلى العلم بكيفية تكفير ماسبق منها .

فهذه علوم يختص بها أطباء الدين وهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، فالعاصى إن علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم ، وإن كان لايدرى أنّ مايرتكبه ذنب فعلى العالم أن يعرّفه ذلك ، وذلك بأن يتكفل كل عالم بإقليم أو بلدة أو محلة أو مسجد أو مشهد فيعلم أهله دينهم ويميز مايضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم ، ولا ينبغى أن يصبر إلى أن يسئل عنه ، بل ينبغى أن يتصدّى لدعوة الناس إلى نفسه فإنهم ورثة الأنبياء ، والأنبياء ماتركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم فى مجامعهم ويدورون على أبواب دورهم فى الابتداء ويطلبون واحدا واحدا فيرشدونهم ، فإنّ مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم ، كما أنّ الذى ظهر على وجهه برص

ولا مرآة معه لايعرف برصه مالم يعرفه غيره ، وهذا فرض عين على العلماء كافة . وعلى السلاطين كافة أن يرتبوا فى كل قرية وفى كل محلة فقيها متدينا يعلم الناس دينهم فإنّ الخلق لايولدون إلا جهالا فلا بدّ من تبليغ الدعوة إليهم فى الأصل والفرع . والدنيا دار المرضى إذ ليس فى بطن الأرض إلا ميت ولا على ظهرها إلا سقيم . ومرضى القلوب أكثر من مرضى الأبدان . والعلماء أطباء والسلاطين قوام دار المرضى . فكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم يسلم إلى السلطان ليكف شره كما يسلم الطبيب المريض الذى لايحتمى أو الذى غلب عليه الجنون إلى القيم ليقيده بالسلاسل والأغلال ويكف شره عن نفسه وعن سائر الناس .

وإنما صار مرض القلوب أكثر من مرض الأبدان لثلاث علل ؛ إحداها : أنّ المريض به لايدرى أنه مريض .

والثانية : أنّ عاقبته غير مشاهدة فى هذا العالم بخلاف مرض البدن فإنّ عاقبته موت مشاهد تنفر الطباع منه ، وما بعد الموت غير مشاهد . وعاقبة الذنوب موت القلب وهو غير مشاهد فى هذا العالم فقلت النفرة عن الذنوب وإن علمها مرتكبها ، فلذلك تراه يتكل على فضل الله فى مرض القلب ويجتهد فى علاج مرض البدن من غير اتكال .

والثالثة : وهو الداء العضال ؛ فقد الطبيب ، فإنّ الأطباء هم العلماء وقد مرضوا فى هذه الأعصار مرضا شديدا عجزوا عن علاجه ، وصارت لهم سلوة فى عموم المرض حتى لايظهر نقصانهم ، فاضطروا إلى إغواء الخلق والإشارة عليهم بما يزيدهم مرضا ، لأنّ الداء المهلك هو حب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الأطباء فلم يقدروا على تحذير الخلق منه استنكافا من أن يقال لهم : فما بالكم تأمرون بالعلاج وتنسون أنفسكم ؟ فبهذا السبب عم على الخلق الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء وهلك الخلق لفقد الأطباء ، بل اشتغل الأطباء بفنون الإغواء فليتهم إذ لم ينصحوا لم يغشوا وإذا لم يصلحوا لم يفسدوا ! وليتهم سكتوا وما نطقوا فإنهم إذا تكلموا لم يهمهم فى مواعظهم إلا ما يرغب العوام ويستميل قلوبهم ، ولا يتوصلون إلى ذلك إلا بالإرجاء وتغليب أسباب الرجاء وذكر دلائل الرحمة لأن ذلك ألذ فى الأسماع وأخف على الطباع ، فتنصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد جراءة على المعاصى ومزيد ثقة بفضل الله :

ومهما كان الطبيب جاهلا أو خائبا أهلك بالدواء حيث يضعه فى غير موضعه . فالرجاء والخوف دواءان ولكن لشخصين متضادى العلة . أما الذى غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية وكلف نفسه ما لايطيق وضيق العيش على نفسه بالكلية : فتكسر سورة إسرافه فى الخوف بذكر أسباب الرجاء ليعود إلى الاعتدال . وكذلك المصر على الذنوب المشتهى للتوبة الممتنع عنها بحكم القنوط واليأس استعظاما لذنوبه التى سبقت : يعالج أيضا بأسباب الرجاء حتى يطمع فى قبول التوبة فيتوب . فأما معالجة المغرور المسترسل فى المعاصى بذكر أسباب الرجاء فيضاهى معالجة المحرور بالعسل طلبا للشفاء وذلك من دأب الجهال والأغبياء . فإذن فساد الأطباء هى المعضلة الزباء التى لاتقبل الدواء أصلا .

فإن قلت : فاذكر الطريق الذى ينبغى أن يسلكه الواعظ فى طريق الوعظ مع الخلق ؟ فاعلم أنّ ذلك يطول ولا يمكن استقصاؤه . نعم نشير إلى الأنواع النافعة فى حل عقدة الإصرار وحمل الناس على ترك الذنوب وهى أربعة أنواع .

(الأول) أن يذكر ما فى القرآن من الآيات المخوفة للمذنبين والعاصين ، وكذلك ماورد من الأخبار والآثار

مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم « مامن يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها إلا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات يقول أحدهما : ياليت هذا الخلق لم يخلقوا ! ويقول الآخر : ياليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ! فيقول الآخر : ياليتهم إذ علموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا [1] » وفى بعض الروايات « ليتهم تجالسوا فتذكروا ماعلموا ! ويقول الآخر : ياليتهم إذلم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا » وقال بعض السلف إذا أذنب العبد أمر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو أمير عليه أن يرفع القلم عنه ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتبها عليه وإن لم يستغفر كتبها . وقال بعض السلف : مامن عبد يعصى إلا استأذن مكانه من الأرض أن يخسف به واستأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه كسفا ؛ فيقول الله تعالى للأرض والسماء كفا عن عبدى وأمهلاه فإنكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه ولعله يتوب إلى فأغفر له ولعله يستبدل صالحا فأبدله له حسنات فذلك معنى قوله تعالى ﴿ إنّ الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ﴾ وفى حديث عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه « الطابع معلق بقائمة العرش فإذا انتهكت الحرمات واستحلت المحارم أرسل الله الطابع فيطبع على القلوب بمافيها [2] » وفى حديث مجاهد « القلب مثل الكف المفتوحة كلما أذنب العبد ذنبا انقبضت أصبع حتى تنقبض الأصابع كلها فيسدّ على القلب فذلك هو الطبع [3] » وقال الحسن : إنّ بين العبد وبين الله حدّا من المعاصى معلوما إذا بلغه العبد طبع الله على قلبه فلم يوفقه بعدها لخير .

والأخبار والآثار فى ذم المعاصى ومدح التائبين لا تحصى فينبغى أن يستكثر الواعظ منها إن كان وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه ما خلف دينارا ولا درهما إنما خلف العلم والحكمة وورثه كل عالم بقدر ما أصابه [4].

(النوع الثانى) حكايات الأنبياء والسلف الصالحين وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم فذلك شديد الوقع ظاهر النفع فى قلوب الخلق ، مثل أحوال آدم صلى الله عليه وسلم فى عصيانه وما لقيه من الإخراج من الجنة ، حتى روى أنه لما أكل من الشجرة تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته ، فاستحيا التاج والإكليل من وجهه أن يرتفعا عنه فجاءه جبريل عليه السلام فأخذ التاج عن رأسه وحل الإكليل عن جبينه ، ونودى من فوق العرش : اهبطا من جوارى فإنه لايجاورنى من عصانى . قال : فالتفت آدم إلى حواء باكيا وقال : هذا أول شؤم المعصية أخرجنا من جوار الحبيب . وروى أن سليمان بن داود عليهما السلام لما عوقب على خطيئته لأجل التمثال الذى عبد فى داره أربعين يوما ، وقيل : لأنّ المرأة سألته أن يحكم لأبيها فقال نعم ولم يفعل ، وقيل : بل أحب بقلبه أن

---

(١) حديث « مامن يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها إلا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات فيقول أحدهما ياليت هذا الخلق لم يخلقوا ... الحديث » غريب لم أجده هكذا . وروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف « إن لله ملكا ينادى فى كل ليلة أبناء الأربعين زرع قد دنا حصاده .. الحديث » وفيه « ليت الخلائق لم يخلقوا وليتهم إذخلقوا علموا لماذا خلقوا فتجالسوا بينهم فتذاكروا ... الحديث » .

(٢) حديث عمر « الطابع معلق بقائمة من قوائم العرش فإذا انتهكت الحرمات ... الحديث » أخرجه ابن عدى وابن حبان فى الضعفاء من حديث ابن عمر وهو منكر (٣) حديث مجاهد « القلب مثل الكف المفتوحة » قلت هكذا قال المصنف : وفى حديث مجاهد ، وكأنه أراد به قول مجاهد وكذا ذكره المفسرون من قوله وليس بمرفوع وقد رويناه فى شعب الإيمان للبيهقى من قول حذيفة (٤) حديث : أنه صلى الله عليه وسلم ما خلف دينارا ولا درهما إنما خلف العلم والحكمة أخرجه البخارى من حديث عمرو بن الحارث قال : ماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة . ولمسلم من حديث عائشة ماترك دينارا ولا درهما ولاشاة ولا بعيرا . وفى حديث أبى الدرداء : إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم .. الحديث وقد تقدم فى العلم .

يكون الحكم لأبيها على خصمه لمكانها منه فسلب ملكه أربعين يوما فهرب تائها على وجهه فكان يسأل بكفه فلا يطعم فإذا قال أطعمونى فإنى سليمان بن داود رشح وطرد وضرب . وحكى أنه استطعم من بيت لامرأته فطردته وبصقت فى وجهه . وفى رواية : أخرجت عجوز جرة فيها بول فصبته على رأسه إلى أن أخرج الله الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الأربعين - أيام العقوبة - قال : فجاءت الطيور فعكفت على رأسه وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله فاعتذر إليه بعض من كان جنى عليه فقال : لا ألومكم فيما فعلتم من قبل ولا أحمدكم فى عذركم الآن إنّ هذا أمر كان من السماء ولا بدّ منه . وروى فى الإسرائيليات : أنّ رجلا تزوج امرأة من بلدة أخرى فأرسل عبده ليحملها إليه فراودته نفسه وطالبته بها ، فجاهدها واستعصم ، قال : فنبأه الله ببركة تقواه فكان نبيا فى بنى إسرائيل . وفى قصص موسى عليه السلام أنه قال للخضر عليه السلام : بم أطلعك الله على علم الغيب؟ قال: بتركى المعاصى لأجل الله تعالى . وروى أن الريح كانت تسير بسليمان عليه السلام فنظر إلى قميصه نظرة وكان جديدا فكأنه أعجبه ! قال : فوضعته الريح ، فقال لم فعلت هذا ولم آمرك ؟ قالت : إنما نطيعك إذا أطعت الله . وروى أنّ الله تعالى أوحى إلى يعقوب عليه السلام : أتدرى لم فرّقت بينك وبين ولدك يوسف ؟ قال : لا ، قال : لقولك لإخوته ﴿أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون﴾ لم خفت عليه الذئب ولم ترجنى ، ولم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظى له ؟ وتدرى لم رددته عليك ؟ قال : لا ، قال : لأنك رجوتنى وقلت ﴿عسى الله أن يأتينى بهم جميعا﴾ وبما قلت ﴿اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا﴾ وكذلك لما قال يوسف لصاحب الملك ﴿اذكرنى عند ربك﴾ قال الله تعالى ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين﴾ .

وأمثال هذه الحكايات لا تنحصر ولم يرد بها القرآن والأخبار ورود الأسمار ، بل الغرض بها الاعتبار والاستبصار لتعلم أنّ الأنبياء عليهم السلام لم يتجاوز عنهم فى الذنوب الصغار فكيف يتجاوز عن غيرهم فى الذنوب الكبار ؟ نعم كانت سعادتهما فى أن عوجلوا بالعقوبة ولم يؤخروا إلى الآخرة والأشقياء يمهلون ليزدادوا إثما ولأن عذاب الآخرة أشدّ وأكبر . فهذا أيضا مما ينبغى أن يكثر جنسه على أسماع المصرين فإنه نافع فى تحريك دواعى التوبة .

(النوع الثالث) أن يقرر عندهم أن تعجيل العقوبة فى الدنيا متوقع على الذنوب وأن كل مايصيب العبد من المصائب فهو بسبب جناياته ، فرب عبد يتساهل فى أمر الآخرة ويخاف من عقوبة الله فى الدنيا أكثر لفرط جهله ، فينبغى أن يخوف به فإن الذنوب كلها يتعجل فى الدنيا شؤمها فى غالب الأمر ، كما حكى فى قصة داود وسليمان عليهما السلام حتى إنه قد يضيق على العبد رزقه بسبب ذنوبه وقد تسقط منزلته من القلوب ويستولى عليه أعداؤه ، قال صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه [1] » ، وقال ابن مسعود : إنى لأحسب أن العبد ينسى العلم بالذنب يصيبه ؛ وهو معنى قوله عليه السلام « من قارف ذنبا فارقه عقل لايعود إليه أبدا [2] » ، وقال بعض السلف : ليست اللعنة سوادا فى الوجه ونقصا فى المال إنما اللعنة أن لاتخرج من ذنب إلا وقعت فى مثله أو شر منه ، وهو كما قال لأن اللعنة هى الطرد والإبعاد فإذا لم يوفق للخير ويسر له الشر فقد أبعد ، والحرمان عن رزق التوفيق أعظم حرمان ، وكل ذنب فإنه يدعو إلى ذنب آخر ويتضاعف فيحرم العبد به عن رزقه النافع من مجالسة

(١) حديث « إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » أخرجه ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده واللفظ له إلا أنه قال « الرجل » بدل « العبد » من حديث ثوبان (٢) حديث « من قارف ذنبا فارقه عقل لايعود إليه أبدا » تقدم .

العلماء المنكرين للذنوب ومن مجالسة الصالحين بل يمقته الله تعالى ليمقته الصالحون . وحكى عن بعض العارفين أنه كان يمشى فى الوحل جامعاً ثيابه محترزا عن زلقة رجله حتى زلقت رجله وسقط ، فقام وهو يمشى فى وسط الوحل ويبكى ويقول : هذا مثل العبد لايزال يتوقى الذنوب ويجانبها حتى يقع فى ذنب وذنبين فعندها يخوض فى الذنوب خوضا . وهو إشارة إلى أنّ الذنب تتعجل عقوبته بالانجرار إلى ذنب آخر ، ولذلك قال الفضيل : ماأنكرت من تغير الزمان وجفاء الإخوان فذنوبك ورثتك ذلك . وقال بعضهم : إنى لأعرف عقوبة ذنبى فى سوء خلق حمارى . وقال آخر : أعرف العقوبة حتى فى فأر بيتى . وقال بعض صوفية الشام : نظرت إلى غلام نصرانى حسن الوجه فوقفت أنظر إليه فمر بى ابن الجلاء الدمشقى فأخذ بيدى فاستحييت منه فقلت : ياأبا عبدالله سبحان الله تعجبت من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت للنار ! فغمز يدى وقال : لتجدنّ عقوبتها بعد حين ، قال : فعوقبت بها بعد ثلاثين سنة . وقال أبو سليمان الدارانى : الاحتلام عقوبة . وقال : لايفوت أحداً صلاة جماعة إلا بذنب يذنبه . وفى الخبر « ما أنكرتم من زمانكم فبما غيرتم من أعمالكم [1] » وفى الخبر « يقول الله تعالى إن أدنى ماأصنع بالعبد إذا آثر شهوته على طاعتى أن أحرمه لذيذ مناجاتى [2] » . وحكى عن أبى عمرو بن علوان ـ فى قصة يطول ذكرها ـ قال فيها : كنت قائما ذات يوم أصلى فخامر قلبى هوى طاولته بفكرتى حتى تولد منه شهوة الرجال ، فوقعت إلى الأرض واسود جسدى كله فاستترت فى البيت فلم أخرج ثلاثة أيام ، وكنت أعالج غسله فى الحمام بالصابون فلا يزداد إلا سوادا حتى انكشف بعد ثلاث ، فلقيت الجنيد وكان قد وجه إلى فأشخصنى من الرقة ، فلما أتيته قال لى : أما استحييت من الله تعالى كنت قائما بين يديه فسارت نفسك بشهوة حتى استولت عليك برقة وأخرجتك من بين يدى الله تعالى فلولا أنى دعوت الله لك وتبت إليه عنك للقيت الله بذلك اللون ، قال فعجبت كيف علم بذلك وهو ببغداد وأنا بالرقة ؟ .

واعلم أنه لايذنب العبد ذنبا إلا ويسود وجه قلبه فإن كانّ سعيدا أظهر السواد على ظاهره لينزجر ، وإن كان شقيا أخفى عنه حتى ينهمك ويستوجب النار . والأخبار كثيرة فى آفات الذنوب فى الدنيا من الفقر والمرض وغيره . بل من شؤم الذنب فى الدنيا على الجملة أن يكسب مابعده صفته ، فإن ابتلى بشىء كان عقوبة له ويحرم جميل الرزق حتى يتضاعف شقاؤه ، وإن أصابته نعمة كانت استدراجا له ويحرم جميل الشكر حتى يعاقب على كفرانه . وأما المطيع فمن بركة طاعته أن تكون كل نعمة فى حقه جزاء على طاعته ويوفق لشكرها وكل بلية كفارة لذنوبه وزيادة فى درجاته .

(النوع الرابع) ذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد ، وكل ذلك مما لايمكن حصره ، وذكره مع غير أهله وضع الدواء فى غير موضعه ، بل ينبغى أن يكون العالم كالطبيب الحاذق فيستدل أولا بالنبض والسحنة ووجود الحركات على العلل الباطنة ويشتغل بعلاجها ، فيستدل بقرائن الأحوال على خفايا الصفات وليتعرض لما وقف عليه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال له واحد أوصنى يارسول الله ولا تكثر على قال « لاتغضب [3] » وقال له آخر أوصنى يارسول الله فقال

---

(١) حديث « ما أنكرتم من زمانكم فبما أنكرتم من أعمالكم » أخرجه البيهقى فى الزهد من حديث أبى الدرداء وقال غريب تفرد به هكذا العقيلى وهو عبد الله بن هانئ . قلت : هو متهم بالكذب قال ابن أبى حاتم روى عن أبيه أحاديث بواطيل .

(٢) حديث « يقول الله إنى أدنى ماأصنع بالعبد إذا آثر شهوته على طاعتى أن أحرمه لذة مناجاتى » غريب لم أجده .

(٣) حديث : قال رجل أوصنى ولاتكثر على قال « لاتغضب » تقدم .

عليك السلام « عليك باليأس مما فى أيدى الناس فإن ذلك هو الغنى ، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وصل صلاة مودع ، وإياك وما يعتذر منه [١] » وقال رجل لمحمد بن واسع : أوصنى ، فقال : أوصيك أن تكون ملكا فى الدنيا والآخرة قال : وكيف لى بذلك ؟ قال : الزم الزهد فى الدنيا . فكأنه صلى الله عليه وسلم توسم فى السائل الأول مخايل الغضب فنهاه عنه ، وفى السائل الآخر مخايل الطمع فى الناس وطول الأمل . وتخيل محمد بن واسع فى السائل مخايل الحرص على الدنيا . وقال رجل لمعاذ : أوصنى ، فقال : كن رحيما أكن لك بالجنة زعيما . فكأنه تفرّس فيه آثار الفظاظة والغلظة . وقال رجل لإبراهيم بن أدهم ، أوصنى فقال : إياك والناس وعليك بالناس ولا بدّ من الناس فانّ الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ذهب الناس وبقى النسناس وما أراهم بالناس بل غمسوا فى ماء الياس . فكأنه تفرّس فيه آفة المخالطة وأخبر عما كان هو الغالب على حاله فى وقته ، وكان الغالب أذاه بالناس . والكلام على قدر حال السائل أولى من أن يكون بحسب حال القائل . وكتب معاوية رحمه الله إلى عائشة رضى الله عنها : أن اكتبى لى كتابا توصينى فيه ولا تكثرى ، فكتبت إليه : من عائشة إلى معاوية سلام عليك أما بعد فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن التمس سخط الله برضا الناس وكله الله إلى الناس [٢] » والسلام عليك . فانظر إلى فقهها كيف تعرضت للآفة التى تكون الولاة بصددها ؟ وهى مراعاة الناس وطلب مرضاتهم . وكتبت إليه مرة أخرى . أما بعد، فاتق الله فإنك إذا اتقيت الله كفاك الناس وإذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا والسلام .

فإذن على كل ناصح أن تكون عنايته مصروفة إلى تفرس الصفات الخفية وتوسم الأحوال اللائقة ليكون اشتغاله بالمهم فإن حكاية جميع مواعظ الشرع مع كل واحد غير ممكنة والاشتغال بوعظه بما هو مستغن عن التوعظ فيه تضييع زمان .

فإن قلت : فإن كان الواعظ يتكلم فى جمع أو سأله من لا يدرى باطن حاله أن يعظه فكيف يفعل ؟ فاعلم أن طريقه فى ذلك أن يعظه بما يشترك كافة الخلق فى الحاجة إليه إما على العموم وإلا على الأكثر ، فإن فى علوم الشرع أغذية وأدوية فالأغذية للكافة والأدوية لأرباب العلل .

ومثاله ما روى أن رجلا قال لأبى سعيد الخدرى : أوصنى ، قال : عليك بتقوى الله عز وجل فإنها رأس كل خير وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بالقرآن فإنه نور لك فى أهل الأرض وذكر لك فى أهل السماء ، وعليك بالصمت إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان وقال رجل للحسن : أوصنى ، فقال : أعز أمر الله يعزك الله . وقال لقمان لابنه : يابنى زاحم العلماء بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتوك ، وخذ من الدنيا بلاغك ، وأنفق فضول كسبك لآخرتك ، ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا وعلى أعناق الرجال كلا ، وصم صوما يكسر شهوتك ولا تصم صوما يضر بصلاتك فإن الصلاة أفضل من الصوم ، ولا تجالس السفيه ولا تخالط ذا الوجهين . وقال أيضا لابنه: يابنى لا تضحك من غير عجب ولا تمش فى غير أرب ولا تسأل عما لا يعنيك ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك فإن مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت ، يابنى إن من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الشر يأثم ومن لا يملك لسانه يندم . وقال رجل لأبى حازم : أوصنى ، فقال : كل مالو جاءك الموت عليه فرأيته غنيمة

---

(١) حديث قال له آخر : أوصنى قال « عليك باليأس ... الحديث » أخرجه ابن ماجه والحاكم وقد تقدم .

(٢) حديث عائشة « من التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس ... الحديث » أخرجه الترمذى والحاكم وفى مسند الترمذى من لم يسم .

فالزمه وكل مالو جاءك الموت عليه فرأيته مصيبة فاجتنبه . وقال موسى للخضر عليهما السلام : أوصنى ، فقال : كن بساما ولا تكن غضابا وكن نفاعا ولا تكن ضرارا وانزع عن اللجاجة ولا تمش فى غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران . وقال رجل لمحمد بن كرام : أوصنى ، فقال : اجتهد فى رضا خالقك بقدر ماتجتهد فى رضا نفسك وقال رجل لحامد اللفاف : أوصنى فقال : اجعل لدينك غلافا كغلاف المصحف أن تدنسه الآفات ، قال . وما غلاف الدين ؟ قال . ترك طلب الدنيا إلا مالا بد منه وترك كثرة الكلام إلا فيما لابد منه وترك مخالطة الناس إلا فيما لابد منه . وكتب الحسن إلى عمر بن عبدالعزيز رحمهم الله تعالى أما بعد ، فخف بما خوفك الله واحذر بما حذرك الله وخذ بما فى يديك لما بين يديك ، فعند الموت يأتيك الخبر اليقين والسلام . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن يسأل أن يعظه فكتب إليه : أما بعد ؛ فإن الهول الأعظم والأمور المفظعات أمامك ولا بد لك من مشاهدة ذلك إما بالنجاة وإما بالعطب ، واعلم أن من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظر فى العواقب نجا ومن أطاع هواه ضل ومن حلم غنم ومن خاف أمن ومن أمن اعتبر ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم ، فإذا زللت فارجع وإذا ندمت فاقلع وإذا جهلت فاسأل وإذا غضبت فأمسك . وكتب مطرف بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله أما بعد ، فإن الدنيا دار عقوبة ولها يجمع من من لاعقل له وبها يغتر من لاعلم عنده فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوى جرحه يصبر على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الداء . وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه إلى عدى بن أرطاة . أما بعد ، فإن الدنيا عدوة أولياء الله وعدوة أعداء الله فأما أولياؤه فغمتهم وأما أعداؤه فغرتهم . وكتب أيضا إلى بعض عماله . أما بعد ؛ فقد أمكنتك القدرة من ظلم العباد فإذا هممت بظلم أحد فاذكر قدرة الله عليك ، واعلم أنك لاتأتى إلى الناس شيئا إلا كان زائلا عنهم باقيا عليك ، واعلم أن الله عزوجل آخذ للمظلومين من الظالمين والسلام .

فهكذا ينبغى أن يكون وعظ العامة ووعظ من لا يدرى خصوص واقعته فهذه المواعظ مثل الأغذية التى يشترك الكافة فى الانتفاع بها . ولأجل فقد مثل هؤلاء الوعاظ انحسم باب الاتعاظ وغلبت المعاصى واستسرى الفساد ، وبلى الخلق بوعاظ يزخرفون أسجاعا وينشدون أبياتا ويتكلفون ذكر ما ليس فى سعة علمهم ويتشبهون بحال غيرهم فسقط عن قلوب العامة وقارهم ولم يكن كلامهم صادرا من القلب ليصل إلى القلب ، بل القائل متصلف والمستمع متكلف وكل واحد منهما مدبر ومتخلف .

فإذن كان طلب الطبيب أول علاج المرضى ، وطلب العلماء أول علاج العاصين . فهذا أحد أركان العلاج وأصوله . (الأصل الثانى) الصبر : ووجه الحاجة إليه أن المريض إنما يطول مرضه لتناوله مايضره ، وإنما يتناول ذلك : إما لغفلته عن مضرته ، وإما لشدة غلبة شهوته ؛ فله سببان فما ذكرناه هو علاج الغفلة . فيبقى علاج الشهوة ـ وطريق علاجها قد ذكرناه فى كتاب رياضة النفس ـ وحاصله أن المريض إذا اشتدت ضراوته لمأكول مضر فطريقه أن يستشعر عظم ضرره ثم يغيب ذلك عن عينه فلا يحضره ثم يتسلى عنه بما يقرب منه فى صورته ولا يكثر ضرره ثم يصبر بقوة الخوف على الألم الذى يناله فى تركه ، فلا بد على كل حال من مرارة الصبر فكذلك يعالج الشهوة فى المعاصى ، كالشاب مثلا إذا غلبته الشهوة فصار لايقدر على حفظ عينه ولاحفظ قلبه أو حفظ جوارحه فى السعى وراء شهوته فينبغى أن يستشعر ضرر ذنبه بأن يستقرى المخلوقات التى جاءت فيه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإذا اشتد خوفه تباعد من الأسباب المهيجة لشهوته . ومهيج الشهوة من خارج . هو

حضور المشتهى والنظر إليه ، وعلاجه الهرب والعزلة . ومن داخل : تناول لذائذ الأطعمة ، وعلاجه الجوع والصوم الدائم . وكل ذلك لايتم إلا بصبر ولا يصبر إلا عن خوف ولايخاف إلا عن علم ولا يعلم إلا عن بصيرة وافتكار أو عن سماع وتقليد ، فأول الأمر حضور مجالس الذكر ثم الاستماع من قلب مجرد عن سائر الشواغل مصروف إلى السماع ثم التفكر فيه لتمام الفهم ، وينبعث من تمامه لامحالة خوفه وإذا قوى الخوف تيسر بمعونته الصبر وانبعثت الدواعى لطلب العلاج ، وتوفيق الله وتيسيره من وراء ذلك . فمن أعطى من قلبه حسن الإصغاء واستشعر الخوف فاتق وانتظر الثواب وصدق بالحسنى فسييسره الله تعالى لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسييسره الله للعسرى فلا يغنى عنه ما اشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك وتردى . وما على الأنبياء إلا شرح طرق الهدى وإنما الله الآخرة والأولى .

فإن قلت : فقد رجع الأمر كله إلى الإيمان لأن ترك الذنب لايمكن إلا بالصبر عنه والصبر لايمكن إلا بمعرفة الخوف ، والخوف لا يكون إلا بالعلم والعلم لا يحصل إلا بالتصديق بعظم ضرر الذنوب ، والتصديق بعظم ضرر الذنوب هو تصديق الله ورسوله وهو الإيمان ؛ فكأن من أصر على الذنب لم يصر عليه إلا لأنه غير مؤمن ؟ فاعلم أن هذا لايكون لفقد الإيمان بل يكون لضعف الإيمان ، إذ كل مؤمن مصدق بأن المعصية سبب البعد من الله تعالى وسبب العقاب فى الآخرة . ولكن سبب وقوعه فى الذنب أمور .

(أحدها) أن العقاب الموعود غيب ليس بحاضر ، والنفس جبلت متأثرة بالحاضر ، فتأثرها بالموعود ضعيف بالإضافة إلى تأثرها بالحاضر .

(الثانى) أن الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجزة وهى فى الحال آخذة بالمخنق وقد قوى ذلك واستولى عليها بسبب الاعتياد والإلف ـ والعادة طبيعة خامسة ـ والنزوع عن العاجل لخوف الآجل شديد على النفس ولذلك قال تعالى ﴿ كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة ﴾ وقال عز وجل ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا ﴾ وقد عبر عن شدة الأمر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات [1] » وقوله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى خلق النار فقال لجبريل عليه السلام : اذهب فانظر إليها ، فنظر فقال وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها ! فحفها بالشهوات ثم قال اذهب فانظر إليها ، فنظر فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها . وخلق الجنة فقال لجبريل عليه السلام اذهب فانظر إليها ، فنظر فقال وعزتك لايسمع بها أحد إلا دخلها فحفها بالمكاره ثم قال اذهب فانظر إليها ، فنظر إليها فقال وعزتك لقد خشيت أن لايدخلها أحد [2] » فإذاً كون الشهوة مرهقة فى الحال وكون العقاب متأخرا إلى المآل سببان ظاهران فى الاسترسال مع حصول أصل الإيمان فليس كل من يشرب فى مرضه ماء الثلج لشدة عطشه مكذبا بأصل الطب ولا مكذبا بأن ذلك مضر فى حقه ولكن الشهوة تغلبه وألم الصبر عنه ناجز فيهون عليه الألم المنتظر .

(الثالث) أنه ما من مذنب مؤمن إلا وهو فى الغالب عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحسنات ، وقد وعد بأن ذلك يجبره إلا أن طول الأمل غالب على الطباع فلا يزال يسوف التوبة والتكفير ، فمن حيث رجاؤه التوفيق للتوبة ربما يقدم عليه مع الإيمان .

(الرابع) أنه ما من مؤمن موقن إلا وهو معتقد أن الذنوب لا توجب العقوبة إيجابا لا يمكن العفو عنها ،

---

(١) حديث « حفت الجنة بالمكاره . . الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة (٢) حديث « ان الله خلق النار فقال لجبريل اذهب فانظر إليها . . الحديث » أخرجه أبو داود والترمذى والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة وقدم فيه ذكر الجنة

فهو يذنب وينتظر العفو عنها اتكالا على فضل الله تعالى . فهذه أسباب أربعة موجبة للإصرار على الذنب مع بقاء أصل الإيمان .

نعم قد يقدم المذنب بسبب خامس يقدح فى أصل إيمانه وهو كونه شاكا فى صدق الرسل وهذا هو الكفر ، كالذى يحذره الطبيب عن تناول مايضره فى المرض فإن كان المحذر ممن لا يعتقد فيه أنه عالم بالطب فيكذبه أو يشك فيه فلا يبالى به فهذا هو الكفر .

فإن قلت فما علاج الأسباب الخمسة ؟ فأقول هو الفكر ، وذلك بأن يقرر على نفسه فى السبب الأول وهو تأخر العقاب ، أن كل ماهو آت آت وأن غدا للناظرين قريب وأن الموت أقرب إلى كل أحد من شراك نعله فما يدريه لعل الساعة قريب ، والمتأخر إذا وقع صار ناجزا ويذكر نفسه أنه أبدا فى دنياه يتعب فى الحال لخوف أمر فى الاستقبال ، إذ يركب البحار ويقاسى الأسفار لأجل الربح الذى يظن أنه قد يحتاج إليه فى ثانى الحال . بل لو مرض فأخبره طبيب نصرانى بأن شرب الماء البارد يضره ويسوقه إلى الموت وكان الماء البارد ألذ الأشياء عنده تركه ، مع أن الموت ألمه لحظة إذا لم يخف مابعده ، ومفارقته للدنيا لابد منها ، فكم نسبة وجوده فى الدنيا إلى عدمه أزلا وأبدا ؟ فلينظر كيف يبادر إلى ترك ملاذه بقول ذمى لم تقم معجزة على طبه فيقول : كيف يليق بعقلى أن يكون قول الأنبياء المؤيدين بالمعجزات عندى دون قول نصرانى يدعى الطب لنفسه بلا معجزة على طبه ولا يشهد له إلا عوام الخلق ؟ وكيف يكون عذاب النار عندى أخف من عذاب المرض وكل يوم فى الآخرة بمقدار خمسين ألف سنة من أيام الدنيا ؟ وبهذا التفكر بعينه يعالج اللذة الغالبة عليه ويكلف نفسه تركها ويقول : إذا كنت لا أقدر على ترك لذاتى أيام العمر وهى أيام قلائل فكيف أقدر على ذلك أبد الآباد ؟ وإذا كنت لا أطيق ألم الصبر فكيف أطيق ألم النار ؟ وإذا كنت لا أصبر عن زخارف الدنيا مع كدوراتها وتنغصها وامتزاج صفوها بكدرها فكيف أصبر عن نعيم الآخرة ؟ وأما تسويف التوبة فيعالجه بالفكر فى أن أكثر صياح أهل النار من التسويف ، لأن المسوف يبنى الأمر على ماليس إليه وهو البقاء فلعله لا يبقى وإن بقى فلا يقدر على الترك غدا كما لا يقدر عليه اليوم ، فليت شعرى هل عجز فى الحال إلا لغلبة الشهوة والشهوة ليست تفارقه غدا بل تتضاعف إذ تتأكد بالاعتياد ! فليست الشهوة التى أكدها الإنسان بالعادة كالتى لم يؤكدها . وعن هذا هلك المسوفون لأنهم يظنون الفرق بين المتماثلين ولا يظنون أن الأيام متشابهة فى أن ترك الشهوات فيها أبدا شاق . وما مثال المسوف إلا مثاله من احتاج إلى قلع شجرة فرآها قوية لا تنقلع إلا بمشقة شديدة فقال أؤخرها سنة ثم أعود إليها ، وهو يعلم أن الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها ، وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه ، فلا حماقة فى الدنيا أعظم من حماقته إذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف فأخذ ينتظر الغلبة عليه إذا ضعف هو فى نفسه وقوى الضعيف .

وأما المعنى الرابع : وهو انتظار عفو الله تعالى ، فعلاجه ماسبق وهو كمن ينفق جميع أمواله ويترك نفسه وعياله فقراء منتظرا من فضل الله تعالى أن يرزقه العثور على كنز فى أرض خربة ، فإن إمكان العفو عن الذنب مثل هذا الإمكان ، وهو مثل من يتوقع النهب من الظلمة فى بلده وترك ذخائر أمواله فى صحن داره ، وقدر على دفنها وإخفائها فلم يفعل ، وقال : أنتظر من فضل الله تعالى أن يسلط غفلة أو عقوبة على الظالم الناهب حتى لا يتفرغ إلى دارى أو إذا انتهى إلى دارى مات على باب الدار ! فإن الموت ممكن والغفلة ممكنة ! وقد حكى فى الأسمار أن مثل ذلك وقع فأنا أنتظر من فضل الله مثله . فمنتظر هذا منتظر أمر ممكن ولكنه فى غاية الحماقة والجهل ، إذ قد لا يمكن ولا يكون .

وأما الخامس وهو شك فهذا كفر ، وعلاجه الأسباب التى تعرفه صدق الرسل وذلك يطول . ولكن يمكن أن يعالج بعلم قريب يليق بحد عقله ، فيقال له : ما قاله الأنبياء المؤيدون بالمعجزات هل صدقه ممكن أو تقول أعلم أنه محال كما أعلم استحالة شخص واحد فى مكانين فى حالة واحدة ؟ فإن قال : أعلم استحالته كذلك فهو أخرق معتوه وكأنه لا وجود لمثل هذا فى العقلاء . وإن قال : أنا شاك فيه ، فيقال : لو أخبرك شخص واحد مجهول عند تركك طعامك فى البيت لحظة أنه ولغت فيه حية وألقت سمها فيه وجوزت صدقه فهل تأكله أو تتركه وإن كان ألذ الأطعمة ؟ فيقول : أتركه لا محالة لأنى أقول إن كذب فلا يفوتنى إلا هذا الطعام ، والصبر عنه وإن كان شديدا فهو قريب ، وإن صدق فتفوتنى الحياة ، والموت بالإضافة إلى ألم الصبر عن الطعام وإضاعته شديد . فيقال له : ياسبحان الله كيف تؤخر صدق الأنبياء كلهم مع ما ظهر لهم من المعجزات وصدق كافة الأولياء والعلماء والحكماء بل جميع أصناف العقلاء - ولست أعنى بهم جهال العوام بل ذوى الألباب - عن صدق رجل واحد مجهول لعل له غرضا فيما يقول ؟ فليس فى العقلاء إلا من صدّق باليوم الآخر وأثبت ثوابا وعقابا وإن اختلفوا فى كيفيته ، فإن صدقوا فقد أشرفت على عذاب يبقى أبد الآباد ، وإن كذبوا فلا يفوتك إلا بعض شهوات هذه الدنيا الفانية المكدرة . فلا يبقى له توقف إن كان عاقلا مع هذا الفكر إذ لا نسبة لمدة العمر إلى أبد الآباد ، بل لو قدرنا الدنيا مملوءة بالذرة وقدرنا طائرا يلتقط فى كل ألف ألف سنة حبة واحدة منها لفنيت الذرة ولم ينقص أبد الآباد شيئا ، فكيف يفتر رأى العاقل فى الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلا لأجل سعادة تبقى أبد الآباد ؟ ولذلك قال أبو العلاء أحمد بن سليمان التنوخى المعرّى :

قال المنجم والطبيب كلاهما لا تبعث الأموات قلت إليكما
إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولى فالخسار عليكما

لذلك قال على رضى الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الأمور وكان شاكا : إن صح ما قلت فقد تخلصنا جميعا وإلا فقد تخلصت وهلكت ! أى العاقل يسلك طريق الأمن فى جميع الأحوال .

فإن قلت : هذه الأمور جلية ولكنها ليست تنال إلا بالفكر فما بال القلوب هجرت الفكر فيها واستثقلته ؟ وما علاج القلوب لردها إلى الفكر لا سيما من آمن بأصل الشرع وتفصيله ؟ فاعلم أنّ المانع من الفكر أمران (أحدهما) أنّ الفكر النافع هو الفكر فى عقاب الآخرة وأهوالها وشدائدها وحسرات العاصين فى الحرمان عن النعيم المقيم ، وهذا فكر لداغ مؤلم للقلب فينفر القلب عنه ويتلذذ بالفكر فى أمور الدنيا على سبيل التفرّج والاستراحة . (والثانى) أنّ الفكر شغل فى الحال مانع من لذائذ الدنيا وقضاء الشهوات ، وما من إنسان إلا وله فى كل حالة من أحواله ونفس من أنفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقته فصار عقله مسخرا لشهوته فهو مشغول بتدبير حيلته ، وصارت لذته فى طلب الحيلة فيه أو فى مباشرة قضاء الشهوة والفكر يمنعه من ذلك .

أما علاج هذين المانعين : فهو أن يقول لقلبه ما أشد غباوتك فى الاحتراز من الفكر فى الموت وما بعده تألما بذكره مع استحقار ألم مواقعته ، فكيف تصبر على مقاساته إذا وقع وأنت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده ومتألم به ؟ وأما الثانى وهو كون الفكر مفوتا للذات الدنيا ؛ فهو أن يتحقق أن فوات لذات الآخرة أشد وأعظم فإنها لا آخر لها ولا كدورة فيها ، ولذات الدنيا سريعة الدثور وهى مشوبة بالمكدرات فما فيها لذة صافية عن كدر . وكيف وفى التوبة عن المعاصى والإقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى واستراحة بمعرفته وطاعته

وطول الأنس به ؟ ولو لم يكن المطيع جزاء على عمله إلا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الأنس بمناجاة الله تعالى لكان ذلك كافيا ، فكيف بما ينضاف إليه من نعيم الآخرة ؟ نعم هذه اللذة لا تكون فى ابتداء التوبة ولكنها بعد ما يصبر عليها مدة مديدة وقد صار الخير ديدنا كما كان الشر ديدنا ، فالنفس قابلة — ما عودتها تتعود — والخير عادة والشر لجاجة .

فإذن هذه الأفكار هى المهيجة للخوف المهيج لقوة الصبر عن اللذات ، ومهيج هذه الأفكار وعظ الوعاظ وتنبيهات تقع للقلب بأسباب تتفق لا تدخل فى الحصر ، فيصير الفكر موافقا للطبع فيميل القلب إليه . ويعبر عن السبب الذى أوقع الموافقة بين الطبع والفكر الذى هو سبب الخير بالتوفيق ، إذ التوفيق هو التأليف بين الإرادة وبين المعنى الذى هو طاعة نافعة فى الآخرة . وقد روى فى حديث طويل : أنه قام عمار بن ياسر فقال لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الكفر على ماذا بنى ؟ فقال على رضى الله عنه : بنى على أربع دعائم : على الجفاء والعمى والغفلة والشك ، فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء ، ومن عمى نسى الذكر ، ومن غفل حاد عن الرشد ، ومن شك غرته الأمانى فأخذته الحسرة والندامة وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب . فما ذكرناه بيان لبعض آفات الغفلة عن التفكر وهذا القدر فى التوبة كاف . وإذا كان الصبر ركنا من أركان دوام التوبة فلا بد من بيان الصبر فنذكره فى كتاب مفرد إن شاء الله تعالى .

كتاب الصبر والشكر

وهو الكتاب الثانى من ربع المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أهل الحمد والثناء ، المنفرد برداء الكبرياء ، المتوحد بصفات المجد والعلاء ، المؤيد صفوة الأولياء بقوة الصبر على السراء والضراء والشكر على البلاء والنعماء ، والصلاة على محمد سيد الأنبياء وعلى أصحابه سادة الأصفياء وعلى آله قادة البررة الأتقياء صلاة محروسة بالدوام عن الفناء : ومصونة بالتعاقب عن التصرم والانقضاء .

أما بعد : فإن الإيمان نصفان : نصف صبر ونصف شكر [1] كما وردت به الآثار وشهدت له الأخبار . وهما أيضا وصفان من أوصاف الله تعالى واسمان من أسمائه الحسنى إذ سمى نفسه صبورا وشكورا ، فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطرى الإيمان ثم هو غفلة عن وصفين من أوصاف الرحمن ولا سبيل إلى الوصول إلى القرب من الله تعالى إلا بالإيمان ، وكيف يتصور سلوك سبيل الإيمان دون معرفة ما به الايمان ومن به الإيمان؟ والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به الإيمان وعن إدراك ما به الإيمان ، فما أحوج كلا الشطرين إلى الإيضاح والبيان . ونحن نوضح كلا الشطرين فى كتاب واحد لارتباط أحدهما بالآخر إن شاء الله تعالى . (الشطر الأول) فى الصبر وفيه بيان فضيلة الصبر ، وبيان حده وحقيقته ، وبيان كونه نصف الإيمان وبيان اختلاف

كتاب الصبر والشكر

(١) حديث « الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من رواية يزيد الرقاشى عن أنس ويزيد ضعيف .

أساميه باختلاف متعلقاته ، وبيان أقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف ، وبيان مظان الحاجة إلى الصبر ، وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه . فهى سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده إن شاء الله تعالى .

بيان فضيلة الصبر

وقد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف وذكر الصبر فى القرآن فى نيف وسبعين موضعا ، وأضاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ﴾ وقال تعالى ﴿ وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ﴾ وقال تعالى ﴿ ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ وقال تعالى ﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ﴾ وقال تعالى ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ فما من قربة إلا وأجرها بتقدير وحساب إلا الصبر ، ولأجل كون الصوم من الصبر وأنه نصف الصبر قال الله تعالى « الصوم لى وأنا أجزى به » فأضافه إلى نفسه من بين سائر العبادات ووعد الصابرين بأنه معهم فقال تعالى ﴿ واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ وعلق النصرة على الصبر فقال تعالى ﴿ بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ﴾ وجمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين . واستقصاء جميع الآيات فى مقام الصبر يطول

وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم « الصبر نصف الإيمان [1] » على ما سيأتى وجه كونه نصفا وقال صلى الله عليه وسلم « من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار ، ولأن تصبروا على ما أنتم عليه أحب إلى من أن يوافينى كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكنى أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدى فينكر بعضكم بعضا وينكركم أهل السماء عند ذلك ، فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم [2] » الآية وروى جابر أنه سئل صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال « الصبر والسماحة [3] » وقال أيضاً « الصبر كنز من كنوز الجنة [4] » وسئل مرة « ما الإيمان ؟ فقال : الصبر [5] » وهذا يشبه قوله صلى الله عليه وسلم « الحج عرفة [6] » معناه معظم الحج عرفة وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس [7] » وقيل : أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : تخلق بأخلاقى وأن من أخلاقى أنى أنا الصبور وفى حديث عطاء عن ابن عباس : لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأنصار فقال « أمؤمنون أنتم » فسكتوا ، فقال عمر : نعم يارسول الله قال « وما علامة إيمانكم ؟ » قالوا : نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء ، فقال صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث « الصبر نصف الإيمان » أخرجه أبو نعيم والخطيب من حديث ابن مسعود وتقدم فى الصوم

(٢) حديث « من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ... الحديث » بطوله تقدم فى العلم مختصرا ولم أجده هكذا بطول

(٣) حديث جابر : سئل عن الإيمان فقال « الصبر والسماحة » أخرجه الطبرانى فى مكارم الأخلاق وابن حبان فى الضعفاء وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر ضعيف ورواه الطبرانى فى الكبير من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده

(٤) حديث « الصبر كنز من كنوز الجنة » غريب لم أجده . (٥) حديث : سئل مرة عن الإيمان فقال « الصبر » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من رواية يزيد الرقاشى عن أنس مرفوعا « الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد » ويزيد ضعيف (٦) حديث « الحج عرفة » تقدم فى الحج .

(٧) حديث « أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس » لا أصل له مرفوعا وإنما هو من قول عمر بن عبد العزيز هكذا رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب محاسبة النفس .

« مؤمنون ورب الكعبة [١] » وقال صلى الله عليه وسلم « فى الصبر على ماتكره خير كثير [٢] » وقال المسيح عليه السلام : إنكم لاتدركون ماتحبون إلا بصبركم على ماتكرهون . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين [٣] » والأخبار فى هذا لاتحصى .

وأما الآثار . فقد وجد فى رسالة عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى عليك بالصبر واعلم أن الصبر صبران أحدهما أفضل من الآخر . الصبر فى المصيبات حسن وأفضل منه الصبر عما حرم الله تعالى. واعلم أن الصبر ملاك الإيمان وذلك بأن التقوى أفضل البر والتقوى بالصبر وقال على كرم الله وجهه . بنى الإيمان على أربع دعائم : اليقين والصبر والجهاد والعدل . وقال أيضا . الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لارأس له ولا إيمان لمن لاصبر له . وكان عمر رضى الله عنه يقول . نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين ؛ يعنى بالعدلين الصلاة والرحمة ، وبالعلاوة الهدى . والعلاوة مايحمل فوق العدلين على البعير وأشار به إلى قوله تعالى ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ وكان حبيب بن أبى حبيب إذا قرأ هذه الآية ﴿ إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب ﴾ بكى وقال . واعجباه أعطى واثنى أى هو المعطى للصبر وهو المثنى . وقال أبو الدرداء . ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر . هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل ، وأما من حيث النظر بعين الاعتبار فلا تفهمه إلا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه ، إذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل قبل معرفة الموصوف فلنذكر حقيقته ومعناه وبالله التوفيق .

بيان حقيقة الصبر ومعناه

اعلم أن الصبر مقام من مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين ، وجميع مقامات الدين إنما تنتظم من ثلاثة أمور . معارف وأحوال وأعمال . فالمعارف هى الأصول وهى تورث الأحوال والأحوال تثمر الأعمال فالمعارف كالأشجار ، والأحوال كالأغصان ، والأعمال كالثمار . وهذا مطرد فى جميع منازل السالكين إلى الله تعالى . واسم الإيمان تارة يختص بالمعارف وتارة يطلق على الكل ـ كما ذكرناه فى اختلاف اسم الإيمان والإسلام فى كتاب قواعد العقائد ـ وكذلك الصبر لايتم إلا بمعرفة سابقة وبحالة قائمة . فالصبر على التحقيق عبارة عنها والعمل هو كالثمرة يصدر عنها ، ولايعرف هذا إلا بمعرفة كيفية الترتيب بين الملائكة والإنس والبهائم . فإن الصبر خاصية الإنس ولايتصور ذلك فى البهائم والملائكة . أما فى البهائم فلنقصانها . وأما فى الملائكة فلكمالها .

وبيانه أن البهائم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها فلا باعث لها على الحركة والسكون إلا الشهوة ، وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة فى مقابلة مقتضى الشهوة صبرا .

وأما الملائكة عليهم السلام فإنهم جردوا للشوق إلى حضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم تسلط عليهم شهوة صارفة صادة عنها حتى يحتاج إلى مصادمة مايصرفها عن حضرة الجلال بجند آخر يغلب الصوارف .

وأما الإنسان فإنه خلق فى ابتداء الصبا ناقصا مثل البهيمة لم يخلق فيه إلا شهوة الغذاء الذى هو محتاج إليه ، ثم تظهر فيه شهوة اللعب والزينة ، ثم شهوة النكاح ، على الترتيب ، وليس له قوة الصبر ألبتة ؛ إذ الصبر عبارة عن

---

(١) حديث عطاء عن ابن عباس : دخل على الأنصار فقال « أمؤمنون أنتم ؟ » فسكتوا ، فقال عمر : نعم يارسول الله . . الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من رواية يوسف بن ميمون وهو منكر الحديث عن عطاء .

(٢) حديث « فى الصبر على ماتكره خير كثير » أخرجه الترمذى من حديث ابن عباس وقد تقدم

(٣) حديث « لو كان الصبر رجلا » لكان كريما أخرجه الطبراني من حديث عائشة وفيه صبيح بن دينار ضعفه العقيلى

ثبات جند فى مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما ، وليس فى الصبى إلا جند الهوى كما فى البهائم ؛ ولكنّ الله تعالى بفضله وسعة جوده أكرم بنى آدم ورفع درجتهم عن درجة البهائم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين ؛ أحدهما يهديه ، والآخر يقويه ، فتميز بمعونة الملكين عن البهائم . واختص بصفتين : إحداهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله ، ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذى إليه الهداية والتعريف . فالبهيمة لامعرفة لها ولا هداية إلى مصلحة العواقب بل إلى مقتضى شهواتها فى الحال فقط ، فلذلك لاتطلب إلا اللذيذ . وأما الدواء النافع مع كونه مضرا فى الحال فلا تطلبه ولاتعرفه ، فصار الإنسان بنور الهداية يعرف أن اتباع الشهوات له مغبات مكروهة فى العاقبة ، ولكن لم تكن هذه الهداية كافية مالم تكن له قدرة على ترك ماهو مضر ، فكم من مضر يعرفه الإنسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لاقدرة له على دفعه ؟ فافتقر إلى قدرة وقوة يدفع بها فى نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه ، فوكل الله تعالى به ملكا آخر يسدده ويؤيده ويقويه بجنود لم تروها ، وأمر هذا الجند بقتال جندالشهوة ، فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى ذلك بحسب إمداد الله تعالى عبده بالتأييد ، كما أن نور الهداية أيضا يختلف فى الخلق اختلافا لاينحصر .

فلنسم هذه الصفة التى بها فارق الإنسان البهائم فى قمع الشهوات وقهرها : باعثا دينيا ، ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها : باعث الهوى . وليفهم أن القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد . ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى ، ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لأعداء الله تعالى . فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين فى مقابلة باعث الشهوة . فإن ثبت حتى قهره واستمرّ على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين ، وإن تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر فى دفعها التحق بأتباع الشياطين .

فإن ترك الأفعال المشتهاة عمل يثمره حال يسمى : الصبر ، وهو ثبات باعث الدين الذى هو فى مقابلة باعث الشهوة . وثبات باعث الدين حال تثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضاداتها لأسباب السعادات فى الدنيا والآخرة . فإذا قوى يقينه ـ أعنى المعرفة التى تسمى إيمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله تعالى ـ قوى ثبات باعث الدين ، وإذا قوى ثباته تمت الأفعال على خلاف ماتتقاضاه الشهوة ، فلايتم ترك الشهوة إلا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة . وقوة المعرفة والإيمان تقبح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها . وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجندين بإذن الله تعالى وتسخيره إياهما وهما من الكرام الكاتبين وهما الملكان الموكلان بكل شخص من الآدميين . وإذا عرفت أن رتبة الملك الهادى أعلى من رتبة الملك المقوّى لم يخف عليك أنّ جانب اليمين هو أشرف الجانبين من جنبتى الدست ، الذى ينبغى أن يكون مسلما له . فهو إذن صاحب اليمين والآخر صاحب الشمال .

وللعبد طوران فى الغفلة والفكر وفى الاسترسال والمجاهدة . فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسىء إليه فيكتب أعراضه سيئة ، وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب إقباله له حسنة . وكذا بالاسترسال هو معرض عن صاحب اليسار تارك للاستمداد منه فهو به مسىء إليه فيثبت عليه سيئة ، وبالمجاهدة مستمدّ من جنوده فيثبت له به حسنة . وإنما ثبتت هذه الحسنات والسيئات بإثباتهما فلذلك سميا كراما كاتبين .

أما الكرام فلانتفاع العبد بكرمهما ولأن الملائكة كلهم كرام بررة ، وأما الكاتبون فلإثباتهما الحسنات والسيئات وإنما يكتبان فى صحائف مطوية فى سر القلب ، ومطوية عن سر القلب حتى لايطلع عليه فى هذا العالم ، فإنهما وكتبتهما وخطهما وصحائفهما وجملة ماتعلق بهما من جملة عالم الغيب والملكوت لامن عالم الشهادة ، وكل شىء من عالم الملكوت لا تدركه الأبصار فى هذا العالم ، ثم تنشر هذه الصحائف المطوية عنه مرتين : مرة فى القيامة الصغرى ومرة فى القيامة الكبرى ، وأعنى بالقيامة الصغرى حالة الموت ، إذ قال صلى الله عليه وسلم « من مات فقد قامت قيامته[1] » وفى هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ﴾ وفيها يقال ﴿ كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ أما فى القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق فلا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملأ من الخلق ، وفيها يساق المتقون إلى الجنه والمجرمون إلى النار زمرا لا آحادا . والهول الأول هو هول القيامة الصغرى . ولجميع أهوال القيامة الكبرى نظير فى القيامة الصغرى مثل زلزلة الأرض مثلا فإن أرضك الخاصة بك تزلزل فى الموت ، فإنك تعلم أن الزلزلة إذا نزلت ببلدة صدق أن يقال قد زلزلت أرضهم وإن لم تزلزل البلاد المحيطة بها ، بل لو زلزل مسكن الإنسان وحده فقد حصلت الزلزلة فى حقه ، لأنه إنما يتضرر عند زلزلة جميع الأرض بزلزلة مسكنه لابزلزلة مسكن غيره ، فحصته من الزلزلة قد توفرت من غير نقصان . واعلم أنك أرضى مخلوق من التراب ، وحظك الخاص من التراب بدنك فقط ، فأما بدن غيرك فليس بحظك . والأرض التى أنت جالس عليها بالإضافة إلى بدنك ظرف ومكان وإنما تخاف من تزلزله أن يتزلزل بدنك بسببه ، وإلا فالهواء أبدا متزلزل وأنت لاتخشاه إذ ليس يتزلزل به بدنك ، فحظك من زلزلة الأرض كلها زلزلة بدنك فقط ، فهى أرضك وترابك الخاص بك ، وعظامك جبال أرضك ، ورأسك سماء أرضك ، وقلبك شمس أرضك ، وسمعك وبصرك وسائر حواسك نجوم سمائك ، ومفيض العرق من بدنك بحر أرضك ، وشعورك نبات أرضك ، وأطرافك أشجار أرضك ، وهكذا إلى جميع أجزائك ، فإذا انهدم بالموت أركان بدنك فقد زلزلت الأرض زلزالها ، فإذا انفصلت العظام من اللحوم فقد حملت الأرض والجبال فدكتادكة واحدة ، فإذا رمت العظام فقد نسفت الجبال نسفا ، فإذا أظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكويرا ، فإذا بطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارا ، فإذا انشق دماغك فقد انشقت السماء انشقاقا ، فإذا انفجرت من هول الموت عرق جبينك فقد فجرت البحار تفجيرا ، فإذا التفت إحدى ساقيك بالأخرى وهما مطيتاك فقد عطلت العشار تعطيلا ، فإذا فارقت الروح الجسد فقد حملت الأرض فدكت حتى ألقت مافيها وتخلت ، ولست أطول بجميع موازنة الأحوال والأهوال ولكنى أقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة الصغرى ، ولايفوتك من القيامة الكبرى شىء مما يخصك بل مايخص غيرك . فإن بقاء الكواكب فى حق غيرك ماذا ينفعك وقد انتثرت حواسك التى بها تنتفع بالنظر إلى الكواكب ، والأعمى يستوى عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها لأنها قد كسفت فى حقه دفعة واحدة ، وهو حصته منها فالانجلاء بعد ذلك حصة غيره ، ومن انشق رأسه فقد انشقت سماؤه إذ السماء عبارة عما يلى جهة الرأس فمن لارأس له لاسماء له فمن أين ينفعه بقاء السماء لغيره ؟ فهذه هى القيامة الصغرى . والخوف بعد أسفل والهول بعد مؤخر وذلك إذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السموات والأرض ونسفت الجبال ونمت الأهوال .

---

(١) حديث « من مات فقد قامت قيامته » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت من حديث أنس بسند ضعيف .

واعلم أنّ هذه الصغرى وإن طوّلنا فى وصفها فإنا لم نذكر عشير أوصافها وهى بالنسبة إلى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة إلى الولادة الكبرى ؛ فإن للإنسان ولادتين (إحداهما) الخروج من الصلب والترائب إلى مستودع الأرحام فهو فى الرحم فى قرار مكين إلى قدر معلوم ، وله فى سلوكه إلى الكمال منازل وأطوار من نطفة وعلقة ومضغة وغيرها إلى أن يخرج من مضيق الرحم إلى فضاء العالم . فنسبة عموم القيامة الكبرى إلى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم إلى سعة فضاء الرحم ، ونسبة سعة العالم الذى يقدم عليه العبد بالموت إلى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا أيضا إلى الرحم ، بل أوسع وأعظم . فقس الآخرة بالأولى فما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة . وما النشأة الثانية إلا على قياس النشأة الأولى بل أعداد النشآت ليست محصورة فى اثنتين . وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ وننشئكم فيما لاتعلمون ﴾ فالمقر بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والملكوت . والمقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء إلى أحد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والاقتداء بالأعور الدجال .

فما أعظم غفلتك يا مسكين ـ وكلنا ذلك المسكين ـ وبين يديك هذه الأهوال فإن كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال أفلا تكفيك دلالة القيامة الصغرى ؟ أو ما سمعت قول سيد الأنبياء « كفى بالموت واعظا [1] » أو ما سمعت بكربه عليه السلام عند الموت حتى قال صلى الله عليه وسلم « اللهم هوّن على محمد سكرات الموت [2] » أو ما تستحى من استبطائك هجوم الموت اقتداء برعاع الغافلين الذين لا ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلايستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ؟ فيأتيهم المرض نذيرا من الموت فلا ينزجرون ويأتيهم الشيب رسولا منه فما يعتبرون فياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ، أفيظنون أنهم فى الدنيا خالدون ؟ ﴿ أو لم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون ﴾ أم يحسبون أنّ الموتى سافروا من عندهم فهم معدومون كلا ﴿ وإن كل لما جميع لدينا محضرون ﴾ ولكن ﴿ ما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ﴾ وذلك لأنا ﴿ جعلنا من بين أيديهم سدّا ومن خلفهم سدّا فأغشيناهم فهم لايبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون ﴾ .

ولنرجع إلى الغرض فإن هذه تلويحات تشير إلى أمور هى أعلى من علوم المعاملة . فنقول : ظهر أن الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين فى مقاومة باعث الهوى ، وهذه المقاومة من خاصة الآدميين لما وكل بهم من الكرام الكاتبين ولايكتبان شيئا عن الصبيان والمجانين ، إذ قد ذكرنا أن الحسنة فى الإقبال على الاستفادة منهما والسيئة فى الإعراض عنهما ، وما للصبيان والمجانين سبيل إلى الاستفادة فلا يتصوّر منهما إقبال وإعراض ، وهما لايكتبان إلا الإقبال والإعراض من القادرين على الإقبال والإعراض .. ولعمرى إنه قد تظهر مبادئ إشراق نور الهداية عند سنّ التمييز وتنمو على التدريج إلى سنّ البلوغ كما يبدو نور الصبح إلى أن يطلع قرص الشمس ، ولكنها هداية قاصرة لا ترشد إلى مضارّ الآخرة بل إلى مضارّ الدنيا ، فلذلك يضرب على ترك الصلوات ناجزا ولا يعاقب على تركها فى الآخرة ، ولا يكتب عليه من الصحائف ما ينشر فى الآخرة ، بل على القيم العدل والولى البر الشفيق

(١) حديث « كفى بالموت واعظا » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث عائشة وفيه الربيع بن بدر ضعيف ورواه الطبرانى من حديث عقبة بن عامر وهو معروف من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقى فى الزهد . (٢) حديث « اللهم هون على محمد سكرات الموت » أخرجه الترمذى وقال غريب والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه من حديث عائشة بلفظ « اللهم أعنى على سكرات الموت . »

- إن كان من الأبرار وكان على سمت الكرام الكاتبين البررة الأخيار - أن يكتب على الصبي سيئته وحسنته على صحيفة قلبه ، فيكتبه عليه بالحفظ ثم ينشره عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه بالضرب . فكل ولى هذا سمته فى حق الصبي فقد ورث أخلاق الملائكة واستعملها فى حق الصبي . فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته الملائكة فيكون مع النبيين والمقربين والصديقين . وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة [1] » وأشار إلى أصبعيه الكريمتين صلى الله عليه وسلم .

بيان كون الصبر نصف الإيمان

اعلم أنّ الإيمان تارة يختص فى إطلاقه بالتصديقات بأصول الدين وتارة يختص بالأعمال الصالحة الصادرة منها وتارة يطلق عليهما جميعا ، وللمعارف أبواب وللأعمال أبواب ، ولاشتمال لفظ الإيمان على جميعها كان الإيمان نيفا وسبعين بابا . واختلاف هذه الإطلاقات ذكرناه فى كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات . ولكن الصبر نصف الإيمان باعتبارين وعلى مقتضى إطلاقين .

أحدهما : أن يطلق على التصديقات والأعمال جميعا . فيكون للإيمان ركنان : (أحدهما) اليقين (والآخر) الصبر . والمراد باليقين . المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده إلى أصول الدين . والمراد بالصبر : العمل بمقتضى اليقين إذ اليقين يعرفه أن المعصية ضارة والطاعة نافعة ، ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر وهو استعمال باعث الدين فى قهر باعث الهوى والكسل . فيكون الصبر نصف الإيمان بهذا الاعتبار . ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال « من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ... الحديث » إلى آخره

الاعتبار الثانى : أن يطلق على الأحوال المثمرة للأعمال لا على المعارف ، وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقيه العبد إلى ماينفعه فى الدنيا والآخرة أو يضره فيهما ، وله بالإضافه إلى مايضره حال الصبر ، وبالإضافة إلى ما ينفعه حال الشكر . فيكون الشكر أحد شطرى الإيمان بهذا الاعتبار كما أن اليقين أحد الشطرين بالاعتبار الأوّل . وبهذا النظر قال ابن مسعود رضى الله عنه : الإيمان نصفان ، نصف صبر ونصف شكر . وقد يرفع أيضا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما كان الصبر صبرا عن باعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين ، باعث من جهة الشهوة ، وباعث من جهة الغضب ؛ فالشهوة لطلب اللذيذ والغضب للهرب من المؤلم ، وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهى شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب : قال صلى الله عليه وسلم بهذا الاعتبار « الصوم نصف الصبر » لأن كمال الصبر بالصبر عن دواعى الشهوة ودواعى الغضب جميعا ، فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الإيمان . فهكذا ينبغى أن تفهم تقديرات الشرع بحدود الأعمال والأحوال ونسبتها إلى الإيمان : والأصل فيه أن تعرف كثرة أبواب الإيمان فإن اسم الإيمان يطلق على وجوه مختلفة .

بيان الأسامى التى تتجدد للصبر بالإضافة إلى ماعنه الصبر

أعلم أن الصبر ضربان ؛ أحدهما : ضرب بدنى ، كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها . وهو إما بالفعل : كتعاطى

---

(١) حديث « أنا وكافل اليتيم كهاتين » أخرجه البخارى من حديث سهل بن سعد وتقدم .

الأعمال الشاقة إما من العبادات أو من غيرها . وإما بالاحتمال : كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة . وذلك قد يكون محمودا إذا وافق الشرع .

ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر : وهو الصبر النفسى عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى . ثم هذا الضرب إن كان صبرا على شهوة البطن والفرج سمى عفة ، وإن كان على احتمال مكروه اختلفت أساميه عند الناس باختلاف المكروه الذى غلب عليه الصبر . فإن كان فى مصيبة اقتصر على اسم الصبر ، وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع وهو إطلاق داعى الهوى ليسترسل فى رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرهما . وإن كان فى احتمال الغنى سمى ضبط النفس ، وتضاده حالة تسمى البطر . وإن كان فى حرب ومقاتلة سمى شجاعة ويضاده الجبن . وإن كان فى كظم الغيظ والغضب سمى حلما ويضاده التذمر . وإن كان فى نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمى سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر . وإن كان فى إخفاء كلام سمى كتمان السر وسمى صاحبه كتوما . وإن كان عن فضول العيش سمى زهدا ويضاده الحرص . وإن كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمى قناعة ويضاده الشره فأكثر أخلاق الإيمان داخل فى الصبر . ولذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الإيمان قال « هو الصبر » لأنه أكثر أعماله وأعزها كما قال « الحج عرفة [1] » ، وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك وسمى الكل صبرا فقال تعالى ﴿ والصابرين فى البأساء ﴾ أى المصيبة ﴿ والضراء ﴾ أى الفقر ﴿ وحين البأس ﴾ أى المحاربة ﴿ أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ فإذن هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ، ومن يأخذ المعانى من الأسامى يظن أن هذه الأحوال مختلفة فى ذواتها وحقائقها من حيث رأى الأسامى مختلفة ، والذى يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله تعالى يلحظ المعانى أولا فيطلع على حقائقها ثم يلاحظ الأسامى فإنها وضعت دالة على المعانى . فالمعانى هى الأصول والألفاظ هى التوابع . ومن يطلب الأصول من التوابع لابد وأن يزل . وإلى الفريقين الإشارة بقوله تعالى ﴿ أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم ﴾ فإن الكفار لم يغلطوا فيما غلطوا فيه إلا بمثل هذه الانعكاسات ، نسأل الله حسن التوفيق بكرمه ولطفه .

بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف

اعلم أن باعث الدين بالإضافة إلى باعث الهوى له ثلاثة أحوال ؛ أحدها : أن يقهر داعى الهوى فلا تبقى له قوة المنازعة ويتوصل إليه بدوام الصبر ، وعند هذا يقال من صبر ظفر . والواصلون إلى هذه الرتبة هم الأقلون فلا جرم هم الصديقون المقربون ﴿ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى باعث الدين . وإياهم ينادى المنادى ﴿ ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية ﴾ .

الحالة الثانية : أن تغلب دواعى الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه إلى جند الشياطين ، ولا يجاهد ليأسه من المجاهدة ، وهؤلاء هم الغافلون وهم الأكثرون ، وهم الذين استرقتهم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم فحكموا أعداء الله فى قلوبهم التى هى سر من أسرار الله تعالى وأمر من أمور الله . وإليهم الإشارة بقوله تعالى ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فخسرت صفقتهم ، وقيل لمن قصد إرشادهم ﴿ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا

(١) حديث « الحج عرفة » أخرجه أصحاب السنن من حديث عبد الرحمن بن يعمر وتقدم فى الحج .

ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ﴾ وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالأماني وهو غاية الحمق كما قال صلى الله عليه وآله وسلم « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله (١) » وصاحب هذه الحالة إذا وعظ قال : أنا مشتاق إلى التوبة ولكنها قد تعذرت على فلست أطمع فيها ، أو لم يكن مشتاقا إلى التوبة ولكن قال : إنّ الله غفور رحيم كريم فلا حاجة به إلى توبتي . وهذا المسكين قد صار عقله رقيقا لشهوته ، فلا يستعمل عقله إلا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل إلى قضاء شهوته ، فقد صار عقله في يد شهواته كمسلم أسير في أيدي الكفار فهم يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها ، ومحله عندالله تعالى محل من يقهر مسلما ويسلمه إلى الكفار ويجعله أسيرا عندهم ، لأنه بفاحش جنايته يشبه أنه سخر ما كان حقه أن لايستسخر ، وسلط ماحقه أن لايتسلط عليه ، وإنما استحق المسلم أن يكون متسلطا لما فيه من معرفة الله وباعث الدين وإنما استحق الكافر أن يكون مسلطا عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه أوجب من حق غيره عليه . فهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشياطين المبعدين عن الله تعالى كان كمن أرق مسلما لكافر ، بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه فأخذ أعز أولاده وسلمه إلى أبغض أعدائه ، فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستيجابه لنقمته ! لأن الهوى أبغض إله عبد في الأرض عندالله تعالى ، والعقل أعز موجود خلق على وجه الأرض .

الحالة الثالثة : أن يكون الحرب سجالا بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه ، وهذا من المجاهدين يعد مثله لامن الظافرين ، وأهل هذه الحالة هم الذين ﴿ خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ﴾ هذا باعتبار القوة والضعف . ويتطرق إليه أيضا ثلاثة أحوال باعتبار عدد مايصبر عنه : فإنه إما أن يغلب جميع الشهوات أو لايغلب شيئا منها ، أو يغلب بعضها دون بعض . وتنزيل قوله تعالى ﴿ خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ﴾ على من عجز عن بعض الشهوات دون بعض أولى . والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقا يشبهون بالأنعام بل هم أضل سبيلا ، إذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها تجاهد مقتضى الشهوات ، وهذا قد خلق ذلك له وعطله فهو الناقص حقا المدبر يقينا ، ولذلك قيل :

ولم أر في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام

وينقسم الصبر أيضا باعتبار اليسر والعسر إلى مايشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه إلا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبرا ، وإلى مايكون من غير شدة تعب بل يحصل بأدنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر . وإذا دامت التقوى وقوى التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر ولذلك قال تعالى ﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ﴾ ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره ، فإنّ الرجل القوي يقدر على أن يصرع الضعيف بأدنى حيلة وأيسر قوة بحيث لايلقاه في مصارعته إعياء ولا لغوب ولا تضطرب فيه نفسه ولا ينبهر . ولا يقوى على أن يصرع الشديد إلا بتعب ومزيد جهد وعرق جبين . فهكذا تكون المصارعة بين باعث الدين وباعث الهوى فإنه على التحقيق صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين . ومهما أذعنت الشهوات وانقمعت وتسلط باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول المواظبة أورث ذلك مقام الرضا ـ كما سيأتي في كتاب الرضا ـ فالرضا

(١) حديث « الكيس من دان نفسه ... الحديث » تقدم في ذم الغرور .

أعلى من الصبر ، ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم « اعبد الله على الرضا فإن لم تستطع ففى الصبر على ماتكره خير كثير [1] » .

وقال بعض العارفين : أهل الصبر على ثلاثة مقامات (أولها) ترك الشهوة وهذه درجة التائبين . (وثانيها) الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين . (وثالثها) المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصدّيقين .

وسنبين فى كتاب المحبة أنّ مقام المحبة أعلى من الرضا ، كما أنّ مقام الرضا أعلى من مقام الصبر . وكأن هذا الانقسام يجرى فى صبر خاص وهو الصبر على المصائب والبلايا .

واعلم أنّ الصبر أيضا ينقسم باعتبار حكمه إلى فرض ونفل ومكروه ومحرم . فالصبر عن المحظورات فرض . وعلى المكاره نفل . والصبر على الأذى المحظور محظور كمن تقطع يده أو يد ولده وهو يصبر عليه ساكتا . وكمن يقصد حريمه بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيصبر عن إظهار الغيرة ويسكت على مايجرى على أهله فهذا الصبر محرم . والصبر المكروه هو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة فى الشرع . فليكن الشرع محك الصبر . فكون الصبر نصف الإيمان لاينبغى أن يخيل إليك أنّ جميعه محمود بل المراد به أنواع من الصبر مخصوصة .

بيان مظان الحاجة إلى الصبر وأن العبد لايستغنى عنه فى حال من الأحوال

اعلم أنّ جميع مايلقى العبد فى هذه الحياة لايخلو من نوعين (أحدهما) هو الذى يوافق هواه . (والآخر) هو الذى لايوافقه بل يكرهه . وهو محتاج إلى الصبر فى كل واحد منهما وهو فى جميع الأحوال لايخلو عن أحد هذين النوعين أو عن كليهما . فهو إذن لايستغنى قط عن الصبر .

(النوع الأول) مايوافق الهوى : وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الأسباب وكثرة الأتباع والأنصار وجميع ملاذ الدنيا . وما أحوج العبد إلى الصبر على هذه الأمور فإنه إن لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون إليها والانهماك فى ملاذها المباحة منها أخرجه ذلك إلى البطر والطغيان ، فإن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى حتى قال بعض العارفين : البلاء يصبر عليه المؤمن ، والعوافى لايصبر عليها إلا صديق . وقال سهل : الصبر على العافية أشدّ من الصبر على البلاء ولما فتحت أبواب الدنيا على الصحابة رضى الله عنهم قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ، ولذلك حذر الله عباده من فتنة المال . والزوج والولد فقال تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ﴾ وقال عز وجل ﴿ إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « الولد مبخلة مجبنة محزنة [2] » . ولما نظر عليه السلام إلى ولده الحسن رضى الله عنه يتعثر فى قميصه نزل عن المنبر واحتضنه ثم قال « صدق الله ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ إنى لما رأيت ابنى يتعثر لم أملك نفسى أن أخذته [3] » ، ففى ذلك عبرة لأولى الأبصار .

فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ، ومعنى الصبر عليها أن لايركن إليها ويعلم أن كل ذلك مستودع عنده وعسى أن يسترجع على القرب وأن لايرسل نفسه فى الفرح بها ولاينهمك فى التنعم واللذة واللهو واللعب ، وأن يرعى حقوق الله فى ماله بالإنفاق وفى بدنه ببذل المعونة للخلق وفى لسانه ببذل الصدق ، وكذلك فى سائر ماأنعم الله به عليه

---

(١) حديث « اعبد الله على الرضا فإن لم تستطع ففى الصبر على ماتكره خير كثير » أخرجه الترمذى من حديث ابن عباس وقد تقدم . (٢) حديث « الولد مجبنة مبخلة محزنة » أخرجه أبو يعلى الموصلى من حديث أبي سعيد وتقدم (٣) حديث « لما نظر إلى ابنه الحسن يتعثر فى قميصه نزل عن المنبر .. الحديث » أخرجه أصحاب السنن من حديث بريدة وقالوا الحسن والحسين وقال الترمذى حسن غريب .

وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم إلا بالقيام بحق الشكر — كما سيأتى — وإنما كان الصبر على السراء أشد لأنه مقرون بالقدرة ومن العصمة أن لا تقدر ، والصبر على الحجامة والفصد إذا تولاه غيرك أيسر من الصبر على فصدك نفسك وحجامتك نفسك ؛ والجائع عند غيبة الطعام أقدر على الصبر منه إذا حضرته الأطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها ، فلهذا عظمت فتنة السراء .

(النوع الثانى) مالا يوافق الهوى والطبع ، وذلك لا يخلو إما أن يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصى ، أو لا يرتبط باختياره كالمصائب والنوائب . أولا يرتبط باختياره ولكن له اختيار فى إزالته كالتشفى من المؤذى بالانتقام منه فهذه ثلاثة أقسام :

(القسم الأول) ما يرتبط باختياره وهو سائر أفعاله التى توصف بكونها طاعة أو معصيه وهما ضربان:

(الضرب الأول) الطاعة ، والعبد يحتاج إلى الصبر عليها ، فالصبر على الطاعة شديد لأن النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهى الربوبية ، ولذلك قال بعض العارفين : ما من نفس إلا وهى مضمرة ما أظهر فرعون من قوله ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ ولكن فرعون وجد له مجالا وقبولا فأظهره إذ استخف قومه فأطاعوه ، ومامن أحد إلا وهو يدعى ذلك مع عبده وخادمه وأتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته ، وإن كان ممتنعا من إظهاره فإن استشاطته وغيظه عند تقصيرهم فى خدمته واستبعاده ذلك ليس يصدر إلا عن إضمار الكبر ومنازعة الربوبية فى رداء الكبرياء.

فإذن العبودية شاقة على النفس مطلقا . ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة. ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة . ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد . فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد .

ويحتاج المطيع إلى الصبر على طاعته فى ثلاث أحوال : الأولى قبل الطاعة ، وذلك فى تصحيح النية والإخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعى الآفات وعقد العزم على الإخلاص والوفاء . وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والإخلاص وآفات الرياء ومكايد النفس . وقد نبه عليه صلوات الله عليه إذ قال « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى[1] » ، وقال تعالى ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ ولهذا قدم الله تعالى الصبر على العمل فقال تعالى ﴿ إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات ﴾.

الحالة الثانية : حالة العمل ، كى لا يغفل عن الله فى أثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ويدوم على شرط الأدب إلى آخر العمل الأخير فيلازم الصبر عن دواعى الفتور إلى الفراغ ، وهذا أيضا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى ﴿ نعم أجر العاملين الذين صبروا ﴾ أى صبروا إلى تمام العمل .

الحالة الثالثة : بعد الفراغ من العمل ، إذ يحتاج إلى الصبر عن إفشائه والتظاهر به للسمعة والرياء والصبر عن النظر إليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط أثره كما قال تعالى ﴿ ولا تبطلوا أعمالكم ﴾ وكما قال تعالى ﴿ لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ﴾ فمن لا يصبر بعد الصدقة عن المن والأذى فقد أبطل عمله .

والطاعات تنقسم إلى فرض ونفل وهو محتاج إلى الصبر عليهما جميعا وقد جمعهما الله تعالى فى قوله ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ﴾ فالعدل هو الفرض ، والإحسان هو النفل وإيتاء ذى القربى هو المروءة وصلة الرحم . وكل ذلك يحتاج إلى صبر .

(الضرب الثانى) المعاصى : فما أحوج العبد إلى الصبر عنها ، وقد جمع الله تعالى أنواع المعاصى فى قوله تعالى ﴿ وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « المهاجر من هجر السوء ، والمجاهد من جاهد هواه[2] » .

---

(١) حديث « إنما الأعمال بالنيات » متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم (٢) حديث « المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه » أخرجه ابن ماجه بالشطر الأول والنسائى فى الكبرى بالشطر الثانى كلاهما من حديث فضالة بن عبيد الله بإسنادين جيدين وقد تقدما

والمعاصى مقتضى باعث الهوى.

وأشد أنواع الصبر : الصبر عن المعاصى التى صارت مألوفة بالعادة فإن العادة طبيعة خامسة ، فإذا انضافت العادة إلى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعها ، ثم إن كان ذلك الفعل مما تيسر فعله كان الصبر عنه أثقل على النفس ، كالصبر عن معاصى اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعريضا وتصريحا . وأنواع المزح المؤذى للقلوب وضروب الكلمات التى يقصد بها الإزراء والاستحقار وذكر الموتى والقدح فيهم وفى علومهم وسيرهم ومناصبهم ، فإن ذلك فى ظاهره غيبة وفى باطنه ثناء على النفس . فللنفس فيه شهوتان : إحداهما نفى الغير والأخرى إثبات نفسه . وبها تتم له الربوبية التى هى فى طبعه، وهى ضد ما أمر به من العبودية . ولاجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتادا فى المحاورات يعسر الصبر عنها ، وهى أكبر الموبقات حتى بطل استنكارها واستقباحها من القلوب لكثرة تكريرها وعموم الأنس بها، فترى الإنسان يلبس حريرا مثلا فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار فى أعراض الناس ولا يستنكر ذلك مع ماورد فى الخبر من أن الغيبة أشد من الزنا [1] ومن لم يملك لسانه فى المحاورات ولم يقدر على الصبر عن ذلك فيجب عليه العزلة والانفراد فلا ينجيه غيره ، فالصبر على الانفراد أهون من الصبر على السكوت مع المخالطة .

وتختلف شدة الصبر فى آحاد المعاصى باختلاف داعية تلك المعصية فى قوتها وضعفها . وأيسر من حركة اللسان حركة الخواطر باختلاف الوساوس ، فلا جرم يبقى حديث النفس فى العزلة ولا يمكن الصبر عنه أصلا إلا بأن يغلب على القلب هم آخر فى الدين يستغرقه ، كمن أصبح وهمومه هم واحد ، وإلا فإن لم يستعمل الفكر فى شىء معين لم يتصور فتور الوسواس عنه .

(القسم الثانى) مالا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار فى دفعه ، كما لو أوذى بفعل أو قول وجنى عليه فى نفسه أو ماله فالصبر على ذلك بترك المكافأة تارة يكون واجبا وتارة يكون فضيلة . قال بعض الصحابة رضوان الله عليهم : ما كنا نعد إيمان الرجل إيمانا إذا لم يصبر على الأذى . وقال تعالى ﴿ ولنصبرنّ على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾ وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة مالا ، فقال بعض الأعراب من المسلمين؟ هذه قسمة ما أريد بها وجه الله ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحمرت وجنتاه ثم قال « يرحم الله أخى موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر [2] » وقال تعالى ﴿ ودع أذاهم وتوكل على الله ﴾ وقال تعالى ﴿ واصبر على مايقولون واهجرهم هجرا جميلا ﴾ وقال تعالى ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك ﴾ الآية وقال تعالى ﴿ ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ أى تصبروا عن المكافأة . ولذلك مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم فى القصاص وغيره فقال تعالى ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير الصابرين ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك [3] » ورأيت فى الإنجيل : قال عيسى بن مريم عليه السلام ، لقد قيل لكم من قبل إن السن بالسن والأنف بالأنف ، وأنا أقول لكم لاتقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الأيمن فحوّل إليه

---

(١) حديث « إن الغيبة أشد من الزنا » تقدم فى آفات اللسان (٢) حديث : قسمة من مالا وقول بعض الأعراب : هذه قسمة ما أريد بها وجه الله ... الحديث » متفق عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم

(٣) حديث « صل من قطعك ... الحديث » تقدم

الخد الأيسر ومن أخذ رداءك فأعطه إزارك ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين . وكل ذلك أمر بالصبر على الأذى . فالصبر على أذى الناس من أعلى مراتب الصبر لأنه يتعاون فيه باعث الدين وباعث الشهوة والغضب جميعا .

(القسم الثالث) مالا يدخل تحت حصر الاختيار أوله وآخره ؛ كالمصائب : مثل موت الأعزة وهلاك الأموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين وفساد الأعضاء . وبالجملة سائر أنواع البلاء ، فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر . قال ابن عباس رضى الله عنهما . الصبر فى القرآن على ثلاثة أوجه ؛ صبر على أداء فرائض الله تعالى فله ثلثمائة درجة ، وصبر عن محارم الله تعالى فله ستمائة درجة ، وصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعمائة درجة . وإنما فضلت هذه الرتبة مع أنها من الفضائل على ما قبلها وهى من الفرائض لأن كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم.

فأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه إلا الأنبياء لأنه بضاعة الصديقين فإنّ ذلك شديد على النفس . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «أسألك من اليقين ماتهوّن على به مصائب الدنيا[1]» فهذا صبر مستنده حسن اليقين .

وقال أبو سليمان : والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره؟ وقال النبى صلى الله عليه وسلم «قال الله عز وجل إذا وجهت إلى عبد من عبيدى مصيبة فى بدنه أو ماله وولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا [2] » وقال صلى الله عليه وسلم «انتظار الفرج بالصبر عبادة [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد مؤمن أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله تعالى ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ اللهم اؤجرنى بمصيبتى وأعقبنى خيرا منها إلا فعل الله به ذلك [4] » وقال أنس : حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنّ الله عز وجل قال ياجبريل ماجزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا قال الله تعالى جزاؤه الخلود فى دارى والنظر إلى وجهى [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل إذا ابتليت عبدى ببلاء فصبر ولم يشكنى إلى عواده أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه فإذا أبرأته أبرأته ولا ذنب له وإن توفيته فإلى رحمتى [6] » وقال داود عليه السلام : يارب ماجزاء الحزين الذى يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه أن ألبسه لباس الإيمان فلا أنزعه عنه أبدا . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله فى خطبته : ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوّضه منها الصبر إلا كان ما عوّضه منها أفضل مما انتزع منه وقرأ ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ وسئل فضيل عن الصبر فقال : هو

---

(١) حديث « أسألك من اليقين ماتهون به على مصائب الدنيا » أخرجه الترمذى والنسائى والحاكم وصححه من حديث ابن عمر وحسنه الترمذى وقد تقدم فى الدعوات (٢) حديث « قال الله إذا وجهت الى عبد من عبيدى مصيبة فى بدنه أو ولده أو ماله ثم استقبل ذلك بصبر جميل ... الحديث » أخرجه ابن عدى من حديث أنس بسند ضعيف .

(٣) حديث « انتظار الفرج بالصبر عبادة » أخرجه القضاعى فى مسند الشهاب من حديث ابن عمر وابن عباس وابن أبى الدنيا فى الفرج بعد الشدة من حديث على دون قوله « بالصبر » وكذلك رواه أبو سعيد الماليني فى مسند الصوفية من حديث ابن عمر وكلها ضعيفة والترمذى من حديث ابن مسعود « أفضل العبادة انتظار الفرج » وتقدم فى الدعوات (٤) حديث « مامن عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله (إنا لله وإنا اليه راجعون) ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أم سلمة

(٥) حديث أنس « إن الله قال ياجبريل ماجزاء من سلبت كريمتيه ... الحديث » أخرجه الطبراني فى الأوسط من رواية أبى ظلال القسملى واسمه هلال أحد الضعفاء عن أنس ورواه البخارى بلفظ « إن الله عزوجل قال إذا ابتليت عبدى بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة » رواه ابن عدى وأبو يعلى بلفظ « إذا أخذت كريمتى عبدى لم أرض له ثوابا دون الجنة » قلت يارسول الله وإن كانت واحدة قال « وإن كانت واحدة » وفيه سعيد بن سليم قال ابن عدى ضعيف (٦) حديث « يقول الله إذا ابتليت عبدى ببلاء فصبر ولم يشكنى الى عواده أبدلته لحما خيرا من لحمه ... الحديث » أخرجه مالك فى الموطأ من حديث عطاء بن يسار عن أبى سعيد انتهى وعباد بن كثير ضعيف ورواه البيهقى موقوفا على أبى هريرة .

الرضا بقضاء الله ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : الراضى لايتمنى فوق منزلته . وقيل حبس الشبلى رحمه الله فى المارستان فدخل عليه جماعة فقال : من أنتم ؟ قالوا : أحباؤك جاءوك زائرين ، فأخذ يرميهم بالحجارة فأخذوا يهربون فقال : لوكنتم أحبائى لصبرتم على بلائى . وكان بعض العارفين فى جيبه رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها وكان فيها ﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ﴾ ويقال إنّ امرأة فتح الموصلى عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها : أما تجدين الوجع ؟ فقالت : إنّ لذة ثوابه أزالت عن قلبى مرارة وجعه . وقال داود لسليمان عليهما السلام : يستدل على تقوى المؤمن بثلاث : حسن التوكل فيما لم ينل ، وحسن الرضا فيما قد نال ، وحسن الصبر فيما قد فات . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك[1] » ويروى عن بعض الصالحين أنه خرج يوما وفى كمه صرة فافتقدها فإذا هى قد أخذت من كمه فقال : بارك الله له فيها لعله أحوج إليها منى . وروى عن بعضهم أنه قال : مررت على سالم مولى أبى حذيفة فى القتلى وبه رمق فقلت له : أسقيك ماء ؟ فقال : جرّنى قليلا إلى العدو واجعل الماء فى الترس فإنى صائم فإن عشت إلى الليل شربته . فهكذا كان صبر سالكى طريق الآخرة على بلاء الله تعالى .

فإن قلت : فبماذا تنال درجة الصبر فى المصائب وليس الأمر إلى اختياره ، فهو مضطر شاء أم أبى ، فإن كان المراد به أن لا تكون فى نفسه كراهية المصيبة فذلك غير داخل فى اختيار ؟ فاعلم أنه إنما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة فى الشكوى وإظهار الكآبة وتغيير العادة فى الملبس والمفرش والمطعم ، وهذه الأمور داخلة تحت اختياره فينبغى أن يجتنب جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمرّا على عادته ، ويعتقد أنّ ذلك كان وديعة فاسترجعت . كما روى عن الرميصاء أم سليم رحمها الله ، أنها قالت : توفى ابن لى وزوجى أبو طلحة غائب فقمت فسجيته فى ناحية البيت فقدم أبو طلحة فقمت فهيأت له إفطاره فجعل يأكل ، فقال : كيف الصبى ؟ قلت : بأحسن حال بحمد الله ومنه فإنه لم يكن منذ اشتكى بأسكن منه الليلة ، ثم تصنعت له أحسن ما كنت أتصنع له قبل ذلك حتى أصاب منى حاجته ، ثم قلت : ألا تعجب من جيراننا ! قال : مالهم ؟ قلت : أعيروا عارية فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا ، فقال : بئس ما صنعوا ! فقلت : هذا ابنك كان عارية من الله تعالى وإن الله قد قبضه إليه ، فحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال « اللهم بارك لهما فى ليلتهما[2] » قال الراوى : فلقد رأيت لهم بعد ذلك فى المسجد سبعة كلهم قد قرءوا القرآن وروى جابر أنه عليه السلام قال « رأيتنى دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبى طلحة » وقد قيل : الصبر الجميل هو أن لايعرف صاحب المصيبة من غيره ، ولا يخرجه عن حدّ الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع ، إذ يكون من جميع الحاضرين لأجل الموت سواء ، ولأنّ البكاء توجع القلب على الميت فإن ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الإنسان إلى الموت ولذلك لما مات إبراهيم ولد النبى صلى الله عليه وسلم فاضت عيناه فقيل له : أما نهيتنا عن هذا ؟ فقال « إنّ هذه رحمة وإنما يرحم الله من عباده الرحماء » بل ذلك أيضا لايخرج عن مقام الرضا ، فالمقدم على الحجامة والفصد راض به وهو متألم بسببه لا محالة وقد تفيض عيناه إذا عظم ألمه ـ وسيأتى

(١) حديث « من إجلال الله ومعرفة حقه أن لاتشكو وجعك ولاتذكر مصيبتك » لم أجده مرفوعا وإنما رواه ابن أبى الدنيا فى المرض والكفارات من رواية سفيان عن بعض الفقهاء قال « من الصبر أن لاتتحدث بمصيبتك ولا بوجعك ولاتزكى نفسك » .

(٢) حديث الرميصاء أم سليم : توفى ابن لى وزوجى أبو طلحة غائب فقمت فسجيته فى ناحية البيت .. الحديث » أخرجه الطبرانى ومن طريقه أبو نعيم فى الحلية والقصة فى الصحيحين من حديث أنس مع اختلاف .

ذلك فى كتاب الرضا إن شاء الله تعالى ـ وكتب ابن أبى نجيح يعزى بعض الخلفاء : إنّ أحق من عرف حق الله تعالى فيما أخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما أبقاه له : واعلم أنّ الماضى قبلك هو الباقى لك والباقى بعدك هو المأجور فيك . واعلم أنّ أجر الصابرين به فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه .

فإذن مهما دفع الكراهة بالتفكر فى نعمة الله تعالى عليه بالثواب نال درجة الصابرين . نعم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر وسائر المصائب . وقد قيل : من كنوز البر كتمان المصائب والأوجاع والصدقة . فقد ظهر لك بهذه التقسيمات أنّ وجوب الصبر عام فى جميع الأحوال والأفعال ، فإنّ الذى كفى الشهوات كلها واعتزل وحده لايستغنى عن الصبر على العزلة والانفراد ظاهرا ، وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا . فإن اختلاج الخواطر لايسكن . وأكثر جولان الخواطر إنما يكون فى فائت لا تدارك له أو فى مستقبل لابدّ وأن يحصل منه ماهو مقدّر ، فهو كيفما كان تضييع زمان . وآلة العبد قلبه وبضاعته عمره فإذا غفل القلب فى نفس واحد عن ذكر يستفيد به أنسا بالله تعالى أو عن فكر يستفيد به معرفة بالله تعالى ليستفيد بالمعرفة محبة الله تعالى فهو مغبون ، هذا إن كان فكره ووسواسه فى المباحات مقصورا عليه ، ولا يكون ذلك غالبا ، بل يتفكر فى وجوه الحيل لقضاء الشهوات ، إذ لايزال ينازع كل من تحرّك على خلاف غرضه فى جميع عمره ، أو من يتوهم أنه ينازعه ويخالف أمره أو غرضه بظهور أمارة له منه ، بل يقدر المخالفة من أخلص الناس فى حبه حتى فى أهله وولده ، ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر فى كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم عمايتعللون به فى مخالفته ، ولا يزال فى شغل دائم ، فللشيطان جندان : جند يطير وجند يسير ، والوسواس عبارة عن حركة جنده الطيار ، والشهوة عبارة عن حركة جنده السيار . وهذا لأن الشيطان خلق من النار وخلق الإنسان من صلصال كالفخار ، والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين ، والطين طبيعته السكون والنار طبيعتها الحركة ، فلا يتصوّر نار مشتعلة لا تتحرّك بل لا تزال تتحرّك بطبعها . وقد كلف الملعون المخلوق من النار أن يطمئن عن حركته ساجدا لما خلق الله من الطين فأبى واستكبر واستعصى وعبر عن سبب استعصائه بأن قال ﴿ خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾ .

فإذن حيث لم يسجد الملعون لأبينا آدم صلوات الله عليه وسلامه فلا ينبغى أن يطمع فى سجوده لأولاده . ومهما كف عن القلب وسواسه وعدوانه وطيرانه وجولانه فقد أظهر انقياده وإذعانه . وانقياده بالإذعان سجود منه ـ فهو روح السجود ـ وإنما وضع الجبهة على الأرض قالبه وعلامته الدالة عليه بالاصطلاح . ولو جعل وضع الجبهة على الأرض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصوّر ذلك ، كما أنّ الانبطاح بين يدى المعظم المحترم يرى استخفافا بالعادة ، فلا ينبغى أن يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب ! فتكون ممن قيده عالم الشهادة بالكلية عن عالم الغيب وتحقق أن الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس إلى يوم الدين إلا أن تصبح وهمومك هم واحد ، فتشغل قلبك بالله وحده فلا يجد الملعون مجالا فيك ، فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين الداخلين فى الاستثناء عن سلطنة هذا اللعين .

ولا تظنن أنه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، وسيلانه مثل الهواء فى القدح فإنك إن أردت أن يخلو القدح عن الهواء من غير أن تشغله بالماء أو بغيره فقد طمعت فى غير مطمع ، بل بقدر ما يخلو من الماء يدخل فيه الهواء لامحالة ، فكذلك القلب المشغول بفكر مهم فى الدين لايخلو عن جولان الشيطان ، وإلا فمن غفل عن الله تعالى ولو فى لحظة فليس له فى تلك اللحظة قرين إلا الشيطان . ولذلك قال تعالى

﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾ وقال صلى الله تعالى عليه وسلم « إن الله تعالى يبغض الشاب الفارغ [1] » وهذا لأن الشاب إذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به على دينه كان ظاهره فارغا ولم يبق قلبه فارغا ، بل يعشش فيه الشيطان ويبيض ويفرخ ، ثم تزدوج أفراخه أيضا وتبيض مرة أخرى وتفرخ ، وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا أسرع من توالد سائر الحيوانات لأن طبعه من النار ، وإذا وجد الحلفاء اليابسة كثر توالده ، فلا يزال تتوالد النار من النار ولا تنقطع ألبتة بل تسرى شيئا فشيئا على الاتصال . فالشهوة فى نفس الشاب للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار ، وكما لاتبقى النار إذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبقى للشيطان مجال إذا لم تكن شهوة ، فإذن إذا تأملت علمت أن أعدى عدوك شهوتك وهى صفة . نفسك ، ولذلك قال الحسين بن منصور الحلاج - حين كان يصلب وقد سئل عن التصوف ماهو ؟ فقال : هى نفسك إن لم تشغلها شغلتك .

فإذن حقيقة الصبر وكماله : الصبر عن كل حركة مذمومة ، وحركة الباطن أولى بالصبر عن ذلك ، وهذا صبر دائم لايقطعه إلا الموت . نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه .

بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه

اعلم أن الذى أنزل الداء أنزل الدواء ووعد الشفاء ، فالصبر وإن كان شاقا أو ممتنعا فتحصيله ممكن بمعجون العلم والعمل . فالعلم والعمل هما الأخلاط التى منها تركب الأدوية لأمراض القلوب كلها ، ولكن يحتاج كل مرض إلى علم آخر وعمل آخر . وكما أن أقسام الصبر مختلفة فأقسام العلل المانعة منه مختلفة ، وإذا اختلفت العلل اختلف العلاج إذ معنى العلاج مضادة العلة وقمعها . واستيفاء ذلك مما يطول ولكنا نعرف الطريق فى بعض الأمثلة .

فنقول : إذا افتقر إلى الصبر عن شهوة الوقاع مثلا وقد غلبت عليه الشهوة بحيث ليس يملك معها فرجه ، أو يملك فرجه ولكن ليس يملك عينه ، أو يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه إذ لاتزال تحدثه بمقتضيات الشهوات ويصرفه ذلك عن المواظبة على الذكر والفكر والأعمال الصالحة ، فنقول ، قد قدمنا أن الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى ، وكل متصارعين أردنا أن يغلب أحدهما الآخر فلا طريق لنا فيه إلا تقوية من أردنا أن تكون له اليد العليا وتضعيف الآخر ؛ فلزمنا ههنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة .

فأما باعث الشهوة فسبيل تضعيفه ثلاثة أمور .

(أحدها) أن ننظر إلى مادة قوتها وهى الأغذية الطيبة المحركة للشهوة - من حيث نوعها ومن حيث كثرتها - فلا بد من قطعها بالصوم الدائم مع الاقتصاد عند الأفطار على طعام قليل فى نفسه ضعيف فى جنسه ، فيحترز عن اللحم والأطعمة المهيجة للشهوة .

(الثانى) قطع أسبابه المهيجة فى الحال فإنه إنما يهيج بالنظر إلى مظان الشهوة ، إذ النظر يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة ، وهذا يحصل بالعزلة والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور المشتهاة والفرار منها بالكلية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النظرة سهم من سهام إبليس [2] » وهو سهم يسدده الملعون ولا ترس يمنع منه إلا تغميض الأجفان أو الهرب من صوب رميه . فإنه إنما يرمى هذا السهم عن قوس الصور فإذا انقلبت عن صوب الصور لم يصبك سهمه .

(الثالث) : تسلية النفس بالمباح من الجنس الذى تشتهيه وذلك بالنكاح ، فإن كل مايشتهيه الطبع فى المباحات

---

(١) حديث « إن الله يبغض الشاب الفارغ » لم أجده . (٢) حديث النظرة سهم مسموم من سهام إبليس » تقدم غير مرة

من جنسه مايغنى عن المحظورات منه : وهذا هو العلاج الأنفع فى حق الأكثر ، فإنّ قطع الغذاء يضعف عن سائر الأعمال ، ثم قد لايقمع الشهوة فى حق أكثر الرجال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء » .[1]

فهذه ثلاثة أسباب ، فالعلاج الأول وهو قطع الطعام : يضاهى قطع العلف عن البهيمة الجموح وعن الكلب الضارى ليضعف فتسقط قوته . الثانى : يضاهى تغييب اللحم عن الكلب وتغييب الشعير عن البهيمة حتى لاتتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها . والثالث : يضاهى تسليتها بشىء قليل مما يميل إليه طبعها حتى يبقى معها من القوة ماتصبر به على التأديب .

وأما تقوية باعث الدين فإنما تكون بطريقين ، أحدهما : إطلاعه فى فوائد المجاهدة وثمراتها فى الدين والدنيا ، وذلك بأن يكثر فكره فى الأخبار التى أوردناها فى فضل الصبر وفى حسن عواقبه فى الدنيا والآخرة (وفى الأثر) إن ثواب الصبر على المصيبة أكثر مما فات وإنه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة ، إذ فاته مالايبقى معه إلا مدة الحياة وحصل له مايبقى بعد موته أبد الدهر . ومن أسلم خسيسا فى نفيس فلا ينبغى أن يحزن لفوات الخسيس فى الحال . وهذا من باب المعارف وهو من الإيمان فتارة يضعف وتارة يقوى ، فإن قوى قوى باعث الدين وهيجه تهييجا شديدا وإن ضعف ضعفه . وإنما قوة الإيمان يعبر عنها باليقين وهو المحرك لعزيمة الصبر ، وأقل ماأوتى الناس اليقين وعزيمة الصبر .

والثانى : أن يعود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجا قليلا قليلا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجرئ عليها وتقوى منته فى مصارعتها ، فإن الاعتياد والممارسة للأعمال الشاقة تؤكد القوى التى تصدر منها تلك الأعمال ، ولذلك تزيد قوة الحمالين والفلاحين والمقاتلين . وبالجملة فقوة الممارسين للأعمال الشاقة تزيد على قوة الخياطين والعطارين والفقهاء والصالحين ، وذلك لأن قواهم لم تتأكد بالممارسة .

فالعلاج الأول : يضاهى إطماع المصارع بالخلعة عند الغلبة ووعده بأنواع الكرامة كما وعد فرعون سحرته عند إغرائه إياهم بموسى حيث قال ﴿ وإنكم إذاً لمن المقربين ﴾ .

والثانى : يضاهى تعويد الصبى الذى يراد منه المصارعة والمقاتلة بمباشرة أسباب ذلك منذ الصبا حتى يأنس به ويستجرئ عليه وتقوى فيه منته . فمن ترك بالكلية المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وإن ضعفت ، ومن عوّد نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما أراد .

فهذا منهاج العلاج فى جميع أنواع الصبر ولا يمكن استيفاؤه ، وإنما أشدّها كف الباطن عن حديث النفس ، وإنما يشتد ذلك على من تفرّغ له بأن قمع الشهوات الظاهرة وآثر العزلة وجلس للمراقبة والذكر والفكر ، فإنّ الوسواس لايزال يجاذبه من جانب إلى جانب . وهذا لاعلاج له ألبتة إلا قطع العلائق كلها ظاهراً وباطنا بالفرار عن الأهل والولد والمال والجاه والرفقاء والأصدقاء ، ثم الاعتزال إلى زاوية بعد إحراز قدر يسير من القوت وبعد القناعة به ، ثم كل ذلك لايكفى مالم تصر الهموم هما واحدا وهو الله تعالى . ثم إذا غلب ذلك على القلب فلا يكفى ذلك مالم لم يكن له مجال فى الفكر وسير بالباطن فى ملكوت السموات والأرض وعجائب صنع الله تعالى وسائر أبواب معرفة الله تعالى ، حتى إذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان ووسواسه وإن

---

(١) حديث « عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم ... الحديث » تقدم فى النكاح .

لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه إلا الأوراد المتواصلة المترتبة فى كل لحظة : من القراءة والأذكار والصلوات ، ويحتاج مع ذلك إلى تكليف القلب الحضور فإنّ الفكر بالباطن هو الذى يستغرق القلب دون الأوراد الظاهرة ، ثم إذا فعل ذلك كله لم يسلم له من الأوقات إلا بعضها ؛ إذ لايخلو فى جميع أوقاته عن حوادث تتجدّد فتشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وإيذاء من إنسان وطغيان من مخالط ، إذ لايستغنى عن مخالطة من يعينه فى بعض أسباب المعيشة . فهذا أحد الأنواع الشاغلة .

وأما النوع الثانى : فهو ضرورى أشدّ ضرورة من الأوّل وهو اشتغاله بالمطعم والملبس وأسباب المعاش ، فإن تهيئة ذلك أيضا تحوج إلى شغل إن تولاه بنفسه ، وإن تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلب بمن يتولاه . ولكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له أكثر الأوقات إن لم تهجم به ملمة أو واقعة ، وفى تلك الأوقات يصفو القلب ويتيسر له الفكر ، وينكشف فيه من أسرار الله تعالى فى ملكوت السموات والأرض مالايقدر على عشر عشيره فى زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق ، والانتهاء إلى هذا هو أقصى المقامات التى يمكن أن تنال بالاكتساب والجهد فأما مقادير ما ينكشف مبالغ مايرد من لطف الله تعالى فى الأحوال والأعمال فذلك يجرى مجرى الصيد وهو بحسب الرزق . فقد يقل الجهد ويجل الصيد وقد يطول الجهد ويقل الحظ ، والمعوّل وراء هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فإنها توازى أعمال الثقلين وليس ذلك باختيار العبد . نعم اختيار العبد فى أن يتعرّض لتلك الجذبة بأن يقطع عن قلبه جواذب الدنيا ، فإنّ المجذوب إلى أسفل سافلين لا ينجذب إلى أعلى عليين . وكل مهموم بالدنيا فهو منجذب إليها ، فقطع العلائق الجاذبة هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم « إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرّضوا لها » وذلك لأن تلك النفحات والجذبات لها أسباب سماوية إذ قال الله تعالى ﴿ وفى السماء رزقكم وما توعدون ﴾ وهذا من أعلى أنواع الرزق . والأمور السماوية غائبة عنا فلا ندرى متى ييسر الله تعالى أسباب الرزق . فما علينا إلا تفريغ المحل والانتظار لنزول الرحمة وبلوغ الكتاب أجله كالذى يصلح الأرض وينقيها من الحشيش ويبث البذر فيها ، وكل ذلك لا ينفعه إلا بمطر ولا يدرى متى يقدّر الله أسباب المطر ، إلا أنه يثق بفضل الله تعالى ورحمته أنه لا يخلى سنة عن مطر ، فكذلك فلما تجلو سنة وشهر ويوم عن جذبة من الجذبات ونفحة من النفحات : فينبغى أن يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيه بذر الإرادة والإخلاص وعرّضه لمهاب رياح الرحمة ، وكما يقوى انتظار الأمطار فى أوقات الربيع وعند ظهور الغيم فيقوى انتظار تلك النفحات فى الأوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم و تساعد القلوب كما فى يوم عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان ، فإن الهمم والأنفاس أسباب . بحكم تقدير الله تعالى لاستدرار رحمته حتى تستدرّ بها الأمطار فى أوقات الاستسقاء ، وهى لاستدرار أمطار المكاشفات ولطائف المعارف من خزائن الملكوت أشد مناسبة منها لاستدرار قطرات الماء واستجرار الغيوم من أقطار الجبال والبحار ، بل الأحوال والمكاشفات حاضرة معك فى قلبك ، وإنما أنت مشغول عنها بعلائقك وشهواتك فصار ذلك حجابا بينك وبينها ، فلا تحتاج إلا إلى أن تكسر الشهوة ويرفع الحجاب فتشرق أنوار المعارف من باطن القلب . وإظهار ماء الأرض بحفر القنى أسهل وأقرب من الاسترسال إليها من مكان بعيد منخفض عنها . ولكونه حاضرا فى القلب ومنسيا بالشغل عنه سمى الله تعالى جميع معارف الإيمان تذكرا ، فقال تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ وقال تعالى ﴿ وليتذكر أولو الألباب ﴾ وقال تعالى ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر ﴾

فهذا هو علاج الصبر عن الوساوس والشواغل وهو آخر درجات الصبر وإنما الصبر عن العلائق كلها مقدم على الصبر عن الخواطر .

قال الجنيد رحمه الله : السير من الدنيا إلى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق فى حب الحق شديد ، والسير من النفس إلى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله أشد فذكر شدة الصبر عن شواغل القلب ثم شدة هجران الخلق .

وأشد العلائق على النفس علاقة الخلق وحب الجاه . فإنّ لذة الرياسة والغلبة والاستعلاء والاستتباع أغلب اللذات فى الدنيا على نفوس العقلاء ، وكيف لا تكون أغلب اللذات ومطلوبها صفة من صفات الله تعالى وهى الربوبية ؟ والربوبية محبوبة ومطلوبة بالطبع للقلب لما فيه من المناسبة لأمور الربوبية ، وعنه العبارة بقوله تعالى ﴿ قل الروح من أمر ربى ﴾ وليس القلب مذموما على حبه ذلك وإنما هو مذموم على غلط وقع له بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الأمر إذ حسده على كونه من عالم الأمر . فأضله وأغواه ، وكيف يكون مذموما عليه وهو يطلب سعادة الآخرة ؟ فليس يطلب إلا بقاء لا فناء فيه . وعزا لاذل فيه وأمنا لاخوف فيه وغنى لا فقر فيه وكمالا لا نقصان فيه ؟ وهذه كلها من أوصاف الربوبية . وليس مذموما على طلب ذلك ، بل حق كل عبد أن يطلب ملكا عظيما لا آخر له . وطالب الملك طالب للعلو والعز والكمال لا محالة . ولكن الملك ملكان : ملك مشوب بأنواع الآلام وملحوق بسرعة الانصرام ولكنه عاجل وهو فى الدنيا وملك مخلد دائم لايشوبه كدر ولا ألم ولا يقطعه قاطع ولكنه آجل ... وقد خلق الإنسان عجولا راغبا فى العاجلة فجاء الشيطان وتوسل إليه بواسطة العجلة - التى فى طبعه - فاستغواه بالعاجلة وزين له الحاضرة ، وتوسل إليه بواسطة الحمق فوعده بالغرور فى الآخرة ومناه مع ملك الدنيا ملك الآخرة كما قال صلى الله عليه وسلم « والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » فانخدع المخذول بغروره واشتغل بطلب عز الدنيا وملكها على قدر إمكانه . ولم يتدل الموفق بحبل غروره إذ علم مداخل مكره فأعرض عن العاجلة . فعبر عن المخذولين بقوله تعالى ﴿ كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة ﴾ وقال تعالى ﴿ إنّ هؤلاء يحبون العاجله ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ﴾ وقال تعالى ﴿ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ﴾ .

ولما استطار مكر الشيطان فى كافة الخلق أرسل الله الملائكة إلى الرسل وأوحوا إليهم ماتم على الخلق من إهلاك العدو وإغوائه ، فاشتغلوا بدعوة الخلق إلى الملك الحقيقى عن الملك المجازى الذى لاأصل له إن سلم ولادوام له أصلا فنادوا فيهم ﴿ يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل ﴾ .

فالتوراة والإنجيل والزبور والفرقان وصحف موسى وإبراهيم وكل كتاب منزل ما أنزل إلا لدعوة الخلق إلى الملك الدائم المخلد ، والمراد منهم أن يكونوا ملوكا فى الدنيا ملوكا فى الآخرة . أما ملك الدنيا : فالزهد فيها والقناعة باليسير منها . وأما ملك الآخرة : فبالقرب من الله تعالى يدرك بقاء لا فناء فيه وعزا لاذل فيه وقرة عين أخفيت فى هذا العالم لاتعلمها نفس من النفوس .

والشيطان يدعوهم إلى ملك الدنيا لعلمه بأن ملك الآخرة يفوت به إذ الدنيا والآخرة ضرتان ، ولعلمه بأن الدنيا لاتسلم له أيضا ولو كانت تسلم له لكان يحسده أيضا ، ولكن ملك الدنيا لايخلو عن المنازعات والمكدرات وطول

الهموم فى التدبيرات وكذا سائر أسباب الجاه . ثم مهما تسلم وتم الأسباب ينقضى العمر ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس﴾ فضرب الله تعالى لها مثلا فقال تعالى ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح ﴾ والزهد فى الدنيا لما أن كان ملكا حاضرا حسده الشيطان عليه فصده عنه .

ومعنى الزهد أن يملك العبد شهوته وغضبه فينقادان لباعث الدين وإشارة الإيمان ، وهذا ملك بالاستحقاق إذ به يصير صاحبه حرا . وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبداً لفرجه وبطنه وسائر أغراضه ، فيكون مسخرا مثل البهيمة مملوكا يستجره زمام الشهوة آخذا بمختنقه إلى حيث يريد ويهوى . فما أعظم اغترار الإنسان إذ ظن أنه ينال الملك بأنه يصير مملوكا ! وينال الربوبية بأن يصير عبدا ! ومثل هذا هل يكون إلا معكوسا فى الدنيا منكوسا فى الآخرة ؟ ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد : هل من حاجة ؟ قال كيف أطلب منك حاجة وملكى أعظم من ملكك ؟ فقال كيف ؟ قال : من أنت عبده فهو عبد لى ! فقال كيف ذلك ؟ قال . أنت عبد شهوتك وغضبك وفرجك وبطنك ، وقد ملكت هؤلاء كلهم فهم عبيدلى . فهذا إذن هو الملك فى الدنيا وهو الذى يسوق إلى الملك فى الآخرة . فالمخدوعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعا ، والذين وفقوا للاشتداد على الصراط المستقيم فازوا بالدنيا والآخرة جميعا .

فإذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخير والعبودية ومدخل الغلط فى ذلك وكيفية تعمية الشيطان وتلبيسه يسهل عليك النزوع عن الملك والجاه والإعراض عنه والصبر عند فواته ؛ إذ تصير بتركه ملكا فى الحال وترجو به ملكا فى الآخرة .

ومن كوشف بهذه الأمور بعد أن ألف الجاه وأنس به ورسخت فيه بالعادة مباشرة أسبابه فلا يكفيه فى العلاج مجرد العلم والكشف ؛ بل لابدّ وأن يضيف إليه العمل . وعمله فى ثلاثة أمور (أحدها) أن يهرب عن موضع الجاه كى لايشاهد أسبابه فيعسر عليه الصبر مع الأسباب كما يهرب من غلبته الشهوة من مشاهدة الصور المحركة ومن لم يفعل هذا فقد كفر نعمة الله فى سعة الأرض إذ قال تعالى ﴿ ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ﴾ (الثانى) أن يكلف نفسه فى أعماله أفعالا تخالف ما اعتاده ، فيبدل التكلف بالتبذل وزى الحشمة بزى التواضع ، وكذلك كل هيئة وحال وفعل : فى مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاء بمقتضى جاهه ، فينبغى أن يبدلها بنقائضها حتى يرسخ باعتياد ذلك ضد مارسخ فيه من قبل باعتياد ضده . فلا معنى للمعالجة إلا المضادة (الثالث) أن يراعى فى ذلك التلطف والتدريج فلا ينتقل دفعة واحدة إلى الطرف الأقصى من التبذل ، فإن الطبع نفور ولا يمكن نقله عن أخلاقه إلا بالتدريج ، فيترك البعض ويسلى نفسه بالبعض ، ثم إذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتدأ بترك البعض من ذلك البعض ، إلى أن يقنع بالبقية . وهكذا يفعل شيئا فشيئا إلى أن يقمع تلك الصفات التى رسخت فيه . وإلى هذا التدريج الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولاتبغض إلى نفسك عبادة الله فإن المنبت لا أرضا قطع ولاظهرا أبقى [1] » وإليه الإشارة بقوله عليه السلام « لاتشادوا هذا الدين فإن من يشاده يغلبه [2] » .

---

(١) حديث « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق » الحديث أخرجه أحمد من حديث أنس والبيهقى من حديث جابر وتقدم فى الأوراد (٢) حديث « لاتشادوا هذا الدين فإنه من شاده يغلبه » تقدم فيه .

فإذن ماذكرناه من علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه أضفه إلى ماذكرناه من قوانين طرق المجاهدة فى كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات ، فاتخذه دستورك لتعرف به علاج الصبر فى جميع الأقسام التى فصلناها من قبل، فإن تفصيل الآحاد يطول . ومن راعى التدريج ترقى به الصبر إلى حال يشق عليه الصبر دونه كما كان يشق عليه الصبر معه ، فتنعكس أموره فيصير ما كان محبوبا عنده ممقوتا وما كان مكروها عنده مشربا هنيئا لايصبر عنه . وهذا لايعرف إلا بالتجربة والذوق وله نظير فى العادات ، فإن الصبى يحمل على التعلم فى الابتداء قهرا . فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم ، حتى إذا انفتحت بصيرته وأنس بالعلم انقلب الأمر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب . وإلى هذا يشير ماحكى عن بعض العارفين أنه سأل الشبلى عن الصبر أيه أشد ؟ فقال: الصبر فى الله تعالى ، فقال : لا ، فقال : الصبر لله ، فقال : لا ، فقال : الصبر مع الله ، فقال : لا ، فقال : فأيش ؟ قال : الصبر عن الله ؛ فصرخ الشبلى صرخة كادت روحه تتلف . وقد قيل فى معنى قوله تعالى ﴿ اصبروا وصابروا ورابطوا ﴾ اصبروا فى الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله . وقيل الصبر لله غناء والصبر بالله بقاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء . وقد قيل فى معناه :

والصبر عنك فمذموم عواقبه والصبر فى سائر الأشياء محمود

وقيل أيضا : الصبر يحمل فى المواطن كلها إلا عليك فإنه لايحمل

هذا آخر ما أردنا شرحه من علوم الصبر وأسراره .

الشطر الثانى من الكتاب فى الشكر

وله ثلاثة أركان : (الأول) فى فضيلة الشكر وحقيقته وأقسامه وأحكامه (الثانى) فى حقيقة النعمة وأقسامها الخاصة والعامة (الثالث) فى بيان الأفضل من الشكر والصبر .

الركن الأول : فى نفس الشكر

بيان فضيلة الشكر

اعلم أن الله تعالى قرن الشكر بالذكر فى كتابه مع أنه قال ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ فقال تعالى ﴿ فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولاتكفرون ﴾ وقال تعالى ﴿ مايفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم ﴾ وقال تعالى ﴿ وسنجزى الشاكرين ﴾ وقال عزوجل إخبارا عن إبليس اللعين ﴿ لأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾ قيل هو طريق الشكر ، ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين فى الخلق فقال : ولاتجد أكثرهم شاكرين . وقال تعالى ﴿ وقليل من عبادى الشكور ﴾ وقد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال تعالى ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ واستثنى فى خمسة أشياء فى الإغناء والإجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى ﴿ فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء ﴾ وقال ﴿ فيكشف ماتدعون إليه إن شاء ﴾ وقال ﴿ يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ وقال ﴿ ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ وقال ﴿ ويتوب الله على من يشاء ﴾ وهو خلق من أخلاق الربوبية إذ قال تعالى ﴿ والله شكور حليم ﴾ وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة فقال تعالى ﴿ وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده ﴾ وقال ﴿ وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾ .

وأما الأخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر [١] » وروى عن عطاء أنه قال : دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت : أخبرينا بأعجب مارأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت : وأى شأنه لم يكن عجبا ؟ أتانى ليلة فدخل معى فى فراشى - أو قالت فى لحافى - حتى مس جلدى جلده ثم قال « يا ابنة أبى بكر ذرينى أتعبد لربى » فقالت : قلت إنى أحب قربك لكنى أوثر هواك فأذنت له ، فقام إلى قربة ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء ، ثم قام يصلى فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك يبكى حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة ، فقلت يارسول الله مايبكيك وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر ؟ قال « أفلا أكون عبدا شكورا ولم لاأفعل ذلك وقد أنزل الله تعالى على ﴿ إن فى خلق السموات والأرض ﴾ الآية [٢] » وهذا يدل على أنّ البكاء ينبغى أن لاينقطع أبدا . وإلى هذا السر يشير ماروى أنه مر بعض الأنبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه فأنطقه الله تعالى فقال : منذ سمعت قوله تعالى ﴿ وقودها الناس والحجارة ﴾ فأنا أبكى من خوفه ، فسأله أن يجيره من النار فأجاره ، ثم رآه بعد مدّة على مثل ذلك فقال : لم تبكى الآن ؟ فقال : ذاك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور ! وقلب العبد كالحجارة أو أشدّ قسوة ولاتزول قسوته إلا بالبكاء فى حال الخوف والشكر جميعا . وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ينادى يوم القيامة ليقم الحامدون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة » قيل : ومن الحامدون ؟ قال « الذين يشكرون الله تعالى على كل حال [٣] » وفى لفظ آخر « الذين يشكرون الله على السراء والضراء » وقال صلى الله عليه وسلم « الحمد رداء الرحمن [٤] » وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام : إنى رضيت بالشكر مكافأة من أوليائى - فى كلام طويل - وأوحى الله تعالى إليه أيضاً فى صفة الصابرين : أن دارهم دار السلام إذا دخلوها ألهمتهم الشكر وهو خير الكلام ، وعند الشكر أستزيدهم ، وبالنظر إلى أزيدهم . ولما نزل فى الكنوز مانزل ؛ قال عمر رضى الله عنه : أى المال نتخذ ؟ فقال عليه السلام « ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا [٥] » فأمر باقتناء القلب الشاكر بدلا عن المال . وقال ابن مسعود : الشكر نصف الإيمان .

بيان حدّ الشكر وحقيقته

اعلم أن الشكر من جملة مقامات السالكين ، وهو أيضاً ينتظم من علم وحال وعمل ، فالعلم هو الأصل فيورث الحال والحال يورث العمل فأما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم ، والحال هو الفرح الحاصل بإنعامه ، والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه . ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه الإحاطة بحقيقة الشكر فإن كل ماقيل فى حد الشكر قاصر عن الإحاطة بكمال معانيه .

---

(١) حديث « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر » علقه البخارى وأسنده الترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة ورواه ابن ماجه من حديث سنان بن سنة وفى إسناده اختلاف .

(٢) حديث عطاء : دخلت على عائشة فقلت لها : أخبرينا بأعجب مارأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : وأى أمره لم يكن عجبا ... الحديث فى بكائه فى صلاة الليل . أخرجه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن طريقه ابن الجوزى فى الوفا وفيه أبو جناب واسمه يحيى بن أبى حية ضعفه الجمهور ورواه ابن حبان فى صحيحه من رواية عبد الملك ابن أبى سليمان عن عطاء دون قولها : وأى أمره لم يكن عجبا . وهو عند مسلم من رواية عروة عن عائشة مقتصرا على آخر الحديث

(٣) حديث . ينادى يوم القيامة « ليقم الحامدون ... الحديث » أخرجه الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بلفظ « أول من يدعى الى الجنة الحامدون ... الحديث » وفيه قيس بن الربيع ضعفه الجمهور .

(٤) حديث « الحمد رداء الرحمن » لم أجد له أصلا وفى الصحيح من حديث أبى هريرة « الكبر رداؤه .. الحديث » وتقدم فى العلم

(٥) حديث عمر : ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا .. الحديث » تقدم فى النكاح .

(فالأصل الأول) العلم : وهو علم بثلاثة أمور ؛ بعين النعمة ، ووجه كونها نعمة فى حقه ، وبذات المنعم ووجود صفاته التى بها يتم الإنعام ويصدر الإنعام منه عليه . فإنه لا بد من : نعمة ، ومنعم ، ومنعم عليه، تصل إليه النعمة من المنعم بقصد وإرادة ، فهذه الأمور لا بد من معرفتها . هذا فى حق غير الله تعالى فأما فى حق الله تعالى فلا يتم إلا بأن يعرف أن النعم كلها من الله وهو المنعم ، والوسائط مسخرون من جهته .

وهذه المعرفة وراء التوحيد والتقديس إذ دخل التقديس والتوحيد فيها . بل الرتبة الأولى فى معارف الإيمان: التقديس . ثم إذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف أنه لا مقدس إلا واحد وما عداه غير مقدس ؛ وهو التوحيد . ثم يعلم أن كل ما فى العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط ، فالكل نعمة منه ، فتقع هذه المعرفة فى الرتبة الثالثة ، إذ ينطوى فيها مع التقديس والتوحيد : كمال القدرة والانفراد بالفعل . وعن هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا إله إلا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة[1] » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله[2] » وقال « ليس شىء من الأذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله[3] » ولا تظنن أن هذه الحسنات بإزاء تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها فى القلب « فسبحان الله » كلمة تدل على التقديس و « لا إله إلا الله » كلمة تدل على التوحيد و « الحمد لله » كلمة تدل على النعمة من الواحد الحق . فالحسنات بإزاء هذه المعارف التى هى من أبواب الإيمان واليقين .

واعلم أن تمام هذه المعرفة ينفى الشرك فى الأفعال ، فمن أنعم عليه ملك من الملوك بشىء فإن رأى لوزيره أو وكيله دخلا فى تيسير ذلك وإيصاله إليه فهو إشراك به فى النعمة ، فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه ، بل منه بوجه ومن غيره بوجه ، فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون موحدا فى حق الملك . نعم لا يغض من توحيده فى حق الملك وكمال شكره أن يرى النعمة الواصلة إليه بتوقيعه الذى كتبه بقلمه وبالكاغد الذى كتبه عليه ، فإنه لا يفرح بالقلم والكاغد ولا يشكرهما ، لأنه لا يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان بأنفسهما بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك . وقد يعلم أن الوكيل الموصل والخازن أيضا مضطران من جهة الملك فى الإيصال ، وأنه لو رد الأمر إليه ولم يكن من جهة الملك إرهاق وأمر جزم يخاف عاقبته لما سلم إليه شيئا ، فإذا عرف ذلك كان نظره إلى الخازن الموصل كنظره إلى القلم والكاغد ، فلا يورث ذلك شركا فى توحيده من إضافة النعمة إلى الملك .

وكذلك من الكاتب وأن الحيوانات التى لها اختيار مسخرات فى نفس اختيارها ، فإن الله تعالى هو المسلط للدواعى عليها لتفعل ـ شاءت أم أبت ـ كالخازن المضطر الذى لا يجد سبيلا إلى مخالفة الملك ولو خلى ونفسه لما أعطاك ذرة مما فى يده . فكل من وصل إليك نعمة من الله تعالى على يده فهو مضطر إذ سلط الله عليه الإرادة وهيج عليه الدواعى ، وألقى فى نفسه أن خيره فى الدنيا والآخرة أن يعطيك ما أعطاك ، وأن غرضه المقصود عنده فى الحال والمآل لا يحصل إلا به . وبعد أن خلق الله له هذا الاعتقاد لا يجد سبيلا إلى تركه ، فهو إذن إنما يعطيك

---

(١) حديث « من قال سبحان الله فله عشر حسنات » . الحديث تقدم فى الدعوات . (٢) حديث « أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله » أخرجه الترمذى وحسنه والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه وابن حبان من حديث جابر

(٣) حديث « ليس شىء من الأذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله » لم أجده مرفوعا وإنما رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الذكر عن إبراهيم النخعى . يقال إن الحمد أكثر الكلام تضعيفا .

لغرض نفسه لا لغرضك ولو لم يكن غرضه فى العطاء لما أعطاك ، ولو لم يعلم أن منفعته فى منفعتك لما نفعك فهو إذن إنما يطلب نفع نفسه بنفعك فليس منعما عليك بل اتخذك وسيلة إلى نعمة أخرى وهو يرجوها . وإنما الذى أنعم عليك هو الذى سخره لك وألقى فى قلبه من الاعتقادات والإرادات ماصار به مضطرا إلى الإيصال إليك . فإن عرفت الأمور كذلك فقد عرفت الله تعالى وعرفت فعله ، وكنت موحدا وقدرت على شكره ، بل كنت بهذه المعرفة بمجردها شاكرا .

ولذلك قال موسى عليه السلام فى مناجاته . إلهى خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك ؟ فقال الله عز وجل : علم أن كل ذلك منى فكانت معرفته شكرا .

فإذن لا تشكر إلا بأن تعرف أن الكل منه ، فإن خالجك ريب فى هذا لم تكن عارفا لا بالنعمة ولا بالمنعم ، فلا تفرح بالمنعم وحده بل وبغيره ، فبنقصان معرفتك ينقص حالك فى الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك : فهذا بيان هذا الأصل .

(الأصل الثانى) الحال المستمدة من أصل المعرفة : وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع، وهو أيضا فى نفسه شكر على تجرده كما أن المعرفة شكر ولكن إنما يكون شكرا إذا كان حاويا شرطه، وشرطه أن يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالإنعام ، ولعل هذا يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثلا فنقول : الملك الذى يريد الخروج إلى سفره فأنعم بفرس على إنسان يتصور أن يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلاثة أوجه (أحدها) أن يفرح بالفرس من حيث أنه فرس وإنه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وإنه جواد نفيس ، وهذا فرح من لاحظ له فى الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده فى صحراء فأخذه لكان فرحه مثل ذلك الفرح (الوجه الثانى) أن يفرح به لا من حيث إنه فرس بل من حيث تستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه ، لو وجد هذا الفرس فى صحراء أو أعطاه غير الملك لكان لا يفرح به أصلا لاستغنائه عن الفرس أصلا أو استحقاره له بالإضافة إلى مطلوبه من نيل المحل فى قلب الملك (الوجه الثالث) أن يفرح به ليركبه ليخرج فى خدمة الملك ويتحمل مشقة السفر لينال بخدمته القرب منه ، وربما يرتقى إلى درجة الوزارة من حيث إنه ليس يقنع بأن يكون محله فى قلب الملك أن يعطيه فرسا ويعتنى به هذا القدر من العناية ، بل هو طالب لأن لا ينعم الملك بشىء من ماله على أحد إلا بواسطته، ثم إنه ليس يريد من الوزارة الوزارة بل يريد مشاهدة الملك والقرب منه ، حتى لو خير بين القرب منه دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب ، فهذه ثلاث درجات ، فالأولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلا لأن نظر صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطى ، وهذا حال كل من فرح بنعمة من حيث إنها لذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر ، والثانية داخلة فى معنى الشكر من حيث إنه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التى تستحثه على الإنعام فى المستقبل ، وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه ، وإنما الشكر التام فى الفرح الثالث ، وهو أن يكون فرح العبد بنعمة الله تعالى من حيث إنه يقدر بها على التوصل إلى القرب منه تعالى والنزول فى جواره والنظر إلى وجهه على الدوام ، فهذا هو الرتبة العليا ، وأمارته أن لا يفرح من الدنيا إلا بما هو مزرعة للآخرة ويعينه عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتصده عن سبيله ، لأنه ليس يريد النعمة لأنها لذيذة كما يريد صاحب الفرس الفرس لأنه جواد ومهملج بل من حيث إنه يحمله فى صحبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه ، ولذلك قال الشبلى رحمه الله : الشكر رؤية المنعم

لا رؤية النعمة وقال الخواص رحمه الله : شكر العامة على المطعم والملبس والمشرب . وشكر الخاصة على واردات القلوب ، وهذه رتبة لايدركها كل من انحصرت عنده اللذات فى البطن والفرج ومدركات الحواس من الألوان والأصوات وخلا عن لذة القلب ، فإنّ القلب لايلتذ فى حال الصحة إلا بذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه ، وإنما يلتذ بغيره إذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس بأكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الأشياء الحلوة ويستحلى الأشياء المرّة ، كما قيل : ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا

فإذن هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى ، فإن لم تكن إبل فمعزى ، فإن لم يكن هذا فالدرجة الثانية ، أما الأولى فخارجة عن كل حساب ، فكم من فرق بين من يريد الملك للفرس ومن يريد الفرس للملك ، وكم من فرق بين من يريد الله لينعم عليه وبين من يريد نعم الله ليصل بها إليه .

الأصل الثالث : العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم. وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح أما بالقلب فقصد الخير وإضماره لكافة الخلق . وأما باللسان فإظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه ، وأما بالجوارح : فاستعمال نعم الله تعالى فى طاعته والتوقى من الاستعانة بها على معصيته ، حتى إن شكر العينين : أن تستر كل عيب تراه لمسلم ، وشكر الأذنين : أن تستر كل عيب تسمعه فيه ، فيدخل هذا فى جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الأعضاء والشكر باللسان : لإظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به ؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل « كيف أصبحت ؟ » قال بخير ، فأعاد صلى الله تعالى عليه وسلم السؤال حتى قال فى الثالثة : بخير أحمد الله وأشكره ، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم « هذا الذى أردت منك [1] » وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء بإظهار الشوق، وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت ؛ فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من أهل الدين ، وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك وبيده كل شيء إلى عبد مملوك لا يقدر على شيء ؛ فالأحرى بالعبد إن لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وأفضى به الضعف إلى الشكوى أن تكون شكواه إلى الله تعالى ، فهو المبلى والقادر على إزالة البلاء . وذل العبد لمولاه عز ، والشكوى إلى غيره ذل ؛ وإظهار الذل للعبد مع كونه عبدا مثله ذل قبيح . قال الله تعالى ﴿ إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له ﴾ وقال تعالى ﴿ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ﴾ فالشكر باللسان من جملة الشكر . وقد روى أن وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، فقام شاب ليتكلم ، فقال عمر : الكبر الكبر ! فقال : ياأمير المؤمنين لو كان الأمر بالسن لكان فى المسلمين من هو أسن منك ! فقال : تكلم ، فقال : لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة ، أما الرغبة فقد أوصلها إلينا فضلك ، وأما الرهبة فقد آمننا منها عدلك ، وإنما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف. فهذه هى أصول معانى الشكر المحيطة بمجموع حقيقته .

فأما قول من قال إن الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع فهو نظر إلى فعل اللسان مع بعض أحوال القلب . وقول من قال إن الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه نظر إلى مجرد عمل اللسان . وقول القائل:

---

(١) حديث قال صلى الله عليه وسلم لرجل « كيف أصبحت ؟ » فقال : بخير ، فأعاد السؤال حتى قال فى الثالثة : بخير أحمد الله وأشكره ، فقال « هذا الذى أردت منك » أخرجه الطبرانى فى الدعاء من رواية الفضل بن عمرو مرفوعا نحوه ، قال فى الثالثة : أحمد الله . وهذا معضل ، ورواه فى المعجم الكبير من حديث عبد الله بن عمرو ليس فيه تكرار السؤال وقال : أحمد الله إليك ، وفيه راشد بن سعد ضعفه الجمهور لسوء حفظه ، ورواه مالك فى الموطأ موقوفا على عمر بإسناد صحيح

إن الشكر هو الاعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة : جامع لأكثر معانى الشكر لا يشذ منه إلا عمل اللسان . وقول حمدون القصار شكر النعمة : أن ترى نفسك فى الشكر طفيليا ، إشارة إلى أن معنى المعرفة من معانى الشكر فقط وقول الجنيد الشكر : أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة : إشارة إلى حال من أحوال القلب على الخصوص وهؤلاء أقوالهم تعرب على أحوالهم ؛ فلذلك تختلف أجوبتهم ولا تتفق ، ثم قد يختلف جواب كل واحد فى حالتين لأنهم لا يتكلمون إلا عن حالتهم الراهنة الغالبة عليهم اشتغالا بما يهمهم عما لا يهمهم ، أو يتكلمون بما يرونه لائقا بحالة السائل ، اقتصارا على ذكر القدر الذى يحتاج إليه ، وإعراضا عما لا يحتاج إليه ؛ فلا ينبغى أن تظن أن ماذكرناه طعن عليهم وأنه لو عرض عليهم جميع المعانى التى شرحناها كانوا ينكرونها ، بل لا يظن ذلك بعاقل أصلا إلا أن تعرض منازعة من حيث اللفظ فى أن اسم الشكر فى وضع اللسان هل يشمل جميع المعانى ، أم يتناول بعضها مقصودا وبقية المعانى تكون من توابعه ولوازمه ؟ ولسنا نقصد فى هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم طريق الآخرة فى شىء ، والله الموفق برحمته .

بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر فى حق الله تعالى

لعلك يخطر ببالك أن الشكر إنما يفعل فى حق منعم هو صاحب حظ فى الشكر ، فإنا نشكر الملوك إما بالثناء ليزيد محلهم فى القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم ، أو بالخدمة التى هى إعانة لهم على بعض أغراضهم أو بالمثول بين أيديهم فى صورة الخدم ، وذلك تكثير لسوادهم وسبب لزيادة جاههم ، فلا يكونون شاكرين لهم إلا بشىء من ذلك ، وهذا محال فى حق الله تعالى من وجهين : (أحدهما) أن الله تعالى منزه عن الحظوظ والأغراض ، مقدس عن الحاجة إلى الخدمة والإعانة ، وعن نشر الجاه والحشمة بالثناء والإطراء ، وعن تكثير سواد الخدم بالمثول بين يديه ركعا سجدا ؛ فشكرنا إياه بما لاحظ فيه يضاهى شكرنا الملك المنعم علينا بأن ننام فى بيوتنا أو نسجد أو نركع ، إذ لاحظ للملك فيه وهو غائب لا علم له ، ولاحظ لله تعالى فى أفعالنا كلها (الوجه الثانى) أن كل ما نتعاطاه باختيارنا فهو نعمة أخرى من نعم الله علينا ، إذ جوارحنا وقدرتنا وإرادتنا وداعيتنا وسائر الأمور التى هى أسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته فكيف نشكر نعمة بنعمة ، ولو أعطانا الملك مركوبا فأخذنا مركوبا آخر له وركبناه ، أو أعطانا الملك مركوبا آخر لم يكن الثانى شكر للأول منا بل كان الثانى يحتاج إلى شكر كما يحتاج الأول ، ثم لا يمكن شكر الشكر إلا بنعمة أخرى فيؤدى إلى أن يكون الشكر محالا فى حق الله تعالى من هذين الوجهين . ولسنا نشك فى الأمرين جميعا ، والشرع قد ورد به فكيف السبيل إلى الجمع ؟ فاعلم أن هذا الخاطر قد خطر لداود عليه السلام ، وكذلك لموسى عليه السلام فقال : يارب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك ؟ وفى لفظ آخر : وشكرى لك نعمة أخرى منك توجب على الشكر لك ؟ فأوحى الله تعالى إليه : إذا عرفت هذا فقد شكرتنى . وفى خبر آخر : إذا عرفت أن النعمة منى رضيت منك بذلك شكرا .

فإن قلت : فقد فهمت السؤال وفهمى قاصر عن إدراك معنى ما أوحى إليهم ؛ فإنى أعلم استحالة الشكر لله تعالى ، فأما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا أفهمه ، فإن هذا العلم أيضا نعمة منه فكيف صار شكرا ؟ وكأن الحاصل يرجع إلى أن من لم يشكر فقد شكر ، وأن قبول الخلعة الثانية من الملك شكر للخلعة الأولى ، والفهم قاصر عن درك السر فيه فإن أمكن تعريف ذلك بمثال فهو مهم فى نفسه * فاعلم أن هذا فرع باب من المعارف وهى أعلى

من علوم المعاملة ، ولكنا نشير منها إلى ملامح ونقول : ههنا نظران : نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعا أنه الشاكر وأنه المشكور وأنه المحب وأنه المحبوب ، وهذا نظر من عرف أنه ليس فى الوجود غيره وأن كل شىء هالك إلا وجهه وأن ذلك صدق فى كل حال أزلا وأبدا ، لأن الغير هو الذى يتصور أن يكون له بنفسه قوام ، ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال أن يوجد ، إذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه ، وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره ؛ فإن اعتبر ذاته ولم يلتفت إلى غيره لم يكن له وجود ألبتة ، وإنما الموجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذى لو قدر عدم غيره بقى موجودا فإن كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ، ولا قيوم إلا واحد ، ولا يتصور أن يكون غير ذلك ؛ فإذن ليس فى الوجود غير الحى القيوم وهو الواحد الصمد ؛ فإذا نظرت من هذا المقام عرفت أن الكل منه مصدره ، وإليه مرجعه ، فهو الشاكر وهو المشكور ، وهو المحب وهو المحبوب ، ومن ههنا نظر حبيب بن أبى حبيب حيث قرأ ﴿ إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب ﴾ فقال واعجباه أعطى وأثنى إشارة إلى أنه إذا أثنى على إعطائه فعلى نفسه أثنى ، فهو المثنى وهو المثنى عليه ، ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد الميهنى حيث قرئ بين يديه ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ فقال : لعمرى يحبهم ودعه يحبهم فبحق يحبهم لأنه إنما يحب نفسه ، أشار به إلى أنه المحب وأنه المحبوب ، وهذه رتبة عالية لا تفهمها إلا بمثال على حد عقلك ، فلا يخفى عليك أن المصنف إذا أحب تصنيفه لقد أحب نفسه ، والصانع إذا أحب صنعته فقد أحب نفسه ، والوالد إذا أحب ولده من حيث إنه ولده فقد أحب نفسه ، وكل ما فى الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وصنعته ؛ فإن أحبه فما أحب إلا نفسه ، وإذا لم يحب إلا نفسه فبحق أحب ما أحب ؛ وهذا كله نظر بعين التوحيد ، وتعبر الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس أى فنى عن نفسه وعن غير الله فلم ير إلا الله تعالى ، فمن لم يفهم هذا ينكر عليهم ويقول : كيف فنى وطول ظله أربعة أذرع ولعله يأكل فى كل يوم أرطالا من الخبز ، فيضحك عليهم الجهال لجهلهم بمعانى كلامهم ، وضرورة قول العارفين أن يكونوا ضحكة للجاهلين ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون * وإذا مروا بهم يتغامزون * وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين * وإذ رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون * وما أرسلوا عليهم حافظين ﴾ ثم بين أن ضحك العارفين عليهم غدا أعظم ، إذ قال تعالى ﴿ فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون * على الأرائك ينظرون ﴾ وكذلك أمة نوح عليه السلام كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة قال ﴿ إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون ﴾ فهذا أحد النظرين . النظر الثانى : نظر من لم يبلغ إلى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسمان : قسم لم يثبتوا إلا وجود أنفسهم وأنكروا أن يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون وعماهم فى كلتا العينين لأنهم نفوا ما هو الثابت تحقيقا وهو القيوم الذى هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فقائم به ، ولم يقتصروا على هذا حتى أثبتوا أنفسهم ، ولو عرفوا لعلموا أنهم من حيث هم هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم ، وإنما وجودهم من حيث أوجدوا لا من حيث وجدوا ، وفرق بين الموجود وبين الموجد ، وليس فى الوجود إلا موجود واحد وموجد ، فالموجود حق والموجد باطل من حيث هو هو ، والموجود قائم وقيوم والموجد هالك وفان ، وإذا كان كل من عليها فان ، فلا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام . الفريق الثانى : ليس بهم عمى ولكن بهم عور ، لأنهم يبصرون بإحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه ، والعين الأخرى إن تم عماها لم يبصر بها فناء غير الموجود الحق ؛ فأثبت موجودا آخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقا كما

أنّ الذى قبله جاحد تحقيقا : فإن جاوز حد العمى إلى العمش أدرك تفاوتاً بين الموجودين ، فأثبت عبداً وربا ، فبهذا القدر من إثبات التفاوت والنقص من الموجود الآخر دخل فى حد التوحيد ، ثم إن كحل بصره بما يزيد فى أنواره فيقل عمشه وبقدر مايزيد فى بصره يظهر له نقصان ما أثبته سوى الله تعالى ؛ فإن بقى فى سلوكه كذلك فلا يزال يفضى به النقصان إلى المحو ، فينمحى عن رؤية ماسوى الله فلا يرى إلا الله ، ليكون قد بلغ كمال التوحيد ، وحيث أدرك نقصا فى وجود ماسوى الله تعالى دخل فى أوائل التوحيد ، وبينهما درجات لاتحصى ،فبهذا تتفاوت درجات الموحدين ، وكتب الله المنزلة على ألسنة رسله هى الكحل الذى به يحصل أنوار الأبصار ، والأنبياء هم الكحالون ، وقد جاءوا داعين الى التوحيد المحض ، وترجمته قول « لا إله إلا الله » ومعناه أن لايرى إلا الواحد الحق ، والواصلون إلى كمال التوحيد هم الأقلون ، والجاحدون والمشركون أيضاً قليلون ، وهم على الطرف الأقصى المقابل لطرف التوحيد ، إذ عبدة الأوثان قالوا ﴿ مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ فكانوا داخلين فى أوائل أبواب التوحيد دخولا ضعيفاً ، والمتوسطون هم الأكثرون ، وفيهم من تنفتح بصيرته فى بعض الأحوال فتلوح له حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لايثبت ، وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ولكن لايدوم والدوام فيه عزيز .

لكل إلى شأو العلا حركات ولكن عزيز فى الرجال ثبات

ولما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب القرب فقيل له ﴿ واسجد واقترب ﴾ قال فى سجوده « أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك [1] » فقوله صلى الله عليه وسلم « أعوذ بعفوك من عقابك » كلام عن مشاهدة فعل الله فقط ، فكأنه لم ير إلا الله وأفعاله ، فاستعاذ بفعله من فعله « ثم اقترب ففنى عن مشاهدة الأفعال، وترقى إلى مصادر الأفعال وهى الصفات فقال « أعوذ برضاك من سخطك » وهما صفتان ، ثم رأى ذلك نقصانا فى التوحيد فاقترب ورقى من مقام مشاهدة الصفات إلى مشاهدة الذات فقال « وأعوذ بك منك » وهذا فرار منه اليه من غير رؤية فعل وصفة ، ولكنه رأى نفسه فارّا منه إليه ومستعيذا ومثنيا ، ففنى عن مشاهدة نفسه إذ رأى ذلك نقصانا واقترب فقال « لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » فقوله صلى الله عليه وسلم « لاأحصى » خبر عن فناء نفسه وخروج عن مشاهدتها ، وقوله « أنت كما أثنيت على نفسك » بيان أنه المثنى والمثنى عليه وأن الكل منه بدا وإليه يعود وأن كل شىء هالك إلا وجهه ؛ فكان أول مقاماته نهاية مقامات الموحدين وهو أن لايرى إلا الله تعالى وأفعاله ، فيستعيذ بفعل من فعل : فانظر إلى ماذا انتهت نهايته إذ انتهى الى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات الحق ، ولقد كان صلى الله عليه وسلم لايرقى من رتبة الى أخرى إلا ويرى الأولى بعداً بالإضافة الى الثانية ، فكان يستغفر الله من الأولى ويرى ذلك نقصاً فى سلوكه وتقصيرا فى مقامه ، واليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « انه ليغان على قلبى حتى استغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة [2] » فكان ذلك لترقيه الى سبعين مقاما بعضها فوق البعض : أولها وان كان مجاوزاً أقصى غايات الخلق ولكن كان نقصانا بالإضافة الى آخرها ، فكان استغفاره لذلك . ولما قالت عائشة رضى الله عنها : أليس قد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا البكاء فى السجود وماهذا الجهد الشديد ؟

---

(١) حديث قال فى سجوده « أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث عائشة : أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك ... الحديث (٢) حديث « إنه ليغان على قلبى ... الحديث » تقدم فى التوبة ، وقبله فى الدعوات .

قال « أفلا أكون عبداً شكوراً[1] » معناه . أفلا أكون طالباً المزيد فى المقامات . فإن الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾

وإذا تغلغنا فى بحار المكاشفة فلنقبض العنان ، ولنرجع إلى مايليق بعلوم المعاملة : فنقول الأنبياء عليهم السلام بعثوا لدعوة الخلق إلى كمال التوحيد الذى وصفناه ، ولكن بينهم وبين الوصول إليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة ، وإنما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة أخرى ومقام آخر فيظهر فى ذلك المقام بإضافة إلى تلك المشاهدة الشكر والشاكر والمشكور ، ولا يعرف ذلك إلا بمثال فأقول : يمكنك أن تفهم أن ملكا من الملوك أرسل إلى عبد قد بعد منه مركوبا وملبوسا ونقدا لأجل زاده فى الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك ، ثم يكون له حالتان : (إحداهما) أن يكون قصده من وصول العبد إلى حضرته أن يقوم ببعض مهماته ويكون له عناية فى خدمته (والثانية) أن لا يكون للملك حظ فى العبد ولا حاجة به إليه ، بل حضوره لا يزيد فى ملكه لأنه لا يقوى على القيام بخدمة تغنى فيه غناء ، وغيبته لا تنقص من ملكه ؛ فيكون قصد من الإنعام عليه بالمركوب والزاد أن يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو فى نفسه لا لينتفع الملك به وبانتفاعه ، فمنزل العباد من الله تعالى فى المنزلة الثانية لا فى المنزلة الأولى فإن الأولى محال على الله تعالى ، والثانية غير محال . ثم اعلم أن العبد لا يكون شاكرا فى الحالة الأولى بمجرد الركوب والوصول إلى حضرته مالم يقم بخدمته التى أرادها الملك منه . وأما فى الحالة الثانية فلا يحتاج إلى الخدمة أصلا ، ومع ذلك يتصور أن يكون شاكرا وكافرا ويكون شكره بأن يستعمل ما أنفذه إليه مولاه فيما أحبه لأجله لا لأجل نفسه ، وكفره أن لا يستعمل ذلك فيه بأن يعطله أو يستعمله فيما يزيد فى بعده منه ؛ فهما لبس العبد الثوب وركب الفرس ولم ينفق الزاد إلا فى الطريق فقد شكره مولاه إذ استعمل نعمته فى محبته : أى فيما أحبه لعبده لا لنفسه ، وإن ركبه واستدبر حضرته وأخذ يبعد منه فقد كفر نعمته : أى استعملها فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه ، وإن جلس ولم يركب لا فى طلب القرب ولا فى طلب البعد فقد كفر أيضا نعمته إذا أهملها وعطلها ، وإن كان هذا دون مالو بعد منه ، فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم فى ابتداء فطرتهم يحتاجون إلى استعمال الشهوات لتكمل بها أبدانهم فيبعدون بها عن حضرته ، وإنما سعادتهم فى القرب منه فأعد لهم من النعم ما يقدرون على استعماله فى نيل درجة القرب ، وعن بعدهم وقربهم عبر الله تعالى إذ قال ﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا ﴾ الآية ، فإذن نعم الله تعالى آلات يترقى العبد بها عن أسفل السافلين ، خلقها الله تعالى لأجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب ، والله تعالى غنى عنه قرب أم بعد ، والعبد فيها بين أن يستعملها فى الطاعة فيكون قد شكر لموافقة محبة مولاه وبين أن يستعملها فى معصيته فقد كفر لاقتحامه مايكرهه مولاه ولا يرضاه له ؛ فإن الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية ، وإن عطلها ولم يستعملها فى طاعة ولا معصية فهو أيضا كفران للنعمة بالتضييع ، وكل ماخلق فى الدنيا إنما خلق آلة للعبد ليتوصل به إلى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله تعالى ؛ فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمة الله فى الأسباب التى استعملها فى الطاعة ، وكل كسلان ترك الاستعمال أو عاص استعملها فى طريق البعد فهو كافر جار فى غير محبة الله تعالى ؛ فالمعصية والطاعة تشملهما المشيئة ولكن لا تشملها المحبة والكراهة ، بل رب مراد

(١) حديث عائشة لما قالت له : غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا البكاء .. الحديث . رواه أبو الشيخ وهو بقية حديث عطاء عنها المتقدم قبل هذا بتسعة أحاديث ، وهو عند مسلم من رواية عروة عنها مختصرا وكذلك هو فى الصحيحين مختصرا من حديث المغيرة بن شعبة .

محبوب ورب مراد مكروه . ووراء بيان هذه الدقيقة سر القدر الذى منع من إفشائه ، وقد انحل بهذا الإشكال الأول : وهو أنه إذا لم يكن للمشكور حظ فكيف يكون الشكر ؛ وبهذا أيضا ينحل الثانى ؛ فإنا لم نعن بالشكر إلا انصراف نعمة الله فى جهة محبة الله فإذا انصرفت النعمة فى جهة المحبة بفعل الله فقد حصل المراد ، وفعلك عطاء من الله تعالى ، ومن حيث أنت محله فقد أثنى عليك ، وثناؤه نعمة أخرى منه إليك ؛ فهو الذى أعطى وهو الذى أثنى وصار أحد فعليه سببا لانصراف فعله الثانى إلى جهة محبته ، فله الشكر على كل حال ، وأنت موصوف بأنك شاكر بمعنى أنك محل المعنى الذى الشكر عبارة عنه لا بمعنى أنك موجب له ، كما أنك موصوف بأنك عارف وعالم لا بمعنى أنك خالق للعلم وموجده ، ولكن بمعنى أنك محل له ، وقد وجد بالقدرة الأزلية فيك ؛ فوصفك بأنك شاكر إثبات شيئية لك وأنت شىء ، إذ جعلك خالق الأشياء شيئا وإنما أنت لاشىء إذا كنت أنت ظانا لنفسك شيئا من ذاتك ؛ فأما باعتبار النظر إلى الذى جعل الأشياء شيئا فأنت شىء إذ جعلك شيئا ؛ فإن قطع النظر عن جعله كنت لاشىء تحقيقيا ، وإلى هذا أشار صلى الله عليه وسلم حيث قال « اعملوا فكل ميسر لما خلق له [1] » لما قيل له : يارسول الله ففيم العمل إذا كانت الأشياء قد فرغ منها من قبل ؟ فتبين أن الخلق مجارى قدرة الله تعالى ومحل أفعاله وإن كانوا هم أيضا من أفعاله ولكن بعض أفعاله محل للبعض . وقوله « اعملوا » وإن كان جاريا على لسان الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فهو فعل من أفعاله ، وهو سبب لعلم الخلق أن العمل نافع ، وعلمهم فعل من أفعال الله تعالى ، والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة إلى الحركة والطاعة ، وانبعاث الداعية أيضا من أفعال الله تعالى ، وهو سبب لحركة الأعضاء وهى أيضا من أفعال الله تعالى ، ولكن بعض أفعاله سبب للبعض أى الأول شرط للثانى كما كان خلق الجسم سبباً لخلق العرض إذ لا يخلق العرض قبله ، وخلق الحياة شرط لخلق العلم وخلق العلم شرط لخلق الإرادة والكل من أفعال الله تعالى وبعضها سبب للبعض : أى هو شرط ، ومعنى كونه شرطا أنه لا يستعد لقبول فعل الحياة إلا جوهر ولا يستعد لقبول العلم إلا ذو حياة ولا لقبول الإرادة إلا ذو علم ، فيكون بعض أفعاله سبباً للبعض بهذا المعنى لا بمعنى أن بعض أفعاله موجد لغيره بل ممهد شرط الحصول لغيره ، وهذا إذا حقق ارتقى إلى درجة التوحيد الذى ذكرناه .

فإن قلت : فلم قال الله تعالى اعملوا وإلا فأنتم معاقبون مذمومون على العصيان ، وما إلينا شىء فكيف نذم وإنما الكل إلى الله تعالى ؟ فاعلم أن هذا القول من الله تعالى سبب لحصول اعتقاد فينا ، والاعتقاد سبب لهيجان الخوف ، وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافى عن دار الغرور ، وذلك سبب للوصول إلى جوار الله ، والله تعالى مسبب الأسباب ومرتبها ، فمن سبق له فى الأزل السعادة يسر له هذه الأسباب حتى يقوده بسلسلتها إلى الجنة ، ويعبر عن مثله بأن كلا ميسر لما خلق له ، ومن لم يسبق له من الله الحسنى بعد عن سماع كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام العلماء ؛ فإذا لم يسمع لم يعلم ، وإذا لم يعلم لم يخف ، وإذا لم يخف لم يترك الركون إلى الدنيا ، وإذا لم يترك الركون إلى الدنيا بقى فى حزب الشيطان ، وإن جهنم لموعدهم أجمعين ؛ فإذا عرفت هذا تعجبت من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل ؛ فما من أحد إلا وهو مقود إلى الجنة بسلاسل الأسباب ، وهو تسليط العلم والخوف عليه . وما من مخذول إلا وهو مقود إلى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والأمن والغرور عليه ، فالمتقون يساقون إلى الجنة قهرا ، والمجرمون يقادون إلى النار قهرا ، ولا قاهر إلا الله الواحد القهار ،

(١) حديث « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » من حديث على وعمران بن حصين .

ولا قادر إلا الملك الجبار ، وإذا انكشف الغطاء عن أعين الغافلين فشاهدوا الأمر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادى ﴿ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾ ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لاذلك اليوم على الخصوص ، ولكن الغافلين لا يسمعون هذا النداء إلا ذلك اليوم ، فهو نبأ عما يتجدد للغافلين من كشف الأحوال حيث لاينفعهم الكشف ؛ فنعوذ بالله الحليم الكريم من الجهل والعمى فإنه أصل أسباب الهلاك .

بيان تمييز مايحبه الله تعالى عما يكرهه

اعلم أنّ فعل الشكر وترك الكفر لايتم إلا بمعرفة مايحبه الله تعالى عما يكرهه ، إذ معنى الشكر استعمال نعمه تعالى فى محابه ، ومعنى الكفر نقيض ذلك إما بترك الاستعمال أو باستعمالها فى مكارهه . ولتمييز مايحبه الله تعالى مما يكرهه مدركان (أحدهما) السمع ، ومستنده الآيات والأخبار (والثانى) بصيرة القلب ، وهو النظر بعين الاعتبار ، وهذا الأخير عسير ، وهو لأجل ذلك عزيز ، فلذلك أرسل الله تعالى الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ، ومعرفة ذلك تنبنى على معرفة جميع أحكام الشرع فى أفعال العباد ، فمن لايطلع على أحكام الشرع فى جميع أفعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر أصلا . وأما الثانى وهو النظر بعين الاعتبار فهو إدراك حكمة الله تعالى فى كل موجود خلقه ، إذ ماخلق شيئا فى العالم إلا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب ، وتلك الحكمة منقسمة إلى جلية وخفية . أما الجلية فكالعلم بأن الحكمة فى خلق الشمس أن يحصل بها الفرق بين الليل والنهار ، فيكون النهار معاشا والليل لباسا فتتيسر الحركة عند الإبصار ، والسكون عند الاستتار ، فهذا من جملة حكم الشمس لا كل الحكم فيها بل فيها حكم أخرى كثيرة دقيقة ، وكذلك معرفة الحكمة فى الغيم ونزول الأمطار وذلك لانشقاق الأرض بأنواع النبات مطعما للخلق ومرعى للأنعام ، وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الجلية التى تحتملها أفهام الخلق دون الدقيق الذى يقصرون عن فهمه ، إذ قال تعالى ﴿ أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا ﴾ الآية . وأما الحكمة فى سائر الكواكب السيارة منها والثوابت الخفية لايطلع عليها كافة الخلق ، والقدر الذى يحتمله فهم الخلق أنها زينة للسماء لتستلذ العين بالنظر إليها ، وأشار إليه قوله تعالى ﴿ إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ﴾ لجميع أجزاء العالم سماؤه وكواكبه ورياحه وبحاره وجباله ومعادنه ونباته وحيواناته وأعضاء حيواناته لاتخلو ذرة من ذراته عن حكم كثيرة من حكمه واحدة إلى عشرة إلى ألف إلى عشرة آلاف ، وكذا أعضاء الحيوان تنقسم إلا ما يعرف حكمتها كالعلم بأن العين للإبصار لا للبطش ، واليد للبطش لا للمشى ، والرجل للمشى لا للشم ، فأما الأعضاء الباطنة من الأمعاء والمرارة والكبد والكلية وآحاد العروق والأعصاب والعضلات وما فيها من التجاويف والالتفاف والاشتباك والانحراف والدقة والغلظ وسائر الصفات فلا يعرف الحكمة فيها سائر الناس ، والذين يعرفونها لا يعرفون منها إلا قدرا يسيرا بالإضافة إلى ما فى علم الله تعالى ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ فإذن كل من استعمل شيئا فى جهة غير الجهة التى خلق لها ولا على الوجه الذى أريد به فقد كفر فيه نعمة الله تعالى ، فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد إذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه مايهلكه ويأخذ ماينفعه لا ليهلك بها غيره ، ومن نظر إلى وجه غير المحرم فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس ، إذ الإبصار يتم بهما ، وإنما خلقتا ليبصر بهما ماينفعه فى دينه ودنياه ويتقى بهما ما يضره فيهما ، فقد استعملها فى غير ما أريدتا به ، وهذا لأنّ المراد من خلق الخلق وخلق الدنيا وأسبابها أن يستعين الخلق بهما على الوصول إلى الله تعالى ولا وصول إليه إلا بمحبته والأنس به فى الدنيا والتجافى عن غرور الدنيا ، ولا أنس

إلا بدوام الذكر ولا محبة إلا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ، ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر إلا بدوام البدن ، ولا يبقى البدن إلا بالغذاء ، ولا يتم الغذاء إلا بالأرض والماء والهواء ، ولا يتم ذلك إلا بخلق السماء والأرض وخلق سائر الأعضاء ظاهراً وباطنا ، فكل ذلك لأجل البدن والبدن مطية النفس ، والراجح إلى الله تعالى هى النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة ، فلذلك قال تعالى ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ۝ ما أريد منهم من رزق ﴾ الآية ، فكل من استعمل شيئا فى غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله فى جميع الأسباب التى لابدّ منها لإقدامه على تلك المعصية . ولنذكر مثالا واحداً للحكم الخفية التى ليست فى غاية الخفاء حتى تعتبر بها وتعلم طريقة الشكر والكفران على النعم فنقول : من نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وبهما قوام الدنيا وهما حجران لامنفعة فى أعيانهما ولكن يضطر الخلق إليهما من حيث إن كل إنسان محتاج إلى أعيان كثيرة فى مطعمه وملبسه وسائر حاجاته ، وقد يعجز عما يحتاج إليه ويملك مايستغنى عنه . كمن يملك الزعفران مثلا وهو محتاج إلى جمل يركبه ، ومن يملك الجمل ربما يستغنى عنه ويحتاج إلى الزعفران ، فلا بد بينهما من معاوضة ولا بدّ فى مقدار العوض من تقدير ، إذ لايبذل صاحب الجمل جمله بكل مقدار من الزعفران ، ولامناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطى منه مثله فى الوزن أو الصورة . وكذا من يشترى داراً بثياب أو عبداً بخف أو دقيقا بحمار فهذه الأشياء لاتتناسب فيها ، فلا يدرى أن الجمل كم يسوى بالزعفران فتتعذر المعاملات جدا . فافتقرت هذه الأعيان المتنافرة المتباعدة إلى متوسط بينها يحكم بينهما بحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته ومنزلته حتى إذا تقررت المنازل وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوى من غير المساوى ، فخلق الله تعالى الدنانير والدراهم حاكمين ومتوسطين بين سائر الأموال حتى تقدّر الأموال بهما ، فيقال : هذا الجمل يسوى مائة دينار وهذا القدر من الزعفران يسوى مائة ، فهما من حيث إنهما مساويان بشىء واحد إذن متساويان ، وإنما أمكن التعديل بالنقدين إذ لاغرض فى أعيانهما ولو كان فى أعيانهما غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض فى حق صاحب الغرض ترجيحاً ولم يقتض ذلك فى حق من لاغرض له فلا ينتظم الأمر ، فإذن خلقهما الله تعالى لتتداولهما الأيدى ويكونا حاكمين بين الأموال بالعدل ولحكمة أخرى وهى التوسل بهما إلى سائر الأشياء لأنهما عزيزان فى أنفسهما ولا غرض فى أعيانهما ونسبتهما إلى سائر الأحوال نسبة واحدة فمن ملكهما فكأنه ملك كل شىء ، لا كمن ملك ثوبا فإنه لم يملك إلا الثوب ، فلو احتاج إلى طعام ربما لم يرغب صاحب الطعام فى الثوب لأن غرضه فى دابة مثلا فاحتيج إلى شىء وهو فى صورته كأنه ليس بشىء وهو فى معناه كأنه كل الأشياء ، والشىء إنما تستوى نسبته إلى المختلفات إذا لم تكن له صورة خاصة يفيدها بخصوصها ، كالمرآة لا لون لها ، وتحكى كل لون فكذلك النقد لاغرض فيه وهو وسيلة إلى كل غرض ، وكالحرف لا معنى له نفسه وتظهر به المعانى فى غيره ، فهذه هى الحكمة الثانية ، وفيهما أيضا حكم يطول ذكرها فكل من عمل فيهما عملا لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمة الله تعالى فيهما ، فإذن من كنزهما فقد ظلمهما وأبطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين فى سجن يمتنع عليه الحكم بسببه . لأنه إذا كنز فقد ضيع الحكم ولا يحصل الغرض المقصود به ، وما خلقت الدراهم والدنانير لزيد خاصة ولا لعمرو خاصة إذ لاغرض للآحاد فى أعيانهما فإنهما حجران ، وإنما خلقا لتتداولها الأيدى فيكونا حاكمين بين الناس وعلامة معرفة المقادير مقومة للمراتب ، فأخبر الله تعالى الذين يعجزون عن قراءة الأسطر الإلهية المكتوبة فى صفحات الموجودات بخط إلهى لاحرف فيه ولا صوت الذى لايدرك بعين البصر بل بعين البصيرة ـ أخبر هؤلاء العاجزين

بكلام سمعوه من رسوله صلى الله عليه وسلم حتى وصل اليهم بواسطة الحرف والصوت المعنى الذى عجزوا عن إدراكه ، فقال تعالى ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾ وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير آنية من ذهب أو فضة فقد كفر النعمة وكان أسوأ حالا ممن كنز لان مثال هذا مثال من استسخر حاكم البلد فى الحياكة والمكس والأعمال التى يقوم بها أخساء الناس ، والحبس أهون منه، وذلك أن الخزف والحديد والرصاص والنحاس تنوب مناب الذهب والفضة فى حفظ المائعات عن أن تتبدد ، وإنما الأوانى لحفظ المائعات ، ولا يكفى الخزف والحديد فى المقصود الذى أريد به النقود فمن لم ينكشف له هذا انكشف له بالترجمة الإلهية وقيل له : من شرب فى آنية من ذهب أو فضة فكأنما يجرجر فى بطنه نار جهنم [1] ، وكل من عامل معاملة الربا على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم لأنهما خلقا لغيرهما لا لنفسهما إذ لاغرض فى عينهما ، فإذا اتجر فى عينهما فقد اتخذهما مقصودا على خلاف وضع الحكمة ، إذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا نقد معه فقد لايقدر على أن يشترى به طعاما ودابة ، إذ ربما لايباع الطعام والدابة بالثوب ، فهو معذور فى بيعه بنقد آخر ليحصل النقد فيتوصل به إلى مقصوده فانهما وسيلتان إلى الغير لاغرض فى أعيانهما ، وموقعهما فى الأموال كموقع الحرف من الكلام ، كما قال النحويون : إنّ الحرف هو الذى جاء لمعنى فى غيره ، وكموقع المرآة من الألوان ؛ فأما من معه نقد فلو جاز له أن يبيعه بالنقد فيتخذ التعامل على النقد غاية عمله فيبقى النقد مقيدا عنده وينزل منزلة المكنوز ، وتقييد الحاكم والبريد الموصل إلى الغير ظلم ، كما أن حبسه ظلم ، فلا معنى لبيع النقد بالنقد إلا اتخاذ النقد مقصوداً للادخار وهو ظلم

فإن قلت فلم جاز بيع أحد النقدين بالآخر ؛ ولما جاز بيع الدرهم بمثله ؟ فاعلم أن أحد النقدين يخالف الآخر فى مقصود التوصل ، إذ قد يتيسر التوصل بأحدهما من حيث كثرته كالدراهم تتفرق فى الحاجات قليلا قليلا ، ففى المنع منه مايشوش المقصود الخاص به ؛ وهو تيسر التوصل به إلى غيره : وأما بيع الدرهم بدرهم يماثله فجائز من حيث إن ذلك لايرغب فيه عاقل مهما تساويا ولا يشتغل به تاجر فإنه عبث يجرى مجرى وضع الدرهم على الأرض وأخذه بعينه ، ونحن لانخاف على العقلاء أن يصرفوا أوقاتهم إلى وضع الدرهم على الأرض وأخذه بعينه ، فلا نمنع مما لاتتشوق النفوس إليه إلا أن يكون أحدهما أجود من الآخر ، وذلك أيضا لايتصور جريانه ؛ إذ صاحب الجيد لايرضى بمثله من الردىء فلا ينتظم العقد ، وإن طلب زيادة فى الردىء فذلك مما قد يقصده فلا جرم نمنعه منه ونحكم بأن جيدها ورديئها سواء ، لأن الجودة والرداءة ينبغى أن ينظر اليهما فيما يقصد فى عينه ، وما لاغرض فى عينه فلا ينبغى أن ينظر إلا مضافات دقيقة فى صفاته ، وإنما الذى ظلم هو الذى ضرب النقود مختلفة فى الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة فى أعيانها وحقها أن لاتقصد . وأما إذا باع درهما بدرهم مثله نسيئة فإنما لم يجز ذلك لأنه لايقدم على هذا إلا مسامح قاصد الإحسان فى القرض وهو مكرمة مندوحة عنه لتبقى صورة المسامحة فيكون له حمد وأجر . والمعاوضة لاحمد فيها ولا أجر ، فهو أيضا ظلم لأنه إضاعة خصوص المسامحة وإخراجها فى معرض المعارضة ، وكذلك الأطعمة خلقت ليتغذى بها أو يتداوى بها فلا ينبغى أن تصرف على جهتها فإن فتح باب المعاملة فيها يوجب تقييدها فى الأيدى ويؤخر عنها الأكل الذى أريدت له ، فما خلق الله الطعام إلا ليؤكل والحاجة إلى الأطعمة شديدة فينبغى أن تخرج عن يد المستغنى عنها إلى المحتاج ولا يعامل على الأطعمة إلا مستغن عنها ؛ إذ من معه طعام فلم

---

(١) حديث « من شرب فى آنية من ذهب أو فضة فكأنما يجرجر فى بطنه نار جهنم » متفق عليه من حديث أم سلمة ، ولم يصرح المصنف بكونه حديثا .

لايأكله إن كان محتاجا ولم يجعله بضاعة تجارة ، وإن جعله بضاعة تجارة فليبعه ممن يطلبه بعوض غير الطعام يكون محتاجا إليه ، فأما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو أيضا مستغن عنه ، ولهذا ورد فى الشرع لعن المحتكر ، ووردفيه من التشديدات ماذكرناه فى كتاب آداب الكسب ؛ نعم بائع البر بالتمر معذور ، إذ أحدهما لايسد مسد الآخر فى الغرض وبائع صاع من البر بصاع منه غير معذور ولكنه عابث فلا يحتاج إلى منع لأن النفوس لاتسمح به إلا عند التفاوت فى الجودة ؛ ومقابلة الجيد بمثله من الردىء لايرضى بها صاحب الجيد وأما جيد برديئين فقد يقصد ، ولكن لما كانت الأطعمة من الضروريات والجيد يساوى الردىء فى أصل الفائدة ويخالفه فى وجوه التنعم أسقط الشرع غرض التنعم فيما هو القوام ، فهذه حكمة الشرع فى تحريم الربا ، وقد انكشف لنا هذا بعد الإعراض عن فن الفقه فلنلحق هذا بفن الفقهيات فإنه أولى من جميع ماأوردناه فى الخلافيات ، وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعى رحمه الله فى التخصص بالأطعمة دون المكيلات ، إذ لو دخل الجص فيه لكانت الثياب والدواب أولى بالدخول ؛ ولولا الملح لكان مذهب مالك رحمه الله أقوم المذاهب فيه إذ خصصه بالأوقات ، ولكن كل معنى يرعاه الشرع فلا بد أن يضبط بحد وتحديد هذا كان ممكنا بالقوت وكان ممكنا بالمطعوم فرأى الشرع التحديد بجنس المطعوم أخرى لكل ما هو ضرورة البقاء ؛ وتحديدات الشرع قد تحيط بأطراف لايقوى فيها أصل المعنى الباعث على الحكم ؛ ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولو لم يحد لتحير الخلق فى أتباع جوهر المعنى مع اختلافه بالأحوال والأشخاص. فعين المعنى بكمال قوته يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص فيكون الحد ضروريا ، فلذلك قال الله تعالى ﴿ ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ﴾ ولأن أصول هذه المعانى لا تختلف فيها الشرائع وإنما تختلف فى وجوه التحديد ، كما يحد شرع عيسى ابن مريم عليه السلام تحريم الخمر بالسكر ، وقد حده شرعنا بكونه من جنس المسكر ؛ لأن قليله يدعو إلى كثير ، والداخل فى الحدود داخل فى التحريم بحكم الجنس كما دخل أصل المعنى بالجملة الأصلية ، فهذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم النقدين ، فينبغى أن يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق لحكمة فينبغى أن يصرف عنها ، ولا يعرف هذا إلا من قد عرف الحكمة ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ﴾ ولكن لا تصادف جواهر الحكم فى قلوب هى مزابل الشهوات وملاعب الشياطين ، بل لايتذكر إلا أولوا الألباب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماء[1] » ، وإذ عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكوتك ، وكل فعل صادر منك فإنه إما شكر وإما كفر إذ لا يتصور أن ينفك عنهما ، وبعض ذلك نصفه فى لسان الفقه الذى تناطق به عوام الناس بالكراهة وبعضه بالخطر وكل ذلك عند أرباب القلوب موصوف بالخطر ، فأقول مثلا : لو استنجيت باليمنى فقد كفرت نعمة اليدين، إذ خلق الله لك اليدين وجعل إحداهما أقوى من الأخرى ، فاستحق الأقوى بمزيد رجحانه فى الغالب التشريف والتفضيل، وتفضيل الناقص عدول عن العدل ، والله لا يأمر بالعدل ، ثم أحوجك من أعطاك اليدين إلى أعمال : بعضها شريف كأخذ المصحف ، وبعضها خسيس كإزالة النجاسة ، فإذا أخذت المصحف باليسار وأزلت النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بما هو خسيس فغضضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل ، وكذلك إذا بصقت مثلا فى جهة القبلة أو استقبلتها فى قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله تعالى فى خلق الجهات وخلق سعة العالم لأنه خلق الجهات لتكون متسعك فى حركتك وقسم الجهات إلى مالم يشرفها وإلى ما شرفها بأن وضع فيها بيتاً أضافه إلى نفسه استمالة

(١) حديث « لولا أن الشياطين يحومون على بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماء » تقدم فى الصوم .

لقلبك إليه ليتقيد به قلبك فيتقيد بسببه بدنك فى تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار إذا عبدت ربك ، وكذلك انقسمت أفعالك إلى ما هى شريفة كالطاعات وإلى ما هى خسيسة كقضاء الحاجة ورمى البصاق ، فإذا رميت بصاقك إلى جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله تعالى عليك بوضع القبلة التى بوضعها كمال عبادتك ، وكذلك إذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت ؛ لأن الخف وقاية الرجل ، فللرجل فيه حظ ، والبداءة فى الحظوظ ينبغى أن تكون بالأشرف فهو العدل والوفاء بالحكمة ، ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الخف والرجل ، وهذا عند العارفين كبيرة وإن سماه الفقيه مكروها ، حتى إن بعضهم كان قد جمع إكرارا من الحنطة وكان يتصدق بها ، فسئل عن سببه فقال: لبست المداس مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهوا فأريد أن أكفره بالصدقة ، نعم الفقيه لايقدر على تفخيم الأمر فى هذه الأمور لأنه مسكين ، بل بإصلاح العوام الذين تقرب درجتهم من درجة الإنعام وهم مغموسون فى ظلمات أطم وأعظم من أن تظهر أمثال هذه الظلمات بالإضافة إليها ؛ فقبيح أن يقال : الذى شرب الخمر وأخذ القدح بيساره قد تعدى من وجهين : أحدهما الشرب والآخر الأخذ باليسار ، ومن باع خمرا فى وقت النداء يوم الجمعة فقبيح أن يقال خان من وجهين (أحدهما) بيع الخمر ، والآخر البيع فى وقت النداء . ومن قضى حاجته فى محراب المسجد مستدبر القبلة فقبيح أن يذكر تركه الأدب فى قضاء الحاجة من حيث إنه لم يجعل القبلة عن يمينه ، فالمعاصى كلها ظلمات بعضها فوق بعض ، فيمنحق بعضها فى جنب البعض ، فالسيد قد يعاقب عبده إذا استعمل سكينه بغير إذنه ، ولكن لو قتل بتلك السكين أعز أولاده لم يبق لاستعمال السكين بغير إذنه حكم ونكاية فى نفسه ، فكل ماراعاه الأنبياء والأولياء من الآداب وتسامحنا فيه فى الفقه مع العوام فسببه هذه الضرورة ، وإلا فكل هذه المكاره عدول عن العدل وكفران للنعمة ونقصان عن الدرجة المبلغة للعبد إلى درجات القرب ، بعضها يؤثر فى العبد بنقصان القرب وانحطاط المنزلة وبعضها يخرج بالكلية عن حدود القرب إلى عالم البعد الذى هو مستقر الشياطين ، وكذلك من كسر غصنا من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمة ومن غير حاجة غرض صحيح فقد كفر نعمة الله تعالى فى خلق الأشجار وخلق اليد أما اليد فإنها لم تخلق للعبث بل للطاعة والأعمال المعينة على الطاعة . وأما الشجر فإنه خلقه الله تعالى وخلق له العروق وساق إليه الماء وخلق فيه قوة الاغتذاء والنماء ليبلغ منتهى نشوه فينتفع به عباده ، فكسره قبل منتهى نشوة لا على وجه ينتفع به عباده مخالفة لمقصود الحكمة وعدول عن العدل ، فإن كان له غرض صحيح فله ذلك ، إذ الشجر والحيوان جعلا فداء لأغراض الإنسان ، فإنهما جميعا فانيان هالكان ، فإفناء الأخس فى بقاء الأشرف مدة ما أقرب إلى العدل من تضييعهما جميعا وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض جميعا منه ﴾ نعم إذا كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم أيضا وإن كان محتاجا ، لأن كل شجرة بعينها لاتفى بحاجات عباد الله كلهم بل تفى بحاجة واحدة ، ولو خصص واحد بها من غير رجحان واختصاص كان ظلما ، فصاحب الاختصاص هو الذى حصل البذر ووضعه فى الأرض وساق إليه الماء وقام بالتعهد فهو أولى به من غيره فيرجع جانبه بذلك ، فإن نبت ذلك فى موات الأرض لا بسعى آدمى اختص بمغرسه أو بغرسه ، فلا بد من طلب اختصاص آخر وهو السبق إلى أخذه ، فللسابق خاصية السبق ، فالعدل هو أن يكون أولى به وعبر الفقراء عن هذا الترجيح بالملك ، وهو مجاز محض ، إذ لا ملك إلا لملك الملوك الذى له مافى السموات والأرض ، وكيف يكون العبد مالكا وهو فى نفسه ليس يملك نفسه بل هو ملك غيره ، نعم الخلق عباد الله والأرض مائدة الله وقد أذن لهم فى الأكل من مائدته بقدر حاجتهم ، كالملك ينصب مائدة لعبيده ، فمن أخذ لقمة بيمينه واحتوت عليها براجمه فجاء عبد آخر وأراد انتزاعها

من يده لم يمكن منه لا لأن اللقمة صارت ملكا له بالأخذ باليد — فإن اليد وصاحب اليد أيضا مملوك — ولكن إذا كانت كل لقمة بعينها لا تفي بحاجة كل العبيد فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص ، والأخذ اختصاص ينفرد به العبد فمنع من لا يدلي بذلك الاختصاص عن مزاحمته ، فهكذا ينبغي أن تفهم أمر الله في في عباده ، ولذلك نقول : من أخذ من أموال الدنيا أكثر من حاجته وكنزه وأمسكه وفي عباد الله من يحتاج إليه فهو ظالم ، وهو من الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ، وإنما سبيل الله طاعته وزاد الخلق في طاعته أموال الدنيا ، إذ بها تندفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم ، نعم لا يدخل هذا في حد فتاوى الفقه لأن مقادير الحاجات خفية والنفوس في استشعار الفقر في الاستقبال مختلفة ، وأواخر الأعمار غير معلومة ، فتكليف العوام ذلك يجري مجرى تكليف الصبيان الوقار والتؤدة والسكوت عن كلام غير مهم ، وهو بحكم نقصانهم لا يطيقونه ، فتركنا الاعتراض عليهم في اللعب واللهو وإباحتنا ذلك إياهم لا يدل على أن اللهو واللعب حق ، فكذلك إباحتنا للعوام حفظ الأموال والاقتصار في الإنفاق على قدر الزكاة لضرورة ماجبلوا عليه من البخل لا يدل على أنه غاية الحق وقد أشار القرآن إليه ، إذ قال تعالى ﴿ إن يسألكوها فيحفكم تبخلوا ﴾ بل الحق الذي لا كدورة فيه والعدل الذي لا ظلم فيه أن لا يأخذ أحد من عباد الله من مال الله إلا بقدر زاد الراكب ، فكل عباد الله ركاب لمطايا الأبدان إلى حضرة الملك الديان ، فمن أخذ زيادة عليه ثم منعه عن راكب آخر محتاج إليه فهو ظالم تارك للعدو وخارج عن مقصود الحكمة وكافر نعمة الله تعالى عليه بالقرآن والرسول والعقل وسائر الأسباب التي بها عرف أن ماسوى زاد الراكب وبال عليه في الدنيا والآخرة فمن فهم حكمة الله تعالى في جميع أنواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر ، واستقصاء ذلك يحتاج إلى مجلدات ثم لا تفي إلا بالقليل ، وإنما أوردنا هذا القدر ليعلم علة الصدق في قوله تعالى ﴿ وقليل من عبادي الشكور ﴾ وفرح إبليس لعنه الله بقوله ﴿ ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف معنى هذا كله وأمورا أخر وراء ذلك تنقضي الأعمار دون استقصاء مباديها ؛ فأما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة ، وبهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير .

* فإن قلت : فقد رجع حاصل هذا الكلام إلى أن الله تعالى حكمة في كل شيء ، وأنه جعل بعض أفعال العباد سببا لتمام الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض أفعالها مانعا من تمام الحكمة ، فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساقت الحكمة إلى غايتها فهو شكر وكل ما خالف ومنع الأسباب من أن تنساق إلى الغاية المرادة بها فهو كفران ، وهذا كله مفهوم ، ولكن الإشكال باق : وهو أن فعل العبد المنقسم إلى ما يتمم الحكمة وإلى ما يرفعها هو أيضا من فعل الله تعالى ، فأين العبد في البين حتى يكون شاكرا مرة وكافرا أخرى ؟ فاعلم أن تمام التحقيق في هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات ، وقد رمزنا فيما سبق إلى تلويحات بمباديها ، ونحن الآن نعبر بعبارة وجيزة عن آخرها وغايتها يفهمها من عرف منطق الطير ويحجدها من عجز عن الإيضاع في السير فضلا عن أن يجول في جو الملكوت جولان الطير فنقول : إن الله عز وجل في جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة أعلى وأجل من أن تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها ، فلم يكن لها في العالم عبارة لعلو شأنها وانحطاط رتبة واضعي اللغات عن أن يمتد طرف فهمهم إلى مبادي إشراقها ، فانخفضت عن ذروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الخفافيش عن نور الشمس ، لا لغموض

فى نور الشمس ولكن لضعف فى أبصار الخفافيش ، فاضطر الذين فتحت أبصارهم لملاحظة جلالها إلى أن يستعيروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات عبارة تفهم من مبادى حقائقها شيئا ضعيفا جدا ، فاستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا لله تعالى صفة هى القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع ، ثم الخلق ينقسم فى الوجود إلى أقسام وخصوص صفات ، ومصدر انقسام هذه الأقسام واختصاصها بخصوص صفاتها صفة أخرى استعير لها بمثل الضرورة التى سبقت عبارة المشيئة ، فهى توهم منها أمرا مجملا عند المتناطقين باللغات التى هى حروف وأصوات المتفاهمين بها ، وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدر ثم انقسمت الأفعال الصادرة من القدرة إلى ماينساق إلى المنتهى الذى هو غاية حكمتها وإلى مايقف دون الغاية ، وكان لكل واحد نسبة إلى صفة المشيئة لرجوعها إلى الاختصاصات التى بها تتم القسمة والاختلافات ، فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبة ، واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة ، وقيل : إنهما جميعاً داخلان فى وصف المشيئة ، ولكن لكل واحد خاصية أخرى فى النسبة يوهم لفظ المحبة والكراهة ، منهما أمرا مجملا عند طالبى الفهم من الألفاظ واللغات ، ثم انقسم عباده الذين هم أيضاً من خلقه واختراعه إلى من سبقت له المشيئة الأزلية أن يستعمله لاستيفاء حكمته دون غايتها ، ويكون ذلك قهراً فى حقهم بتسليط الدواعى والبواعث عليهم وإلى من سبقت لهم فى الأزل أن يستعملهم لسياقة حكمته إلى غايتها فى بعض الأمور ، فكان لكل واحد من الفريقين نسبة إلى المشيئة خاصة ، فاستعير لنسبة المستعملين فى إتمام الحكمة بهم عبارة الرضا ، واستعير للذين استوقف بهم أسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب ، فظهر على من غضب عليه فى الأزل فعل وقفت الحكمة به دون غايتها . فاستعير له الكفران ، وأردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة فى النكال ، وظهر على من ارتضاه فى الأزل فعل انساقت بسببه الحكمة إلى غايتها ، فاستعير له عبارة الشكر وأردف بخلعة الثناء والإطراء زيادة فى الرضا والقبول والإقبال فكان الحاصل أنه تعالى أعطى الجمال ثم أثنى ، وأعطى النكال ثم قبح وأردى ، وكان مثاله أن ينظف الملك عبده الوسخ عن أوساخه ثم يلبسه من محاسن ثيابه ، فإذا تم زينته قال ياجميل ماأجملك وأجمل ثيابك وأنظف وجهك ، فيكون بالحقيقة هو المجمل وهو المثنى على الجمال فهو المثنى عليه بكل حال ، وكأنه لم يثنى من حيث المعنى إلا على نفسه ، وإنما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة ، فهكذا كانت الأمور فى الأزال ، وهكذا تتسلسل الأسباب والمسببات بتقدير رب الأرباب ومسبب الأسباب ، ولم يكن ذلك على اتفاق وبحث بل عن إرادة وحكمة وحكم حق وأمر جزم استعير له لفظ القضاء ، وقيل إنه كلمح بالبصر أو هو أقرب ، لفاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم بما سبق به التقدير ، فاستعير لترتب آحاد المقدورات بعضها على بعض لفظ القدر فكان لفظ القضاء بإزاء الأمر الواحد الكلى ، ولفظ القدر بإزاء التفصيل المتمادى إلى غير نهاية . وقيل : إنّ شيئا من ذلك ليس خارجا عن القضاء والقدر ، لخطر لبعض العباد أن القسمة لماذا اقتضت هذا التفصيل ، وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفضيل ، وكان بعضهم لقصوره لايطيق ملاحظة كنه هذا الأمر والاحتواء على مجامعه ، فألجموا عما لم يطيقوا خوض غمرته بلجام المنع وقيل لهم اسكنوا فما لهذا خلقتم ﴿ لايسئل عما يفعل وهم يسئلون ﴾ وامتلأت مشكاة بعضهم نورا مقتبسا من نور الله تعالى فى السموات والأرض ، وكان زيتهم أولا صافيا يكاد يضىء ولولم تمسسه نار ، فمسته نار فاشتعل نورا على نور ، فأشرقت أقطار الملكوت بين أيديهم بنور ربها فأدركوا الأمور كلها كما هى عليه فقيل لهم : تأدبوا بآداب الله تعالى واسكنوا ، وإذا

ذكر القدر فأمسكوا [1] فإن للحيطان آذانا وحواليكم ضعفاء الأبصار ، فسيروا بسير أضعفكم ولاتكشفوا حجاب الشمس لأبصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم ، فتخلقوا بأخلاق الله تعالى وانزلوا إلى سماء الدنيا من منتهى علوكم ليأنس بكم الضعفاء ويقتبسوا من بقايا أنواركم المشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب فى جنح الليل ، فيحيا به حياة يحتملها شخصه وخاله وإن كان لايحيا به حياة المترددين فى كمال نور الشمس ، وكونوا كمن قيل فيهم :

شربنا شرابا طيبا عند طيب كذاك شراب الطيبين يطيب
شربنا وأهرقنا على الأرض فضله وللأرض من كاس الكرام نصيب

فهكذا كان أول هذا الأمر وآخره ، ولا تفهمه إلا إذا كنت أهلا له ، وإذا كنت أهلا له فتحت العين وأبصرت فلا تحتاج إلى قائد يقودك ، والأعمى يمكن أن يقاد ولكن إلى حد ما ؛ فإذا ضاق الطريق وصار أحد من السيف وأدق من الشعر قدر الطائر على أن يطير عليه ولم يقدر على أن يستجر وراءه أعمى ، وإذا دق المجال ولطف لطف الماء مثلا ولم يكن العبور إلا بالسباحة ، فقد يقدر الماهر بصنعة السباحة أن يعبر بنفسه وربما لم يقدر على أن يستجر وراءه آخر ؛ فهذه أمور نسبة السير عليها إلى السير على ماهو مجال جماهير الخلق كنسبة المشى على الماء إلى المشى على الأرض ، والسباحة يمكن أن تتعلم ؛ فأما المشى على الماء فلايكتسب بالتعليم بل ينال بقوة اليقين ؛ ولذلك قيل للنبى صلى الله عليه وسلم : إن عيسى عليه السلام يقال إنه مشى على الماء ! فقال صلى الله عليه وسلم « لو ازداد يقينا لمشى على الهواء [2] » فهذه رموز وإشارات إلى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران ، لايليق بعلم المعاملة أكثر منها ، وقد ضرب الله تعالى مثلا لذلك تقريبا إلى أفهام الخلق إذ عرّف أنه ماخلق الجن والإنس إلا ليعبدوه ، فكانت عبادتهم غاية الحكمة فى حقهم ، ثم أخبر أن له عبدين يحب أحدهما واسمه جبريل وروح القدس والأمين ، وهو عنده محبوب مطاع أمين مكين : ويبغض الآخر واسمه إبليس وهو اللعين المنظر إلى يوم الدين ، ثم أحال الإرشاد إلى جبريل فقال تعالى ﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ﴾ وقال تعالى ﴿ يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾ وأحال الإغواء على إبليس فقال تعالى ﴿ ليضل عن سبيله ﴾ والإغواء هو استيقاف العباد دون بلوغ غاية الحكمة ، فانظر كيف نسبه إلى العبد الذى غضب عليه ، والإرشاد سياقه لهم إلى الغاية فانظر كيف نسبه إلى العبد الذى أحبه ، وعندك فى العادة له مثال ، فالملك إذا كان محتاجا إلى من يسقيه الشراب وإلى من يحجمه وينظف فناء منزله عن القاذورات وكان له عبدان فلا يعين للحجامة والتنظيف إلا أقبحهما وأخسهما ولايفوض حمل الشراب والطيب إلا إلى أحسنهما وأكملهما وأحبهما إليه ولاينبغى أن تقول « هذا فعلى ، ولم يكون فعله دون فعلى ؟ » فإنك أخطأت إذ أضفت ذلك إلى نفسك ، بل هو الذى صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب إتماما للعدل ، فإن عدله تارة يتم بأمور لامدخل لك فيها ، وتارة يتم فيك فإنك أيضا من أفعاله ، فداعيتك وقدرتك وعلمك وعملك وسائر أسباب

(١) حديث « إذا ذكر القدر فأمسكوا » رواه الطبرانى من حديث ابن مسعود ، وقد تقدم فى العلم ، ولم يصرح المصنف بكونه حديثا . (٢) حديث قيل له : يقال إن عيسى مشى على الماء قال « لوازداد يقينا لمشى على الهواء » هذا حديث منكر لايعرف هكذا ، والمعروف . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب اليقين من قول بكر بن عبدالله المزنى قال : فقد الحواريون نبيهم فقيل لهم توجه نحو البحر فانطلقوا يطلبونه ، فلما انتهوا الى البحر إذا هو قد أقبل يمشى على الماء ، فذكر حديثا فيه أن عيسى قال : لوأن لابن آدم من اليقين شعرة مشى على الماء . وروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس بسند ضعيف من حديث معاذ بن جبل « لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال » .

حركاتك فى التعبير هو فعله الذى رتبه بالعدل ترتيبا تصدر منه الأفعال المعتدلة ، إلا أنك لاترى إلانفسك فتظن أنّ مايظهر عليك فى عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والملكوت ، فلذلك تضيفه إلى نفسك ، وإنما أنت مثل الصبي الذى ينظر ليلا إلى لعب المشعبذ الذى يخرج صورا من وراء حجاب ترقص وتزعق وتقوم وتقعد وهى مؤلفة من خرق لاتتحرك بأنفسها وإنما تحركها خيوط شعرية دقيقة لاتظهر فى ظلام الليل ورءوسها فى يد المشعبذ وهو محتجب عن أبصار الصبيان ، فيفرحون ويتعجبون لظنهم أن تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقعد . وأما العقلاء فإنهم يعلمون أن ذلك تحريك وليس بتحرك ، ولكنهم ربما لايعلمون كيف تفصيله ، والذى يعلم بعض تفصيله لايعلمه كما يعلمه المشعبذ الذى الأمر إليه والجاذبة بيده ، فكذلك صبيان أهل الدنيا والخلق كلهم صبيان بالنسبة إلى العلماء ، ينظرون إلى هذه الأشخاص فيظنون أنها المتحركة فيحيلون عليها ، والعلماء يعلمون أنهم محركون إلا أنهم لايعرفون كيفية التحريك وهم الأكثرون ، إلا العارفون والعلماء الراسخون فإنهم أدركوا بحدة أبصارهم خيوطا دقيقة عنكبوتية بل أدق منها بكثير معلقة من السماء متشبثه الأطراف بأشخاص أهل الأرض لاتدرك تلك الخيوط لدقتها بهذه الأبصار الظاهرة ، ثم شاهدوا رءوس تلك الخيوط فى مناطات لها هى معلقة بها ، وشاهدوا لتلك المناطات مقابض هى فى أيدى الملائكة المحركين للسموات ، وشاهدوا أيضا ملائكة السموات مصروفة إلى حملة العرش ينتظرون منهم ماينزل عليهم من الأمر من حضرة الربوبية كى لايعصوا الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون ، وعبر عن هذه المشاهدات فى القرآن وقيل ﴿ وفى السماء رزقكم وما توعدون ﴾ وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل إليهم من القدر والأمر فقيل ﴿ خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أنّ الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ﴾ وهذه أمور لايعلم تأويلها إلا الله والراسخون فى العلم . وعبر ابن عباس رضى الله عنهما عن اختصاص الراسخين فى العلم بعلوم لاتحتملها أفهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى ﴿ يتنزل الأمر بينهن ﴾ فقال : لو ذكرت ما أعرفه من معنى هذه الآية لرجمتمونى ، وفى لفظ آخر : لقلتم إنه كافر .

ولنقتصر على هذا القدر فقد خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار وامتزج بعلم المعاملة ماليس منه ، فلنرجع إلى مقاصد الشكر فنقول :

إذا رجع حقيقة الشكر إلى كون العبد مستعملا فى إتمام حكمة الله تعالى ، فأشكر العباد أحبهم إلى الله وأقربهم إليه وأقربهم إلى الله الملائكة ولهم أيضا ترتيب ، وما منهم إلا وله مقام معلوم ، وأعلاهم فى رتبة القرب ملك اسمه إسرافيل عليه السلام ، وإنما علو درجتهم لأنهم فى أنفسهم كرام بررة ، وقد أصلح الله تعالى بهم الأنبياء عليهم السلام ، وهم أشرف مخلوق على وجه الأرض ، ويلى درجتهم درجة الأنبياء فإنهم فى أنفسهم أخيار ، وقد هدى الله بهم سائر الخلق وتمم بهم حكمته ، وأعلاهم رتبة نبينا صلى الله عليه وسلم وعليهم ، إذ أكمل الله به الدين وختم به النبيين ، ويليهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء فإنهم فى أنفسهم صالحون ، وقد أصلح الله بهم سائر الخلق ، ودرجة كل واحد منهم بقدر ما أصلح من نفسه ومن غيره ، ثم يليهم السلاطين بالعدل لأنهم أصلحوا دنيا الخلق كما أصلح العلماء دينهم ، ولأجل اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان أفضل من سائر الأنبياء فإنه أكمل الله به صلاح دينهم ودنياهم ولم يكن السيف والملك لغيره من الأنبياء ، ثم يلى العلماء والسلاطين الصالحون الذين أصلحوا دينهم ونفوسهم فقط ، فلم تتم حكمة الله بهم بل فيهم ، ومن عدا هؤلاء فهمج رعاع .

واعلم أن السلطان به قوام الدين فلا ينبغى أن يستحقر وإن كان ظالما فاسقا . قال عمرو بن العاص رحمه الله : إمام غشوم خير من فتنة تدوم . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون ، ويفسدون وما يصلح الله بهم أكثر ، فإن أحسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر ، وإن أساءوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر [1] » . وقال سهل : من أنكر إمامة السلطان فهو زنديق ، ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع ، ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل . وسئل : أى الناس خير ؟ فقال : السلطان ، فقيل : كنا نرى أن شر الناس السلطان ! فقال مهلا ، إن لله تعالى له كل يوم نظرتين : نظرة إلى سلامة أموال المسلمين ، ونظرة إلى سلامة أبدانهم ، فيطلع فى صحيفته فيغفر له جميع ذنبه ، وكان يقول : الخشبات السود المعلقة على أبوابهم خير من سبعين قاصا يقصون .

الركن الثانى من أركان الشكر : ما عليه الشكر

وهو النعمة ، فلنذكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأصنافها ومجامعها فيما يخص ويعم فإن إحصاء نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر ، كما قال تعالى ﴿ وإن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها ﴾ فنقدم أمورا كلية تجرى مجرى القوانين فى معرفة النعم ، ثم نشتغل بذكر الآحاد ، والله الموفق للصواب .

بيان حقيقة النعمة وأقسامها

اعلم أن كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فإنه يسمى نعمة ، ولكن النعمة بالحقيقة هى السعادة الأخروية ، وتسمية ماسواها نعمة وسعادة إما غلط وإما مجاز ، كتسمية السعادة الدنيوية التى لاتعين على الآخرة نعمة فإن ذلك غلط محض ، وقد يكون اسم النعمة للشىء صدقا ولكن يكون إطلاقه على السعادة الأخروية أصدق فكل سبب يوصل إلى سعادة الآخرة ويعين عليها إما بوسطة واحدة أو بوسائط فإن تسميته نعمة صحيحة وصدق لأجل أنه يفضى إلى النعمة الحقيقية . والأسباب المعينة واللذات المسماة نعمة نشرحها بتقسيمات :

(القسمة الأولى) أن الأمور كلها بالإضافة إلينا تنقسم إلى ماهو نافع فى الدنيا والآخرة جميعا : كالعلم وحسن الخلق وإلى ماهو ضار فيهما جميعا كالجهل وسوء الخلق ، وإلى ماينفع فى الحال ويضر فى المآل : كالتلذذ باتباع الشهوة ، وإلى مايضر فى الحال ويؤلم ولكن ينفع فى المآل : كقمع الشهوات ومخالفة النفس ، فالنافع فى الحال والمآل هو النعمة تحقيقا كالعلم وحسن الخلق والضار فيهما هو البلاء تحقيقا وهو ضدهما والنافع فى الحال المضر فى المآل بلاء محض عند ذوى البصائر وتظنه الجهال نعمة ومثاله الجائع إذا وجد عسلا فيه سم فإنه يعده نعمة إن كان جاهلا ، وإذا علمه علم أن ذلك بلاء سيق إليه . والضار فى الحال النافع فى المآل نعمة عند ذوى الألباب بلاء عند الجهال : ومثاله الدواء البشع فى الحال مذاقه إلا أنه شاف من الأمراض والأسقام وجالب للصحة والسلامة ، فالصبى الجاهل إذا كلف شربه ظنه بلاء والعاقل يعده نعمة ويتقلد المنة ممن يهديه إليه ويقربه منه ويهيئ له أسبابه ، فلذلك تمنع الأم ولدها من الحجامة والأب يدعوه إليها ، فإن الأب لكمال عقله يلمح العاقبة ، والأم لفرط حبها وقصورها تلحظ الحال ، والصبى لجهله يتقلد منة من أمه دون أبيه

(١) حديث « سيكون عليكم أمراء يفسدون ومايصلح الله بهم أكثر ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أم سلمة « يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون » ورواه الترمذى بلفظ « سيكون عليكم أئمة » وقال حسن صحيح ، والبزار بسند ضعيف من حديث ابن عمر « السلطان ظل الله فى الأرض يأوى اليه كل مظلوم من عباده ، فإن عدل كان له الأجر وكان على الرعية الشكر ، وإن جار أو حاف أو ظلم كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر » واما قوله « ومايصلح الله بهم أكثر » فلم أجده بهذا اللفظ ، إلا أنه يؤخذ من حديث ابن مسعود حين فزع اليه الناس لما أنكروا سيرة الوليد بن عقبة فقال عبد الله : اصبروا فإن جور إمامكم خمسين سنة خير من هرج شهر ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول — فذكر حديثا فيه « والإمارة الفاجرة خير من الهرج » رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد لابأس به .

ويأنس إليها وإلى شفقتها ويقدر الأب عدوا له ؛ ولو عقل لعلم أن الأم عدوا باطنا فى سورة صديق ، لأن منعها إياه من الحجامة يسوقه إلى أمراض وآلام أشد من الحجامة ، ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل ، وكل إنسان فإنه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل ، فلذلك تعمل به مالا يعمل به العدو .

(قسمة ثانية) اعلم أن الأسباب الدنيوية مختلطة قد امتزج خيرها بشرها ، فقلما يصفو خيرها كالمال والأهل والولد والأقارب والجاه وسائر الأسباب ، ولكن تنقسم إلى مانفعه أكثر من ضره كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر الأسباب ، وإلى ماضره أكثر من نفعه فى حق أكثر الأشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع ، وإلى مايكافئ ضرر نفعه وهذه أمور تختلف بالأشخاص ؛ فرب إنسان صالح ينتفع بالمال الصالح وإن كثر فينفقه فى سبيل الله ويصرفه إلى الخيرات ، فهو مع هذه التوفيق نعمة فى حقه ، ورب انسان يستضر بالقليل أيضا إذ لا يزال مستصغرا له شاكيا من ربه طالبا للزيادة عليه ، فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء فى حقه .

(قسمة ثالثه) اعلم أن الخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى ماهو مؤثر لذاته لا لغيره ، وإلى مؤثر لغيره ، وإلى مؤثر لذاته ولغيره ، فالأول : مايؤثر لذاته لا لغيره : كلذة النظر إلى وجه الله تعالى وسعادة لقائه ، وبالجملة سعادة الأخرى التى لا انقضاء لها فإنها لا تطلب ليتوصل بها إلى غاية أخرى مقصودة وراءها ، بل تطلب لذاتها . الثانى : مايقصد لغيره ولا غرض أصلا فى ذاته : كالدراهم والدنانير فإن الحاجة لو كانت لاتنقضى بها لكانت هى والحصباء بمثابة واحدة ، ولكن لما كانت وسيلة إلى اللذات سريعة الإيصال إليها صارت عند الجهال محبوبة فى نفسها حتى يجمعوها ويكنزوها ويتصارفوا عليها بالربا ويظنون أنها مقصودة ، ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصا فيحب بسببه رسوله الذى يجمع بينه وبينه ثم ينسى فى محبة الرسول محبة الأصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولا بتعهد الرسول ومراعاته وتفقده ، وهو غاية الجهل والضلال الثالث : ما يقصد لذاته ولغيره : كالصحة والسلامة فإنها تقصد ليقدر بسببها على الذكر والفكر الموصلين إلى لقاء الله تعالى ، أو ليتوصل بها إلى استيفاء لذات الدنيا ، وتقصد أيضا لذاتها فإن الإنسان وإن استغنى عن الشىء الذى تراد سلامة الرجل لأجله فيريد أيضا سلامة الرجل من حيث إنها سلامة ، فإذن المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقا ، وما يؤثر لذاته ولغيره أيضا فهو نعمة ولكن دون الأول ، فأما مالا يؤثر إلا لغيره كالنقدين فلا يوصفان أنفسهما من حيث إنهما جوهران بأنهما نعمة ، بل من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة فى حق من يقصد أمرا ليس يمكنه أن يتوصل إليه إلا بهما ، فلو كان مقصده العلم والعبادة ومعه الكفاية التى هى ضرورة حياته ، استوى عند الذهب والمدر ، فكان وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة ، بل ربما شغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء فى حقه ولا يكونان نعمة .

(قسمة رابعة) اعلم أن الخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى نافع ولذيذ وجميل ، فاللذيذ هو الذى تدرك راحته فى الحال ، والنافع هو الذى يفيد فى المآل ، والجميل هو الذى يستحسن فى سائر الأحوال : والشرور أيضا تنقسم إلى ضار وقبيح ومؤلم ، وكل واحد من القسمين ضربان : مطلق ومقيد ، فالمطلق هو الذى اجتمع فيه الأوصاف الثلاثة أما فى الخير فكالعلم والحكمة فإنها نافعة وجميلة ولذيذة عند أهل العلم والحكمة ، وأما فى الشر فكالجهل فإنه ضار وقبيح ومؤلم ، وإنما يحس الجاهل بألم جهله إذا عرف أنه جاهل ، وذلك بأن يرى غيره عالما ويرى نفسه جاهلا فيدرك ألم النقص فتنبعث منه شهوة العلم اللذيذة ، ثم قد يمنع الحسد والكبر والشهوات البدنية عن التعلم فيتجاذبه متضادان فيعظم ألمه ، فإنه إن ترك التعلم تألم بالجهل ودرك النقصان ، وإن اشتغل بالتعلم تألم بترك الشهوات أو بترك

الكبر وذل التعلم ، ومثل هذا الشخص لا يزال فى عذاب دائم لا محالة . الضرب الثانى : المقيد ، وهو الذى جمع بعض هذه الأوصاف دون بعض ، فرب نافع مؤلم كقطع الأصبع المتأكلة والسلعة الخارجة من البدن ، ورب نافع قبيح كالحمق فإنه بالإضافة إلى بعض الأحوال نافع ، فقد قيل : استراح من لاعقل له فإنه لا يتهم بالعاقبة فيستريح فى الحال إلى أن يحين وقت هلاكه ، ورب نافع من وجه ضار من وجه : كإلقاء المال فى البحر عند خوف الغرق ، فإنه ضار للمال نافع للنفس فى نجاتها . والنافع قسمان : ضرورى كالإيمان وحسن الخلق فى الإيصال إلى سعادة الآخرة وأعنى بهما العلم والعمل إذ لا يقوم مقامهما ألبتة غيرهما ، وإلى ما لا يكون ضروريا كالسكنجبين مثلا فى تسكين الصفراء ؛ فإنه قد يمكن تسكينها أيضا بما يقوم مقامه .

(قسمة خامسة) اعلم أنّ النعمة يعبر بها عن كل لذيذ ، واللذات بالإضافة إلى الإنسان من حيث اختصاصه بها أو مشاركته لغيره ثلاثة أنواع : عقلية ، وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات ، وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات . أما العقلية فكلذة العلم والحكمة ، إذ ليس يستلذها السمع والبصر والشم والذوق ولا البطن ولا الفرج ، وإنما يستلذها القلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها بالعقل ، وهذه أقل اللذات وجودا وهى أشرفها ، أما قلتها فلأن العلم لا يستلذه إلا عالم ، والحكمة لا يستلذها إلا حكيم ، وما أقل أهل العلم والحكمة ، وما أكثر المتسمين باسمهم والمترسمين برسومهم . وأما شرفها فلأنها لازمة لاتزول أبدا لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ودائمة لا تمل ، فالطعام يشبع منه فيمل ، وشهوة الوقاع يفرغ منها فتستثقل ، والعلم والحكمة قط لا يتصور أن تمل وتستثقل ، ومن قدر على الشريف الباقى أبد الآباد إذا رضى بالخسيس الفانى فى أقرب الآماد فهو مصاب فى عقله محروم لشقاوته وإدباره وأقل أمر فيه : أن العلم والعقل لا يحتاج إلى أعوان وحفظة بخلاف المال ، إذ العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم يزيد بالإنفاق والمال ينقص بالإنفاق ، والمال يسرق والولاية يعزل عنها ، والعلم لا تمتد إليه أيدى السراق بالأخذ ولا أيدى السلاطين بالعزل ، فيكون صاحبه فى روح الأمن أبدا ؛ وصاحب المال والجاه فى كرب الخوف أبدا ، ثم العلم نافع ولذيذ وجميل فى كل حال أبدا ، والمال تارة يجذب إلى الهلاك وتارة يجذب إلى النجاة ، ولذلك ذم الله تعالى المال فى القرآن فى مواضع وإن سماه خيرا فى مواضع . وأما قصور أكثر الخلق عن إدراك لذة العلم . فإما لعدم الذوق فمن لم يذق لم يعرف ولم يشتق ، إذ الشوق تبع الذوق ، وإما لفساد أمزجتهم ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات ، كالمريض الذى لا يدرك حلاوة العسل ويراه مرّاً ، وإما لقصور فطنتهم ، إذ لم تخلق لهم بعد الصفة التى بها يستلذ العلم ، كالطفل الرضيع الذى لا يدرك لذة العسل والطيور السمان ولا يستلذ إلا اللبن ، وذلك لا يدل على أنها ليست لذيذة ، ولا استطابته اللبن تدل على أنه ألذ الأشياء ، فالقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلاثة ، إما من لم يحى باطنه كالطفل ، وإما من مات بعد الحياة باتباع الشهوات ، وإما من مرض بسبب اتباع الشهوات : وقوله تعالى ﴿ فى قلوبهم مرض ﴾ إشارة إلى مرض العقول . وقوله عز وجل ﴿ لينذر من كان حيا ﴾ إشارة إلى من لم يحى حياة باطنة ، وكل حى بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتى وإن كان عند الجهال من الأحياء ، ولذلك كان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فرحين وإن كانوا موتى بالأبدان الثانية : لذة يشارك الإنسان فيها بعض الحيوانات كلذة الرياسة والغلبة والاستيلاء ، وذلك موجود فى الأسد والنمر وبعض الحيوانات . الثالثة . مايشارك فيها سائر الحيوانات كلذة البطن والفرج ، وهذه أكثرها وجودا وهى أخسها ، ولذلك اشترك فيها كل مادب ودرج حتى الديدان والحشرات ، ومن جاوز هذه الرتبة تشبثت به لذة الغلبة ، وهو

أشدّها التصاقا بالمتغافلين ، فإن جاوز ذلك ارتقى إلى الثالثة فصار أغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة ، لاسيما لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله ، وهذه رتبة الصدّيقين ، ولا ينال تمامها إلا بخروج استيلاء حب الرياسة من القلب ، وآخر مايخرج من رءوس الصدّيقين حب الرياسة . وأما شره البطن والفرج فكسره مما يقوى عليه الصالحون وشهوة الرياسة لايقوى على كسرها إلا الصدّيقون : فأما قمعها بالكلية ـ حتى لا يقع بها الإحساس على الدوام وفى اختلاف الأحوال فيشبه أن يكون خارجا عن مقدور البشر . نعم تغلب لذة معرفة الله تعالى فى أحوال لا يقع معها الإحساس بلذة الرياسة والغلبة ، ولكن ذلك لايدوم طول العمر بل تعتريه الفترات فتعود إلى الصفات البشرية فتكون موجودة ولكن تكون مقهورة لا تقوى على حمل النفس على العدول عن العدل ، وعندهذا تنقسم القلوب إلى أربعة أقسام : قلب لا يحب إلا الله تعالى ولا يستريح إلا بزيادة المعرفة به والفكر فيه ، وقلب لايدرى ما لذة المعرفة وما معنى الأنس بالله وإنما لذته بالجاه والرياسة والمال وسائر الشهوات البدنية وقلب أغلب أحواله الأنس بالله سبحانه والتلذذ بمعرفته والفكر فيه ولكن قد يعتريه فى بعض الأحوال الرجوع إلى أوصاف البشرية ، وقلب أغلب أحواله التلذذ بالصفات البشرية ويعتريه فى بعض الأحوال تلذذ بالعلم والمعرفة . أما الأول فإن كان ممكناً فى الوجود فهو فى غاية البعد . وأما الثانى فالدنيا طالحة به . وأما الثالث والرابع فموجودان ولكن على غاية الندور ، ولا يتصوّر أن يكون ذلك نادراً شاذاً ، وهو مع الندور يتفاوت فى القلة والكثرة ، وإنما تكون كثرته فى الأعصار القريبة من أعصار الأنبياء عليهم السلام ، فلا يزال يزداد العهد طولا وتزداد مثل هذه القلوب قلة ، إلى أن تقرب الساعة ويقضى الله أمراً كان مفعولا ، وإنما وجب أن يكون هذا نادراً لأنه مبادى ملك الآخرة والملك عزيز والملوك لايكثرون ، فكما لا يكون الفائق فى الملك والجمال إلا نادراً وأكثر الناس من دونهم ، فكذا فى ملك الآخرة ، فإنّ الدنيا مرآة الآخرة ، فإنها عبارة عن عالم الشهادة ، والآخرة عبارة عن عالم الغيب ، وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب ، كما أنّ الصورة فى المرآة تابعة لصورة الناظر فى المرآة ، والصورة فى المرآة وإن كانت هى الثانية فى رتبة الوجود فإنها أولى فى حق رؤيتك ، فإنك لاترى نفسك ، وترى صورتك فى المرآة أوّلا فتعرف بها صورتك التى هى قائمة بك ثانياً على سبيل المحاكاة ؛ فالقلب التابع فى الوجود متبوعا فى حق المعرفة والقلب المتأخر متقدّما ؛ وهذا نوع من الانعكاس ولكن الانعكاس والانتكاس ضرورة هذا العالم، فكذلك عالم الملك والشهادة محاك لعالم الغيب والملكوت ، فمن الناس من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر فى شىء من عالم الملك إلا ويعبر به إلى عالم الملكوت فيسمى عبوره عبرة ، وقد أمر الحق به فقال ﴿ فاعتبروا يا أولى الأبصار ﴾ ومنهم من عميت بصيرته فلم يعتبر فاحتبس فى عالم الملك والشهادة وستنفتح إلى حبسه أبواب جهنم وهذا الحبس مملوء ناراً من شأنها أن تطلع على الأفئدة ، إلا أن بينه وبين إدراك ألمها حجابا ، فإذا رفع ذلك الحجاب بالموت أدرك ، وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم استنطقهم بالحق فقالوا الجنة والنار مخلوقتان ، ولكن الجحيم تدرك مرة بإدراك يسمى علم اليقين ، ومرة بإدراك آخر يسمى عين اليقين ، وعين اليقين لايكون إلا فى الآخرة ، وعلم اليقين قد يكون فى الدنيا ولكن للذين قد وفوا حظهم من نور اليقين ، فلذلك قال الله تعالى ﴿ كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ﴾ أى فى الدنيا ﴿ ثم لترونها عين اليقين ﴾ أى فى الآخرة ، فإذن قد ظهر أن القلب الصالح لملك الآخرة لا يكون إلا عزيزا كالشخص الصالح لملك الدنيا .

(قسمة سادسة) حاوية لجامع النعم : اعلم أنّ النعم تنقسم إلى ماهى غاية مطلوبة لذاتها وإلى ماهى مطلوبة لأجل

الغاية ؛ أما الغاية فإنها سعادة الآخرة ويرجع حاصلها إلى أربعه أمور : بقاء لا فناء له ، وسرور لاغم فيه ، وعلم لا جهل معه ، وغنى لا فقر بعده ، وهى النعمة الحقيقية ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا عيش إلا عيش الآخرة [1] » وقال ذلك مرة فى الشدة تسلية للنفس ، وذلك فى وقت حفر الخندق فى شدّة الضر ؛ وقال ذلك مرة فى السرور منعا للنفس من الركون إلى سرور الدنيا ؛ وذلك عند إحداق الناس به فى حجة الوداع [2] . وقال رجل : اللهم إنى أسألك تمام النعمة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « وهل تعلم ماتمام النعمة ؟ قال : لا . قال « تمام النعمة دخول الجنة [3] » .

وأما الوسائل فتنقسم إلى الأقرب الأخص كفضائل النفس ؛ وإلى مايليه فى القرب كفضائل البدن وهو الثانى ، وإلى مايليه فى القرب ويجاوز إلى غير البدن كالأسباب المطيفة بالبدن من المال والأهل والعشيرة ؛ وإلى مايجمع بين هذه الأسباب الخارجة عن النفس وبين الحاصلة للنفس كالتوفيق والهداية ، فهى إذن أربعة أنواع : (النوع الأول) وهو الأخص الفضائل النفسية ويرجع حاصلها مع انشعاب أطرافها إلى الإيمان وحسن الخلق ، وينقسم الإيمان إلى علم المكاشفة وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته ورسله ، وإلى علوم المعاملة . وحسن الخلق ينقسم إلى قسمين : ترك مقتضى الشهوات والغضب واسمه العفة ومراعاة العدل فى الكف عن مقتضى الشهوات والإقدام حتى لايمتنع أصلا ولايقدم كيف شاء ، بل يكون إقدامه وإحجامه بالميزان العدل الذى أنزله الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، إذ قال تعالى ﴿أن لاتطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولاتخسروا الميزان﴾ فمن خصى نفسه ليزيل شهوة النكاح ، أو ترك النكاح مع القدرة والأمن من الآفات ، أو ترك الأكل حتى ضعف عن العبادة والذكر والفكر فقد أخسر الميزان . ومن انهمك فى شهوة البطن والفرج فقد طغى فى الميزان ، وإنما العدل أن يخلو وزنه وتقديره عن الطغيان والخسران فتعتدل به كفتا الميزان ، فإذن الفضائل الخاصة بالنفس المقربة إلى الله تعالى أربعة : علم مكاشفة ، وعلم معاملة ، وعفة ، وعدالة . ولايتم هذا فى غالب الأمر إلا بالنوع الثانى وهو الفضائل البدنية وهى أربعة : الصحة ، والقوة ، والجمال ، وطول العمر ولاتتهيأ هذه الأمور الأربعة إلا بالنوع الثالث وهى النعم الخارجة المطيفة بالبدن وهى أربعة : المال والأهل ، والجاه ، وكرم العشيرة ، ولاينتفع بشىء من هذه الأسباب الخارجة والبدنية إلا بالنوع الرابع وهى الأسباب التى تجمع بينها وبين ماينا سب الفضائل النفسية الداخلة وهى أربعة هداية الله ، ورشده ، وتسديده ، وتأييده . فمجموع هذه النعم ستة عشر إذا قسمناها إلى أربعة وقسمنا كل واحدة من الأربعة إلى أربعة وهذه الجملة يحتاج البعض منها إلى البعض إما حاجة ضرورية أو نافعة . أما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الآخرة إلى الإيمان وحسن الخلق إذ لاسبيل إلى الوصول إلى سعادة الآخرة ألبتة إلا بهما ، فليس للإنسان إلا ماسعى وليس لأحد فى الآخرة إلا ماتزود من الدنيا ، فكذلك حاجة الفضائل النفسية التى تكسب هذه العلوم وتهذيب الأخلاق إلى صحة البدن ضرورى : وأما الحاجة النافعة على الجملة فكحاجة هذه النعم النفسية والبدنية إلى النعم الخارجة مثل المال والعز والأهل ، فإن ذلك لو عدم ربما تطرق الخلل إلى بعض النعم الداخلة .

« فإن قلت : فما وجه الحاجة لطريق الآخرة إلى النعم الخارجة من المال والاهل والجاه والعشيرة ؟ فاعلم أنّ هذه الاسباب جارية مجرى الجناح المبلغ والآلة المسهلة للمقصود . أما المال فالفقير فى طلب العلم والكمال وليس

---

(١) حديث قوله عند حفر الخندق « لاعيش الا عيش الآخرة » متفق عليه من حديث أنس .

(٢) حديث قوله فى حجة الوداع « لاعيش الا عيش الآخرة » رواه الشافعى مرسلا ، والحاكم متصلا وصححه ، وتقدم فى الحج

(٣) حديث قال رجل : اللهم انى أسألك تمام النعمة ... الحديث ، أخرجه الترمذى من حديث معاذ بسند حسن .

له كفاية : كساع إلى الهيجا بغير سلاح ، وكبازى يروم الصيد بلا جناح ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « نعم المال الصالح للرجل الصالح [١] » وقال صلى الله عليه وسلم « نعم العون على تقوى الله المال [٢] » وكيف لا ومن عدم المال صار مستغرق الاوقات فى طلب الاقوات وفى تهيئة اللباس والمسكن وضرورات المعيشة ، ثم يتعرض لانواع من الاذى تشغله عن الذكر والفكر ولاتندفع إلا بسلاح المال ، ثم مع ذلك يحرم عن فضيلة الحج والزكاة والصدقات وإفاضة الخيرات .

وقال بعض الحكماء ـ وقد قيل له ما النعيم ؟ فقال : الغنى فإنى رأيت الفقير لاعيش له . قيل : زدنا ! قال : الامن ، فإنى رأيت الخائف لاعيش له . قيل : زدنا ! قال : العافية ، فإنى رأيت المريض لاعيش له. قيل : زدنا ! قال : الشباب ، فإنى رأيت الهرم لاعيش له . وكأنّ ماذكره إشارة إلى نعيم الدنيا ولكن من حيث إنه معين على الآخرة فهو نعمة ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من أصبح معافى فى بدنه آمنا فى سربه عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها [٣] » وأما الاهل والولد الصالح فلا يخفى وجه الحاجة إليهما ، إذ قال صلى الله عليه وسلم «نعم العون على الدين المرأة الصالحة[٤] » وقال صلى الله عليه وسلم فى الولد « إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث : ولد صالح يدعو له ... الحديث » [٥] وقد ذكرنا فوائد الأهل والولد فى كتاب النكاح . وأما الأقارب فهما كثر أولاد الرجل وأقاربه كانوا له مثل الأعين والأيدى فيتيسر له بسببهم من الأمور الدنيوية المهمة فى دينه مالو انفرد به لطال شغله ، وكل مايفرغ قلبك من ضرورات الدنيا فهو معين لك على الدين ، فهو إذن نعمة . وأما العز والجاه ، فبه يدفع الإنسان عن نفسه الذل والضيم ، ولا يستغنى عنه مسلم فإنه لاينفك عن عدو يؤذيه وظالم يشوش عليه علمه وعمله وفراغه ويشغل قلبه ، وقلبه رأس ماله ، وإنما تندفع هذه الشواغل بالعز والجاه ، ولذلك قيل : الدين والسلطان توأمان . قال تعالى ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾ ولا معنى للجاه إلا ملك القلوب ، كما لامعنى للغنى إلا ملك الدراهم ، ومن ملك الدراهم تسخرت له أرباب القلوب لدفع الأذى عنه ، فكما يحتاج إلى سقف يدفع عنه المطر ، وجبة تدفع عنه البرد ، وكلب يدفع الذئب عن ماشيته ، فيحتاج أيضا إلى من يدفع الشر به عن نفسه ، وعلى هذا القصد كان الأنبياء الذين لاملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه ، وكذلك علماء الدين لاعلى قصد التناول من خزائنهم والاستئثار والاستكثار فى الدنيا بمتابعتهم ، ولا تظن أن نعمة الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم حيث نصره وأكمل دينه وأظهره على جميع أعدائه ومكن فى القلوب حبه حتى اتسع به عزه وجاهه كانت أقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر إلى الهرب والهجرة [٦]

---

(١) حديث « نعم المال الصالح للرجل الصالح » رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى من حديث عمرو بن العاص بسند جيد .

(٢) حديث « نعم العون على تقوى الله المال » رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من رواية محمد بن المنكدر عن جابر . ورواه أبو القاسم البغوى من رواية ابن المنكدر مرسلا : ومن طريقه رواه القضاعى فى مسند الشهاب هكذا مرسلا

(٣) حديث « من أصبح معافى فى بدنه آمنا فى سربه ... الحديث » أخرجه الترمذى وحسنه ، وابن ماجه من حديث عبيد الله ابن محصن الأنصارى ، وقد تقدم ، (٤) حديث « نعم العون على الدين المرأة الصالحة » لم أجد له إسنادا ، ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو « الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » . (٥) حديث « إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة ، وتقدم فى النكاح .

(٦) حديث ماناله صلى الله عليه وسلم من الأذى ونحوه حتى افتقر إلى الهرب والهجرة . رواه البخارى ومسلم من حديث عائشة أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم : هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد ؟ قال « لقد لقيت من قومك وكان أشد مالقيت يوم العقبة إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل ... الحديث » والترمذى وصححه وابن ماجه من حديث أنس « لقد أخفت فى الله ومايخاف أحد =

فإن قلت : كرم العشيرة وشرف الأهل هو من النعم أم لا ؟ فأقول : نعم ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأئمة من قريش [١] » ولذلك كان صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس أرومة فى نسب آدم عليه السلام [٢] وقال صلى الله عليه وسلم « تخيروا لنطفكم الأكفاء [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم وخضراء الدمن » فقيل : وما خضراء الدمن ؟ قال « المرأة الحسناء فى المنبت السوء [٤] » فهذا أيضا من النعم ولست أعنى به الانتساب إلى الظلمة وأرباب الدنيا ، بل الانتساب إلى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أئمة العلماء وإلى الصالحين والأبرار المتوسمين بالعلم والعمل .

فإن قلت : فما معنى الفضائل البدنية ؟ فأقول : لاخفاء بشدة الحاجة إلى الصحة والقوة وإلى طول العمر إذ لا يتم علم وعمل إلا بهما ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أفضل السعادات طول العمر فى طاعة الله تعالى [٥] » وإنما يستحقر من جملته أمر الجمال ، فيقال يكفى أن يكون البدن سليما من الأمراض الشاغلة عن تحرى الخيرات ، ولعمرى الجمال قليل الغناء ولكنه من الخيرات أيضا : أما فى الدنيا فلا يخفى نفعه فيها ، وأما فى الآخرة فمن وجهين (أحدهما) أن القبيح مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجميل إلى الإجابة أقرب وجاهه فى الصدور أوسع ، فكأنه من هذا الوجه جناح مبلغ كالمال والجاه ، إذ هو نوع قدرة ، إذ يقدر الجميل الوجه على تنجيز حاجات لا يقدر عليها القبيح ، وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فمعين على الآخرة بواسطتها . والثانى : أن الجمال فى الأكثر يدل على فضيلة النفس ؛ لأن نور النفس إذا تم إشراقه تأدى إلى البدن ، فالمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان ، ولذلك عول أصحاب الفراسة فى معرفة مكارم النفس على هيآت البدن فقالوا : الوجه والعين مرآة الباطن . ولذلك يظهر فيه أثر الغضب والسرور والغم ، ولذلك قيل : طلاقة الوجه عنوان ما فى النفس . وقيل : ما فى الأرض قبيح إلا ووجهه أحسن ما فيه . واستعرض المأمون جيشاً فعرض عليه رجل قبيح ، فاستنطقه فإذا هو ألكن ، فأسقط اسمه من الديوان وقال : الروح إذا أشرقت على الظاهر فصباحة ، أو على الباطن ففصاحة ، وهذا ليس له ظاهر ولا باطن ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « اطلبوا الخير عند صباح الوجوه [٦] » وقال عمر

= ولقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد ولقد أتى على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالى ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شىء يواريه إبط بلال » قال الترمذى : معنى هذا حين خرج النبى صلى الله عليه وسلم هاربا من مكة ومعه بلال . والبخارى عن عروة قال : سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رأيت عقبة بن أبى معيط جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فوضع رداءه فى عنقه فخنقه خنقا شديدا ، فجاء أبو بكر فدفعه عنه ... الحديث . والبزار وأبى يعلى من حديث أنس قال : لقد ضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غشى عليه ، فقام أبو بكر فجعل ينادى : ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله . وإسناده صحيح على شرط مسلم : (١) حديث « الأئمة من قريش » رواه النسائى والحاكم من حديث أنس بإسناد صحيح

(٢) حديث : كان صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس أرومة فى نسب آدم . الأرومة الأصل ، هذا معلوم ، فروى مسلم من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعا « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسمعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » وفى رواية الترمذى « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسمعيل » وله من حديث العباس وحسنه وابن عباس والمطلب ابن ربيعة وصححه والمطلب بن أبى وداعة وحسنه « إن الله خلق الخلق فجعلنى من خيرهم » وفى حديث ابن عباس « ما بال أقوام يبتذلون أصلى ، فوالله لأنا أفضلهم أصلا وخيرهم موضعا » (٣) حديث « تخيروا لنطفكم » أخرجه ابن ماجه من حديث عائشة ، وتقدم فى النكاح . (٤) حديث « إياكم وخضراء الدمن » تقدم فيه أيضاً .

(٥) حديث « أفضل السعادة طول العمر فى عبادة الله » غريب بهذا اللفظ ، والترمذى من حديث أبى بكرة أن رجلا قال : يارسول الله ، أى الناس خير ؟ قال « من طال عمره وحسن عمله » وقال حسن صحيح .

(٦) حديث « اطلبوا الخير عند حسان الوجوه » أخرجه أبو يعلى من رواية اسمعيل بن عياش عن خيرة بنت محمد بن ثابت بن سباع عن أمها عائشة ، وخيرة وأمها لا أعرف حالهما . ورواه ابن حبان من وجه آخر فى الضعفاء ، والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر ، وله طرق كلها ضعيفة .

رضى الله تعالى عنه : إذا بعثتم رسولا فاطلبوه حسن الوجه حسن الاسم . وقال الفقهاء : إذا تساوت درجات المصلين فأحسنهم وجها أولاهم بالإمامة ، وقال تعالى ممتنا بذلك ﴿ وزاده بسطة فى العلم والجسم ﴾ ولسنا نعنى بالجمال مايحرك الشهوة فإن ذلك أنوثة ، وإنما نعنى به ارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال فى اللحم وتناسب الأعضاء وتناصف خلقة الوجه بحيث لاتنبو الطباع عن النظر إليه .

* فإن قلت : فقد أدخلت المال والجاه والنسب والأهل والولد فى حيز النعم ، وقد ذم الله تعالى المال والجاه ، وكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] وكذا العلماء . قال تعالى ﴿ إنّ من أزواجكم وأولادكم عدوّا لكم فاحذروهم ﴾ وقال عز وجل ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ وقال على كرّم الله وجهه فى ذم النسب : الناس أبناء مايحسنون وقيمة كل امرئ مايحسنه . وقيل : المرء بنفسه لابأبيه . فما معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعا ؟ فاعلم أن من يأخذ العلوم من الألفاظ المنقولة المؤوّلة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه أغلب مالم يهتد بنور الله تعالى إلى إدراك العلوم على ماهى عليه ، ثم ينزل النقل على وفق ماظهر له منها بالتأويل مرة وبالتخصيص أخرى ؛ فهذه نعم معينة على أمر الآخرة لاسبيل إلى جحدها ، إلا أنّ فيها فتنا ومخاوف ؛ فمثال المال مثال الحية التى فيها ترياق نافع وسم ناقع ، فإن أصابها المعزم الذى يعرف وجه الاحتراز عن سمها وطريق استخراج ترياقها النافع كانت نعمة ، وإن أصابها السوادى الغر فهى عليه بلاء وهلاك ، وهو مثل البحر الذى تحته أصناف الجواهر واللآلئ ، فمن ظفر بالبحر فإن كان عالما بالسباحة وطريق الغوص وطريق الاحتراز عن مهلكات البحر فقد ظفر بنعمه ، وإن خاضه جاهلا بذلك فقد هلك ، فلذلك مدح الله تعالى المال وسماه خيرا ، ومدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « نعم العون على تقوى الله تعالى المال » وكذلك مدح الجاه والعز ، إذ من الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بأن أظهره على الدين كله وحببه فى قلوب الخلق ، وهو المعنى بالجاه ، ولكن المنقول فى مدحهما قليل ، والمنقول فى ذم المال والجاه كثير ، وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه ، إذ الرياء مقصوده اجتلاب القلوب . ومعنى الجاه ملك القلوب ، وإنما كثر هذا وقل ذاك لأن الناس أكثرهم جهال بطريق الرقية لحية المال وطريق الغوص فى بحر الجاه ، فوجب تحذيرهم فإنهم يهلكون بسم المال قبل الوصول إلى ترياقه ، ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره ، ولو كانا فى أعيانهما مذمومين بالإضافة إلى كل أحد لما تصور أن ينضاف إلى النبوة الملك كما كان لرسولنا صلى الله عليه وسلم ، ولا أن ينضاف إليها الغنى كما كان لسليمان عليه السلام : فالناس كلهم صبيان والأموال حيات والأنبياء والعارفون معزمون ، فقد يضر الصبى مالا يضر المعزم . نعم المعزم لو كان له ولد يريد بقاءه وصلاحه وقد وجد حية وعلم أنه لو أخذها لأجل ترياقها لاقتدى به ولده وأخذ الحية إذا رآها ليلعب بها فيهلك ، فله غرض فى الترياق وله غرض فى حفظ الولد ، فواجب عليه أن يزن غرضه فى الترياق بغرضه فى حفظ الولد ، فإذا كان يقدر على الصبر عن الترياق ولا يستضر به ضررا كثيرا ، ولو أخذها لأخذها الصبى ويعظم ضرره بهلاكه فواجب عليه أن يهرب عن الحية إذا رآها ويشير على الصبى بالهرب ويقبح صورتها فى عينه ويعرفه أنّ فيها سما قاتلا لاينجو منه أحد ولا يحدثه أصلا بما فيها من نفع الترياق ، فإنّ ذلك ربما يغره فيقدم عليه من غير تمام المعرفة . وكذلك الغواص إذا علم أنه لو غاص فى البحر بمرأى من ولده لاتبعه وهلك .

---

(١) حديث ذم المال والجاه . أخرجه الترمذى من حديث كعب بن مالك « ماذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حب المال والشرف لدينه » وقد تقدم فى ذم المال والبخل .

فواجب عليه أن يحذر الصبي ساحل البحر والنهر . فإن كان لا ينزجر الصبي بمجرد الزجر مهما رأى والده يحوم حول الساحل . فواجب عليه أن يبعد من الساحل مع الصبي ولا يقرب منه بين يديه . فكذلك الأمة فى حجر الأنبياء عليهم السلام كالصبيان الأغبياء . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إنما أنا لكم مثل الوالد لولده[1] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما تتهافتون على النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم[2] » وحظهم الأوفر فى حفظ أولادهم عن المهالك ، فإنهم لم يبعثوا إلا لذلك ، وليس لهم فى المال حظ إلا بقدر القوت ، فلا جرم اقتصروا على قدر القوت وما فضل فلم يمسكوه بل أنفقوه ، فإن الإنفاق فيه الترياق ، وفى الإمساك السم ، ولو فتح للناس باب كسب المال ورغبوا فيه لمالوا إلى سم الإمساك ورغبوا عن ترياق الإنفاق ، فلذلك قبحت الأموال ، والمعنى به تقبيح إمساكها والحرص عليها للاستكثار منها والتوسع فى نعيمها بما يوجب الركون إلى الدنيا ولذتها ؛ فأما أخذها بقدر الكفاية وصرف الفاضل إلى الخيرات فليس بمذموم ، وحق كل مسافر أن لا يحمل إلا بقدر زاده فى السفر إذا صمم العزم على أن يختص بما يحمله ؛ فأما إذا سمحت نفسه بإطعام الطعام وتوسيع الزاد على الرفقاء فلا بأس بالاستكثار . وقوله عليه الصلاة والسلام « ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب[3] » معناه لأنفسكم خاصة ولا فقد كان فيمن يروى هذا الحديث ويعمل به من يأخذ مائة ألف درهم فى موضع واحد ويفرقها فى موضعه وإلا يمسك منها حبة . ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الأغنياء يدخلون الجنة بشدة استأذنه عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه فى أن يخرج عن جميع ما يملكه ، فأذن له فنزل جبريل عليه السلام ، وقال : مره بأن يطعم المسكين ويكسو العارى ويقرى الضيف[4] ... الحديث فإذن النعم الدنيوية مشوبة قد امتزج دواؤها بدائها ومرجوها بمخوفها ونفعها بضرها ؛ فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته فله أن يقرب منها متقيا داءها ومستخرجا دواءها ومن لا يثق بها فالبعد البعد والفرار الفرار عن مظان الأخطار ، فلا تعدل بالسلامة شيئا فى حق هؤلاء وهم الخلق كلهم إلا من عصمه الله تعالى وهداه لطريقه .

* فإن قلت : فما معنى النعم التوفيقية الراجعة إلى الهداية والرشد والتأييد والتسديد ؟ فاعلم أن التوفيق لا يستغنى عنه أحد : وهو عبارة عن التأليف والتلفيق بين إرادة العبد وبين قضاء الله وقدره ، وهذا يشمل الخير والشر وما هو سعادة وما هو شقاوة ، ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله تعالى وقدره ، كما أن الإلحاد عبارة عن الميل المخصص بمن مال إلى الباطل عن الحق ، وكذا الارتداد ، ولا خفاء بالحاجة إلى التوفيق ولذلك قيل :

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجنى عليه اجتهاده

فأما الهداية فلا سبيل لأحد إلى طلب السعادة إلا بها ، لأن داعية الإنسان قد تكون مائلة إلى ما فيه صلاح آخرته

---

(١) حديث « إنما أنا لكم مثل الوالد لولده » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة دون قوله « لولده » وقد تقدم .

(٢) حديث « إنكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم » متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ « مثلى ومثل الناس » وقال مسلم « ومثل أمتى كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيه » ولمسلم من حديث جابر « وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدى » (٣) حديث « ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد راكب » أخرجه ابن ماجه والحاكم من حديث سلمان لفظ الحاكم وقال « بلغة » وقال « مثل زاد الراكب » وقال صحيح الإسناد قلت : هو من رواية أبى سفيان عن أشياخه غير مسمين وقال ابن ماجه « عهد الى أن يكفى أحدكم مثل زاد الراكب » .

(٤) حديث استئذان عبد الرحمن بن عوف أن يخرج عن جميع ما يملكه لما ذكر أن الأغنياء يدخلون الجنة بشدة فأذن له فنزل جبريل فقال : مره أن يطعم المسكين ... الحديث أخرجه الحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف وقال صحيح الاسناد ، قلت : كلا ، فيه خالد بن أبى مالك ضعيف جدا .

ولكن إذا لم يعلم مافيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحا فمن أين ينفعه مجرد الإرادة ؟ فلا فائدة فى الإرادة والقدرة والأسباب إلا بعد الهداية ، ولذلك قال تعالى ﴿ ربنا الذى أعطى كل شى خلقه ثم هدى ﴾ وقال تعالى ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى من يشاء ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « ما من أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى » أى بهدايته ، فقيل : ولا أنت يارسول الله ؟ قال « ولا أنا[1] » وللهداية ثلاث منازل (الأولى) معرفة طريق الخير والشر المشار إليه بقوله تعالى ﴿ وهديناه النجدين ﴾ وقد أنعم الله تعالى به على كافة عباده بعضه بالعقل وبعضه على لسان الرسل ، ولذلك قال تعالى ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ فأسباب الهدى هى الكتاب والرسل وبصائر العقول ، وهى مبذولة ولا يمنع منها إلا الحسد والكبر وحب الدنيا ، والأسباب التى تعمى القلوب وإن كانت لا تعمى الأبصار ، قال تعالى ﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾ ومن جملة المعميات : الإلف والعادة وحب استصحابهما ، وعنه العبارة بقوله تعالى ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة ﴾ الآية . وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ وقوله تعالى ﴿ أبشرا منا واحدا نتبعه ﴾ فهذه المعميات هى التى منعت الاهتداء ، والهداية الثانية وراء هذه الهداية العامة وهى التى يمد الله تعالى بها العبد حالا بعد حال ، وهى ثمرة المجاهدة حيث قال تعالى ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ وهو المراد بقوله تعالى : ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾ والهداية الثالثة وراء الثانية : وهو النور الذى يشرق فى عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة ، فيهتدى بها إلا مالا يهتدى إليه بالعقل الذى يحصل به التكليف وإمكان تعلم العلوم وهو الهوى المطلق وما عداه حجاب له ومقدمات ؛ وهو الذى شرفه الله تعالى بتخصيص الإضافة إليه وإن كان الكل من جهته تعالى ، فقال تعالى ﴿ قل إن هدى الله هو الهدى ﴾ وهو المسمى حياة فى قوله تعالى ﴿ أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس ﴾ والمعنى بقوله تعالى ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾ وأما الرشد فنعنى به العناية الإلهية التى تعين الإنسان عند توجهه إلى مقاصده فتقوبه على مافيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده ، ويكون ذلك من الباطن كما قال تعالى ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ﴾ فالرشد عبارة عن هداية باعثة إلى جهة السعادة محركة إليها ، فالصبى إذا بلغ خبيراً بحفظ المال وطرق التجارة والاستنماء ولكنه مع ذلك يبذر ولا يريد الاستنماء لايسمى رشيدا لالعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته ، فكم من شخص يقدم على ما يعلم أنه يضره فقد أعطى الهداية وميز بها عن الجاهل الذى لايدرى أنه يضره ولكن ماأعطى الرشد ، فالرشد بهذا الاعتبار أكمل من مجرد الهداية إلى وجوه الأعمال وهى نعمة عظيمة . وأما التسديد فهو توجيه حركاته إلى صوب المطلوب وتيسرها عليه ليشتد فى صوب الصواب فى أسرع وقت ، فإن الهداية بمجردها لا تكفى ، بل لابد من هداية محركة للداعية وهى الرشد والرشد لايكفى ، بل لابد من تيسر الحركات بمساعدة الأعضاء والآلات حتى يتم المراد مما انبعثت الداعية إليه فالهداية محض التعريف ، والرشد هو تنبيه الداعية لتستيقظ وتتحرك ، والتسديد إعانة ونصرة بتحريك الأعضاء فى صوب السداد ، وأما التأييد فكأنه جامع للكل ، وهو عبارة عن تقوية أمره بالبصيرة من داخل وتقوية البطش ومساعدة الأسباب من خارج ، وهو المراد بقوله عزوجل ﴿ إذ أيدتك بروح القدس ﴾ وتقرب منه العصمة ، وهى

---

(١) حديث « مامن أحد يدخل الجنة الا برحمة الله » متفق عليه من حديث أبى هريرة « لن يدخل أحدكم عمله الجنة » قالوا ولاأنت يارسول الله ؟ قال « ولاأنا الا أن يتغمدنى الله بفضل منه ورحمة » وفى رواية لمسلم « مامن أحد يدخله عمله الجنة ... الحديث » واتفقا عليه من حديث عائشة ، وانفرد به مسلم من حديث جابر وقد تقدم .

عبارة عن وجود إلهى يسبح فى الباطن يقوى به الإنسان على تحرى الخير وتجنب الشر يصير كمانع من باطنه غير محسوس ، وإياه عنى بقوله تعالى ﴿ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾ فهذه هى مجامع النعم ، ولن تثبت إلا بما يخوله الله من الفهم الصافى الثاقب والسمع الواعى والقلب البصير المراعى المتواضع والمعلم الناصح والمال الزائد على مايقصر عن المهمات بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذى يصونه عن سفه السفهاء وظلم الأعداء ، ويستدعى كل واحد من هذه الأسباب الستة عشر أسبابا ، وتستدعى تلك الأسباب أسبابا إلى أن تنتهى بالآخرة إلى دليل المتحيرين وملجأ المضطرين وذلك رب الأرباب ومسبب الأسباب ، وإذا كانت تلك الأسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاءها فلنذكر منها أنموذجا ليعلم به معنى قوله تعالى ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ وبالله التوفيق .

بيان وجه الأنموذج فى كثرة نعم الله تعالى
وتسلسلها وخروجها عن الحصر والإحصاء

اعلم أنا جمعنا النعم فى ستة عشر ضربا ، وجعلنا صحة البدن نعمة من النعم الواقعة فى الرتبة المتأخرة ، فهذه النعمة الواحدة لو أردنا أن نستقصى الأسباب التى بها تمت هذه النعمة لم نقدر عليها ، ولكن الأكل أحد أسباب الصحة فلنذكر نبذة من جملة الأسباب التى بها تتم نعمة الأكل فلا يخفى أن الأكل فعل ، وكل فعل من هذا النوع فهو حركة ، وكل حركة لابدلها من جسم متحرك هو آلتها ، ولابد لها من قدرة على الحركة ، ولابد من إرادة للحركة ، ولابد من علم بالمراد وإدراك له ، ولا بد للأكل من مأكول ، ولا بد للمأكول من أصل منه يحصل ، ولا بد له من صانع يصلحه ؛ فلنذكر أسباب الإدراك ، ثم أسباب الإرادات ، ثم أسباب القدرة ، ثم أسباب المأكول على سبيل التلويح لا على سبيل الاستقصاء .

الطرف الأول : فى نعم الله تعالى فى خلق أسباب الإدراك

اعلم أن الله تعالى خلق النبات وهو أكمل وجودا من الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التى لا تنمى ولا تغذى ؛ فإن النبات خلق فيه قوة بها يجتذب الغذاء إلى نفسه من جهة أصله وعروقه التى فى الأرض ، وهى له آلات ، فبها يجتذب الغذاء وهى العروق الدقيقة التى تراها فى كل ورقة ، ثم تغلظ أصولها ، ثم تتشعب ، ولا تزال تستدق وتتشعب إلى عروق شعرية تنبسط فى أجزاء الورقة حتى تغيب عن البصر ، إلا أن النبات مع هذا الكمال ناقص ، فإنه إذا أعوزه غذاء يساق إليه ويماس أصله جف ويبس ولم يمكنه طلب الغذاء من وضع آخر ، فإن الطلب إنما يكون بمعرفة المطلوب وبالانتقال إليه والنبات عاجز عن ذلك ، فمن نعمة الله تعالى عليك أن خلق لك آلات الإحساس وآلة الحركة فى طلب الغذاء ، فانظر إلى ترتيب حكمة الله تعالى فى خلق الحواس الخمس التى هى آلة الإدراك ، فأولها حاسة اللمس وإنما خلقت لك حتى إذا مستك نار محرقة أو سيف جارح تحس به فتهرب منه ، وهذا أول حس يخلق للحيوان ، ولا يتصور حيوان إلا ويكون له هذا الحس ، لأنه إذا لم يحس أصلا فليس بحيوان ، وأنقص درجات الحس أن يحس بما لا يلاصقه ويماسه ، فإن الإحساس بما يبعد منه إحساس أتم لا محالة ، وهذا الحس موجود لكل حيوان ؛ حتى الدودة التى فى الطين فإنها إذا غرز فيها إبرة انقبضت للهرب ، لا كالنبات فإن النبات يقطع فلا ينقبض إذ لا يحس بالقطع ، إلا أنك لو لم يخلق لك إلا هذا الحس لكنت

ناقصاً كالدودة لا تقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما يمس بدنك فتحس به فتجذبه إلى نفسك فقط ، فافتقرت إلى حس تدرك به ما بعد عنك ، فخلق لك الشم إلا أنك تدرك به الرائحة ولا تدرى أنها جاءت من أى ناحية ، فتحتاج إلى أن تطوف كثيرا من الجوانب فربما تعثر على الغذاء الذى شممت ريحه ، وربما لم تعثر فتكون فى غاية النقصان لولم يخلق لك إلا هذا ، فخلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصد تلك الجهة بعينها ، إلا أنه لولم يخلق لك إلا هذا لكنت ناقصا ، إذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران والحجب ، فتبصر غذاء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدوّا لا حجاب بينك وبينه ؛ وأما ما بينك وبينه حجاب فلا تبصره ، وقد لا ينكشف الحجاب إلا بعد قرب العدوّ فتعجز عن الهرب ، فخلق لك السمع حتى تدرك به الأصوات من وراء الجدران والحجب عند جريان الحركات ، لأنك لاتدرك بالبصر إلا شيئا حاضرا ، وأما الغائب فلايمكنك معرفته إلا بكلام ينتظم من حروف وأصوات تدرك بحس السمع ، فاشتدّت إليه حاجتك فخلق لك ذلك ، وميزت بفهم الكلام عن سائر الحيوانات ، وكل ذلك ما كان يغنيك لولم يكن لك حس الذوق ، إذ يصل الغذاء إليك فلاتدرك أنه موافق لك أو مخالف فتأكله فتهلك ، كالشجرة يصب فى أصلها كل مائع ولا ذوق لها فتجذبه ، وربما يكون ذلك سبب جفافها ، ثم كل ذلك لايكفيك لولم يخلق فى مقدّمة دماغك إدراك آخر يسمى حسا مشتركا تتأدى إليه هذه المحسوسات الخمس وتجتمع فيه ، ولولاه لطال الأمر عليك ؛ فإنك إذا أكلت شيئا أصفر مثلا فوجدته مرّا مخالفا لك فتركته ، فإذا رأيته مرة أخرى فلا تعرف أنه مر مضر ما لم تذقه ثانيا لولا الحس المشترك، إذ العين تبصر الصفرة ولا تدرك المرارة فكيف تمتنع والذوق يدرك المرارة ولايدرك الصفرة ، فلا بدّ من حاكم تجتمع عنده الصفرة والمرارة جميعاً ، حتى إذا أردت الصفرة حكم أنه مر فيمتنع عن تناوله ثانيا ، وهذا كله تشاركك فيه الحيوانات ، إذ للشاة هذه الحواس كلها ؛ فلو لم يكن لك إلا هذا لكنت ناقصا ؛ فإنّ البهيمة يحتال عليها فتؤخذ فلاتدرى كيف تدفع الحيلة عن نفسها وكيف تتخلص إذا قيدت ، وقد تلقى نفسها فى بئر ولاتدرى أن ذلك يهلكها، ولذلك قد تأكل البهيمة ماتستلذه فى الحال ويضرها فى ثانى الحال فتمرض وتموت ، إذ ليس لها إلا الإحساس بالحاضر ، فأما إدراك العواقب فلا، فميزك الله تعالى وأكرمك بصفة أخرى وهى أشرف من الكل وهو العقل ، فبه تدرك مضرة الأطعمة ومنفعتها فى الحال والمآل، وبه تدرك كيفية طبخ الأطعمة وتأليفها وإعداد أسبابها ، فتنتفع بعقلك فى الأكل الذى هو سبب صحتك وهو أحسن فوائد العقل، وأقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله ومعرفة الحكمة فى عالمه ، وعند ذلك تنقلب فائدة الحواس الخمس فى حقك ، فتكون الحواس الخمس كالجواسيس وأصحاب الأخبار الموكلين بنواحى المملكة ، وقد وكلت كل واحدة منها بأمر تختص به ، فواحدة منها بأخبار الألوان ، والأخرى بأخبار الأصوات ، والأخرى بأخبار الروائح ، والأخرى بأخبار الطعوم ، والأخرى بأخبار الحرّ والبرد والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها ، وهذه البرد والجواسيس يقتنصون الأخبار من أقطار المملكة ويسلمونها إلى الحس المشترك ، والحس المشترك قاعد فى مقدّمة الدماغ ، مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة من نواحى العالم فيأخذها وهى مختومة ويسلمها ، إذ ليس له إلا أخذها وجمعها وحفظها ؛ فأما معرفة حقائق مافيها فلا ، ولكن إذا صادف القلب العاقل الذى هو الأمير والملك سلم الإنهاءات إليه مختومة ، فيفتشها الملك ويطلع منها على أسرار المملكة ويحكم فيها بأحكام عجيبة لايمكن استقصاؤها فى هذا المقام وبحسب ما يلوح له من الأحكام والمصالح يحرّك الجنود وهى الأعضاء : مرة فى الطلب ومرّة فى الهرب ومرة فى إتمام التدبيرات التى تعنّ له ،

فهذه سياقة نعمة الله عليك فى الإدراكات ، ولا تظنن أنا استوفيناها ؛ فإنّ الحواس الظاهرة هى بعض الإدراكات ، والبصر واحد من جملة الحواس ، والعين آلة واحدة له ، وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها أغشية ، وبعض الأغشية كأنها نسج العنكبوت وبعضها كالمشيمة ، وبعض تلك الرطوبات كأنه بياض البيض وبعضها كأنه الجمد ، ولكل واحدة من هذه الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدوير وتركيب ، ولو اختلت طبقة واحدة من جملة العشر أو صفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وعجز عنه الأطباء والكحالون كلهم ، فهذا فى حس واحد ، فقس به حاسة السمع وسائر الحواس ؛ بل لا يمكن أن تستوفى حكم الله تعالى وأنواع نعمه فى جسم البصر وطبقاته فى مجلدات كثيرة ، مع أنّ جملته لا تزيد على جوزة صغيرة ؛ فكيف ظنك بجميع البدن وسائر أعضائه وعجائبه ، فهذه مرامز إلى نعم الله تعالى بخلق الإدراكات .

الطرف الثانى : فى أصناف النعم فى خلق الإرادات

اعلم أنه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذاء من بعد ولم يخلق لك ميل فى الطبع وشوق إليه وشهوة له تستحثك على الحركة لكان البشر معطلا ، فكم من مريض يرى الطعام وهو أنفع الأشياء له وقد سقطت شهوته فلا يتناوله ، فيبقى البصر والإدراك معطلا فى حقه ، فاضطررت إلى أن يكون لك ميل إلى ما يوافقك يسمى شهوة ونفرة عما يخالفك تسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة ؛ فخلق الله تعالى فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكلها بك كالمتقاضى الذى يضطرك إلى التناول حتى تتناول وتغتذى فتبقى بالغذاء ، وهذا مما يشاركك فيه الحيوانات دون النبات ، ثم هذه الشهوة لو لم تسكن إذا أخذت مقدار الحاجة أسرفت وأهلكت نفسك ، فخلق الله لك الكراهة عند الشبع لتترك الأكل بها ، لا كالزرع فإنه لا يزال يجتذب الماء إذا انصب فى أسفله حتى يفسد فيحتاج إلى آدمى يقدّر غذاءه بقدر الحاجة ، فيسقيه مرة ويقطع عنه الماء أخرى ، وكما خلقت لك هذه الشهوة حتى تأكل فيبقى به بدنك خلق لك شهوة الجماع حتى تجامع فيبقى به نسلك ، ولو قصصنا عليك عجائب صنع الله تعالى فى خلق الرحم وخلق دم الحيض ، وتأليف الجنين من المنى ودم الحيض ، وكيفية خلق الأنثيين والعروق السالكة إليها من الفقار الذى هو مستقر النطفة ، وكيفية انصباب ماء المرأة من الترائب بواسطة العروق وكيفية انقسام مقعر الرحم إلى قوالب تقع النطفة فى بعضها فتتشكل بشكل الذكور وتقع فى بعضها فتتشكل بشكل الإناث ، وكيفية إدارتها فى أطوار خلقها مضغة وعلقة ثم عظما ولحما ودما ، وكيفية قسمة أجزائها إلى رأس ويد ورجل وبطن وظهر وسائر الأعضاء : لقضيت من أنواع نعم الله تعالى عليك فى مبدأ خلقك كل العجب ، فضلا عما تراه الآن ، ولكنا لسنا نريد أن نتعرض إلا لنعم الله تعالى فى الأكل وحده كى لا يطول الكلام ؛ فإذن شهوة الطعام أحد ضروب الإرادات ، وذلك لا يكفيك ، فإنه تأتيك المهلكات من الجوانب ، فلو لم يخلق فيك الغضب الذى به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك ، لبقيت عرضة للآفات ولأخذ منك كل ما حصلته من الغذاء ، فإن كل واحد يشتهى ما فى يديك فتحتاج إلى داعية فى دفعه ومقاتلته وهى داعية الغضب الذى به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك ، ثم هذا لا يكفيك إذ الشهوة والغضب لا يدعوان إلى إلا ما يضر وينفع فى الحال ، وأما فى المآل فلا تكفى فيه هذه الإرادة ، فخلق الله تعالى لك إرادة أخرى مسخرة تحت إشارة العقل المعرّف للعواقب ، كما خلق الشهوة والغضب مسخرة تحت إدراك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل ، إذ كان مجرّد المعرفة بأن هذه الشهوة مثلا تضرك لا يغنيك فى الاحتراز عنها ما لم يكن لك ميل إلى العمل بموجب المعرفة ، وهذه

الإرادة أفردت بها عن البهائم إكراماً لبنى آدم كما أفردت بمعرفة العواقب ، وقد سمينا هذه الإرادة باعثاً دينيا ، وفصلناه فى كتاب الصبر تفصيلا أوفى من هذا .

الطرف الثالث : فى نعم الله تعالى فى خلق القدرة وآلات الحركة

اعلم أن الحس لا يفيد إلا الإدراك ، والإرادة لا معنى لها إلا الميل إلى الطلب والهرب وهذا لا كفاية فيه مالم تكن فيك آلة الطلب والهرب ، فكم من مريض مشتاق إلى شيء بعيد عنه مدرك له ولكنه لا يمكنه أن يمشى إليه لفقد رجله ، أو لا يمكنه أن يتناوله لفقد يده أو لفلج وخدر فيهما ، فلا بدّ من آلات للحركة وقدرة فى تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلبا وبمقتضى الكراهية هربا ، فلذلك خلق الله تعالى لك الأعضاء التى تنظر إلى ظاهرها ولا تعرف أسرارها ؛ فمنها ماهو للطلب والهرب كالرجل للإنسان والجناح للطير والقوائم للدواب ، ومنها ماهو للدفع كالأسلحة للإنسان والقرون للحيوان ، وفى هذا تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا ؛ فمنها مايكثر أعداؤه ويبعد غذاؤه فيحتاج إلى سرعة الحركة فخلق له الجناح ليطير بسرعة ، ومنها ماخلق له أربع قوائم ؛ ومنها ماله رجلان ، ومنها مايدب وذكر ذلك يطول فلنذكر الأعضاء التى بها يتم الأكل فقط ليقاس عليها غيرها فنقول : رؤيتك الطعام من بعد وحركتك إليه لا تكفى مالم تتمكن من أن تأخذه ؛ فافتقرت إلى آلة باطشة ؛ فأنعم الله تعالى عليك بخلق اليدين وهما طويلتان ممتدّتان إلى الأشياء ومشتملتان على مفاصل كثيرة لتتحرك فى الجهات فتمتدّ وتنثنى إليك فلا تكون كخشبة منصوبة : ثم جعل رأس اليد عريضا بخلق الكف ؛ ثم قسم رأس الكف بخمسة أقسام هى الأصابع وجعلها فى صفين بحيث يكون الإبهام فى جانب ويدور على الأربعة الباقية ، ولو كانت مجتمعة أو متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعها وضعا إن بسطتها كانت لك مجرفة وإن ضممتها كانت لك مغرفة ، وإن جمعتها كانت لك آلة للضرب ، وإن نشرتها ثم قبضتها كانت لك آلة فى القبض ، ثم خلق لها أظفارا وأسند إليها رءوس الأصابع حتى لا تتفتت وحتى تلتقط بها الأشياء الدقيقة التى لا تحويها الأصابع فتأخذها برءوس أظفارك ، ثم هب أنك أخذت الطعام باليدين فمن أين يكفيك هذا مالم يصل إلى المعدة وهى فى الباطن ، فلابد وأن يكون من الظاهر دهليز إليها حتى يدخل الطعام منه ، فجعل الفم منفذا إلى المعدة مع ما فيه من الحكم الكثيرة سوى كونه منفذا للطعام إلى المعدة ، ثم إن وضعت الطعام فى الفم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فتحتاج إلى طاحونة تطحن بها الطعام ، فخلق لك اللحيين من عظمتين وركب فيهما الأسنان وطبق الأضراس العليا على السفلى لتطحن بهما الطعام طحنا ، ثم الطعام تارة يحتاج إلى الكسر وتارة إلى القطع ثم يحتاج إلى طحن بعد ذلك ، فقسم الأسنان إلى عريضة طواحين كالأضراس ، وإلى حادة قواطع كالرباعيات وإلى ما يصلح للكسر كالأنياب ، ثم جعل مفصل اللحيين متخلخلا بحيث يتقدم الفك الأسفل ويتأخر حتى يدور على الفك الأعلى دوران الرحى ، ولولا ذلك لما تيسر إلا ضرب أحدهما على الآخر مثل تصفيق اليدين مثلا ، وبذلك لا يتم الطحن . فجعل اللحى الأسفل متحركا حركة دورية ، واللحى الأعلى ثابتا لا يتحرك فانظر إلى عجيب صنع الله تعالى فإن كل رحى صنعه الخلق فيثبت منه الحجر الأسفل ويدور الأعلى إلا هذا الرحى الذى صنعه الله تعالى ، إذ يدور منه الأسفل على الأعلى ، فسبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه وأتم برهانه وأوسع امتنانه ثم هب أنك وضعت الطعام فى فضاء الفم فكيف يتحرك الطعام إلى ما تحت الأسنان ، أو كيف تستجره الأسنان إلى نفسها ، وكيف يتصرف باليد فى داخل الفم ؟ فانظر كيف أنعم الله عليك بخلق اللسان ، فإنه يطوف فى جوانب الفم ويرد الطعام من الوسط إلى الأسنان بحسب الحاجة كالمجرفة التى ترد الطعام إلى الرحى ،

هذا مع مافيه من فائدة الذوق وعجائب قوة النطق والحكم التى لسنا نطنب بذكرها ، ثم هب أنك قطعت الطعام وطحنته وهو يابس فلاتقدر على الابتلاع إلا بأن ينزلق إلى الحلق بنوع رطوبة ، فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عينا يفيض اللعاب منها وينصب بقدر الحاجة حتى يتعجن به الطعام ، فانظر كيف سخرها لهذا الأمر فإنك ترى الطعام من بعد فيثور الحنكان للخدمة وينصب اللعاب حتى تتحلب أشداقك والطعام بعد بعيد عنك ، ثم هذا الطعام المطحون المتعجن من يوصله إلى المعدة وهو فى الفم ولا تقدر على أن تدفعه باليد ولا يد فى المعدة حتى تمتد فتجذب الطعام ، فانظر كيف هيأ الله تعالى المرىء والحنجرة وجعل على رأسها طبقات تنفتح لأخذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى يتقلب الطعام بضغطه فيهوى إلى المعدة فى دهليز المرىء ، فإذا ورد الطعام على المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لأن يصير لحما وعظما ودما على هذه الهيئة بل لابد وأن يطبخ طبخا تاما حتى تتشابه أجزاؤه، فخلق الله تعالى المعدة على هيئة قدر فيقع فيها الطعام فتحتوى عليه وتغلق عليه الأبواب ، فلا يزال لابثا فيها حتى يتم الهضم والنضج بالحرارة التى تحيط بالمعدة من الأعضاء الباطنة ، إذ من جانبها الأيمن الكبد ومن الأيسر الطحال ، ومن قدام الترائب ، ومن خلف لحم الصلب فتتعدى الحرارة إليها من تسخين هذه الأعضاء من الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير مائعا متشابها يصلح للنفوذ فى تجاويف العروق ، وعند ذلك يشبه ماء الشعير فى تشابه أجزائه ورقته ، وهو بعد لايصلح للتغذية ؛ فخلق الله تعالى بينها وبين الكبد مجارى من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهى إلى الكبد ، والكبد معجون من طينة الدم حتى كأنه دم ، وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة فى أجزاء الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر فى أجزائها حتى تستولى عليه قوة الكبد فتصبغه بلون الدم ، فيستقر فيها ريثما يحصل له نضج آخر ويحصل له هيئة الدم الصافى الصالح لغذاء الأعضاء ، إلا أن حرارة الكبد هى التى تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد فى جميع مايطبخ : إحداهما شبيهة بالدردى والعكر وهو الخلط السوداوى ، والأخرى شبيهة بالرغوة وهى الصفراء ، ولو لم تفصل عنها الفضلتان فسد مزاج الأعضاء ، فخلق الله تعالى المرارة والطحال وجعل لكل واحد منهما عنقا ممدودا إلى الكبد داخلا فى تجويفه ، فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجذب الطحال العكر السوداوى ، فيبقى الدم صافيا ليس فيه إلا زيادة رقة ورطوبة لما فيه من المائية، ولولاها لما انتشر فى تلك العروق الشعرية ولاخرج منها متصاعدا إلى الأعضاء ؛ فخلق الله سبحانه الكليتين وأخرج من كل واحدة منهما عنقا طويلا إلى الكبد . ومن عجائب حكمة الله تعالى أن عنقهما ليس داخلا فى تجويف الكبد بل متصل بالعروق الطالعة من حدبة الكبد حتى يجذب مايليها بعد الطلوع من العروق الدقيقة التى فى الكبد، إذ لو اجتذب قبل ذلك لغلظ ولم يخرج من العروق ، فإذا انفصلت منه المائية فقد صار الدم صافيا من الفضلات الثلاث نقيا من كل مايفسد الغذاء ، ثم إن الله تعالى أطلع من الكبد عروقا ، ثم قسمها بعد الطلوع أقساما ، وشعب كل قسم بشعب ، وانتشر ذلك فى البدن كله من الفرق إلى القدم ظاهرا وباطنا ، فيجرى الدم الصافى فيها ويصل إلى سائر الأعضاء حتى تصير العروق المنقسمة شعرية كعروق الاوراق والاشجار بحيث لاتدرك بالابصار ، فيصل منها الغذاء بالرشح إلى سائر الاعضاء ، ولو حلت بالمرارة آفة فلم تجذب الفضلة الصفراوية فسد الدم وحصل منه الامراض الصفراوية كاليرقان والبثور والحمرة ، وإن حلت بالطحال آفة فلم يجذب الخلط السوداوى حدثت الامراض السوداوية كالبهق والجذام والماليخوليا وغيرها ، وإن لم تندفع المائية نحو الكلى حدث منه الاستسقاء وغيره . ثم انظر إلى حكمة الفاطر الحكيم كيف رتب المنافع على هذه الفضلات الثلاث الخسيسة : أما المرارة فإنها تجذب بأحد عنقيها وتقذف

بالعنق الآخر إلى الأمعاء ليحصل له فى ثفل الطعام رطوبة مزلقة ويحدث فى الأمعاء لذع يحركها للدفع، فتنضغط حتى يندفع الثفل وينزلق وتكون صفرته لذلك . وأما الطحال فإنه يحيل تلك الفضلة إحالة يحصل بها فيه حموضة وقبض ، ثم يرسل منها كل يوم شيئا إلى فم المعدة فيحرك الشهوة بحموضته وينبهها ويثيرها ويخرج الباقى مع الثفل ، وأما الكلية فإنها تغتذى بما فى تلك المائية من دم وترسل الباقى إلى المثانة ولنقتصر على هذا القدر من بيان نعم الله تعالى فى الأسباب التى أعدت للأكل . ولو ذكرنا كيفية احتياج الكبد إلى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الأعضاء الرئيسية إلى صاحبه وكيفية انشعاب العروق الضوارب من القلب إلى سائر البدن وبواسطتها يصل الحس وكيفية انشعاب العروق السواكن من الكبد إلى سائر البدن وبواسطتها يصل الغذاء ، ثم كيفية تركب الأعضاء وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها وأوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها ـ لطال الكلام ، وكل ذلك محتاج إليه للأكل ولأمور أخر سواه ، بل فى الآدمى آلاف من العضلات والعروق والأعصاب مختلفة بالصغر والكبر والدقة والغلظ وكثرة الانقسام وقلته ، ولاشىء منها إلا وفيه حكمة أو اثنتان أو ثلاث أو أربع إلى عشر وزيادة وكل ذلك نعم من الله تعالى عليك لو سكن من جملتها عرق متحرك أو تحرك عرق ساكن ، لهلكت يامسكين ، فانظر إلى نعمة الله تعالى عليك أولا لتقوى بعدها على الشكر ، فإنك لاتعرف من نعمة الله سبحانه إلا الأكل وهو أخسها ، ثم لاتعرف منها إلا أنك تجوع فتأكل ، والحمار أيضا يعلم أنه يجوع فيأكل ويتعب فينام ويشتهى فيجامع ويستنهض فينهض ويرح ، فإذا لم تعرف أنت من نفسك إلا مايعرف الحمار فكيف تقوم بشكر نعمة الله عليك ؟ وهذا الذى رمزنا إليه على الإيجاز قطرة من بحر واحد من بحار نعم الله فقط ، فقس على الإجمال ماأهملناه من جملة ماعرفناه حذرا من التطويل ، وجملة ماعرفناه وعرفه الخلق كلهم بالإضافة إلى مالم يعرفوه من نعم الله تعالى أقل من قطرة من بحر ، إلا أن من علم شيئا من هذا أدرك شمة من معانى قوله تعالى ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها ﴾ ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الأعضاء وقوام منافعها وإدراكاتها وقواها ببخار لطيف يتصاعد من الأخلاط الأربعة ومستقره القلب ، ويسرى فى جميع البدن بواسطة العروق الضوارب فلا ينتهى إلى جزء من أجزاء البدن إلا ويحدث عند وصوله فى تلك الأجزاء مايحتاج إليه من قوة حس وإدراك وقوة حركة وغيرها ، كالسراج الذى يدار فى أطراف البيت فلا يصل إلى جزء إلا ويحصل بسبب وصوله ضوء على أجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه، ولكنه جعل السراج سبباً له بحكمته ؛ وهذا البخار اللطيف هو الذى تسميه الأطباء الروح ؛ ومحله القلب ، ومثاله جرم نار السراج والقلب له كالمسرجة ، والدم الأسود الذى فى باطن القلب له كالفتيلة ، والغذاء له كالزيت ، والحياة الظاهرة فى سائر أعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج فى جملة البيت وكما أن السراج إذا انقطع زيته انطفأ فسراج الروح أيضا ينطفئ مهما انقطع غذاؤه ، وكما أن الفتيلة قد تحترق فتصير رمادا بحيث لاتقبل الزيت فينطفئ السراج مع كثرة الزيت فكذلك الدم الذى تشبث به هذا البخار فى القلب قد يحترق بفرط حرارة القلب فينطفئ مع وجود الغذاء ؛ فإنه لايقبل الغذاء الذى يبقى به الروح كما لايقبل الرماد الزيت قبولا تتشبث النار به ؛ وكما أن السراج تارة ينطفئ بسبب من داخل كما ذكرناه وتارة بسبب من خارج كريح عاصف فكذلك الروح تارة تنطفئ بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج وهو القتل ، وكما أن انطفاء السراج بفناء الزيت أو بفساد الفتيلة أو بريح عاصف أو بإطفاء إنسان لايكون إلا بأسباب مقدرة فى علم الله مرتبة ويكون كل ذلك بقدر ، فكذلك انطفاء الروح ، وكما أن انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك أجله الذى أجل له فى أم الكتاب ، فكذلك انطفاء الروح ؛ وكما أن السراج إذا انطفأ أظلم البيت كله فالروح إذا انطفأ أظلم

البدن كله وفارقته أنواره التى كان يستفيدها من الروح وهى أنوار الإحساسات والقدر والإرادات وسائر مايجمعها معنى لفظ الحياة ، فهذا أيضا رمز وجيز إلى عالم آخر من عوالم نعم الله تعالى وعجائب صنعه وحكمته ليعلم أنه ﴿ لوكان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ﴾ عز وجل : فتعسا لمن كفر بالله تعسا ؛ وسحقا لمن كفر نعمته سحقا .

فإن قلت : فقد وصفت الروح ومثلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الروح فلم يزد عن أن قال «قل الروح من أمر ربى [1] » فلم يصفه لهم على هذا الوجه * فاعلم أن هذه غفلة عن الاشتراك الواقع فى لفظ الروح ، فإنّ الروح يطلق لمعان كثيرة لانطول بذكرها نحن إنما وصفنا من جملتها جسما لطيفا تسميه الأطباء روحا ، وقد عرفوا صفته ووجوده وكيفية سريانه فى الأعضاء وكيفية حصول الإحساس والقوى فى الأعضاء به ، حتى إذا خدر بعض الأعضاء علموا أن ذلك لوقوع سدّة فى مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر بل منابت الأعصاب ومواقع السدّة فيها ويعالجونها بما يفتح السدّة ، فإن هذا الجسم بلطفه ينفذ فى شباك العصب وبواسطته يتأدى من القلب إلى سائر الأعضاء ومايرتقى إليه معرفة الأطباء فأمره سهل نازل . وأما الروح التى هى الأصل وهى التى إذا فسدت فسد لها سائر البدن ، فذلك سر من أسرار الله تعالى لم نصفه ، ولارخصة فى وصفه إلا بأن يقال : هو أمر ربانى كما قال تعالى ﴿ قل الروح من أمر ربى ﴾ والأمور الربانية لا تحتمل العقول وصفها بل تتحير فيها عقول أكثر الخلق ، وأما الأوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن إدراك الأصوات ، وتتزلزل فى ذكر مبادئ وصفها معاقد العقول المقيدة بالجوهر والعرض المحبوسة فى مضيقها ، فلا يدرك بالعقل شىء من وصفه بل بنور آخر أعلى وأشرف من العقل يشرق ذلك النور فى عالم النبوّة والولاية ، نسبته إلى العقل نسبة العقل إلى الوهم والخيال ، وقد خلق الله تعالى الخلق أطوارا ، فكما يدرك الصبى المحسوسات ولا يدرك المعقولات لأن ذلك طور لم يبلغه بعد ، فكذلك يدرك البالغ المعقولات ولا يدرك ماوراءها ؛ لأنّ ذلك طور لم يبلغه بعد ، وإنه لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية ، فيها يلحظ جناب الحق بنور الإيمان واليقين ، وذلك المشرب أعز من أن يكون شريعة لكل وارد ، بل لا يطلع عليه إلا واحد بعد واحد ، ولجناب الحق صدر وفى مقدمة الصدر مجال وميدان رحب ، وعلى أوّل الميدان عتبة هى مستقر ذلك الأمر الربانى ؛ فمن لم يكن له على هذه العتبة جواز ولا لحافظ العتبة مشاهدة واستحال أن يصل الميدان ، فكيف بالانتهاء إلى ماوراءه من المشاهدات العالية ، ولذلك قيل : من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه . وأنى يصادف هذا خزانة الأطباء ؟ ومن أين للطبيب أن يلاحظه ؟ بل المعنى المسمى روحا عند الطبيب بالإضافة إلى هذا الأمر الربانى كالكرة التى يحركها صولجان الملك بالإضافة إلى الملك فمن عرف الروح الطبى فظنّ أنه أدرك الأمر الربانى كان كمن رأى الكرة التى يحرّكها صولجان الملك فظن أنه رأى الملك ، ولا يشك فى أنّ خطأه فاحش ، وهذا الخطأ أفحش منه جدّا ، ولما كانت العقول التى بها يحصل التكليف وبها تدرك مصالح الدنيا عقولا قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الأمر لم يأذن الله تعالى لرسول صلى الله عليه وسلم أن يتحدّث عنه ، بل أمره أن يكلم الناس على قدر عقولهم ، ولم يذكر الله تعالى فى كتابه من حقيقة هذا الأمر شيئا ، ولكن ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته ، أما نسبته فى قوله تعالى ﴿ من أمر ربى ﴾ وأما فعله فقد ذكر فى قوله تعالى ﴿ ياأيها النفس

(١) حديث : أنه سئل عن الروح فلم يزد على أن قال « الروح من أمر ربى » متفق عليه من حديث ابن مسعود ، وقد تقدم فى شرح عجائب القلب .

المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ﴾ ولنرجع الآن إلى الغرض ، فإن المقصود ذكر نعم الله تعالى فى الأكل ، فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى فى آلات الأكل .

الطرف الرابع : فى نعم الله تعالى فى الأصول التى يحصل منها الأطعمة وتصير صالحة لأن يصلحها الآدمى بعد ذلك بصنعته

اعلم أن الأطعمة كثيرة ، ولله تعالى فى خلقها عجائب كثيرة لا تحصى وأسباب متوالية لا تتناهى ، وذكر ذلك فى كل طعام مما يطول ، فإن الأطعمة إما أدوية وإما فواكه وإما أغذية ، فلنأخذ الأغذية فإنها الأصل ، ولنأخذ من جملتها حبة من البر ولندع سائر الأغذية فنقول : إذا وجدت حبة أو حبات فلو أكلتها فنيت وبقيت جائعا ، فما أحوجك إلى أن تنمو الحبة فى نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تفى بتمام حاجتك ! فخلق الله تعالى فى حبة الحنطة من القوى ما يغتذى به كما خلق فيك ، فإن النبات إنما يفارقك فى الحس والحركة ولا يخالفك فى الاغتذاء لأنه يغتذى بالماء ويجتذب إلى باطنه بواسطة العروق كما تغتذى أنت وتجتذب ، ولسنا نطنب فى ذكر آلات النبات فى اجتذاب الغذاء إلى نفسه ، ولكن نشير إلى غذائه فنقول : كما أن الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج إلى طعام مخصوص ، فكذلك الحبة لا تغتذى بكل شىء بل تحتاج إلى شىء مخصوص ، بدليل أنك لو تركتها فى البيت لم تزد لأنه ليس يحيط بها إلا هواء ، ومجرد الهواء لا يصلح لغذائها ، ولو تركتها فى الماء لم تزد ، ولو تركتها فى أرض لا ماء فيها لم تزد ، بل لا بد من أرض فيها ماء يمتزج ماؤها بالأرض فيصير طينا ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه : أنا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شقا . فأنبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا ... ﴾ الآية ؛ ثم لا يكفى الماء والتراب ، إذ لو تركت فى أرض ندية صلبة متراكمة لم تنبت لفقد الهواء ، فيحتاج إلى تركها فى أرض رجوة متخلخلة يتغلغل الهواء إليها ، ثم الهواء لا يتحرك إليها بنفسه فيحتاج إلى ريح تحرك الهواء وتضربه بقهر وعنف على الأرض حتى ينفذ فيها ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ وإنما إلقاحها فى إيقاع الازدواج بين الهواء والماء والأرض ، ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان فى برد مفرط وشتاء شات ، فتحتاج إلى حرارة الربيع والصيف ؛ فقد بان احتياج غذائه إلى هذه الأربعة ، فانظر إلى ماذا يحتاج كل واحد ، إذ يحتاج الماء لينساق إلى أرض الزراعة من البحار والعيون والأنهار والسواقى ، فانظر كيف خلق الله البحار وفجر العيون وأجرى منها الأنهار ، ثم الأرض ربما تكون مرتفعة والمياه لا ترتفع إليها ، فانظر كيف خلق الله تعالى الغيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها بإذنه إلى أقطار الأرض وهى سحب ثقال حوامل بالماء ، ثم انظر كيف يرسله مدرارا على الأراضى فى وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة ، وانظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه تتفجر منها العيون تدريجا ، فلو خرجت دفعة لغرقت البلاد وهلك الزرع والمواشى ، ونعم الله فى الجبال والسحاب والبحار والأمطار لا يمكن إحصاؤها ، وأما الحرارة فإنها لا تحصل بين الماء والأرض وكلاهما باردان ، فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الأرض مسخنة للأرض فى وقت دون وقت ، ليحصل البرد عند الحاجة إلى البرد ، والحر عند الحاجة إلى الحر ! فهذه إحدى حكم الشمس والحكم فيها أكثر من أن تحصى ، ثم النبات إذا ارتفع عن الأرض كان فى الفواكه انعقاد وصلابة فتفتقر إلى رطوبة تنضجها ، فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين ، فهو ينضج الفواكه ويصبغها بتقدير الفاطر الحكيم ! ولذلك لو كانت الأشجار فى ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر

الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة ، حتى إن الشجرة الصغيرة تفسد إذا ظللتها شجرة كبيرة ، وتعرف ترطيب القمر بأن تكشف رأسك له بالليل فتغلب على رأسك الرطوبة التى يعبر عنها بالزكام فكما يرطب رأسك يرطب الفاكهة أيضا ، ولانطول فيما لامطمع فى استقصائه ، بل نقول : كل كوكب فى السماء فقد سخر لنوع فائدة كما سخرت الشمس للتسخين والقمر للترطيب ، فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لاتفى قوة البشر بإحصائها ، ولو لم يكن كذلك لكان خلقها عبثا وباطلا ولم يصح قوله تعالى ﴿ ربنا ماخلقت هذا باطلا ﴾ وقوله عزوجل ﴿ وماخلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ﴾ وكما أنه ليس فى أعضاء بدنك عضو إلا لفائدة فليس فى أعضاء بدن العالم عضو إلا لفائدة ، والعالم كله كشخص واحد ، وآحاد أجسامه كالأعضاء له وهى متعاونة تعاون أعضاء بدنك فى جملة بدنك ، وشرح ذلك يطول ، ولاينبغى أن تظن أن الإيمان بأن النجوم والشمس والقمر مسخرات بأمر الله سبحانه فى أمور جعلت أسبابا لها بحكم الحكمة ـ مخالف للشرع لما ورد فيه من النهى عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم [1] ، بل المنهى عنه فى النجوم أمران (أحدهما) أن تصدق بأنها فاعلة لآثارها مستقلة بها وأنها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها : وهذا كفر (والثانى) تصديق المنجمين فى تفصيل مايخبرون عنه من الآثار التى لايشترك كافة الخلق فى دركها ، لأنهم يقولون ذلك عن جهل ، فإن علم أحكام النجوم كان معجزة لبعض الأنبياء عليهم السلام ثم اندرس ذلك العلم فلم يبق إلا ماهو مختلط لايتميز فيه الصواب عن الخطإ ؛ فاعتقاد كون الكواكب أسبابا لآثار تحصل بخلق الله تعالى فى الأرض وفى النبات وفى الحيوان ليس قادحا فى الدين بل هو حق ، ولكن دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قادح فى الدين ، ولذلك إذا كان معك ثوب غسلته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك : أخرج الثوب وابسطه فإن الشمس قدطلعت وحمى النهار والهواء لايلزمك تكذيبه ولايلزمك الإنكار عليه بحوالته حمى الهواء على طلوع الشمس ، وإذا سألت عن تغيير وجه الإنسان فقال : قرعتنى الشمس فى الطريق فاسود وجهى لم يلزمك تكذيبه بذلك ، وقس بهذا سائر الآثار ، إلا أن الآثار بعضها معلوم وبعضها مجهول . فالمجهول لايجوز دعوى العلم فيه ، والمعلوم بعضه معلوم للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطلوع الشمس ، وبعضه لبعض الناس كحصول الزكام بشروق القمر ؛ فإذن الكواكب ماخلقت عبثا ، بل فيها حكم كثيرة لاتحصى ، ولهذا نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء وقرأ قوله تعالى ﴿ ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ ثم قال صلى الله عليه وسلم « ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته [2] » ومعناه أن يقرأ ويترك التأمل ، ويقتصر من فهم ملكوت السموات على أن يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم أيضا ، فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذى مسح بها سبلته ، فلله تعالى فى ملكوت السموات والآفاق والأنفس والحيوانات عجائب يطلب معرفتها المحبون لله تعالى ؛ فإن من أحب عالما فلا يزال مشغولا بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجائب علمه حبا له ، فكذلك الأمر فى عجائب صنع الله تعالى ، فإن العالم

---

(١) حديث النهى عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم . أخرجه أبو داود وابن ماجه بسند صحيح من حديث ابن عباس « من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر ، زاد مازاد » والطبرانى من حديث ابن مسعود وثوبان « إذا ذكرت النجوم فأمسكوا » وإسنادها ضعيف ، وقد تقدم فى العلم . ولمسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمى قال : قلت يارسول الله ، أمورا كنا نصنعها فى الجاهلية كنا نأتى الكهان ! قال « فلا تأتوا الكهان ... الحديث » .

(٢) حديث قرأ قوله تعالى ﴿ ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ ثم قال « ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته » أى ترك تأملها . أخرجه الثعلبى من حديث ابن عباس بلفظ « ولم يتفكر فيها » وفيه أبو جناب يحيى بن أبى حية ضعيف .

كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذى صنفه بواسطة قلوب عباده ، فإن تعجبت من تصنيف فلا تتعجب من المصنف ، بل من الذى سخر المصنف لتصنيفه بما أنعم عليه من هدايته وتسديده وتعريفه ، كما إذا رأيت لعب المشعوذ ترقص وتتحرك حركات موزونة متناسبة فلا تعجب من اللعب فإنها خرق محركة لا متحركة ، ولكن تعجب من حذق المشعوذ المحرك لها بروابط دقيقة خفية عن الأبصار ؛ فإذن المقصود أن غذاء النبات لا يتم إلا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ، ولا يتم ذلك إلا بالأفلاك التى هى مركوزة فيها ، ولا تتم الأفلاك إلا بحركاتها ، ولا تتم حركاتها إلا بملائكة سماوية يحركونها ، وكذلك يتمادى ذلك إلى أسباب بعيدة تركنا ذكرها تنبيها بما ذكرناه على ما أهملناه ، ولنقتصر على هذا من ذكر أسباب غذاء النبات .

الطرف الخامس : فى نعم الله تعالى فى الأسباب الموصلة للأطعمة إليك

اعلم أن هذه الأطعمة كلها لا توجد فى كل مكان بل لها شروط مخصوصة لأجلها توجد فى بعض الأماكن دون بعض ، والناس منتشرون على وجه الأرض وقد تبعد عنهم الأطعمة ويحول بينهم وبينها البحار والبرارى ، فانظر كيف سخر الله تعالى التجار وسلط عليهم حرص حب المال وشهوة الربح مع أنهم لا يغنيهم فى غالب الأمر شىء ، بل يجمعون فإما أن تغرق بها السفن أو تنهبها قطاع الطريق أو يموتوا فى بعض البلاد فيأخذها السلاطين ، وأحسن أحوالهم أن يأخذها ورثتهم وهم أشد أعدائهم لو عرفوا ، فانظر كيف سلط الله الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسوا الشدائد فى طلب الربح ويركبوا الأخطار ويغرروا بالأرواح فى ركوب البحر فيحملون الأطعمة وأنواع الحوائج من أقصى الشرق والغرب إليك ! وانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن وكيفية الركوب فيها ! وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب والحمل فى البرارى ، وانظر إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى الفرس كيف أمدت بسرعة الحركة ، وإلى الحمار كيف جعل صبورا على التعب ، وإلى الجمال كيف تقطع البرارى وتطوى المراحل تحت الأعباء الثقيلة على الجوع والعطش ، وانظر كيف سيرهم الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات فى البر والبحر ليحملوا إليك الأطعمة وسائر الحوائج ! وتأمل ما يحتاج إليه الحيوانات من أسبابها وأدواتها وعلفها وما تحتاج إليه السفن فقد خلق الله تعالى جميع ذلك إلى حد الحاجة وفوق الحاجة وإحصاء ذلك غير ممكن ، ويتمادى ذلك إلى أمور خارجة عن الحصر نرى تركها طلبا للإيجاز .

الطرف السادس : فى إصلاح الأطعمة

اعلم أن الذى ينبت فى الأرض من النبات وما يخلق من الحيوانات لا يمكن أن يقضم ويؤكل ، وهو كذلك ، بل لا بد فى كل واحد من إصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بإلقاء البعض وإبقاء البعض إلى أمور أخر لا تحصى ، واستقصاء ذلك فى كل طعام يطول ، فلنعين رغيفا واحدا ، ولننظر إلى ما يحتاج إليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للأكل من بعد إلقاء البذر فى الأرض ، فأول ما يحتاج إليه الحارث ليزرع ويصلح الأرض ، ثم الثور الذى يثير الأرض والفدان وجميع أسبابه ، ثم بعد ذلك التعهد بسقى الماء مدة ، ثم تنقية الأرض من الحشيش ، ثم الحصاد ، ثم الفرك والتنقية ، ثم الطحن ، ثم العجين ، ثم الخبز ؛ فتأمل عدد هذه الأفعال التى ذكرناها وما لم نذكره ، وعدد الأشخاص القائمين بها ، وعدد الآلات التى يحتاج إليها من الحديد والخشب والحجر وغيره ! وانظر إلى أعمال الصناع فى إصلاح آلات الحراثة والطحن والخبز من نجار ، وحداد وغيرهما ! وانظر إلى حاجة الحداد إلى الحديد والرصاص والنحاس ! وانظر كيف خلق الله تعالى

الجبال والأحجار والمعادن ! وكيف جعل الأرض قطعاً متجاورات مختلفة ! فإن فتشت علمت أنّ رغيفاً واحداً لايستدير بحيث يصلح لأكلك يامسكين مالم يعمل عليه أكثر من ألف صانع ، فابتدئ من الملك الذى يزجى السحاب لينزل الماء إلى آخر الأعمال من جهة الملائكة حتى تنتهى النوبة إلى عمل الإنسان فإذا استدار طلبه قريب من سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصنائع التى بها تتم مصلحة الخلق ، ثم تأمل كثرة أعمال الإنسان فى تلك الآلات ، حتى إن الإبرة التى هى آلة صغيرة فائدتها خياطة اللباس الذى يمنع البرد عنك لاتكمل صورتها من حديدة تصلح للإبرة إلا بعد أن تمر على يد الإبرى خمساً وعشرين مرة ويتعاطى فى كل مرة منها عملا، فلو لم يجمع الله تعالى البلاد ولم يسخر العباد وافتقرت إلى عمل المنجل الذى تحصد به البر مثلا بعد نباته لنفذ عمرك وعجزت عنه أفلا ترى كيف هدى الله عبده الذى خلقه من نطفة قذرة لأن يعمل هذه الأعمال العجيبة والصنائع الغريبة ! فانظر إلى المقراض مثلا وهما جلمان متطابقان ينطبق أحدهما على الآخر فيتناولان الشىء معاً ويقطعانه بسرعة ، ولو لم يكشف الله تعالى طريق اتخاذه بفضله وكرمه لمن قبلنا وافتقرنا إلى استنباط الطريق فيه بفكرنا ثم إلى استخراج الحديد من الحجر وإلى تحصيل الآلات التى بها يعمل المقراض وعمر الواحد منا عمر نوح وأوتى أكمل العقول لقصر عمره عن استنباط الطريق فى إصلاح هذه الآلة وحدها فضلا عن غيرها ؛ فسبحان من ألحق ذوى الأبصار بالعميان وسبحان من منع النبيين مع هذا البيان ، فانظر الآن لو خلا بلدك عن الطحان مثلا ، أوعن الحداد ، أو عن الحجام الذى هو أخس العمال ، أو عن الحائك ، أو عن واحد من جملة الصناع ماذا يصيبك من الأذى وكيف تضطرب عليك أمورك كلها ! فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى نفذت به مشيئته وتمت به حكمته ولنوجز القول فى هذه الطبقة أيضا فإن الغرض التنبيه على النعم دون الاستقصاء .

الطرف السابع : فى إصلاح المصلحين

إعلم أن هؤلاء الصناع المصلحين للأطعمة وغيرها لو تفرقت آراؤهم وتنافرت طباعهم تنافر طباع الوحش لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض بل كانوا كالوحوش لايحويهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد فانظر كيف ألف الله تعالى بين قلوبهم وسلط الأنس والمحبة عليهم ﴿لو أنفقت مافى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾ فلأجل الإلف وتعارف الأرواح اجتمعوا وائتلفوا وبنوا المدن والبلاد ورتبوا المساكن والدور متقاربة متجاورة ورتبوا الأسواق والخانات وسائر أصناف البقاع مما يطول إحصاؤه ، ثم هذه المحبة تزول بأغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها ، ففى جبلة الإنسان الغيظ والحسد والمنافسة ، وذلك مما يؤدى إلى التقاتل والتنافر ، فانظر كيف سلط الله تعالى السلاطين وأمدهم بالقوة والعدة والأسباب وألقى رعبهم فى قلوب الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعا وكرها ، وكيف هدى السلاطين إلى طريق إصلاح البلاد حتى رتبوا أجزاء البلد كأنها أجزاء شخص واحد تتعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها بالبعض ، فرتبوا الرؤساء والقضاة والسجن وزعماء الأسواق ، واضطروا الخلق إلى قانون العدل وألزموهم التساعد والتعاون حتى صار الحداد ينتفع بالقصاب والخباز وسائر أهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد ، وصار الحجام ينتفع بالحراث، والحراث بالحجام ، وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه ، كما يتعاون جميع أعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض . وانظر كيف بعث الأنبياء عليهم السلام حتى أصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع فى حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة فى ضبطهم وكشفوا من أحكام الإمامة والسلطنة وأحكام الفقه

ما اهتدوا به إلى إصلاح الدنيا فضلا عما أرشدوهم إليه من إصلاح الدين ! وانظر كيف أصلح الله تعالى الانبياء بالملائكة وكيف أصلح الملائكة بعضهم ببعض إلى أن ينتهى إلى الملك المقرب الذى لاواسطة بينه وبين الله تعالى فالخباز يخبز العجين والطحان يصلح الحب بالطحن والحراث يصلحه بالحصاد ، والحداد يصلح آلات الحراثة والنجار يصلح آلات الحداد وكذا جميع أرباب الصناعات المصلحين لآلات الأطعمة ، والسلطان يصلح الصناع ، والأنبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم ، والعلماء يصلحون السلاطين ، والملائكة يصلحون الأنبياء إلى أن ينتهى إلى حضرة الربوبية التى هى ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل ترتيب وتأليف ، وكل ذلك نعم من رب الأرباب ومسبب الأسباب ، ولولا فضله وكرمه إذ قال تعالى ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ لما اهتدينا إلى هذه النبذة اليسيرة من نعم الله تعالى ، ولولا عزله إيانا عن أن نطمح بعين الطمع إلى الإحاطة بكنه نعمه لتشوفنا إلى طلب الإحاطة والاستقصاء ، ولكنه تعالى عزلنا بحكم القهر والقدرة فقال تعالى ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها ﴾ فإن تكلمنا فبإذنه انبسطنا ، وإن سكنا فبقهره انقبضنا ؛ إذ لامعطى لما منع ولا مانع لما أعطى ، لأنا فى كل لحظة من لحظات العمر قبل الموت نسمع بسمع القلوب نداء الملك الجبار ﴿ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾ فالحمد لله الذى ميزنا عن الكفار وأسمعنا هذا النداء قبل انقضاء الأعمار .

الطرف الثامن : فى بيان نعمة الله تعالى فى خلق الملائكة : عليهم السلام

ليس يخفى عليك ماسبق من نعمة الله فى خلق الملائكة بإصلاح الأنبياء عليهم السلام وهدايتهم وتبليغ الوحى إليهم ، ولا تظان أنهم مقتصرون فى أفعالهم على ذلك القدر بل طبقات الملائكة مع كثرتها وترتيب مراتبها تنحصر بالجملة فى ثلاث طبقات : الملائكة الأرضية والسماوية وحملة العرش ، فانظر كيف وكلهم الله تعالى بك فيما يرجع إلى الأكل والغذاء الذى ذكرناه دون مايجاوز ذلك من الهداية والإرشاد وغيرهما . واعلم أن كل جزء من أجزاء بدنك بل من أجزاء النبات لايغتذى إلا بأن يوكل به سبعة من الملائكة هو أقله إلى عشرة إلى مائة إلى ماوراء ذلك وبيانه أن معنى الغذاء أن يقوم جزء من الغذاء مقام جزء وقد تلف ، وذلك الغذاء يصير دما فى آخر الأمر ، ثم يصير لحماً وعظما ، وإذا صار لحماً وعظما تم اغتذاؤك ، والدم واللحم أجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار ، فهى لاتتحرك بأنفسها ولا تتغير بأنفسها ، ومجرد الطبع لايكفى فى ترددها فى أطوارها كما أن البر بنفسه لايصير طحينا ثم عجيناً ثم خبزا مستديراً مخبوزاً إلا بصناع ، فكذلك الدم بنفسه لايصير لحماً وعظما وعروقا وعصباً إلا بصناع والصناع فى الباطن هم الملائكة كما أن الصناع فى الظاهر هم أهل البلد ، وقد أسبغ الله تعالى عليك نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغى أن تغفل عن نعمه الباطنة ، فأقول : لا بد من ملك يجذب الغذاء إلى جوار اللحم والعظم ، فان الغذاء لايتحرك بنفسه ، ولا بد من ملك آخر يمسك الغذاء فى جواره ، ولا بد من ثالث يخلع عليه صورة الدم ، ولا بد من رابع يكسوه صورة اللحم والعروق أو العظم ، ولا بد من خامس يدفع الفضل الفاضل عن حاجة الغذاء ، ولا بد من سادس يلصق ما اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لايكون منفصلا ، ولا بد من سابع يرعى المقادير فى الإلصاق فيلحق بالمستدير مالا يبطل استدارته وبالعريض مالا يزيل عرضه وبالمجوف مالا يبطل تجويفه ، ويحفظ على كل واحد قدر حاجته ، فإنه لو جمع مثلا من الغذاء على أنف الصبى مايجمع على فخذه لكبر أنفه وبطل تجويفه وتشوهت صورته وخلقته ، بل ينبغى أن يسوق إلى الأجفان مع رقتها وإلى الحدقة مع صفائها وإلى الأفخاذ مع غلظها وإلى العظم مع صلابته مايليق بكل واحد منها من حيث القدر والشكل وإلا بطلت الصورة

وربا بعض المواضع وضعف بعض المواضع ، بل لو لم يراع هذا الملك العادل فى القسمة والتقسيط فساق إلى رأس الصبي وسائر بدنه من الغذاء ماينمو به إلا إحدى الرجلين مثلا لبقيت تلك الرجل كما كانت فى حدّ الصغر وكبر جميع البدن ، فكنت ترى شخصا فى ضخامة رجل وله رجل واحدة كأنها رجل صبي فلا ينتفع بنفسه ألبتة ، فراعاة هذه الهندسة فى هذه القسمة مفوضة إلى ملك من الملائكة ، ولا تظنن أنّ الدم بطبعه يهندس شكل نفسه فإنّ محيل هذه الأمور على الطبع جاهل لايدرى مايقول ، فهذه هى الملائكة الأرضية وقد شغلوا بك وأنت فى النوم تستريح وفى الغفلة تتردد ، وهم يصلحون الغذاء فى باطنك ولا خبر لك منهم وذلك فى كل جزء من أجزائك الذى لايتجزأ حتى يفتقر بعض الأجزاء كالعين والقلب إلى أكثر من مائة ملك ، تركنا تفصيل ذلك للايجاز ، والملائكة الأرضية مددهم من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لايحيط بكنهه إلا الله تعالى ، ومدد الملائكة السماوية من حملة العرش والمنعم على جملتهم بالتأييد والهداية والتسديد المهيمن القدوس المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت جبار السموات والأرض مالك الملك ذو الجلال والإكرام ، والأخبار الواردة فى الملائكة الموكلين بالسموات والأرض وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب ينجر من جانب إلى جانب [1] أكثر من أن تحصى فلذلك تركنا الاستشهاد به .

* فإن قلت : فهلا فوضت هذه الأفعال إلى ملك واحد ولم افتقر إلى سبعة أملاك ، والحنطة أيضا تحتاج إلى من يطحن أولا ثم إلى من يميز عنه النخالة ويدفع الفضلة ثانيا ، ثم إلى من يصب الماء عليه ثالثا ، ثم إلى من يعجن رابعا ، ثم إلى من يقطعه كرات مدورة خامسا ، ثم إلى من يرقها رغفانا عريضة سادسا ، ثم إلى من يلصقها بالتنور سابعا ، ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد يستقل به فهلا كانت أعمال الملائكة باطنا كأعمال الإنس ظاهراً ؟ فاعلم أن خلقة الملائكة تخالف خلقة الإنس ، وما من واحد منهم إلا وهو وحدانى الصفة ليس فيه خلط وتركيب ألبتة ، فلا يكون لكل واحد منهم إلا فعل واحد ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ وما منا إلا وله مقام معلوم ﴾ فلذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل ، بل مثالهم فى تعين مرتبة كل واحد منهم وفعله مثال الحواس الخمس ، فإنّ البصر لايزاحم السمع فى إدراك الأصوات ولا الشم يزاحمها ولا هما يتنازعان الشم ؛ وليس كاليد والرجل فإنك قد تبطش بأصابع الرجل بطشا ضعيفاً فتزاحم به اليد ، وقد تضرب غيرك برأسك فتزاحم اليد التى هى آلة الضرب ولا كالإنسان الواحد الذى يتولى بنفسه الطحن والعجن والخبز ، فإن هذا نوع من الاعوجاج والعدول عن العدل سببه اختلاف صفات الإنسان واختلاف دواعيه ، فإنه ليس وحدانى الصفة فلم يكن وحدانى الفعل ، ولذلك نرى الإنسان يطيع الله مرة ويعصيه أخرى لاختلاف دواعيه وصفاته ، وذلك غير ممكن فى طباع الملائكة ، بل هم مجبولون على الطاعة

---

(١) حديث الأخبار الواردة فى الملائكة الموكلين بالسموات والأرضين وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب ينجر من جانب الى جانب ... ؛ ففى الصحيحين من حديث أبى ذر فى قصة الإسراء قال جبريل لخازن السماء الدنيا : افتح ، وفيه : أتى السماء الثانية فقال لخازنها : افتح ... الحديث ، ولهما من حديث أبي هريرة « إن لله ملائكة سياحين يبلغونى عن أمتى السلام » وفى الصحيحين من حديث عائشة فى قصة عرضه نفسه على عبد ياليل « فنادانى ملك الجبال إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين .. الحديث » ولهما من حديث أنس « إن الله وكل بالرحم ملكا .. الحديث » وروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث بريدة الأسلمى « مامن نبت ينبت الا وتحته ملك موكل حتى يحصد ... الحديث » وفيه محمد بن صالح الطبرى وأبو بحر البكراوى واسمه عثمان بن عبد الرحمن وكلاهما ضعيف . والطبرانى من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف « إن لله ملائكة ينزلون فى كل ليلة يحسون السلال عن دواب الغزاة الا دابة فى عنقها جرس » والترمذى وحسنه من حديث ابن عباس : قالت اليهود يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد قال « ملك من الملائكة موكل بالسحاب » ولمسلم من حديث أبى هريرة : « بينما رجل بفلاة من الأرض سمع صوتا من سحابة : اسق حديقة فلان ، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه فى حرة .. الحديث » .

لامجال للمعصية فى حقهم ، فلا جرم لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون ، ويسبحون الليل والنهار لايفترون ، والراكع منهم راكع أبدا ، والساجد منهم ساجد أبدا ، والقائم قائم أبدا لا اختلاف فى أفعالهم ولا فتور ، ولكل واحد مقام معلوم لايتعداه ، وطاعتهم لله تعالى من حيث لامجال للمخالفة فيهم يمكن أن تشبه بطاعة أطرافك لك ، فإنك مهما جزمت الإرادة بفتح الأجفان لم يكن للجفن الصحيح تردد واختلاف فى طاعتك مرة ومعصيتك أخرى ، بل كأنه منتظر لأمرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلا بإشارتك ، فهذا يشبهه من وجه ولكن يخالفه من وجه ، إذ الجفن لاعلم له بما يصدر منه من الحركة فتحا وإطباقا والملائكة أحياء عالمون بما يعملون ؛ فإذن هذه نعمة الله عليك فى الملائكة الأرضية والسماوية وحاجتك إليهما فى غرض الأكل فقط دون ماعداها من الحركات والحاجات كلها ؛ فإنا لم نطول بذكرها ؛ فهذه طبقة أخرى من طبقات النعم ومجامع الطبقات لايمكن إحصاؤها ، فكيف آحاد مايدخل تحت مجامع الطبقات ، فإذن قد أسبغ الله تعالى نعمه عليك ظاهرة وباطنة ، ثم قال ﴿ وذروا ظاهر الإثم وباطنه ﴾ فترك باطن الإثم مما لايعرفه الخلق من الحسد وسوء الظن والبدعة واضمار الشر للناس إلى غير ذلك من آثام القلوب هو الشكر للنعم الباطنة ، وترك الإثم الظاهر بالجوارح شكر للنعمة الظاهرة بل أقول : كل من عصى الله تعالى ولو فى تطريفة واحدة بأن فتح جفنه مثلا حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى عليه فى السموات والأرض وما بينهما ، فإن كل ماخلقه الله تعالى حتى الملائكة والسموات والأرض والحيوانات والنبات بجملته نعمة على كل واحد من العباد قد تم به انتفاعه وإن انتفع غيره أيضاً به فإن لله تعالى فى كل تطريفة بالجفن نعمتين فى نفس الجفن ، إذ خلق تحت كل جفن عضلات ولها أوتار ورباطات متصلة بأعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الأعلى وارتفاع الجفن الأسفل وعلى كل جفن شعور سود ، ونعمة الله تعالى فى سوادها أنها تجمع ضوء العين ، إذ البياض يفرق الضوء والسواد يجمعه ، ونعمة الله تعالى فى ترتيبها صفا واحداً أن يكون مانعا للهوام من الدبيب إلى باطن العين ومتشبثا للأقذاء التى تتناثر فى الهواء ، وله فى كل شعرة منها نعمتان من حيث لين أصلها ومع اللين قوام نصبها ، وله فى اشتباك الأهداب نعمة أعظم من الكل : وهو أن غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو طبق لم يبصر ، فيجمع الأجفان مقدار ماتتشابك الأهداب فينظر من وراء شباك الشعر ، فيكون شباك الشعر مانعا من وصول القذى من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل ، ثم إن أصاب الحدقة غبار فقد خلق أطراف الاجفان خادمة منطبقة على الحدقة كالمصقلة للمرآة فيطبقها مرة أو مرتين وقد انصقلت الحدقة من الغبار وخرجت الاقذاء إلى زوايا العين والاجفان ، والذباب لما لم يكن لحدقته جفن خلق له يدين ، فتراه على الدوام يمسح بهما حدقتيه ليصقلهما من الغبار وإذ تركنا الاستقصاء لتفاصيل النعم لافتقاره إلى تطويل يزيد على أصل هذا الكتاب ، ولعلنا نستأنف له كتابا مقصودا فيه إن أمهل الزمان وساعد التوفيق نسميه عجائب صنع الله تعالى ، فلنرجع إلى غرضنا فنقول : من نظر إلى غير محرم فقد كفر بفتح العين نعمة الله تعالى فى الأجفان ، ولاتقوم الأجفان إلا بعين ، ولاالعين إلا برأس ؛ ولا الرأس إلا بجميع البدن ، ولاالبدن إلا بالغذاء ، ولاالغذاء إلا بالماء والأرض والهواء والمطر والغيم والشمس والقمر ، ولايقوم شيء من ذلك إلا بالسموات ، ولاالسموات إلا بالملائكة ، فإن الكل كالشيء الواحد يرتبط البعض منه بالبعض ارتباط أعضاء البدن بعضها ببعض ، فإذن قد كفر كل نعمة فى الوجود من منتهى الثريا إلى منتهى الثرى فلم يبق فلك ولاملك ولاحيوان ولانبات ولاجماد إلا ويلعنه ، ولذا ورد فى الأخبار أن البقعة التى يجتمع فيها الناس إما أن تلعنهم إذا تفرقوا أو تستغفر لهم (١) وكذلك ورد أن العالم يستغفر

(١) حديث « ان البقعة التى اجتمع فيها الناس تلعنهم أو تستغفر لهم » لم أجد له أصلا .

له كل شيء حتى الحوت فى البحر [١] وأن الملائكة يلعنون العصاة [٢] فى ألفاظ كثيرة لا يمكن إحصاؤها ، وكل ذلك إشارة إلى أن العاصى بتطريفة واحدة جنى على جميع ما فى الملك والملكوت ، وقد أهلك نفسه إلا أن يتبع السيئة بحسنة تمحوها ، فيتبدل اللعن بالاستغفار ، فعسى الله أن يتوب عليه ويتجاوز عنه . وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام « يا أيوب ما من عبدلى من الآدميين إلا ومعه ملكان ، فإذا شكرنى على نعمائى قال الملكان : اللهم زده نعما على نعم ، فإنك أهل الحمد والشكر ، فكن من الشاكرين قريبا فكفى بالشاكرين علو رتبة ، وعندى أنى أشكر شكرهم وملائكتى يدعون لهم والبقاع تحبهم والآثار تبكى عليهم » .

وكما عرفت أن فى كل طرفة عين نعما كثيرة ، فاعلم أن فى كل نفس ينبسط وينقبض نعمتين ، إذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم يخرج لهلك ، وبانقباضه يجمع روح الهواء إلى القلب ولو سد متنفسه لاحترق قلبه بانقطاع روح الهواء وبرودته عنه وهلك ، بل اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة وفى كل ساعة قريب من ألف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات ، فعليك فى كل لحظة آلاف آلاف نعمة فى كل جزء من أجزاء بدنك ، بل فى كل جزء من أجزاء العالم ، فانظر هل يتصور إحصاء ذلك أم لا ؟ ولما انكشف لموسى عليه السلام حقيقة قوله تعالى ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ قال : إلهى كيف أشكرك ولك فى كل شعرة من جسدى نعمتان : أن ليّنت أصلها ، وأن طمست رأسها ؟ وكذا ورد فى الأثر : أن من لم يعرف نعم الله فى مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه .

وجميع ما ذكرناه يرجع إلى المطعم والمشرب فاعتبر ما سواه من النعم به ، فإن البصير لا تقع عينه فى العالم على شيء ولا يلم خاطره بموجود إلا ويتحقق أن لله فيه نعمة عليه ، فلنترك الاستقصاء والتفصيل فإنه طمع فى غير مطمع .

بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر

اعلم أنه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة إلا الجهل والغفلة ، فإنهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ، ولا يتصور شكر النعمة إلا بعد معرفتها ، ثم إنهم إن عرفوا نعمة ظنوا أن الشكر عليها أن يقول بلسانه : الحمد لله ، الشكر لله . ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة فى إتمام الحكمة التى أريدت بها وهى طاعة الله عز وجل فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين إلا غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان .

أما الغفلة عن النعم فلها أسباب ، وأحد أسبابها أن الناس بجهلهم لا يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم فى جميع أحوالهم نعمة ، فلذلك لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من النعم لأنها عامة للخلق مبذولة لهم فى جميع أحوالهم ، فلا يرى كل واحد لنفسه منهم اختصاصا به فلا يعده نعمة ، ولا تراهم يشكرون الله على روح الهواء ، ولو أخذ بمختنقهم لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ماتوا ولو حبسوا فى بيت حمام فيه هواء حار أو فى بئر فيه هواء ثقل برطوبة الماء ماتوا غما ؛ فإن ابتلى واحد منهم بشيء من ذلك ثم نجا ربما قدر ذلك نعمة وشكر الله عليها ، وهذا غاية الجهل إذ صار شكرهم موقوفا على أن تسلب عنهم النعمة ثم ترد عليهم فى بعض الأحوال ، والنعمة فى جميع الأحوال أولى بأن تشكر فى بعضها ؛ فلا ترى البصير يشكر صحة بصره إلا أن تعمى عينيه ، فعند ذلك لو أعيد عليه بصره

---

(١) حديث « إن العالم ليستغفر له كل شيء حتى الحوت فى البحر » تقدم فى العلم (٢) حديث « إن الملائكة يلعنون العصاة » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة الملائكة تلعن أحدكم إذا أشار الى أخيه بحديدة وإن كان أخاه لأبيه وأمه .

أحس به وشكره وعدّه نعمة ، ولما كانت رحمة الله واسعة عمم الخلق وبذل لهم فى جميع الأحوال فلم يعدّه الجاهل نعمة ، وهذا الجاهل مثل العبد السوء حقه أن يضرب دائما ، حتى إذا ترك ضربه ساعة تقلد به منة ، فإن ترك ضربه على الدوام غلبه البطر وترك الشكر ، فصار الناس لا يشكرون إلا المال الذى يتطرق الاختصاص إليه من حيث الكثرة والقلة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم ، كما شكا بعضهم فقره إلى بعض أرباب البصائر وأظهر شدة اغتمامه به فقال له : أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم ؟ فقال : لا فقال : أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال لا : فقال : أيسرك أن أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفا ؟ فقال : لا ، فقال: أيسرك أنك مجنون ولك عشر آلاف درهم ؟ فقال : لا ، فقال : أما تستحى أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفا !

وحكى أن بعض القراء اشتد به الفقر حتى ضاق به ذرعا ، فرأى فى المنام كأنّ قائلا يقول له : تود أنا أنسيناك من القرآن سورة الأنعام وأن لك ألف دينار ؟ قال : لا ، قال : فسورة هود ؟ قال : لا ، قال : فسورة يوسف؟ قال : لا ، فعدّد عليه سوراً ثم قال : فمعك قيمة مائة ألف دينار وأنت تشكو ، فأصبح وقد سرى عنه .

ودخل ابن السماك على بعض الخلفاء وبيده كوز ماء يشربه ، فقال له : عظنى ! فقال: لو لم تعط هذه الشربة إلا ببذل جميع أموالك وإلا بقيت عطشان فهل كنت تعطيه ؟ قال : نعم ، فقال : لو لم تعط إلا بملكك كله فهل كنت تتركه ؟ قال : نعم . قال : فلا تفرح بملك لا يساوى شربة ماء .

فبهذا تبين أن نعمة الله تعالى على العبد فى شربة ماء عند العطش أعظم من ملك الأرض كلها ، وإذا كانت الطباع مائلة إلى اعتداد النعمة الخاصة دون العامة — وقد ذكرنا النعم العامة — فلنذكر إشارة وجيزة إلى النعم الخاصة فنقول : مامن عبد إلا ولو أمعن النظر فى أحواله رأى من الله نعمة أو نعما كثيرة تخصه لا يشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس وربما لا يشاركه فيها أحد ، وذلك يعترف به كل عبد فى ثلاثة أمور : فى العقل ، والخلق ، والعلم .

أما العقل . فما من عبد لله تعالى إلا وهو راض عن الله فى عقله يعتقد أنه أعقل الناس ، وقل من يسأل الله العقل ، وإنّ من شرف العقل أن يفرح به الخالى عنه كما يفرح به المتصف به ، فإذا كان اعتقاده أنه أعقل الناس فواجب عليه أن يشكره ، لأنه إن كان كذلك فالشكر واجب عليه ، وإن لم يكن ولكنه يعتقد أنه كذلك فهو نعمة فى حقه ، فمن وضع كنزا تحت الأرض فهو يفرح به ويشكره عليه ، فإن أخذ الكنز من حيث لا يدرى فيبقى فرحه بحسب اعتقاده ويبقى شكره لأنه فى حقه كالباقى .

وأما الخلق فما من عبد إلا ويرى من غيره عيوبا يكرهها وأخلاقا يذمها ، وإنما يذمها من حيث يرى نفسه بريئا عنها ، فإذا لم يشتغل بذم الغير فينبغى أن يشتغل بشكر الله تعالى إذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيء .

وأما العلم فما من أحد إلا ويعرف بواطن أمور نفسه وخفايا أفكاره وما هو منفرد به ، ولو كشف الغطاء حتى اطلع عليه أحد من الخلق لافتضح ، فكيف لو اطلع الناس كافة ! فإذن لكل عبد علم بأمر خاص لا يشاركه فيه أحد من عباد الله ، فلم لا يشكر ستر الله الجميل الذى أرسله على وجه مساويه فأظهر الجميل وستر القبيح وأخفى ذلك عن أعين الناس وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه أحد ؛ فهذه ثلاثة من النعم خاصة يعترف بها كل عبد إما مطلقا . وأما فى بعض الأمور فلننزل عن هذه الطبقة إلى طبقة أخرى أعم منها قليلا ، فنقول : مامن عبد إلا وقد رزقه الله تعالى فى صورته أو شخصه أو أخلاقه أو صفاته أو أهله أو ولده أو مسكنه أو بلده أو رفيقه أو أقاربه أو عزه أو جاهه أو فى سائر محابه أموراً

لو سلب ذلك منه وأعطى ماخصص به غيره لكان لايرضى به ، وذلك مثل أن جعله مؤمنا لا كافرا وحيا لا جمادا وإنسانا لا بهيمة وذكرا لا أنثى وصحيحا لا مريضا وسليما لامعيبا ؛ فإنّ كل هذه خصائص ، وإن كان فيها عموم أيضا فإن هذه الأحوال لو بدلت بأضدادها لم يرض بها ، بل له أمور لا يبدلها بأحوال الآدميين أيضا ، وذلك إما أن يكون بحيث لايبدله بما خص به أحد من الخلق أو لا يبدله بما خص به الأكثر ؛ فإذا كان لايبدل حال نفسه بحال غيره فإذن حاله أحسن من حال غيره وإذا كان لايعرف شخص يرتضى لنفسه حالة بدلا عن حال نفسه إما على الجملة وإما فى أمر خاص ؛ فإذن لله تعالى عليه نعم ليست له على أحد من عباده سواه، وإن كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فلينظر إلى عدد المغبوطين عنده فإنه لا محالة يراهم أقل بالإضافة إلى غيرهم ، فيكون من دونه فى الحال أكثر بكثير مما هو فوقه ، فما باله ينظر إلى من فوقه ليزدرى نعم الله تعالى على نفسه ، ولا ينظر إلى من دونه ليستعظم نعم الله عليه ، وما باله لا يسوى دنياه بدينه ، أليس إذا لامته نفسه على سيئة يقارفها يعتذر إليها بأن فى الفساق كثرة ! فينظر أبدا فى الدين إلى من دونه لا إلى من فوقه ، فلم لا يكون نظره فى الدنيا كذلك ؟ فإذا كان حال أكثر الخلق فى الدين خير منه ، وحاله فى الدنيا خير من حال أكثر الخلق ، فكيف لا يلزمه الشكر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « من نظر فى الدنيا إلى من هو دونه ونظر فى الدين إلى من هو فوقه كتبه الله صابرا وشاكرا. ومن نظر فى الدنيا إلى من هو فوقه وفى الدين إلى من هو دونه لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا [1] » فإذن كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد لله تعالى على نفسه نعما كثيرة لا سيما من خص بالسنة والإيمان والعلم والقرآن ثم الفراغ والصحة والأمن وغير ذلك ، ولذلك قيل :

من شاء عيشا رحيبا يستطيل به ... فى دينه ثم فى دنياه إقبالا
فلينظرن إلى من فوقه ورعا ... ولينظرن إلى من دونه مالا

وقال صلى الله عليه وسلم « من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله [2] » وهذا إشارة إلى نعمة العلم. وقال عليه السلام « إن القرآن هو الغنى الذى لا غنى بعده ولا فقر معه [3] » وقال عليه السلام « من أتاه الله القرآن فظن أنّ أحدا أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يتغن بالقرآن [5] » وقال عليه السلام « كفى باليقين غنى [6] » وقال بعض السلف : يقول الله تعالى فى بعض الكتب المنزلة « إن عبدا أغنيته عن ثلاثة لقد أتممت عليه نعمتى : عن سلطان يأتيه ، وطبيب يداويه ، وعما فى يد أخيه » وعبر الشاعر عن هذا فقال:

إذا ما القوت يأتيك كذا ... الصحة والأمن
وأصبحت أخا حزن ... فلا فارقك الحزن

---

(١) حديث « من نظر فى الدنيا الى من هو دونه ونظر فى الدين الى من هو فوقه كتبه الله صابرا شاكرا... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو وقال غريب ، وفيه المثنى بن الصباح ضعيف . (٢) حديث « من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله » لم أجده بهذا اللفظ . (٣) حديث « ان القرآن هو الغناء الذى لاغناء بعده ولا فقر معه » أخرجه أبو يعلى والطبرانى من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ « ان القرآن غنى لافقر بعده ولاغنى دونه » قال الدارقطنى رواه أبو معاوية عن الأعمش عن يزيد الرقاشى عن الحسن مرسلا ، وهو أشبه بالصواب .

(٤) حديث « من آتاه الله القرآن فظن أن أحدا أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله » أخرجه البخارى فى التاريخ من حديث رجاء الغنوى بلفظ « من آتاه الله حفظ كتابه وظن أن أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد صغر أعظم النعم » وقد تقدم فى فضل القرآن ، ورجاء مختلف فى صحبته . وورد من حديث عبدالله بن عمرو وجابر والبراء نحوه وكلها ضعيفة (٥) حديث « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » تقدم فى آداب التلاوة . (٦) حديث « كفى باليقين غنى » رواه الطبرانى من حديث عقبة بن عامر ، ورواه ابن أبى الدنيا فى القناعة موقوفا عليه ، وقد تقدم .

بل أرشق العبارات وأفصح الكلمات كلام أفصح من نطق بالضاد حيث عبر صلى الله عليه وسلم عن هذا المعنى فقال من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه : فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها [1] ، ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور وراء هذه الثلاث ؛ مع أنها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله فى هذه الثلاث ولا يشكرون نعمة الله عليهم فى الإيمان الذى به وصولهم إلى النعيم المقيم والملك العظيم ، بل البصير ينبغى أن لايفرح إلا بالمعرفة واليقين والإيمان ، بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم إليه جميع مادخل تحت قدرة ملوك الأرض من المشرق إلى المغرب من أموال وأتباع وأنصار وقيل له خذها عوضا عن علمك بل عن عشر عشير علمك : لم يأخذه ، وذلك لرجائه أن نعمة العلم تفضى به إلى قرب الله تعالى فى الآخرة ، بل لو قيل له لك فى الآخرة ما ترجوه بكماله ، فخذ هذه اللذات فى الدنيا بدلا عن التذاذك بالعلم فى الدنيا وفرحك به ، لكان لا يأخذه، لعلمه بأن لذة العلم دائمة لاتنقطع وباقية لا تسرق ولا تغصب ولا ينافس فيها وأنها صافية لا كدورة فيها ، ولذات الدنيا كلها ناقصة مكدرة مشوشة لايفى مرجوها بمخوفها ولالذتها بألمها ولافرحها بغمها ، هكذا كانت إلى الآن ، وهكذا تكون مابقى من الزمان إذ ماخلقت لذات الدنيا إلا لتجلب بها العقول الناقصة وتخدع ، حتى إذا انخدعت وتقيدت بها أبت عليها واستعصت ، كالمرأة الجميل ظاهرها تتزين للشاب الشبق الغنى ، حتى إذا تقيد بها قلبه استعصت عليه واحتجبت عنه فلا يزال معها فى تعب قائم وعناء دائم ، وكل ذلك باغتراره بلذة النظر إليها فى لحظة ، ولو عقل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم جميع عمره ، فهكذا وقعت أرباب الدنيا فى شباك الدنيا وحبائلها ، ولا ينبغى أن نقول إن المعرض عن الدنيا متألم بالصبر عنها ، فإن المقبل عليها أيضا متألم بالصبر عليها وحفظها وتحصيلها ودفع اللصوص عنها ، وتألم المعرض يفضى إلى لذة فى الآخرة وتألم المقبل يفضى إلى الألم فى الآخرة ، فليقرأ المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى ﴿ ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ، إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون ﴾ فإذن إنما انسد طريق الشكر على الخلق لجهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة .

* فإن قلت : فما علاج هذه القلوب الغافلة حتى تشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر ؟ فأقول : أما القلوب البصيرة فعلاجها التأمل فيما رمزنا إليه من أصناف نعم الله تعالى العامة . وأما القلوب البليدة التى لاتعد النعمة نعمة إلا إذا خصتها أو شعرت بالبلاء معها ، فسبيله أن ينظر أبدا إلى من دونه ويفعل ما كان يفعله بعض الصوفية ، إذ كان كل يوم يحضر دار المرضى والمقابر والمواضع التى تقام فيها الحدود ، فكان يحضر دار المرضى ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم ثم يتأمل فى صحته وسلامته فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره ببلاء الأمراض ويشكر الله تعالى ، ويشاهد الجناة الذين يقتلون وتقطع أطرافهم ويعذبون بأنواع العذاب ليشكر الله تعالى على عصمته من الجنايات ومن تلك العقوبات ويشكر الله تعالى على نعمة الأمن ، ويحضر المقابر فيعلم أن أحب الأشياء إلى الموتى أن يردوا إلى الدنيا ولو يوما واحدا ، أما من عصى الله تعالى فليتدارك ، وأما من أطاع فليزد فى طاعته، فإن يوم القيامة يوم التغابن ، فالمطيع مغبون إذ يرى جزاء طاعته فيقول : كنت أقدر على أكثر من هذه الطاعات فما أعظم غبنى إذ ضيعت بعض الأوقات فى المباحات ، وأما العاصى فغبنه ظاهر ، فإذا شاهد المقابر وعلم أن أحب الأشياء إليهم أن يكون قد بقى لهم من العمر مابقى له ، فيصرف بقية العمر إلى ما يشتهى أهل القبور العود لأجله ليكون ذلك معرفة لنعم الله تعالى فى بقية العمر ، بل فى الإمهال فى كل نفس من الأنفاس ، وإذا عرف تلك النعمة شكر بأن يصرف العمر إلى ما خلق العمر لأجله وهو التزود من الدنيا للآخرة ، فهذا علاج هذه القلوب الغافلة لتشعر بنعم الله تعالى

(١) حديث « من أصبح آمنا فى سربه ... الحديث » تقدم غير مرة .

فعساها تشكر . وقد كان الربيع بن خيثم مع تمام استبصاره يستعين بهذه الطريق تأكيدا للمعرفة ، فكان قد حفر في داره قبرا فكان يضع غلا في عنقه وينام في لحده ثم يقول ﴿ رب ارجعون لعلي أعمل صالحا ﴾ ثم يقوم ويقول: يا ربيع قد أعطيت ما سألت ، فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا ترد .

ومما ينبغي أن تعالج به القلوب البعيدة عن الشكر : أن تعرف أن النعمة إذا لم تشكر زالت ولم تعد ، ولذلك كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول : عليكم بملازمة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم. وقال بعض السلف : النعم وحشية فقيدوها بالشكر . وفي الخبر « ماعظمت نعمة الله تعالى على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال [1] » وقال الله سبحانه وتعالى ﴿ إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ فهذا تمام هذا الركن .

الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر

فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط أحدهما بالآخر

بيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد

لعلك تقول : ماذكرته في النعم إشارة إلى أن لله تعالى في كل موجود نعمة ؛ وهذا يشير إلى أن البلاء لاوجود له أصلا ، فما معنى الصبر إذن . وإن كان البلاء موجودا فما معنى الشكر على البلاء . وقد ادعى مدعون أنا نشكر على البلاء فضلا عن الشكر على النعمة ، فكيف يتصور الشكر على البلاء ، وكيف يشكر على مايصبر عليه والصبر على البلاء يستدعي ألما والشكر يستدعي فرحا وهما يتضادان ، وما معنى ماذكرتموه من أن الله تعالى في كل ما أوجده نعمة على عباده ؟ فاعلم أن البلاء موجود كما أن النعمة موجودة ، والقول بإثبات النعمة يوجب القول بإثبات البلاء لأنهما متضادان ، ففقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء ، ولكن قد سبق أن النعمة تنقسم إلى نعمة مطلقة من كل وجه : أما في الآخرة فكسعادة العبد بالنزول في جوار الله تعالى ، وأما في الدنيا فكالإيمان وحسن الخلق ومايعين عليهما ، وإلى نعمة مقيدة من وجه دون وجه : كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه ، فكذلك البلاء ينقسم إلى مطلق ومقيد : أما المطلق في الآخرة فالبعد من الله تعالى إما مدة وأما أبدا . وأما في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي تفضي إلى البلاء المطلق . وأما المقيد فكالفقر والمرض والخوف وسائر أنواع البلاء التي لاتكون بلاء في الدين بل في الدنيا ، فالشكر المطلق للنعمة المطلقة . وأما البلاء المطلق في الدنيا فقد لايؤمر بالصبر عليه لأن الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذا المعصية ، بل حق الكافر أن يترك كفره وكذا حق العاصي ، نعم الكافر قد لايعرف أنه كافر فيكون كمن به علة وهو لايتألم بسبب غشية أو غيرها فلا صبر عليه ، والعاصي يعرف أنه عاص فعليه ترك المعصية ، بل كل بلاء يقدر الإنسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه ، فلو ترك الإنسان الماء مع طول العطش حتى عظم تألمه فلا يؤمر بالصبر عليه بل يؤمر بإزالة الألم ، وإنما الصبر على ألم ليس إلى العبد إزالته ، فإذن يرجع الصبر في الدنيا إلى ماليس ببلاء مطلق ، بل يجوز أن يكون نعمة من وجه فلذلك يتصور أن يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر ؛ فإن الغنى مثلا يجوز أن يكون

---

(١) حديث « ماعظمت نعمة الله على عبد الا كثرت حوائج الناس اليه .:. الحديث » أخرجه ابن عدى وابن حبان في الضعفاء من حديث معاذ بن جبل بلفظ « الا عظمت مؤنة الناس عليه ، فمن لم يحتمل تلك المؤنة... الحديث ». ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عباس وقال : انه موضوع على حجاج الأعور .

سببا لهلاك الإنسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل وتقتل أولاده ، والصحة أيضا كذلك ؛ فما من نعمة من هذه النعم الدنيوية إلا ويجوز أن تصير بلاء ولكن بالإضافة إليه ، فكذلك مامن بلاء إلا ويجوز أن يصير نعمة ولكن بالإضافة إلى حالة ؛ فرب عبد تكون الخيرة له فى الفقر والمرض ، ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبغى ؛ قال الله تعالى ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ﴾ وقال تعالى ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليحمى عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما يحمى أحدكم مريضه [1] » وكذلك الزوجة والولد والقريب ، وكل ماذكرناه فى الأقسام الستة عشر من النعم سوى الإيمان وحسن الخلق فإنها يتصور أن تكون بلاء فى حق بعض الناس فتكون أضدادها إذن نعما فى حقهم ، إذ سبق أن المعرفة كمال ونعمة فإنها صفة من صفات الله تعالى ، ولكن قد تكون على العبد فى بعض الأمور بلاء ويكون فقدها نعمة ، مثاله : جهل الإنسان بأجله فإنه نعمة عليه ، إذ لو عرفه ربما تنغص عليه العيش وطال بذلك غمه ؛ وكذلك، جهله بما يضمره الناس عليه من معارفه وأقاربه نعمة عليه ، إذ لو رفع الستر واطلع عليه لطال ألمه وحقده وحسده واشتغاله بالانتقام ؛ وكذلك جهله بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه ، إذ لو عرفها أبغضه وآذاه وكان ذلك وبالا عليه فى الدنيا والآخرة ، بل جهله بالصفات المحمودة فى غيره قد يكون نعمة عليه فإنه ربما يكون وليا لله تعالى وهو يضطر إلى إيذائه وإهانته ، ولو عرف ذلك وآذى كان إثمه لا محالة أعظم ، فليس من آذى نبيا أو وليا وهو يعرف كمن آذى وهو لا يعرف . ومنها : إبهام الله تعالى أمر القيامة ، وإبهامه ليلة القدر ، وساعة يوم الجمعة ، وإبهامه بعض الكبائر ، فكل ذلك نعمة لأن هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد ، فهذه وجوه نعم الله تعالى فى الجهل فكيف فى العلم . وحيث قلنا إن لله تعالى فى كل موجود نعمة فهو حق ، وذلك مطرد فى حق كل أحد ، ولا يستثنى عنه بالظن إلا الآلام التى يخلقها فى بعض الناس ، وهى أيضا قد تكون نعمة فى حق المتألم بها ، فإن لم تكن نعمة فى حقه كالألم الحاصل من المعصية كقطعه يد نفسه ووشمه بشرته فإنه يتألم به وهو عاص به، وألم الكفار فى النار فهو أيضا نعمة ولكن فى حق غيرهم من العباد لا فى حقهم ، لأن مصائب قوم عند قوم فوائد . ولولا أن الله تعالى خلق العذاب وعذب به طائفة لما عرف المتنعمون قدر نعمه ولو كثر فرحهم بها ، ففرح أهل الجنة إنما يتضاعف إذا تفكروا فى آلام أهل النار . أما ترى أهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم إليه من حيث إنها عامة مبذولة ، ولا يشتد فرحهم بالنظر إلى زينة السماء وهى أحسن من كل بستان لهم فى الأرض يجتهدون فى عمارته ، ولكن زينة السماء لما عمت لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها ، فإذن قد صح ماذكرناه من أن الله تعالى لم يخلق شيئا إلا وفيه حكمة ، ولا خلق شيئا إلا وفيه نعمة إما على جميع عباده أو على بعضهم ، فإذن فى خلق الله تعالى البلاء نعمة أيضا إما على المبتلى أو على غير المبتلى ، فإذن كل حالة لا توصف بأنها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة ، فيجتمع فيها على العبد وظيفتان : الصبر والشكر جميعا .

* فإن قلت : فهما متضادان فكيف يجتمعان ؟ إذ لا صبر إلا على غم ، ولا شكر إلا على فرح ؟ فاعلم أن الشيء الوحيد قد يغتم به من وجه ويفرح به من وجه آخر ، فيكون الصبر من حيث الاغتمام ، والشكر من حيث الفرح . وفى كل فقر ومرض وخوف وبلاء فى الدنيا خمسة أمور ينبغى أن يفرح الغافل بها ويشكر عليها . (أحدها) أن كل مصيبة ومرض فيتصور أن يكون أكبر منها ، إذ مقدورات الله تعالى لا تتناهى فلو ضعفها الله

(١) حديث « إن الله ليحمى عبده من الدنيا ... الحديث » أخرجه الترمذى وحسنه والحاكم وصححه ، وقد تقدم .

تعالى وزادها ماذا كان يرده ويحجزه ، فليشكر إذ لم تكن أعظم منها فى الدنيا . (الثانى) أنه كان يمكن أن تكون مصيبته فى دينه : قال رجل لسهل رضى الله تعالى عنه : دخل اللص بيتى وأخذ متاعى ! فقال : اشكر الله تعالى ، لو دخل الشيطان قلبك فأفسد التوحيد ماذا كنت تصنع ؟ ولذلك استعاذ عيسى عليه الصلاة والسلام فى دعائه إذ قال : اللهم لا تجعل مصيبتى فى دينى . وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : ما ابتليت ببلاء إلا كان لله تعالى على فيه أربع نعم : إذ لم يكن فى دينى ، وإذ لم يكن أعظم منه ، وإذ لم أحرم الرضا به ، وإذ أرجو الثواب عليه. وكان لبعض أرباب القلوب صديق فحبسه السلطان ، فأرسل إليه يعلمه ويشكو إليه ، فقال له : اشكر الله فضربه ؛ فأرسل إليه يعلمه ويشكو إليه ، فقال : اشكر الله ، فجىء بمجوسى فحبس عنده وكان مبطونا فقيد وجعل حلقة من قيده فى رجله وحلقة فى رجل المجوسى ، فأرسل إليه فقال : اشكر الله ، فكان المجوسى يحتاج إلى أن يقوم مرات وهو يحتاج إلى أن يقوم معه ويقف على رأسه حتى يقضى حاجته ، فكتب إليه بذلك ، فقال : اشكر الله ، فقال : إلى متى هذا ، وأى بلاء أعظم من هذا ؟ فقال : لو جعل الزنار الذى فى وسطه على وسطك ماذا كنت تصنع؟ فإذن ما من إنسان أصيب ببلاء إلا ولو تأمل حق التأمل فى سوء أدبه ظاهرا وباطنا فى حق مولاه لكان يرى أنه يستحق أكثر مما أصيب به عاجلا وآجلا ، ومن استحق عليك أن يضربك مائة سوط فاقتصر على عشرة فهو مستحق للشكر ، ومن استحق عليك أن يقطع يديك فترك إحداهما فهو مستحق للشكر . ولذلك مر بعض الشيوخ فى شارع فصب على رأسه طشت من رماد ، فسجد لله تعالى سجدة الشكر ، فقيل له : ما هذه السجدة ؟ فقال : كنت أنتظر أن تصب على النار ، فالاقتصار على الرماد نعمة ، وقيل لبعضهم : لا تخرج إلى الاستسقاء فقد احتبست الأمطار ! فقال : أنتم تستبطئون المطر وأنا أستبطئ الحجر .

* فإن قلت : كيف أفرح وأرى جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتى ولم يصابوا بما أصبت به حتى الكفار ؟ فاعلم أن الكافر قد خبئ له ما هو أكثر ، وإنما أمهل حتى يستكثر من الإثم ويطول عليه العقاب ، كما قال تعالى ﴿ إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ﴾ وأما المعاصى فمن أين تعلم أن فى العالم من هو أعصى منه ، ورب خاطر بسوء أدب فى حق الله تعالى وفى صفاته أعظم وأطم من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصى بالجوارح ، ولذلك قال تعالى فى مثله ﴿ وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ﴾ فمن أين تعلم أن غيرك أعصى منك ، ثم لعله قد أخرت عقوبته إلى الآخرة وعجلت عقوبتك فى الدنيا فلم لا تشكر الله تعالى على ذلك . وهذا هو الوجه الثالث فى الشكر : وهو أنه ما من عقوبة إلا وكان يتصور أن تؤخر إلى الآخرة ومصائب الدنيا يتسلى عنها بأسباب أخر تهون المصيبة فيخف وقعها ، ومصيبة الآخرة تدوم ، وإن لم تدم فلا سبيل إلى تخفيفها بالتسلى ، إذ أسباب التسلى مقطوعة بالكلية فى الآخرة عن المعذبين ، ومن عجلت عقوبته فى الدنيا فلا يعاقب ثانيا ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ العبد إذا أذنب ذنبا فأصابته شدّة أو بلاء فى الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه ثانيا [1] » . (الرابع) أن هذه المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه فى أم الكتاب وكان لا بدّ من وصولها إليه وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها أو من جميعها ، فهذه نعمة . (الخامس) أن ثوابها

(١) حديث « إن العبد إذا أذنب ذنبا فأصابه شدة وبلاء فى الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه ثانيا » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث على « من أصاب فى الدنيا ذنبا عوقب به فالله أعدل من أن يثنى عقوبته على عبده ... الحديث » لفظ ابن ماجه . وقال الترمذى « من أصاب حدا فعجل عقوبته فى الدنيا » وقال حسن . وللشيخين من حديث عبادة بن الصامت « ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له ... الحديث » .

أكثر منها فإن مصائب الدنيا طرق إلى الآخرة من وجهين ، أحدهما : الوجه الذى يكون به الدواء الكريه نعمة فى حق المريض ويكون المنع من أسباب اللعب نعمة حق الصبى ، فإنه لو خلى واللعب كان يمنعه ذلك عن العلم والأدب ، فكان يخسر جميع عمره ، فكذلك المال والأهل والأقارب والأعضاء حتى العين التى هى أعز الأشياء قد تكون سبباً لهلاك الإنسان فى بعض الأحوال ، بل العقل الذى هو أعز الأمور قد يكون سببا لهلاكه ، فالملحدة غدا يتمنون لو كانوا مجانين أو صبيانا ولم يتصرفوا بعقولهم فى دين الله تعالى ، فما من شيء من هذه الأسباب يوجد من العبد إلا ويتصور أن يكون له فيه خيرة دينية ، فعليه أن يحسن الظن بالله تعالى ويقدر فيه الخيرة ويشكره عليه ، فإن حكمة الله واسعة وهو بمصالح العباد أعلم من العباد ، وغدا يشكره العباد على البلايا إذا رأوا ثواب الله على البلايا ، كما يشكر الصبى بعد العقل والبلوغ أستاذه وأباه على ضربه وتأديبه ، إذ يدرك ثمرة ما استفاده من التأديب ، والبلاء من الله تعالى تأديب وعنايته بعباده أتم وأوفر من عناية الآباء بالأولاد ، فقد روى أنّ رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أوصنى قال « لا تتهم الله فى شيء قضاه عليك [1] » ونظر صلى الله عليه وسلم إلى السماء فضحك ، فسئل فقال « عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن : إن قضى له بالسراء رضى وكان خيرا له وإن قضى له بالضراء رضى وكان خيرا له [2] » الوجه الثانى : أنّ رأس الخطايا المهلكة حب الدنيا ، ورأس أسباب النجاة التجافى بالقلب عن دار الغرور ، ومواتاة النعم على وفق المراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة تورث طمأنينة القلب إلى الدنيا وأسبابها وأنسه بها حتى تصير كالجنة فى حقه ، فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقته ، وإذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن إليها ولم يأنس بها وصارت سجنا عليه ، وكانت نجاته منها غاية اللذة كالخلاص من السجن ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر [3] » والكافر كل من أعرض عن الله تعالى ولم يرد إلا الحياة الدنيا ورضى بها واطمأنّ إليها ، والمؤمن كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الحنين إلى الخروج منها ، والكفر بعضه ظاهر وبعضه خفى ، وبقدر حب الدنيا فى القلب يسرى فيه الشرك الخفى ، بل الموحد المطلق هو الذى لا يحب إلا الواحد الحق ؛ فإذن فى البلاء نعم من هذا الوجه فيجب الفرح به ، وأما التألم فهو ضرورى ، وذلك يضاهى فرحك عند الحاجة إلى الحجامة بمن يتولى حجامتك مجانا ، أو يسقيك دواء نافعا بشعا مجانا ، فإنك تتألم وتفرح فتصبر على الألم وتشكره على سبب الفرح ، فكل بلاء فى الأمور الدنيوية مثاله الدواء الذى يؤلم فى الحال وينفع فى المآل ، بل من دخل دار ملك للنضارة وعلم أنه يخرج منها لامحالة ، فرأى وجها حسنا لايخرج معه من الدار كان ذلك وبالا وبلاء عليه لأنه يورثه الأنس بمنزل لا يمكنه المقام فيه ولو كان عليه فى المقام خطر من أن يطلع عليه الملك فيعذبه فأصابه ما يكره حتى نفره عن المقام كان ذلك نعمة عليه ، والدنيا منزل وقد دخلها الناس من باب الرحم وهم خارجون عنها من باب اللحد ؛ فكل ما يحقق أنسهم بالمنزل فهو بلاء ، وكل مايزعج قلوبهم عنها ويقطع أنسهم بها فهو نعمة ؛ فمن عرف هذا تصور منه أن يشكر على البلايا ، ومن لم يعرف هذه النعم فى البلاء لم يتصور منه الشكر ؛ لأنّ الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة ،

---

(١) حديث : قال له رجل أوصنى قال « لاتتهم الله فى شيء قضاه عليك » رواه أحمد والطبرانى من حديث عبادة بزيادة فى أوله ، وفى اسناده ابن لهيعة . (٢) حديث : نظر الى السماء فضحك . فسئل فقال « عجبت لقضاء الله المؤمن ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث صهيب دون نظره الى السماء ، وضحكه « عجبا لأمر المؤمن ان أمره كله خير وليس ذلك لأحد الا للمؤمن ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » وللنسائى فى اليوم والليلة من حديث سعد بن أبى وقاص « عجبت من رضا الله للمؤمن ان أصابه خير حمد ربه وشكر .. الحديث » (٣) حديث « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة ، وقد تقدم .

ومن لا يؤمن بأن ثواب المصيبة أكبر من المصيبة لم يتصور منه الشكر على المصيبة . وحكى أن أعرابيا عزى ابن عباس على أبيه فقال :

اصبر نكن بك صابرين فإنما * صبر الرعية بعد صبر الراس
خير من العباس أجرك بعده * والله خير منك للعباس

فقال ابن عباس : ماعزانى أحد أحسن من تعزيته .

والأخبار الواردة فى الصبر على المصائب كثيرة : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من يرد الله به خيرا يصب منه [1] » وقال صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى « إذا وجهت إلى عبد من عبيدى مصيبة فى بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا » وقال عليه السلام « ما من عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله تعالى ﴿ إنا لله وإنه إليه راجعون ﴾ اللهم أجرنى فى مصيبتى وأعقبنى خيرا منها إلا فعل الله ذلك به » وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى « من سلبته كريمتيه فجزاؤه الخلود فى دارى والنظر إلى وجهى » وروى أن رجلا قال يارسول الله ذهب مالى وسقم جسمى فقال صلى الله عليه وسلم لا خير فى عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه ، إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه وإذا ابتلاه صبره [2] » وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « إن الرجل لتكون له الدرجة عند الله تعالى لا يبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء فى جسمه فيبلغها بذلك [3] » وعن خباب بن الأرت قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردائه فى ظل الكعبة فشكونا إليه فقلنا : يارسول الله ، ألا تدعو الله تستنصره لنا ؟ فجلس محمرا لونه ثم قال « إن من كان قبلكم ليؤتى بالرجل فيحفر له فى الأرض حفيرة ويجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل فرقتين مايصرفه ذلك عن دينه [4] » وعن على كرم الله وجهه قال : أيما رجل حبسه السلطان ظلما فمات فهو شهيد ، وإن ضربه فمات فهو شهيد وقال عليه السلام « من إجلال الله ومعرفة حقه أن لاتشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك » وقال أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه : تولدون للموت وتعمرون للخراب وتحرصون على مايفنى وتذرون مايبقى ، ألا حبذا المكروهات الثلاث : الفقر والمرض والموت . وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « إذا أراد الله تعالى بعبد خيرا وأراد أن يصافيه صب عليه البلاء صبا وثجه عليه ثجا ، فإذا دعاه قالت الملائكة : صوت معروف وإن دعاه ثانيا فقال يارب قال الله تعالى : لبيك عبدى وسعديك لا تسألنى شيئا إلا أعطيتك أو دفعت عنك ما هو خير وادخرت لك عندى ماهو أفضل منه ، فإذا كان يوم القيامة جىء بأهل الأعمال فوفوا أعمالهم بالميزان : أهل

---

(١) حديث « من يرد الله به خير يصب منه » رواه البخارى من حديث أبى هريرة .

(٢) حديث أن رجلا قال يارسول الله ذهب مالى وسقم جسدى فقال « لاخير فى عبد لايذهب ماله ولايسقم جسده ، إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه ، وإذا ابتلاه صبره » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب المرض والكفارات من حديث أبى سعيد الخدرى بإسناد فيه لين (٣) حديث « إن الرجل ليكون له الدرجة عند الله لايبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء فى جسمه فيبلغها بذلك » رواه أبو داود فى رواية ابن داسه ، وابن العبد من حديث محمد بن خالد السلمى عن أبيه عن جده ، وليس فى رواية اللؤلؤى . ورواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى من هذا الوجه ، ومحمد بن خالد لم يرو عنه إلا أبو المليح الحسن بن عمر الرقى ، وكذلك لم يروعن خالد إلا ابنه محمد ، وذكر أبو نعيم أن ابن منده سمى جده اللجلاج بن سليم ، فالله أعلم . وعلى هذا فابنه خالد بن اللجلاج العامرى ذاك مشهور روى عنه جماعة . ورواه ابن منده وأبو نعيم وابن عبد البر فى الصحابة من رواية عبد الله بن أبى لياس بن أبى فاطمة عن أبيه عن جده . ورواه البيهقى من رواية إبراهيم السلمى عن أبيه عن جده فالله أعلم .

(٤) حديث خباب بن الأرت : أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برداء فى ظل الكعبة فشكونا إليه الحديث ... تقدم .

الصلاة والصيام والصدقة والحج ، ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ، يصب عليهم الأجر صبا كما كان يصب عليهم البلاء صبا فيود أهل العافية فى الدنيا لو أنهم كانت تقرض أجسادهم بالمقاريض لما يرون مايذهب به أهل البلاء من الثواب (١) » فذلك قوله تعالى ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : شكا نبى من الأنبياء عليهم السلام إلى ربه فقال : يارب ، العبد المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك تزوى عنه الدنيا وتعرض له البلاء ، ويكون الكافر لا يطيعك ويجترئ عليك وعلى معاصيك تزوى عنه البلاء وتبسط له الدنيا ؛ فأوحى الله تعالى إليه « إنّ العباد لى والبلاء لى وكل يسبح بحمدى ، فيكون المؤمن عليه من الذنوب ، فأزوى عنه الدنيا وأعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه ، حتى يلقانى فأجزيه بحسناته . ويكون الكافر له الحسنات فأبسط له فى الرزق وأزوى عنه البلاء فأجزيه بحسناته فى الدنيا ، حتى يلقانى فأجزيه بسيئاته .

وروى أنه لما نزل قوله تعالى ﴿ من يعمل سوءا يجز به ﴾ قال أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه : كيف الفرح بعد هذه الآية ؟ فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « غفر الله لك يا أبا بكر ، ألست تمرض ؟ ألست يصيبك الأذى ؟ ألست تحزن ؟ فهذا مما تجزون به (٢) » يعنى أن جميع مايصيبك يكون كفارة لذنوبك . وعن عقبة بن عامر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « إذا رأيتم الرجل يعطيه الله مايحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا أن ذلك استدراج » ثم قرأ قوله تعالى ﴿ فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء ﴾ (٣) » يعنى لما تركوا ما أمروا به فتحنا عليهم أبواب الخير ﴿ حتى إذا فرحوا بما أوتوا ﴾ أى بما أعطوا من الخير أخذناهم بغتة .

وعن الحسن البصرى رحمه الله : أن رجلا من الصحابة رضى الله عنهم رأى امرأة كان يعرفها فى الجاهلية ، فكلمها ثم تركها ، فجعل الرجل يلتفت إليها وهو يمشى فصدمه حائط فأثر فى وجهه فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه فى الدنيا (٤) » وقال على كرم الله وجهه : ألا أخبركم بأرجى آية فى القرآن ؟ قالوا : بلى ، فقرأ عليهم ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ فالمصائب فى الدنيا بكسب الأوزار ؛ فإذا عاقبه الله فى الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه ثانيا ، وإن عفا عنه فى الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه يوم القيامة . وعن أنس رضى الله تعالى منه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال « ماتجرع عبد قط جرعتين أحب إلى الله من جرعة غيظ ردها بحلم ، وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها . ولا قطرت قطرة أحب إلى الله من قطرة دم أهريقت فى سبيل الله ، أو قطرة دمع فى سواد الليل وهو ساجد ولا يراه إلا الله . وما خطا عبد

---

(١) حديث أنس « إذا أراد الله بعبد خيرا وأراد أن يصافيه صب عليه البلاء صبا .. الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب المرض من رواية بكر بن خنيس عن يزيد الرقاشى عن أنس أخصر منه دون قوله « فإذا كان يوم القيامة ... إلى آخره » وبكر بن خنيس والرقاشى ضعيفان . ورواه الأصفهانى فى الترغيب والترهيب بتمامه وأدخل بين بكر وبين الرقاشى ضرار بن عمرو وهو أيضا ضعيف . (٢) حديث لما نزل قوله تعالى ﴿ من يعمل سوءا يجز به ﴾ قال أبو بكر الصديق : كيف الفرح بعد هذه الآية ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غفر الله لك يا أبا بكر ، ألست تمرض ... الحديث » ، من رواية من لم يسم عن أبى بكر ورواه الترمذى من وجه آخر بلفظ آخر وضعفه . قال : وليس له إسناد صحيح . وقال الدارقطنى : وروى أيضا من حديث عمر ومن حديث الزبير ، قال : وليس فيها شىء يثبت . (٣) حديث عقبة بن عامر « إذا رأيتم الرجل يعطيه الله مايحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا أن ذلك استدراج ... الحديث » رواه أحمد والطبرانى والبيهقى فى الشعب بسند حسن .

(٤) حديث الحسن البصرى فى الرجل الذى رأى امرأة فجعل يلتفت إليها وهو يمشى فصدمه حائط ... الحديث ، وفيه « إذا أراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه فى الدنيا » أخرجه أحمد والطبرانى بإسناد صحيح من رواية الحسن عن عبد الله بن مغفل مرفوعا ومتصلا . ووصله الطبرانى أيضاً من رواية الحسن عن عمار بن ياسر ، ورواه أيضاً من حديث ابن عباس ، وقد روى الترمذى وابن ماجه المرفوع منه من حديث أنس وحسنه الترمذى .

خطوتين أحب إلى الله تعالى من خطوة إلى صلاة الفريضة ، وخطوة إلى صلة الرحم [١] » .

وعن أبي الدرداء قال : توفى ابن لسليمان بن داود عليهما السلام فوجد عليه وجدا شديدا فأتاه ملكان فجثيا بين يديه في زي الخصوم ، فقال أحدهما : بذرت بذرا فلما استحصد مر به هذا فأفسده ، فقال للآخر : ماتقول ؟ فقال : أخذت الجادة فأتيت على زرع فنظرت يمينا وشمالا فإذا الطريق عليه . فقال سليمان عليه السلام : ولم بذرت على الطريق ، أما علمت أن لابد للناس من الطريق ؟ قال : فلم تحزن على ولدك ، أما علمت أن الموت سبيل الآخرة ؟ فتاب سليمان إلى ربه ولم يجزع على ولد بعد ذلك .

ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له مريض ، فقال : يابني ، لأن تكون في ميزاني أحب إلي من أن أكون في ميزانك ، فقال ياأبت ، لأن يكون ماتحب أحب إلي من أن يكون ماأحب .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نعى إليه ابنة له ، فاسترجع وقال : عورة ستراها الله تعالى ، ومؤنة كفاها الله وأجر قد ساقه الله تعالى ، ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال : قد صنعنا ماأمر الله تعالى : قال تعالى ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ .

وعن ابن المبارك أنه مات له ابن ، فعزاه مجوسي يعرفه ؛ فقال له : ينبغي للعاقل أن يفعل اليوم مايفعله الجاهل بعد خمسة أيام ، فقال ابن المبارك : اكتبوا عنه هذه .

وقال بعض العلماء إن الله ليبتلي العبد بالبلاء بعد البلاء حتى يمشي على الأرض وماله ذنب .

وقال الفضيل إن الله عز وجل ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالخير .

وقال حاتم الأصم إن الله عز وجل يحتج يوم القيامة على الخلق بأربعة أنفس على أربعة أجناس على الأغنياء بسليمان ، وعلى الفقراء بالمسيح ، وعلى العبيد بيوسف ، وعلى المرضى بأيوب صلوات الله عليهم

وروى أن زكريا عليه السلام لما هرب من الكفار من بني إسرائيل واختفى في الشجرة فعرفوا ذلك ، فجيء بالمنشار فنشرت الشجرة حتى بلغ المنشار إلى رأس زكريا ، فأن منه أنة ؛ فأوحى الله تعالى إليه يازكريا لئن صعدت منك أنة ثانية لأمحونك من ديوان النبوة ، فعض زكريا عليه السلام على أصبعه حتى قطع شطرين .

وقال أبو مسعود البلخي : من أصيب بمصيبة فمزق ثوبا أو ضرب صدرا فكأنما أخذ رمحا يريد أن يقاتل به ربه عز وجل .

وقال لقمان رحمه الله لابنه : يابني إن الذهب يجرب بالنار والعبد الصالح يجرب بالبلاء ، فإذا أحب الله قوما ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط .

وقال الأحنف بن قيس : أصبحت يوما اشتكي ضرسي ، فقلت لعمي : ما نمت البارحة من وجع الضرس حتى قاتها ثلاثا ، فقال : لقد أكثرت من ضرسك في ليلة واحدة ، وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلاثين سنة ما علم بها أحد . وأوحى الله تعالى إلى عزير عليه السلام « إذا نزلت بك بلية فلا تشكني إلى خلقي وأشك إلى

---

(١) حديث أنس « ماتجرع عبد قط جرعتين أحب إلى الله من جرعة غيظ ردها بحلم ، وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها ... الحديث » أخرجه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث علي بن أبي طالب دون ذكر الجرعتين ، وفيه محمد بن صدقة وهو الفلكي منكر الحديث . وروى ابن ماجه من حديث ابن عمر بإسناد جيد : مامن جرعة أعظم عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله . وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة « ماقطر في الأرض قطرة أحب إلى الله عزوجل من دم رجل مسلم في سبيل الله ، أو قطرة دمع في سواد الليل ... الحديث » وفيه محمد بن صدقة ، وهو الفلكي المنكر الحديث .

كما لا أشكوك إلى ملائكتى إذا صعدت مساويك وفضائحك ، نسأل الله من عظيم لطفه وكرمه ستره الجميل فى الدنيا والآخرة .

بيان فضل النعمة على البلاء

لعلك تقول : هذه الأخبار تدل على أن البلاء خير فى الدنيا من النعم ، فهل لنا أن نسأل الله البلاء ؟ فأقول : لا وجه لذلك ، لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه كان يستعيذ فى دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة [١] وكان يقول هو والأنبياء عليهم السلام « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة [٢] » وكانوا يستعيذون من شماتة الأعداء وغيرها [٣] .

وقال على كرم الله وجهه . اللهم إنى أسألك الصبر ، فقال صلى الله عليه وسلم « لقد سألت البلاء فاسأله العافية [٤] » .

وروى الصدّيق رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « سلوا الله العافية ، فما أعطى أحد أفضل من العافية إلا اليقين [٥] » ، وأشار باليقين إلى عافية القلب عن مرض الجهل والشك ، فعافية القلب أعلى من عافية البدن .

وقال الحسن رحمه الله الخير الذى لا شر فيه : العافية مع الشكر فكم من منعم عليه غير شاكر .

وقال مطرّف بن عبد الله : لأن أعافى فأشكر ، أحب إلى من أن أبتلى فأصبر .

وقال صلى الله عليه وسلم فى دعائه « وعافيتك أحب إلى [٦] » .

وهذا أظهر من أن يحتاج فيه إلى دليل واستشهاد ، وهذا لأن البلاء صار نعمة باعتبارين : أحدهما بالإضافة إلى ما هو أكثر منه إما فى الدنيا أو فى الدين ، والآخر بالإضافة إلى ما يرجى من الثواب ؛ فينبغى أن نسأل الله تمام النعمة فى الدنيا ودفع ما فوقه من البلاء ، ونسأله الثواب فى الآخرة على الشكر على نعمته فإنه قادر على أن يعطى على الشكر ما لا يعطيه على الصبر .

فإن قلت : فقد قال بعضهم : أود أن أكون جسرا على النار يعبر على الخلق كلهم فينجون وأكون أنا فى النار .

وقال سمنون رحمه الله تعالى :

وليس لى فى سواك حظ فكيفما شئت فاختبرنى

---

(١) حديث : أنه صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ فى دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة رواه أحمد من حديث بشر بن أبى أرطاة بلفظ « أجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة » وإسناده جيد . ولأبى داود من حديث عائشة « اللهم إنى أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة » وفيه بقية وهو مدلس ، ورواه بالعنعنة .

(٢) حديث : كان يقول هو والأنبياء عليهم السلام « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » أخرجه البخارى ومسلم من حديث أنس : كان أكثر دعوة يدعو بها النبى صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم آتنا فى الدنيا ... الحديث » ولأبى داود والنسائى من حديث عبد الله بن السائب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين الركنين « ربنا آتنا ... الحديث » (٣) حديث : كان يستعيذ من شماتة الأعداء : تقدم فى الدعوات (٤) حديث قال على رضى الله عنه : اللهم إنى أسألك الصبر ، فقال صلى الله عليه وسلم « لقد سألت الله البلاء فسله العافية » رواه الترمذى من حديث معاذ فى أثناء حديث وحسنه ، ولم يسم عليا وإنما قال : سمع رجلا . وله وللنسائى فى اليوم والليلة من حديث على : كنت ساكنا فمر بى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول .. الحديث . وفيه : فإن كان بلاء فصبرنى ، فضربه برجله وقال « اللهم عافه واشفه » وقال حسن صحيح .

(٥) حديث أبى بكر الصديق « سلوا الله العافية ... الحديث » أخرجه ابن ماجه والنسائى فى اليوم والليلة بإسناد جيد ، وقد تقدم . (٦) حديث « وعافيتك أحب إلى » ذكره ابن اسحق فى السيرة فى دعائه يوم خرج إلى الطائف بلفظ « وعافيتك أوسع لى » وكذا رواه ابن أبى الدنيا فى الدعاء من رواية حسان بن عطية مرسلا ، ورواه أبو عبد الله بن منده من حديث عبد الله بن جعفر مسندا وفيه من يجهل .

فهذا من هؤلاء سؤال للبلاء ! فاعلم أنه حكى عن سمنون المحب رحمه الله أنه بلى بعد هذا البيت بعلة الحصر ، فكان بعد ذلك يدور على أبواب المكاتب ويقول للصبيان : ادعوا لعمكم الكذاب . وأما محبة الإنسان ليكون هو فى النار دون سائر الخلق فغير ممكنة ، ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظن المحب بنفسه حبا لمثل ذلك ، فمن شرب كأس المحبة سكر ، ومن سكر توسع فى الكلام ، ولو زايله سكره علم أن ماغلب عليه كان حالة لاحقيقة لها ، فما سمعته من هذا الفن فهو من كلام العشاق الذين أفرط حبهم ، وكلام العشاق يستلذ سماعه ولايعول عليه ، كما حكى أن فاختة كان يراودها زوجها فتمنعه ، فقال : ما الذى يمنعك عنى ـ ولو أردت أن أقلب لك الكونين مع ملك سليمان ظهرا لبطن لفعلته لأجلك ؟ فسمعه سليمان عليه السلام فاستدعاه وعاتبه فقال : يانبى الله كلام العشاق لايحكى ، وهو كما قال ، وقال الشاعر :

أريد وصاله ويريد هجرى فأترك ماأريد لما يريد

وهو أيضا محال ، ومعناه أنى أريد مالايريد ، لأن من أراد الوصال ماأراد الهجر ، فكيف أراد الهجر الذى لم يرده ، بل لايصدق هذا الكلام إلا بتأويلين (أحدهما) أن يكون ذلك فى بعض الأحوال حتى يكتسب به رضاه الذى يتوصل به إلى الوصال فى الاستقبال فيكون الهجران وسيلة إلى الرضا والرضا وسيلة إلى وصال المحبوب ، والوسيلة إلى المحبوب محبوبة ، فيكون مثاله مثال محب المال إذا أسلم درهما فى درهمين فهو يحب الدرهمين يترك الدرهم فى الحال (الثانى) أن يصير رضاه عنده مطلوبا من حيث إنه رضاه فقط ، ويكون له لذة فى استشعاره رضا محبوبه منه تزيد تلك اللذة على لذته فى مشاهدته مع كراهته ، فعند ذلك يتصور أن يريد مافيه الرضا ، فلذلك قد انتهى حال بعض المحبين إلى أن صارت لذتهم فى البلاء مع استشعارهم رضا الله عنهم أكثر من لذتهم فى العافية من غير شعور الرضا ، فهؤلاء إذا قدروا رضاه فى البلاء صار البلاء أحب إليهم من العافية ، وهذه حالة لايبعد وقوعها فى غلبات الحب ولكنها لاتثبت ، وإن ثبتت مثلا فهل هى حالة صحيحة أم حالة اقتضتها حالة أخرى وردت على القلب فمالت به عن الاعتدال ؟ هذا فيه نظر ، وذكر تحقيقه لايليق بما نحن فيه ، وقد ظهر بما سبق أن العافية خير من البلاء فنسأل الله تعالى المنان بفضله على جميع خلقه العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة لنا ولجميع المسلمين .

بيان الأفضل من الصبر والشكر

اعلم أن الناس اختلفوا فى ذلك ، فقال قائلون : الصبر أفضل من الشكر . وقال آخرون : الشكر أفضل . وقال آخرون : هما سيان . وقال آخرون يختلف ذلك باختلاف الأحوال ، واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب بعيد عن التحصيل ، فلا معنى للتطويل بالنقل ، بل المبادرة إلى إظهار الحق أولى . فنقول : فى بيان ذلك مقامان :

(المقام الأول) البيان على سبيل التساهل : وهو أن ينظر إلى ظاهر الأمر ولايطلب التفتيش بحقيقته وهو البيان الذى ينبغى أن يخاطب به عوام الخلق لقصور أفهامهم عن درك الحقائق الغامضة ، وهذا الفن من الكلام هو الذى ينبغى أن يعتمده الوعاظ ، إذ مقصود كلامهم من مخاطبة العوام إصلاحهم ، والظئر المشفقة لاينبغى أن تصلح الصبى الطفل بالطيور السمان وضروب الحلاوات ، بل باللبن اللطيف ، وعليها أن تؤخر عنه أطايب الأطعمة إلى أن يصير محتملا لها بقوته ، ويفارق الضعف الذى هو عليه فى بنيته فنقول : هذا المقام فى البيان يأبى البحث والتفصيل ومقتضاه النظر إلى الظاهر المفهوم من موارد الشرع ، وذلك يقتضى تفضيل الصبر ، فإن الشكر وإن وردت أخبار كثيرة فى فضله فإذا أضيف إليه ماورد فى فضيلة الصبر كانت فضائل الصبر أكثر ، بل فيه ألفاظ

صريحة فى التفضيل كقوله صلى الله عليه وسلم « من أفضل ماأوتيتم اليقين وعزيمة الصبر [١] » وفى الخبر يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ، ويؤتى بأصبر أهل الأرض فيقال له : أماترضى أن يجزيك كما جزينا هذا الشاكر ، فيقول : نعم يارب ، فيقول الله تعالى : كلا ، أنعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت ، لأضعفن لك الأجر عليه ، فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين [٢] » وقد قال الله تعالى ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ وأما قوله « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر [٣] » فهو دليل على أنّ الفضيلة فى الصبر إذ ذكر ذلك فى معرض المبالغة لرفع درجة الشكر ، فألحقه بالصبر فكان هذا منتهى درجته ، ولولا أنه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان إلحاق الشكر به مبالغة فى الشكر ، وهو كقوله صلى الله عليه وسلم « الجمعة حج المساكين وجهاد المرأة حسن التبعل [٤] » وكقوله صلى الله عليه وسلم « شارب الخمر كعابد الوثن [٥] » وأبدا المشبه به ينبغى أن يكون أعلى رتبة ، فكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « الصبر نصف الإيمان » لايدل على أنّ الشكر مثله ، وهو كقوله عليه السلام الصوم نصف الصبر » فإنّ كل ماينقسم قسمين يسمى أحدهما نصفا وإن كان بينهما تفاوت ، كما يقال : الإيمان هو العلم والعمل ؛ فالعمل هو نصف الإيمان فلا يدل ذلك على أنّ العمل يساوى العلم . وفى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم « آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه . وآخر أصحابى دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه [٦] » وفى خبر آخر « يدخل سليمان بعد الأنبياء بأربعين خريفا [٧] » وفى الخبر « أبواب الجنة كلها مصراعان إلا باب الصبر فإنه مصراع واحد ، وأول من يدخله أهل البلاء أمامهم أيوب عليه السلام [٨] » .

وكل ماورد فى فضائل الفقر يدل على فضيلة الصبر ؛ لأنّ الصبر حال الفقير ، والشكر حال الغنى ، فهذا هو المقام الذى يقنع العوام ويكفيهم فى الوعظ اللائق والتعريف لما فيه صلاح دينهم .

(المقام الثانى) هو البيان الذى نقصد به تعريف أهل العلم والاستبصار بحقائق الأمور بطريق الكشف

---

(١) حديث « من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر » تقدم (٢) حديث : يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ، ويؤتى بأصبر أهل الأرض ... الحديث . لم أجد له أصلا . (٣) حديث « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر » أخرجه الترمذى وحسنه ، وابن ماجه من حديث أبى هريرة ، وقد تقدم .

(٤) حديث « الجمعة حج المساكين وجهاد المرأة حسن التبعل » أخرجه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده بالشطر الأول من حديث ابن عباس بسند ضعيف ، أو الطبرانى بالشطر الثانى من حديثه بسند ضعيف أيضا أن امرأة قالت : كتب الله الجهاد على الرجال فما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة ؟ قال : طاعة أزواجهن . وفى رواية : ماجزاء غزوة المرأة ؟ قال طاعة الزوج ... الحديث » وفيه القاسم بن فياض ، وثقه أبو داود وضعفه ابن معين وباقى رجاله ثقات . (٥) حديث « شارب الخمر كعابد الوثن » أخرجه ابن ماجه من حديث أبى هريرة بلفظ « مدمن الخمر » ورواه بلفظ « شارب » الحارث بن أبى أسامة من حديث عبد الله بن عمر ، وكلاهما ضعيف وقال ابن عدى : لمن حديث أبى هريرة أخطأ فيه محمد بن سليمان بن الأصبهانى .

(٦) حديث « آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه ، وآخر أصحابى دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث معاذ بن جبل « يدخل الأنبياء كلهم قبل داود وسليمان الجنة بأربعين عاما » وقال : لم يروه إلا شعيب بن خالد وهو كوفى ثقة . وروى البزار من حديث أنس « أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتى عبد الرحمن ابن عوف » وفيه أغلب بن تميم ضعيف . (٧) حديث « يدخل سليمان بعد الأنبياء بأربعين خريفا » تقدم حديث معاذ قبله . ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من رواية دينار عن أنس بن مالك ، ودينار الجبلى أحد الكذابين على أنس ، والحديث منكر : (٨) حديث « أبواب الجنة كلها مصراعان الا باب الصبر فإنه باب واحد .. الحديث » لم أجد له أصلا ولا فى الأحاديث الواردة فى مصاريع أبواب الجنة تفرقة ؛ فروى مسلم من حديث أنس فى الشفاعة والذى نفس محمد بيده إن مابين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وبصرى وفى الصحيحين فى خطبة عتبة بن غزوان : ولقد ذكرنا أن مابين المصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام .

والإيضاح فنقول فيه : كل أمرين مبهمين لا تمكن الموازنة بينهما مع الإبهام مالم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما ، وكل مكشوف يشتمل على أقسام لا تمكن الموازنة بين الجملة والجملة ، بل يجب أن تفرد الآحاد بالموازنة حتى يتبين الرجحان . والصبر والشكر أقسامهما وشعبهما كثيرة فلا يتبين حكمهما فى الرجحان والنقصان مع الإجمال فنقول : قد ذكرنا أن هذه المقامات تنتظم من أمور ثلاثة : علوم ، وأحوال ، وأعمال ، والشكر والصبر وسائر المقامات هى كذلك ، وهذه الثلاثة إذا وزن البعض منها بالبعض لاح للناظرين فى الظواهر أن العلوم تراد للأحوال ، والأحوال تراد للأعمال ، والأعمال هى الأفضل ؛ وأما أرباب البصائر فالأمر عندهم بالعكس من ذلك ؛ فإن الأعمال تراد للأحوال والأحوال تراد للعلوم ؛ فالأفضل العلوم ثم الأحوال ثم الأعمال ؛ لأن كل مراد لغيره فذلك الغير لا محالة أفضل منه : وأما آحاد هذه الثلاثة فالأعمال قد تتساوى وقد تتفاوت إذا أضيف بعضها إلى بعض ، وكذا آحاد الأحوال إذا أضيف بعضها إلى بعض ، وكذا آحاد المعارف ، وأفضل المعارف علوم المكاشفة وهى أرفع من علوم المعاملة ، بل علوم المعاملة دون المعاملة لأنها تراد للمعاملة ؛ ففائدتها إصلاح العمل ، وإنما فضل العالم بالمعاملة على العابد إذا كان علمه مما يعم نفعه فيكون بالإضافة إلى عمل خاص أفضل ؛ وإلا فالعلم القاصر بالعمل ليس بأفضل من العمل القاصر ؛ فنقول : فائدة إصلاح العمل إصلاح حال القلب ، وفائدة إصلاح حال القلب أن ينكشف له جلال الله تعالى فى ذاته وصفاته ، وأفعاله ، فأرفع علوم المكاشفة معرفة الله سبحانه ، وهى الغاية التى تطلب لذاتها ، فإن السعادة تنال بها بل هى عين السعادة ، ولكن قد لا يشعر القلب فى الدنيا بأنها عين السعادة وإنما يشعر بها فى الآخرة ، فهى المعرفة الحرة التى لا قيد عليها فلا تتقيد بغيرها . وكل ما عداها من المعارف عبيد وخدم بالإضافة إليها ، فإنها إنما تراد لأجلها . ولما كانت مرادة لأجلها كان تعاونها بحسب نفعها فى الإفضاء إلى معرفة الله تعالى : فإن بعض المعارف يفضى إلى بعض إما بواسطة أو بوسائط كثيرة ، فكما كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله تعالى أقل فهى أفضل وأما الأحوال فنعنى بها أحوال القلب فى تصفيته وتطهيره عن شوائب الدنيا وشواغل الخلق ، حتى إذا طهر وصفا اتضح له حقيقة الحق ، فإذن فضائل الأحوال بقدر تأثيرها فى إصلاح القلب وتطهيره وإعداده لأن تحصل له علوم المكاشفة ، وكما أن تصقيل المرآة يحتاج إلى أن يتقدم على تمامه أحوال المرآة بعضها أقرب إلى الصقالة من بعض ، فكذلك أحوال القلب ، فالحالة القريبة أو المقربة من صفاء القلب هى أفضل مما دونها لا محالة بسبب القرب من المقصود ، وهكذا ترتيب الأعمال فإن تأثيرها فى تأكيد صفاء القلب وجلب الأحوال إليه ، وكل عمل إما أن يجلب إليه حالة مانعة من المكاشفة موجبة لظلمة القلب جاذبة إلى زخارف الدنيا ، وإما أن يجلب إليه حالة مهيئة المكاشفة موجبة لصفاء القلب وقطع علائق الدنيا عنه . واسم الأول المعصية ، واسم الثانى الطاعة ، والمعاصى من حيث التأثير فى ظلمة القلب وقساوته متفاوتة ، وكذا الطاعات فى تنوير القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات تأثيرها وذلك يختلف باختلاف الأحوال ، وذلك أنا بالقول المطلق ربما نقول الصلاة النافلة أفضل من كل عبادة نافلة ، وأن الحج أفضل من الصدقة ، وأن قيام الليل أفضل من غيره ، ولكن التحقيق فيه أن الغنى الذى معه مال وقد غلبه البخل وحب المال على إمساكه فإخراج الدرهم له أفضل من قيام ليال وصيام أيام ، لأن الصيام يليق بمن غلبته شهوة البطن فأراد كسرها ، أو منعه الشبع عن صفاء الفكر من علوم المكاشفة فأراد تصفية القلب بالجوع ، فأما هذا المدبر إذا لم تكن حاله هذه الحال فليس يستضر بشهوة بطنه ولا هو مشتغل بنوع فكر يمنعه الشبع منه ، فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله إلى حال غيره ، وهو كالمريض الذى يشكو وجع البطن إذا استعمل دواء الصداع لم ينتفع به ، بل حقه أن ينظر فى المهلك الذى استولى عليه ، والشح المطاع من جملة

المهلكات ، ولا يزيل صيام مائة سنة وقيام ألف ليلة منه ذرة ، بل لا يزيله إلا إخراج المال ؛ فعليه أن يتصدق بما معه ، وتفصيل هذه مما ذكرناه في ربع المهلكات فليرجع إليه ؛ فإذن باعتبار هذه الأحوال يختلف ، وعند ذلك يعرف البصير أن الجواب المطلق فيه خطأ ، إذ لو قال لنا قائل : الخبز أفضل أم الماء ؟ لم يكن فيه جواب حق إلا أن الخبز للجائع أفضل ، والماء للعطشان أفضل ، فإن اجتمعا فلينظر إلى الأغلب ؛ فإن كان العطش هو الأغلب فالماء أفضل ، وإن كان الجوع أغلب فالخبز أفضل ، فإن تساويا فهما متساويان ، وكذا إذا قيل : السكنجبين أفضل أم شراب اللينوفر ؟ لم يصح الجواب عنه مطلقا أصلا ، نعم لو قيل لنا : السكنجبين أفضل أم عدم الصفراء ؟ فنقول : عدم الصفراء ، لأن السكنجبين مراد له ، وما يراد لغيره فلذلك أفضل منه لا محالة ، فإذن في بذل المال عمل وهو الإنفاق ويحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب ، ويتهيأ القلب بسبب خروج حب الدنيا منه لمعرفة الله تعالى وحبه ، فالأفضل المعرفة ، ودونها الحال ، ودونها العمل .

* فإن قلت : فقد حث الشرع على الأعمال وبالغ في ذكر فضلها حتى طلب الصدقات بقوله ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ﴾ وقال تعالى ﴿ ويأخذ الصدقات ﴾ فكيف لا يكون الفعل والإنفاق هو الأفضل ؟ فاعلم أن الطبيب إذا أثنى على الدواء لم يدل على أن الدواء مراد لعينه ، أو على أنه أفضل من الصحة والشفاء الحاصل به ، ولكن الأعمال علاج لمرض القلوب ، ومرض القلوب مما لا يشعر به غالبا فهو كبرص على وجه من لا مرآة معه ، فإنه لا يشعر به ، ولو ذكر له لا يصدق به . والسبيل معه المبالغة في الثناء على غسل الوجه بماء الورد مثلا إن كان ماء الورد يزيل البرص ، حتى يستحثه فرط الثناء على المواظبة عليه فيزول مرضه ، فإنه لو ذكر له أن المقصود زوال البرص عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم أن وجهه لا عيب فيه .

ولنضرب مثلا أقرب من هذا : من له ولد علمه العلم والقرآن وأراد أن يثبت ذلك في حفظه بحيث لا يزول عنه ، وعلم أنه لو أمره بالتكرار والدراسة ليبقى له محفوظا لقال إنه محفوظ ولا حاجة بي إلى تكرار ودراسة ، لأنه يظن أن ما يحفظه في الحال يبقى كذلك أبدا ، وكان له عبيد فأمر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك بالجميل لتتوفر داعيته على كثرة التكرار بالتعليم ، فربما يظن الصبي المسكين أن المقصود تعليم العبيد القرآن وأنه قد استخدم لتعليمهم ، فيشكل عليه الأمر فيقول : ما بالي قد استخدمت لأجل العبيد وأنا أجل منهم وأعز عند الوالد ، وأعلم أن أبي لو أراد تعليم العبيد لقدر عليه دون تكلفي به ، وأعلم أن لا نقصان لأبي بفقد هؤلاء العبيد فضلا عن عدم علمهم بالقرآن ، فربما يتكاسل هذا المسكين فيترك تعليمهم اعتمادا على استغناء أبيه وعلى كرمه في العفو عنه فينسى العلم والقرآن ويبقى مدبرا محروما من حيث لا يدري ، وقد انخدع بمثل هذا الخيال طائفة وسلكوا طريق الإباحة وقالوا : إن الله تعالى غني عن عبادتنا وعن أن يستقرض منا ، فأي معنى لقوله ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ﴾ ولو شاء الله اطعام المساكين لأطعمهم فلا حاجة بنا إلى صرف أموالنا إليهم ، كما قال تعالى حكاية عن الكفار ﴿ وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ﴾ وقالوا أيضا ﴿ لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ﴾ فانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم ، فسبحان من إذا شاء أهلك بالصدق وإذا شاء أسعد بالجهل ﴿ يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ﴾ فهؤلاء لما ظنوا أنهم استخدموا لأجل المساكين والفقراء أو جل الله تعالى ثم قالوا لا حظ لنا في المساكين ولا حظ لله فينا وفي أموالنا سواء أنفقنا أو أمسكنا : هلكوا كما هلك الصبي لما ظن أن مقصود الوالد استخدامه لأجل

العبيد ولم يشعر بأنه كان المقصود ثبات صفة العلم فى نفسه وتأكده فى قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته فى الدنيا ، وإنما كان ذلك من الوالد تلطفا به فى استجراره إلى مافيه سعادته ، فهذا المثال يبين لك ضلال من ضل من هذا الطريق ، فإذن هذا المسكين الآخذ لمالك يستوفى بواسطة المال خبث البخل وحب الدنيا من باطنك ، فإنه مهلك لك فهو كالحجام يستخرج الدم منك ليخرج بخروج الدم العلة المهلكة من باطنك ؛ فالحجام خادم لك لا أنت خادم للحجام . ولا يخرج الحجام عن كونه خادما بأن يكون له غرض فى أن يصنع شيئا بالدم ، ولما كانت الصدقات مطهرة للبواطن ومزكية لها عن خبائث الصفات امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذها وانتهى عنها [1] ، كما نهى عن كسب الحجام وسماها أوساخ أموال الناس ، وشرف أهل بيته بالصيانة عنها [2] ، والمقصود أن الأعمال مؤثرات فى القلب كما سبق فى ربع المهلكات ، والقلب بحسب تأثيرها مستعد لقبول الهداية ونور المعرفة ، فهذا هو القول الكلى والقانون الأصلى الذى ينبغى أن يرجع إليه فى معرفة فضائل الأعمال والأحوال والمعارف ، وارجع الآن إلى خصوص مانحن فيه من الصبر والشكر فنقول : فى كل واحد منهما معرفة وحال وعمل ، فلا يجوز أن تقابل المعرفة فى أحدهما بالحال ، أو العمل فى الآخر ، بل يقابل كل واحد منها بنظيره حتى يظهر التناسب ، وبعد التناسب يظهر الفضل ، ومهما قوبلت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر ربما رجعا إلى معرفة واحدة ، إذ معرفة الشاكر : أن يرى نعمة العينين مثلا من الله تعالى . ومعرفة الصابر : أن يرى العمى من الله ، وهما معرفتان متلازمتان متساويتان هذا إن اعتبرنا فى البلاء والمصائب . وقد بينا أن الصبر قد يكون على الطاعة وعن المعصية ، وفيهما يتحد الصبر والشكر لأن الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة ، لأن الشكر يرجع إلى صرف نعمة الله تعالى إلى ماهو المقصود منها بالحكمة والصبر يرجع إلى ثبات باعث الدين فى مقابلة باعث الهوى ، فالصبر والشكر فيه اسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين فثبات باعث الدين فى مقاومة باعث الهوى يسمى صبراً بالإضافة إلى باعث الهوى ، ويسمى شكرا بالإضافة إلى باعث الدين ، إذ باعث الدين إنما خلق لهذه الحكمة : وهو أن يصرع به باعث الشهوة ، وقد صرفه إلى مقصود الحكمة ، فهما عبارتان عن معنى واحد ، فكيف يفضل الشىء على نفسه ؛ فإذن مجارى الصبر ثلاثة : الطاعة ، والمعصية ، والبلاء وقد ظهر حكمهما فى الطاعة والمعصية ، وأما البلاء فهو عبارة عن فقد نعمة ، والنعمة إما أن تقع ضرورية كالعينين مثلا ، وإما أن تقع فى محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال ، أما العينان فصبر الأعمى عنهما بأن لا يظهر الشكوى ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب العمى فى بعض المعاصى ، وشكر البصير عليهما من حيث العمل بأمرين : أحدهما أن لا يستعين بهما على معصية ، والآخر أن يستعملهما فى الطاعة ، وكل أحد من الأمرين لا يخلو عن الصبر ؛ فإن الأعمى كفى الصبر عن الصور الجميلة لأنه لا يراها ، والبصير إذا وقع بصره على جميل فصبر كان شاكرا لنعمة العينين ؛ وإن أتبع النظر كفر نعمة العينين ؛ فقد دخل الصبر فى شكره ، وكذا إذا استعان بالعينين على الطاعة فلا بد أيضا فيه من صبر على الطاعة ، ثم قد يشكرها بالنظر إلى عجائب صنع الله تعالى ليتوصل به إلى معرفة الله سبحانه وتعالى ، فيكون هذا الشكر أفضل من الصبر ، ولولا هذا لكانت رتبة شعيب عليه السلام مثلا وقد كان ضريرا من الأنبياء فوق رتبة موسى عليه السلام وغيره من الأنبياء ، لأنه صبر على فقد البصر وموسى عليه السلام لم يصبر مثلا ، ولكان الكمال فى أن يسلب الإنسان الأطراف كلها ويترك كلحم على وضم وذلك محال جدا

---

(١) حديث النهى عن كسب الحجام : تقدم : (٢) حديث امتنع من الصدقة وسماها أوساخ الناس وشرف أهل بيته بالصيانة عنها . أخرجه مسلم من حديث عبد المطلب بن ربيعة « ان هذه الصدقة لاتحل لنا انما هى أوساخ القوم وانها لا تحل لمحمد ولالآل محمد » وفى رواية له « أوساخ الناس » .

لأنّ كل واحد من هذه الأعضاء آلة فى الدين يفوت بفوتها ذلك الركن من الدين ، وشكرها باستعمالها فيما هى آلة فيه من الدين ، وذلك لا يكون إلا بصبر ، وأما مايقع فى محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فإنه إذا لم يؤت إلا قدر الضرورة وهو محتاج إلى ماوراءه ، ففى الصبر عنه مجاهدة وهو جهاد الفقر ، ووجود الزيادة نعمة ، وشكرها أن تصرف إلى الخيرات ، أو أن لا تستعمل فى المعصية ، فإن أضيف الصبر إلى الشكر الذى هو صرف إلى الطاعة فالشكر أفضل ، لأنه تضمن الصبر أيضا ، وفيه فرح بنعمة الله تعالى ، وفيه احتمال ألم فى صرفه إلى الفقراء وترك صرفه إلى التنعم المباح ، وكان الحاصل يرجع إلى أن شيئين أفضل من شىء واحد ، وأن الجملة أعلى رتبة من البعض ، وهذا فيه خلل إذ لا تصح الموازنة بين الجملة وبين أبعاضها ، وأما إذا كان شكره بأن لا يستعين به على معصية بل يصرفه إلى التنعم المباح فالصبر ههنا أفضل من الشكر ، والفقير الصابر أفضل من الغنى الممسك ماله الصارف إياه إلى المباحات لا من الغنى الصارف ماله إلى الخيرات ، لأنّ الفقير قد جاهد نفسه وكسر نهمتها وأحسن الرضا على بلاء الله تعالى ، وهذه الحالة تستدعى لامحالة قوة ؛ والغنى أتبع نهمته وأطاع شهوته ولكنه اقتصر على المباح ، والمباح فيه مندوحة عن الحرام ، ولكن لابدّ من قوة فى الصبر عن الحرام أيضا ، إلا أن القوة التى عنها يصدر صبر الفقير أعلى وأتم من هذه القوة التى يصدر عنها الاقتصار فى التنعم على المباح والشرف لتلك القوة التى يدل العمل عليها ، فإنّ الأعمال لاتراد إلا لأحوال القلوب ، وتلك القوة حالة للقلب تختلف بحسب قوة اليقين والإيمان ، فما دل على زيادة قوة فى الإيمان فهو أفضل لامحالة ، وجميع ماورد من تفضيل أجر الصبر على أجر الشكر فى الآيات والأخبار إنما أريد به هذه الرتبة على الخصوص لأنّ السابق إلى أفهام الناس من النعمة والأموال الغنى بها ، والسابق إلى الأفهام من الشكر أن يقول الإنسان : الحمد لله ولايستعين بالنعمة على المعصية ، لا أن يصرفها إلى الطاعة ، فإذن الصبر أفضل من الشكر ، أى الصبر الذى تفهمه العامة أفضل من الشكر الذى تفهمه العامة ، وإلى هذا المعنى على الخصوص أشار الجنيد رحمه الله حيث سئل عن الصبر والشكر : أيهما أفضل ؟ فقال : ليس مدح الغنى بالوجود ولامدح الفقير بالعدم ، وإنما المدح فى الاثنين قيامهما بشروط ماعليهما ، فشرط الغنى يصحبه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتمتعها وتلذذها ، والفقير يصحبه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتقبضها وتزعجها ، فإذا كان الاثنان قائمين لله تعالى بشرط ماعليهما كان الذى الم صفته وأزعجها أتم حالا ممن متع صفته ونعمها . والأمر على ماقاله ، وهو صحيح من جملة أقسام الصبر والشكر فى القسم الأخير الذى ذكرناه ، وهو لم يرد سواه . ويقال : كان أبو العباس بن عطاء قد خالفه فى ذلك وقال : الغنى الشاكر أفضل من الفقير الصابر ، فدعا عليه الجنيد فأصابه ما أصابه من البلاء من قتل أولاده وإتلاف أمواله وزوال عقله أربع عشرة سنة ، فكان يقول : دعوة الجنيد أصابتنى ، ورجع إلى تفضيل الفقير الصابر على الغنى الشاكر .

ومهما لاحظت المعانى التى ذكرناها علمت أنّ لكل واحد من القولين وجها فى بعض الأحوال ، فرب فقير صابر أفضل من غنى شاكر كما سبق ، ورب غنى شاكر أفضل من فقير صابر ، وذلك هو الغنى الذى يرى نفسه مثل الفقير ، إذ لايمسك لنفسه من المال إلا قدر الضرورة والباقى يصرفه إلى الخيرات أو يمسكه ، على اعتقاد أنه خازن للمحتاجين والمساكين ، وإنما ينتظر حاجة تسنح حتى يصرف إليها ، ثم إذا صرف لم يصرفه لطلب جاه وصيت ولالتقليد منه ، بل أداء لحق الله تعالى فى تفقد عباده ، فهذا أفضل من الفقير الصابر .

• فإن قلت : فهذا لا يثقل على النفس والفقير يثقل عليه الفقر ؛ لأن هذا يستشعر لذة القدرة وذاك يستشعر ألم الصبر ، فإن كان متألما بفراق المال فينجبر ذلك بلذته فى القدرة على الإنفاق • فاعلم أنّ الذى تراه أنّ من ينفق ماله عن رغبة وطيب نفس أكمل حالا ممن ينفقه وهو بخيل به وإنما يقتطعه عن نفسه قهرا . وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة ، فإيلام النفس ليس مطلوبا لعينه بل لتأديبها ، وذلك يضاهى ضرب كلب الصيد ، والكلب المتأدب أكمل من الكلب المحتاج إلى الضرب وإن كان صابرا على الضرب ، ولذلك يحتاج إلى الإيلام والمجاهدة فى البداية ولا يحتاج إليهما فى النهاية ، بل النهاية أن يصير ما كان مؤلما فى حقه لذيذا عنده ، كما يصير التعلم عند الصبى العاقل لذيذا . وقد كان مؤلما له أوّلا ، ولكن لما كان الناس كلهم إلا الأقلين فى البداية - بل قبل البداية بكثير - كالصبيان ، أطلق الجنيد القول بأن الذى يؤلم صفته أفضل ، وهو كما قال صحيح فيما أراده من عموم الخلق ، فإذن إذا كنت لا تفصل الجواب وتطلقه لإرادة الأكثر فأطلق القول بأن الصبر أفضل من الشكر فإنه صحيح بالمعنى السابق إلى الأفهام ؛ فإذا أردت التحقيق ففصل ، فإنّ للصبر درجات أقلها ترك الشكوى مع الكراهية ، ووراءها الرضا وهو الرضا وهو مقام وراء الصبر ، ووراءه الشكر على البلاء وهو وراء الرضا ؛ إذ الصبر مع التألم والرضا يمكن بما لا ألم فيه ولا فرح ، والشكر لا يمكن إلا على محبوب مفروح به ، وكذلك الشكر درجات كثيرة ذكرنا أقصاها ، ويدخل فى جملتها أمور دونها ؛ فإنّ حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر ، ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر ، والاعتذار من قلة الشكر شكر ، والمعرفة بعظيم حلم الله وكنف ستره شكر ، والاعتراف بأنّ النعم ابتداء من الله تعالى من غير استحقاق شكر ، والعلم بأنّ الشكر أيضا نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر ، وحسن التواضع للنعم والتذلل فيها شكر ، وشكر الوسائط شكر ؛ إذ قال عليه السلام « من لم يشكر الناس لم يشكر الله [1] » وقد ذكرنا حقيقة ذلك فى كتاب أسرار الزكاة ، وقلة الاعتراض وحسن الأدب بين يدى المنعم شكر ، وتلقى النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر . وما يندرج من الأعمال والأحوال تحت اسم الشكر والصبر لا تنحصر آحادها ؛ وهى درجات مختلفة ؛ فكيف يمكن إجمال القول بتفضيل أحدهما على الآخر إلا على سبيل إرادة الخصوص باللفظ العام كما ورد فى الأخبار والآثار .

وقد روى عن بعضهم أنه قال : رأيت فى بعض الأسفار شيخا كبيرا قد طعن فى السن فسألته عن حاله فقال: إنى كنت فى ابتداء عمرى أهوى ابنة عم لى وهى كذلك كانت تهوانى ؛ فاتفق أنها زوجت منى ، فليلة زفافها قلت : تعالى حتى نحيى هذه الليلة شكرا لله تعالى على ما جمعنا ، فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ أحدنا إلى صاحبه ؛ فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك ، فصلينا طول الليل ، فمنذ سبعين أو ثمانين سنة نحن على تلك الحالة كل ليلة ، أليس كذلك يا فلانة ؟ قالت العجوز : هو كما يقول الشيخ ؛ فانظر إليهما لو صبرا على بلاء الفرقة ، أولو لم يجمع الله بينهما ، وانسب صبر الفرقة إلى شكر الوصال على هذا الوجه ، فلا يخفى عليك أنّ هذا الشكر أفضل ؛ فإذن لا وقوف على حقائق المفضلات إلا بتفضيل كما سبق . والله أعلم .

---

(١) حديث « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » تقدم فى الزكاة .

كتاب الخوف والرجاء

وهو الكتاب الثالث من ربع المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المرجو لطفه وثوابه ، المخوف مكره وعقابه ، الذى عمر قلوب أوليائه بروح رجائه حتى ساقهم بلطائف آلائه إلى النزول بفنائه ، والعدول عن دار بلائه التى هى مستقر أعدائه . وضرب بسياط التخويف وزجره العنيف وجوه المعرضين عن حضرته إلى دار ثوابه وكرامته ، وصدهم عن التعرض لأئمته والتهدف لسخطه ونقمته ، قودا لأصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وأزمة الرفق واللطف إلى جنته . والصلاة والسلام على محمد سيد أنبيائه وخير خليقته وعلى آله وأصحابه وعترته :

(أما بعد) فإن الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود ، ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كئود ، فلا يقود إلى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الأرجاء ثقيل الأعباء محفوفا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء - إلا أزمة الرجاء . ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الأليم - مع كونه محفوفا بلطائف الشهوات وعجائب اللذات - إلا سياط التخويف وسطوات التعنيف ، فلا بد إذن من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسبيل التوصل إلى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما . ونحن نجمع ذكرهما فى كتاب واحد يشمل على شطرين : الشطر الأول فى الرجاء ، والشطر الثانى فى الخوف .

أما الشطر الأول فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء ، وبيان فضيلة الرجاء وبيان دواء الرجاء ، والطرق الذى يجتلب به الرجاء .

بيان حقيقة الرجاء

اعلم أن الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين ، وأنما يسمى الوصف مقاما إذا ثبت وأقام ، وإنما يسمى حالا إذا كان عارضا سريع الزوال ، وكما أن الصفرة تنقسم إلى ثابتة كصفرة الذهب ، وإلى سريعة الزوال كصفرة الوجل ، وإلى ماهو بينهما كصفرة المريض ، فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الأقسام ، فالذى هو غير ثابت يسمى حالا لأنه يحول على القرب وهذا جار فى كل وصف من أوصاف القلب ؛ وغرضنا الآن حقيقة الرجاء ، فالرجاء أيضا يتم من حال وعلم وعمل ، فالعلم سبب يثمر الحال . والحال يقتضى العمل ، وكان الرجاء اسما من جملة الثلاثة ، وبيانه : أن كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم إلى موجود فى الحال وإلى موجود فيما مضى وإلى منتظر فى الاستقبال ، فإذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمى ذكرا وتذكرا ، وإن كان ماخطر بقلبك موجودا فى الحال سمى وجدا وذوقا وإدراكا ، وإنما سمى وجدا لأنها حالة تجدها من نفسك ، وإن كان قد خطر ببالك وجود شىء فى الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمى انتظارا وتوقعا ، فإن كان المنتظر مكروها حصل منه ألم فى القلب سمى خوفا وإشفاقا ، وإن كان محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به وإخطار وجوده بالبال لذة فى القلب وارتياح سمى ذلك الارتياح رجاء ، فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ماهو محبوب عنده ، ولكن ذلك

المحبوب المتوقع لابد وأن يكون له سبب ، فإن كان انتظاره لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق ، وإن كان ذلك انتظارا مع انخرام أسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحمق عليه أصدق من اسم الرجاء ، وإن لم تكن الأسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التمنى أصدق على انتظاره لأنه انتظار من غير سبب . وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف إلا على مايتردد فيه ، أما مايقطع به فلا ، إذ لايقال : أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع وأخاف غروبها وقت الغروب ، لأنّ ذلك مقطوع به ، نعم يقال : أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه . وقد علم أرباب القلوب أنّ الدنيا مزرعة الآخرة ، والقلب كالأرض ، والإيمان كالبذر فيه ، والطاعات جارية مجرى تقليب الأرض وتطهيرها ومجرى حفر الأنهار وسياقه الماء إليها ، والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالأرض السبخة التى لاينمو فيها البذر ، ويوم القيامة يوم الحصاد ، ولا يحصد أحد إلا مازرع ، ولاينمو زرع إلا من بذر الإيمان ، وقلما ينفع إيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه ، كما لاينمو بذر فى أرض سبخة ، فينبغى أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع ، فكل من طلب أرضا طيبة وألقى فيها بذرا جيدا غير عفن ولا مسوّس ، ثم أمده بما يحتاج إليه وهو سوق الماء إليه فى أوقاته ، ثم نقى الشوك عن الأرض والحشيش وكل مايمنع نبات البذر أو يفسده ، ثم جلس منتظرا من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات المفسدة إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته : سمى انتظاره رجاء . وإن بث البذر فى أرض صلبة سبخة مرتفعة لاينصب إليها الماء ولم يشتغل بتعهد البذر أصلا ، ثم انتظر الحصاد منه : سمى انتظاره حمقا وغرورا لا رجاء . وإن بث البذر فى أرض طيبة ولكن لاماء لها وأخذ ينتظر مياه الأمطار حيث لا تغلب الأمطار ولا تمتنع أيضا : سمى انتظاره تمنيا لارجاء ؛ فإذن اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلا ماليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات ؛ فالعبد إذا بث بذر الإيمان ، وسقاه بماء الطاعات ، وطهر القلب عن شوك الأخلاق الرديئة ، وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك إلى الموت وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة : وكان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا فى نفسه باعثا له على المواظبة والقيام بمقتضى أسباب الإيمان فى إتمام أسباب المغفرة إلى الموت : وإن قطع عن بذر الإيمان تعهده بماء الطاعات ، وترك القلب مشحونا برذائل الأخلاق وانهمك فى طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة ، فانتظاره حمق وغرور ، قال صلى الله عليه وآله وسلم « الأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الجنه [1] » ، وقال تعالى ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ﴾ وقال تعالى ﴿ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا ﴾ وذم الله تعالى صاحب البستان إذ دخل جنته وقال ﴿ ماأظن أن تبيد هذه أبدا وما أظنّ الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لأجدنّ خيرا منها منقلبا ﴾ فإذن العبد المجتهد فى الطاعات المجتنب للمعاصى حقيق بأن ينتظر من فضل الله تمام النعمة ، وما تمام النعمة إلا بدخول الجنة . وأما العاصى فإذا تاب وتدارك جميع مافرط منه من تقصير فحقيق بأن يرجو قبول التوبة . وأما قبل التوبة إذا كان كارها للمعصية تسوءه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهى التوبة ويشتاق إليها ، فحقيق بأن يرجو من الله التوفيق للتوبة ؛ لأنّ كراهيته المعصية وحرصه على التوبة يجرى مجرى السبب الذى قد يفضى إلى التوبة ، وإنما الرجاء بعد تأكد الأسباب ، ولذلك قال تعالى ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ﴾ معناه أولئك يستحقون أن يرجوا رحمة الله ، وما أراد به تخصيص وجود

(١) حديث « الأحمق من اتبع نفسه هواها .. الحديث » تقدم غير مرة .

الرجاء لأن غيرهم أيضا قد يرجو ؛ ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء ، فأما من ينهمك فيما يكرهه الله تعالى ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع ، فرجاؤه المغفرة حمق كرجاء من بث البذر فى أرض سبخة وعزم على أن لا يتعهده بسق ولا تنقية . قال يحيى بن معاذ : من أعظم الاغترار عندى التمادى فى الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة ، وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة ، وانتظار زرع الجنة ببذر النار ، وطلب دار المطيعين بالمعاصى ، وانتظار الجزاء بغير عمل ، والتمنى على الله عز وجل مع الإفراط :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليبس

فإذا عرفت حقيقة الرجاء ومظنته فقد علمت أنها حالة أثمرها العلم بجريان أكثر الأسباب ، وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الأسباب على حسب الإمكان ، فإن من حسن بذره وطابت أرضه وغزر ماؤه صدق رجاؤه ، فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تفقد الأرض وتعهدها وتنحية كل حشيش ينبت فيها فلا يفتر عن تعهدها أصلا إلى وقت الحصاد ، وهذا لأن الرجاء يضاده اليأس ، واليأس يمنع من التعهد ، فمن عرف أن الأرض سبخة وأن الماء معوز وأن البذر لا ينبت : فيترك لا محالة تفقد الأرض والتعب فى تعهدها ، والرجاء محمود لأنه باعث ، واليأس مذموم وهو ضده لأنه صارف عن العمل ، والخوف ليس بضد للرجاء بل هو رفيق له كما سيأتى بيانه ، بل هو باعث آخر بطريق الرهبة كما أن الرجاء باعث بطريق الرغبة ، فإذن حال الرجاء يورث طول المجاهدة بالأعمال والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الأحوال ، ومن آثاره التلذذ بدوام الإقبال على الله تعالى والتنعم بمناجاته والتلطف فى التملق له ، فإن هذه الأحوال لابد وأن تظهر على كل من يرجو ملكا من الملوك أو شخصا من الأشخاص ، فكيف لا يظهر ذلك فى حق الله تعالى ؟ فإن كان لا يظهر فليستدل به على الحرمان عن مقام الرجاء والنزول فى حضيض الغرور والتمنى فهذا هو البيان لحال الرجاء ولما أثمره من العلم ولما استثمر منه من العمل ، ويدل على إثماره لهذه الأعمال حديث زيد الخيل ، إذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد ؟ فقال « كيف أصبحت ؟ » قال : أصبحت أحب الخير وأهله ، وإذا قدرت على شىء منه سارعت إليه وأيقنت بثوابه ، وإذا فاتنى منه شىء حزنت عليه وحننت إليه . فقال « هذه علامة الله فيمن يريد ولو أرادك للأخرى هيأك لها ثم لا يبالى فى أى أوديتها هلكت » فقد ذكر صلى الله عليه وسلم علامة من أريد به الخير ، فمن ارتجى أن يكون مرادا بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور [1] » .

بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه

اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف ، لأن أقرب العباد إلى الله تعالى أحبهم له ، والحب يغلب الرجاء ، واعتبر ذلك بملكين يخدم أحدهما خوفا من عقابه والآخر رجاء لثوابه ، ولذلك ورد فى الرجاء وحسن الظن رغائب لاسيما فى وقت الموت : قال تعالى ﴿ لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ لحرم أصل اليأس ، وفى أخبار يعقوب عليه السلام أن الله تعالى أوحى إليه . أتدرى لم فرقت بينك وبين يوسف ؟ لأنك قلت أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لم خفت الذئب ولم ترجنى ؟ ولم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظى له . وقال صلى الله عليه وسلم « لا يموتن

(١) حديث : قال زيد الخيل جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد ... الحديث . أخرجه الطبرانى فى الكبير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ، وفيه أنه قال « أنت زيد الخير » وكذا قال ابن أبى حاتم سماه النبى صلى الله عليه وسلم زيد الخير يروى عنه حديث ، وذكره فى حديث يروى : فقام زيد الخير فقال : يارسول الله ... الحديث ، سمعت أبى يقول ذلك

أحدكم إلا وهو يحسن بالله تعالى [١] » وقال صلى الله عليه وسلم ؟ يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء [٢] » . ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو فى النزع فقال « كيف تجدك ؟ » فقال : أجدنى أخاف ذنوبى وأرجو رحمة ربى . فقال صلى الله عليه وسلم « ما اجتمعا فى قلب عبد فى هذا الموطن إلا أعطاه الله مارجا وأمنه مما يخاف [٣] » وقال على رضى الله عنه لرجل أخرجه الخوف إلى القنوط لكثرة ذنوبه : ياهذا يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك . وقال سفيان : من أذنب ذنبا فعلم أن الله تعالى قدره عليه ورجاء غفرانه غفر الله له ذنبه ، قال : لأن الله عزوجل عيرقوما فقال ﴿ وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أردا كم ﴾ وقال تعالى ﴿ وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة : مامنعك إذ رأيت المنكر أن تنكره ؟ فإن لقنه الله حجته قال : يارب رجوتك وخفت الناس . قال : فيقول الله تعالى . قد غفرته لك [٤] » وفى الخبر الصحيح : أن رجلا كان يداين الناس فيسامح الغنى ويتجاوز عن المعسر فلقى الله ولم يعمل خيرا قط ، فقال الله عز وجل : من أحق بذلك منا [٥] » فعفا عنه لحسن ظنه ورجائه أن يعفو عنه مع إفلاسه عن الطاعات . وقال تعالى ﴿ إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ﴾ ولما قال صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم إلى الصعدات تلدمون صدوركم وتجأرون إلى ربكم » فهبط جبريل عليه السلام فقال : إن ربك يقول لك لم تقنط عبادى ؟ فخرج عليهم ورجاهم وشوقهم [٦] . وفى الخبر : إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام . أحبنى وأحب من يحبنى وحببنى إلى خلقى . فقال : يارب ، كيف أحببك إلى خلقك ؟ : اذكرنى بالحسن الجميل واذكر آلائى وإحسانى وذكرهم ذلك فإنهم لا يعرفون منى إلا الجميل [٧] ورئى أبان بن أبى عياش فى النوم وكان يكثر ذكر أبواب الرجاء فقال : أوقفنى الله تعالى بين يديه فقال : ما الذى حملك على ذلك ؟ فقلت : أردت أن أحببك إلى خلقك ، فقال : قد غفرت لك . ورئى يحيى بن أكثم بعد موته فى النوم ، فقيل له : مافعل الله بك ؟ فقال : أوقفنى الله بين يديه وقال : ياشيخ السوء ، فعلت وفعلت ، وقال : فأخذنى من الرعب مايعلم الله ، ثم قلت : يارب ماهكذا حدثت عنك ، فقال : وماحدثت عنى ؟ فقلت : حدثنى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن أنس عن نبيك صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام أنك قلت : أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ماشاء ، وكنت أظن بك أن لا تعذبنى ، فقال الله عزوجل : صدق جبريل وصدق نبيى ، وصدق أنس ، وصدق الزهرى ، وصدق معمر ، وصدق عبدالرزاق وصدقت قال فألبست ومشى بين

---

(١) حديث « لايموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله » أخرجه مسلم من حديث جابر .

(٢) حديث أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ماشاء » أخرجه ابن حبان من حديث واثلة بن الأسقع وهو فى الصحيحين من حديث أبى هريرة دون قوله « فليظن بى ماشاء » . (٣) حديث : دخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو فى النزع فقال : « كيف تجدك ؟ الحديث » رواه الترمذى وقال غريب ، والنسائى فى الكبرى ، وابن ماجه من حديث أنس وقال النووى : إسناده جيد

(٤) حديث « إن الله يقول للعبد يوم القيامة : مامنعك إذ رأيت المنكر أن تنكره ... الحديث » أخرجه ابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى بإسناد جيد ، وقد تقدم فى الأمر بالمعروف .

(٥) حديث : إن رجلا كان يداين الناس فيسامح الغنى ويتجاوز عن المعسر ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى مسعود « حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شىء الا انه كان يخالط الناس وكان موسرا فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر قال الله عزوجل : نحن أحق بذلك ، تجاوزوا عنه . واتفقا عليه من حديث حذيفة وأبى هريرة بنحوه .

(٦) حديث « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ... الحديث » وفيه « فهبط جبريل ... الحديث » أخرجه ابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة ، فأوله متفق عليه من حديث أنس ، ورواه بزيادة « ولخرجتم الى الصعدات » أخرجه أحمد والحاكم ، وقد تقدم . (٧) حديث « ان الله تعالى أوحى الى عبده داود عليه السلام أحبنى وأحب من يحبنى ... الحديث » لم أجد له أصلا ، وكأنه من الإسرائيليات كالذى قبله .

يدى الولدان إلى الجنة ، فقلت : يالها من فرحة . وفى الخبر « أنّ رجلا من بنى إسرائيل كان يقنط الناس ويشدّد عليهم ، قال : فيقول له الله تعالى يوم القيامة . اليوم أويسك من رحمتى كما كنت تقنط عبادى منها [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ رجلا يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادى : ياحنان يامنان ، فيقول الله تعالى لجبريل : اذهب فائتنى بعبدى . قال فيجىء به فيوقفه على ربه فيقول الله تعالى : كيف وجدت مكانك ؟ فيقول : شر مكان . قال : فيقول ردّوه إلى مكانه . قال : فيمشى ويلتفت إلى ورائه ، فيقول الله عزوجل : إلى أى شىء تلتفت ! فيقول : لقد رجوت أنّ لاتعيدنى إليها بعد إذ أخرجتنى منها ، فيقول الله تعالى : اذهبوا به إلى الجنة [2] » فدل هذا على أن رجاءه كان سبب نجاته ، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه .

بيان دواء الرجاء والسبيل الذى يحصل منه حال الرجاء ويغلب

اعلم أنّ هذا الدواء يحتاج إليه أحد رجلين : إما رجل غلب عليه اليأس فترك العبادة ، وإما رجل غلب عليه الخوف فأسرف فى المواظبة على العبادة حتى أضر بنفسه وأهله ، وهذان رجلان مائلان عن الاعتدال إلى طرفى الإفراط والتفريط ، فيحتاجان إلى علاج يردهما إلى الاعتدال ؛ فأما العاصى المغرور المتمنى على الله مع الإعراض عن العبادة واقتحام المعاصى فأدوية الرجاء تنقلب سموما مهلكة فى حقه وتنزل منزلة العسل الذى هو شفاء لمن غلب عليه البرد ، وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة ، بل المغرور لايستعمل فى حقه إلا أدوية الخوف والأسباب المهيجة له ، فلهذا يجب أن يكون واعظ الخلق متلطفاً ناظرا إلى مواقع العلل معالجاً لكل علة بما يضادها لا بما يزيد فيها ، فإنّ المطلوب هو العدل والقصد فى الصفات والأخلاق كلها وخير الأمور أوساطها ؛ فإذا جاوز الوسط إلى أحد الطرفين عولج بما يرده إلى الوسط لا بما يزيد فى ميله عن الوسط ، وهذا الزمان زمان لا ينبغى أن يستعمل فيه مع الخلق أسباب الرجاء ، بل المبالغة فى التخويف أيضا تكاد أن لا تردهم إلى جادة الحق وسنن الصواب ، فأما ذكر أسباب الرجاء فيهلكهم ويرديهم بالكلية ، ولكنها لما كانت أخف على القلوب وألذ عند النفوس ، ولم يكن غرض الوعاظ إلا استمالة القلوب واستنطاق الخلق بالثناء كيفما كانوا مالوا إلى الرجاء حتى ازداد الفساد فسادا وازداد المنهمكون فى طغيانهم تماديا . قال على كرّم الله وجهه إنما العالم الذى لا يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم من مكر الله .

ونحن نذكر أسباب الرجاء لتستعمل فى حق الآيس أو فيمن غلب عليه الخوف اقتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإنهما مشتملان على الخوف والرجاء جميعا لأنهما جامعان لأسباب الشفاء فى حق أصناف المرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورثة الأنبياء بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لا استعمال الأخرق الذى يظن أنّ كل شىء من الأدوية صالح لكل مريض كيفما كان . وحال الرجاء يغلب بشيئين ، أحدهما . الاعتبار ، والآخر . استقراء الآيات والأخبار والآثار .

أما الاعتبار ، فهو أن يتأمل جميع ماذكرناه فى أصناف النعم من كتاب الشكر حتى إذا علم لطائف نعم الله تعالى لعباده فى الدنيا وعجائب حكمه التى راعاها فى فطرة الإنسان حتى أعدّ له فى الدنيا كل ما هو ضرورى له فى دوام

---

(١) حديث : أن رجلا من بنى إسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم ... الحديث » رواه البيهقى فى الشعب عن زيد بن أسلم ، فذكره مقطوعا . (٢) حديث إن رجلا يدخل « النار فيمكث فيها ألف سنة ينادى ياحنان يامنان ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب حسن الظن بالله ، والبيهقى فى الشعب وضعفه من حديث أنس .

الوجود كآلات الغذاء وماهو محتاج إليه كالأصابع والأظفار وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين واختلاف ألوان العينين وحمرة الشفتين وغير ذلك مما كان لاينثلم بفقده غرض مقصود ؛ وإنما كان يفوت به مزية جمال ، فالعناية الإلهية إذا لم تقصر عن عباده فى أمثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده أن تفوتهم المزايد والمزايا فى الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقهم إلى الهلاك المؤبد ، بل إذا نظر الإنسان نظرا شافيا علم أنّ أكثر الخلق قد هيئ له أسباب السعادة فى الدنيا ، حتى إنه يكره الانتقال من الدنيا بالموت ، وإن أخبر بأنه لايعذب بعد الموت أبدا مثلا أولايحشر أصلا فليست كراهتهم للعدم إلا لأنّ أسباب النعم أغلب لامحالة ، وإنما الذى يتمنى الموت نادر ، ثم لايتمناه إلا فى حال نادرة وواقعة هاجمة غريبة ، فإذا كان حال أكثر الخلق فى الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة فسنة الله لاتجد لها تبديلا ، فالغالب أنّ أمر الآخرة هكذا يكون لأن مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم ، فهذا إذا تؤمل حق التأمل قوى به أسباب الرجاء ، ومن الاعتبار أيضا النظر فى حكمة الشريعة وسنتها فى مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها ، حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة فى البقرة من أقوى أسباب الرجاء . فقيل له : ومافيها من الرجاء ؟ فقال : الدنيا كلها قليل ، ورزق الإنسان منها قليل ، والدين قليل عن رزقه ، فانظر كيف أنزل الله تعالى فيه أطول آية ليهدى عبده إلى طريق الاحتياط فى حفظ دينه ، فكيف لايحفظ دينه الذى لاعوض له منه ؟

الفن الثانى : استقراء الآيات والأخبار ، فما ورد فى الرجاء خارج عن الحصر ، أما الآيات فقد قال تعالى ﴿ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ وفى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ولايبالى إنه هو الغفور الرحيم ﴾ [1] وقال تعالى ﴿ والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض ﴾ وأخبر تعالى أنّ النار أعدها لأعدائه ، وإنما خوف بها أولياءه فقال ﴿ لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده ﴾ وقال تعالى ﴿ واتقوا النار التى أعدت للكافرين ﴾ وقال تعالى ﴿ فأنذرتكم ناراً تلظى لايصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى ﴾ وقال عزوجل ﴿ وإنّ ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ ويقال : إن النبى صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل فى أمته حتى قيل له : أماترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية ﴿ وإنّ ربك لذو مغفرة للناس ظلمهم [2] ﴾ . وفى تفسير قوله تعالى ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ قال « لايرضى محمد وواحد من أمته فى النار » وكان أبو جعفر محمد بن على يقول : أنتم أهل العراق تقولون أرجى آية فى كتاب الله عزوجل قوله ﴿ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ﴾ الآية ، ونحن أهل البيت نقول : أرجى آية فى كتاب الله تعالى قوله تعالى ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ وأما الأخبار فقد روى أبو موسى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « أمتى أمة مرحومة لاعذاب عليها فى الآخرة عجل الله عقابها فى الدنيا : الزلازل والفتن ، فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمتى رجل من أهل الكتاب فقيل : هذا فداؤك من النار [3] »

---

(١) حديث : قرأ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى أخرجه الترمذى من حديث أسماء بنت يزيد وقال حسن غريب . (٢) حديث إن النبى صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل فى أمته حتى قيل له : أماترضى وقد أنزل عليك ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ لم أجده بهذا اللفظ . وروى ابن أبى حاتم والثعلبى فى تفسيرهما من رواية على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب قال : لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا عفو الله وتجاوزه ماهنأ أحدا العيش ... الحديث » . (٣) حديث أبى موسى « أمتى أمة مرحومة لاعذاب عليها عجل الله عقابها فى الدنيا الزلازل والفتن .. الحديث » أخرجه أبو داود دون قوله « فإذا كان يوم القيامة ... الخ » فرواها ابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف ، وفى صحيحه من حديث أبى موسى كما سيأتى ذكره فى الحديث الذى يليه .

وفى لفظ آخر « يأتى كل رجل من هذه الأمة بيهودى أو نصرانى إلى جهنم فيقول : هذا فداؤك من النار فيلقى فيها[١] » وقال صلى الله عليه وسلم « الحمى من فيح جهنم وهى حظ المؤمن من النار[٢] » وروى فى تفسير قوله تعالى ﴿ يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه ﴾ أنّ الله تعالى أوحى إلى نبيه عليه الصلاة السلام : إنى أجعل حساب أمتك إليك . قال « لايارب أنت أرحم بهم منى » فقال « إذن لانخزيك فيهم[٣] » . وروى عن أنس : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه فى ذنوب أمته فقال « يارب اجعل حسابهم إلى لئلا يطلع على مساويهم غيرى » فأوحى الله تعالى إليه : هم أمتك وهم عبادى ، وأنا أرحم بهم منك ، لاأجعل حسابهم إلى غيرى لئلا تنظر إلى مساويهم أنت ولاغيرك[٤] . وقال صلى الله عليه وسلم « حياتى خير لكم وموتى خير لكم ، أما حياتى فأسن لكم السنن وأشرع لكم الشرائع . وأما موتى فإنّ أعمالكم تعرض على فما رأيت منها حسناً حمدت الله عليه ، ومارأيت منها سيئا استغفرت الله تعالى لكم[٥] » وقال صلى الله عليه وسلم يوما « ياكريم العفو » فقال جبريل عليه السلام : أتدرى ما تفسير : ياكريم العفو ؟ هو إن عفا عن السيئات برحمته بدّلها حسنات بكرمه[٦] . وسمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يقول : اللهم إنى أسألك تمام النعمة . فقال « هل تدرى ماتمام النعمة ؟ » قال لا . قال « دخول الجنة[٧] » قال العلماء : قد أتم الله علينا نعمته برضاه الإسلام لنا إذ قال تعالى ﴿ وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ وفى الخبر « إذا أذنب العبد ذنبا فاستغفر الله يقول الله عزوجل لملائكته : انظروا إلى عبدى أذنب ذنبا فعلم أنّ له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب ، أشهدكم أنى قد غفرت له[٨] » وفى الخبر « لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها له مااستغفرنى ورجانى[٩] » وفى الخبر « لولقينى عبدى بقراب الأرض ذنوبا لقيته بقراب الأرض مغفرة[١٠] » وفى الحديث « إن الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات ، فإن تاب واستغفر لم يكتبه عليه وإلا كتبها سيئة[١١] » وفى لفظ آخر : « فإذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب

---

(١) حديث « يأتى كل رجل من هذه الأمة بيهودى أو نصرانى الى جهنم ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى موسى « إذا كان يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول : هذا فداؤك من النار » وفى رواية له « لايموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه فى النار يهوديا أو نصرانيا » . (٢) حديث « الحمى من فيح جهنم وهى حظ المؤمن من النار » أخرجه أحمد من رواية أبى صالح الأشعرى عن أبى أمامة ، وأبو صالح لايعرف ولايعرف اسمه . (٣) حديث « ان الله أوحى الى نبيه صلى الله عليه وسلم إنى أجعل حساب أمتك إليك . فقال « لايارب أنت خير لهم منى ... الحديث » فى تفسير قوله تعالى ﴿ يوم لايخزى الله النبى ﴾ أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب حسن الظن بالله . (٤) حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم سأل ربه فى ذنوب أمته فقال « يارب اجعل حسابهم الى . الحديث » لم أقف له على أصل . (٥) حديث حياتى خير لكم وموتى خير لكم ... الحديث أخرجه البزار من حديث عبدالله بن مسعود ورجاله رجال الصحيح ، إلا أن عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى داود وإن أخرج له مسلم ووثقه ابن معين والنسائى فقد ضعفه كثيرون ، ورواه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده من حديث أنس بنحوه بإسناد ضعيف .

(٦) حديث قال صلى الله عليه وسلم يوما « ياكريم العفو » فقال جبريل . أتدرى ماتفسير ياكريم العفو ؟ الحديث : لم أجده عن النبى صلى الله عليه وسلم ، والموجود أن هذا كان بين إبراهيم الخليل وبين جبريل ، هكذا رواه أبو الشيخ فى كتاب العظمة من قول عتبة بن الوليد . ورواه البيهقى فى الشعب من رواية عتبة بن الوليد قال : حدثنى بعض الزهاد ... فذكره .

(٧) حديث سمع رجلا يقول : اللهم إنى أسألك تمام النعمة ... الحديث : تقدم . (٨) حديث « إذا أذنب العبد فاستغفر يقول الله تعالى لملائكته انظروا الى عبدى أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ « إن عبدا أصاب ذنبا فقال : أى رب أذنبت ذنبا فاغفر لى ... الحديث » وفى رواية « أذنب عبد ذنبا فقال ... الحديث »

(٩) حديث « لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أنس « يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك » وقال : حسن . (١٠) حديث « لولقينى عبدى بقراب الأرض ذنوبا لقيته بقرابها مغفرة » أخرجه مسلم من حديث أبى ذر « ومن لقينى بقراب الأرض خطيئة لايشرك بى شيئا لقيته بمثلها مغفرة » والترمذى من حديث أنس الذى قبله « يابن آدم لو لقيتنى ... الحديث . (١١) حديث « ان الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات ، فإن تاب واستغفر لم يكتبه عليه . . الحديث » قال : وفى لفظ آخر « فإذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال =

الشمال وهو أمير عليه : ألق هذه السيئة حتى ألقى من حسناته واحدة تضعيف العشر وأرفع له تسع حسنات ،فتلقى عنه السيئة » وروى أنس فى حديث أنه عليه الصلاة والسلام قال « إذا أذنب العبد ذنبا كتب عليه » فقال أعرابى: وإن تاب عنه ؟ قال « محى عنه » قال : فإن عاد ؟ قال النبى صلى الله عليه وسلم « يكتب عليه » قال الأعرابى : فإن تاب ؟ قال « محى من صحيفته » قال : إلى متى ؟ قال « إلى أن يستغفر ويتوب إلى الله عز وجل ، إن الله لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار ؛ فإذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل أن يعملها ، فإن عملها كتبت عشر حسنات ثم يضاعفها الله سبحانه وتعالى إلى سبعمائة ضعف ، وإذا هم بخطيئة لم تكتب عليه فإذا عملها كتبت خطيئة واحدة ووراءها حسن عفو الله عز وجل[1] » .

وجاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، إنى لا أصوم إلا الشهر لا أزيد عليه ، ولا أصلى إلا الخمس لا أزيد عليها ، وليس لله فى مالى صدقة ولا حج ولا تطوع : أين أنا إذا مت؟ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « نعم معى ، إذا حفظت قلبك من اثنتين : الغل ، والحسد ؛ ولسانك من اثنتين:الغيبة،والكذب؛ وعينيك من اثنتين : النظر إلى ماحرم الله ، وأن تزدرى بهما مسلما ـ دخلت معى الجنة على راحتى هاتين[2] » وفى الحديث الطويل لأنس : أنّ الأعرابى قال : يارسول الله ، من يلى حساب الخلق ؟ فقال « الله تبارك وتعالى » قال : هو بنفسه ؟ قال « نعم » فتبسم الأعرابى ؛ فقال صلى الله عليه وسلم « مم ضحكت يا أعرابى ؟ » فقال : إنّ الكريم إذا قدر عفا ، وإذا حاسب سامح ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « صدق الأعرابى » ، ألا لا كريم أكرم من الله تعالى ، هو أكرم الأكرمين » ثم قال « فقه الأعرابى[3] » وفيه أيضا « إنّ الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولو أن عبدا هدمها حجرا حجرا ثم أحرقها ما بلغ جرم من استخف بولى من أولياء الله تعالى » قال الأعرابى : ومن أولياء الله تعالى ؟ قال « المؤمنون كلهم أولياء الله تعالى ، أما سمعت قول الله عز وجل ﴿ الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ » وفى بعض الأخبار « المؤمن أفضل من الكعبة[4] » و « المؤمن طيب

= وهو أمير عليه : ألق هذه السيئة حتى ألقى من حسناته واحدة من تضعيف العشر... الحديث » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث أبى أمامة بسند فيه لين باللفظ الأول ورواه أيضا أطول منه وفيه « إن صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال » وليس فيه : أنه يأمر صاحب الشمال بإلقاء السيئة حتى يلقى من حسناته واحدة ، ولم أجد لذلك أصلا .

(١) حديث أنس « إذا أذنب العبد ذنبا كتب عليه » فقال أعرابى : فإن تاب عنه ؟ قال « محى عنه » قال : فإن عاد ؟ .. الحديث . وفيه « إن الله لا يمل من التوبة حتى يمل العبد من الاستغفار » الحديث أخرجه البيهقى فى الشعب بلفظ: فقال : يارسول الله إنى أذنبت ذنبا . قال « استغفر ربك » قال : فأستغفر ثم أعود . قال « فإذا عدت فاستغفر ربك » ثلاث مرات أو أربعا . قال : فاستغفر ربك حتى يكون الشيطان هو المسجور المحسور » وفيه أبو بدر يسار بن الحكم المصرى منكر الحديث . وروى أيضا من حديث عقبة بن عامر : أحدنا يذنب ؟ قال « يكتب عليه » قال: ثم يستغفر ويتوب ؟ قال « يغفر له ويتاب عليه » قال: فيعود .. الحديث . وفيه « لا يمل الله حتى تملوا » وليس فى الحديثين قوله فى آخره « فإذا هم العبد بحسنة . . الخ » وهو فى الصحيحين بنحوه من حديث ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه « فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فإن هم بها وعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة ، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة » زاد مسلم فى رواية « أو محاها الله ولا يهلك على الله إلا هالك » ولهما نحوه من حديث أبى هريرة .

(٢) حديث : جاء رجل فقال : يارسول الله إنى لا أصوم الا الشهر لا أزيد عليه ، ولا أصلى الا الخمس لا أزيد عليها ، وليس لله فى مالى صدقة ولا حج ولا تطوع ... الحديث تقدم . (٣) حديث أنس الطويل : قال أعرابى : يارسول الله، من يلى حساب الخلق ؟ قال « الله تبارك وتعالى » فقال هو بنفسه ؟ قال « نعم » فتبسم الأعرابى .. الحديث ، لم أجد له أصلا .

(٤) حديث « المؤمن أفضل من الكعبة » أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ « ما أعظمك وأعظم حرمتك ، والذى نفسى بيده لحرمة المؤمن أعظم حرمة منك ماله ودمه وأن يظن به إلا خيرا » وشيخه نصر بن محمد بن سليمان الحمصى ضعفه أبو حاتم ووثقه ابن حبان ، وقد تقدم .

طاهر [١] » و « المؤمن أكرم على الله تعالى من الملائكة [٢] » وفى الخبر « خلق الله تعالى جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله به عباده إلى الجنة [٣] » . وفى خبر آخر « يقول الله عز وجل : إنما خلقت الخلق ليربحوا على ولم أخلقهم لأربح عليهم [٤] » وفى حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما خلق الله تعالى شيئا إلا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه [٥] » وفى الخبر المشهور « إن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة قبل أن يخلق الخلق : إن رحمتى تغلب غضبى [٦] » وعن معاذ بن جبل وأنس بن مالك أنه صلى الله عليه وسلم قال « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة [٧] » . و « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تمسه النار [٨] » . و « من لقى الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار [٩] » . و « لا يدخلها من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان [١٠] » وفى خبر آخر « لو علم الكافر سعة رحمة الله ما آيس من جنته أحد [١١] » ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ﴿ إن زلزلة الساعة شىء عظيم ﴾ قال « أتدرون أى يوم هذا ؟ هذا يوم يقال لآدم عليه الصلاة والسلام : قم فابعث بعث النار من ذريتك ، فيقول : كم ؟ فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة » قال : فأبلس القوم وجعلوا يبكون وتعطلوا يومهم عن الاشتغال والعمل ، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « مالكم لا تعملون » فقالوا : ومن يشتغل بعمل بعد ما حدثتنا بهذا ؟ فقال « كم أنتم فى الأمم ؟ أين تاويل وثاريث ومنسك ويأجوج ومأجوج أمم لا يحصيها إلا الله تعالى ، إنما أنتم فى سائر الأمم كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود ، وكالرقمة فى ذراع الدابة [١٢] » فانظر كيف كان الخوف يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم بأزمة

---

(١) حديث « المؤمن طيب طاهر » لم أجده بهذا اللفظ ، وفى الصحيحين من حديث حذيفة « المؤمن لا ينجس » .

(٢) حديث « المؤمن أكرم على الله من الملائكة » أخرجه ابن ماجه من رواية أبى المهزم يزيد بن سفيان عن أبى هريرة بلفظ « المؤمن أكرم على الله من بعض الملائكة » وأبو المهزم تركه شعبة وضعفه ابن معين ورواه ابن حبان فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من هذا الوجه بلفظ المصنف . (٣) حديث « خلق الله من فضل رحمته سوطا يسوق به عباده إلى الجنة » لم أجده هكذا ، وبنى عنه ما رواه البخارى من حديث أبى هريرة « عجب ربنا من قوم يجاء بهم إلى الجنة فى السلاسل » .

(٤) حديث « قال الله إنما خلقت الخلق ليربحوا على ولم أخلقهم لأربح عليهم » لم أقف له على أصل .

(٥) حديث أبى سعيد « ما خلق الله شيئا إلا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه » أخرجه أبو الشيخ ابن حبان فى الثواب ، وفيه عبد الرحمن بن كردم جهله أبو حاتم ، وقال صاحب الميزان : ليس بواه ولا بمجهول .

(٦) حديث « إن الله كتب على نفسه بنفسه قبل أن يخلق الخلق : إن رحمتى تغلب غضبى » متفق عليه من حديث أبى هريرة ، وقد تقدم . (٧) حديث معاذ وأنس « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة » أخرجه الطبرانى فى الدعاء بلفظ « من مات يشهد . » وتقدم من حديث معاذ ، وهو فى اليوم والليلة للنسائى بلفظ « من مات يشهد ... » وقد تقدم من حديث معاذ ، ومن حديث أنس أيضا ، وتقدم فى الأذكار . (٨) حديث « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تمسه النار » أخرجه أبو داود والحاكم وصححه من حديث معاذ بلفظ « دخل الجنة » . (٩) حديث « من لقى الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار » أخرجه الشيخان من حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ « ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار » وزاد البخارى « صادقا من قلبه » وفى رواية له « من لقى الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة » ورواه أحمد من حديث معاذ بلفظ « جعله الله فى الجنة » وللنسائى من حديث أبى عمرة الانصارى فى أثناء حديث فقال « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنى رسول الله لا يلقى الله عبد يؤمن بهما إلا حجب عن النار يوم القيامة » . (١٠) حديث « لا يدخلها من فى قلبه وزن ذرة من إيمان » أخرجه أحمد من حديث سهل بن بيضاء « من شهد أن لا إله إلا الله حرمه الله على النار » وفيه انقطاع ، وله من حديث عثمان ابن عفان « إنى لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه إلا حرم على النار » قال عمر بن الخطاب : هى كلمة الإخلاص ، وإسناده صحيح ولكن هذا ونحوه شاذ مخالف لما ثبت فى الأحاديث الصحيحة من دخول جماعة من الموحدين النار وإخراجهم بالشفاعة ، لعم لا يبقى فى النار من فى قلبه ذرة من إيمان كما هو متفق عليه من حديث أبى سعيد ، وفيه « فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه » وقال مسلم « من خير » بدل « من إيمان » . (١١) حديث « لو علم الكافر سعة رحمة الله ما آيس من جنته أحد » متفق عليه من حديث أبى هريرة . (١٢) حديث : لما تلا ﴿ إن زلزلة الساعة شىء عظيم ﴾ قال « أتدرون أى يوم هذا ؟ ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث عمران بن حصين وقال : حسن صحيح . قلت : هو من رواية الحسن البصرى عن عمران ولم يسمع منه ، وفى الصحيحين نحوه من حديث أبى سعيد .

الرجاء إلى الله تعالى ، إذ ساقهم بسياط الخوف أولا ، فلما خرج ذلك بهم عن حد الاعتدال إلى إفراط اليأس داواهم بدواء الرجاء وردهم إلى الاعتدال ، والقصد والآخر لم يكن مناقضا للأول ولكن ذكر فى الأول ما رآه سببا للشفاء واقتصر عليه ، فلما احتاجوا إلى المعالجة بالرجاء ذكر تمام الأمر ، فعلى الواعظ أن يقتدى بسيد الوعاظ فيتلطف فى استعمال أخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة بعد ملاحظة العلل الباطنة ، وإن لم يراع ذلك كان ما يفسد بوعظه أكثر مما يصلحه ، وفى الخبر « لو لم تذنبوا لخلق الله خلقا يذنبون فيغفر لهم [1] » وفى لفظ آخر « لذهب بكم وجاء بخلق يذنبون فيغفر لهم إنه هو الغفور الرحيم » وفى الخبر « لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب قيل : وما هو ؟ قال : العجب [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها [3] » وفى الخبر « ليغفرنّ الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب أحد ، حتى إن إبليس ليتطاول لها رجاء أن تصيبه [4] » وفى الخبر « إن لله تعالى مائة رحمة ادخر منها عنده تسعا وتسعين رحمة وأظهر منها فى الدنيا رحمة واحدة فبها يتراحم الخلق ، فتحنّ الوالدة على ولدها وتعطف البهيمة على ولدها . فإذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة إلى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والأرض . قال : فلا يهلك على الله يومئذ إلا هالك [5] » وفى الخبر « ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال « ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته [6] » وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « اعملوا وابشروا واعلموا أن أحدا لن ينجيه عمله [7] » وقال صلى الله عليه وسلم « إنى اختبأت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى أترونها للمطيعين المتقين بل هى للمتلوثين المخلطين [8] » وقال عليه الصلاة والسلام « بعثت بالحنيفية السمحة السهلة [9] » وقال صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفى « أحب أن يعلم أهل الكتابين أنّ فى ديننا سماحة [10] » ويدل على معناه استجابة الله تعالى للمؤمنين فى قولهم ﴿ ولا تحمل علينا إصرا ﴾ وقال تعالى ﴿ ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ﴾ وروى محمد بن الحنفية عن على رضى الله تعالى عنهما أنه قال . لما نزل قوله تعالى ﴿ فاصفح الصفح الجميل ﴾ قال « يا جبريل ، وما الصفح الجميل ؟ » قال عليه السلام : « إذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه » فقال « يا جبريل فالله تعالى أكرم من أن يعاتب من عفا عنه » فبكى جبريل وبكى النبى صلى الله عليه وسلم ، فبعث الله تعالى

---

(١) حديث « لولم تذنبوا لخلق الله خلقا يذنبون فيغفر لهم » . وفى لفظ « لذهب بكم ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى أيوب ، واللفظ الثانى من حديث أبى هريرة قريبا منه . (٢) حديث « لولم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب » قيل ما هو ؟ قال « العجب » أخرجه البزار وابن حبان فى الضعفاء ، والبيهقى فى الشعب من حديث أنس ، وتقدم فى ذم الكبر والعجب

(٣) حديث « والذى نفسى بيده لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها » متفق عليه من حديث عمر بنحوه .

(٤) حديث « ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب أحد ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب حسن الظن بالله من حديث ابن مسعود بإسناد ضعيف . (٥) حديث « ان لله تعالى مائة رحمة ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة . (٦) حديث « ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة ، وقد تقدم .

(٧) حديث « اعملوا وأبشروا واعلموا أن أحدا لن ينجيه عمله » تقدم أيضا .

(٨) حديث « انى اختبأت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى ... الحديث » أخرجه الشيخان من حديث أبى هريرة « لكل نبى دعوة وانى خبأت دعوتى شفاعة لأمتى » . ورواه مسلم من حديث أنس ، والترمذى من حديثه . وصححه ، وابن ماجه من حديث جابر « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » ولابن ماجه من حديث أبى موسى ، ولأحمد من حديث ابن عمر « خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتى الجنة ، فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى ، أترونها للمتقين ... الحديث » وفيه من لم يسم .

(٩) حديث « بعثت بالحنيفية السمحة السهلة » أخرجه أحمد من حديث أبى أمامة بسند ضعيف دون قوله « السهلة » وله والطبرانى من حديث ابن عباس « أحب الدين الى الله الحنيفية السمحة » . وفيه محمد بن اسحق رواه بالعنعنة .

(١٠) حديث « أحب أن يعلم أهل الكتاب أن فى ديننا سماحة » رواه أبو عبيد فى غريب الحديث ، وأحمد .

إليهما ميكائيل عليه السلام وقال : إن ربكما يقرئكما السلام ويقول : كيف أعاتب من عفوت عنه ؟ هذا ما لا يشبه كرمى [1]

والأخبار الواردة فى أسباب الرجاء أكثر من أن تحصى . وأما الآثار : فقد قال على كرم الله وجهه : من أذنب ذنبا فستره الله عليه فى الدنيا فالله أكرم من أن يكشف ستره فى الآخرة ، ومن أذنب ذنبا فعوقب عليه فى الدنيا فالله تعالى أعدل من أن يثنى عقوبته على عبده فى الآخرة وقال الثورى : ما أحب أن يجعل حسابى إلى أبوى لأنى أعلم أن الله تعالى أرحم بى منهما . وقال بعض السلف : المؤمن إذا عصى الله تعالى ستره عن أبصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه . وكتب محمد بن صعب إلى أسود بن سالم بخطه : إن العبد إذا كان مسرفا على نفسه فرفع يديه يدعو ويقول يارب حجبت الملائكة صوته ، وكذا الثانية والثالثة ، حتى إذا قال الرابعة : يارب ، قاله الله تعالى : حتى متى تحجبون عنى صوت عبدى ، قد علم عبدى أنه ليس له رب يغفر له الذنوب غيرى ، أشهدكم أنى قد غفرت له وقال إبراهيم بن أدهم رحمة الله عليه : خلالى الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة ، فوقفت فى الملتزم عند الباب فقلت : يارب اعصمنى حتى لا أعصيك أبدا ، فهتف بى هاتف من البيت : يا إبراهيم أنت تسألنى العصمة وكل عبادى المؤمنين يطلبون منى ذلك ، فإذا عصمتهم فعلى من أتفضل ؟ ولمن أغفر ؟ وكان الحسن يقول : لو لم يذنب المؤمن لكان يطير فى ملكوت السماوات ولكن الله تعالى قمعه بالذنوب . وقال الجنيد رحمه الله تعالى : إن بدت عين من الكرم ألحقت المسيئين بالمحسنين . ولقى مالك بن دينار أبانا فقال له : إلى كم تحدث الناس بالرخص ؟ فقال : يا أبا يحيى ، إنى لأرجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ما تخرق له كساءك هذا من الفرح . وفى حديث ربعى بن حراش عن أخيه ـ وكان من خيار التابعين ، وهو ممن تكلم بعد الموت ـ قال : لما مات أخى سجى بثوبه وألقيناه على نعشه ، فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا ، وقال : إنى لقيت ربى عز وجل فحيانى بروح وريحان وربى غير غضبان ، وإنى رأيت الأمر أيسر مما تظنون فلا تغتروا ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظرنى وأصحابه حتى أرجع إليهم . قال : ثم طرح نفسه فكأنها كانت حصاة وقعت فى طشت ، فحملناه ودفناه .

وفى الحديث أن رجلين من بنى إسرائيل تواخيا فى الله تعالى ، فكان أحدهما يسرف على نفسه ، وكان الآخر عابدا وكان يعظه ويزجره ، فكان يقول : دعنى وربى ، أبعثت على رقيبا ، حتى رآه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال : لا يغفر الله لك . قال : فيقول الله تعالى يوم القيامة : أيستطيع أحد أن يحظر رحمتى على عبادى ، اذهب أنت فقد غفرت لك ، ثم يقول للعابد : وأنت فقد أوجبت لك النار . قال : فوالذى نفسى بيده لقد تكلم بكلمة أهلكت دنياه وآخرته [2] .

وروى أيضا أن لصا كان يقطع الطريق فى بنى إسرائيل أربعين سنة ، فمر عليه عيسى عليه السلام وخلفه عابد من عباد بنى إسرائيل من الحواريين ، فقال اللص فى نفسه : هذا نبى الله يمر وإلى جنبه حواريه لو نزلت فكنت معهما ثالثا ، قال : فنزل فجعل يريد أن يدنو من الحوارى ويزدرى نفسه تعظيما للحوارى ويقول فى نفسه : مثلى لا يمشى إلى جنب هذا العابد . قال : وأحس الحوارى به ، فقال فى نفسه : هذا يمشى إلى جانبى ، فضم نفسه ومشى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام ، فمشى بجنبه فبقى اللص خلفه ، فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه الصلاة

---

(١) حديث محمد بن الحنفية عن على : لما نزل قوله تعالى (فاصفح الصفح الجميل) قال : « ياجبريل وما الصفح الجميل ؟ » قال : إذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه ... الحديث » أخرجه ابن مردويه فى تفسيره موقوفا على على مختصرا ، قال : الرضا بغير عتاب ، ولم يذكر بقية الحديث ، وفى إسناده نظر . (٢) حديث « ان رجلين من بنى اسرائيل تواخيا فى الله عزوجل فكان أحدهما يسرف على نفسه وكان الآخر عابدا ... الحديث » رواه أبو داود من حديث أبى هريرة بإسناد جيد .

والسلام . قل لهما ليستأنفا العمل فقد أحبطت ماسلف من أعمالهما ؛ أما الحوارى فقد أحبطت حسناته لعجبه بنفسه ، وأما الآخر فقد أحبطت سيئاته بما ازدرى على نفسه ، فأخبرهما بذلك وضم اللص إليه فى سياحته وجعله من حوارييه .

وروى عن مسروق أن نبيا من الأنبياء كان ساجدا فوطئ عنقه بعض العصاة حتى ألزق الحصى بجبهته ، قال: فرفع النبي عليه الصلاة والسلام رأسه مغضبافقال « اذهب فلن يغفرالله لك » فأوحى الله تعالى إليه : تتألى على فى عبادى ، إنى قد غفرت له .

ويقرب من هذا ماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقنت على المشركين ويلعنهم فى صلاته ، فنزل عليه قوله تعالى ﴿ ليس لك من الأمر شىء ﴾ الآية ، فترك الدعاء عليهم وهدى الله تعالى عامة أولئك للاسلام [1]

وروى فى الأثر أن رجلين كانا من العابدين متساويين فى العبادة ، قال : فاذا أدخلا الجنة رفع أحدهما فى الدرجات العلى على صاحبه ، فيقول : يارب ما كان هذا فى الدنيا بأكثر منى عبادة فرفعته على فى عليين ، فيقول الله سبحانه : إنه كان يسألنى فى الدنيا الدرجات العلى وأنت كنت تسألنى النجاة من النار ، فأعطيت كل عبد سؤله ،

وهذا يدل على أن العبادة على الرجاء أفضل ، لأن المحبة أغلب على الراجى منها على الخائف . فكم من فرق فى الملوك بين من يخدم اتقاء لعقابه وبين من يخدم ارتجاء لإنعامه وإكرامه . ولذلك أمر الله تعالى بحسن الظن ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « سلوا الله الدرجات العلى فإنما تسألون كريما [2] » ، وقال « إذا سألتم الله فأعظموا الرغبة واسألوا الفردوس الأعلى ؛ فإن الله تعالى لايتعاظمه شىء [3] » .

وقال بكر بن سليم الصواف . دخلنا على مالك بن أنس فى العشية التى قبض فيها فقلنا : يا أبا عبد الله ، كيف تجدك ؟ قال : لا أدرى ما أقول لكم إلا أنكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم فى حساب ، ثم مابرحنا حتى أغمضناه .

وقال يحيى بن معاذ فى مناجاته : يكاد رجائى لك من الذنوب يغلب رجائى إياك مع الأعمال ؛ لأنى أعتمد فى الأعمال على الإخلاص وكيف أحرزها وأنا بالآفة معروف ، وأجدنى فى الذنوب أعتمد على عفوك وكيف لاتغفرها وأنت بالجود موصوف .

وقيل إن مجوسيا استضاف إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقال إن أسلمت أضفتك ؛ فمر المجوسى ،

---

(١) حديث ابن عباس : كان يقنت على المشركين ويلعنهم فى صلاته ، فنزل قوله تعالى ﴿ ليس لك من الأمر شىء ﴾ فترك الدعاء عليهم ... الحديث ، أخرجه البخارى من حديث ابن عمر أنه كان اذا رفع رأسه من الركوع فى الركعة الأخيرة من الفجر يقول «اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا» بعد مايقول «سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد» فأنزل الله عزوجل ﴿ليس لك من الأمر شىء﴾ الى قوله ﴿ فإنهم ظالمون ﴾ ورواه الترمذى وسماهم أبا سفيان والحارث بن هشام وصفوان بن أمية وزاد «فتاب عليهم فأسلموا فحسن اسلامهم» وقال حسن غريب . وفى رواية له « أربعة نفر » ولم يسمهم وقال « فهداهم الله للاسلام » وقال حسن غريب صحيح .

(٢) حديث « سلوا الله الدرجات العلى فإنما تسألون كريما » لم أجده بهذا اللفظ . والترمذى من حديث ابن مسعود « سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسئل » وقال : هكذا روى حماد بن واقد وليس بالحافظ .

(٣) حديث « اذا سألتم الله فأعظموا الرغبة واسألوا الفردوس الأعلى فإن الله لايتعاظمه شىء » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة « اذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفرلى ان شئت ، ولكن ليعزم وليعظم الرغبة ، فإن الله عزوجل لايتعاظمه شىء أعطاه » والبخارى من حديث أبي هريرة فى أثناء حديث « فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة » ورواه الترمذى من حديث معاذ وعبادة بن الصامت .

فأوحى الله تعالى اليه : يا إبراهيم لم تطعمه إلا بتغيير دينه ونحن من سبعين سنة نطعمه على كفره ، فلو أضفته ليلة ماذا كان عليك ؛ فمر إبراهيم يسعى خلف المجوسى فرده وأضافه ؛ فقال له المجوسى ما السبب فيما بدا لك ؟ فذكر له ؛ فقال له المجوسى : أهكذا يعاملنى ثم قال : اعرض على الإسلام فأسلم .

ورأى الأستاذ أبو سهل الصعلوكى أبا سهل الزجاجى فى المنام وكان يقول بوعيد الأبد ، فقال له : كيف حالك ؟ فقال وجدنا الأمر أهون مما توهمنا .

ورأى بعضهم أبا سهل الصعلوكى فى المنام على هيئة حسنة لاتوصف ، فقال له : يا أستاذ ، بم نلت هذا ؟ فقال : بحسن ظنى بربى .

وحكى أن أبا العباس بن سريج رحمه الله تعالى رأى فى مرض موته فى منامه كأن القيامة قد قامت ، وإذا الجبار سبحانه يقول : أين العلماء ؟ قال : فجاءوا ، ثم قال : ماذا عملتم فيما علمتم ؟ قال : فقلنا يارب قصرنا وأسأنا : قال : فأعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب وأراد جوابا غيره ، فقلت : أما أنا فليس فى صحيفتى الشرك وقد وعدت أن تغفر مادونه ، فقال : اذهبوا به فقد غفرت لكم ، ومات بعد ذلك بثلاث ليال .

وقيل : كان رجل شريب جمع قوما من ندمائه ودفع إلى غلامه أربعة دراهم وأمره أن يشترى شيئا من الفواكه للمجلس ، فمر الغلام بباب مجلس منصور بن عمـــار وهو يسأل لفقير شيئا ويقول : من دفع إليه أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات ، قال : فدفع الغلام إليه الدراهم ، فقـال منصور : ماالذى تريد أن أدعو لك ؟ فقال : لى سيد أريد أن أتخلص منه ، فدعا منصور وقال : الأخرى . قال : أن يخلف الله على دراهمى ، فـدعا ، ثم قال : الأخرى . قال : أن يتوب الله على سيدى ، فدعا ، ثم قال : الأخرى ، فقـال : أن يغفر الله لى ولسيدى ولك وللقوم ، فدعا منصور ، فرجع الغلام فقال له سيده : لم أبطأت ؟ فقص عليه القصة . قال : وبم دعا ، فقال : سألت لنفسى العتق . فقال له : اذهب فأنت حر . قال : وأيش الثانى ؟ قال : أن يخلف الله على الدراهم ، قال : لك أربعة آلاف درهم ، وأيش الثـالث ؟ قال : أن يتوب الله عليك . قال تبت إلى الله تعـالى . قال : وأيش الرابع ؟ قال : أن يغفر الله لى ولك وللقوم ، قال . هذا الواحد ليس إلى ، فلما بات تلك الليلة رأى فى المنام كأن قائلا يقول له : أنت فعلت ما كان إليك ، أفترى أنى لا أفعـل ما إلى ، قـد غفرت لك وللغلام ولمنصـور بن عمـار وللقوم الحاضرين أجمعين .

وروى عن عبـد الوهاب بن عبـد الحميد الثقفى قال : رأيت ثلاثة من الرجال وامرأة يحمـلون جنـازة ، قال : فأخذت مـكان المرأة وذهبنا إلى المقبرة وصلينا عليها ودفنا الميت ، فقلت المرأة : من كان هذا الميت منك ؟ قالت ابنى . قلت ولم يكن لـكم جيران ؟ قالت بلى ولـكن صغروا أمره . قلت : وأيش كان هـذا ؟ قالت : مخنثـا ، قال فرحمتها وذهبت بهـا إلى منزلى وأعطيتها دراهم وحنطة وثيـابا ، قال فرأيت تلك الليلة كأنه أتانى آت كأنه القمر ليلة البـدر وعليه ثيـاب بيض لجعـل يتشكرنى ، فقلت من أنت ؟ فقـال المخنث الذى دفنتمونى اليوم رحمنى ربى باحتقار الناس إياى .

وقال إبراهيم الأطروش : كنـا قعودا ببغـداد مع معروف الـكرخى على دجلة ، إذ مر أحـداث فى زورق يضربون بالدف ويشربون ويلعبون ، فقالوا لمعروف أما تراهم يعصون الله مجـاهرين ، ادع الله عليهم ، فرفع يديه وقال إلهى كما فرحتهم فى الدنيـا ففرحهم فى الآخرة ، فقـال القوم : إنمـا سألناك أن تدعو عليهم ! فقـال : إذا

فرحهم فى الآخرة تاب عليهم ، وكان بعض السلف يقول فى دعائه : يارب وأى أهل دهر لم يعصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابغة ورزقك عليهم دارا سبحانك ما أحلمك وعزتك إنك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدر الرزق حتى كأنك ياربنا لاتغضب .

فهذه هى الأسباب التى بها يجلب روح الرجاء إلى قلوب الخائفين والآيسين ، فأما الحمق المغرورون فلا ينبغى أن يسمعوا شيئا من ذلك ، بل يسمعون ماسنورده فى أسباب الخوف فإنّ أكثر الناس لا يصلح إلا على الخوف ، كالعبد السوء والصبى العرم لا يستقيم إلا بالسوط والعصا وإظهار الخشونة فى الكلام . وأما ضدّ ذلك فيسدّ عليهم باب الصلاح فى الدين والدنيا .

الشطر الثانى من الكتاب : فى الخوف

وفيه بيان حقيقة الخوف ، وبيان درجاته ، وبيان أقسام المخاوف ، وبيان فضيلة الخوف ، وبيان الأفضل من الخوف والرجاء ، وبيان دواء الخوف ، وبيان معنى سوء الخاتمة ، وبيان أحوال الخائفين من الأنبياء صلوات الله عليهم والصالحين رحمة الله عليهم ، ونسأل الله حسن التوفيق .

بيان حقيقة الخوف

اعلم أنّ الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه فى الاستقبال ، وقد ظهر هذا فى بيان حقيقة الرجاء ، ومن أنس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجمال الحق على الدوام : لم يبق له التفات إلى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله أعلى من الخوف والرجاء فإنهما زمانان يمنعان النفس عن الخروج إلى رعوناتها ، وإلى هذا أشار الواسطى حيث قال : الخوف حجاب بين الله تعالى وبين العبد . وقال أيضا : إذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا لخوف ؛ وبالجملة فالمحب إذا شغل قلبه فى مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصا فى الشهود ، وإنما دوام الشهود غاية المقامات ، ولكنا الآن إنما نتكلم فى أوائل المقامات فنقول : حال الخوف ينتظم أيضا من علم وحال وعمل . أما العلم فهو العلم بالسبب المفضى إلى المكروه وذلك كمن جنى على ملك ثم وقع فى يده فيخاف القتل مثلا ويجوّز العفو والإفلات ، ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالأسباب المفضية إلى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك فى نفسه حقودا غضوبا منتقما وكونه محفوفا بمن يحثه على الانتقام خاليا عمن يتشفع إليه فى حقه ، وكان هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة وحسنة تمحو أثر جنايته عند الملك ، فالعلم بتظاهر هذه الأسباب سبب لقوة الخوف وشدّة تألم القلب ، وبحسب ضعف هذه الأسباب يضعف الخوف ، وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية قارفها الخائف بل عن صفة المخوف كالذى وقع فى مخالب سبع فإنه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهى حرصه وسطوته على الافتراس غالبا وإن كان افتراسه بالاختيار ، وقد يكون من صفة جبلية للمخوف منه ، كخوف من وقع فى مجرى سيل أو جوار حريق فإنّ الماء يخاف لأنه بطبعه مجبول على السيلان والإغراق ، وكذا النار على الإحراق ؛ فالعلم بأسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لإحراق القلب وتألمه ، وذلك الإحراق هو الخوف ، فكذلك الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته ، وأنه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع ، وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصى ، وتارة يكون بهما جميعا . وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى واستغنائه وأنه ﴿لا يسئل عما يفعل وهم

يسئلون ﴾ فتكون قوة خوفه ؛ فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه ؛ ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم «أنا أخوفكم لله [1] » ، وكذلك قال الله تعالى ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ ثم إذا كملت المعرفة أورثت جلال الخوف واحتراق القلب ، ثم يفيض أثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات . أما فى البدن فبالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكاء ، وقد تنشق به المرارة فيفضى إلى الموت ، أو يصعد إلى الدماغ فيفسد العقل ، أو يقوى فيورث القنوط واليأس . وأما فى الجوارح فبكفها عن المعاصى وتقييدها بالطاعات تلافيا لما فرط واستعدادا للمستقبل ، ولذلك قيل : ليس الخائف من يبكى ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه وقال أبو القاسم الحكيم : من خاف شيئا هرب منه ، ومن خاف الله هرب إليه . وقيل لذى النون : متى يكون العبد خائفا : قال إذا نزل نفسه منزلة السقيم الذى يحتمى مخافة طول السقام . وأما فى الصفات فبأن يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصى المحبوبة عنده مكروهة ، كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه إذا عرف أن فيه سما ، فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ، ويحصل فى القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ، ويفارقه الكبر والحقد والحسد ، بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر فى خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالأنفاس واللحظات ومؤاخذة النفس بالخطرات والخطوات والكلمات ، ويكون حاله حال من وقع فى مخالب سبع ضار لا يدرى أنه يغفل عنه فيفلت أو يهجم عليه فيهلك ، فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره : هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه ، وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين وقوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذى هو تألم القلب واحتراقه ، وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله وصفاته وأفعاله وبعيوب النفس وما بين يديها من الأخطار والأهوال ، وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره فى الأعمال : أن يمنع عن المحظورات ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعا ، فإن زادت قوته كف عما يتطرق إليه إمكان التحريم فيكف أيضا عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى ، إذ التقوى : أن يترك ما يريبه إلى ما لا يريبه وقد يحمله على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق فى التقوى ، فإذا انضم إليه التجرد للخدمة فصار لا يبنى ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنها تفارقه ولا يصرف إلى غير الله تعالى نفسا من أنفاسه فهو الصدق ، وصاحبه جدير بأن يسمى صديقا ، ويدخل فى الصدق التقوى ، ويدخل فى التقوى الورع ، ويدخل فى الورع العفة فإنها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة ؛ فإذن الخوف يؤثر فى الجوارح بالكف والإقدام ويتجدد له بسبب الكف اسم العفة ، وهو كف عن مقتضى الشهوة وأعلى منه الورع فإنه أعم لأنه كف عن كل محظور ، وأعلى منه التقوى فإنه اسم للكف عن المحظور والشبهة جميعا ، ووراءه اسم الصديق والمقرب ، وتجرى الرتبة الآخرة مما قبلها مجرى الأخص من الأعم ؛ فإذا ذكرت الأخص فقد ذكرت الكل ، كما أنك تقول : الإنسان إما عربى وإما عجمى ، والعربى إما قرشى أو غيره ، والقرشى إما هاشمى أو غيره ، والهاشمى إما علوى أو غيره ، والعلوى إما حسنى أو حسينى ، فإذا ذكرت أنه حسنى مثلا فقد وصفته بالجميع ، وإن وصفته بأنه علوى وصفته بما هو فوقه مما هو أعم منه ، فكذلك إذا قلت صديق فقد قلت : إنه تقى وورع وعفيف ، فلا ينبغى أن تظن أن كثرة هذه الأسامى تدل على معان كثيرة متباينة ، فيختلط عليك كما اختلط

---

(١) حديث « أنا أخوفكم لله » أخرجه البخارى من حديث أنس « والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له » وللشيخين من حديث عائشة « والله انى لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية » .

على من طلب المعانى من الألفاظ ولم يتبع الألفاظ المعانى ، فهذه إشارة إلى مجامع معانى الخوف وما يكتنفه من جانب العلو كالمعرفة الموجبة له ومن جانب السفل كالأعمال الصادرة منه كفا وإقداما .

بيان درجات الخوف واختلافه فى القوة والضعف

اعلم أن الخوف محمود ، وربما يظن أن كل ما هو خوف محمود ، فكل ما كان أقوى وأكثر كان أحمد ! وهو غلط ، بل الخوف سوط الله يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى ، والأصلح للبهيمة أن لاتخلو عن سوط وكذا الصبى ، ولكن ذلك لايدل على أنّ المبالغة فى الضرب محمودة ، وكذلك الخوف له قصور وله إفراط وله اعتدال ، والمحمود هو الاعتدال والوسط ؛ فأما القاصر منه فهو الذى يجرى مجرى رقة النساء يخطر بالبال عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء وتفيض الدموع ، وكذلك عند مشاهدة سبب هائل ، فإذا غاب ذلك السبب عن الحس ورجع القلب إلى الغفلة ، فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضيب الضعيف الذى تضرب به دابة قوية لا يؤلمها ألما مبرحا فلا يسوقها إلى المقصد ولا يصلح لرياضتها ، وهكذا خوف الناس كلهم إلا العارفين والعلماء ، ولست أعنى بالعلماء المترسمين برسوم العلماء والمتسمين بأسمائهم فإنهم أبعد الناس عن الخوف ، بل أعنى العلماء بالله وبأيامه وأفعاله ، وذلك مما قد عز وجوده الآن ؛ ولذلك قال الفضيل بن عياض : إذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت ، فإنك إن قلت « لا » كفرت ، وإن قلت « نعم » كذبت ، وأشار به إلى أنّ الخوف هو الذى يكف الجوارح عن المعاصى ويقيدها بالطاعات ومالم يؤثر فى الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق أن يسمى خوفا . وأما المفرط فإنه الذى يقوى ويجاوز حدّ الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط ، وهو مذموم أيضا لأنه يمنع من العمل ، وقد يخرج الخوف أيضا إلى المرض والضعف وإلى الوله والدهشة وزوال العقل ؛ فالمراد من الخوف ماهو المراد من السوط وهو الحمل على العمل ، ولولاه لما كان الخوف كمالا لأنه بالحقيقة نقصان لأن منشأه الجهل والعجز . أما الجهل فإنه ليس يدرى عاقبة أمره ولو عرف لم يكن خائفا لأنّ الخوف هو الذى يتردد فيه . وأما العجز فهو أنه متعرض لمحذور لايقدر على دفعه ؛ فإذن هو محمود بالإضافة إلى نقص الآدمى ، وإنما المحمود فى نفسه وذاته هو العلم والقدرة ، وكل مايجوز أن يوصف الله تعالى به وما لا يجوز وصف الله تعالى به فليس بكمال فى ذاته ، وإنما يصير محمودا بالإضافة إلى نقص هو أعظم منه ، كما يكون احتمال ألم الدواء محمودا لأنه أهون من ألم المرض والموت ، فما يخرج إلى القنوط فهو مذموم ، وقد يخرج الخوف أيضا إلى المرض والضعف وإلى الوله والدهشة وزوال العقل ، وقد يخرج إلى الموت ، وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذى يقتل الصبى والسوط الذى يهلك الدابة أو يمرضها أو يكسر عضوا من أعضائها ، وإنما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسباب الرجاء وأكثر منها ليعالج به صدمة الخوف المفرط المفضى إلى القنوط أو أحد هذه الأمور ، فكل ما يراد لأمر فالمحمود منه ما يفضى إلى المراد المقصود منه ، وما يقصر عنه أو يجاوزه فهو مذموم ، وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والفكر والذكر وسائر الأسباب الموصلة إلى الله تعالى ، وكل ذلك يستدعى الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل ، فكل مايقدح فى هذه الأسباب فهو مذموم .

* فإن قلت : من خاف فمات من خوفه فهو شهيد ، فكيف يكون حاله مذموما ! فاعلم أنّ معنى كونه شهيدا أنّ له رتبة بسبب موته من الخوف كان لاينالها لو مات فى ذلك الوقت لابسبب الخوف ، فهو بالإضافة إليه فضيلة ، فأما بالإضافة إلى تقدير بقائه وطول عمره فى طاعة الله وسلوك سبله فليس بفضيلة ، بل للسالك إلى الله تعالى بطريق

الفكر والمجاهدة والترقى فى درجات المعارف فى كل لحظة رتبة شهيد وشهداء ، ولولا هذا لكانت رتبة صبى يقتل أو مجنون يفترسه سبع أعلى من رتبة نبى أو ولى يموت حتف أنفه ، وهو محال ، فلا ينبغى أن يظن هذا ، بل أفضل السعادات طول العمر فى طاعة الله تعالى ؛ فكل ما أبطل العمر أو العقل أو الصحة التى يتعطل العمر بتعطيلها فهو خسران ونقصان بالإضافة إلى أمور ، وإن كان بعض أقسامها فضيلة بالإضافة إلى أمور أخر ! كما كانت الشهادة فضيلة بالإضافة إلى ما دونها لا بالإضافة إلى درجة المتقين والصديقين ، فإذن الخوف إن لم يؤثر فى العمل فوجوده كعدمه ، مثل السوط الذى لا يزيد فى حركة الدابة ، وإن أثر فله درجات بحسب ظهور أثره ، فإن لم يحمل إلا على العفة وهى الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة ، فإذا أثمر الورع فهو أعلى ، وأقصى درجاته أن يثمر درجات الصديقين : وهو أن يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى حتى لا يبقى لغير الله تعالى فيه متسع ؛ فهذا أقصى ما يحمد منه ، وذلك مع بقاء الصحة والعقل ؛ فإن جاوز هذا إلى إزالة العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه إن قدر عليه ، ولو كان محمودا لما وجب علاجه بأسباب الرجاء وبغيره حتى يزول ، ولذلك كان سهل رحمه الله يقول للمريدين الملازمين للجوع أياما كثيرة : احفظوا عقولكم فإنه لم يكن لله تعالى ولى ناقص العقل .

بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى مايخاف منه

اعلم أن الخوف لا يتحقق إلا بانتظار مكروه ، والمكروه أما أن يكون مكروها فى ذاته كالنار وإما أن يكون مكروها لأنه يفضى إلى المكروه ، كما تكره المعاصى لأدائها إلى مكروه فى الآخرة وكما يكره المريض الفواكه المضرة لأدائها إلى الموت ، فلابد لكل خائف من أن يتمثل فى نفسه مكروها من أحد القسمين ويقوى انتظاره فى قلبه حتى يحرق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه ، ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة ، فالذين يغلب على قلوبهم ماليس مكروها لذاته بل لغيره : كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة ، أو خوف نقض التوبة ونكث العهد ، أو خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله تعالى ، أو خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة . أو خوف الميل عن الاستقامة ، أو خوف استيلاء العادة فى اتباع الشهوات المألوفة ، أو خوف أن يكله الله تعالى إلى حسناته التى أتكل عليها وتعززبها فى عباد الله ، أو خوف البطر بكثرة نعم الله عليه ، أو خوف الاشتغال عن الله بغير الله أو خوف الاستدراج بتواتر النعم : أو خوف انكشاف غوائل طاعاته حيث يبدو له من الله مالم يكن يحتسب ، أو خوف تبعات الناس عنده فى الغيبة والخيانة والغش وإضمار السوء ، أو خوف مالا يدرى أنه يحدث فى بقية عمره أو خوف تعجيل العقوبة فى الدنيا والافتضاح قبل الموت ، أو خوف الاغترار بزخارف الدنيا ، أو خوف اطلاع الله على سريرته فى حال غفلته عنه . أو خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء ، أو خوف السابقة التى سبقت له فى الأزل . فهذه كلها مخاوف ، ولكل واحد خصوص فائدة : وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضى إلى المخوف ، فمن يخاف استيلاء العادة عليه فيواظب على الفطام عن العادة ، والذى يخاف من اطلاع الله تعالى على سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوساوس ، وهكذا إلى بقية الأقسام . وأغلب هذه المخاوف على اليقين خوف الخاتمة ، فإن الأمر فيه مخطر ، وأعلى الأقسام وأدلها على كمال المعرفة خوف السابقة ؛ لأن الخاتمة تتبع السابقة وفرع يتفرع عنها بعد تخلل أسباب كثيرة ، فالخاتمة تظهر ماسبق به القضاء فى أم الكتاب ، والخائف من الخاتمة بالإضافة إلى الخائف من السابقة كرجلين وقع الملك فى حقهما بتوقيع يحتمل أن يكون فيه حز الرقبة ويحتمل أن يكون فيه تسليم الوزارة إليه ولم يصل التوقيع إليهما بعد ، فيرتبط قلب أحدهما بحالة وصول التوقيع ونشره وأنه

عماذا يظهر ، ويرتبط قلب الآخر بحالة توقيع الملك وكيفيته وأنه ماالذى خطر له فى حال التوقيع من رحمة أو غضب وهذا التفات إلى السبب فهو أعلى من الالتفات إلى ماهو فرع ، فكذلك الالتفات إلى القضاء الأزلى الذى جرى بتوقيعه القلم أعلى من الالتفات إلى مايظهر فى الأبد ؛ وإليه أشار النبى صلى الله عليه وسلم حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال : « هذا كتاب الله كتب فيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص » ثم قبض كفه اليسرى وقال « هذا كتاب الله كتب فيه أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص وليعملن أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ، ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة . وليعملن أهل الشقاوة بعمل أهل السعادة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ، ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة ، السعيد من سعد بقضاء الله ، والشقى من شقى بقضاء الله ، والأعمال بالخواتيم [1] ! وهذا كانقسام الخائفين إلى من يخاف معصيته وجنايته ، وإلى من يخاف الله تعالى نفسه لصفته وجلاله وأوصافه التى تقتضى الهيبة لا محالة ، فهذا أعلى رتبة ، ولذلك يبقى خوفه وإن كان فى طاعة الصدّيقين ، وأما الآخر فهو فى عرصة الغرور والأمن : إن واظب على الطاعات فالخوف من المعصية خوف الصالحين ، والخوف من الله خوف الموحدين والصدّيقين ، وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى ، وكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ماهو جدير بأن يخاف من غير جناية ؛ بل العاصى لو عرف الله حق المعرفة لخاف الله ولم يخف معصيته ، ولولا أنه مخوف فى نفسه لما سخره للمعصية ويسر له سبيلها ومهد له أسبابها ، فإن تيسير أسباب المعصية إبعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها أن يسخر للمعصية وتجرى عليه أسبابها ولا سبق قبل الطاعة وسيلة توسل بها من يسرت له الطاعات ومهد له سبيل القربات ، فالعاصى قد قضى عليه بالمعصية شاء أم أبى ، وكذا المطيع فالذى يرفع محمدا صلى الله عليه وسلم إلى أعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ويضع أبا جهل فى أسفل سافلين من غير جناية سبقت منه قبل وجوده جدير بأن يخاف منه لصفة جلاله ، فإنّ من أطاع الله أطاع بأن سلط عليه إرادة الطاعة وآتاه القدرة وبعد خلق الإرادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا ، والذى عصى عصى لأنه سلط عليه إرادة قوية جازمة وآتاه الأسباب والقدرة ، فكان الفعل بعد الإرادة والقدرة ضروريا ، فليت شعرى ماالذى أوجب إكرام هذا وتخصيصه بتسليط إرادة الطاعات عليه ، وماالذى أوجب إهانة الآخر وإبعاده بتسليط دواعى المعصية عليه ، وكيف يحال ذلك على العبد ؟ وإذا كانت الحوالة ترجع إلى القضاء الأزلى من غير جناية ولا وسيلة فالخوف ممن يقضى بما يشاء ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل ، ووراء هذا المعنى سر القدر لا يجوز إفشاؤه ولا يمكن أن تفهم الخوف منه فى صفاته جل جلاله إلا بمثال لولا إذن الشرع لم يستجرئ على ذكره ذو بصيرة ، فقد جاء فى الخبر : إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام : ياداود خفنى كما تخاف السبع الضارى [2] . فهذا المثال يفهمك حاصل المعنى وإن كان لا يقف بك على سببه فإنّ الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ، ولا يكشف ذلك إلا لأهله . والحاصل أن السبع يخاف لا لجناية سبقت إليه منك بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته ، ولأنه يفعل مايفعل ولا يبالى ، فإن قتلك لم يرق قلبه ولا يتألم بقتلك وإن خلاك لم يخلك شفقة عليك وإبقاء على روحك بل أنت عنده أخس من أن يلتفت إليك حيا كنت أو ميتا بل إهلاك ألف مثلك وإهلاك نملة عنده على وتيرة واحدة ، إذ لا يقدح

(١) حديث « هذا كتاب من الله كتب فيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص وقال : حسن صحيح غريب . (٢) حديث « ان الله تعالى أوحى الى داود : ياداود ، خفنى كما يخاف السبع الضارى » لم أجد له أصلا ، ولعل المصنف قصد بإيراده أنه من الإسرائيليات ، فانه عبر عنه بقوله : جاء فى الخبر ، وكثيرا مايعبر بذلك عن الإسرائيليات التى هى غير مرفوعة

ذلك فى عالم سبعيته وماهو موصوف به من قدرته وسطوته ، ولله المثل الأعلى ، ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التى هى أقوى وأوثق وأجلى من المشاهدة الظاهرة أنه صادق فى قوله « هؤلاء إلى الجنة ولا أبالى وهؤلاء إلى النار ولا أبالى » ويكفيك من موجبات الهيبة والخوف المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة . الطبقة الثانية من الخائفين : أن يتشمل فى أنفسهم ماهو المكروه ، وذلك مثل سكرات الموت وشدّته ، أو سؤال منكر ونكير ، أو عذاب القبر ، أو هول المطلع ، أو هيبة الموقف بين يدى الله تعالى والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير ، أو الخوف من الصراط وحدّته وكيفية العبور عليه ، أو الخوف من النار وأغلالها وأهوالها ، أو الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم والملك المقيم وعن نقصان الدرجات ، أو الخوف من الحجاب عن الله تعالى ، وكل هذه الأسباب مكروهة فى نفسها فهى لامحالة مخوفة وتختلف أحوال الخائفين فيها . وأعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين وماقبل ذلك هو خوف العاملين والصالحين والزاهدين وكافة العالمين ، ومن لم تكمل معرفته ولم تتفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بألم البعد والفراق ، وإذا ذكر له أن العارف لايخاف النار وإنما يخاف الحجاب وجد ذلك فى باطنه منكرا وتعجب منه فى نفسه ، وربما أنكر لذة النظر إلى وجه الله الكريم لولا منع الشرع إياه من إنكاره ، فيكون اعترافه به باللسان عن ضرورة التقليد ، وإلا فباطنه لايصدّق به لأنه لايعرف إلا لذة البطن والفرج والعين بالنظر إلى الألوان والوجوه الحسان ، وبالجملة كل لذة تشاركه فيها البهائم ؛ فأما لذة العارفين فلا يدركها غيرهم ، وتفصيل ذلك وشرحه حرام مع من ليس أهلا له ، ومن كان أهلا له استبصر بنفسه واستغنى عن أن يشرحه له غيره ، فإلى هذه الأقسام يرجع خوف الخائفين ، نسأل الله تعالى حسن التوفيق بكرمه .

بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه

اعلم أنّ فضل الخوف تارة يعرف بالتأمل والاعتبار ، وتارة بالآيات والأخبار .

أما الاعتبار فسبيله أنّ فضيلة الشىء بقدر غنائه فى الإفضاء إلى سعادة لقاء الله تعالى فى الآخرة ، إذ لامقصود سوى السعادة ، ولا سعادة للعبد إلا فى لقاء مولاه والقرب منه ؛ فكل ما أعان عليه فله فضيلة ، وفضيلته بقدر غايته ، وقد ظهر أنه لاوصول إلى سعادة لقاء الله فى الآخرة إلا بتحصيل محبته والأنس به فى الدنيا ، ولا تحصل المحبة إلا بالمعرفة ، ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر ، ولا يحصل الأنس إلا بالمحبة ودوام الذكر ، ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر إلا بانقطاع حب الدنيا من القلب ، ولا ينقطع ذلك إلا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات إلا بقمع الشهوات ، ولا تنقمع الشهوة بشىء كما تنقمع بنار الخوف ؛ فالخوف هو النار المحرقة للشهوات ؛ فإن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات وبقدر ما يكف عن المعاصى ويحث على الطاعات ، ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق ، وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهى الأعمال الفاضلة المحمودة التى تقرّب إلى الله زلفى .

وأما بطريق الاقتباس من الآيات والأخبار فما ورد فى فضيلة الخوف خارج عن الحصر ، وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهى مجامع مقامات أهل الجنان ، وقال الله تعالى ﴿ وهدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ﴾ وقال تعالى ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وصفهم بالعلم لخشيتهم . وقال عز وجل ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه ﴾ وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف ، لأنّ الخوف ثمرة العلم ، ولذلك جاء فى خبر موسى عليه أفضل الصلاة والسلام: وأما الخائفون

فإنّ لهم الرفيق الأعلى لا يشاركون فيه ، فانظر كيف أفردهم بمرافقة الرفيق الأعلى ، وذلك لأنهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الأنبياء لأنهم ورثة الأنبياء ومرافقة الرفيق الأعلى للأنبياء ومن يلحق بهم ، ولذلك لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرض موته بين البقاء فى الدنيا وبين القدوم على الله تعالى كان يقول « أسألك الرفيق الأعلى [1] » فإذن إن نظر إلى مثمره فهو العلم ، وإن نظر إلى ثمرته فالورع والتقوى ، ولا يخفى ما ورد فى فضائلهما ، حتى إنّ العاقب صارت موسومة بالتقوى مخصوصة بها ، كما صار الحمد مخصوصا بالله تعالى والصلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى يقال : الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله أجمعين . وقد خصص الله تعالى التقوى بالإضافة إلى نفسه فقال تعالى ﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ﴾ وإنما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف - كما سبق - ولذلك قال تعالى ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ ولذلك أوصى الله تعالى الأولين والآخرين بالتقوى فقال تعالى ﴿ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ﴾ وقال عز وجل ﴿ وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ فأمر بالخوف وأوجبه وشرطه فى الإيمان . فلذلك لا يتصور أن ينفك مؤمن عن خوف وإن ضعف ، ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فضيلة التقوى « وإذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم فإذا هم بصوت يسمع أقصاهم كما يسمع أدناهم فيقول : يا أيها الناس إنى قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا فأنصتوا إلى اليوم ، إنما هى أعمالكم ترد عليكم ، أيها الناس : إنى قد جعلت نسبا وجعلتم نسبا ، فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم ، قلت ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ وأبيتم إلا أن تقولوا فلان بن فلان وفلان أغنى من فلان ، فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي ، أين المتقون ؟ فيرفع للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم إلى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب [2] » وقال عليه الصلاة والسلام « رأس الحكمة مخافة الله [3] » وقال عليه الصلاة والسلام لابن مسعود « إن أردت أن تلقانى فأكثر من الخوف بعدى [4] » وقال الفضيل : من خاف الله دله الخوف على كل خير . وقال الشبلى رحمه الله : ما خفت الله يوما إلا رأيت له بابا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط . وقال يحيى بن معاذ : ما من مؤمن يعمل السيئة إلا ويلحقها حسنتان : خوف العقاب ورجاء العفو كثعلب بين أسدين . وفى خبر موسى عليه الصلاة والسلام وأما الورعون فإنه لا يبقى أحد إلا ناقشته الحساب وفتشت عما فى يديه إلا الورعين فإنى أستحى منهم وأجلهم أن أوقفهم للحساب .

والورع والتقوى أسام اشتقت من معان شرطها الخوف ، فإن خلت عن الخوف لم تسم بهذه الأسامى ، وكذلك ما ورد فى فضائل الذكر لا يخفى ، وقد جعله الله تعالى مخصوصا بالخائفين فقال ﴿ سيذكر من يخشى ﴾

---

(١) حديث : لما خير فى مرض موته كان يقول « أسألك الرفيق الأعلى » متفق عليه من حديث عائشة قالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح « إنه لم يقبض نبى حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير » فلما نزل به ورأسه فى حجرى غشى عليه ثم أفاق فأشخص ببصره إلى سقف البيت ثم قال « اللهم الرفيق الأعلى » فعلمت أنه لا يختارنا ، وعرفت أنه الحديث الذى كان يحدثنا وهو صحيح ... الحديث . (٢) حديث « إذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمعه أقصاهم كما يسمعه أدناهم فيقول : يا أيها الناس إنى قد أنصت إليكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا فأنصتوا إلى اليوم ، إنما هى أعمالكم ترد عليكم ، أيها الناس إنى جعلت نسبا ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط والحاكم فى المستدرك بسند ضعيف والثعلبى فى التفسير مقتصرا على آخره « إنى جعلت نسبا ... الحديث » من حديث أبى هريرة .

(٣) حديث « رأس الحكمة مخافة الله » رواه أبو بكر بن لال الفقيه فى مكارم الأخلاق ، والبيهقى فى الشعب ، وضعفه من حديث ابن مسعود ، ورواه فى دلائل النبوة من حديث عقبة بن عامر ولا يصح أيضا .

(٤) حديث « إن أردت أن تلقانى فأكثر من الخوف بعدى » قاله لابن مسعود : لم أقف له على أصل .

وقال تعالى ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل : وعزتى لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين فإن أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة ، وإن خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « من خاف الله تعالى خافه كل شىء ، ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شىء [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « أتمكم عقلا أشدكم خوفا لله تعالى ، وأحسنكم فيما أمر الله تعالى به ونهى عنه نظراً [3] » وقال يحيى بن معاذ رحمة الله عليه : مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة . وقال ذو النون رحمه الله تعالى : من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد حبه وصح له لبه . وقال ذو النون أيضا : ينبغى أن يكون الخوف أبلغ من الرجاء فإذا غلب الرجاء تشوش القلب وكان أبو الحسين الضرير يقول : علامة السعادة خوف الشقاوة ، لأن الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده ، فإذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين . وقيل ليحيى بن معاذ من آمن الخلق غدا ؟ فقال : أشدهم خوفا اليوم . وقال سهل رحمه الله : لا تجد الخوف حتى تأكل الحلال . وقيل للحسن : يا أبا سعيد ، كيف نصنع ؟ نجالس أقواما يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير ! فقال : والله إنك إن تخالط أقواما يخوفونك حتى يدركك أمن ؛ خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى يدركك الخوف . وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله ما فارق الخوف قلبا إلا خرب . وقالت عائشة رضى الله عنها : قلت يارسول الله ﴿ الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ﴾ هو الرجل يسرق ويزنى ؟ قال « لا ، بل الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه [4] » والتشديدات الواردة فى الأمن من مكر الله وعذابه لا تنحصر ، وكل ذلك ثناء على الخوف ، لأن مذمة الشىء ثناء على ضده الذى ينفيه ، وضد الخوف الأمن ، كما أن ضد الرجاء اليأس ، وكما دلت مذمة القنوط على فضيلة الرجاء فكذلك تدل مذمة الأمن على فضيلة الخوف المضاد له بل نقول : كل ما ورد فى فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لأنهما متلازمان ، فإن كل من رجا محبوبا فلا بد وأن يخاف فوته ، فإن كان لا يخاف فوته فهو إذاً لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجيا ، فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل انفكاك أحدهما عن الآخر ، نعم يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر وهما مجتمعان ، ويجوز أن يشتغل القلب بأحدهما ولا يلتفت إلى الآخر فى الحال لغفلته عنه ، وهذا لأن من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه ، إذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف ؛ فإذن المحبوب الذى يجوز وجوده يجوز عدمه لا محالة ؛ فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء ؛ وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف ، والتقديران يتقابلان لا محالة إذا كان ذلك الأمر المنتظر مشكوكا فيه ، نعم أحد طرفى الشك قد يترجح على الآخر بحضور بعض الأسباب ويسمى ذلك ظنا ، فيكون ذلك سبب غلبة أحدهما على الآخر ، فإذا غلب على الظن وجود المحبوب قوى الرجاء وخفى الخوف بالإضافة إليه ، وكذا بالعكس ، وعلى كل حال فهما متلازمان ، ولذلك قال تعالى ﴿ ويدعوننا رغبا ورهبا ﴾ وقال عز وجل ﴿ يدعون ربهم خوفا وطمعا ﴾ ولذلك عبر العرب عن الخوف

---

(١) حديث « لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين » أخرجه ابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة ، ورواه ابن المبارك فى الزهد وابن أبى الدنيا فى كتاب الخائفين من رواية الحسن مرسلا .

(٢) حديث « من خاف الله خافه كل شىء ... الحديث » رواه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب من حديث أبى أمامة بسند ضعيف جدا . ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الخائفين بإسناد ضعيف معضل ، وقد تقدم .

(٣) حديث « أتمكم عقلا أشدكم لله خوفا ... الحديث » لم أقف له على أصل ، ولم يصح فى فضل العقل شىء .

(٤) حديث عائشة : قلت يارسول الله ﴿ الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ﴾ هو الرجل يسرق ويزنى ؟ قال « لا ... الحديث » رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد . قلت : بل منقطع بين عائشة وبين عبد الرحمن بن سعد بن وهب قال الترمذى وروى عن الرحمن بن حازم عن أبى هريرة .

بالرجاء ، فقال تعالى ﴿ مالكم لاترجون لله وقارا ﴾ أى لاتخافون ، وكثيرا ماورد فى القرآن الرجاء بمعنى الخوف وذلك لتلازمهما ، إذ عادة العرب التعبير عن الشيء بما يلازمه ، بل أقول : كل ماورد فى فضل البكاء من خشية الله فهو إظهار لفضيلة الخشية ، فإن البكاء ثمرة الخشية فقد قال تعالى ﴿ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ﴾ وقال تعالى ﴿ يبكون ويزيدهم خشوعا ﴾ وقال عز وجل ﴿ أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولاتبكون وأنتم سامدون ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد مؤمن تخرج من عينيه دمعة وإن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيئا من حر وجهه إلا حرمه الله على النار [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجرة ورقها [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « لايلج النار أحد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن فى الضرع [3] » وقال عقبة بن عامر : ما النجاة يارسول الله ؟ قال « أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك [4] » وقالت عائشة رضى الله عنها : قلت يارسول الله أيدخل أحد من أمتك الجنة بغير حساب ؟ قال « نعم من ذكر ذنوبه فبكى [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله تعالى أو قطرة دم أهريقت فى سبيل الله سبحانه وتعالى [6] » وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم ارزقنى عينين هطالتين تشفيان القلب بذروف الدمع مع خشيتك قبل أن تصير الدموع دما والأضراس جمرا [7] » وقال صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله يوم لاظل إلا ظله » وذكر منهم « رجلا ذكر الله خاليا ففاضت عيناه [8] » .

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : من استطاع أن يبكى فليبك ومن لم يستطع فليتباك .

وكان محمد بن المنكدر رحمه الله إذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول . بلغنى أن النار لاتأكل موضعا مسته الدموع .

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما : ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا ، فوالذى نفسى بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته ، وصلى حتى ينكسر صلبه .

وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله : ماتغرغرت عين بمائها إلا لم يرهق وجه صاحبها قتر ولاذلة يوم القيامة ،

---

(١) حديث « مامن مؤمن يخرج من عينه دمعة ولو كانت مثل رأس الذباب ... الحديث » أخرجه الطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث ابن مسعود بسند ضعيف . (٢) حديث « إذا اقشعر جلد المؤمن من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه ... الحديث » أخرجه الطبرانى والبيهقى فيه من حديث العباس بسند ضعيف . (٣) حديث « لايلج النار عبد بكى من خشية الله ... الحديث » أخرجه الترمذى وقال : حسن صحيح ، والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة .

(٤) حديث قال عقبة بن عامر : ما النجاة يارسول الله ؟ قال « أمسك عليك لسانك ... الحديث » تقدم .

(٥) حديث عائشة : قلت أيدخل الجنة أحد من أمتك بغير حساب ؟ قال « نعم من ذكر ذنوبه فبكى » لم أقف له على أصل .

(٦) حديث « مامن قطرة أحب إلى الله من قطرة دمعة من خشية الله ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أبى أمامة وقال : حسن غريب ، وقد تقدم . (٧) حديث « اللهم ارزقنى عينين هطالتين يشفيان القلب بذروف الدمع .. الحديث » أخرجه الطبرانى فى الكبير فى الدعاء وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر بإسناد حسن ، ورواه الحسين المروزى فى زياداته على الزهد والرقائق لابن المبارك من رواية سالم بن عبد الله مرسلا دون ذكر « الله » وذكر الدارقطنى فى العلل أن من قال فيه « عن أبيه » وهم ، وإنما هو عن سالم بن عبد الله مرسلا ، قال : وسالم هذا يشبه أن يكون سالم بن عبد الله المحاربى وليس بابن عمر انتهى ، وماذكره من أنه سالم المحاربى هو الذى يدل عليه كلام البخارى فى التاريخ ومسلم فى الكنى وابن أبى حاتم عن أبيه وأبى أحمد الحاكم فإن الراوى له عن سالم عبد الله أبو سلمة ، وإنما ذكروا له رواية عن سالم المحاربى والله أعلم . نعم حكى ابن عساكر فى تاريخه الخلاف فى أن الذى يروى عن سالم المحاربى أو سالم بن عبد الله بن عمر . (٨) حديث « سبعة يظلهم الله فى ظله ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة ، وقد تقدم .

فإن سالت دموعه أطفأ الله بأول قطرة منها بحارا من النيران ، ولو أن رجلا بكى فى أمة ماعذبت تلك الأمة .

وقال أبو سليمان البكاء من الخوف ، والرجاء والطرب من الشوق .

وقال كعب الأحبار رضى الله عنه . والذى نفسى بيده ؛ لأن أبكى من خشية الله حتى تسيل دموعى على وجنتى أحب إلى من أن أتصدق بجبل من ذهب .

وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما . لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إلى من أن أتصدق بألف دينار .

وروى عن حنظلة قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعت إلى أهلى فدنت منى المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذنا فى الدنيا ، ثم تذكرت ما كنا فيه فقلت فى نفسى . قد نافقت حيث تحول عنى ما كنت فيه من الخوف والرقة ، فخرجت وجعلت أنادى . نافق حنظلة ، فاستقبلنى أبو بكر الصديق رضى الله عنه فقال . كلا لم ينافق حنظلة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول . نافق حنظلة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « كلا لم ينافق حنظلة » فقلت يارسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا ، فرجعت إلى أهلى فأخذنا فى حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك عليه . فقال صلى الله عليه وسلم « ياحنظلة لو أنكم كنتم أبدا على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة فى الطريق وعلى فراشكم ؛ ولكن ياحنظلة ساعة وساعة [1] »

فإذن كل ماورد فى فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومذمة الأمن فهو دلالة على فضل الخوف ؛ لأن جملة ذلك متعلقة به إما تعلق السبب أو تعلق المسبب .

بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما

اعلم أن الأخبار فى فضل الخوف والرجاء قد كثرت وربما ينظر الناظر اليها فيعتريه شك فى أن الأفضل أيهما ، وقول القائل : الخوف أفضل أم الرجاء ؟ سؤال فاسد يضاهى قول القائل : الخبز أفضل أم الماء ؟ وجوابه أن يقال : الخبز أفضل للجائع ، والماء أفضل للعطشان ، فإن اجتمعا نظر إلى الأغلب : فإن كان الجوع أغلب فالخبز أفضل ، وإن كان العطش أغلب فالماء أفضل ، وإن استويا فهما متساويان ، وهذا لأن كل مايراد لمقصود ففضله يظهر بالإضافة إلى مقصوده لا إلى نفسه ، والخوف والرجاء دواءان يداوى بهما القلوب ، ففضلهما بحسب الداء الموجود ، فإن كان الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله تعالى والاغترار به فالخوف أفضل ، وإن كان الأغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء أفضل ، وكذلك إن كان الغالب على العبد المعصية فالخوف أفضل ، ويجوز أن يقال مطلقا : الخوف أفضل على التأويل الذى يقال فيه الخبز أفضل من السكنجبين ، إذ يعالج بالخبز مرض الجوع ، وبالسكنجبين مرض الصفراء ، ومرض الجوع أغلب وأكثر فالحاجة إلى الخبز أكثر فهو أفضل ، فبهذا الاعتبار غلبة الخوف أفضل ؛ لأن المعاصى والاغترار على الخلق أغلب ، وإن نظر إلى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء أفضل لأنه مستقى من بحر الرحمة ، ومستقى الخوف من بحر الغضب ، ومن لاحظ من صفات الله تعالى مايقتضى اللطف والرحمة كانت المحبة عليه أغلب ، وليس وراء المحبة مقام . وأما الخوف فمستنده الالتفات إلى الصفات التى تقتضى العنف فلا تمازجه المحبة ممازجتها للرجاء .

---

(١) حديث حنظلة : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا ... الحديث ، وفيه « نافق حنظلة الحديث » وفيه « ولكن ياحنظلة ساعة وساعة » أخرجه مسلم مختصرا .

وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغى أن يستعمل فيه لفظ الأصلح لا لفظ الأفضل فنقول : أكثر الخلق الخوف لهم أصلح من الرجاء ، وذلك لأجل غلبة المعاصى . فأما التقى الذى ترك ظاهر الإثم وباطنه وخفيه وجليه فالأصلح أن يعتدل خوفه ورجاؤه ، ولذلك قيل : لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا . وروى أن عليا كرم الله وجهه قال لبعض ولده : يابنى خف الله خوفا ترى أنك لو أتيته بحسنات أهل الأرض لم يتقبلها منك ، وارج الله رجاء ترى أنك لو أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك ، ولذلك قال عمر رضى الله عنه : لو نودى ليدخل النار كل الناس إلا رجلا واحدا لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ، ولو نودى ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلا واحدا لخشيت أن أكون أنا ذلك الرجل ، وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالها مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوى ؛ فمثل عمر رضى الله عنه ينبغى أن يستوى خوفه ورجاؤه ؛ فأما العاصى إذا ظن أنه الرجل الذى استثنى من الذين أمروا بدخول النار كان ذلك دليلا على اغتراره .

* فإن قلت : مثل عمر رضى الله عنه لا ينبغى أن يتساوى خوفه ورجاؤه ، بل ينبغى أن يغلب رجاؤه كما سبق فى أول كتاب الرجاء ، وأن قوته ينبغى أن تكون بحسب قوة أسبابه كما مثل بالزرع والبذر ، ومعلوم أن من بث البذر الصحيح فى أرض نقية وواظب على تعهدها وجاء بشروط الزراعة جميعها غلب على قلبه رجاء الإدراك ولم يكن خوفه مساويا لرجائه . فهكذا ينبغى أن تكون أحوال المتقين ! فاعلم أن من يأخذ المعارف من الألفاظ والأمثلة يكثر زلله ، وذلك وإن أوردناه مثالا فليس يضاهى مانحن فيه من كل وجه ، لأن سبب غلبة الرجاء العلم الحاصل بالتجربة ، إذ علم بالتجربة صحة الأرض ونقاؤها ، وصحة البذر وصحة الهواء وقلة الصواعق المهلكة فى تلك البقاع وغيرها ، وإنما مثال مسألتنا بذر لم يجرب جنسه وقد بث فى أرض غريبة لم يعهدها الزارع ولم يختبرها ، وهى فى بلاد ليس يدرى أتكثر الصواعق فيها أم لا ، فمثل هذا الزارع وإن أدى كنه مجهوده وجاء بكل مقدوره فلا يغلب رجاؤه على خوفه ، والبذر فى مسألتنا هو الإيمان ـ وشروط صحته دقيقة ، والأرض القلب ـ وخفايا خبثه وصفائه من الشرك الخفى والنفاق والرياء وخفايا الأخلاق فيه غامضة ، والآفات هى الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب إليها فى مستقبل الزمان وإن سلم فى الحال ، وذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة ، إذ قد يعرض من الأسباب مالا يطاق مخالفته ولم يجرب مثله ، والصواعق هى أهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده ، وذلك مما لم يجرب مثله ، ثم الحصاد والإدراك عند المنصرف من القيامة إلى الجنة وذلك لم يجرب ، فمن عرف حقائق هذه الأمور فإن كان ضعيف القلب جبانا فى نفسه غلب خوفه على رجائه لامحالة كما سيحكى فى أحوال الخائفين من الصحابة والتابعين ، وإن كان قوى القلب ثابت الجأش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه ، فأما أن يغلب رجاؤه فلا ، ولقد كان عمر رضى الله عنه يبالغ فى تفتيش قلبه حتى كان يسأل حذيفة رضى الله عنه أنه هل يعرف به من آثار النفاق شيئا ، إذ كان قد خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم المنافقين[1] ، فمن ذا الذى يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفى ، وإن اعتقد نقاء قلبه عن ذلك فمن أين يأمن مكر الله تعالى بتلبيس حاله عليه وإخفاء عيبه عنه ؟ وإن وثق به فمن أين يثق ببقائه على ذلك إلى تمام حسن الخاتمة ؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر[2] » . وفى رواية « إلا قدر فواق

---

(١) حديث : أن حذيفة كان خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم المنافقين أخرجه مسلم من حديث حذيفة « فى أصحابى اثنا عشر منافقا » تمامه « لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ... الحديث » .

(٢) حديث « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر » وفى رواية « الا قدر فواق =

ناقة فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار » وقدر فواق الناقة لايحتمل عملا بالجوارح إنما هو بمقدار خاطر يختلج فى القلب عند الموت فيقتضى خاتمة السوء ، فكيف يؤمن ذلك ؟ فإذن أقصى غايات المؤمن أن يعتدل خوفه ورجاؤه ، وغلبة الرجاء فى غالب الناس تكون مستندة الاغترار وقلة المعرفة ، ولذلك جمع الله تعالى بينهما فى وصف من أثنى عليهم فقال تعالى ﴿يدعون ربهم خوفاً وطمعاً﴾ وقال عز وجل ﴿ويدعوننا رغبا ورهبا﴾ وأين مثل عمر رضى الله عنه ؟ فالخلق الموجودة فى هذا الزمان كلهم الأصلح لهم غلبة الخوف ، بشرط أن لايخرجهم إلى اليأس وترك العمل وقطع الطمع من المغفرة فيكون ذلك سببا للتكاسل عن العمل وداعيا إلى الانهماك فى المعاصى فإن ذلك قنوط وليس بخوف ، إنما الخوف هو الذى يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون إلى الدنيا ويدعوه إلى التجافى عن دار الغرور فهو الخوف المحمود ، دون حديث النفس الذى لايؤثر فى الكف والحث ودون اليأس الموجب للقنوط .

وقد قال يحيى بن معاذ : من عبد الله تعالى بمحض الخوف غرق فى بحار الأفكار ، ومن عبده بمحض الرجاء تاه فى مفازة الاغترار ، ومن عبده بالخوف والرجاء استقام فى محجة الادّكار .

وقال مكحول الدمشقى : من عبد الله بالخوف فهو حرورى ، ومن عبده بالرجاء فهو مرجئ ، ومن عبده بالمحبة فهو زنديق ، ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد .

فإذن لابد من الجمع بين هذه الأمور ، وغلبة الخوف هو الأصلح ولكن قبل الإشراف على الموت ، أما عند الموت فالأصلح غلبة الرجاء وحسن الظن ، لأن الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل ، فالمشرف على الموت لايقدر على العمل ثم لايطيق أسباب الخوف ، فإن ذلك يقطع نياط قلبه ويعين على تعجيل موته ، وأما روح الرجاء فإنه يقوى قلبه ويحبب إليه ربه الذى إليه رجاؤه ، ولا ينبغى أن يفارق أحد الدنيا إلا محباً لله تعالى ليكون محبا للقاء الله تعالى ، فإنّ من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه ، والرجاء تقارنه المحبة فمن ارتجى كرمه فهو محبوب ، والمقصود من العلوم والأعمال كلها معرفة الله تعالى حتى تثمر المعرفة المحبة ، فإن المصير إليه والقدوم بالموت عليه ، ومن قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته ، ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه ، فمهما كان القلب الغالب عليه عند الموت حب الأهل والولد والمال والمسكن والعقار والرفقاء والأصحاب : فهذا رجل محابه كلها فى الدنيا ، فالدنيا جنته ، إذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب ، فموته خروج من الجنة وحيلولة بينه وبين مايشتهيه ، ولا يخفى حال من يحال بينه وبين مايشتهيه ، فإذا لم يكن له محبوب سوى الله تعالى وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه والدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا إذن سجنه ، لأن السجن عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس عن الاسترواح إلى محابه ، فموته قدوم على محبوبه وخلاص من السجن ولا يخفى حال من أفلت من السجن وخلى بينه وبين محبوبه بلا مانع ولا مكدّر ، فهذا أول مايلقاه كل من فارق الدنيا عقيب موته من الثواب والعقاب فضلا عما أعده الله لعباده الصالحين مما لم تره عين ولا تسمعه أذن ولاخطر على قلب بشر ، وفضلا عما أعده الله تعالى للذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ورضوا بها واطمأنوا إليها من

= ناقة ... الحديث» أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة « ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له بعمل أهل النار » وللبزار والطبرانى فى الأوسط « سبعين سنة » واسناده حسن . وللشيخين فى أثناء حديث لابن مسعود « ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع ... الحديث » ليس فيه تقدير زمن العمل بخمسين سنة ولاذكر « شبر » ولا « فواق ناقة » .

الأنكال والسلاسل والأغلال وضروب الخزى والنكال ، فنسأل الله تعالى أن يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين، ولا مطمع فى إجابة هذا الدعاء إلا باكتساب حب الله تعالى ، ولا سبيل إليه إلا بإخراج حب غيره من القلب وقطع العلائق عن كل ماسوى الله تعالى من جاه ومال ووطن ، فالأولى أن تدعو بما دعا به نبينا صلى الله عليه وسلم إذ قال « اللهم ارزقنى حبك وحب من أحبك وحب مايقربنى إلى حبك واجعل حبك أحب إلى من الماء البارد [1] » والغرض أن غلبة الرجاء عند الموت أصلح لأنه أجلب للمحبة ، وغلبة الخوف قبل الموت أصلح لأنه أحرق لنار الشهوات وأقمع لمحبة الدنيا عن القلب ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لايموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه [2] » وقال تعالى « أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ماشاء » ولما حضرت سليمان التيمى الوفاة قال لابنه : يابنى حدثنى بالرخص واذكر لى الرجاء حتى ألقى الله على حسن الظن به ، وكذلك لما حضرت الثورى الوفاة واشتد جزعه جمع العلماء حوله يرجونه . وقال أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه لابنه عند الموت : اذكر لى الأخبار التى فيها الرجاء وحسن الظن ، والمقصود من ذلك كله أن يحبب الله تعالى إلى نفسه ، ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام : أن حببنى إلى عبادى . فقال : بماذا ؟ قال : بأن تذكر لهم آلائى ونعمائى ، فإذن غاية السعادة أن يموت محبا لله تعالى ، وإنما تحصل المحبة بالمعرفة بإخراج حب الدنيا من القلب حتى تصير الدنيا كلها كالسجن المانع من المحبوب ، ولذلك رأى بعض الصالحين أبا سليمان الدارانى فى المنام وهو يطير ، فسأله ؟ فقال : الآن أفلت ، فلما أصبح سأل عن حاله فقيل له : إنه مات البارحة .

بيان الدواء الذى به يستجلب حال الخوف

اعلم أن ماذكرناه فى حال الصبر وشرحناه فى كتاب الصبر والشكر هو كاف فى هذا الغرض ، لأن الصبر لا يمكن إلا بعد حصول الخوف والرجاء ، لأن أول مقامات الدين اليقين الذى هو عبارة عن قوة الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر والجنة والنار ، وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجاء للجنة والرجاء والخوف يقويان على الصبر ، فإن الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها إلا بقوة الرجاء ؛ والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها إلا بقوة الخوف ، ولذلك قال على كرم الله وجهه . من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ، ثم يؤدى مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء إلى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله تعالى والفكر فيه على الدوام ، ويؤدى دوام الذكر إلى الأنس ودوام الفكر إلى كمال المعرفة ، ويؤدى كمال المعرفة والأنس إلى المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات ، فهذا هو الترتيب فى سلوك منازل الدين ، وليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء ، ولا بعدهما مقام سوى الصبر ، وبه المجاهدة والتجرد لله ظاهرا وباطنا ، ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق إلا الهداية والمعرفة ، ولا مقام بعد المعرفة إلا المحبة والأنس ، ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته وهو التوكل ، فإذن فيما ذكرناه فى علاج الصبر كفاية ، ولكنا نفرد الخوف بكلام جملى فنقول : الخوف يحصل بطريقين مختلفين أحدهما أعلى من الآخر ، ومثاله : أن الصبى إذا كان فى بيت فدخل عليه سبع أو حية ربما كان لا يخاف ، وربما مد اليد إلى الحية ليأخذها ويلعب بها ، ولكن إذا كان معه أبوه وهو عاقل خاف من الحية وهرب منها ، فإذا نظر الصبى إلى أبيه

---

(١) حديث « اللهم ارزقنى حبك وحب من أحبك . . . الحديث » أخرجه الترمذى من حديث معاذ ، وتقدم فى الأذكار والدعوات . (٢) حديث « لايموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه » أخرجه مسلم من حديث جابر ، وقد تقدم .

وهو ترتعد فرائصه ويحتال فى الهرب منها قام معه وغلب عليه الخوف ووافقه فى الهرب ؛ فخوف الأب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها وسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته . وأما خوف الابن فإيمانه بمجرد التقليد لأنه يحسن الظن بأبيه ويعلم أنه لايخاف إلا من سبب مخوف فى نفسه ، فيعلم أنّ السبع مخوف ولا يعرف وجهه ، وإذا عرفت هذا المثال فاعلم أن الخوف من الله تعالى على مقامين : أحدهما الخوف من عذابه ، والثانى الخوف منه ؛ فأما الخوف منه فهو خوف العلماء وأرباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضى الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر قوله تعالى ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ وقوله عز وجل ﴿ اتقوا الله حق تقاته ﴾ وأما الأوّل فهو خوف عموم الخلق ، وهو حاصل بأصل الإيمان بالجنة والنار ، وكونهما جزاءين على الطاعة والمعصية وضعفه بسبب الغفلة وسبب ضعف الإيمان ، وإنما تزول الغفلة بالتذكير والوعظ وملازمة الفكر فى أهوال يوم القيامة وأصناف العذاب فى الآخرة ، وتزول أيضا بالنظر إلى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة أحوالهم ؛ فإن فاتت المشاهدة فالسماع لا يخلو عن تأثير ، وأما الثانى وهو الأعلى فأن يكون الله هو المخوف ، أعنى أن يخاف العبد الحجاب عنه ويرجو القرب منه . قال ذو النون رحمه الله تعالى : خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت فى بحر لجى ، وهذه خشية العلماء حيث قال تعالى ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ ولعموم المؤمنين أيضا حظ من هذه الخشية ، ولكن هو بمجرد التقليد أيضا هى خوف الصبى من الحية تقليدا لأبيه ، وذلك لا يستند إلى بصيرة فلا جرم يضعف ويزول على قرب ، حتى إن الصبى ربما يرى المعزم يقدم على أخذ الحية فينظر إليه ويغتر به فيتجرأ على أخذها تقليدا له كما احترز من أخذها تقليدا لأبيه ، والعقائد التقليدية ضعيفة فى الغالب إلا إذا قويت بمشاهدة أسبابها المؤكدة لها على الدوام وبالمواظبة على مقتضاها فى تكثير الطاعات واجتناب المعاصى مدة طويلة على الاستمرار ؛ فإذن من ارتقى إلى ذروة المعرفة وعرف الله تعالى خافه بالضرورة فلا يحتاج إلى علاج لجلب الخوف ، كما أن من عرف السبع ورأى نفسه واقعا فى مخالبه لايحتاج إلى علاج لجلب الخوف إلى قلبه بل يخافه بالضرورة شاء أم أبى ، ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام : خفنى كما تخاف السبع الضارى . ولا حيلة فى جلب الخوف من السبع الضارى إلا معرفة السبع ومعرفة الوقوع فى مخالبه فلا يحتاج إلى حيلة سواه فمن عرف الله تعالى عرف أنه يفعل مايشاء ولا يبالى ، ويحكم ما يريد ولا يخاف ، قرّب الملائكة من غير وسيلة سابقة ، وأبعد إبليس من غير جريمة سالفة ، بل صفته ماترجمه قوله تعالى : هؤلاء فى الجنة ولا أبالى وهؤلاء فى النار ولا أبالى . وإن خطر ببالك أنه لا يعاقب إلا على معصية ولا يثيب إلا على طاعة فتأمل أنه لم يمد المطيع بأسباب الطاعة حتى يطيع شاء أم أبى ولم يمد العاصى بدواعى المعصية حتى يعصى شاء أم أبى ، فإنه مهما خلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعا بها بالضرورة ، فإن كان أبعده لأنه عصاه فلم حمله على المعصية هل ذلك لمعصية سابقة حتى يتسلسل إلى غير نهاية أو يقف لا محالة على أوّل لا علة له من جهة العبد بل قضى عليه فى الأزل ، وعن هذا المعنى عبر صلى الله عليه وسلم إذ قال « احتج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام عند ربهما ، فحج آدم موسى عليه السلام ، قال موسى أنت آدم الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته ، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض . فقال آدم : أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شىء وقربك نجيا ، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق ؟ قال موسى : بأربعين عاما . قال آدم : فهل وجدت فيها ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾ قال نعم . قال : أفتلومنى على

أن عملت عملا كتبه الله على قبل أن أعمله وقبل أن يخلقني بأربعين سنة ، قال صلى الله عليه وسلم « فحج آدم موسى (١) » فمن عرف السبب في هذا الأمر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص العارفين المطلعين على سر القدر ، ومن سمع هذا فآمن به وصدّق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين ، ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف ؛ فإن كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في مخالب السبع ، والسبع قد يغفل بالاتفاق فيخليه ، وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب ما يتفق ، ولذلك الاتفاق أسباب مرتبة بقدر معلوم ، ولكن إذا أضيف إلى من لا يعرفه سمي اتفاقا ، وإن أضيف إلى علم الله لم يجز أن يسمى اتفاقا ، والواقع في مخالب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع ؛ لأنّ السبع مسخر : إن سلط عليه الجوع افترس ، وإن سلط عليه الغفلة خلي وترك ، فإنما يخاف خالق السبع وخالق صفاته ، فلست أقول مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع ، بل إذا كشف الغطاء علم أنّ الخوف من السبع هو عين الخوف من الله تعالى ، لأنّ المهلك بواسطة السبع هو الله فاعلم أنّ سباع الآخرة مثل سباع الدنيا ، وأن الله تعالى خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب وخلق لكل واحد أهلا يسوقه القدر المتفرع عن القضاء الجزم الأزلي إلى ما خلق له ، فخلق الجنة وخلق لها أهلا سخروا لأسبابها شاءوا أم أبوا ، وخلق النار وخلق لها أهلا سخروا لأسبابها شاءوا أم أبوا ، فلا يرى أحد نفسه في ملتطم أمواج القدر إلا غلبه الخوف بالضرورة ، فهذه مخاوف العارفين بسر القدر ، فمن قعد به القصور عن الارتفاع إلى مقام الاستبصار فسبيله أن يعالج نفسه بسماع الأخبار والآثار ، فيطالع أحوال الخائفين العارفين وأقوالهم ، وينسب عقولهم ومناصبهم إلى مناصب الراجين المغرورين ، فلا يتمارى في أن الاقتداء بهم أولى لأنهم الأنبياء والأولياء والعلماء . وأما الآمنون فهم الفراعنة والجهال والأغبياء . أما رسولنا صلى الله عليه وسلم فهو سيد الأولين والآخرين (٢) وكان أشدّ الناس خوفا (٣) حتى روى أنه كان يصلي على طفل : ففي رواية أنه سمع في دعائه يقول « اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار (٤) » وفي رواية ثانية : أنه سمع قائلا يقول : هنيئا لك ، عصفور من عصافير الجنة ، فغضب وقال « ما يدريك أنه كذلك ، والله إني رسول الله ، وما أدري ما يصنع بي ! إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم (٥) » وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك أيضا على جنازة عثمان بن مظعون وكان من المهاجرين الأولين لما قالت أم سلمة : هنيئا لك الجنة ، فكانت تقول أم سلمة بعد ذلك : والله لا أزكي أحدا بعد عثمان (٦) ، وقال محمد بن خولة الحنفية : والله لا أزكي أحدا غير رسول الله صلى الله عليه

---

(١) حديث « احتج آدم وموسى عند ربهما ، فحج آدم موسى ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ، وهو متفق عليه بألفاظ أخر .

(٢) حديث : كان سيد الأولين والآخرين . أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة « أنا سيد ولد آدم ولا فخر ... الحديث » .

(٣) حديث : كان أشد الناس خوفا . تقدم قبل هذا بخمسة وعشرين حديثا . قوله « والله إني لأخشاكم لله » وقوله « والله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية » .

(٤) حديث انه كان يصلي على طفل فسمع في دعائه يقول « اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار » أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على صبي أو صبية وقال « لو كان أحد نجا من ضمة القبر لنجا هذا الصبي » واختلف في اسناده ، فرواه في الكبير من حديث أبي أيوب أن صبيا دفن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي » (٥) حديث : انه سمع قائلة تقول لطفل مات : هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة ، فغضب وقال « ما يدريك .. الحديث » أخرجه مسلم من حديث عائشة قالت : توفي صبي فقلت طوبى له عصفور من عصافير الجنة ... الحديث وليس فيه فغضب ، وقد تقدم . (٦) حديث : لما توفي عثمان بن مظعون قالت أم سلمة : هنيئا لك الجنة ... الحديث . أخرجه البخاري من حديث أم العلاء الأنصارية وهي القائلة رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله ، قال « وما يدريك الحديث » وورد أن التي قالت ذلك أم خارجة بن زيد ، ولم أجد فيه ذكر أم سلمة .

وسلم ولا أبى الذى ولدنى ، قال : فثارت الشيعة عليه ، فأخذ يذكر من فضائل على ومناقبه ، وروى فى حديث آخر عن رجل من أهل الصفة استشهد فقالت أمه هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت فى سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم « وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا ينفعه ويمنع مالا يضره [1] » وفى حديث آخر « أنه دخل صلى الله عليه وسلم على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول : هنيئا لك الجنة ، فقال صلى الله عليه وسلم « من هذه المتألية على الله تعالى ؟ » فقال المريض : هى أمى يارسول الله ، فقال « وما يدريك ، لعل فلانا كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه [2] » وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم ، وهو صلى الله عليه وسلم يقول شيبتنى هود وأخواتها [3] » سورة الواقعة وإذا الشمس كورت وعم يتساءلون فقال العلماء لعل ذلك لما فى سورة هود من الإبعاد كقوله تعالى ﴿ ألا بعدا لعاد قوم هود ﴾ ﴿ ألا بعدا لثمود ﴾ ﴿ ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود ﴾ مع علمه صلى الله عليه وسلم بأنه لو شاء الله ما أشركوا ، إذ لو شاء لآتى كل نفس هداها وفى سورة الواقعة ﴿ ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة ﴾ أى جف القلم بما هو كائن وتمت السابقة حتى نزلت الواقعة : إما خافضة قوما كانوا مرفوعين فى الدنيا ، وإما رافعة قوما كانوا مخفوضين فى الدنيا . وفى سورة التكوير أهوال يوم القيامة وانكشاف الخاتمة ، وهو قوله تعالى ﴿ وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت ﴾ وفى عم يتساءلون ﴿ يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ﴾ الآية ، وقوله تعالى ﴿ لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا ﴾ والقرآن من أوله إلى آخره مخاوف لمن قرأه بتدبر ، ولو لم يكن فيه إلا قوله تعالى ﴿ وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ﴾ لكان كافيا ، إذ علق المغفرة على أربعة شروط يعجز العبد عن آحادها ، وأشد منه قوله تعالى ﴿ فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين ﴾ وقوله تعالى ﴿ ليسأل الصادقين عن صدقهم ﴾ وقوله تعالى ﴿ سنفرغ لكم أيه الثقلان ﴾ وقوله عز وجل ﴿ أفأمنوا مكر الله ﴾ الآية . وقوله ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ وقوله تعالى ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ﴾ الآيتين . وقوله تعالى ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ الآية وقوله ﴿ اعملوا ماشئتم ﴾ الآية : وقوله ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ﴾ الآية . وقوله ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ﴾ الآيتين . وقوله تعالى ﴿ وقدمنا إلى ماعملوا من عمل ﴾ الآية . وكذلك قوله تعالى ﴿ والعصر إن الإنسان لفى خسر ﴾ إلى آخر السورة فهذه أربعة شروط للخلاص من الخسران ، وإنما كان خوف الأنبياء مع ما فاض عليهم من النعم لأنهم لم يأمنوا مكر الله تعالى ﴿ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ حتى روى أن النبى وجبريل عليهما الصلاة والسلام بكيا خوفا من الله تعالى ، فأوحى الله إليهما لم تبكيان وقد أمنتكما ؟ فقالا : ومن يأمن مكرك ؟ [4] وكأنهما إذ علما أن الله هو علام الغيوب وأنه لا وقوف لهما على غاية الأمور لم يأمنا أن يكون قوله « قد أمنتكما » ابتلاء وامتحانا لهما ومكرا بهما ، حتى إن سكن خوفهما ظهر أنهما قد أمنا من المكر وما وفيا بقولهما

---

(١) حديث : إن رجلا من أهل الصفة استشهد فقالت أمه : هنيئا لك يا بنى الجنة . رواه البيهقى فى الشعب ، إلا أنه قال فقالت أمه : هنيئا لك الشهادة وهو عند الترمذى ، إلا أنه قال : إن رجلا قال له : أبشر بالجنة ، وقد تقدم فى ذم المال والبخل مع اختلاف . (٢) حديث : دخل على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول : هنيئا له الجنة ... الحديث ، تقدم أيضا .

(٣) حديث « شيبتنى هود وأخواتها ... الحديث » أخرجه الترمذى وحسنه ، والحاكم وصححه من حديث ابن عباس ، وهو فى الشمائل من حديث أبى جحيفة . وقد تقدم فى كتاب السماع . (٤) حديث : أنه وجبريل صلى الله عليهما وسلم بكيا خوفا من الله عزوجل ، فأوحى الله اليهما : لم تبكيان ؟ الحديث ، أخرجه ابن شاهين فى شرح السنة من حديث عمر ، ورويناه فى مجلس من أمالى أبى سعيد النقاش . بسند ضعيف

كما أنّ إبراهيم صلى الله عليه وسلم لما وضع فى المنجنيق قال : حسبى الله ، وكانت هذه من الدعوات العظام فامتحن وعورض بجبريل فى الهواء ، حتى قال : ألك حاجة ؟ فقال : أما إليك فلا ، فكان ذلك وفاء بحقيقة قوله حسبى الله ، فأخبر الله تعالى عنه فقال ﴿ وإبراهيم الذى وفى ﴾ أى بموجب قوله : حسبى الله ، وبمثل هذا أخبر عن موسى صلى الله عليه وسلم حيث قال ﴿ إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى ، قال لاتخافا إننى معكما أسمع وأرى ﴾ ومع هذا لما ألقى السحرة سحرهم أوجس موسى فى نفسه خيفة ؛ إذا لم يأمن مكر الله والتبس الأمر عليه حتى جدّد عليه الأمن وقيل له ﴿ لا تخف إنك أنت الأعلى ﴾ ولما ضعفت شوكة المسلمين يوم بدر قال صلى الله عليه وسلم « اللهم إن تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الأرض أحد يعبدك [1] » فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : دع عنك مناشدتك ربك فإنه واف لك بما وعدك ، فكان مقام الصدّيق رضى الله عنه مقام الثقة بوعد الله ، وكان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام الخوف من مكر الله وهو أتم لأنه لايصدر إلا عن كمال المعرفة بأسرار الله تعالى وخفايا أفعاله ومعانى صفاته التى يعبر عن بعض مايصدر عنها بالمكر ؛ وما لأحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله تعالى ، ومن عرف حقيقة المعرفة قصور معرفته عن الإحاطة بكنه الأمور عظم خوفه لامحالة ، ولذلك قال المسيح صلى الله عليه وسلم لما قيل له ﴿ أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ؟ قال سبحانك مايكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك ﴾ وقال ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم ﴾ الآية ، فوّض الأمر إلى المشيئة وأخرج نفسه بالكلية من البين ، لعلمه بأنه ليس له من الأمر شىء وأن الأمور مرتبطة بالمشيئة ارتباطا يخرج عن حدّ المعقولات والمألوفات فلا يمكن الحكم عليها بقياس ولاحدس ولا حسبان فضلا عن التحقيق والاستيقان ، وهذا هو الذى قطع قلوب العارفين ، إذ الطامة الكبرى هى ارتباط أمرك بمشيئة من لايبالى بك إن أهلكك فقد أهلك أمثالك ممن لا يحصى ولم يزل فى الدنيا يعذبهم بأنواع الآلام والأمراض ، ويمرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ، ثم يخلد العقاب عليهم أبد الآباد ، ثم يخبر عنه ويقول ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأنّ جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ وقال تعالى ﴿ وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم ﴾ الآية ؛ فكيف لايخاف ماحق من القول فى الأزل ولا يطمع فى تداركه ولو كان الأمر أنفا لكانت الأطماع تمتدّ إلى حيلة فيه ، ولكن ليس إلا التسليم فيه واستقراء خفى السابقة من جلى الأسباب الظاهرة على القلب والجوارح ؛ فمن يسرت له أسباب الشر وحيل بينه وبين أسباب الخير وأحكمت علاقته من الدنيا فكأنه كشف له على التحقيق سر السابقة التى سبقت له بالشقاوة ، إذ كل ميسر لما خلق له ، وإن كانت الخيرات كلها ميسرة والقلب بالكلية عن الدنيا منقطعا وبظاهره وباطنه على الله مقبلا : كان هذا يقتضى تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك موثوقا به ؛ ولكنّ خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف إشعالا ولا يمكنها من الانطفاء ، وكيف يؤمن تغير الحال وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن وأن القلب أشدّ تقلبا من القدر فى غليانها ، وقد قال مقلب القلوب عز وجل ﴿ إنّ عذاب ربهم غير مأمون ﴾ فأجهل الناس من أمنه وهو ينادى بالتحذير من الأمن ، ولولا أن الله لطف بعباده العارفين إذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف . فأسباب الرجاء رحمة لخواص الله وأسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق من وجه ؛ إذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف مقلب القلوب . قال بعض العارفين : لو حالت بينى وبين من عرفته بالتوحيد خمسين

---

(١) حديث قال يوم بدر « اللهم إن تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الأرض أحد يعبدك » : أخرجه البخارى من حديث ابن عباس بلفظ « اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم ... الحديث » .

سنة أسطوانة فمات لم أقطع له بالتوحيد ، لأنى لا أدرى ماظهر له من التقلب . وقال بعضهم : لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الإسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت على الإسلام ، لأنى لا أدرى مايعرض لقلبى بين باب الحجرة وباب الدار . وكان أبو الدرداء يحلف بالله ما أحد أمن على إيمانه أن يسلبه عند الموت إلا سلبه . وكان سهل يقول : خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وعند كل حركة ، وهم الذين وصفهم الله تعالى إذ قال ﴿وقلوبهم وجلة﴾ .

ولما احتضر سفيان جعل يبكى ويجزع ، فقيل له : يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فإنّ عفو الله أعظم من ذنوبك ، فقال : أو على ذنوبى أبكى لو علمت أنى أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا .

وحكى عن بعض الخائفين أنه أوصى بعض إخوانه فقال : إذا حضرتنى الوفاة فاقعد عند رأسى ، فإن رأيتنى مت على التوحيد فخذ جميع ما أملكه فاشتر به لوزا وسكرا وانثره على صبيان أهل البلد ، وقل هذا عرس المنفلت ، وإن مت على غير التوحيد فأعلم الناس بذلك حتى لا يغتروا بشهود جنازتى ليحضر جنازتى من أحب على بصيرة لئلا يلحقنى الرياء بعد الوفاة . قال : وبم أعلم ذلك ؟ فذكر له علامة ، فرأى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر واللوز وفرقه .

وكان سهل يقول : المريد يخاف أن يبتلى بالمعاصى ، والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر

وكان أبو زيد يقول : إذا توجهت إلى المسجد فكأن فى وسطى زنارا أخاف أن يذهب بى إلى البيعة وبيت النار حتى أدخل المسجد فينقطع عنى الزنار ، فهذا لى فى كل يوم خمس مرات .

وروى عن المسيح عليه الصلاة والسلام أنه قال : يامعشر الحواريين ، أنتم تخافون المعاصى ، ونحن معاشر الأنبياء نخاف الكفر .

وروى فى أخبار الأنبياء أنّ نبيا شكى إلى الله تعالى الجوع والقمل والعرى سنين وكان لباسه الصوف ، فأوحى الله تعالى إليه : عبدى ، أما رضيت أن عصمت قلبك أن تكفر بى حتى تسألنى الدنيا ؟ فأخذ التراب فوضعه على رأسه وقال : بلى قد رضيت يارب فاعصمنى من الكفر .

فإذا كان خوف العارفين مع رسوخ أقدامهم وقوة إيمانهم من سوء الخاتمة فكيف لايخافه الضعفاء .

ولسوء الخاتمة أسباب تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات المذمومة ، ولذلك اشتد خوف الصحابة من النفاق حتى قال الحسن : لو أعلم أنى برىء من النفاق كان أحب إلى مما طلعت عليه الشمس وماعنوا به النفاق الذى هو ضدّ أصل الإيمان بل المراد به ما يجتمع مع أصل الإيمان فيكون مسلما منافقا ، وله علامات كثيرة : قال صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم ، وإن كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها : من إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان ، وإذا خاصم فجر [1] » وفى لفظ آخر « وإذا عاهد غدر » .

وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لايخلو عن شىء منه إلا صديق ، إذ قال الحسن : إنّ من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب واختلاف المدخل والمخرج ، ومن الذى يخلو عن هذه المعانى

(١) حديث « أربع من كن فيه فهو منافق ... الحديث » متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو وقد تقدم فى قواعد العقائد.

بل صارت هذه الأمور مألوفة بين الناس معتادة ونسى كونها منكر بالكلية ، بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة ، فكيف الظن بزماننا ! حتى قال حذيفة رضى الله تعالى عنه : إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيصير بها منافقا إنى لأسمعها من أحدكم فى اليوم عشر مرات [1] . وكان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقولون : إنكم لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الكبائر [2] . وقال بعضهم : علامة النفاق أن تكره من الناس ما تأتى مثله ، وأن تحب على شىء من الجور ، وأن تبغض على شىء من الحق . وقيل من النفاق : أنه إذا مدح بشىء ليس فيه أعجبه ذلك . وقال رجل لابن عمر رحمه الله : إنا ندخل على هؤلاء الأمراء فنصدقهم فيما يقولون ، فإذا خرجنا تكلمنا فيهم ، فقال : كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم [3] . وروى أنه سمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه ، فقال : أرأيت لو كان الحجاج حاضرا أكنت تتكلم بما تكلمت به ؟ قال : لا . قال : كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم [4] . وأشد من ذلك ما روى أن نفرا قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه ، فكانوا يتكلمون فى شىء من شأنه ، فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه ، فقال : تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا ؛ فقال : كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم [5] . وهذا حذيفة كان قد خص بعلم المنافقين وأسباب النفاق ، وكان يقول : إنه يأتى على القلب ساعة يمتلئ بالإيمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز إبرة ، ويأتى عليه ساعة يمتلئ بالنفاق حتى لا يكون للإيمان فيه مغرز إبرة ، فقد عرفت بهذا أن خوف العارفين من سوء الخاتمة ، وأن سببه أمور تتقدمه : منها البدع . ومنها المعاصى ، ومنها النفاق ، ومتى يخلو العبد عن شىء من جملة ذلك ! وإن ظن أنه خلا عنه فهو النفاق ، إذ قيل : من أمن النفاق فهو منافق . وقال بعضهم لبعض العارفين : إنى أخاف على نفسى النفاق ، فقال : لو كنت منافقا لما خفت النفاق ، فلا يزال العارف بين الالتفات إلى السابقة والخاتمة خائفا منهما ، ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم « العبد المؤمن بين مخافتين : بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه ، وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه ، فوالذى نفسى بيده ما بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار [6] » ، والله المستعان .

بيان معنى سوء الخاتمة

* فإن قلت : إن أكثر هؤلاء يرجع خوفهم إلى سوء الخاتمة ، فما معنى سوء الخاتمة ؟ فاعلم أن سوء الخاتمة على رتبتين : إحداهما أعظم من الأخرى ، فأما الرتبة العظيمة الهائلة : فأن يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله : إما الشك ، وإما الجحود ، فتقبض الروح على حال غلبة الجحود أو الشك ، فيكون ما غلب على

---

(١) حديث حذيفة : إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيصير بها منافقا . . الحديث ، أخرجه أحمد من حديث حذيفة ، وقد تقدم فى قواعد العقائد .

(٢) حديث أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنكم لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر ... الحديث » أخرجه البخارى من حديث أنس وأحمد ، والبزار من حديث أبى سعيد ، وأحمد والحاكم من حديث عبادة بن قرص وصحح إسناده ، وتقدم فى التوبة . (٣) حديث : قال رجل لابن عمر : إنا ندخل على هؤلاء الأمراء فنصدقهم بما يقولون ... الحديث ، رواه أحمد والطبرانى ، وقد تقدم فى قواعد العقائد . (٤) حديث سمع ابن عمر رجلا يذم الحجاج ويقع فيه فقال : أرأيت لو كان الحجاج حاضرا ... الحديث ، تقدم هناك ولم أجد فيه ذكر الحجاج . (٥) حديث : إن نفرا قعدوا عند باب حذيفة ينتظرونه ، فكانوا يتكلمون فى شىء من شأنه ، فلما خرج سكتوا ... الحديث ، لم أجد له أصلا . (٦) حديث « العبد المؤمن بين مخافتين : بين أجل قد مضى ... الحديث » أخرجه البيهقى فى الشعب من رواية الحسن عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم فى ذم الدنيا : ذكره ابن المبارك فى كتاب الزهد بلاغا ، وذكره صاحب الفردوس من حديث جابر ولم يخرجه ولفظه فى مسند الفردوس

القلب من عقدة الجحود حجابا بينه وبين الله تعالى أبدا ، وذلك يقتضى البعد الدائم والعذاب المخلد . والثانية وهى دونها أن يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا وشهوة من شهواتها ، فيتمثل ذلك فى قلبه ويستغرقه حتى لايبقى فى تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه فى تلك الحال فيكون استغراق قلبه به منكسا رأسه إلى الدنيا وصارفاً وجهه إليها . ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب . ومهما حصل الحجاب نزل العذاب إذ نار الله الموقدة لاتأخذ إلا المحجوبين عنه ؛ فأما المؤمن السليم قلبه من حب الدنيا المصروف همه إلى الله تعالى فتقول له النار : جز يامؤمن فإنّ نورك أطفأ لهبى ، فهما اتفق قبض الروح فى حالة غلبة حب الدنيا ، فالأمر مخطر ، لأن المرء يموت على ماعاش عليه ، ولا يمكن اكتساب صفة أخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه ، إذ لاتصرف فى القلوب إلا بأعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الأعمال ؛ فلا مطمع فى عمل ولا مطمع فى رجوع إلى الدنيا ليتدارك ، وعند ذلك تعظم الحسرة ، إلا أن أصل الإيمان وحب الله تعالى إذا كان قد رسخ فى القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالأعمال الصالحة فإنه يمحو عن القلب هذه الحالة التى عرضت له عند الموت ، فإن كان إيمانه فى القوة إلى حد مثقال أخرجه من النار فى زمان أقرب ، وإن كان أقل من ذلك طال مكثه فى النار ، ولو لم يكن إلا مثقال حبة فلا بدّ وأن يخرجه من النار ولو بعد آلاف سنين .

* فإن قلت : فما ذكرته يقتضى أن تسرع النار إليه عقيب موته ، فما باله يؤخر إلى يوم القيامة ويمهل طول هذه المدة ؟ فاعلم أنّ كل من أنكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الله تعالى وعن نور القرآن ونور الإيمان ، بل الصحيح عند ذوى الأبصار ماصحت به الأخبار وهو : أنّ القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة[1] وأنه قد يفتح إلى قبر المعذب سبعون بابا من الجحيم[2] ، كما وردت به الأخبار ، فلا تفارقه روحه إلا وقد نزل به البلاء إن كان قد شقى بسوء الخاتمة . وإنما تختلف أصناف العذاب باختلاف الأوقات ، فيكون سؤال منكر ونكير عند الوضع فى القبر[3] والتعذيب بعده[4] ، ثم المناقشة فى الحساب[5] والافتضاح على ملأ من الأشهاد فى القيامة[6] ، ثم بعد ذلك خطر الصراط[7] وهول الزبانية[8] . . . إلى آخر ماوردت به الأخبار ، فلا يزال الشقى مترددا فى جميع أحواله بين أصناف العذاب وهو فى جملة الأحوال معذب إلا أن يتغمده الله برحمته ، ولا تظنن أن محل الايمان لايأكله التراب ، بل التراب يأكل جميع الجوارح ويبددها إلى أن يبلغ الكتاب أجله فتجتمع الأجزاء المتفرقة وتعاد إليها الروح التى هى محل الإيمان ، وقد كانت من وقت الموت إلى الإعادة إما فى حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش إن كانت سعيدة ، وإما على حالة تضاد هذه الحال إن كانت والعياذ بالله شقية .

---

(١) حديث « القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة » أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد وقال غريب ، وتقدم فى الأذكار . (٢) حديث « إنه يفتح الى قبر المعذب سبعون بابا من الجحيم » لم أجد له أصلا . (٣) حديث سؤال منكر ونكير عند الوضع فى القبر : تقدم فى قواعد العقائد . (٤) حديث عذاب القبر : تقدم فيه : (٥) حديث المناقشة فى الحساب : تقدم فيه . (٦) حديث الافتضاح على ملأ الأشهاد فى القيامة : رواه أحمد والطبرانى من حديث ابن عمر بإسناد جيد « من انتقى من ولده ليفضحه فى الدنيا فضحه الله على رءوس الأشهاد » وفى الصحيحين من حديث ابن عمر « وأما الكافر والمنافق فينادى بهم على رءوس الخلائق : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم » والطبرانى والعقيلى فى الضعفاء من حديث الفضيل بن عياض « فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة » وهو حديث طويل منكر . (٧) حديث خطر الصراط : تقدم فى قواعد العقائد

(٨) حديث هول الزبانية أخرجه الطبرانى من حديث أنس « الزبانية يوم القيامة أسرع الى فسقة حملة القرآن منها الى عبدة الأوثان والنيران » قال صاحب الميزان : حديث منكر . وروى ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم معضلا فى خزنة جهنم مابين منكبى أحدهم كما بين المشرق والمغرب .

* فإن قلت : فما السبب الذى يفضى إلى سوء الخاتمة ؟ فاعلم أنّ أسباب هذه الأمور لا يمكن إحصاؤها على التفصيل ، ولكن يمكن الإشارة إلى مجامعها : أما الختم على الشك والجحود فينحصر سببه فى شيئين :

(أحدهما) يتصور مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح فى الأعمال : كالمبتدع الزاهد فإنّ عاقبته مخطرة جدا ، وإن كانت أعماله صالحة ولست أعنى مذهبا فأقول إنه بدعة ؛ فإنّ بيان ذلك يطول القول فيه ، بل أعنى بالبدعة : أن يعتقد الرجل فى ذات الله وصفاته وأفعاله خلاف الحق فيعتقده على خلاف ماهو عليه ، إما برأيه ومعقوله ونظره الذى به يجادل الخصم وعليه يعوّل وبه يغتر ، وإما أخذاً بالتقليد ممن هذا حاله ؛ فإذا قرب الموت وظهرت له ناصية ملك الموت واضطرب القلب بما فيه ربما ينكشف له فى حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا ، إذ حال الموت حال كشف الغطاء ومبادئ سكراته منه ، فقد ينكشف به بعض الأمور ؛ فهما بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعاً به متيقناً له عند نفسه لم يظن بنفسه أنه أخطأ فى هذا الاعتقاد خاصة لالتجائه فيه إلى رأيه الفاسد وعقله الناقص ، بل ظن أنّ كل ما اعتقده لا أصل له ، إذ لم يكن عنده فرق فى إيمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد ، فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته أو لشكه فيها ، فإن اتفق زهوق روحه فى هذه الخطرة قبل أن يثبت ويعود إلى أصل الإيمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعياذ بالله منه ، فهؤلاء هم المرادون بقوله تعالى ﴿وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون﴾ وبقوله عز وجل ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا * الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ وكما أنه ينكشف فى النوم ماسيكون فى المستقبل وذلك بسبب خفة أشغال الدنيا عن القلب فكذلك ينكشف فى سكرات الموت بعض الأمور ، إذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هى المانعة للقلب من أن ينظر إلى الملكوت ، فيطالع مافى اللوح المحفوظ لتنكشف له الأمور على ماهى عليه ، فيكون مثل هذه الحال سببا للكشف ، ويكون الكشف سبب الشك فى بقية الاعتقادات ، وكل من اعتقد فى الله تعالى وفى صفاته وأفعاله شيئا على خلاف ماهو به إما تقليداً وإما نظرا بالرأى والمعقول ، فهو فى هذا الخطر والزهد والصلاح لايكفى لدفع هذا الخطر ، بل لاينجى منه إلا الاعتقاد الحق ، والبله بمعزل عن هذا الخطر ، أعنى الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر إيمانا مجملا راسخاً كالأعراب والسوادية وسائر العوام الذين لم يخوضوا فى البحث والنظر ولم يشرعوا فى الكلام استقلالا ولاصغوا إلى أصناف المتكلمين فى تقليد أقاويلهم المختلفة ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله[1] ، ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض فى الكلام والتفتيش عن هذه الأمور ، وأمروا الخلق أن يقتصروا على أن يؤمنوا بما أنزل الله عز وجل جميعاً وبكل ماجاء من الظواهر مع اعتقاده نفى التشبيه ، ومنعوهم عن الخوض فى التأويل لأن الخطر فى البحث عن الصفات عظيم وعقباته كئودة ومسالكه وعرة ، والعقول عن درك جلال الله تعالى قاصرة ، وهداية الله تعالى بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة ، وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطرب ومتعارض ، والقلوب لما ألقى إليها فى مبدأ النشأة آلفة وبه متعلقة ، والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة أو المأخوذة بحسن الظن من المعلمين فى أول الأمر ، ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة ، وشهوات الدنيا بمخنقها آخذة وعن تمام الفكر صارفة ، فإذا فتح باب الكلام فى الله وفى صفاته بالرأى والمعقول مع تفاوت الناس فى قرائحهم واختلافهم فى طبائعهم وحرص كل جاهل منهم على

(١) حديث « أكثر أهل الجنة البله » أخرجه البزار من حديث أنس ؛ وقد تقدم .

أن يدعى الكمال أو الإحاطة بكنه الحق انطلقت ألسنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين إليهم ، وتأكد ذلك بطول الألف فيهم ، فانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم ، فكانت سلامة الخلق فى أن يشتغلوا بالأعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم : ولكن الآن قد استرخى العنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ماوافق طبعه بظن وحسبان ، وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان وأنه صفو الإيمان ، ويظن أن ماوقع به من حدس وتخمين علم اليقين وعين اليقين ﴿ ولتعلمن نبأه بعد حين ﴾ وينبغى أن ينشد فى هؤلاء عند كشف الغطاء:

أحسنت ظنك بالايام إذ حسنت ولم تخف سوء مايأتى به القدر

وسالمتك الليالى فاغتررت بها وعند صفو الليالى يحدث الكدر

واعلم يقينا أن كل من فارق الإيمان الساذج بالله ورسوله وكتبه وخاض فى البحث ، فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله مثال من انكسرت سفينته وهو فى ملتطم الأمواج يرميه موج إلى موج ، فربما يتفق أن يلقيه إلى الساحل وذلك بعيد ، والهلاك عليه أغلب . وكل نازل على عقيدة تلقفها من الباحثين ببضاعة عقولهم إما مع الادلة التى حرروها فى تعصباتهم أو دون الأدلة ، فإن كان شاكا فيه فهو فاسد الدين وإن كان واثقا فهو آمن من مكر الله مغتر بعقله الناقص ، وكل خائض فى البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين ، إلا إذا جاوز حدود المعقول إلى نور المكاشفة الذى هو مشرق فى عالم الولاية والنبوة وذلك هو الكبريت الأحمر ، وإنى يتيسر ، وإنما يسلم عن هذا الخطر البله من العوام أو الذين شغلهم خوف النار بطاعة الله فلم يخوضوا فى هذا الفضول فهذا أحد الأسباب المخطرة فى سوء الخاتمة .

(وأما السبب الثانى) فهو ضعف الإيمان فى الأصل ، ثم استيلاء حب الدنيا على القلب . ومهما ضعف الإيمان ضعف حب الله تعالى وقوى حب الدنيا ، فيصير بحيث لا يبقى فى القلب موضع لحب الله تعالى إلا من حيث حديث النفس ، ولا يظهر له أثر فى مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان ، فيورث ذلك الانهماك فى اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة النفوس على القلب ، فلا يزال يطفئ مافيه من نور الإيمان على ضعفه حتى يصير طبعا ورينا ، فإذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب أعنى حب الله ضعفا لما يبدو من استشعار فراق الدنيا وهى المحبوب الغالب على القلب ، فيتألم القلب باستشعار فراق الدنيا ، ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بإنكار ماقدر عليه من الموت وكراهة ذلك . من حيث إنه من الله ، فيخشى أن يثور فى باطنه بغض الله تعالى بدل الحب ، كما أن الذى يحب ولده حبا ضعيفا إذا أخذ ولده أمواله التى هى أحب إليه من ولده وأحرقها انقلب ذلك الحب الضعيف بغضا ، فإن اتفق زهوق روحه فى تلك اللحظة التى خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكا مؤبدا ، والسبب الذى يفضى إلى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون إليها والفرح بأسبابها مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب الله تعالى ؛ فمن وجد فى قلبه حب الله أغلب من حب الدنيا وإن كان يحب الدنيا أيضا فهو أبعد عن هذا الخطر ، وحب الدنيا رأس كل خطيئة ، وهو الداء العضال ، وقد عم أصناف الخلق وذلك كله لقلة المعرفة بالله تعالى ، إذ لايحبه إلا من عرفه ؟ ولهذا قال تعالى ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ﴾ فإذن كل من فارقته روحه فى حالة خطرة الإنكار على الله تعالى بباله وظهر بغض فعل الله بقلبه فى تفريقه بينه وبين أهله وماله وسائر محابه ؟ فيكون موته قدوما على ما أبغضه وفراقا

لما أحبه ، فيقدم على الله قدوم العبد المبغض الآبق إذا قدم به على مولاه قهرا ، فلا يخفى مايستحقه من الخزى والنكال ، وأما الذى يتوفى على الحب فإنه يقدم على الله تعالى قدوم العبد المحسن المشتاق إلى مولاه الذى تحمل مشاق الأعمال ووعثاء الأسفار طمعا فى لقائه ، فلا يخفى مايلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطائف الإكرام وبدائع الإنعام .

وأما الخاتمة الثانية التى هى دون الأولى وليست مقتضية للخلود فى النار ، فلها أيضا سببان :

(أحدهما) كثرة المعاصى وإن قوى الإيمان ، والآخر ضعف الإيمان وإن قلت المعاصى ، وذلك لأن مقارفة المعاصى سببها غلبة الشهوات ورسوخها فى القلب بكثرة الإلف والعادة . وجميع ما ألفه الإنسان فى عمره يعود ذكره إلى قلبه عند موته ، فإن كان ميله الأكثر إلى الطاعات كان أكثر مايحضره ذكر طاعة الله ، وإن كان ميله الأكثر إلى المعاصى غلب ذكرها على قلبه عند الموت ؟ فربما تقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصى ، فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله تعالى ، فالذى لايقارف الذنب إلا الفينة بعد الفينة فهو أبعد عن هذا الخطر ، والذى لم يقارف ذنبا أصلا فهو بعيد جدا عن هذا الخطر ، والذى غلبت عليه المعاصى وكانت أكثر من طاعاته وقلبه بها أفرح منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم فى حقه جدا ، ونعرف هذا بمثال : وهو أنه لايخفى عليك أن الإنسان يرى فى منامه جملة من الأحوال التى عهدها طول عمره ، حتى إنه لا يرى إلا مايماثل مشاهدته فى اليقظة ، وحتى إن المراهق الذى يحتلم لايرى صورة الوقاع إذا لم يكن قد واقع فى اليقظة ، ولو بقى كذلك مدة لما رأى عند الاحتلام صورة الوقاع ، ثم لايخفى أن الذى قضى عمره فى الفقه يرى من الأحوال المتعلقة بالعلم والعلماء أكثر مما يراه التاجر الذى قضى عمره فى التجارة ، والتاجر يرى من الأحوال المتعلقة بالتجارة وأسبابها أكثر مما يراه الطبيب والفقيه ؟ لأنه إنما يظهر فى حال النوم ماحصل له مناسبة مع القلب بطول الإلف أو بسبب آخر من الأسباب ، والموت شبيه النوم ولكنه فوقه ، ولكن سكرات الموت وما يتقدمه من الغشية قريب من النوم ، فيقتضى ذلك تذكر المألوف وعوده إلى القلب ، وأحد الأسباب المرجحة لحصول ذكره فى القلب طول الإلف ، فطول الإلف بالمعاصى والطاعات أيضا مرجح ، وكذلك تخالف أيضا منامات الصالحين منامات الفساق ، فتكون غلبة الإلف سبب لأن تتمثل صورة فاحشة فى قلبه وتميل إليها نفسه ، فربما تقبض عليها روحه فيكون ذلك سبب سوء خاتمته ، وإن كان أصل الإيمان باقيا بحيث يرجى له الخلاص منها ، وكما أن مايخطر فى اليقظة إنما يخطر بسبب خاص يعلمه الله تعالى ، فكذلك آحاد المنامات لها أسباب عند الله تعالى نعرف بعضها ولا نعرف بعضها ، كما أنا نعلم أن الخاطر ينتقل من الشىء إلى ماينا سبه إما بالمشابهة وإما بالمضادة وإما بالمقارنة بأن يكون قد ورد على الحس منه . أما بالمشابهة فبأن ينظر إلى جميل فيتذكر جميلا آخر ، وأما بالمضادة فبأن ينظر إلى جميل فيتذكر قبيحا ويتأمل فى شدة التفاوت بينهما ، وأما بالمقارنة فبأن ينظر إلى فرس قد رآه من قبل مع إنسان فيتذكر ذلك الإنسان ، وقد ينتقل الخاطر من شىء إلى شىء ولا يدرى وجه مناسبته له ، وإنما يكون ذلك بواسطة وواسطتين ، مثل أن ينتقل من شىء ثان ، ومنه إلى شىء ثالث ، ثم ينسى الثانى ، ولا يكون بين الثالث والأول مناسبة ، ولكن يكون بينه وبين الثانى مناسبة وبين الثانى والأول مناسبة ، فكذلك لانتقالات الخواطر فى المنامات أسباب من هذا الجنس ، وكذلك عند سكرات الموت ، فعلى هذا ـ والعلم عند الله ـ من كانت الخياطة أكثر أشغاله ، فإنك تراه يومئ إلى رأسه كأنه يأخذ إبرته ليخيط بها ويبسل أصبعه التى لها عادة بالكستبان ويأخذ الإزار من فوقه ويقدره ويشبره كأنه يتعاطى تفصيله ، ثم يمد يده إلى المقراض ،

ومن أراد أن يكف خاطره عن الانتقال عن المعاصى والشهوات فلا طريق له إلا المجاهدة طول العمر فى فطامه نفسه عنها وفى قمع الشهوات عن القلب ، فهذا هو القدر الذى يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشر عدّة وذخيرة لحالة سكرات الموت ، فإنه يموت المرء على ماعاش عليه ويحشر على ما مات عليه ، ولذلك نقل عن بقال أنه كان يلقن عند الموت كلمتى الشهادة فيقول : خمسة ستة أربعة ، فكان مشغول النفس بالحساب الذى طال إلفه له قبل الموت . وقال بعض العارفين من السلف : العرش جوهرة تتلألأ نورا ، فلايكون العبد على حال إلا انطبع مثاله فى العرش على الصورة التى كان عليها ، فإذا كان فى سكرات الموت كشف له صورته من العرش ؛ فربما يرى نفسه على صورة معصية ، وكذلك يكشف له يوم القيامة فيرى أحوال نفسه فيأخذه من الحياء والخوف مايجل عن الوصف ، وما ذكره صحيح ، وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك ، فإن النائم يدرك مايكون فى المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهى جزء من أجزاء النبوّة ، فإذا رجع سوء الخاتمة إلى أحوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله ، والاتفاقات المقتضية لسوء الخواطر غير داخلة تحت الاختيار دخولا كليا وإن كان لطول الإلف فيه تأثير ، فبهذا عظم خوف العارفين من سوء الخاتمة ، لأنه لو أراد الإنسان أن لايرى فى المنام إلا أحوال الصالحين وأحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وإن كانت كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ، ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط ، وإن كان الغالب مناسبة ما يظهر فى النوم لما غلب فى اليقظة ، حتى سمعت الشيخ أبا على الفارمذى رحمة الله عليه يصف لى وجوب حسن أدب المريد لشيخه وأن لايكون فى قلبه إنكار لكل ما يقوله ولا فى لسانه مجادلة عليه فقال : حكيت لشيخى أبى القاسم الكرمانى مناما لى وقلت : رأيتك قلت لى كذا ؛ فقلت : لم ذاك ؟ قال : فهجرنى شهرا ولم يكلمنى وقال : لولا أنه كان فى باطنك تجويز المطالبة وإنكار ما أقوله لك لما جرى ذلك على لسانك فى النوم وهو كما قال ؛ إذ قلما يرى الإنسان فى منامه خلاف مايغلب فى اليقظة على قلبه ؛ فهذا هو القدر الذى نسمح بذكره فى علم المعاملة من أسرار أمر الخاتمة ، وما وراء ذلك فهو داخل فى علم المكاشفة ، وقد ظهر لك بهذا أنّ الأمن من سوء الخاتمة بأن ترى الأشياء كما هى عليه من غير جهل وتزجى جميع العمر فى طاعة الله من غير معصية ؛ فإن كنت تعلم أنّ ذلك محال أو عسير فلا بدّ وأن يغلب عليك من الخوف ما غلب على العارفين حتى يطول بسببه بكاؤك ونياحتك ويدوم به حزنك وقلقك ، كما سنحكيه من أحوال الأنبياء والسلف الصالحين ليكون ذلك أحد الأسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك ، وقد عرفت بهذا أنّ أعمال العمر كلها ضائعة إن لم يسلم فى النفس الأخير الذى عليه خروج الروح ، وإن سلامته مع اضطراب أمواج الخواطر مشكلة جداً ، ولذلك كان مطرف بن عبد الله يقول : إنى لاأعجب ممن هلك كيف هلك ، ولكنى أعجب ممن نجا كيف نجا ! ولذلك قال حامد اللفاف : إذا صعدت الملائكة بروح العبد المؤمن وقد مات على الخير والإسلام تعجبت الملائكة منه وقالوا : كيف نجا هذا من دنيا فسد فيها خيارنا . وكان الثورى يوما يبكى فقيل له علام تبكى ؟ فقال : بكينا على الذنوب زمانا ، فالآن نبكى على الإسلام . وبالجملة من وقعت سفينته فى لجة البحر وهجمت عليه الرياح العاصفة واضطربت الأمواج كانت النجاة فى حقه أبعد من الهلاك ، وقلب المؤمن أشدّ اضطرابا من السفينة ، وأمواج الخواطر أعظم التطاما من أمواج البحر ، وإنما الخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط ، وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لايبقى بينه وبين الجنة إلا فواق ناقة فيختم له بما سبق به الكتاب [1] » ولا يتسع

(١) حديث « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة ... الحديث » تقدم .

فواق الناقة لأعمال توجب الشقاوة ، بل هى الخواطر التى تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف . وقال سهل : رأيت كأنى أدخلت الجنة ، فرأيت ثلثمائة نبى فسألتهم : ما أخوف ما كنتم تخافون فى الدنيا ؟ قالوا : سوء الخاتمة ولأجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطا عليها ، وكان موت الفجأة مكروها ، أما الموت فجأة فلانه ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب لا يخلو عن أمثاله إلا أن يدفع بالكراهة أو بنور المعرفة . وأما الشهادة فلأنها عبارة عن قبض الروح فى حالة لم يبق فى القلب سوى حب الله تعالى وخرج حب الدنيا والأهل والمال والولد وجميع الشهوات عن القلب ، إذ لا يهجم على صف القتال موطنا نفسه على الموت إلا حبا لله وطلبا لمرضاته وبائعا دنياه بآخرته وراضيا بالبيع الذى بايعه الله به ، إذ قال تعالى ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ والبائع راغب عن المبيع لا محالة ومخرج حبه عن القلب ؛ ومجرد حب العوض المطلوب فى قلبه ، ومثل هذه الحالة قد يغلب على القلب فى بعض الأحوال ولكن لا يتفق زهوق الروح فيها ، فصف القتال سبب لزهوق الروح على مثل هذه الحالة ، هذا فيمن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة ، فإن من هذا حاله وإن قتل فى المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه الأخبار [1] .

وإذ بان لك معنى سوء الخاتمة وما هو مخوف فيها فاشتغل بالاستعداد لها ، فواظب على ذكر الله تعالى وأخرج من قلبك حب الدنيا ، واحرس عن فعل المعاصى جوارحك وعن الفكر فيها قلبك ، واحترز عن مشاهدة المعاصى ومشاهدة أهلها جهدك ، فإن ذلك أيضا يؤثر فى قلبك ويصرف إليه فكرك وخواطرك ، وإياك أن تسوف وتقول : سأستعد لها إذا جاءت الخاتمة ، فإن كل نفس من أنفاسك خاتمتك ، إذ يمكن أن تختطف فيه روحك فراقب قلبك فى كل لطريفة ، وإياك أن تهمله لحظة فلعل تلك اللحظة خاتمتك ، إذ يمكن أن تختطف فيها روحك ، هذا مادمت فى يقظتك ، وأما إذا نمت فإياك أن تنام إلا على طهارة الظاهر والباطن وأن يغلبك النوم إلا بعد غلبة ذكر الله على قلبك ، لست أقول على لسانك فإن حركة اللسان بمجردها ضعيفة الأثر . واعلم قطعا أنه لا يغلب عند النوم على قلبك إلا ما كان قبل النوم غالبا عليه ، وأنه لا يغلب فى النوم إلا ما كان غالبا قبل النوم ، ولا ينبعث عن نومك إلا ما غلب على قلبك فى نومك ، والموت والبعث شبيه النوم واليقظة ، فكما لا ينام العبد إلا على ما غلب عليه فى يقظته ولا يستيقظ إلا على ما كان عليه فى نومه ، فكذلك لا يموت المرء إلا على ما عاش عليه ولا يحشر إلا على ما مات عليه ، وتحقق قطعا ويقينا أن الموت والبعث حالتان من أحوالك كما أن النوم واليقظة حالتان من أحوالك ، وآمن بهذا تصديقا باعتقاد القلب إن لم تكن أهلا لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة ، وراقب أنفاسك ولحظاتك ، وإياك أن تغفل عن الله طرفة عين فإنك إذا فعلت ذلك كله كنت مع ذلك فى خطر عظيم ، فكيف إذا لم تفعل . والناس كلهم هلكى إلا العالمون ، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون ، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون ، والمخلصون على خطر عظيم . واعلم أن ذلك لا يتيسر لك ما لم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك ، وضرورتك مطعم وملبس ومسكن والباقى كله فضول ، والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك ويسد رمقك ، فينبغى أن يكون تناولك تناول مضطر كاره له ، ولا تكون رغبتك فيه أكثر من رغبتك فى قضاء حاجتك ،

---

(١) حديث « المقتول فى الحرب إذا كان قصده الغلبة والغنيمة وحسن الصيت فهو بعيد عن رتبة الشهادة » متفق عليه من حديث أبى موسى الأشعرى « إن رجلا قال : يارسول الله ، الرجل يقاتل المغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن فى سبيل الله ؟ فقال « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » وفى رواية : الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء . وفى رواية غضبا .

إذ لافرق بين إدخال الطعام فى البطن وإخراجه ، فهما ضرورتان فى الجبلة ، وكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك التى يشتغل بها قلبك فلا ينبغى أن يكون تناول الطعام من همتك . واعلم أنه إن كان همتك ما يدخل بطنك فقيمتك ما يخرج من بطنك ، وإذا لم يكن قصدك من الطعام إلا التقوى على عبادة الله تعالى كقصدك من قضاء حاجتك ، فعلامة ذلك تظهر فى ثلاثة أمور : من مأكولك فى وقته وقدره وجنسه ، أما الوقت فأقله أن يكتفى فى اليوم والليلة بمرة واحد فيواظب على الصوم ، وأما قدره فبأن لايزيد على ثلث البطن ، وأما جنسه فأن لا يطلب لذائذ الأطعمة بل يقنع بما يتفق ، فإن قدرت على هذه الثلاث وسقطت عنك مئونة الشهوات واللذائذ قدرت بعد ذلك على ترك الشبهات وأمكنك أن لاتأكل إلامن حله ، فإنّ الحلال يعز ولا يفى بجميع الشهوات ، وأما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحرّ والبرد وستر العورة ؛ فكل ما دفع البرد عن رأسك ولو قلنسوة يدانق فطلبك غيره فضول منك يضيع فيه زمانك ويلزمك الشغل الدائم والعناء القائم فى تحصيله بالكسب مرة والطمع أخرى من الحرام والشبهة ، وقس بهذا ما تدفع به الحرّ والبرد عن بدنك ؛ فكل ماحصل مقصود اللباس إن لم تكتف به فى خساسة قدره وجنسه لم يكن لك موقف ومرد بعده . بل كنت ممن لا يملأ بطنه إلا التراب ، وكذلك المسكن إن اكتفيت بمقصوده كفتك السماء سقفا والأرض مستقرا ؛ فإن غلبك حر أوبرد فعليك بالمساجد ، فإن طلبت مسكنا خاصا طال عليك وانصرف إليه أكثر عمرك ، وعمرك هو بضاعتك ، ثم إن تيسر لك فقصدت من الحائط سوى كونه حائلا بينك وبين الأبصار ، ومن السقف سوى كونه دافعا للأمطار ، فأخذت ترفع الحيطان وتزين السقوف فقد تورّطت فى مهواة يبعد رقيك منها ، وهكذا جميع ضرورات أمورك إن اقتصرت عليها تفرّغت لله وقدرت على التزوّد لآخرتك والاستعداد لخاتمتك ، وإن جاوزت حدّ الضرورة إلى أودية الأمانى تشعبت همومك ولم يبال الله فى أى واد أهلكك ؛ فاقبل هذه النصيحة ممن هو أحوج إلى النصيحة منك . واعلم أنّ متسع التدبير والتزوّد والاحتياط هذا العمر القصير ، فإذا دفعته يوما بيوم فى تسويفك أو غفلتك اختطفت فجأة فى غير وقت إرادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك ، فإن كنت لا تقدر على ملازمة ما أرشدت إليه بضعف خوفك إذا لم يكن فيما وصفناه من أمر الخاتمة كفاية فى تخويفك فإنا سنورد عليك من أحوال الخائفين ما نرجو أن يزيل بعض القساوة عن قلبك ، فإنك تتحقق أنّ عقل الأنبياء والأولياء والعلماء وعملهم ومكانهم عند الله تعالى لم يكن دون عقلك وعملك ومكانك ، فتأمل مع كلال بصيرتك وعمش عين قلبك فى أحوالهم : لم اشتدّ بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يصعق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشيا عليه وبعضهم يخرّ ميتا إلى الأرض ، ولا غرو إن كان ذلك لايؤثر فى قلبك فإنّ قلوب الغافلين مثل الحجارة أوأشدّ قسوة ﴿ وإنّ من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإنّ منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون ﴾ .

بيان أحوال الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام فى الخوف

روت عائشة رضى الله عنها : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه فيقوم ويتردد فى الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله[1] . وقرأ صلى الله عليه وسلم آية فى سورة الواقعة فصعق[2] ، وقال تعالى ﴿ وخرّ موسى صعقا ﴾ ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة جبريل

(١) حديث عائشة : كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة تغير وجهه ... الحديث ، متفق عليه من حديث عائشة .

(٢) حديث : قرأ فى سورة الحاقة فصعق ، المعروف فيما يروى من هذه القصة أنه قرئ عنده (ان لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما) فصعق ، كما رواه ابن عدى والبيهقى فى الشعب مرسلا ، وهكذا ذكره المصنف على الصواب فى كتاب السماع كما تقدم

عليه السلام بالأبطح فصعق [١] . وروى أنه عليه السلام كان إذا دخل فى الصلاة يسمع لصدره أزيزا كأزيز المرجل [٢] . وقال صلى الله عليه وسلم « ما جاءنى جبريل قط إلا وهو يرعد فرقا من الجبار [٣] » وقيل : لما ظهر على إبليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان ، فأوحى الله إليهما : مالكما تبكيان كل هذا البكاء ؟ فقالا : يارب ، ما نأمن مكرك ؛ فقال الله تعالى : هكذا كونا ، لاتأمنا مكرى ،

وعن محمد بن المنكدر قال : لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة من أماكنها ، فلما خلق بنو آدم عادت .

وعن أنس أنه عليه السلام سأل جبريل « مالى لا أرى ميكائيل يضحك ؟ » فقال جبريل : ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار [٤] .

ويقال : إنّ لله تعالى ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النار مخافة أن يغضب الله عليهم فيعذبهم بها .

وقال ابن عمر رضى الله عنهما : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الأنصار ، فجعل يلتقط من التمر ويأكل ، فقال ، « يا ابن عمر ، مالك لا تأكل : » فقلت : يا رسول الله لا أشتهيه ، فقال « لكنى أشتهيه وهذا صبح رابعة لم أذق طعاما ولم أجده ولو سألت ربى لأعطانى ملك قيصر وكسرى فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت فى قوم يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين فى قلوبهم ؟ » قال فوالله ما برحنا ولا قمنا حتى نزلت ﴿ وكأين من دابة لاتحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم ﴾ قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنّ الله لم يأمركم بكنز المال ولا باتباع الشهوات ، من كنز دنانير يريد بها حياة فانية فإنّ الحياة بيد الله ، ألا وإنى لا أكنز دينارا ولا درهما ولا أخبأ رزقا لغد [٥] » .

وقال أبو الدرداء : كان يسمع أزيز قلب إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم إذا قام فى الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه .

وقال مجاهد : بكى داود عليه السلام أربعين يوما ساجدا لايرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه وحتى غطى رأسه ، فنودى : ياداود أجائع أنت فتطعم ؟ أم ظمآن فتسقى ؟ أم عار فتكسى ؟ فنحب نحبة هاج العود فاحترق من حر جوفه ، ثم أنزل الله تعالى عليه التوبة والمغفرة فقال : يارب اجعل خطيئتى فى كفى فصارت خطيئته فى كفه مكتوبة ، فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيره إلا رآها فأبكته ، قال : وكان يؤتى بالقدح ثلثاه فإذا

---

(١) حديث : انه رأى صورة جبريل بالأبطح فصعق : أخرجه البزار من حديث ابن عباس بسند جيد : سأل النبى صلى الله عليه وسلم جبريل أن يراه فى صورته ؟ فقال : ادع ربك ، فدعا ربه فطلع عليه من قبل المشرق فجعل يرتفع ويسير ، فلما رآه صعق . ورواه ابن المبارك من رواية الحسن مرسلا بلفظ : فغشى عليه . وفى الصحيحين عن عائشة : رأى جبريل فى صورته مرتين ولهما عن ابن مسعود : رأى جبريل له ستمائة جناح .

(٢) حديث : كان اذا دخل فى الصلاة سمع لصدره أزيز كأزيز المرجل . رواه أبو داود والترمذى فى الشمائل ، والنسائى من حديث عبد الله بن الشخير ، وتقدم فى كتاب السماع . (٣) حديث « ماجاءنى جبريل قط الا وهو ترتعد فرائصه من الجبار » لم أجد هذا اللفظ . وروى أبو الشيخ فى كتاب العظمة عن ابن عباس قال: ان جبريل عليه السلام يوم القيامة لقائم بين يدى الجبار تبارك وتعالى ترتعد فرائصه فرقا من عذاب الله ... الحديث » وفيه زميل بن سماك الحنفى يحتاج الى معرفته .

(٤) حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل « مالى لاأرى ميكائيل يضحك » فقال : ماضحك ميكائيل منذ خلقت النار . رواه أحمد وابن أبى الدنيا فى كتاب الخائفين من رواية ثابت عن أنس بإسناد جيد ، ورواه ابن شاهين فى السنة من حديث ثابت مرسلا ، وورد ذلك أيضا فى حق اسرافيل . رواه البيهقى فى الشعب ، وفى حق جبريل رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الخائفين .

(٥) حديث ابن عمر : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل على حيطان الأنصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل الحديث . أخرجه ابن مردويه فى التفسير والبيهقى فى الزهد من رواية رجل لم يسم عن ابن عمر . قال البيهقى : هذا اسناد مجهول ، والجراح بن منهال ضعيف .

تناوله أبصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه . ويروى عنه عليه السلام أنه ما رفع رأسه إلى السماء حتى مات حياء من الله عز وجل ، وكان يقول فى مناجاته : إلهى إذا ذكرت خطيئتى ضاقت على الأرض برحبها ، وإذا ذكرت رحمتك ارتدت إلى روحى ، سبحانك إلهى أتيت أطباء عبادك ليداووا خطيئتى فكلهم عليك يدلنى ، فبؤسا للقانطين من رحمتك .

وقال الفضيل : بلغنى أن داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صارخا واضعاً يده على رأسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت إليه السباع فقال : ارجعوا لا أريدكم ، إنما أريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلنى إلا البكاء ، ومن لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود الخطاء . وكان يعاتب فى كثرة البكاء فيقول ، دعونى أبكى قبل خروج يوم البكاء قبل تخريق العظام واشتغال الحشا وقبل أن يؤمر بى ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون . وقال عبد العزيز بن عمر : لما أصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال : إلهى بح صوتى فى صفاء أصوات الصديقين . وروى أنه عليه السلام لما طال بكاؤه ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعه واشتد غمه ، فقال : يارب أما ترحم بكائى ؟ فأوحى الله تعالى إليه : ياداود ، نسيت ذنبك وذكرت بكاءك ، فقال : إلهى وسيدى كيف أنسى ذنبى وكنت إذا تلوت الزبور كف الماء الجارى عن جريه وسكن هبوب الريح وأظلنى الطير على رأسى وأنست الوحوش إلى محرابى ، إلهى وسيدى فما هذه الوحشة التى بينى وبينك ، فأوحى الله تعالى إليه : يا داود ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية ، ياداود آدم خلق من خلق خلقته بيدى ونفخت فيه من روحى وأسجدت له ملائكتى وألبسته ثوب كرامتى وتوجته بتاج وقارى ، وشكا لى الوحدة فزوجته حواء أمتى وأسكنته جنتى ، عصانى فطردته عن جوارى عريانا ذليلا ، ياداود اسمع منى والحق أقول : أطعتنا فأطعناك ، وسألتنا فأعطيناك ، وعصيتنا فأمهلناك ، وإن عدت إلينا على ما كان منك قبلناك . وقال يحيى بن أبى كثير : بلغنا أن داود عليه السلام كان إذا أراد أن ينوح مكث قبل ذلك سبعا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء ، فإذا كان قبل ذلك بيوم أخرج له المنبر إلى البرية ، فأمر سليمان أن ينادى بصوت يستقرى البلاد وما حولها من الغياض والآكام والجبال والبرارى والصوامع والبيع ، فينادى فيها : ألا من أراد أن يسمع نوح داود على نفسه فليأت ، قال : فتأتى الوحوش من البرارى والآكام وتأتى السباع من الغياض وتأتى الهوام من الجبال وتأتى الطير من الأوكار وتأتى العذارى من خدورهن ، وتجتمع الناس لذلك اليوم ، ويأتى داود حتى يرقى المنبر ويحيط به بنو إسرائيل وكل صنف على حدته محيطون به وسليمان عليه السلام قائم على رأسه ، فيأخذ فى الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ ، ثم يأخذ فى ذكر الجنة والنار فتموت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس ، ثم يأخذ فى أهوال القيامة وفى النياحة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة ، فإذا رأى سليمان كثرة الموتى قال : يا أبتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طوائف من بنى إسرائيل ومن الوحوش والهوام ، فيأخذ فى الدعاء ، فبينا هو كذلك إذ ناداه بعض عباد بنى إسرائيل : ياداود عجلت بطلب الجزاء على ربك ! قال فيخر داود مغشيا عليه ، فإذا نظر سليمان إلى ما أصابه أتى بسرير فحمله عليه ثم أمر مناديا ينادى ألا من كان له مع داود حميم أو قريب فليأت بسرير فليحمله فإن الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار فكانت المرأة تأتى بالسرير وتحمل قريبها وتقول : يامن قتله ذكر النار ، يامن قتله خوف الله ثم إذا أفاق داود قام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأغلق بابه ويقول : يا إله داود أغضبان أنت على داود ولا يزال يناجى ربه ، فيأتى سليمان ويقعد على الباب ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص من شعير فيقول : يا أبتاه تقو بهذا على ما تريد ، فيأكل من

ذلك القرص ماشاء الله ثم يخرج إلى بنى إسرائيل فيكون بينهم . وقال يزيد الرقاشى : خرج داود ذات يوم بالناس يعظهم ويخوفهم ، فخرج فى أربعين ألفا فمات منهم ثلاثون ألفا ومارجع إلا فى عشرة آلاف ، قال : وكان له جاريتان اتخذهما ، حتى إذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب قعدتا على صدره وعلى رجليه مخافة أن تتفرق أعضاؤه ومفاصله فيموت .

وقال ابن عمر رضى الله عنهما : دخل يحيى بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج ، فنظر إلى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ، ونظر إلى مجتهديهم قد خرقوا التراقى وسلكوا فيها السلاسل وشدوا أنفسهم إلى أطراف بيت المقدس ، فهاله ذلك ، فرجع إلى أبويه فمر بصبيان يلعبون ، فقالوا له : يايحيى ، هلم بنا نلعب فقال : إنى لم أخلق للعب ، قال : فأتى أبويه فسألهما أن يدرعاه الشعر ففعلا ، فرجع إلى بيت المقدس وكان يخدمه نهارا ويصبح فيه ليلا ، حتى أتت عليه خمس عشرة سنة ، فخرج ولزم أطواد الأرض وغيران الشعاب ، فخرج أبواه فى طلبه فأدركاه على بحيرة الأردن وقد أنقع رجليه فى الماء حتى كاد العطش يذبحه وهو يقول : وعزتك وجلالك لا أذوق بارد الشراب حتى أعلم أين مكانى منك ، فسأله أبواه أن يفطر على قرص كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن يمينه ، فمدح بالبر ، فرده أبواه إلى بيت المقدس ، فكان إذا قام يصلى بكى حتى يبكى معه الشجر والمدر ، ويبكى زكريا عليه السلام لبكائه حتى يغمى عليه ، فلم يزل يبكى حتى خرقت دموعه لحم خديه وبدت أضراسه للناظرين ، فقالت له أمه : يابنى لو أذنت لى أن أتخذ لك شيئا توارى به أضراسك عن الناظرين فأذن لها ، فعمدت إلى قطعتى لبود فألصقتهما على خديه ، فكان إذا قام يصلى بكى فإذا استنقعت دموعه فى القطعتين أتت إليه أمه فعصرتهما ، فإذا رأى دموعه تسيل على ذراعى أمه قال : اللهم هذه دموعى وهذه أمى وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين ، فقال له زكريا يوما . يابنى إنما سألت ربى أن يهبك لى لتقر عيناى بك ، فقال يحيى ، ياأبت إن جبريل عليه السلام أخبرنى أن بين الجنة والنار مفازة لايقطعها إلا كل بكاء . فقال زكريا عليه السلام : يابنى فابك .

وقال المسيح عليه السلام : معاشر الحراريين ، خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقه ويباعدان من الدنيا . بحق أقول لكم : إن أكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب فى طلب الفردوس قليل .

وقيل : كان الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا فى ميل ، فيأتيه جبريل فيقول له : ربك يقرئك السلام ويقول : هل رأيت خليلا يخاف خليله ؟ فيقول ياجبريل إنى إذا ذكرت خطيئتى نسيت خلتى ، فهذه أحوال الأنبياء عليهم السلام فدونك والتأمل فيها فإنهم أعرف خلق الله بالله وصفاته ، صلوات الله عليهم أجمعين وعلى كل عباد الله المقربين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف والصالحين فى شدة الخوف

روى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال لطائر ليتنى مثلك ياطائر ولم أخلق بشراً .

وقال أبو ذر رضى الله عنه : وددت لو أنى شجرة تعضد وكذلك قال طلحة .

وقال عثمان رضى الله عنه : وددت إنى إذا مت لم أبعث .

وقالت عائشة رضى الله عنها وددت أنى كنت نسيا منسيا .

وروى أن عمر رضى الله عنه كان يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه ، فكان يعاد أياما . وأخذ يوما تبنة من الأرض فقال ياليتنى كنت هذه التبنة ، ياليتنى لم أك شيئا مذكوراً ، ياليتنى كنت نسيا منسيا ،

ياليتنى لم تلدنى أمى . وكان فى وجه عمر رضى الله عنه خطان أسودان من الدموع وقال رضى الله عنه : من خاف الله لم يشف غيظه ، ومن اتقى الله لم يصنع مايريد ، ولولا يوم القيامة لكان غير ماترون . ولما قرأ عمر رضى الله عنه ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ وانتهى إلى قوله تعالى ﴿ وإذا الصحف نشرت ﴾ خرّ مغشيا عليه . ومر يوما بدار إنسان وهو يصلى ويقرأ سورة (والطور) فوقف يستمع ، فلما بلغ قوله تعالى ﴿ إنّ عذاب ربك لواقع * ماله من دافع ﴾ نزل عن حماره واستند إلى حائط ومكث زمانا ، ورجع إلى منزله فمرض شهرا يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه .

وقال على كرّم الله وجهه وقد سلم من صلاة الفجر وقد علاه كآبة وهو يقلب يده : لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلم أر اليوم شيئا يشبههم ، لقد كانوا يصبحون شعثا صفراً غبراً بين أعينهم أمثال ركب المعزى قد باتوا لله سجداً وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم ، فإذا أصبحوا ذكروا الله فمادوا كما يميد الشجر فى يوم الريح ، وهملت أعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم ، والله فكأن بالقوم باتوا غافلين ، ثم قام ، فمارؤى بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم .

وقال عمران بن حصين : وددت أن أكون رماداً تنسفنى الرياح فى يوم عاصف ،

وقال أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه : وددت أنى كبش فيذبحنى أهلى فيأكلون لحمى ويحسون مرقى

وكان على بن الحسين رضى الله عنه إذا توضأ اصفر لونه ، فيقولون له أهله : ماهذا الذى يعتادك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم ؟

وقال موسى بن مسعود : كنا إذا جلسنا إلى الثورى كأن النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه .

وقرأ مضر القارئ يوما ﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق . . . الآية ﴾ فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشى عليه ، فلما أفاق قال : وعزتك لاعصيتك جهدى أبداً ، فأعنى بتوفيقك على طاعتك .

وكان المسور بن مخرمة لايقوى أن يسمع شيئا من القرآن : لشدّة خوفه ، ولقد كان يقرأ عنده الحرف والآية فيصيح الصيحة فما يعقل أياما ، حتى أتى عليه رجل من خثعم فقرأ عليه ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا * ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا ﴾ فقال أنا من المجرمين ولست من المتقين ، أعد على القول أيها القارئ ، فأعادها عليه فشهق شهقة فلحق بالآخرة .

وقرئ عند يحيى البكاء ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على ربهم ﴾ فصاح صيحة مكث منها مريضاً أربعة أشهر يعاد من أطراف البصرة .

وقال مالك بن دينار : بينما أنا أطوف بالبيت إذ أنا بجويرية متعبدة متعلقة بأستار الكعبة وهى تقول: يارب كم شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها ! يارب أما كان لك أدب وعقوبة إلا النار ؟ وتبكى ؛ فما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر ، قال مالك : فلما رأيت ذلك وضعت يدى على رأسى صارخا أقول : ثكلت مالكا أمه .

وروى أن الفضيل رؤى يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكى بكاء الثكلى المحترقة ، حتى إذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : واسوأتاه منك وإن غفرت ، ثم انقلب مع الناس .

وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن الخائفين ؟ فقال : قلوبهم بالخوف فرحة ، وأعينهم باكية ، يقولون : كيف نفرح والموت من ورائنا ، والقبر أمامنا ، والقيامة موعدنا ، وعلى جهنم طريقنا ، وبين يدى الله ربنا موقفنا .

ومرّ الحسن بشاب وهو مستغرق فى ضحكه وهو جالس مع قوم فى مجلس ؛ فقال له الحسن : يافتى ، هل مررت بالصراط ؟ قال : لا . قال : فهل تدرى إلى الجنة تصير أم إلى النار ؟ قال : لا . قال فما هذا الضحك ؟ قال فما رؤى ذلك الفتى بعدها ضاحكا .

وكان حماد بن عبد ربه إذا جلس جلس مستوفزا على قدميه ، فيقال له : لو اطمأننت ؟ فيقول : تلك جلسة الآمن ، وأنا غير آمن إذ عصيت الله تعالى .

وقال عمر بن عبد العزيز : إنما جعل الله هذه الغفلة فى قلوب العباد رحمة كيلا يموتوا من خشية الله تعالى .

وقال مالك بن دينار : لقد هممت إذا أنا مت آمرهم أن يقيدونى ويغلونى ثم ينطلقوا بى إلى ربى كما ينطلق بالعبد الآبق إلى سيده .

وقال حاتم الأصم : لاتغتر بموضع صالح ، فلا مكان أصلح من الجنة وقد لقى آدم عليه السلام فيها مالقى : ولا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول تعبده لقى مالقى ! ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام كان يحسن اسم الله الأعظم فانظر ماذا لقى ! ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر منزلة عند الله من المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه !

وقال السرى : إنى لأنظر إلى أننى كل يوم مرات مخافة أن يكون قد اسود وجهى . وقال أبو حفص منذ أربعين سنة اعتقادى فى نفسى أن الله ينظر إلى نظر السخط وأعمالى تدل على ذلك .

وخرج ابن المبارك يوما على أصحابه فقال : إنى اجترأت البارحة على الله سألته الجنة .

وقالت أم محمد بن كعب القرظى لابنها : يابنى إنى أعرفك صغيرا طيبا وكبيراً طيباً ، وكانك أحدثت حدثاً موبقا لما أراك تصنع فى ليلك ونهارك ! فقال : يا أماه ، مايؤمننى أن يكون الله تعالى قد اطلع على وأنا على بعض ذنوبى فمقتنى وقال : وعزتى وجلالى لاغفرت لك

وقال الفضيل : إنى لا أغبط نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا ولا عبداً صالحا ، أليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة ، إنما أغبط من لم يخلق .

وروى : أن فتى من الأنصار دخلته خشية النار ، فكان يبكى حتى حبسه ذلك فى البيت ، فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فدخل عليه واعتنقه فخر ميتا ، فقال صلى الله عليه وسلم « جهزوا صاحبكم فإن الفرق من النار فتت كبده [1] » .

وروى عن ابن أبى ميسرة أنه كان إذا أوى إلى فراشه يقول : ياليت أمى لم تلدنى ، فقالت له أمه : ياميسرة ، إن الله تعالى قد أحسن إليك : هداك إلى الإسلام ، قال : أجل ولكن الله قد بين لنا أنا واردو النار ولم يبين لنا أنا صادرون عنها ،

وقيل لفرقد السبخى : أخبرنا بأعجب شىء بلغك عن بنى إسرائيل ! فقال : بلغنى أنه دخل بيت المقدس خمسمائة عذراء لباسهن الصوف والمسوح ، فتذاكرن ثواب الله وعقابه فمتن جميعا فى يوم واحد .

وكان عطاء السلمى من الخائفين ولم يكن يسأل الله الجنة أبداً إنما كان يسأل الله العفو . وقيل له فى مرضه : ألا تشتهى شيئا ؟ فقال : إن خوف جهنم لم يدع فى قلبى موضعا للشهوة : إنه مارفع رأسه إلى السماء ولا ضحك

---

(١) حديث : أن فتى من الأنصار دخلته خشية من النار حتى حبسه خوفه فى البيت ... الحديث . أخرجه ابن أبى الدنيا فى الخائفين من حديث حذيفة ، والبيهقى فى الشعب من حديث سهل بن سعد بإسنادين فيهما نظر .

أربعين سنة . وأنه رفع رأسه يوما ففزع فسقط فانفتق فى بطنه فتق ، وكان يمس جسده فى بعض الليلة مخافة أن يكون قد مسخ . وكان إذا أصابتهم ريح أو برق أو غلاء طعام قال : هذا من أجلى يصيبهم ، لو مات عطاء لاستراح الناس .

وقال عطاء : خرجنا مع عتبة الغلام وفينا كهول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهور العشاء قد تورمت أقدامهم من طول القيام وغارت أعينهم فى رءوسهم ولصقت جلودهم على عظامهم وبقيت العروق كأنها الأوتار ، يصبحون كأن جلودهم قشور البطيخ وكأنهم قد خرجوا من القبور يخبرون كيف أكرم الله المطيعين وكيف أهان العاصين ، فبينما هم يمشون إذ مر أحد بمكان فخر مغشيا عليه ، فجلس أصحابه حوله يبكون فى يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقا ، فجاءوا بماء فمسحوا وجهه فأفاق وسألوه عن أمره ؟ فقال : إنى ذكرت أنى كنت عصيت الله فى ذلك المكان .

وقال صالح المرى : قرأت على رجل من المتعبدين ﴿ يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ﴾ فصعق ثم أفاق فقال : زدنى ياصالح فإنى أجد غما ، فقرأت ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ﴾ فخر ميتا .

وروى أن زرارة بن أبى أوفى صلى بالناس الغداة فلما قرأ ﴿ فإذا نقر فى الناقور ﴾ خر مغشيا عليه ، فحمل ميتا .

ودخل يزيد الرقاشى على عمر بن عبد العزيز فقال : عظنى يا يزيد : فقال يا أمير المؤمنين ، اعلم أنك لست أول خليفة يموت ، فبكى ثم قال : زدنى ، قال : ياأمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم أب إلا ميت ، فبكى ثم قال : زدنى يايزيد ، فقال : يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين الجنة والنار منزل ، فخر مغشيا عليه .

وقال ميمون بن مهران : لما نزلت هذه الآية ﴿ وإن جهنم لموعدهم أجمعين ﴾ صاح سلمان الفارسى ووضع يده على رأسه وخرج هاربا ثلاثة أيام لايقدرون عليه [1] .

ورأى داود الطائى امرأة تبكى على رأس قبر ولدها وهى تقول : يا ابناه ، ليت شعرى أى خديك بدأ به الدود أولا ؟ فصعق داود وسقط مكانه .

وقيل : مرض سفيان الثورى فعرض دليله على طبيب ذمى فقال : هذا رجل قطع الخوف كبده ، ثم جاء وجس عروقه ثم قال : ماعلمت أن فى الملة الحنيفية مثله .

وقال أحمد بن حنبل رحمة الله عليه : سألت الله عز وجل أن يفتح على بابا من الخوف ، ففتح فخفت على عقلى ؛ فقلت : يارب على قدر ما أطيق ، فسكن قلبى .

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا ، فوالذى نفسى بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته ، وصلى حتى ينكسر صلبه ، وكأنه أشار إلى معنى قوله صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا [2] »

وقال العنبرى : اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكى ولحيته ترجف ، فقال : عليكم بالقرآن ، عليكم بالصلاة ، ويحكم ! ليس هذا زمان حديث ، إنما هذا زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق ، إنما هذا زمان : احفظ لسانك وأخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر .

---

(١) حديث ميمون بن مهران : لما نزلت هذه الآية (وإن جهنم لموعدهم أجمعين) صاح سلمان الفارسى : لم أقف له على أصل

(٢) حديث « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » تقدم فى قواعد العقائد .

وروى الفضيل يوما وهو يمشى ، فقيل له : إلى أين ؟ قال : لا أدرى ، وكان يمشى والهامن الخوف .

وقال ذرّ بن عمر لأبيه عمر بن ذر : مابال المتكلمين يتكلمون فلايبكى أحد ، فإذا تكلمت أنت سمعت البكاء من كل جانب ، فقال : يابنى ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة .

وحكى أنّ قوما وقفوا بعابد وهو يبكى فقالوا : ما الذى يبكيك يرحمك الله ؟ قال : قرحة يجدها الخائفون فى قلوبهم قالوا : وما هى ؟ قال : روعة النداء بالعرض على الله عز وجل .

وكان الخوّاص يبكى ويقول فى مناجاته : قد كبرت وضعف جسمى عن خدمتك فأعتقنى .

وقال صالح المرى : قدم علينا ابن السماك مرة فقال : أرنى شيئا من بعض عجائب عبادكم ، فذهبت به إلى رجل فى بعض الأحياء فى خص له ، فاستأذنا عليه ، فإذا رجل يعمل خوصا ، فقرأت عليه ﴿ إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون * فى الحميم ثم فى النار يسجرون ﴾ فشهق الرجل شهقة وخرّ مغشيا عليه ، فخرجنا من عنده وتركناه على حاله ، وذهبنا إلى آخر فدخلنا عليه فقرأت هذه الآية فشهق شهقة وخرّ مغشيا عليه ، فذهبنا واستأذنا على ثالث ، فقال : ادخلوا إن لم تشغلونا عن ربنا ، فقرأت ﴿ ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد ﴾ فشهق شهقة فبدا الدم من منخريه وجعل يتشحط فى دمه حتى يبس ، فتركناه على حاله وخرجنا فأدرته على ستة أنفس كل نخرج من عنده ونتركه مغشيا عليه : ثم أتيت به إلى السابع فاستأذنا . فإذا امرأة من داخل الخص تقول : ادخلوا ، فدخلنا فإذا شيخ فان جالس فى مسلاه ، فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا ، فقلت بصوت عال : ألا إنّ للخلق غدا مقاما ، فقال الشيخ : بين يدى من ويحك ! ثم بقى مبهوتا فاتحا فاه شاخصا بصره يصيح بصوت له ضعيف أوه أوه حتى انقطع ذلك الصوت ، فقالت امرأته : اخرجوا فإنكم لاتنتفعون به الساعة ، فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم ؟ فإذا ثلاثة قد أفاقوا ، وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى . وأما الشيخ فإنه مكث ثلاثة أيام على حالته مبهوتا متحيرا لا يؤدى فرضا فلما كان بعد ثلاث عقل .

وكان يزيد بن الأسود يرى أنه من الأبدال ، وكان قد حلف أن لا يضحك أبدا ولا ينام مضطجعا ولا يأكل سمنا أبدا ، فما رؤى ضاحكا ولا مضطجعا ولا أكل سمنا حتى مات رحمه الله .

وقال الحجاج لسعيد بن جبير : بلغنى أنك لم تضحك قط ! فقال . كيف أضحك وجهنم قد سعرت والأغلال قد نصبت والزبانية قد أعدّت .

وقال رجل للحسن : ياأباسعيد كيف أصبحت ؟ قال : بخير ، قال : كيف حالك ؟ فتبسم الحسن وقال تسألنى عن حالى ؟ ماظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق كل إنسان منهم بخشبة ؟ على أى حال يكون ؟ قال الرجل : على حال شديدة . قال الحسن : حالى أشد من حالهم .

ودخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز عليه فسلمت عليه ثم قامت إلى مسجد فى بيته فصلت فيه ركعتين وغلبتها عيناها : فرقدت فاستبكت فى منامها ، ثم انتبهت فقالت : يا أمير المؤمنين ، إنى والله رأيت عجبا ، قال ، وما ذلك ؟ قالت : رأيت النار وهى تزفر على أهلها ثم جىء بالصراط ووضع على متنها ، فقال : هيه ، قالت : فجىء بعبد الملك بن مروان فحمل عليه فما مضى عليه إلا يسير حتى انكفأ به الصراط ، فهوى إلى جهنم فقال عمر هيه ، قالت : ثم جىء بالوليد بن عبد الملك فحمل عليه فما مضى إلا يسير حتى انكفأ به الصراط فهوى إلى جهنم ، فقال عمر : هيه قالت : ثم جىء بسليمان بن عبد الملك فما مضى عليه إلا يسير حتى انكفأ به الصراط فهوى كذلك ، فقال عمر : هيه قالت : ثم جىء بك والله ياأمير المؤمنين : فصاح عمر رحمة الله عليه صيحة خرّ مغشيا عليه ،

فقامت إليه فجعلت تنادى فى أذنه : يا أمير المؤمنين ، إنى رأيتك والله قد نجوت ! إنى رأيتك والله قد نجوت ! قال : وهى تنادى وهو يصيح ويفحص برجليه . ويحكى أنّ أويسا القرنى رحمه الله كان يحضر عند القاص فيبكى من كلامه ، فإذا ذكر النار صرخ أويس ثم يقوم منطلقا فيتبعه الناس فيقولون مجنون مجنون .

وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه : إنّ المؤمن لايسكن روعه حتى يترك جسر جهنم وراءه .

وكان طاوس يفرش له الفرش فيضطجع ويتقلى كما تتقلى الحبة فى المقلى ، ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول : طير ذكر جهنم نوم الخائفين .

وقال الحسن البصرى رحمه الله : يخرج من النار رجل بعد ألف عام ، ياليتنى كنت ذلك الرجل ، وإنما قال ذلك لخوفه من الخلود وسوء الخاتمة . وروى أنه ما ضحك أربعين سنة ؛ قال : وكنت إذا رأيته قاعدا كأنه أسير قد قدّم لتضرب عنقه ، وإذا تكلم كأنه يعاين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها ، فإذا سكت كأنّ النار تسعر بين عينيه . وعوتب فى شدّة حزنه وخوفه فقال : ما يؤمننى أن يكون الله تعالى قد اطلع فى على بعض مايكره فمقتنى فقال : اذهب فلا غفرت لك ؛ فأنا أعمل فى غير معتمل .

وعن ابن السماك قال : وعظت يوما فى مجلس ، فقام شاب من القوم فقال : يا أبا العباس ، لقد وعظت اليوم بكلمة ما كنا نبالى أن لا نسمع غيرها . قلت : وما هى رحمك الله ؟ قال قولك : لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلود إما فى الجنة أو فى النار . ثم غاب عنى ففقدته فى المجلس الآخر فلم أره ، فسألت عنه فأخبرت أنه مريض يعاد ، فأتيته أعوده فقلت : يا أخى ما الذى أرى بك ؟ فقال : يا أبا العباس ذلك من قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلود إما فى الجنة أو فى النار . قال : ثم مات رحمه الله فرأيته فى المنام فقلت : يا أخى مافعل الله بك؟ قال : غفر لى ورحمنى وأدخلنى الجنة . قلت بماذا ؟ قال بالكلمة .

فهذه مخاوف الأنبياء والأولياء والعلماء والصالحين ، ونحن أجدر بالخوف منهم ، لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكمال المعرفة ، وإلا فليس أمننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا ، بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدّتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا وقسوتنا ، فلا قرب الرحيل ينبهنا ، ولا كثرة الذنوب تحرّكنا ، ولا مشاهدة أحوال الخائفين تخوّفنا ، ولا خطر الخاتمة يزعجنا ؛ فنسأل الله تعالى أن يتدارك بفضله وجوده أحوالنا فيصلحنا ، إن كان تحريك اللسان بمجرّد السؤال دون الاستعداد ينفعنا .

ومن العجائب أنا إذا أردنا المال فى الدنيا زرعنا وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبرارى وخاطرنا . وإن أردنا طلب رتبة العلم فقهنا وتعبنا فى حفظه وتكراره وشهرنا ، ونجتهد فى طلب أرزاقنا ولا نثق بضمان الله لنا ولا نجلس فى بيوتنا فنقول : اللهم ارزقنا ، ثم إذا طمعت أعيننا نحو الملك الدائم المقيم قنعنا بأن نقول بألسنتنا : اللهم اغفر لنا وارحمنا ، والذى إليه رجاؤنا وبه اعتزازنا ينادينا ويقول ﴿ وإن ليس للإنسان إلا ماسعى ﴾ ﴿ ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ ﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ﴾ ثم كل ذلك لا ينبهنا ولا يخرجنا عن أودية غرورنا وأمانينا ، فما هذه إلا محنة هائلة إن لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح يتداركنا بها ويجيرنا ، فنسأل الله تعالى أن يتوب علينا ، بل نسأله أن يشوّق إلى التوبة سرائر قلوبنا ، وأن لايجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حظنا فنكون ممن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل ، إذا سمعنا الوعظ بكينا ، وإذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصينا؛ علامة للخذلان أعظم من هذا ؛ فنسأل الله تعالى أن يمن علينا بالتوفيق والرشد بمنه وفضله .

ولنقتصر من حكاية أحوال الخائفين على ما أوردناه فإنّ القليل من هذا يصادف القلب القابل فيكفى ، والكثير منه وإن أفيض على القلب الغافل فلا يغنى . ولقد صدق الراهب الذى حكى عنه عيسى بن مالك الخولانى ـ وكان من خيار العباد ـ أنه رآه على باب بيت المقدس واقفا كهيئة المحزون من شدّة الوله ما يكاد يرقأ دمعه من كثرة البكاء، فقال عيسى : لما رأيته هالنى منظره ، فقلت : أيها الراهب أوصنى بوصية أحفظها عنك ، فقال : يا أخى بماذا أوصيك، إن استطعت أن تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام فهو خائف حذر يخاف أن يغفل فتفترسه السباع أو يسهو فتنهشه الهوام فهو مذعور القلب وجل ، فهو فى المخالفة ليله وإن أمن المغترون ، وفى الحزن نهاره وإن فرح البطالون . ثم ولى وتركنى فقلت : لو زدتنى شيئا عسى أن ينفعنى ؟ فقال الظمآن يجزيه من الماء أيسره ، وقد صدق فإنّ القلب الصافى يحرّكه أدنى مخافة ، والقلب الجامد تنبو عنه كل المواعظ ، وما ذكره من تقديره أنه احتوشته السباع والهوام فلا ينبغى أن يظن أنه تقدير بل هو تحقيق ؛ فإنك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرأيته مشحونا بأصناف السباع وأنواع الهوام مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها ، وهى التى لا تزال تفترسك وتنهشك إن غفلت عنها لحظة ، إلا أنك محجوب العين عن مشاهدتها ؛ فإذا انكشف الغطاء ووضعت فى قبرك عاينتها وقد تمثلت لك بصورها وأشكالها الموافقة لمعانيها ، فترى بعينك العقارب والحيات وقد أحدقت بك فى قبرك وإنما هى صفاتك الحاضرة الآن قد انكشفت لك صورها ، فإن أردت أن تقتلها وتقهرها وأنت قادر عليها قبل الموت فافعل ، وإلا فوطن نفسك على لدغها ونهشها لصميم قلبك فضلا عن ظاهر بشرتك ، والسلام .

كتاب الفقر والزهد

وهو الكتاب الرابع من ربع المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تسبح له الرمال ، وتسجد له الظلال ، وتتدكدك من هيبته الجبال ، خلق الإنسان من الطين اللازب والصلصال ، وزين صورته بأحسن تقويم وأتم اعتدال ، وعصم قلبه بنور الهداية عن ورطات الضلال ، وأذن له فى قرع باب الخدمة بالغدو والآصال ، ثم كحل بصيرة المخلص فى خدمته بنور العبرة حتى لاحظ بضيائه حضرة الجلال ، فلاح له من البهجة والبهاء والكمال ، ما استقبح دون مبادى إشراقه كل حسن وجمال ، واستثقل كل ما صرفه عن مشاهدته وملازمته غاية الاستثقال ، وتمثل له ظاهر الدنيا فى صورة امرأة جميلة تميس وتختال ، وانكشف له باطنها عن عجوز شوهاء عجنت من طينة الخزى وضربت فى قالب النكال ، وهى متلفلفة بجلبابها لتخفى قبائح أسرارها بلطائف السحر والاحتيال ، وقد نصبت حبائلها فى مدارج الرجال ، فهى تقتنصهم بضروب المكر والاغتيال ، ثم لا تجتزئ معهم بالخلف فى مواعيد الوصال ، بل تقيدهم مع قطع الوصال بالسلاسل والأغلال ، وتبليهم بأنواع البلايا والأنكال ، فلما انكشف للعارفين منها قبائح الأسرار والأفعال ، زهدوا فيها زهد المبغض لها فتركوها وتركوا التفاخر والتكاثر بالأموال ، وأقبلوا بكنه هممهم على حضرة الجلال ، واثقين منها بوصال ليس دونه انفصال ، ومشاهدة أبدية لا يعتريها فناء ولا زوال ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأنبياء وعلى آله خير آل .

(أما بعد) فإنّ الدنيا عدوّة لله عز وجل بغرورها ضل من ضل ، وبمكرها زل من زل ، فحبها رأس الخطايا والسيئات ، وبغضها أم الطاعات وأس القربات . وقد استقصينا مايتعلق بوصفها وذم الحب لها فى كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات ، ونحن الآن نذكر فضل البغض لها والزهد فيها فإنه رأس المنجيات ، فلا مطمع فى النجاة إلا بالانقطاع عن الدنيا والبعد منها لكن مقاطعتها إما أن تكون بانزوائها عن العبد ويسمى ذلك فقرا ، وإما بانزواء العبد عنها ويسمى ذلك زهدا ، ولكل واحد منهما درجة فى نيل السعادات وحظ فى الإعانة على الفوز والنجاة . ونحن الآن نذكر حقيقة الفقر والزهد ودرجاتهما وأقسامهما وشروطهما وأحكامهما ونذكر الفقر فى شطر من الكتاب والزهد فى شطر آخر منه ، ونبدأ بذكر الفقر فنقول :

الشطر الأول من الكتاب فى الفقر

وفيه بيان حقيقة الفقر ، وبيان فضيلة الفقر مطلقا ، وبيان خصوص فضيلة الفقراء ، وبيان فضيلة الفقير على الغنى ، وبيان أدب الفقير فى فقره ، وبيان أدبه فى قبوله العطاء ، وبيان تحريم السؤال بغير ضرورة ، وبيان مقدار الغنى المحرّم للسؤال ، وبيان أحوال السائلين ، والله الموفق بلطفه وكرمه .

بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميه

اعلم أنّ الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج إليه ، أما فقد مالا حاجة إليه فلا يسمى فقرا ، وإن كان المحتاج إليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج فقيرا ، وإذا فهمت هذا لم تشك فى أنّ كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لأنه محتاج إلى دوام الوجود فى ثانى الحال ودوام وجود مستفاد من فضل الله تعالى وجوده ؛ فإن كان فى الوجود موجود ليس وجوده مستفاد له من غيره فهو الغنى المطلق ، ولايتصوّر أن يكون مثل هذا الموجود إلا واحدا ، فليس فى الوجود إلا غنى واحد ، وكل من عداه فإنهم محتاجون إليه ليمدّوا وجودهم بالدوام ، وإلى هذا الحصر الإشارة بقوله تعالى ﴿ والله الغنى وأنتم الفقراء ﴾ هذا معنى الفقر مطلقا ، ولكنا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص ، وإلا ففقر العبد بالإضافة إلى أصناف حاجاته لاينحصر ، لأنّ حاجاته لاحصر لها . ومن جملة حاجاته مايتوصل إليه بالمال ، وهو الذى نريد الآن بيانه فقط ، فنقول : كل فاقد للمال فإنا نسميه فقيرا بالإضافة إلى المال الذى فقده إذا كان ذلك المفقود محتاجا إليه فى حقه ، ثم يتصوّر أن يكون له خمسة أحوال عند الفقر . ونحن نميزها ونخصص كل حال باسم لنتوصل بالتمييز إلى ذكر أحكامها :

(الحالة الأولى) وهى العليا : أن يكون بحيث لو أتاه المال لكرهه وتأذى به وهرب من أخذه مبغضا له ومحترزا من شره وشغله وهو الزهد ، واسم صاحبه الزاهد .

(الثانية) أن يكون بحيث لايرغب فيه رغبة يفرح لحصوله ولايكرهه كراهة يتأذى بها ويزهد فيه لو أتاه ، وصاحب هذه الحالة يسمى راضيا .

(الثالثة) أن يكون وجود المال أحب إليه من عدمه لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته أن ينهض لطلبه ، بل إن أتاه صفوا عفوا أخذه وفرح به ، وإن افتقر إلى تعب فى طلبه لم يشتغل به ، وصاحب هذه الحالة نسميه قانعا ، إذ قنع نفسه بالموجود حتى ترك الطلب مع مافيه من الرغبة الضعيفة .

(الرابعة) أن يكون تركه الطلب لعجزه ، وإلا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيلا إلى طلبه ولو بالتعب لطلبه ، أوهو مشغول بالطلب وصاحب هذه الحالة نسميه بالحريص .

(الخامسة) أن يكون مافقده من المال مضطرا إليه كالجائع الفاقد للخبز والعارى الفاقد للثوب ، ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كيفما كانت رغبته فى الطلب إما ضعيفة وإما قوية ، وقلما تنفك هذه الحالة عن الرغبة ، فهذه خمسة أحوال : أعلاها الزهد والاضطرار إن انضم إليه الزهد وتصور ذلك فهو أقصى درجات الزهد كما سيأتى بيانه ، ووراء هذه الأحوال الخمسة حالة هى أعلى من الزهد وهى أن يستوى عنده وجود المال وفقده ؛ فإن وجده لم يفرح به ولم يتأذ ، وإن فقده فكذلك ، بل حاله كما كان حال عائشة رضى الله تعالى عنها إذ أتاها مائة ألف درهم من العطاء فأخذتها وفرقتها من يومها فقالت خادمتها : ما استطعت فيها فرقت اليوم أن تشترى لنا بدرهم لحما نفطر عليه ، فقالت : لو ذكرتينى لفعلت ، فمن هذا حاله لو كانت الدنيا بحذافيرها فى يده وخزائنه لم تضره ، إذ هو يرى الأموال فى خزانة الله تعالى لافى يد نفسه ، فلا يفرق بين أن تكون فى يده أو فى يد غيره ، وينبغى أن يسمى صاحب هذه الحالة المستغنى ، لأنه غنى عن فقد المال ووجوده جميعا ، وليفهم من هذا الاسم معنى يفارق اسم الغنى المطلق على الله تعالى وعلى كل من كثر ماله من العباد ، فإن من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير إلى بقاء المال فى يده ، وإنما هو هو غنى عن دخول المال فى يده لاعن بقائه ، فهو إذن فقير من وجه ، وأما هذا الشخص فهو غنى عن دخول المال فى يده وعن بقائه فى يده وعن خروجه من يده أيضا ، فإنه ليس يتأذى به ليحتاج إلى إخراجه ، وليس يفرح به ليحتاج إلى بقائه . وليس فاقدا له ليحتاج إلى الدخول فى يده ، فغناه إلى العموم أميل ، فهو إلى الغنى الذى هو وصف الله تعالى أقرب ، وإنما قرب العبد من الله تعالى بقرب الصفات لابقرب المكان ، ولكنا لانسمى صاحب هذه الحالة غنيا بل مستغنيا ، ليبقى الغنى اسما لمن له الغنى المطلق عن كل شىء . وأما هذا العبد فإن استغنى عن المال وجودا أو عدما فلم يستغن عن أشياء أخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله له ليبقى استغناؤه الذى زين الله به قلبه ، فإن القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغنى عنه حر ، والله تعالى هو الذى أعتقه من هذا الرق فهو محتاج إلى دوام هذا العتق ، والقلوب متقلبة بين الرق والحرية فى أوقات متقاربة ، لأنها بين أصبعين من أصابع الرحمن ، فلذلك لم يكن اسم الغنى مطلقا عليه مع هذا الكمال إلا مجازا .

واعلم أن الزهد درجة هى كمال الأبرار وصاحب هذه الحالة من المقربين ، فلا جرم صار الزهد فى حقه نقصانا ، إذ حسنات الأبرار سيئات المقربين ، وهذا لأن الكاره للدنيا مشغول بالدنيا ، كما أن الراغب فيها مشغول بها ، والشغل بما سوى الله تعالى حجاب عن الله تعالى ، إذ لابعد بينك وبين الله تعالى حتى يكون البعد حجابا ، فإنه أقرب إليك من حبل الوريد ، وليس هو فى مكان حتى تكون السماوات والأرض حجابا بينك وبينه ، فلاحجاب بينك وبينه إلا شغلك بغيره ، وشغلك بنفسك وشهواتك شغل بغيره ، وأنت لاتزال مشغولا بنفسك وبشهوات نفسك فكذلك لاتزال محجوبا عنه ، فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله تعالى ، والمشغول ببغض نفسه أيضا مشغول عن الله تعالى بكل ماسوى الله ، مثاله مثال الرقيب الحاضر فى مجلس يجمع العاشق والمعشوق ، فإن التفت قلب العاشق إلى الرقيب وإلى بغضه واستثقاله وكراهة حضوره فهو فى حال اشتغال قلبه ببغضه مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه ، ولو استغرقه العشق لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت إليه ، فكما أن النظر إلى غير المعشوق لحبه عند حضور المعشوق شرك فى العشق ونقص فيه فكذا النظر إلى غير المحبوب لبغضه شرك فيه ونقص ، ولكن أحدهما أخف من الآخر ، بل الكمال فى أن لايلتفت القلب إلى غير المحبوب بغضا وحبا ، فإنه كما لايجتمع فى القلب حبان

فى حالة واحدة فلا يجتمع أيضاً بغض وحب فى حالة واحدة ؛ فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله كالمشغول بحبها ، إلا أن المشغول بحبها غافل وهو فى غفلته سالك فى طريق البعد ، والمشغول ببغضها غافل وهو فى غفلته سالك فى طريق القرب ، إذ يرجى له أن ينتهى حاله إلى أن تزول هذه الغفلة وتتبدل بالشهود ؛ فالكمال له مرتقب لأن بغض الدنيا مطية توصل إلى الله فالمحب والمبغض كرجلين فى طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها وتسييرها ، ولكن أحدهما مستقبل الكعبة والآخر مستدبر لها فهما ، سيان بالإضافة إلى الحال فى أن كل واحد منهما محجوب عن الكعبة ومشغول عنها ، ولكن حال المستقبل محمود بالإضافة إلى المستدبر إذ يرجى له الوصول إليها ، وليس محمودا بالإضافة إلى المعتكف فى الكعبة الملازم لها الذى لا يخرج منها حتى يفتقر إلى الاشتغال بالدابة فى الوصول إليها ، فلا ينبغى أن تظن أن بغض الدنيا مقصود فى عينه ، بل الدنيا عائق عن الله تعالى ، ولا وصول إليه إلا بدفع العائق ، ولذلك قال أبو سليمان الدارانى رحمه الله : من زهد فى الدنيا واقتصر عليه فقد استعجل الراحة ، بل ينبغى أن يشتغل بالآخرة ؛ فبين أن سلوك طريق الآخرة وراء الزهد كما أن سلوك طريق الحج وراء دفع الغريم العائق عن الحج ، فإذن قد ظهر أن الزهد فى الدنيا إن أريد به عدم الرغبة فى وجودها وعدمها فهو غاية الكمال ، وإن أريد به الرغبة فى عدمها فهو كمال بالإضافة إلى درجة الراضى والقانع والحريص ، ونقصان بالإضافة إلى درجة المستغنى ، بل الكمال فى حق المال أن يستوى عندك المال والماء ، وكثرة الماء فى جوارك لا تؤذيك بأن تكون على شاطئ البحر ، ولا قلته تؤذيك إلا فى قدر الضرورة ، مع أن المال محتاج إليه كما أن الماء محتاج إليه فلا يكون قلبك مشغولا بالفرار عن جوار الماء الكثير ولا ببغض الماء الكثير ، بل تقول : أشرب منه بقدر الحاجة وأسقى منه عباد الله بقدر الحاجة ولا أبخل به على أحد ، فهكذا ينبغى أن يكون المال ؛ لأن الخبز والماء واحد فى الحاجة ، وإنما الفرق بينهما فى قلة أحدهما وكثرة الآخر ، وإذا عرفت الله تعالى ووثقت بتدبيره الذى دبر به العالم : علمت أن قدر حاجتك من الخبز يأتيك لا محالة مادمت حيا كما يأتيك قدر حاجتك من الماء ، على ما سيأتى بيانه فى كتاب التوكل إن شاء الله تعالى.

قال أحمد بن أبى الحوارى : قلت لأبى سليمان الدارانى : قال مالك بن دينار للمغيرة : اذهب إلى البيت فخذ الركوة التى أهديتها لى فإن العدو يوسوس لى أن اللص قد أخذها ، قال أبو سليمان : هذا من ضعف قلوب الصوفية : قد زاده فى الدنيا ما غلبه من أخذها ، فبين أن كراهية كون الركوة فى بيته التفات إليها سببه الضعف والنقصان .

فإن قلت : فما بال الأنبياء والأولياء هربوا من المال ونفروا منه كل النفار ؟ فأقول : كما هربوا من الماء على معنى أنهم ما شربوا أكثر من حاجتهم ففروا عما وراءه ولم يجمعوه فى القرب والروايا يدبرونه مع أنفسهم ، بل تركوه فى الأنهار والآبار والبرارى للمحتاجين إليه ، لا أنهم كانت قلوبهم مشغولة بحبه أو بغضه وقد حملت خزائن الأرض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فأخذوها ووضعوها فى مواضعها وما هربوا منها [1] ، إذ كان يستوى عندهم المال والماء والذهب والحجر ، وما نقل عنهم من امتناع فإما أن ينقل عمن خاف

---

(١) حديث : إن خزائن الأرض حملت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبى بكر وعمر فأخذوها ووضعوها فى مواضعها هذا معروف ، وقد تقدم فى آداب المعيشة من هذه البخارى تعليقا مجزوما به من حديث أنس : أتى النبى صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين وكان أكثر مال أتى به ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة ولم يلتفت إليه ، فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه ، فقلما كان يرى أحدا إلا أعطاه . ووصله عمر بن محمد البحيرى فى صحيحه من هذا الوجه . وفى الصحيحين من حديث عمرو ابن عوف : قدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدومه ... الحديث ، ولهما من حديث جابر : لو جاءنا مال البحرين أعطيتك هكذا ثلاثا ، فلم يقدم حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر أبو بكر مناديا فنادى : من كان له على رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أو دين فليأتنا ، فقلت : إن النبى صلى الله عليه وسلم وعدنى ، فحثا لى ثلاثا .

أن لو أخذه أن يخدعه المال ويقيد قلبه فيدعوه إلى الشهوات ، وهذا حال الضعفاء ، فلا جرم البغض للمال والهرب منه فى حقهم كمال ؛ وهذا حكم جميع الخلق ، لأن كلهم ضعفاء إلا الأنبياء والأولياء ، وإما أن ينقل عن قوى بلغ الكمال ولكن أظهر الفرار والنفار نزولا إلى درجة الضعفاء ليقتدوا به فى الترك ؛ إذ لو اقتدوا به فى الأخذ لهلكوا ، كما يفر الرجل المعزم بين يدى أولاده من الحية لا لضعفه عن أخذها ولكن لعلمه أنه لو أخذها أخذها أولاده إذا رأوها فيهلكون ، والسير بسير الضعفاء ضرورة الأنبياء والأولياء والعلماء ، فقد عرفت إذن أن المراتب ست وأعلاها رتبة المستغنى ثم الزاهد ثم الراضى ثم القانع ثم الحريص . وأما المضطر فيتصور فى حقه أيضا الزهد والرضا والقناعة ودرجه تختلف بحسب اختلاف هذه الأحوال ، واسم الفقير يطلق على هذه الخمسة . أما تسمية المستغنى فقيراً فلا وجه لها بهذا المعنى ؛ بل إن سمى فقيرا فبمعنى آخر وهو معرفته بكونه محتاجا إلى الله تعالى فى جميع أموره عامة وفى بقاء استغنائه عن المال خاصة ، فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية وأقر بها ؛ فانه أحق باسم العبد من الغافلين . وإن كان اسم العبد عاما للخلق فكذلك اسم الفقير عام، ومن عرف نفسه بالفقر إلى الله تعالى فهو أحق باسم الفقير ، فاسم الفقير مشترك بين هذين المعنيين ، وإذا عرفت هذا الاشتراك فهمت أن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعوذ بك من الفقر [1] » وقوله عليه السلام « كاد الفقر أن يكون كفراً [2] » لا يناقض قوله « أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا [3] » إذ فقر المضطر هو الذى استعاذ منه ، والفقر الذى هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار إلى الله تعالى هو الذى سأله فى دعائه صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء .

بيان فضيلة الفقر مطلقا

أما من الآيات فيدل عليه قوله تعالى ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ﴾ الآية . وقال تعالى ﴿ للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض ﴾ ساق الكلام فى معرض المدح ، ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والإحصار ، وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر .

وأما الأخبار فى مدح الفقر فأكثر من أن تحصى : روى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « أى الناس خير ؟ » فقالوا : موسر من المال يعطى حق الله من نفسه وماله . فقال « نعم الرجل هذا وليس به » قالوا : فمن خير الناس يارسول الله ؟ قال « فقير يعطى جهده [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « لبلال الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا [5] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال [6] » وفى الخبر المشهور « يدخل فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام [7] » وفى حديث آخر

---

(١) حديث « أعوذ بك من الفقر » تقدم فى الأذكار والدعوات .

(٢) حديث « كاد الفقر أن يكون كفرا » تقدم فى ذم الحسد . (٣) حديث « اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا » رواه الترمذى من حديث أنس وحسنه ، وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبى سعيد وقد تقدم . (٤) حديث ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : أى الناس خير ؟ فقالوا . موسر من المال يعطى حق الله من نفسه وماله . فقال : نعم الرجل هذا وليس به قالوا : فمن خير الناس ؟ قال : فقير يعطى جهده ، أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس بسند ضعيف مقتصرا على المرفوع منه دون سؤاله لأصحابه وسؤالهم له . (٥) حديث : قال لبلال « الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا » أخرجه الحاكم فى كتاب علامات أهل التحقيق من حديث بلال . ورواه الطبرانى من حديث أبى سعيد بلفظ « مت فقيرا ولا تمت غنيا » وكلاهما ضعيف .

(٦) حديث « إن يحب الفقير المتعفف أبا العيال » أخرجه ابن ماجه من حديث عمران بن حصين ، وقد تقدم .

(٧) حديث « يدخل فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام » أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال : حسن صحيح وقد تقدم .

« بأربعين خريفا [١] » أى أربعين سنة ، فيكون المراد به تقدير تقدّم الفقير الحريص على الغنى الحريص ، والتقدير بخمسمائة عام تقدير تقدّم الفقير الزاهد على الغنى الراغب، وما ذكرناه من اختلاف درجات الفقر يعرّفك بالضرورة تفاوتا بين الفقراء فى درجاتهم، وكأن الفقير الحريص على درجة من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد، إذ هذه نسبة الأربعين إلى خمسمائة ، ولا تظنن أن تقدير رسول الله صلى الله عليه وسلم يجرى على لسانه جزافا وبالاتفاق ، بل لا يستنطق صلى الله عليه وسلم إلا بحقيقة الحق فإنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ، وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة [٢] » فإنه تقدير تحقيق لا محالة ، لكن ليس فى قوة غيره أن يعرف علة تلك النسبة إلا بتخمين ، فأما بالتحقيق فلا ، إذ يعلم أن النبوة عبارة عما يختص به النبىّ ويفارق به غيره ، وهو يختص بأنواع من الخواص : أحدها أن يعرف حقائق الأمور المتعلقة بالله وصفاته والملائكة والدار الآخرة ، لا كما يعلمه غيره بل مخالفا له بكثرة المعلومات وبزيادة اليقين والتحقيق والكشف . والثانى : أن له فى نفسه صفة بها تتم له الأفعال الخارقة للعادات كما أن لنا صفة بها تتم الحركات المقرونة بإرادتنا وباختيارنا وهى القدرة وإن كانت القدرة والمقدور جميعا من فعل الله تعالى . والثالث . أن له صفة بها يبصر الملائكة ويشاهدهم كما أن للبصير صفة بها يفارق الأعمى حتى يدرك بها المبصرات . والرابع أن له صفة بها يدرك ما سيكون فى الغيب إما فى اليقظة أو فى المنام إذ بها يطالع اللوح المحفوظ فيرى ما فيه من الغيب ، فهذه كمالات وصفات يعلم ثبوتها للأنبياء وبعلم انقسام كل واحد منها إلى أقسام ، وربما يمكننا أن نقسمها إلى أربعين وإلى خمسين وإلى ستين ، ويمكننا أيضاً أن نتكلف تقسيمها إلى ستة وأربعين بحيث تقع الرؤيا الصحيحة جزءا واحدا من جملتها ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات الممكنة لا يمكن إلا بظن وتخمين فلا ندرى تحقيقا أنه الذى أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا ، وإنما المعلوم مجامع الصفات التى بها تتم النبوة وأصل انقسامها ، وذلك لا يرشدنا إلى معرفة علة التقدير ، فكذلك نعلم أن الفقراء لهم درجات كما سبق ، فأما لم كان هذا الفقير الحريص مثلا على نصف سدس درجة الفقير الزاهد حتى لم يبق له التقدم بأكثر من أربعين سنة إلى الجنة واقتضى ذلك التقدم بخمسمائة عام فليس فى قوة البشر غير الأنبياء الوقوف على ذلك إلا بنوع من التخمين ولا وثوق به ، والغرض التنبيه على منهاج التقدير فى أمثال هذه الأمور ، فإن الضعيف الإيمان قد يظن أن ذلك يجرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاتفاق ، وحاشا منصب النبوة عن ذلك ولنرجع إلى نقل الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم أيضا « خير هذه الأمة فقراؤها وأسرعها تضجعا فى الجنة ضعفاؤها [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم « إن لى حرفتين اثنتين فمن أحبهما فقد أحبنى ومن أبغضهما فقد أبغضنى : الفقر والجهاد [٤] » وروى أن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد . إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول . أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا [٥] »

---

(١) حديث دخولهم قبلهم أربعين خريفا : أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو ، إلا أنه قال : فقراء المهاجرين ، والترمذى من حديث جابر وأنس . (٢) حديث « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة » أخرجه البخارى من حديث أبى سعيد ، ورواه هو ومسلم من حديث أبى هريرة وعبادة بن الصامت وأنس بلفظ « رؤيا المؤمن جزء ... الحديث » وقد تقدم .
(٣) حديث « خير الأمة فقراؤها ، وأسرعها تضجعا فى الجنة ضعفاؤها » لم أجد له أصلا . (٤) حديث إن لى حرفتين اثنتين .. الحديث » وفيه « الفقر والجهاد » لم أجد له أصلا . (٥) حديث : أن جبريل نزل فقال: إن الله يقرأ عليك السلام ويقول : أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا ... الحديث ، وفيه « إن الدنيا دار من لا دار له ... الحديث » هذا ملفق من حديثين فروى الترمذى من حديث أبى أمامة « عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا ، قلت : لا يارب ، ولكن أشبع يوما وأجوع يوما » الحديث وقال . حسن ولأحمد من حديث عائشة « الدنيا دار من لا دار له ... الحديث » وقد تقدم فى ذم الدنيا .

وتكون معك أينما كنت ، فأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « ياجبريل ، إن الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها يجمع من لاعقل له » فقال له جبريل : يامحمد ثبتك الله بالقول الثابت

وروى أن المسيح صلى الله عليه وسلم مر فى سياحته برجل نائم ملتف فى عباءة ، فأيقظه وقال : يانائم قم فاذكر الله تعالى ، فقال ماتريد منى ؟ إنى قد تركت الدنيا لأهلها ، فقال له فنم إذن ياحبيبى .

ومر موسى صلى الله عليه وسلم برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته فى التراب وهو متزر بعباءة ، فقال : يارب عبدك هذا فى الدنيا ضائع ، فأوحى الله تعالى إليه : ياموسى أما علمت أنى إذا نظرت إلى عبد بوجهى كله زويت عنه الدنيا كلها .

وعن أبى رافع أنه قال : ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده مايصلحه ، فأرسلنى إلى رجل من يهود خيبر وقال « قل له يقول لك محمد أسلفنى أو بعنى دقيقا إلى هلال رجب » قال فأتيته فقال : لا والله إلا برهن ، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال « أما والله إنى لأمين فى أهل السماء أمين فى أهل الأرض ولو باعنى أو أسلفنى لأديت إليه ، اذهب بدرعى هذا إليه فارهنه » فلما خرجت نزلت هذه الآية ﴿ ولا تمدن عينيك إلى مامتعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا [1] ﴾ الآية ، وهذه الآية تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدنيا ، وقال صلى الله عليه وسلم « الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « من أصبح منكم معافى فى جسمه آمنا فى سربه عنده قوت يومه ؛ فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها [3] »

وقال كعب الأحبار : قال الله تعالى لموسى عليه السلام : يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين .

وقال عطاء الخراسانى : مر نبى من الأنبياء بساحل فإذا هو برجل يصطاد حيتانا ، فقال : بسم الله وألقى الشبكة فلم يخرج فيها شىء ، ثم مر بآخر فقال باسم الشيطان وألقى شبكته فخرج فيها من الحيتان ما كان يتقاعس من كثرتها . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : يارب ماهذا وقد علمت أن كل ذلك بيدك ، فقال الله تعالى للملائكة اكشفوا لعبدى عن منزلتيهما ، فلما رأى ما أعد الله تعالى لهذا من الكرامة ولذاك من الهوان قال : رضيت يارب .

وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء » وفى لفظ آخر « فقلت أين الأغنياء ؟ حبسهم الجد » وفى حديث آخر « فرأيت أكثر أهل النار النساء فقلت ماشأنهن ؟ فقيل شغلهن الأحمران الذهب والزعفران [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « تحفة المؤمن فى الدنيا الفقر [5] » وفى الخبر « آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر أصحابى دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لأجل غناه [6] » وفى حديث آخر « رأيته يدخل الجنة زحفا [7] » .

---

(١) حديث أبى رافع : ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده مايصلحه ، فأرسلنى إلى رجل من يهود خيبر .. الحديث فى نزول قوله تعالى ﴿ ولا تمدن عينيك إلى مامتعنا به أزواجا منهم » أخرجه الطبرانى بسند ضعيف .

(٢) حديث « الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس » رواه الطبرانى من حديث شداد بن أوس بسند ضعيف والمعروف أنه من كلام عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، رواه ابن عدى فى الكامل هكذا (٣) حديث « من أصبح منكم معافى فى جسمه ... الحديث أخرجه الترمذى وقد تقدم (٤) حديث « اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء ... الحديث » تقدم فى آداب النكاح مع الزيادة التى فى آخره . (٥) حديث « تحفة المؤمن فى الدنيا الفقر » رواه محمد بن خفيف الشيرازى فى شرف الفقر ، وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث معاذ بن جبل بسند لابأس به ، ورواه أبو منصور أيضا فيه من حديث ابن عمر بسند ضعيف جدا . (٦) حديث « آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان .. الحديث » تقدم ، وهو فى الأوسط للطبرانى بإسناد فرد ، وفيه نكارة . (٧) حديث . رأيته يعنى عبد الرحمن بن عوف دخل الجنة زحفا تقدم وهو ضعيف .

وقال المسيح صلى الله عليه وسلم بشدة يدخل الغنى الجنة .

وفى خبر آخر عن أهل البيت رضى الله عنهم أنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا أحب الله عبدا ابتلاه ، فإذا أحبه الحب البالغ اقتناه . قيل : وما اقتناه ؟ قال : لم يترك له أهلا ولا مالا [1] » .

وفى الخبر « إذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين ، وإذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته [2] » .

وقال موسى عليه السلام : يارب من أحباؤك من خلقك حتى أحبهم لأجلك ؟ فقال . كل فقير فقير ، فيمكن أن يكون الثانى للتوكيد ، ويمكن أن يراد به الشديد الضر .

وقال المسيح صلوات الله عليه وسلامه : إنى لأحب المسكنة وأبغض النعماء ، وكان أحب الأسامى إليه صلوات الله عليه أن يقال له يامسكين . ولما قالت سادات العرب وأغنياؤهم للنبى صلى الله عليه وسلم : اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون إليك ولا نجىء ، ونجىء إليك ولا يجيئون ، يعنون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وأبى ذر وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وأبى هريرة وأصحاب الصفة من الفقراء رضى الله عنهم أجمعين أجابهم النبى صلى الله عليه وسلم إلى ذلك ، وذلك لأنهم شكوا إليه التأذى برائحتهم وكان لباس القوم الصوف فى شدة الحر ، فإذا عرقوا فاحت الروائح من ثيابهم ، فاشتد ذلك على الأغنياء منهم الأقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى وعباس بن مرداس السلمى وغيرهم ، فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجمعهم وإياهم مجلس واحد ؛ فنزل عليه قوله تعالى ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم ﴾ يعنى الفقراء ﴿ تريد زينة الحياة الدنيا ﴾ يعنى الأغنياء ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ﴾ يعنى الأغنياء إلى قوله تعالى ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر [3] ﴾ الآية .

واستأذن ابن أم مكتوم على النبى صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من أشراف قريش ، فشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى ﴿ عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى ﴾ يعنى ابن مكتوم ﴿ أما من استغنى فأنت له تصدى [4] ﴾ يعنى هذا الشريف .

وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله تعالى إليه كما يعتذر الرجل للرجل فى الدنيا ، فيقول : وعزتى وجلالى ما زويت الدنيا عنك لهوانك على ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة ، اخرج يا عبدى إلى هذه الصفوف ، فمن أطعمك فى أو كساك فى يريد بذلك وجهى فخذ بيده فهو لك ، والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به فيأخذ بيده ويدخله الجنة [5] » .

---

(١) حديث « إذا أحب الله عبدا ابتلاه ... الحديث » أخرجه الطبرانى من حديث أبى عتبة الخولانى .

(٢) حديث « إذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين ، وإذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من رواية مكحول عن أبى الدرداء ولم يسمع منه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام . ياموسى ... » فذكره بزيادة فى أوله . ورواه أبو نعيم فى الحلية من قول كعب الأحبار غير مرفوع بإسناد ضعيف .

(٣) حديث : قال سادات العرب وأغنياؤهم للنبى صلى الله عليه وسلم . اجعل لنا يوما ولهم يوما ... الحديث فى نزول قوله تعالى ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم ... ﴾ الآية ، تقدم من حديث خباب ، وليس فيه أنه كان لباسهم الصوف ويفوح ريحهم إذا عرقوا ، وهذه الزيادة من حديث سلمان . (٤) حديث استئذان ابن أم مكتوم على النبى صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من أشراف قريش ونزول قوله تعالى ﴿ عبس وتولى ﴾ أخرجه الترمذى من حديث عائشة وقال غريب قلت : ورجاله رجال الصحيح

(٥) حديث « يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله اليه كما يعتذر الرجل الى الرجل فى الدنيا ، فيقول وعزتى وجلالى مازويت =

وقال عليه السلام « أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادى فإنّ لهم دولة » قالوا : يارسول الله ، وما دولتهم ؟ قال « إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوبا فخذوا بيده ثم امضوا به إلى الجنة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « دخلت الجنة فسمعت حركة أمامى فنظرت فإذا بلال ، ونظرت فى أعلاها فإذا فقراء أمتى وأولادهم ، ونظرت فى أسفلها فإذا فيه من الأغنياء والنساء قليل ؛ فقلت يارب ما شأنهم ؟ قال : أما النساء فأضرّبهن الأحمران الذهب والحرير ، وأما الأغنياء فاشتغلوا بطول الحساب ، وتفقدت أصحابى فلم أر عبد الرحمن بن عوف ، ثم جاءنى بعد ذلك وهو يبكى ، فقلت : ما خلفك عنى ؟ قال : يارسول الله والله ما وصلت إليك حتى لقيت المشيبات وظننت أنى لا أراك ، فقلت : ولم ؟ قال : كنت أحاسب بمالى (٢) » فانظر إلى هذا وعبد الرحمن صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المخصوصين بأنهم من أهل الجنة (٣) ، وهو من الأغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « إلا من قال بالمال هكذا وهكذا (٤) » ومع هذا فقد استضر بالغنى إلى هذا الحدّ .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل فقير فلم ير له شيئا فقال : « لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم (٥) » .

وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بملوك أهل الجنة ؟ قالوا : بلى يارسول الله قال : كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره (٦) » .

وقال عمران بن حصين : كانت لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه ، فقال « يا عمران ، إن لك عندنا منزلة وجاها ، فهل لك فى عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت نعم بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة ، فقرع الباب وقال « السلام عليكم ، أأدخل ؟ » فقالت : ادخل يارسول الله . قال « أنا ومن معى ؟ » قالت : ومن معك يا رسول الله ؟ قال « عمران » فقالت فاطمة : والذى بعثك بالحق نبيا ما على إلا عباءة . قال « اصنعى بها هكذا وهكذا » وأشار بيده ، فقالت : هذا جسدى قد واريته فكيف برأسى ؟ فألقى إليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال « شدّى على رأسك » ثم أذنت له فدخل فقال

= عنك الدنيا لهوانك على » الحديث أخرجه أبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث أنس بإسناد ضعيف « يقول الله عز وجل يوم القيامة أدنوا منى أحبائى ، فتقول الملائكة : ومن أحباؤك ؟ فيقول : فقراء المسلمين ، فيدنون منه فيقول : أما إنى لم أزو الدنيا عنكم لهوان كان بكم على ولكن أردت بذلك أن أضعف لكم كرامتى اليوم ، فتعالوا على ماشئتم اليوم ... الحديث دون آخر الحديث ، وأما أول الحديث فرواه أبو نعيم فى الحلية ، وسيأتى فى الحديث الذى بعده .

(١) حديث « أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادى فإن لهم دولة ... الحديث » أخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث الحسين بن على بسند ضعيف « اتخذوا عند الفقراء أيادى ، فإن لهم دولة يوم القيامة ، فإذا كان يوم القيامة نادى مناد : سيروا إلى الفقراء ، فيعتذر إليهم كما يعتذر أحدكم إلى أخيه فى الدنيا .

(٢) حديث « دخلت الجنة فسمعت حركة أمامى ، فنظرت فإذا بلال ، ونظرت إلى أعلاها فإذا فقراء أمتى وأولادهم ... الحديث » أخرجه الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف نحوه ، وقصة بلال فى الصحيح من طريق آخر .

(٣) حديث : إن عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المخصوصين بأنهم من أهل الجنة رواه أصحاب السنن الأربعة من حديث سعيد بن زيد ، قال الترمذى : حسن صحيح . (٤) حديث « إلا من قال بالمال هكذا وهكذا » متفق عليه من حديث أبى ذر فى أثناء حديث تقدم . (٥) حديث : دخل على رجل فقير ولم ير له شيئا فقال « لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم » لم أجده . (٦) حديث « ألا أخبركم عن ملوك الجنة ... الحديث » متفق عليه من حديث حارثة بن وهب مختصرا ولم يقل « ملوك » وقد تقدم ، ولابن ماجه بسند جيد من حديث معاذ « ألا أخبركم عن ملوك الجنة .. الحديث » دون قوله « أغبر أشعث » .

« السلام عليكم يا ابنتاه ، كيف أصبحت ؟ » قالت : أصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي أني لست أقدر على طعام آكله فقد أضر بي الجوع ، فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « لا تجزعي يا ابنتاه فوالله ماذقت طعاما منذ ثلاث ، وإني لأكرم على الله منك ، ولو سألت ربي لأطعمني ولكني آثرت الآخرة على الدنيا » ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها « أبشري فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة » قالت . فأين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران ؟ قال « آسيه سيدة نساء عالمها ، ومريم سيدة نساء عالمها ، وأنت سيدة نساء عالمك ، إنكن في بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ولا نصب » ثم قال لها « اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيداً في الآخرة (١) » .

وروى عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم رماهم الله بأربع خصال : بالقحط من الزمان ، والجور من السلطان ، والخيانة من ولاة الأحكام ، والشوكة من الأعداء (٢) » .

وأما الآثار : فقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه : ذو الدرهمين أشد حبسا أو قال أشد حسابا من ذي الدرهم .

وأرسل عمر رضي الله عنه إلى سعيد بن عامر بألف دينار ، فجاء حزينا كئيبا فقالت امرأته : أحدث أمر ؟ قال : أشد من ذلك ، ثم قال : أريني درعك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه ، ثم قام يصلي ويبكي إلى الغداة ، ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام ، حتى إن الرجل من الأغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج (٣) » .

وقال أبو هريرة : ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب : رجل يريد أن يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ، ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ، ورجل دعا بشرابه فلا يقال له أيها تريد .

وقيل : جاء فقير إلى مجلس الثوري رحمه الله فقال له : تخط ، لو كنت غنيا لما قربتك ، وكان الأغنياء من أصحابه يودون أنهم فقراء لكثرة تقريبه للفقراء وإعراضه عن الأغنياء . وقال المؤمل : ما رأيت الغنى أذل منه في مجلس الثوري ، ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري رحمه الله .

وقال بعض الحكماء : مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ، ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بهما جميعا ، ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعا

وقال ابن عباس : ملعون من أكرم بالغنى وأهان بالفقر .

وقال يحيى بن معاذ : حبك الفقراء من أخلاق المرسلين ، وإيثارك مجالستهم من علامة الصالحين ، وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين .

وفي الأخبار عن الكتب السالفة : أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه عليهم السلام . احذر أن أمقتك فتسقط

---

(١) حديث عمران بن حصين . كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه ، فقال « يا عمران ، إن لك عندنا منزلة وجاها ، فهل لك في عيادة فاطمة ؟ الحديث » تقدم (٢) حديث « إذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا . . . الحديث » أخرجه أبو منصور الديلمي بإسناد فيه جهالة ، وهو منكر (٣) حديث سعيد بن عامر « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام . . الحديث » وفي أوله قصة أن عمر بعث إلى سعيد بألف دينار فجاء كئيبا حزينا وفرقها ، وقد روى أحمد في الزهد القصة إلا أنه قال « تسعين عاما » وفي إسناده يزيد بن أبي زياد تكلم فيه ، وفي رواية له « بأربعين سنة » وأما دخولهم قبلهم بخمسمائة عام فهو عند الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه ، وقد تقدم .

من عيني فأصب الدنيا عليك صبا .

ولقد كانت عائشة رضى الله عنها تفرق مائة ألف درهم فى يوم واحد يوجهها إليها معاوية وابن عامر وغيرهما ، وإنّ درعها لمرقوع ، وتقول لها الجارية : لو اشتريت لك بدرهم لحما تفطرين عليه ! وكانت صائمة ، فقالت : لو ذكرتينى لفعلت ، وكان قد أوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « إن أردت اللحوق بى فعليك بعيش الفقراء ، وإياك ومجالسة الأغنياء ، ولا تنزعى درعك حتى ترقعيه [1] » .

وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم ، فأبى عليه أن يقبلها ، فألح عليه الرجل ، فقال له إبراهيم : أتريد أن أمحو اسمى من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم ؟ لا أفعل ذلك أبدا ـ رضى الله عنه .

بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن هدى إلى الإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به [2] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « يامعشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا [3] » . فالأول القانع وهذا الراضى ، ويكاد يشعر هذا بمفهومه : أنّ الحريص لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة فى فضل الفقر تدل على أنّ له ثوابا كما سيأتى تحقيقه ، فلعل المراد بعدم الرضا هو الكراهة لفعل الله فى حبس الدنيا عنه ، ورب راغب فى المال لا يخطر بقلبه إنكار على الله تعالى ولا كراهة فى فعله ، فتلك الكراهة هى التى تحبط ثواب الفقر .

وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إنّ لكل شىء مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء لصبرهم ، هم جلساء الله تعالى يوم القيامة [4] » .

وروى عن على كرم الله وجهه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « أحب العباد إلى الله تعالى الفقير القانع برزقه الراضى عن الله تعالى [5] » . وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا [6] » ، وقال « مامن أحد غنى ولا فقير إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتى قوتا فى الدنيا [7] » ، وأوحى الله تعالى إلى إسماعيل عليه السلام : اطلبنى عند المنكسرة قلوبهم . قال : ومن هم ؟ قال : الفقراء الصادقون . وقال صلى الله عليه وسلم « لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضيا [8] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى يوم القيامة : أين صفوتى من خلقى ؟ فتقول الملائكة : ومن هم يا ربنا ؟ فيقول : فقراء المسلمين القانعون بعطائى الراضون بقدرى ،

---

(١) حديث : قال لعائشة « إن أردت اللحوق بى فعليك بعيش الفقراء ، وإياك ومجالسة الأغنياء ... الحديث » أخرجه الترمذى وقال غريب ، والحاكم وصححه نحوا من حديثها ، وقد تقدم .

(٢) حديث « طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به » رواه مسلم ، وقد تقدم .

(٣) حديث « يامعشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم .. الحديث » رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة ، وهو ضعيف جدا ، فيه أحمد بن الحسن بن أبان المصرى متهم بالكذب ووضع الحديث .

(٤) حديث « إن لكل شىء مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين ... الحديث » رواه الدارقطنى فى غرائب مالك ، وأبو بكر ابن لال فى مكارم الأخلاق ، وابن عدى فى الكامل ، وابن حبان فى الضعفاء من حديث ابن عمر .

(٥) حديث « أحب العباد إلى الله الفقير القانع برزقه الراضى عن الله » لم أجده بهذا اللفظ ، وتقدم عند ابن ماجه حديث « إن الله يحب الفقير المتعفف » (٦) حديث « اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة ، وهو متفق عليه بلفظ « قوتا » وقد تقدم (٧) حديث « مامن أحد غنى ولا فقير إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتى قوتا فى الدنيا » أخرجه ابن ماجه من حديث أنس ، وقد تقدم (٨) حديث « لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضيا » لم أجده بهذا اللفظ

أدخلوهم الجنة . فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس فى الحساب يترددون [1] » فهذا فى القانع والراضى . وأما الزاهد فسنذكر فضله فى الشطر الثانى من الكتاب إن شاء الله تعالى .

وأما الآثار فى الرضا والقناعة فكثيرة ، ولايخفى أنّ القناعة يضادها الطمع . وقد قال عمر رضى الله تعالى عنه : إن الطمع فقر واليأس غنى ، وإنه من يئس عما فى أيدى الناس وقنع استغنى عنهم .

وقال أبو مسعود رضى الله تعالى عنه : مامن يوم إلا وملك ينادى من تحت العرش : يا ابن آدم ، قليل يكفيك خير من كثير يطغيك .

وقال أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه : مامن أحد إلا وفى عقله نقص ، وذلك أنه إذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دائبان فى هدم عمره ثم لايحزنه ذلك ، ويح ابن آدم ماينفع مال يزيد وعمر ينقص .

وقيل لبعض الحكماء : ما الغنى ؟ قال : قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك .

وقيل : كان إبراهيم بن أدهم من أهل النعم بخراسان ؛ فبينما هو يشرف من قصر له ذات يوم إذ نظر إلى رجل فى فناء القصر وفى يده رغيف يأكله ، فلما أكل نام ، فقال لبعض غلمانه : إذا قام فجئنى به ، فلما قام جاء به إليه ، فقال إبراهيم : أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع ؟ قال نعم . قال فشبعت ؟ قال نعم ، قال ثم نمت طيبا ؟ قال نعم . فقال إبراهيم فى نفسه ، فما أصنع أنا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر .

ومر رجل بعامر بن عبد القيس وهو يأكل ملحا وبقلا ، فقال له : ياعبدالله أرضيت من الدنيا بهذا ؟ فقال : ألا أدلك على من رضى بشر من هذا ؟ قال : بلى . قال من رضى بالدنيا عوضا عن الآخرة .

وكان محمد بن واسع رحمة الله عليه يخرج خبزا يابسا فيبله بالماء ويأكله بالملح ويقول : من رضى من الدنيا بهذا لم يحتج إلى أحد .

وقال الحسن رحمه الله : لعن الله أقواما أقسم لهم الله تعالى ثم لم يصدقوه ، ثم قرأ ﴿ وفى السماء رزقكم وماتوعدون ، فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴾ .

وكان أبو ذرّ رضى الله عنه يوما جالسا فى الناس فأتته امرأته فقالت له : اتجلس بين هؤلاء ؟ والله مافى البيت هفة ولاسفة ، فقال : ياهذه ، إن بين أيدينا عقبة كئودا لاينجو منها إلا كل مخف ، فرجعت وهى راضية .

وقال ذو النون رحمه الله : أقرب الناس إلى الكفر ذو فاقة لاصبر له .

وقيل لبعض الحكماء : ما مالك ؟ فقال : التجمل فى الظاهر والقصد فى الباطن واليأس عما فى أيدى الناس .

وروى أنّ الله عزوجل قال فى بعض الكتب السالفة المنزلة : ياابن آدم ، لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت ، فإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا محسن إليك .

وقد قيل فى القناعة :

اضرع إلى الله لاتضرع إلى الناس ... واقنع بيأس فإن العز فى اليأس
واستغن عن كل ذى قربى وذى رحم ... إن الغنى من استغنى عن الناس

---

(١) حديث « يقول الله يوم القيامة : أين صفوتى من خلقى ؟ فتقول الملائكة : ومن هم ياربنا ؟ فيقول : فقراء المسلمين ... الحديث » رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس .

وقد قيل فى هذا المعنى أيضا :

يا جامعاً مانعاً والدهر يرمقه ... مقدرا أى باب منه يغلقه
مفكرا كيف تأتيه منيته ... أغاديا أم بها يسرى فتطرقه
جمعت مالا فقل لى هل جمعت له ... يا جامع المال أياماً تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه ... ما المال مالك إلا يوم تنفقه
أرفه ببال فتى يغدو على ثقة ... أنّ الذى قسم الأرزاق يرزقه
فالعرض منه مصون ما يدنسه ... والوجه منه جديد ليس يخلقه
إن القناعة من يحلل بساحتها ... لم يبق فى ظلها هم يؤرقه

بيان فضيلة الفقر على الغنى

اعلم أنّ الناس قد اختلفوا فى هذا ، فذهب الجنيد والخواص والأكثرون إلى تفضيل الفقر وقال ابن عطاء . الغنى الشاكر القائم بحقه أفضل من الفقير الصابر . ويقال إن الجنيد دعا على ابن عطاء لمخالفته إياه فى هذا فأصابته محنة ، وقد ذكرنا ذلك فى كتاب الصبر وبينا أوجه التفاوت بين الصبر والشكر — ومهدنا سبيل طلب الفضيلة فى الأعمال والأحوال وأنّ ذلك لا يمكن إلا بتفصيل .

فأما الفقر والغنى إذا أخذا مطلقا لم يستريب من قرأ الأخبار والآثار فى تفضيل الفقر ، ولا بدّ فيه من تفصيل فنقول إنما يتصور الشك فى مقامين (أحدهما) فقير صابر ليس بحريص على الطلب ، بل هو قانع أو راض بالإضافة إلى غنى منفق ماله فى الخيرات ليس حريصا على إمساك المال (والثانى) فقير حريص مع غنى حريص ، إذ لا يخفى أنّ الفقير القانع أفضل من الغنى الحريص الممسك ، وأن الغنى المنفق ماله فى الخيرات أفضل من الفقير الحريص ، أما الأول فربما يظن أن الغنى أفضل من الفقير ، لأنهما تساويا فى ضعف الحرص على المال ، والغنى متقرب بالصدقات والخيرات والفقير عاجز عنه ، وهذا هو الذى ظنه ابن عطاء فيما نحسبه ، فأما الغنى المتمتع بالمال وإن كان فى مباح فلا يتصور أن يفضل على الفقير القانع ، وقد يشهد له ماروى فى الخبر : أنّ الفقراء شكوا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سبق الأغنياء بالخيرات والصدقات والحج والجهاد ، فعلمهم كلمات فى التسبيح ، وذكر لهم أنهم ينالون بها فوق ماناله الأغنياء ، فتعلم الأغنياء ذلك فكانوا يقولونه ، فعاد الفقراء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه ، فقال عليه السلام « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء [1] » .

وقد استشهد ابن عطاء أيضا لما سئل عن ذلك فقال : الغنى أفضل لأنه وصف الحق ، أما دليله الأول ففيه نظر ؛ لأنّ الخبر قد ورد مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك : وهو أنّ ثواب الفقير فى التسبيح يزيد على ثواب الغنى ، وأنّ فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء ، فقد روى زيد بن أسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : بعث الفقراء رسولا إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنى رسول الفقراء إليك ؛ فقال « مرحبا بك وبمن جئت من عندهم قوم أحبهم » قال : قالوا يارسول الله إنّ الأغنياء ذهبوا بالخير يحجون ولا نقدر عليه ، ويعتمرون ولا نقدر عليه ، وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم ؛ فقال النبى صلى الله عليه وسلم « بلغ عنى

(١) حديث . شكى الفقراء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الأغنياء بالخيرات والصدقات ... الحديث ، وفى آخر : فقال « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » متفق عليه من حديث أبى هريرة نحوه .

الفقراء أنّ لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للأغنياء : أما خصلة واحدة : فإن فى الجنة غرفا ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم السماء ، لايدخلها إلا نبى فقير ، أو شهيد فقير ، أو مؤمن فقير ، والثانية : يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام ، والثالثة : إذا قال الغنى : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغنى بالفقير ولو أنفق فيها عشرة آلاف درهم ، وكذلك أعمال البر كلها ، فرجع إليهم فأخبرهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : رضينا رضينا [1] فهذا يدل على أنّ قوله « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » أى مزيد ثواب الفقراء على ذكرهم . وأما قوله : إنّ الغنى وصف الحق ، فقد أجابه بعض الشيوخ فقال : أترى أنّ الله تعالى غنى بالأسباب والأعراض ، فانقطع ولم ينطق ، وأجاب آخرون فقالوا : إنّ التكبر من صفات الحق فينبغى أن يكون أفضل من التواضع ، ثم قالوا : بل هذا يدل على أنّ الفقر أفضل لأن صفات العبودية فضل للعبد كالخوف والرجاء ، وصفات الربوبية لاينبغى أن ينازع فيها ، ولذلك قال تعالى فيما روى عنه نبينا صلى الله عليه وسلم « الكبرياء ردائى والعظمة إزارى ، فمن نازعنى واحدا منهما قصمته [2] » .

وقال سهل : حب العز والبقاء شرك فى الربوبية ومنازعة فيها لأنهما من صفات الرب تعالى ؛ فمن هذا الجنس تكلموا فى تفضيل الغنى والفقر ، وحاصل ذلك تعلق بعمومات تقبل التأويلات وبكلمات قاصرة لا تبعد مناقضتها ، إذ كما يناقض قول من فضل الغنى بأنه صفة الحق بالتكبر ، فكذلك يناقض قول من ذم الغنى لأنه وصف للعبد بالعلم والمعرفة فإنه وصف الرب تعالى ، والجهل والغفلة وصف العبد ، وليس لأحد أن يفضل الغفلة على العلم ، فكشف الغطاء عن هذا هو ماذكرناه فى كتاب الصبر : وهو أن ما لايراد لعينه بل يراد لغيره فينبغى أن يضاف إلى مقصوده ، إذ به يظهر فضله ، والدنيا ليست محذورة لعينها ولكن لكونها عائقة عن الوصول إلى الله تعالى ، ولا الفقر مطلوبا لعينه لكن لأنّ فيه فقد العائق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه ، وكم من غنى لم يشغله الغنى عن الله عز وجل مثل سليمان عليه السلام وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنهما ، وكم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد ، وغاية المقصد فى الدنيا هو حب الله تعالى والأنس به ، ولا يكون ذلك إلا بعد معرفته ، وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن ، والفقر قد يكون من الشواغل كما الغنى قد يكون من الشواغل ، وإنما الشاغل على التحقيق حب الدنيا ، إذ لا يجتمع معه حب الله تعالى فى القلب ، والمحب للشىء مشغول به سواء كان فى فراقه أو فى وصاله ، وربما يكون شغله فى الفراق أكثر ، وربما يكون شغله فى الوصال أكثر ، والدنيا معشوقة الغافلين ، المحروم منها مشغول بطلبها ، والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها ؛ فإذن إن فرضت فارغين عن حب المال بحيث صار المال فى حقهما كالماء استوى الفاقد والواجد ، إذ كل واحد غير متمتع إلا بقدر الحاجة ، ووجود قدر الحاجة أفضل من فقده ، إذ الجائع يسلك سبيل الموت لاسبيل المعرفة . وإن أخذت الأمر باعتبار الأكبر فالفقير عن الخطر أبعد ؛ إذ فتنة السراء أشد من فتنة الضراء ، ومن العصمة أن لايقدر ، ولذلك قال الصحابة رضى الله تعالى عنهم : بلينا بفتنة الضراء فصبرنا ، وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر . وهذه خلقة الآدميين كلهم إلا الشاذ الفذ الذى لا يوجد فى الأعصار الكثيرة إلا نادرا .

---

(١) حديث زيد بن أسلم عن أنس : بعث الفقراء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا : ان الأغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر عليه ... الحديث ، وفيه « بلغ عنى الفقراء أن لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للاغنياء . . . الحديث » لم أجده هكذا بهذا السياق ، والمعروف فى هذا المعنى ماروا ابن ماجه من حديث ابن عمر : اشتكى فقراء المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مافضل الله به عليهم أغنياءهم ، فقال « يامعشر الفقراء ألا أبشركم ان فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم خمسمائة عام » واسناده ضعيف . (٢) حديث « قال الله تعالى : الكبرياء ردائى والعظمة إزارى » تقدم فى العلم وغيره .

ولما كان خطاب الشرع مع الكل لا مع ذلك النادر — والضراء أصلح للكل دون ذلك النادر — زجر الشرع عن الغنى وذمه ، وفضل الفقر ومدحه ، حتى قال المسيح عليه السلام : لا تنظروا إلى أموال أهل الدنيا فإن بريق أموالهم يذهب بنور إيمانكم .

وقال بعض العلماء : تقليب الأموال يمص حلاوة الإيمان .

وفى الخبر « إنّ لكل أمة عجلا وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم [1] » وكان أصل عجل قوم موسى من حلية الذهب والفضة أيضا ، واستواء المال والماء ، والذهب والحجر إنما يتصوّر للأنبياء عليهم السلام والأولياء ؛ ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله تعالى بطول المجاهدة ، إن كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول للدنيا « إليك عنى [2] » إذ كانت تتمثل له بزينتها . وكان على كرم الله وجهه يقول : ياصفراء غرى غيرى ، ويابيضاء غرى غيرى ، وذلك لاستشعاره فى نفسه ظهور مبادئ الاغترار بها لولا أن رأى برهان ربه ، وذلك هو الغنى المطلق ، إذ قال عليه الصلاة والسلام « ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس [3] » ، وإذا كان ذلك بعيدا فإذن الأصلح لكافة الخلق فقد المال وإن تصدّقوا به وصرفوه إلى الخيرات ، لأنهم لا ينفكون فى القدرة على المال عن أنس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستشعار راحة فى بذلها ، وكل ذلك يورث الأنس بهذا العالم ، وبقدر ما يأنس العبد بالدنيا يستوحش من الآخرة ؟ وبقدر ما يأنس بصفة من صفاته سوى صفة المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه ، ومهما انقطعت أسباب الأنس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها ، والقلب إذا تجافى عما سوى الله تعالى وكان مؤمنا بالله انصرف لامحالة إلى الله ، إذ لا يتصوّر قلب فارغ ، وليس فى الوجود إلا الله تعالى وغيره ، فمن أقبل على غيره فقد تجافى عنه ومن أقبل عليه تجافى عن غيره ، ويكون إقباله على أحدهما بقدر تجافيه عن الآخر ، وقربه من أحدهما بقدر بعده من الآخر ، ومثلهما مثل المشرق والمغرب فإنهما جهتان ، فالمتردد بينهما يقدر ما يقرب من أحدهما يبعد عن الآخر ، بل عين القرب من أحدهما هو عين البعد من الآخر ، فعين حب الدنيا هو عين بغض الله تعالى ، فينبغى أن يكون مطمح نظر العارف قلبه فى عزوبه عن الدنيا وأنسه بها ، فإذن فضل الفقير والغنى بحسب تعلق قلبيهما بالمال فقط ، فإن تساويا فيه تساوت درجتهما ، إلا أن هذا مزلة قدم وموضع غرور ، فإنّ الغنى ربما يظنّ أنه منقطع القلب عن المال ، ويكون حبه دفينا فى باطنه وهو لا يشعر به ، وإنما يشعر به إذا فقده ، فليجرّب نفسه بتفريقه أو إذا سرق منه ، فإن وجد لقلبه إليه التفاتا فليعلم أنه كان مغرورا ، فكم من رجل باع سرية له لظنه أنه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار التى كنت مستكنه فيه ، فتحقق إذن أنه كان مغرورا ، وأنّ العشق كان مستكنا فى الفؤاد استكنان النار تحت الرماد ، وهذا حال كل الأغنياء إلا الأنبياء والأولياء ، وإذا كان ذلك محالا أو بعيدا فلنطلق القول بأنّ الفقر أصلح لكافة الخلق وأفضل ، لأنّ علاقة الفقير وأنسه بالدنيا أضعف وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته ، فإنّ حركات اللسان ليست مرادة لأعيانها بل ليتأكد بها الأنس بالمذكور ، ولا يكون تأثيرها فى إثارة الأنس فى قلب فارغ من غير المذكور كتأثيرها فى قلب مشغول ، ولذلك قال بعض السلف : مثل من تعبد وهو فى طلب الدنيا مثل من يطفئ النار بالحلفاء ومثل من يغسل يده من الغمر بالسمك .

---

(١) حديث « لكل أمة عجل ، وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم » رواه أبو منصور الديلمى من طريق أبى عبد الرحمن السلمى من حديث حذيفة بإسناد فيه جهالة . (٢) حديث : كان يقول للدنيا « إليك عنى .. الحديث » رواه الحاكم مع اختلاف . وقد تقدم . (٣) حديث « ليس الغنى عن كثرة العرض .. الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة ، وقد تقدم .

وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى : تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها : أفضل من عبادة غنى ألف عام .

وعن الضحاك قال : من دخل السوق فرأى شيئا يشتهيه فصبر واحتسب ، كان خيرا له من ألف دينار ينفقها كلها فى سبيل الله تعالى .

وقال رجل لبشر بن الحارث رحمه الله : ادع الله لى فقد أضربى العيال فقال : إذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله لى فى ذلك الوقت ، فإن دعاءك أفضل من دعائى . وكان يقول : مثل الغنى المتعبد مثل روضة على مزبلة ، ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر فى جيد الحسناء . وقد كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الأغنياء وقد قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : اللهم إنى أسألك الذل عند النصف من نفسى ، والزهد فيما جاوز الكفاف . وإذا كان مثل الصديق رضى الله عنه فى كماله يحذر من الدنيا ووجودها فكيف يشك فى أن فقد المال أصلح من وجوده هذا ، مع أن أحسن أحوال الغنى أن يأخذ حلالا وينفق طيبا ، ومع ذلك فيطول حسابه فى عرصات القيامة ويطول انتظاره ، ومن نوقش الحساب فقد عذب ، ولهذا تأخر عبدالرحمن بن عوف عن الجنة إذ كان مشغولا بالحساب كما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا قال أبو الدرداء رضى الله عنه : ما أحب أن لى حانوتا على باب المسجد ولا تخطئنى فيه صلاة وذكر وأربح كل يوم خمسين دينارا وأتصدق بها فى سبيل الله تعالى : قيل : وما تكره ؟ قال : سوء الحساب ، ولذلك قال سفيان رحمه الله : اختار الفقراء ثلاثة أشياء ، واختار الأغنياء ثلاثة أشياء : اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب ، واختار الأغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب ، وماذكره ابن عطاء من أن الغنى وصف الحق فهو بذلك أفضل فهو صحيح ، ولكن إذا كان العبد غنيا عن وجود المال وعدمه جميعا بأن يستوى عنده كلاهما ، فأما إذا كان غنيا بوجوده ومفتقرا إلى بقائه فلا يضاهى غناه غنى الله تعالى ، لأن الله تعالى غنى بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور زواله بأن يسرق ، وماذكر من الرد عليه بأن الله ليس غنيا بالأعراض والأسباب صحيح فى ذم غنى يريد بقاء المال ، وما ذكر من أن صفات الحق لاتليق بالعبد غير صحيح ، بل العلم من صفاته وهو أفضل شىء للعبد ، بل منتهى العبد أن يتخلق بأخلاق الله تعالى ، وقد سمعت بعض المشايخ يقول : إن سالك الطريق إلى الله تعالى قبل أن يقطع الطريق تصير الأسماء التسعة والتسعون أوصافا له : أى يكون له من كل واحد نصيب ، وأما التكبر فلا يليق بالعبد ، فإن التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله تعالى ، وأما التكبر على من يستحقه كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع على العاصى فيليق به نعم قد يراد بالتكبر الزهو والصلف والإيذاء وليس ذلك من وصف الله تعالى ، وإنما وصف الله تعالى أنه أكبر من كل شىء وأنه يعلم أنه كذلك ، والعبد مأمور به بأنه يطلب أعلى المراتب إن قدر عليه ، ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتلبيس ، فعلى العبد أن يعلم أن المؤمن أكبر من الكافر ، والمطيع أكبر من العاصى ، والعالم أكبر من الجاهل ، والإنسان أكبر من البهيمة والجماد والنبات ، وأقرب إلى الله تعالى منها فلو رأى نفسه بهذه الصفة رؤية محققة لاشك فيها لكانت صفة التكبر حاصلة له ولائقة به وفضيلة فى حقه ، إلا أنه لاسبيل له إلى معرفته فإن ذلك موقوف على الخاتمة ، وليس يدرى الخاتمة كيف تكون وكيف تتفق؟ فلجهله بذلك وجب أن لا يعتقد لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر ، إذ ربما يختم للكافر بالإيمان ، وقد يختم له بالكفر ، فلم يكن ذلك لائقا به لقصور علمه عن معرفة العاقبة ولما تصور أن يعلم الشىء على ماهو به كان العلم كمالا فى حقه لأنه

فى صفات الله تعالى ، ولما كانت معرفة بعض الأشياء قد تضره صار ذلك العلم نقصانا فى حقه إذ ليس من أوصاف الله تعالى علم يضره ، فمعرفة الأمور التى لا ضرر فيها هى التى تتصور فى العبد من صفات الله تعالى ، فلا جرم هو منتهى الفضيلة وبه فضل الأنبياء والأولياء والعلماء ، فإذن لو استوى عنده وجود المال وعدمه فهذا نوع من الغنى يضاهى بوجه من الوجوه الغنى الذى يوصف به الله سبحانه وتعالى فهو فضيلة، أما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه أصلا، فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع إلى حال الغنى الشاكر .

المقام الثانى فى نسبة حال الفقير الحريص إلى حال الغنى الحريص

ولنفرض هذا فى شخص واحد هو طالب للمال وساع فيه وفاقد له ثم وجده ، فله حالة الفقد وحالة الوجود، فأى حالتيه أفضل ؟ فنقول : ننظر فإن كان مطلوبه ما لابد منه فى المعيشة وكان قصده أن يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه فحال الوجود أفضل ، لأن الفقر يشغله بالطلب ، وطالب القوت لا يقدر على الفكر والذكر إلا قدرة مدخولة بشغل ؛ والمكفى هو القادر ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا » وقال « كاد الفقر أن يكون كفرا » أى الفقر مع الاضطرار فيما لا بد منه ، وإن كان المجلوب فوق الحاجة أو كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين ؛ فحالة الفقر أفضل وأصلح ، لأنهما استويا فى الحرص وحب المال ، واستويا فى أن كل واحد منهما ليس يقصد به الاستعانة على طريق الدين ، واستويا فى أن كل واحد منهما ليس يتعرض لمعصية بسبب الفقر والغنى ؛ ولكن افترقا فى أن الواجد يأنس بما وجده فيتأكد حبه فى قلبه ويطمئن إلى الدنيا ، والفاقد المضطر يتجافى قلبه عن الدنيا وتكون الدنيا عنده كالسجن الذى يبغى الخلاص منه ، ومهما استوت الأمور كلها وخرج من الدنيا رجلان أحدهما أشد ركونا إلى الدنيا ؛ فحاله أشد لا محالة ؛ إذ يلتفت قلبه إلى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر تأكد أنسه بالدنيا ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن روح القدس نفث فى روعى : أحبب من أحببت فإنك مفارقه [1] » وهذا تنبيه على أن فراق المحبوب شديد ، فينبغى أن تحب من لا يفارقك وهو الله تعالى ، ولا تحب ما يفارقك وهو الدنيا ، فإنك إذا أحببت الدنيا كرهت لقاء الله تعالى، فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه ، وفراقك لما تحبه ؛ وكل من فارق محبوبا فيكون أذاه فى فراقه بقدر حبه وقدر أنسه وأنس الواجد للدنيا القادر عليها أكثر من أنس الفاقد لها وإن كان حريصا عليها ، فإذن قد انكشف بهذا التحقيق أن الفقر هو الأشرف والأفضل والأصلح لكافة الخلق إلا فى موضعين: أحدهما غنى مثل غنى عائشة رضى الله عنها يستوى عنده الوجود والعدم ، فيكون الوجود مزيدا له ؛ إذ يستفيد به أدعية الفقراء والمساكين وجمع همهم ؛ والثانى الفقر عن مقدار الضرورة فإن ذلك يكاد أن يكون كفرا ، ولا خير فيه بوجه من الوجوه إلا إذا كان وجوده يبقى حياته ثم يستعين بقوته وحياته على الكفر والمعاصى ؛ ولو مات جوعا لكانت معاصيه أقل ؛ فالأصلح له أن يموت جوعا ولا يجد ما يضطر إليه أيضا ؛ فهذا تفصيل القول فى الغنى والفقر . ويبقى النظر فى فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له هم سواه ، وفى غنى دونه فى الحرص على حفظ المال ، ولم يكن تفجعه بفقد المال لو فقده كتفجع الفقير بفقهره ، فهذا فى محل النظر ، والأظهر أن بعدهما عن الله تعالى بقدر قوة تفجعهما لفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفجعهما بفقده ؛ والعلم عند الله تعالى فيه .

---

(١) حديث « إن روح القدس نفث فى روعى أحبب من أحببت فإنك مفارقه » تقدم .

بيان آداب الفقير فى فقره

اعلم أنّ للفقير آدابا فى باطنه وظاهره ومخالطته وأفعاله ينبغى أن يراعيها .

فأما أدب باطنه فأن لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر ، أعنى أنه لايكون كارهافعل الله تعالى من حيث إنه فعله ـ وإن كان كارها للفقر ـ كالمحجوم يكون كارها للحجامة لتألمه بها ولا يكون كارها فعل الحجام ولا كارها للحجام ، بل ربما يتقلد منه منة ، فهذا أقل درجاته وهو واجب ، ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر ، وهو معنى قوله عليه السلام « يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا » وأرفع من هـــذا أن لا يكون كارها للفقر بل يكون راضيا به ، وأرفع منه أن يكون طالبا له وفرحا به لعلمه بفوائل الغنى ، ويكون متوكلا فى باطنه على الله تعالى واثقا به فى قدر ضرورته أنه يأتيه لا محالة ويكون كارها للزيادة على الكفاف . وقد قال على كرّم الله وجهه : إنّ لله تعالى عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر ؛ من علامات الفقر إذا كان مثوبة أن يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو حاله ، ويشكر الله تعالى على فقره ، ومن علاماته ـ إذا كان عقوبة ـ أن يسوء عليه خلقه ويعصى ربه بترك طاعته ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء ، وهذا يدل أنّ كل فقير فليس بمحمود ، بل المحمود الذى لا يتسخط ويرضى أو يفرح بالفقر ويرضى لعلمه بثمرته ، إذ قيل: ما أعطى عبد شيئا من الدنيا إلا قيل له : خذه على ثلاثة أثلاث : شغل وهم وطول حساب .

وأما أدب ظاهره : فأن يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر ، بل يستر فقره ويستر أنه يستره ففى الحديث « إن الله تعالى يحب الفقير المتعفف أبا العيال » وقال تعالى ﴿ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ﴾ وقال سفيان : أفضل الأعمال التجمل عند المحنة . وقال بعضهم : ستر الفقر من كنوز البر .

وأما فى الأعمال فأدبه : أن لا يتواضع لغنى لأجل غناه ، بل يتكبر عليه . قال على كرّم الله وجهه : ماأحسن تواضع الغنى للفقير رغبة فى ثواب الله تعالى ، وأحسن منه تيه الفقير على الغنى ثقة بالله عز وجل ، فهذه رتبة ، وأقل منها أن لا يخالط الأغنياء ولا يرغب فى مجالستهم لأن ذلك من مبادئ الطمع . قال الثورى رحمه الله : إذا خالط الفقير الأغنياء فاعلم أنه مراء ، وإذا خالط السلطان فاعلم أنه لص . وقال بعض العارفين : إذا خالط الفقير الأغنياء انحلت عروته ، فإذا طمع فيهم انقطعت عصمته ، فإذا سكن إليهم ضل . وينبغى أن لايسكت عن ذكر الحق مداهنة للأغنياء وطمعاً فى العطاء .

وأما أدبه فى أفعاله : فأن لا يفتر بسبب الفقر عن عبادة ، ولا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه ، فإنّ ذلك جهد المقل ، وفضله أكثر من أموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى : روى زيد بن أسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف درهم » قيل : وكيف ذلك يارسول الله ؟ قال « أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف درهم فتصدّق بها ، وأخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه ، فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب المائة ألف [1] » وينبغى أن لا يدّخر مالا بل يأخذ قدر الحاجة ويخرج الباقى وفى الادخار ثلاث درجات (إحداها) أن لا يدّخر إلا ليومه وليلته وهى درجة الصدّيقين (والثانية) أن يدّخر لأربعين يوما فإنّ مازاد عليه داخل فى طول الأمل ، وقد فهم العلماء ذلك من ميعاد الله تعالى لموسى عليه السلام

---

(١) حديث زيد بن أسلم « درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف » قيل : وكيف يارسول الله ؟ قال « أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف ... الحديث » أخرجه النسائى من حديث أبى هريرة متصلا ، وقد تقدم فى الزكاة ، ولاأصل له من رواية زيد بن أسلم مرسلا .

ففهم منه الرخصة فى أمل الحياة أربعين يوما . وهذه درجة المتقين (والثالثة) أن يدخر لسنته وهى أقصى المراتب وهى رتبة الصالحين ، ومن زاد فى الادخار على هذا فهو واقع فى غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية ، فغنى الصالح الضعيف فى طمأنينة قلبه فى قوت سنته ، وغنى الخصوص فى أربعين يوما ، وغنى خصوص الخصوص فى يوم وليلة . وقد قسم النبى صلى الله عليه وسلم نساءه على مثل هذه الأقسام ، فبعضهن كان يعطيها قوت سنة عند حصول ما يحصل ، وبعضهن قوت أربعين يوما وليلة وهو قسم عائشة وحفصة .

بيان آداب الفقير فى قبول العطاء إذا جاءه بغير سؤال

ينبغى أن يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلاثة أمور : نفس المال . وغرض المعطى ، وغرضه فى الأخذ .

أما نفس المال فينبغى أن يكون حلالا خاليا عن الشبهات كلها ، فإن كان فيه شبهة فليحترز من أخذه ، وقد ذكرنا فى كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب .

وأما غرض المعطى فلا يخلو : إما أن يكون غرضه تطييب قلبه وطلب محبته وهو الهدية ، أو الثواب وهو الصدقة والزكاة ، والذكر والرياء والسمعة إما على التجرد وإما ممزوجا ببقية الأغراض .

أما الأول ـ وهو الهديه ـ فلا بأس بقبولها فإن قبولها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] ، ولكن ينبغى أن لا يكون فيها منة . فإن كان فيها منة فالأولى تركها ، فإن علم أن بعضها مما تعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض ؛ فقد أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سمن وأقط وكبش ، فقبل السمن والأقط ورد الكبش [2] ، وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من بعض الناس ويرد على بعض [3] ، وقال « لقد هممت أن لا أتهب إلا من قرشى أو ثقفى أو أنصارى أو دوسى [4] » وفعل هذا جماعة من التابعين . وجاءت إلى فتح الموصلى صرة فيها خمسين درهما فقال : حدثنا عطاء عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أتاه رزق من غير مسألة فرده فإنما يرده على الله [5] » ثم فتح الصرة فأخذ منها درهما ورد سائرها . وكان الحسن يروى هذا الحديث أيضا ولكن حمل إليه رجل كيسا ورزمة من رقيق ثياب خراسان ، فرد ذلك وقال : من جلس مجلسى هذا وقبل من الناس مثل هذا لقى الله عز وجل يوم القيامة وليس له خلاق . وهذا يدل على أن أمر العالم والواعظ أشد فى قبول العطاء . وقد كان الحسن يقبل من أصحابه . وكان إبراهيم التيمى يسأل من أصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه ويعرض عليه غيرهم المئين فلا يأخذها . وكان بعضهم إذا أعطاه صديقه شيئا يقول . اتركه عندك وانظر إن كنت بعد قبوله فى قلبك أفضل منى قبل القبول فأخبرنى

---

(١) حديث أن قبول الهدية سنة : تقدم أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية .

(٢) حديث : أهدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم سمن وأقط وكبش فقبل السمن والأقط ورد الكبش . أخرجه أحمد فى أثناء حديث لبعلى بن مرة : وأهدت إليه كبشين وشيئاً من سمن وأقط ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « خذ الأقط والسمن وأحد الكبشين ورد عليها الآخر » وإسناده جيد . وقال وكيع : مرة عن يعلى بن مرة عن أبيه .

(٣) حديث : كان يقبل من بعض الناس ويرد على بعض رواه أبو داود والترمذى من حديث أبى هريرة « وايم الله لا أقبل بعد يومى هذا من أحد هدية إلا أن يكون مهاجريا ... الحديث » فيه محمد بن إسحق ورواه بالعنعنة .

(٤) حديث « لقد هممت أن لا أتهب إلا من قرشى أو ثقفى أو أنصارى أو دوسى » أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال : روى من غير وجه عن أبى هريرة ، قلت : ورجاله ثقات . (٥) حديث عطاء مرسلا « من أتاه رزق من غير وسيلة فرده فإنما يرد على الله عز وجل » لم أجده مرسلا هكذا ، ولأحمد وأبى يعلى والطبرانى بإسناد جيد من حديث خالد بن عدى الجهنى « من بلغه معروف من أخيه من غير مسئلة ولا إشراف نفس فليقبله ولا يرده فإنما هو رزق ساقه الله عز وجل إليه » ولأحمد وأبى داود الطيالسى من حديث أبى هريرة « من آتاه الله من هذا المال شيئا من غير أن يسأله فليقبله » وفى الصحيحين من حديث عمر « ما أتاك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه . الحديث » .

حتى آخذه وإلا فلا ، وأمارة هذا أن يشق عليه الرد لو رده ويفرح بالقبول ويرى المنة على نفسه فى قبول صديقه هديته ، فإن علم أنه يمازجه منة فأخذه مباح ولكنه مكروه عند الفقراء الصادقين . وقال بشر : ماسألت أحداقط شيئا إلا سريا السقطى لأنه قد صح عندى زهده فى الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء من يده ويتبرم ببقائه عنده فأكون عونا له على ما يحب . وجاء خراسانى إلى الجنيد رحمه الله بمال وسأله أن يأكله فقال : أفرقه على الفقراء، فقال : ما أريد هذا . قال ومتى أعيش حتى آكل هذا ؟ قال : ما أريد أن تنفقه فى الخل والبقل بل فى الحلاوات والطيبات ، فقبل ذلك منه ، فقال الخراسانى : ما أجد فى بغداد أمن على منك ، فقال الجنيد : ولا ينبغى أن يقبل إلا من مثلك .

الثانى : أن يكون للثواب المجرد وذلك صدقة أو زكاة ، فعليه أن ينظر فى صفات نفسه هل هو مستحق للزكاة ؟ فإن اشتبه عليه فهو محل شبهة ، وقد ذكرنا تفصيل ذلك فى كتاب أسرار الزكاة . وإن كانت صدقة وكان يعطيه لدينه فلينظر إلى باطنه ، فإن كان مقارفا لمعصية فى السر يعلم أن المعطى لو علم ذلك لنفر طبعه ولما تقرب إلى الله بالتصدق عليه ، فهذا حرام أخذه كما لو أعطاه لظنه أنه عالم أو علوى ولم يكن ، فإن أخذه حرام محض لاشبهة فيه .

الثالث : أن يكون غرضه السمعة والرياء والشهرة ، فينبغى أن يرد عليه قصده الفاسد ولا يقبله ، إذ يكون معينا له على غرضه الفاسد . وكان سفيان الثورى يرد ما يعطى ويقول : لو علمت أنهم لايذكرون ذلك افتخارا به لأخذت وعوتب بعضهم فى رد ما كان يأتيه من صلة فقال : إنما أرد صلتهم إشفاقا عليهم ونصحا لهم لأنهم يذكرون ذلك ويحبون أن يعلم به فتذهب أموالهم وتحبط أجورهم .

وأما غرضه فى الأخذ فينبغى أن ينظر : أهو محتاج إليه فيما لابد منه أو هو مستغن عنه ، فإن كان محتاجا إليه وقد سلم من الشبهة والآفات التى ذكرناها فى المعطى فالأفضل له الأخذ ، قال النبى صلى الله عليه وسلم « ما المعطى من سعة بأعظم أجرا من الآخذ إذا كان محتاجا [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « من أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فإنما هو رزق ساقه الله إليه [2] » وفى لفظ آخر « فلا يرده » . وقال بعض العلماء : من أعطى ولم يأخذ سأل ولم يعط . وقد كان سرى السقطى يوصل إلى أحمد بن حنبل رحمة الله عليهما شيئا فرده مرة ، فقال له السرى : يا أحمد ، احذر آفة الرد فإنها أشد من آفة الأخذ ، فقال له أحمد : أعد على ماقلت ! فأعاده ، فقال أحمد : ما رددت عليك إلا لأن عندى قوت شهر ، فاحبسه لى عندك ، فإذا كان بعد شهر فأنفذه إلى ، وقد قال بعض العلماء يخاف فى الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع أو دخول فى شبهة أو غيره ؛ فأما إذا كان ما أتاه زائدا على حاجته فلا يخلو : إما أن يكون حاله الاشتغال بنفسه أو التكفل بأمور الفقراء والانفاق عليهم لما فى طبعه من الرفق والسخاء، فإن كان مشغولا بنفسه فلا وجه لأخذه وإمساكه إن كان طالبا طريق الآخرة ، فإن ذلك محض اتباع الهوى ، وكل عمل ليس لله فهو سبيل الشيطان أو داع إليه ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، ثم له مقامان (أحدهما) أن يأخذ فى العلانية ويرد فى السر ، أو يأخذ فى العلانية ويفرق فى السر ، وهذا مقام الصديقين ، ؛ وهو شاق على النفس لايطيقه إلا من اطمأنت نفسه بالرياضة (والثانى) أن يترك ولا يأخذ ليصرفه صاحبه إلى من هو أحوج منه . أو يأخذ ويوصل إلى من هو أحوج منه ، فيفعل كليهما فى السر أو كليهما فى العلانية ؛ وقد ذكرنا هل الأفضل إظهار

---

(١) حديث « ما المعطى من سعة بأعظم أجرا من الآخذ إذا كان محتاجا » رواه الطبرانى من حديث ابن عمر ، وقد تقدم فى الزكاة . (٢) حديث « من أتاه شيء من هذا المال من غير مسئلة ولا استشراف فإنما هو رزق ساقه الله إليه » وفى لفظ آخر « فلا يرده » تقدما قبل هذا بحديث .

الأخذ أو إخفاؤه ؟ فى كتاب أسرار الزكاة مع جملة من أحكام الفقر فليطلب من موضعه . وأما امتناع أحمد بن حنبل عن قبول عطاء سرى السقطى رحمهما الله ، فإنما كان لاستغنائه عنه ، إذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه أن يشتغل بأخذه وصرفه إلى غيره ؛ فإن فى ذلك آفات وأخطارا ، والورع يكون حذراً من مظان الآفات إذ لم يأمن مكيده الشيطان على نفسه . وقال بعض المجاورين بمكة . كانت عندى دراهم أعددتها للإنفاق فى سبيل الله ، فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفى : أنا جائع كما ترى عريان كما ترى ، فما ترى فيما ترى يامن يرى ولا يرى ، فنظرت فإذا عليه خلقان لا تكاد تواريه ، فقلت فى نفسى : لا أجد لدراهمى موضعا أحسن من هذا ؛ فحملتها إليه ، فنظر إليها ثم أخذ منها خمسة دراهم وقال : أربعة ثمن مئزرين ، ودرهم أنفقه ثلاثة فلا حاجة بى إلى الباقى فرده . قال : فرأيته الليلة الثانية وعليه مئزران جديدان ، فهجس فى نفسى منه شىء ، فالتفت إلى فأخذ بيدى ، فأطافنى معه أسبوعا كل شوط منها على جوهر من معادن الأرض يتخشخش تحت أقدامنا إلى الكعبين : منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ، ولم يظهر ذلك للناس ، فقال . هذا كله قد أعطانيه فرهدت فيه وآخذ من أيدى الخلق لأن هذه أثقال وفتنة ، وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة ، والمقصود من هذا : أن الزيادة على قدر الحاجة إنما تأتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله إليك ماذا تعمل فيه ، وقدر الحاجة يأتيك رفقا بك ، فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء . قال الله تعالى ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ﴾ وقد قال صلى الله عليه وسلم « لاحق لابن آدم إلا فى ثلاث : طعام يقيم صلبه ، وثوب يوارى عورته ، وبيت يكنه ، فما زاد فهو حساب [1] » فإذن أنت فى أخذ قدر الحاجة من هذه الثلاث مثاب ، وفيما زاد عليه إن لم تعص الله متعرض للحساب ، وإن عصيت الله فأنت متعرض للعقاب . ومن الاختبار أيضاً : أن تعزم على ترك لذة من اللذات تقربا إلى الله تعالى وكسراً لصفة النفس فتأتيك عفرا صفوا لتمتحن بها قوة عقلك ، فالأولى الامتناع عنها فإن النفس إذا رخص لها فى نقض العزم ألفت نقض العهد وعادت لعادتها ولا يمكن قهرها ، فترد ذلك مهم وهو الزهد ، فإن أخذته وصرفته إلى محتاج فهو غاية الزهد ، ولا يقدر عليه إلا الصديقون : وأما إذا كانت حالك السخاء والبذل والتكفل بحقوق الفقراء وتعهد جماعة من الصلحاء فخذ ما زاد على حاجتك فإنه غير زائد على حاجة الفقراء ، وبادر به إلى الصرف إليهم ولا تدخره ، فإن إمساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة واختبار ، فربما يحلو فى قلبك فتمسكه فيكون فتنة عليك . وقد تصدى لخدمة الفقراء جماعة اتخذوها وسيلة إلى التوسع فى المال والتنعم فى المطعم والمشرب وذلك هو الهلاك . ومن كان غرضه الرفق وطلب الثواب به فله أن يستقرض على حسن الظن بالله لا على اعتماد السلاطين الظلمة ، فإن رزقه الله من حلال قضاه ، وإن مات قبل القضاء قضاه الله تعالى عنه وأرضى غرماءه ، وذلك بشرط أن يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يغر المقرض ولا يخدعه بالمواعيد بل يكشف حاله عنده ليقدم على إقراضه على بصيرة ، ودين مثل هذا الرجل واجب أن يقضى من مال بيت المال ومن الزكاة ، وقد قال تعالى ﴿ ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ﴾ قيل معناه : ليبع أحد ثوبيه . وقيل معناه : فليستقرض بجاهه ، فذلك مما آتاه الله . وقال بعضهم : إن لله تعالى عباداً ينفقون على قدر بضائعهم ، ولله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى . ومات بعضهم فأوصى بماله لثلاث طوائف : الأقوياء ، والأسخياء ، والأغنياء ، فقيل : من هؤلاء ؟ فقال : أما الأقوياء فهم أهل

(١) حديث « لاحق لابن آدم إلا فى ثلاث : طعام يقيم صلبه ، وثوب يوارى عورته ، وبيت يكنه فما زاد فهو حساب » أخرجه الترمذى من حديث عثمان بن عفان وقال « وجاف الخبز والماء » بدل قوله « طعام يقيم صلبه » وقال صحيح .

التوكل على الله تعالى ، وأما الأسخياء فهم أهل حسن الظن بالله تعالى ، وأما الأغنياء فهم أهل الانقطاع إلى الله تعالى ، فإذن مهما وجدت هذه الشروط فيه وفى المال وفى المعطى فليأخذه ، وينبغى أن يرى ما يأخذه من الله لا من المعطى ؛ لأن المعطى واسطة قد سخر للعطاء ، وهو مضطر إليه بما سلط عليه من الدواعى والإرادات والاعتقادات وقد حكى أن بعض الناس دعا شقيقا فى خمسين من أصحابه ، فوضع الرجل مائدة حسنة ، فلما قعد قال لأصحابه : إن هذا الرجل يقول : من لم يرن صنعت هذا الطعام وقدمته فطعامى عليه حرام ، فقاموا كلهم وخرجوا إلا شابا منهم كان دونهم فى الدرجة ، فقال صاحب المنزل لشقيق : ماقصدت بهذا ؟ قال أردت أن أختبر توحيد أصحابى كلهم . وقال موسى عليه السلام : يارب جعلت رزقى هكذا على أيدى بنى إسرائيل يغدينى هذا يوما ويعشينى هذا ليلة فأوحى الله تعالى إليه هكذا أصنع بأوليائى ، أجرى أرزاقهم على أيدى البطالين من عبادى ليؤجروا فيهم. فلا ينبغى أن يرى المعطى إلا من حيث إنه مسخر مأجور من الله تعالى ، نسأل الله حسن التوفيق لما يرضاه .

بيان تحريم السؤال من غير ضرورة ؛ وآداب الفقير المضطر فيه

اعلم أنه قد وردت مناه كثيرة فى السؤال وتشديدات، وورد فيه أيضاً مايدل على الرخصة إذ قال صلى الله عليه وسلم « للسائل حق ولو جاء على فرس[1] » وفى الحديث « ردوا السائل ولو بظلف محرق[2] » ولو كان السؤال حراما مطلقا لما جاز إعانة المتعدى على عدوانه والإعطاء إعانة ، فالكاشف للغطاء فيه أن السؤال حرام فى الأصل وإنما يباح لضرورة أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة ، فإن كان عنها بد فهو حرام ، وإنما قلنا إن الأصل فيه التحريم لأنه لاينفك عن ثلاثة أمور محرمة .

(الأول) إظهار الشكوى من الله تعالى ، إذ السؤال إظهار للفقر وذكر لقصور نعمة الله تعالى عنه وهو عين الشكوى ، وكما أن العبد المملوك لو سأل لكان سؤاله تشنيعاً على سيده ، فكذلك سؤال العباد تشنيع على الله تعالى ، وهذا ينبغى أن يحرم ولا يحل إلا لضرورة كما تحل الميتة .

(الثانى) أن فيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى وليس للمؤمن أن يذل نفسه لغير الله ، بل عليه أن يذل نفسه لمولاه فإن فيه عزه ، فأما سائر الخلق فإنهم عباد أمثاله فلا ينبغى أن يذل لهم إلا لضرورة، وفى السؤال ذل للسائل بالإضافة إلى المسئول .

(الثالث) أنه لاينفك عن إيذاء المسئول غالبا ؛ لأنه ربما لاتسمح نفسه بالبذل عن طيب قلب منه ، فإن بذل حياء من السائل أو رياء فهو حرام على الآخذ ، وإن منع ربما استحيا وتأذى فى نفسه بالمنع إذ يرى نفسه فى صورة البخلاء ، ففى البذل نقصان ماله وفى المنع نقصان جاهه ، وكلاهما مؤذيان ، والسائل هو السبب فى الإيذاء والإيذاء حرام إلا بضرورة ، ومهما فهمت هذه المحذورات الثلاث فقد فهمت قوله صلى الله عليه وسلم « مسألة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها[3] » فانظر كيف سماها فاحشة ، ولا يخفى أن الفاحشة إنما تباح

---

(١) حديث « للسائل حق وان جاء على فرس » رواه أبو داود من حديث الحسين بن على ، ومن حديث على ، وفى الأول يعلى بن أبى يحيى جهله أبو حاتم ووثقه ابن حبان ، وفى الثانى شيخ لم يسم ، وسكت عليهما أبو داود ، وماذكره ابن الصلاح فى علوم الحديث أنه بلغه من أحمد بن حنبل قال : أربعة أحاديث تدور فى الأسواق ليس لها أصل منها « للسائل حق .. الحديث » فانه لايصح عن أحمد ، فقد أخرج حديث الحسين بن على فى مسنده . (٢) حديث « ردوا السائل ولوبظلف محرق » رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح ، والنسائى واللفظ له من حديث أم بجيد . وقال ابن عبد البر . حديث مضطرب .

(٣) حديث « مسئلة الناس من الفواحش ، وما أحل الله من الفواحش غيرها » لم أجد له أصلا .

الضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لايجد غيره . وقال صلى الله عليه وسلم « من سأل عن غنى فإنما يستكثر من جمر جهنم [١] » « ومن سأل وله مايغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع وليس عليه لحم » وفى لفظ آخر « كانت مسألته خدوشاً وكدوحاً فى وجهه [٢] » وهذه الألفاظ صريحة فى التحريم والتشديد . وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الإسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال لهم كلمة خفية « ولا تسألوا الناس شيئاً [٣] » وكان صلى الله عليه وسلم يأمر كثيراً بالتعفف عن السؤال ويقول « من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله ، ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « استغنوا عن الناس وماقل من السؤال فهو خير » قالوا : ومنك يارسول الله ؟ قال « ومنى [٥] » وسمع عمر رضى الله عنه سائلا يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه : عش الرجل ، فعشاه ثم سمعه ثانيا يسأل فقال : ألم أقل لك عش الرجل ؟ قال : قد عشيته ، فنظر عمر فإذا تحت يده مخلاه مملوءة خبزا فقال : لست سائلا ولكنك تاجر ، ثم أخذ المخلاة ونثرها بين يدى إبل الصدقة وضربه بالدرة وقال : لاتعد . ولولا أن سؤاله كان حراما لما ضربه ولا أخذ مخلاته ، ولعل الفقيه الضعيف المنة الضيق الحوصلة يستبعد هذا من فعل عمر ويقول : أما ضربه فهو تأديب وقد ورد الشرع بالتعزير ، وأما أخذه ماله فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة بأخذ المال فكيف استجازه ؟ وهو استبعاد مصدره القصور فى الفقه ، فأين يظهر فقه الفقهاء كلهم فى حوصلة عمر بن الخطاب رضى الله عنه واطلاعه على أسرار دين الله ومصالح عباده ؟ أفترى أنه لم يعلم أن المصادرة بالمال غير جائزة أو علم ذلك ولكن أقدم عليه غضبا فى معصية الله وحاشاه ، أو أراد الزجر بالمصلحة بغير طريق شرعها نبى الله ، وهيهات ، إن ذلك أيضاً معصية ، بل الفقه الذى لاح له فيه أنه رآه مستغنيا عن السؤال ، وعلم أن من أعطاه شيئا فإنما أعطاه على اعتقاد أنه محتاج ، وقد كان كاذبا فلم يدخل فى ملكه بأخذه مع التلبيس وعسر تمييز ذلك ورده إلى أصحابه ، إذ لايعرف أصحابه بأعيانهم ، فبقى مالا لامالك له ، فوجب صرفه إلى المصالح ، وإبل الصدقة وعلفها من المصالح ، ويتنزل أخذ السائل مع إظهار الحاجة كاذبا كأخذ الملوى بقوله إنى علوى وهو كاذب . فإنه لايملك مايأخذه ، كأخذ الصوفى الصالح الذى يعطى لصلاحه وهو فى الباطن مقارف لمعصية لو عرفها المعطى لما أعطاه — وقد ذكرنا فى مواضع أن ما أخذوه على هذا الوجه لايملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد إلى مالكه . فاستدل بفعل عمر رضى الله عنه على صحة هذا المعنى الذى يغفل عنه كثير من الفقهاء ، وقد قررناه فى مواضع ، ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر .

فإذا عرفت أن السؤال يباح لضرورة ، فاعلم أن الشىء . إما أن يكون مضطراً إليه ، أو محتاجا إليه حاجة

---

(١) حديث « من سأل عن غنى فإنما يستكثر من جمر جهنم ... الحديث » رواه أبو داود وابن حبان من حديث سهل ابن الحنظلية مقتصرا على ماذكر منه وتقدم فى الزكاة ، ولمسلم من حديث أبى هريرة « من يسأل الناس أموالهم تكثرا فإنما يسأل جمرا ... الحديث . وللبزار والطبرانى من حديث مسعود بن عمر « ولايزال العبد يسأل وهو غنى حتى يخلق وجهه » وفى إسناده لين وللشيخين من حديث ابن عمر « مايزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة وليس على وجهه مزعة لحم » وإسناده جيد .

(٢) حديث « من سأل وله مايغنيه كانت مسألته خدوشا وكدوحا فى وجهه » رواه أصحاب السنن من حديث ابن مسعود ، وتقدم فى الزكاة (٣) حديث : بايع قوما على الإسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال كلمة خفية « ولا تسألوا الناس شيئاً » أخرجه مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعى (٤) حديث « من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا » أخرجه ابن أبى الدنيا فى القناعة ، والحارث بن أبى أسامة فى مسنده من حديث أبى سعيد الخدرى ، وفيه حصن بن هلال لم أر من تكلم فيه ، وباقيهم ثقات . (٥) حديث « استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير ... الحديث » أخرجه البزار والطبرانى من حديث ابن عباس « استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك » وإسناده صحيح ، وله فى حديث « تعففوا ولو بحزم الحطب » وفيه من لم يسم ، وليس فيه : ومقل من السؤال ... الخ .

مهمة أو حاجة خفيفة . أو مستغنى عنه ؛ فهذه أربعة أحوال .

أما المضطر إليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا أو مرضا وسؤال العارى وبدنه مكشوف ليس معه ما يواريه ، وهو مباح مهما وجدت بقية الشروط فى المسئول بكونه مباحا ، والمسئول منه بكونه راضيا فى الباطن ، وفى السائل بكونه عاجزا عن الكسب ، فإن القادر على الكسب وهو بطال له السؤال إلا إذا استغرق طلب العلم أوقاته ، وكل من له خط فهو قادر على الكسب بالوراقة .

وأما المستغنى فهو الذى يطلب شيئا وعنده مثله وأمثاله ، فسؤاله حرام قطعا ، وهذان طرفان واضحان .

وأما المحتاج حاجة مهمة فكالمريض الذى يحتاج إلى دواء ليس يظهر خوفه لولم يستعمله ولكن لا يخلو عن خوف ، وكمن له جبة لا قميص تحتها فى الشتاء وهو يتأذى بالبرد تأذيا لا ينتهى إلى حد الضرورة ، وكذلك من يسأل لأجل الكراء وهو قادر على المشى بمشقة ، فهذا أيضا ينبغى أن تسترسل عليه الإباحة لأنها أيضا حاجة محققة ولكن الصبر عنه أولى وهو بالسؤال تارك للأولى ولايسمى سؤاله مكروها مهما صدق فى السؤال وقال ليس تحت جبتى قميص والبرد يؤذينى أذى أطيقه ولكن يشق على ، فإذا صدق فصدقه يكون كفارة لسؤاله إن شاء الله تعالى.

وأما الحاجة الخفيفة فمثل سؤال قميصا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه ليستر الخروق من ثيابه عن أعين الناس ، وكمن يسأل لأجل الأدم وهو واجد للخبز ، وكمن يسأل الكراء لفرس فى الطريق وهو واجد كراء الحمار ، أو يسأل كراء المحمل وهو قادر على الراحلة ، فهذا ونحوه إن كان فيه تلبيس حال بإظهار حاجة غير هذه فهو حرام ، وإن لم يكن وكان فيه شىء من المحذورات الثلاثة من الشكوى والذل وإيذاء المسئول فهو حرام ، لأن مثل هذه الحاجة لاتصلح لأن تباح بها هذه المحذورات ، وإن لم يكن فيها شىء من ذلك فهو مباح مع الكراهة .

* فإن قلت : فكيف يمكن إخلاء السؤال عن هذه المحذورات ؟ فاعلم أن الشكوى تندفع بأن يظهر الشكر لله والاستغناء عن الخلق ولا يسأل سؤال محتاج ، ولكن يقول : أنا مستغن بما أملكه ولكن تطالبنى رعونة النفس بثوب فوق ثيابى وهو فضلة عن الحاجة وفضول من النفس ، فيخرج به عن حد الشكوى ، وأما الذل فبأن يسأل أباه أو قريبه أو صديقه الذى يعلم أنه لاينقصه ذلك فى عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله ، أو الرجل السخى الذى قد أعد ماله لمثل هذه المكارم فيفرح بوجود مثله ويتقلد منه منة بقبوله فيسقط عنه الذل بذلك ، فإن الذل لازم للمنة لا محالة . وأما الإيذاء فسبيل الخلاص عنه أن لايعين شخصا بالسؤال بعينه بل يلقى الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل إلا متبرع بصدق الرغبة ، وإن كان فى القوم شخص مرموق لولم يبذل لكان يلام ، فهذا إيذاء ، فإنه ربما يبذل كرها خوفا من الملامة ، ويكون الأحب إليه فى الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير الملامة . وأما إذا كان يسأل شخصا معينا فينبغى أن لايصرح بل يعرض تعريضا يبقى له سبيلا إلى التغافل إن أراد ، فإذا لم يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته وأنه غير متأذ به ، وينبغى أن يسأل من لايستحيا منه لو رده أو تغافل عنه ، فإن الحياء من السائل يؤذى كما أن الرياء مع غير السائل يؤذى .

* فإن قلت : فإذا أخذ مع العلم بأن باعث المعطى هو الحياء منه أو من الحاضرين ولولاه لما ابتدأه به فهل هو حلال أو شبهة ؟ فأقول : ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الأمة ، وحكمه حكم أخذ مال الغير بالضرب والمصادرة ، إذ لافرق بين أن يضرب ظاهر جلده بسياط الخشب أو يضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف الملام ، وضرب الباطن أشد نكاية فى قلوب العقلاء ، ولا يجوز أن يقال هو فى الظاهر قد رضى به وقد قال صلى الله

عليه وسلم « إنما أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر [1] » فإنّ هذه ضرورة القضاء فى فصل الخصومات ، إذ لا يمكن ردهم إلى البواطن وقرائن الأحوال ، فاضطروا إلى الحكم بظاهر القول باللسان مع أنه ترجمان كثير الكذب، ولكن الضرورة دعت إليه ، وهذا سؤال عما بين العبد وبين الله تعالى ، والحاكم فيه أحكم الحاكمين ، والقلوب عنده كالألسنة عند سائر الحكام فلا تنظر فى مثل هذا إلا إلى قلبك وإن أفتوك وأفتوك ، فإنّ المفتى معلم للقاضى والسلطان ليحكموا فى عالم الشهادة ، ومفتى القلوب هم علماء الآخرة ، وبفتواهم النجاة من سلطان الآخرة ، كما أنّ بفتوى الفقيه النجاة من سطوة سلطان الدنيا ، فإذا ما أخذه مع الكراهة لا يملكه بينه وبين الله تعالى ويجب عليه رده إلى صاحبه ، فإن كان يستحيى من أن يسترده ولم يسترده فعليه أن يثيبه على ذلك بما يساوى قيمته فى معرض الهدية والمقابلة ليتفصى عن عهدته ، فإن لم يقبل هديته فعليه أن يرد ذلك إلى ورثته ، فإن تلف فى يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالى وهو عاص بالتصرف فيه وبالسؤال الذى حصل به الأذى .

* فإن قلت : فهذا أمر باطن يعسر الاطلاع عليه ، فكيف السبيل إلى الخلاص منها فربما يظن السائل أنه راض ولا يكون هو فى الباطن راضيا ؟ فأقول : لهذا ترك المتقون السؤال رأسا فما كانوا يأخذون من أحد شيئا أصلا فكان بشر لا يأخذ من أحد أصلا إلا من السرى رحمة الله عليهما وقال : لأنى علمت أنه يفرح بخروج المال من يده فأنا أعينه على ما يحب ، وإنما عظم النكير فى السؤال وتأكد الأمر بالتعفف لهذا ، لأنّ الأذى إنما يحل بضرورة : وهو أن يكون السائل مشرفا على الهلاك ولم يبق له سبيل إلى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة وأذى ، فيباح له ذلك كما يباح له أكل لحم الخنزير وأكل لحم الميتة ، فكان الامتناع طريق الورعين، ومن أرباب القلوب من كان واثقا ببصيرته فى الاطلاع على قرائن الأحوال ، فكانوا يأخذون من بعض الناس دون البعض ، ومنهم من كان لا يأخذ إلا من أصدقائه ، ومنهم من كان يأخذ مما يعطى بعضا ويرد بعضا ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكبش والسمن والأقط ، وكان هذا يأتيهم من غير سؤال ، فإن ذلك لا يكون إلا عن رغبة ، ولكن قد تكون رغبته طمعا فى جاه أو طلبا للرياء والسمعة فكانوا يحترزون من ذلك ، فأما السؤال فقد امتنعوا عنه رأسا إلا فى موضعين : أحدهما الضرورة فقد سأل ثلاثة من الأنبياء فى موضع الضرورة : سليمان ، وموسى ، والخضر عليهم السلام . ولا شك فى أنهم ما سألوا إلا من علموا أنه يرغب فى إعطائهم . والثانى : السؤال من الأصدقاء والإخوان فقد كانوا يأخذون مالهم بغير سؤال واستئذان ، لأنّ أرباب القلوب علموا أنّ المطلوب رضا القلب لا نطق اللسان ، وقد كانوا وثقوا بإخوانهم أنهم كانوا يفرحون بمباسطتهم ، فإذا كانوا يسألون الإخوان عند شكهم فى اقتدار إخوانهم على ما يريدونه وإلا فكانوا يستغنون عن السؤال ، وحد إباحة السؤال أن تعلم أنّ المسئول بصفة لو علم ما بك من الحاجة لابتدأك دون السؤال ، فلا يكون لسؤالك تأثير إلا بتعريف حاجتك ، فأما فى تحريكه بالحياء وإثارة داعيته بالحيل فلا ، ويتصدى للسائل حالة لا يشك فيها فى الرضا بالباطن ، وحالة لا يشك فى الكراهة ، ويعلم ذلك بقرينة الأحوال ، فالأخذ فى الحالة الأولى حلال طلق ، وفى الثانية سحت ، ويتردد بين الحالتين أحوال يشك فيها فليستفت قلبه فيها وليترك حزاز القلب فإنه الإثم ، وليدع ما يريبه إلى ما لا يريبه ، وإدراك ذلك بقرائن الأحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه وشهوته ، فإن قوى الحرص وضعفت الفطنة تراءى له ما يوافق غرضه ، فلا يتفطن للقرائن الدالة على الكراهة ، وبهذه الدقائق يطلع على سر قوله

(١) حديث « إنما نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر » لم أجد له أصلا ، وكذا قال المزى لما سئل عنه .

صلى الله عليه وسلم « إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه [1] » وقد أوتى جوامع الكلم ، لأنّ من لا كسب له ولا مال ورثه من كسب أبيه أو أحد قرابته فليأكل من أيدى الناس ، وإن أعطى بغير سؤال فإنما يعطى بدينه ، ومتى يكون باطنه بحيث لو انكشف لا يعطى بدينه فيكون ما يأخذه حراما ، وإن أعطى بسؤال فأين من يطيب قلبه بالعطاء إذا سئل ؟ وأين من يقتصر فى السؤال على حدّ الضرورة ، فإذا فتشت أحوال من يأكل من أيدى الناس علمت أنّ جميع ما يأكله أو أكثره سحت وأنّ الطيب هو الكسب الذى اكتسبته بحلالك أنت أو مورثك ، فإذن بعيد أن يجتمع الورع مع الأكل من أيدى الناس ، فنسأل الله تعالى أن يقطع طمعنا عن غيره ، وأن يغنينا بحلاله عن حرامه ، وبفضله عمن سواه بمنه وسعة جوده ، فإنه على ما يشاء قدير .

بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال

اعلم أن قوله صلى الله عليه وسلم « من سأل عن ظهر غنى فإنما يسأل جمرا فليستقل منه أو ليستكثر » صريح فى التحريم ، ولكن حدّ الغنى مشكل وتقديره عسير ، وليس إلينا وضع المقادير ، بل يستدرك ذلك بالتوقيف ، وقد ورد فى الحديث « استغنوا بغنى الله تعالى عن غيره . قالوا : وما هو قال : غداء يوم وعشاء ليلة [2] » وفى حديث آخر « من سأل وله خمسون درهما أو عدلها من الذهب فقد سأل إلحافا [3] » وورد فى لفظ آخر « أربعون درهما » ومهما اختلفت التقديرات وصحت الأخبار فينبغى أن يقطع بورودها على أحوال مختلفة ، فإنّ الحق فى نفسه لا يكون إلا واحدا والتقدير ممتنع ، وغاية الممكن فيه تقريب ، ولا يتم ذلك إلا بتقسيم محيط بأحوال المحتاجين ، فنقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا حق لابن آدم إلا فى ثلاث : طعام يقيم صلبه ، وثوب يوارى به عورته ، وبيت يكنه فما زاد فهو حساب » فلنجعل هذه الثلاث أصلا فى الحاجات لبيان أجناسها والنظر فى الأجناس والمقادير والأوقات ، فأما الأجناس فهى هذه الثلاث ويلحق بها ما فى معناها حتى يلحق بها الكراء للمسافر إذا كان لا يقدر على المشى وكذلك ما يجرى مجراه من المهمات ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من تحت كفالته كالدابة أيضا . وأما المقادير فالثوب يراعى فيه ما يليق بذوى الدين وهو ثوب واحد وقميص ومنديل وسراويل ومداس وأما الثانى من كل جنس فهو مستغن عنه وليقس على هذا أثاث البيت جميعا ، ولا ينبغى أن يطلب رقة الثياب وكون الأوانى من النحاس والصفر فيما يكفى فيه الخزف ، فإن ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على واحد ومن النوع على أخس أجناسه مالم يكن فى غاية البعد عن العادة . وأما الطعام فقدره فى اليوم مدّ وهو ما قدّره الشرع ونوعه ما يقتات ولو كان من الشعير . والأدم على الدوام فضلة ، وقطعة بالكلية إضرار ، ففى طلبه فى بعض الأحوال رخصة . وأما المسكن فأقله ما يجزئ من حيث المقدار وذلك من غير زينة ، فأما السؤال للزينة والتوسع فهو سؤال عن ظهر غنى ، وأما بالإضافة إلى الأوقات فما يحتاج إليه فى الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه ومأوى يكنه فلا شك فيه فأما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات (إحداها) ما يحتاج إليه فى غد (والثانية) ما يحتاج إليه فى أربعين يوما أو خمسين يوما . (والثالثة) ما يحتاج إليه فى السنة ، ولنقطع بأن من معه ما يكفيه له ولعياله إن كان له عيال

---

(١) حديث « إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه » تقدم .

(٢) حديث « استغنوا بغنى الله » قالوا : وما هو ؟ قال « غداء يوم وعشاء ليلة » تقدم فى الزكاة من حديث سهل ابن الحنظلية قالوا ما يغنيه ؟ قال « ما يغديه أو يعشيه » ولأحمد من حديث على بإسناد حسن : قالوا وما ظهر غنى ؟ قال « عشاء ليلته » وأما اللفظ الذى ذكره المصنف فذكره صاحب الفردوس من حديث أبى هريرة (٣) حديث « من سأل وله خمسون درهما أو عدلها من الذهب فقد سأل إلحافا » وفى لفظ آخر « أربعون درهما » تقدما فى الزكاة .

لسنه فسؤاله حرام ، فإن ذلك غاية الغنى وعليه ينزل التقدير بخمسين درهما فى الحديث ، فإن خمسة دنانير تكفى المنفرد فى السنة إذا اقتصد ، أما المعيل فربما لا يكفيه ذلك وإن كان يحتاج إليه قبل السنة ، فإن كان قادرا على السؤال ولا تفوته فرصته فلا يحل له السؤال لأنه مستغن فى الحال وربما لا يعيش إلى الغد فيكون قد سأل مالا يحتاج فيكفيه غداء يوم وعشاء ليلة ، وعليه ينزل الخبر الذى ورد فى التقدير بهذا القدر . وإن كان يفوته فرصة السؤال ولا يجد من يعطيه لو أخر فيباح له السؤال ، لأنّ أمل البقاء سنة غير بعيد فهو بتأخير السؤال خائف أن يبقى مضطرا عاجزا عما يعينه ، فإن كان خوف العجز عن السؤال فى المستقبل ضعيفا وكان مالأجله السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهية ، وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطرار وخوف الفوت وتراخى المدّة التى فيها يحتاج إلى السؤال ، وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله تعالى ، فيستفتى فيه قلبه ويعمل به إن سالكا طريق الآخرة ، وكل من كان يقينه أقوى وثقته بمجىء الرزق فى المستقبل أتم وقناعته بقوت الوقت أظهر فدرجته عند الله تعالى أعلى ، فلا يكون خوف الاستقبال وقد آتاك الله قوت يومك لك ولعيالك إلا من ضعف اليقين والإصغاء إلى تخويف الشيطان ، وقد قال تعالى ﴿ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ وقال عز وجل ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ﴾ والسؤال من الفحشاء التى أبيحت بالضرورة ، وحال من يسأل لحاجة متراخية عن يومه وإن كان مما يحتاج إليه فى السنة أشدّ من حال من ملك مالا موروثا وادخره لحاجة وراء السنة ، وكلاهما مباحان فى الفتوى الظاهرة ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول الأمل وعدم الثقة بفضل الله ، وهذه الخصلة من أمهات المهلكات ، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه

بيان أحوال السائلين

كان بشر رحمه الله يقول الفقراء ثلاثة : فقير لا يسأل وإن أعطى لا يأخذ ، فهذا مع الروحانيين فى عليين . وفقير لا يسأل وإن أعطى أخذ ، فهذا مع المقرّبين فى جنات الفردوس . وفقير يسأل عند الحاجة ، فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمين .

فإذن قد اتفق كلهم على ذم السؤال وعلى أنه مع الفاقة يحط المرتبة والدرجة .

قال شقيق البلخى لإبراهيم بن أدهم حين قدم عليه من خراسان : كيف تركت الفقراء من أصحابك ؟ قال : تركتهم إن أعطوا شكروا ، وإن منعوا صبروا ـ وظن أنه لما وصفهم بترك السؤال قد أثنى عليهم غاية الثناء ، فقال شقيق هكذا تركت كلاب بلخ عندنا ، فقال له إبراهيم : فكيف الفقراء عندك يا أبا إسحاق ؟ فقال : الفقراء عندنا إن منعوا شكروا ، وإن أعطوا آثروا . فقبل رأسه وقال : صدقت يا أستاذ .

فإذن درجات أرباب الأحوال فى الرضا والصبر والشكر والسؤال كثيرة ، فلا بدّ لسالك طريق الآخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها واختلاف درجاتها ، فإنه إذا لم يعلم لم يقدر على الرقى من حضيضها إلى قلاعها ، ومن أسفل سافلين إلى أعلى أعلين ، وقد خلق الإنسان فى أحسن تقويم ، ثم رد إلى أسفل سافلين ، ثم أمر أن يترقى إلى أعلى عليين ، ومن لا يميز بين السفل والعلو لا يقدر على الرقى قطعا ، وإنما الشك فيمن عرف ذلك ، فإنه ربما لا يقدر عليه ، وأرباب الأحوال قد تغلبهم حالة تقتضى أن يكون السؤال مزيدا لهم فى درجاتهم ولكن بالإضافة إلى حالهم فإنّ مثل هذه الأعمال بالنيات ، وذلك كما روى أنّ بعضهم رأى أبا إسحاق النورى رحمه الله يمدّ يده ويسأل الناس فى بعض المواضع ، قال : فاستعظمت ذلك واستقبحته له ، فأتيت الجنيد رحمه الله فأخبرته بذلك فقال : لا يعظم هذا

عليك ، فإنّ النورى لم يسأل الناس إلا ليعطيهم ، وإنما سألهم ليثيبهم فى الآخرة فيؤجرون من حيث لايضرهم . وكأنه أشار به إلى قوله صلى الله عليه وسلم « يد المعطى هى العليا[1] » فقال بعضهم : يد المعطى هى يد الآخذ للمال لأنه يعطى الثواب والقدر له لالما يأخذه ، ثم قال الجنيد : هات الميزان ، فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فألقاها على المائة ثم قال : احملها إليه ، فقلت فى نفسى : إنما يوزن الشىء ليعرف مقداره ، فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم ؟ واستحييت أن أسأله ، فذهبت بالصرة إلى النورى فقال : هات الميزان ، فوزن مائة درهم وقال : ردها عليه وقل له : أنا لاأقبل منك أنت شيئا وأخذ مازاد على المائة قال : فزاد تعجبى ، فسألته فقال . الجنيد رجل حكيم ، يريد أن يأخذ الحبل بطرفيه : وزن المائة لنفسه طلبا لثواب الآخرة ، وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عزوجل ، فأخذت ما كان لله تبارك وتعالى ورددت ماجعله لنفسه . قال : فرددتها إلى الجنيد فبكى وقال : أخذ ماله وردمالنا الله المستعان ، فانظر الآن كيف صفت قلوبهم وأحوالهم وكيف خلصت لله أعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد منهم قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتناجى الأسرار ، وذلك نتيجة أكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والإقبال على الله تعالى بكنه الهمة ، فمن أنكر ذلك قبل تجربة طريقه فهو جاهل ، كمن ينكر مثلا كون الدواء مسهلا قبل شربه . ومن أنكره بعد أن طال اجتهاده حتى بذل كنه مجهوده ولم يصل فأنكر ذلك لغيره كان كمن شرب المسهل فلم يؤثر فى حقه خاصة لعلة فى باطنه فأخذ ينكر كون الدواء مسهلا ، وهذا وإن كان فى الجهل دون الأول ولكنه ليس خاليا عن حظ واف من الجهل ، بل البصير أحد رجلين : إما رجل سالك الطريق فظهر له مثل ماظهر لهم فهو صاحب الذوق والمعرفة وقد وصل إلى عين اليقين ، وإما رجل لم يسلك الطريق أو سلك ولم يصل ولكنه آمن بذلك وصدق به فهو صاحب علم اليقين وإن لم يكن واصلا إلى عين اليقين . ولعلم اليقين أيضا رتبة وإن كان دون عين اليقين ، ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين ويحشر يوم القيامة فى زمرة الجاحدين المستكبرين الذين هم قتلى القلوب الضعيفة وأتباع الشياطين . فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من الراسخين فى العلم القائلين ﴿ آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب ﴾ .

الشطر الثانى من الكتاب فى الزهد

وفيه بيان حقيقة الزهد ، وبيان فضيلة الزهد ، وبيان درجات الزهد وأقسامه ، وبيان تفصيل الزهد فى المطعم والملبس والمسكن والأثاث وضروب المعيشة ، وبيان علامة الزهد .

بيان حقيقة الزهد

اعلم أن الزهد فى الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين ، وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات ، لأن أبواب الإيمان كلها كما قال السلف ترجع إلى عقد وقول وعمل ، وكأن القول لظهوره أقيم مقام الحال إذ به يظهر الحال الباطن وإلا فليس القول مرادا لعينه ، وإن لم يكن صادرا عن حال سمى إسلاما ولم يسم إيمانا والعلم هو السبب فى حال يجرى مجرى المثمر ، والعمل يجرى من الحال مجرى الثمرة ، فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل : أما الحال فنعنى بها مايسمى زهدا وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشىء إلى ماهو خير منه ، فكل من عدل عن شىء إلى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فإنما عدل عنه لرغبته عنه ، وإنما عدل إلى غيره لرغبته

(١) حديث « يد المعطى هى العليا » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة .

فى غيره ؛ فحاله بالإضافة إلى المعدول عنه يسمى زهدا ، وبالإضافة إلى المعدول إليه يسمى رغبة وحبا ، فإذن يستدعى حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه هو خير من المرغوب عنه ، وشرط المرغوب عنه أن يكون هو أيضا مرغوبا فيه بوجه من الوجوه ، فمن رغب عما ليس مطلوبا فى نفسه لايسمى زاهدا ، إذ تارك الحجر والتراب وما أشبهه لايسمى زاهدا ، وإنما يسمى زاهدا من ترك الدراهم والدنانير لأن التراب والحجر ليسا فى مظنة الرغبة ، وشرط المرغوب فيه أن يكون عنده خيرا من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة ، فالبائع لايقدم على البيع إلا والمشترى عنده خير من المبيع ، فيكون حاله بالإضافة إلى المبيع زهدا فيه ، وبالإضافة إلى العوض عنه رغبة فيه وحبا ، ولذلك قال الله تعالى ﴿وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين﴾ معناه باعوه ، فقد يطلق الشراء بمعنى البيع ووصف إخوة يوسف بالزهد فيه ، إذ طمعوا أن يخلو لهم وجه أبيهم ؛ وكان ذلك عندهم أحب إليهم من يوسف فباعوه طمعا فى العوض ، فإذن كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد فى الدنيا ، وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضا زاهد ولكن فى الآخرة ، ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن يزهد فى الدنيا ، كما خصص اسم الإلحاد بمن يميل إلى الباطل خاصة وإن كان هو للميل فى وضع اللسان . ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجملة لم يتصور إلا بالعدول إلى شىء هو أحب منه ، وإلا فترك المحبوب بغير الأحب محال ، والذى يرغب عن كل ماسوى الله تعالى حتى الفراديس ولايحب إلا الله تعالى فهو الزاهد المطلق ، والذى يرغب عن كل حظ ينال فى الدنيا ولم يزهد فى مثل تلك الحظوظ فى الآخرة بل طمع فى الحور والقصور والأنهار والفواكه فهو أيضا زاهد ولكنه دون الأول ، والذى يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذى يترك المال دون الجاه أو يترك التوسع فى الأكل ولا يترك التجمل فى الزينة فلا يستحق اسم الزاهد مطلقا ، ودرجته فى الزهد درجة من يتوب عن بعض المعاصى فى التائبين ، وهو زهد صحيح ، كما أنّ التوبة عن بعض المعاصى صحيحة ، فإن التوبة عبارة عن ترك المحظورات ، والزهد عبارة عن ترك المباحات التى هى حظ النفس ، ولا يبعد أن يقدر على ترك بعض المباحات دون بعض كما لا يبعد ذلك فى المحظورات ، والمقتصر على ترك المحظورات لايسمى زاهدا وإن كان قد زهد فى المحظور وانصرف عنه ، ولكن العادة تخصص هذا الاسم بترك المباحات ، فإذن الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولا إلى الآخرة ، أو عن غير الله تعالى عدولا إلى الله تعالى وهى الدرجة العليا ، وكما يشترط فى المرغوب فيه أن يكون خيرا عنده فيشترط فى المرغوب عنه أن يكون مقدورا عليه ، فإن ترك ما لايقدر عليه محال ، وبالترك يتبين زوال الرغبة ، ولذلك قيل لابن المبارك : يازاهد ، فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز إذ جاءته الدنيا راغمة فتركها ، وأما أنا ففيماذا زهدت ؟ . وأما العلم الذى هو مثمر لهذه الحال فهو العلم بكون المتروك حقيرا بالإضافة إلى المأخوذ كعلم التاجر بأن العوض خير من المبيع فيرغب فيه ، وما لم يتحقق هذا العلم لم يتصور أن تزول الرغبة عن المبيع ، فكذلك من عرف أنّ ما عند الله باق وأنّ الآخرة خير وأبقى ، أى لذاتها خير فى أنفسها وأبقى ، كما تكون الجواهر خيرا وأبقى من الثلج مثلا . ولا يعسر على مالك الثلج بيعه بالجواهر واللآلئ ، فهكذا مثال الدنيا والآخرة ، فالدنيا كالثلج الموضوع فى الشمس لايزال فى الذوبان إلى الانقراض ، والآخرة كالجوهر الذى لافناء له ، فبقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة تقوى الرغبة فى البيع والمعاملة ، حتى إنّ من قوى يقينه يبيع نفسه وماله ، كما قال الله تعالى ﴿ إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ ثم بين أن صفقتهم رابحة فقال تعالى ﴿ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ﴾ فليس يحتاج من العلم فى الزهد إلا إلى هذا القدر : وهو أن الآخرة

خير وأبقى وقد يعلم ذلك من لايقدر على ترك الدنيا ، إما لضعف علمه ويقينه ، وإما لاستيلاء الشهوة فى الحال عليه وكونه مقهورا فى يد الشيطان ، وإما لاغتراره بمواعيد الشيطان فى التسويف يوما بعد يوم إلى أن يختطفه الموت ولا يبقى معه إلا الحسرة بعد الفوت : وإلى تعريف خساسة الدنيا الإشارة بقوله تعالى ﴿ قل متاع الدنيا قليل ﴾ وإلى تعريف نفاسة الآخرة الإشارة بقوله عز وجل ﴿ وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير ﴾ فنبه على أن العلم بنفاسة الجوهر هو المرغب عن عوضه ، ولما لم يتصور الزهد إلا بمعاوضة ورغبة عن المحبوب فى أحب منه قال رجل فى دعائه : اللهم أرنى الدنيا كما تراها ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « لاتقل هكذا ، ولكن قل : أرنى الدنيا كما أريتها الصالحين من عبادك [1] » وهذا لأن الله تعالى يراها حقيرة كما هى ، وكل مخلوق فهو بالإضافة إلى جلاله حقير . والعبد يراها حقيرة فى نفسه بالإضافة إلى ماهو خير له ، ولايتصور أن يرى بائع الفرس وإن رغب عنه فرسه كما يرى حشرات الأرض مثلا ، لأنه مستغن عن الحشرات أصلا وليس مستغنيا عن الفرس ، والله تعالى غنى بذاته عن كل ما سواه ، فيرى الكل فى درجة واحدة بالإضافة إلى جلاله ، ويراه متفاوتا بالإضافة إلى غيره ، والزاهد هو الذى يرى تفاوته بالإضافة إلى نفسه لا إلى غيره وأما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك واحد لأنه بيع ومعاملة واستبدال للذى هو خير بالذى هو أدنى ، فكما أن العمل الصادر من عقد البيع هو ترك المبيع وإخراجه من اليد وأخذ العوض ، فكذلك الزهد يوجب ترك المزهود فيه بالكلية وهى الدنيا بأسرها مع أسبابها ومقدماتها وعلائقها ، فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات ويخرج من العين واليد ما أخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات ، وإلا كان كمن سلم المبيع ولم يأخذ الثمن ؛ فإذا وفى بشرط الجانبين فى الأخذ والترك فليستبشر ببيعه الذى بايع به ؛ فإن الذى بايعه بهذا البيع وفى بالعهد ، فمن سلم حاضرا فى غائب وسلم الحاضر وأخذ يسعى فى طلب الغائب سلم إليه الغائب حين فراغه من سعيه إن كان العاقد ممن يوثق بصدقه وقدرته ووفائه بالعهد ، وما دام ممسكا للدنيا لا يصح زهده أصلا ، ولذلك لم يصف الله تعالى إخوة يوسف بالزهد فى بنيامين وإن كانوا قد قالوا ﴿ ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ﴾ وعزموا على إبعاده كما عزموا على يوسف حتى تشفع فيه أحدهم فترك ، ولا وصفهم أيضا بالزهد فى يوسف عند العزم على إخراجه ، بل عند التسليم والبيع ، فعلامة الرغبة الإمساك ، وعلامة الزهد الإخراج : فإن أخرجت عن اليد بعض الدنيا دون البعض فأنت زاهد فيما أخرجت فقط ولست زاهدا مطلقا ، وإن لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد ، لأن ما لايقدر عليه لايقوى على تركه ، وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل إليك أن الدنيا وإن لم تأتك فأنت زاهد فيها ، فلا ينبغى أن تتدلى بحبل غروره دون أن تستوثق وتستظهر بموثق غليظ من الله ، فإنك إذا لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها ، فكم من ظان بنفسه كراهة المعاصى عند تعذرها ، فلما تيسرت له أسبابها من غير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها ، وإذا كان هذا غرور النفس فى المحظورات ، فإياك أن تثق بوعدها فى المباحات ، والموثق الغليظ الذى تأخذه عليها ، أن تجربها مرة بعد مرة فى حال القدرة ، فإذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والأعذار ظاهرا وباطنا فلا بأس أن تثق بها وثوقا ما ، ولكن تكون من تغيرها أيضا على حذر ، فإنها سريعة النقض للعهد ، قريبة الرجوع إلى مقتضى الطبع وبالجملة فلا أمان منها إلا عند الترك بالإضافة إلى ماترك فقط وذلك عند القدرة . قال ابن أبى ليلى لابن شبرمة : ألا ترى إلى ابن الحنائك هذا

(١) حديث : قال رجل : اللهم أرنى الدنيا كما تراها ، فقال له « لاتقل هكذا ، ولكن قل : أرنى الدنيا كما أريتها الصالحين من عبادك » ذكره صاحب الفردوس مختصرا « اللهم أرنى الدنيا كما تريها صالح عبادك » من حديث أبى القصير ولم يخرجه ولده

لانفتى فى مسألة إلا رد علينا — يعنى أبا حنيفة ، فقال ابن شبرمة : لا أدرى أهو ابن الحائك أم ماهو ؟ لكن أعلم أن الدنيا غدت إليه فهرب منها ، وهربت منا فطلبناها ، وكذلك قال جميع المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا نحب ربنا ولو علمنا فى أى شىء محبته لفعلناه حتى نزل قوله تعالى ﴿ ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم مافعلوه إلا قليل منهم [1] ﴾ . قال ابن مسعود رحمه الله : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم . أنت منهم — يعنى من القليل . قال : وما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى ﴿ منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة [2] ﴾ . واعلم أنه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والفتوة وعلى سبيل استمالة القلوب وعلى سبيل الطمع ، فذلك كله من محاسن العادات ولكن لامدخل لشىء منه فى العبادات ؛ وإنما الزهد أن تترك الدنيا لعلمك بحقارتها بالإضافة إلى نفاسة الآخرة ؛ فأما كل نوع من الترك فإنه يتصور ممن لايؤمن بالآخرة ؛ فذلك قد يكون مروءة وفتوة وسخاء وحسن خلق ، ولكن لا يكون زهدا ؛ إذ حسن الذكر وميل القلوب من حظوظ العاجلة وهى ألذ وأهنأ من المال ، وكما أن ترك المال على سبيل السلم طمعا فى العوض ليس من الزهد ، فكذلك تركه طمعا فى الذكر والثناء والاشتهار بالفتوة والسخاء واستثقالا له لما فى حفظ المال من المشقة والعناء . والحاجة إلى التذلل للسلاطين والأغنياء ليس من الزهد أصلا ، بل هو استعجال حظ آخر للنفس ؛ بل الزاهد من أتته الدنيا راغمة صفوا عفوا وهو قادر على التنعم بها من غير نقصان جاه وقبح اسم ولا فوات حظ للنفس ، فتركها خوفا من أن يأنس بها ، فيكون آنسا بغير الله ومحباً لما سوى الله ، ويكون مشركا فى حب الله تعالى غيره . أو تركها طمعاً فى ثواب الله فى الآخرة فترك التمتع بأشربة الدنيا طمعاً فى أشربة الجنة ، وترك التمتع بالسرارى والنسوان طمعاً فى الحور العين ، وترك التفرج فى البساتين طمعاً فى بساتين الجنة وأشجارها ، وترك التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعاً فى زينة الجنة ، وترك المطاعم اللذيذة طمعاً فى فواكه الجنة وخوفا من أن يقال له ﴿ أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا ﴾ فآثر فى جميع ذلك ماوعد به فى الجنة على ماتيسر له فى الدنيا عفواً صفواً لعلمه بأن مافى الآخرة خير وأبقى ، وأن ماسوى هذا فمعاملات دنيوية لاجدوى لها فى الآخرة أصلا .

بيان فضيلة الزهد

قال الله تعالى ﴿ فخرج على قومه فى زينته ... إلى قوله تعالى ... وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن ﴾ فنسب الزهد إلى العلماء ووصف أهله بالعلم وهو غاية الثناء ، وقال تعالى ﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ﴾ وجاء فى التفسير على الزهد فى الدنيا . وقال عز وجل ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ﴾ قيل : معناه أيهم أزهد فيها ، فوصف الزهد بأنه من أحسن الأعمال . وقال تعالى ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب ﴾ وقال تعالى ﴿ ولا تمدن عينيك إلى مامتعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ﴾ وقال تعالى ﴿ الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ﴾ فوصف الكفار بذلك ، ففهومه أن المؤمن هو الذى يتصف بنقيضه وهو أن يستحب الآخرة على الحياة الدنيا .

---

(١) حديث قال المسلمون . إنا نحب ربنا ولو علمنا فى أى شىء محبته لفعلناه ، حتى نزل قوله تعالى ﴿ ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم ﴾ الآية : لم أقف له على أصل . (٢) حديث ابن مسعود . ماعرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى ﴿ منكم من يريد الدنيا ﴾ الآية أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة بإسناد حسن .

وأما الأخبار : فما ورد منها فى ذم الدنيا كثير ، وقد أوردنا بعضها فى كتاب ذم الدنيا مع ربع المهلكات ، إذ حب الدنيا من المهلكات ونحن الآن نقتصر على فضيلة بغض الدنيا فإنه من المنجيات ، وهو المعنى بالزهد ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ، ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته ، وجعل غناه فى قلبه ، وأتته الدنيا وهى راغمة [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم العبد وقد أعطى صمتا وزهدا فى الدنيا فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة [2] » وقال تعالى ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيرا ﴾ ولذلك قيل من زهد فى الدنيا أربعين يوما أجرى الله ينابيع الحكمة فى قلبه وأنطق بها لسانه . وعن بعض الصحابة أنه قال قلنا يارسول الله ، أى الناس خير ؟ قال كل مؤمن مخموم القلب صدوق اللسان ، قلنا يارسول الله وما مخموم القلب؟ قال « التقى النقى الذى لاغل فيه ولا غش ولا بغى ولا حسد » قلنا : يارسول الله ، فمن على أثره ؟ قال « الذى يشنأ الدنيا ويحب الآخرة [3] » ومفهوم هذا أن شر الناس الذى يحب الدنيا . وقال صلى الله عليه وسلم « إن أردت أن يحبك الله فازهد فى الدنيا [4] » فجعل الزهد سببا للمحبة ، فمن أحبه الله تعالى فهو فى أعلى الدرجات ، فينبغى أن يكون الزهد فى الدنيا من أفضل المقامات ، ومفهومه أيضا أن من محب الدنيا متعرض لبغض الله تعالى وفى خبر من طريق أهل البيت « الزهد والورع يجولان فى القلوب كل ليلة ، فإن صادفا قلبا فيه الإيمان والحياء أقاما فيه وإلا ارتحلا [5] » ، ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا مؤمن حقا قال « وما حقيقة إيمانك ؟ » قال : عزفت نفسى عن الدنيا فاستوى عندى حجرها وذهبها ، وكأنى بالجنة والنار ، وكأنى بعرش ربى بارزا ، فقال صلى الله عليه وسلم « عرفت فالزم عبد نور الله قلبه بالإيمان [6] » فانظر كيف بدأ فى إظهار حقيقة الإيمان بعزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين ، وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال : عبد نور الله قلبه بالإيمان . ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح فى قوله تعالى ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ وقيل له : ماهذا الشرح ؟ قال « إن النور إذا دخل فى القلب انشرح له الصدر وانفسح » قيل يارسول الله . وهل لذلك من علامة؟ قال « نعم ، التجافى عن دار الغرور ؛ والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله [7] » فانظر كيف جعل الزهد شرطا للاسلام وهو التجافى عن دار الغرور ؟ وقال صلى الله عليه وسلم « استحيوا من الله حق الحياء » قالوا : إنا لنستحيى منه تعالى ، فقال « ليس كذلك تبنون مالا تسكنون ، وتجمعون مالا تأكلون [8] » فبين أن ذلك يناقض الحياء من الله تعالى ولما قدم عليه بعض الوفود قالوا : إنا مؤمنون . قال « وما علامة إيمانكم ؟ » فذكروا

---

(١) حديث « من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره ... الحديث » أخرجه ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت بسند جيد، والترمذى من حديث أنس بسند ضعيف نحوه .

(٢) حديث « إذا رأيتم العبد قد أوتى صمتا وزهدا فى الدنيا فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة » رواه ابن ماجه من حديث أبى خلاد بسند فيه ضعف (٣) حديث : قلنا يارسول الله ومامخموم القلب ؟ قال « التقى النقى ... الحديث » رواه ابن ماجه بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله : يارسول الله فمن على أثره ، وقد تقدم ، ورواه بهذه الزيادة بالإسناد المذكور الخرائطى فى مكارم الأخلاق (٤) حديث « إن أردت أن يحبك الله فازهد فى الدنيا » رواه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف نحوه ، وقد تقدم . (٥) حديث « الزهد والورع يجولان فى القلب كل ليلة ، فإن صادفا قلبا فيه الإيمان والحياء أقاما فيه وإلا ارتحلا » لم أجد له أصلا . (٦) حديث : لما قال له حارثة : أنا مؤمن حقا ، فقال « وما حقيقة إيمانك ... الحديث » أخرجه البزار من حديث أنس ، والطبرانى من حديث الحارث بن مالك ، وكلا الحديثين ضعيف .

(٧) حديث : سئل عن قوله تعالى ﴿ فمن يرد الله أن يهديه ﴾ ... الحديث . أخرجه الحاكم ، وقد تقدم .

(٨) حديث « استحيوا من الله حق الحياء ... الحديث » رواه الطبرانى من حديث أم الوليد بنت عمر بن الخطاب بإسناد ضعيف

الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة إذا نزلت بالأعداء ، فقال عليه الصلاة والسلام « إن كنتم كذلك فلا تجمعوا مالا تأكلون ولا تبنوا مالا تسكنون ، ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون[1] » لجعل الزهد تكملة لإيمانهم . وقال جابر رضى الله عنه : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « من جاء بلا إله إلا الله لايخلط بها غيرها وجبت له الجنة » فقام إليه على كرم الله وجهه ، فقال : بأبى أنت وأمى يارسول الله مالا يخلط بها غيرها ؟ صفه لنا فسره لنا ، فقال « حب الدنيا طلبا لها واتباعا لها ، وقوم يقولون قول الأنبياء ويعملون عمل الجبابرة ، فمن جاء بلا إله إلا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة[2] » . وفى الخبر « السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن ، والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك[3] » . وقال أيضاً « السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار[4] » والبخل ثمرة الرغبة فى الدنيا ، والسخاء ثمرة الزهد . والثناء على الثمرة ثناء على المثمر لامحالة . وروى عن ابن المسيب عن أبى ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من زهد فى الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه فأنطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالما إلى دار السلام[5] » وروى أنه صلى الله عليه وسلم مر فى أصحابه بعشار من النوق حفل وهى الحوامل وكانت من أحب أموالهم إليهم وأنفسها عندهم لأنها تجمع الظهر واللحم واللبن والوبر ، ولعظمها فى قلوبهم قال الله تعالى ﴿ وإذا العشار عطلت ﴾ قال : فأعرض عنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وغض بصره ، فقيل له : يارسول الله هذه أنفس أموالنا لم لاتنظر إليها ؟ فقال « قد نهانى الله عن ذلك » ثم تلا قوله تعالى ﴿ ولا تمدن عينيك إلى مامتعنابه ﴾ الآية[6] وروى مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يارسول الله ؛ ألا تستطعم الله فيطعمك ؟ قالت : وبكيت لما رأيت به من الجوع ؛ فقال ياعائشة ؛ والذى نفسى بيده لو سألت ربى أن يجرى معى جبال الدنيا ذهبا لأجراها حيث شئت من الأرض ؛ ولكن اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها ؛ ياعائشة إن الدنيا لاتنبغى لمحمد ولا لآل محمد ؛ ياعائشة إن الله لم يرض لأولى العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ، ثم لم يرض إلا أن يكلفنى ما كلفهم ؛ فقال ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ والله مالى بد من طاعته وإنى والله لأصبرن كما صبروا بجهدى ولا قوة إلا بالله[7] » . وروى عن عمر رضى الله عنه : أنه حين فتح عليه الفتوحات قالت له ابنته حفصة رضى الله عنها .

---

(١) حديث : لما قدم عليه بعض الوفود قالوا : إنا مؤمنون . قال « وماعلامة إيمانكم . الحديث » رواه الخطيب وابن عساكر فى تاريخهما بإسناد ضعيف من حديث جابر . (٢) حديث جابر « من جاء بلا إله إلا الله لايخلط معها شيئاً وجبت له الجنة » لم أره من حديث جابر ، وقد رواه الترمذى الحكيم فى النوادر من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف . (٣) حديث السخاء من اليقين ولايدخل النار موقن ... الحديث » ذكره صاحب الفردوس من حديث أبى الدرداء ولم يخرجه ولده فى مسنده .

(٤) حديث « السخى قريب من الله ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة ، وقد تقدم .

(٥) حديث أبى ذر « من زهد الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه ... الحديث » لم أره من حديث أبى ذر ، ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب ذم الدنيا من حديث صفوان بن سليم مرسلا ، ولابن عدى فى الكامل من حديث أبى موسى الأشعرى « من زهد فى الدنيا أربعين يوما وأخلص فيها العبادة أجرى الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » وقال حديث منكر . وقال الذهبى باطل : ورواه أبو الشيخ فى كتاب الثواب وأبو نعيم فى الحلية مختصرا من حديث أبى أيوب « من أخلص لله » وكلها ضعيفة .

(٦) حديث مر فى أصحابه بعشار من النوق حفل .. الحديث . وفيه : ثم تلا قوله تعالى ﴿ ولاتمدن عينيك ﴾ الآية : لم أجد له أصلا

(٧) حديث مسروق عن عائشة قلت يارسول الله ، ألا تستطعم ربك فيطعمك ، قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع ... الحديث . وفيه « ياعائشة ، إن الله لم يرض لأولى العزم من الرسل إلا الصبر ... الحديث » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبى عبد الرحمن السلمى من رواية عباد بن عباد عن مجالد عن الشعبى عن مسروق مختصرا « ياعائشة إن الله لم يرض من أولى العزم من الرسل إلا الصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ثم لم يرض إلا أن كلفنى ماكلفهم ، فقال تعالى ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ﴾ ومجالد مختلف فى الاحتجاج به .

البس ألين الثياب إذا وفدت عليك الوفود من الآفاق ، ومر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضر ، فقال عمر : ياحفصة ، ألست تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته ؟ فقالت : بلى . قال ناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث فى النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوة إلا جاعوا عشية ولا شبعوا عشية إلا جاعوا غدوة ، وناشدتك الله ، هل تعلمين أن النبي صلى الله عليه وسلم لبث فى النبوة كذا كذا سنة لم يشبع من التمر وهو وأهله حتى فتح الله عليه خيبر ؟ وناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قربتم إليه يوما طعاما على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ثم أمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك أووضع على الأرض ؟ وناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينام على عباءة مثنية فثنيت له ليلة أربع طاقات فنام عليها فلما استيقظ قال ، منعتمونى قيام الليلة بهذه العباءة اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها ، ؟ وناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع ثيابه لتغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فما يجد ثوبا يخرج به إلى الصلاة حتى تجف ثيابه فيخرج بها إلى الصلاة ؟ وناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صنعت له امرأة من بنى ظفر كساءين إزارا ورداء وبعثت إليه بأحدهما قبل أن يبلغ الآخر فخرج إلى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره وقد عقد طرفيه إلى عنقه فصلى كذلك ؟ فما زال يقول حتى أبكاها وبكى عمر رضى الله عنه وانتحب حتى ظننا أن نفسه ستخرج [1] . وفى بعض الروايات زيادة من قول عمر وهو أنه قال : كان لى صاحبان سلكا طريقا ، فإن سلكت غير طريقهما سلك بى طريق غير طريقهما ، وإنى والله سأصبر على عيشهما الشديد لعلى أدرك معهما عيشهما الرغيد .

وعن أبى سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لقد كان الأنبياء قبلى يبتلى أحدهم بالفقر فلا يلبس إلا العباءة ، وإن كان أحدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان ذلك أحب إليهم من العطاء إليكم [2] » .

وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين كانت خضرة البقل ترى فى بطنه من الهزال ، فهذا ما كان قد اختاره أنبياء الله ورسله وهم أعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز فى الآخرة .

وفى حديث عمر رضى الله عنه أنه قال : لما نزل قوله تعالى ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها

---

(١) حديث : أن عمر لما فتحت عليه الفتوحات قالت له حفصة : البس ابن الثياب إذا قدمت عليك الوفود ... الحديث بطوله ، وفيه : ناشدتك الله هل تعلمين كذا : يذكرها ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى أبكاها وبكى ... الخ . لم أجده هكذا مجموعا فى حديث ، وهو مفرق فى عدة أحاديث ؛ فروى البزار من حديث عمران بن حصين قال : ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله غداء وعشاء من خبز شعير حتى لقى ربه ، وفيه عمرو بن عبد الله القدرى متروك الحديث ، وللترمذى من حديث عائشة قالت : ماأشبع من طعام فأشاء أن أبكى إلا بكيت ، قلت : لم ؟ قالت : أذكر الحال التى فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا عليها ، والله ماشبع من خبز ولحم مرتين فى يوم . وقال حديث حسن ، وللشيخين من حديثها : ماشبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام ثلاث ليال تباعا حتى قبض . وللبخارى من حديث أنس : كان لايأكل على خوان ... الحديث ، وتقدم فى آداب الأكل ، وللترمذى فى الشمائل من حديث حفصة أنها لما سئلت : ما كان فراش النبي صلى الله عليه وسلم ؟ مسح نثنيه ثنتين فينام عليه .. الحديث . ولابن سعد فى الطبقات من حديث عائشة : أنها كانت تفرش للنبي صلى الله عليه وسلم عباءة باثنتين ... الحديث ، وتقدما فى آداب المعيشة . وللبزار من حديث أبى الدرداء قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخل له الدقيق ولم يكن له إلا قميص واحد . وقال : لانعلم يروى بهذا اللفظ إلا بهذا الإسناد . قال يونس بن بكير : قد حدث عن سعيد بن ميسرة البكرى بأحاديث لم يتابع عليها واحتملت على ماتيها . قلت : فيه سعيد بن ميسرة فقد كذبه يحيى القطان وضعفه البخارى وابن حبان وابن عدى وغيرهم . ولابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت صلى فى شملة قد عقد عليها زاد الطبرانى فى جزئه المشهور : فعقدها فى عنقه ماعليه غيرها وإسناده ضعيف ، وتقدم فى آداب المعيشة . (٢) حديث أبى سعيد الخدرى : كان الأنبياء يبتلى أحدهم بالفقر فلا يجد إلا العباء . الحديث ... بإسناد صحيح فى أثناء حديث أوله : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك دون قوله : وإن كان أحدهم ليبتلى بالقمل

فى سبيل الله ﴾ قال صلى الله عليه وسلم « تبا للدنيا تبا للدينار والدرهم » فقلنا : يارسول الله نهانا الله عن كنز الذهب والفضة ، فأى شىء ندخر ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على أمر آخرته [1] » .

وفى حديث حذيفة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث : هما لايفارق قلبه أبدا وفقرا لايستغنى أبدا وحرصا لا يشبع أبدا [2] » .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون أن لايعرف أحب إليه من أن يعرف ؛ وحتى يكون قلة الشىء أحب إليه من كثرته [3] » .

وقال المسيح صلى الله عليه وسلم الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها . وقيل له : يانبى الله لو أمرتنا أن نبنى بيتا نعبد الله فيه ؟ قال : اذهبوا فابنوا بيتا على الماء ، فقالوا : كيف يستقيم بنيان على الماء ؟ قال : وكيف تستقيم عبادة مع حب الدنيا ؟ .

وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « إن ربى عز وجل عرض على أن يجعل لى بطحاء مكة ذهبا ، فقلت لا يارب ولكن أجوع يوما وأشبع يوما ، فأما اليوم الذى أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك ، وأما اليوم الذى أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم يمشى وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « ياجبريل ، والذى بعثك الحق ما أمسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق ، فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفظعته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمر الله القيامة أن تقوم ؟ » قال : لا ، ولكن هذا إسرافيل عليه السلام قد نزل إليك حين سمع كلامك ، فأتاه إسرافيل فقال : إنّ الله عز وجل سمع ماذكرت فبعثنى بمفاتيح الأرض وأمرنى أن أعرض عليك إن أحببت أن أسير معك جبال تهامه زمرذا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت ، وإن شئت نبيا ملكا ، وإن شئت نبيا عبدا . فأومأ إليه جبريل أن تواضع لله فقال « نبيا عبدا » ثلاثا [4] .

وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله بعبد خيرا زهده فى الدنيا ورغبه فى الآخرة وبصره بعيوب نفسه [5] » .

---

(١) حديث عمر : لما نزل قوله تعالى ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ﴾ الآية ، قال « تبا للدينار والدرهم ... الحديث » وفيه : فأى شىء ندخر ؟ أخرجه الترمذى وابن ماجه وتقدم فى النكاح دون قوله « تبا للدينار والدرهم » والزيادة رواها الطبرانى فى الأوسط وهو من حديث ثوبان ، وانما قال المصنف إنه حديث عمر لأن عمر هو الذى سأل النبى صلى الله عليه وسلم : أى المال يتخذ ؟ كما فى رواية ابن ماجه ، وكما رواه البزار من حديث ابن عباس .

(٢) حديث حذيفة « من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث . الحديث » لم أجده من حديث حذيفة ، أخرجه الطبرانى من حديث ابن مسعود بسند حسن : من أشرق فى قلبه حب الدنيا التاط منها بثلاث : شقاء لاينفد عناه ، وحرص لايبلغ غناه ، وأمل لايبلغ منتهاه ، وفى آخره زيادة . (٣) حديث « لايستكمل عبد الإيمان حتى يكون أن لايعرف أحب إليه من أن يعرف ، وحتى يكون قلته أحب إليه من كثرته » لم أجد له إسنادا ، وذكره صاحب الفردوس من رواية على بن أبى طلحة مرسلا « لايستكمل عبد الإيمان حتى يكون قلة الشىء أحب إليه من كثرته ، وحتى يكون أن يعرف فى ذات الله أحب إليه من أن يعرف فى غير ذات الله » ولم يخرجه ولده فى مسند الفردوس ، وعلى بن أبى طلحة أخرج له مسلم . وروى من ابن عباس ، لكن روايته عنه مرسلة ، فالحديث اذن معضل . (٤) حديث ابن عباس : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل معه فصعد على الصفا ... الحديث فى نزول اسرافيل . وقوله : ان أحببت أن أسير معك جبال تهامة زمرذا وياقوتا وذهبا وفضة ... الحديث تقدم مختصرا . (٥) حديث « اذا أراد الله بعبد خيرا زهده فى الدنيا ورغبه فى الآخرة وبصره بعيوب نفسه » رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس دون قوله « ورغبه فى الآخرة » وزاد « فقهه فى الدين » واسناده ضعيف .

وقال صلى الله عليه وسلم لرجل « ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس [١] » .

وقال صلوات الله عليه « من أراد أن يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد فى الدنيا [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ، ومن خاف من النار لهما عن الشهوات ، ومن ترقب الموت ترك اللذات ، ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات [٣] » .

ويروى عن نبينا وعن المسيح عليهما السلام « أربع لا يدركن إلا بتعب : الصمت وهو أول العبادة ، والتواضع ، وكثرة الذكر ، وقلة الشيء [٤] » وإيراد جميع الأخبار الواردة فى مدح بغض الدنيا وذم حبها لايمكن ، فإنّ الأنبياء مابعثوا إلا لصرف الناس عن الدنيا إلى الآخرة وإليه يرجع أكثر كلامهم مع الخلق ، وفيما أوردناه كفاية والله المستعان .

وأما الآثار : فقد جاء فى الأثر : لاتزال لا إله إلا الله تدفع عن العباد سخط الله عز وجل ما لم يسألوا مانقص من دنياهم . وفى لفظ آخر : مالم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم ، فإذا فعلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى : كذبتم ، لستم بها صادقين .

وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم أنه قال : تابعنا الأعمال كلها فلم نر فى أمر الآخرة أبلغ من زهد فى الدنيا .

وقال بعض الصحابة لصدر من التابعين : أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا خيرا منكم . قيل : ولم ذلك ؟ قال : كانوا أزهد فى الدنيا منكم

وقال عمر رضى الله عنه : الزهادة فى الدنيا راحة القلب والجسد .

وقال بلال بن سعد : كفى به ذنبا أنّ الله تعالى يزهدنا فى الدنيا ونحن نرغب فيها .

وقال رجل لسفيان : أشتهى أن أرى عالما زاهدا ، فقال : ويحك : تلك ضالة لاتوجد .

وقال وهب بن منبه : إنّ للجنة ثمانية أبواب ، فإذا صار أهل الجنة إليها جعل البوّابون يقولون : وعزة ربنا لايدخلها أحد قبل الزاهدين فى الدنيا العاشقين للجنة .

وقال يوسف بن أسباط رحمه الله : إنى لأشتهى من الله ثلاث خصال : أن أموت حين أموت وليس فى ملكى درهم ، ولا يكون على دين ولا على عظمى لحم فأعطى ذلك كله .

وروى أن بعض الخلفاء أرسل إلى الفقهاء بجوائز فقبلوها ، وأرسل إلى الفضيل بعشرة آلاف فلم يقبلها ، فقال له بنوه : قد قبل الفقهاء وأنت ترد على حالتك هذه فبكى الفضيل وقال : أتدرون مامثلى ومثلكم ؟ كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها ، فلما هرمت ذبحوها لأجل أن ينتفعوا بجلدها ، كذلك أنتم أردتم ذبحى على كبرسنى ، موتوا يا أهلى جوعا خير لكم من أن تذبحوا فضيلا !

وقال عبيد بن عمير كان المسيح ابن مريم عليه السلام يلبس الشعر ويأكل الشجر ، وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر لغد ، أينما أدركه المساء نام ،

وقالت امرأة أبى حازم لأبى حازم . هذا الشتاء قد هجم علينا ولا بدّ لنا من الطعام والثياب والحطب !

---

(١) حديث « ازهد فى الدنيا يحبك الله ... الحديث » تقدم . (٢) حديث « من أراد أن يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد فى الدنيا » لم أجد له أصلا . (٣) حديث « من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ... الحديث » رواه ابن حبان فى الضعفاء من حديث على بن أبى طالب . (٤) حديث « أربع لايدركن الا بتعب : الصمت وهو أول العبادة ... الحديث » رواه الطبرانى والحاكم من حديث أنس وقد تقدم .

فقال لها أبو حازم : من هذا كله بد ، ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدى الله تعالى ثم الجنة أو النار .

وقيل للحسن : لم لا تغسل ثيابك ؟ قال : الأمر أعجل من ذلك .

وقال ابراهيم ابن أدهم : قد حجبت قلوبنا بثلاثة أغطية ، فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب: الفرح بالموجود ، والحزن على المفقود ، والسرور بالمدح ، فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص ، وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط والساخط معذب ، وإذا سررت بالمدح فأنت معجب والعجب يحبط العمل .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : ركعتين من زاهد قلبه خير له وأحب إلى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبدا سرمدا .

وقال بعض السلف : نعمة الله علينا فيما صرف عنا أكثر من نعمته فيما صرف إلينا ، وكأنه التفت إلى معنى قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحمى عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه [1] » فإذا فهم هذا علم أن النعمة فى المنع المؤدى إلى الصحة أكبر منها فى الإعطاء المؤدى إلى السقم .

وكان الثورى يقول : الدنيا دار التواء لا دار استواء ، ودار ترح لا دار فرح ، من عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن على شقاء .

وقال سهل : لا يخلص العمل لمتعبد حتى يفرغ من أربعة أشياء : الجوع ، والعرى ، والفقر والذل .

وقال الحسن البصرى : أدركت أقواما وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشى من الدنيا أقبل ، ولا يأسفون على شى منها أدبر ، ولهى كانت فى أعينهم أهون من التراب : كان أحدهم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة لم يطوله ثوب ولم ينصب له قدر ، ولم يجعل بينه وبين الأرض شيئا ، ولا أمر من فى بيته بصنعة طعام قط ، فإذا كان الليل فقيام على أقدامهم ، يفترشون وجوههم ، تجرى دموعهم على خدودهم ، يناجون ربهم فى فكاك رقابهم ، كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا فى شكرها وسألوا الله أن يقبلها ، وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك ، ووالله ماسلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة رحمة الله عليهم ورضوانه .

بيان درجات الزهد وأقسامه بالإضافة إلى نفسه ؛ وإلى المرغوب عنه ، وإلى المرغوب فيه

اعلم أنّ الزهد فى نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلاث: (الدرجة الأولى) وهى السفلى منها : أن يزهد فى الدنيا وهو لها مشته وقلبه إليها مائل ونفسه إليها ملتفتة ، ولكنه يجاهدها ويكفها ، وهذا يسمى المتزهد ، وهو مبدأ الزهد فى حق من يصل إلى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد، والمتزهد يذيب أولا نفسه ثم كيسه والزاهد أولا يذيب كيسه ثم يذيب نفسه فى الطاعات لا فى الصبر على مافارقه ، والمتزهد على خطر ، فإنه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود إلى الدنيا وإلى الاستراحة بها فى قليل أو كثير . (الدرجة الثانية) : الذى يترك الدنيا طوعا لاستحقاره إياها بالإضافة إلى ما طمع فيه ، كالذى يترك درهما لأجل درهمين ، فإنه لا يشق عليه ذلك وإن كان يحتاج إلى انتظار قليل ، ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت إليه ، كما يرى البائع المبيع ويلتفت إليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ، ويظن فى نفسه أنه ترك شيئا له قدر لما هو أعظم قدرا منه ، وهذا أيضا نقصان (الدرجة الثالثة) وهى العليا : أن يزهد طوعا ويزهد فى زهده فلا يرى زهده ، إذ لا يرى أنه ترك شيئا . إذ عرف أنّ الدنيا لاشىء

(١) حديث « ان الله يحمى عبده المؤمن من الدنيا ... الحديث » تقدم .

فيكون كمن ترك خزفه وأخذ جوهرة ، فلا يرى ذلك معاوضة ، ولا يرى نفسه تاركا شيئا، والدنيا بالإضافة إلى الله تعالى ، ونعيم الآخرة أخس من خزفة بالإضافة إلى جوهرة ، فهذا هو الكمال فى الزهد . وسببه كمال المعرفة ، ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات إلى الدنيا ، كما أنّ تارك الخزفة بالجوهرة امن من طلب الإقالة فى البيع .

قال أبو يزيد رحمه الله تعالى لأبى موسى عبد الرحيم : فى أى شىء تتكلم ؟ قال : فى الزهد ، قال : فى أى شىء ؟ قال فى الدنيا : فنفض يده وقال : ظننت أنه يتكلم فى شىء ، والدنيا لاشىء ، إيش يزهد فيها .

ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب المعمورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه من باب الملك كلب على بابه فألقى إليه لقمة من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ أمره فى جميع مملكته ، أفترى أنه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز ألقاها إلى كلبه فى مقابلة ماقدناله ؟ فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع ، والدنيا كلقمة خبز إن أكلت فلذتها فى حال المضغ وتنقضى على القرب بالابتلاع ، ثم يبقى ثفلها فى المعدة ، ثم تنتهى إلى النتن والقذر ، ثم يحتاج بعد ذلك إلى إخراج ذلك الثفل فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت إليها ونسبة الدنيا كلها أعنى مايسلم لكل شخص منها وإن عمر مائة سنة بالإضافة إلى نعيم الآخرة أقل من لقمة بالإضافة إلى ملك الدنيا ، إذ لا نسبة للمتناهى إلى مالا نهاية له ، والدنيا متناهية على القرب ، ولو كانت تتمادى ألف ألف سنة صافية عن كل كدر لكان لانسبة لها إلى نعيم الأبد ، فكيف ومدة العمر قصيرة ولذات الدنيا مكدرة غير صافية ، فأى نسبة لها إلى نعيم الأبد ، فإذن لايلتفت الزاهد إلى زهده إلا إذا التفت إلى مازهد فيه ، ولا يلتفت إلى مازهد فيه إلا لأنه يراه شيئاً معتدا به ، ولا يراه شيئا معتدا به إلا لقصور معرفته ، فسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة ، فهذا تفاوت درجات الزهد ، وكل درجة من هذه أيضا لها درجات ، إذ تصبر المتزهد يختلف ويتفاوت أيضا باختلاف قدر المشقة فى الصبر ، وكذلك درجة المعجب بزهده بقدر التفاته إلى زهده .

وأما انقسام الزهد بالإضافة إلى المرغوب فيه فهو أيضا على ثلاث درجات : (الدرجة السفلى) أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر مابين يدى العبد من الأهوال كما وردت به الأخبار ، إذ فيها « إن الرجل ليوقف فى الحساب حتى لو وردت مائة بعير عطاشا على عرقه لصدرت رواه [1] » فهذا هو زهد الخائفين وكأنهم رضوا بالعدم لو أعدموا ، فإنّ الخلاص من الألم يحصل بمجرد العدم . (الدرجة الثانية) أن يزهد رغبة فى ثواب الله ونعيمه واللذات الموعودة فى جنته من الحور والقصور وغيرها ، وهذا زهد الراجين ، فإنّ هؤلاء ماتركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الألم بل طمعوا فى وجود دائم ونعيم سرمد لا آخر له (الدرجة الثالثة) وهى العليا : أن لايكون له رغبة إلا فى الله وفى لقائه ، فلا يلتفت قلبه إلى الآلام ليقصد الخلاص منها ولا إلى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها ، بل هو مستغرق الهم بالله تعالى ؛ وهو الذى أصبح وهمومه هم واحد ؛ وهو الموحد الحقيق الذى لايطلب غير الله تعالى ؛ لأن من طلب غير الله فقد عبده ، وكل مطلوب معبود ؛ وكل طالب عبد بالإضافة إلى مطلبه ، وطلب غير الله من الشرك الخفى ، وهذا زهد

(١) حديث « ان الرجل ليوقف فى الحساب حتى لو وردت مائة بعير عطاشا على عرقه لصدرت رواه » أخرجه أحمد من حديث ابن عباس « التقى مؤمنان على باب الجنة : مؤمن غنى ، ومؤمن فقير ... الحديث ، وفيه : « انى حبست بعدك محبسا فظيعا كربها ، اوصلت اليك حتى سال منى العرق ما لو ورده ألف بعير أكلة حمض لصدرت عنه رواه » وفيه دريد غير منسوب يحتاج الى معرفته قال أحمد : حديثه مثله .

المحبين وهم العارفون لأنه لا يحب الله تعالى خاصة إلا من عرفه ، وكما أنّ من عرف الدينار والدرهم وعلم أنه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب إلا الدينار ، فكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر إلى وجهه الكريم وعرف أنّ الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالحور العين والنظر إلى نقش القصور وخضرة الأشجار غير ممكن ، فلا يحب إلا لذة النظر ولا يؤثر غيره ، ولا تظنن أنّ أهل الجنة عند النظر إلى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور والقصور متسع فى قلوبهم ، بل تلك اللذة بالإضافة إلى لذة نعيم أهل الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الأرض ورقاب الخلق بالإضافة إلى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به ، والطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب كالصبى الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك ، وذلك لقصوره عن إدراك لذة الملك لا لأنّ اللعب بالعصفور فى نفسه أعلى وألذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق .

وأما انقسامه بالإضافة إلى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الأقاويل ، ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول فلا نشتغل بنقل الأقاويل ، ولكن نشير إلى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح أنّ أكثر ما ذكر فيه قاصر عن الإحاطة بالكل . فنقول : المرغوب عنه بالزهد له إجمال وتفصيل ، ولتفصيله مراتب بعضها أشرح لآحاد الأقسام وبعضها أجمل للجمل . أما الإجمال فى الدرجة الأولى : فهو كل ماسوى الله ، فينبغى أن يزهد فيه حتى يزهد فى نفسه أيضا ، والإجمال فى الدرجة الثانية : أن يزهد فى كل صفة للنفس فيها متعة ، وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها . وفى الدرجة الثالثة : أن يزهد فى المال والجاه وأسبابهما إذ إليهما ترجع جميع حظوظ النفس . وفى الدرجة الرابعة : أن يزهد فى العلم والقدرة والدينار والدرهم والجاه إذ الأموال وإن كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وإن كثرت أسبابه فيرجع إلى العلم والقدرة وأعنى به كل علم وقدرة مقصودها ملك القلوب ، إذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها ، كما أنّ معنى المال ملك الأعيان والقدرة عليها فإن جاوزت هذا التفصيل إلى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر . وقد ذكر الله تعالى فى آية واحدة سبعة منها فقال ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا ﴾ ثم رده فى آية أخرى إلى خمسه فقال عزوجل ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ﴾ ثم رده تعالى فى موضع آخر إلى اثنين فقال تعالى ﴿ وإنما الحياة الدنيا لعب ولهو ﴾ ثم رد الكل إلى واحد فى موضع آخر فقال ﴿ ونهى النفس عن الهوى فإنّ الجنة هى المأوى ﴾ فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس فى الدنيا ، فينبغى أن يكون الزهد فيه . وإذا فهمت طريق الإجمال والتفصيل عرفت أنّ البعض من هذه لا يخالف البعض وإنما يفارقه فى الشرح مرة والإجمال أخرى .

فالحاصل أنّ الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ، ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء فى الدنيا فقصر أمله لامحالة ، لأنه إنما يريد البقاء ليتمتع ويريد التمتع الدائم بإرادة البقاء ؛ فإنّ من أراد شيئا أراد دوامه ، ولامعنى لحب الحياة إلا حب دوام ماهو موجود أو ممكن فى هذه الحياة ، فإذا رغب عنها لم يردها ، ولذلك لما كتب عليهم القتال ﴿ قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب ﴾ فقال تعالى ﴿ قل متاع الدنيا قليل ﴾ أى لستم تريدون البقاء إلا لمتاع الدنيا ، فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين . أما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا فى سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص وانتظروا إحدى الحسنيين ، وكانوا إذا دعوا إلى القتال يستنشقون رائحة الجنة ويبادرون إليه مبادرة الظمآن إلى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله

أو نيل رتبة الشهادة ، وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة ، حتى إنّ خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه لما احتضر للموت على فراشه كان يقول : كم غررت بروحى وهجمت على الصفوف طمعا فى الشهادة وأنا الآن أموات موت العجائز ، فلما مات عدّ على جسده ثمانمائة ثقب من آثار الجراحات ، هكذا كان حال الصادقين فى الإيمان رضى الله تعالى عنهم أجمعين . وأما المنافقون ، ففرّوا من الزحف خوفا من الموت فقيل لهم ﴿ إنّ الموت الذين تفرّون منه فانه ملاقيكم ﴾ فإيثارهم البقاء على الشهادة استبدال الذى هو أدنى بالذى هو خير ، فأولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين . وأما المخلصون ، فإنّ الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة ، فلما رأوا أنهم تركوا تمتع عشرين سنة مثلا أو ثلاثين سنة بتمتع الأبد استبشروا ببيعهم الذى بايعوا به ، فهذا بيان المزهود فيه .

وإذا فهمت هذا علمت أنّ ما ذكره المتكلمون فى حدّ الزهد لم يشيروا به إلا إلى بعض أقسامه فذكر كل واحد منهم ما رآه غالبا على نفسه أو على من كان يخاطبه ، فقال بشر رحمه الله تعالى : الزهد فى الدنيا هو الزهد فى الناس ، وهذا إشارة إلى الزهد فى الجاه خاصة . وقال قاسم الجوعى : الزهد فى الدنيا هو الزهد فى الجوف ، فبقدر ما تملك من بطنك كذلك تملك من الزهد ، وهذا إشارة إلى الزهد فى شهوة واحدة ، ولعمرى هى أغلب الشهوات على الأكثر وهى المهيجة لأكثر الشهوات . وقال الفضيل : الزهد فى الدنيا هو القناعة ، وهذا إشارة إلى المال خاصة . وقال الثورى : الزهد هو قصر الأمل ، وهو جامع لجميع الشهوات ، فإنّ من يميل إلى الشهوات يحدّث نفسه بالبقاء فيطول أمله ، ومن قصر أمله فكأنه رغب عن الشهوات كلها . وقال أويس : إذا خرج الزاهد يطلب ذهب الزهد عنه ، وماقصد بهذا حدّ الزهد ولكن جعل التوكل شرطا فى الزهد . وقال أويس أيضا : الزهد هو ترك الطلب للمضمون ، وهو إشارة إلى الرزق وقال أهل الحديث : حب الدنيا هو العمل بالرأى والمعقول ، والزهد إنما هو أتباع العلم ولزوم السنة ، وهذا إن أريد به الرأى الفاسد والمعقول الذى يطلب به الجاه فى الدنيا فهو صحيح ، ولكنه إشارة إلى بعض أسباب الجاه خاصة أو إلى بعض ما هو من فضول الشهوات ، فإنّ من العلوم ما لا فائدة فيه فى الآخرة ، وقد طوّلوها حتى ينقضى عمر الإنسان فى الاشتغال بواحد منها ، فشرط الزاهد أن يكون الفضول أوّل مرغوب عنه عنده ، وقال الحسن : الزاهد الذى إذا رأى أحدا قال ، هذا أفضل منى ، فذهب إلى أنّ الزهد هو التواضع ، وهذا إشارة إلى نفى الجاه والعجب وهو بعض أقسام الزهد . وقال بعضهم : الزهد هو طلب الحلال ، وأين هذا ممن يقول : الزهد هو ترك الطلب كما قال أويس ، ولا شك فى أنه أراد به ترك طلب الحلال وقد كان يوسف بن أسباط يقول : من صبر على الأذى وترك الشهوات وأكل الخبز من الحلال فقد أخذ بأصل الزهد .

وفى الزهد أقاويل وراء ما نقلناه فلم نر فى نقلها فائدة ، فإن من طلب كشف حقائق الأمور من أقاويل الناس رآها مختلفة فلا يستفيد إلا الحيرة ، وأما من انكشف له الحق فى نفسه وأدركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف من سمعه ، فقد وثق بالحق واطلع على قصور من قصر لقصور بصيرته ، وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته ، وهؤلاء كلهم اقتصروا لا لقصور فى البصيرة لكنهم ذكروا ماذكروه عند الحاجة ، فلا جرم ذكروه بقدر الحاجة ، والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف ، وقد يكون سبب الاقتصار الإخبار عن الحالة الراهنة التى هى مقام العبد فى نفسه والأحوال تختلف ، فلا جرم الأقوال المخبرة عنها تختلف ، وأما الحق فى نفسه

فلا يكون إلا واحدا ولا يتصور أن يختلف ، وإنما الجامع من هذه الأقاويل الكامل فى نفسه وإن لم يكن فيه تفصيل : ما قاله أبو سليمان الدارانى إذ قال : سمعنا فى الزهد كلاما كثيرا ، والزهد عندنا ترك كل شىء يشغلك عن الله عز وجل ، وقد فصل مرة وقال : من تزوج أو سافر فى طلب المعيشة أو كتب الحديث فقد ركن إلى الدنيا فجعل جميع ذلك ضدا للزهد ، وقد قرأ أبو سليمان قوله تعالى ﴿ إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ فقال : هو القلب الذى ليس فيه غير الله تعالى وقال : إنما زهدوا فى الدنيا لتفرغ قلوبهم من همومها للآخرة ، فهذا بيان انقسام الزهد بالإضافة إلى أصناف المزهود فيه ، فأما بالإضافة إلى أحكامه فينقسم إلى فرض ونفل وسلامة ، كما قاله إبراهيم بن أدهم ، فالفرض : هو الزهد فى الحرام . والنفل : هو الزهد فى الحلال . والسلامة : هو الزهد فى الشبهات . وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع فى كتاب الحلال والحرام وذلك من الزهد ، إذ قيل لمالك بن أنس : ما الزهد ؟ قال : التقوى ، وأما بالإضافة إلى خفايا مايتركه فلا نهاية للزهد فيه ، إذ لا نهاية لما تتمتع به النفس فى الخطرات واللحظات وسائر الحالات ، لاسيما خفايا الرياء فإن ذلك لايطلع عليه إلا سماسرة العلماء ، بل الأحوال الظاهرة أيضا درجات الزهد فيها لا تتناهى ، فمن أقصى درجاته زهد عيسى عليه السلام إذ توسد حجرا فى نومه فقال له الشيطان : أما كنت تركت الدنيا فما الذى بدا لك ؟ قال : وما الذى تجدد ؟ قال : توسدك الحجر : أى تنعمت برفع رأسك عن الأرض فى النوم ، فرمى الحجر وقال : خذه مع ما تركته لك . وروى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام أنه لبس المسوح حتى ثقب جلده تركا للتنعم بلين اللباس واستراحة حس اللمس ، فسألته أمه أن يلبس مكان المسح جبة من صوف ففعل ، فأوحى الله تعالى إليه : يا يحيى ، آثرت على الدنيا ، فبكى ونزع الصوف وعاد إلى ما كان عليه . وقال أحمد رحمه الله تعالى : الزهد زهد أويس ، بلغ من العرى أن جلس فى قوصرة . وجلس عيسى عليه السلام فى ظل حائط إنسان فأقامه صاحب الحائط ، فقال : ما أقمتنى أنت إنما أقامنى الذى لم يرض لى أن أتنعم بظل الحائط ، فإذن درجات الزهد ظاهرا وباطنا لاحصر لها ، وأقل درجاته : الزهد فى كل شبهة ومحظور . وقال قوم : الزهد هو الزهد فى الحلال لافى الشبهة والمحظور ، فليس ذلك من درجاته فى شىء ، ثم رأوا أنه لم يبق حلال فى أموال الدنيا فلايتصور الزهد الآن .

* فإن قلت : مهما كان الصحيح هو أن الزهد ترك ماسوى الله فكيف يتصور ذلك مع الأكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وكل ذلك اشتغال بما سوى الله تعالى ؟ فاعلم أن معنى الانصراف عن الدنيا إلى الله تعالى هو الإقبال بكل القلب عليه ذكرا وفكرا ، ولايتصور ذلك إلا مع البقاء ، ولابقاء إلا بضروريات النفس ؛ فمهما اقتصرت من الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشتغلا بغير الله ؛ فإن مالايتوصل إلى الشىء إلا به فهو منه ؛ فالمشتغل بعلف الناقة وبسقيها فى طريق الحج ليس معرضا عن الحج ، ولكن ينبغى أن يكون بدنك فى طريق الله مثل ناقتك فى طريق الحج ، ولاغرض لك فى تنعم ناقتك باللذات ، بل غرضك مقصور على دفع المهلكات عنها حتى تسيربك إلى مقصدك ، فكذلك ينبغى أن تكون فى صيانة بدنك عن الجوع والعطش المهلك بالأكل والشرب ، وعن الحر والبرد المهلك باللباس والمسكن ، فتقصر على قدر الضرورة ولاتقصد التلذذ بل التقوى على طاعة الله تعالى ، فذلك لاينافض الزهد ، بل هو شرط الزهد ، وإن قلت : فلا بد وأن أتلذذ بالأكل عند الجوع ؛ فاعلم أن ذلك لايضرك إذا لم يكن قصدك التلذذ ، فإن شارب الماء البارد قد يستلذ الشرب ويرجع حاصله إلى زوال ألم العطش ، ومن يقضى حاجته قد يستريح بذلك

ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده ومطلوبا بالقصد ، فلا يكون القلب منصرفا إليه ؛ فالإنسان قد يستريح فى قيام الليل بتنسم الأسحار وصوت الأطيار ، ولكن إذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة فما يصيبه من ذلك بغير قصد لا يضره ، ولقد كان فى الخائفين من طلب موضعا لا يصيبه فيه نسيم الأسحار خيفة من الاستراحة به وأنس القلب معه ، فيكون فيه أنس بالدنيا ونقصان فى الأنس بالله بقدر وقوع الأنس بغير الله ، ولذلك كان داود الطائى له جب مكشوف فيه ماؤه فكان لا يرفعه من الشمس ، ويشرب الماء الحار ويقول : من وجد لذة الماء البارد شق عليه مفارقة الدنيا ، فهذه مخاوف المحتاطين والحزم فى جميع ذلك الاحتياط ، فإنه وإن كان شافا فمدته قريبة والاحتياط مدة يسيرة للتنعم على التأبيد ، لا يثقل على أهل المعرفة القاهرين لأنفسهم بسياسة الشرع المعتصمين بعروة اليقين فى معرفة المضادة التى بين الدنيا والدين ، رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة

اعلم أن ما الناس منهمكون فيه ينقسم إلى فضول وإلى مهم ؛ فالفضول كالخيل المسومة مثلا . إذ غالب الناس إنما يقتنيها للترفه بركوبها وهو قادر على المشى والمهم كالأكل والشرب ، ولسنا نقدر على تفصيل أصناف الفضول فإن ذلك لا ينحصر ، وإنما ينحصر المهم الضرورى ، والمهم أيضا يتطرق إليه فضول فى مقداره وجنسه وأوقاته ، فلا بد من بيان وجه الزهد فيه ، والمهمات ستة أمور : المطعم ، والملبس ، والمسكن ، وأثاثه ، والمنكح ، والمال . والجاه يطلب لأغراض . وهذه الستة من جملتها ، وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق وكيفية الاحتراز منه فى كتاب الرياء من ربع المهلكات ، ونحن الآن نقتصر على بيان هذه المهمات الستة .

(الأول المطعم) ولا بد للإنسان من قوت حلال يقيم صلبه ولكن له طول وعرض ، فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد ؛ فأما طوله فبالإضافة إلى جملة العمر ، فإن من يملك طعام يومه فلا يقنع به ، وأما عرضه فى مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله ؛ أما طوله فلا يقصر إلا بقصر الأمل ، وأقل درجات الزهد فيه الاقتصار على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ، ومن هذا حاله فإذا استقل بما تناوله لم يدخر من غدائه لعشائه ، وهذه هى الدرجة العليا . (الدرجة الثانية) أن يدخر لشهر أو أربعين يوما . (الدرجة الثالثة) أن يدخر لسنة فقط ، وهذه رتبة ضعفاء الزهاد ، ومن ادخر لأكثر من ذلك فتسميته زاهدا محال ؛ لأن من أمل بقاء أكثر من سنة فهو طويل الأمل جدا فلا يتم منه الزهد إلا إذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الأخذ من أيدى الناس ، كداود الطائى فإنه ورث عشرين دينارا فأمسكها وأنفقها فى عشرين سنة ؛ فهذا لا يضاد أصل الزهد إلا عند من جعل التوكل شرط الزهد ، وأما عرضه فبالإضافة إلى المقدار ، وأقل درجاته فى اليوم والليلة نصف رطل ، وأوسطه رطل ، وأعلاه مد واحد : وهو ما قدره الله تعالى فى إطعام المسكين فى الكفارة ، وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن والاشتغال به ، ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن له من الزهد فى البطن نصيب ، وأما بالإضافة إلى الجنس فأقله كل ما يقوت ، ولو الخبز من النخالة ، وأوسطه خبز الشعير والذرة ، وأعلاه خبز البر غير منخول ، فإذا ميز من النخالة وصار حوارى فقد دخل فى التنعم وخرج عن آخر أبواب الزهد فضلا عن أوائله . وأما الأدم : فأقله الملح أو البقل والخل ، وأوسطه الزيت أو يسير من الأدهان أى دهن كان ، وأعلاه اللحم أى لحم كان ، وذلك فى الأسبوع مرة أو مرتين ، فإن صار دائما أو أكثر من مرتين فى الأسبوع خرج عن آخر أبواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهدا فى البطن أصلا ، وأما بالإضافة إلى الوقت فأقله فى اليوم والليلة مرة وهو أن يكون صائما ، وأوسطه

أن يصوم ويشرب ليلة ولا يأكل ، ويأكل ليلة ولا يشرب ، وأعلاه أن ينتهى إلى أن يطوى ثلاثة أيام أو أسبوعا وما زاد عليه ، وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرهه فى ربع المهلكات ، ولينظر إلى أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم فى كيفية زهدهم فى المطاعم وتركهم الأدم :

قالت عائشة رضى الله تعالى عنها : كانت تأتى علينا أربعون ليلة وما يوقد فى بيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مصباح ولا نار . قيل لها : فبم كنتم تعيشون ؟ قالت : بالأسودين التمر والماء [1] . وهذا ترك اللحم والمرقة والأدم .

وقال الحسن : كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف وينتعل المخصوف ويلعق أصابعه ويأكل على الأرض . ويقول « إنما أنا عبد آكل كما تأكل العبيد ، وأجلس كما تجلس العبيد [2] » .

وقال المسيح عليه السلام : بحق أقول لكم ، إنه من طلب الفردوس فخبز الشعير له والنوم على المزابل مع الكلاب كثير .

وقال الفضيل ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر [3]

وكان المسيح صلى الله عليه وسلم يقول : يا بنى إسرائيل ، عليكم بالماء القراح والبقل البرى وخبز الشعير ، وإياكم وخبز البر ، فإنكم لن تقوموا بشكره . وقد ذكرنا سيرة الأنبياء والسلف فى المطعم والمشرب فى ربع المهلكات فلا نعيده .

ولما أتى النبى صلى الله عليه وسلم أهل قباء أتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل ، فوضع القدح من يده وقال « أما إنى لست أحرمه ولكن أتركه تواضعا لله تعالى [4] » .

وأتى عمر رضى الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل فى يوم صائف فقال : اعزلوا عنى حسابها . وقد قال يحيى ابن معاذ الرازى : الزاهد الصادق قوته ما وجد ، ولباسه ما ستر ، ومسكنه حيث أدرك ، الدنيا سجنه ، والقبر مضجعه ، والخلوة مجلسه ، والاعتبار فكرته ، والقرآن حديثه ، والرب أنيسه ، والذكر رفيقه ، والزهد قرينه ، والحزن شأنه ، والحياء شعاره ، والجوع إدامه ، والحكمة كلامه ، والتراب فراشه ، والتقوى زاده ، والصمت غنيمته والصبر معتمده ، والتوكل حسبه ، والعقل دليله ؛ والعبادة حرفته والجنة مبلغه إن شاء الله تعالى .

(المهم الثانى) الملبس . وأقل درجته : ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة . وهو كساء يتغطى به . وأوسطه : قميص وقلنسوة ونعلان وأعلاه . أن يكون معه منديل وسراويل . وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حد الزهد . وشرط الزاهد : أن لا يكون له ثوب يلبسه إذا غسل ثوبه . بل يلزمه القعود فى البيت . فإذا صار صاحب قميصين وسراويلين ومنديلين فقد خرج من جميع ألوان الزهد من حيث المقدار . أما الجنس فأقله المسوح

---

(١) حديث عائشة : كانت تأتى أربعون ليلة وما يوقد فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار ... الحديث » أخرجه ابن ماجه من حديث عائشة : كان يأتى على آل محمد الشهر مايرى فى بيت من بيوته دخان ... الحديث . وفى رواية له : مايوقد فيه بنار . ولأحمد : كان يمر بنا هلال وهلال مايوقد فى بيت من بيوته نار . وفى رواية له : ثلاثة أهلة .

(٢) حديث الحسن : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار الحديث ، تقدم دون قوله « انما أنا عبد » فإنه ليس من حديث الحسن ، انما هو من حديث عائشة وقد تقدم .

(٣) حديث : ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر ، تقدم .

(٤) حديث : لما أتى أهل قباء أتوه بشربة من لبن بعسل فوضع القدح من يده ... الحديث ، تقدم .

الخشنة وأوسطه الصوف الخشن وأعلاه القطن الغليظ . وأما من حيث الوقت ، فأقصاه مايستر سنة ، وأقله مايبقى يوما ، حتى رقع بعضهم ثوبه بورق الشجر وإن كان يتسارع الجفاف إليه ، وأوسطه مايتماسك عليه شهرا ومايقاربه فطلب ما يبقى أكثر من سنة خروج إلى طول الأمل وهو مضاد للزهد ، وإلا إذا كان المطلوب خشونته ، ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه ؛ فمن وجد زيادة من ذلك فينبغى أن يتصدق به ، فإن أمسكه لم يكن زاهدا بل كان محبا للدنيا ، ولينظر فيه إلى أحوال الأنبياء والصحابة كيف تركوا الملابس : قال أبو بردة : أخرجت لنا عائشة رضى الله تعالى عنها كساء ملبدا وإزارا غليظا فقالت : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذين [1] وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يحب المتبذل الذى لا يبالى ما لبس [2] » وقال عمرو بن الأسود العنسى : لا ألبس مشهورا أبدا ، ولا أنام بليل أبدا على دثار أبدا ، ولا أركب على مأثور أبدا ، ولا املأ جوفى من طعام أبدا فقال عمر : من سره أن ينظر إلى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى عمرو بن الأسود [3] . وفى الخبر « ما من عبد لبس ثوب شهرة إلا أعرض الله عنه حتى ينزعه وإن كان عنده حبيبا [4] » واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا بأربعة دراهم . [5]

وكانت قيمة ثوبيه عشرة [6] وكان إزاره أربعة أذرع ونصفا [7] واشترى سراويل بثلاثة دراهم [8] . وكان يلبس شملتين بيضاوين من صوف [9] وكانت تسمى حلة لأنها ثوبان من جنس واحد ، وربما كان يلبس بردين يمانيين أو سحوليين من هذه الغلاظ . وفى الخبر : كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قميص زيات [10] . ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما واحدا ثوبا سيراء من سندس قيمته مائتا درهم [11] فكان أصحابه يلمسونه ويقولون

---

(١) حديث أخرجت عائشة كساء ملبدا وازارا غليظا فقالت . قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذين . رواه الشيخان وقد تقدم فى آداب المعيشة ، (٢) حديث « ان الله يحب المتبذل لايبالى مالبس » لم أجد له أصلا .

(٣) حديث عمر « من سره أن ينظر الى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر الى هدى عمرو بن الأسود » رواه أحمد بإسناد جيد . (٤) حديث « مامن عبد لبس ثوب شهرة ... الحديث » رواه ابن ماجه من حديث أبى ذر بإسناد جيد دون قوله « وان كان عنده حبيبا » . (٥) حديث . اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا بأربعة دراهم . أخرجه أبو يعلى من حديث أبى هريرة ، قال دخلت يوما السوق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس الى البزازين فاشترى سراويل بأربعة دراهم ... الحديث ، واسناده ضعيف .

(٦) حديث : كان قيمة ثوبيه عشرة دراهم ، لم أجده . (٧) حديث : كان ازاره أربعة أذرع ونصفا . أخرجه أبو الشيخ فى كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عروة بن الزبير مرسلا : كان رداء رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أذرع ، وعرضه ذراعان ونصف ... الحديث ، وفيه ابن لهيعة . وفى طبقات ابن سعد من حديث أبى هريرة : كان له ازار من نسج عمان طوله أربعة أذرع وشبر فى ذراعين وشبر ، وفيه محمد بن عمر الواقدى .

(٨) حديث : اشترى سراويل بثلاثة دراهم ، المعروف أنه اشتراه بأربعة دراهم تقدم عند أبى يعلى ، وشراؤه السراويل عند أصحاب السنن من حديث سويد بن قيس إلا أنه لم يذكر فيه مقدار ثمنه ، قال الترمذى : حسن صحيح .

(٩) حديث : كان يلبس شملتين بيضاوين من صوف وكانت تسمى حلة لأنها ثوبان من جنس واحد ، وربما كان يلبس بردين يمانيين أو سحوليين من هذه الغلاظ ، تقدم فى آداب وأخلاق النبوة لبسه للشملة والبرد والحبرة . وأما لبسه الحلة ففى الصحيحين من حديث البراء : رأيته فى حلة حمراء ولأبى داود من حديث ابن عباس حين خرج الى الحرورية وعليه أحسن مايكون من حلل اليمن وقال : رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلل . وفى الصحيحين من حديث عائشة : أنه صلى الله عليه وسلم قبض فى ثوبين أحدهما ازار غليظ مما يصنع باليمن ، وتقدم فى آداب المعيشة . ولأبى داود والترمذى والنسائى من حديث أبى رمثة : وعليه بردان أخضران ، سكت عليه أبو داود واستغربه الترمذى . وللبزار من حديث قدامة الكلابى : وعليه حلة حبرة وفيه عريف بن ابراهيم لايعرف ، قاله الذهبى .

(١٠) حديث : كان قميصه كأنه قميص زيات . أخرجه الترمذى من حديث أنس بسند ضعيف : كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته حتى كأن ثوبه ثوب زيات . (١١) حديث : لبس يوما واحدا ثوبا سيراء من سندس قيمته مائتا درهم اهداه له المقوقس ثم نزعه ... الحديث .

يارسول الله أنزل عليك هذا من الجنة تعجبا ـ وكان قد أهداه إليه المقوقس ملك الإسكندرية ، فأراد أن يكرمه بلبسه ، ثم نزعه وأرسل به إلى رجل من المشركين وصله به ، ثم حرم لبس الحرير والديباج . وكأنه إنما لبسه أولا تأكيدا للتحريم ، كما لبس خاتما من ذهب يوما ثم نزعه[1] فحرم لبسه على الرجال ، وكما قال لعائشة فى شأن بريرة « اشترطى لأهلها الولاء[2] » فلما اشترطته صعد عليه السلام المنبر فحرمه ، وكما أباح المتعة ثلاثا ثم حرمها لتأكيد أمر النكاح[3] وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خميصة لها علم ، فلما سلم قال : شغلنى النظر إلى هذه ، اذهبوا بها إلى أبى جهم وائتونى بأنبجانيته[4] يعنى كساءه ، فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم ، وكان شراك نعله قد أخلق فأبدل بسير جديد فصلى فيه ، فلما سلم قال « أعيدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الجديد فإنى نظرت إليه فى الصلاة » ولبس خاتما من ذهب ونظر إليه على المنبر نظرة فرمى به فقال « شغلنى هذا عنكم ، نظرة إليه ونظرة إليكم[5] » وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى مرة نعلين جديدين ؛ فأعجبه حسنهما ، فخر ساجدا وقال « أعجبنى حسنهما فتواضعت لربى خشية أن يمقتنى » ثم خرج بهما فدفعهما إلى أول مسكين رآه[6] . وعن سنان بن سعد قال : حيكت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من صوف أنمار وجعلت حاشيتها سوداء فلما لبسها قال « انظروا ما أحسنها ! ما ألينها ! » قال : فقام إليه أعرابى فقال يا رسول الله هبها لى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سئل شيئا لم يبخل به ، قال : فدفعها إليه وأمر أن يحاك له واحدة أخرى ، فمات صلى الله عليه وسلم وهى فى المحاكة[7] . وعن جابر قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة رضى الله تعالى عنها وهى تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الإبل ، فلما نظر إليها بكى وقال « يافاطمة ؛ تجرعى مرارة الدنيا لنعيم الأبد » فأنزل الله عليه ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى[8] ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ من خيار أمتى فيما أنبأنى الملأ الأعلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله تعالى ، ويبكون سرا من خوف عذابه ، مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة ، يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان ؛ أجسامهم فى الأرض وأفئدتهم عند العرش[9] فهذه كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الملابس وقد أوصى أمته عامة باتباعه ، إذ قال « من أحبنى فليستن بسنتى[10] » وقال « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ[11] » وقال تعالى ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ﴾ وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضى الله عنها خاصة وقال « إن أردت اللحوق بى فإياك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعى ثوبا حتى ترقعيه[12] » وعدّ على قميص عمر رضى الله عنه اثنتا عشرة رقعة بعضها من أدم .

---

(١) حديث : لبس يوما خاتما من ذهب ثم نزعه . متفق عليه وقد تقدم . (٢) حديث قال لعائشة فى شأن بريرة « اشترطى لأهلها ... الحديث » متفق عليه من حديثها . (٣) حديث : أباح المتعة ثلاثا ثم حرمها . أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع . (٤) حديث : صلى فى خميصة لها علم ... الحديث ، متفق عليه ، وقد تقدم فى الصلاة .

(٥) حديث : لبس خاتما فنظر إليه على المنبر فرمى به وقال « شغلنى هذا عنكم ... الحديث » تقدم .

(٦) حديث : احتذى نعلين جديدين فأعجبه حسنهما ... الحديث ، تقدم . (٧) حديث سنان بن سعد : حيكت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة صوف من صوف أنمار ... الحديث ، رواه أبو داود الطيالسى والطبرانى من حديث سهل بن سعد دون قوله : وأمر أن يحاك له أخرى ، فهى عند الطبرانى فقط ، وفيه زمعة بن صالح ضعيف ، ويقع فى كثير من نسخ الإحياء : سيار بن سعد وهو غلط . (٨) حديث جابر : دخل على فاطمة وهى تطحن بالرحى .. الحديث . أخرجه أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق بإسناد ضعيف . (٩) حديث إن من خيار أمتى فيما آتانى الملأ الأعلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ، ويبكون سرا من خوف عذابه ... الحديث ، تقدم ، وهو عند الحاكم والبيهقى فى الشعب وضعفه .

(١٠) حديث « من أحبنى فليستن بسنتى » تقدم فى النكاح . (١١) حديث « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين ... الحديث » رواه أبو داود والترمذى وصححه ، وابن ماجه من حديث العرباض بن سارية . (١٢) حديث قال لعائشة « إن أردت اللحوق بى فإياك ومجالسة الأغنياء » أخرجه الترمذى وقال غريب ، والحاكم وصححه من حديث عائشة ، وقد تقدم .

واشترى على بن أبى طالب كرم الله وجهه ثوبا بثلاثة دراهم ولبسه وهو فى الخلافة وقطع كميه من الرسغين وقال الحمد لله الذى كسانى هذا من رياشه . وقال الثورى وغيره : ألبس من الثياب مالا يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال ، وكان يقول : إن الفقير ليمرّ بى وأنا أصلى فأدعه يجوز ، ويمرّ بى واحد من أبناء الدنيا وعليه هذه البزة فأمقته ولا أدعه يجوز . وقال بعضهم قوّمت ثوبى سفيان ونعليه بدرهم وأربعة دوانق . وقال ابن شبرمة : خير ثيابى ماخدمنى وشرها ماخدمته . وقال بعض السلف : البس من الثياب مايخلطك بالسوقة ، ولا تلبس منها مايشهرك فينظر إليك . وقال أبو سليمان الدارانى : الثياب ثلاثة : ثوب لله وهو مايستر العورة ، وثوب للنفس وهو مايطلب لينه ، وثوب للناس وهو مايطلب جوهره وحسنه . وقال بعضهم : من رق ثوبه رق دينه . وكان جمهور العلماء من التابعين قيمة ثيابهم مابين العشرين إلى الثلاثين درهما ، وكان الخواص لايلبس أكثر من قطعتين قميص ومئزر تحته ، وربما يعطف ذيل قميصه على رأسه . وقال بعض السلف : أوّل النسك الزى ، وفى الخبر « البذاذة من الإيمان » وفى الخبر « من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعاً لله تعالى وابتغاء لوجهه كان حقا على الله أن يدخر له من عبقرى الجنة فى تخات الياقوت » وأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه : قل لأوليائى لايلبسوا ملابس أعدائى ولا يدخلوا مداخل أعدائى فيكونوا أعدائى كما هم أعدائى . ونظر رافع بن خديج إلى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو يعظ ، فقال : انظروا إلى أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق — وكان عليه ثياب رقاق ، وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة إلى أبى ذرّ فى بزته ، فجعل يتكلم فى الزهد ، فوضع أبى ذرّ راحته على فيه وجعل يضرط به ، فغضب ابن عامر ، فشكاه إلى عمر فقال : أنت صنعت بنفسك ، تتكلم فى الزهد بين يديه بهذه البزة وقال على كرّم الله وجهه : إن الله تعالى أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا فى مثل أدنى أحوال الناس ليقتدى بهم الغنى ولا يزرى بالفقير فقره . ولما عوتب فى خشونة لباسه قال : هو أقرب إلى التواضع وأجدر أن يقتدى به المسلم . ونهى صلى الله عليه وسلم عن التنعم وقال « إن لله تعالى عبادا ليسوا بالمتنعمين[1] » ورؤى فضالة بن عبيد وهو والى مصر أشعث حافيا فقيل له : أنت الأمير وتفعل هذا ؟ فقال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإرفاه ، وأمرنا أن نحتفى أحيانا[2] . وقال على لعمر رضى الله عنهما : إن أردت أن تلحق بصاحبيك فارفع القميص ونكس الإزار واخصف النعل وكل دون الشبع . وقال عمر : اخشوشنوا وإياكم وزى العجم كسرى وقيصر ، وقال على كرم الله وجهه : من تزيا بزى قوم فهو منهم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ من شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب ويتشدّقون فى الكلام[3] » وقال صلى الله عليه وسلم « أزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه ، ولاجناح عليه فيما بينه وبين الكعبين ، وما أسفل من ذلك ففى النار ، ولا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرّ إزاره بطرا[4] » وقال أبو سليمان الدارانى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايلبس الشعر من أمتى إلا مراء أو أحمق[5] » وقال الأوزاعى : لباس الصوف فى السفر سنة ، وفى الحضر بدعة . ودخل محمد بن واسع

---

(١) حديث : نهى عن التنعم وقال « إن لله عبادا ليسوا بالمتنعمين » أخرجه أحمد من حديث معاذ ، وقد تقدم .

(٢) حديث فضالة بن عبيد : نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإرفاه ، وأمرنا أن نحتفى أحيانا . أخرجه أبو داود بإسناد جيد .

(٣) حديث « إن من شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم ... الحديث » رواه الطبرانى من حديث أبى أمامة بإسناد ضعيف « سيكون رجال من أمتى يأكلون ألوان الطعام ... الحديث » وآخره « أولئك شرار أمتى » وقد تقدم .

(٤) حديث « ازرة المؤمن الى أنصاف ساقيه ... الحديث » رواه مالك وأبو داود والنسائى وابن حبان من حديث أبى سعيد ورواه أيضاً النسائى من حديث أبى هريرة قال محمد بن يحيى الذهلى : كلا الحديثين محفوظ .

(٥) حديث أبى سليمان « لايلبس الشعر من أمتى الا مراء أو أحمق » لم أجد له إسنادا .

على قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوف ؛ فقال له قتيبة : مادعاك إلى مدرعة الصوف ؟ فسكت فقال : أكلك ولاتجيبنى ! فقال أكره أن أقول زهدا فأزكى نفسى ، أو فقراً فأشكو ربى . وقال أبو سليمان : لما اتخذ الله إبراهيم خليلا أوحى إليه : أن وار عورتك من الأرض ، وكان لايتخذ من كل شيء إلا واحداً سوى السراويل؛ فإنه كان يتخذ سراويلين ! فاذا غسل أحدهما لبس الآخر حتى لايأتى عليه حال إلا وعورته مستورة ، وقيل لسلمان الفارسى رضى الله عنه : مالك لاتلبس الجيد من الثياب ؟ فقال وما للعبد والثوب الحسن ، فإذا عتق فله والله ثياب لاتبلى أبدا . ويروى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه كان له جبة شعر وكساء شعر يلبسهما من الليل إذا قام يصلى . وقال الحسن لفرقد السبخى : تحسب أن لك فضلا على الناس بكسائك ، بلغنى أنّ أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية نفاقا . وقال يحيى بن معين : أرأيت أبا معاوية الأسود وهو يلتقط الخرق من المزابل ويغسلها ويلفقها ويلبسها ، فقلت : إنك تكسى خيرا من هذا ! فقال : ماضرهم ما أصابهم فى الدنيا جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة ، فجعل يحيى ابن معين يحدث بها ويبكى .

﴿ المهم الثالث ﴾ المسكن ، وللزهد ، فيه أيضا ثلاث درجات (أعلاها) أن لا يطلب موضعا خاصا لنفسه فيقنع بزوايا المساجد كأصحاب الصفة . (وأوسطها) أن يطلب موضعا خاصا لنفسه مثل كوخ مبنى من سعف أو خص أو مايشبهه (وأدناها) أن يطلب حجرة مبنية إما بشراء أو إجارة ؛ فإن كان قدر سعة المسكن على قدر حاجته من غير زيادة ولم يكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن آخر درجات الزهد ، فإن طلب التشييد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف أكثر من ستة أذرع فقد جاوز بالكلية حدّ الزهد فى المسكن ؛ فاختلاف جنس البناء بأن يكون من الجص أو القصب أو بالطين أو بالآجر ، واختلاف قدره بالسعة والضيق ، واختلاف طوله بالإضافة إلى الأوقات بأن يكون مملوكا أو مستأجراً أو مستعاراً ، والزهد مدخل فى جميع ذلك . وبالجملة كل مايراد للضرورة فلا ينبغى أن يجاوز حدّ الضرورة ، وقدر الضرورة من الدنيا آلة الدين ووسيلته ، وماجاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من المسكن دفع المطر والبرد ودفع الأعين والأذى، وأقل الدرجات فيه معلوم ، وما زاد عليه فهو الفضول والفضول كله من الدنيا وطالب الفضول والساعى له بعيد من الزهد جدّاً ، وقد قيل : أوّل شيء ظهر من طول الأمل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم التدريز والتشييد ، يعنى بالتدريز : كف دروز الثياب فإنها كانت تشل شلا والتشييد : هو البنيان بالجص والآجر ، وإنما كانوا يبنون بالسعف والجريد[1] . وقد جاء فى الخبر «يأتى على الناس زمان يوشون ثيابهم كما توشى البرود اليمانية ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس أن يهدم علية كان قد علا بها[2] . ومر عليه السلام بجنبذة معلاة فقال « لمن هذه ؟ » قالوا لفلان ، فلما جاءه الرجل أعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسأل الرجل أصحابه عن تغيير وجهه صلى الله عليه وسلم فأخبر ، فذهب فهدمها ؛ فمر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالموضع فلم يرها . فأخبر بأنه هدمها فدعا له بخير[3]

---

(١) حديث : كانت الثياب تشل شلا وكانوا يبنون بالسعف والجريد . أما شل الثياب من غير كف فروى الطبرانى والحاكم أن عمر قطع مافضل عن الأصابع من غير كف وقال . هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما البناء ففى الصحيحين من حديث أنس فى قصة بناء مسجد المدينة : فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه الحجارة ... الحديث ، ولهما من حديث أبى سعيد : كان المسجد على عريش فوكف المسجد ؟ (٢) حديث : أمر العباس أن يهدم علية له كان قد علاها . رواه الطبرانى من رواية أبى العالية أن العباس بنى غرفة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « اهدمها ... الحديث » وهو منقطع .

(٣) حديث : مر بجنبذة معلاة فقال « لمن هذه ؟ » فقالوا : لفلان ، فلما جاءه الرجل أعرض عنه ... الحديث . أخرجه أبو داود من حديث أنس بإسناد جيد بلفظ : فرأى قبة مصرفة الحديث ، والجنبذة القبة .

وقال الحسن : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة [١] وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله بعبد شراً أهلك ماله فى الماء والطين [٢] » وقال عبد الله بن عمر : مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا ، فقال « ماهذا ؟ » قلنا خص لنا قد وهى فقال : أرى الأمر أعجل من ذلك [٣] » واتخذ نوح عليه السلام بيتاً من قصب ، فقيل له : لو بنيت ؟ فقال : هذا كثير لمن يموت. وقال الحسن دخلنا على صفوان بن محريز وهو فى بيت من قصب قد مال عليه ، فقيل له : لو أصلحته ؟ فقال : كم من رجل قدمات وهذا قائم على حاله . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من بنى فوق مايكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة [٤] » وفى الخبر « كل نفقة فى الأرض يؤجر عليها إلا ما أنفقه فى الماء والطين [٥] » وفى قوله تعالى ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الأرض ولا فسادا ﴾ إنه الرياسة والتطاول فى البنيان . وقال صلى الله عليه وسلم كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما أكنّ من حرّ أو برد [٦] » وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذى شكا إليه ضيق منزله « اتسع فى السماء [٧] » أى فى الجنة ، ونظر عمر رضى الله عنه فى طريق الشام إلى صرح قد بنى بجص وآجر ، فكبر وقال : ماكنت أظنّ أن يكون فى هذه الأمة من يبنى بنيان هامان لفرعون ؛ يعنى قول فرعون ﴿ فأوقد لى ياهامان على الطين ﴾ يعنى به الآجر ، ويقال : إنّ فرعون هو أوّل من بنى له بالجص والآجر ، وأوّل من عمله هامان ، ثم تبعهما الجبابرة ، وهذا هو الزخرف ورأى بعض السلف جامعا فى بعض الأمصار فقال : أدركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف ، ثم رأيته من رهص ، ثم رأيته الآن مبنيا باللبن ، فكان أصحاب السعف خيراً من أصحاب الرهص ، وكان أصحاب الرهص خير من أصحاب اللبن . وكان من السلف من يبنى داره مرارا فى مدة عمره لضعف بنائه وقصر أمله وزهده فى إحكام البنيان ، وكان منهم من إذا حج أو غزا نزع بيته أو وهبه لجيرانه ، فإذا رجع أعاده ، وكانت بيوتهم من الحشيش والجلود وهى عادة العرب الآن ببلاد اليمن ، وكان ارتفاع بناء السقف قامة وبسطة . قال الحسن : كنت إذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدى إلى السقف . وقال عمرو بن دينار : إذا أعلى العبد البناء فوق ستة أذرع ناداه ملك : إلى أين يا أفسق الفاسقين ؟ وقد نهى سفيان عن النظر إلى بناء مشيد وقال : لولا نظر الناس لما شيدوا فالنظر إليه معين عليه . وقال الفضيل : إنى لم أعجب ممن بنى وترك ، ولكن أعجب ممن نظر إليه ولم يعتبر . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : يأتى قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البرازين ، يصلون إلى قبلتكم ويموتون على غير دينكم .

---

(١) حديث الحسن : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة ... الحديث ، رواه ابن حبان فى الثقات ، وأبو نعيم فى الحلية هكذا مرسلا . والطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة « من سأل عنى أوسره أن ينظر الى فلينظر الى أشعث شاحب مشمر لم يضع لبنة على لبنة .. الحديث » وإسناده ضعيف .

(٢) حديث « إذا أراد الله بعبد شرا أهلك ماله فى الماء والطين » رواه أبو داود من حديث عائشة بإسناد جيد « خضر له فى الطين واللبن حتى يبنى » . (٣) حديث عبد الله بن عمر : مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا لنا قد وهى الحديث . رواه أبو داود والترمذى وصححه وابن ماجه .

(٤) حديث « من بنى فوق مايكفيه كلف يوم القيامة أن يحمله » رواه الطبرانى من حديث ابن مسعود بإسناد فيه لين وانقطاع

(٥) حديث « كل نفقة العبد يؤجر عليهم إلا ماأنفقه فى الماء والطين » رواه ابن ماجه من حديث خباب بن الأرت بإسناد جيد بلفظ : إلا فى التراب أو قال فى البناء .. (٦) حديث « كل بناء وبال على صاحبه إلا ما أكن من حر أو برد » رواه أبو داود من حديث أنس بإسناد جيد بلفظ « إلا مالا » يعنى مالابد منه .

(٧) حديث قال للرجل الذى شكى اليه ضيق منزله « اتسع فى السماء » قال المصنف : أى فى الجنة . رواه أبو داود فى المراسيل من رواية اليسع بن المنيرة قال : شكى خالد بن الوليد فذكره ، وقد وصله الطبرانى فقال عن اليسع بن المنيرة عن أبيه عن خالد ابن الوليد ، إلا أنه قال : ارفع إلى السماء واسأل الله السعة ، وفى إسناده لين .

(المهم الرابع) أثاث البيت ، وللزهد فيه أيضا درجات (أعلاها) حال عيسى المسيح صلوات الله عليه وسلامه وعلى كل عبد مصطفى ، إذ كان لا يصحبه إلا مشط وكوز فرأى إنسانا يمشط لحيته بأصابعه، فرمى بالمشط ،ورأى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى بالكوز ، وهذا حكم كل أثاث ، فإنه إنما يراد لمقصود ، فإذا استغنى عنه فهو وبال فى الدنيا والآخرة . ومالا يستغنى عنه فيقتصر فيه على أقل الدرجات وهو الخزف فى كل ما يكفى فيه الخزف ولا يبالى بأن يكون مكسور الطرف إذا كان المقصود يحصل به (وأوسطها) أن يكون له أثاث بقدر الحاجة صحيح فى نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة فى مقاصد ، كالذى معه قصعة يأكل فيها ويشرب فيها ويحفظ المتاع فيها ، وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة فى أشياء للتخفيف (وأعلاها) أن يكون له بعدد كل حاجة آلة من الجنس النازل الخسيس ، فإن زاد فى العدد أو فى نفاسة الجنس خرج عن جميع أبواب الزهد وركن إلى طلب الفضول،ولينظر إلى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، فقد قالت عائشة رضى الله عنها : كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه وسادة من أدم حشوها ليف [1] . وقال الفضيل : ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عباءة مثنية ووسادة من أدم حشوها ليف [2] . وروى : أنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بشريط ، فجلس ، فرأى أثر الشريط فى جنبه عليه السلام ، فدمعت عينا عمر ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « ما الذى أبكاك يا ابن الخطاب ؟ » قال : ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك ، وذكرتك وأنت حبيب الله وصفيه ورسوله نائم على سرير مرمول بالشريط ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « أما ترضى يا عمر أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة » قال : بلى يارسول الله ؟ قال « فذلك كذلك [3] » ودخل رجل على أبى ذر فجعل يقلب بصره فى بيته فقال : ياأباذر، ما أرى فى بيتك متاعا ولا غير ذلك من الأثاث فقال : إن لنا بيتا نوجه إليه صالح متاعنا ، فقال : إنه لابد لك من متاع ما دمت ههنا ، فقال : إنّ صاحب المنزل لا يدعنا فيه . ولما قدم عمير بن سعيد أمير حمص على عمر رضى الله عنهما قال له : مامعك من الدنيا ؟ فقال : معى عصاى أتوكأ عليها وأقتل بها حية إن لقيتها ، ومعى جرابى أحمل فيه طعامى ، ومعى قصعتى آكل فيها وأغسل فيها رأسى وثوبى ، ومعى مطهرتى أحمل فيها شرابى وطهورى للصلاة، فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معى ، فقال عمر : صدقت رحمك الله وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة رضى الله عنها فرأى على باب منزلها ستر وفى يديها قلبين من فضة ، فرجع ، فدخل عليها أبو رافع وهى تبكى ، فأخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله أبو رافع فقال « من أجل التستر والسوارين » فأرسلت بهما بلالا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالت : قد تصدقت بهما فضعهما حيث ترى ، فقال « اذهب فبعه وادفعه إلى أهل الصفة » فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق بها عليهم ، فدخل عليها صلى الله عليه وسلم فقال « بأبى أنت قد أحسنت [4] » ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب عائشة سترا فهتكه

---

(١) حديث عائشة : كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه وسادة من أدم حشوها ليف . رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح ، وابن ماجه . (٢) حديث : ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عباءة مثنية ووسادة من أدم حشوها ليف . رواه الترمذى فى الشمائل من حديث حفصة بقصة العباءة ، وقد تقدم ، ومن حديث عائشة بقصة الوسادة وقد تقدم قبله بعض طرقه . (٣) حديث دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بشريط النخل فجلس فرأى أثر الشريط فى جنبه ... الحديث ، متفق عليه من حديثه ، وقد تقدم .

(٤) حديث : قدم من سفره فدخل على فاطمة فرأى على منزلها سترا وفى يديها قلبين من فضة فرجع ... الحديث، لم أره بهذا ولأبى داود وابن ماجه من حديث سفينة باسناد جيد : أنه صلى الله عليه وسلم جاء فوضع يديه على عضادتى الباب فرأى القرام قد ضرب فى ناحية البيت فرجع ، فقالت فاطمة لعلى : انظر فأرجعه . الحديث رواه النسائى من حديث ثوبان باسناد جيد قال : =

وقال « كلما رأيته ذكرت الدنيا أرسلى به إلى آل فلان [١] » وفرشت له عائشة ذات ليلة فراشا جديدا وقد كان صلى الله عليه وسلم ينام على عباءة مثنية ؛ فما زال يتقلب ليلته ، فلما أصبح قال لها « أعيدى العباءة الخلقة ونحى هذا الفراش عنى قد أسهرنى الليلة [٢] » وكذلك أتته دنانير خمسة أو ستة ليلا فبيتها ، فسهر ليلته حتى أخرجها من آخر الليل . قالت عائشة رضى الله عنها : فنام حينئذ حتى سمعت غطيطه ثم قال « ماظن محمد بربه لو لقى الله وهذه عنده [٣] » وقال الحسن : أدركت سبعين من الأخيار مالأحدهم إلا ثوبه وماوضع أحدهم بينه وبين الأرض ثوبا قط : كان إذا أراد النوم باشر الأرض بجسمه وجعل ثوبه فوقه .

(المهم الخامس) المنكح ، وقد قال قائلون : لامعنى للزهد فى أصل النكاح ولافى كثرته ، وإليه ذهب سهل ابن عبد الله وقال : قد حبب إلى سيد الزاهدين النساء فكيف نزهد فيهن ؟ ووافقه على هذا القول ابن عيينة وقال : كان أزهد الصحابة على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان له أربع نسوة وبضع عشرة سرية . والصحيح ماقاله أبو سليمان الدارانى رحمه الله إذ قال : كل ماشغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشئوم ، والمرأة قد تكون شاغلا عن الله . وكشف الحق فيه : أنه قد تكون العزوبة أفضل فى بعض الأحوال كما سبق فى كتاب النكاح ، فيكون ترك النكاح من الزهد ، وحيث يكون النكاح أفضل لدفع الشهوة الغالبة فهو واجب ، فكيف يكون تركه من الزهد ؟ وإن لم يكن عليه آفة فى تركه ولافعله ولكن ترك النكاح احترازا عن ميل القلب إليهن والأنس بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله فترك ذلك من الزهد ، فإن علم أن المرأة لاتشغله عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازا من لذة النظر والمضاجعة والمواقعة فليس هذا من الزهد أصلا ، فإن الولد مقصود لبقاء نسله ، وتكثير أمة محمد صلى الله عليه وسلم من القربات ، واللذة التى تلحق الإنسان فيما هو من ضرورة الوجود لاتضره ، إذ لم تكن هى المقصد والمطلب ، وهذا كمن ترك أكل الخبز وشرب الماء احترازا من لذة الأكل والشرب وليس ذلك من الزهد فى شىء ، لأن فى ترك ذلك فوات بدنه ، فكذلك فى ترك النكاح انقطاع نسله ، فلا يجوز أن يترك النكاح زهدا فى لذته من غير خوف آفة أخرى ، وهذا ماعناه سهل لامحالة ، ولأجله نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإذا ثبت هذا فمن حاله حال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أنه لايشغله كثرة النسوة ولااشتغال القلب بإصلاحهن والإنفاق عليهن [٤] فلامعنى لزهده فيهن حذرا من مجرد لذة الوقاع والنظر ، ولكن أنى يتصور ذلك لغير الأنبياء والأولياء ، فأكثر الناس يشغلهم

= جاءت ابنة هبيرة الى النبى صلى الله عليه وسلم وفى يدها فتخ من ذهب .. الحديث . وفيه : أنه وجد فى يد فاطمة سلسلة من ذهب . وفيه « يقول الناس فاطمة بنت محمد فى يدها سلسلة من نار » وأنه خرج ولم يقعد ، فأمرت بالسلسلة فبيعت فاشترت بثمنها عبد فأعتقته ، فلما سمع قال « الحمد لله الذى نجى فاطمة من النار » .

(١) حديث : رأى على باب عائشة سترا فهتكه ... الحديث . أخرجه الترمذى وحسنه ، والنسائى فى الكبرى من حديثها .

(٢) حديث : فرشت له عائشة ذات ليلة فراشا جديدا . وفيه : كان ينام على عباءة مثنية ... الحديث ، رواه ابن حبان فى كتاب أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم من حديثها قالت : دخلت على امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة مثنية فانطلقت فبعثت إلى بفراش حشوه صوف ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ما هذا .. الحديث » وفيه : أنه أمرها برده ثلاث مرات فردته ، وفيه مجالد بن سعيد مختلف فيه ، والمعروف حديث حفصة المتقدم ذكره من الشمائل .

(٣) حديث : أتته دنانير خمسة أوستة عشاء فبيتها فسهر ليله .. الحديث ، وفيه « ماظن محمد بربه لولقى الله وهذه عنده » أخرجه أحمد من حديث عائشة باسناد حسن أنه قال فى مرضه الذى مات فيه « ياعائشة ، مافعلت بالذهب » فجاء مابين الخمسة إلى الثمانية إلى التسعة فجعل يقلبها بيده ويقول « ماظن محمد ... الحديث » وزاد « انفقها » وفى رواية : سبعة أوتسعة دنانير ، وله من حديث أم سلمة باسناد صحيح : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شاهم الوجه ، قالت : فحسبت ذلك من وجع ، فقلت : يانبى الله ، مالك شاهم الوجه ؟ فقال « من أجل الدنانير السبعة التى أتتنا أمس أمسينا وهى فى خصم الفراش » وفى رواية « أمسينا ولم ننفقها »

(٤) حديث : كان لايشغله كثرة النسوة ولااشتغال القلب بإصلاحهن والإنفاق عليهن ، تقدم فى النكاح

كثرة النسوان ، فينبغى أن يترك الأصل إن كان يشغله ، وإن لم يشغله وكان يخاف من أن تشغله الكثرة منهن أو جمال المرأة فلينكح واحدة غير جميلة وليراع قلبه فى ذلك .

قال أبو سليمان : الزهد فى النساء : أن يختار المرأة الدون أو اليتيمة على المرأة الجميلة والشريفة .

وقال الجنيد رحمه الله : أحب للمريد المبتدى أن لا يشغل قلبه بثلاث وإلا تغير حاله : التكسب ، وطلب الحديث والتزوج . وقال : أحب للصوفى أن لا يكتب ولا يقرأ لأنه أجمع لهمه ؛ فإذا ظهر أن لذة النكاح كلذة الأكل فما شغل عن الله فهو محذور فيهما جميعا .

(المهم السادس) مايكون وسيلة إلى هذه الخمسة ، وهو المال والجاه : أما الجاه فمعناه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل به إلى الاستعانة فى الأغراض والأعمال ، وكل من لا يقدر على القيام بنفسه فى جميع حاجته وافتقر إلى من يخدمه افتقر إلى جاه لامحالة فى قلب خادمه ، لأنه إن لم يكن له عنده محل وقدر لم يقم بخدمته ، وقيام القدر والمحل فى القلوب هو الجاه ؛ وهذا له أول قريب ولكن يتمادى به إلى هاوية لاعمق لها ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، وإنما يحتاج إلى المحل فى القلوب إما لجلب نفع أو لدفع ضر أو لخلاص من ظلم ، فأما النفع فيغنى عنه المال فإن من يخدم بأجرة يخدم وإن لم يكن عنده للمستأجر قدر ، وإنما يحتاج إلى الجاه فى قلب من يخدم بغير أجرة ، وأما دفع الضر فيحتاج لأجله إلى الجاه فى بلد لا يكمل فيه العدل ، أو يكون بين جيران يظلمونه ولا يقدر على دفع شرهم إلا بمحل له فى قلوبهم أو محل له عند السلطان ، وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لاسيما إذا انضم إليه الخوف وسوء الظن بالعواقب ، والخائض فى طلب الجاه سالك طريق الهلاك ، بل حق الزاهد أن لا يسعى لطلب المحل فى القلوب أصلا فإن اشتغاله بالدين والعبادة يمهد له من المحل فى القلوب مايدفع به عنه الأذى ولو كان بين الكفار ، فكيف بين المسلمين ، فأما التوهمات والتقديرات التى تحوج إلى زيادة فى الجاه على الحاصل بغير كسب فهى أوهام كاذبة ، إذ من طلب الجاه أيضا لم يخل عن أذى فى بعض الأحوال ، فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر أولى من علاجه بطلب الجاه ، فإذن طلب المحل فى القلوب لا رخصة فيه أصلا ، واليسير منه داع إلى الكثير ، وضراوته أشد من ضراوة الخمر فليحترز من قليله وكثيره . وأما المال فهو ضرورى فى المعيشة أعنى القليل منه ، فإن كان كسوبا فإذا اكتسب حاجة يومه فينبغى أن يترك الكسب ، كان بعضهم إذا اكتسب حبتين رفع سفطه وقام ، هذا شرط الزهد ؛ فإن جاوز ذلك إلى مايكفيه أكثر من سنة فقد خرج عن حد ضعفاء الزهاد وأقويائهم جميعا ، وإن كانت له ضيعة ولم يكن له قوة يقين فى التوكل فأمسك منها مقدار مايكفى ريعه لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر عن الزهد بشرط أن يتصدق بكل مايفضل عن كفاية سنته ، ولكن يكون من ضعفاء الزهاد ، فإن شرط التوكل فى الزهد كما شرطه أويس القرنى رحمه الله ، فلا يكون هذا من الزهاد . وقولنا : إنه خرج من حد الزهاد نعنى به أن ماوعد للزاهدين فى الدار الآخرة من المقامات المحمودة لا يناله ، وإلا فاسم الزهد قد لا يفارقه بالإضافة إلى مازهد فيه من الفضول والكثرة ، وأمر المنفرد فى جميع ذلك أخف من أمر المعيل ، وقد قال أبو سليمان : لا ينبغى أن يرهق الرجل أهله إلى الزهد بل يدعوهم إليه ، فإن أجابوا وإلا تركهم وفعل بنفسه ماشاء : معناه أن التضييق المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه . كل ذلك فى عياله ، نعم لا ينبغى أن يجيبهم أيضا فيما يخرج عن حد الاعتدال ، وليتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذ انصرف من بيت فاطمة رضوان الله عليها بسبب ستر وقلبين ، لأن ذلك من الزينة لا من الحاجة ، فإذاً مايضطر الإنسان إليه من جاه ومال ليس بمحذور ، بل الزائد على الحاجة سم قاتل ، والمقتصر على الضرورة دواء

نافع ، وما بينهما درجات متشابهة ، فما يقرب من الزيادة وإن لم يكن سما قاتلا فهو مضر ، وما يقرب من الضرورة فهو وإن لم يكن دواء نافعا لكنه قليل الضرر والسم محظور شربه ، والدواء فرض تناوله ، ومابينهما مشتبه أمره ، فمن احتاط فإنما يحتاط لنفسه ، ومن تساهل فإنما يتساهل على نفسه ، ومن استبرأ لدينه وترك ما يريبه إلى مالايريبه ورد نفسه إلى مضيق الضرورة فهو الآخذ بالحزم ، وهو من الفرق الناجية لا محالة . والمقتصر على قدر الضرورة والمهم لايجوز أن ينسب إلى الدنيا ، بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لأنه شرط الدين والشرط من جملة المشروط . ويدل عليه ماروى أن إبراهيم الخليل عليه السلام أصابته حاجة فذهب إلى صديق له يستقرضه شيئا فلم يقرضه ، فرجع مهموما ، فأوحى الله تعالى إليه : لو سألت خليلك لأعطاك ، فقال : يارب عرفت مقتك للدنيا فخفت أن أسألك منها شيئا ، فأوحى الله تعالى إليه : ليس الحاجة من الدنيا . فإذن قدر الحاجة من الدين ، وما وراء ذلك وبال فى الآخرة ، وهو فى الدنيا أيضا كذلك يعرفه من يخبر أحوال الأغنياء وما عليهم من المحنة فى كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال الذل فيه ، وغاية سعادته به أن يسلم لورثته فيأكلونه ، وربما يكونون أعداء له ، وقد يستعينون به على المعصية فيكون هو معينا لهم عليها ، ولذلك شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز لايزال ينسج على نفسه حيا ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصا فيموت ويهلك بسبب عمله الذى عمله بنفسه ، فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فإنما يحكم على قلبه بسلاسل تقيده بما يشتهيه حتى تتظاهر عليه السلاسل فيقيده المال والجاه والأهل والولد وشماتة الأعداء ومراءاة الأصدقاء وسائر حظوظ الدنيا ، فلو خطر له أنه قد أخطأ فيه فقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيدا بسلاسل وأغلال لايقدر على قطعها ، ولو ترك محبوبا من محابه باختياره كاد أن يكون قاتلا لنفسه وساعيا فى هلاكه إلى أن يفرق ملك الموت بينه وبين جميعها دفعة واحدة . فتبقى السلاسل فى قلبه معلقة بالدنيا التى فاتته وخلفها فهى تجاذبه إلى الدنيا ، ومخالب ملك الموت قد علقت بعروق قلبه تجذبه إلى الآخرة ، فيكون أهون أحواله عند الموت أن يكون كشخص ينشر بالمنشار ويفصل أحد جانبيه عن الآخر بالمجاذبة من الجانبين ، والذى ينشر بالمنشار إنما ينزل المؤلم ببدنه ويؤلم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث أثره ، فما ظنك بألم يتمكن أولا من صميم القلب مخصوصا به لابطريق السراية إليه من غيره ، فهذا أول عذاب يلقاه قبل مايراه من حسرة فوت النزول فى أعلى عليين وجوار رب العالمين ، فبالنزوع إلى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى ، وعند الحجاب تتسلط عليه نار جهنم ، إذ النار غير مسلطة إلا على محجوب . قال الله تعالى ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ۝ ثم إنهم لصالو الجحيم ﴾ فرتب العذاب بالنار على ألم الحجاب ، وألم الحجاب كاف من غير علاوة النار ، فكيف إذا أضيفت العلاوة إليه ؟ فنسأل الله تعالى أن يقرر فى أسماعنا مانفث فى روع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث قيل له : أحبب من أحببت فإنك مفارقه (١) . وفى معنى ماذكرناه من المثال قول الشاعر :

كدود كدود القز ينسج دائما ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

ولما انكشف لأولياء الله تعالى أن العبد مهلك نفسه بأعماله واتباعه هوى نفسه إهلاك دود القز نفسه : رفضوا الدنيا بالكلية ، حتى قال الحسن : رأيت سبعين بدريا كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم . وفى لفظ آخر : كانوا بالبلاء أشد فرحا منكم بالخصب والرخاء لو رأيتموهم قلتم مجانين ، ولو رأوا خياركم قالوا

(١) حديث : نفث فى روعه أحبب من أحببت فانك مفارقه ، تقدم .

ما لهؤلاء من خلاق ، ولو رأوا اشراركم قالوا مايؤمن هؤلاء بيوم الحساب . وكان أحدهم يعرض لهم المال الحلال فلا يأخذه ويقول : أخاف أن يفسد على قلبي ، فمن كان له قلب فهو لا محالة يخاف من فساده ، والذين أمات حب الدنيا قلوبهم فقد أخبر الله عنهم إذ قال تعالى ﴿ ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون ﴾ وقال عز وجل ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ . وقال تعالى ﴿ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ، ذلك مبلغهم من العلم ﴾ فأحال ذلك كله على الغفلة وعدم العلم ، ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام : احملني معك في سياحتك ، فقال: أخرج مالك والحقني . فقال : لا أستطيع ، فقال عيسى عليه السلام : بعجب يدخل الغني الجنة — أو قال بشدة . وقال بعضهم : ما من يوم ذر شارقه إلا وأربعة أملاك ينادون في الآفاق بأربعة أصوات : ملكان بالمشرق وملكان بالمغرب ، يقول أحدهم بالمشرق : يا باغي الخير هلم ، ويا باغي الشر أقصر ، ويقول الآخر : اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا . ويقول اللذان بالمغرب ، أحدهما : لدوا للموت وابنوا للخراب . ويقول الآخر : كلوا وتمتعوا لطول الحساب .

بيان علامات الزهد

اعلم أنه قد يظن أن تارك المال زاهد ، وليس كذلك ؛ فإن ترك المال وإظهار الخشونة سهل على من أحب المدح بالزهد ، فكم من الرهابين من ردوا أنفسهم كل يوم إلى قدر يسير من الطعام ولازموا ديرا لاباب له ، وإنما مسرة أحدهم معرفة الناس حاله ونظرهم إليه ومدحهم له ، فذلك لايدل على الزهد دلالة قاطعة ، بل لابد من الزهد في المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعي جماعة الزهد مع لبس الأصواف الفاخرة والثياب الرفيعة ، كما قال الخواص في وصف المدعين إذ قال : وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموهون بذلك على الناس ليهدى إليهم مثل لباسهم ، لئلا ينظر إليهم بالعين التي ينظر بها إلى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما تعطى المساكين ، ويحتجون لنفوسهم بأتباع العلم وأنهم على السنة ، وأن الأشياء داخلة إليهم وهم خارجون منها وإنما يأخذون بعلة غيرهم . هذا إذا طولبوا بالحقائق وألجئوا إلى المضايق ، وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية أسرارهم ولا بتهذيب أخلاق نفوسهم ، فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها حالا لهم ، فهم مائلون إلى الدنيا متبعون للهوى . فهذا كله كلام الخواص رحمه الله ؛ فإذن معرفة الزهد أمر مشكل ، بل حال الزهد على الزاهد مشكل .

وينبغي أن يعول في باطنه على ثلاث علامات (العلامة الأولى) أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود ، كما قال تعالى ﴿ لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾ بل ينبغي أن يكون بالضد من ذلك : وهو أن يحزن بوجود المال ويفرح بفقده (العلامة الثانية) أن يستوى عنده ذامه ومادحه ، فالأول علامة الزهد في المال والثاني علامة الزهد في الجاه (العلامة الثالثة) أن يكون أنسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة إذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة إما محبة الدنيا وإما محبة الله ، وهما في القلب كالماء والهواء في القدح ، فالماء إذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان ، وكل من أنس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره ، ولذلك قيل لبعضهم : إلى ماذا أفضى بهم الزهد؟ فقال : إلى الأنس بالله ؛ فأما الأنس بالدنيا وبالله فلا يجتمعان .

وقد قال أهل المعرفة : إذا تعلق الإيمان بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة جميعا وعمل لهما ، وإذا بطن الإيمان في سويداء القلب وباشره أبغض الدنيا فلم ينظر إليها ولم يعمل لها ، ولهذا ورد في دعاء آدم عليه السلام :

اللهم إنى أسألك إيمانا يباشر قلبي .

وقال أبو سليمان : من شغل بنفسه شغل عن الناس — وهذا مقام العاملين . ومن شغل بربه شغل عن نفسه — وهذا مقام العارفين . والزاهد لا بد وأن يكون فى أحد هذين المقامين ، ومقامه الأول أن يشغل نفسه بنفسه ، وعند ذلك يستوى عنده المدح والذم والوجود والعدم ، ولا يستدل بإمساكه قليلا من المال على فقد زهده أصلا .

قال ابن أبى الحوارى : قلت لأبى سليمان : أكان داود الطائى زاهدا ؟ قال : نعم . قلت : قد بلغنى أنه ورث عن أبيه عشرين دينارا فأنفقها فى عشرين سنة ، فكيف كان زاهدا وهو يمسك الدنانير ؟ فقال : أردت منه أن يبلغ حقيقة الزهد ، وأراد بالحقيقة الغاية ، فإنّ الزهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس . ولا يتم الزهد إلا بالزهد فى جميعها فكل من ترك من الدنيا شيئا مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل فى الزهد بقدر ما تركه ، وآخره أن يترك كل ماسوى الله حتى لا يتوسد حجرا كما فعله المسيح عليه السلام ، فنسأل الله تعالى أن يرزقنا من مباديه نصيبا وإن قل ، فإن أمثالنا لا يستجرئ على الطمع فى غاياته وإن كان قطع الرجاء عن فضل الله غير مأذون فيه . وإذا لاحظنا عجائب نعم الله تعالى علينا علمنا أن الله تعالى لا يتعاظمه شىء فلا بعد فى أن نعظم السؤال اعتمادا على الجود المجاوز لكل كمال .

فإذن علامة الزهد استواء الفقر والغنى والعز والذل والمدح والذم ، وذلك لغلبة الأنس بالله . ويتفرع عن هذه العلامات علامات أخرى لامحالة : مثل أن يترك الدنيا ولا يبالى من أخذها .

وقيل : علامته أن يترك الدنيا كما هى فلا يقول أبنى رباطا أو أعمر مسجدا .

وقال يحيى بن معاذ . علامة الزهد : السخاء بالموجود .

وقال ابن خفيف : علامته وجود الراحة فى الخروج من الملك . وقال أيضا : الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف .

وقال أبو سليمان : الصوف علم من أعلام الزهد فلا ينبغى أن يلبس صوفا بثلاثة دراهم وفى قلبه رغبة خمسة دراهم .

وقال أحمد بن حنبل وسفيان رحمهما الله : علامة الزهد قصر الأمل . وقال سرى : لا يطيب عيش الزاهد إذا اشتغل عن نفسه . ولا يطيب عيش العارف إذا اشتغل بنفسه .

وقال النصراباذى : الزاهد غريب فى الدنيا ، والعارف غريب فى الآخرة .

وقال يحيى بن معاذ : علامة الزهد ثلاث : عمل بلا علاقة ، وقول بلا طمع ، وعز بلا رياسة . وقال أيضا الزاهد لله يسعطك الخل والخردل ، والعارف يشمك المسك والعنبر . وقال له رجل : متى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزهد وأقعد مع الزاهدين ؟ فقال : إذا صرت من رياضتك لنفسك فى السر إلى حد لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف فى نفسك ، فأما مالم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك أن تفتضح وقال أيضا : الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها ، والعارف يشتغل بالله تعالى ولا يلتفت إليها . وقال السرى : مارست كل شىء من أمر الزهد فنلت منه ما أريد إلا الزهد فى الناس فإنى لم أبلغه ولم أطقه .

وقال الفضيل رحمه الله : جعل الله الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا ، وجعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا .

فهذا ما أردنا أن نذكره من حقيقة الزهد وأحكامه وإذا كان الزهد لايتم إلا بالتوكل فلنشرع فى بيانه إن شاء الله تعالى .

كتاب التوحيد والتوكل

وهو الكتاب الخامس من ربع المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مدبر الملك والملكوت ، المنفرد بالعزة والجبروت . الرافع السماء بغير عماد ، المقدر فيها أرزاق العباد . الذى صرف أعين ذوى القلوب والألباب ، عن ملاحظة الوسائط والأسباب إلى مسبب الأسباب ، ورفع هممهم عن الالتفات إلى ماعداه والاعتماد على مدبر سواه ، فلم يعبدوا إلا إياه علما بأنه الواحد الفرد الصمد الإله وتحقيقا بأن جميع أصناف الخلق عباد أمثالهم لايبتغى عندهم الرزق ، وأنه مامن ذرة إلا إلى الله خلقها ، ومامن دابة إلا على الله رزقها ؛ فلما تحققوا أنه لرزق عباده ضامن وبه كفيل توكلوا عليه فقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل .

والصلاة على محمد قامع الأباطيل ، الهادى إلى سواء السبيل ، وعلى آله وسلم تسليما كثيرا .

(أما بعد) فإن التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين ، بل هو من معالى درجات المقربين وهو فى نفسه غامض من حيث العلم ، ثم هو شاق من حيث العمل ، ووجه غموضه من حيث الفهم أنّ ملاحظة الأسباب والاعتماد عليها شرك فى التوحيد ، والتثاقل عنها بالكلية طعن فى السنة وقدح فى الشرع ، والاعتماد على الأسباب من غير أن ترى أسبابا تغيير فى وجه العقل ، وانغماس فى غمرة الجهل ، وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والنقل والشرع فى غاية الغموض والعسر ، ولايقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة الخفاء إلا سماسرة العلماء الذين اكتحلوا من فضل الله تعالى بأنوار الحقائق فأبصروا وتحققوا ثم نطقوا بالإعراب عما شاهدوه من حيث استنطقوا . ونحن الآن نبدأ بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة ، ثم نردفه بالتوحيد فى الشطر الأول من الكتاب ، ونذكر حال التوكل وعمله فى الشطر الثانى .

بيان فضيلة التوكل

أما من الآيات ، فقد قال تعالى ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ وقال عز وجل ﴿ وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾ وقال تعالى ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ وقال سبحانه وتعالى ﴿ إنّ الله يحب المتوكلين ﴾ وأعظم بمقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه ، ومضمون كفاية الله تعالى ملابسه ، فمن الله تعالى حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه : فقد فاز الفوز العظيم ، فإنّ المحبوب لايعذب ولايبعد ولايحجب . وقال تعالى ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾ فطالب الكفاية من غيره والتارك للتوكل : هو المكذب لهذه الآية . فإنه سؤال فى معرض استنطاق بالحق ، كقوله تعالى ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ﴾ وقال عز وجل ﴿ ومن يتوكل على الله فإنّ الله عزيز حكيم ﴾ أى عزيز لايذل من استجار به ، ولايضيع من لاذ بجنابه والتجأ إلى

ذمامه وحماه ، وحكيم لايقصر عن تدبير من توكل على تدبيره . وقال تعالى ﴿ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ﴾ بين أن كل ماسوى الله تعالى عبد مسخر . حاجته مثل حاجتكم فكيف يتوكل عليه . وقال تعالى ﴿ إن الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه ﴾ وقال عز وجل ﴿ ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون ﴾ وقال عز وجل ﴿ يدبر الأمر مامن شفيع إلا من بعد إذنه ﴾ وكل ماذكر فى القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الأغيار والتوكل على الواحد القهار .

وأما الأخبار ، فقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود أريت الأمم فى الموسم فرأيت أمتى قد ملأوا السهل والجبل فأعجبتنى كثرتهم وهيأتهم ، فقيل لى : أرضيت ؟ قلت : نعم ، قيل : ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب . قيل : من هم يارسول الله ، قال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة وقال . يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اللهم اجعله منهم » فقام آخر فقال : يارسول الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم « سبقك بها عكاشة [1] » وقال صلى الله تعالى عليه وسلم « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا [2] » وقال صلى الله تعالى عليه وسلم « من انقطع إلى الله عز وجل كفاه الله تعالى كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب : ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها [3] » وقال صلى الله تعالى عليه وسلم « من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما فى يديه [4] » ويروى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : أنه كان إذا أصاب أهله خصاصة قال « قوموا إلى الصلاة » ويقول « بهذا أمرنى ربى عز وجل » قال عز وجل ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ [5] الآية . وقال صلى الله عليه وسلم « لم يتوكل من استرقى واكتوى [6] » .

وروى أنه لما قال جبريل لإبراهيم عليهما السلام وقد رمى إلى النار بالمنجنيق : ألك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا ، وفاه بقوله حسبى الله ونعم الوكيل ، إذ قال ذلك حين أخذ ليرمى ، فأنزل الله تعالى ﴿ وإبراهيم الذى وفى ﴾ .

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : ياداود ، مامن عبد يعتصم بى دون خلقى فتكيده السموات والأرض إلا جعلت له مخرجا .

وأما الآثار . فقد قال سعيد بن جبير : لدغتنى عقرب فأقسمت على أمى المسترقين ، فناولت الراقى يدى التى لم تلدغ .

---

(١) حديث ابن مسعود « أريت الأمم فى الموسم فرأيت أمتى قد ملأوا السهل والجبل . . . الحديث » رواه ابن منيع بإسناد حسن ، واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس .

(٢) حديث « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير . . . الحديث » أخرجه الترمذى والحاكم وصححاه من حديث عمر ، وقد تقدم (٣) حديث « من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة . الحديث » أخرجه الطبرانى فى الصغير وابن أبى الدنيا ، ومن طريقه البيهقى فى الشعب من رواية الحسن عن عمران بن حصين ولم يسمع منه ، وفيه إبراهيم بن الأشعث تكلم فيه أبو حاتم

(٤) حديث « من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما فى يده » رواه الحاكم والبيهقى فى الزهد من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف .

(٥) حديث : كان إذا أصاب أهله خصاصة قال « قوموا إلى الصلاة » ويقول « بهذا أمرنى ربى » قال تعالى ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث محمد بن حمزة عن عبد الله بن سلام قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا نزل بأهله الضيق أمرهم بالصلاة ثم قرأ هذه الآية . ومحمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام إنما ذكروا له روايته عن أبيه عن جده فيبعد سماعه من جد أبيه . (٦) حديث « لم يتوكل من استرقى واكتوى » أخرجه الترمذى وحسنه والنسائى فى الكبير والطبرانى واللفظ له ، إلا أنه قال : أو من حديث المغيرة بن شعبة ، وقال الترمذى « من اكتوى أو استرقى فقد برئ من التوكل » وقال النسائى : ماتوكل من اكتوى أو استرقى .

وقرأ الخواص قوله تعالى ﴿ وتوكل على الحى الذى لايموت ﴾ إلى آخر ، فقال : ماينبغى للعبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله تعالى .

وقيل لبعض العلماء فى منامه : من وثق بالله تعالى فقد أحرز قوته . وقال بعض العلماء : لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا إلا ما قد كتب الله لك .

وقال يحيى بن معاذ : فى وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على أنّ الرزق مأمور بطلب العبد .

وقال إبراهيم بن أدهم : سألت بعض الرهبان : من أين تأكل ؟ فقال لى : ليس هذا العلم عندى ولكن سل ربى من أين يطعمنى ؟ .

وقال هرم بن حيان لأويس القرنى : أين تأمرنى أن أكون ؟ فأومأ إلى الشام . قال هرم : كيف المعيشة ؟ قال أويس : أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة .

وقال بعضهم : متى رضيت بالله وكيلا وجدت إلى كل خير سبيلا . نسأل الله تعالى حسن الأدب .

بيان حقيقة التوحيد الذى هو أصل التوكل

اعلم أن التوكل من باب الإيمان ، وجميع أبواب الإيمان لاتنتظم إلا بعلم وحال وعمل ، والتوكل كذلك ينتظم من ـ علم هو الأصل و ـ عمل ـ هو الثمرة و ـ حال ـ هو المراد باسم التوكل .

فلنبدأ ببيان العلم الذى هو الأصل وهو المسمى إيمانا فى أصل اللسان إذ الإيمان هو التصديق ، وكل تصديق بالقلب فهو علم ، وإذا قوى سمى يقينا ، ولكن أبواب اليقين كثيرة ، ونحن إنما نحتاج منها إلى مانبنى عليه التوكل وهو التوحيد الذى يترجمه قولك (لاإله إلا الله وحده لاشريك له) والإيمان بالقدرة التى يترجم عنها قولك (له الملك) والإيمان بالجود والحكمة الذى يدل عليه قولك (وله الحمد) فمن قال (لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير) تم له الإيمان الذى هو أصل التوكل ، أعنى أن يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه ، فأما التوحيد فهو الأصل والقول فيه يطول ، وهو من علم المكاشفة ؛ ولكن بعض علوم المكاشفات متعلق بالأعمال بواسطة الأحوال ، ولا يتم علم المعاملة إلا بها ، فإذن لانتعرض إلا للقدر الذى يتعلق بالمعاملة ، وإلا فالتوحيد هو البحر الخضم الذى لا ساحل له ، فنقول .

للتوحيد أربع مراتب ، وينقسم إلى لب ، وإلى لب اللب ، وإلى قشر . وإلى قشر القشر . ولنمثل ذلك تقريبا إلى الأفهام الضعيفة بالجوز فى قشرته العليا فإنّ له قشرتين ، وله لب ، وللب دهن هو لب اللب ، فالرتبة الأولى من التوحيد : هى أن يقول الإنسان بلسانه (لا إله إلا الله) وقلبه غافل عنه أو منكر له كتوحيد المنافقين . والثانية : أن يصدّق بمعنى اللفظ قلبه كما صدّق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام . والثالثة : أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين ، وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار . والرابعة : أن لايرى فى الوجود إلا واحداً ، وهى مشاهدة الصدّيقين وتسميه الصوفية الفناء فى التوحيد ، لأنه من حيث لايرى إلا واحداً فلا يرى نفسه أيضا ، وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالتوحيد كان فانيا عن نفسه فى توحيده ، بمعنى أنه فنى عن رؤية نفسه والخلق ؛ فالأول موحد بمجرّد اللسان ويعصم ذلك صاحبه فى الدنيا عن السيف والسنان . والثانى موحد بمعنى أنه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفساح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب فى الآخرة إن توفى عليه ولم تضعف

بالمعاصى عقدته ، ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة ، وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصد بها أيضا إحكام هذه العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاما ، والعارف به يسمى متكلما ، وهو فى مقابلة المبتدع ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام ، وقد يخص المتكلم باسم الموحد من حيث إنه يحمى بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تنحل عقدته . والثالث موحد بمعنى أنه لم يشاهد إلا فاعلا واحداً إذا انكشف له الحق كما هو عليه . ولا يرى فاعلا بالحقيقة إلا واحدا وقد انكشفت له الحقيقة كما هى عليه ، لأنه كلف قلبه أن يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فإنّ تلك رتبة العوام والمتكلمين ، إذلم يفارق المتكلم العامى فى الاعتقاد بل فى صنعة تلفيق الكلام الذى به حيل المبتدع عن تحليل هذه العقدة . والرابع موحد بمعنى أنه لم يحضر فى شهوده غير الواحد ، فلا يرى الكل من حيث إنه كثير بل من حيث إنه واحد ، وهذه هى الغاية القصوى فى التوحيد ؛ فالأول كالقشرة العليا من الجوز ، والثانى كالقشرة السفلى ، والثالث كاللب ، والرابع كالدهن المستخرج من اللب . وكما أنّ القشرة العليا من الجوز لاخير فيها بل إن أكل فهو مرّ المذاق ، وإن نظر إلى باطنه فهو كريه المنظر ، وإن اتخذ حطبا اطفأ النار وأكثر الدخان ، وإن ترك فى البيت ضيق المكان فلا يصلح إلا أن يترك مدّة على الجوز للصون ثم يرمى به عنه فكذلك التوحيد بمجرّد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن ؛ لكنه ينفع مدّة فى حفظ القشرة السفلى إلى وقت الموت : والقشرة السفلى هى القلب والبدن . وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف الغزاة فإنهم لم يؤمروا بشق القلوب ، والسيف إنما يصيب جسم البدن وهو القشرة وإنما يتجرّد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده ، وكما أن القشرة السفلى ظاهرة النفع بالإضافة إلى القشرة العليا فإنها تصون اللب وتحرسه عن الفساد عند الادخار ، وإذا فصلت أمكن أن ينتفع بها حطبا لكنها نازلة القدر بالإضافة إلى اللب ، وكذلك مجرّد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالإضافة إلى مجرّد نطق اللسان ناقص القدر بالإضافة إلى الكشف والمشاهدة التى تحصل بانشراح الصدر وانفساحه وإشراق نور الحق فيه ، إذ ذاك الشرح هو المراد بقوله تعالى ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ وبقوله عز وجل ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾ وكما أنّ اللب نفيس فى نفسه بالإضافة إلى القشر وكله المقصود ، ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالإضافة إلى الدهن المستخرج منه ، فكذلك توحيد الفعل مقصد عال للسالكين لكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات إلى الكثرة بالإضافه إلى من لا يشاهد سوى الواحد الحق .

* فإن قلت . كيف يتصوّر أن لا يشاهد إلا واحد وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهى كثيرة : فكيف يكون الكثير واحدا ؟ فاعلم أنّ هذه غاية علوم المكاشفات . وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر فى كتاب ، فقد قال العارفون : إفشاء سر الربوبية كفر ، ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة ، نعم ذكر مايكسر سورة استبعادك ممكن . وهو أنّ الشىء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ، ويكون واحدا بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار ، وهذا كما أنّ الإنسان كثير إن التفت إلى روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه ، وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد إذ نقول إنه إنسان واحد ؛ فهو بالإضافة إلى الإنسانية واحد ، وكم من شخص يشاهد إنسانا ولا يخطر بباله كثرة أمعائه وعروقه وأطرافه وتفصيل روحه وجسده وأعضائه ، والفرق بينهما أنه فى حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفريق وكأنه فى عين الجمع ، والملتفت إلى الكثرة فى تفرقه ، فكذلك كل مافى الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة ، فهو باعتبار واحد من

الاعتبارات واحد ، وباعتبارات أخر سواه كثير ، وبعضها أشد كثرة من بعض ، ومثاله الإنسان وإن كان لا يطابق الغرض ولكنه ينبه فى الجملة على كيفية مصير الكثرة فى حكم المشاهدة واحدا ، ويستبين بهذا الكلام ترك الإنكار والجحود لمقام لم تبلغه وتؤمن به إيمان تصديق ، فيكون لك من حيث إنك مؤمن بهذا التوحيد نصيب ، وإن لم يكن ما آمنت به صفتك كما أنك إذا آمنت بالنبوة وإن لم تكن نبيا كان لك نصيب منه بقدر قوة إيمانك . وهذه المشاهدة التى لا يظهر فيها إلا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الأكثر ، والدوام نادر عزيز وإلى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخواص يدور فى الأسفار فقال : فيماذا أنت ؟ فقال : أدور فى الأسفار لأصحح حالتى فى التوكل وقد كان من المتوكلين ، فقال الحسين : قد أفنيت عمرك فى عمران باطنك ، فأين الفناء فى التوحيد ؟ فكأنّ الخواص كان فى تصحيح المقام الثالث فى التوحيد ، فطالبه بالمقام الرابع . فهذه مقامات الموحدين فى التوحيد على سبيل الإجمال .

* فإن قلت : فلا بدّ لهذا من شرح بمقدار ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه ! فأقول : أما الرابع فلا يجوز الخوض فى بيانه ، وليس التوكل أيضا مبنيا عليه ، بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث . وأما الأول وهو النفاق فواضح وأما الثانى وهو الاعتقاد فهو موجود فى عموم المسلمين ، وطريق تأكيده بالكلام ودفع حيل المبتدعة فيه مذكور فى علم الكلام ، وقد ذكرنا فى كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد القدر المهم منه . وأما الثالث : فهو الذى يبنى عليه التوكل ، فلنذكر منه القدر الذى يرتبط التوكل به دون تفصيله الذى لا يحتمله أمثال هذا الكتاب . وحاصله : أن ينكشف لك أن لا فاعل إلا الله تعالى ، وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقر إلى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم فالمنفرد بإبداعه واختراعه هو الله عزوجل لا شريك له فيه ، وإذا انكشف لك هذا لم تنظر إلى غيره ، بل كان منه خوفك وإليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك ، فإنه الفاعل على الانفراد دون غيره ، وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والأرض ، وإذا انفتحت لك أبواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا أتم من المشاهدة بالبصر ، وإنما يصدّك الشيطان عن هذا التوحيد فى مقام يبتغى به أن يطرق إلى قلبك شائبة الشرك بسببين : أحدهما الالتفات إلى اختيار الحيوانات . والثانى الالتفات إلى الجمادات ، أما الالتفات إلى الجمادات فكاعتمادك على المطر فى خروج الزرع ونباته ونمائه ، وعلى الغيم فى نزول المطر ، وعلى البرد فى اجتماع الغيم ، وعلى الريح فى استواء السفينة وسيرها : وهذا كله شرك فى التوحيد وجهل بحقائق الأمور ، ولذلك قال تعالى ﴿ فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾ قيل : معناه أنهم يقولون لولا استواء الريح لما نجونا . ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه علم أنّ الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه ما لم يحرّكه محرّك ، وكذلك محرّكه ، وهكذا إلى أن ينتهى إلى المحرك الأول الذى لا محرّك له ولا هو متحرك فى نفسه عزوجل ؛ فالتفات العبد فى النجاة إلى الريح يضاهى التفات من أخذ لتحز رقبته فكتب الملك توقيعا بالعفو عنه وتخليته ، فأخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذى به كتب التوقيع يقول . لولا القلم لما تخلصت ، فيرى نجاته من القلم لا من محرّك القلم وهو غاية الجهل . ومن علم أنّ القلم لا حكم له فى نفسه وإنما هو مسخر فى يد الكاتب لم يلتفت إليه ولم يشكر إلا الكاتب ، بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك والكاتب من أن يخطر بباله القلم والحبر والدواة والشمس والقمر والنجوم والمطر والغيم والأرض ، وكل حيوان وجماد مسخرات فى قبضة القدرة كتسخير القلم فى يد الكاتب ، بل هذا تمثيل فى حقك لاعتقادك أنّ الملك

الموقع هو الكاتب التوقيع ، والحق أنّ الله تبارك وتعالى هو الكاتب لقوله تعالى ﴿ وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى ﴾ فإذا انكشف لك أنّ جميع ما فى السموات والأرض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائبا وأيس عن مزج توحيدك بهذا الشرك . فأتاك فى المهلكة الثانية وهى الالتفات إلى اختيار الحيوانات فى الأفعال الاختيارية ويقول : كيف ترى الكل من الله وهذا الإنسان يعطيك رزقك باختياره ؛ فإن شاء أعطاك وإن شاء قطع عنك ، وهذا الشخص هو الذى يحز رقبتك بسيفه وهو قادر عليك إن شاء حزن رقبتك وإن شاء عفا عنك ، فكيف لا تخافه ، وكيف لا ترجوه وأمرك بيده وأنت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ، ويقول له أيضا نعم إن كنت لا ترى القلم لأنه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له ، وعند هذا زل أقدام الأكثرون إلا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان اللعين فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا ، كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرا ، وعرفوا أنّ غلط الضعفاء فى ذلك كغلط النملة مثلا لو كانت تدب على الكاغد فترى رأس القلم يسوّد الكاغد ، ولم يمتد بصرها إلى اليد والأصابع فضلا عن صاحب اليد فغلطت وظنت أنّ القلم هو المسوّد للبياض ، وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة رأس القلم لضيق حدقتها ، فكذلك من لم ينشرح بنور الله تعالى صدره للإسلام قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والأرض ومشاهدة كونه قاهرا وراء الكل فوقف فى الطريق على الكاتب وهو جهل محض ، بل أرباب القلوب والمشاهدات قد أنطق الله تعالى فى حقهم كل ذرة فى السموات والأرض بقدرته التى بها نطق كل شىء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله تعالى وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان ذلق تتكلم بلا حرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع معزلون ، ولست أعنى به السمع الظاهر الذى لا يجاوز بالأصوات ، فإنّ الحمار شريك فيه ، ولا قدر لما يشارك فيه البهائم ، وإنما أريد به سمعا يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربى ولا عجمى .

فإن قلت : فهذه أعجوبة لا يقبلها العقل فصف لى كيفية نطقها وأنها كيف نطقت وبماذا نطقت ، وكيف سبحت وقدست ، وكيف شهدت على نفسها بالعجز ؟ فاعلم أنّ لكل ذرة فى السماوات والأرض مع أرباب القلوب مناجاة فى السر ، وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى ، فإنها كلمات تستمد من بحر كلام الله تعالى الذى لا نهاية له ﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر ﴾ الآية ، ثم إنها تتناجى بأسرار الملك والملكوت ، وإفشاء السر لؤم ، بل صدور الأحرار قبور الأسرار ، وهل رأيت قط أمينا على أسرار ملك قد نوجى بخفاياه فنادى بسره على ملأ من الخلق ؛ ولو جاز إفشاء كل سر لنا لما قال صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا [1] » بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكون ولا يضحكون . ولما نهى عن إفشاء سر القدر [2] ولما قال « إذا ذكر النجوم فأمسكوا ، وإذا ذكر القدر فأمسكوا ، وإذا ذكر أصحابى فأمسكوا [3] » ، ولما خص حذيفة رضى الله عنه ببعض الأسرار [4] . فإذن عن حكايات مناجاة ذرات الملك والملكوت لقلوب أرباب المشاهدات مانعان (أحدهما) استحالة إفشاء السر (والثانى) خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ، ولكنا فى المثال الذى كنا فيه - وهى حركة القلم -

---

(١) حديث « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ... الحديث » تقدم غير مرة . (٢) حديث النهى عن إفشاء سر القدر : رواه ابن عدى وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر « القدر سر الله فلا تفشوا لله عز وجل سره » لفظ أبى نعيم ، وقال ابن عدى « لا تتكلموا فى القدر فإنه سر الله الحديث » وهو ضعيف . وقد تقدم .

(٣) حديث « إذا ذكر النجوم فأمسكوا ، وإذا ذكر القدر فأمسكوا الحديث » أخرجه الطبرانى وابن حبان فى الضعفاء ، وتقدم فى العلم (٤) حديث : أنه خص حذيفة ببعض الأسرار ، تقدم .

نحكى من مناجاتها قدرا يسيرا يفهم به على الإجمال كيفية ابتناء التوكل عليه ؛ ونرد كلماتها إلى الحروف والأصوات وإن لم تكن حروفا وأصواتا ، ولكن هى ضرورة التفهيم فنقول : قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغد وقد رآه اسود وجهه بالحبر : ما بال وجهك كان أبيض مشرقا والآن قد ظهر عليه السواد ؟ فلم سودت وجهك ؟ وما السبب فيه ؟ فقال الكاغد : ما أنصفتنى فى هذه المقالة ! فإنى ماسوّدت وجهى بنفسى ولكن سل الحبر فإنه كان مجموعا فى المحبرة التى هى مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهى ظلما وعدوانا ! فقال : صدقت ، فسأل الحبر عن ذلك ؟ فقال : ماأنصفتنى فإنى كنت فى المحبرة وادعا ساكنا عازما على أن لا أبرح منها ، فاعتدى على القلم بطمعه الفاسد ، واختطفنى من وطنى وأجلانى عن بلادى وفرق جمعى وبدّدنى كما ترى على ساحة بيضاء ، فالسؤال عليه لا على ! فقال صدقت ، ثم سأل القلم عن السبب فى ظلمه وعدوانه وإخراج الحبر من أوطانه فقال : سل اليد والأصابع فإنى كنت قصبا نابتا على شط الأنهار متنزها بين خضرة الأشجار ، فجاءتنى اليد بسكين فنحت عنى قشرى ومزقت عنى ثيابى واقتلعتنى من أصلى وفصلت بين أنابيبى ، ثم برتنى وشقت رأسى ؛ ثم غمستنى فى سواد الحبر ومرارته وهى تستخدمنى وتمشينى على قمة رأسى ، ولقد نثرت الملح على جرحى بسؤالك وعتابك ، فتنح عنى وسل من قهرنى ، فقال : صدقت ، ثم سأل اليد عن ظلمها وعدوانها على القلم واستخدامها له ، فقالت اليد : ماأنا إلا لحم وعظم ودم ، وهل رأيت لحما يظلم أو جسما يتحرك بنفسه ؟ وإنما أنا مركب مسخر ركبنى فارس يقال له القدرة والعزة ، فهى التى ترددنى ، وتجول بى فى نواحى الأرض ، أما ترى المدر والحجر والشجر لايتعدّى شىء منها مكانه ولا يتحرك بنفسه إذ لم يركبه مثل هذا الفارس القوى القاهر ، أما ترى أيدى الموتى تساوينى فى صورة اللحم والعظم والدم ، ثم لا معاملة بينها وبين القلم ، فأنا أيضا من حيث أنا لامعاملة بينى وبين القلم ، فسل القدرة عن شأنى فإنى مركب أزعجنى من ركبنى ، فقال صدقت ، ثم سأل القدرة عن شأنها فى استعمالها اليد وكثرة استخدامها وترديدها ، فقالت : دع عنك لومى ومعاتبتى ، فكم من لائم ملوم ، وكم من ملوم لاذنب له ، وكيف خفى عليك أمرى ؟ وكيف ظننت أنى ظلمت اليد لما ركبتها وقد كنت لها راكبة قبل التحريك ، وما كنت أحركها ولا استسخرها ، بل كنت نائمة ساكنة نوما ظنّ الظانون بى أنى ميتة أو معدومة ، لأنى ما كنت أتحرك ولا أحرّك حتى جاءنى موكل أزعجنى وأرهقنى إلى ما تراه منى ، فكانت لى قوة على مساعدته ، ولم تكن لى قوة على مخالفته ، وهذا الموكل يسمى الإرادة ، ولا أعرفه إلا باسمه وهجومه وصياله ، إذ أزعجنى من غمرة النوم وأرهقنى إلى ما كان لى مندوحة عنه لو خلانى ورأيى ، فقال : صدقت ، ثم سأل الإرادة ما الذى جرّأك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها إلى التحريك وأرهقتها إليه إرهاقا لم تجد عنه مخلصا ولا مناصا ، فقالت الإرادة : لا تعجل على فلعل لنا عذرا وأنت تلوم ، فإنى ما انتهضت بنفسى ولكن أنهضت وما انبعثت ولكنى بعثت بحكم قاهر وأمر جازم ، وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد على من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالإشخاص للقدرة فأشخصتها باضطرار فإنى مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ، ولاأدرى بأى جرم وقفت عليه وسخرت له وألزمت طاعته ، لكنى أدرى أنى فى دعة وسكون ما لم يرد على هذا الوارد القاهر ، وهذا الحاكم العادل أو الظالم وقد وقفت عليه وقفا وألزمت طاعته إلزاما ، بل لا يبقى لى معه مهما جزم حكمه طاقة على المخالفة ، لعمرى مادام هو فى التردد مع نفسه والتحير فى حكمه ، فأنا ساكنة لكن مع استشعار وانتظار لحكمه ، فإذا انجزم حكمه أزعجت بطبع وقهر تحت طاعته وأشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه ، فسل العلم عن شأنى ودع عنى عتابك ،

فإنى كما قال القائل :

متى ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون هم

فقال صدقت، وأقبل على العلم والعقل والقلب مطالبا لهم ومعاتبا إياهم على استنهاض الإرادة وتسخيرها لإشخاص القدرة ، فقال العقل : أما أنا فسراج ما اشتعلت بنفسى ولكن أشعلت ، وقال القلب : أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسى ولكن بسطت ، وقال العلم : أما أنا فنقش نقشت فى بياض لوح القلب لما أشرق سراج العقل وما انخططت بنفسى ، فكم كان هذا اللوح قبل خاليا عنى ، فسل القلم عنى لأنّ الخط لايكون إلا بالقلم ، فعند ذلك تتعتع السائل ولم يقنعه جواب وقال : قد طال تعبى فى هذا الطريق وكثرت منازلى ولا يزال يحيلنى من طمعت فى معرفة هذا الأمر منه على غيره ، ولكنى كنت أطيب نفسا بكثرة الترداد لما كنت أسمع كلاما مقبولا لا فى الفؤاد وعذرا ظاهرا فى دفع السؤال : فأما قولك : إنى خط ونقش ، وإنما خطى قلم فلست أفهمه فإنى لا أعلم قلما إلا من القصب ، ولا لوحا إلا من الحديد أو الخشب ، ولاخطا إلا بالحبر ، ولاسراجا إلا من النار ، وإنى لاسمع فى هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا أشاهد من ذلك شيئا : أسمع جعجعة ولا أرى طحنا : فقال له القلم : إن صدقت فيما قلت فبضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف ، واعلم أن المهالك فى الطريق التى توجهت إليها كثيرة : فالصواب لك أن تنصرف وتدع ما أنت فيه ، فما هذا بعشك ، فادرج عنه فكل ميسر لما خلق له ، وإن كنت راغبا فى استتمام الطريق إلى المقصد فألق سمعك وأنت شهيد . واعلم أنّ العوالم فى طريقك هذا ثلاثة : عالم الملك والشهادة أولها ، ولقد كان الكاغد والحبر والقلم واليد من هذا العالم ، وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة ، والثانى عالم الملكوت وهو ورائى ؛ فإذا جاوزتنى انتهيت إلى منازله وفيه المهامة الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة ، ولا أدرى كيف تسلم فيها ، والثالث هو عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ، ولقد قطعت منها ثلاث منازل فى أوائلها منزلة القدرة والإرادة والعلم ، وهو واسطة بين عالم الملك والشهادة والملكوت ؛ لأنّ عالم الملك أسهل منه طريقا ، وعالم الملكوت أوعر منه منهجا ، وإنما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التى هى فى الحركة بين الأرض والماء ، فلا هى فى حد اضطراب الماء ، ولا هى فى حد سكون الأرض وثبوتها ، وكل من يمشى على الأرض يمشى فى عالم الملك والشهادة ؛ فإن جاوزت قوته إلى أن يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشى فى عالم الجبروت ؛ فإن انتهى إلى أن يمشى على الماء من غير سفينة مشى فى عالم الملكوت من غير تتعتع ؛ فإن كنت لا تقدر على المشى على الماء فانصرف فقد جاوزت الأرض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك إلا الماء الصافى ، وأول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذى يكتب به العلم فى لوح القلب وحصول اليقين الذى يمشى به على الماء ، أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عيسى عليه السلام « لو ازداد يقينا لمشى على الهواء »[1] ، لما قيل له إنه كان يمشى على الماء ، فقال السالك السائل : قد تحيرت فى أمرى واستشعر قلبى خوفا مما وصفته من خطر الطريق ، ولست أدرى أطيق قطع هذه المهامة التى وصفتها أم لا ؟ فهل لذلك من علامة ؟ قال : نعم ، افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدقه نحوى فإن ظهر لك القلم الذى به أكتب فى لوح القلب فيشبه أن تكون أهلا لهذا الطريق ، فإن كل من جاوز عالم الجبروت وقرع بابا من أبواب الملكوت كوشف بالقلم ، أما ترى أنّ النبى صلى الله عليه وسلم فى أول أمره كوشف بالقلم إذ أنزل عليه ﴿ اقرأ وربك

(١) حديث : قيل له ان عيسى يمشى على الماء ، قال « لو ازداد يقينا لمشى على الهواء » تقدم .

الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان مالم يعلم ﴾ فقال السالك : لقد فتحت بصرى وحدقته ، فوالله ما أرى قصبا ولا خشبا ، ولا أعلم قلما إلا كذلك ، فقال العلم : لقد أبعدت النجعة ، أما سمعت أنّ متاع البيت يشبه رب البيت ، أما علمت أنّ الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات ، فكذلك لا تشبه يده الأيدى ولا قلمه الأقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط ، وهذه أمور إلهية من عالم الملكوت ، فليس الله تعالى فى ذاته بجسم ولا هو فى مكان بخلاف غيره ، ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الأيدى ، ولا قلمه من قصب ،ولا لوحه من خشب ، ولا كلامه بصوت وحرف ، ولا خطه رقم ورسم ، ولا حبره زاج وعفص ، فإن كنت لا تشاهد هذا هكذا فما أراك إلا مخنثا بين لحولة التنزيه وأنوثة التشبيه ، مذبذبا بين هذا وذا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، فكيف نزهت ذاته وصفاته تعالى عن الأجسام وصفاتها ؟ ونزهت كلامه عن معانى الحروف والأصوات وأخذت تتوقف فى يده وقلمه ولوحه وخطه ؟ فإن كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم على صورته » الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبها مطلقا ، كما يقال : كن يهوديا صرفا وإلا فلا تلعب بالتوراة ، وإن فهمت منه الصورة الباطنة التى تدرك بالبصائر لا بالأبصار فكن منزها صرفا ومقدسا لحلا ، واطو الطريق فإنك بالواد المقدس طوى ، واستمع بسر قلبك لما يوحى ، فلعلك تجد على النار هدى ، ولعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودى به موسى ﴿ إنى أنا ربك ﴾ فلما سمع السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وأنه مخنث بين التشبيه والتنزيه ، فاشتعل قلبه نارا من حدّة غضبه على نفسه لما رآها بعين النقص ، ولقد كان زيته الذى فى مشكاة قلبه يكاد يضىء ولو لم تمسسه نار ، فلما نفخ فيه العلم بحدّته اشتعل زيته فأصبح نورا على نور ، فقال له العلم : اغتنم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك لعلك تجد على النار هدى ، ففتح بصره فانكشف له القلم الإلهى ، فإذا هو كما وصفه العلم فى التنزيه : ماهو من خشب ولا قصب ، ولا له رأس ولا ذنب ، وهو يكتب على الدوام فى قلوب البشر كلهم أصناف العلوم ، وكأن له فى كل قلب رأسا ولا رأس له ، فقضى منه العجب وقال : نعم الرفيق العلم ، لجزاه الله تعالى عنى خيرا ، إذ الآن ظهر لى صدق أنبائه عن أوصاف القلم ؛ فإنى أراه قلما لا كالأقلام ؛ فعند هذا ودع العلم وشكره وقال : قد طال مقامى عندك ومرادّتى لك ، وأنا عازم على أن أسافر إلى حضرة القلم وأسأله عن شأنه ، فسافر إليه وقال له : ما بالك أيها القلم تخط على الدوام فى القلوب من العلوم ماتبعث به الإرادات إلى إشخاص القدر وصرفها إلى المقدورات ؟ فقال : أو قد نسيت مارأيت فى عالم الملك والشهادة وسمعت من جواب القلم إذ سألته فأحالك على اليد ؟ قال : لم أنس ذلك . قال ؛ فجوابى مثله جوابه. قال : كيف وأنت لاتشبهه ؟ قال القلم : أما سمعت أنّ الله تعالى خلق آدم على صورته ؟ قال نعم . قال فسل عن شأنى الملقب بيمين الملك فانى فى قبضته ، وهو الذى يرددنى وأنا مقهور مسخر ؛ فلا فرق بين القلم الإلهى وقلم الآدمى فى معنى التسخير ، وإنما الفرق فى ظاهر الصورة . فقال : فمن يمين الملك ؟ فقال القلم : أما سمعت قوله تعالى ﴿ والسموات مطويات بيمينه ﴾ ؟ قال : نعم . قال : والأقلام أيضا فى قبضة يمينه هو الذى يرددها ، فسافر السالك من عنده إلى اليمين حتى شاهده ورأى من عجائبه مايزيد على عجائب القلم ولايجوز وصف شىء من ذلك ولا شرحه ، بل لاتحوى مجلدات كثيرة عشر عشير وصفه ، والجملة فيه أنه يمين لا كالإيمان ، ويد لا كالأيدى ، وأصبع لا كالأصابع ؛ فرأى القلم محركا فى قبضته ، فظهر له عذر القلم ، فسأل اليمين عن شأنه وتحريكه للقلم ؟ فقال : جوابى مثل ماسمعته من اليمين التى رأيتها فى عالم الشهادة وهى الحوالة على القدرة ، إذ اليد لاحكم لها فى نفسها وإنما

محركها القدرة لامحالة ، فسافر السالك إلى عالم القدرة ورأى فيه من العجائب ما استحقر عندها ماقبله وسألها عن تحريك اليمين فقالت : إنما أنا صفة فاسأل القادر ، إذ العمدة على الموصوفات لاعلى الصفات ، وعند هذا كاد أن يزيغ ويطلق بالجراءة لسان السؤال ، فثبت بالقول الثابت ونودى من وراء حجاب سرادقات الحضرة ﴿ لايسئل عما يفعل وهم يسئلون ﴾ فغشيته هيبة الحضرة ، فخر صعقا يضطرب فى غشيته ، فلما أفاق قال : سبحانك ماأ عظم شأنك تبت إليك وتوكلت عليك وآمنت بأنك الملك الجبار الواحد القهار ، فلا أخاف غيرك ولا أرجو سواك ولا أعوذ إلا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك ، وما لى إلا أن أسألك وأتضرع إليك وأبتهل بين يديك ، فأقول : اشرح لى صدرى لأعرفك واحلل عقدة من لسانى لأثنى عليك ؛ فنودى من وراء الحجاب : إياك أن تطمع فى الثناء وتزيد على سيد الأنبياء ، بل ارجع إليه فما آتاك فخذه وما نهاك عنه فانته عنه ، وماقاله لك فقله ؛ فإنه مازادفى هذه الحضرة على أن قال « سبحانك لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »[1] ، فقال . إلهى ، إن لم يكن للسان جراءة على الثناء عليك فهل للقلب مطمع فى معرفتك ، فنودى : إياك أن تتخطى رقاب الصديقين ، فارجع إلى الصديق الأكبر فاقتد به ؛ فإن أصحاب سيد الأنبياء كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ، أما سمعته يقول : العجز عن درك الإدراك إدراك ؛ فيكفيك نصيبا من حضرتنا أن تعرف أنك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا ؛ فعند ذلك رجع السالك واعتذر عن أسئلته ومعاتباته وقال لليمين والقلم والعلم والإرادة والقدرة وما بعدها : اقبلوا عذرى فإنى كنت غريبا حديث العهد بالدخول فى هذه البلاد ولكل داخل دهشة ، فما كان إنكارى عليكم إلا عن قصور وجهل ، والآن قد صح عندى عذركم وانكشف لى أن المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار ، فما أنتم إلا مسخرون تحت قهره وقدرته ، مرددون فى قبضته وهو الأول والآخر والظاهر والباطن ؛ فلما ذكر ذلك فى عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل له : كيف يكون هو الأول والآخر وهما وصفان متناقضان ، وكيف يكون هو الظاهر والباطن ؛ فالأول ليس بآخر ، والظاهر ليس بباطن ؛ فقال : هو الأول بالإضافة إلى الموجودات ، إذ صدر منه الكل على ترتيبه واحداً بعد واحد ، وهو الآخر بالإضافة إلى سير السائرين إليه فإنهم لايزالون مترقين من منزل إلى منزل إلى أن يقع الانتهاء إلى تلك الحضرة ، فيكون ذلك آخر السفر ، فهو آخر فى المشاهدة أول فى الوجود ، وهو باطن بالإضافة إلى العاكفين فى عالم الشهادة الطالبين لإدراكه بالحواس الخمس ، ظاهر بالإضافة إلى من يطلبه فى السراج الذى اشتعل فى قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة فى عالم الملكوت ، فهذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد فى الفعل : أعنى من انكشف له أن الفاعل واحد .

• فإن قلت : قد انتهى هذا التوحيد إلى أنه يبتنى على الإيمان بعالم الملكوت ، فمن لم يفهم ذلك أو يجحده فما طريقه ؟ فأقول : أما الجاحد فلا علاج له إلا أن يقال له : إنكارك لعالم الملكوت كإنكار السمنية لعالم الجبروت ، وهم الذين حصروا العلوم فى الحواس الخمس ، فأنكروا القدرة والإرادة والعلم لأنها لاندرك بالحواس الخمس ، فلازموا حضيض عالم الشهادة بالحواس الخمس ، فإن قال : وأنا منهم فإنى لا أهتدى إلا إلى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا أعلم شيئا سواه ، فيقال : إنكارك لما شاهدناه مما وراء الحواس الخمس كإنكار السوفسطائية للحواس الخمس ، فإنهم قالوا : مانراه لانثق به ، فلعلنا نراه فى المنام . فإن قال . وأنا من جملتهم فإنى شاك أيضا فى

(١) حديث « سبحانك لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » تقدم .

المحسوسات فيقال : هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه ، فيترك أياما قلائل ، وما كل مريض يقوى على علاجه الأطباء : هذا حكم الجاحد . وأما الذى لا يجحد ولكن لا يفهم ، فطريق السالكين معه أن ينظروا إلى عينه التى يشاهد بها عالم الملكوت ، فإن وجدوها صحيحة فى الأصل وقد نزل فيها ماء أسود يقبل الإزالة والتنقية اشتغلوا بتنقيته اشتغال الكحال بالأبصار الظاهرة ، فإذا استوى بصره أرشد إلى الطريق ليسلكها كما فعل ذلك صلى الله عليه وسلم بخواص أصحابه ؛ فإن كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه أن يسلك الطريق الذى ذكرناه فى التوحيد ولم يمكنه أن يسمع كلام ذرات الملك والملكوت بشهادة التوحيد كلموه بحرف وصوت وردوا ذروة التوحيد إلى حضيض فهمه فإن فى عالم الشهادة أيضاً توحيدا ، إذ يعلم كل أحد أن المنزل يفسد بصاحبين ، والبلد يفسد بأميرين ، فيقال له على حد عقله . إله العالم واحد والمدبر واحد ، إذ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، فيكون ذلك على ذوق ما رآه فى عالم الشهادة ، فينغرس اعتقاد التوحيد فى قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر عقله ، وقد كلف الله الأنبياء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم ، ولذلك نزل القرآن بلسان العرب على حد عادتهم فى المحاورة .

* فإن قلت : فمثل هذا التوحيد الاعتقادى هل يصلح أن يكون عماداً للتوكل وأصلا فيه ؟ فأقول : نعم ؛ فإن الاعتقاد إذا قوى عمل عمل الكشف فى إثارة الأحوال إلا أنه فى الغالب يضعف ويتسارع إليه الاضطراب والتزلزل غالباً ، ولذلك يحتاج صاحبه إلى متكلم يحرسه بكلامه ، أو إلى أن يتعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة التى تلقنها من أستاذه أو من أبويه أو من أهل بلده . وأما الذى شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شىء من ذلك بل لو كشف الغطاء لما ازداد يقينا وإن كان يزداد وضوحا ، كما أن الذى يرى إنسانا فى وقت الإسفار لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بأنه إنسان ولكن يزداد وضوحا فى تفصيل خلقته ، وما مثال المكاشفين والمعتقدين إلا كسحرة فرعون مع أصحاب السامرى ؛ فإن سحرة فرعون لما كانوا مطلعين على منتهى تأثير السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم رأوا من موسى عليه السلام ما جاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الأمر فلم يكترثوا بقول فرعون ﴿ لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ﴾ بل ﴿ قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا ﴾ فإن البيان والكشف يمنع التغيير وأما أصحاب السامرى لما كان إيمانهم عن النظر إلى ظاهر الثعبان ، فلما نظروا إلى عجل السامرى وسمعوا خواره تغيروا وسمعوا قوله ﴿ هذا إلهكم وإله موسى ﴾ ونسوا أنه لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا : فكل من آمن بالنظر إلى ثعبان يكفر لا محالة إذا نظر إلى عجل ، لأن كليهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد فى عالم الشهادة كثير . وأما عالم الملكوت فهو من عند الله تعالى فلذلك لا نجد فيه اختلافا وتضادا أصلا .

فإن قلت : ما ذكرته من التوحيد ظاهر مهما ثبت أن الوسائط والأسباب مسخرات ، وكل ذلك ظاهر إلا فى حركات الإنسان فإنه يتحرك إن شاء ويسكن إن شاء ، فكيف يكون مسخرا ؟ فاعلم أنه لو كان مع هذا يشاء إن أراد أن يشاء ، ولا يشاء إن لم يرد أن يشاء ، لكان هذا مزلة القدم وموقع الغلط ، ولكن علم أنه يفعل ما يشاء إذا شاء إن يشأ أم لم يشأ فليست المشيئة إليه ، إذ لو كانت إليه لافتقرت إلى مشيئة أخرى وتسلسل إلى غير نهاية ، وإذا لم تكن إليه المشيئة فهما وجدت المشيئة التى تصرف القدرة إلى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل إلى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة متحركة ضرورة عند انجزام المشيئة . فالمشيئة تحدث ضرورة فى القلب . فهذا ضرورات ترتب بعضها على بعض . وليس للعبد أن يدفع وجود المشيئة ولا انصراف

القدرة إلى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة للقدرة ، فهو مضطر فى الجميع

فإن قلت : فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار ، وأنت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا؟ فأقول: لو انكشف الغطاء لعرفت أنه فى عين الاختيار مجبور ، فهو إذن مجبور على الاختيار ، فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا وجيزا يليق بما ذكر متطفلا وتابعا فإنّ هذا الكتاب لم نقصد به إلا علم المعاملة ، ولكنى أقول لفظ الفعل فى الإنسان يطلق على ثلاثة أوجه ، إذ يقال : الإنسان يكتب بالأصابع ويتنفس بالرئة والحنجرة ويخرق الماء إذا وقف عليه بجسمه فينسب إليه الخرق فى الماء والتنفس والكتابة ، وهذه الثلاثة فى حقيقة الاضطرار والجبر واحدة ، ولكنها تختلف وراء ذلك فى أمور فأعرب لك عنها بثلاث عبارات : فنسمى خرقه للماء عند وقوعه على وجهه فعلا طبيعيا ، ونسمى تنفسه فعلا إراديا ، ونسمى كتابته فعلا اختياريا ، والجبر ظاهر فى الفعل الطبيعى لأنه مهما وقف على وجه الماء أو تخطى من السطح للهواء انخرق الهواء لا محالة وقد يكون الخرق بعد التخطى ضروريا ، والتنفس فى معناه فإنّ نسبة حركة الحنجرة إلى إرادة التنفس كنسبة انخراق الماء إلى ثقل البدن ؛ فهما كان الثقل موجودا وجد الانخراق بعده وليس الثقل إليه ، وكذلك الإرادة ليست إليه ، ولذلك لو قصد عين الإنسان بإبرة طبق الأجفان اضطرارا ، ولو أراد أن يتركها مفتوحة لم يقدر مع أنّ تغميض الأجفان اضطرارا فعل إرادى ، ولكنه إذا تمثل صورة الإبرة فى مشاهدته بالإدراك حدثت الإرادة بالتغميض ضرورة ، وحدثت الحركة بها ، ولو أراد أن يترك ذلك لم يقدر عليه مع أنه فعل بالقدرة والإرادة ، فقد التحق هذا بالفعل الطبيعى فى كونه ضروريا . وأما الثالث ـ وهو الاختيار ـ فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق ، وهو الذى يقال فيه إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل ، وتارة لا يشاء ، ؛ فيظن من هذا أنّ الأمر إليه ، وهذا للجهل بمعنى الاختيار فلنكشف عنه وبيانه : أنّ الإرادة تبع للعلم الذى يحكم بأن الشىء موافق لك ، والأشياء تنقسم إلى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة أو الباطنة بأنه يوافقك من غير تحير وتردد ، وإلى ما قد يتردد العقل فيه ؛ فالذى نقطع به من غير تردد أن من يقصد عينك مثلا بإبرة أو بدنك بسيف ، فلا يكون فى علمك تردد فى أن دفع ذلك خير لك وموافق ، فلا جرم تنبعث الإرادة بالعلم . والقدرة بالإرادة ، وتحصل حركة الأجفان بالدفع ، وحركة اليد بدفع السيف ولكن من غير روية وفكرة ، ويكون ذلك بالإرادة ، ومن الأشياء ما يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدرى أنه موافق أم لا فيحتاج إلى روية فكر حتى يتميز أن الخير فى الفعل أو الترك ، فإذا حصل بالفكر والروية العلم بأن أحدهما خير التحق ذلك بالذى يقطع به من غير روية فكر ، فانبعثت الإرادة ههنا كما تنبعث لدفع السيف والسنان ؛ فإذا انبعثت لفعل ما ظهر للعقل أنه خير سميت هذه الإرادة اختيارا مشتقا من الخير ، أى هو انبعاث إلى ما ظهر للعقل أنه خير وهو عين تلك الإرادة ، ولم ينتظر فى انبعاثها إلى ما انتظرت تلك الإرادة وهو ظهور خيرية الفعل فى حقه ، إلا أن الخيرية فى دفع السيف ظهرت من غير روية بل على البديهة وهذا افتقر إلى الروية ، فالاختيار عبارة عن إرادة خاصة وهى التى انبعثت بإشارة العقل فيما له فى إدراكه توقف ، وعن هذا قيل إن العقل يحتاج إليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ، ولا يتصور أن تنبعث الإرادة إلا بحكم الحس والتخيل أو بحكم جزم من العقل ، ولذلك لو أراد الإنسان أن يحز رقبة نفسه مثلا لم يمكنه لا لعدم القدرة فى اليد ولا لعدم السكين ولكن لفقد الإرادة الداعية المشخصة للقدرة وإنما فقدت الإرادة لأنها تنبعث بحكم العقل أو الحس بكون الفعل موافقا ، وقتله نفسه ليس موافقا له فلا يمكنه مع قوة الأعضاء أن يقتل نفسه إلا إذا كان فى عقوبة مؤلمة لا تطاق ؛ فإنّ العقل هنا يتوقف فى الحكم ويتردد؛ لأن

تردده بين شر الشرين ؛ فإن ترجح له بعد الروية أن ترك القتل أقل شرا لم يمكنه قتل نفسه وإن حكم بأن القتل أقل شرا وكان حكمه جزما لاميل فيه ولاصارف منه انبعثت الإرادة والقدرة وأهلك نفسه ، كالذى يتبع بالسيف للقتل فإنه يرمى بنفسه من السطح مثلا وإن مهلكا ولايبالى ولايمكنه أن لايرمى نفسه ، فإن كان يتبع بضرب خفيف فإن انتهى إلى طرف السطح حكم العقل بأن الضرب أهون من الرمى فوقفت أعضاؤه فلا يمكنه أن يرمى نفسه ولاتنبعث له داعية ألبتة ، لأنّ داعية الإرادة مسخرة بحكم العقل والحس ، والقدرة مسخرة للداعية ، والحركة مسخرة للقدرة ، والكل مقدّر بالضرورة فيه من حيث لايدرى ، فإنما هو محل ومجرى لهذه الأمور ، فأما أن يكون منه فكلا ولا ، فإذن معنى كونه مجبورا أن جميع ذلك حاصل فيه من غيره لامنه ، ومعنى كونه مختارا أنه محل لإرادة حدثت فيه جبرا بعد حكم العقل بكون الفعل خيرا محضا موافقا وحدث الحكم أيضا جبرا فإذا هو مجبور على الاختيار ، ففعل النار فى الإحراق مثلا جبر محض ، وفعل الله تعالى اختيار محض ، وفعل الإنسان على منزلة بين المنزلتين فإنه جبر على الاختيار ، فطلب أهل الحق لهذا عبارة ثالثة ، لأنه لما كان فنا ثالثا وائتموا فيه بكتاب الله تعالى فسموه كسبا وليس مناقضا للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه ، وفعل الله تعالى يسمى اختيارا بشرط أن لايفهم من الاختيار إرادة بعد تحير وتردد ، فإنّ ذلك فى حقه محال ، وجميع الألفاظ المذكورة فى اللغات لايمكن أن تستعمل فى حق الله تعالى إلا على نوع من الاستعارة والتجوز ، وذكر ذلك لايليق بهذا العلم ويطول القول فيه ،

* فإن قلت : فهل تقول إن العلم ولد الإرادة ، والإرادة ولدت القدرة ، والقدرة ولدت الحركة ، وأن كل متأخر حدث من المتقدم ؟ فإن قلت ذلك فقد حكمت بحدوث شىء لامن قدرة الله تعالى ، وإن أبيت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض فاعلم أن القول بان بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض ، سواء عبر عنه بالتولد أو بغيره بل حوالة جميع ذلك على المعنى الذى يعبر عنه بالقدرة الأزلية ، وهو الأصل الذى لم يقف كافة الخلق عليه إلا الراسخون فى العلم فإنهم وقفوا على كنه معناه ، والكافة وقفوا على مجرد لفظه مع نوع تشبيه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق ، وبيان ذلك يطول ، ولكن بعض المقدورات مترتب على البعض فى الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا تصدر من القدرة الأزلية إرادة إلا بعد علم ولاعلم إلا بعد حياة ولاحياة إلا بعد محل الحياة ، وكما لايجوز أن يقال الحياة تحصل من الجسم الذى هو شرط الحياة فكذلك فى سائر درجات الترتيب ، ولكن بعض الشروط ربما ظهرت للعامة وبعضها لم يظهر إلا للخواص المكاشفين بنور الحق وإلا فلا يتقدم متقدم ولايتأخر متأخر إلا بالحق واللزوم ، وكذلك جميع أفعال الله تعالى ، ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثا يضاهى فعل المجانين - تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا . وإلى هذا أشار قوله تعالى ﴿ وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ وقوله تعالى ﴿ وماخلقنا السموات والأرض ومابينهما لاعبين . ماخلقناهما إلا بالحق ﴾ فكل مابين السماء والأرض حادث على ترتيب واجب وحق لازم لايتصور أن يكون إلا كما حدث ، وعلى هذا الترتيب الذى وجد فما تأخر متأخر إلا لانتظار شرطه ، والمشروط قبل الشرط محال ، والمحال لايوصف بكونه مقدورا ، فلا يتأخر العلم عن النطفة إلا لفقد شرط الحياة ، ولاتتأخر عنها الإرادة بعد العلم إلا لفقد شرط العلم ، وكل ذلك منهاج الواجب وترتيب الحق ، ليس فى شىء من ذلك لعب واتفاق ، بل كل ذلك بحكمة وتدبير ، وتفهيم ذلك عسير ، ولكنا نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثالا يقرب مبادئ الحق من الأفهام الضعيفة ، وذلك بأن

نقدر إنسانا محدثا قدانغمس فى الماء إلى رقبته ، فالحدث لا يرتفع عن أعضائه وإن كان الماء هو الرافع وهو ملاق له ، فقدر القدرة الأزلية حاضرة ملاقية للمقدورات متعلقة بها ملاقاة الماء للأعضاء ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء انتظارا للشرط وهو غسل الوجه ، فإذا وضع الواقف فى الماء وجهه على الماء عمل الماء فى سائر أعضائه وارتفع الحدث ، فربما يظن الجاهل أنّ الحدث ارتفع عن اليدين برفعه عن الوجه لأنه حدث عقيبه ، إذ يقول : كان الماء ملاقيا ولم يكن رافعا والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه مالم يحصل من قبل ، بل حصل ارتفاع الحدث عن اليدين عند غسل الوجه ، فإذن غسل الوجه هو الرافع للحدث عن اليدين وهو جهل يضاهى ظن من يظن أن الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالإرادة والإرادة بالعلم ، وكل ذلك خطأ بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالماء الملاقى لها لا بغسل الوجه ، والماء لم يتغير واليد لم تتغير ولم يحدث فيهما شىء ، ولكن حدث وجود الشرط فظهر أثر العلة ، فهكذا ينبغى أن تفهم صدور المقدرات عن القدرة الأزلية مع أن القدرة قديمة والمقدورات حادثة ، وهذا فرع باب آخر لعالم آخر من عوالم المكاشفات ، فلنترك جميع ذلك فإنّ مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد فى الفعل ، فإنّ الفاعل بالحقيقة واحد فهو المخوف والمرجو وعليه التوكل والاعتماد ، ولم نقدر على أن نذكر من بحار التوحيد إلا قطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد ، واستيفاء ذلك فى عمر نوح محال ، كاستيفاء ماء البحر بأخذ القطرات منه ، وكل ذلك ينطوى تحت قول لا إله إلا الله ، وما أخف مؤنته على اللسان ! وما أسهل اعتقاد مفهوم لفظه على القلب ! وما أعز حقيقته ولبه عند العلماء الراسخين فى العلم فكيف عند غيرهم .

* فإن قلت : فكيف الجمع بين التوحيد والشرع : ومعنى التوحيد : أن لا فاعل إلا الله تعالى ؛ ومعنى الشرع إثبات الأفعال للعباد ؛ فإن كان العبد فاعلا فكيف يكون الله تعالى فاعلا ؟ وإن كان الله تعالى فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ؟ ومفعول بين فاعلين غير مفهوم ؟ فأقول نعم ذلك غير مفهوم إذا كان للفاعل معنى واحد ، وإن كان له معنيان ويكون الاسم مجملا مرددا بينهما لم يتناقض ، كما يقال : قتل الأمير فلانا ، ويقال : قتله الجلاد ، ولكن الأمير قاتل بمعنى ، والجلاد قاتل بمعنى آخر ، فكذلك العبد فاعل بمعنى ، والله عز وجل فاعل بمعنى آخر ؛ فمعنى كون الله تعالى فاعلا أنه المخترع الموجد . ومعنى كون العبد فاعلا أنه المحل الذى خلق فيه القدرة بعد أن خلق فيه الإرادة بعد أن خلق فيه العلم ، فارتبطت القدرة بالإرادة ، والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط ، وارتبط بقدرة الله ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع ، وكل ماله ارتباط بقدرة فإنّ محل القدرة يسمى فاعلا له كيفما كان الارتباط ، كما يسمى الجلاد قاتلا والأمير قاتلا ؛ لأنّ القتل ارتبط بقدرتها ولكن على وجهين مختلفين ، فلذلك سمى فعلا لهما ، فكذلك ارتباط المقدورات بالقدرتين ، ولأجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الأفعال فى القرآن مرة إلى الملائكة ومرة إلى العباد ، ونسبها بعينها مرة أخرى إلى نفسه ، فقال الله تعالى فى الموت ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت ﴾ ثم قال عز وجل ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴾ وقال تعالى ﴿ أفرأيتم ما تحرثون ﴾ أضاف إلينا ثم قال تعالى ﴿ أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا ﴾ وقال عز وجل ﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ﴾ ثم قال تعالى ﴿ فنفخنا فيها من روحنا ﴾ وكان النافخ جبريل عليه السلام ، وكما قال تعالى ﴿ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴾ قيل فى التفسير : معناه إذا قرأه عليك جبريل . وقال تعالى ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ﴾ فأضاف القتل إليهم والتعذيب إلى نفسه ، والتعذيب هو عين

القتل ، بل صرح وقال تعالى ﴿ فلم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم ﴾ وقال تعالى ﴿ وما رميت إذا رميت ولكن الله رمى ﴾ وهو جمع بين النفى والإثبات ظاهرا ، ولكن معناه : وما رميت بالمعنى الذى يكون الرب به راميا إذ رميت بالمعنى الذى يكون العبد به راميا ، إذ هما معنيان مختلفان . وقال الله تعالى ﴿ الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ ثم قال ﴿ الرحمن علم القرآن ﴾ وقال ﴿ علمه البيان ﴾ وقال ﴿ ثم إنّ علينا بيانه ﴾ وقال ﴿ أفرأيتم ما تمنون ؟ أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ﴾ ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وصف ملك الأرحام « إنه يدخل الرحم فيأخذ النطفة فى يده ثم يصوّرها جسدا ، فيقول ، يارب ، أذكر أم أنثى ، أسوى أم معوّج ؟ فيقول الله تعالى ما شاء ويخلق الملك [1] » وفى لفظ آخر « ويصوّر الملك ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة أو بالشقاوة » . وقد قال بعض السلف : إنّ الملك الذى يقال له الروح هو الذى يولج الأرواح فى الأجساد ، وأنه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من أنفاسه روحا يلج فى جسم ، ولذلك سمى روحا ، وماذكره فى مثل هذا الملك وصفته فهو حق شاهده أرباب القلوب ببصائرهم ، فأما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن أن يعلم إلا بالنقل والحكم به دون النقل تخمين مجرّد ، وكذلك ذكر الله تعالى فى القرآن من الأدلة والآيات فى الأرض والسموات ، ثم قال ﴿ أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ﴾ وقال ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو ﴾ فبين أنه الدليل على نفسه وذلك ليس متناقضا بل طرق الاستدلال مختلفة ، فكم من طالب عرف الله تعالى بالنظر إلى الموجودات ، وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله تعالى كما قال بعضهم : عرفت ربى بربى ، ولولا ربى لما عرفت ربى ، وهو معنى قوله تعالى ﴿ أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ﴾ وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه المحيى والمميت ، ثم فوّض الموت والحياة إلى ملكين ، ففى الخبر « أنّ ملكى الموت والحياة تناظرا ، فقال ملك الموت : أنا أميت الأحياء ، وقال ملك الحياة . أنا أحيى الموتى ، فأوحى الله تعالى إليهما : كونا على عملكما وما سخرتكما له من الصنع ، وأنا المميت والمحيى لا يميت ولا يحيى سواى [2] » فإذن الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تتناقض هذه المعانى إذا فهمت ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الذى ناوله التمرة « خذها ، لو لم تأتها لأتتك [3] » أضاف الإتيان إليه وإلى التمرة ، ومعلوم أنّ التمرة لا تأتى على الوجه الذى يأتى الإنسان إليها ، وكذلك لما قال التائب : أتوب إلى الله تعالى ولا أتوب إلى محمد ، فقال صلى الله عليه وسلم « عرف الحق لأهله [4] » فكل من أضاف الكل إلى الله تعالى فهو المحقق الذى عرف الحق والحقيقة ، ومن أضافه إلى غيره فهو المتجوز والمستعير فى كلامه ، وللتجوز وجه كما أنّ للحقيقة وجها ، واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع ، ولكن ظن أنّ الإنسان مخترع بقدرته فسماه فاعلا بحركته وظن أنه تحقيق ، وتوهم أنّ نسبته إلى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل إلى الأمير فإنه مجاز بالإضافة إلى نسبته إلى الجلاد ، فلما انكشف الحق لأهله عرفوا أنّ الأمر بالعكس

---

(١) حديث : وصف ملك الأرحام أنه يدخل الرحم فيأخذ النطفة بيده ثم يصورها جسدا .. الحديث ، رواه البزار وابن عدى من حديث عائشة « إن الله تبارك وتعالى حين يريد أن يخلق الخلق يبعث ملكا فيدخل الرحم فيقول : يارب ماذا ... الحديث » وفى آخره « فما من شىء إلا وهو يخلق معه فى الرحم » وفى سنده جهالة . وقال ابن عدى : إنه منكر ، وأصله متفق عليه من حديث ابن مسعود بنحوه . (٢) حديث « إن ملك الموت والحياة تناظرا فقال ملك الموت : أنا أميت الأحياء ، وقال ملك الحياة أنا أحيى الأموات ، فأوحى الله اليهما : أن كونا على عملكما ... الحديث » لم أجد له أصلا .

(٣) حديث : قال الذى ناوله التمرة « خذها لو لم تأتها لأتتك » أخرجه ابن حبان فى كتاب روضة العقلاء من رواية هذيل ابن شرحبيل ، ووصله الطبرانى عن هذيل عن ابن عمر ورجاله رجال الصحيح . (٤) حديث إنه قال للذى قال أتوب الى الله ولا أتوب الى محمد « عرف الحق لأهله » تقدم فى الزكاة .

وقالوا : إنّ الفاعل قد وضعته أيها اللغوى للمخترع فلا فاعل إلا الله ، فالاسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز : أى تتجوز به عما وضعه اللغوى له ، ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الأعراب قصدا أو اتفاقا صدّقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد : * ألا كل شىء ما خلا الله باطل * (١) » أى كل ما لا قوام له بنفسه ـ وإنما قوامه بغيره ـ فهو باعتبار نفسه باطل ، وإنما حقيته وحقيقته بغيره لا بنفسه ، فإذن لاحق بالحقيقة إلى الحى القيوم الذى ليس كمثله شىء ، فإنه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته ، فهو الحق وما سواه باطل ، ولذلك قال سهل : يامسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون ، فلما كنت اليوم صرت تقول أنا وأنا : كن الآن كما لم تكن فإنه اليوم كما كان .

فإن قلت : فقد ظهر الآن أن الكل جبر ، فما معنى الثواب والعقاب والغضب والرضا ، وكيف غضبه على فعل نفسه ؟ فاعلم أن معنى ذلك قد أشرنا إليه فى كتاب الشكر فلا نطول بإعادته ، فهذا هو القدر الذى رأينا الرمز إليه من التوحيد الذى يورث حال التوكل ولا يتم هذا إلا بالإيمان بالرحمة والحكمة ، فإن التوحيد يورث النظر إلى مسبب الأسباب ، والإيمان بالرحمة وسعتها هو الذى يورث الثقة بمسبب الأسباب ، ولا يتم حال التوكل كما سيأتى إلا بالثقة بالوكيل وطمأنينة القلب إلى حسن نظر الكفيل ، وهذا الإيمان أيضا باب عظيم من أبواب الإيمان وحكاية طريق المكاشفين فيه تطول ، فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقادا قاطعا لا يستريب فيه . وهو أن يصدّق تصديقا يقينيا لاضعف فيه ولا ريب أن الله عز وجل لو خلق الخلق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وأفاض عليهم من الحكمة مالا منتهى لوصفها ، ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عن عواقب الأمور وأطلعهم على أسرار الملكوت وعرّفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر ، ثم أمرهم أن يدبروا الملك والملكوت بما أعطوا من العلوم والحكم ، لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه أن يزاد فيما دبر الله سبحانه الخلق به فى الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولا أن ينقص منها جناح بعوضة ، ولا أن يرفع منها ذرّة ولا أن يخفض منها ذرّة ، ولا أن يدفع مرض أو عيب أو نقص أو فقر أو ضر عمن بلى به ، ولا أن يزال صحة أو كمال أو غنى أو نفع عمن أنعم الله به عليه ، بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والأرض ـ إن رجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر ـ ما رأوا فيها من تفاوت ولا فطور ، وكل ماقسم الله تعالى بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وإيمان وكفر وطاعة ومعصية ، فكله عدل محض لاجور فيه ، وحق صرف لا ظلم فيه ، بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغى وكما ينبغى وبالقدر الذى ينبغى ، وليس فى الإمكان أصلا أحسن منه ولا أتم ولا أكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يتفضل بفعله لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ، ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الإلهية ، بل كل فقر وضر فى الدنيا فهو نقصان من الدنيا وزيادة فى الآخرة وكل نقص فى الآخرة بالإضافة إلى شخص فهو نعيم بالإضافة إلى غيره ، إذ لولا الليل لما عرف قدر النهار ، ولولا المرض لما تنعم الأصحاء بالصحة ، ولولا النار لما عرف أهل الجنة قدر النعمة ، وكما أن فداء أرواح الإنس بأرواح البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم ، بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل ، فكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على أهل النيران ، وفداء

(١) حديث « أصدق بيت قالته العرب بيت لبيد : * ألا كل شىء ماخلا الله باطل * متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ « قاله الشاعر » وفى رواية لمسلم « أشعر كلمة تكلمت بها العرب » .

أهل الإيمان بأهل الكفران عين العدل ، وما لم يخلق الناقص لايعرف الكامل ، ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الإنس ، فإنّ الكمال والنقص يظهر بالإضافة ، فمقتضى الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعا ، وكما أن قطع اليد إذا تأكلت إبقاء على الروح عدل لأنه فداء كامل بناقص ، فكذلك الأمر فى التفاوت الذى بين الخلق فى القسمة فى الدنيا والآخرة ، فكل ذلك عدل لاجور فيه وحق لا لعب فيه ، وهذا الآن بحر آخر عظيم العمق واسع الأطراف مضطرب الأمواج قريب فى السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين ، ولم يعلموا أن ذلك غامض لا يعقله إلا العالمون ، ووراء هذا البحر سر القدر الذى تحير فيه الأكثرون ومنع من إفشاء سره المكاشفون.

والحاصل أنّ الخير والشر مقضى به ، وقد كان ما قضى به واجب الحصول بعد سبق المشيئة فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وأمره ، بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر ، وما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

ولنقتصر على هذه المرامز من علوم المكاشفة التى هى أصول مقام التوكل ، ولنرجع إلى علم المعاملة إن شاء الله تعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الشطر الثانى من الكتاب

فى أحوال التوكل وأعماله

وفيه بيان حال التوكل ، وبيان ماقاله الشيوخ فى حد التوكل ، وبيان التوكل فى الكسب للمنفرد والمعيل ، وبيان التوكل بقدر الادخار وبيان التوكل فى دفع المضار ، وبيان التوكل فى إزالة الضرر بالتداوى وغيره ، والله الموفق برحمته .

بيان حال التوكل

قد ذكرنا أنّ مقام التوكل ينتظم من : علم ، وحال ، وعمل . وذكرنا العلم .

فأما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه ، وإنما العلم أصله والعمل ثمرته ، وقد أكثر الخائضون فى بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم ، وتكلم كل واحد عن مقام نفسه وأخبر عن حده كما جرت عادة أهل التصوف به ، ولا فائدة فى النقل والإكثار ، فلنكشف الغطاء عنه ونقول :

التوكل مشتق من الوكالة ، يقال : وكل أمره إلى فلان أى فوضه إليه واعتمد عليه فيه ، ويسمى الموكول إليه وكيلا ، ويسمى المفوض إليه متكلا عليه ومتوكلا عليه مهما اطمأنت إليه نفسه ووثق به ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا ، فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده . ولنضرب للوكيل فى الخصومة مثلا فنقول : من ادعى عليه دعوى باطلة بتلبيس فوكل للخصومة من يكشف ذلك التلبيس لم يكن متوكلا عليه ولا واثقا به ولا مطمئن النفس بتوكيله إلا إذا اعتقد فيه أربعة أمور : منتهى الهداية ، ومنتهى القوة ، ومنتهى الفصاحة ، ومنتهى الشفقة . أما الهداية فليعرف بها مواقع التلبيس حتى لايخفى عليه من غوامض الحيل شىء أصلا . وأما القدرة والقوة فليستجرئ على التصريح بالحق فلا يداهن ولا يخاف ولا يستحى ولا يجبن ، فإنه ربما يطلع على وجه تلبيس خصمه فيمنعه الخوف أو الجبن أو الحياء أو صارف آخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به : وأما الفصاحة فهى أيضا من القدرة إلا أنها قدرة فى اللسان على الافصاح عن كل مااستجرأ القلب عليه وأشار إليه : فلا كل عالم بمواقع التلبيس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدة التلبيس : وأما منتهى الشفقة فيكون باعثا له على بذل كل ما يقدر

عليه فى حقه من المجهود ، فإنّ قدرته لاتغنى دون العناية به إذا كان لايهمه أمره ولا يبالى به ظفر خصمه أو لم يظفر هلك به حقه أو لم يهلك ؛ فإن كان شاكا فى الأربعة أو فى واحدة منها أو جوّز أن يكون خصمه فى هذه الأربعة أكمل منه لم تطمئن نفسه إلى وكيله ، بل بقى منزعج القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذره من قصور وكيله وسطوة خصمه ويكون تفاوت درجة أحواله فى شدّة الثقة والطمأنينة بحسب تفاوت قوّة اعتقاده لهذه الخصال فيه ، والاعتقادات والظنون فى القوّة والضعف تتفاوت تفاوتا لا ينحصر ، فلا جرم تتفاوت أحوال المتوكلين فى قوّة الطمأنينة والثقة تفاوتا لاينحصر إلى أن ينتهى إلى اليقين الذى لاضعف فيه ، كما لو كان الوكيل والد الموكل وهو الذى يسعى لجمع الحلال والحرام لأجله ، فإنه يحصل له يقين بمنتهى الشفقة والعناية ، فتصير خصلة واحدة من الخصال الأربعة قطعية ، وكذلك سائر الخصال يتصوّر أن يحصل القطع به ، وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الأخبار بأنه أفصح الناس لسانا وأقدرهم بيانا وأقدرهم على نصرة الحق بل على تصوير الحق بالباطل والباطل بالحق فإذا عرفت التوكل فى هذا المثال فقس عليه التوكل على الله تعالى ، فإن ثبت فى نفسك كشف أو باعتقاد جازم أنه لا فاعل إلا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العناية والعطف والرحمة بجملة العباد والآحاد وأنه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة ، اتكل لامحالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت إلى غيره بوجه ولا إلى نفسه وحوله وقوّته ، فإنه لاحول ولا قوّة إلا بالله كما سبق فى التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة ، فإنّ الحول عبارة عن الحركة ، والقوة عبارة عن القدرة ، فإن كنت لاتجد هذه الحالة من نفسك فسببه أحد أمرين : إما ضعف اليقين بإحدى هذه الخصال الأربعة ، وإما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الأوهام الغالبة عليه ، فإن القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له عن غير نقصان فى اليقين ، فإنّ من يتناول عسلا فشبه بين يديه بالعذرة ربما نفر طبعه وتعذر عليه تناوله ، ولو كلف العاقل أن يبيت مع الميت فى قبر أو فراش أو بيت نفر طبعه عن ذلك وإن كان متيقنا بكونه ميتا وأنه جماد فى الحال وأنّ سنة الله تعالى مطردة بأنه لا يحشره الآن ولا يحييه وإن كان قادرا عليه ، كما أنها مطردة بأن لايقلب القلم الذى فى يده حية ولا يقلب السنور أسدا وإن كان قادرا عليه ، ومع أنه لايشك فى هذا اليقين ينفر طبعه عن مضاجعة الميت فى فراش أو المبيت معه فى البيت ولا ينفر عن سائر الجمادات ، وذلك جبن فى القلب وهو نوع ضعيف قلما يخلو الإنسان عن شىء منه وإن قل ، وقد يقوى فيصير مرضا حتى يخاف أن يبيت فى البيت وحده مع إغلاق الباب وإحكامه ، فإذن لايتم التوكل إلا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا ، إذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته ، فالسكون فى القلب شىء واليقين شىء آخر فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى لإبراهيم عليه السلام ﴿ أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى ﴾ فالنفس أن يكون مشاهدا إحياء الميت بعينه ليثبت فى خياله فإن النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين فى ابتداء أمرها إلى أن تبلغ بالآخرة إلى درجة النفس المطمئنة ؛ وذلك لا يكون فى البداية أصلا ، وكم من مطمئن لايقين له كسائر أرباب الملل والمذاهب ، فإنّ اليهودى مطمئن القلب إلى تهوّده ، وكذا النصرانى ولا يقين لهم أصلا ، وإنما يتبعون الظنّ وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين ، إلا أنهم معرضون عنه ، فإذن الجبن والجراءة غرائز ولا ينفع اليقين معها ، فهى أحد الأسباب التى تضاد حال التوكل ، كما أنّ ضعف اليقين بالخصال الأربعة أحد الأسباب ، وإذا اجتمعت هذه الأسباب حصلت الثقة بالله تعالى ؛ وقد قيل : مكتوب فى التوراة : ملعون من ثقته إنسان مثله ، وقد قال صلى الله عليه وسلم

« من استعز بالعبيد أذله الله تعالى [1] » وإذا انكشف لك معنى التوكل وعلمت الحالة التى سميت توكلا فاعلم أنّ تلك الحالة لها فى القوة والضعف ثلاث درجات :

(الدرجة الأولى) ماذكرناه : وهو أن يكون حاله فى حق الله تعالى والثقة بكفالته وعنايته كحاله فى الثقة بالوكيل (الثانية) وهى أقوى : أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه فإنه لايعرف غيرها ولا يفزع إلى أحد سواها ولا يعتمد إلا إياها ، فإذا رآها تعلق فى كل حال بذيلها ولم يخلها ، وإن نابه أمر فى غيبتها كان أول سابق إلى لسانه : يا أماه ، وأول خاطر يخطر فى قلبه أمه فإنها مفزعه ، فإنه قد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها ثقة ليست خالية عن نوع إدراك بالتمييز الذى له ، ويظن أنه طبع من حيث إنّ الصبى لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر على تلقين لفظه ولا على إحضاره مفصلا فى ذهنه ، ولكن كل ذلك وراء الإدراك ، فمن كان باله إلى الله عز وجل ونظره إليه واعتماده عليه كاف به كما يكاف الصبى بأمه فيكون متوكلا حقا : فانّ الطفل متوكل على أمه . والفرق بين هذا وبين الأول : أن هذا متوكل وقد فنى فى توكله عن توكله إذ ليس يلتفت قلبه إلى التوكل وحقيقته ، بل إلى المتوكل عليه فقط ، فلا مجال فى قلبه لغير المتوكل عليه . وأما الأول فيتوكل بالتكاف والكسب وليس فانيا عن توكله لأنّ له التفاتا إلى توكله وشعورا به ، وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده ، وإلى هذه الدرجة أشار سهل حيث سئل عن التوكل : ما أدناه ؟ قال : ترك الأمانى . قيل : وأوسطه ؟ قال ترك الاختيار ، وهو إشارة إلى الدرجة الثانية . وسئل عن أعلاه فلم يذكره وقال : لايعرفه إلا من بلغ أوسطه (الثالثة) وهى أعلاها : أن يكون بين يدى الله تعالى فى حركاته وسكناته مثل الميت بين يدى الغاسل لايفارقه إلا فى أنه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الأزلية كما تحرك يد الغاسل الميت ، وهو الذى قوى يقينه بأنه مجرى للحركة والقدرة والإرادة والعلم وسائر الصفات ، وأن كلا يحدث جبرا فيكون بائنا عن الانتظار لما يجرى عليه ، ويفارق الصبى فإنّ الصبى يفزع إلى أمه ويصيح ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها ، بل هو مثل صبى علم أنه وإن لم يزعق بأمه فالأم تطلبه وأنه وإن لم يتعلق بذيل أمه فالأم تحمله ، وإن لم يسألها اللبن فالأم تفاتحه وتسقيه ، وهذا المقام فى التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته ، وأنه يعطى ابتداء أفضل مما يسئل ، فكم من نعمة ابتدأها قبل السؤال والدعاء وبغير الاستحقاق ، والمقام الثانى لايقتضى ترك الدعاء والسؤال منه وإنما يقتضى ترك السؤال من غيره فقط .

« فإن قلت : فهذه الأحوال هل يتصور وجودها . فاعلم أن ذلك ليس بمحال ولكنه عزيز نادر ، والمقام الثانى والثالث أعزها ، والأول أقرب إلى الإمكان ، ثم إذا وجد الثالث والثانى فدوامه أبعد منه ، بل يكاد لايكون المقام الثالث فى دوامه إلا كصفرة الوجل ، فإنّ انبساط القلب إلى ملاحظة الحول والقوة والأسباب طبع وانقباضه عارض ، كما إنّ انبساط الدم إلى جميع الأطراف طبع وانقباضه عارض . والوجل عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة إلى الباطن حتى تنمحى عن ظاهر البشرة الحمرة التى كانت ترى من وراء الرقيق من ستر البشرة ، فإنّ البشرة ستر رقيق تتراءى من ورائه حمرة الدم ، وانقباضه يوجب الصفرة وذلك لايدوم ، وكذا انقباض القلب بالكلية عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الأسباب الظاهرة لايدوم ، وأما المقام الثانى فيشبه صفرة المحموم فإنه قد يدوم يوما ويومين ، والأول يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد أن يدوم ولا يبعد أن يزول .

---

(١) حديث « من اعتز بالعبيد أذله الله » أخرجه العقيلى فى الضعفاء ، وأبو نعيم فى الحلية من حديث عمر ، أورده العقيلى فى ترجمة عبد الله بن عبد الله الأموى وقال : لايتابع على حديثه ، وقد ذكره ابن حبان فى الثقات وقال : يخالف فى روايته .

* فإن قلت : فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالأسباب فى هذه الأحوال ؟ فاعلم إنّ المقام الثالث ينفى التدبير رأسا مادامت الحالة باقية ، بل يكون صاحبها كالمبهوت . والمقام الثانى ينفى كل تدبير إلا من حيث الفزع إلى الله بالدعاء والابتهال كتدبير الطفل فى التعلق بأمه فقط . والمقام الأول لاينفى أصل التدبير والاختيار ولكن ينفى بعض التدبيرات كالمتوكل على وكيله فى الخصومة فإنه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لايترك التدبير الذى أشار إليه وكيله به أو التدبير الذى عرفه من عادته وسنته دون صريح إشارته ، فأما الذى يعرفه بإشارته بأن يقول له : لست أتكلم إلا فى حضورك فيشتغل لامحالة بالتدبير للحضور ، ولا يكون هذا مناقضا توكله عليه ، إذ ليس هو فزعا منه إلى حول نفسه وقوته فى إظهار الحجة ولا إلى حول غيره ، بل من تمام توكله عليه أن يفعل مارسمه له ؛ إذ لو لم يكن متوكلا عليه ولا معتمداً له فى قوله لما حضر ؛ فقوله وأما المعلوم من عادته واطراد سننه : فهو أن يعلم من عادته أن لايحاج الخصم إلا من السجل ، فتمام توكله إن كان متوكلا عليه : أن يكون معولا على سنته وعادته ووافيا بمقتضاها : وهو أن يحمل السجل مع نفسه إليه عند مخاصمته ؛ فإذن لايستغنى عن التدبير فى الحضور وعن التدبير فى إحضار السجل ، ولو ترك شيئا من ذلك كان نقصا فى توكله فكيف يكون فعله نقصا فيه ، نعم بعد أن حضر وفاء باشارته وأحضر السجل وفاء بسنته وعادته وقعد ناظراً إلى محاجته فقد ينتهى إلى المقام الثانى والثالث فى حضوره حتى يبقى كالمبهوت المنتظر لايفزع إلى حوله وقوته إذ لم يبق له حول ولا قوة ، وقد كان فزعه إلى حوله وقوته فى الحضور وإحضار السجل بإشارة الوكيل وسنته ، وقد انتهى نهايته فلم يبق إلا طمأنينة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجرى ، وإذا تأملت هذا اندفع عنك كل إشكال فى التوكل وفهمت أنه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وأنّ كل تدبير وعمل لايجوز أيضا مع التوكل بل هو على الانقسام وسيأتى تفصيله فى الأعمال ، فإذا فزع المتوكل إلى حوله وقوته فى الحضور والإحضار لايناقض التوكل لأنه يعلم أنه لولا الوكيل لكان حضوره وإحضاره باطلا وتعباً محضا بلا جدوى ؛ فإذن لايصير مفيداً من حيث إنه حوله وقوته بل من حيث إنّ الوكيل جعله معتمداً لحاجته ، وعرّفه ذلك بإشارته وسنته ، فإذن لاحول ولا قوة إلا بالوكيل ، إلا أن هذه الكلمة لايكمل معناها فى حق الوكيل لأنه ليس خالقا حوله وقوته ، بل هو جاعل لهما مفيدين فى أنفسهما ولم يكونا مفيدين لولا فعله ، وإنما يصدق ذلك فى حق الوكيل الحق وهو الله تعالى إذ هو خالق الحول والقوة كما سبق فى التوحيد وهو الذى جعلهما مفيدين إذ جعلهما شرطا لما سيخلقه من بعدهما من الفوائد والمقاصد ، فإذن لاحول ولا قوة إلا بالله حقاً وصدقا ، فمن شاهد هذا كله كان له الثواب العظيم الذى وردت به الأخبار فيمن يقول لاحول ولا قوة إلا بالله [1] ، وذلك قد يستبعد فيقال : كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب بمفهوم لفظها ؟ وهيهات فإنما ذلك جزاء على هذه المشاهدة التى ذكرناها فى التوحيد ، ونسبة هذه الكلمة وثوابها إلى كلمة (لاإله إلا الله) وثوابها كنسبة معنى إحداهما إلى الأخرى ، إذ فى هذه الكلمة إضافة إلى شيئين إلى الله تعالى فقط وهما الحول والقوة ، وأما كلمة لا إله إلا الله فهو نسبة الكل اليه ، فانظر الى التفاوت بين الكل وبين شيئين لتعرف به ثواب (لا إله إلا الله) بالإضافة إلى هذا ، وكما ذكرنا من قبل أن للتوحيد قشرين ولبين ، فكذلك لهذه الكلمة ولسائر الكلمات ، وأكثر الخلق قيدوا بالقشرين وما طرقوا إلى اللبين ، وإلى اللبين الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « من قال لا إله إلا الله

(١) أحاديث ثواب قول لاحول ولاقوة إلا بالله : تقدمت فى الدعوات .

صادقا من قلبه مخلصا وجبت له الجنة [1] ، وحيث أطلق من غير الصدق والإخلاص أراد بالمطلق هذا المقيد كما أضاف المغفرة إلى الإيمان والعمل الصالح فى بعض المواضع ، وأضافها إلى مجرد الإيمان فى بعض المواضع ، والمراد به المقيد بالعمل الصالح ، فالملك لاينال بالحديث وحركة اللسان حديث وعقد القلب أيضا حديث ولكنه حديث نفس ، وإنما الصدق والإخلاص وراءهما ، ولا ينصب سرير الملك إلا للمقربين وهم المخلصون ، نعم لمن يقرب منهم فى الرتبة من أصحاب اليمين أيضا درجات عند الله تعالى وإن كانت لاتنتهى إلا بالملك ، أما ترى أن الله سبحانه لما ذكر فى سورة الواقعة المقربين السابقين تعرض لسرير الملك فقال ﴿ على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين ﴾ ولما انتهى إلى أصحاب اليمين مازاد فى ذكر الماء والظل والفواكه والأشجار والحور العين ، وكل ذلك من لذات المنظور والمشروب والمأكول والمنكوح ، ويتصور ذلك للبهائم على الدوام ، وأين لذات البهائم من لذة الملك ، والنزول فى أعلى عليين فى جوار رب العالمين ، ولوكان لهذه اللذات قدر لما وسعت على البهائم ولما رفعت عليها درجة الملائكة ، أفترى أنّ أحوال البهائم - وهى مسيبة فى الرياض متنعمة بالماء والأشجار وأصناف المأكولات متمتعة بالنزوان والسفاد - أعلى وألذ وأشرف وأجدر بأن تكون عند ذوى الكمال مغبوطة - من أحوال الملائكة فى سرورهم بالقرب من جوار رب العالمين فى أعلى عليين ، هيهات هيهات ماأبعد عن التحصيل من إذا خير بين أن يكون حمارا أو يكون فى درجة جبريل عليه السلام فيختار درجة الحمار على درجة جبريل عليه السلام ! وليس يخفى أنّ شبه كل شىء منجذب إليه ، وأنّ النفس التى نزوعها إلى صنعة الأساكفة أكثر من نزوعها إلى صنعة الكتابة ، فهو بالأساكفه أشبه فى جوهره منه بالكتاب ، وكذلك من نزوع نفسه إلى نيل لذات البهائم أكثر من نزوعها إلى نيل لذات الملائكة ، فهو بالبهائم أشبه منه بالملائكة لامحالة ، وهؤلاء هم الذين يقال فيهم ﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل ﴾ وإنما كانوا أضل لأن الأنعام ليس فى قوتها طلب درجة الملائكة ، فتركها الطلب للعجز . وأما الإنسان ففى قوته ذلك ، والقادر على نيل الكمال أحرى بالذم وأجدر بالنسبة إلى الضلال مهما تقاعد عن طلب الكمال . وإذا كان هذا كلاما معترضا فلنرجع إلى المقصود فقد بينا معنى قول (لا إله إلا الله) ومعنى قول (لاحول ولاقوة إلا بالله) وإن من ليس قائلا بهما عن مشاهدة فلا يتصور منه حال التوكل .

* فإن قلت : ليس فى قولك (لاحول ولاقوة إلابالله) إلا نسبة شيئين إلى الله ، فلوقال قائل ، السماء والأرض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه ؟ فأقول : لا ، لأن الثواب على قدر درجة المثاب عليه ولامساواة بين الدرجتين ولاينظر إلى عظم السماء والأرض وصغر الحول والقوة إن جاز وصفهما بالصغر تجوزا ، فليست الأمور بعظم الأشخاص بل كل عامى يفهم أن الأرض والسماء ليستا من جهة الآدميين بل هما من خلق الله تعالى ، فأما الحول والقوة فقد أشكل أمرهما على المعتزلة والفلاسفة وطوائف كثيرة ممن يدعى أنه يدقق النظر فى الرأى والمعقول حتى يشق الشعر بحدّة نظره ، فهى مهلكة مخطرة ومزلة عظيمة هلك فيها الغافلون إذ أثبتوا لأنفسهم أمرا وهو شرك فى التوحيد وإثبات خالق سوى الله تعالى ، فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله تعالى إياه فقد علت رتبته وعظمت درجته فهو الذى يصدق قول لاحول ولاقوة إلا بالله ، وقد ذكرنا أنه ليس فى التوحيد إلا عقبتان (إحداهما) النظر

---

(١) حديث « من قال لااله إلا الله صادقا مخلصا من قلبه وجبت له الجنة » رواه الطبرانى من حديث زيد بن أرقم ، وأبو يعلى من حديث أبى هريرة ، وقد تقدم .

إلى السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والغيم والمطر وسائر الجمادات (والثانية) النظر إلى اختيار الحيوانات وهى أعظم العقبتين وأخطرهما وبقطعهما كمال سر التوحيد فلذلك عظم ثواب هذه الكلمة أعنى ثواب المشاهدة التى هذه الكلمة ترجمتها ؛ فإذاً رجع حال التوكل إلى التبرى من الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق ، وسيتضح عند ذكرنا تفصيل أعمال التوكل إن شاء الله تعالى .

بيان ماقاله الشيوخ فى أحوال التوكل

ليتبين أنّ شيئا منها لايخرج عما ذكرنا ولكن كل واحد يشير إلى بعض الأحوال ، فقد قال أبو موسى الديلى : قلت لأبى يزيد : ما التوكل ؟ فقال : ماتقول أنت ؟ قلت : إن أصحابنا يقولون : لو أن السباع والأفاعى عن يمينك ويسارك ماتحرّك لذلك سرك . فقال أبو يزيد : نعم هذا قريب ولكن لو أن أهل الجنة فى الجنة يتنعمون وأهل النار فى النار يعذبون ثم وقع بك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل ، فما ذكره أبو موسى فهو خبر عن أجل أحوال التوكل وهو المقام الثالث ، وما ذكره أبو يزيد عبارة عن أعز أنواع العلم الذى هو من أصول التوكل وهو العلم بالحكمة ، وأن ما فعله الله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين أهل النار وأهل الجنة بالإضافة إلى أصل العدل والحكمة وهذا أغمض أنواع العلم ووراءه سر القدر ، وأبو يزيد قلما يتكلم إلا عن أعلى المقامات وأقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن الحيات شرطا فى المقام الأوّل من التوكل ؛ فقد احترز أبو بكر رضى الله عنه فى الغار إذ سدّ منافذ الحيات [1] إلا أن يقال فعل ذلك برجله ولم يتغير بسببه سره ، أو يقال : إنما فعل ذلك شفقة فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم لافى حق نفسه ، وإنما يزول التوكل بتحرّك سره وتغيره لأمر يرجع إلى نفسه ، وللنظر فى هذا مجال ، ولكن سيأتى بيان أن أمثال ذلك وأكثر منه لايناقض التوكل ، فإنّ حركة السر من الحيات هو الخوف ، وحق المتوكل أن يخاف مسلط الحيات ، إذ لاحول للحيات ولا قوة لها إلا بالله ، فإن احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته فى الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير .

وسئل ذو النون المصرى عن التوكل ؟ فقال : خلع الأرباب وقطع الأسباب ، فخلع الأرباب إشارة إلى علم التوحيد ، وقطع الأسباب إشارة إلى الأعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وإن كان اللفظ يتضمنه فقيل له : زدنا ! فقال : إلقاء النفس فى العبودية وإخراجها من الربوبية ، وهذا إشارة إلى التبرى من الحول والقوة فقط .

وسئل حمدون القصار عن التوكل ؟ فقال : إن كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانق دين لم تأمن أن تموت ويبقى دينك فى عنقك ، ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وفاء لاتيأس من الله تعالى أن يقضيها عنك ، وهذا إشارة إلى مجرّد الإيمان بسعة القدرة ، وأن فى المقدورات أسبابا خفية سوى هذه الأسباب الظاهرة .

وسئل أبو عبد الله القرشى عن التوكل ؟ فقال : التعلق بالله تعالى فى كل حال ، فقال السائل : زدنى ! فقال : ترك كل سبب يوصل إلى سبب حتى يكون الحق هو المتولى لذلك ، فالأوّل عام للمقامات الثلاث ، والثانى إشارة إلى المقام الثالث خاصة ، وهو مثل توكل إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال له جبريل عليه السلام : ألك حاجة ؟ فقال : أما إليك فلا ، إذ كان سؤاله سببا يفضى إلى سبب وهو حفظ جبريل له ، فترك ذلك ثقة بأن الله تعالى إن أراد سخر جبريل لذلك ، فيكون هو المتولى لذلك ، وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بالله تعالى فلم يرمعه غيره ،

(١) حديث : إن أبا بكر سد منافذ الحيات فى الغار شفقة على النبى صلى الله عليه وسلم . تقدم .

وهو حال عزيز فى نفسه ، ودوامه إن وجد أبعد منه وأعز .

وقال أبو سعيد الخراز : التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ، ولعله يشير إلى المقام الثانى ، فسكونه بلا اضطراب : إشارة إلى سكون القلب إلى الوكيل وثقته به ، واضطراب بلا سكون : إشارة إلى فزعه إليه وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيديه إلى أمه وسكون قلبه إلى تمام شفقتها .

وقال أبو على الدقاق . التوكل ثلاث درجات : التوكل ، ثم التسليم ، ثم التفويض ، فالمتوكل يسكن إلى وعده ، والمسلم يكتفى بعلمه ، وصاحب التفويض يرضى بحكمه . وهذا إشارة إلى تفاوت درجات نظره بالإضافة إلى المنظور إليه ، فإنّ العلم هو الأصل ، والوعد يتبعه ، والحكم يتبع الوعد ، ولا يبعد أن يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شىء من ذلك ؛ وللشيوخ فى التوكل أقاويل سوى ماذكرناه فلا نطول بها فإن الكشف أنفع من الرواية والنقل ، فهذا مايتعلق بحال التوكل ، والله الموفق برحمته ولطفه .

بيان أعمال المتوكلين

اعلم أن العلم يورث الحال ، والحال يثمر الأعمال ، وقد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة وكاللحم على الوضم وهذا ظن الجهال ، فإنّ ذلك حرام فى الشرع ، والشرع قد أثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين ، بل نكشف الغطاء عنه ونقول إنما يظهر تأثير التوكل فى حركة العبد وسعيه بعلمه إلى مقاصده ، وسعى العبد باختياره إما أن يكون لأجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب ، أو لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار ، أو لدفع ضارّ لم ينزل به كدفع الصائل والسارق والسباع ، أو لإزالة ضارّ قد نزل به كالتداوى من المرض ، فمقصود حركات العبد لا تعدو هذه الفنون الأربعة وهو جلب النافع أو حفظه ، أو دفع الضارّ أو قطعه ، فلنذكر شروط التوكل ودرجاته فى كل واحد منها مقرونا بشواهد الشرع .

(الفن الأوّل : فى جلب النافع) فنقول فيه : الأسباب التى بها يجلب النافع على ثلاث درجات : مقطوع به ، ومظنون ظنا يوثق به ، وموهوم وهما لاتثق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن إليه .

(الدرجة الأولى) المقطوع به ، وذلك مثل الأسباب التى ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطردا لايختلف ، كما أنّ الطعام إذا كان موضوعا بين يديك وأنت جائع محتاج ولكنك لست تمدّ اليد إليه وتقول أنا متوكل ، وشرط التوكل ترك السعى ومدّ اليد إليه سعى وحركة وكذلك مضغه بالأسنان وابتلاعه بإطباق أعالى الحنك على أسافله ، فهذا جنون محض وليس من التوكل فى شىء ، فإنك إن انتظرت أن يخلق الله تعالى فيك شبعا دون الخبز ، أو يخلق فى الخبز حركة إليك ، أو يسخر ملكا ليمضغه لك ويوصله إلى معدتك : فقد جهلت سنة الله تعالى ، وكذلك لو لم تزرع الأرض وطمعت فى أن يخلق الله تعالى نباتا من غير بذر ، أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام : فكل ذلك جنون وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن إحصاؤه ، أليس التوكل فى هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم . أما العلم : فهو أن تعلم أن الله تعالى خلق الطعام واليد والأسنان وقوة الحركة وأنه هو الذى يطعمك ويسقيك . وأما الحال فهو أن يكون سكون قلبك واعتمادك على فعل الله تعالى لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف فى الحال وتفلج ؟ وكيف تعول على قدرتك وربما يطرأ عليك فى الحال مايزيل عقلك ويبطل قوة حركتك ؟ وكيف تعول على حضور الطعام ، وربما يسلط الله تعالى

من يغلبك عليه أو يبعث حية تزعجك عن مكانك وتفرق بينك وبين طعامك . وإذا احتمل أمثال ذلك ولم يكن لها علاج إلا بفضل الله تعالى فبذلك فلتفرح وعليه فلتعول ، فإذا كان هذا حاله وعلمه فليمد اليد فإنه متوكل .

(الدرجة الثانية) الأسباب التى ليست متيقنة ولكن الغالب أنّ المسببات لاتحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا ، كالذى يفارق الأمصار والقوافل ويسافر فى البوادى التى لايطرقها الناس إلا نادرا ويكون سفره من غير استصحاب زاد ، فهذا ليس شرطا فى التوكل ، بل استصحاب الزاد فى البوادى سنة الأوّلين ، ولا يزول التوكل به بعد أن يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق ، ولكن فعل ذلك جائز . وهو من أعلى مقامات التوكل ولذلك كان يفعله الخوّاص .

* فإن قلت : فهذا سعى فى الهلاك وإلقاء النفس فى التهلكة . فاعلم أنّ ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين (أحدهما) أن يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدها وسوّاها على الصبر عن الطعام أسبوعا وما يقاربه بحيث يصبر عنه بلا ضيق قلب وتشوّش خاطر وتعذر فى ذكر الله تعالى (والثانى) أن يكون بحيث يقوى على التقوت بالحشيش ومايتفق من الأشياء الخسيسة ؛ فبعد هذين الشرطين لايخلو فى غالب الأمر فى البوادى فى كل أسبوع عن أن يلقاه آدمى أو ينتهى إلى حلة أو قرية أو إلى حشيش يحتزئ به فيحيا به مجاهدا نفسه . والمجاهدة عماد التوكل ، وعلى هذا كان يعول الخوّاص ونظراؤه من المتوكلين . والدليل عليه أنّ الخواص كان لا تفارقه الإبرة والمقراض والحبل والركوة ويقول : هذا لايقدح فى التوكل . وسببه أنه علم أنّ البوادى لايكون الماء فيها على وجه الأرض ، وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البئر بغير دلو ولا حبل ولا يغلب وجود الحبل والدلو فى البوادى كما يغلب وجود الحشيش ، والماء يحتاج إليه لوضوئه كل يوم مرات ولعطشه فى كل يوم أو يومين مرة ؛ فإنّ المسافر مع حرارة الحركة لايصبر عن الماء وإن صبر عن الطعام ، وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق فتنكشف عورته ولايوجد المقراض والإبرة فى البوادى غالبا عند كل صلاة ، ولايقوم مقامهما فى الخياطة والقطع شىء مما يوجد فى البوادى ، فكل مافى معنى هذه الأربعة أيضا يلتحق بالدرجة الثانية ، لأنه مظنون ظنا ليس مقطوعا به ، لأنه يحتمل أن لايتخرق الثوب أو يعطيه إنسان ثوبا أو يجد على رأس البئر من يسقيه ، ولا يحتمل أنّ يتحرك الطعام ممضوغا إلى فيه ، فبين الدرجتين فرقان ولكن الثانى فى معنى الأوّل ، ولهذا نقول : لو انحاز إلى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلا ، فهو آثم به ساع فى هلاك نفسه ، كما روى أنّ زاهدا من الزهاد فارق الأمصار وأقام فى سفح جبل سبعا وقال : لا أسأل أحدا شيئا حتى يأتينى ربى برزقى ، فقعد سبعة فكاد يموت ولم يأته رزق ، فقال : يارب إن أحييتنى فائتنى برزقى الذى قسمت لى وإلا فاقبضنى إليك ، فأوحى الله جل ذكره إليه . وعزتى لاأرزقنك حتى تدخل الأمصار وتقعد بين الناس . فدخل المصر وقعد ، فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب ، فأكل وشرب وأوجس فى نفسه من ذلك ، فأوحى الله تعالى إليه . أردت أن تذهب حكمتى بزهدك فى الدنيا ! أما علمت أنى أرزق عبدى بأيدى عبادى أحب إلى من أن أرزقه بيد قدرتى ، فإذن التباعد عن الأسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الأسباب لايناقض التوكل كما ضربناه مثلا فى الوكيل بالخصومة من قبل ، ولكنّ الأسباب تنقسم إلى ظاهرة وإلى خفية ، فمعنى التوكل الاكتفاء بالأسباب الخفية عن الأسباب الظاهرة مع سكون النفس إلى مسبب السبب لا إلى السبب .

فإن قلت: ما قولك في القعود في البلد بغير كسب، أهو حرام أو مباح أو مندوب ؟ فاعلم أن ذلك ليس بحرام لأنه كفعل صاحب السياحة في البادية إذا لم يكن مهلكا نفسه فهذا كيف كان لم يكن مهلكا نفسه حتى يكون فعله حراما ، بل لا يبعد أن يأتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتأخر عنه ، والصبر ممكن إلى أن يتفق ، ولكن لو أغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لأحد إليه ففعله ذلك حرام ، وإن فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة فالكسب والخروج أولى له ، ولكن ليس فعله حراما إلا أن يشرف على الموت : فعند ذلك يلزمه الخروج والسؤال والكسب ، وإن كان مشغول القلب بالله غير مستشرف إلى الناس ولا متطلع إلى من يدخل من الباب فيأتيه برزقه ، بل تطلعه إلى فضل الله تعالى واشتغاله بالله ، فهو أفضل ، وهو من مقامات التوكل ؛ وهو أن يشتغل بالله تعالى ولا يهتم برزقه ، فإن الرزق يأتيه لا محالة ، وعند هذا يصح ما قاله بعض العلماء : وهو أن العبد لو هرب من رزقه لطلبه ، كما لو هرب من الموت لأدركه ، وأنه لو سأل الله تعالى أن لا يرزقه لما استجاب وكان عاصيا ، ولقال له : يا جاهل ، كيف أخلقك ولا أرزقك ؟ ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما : اختلف الناس في كل شيء إلا في الرزق والأجل ، فإنهم أجمعوا على أن لا رزاق ولا مميت إلا الله تعالى . وقال صلى الله عليه وسلم « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعائكم الجبال [1] » وقال عيسى عليه السلام : انظروا إلى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يوما بيوم ؛ فإن قلتم نحن أكبر بطونا فانظروا إلى الأنعام كيف قيض الله تعالى لها هذا الحق للرزق . وقال أبو يعقوب السوسى : المتوكلون تجرى أرزاقهم على أيدى العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون . وقال بعضهم : العبيد كلهم في رزق الله تعالى ، لكن بعضهم يأكل بذل كالسؤال ، وبعضهم بتعب وانتظار كالتجار ، وبعضهم بامتهان كالصناع ، وبعضهم بعز كالصوفية يشهدون العزيز فيأخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة (الدرجة الثالثة) ملابسة الأسباب التى يتوهم إفضاؤها إلى المسببات من غير ثقة ظاهرة ، كالذى يستقصى في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب ووجوهه ، وذلك يخرج بالكلية عن درجات التوكل كلها ، وهو الذى فيه الناس كلهم : أعنى من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا مباحا لمال مباح ، فأما أخذ الشبهة أو اكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الأسباب ، فلا يخفى أن ذلك يبطل التوكل وهذا مثل الأسباب التى نسبتها إلى جلب النافع مثل نسبة الرقية والطير والكى بالإضافة إلى إزالة الضار ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم وصف المتوكلين بذلك ولم يصفهم بأنهم لا يكتسبون ولا يسكنون الأمصار ولا يأخذون من أحد شيئا ، بل وصفهم بأنهم يتعاطون هذه الأسباب ، وأمثال هذه الأسباب التى يوثق بها في المسببات مما يكثر فلا يمكن إحصاؤها . وقال سهل في التوكل : إنه ترك التدبير وقال : إن الله خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه ، وإنما حجابهم بتدبيرهم ، ولعله أراد به استنباط الأسباب البعيدة بالفكر فهى التى تحتاج إلى التدبير دون الأسباب الجلية ، فإذن قد ظهر أن الأسباب منقسمة إلى ما يخرج التعلق بها عن التوكل وإلى ما لا يخرج ، وأن الذى يخرج ينقسم إلى مقطوع به وإلى مظنون ، وأن المقطوع به لا يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الأسباب ، فالتوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل . وأما المظنونات

---

(١) حديث « لو توكلتم على الله حق توكله ... الحديث » وزاد في آخره « ولزالت بدعائكم الجبال » وقد تقدما قريبا دون هذه الزيادة ، ورواها الإمام محمد بن نصر في كتاب تعظيم قدر الصلاة من حديث معاذ بن جبل بإسناد فيه لين « لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال » ورواه البيهقى في الزهد من رواية وهيب المكى مرسلا دون قوله « لمشيتم على البحور » وقال : هذا منقطع .

فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعا ، والمتوكلون فى ملابسة هذه الأسباب على ثلاثة مقامات :

(الأول) مقام الخواص ونظرائه ، وهو الذى يدور فى البوادى بغير زاد ثقة بفضل الله تعالى عليه فى تقويته على الصبر أسبوعا وما فوقه ، أو تيسير حشيش له أو قوت ، أو تثبيته على الرضا بالموت إن لم يتيسر شىء من ذلك ، فإن الذى يحمل الزاد قد يفقد الزاد أو يضل بعيره ويموت جوعا ، فذلك ممكن مع الزاد كما أنه يمكن مع فقده .

(المقام الثانى) أن يقعد فى بيته أو فى مسجد ولكنه فى القرى والأمصار ، وهذا أضعف من الأول ، لكنه أيضا متوكل لأنه تارك للكسب والأسباب الظاهرة ، معول على فضل الله تعالى فى تدبير أمره من جهة الأسباب الخفية ، ولكنه بالقعود فى الأمصار متعرض لأسباب الرزق ، فإن ذلك من الأسباب الجالبة ، إلا أن ذلك لا يبطل توكله إذا كان نظره إلى الذى يسخر له سكان البلد لإيصال رزقه إليه لا إلى سكان البلد ، إذ يتصور أن يغفل جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله تعالى بتعريفهم وتحريك دواعيهم .

(المقام الثالث) أن يخرج ويكتسب اكتسابا على الوجه الذى ذكرناه فى الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب ، وهذا السعى لا يخرجه أيضا عن مقامات التوكل إذا لم يكن طمأنينة نفسه إلى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته ، فإن ذلك ربما يهلكه الله تعالى جميعه فى لحظة ، بل يكون نظره إلى الكفيل الحق بحفظ جميع ذلك وتيسير أسبابه له ، بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالإضافة إلى قدرة الله تعالى كما يرى القلم فى يد الملك الموقع ، فلا يكون نظره إلى القلم بل إلى قلب الملك أنه بماذا يتحرك ؟ وإلى ماذا يميل ؟ وبم يحكم ؟ ثم إن كان هذا المكتسب مكتسبا لعياله أو ليفرق على المساكين فهو ببدنه مكتسب وبقلبه عنه منقطع ؛ فحال هذا أشرف من حال القاعد فى بيته ، والدليل على أن الكسب لا ينافى حال التوكل إذا روعيت فيه الشروط وانضاف إليه الحال والمعرفة كما سبق أن الصديق رضى الله عنه لما بويع بالخلافة أصبح آخذا الأثواب تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادى ، حتى كرهه المسلمون وقالوا : كيف تفعل ذلك وقد أقمت لخلافة النبوة ؟ فقال : لا تشغلونى عن عيالى فإنى إن أضعتهم كنت لما سواهم أضيع حتى فرضوا له قوت أهل بيت من المسلمين ، فلما رضوا بذلك رأى مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين أولى ، ويستحيل أن يقال : لم يكن الصديق فى مقام التوكل ! فمن أولى بهذا المقام منه ؟ فدل على أنه كان متوكلا لا باعتبار ترك الكسب والسعى بل باعتبار قطع الالتفات إلى قوته وكفايته والعلم بأن الله هو ميسر الاكتساب ومدبر الأسباب وبشروط كان يراعيها فى طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار ومن غير أن يكون درهمه أحب إليه من درهم غيره ، فمن دخل السوق ودرهمه أحب إليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب لها ، ولا يصح التوكل إلا مع الزهد فى الدنيا ، نعم يصح الزهد دون التوكل فإن التوكل مقام وراء الزهد . وقال أبو جعفر الحداد ـ وهو شيخ الجنيد رحمة الله عليهما وكان من المتوكلين : أخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق : كنت أكتسب فى كل يوم دينارا ولا أبيت منه دانقا ولا أستريح منه إلى قيراط أدخل به الحمام ، بل أخرجه كله قبل الليل . وكان الجنيد لا يتكلم فى التوكل بحضرته وكان يقول : أستحى أن أتكلم فى مقامه وهو حاضر عندى . واعلم أن الجلوس فى رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل ، فإن لم يكن معلوم ووقف وأمروا الخادم بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل إلا على ضعف ، ولكن يقوى بالحال والعلم ، كتوكل المكتسب ؛ وإن لم يسألوا بل قنعوا بما يحمل

إليهم فهذا أقوى فى توكلهم ، لكنه بعد اشتهار القوم بذلك فقد صار لهم سوقا ، فهو كدخول السوق ، ولايكون داخل السوق متوكلا إلا بشروط كثيرة كما سبق .

* فإن قلت : فما الأفضل أن يقعد فى بيته ، أويخرج ويكتسب ؟ فاعلم أنه إن كان يتفرغ بترك الكسب لفكر وذكر وإخلاص واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لاتستشرف نفسه إلى الناس فى انتظار من يدخل عليه فيحمل إليه شيئا بل يكون قوى القلب فى الصبر والاتكال على الله تعالى ، فالقعود له أولى . وإن كان يضطرب قلبه فى البيت ويستشرف إلى الناس فالكسب أولى ، لأن استشراف القلب إلى الناس سؤال بالقلب ، وتركه أهم من ترك الكسب ، وما كان المتوكلون يأخذون ماتستشرف إليه نفوسهم : كان أحمد بن حنبل قد أمر أبا بكر المروزى أن يعطى بعض الفقراء شيئا فضلا عما كان استأجره عليه ، فرده ، فلما ولى قال له أحمد : الحقه وأعطه فإنه يقبل ، فلحقه وأعطاه فأخذه ، فسأل أحمد عن ذلك ؟ فقال : كان قد استشرفت نفسه فرد ، فلما خرج انقطع طمعه وأيس فأخذ . وكان الخواص رحمه الله إذا نظر الى عبد فى العطاء أوخاف اعتياد النفس لذلك لم يقبل منه شيئا . وقال الخواص بعد أن سئل عن أعجب مارآه فى أسفاره : رأيت الخضر ورضى بصحبتى ولكنى فارقته خيفة أن تسكن نفسى إليه فيكون نقصا فى توكلى ، فإذن المكتسب إذا راعى آداب الكسب وشروط نيته كما سبق فى كتاب الكسب وهو أن لا يقصد به الاستكثار ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته كان متوكلا .

* فإن قلت : فما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية ؟ فأقول : علامته أنه إن سرقت بضاعته أوخسرت تجارته أو تعوق أمر من أموره كان راضيا به ولم تبطل طمأنينته ولم يضطرب قلبه ، بل كان حال قلبه فى السكون قبله وبعده واحدا ، فإنّ من لم يسكن إلى شىء لم يضطرب لفقده ، ومن اضطرب لفقد شىء فقد سكن إليه ، وكان بشر يعمل المغازل فتركها ، وذلك لأنّ البعادى كاتبه قال : بلغنى أنك استعنت على رزقك بالمغازل ، أرأيت إن أخذ الله سمعك وبصرك الرزق على من ؟ فوقع ذلك فى قلبه فأخرج آلة المغازل من يده وتركها . وقيل : تركها لما نوهت باسمه وقصد لأجلها . وقيل : فعل ذلك لما مات عياله ، كما كان لسفيان خمسون دينارا يتجر فيها ، فلما مات عياله فرقها .

* فإن قلت : فكيف يتصور أن يكون له بضاعة ولايسكن إليها وهو يعلم أنّ الكسب بغير بضاعة لايمكن ؟ فأقول : بأن يعلم أنّ الذين يرزقهم الله تعالى بغير بضاعة فيهم كثرة ، وأنّ الذين كثرت بضاعتهم فسرقت وهلكت فيهم كثرة ، وأن يوطن نفسه على أنّ الله لايفعل به إلا مافيه صلاحه ، فإن أهلك بضاعته فهو خير له فلعله لو تركه كان سببا لفساد دينه وقد لطف الله تعالى به ، وغايته أن يموت جوعا ، فينبغى أن يعتقد أنّ الموت جوعا خيرله فى الآخرة مهما قضى الله تعالى عليه بذلك من غير تقصير من جهته ، فإذا اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة وعدمها ، ففى الخبر « إنّ العبد ليهم من الليل بأمر من أمور التجارة مما لو فعله لكان فيه هلاكه فينظر الله تعالى إليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا يتطير بجاره وابن عمه : من سبقنى ؟ من دهانى ؟ وماهى إلا رحمة رحمه الله بها[1] » ولذلك قال عمر رضى الله عنه : لاأبالى أصبحت غنيا أو فقيرا : فإنى

(١) حديث « إن العبد ليهم من الليل بأمر من أمور التجارة مما لو فعله لكان فيه هلاكه فينظر الله اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه ... الحديث » أخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف جدا نحوه ، إلا أنه قال « إن العبد ليصرف على حاجة من حاجات الدنيا ... الحديث » بنحوه .

لا أدرى أيهما خير لى ، ومن لم يتكامل يقينه بهذه الأمور لم يتصور منه التوكل ؛ ولذلك قال أبو سليمان الدارانى لأحمد بن أبى الحوارى : لى من كل مقام نصيب إلا من هذا التوكل المبارك فإنى ماشممت منه رائحة ، هذا كلامه مع علو قدره ، ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال : ما أدركته ، ولعله أراد إدراك أقصاه ، وما لم يكمل الإيمان بأن لا فاعل إلا الله ولا رازق سواه وأن كل ما يقدره على العبد من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه العبد : لم يكمل حال التوكل ؛ فبناء التوكل على قوة الإيمان بهذه الأمور - كما سبق - وكذا سائر مقامات الدين من الأقوال والأعمال تنبنى على أصولها من الإيمان . وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعى قوة القلب وقوة اليقين ، ولذلك قال سهل : من طعن على التكسب فقد طعن على السنة ، ومن طعن على ترك التكسب فقد طعن على التوحيد .

* فإن قلت : فهل من دواء ينتفع به فى صرف القلب عن الركون إلى الأسباب الظاهرة وحسن الظنّ بالله تعالى فى تيسير الأسباب الخفية ؟ فأقول : نعم ، هو أن تعرف أنّ سوء الظنّ تلقين الشيطان ، وحسن الظن تلقين الله تعالى : قال الله تعالى ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ﴾ فإنّ الإنسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف الشيطان ، ولذلك قيل : الشفيق بسوء الظن مولع ، وإذا انضم إليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلين على الأسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظن وبطل التوكل بالكلية ، بل رؤية الرزق من الأسباب الخفية أيضا تبطل التوكل ، فقد حكى عن عابد أنه عكف فى مسجد ولم يكن له معلوم ، فقال له الإمام : لو اكتسبت لكان أفضل لك ، فلم يجبه حتى أعاد عليه ثلاثا ، فقال فى الرابعة : يهودى فى جوار المسجد قد ضمن لى كل يوم رغيفين ، فقال : إن كان صادقا فى ضمانه فعكوفك فى المسجد خير لك ، فقال : يا هذا لو لم تكن إماما تقف بين يدى الله وبين العباد مع هذا النقص فى التوحيد كان خيرا لك إذ فضلت وعد يهودى على ضمان الله تعالى بالرزق وقال إمام المسجد لبعض المصلين : من أين تأكل ؟ فقال : يا شيخ اصبر حتى أعيد الصلاة التى صليتها خلفك ثم أجيبك .

وينفع حسن الظن بمجىء الرزق من فضل الله تعالى بواسطة الأسباب الخفية : أن تسمع الحكايات التى فيها عجائب صنع الله تعالى فى وصول الرزق إلى صاحبه ، وفيها عجائب قهر الله تعالى فى إهلاك أموال التجار والأغنياء وقتلهم جوعا ، كما روى عن حذيفة المرعشى وقد كان خدم إبراهيم بن أدهم ، فقيل له : ما أعجب مارأيت منه ؟ فقال : بقينا فى طريق مكة أياما لم نجد طعاما ، ثم دخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خراب ، فنظر إلى إبراهيم وقال : ياحذيفة ، أرى بك الجوع ، فقلت : هو مارأى الشيخ ، فقال : على بدواة وقرطاس ، فجئت به إليه فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، أنت المقصود إليه بكل حال ، والمشار إليه بكل معنى ، وكتب شعرا :

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر أنا جائع أنا ضائع أنا عارى
هى ستة وأنا الضمين لنصفها فكن الضمين لنصفها يا بارى
مدحى لغيرك لهب نار خضتها فأجر عبيدك من دخول النار

ثم دفع إلى الرقعة فقال : اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى ، وادفع الرقعة إلى أول من يلقاك ، فخرجت فأول من لقينى كان رجلا على بغلة . فناولته الرقعة فأخذها ، فلما وقف عليها بكى وقال : ما فعل صاحب هذه الرقعة ؟ فقلت : هو فى المسجد الفلانى ، فدفع إلى صرة فيها ستمائة دينار ، ثم لقيت رجلا آخر فسألته عن راكب البغلة

فقال : هذا نصرانى ، فجئت إلى إبراهيم وأخبرته بالقصة فقال : لا تمسها فإنه يجىء الساعة ، فلما كان بعد ساعة دخل النصرانى وأكب على رأس إبراهيم يقبله وأسلم .

وقال أبو يعقوب الأقطع البصرى : جعت مرة بالحرم عشرة أيام فوجدت ضعفا ، فحدثتنى نفسى بالخروج فخرجت إلى الوادى لعلى أجد شيئا يسكن ضعفى ، فرأيت سلجمة مطروحة فأخذتها ، فوجدت فى قلبى منها وحشة وكأنّ قائلا يقول لى : جعت عشرة أيام وآخره يكون حظك سلجمة متغيرة ، فرميت بها ودخلت المسجد وقعدت ، فإذا أنا برجل أعجمى قد أقبل حتى جلس بين يدى ووضع قطرة وقال : هذه لك ، فقلت كيف خصصتنى بها ؟ قال : اعلم أنا كنا فى البحر منذ عشرة أيام وأشرفت السفينة على الغرق ، فنذرت إن خلصنى الله تعالى أن أتصدق بهذه على أول من يقع عليه بصرى من المجاورين ، وأنت أول من لقيته ، فقلت : افتحها ، ففتحها فإذا فيها سميد مصرى ولوز مقشور وسكر كعاب ، فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقى إلى أصحابك هدية منى إليكم ، وقد قبلتها ، ثم قلت فى نفسى : رزقك يسير إليك من عشرة أيام وأنت تطلبه من الوادى .

وقال محمد الدينورى ، كان على دين فاشتغل قلبى بسببه ، فرأيت فى النوم كأن قائلا يقول : يابخيل ، أخذت علينا هذا المقدار من الدين ، خذ عليك الأخذ وعلينا العطاء ، فما حاسبت بعد ذلك بقالا ولا قصابا ولا غيرهما .

وحكى عن بنان الحمال قال : كنت فى طريق مكة أجىء من مصر ومعى زاد ؛ فجاءتنى امرأة وقالت لى : يابنان ، أنت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم أنه لا يرزقك ، قال فرميت بزادى ثم أتى على ثلاث لم آكل ، فوجدت خلخالا فى الطريق فقلت فى نفسى : أحمله حتى يجىء صاحبه فربما يعطينى شيئا فأرده عليه ، فإذا أنا بتلك المرأة فقالت لى : أنت تاجر تقول عسى يجىء صاحبه فآخذ منه شيئا ! ثم رمت لى شيئا من الدراهم وقالت : أنفقها ، فاكتفيت بها إلى قريب مكة .

وحكى أن بنانا احتاج إلى جارية تخدمه ، فانبسط إلى إخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا : هو ذا يجىء النفير فنشترى مايوافق ، فلما ورد النفير اجتمع رأيهم على واحدة وقالوا : إنها تصلح له ، فقالوا لصاحبها . بكم هذه ، فقال : إنها ليست للبيع ، فألحوا عليه فقال : إنها لبنان الحمال أهدتها إليه امرأة من سمرقند ، فحملت إلى بنان وذكرت له القصة .

وقيل : كان فى الزمان الأول رجل فى سفر ومعه قرص فقال : إن أكلته مت ، فوكل الله عز وجل به ملكا وقال : إن أكله فارزقه وإن لم يأكله فلا تعطه غيره ، فلم يزل القرص معه إلى أن مات ولم يأكله وبقى القرص عنده .

وقال أبو سعيد الخراز : دخلت البادية بغير زاد فأصابتنى فاقة ، فرأيت المرحلة من بعيد فسررت بأن وصلت ثم فكرت فى نفسى أنى سكنت واتكلت على غيره وآليت أن لا أدخل المرحلة إلا أن أحمل إليها ، فحفرت لنفسى فى الرمل حفرة واريت جسدى فيها إلى صدرى ، فسمعت صوتا فى نصف الليل عاليا : يا أهل المرحلة ، إن لله تعالى وليا حبس نفسه فى هذا الرمل فألحقوه ، فجاء جماعة فأخرجونى وحملونى إلى القرية .

وروى أنّ رجلا لازم باب عمر رضى الله عنه فإذا هو بقائل يقول : ياهذا هاجرت إلى عمر أو إلى الله تعالى ؟ اذهب فتعلم القرآن فإنه سيغنيك عن باب عمر ، فذهب الرجل وغاب حتى افتقده عمر ، فإذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة ، فجاءه عمر فقال له . إنى قد اشتقت إليك فما الذى شغلك عنى ؟ فقال : إنى قرأت القرآن فاغنانى

عن عمر وآل عمر ، فقال عمر . رحمك الله فما الذى وجدت فيه ، فقال وجدت فيه ﴿ وفى السماء رزقكم وما توعدون ﴾ فقلت رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الأرض ، فبكى عمر وقال ، صدقت ، فكان عمر بعد ذلك يأتيه ويجلس إليه ،

وقال أبو حمزة الخراسانى : حججت سنة من السنين فبينا أنا أمشى فى الطريق إذ وقعت فى بئر فنازعتنى نفسى أن أستغيث ، فقلت لا والله لا أستغيث ، فما استتممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان ، فقال أحدهما للآخر تعالى حتى نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيه أحد ، فأتوا بقصب وبارية وطموا رأس البئر ، فهممت أن أصيح فقلت فى نفسى : إلى من أصيح هو أقرب منهما وسكنت فبينا أنا بعد ساعة إذ أنا بشىء جاء وكشف عن رأس البئر وأدلى رجله وكأنه يقول تعلق بى فى همهمة له كنت أعرف ذلك ، فتعلقت به فأخرجنى ، فإذا هو سبع ، فمر وهتف بى هاتف : ياأبا حمزة أليس هذا أحسن ، نجيناك من التلف بالتلف ، فمشيت وأنا أقول :

نهانى حيائى منك أن أكشف الهوى وأغنيتنى بالفهم منك عن الكشف
تلطفت فى أمرى فأبديت شاهدى إلى غائبى واللطف يدرك باللطف
تراءيت لى بالغيب حتى كأنما تبشرنى بالغيب أنك فى الكف
أراك وبى من هيبتى لك وحشة فتؤنسنى باللطف منك وبالعطف
وتحيى محبا أنت فى الحب حتفه وذا عجب كون الحياة مع الحتف

وأمثال هذه الوقائع مما يكثر ، وإذا قوى الإيمان به وانضم إليه القدرة على الجوع قدر أسبوع من غير ضيق صدر ، وقوى الإيمان بأنه إن لم يسق إليه رزقه فى أسبوع فالموت خير له عند الله عز وجل ولذلك حبسه عنه : تم التوكل بهذه الأحوال والمشاهدات ، وإلا فلا يتم أصلا .

بيان توكل المعيل

اعلم أن من له عيال فحكمه يفارق المنفرد ، لأنّ المنفرد لايصح توكله إلا بأمرين (أحدهما) قدرته على الجوع أسبوعا من غير استشراف وضيق نفس (والآخر) أبواب من الإيمان ذكرناها ، من جملتها : أن يطيب نفسا بالموت إن لم يأته رزقه ، علما بأنّ رزقه الموت والجوع ، وهو إن كان نقصا فى الدنيا فهو زيادة فى الآخرة ، فيرى أنه سيق إليه خير الرزقين له : وهو رزق الآخرة ، وأنّ هذا هو المرض الذى به يموت ويكون راضيا بذلك وأنه كذا قضى وقدر له ، فبهذا يتم التوكل للمنفرد ، ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ، ولا يمكن أن يقرر عندهم الإيمان بالتوحيد وأنّ الموت على الجوع رزق مغبوط عليه فى نفسه إن اتفق ذلك نادرا ، وكذا سائر أبواب الإيمان ، فإذن لا يمكنه فى حقهم إلا توكل المكتسب وهو المقام الثالث ، كتوكل أبى بكر الصديق رضى الله عنه إذ خرج للكسب ، فأما دخول البوادى وترك العيال توكلا فى حقهم أو القعود عن الاهتمام بأمرهم توكلا فى حقهم فهذا حرام ، وقد يفضى إلى هلاكهم ويكون هو مؤاخذا بهم ، بل التحقيق أنه لافرق بينه وبين عياله ، فإنه إن ساعده العيال على الصبر على الجوع مدة وعلى الاعتداد بالموت على الجوع رزقا وغنيمة فى الآخرة ، فله أن يتوكل فى حقهم ونفسه أيضا عيال عنده ، ولا يجوز له أن يضيعها إلا أن تساعده على الصبر على الجوع مدة ، فإن كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه وتتشوش عليه عبادته لم يجز له التوكل ، ولذلك روى أنّ أبا تراب النخشبى نظر إلى صوفى مديده إلى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة أيام . فقال له . لا يصلح لك التصوف . الزم السوق أى لا تصوف إلا مع التوكل .

ولا يصح التوكل إلا لمن يصبر عن الطعام أكثر من ثلاثة أيام ، وقال أبو على الروذبارى : إذا قال الفقير بعد خمسة أيام : أنا جائع فألزموه السوق ومروه بالعمل والكسب ، فإذن بدنه عياله وتوكله فيما يضر ببدنه كتوكله فى عياله ؛ وإنما يفارقهم فى شىء واحد : وهو أن له تكليف نفسه الصبر على الجوع وليس له ذلك فى عياله ، وقد انكشف لك من هذا أن التوكل ليس انقطاعا عن الأسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالموت إن تأخر الرزق نادرا وملازمة البلاد والأمصار أو ملازمة البوادى التى لاتخلو عن حشيش وما يجرى مجراه ، فهذه كلها أسباب البقاء ولكن مع نوع من الأذى ، إذ لا يمكن الاستمرار عليه إلا بالصبر ، والتوكل فى الأمصار أقرب إلى الأسباب من التوكل فى البوادى ، وكل ذلك ذلك من الأسباب إلا أن الناس عدلوا إلى أسباب أظهر منها فلم يعدوا تلك أسبابا ، وذلك لضعف إيمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الأذى فى الدنيا لأجل الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم بإساءة الظن وطول الأمل ، ومن نظر فى ملكوت السموات والأرض انكشف له تحقيقا أن الله تعالى دبر الملك والملكوت تدبيرا لا يجاوز العبد رزقه وإن ترك الاضطراب ، فإن العاجز عن الاضطراب لم يجاوزه رزقه ، أما ترى الجنين فى بطن أمه لما أن كان عاجزا عن الاضطراب كيف وصل سرته بالأم حتى تنتهى إليه فضلات غذاء الأم بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين ، ثم لما انفصل سلط الحب والشفقة على الأم لتتكفل به شاءت أم أبت اضطرارا من الله تعالى إليه بما أشعل فى قلبها من نار الحب ، ثم لما لم يكن له سن يمضغ به الطعام جعل رزقه من اللبن الذى لايحتاج إلى المضغ ، ولأنه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف فأدر له اللبن اللطيف فى ثدى الأم عند انفصاله على حسب حاجته ، أفكان هذا بحيلة الطفل أو بحيلة الأم ! وإذا صار بحيث يوافقه الغذاء الكثيف أنبت له أسنانا قواطع وطواحين لأجل المضغ ، فإذا كبر واستقل يسر له أسباب التعلم وسلوك سبيل الآخرة ، فجبنه بعد البلوغ جهل محض لأنه ما نقصت أسباب معيشته ببلوغه بل زادت ، فإنه لم يكن قادرا على الاكتساب ، فالآن قد قدر فزادت قدرته ، نعم كان المشفق عليه شخصا واحدا وهى الأم أو الأب وكانت شفقته مفرطة جدا فكان يطعمه ويسقيه فى اليوم مرتين وكان إطعامه بتسليط الله تعالى الحب والشفقة على قلبه ، فكذلك قد سلط الله الشفقة والمودة والرحمة والرقة على قلوب المسلمين بل أهل البلد كافة ، حتى إن كل واحد منهم إذا أحس بمحتاج تألم قلبه ورق عليه وانبعثت له داعية إلى إزالة حاجته ، فقد كان المشفق عليه واحدا والآن المشفق عليه ألف وزيادة ، وقد كانوا لايشفقون عليه لأنهم رأوه فى كفالة الأم والأب وهو مشفق خاص فما رأوه محتاجا ، ولو رأوه يتيما لسلط الله داعية الرحمة على واحد من المسلمين أو على جماعة حتى يأخذونه ويكفلونه ، فما رؤى إلى الآن فى سنى الخصب يتيم قد مات جوعا مع أنه عاجز عن الاضطراب وليس له كافل خاص ، والله تعالى كافله بواسطة الشفقة التى خلقها فى قلوب عباده فلماذا ينبغى أن يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل فى الصبا وقد كان المشفق واحدا والمشفق الآن ألف ، نعم كانت شفقة الأم أقوى وأحظى ولكنها واحدة ، وشفقة آحاد الناس وإن ضعفت فيخرج من مجموعها مايفيد الغرض ، فكم من يتيم قد يسر الله تعالى له حالا هو أحسن من حال من له أب وأم ! فينجبر ضعف شفقة الآحاد بكثرة المشفقين وبترك التنعم والاقتصار على قدر الضرورة ، ولقد أحسن الشاعر حيث يقول :

جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون
جنون منك أن تسعى لرزق ويرزق فى غشاوته الجنين

* فإن قلت : الناس يكفلون اليتيم لأنهم يرونه عاجزا بصباه ، وأما هذا فبالغ قادر على الكسب فلا يلتفتون إليه ويقولون : هو مثلنا فليجتهد لنفسه ؟ فأقول : إن كان هذا القادر بطالا فقد صدقوا فعليه الكسب ولا معنى للتوكل فى حقه فإنّ التوكل من مقامات الدين يستعان به على التفرّغ لله تعالى ؛ فما للبطال والتوكل ؟ وإن كان مشتغلا بالله ملازما لمسجد أو بيت وهو مواظب على العلم والعبادة فالناس لايلومونه فى ترك الكسب ولا يكلفونه ذلك ، بل اشتغاله بالله تعالى يقرّر حبه فى قلوب الناس حتى يحملون إليه فوق كفايته ، وإنما عليه أن لا يغلق الباب ولا يهرب إلى جبل من بين الناس ، وما رؤى إلى الآن عالم أو عابد استغرق الأوقات بالله تعالى وهو فى الأمصار فمات جوعا ولا يرى قط ، بل لو أراد أن يطعم جماعة من الناس بقوله لقدر عليه ، فإن من كان لله تعالى كان الله عز وجل له ، ومن اشتغل بالله عزوجل ألقى الله حبه فى قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الأم لولدها ، فقد دبر الله تعالى الملك والملكوت تدبيرا كافيا لأهل الملك والملكوت . فمن شاهد هذا التدبير وثق بالمدبر واشتغل به وآمن ونظر إلى مدبر الأسباب لا إلى الأسباب ، نعم مادبره تدبيرا يصل إلى المشتغل به الحلو والطيور السمان والثياب الرقيقة والخيول النفيسة على الدوام لامحالة ، وقد يقع ذلك أيضا فى بعض الأحوال لكن دبره تدبيرا يصل إلى كل مشتغل بعبادة الله تعالى فى كل أسبوع قرص شعير أو حشيش يتناوله لا محالة ، والغالب أنه يصل أكثر منه بل يصل ما يزيد على قدر الحاجة والكفاية ، فلا سبب لترك التوكل إلا رغبة النفس فى التنعم على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الأغذية اللطيفة ، وليس ذلك من طريق الآخرة ، وذلك قد لايحصل بغير اضطراب ، وهو فى الغالب أيضا ليس يحصل مع الاضطراب وإنما يحصل نادرا ، وفى النادر أيضا قد يحصل بغير اضطراب : فأثر الاضطراب ضعف عند من انفتحت بصيرته ، فلذلك لايطمئن إلى اضطرابه بل إلى مدبر الملك والملكوت تدبيرا لايجاوز عبدا من عباده رزقه وإن سكن إلا نادرا ندورا عظيما يتصور مثله فى حق المضطرب ؛ فإذا انكشفت هذه الأمور وكان معه قوة فى القلب وشجاعة فى النفس أثمر ماقاله الحسن البصرى رحمه الله إذ قال : وددت أن أهل البصرة فى عيالى ، وأن حبة بدينار . وقال وهيب بن الورد : لو كانت السماء نحاسا والأرض رصاصا واهتممت برزق لظننت أنى مشرك ؛ فإذا فهمت هذه الأمور فهمت أنّ التوكل مقام مفهوم فى نفسه ويمكن الوصول إليه لمن قهر نفسه ، وعلمت أن من أنكر أصل التوكل وإمكانه أنكره عن جهل ، فإياك أن تجمع بين الإفلاسين : الإفلاس عن وجود المقام ذوقا ، والإفلاس عن الإيمان به علما ؛ فإذن عليك بالقناعة بالنزر القليل والرضا بالقوت فإنه يأتيك لامحالة وإن فررت منه ، وعند ذلك على الله أن يبعث إليك رزقك على يدى من لاتحتسب ، فإن اشتغلت بالتقوى والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب ﴾ الآية ، إلا أنه لم يتكفل له أن يرزقه لحم الطير ولذائذ الأطعمة ؛ فما ضمن إلا الرزق الذى تدوم به حياته ، وهذا المضمون مبذول لكل من اشتغل بالضامن واطمأنّ إلى ضمانه ؛ فإن الذى أحاط به تدبير الله من الأسباب الخفية للرزق أعظم مما ظهر للخلق ، بل مداخل الرزق لاتحصى ومجاريه لايهتدى إليها ، وذلك لأن ظهوره على الأرض وسببه فى السماء . قال الله تعالى ﴿ وفى السماء رزقكم وما توعدون ﴾ وأسرار السماء لايطلع عليها ، ولهذا دخل جماعة على الجنيد فقال : ماذا تطلبون ؟ قالوا : نطلب الرزق ، فقال : إن علمتم فى أى موضع هو فاطلبوه . قالوا : نسأل الله . قال : إن علمتم أنه ينساكم فذكروه ، فقالوا : ندخل البيت ونتوكل وننظر مايكون . فقال : التوكل على التجربة شك قالوا فما الحيلة ؟ قال : ترك الحيلة . وقال أحمد بن عيسى

الخراز : كنت فى البادية فنالنى جوع شديد فغلبتنى نفسى أن أسأل الله تعالى طعاما ، فقلت : ليس هذا من أفعال المتوكلين ، فطالبتنى أن أسأل الله صبرا ، فلما هممت بذلك سمعت هاتفا يهتف بى ويقول :

ويزعم أنه منا قريب وأنا لانضيع من أتانا
ويسألنا على الإقتار جهداً كأنا لانراه ولا يرانا

فقد فهمت أنّ من انكسرت نفسه وقوى قلبه ولم يضعف بالجبن باطنه وقوى إيمانه بتدبير الله تعالى : كان مطمئن النفس أبداً واثقا بالله عز وجل؛ فإنّ أسوأ حاله أن يموت، ولابد أن يأتيه الموت كما يأتى من ليس مطمئنا فإذن تمام التوكل بقناعة من جانب ووفاء بالمضمون من جانب، والذى ضمن رزق القانعين بهذه الأسباب التى دبرها صادق ، فاقنع وجرّب تشاهد صدق الوعد تحقيقا بما يرد عليك من الأرزاق العجيبة التى لم تكن فى ظنك وحسابك، ولاتكن فى توكلك منتظراً للأسباب بل لمسبب الأسباب ، كما لاتكون منتظرا لقلم الكاتب بل لقلب الكاتب فإنه أصل حركة القلم ، والمحرك الأول واحد فلا ينبغى أن يكون النظر إلا إليه ، وهذا شرط توكل من يخوض البوادى بلا زاد أو يقعد فى الأمصار وهو خامل . وأما الذى له ذكر بالعبادة والعلم فإذا قنع فى اليوم والليلة بالطعام مرة واحدة كيف كان وإن لم يكن من اللذائذ ، وثوب خشن يليق بأهل الدين فهذا يأتيه من حيث يحتسب ولا يحتسب على الدوام ، بل يأتيه أضعافه ، فتركه التوكل واهتمامه بالرزق غاية الضعف والقصور ، فإن اشتهاره بسبب ظاهر يجلب الرزق إليه أقوى من دخول الأمصار فى حق الخامل مع الاكتساب ، فالاهتمام بالرزق قبيح بذوى الدين وهو بالعلماء أقبح لأنّ شرطهم القناعة والعالم القانع يأتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة إن كانوا معه إلا إذا أراد أن لايأخذ من أيدى الناس ويأكل من كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل الذى سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن؛ فإنّ الكسب يمنع عن السير بالفكر الباطن ، فاشتغاله بالسلوك مع الأخذ من يد من يتقرب إلى الله تعالى بما يعطيه أولى لأنه تفرغ لله عز وجل وإعانة للمعطى على نيل الثواب ، ومن نظر إلى مجارى سنة الله تعالى علم أنّ الرزق ليس على قدر الأسباب ، ولذلك سأل بعض الأكاسرة حكيما عن الأحمق المرزوق والعاقل المحروم فقال : أراد الصانع أن يدل على نفسه ، إذ لو رزق كل عاقل وحرم كل أحمق لظن أنّ العقل رزق صاحبه : فلما رأوا خلافه علموا أن الرازق غيرهم ولا ثقة بالأسباب الظاهرة لهم ، قال الشاعر :

ولو كانت الأرزاق تجرى على الحجا هلكن إذن من جهلهن البهائم

بيان أحوال المتوكلين فى التعلق بالأسباب بضرب مثال

اعلم أن مثال الخلق مع الله تعالى مثل طائفة من السؤال وقفوا فى ميدان على باب قصر الملك وهم محتاجون إلى الطعام فأخرج إليهم غلمانا كثيرة ومعهم أرغفة من الخبز وأمرهم أن يعطوا بعضهم رغيفين رغيفين وبعضهم رغيفا رغيفا ويجتهدوا فى أن لايغفلوا عن واحد منهم ، وأمر مناديا حتى نادى فيهم أن اسكنوا ولا تتعلقوا بغلمانى إذا خرجوا إليكم ، بل ينبغى أن يطمئن كل واحد منكم فى موضعه فإن الغلمان مسخرون وهم مأمورون بأن يوصلوا إليكم طعامكم : فمن تعلق بالغلمان وآذاهم وأخذ رغيفين فاذا فتح باب الميدان وخرج اتبعته بغلام يكون موكلا به إلى أن أتقدم لعقوبته فى ميعاد معلوم عندى ولكن أخفيه ، ومن لم يؤذ الغلمان وقنع برغيف واحد أتاه من يد الغلام وهو ساكن فإنى أختصه بخلعة سنية فى الميعاد المذكور لعقوبة الآخر ، ومن ثبت فى مكانه ولكنه اخذ رغيفين فلا عقوبة عليه ولا خلعة له ، ومن أخطأه غلمانى فما أوصلوا إليه شيئا فبات الليلة جائعاً غير متسخط للغلمان

ولا قائلا ليته أوصل إلى رغيفا فإنى غدا أستوزره وأفوض ملكى إليه فانقسم السؤال إلى أربعة أقسام : قسم غلبت عليهم بطونهم فلم يلتفتوا إلى العقوبة الموعودة ؛ وقالوا : من اليوم إلى غد فرج ! ونحن الآن جائعون فبادروا إلى الغلمان فآذوهم وأخذوا الرغيفين ، فسبقت العقوبة إليهم فى الميعاد المذكور فندموا ولم ينفعهم الندم ، وقسم تركوا التعلق بالغلمان خوف العقوبة ولكن أخذوا رغيفين لغلبة الجوع فسلموا من العقوبة وما فازوا بالخلعة ، وقسم قالوا : إنا نجلس بمرأى من الغلمان حتى لا يخطئونا ولكن نأخذ إذا أعطونا رغيفا واحدا ونقنع به ؛ فلعلنا نفوز بالخلعة ففازوا بالخلعة ؛ وقسم رابع اختفوا فى زوايا الميدان وانحرفوا عن مرأى أعين الغلمان وقالوا : إن اتبعونا وأعطونا قنعنا برغيف واحد ، وإن أخطأونا قاسينا شدة الجوع الليلة ، فلعلنا نقوى على ترك التسخط فننال رتبة الوزارة ودرجة القرب عند الملك ، فما نفعهم ذلك ، إذ اتبعهم الغلمان فى كل زاوية وأعطوا كل واحد رغيفا واحدا ، وجرى مثل ذلك أياما حتى اتفق على الندور أن اختفى ثلاثة فى زاوية ولم تقع عليهم أبصار الغلمان وشغلهم شغل صارف عن طول التفتيش ، فباتوا فى جوع شديد ، فقال اثنان منهم : ليتنا تعرضنا للغلمان وأخذنا طعامنا فلسنا نطيق الصبر ، وسكت الثالث إلى الصباح فنال درجة القرب والوزارة ، فهذا مثال الخلق ، والميدان هو الحياة فى الدنيا ، وباب الميدان الموت ، والميعاد المجهول يوم القيامة ، والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة المتوكل إذا مات جائعا راضيا من غير تأخير ذلك إلى ميعاد القيامة ؛ لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ، والمتعلق بالغلمان هو المعتدى فى الأسباب ، والغلمان المسخرون هم الأسباب ، والجالس فى ظاهر الميدان بمرأى الغلمان هم المقيمون فى الأمصار فى الرباطات والمساجد على هيئة السكون ، والمختفون فى الزوايا هم السائحون فى البوادى على هيئة التوكل والأسباب تتبعهم والرزق يأتيهم إلا على سبيل الندور ، فإن مات واحد منهم جائعا راضيا فله الشهادة والقرب من الله تعالى ، وقد انقسم الخلق إلى هذه الأقسام الأربعة ، ولعل من كل مائة تعلق بالأسباب تسعون وأقام سبعة من العشرة الباقية فى الأمصار متعرضين للسبب بمجرد حضورهم واشتهارهم ، وساح فى البوادى ثلاثة ، وتسخط منهم اثنان ، وفاز بالقرب واحد ، ولعله كان كذلك فى الأعصار السالفة ، وأما الآن فالتارك للأسباب لا ينتهى إلى واحد من عشرة آلاف .

(الفن الثانى فى التعرض لأسباب الادخار) فمن حصل له مال بإرث أو كسب أو سؤال أو سبب من الأسباب ، فله فى الادخار ثلاثة أحوال (الأولى) أن يأخذ قدر حاجته فى الوقت فيأكل إن كان جائعا ، ويلبس إن كان عاريا ، ويشترى مسكنا مختصرا إن كان محتاجا ، ويفرق الباقى فى الحال ، ولا يأخذه ولا يدخره إلا بالقدر الذى يدرك به من يستحقه ويحتاج إليه فيدخره على هذه النية . فهذا هو الوفى بموجب التوكل تحقيقا وهى الدرجة العليا (الحالة الثانية) المقابلة لهذه المخرجة له عن حدود التوكل : أن يدخر لسنة فما فوقها ، فهذا ليس من المتوكلين أصلا ؛ وقد قيل . لا يدخر من الحيوانات إلا ثلاثة : الفأرة ، والنملة ، وابن آدم (الحالة الثالثة) أن يدخر لأربعين يوما فما دونها ، فهذا : هل يوجب حرمانه من المقام المحمود الموعود فى الآخرة للمتوكلين ؟ اختلفوا فيه : فذهب سهل إلى أنه يخرج عن حد التوكل . وذهب الخواص إلى أنه لا يخرج بأربعين يوما ويخرج بما يزيد على الأربعين . وقال أبو طالب المكى : لا يخرج عن حد التوكل بالزيادة على الأربعين أيضا ، وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجويز أصل الادخار ، نعم يجوز أن يظن ظان أن أصل الادخار يناقض التوكل ، فأما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له ، وكل ثواب موعود على رتبة فإنه يتوزع على تلك الرتبة ؛ وتلك الرتبة لها بداية

ونهاية ، ويسمى أصحاب النهايات : السابقين ، وأصحاب البدايات : أصحـــاب اليمين ، ثم أصحاب اليمين أيضا على درجات ، وكذلك السابقون ، وأعالى درجات أصحاب اليمين تلاصق أسافل درجات السابقين ، فلا معنى للتقدير فى مثل هذا ؛ بل التحقيق أنّ التوكل بترك الادخار لا يتم إلا بقصر الأمل ؛ وأما عدم آمال البقاء فيبعد اشتراطه ولو فى نفس ، فإنّ ذلك كالممتنع وجوده ؛ أما الناس فمتفاوتون فى طول الأمل وقصره ، وأقل درجات الأمل يوم وليلة فما دونه من الساعات ، وأقصاه ما يتصوّر أن يكون عمر الإنسان ، وبينهما درجات لاحصر لها ، فمن لم يؤمل أكثر من شهر أقرب إلى المقصود ممن يؤمل سنة ، وتقييده بأربعين لأجل ميعاد موسى عليه السلام : بعيد ؛ فإنّ تلك الواقعة ما قصد بها بيان مقدار مارخص الأمل فيه ، ولكن استحقاق موسى لنيل الموعود كان لايتم إلا بعد أربعين يوما لسر جرت به وبأمثاله سنة الله تعالى فى تدريج الأمور ، كما قال عليه السلام « إنّ الله خمر طينة آدم بيده أربعين صباحا [1] » لأنّ استحقاق تلك الطينة التخمر كان موقوفا على مدّة مبلغها ماذكر ، فإذن ماوراء السنة لايدّخر له إلا بحكم ضعف القلب والركون إلى ظاهر الأسباب ، فهو خارج عن مقام التوكل غير واثق بإحاطة التدبير من الوكيل الحق بخفايا الأسباب ، فإنّ أسباب الدخل فى الارتفاعات والزكوات تتكرر بتكرّر السنين غالبا ، ومن ادخر لأقل من سنة فله درجة بحسب قصر أمله ، ومن كان أمله شهرين لم تكن درجته كدرجة من أمل شهرا ولا درجة من أمل ثلاثة أشهر ، بل هو بينهما فى الرتبة ، ولا يمنع من الادخار إلا قصر الأمل ، فالأفضل أن لايدّخر أصلا ، وإن ضعف قلبه فكلما قل ادخاره كان فضله أكثر ، وقد روى فى الفقير الذى أمر صلى الله عليه وسلم عليا كرّم الله وجهه وأسامة أن يغسلاه فغسلاه وكفناه ببردته ، فلما دفنه قال لأصحابه « إنه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ، ولولا خصلة كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية » قلنا : وما هى يارسول الله ؟ قال « كان صوّاما قوّاما كثير الذكر لله تعالى غير أنه كان إذا جاء الشتاء ادخر حلة الصيف لصيفه ، وإذا جاء الصيف ادخر حلة الشتاء لشتائه ، ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم ، بل أقل ماأوتيتم اليقين وعزيمة الصبر [2] » الحديث ، وليس الكوز والشفرة وما يحتاج إليه على الدوام فى معنى ذلك ، فإنّ ادخاره لاينقص الدرجة ، وأما ثوب الشتاء فلا يحتاج إليه فى الصيف ، وهذا فى حق من لاينزعج قلبه بترك الادخار ولاتستشرف نفسه إلى أيدى الخلق بل لا يلتفت قلبه إلا إلى الوكيل الحق ، فإن كان يستشعر فى نفسه اضطرابا يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر فالادخار له أولى ، بل لو أمسك ضيعة يكون دخلها وافيا بقدر كفايته وكان لا يتفرغ قلبه إلا به فذلك له أولى ، لأنّ المقصود إصلاح القلب ليتجرّد لذكر الله ، ورب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه ، والمحذور مايشغل عن الله عز وجل ، وإلا فالدنيا فى عينها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها ، ولذلك بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى أصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون وأهل الحرف والصناعات ، فلم يأمر التجار بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا أمر التارك لهما بالاشتغال بهما ، بل دعا الكل إلى الله تعالى وأرشدهم إلى أنّ فوزهم ونجاتهم فى انصراف قلوبهم عن الدنيا إلى الله تعالى ، وعمدة الاشتغال بالله عز وجل القلب ؛ فصواب الضعيف ادخار قدر حاجته ، كما أنّ صواب القوى ترك الادخار ،

---

(١) حديث « خمر طينة آدم بيده أربعين صباحا » رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن مسعود وسلمان الفارسى بإسناد ضعيف جدا وهو باطل .

(٢) حديث : أنه قال فى حق الفقير الذى أمر عليا أو أسامة فغسله وكفنه ببردته : أنه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ... الحديث . وفى آخره « من أقل ماأوتيتم اليقين وعزيمة الصبر » لم أجد له أصلا ، وتقدم آخر الحديث قبل هذا .

وهذا كله حكم المنفرد ؛ فأما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم ، وادخار أكثر من ذلك مبطل للتوكل ، لأن الأسباب تتكرر عند تكرر السنين ؛ فادخاره ما يزيد عليه سببه ضعف قلبه ، وذلك يناقض قوة التوكل ، فالمتوكل عبارة عن موحد قوى القلب مطمئن النفس إلى فضل الله تعالى، واثق بتدبيره دون وجود الأسباب الظاهرة . وقد ادخر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لعياله قوت سنة[1] ، ونهى أم أيمن وغيرها أن تدخر له شيئا لغد ، [2] ونهى بلالا عن الادخار فى كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها ، فقال صلى الله عليه وسلم « أنفق بلالا ولا تخش من ذى العرش إقلالا [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سئلت فلا تمنع وإذا أعطيت فلا تخبأ [4] » اقتداء بسيد المتوكلين صلى الله عليه وسلم ، وقد كان تصر أمله بحيث كان إذا بال تيمم مع قرب الماء ويقول « مايدريني لعلى لا أبلغه [5] » وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لو اخر لم ينقص ذلك من توكله إذ كان لا يثق بما ادخره ، ولكنه عليه السلام ترك ذلك تعليما للأقوياء من أمته ، فإن أقوياء أمته ضعفاء بالإضافة إلى قوته ، وادخر عليه السلام لعياله سنة لا لضعف قلب فيه وفى عياله ، ولكن ليسن ذلك للضعفاء من أمته ، بل أخبر : « إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه [6] » تطييبا لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهى بهم الضعف إلى اليأس والقنوط فيتركون الميسور من الخير عليهم بعجزهم عن منتهى الدرجات ، فما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رحمة للعالمين كلهم عليه اختلاف أصنافهم ودرجاتهم ، وإذا فهمت هذا علمت أن الادخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضر ، ويدل على ما روى أبو أمامة الباهلى : أن بعض أصحاب الصفة توفى فما وجد له كفن ، فقال صلى الله عليه وسلم « فتشوا ثوبه » فوجدوا فيه دينارين فى داخل إزاره فقال صلى الله عليه وسلم « كيتان [7] » . وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف أموالا ولا يقول ذلك فى حقه ، وهذا يحتمل وجهين لأن حاله يحتمل حالين : (أحدهما) أنه أراد كيتين من النار ، كما قال تعالى ﴿ تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ﴾ وذلك إذا كان حاله إظهار الزهد والفقر والتوكل مع الإفلاس عنه فهو نوع تلبيس (والثانى) أن لا يكون ذلك عن تلبيس ، فيكون المعنى به النقصان عن درجة كماله كما ينقص من جمال الوجه أثر كيتين فى الوجه ، وذلك لا يكون عن تلبيس ، فإن كل ما يخلفه الرجل فهو نقصان عن درجته فى الآخرة ، إذ لا يؤتى أحد من الدنيا شيئا إلا نقص بقدره من الآخرة . وأما بيان أن الادخار مع فراغ القلب عن المدخر ليس من ضرورته بطلان التوكل ، فيشهد له ماروى عن بشر . قال الحسين المغازلى من أصحابه : كنت عنده ضحوة من النهار ، فدخل عليه رجل كهل أسمر خفيف العارضين ، فقام إليه بشر ، قال : وما رأيته قام لأحد غيره ، قال : ودفع إلى كفا من دراهم وقال : اشتر لنا من أطيب ما تقدر عليه من الطعام الطيب ، وما قال لى قط

---

(١) حديث : ادخر لعياله قوت سنة ، متفق عليه ، وتقدم فى الزكاة . (٢) حديث : نهى أم أيمن وغيرها أن تدخر شيئاً لغد : تقدم نهيه لأم أيمن وغيرها . (٣) حديث : نهى بلالا عن الادخار وقال « أنفق بلالا ولا تخش من ذى العرش إقلالا » رواه البزار من حديث ابن مسعود وأبى هريرة وبلال : دخل عليه النبى صلى الله عليه وسلم وعنده صبر من تمر ، فقال ذلك . وروى أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط حديث أبى هريرة ، وكلها ضعيفة . وأما ماذكره المصنف من أنه ادخر كسرة خبز ، فلم أره

(٤) حديث قال لبلال « إذا سئلت فلا تمنع ، وإذا أعطيت فلا تخبأ » رواه الطبرانى والحاكم من حديث أبى سعيد وهو ثقة .

(٥) حديث أنه صلى الله عليه وسلم بال وتيمم مع قرب الماء ويقول « مايدرينى لعلى لا أبلغه » أخرجه ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل من حديث ابن عباس بسند ضعيف . (٦) حديث « إن الله يحب أن تؤتى رخصه ... الحديث » أخرجه أحمد والطبرانى والبيهقى من حديث أم عمر وقد تقدم . (٧) حديث أبى أمامة : توفى بعض أصحاب الصفة فوجدوا دينارين فى داخلة إزاره ، فقال صلى الله عليه وسلم « كيتان » رواه أحمد من رواية شهر بن حوشب عنه .

مثل ذلك ، قال : فجئت بالطعام فوضعته فأكل معه وما رأيته أكل مع غيره ، قال : فأكلنا حاجتنا وبقى من الطعام شىء كثير ، فأخذه الرجل وجمعه فى ثوبه وحمله معه وانصرف ، فعجبت من ذلك وكرهته له ، فقال لى بشر : لعلك أنكرت فعله ؟ قلت : نعم أخذ بقية الطعام من غير إذن ، فقال : ذاك أخونا فتح الموصلى زارنا اليوم من الموصل فإنما أراد أن يعلمنا أنّ التوكل إذا صح لم يضر معه الادخار .

(الفن الثالث فى مباشرة الأسباب الدافعة للضرر المعرّض للخوف) اعلم أنّ الضرر قد يعرض للخوف فى نفس أو مال وليس من شروط التوكل ترك الأسباب الدافعة رأسا ؛ أما فى النفس فكالنوم فى الأرض المسبعة أو فى مجارى السيل من الوادى أو تحت الجدار المائل والسقف المنكسر ، فكل ذلك منهى عنه ، وصاحبه قد عرّض نفسه للهلاك بغير فائدة ، نعم تنقسم هذه الأسباب إلى مقطوع بها ، ومظنونة ، وإلى موهومة فترك الموهوم منها من شرط التوكل وهى التى نسبتها إلى دفع الضرر نسبة الكى والرقية ؛ فإنّ الكى والرقية قد تقدم به على المحذور دفعا لما يتوقع ، وقد يستعمل بعد نزول المحذور للإزالة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصف المتوكلين إلا بترك الكى والرقية والطيرة ، ولم يصفهم بأنهم إذا خرجوا إلى موضع بارد لم يلبسوا جبة ، والجبة تلبس دفعا للبرد المتوقع ، وكذلك كل ما فى معناها من الأسباب ، نعم الاستظهار بأكل الثوم مثلا عند الخروج إلى السفر فى الشتاء تهييجا لقوة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعمق فى الأسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب من الكى بخلاف الجبة ، ولترك الأسباب الدافعة وإن كانت مقطوعة وجه إذا ناله الضرر من إنسان ، فإنه إذا أمكنه الصبر وأمكنه الدفع والتشفى فشرط التوكل الاحتمال والصبر ، قال الله تعالى ﴿ فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون ﴾ وقال تعالى ﴿ ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾ وقال عز وجل ﴿ ودع أذاهم وتوكل على الله ﴾ وقال سبحانه وتعالى ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ وقال تعالى ﴿ نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ وهذا فى أذى الناس ، وأما الصبر على أذى الحيات والسباع والعقارب ، فترك دفعها ليس من التوكل فى شىء إذ لا فائدة فيه ، ولا يراد السعى ولا يترك السعى لعينه بل لإعانته على الدين ، وترتب الأسباب ههنا كترتبها فى الكسب وجلب المنافع فلا نطول بالإعادة ، وكذلك فى الأسباب الدافعة عن المال ، فلا ينقص التوكل بإغلاق باب البيت عند الخروج ولا بأن يعقل البعير ، لأن هذه أسباب عرفت سنة الله تعالى إما قطعا وإما ظنا ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للأعرابى لما أن أهمل البعير وقال توكلت على الله « اعقلها وتوكل »[1] ، وقال تعالى ﴿ خذوا حذركم ﴾ وقال فى كيفية صلاة الخوف ﴿ وليأخذوا أسلحتهم ﴾ وقال سبحانه ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ﴾ وقال تعالى لموسى عليه السلام ﴿ فأسر بعبادى ليلا ﴾ والتحصن بالليل اختفاء عن أعين الأعداء ونوع تسبب ، واختفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار اختفاء عن أعين الأعداء دفعا للضرر[2] ، وأخذ السلاح فى الصلاة فليس دافعا قطعا كقتل الحية والعقرب فإنه دافع قطعا ، ولكن أخذ السلاح سبب مظنون ، وقد بينا أن المظنون كالمقطوع ، وإنما الموهوم هو الذى يقتضى التوكل تركه .

* فإن قلت : فقد حكى عن جماعة أن منهم من وضع الأسد يده على كتفه ولم يتحرك . فأقول : وقد حكى عن جماعة أنهم ركبوا الأسد وسخروه فلا ينبغى أن يغتر بذلك المقام ؛ فإنه وإن كان صحيحا فى نفسه فلا يصلح للاقتداء

---

(١) حديث « اعقلها وتوكل » أخرجه الترمذى من حديث أنس ، قال يحيى القطان : منكر . ورواه ابن خزيمة فى التوكل ، والطبرانى من حديث عمرو بن أمية الضمرى بإسناد جيد « قيدها » . (٢) حديث : اختفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أعين الأعداء دفعا للضرر ، تقدم فى قصة اختفائه فى الغار عند إرادة الهجرة .

بطريق التعلم من الغير ، بل ذلك مقام رفيع فى الكرامات وليس ذلك شرطا فى التوكل ، وفيه أسرار لا يقف عليها من لم ينته إليها .

* فإن قلت : وهل من علامة أعلم بها أنى قد وصلت إليها ؟ . فأقول : الواصل لا يحتاج إلى طلب العلامات ولكن من العلامات على ذلك المقام السابقة عليه : أن يسخر لك كلب هو معك فى إهابك يسمى الغضب ، فلا يزال يعضك ويعض غيرك ، فإن سخر لك هذا الكلب بحيث إذا هيج وأشلى لم يستشل إلا بإشارتك وكان مسخرا لك ، فربما ترتفع درجتك إلى أن يسخر لك الأسد الذى هو ملك السباع ، وكلب دارك أولى أن يكون مسخرا لك من كلب البوادى ، وكلب إهابك أولى بأن يتسخر من كلب دارك ، فإذا لم يسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع فى استسخار الكلب الظاهر .

* فإن قلت : فإذا أخذ المتوكل سلاحه حذرا من العدو وأغلق بابه حذرا من اللص وعقل بعيره حذرا من أن ينطلق ، فبأى اعتبار يكون متوكلا فأقول : يكون متوكلا بالعلم والحال ، فأما العلم فهو أن يعلم أن اللص إن اندفع لم يندفع بكفايته فى إغلاق الباب ، بل لم يندفع إلا بدفع الله تعالى إياه ؛ فكم من باب يغلق ولا ينفع ، وكم من بعير يعقل ويموت أو يفلت ، وكم من آخذ سلاحه يقتل أو يغلب ؛ فلا تتكل على هذه الأسباب أصلا بل على مسبب الأسباب ، كما ضربنا المثل فى الوكيل فى الخصومة فإنه إن حضر وأحضر السجل فلا يتكل على نفسه وسجله بل يتكل على كفاية الوكيل وقوته ، وأما الحال فهو أن يكون راضيا بما يقضى الله تعالى به فى بيته ونفسه ويقول : اللهم إن سلطت على ما فى البيت من يأخذه فهو فى سبيلك وأنا راض بحكمك ، فإنى لا أدرى أن ما أعطيتنى هبة فلا تسترجعها ، أو عارية ووديعة فتستردها ، ولا أدرى أنه رزق أو سبقت مشيئتك فى الأزل بأنه رزق غيرى ، وكيفما قضيت فأنا راض به ، وما أغلقت الباب تحصنا من قضائك وتسخطا له ، بل جريا على مقتضى سنتك فى ترتيب الأسباب ، فلا ثقة إلا بك يامسبب الأسباب ؛ فإذا كان هذا حاله وذلك الذى ذكرناه علمه لم يخرج عن حدود التوكل بعقل البعير وأخذ السلاح وإغلاق الباب ، ثم إذا عاد فوجد متاعه فى البيت فينبغى أن يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله تعالى ، وإن لم يجده بل وجده مسروقا نظر إلى قلبه ، فإن وجده راضيا أو فرحا بذلك عالما أنه ما أخذ الله تعالى ذلك منه إلا ليزيد رزقه فى الآخرة فقد صح مقامه فى التوكل وظهر له صدقه ، وإن تألم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له أنه ما كان صادقا فى دعوى التوكل ؛ لأن التوكل مقام بعد الزهد ، ولا يصح الزهد إلا ممن لا يتأسف على ما فات من الدنيا ولا يفرح بما يأتى ، بل يكون على العكس منه ، فكيف يصح له التوكل ؟ نعم قد يصح له مقام الصبر إن أخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه فى الطلب والتجسس ، وإن لم يقدر على ذلك حتى تأذى بقلبه وأظهر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب ببدنه ، فقد كانت السرقة مزيدا له فى ذنبه من حيث إنه ظهر له قصوره عن جميع المقامات وكذبه فى جميع الدعاوى ؛ فبعد هذا ينبغى أن يجتهد حتى لا يصدق نفسه فى دعاويها ولا يتدلى بحبل غرورها ؛ فإنها خداعة أمارة بالسوء مدعية للخير .

* فإن قلت : فكيف يكون للمتوكل مال حتى يؤخذ ؟ فأقول : المتوكل لا يخلو بيته من متاع كقصعة يأكل فيها وكوز يشرب منه وإناء يتوضأ منه وجراب يحفظ به زاده وعصا يدفع بها عدوه وغير ذلك من ضرورات المعيشة من أثاث البيت ، وقد يدخل فى يده مال وهو يمسكه ليجد محتاجا فيصرفه إليه ، فلا يكون ادخاره على هذه النية مبطلا لتوكله ، وليس من شرط التوكل إخراج الكوز الذى يشرب منه والجراب الذى فيه زاده ، وإنما ذلك فى

المأكول وفى كل مال زائد على قدر الضرورة ؛ لأنّ سنة الله جارية بوصول الخير إلى الفقراء المتوكلين فى زوايا المساجد ، وما جرت السنة بتفرقة الكيزان والأمتعة فى كل يوم ولا فى كل أسبوع ، والخروج عن سنة الله عز وجل ليس شرطا فى التوكل ، ولذلك كان الخواص يأخذ فى السفر الحبل والركوة والمقراض والإبرة دون الزاد ، لكن سنة الله تعالى جارية بالفرق بين الأمرين .

* فإن قلت : فكيف يتصور أن لا يحزن إذا أخذ متاعه الذى هو محتاج إليه ولا يتأسف عليه ، فإن كان لايشتهيه فلم أمسكه وأغلق الباب عليه ، وإن كان أمسكه لأنه يشتهيه لحاجته إليه فكيف لايتأذى قلبه ولا يحزن وقد حيل بينه وبين مايشتهيه ؟ فأقول : إنما كان يحفظه ليستعين به على دينه إذ كان يظن أن الخيرة له فى أن يكون له ذلك المتاع ، ولولا أن الخيرة له فيه لما رزقه الله تعالى ولما أعطاه إياه ، فاستدل على ذلك بتيسير الله عز وجل وحسن الظن بالله تعالى مع ظنه أن ذلك معين له على أسباب دينه ولم يكن ذلك عنده مقطوعا به ، إذ يحتمل أن تكون خيرته فى أن يبتلى بفقده ذلك حتى ينصب فى تحصيل غرضه ويكون ثوابه فى النصب والتعب أكثر ؛ فلما أخذه الله تعالى منه بتسليط اللص تغير ظنه ، لأنه فى جميع الأحوال واثق بالله حسن الظن به ، فيقول : لولا أنّ الله عز وجل علم أنّ الخيرة كانت لى فى وجودها إلى الآن والخيرة لى الآن فى عدمها لما أخذها منى ، فبمثل هذا الظن يتصور أن يندفع عنه الحزن ، إذ به يخرج عن أن يكون فرحه بأسباب من حيث إنها أسباب ، بل من حيث إنه يسرها مسبب الأسباب عناية وتلطفا ، وهو كالمريض بين يدى الطبيب الشفيق يرضى بما يفعله ، فإن قدم إليه الغذاء فرح وقال : لولا أنه يعرف أنّ الغذاء ينفعنى وقد قويت على احتماله لما قربه إلى ، وإن أخر عنه الغذاء بعد ذلك أيضا فرح وقال : لولا أنّ الغذاء يضرنى ويسوقنى إلى الموت لما حال بينى وبينه ، وكل من لا يعتقد لطف الله تعالى ما يعتقده المريض فى الوالد المشفق الحاذق لعلم الطب فلا يصح منه التوكل أصلا . ومن عرف الله تعالى وعرف أفعاله وعرف سنته فى إصلاح عباده لم يكن فرحه بالأسباب ، فإنه لا يدرى أى الأسباب خير له ، كما قال عمر رضى الله عنه : لا أبالى أصبحت غنيا أو فقيرا ؛ فإنى لا أدرى أيهما خير لى ؛ فكذلك ينبغى أن لا يبالى المتوكل يسرق متاعه أو لايسرق فإنه لايدرى أيهما خير له فى الدنيا أو فى الآخرة ، فكم من متاع فى الدنيا يكون سبب هلاك الإنسان ! وكم من غنى يبتلى بواقعة لأجل غناه يقول ياليتنى كنت فقيرا !

بيان آداب المتوكلين إذا سرق متاعهم

للمتوكل آداب فى متاع بيته إذا خرج عنه (الأول) أن يغلق الباب ولا يستقصى فى أسباب الحفظ كالتماسك من الجيران الحفظ مع الغلق ، وكجمعه أغلاقا كثيرة ؛ فقد كان مالك بن دينار لا يغلق بابه ولكن يشده بشريط ويقول : لولا الكلاب ما شددته أيضا (الثانى) أن لايترك فى البيت متاعا يحرض عليه السراق فيكون هو سبب معصيتهم أو إمساكه يكون سبب هيجان رغبتهم ، ولذلك لما أهدى المغيرة إلى مالك بن دينار ركوة قال : خذها لا حاجة لى إليها . قال : لم ؟ قال : يوسوس إلى العدو أن اللص يأخذها ، فكأنه احترز من أن يعصى السارق : ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقتها ، ولذلك قال أبو سليمان : هذا من ضعف قلوب الصوفية هذا قد زهد فى الدنيا فما عليه من أخذها (الثالث) أن مايضطر إلى تركه فى البيت ينبغى أن ينوى عند خروجه الرضا بما يقضى الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول : مايأخذه السارق فهو منه فى حل أو فى سبيل الله تعالى ، وإن كان فقيرا فهو عليه صدقة ، وإن لم يشترط الفقر فهو أولى ، فيكون له نيتان لو أخذه غنى أو فقير (إحداهما) أن يكون

ماله مانعا من المعصية ، فإنه ربما يستغنى به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصيانه بأكل الحرام لما أن جعله فى حل (والثانية) أن لا يظلم مسلما آخر فيكون ماله فداء لمال مسلم آخر ، ومهما ينوى حراسة مال غيره بمال نفسه أو ينوى دفع المعصية عن السارق أو تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامتثل قوله صلى الله عليه وسلم « انصر أخاك ظالما أو مظلوما [1] » ونصر الظالم : أن تمنعه من الظلم ، وعفوه عنه إعدام للظلم ومنع له ، وليتحقق أنّ هذه النية لا تضره بوجه من الوجوه إذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الأزلى . ولكن يتحقق بالزهد نيته ، فإن أخذ ماله كان له بكل درهم سبعمائة درهم لأنه نواه وقصده ، وإن لم يؤخذ حصل له الأجر أيضا ، كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل فأقر النطفه قرارها أن له أجر غلام ولد له من ذلك الجماع وعاش فقتل فى سبيل الله تعالى وإن لم يولد له [2] » لأنه ليس أمر الولد إلا الوقاع ، فأما الخلق والحياة والرزق والبقاء فليس إليه ، فلو خلق لكان ثوابه على فعله ، وفعله لم ينعدم ، فكذلك أمر السرقة (الرابع) أنه إذا وجد المال مسروقا فينبغى أن لا يحزن بل يفرح إن أمكنه ويقول : لولا أن الخيرة كانت فيه لما سلبه الله تعالى ، ثم إن لم يكن قد جعله فى سبيل الله عز وجل ، فلا يبالغ فى طلبه وفى إساءة الظن بالمسلمين ؛ وإن كان قد جعله فى سبيل الله فيترك طلبه ، فإنه قد قدمه ذخيرة لنفسه إلى الآخرة ، فإن أعيد عليه ، فالأولى أن لا يقبله بعد أن كان قد جعله فى سبيل الله عز وجل ، وإن قبله فهو فى ملكه فى ظاهر العلم ، لأن الملك لا يزول بمجرد تلك النية ، ولكنه غير محبوب عند المتوكلين .

وقد روى أنّ ابن عمر سرقت ناقته فطلبها حتى أعيا ، ثم قال . فى سبيل الله تعالى ، فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين فجاءه رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن ، إنّ ناقتك فى مكان كذا فلبس نعله وقام ، ثم قال : استغفر الله وجلس ، فقيل له : ألا تذهب فتأخذها ! فقال : إنى كنت قلت فى سبيل الله .

وقال بعض الشيوخ : رأيت بعض إخوانى فى النوم بعد موته فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى وأدخلنى الجنة وعرض على منازلى فيها فرأيتها ، قال : وهو مع ذلك كئيب حزين ! فقلت : قد غفر لك ودخلت الجنة وأنت حزين ! فتنفس الصعداء ثم قال : نعم إنى لا أزال حزينا إلى يوم القيامة . قلت : ولم ؟ قال إنى لما رأيت منازلى فى الجنة رفعت لى مقامات فى عليين ما رأيت مثلها فيما رأيت ، ففرحت بها ، فلما هممت بدخولها نادى منادى من فوقها اصرفوه عنها فليست هذه له إنما هى لمن أمضى السبيل ، فقلت وما إمضاء السبيل ؟ فقيل لى كنت تقول للشىء إنه فى سبيل الله ثم ترجع فيه ، فلو كنت أمضيت السبيل لأمضينا لك .

وحكى عن بعض العباد بمكة أنه كان نائما إلى جنب رجل معه هميانه ، فانتبه الرجل ففقد هميانه فاتهمه به ، فقال له كم كان فى هميانك ؟ فذكر له ، فحمله من البيت ووزنه من عنده ، ثم بعد ذلك أعلمه أصحابه أنهم كانوا أخذوا الهميان مزحا معه ، فجاء هو وأصحابه معه وردوا الذهب ، فأبى وقال خذه حلالا طيبا ، فما كنت لأعود فى مال أخرجته فى سبيل الله عز وجل ، فلم يقبل ، فألحوا عليه ، فدعا ابنه وجعل يصره صررا ويبعث به إلى الفقراء حتى لم يبق منه شىء .

فهكذا كانت أخلاق السلف ، وكذلك من أخذ رغيفا ليعطيه فقيرا فغاب عنه كان يكره رده إلى البيت بعد إخراجه فيعطيه فقيرا آخر ، وكذلك يفعل فى الدراهم والدنانير وسائر الصدقات (الخامس) وهو أقل الدرجات

---

(١) حديث « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » متفق عليه من حديث أنس ، وقد تقدم . (٢) حديث « من ترك العزل وأقر النطفة قرارها كان له أجر غلام ... الحديث » لم أجد له أصلا .

أن لايدعو على السارق الذى ظلمه بالأخذ ، فإن فعل بطل توكله ودل ذلك على كراهته وتأسفه على مافات ، وبطل زهده ، ولو بالغ بطل أجره أيضا فيما أصيب به ؛ ففى الخبر « من دعا على ظالمه فقد انتصر [1] » .

وحكى أنّ الربيع بن خثيم سرق فرس له وكان قيمته عشرين ألفا وكان قائما يصلى ، فلم يقطع صلاته ولم ينزعج لطلبه ، فجاءه قوم يعزونه فقال : أما إنى قد كنت رأيته وهو يخله : قيل : ومامنعك أن تزجره ؟ قال : كنت فيما هو أحب إلى من ذلك - يعنى الصلاة - فجعلوا يدعون عليه فقال : لاتفعلوا وقولوا خيرا فإنى قد جعلتها صدقة عليه .

وقيل لبعضهم فى شىء قد كان سرق له : ألا تدعو على ظالمك ! قال : ماأحب أن أكون عونا للشيطان عليه . قيل : أرأيت لو رد عليك ؟ قال : لا آخذه ولاأنظر إليه لأنى كنت قد أحللته له .

وقيل لآخر : ادع الله على ظالمك ، فقال : ماظلمنى أحد ، ثم قال : إنما ظلم نفسه ، ألا يكفيه المسكين ظلم نفسه حتى أزيده شرا .

وأكثر بعضهم شتم الحجاج عند بعض السلف فى ظلمه ، فقال : لاتغرق فى شتمه ، فإنّ الله تعالى ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينتصف منه لمن أخذ ماله ودمه .

وفى الخبر « إنّ العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ماظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتص له من المظلوم [2] » (السادس) أن يغتم لأجل السارق وعصيانه وتعرضه لعذاب الله تعالى ، ويشكر الله تعالى إذ جعله مظلوما ولم يجعله ظالما وجعل ذلك نقصا فى دنياه لانقصا فى دينه ، فقد شكا بعض الناس إلى عالم أنه قطع عليه الطريق وأخذ ماله فقال : إن لم يكن لك غم أنه قد صار فى المسلمين من يستحل هذا أكثر من غمك بمالك فما نصحت للمسلمين .

وسرق من على بن الفضيل دنانير وهو يطوف بالبيت ، فرآه أبوه وهو يبكى ويحزن ، فقال : أعلى الدنانير تبكى ؟ فقال : لاوالله ولكن على المسكين أن يسئل يوم القيامة ولاتكون له حجة .

وقيل لبعضهم : ادع على من ظلمك ، فقال : إنى مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه ؛ فهذه أخلاق السلف رضى الله عنهم أجمعين .

(الفن الرابع : فى السعى فى إزالة الضرر كمداواة المرض وأمثاله) اعلم أنّ الأسباب المزيلة للمرض أيضاً تنقسم إلى مقطوع به كالماء المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع ، وإلى مظنون كالفصد والحجامة وشرب الدواء المسهل وسائر أبواب الطب ، أعنى معالجة البرودة بالحرارة والحرارة بالبرودة وهى الأسباب الظاهرة فى الطب ، وإلى موهوم كالكى والرقية . أما المقطوع فليس من التوكل تركه ، بل تركه حرام عند خوف الموت . وأما الموهوم فشرط التوكل تركه إذ به وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين ، وأقواها الكى ، ويليه الرقية ، والطيرة آخر درجاتها ، والاعتماد عليها والاتكال إليها غاية التعمق فى ملاحظة الأسباب ، وأما الدرجة المتوسطة وهى المظنونة كالمداواة بالأسباب الظاهرة عند الأطباء ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم ، وتركه ليس محظورا بخلاف المقطوع ، بل قد يكون أفضل من فعله فى بعض الأحوال وفى بعض الأشخاص فهى على درجة بين الدرجتين ، ويدل على أنّ التداوى غير مناقض للتوكل فعل رسول الله صلى الله عليه

---

(١) حديث « من دعا على من ظلمه فقد انتصر » تقدم . (٣) حديث « إن العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ماظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة ... الحديث » تقدم .

وسلم وقوله وأمره به ؛ أما قوله فقد قال صلى الله عليه وسلم « مامن داء إلا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله إلا السام [١] » يعنى الموت . وقال عليه السلام « تداووا عباد الله فإنّ الله خلق الداء والدواء [٢] » . وسئل عن الدواء والرقى هل ترد من قدر الله شيئا ؟ قال : « هى من قدر الله [٣] » وفى الخبر المشهور « مامررت بملأ من الملائكة إلا قالوا مرأمتك بالحجامة [٤] » وفى الحديث أنه أمر بها وقال « احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة ولإحدى وعشرين لايتبيغ بكم الدم فيقتلكم [٥] » فذكر أنّ تبيغ الدم سبب الموت وأنه قاتل بإذن الله تعالى ، وبين أنّ إخراج الدم خلاص منه ، إذ لافرق بين إخراج الدم المهلك من الإهاب وبين إخراج العقرب من تحت الثياب وإخراج الحية من البيت ، وليس من شرط التوكل ترك ذلك ، بل هو كصب الماء على النار لإطفائها ودفع ضررها عند وقوعها فى البيت ، وليس من التوكل الخروج عن سنة الوكيل أصلا . وفى خبر مقطوع « من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة [٦] » وأما امره صلى الله عليه وسلم فقد أمر غير واحد من الصحابة بالتداوى وبالحمية [٧] ، وقطع لسعد بن معاذ عرقا [٨] أى فصده ، وكوى سعد بن زرارة [٩] ، وقال لعلى رضى الله تعالى عنه وكان رمد العين « لاتأكل من هذا » يعنى الرطب « وكل من هذا فإنه أوفق لك [١٠] » يعنى سلقا قد طبخ بدقيق شعير . وقال لصهيب وقد رآه يأكل التمر وهو وجع العين « تأكل تمرا وأنت أرمد » فقال : « إنى آكل من الجانب الآخر » فتبسم صلى الله عليه وسلم [١١] » . وأما فعله عليه الصلاة والسلام فقد روى فى حديث من طريق أهل البيت أنه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة [١٢] قيل : السنا المكى .

---

(١) حديث « مامن داء إلا له دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله إلا السام » رواه أحمد والطبرانى من حديث ابن مسعود دون قوله « إلا السام » وهو عند ابن ماجه مختصرا دون قوله « عرفه ... إلى آخره » وإسناده حسن ، وللترمذى وصححه من حديث أسامة بن شريك « إلا الهرم » وللطبرانى فى الأوسط والبزار من حديث أبى سعيد الخدرى والطبرانى فى الكبير من حديث ابن عباس وسندهما ضعيف ، والبخارى من حديث أبى هريرة « ماأنزل الله داء إلا أنزل له شفاء » ولمسلم من حديث جابر « لكل داء دواء » . (٢) حديث « تداووا عباد الله . . » رواه الترمذى وصححه ، وابن ماجه واللفظ له من حديث أسامة ابن شريك . (٣) حديث : سئل عن الدواء والرقى هل يرد من قدر الله فقال « هى من قدر الله ... » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى خزامة ، وقيل عن أبى خزامة عن أبيه ، قال الترمذى : وهذا أصح . (٤) حديث « مامررت بملأ من الملائكة إلا قالوا مرأمتك بالحجامة » رواه الترمذى من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب ، ورواه ابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف . (٥) حديث « احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة ولإحدى وعشرين ... الحديث » أخرجه البزار من حديث ابن عباس بسند حسن موقوفا ، ورفعه الترمذى بلفظ « إن خير ماتحتجمون فيه سبع عشرة ... الحديث » دون ذكر التبيغ ، وقال : حسن غريب ، وقال البزار : إن طريقه المتقدمة أحسن من هذا الطريق ، ولابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف « من أراد الحجامة فليتحر سبعة عشر ... الحديث » .

(٦) حديث « من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة » رواه الطبرانى من حديث معقل بن يسار ، وابن حبان فى الضعفاء من حديث أنس وإسنادهما واحد اختلف على راويه فى الصحابى ، وكلاهما فيه زين العمى وهو ضعيف . (٧) حديث أمره بالتداوى لغير واحد من الصحابة . أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أسامة بن شريك أنه قال للأعرابى حين سألوه « تداووا ... الحديث » وسيأتى فى قصة على وصهيب فى الحمية بعده . (٨) حديث : قطع عرقا لسعد ابن معاذ ، أخرجه مسلم من حديث جابر قال : رمى سعد فى أكحله فحسمه النبى صلى الله عليه وسلم بيده بمشقص . . . الحديث .

(٩) حديث أنه كوى أسعد بن زرارة ، رواه الطبرانى من حديث سهل بن حنيف بسند ضعيف ، ومن حديث أبى أسامة بن سهل بن حنيف دون ذكر سهل . (١٠) حديث قال لعلى وكان رمدا « لاتأكل من هذا . . . الحديث » رواه أبو داود والترمذى وقال : حسن غريب ، وابن ماجه من حديث أم المنذر . (١١) حديث قال لصهيب وقد رآه يأكل التمر وهو وجع العين « تأكل تمرا وأنت رمد ... الحديث » تقدم فى آفات اللسان . (١٢) حديث من طريق أهل البيت أنه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة ، أخرجه ابن عدى من حديث عائشة وقال : إنه منكر ، وفيه سيف بن محمد كذبه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين .

وتداوى صلى الله عليه وسلم غير مرة من العقرب وغيرها [١] . وروى أنه كان إذا نزل عليه الوحى صدع رأسه فكان يغلفه بالحناء [٢] . وفى خبر : أنه كان إذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء ، وقد جعل على قرحة خرجت به ترابا [٣] ، وما روى فى تداويه وأمره بذلك كثير خارج عن الحصر ، وقد صنف فى ذلك كتاب وسمى طب النبى صلى الله عليه وسلم . وذكر بعض العلماء فى الإسرائيليات، أن موسى عليه السلام اعتل بعلة فدخل عليه بنو إسرائيل فعرفوا علته ؛ فقالوا له : لو تداويت بكذا لبرئت ، فقال : لا أتداوى حتى يعافينى هو من غير دواء ، فطالت علته فقالوا له : إن دواء هذه العلة معروف مجرب ، وإنا نتداوى به فنبرأ ، فقال : لا أتداوى ، وأقامت علته ، فأوحى الله تعالى إليه : وعزتى وجلالى لا أبرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك ، فقال لهم : داوونى بما ذكرتم ، فداووه فبرأ ، فأوجس فى نفسه من ذلك ، فأوحى الله تعالى إليه : أردت أن تبطل حكمتى بتوكلك على من أودع العقاقير منافع الأشياء غيرى ؟ .

وروى فى خبر آخر أن نبيا من الأنبياء عليهم السلام شكا علة يجدها ، فأوحى الله تعالى إليه : كل البيض. وشكا نبى آخر الضعف ، فأوحى الله تعالى إليه : كل اللحم باللبن فإن فيهما القوة ، قيل هو الضعف عن الجماع .

وقد روى أن قوما شكوا إلى نبيهم قبح أولادهم ، فأوحى الله تعالى إليه : مرهم أن يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فإنه يحسن الولد ويفعل ذلك فى الشهر الثالث والرابع ، إذ فيه يصور الله تعالى الولد، وقد كانوا يطعمون الحبلى السفرجل، والنفساء الرطب .

فبهذا تبين أن مسبب الأسباب أجرى سنته بربط المسببات بالأسباب إظهاراً للحكمة ، والأدوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الأسباب ، فكما أن الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش فالسكنجبين دواء الصفراء ، والسقمونيا دواء الإسهال لا يفارقه إلا فى أحد أمرين (أحدهما) أن معالجة الجوع والعطش بالماء والخبز جلى واضح يدركه كافة الناس ، ومعالجة الصفراء بالسكنجبين يدركه بعض الخواص ، فمن أدرك ذلك بالتجربة التحق فى حقه بالأول (والثانى) أن الدواء يسهل ، والسكنجبين يسكن الصفراء بشروط أخر فى الباطن وأسباب فى المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها ، وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الإسهال . وأما زوال العطش فلا يستدعى سوى الماء شروطا كثيرة ، وقد يتفق من العوارض ما يوجب داء العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر واختلال الأسباب أبدا ينحصر فى هذين الشيئين ، وإلا فالمسبب يتلو السبب لا محالة مهما تمت شروط السبب ، وكل ذلك بتدبير مسبب الأسباب وتسخيره ، وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته ، فلا يضر المتوكل استعماله مع النظر إلى مسبب الأسباب دون الطبيب والدواء ؛ فقد روى عن موسى صلى الله عليه وسلم أنه قال : يارب ، ممن الداء والدواء ؟ فقال تعالى : منى . قال : فما يصنع الأطباء ؟ قال : يأكلون أرزاقهم ويطيبون نفوس

---

(١) حديث أنه تداوى غير مرة من العقرب وغيرها ، رواه الطبرانى بإسناد حسن من حديث جبلة بن الأزرق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لدغته عقرب فنشى عليه فرقاه الناس ... الحديث ، وله فى الأوسط من رواية سعيد بن ميسرة وهو ضعيف عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى تفجع كفا من شونيز ويشرب عليه ماء وعسلا ، ولأبى يعلى والطبرانى فى الكبير من حديث عبد الله بن جعفر أن النبى صلى الله عليه وسلم احتجم بعد ماسم ، وفيه جابر الجعفى ضعفه الجمهور .

(٢) حديث : كان إذا نزل عليه الوحى صدع رأسه فيغلفه بالحناء ، أخرجه البزار وابن عدى فى الكامل من حديث أبى هريرة ، وقد اختلف فى إسناده على الأحوص بن حكيم : كان إذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء ، رواه الترمذى وابن ماجه من حديث سلمى ، قال الترمذى : غريب . (٣) حديث : جعل على قرحة خرجت بيده ترابا ، رواه البخارى ومسلم من حديث عائشة : كان إذا اشتكى الإنسان الشىء منه أو كانت قرحة أو جرح قال النبى صلى الله عليه وسلم بيده هكذا ، ووضع سفيان بن عيينة الراوى سبابته بالأرض ثم رفعها وقال « بسم الله تربة أرضنا وريقة بعضنا يشفى سقيمنا » .

عبادى حتى يأتى شفائى أو قضائى ؛ فإذن معنى التوكل مع التداوى التوكل بالعلم والحال ، كما سبق فى فنون الأعمال الدافعة للضرر الجالبة للنفع ، فأما ترك التداوى رأسا فليس شرطا فيه .

« فإن قلت : فالكى أيضا من الأسباب الظاهرة النفع . فأقول : ليس كذلك، إذ الأسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب المسهل وسقى المبردات للمحرور . وأما الكى فلو كان مثلها فى الظهور لما خلت البلاد الكثيرة عنه ، وقلما يعتاد الكى فى أكثر البلاد ، وإنما ذلك عادة بعض الأتراك والأعراب ؛ فهذا من الأسباب الموهومة كالرقى ، إلا أنه يتميز عنها بأمر وهو أنه احراق النار فى الحال مع الاستغناء عنه فإنه مامن وجع يعالج بالكى إلا وله دواء يغنى عنه ليس فيه إحراق ، فالإحراق بالنار جرح مخرب للبنية محذور السراية مع الاستغناء عنه ، بخلاف الفصد والحجامة فإن سرايتهما بعيدة ولا يسد مسدهما غيرهما ، ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكى دون الرقى (١) . وكل واحد منهما بعيد عن التوكل . وروى أن عمران بن الحصين اعتل فأشاروا عليه بالكى فامتنع ، فلم يزالوا به وعزم عليه الأمر حتى اكتوى ، فكان يقول . كنت أرى نوراً وأسمع صوتا وتسلم على الملائكة ، فلما اكتويت انقطع ذلك عنى ، وكان يقول اكتوينا كيات فوالله ما أفلحت ولا أنجحت ، ثم تاب من ذلك وأناب إلى الله تعالى ، فرد الله تعالى عليه ما كان يجد من أمر الملائكة . وقال لمطرف بن عبد الله : ألم تر إلى الملائكة التى كان أكرمنى الله بها قد ردها الله تعالى على ! بعد أن كان أخبره بفقدها ؛ فإذن الكى وما يجرى مجراه هو الذى لا يليق بالمتوكل لأنه يحتاج فى استنباطه إلى تدبير ، ثم هو مذموم ، ويدل ذلك على شدة ملاحظة الأسباب وعلى التعمق فيها ، والله أعلم

بيان أن ترك التداوى قد يحمد فى بعض الأحوال ويدل على قوة التوكل وأن ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

اعلم أن الذين تداووا من السلف لا ينحصرون ، ولكن قد ترك التداوى أيضا جماعة من الأكابر ، فربما يظن أن ذلك نقصان ، لأنه لو كان كمالا لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ لا يكون حال غيره فى التوكل أكمل من حاله .

وقد روى عن أبى بكر رضى الله عنه أنه قيل له : لو دعونا لك طبيبا ؟ فقال : الطبيب قد نظر إلى وقال : إنى فعال لما أريد . وقيل لأبى الدرداء فى مرضه : ماتشتكى ؟ قال : ذنوبى . قيل : فما تشتهى ؟ قال : مغفرة ربى قالوا ألا ندعو لك طبيبا ؟ قال : الطبيب أمرضنى

وقيل لأبى ذر وقد رمدت عيناه : لو داويتهما ؟ قال : إنى عنهما مشغول ؛ فقيل : لو سألت الله تعالى أن يعافيك ؟ فقال : أسأله فيما هو أهم على منهما .

وكان الربيع بن خثيم أصابه فالج ، فقيل له لو تداويت ؟ فقال : قد هممت ثم ذكرت عادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكان فيهم الأطباء ، فهلك المداوى والمدواى ، ولم تغن الرقى شيئا .

وكان أحمد بن حنبل يقول : أحب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوى من شرب الدواء وغيره وإن كان به علل فلا يخبر المتطبب بها أيضا إذا سأله .

---

(١) حديث : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكى دون الرقى ، رواه البخارى من حديث ابن عباس « وأنهى أمتى عن الكى » وفى الصحيحين من حديث عائشة : رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرقية من كل ذى حمة .

وقيل لسهل : متى يصح للعبد التوكل ؟ قال : إذا دخل عليه الضرر فى جسمه والنقص فى ماله فلم يلتفت إليه شغلا بحاله وينظر إلى قيام الله تعالى عليه .

فإذا منهم من ترك التداوى وراءه ، ومنهم من كرهه ، ولا يتضح وجه الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعالهم إلا بحصر الصوارف عن التداوى . فنقول : إن لترك التداوى أسبابا (السبب الأول) أن يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف بأنه انتهى أجله وأن الدواء لاينفعه ، ويكون ذلك معلوما عنده تارة برؤيا صادقة ، وتارة بحدس وظن ، وتارة بكشف محقق ، ويشبه أن يكون ترك الصديق رضى الله عنه التداوى من هذا السبب ، فإنه كان من المكاشفين ، فإنه قال لعائشة رضى الله عنها فى أمر الميراث : إنما هنّ أختاك ، وإنما كان لها أخت واحدة ولكن كانت امرأته حاملا فولدت أنثى ، فعلم أنه كان قد كوشف بأنها حامل بأنثى ، فلا يبعد أن يكون قد كوشف أيضا بانتهاء أجله ، وإلا فلا يظن به إنكار التداوى وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تداوى وأمر به (السبب الثانى) أن يكون المريض مشغولا بحاله وبخوف عاقبته واطلاع الله تعالى عليه ، فينسيه ذلك ألم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوى شغلا بحاله ، وعليه يدل كلام أبى ذرّ إذ قال : إنى عنهما مشغول . وكلام أبى الدرداء إذ قال : إنما أشتكى ذنوبى ، فكان تألم قلبه خوفا من ذنوبه أكثر من تألم بدنه بالمرض ، ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من أعزته ، أو كالخائف الذى يحمل إلى ملك من الملوك ليقتل إذا قيل له : ألا تأكل وأنت جائع ؟ فيقول : أنا مشغول عن ألم الجوع ، فلايكون ذلك إنكارا لكون الأكل نافعاً من الجوع ولا طعنا فيمن أكل ، ويقرب من هذا اشتغال سهل حيث قيل له : ما القوت ؟ فقال : هو ذكر الحى القيوم ، فقيل : إنما سألناك عن القوام ؟ فقال : القوام هو العلم . قيل : سألناك عن الغذاء ؟ قال : الغذاء هو الذكر . قيل : سألناك عن طعمة الجسد ؟ قال : مالك وللجسد . دع من تولاه أولا يتولاه آخرا : إذا دخل عليه علة فرده إلى صانعه ، أما رأيت الصنعة إذا عيبت ردوها إلى صانعها حتى يصلحها (السبب الثالث) أن تكون العلة مزمنة والدواء الذى يؤمر به بالإضافة إلى علته موهوم النفع جار مجرى الكى والرقية ، فيتركه المتوكل ، وإليه يشير قول الربيع بن خثيم إذ قال : ذكرت عادا وثمود وفيهم الأطباء فهلك المداوى والمداوى . أى أن الدواء غير موثوق به ، وهذا قد يكون كذلك فى نفسه ، وقد يكون عند المريض كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة تجربته له ، فلا يغلب على ظنه كونه نافعا ، ولا شك فى أنّ الطبيب المجرّب أشدّ اعتقادا فى الأدوية من غيره ، فتكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد ، والاعتقاد بحسب التجربة ، وأكثر من ترك التداوى من العباد والزهاد ، هذا مستندهم لأنه يبقى الدواء عنده شيئا موهوما لا أصل له ، وذلك صحيح فى بعض الأدوية عند من عرف صناعة الطب ، غير صحيح فى البعض ، ولكن غير الطبيب قد ينظر إلى الكل نظرا واحدا ، فيرى التداوى تعمقا فى الأسباب كالكى والرقى ، فيتركه (السبب الرابع) أن يقصد العبد بترك التداوى استبقاء المرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى ، أو ليجرب نفسه فى القدرة على الصبر . فقد ورد فى ثواب المرض ما يكثر ذكره . فقد قال صلى الله عليه وسلم « نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى العبد على قدر إيمانه فإن كان صلب الإيمان شدّد عليه البلاء . وإن كان فى إيمانه ضعف خفف عنه البلاء [1] » وفى الخبر « إنّ الله تعالى يجرّب عبده بالبلاء كما يجرّب أحدكم ذهبه بالنار

---

(١) حديث « نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل ... الحديث » رواه أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه على شرط مسلم نحوه مع اختلاف ، وقد تقدم مختصرا ، ورواه الحاكم أيضا من حديث سعد بن أبى وقاص وقال : صحيح على شرط الشيخين .

فمنهم من يخرج كالذهب الإبريز ، لا يزيد ، ومنهم دون ذلك ، ومنهم من يخرج أسود محترقا [١] » وفى حديث من طريق أهل البيت « إن الله تعالى إذا أحب عبدا ابتلاه ، فإن صبر اجتباه ، فإن رضى اصطفاه [٢] » وقال صلى الله عليه وسلم « تحبون أن تكونوا كالحمر الضالة لا تمرضون ولا تسقمون [٣] » وقال ابن مسعود رضى الله عنه ، تجد المؤمن أصح شيء قلبا وأمرضه جسما ، وتجد المنافق أصح شيء جسما وأمرضه قلبا ، فلما عظم الثناء على المرض والبلاء أحب قوم المرض واغتنموه لينالوا ثواب الصبر عليه ، فكان منهم من له علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب ويقاسى العلة ويرضى بحكم الله تعالى ويعلم أنّ الحق أغاب على قلبه من أن يشغله المرض عنه ، وإنما يمنع المرض جوارحه ، وعلموا أنّ صلاتهم قعودا مثلا مع الصبر على قضاء الله تعالى أفضل من الصلاة قياما مع العافية والصحة ، ففى الخبر « إن الله تعالى يقول للملائكة : اكتبوا لعبدى صالح ما كان يعمله فإنه فى وثاق إن أطلقته أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ، وإن توفيته توفيته إلى رحمتى [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس [٥] » فقيل : معناه ما دخل عليه من الأمراض والمصائب ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ﴾ وكان سهل يقول : ترك التداوى وإن ضعف عن الطاعات وقصر عن الفرائض أفضل من التداوى لأجل الطاعات . وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها ، وكان يداوى الناس منها ، وكان إذا رأى العبد يصلى من قعود ولا يستطيع أعمال البر من الأمراض ، فيتداوى للقيام إلى الصلاة والنهوض إلى الطاعات يعجب من ذلك ويقول : صلاته من قعود مع الرضا بحاله أفضل من التداوى للقوة والصلاة قائما ، وسئل عن شرب الدواء فقال : كل من دخل فى شيء من الدواء فإنما هو سعة من الله تعالى لأهل الضعف ، ومن لم يدخل فى شيء فهو أفضل ، لأنه إن أخذ شيئا من الدواء ولو كان هو الماء البارد يسئل عنه لم أخذه ؟ ومن لم يأخذ فلا سؤال عليه . وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لعلمهم بأنّ ذرة من أعمال القلوب : مثل الصبر والرضا والتوكل أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح ، والمرض لا يمنع من أعمال القلوب إلا إذا كان ألمه غالبا مدهشا . وقال سهل رحمه الله علل الأجسام رحمة الله وعلل القلوب عقوبة .

السبب الخامس : أن يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف منها عاجز عن تكفيرها ، فيرى المرض إذا طال تكفيرا فيترك التداوى خوفا من أن يسرع زوال المرض فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى يمشى على الأرض كالبردة ما عليه ذنب ولا خطيئة [٦] » وفى الخبر « حمى يوم كفارة سنة [٧] » فقيل لأنها تهد قوة سنة وقيل للإنسان ثلثمائة وستون مفصلا فتدخل الحمى جميعها ويجد من كل واحد ألما فيكون كل

---

(١) حديث « إن الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه ... الحديث » رواه الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف . (٢) حديث : من طريق أهل البيت : إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه ... الحديث ، ذكره صاحب الفردوس من حديث على ولم يخرجه ولده فى مسنده ، وللطبرانى من حديث أبى عنبة « إذ أراد الله بعبد خيرا ابتلاه ، وإذا ابتلاه اقتناه لا يترك له مالا ولا ولدا » وسنده ضعيف . (٣) حديث « تحبون أن تكونوا كالحمر الضالة لا تمرضون ولا تسقمون » أخرجه ابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى ، وأبو نعيم وابن عبد البر فى الصحابة ، والبيهقى فى الشعب من حديث أبى فاطمة ، وهو صدر حديث « إن الرجل تكون له المنزلة عند الله ... الحديث ، وقد تقدم . (٤) حديث « إن الله يقول للملائكة : اكتبوا لعبدى صالح ما كان يعمل فإنه فى وثاق ... الحديث » أخرجه الطبرانى من حديث عبد الله بن عمر ، وقد تقدم . (٥) حديث « أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس » تقدم ولم أجده مرفوعا .

(٦) حديث « لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى يمشى على الأرض كالبردة ما عليه خطيئة » أخرجه أبو يعلى وابن عدى من حديث أبى هريرة ، والطبرانى من حديث أبى الدرداء نحوه وقال « الصداع » بدل « الحمى » وللطبرانى فى الأوسط من حديث أنس « مثل المريض إذا صح وبرأ من مرضه كمثل البردة تقع من السماء تقع فى صفائها ولونها » وأسانيده ضعيفة . (٧) حديث « حمى يوم كفارة سنة » رواه القضاعى فى مسند الشهاب من حديث ابن مسعود بسند ضعيف وقال « ليلة » بدل « يوم » .

ألم كفارة يوم . ولما ذكر صلى الله عليه وسلم كفارة الذنوب بالحمى ، سأل زيد بن ثابت ربه عز وجل أن لا يزال محموما فلم تكن الحمى تفارقه حتى مات رحمه الله ، وسأل ذلك طائفة من الأنصار فكانت الحمى لا تزايلهم [1] ولما قال صلى الله عليه وسلم « من أذهب الله كريمتيه لم يرض له ثوابا دون الجنة [2] » قال فلقد كان من الأنصار من يتمنى العمى . وقال عيسى عليه السلام ، لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب والأمراض على جسده وماله لما يرجو فى ذلك من كفارة خطاياه . وروى أن موسى عليه السلام نظر إلى عبد عظيم البلاء فقال : يارب ارحمه فقال تعالى : كيف أرحمه فيما به أرحمه — أى به أكفر ذنوبه — وأزيد فى درجاته .

السبب السادس : أن يستشعر العبد فى نفسه مبادى البطر والطغيان بطول مدة الصحة فيترك التداوى خوفا من أن يعاجله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر والطغيان ، أو طول الأمل والتسويف فى تدارك الفائت وتأخير الخيرات ، فإن الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها ينبعث الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو إلى المعاصى ، وأقلها أن تدعو إلى التنعم فى المباحات ، وهو تضييع الأوقات وإهمال للربح العظيم فى مخالفة النفس وملازمة الطاعات ، وإذا أراد الله بعبد خيراً لم يخله عن التنبه بالأمراض والمصائب ، ولذلك قيل : لا يخلو المؤمن من علة أو قلة أو زلة . وقد روى « أن الله تعالى يقول : الفقر سجنى والمرض قيدى أحبس به من أحب من خلقى » فإذا كان فى المرض حبس عن الطغيان وركوب المعاصى فأى خير يزيد عليه ؟ ولم ينبغ أن يشتغل بعلاجه من يخاف ذلك على نفسه فالعافية فى ترك المعاصى ، فقد قال بعض العارفين لإنسان : كيف كنت بعدى ؟ قال : فى عافية ، قال : إن كنت لم تعص الله عز وجل فأنت فى عافية وإن كنت قد عصيته فأى داء أدوأ من المعصية ؟ ماعوفى من عصى الله وقال على كرم الله وجهه لما رأى زينة النبط بالعراق فى يوم عيد : ماهذا الذى أظهروه ؟ قالوا : ياأمير المؤمنين هذا يوم عيد لهم ، فقال : كل يوم لا يعصى الله عز وجل فيه فهو لنا عيد .

وقال تعالى ﴿ من بعد ماأراكم ماتحبون ﴾ قيل العوافى ﴿ إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ وكذلك إذا استغنى بالعافية . قال بعضهم : إنما قال فرعون : أنا ربكم الأعلى لطول العافية ، لأنه لبث أربعمائة سنة لم يصدع له رأس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية — لعنه الله — ولو أخذته الشقيقة يوما لشغلته عن الفضول فضلا عن دعوى الربوبية . وقال صلى الله عليه وسلم « أكثروا من ذكر هاذم اللذات [3] » وقيل : الحمى رائد الموت فهو مذكر له ودافع للتسويف .

وقال تعالى ﴿ أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ﴾ قيل يفتنون بأمراض يختبرون بها . ويقال : إن العبد إذا مرض مرضتين ثم لم يتب قال له ملك الموت : ياغافل جاءك منى رسول بعد رسول فلم تجب .

---

(١) حديث لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة الذنوب بالحمى سأل زيد بن ثابت أن لا يزال محموما ... الحديث ، وسأل ذلك طائفة من الأنصار : أخرجه أحمد وأبو يعلى من حديث أبى سعيد الخدرى بإسناد جيد : أن رجلا من المسلمين قال يا رسول الله : أرأيت هذه الأمراض تصيبنا مالنا فيها قال « كفارات » قال أبى : وإن قلت ؟ قال « فإن شوكة فما فوقها » قال : فدعا أبى أن لا يفارقه الوعك حتى يموت ... الحديث ، وللطبرانى فى الأوسط من حديث أبى بن كعب أنه قال : يارسول الله ، ماجزاء الحمى ؟ قال : تجرى الحسنات على صاحبها ما اختلج عليه قدم أو ضرب عليه عرق ، فقال : اللهم إنى أسألك حمى لا تمنعنى خروجا فى سبيلك ولا خروجا إلى بيتك ولا لمسجد نبيك ... الحديث ، والإسناد مجهول ، قاله على بن المدينى . (٢) حديث « من أذهب الله كريمتيه لم يرض له ثوابا دون الجنة » تقدم المرفوع منه دون قوله : فلقد كان فى الأنصار من يتمنى العمى .

(٣) حديث « أكثروا ذكر هاذم اللذات » أخرجه الترمذى وقال : حسن غريب ، والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة وقد تقدم .

وقد كان السلف لذلك يستوحشون إذا خرج عام ولم يصابوا فيه بنقص فى نفس أو مال . وقالوا : لا يخلو المؤمن فى كل أربعين يوما أن يروع روعة أو يصاب ببلية حتى روى أنّ عمار بن ياسر تزوج امرأة فلم تكن تمرض فطلقها ، وأنّ النبى صلى الله عليه وسلم « عرض عليه امرأة فحكى من وصفها حتى هم أن يتزوجها ، فقيل وإنها ما مرضت قط ، فقال لاحاجة لى فيها [1] » . وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراض والأوجاع كالصداع وغيره ، فقال رجل : وما الصداع ما أعرفه ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم « إليك عنى من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا وهذا [2] » لأنه ورد فى الخبر « الحمى حظ كل مؤمن من النار [3] » .

وفى حديث أنس وعائشة رضى الله عنهما : قيل يارسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم ؟ فقال « نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة [4] » وفى لفظ آخر « الذى يذكر ذنوبه فتحزنه » ولا شك فى أن ذكر الموت على المريض أغلب ، فلما أن كثرت فوائد المرض رأى جماعة ترك الحيلة فى زوالها إذ رأوا لأنفسهم مزيدا فيها لامن حيث رأوا التداوى نقصانا ؟ وكيف يكون نقصانا وقد فعل ذلك صلى الله عليه وسلم ؟ .

بيان الرد على من قال : ترك التداوى أفضل بكل حال

فلو قال قائل : إنما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسنّ لغيره وإلا فهو حال الضعفاء ، ودرجة الأقوياء توجب التوكل بترك الدواء ؟ فيقال : ينبغى أن يكون من شروط التوكل ترك الحجامة والفصد عند تبيغ الدم .

فإن قيل : إنّ ذلك أيضا شرط فليكن من شرطه أن تلدغه العقرب أو الحية فلا ينحيها عن نفسه ، إذ الدم يلدغ الباطن والعقرب تلدغ الظاهر فأى فرق بينهما ؟ . فإن قال : وذلك أيضا شرط التوكل ؟ فيقال : ينبغى أن لا يزيل لدغ العطش بالماء ولدغ الجوع بالخبز ولدغ البرد بالجبة وهذا لاقائل به .

ولا فرق بين هذه الدرجات فإن جميع ذلك أسباب رتبها مسبب الأسباب سبحانه وتعالى وأجرى بها سنته . ويدل على أنّ ذلك ليس من شرط التوكل ماروى عن عمر رضى الله عنه وعن الصحابة فى قصة الطاعون ، فإنهم لما قصدوا الشام وانتهوا إلى الجابية بلغهم الخبر أن به موتا عظيما ووباء ذريعا ، فافترق الناس فرقتين ، فقال بعضهم : لاندخل على الوباء فنلقى بأيدينا إلى التهلكة ، وقالت طائفة أخرى : بل ندخل ونتوكل ولا نهرب من قدر الله تعالى ولا نفرّ من الموت فنكون كمن قال الله تعالى فيهم ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت﴾ فرجعوا إلى عمر فسألوه عن رأيه ، فقال : نرجع ولا ندخل على الوباء ، فقال له المخالفون فى رأيه : أنفرّ من قدر الله تعالى ، قال عمر : نعم نفرّ من قدر الله إلى قدر الله ، ثم ضرب لهم مثلا ، فقال : أرأيتم لو كان لأحدكم غنم فهبط واديا له شعبتان : إحداهما مخصبة : والأخرى مجدبة ، أليس إن رعى المخصبة رعاها بقدر الله تعالى وإن رعى المجدبة رعاها بقدر الله تعالى ؟ فقالوا : نعم ، ثم طلب عبد الرحمن بن عوف ليسأله عن رأيه ـ وكان غائبا ـ فلما أصبحوا جاء

---

(١) : حديث عرضت عليه امرأة فذكر من وصفها حتى هم أن يتزوجها ، فقيل : فإنها ما مرضت قط ، فقال « لاحاجة لى فيها » أخرجه أحمد من حديث أنس بنحوه بإسناد جيد . (٢) حديث : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراض والأوجاع كالصداع وغيره ، فقال رجل : وما الصداع ، ما أعرفه ؟ فقال « إليك عنى » . الحديث » رواه أبو داود من حديث عامر البرام أخى الخضر بنحوه ، وفى إسناده من لم يسم . (٣) حديث « الحمى حظ كل مؤمن من النار » رواه البزار من حديث عائشة ، وأحمد من حديث أبى أمامة والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس ، وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن مسعود ، وحديث أنس ضعيف وبالبيها حسان . (٤) حديث أنس وعائشة : قيل يارسول الله ، هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم ؟ فقال « نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة » لم أقف له على إسناد .

عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك ، فقال : عندى فيه ياأمير المؤمنين شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : الله أكبر ، فقال عبد الرحمن : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا سمعتم بالوباء فى أرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع فى أرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه (١) » ففرح عمر رضى الله عنه بذلك وحمد الله تعالى إذ وافق رأيه ، ورجع من الجابية بالناس . فإذن كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من أعلى المقامات إن كان أمثال هذا من شروط التوكل ؟ .

* فإن قلت : فلم نهى عن الخروج من البلد الذى فيه الوباء ، وسبب الوباء فى الطب الهواء ، وأظهر طرق التداوى الفرار من المضر ، والهواء هو المضر وترك التوكل فى أمثال هذا مباح ، وهذا لايدل على المقصود ، ولكن الذى ينقدح فيه ـ والعلم عند الله تعالى ـ أن الهواء لا يضر من حيث إنه يلاقى ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له ، فإنه إذا كان فيه عفونة ووصل إلى الرئة والقلب وباطن الأحشاء أثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوباء على الظاهر إلا بعد طول التأثير فى الباطن ، فالخروج من البلد لايخلص غالبا من الأثر الذى استحكم من قبل ، ولكن يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقى والطيرة وغيرهما ، ولو تجرد هذا المعنى لكان مناقضا للتوكل ولم يكن منهيا عنه ، ولكن صار منهيا عنه لأنه انضاف إليه أمر آخر وهو أنه لو رخص للأصحاء فى الخروج لما بقى فى البلد إلا المرضى الذين أقعدهم الطاعون فانكسرت قلوبهم وفقدوا المتعهدين ، ولم يبق فى البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرتهما بأنفسهم فيكون ذلك سعيا فى إهلاكهم تحقيقا ، وخلاصهم منتظر كما أن خلاص الأصحاء منتظر ؛ فلو أقاموا لم تكن الإقامة قاطعة بالموت ، ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا بالخلاص وهو قاطع فى إهلاك الباقين ، والمسلمون كالبنيان يشد بعضه بعضا والمؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى إليه سائر أعضائه . فهذا هو الذى ينقدح عندنا فى تعليل النهى وينعكس هذا فيمن لم يقدم بعد على البلد فإنه لم يؤثر الهواء فى باطنهم ولا بأهل البلد حاجة إليهم . نعم لو لم يبق بالبلد إلا مطعونون وافتقروا إلى المتعهدين وقدم عليهم قوم فربما كان ينقدح استحباب الدخول ههنا لأجل الإعانة ، ولا ينهى عن الدخول لأنه تعرض لضرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن بقية المسلمين ، وبهذا شبه الفرار من الطاعون فى بعض الأخبار بالفرار من الزحف (٢) لأن فيه كسرا لقلوب بقية المسلمين وسعيا فى إهلاكهم . فهذه أمور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر إلى ظواهر الأخبار والآثار يتناقض عنده أكثر ماسمعه ، وغلط العباد والزهاد فى مثل هذا كثير وإنما شرف العلم وفضيلته لأجل ذلك .

فإن قلت : فنى ترك التداوى فضل كما ذكرت فلم لم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم التداوى لينال الفضل ؟ فنقول : فيه فضل بالإضافة إلى من كثرت ذنوبه ليكفرها ، أو خاف على نفسه طغيان العافية وغلبة الشهوات ، أو احتاج إلى ما يذكره الموت لغلبة الغفلة ، أو احتاج إلى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين والمتوكلين ، أو قصرت بصيرته عن الاطلاع على ما أودع الله تعالى فى الأدوية من لطائف المنافع حتى صار فى حقه موهوما كالرقى ، أو كان شغله بحاله يمنعه عن التداوى وكان التداوى يشغله عن حاله لضعفه عن الجمع ؛ فإلى هذه المعانى رجعت الصوارف فى ترك التداوى ، وكل ذلك كمالات بالإضافة إلى بعض الخلق ونقصان بالإضافة إلى درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل كان مقامه أعلى من هذه المقامات كلها إذ كان حاله يقتضى أن تكون

---

(١) حديث عبد الرحمن بن عوف « إذا سمعتم بالوباء فى أرض فلا تقدموا عليه ... الحديث » وفى أوله قصة خروج عمر بالناس إلى الجابية وأنه بلغهم أن بالشام وباء ... الحديث ، رواه البخارى . (٢) حديث تشبيه الفرار من الطاعون بالفرار من الزحف: رواه أحمد من حديث عائشة بإسناد جيد ، ومن حديث جابر بإسناد ضعيف ، وقد تقدم .

مشاهدته على وتيرة واحدة عند وجود الأسباب وفقدها ، فإنه لم يكن له نظر فى الأحوال إلا إلى مسبب الأسباب ، ومن كان هذا مقامه لم تضره الأسباب كما أنّ الرغبة فى المال نقص ، والرغبة عن المال كراهية له وإن كانت كمالا فهى أيضا نقص بالإضافة إلى من يستوى عنده وجود المال وعدمه ، فاستواء الحجر والذهب أكمل من الهرب من الذهب دون الحجر ، وكان حاله صلى الله عليه وسلم استواء المدر والذهب عنده ، وكان لايمسكه لتعليم الخلق مقام الزهد فإنه منتهى قوتهم لا لخوفه على نفسه من إمساكه ، فإنه كان أعلى رتبة من أن تغره الدنيا وقد عرضت عليه خزائن الأرض فأبى أن يقبلها [1] فكذلك يستوى عنده مباشرة الأسباب وتركها لمثل هذه المشاهدة ، وإنما لم يترك استعمال الدواء جريا على سنة الله تعالى وترخيصا لأمته فيما تمس إليه حاجتهم مع أنه لاضرر فيه بخلاف ادخار الأموال فإنّ ذلك يعظم ضرره . نعم التداوى لا يضر إلا من حيث رؤية الدواء نافعا دون خالق الدواء وهذا قد نهى عنه ، ومن حيث إنه يقصد به الصحة ليستعان بها على المعاصى وذلك منهى عنه ، والمؤمن فى غالب الأمر لا يقصد ذلك ، وأحد من المؤمنين لا يرى الدواء نافعا بنفسه بل من حيث إنه جعله الله تعالى سببا للنفع كما لا يرى الماء مرويا ولا الخبز مشبعا ، فحكم التداوى فى مقصوده كحكم الكسب ، فإنه إن اكتسب للاستعانة على الطاعة أو على المعصية كان له حكمها ، وإن اكتسب للتنعم المباح فله حكمه ، فقد ظهر بالمعانى التى أوردناها أن ترك التداوى قد يكون أفضل فى بعض الأحوال ، وأن التداوى قد يكون أفضل فى بعض ، وأن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والنيات ، وأن واحدا من الفعل والترك ليس شرطا فى التوكل إلا ترك الموهومات كالكى والرقى فإن ذلك تعمق فى التدبيرات لا يليق بالمتوكلين .

بيان أحوال المتوكلين فى إظهار المرض وكتمانه

اعلم أن كتمان المرض وإخفاء الفقر وأنواع البلاء من كنوز البر وهو من أعلى المقامات : لأن الرضا بحكم الله والصبر على بلائه معاملة بينه وبين الله عز وجل فكتمانه أسلم عن الآفات .

ومع هذا فالإظهار لا بأس به إذا صحت فيه النية والمقصد . ومقاصد الإظهار ثلاثة :

الأول : أن يكون غرضه التداوى فيحتاج إلى ذكره للطبيب ، فيذكره لا فى معرض الشكاية بل فى معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدرة الله تعالى . فقد كان بشر يصف لعبد الرحمن المطبب أوجاعه ، وكان أحمد بن حنبل يخبر بأمراض يجدها ويقول : إنما أصف قدرة الله تعالى فى .

الثانى : أن يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدى به وكان مكينا فى المعرفة ، فأراد من ذكره أن يتعلم منه حسن الصبر فى المرض بل حسن الشكر بأن يظهر أنه يرى أن المرض نعمة فيشكر عليها ، فيتحدث به كما يتحدث بالنعم . قال الحسن البصرى : إذا حمد المريض الله تعالى وشكره ثم ذكر أوجاعه لم يكن ذلك شكوى ،

الثالث : أن يظهر بذلك عجزه وافتقاره إلى الله تعالى ، وذلك يحسن ممن تليق به القوة والشجاعة ويستبعد منه العجز ، كما روى أنه قيل لعلى فى مرضه رضى الله عنه كيف أنت ؟ قال : بشرّ ، فنظر بعضهم إلى بعض كأنهم كرهوا ذلك وظنوا أنه شكاية ، فقال : أتجلد على الله ؟ فأحب أن يظهر عجزه وافتقاره مع ما علم به من القوة والضراوة وتأدب فيه بأدب النبى صلى الله عليه وسلم إياه حيث مرض على كرّم الله وجهه فسمعه

(١) حديث : أنه عرضت عليه خزائن الأرض فأبى أن يقبلها . تقدم ، ولفظه : عرضت عليه مفاتيح خزائن السماء وكنوز الأرض فردها .

عليه السلام وهو يقول : اللهم صبرنى على البلاء ، فقال له صلى الله عليه وسلم « لقد سألت الله تعالى البلاء فسل الله العافية [١] » .

فبهذه النيات يرخص فى ذكر المرض ، وإنما يشترط ذلك لأن ذكره شكاية والشكوى من الله تعالى حرام ـ كما ذكرته فى تحريم السؤال على الفقراء إلا بضرورة ـ ويصير الإظهار شكاية بقرينة السخط وإظهار الكراهة لفعل الله تعالى ، فإن خلا عن قرينة السخط وعن النيات التى ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بأن الأولى تركه ، لأنه ربما يوهم الشكاية ، ولأنه ربما يكون فيه تصنع ومزيد فى الوصف على الموجود من العلة ، ومن ترك التداوى توكلا فلا وجه فى حقه للإظهار لأن الاستراحة إلى الدواء أفضل من الاستراحة إلى الإفشاء ، وقد قال بعضهم : من بث لم يصبر ، وقيل فى معنى قوله ﴿ فصبر جميل ﴾ لاشكوى فيه . وقيل ليعقوب عليه السلام : ماالذى أذهب بصرك ؟ قال : مر الزمان وطول الأحزان ! فأوحى الله تعالى إليه . تفرغت لشكواى إلى عبادى ، فقال : يارب أتوب إليك : وروى عن طاوس ومجاهد أنهما قالا : يكتب على المريض أنينه فى مرضه ، وكانوا يكرهون أنين المرض لأنه إظهار معنى يقتضى الشكوى حتى قيل : ما أصاب إبليس لعنه الله من أيوب عليه السلام إلا أنينه فى مرضه ، فجعل الأنين حظه منه .

وفى الخبر « إذا مرض العبد أوحى الله تعالى إلى الملكين انظرا ما يقول لعواده فإن حمد الله وأثنى بخير دعوا له وإن شكا وذكر شرا قالا كذلك تكون [٢] » وإنما كره بعض العباد العيادة خشية الشكاية وخوف الزيادة فى الكلام ، فكان بعضهم إذا مرض أغلق بابه فلم يدخل عليه أحد حتى يبرأ فيخرج إليهم ، منهم : فضيل ووهيب وبشر ، وكان فضيل يقول : أشتهى أن أمرض بلا عواد ، وقال : لا أكره العلة إلا لأجل العواد . رضى الله عنه وعنهم أجمعين .

كمل كتاب التوحيد والتوكل بعون الله وحسن توفيقه . يتلوه إن شاء الله تعالى : كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا . والله سبحانه وتعالى الموفق .

كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا

وهو الكتاب السادس من ربع المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى نزه قلوب أوليائه عن الالتفات إلى زخرف الدنيا ونضرته ، وصفى أسرارهم من ملاحظة غير حضرته ، ثم استخلصها للعكوف على بساط عزته ، ثم تجلى لهم بأسمائه وصفاته حتى أشرقت بأنوار معرفته ، ثم

---

(١) حديث : مرض على فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : اللهم صبرنى على البلاء ، فقال « لقد سألت الله البلاء فسل الله العافية » تقدم مع اختلاف . (٢) حديث « إذا مرض العبد أوحى الله الى الملكين انظرا مايقول لعواده ... الحديث » تقدم .

كشف لهم عن سبحات وجهه حتى احترقت بنار محبته ، ثم احتجب عنها بكنه جلاله حتى تاهت فى بيداء كبريائه وعظمته، فكلما اهتزت لملاحظة كنه الجلال غشيها من الدهش ما اغبر فى وجه العقل وبصيرته، وكلما همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا أيها الآيس عن نيل الحق بجهله وعجلته ، فبقيت بين الرد والقبول والصد والوصول غرقى فى بحر معرفته ، ومحترقة بنار محبته ، والصلاة على محمد خاتم الأنبياء بكمال نبوته ، وعلى آله وأصحابه سادة الخلق وأئمته ، وقادة الحق وأزمته وسلم كثيراً ،

أما بعد : فانّ المحبة لله هى الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات ، فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والأنس والرضا وأخواتها ، ولا قبل المحبة مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها ، وسائر المقامات إن عز وجودها فلم تخل القلوب عن الإيمان بإمكانها، وأما محبة الله تعالى فقد عز الإيمان بها حتى أنكر بعض العلماء إمكانها وقال : لامعنى لها إلا المواظبة على طاعة الله تعالى وأما حقيقة المحبة فمحال إلا مع الجنس والمثال . ولما أنكروا المحبة أنكروا الأنس والشوق ولذة المناجاة وسائر لوازم الحب وتوابعه . ولا بد من كشف الغطاء عن هذا الأمر .

ونحن نذكر فى هذا الكتاب : بيان شواهد الشرع فى المحبة ، ثم بيان حقيقتها وأسبابها ، ثم بيان أن لامستحق للمحبة إلا الله تعالى ، ثم بيان أنّ أعظم اللذات لذة النظر إلى وجه الله تعالى ، ثم بيان سبب زيادة لذة النظر فى الآخرة على المعرفة فى الدنيا ، ثم بيان الأسباب المقوية لحب الله تعالى ، ثم بيان السبب فى تفاوت الناس فى الحب ، ثم بيان السبب فى قصور الأفهام عن معرفة الله تعالى ، ثم بيان معنى الشوق ، ثم بيان محبة الله تعالى للعبد ، ثم القول فى علامات محبة العبد لله تعالى ، ثم بيان معنى الأنس بالله تعالى ، ثم بيان معنى الانبساط فى الأنس ، ثم القول فى معنى الرضا وبيان فضيلته ، ثم بيان حقيقته ، ثم بيان أنّ الدعاء وكراهة المعاصى لاتناقضه وكذا الفرار من المعاصى، ثم بيان حكايات وكلمات للمحبين متفرقة ، فهذه جميع بيانات هذا الكتاب .

بيان شواهد الشرع فى حب العبد لله تعالى

اعلم أنّ الأمة مجمعة على أنّ الحب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فرض ، وكيف يفرض مالا وجود له وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته ؟ فلا بد وأن يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من أحب . ويدل على إثبات الحب لله تعالى قوله عز وجل ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ وقوله تعالى ﴿ والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ وهو دليل على إثبات الحب وإثبات التفاوت فيه . وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله من شرط الإيمان فى أخبار كثيرة ؛ إذ قال أبو رزين العقيلى : يارسول الله ما الإيمان ؟ قال « أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما [1] » وفى حديث آخر « لايؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما [2] » وفى حديث آخر « لايؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين [3] » وفى رواية « ومن

(١) حديث أبي رزين العقيلى : أنه قال يارسول الله ما الإيمان ؟ قال « أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما » أخرجه أحمد بزيادة فى أوله . (٢) حديث « لايؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » متفق عليه من حديث أنس بلفظ ، لايجد أحد حلاوة الإيمان حتى أكون أحب إليه من أهله وماله » وذكره بزيادة . (٣) حديث « لايؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين » وفى رواية « ومن نفسه » متفق عليه من حديث أنس ، واللفظ لمسلم دون قوله « ومن نفسه » وقال البخارى « من والده وولده » وله من حديث عبد الله بن هشام : قال عمر يارسول الله لأنت أحب إلى من كل شىء إلا نفسى ، فقال « لاوالذى نفسى بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك » فقال عمر : فأنت الآن والله أحب إلى من نفسى ، فقال « الآن ياعمر » .

نفسه » كيف وقد قال تعالى ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم ﴾ الآية . وإنما أجرى ذلك فى معرض التهديد والإنكار . وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحبة فقال « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى لحب الله إياى [1] » ويروى أنّ رجلا قال : يارسول الله إنى أحبك ، فقال صلى الله عليه وسلم « استعدّ للفقر » فقال إنى أحب الله تعالى ، فقال استعدّ للبلاء [2] » وعن عمر رضى الله عنه قال : نظر النبى صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تنطق به ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « انظروا إلى هذا الرجل الذى نوّر الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله إلى ماترون [3] » .

وفى الخبر المشهور « إن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت إذ جاءه لقبض روحه : هل رأيت خليلا يميت خليله؟ فأوحى الله تعالى إليه : هل رأيت محبا يكره لقاء حبيبه ؟ فقال ياملك الموت الآن فاقبض [4] » وهذا لايجده إلا عبد يحب الله بكل قلبه فإذا علم أن الموت سبب اللقاء انزعج قلبه إليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت إليه .

وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم فى دعائه « اللهم ارزقنى حبك وحب من أحبك وحب مايقربنى إلى حبك واجعل حبك أحب إلى من الماء البارد [5] » وجاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله متى الساعة ؟ قال « ما أعددت لها » فقال : ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام إلا أنى أحب الله ورسوله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « المرء مع من أحب [6] » قال أنس : فما رأيت المسلمين فرحوا بشىء بعد الإسلام فرحهم بذلك . وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه من ذاق من خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر . وقال الحسن : من عرف ربه أحبه ، ومن عرف الدنيا زهد فيها ، والمؤمن لايلهو حتى يغفل فإذا تفكر حزن . وقال أبو سليمان الدارانى : إن من خلق الله خلقا مايشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا ؟ .

ويروى أن عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم فقال لهم : ما الذى بلغ بكم ما أرى ؟ فقالوا الخوف من النار ، فقال : حق على الله أن يؤمن الخائف . ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فاذا هم أشد نحولا وتغيرا فقال : ما الذى بلغ بكم ما أرى ؟ قالوا : الشوق إلى الجنة ، فقال حق على الله أن يعطيكم ماترجون ، ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فإذا هم أشد نحولا وتغيراً كأن وجوههم المرائى من النور ، فقال : ما الذى بلغ بكم ما أرى ؟ قالوا : نحب الله عز وجل ، فقال أنتم المقربون أنتم المقربون أنتم المقربون . وقال عبد الواحد بن زيد : مررت برجل قائم فى الثلج فقلت أما تجد البرد ؟ فقال من شغله حب الله لم يجد البرد . وعن سرى السقطى : تدعى الأمم يوم القيامة بأنبيائها عليهم السلام فيقال يا أمة موسى ويا أمة عيسى ويا أمة محمد غير المحبين لله تعالى فإنهم ينادون يا أولياء الله هلموا إلى الله سبحانه ، فتكاد قلوبهم تنخلع فرحا .

---

(١) حديث « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه » الحديث . أخرجه الترمذى من حديث ابن عباس وقال حسن غريب .

(٢) حديث أن رجلا قال يارسول الله انى أحبك ، فقال « استعد للفقر ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث عبد الله بن مغفل بلفظ « فأعد للفقر تجفافا » دون آخر الحديث وقال حسن غريب . (٣) حديث عمر قال : نظر النبى صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تنطق به ... الحديث ، أخرجه أبو نعيم فى الحلية بإسناد حسن .

(٤) حديث : أن إبراهيم قال لملك الموت اذ جاءه ليقبض روحه هل رأيت خليلا يقبض خليله ... الحديث ، لم أجد له أصلا .

(٥) حديث « اللهم ارزقنى حبك وحب من يحبك . . . الحديث » تقدم . (٦) حديث قال أعرابى يارسول الله متى الساعة ؟ قال « ماأعددت لها ... الحديث » متفق عليه من حديث أنس ومن حديث أبى موسى وابن مسعود بنحوه .

وقال هرم بن حيان : المؤمن إذا عرف ربه عزوجل أحبه وإذا أحبه أقبل إليه ، وإذا وجد حلاوة الإقبال إليه لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بعين الفترة وهى تحسره فى الدنيا وترقوحه فى الآخرة . وقال يحيى ابن معاذ : عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ؟ ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه ؟ وحبه يدهش العقول فكيف وده ؟ ووده ينسى مادونه فكيف لطفه ؟ وفى بعض الكتب : عبدى أنا وحقك لك محب فبحقى عليك كن لى محباً . وقال يحيى بن معاذ : مثقال خردلة من الحب أحب إلى من عبادة سبعين سنة بلا حب . وقال يحيى بن معاذ : إلهى إنى مقيم بفنائك مشغول بثنائك ، صغيرا أخذتنى إليك وسربلتنى بمعرفتك وأمكنتنى من لطفك ونقلتنى فى الأحوال وقلبتنى فى الأعمال سترا وتوبة وزهدا وشوقا ورضا وحبا تسقينى من حياضك وتهمانى فى رياضك ملازما لأمرك ومشغوفا بقولك، ولماطر شاربى ولاح طائرى فكيف أنصرف اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت هذا منك صغيرا ، فلى مابقيت حولك دندنة وبالضراعة إليك همهمة لأنى محب وكل محب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف .

وقد ورد فى حب الله تعالى من الأخبار والآثار مالا يدخل فى حصر حاصر وذلك أمر ظاهر ، وإنما الغموض فى تحقيق معناه فلنشتغل به .

بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى

اعلم أنّ المطلب من هذا الفصل لاينكشف إلا بمعرفة حقيقة المحبة فى نفسها ، ثم معرفة شروطها وأسبابها ، ثم النظر بعد ذلك فى تحقيق معناها فى حق الله تعالى :

فأوّل ماينبغى أن يتحقق ؛ أنه لايتصور محبة إلا بعد معرفة وإدراك ، إذ لايحب الإنسان إلا مايعرفه ، ولذلك لم يتصوّر أن يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية الحى المدرك . ثم المدركات فى انقسامها تنقسم إلى مايوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذه ، وإلى ماينافيه وينافره ويؤلمه ، وإلى مالا يؤثر فيه بإيلام وإلذاذ . فكل مافى إدراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك ، ومافى إدراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب ألم ولذة لا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها . فإذن كل لذيذ محبوب عند الملتذ به ، ومعنى كونه محبوبا أن فى الطبع ميلا إليه ، ومعنى كونه مبغوضا أن فى الطبع نفرة عنه . فالحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشىء الملذ ، فإن تأكد ذلك الميل وقوى سمى عشقا . والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب ، فإذا قوى سمى مقتا . فهذا أصل فى حقيقة معنى الحب لابد من معرفته

(الأصل الثانى) أن الحب لما كان تابعا للإدراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل حاسة إدراك لنوع من المدركات ، ولكل واحد منها لذة فى بعض المدركات ، وللطبع بسبب تلك اللذة ميل إليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم . فلذة العين فى الإبصار وإدراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة ، ولذة الأذن فى النغمات الطيبة الموزونة ، ولذة الشم فى الروائح الطيبة ، ولذة الذوق فى الطعوم ، ولذة اللمس فى اللين والنعومة .

ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذة كانت محبوبة ، أى كان للطبع السليم ميل إليها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حبب إلى من دنياكم ثلاث : الطيب والنساء وجعل قرة عينى فى الصلاة [1] » فسمى الطيب محبوبا ومعلوم أنه لاحظ للعين والسمع فيه ؛ بل للشم فقط ، وسمى النساء محبوبات ولا حظ فيهن إلا للبصر واللمس دون

(١) حديث « حبب إلى من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنساء ... الحديث » أخرجه النسائى من حديث أنس دون قوله « ثلاث » وقد تقدم .

الشم والذوق والسمع ، وسمى الصلاة قرة عين وجعلها أبلغ المحبوبات ومعلوم أنه ليس تحظى بها الحواس الخمس ، بل حس سادس مظنته القلب لايدركه إلا من كان له قلب . ولذات الحواس الخمس تشارك فيها البهائم الإنسان ، فإن كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس - حتى يقال إن الله تعالى لايدرك بالحواس ولا يتمثل فى الخيال فلا يحب - فإذن قد بطلت خاصية الإنسان وما تميز به من الحس السادس الذى يعبر عنه إما بالعقل أو بالنور أو بالقلب أو بما شئت من العبارات ، فلا مشاحة فيه وهيهات ، فالبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر ، والقلب أشد إدراكا من العين ، وجمال المعانى المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للأبصار ، فتكون لامحالة لذة القلب بما يدركه من الأمور الشريفة الإلهية التى تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ ، فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح إليه أقوى ، ولا معنى للحب إلا الميل إلى مافى إدراكه لذة - كما سيأتى تفصيله - فلا ينكر إذن حب الله تعالى إلا من قعد به القصور فى درجة البهائم فلم يجاوز إدراك الحواس أصلا .

(الأصل الثالث) أنّ الإنسان لايخفى أنه يحب نفسه ولا يخفى أنه قد يحب غيره لأجل نفسه ، وهل يتصوّر أن يحب غيره لذاته لا لأجل نفسه ؟ هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون أنه لا يتصوّر أن يحب الإنسان غيره لذاته مالم يرجع منه حظ إلى المحب سوى إدراك ذاته . والحق أنّ ذلك متصوّر وموجود ، فلنبين أسباب المحبة وأقسامها ، وبيانه أنّ المحبوب الأوّل عند كل حى : نفسه وذاته ، ومعنى حبه لنفسه أن فى طبعه ميلا إلى دوام وجوده ، ونفرة عن عدمه وهلاكه ، لأن المحبوب بالطبع هو الملائم للمحب ، وأى شىء أتم ملاءمة من نفسه ودوام وجوده ؟ وأى شىء أعظم مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه ؟ فلذلك يحب الإنسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل ، لا لمجرّد ما يخافه بعد الموت ولا لمجرّد الحذر من سكرات الموت ، بل لو اختطف من غير ألم وأميت من غير ثواب ولا عقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ، ولا يحب الموت والعدم المحض إلا لمقاساة ألم فى الحياة . ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء ، فإن أحب العدم لم يحبه لأنه عدم بل لأنّ فيه زوال البلاء ، فالهلاك والعدم ممقوت ودوام الوجود محبوب . وكما أنّ دوام الوجود محبوب فكمال الوجود أيضا محبوب لأن الناقص فاقد للكمال . والنقص عدم بالإضافة إلى القدر المفقود وهو هلاك بالنسبة إليه . والهلاك والعدم ممقوت فى الصفات . وكمال الوجود كما أنه ممقوت فى أصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب ، كما أن دوام أصل الوجود محبوب . وهذه غريزة فى الطباع بحكم سنة الله تعالى ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ .

فإذن المحبوب الأوّل للإنسان ذاته ، ثم سلامة أعضاءه ، ثم ماله وولده وعشيرته وأصدقائه . فالأعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لأن كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها ، والمال محبوب لأنه أيضا آلة فى دوام الوجود وكماله وكذا سائر الأسباب . فالإنسان يحب هذه الأشياء لا لأعيانها بل لارتباط حظه فى دوام الوجود وكماله بها ، حتى إنه ليحب ولده وإن كان لا يناله منه حظ بل يتحمل المشاق لأجله لأنه يخلفه فى الوجود بعد عدمه ، فيكون فى بقاء نسله نوع بقاء له ، فلفرط حبه فى بقاء نفسه يحب بقاء من هو قائم مقامه وكأنه جزء منه لما عجز عن الطمع فى بقاء نفسه أبدا نعم لو خير بين قتله وقتل ولده - وكان طبعه باقيا على اعتداله - آثر بقاء نفسه على بقاء ولده ، لأن بقاء ولده يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاءه المحقق ، وكذلك حبه لأقاربه وعشيرته يرجع إلى حبه لكمال نفسه فإنه يرى نفسه كثيرا بهم قويا بسببهم متجملا بكمالهم ، فإنّ العشيرة والمال والأسباب الخارجة كالجناح المكمل للإنسان ، وكمال الوجود ودوامه محبوب بالطبع لا محالة . فإذن المحبوب الأوّل عند كل حى ذاته وكمال ذاته ودوام

ذلك كله ، والمكروه عنده ضدّ ذلك فهذا هو أوّل الأسباب .

السبب الثانى : الإحسان ، فإن الإنسان عبد الإحسان ، وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم لاتجعل لفاجر على يدا فيحبه قلبي [1] » إشارة إلى أن حب القلب للمحسن اضطرارا لايستطاع دفعه ، وهو جبلة وفطرة لاسبيل إلى تغييرها . وبهذا السبب قد يحب الإنسان الأجنبي الذى لاقرابة بينه وبينه ولا علاقة . وهذا إذا حقق رجع إلى السبب الأوّل ، فإن المحسن من أمدّ بالمال والمعونة وسائر الأسباب الموصلة إلى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ التى بها يتهيأ الوجود ، إلا أنّ الفرق أن أعضاء الإنسان محبوبة لأن بها كمال وجوده وهى عين الكمال المطلوب ، فأما المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا له كالطبيب يكون سببا فى دوام صحة الأعضاء ، ففرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذى هو سبب الصحة ، إذ الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب لالذاته بل لأنه سبب الصحة وكذلك العلم محبوب والأستاذ محبوب ، ولكن العلم محبوب لذاته والأستاذ محبوب لكونه سبب العلم المحبوب . وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوبة ، لكن الطعام محبوب لذاته والدنانير محبوبة لأنها وسيلة إلى الطعام . فإذن يرجع الفرق إلى تفاوت الرتبة ، وإلا فكل واحد يرجع إلى محبة الإنسان نفسه . فكل من أحب المحسن لإحسانه فما أحب ذاته تحقيقا بل أحب إحسانه وهو فعل من أفعاله لوزال زال الحب مع بقاء ذاته تحقيقا ، ولو نقص نقص الحب ولو زاد زاد ، ويتطرّق إليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الإحسان ونقصانه .

السبب الثالث : أن يحب الشيء لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته ، بل تكون ذاته عين حظه ، وهذا هو الحب الحقيقى البالغ الذى يوثق بدوامه ، وذلك كحب الجمال والحسن ، فإن كل جمال محبوب عندمدرك الجمال وذلك لعين الجمال ، لأنّ إدراك الجمال فيه عين اللذة ، واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها . ولا تظنن أن حب الصور الجميلة لا يتصوّر إلا لأجل قضاء الشهوة . فإن قضاء الشهوة لذة أخرى قد تحب الصور الجميلة لأجلها ، وإدراك نفس الجمال أيضا لذيذ فيجوز أن يكون محبوبا لذاته ، وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجارى محبوب لاليشرب الماء وتؤكل الخضرة أو ينال منها حظ سوى نفس الرؤية ؟ وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الخضرة والماء الجارى [2] والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر إلى الأنوار والأزهار والأطيار المليحة الالوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل ، حتى إن الإنسان لتنفرج عنه الغموم والهموم بالنظر إليها لا لطلب حظ وراء النظر . فهذه الاسباب ملذة وكل لذيذ محبوب ، وكل حسن وجمال فلا يخلو إدراكه عن لذة ، ولا أحد ينكر كون الجمال محبوبا بالطبع ، فإن ثبت أن الله جميل كان لامحالة محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله جميل يحب الجمال [3] » .

(الأصل الرابع) فى بيان معنى الحسن والجمال : اعلم أن المحبوس فى مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن أنه لامعنى للحسن والجمال إلا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون ، وكون البياض مشربا بالحمرة وامتداد القامة إلى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الإنسان ، فإنّ الحسن الاغلب على الخلق حسن الإبصار ، وأكثر التفاتهم

---

(١) حديث « اللهم لاتجعل لكافر على يدا فيحبه قلبي » رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس : من حديث معاذ بن جبل بسند ضعيف منقطع ، وقد تقدم . (٢) حديث : كان يعجبه الخضرة والماء الجارى ... أخرجه أبو نعيم فى الطب النبوى من حديث ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحب أن ينظر الى الخضرة والى الماء الجارى ، وإسناده ضعيف .

(٣) حديث « إن الله جميل يحب الجمال » رواه مسلم فى أثناء حديث لابن مسعود .

إلى صور الأشخاص فيظن أن ما ليس مبصرا ولا متخيلا ولا متشكلا ولا ملوّنا مقدّر فلا يتصوّر حسنه ، وإذا لم يتصوّر حسنه لم يكن فى إدراكه لذة فلم يكن محبوبا . وهذا خطأ ظاهر فإنّ الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالحمرة . فإنا نقول هذا خط حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن، بل نقول هذا ثوب حسن وهذا إناء حسن ، فأى معنى لحسن الصوت والخط وسائر الأشياء إن لم يكن الحسن إلا فى الصورة ؟ ومعلوم أنّ العين تستلذ بالنظر إلى الخط الحسن ، والأذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة . وما من شيء من المدركات إلا وهو منقسم إلى حسن وقبيح ، فما معنى الحسن الذى تشترك فيه هذه الأشياء ؟ فلا بدّ من البحث عنه . وهذا البحث يطول ، ولا يليق بعلم المعاملة الإطناب فيه ، فنصرح بالحق ونقول : كل شيء لجماله وحسنه فى أن يحضر كماله اللائق به الممكن له ، فإذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو فى غاية الجمال ، وإن كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر ، فالفرس الحسن هو الذى جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كرّ وفرّ عليه ، والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ، ولكل شيء كمال يليق به وقد يليق بغيره ضدّه . فحسن كل شيء فى كماله الذى يليق به . فلا يحسن الانسان بما يحسن به الفرس ، ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ، ولا تحسن الأوانى بما تحسن به الثياب ، وكذلك سائر الأشياء .

فإن قلت : فهذه الأشياء وإن لم تدرك جميعها بحس البصر مثل الأصوات والطعوم فإنها لا تنفك عن إدراك الحواس لها فهى محسوسات ، وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ، ولا ينكر حصول اللذة بإدراك حسنها ، وإنما ينكر ذلك فى غير المدرك بالحواس ؟ فاعلم أنّ الحسن والجمال موجود فى غير المحسوسات إذ يقال : هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه أخلاق جميلة ، وإنما الأخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروءة وسائر خلال الخير ، وشيء من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة ، وكل هذه الخلال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته ، وآية ذلك وأنّ الأمر كذلك أنّ الطباع مجبولة على حب الأنبياء صلوات الله عليهم وعلى حب الصحابة رضى الله تعالى عنهم مع أنهم لم يشاهدوا ، بل حب أرباب المذاهب مثل الشافعى وأبى حنيفة ومالك وغيرهم ؛ حتى أنّ الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حدّ العشق فيحمله ذلك على أن تنفق جميع ماله فى نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه فى قتال من يطعن فى إمامه ومتبوعه . فكم من دم أريق فى نصرة أرباب المذاهب ، وليت شعرى من يحب الشافعى مثلا فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته ؟ ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته ، فاستحسانه الذى حمله على إفراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة ، فإنّ صورته الظاهرة قد انقلبت ترابا مع التراب ، وإنما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والإحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لإفادة علم الشرع ولنشره هذه الخيرات فى العالم ، وهذه أمور جميلة لا يدرك جمالها إلا بنور البصيرة ، فأما الحواس فقاصرة عنها . وكذلك من يحب أبا بكر الصدّيق رضى الله عنه ويفضله على غيره ، أو يحب عليا رضى الله تعالى عنه ويفضله ويتعصب له ، فلا يحبهم إلا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره . فمعلوم أنّ من يحب الصدّيق رضى الله تعالى عنه مثلا ليس يحب عظمه ولحمه وجلده وأطرافه وشكله إذ كل ذلك زال وتبدّل وانعدم ، ولكن بقى ما كان الصدّيق به صديقا وهى الصفات المحمودة التى هى مصادر السير الجميلة ، فكان

الحب باقيا ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور . وتلك الصفات ترجع جملتها إلى العلم والقدرة إذ العلم حقائق الأمور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته ، فجميع خلال الخير يتشعب على هذين الوصفين ، وهما غير مدركين بالحس ، ومحلهما من جملة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة . وليس للجزء الذى لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى يكون محبوبا لأجله فإذن الجمال موجود فى السير ، ولو صدرت السيرة الجميلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حبا فالمحبوب مصدر السير الجميلة ، وهى الأخلاق الحميدة والفضائل الشريفة ، وترجع جملتها إلى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس ، حتى إن الصبى المخلى وطبعه إذا أردنا أن نحبب إليه غائبا أو حاضرا حيا أو ميتا لم يكن لنا سبيل إلا بالإطناب فى وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الحميدة . فهما اعتقد ذلك لم يتمالك فى نفسه ولم يقدر أن لا يحبه ، فهل غلب الصحابة رضى الله تعالى عنهم وبغض أبى جهل وبغض إبليس لعنه الله إلا بالإطناب فى وصف المحاسن والمقابح التى لا تدرك بالحواس ؟ بل لما وصف الناس حاتما بالسخاء ووصفوا خالدا بالشجاعة أحبتهم القلوب حبا ضروريا ، وليس ذلك عن نظر إلى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهم ، بل إذا حكى من سيرة بعض الملوك فى بعض أقطار الأرض العدل والإحسان وإفاضة الخير غلب حبه على القلوب مع اليأس من انتشار إحسانه إلى المحبين لبعد المزار ونأى الديار . فإذن ليس حب الإنسان مقصورا على من أحسن إليه ، بل المحسن فى نفسه محبوب وإن كان لا ينتهى قط إحسانه إلى المحب ، لأن كل جمال وحسن فهو محبوب ، والصورة ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما ، وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة ؛ فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل إليها ، ومن كانت الباطنة أغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعانى الباطنة أكثر من حبه للمعانى الظاهرة ، فشتان بين من يحب نقشا مصورا على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبيا من الأنبياء لجمال صورته الباطنة .

السبب الخامس : المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب ، إذ رب شخصين تتأكد المحبة بينهما لا بسبب جمال أو حظ ولكن بمجرد تناسب الأرواح كما قال صلى الله عليه وسلم ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف [1] ، وقد حققنا ذلك فى كتاب آداب الصحبة عند ذكر الحب فى الله فليطلب منه لأنه أيضا من عجائب أسباب الحب فإذن ترجع أقسام الحب إلى خمسة أسباب : وهو حب الإنسان وجود نفسه وكماله وبقائه . وحبه من أحسن إليه فيما يرجع إلى دوام وجوده ويعين على بقائه ودفع المهلكات عنه . وحبه من كان محسنا فى نفسه إلى الناس وإن لم يكن محسنا إليه . وحبه لكل ما هو جميل فى ذاته ؛ سواء كان من الصور الظاهرة أو الباطنة . وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية فى الباطن . فلو اجتمعت هذه الأسباب فى شخص واحد تضاعف الحب لا محالة ، كما لو كان للإنسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن إلى الخلق ومحسن إلى الوالد كان محبوبا لا محالة غاية الحب ، وتكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال فى نفسها ، فإن كانت هذه الصفات فى أقصى درجات الكمال كان الحب لا محالة فى أعلى الدرجات . فلقبين الآن أن هذه الأسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها إلا فى حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة إلا الله سبحانه وتعالى .

بيان أن المستحق للمحبة هو الله وحده

وأن من أحب غير الله لا من حيث نسبته إلى الله فذلك لجهله وقصوره فى معرفة الله تعالى ، وحب الرسول

---

(١) حديث « فما تعارف منها ائتلف » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة ، وقد تقدم فى آداب الصحبة .

صلى الله عليه وسلم محمود لأنه عين حب الله تعالى ، وكذلك حب العلماء والأتقياء ، لأنّ محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب ومحب المحبوب محبوب ، وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل فلا يتجاوزه إلى غيره ، فلا محبوب بالحقيقة عند ذوى البصائر إلا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه . وإيضاحه بأن نرجع إلى الأسباب الخمسة التى ذكرناها ، ونبين أنها مجتمعة فى حق الله تعالى بجملتها ولا يوجد فى غيره إلا آحادها ، وأنها حقيقة فى حق الله تعالى ، ووجودها فى حق غيره وهم وتخيل وهو مجاز محض لا حقيقة له . ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذى بصيرة ضدّ ما تخيله ضعفاء العقول والقلوب من استحالة حب الله تعالى تحقيقا ، وبان أن التحقيق يقتضى أن لا تحب أحدا غير الله تعالى .

فأما السبب الأوّل : وهو حب الإنسان نفسه وبقاءه وكماله ودوام وجوده ، وبغضه لهلاكه وعدمه ونقصانه وقواطع كماله فهذه جبلة كل حى ، ولا يتصوّر أن ينفك عنها ، وهذا يقتضى غاية المحبة لله تعالى فإن من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعا أنه لا وجود له من ذاته وإنما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله وإلى الله وبالله ، فهو المخترع الموجد له وهو المبقى له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الأسباب الموصلة إليه ذو خلق الهداية إلى استعمال الأسباب ، وإلا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته ، بل هو محو محض وعدم صرف لولا فضل الله تعالى عليه بالإيجاد ، وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالإبقاء ، وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته . وبالجملة فليس فى الوجود شىء له بنفسه قوام إلا القيوم الحى الذى هو قائم بذاته ، وكل ما سواه قائم به . فإن أحب العارف ذاته ووجود ذاته مستفاد من غيره ، فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمديم له إن عرفه خالقا موجدا ومخترعا مبقيا وقيوما بنفسه ومقوما لغيره ، فإن كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه وبربه ، والمحبة ثمرة المعرفة فتنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها ، ولذلك قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى : من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها . وكيف يتصوّر أن يحب الإنسان نفسه ولا يحب ربه الذى به قوام نفسه ؟ ومعلوم أن المبتلى بحرّ الشمس لما كان يحب الظل فيحب بالضرورة الأشجار التى بها قوام الظل ، وكل ما فى الوجود بالإضافة إلى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالإضافة إلى الشجر والنور بالإضافة إلى الشمس فإنّ الكل من آثار قدرته ، ووجود الكل تابع لوجوده ، كما أن وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشجر ، بل هذا المثال صحيح بالإضافة إلى أوهام العوام إذ تخيلوا أنّ النور أثر الشمس وفائض منها وموجود بها ، وهو خطأ محض إذا انكشف لأرباب القلوب انكشافا أظهر من مشاهدة الأبصار أن النور حاصل من قدرة الله تعالى اختراعا عند وقوع المقابلة بين الشمس والأجسام الكثيفة ، كما أن نور الشمس وعينها وشكلها وصورتها أيضا حاصل من قدرة الله تعالى ، ولكن الغرض من الأمثلة التفهيم فلا يطلب فيها الحقائق . فإذن إن كان حب الإنسان نفسه ضروريا لحبه لمن به قوامه أوّلا ودوامه ثانيا فى أصله وصفاته وظاهره وباطنه وجواهره وأعراضه أيضا ضرورى ، إن عرف ذلك كذلك ، ومن خلا عن الحب هذا فلأنه اشتغل بنفسه وشهواته وذهل عن ربه وخالقه فلم يعرفه حق معرفته وقصر نظره على شهواته ومحسوساته ، وهو عالم الشهادة الذى يشاركه البهائم فى التنعم به والاتساع فيه دون عالم الملكوت الذى لا يطأ أرضه إلا من يقرب إلى شبه من الملائكة ، فينظر فيه بقدر قربه فى الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه إلى حضيض عالم البهائم ،

وأما السبب الثانى : وهو حبه من أحسن عليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه وأمدّه بمعونته وانتدب لنصرته

وقمع أعداءه وقام بدفع شر الأشرار عنه وانتهض وسيلة إلى جميع حظوظه وأغراضه فى نفسه وأولاده وأقاربه فإنه محبوب لا محالة عنده . وهذا بعينه يقتضى أن لا يحب إلا الله تعالى فإنه لو عرف حق المعرفة لعلم أنّ المحسن إليه هو الله تعالى فقط ، فأما أنواع إحسانه إلى كل عبيده فلست أعدها إذ ليس يحيط بها حصر حاصر كما قال تعالى ﴿ وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ وقد أشرنا إلى طرف منه فى كتاب الشكر ، ولكنا نقتصر الآن على بيان أنّ الإحسان من الناس غير متصوّر إلا بالمجاز ، وإنما المحسن هو الله تعالى . ولنفرض ذلك فيمن أنعم عليك بجميع خزائنه ومكّنك منها لتتصرف فيها كيف تشاء فإنك تظن أنّ هذا الإحسان منه ، وهو غلط فإنه إنما تم إحسانه به وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال إليك ، فمن الذى أنعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق إرادته وداعيته ومن الذى حببك إليه وصرف وجهه إليك وألقى فى نفسه أنّ صلاح دينه أو دنياه فى الإحسان إليك ؟ ولولا كل ذلك لما أعطاك حبة من ماله . ومهما سلط الله عليه الدواعى وقرّر فى نفسه أنّ صلاح دينه أو دنياه فى أن يسلم إليك ماله كان مقهورا مضطرّا فى التسليم لا يستطيع مخالفته ، فالمحسن هو الذى اضطرّه لك وسخره وسلط عليه الدواعى الباعثة المرهقة إلى الفعل ، وأما يده فواسطة يصل بها إحسان الله إليك وصاحب اليد مضطرّ فى ذلك اضطرارا مجرى الماء فى جريان الماء فيه ، فإن اعتقدته محسنا أو شكرته من حيث هو بنفسه محسن لا من حيث هو واسطة كنت جاهلا بحقيقة الأمر ، فإنه لا يتصوّر الإحسان من الإنسان إلا إلى نفسه ، أما الإحسان إلى غيره فمحال من المخلوقين ، لأنه لا يبذل ماله إلا لغرض له البذل إما آجل وهو الثواب وإما عاجل وهو المنة والاستسخار أو الثناء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم أو جذب قلوب الخلق إلى الطاعة والمحبة ، وكما أنّ الإنسان لا يلقى ماله فى البحر إذ لا غرض له فيه فلا يلقيه فى يد إنسان إلا لغرض له فيه ، وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده ، وأما أنت فلست مقصوداً بل يدك آلة له فى القبض حتى يحصل غرضه من الذكر والثناء أو الشكر أو الثواب بسبب قبضك المال ، فقد استسخرك فى القبض للتوصل إلى غرض نفسه فهو إذن محسن إلى نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضا هو أرجح عنده من ماله ، ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لأجلك أصلا ألبتة . فإذن هو غير مستحق للشكر والحب من وجهين .

(أحدهما) أنه مضطرّ بتسليط الله الدواعى عليه فلا قدرة له على المخالفة ، فهو جار مجرى خازن الأمير فإنه لا يرى محسنا بتسليم خلعة الأمير إلى من خلع عليه ، لأنه من جهة الأمير مضطرّ إلى الطاعة والامتثال لما يرسمه ولا يقدر على مخالفته ، ولو خلاه الأمير ونفسه لما سلم ذلك . فكذلك كل محسن لو خلاه الله ونفسه لم يبذل حبة من ماله حتى سلط الله الدواعى عليه وألقى فى نفسه أنّ حظه دينا ودنيا فى بذله فبذله لذلك . (والثانى) أنه معتاض عما بذله حظا هو أوفى عنده وأحب مما بذله ، فكما لا يعد البائع محسنا لأنه بذل بعوض هو أحب عنده مما بذله ، فكذلك الواهب اعتاض الثواب أو الحمد والثناء أو عوضا آخر ، وليس من شرط العوض أن يكون عينا متمولا بل الحظوظ كلها أعواض تستحقر الأموال والأعيان بالإضافة إليها ، فالإحسان فى الجود ، والجود هو بذل المال من غير عوض وحظ يرجع الى الباذل ، وذلك محال من غير الله سبحانه فهو الذى أنعم على العالمين احسانا اليهم ولأجلهم لا لحظ وغرض يرجع اليه فإنه يتعالى عن الأغراض فلفظ الجود والإحسان فى حق غيره كذب أو مجاز ، ومعناه فى حق غيره محال وممتنع امتناع الجمع بين السواد والبياض ، فهو المنفرد بالجود والإحسان والطول والامتنان ، فان كان فى الطبع حب المحسن فينبغى أن لا يحب العارف إلا الله تعالى ، إذ الإحسان

من غيره محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده ، وأما غيره فيستحق المحبة على الإنسان بشرط الجهل بمعنى الإحسان وحقيقته .

وأما السبب الثالث : وهو حبك المحسن فى نفسه وإلى لم يصل إليك إحسانه . وهذا أيضا موجود فى الطباع . فإنه إذا بلغك خبر ملك عابد عادل عالم رفيق بالناس متلطف بهم متواضع لهم وهو فى قطر من أقطار الأرض بعيد عنك وبلغك خبر ملك آخر ظالم متكبر فاسق متهتك شرير وهو أيضا بعيد عنك ؛ فإنك تجد فى قلبك تفرقة بينهما إذ تجد فى القلب ميلا إلى الأول وهو الحب ، ونفرة عن الثانى وهو البغض، مع أنك آيس من خير الأول وآمن من شر الثانى لانقطاع طمعك عن التوغل إلى بلادهما : فهذا حب المحسن من حيث إنه محسن فقط لا من حيث إنه محسن إليك ، وهذا أيضا يقتضى حب الله تعالى بل يقتضى أن لا يحب غيره أصلا إلا من حيث يتعلق منه بسبب ، فإن الله هو المحسن إلى الكافة والمتفضل على جميع أصناف الخلائق ؛ أولا : بإيجادهم ، وثانيا : بتكميلهم بالأعضاء والأسباب التى هى من ضروراتهم ، وثالثاً : بترفيههم وتنعيمهم بخلق الأسباب التى هى فى مظان حاجاتهم وإن لم تكن فى مظان الضرورة ، ورابعاً . بتجميلهم بالمزايا والزوائد التى هى فى مظنة زينتهم وهى خارجة عن ضروراتهم وحاجاتهم .

ومثال الضرورى من الأعضاء : الرأس والقلب والكبد ، ومثال المحتاج إليه : العين واليد والرجل . ومثال الزينة استقواس الحاجبين وحمرة الشفتين وتلون العينين إلى غير ذلك مما لو فات لم تتخرم به حاجة ولا ضرورة .

ومثال الضرورى من النعم الخارجة عن بدن الإنسان . الماء والغذاء . ومثال الحاجة : الدواء واللحم والفواكه ومثال المزايا والزوائد : خضرة الأشجار وحسن أشكال الأنوار والأزهار ولذائذ الفواكه والأطعمة التى لا تتخرم بعدمها حاجة ولا ضرورة .

وهذه الأقسام الثلاثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل صنف من أصناف الخلق من ذروة العرش إلى منتهى الفرش . فإذن هو المحسن ؛ فكيف يكون غيره محسنا وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته ؟ فإنه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الإحسان وخالق أسباب الإحسان ، فالحب بهذه العلة لغيره أيضا جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه العلة إلا الله تعالى .

وأما السبب الرابع : وهو حب كل جميل لذات الجمال لا لحظ ينال من وراء إدراك الجمال : فقد بينا أن ذلك مجبول فى الطباع ، وأن الجمال ينقسم إلى جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين الرأس وإلى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة ، والأول يدركه الصبيان والبهائم ، والثانى يختص بدركه أرباب القلوب ولا يشاركهم فيه من لا يعلم إلا ظاهراً من الحياة الدنيا . وكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال ، فإن كان مدركاً بالقلب فهو محبوب القلب . ومثال هذا فى المشاهدة حب الأنبياء والعلماء وذوى المكارم السنية والأخلاق المرضية ، فإن ذلك متصور مع تشوش صورة الوجه وسائر الأعضاء وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدرك . نعم يدرك بحسن آثاره الصادرة منه الدالة عليه ، حتى إذا دل القلب عليه مال القلب إليه فأحبه ، فمن يحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو الصديق رضى الله تعالى عنه أو الشافعى رحمة الله عليه فلا يحبهم إلا لحسن ماظهر له منهم ، وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن أفعالهم ، بل دل حسن أفعالهم على حسن الصفات التى هى مصدر الأفعال إذ الأفعال آثار صادرة عنها ودالة عليها فمن رأى حسن تصنيف المصنف وحسن شعر الشاعر بل

حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه الأفعال صفاتها الجميلة الباطنة التى يرجع حاصلها عند البحث إلى العلم والقدرة ، ثم كلما كان المعلوم أشرف وأتم جمالا وعظمة كان العلم أشرف وأجمل ، وكذا المقدور كلما كان أعظم رتبة وأجل منزلة كانت القدرة عليه أجل رتبة وأشرف قدرا . وأجل المعلومات هو الله تعالى ، فلا جرم أحسن العلوم وأشرفها معرفة الله تعالى ، وكذلك مايقاربه ويختص به فشرفه على قدر تعلقه به .

فإذن جمال صفات الصدّيقين الذين تحبهم القلوب طبعا ترجع إلى ثلاثة أمور (أحدها) علمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائع أنبيائه . (والثانى) قدرتهم على إصلاح أنفسهم وإصلاح عباد الله بالإرشاد والسياسة (والثالث) تنزههم عن الرذائل والخبائث والشهوات الغالبة الصارفة عن سنن الخير الجاذبة إلى طريق الشر ، وبمثل هذا يحب الأنبياء والعلماء والخلفاء والملوك الذين هم أهل العدل والكرم فأنسب هذه الصفات إلى صفات الله تعالى .

أما العلم : فأين علم الأولين والآخرين من علم الله تعالى الذى يحيط بالكل إحاطة خارجة عن النهاية حتى لايعزب عنه مثقال ذرّة فى السموات ولا فى الأرض ؟ وقد خاطب الخلق كلهم فقال عز وجل ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ بل لو اجتمع أهل الأرض والسماء على أن يحيطوا بعلمه وحكمته فى تفصيل خلق نملة أو بعوضة لم يطلعوا على عشر عشير ذلك ﴿ ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء ﴾ والقدر اليسير الذى علمه الخلائق كلهم فبتعليمه علموه كما قال تعالى ﴿ خلق الإنسان علمه البيان ﴾ فإن كان جمال العلم وشرفه أمرا محبوبا وكان هو فى نفسه زينة وكمالا للموصوف به فلا ينبغى أن يحب بهذا السبب إلا الله تعالى . فعلوم العلماء جهل بالإضافة الى علمه ، بل من عرف أعلم أهل زمانه وأجهل أهل زمانه استحال أن يحب بسبب العلم الأجهل ويترك الأعلم وإن كان الأجهل لايخلو عن علم ماتتقاضاه معيشته . والتفاوت بين علم الله وبين علم الخلائق أكثر من التفاوت بين علم أعلم الخلائق وأجهلهم ، لأن الأعلم لا يفضل الأجهل إلا بعلوم معدودة متناهية يتصور فى الإمكان أن ينالها الأجهل بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله تعالى على علوم الخلائق كلهم خارج عن النهاية إذ معلوماته لا نهاية لها ومعلومات الخلق متناهية .

وأما صفة القدرة : فهى أيضا كمال والعجز نقص ، فكل كمال وبهاء وعظمة ومجد واستيلاء فإنه محبوب وإدراكه لذيذ ، حتى إن الإنسان ليسمع فى الحكاية شجاعة على وخالد رضى الله عنهما وغيرهما من الشجعان وقدرتهما واستيلاءهما على الأقران فيصادف فى قلبه اهتزازا وفرحا وارتياحا ضروريا بمجرد لذة السماع فضلا عن المشاهدة ويورث ذلك حبا فى القلب ضروريا للمتصف به وإنه نوع كمال ، فانسب الآن قدرة الخلق كلهم إلى قدرة الله تعالى ، فأعظم الأشخاص قوة وأوسعهم ملكا وأقواهم بطشا وأقهرهم للشهوات وأقمعهم لخبائث النفس وأجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره — مامنتهى قدرته ؟ وإنما غايته أن يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض أشخاص الإنس فى بعض الأمور وهو مع ذلك لايملك لنفسه موتا ولا حياة ولا نشورا ولا ضرا ولا نفعا ، بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى ولسانه من الخرس وأذنه من الصمم وبدنه من المرض ، ولا يحتاج إلى عدّ مايعجز عنه فى نفسه وغيره مما هو على الجملة متعلق قدرته ، فضلا عما لاتتعلق به قدرته من ملكوت السموات وأفلاكها وكواكبها والارض وجبالها وبحارها ورياحها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيواناتها وجميع أجزائها ، فلاقدرة له على ذرّة منها . وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق أسبابه والممكن له من ذلك . ولو سلط بعوضا على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لأهلكه ، فليس للعبد

قدرة إلا بتمكين مولاه كما قال فى أعظم ملوك الأرض ذى القرنين إذ قال ﴿ إنا مكنا له فى الأرض ﴾ فلم يكن جميع ملكه وسلطنته إلا بتمكين الله تعالى إياه فى جزء من الأرض ، والأرض كلها مدرة بالإضافة إلى أجسام العالم وجميع الولايات التى يحظى بها الناس من الأرض غبرة من تلك المدرة ، ثم تلك الغبرة أيضا من فضل الله تعالى وتمكينه ، فيستحيل أن يحب عبدا من عباد الله تعالى لقدرته وسياسته وتمكينه واستيلائه وكمال قوته ولا يحب الله تعالى لذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فهو الجبار القاهر والعليم القادر ، السموات مطويات بيمينه والأرض وملكها وما عليها فى قبضته وناصية جميع المخلوقات فى قبضة قدرته ، إن أهلكهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة . وإن خلق أمثالهم ألف مرة لم يعى بخلقها ولا يمسه لغوب ولا فتور فى اختراعها ، فلا قدرة ولا قادر إلا وهو أثر من آثار قدرته فله الجمال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء ، فإن كان يتصور أن يحب قادر لكمال قدرته فلا يستحق الحب بكمال القدرة سواه أصلا .

وأما صفة التنزه عن العيوب والنقائص والتقدس عن الرذائل والخبائث فهو أحد موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال فى الصور الباطنة ، والأنبياء والصديقون وإن كانوا منزهين عن العيوب والخبائث فلا يتصور كمال التقدس والتنزه إلا للواحد الحق الملك والقدوس ذى الجلال والإكرام

وأما كل مخلوق فلا يخلو عن نقص وعن نقائص بل كونه عاجزا مخلوقا مسخرا مضطرا هو عين العيب والنقص فالكمال لله وحده وليس لغيره كمال إلا بقدر ما أعطاه الله ، وليس فى المقدور أن ينعم بمنتهى الكمال على غيره فإن منتهى الكمال أقل درجاته أن لا يكون عبدا مسخرا لغيره قائما بغيره وذلك محال فى حق غيره ، فهو المنفرد بالكمال المنزه عن النقص المقدس عن العيوب . وشرح وجوه التقدس والتنزه فى حقه عن النقائص يطول وهو من أسرار علوم المكاشفات فلا نطول بذكره . فهذا الوصف أيضا إن كان كمالا وجمالا محبوبا فلا تتم حقيقته إلا له ، وكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقا بل بالإضافة إلى ما هو أشد منه نقصانا ، كما أن للفرس كمالا بالإضافة إلى الحمار وللإنسان كمالا بالإضافة إلى الفرس . وأصل النقص شامل للكل وإنما يتفاوتون فى درجات النقصان .

فإذن الجميل محبوب والجميل المطلق هو الواحد الذى لا ند له ، الفرد الذى لا ضد له ، الصمد الذى لا منازع له ، الغنى الذى لا حاجة له ، القادر الذى يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ، العالم الذى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السموات والأرض ، القاهر الذى لا يخرج عن قبضة قدرته أعناق الجبابرة ولا ينفلت من سطوته وبطشه رقاب القياصرة ، الأزلى الذى لا أول لوجوده ، الأبدى الذى لا آخر لبقائه ، الضرورى الوجود الذى لا يجوم إمكان العدم حول حضرته ، القيوم الذى يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به ، جبار السموات والأرض ، خالق الجماد والحيوان والنبات ، المنفرد بالعزة والجبروت ، والمتوحد بالملك والملكوت ، ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال ، الذى تتحير فى معرفة جلاله العقول وتخرس فى وصفه الألسنة ، الذى كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الأنبياء الإقرار بالقصور عن وصفه ، كما قال سيد الأنبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين « لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك »[1] ، وقال سيد الصديقين رضى الله تعالى عنه : العجز عن درك الإدراك إدراك . سبحان من لم يجعل للخلق طريقا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته فليت شعرى من ينكر إمكان حب الله تعالى تحقيقا ويجعله مجازا ؟ أينكر أن هذه الأوصاف من أوصاف الجمال

(١) حديث « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » تقدم .

والمحامد ونعوت الكمال والمحاسن أن ينكر كون الله تعالى موصوفا بها أو ينكر كون الكمال والجمال والبهاء والعظمة محبوبا بالطبع عند من أدركه ؟ فسبحان من احتجب عن بصائر العميان غيرة على جماله وجلاله أن يطلع عليه إلا من سبقت له منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون ، وترك الخاسرين فى ظلمات العمى يتيهون وفى مسارح المحسوسات وشهوات البهائم يترددون ؛ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون . الحمد لله بل أكثرهم لايعلمون .

فالحب بهذا السبب أقوى من الحب بالإحسان لأن الإحسان يزيد وينقص . ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : إنّ أود الأوداء إلى من عبدنى بغير نوال لكن ليعطى الربوبية حقها . وفى الزبور : من أظلم ممن عبدنى لجنة أو نار لو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا أن أطاع . ومرّ عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد نحلوا فقالوا : نخاف النار ونرجو الجنة فقال لهم : مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم . ومر بقوم آخرين كذلك فقالوا : نعبده حبا له وتعظيما لجلاله فقال : أنتم أولياء الله حقا معكم أمرت أن أقيم . وقال أبو حازم : إنى لأستحى أن أعبده للثواب والعقاب فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل ، وكالأجير السوء إن لم يعط لم يعمل . وفى الخبر « لايكونن أحدكم كالأجير السوء إن لم يعط أجرا لم يعمل ، ولا كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل [1] » .

وأما السبب الخامس للحب فهو المناسبة والمشاكلة لأن شبه الشيء منجذب إليه والشكل إلى الشكل أميل . ولذلك ترى الصبي يألف الصبي والكبير يألف الكبير ، ويألف الطير نوعه وينفر من غير نوعه ، وأنس العالم بالعالم أكثر منه بالمحترف ، وأنس النجار بالنجار أكثر من أنسه بالفلاح . وهذا أمر تشهد به التجربة وتشهد له الأخبار والآثار كما استقصيناه فى باب الأخوة فى الله من كتاب آداب الصحبة فليطلب منه . وإذا كانت المناسبة سبب المحبة فالمناسبة قد تكون فى معنى ظاهر كمناسبة الصبي الصبي فى معنى الصبا ، وقد يكون خفيا حتى لايطلع عليه كما ترى من الاتحاد الذى يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال أو طمع فى مال أو غيره كما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف » فالتعارف هو التناسب ، والتناكر هو التباين وهذا السبب أيضاً يقتضى حب الله تعالى لمناسبة باطنة لاترجع إلى المشابهة فى الصور والأشكال بل إلى معان باطنة ، يجوز أن يذكر بعضها فى الكتب وبعضها لايجوز أن يسطر بل يترك تحت غطاء الغبرة حتى يعثر عليه السالكون للطريق إذا استكملوا شرط السلوك .

فالذى يذكر هو قرب العبد من ربه عزوجل فى الصفات التى أمر فيها بالاقتداء والتخلق بأخلاق الربوبية ، حتى قيل تخلقوا بأخلاق الله ، وذلك فى اكتساب محامد الصفات التى هى من صفات الإلهية من العلم والبر والإحسان واللطف وإفاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وإرشادهم إلى الحق ومنعهم من الباطل ، إلى غير ذلك من مكارم الشريعة . فكل ذلك يقرب إلى الله سبحانه وتعالى لابمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات .

وأما مالايجوز أن يسطر فى الكتب من المناسبة الخاصة التى اختص بها الآدمى فهى التى يومئ إليها قوله تعالى ﴿ ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ﴾ إذ بين أنه أمر ربانى خارج عن حدّ عقول الخلق . وأوضح من ذلك قوله تعالى ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحى ﴾ ولذلك أسجد له ملائكته . ويشير إليه قوله تعالى ﴿ إنا جعلناك خليفة فى الأرض ﴾ إذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى إلا بتلك المناسبة وإليه يرمز قوله صلى الله

---

(١) حديث « لايكونن أحدكم كالأجير السوء إن لم يعط أجرا لم يعمل » لم أجد له أصلا .

عليه وآله وسلم « إنّ الله خلق آدم على صورته [1] » حتى ظن القاصرون أن لا صورة إلا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس فشبهوا وجسموا وصوروا ، تعالى الله رب العالمين عما يقول الجاهلون علوا كبيرا . وإليه الإشارة بقوله تعالى لموسى عليه السلام « مرضت فلم تعدنى فقال يارب وكيف ذلك ؟ قال مرض عبدى فلان فلم تعده ولو عدته وجدتنى عنده [2] » وهذه المناسبة لاتظهر إلا بالمواظبة على النوافل بعد إحكام الفرائض كما قال الله تعالى « لايزال يتقرب العبد إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به [3] » وهذا موضع يجب قبض عنان القلم فيه فقد تحزب الناس فيه إلى قاصرين مالوا إلى التشبيه الظاهر وإلى غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة إلى الاتحاد وقالوا بالحلول ، حتى قال بعضهم : أنا الحق . وضل النصارى فى عيسى عليه السلام فقالوا : هو الإله وقال آخرون منهم تذرع الناسوت باللاهوت وقال آخرون : اتحد به . وأما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة الاتحاد والحلول واتضح لهم مع ذلك حقيقة السر فهم الأقلون . ولعل أبا الحسن النورى عن هذا المقام كان ينظر إذا غلبه الوجد فى قول القائل :

لا زلت أنزل من ودادك منزلا تتحير الألباب عند نزوله

فلم يزل يعدو فى وجده على أجمة قد قطع قصبها وبقى أصوله حتى تشققت قدماه وتورّمتا ومات من ذلك . وهذا هو أعظم أسباب الحب وأقواها وهو أعزها وأبعدها وأقلها وجودا . فهذه هى المعلومة من أسباب الحب وجملة ذلك متظاهرة فى حق الله تعالى تحقيقا لا مجازا وفى أعلى الدرجات لافى أدناها ، فكان المعقول المقبول عند ذوى البصائر حب الله تعالى فقط كما أن المعقول الممكن عند العميان حب غير الله تعالى فقط ، ثم كل من يحب من الخلق بسبب من هذه الأسباب يتصور أن يحب غير لمشاركه إياه فى السبب ، والشركة نقصان فى الحب وغض من كماله . ولا ينفرد أحد بوصف محبوب إلا وقد يوجد له شريك فيه ، فإن لم يوجد فيمكن أن يوجد ، إلا الله تعالى فإنه موصوف بهذه الصفات التى هى نهاية الجلال والكمال ولا شريك له فى ذلك وجودا ، ولا يتصور أن يكون ذلك إمكانا ، فلا جرم لايكون فى حبه شركة فلا يتطرق النقصان إلى حبه كما لا تتطرق الشركة إلى صفاته . فهو المستحق - إذاً لأصل المحبة - وكمال المحبة استحقاقا لايساهم فيه أصلا .

بيان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم وأنه لايتصور أن لايؤثر عليها لذة أخرى إلا من حرم هذه اللذة

اعلم أن اللذات تابعة للإدراكات ، والإنسان جامع لجملة من القوى والغرائز ، ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها فى نيلها المقتضى طبعها الذى خلقت له فإن هذه الغرائز ما ركبت فى الإنسان عبثا بل ركبت كل قوة وغريزة لأمر من الأمور هو مقتضاها بالطبع . فغريزة الغضب خلقت للتشفى والانتقام فلا جرم لذتها فى الغلبة والانتقام الذى هو مقتضى طبعها . وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذى به القوام فلا جرم لذتها فى نيل هذا الغذاء الذى هو مقتضى طبعها ، وكذلك لذة السمع والبصر والشم فى الإبصار والاستماع والشم ، فلا تخلو غريزة من هذه الغرائز عن ألم ولذة بالإضافة إلى مدركاتها . فكذلك فى القلب غريزة تسمى النور الإلهى لقوله تعالى ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى

---

(١) حديث « إن الله خلق آدم على صورته » تقدم . (٢) حديث قوله تعالى « مرضت فلم تعدنى ، فقال : وكيف ذاك ! قال : مرض فلان ... الحديث » تقدم . (٣) حديث قوله تعالى « لايزال يتقرب العبد إلى بالنوافل حتى أحبه ... الحديث » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة وقد تقدم .

نور الإيمان واليقين ، ولا معنى للاشتغال بالأسامى فإن الاصطلاحات مختلفة ، والضعيف يظن أن الاختلاف واقع فى المعانى لأن الضعيف يطلب المعانى من الألفاظ وهو عكس الواجب ، فالقلب مفارق لسائر أجزاء البدن بصفة بها يدرك المعانى التى ليست متخيلة ولا محسوسة ، كإدراكه خلق العالم أوافتقاره إلى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات إلهية ، ولنسم تلك الغريزة عقلا بشرط أن لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة ، فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذمه بعض الصوفية ، وإلا فالصفة التى فارق الإنسان بها البهائم وبها يدرك معرفة الله تعالى أعز الصفات فلا ينبغى أن تذم ، وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقائق الأمور كلها فمقتضى طبعها المعرفة والعلم وهى لذتها . كما أن مقتضى سائر الغرائز هو لذتها وليس يخفى أن فى العلم والمعرفة لذة حتى إن الذى ينسب إلى العلم والمعرفة ولو فى شىء خسيس يفرح به ، والذى ينسب إلى الجهل ولو فى شىء حقير يغتم به ، وحتى أن الإنسان لا يكاد يصبر عن التحدى بالعلم والتمدح به فى الأشياء الحقيرة . فالعالم باللعب بالشطرنج على خسته لايطيق السكوت فيه عن التعليم وينطلق لسانه بذكر ما يعلمه ، وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته به ، فإن العلم من أخص صفات الربوبية وهى منتهى الكمال ، ولذلك يرتاح الطبع إذا أثنى عليه بالذكاء وغزارة العلم لأنه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وكمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به ، ثم ليست لذة العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك وتدبير أمر الخلق ، ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وملكوت السموات والأرض ، بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف المعلوم ، حتى إن الذى يعلم بواطن أحوال الناس ويخبر بذلك يجد له لذة وإن جهله تقاضاه طبعه أن يفحص عنه ، فإن علم بواطن أحوال رئيس البلد وأسرار تدبيره فى رياسته كان ذلك ألذ عنده وأطيب من علمه بباطن حال فلاح أو حائك ، فإن اطلع على أسرار الوزير وتدبيره وماهو عازم عليه فى أمور الوزارة فهو أشهى عنده وألذ من علمه بأسرار الرئيس ، فإن كان خبيرا بباطن أحوال الملك والسلطان الذى هو المستولى على الوزير كان ذلك أطيب عنده وألذ من علمه بباطن أسرار الوزير ، وكان تمدحه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشد وحبه له أكثر لأن لذته فيه أعظم . فهذا استبان أن ألذ المعارف أشرفها ، وشرفها بحسب شرف المعلوم ، فإن كان فى المعلومات ماهو الأجل والأكمل والأشرف والأعظم فالعلم به ألذ العلوم لا محالة وأشرفها وأطيبها . وليت شعرى هل فى الوجود شىء أجل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الأشياء كلها ومكملها ومزينها ومبدئها ومعيدها ومدبرها ومرتبها ؟ وهل يتصور أن تكون حضرة فى الملك والكمال والجمال والبهاء والجلال أعظم من الحضرة الربانية التى لايحيط بمبادى جلالها وعجائب أحوالها وصف الواصفين ؟ فإن كنت لاتشك فى ذلك فلا ينبغى أن تشك فى أن الاطلاع على أسرار الربوبية والعلم بترتب الأمور الإلهية المحيطة بكل الموجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات وألذها وأطيبها وأشهاها ؟ وأحرى ماتستشعر به النفوس عند الاتصاف به كمالها وجمالها ، وأجدر ما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار وبهذا تبين أن العلم لذيذ ، وأن ألذ العلوم العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وتدبيره فى مملكته ـ من منتهى عرشه إلى تخوم الأرضين ـ فينبغى أن يعلم أن لذة المعرفة أقوى من سائر اللذات أعنى لذة الشهوات والغضب ولذة سائر الحواس الخمس ، فإن اللذات مختلفة بالنوع أولا ، كمخالفة لذة الوقاع للذة السماع ، ولذة المعرفة للذة الرياسة . وهى مختلفة بالضعف والقوة ، كمخالفة لذة الشبق المغتلم من الجماع للذة الفاتر للشهوة ، وكمخالفة لذة النظر إلى الوجه الجميل الفائق الجمال للذة النظر إلى ما دونه فى الجمال . وإنما تعرف أقوى

اللذات بأن تكون مؤثرة على غيرها ، فإن المخير بين النظر إلى صورة جميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة إذا اختار النظر إلى الصورة الجميلة علم أنها ألذ عنده من الروائح الطيبة ، وكذلك إذا حضر الطعام وقت الأكل واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الأكل ، فيعلم به أنّ لذة الغلبة فى الشطرنج أقوى عنده من لذة الأكل . فهذا معيا صادق فى الكشف عن ترجيح اللذات فنعود ونقول :

اللذات تنقسم إلى ظاهرة كلذة الحواس الخمس ، وإلى باطنة كلذة الرياسة والغلبة والكرامة والعلم وغيرها ، إذ ليست هذه اللذة للعين ولا للأنف ولا الأذن ولا للمس ولا للذوق ، والمعانى الباطنة أغلب على ذوى الكمال من اللذات الظاهرة ، فلو خير الرجل بين لذة الدجاج السمين واللوزينج وبين لذة الرياسة وقهر الأعداء ونيل درجة الاستيلاء ، فإن كان المخير خسيس الهمة ميت القلب شديد النهمة اختار اللحم والحلاوة ، وإن كان على الهمة كامل العقل اختار الرياسة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت أياما كثيرة : فاختياره للرياسة يدل على أنها ألذ عنده من الطعومات الطيبة . نعم الناقص الذى لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبى ، أو كالذى ماتت قواه الباطنة كالمعتوه لا يبعد أن يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياسة وكما أنّ لذة الرياسة والكرامه أغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبا والعته فلذة معرفة الله تعالى ومطالعة جمال حضرة الربوبية والنظر إلى أسرار الأمور الإلهية ألذ من الرياسة التى هى أعلى اللذات الغالبة على الخلق ، وغاية العبارة عنه أن يقال ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾ وأنه أعد لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وهذا الآن لا يعرفه إلا من ذاق اللذتين جميعا ، فإنه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد والفكر والذكر وينغمس فى بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحقر الخلق الذين يرأسهم لعلمه بفناء رياسته وفناء من عليه رياسته ، وكونه مشوبا بالكدورات التى لا يتصور الخلو عنها ، وكونه مقطوعا بالموت الذى لابدّ من إتيانه مهما أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها فيستعظم بالإضافة إليها لذة معرفة الله ومطالعة صفاته وأفعاله ونظام مملكته من أعلى عليين إلى أسفل السافلين ، فإنها خالية من المزاحمات والمكدرات متسعة للمتواردين عليها لا تضيق عنهم بكبرها ، وإنما عرضها من حيث التقدير السموات والأرض ، وإذا خرج النظر عن المقدرات فلا نهاية لعرضها ، فلا يزال العارف بمطالعتها فى جنة عرضها السموات والأرض يرتع فى رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع من حياضها وهو آمن من انقطاعها ، إذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ، ثم هى أبدية سرمدية لا يقطعها الموت ، إذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى ومحلها الروح الذى هو أمر ربانى سماوى ، وإنما الموت يغير أحوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخليها من حبسها فأما أن يعدمها فلا . ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ﴾ الآية . ولا تظنن أنّ هذا مخصوص بالمقتول فى المعركة فإن للعارف بكل نفس درجة ألف شهيد وفى الخبر « إنّ الشهيد يتمنى فى الآخرة أن يرد إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وإن الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء [1] » .

فإذن جميع أقطار ملكوت السموات والأرض ميدان العارف يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة إلى أن يتحرك إليها بجسمه وشخصه ، فهو من مطالعة جمال الملكوت فى جنة عرضها السموات والأرض . وكل عارف فله مثلها من غير أن يضيق بعضهم على بعض أصلا ، إلا أنهم يتفاوتون فى سعة منتزهاتهم بقدر تفاوتهم فى اتساع نظرهم

---

(١) حديث « ان الشهيد يتمنى أن يرد فى الآخرة الى الدنيا ليقتل مرة أخرى ... الحديث » متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم ، وليس فيه « وان الشهداء يتمنون أن يكونوا علماء ... الحديث »

وسعة معارفهم ، وهم درجات عند الله ولا يدخل فى الحصر تفاوت درجاتهم ، فقد ظهر أن لذة الرياسة وهى باطنة أقوى فى ذوى الكمال من لذات الحواس كلها ، وأن هذه اللذة لا تكون لبهيمة ولا لصبى ولا لمعتوه ، وأن لذة المحسوسات والشهوات تكون لذوى الكمال مع لذة الرياسة ولكن يؤثرون الرياسة ، فأما معنى كون معرفة الله وصفاته وأفعاله وملكوت سمواته وأسرار ملكه أعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفته من نال رتبة المعرفة وذاقها، ولا يمكن إثبات ذلك عند من لا قلب له لأن القلب معدن هذه القوة ، كما أنه لا يمكن إثبات رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ، ولا رجحانه على لذة شم البنفسج عند العنين ، لأنه فقد الصفة التى بها تدرك هذه اللذة ، ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة شمه أدرك التفاوت بين اللذتين ، وعند هذا لا يبقى إلا أن يقال من ذاق عرف . ولعمرى طلاب العلوم وإن لم يشتغلوا بطلب معرفة الأمور الإلهية فقد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التى قوى حرصهم على طلبها ، فإنها أيضا معارف وعلوم وإن كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الإلهية ، فأما من طال فكره فى معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من أسرار ملك الله ولو الشىء اليسير فإنه يصادف فى قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ، ويتعجب من نفسه فى ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره ، وهذا مما لا يدرك إلا بالذوق ، والحكاية فيه قليلة الجدوى . فهذا القدر ينبهك على أن معرفة الله سبحانه ألذ الأشياء وأنه لا لذة فوقها .

ولهذا قال أبو سليمان الدارانى : إن لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله ؟ ولذلك قال بعض إخوان معروف الكرخى له : أخبرنى يا أبا محفوظ أى شىء هاجك إلى العبادة والانقطاع عن الخلق ؟ فسكت فقال : ذكر الموت ، فقال : وأى شىء الموت ؟ فقال : ذكر القبر والبرزخ ، فقال : وأى شىء القبر ؟ فقال : خوف النار ورجاء الجنة ، فقال : وأى شىء هذا ؟ إن ملكا هذا كله بيده إن أحببته أنساك جميع ذلك وإن كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا . وفى أخبار عيسى عليه السلام : إذا رأيت الفتى مشغوفا بطلب الرب تعالى فقد ألهاه ذلك عما سواه . ورأى بعض الشيوخ بشر بن الحارث فى النوم فقال : ما فعل أبو نصر التمار وعبد الوهاب الوراق ؟ فقال : تركتهما الساعة بين يدى الله تعالى يأكلان ويشربان ، قلت : فأنت ؟ قال : علم الله قلة رغبتى فى الأكل والشرب فأعطانى النظر إليه . وعن على بن الموفق قال : رأيت فى النوم كأنى دخلت الجنة ، فرأيت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو يأكل ، ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه الناس فيدخل بعضا ويرد بعضا ، قال : ثم جاوزتهما إلى حديقة القدس فرأيت فى سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر إلى الله تعالى لا يطرف ، فقلت لرضوان : من هذا ؟ قال : معروف الكرخى عبد الله لا خوفا من ناره ولا شوقا إلى جنته بل حبا له فأباحه النظر إليه إلى يوم القيامة . وذكر أن الآخرين : بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل . ولذلك قال أبو سليمان : من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ، ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه . وقال الثورى لرابعة : ما حقيقة إيمانك ؟ قالت : ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته فأكون كالأجير السوء ، بل عبدته حبا له وشوقا إليه وقالت فى معنى المحبة نظما :

أحبك حبين حب الهوى وحبا لأنك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى فشغلى بذكرك عمن سواكا
وأما الذى أنت أهل له فكشفك لى الحجب حتى أراكا

فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

ولعلها أرادت بحب الهوى : حب الله لإحسانه إليها وإنعامه عليها بحظوظ العاجلة ، وبحبه لما هو أهل له : الحب لجماله وجلاله الذى انكشف لها ؛ وهو أعلى الحبين وأقواهما ، ولذة مطالعة جمال الربوبية هى التى عبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال حاكيا عن ربه تعالى « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (١) » ، وقد تعجل بعض هذه اللذات فى الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه إلى الغاية ، ولذلك قال بعضهم : إنى أقول يارب يا الله فأجد ذلك على قلبى أثقل من الجبال لأن النداء يكون من وراء حجاب ؛ وهل رأيت جليسا ينادى جليسه ؟ وقال : إذا بلغ الرجل فى هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة ؛ أى يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون ما يقوله جنونا أو كفرا . فمقصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط ، فهى قرة العين التى لا تعلم نفس ماأخفى لهم منها ، وإذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بنعيمها ، فلو ألقى فى النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت إليه لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التى ليس فوقها غاية ، وليت شعر من لم يفهم إلا حب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر إلى وجه الله تعالى وماله صورة ولا شكل ؟ وأى معنى لوعد الله تعالى به عباده وذكره أنه أعظم النعم ؟ بل من عرف الله عرف أنّ اللذات المفرقة بالشهوات المختلفة كلها تنطوى تحت هذه اللذة كما قال بعضهم :

كانت لقلبى أهواء مفرقة فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائى
فصار يحسدنى من كنت أحسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائى
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا دينى ودنيائى

ولذلك قال بعضهم :

وهجره أعظم من ناره ووصله أطيب من جنته

وما أرادوا بهذا إلا إيثار لذة القلب فى معرفة الله تعالى على لذة الأكل والشرب والنكاح ، فإنّ الجنة معدن تمتع الحواس ، فأما القلب فلذته فى لقاء الله فقط .

ومثال أطوار الخلق فى لذتهم ما نذكره : وهو أن الصبى فى أول حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو ، حتى يكون ذلك عنده ألذ من سائر الأشياء ، ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها لذة اللعب ، ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها فى الوصول إليها ، ثم تظهر لذة الرياسة والعلو والتكاثر ، وهى آخر لذات الدنيا وأعلاها وأقواها كما قال تعالى ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر ﴾ الآية . ثم بعد هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله فيستحقر معها جميع ماقبلها ، فكل متأخر فهو أقوى ، وهذا هو الأخير ، إذ يظهر حب اللعب فى سنّ التمييز ، وحب النساء والزينة فى سنّ البلوغ ، وحب الرياسة بعد العشرين ، وحب العلوم بقرب الأربعين ، وهى الغاية العليا وكما أن الصبى يضحك على من يترك اللعب ويشتغل بملاعبة النساء وطلب الرياسة ؛ فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة ويشتغل بمعرفة الله تعالى . والعارفون يقولون ﴿ إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون ﴾ .

---

(١) حديث قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه تعالى « أعددت لعبادى الصالحين مالاعين رأت . . . الحديث » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة .

بيان السبب فى زيادة النظر فى لذة الآخرة على المعرفة فى الدنيا

اعلم أن المدركات تنقسم إلى ما يدخل فى الخيال ؛ كالصور المتخيلة والأجسام المتلونة والمتشكلة من أشخاص الحيوان والنبات ، وإلى مالا يدخل فى الخيال ، كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والإرادة وغيرها . ومن رأى إنسانا ثم غض بصره وجد صورته حاضرة فى خياله كأنه ينظر إليها ، ولكن إذا فتح العين وأبصر أدرك تفرقة بينهما ، ولا ترجع التفرقة إلى اختلاف بين الصورتين لأن الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة ، وإنما الافتراق بمزيد الوضوح والكشف ، فإن صورة المرئى صارت بالرؤية أتم انكشافا ووضوحا ، وهو كشخص يرى فى وقت الإسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم رؤى عند تمام الضوء ؛ فإنه لا تفارق إحدى الحالتين الأخرى إلا فى مزيد الانكشاف . فإذن الخيال أول الإدراك والرؤية هو الاستكمال لإدراك الخيال وهو غاية الكشف ، وسمى ذلك رؤية لأنه غاية الكشف لا لأنه فى العين ، بل لو خلق الله هذا الإدراك الكامل المكشوف فى الجبهة أو الصدر مثلا أستحق أن يسمى رؤية .

وإذا فهمت هذا فى المتخيلات فاعلم أن المعلومات التى لا تتشكل أيضا فى الخيال لمعرفتها وإدراكها درجتان (إحداهما) أولى (والثانية) استكمال لها . وبين الأولى والثانية من التفاوت فى مزيد الكشف والإيضاح ما بين المتخيل والمرئى ، فيسمى الثانى أيضا بالإضافة إلى الأول مشاهدة ولقاء ورؤية . وهذه التسمية حق لأن الرؤية سميت رؤية لأنها غاية الكشف ، وكما أن سنة الله تعالى جارية بأن تطبيق الأجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئى ، ولا بد من ارتفاع الحجب لحصول الرؤية ، وما لم ترتفع كان الإدراك الحاصل بمجرد التخيل فكذلك مقتضى سنة الله تعالى أن النفس مادامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وما غاب عليها من الصفات البشرية ، فإنها لاتنتهى إلى المشاهدة واللقاء فى المعلومات الخارجة عن الخيال ، بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الأجفان عن رؤية الأبصار . والقول فى سبب كونها حجابا يطول ولا يليق بهذا العلم . ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلام ﴿ لن ترانى ﴾ وقال تعالى ﴿ لاتدركه الأبصار ﴾ أى فى الدنيا والصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مارأى الله تعالى ليلة المعراج [1] . فإذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا ، غير منفكة عنها بالكلية وإن كانت متفاوتة ، فمنها ما تراكم عليه الخبث والصدأ فصار كالمرآة التى فسد بطول تراكم الخبث جوهرها فلا تقبل الإصلاح والتصقيل ، وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم أبد الآباد ـ نعوذ بالله من ذلك ـ ومنها ما لم ينته إلى حد الرين والطبع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصقيل فيعرض على النار عرضا يقمع منه الخبث الذى هو متدنس به ، ويكون العرض على النار بقدر الحاجة إلى التزكية ، وأقلها لحظة خفيفة وأقصاها فى حق المؤمنين ـ كما وردت به الأخبار ـ سبعة آلاف سنة [2] ولن ترتحل نفس عن

---

(١) حديث : أنه صلى الله عليه وسلم ما رأى الله تعالى ليلة المعراج فى الصحيح ، هذا الذى صححه المصنف هو قول عائشة ، ففى الصحيحين : أنها قالت من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب . ولمسلم من حديث أبى ذر : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك ؟ قال « نورانى أراه » وذهب ابن عباس وأكثر العلماء الى اثبات رؤيته له وعائشة لم ترو ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وحديث أبى ذر قال فيه أحمد : مازلت له منكرا . وقال ابن خزيمة : فى القلب من صحة اسناده شىء ، مع أن فى رواية لأحمد فى حديث أبى ذر « رأيته نورا انى أراه » ورجال اسنادها رجال الصحيح . (٢) حديث « ان أقصى المكث فى النار فى حق المؤمنين سبعة آلاف سنة » أخرجه الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول من حديث أبى هريرة « انما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتى ... الحديث » وفيه « وأطولهم مكثا فيها مثل الدنيا من يوم خلقت الى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة » واسناده ضعيف .

هذا العالم إلا ويصحبها غبرة وكدورة ما ، وإن قلت . ولذلك قال الله تعالى ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدور عنها ، فإذا أكمل الله تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب أجله ووقع الفراغ عن جملة ماوعد به الشرع من الحساب والعرض وغيره ووافى استحقاق الجنة ـ وذلك وقت مبهم لم يطلع الله عليه أحدا من خلقه فإنه واقع بعد القيامة ؛ ووقت القيامة مجهول ـ فعند ذلك يشتغل بصفائه ونقائه عن الكدورات حيث لايرهق وجهه غبرة ولا قترة لأنّ فيه يتجلى الحق سبحانه وتعالى ، فيتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالإضافة إلى ما عليه كانكشاف تجلى المرآة بالإضافة إلى ماتخيله . وهذه المشاهدة والتجلى هى التى تسمى رؤية ، فإذن الرؤية حق ، بشرط أن لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال فى متخيل متصوّر مخصوص بجهة ومكان ، فإن ذلك مما يتعالى عنه رب الأرباب علوا كبيرا ، بل كما عرفته فى الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل وتصوّر وتقدير شكل وصورة ، فتراه فى الآخرة كذلك . بل أقول : المعرفة الحاصلة فى الدنيا بعينها هى التى تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة ، ولا يكون بين المشاهدة فى الآخرة ، والمعلوم فى الدنيا اختلاف إلا من حيث زيادة الكشف والوضوح ، كما ضربناه من المثال فى استكمال الخيال بالرؤية . فإذا لم يكن فى معرفة الله تعالى إثبات صورة وجهة فلا يكون فى استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيها فى الوضوح إلى غاية الكشف أيضا جهة وصورة لأنها هى بعينها لاتفترق منها إلا فى زيادة الكشف ، كما أن الصورة المرئية هى المتخيلة بعينها إلا فى زيادة الكشف ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا ﴾ إذ تمام النور لا يؤثر إلا فى زيادة الكشف ، ولهذا لايفوز بدرجة النظر والرؤية إلا العارفون فى الدنيا ، لأن المعرفة هى البذر الذى ينقلب فى الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة والحب زرعا ، ومن لانواة فى أرضه كيف يحصل له نخل ؟ ومن لم يزرع الحب فكيف يحصد الزرع ؟ فكذلك من لم يعرف الله تعالى فى الدنيا فكيف يراه فى الآخرة ؟ ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلى أيضا على درجات متفاوتة ، فاختلاف التجلى بالإضافة إلى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالإضافة إلى اختلاف البذر ، إذ تختلف لامحالة بكثرتها وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها ، ولذلك قال النبى عليه الصلاة والسلام « إن الله يتجلى للناس عامة ولأبى بكر خاصة [1] » فلا ينبغى أن يظنّ أنّ غير أبى بكر ممن هو دونه يجد من لذة النظر والمشاهدة ما يجده أبو بكر ، بل لا يجد إلا عشر عشيره إن كانت معرفته فى الدنيا عشر عشيره ، ولما فضل من الناس بسر وقر فى صدره فضل لامحالة بتجل انفرد به ، وكما أنك ترى فى الدنيا من يؤثر لذة الرياسة على المطعوم والمنكوح ، وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف مشكلات ملكوت السموات والأرض وسائر الأمور الإلهية على الرياسة وعلى المنكوح والمطعوم والمشروب جميعا ؛ فكذلك يكون فى الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر إلى وجه الله تعالى على نعيم الجنة ، إذ يرجع نعيمها إلى المطعوم والمنكوح ، وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم فى الدنيا ما وصفنا من إيثار لذة العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على لذة المنكوح والمطعوم والمشروب ؛ وسائر الخلق مشغولون به . ولذلك لما قيل لرابعة : ماتقولين فى الجنة ؟ فقالت الجار ثم الدار . فبينت أنه ليس فى قلبها التفات إلى الجنة بل إلى رب الجنة . وكل من لم يعرف الله فى الدنيا فلا يراه

(١) حديث « ان الله يتجلى للناس عامة ولأبى بكر خاصة » أخرجه ابن عدى من حديث جابر . وقال باطل بهذا الإسناد وفى الميزان للذهبى أن الدارقطنى رواه من الحاملى عن على بن عبدة وقال الدارقطنى ان على بن عبدة كان يضع الحديث ورواه ابن عساكر فى تاريخ دمشق وابن الجوزى فى الموضوعات من حديث جابر وأبى بردة وعائشة .

فى الآخرة ، وكل من لم يجد لذة المعرفة فى الدنيا فلا يجد لذة النظر فى الآخرة ، إذ ليس يستأنف لأحد فى الآخرة مالم يصحبه من الدنيا ، ولا يحصد أحد إلا ما زرع ، ولا يحشر المرء إلا على ما مات عليه ، ولا يموت إلا على ما عاش عليه ، فما صحبه من المعرفة هو الذى يتنعم به بعينه فقط ، إلا أنه ينقلب مشاهدة بكشف الغطاء فتتضاعف اللذة به ؛ كما تتضاعف لذة العاشق إذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤية صورته فإنّ ذلك منتهى لذته ، وإنما طيبة الجنة أن لكل أحد فيها ما يشتهى ، فمن لا يشتهى إلا لقاء الله تعالى فلا لذة له فى غيره ، بل ربما يتأذى به . فإذن نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله تعالى بقدر معرفته ؛ فأصل السعادات هى المعرفة التى عبر الشرع عنها بالإيمان .

فإن قلت : فلذة الرؤية إن كان لها نسبة إلى لذة المعرفة فهى قليلة وإن كان أضعافها ، لأنّ لذة المعرفة فى الدنيا ضعيفة فتضاعفها إلى حدّ قريب لاينتهى فى القوة إلى أن يستحقر سائر لذات الجنة فيها ؟ فاعلم أن هذا الاستحقار للذة المعرفة صدر من الخلو عن المعرفة ، فمن خلا عن المعرفة كيف يدرك لذتها ؟ وإن انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلائق الدنيا فكيف يدرك لذتها ؟ فللعارفين فى معرفتهم وفكرتهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة فى الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها لذة الجنة ، ثم هذه اللذة مع كمالها لانسبة لها أصلا إلى لذة اللقاء والمشاهدة ، كما لا نسبة للذة خيال المعشوق إلى رؤيته ، ولا لذة استنشاق روائح الأطعمة الشهية إلى ذوقها ، ولا للذة اللمس باليد إلى لذة الوقاع .

وإظهار عظم التفاوت بينهما لا يمكن إلا بضرب مثال فنقول : لذة النظر إلى وجه المعشوق فى الدنيا تتفاوت بأسباب (أحدها) كمال جمال المعشوق ونقصانه ، فإنّ اللذة فى النظر إلى الأجمل أكمل لا محالة . (والثانى) كمال قوة الحب والشهوة والعشق ؛ فليس التذاذ من اشتدّ عشقه كالتذاذ من ضعفت شهوته وحبه . (والثالث) كمال الإدراك ، فليس التذاذ برؤية المعشوق فى ظلمة أو من وراء ستر رقيق أو من بعده كالتذذاه بإدراكه على قرب من غير ستر وعند كمال الضوء ، ولا إدراك لذة المضاجعة مع ثوب حائل كإدراكها مع التجرّد . (والرابع) اندفاع العوائق المشوشة والآلام الشاغلة للقلب ؛ فليس التذاذ الصحيح الفارغ المتجرّد للنظر إلى المعشوق كالتذاذ الخائف المذعور أو المريض المتألم أو المشغول قلبه بمهم من المهمات .

فقدّر عاشقا ضعيف العشق ينظر إلى وجه معشوقه من وراء ستر رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته فى حالة اجتمع عليه عقارب وزنابير تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه ، فهو فى هذه الحالة لايخلو عن لذة مامن مشاهدة معشوقه ، فلو طرأت على الفجأة حالة انهتك بها الستر وأشرق بها الضوء واندفع عنه المؤذيات وبقى سليما فارغا وهجمت عليه الشهوة القوية والعشق المفرط حتى بلغ أقصى الغايات ، فانظر كيف تتضاعف اللذة حتى لا يبقى للأولى إليها نسبة يعتدّ بها ، فكذلك فافهم نسبة لذة النظر إلى لذة المعرفة . فالستر الرقيق مثال البدن والاشتغال به ، والعقارب والزنابير مثال الشهوات المتسلطة على الإنسان من الجوع والعطش والغضب والغم والحزن ، وضعف الشهوة والحب مثال لقصور النفس فى الدنيا ونقصانها عن الشوق إلى الملأ الأعلى والتفاتها إلى أسفل السافلين وهو مثل قصور الصبى عن ملاحظة لذة الرياسة والتفاته إلى اللعب بالعصفور ، والعارف وإن قويت فى الدنيا معرفته فلايخلو عن هذه المشوشات ولا يتصوّر أن يخلو عنها ألبتة . نعم قد تضعف هذه العوائق فى بعض الأحوال ولا تدوم ، فلا جرم يلوح من جمال المعرفة ما يبهت العقل وتعظم لذته بحيث يكاد القلب يتفطر لعظمته ، ولكن يكون ذلك

كالبرق الخاطف وقلما يدوم ؛ بل يعرض من الشواغل والأفكار والخواطر ما يشوشه وينغصه ، وهذه ضرورة دائمة فى هذه الحياة الفانية فلا تزال هذه اللذة منغصة إلى الموت ، وإنما الحياة الطيبة بعد الموت وإنما العيش عيش الآخرة ﴿ وإنّ الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ وكل من انتهى إلى هذه الرتبة فإنه يحب لقاء الله تعالى فيحب الموت ، ولا يكره إلا من حيث ينتظر زيادة استكمال فى المعرفة فإنّ المعرفة كالبذر وبحر المعرفة لا ساحل له ، فالإحاطة بكنه جلال الله محال ، فكلما كثرت المعرفة بالله وبصفاته وأفعاله وبأسرار مملكته وقويت؛ كثر النعيم فى الآخرة وعظم ، كما أنه كلما كثر البذر وحسن ، كثر الزرع وحسن ، ولا يمكن تحصيل هذا البذر إلا فى الدنيا ، ولا يزرع إلا فى صعيد القلب ، ولا حصاد إلا فى الآخرة . ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل السعادات طول العمر فى طاعة الله [1] » لأنّ المعرفة إنما تكمل وتكثر وتتسع فى العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبة على المجاهدة والانقطاع عن علائق الدنيا والتجرّد للطلب ، ويستدعى ذلك زمانا لا محالة ، فمن أحب الموت أحبه لأنه رأى نفسه واقفا فى المعرفة بالغا إلى منتهى ما يسر له ، ومن كره الموت كرهه لأنه كان يؤمل مزيد معرفة تحصل له بطول العمر ورأى نفسه مقصرا عما تحتمله قوته لو عمر ، فهذا سبب كراهة الموت وحبه عند أهل المعرفة .

وأما سائر الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا إن اتسعت أحبوا البقاء وإن ضاقت تمنوا الموت . وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة . فالجهل والغفلة مغرس كل شقاوة . والعلم والمعرفة أساس كل سعادة فقد عرفت بما ذكرناه معنى المحبة ، ومعنى العشق فإنه المحبة المفرطة القوية ، ومعنى لذة المعرفة ، ومعنى الرؤية ، ومعنى لذة الرؤية ، ومعنى كونها ألذ من سائر اللذات عند ذوى العقول والكمال وإن لم تكن كذلك عند ذوى النقصان ، كما لم تكن الرياسة ألذ من المطعومات عند الصبيان .

* فإن قلت : فهذه الرؤيا محلها القلب أو العين فى الآخرة ؟ فاعلم أنّ الناس قد اختلفوا فى ذلك وأرباب البصائر لا يلتفتون إلى هذا الخلاف ولا ينظرون فيه ، بل العاقل يأكل البقل ولا يسأل عن المبقلة ، ومن يشتهى رؤية معشوقه يشغله عشقه عن أن يلتفت إلى أن رؤيته تخلق فى عينه أو جبهته ، بل يقصد الرؤيا ولذتها سواء كان ذلك بالعين أو غيرها ، فإن العين محل وظرف لا نظر إليه ولا حكم له ، والحق فيه أنّ القدرة الأزلية واسعة فلا يجوز أن نحكم عليها بالقصور عن أحد الأمرين ، هذا فى حكم الجواز ، فأما الواقع فى الآخرة من الجائزين فلا يدرك إلا بالسمع [2] والحق ما ظهر لأهل السنة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق فى العين ليكون لفظ الرؤية والنظر ، وسائر الألفاظ الواردة فى الشرع يجرى على ظاهره ، إذ لا يجوز إزالة الظواهر إلا لضرورة والله تعالى أعلم .

بيان الأسباب المقوية لحب الله تعالى

اعلم أن أسعد الخلق حالا فى الآخرة أقواهم حبا لله تعالى ، فإن الآخرة معناها القدوم على الله تعالى ودرك سعادة لقائه ، وما أعظم نعيم المحب إذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه ! وتمكن من دوام مشاهدته أبد الآباد من

---

(١) حديث « أفضل السعادات طول العمر فى طاعة الله » أخرجه ابراهيم الحربى فى كتاب ذكر الموت من رواية ابن لهيعة عن ابن الهاد عن المطلب عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « السعادة كل السعادة طول العمر فى طاعة الله » ووالد المطلب عبد الله بن حوطب مختلف فى صحبته ولأحمد من حديث جابر « ان من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الإنابة » والترمذى من حديث أبى بكرة : أن رجلا قال يارسول الله أى الناس خير ؟ قال « من طال عمره وحسن عمله » قال هذا حديث حسن صحيح وقد تقدم .

(٢) حديث « رؤية الله فى الآخرة حقيقة » متفق عليه من حديث أبى هريرة : أن الناس قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال « هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ... الحديث » .

غير منغص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع ! إلا أن هذا النعيم على قدر قوة الحب فكلما ازدادت المحبة ازدادت اللذة ، وإنما يكتسب العبد حب الله تعالى فى الدنيا وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لأنه لاينفك عن أصل المعرفة ، وأما قوة الحب واستيلاؤه حتى ينتهى إلى الاستهتار الذى يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الأكثرون ، وإنما يحصل ذلك بسببين (أحدهما) قطع علائق الدنيا وإخراج حب غير الله من القلب ، فإن القلب مثل الإناء لا يتسع للخل مثلا ما لم يخرج منه الماء ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ﴾ وكمال الحب فى أن يحب الله عز وجل بكل قلبه . وما دام يلتفت إلى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره ، فبقدر ما يشغل بغير الله ينقص منه حب الله ، وبقدر ما يبقى من الماء فى الإناء ينقص من الخل المصبوب فيه . وإلى هذا التفريد والتجريد الإشارة بقوله تعالى ﴿ قل الله ثم ذرهم فى خوضهم ﴾ وبقوله تعالى ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ بل هو معنى قولك « لا إله إلا الله » أى لا معبود ولا محبوب سواه ، فكل محبوب فإنه معبود ، فإن العبد هو المقيد والمعبود هو المقيد به . وكل محب فهو مقيد بما يحبه . ولذلك قال الله تعالى ﴿ أرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « أبغض إله عبد فى الأرض الهوى » ولذلك قال عليه السلام « من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة [1] » ومعنى الإخلاص أن يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه شرك لغير الله ، فيكون الله محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط ، ومن هذا حاله فالدنيا سجنه لأنها مانعة له من مشاهدة محبوبه وموته خلاص من السجن وقدوم على المحبوب ، فما حال من ليس له إلا محبوب واحد وقد طال إليه شوقه وتمادى عنه حبسه تخلى من السجن ومكن من المحبوب وروح بالأمن أبد الآباد ، فأحد أسباب ضعف حب الله فى القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الأهل والمال والولد والأقارب والعقار والدواب والبساتين والمتنزهات حتى إن المنفرج بطيب أصوات الطيور وروح نسم الأسحار ملتفت إلى نعيم الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله تعالى بسببه ، فبقدر ما أنس بالدنيا فينقص أنسه بالله ، ولا يؤتى أحد من الدنيا شيئا إلا وينقص بقدره من الآخرة بالضرورة ، كما أنه لا يقرب الإنسان من المشرق إلا ويبعد بالضرورة من المغرب بقدره ، ولا يطيب قلب امرأته إلا ويضيق به قلب ضرتها ، فالدنيا والآخرة ضرتان وهما كالمشرق والمغرب ، وقد انكشف ذلك لذوى القلوب انكشافا أوضح من الإبصار بالعين ، وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والانقياد إليهما بزمام الخوف والرجاء . فما ذكرناه من المقامات كالتوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هى مقدمات ليكتسب بها أحد ركنى المحبة وهو تخلية القلب عن غير الله ، وأوله الإيمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار ، ثم يتشعب منه الخوف والرجاء ، ويتشعب منهما التوبة والصبر عليهما . ثم ينجر ذلك إلى الزهد فى الدنيا وفى المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله فقط ، حتى يتسع بعده لنزول معرفة الله وحبه فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو أحد ركنى المحبة . وإليه الإشارة بقوله عليه السلام ، الطهور شطر الإيمان [2] » كما ذكرناه فى أول كتاب الطهارة .

(السبب الثانى) لقوة المحبة « قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب ، وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلائقها يجرى مجرى وضع البذر فى الأرض بعد تنقيتها من الحشيش وهو الشطر الثانى . ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهى الكلمة الطيبة التى ضرب الله بها مثلا حيث قال ﴿ ضرب الله مثلا كلمة

---

(١) حديث « من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة » تقدم . (٢) حديث « الطهور شطر الإيمان » أخرجه مسلم حديث أبى مالك من الأشعرى وقد تقدم .

طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ﴾ وإليها الإشارة بقوله تعالى ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ أى المعرفة ﴿ والعمل الصالح يرفعه ﴾ فالعمل الصالح كالجمال لهذه المعرفة وكالخادم وإنما العمل الصالح كله فى تطهير القلب أولا من الدنيا ثم إدامة طهارته ، فلا يراد العمل إلا لهذه المعرفة ، وأما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل ، فالعلم هو الأول وهو الآخر ، وإنما الأول علم المعاملة وغرضه العمل ، وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جلية الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعتها المحبة بالضرورة ، كما أن من كان معتدل المزاج إذا أبصر الجميل وأدركه بالعين الظاهرة أحبه ومال إليه ، ومهما أحبه حصلت اللذة ، فاللذة تبع المحبة بالضرورة ، والمحبة تبع المعرفة بالضرورة ، ولا يوصل إلى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب إلا بالفكر الصافى والذكر الدائم والجد البالغ فى الطلب والنظر المستمر فى الله تعالى وفى صفاته وفى ملكوت سمواته وسائر مخلوقاته .

والواصلون إلى هذه الرتبة ينقسمون إلى (الأقوياء) ويكون أول معرفتهم بالله تعالى ، ثم به يعرفون غيره . وإلى (الضعفاء) ويكون أول معرفتهم بالأفعال ثم يترقون منها إلى الفاعل . وإلى الأول الإشارة بقوله تعالى ﴿ أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ﴾ وبقوله تعالى ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو ﴾ ومنه نظر بعضهم حيث قيل له : بم عرفت ربك ؟ قال : عرفت ربى ولولا ربى لما عرفت ربى ، وإلى الثانى الإشارة بقوله تعالى ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ الآية وبقوله عز وجل ﴿ أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض ﴾ وبقوله تعالى ﴿ قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ﴾ وبقوله تعالى ﴿ الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير ﴾ وهذا الطريق هو الأسهل على الأكثرين وهو الأوسع على السالكين ، وإليه أكثر دعوة القرآن عند الأمر بالتدبر والتفكر والاعتبار والنظر فى آيات خارجة عن الحصر .

فإن قلت : كلا الطريقين مشكل فأوضح لنا منهما مايستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل به إلى المحبة فاعلم أن الطريق الأعلى هو الاستشهاد بالحق سبحانه على سائر الخلق فهو غامض ، والكلام فيه خارج عن حد فهم أكثر الخلق فلا فائدة فى إيراده فى الكتب ، وأما الطريق الأسهل الأدنى فأكثره غير خارج عن حد الأفهام ؛ وإنما قصرت الأفهام عنه لإعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحظوظ النفس ، والمانع من ذكر هذا اتساعه وكثرته وانشعاب أبوابه الخارجة عن الحصر والنهاية ، إذ ما من ذرة من أعلى السموات إلى تخوم الأرضين إلا وفيها عجائب آيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته ومنتهى جلاله وعظمته ، وذلك مما لا يتناهى ﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ﴾ فالخوض فيه انغماس فى بحار علوم المكاشفة ولا يمكن أن يتطفل به على علوم المعاملة ، ولكن يمكن الرمز إلى مثال واحد على الإيجاز ليقع التنبيه لجنسه فنقول :

أسهل الطريقين النظر إلى الأفعال فلنتكلم فيها ولنترك الأعلى ، ثم الأفعال الإلهية كثيرة فنطلب أقلها وأحقرها وأصغرها ولننظر فى عجائبها ، فأقل المخلوقات هو الأرض وما عليها - أعنى بالإضافة إلى الملائكة وملكوت السموات - فإنك إن نظرت فيها من حيث الجسم والعظم فى الشخص فالشمس على ماترى من صغر حجمها هى مثل الأرض مائة ونيفا وستين مرة ، فانظر إلى صغر الأرض بالإضافة إليها ، ثم انظر إلى صغر الشمس بالإضافة إلى

فلكها الذى هى مركوزة فيه ، فإنه لانسبة لها إليه وهى فى السماء الرابعة ، وهى صغيرة بالإضافة إلى مافوقها من السموات السبع ، ثم السموات السبع فى الكرسى كحلقة فى فلاة ، والكرسى فى العرش كذلك . فهذا نظر إلى ظاهر الأشخاص من حيث المقادير ، وما أحقر الأرض كلها بالإضافة إليها ! بل ما أصغر الأرض بالإضافة إلى البحار ! فقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم « الأرض فى البحر كالإصطبل فى الأرض [1] » ، ومصداق هذا عرف بالمشاهدة والتجربة ، وعلم أن المكشوف من الأرض عن الماء كجزيرة صغيرة بالإضافة إلى كل الأرض ، ثم انظر إلى الآدمى المخلوق من التراب ـ الذى هو جزء من الأرض ـ وإلى سائر الحيوانات وإلى صغره بالإضافة إلى الأرض ، ودع عنك جميع ذلك ، فأصغر مانعرفه من الحيوانات البعوض والنحل ومايجرى مجراه ، فانظر فى البعوض على قدر صغر قدره وتأمله بعقل حاضر وفكر صاف ، فانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل الفيل الذى هو أعظم الحيوانات ! إذ خلق له خرطوما مثل خرطومه ، وخلق له على شكله الصغير سائر الأعضاء كما خلقه للفيل بزيادة جناحين ، وانظر كيف قسم أعضاءه الظاهرة فأنبت جناحه ، وأخرج يده ورجله ، وشق سمعه وبصره ؟ ودبر فى باطنه من أعضاء الغذاء وآلاته ما دبره فى سائر الحيوانات ، وركب فيها من القوى الغاذية والجاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة ماركب فى سائر الحيوانات ، هذا فى شكله وصفاته ، ثم انظر إلى هدايته كيف هداه الله تعالى إلى غذائه وعرفه أن غذاءه دم الإنسان ثم انظر كيف أنبت له آلة الطيران إلى الإنسان ! وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو محدد الرأس ! وكيف هداه إلى مسام بشرة الإنسان حتى يضع خرطومه فى واحدة منها ! ثم كيف قواه حتى يغرز فيه الخرطوم ! وكيف علمه المص والتجرع للدم ! وكيف خلق الخرطوم مع دقته مجوفا حتى يجرى فيه الدم الرقيق وينتهى إلى باطنه وينتشر فى سائر أجزائه ويغذيه ! ثم كيف عرفه أن الإنسان يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب واستعداد آلته ! وخلق له السمع الذى يسمع به خفيف حركة اليد وهى بعد بعيدة منه فيترك المص ويهرب ! ثم إذا سكنت اليد يعود ! ثم انظر كيف خلق له حدقتين حتى يبصر موضع غذائه فيقصده مع صغر حجم وجهه

وانظر إلى أن حدقة كل حيوان صغير لما لم تحتمل حدقته الأجفان لصغره وكانت الأجفان مصقلة لمرآة الحدقة عن القذى والغبار ـ خلق للبعوض والذباب يدين فتنظر إلى الذباب فتراه على الدوام يمسح حدقتيه بيديه . وأما الإنسان والحيوان الكبير فخلق لحدقتيه الأجفان حتى ينطبق أحدهما على الآخر ، وأطرافهما حادة فيجمع الغبار الذى يلحق الحدقة ويرميه إلى أطراف الأهداب ، وخلق الأهداب السود لتجمع ضوء العين وتعين على الإبصار وتحسن صورة العين وتشبكها عند هيجان الغبار فينظر من وراء شباك الأهداب ، واشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع الإبصار . وأما البعوض فخلق لها حدقتين مصقلتين من غير أجفان وعلمها كيفية التصقيل باليدين ، ولأجل ضعف أبصارها تراها تتهافت على السراج لأن بصره ضعيف فهى تطلب ضوء النهار ، فإذا رأى المسكين ضوء السراج بالليل ظن أنه فى بيت مظلم وأن السراج كوة من البيت المظلم إلى الموضع المضىء ، فلايزال يطلب الضوء ويرمى بنفسه إليه فإذا جاوزه ورأى الظلام ظن أنه لم يصب الكوة ولم يقصدها على السداد فيعود إليه مرة أخرى إلى أن يحترق ولعلك تظن أن هذا لنقصانها وجهلها ، فاعلم أن جهل الإنسان أعظم من جهلها ، بل صورة الآدمى فى الإكباب على الشهوات الدنيا صورة الفراش فى التهافت على النار ، إذ تلوح للآدمى أنوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولايدرى أن تحتها السم الناقع القاتل ، فلايزال يرمى نفسه عليها إلى أن ينغمس فيها ويتقيد بها ويهلك

(١) حديث « الأرض فى البحر كالاصطبل فى الأرض » لم أجد له أصلا .

هلاكا مؤبدا ، فليت كان جهل الآدمى كجهل الفراش ! فإنها باغترارها بظاهر الضوء إن احترقت تخلصت فى الحال والآدمى يبقى فى النار أبد الآباد أو مدّة مديدة ، ولذلك كان ينادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول « إنى ممسك بحجزكم عن النار وأنتم تتهافتون فيها تهافت الفراش [1] » فهذه لمعة عجيبة من عجائب صنع الله تعالى فى أصغر الحيوانات ، وفيها من العجائب ما لو اجتمع الأوّلون والآخرون على الإحاطة بكنهه عجزوا عن حقيقته ولم يطلعوا على أمور جلية من ظاهر صورته ، فأما خفايا معانى ذلك فلا يطلع عليها إلا الله تعالى .

ثم فى كل حيوان ونبات أعجوبة وأعاجيب تخصه لا يشاركه فيها غيره ، فانظر إلى النحل وعجائبها وكيف أوحى الله تعالى إليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ، وكيف استخرج من لعابها الشمع والعسل وجعل أحدهما ضياء وجعل الآخر شفاء ، ثم لو تأملت عجائب أمرها فى تناولها الأزهار والأنوار واحترازها عن النجاسات والأقذار ، وطاعتها لواحد من جملتها هو أكبرها شخصا وهو أميرها ، ثم ما سخر الله تعالى له أميرها من العدل والإنصاف بينها ـ حتى إنه ليقتل على باب المنفذ كل ماوقع منها على نجاسة ـ لقضيت منها عجبا آخر العجب إن كنت بصيرا فى نفسك وفارغا من هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك فى معاداة أقرانك وموالاة إخوانك . ثم دع عنك جميع ذلك وانظر إلى بنائها بيوتها من الشمع ، واختيارها من جملة الأشكال الشكل المسدّس ، فلا تبنى بيتا مستديرا ولا مربعا ولا مخمسا بل مسدّسا ، لخاصية فى الشكل المسدّس يقصر فهم المهندسين عن دركها ، وهو أنّ أوسع الأشكال وأحواها : المستديرة وما يقرب منها ، فإنّ المربع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لاتضيع الزوايا فتبقى فارغة ، ثم لوبناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضائعة فإنّ الأشكال المستديرة إذا جمعت لم تجتمع متراصة ، ولا شكل فى الأشكال ذوات الزاويا يقرب فى الاحتواء من المستدير ثم تتراص الجملة منه بحيث لايبقى بعد اجتماعها فرجة إلا المسدّس ، وهذه خاصية هذه الشكل ، فانظر كيف ألهم الله تعالى النحل على صغر جرمه ولطافة قده لطفا به وعناية بوجوده وما هو محتاج إليه ليتهنأ بعيشه ، فسبحانه ماأعظم شأنه وأوسع لطفه وامتنانه !

فاعتبر بهذه اللمعة اليسيرة من محقرات الحيوانات ودع عنك عجائب ملكوت الأرض والسموات ، فإنّ القدر الذى بلغه فهمنا القاصر منه تنقضى الأعمار دون إيضاحه ، ولا نسبة لما أحاط به علمنا إلى ما أحاط به العلماء والأنبياء ، ولا نسبة لما أحاط به علم الخلائق كلهم إلى ما استأثر الله تعالى بعلمه ، بل كل ماعرفه الخلق لا يستحق أن يسمى علما فى جنب علم الله تعالى ، فبالنظر فى هذا وأمثاله تزداد المعرفة الحاصلة بأسهل الطريقين ، وبزيادة المعرفة تزداد المحبة ، فإن كنت طالبا سعادة لقاء الله تعالى فانبذ الدنيا وراء ظهرك ، واستغرق العمر فى الذكر الدائم والفكر اللازم فعساك تحظى منها بقدر يسير ، ولكن تنال بذلك اليسير ملكا عظيما لا آخر له .

بيان السبب فى تفاوت الناس فى الحب

اعلم أنّ المؤمنين مشتركون فى أصل الحب لاشتراكهم فى أصل المحبة ، ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم فى المعرفة وفى حب الدنيا ، إذ الأشياء إنما تتفاوت بتفاوت أسبابها ، وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى إلا الصفات

---

(١) حديث « انى ممسك بحجزكم عن النار وأنتم تهافتون فيها تهافت الفراش » متفق عليه من حديث أبى هريرة « مثلى ومثل أمتى كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش يقعن فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيه » لفظ مسلم واقتصر البخارى على أوله ولمسلم من حديث جابر « وأنا آخذ بحجزكم وأنتم تفلتون من يدى » .

والأسماء التى قرعت سمعهم فتلقنوها وحفظوها ، وربما تخيلوا لها معانى يتعالى عنها رب الأرباب ، وربما لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسدا بل آمنوا بها إيمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث ، وهؤلاء هم أهل السلامة من أصحاب اليمين ، والمتخيلون هم الضالون ، والعارفون بالحقائق هم المقربون . وقد ذكر الله حال الأصناف الثلاثة فى قوله تعالى ﴿ فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ﴾ الآية . فإن كنت لاتفهم الأمور إلا بالأمثلة فانضرب لتفاوت الحب مثالا فنقول : أصحاب الشافعى مثلا يشتركون فى حب الشافعى — رحمه الله — الفقهاء منهم والعوام ، لأنهم مشتركون فى معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله ، ولكن العامى يعرف علمه مجملا والفقيه يعرفه مفصلا ، فتكون معرفة الفقيه به أتم وإعجابه به وحبه له أشد ، فإن من رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله أحبه لامحالة ومال إليه قلبه ، فإن رأى تصنيفا آخر أحسن منه وأعجب تضاعف لامحالة حبه لأنه تضاعفت معرفته بعلمه ، وكذلك يعتقد الرجل فى الشاعر أنه حسن الشعر فيحبه ، فإذا سمع من غرائب شعره ماعظم فيه حذقه وصنعته ازداد به معرفة وازداد له حبا ، وكذا سائر الصناعات والفضائل . والعامى قد يسمع أن فلانا مصنف وأنه حسن التصنيف ولكن لا يدرى مافى التصنيف فيكون له معرفة مجملة ويكون له بحسبه ميل مجمل ، والبصير إذا فتش عن التصانيف واطلع على مافيها من العجائب تضاعف حبه لا محالة ، لأن عجائب الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم بجملته صنع الله تعالى وتصنيفه ، والعامى يعلم ذلك ويعتقده : وأما البصير فإنه يطالع تفصيل صنع الله تعالى فيه ، حتى يرى فى البعوض — مثلا — من عجائب صنعه ما يبهر به عقله ويتحير فيه لبه ويزداد بسببه لامحالة عظمة الله وجلاله وكمال صفاته فى قلبه فيزداد له حبا ، وكلما ازداد على أعاجيب صنع الله اطلاعا استدل بذلك على عظمة الله الصانع وجلاله ، وازداد به معرفة وله حبا . وبحر هذه المعرفة — أعنى معرفة عجائب صنع الله تعالى — بحر لاساحل له ، فلا جرم تفاوت أهل المعرفة فى الحب لاحصر له ، ومما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الأسباب الخمسة التى ذكرناها للحب ، فإن من يحب الله مثلا لكونه محسنا إليه منعما عليه ولم يحبه لذاته ضعفت محبته ، إذ تتغير بتغير الإحسان ، فلا يكون حبه فى حالة البلاء كحبه فى حالة الرضا والنعماء . وأما من يحبه لذاته ولأنه مستحق للحب بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فإنه لايتفاوت حبه بتفاوت الإحسان إليه . فهذا وأمثاله هو سبب تفاوت الناس فى المحبة . والتفاوت فى المحبة هو السبب للتفاوت فى سعادة الآخرة . ولذلك قال تعالى ﴿ وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ﴾ .

بيان السبب فى قصور أفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه

اعلم أن أظهر الموجودات وأجلاها هو الله تعالى ، وكان هذا يقتضى أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها إلى الأفهام وأسهلها على العقول ، وترى الأمر بالضد من ذلك ، فلا بد من بيان السبب فيه . وإنما قلنا إنه أظهر الموجودات وأجلاها لمعنى لاتفهمه إلا بمثال : وهو أنا إذا رأينا إنسانا يكتب أو يخيط مثلا كان كونه حيا عندنا من أظهر الموجودات ، لحياته وعلمه وقدرته وإرادته للخياطة أجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة ، إذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لانعرفه ، وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته . أما حياته وقدرته وإرادته وعلمه وكونه حيوانا فإنه جلى عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وإرادته ، فإن هذه الصفات

لاتحس بشيء من الحواس الخمس ، ثم لا يمكن أن نعرف حياته وقدرته وإرادته إلا بخياطته وحركته ، فلو نظرنا إلى كل مافى العالم سواه لم نعرف به صفته ، فما عليه إلا دليل واحد وهو مع ذلك جلى واضح ، ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وأرض وكوكب وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض ، بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا فى حركاتنا وسكناتنا ، وأظهر الأشياء فى علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة - وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد ، وجميع مافى العالم شواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرهـــا ومصرفها ومحركها ، ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته . والموجودات المدركة لا حصر لها ، فإن كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس لها يشهد إلا شاهد واحد وهو ماأحسسنا به من حركة يده ؛ فكيف لايظهر عندنا مالا يتصور فى الوجود شيء داخل نفوسنا وخارجها إلا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله ؟ إذ كل ذرة فإنها تنادى بلسان حالها أنه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وأنها تحتاج إلى موجد ومحرك لها ، يشهد بذلك أولا تركيب أعضائنا وائتلاف عظامنا ولحومنا وأعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة ، فإنه نعلم أنها لم تأتلف بأنفسها كما نعلم أن يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ، ولكن لما لم يبق فى الوجود شيء مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب إلا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره فانبهرت العقول ودهشت عن إدراكه .

فإن ما تقصر عن فهمه عقولنا فله سببان (أحدهما) خفاؤه فى نفسه وغموضه وذلك لايخفى مثاله (والآخر) ما يتناهى وضوحه ، وهذا كما أن الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار ، لا لخفاء النهار واستتاره ولكن لشدة ظهوره فإن بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس إذا أشرقت ، فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع إبصاره فلا يرى شيئا إلا إذا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره .

فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الإلهية فى نهاية الإشراق والاستنارة وفى غاية الاستغراق والشمول ، حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والأرض فصار ظهوره سبب خفائه ، فسبحان من احتجب بإشراق نوره واختفى عن البصائر والأبصار بظهوره ، ولا يتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور ، فإن الأشياء تستبان بأضدادها وما عم وجوده حتى أنه لاضد له عسر إدراكه ، فلو اختلفت الأشياء فدل بعضها دون بعض أدركت التفرقة على قرب ، ولما اشتركت فى الدلالة على نسق واحد أشكل الأمر . ومثاله : نور الشمس المشرق على الأرض ، فإنا نعلم أنه عرض من الأعراض يحدث فى الأرض ويزول عند غيبة الشمس ، فلو كانت الشمس دائمة الإشراق لاغروب لها لكنا نظن أنه لاهيئة فى الأجسام إلا ألوانها وهى السواد والبياض وغيرهما ، فإنا لا نشاهد فى الأسود إلا السواد وفى الأبيض إلا البياض ، فأما الضوء فلا ندركه وحده ، ولكن لما غابت الشمس وأظلمت المواضع أدركنا تفرقة بين الحالين ، فعلمنا أن الأجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب ، فعرفنا وجود النور بعدمه ، وما كنا نطلع عليه لولا عدمه إلا بعسر شديد ، وذلك لمشاهدتنا الأجسام متشابهة غير مختلفة فى الظلام والنور ، هذا مع أن النور أظهر المحسوسات إذ به تدرك سائر المحسوسات ، فما هو ظاهر فى نفسه وهو مظهر لغيره ، انظر كيف تصور استبهام أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضده ؟ فالله تعالى هو أظهر الأمور وبه ظهرت الأشياء كلها ، ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهدت السموات والأرض وبطل الملك

والملكوت ، ولأدرك بذلك التفرقة بين الحالين . ولو كان بعض الأشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لأدركت التفرقة بين الشيئين فى الدلالة ، ولكن دلالته عامة فى الأشياء على نسق واحد ، ووجوده دائم فى الأحوال يستحيل خلافه ، فلا جرم أورثت شدة الظهور خفاء ، فهذا هو السبب فى قصور الأفهام .

وأما من قويت بصيرته ولم تضعف منته فإنه فى حال اعتدال أمره لا يرى إلا الله تعالى ولا يعرف غيره ؛ يعلم أنه ليس فى الوجود إلا الله . وأفعاله أثر من الآثار قدرته فهى تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دونه ، وإنما الوجود للواحد الحق الذى به وجود الأفعال كلها . ومن هذه حاله فلا ينظر فى شىء من الأفعال إلا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث إنه سماء وأرض وحيوان وشجر ، بل ينظر فيه من حيث أنه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزا له إلى غيره ، كمن نظر فى شعر إنسان أو خطه أو تصنيفه ورأى فيها الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث أثره لا من حيث إنه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض ، فلا يكون قد نظر إلى غير المصنف . وكل العالم تصنيف الله تعالى ، فمن نظر إليه من حيث إنه فعل الله وعرفه من حيث إنه فعل الله وأحبه من حيث إنه فعل الله لم يكن ناظرا إلا فى الله ولا عارفا إلا بالله ولا محبا إلا له ، وكان هو الموحد الحق الذى لا يرى إلا الله ، بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه بل من حيث إنه عبد الله ، فهذا الذى يقال فيه إنه فنى فى التوحيد وإنه فنى عن نفسه . وإليه الإشارة بقول من قال : كنا بنا ففنينا عنا فبقينا بلا نحن . فهذه أمور معلومة عند ذوى البصائر ، أشكلت لضعف الأفهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن إيضاحها وبيانها بعبارة مفهمة موصلة للغرض إلى الأفهام ، أو باشتغالهم بأنفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم مما لا يعنيهم . فهذا هو السبب فى قصور الأفهام عن معرفة الله تعالى ، وانضم إليه أن المدركات كلها التى هى شاهدة على الله إنما يدركها الإنسان فى الصبا عند فقد العقل ، ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهواته وقد أنس بمدركاته ومحسوساته وألفها فسقط وقعها عن قلبه بطول الأنس ، ولذلك إذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا أو نباتا غريبا أو فعلا من أفعال الله تعالى خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعا فقال « سبحان الله » ، وهو يرى طول النهار نفسه وأعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة لا يحس بشهادتها لطول الأنس بها ، ولو فرض أنه بلغ عاقلا ثم انقشعت غشاوة عينه فامتد بصره إلى السماء والأرض والأشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة لخيف على عقله أن يذهب لعظم تعجبه من شهادة العجائب لخالقها .

فهذا وأمثاله من الأسباب مع الانهماك فى الشهوات هو الذى سد على الخلق سبيل الاستضاءة بأنوار المعرفة والسباحة فى بحارها الواسعة ، فالناس فى طلبهم معرفة الله كالمدهوش الذى يضرب به المثل إذا كان راكبا لحماره وهو يطلب حماره ، والجليات إذا صارت مطلوبة صارت معتاصة . فهذا سر هذا الأمر فليحقق . ولذلك قيل :

فقد ظهرت فما تخفى على أحد ... إلا على أكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما أظهرت محتجبا ... فكيف يعرف من بالعرف قد سترا

بيان معنى الشوق إلى الله تعالى

اعلم أن من أنكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد وأن ينكر حقيقة الشوق ، إذ لا يتصور الشوق إلا إلى محبوب ونحن نثبت وجود الشوق إلى الله تعالى ، وكون العارف مضطرا إليه بطريق الاعتبار والنظر بأنوار البصائر وبطريق الأخبار والآثار . أما الاعتبار فيكفى فى إثباته ما سبق فى إثبات الحب ، فكل محبوب يشتاق إليه فى غيبته

لامحالة ، فأما الحاصل الحاضر فلا يشتاق إليه ، فإن الشوق طلب وتشوف إلى أمر والموجود لايطلب . ولكن بيانه أنّ الشوق لا يتصوّر إلا إلى شيء أدرك من وجه ولم يدرك من وجه ، فأما مالايدرك أصلا فلا يشتاق إليه، فإنّ من لم ير شخصا ولم يسمع وصفه ولا يتصوّر أن يشتاق إليه ، وما أدرك بكماله لا يشتاق إليه ، وكمال الإدراك بالرؤية فمن كان فى مشاهدة محبوبه مداوما للنظر إليه لا يتصوّر أن يكون له شوق ، ولكن الشوق إنما يتعلق بما أدرك من وجه ولم يدرك من وجه ، وهو من وجهين لاينكشف إلا بمثال من المشاهدات .

فنقول مثلا : من غاب عنه معشوقه وبقى فى قلبه خياله فيشتاق إلى استكمال خياله بالرؤية ، فلو انمحى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى نسيه لم يتصوّر أن يشتاق إليه ، ولو رآه لم يتصور أن يشتاق فى وقت الرؤية ، فمعنى شوقه تشوق نفسه إلى استكمال خياله ، فكذلك قد يراه فى ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق إلى استكمال رؤيته ، وتمام الانكشاف فى صورته بإشراق الضوء عليه (والثانى) أن يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره مثلا ولا سائر محاسنه فيشتاق لرؤيته ، وإن لم يرها قط ولم يثبت فى نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم أن له عضوا وأعضاء جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق إلى أن ينكشف له مالم يره قط .

والوجهان جميعا متصوران فى حق الله تعالى ، بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين ، فإن مااتضح للعارفين من الأمور الإلهية — وإن كان فى غاية الوضوح فكأنه من وراء ستر رقيق فلا يكون متضحا غاية الاتضاح، بل يكون مشوبا بشوائب التخيلات ، فإنّ الخيالات لا تفتر فى هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات ، وهى مكدرات للمعارف ومنغصات ، وكذلك ينضاف إليها شواغل الدنيا ، فإنما كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام إشراق التجلى ولايكون ذلك إلا فى الآخرة ، وذلك بالضرورة يوجب الشوق فإنه منتهى محبوب العارفين . فهذا أحد نوعى الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحا ما (الثانى) أن الأمور الإلهية لانهاية لها وإنما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى أمور لانهاية لها غامضة . والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى ، ويعلم أن ماغاب عن علمه من المعلومات أكثر مما حضر ، فلا يزال متشوقا إلى أن يحصل له أصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقى من المعلومات التى لم يعرفها أصلا ، لامعرفة واضحة ولامعرفة غامضة .

والشوق الأول ينتهى فى الدار الآخرة بالمعنى الذى يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ، ولايتصور أن يسكن فى الدنيا . وقد كان إبراهيم بن أدهم من المشتاقين فقال : قلت ذات يوم : يارب إن أعطيت أحدا من المحبين لك مايسكن به قلبه قبل لقائك فأعطنى ذلك فقد أضرنى القلق ، قال : فرأيت فى النوم أنه أوقفنى بين يديه وقال يا إبراهيم أما استحييت منى أن تسألنى أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائى وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه ، فقلت يارب تهت فى حبك فلم أدر ماأقول فاغفر لى وعلمنى ماأقول ، فقال قل اللهم رضنى بقضائك وصبرنى على بلائك وأوزعنى شكر نعمائك . فإن هذا الشوق يسكن فى الآخرة .

وأما الشوق الثانى فيشبه : أن لايكون له نهاية لافى الدنيا ولافى الآخرة ، إذ نهايته أن ينكشف للعبد فى الآخرة من جلال الله تعالى وصفاته وحكمته وأفعاله ماهو معلوم لله تعالى وهو محال لأن ذلك لانهاية له . ولايزال العبد عالما بأنه بقى من الجمال والجلال مالم يتضح له فلا يسكن قط شوقه ، لاسيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة ، إلا أنه تشوق إلى استكمال الوصال مع حصول أصل الوصال ، فهو يجد لذلك شوقا لذيذا لايظهر فيه ألم ولايبعد أن تكون ألطاف الكشف والنظر متوالية إلى غير نهاية ، فلا يزال النعيم واللذة متزايدا أبدا الآباد ،

وتكون لذة مايتجدد من لطائف النعيم شاغلة عن الإحساس بالشوق إلى ما لم يحصل : وهذا بشرط أن يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل فيه كشف فى الدنيا أصلا ، فإن كان ذلك غير مبذول فيكون النعيم واقفا على حد لايتضاعف ولكن يكون مستمرا على الدوام . وقوله سبحانه وتعالى ﴿ نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا ﴾ محتمل لهذا المعنى ، وهو أن ينعم عليه بإتمام النور مهما تزود من الدنيا أصل النور ، ويحتمل أن يكون المراد به إتمام النور فى غير ما استنار فى الدنيا استنارة محتاجة إلى مزيد الاستكمال والإشراق ، فيكون هو المراد بتمامه . وقوله تعالى ﴿ انظرونا نقتبس من نوركم - قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ﴾ يدل على أن الأنوار لابد وأن يتزود أصلها فى الدنيا ثم يزداد فى الآخرة إشراقا ، فأما أن يتجدد نور فلا ، والحكم فى هذا برجم الظنون مخطر ، ولم ينكشف لنا فيه بعد مايوثق به ، فنسأل الله تعالى أن يزيدنا علما ورشدا ويرينا الحق حقا . فهذا القدر من أنوار البصائر كاشف لحقائق الشوق ومعانيه .

وأما شواهد الأخبار والآثار فأكثر من أن تحصى ، فما اشتهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : « اللهم إنى أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك (١) » ، وقال أبو الدرداء لكعب : أخبرنى عن أخص آية - يعنى فى التوراة - فقال : يقول الله تعالى : طال شوق الأبرار إلى لقائى وإنى إلى لقائهم لأشد شوقا . قال : ومكتوب إلى جانبها : من طلبنى وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى ، فقال أبو الدرداء : أشهد أنى لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا . وفى أخبار داود عليه السلام : إن الله تعالى قال ياداود أبلغ أهل أرضى أنى حبيب لمن أحبنى وجليس لمن جالسنى ومؤنس لمن أنس بذكرى وصاحب لمن صاحبنى ومختار لمن اختارنى ومطيع لمن أطاعنى ، ماأحبنى عبد أعلم ذلك يقينا من قلبه إلا قبلته لنفسى وأحببته حبا لايتقدمه أحد من خلقى ، من طلبنى بالحق وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى ؛ فارفضوا ياأهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها وهلموا إلى كرامتى ومصاحبتى ومجالستى ، وائتنسوا بى أؤانسكم وأسارع إلى محبتكم ، فإنى خلقت طينة أحبائى من طينة إبراهيم خليلى وموسى نجيى ومحمد صفيى ، وخلقت قلوب المشتاقين من نورى ونعمتها بجلالى .

وروى عن بعض السلف : أن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين إن لى عبادا من عبادى يحبونى وأحبهم ويشتاقون إلى وأشتاق إليهم ويذكرونى وأذكرهم وينظرون إلى وأنظر إليهم ، فإن حذوت طريقهم أحببتك وإن عدلت عنهم مقتك ، قال : يارب وما علامتهم ؟ قال : يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى الشفيق غنمه ، ويحنون إلى غروب الشمس كما يحن الطائر إلى وكره عند الغروب ، فإذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الأسرة وتخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا إلى أقدامهم وافترشوا إلى وجوههم وناجونى بكلامى وتملقوا إلى بإنعامى فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد ، بعينى مايتحملون من أجلى ، وبسمعى مايشتكون من حبى ، أول ما أعطيهم ثلاث : أقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم . والثانية : لو كانت السموات والأرض وما فيها فى موازينهم لاستقللتها لهم . والثالثة : أقبل بوجهى عليهم ، فترى من أقبلت عليه يعلم أحد ماأريد أن أعطيه ؟ .

وفى أخبار داود عليه السلام : إن الله تعالى أوحى إليه : ياداود إلى كم تذكر الجنة ولاتسألنى الشوق إلى ،

---

(١) حديث : أنه كان يقول فى دعائه « اللهم انى أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ... الحديث » أخرجه أحمد والحاكم وتقدم فى الدعوات .

قال : يارب من المشتاقون إليك ؟ قال : إن المشتاقين إلى الذين صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم إلى خرقا ينظرون إلى ، وإنى لأحمل قلوبهم بيدى فأضعها على سمائى ، ثم أدعو نجباء ملائكتى فإذا اجتمعوا سجدوا لى ، فأقول إنى لم أدعكم لتسجدوا لى ولكنى دعوتكم لأعرض عليكم قلوب المشتاقين إلى وأباهى بكم أهل الشوق إلى فإن قلوبهم لتضىء فى سمائى لملائكتى كما تضىء الشمس لأهل الأرض ، ياداود إنى خلقت قلوب المشتاقين من رضوانى ونعمتها بنور وجهى فاتخذتهم لنفسى محدثى ، وجعلت أبدانهم موضع نظرى إلى الأرض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به إلى يزدادون فى كل يوم شوقا ، قال داود : يارب أرنى أهل محبتك ، فقال : ياداود ائت جبل لبنان فإن فيه أربعة عشر نفسا فيهم شبان وفيهم شيوخ وفيهم كهول ، فإذا أتيتهم فأقرئهم منى السلام وقل لهم إن ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم ألا تسألون حاجة فإنكم أحبائى وأصفيائى وأوليائى أفرح لفرحكم وأسارع إلى محبتكم . فأتاهم داود عليه السلام فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون فى عظمة الله عزوجل ، فلما نظروا إلى داود عليه السلام نهضوا ليتفرقوا عنه ، فقال داود : إنى رسول الله إليكم جئتكم لأبلغكم رسالة ربكم فأقبلوا نحوه وألقوا أسماعهم نحو قوله وألقوا أبصارهم إلى الأرض ، فقال داود : إنى رسول الله إليكم يقرئكم السلام ويقول لكم ألا تسألون حاجة ؟ ألا تنادونى أسمع صوتكم وكلامكم فإنكم أحبائى وأصفيائى وأوليائى أفرح لفرحكم وأسارع إلى محبتكم وأنظر إليكم فى كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة ؟ قال : فجرت الدموع على خدودهم ، فقال شيخهم : سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من أعمارنا . وقال الآخر : سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك . وقال الآخر : سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيد أفنجترئ على الدعاء وقد علمت أنه لاحاجة لنا فى شىء من أمورنا فأدم لنا لزوم الطريق إليك وأتمم بذلك المنة علينا . وقال الآخر : نحن مقصرون فى طلب رضاك فأعنا علينا بجودك . وقال الآخر : من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر فى عظمتك أفيجترئ على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر فى جلالك ؟ وطلبتنا الدنو من نورك . وقال الآخر : كلت ألسنتنا عن دعائك ؛ لعظم شأنك ، وقربك من أوليائك ، وكثرة منتك على أهل محبتك . وقال الآخر : أنت هديت قلوبنا لذكرك ؛ وفرغتنا للاشتغال بك ، فاغفر لنا تقصيرنا فى شكرك . وقال الآخر : قد عرفت حاجتنا إنما هى النظر إلى وجهك . وقال الآخر : كيف يجترئ العبد على سيده ؟ إذ أمرتنا بالدعاء بجودك - فهب لنا نورا نهتدى به فى الظلمات من أطباق السموات وقال آخر : ندعوك أن تقبل علينا وتديمه عندنا . وقال الآخر : نسألك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا . وقال الآخر : لا حاجة لنا فى شىء من خلقك فامنن علينا بالنظر إلى جمال وجهك . وقال الآخر : أسألك من بينهم أن تعمى عينى عن النظر إلى الدنيا وأهلها وقلبى عن الاشتغال بالآخرة . وقال الآخر قد عرفت تباركت وتعاليت أنك تحب أولياءك فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل شىء دونك . فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : قل لهم قد سمعت كلامكم وأجبتكم إلى ما أحببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فإنى كاشف الحجاب فيما بينى وبينكم حتى تنظروا إلى نورى وجلالى . فقال داود : يارب بم نالوا هذا منك ؟ قال : بحسن الظن والكف عن الدنيا وأهلها والخلوات بى ومناجاتهم لى وإن هذا منزل لا يناله إلا من رفض الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشىء من ذكرها وفرغ قلبه لى واختارنى على جميع خلقى ، فعند ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه وأكشف الحجاب فيما بينى وبينه حتى ينظر إلى نظر الناظر

بعينه إلى الشيء وأريه كرامتي في كل ساعة وأقربه من نور وجهي ، إن مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشفيقة ولدها ، وإن عطش أرويته وأذيقه طعم ذكرى ، فإذا فعلت ذلك به ياداود عميت نفسه عن الدنيا وأهلها ولم أحببها إليه لا يفتر عن الاشتغال بي ، يستعجلني القدوم وأنا أكره أن أميته لأنه موضع نظري من بين خلقي لا يرى غيري ولا أرى غيره ، فلو رأيته ياداود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه وتهشمت أعضاؤه وانخلع قلبه إذا سمع بذكري أباهي به ملائكتي وأهل سمواتي يزداد خوفا وعبادة ، وعزتي وجلالي ياداود لأقعدنه في الفردوس ولأشفين صدره من النظر إلى حتى يرضى وفوق الرضا .

وفي أخبار داود أيضا . قل لعبادي المتوجهين إلى محبتي ماضركم إذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى بعيون قلوبكم ، وما ضركم مازويت عنكم من الدنيا إذا بسطت ديني لكم ، وما ضركم مسخطة الخلق إذا التمستم رضائي . وفي أخبار داود أيضا : إن الله تعالى أوحى إليه تزعم أنك تحبني ، فإن كنت تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك فإن حبي وحبها لا يجتمعان في قلب . ياداود خالص حبيبي مخالصة وخالط أهل الدنيا مخالطة ودينك فقلدنيه ولا تقلد دينك الرجال ، أما ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به ، وأما ما أشكل عليك فقلدنيه حقا على أني أسارع إلى سياستك وتقويمك وأكن قائدك ودليلك ، أعطيك من غير أن تسألني وأعينك على الشدائد وإني قد حلفت على نفسي أني لا أثيب إلا عبدا قد عرفت من طلبته وإرادته إلقاء كنفه بين يدي وأنه لا غنى به عني . فإذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك وأسكن الغنى قلبك فإني قد حلفت على نفسي أنه لا يطمئن عبد لي إلى نفسه ينظر إلى فعالها إلا وكلته إليها ، أضف الأشياء إلى لاتضاد عملك فتكون متعنيا ولا ينتفع بك من يصحبك ولا تجد لمعرفتي حدا فليس لها غاية ، ومتى طلبت مني الزيادة أعطك ولا تجد للزيادة مني حدا ، ثم أعلم بني إسرائيل أنه ليس بيني وبين أحد من خلقي نسب ، فلتعظم رغبتهم وإرادتهم عندي أبح لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ضعني بين عينيك وانظر إلى ببصر قلبك ولا تنظر بعينك التي في رأسك إلى الذين حجبت عقولهم عني فأمرجوها وسخت بانقطاع ثوابي عنها فإني حلفت بعزتي وجلالي لا أفتح ثوابي لعبد دخل في طاعتي للتجربة والتسويف ، تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين ، فلو علم أهل محبتي منزلة المريدين عندي لكانوا لهم أرضا يمشون عليها . ياداود لأن تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذه فأكتبك عندي جهيدا ، ومن كتبته عندي جهيدا لا تكون عليه وحشة ولا فاقة إلى المخلوقين . ياداود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فأحجب عنك محبتي لا تؤيس عبادي من رحمتي ، اقطع شهوتك لي فإنما أبحت الشهوات لضعفة خلقي ما بال الأقوياء أن ينالوا الشهوات فإنها تنقص حلاوة مناجاتي ، وإنما عقوبة الأقوياء عندي في موضع التناول أدنى ما يصل إليهم أن أحجب عقولهم عني فإني لم أرض الدنيا لحبيبي ونزهته عنها . ياداود لا تجعل بيني وبينك عالما يحجبك بسكره عن محبتي ، أولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين ، استعن على ترك الشهوات بإدمان الصوم ، وإياك والتجربة في الإفطار فإن محبتي للصوم إدمانه . ياداود تحبب إلي بمعاداة نفسك امنعها الشهوات أنظر إليك وترى الحجب بيني وبينك مرفوعة إنما أداريك مداراة لتقوى على ثوابي إذا منذت عليك به وإني أحبسه عنك وأنت متمسك بطاعتي .

أوحى الله تعالى إلى داود : ياداود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقا إلي وتقطعت أوصالهم من محبتي . ياداود هذه إرادتي في المدبرين عني فكيف إرادتي في المقبلين علي

يا داود أحوج ما يكون العبد إلىّ إذا استغنى عنى ، وأرحم ما أكون بعبدى إذا أدبر عنى ، وأجل ما يكون عندى إذا رجع إلى ، فهذه الأخبار ونظائرها مما لا يحصى تدل على إثبات المحبة والشوق والأنس ، وإنما تحقيق معناها ينكشف بما سبق .

بيان محبة الله للعبد ومعناها

اعلم أنّ شواهد القرآن متظاهرة على أنّ الله تعالى يحب عبده فلا بدّ من معرفة معنى ذلك ، ولنقدم الشواهد على محبته فقد قال الله تعالى ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ وقال تعالى ﴿ إنّ الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا ﴾ وقال تعالى ﴿ إنّ الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ ولذلك رد سبحانه على من ادعى أنه حبيب الله فقال ﴿ قل فلم يعذبكم بذنوبكم ﴾ وقد روى أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا أحب الله تعالى عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له . ثم تلا ﴿ إن الله يحب التوابين ﴾ [1] » ومعناه أنه إذا أحبه تاب عليه قبل الموت فلم تضره الذنوب الماضية وإن كثرت ، كما لا يضر الكفر الماضى بعد الإسلام ، وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنب فقال ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الإيمان إلا من يحب [2] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله [3] » وقال عليه السلام « قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به [4] » الحديث . وقال زيد بن أسلم : إن الله ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول : اعمل ما شئت فقد غفرت لك . وما ورد من ألفاظ المحبة خارج عن الحصر .

وقد ذكرنا أنّ محبة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمجاز ، إذ المحبة فى وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى الشىء الموافق ، والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط . وقد بينا أنّ الإحسان موافق للنفس ، والجمال موافق أيضاً ، وأن الجمال والإحسان تارة يدرك بالبصر وتارة يدرك بالبصيرة ، والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر .

فأما حب الله للعبد فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلا ، بل الأسامى كلها إذا أطلقت على الله تعالى وعلى غير الله لم تنطلق عليهما بمعنى واحد أصلا ، حتى إن اسم « الوجود » الذى هو أعم الأسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد ، بل كل ما سوى الله تعالى فوجوده مستفاد من وجود الله تعالى ، فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع . وإنما الاستواء فى إطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر فى اسم الجسم ، إذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابهة فيهما من غير استحقاق أحدهما ، لأن يكون فيه أصلا ، فليست الجسمية لأحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولا لخلقه ، وهذا التباعد فى سائر الأسامى أظهر كالعلم والإرادة

---

(١) حديث أنس « اذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لاذنب له » ذكره صاحب الفردوس ولم يخرجه ولده فى مسنده وروى ابن ماجه الشطر الثانى من حديث ابن مسعود وتقدم فى التوبة . (٢) حديث « ان الله يعطى الدنيا من يحب ومن لايحب . . الحديث » أخرجه الحاكم وصحح اسناده والبيهقى فى الشعب من حديث ابن مسعود . (٣) حديث « من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله » أخرجه ابن ماجه من حديث أبى سعيد بإسناد حسن دون قوله « ومن أكثر ... إلى آخره » ورواه أبو يعلى وأحمد بهذه الزيادة وفيه ابن لهيعة . (٤) حديث « قال الله تعالى لايزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ... الحديث » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة وقد تقدم .

والقدرة وغيرها فكل ذلك لايشبه فيه الخالق الخلق . وواضع اللغة إنما وضع هذه الأسامى أولا للخلق فإنّ الخلق أسبق إلى العقول والأفهام من الخالق ، فكان استعمالها فى حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل . والمحبة فى وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملائم ، وهذا إنما يتصور فى نفس ناقصة فانها مايوافقها فتستفيد بنيله كمالا فتلتذ بنيله ، وهذا محال على الله تعالى ، فإن كل كمال وجمال وبهاء وجلال ممكن فى حق الإلهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول أبدا وأزلا ، ولايتصور تجدده ولازواله ، فلا يكون له إلى غيره نظر من حيث إنه غيره بل نظره إلى ذاته وأفعاله فقط ، وليس فى الوجود إلا ذاته وأفعاله ، ولذلك قال الشيخ أبو سعيد المهنى رحمه الله تعالى لما قرئ عليه قوله تعالى ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ فقال بحق يحبهم فإنه ليس يحب إلا نفسه ، على معنى أنه الكل وأن ليس فى الوجود غيره ، فمن لايحب إلا نفسه وأفعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هى متعلقة بذاته ، فهو إذن لايحب إلا نفسه ، وما ورد من الألفاظ فى حبه لعباده فهو مؤوّل ويرجع معناه إلى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه وإلى تمكينه إياه من القرب منه وإلى إرادته ذلك به فى الأزل ، فحبه لمن أحبه أزلى مهما أضيف إلى الإرادة الأزلية التى اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طرق هذا القرب ، وإذا أضيف إلى فعله الذى يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضى له كما قال تعالى « لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه » فيكونّ تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله فى درجة القرب من ربه ، فكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه .

ولايفهم هذا إلا بمثال وهو أن الملك قد يقرب عبده من نفسه ويأذن له فى كل وقت فى حضور بساطه لميل الملك إليه ، إما لينصره بقوته أو ليستريح بمشاهدته أو ليستشيره فى رأيه أو ليهيئ أسباب طعامه وشرابه ، فيقال : إن الملك يحبه ، ويكون معناه ميله إليه لما فيه من المعنى الموافق الملائم له . وقد يقرب عبدا ولايمنعه من الدخول عليه لا للانتفاع به ولا للاستنجاد به ولكن لكون العبد فى نفسه موصوفا من الأخلاق المرضية والخصال الحميدة بما يليق به أن يكون قريبا من حضرة الملك وافر الحظ من قربه ، مع أن الملك لاغرض له فيه أصلا ، فإذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال : قد أحبه ، وإذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال : قد توصل وحبب نفسه إلى الملك . فحب الله للعبد إنما يكون بالمعنى الثانى لا بالمعنى الأول . وإنما يصح تمثيله بالمعنى الثانى بشرط أن لايسبق إلى فهمك دخول تغير عليه عند تجدّد القرب ، فإنّ الحبيب هو القريب من الله تعالى ، والقرب من الله فى البعد من صفات البهائم والسباع والشياطين ، والتخلق بمكارم الأخلاق التى هى الأخلاق الإلهية ، فهو قرب بالصفة لابالمكان ، ومن لم يكن قريبا فصار قريبا فقد تغير ، فربما يظن بهذا أن القرب لما تجدّد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا إذ صار قريبا بعد أن لم يكن وهو محال فى حق الله تعالى ، إذ التغير عليه محال ، بل لايزال فى نعوت الكمال والجلال على ما كان عليه فى أزل الآزال .

ولا ينكشف هذا إلا بمثال فى القرب بين الأشخاص ، فإن الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا ، وقد يكون أحدهما ثابتا فيتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير فى أحدهما من غير تغير فى الآخر ، بل القرب فى الصفات أيضاً كذلك ، فإنّ التلميذ يطلب القرب من درجة أستاذه فى كمال العلم وجماله والأستاذ واقف فى كمال علمه غير متحرّك بالنزول إلى درجة تلميذه ، والتلميذ متحرّك مترق من حضيض الجهل إلى ارتفاع العلم ، فلا يزال دائبا

فى التغـــير والترقى إلى أن يقرب من أستاذه ، والأستاذ ثابت غير متغير ، فكذلك ينبغى أن يفهم ترقى العبد فى فى درجات القرب ، فكلما صار أكمل صفة وأتم علما وإحاطة بحقائق الأمور وأثبت قوة فى قهر الشيطان وقمع الشهوات وأظهر نزاهة عن الرذائل صار أقرب من درجة الكمال ، ومنتهى الكمال لله وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله . نعم قد يقدر التلميذ على القرب من الأستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذلك فى حق الله محال ، فإنه لانهاية لكماله ، وسلوك العبد فى درجات الكمال متناه ولا ينتهى إلا إلى حد محدود فلا مطمع له فى المساواة ، ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتا لانهاية له أيضا لأجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال .

فإذن محبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصى عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه .

وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى درك هذا الكمال الذى هو مفلس عنه فاقد له ، فلا جرم يشتاق إلى ما فاته ، وإذا أدرك منه شيئا يلتذ به ، والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى .

فإن قلت : محبة الله للعبد أمر ملتبس فبم يعرف العبد أنه حبيب الله ؟ فأقول : يستدل عليه بعلاماته . وقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا أحب الله عبدا ابتلاه فإذا أحبه الحب البالغ اقتناه » قيل : وما اقتناه ؟ قال « لم يترك له أهلا ولا مالا [1] » فعلامة محبة الله للعبد أن يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره . قيل لعيسى عليه السلام : لم لاتشترى حمارا فتركبه ؟ فقال : أنا أعز على الله تعالى من أن يشغلنى عن نفسه بحمار . وفى الخبر « إذا أحب الله تعالى عبدا ابتلاه فإن صبر اجتباه فإن رضى اصطفاه [2] » وقال بعض العلماء : إذا رأيتك تحبه ورأيته يبتليك فاعلم أنه يريد أن يصافيك . وقال بعض المريدين لأستاذه : قد طولعت بشىء من المحبة ، فقال : يابنى هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه إياه ؟ قال : لا ، قال : فلا تطمع فى المحبة فإنه لايعطيها عبدا حتى يبلوه . وقد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « إذ أحب الله تعالى عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يأمره وينهاه [3] » وقد قال « إذا أراد الله تعالى بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه [4] » فأخص علاماته حبه لله تعالى فإن ذلك يدل على حب الله تعالى له .

وأما الفعل الدال على كونه محبوبا فهو أن يتولى الله تعالى أمره ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لأمره والمزين لأخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل همومه هما واحدا والمبغض للدنيا فى قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بلذة المناجاة فى خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته . فهذا وأمثاله هو علامة حب الله للعبد . فلنذكر الآن علامة محبة العبد لله تعالى فإنها أيضا من علامات حب الله تعالى للعبد .

القول فى علامات محبة العبد لله تعالى

اعلم أن المحبة يدعيها كل أحد وما أسهل الدعوى وما أعز المعنى ، فلا ينبغى أن يغتر الإنسان بتلبيس الشيطان

---

(١) حديث « اذا أحب الله عبدا ابتلاه ... الحديث » أخرجه الطبرانى من حديث أبى عتبة الخولانى وقد تقدم .

(٢) حديث « اذا أحب الله عبدا ابتلاه فإن صبر اجتباه ... الحديث » ذكره صاحب الفردوس من حديث على بن أبى طالب ولم يخرجه ولده فى مسنده .

(٣) حديث « اذا أحب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه ... الحديث » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أم سلمة بإسناد حسن بلفظ « اذا أراد الله بعبد خيرا » .

(٤) حديث « اذا أراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بزيادة فيه بإسناد ضعيف .

وخدع النفس مهما ادعت محبة الله تعالى مالم يمتحنها بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين والأدلة . والمحبة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء وثمارها تظهر فى القلب واللسان والجوارح . وتدل تلك الآثار الفائضة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الأشجار وهى كثيرة فمنها حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة فى دار السلام ، فلا يتصور أن يحب القلب محبوبا إلا ويحب مشاهدته ولقاءه ، وإذا علم أنه لا وصول إلا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت فينبغى أن يكون محبا الموت غير فار منه ، فإن المحب لايثقل عليه السفر عن وطنه إلى مستقر محبوبه ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول إلى المشاهدة . قال صلى الله عليه وآله وسلم « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه [1] » وقال حذيفة عند الموت : حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم . وقال بعض السلف : ما من خصلة أحب إلى الله أن تكون فى العبد بعد حب لقاء الله من كثرة السجود فقدم حب لقاء الله على السجود . وقد شرط الله سبحانه لحقيقة الصدق فى الحب القتل فى سبيل الله ، حيث قالوا إنا نحب الله فجعل القتل فى سبيل الله وطلب الشهادة علامته فقال تعالى ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا ﴾ وقال عز وجل ﴿ يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ﴾ وفى وصية أبى بكر لعمر رضى الله تعالى عنهما : الحق ثقيل وهو مع ثقله مرىء والباطل خفيف وهو مع خفته وبىء ، فإن حفظت وصيتى لم يكن غائب أحب إليك من الموت وهو مدركك ، وإن ضيعت وصيتى لم يكن غائب أبغض إليك من الموت ولن تعجزه . ويروى عن إسحق بن سعد بن أبى وقاص قال : حدثنى أبى أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد : ألا ندعو الله ؟ فخلوا فى ناحية فدعا عبدالله بن جحش فقال : يارب إنى أقسمت عليك إذا لقيت العدو غدا فلقنى رجلا شديدا بأسه شديدا حرده أقاتله فيك ويقاتلنى ، ثم يأخذنى فيجدع أنفى وأذنى ويبقر بطنى ، فإذا لقيتك غدا قلت ياعبدالله من جدع أنفك وأذنك ، فأقول : فيك يارب وفى رسولك ، فتقول صدقت قال سعد : فلقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقتان فى خيط [2] قال سعيد بن المسيب : أرجو أن يبر الله آخر قسمه كما أبر أوله . وقد كان الثورى وبشر الحافى يقولان : لا يكره الموت إلا مريب ، لأن الحبيب على كل حال لا يكره لقاء حبيبه . وقال البويطى لبعض الزهاد : أتحب الموت ؟ فكأنه توقف فقال لو كنت صادقا لأحببته ، وتلا قوله تعالى ﴿ فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾ فقال الرجل : فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « لا يتمنين أحدكم الموت [3] » فقال : إنما قاله لضر نزل به لأن الرضا بقضاء الله تعالى أفضل من طلب الفرار منه .

فإن قلت : من لايحب الموت فهل يتصور أن يكون محبا لله ؟ فأقول : كراهة الموت قد تكون لحب الدنيا والتأسف على فراق الأهل والمال والولد ، وهذا ينافى كمال حب الله تعالى لأن الحب الكامل هو الذى يستغرق كل القلب ، ولكن لايبعد أن يكون له مع حب الأهل والولد شائبة من حب الله تعالى ضعيفة ، فإن الناس متفاوتون فى الحب . ويدل على التفاوت ما روى أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لما زوج أخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش فى ذلك وقالوا : أنكحت عقيلة من عقائل قريش لمولى ؟ فقال : والله لقد أنكحته إياها

---

(١) حديث « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه » متفق عليه من حديث أبى هريرة وعائشة . (٢) حديث اسحق بن سعد ابن أبى وقاص قال : حدثنى أبى أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد . ألاندعو الله ؟ فخلوا فى ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال : يارب انى أقسم عليك اذا لقيت العدو غدا فلقنى رجلا شديدا بأسه شديدا حرده أقاتله فيك ويقاتلنى ويجدع أنفى وأذنى .. الحديث » أخرجه الطبرانى ومن طريقه أبو نعيم فى الحلية واسناده جيد . (٣) حديث « لايتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ... الحديث » متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم .

وإنى لأعلم أنه خير منها ، فكان قوله ذلك أشد عليهم من فعله ، فقالوا : وكيف وهى أختك وهو مولاك ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من أراد أن ينظر إلى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر إلى سالم [1] » فهذا يدل على أن من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب أيضا غيره فلا جرم يكون نعيمه بلقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه ، وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها .

وأما السبب الثانى للكراهة : فهو أن يكون العبد فى ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وإنما يكره عجلته قبل أن يستعد للقاء الله ، فذلك لايدل على ضعف الحب وهو كالمحب الذى وصله الخبر بقدوم حبيبه عليه فأحب أن يتأخر قدومه ساعة ليهيئ له داره ويعد له أسبابه فيلقاه كما يهواه فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظهر عن العوائق ، فالكراهة بهذا السبب لا تنافى كمال الحب أصلا ، وعلامته الدءوب فى العمل واستغراق الهم فى الاستعداد .

ومنها أن يكون مؤثرا ماأحبه الله تعالى على مايحبه فى ظاهره وباطنه فيلزم مشاق العمل ويجتنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ، ولا يزال مواظبا على طاعة الله ومتقربا إليه بالنوافل وطالبا عنده مزايا الدرجات كما يطلب المحب مزيد القرب فى قلب محبوبه . وقد وصف الله تعالى المحبين بالإيثار فقال ﴿ يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ ومن بقى مستقرا على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه ، بل يترك المحب هوى نفسه كما قيل :

أريد وصاله ويريد هجرى فأترك ما أريد لما يريد

بل الحب إذا غلب قمع الهوى فلم يبق له تنعم بغير المحبوب ، كما روى أن زليخا لما آمنت وتزوج بها يوسف عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت إلى الله تعالى ، فكان يدعوها إلى فراشه نهارا فتدافعه إلى الليل ، فإذا دعاها ليلا سوفت به إلى النهار وقالت : يا يوسف إنما كنت أحبك قبل أن أعرفه فأما إذ عرفته فما أبقت محبته محبة لسواه وما أريد به بدلا ، حتى قال لها : إن الله جل ذكره أمرنى بذلك وأخبرنى أنه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين ، فقالت : أما إذا كان الله تعالى أمرك بذلك وجعلنى طريقا إليه فطاعة لأمر الله تعالى ، فعندها سكنت إليه . فإذن من أحب الله لايعصيه ، ولذلك قال ابن المبارك فيه :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى فى الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

وفى هذا المعنى قيل أيضا :

وأترك ما أهوى لما قد هويته فأرضى بما ترضى وإن سخطت نفسى

وقال سهل رحمه الله تعالى : علامة الحب إيثاره على نفسك وليس كل من عمل بطاعة الله عزوجل صار حبيبا ، وإنما الحبيب من اجتنب المناهى : وهو كما قال ، لأن محبته لله تعالى سبب محبة الله له كما قال تعالى ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ وإذا أحبه الله تولاه ونصره على أعدائه ، وإنما عدوه نفسه وشهواته فلا يخذله الله ولا يكله إلى هواه وشهواته .

---

(١) حديث أبى حذيفة بن عتبة : أنه لما زوج أخته فاطمة من سالم مولاه عابته قريش فى ذلك . وفيه : فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من أراد أن ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم » لم أره من حديث حذيفة وروى أبو نعيم فى الحلية المرفوع منه من حديث عمر « أن سالما يحب الله حقا من قلبه » وفى رواية له « إن سالما شديد الحب لله عزوجل لو لم يخف الله عزوجل ماعصاه » وفيه عبد الله بن لهيعة .

ولذلك قال تعالى ﴿ والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ﴾ .

فإن قلت : فالعصيان هل يضاد أصل المحبة ؟ فأقول : إنه يضاد كمالها ولا يضاد أصلها ، فكم من إنسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة ويأكل مايضره مع العلم بأنه يضره ؟ وذلك لايدل على عدم حبه لنفسه . ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة . ويدل عليه ماروى أنّ نعيمان كان يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل قليل فيحده فى معصية يرتكبها إلى أن أتى به يوما فحده ، فلعنه رجل وقال : ما أكثر مايؤتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « لاتلعنه فإنه يحب الله ورسوله [1] » ، فلم يخرجه بالمعصية عن المحبة نعم تخرجه المعصية عن كمال الحب وقد قال بعض العارفين : إذا كان الإيمان فى ظاهر القلب أحب الله تعالى حبا متوسطا ، فإذا دخل سويداء القلب أحبه الحب البالغ وترك المعاصى . وبالجملة فى دعوى المحبة خطر ، ولذلك قال الفضيل : إذا قيل لك أتحب الله تعالى ؟ فاسكت ، فإنك إن قلت : لا ، كفرت وإن قلت : نعم ، فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت . ولقد قال بعض العلماء : ليس فى الجنة نعيم أعلى من نعيم أهل المعرفة والمحبة ولا فى جهنم عذاب أشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشىء من ذلك .

ومنها أن يكون مستهترا بذكر الله تعالى لايفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه ، فمن أحب شيئا أكثر بالضرورة من ذكره وذكر مايتعلق به ، فعلامة حب الله ؛ حب ذكره وحب القرآن الذى هو كلامه وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب كل من ينسب إليه ، فإنّ من يحب إنسانا يحب كلب محلته . فالمحبة إذا قويت تعدت من المحبوب إلى كل مايكتنف بالمحبوب ويحيط به ويتعلق بأسبابه ، وذلك ليس شركة فى الحب فإنّ من أحب رسول المحبوب لأنه رسوله ، وكلامه لأنه كلامه ، فلم يجاوز حبه إلى غيره بل هو دليل على كمال حبه ، ومن غلب حب الله على قلبه أحب جميع خلق الله لأنهم خلقه ، فكيف لايحب القرآن والرسول وعباد الله الصالحين ؟ وقد ذكرنا تحقيق هذا فى كتاب الأخوة والصحبة ولذلك قال تعالى ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى لله تعالى [2] » وقال سفيان : من أحب من يحب الله تعالى فإنما أحب الله ، ومن أكرم من يكرم الله تعالى فإنما يكرم الله . وحكى عن بعض المريدين قال : كنت قد وجدت حلاوة المناجاة فى سن الإرادة فأدمنت قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتنى فترة فانقطعت عن التلاوة قال : فسمعت قائلا يقول فى المنام ؛ إن كنت تزعم أنك تحبنى فلم جفوت كتابى أما تدبرت مافيه من لطيف عتابى ، قال : فانتبهت وقد أشرب فى قلبى محبة القرآن فعاودت إلى حالى . وقال ابن مسعود : لاينبغى أن يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن ، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله عزوجل وإن لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله . وقال سهل - رحمة الله تعالى عليه - علامة حب الله حب القرآن ، وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبى صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبى صلى الله عليه وسلم حب السنة ، وعلامة حب السنة حب الآخرة ، وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا ، وعلامة بغض الدنيا أن لايأخذ منها إلا زادا وبلغة إلى الآخرة .

ومنها أن يكون أنسه بالخلوة ومناجاته لله تعالى وتلاوة كتابه ، فيواظب على التهجد ويغتنم هدء الليل وصفاء الوقت بانقطاع العوائق ، وأقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته ، فمن كان النوم والاشتغال بالحديث ألذ عنده وأطيب من مناجاة الله كيف تصح محبته ؟ قيل لإبراهيم بن أدهم وقد نزل من الجبل : من أين أقبلت ؟

---

(١) حديث : أتى بنعيمان يوما لحده فلعنه رجل قال : ما أكثر مايؤتى به ؟ فقال « لاتلعنه فإنه يحب الله ورسوله » أخرجه البخارى وقد تقدم . (٢) حديث « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ... الحديث » تقدم .

فقال : من الأنس بالله . وفى أخبار داود عليه السلام : لاتستأنس إلى أحد من خلق ، فإنى إنما أقطع عنى رجلين رجل استبطأ ثوابى فانقطع ورجلا نسينى فرضى بحاله ، وعلامة ذلك أن أكله إلى نفسه وأن أدعه فى الدنيا حيران ، ومهما أنس بغير الله كان بقدر أنسه بغير الله مستوحشا من الله تعالى ساقطا عن درجة محبته . وفى قصة برخ ـ وهو العبد الأسود الذى استسقى به موسى عليه السلام ـ أنّ الله تعالى قال لموسى عليه السلام : إنّ برخا نعم العبد هو لى إلا أنّ فيه عيبا ، قال : يارب وماعيبه ؟ قال : يعجبه نسيم الأسحار فيسكن إليه ومن أحبنى لم يسكن إلى شىء وروى أنّ عابدا عبد الله تعالى فى غيضة دهرا طويلا فنظر إلى طائر وقد عشش فى شجرة يأوى إليها ويصفر عندها ، فقال : لو حولت مسجدى إلى تلك الشجرة فكنت آنس بصوت هذا الطائر قال : ففعل ، فأوحى الله تعالى إلى نبى ذلك الزمان قل لفلان العابد : استأنست بمخلوق لأحطنك درجة لاتنالها بشىء من عملك أبدا . فإذن علامة المحبة كمال الأنس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به وكمال الاستيحاش من كل ماينغص عليه الخلوة ويعوق عن لذة المناجاة . وعلامة الأنس مصير العقل والفهم كله مستغرقا بلذة المناجاة ، كالذى يخاطب معشوقه ويناجيه ، وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان فى صلاته ووقع الحريق فى داره فلم يشعر به ، وقطعت رجل بعضهم بسبب علة أصابته وهو فى الصلاة فلم يشعر به ومهما غلب عليه الحب والأنس صارت الخلوة والمناجاة قرة عينه يدفع بها جميع الهموم ، بل يستغرق الأنس والحب قلبه حتى لايفهم أمور الدنيا مالم تكرر على سمعه مرارا ، مثل العاشق الولهان فإنه يكلم الناس بلسانه وأنسه فى الباطن بذكر حبيبه . فالمحب من لايطمئن إلا بمحبوبه . وقال قتادة فى قوله تعالى ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ قال : هشت إليه واستأنست به . وقال الصدّيق رضى الله تعالى عنه : من ذاق من خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر . وقال مطرف بن أبى بكر : الحب لايسأم من حديث حبيبه وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : قد كذب من ادّعى محبتى إذا جنه الليل نام عنى أليس كل محب يحب لقاء حبيبه فها أنا ذا موجود لمن طلبنى . وقال موسى عليه السلام : يارب أين أنت فأقصدك ؟ فقال : إذا قصدت فقد وصلت . وقال يحيى بن معاذ : من أحب الله أبغض نفسه وقال أيضاً : من لم تكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب : يؤثر كلام الله تعالى على كلام الخلق ، ولقاء الله تعالى على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق .

ومنها أن لايتأسف على مايفوته مما سوى الله عزوجل ويعظم تأسفه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله تعالى وطاعته ، فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف والاستعتاب والتوبة . قال بعض العارفين : إنّ لله عبادا أحبوه واطمأنوا إليه فذهب عنهم التأسف على الفائت فلم يتشاغلوا بحظ أنفسهم إذ كان ملك مليكهم تاما ، وماشاء كان ، فما كان لهم فهو واصل إليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم . وحق المحب إذا رجع من غفلته فى لحظته أن يقبل على محبوبه ويشتغل بالعتاب ، ويسأله ويقول : رب بأى ذنب قطعت برك عنى وأبعدتنى عن حضرتك وشغلتنى بنفسى وبمتابعة الشيطان ؟ فيستخرج ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب يكفر عنه ماسبق من الغفلة ، وتكون هفوته سببا لتجدّد ذكره وصفاء قلبه . ومهما لم ير المحب إلا المحبوب ولم ير شيئا إلا منه لم يتأسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضا وعلم أنّ المحبوب لم يقدّر له إلا مافيه خيرته ، ويذكر قوله ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ﴾ .

ومنها أن يتنعم بالطاعة ولايستثقلها ويسقط عنه تعبها كما قال بعضهم : كابدت الليل عشرين سنة . ثم تنعمت به

عشرين سنة . وقال الجنيد : علامة المحب دوام النشاط والدءوب بشهوة تفتر بدنه ولاتفتر قلبه . وقال بعضهم : العمل على المحبة لايدخله الفتور . وقال بعض العلماء : والله ماالشتغى محب لله من طاعته ولوحل بعظيم الوسائل . فكل هذا وأمثاله موجود فى المشاهدات ، فإنّ العاشق لايستثقل السعى فى هوى معشوقه ويستلذ خدمته بقلبه وإن كان شاقا على بدنه . ومهما عجز بدنه كان أحب الأشياء إليه أن تعاوده القدرة وأن يفارقه العجز حتى يشغل به ، فهكذا يكون حب الله تعالى ، فإن كل حب صار غالبا قهر لامحالة ماهو دونه . فمن كان محبوبه أحب إليه من الكسل ترك الكسل فى خدمته ، وإن كان أحب إليه من المال ترك المال فى حبه . وقيل لبعض المحبين ـ وقدكان بذل نفسه وماله حتى لم يبق له شىء ـ ما كان سبب حالك هذه فى المحبة ؟ فقال : سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول : أنا والله أحبك بقلبى كله وأنت معرض عنى بوجهك كله ! فقال له المحبوب : إن كنت تحبنى فأيش تنفق على ؟ قال : ياسيدى أملكك ما أملك ثم أنفق عليك روحى حتى تهلك فقلت : هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بعبيد لمعبود ؟ فكل هذا بسببه .

ومنها أن يكون مشفقا على جميع عباد الله رحيما بهم شديدا على جميع أعداء الله وعلى كل من يقارف شيئاً مما يكرهه كما قال الله تعالى ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ ولا تأخذه لومة لائم ولايصرفه عن الغضب لله صارف ، وبه وصف الله أولياءه إذ قال الذين يكلفون بحبى كما يكلف الصبى بالشىء ويأوون إلى ذكرى كما يأوى النسر إلى وكره ، ويغضبون لمحارمه كما يغضب النمر إذا حرد فإنه لايبالى قل الناس أو كثروا ، فانظر إلى هذا المثال فإنّ الصبى إذا كلف بالشىء لم يفارقه أصلا ، وإن أخذ منه لم يكن له شغل إلا البكاء والصياح حتى يرد إليه ، فإن نام أخذه معه فى ثيابه ، فإذا انتبه عاد وتمسك به ومهما فارقه بكى ومهما وجده ضحك ، ومن نازعه فيه أبغضه ومن أعطاه أحبه . وأما النمر فإنه لايملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدّة غضبه أنه يهلك نفسه . فهذه علامات المحبة ، فمن تمت فيه هذه العلامات فقد تمت محبته وخلص حبه فصفا فى الآخرة شرابه وعذب مشربه ، ومن امتزج بحبه حب غير الله تنعم فى الآخرة بقدر حبه ، إذ يمزج شرابه بقدر من شراب المقربين كما قال تعالى فى الأبرار ﴿ إنّ الأبرار لفى نعيم ﴾ ثم قال ﴿ يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ﴾ فإذا طاب شراب الأبرار لشوب الشراب الصرف الذى هو المقربين . والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان ، كما أنّ الكتاب عبر به عن جميع الأعمال فقال ﴿ إن كتاب الأبرار لفى عليين ﴾ ثم قال ﴿ يشهده المقربون ﴾ فكان أمارة علو كتابهم أنه ارتفع إلى حيث يشهده المقربون ، وكما أنّ الأبرار يجدون المزيد فى حالهم ومعرفتهم بقربهم من المقربين ومشاهدتهم لهم ، فكذلك يكون حالهم فى الآخرة ﴿ ماخلقكم ولابعثكم إلا كنفس واحدة . كما بدأنا أوّل خلق نعيده ﴾ وكما قال تعالى ﴿ جزاء وفاقا ﴾ أى وافق الجزاء أعمالهم فقوبل الخالص بالصرف من الشراب وقوبل المشوب بالمشوب . وشوب كل شراب على قدر ماسبق من الشوب فى حبه وأعماله ﴿ فمن يعمل مثقال ذرّة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرا يره ـ وإن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم ـ إن الله لايظلم مثقال ذرّة وإن تك حسنة يضاعفها ـ وإن كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ فمن كان حبه فى الدنيا رجاءه لنعيم الجنة والحور العين والقصور : مكن من الجنة ليتبوأ منها حيث يشاء فيلعب مع الولدان ويتمتع بالنسوان ؛ فهناك تنتهى لذته فى الآخرة لأنه إنما يعطى كل إنسان فى المحبة ماتشتهيه نفسه وتلذ عينه . ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك ولم يغلب عليه إلا حبه بالإخلاص والصدق : أنزل ﴿ فى مقعد

صدق عند مليك مقتدر ﴾ فالأبرار يرتعون فى البساتين ويتنعمون فى الجنان مع الحور العين والولدان . والمقربون ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالإضافة إلى ذرة منها فقوم بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون ، وللمجالسة أقوام آخرون ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوى الألباب [1] » ولما قصرت الأفهام عن درك معنى عليين عظم أمره فقال ﴿ وما أدراك ما عليون ﴾ كما قال تعالى ﴿ القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة ﴾ .

ومنها أن يكون فى حبه خائفا متضائلا تحت الهيبة والتعظيم ، وقد يظن أن الخوف يضاد الحب وليس كذلك ، بل إدراك العظمة يوجب الهيبة كما أن إدراك الجمال يوجب الحب ولخصوص المحبين مخاوف فى مقام المحبة ليست لغيرهم ، وبعض مخاوفهم أشد من بعض ، فأولها خوف الإعراض ، وأشد منه خوف الحجاب ، وأشد منه خوف الإبعاد ، وهذا المعنى فى سورة هود هو الذى شيب سيد المحبين [2] إذ سمع قوله تعالى ﴿ ألا بعدا لثمود ـ ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ﴾ وإنما تعظم هيبة البعد وخوفه فى قلب من ألف القرب وذاقه وتنعم به ، فحديث البعد فى حق المبعدين يشيب سماعه أهل القرب فى القرب ، ولا يحن إلى القرب من ألف البعد ، ولا يبكى لخوف البعد من لم يمكن من بساط القرب ، ثم خوف الوقوف وسلب المزيد ، فإنا قدمنا أن درجات القرب لا نهاية لها وحق العبد أن يجتهد فى كل نفس حتى يزداد فيه قربا ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون [3] » وكذلك قال عليه السلام « إنه ليغان على قلبى فى اليوم والليلة حتى أستغفر الله سبعين مرة [4] » وإنما كان استغفاره من القدم الأول فإنه كان بعدا بالإضافة إلى القدم الثانى ، ويكون ذلك عقوبة لهم على الفتور فى الطريق والالتفات إلى غير المحبوب ، كما روى أن الله تعالى يقول : إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوات الدنيا على طاعتى أن أسلبه لذيذ مناجاتى . فسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبة للعموم ، فأما الخصوص فيحجبهم عن المزيد بمجرد الدعوى والعجب والركون إلى ما ظهر من مبادئ اللطف ، وذلك هو المكر الخفى الذى لا يقدر على الاحتراز منه إلا ذوو الأقدام الراسخة ، ثم خوف فوت ما لا يدرك بعد فوته سمع إبراهيم بن أدهم قائلا يقول وهو فى سياحة وكان على الجبل :

كل شىء منك مغفو ر سوى الإعراض عنا
قـــد وهبنا لك ما فا ت فهب لنا ما فات منا

فاضطرب وغشى عليه فلم يفق يوما وليلة وطرأت عليه أحوال ثم قال : سمعت النداء من الجبل يا إبراهيم كن عبدا فكنت عبدا واسترحت .

ثم خوف السلو عنه فإن المحب يلازمه الشوق والطلب الحثيث فلا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلى إلا بلطف جديد ، فإن تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه أو سبب رجعته . والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل عليه الحب من حيث لا يشعر ، فإن هذه التقلبات لها أسباب خفية سماوية ليس فى قوة البشر الاطلاع عليها ، فإذا

---

(١) حديث « أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوى الألباب » أخرجه البزار من حديث أنس بسند ضعيف مقتصرا على الشطر الأول ، وقد تقدم ، والشطر الثانى من كلام أحمد بن أبى الحوارى ولعله أدرج فيه .

(٢) حديث « شيبتنى هود » أخرجه الترمذى وقد تقدم غير مرة . (٤) حديث « من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون » لا أعلم هذا إلا فى منام لعبد العزيز بن أبى رواد قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقلت : يا رسول الله أوصنى ، فقال ذلك بزيادة فى آخره رواه البيهقى فى الزهد . (٤) حديث « إنه ليغان على قلبى » متفق عليه من حديث الأغر وقد تقدم .

أراد الله المكر به واستدراجه أخفى عنه ماورد عليه من السلو فيقف مع الرجاء ويغتر بحسن النظر أو بغلبة الغفلة أو الهوى أو النسيان ، فكل ذلك من جنود الشيطان التى تغلب جنود الملائكة من العلم والعقل والذكر والبيان ، وكما أنّ من أوصاف الله تعالى مايظهر فيقتضى هيجان الحب وهى أوصاف اللطف والرحمة والحكمة ، فمن أوصافه مايلوح فيورث السلو كأوصاف الجبرية والعزة والاستغناء وذلك من مقدمات المكر والشقاء والحرمان . ثم خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه إلى حب غيره ، وذلك هو المقت والسلو عنه مقدمة هذا المقام والإعراض والحجاب مقدمة السلو وضيق الصدر بالبر وانقباضه عن دوام الذكر وملاله لوظائف الأوراد أسباب هذه المعانى ومقدماتها . وظهور هذه الأسباب دليل على النقل عن مقام الحب إلى مقام المقت ـ نعوذ بالله منه ـ وملازمة الخوف لهذه الأمور وشدة الحذر منها بصفاء المراقبة دليل صدق الحب ، فإنّ من أحب شيئا خاف لا محالة فقده فلا يخلو المحب عن خوف إذا كان المحبوب مما يمكن فواته . وقد قال بعض العارفين : من عبدالله تعالى بمحبة من غير خوف هلك بالبسط والإدلال ، ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ، ومن عبده من طريق المحبة والخوف أحبه الله تعالى فقربه ومكنه وعلمه ، فالمحب لايخلو عن خوف والخائف لايخلو عن محبة ، ولكن الذى غلبت عليه المحبة حتى انسع فيها ولم يكن له من الخوف إلا يسير يقال هو فى مقام المحبة ويعد من المحبين ، وكان شوب الخوف يسكن قليلا من سكر الحب ، فلو غلب الحب واستولت المعرفة لم تثبت لذلك طاقة البشر ، فإنما الخوف يعدله ويخفف وقعه على القلب . فقد روى فى بعض الأخبار : أنّ بعض الصديقين سأله بعض الأبدال أن يسأل الله تعالى أن يرزقه ذرّة من معرفته ، ففعل ذلك ، فهام فى الجبال وحار عقله وولّه قلبه وبقى شاخصا سبعة أيام لا ينتفع بشىء ولا ينتفع به شىء ، فسأل له الصديق ربه تعالى فقال : يارب أنقصه من الذرّة بعضها ، فأوحى الله تعالى إليه إنما أعطيناه جزءا من مائة ألف جزء من المعرفة ، وذلك أنّ مائة ألف عبد سألونى شيئا من المحبة فى الوقت الذى سألنى هذا ، فأخرت إجابتهم إلى أن شفعت أنت لهذا ، فلما أجبتك فيما سألت أعطيتهم كما أعطيته ، فقسمت ذرّة من المعرفة بين مائة ألف عبد ، فهذا ماأصابه من ذلك ، فقال : سبحانك ياأحكم الحاكمين أنقصه مما أعطيته ! فأذهب الله عنه جملة الجزء ، وبقى معه عشر معشاره وهو جزء من عشرة آلاف جزء من مائة ألف جزء من ذرة ، فاعتدل خوفه وحبه ورجاؤه وسكن وصار كسائر العارفين ، وقد قيل فى وصف حال العارف :

قريب الوجد ذو مرمى بعيد ... عن الأحرار منهم والعبيد
غريب الوصف ذو علم غريب ... كأن فؤاده زبر الحديد
لقد عزت معانيه وجلت ... عن الأبصار إلا للشهيد
يرى الأعياد فى الأوقات تجرى ... له فى كل يوم ألف عيد
وللأحباب أفراح بعيد ... ولا يجد السرور له بعيد

وقد كان الجنيد رحمه الله ينشد أبياتا يشير بها إلى أسرار أحوال العارفين وإن كان ذلك لا يجوز إظهاره . وهى هذه الأبيات :

سرت بأناس فى الغيوب قلوبهم ... فحلوا بقرب الماجد المتفضل
عراصا بقرب الله فى ظل قدسه ... تجول بها أرواحهم وتنقل
مواردهم فيها على العز والنهى ... ومصدرهم عنها لما هو أكمل

تروح بعز مفرد من صفاته وفى حلل التوحيد تمشى وترفل
ومن بعد هـذا ماتدق صفاته وما كتمه أولى لديه وأعـدل
سأكتم من علمى به ما يصونه وأبذل منـه ماأرى الحق يبذل
وأعطى عباد الله منه حقوقهم وأمنع منه ما أرى المنع يفضل
على أن للرحمن سرا يصونه إلى أهله فى السر والصون أجمل

وأمثال هذه المعارف التى إليها الإشارة لايجوز أن يشترك الناس فيها ، ولا يجوز أن يظهرها من انكشف له شىء من ذلك لمن لم ينكشف له ، بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا ، فالحكمة تقتضى شمول الغفلة لعمارة الدنيا ، بل لو أكل الناس كلهم الحلال أربعين يوما لخربت الدنيا لزهدهم فيها ، وبطلت الأسواق والمعايش ، بل لو أكل العلماء الحلال لاشتغلوا بأنفسهم ولوقفت الألسنة والأقلام عن كثير مما انتشر من العلوم ، ولكن لله تعالى فيما هو شر فى الظاهر أسرار وحكم ، كما أن له فى الخير أسراراً وحكما ، ولا منتهى لحكمته كما لاغاية لقدرته .

ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقى من إظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب وإجلالا له وهيبة منه وغيرة على سره ، فإن الحب سر من أسرار الحبيب ولأنه قد يدخل فى الدعوى ما يتجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء وتعظم العقوبة عليه فى العقبى وتتعجل عليه البلوى فى الدنيا . نعم قد يكون للمحب سكرة فى حبه حتى يدهش فيه وتضطرب أحواله فيظهر عليه حبه ، فإن وقع ذلك عن غير تمحل أو اكتساب فهو معذور لأنه مقهور ، وربما تشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه . فالقادر على الكتمان يقول :

وقالوا : قريب ، قلت : ماأنا صانع بقرب شعاع الشمس لو كان فى حجرى ؟
فسالى منـه غـير ذكر بخـاطر يهيج نار الحب والشوق فى صدرى !

والعاجز عنه يقول :

يخفى فيبـدى الدمع أسراره ويظهـر الوجـد عليه النفس

ويقول أيضا :

ومن قلبـه مع غيره كيف حاله ومن سره فى جفنه كيف يكتم ؟

وقد قال بعض العارفين : أكثر الناس من الله بعدا أكثرهم إشارة به . كأنه أراد : من يكثر التعريض به فى كل شىء ويظهر التصنع بذكره عند كل أحد فهو ممقوت عند المحبين والعلماء بالله عز وجل . ودخل ذو النون المصرى على بعض إخوانه ـ ممن كان يذكر المحبة ـ فرآه مبتلى ببلاء فقال : لايحبه من وجد ألم ضره ! فقال الرجل : لكنى أقول لايحبه من لم يتنعم بضره ، فقال ذو النون : ولكنى أقول : لايحبه من شهر نفسه بحبه ، فقال الرجل : أستغفر الله وأتوب إليه .

فإن قلت : المحبة منتهى المقامات وإظهارها إظهار للخير فلماذا يستنكر ؟ فاعلم أنّ المحبة محمودة وظهورها محمود أيضا وإنما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيها من الدعوى والاستكبار ، وحق المحب أن ينم على حبه الخفى أفعاله وأحواله دون أقواله وأفعاله . وينبغى أن يظهر حبه من غير قصد منه إلى إظهار الحب ولا إلى إظهار الفعل الدال على الحب ، بل ينبغى أن يكون قصد المحب اطلاع الحبيب فقط ، فأما إرادته اطلاع غيره فشرك فى الحب

وقادح فيه ، كما ورد فى الإنجيل: إذا تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم شمالك ماصنعت يمينك . فالذى يرى الخفيات يجزيك علانية وإذا صمت فاغسل وجهك وادهن رأسك لئلا يعلم بذلك غير ربك . فإظهار القول والفعل كله مذموم إلا إذا غلب سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الأعضاء فلا يلام فيه صاحبه . حكى أن رجلا رأى من بعض المجانين ما استجهله فيه فأخبر بذلك معروفا الكرخى رحمه الله فتبسم ثم قال : يا أخى له محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين ! فهذا الذى رأيته من مجانينهم . ومما يكره : التظاهر بالحب ، بسبب أنّ المحب إن كان عارفا ـ وعرف أحوال الملائكة فى حبهم الدائم وشوقهم اللازم الذى به يسبحون الليل والنهار لايفترون ولايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ـ لاستنكف من نفسه ومن إظهار حبه وعلم قطعا أنه من أخس المحبين فى مملكته وأنّ حبه أنقص من حب كل محب لله . قال بعض المكاشفين من المحبين : عبدت الله تعالى ثلاثين سنة بأعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت أنّ لى عند الله شيئا ، فذكر أشياء من مكاشفات آيات السموات فى قصة طويلة قال فى آخرها : فبلغت صفا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شىء ، فقلت : من أنتم فقالوا : نحن المحبون لله عز وجل نعبده ههنا منذ ثلثمائة ألف سنة ما خطر على قلوبنا قط سواه ولا ذكرنا غيره ، قال : فاستحييت من أعمالى فوهبتها لمن حق عليه الوعيد تخفيفا عنه فى جهنم .

فإذن من عرف نفسه وعرف ربه واستحيا منه حق الحياء خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى . نعم يشهد على حبه حركاته وسكناته وإقدامه وإحجامه وترددانه ؛ كما حكى عن الجنيد أنه قال : مرض أستاذنا السرى رحمه الله فلم نعرف لعلته دواء ولا عرفنا لها سببا . فوصف لنا طبيب حاذق . فأخذ قارورة مائة فنظر إليها الطبيب وجعل ينظر إليه مليا ثم قال لى : أراه بول عاشق ! قال الجنيد : فصعقت وغشى على ووقعت القارورة من يدى ، ثم رجعت إلى السرى فأخبرته ، فتبسم قال : قاتله الله ما أبصره ! قلت : يا أستاذ وتبين المحبة فى البول ! قال : نعم . وقد قال السرى مرة : لو شئت أقول : ما أيبس جلدى على عظمى ولاسل جسمى إلا حبه ! ثم غشى عليه . وتدل الغشية على أنه أفصح فى غلبة الوجد ومقدمات الغشية . فهذه مجامع علامات الحب وثمراته .

ومنها : الأنس والرضا ـ كما سيأتى .

وبالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الأخلاق ثمرة الحب ، ومالا يثمره الحب فهو اتباع الهوى وهو من رذائل الأخلاق . نعم قد يحب الله لإحسانه إليه وقد يحبه لجلاله وجماله وإن لم يحسن إليه . والمحبون لا يخرجون عن هذين القسمين ، ولذلك قال الجنيد : الناس فى محبة الله تعالى عام وخاص ، فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم فى دوام إحسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا أن أرضوه إلا أنهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والإحسان ؛ فأما الخاصة فنالوا المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك . ولما عرفوا صفاته الكاملة وأسماءه الحسنى لم يمتنعوا أن أحبوه إذ استحق عندهم المحبة بذلك لأنه أهل لها ولو أزال عنهم جميع النعم ، نعم من الناس من يحب هواه . وعدو الله إبليس ـ وهو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الغرور والجهل ـ فيظن أنه محب لله عز وجل وهو الذى فقدت فيه هذه العلامات ، أو يلبس بها نفاقا ورياء وسمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف ذلك ، كعلماء السوء وقراء السوء أولئك بغضاء الله فى أرضه . وكان سهل إذا تكلم مع إنسان قال : يا دوبهت ـ أى يا حبيب ـ فقيل له : قد لا يكون حبيبا فكيف تقول هذا ؟ فقال فى أذن القائل سرا : لا يخلو إما أن يكون مؤمنا أو منافقا : فإن كان مؤمنا فهو حبيب الله عز وجل ، وإن كان منافقا فهو حبيب إبليس : وقد

قال أبو تراب النخشبي ـ فى علامات المحبة ـ أبياتا :

لا تخدعن فللحبيب دلائل ولديه من تحف الحبيب وسائل
منهـا تنعمه بمر بلائه وسروره فى كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة والفقر إكرام وبر عاجل
ومن الدلائل أى ترى من عزمه طوع الحبيب وإن ألح العاذل
ومن الدلائل أن يرى متبسما والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلائل أن يرى متفهما لكلام من يحظى لديه السائل
ومن الدلائل أن يرى متقشفا متحفظا من كل ما هو قائل

وقال يحيى بن معاذ :

ومن الدلائل أن تراه مشمرا فى خرقتين على شطوط الساحل
ومن الدلائل حزنه ونحيبه جوف الظلام فما له من عاذل
ومن الدلائل أن تراه مسافرا نحو الجهاد وكل فعل فاضل
ومن الدلائل زهده فيما يرى من دار ذل والنعيم الزائل
ومن الدلائل أن تراه باكيا أن قد رآه على قبيح فعائل
ومن الدلائل أن تراه مسلما كل الأمور الى المليك العادل
ومن الدلائل أن تراه راضيا بمليكه فى كل حكم نازل
ومن الدلائل ضحكه بين الورى والقلب محزون كقلب الثاكل

بيان معنى الأنس بالله تعالى

قد ذكرنا أن الأنس والخوف والشوق من آثار المحبة ، إلا أن هذه آثار مختلفة تختلف على المحب بحسب نظره وما يغلب عليه فى وقته ، فإذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب إلى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب إلى الطلب وانزعج له وهاج إليه ، وتسمى هذه الحالة فى الانزعاج شوقا وهو بالإضافة إلى أمر غائب ، وإذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت إلى ما لم يدركه بعد ؛ استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره أنسا ، وإن كان نظره إلى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر إمكان الزوال والبعد تألم القلب بهذا الاستشعار فيسمى تألمه خوفا . وهذه الأحوال تابعة لهذه الملاحظات ، والملاحظات تابعة لأسباب تقتضيها لا يمكن حصرها ، فالأنس معناه استبشار القلب فرحه بمطالعة الجمال ، حتى إنه إذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق إليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ، ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له : أنت مشتاق ؟ فقال : لا إنما الشوق إلى غائب ، فإذا كان الغائب حاضرا فإلى من يشتاق ؟ وهذا كلام مستغرق بالفرح بما ناله غير ملتفت إلى ما بقى فى الإمكان من مزايا الألطاف .

ومن غلب عليه حال الأنس لم تكن شهوته إلا فى الانفراد والخلوة ، كما حكى أن إبراهيم بن أدهم نزل من الجبل فقيل له : من أين أقبلت ؟ فقال : من الأنس بالله ، وذلك لأن الأنس بالله يلازمه التوحش من غير الله ، بل كل

ما يعرق عن الخلوة فيكون من أثقل الأشياء على القلب ، كما روى أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام أحد من الناس إلا أخذه الغشيان ، لأن الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ماسواه . ولذلك قال بعض الحكماء فى دعائه : يامن آنسنى بذكره وأوحشنى من خلقه ، وقال الله عز وجل لداود عليه السلام : كن لى مشتاقا وبى متأنسا ومن سواى مستوحشا وقيل لرابعة : بم نلت هذه المنزلة ؟ قالت ؛ بتركى مالا يعنينى وأنسى بمن لم يزل . وقال عبدالواحد بن زيد : مررت براهب فقلت له ياراهب لقد أعجبتك الوحدة ؟ فقال : ياهذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت إليها من نفسك ، الوحدة رأس العبادة ، فقلت ياراهب ما أقل ما تجده فى الوحدة ؟ قال : الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم ، قلت ياراهب متى يذوق العبد حلاوة الأنس بالله تعالى ؟ قال : إذا صفا الود وخلصت المعاملة ، قلت : ومتى يصفو الود ؟ قال : إذا اجتمع الهم فصارهما واحد فى الطاعة ، وقال بعض الحكماء : عجبا للخلائق كيف أرادوا بك بدلا ؟ عجبا للقلوب كيف استأنست بسواك عنك ؟ .

فإن قلت : فما علامة الأنس ؟ فاعلم أنّ علامته الخاصة ضيق الصدر من معاشرة الخلق والتبرم بهم واستهتاره بعذوبة الذكر ، فإن خالط فهو كمنفرد فى جماعة ومجتمع فى خلوة ، وغريب فى حضر وحاضر فى سفر ، وشاهد فى غيبة وغائب فى حضور ، مخالط بالبدن منفرد بالقلب ، مستغرق بعذوبة الذكر ، كما قال على كرم الله وجهه فى وصفهم: هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعر المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى ، أولئك خلفاء الله فى أرضه والدعاة إلى دينه . فهذا معنى الأنس بالله وهذه علامته وهذه شواهده .

وقد ذهب بعض المتكلمين إلى انكار الأنس والشوق والحب لظنه أن ذلك يدل على التشبيه ، وجهله بأن جمال المدركات بالبصائر أكمل من جمال المبصرات ، ولذة معرفتها أغلب على ذوى القلوب ومنهم أحمد بن غالب ، يعرف بغلام الخليل أنكر على الجنيد وعلى أبى الحسن النورى والجماعة حديث الحب والشوق والعشق حتى أنكر بعضهم مقام الرضا ، وقال : ليس إلا الصبر فأما الرضا فغير متصور . وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين إلا على القشور فظن أنه لا وجود إلا للقشر ، فإن المحسوسات وكل ما يدخل فى الخيال من طريق الدين قشر مجرد ووراءه اللب المطلوب ، فمن لم يصل من الجوز إلا إلى قشره يظن أنّ الجوز خشب كله ، ويستحيل عنده خروج الدهن منه لا محالة وهو معذور ولكن عذره غير مقبول وقد قيل :

الأنس بالله لا يحويه بطال وليس يدركه بالحول محتال
والآنسون رجال كلهم نجب وكلهم صفوة لله عمال

بيان معنى الانبساط والإدلال الذى تثمره غلبة الأنس

اعلم أن الأنس إذا دام وغلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف التغير والحجاب فإنه يثمر نوعا من الانبساط فى الأقوال والأفعال والمناجاة مع الله تعالى ، وقد يكون منكر الصورة لما فيه من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن أقيم فى مقام الأنس ، ومن لم يقم فى ذلك المقام ويتشبه بهم فى الفعل والكلام هلك به وأشرف على الكفر .

ومثاله : مناجاة برخ الأسود الذى أمر الله تعالى كليمه موسى عليه السلام أن يسأله ليستسق لبنى إسرائيل ؛

بعد أن قحطوا سبع سنين وخرج موسى عليه السلام ليستسقى لهم فى سبعين ألفا ، فأوحى الله عز وجل إليه : كيف أستجيب لهم وقد أظلمت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعوننى على غير يقين ويأمنون مكرى ، ارجع إلى عبد من عبادى يقال له برخ فقل له يخرج حتى أستجيب له ، فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يعرف ، فبينما موسى ذات يوم يمشى فى طريق إذا بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود ، فى شملة قد عقدها على عنقه ، فعرفه موسى عليه السلام بنور الله عز وجل فسلم عليه وقال له : ما اسمك ؟ فقال : اسمى برخ ، قال : فأنت طلبتنا منذ حين أخرج فاستسق لنا . فخرج فقال فى كلامه : ماهذا من فعالك ولا هذا من حلمك؟ وما الذى بدالك ؟ أنقصت عليك عيونك أم عاندت الرياح عن طاعتك أم نفد ماعندك أم اشتد غضبك على المذنبين ؟ ألست كنت غفارا قبل خلق الخطائين ؟ خلقت الرحمة وأمرت بالعطف ، أم ترينا أنك ممتنع أم تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة ، قال فما برح حتى اخضلت بنو إسرائيل بالقطر وأنبت الله تعالى العشب فى نصف يوم حتى بلغ الركب ، قال : فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال : كيف رأيت حين خاصمت ربى كيف أنصفنى ؟ فهم موسى عليه السلام به ، فأوحى الله تعالى إليه : إن برخا يضحكنى كل يوم ثلاث مرات .

وعن الحسن قال : احترقت أخصاص بالبصرة فبقى فى وسطها خص لم يحترق ، وأبو موسى يومئذ أمير البصرة ، فأخبر بذلك فبعث إلى صاحب الخص ، قال : فأتى بشيخ فقال : ياشيخ مابال خصك لم يحترق ؟ قال : إنى أقسمت على ربى عز وجل أن لا يحرقه ، فقال أبو موسى رضى الله عنه : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يكون فى أمتى قوم شعثة رءوسهم ، دنسة ثيابهم لو أقسموا على الله لأبرهم [1] » قال : ووقع حريق بالبصرة فجاء أبو عبيدة الخواص فجعل يتخطى النار ، فقال له أمير البصرة : انظر لا تحترق بالنار ، فقال : إنى أقسمت على ربى عز وجل أن لا يحرقنى بالنار ، قال : فاعزم على النار أن تطفأ ، قال : فعزم عليها فطفئت . وكان أبو حفص يمشى ذات يوم فاستقبله رستاق مدهوش فقال له أبو حفص : ماأصابك ؟ فقال : ضل حمارى ولا أملك غيره ، قال : فوقف أبو حفص وقال : وعزتك لا أخطو خطوة مالم ترد عليه حماره ، قال : فظهر حماره فى الوقت ومر أبو حفص رحمه الله .

فهذا وأمثاله يجرى لذوى الأنس وليس لغيرهم أن يتشبه بهم . قال الجنيد رحمه الله : أهل الأنس يقولون فى كلامهم ومناجاتهم فى خلواتهم أشياء هى كفر عند العامة . وقال مرة . لو سمعها العموم لكفروهم وهم يجدون المزيد فى أحوالهم بذلك . وذلك يحتمل منهم ويليق بهم وإليه أشار القائل :

قوم تخالجهم زهـــو بسيدهم والعبد يزهو على مقدار مولاه
تاهوا برؤيتـــه عما سواه له يا حسن رؤيتهم فى عز ما تاهوا

ولا تستبعدون رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف مقامهما ، ففى القرآن تنبيهات على هذه المعانى لو فطنت وفهمت ، لجميع قصص القرآن تنبيهات لأولى البصائر والأبصار حتى ينظروا إليها بعين الاعتبار ، فإنما هى عند ذوى الاعتبار من الأسماء .

فأول القصص . قصة آدم عليه السلام وإبليس أما تراهما كيف اشتركا فى اسم المعصية والمخالفة ثم تباينا فى الاجتباء والعصمة . أما إبليس فأبلس عن رحمته ، وقيل إنه من المبعدين . وأما آدم عليه السلام فقيل فيه ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ .

---

(١) حديث الحسن عن أبى موسى « يكون فى أمتى قوم شعثة رءوسهم دنسة ثيابهم لو أقسموا على الله لأبرهم » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الأولياء وفيه انقطاع وجهالة .

وقد عاتب الله نبيه صلى الله عليه وسلم فى الإعراض عن عبد والإقبال على عبد ، وهما فى العبودية سيان ولكن فى الحال مختلفان ، فقال ﴿ وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنده تلهى ﴾ وقال فى الآخر ﴿ أما من استغنى فأنت له تصدى ﴾ وكذلك أمره بالقعود مع طائفة ، فقال عز وجل ﴿ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم ﴾ وأمره بالإعراض عن غيرهم ، فقال ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم ﴾ حتى قال ﴿ فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ وقال تعالى ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ﴾ .

فكذلك الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون بعض . فمن انبساط الأنس قول موسى عليه السلام ﴿ إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء ﴾ وقوله فى التعليل والاعتذار لما قيل له ﴿ اذهب إلى فرعون ﴾ فقال ﴿ ولهم على ذنب ﴾ وقوله ﴿ إنى أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى ﴾ وقوله ﴿ إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى ﴾ وهذا من غير موسى عليه السلام من سوء الأدب لأن الذى أقيم مقام الأنس يلاطف ويحتمل ، ولم يحتمل ليونس عليه السلام مادون هذا لما أقيم مقام القبض والهيبة ، فعوقب بالسجن فى بطن الحوت ـ فى ظلمات ثلاث ـ ونودى عليه إلى يوم القيامة ﴿ لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ﴾ . قال الحسن : العراء هو القيامة . ونهى نبينا صلى الله عليه وسلم أن يقتدى به . وقيل له ﴿ فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم ﴾ .

وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الأحوال والمقامات وبعضها لما سبق فى الأزل من التفاضل والتفاوت فى القسمة بين العباد ، وقد قال تعالى ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ﴾ وقد قال ﴿ منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ﴾ فكان عيسى عليه السلام من المفضلين ولإدلاله سلم على نفسه ، فقال ﴿ والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ﴾ وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف فى مقام الأنس .

وأما يحيى بن زكريا عليه السلام فإنه أقيم مقام الهيبة والحياء فلم ينطق حتى أثنى عليه خالقه ، فقال ﴿ وسلام عليه ﴾ .

وانظر كيف احتمل لإخوة يوسف مافعلوه بيوسف وقد قال بعض العلماء : قد عددت من أول قوله تعالى ﴿ إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ﴾ إلى رأس العشرين من إخباره تعالى عن زهدهم فيه نيفا وأربعين خطيئة بعضها أكبر من بعض ، وقد يجتمع فى الكلمة الواحدة الثلاث والأربع ـ فغفر لهم وعفا عنهم ولم يحتمل العزير فى مسألة واحدة سأل عنها فى القدر ، حتى قيل محى من ديوان النبوة ! وكذلك كان بلعام بن باعوراء من أكابر العلماء فأكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك . وكان آصف من المسرفين وكانت معصيته فى الجوارح فعفا عنه . فقد روى أن الله تعالى أوحى إلى سليمان عليه السلام : يارأس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين إلى كم يعصينى ابن خالتك آصف وأنا أحلم عليه مرة بعد مرة فوعزتى وجلالى لئن أخذته عصفة من عصفاتى عليه لأتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن بعده ، فلما دخل آصف على سليمان عليه السلام أخبره بما أوحى الله تعالى إليه فخرج حتى علا كثيبا من رمل ، ثم رفع رأسه ويديه نحو السماء وقال : إلهى وسيدى أنت أنت وأنا أنا فكيف أتوب إن لم تتب على وكيف أستعصم ؟ إن لم تعصمنى لأعودن ، فأوحى الله تعالى إليه : صدقت يا آصف أنت أنت وأنا أنا استقبل التوبة وقد تبت عليك وأنا التواب الرحيم ، وهذا كلام مدل به عليه وهارب منه إليه وناظر به إليه .

وفى الخبر : إنّ الله تعالى أوحى إلى عبد تداركه بعد أن كان أشفى على الهلكة كم من ذنب واجهتنى به غفرته لك قد أهلكت فى دونه أمة من الأمم . فهذه سنة الله تعالى فى عباده بالتفضيل والتقديم والتأخير على ما سبقت به المشيئة الأزلية .

وهذه القصص وردت فى القرآن لتعرف بها سنة الله فى عباده الذين خلوا من قبل ، فما فى القرآن شىء إلا وهو هدى ونور وتعرف من الله تعالى إلى خلقه ، فتارة يتعرف إليهم بالتقديس فيقول ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴾ وتارة يتعرف إليهم بصفات جلاله فيقول ﴿ الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ﴾ وتارة يتعرف إليهم فى أفعاله المخوفة والمرجوة فيتلو عليهم سنته فى أعدائه وفى أنبيائه فيقول ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد ـ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ﴾ .

ولايعدو القرآن هذه الأقسام الثلاثة وهى : الإرشاد إلى معرفة ذات الله وتقديسه ، أو معرفة صفاته وأسمائه ، أو معرفة أفعاله وسنته مع عباده . ولما اشتملت سورة الإخلاص على أحد هذه الأقسام الثلاثة وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن فقال « من قرأ سورة الإخلاص فقد قرأ ثلث القرآن (١) » لأنّ منتهى التقديس أن يكون واحدا فى ثلاثة أمور ، لايكون حاصلا منه من هو نظيره وشبهه . ودل عليه قوله ﴿ لم يلد ﴾ ولايكون حاصلا ممن هو نظيره وشبهه . ودل عليه قوله ﴿ ولم يولد ﴾ ولايكون فى درجته وإن لم يكن أصلا له ولافرعا من هو مثله . ودل عليه قوله ﴿ ولم يكن له كفوا أحد ﴾ ويجمع جميع ذلك قوله تعالى ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وجملته تفصيل قول « لا إله إلا الله » فهذه أسرار القرآن ولاتتناهى أمثال هذه الأسرار فى القرآن ﴿ ولارطب ولايابس إلا فى كتاب مبين ﴾ ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه : نوّروا القرآن والتمسوا غرائبه ففيه علم الأوّلين والآخرين ، وهو كما قال ، ولا يعرفه إلا من طال فى آحاد كلماته فكره وصفا له فهمه حتى تشهد له كل كلمة منه بأنه كلام جبار قاهر مليك قادر وأنه خارج عن حدّ استطاعة البشر . وأكثر أسرار القرآن معبأة فى طى القصص والأخبار ، فكن حريصاً على استنباطها ليكشف لك فيه من العجائب ماتستحقر معه العلوم المزخرفة الخارجة عنه .. فهذا ما أردنا ذكره من معنى الأنس والانبساط الذى هو ثمرته وبيان تفاوت عباد الله فيه والله سبحانه وتعالى أعلم .

القول فى معنى الرضا بقضاء الله تعالى وحقيقته وماورد فى فضيلته

اعلم أنّ الرضا ثمرة من ثمار المحبة وهو من أعلى مقامات المقربين وحقيقته غامضة على الأكثرين ، ومايدخل عليه من التشابه والإيهام غير منكشف إلا لمن علمه الله تعالى التأويل وفهمه وفقهه فى الدين ، فقد أنكر منكرون تصوّر الرضا بما يخالف الهوى ثم قالوا : إن أمكن الرضا بكل شىء لأنه فعل الله فينبغى أن يرضى بالكفر والمعاصى وانخدع بذلك قوم فرأوا الرضا بالفجور والفسوق وترك الاعتراض والإنكار من باب التسليم لقضاء الله تعالى . ولو انكشفت هذه الأسرار لمن اقتصر على سماع ظواهر الشرع لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل (٢) » فلنبدأ ببيان فضيلة الرضا ، ثم بحكايات أحوال الراضين ،

---

(١) حديث « من قرأ سورة الإخلاص فقد قرأ ثلث القرآن » أخرجه أحمد من حديث أبى بن كعب بإسناد صحيح ورواه البخارى من حديث أبى سعيد ومسلم من حديث أبى الدرداء نحوه . (٢) حديث دعائه لابن عباس « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » متفق عليه دون قوله « وعلمه التأويل » ورواه أحمد بهذه الزيادة وتقدم فى العلم .

ثم نذكر حقيقة الرضا وكيفية تصوره فيما يخالف الهوى ، ثم نذكر مايظن أنه من تمام الرضا وليس منه كترك الدعاء والسكوت على المعاصى .

بيان فضيلة الرضا

أما من الآيات فقوله تعالى ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ وقد قال تعالى ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ ومنتهى الإحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عن الله تعالى . وقال تعالى ﴿ ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ﴾ فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ﴾ فكما أن مشاهدة المذكور فى الصلاة أكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية مطلب سكان الجنان .

وفى الحديث « إن الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلونى فيقولون رضاك [1] » فسؤالهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل . وأما رضا العبد فسنذكر حقيقته ، وأما رضوان الله تعالى عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه فى حب الله للعبد ، ولايجوز أن يكشف عن حقيقته إذتقصر أفهام الخلق عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل بإدراكه من نفسه . وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر إليه فإنما سألوه الرضا لأنه سبب دوام النظر ، فكأنهم رأوه غاية الغايات وأقصى الأمانى لما ظفروا بنعيم النظر ، فلما امروا بالسؤال لم يسألوا إلا دوامه وعلموا أن الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب . وقال الله تعالى ﴿ ولدينا مزيد ﴾ قال بعض المفسرين : يأتى أهل الجنة فى وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين ؛ إحداها : هدية من عند الله تعالى ليس عندهم فى الجنان مثلها فذلك قوله تعالى ﴿ فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين ﴾ والثانية : السلام عليهم من ربهم ، فيزيد ذلك على الهدية فضلا وهو قوله تعالى ﴿ سلام قولا من رب رحيم ﴾ والثالثة : يقول الله تعالى : إنى عنكم راض فيكون ذلك أفضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ أى من النعيم الذى هم فيه فهذا فضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا العبد .

وأما من الأخبار : فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من أصحابه « ماأنتم » فقالوا : مؤمنون ، فقال « ما علامة إيمانكم » فقالوا : نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء ، فقال « مؤمنون ورب الكعبة [2] » وفى خبر آخر أنه قال « حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء [3] » وفى الخبر « طوبى لمن هدى للإسلام وكان رزقه كفافا ورضى به [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « من رضى من الله تعالى بالقليل من الرزق رضى الله تعالى منه بالقليل من العمل [5] » وقال أيضاً « إذا أحب الله تعالى عبدا ابتلاه فإن صبر اجتباه فإن رضى اصطفاه » وقال أيضاً « إذا كان يوم القيامة أنبت الله تعالى لطائفة من أمتى أجنحة فيطيرون من قبورهم إلى

---

(١) حديث « إن الله يتجلى للمؤمنين فيقول سلونى فيقولون رضاك » أخرجه البزار والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس فى حديث طويل بسند فيه لين وفيه « فيتجلى لهم يقول أنا الذى صدقتكم وعدى وأتممت عليكم نعمتى وهذا محل إكرامى فسلونى فيسألونه الرضا ... الحديث » ورواه أبو يعلى بلفظ « ثم يقول ماذا تريدون فيقولون رضاك... الحديث » ورجاله رجال الصحيح

(٢) حديث : سأل طائفة من أصحابه « ماأنتم » فقالوا : مؤمنون فقال « ماعلامة إيمانكم ... الحديث » تقدم .

(٣) حديث : أنه قال فى حديث آخر « حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء » تقدم أيضا . (٤) حديث « طوبى لمن هدى للاسلام وكان رزقه كفافا ورضى به » أخرجه الترمذى من حديث فضالة بن عبيد بلفظ « وقنع » وقال صحيح وقد تقدم

(٥) حديث « من رضى من الله بالقليل من الرزق رضى منه بالقليل من العمل » رويناه فى أمالى المحاملى بإسناد ضعيف من حديث على بن أبى طالب ومن طريق المحاملى رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس .

الجنان يسرحون فيها ويتنعمون فيها كيف شاءوا ، فتقول لهم الملائكة : هل رأيتم الحساب ؟ فيقولون : مارأينا حسابا ، فتقول لهم : هل جزتم الصراط ؟ فيقولون : مارأينا صراطا ، فتقول لهم : هل رأيتم جهنم ؟ فيقولون : مارأينا شيئا ، فتقول الملائكة : من أمة من أنتم ؟ فيقولون : من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فتقول : ناشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم فى الدنيا ، فيقولون : خصلتان كانتا فينا فبلغنا هذه المنزلة بفضل رحمة الله ، فيقولون : وماهما ؟ فيقولون : كنا إذا خلونا نستحى أن نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا ، فتقول الملائكة : يحق لكم هذا [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « يامعشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا [2] » .

وفى أخبار موسى عليه السلام : إنّ بنى إسرائيل قالوا له : سل لنا ربك أمرا إذا نحن فعلناه يرضى به عنا ، فقال موسى عليه السلام . إلهى قد سمعت ماقالوا ، فقال : ياموسى قل لهم يرضون عنى حتى أرضى عنهم . ويشهد لهذا ماروى عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أحب أن يعلم ماله عند الله عزوجل فلينظر ما لله عزوجل عنده ، فإنّ الله تبارك وتعالى ينزل العبد منه حيث أنزله العبد من نفسه [3] » .

وفى أخبار داود عليه السلام : ما لأوليائى والهم بالدنيا ، إن الهم يذهب حلاوة مناجاتى من قلوبهم ، ياداود إنّ محبتى من أوليائى أن يكونوا روحانيين لايغتمون .

وروى أنّ موسى عليه السلام قال : يارب دلنى على أمر فيه رضاك حتى أعمله ، فأوحى الله تعالى إليه : إن رضاى فى كرهك وأنت لاتصبر على ماتكره ، قال : يارب دلنى عليه ، قال : فإنّ رضاى فى رضاك بقضائى . وفى مناجاة موسى عليه السلام : أى رب أى خلقك أحب إليك ؟ قال : من إذا أخذت منه المحبوب سالمنى ، قال . فأى خلقك أنت عليه ساخط ؟ قال : من يستخيرنى فى الأمر فإذا قضيت له سخط قضائى . وقد روى ماهو أشدّ من ذلك وهو أنّ الله تعالى قال « أنا الله لاإله إلا أنا من لم يصبر على بلائى ولم يشكر نعمائى ولم يرض بقضائى فليتخذ ربا سوائى [4] » ومثله فى الشدّة قوله تعالى فيما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال : قال الله تعالى قدرت المقادير ودبرت التدبير وأحكمت الصنع ، فمن رضى فله الرضا منى حتى يلقانى ومن سخط فله السخط منى حتى يلقانى [5] » وفى الخبر المشهور « يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه ، وويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يديه ، وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف [6] » .

وفى الأخبار السالفة أن نبيا من الأنبياء شكا إلى الله عزوجل الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما أجيب إلى ماأراد ، ثم أوحى الله تعالى إليه كم تشكو ، هكذا كان بدؤك عندى فى أم الكتاب قبل أن أخلق السموات

---

(١) حديث « إذا كان يوم القيامة أنبت الله لطائفة من أمتى أجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها » رواه ابن حبان فى الضعفاء وأبو عبد الرحمن السلمى من حديث أنس مع اختلاف، وفيه حميد بن على القيسى ساقط هالك والحديث منكر مخالف للقرآن ، وللأحاديث الصحيحة فى الورود وغيره . (٢) حديث « أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا » تقدم . (٣) حديث « من أحب أن يعلم ماله عند الله فلينظر مالله عنده ... الحديث » أخرجه الحاكم من حديث جابر وصححه بلفظ « منزلته » و « منزلة الله » . (٤) حديث « قال الله أنا الله لاإله إلاأنا من لم يصبر على بلائى ... الحديث أخرجه الطبرانى فى الكبير وابن حبان فى الضعفاء من حديث أبى هند الدارى مقتصرا على قوله « من لم يرض بقضائى ويصبر على بلائى فليلتمس ربا سواى » » وإسناده ضعيف . (٥) حديث « قال الله تعالى قدرت المقادير ودبرت التدبير وأحكمت الصنع فمن رضى فله الرضا ... الحديث » لم أجده بهذا اللفظ ، والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى أمامة « خلق الله الخلق وقضى القضية وأخذ ميثاق النبيين ... الحديث » وإسناده ضعيف . (٦) حديث « يقول الله خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه .. الحديث » أخرجه ابن شاهين فى شرح السنة عن أبى أمامة بإسناد ضعيف .

والأرض وهكذا سبق لك مني وهكذا قضيت عليك قبل أن أخلق الدنيا ، أفتريد أن أعيد خلق الدنيا من أجلك أم تريد أن أبدل ماقدرته عليك فيكون ما تحب فوق ماأحب ويكون ماتريد فوق ما أريد ، وعزتي وجلالي لئن تاجلج هذا في صدرك مرة أخرى لأمحونك من ديوان النبوة . وروى أن آدم عليه السلام كان بعض أولاده الصغار يصعدون على بدنه وينزلون - يجعل أحدهم رجله على أضلاعه كهيئة الدرج فيصعد إلى رأسه ، ثم ينزل على أضلاعه كذلك وهو مطرق إلى الأرض لاينطق ولايرفع رأسه - فقال له بعض ولده : ياأبت ! أماترى مايصنع هذا بك لونهيته عن هذا ! فقال : يابني إني رأيت مالم تروا ، وعلمت مالم تعلموا ، إني تحركت حركة واحدة فأهبطت من دار الكرامة إلى دار الهوان ومن دار النعيم إلى دار الشقاء ، فأخاف أن أتحرك أخرى فيصيبني مالا أعلم . وقال أنس بن مالك رضي الله عنه : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ، ولا لشيء لم أفعله لم لافعلته ، ولاقال في شيء كان ليته لم يكن ، ولافي شيء لم يكن ليته كان ، وكان إذا خاصمني مخاصم من أهله يقول دعوه لو قضي شيء لكان [1] . ويروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام : ياداود إنك تريد وأريد وإنما يكون ماأريد ، فإن سلمت لما أريد كفيتك ماتريد ، وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لايكون إلا ما أريد .

وأما الآثار: فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما . أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله تعالى على كل حال . وقال عمر بن عبد العزيز : مابقي لي سرور إلا في مواقع القدر ، وقيل له : ماتشتهي ؟ فقال : مايقضي الله . وقال ميمون بن مهران : من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء . وقال الفضيل : إن لم تصبر على تقدير الله لم تصبر على تقدير نفسك وقال عبد العزيز بن أبي رواد : ليس الشأن في أكل خبز الشعير والخل ولا في لبس الصوف والشعر ، ولكن الشأن في الرضا عن الله عزوجل وقال عبد الله بن مسعود : لأن ألحس جمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب إلي من أن أقول لشيء كان ليته لم يكن أو لشيء لم يكن ليته كان . ونظر رجل إلى قرحة في رجل محمد بن واسع . فقال : إني لأرحمك من هذه القرحة ، فقال : إني لأشكرها منذ خرجت إذ لم تخرج في عيني .

وروى في الإسرائيليات : أن عابدا عبد الله دهرا طويلا فأرى في المنام : فلانة الراعية رفيقتك في الجنة ؛ فسأل عنها إلى أن وجدها فاستضافها ثلاثا لينظر إلى عملها ، فكان يبيت قائما وتبيت نائمة ويظل صائما وتظل مفطرة . فقال : أما لك عمل غير مارأيت ؟ فقالت : ماهو والله إلا مارأيت لاأعرف غيره ، فلم يزل يقول : تذكري ، حتى قالت : خصيلة واحدة هي في ؛ إن كنت في شدة لم أتمن أن أكون في رخاء ، وإن كنت في مرض لم أتمن أن أكون في صحة ، وإن كنت في الشمس لم أتمن أن أكون في الظل ، فوضع العابد يده على رأسه وقال: أهذه خصيلة ؟ هذه والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد .

وعن بعض السلف : إن الله تعالى إذا قضى في السماء قضاء أحب من أهل الأرض أن يرضوا بقضائه . وقال أبو الدرداء : ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر . وقال عمر رضي الله عنه . ما أبالي على أي حال أصبحت وأمسيت من شدة أو رخاء . وقال الثوري يوما عند رابعة : اللهم ارض عني ، فقالت : أما تستحي من الله أن تسأله الرضا وأنت عنه غير راض ؟ فقال : أستغفر الله ، فقال جعفر بن سليمان الضبعي : فمتى يكون العبد راضيا عن الله

(١) حديث أنس : خدمت النبي صلى الله عليه وسلم فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ... الحديث . متفق عليه وقد تقدم .

تعالى ؟ قالت : إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة . وكان الفضيل يقول : إذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضى عن الله تعالى . وقال أحمد بن أبي الحواري : قال أبو سليمان الداراني إنّ الله عز وجل من كرمه قد رضى من عبيده بما رضى العبيد من مواليهم قلت : وكيف ذاك ؟ قال : أليس مراد العبد من الخلق أن يرضى عنه مولاه قلت : نعم ، قال : فإن محبة الله من عبيده أن يرضوا عنه . وقال سهل : حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله عز وجل . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح فى الرضا واليقين ، وجعل الغم والحزن فى الشك والسخط [1] » .

بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى

اعلم أنّ من قال : ليس فيما يخالف الهوى وأنواع البلاء إلا الصبر فأما الرضا فلا يتصور ؟ فإنما أتى من ناحية إنكار المحبة ، فأما إذا ثبت تصور الحب لله تعالى واستغراق الهم به فلا يخفى أنّ الحب يورث الرضا بأفعال الحبيب ، ويكون ذلك من وجهين .

(أحدهما) أن يبطل الإحساس بالألم حتى يجرى عليه المؤلم ولا يحس ، وتصيبه جراحة ولا يدرك ألمها . ومثاله : الرجل المحارب فإنه فى حال غضبه أو فى حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بألم ذلك لشغل قلبه . بل الذى يحجم أو يحلق رأسه بحديدة كالة يتألم به ، فإن كان مشغول القلب بمهم من مهماته فرغ المزين والحجام وهو لا يشعر به . وكل ذلك لأنّ القلب إذا صار مستغرقا بأمر من الأمور مستوفى به لم يدرك ما عداه ، فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه أو بحبه قد يصيبه ما كان يتألم به أو يغتم له لولا عشقه ، ثم لا يدرك غمه وألمه لفرط استيلاء الحب على قلبه . هذا إذا أصابه من غير حبيبه ! فكيف إذا أصابه من حبيبه ؟ وشغل القلب بالحب والعشق من أعظم الشواغل ، وإذا تصور هذا فى ألم يسير بسبب حب خفيف تصور فى الألم العظيم بالحب العظيم ، فإنّ الحب أيضا يتصور تضاعفه فى القوة كما يتصور تضاعف الألم ، وكما يقوى حب الصور الجميلة المدركة بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة ، وجمال حضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال ، فمن ينكشف له شيء منه فقد يبهره بحث يدهش ويغشى عليه فلا يحس بما يجرى عليه فقد روى أن امرأة فتح الموصلى عثرت فانقطع ظفرها فضحكت ، فقيل لها : أما تجدين الوجع ؟ فقالت : إن لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه . وكان سهل رحمه الله تعالى به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه ، فقيل له فى ذلك فقال : يادوست ضرب الحبيب لا يوجع !

(وأما الوجه الثانى) فهو أن يحس به ويدرك ألمه ولكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له - أعنى بعقله - وإن كان كارها بطبعه ، كالذى يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فإنه يدرك ألم ذلك إلا أنه راض به وراغب فيه ومتقلد من الفصاد به منة بفعله ، فهذا حال الراضى بما يجرى عليه من الألم . وكذلك كل من يسافر فى طلب الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة سفره طيب عنده مشقة السفر وجعله راضيا بها . ومهما أصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين بأن ثوابه الذى ادخر له فوق ما فاته رضى به ورغب فيه وأحبه وشكر الله عليه . هذا إن كان

---

(١) حديث « إن الله بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح فى الرضا ... الحديث » أخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود إلا أنه قال « بقسطه » وقد تقدم .

يلاحظ الثواب والإحسان الذى يجازى به عليه ، ويجوز أن يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب فى مراد محبوبه ورضاه لا لمعنى آخر وراءه ، فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا ، وكل ذلك موجود فى المشاهدات فى حب الخلق وقد تواصفها المتواصفون فى نظمهم ونثرهم ، ولا معنى له إلا ملاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر ، فإن نظر إلى الجمال فما هو إلا جلد ولحم ودم مشحون بالأقذار والأخباث بدايته من نطفة مذرة ونهايته جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة . وإن نظر إلى المدرك للجمال فهى العين الخسيسة التى تغلط فيما ترى كبيرا ، فترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا ، فإذا تصور استيلاء هذا الحب فمن أين يستحيل ذلك فى حب الجمال الأزلى الأبدى الذى لامنتهى لكماله المدرك بعين البصيرة التى لا يعتريها الغلط ولا يدور بها الموت بل تبقى بعد الموت ؟ حية عند الله فرحة برزق الله تعالى مستفيدة بالموت مزيد تنبيه واستكشاف ؟ فهذا أمر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار ، ويشهد لذلك الوجود وحكايات أحوال المحبين وأقوالهم .

فقد قال شقيق البلخى : من يرى ثواب الشدة لا يشتهى المخرج منها ؟ وقال الجنيد : سألت سريا السقطى هل يجد المحب ألم البلاء ؟ قال : لا ، قلت وإن ضرب بالسيف ! قال : نعم وإن ضرب بالسيف سبعين ضربة - ضربة على ضربة . وقال بعضهم : أحببت كل شىء يحبه حتى لو أحب النار أحببت دخول النار . وقال بشر بن الحارث : مررت برجل وقد ضرب ألف سوط فى شرقية بغداد ولم يتكلم ثم حمل إلى الحبس ، فتبعته فقلت له : لم ضربت؟ فقال لأنى عاشق ، فقلت له ولم سكت ؟ قال لأن معشوقى كان بحذائى ينظر إلى ، فقلت فلو نظرت إلى المعشوق الأكبر ! قال فزعق زعقة خر ميتا . وقال يحيى بن معاذ الرازى - رحمه الله تعالى - إذا نظر أهل الجنة إلى الله تعالى ذهبت عيونهم فى قلوبهم من لذة النظر إلى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع إليهم ، فما ظنك بقلوب وقعت بين جماله وجلاله ؟ إذا لاحظت جلاله هابت وإذا لاحظت جماله تاهت ! وقال بشر : قصدت عبادان فى بدايتى فإذا برجل أعمى مجذوم مجنون قد صرع والنمل يأكل لحمه ، فرفعت رأسه فوضعته فى حجرى وأنا أردد الكلام ، فلما أفاق قال من هذا الفضولى الذى يدخل بينى وبين ربى لو قطعنى إربا إربا ما ازددت له إلا حبا ؟ قال بشر فما رأيت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين ربه فأنكرتها . وقال أبو عمرو محمد بن الأشعث إن أهل مصر مكثوا أربعة أشهر لم يكن لهم غذاء إلا النظر إلى وجه يوسف الصديق عليه السلام ، كانوا إذا جاعوا نظروا إلى وجهه فشغلهم جماله عن الإحساس بألم الجوع . بل فى القرآن ما هو أبلغ من ذلك وهو قطع النسوة أيديهن لاستهتارهن بملاحظة جماله حتى ما أحسسن بذلك . وقال سعيد بن يحيى رأيت بالبصرة فى خان عطاء بن مسلم شابا وفى يده مدية وهو ينادى بأعلى صوته والناس حوله وهو يقول :

يوم الفراق من القيامة أطول والموت من ألم التفرق أجمل
قالوا الرحيل فقلت لست براحل لكن مهجتى التى تترحل

ثم بقر بالمدية بطنه وخر ميتا ، فسألت عنه وعن أمره فقيل لى إنه كان يهوى فتى لبعض الملوك حجب عنه يوما واحدا . ويروى أن يونس عليه السلام قال لجبريل دلنى على أعبد أهل الأرض ؟ فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره فسمعه وهو يقول إلهى متعتنى بهما ما شئت أنت ، وسلبتنى ما شئت أنت ، وأبقيت لى فيك الأمل يا بر يا وصول . ويروى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه اشتكى له ابن فاشتد

وجده عليه حتى قال بعض القوم : لقد خشينا على هذا الشيخ إن حدث بهذا الغلام حدث ، فمات الغلام فخرج ابن عمر فى جنازته وما رجل أشدّ سروراً أبدا منه ، فقيل له فى ذلك فقال ابن عمر : إنما كان حزنى رحمة له ، فلما وقع أمر الله رضينا به . وقال مسروق . كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك ، فالديك يوقظهم للصلاة والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خباءهم والكلب يحرسهم ، قال : فجاء الثعلب فأخذ الديك ، فحزنوا له وكان الرجل صالحا فقال : عسى أن يكون خيرا ، ثم جاء ذئب فخرق بطن الحمار فقتله فحزنوا عليه فقال الرجل :عسى أن يكون خيرا ، ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال عسى أن يكون خيرا ، ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا فإذا قد سبى من حولهم وبقوا هم ، قال : وإنما أخذوا أولئك لما كان عندهم من أصوات الكلاب والحمير والديكة ، فكانت الخيرة لهؤلاء فى هلاك هذه الحيوانات كما قدره الله تعالى . فإذن من عرف خفىّ لطف الله تعالى رضى بفعله على كل حال . ويروى أنّ عيسى عليه السلام مرّ برجل أعمى أبرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيرا من خلقه ، فقال له عيسى : يا هذا أى شىء من البلاء أراه مصروفا عنك ؟ فقال : ياروح الله أنا خير ممن لم يجعل الله فى قلبه ماجعل فى قلبى من معرفته ، فقال له : صدقت هات يدك ، فناوله يده فإذا هو أحسن الناس وجها وأفضلهم هيئة ! وقد أذهب الله عنه ما كان به ، فصحب عيسى عليه السلام وتعبد معه . وقطع عروة بن الزبير رجله .. من ركبته — من أكلة خرجت بها ثم قال : الحمد لله الذى أخذ منى واحدة وإيمك لئن كنت أخذت لقد أبقيت ، ولئن كنت ابتليت لقد عافيت ، ثم لم يدع ورده تلك الليلة . وكان ابن مسعود يقول : الفقر والغنى مطيتان ما أبالى أيتهما ركبت ؟ إن كان الفقر فإنّ فيه الصبر وإن كان الغنى فإن فيه البذل . وقال أبو سليمان الدارانى : قلت قد نلت من كل مقام حالا إلا الرضا فمالى منه إلا مشام الريح ، وعلى ذلك لو أدخل الخلائق كلهم الجنة وأدخلنى النار كنت بذلك راضيا . وقيل لعارف آخر : هل نلت غاية الرضا عنه ؟ فقال : أما الغاية فلا ، ولكن مقام الرضا قد نلته ، لو جعلنى جسرا على جهنم يعبر الخلائق علىّ إلى الجنة ثم ملأ بى جهنم — تحلة لقسمه وبدلا من خليقته — لأحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه . وهذا كلام من علم أنّ الحب قد استغرق همه حتى منعه الإحساس بألم النار ، فإن بقى إحساس فيغمره مايحصل من لذته فى استشعاره حصول رضا محبوبه بإلقائه إياه فى النار . واستيلاء هذه الحالة غير محال فى نفسه وإن كان بعيدا من أحوالنا الضعيفة ، ولكن لا ينبغى أن يستنكر الضعيف المحروم أحوال الأقوياء ويظنّ أنّ ما هو عاجز عنه يعجز عنه الأولياء . وقال الروذبارى : قلت لأبى عبد الله بن الجلاء الدمشقى : قول فلان ؛ وددت أنّ جسدى قرض بالمقاريض وأن هذا الخلق أطاعوه ؛ ما معناه ؟ فقال : ياهذا إن كان هذا من طريق التعظيم والإجلال فلا أعرف وإن كان هذا من طريق الإشفاق والنصح للخلق فأعرف ، قال : ثم غشى عليه . وقد كان عمران بن الحصين قد استسق بطنه فبقى ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد — قد نقب له فى سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته — فدخل عليه مطرف وأخوه العلاء فجعل يبكى لما يراه من حاله ، فقال : لم تبكى ؟ قال : لأنى أراك على هذه الحالة العظيمة ! قال : لاتبك فإنّ أحبه إلى الله تعالى أحبه إلى ! ثم قال : أحدثك شيئا لعل الله أن ينفعك به ، واكتم على حتى أموت ، إنّ الملائكة تزورنى فآنس بها وتسلم على فأسمع تسليمها فأعلم بذلك أن هذا البلاء ليس بعقوبة إذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة ! فمن يشاهد هذا فى بلائه كيف لايكون راضيا به ؟ قال : ودخلنا على سويد بن متعبة نعوده ، فرأينا ثوبا ملقى فما ظننا أن تحته شيئا حتى كشف ، فقالت له امرأته : أهلى

فداؤك ما نطعمك . ما نسقيك ؟ فقال : طالت الضجعة ودبرت الحراقيف وأصبحت نضوا لا أطعم طعاما ولا أسيغ شرابا منذ كذا ، فذكر أياما ، وما يسرنى أنى نقصت من هذا قلامة ظفر . ولما قدم سعد بن أبى وقاص إلى مكة - وقد كان كف بصره - جاءه الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له ، فيدعو لهذا ولهذا - وكان مجاب الدعوة - قاله عبد الله بن السائب : فأتيته وأنا غلام فتعرفت إليه فعرفنى وقال : أنت قارئ أهل مكة ؟ قلت : نعم، فذكر قصة قال فى آخرها : فقلت له : ياعم أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك ! فتبسم وقال : يابنى قضاء الله سبحانه عندى أحسن من بصرى ! وضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة أيام لم يعرف له خبر ، فقيل له لو سألت الله تعالى أن يرده عليك ، فقال : اعتراضى عليه فيما قضى أشدّ على من ذهاب ولدى . وعن بعض العباد أنه قال : إنى أذنبت ذنبا عظيما فأنا أبكى عليه منذ ستين سنة - وكان قد اجتهد فى العبادة لأجل التوبة من الذنب - فقيل له : وما هو ؟ قال : قلت مرة لشىء كان ، ليته لم يكن . وقال بعض السلف : لو قرض جسمى بالمقاريض لكان أحب إلى من أن أقول لشىء قضاه الله تعالى سبحانه ليته لم يقضه . وقيل لعبد الواحد بن زيد : ههنا رجل قد تعبد خمسين سنة ، فقصده فقال له : ياحبيبى أخبرنى عنك هل قنعت به ؟ قال : لا ، قال أنست به ؟ قال : لا ، قال فهل رضيت عنه ؟ قال : لا ، قال فإنما مزيدك منه الصوم والصلاة ؟ قال نعم ، قال لولا أنى أستحيى منك لأخبرتك بأن معاملتك خمسين سنة مدخولة ! ومعناه أنك لم يفتح لك باب القلب فتترقى إلى درجات القرب بأعمال القلب ، وإنما أنت تعدّ فى طبقات أصحاب اليمين ، لأن مزيدك منه فى أعمال الجوارح التى هى مزيد أهل العموم . ودخل جماعة من الناس على الشبلى رحمه الله تعالى فى مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة ، فقال من أنتم ؟ فقالوا محبوك ، فأقبل عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال ما بالكم ادعيتم محبتى إن صدقتم فاصبروا على بلائى !

وللشبلى رحمه الله تعالى :

إن المحبة للرحمن أسكرنى وهل رأيت محبا غير سكران ؟

وقال بعض عباد أهل الشام كلكم يلقى الله عز وجل مصدّقا ولعله قد كذبه ، وذلك أن أحدكم لو كان له أصبع من ذهب ظل يشير بها ، ولو كان بها شلل ظل يواريها ؛ يعنى بذلك أنّ الذهب مذموم عند الله والناس يتفاخرون به ، والبلاء زينة أهل الآخرة وهم يستنكفون منه . وقيل إنه وقع الحريق فى السوق فقيل للسرى ، احترق السوق وما احترق دكانك ! فقال الحمد لله ، ثم قال كيف قلت الحمد لله على سلامتى دون المسلمين ! فتاب من التجارة وترك الحانوت بقية عمره توبة واستغفارا من قوله الحمد لله .

فإذا تأملت هذه الحكايات عرفت قطعا أن الرضا بما يخالف الهوى ليس مستحيلا بل هو مقام عظيم من مقامات أهل الدين . ومهما كان ذلك ممكنا فى حب الخلق وحظوظهم كان ممكنا فى حق حب الله تعالى وحظوظ الآخرة قطعا . وإمكانه من وجهين (أحدهما) الرضا بالألم لما يتوقع من الثواب الموجود كالرضا بالفصد والحجامة وشرب الدواء انتظارا للشفاء . (والثانى) الرضا به لا لحظ وراءه بل لكونه مراد المحبوب ورضا له ، فقد يغلب الحب بحيث ينغمر مراد المحب فى مراد المحبوب ، فيكونّ ألذ الأشياء عنده سرور قلب محبوبه ورضاه ونفوذ إرادته ولو فى هلاك روحه . كما قيل : * فما الجرح إذا أرضاكم ألم *

وهذا ممكن مع الإحساس بالألم ، وقد يستولى الحب بحيث يدهش عن إدراك الألم ، فالقياس والتجربة والمشاهدة

دالة على وجوده ، فلا ينبغى أن ينكره من فقده من نفسه ! لأنه إنما فقده لفقد سببه وهو فرط حبه ، ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف عجائبه فللمحبين عجائب أعظم مما وصفناه .

وقد روى عن عمرو بن الحارث الرافعى قال : كنت فى مجلس بالرقة عند صديق لى ، وكان معنا فتى يتعشق جارية مغنية ، وكانت معنا فى المجلس فضربت بالقضيب وغنت :

علامة ذل الهوى على العاشقين البكا
ولا سيما عاشق إذا لم يجد مشتكى

فقال لها الفتى : أحسنت والله ياسيدتى أفتأذنين لى أن أموت ! فقالت : مت راشدا ! قال : فوضع رأسه على الوسادة وأطبق فمه وغمض عينيه ، فحركناه فإذا هو ميت . وقال الجنيد : رأيت رجلا متعلقا بكم صبى وهو يتضرع إليه ويظهر له المحبة ، فالتفت إليه الصبى وقال له : إلى متى ذا النفاق الذى تظهر لى ؟ فقال : قد علم الله أنى صادق فيما أورده ، حتى لو قلت لى مت لمت ، فقال : إن كنت صادقا فمت ، قال : فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتا . وقال سمنون المحب : كان فى جيراننا رجل وله جارية يحبها غاية الحب ، فاعتلت الجارية فجلس الرجل ليصلح لها حيسا ، فبينا هو يحرك القدر إذ قالت الجارية آه ! قال فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل يحرك مافى القدر بيده حتى سقطت أصابعه ! فقالت الجارية ما هذا ؟ قال هذا مكان قولك ـ آه . وحكى عن محمد ابن عبدالله البغدادى قال رأيت بالبصرة شابا على سطح مرتفع وقد أشرف على الناس وهو يقول :

من مات عشقا فليمت هكذا لا خير فى عشق بلا موت !

ثم رمى بنفسه إلى الأرض ، فحملوه ميتا . فهذا وأمثاله قد يصدق به فى حب المخلوق والتصديق به فى حب الخالق أولى ، لأن البصيرة الباطنة أصدق من البصر الظاهر ، وجمال الحضرة الربانية أو فى من كل جمال ، بل كل جمال فى العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال . نعم الذى فقد البصر ينكر جمال الصور ، والذى فقد السمع ينكر لذة الألحان والنغمات الموزونة ، فالذى فقد القلب لابد وأن ينكر أيضا هذه اللذات التى لامظنة لها سوى القلب .

بيان أن الدعاء غير مناقض للرضا

ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا ، وكذلك كراهة المعاصى ومقت أهلها ومقت أسبابها والسعى فى إزالتها بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لايناقضه أيضا . وقد غلط فى ذلك بعض البطالين المغترين وزعم أن المعاصى والفجور والكفر من قضاء الله وقدره عز وجل فيجب الرضا به ، وهذا جهل بالتأويل وغفلة عن أسرار الشرع .

فأما الدعاء فقد تعبدنا به ، وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام ـ على مانقلناه فى كتاب الدعوات ـ تدل عليه . ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعلى المقامات من الرضا . وقد أثنى الله تعالى على بعض عباده بقوله ﴿ ويدعوننا رغبا ورهبا ﴾ وأما إنكار المعاصى وكراهتها وعدم الرضا بها فقد تعبد الله به عباده وذمهم على الرضا به فقال ﴿ ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ﴾ وقال تعالى ﴿ رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم ﴾ وفى الخبر المشهور « من شهد منكرا فرضى به فكأنه قد فعله » وفى الحديث « الدال على الشر كفاعله [2] » وعن ابن مسعود إن العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه وقيل وكيف ذلك ؟ قال يبلغه فيرضى به وفى الخبر « لو أن عبدا قتل بالمشرق ورضى بقتله آخر بالمغرب كان

(١) حديث « الدال على الشر كفاعله » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بإسناد ضعيف جدا .

شريكا فى قتله [١] ، وقد أمر الله تعالى بالحسد والمنافسة فى الخيرات وتوقى الشرور فقال تعالى ﴿ وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم « لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله حكمة فهو يبثها فى الناس ويعلمها ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق [٢] » وفى لفظ آخر « ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار فيقول الرجل لو آتانى الله مثل ما آتى هذا لفعلت مثل ما يفعل » .

وأما بغض الكفار والفجار والإنكار عليهم ومقتهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والأخبار لا يحصى مثل قوله تعالى ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾ وقال تعالى ﴿ وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا ﴾ وفى الخبر « إن الله تعالى أخذ الميثاق على كل مؤمن أن يبغض كل منافق وعلى كل منافق أن يبغض كل مؤمن [٣] » وقال عليه السلام « المرء مع من أحب [٤] » وقال « من أحب قوما ووالاهم حشر معهم يوم القيامة [٥] » وقال عليه السلام « أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله [٦] » وشواهد هذا قد ذكرناها فى بيان الحب والبغض فى الله تعالى من كتاب آداب الصحبة ، وفى كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ فلا نعيده .

فإن قلت : فقد وردت الآيات والأخبار بالرضا بقضاء الله تعالى [٧] فإن كانت المعاصى بغير قضاء الله تعالى فهو محال وهو قادح فى التوحيد ، وإن كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله تعالى ، وكيف السبيل إلى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة فى شىء واحد ؟ فاعلم أن هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على أسرار العلوم ، وقد التبس على قوم حتى رأوا السكوت عن المنكر مقاما من مقامات الرضا وسموه حسن الخلق وهو جهل محض ، بل نقول الرضا والكراهة يتضادان إذا تواردا على شىء واحد من جهة واحدة على وجه واحد ، فليس من التضاد فى شىء واحد أن يكرهه من وجه ويرضى به من وجه ؛ إذ قد يموت عدوك الذى هو أيضا عدو بعض أعدائك وساع فى إهلاكه ، فتكره موته من حيث إنه مات عدو عدوك وترضاه من حيث إنه مات عدوك . وكذلك المعصية لها وجهان وجه إلى الله تعالى من حيث إنه فعله واختياره وإرادته ؛ فيرضى به من هذا الوجه تسليما للملك إلى مالك الملك ورضا بما يفعله فيه ، ووجه إلى العبد من حيث إنه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا عند الله وبغيضا عنده حيث سلط عليه أسباب البعد والمقت ، فهو من هذا الوجه منكر ومذموم . ولا ينكشف هذا لك إلا بمثال :

---

(١) حديث « لو أن رجلا قتل بالمشرق ورضى بقتله آخر فى المغرب كان شريكا فى قتله » لم أجد له أصلا بهذا اللفظ ولابن عدى من حديث أبى هريرة « من حضر معصية فكرهها فكأنما غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكأنما حضرها » وتقدم فى كتاب الأمر بالمعروف . (٢) حديث « لا حسد إلا فى اثنتين ... الحديث » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة ومسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم فى العلم . (٣) حديث « إن الله أخذ الميثاق على كل مؤمن أن يبغض كل منافق ... الحديث » لم أجد له أصلا . (٤) حديث « المرء مع من أحب » تقدم . (٥) حديث « من أحب قوما ووالاهم حشر معهم » أخرجه الطبرانى من حديث أبى قرصافة وابن عدى من حديث جابر « من أحب قوما على أعمالهم حشر فى زمرتهم » زاد ابن عدى « يوم القيامة » وفى طريقه إسماعيل بن يحيى التيمى ضعيف .

(٦) حديث « أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله » رواه أحمد وتقدم فى آداب الصحبة . (٧) الأخبار الواردة فى الرضا بقضاء الله رواها الترمذى من حديث سعد بن أبى وقاص « من سعادة ابن آدم رضاه بما قسم الله عز وجل ... الحديث » وقال غريب وتقدم حديث « ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » وحديث « إن الله بقسطه جعل الروح والفرح فى الرضا » وتقدم فى حديث الاستخارة « واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به » وحديث « من رضى من الله بالقليل من الرزق رضى منه بالقليل من العمل وحديث « أسألك الرضا بالقضاء ... الحديث » وغير ذلك .

فلنفرض محبوبا من الخلق قال بين يدى محبيه . إنى أريد أن أميز بين من يحبنى ويبغضنى ، وأنصب فيه معيارا صادقا وميزانا ناطقا وهو أنى أقصد إلى فلان فأوذيه وأضربه ضربا يضطره ذلك إلى الشتم لى . حتى إذا شتمنى أبغضته واتخذته عدوا لى ، فكل من أحبه أعلم أيضاً أنه عدوى ، وكل من أبغضه أعلم أنه صديق ومحبى . ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذى هو سبب البغض وحصل البغض الذى هو سبب العداوة . فحق على كل من هو صادق فى محبته وعالم بشروط المحبة أن يقول : أما تدبيرك فى إيذاء هذا الشخص وضربه وإبعاده وتعريضك إياه للبغض والعداوة ـ فأنا محب له وراض به فإنه رأيك وتدبيرك وفعلك وإرادتك ! وأما شتمه إياك فإنه عدوان من جهته إذ كان حقه أن يصبر ولا يشتم ، ولكنه كان مرادك منه ؛ فإنك قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت ، فهو من حيث إنه حصل على وفق مرادك وتدبيرك الذى دبرته فأنا راض به ، ولو لم يحصل لكان ذلك نقصانا فى تدبيرك وتعويقا فى مرادك ، وأنا كاره لفوات مرادك ، ولكنه من حيث إنه وصف لهذا الشخص وكسب له وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف مايقتضيه جمالك إذ كان ذلك يقتضى أن يحتمل منك الضرب ولا يقابل بالشتم ، فأنا كاره له من حيث نسبته إليه ومن حيث هو وصف له لامن حيث هو مرادك ومقتضى تدبيرك وأما بغضك له بسبب شتمك فأنا راض به ومحب له لأنه مرادك وأنا على موافقتك أيضا مبغض له ، لأن شرط المحب أن يكون لحبيب المحبوب حبيبا ولعدوه عدوا . وأما بغضه لك فإنى أرضاه من حيث إنك أردت أن يبغضك إذ أبعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعى البغض ، ولكنى أبغضه من حيث إنه وصف ذلك المبغض وكسبه وفعله وأمقته لذلك ، فهو ممقوت عندى لمقته إياك ، وبغضه ومقته لك أيضاً عندى مكروه من حيث أنه وصفه وكل ذلك من حيث إنه مرادك فهو مرضى . وإنما التناقض أن يقول : هو من حيث إنه مرادك مرضى ومن حيث إنه مرادك مكروه ، وأما إذا كان مكروها لا من حيث إنه فعله ومراده بل من حيث إنه وصف غيره وكسبه فهذا لاتناقض فيه ، ويشهد لذلك كل مايكره من وجه ويرضى به من وجه ، ونظائر ذلك لاتحصى .

فإذن تسليط الله دواعى الشهوة والمعصية عليه حتى يجره ذلك إلى حب المعصية ويجره الحب إلى فعل المعصية يضاهى ضرب المحبوب للشخص الذى ضربناه مثلا ؛ ليجره الضرب إلى الغضب والغضب إلى الشتم . ومقت الله تعالى لمن عصاه وإن كانت معصيته بتدبيره ، يشبه بغض المشتوم لمن شتمه وإن كان شتمه إنما يحصل بتدبيره واختياره لأسبابه . وفعل الله تعالى ذلك بكل عبد من عبيده ـ أعنى تسليط دواعى المعصية عليه ـ يدل على أنه سبقت مشيئته بإبعاده ومقته . فواجب على كل عبد محب لله أن يبغض من أبغضه الله ويمقت من مقته الله ويعادى من أبعده الله عن حضرته ـ وإن اضطره بقهره وقدرته إلى معاداته ومخالفته ـ فإنه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة ، وإن كان بعيدا بإبعاده قهرا ومطرودا بطرده واضطراره . والمبعد عن درجات القرب ينبغى أن يكون مقيتا بغيضا إلى جميع المحبين ـ موافقة للمحبوب بإظهار الغضب على من أظهر المحبوب الغضب عليه بإبعاده .

بهذا يتقرر جميع ماوردت به الأخبار من البغض فى الله والحب فى الله والتشديد على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة فى مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث إنه قضاء الله عزوجل . وهذا كله يستمد من سر القدر ـ الذى لارخصة فى إفشائه ـ وهو أن الشر والخير كلاهما داخلان فى المشيئة والإرادة ، ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضى به . فمن قال : ليس الشر من الله ، فهو جاهل وكذا من قال : إنهما جميعا منه ـ من غير افتراق فى الرضا والكراهة ـ فهو أيضا مقصر . وكشف الغطاء عنه غير مأذون فيه ؛ فالأولى السكوت والتأدب بأدب

الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم « القدر سر الله فلا تفشوه [1] » وذلك يتعلق بعلم المكاشفة . وغرضنا الآن بيان الإمكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضا بقضاء الله تعالى ومقت المعاصى مع أنها من قضاء الله تعالى ، وقد ظهر الغرض من غير حاجة إلى كشف السر فيه .

وبهذا يعرف أيضا أنّ الدعاء بالمغفرة والعصمة من المعاصى وسائر الأسباب المعينة على الدين غير مناقض للرضا بقضاء الله تعالى ، فإن الله تعبد العباد بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ، ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف وسببا لتواتر مزايا اللطف . كما أنّ حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضا للرضا بقضاء الله تعالى فى العطش ، وشرب الماء طلبا لإزالة العطش مباشرة سبب رتبه مسبب الأسباب فكذلك الدعاء سبب رتبه الله تعالى وأمر به . وقد ذكرنا أن التمسك بالأسباب جريا على سنة الله تعالى لايناقض التوكل ـ واستقصيناه فى كتاب التوكل ـ فهو أيضاً لا يناقض الرضا لأن الرضا مقام ملاصق للتوكل ويتصل به نعم إظهار البلاء فى معرض الشكوى ، وإنكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا ، وإظهار البلاء على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لايناقض . وقد قال بعض السلف : من حسن الرضا بقضاء الله تعالى أن لايقول هذا يوم حار ـ أى فى معرض الشكاية ـ وذلك فى الصيف فأما الشتاء فهو شكر ، والشكوى تناقض الرضا بكل حال وذم الأطعمة وعيبها يناقض الرضا بقضاء الله تعالى لأن مذمة الصنعة مذمة للصانع ، والكل من صنع الله تعالى . وقول القائل : الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب والاحتراف كدّ ومشقة ، كل ذلك قادح فى الرضا ، بل ينبغى أن يسلم التدبير لمدبره والمملكة لمالكها ويقول ماقاله عمر رضى الله عنه ؛ لاأبالى أصبحت غنيا أو فقيرا فإنى لاأدرى أيهما خير لى .

بيان أن الفرار من البلاد التى هى مظان المعاصى ومذمتها لايقدح فى الرضا

اعلم أنّ الضعيف قد يظن أن نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بلد ظهر به الطاعون [1] يدل على النهى عن الخروج من بلد ظهرت فيه المعاصى ، لأن كل واحد منهما فرار من قضاء الله تعالى وذلك محال ؛ بل العلة فى النهى عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون أنه لوفتح هذا الباب لارتحل عنه الأصحاء وبقى فيه المرضى مهملين لامتعهد لهم فيهلكون هزالا وضرا ، ولذلك شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الأخبار بالفرار من الزحف [2] ولو كان ذلك للفرار من القضاء لما أذن لمن قارب البلدة فى الانصراف ـ وقد ذكرنا حكم ذلك فى كتاب التوكل ـ وإذا عرف المعنى ظهر أن الفرار من البلاد التى هى مظان المعاصى ليس فرارا من القضاء بل من القضاء الفرار بما لابدّ من الفرار منه . وكذلك مذمة المواضع التى تدعو إلى المعاصى والأسباب التى تدعو إليها ـ لأجل التنفير عن المعصية ـ ليست مذمومة . فما زال السلف الصالح يعتادون ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بغداد وإظهارهم ذلك وطلب الفرار منها ، فقال ابن المبارك : قد طفت الشرق والغرب فما رأيت بلدا شرا من بغداد ! قيل ؛ وكيف ؟ قال : هو بلد تزدرى فيه نعمة الله وتستصغر فيه معصية الله . ولما قدم خراسان قيل له : كيف رأيت بغداد ؟ قال : مارأيت بها إلا شرطيا غضبان أو تاجرا لهفان أو قارئا حيران ! ولاينبغى أن تظن أن ذلك

---

(١) حديث « القدر سر الله فلا تفشوه » أخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر وابن عدى فى الكامل من حديث عائشة وكلاهما ضعيف .

(٢) حديث : النهى عن الخروج من بلد الطاعون . تقدم فى آداب السفر . (٣) حديث : أنه شبه الخروج من بلد الطاعون بالفرار من الزحف . تقدم فيه .

من الغيبة ؛ لأنه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستحضر ذلك الشخص به وإنما قصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج إلى مكة - وقد كان مقامه ببغداد - يرقب استعداد القافلة ستة عشر يوما ، فكان يتصدق بستة عشر دينار لكل يوم دينار كفارة لمقامه . وقد ذم العراق جماعة : كعمر بن عبد العزيز وكعب الأحبار . وقال ابن عمر رضى الله عنهما لمولى له : أين تسكن ؟ فقال : العراق ، قال : فما تصنع به ؟ بلغنى أن مامن أحد يسكن العراق إلا قيض الله قرينا من البلاء . وذكر كعب الأحبار يوما العراق فقال : فيه تسعة أعشار الشر وفيه الداء العضال . وقد قيل : قسم الخير عشرة أجزاء ؛ فتسعة أعشاره بالشام وعشره بالعراق ، وقسم الشر عشرة أجزاء ؛ على العكس من ذلك . وقال بعض أصحاب الحديث : كنا يوما عند الفضيل بن عياض فجاءه صوفى متدرع بعباءة ، فأجلسه إلى جانبه وأقبل عليه ثم قال: أين تسكن ؟ فقال : بغداد : فأعرض عنه وقال : يأتينا أحدهم فى زى الرهبان فإذا سألناه أين تسكن قال فى عش الظلمة ؟ وكان بشر بن الحارث يقول : مثال المتعبد ببغداد مثال المتعبد فى الحش . وكان يقول : لاتقتدوا بى فى المقام بها ! من أراد أن يخرج فليخرج . وكان أحمد بن حنبل يقول لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد آثر فى نفسى ! قيل وأين تختار السكنى ؟ قال بالثغور . وقال بعضهم وقد سئل عن أهل بغداد زاهدهم زاهد وشريرهم شرير .

فهذا يدل على أنّ من بلى ببلدة تكثر فيها المعاصى ويقل فيها الخير فلا عذر له فى المقام بها ، بل ينبغى أن يهاجر قال الله تعالى ﴿ ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ﴾ فإن منعه عن ذلك عيال أو علاقة فلا ينبغى أن يكون راضيا بحاله مطمئن النفس إليه ، بل ينبغى أن يكون منزعج القلب منها قائلا على الدوام ﴿ ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ﴾ وذلك لأن الظلم إذا عم نزل البلاء ودمر الجميع وشمل المطيعين قال الله تعالى ﴿ واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ فإذن ليس فى شىء من أسباب نقص الدين ألبتة رضا مطلق إلا من حيث إضافتها إلى فعل الله تعالى ، فأما هى فى نفسها فلا وجه للرضا بها بحال .

وقد اختلف العلماء فى الأفضل من أهل المقامات الثلاث رجل يحب الموت شوقا إلى لقاء الله تعالى ، ورجل يحب البقاء لخدمة المولى ، ورجل قال لاأختار شيئا بل أرضى بما اختاره الله تعالى ؛ ورفعت هذه المسألة إلى بعض العارفين فقال صاحب الرضا أفضلهم لأنه أقلهم فضولا . واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثورى ويوسف بن أسباط ، فقال الثورى كنت أكره موت الفجأة قبل اليوم ، واليوم وددت أنى مت ، فقال له يوسف لم ؟ قال لما أتخوف من الفتنة ، فقال يوسف لكنى لا أكره طول البقاء ، فقال سفيان لم ؟ قال لعلى أصادف يوما أتوب فيه وأعمل صالحا ، فقيل لوهيب إيش تقول أنت ؟ فقال أنا لاأختار شيئا ، أحب ذلك إلى أحبه إلى الله سبحانه وتعالى ، فقبله الثورى بين عينيه وقال روحانية ورب الكعبة .

بيان جملة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم

قيل لبعض العارفين إنك محب فقال لست محبا إنما أنا محبوب والمحب متعوب . وقيل له أيضا : الناس يقولون إنك واحد من السبعة ؟ فقال أنا كل السبعة . وكان يقول إذا رأيتمونى فقد رأيتم أربعين بدلا ، قيل وكيف وأنت شخص واحد ؟ قال لأنى رأيت أربعين بدلا وأخذت من كل بدل خلقا من أخلاقه . وقيل له بلغنا أنك ترى الخضر عليه السلام ؟ فتبسم وقال ليس العجب ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر أن يراه فيحتجب عنه ! وحكى عن الخضر عليه السلام أنه قال ماحدثت نفسى يوما قط أنه لم يبق ولى لله تعالى إلا عرفته

إلا ورأيت فى ذلك اليوم وليا لم أعرفه . وقيل لأبى يزيد البسطامى مرة حدّثنا عن مشاهدتك من الله تعالى ، فصاح ثم قال ويلكم لايصلح لكم أن تعلموا ذلك ! قيل لحدّثنا بأشد مجاهدتك لنفسك فى الله تعالى ، فقال وهذا أيضاً لايجوز أن أطلعكم عليه . قيل لحدّثنا عن رياضة نفسك فى بدايتك ، فقال نعم ، دعوت نفسى إلى الله فجمحت على فعزمت عليها أن لاأشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لى بذلك . ويحكى عن يحيى بن معاذ أنه رأى أبايزيد ـ فى بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر ـ مستوفزا على صدور قدميه رافعا أخمصيه مع عقبيه عن الأرض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لايطرف ، قال ثم سجد عند السحر فأطاله ثم قعد فقال اللهم إنّ قوما طلبوك فأعطيتهم المشى على الماء والمشى فى الهواء فرضوا بذلك وإنى أعوذ بك من ذلك ، وإن قوما طلبوك فأعطيتهم طى الأرض فرضوا بذلك وإنى أعوذبك من ذلك ، وإن قوما طلبوك فأعطيتهم كنوز الأرض فرضوا بذلك وإنى أعوذبك من ذلك ، حتى عدّ نيفا وعشرين مقاما من كرامات الأولياء ، ثم التفت فرآنى فقال : يحيى ! قلت : نعم ياسيدى ، فقال : مذ متى أنت ههنا ؟ قلت : منذ حين ، فسكت ، فقلت : ياسيدى حدّثنى بشىء فقال : أحدّثك بما يصلح لك ، أدخلنى فى الفلك الأسفل فدوّرنى فى الملكوت السفلى وأرانى الأرضين وماتحتها إلى الثرى ، ثم أدخلنى فى الفلك العلوى فطوّف بى فى السموات وأرانى مافيها من الجنـــان إلى العرش ، أوقفنى بين يديه فقال : سلنى أى شىء رأيت حتى أهبه لك ؟ فقلت : ياسيدى مارأيت شيئا استحسنته فأسألك إياه ! فقال : أنت عبدى حقا تعبدنى لأجلى صدقا لأفعلن بك ولأفعلن فذكر أشياء . قال يحيى : فهالنى ذلك وامتلأت به وعجبت منه فقلت : ياسيدى لم لا سألته المعرفة به ؟ وقد قال لك ملك الملوك سلنى ماشئت ، قال : فصاح بى صيحة وقال : اسكت ويلك ! غرت عليه منى حتى لا أحب أن يعرفه سواه . وحكى أنّ أبا تراب النخشبى كان معجبا ببعض المريدين فكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجدته فقال له أبو تراب يوما لو رأيت أبا يزيد ؟ فقال : إنى عنه مشغول ، فلما أكثر عليه أبو تراب من قوله « لو رأيت أبا يزيد » هاج وجد المريد فقال : ويحك ما أصنع بأبى يزيد قد رأيت الله تعالى فأغنانى عن أبى يزيد ؟ قال أبو تراب : فهاج طبعى ولم أملك نفسى ، فقلت : ويلك تغتر بالله عز وجل لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة ! قال : فبهت الفتى من قوله وأنكره فقال : وكيف ذلك ؟ قال له : ويلك أما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك وترى أبا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره ؟ فعرف ماقلت ، فقال : احملنى إليه ، فذكر قصة قال فى آخرها : فوقفنا على تل تنتظره ليخرج إلينا من الغيضة ـ وكان يأوى إلى غيضة فيها سباع ـ قال : فمرّ بنا وقد قلب فروة على ظهره فقلت للفتى : هذا أبو يزيد فانظر إليه ! فنظر إليه الفتى فصعق ، فحركناه فإذا هو ميت ، فتعاونا على دفنه فقلت لأبى يزيد : ياسيدى نظره إليك قتله ، قال : لا ولكن كان صاحبكم صادقا واستكن فى قلبه سر لم ينكشف له بوصفه ، فلما رآنا انكشف له سر قلبه فضاق عن حمله ، لأنه فى مقام الضعفاء المريدين ، فقتله ذلك . ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الأنفس ونهبوا الاموال اجتمع إلى سهل إخوانه فقالوا : لو سألت الله تعالى دفعهم ؟ فسكت ثم قال : إنّ لله عبادا فى هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الأرض ظالم إلا مات فى ليلة واحدة ؛ ولكن لايفعلون ، قيل لم ؟ قال لأنهم لايحبون مالا يحب ، ثم ذكر من إجابة الله تعالى أشياء لايستطاع ذكرها ، حتى قال : ولو سألوه أن لايقيم الساعة لم يقمها . وهذه أمور ممكنة فى أنفسها فمن لم يحظ بشىء منها ، فلا ينبغى أن يخلو عن التصديق والإيمان بإمكانها ، فإن القدرة واسعة والفضل عميم وعجائب الملك والملكوت

كثيرة ، ومقدورات الله تعالى لا نهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لاغاية له . ولذلك كان أبو يزيد يقول إن أعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة إبراهيم فاطلب ماوراء ذلك ، فإنّ عنده فوق ذلك أضعافا مضاعفة ، فإن سكنت إلى ذلك حجبك به ، وهذا بلاء مثلهم ومن هو فى مثل حالهم لأنهم الأمثل فالأمثل . وقد قال بعض العارفين : كوشفت بأربعين حوراء رأيتهن يتساعين فى الهواء ، عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرت إليهن نظرة فعوقبت أربعين يوما ، ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن فى الحسن والجمال ، وقيل لى : انظر إليهن ، قال : فسجدت وغمضت عينى فى سجودى لئلا أنظر إليهن وقلت : أعوذ بك مما سواك ! لا حاجة لى بهذا ، فلم أزل أتضرع حتى صرفهن الله عنى .

فأمثال هذه المكاشفات لاينبغى أن ينكرها المؤمن لإفلاسه عن مثلها ، فلو لم يؤمن كل واحد إلا بما يشاهده من نفسه المظلمة وقلبه القاسى لضاق مجال الإيمان عليه ، بل هذه أحوال تظهر بعد مجاوزة عقبات ونيل مقامات كثيرة أدناها الإخلاص وإخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الأعمال ظاهرا وباطنا ، ثم مكاتمة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى متحصنا بحصن الخمول : فهذه أوائل سلوكهم وأقل مقاماتهم وهى أعز موجود فى الأتقياء من الناس . وبعد تصفية القلب عن كدورة الالتفات إلى الخلق يفيض عليه نور اليقين وينكشف له مبادى الحق ، وإنكار ذلك دون التجربة وسلوك الطريق يجرى مجرى إنكار من أنكر إمكان انكشاف الصورة فى الحديدة إذا شكلت ونقيت وصقلت وصورت بصورة المرآة ، فنظر المنكر إلى مافى يده من زبرة حديد مظلم قد استولى عليه الصدأ والخبث وهو لايحكى صورة من الصور فأنكر إمكان انكشاف المرئى فيها عند ظهور جوهرها ، وإنكار ذلك غاية الجهل والضلال .

فهذا حكم كل من أنكر كرامات الأولياء إذ لامستند له إلا قصوره عن ذلك وقصور من رآه ، وبئس المستند ذلك فى إنكار قدرة الله تعالى ، بل إنما يشم روائح المكاشفة من سلك شيئا ولو من مبادى الطريق ، كما قيل لبشر : بأى شىء بلغت هذه المنزلة ؟ قال : كنت أكاتم الله تعالى حالى . معناه : أسأله أن يكتم على ويخفى أمرى . وروى أنه رأى الخضر عليه السلام فقال له : ادع الله تعالى لى ، فقال : يسر الله عليك طاعته ، قلت زدنى ، قال وسترها عليك . فقيل معناه سترها عن الخلق ، وقيل معناه سترها عنك حتى لا تلتفت أنت إليها . وعن بعضهم أنه قال أقلقنى الشوق إلى الخضر عليه السلام فسألت الله تعالى مرة أن يرينى إياه ليعلمنى شيئا كان أهم الأشياء على ، قال فرأيته فما غلب على همى ولا همتى إلا أن قلت له ياأبا العباس علمنى شيئا إذا قلته حجبت عن قلوب الخليقة فلم يكن لى فيها قدر ولا يعرفنى أحد بصلاح ولا ديانة ، فقال قل اللهم أسبل على كثيف سترك وحط على سرادقات حجبك واجعلنى فى مكنون غيبك واحجبنى عن قلوب خلقك ، قال ثم غاب فلم أره ولم أشتق إليه بعد ذلك ، فزلت أقول هذه الكلمات فى كل يوم ، فحكى أنه صار بحيث كان يستذل ويمتهن - حتى كان أهل الذمة يسخرون به ويستسخرونه فى الطرق يحمل الأشياء لهم لسقوطه عندهم وكان الصبيان يلعبون به - فكانت راحته ركود قلبه ، واستقامة حاله فى ذله وخموله . فهكذا حال أولياء الله تعالى ، فنى أمثال هؤلاء ينبغى أن يطلبوا ، والمغرورون إنما يطلبونهم تحت المرقعات والطيالسة وفى المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرياسة . وغيرة الله تعالى على أوليائه تأبى إلا إخفاءهم كما قال تعالى أولياءى تحت قبابى لايعرفهم غيرى . وقال صلى الله عليه وسلم « رب أشعث أغبر ذى طمرين لايؤبه له لو أقسم على الله لأبره »[1]

(١) حديث « رب أشعث أغبر ذى طمرين » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة وقد تقدم .

وبالجملة فأبعد القلوب عن مشام هذه المعانى القلوب المتكبرة المعجبة بأنفسها المستبشرة بعملها وعلمها . وأقرب القلوب إليها القلوب المنكسرة المستشعرة ذل نفسها استشعارا إذا ذل واهتضم لم يحس بالذل ، كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولاه ، فإذا لم يحس بالذل ولم يشعر أيضا بعدم التفاته إلى الذل ، بل كان عند نفسه أخس منزلة من أن يرى جميع أنواع الذل ذلا فى حقه بل يرى نفسه دون ذلك ، حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاته . فمثل هذا القلب يرجى له أن يستنشق مبادئ هذه الروائح ، فإن فقدنا مثل هذا القلب وحرمنا مثل هذا الروح فلا ينبغى أن يطرح الإيمان بإمكان ذلك لأهله ، فمن لايقدر أن يكون من أولياء الله فليكن محبا لأولياء الله مؤمنا بهم فعسى أن يحشر مع من أحب . ويشهد لهذا ماروى أن عيسى عليه السلام قال لبنى إسرائيل أين ينبت الزرع ؟ قالوا فى التراب ، فقال بحق أقول لكم لا تنبت الحكمة إلا فى قلب مثل التراب . ولقد انتهى المريدون لولاية الله تعالى فى طلب شروطها بإذلال النفس إلى منتهى الضعة والخسة ، حتى روى أن ابن الكريبى وهو أستاذ الجنيد دعاه رجل إلى طعام ثلاث مرات ، ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع إليه بعد ذلك حتى أدخله فى المرة الرابعة ، فسأله عن ذلك ، فقال : قد رضت نفسى على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرمى له عظم فيعود ، ولو رددتنى خمسين مرة ثم دعوتنى بعد ذلك لأجبت . وعنه أيضا أنه قال نزلت فى محلة فعرفت فيها بالصلاح ، فتشتت على قلبى ، فدخلت الحمام وعدلت إلى ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتى فوقها وخرجت ، وجعلت أمشى قليلا قليلا . فلحقونى فنزعوا مرقعتى وأخذوا الثياب وصفعونى وأوجعونى ضربا ، فصرت بعد ذلك أعرف بلص الحمام فسكنت نفسى .

فهكذا كانوا يروضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر إلى الخلق ثم من النظر إلى النفس ، فإن الملتفت إلى نفسه محجوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب له ، فليس بين القلب وبين الله حجاب بعد وتخلل حائل ، وإنما بعد القلوب شغلها بغيره أو بنفسها وأعظم الحجب شغل النفس . ولذلك حكى أن شاهدا عظيم القدر من أعيان أهل بسطام كان لايفارق مجلس أبى يزيد ، فقال له يوما : أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر لا أفطر وأقوم الليل لا أنام ولا أجد فى قلبى من هذا العلم الذى تذكر شيئا وأنا أصدق به وأحبه ، فقال أبو يزيد : ولو صمت ثلثمائة سنة وقمت ليلها ماوجدت من هذا ذرة ! قال : ولم ؟ قال : لأنك محجوب بنفسك ، قال فلهذا دواء ؟ قال : نعم ، قال : قل لى حتى أعمله ، قال : لاتقبله ، قال : فاذكره لى حتى أعمل ، قال : اذهب الساعة إلى المزين فاحلق رأسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق فى عنقك مخلاة مملوءة جوزا ، واجمع الصبيان حولك وقل : كل من صفعنى صفعة أعطيته جوزة ، وادخل السوق وطف الأسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك وأنت على ذلك ، فقال الرجل : سبحان الله ! تقول لى مثل هذا ! فقال أبو يزيد : قولك « سبحان الله » شرك ، قال : وكيف ؟ قال : لأنك عظمت نفسك فسبحتها وما سبحت ربك ! فقال : هذا لا أفعله ولكن دلنى على غيره ! فقال : ابتدئ بهذا قبل كل شىء . فقال : لا أطيقه ، قال : قد قلت لك إنك لاتقبل ؟ . فهذا الذى ذكره أبو يزيد هو دواء من اعتل بنظره إلى نفسه ومرض بنظر الناس إليه ، ولا ينجى من هذا المرض دواء سوى هذا وأمثاله ، فمن لا يطيق الدواء فلا ينبغى أن ينكر إمكان الشفاء فى حق من داوى نفسه بعد المرض أو لم يمرض بمثل هذا المرض أصلا . فأقل درجات الصحة الإيمان بإمكانها ، فويل لمن حرم هذا القدر القليل أيضا .

وهذه أمور جلية فى الشرع واضحة وهى مع ذلك مستبعدة عند من يعد نفسه من علماء الشرع فقد قال صلى الله

عليه وآله وسلم « لايستكمل العبد الإيمان حتى تكون قلة الشيء أحب إليه من كثرته وحتى يكون أن لايعرف أحب من أن يعرف [١] » وقد قال عليه السلام « ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه : لايخاف فى الله لومة لائم ولايرائى بشيء من عمله وإذا عرض عليه أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر أمر الآخرة على الدنيا [٢] » وقال عليه السلام « لايكمل إيمان عبد حتى يكون فيه ثلاث خصال : إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق ، وإذا رضى لم يدخله رضاه فى باطل ، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له [٣] » وفى حديث آخر « ثلاث من أوتيهن فقد أوتى مثل ما أوتى آل داود : العدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر ، وخشية الله فى السر والعلانية [٤] » فهذه شروط ذكرها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأولى الإيمان فالعجب ممن يدّعى علم الدين ولا يصادف فى نفسه ذرّة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله أن يجحد مالا يكون إلا بعد مجاوزة مقامات عظيمة علية وراء الإيمان ؛ وفى الأخبار أنّ الله تعالى أوحى إلى بعض انبيائه : إنما اتخذ لخلتى من لايفتر عن ذكرى ولايكون له هم غيرى ولا يؤثر على شيئا من خلقى وإن حرق بالنار لم يجد لحرق النار وجعا وإن قطع بالمناشير لم يجد لمس الحديد ألما . فمن لم يبلغ إلى أن يغلبه الحب إلى هذا الحدّ فمن أين يعرف ماوراء الحب من الكرامات والمكاشفات ؟ وكل ذلك وراء الحب والحب وراء كمال الإيمان ، ومقامات الإيمان وتفاوته فى الزيادة والنقصان لا حصر له . ولذلك قال عليه السلام للصديق رضى الله تعالى عنه « إن الله تعالى قد أعطاك مثل إيمان كل من آمن بى من أمتى وأعطانى مثل إيمـــان كل من آمن به من ولد آدم [٥] » وفى حديث آخر « إن لله تعالى ثلثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة » فقال أبو بكر : يارسول الله هل فى منها خلق فقال « كلها فيك يا أبا بكر وحبها إلى الله تعالى السخاء [٦] » وقال عليه السلام « رأيت ميزانا دلى من السماء فوضعت فى كفة ووضعت أمتى فى كفة فرجحت بهم ووضع أبو بكر فى كفة وجيء بأمتى فوضعت فى كفة فرجح بهم [٧] » ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال « لو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله تعالى [٨] » يعنى نفسه .

---

(١) « حديث لا يستكمل عبد الإيمان حتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرته وحتى يكون أن لايعرف أحب إليه من أن يعرف » ذكره صاحب الفردوس من حديث على بن أبى طلحة ، وعلى هذا فهو معضل فعلى بن أبى طلحة إنما سمع من التابعين ولم أجد له أصلا . (٢) حديث « ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه : لايخاف فى الله لومة لائم ... الحديث » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة وفيه سالم المرادى ضعفه ابن معين والنسائى ووثقه ابن حبان واسم أبيه عبد الواحد . (٣) حديث « لايكمل إيمان العبد حتى يكون فيه ثلاث خصال : إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق .. الحديث أخرجه الطبرانى فى الصغير بلفظ « ثلاث من أخلاق الإيمـان » وإسناده ضعيف . (٤) حديث « ثلاث من أوتيهن فقد أوتى ما أوتى آل داود : العدل فى الرضا والغضب » غريب بهذا اللفظ ، والمعروف « ثلاث منجيات » فذكرهن بنحوه وقد تقدم . (٥) حديث : إنه قال للصديق « إن الله قد أعطاك مثل إيمان كل من آمن بى من أمتى . . الحديث » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من رواية الحارث الأعور عن على مع تقديم وتأخير والحارث ضعيف . (٦) حديث « إن لله تعالى ثلثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس مرفوعا عن الله « خلقت بضعة عشر وثلثمائة خلق من جاء بخلق منها مع شهادة أن لااله إلا الله دخل الجنة » ومن حديث ابن عباس « الإسلام ثلثمائة شريعة وثلاثة عشر شريعة وفيه وفى الكبير من رواية المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده نحوه بلفظ « الإيمان وللبزار من حديث عثمان بن عفان « إن الله تعالى مائة وسبعة عشر شريعة ... الحديث » وليس فيها كلها تعرض لسؤال أبى بكر وجوابه وكلها ضعيفة .

(٧) حديث « رأيت ميزانا دلى من السماء فوضعت فى كفة ووضعت أمتى فى كفة فرجحت بهم ... الحديث » أخرجه أحمد من حديث أبى أمامة بسند ضعيف . (٧) حديث « لو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت أبابكر خليلا ... الحديث » متفق عليه وقد تقدم .

خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة ينتفع بها

قال سفيان : المحبة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقال غيره : دوام الذكر ، وقال غيره إيثار المحبوب وقال بعضهم : كراهية البقاء فى الدنيا . وهذا كله إشارة إلى ثمرات المحبة فأما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها . وقال بعضهم : المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب عن إدراكه وتمتنع الألسن عن عبارته . وقال الجنيد : حرّم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة . وقال : كل محبة تكون بعوض فإذا زال العوض زالت المحبة . وقال ذو النون : قل لمن أظهر حب الله احذر أن تذل لغير الله . وقيل للشبلى رحمه الله : صف لنا العارف والمحب ؛ فقال : العارف إن تكلم هلك ، والمحب إن سكت هلك ، وقال الشبلى رحمه الله :

يا أيها السيد الكريم حبك بين الحشا مقيم
يا رافع النوم عن جفونى أنت بما مر بى عليم

ولغيره :

عجبت لمن يقول ذكرت إنى وهل أنسى فأذكر ما نسيت
أموت إذا ذكرتك ثم أحيا ولولا حسن ظنى ما حييت
فأحيا بالمنى وأموت شوقا فكم أحيا عليك وكم أموت
شربت الحب كأسا بعد كأس فما نفد الشرب وما رويت؟
فليت خياله نصب لعينى ! فإن قصرت فى نظرى عميت

وقالت رابعة العدوية يوما : من يدلنا على حبيبنا ، فقالت خادمة لها : حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه . وقال ابن الجلاء رحمه الله تعالى : أوحى الله إلى عيسى عليه السلام إنى إذا اطلعت على سر عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبى وتوليته بحفظى . وقيل : تكلم سمنون يوما فى المحبة فإذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الأرض حتى سال الدم منه فمات . وقال إبراهيم بن أدهم : إلهى إنك تعلم أنّ الجنة لا تزن عندى جناح بعوضة فى جنب ما أكرمتنى من محبتك وآنستنى بذكرك وفرغتنى للتفكر فى عظمتك ، وقال السرى رحمه الله : من أحب الله عاش ، ومن مال إلى الدنيا طاش ، والأحمق يغدو ويروح فى لاش ، والعاقل عن عيوبه فتاش . وقيل لرابعة : كيف حبك للرسول صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : والله إنى لأحبه حبا شديدا ولكن حب الخالق شغلنى عن حب المخلوقين . وسئل عليه السلام عن أفضل الأعمال فقال : الرضا عن الله تعالى والحب له . وقال أبو يزيد : المحب لا يحب الدنيا ولا الآخرة : إنما يحب من مولاه مولاه . وقال الشبلى : الحب دهش فى لذة وحيرة فى تعظيم . وقيل المحبة أن تمحو أثرك عنك حتى لا يبقى فيك شىء راجع منك إليك ، وقيل المحبة قرب القلب من المحبوب بالاستبشار والفرح . وقال الخواص : المحبة محو الإرادات واحتراق الصفات والحاجات . وسئل سهل عن المحبة فقال عطف الله بقلب عبده لمشاهدته بعد الفهم للمراد منه . وقيل معاملة المحب على أربع منازل ؛ على المحبة والهيبة والحياء والتعظيم ، وأفضلها التعظيم والمحبة لأنّ هاتين المنزلتين ببقيان مع أهل الجنة فى الجنة ويرفع عنهم غيرهما . وقال هرم بن حبان المؤمن إذا عرف ربه عز وجل أحبه ، وإذا أحبه أقبل عليه ، وإذا وجد حلاوة الإقبال عليه لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بعين الفترة ، وهى تحسره فى الدنيا وترجوه فى الآخرة : وقال عبد الله بن محمد سمعت امرأة من المتعبدات تقول ـ وهى باكية والدموع على خدها جارية ـ والله لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا إلى الله تعالى وحبا للقائه ، قال

فقلت لها : فعلى ثقة أنت من عملك ؟ قالت لا ولكن لحبي إياه وحسن ظني به أفتراه يعذبني وأنا أحبه ؟ وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقا إلى وتقطعت أوصالهم من محبتي . يا داود هذه إرادتي في المدبرين علي فكيف إرادتي في المقبلين علي ، يا داود أحوج ما يكون العبد إلى إذا استغنى عني وأرحم ما أكون بعبدي إذا أدبر عني وأجل ما يكون عبدي إذا رجع إلي : وقال أبو خالد الصفار لقي نبي من الأنبياء عابدا فقال له : إنكم معاشر العباد تعملون على أمر لسنا معشر الأنبياء نعمل عليه ، أنتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق . وقال الشبلي رحمه الله : أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود ذكري للذاكرين ، وجنتي للمطيعين ، وزيارتي للمشتاقين ، وأنا خاصة للمحبين وأوحى الله تعالى إلى آدم عليه السلام يا آدم من أحب حبيبا صدق قوله من أنس بحبيبه رضي فعله ومن اشتاق إليه جد في مسيره . وكان الخواص رحمه الله يضرب على صدره ويقول واشوقاه لمن يراني ولا أراه . وقال الجنيد رحمه الله بكى يونس عليه السلام حتى عمي ، وقام حتى انحنى ، وصلى حتى أقعد ، وقال وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك بحر من نار لخضته إليك شوقا مني إليك . وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال « المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي وذكر الله أنيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة [1] » وقال ذو النون سبحان من جعل الأرواح جنود مجندة فأرواح العارفين جلالية قدسية فلذلك اشتاقوا إلى الله تعالى ، وأرواح المؤمنين روحانية فلذلك حنوا إلى الجنة ، وأرواح الغافلين هوائية فلذلك مالوا إلى الدنيا وقال بعض المشايخ رأيت في جبل اللكام رجلا أسمر اللون ضعيف البدن وهو يقفز من حجر إلى حجر ويقول :

الشوق والهوى صيراني كما ترى

ويقال الشوق نار الله أشعلها في قلوب أوليائه حتى يحرق بها ما في قلوبهم من الخواطر والإرادات والعوارض والحاجات ، فهذا القدر كاف في شرح المحبة والأنس والشوق والرضا ، فلنقتصر عليه والله الموفق للصواب .

تم كتاب المحبة والشوق والأنس ، يتلوه كتاب النية والإخلاص والصدق .

كتاب النية والإخلاص والصدق

وهو الكتاب السابع من ربع المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله حمد الشاكرين ، ونؤمن به إيمان الموقنين ، ونقر بوحدانيته إقرار الصادقين ، ونشهد أن لا إله

(١) حديث علي : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال « المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني ... الحديث » ذكره القاضي عياض من حديث علي بن أبي طالب ولم أجد له إسنادا .

إلا الله رب العالمين ، وخالق السموات والأرضين ، ومكلف الجن والإنس والملائكة المقربين أن يعبدوه عبادة المخلصين ، فقال تعالى ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ فما لله إلا الدين الخالص المتين ، فإنه أغنى الأغنياء عن شركة المشاركين ، والصلاة على نبيه محمد سيد المرسلين وعلى جميع النبيين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

أما بعد : فقد انكشف لأرباب القلوب ببصيرة الإيمان وأنوار القرآن أن لا وصول إلى السعادة إلا بالعلم والعبادة ، فالناس كلهم هلكى إلا العالمون ؛ والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون ، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون ، والمخلصون على خطر عظيم . فالعمل بغير نية عناء ، والنية بغير إخلاص رياء ، وهو للنفاق كفاء ، ومع العصيان سواء ، والإخلاص من غير صدق وتحقيق هباء ، وقد قال الله تعالى فى كل عمل كان بإرادة غير الله مشوبا مغمورا ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ﴾ وليت شعرى كيف يصحح نيته من لا يعرف حقيقة النية ؟ أو كيف يخلص من صحح النية إذا لم يعرف حقيقة الإخلاص ؟ أو كيف تطالب المخلص نفسه بالصدق إذا لم يتحقق معناه ؟ فالوظيفة الأولى على كل عبد أراد طاعة الله تعالى أن يتعلم النية أولا لتحصل المعرفة ، ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والإخلاص اللذين هما وسيلتا العبد إلى النجاة والخلاص .

ونحن نذكر معانى الصدق والإخلاص فى ثلاثة أبواب :

(الباب الأول) فى حقيقة النية ومعناها .

(الباب الثانى) فى الإخلاص وحقائقه .

(الباب الثالث) فى الصدق وحقيقته .

الباب الأول فى حقيقة النية ومعناها

وفيه بيان فضيلة النية ، وبيان حقيقة النية ، وبيان كون النية خيرا من العمل ، وبيان تفضيل الأعمال المتعلقة بالنفس ، وبيان خروج النية عن الاختيار .

بيان فضيلة النية

قال الله تعالى ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ﴾ والمراد بتلك الإرادة هى النية . وقال صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه [1] » ، وقال صلى الله عليه وسلم « أكثر شهداء أمتى أصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته [2] » ، وقال تعالى ﴿ إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما ﴾ فجعل النية سبب التوفيق . وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم [3] » ، وإنما نظر إلى القلوب لأنها مظنة النية : وقال صلى الله عليه وسلم « إنّ العبد ليعمل أعمالا حسنة فتصعد الملائكة فى صحف مختمة فتلقى بين يدى الله تعالى فيقول ألقوا هذه الصحيفة

---

(١) حديث « إنما الأعمال بالنيات ... الحديث » متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم . (٢) حديث « أكثر شهداء أمتى أصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته » أخرجه أحمد من حديث ابن مسعود وفيه عبد الله بن لهيعة .

(٣) حديث « إن الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم . . الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

فإنه لم يرد بما فيها وجهى ثم ينادى الملائكة اكتبوا له كذا وكذا اكتبوا له كذا وكذا فيقولون يا ربنا إنه لم يعمل شيئا من ذلك فيقول الله تعالى إنه نواه [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « الناس أربعة : رجل آتاه الله عز وجل علما ومالا فهو يعمل بعلمه فى ماله فيقول رجل لو آتانى الله تعالى مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فهما فى الأجر سواء ، ورجل آتاه الله تعالى مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله فى ماله فيقول رجل لو آتانى الله مثل ما آتاه عملت كما يعمل فهما فى الوزر سواء [2] » ألا ترى كيف شركه بالنية فى محاسن عمله ومساويه . وكذلك فى حديث أنس بن مالك : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك قال « إن بالمدينة أقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا أنفقنا نفقة ولا أصابتنا مخمصة إلا شركونا فى ذلك وهم بالمدينة ! » قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا ؟ قال ، حبسهم العذر فشركوا بحسن النية [3] » وفى حديث ابن مسعود « من هاجر يبتغى شيئا فهو له » فهاجر رجل فتزوج امرأة منافكان يسمى مهاجر أم قيس [4] » وكذلك جاء فى الخبر « إن رجلا قتل فى سبيل الله وكان يدعى قتيل الحمار [5] » لأنه قاتل رجلا ليأخذ سلبه وحماره فقتل على ذلك فأضيف إلى نيته . وفى حديث عبادة عن النبى صلى الله عليه وسلم « من غزا وهو لا ينوى إلا عقالا فله مانوى [6] » وقال أبى : استعنت رجلا يغزو معى فقال : لا حتى تجعل لى جعلا ، فجعلت له ، فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال « ليس له من دنياه وآخرته إلا ماجعلت له [7] » وروى فى الإسرائيليات ، أن رجلا مربكثيبان من رمل فى نجاعة فقال فى نفسه : لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس ، فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أن قل له إن الله تعالى قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك وأعطاك ثواب مالو كان طعاما فتصدقت به » وقد ورد فى أخبار كثيرة « من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة [8] » وفى حديث عبد الله بن عمرو « من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها أرغب مايكون فيها ومن تكن الآخرة نيته جعل الله تعالى غناه فى قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها أزهد مايكون فيها [9] » وفى حديث أم سلمة : أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر جيشا يخسف بهم البيداء فقلت : يارسول الله يكون فيهم المكره والأجير فقال « يحشرون على نياتهم [10] » وقال عمر رضى الله

---

(١) حديث « إن العبد ليعمل أعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة ... الحديث » أخرجه الدارقطنى من حديث أنس بإسناد حسن

(٢) حديث « الناس أربعة : رجل آتاه الله علما ومالا ... الحديث » أخرجه ابن ماجه من حديث أبى كبشة الأنمارى بسند جيد بلفظ « مثل هذه الأمة كمثل أربعة نفر ... الحديث » وقد تقدم ورواه الترمذى بزيادة وفيه « وإنما الدنيا لأربعة نفر ... الحديث » وقال حسن صحيح .

(٣) حديث أنس « إن بالمدينة أقواما ماقطعنا واديا ... الحديث » أخرجه البخارى مختصرا وأبو داود . (٤) حديث ابن مسعود « من هاجر يبتغى شيئا فهو له » هاجر رجل فتزوج امرأة منا وكان يسمى مهاجر أم قيس : أخرجه الطبرانى بإسناد جيد . (٥) حديث « إن رجلا قتل فى سبيل الله فكان يدعى قتيل الحمار » لم أجد له أصلا فى الموصولات ، وإنما رواه أبو إسحق الفزارى فى السنن من وجه مرسل . (٦) حديث « من غزا وهو لا ينوى إلا عقالا فله مانوى » أخرجه النسائى من حديث عبادة بن الصامت وتقدم غير مرة ، (٧) حديث أبى : استعنت رجلا يغزو معى فقال لاحتى تجعل لى جعلا فجعلت له فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال « ليس له من دنياه وآخرته إلا ماجعلت له » أخرجه الطبرانى فى مسند الشاميين ولأبى داود من حديث يعلى بن أمية أنه استأجر أجيرا للغزو وسمى له ثلاثة دنانير فقال النبى صلى الله عليه وسلم « ما أجد له فى غزوته هذه فى الدنيا والآخرة إلا دنانيره التى سمى » . (٨) حديث « من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة » متفق عليه وقد تقدم . (٩) حديث عبد الله بن عمرو « من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه . الحديث » أخرجه ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت بإسناد جيد دون قوله « وفارقها أرغب مايكون فيها » ودون قوله « وفارقها أزهد مايكون فيها » وفيه زيادة ولم أجده من حديث عبد الله بن عمرو . (١٠) حديث أم سلمة : فى الجيش الذى يخسف بهم « يحشرون على نياتهم » أخرجه مسلم وأبو داود وقد تقدم .

عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنما يقتتل المقتتلون على النيات [١] » وقال عليه السلام « إذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل حمية فلان يقاتل عصبية ألا فلا تقولوا فلان قتل فى سبيل الله فمن قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله [٢] » وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « يبعث كل عبد على ما مات عليه [٣] » وفى حديث الأحنف عن أبى بكرة « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار » قيل يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال « لأنه أراد قتل صاحبه [٤] » وفى حديث أبى هريرة « من تزوج امرأة على صداق وهو لاينوى أداءه فهو زان ، ومن ادان دينا وهو لاينوى قضاءه فهو سارق [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم « من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ، ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة [٦] » .

وأما الآثار : فقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أفضل الأعمال أداء ما افترض الله تعالى والورع عما حرّم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله تعالى . وكتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز : اعلم أنّ عون الله تعالى للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وإن نقصت نقص بقدره . وقال بعض السلف : رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية . وقال داود الطائى : البر همته التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما إلى نية صالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك . وقال الثورى : كانوا يتعلمون النية للعمل كما تتعلمون العمل . وقال بعض العلماء اطلب النية للعمل قبل العمل ، وما دمت تنوى الخير فأنت بخير . وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول من يدلنى على عمل لا أزال فيه عاملا لله تعالى فإنى لا أحب أن يأتى على ساعة من ليل أو نهار إلا وأنا عامل من عمال الله ، فقيل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فإذا فترت أو تركته فهم بعمله فإنّ الهمّ بعمل الخير كعامله . وكذلك قال بعض السلف وإنّ نعمة الله عليكم أكثر من أن تحصوها وإنّ ذنوبكم أخفى من أن تعلموها ولكن أصبحوا توابين وأمسوا توابين يغفر لكم مابين ذلك . وقال عيسى عليه السلام طوبى لعين نامت ولاتهم بمعصية وانتبهت إلى غير إثم . وقال أبو هريرة يبعثون يوم القيامة على قدر نياتهم وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ﴾ يبكى ويرددها ويقول إنك إن بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا . وقال الحسن إنما خلد أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار بالنيات . وقال أبو هريرة مكتوب فى التوراة ما أريد به وجهى فقليله كثير ، وما أريد به غيرى فكثيره قليل . وقال بلال بن سعد إنّ العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه الله عز وجل وقوله حتى ينظر فى عمله ، فإذا عمل لم يدعه الله حتى ينظر فى ورعه ، فإن تورّع لم يدعه حتى ينظر ماذا نوى ، فإن صلحت نيته فبالحرى أن يصلح ما دون ذلك

---

(١) حديث « إنما يقتتل المقتتلون على النيات » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الإخلاص والنية من حديث عمر بإسناد ضعيف بلفظ « إنما يبعث » ورويناه فى فوائد تمام بلفظ « إنما يبعث المسلمون على النيات » ولابن ماجه من حديث أبى هريرة « إنما يبعث الناس على نياتهم » وفيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه .

(٢) حديث « إذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم : فلان يقاتل الدنيا ... الحديث » أخرجه ابن المبارك فى الزهد موقوفا على ابن مسعود وآخر الحديث مرفوع ففى الصحيحين من حديث أبى موسى « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » . (٣) حديث جابر « يبعث كل عبد على مامات عليه » رواه مسلم . (٤) حديث الأحنف عن أبى بكرة « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار » متفق عليه . (٥) حديث أبى هريرة « من تزوج امرأة على صداق وهو لاينوى أداءه فهو زان » أخرجه أحمد من حديث صهيب ورواه ابن ماجه مقتصرا على قصة : الدين ، دون ذكر : الصداق . (٦) حديث « من تطيب لله جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ... الحديث » أخرجه أبو الوليد الصفار فى كتاب الصلاة من حديث اسحق بن أبى طلحة مرسلا .

فإذن عماد الأعمال النيات فالعمل مفتقر إلى النية ليصير بها خيرا ، والنية فى نفسها خير وإن تعذر العمل بعائق .

بيان حقيقة النية

اعلم أنّ النية والإرادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد ، وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها أمران : علم ، وعمل (العلم) يقدمه لأنه أصله وشرطه (والعمل) يتبعه لأنه ثمرته وفرعه ، وذلك لأنّ كل عمل أعنى كل حركة وسكون اختيارى فإنه لايتم إلا بثلاثة أمور : علم ، وإرادة ، وقدرة . لأنه لا يريد الإنسان مالايعلمه فلابدّ وأن يعلم ، ولايعمل مالم يرد فلابدّ من إرادة . ومعنى الإرادة انبعاث القلب إلى مايراه موافقا للغرض إما فى الحال أوفى المآل ، فقد خلق الإنسان بحيث يوافقه بعض الأمور ويلائم غرضه ، ويخالفه بعض الأمور ، فيحتاج إلى جلب الملائم الموافق إلى نفسه ودفع الضارّ المنافى عن نفسه ، فافتقر بالضرورة إلى معرفة وإدراك للشىء المضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من هذا ، فإن من لايبصر الغذاء ولا يعرفه لايمكنه أن يتناول ، ومن لايبصر النار لايمكنه الهرب منها ، فخلق الله الهداية والمعرفة وجعل لها أسبابا وهى الحواس الظاهرة والباطنة ـ وليس ذلك من غرضنا ـ ثم لو أبصر الغذاء وعرف أنه موافق له فلايكفيه ذلك للتناول مالم يكن فيه ميل إليه ورغبة فيه وشهوة له باعثة عليه ، إذا المريض يرى الغذاء ويعلم أنه موافق ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة والميل ولفقد الداعية المحركة إليه ، فخلق الله تعالى له الميل والرغبة والإرادة ـ وأعنى به نزوعا فى نفسه إليه وتوجها فى قلبه إليه ـ ثم ذلك لايكفيه فكم من مشاهد طعاما راغب فيه مريد تناوله عاجز عنه لكونه زمنا ؟ فخلقت له القدرة والأعضاء المتحركة حتى يتم به التناول ، والعضو لا يتحرك إلا بالقدرة ، والقدرة تنتظر الداعية الباعثة ، والداعية تنتظر العلم والمعرفة أوالظن والاعتقاد وهو أن يقوى فى نفسه كون الشىء موافقا له ، فإذا جزمت المعرفة بأنّ الشىء موافق ولابدّ وأن يفعل ، وسمت عن معارضة باعث آخر صارف عنه انبعثت الإرادة وتحقق الميل ، فإذا انبعثت الإرادة انتهضت القدرة لتحريك الأعضاء فالقدرة خادمة للإرادة ، والإرادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة . فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهى الإرادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة والميل إلى ما هو موافق للغرض إما فى الحال وإما فى المآل . فالمحرك الأوّل هو الغرض المطلوب وهو الباعث ، والغرض الباعث هو المقصد المنوى ، والانبعاث هو القصد والنية ، وانتهاض القدرة لخدمة الإرادة بتحريك الأعضاء هو العمل ، إلا أنّ انتهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد وقد يكون بباعثين اجتمعا فى فعل واحد ، وإذا كان بباعثين فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد لكان مليا بإنهاض القدرة ، وقد يكون كل واحد قاصرا عنه إلا بالاجتماع ؟ وقد يكون أحدهما كافيا لولا الآخر لكن الآخر انتهض عاضدا له ومعاونا . فيخرج من هذا القسم أربعة أقسام : فلنذكر لكل واحد مثالا واسما .

أما الأوّل : فهو أن ينفرد الباعث الواحد ويتجرّد ، كما إذا هجم على الإنسان سبع فكلما رآه قام من موضعه ، فلا مزعج له إلا غرض الهرب من السبع فإنه رأى السبع وعرفه ضارّا فانبعثت نفسه إلى الهرب ورغبت فيه ، فانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث ، فيقال : نيته الفرار من السبع لا نية له فى القيام لغيره وهذه النية تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها « إخلاصا » بالإضافة إلى الغرض الباعث ، ومعناه أنه خلص عن مشاركة غيره ومزاحمته .

وأما الثانى : فهو أن يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالإنهاض لو انفرد . ومثاله من المحسوس أن يتعاون رجلان على حمل شىء بمقدار من القوة كان كافيا فى الحمل لو انفرد . ومثاله فى غرضنا أن يسأله قريبه الفقير حاجة

فيقضيها الفقره وقرابته ، وعلم أنه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة وأنه لولا قرابته لكان يقضيها بمجرد الفقر ، وعلم ذلك من نفسه بأنه يحضره قريب غنى فيرغب ، فى قضاء حاجته ، وفقير أجنبى فيرغب أيضا فيه . وكذلك من أمره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة فصام وهو يعلم أنه لو لم يكن يوم عرفة لكان يترك الطعام حمية ، ولولا الحمية لكان يتركه لأجل أنه يوم عرفة ، وقد اجتمعا جميعا فأقدم على الفعل وكان الباعث الثانى رفيق الأول . فلنسم هذا « مرافقة للبواعث »

والثالث : أن لا يستقل كل واحد لو انفرد ولكل قوى بمجموعهما على إنهاض القدرة . ومثاله فى المحسوس أن يتعاون ضعيفان على حمل مالا ينفرد أحدهما به . ومثاله فى غرضنا أن يقصده قريبه الغنى فيطلب درهما فلا يعطيه ، ويقصده الأجنبى الفقير فيطلب درهما فلا يعطيه ، ثم يقصده القريب الفقير فيعطيه ، فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهو القرابة والفقر . وكذلك الرجل يتصدق بين يدى الناس لغرض الثواب ولغرض الثناء ، ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لا يبعثه مجرد قصد الثواب على العطاء ، ولو كان الطالب فاسقا لا ثواب فى التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الرياء على العطاء ، ولو اجتمعا أورثا بمجموعهما تحريك القلب . ولنسم هذا الجنس « مشاركة »

والرابع : أن يكون أحد الباعثين مستقلا لو انفرد بنفسه والثانى لا يستقل . ولكن لما انضاف إليه لم ينفك عن تأثير بالإعانة والتسهيل . ومثاله فى المحسوس أن يعاون الضعيف الرجل القوى على الحمل ، ولو انفرد القوى لاستقل ولو انفرد الضعيف لم يستقل ، فإن ذلك بالجملة يسهل العمل ويؤثر فى تخفيفه . ومثاله فى غرضنا أن يكون للإنسان ورد فى الصلاة وعادة فى الصدقات فاتفق أن حضر فى وقتها جماعة من الناس ، فصار الفعل أخف علة بسبب مشاهدتهم ، وعلم من نفسه أنه لو كان منفردا خاليا لم يفتر عن عمله ، وعلم أن عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء يحمله عليه ، فهو شوب تطرق إلى النية . ولنسم هذا الجنس « المعاونة »

فالباعث الثانى إما أن يكون رفيقا أو شريكا أو معينا . وسنذكر حكمها فى باب الإخلاص . والغرض الآن بيان أقسام النيات ، فإن العمل تابع للباعث عليه فيكتسب الحكم منه . ولذلك قيل « إنما الأعمال بالنيات » لأنها تابعة لا حكم لها فى نفسها وإنما الحكم للمتبوع :

بيان سر قوله صلى الله عليه وسلم « نية المؤمن خير من عمله[1] »

اعلم أنه قد يظن أن سبب هذا الترجيح أن النية سر لا يطلع عليه إلا الله تعالى ، والعمل ظاهر ، ولعمل السر فضل . وهذا صحيح ولكن ليس هو المراد ؛ لأنه لو نوى أن يذكر الله بقلبه أو يتفكر فى مصالح المسلمين فيقتضى عموم الحديث أن تكون نية التفكر خيرا من التفكر ، وقد يظن أن سبب الترجيح أن النية تدوم إلى آخر العمل والأعمال لا تدوم وهو ضعيف ، لأن ذلك يرجع معناه إلى أن العمل الكثير خير من القليل ، بل ليس كذلك فإن نية أعمال الصلاة قد لا تدوم إلا فى لحظات معدودة والأعمال تدوم ، والعموم يقتضى أن تكون نيته خيرا من عمله . وقد يقال : إن معناه أن النية بمجردها خير من العمل بمجرده دون النية ، وهو كذلك ولكنه بعيد أن يكون هو المراد ، إذ العمل بلا نية أو على الغفلة لا خير فيه أصلا ، والنية بمجردها خير ؛ وظاهر الترجيح للمشتركين فى أصل الخير ، بل المعنى أن كل طاعة تنتظم بنية وعمل وكانت النية من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعة خير من العمل ، أى لكل واحد منهما أثر فى المقصود وأثر النية أكثر من أثر العمل ،

---

(١) حديث « نية المؤمن خير من عمله » أخرجه الطبرانى من حديث سهل بن سعد ومن حديث النواس بن سمعان ، وكلاهما ضعيف .

فمعناه : نية المؤمن من جملة طاعته خير من عمله الذى هو من جملة طاعته ، والغرض أن للعبد اختيارا فى النية وفى العمل ، فهما عملان والنية من الجملة خيرهما ؛ فهذا معناه .

وأما سبب كونها خيرا ومترجحة على العمل فلا يفهمه إلا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ أثر الطريق فى الاتصال إلى المقصد وقاس بعض الآثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الأرجح بالإضافة إلى المقصود . فمن قال : الخبز خير من الفاكهة ، فإنما يعنى به أنه خير بالإضافة إلى مقصود القوت والاغتذاء ، ولا يفهم ذلك إلا من فهم أنّ للغذاء مقصدا وهو الصحة والبقاء ، وأنّ الأغذية مختلفة الآثار فيها ، وفهم أثر كل واحد وقاس بعضها بالبعض فالطاعات غذاء للقلوب ، والمقصود شفاؤها وبقاؤها وسلامتها فى الآخرة ، وسعادتها وتنعمها بلقاء الله تعالى ، فالمقصد لذة السعادة بلقاء الله فقط ، ولن يتنعم بلقاء الله إلا من مات محبا لله تعالى عارفا بالله ، ولن يحبه إلا من عرفه ولن يأنس بربه إلا من طال ذكره له . فالأنس يحصل بدوام الذكر ، والمعرفة تحصل بدوام الفكر ، والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ، ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر إلا إذا فرغ من شواغل الدنيا ، ولن يتفرغ من شواغلها إلا إذا انقطع عنه شهواتها حتى يصير مائلا إلى الخير مريدا له نافرا عن الشر مبغضا له ، وإنما يميل إلى الخيرات والطاعات إذا علم أنّ سعادته فى الآخرة منوطة بها ، كما يميل العاقل إلى الفصد والحجامة لعلمه بأن سلامته فيهما . وإذا حصل أصل الميل بالمعرفة فإنما يقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبة عليه ، فإنّ المواظبة على مقتضى صفات القلب وإرادتها بالعمل تجرى مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى تترشح الصفة وتقوى بسببها . فالمائل إلى طلب العلم أو طلب الرياسة لا يكون ميله فى الابتداء إلا ضعيفا ، فإن اتبع مقتضى الميل واشتغل بالعلم وتربية الرياسة والأعمال المطلوبة لذلك تأكيد ميله ورسخ وعسر عليه النزوع ، وإن خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر وربما زال وانمحق . بل الذى ينظر إلى وجه حسن مثلا فيميل إليه طبعه ميلا ضعيفا ، لو تبعه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة والمحاورة تأكد ميله حتى يخرج أمره عن اختياره فلا يقدر على النزوع عنه ، ولو فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة الميل ، ويكون ذلك زبراً ودفعا فى وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه وينقمع وينمحى. وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها هى التى تراد بها الآخرة ، والشرور كلها هى التى تراد بها الدنيا لا الآخرة . وميل النفس إلى الخيرات الأخروية وانصرافها عن الدنيوية هو الذى يفرغها للذكر والفكر ، ولن يتأكد ذلك إلا بالمواظبة على أعمال الطاعة وترك المعاصى بالجوارح ، لأنّ بين الجوارح وبين القلب علاقة حتى إنه يتأثر كل واحد منهما بالآخر ، فترى العضو إذا أصابته جراحة تألم بها القلب ، وترى القلب إذا تألم بعلمه بموت عزيز من أعزته أو بهجوم أمر مخوف تأثرت به الأعضاء وارتعدت الفرائص وتغير اللون، إلا أنّ القلب هو الأصل المتبوع فكأنه الأمير والراعى والجوارح كالخدم والرعايا والأتباع . فالجوارح خادمة للقلب بتأكيد صفاتها فيه ، فالقلب هو المقصود والأعضاء آلات موصلة إلى المقصود ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنّ فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد [1] » وقال عليه الصلاة والسلام « اللهم أصلح الراعى والرعية [2] » وأراد بالراعى القلب وقال الله تعالى ﴿ لن ينال لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى

(١) حديث « إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد » متفق عليه من حديث النعمان بن بشير وقد تقدم .
(٢) حديث « اللهم أصلح الراعى والرعية » تقدم ولم أجده .

منكم ﴾ وهى صفة القلب . فمن هذا الوجه يجب لا محالة أن تكون أعمال القلب على الجملة أفضل من حركات الجوارح . ثم يجب أن تكون النية من جملتها أفضل لأنها عبارة عن ميل القلب إلى الخير وإرادته له .

وغرضنا من الأعمال بالجوارح أن يعوّد القلب إرادة الخير ويؤكد فيه الميل إليه ليفرغ من شهوات الدنيا ويكب على الذكر والفكر ، فبالضرورة يكون خيرا بالإضافة إلى الغرض لأنه متمكن من نفس المقصود ، وهذا كما أنّ المعدة إذا تألمت فقد تداوى بأن يوضع الطلاء على الصدر وتداوى بالشرب والدواء الواصل إلى المعدة ، فالشرب خير من طلاء الصدر لأنّ طلاء الصدر أيضا إنما أريد به أن يسرى منه الأثر إلى المعدة ، فما يلاقى عين المعدة فهو خير وأنفع .

فهكذا ينبغى أن تفهم تأثير الطاعات كلها ، إذ المطلوب منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها فقط دون الجوارح ، فلا تظنن أنّ فى وضع الجبهة على الأرض غرضا من حيث إنه جمع بين الجبهة والأرض ، بل من حيث إنه بحكم العادة يؤكد صفة التواضع فى القلب ، فإنّ من يجد فى نفسه تواضعا ، فإذا استكان بأعضائه وصورها بصورة التواضع تأكد تواضعه ، ومن وجد فى قلبه رقة على يتيم فإذا مسح رأسه وقبله تأكد الرقة فى قلبه ، ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيدا أصلا ، لأنّ من يمسح رأس يتيم وهو غافل بقلبه أو ظانّ أنه يمسح ثوبا - لم ينتشر من أعضائه أثر إلى قلبه لتأكيد الرقة ، وكذلك من يسجد غافلا وهو مشغول الهم بأعراض الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعها على الأرض أثر إلى قلبه يتأكد به التواضع ، فكان وجود ذلك كعدمه ، وما ساوى وجوده عدمه بالإضافة إلى الغرض المطلوب منه يسمى باطلا ، فيقال : العبادة بغير نية باطلة وهذا معناه إذا فعل عن غفلة ، فإذا قصد به رياء أو تعظيم شخص آخر لم يكن وجوده كعدمه بل زاده شرا ، فإنه لم يؤكد الصفة المطلوب تأكيدها حتى أكد الصفة المطلوب قمعها وهى صفة الرياء التى هى من الميل إلى الدنيا . فهذا وجه كون النية خير من العمل .

وبهذا أيضا يعرف معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة » لأنّ هم القلب هو ميله إلى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهى غاية الحسنات ، وإنما الإتمام بالعمل يزيدها تأكيدا ، فليس المقصود من إراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها إيثارا لوجه الله تعالى ، وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة وإن عاق عن العمل عائق فـ﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ﴾ والتقوى ههنا صفة القلب ؛ ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم « إنّ قوما بالمدينة قد شركونا فى جهادنا » - كما تقدم ذكره - لأنّ قلوبهم فى صدق ارادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة فى طلب الشهادة وإعلاء كلمة الله تعالى كقلوب الخارجين فى الجهاد وإنما فارقوهم بالأبدان لعوائق تخص الأسباب الخارجة عن القلب وذلك غير مطلوب إلا لتأكيد هذه الصفات . وبهذه المعانى تفهم جميع الأحاديث التى أوردناها فى فضيلة النية فاعرضها عليها لينكشف لك أسرارها فلا نطول بالإعادة .

بيان تفصيل الأعمال المتعلقة بالنية

اعلم أنّ الأعمال وإن انقسمت أقساما كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفكر وذكر وغير ذلك مما لا يتصوّر إحصاؤه واستقصاؤه - فهى ثلاثة أقسام : معاص وطاعات ومباحات .

(القسم الأوّل) المعاصى ، وهى لا تتغير عن موضعها بالنية ، فلا ينبغى أن يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عليه السلام « إنما الأعمال بالنيات » فيظن أنّ المعصية تنقلب طاعة بالنية ، كالذى يغتاب إنسانا مراعاة لقلب

غيره ، أو يطعم فقيرا من مال غيره ، أو يبنى مدرسة أو مسجدا أو رباطا بمال حرام ؛ وقصده الخير . فهذا كله جهل ، والنية لاتؤثر فى إخراجه عن كونه ظلما وعدوانا ومعصية . بل قصده الخير بالشر - على خلاف مقتضى الشرع - شر آخر ، فإن عرفه فهو معاند للشرع ، وإن جهله فهو عاص بجهله إذ طلب العلم فريضة على كل مسلم ، والخيرات إنما يعرف كونها خيرات للشرع ، فكيف يمكن أن يكون الشر خير ؟ هيهات ، بل المروّج لذلك على القلب خفى الشهوة وباطن الهوى ؛ فإنّ القلب إذا كان مائلا إلى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس وسائر حظوظ النفس توسل الشيطان به إلى التلبيس على الجاهل ، ولذلك قال سهل رحمه الله تعالى : ماعصى الله تعالى بمعصية أعظم من الجهل ! قيل : ياأبامحمد هل تعرف شيئا أشد من الجهل ؟ قال : نعم الجهل بالجهل . وهو كما قال ، لأنّ الجهل بالجهل يسدّ بالكلية باب التعلم ، فمن يظن بالكلية بنفسه أنه عالم فكيف يتعلم ؟ وكذلك أفضل ما أطيع الله تعالى به العلم ، ورأس العلم : العلم بالعلم ، كما أنّ رأس الجهل : الجهل بالجهل . فإنّ من لايعلم العلم النافع من العلم الضارّ اشتغل بما أكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التى هى وسائلهم إلى الدنيا ، وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العالم ، والمقصود أنّ من قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير معذور إلا إذا كان قريب العهد بالإسلام ولم يجد بعد مهلة للتعلم . وقد قال الله سبحانه ﴿ فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون ﴾ وقال النبى صلى الله عليه وسلم « لايعذر الجاهل على الجهل ، ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله ، ولا للعالم أن يسكت على علمه [1] » .

ويقرب من تقرب السلاطين ببناء المساجد والمدارس بالمال الحرام تقرّب العلماء السوء بتعليم العلم للسفهاء والأشرار ؛ المشغولين بالفسق والفجور القاصرين هممهم على مماراة العلماء ومباراة السفهاء واستمالة وجوه الناس وجمع حطام الدنيا وأخذ أموال السلاطين واليتامى والمساكين ، فإن هؤلاء إذا تعلموا كانوا قطاع طريق الله تعالى ، وانتهض كل واحد منهم فى بلدته نائبا عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى ويستجرئ الناس بسبب مشاهدته على معاصى الله تعالى ، ثم قد ينتشر ذلك العلم إلى مثله وأمثاله ويتخذونه أيضا آلة ووسيلة فى الشر واتباع الهوى ، ويتسلسل ذلك ، ووبال جميعه يرجع إلى المعلم الذى علمه العلم مع علمه بفساد نيته وقصده ، ومشاهدته أنواع المعاصى من أقواله وأفعاله وفى مطعمه وملبسه ومسكنه ، فيموت هذا العالم وتبقى آثار شره منتشرة فى العالم ألف سنة مثلا وألفى سنة ، وطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه ، ثم العجب من جهله حيث يقول « إنما الأعمال بالنيات » وقد قصدت بذلك نشر علم الدين ؛ فإن استعمله هو فى الفساد فالمعصية منه لا منى وما قصدت به إلا أن يستعين به على الخير . وإنما حب الرياسة والاستتباع والتفاخر بعلو العلم يحسن ذلك فى قلبه ، والشيطان بواسطة حب الرياسة يلبس عليه : وليت شعرى ماجوابه عمن وهب سيفا من قاطع طريق وأعدّ له خيلا وأسبابا يستعين بها على مقصوده ؛ ويقول إنما أردت البذل والسخاء والتخلق بأخلاق الله الجميلة ، وقصدت به أن يغزو بهذا السيف والفرس فى سبيل الله تعالى ، فإن إعداد الخيل والرباط والقوة للغزاة من أفضل القربات ، فإن هو صرفه إلى قطع الطريق فهو العاصى . وقد أجمع الفقهاء على أن ذلك حرام مع أن السخاء هو أحب الأخلاق إلى الله تعالى حتى قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « إن لله تعالى ثلثمائة خلق من تقرّب إليه

---

(١) حديث « لايعذر الجاهل على الجهل ولايحل للجاهل أن يسكت على جهله » . الحديث « أخرجه الطبرانى فى الأوسط وابن السنى وأبو نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف دون قوله « لايعذر الجاهل على الجهل » وقال « لاينبغى » بدل « ولايحل » وقد تقدم فى العلم .

بواحد منها دخل الجنة وأحبها إليه السخاء [١] ، فليت شعرى لم حرم هذا السخاء ؟ ولم وجب عليه أن ينظر إلى قرينة الحال من هذا الظالم فإذا لاح له من عادته أنه يستعين بالسلاح على الشر فينبغى أن يسعى فى سلب سلاحه لا أن يمده بغيره ؟ والعلم سلاح يقاتل به الشيطان وأعداء الله تعالى وقد يعاون به أعداء الله عز وجل وهو الهوى ! فمن لا يزال مؤثرا لدنياه على دينه ولهواه على آخرته وهو عاجز عنها لقلة فضله فكيف يجوز إمداده بنوع علم يتمكن به من الوصول إلى شهواته ؟ بل لم يزل علماء السلف رحمهم الله تعالى يتفقدون أحوال من يتردد إليهم ، فلو رأوا منه تقصيرا فى نفل من النوافل أنكروه وتركوا إكرامه ، وإذا رأوا منه فجورا واستحلال حرام هجروه ونفوه عن مجالسهم وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه ، لعلمهم بأن من تعلم مسألة ولم يعمل بها وجاوزها إلى غيرها فليس يطلب إلا آلة الشر ، وقد تعوذ جميع السلف بالله تعالى من الفاجر العالم بالسنة وما تعوذوا من الفاجر الجاهل ، حكى عن بعض أصحاب أحمد بن حنبل رحمه الله أنه كان يتردد إليه سنين ، ثم اتفق أن أعرض عنه أحمد وهجره وصار لا يكلمه ، فلم يزل يسأله عن تغيره عليه وهو لا يذكره ، حتى قال . بلغنى أنك طينت حائط دارك من جانب الشارع وقد أخذت قدر سمك الطين وهو أنملة من شارع المسلمين فلا تصلح لنقل العلم . فهكذا كانت مراقبة السلف لأحوال طلاب العلم . وهذا وأمثاله مما يلتبس على الأغبياء وأتباع الشيطان وإن كانوا أرباب الطيالسة والأكمام الواسعة وأصحاب الألسنة الطويلة والفضل الكثير ، أعنى الفضل من العلوم التى لا تشتمل على التحذير من الدنيا والزجر عنها والترغيب فى الآخرة والدعاء إليها ، بل هى العلوم التى تتعلق بالخلق ويتوصل بها إلى جمع الحطام واستتباع الناس والتقدم على الأقران .

فإذن قوله عليه السلام « إنما الأعمال بالنيات » يختص من الأقسام الثلاثة بالطاعات والمباحات دون المعاصى ؛ إذ الطاعة تنقلب معصية بالقصد ، والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد ، فأما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد أصلا نعم للنية دخل فيها وهو أنه إذا انضاف إليها قصود خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها - كما ذكرنا ذلك فى كتاب التوبة .

(القسم الثانى) الطاعات وهى مرتبطة بالنيات فى أصل صحتها وفى تضاعف فضلها . أما الأصل : فهو أن ينوى بها عبادة الله تعالى لا غير ، فإن نوى الرياء صارت معصية . وأما تضاعف الفضل : فبكثرة النيات الحسنة فإن الطاعة الواحدة يمكن أن ينوى بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب ، إذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر أمثالها [٢] ، كما ورد به الخبر .

ومثاله القعود فى المسجد فإنه طاعة ويمكن أن ينوى فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضائل أعمال المتقين ويبلغ به درجات المقربين (أولها) أن يعتقد أنه بيت الله وأن داخله زائر الله ، فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعده به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال « من قعد فى المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور أن يكرم زائره [٣] » (وثانيها) أن ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون فى جملة انتظاره فى الصلاة وهو معنى قوله تعالى ﴿ ورابطوا ﴾ (وثالثها) الترهب بكف السمع والبصر والأعضاء عن الحركات والترددات ، فإن الاعتكاف كف - وهو فى معنى

---

(١) حديث « إن لله ثلثمائة خلق من تقرب إليه بواحد منها دخل الجنة وأحبها إليه السخاء » تقدم فى كتاب المحبة والشوق .

(٢) حديث : تضعيف الحسنة بعشر أمثالها ، تقدم . (٣) حديث « من قعد فى المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور إكرام زائره » أخرجه ابن حبان فى الضعفاء من حديث سلمان وللبيهقى فى الشعب نحوه من رواية جماعة من الصحابة لم يسموا بإسناد صحيح وقد تقدما فى الصلاة .

الصوم - وهو نوع ترهب ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رهبانية أمتى القعود فى المساجد [1] » (ورابعها) عكوف الهم على الله ولزوم السر للفكر فى الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال إلى المسجد (وخامسها) التجرد لذكر الله أو لاستماع ذكره وللتذكر به كما روى فى الخبر « من غدا إلى المسجد ليذكر الله تعالى أو يذكر به كان كالمجاهد فى سبيل الله تعالى [2] » (وسادسها) أن يقصد إفادة العلم بأمر بمعروف ونهى عن منكر ، إذ المسجد لايخلو عمن يسىء فى صلاته أو يتعاطى مالا يحل له فيأمره بالمعروف ويرشده إلى الدين فيكون شريكا معه فى خيره الذى يعلم منه فتتضاعف خيراته (وسابعها) أن يستفيد أخا فى الله فإن ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة ، والمسجد معشش أهل الدين المحبين لله وفى الله (وثامنها) أن يترك الذنوب حياء من الله تعالى وحياء من أن يتعاطى فى بيت الله مايقتضى هتك الحرمة ، وقد قال الحسن بن على رضى الله عنهما : من أدمن الاختلاف إلى المسجد رزقه الله إحدى سبع خصال : أخا مستفادا فى الله ، أو رحمة مستنزلة ، أو علما مستظرفا ، أوكلمة تدل على هدى ، أو تصرفه عن ردى ، أو يترك الذنوب خشية أو حياء .

فهذا طريق تكثير النيات ، وقس به سائر الطاعات والمباحات إذ ما من طاعة إلا وتحتمل نيات كثيرة ، وإنما تحضر فى قلب العبد المؤمن بقدر جده فى طلب الخير وتشمره له وتفكر فيه . فبهذا تزكوا الأعمال وتتضاعف الحسنات .

(القسم الثالث) المباحات : وما من شىء من المباحات إلا ويحتمل نية أو نيات يصير بها من محاسن القربات وينال بها معالى الدرجات ، فما أعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطى البهائم المهملة عن سهو وغفلة ، ولا ينبغى أن يستحقر العبد شيئا من الخطرات والخطوات واللحظات فكل ذلك يسئل عنه يوم القيامة أنه لم فعله وما الذى قصد به ؟ هذا فى مباح محض لايشوبه كراهة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « حلالها حساب وحرامها عقاب [3] » وفى حديث معاذ بن جبل أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إنّ العبد ليسأل يوم القيامة عن كل شىء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة بأصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه [4] » وفى خبر آخر « من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لغير الله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة » فاستعمال الطيب مباح ولكن لابد فيه من نية .

فإن قلت : فما الذى يمكن أن ينوى بالطيب وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله ؟ فاعلم أنّ من يتطيب مثلا يوم الجمعة وفى سائر الأوقات يتصوّر أن يقصد التنعم بلذات الدنيا ، أو يقصد به إظهار التفاخر بكثرة المال ليحسده الأقران ، أو يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه فى قلوبهم ويذكر بطيب الرائحة ، أوليتودد به إلى قلوب النساء الأجنبيات إذا كان مستحلا للنظر إليهن ، ولأمور أخرى لاتحصى. وكل هذا يجعل التطيب معصية فبذلك يكون أنتن من الجيفة فى القيامة إلا القصد الأوّل وهو التلذذ والتنعم فإنّ ذلك ليس بمعصية إلا أنه يسئل عنه ، ومن

---

(١) حديث « رهبانية أمتى القعود فى المساجد » لم أجد له أصلا . (٢) حديث « من غدا الى المسجد يذكر الله أو يذكر به كان كالمجاهد فى سبيل الله تعالى » هو معروف من قول كعب الأحبار رويناه فى جزء ابن طوق والطبرانى فى الكبير من حديث أبى أمامة « من غدا الى المسجد لايريد إلا أن يتعلم خيرا أو يعلمه كان له كأجر حاج تاما حجه » وإسناده جيد وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة « من غدا الى المسجد أو راح أعد الله له فى الجنة نزلا كلما غدا أو راح » . (٣) حديث « حلالها حساب وحرامها عذاب » تقدم . (٤) حديث معاذ « إن العبد ليسأل يوم القيامة عن كل شىء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطين بأصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه » لم أجد له إسنادا .

نوقش الحساب عذب . ومن أتى شيئا من مباح الدنيا لم يعذب عليه فى الآخرة ولكن ينقص من نعيم الآخرة له بقدره ، وناهيك خسرانا بأن يستعجل مايفنى ويخسر زيادة نعيم لا يفنى . وأما النية الحسنة فإنه ينوى به اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة [1] ، وينوى بذلك أيضا تعظيم المسجد واحترام بيت الله فلا يرى أن يدخله زائرا لله إلا طيب الرائحة ، وأن يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا فى المسجد عند مجاورته بروائحه ، وأن يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه التى تؤدى إلى إيذاء مخالطيه ، وأن يقصد حسم باب الغيبة عن المغتابين إذا اغتابوه بالروائح الكريهة فيعصون الله بسببه ، فمن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك فى تلك المعصية كما قيل :

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون هم

وقال الله تعالى ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾ أشار به إلى أن التسبب إلى الشر شر ، وأن يقصد به معالجة دماغه لتزيد به فطنته وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمات دينه بالفكر ، فقد قال الشافعى رحمه الله من طاب ريحه زاد عقله . فهذا وأمثاله من النيات لا يعجز الفقيه عنها إذا كانت تجارة الآخرة وطلب الخير غالبة على قلبه . وإذا لم يغلب على قلبه إلا نعيم الدنيا لم تحضره هذه النيات وإن ذكرت له لم ينبعث لها قلبه فلا يكون معه منها إلا حديث النفس وليس ذلك من النية فى شىء .

والمباحات كثيرة ولا يمكن إحصاء النيات فيها فقس بهذا الواحد ما عداه ، ولهذا قال بعض العارفين من السلف : إنى أستحب أن يكون لى فى كل شىء نية حتى فى أكلى وشربى ونومى ودخولى إلى الخلاء ، وكل ذلك مما يمكن أن يقصد به التقرب إلى الله تعالى ، لأنّ كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو معين على الدين ، فمن قصده من الأكل التقوى على العبادة ، ومن الوقاع تحصين دينه وتطييب قلب أهله والتوصل به إلى نسل صالح يعبد الله تعالى بعده فتكثر به أمة محمد صلى الله عليه وسلم كان مطيعا بأكله ونكاحه ، وأغلب حظوظ النفس الأكل والوقاع وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم الآخرة ، ولذلك ينبغى أن يحسن نيته مهما ضاع له مال ويقول هو فى سبيل الله ، وإذا بلغه اغتياب غيره له فليطيب قلبه بأنه سيحمل سيآته وستنقل إلى ديوانه حسناته ، ولينوى ذلك بسكوته عن الجواب . فنى الخبر « إن العبد ليحاسب فتبطل أعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ، ثم ينشر له من الأعمال الصالحة ما يستوجب به الجنة فيتعجب ويقول : يارب هذه أعمال ماعملتها قط ؟ فيقال : هذه أعمال الذين اغتابوك وآذوك وظلموك [2] » وفى الخبر « إنّ العبد ليوافى القيامة بحسنات أمثال الجبال لو خلصت له لدخل الجنة فيأتى وقد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته ولهذا من حسناته حتى لا يبقى له حسنة . فتقول الملائكة : قد فنيت حسناته وبقى طالبون فيقول الله تعالى ألقوا عليه من

---

(١) حديث « إن لبس الثياب الحسنة يوم الجمعة سنة » أخرجه أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب إن كان عنده ولبس أحسن ثيابه ... الحديث » ولأبى داود وابن ماجه من حديث عبد الله ابن سلام « ماعلى أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبى مهنته » وفى إسناده اختلاف وفى الصحيحين : أن عمر رأى حلة سيراء عند باب المسجد فقال يارسول الله لو اشتريت هذه فلبستها يوم الجمعة ... الحديث » . (٢) حديث « ان العبد ليحاسب فتبطل أعماله لدخول الآفه فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من الأعمال الحسنة مايستوجب به الجنة ... الحديث » وفيه « هذه أعمال الذين اغتابوك ... الحديث » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبى نعيم من حديث شبث بن سعد البلوى مختصرا « ان العبد ليلقى كتابه يوم القيامة منتشرا فينظر فيه فيرى حسنات لم يعملها فيقول هذا لى ولم أعملها فيقال بما اغتابك الناس وأنت لاتشعر » وفيه ابن لهيعة .

سيآتهم ثم صكوا له صكا إلى النار [1] ، وبالجملة فإياك ثم إياك أن تستحقر شيئا من حركاتك فلا تحترز من غرورها وشرورها ولا تعد جوابها يوم السؤال والحساب فإن الله تعالى مطلع عليك وشهيد ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ وقال بعض السلف : كتبت كتابا وأردت أن أتربه من حائط جار لى فتحرجت ثم قلت : تراب وما تراب ! فتربته فهتف بى هاتف : سيعلم من استخف بتراب جاره مايلقى غدا من سوء الحساب . وصلى رجل مع الثورى فرآه مقلوب الثوب فعرفه فمد يده ليصلحه ثم قبضها فلم يسوه ، فسأله عن ذلك فقال : إنى لبسته لله تعالى ولا أريد أن أسويه لغير الله . وقد قال الحسن : إن الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة فيقول : بينى وبينك الله ! فيقول : والله ما أعرفك ؟ فيقول بلى أنت أخذت لبنة من حائطى وأخذت خيطا من ثوبى !

فهذا وأمثاله من الأخبار قطع قلوب الخائفين ، فإن كنت من أولى العزم والنهى ولم تكن من المغترين فانظر لنفسك الآن ودقق الحساب على نفسك قبل أن يدقق عليك ، وراقب أحوالك ولا تسكن ولا تتحرك ما لم تتأمل أولا أنك لم تتحرك ، وماذا تقصد ، وما الذى تنال به من الدنيا ، وما الذى يفوتك من الآخرة ، وبماذا ترجح الدنيا على الآخرة ؟ فإذا علمت أنه لا باعث إلا الدين فأمض عزمك وما خطر ببالك وإلا فأمسك ، ثم راقب أيضا قلبك فى إمساكك وامتناعك فإن ترك الفعل فعل ولا بد له من نية صحيحة ، فلا ينبغى أن يكون الداعى هوى خفى لا يطلع عليه ، ولا يغرنك ظواهر الأمور ومشهورات الخيرات وافطن للأغوار والأسرار تخرج من حيز أهل الاغترار

فقد روى عن زكريا عليه السلام أنه كان يعمل فى حائط بالطين ، وكان أجيرا لقوم فقدموا له رغيفا - إذ كان لا يأكل إلا من كسب يده - فدخل عليه قوم فلم يدعهم إلى الطعام حتى فرغ ، فتعجبوا منه لما علموا من سخائه وزهده وظنوا أن الخير فى طلب المساعدة فى الطعام ، فقال : إنى أعمل لقوم بالأجرة وقدموا إلى الرغيف لأتقوى به على عملهم ، فلو أكلتم معى لم يكفكم ولم يكفنى وضعفت عن عملهم فالبصير هكذا ينظر فى البواطن بنور الله ، فإن ضعفه عن العمل نقص فى فرض وترك الدعوة إلى الطعام نقص فى فضل ، ولا حكم للفضائل مع الفرائض وقال بعضهم : دخلت على سفيان وهو يأكل فما كلمنى حتى لعق أصابعه ثم قال : لولا أنى أخذته بدين لأحببت أن تأكل منه . وقال سفيان : من دعا رجلا إلى طعامه وليس له رغبة أن يأكل منه فإن أجابه فأكل فعليه وزران وإن لم يأكل فعليه وزر واحد ، وأراد بأحد الوزرين النفاق وبالثانى تعريضه أخاه لما يكره لو علمه . فهكذا ينبغى أن يتفقد العبد نيته فى سائر الأعمال فلا يقدم ولا يحجم إلا بنية ، فإن لم تحضره النية توقف فإن النية لا تدخل تحت الاختيار .

بيان أن النية غير داخلة تحت الاختيار

اعلم أن الجاهل يسمع ماذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع قوله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات » فيقول فى نفسه عند تدريسه أو تجارته أو أكله : نويت أن أدرس لله أو آكل لله . ويظن ذلك نية وهيهات ! فذلك حديث نفس وحديث لسان وفكر أو انتقال من خاطر إلى خاطر ، والنية بمعزل من جميع ذلك . وإنما النية انبعاث النفس وتوجهها وميلها إلى ماظهر لها أن فيه غرضها إما عاجلا وإما آجلا .

والميل إذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الإرادة ، بل ذلك كقول الشبعان : نويت أن أشتهى الطعام وأميل إليه ، أو قول الفارغ : نويت أن أعشق فلانا وأحبه وأعظمه بقلبى ، فذلك محال . بل لا طريق إلى اكتساب

(١) حديث « ان العبد ليوافى القيامة بحسنات أمثال الجبال » وفيه « ويأتى قد ظلم هذا وشتم هذا ... الحديث » تقدم مع اختلاف

صرف القلب إلى الشيء وميله إليه وتوجهه نحوه إلا باكتساب أسبابه وذلك مما قدم يقدر عليه وقد لا يقدر عليه . وإنما تنبعث النفس إلى الفعل إجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملائم لها ، ومالم يعتقد الإنسان أنّ غرضه منوط بفعل من الأفعال فلا يتوجه نحوه قصده . وذلك مما لا يقدر على اعتقاده فى كل حين ، وإذا اعتقد فإنما يتوجه القلب إذا كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل أقوى منه وذلك لا يمكن فى كل وقت ، والدواعى والصوارف لها أسباب كثيرة بها تجتمع ، ويختلف ذلك بالأشخاص وبالأحوال وبالأعمال . فإذا غلبت شهوة النكاح مثلا ولم يعتقد غرضا صحيحا فى الولد دينا ولا دنيا لا يمكنه أن يواقع على نية الولد بل لا يمكن إلا على نية قضاء الشهوة ، إذ النية هى إجابة الباعث ولا باعث إلا الشهوة ، فكيف ينوى الولد ؟ وإذا لم يغلب على قلبه أن إقامة سنة النكاح [1] اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعظم فضلها لا يمكن أن ينوى بالنكاح اتباع السنة إلا أن يقول ذلك بلسانه وقلبه ، وهو حديث محض ليس بنية . نعم طريق اكتساب هذه النية مثلا أن يقوى أولا إيمانه بالشرع ويقوى إيمانه بعظم ثواب من سعى فى تكثير أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤنة وطول التعب وغيره ، فإذا فعل ذلك ربما انبعث من قلبه رغبة إلى تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة وتتحرك أعضاؤه لمباشرة العقد ، فإذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناويا ، فإن لم يكن كذلك فما يقدره فى نفسه ويردده فى قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان .

ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة من الطاعات إذ لم تحضرهم النية وكانوا يقولون ليس تحضرنا فيه نية ، حتى إن ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصرى وقال : ليس تحضرنى نية . ونادى بعضهم امرأته وكان يسرح شعره أن هات المدرى ، فقالت : أجيء بالمرآة ؟ فسكت ساعة ثم قال : نعم ، فقيل له فى ذلك فقال : كان لى فى المدرى نية ولم تحضرنى فى المرآة نية فتوقفت حتى هيأها الله تعالى . ومات حماد بن سليمان ـ وكان أحد علماء أهل الكوفة ـ فقيل للثورى : ألا تشهد جنازته ؟ فقال : لو كان لى نية لفعلت . وكان أحدهم إذا سئل عملا من أعمال البر يقول : إن رزقنى الله تعالى نية فعلت . وكان طاوس لا يحدّث إلا بنية ، وكان يسئل أن يحدّث فلا يحدّث ، ولا يسئل فيبتدئ ! فقيل له فى ذلك قال . أفتحبون أن أحدّث بغير نية ؟ إذا حضرتنى نية فعلت . وحكى أنّ داود بن المحبر لما صنف : كتاب العقل ، جاءه أحمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه أحمد صفحا ورده فقال : مالك ؟ قال : فيه أسانيد ضعاف ، فقال له داود : أنا لم أخرجه على الأسانيد ، فانظر فيه بعين الخبر إنما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت ، قال أحمد : فرده على حتى أنظر فيه بالعين التى نظرت فأخذه ومكث عنده طويلا ثم قال : جزاك الله خيرا فقد انتفعت به . وقيل لطاوس : ادع لنا ! فقال : حتى أجد له نية . وقال بعضهم : أنا فى طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لى بعد . وقال عيسى بن كثير : مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى إلى باب داره انصرفت فقال ابنه : ألا تعرض عليه العشاء ؟ قال : ليس من نيتى .

وهذا لأن النية تتبع النظر فإذا تغير النظر تغيرت النية ، وكانوا لا يرون أن يعملوا عملا إلا بنية لعلمهم بأن النية روح العمل وأن العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب ، وعلموا أن النية ليست هى قول القائل بلسانه : نويت ، بل هو انبعاث القلب بجرى مجرى الفتوح من الله تعالى ، فقد تتيسر فى بعض

(١) حديث « ان النكاح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم » تقدم فى آداب النكاح .

الأوقات وقد تتعذر فى بعضها . نعم من كان الغالب على قلبه أمر الدين تيسر عليه فى أكثر الأحوال إحضار النية للخيرات فإن قلبه مائل بالجملة إلى أصل الخير فينبعث إلى التفاصيل غالبا . ومن مال قلبه إلى الدنيا وغلبت عليه لم يتيسر له ذلك بل لايتيسر له فى الفرائض إلابجهد جهيد ، وغايته أن يتذكر النار ويحذر نفسه عقابها أو نعيم الجنة ويرغب نفسه فيها فربما تنبعث له داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته . وأما الطاعة على نية إجلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية فلا تتيسر للراغب فى الدنيا ، وهذه أعز النيات وأعلاها ، ويعز على بسيط الأرض من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها . ونيات الناس فى الطاعات أقسام : إذ منهم من يكون عمله إجابة لباعث الخوف فإنه يتقى النار . ومنهم من يعمل إجابة لباعث الرجاء وهو الرغبة فى الجنة ، وهذا وإن كان نازلا بالإضافة إلى قصد طاعة الله وتعظيمه لذاته ولجلاله لا لأمر سواه ، فهو من جملة النيات الصحيحة لأنه ميل إلى الموعود فى الآخرة وإن كان من جنس المألوفات فى الدنيا ، وأغلب البواعث باعث الفرج والبطن وموضع قضاء وطرهما الجنة ، فالعامل لأجل الجنة عامل لبطنه وفرجه ـ كالأجير السوء ـ ودرجته درجة البله وإنه لينالها بعمله إذ أكثر أهل الجنة البله . وأما عبادة ذوى الألباب فإنها لاتجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه حبا لجماله وجلاله وسائر الأعمال تكون مؤكدات وروادف ، وهؤلاء أرفع درجة من الالتفات إلى المنكوح والمطعوم فى الجنة فإنهم لم يقصدوها ، بل هم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه فقط ، وثواب الناس بقدر نياتهم فلا جرم يتنعمون بالنظر إلى وجهه الكريم ، ويسخرون ممن يلتفت إلى وجه الحور العين كما يسخر المتنعم بالنظر إلى الحور العين ممن يتنعم بالنظر إلى وجه الصور المصنوعة من الطين ! بل أشد ، فإن التفاوت بين جمال حضرة الربوبية وجمال الحور العين أشد وأعظم كثيرا من التفاوت بين جمال الحور العين والصور المصنوعة من الطين ، بل استعظام النفوس البهيمية الشهوانية لقضاء الوطر من مخالطة الحسان وإعراضهم عن جمال وجه الله الكريم يضاهى استعظام الخنفساء لصاحبتها وإلفها لها وإعراضها عن النظر إلى جمال وجوه النساء ، فعمى أكثر القلوب عن ابصار جمال الله وجلاله يضاهى عمى الخنفساء عن ادراك جمال النساء بأنها لاتشعر به أصلا ولاتلتفت اليه ، ولوكان لها عقل وذكرن لها لاستحسنت عقل من يلتفت اليهن ﴿ ولايزالون مختلفين ـ كل حزب بما لديهم فرحون ـ ولذلك خلقهم ﴾ . حكى أن أحمد بن خضرويه رأى ربه عز وجل فى المنام فقال له : كل الناس يطلبون منى الجنة إلا أبا يزيد فإنه يطلبنى ، ورأى أبو يزيد ربه فى المنام فقال : يا رب كيف الطريق إليك ؟ فقال : اترك نفسك وتعال إلى . ورؤى الشبلى بعد موته فى المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : لم يطالبنى على الدعاوى بالبرهان إلا على قول واحد : قلت يوما أى خسارة أعظم من خسران الجنة ؟ فقال أى خسارة أعظم من خسران لقائى .

والغرض أن هذه النيات متفاوتة الدرجات ومن غلب على قلبه واحدة منها ربما لا يتيسر له العدول إلى غيرها . ومعرفة هذه الحقائق تورث أعمالا وأفعالا لا يستنكرها الظاهريون من الفقهاء ، فإنا نقول : من حضرت له نية فى مباح ولم تحضر فى فضيلة فالمباح أولى وانتقلت الفضيلة إليه وصارت الفضيلة فى حقه نقيصة لأن الأعمال بالنيات . وذلك مثل العفو فإنه أفضل من الانتصار فى الظلم ، وربما تحضره نية فى الانتصار دون العفو فيكون ذلك أفضل . ومثل أن يكون له نية فى الأكل والشرب والنوم ليريح نفسه ويتقوى على العبادات فى المستقبل وليس تنبعث نيته فى الحالين للصوم والصلاة فالأكل والشرب والنوم هو الأفضل له . بل لو مل العبادة

لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعفت رغبته وعلم أنه لو ترفه ساعة بلهو وحديث عاد نشاطه فاللهو أفضل له من الصلاة . قال أبو الدرداء : إنى لأستجم نفسى بشىء من اللهو فيكون ذلك عونا لى على الحق . وقال على كرم الله وجهه : روحوا القلوب فإنها إذا أكرهت عميت . وهذه دقائق لا يدركها إلا سماسرة العلماء دون الحشوية منهم، بل الحاذق بالطب قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعده القاصر فى الطب وإنما يبتغى به أن يعيد أولا قوته ليحتمل المعالجة بالضد ، والحاذق فى لعب الشطرنج مثلا قد ينزل عن الرخ والفرس مجانا ليتوصل بذلك إلى الغلبة ، والضعيف البصيرة قد يضحك به ويتعجب منه . وكذلك الخبير بالقتال قد يفر بين يدى قرينه ويوليه دبره حيلة منه ليستجره إلى مضيق فيكر عليه فيقهره . فكذلك سلوك طريق الله تعالى كله قتال مع الشيطان ومعالجة للقلب والبصير الموفق يقف فيها على لطائف من الحيل يستبعدها الضعفاء ، فلا ينبغى للمريد أن يضمر إنكارا على ما يراه من شيخه ولا للمتعلم أن يعترض على أستاذه ، بل ينبغى أن يقف عند حد بصيرته وما لا يفهمه من أحوالهما يسلمه لهما إلى أن ينكشف له أسرار ذلك بأن يبلغ رتبتهما وينال درجتهما ومن الله حسن التوفيق .

الباب الثانى : فى الاخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته

فضيلة الإخـــلاص

قال الله تعالى ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ وقال ﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾ وقال تعالى ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله ﴾ وقال تعالى ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ نزلت فيمن يعمل لله ويحب أن يحمد عليه وقال النبى صلى الله عليه وسلم « ثلاث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم إخلاص العمل لله [1] » وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال : ظن أبى أن له فضلا على من هو دونه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم « إنما نصر الله عز وجل هذه الأمة بضعفائها ودعوتهم وإخلاصهم [2] » وعن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى الإخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببت من عبادى [3] » وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فإن النبى صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل « أخلص العمل يجزك منه القليل [4] » وقال عليه السلام « ما من عبد يخلص لله العمل أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه [5] »

الباب الثانى فى الإخلاص

(١) حديث « ثلاث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم : اخلاص العمل لله » أخرجه الترمذى وصححه من حديث النعمان بن بشير .

(٢) حديث مصعب بن سعد عن أبيه : أنه ظن أن له فضلا على من دونه من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم « إنما نصر الله هذه الأمة بضعفائها ودعوتهم واخلاصهم » رواه النسائى وهو عند البخارى بلفظ « هل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم » . (٣) حديث الحسن مرسلا « يقول الله تعالى الإخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببت من عبادى » رويناه فى جزء من مسلسلات القزوينى مسلسلا يقول كل واحد من رواته : سألت فلانا عن الإخلاص فقال وهو من رواية أحمد بن عطاء الهجيمى عن عبد الواحد بن زيد عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله تعالى ، وأحمد بن عطاء وعبد الواحد كلاهما متروك وهما من الزهاد ورواه أبو القاسم القشيرى فى الرسالة من حديث على بن أبى طالب بسند ضعيف . (٤) حديث أنه قال لمعاذ « أخلص العمل يجزك منه القليل » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث معاذ واسناده منقطع . (٥) حديث « ما من عبد يخلص لله أربعين يوما » أخرجه ابن عدى ومن طريقه ابن الجوزى فى الموضوعات عن أبى موسى وقد تقدم .

وقال عليه الصلاة والسلام « أول من يسئل يوم القيامة ثلاثة : رجل آتاه الله العلم فيقول الله تعالى ما صنعت فيما علمت فيقول : يارب كنت أقوم آناء الليل وأطراف النهار ، فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم ألا فقد قيل ذلك . ورجل آتاه الله مالا فيقول الله تعالى لقد أنعمت عليك فماذا صنعت فيقول : يارب كنت أتصدق به آناء الليل وأطراف النهار ، فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد ألا فقد قيل ذلك . ورجل قتل فى سبيل الله تعالى فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيقول ، يارب أمرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت ، فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع ألا فقد قيل ذلك » قال أبو هريرة ، ثم خبط رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذى وقال « يا أبا هريرة أولئك أول خلق تسعر نار جهنم بهم يوم القيامة [1] » فدخل راوى هذا الحديث على معاوية وروى له ذلك فبكى حتى كادت نفسه تزهق ثم قال : صدق الله إذ قال ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ﴾ الآية

وفى الإسرائيليات أن عابدا كان يعبد الله دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا : إنّ ههنا قوما يعبدون شجرة من دون الله تعالى ، فغضب لذلك وأخذ فأسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها ، فاستقبله إبليس فى صورة شيخ فقال : أين تريد رحمك الله ؟ قال : أريد أن أقطع هذه الشجرة ، قال : وما أنت وذاك ! تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك ! فقال : إنّ هذا من عبادتى ، قال : فإنى لا أتركك أن تقطعها ، فقاتله فأخذه العابد فطرحه إلى الأرض وقعد على صدره فقال له إبليس : أطلقنى حتى أكلمك ، فقام عنه فقال إبليس : ياهذا إنّ الله تعالى قد أسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك ! وما تعبدها أنت وما عليك من غيرك ولله تعالى أنبياء فى أقاليم الأرض ولو شاء لبعثهم إلى أهلها وأمرهم بقطعها ! فقال العابد لا بدّ لى من قطعها ، فنابذه للقتال فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره فعجز إبليس فقال له : هل لك فى أمر فصل بينى وبينك وهو خير لك وأنفع ؟ قال : وما هو ؟ قال : أطلقنى حتى أقول لك ، فأطلقه فقال إبليس : أنت رجل فقير لا شىء لك إنما أنت كل على الناس يعولونك ، ولعلك تحب أن تتفضل على إخوانك وتواسى جيرانك وتشبع وتستغنى عن الناس ! قال : نعم ، قال : فارجع عن هذا الأمر ولك على أن أجعل عند رأسك فى كل ليلة دينارين إذا أصبحت أخذتهما فأنفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على إخوانك ، فيكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التى يغرس مكانها ولا يضرهم قطعها شيئا ولا ينفع إخوانك المؤمنين قطعك إياها ! فتفكر العابد فيما قال وقال : صدق الشيخ ! لست بنبى فيلزمنى قطع هذه الشجرة ولا أمرنى الله أن أقطعها فأكون عاصيا بتركها ، وما ذكره أكثر منفعة ، فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له ، فرجع العابد إلى متعبده فبات ، فلما أصبح رأى دينارين عند رأسه فأخذهما وكذلك الغد ، ثم أصبح اليوم الثالث ومابعده فلم ير شيئا . فغضب وأخذ فأسه على عاتقه فاستقبله إبليس فى صورة شيخ فقال له : إلى أين ؟ قال : أقطع تلك الشجرة فقال : كذبت والله ما أنت بقادر على ذلك ولا سبيل لك إليها ، قال : فتناوله العابد ليفعل به كما فعل أول مرة فقال : هيهات ، فأخذه إبليس وصرعه ، فإذا هو كالعصفور بين رجليه وقعد إبليس على صدره وقال : لتنتهين عن هذا الأمر أو لأذبحنك ؟ فنظر العابد فإذا لا طاقة له به ، قال : يا هذا غلبتنى فخل عنى وأخبرنى كيف غلبتك أولا وغلبتنى الآن ؟ فقال : لأنك غضبت أول مرة لله وكانت نيتك الآخرة فسخرنى الله لك ، وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك .

---

(١) حديث « أول من يسئل يوم القيامة ثلاثة : رجل آتاه الله العلم ... الحديث » قد تقدم .

هذه الحكايات تصديق قوله تعالى ﴿ إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ إذ لا يتخلص العبد من الشيطان إلا بالإخلاص ، ولذلك كان معروف الكرخي رحمه الله تعالى يضرب نفسه ويقول : يا نفس أخلصي تتخلصي . وقال يعقوب المكفوف : المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته . وقال سليمان : طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله تعالى . وكتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى أبي موسى الأشعري : من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس ، وكتب بعض الأولياء إلى أخ له : أخلص النية في أعمالك يكفك القليل من العمل وقال أيوب السختياني ، تخليص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال . وكان مطرف يقول : من صفا صفي له ومن خلط خلط عليه . ورؤي بعضهم في المنام فقيل له : كيف وجدت أعمالك فقال : كل شيء عملته لله وجدته ، حتى حبة رمان لقطتها من طريق وحتى هرة ماتت لنا رأيتها في كفة الحسنات ، وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرأيته في كفة السيئات ، وكان قد نفق حمار لي فيمته مائة دينار فما رأيت له ثوابا فقلت : موت سنور في كفة الحسنات وموت حمار ليس فيها ؟ فقيل لي : إنه قد وجه حيث بعثت به ، فإنه لما قيل لك : قدمات ، قلت : في لعنة الله ، فبطل أجرك فيه ، ولو قلت : في سبيل الله ، لوجدته في حسناتك . وفي رواية قال : وكنت قد تصدقت بصدقة بين الناس فأعجبني نظرهم إلي فوجدت ذلك لا علي ولا لي . قال سفيان ـ لما سمع هذا ـ ما أحسن حاله ؟ إذ لم يكن عليه فقد أحسن إليه . وقال يحيى بن معاذ ، الإخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم . وقيل : كان رجل يخرج في زي النساء ويحضر كل موضع يجتمع فيه النساء من عرس أو مأتم ، فاتفق أن حضر يوما موضعا فيه مجمع للنساء فسرقت درة فصاحوا أن أغلقوا الباب حتى نفتش ، فكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت النوبة إلى الرجل وإلى امرأة معه ، فدعا الله تعالى بالإخلاص وقال : إن نجوت من هذه الفضيحة لا أعود إلى مثل هذا ، فوجدت الدرة مع تلك المرأة فصاحوا : أن أطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة . وقال بعض الصوفية : كنت قائما مع أبي عبيد التستري وهو يحرث أرضه بعد العصر من يوم عرفة ، فمر به بعض إخوانه من الأبدال فسأله بشيء فقال أبو عبيد : لا ، فمر كالسحاب يمسح الأرض حتى غاب عن عيني ، فقلت لأبي عبيد : ماقال لك ؟ فقال : سألني أن أحج معه ، قلت : لا ، قلت : فهلا فعلت ؟ قال : ليس لي في الحج نية وقد نويت أن أتمم هذه الأرض العشية فأخاف إن حججت معه لأجله تعرضت لمقت الله تعالى ، لأني أدخل في عمل الله شيئا غيره فيكون ما أنا فيه أعظم عندي من سبعين حجة . ويروى عن بعضهم قال : غزوت في البحر فعرض بعضنا مخلاة ، فقلت أشتريها فأنتفع بها في غزوي فإذا دخلت مدينة كذا بعتها فربحت فيها ، فاشتريتها فرأيت تلك الليلة في النوم كأن شخصين قد نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه : اكتب الغزاة ، فأملى عليه ، خرج فلان متنزها وفلان مرائيا وفلان تاجرا وفلان في سبيل الله ، ثم نظر إلي وقال : اكتب فلان خرج تاجرا ، فقلت . الله الله في أمري ! ما خرجت أتجر وما معي تجارة أتجر فيها ما خرجت إلا للغزو ، فقال : ياشيخ قد اشتريت أمس مخلاة تريد أن تربح فيها فبكيت وقلت : لا تكتبوني تاجرا فنظر إلى صاحبه وقال ما ترى ؟ فقال : اكتب خرج فلان غازيا إلا أنه اشترى في طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله عز وجل فيه بما يرى . وقال سري السقطي رحمه الله تعالى : لأن تصلي ركعتين في خلوة تخلصهما خير لك من أن تكتب سبعين حديثا أو سبعمائة بعلو وقال بعضهم : في إخلاص ساعة نجاة الأبد ولكن الإخلاص عزيز . ويقال : العلم بذر والعمل زرع وماؤه الإخلاص . وقال بعضهم : إذا أبغض الله عبدا أعطاه ثلاثا ومنعه ثلاثا ، أعطاه صحبة الصالحين ومنعه القبول منهم ، وأعطاه الأعمال الصالحة ومنعه

الإخلاص فيها ، وأعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها . وقال السوسى : مراد الله من عمل الخلائق الإخلاص فقط . وقال الجنيد : إنّ لله عبادا عقلوا فلما عقلوا عملوا فلما عملوا أخلصوا فاستدعاهم الإخلاص إلى أبواب البر أجمع . وقال محمد بن سعيد المروزى : الأمر كله يرجع إلى أصلين : فعل منه بك ، وفعل منك له ، فترضى ما فعل وتخلص فيما تعمل . فإذن أنت سعدت بهذين وفزت فى الدارين .

بيان حقيقة الإخلاص

اعلم أنّ كل شيء يتصوّر أن يشوبه غيره ، فإذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمى خالصا ، ويسمى الفعل المصفى المخلص : إخلاصا . قال الله تعالى ﴿ من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ﴾ فإنما خلوص اللبن أن لا يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمكن أن يمتزج به ، والإخلاص يضاده الإشراك ، فمن ليس مخلصا فهو مشرك إلا أن الشرك درجات ، فالإخلاص فى التوحيد يضاده التشريك فى الإلهية . والشرك ـ منه خفى ومنه جلى وكذا الإخلاص . والإخلاص وضده يتواردان على القلب فمحله القلب وإنما يكون ذلك فى القصود والنيات . وقد ذكر حقيقة النية وأنها ترجع إلى إجابة البواعث ، فهما كان الباعث واحد على التجرد سمى الفعل الصادر عنه إخلاصا بالإضافة إلى المنوى ، فمن تصدّق وغرضه محض الرياء فهو مخلص ، ومن كان غرضه محض التقرب إلى الله تعالى فهو مخلص . ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الإخلاص بتجريد قصد التقرب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب ، كما أنّ الإلحاد عبارة عن الميل ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق ، ومن كان باعثه مجرد الرياء فهو معرض للهلاك ـ ولسنا نتكلم فيه إذ قد ذكرنا ما يتعلق به فى كتاب الرياء من ربع المهلكات ـ وأقل أموره ما ورد فى الخبر من « إن المرائى يدعى يوم القيامة بأربع أسام : يامرائى يامخادع يامشرك يا كافر [1] » .

وإنما نتكلم الآن فيمن انبعث لقصد التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث باعث آخر إما من الرياء أو من غيره من حظوظ النفس . ومثال ذلك أن يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب . أو يعتق عبدا ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه ، أو يحج ليصح مزاجه بحركة السفر ، أو يتخلص من شر يعرض له فى بلده ، أو ليهرب عن عدوّ له فى منزله ، أو يتبرم بأهله وولده ، أو بشغل هو فيه فأراد أن يستريح منه أياما . أو ليغزو وليمارس الحرب ويتعلم أسبابه ويقدر به على تهيئة العساكر وجرها . أو يصلى بالليل وله غرض فى دفع النعاس عن نفسه به ليراقب أهله أو رحله . أو يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال أو ليكون عزيزا بين العشيرة ، أو ليكون عقاره أو ماله محروسا بعز العلم عن الأطماع . أو اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص عن كرب الصمت ويتفرج بلذة الحديث . أو تكفل بخدمة العلماء الصوفية لتكون حرمته وافرة عندهم وعند الناس ، أو لينال به رفقا فى الدنيا . أو كتب مصحفا ليجوّد بالمواظبة على الكتابة خطه . أو حج ماشيا ليخفف عن نفسه الكراء . أو توضأ ليتنظف أو يتبرد . أو اغتسل لتطيب رائحته . أو روى الحديث ليعرف بعلوّ الإسناد أو اعتكف فى المسجد ليخف كراء المسكن . أو صام ليخفف عن نفسه التردد فى طبخ الطعام أو ليتفرغ لأشغاله فلا يشغله الأكل عنها . أو تصدّق على السائل ليقطع إبرامه فى السؤال عن نفسه . أو يعود مريضا ليعاد إذا مرض . أو يشيع جنازة ليشيع جنائز أهله أو يفعل شيئا من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به وينظر إليه بعين الصلاح والوقار فهما كان باعثه هو التقرب إلى الله تعالى

---

(١) حديث : « ان المرائي يدعى يوم القيامة : يامرائى يامخادع ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب السنة والإخلاص وقد تقدم .

ولكن انضاف إليه خطرة من هذه الخطرات ، حتى صار العمل أخف عليه بسبب هذه الأمور ، فقد خرج عمله عن حد الإخلاص وخرج عن أن يكون خالصا لوجه الله تعالى وتطرق إليه الشرك . وقد قال تعالى « أنا أغنى الشركاء عن الشركة » وبالجملة ، كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس ويميل إليه القلب - قل أم كثر - إذا تطرق إلى العمل تكدر به صفوه وزال به إخلاصه . والإنسان مرتبط فى حظوظه منغمس فى شهواته قلما ينفك فعل من أفعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ وأغراض عاجلة من هذه الأجناس . فلذلك قيل : من سلم له من عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله نجا . وذلك لعزة الإخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب ، بل الخالص هو الذى لا باعث عليه إلا طلب القرب من الله تعالى . وهذه الحظوظ إن كانت هى الباعثة وحدها فلا يخفى شدة الأمر على صاحبه فيها ، وإنما نظرنا فيما إذا كان القصد الأصلى هو التقرب وانضافت إليه هذه الأمور ، ثم هذه الشوائب إما أن تكون فى رتبة الموافقة أو فى رتبة المشاركة أو فى رتبة المعاونة - كما سبق فى النية - وبالجملة ؛ فإما أن يكون الباعث النفسى مثل الباعث الدينى أو أقوى منه أو أضعف ، ولكل واحد حكم آخر - كما سنذكره - وإنما الإخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها - قليلها وكثيرها - حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه . وهذا لا يتصور إلا من محب لله مستهتر بالله مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا فى قلبه قرار حتى لا يحب الأكل والشرب أيضا ، بل تكون رغبته فيه كرغبته فى قضاء الحاجة من حيث إنه ضرورة الجبلة ، فلا يشتهى الطعام لأنه طعام بل لأنه يقويه على عبادة الله تعالى ، ويتمنى أن لو كفى شر الجوع حتى لا يحتاج إلى الأكل فلا يبقى فى قلبه حظ من الفضول الزائدة على الضرورة ، ويكون قدر الضرورة مطلوبا عنده لأنه ضرورة دينه فلا يكون له هم إلا الله تعالى . فمثل هذا الشخص لو أكل أو شرب أو قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية فى جميع حركاته وسكناته ، فلو نام مثلا حتى يريح نفسه ليتقوى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه ، ومن ليس كذلك فباب الإخلاص فى الأعمال مسدود عليه إلا على الندور ، وكما أن من غلب عليه حب الله وحب الآخرة فاكتسبت حركاته الاعتيادية صفة همه وصارت إخلاصا ؛ فالذى يغلب على نفسه : الدنيا والعلو والرياسة - وبالجملة غير الله - فقد اكتسبت جميع حركاته تلك الصفة ، فلا تسلم له عباداته من صوم وصلاة وغير ذلك إلا نادرا . فإذن علاج الإخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب ، فإذ ذاك يتيسر الإخلاص . وكم من أعمال يتعب الإنسان فيها ويظن أنها خالصة لوجه الله ويكون فيها مغرور لأنه لا يرى وجه الآفة فيها كما حكى عن بعضهم أنه قال قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها فى المسجد فى الصف الأول لأنى تأخرت يوما لعذر فصليت فى الصف الثانى فاعترتنى خجلة من الناس حيث رأونى فى الصف الثانى ، فعرفت أن نظر الناس إلى فى الصف الأول كان مسرتى وسبب استراحة قلبى من حيث لا أشعر . وهذا دقيق غامض قلما تسلم الأعمال من أمثاله وقل من يتنبه له إلا من وفقه الله تعالى ، والغافلون يرون حسناتهم كلها فى الآخرة سيئات وهم المرادون بقوله تعالى ﴿وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون - وبدا لهم سيئات ما كسبوا﴾ وبقوله تعالى ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ وأشد الخلق تعرضا لهذه الفتنة العلماء ، فإن الباعث للأكثرين على نشر العلم لذة الاستيلاء والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد والثناء ، والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول : غرضكم نشر دين الله والذب عن الشرع الذى شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وترى الواعظ يمن على الله تعالى بنصيحة الخلق ووعظه للسلاطين ويفرح بقبول الناس قوله وإقبالهم عليه ،

وهو يدعى أنه يفرح بما يسر له من نصرة الدين ولو ظهر من أقرانه من هو أحسن منه وعظا وانصرف الناس عنه وأقبلوا عليه ساءه ذلك وغمه ، ولو كان باعثه الدين لشكر الله تعالى إذ كفاه الله تعالى هذا المهم بغيره . ثم الشيطان مع ذلك لايخليه ويقول : إنما غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس عنك إلى غيرك إذ لو اتعظوا بقولك لكنت أنت المثاب واغتمامك لفوات الثواب محمود ، ولا يدرى المسكين أن انقياده للحق وتسليمه الأمر أفضل وأجزل ثوابا وأعود عليه فى الآخرة من انفراده . وليت شعرى لو اغتم عمر رضى الله عنه بتصدى أبى بكر رضى الله تعالى عنه للإمامة أكان غمه محمودا أو مذموما ؟ ولا يستريب ذو دين أن لوكان ذلك لكان مذموما ، لأن انقياده للحق وتسليمه الأمر إلى من هو أصلح منه أعود عليه فى الدين من تكفله بمصالح الخلق مع مافيه من الثواب الجزيل ، بل فرح عمر رضى الله تعالى عنه باستقلال من هو أولى منه بالأمر . فما بال العلماء لايفرحون بمثل ذلك ؟ وقد ينخدع بعض أهل العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بأنه لو ظهر من هو أولى منه بالأمر لفرح به ، وإخباره بذلك عن نفسه قبل التجربة والامتحان محض الجهل والغرور ، فإن النفس سهلة القياد فى الوعد بأمثال ذلك قبل نزول الأمر ، ثم إذا دهاه الأمر تغير ورجع ولم يف بالوعد . وذلك لايعرفه إلا من عرف مكايد الشيطان والنفس وطال اشتغاله بامتحانها ، فمعرفة حقيقة الإخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع إلا الشاذ النادر والفرد الفذ وهو المستثنى فى قوله تعالى ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق وإلا التحق بأتباع الشياطين وهو لايشعر .

بيان أقاويل الشيوخ فى الإخلاص

قال السوسى : الإخلاص فقد رؤية الإخلاص ، فإن من شاهد فى إخلاصه الإخلاص فقد احتاج إخلاصه إلى إخلاص . وما ذكره إشارة إلى تصفية العمل عن العجب بالفعل فإن الالتفات إلى الإخلاص والنظر إليه عجب ؛ وهو من جملة الآفات . والخالص : ما صفا عن جميع الآفات ، فهذا تعرض لآفة واحدة . وقال سهل رحمه الله تعالى : الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة ، وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض ، وفى معناه قول إبراهيم بن أدهم : الإخلاص صدق النية مع الله تعالى . وقيل لسهل : أى شىء أشد على النفس ؟ فقال : الإخلاص إذ ليس لها فيه نصيب وقال رويم : الإخلاص فى العمل هو أن لا يريد صاحبه عليه عوضا فى الدارين . وهذا إشارة إلى أن حظوظ النفس آفة آجلا وعاجلا . والعابد لأجل التنعم بالشهوات فى الجنة مغلول ، بل الحقيقة أن لا يراد بالعمل إلا وجه الله تعالى وهو إشارة إلى إخلاص الصديقين وهو الإخلاص المطلق . فأما من يعمل لرجاء الجنة وخوف النار فهو مخلص بالإضافة إلى الحظوظ العاجلة وإلا فهو فى طلب حظ البطن والفرج ، وإنما المطلوب الحق لذوى الألباب وجه الله تعالى فقط ، وهو القائل لايتحرك الإنسان إلا لحظ ، والبراءة من الحظوظ صفة الإلهية ، ومن ادعى ذلك فهو كافر . وقد قضى القاضى أبو بكر الباقلانى بتكفير من يدعى البراءة من الحظوظ وقال : هذا من صفات الإلهية وما ذكره حق ، ولكن القوم إنما أرادوا به البراءة عما يسميه الناس حظوظا ، وهو الشهوات الموصوفة فى الجنة فقط . فأما التلذذ بمجرد المعرفة والمناجاة والنظر إلى وجه الله تعالى فهذا حظ هؤلاء ، وهذا لا يعده الناس حظا بل يتعجبون منه . وهؤلاء لو عوضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والمناجاة وملازمة السجود للحضرة الإلهية سرا وجهرا جميع نعيم الجنة لاستحقروه ولم يلتفتوا إليه ؛ لحركتهم لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره . وقال أبو عثمان : الإخلاص نسيان رؤية

الخلق بدوام النظر إلى الخالق فقط . وهذا إشارة إلى آفة الرياء فقط ؛ ولذلك قال بعضهم : الإخلاص فى العمل أن لايطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه ؛ فإنه إشارة إلى مجرد الإخفاء . وقد قيل : الإخلاص مااستتر عن الخلق وصفا عن العلائق . وهذا أجمع للمقاصد . وقال المحاسبي : الإخلاص هو إخراج الخلق عن معاملة الرب . وهذا إشارة إلى مجرد نفى الرياء . وكذلك قول الخواص : من شرب من كأس الرياسة فقد خرج عن إخلاص العبودية . وقال الحواريون لعيسى عليه السلام : ما الخالص من الأعمال ؟ فقال : الذى يعمل لله تعالى لايحب أن يحمده عليه أحد . وهذا أيضا تعرض لترك الرياء وإنما خصه بالذكر لأنه أقوى الأسباب المشوشة للإخلاص . وقال الجنيد : الإخلاص تصفية العمل من الكدورات . وقال الفضيل : ترك العمل من أجل الناس رياء ، والعمل من أجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما . وقيل : الإخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها . وهذا هو البيان الكامل والأقاويل فى هذا كثيرة ولا فائدة فى تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة .

وإنما البيان الشافى بيان سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم إذ سئل عن الإخلاص فقال « أن تقول ربى الله ثم تستقيم كما أمرت [1] » أى لاتعبد هواك ونفسك ولا تعبد إلا ربك وتستقيم فى عبادته كما أمرت وهذا إشارة إلى قطع ماسوى الله عن مجرى النظر وهو الإخلاص حقا .

بيان درجات الشوائب والآفات المكدرة للإخلاص

اعلم أن الآفات المشوشة للإخلاص بعضها جلى وبعضها خفى وبعضها ضعيف مع الجلاء وبعضها قوى مع الخفاء ، ولا يفهم اختلاف درجاتها فى الخفاء والجلاء إلا بمثال . وأظهر مشوشات الإخلاص الرياء فانذكر منه مثالا .

فنقول : الشيطان يدخل الآفة على المصلى مهما كان مخلصا فى صلاته ؛ ثم نظر إليه جماعة أو دخل عليه داخل فيقول له : حسن صلاتك حتى ينظر إليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك ! فتخشع جوارحه ، وتسكن أطرافه ، وتحسن صلاته ؛ وهذا هو الرياء الظاهر ؛ ولا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين .

الدرجة الثانية : يكون المريد قد فهم هذه الآفة وأخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت إليه ويستمر فى صلاته كما كان . فيأتيه فى معرض الخير ويقول : أنت متبوع ومقتدى بك ومنظور إليك وما تفعله يؤثر عنك ويتأسى بك غيرك ، فيكون لك ثواب أعمالهم إن أحسنت وعليك الوزر إن أسأت ، فأحسن عملك بين يديه فعساه يقتدى بك فى الخشوع وتحسين العبادة ! وهذا أغمض من الأول وقد ينخدع به من لا ينخدع بالأول ، وهو أيضا عين الرياء ومبطل للإخلاص ، فإنه إن كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيرا لا يرضى لغيره تركه فلم لم يرتض لنفسه ذلك فى الخلوة ولا يمكن أن تكون نفس غيره أعز عليه من نفسه ؟ فهذا محض التلبيس ، بل المقتدى به هو الذى استقام فى نفسه واستنار قلبه فانتشر نوره إلى غيره فيكون له ثواب عليه

---

(١) حديث : سئل عن الإخلاص فقال « أن تقول : ربى الله ثم تستقيم كما أمرت » لم أره بهذا اللفظ والترمذى وصححه وابن ماجه من حديث سفيان بن عبد الله الثقفى قلت : يارسول الله حدثنى بأمر أعتصم به قال « قل ربى الله ثم استقم » وهو عند مسلم بلفظ : قل لى فى الإسلام قولا لاأسأل عنه أحدا بعدك قال « قل آمنت بالله ثم استقم » .

فأما هـذا فمحض النفاق والتلبيس ، فمن اقتدى به أثيب عليـه وأما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على إظهاره من نفسه ما ليس متصفا به .

الدرجة الثالثة : وهى أدق مما قبلها ، أن يجرب العبد نفسه فى ذلك ويتنبه لكيد الشيطان ويعلم أن مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الرياء ، ويعلم أن الإخلاص فى أن تكون صلاته فى الخلوة مثل صلاته فى الملأ ، ويستحيي من نفسه ومن ربه أن يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعا زائدا على عادته ، فيقبل على نفسه فى الخلوة ويحسن صلاته على الوجه الذى يرتضيه فى الملأ ، ويصلى فى الملأ أيضا كذلك . فهذا أيضا من الرياء الغامض لأنه حسن صلاته فى الخلوة لتحسن فى الملأ فلا يكون قد فرق بينهما ، فالتفاته فى الخلوة والملأ إلى الخلق . بل الإخلاص أن تكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة ، فكأنّ نفس هذا ليست تسمح بإساءة الصلاة بين أظهر الناس ثم يستحيي من نفسه أن يكون فى صورة المرائين ، ويظن أن ذلك يزول بأن تستوى صلاته فى الخلا والملا وهيهات ! بل زوال ذلك بأن لايلتفت إلى الخلق كما لا يلتفت إلى الجمادات فى الخلا والملأ جميعا ، وهذا من شخص مشغول الهم بالخالق فى الملا والخلا جميعا ، وهذا من المكايد الخفية للشيطان .

الدرجة الرابعة : وهى أدق وأخفى ، أن ينظر إليه الناس وهو فى صلاته فيعجز الشيطان عن أن يقول له : اخشع لأجلهم ، فإنه قد عرف أنه قد تفطن لذلك فيقول له الشيطان : تفكر فى عظمة الله تعالى وجلاله ومن أنت واقف بين يديه واستحى من أن ينظر الله إلى قلبك وهو غافل عنه ، فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه ويظن أنّ ذلك عين الإخلاص وهو عين المكر والخداع ، فإنّ خشوعه لو كان لنظره إلى جلاله لكانت هذه الخطرة تلازمه فى الخلوة ولكان لايختص حضورها بحالة حضور غيره ، وعلامة الأمن من هذه الآفة أن يكون هذا الخاطر مما يألفه فى الخلوة كما يألفه فى الملأ ، ولايكون حضور الغير هو السبب فى حضور الخاطر كما لايكون حضور البهيمة سببا فما دام يفرق فى أحواله بين مشاهدة إنسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن صفو الإخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفى من الرياء ، وهذا الشرك أخفى فى قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصخرة الصماء [1] ، كما ورد فى الخبر ، ولا يسلم من الشيطان إلا من دق نظره وسعد بعصمة الله تعالى وتوفيقه وهدايته ، وإلا فالشيطان ملازم للمتشمرين لعبادة الله تعالى لايغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء فى كل حركة من الحركات حتى فى كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب ، فإنّ هذه سنن فى أوقات مخصوصة وللنفس فيها حظ خفى لارتباط نظر الخلق بها ولاستئناس الطبع بها ، فيدعوه الشيطان إلى فعل ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغى أن تتركها ، ويكون انبعاث القلب باطنا لها لأجل تلك الشهوة الخفية ، أو مشوبة بها شوبا يخرج عن حدّ الإخلاص بسببه ، وما لا يسلم عن هذه الآفات كلها فليس بخالص ، بل من يتعكف فى مسجد معمور نظيف حسن العمارة يأنس إليه الطبع فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف ، وقد يكون المحرك الخفى فى سره هو الأنس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع إليه ، ويتبين ذلك فى ميله إلى أحد المسجدين أو أحد الموضعين إذا كان أحسن من الآخر ، وكل ذلك امتزاج بشوائب الطبع وكدورات النفس ومبطل حقيقة الإخلاص لعمرى الغش الذى يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة . فمنها مايغلب ومنها ما يقل لكن يسهل دركه . ومنها ما يدق بحيث لا يدركه إلا الناقد البصير . وغش القلب ودغل الشيطان وخبث النفس أغمض من ذلك وأدق كثيرا .

---

(١) حديث « الشرك أخفى فى قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصخرة » تقدم فى العلم وفى ذم الجاه والرياء .

ولهذا قيل : ركعتان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل ، وأريد به العالم البصير بدقائق آفات الأعمال حتى يخلص عنها ، فإنّ الجاهل نظره إلى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر السوادى إلى حمرة الدينار المموه واستدارته وهو مغشوش زائف فى نفسه ، وقيراط من الخالص الذى يرتضيه الناقد البصير خير من دينار يرتضيه الغر الغبى . فهكذا يتفاوت أمر العبادات بل أشد وأعظم . ومداخل الآفات المتطرقة إلى فنون الأعمال لا يمكن حصرها وإحصاؤها فلينتفع بما ذكرناه مثالا ، والفطن يغنيه القليل عن الكثير والبليد لا يغنيه التطويل أيضا فلا فائدة فى التفصيل .

بيان حكم العمل المشوب واستحقاق الثواب به

اعلم أنّ العمل إذا لم يكن خالصا لوجه الله تعالى بل امتزج به شوب من الرياء أوحظوظ النفس فقد اختلف الناس فى أنّ ذلك هل يقتضى ثوابا أم يقتضى عقابا أم لايقتضى شيئا أصلا فلا يكون له ولا عليه ؟ أما الذى لم يردبه إلا الرياء فهو عليه قطعاوهو سبب المقت والعقاب . وأما الخالص لوجه الله تعالى فهوسبب الثواب وإنما النظر فى المشوب ، وظاهر الأخبار تدل على أنه لاثواب له [1] ، وليس تخلو الأخبار عن تعارض فيه . والذى ينقدح لما فيه ـ والعلم عند الله ـ أن ينظر إلى قدر قوة الباعث . فإن كان الباعث الدينى مساويا للباعث النفسى تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه ، وإن كان باعث الرياء أغلب وأقوى فهو ليس بنافع وهو مع ذلك مضر ومفض للعقاب . نعم العقاب الذى فيه أخف من عقاب العمل الذى تجرد للرياء ولم يمتزج به شائبة التقرب . وإن كان قصد التقرب أغلب بالإضافة إلى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الدينى وهذا لقوله تعالى ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ ولقوله تعالى ﴿ إنّ الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ﴾ فلا ينبغى أن يضيع قصد الخير ، بل إن كان غالبا على قصد الرياء حبط منه القدر الذى يساويه وبقيت زيادة ، وإن كان مغلوبا سقط بسببه شىء من عقوبة القصد الفاسد . وكشف الغطاء عن هذا أنّ الأعمال تأثيرها فى القلوب بتأكيد صفاتها . فداعية الرياء من المهلكات وإنما غذاء هذا المهلك وقوته العمل على وفقه ، وداعية الخير من المنجيات وإنما قوتها بالعمل على وفقها . فإذا اجتمعت الصفتان فى القلب فهما متضادتان ، فإذا عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوى تلك الصفة ، وإذا كان العمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوى أيضا تلك الصفة ، وأحدهما مهلك والآخر منج ، فإن كان تقوية هذا بقدر تقوية الآخر فقد تقاوما . فكان كالمستضر بالحرارة إذا تناول ما يضره ثم تناول من المبردات ما يقاوم قدر قوته ، فيكون بعد تناولها كأنه لم يتناولها ، وإن كان أحدهما غالبا لم يخل الغالب عن أثر ، فكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب والأدوية ولا ينفك عن أثر فى الجسد بحكم سنة الله تعالى ، فكذلك لا يضيع مثقال ذرة من الخير والشر ولا ينفك عن تأثير فى إنارة القلب أو تسويده وفى تقريبه من الله أو إبعاده ، فإذا جاء بما يقربه شبرا مع مايبعده شبرا فقد عاد إلى ما كان

---

(١) الأخبار التى يدل ظاهرها على أن العمل المشوب لاثواب له قال : وليس تخلو الأخبار عن تعارض رواه أبو داود من حديث أبى هريرة : أن رجلا قال يارسول الله رجل يبتغى الجهاد فى سبيل الله وهو يبتغى عرضا من عرض الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاأجر له ... الحديث » وللنسائى من حديث أبى أمامة بإسناد حسن : أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ماله ؟ فقال « لاشىء له » فأعادها ـ ثلاث مرات ـ يقول « لا شىء له » ثم قال « إن الله لايقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغى به وجهه » وللترمذى وقال غريب وابن حبان من حديث أبى هريرة : الرجل يعمل العمل فيسره فإذا اطلع عليه أعجبه قال « له أجران أجر السر وأجر العلانية » وقد تقدم فى ذم الجاه والرياء .

فلم يكن له ولا عليه ، وإن كان الفعل مما يقربه شبرين والآخر يبعده شبرا واحدا فضل له لا محالة شبر ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « أتبع السيئة الحسنة تمحها [1] » فإذا كان الرياء المحض يمحوه الإخلاص المحض عقيبه ، فإذا اجتمعا جميعا فلا بد وأن يتدافعا بالضرورة . ويشهد لهذا إجماع الأمة على أن من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه وأثيب عليه ، وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس . نعم يمكن أن يقال : إنما يثاب على أعمال الحج عند انتهائه إلى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص ، وإنما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة . ولكن الصواب أن يقال : مهما كان الحج هو المحرك الأصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب ما . وعندي : أن الغزاة لا يدركون في أنفسهم تفرقة بين غزو الكفار في جهة تكثر فيها الغنائم وبين جهة لاغنيمة فيها ، ويبعد أن يقال : إدراك هذه التفرقة يحبط بالكلية ثواب جهادهم . بل العدل أن يقال : إذا كان الباعث الأصلي والمزعج القوي هو إعلاء كلمة الله تعالى وإنما الرغبة في الغنيمة على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب . نعم لايساوي ثوابه ثواب من لايلتفت قلبه إلى الغنيمة أصلا ؛ فإن هذا الالتفات نقصان لا محالة .

فإن قلت : فالآيات والأخبار تدل على أن شوب الرياء محبط للثواب ، وفي معناه شوب طلب الغنيمة والتجارة وسائر الحظوظ فقد روى طاوس وغيره من التابعين : أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عمن يصطنع المعروف ـ أو قال يتصدق ـ فيحب أن يحمد ويؤجر فلم يدر ما يقول له حتى نزلت ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ [2] وقد قصد الأجر والحمد جميعا وروى معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أدنى الرياء شرك [3] » وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « يقال لمن أشرك في عمله خذ أجرك ممن عملت له [4] » وروى عن عبادة « أن الله عز وجل يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشركة من عمل لي عملا فأشرك معي غيري ودعت نصيبي لشريكي » وروى أبو موسى : أن أعرابيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه فأيهم في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله [5] » وقال عمر رضي الله عنه : تقولون فلان شهيد ولعله أن يكون قد ملأ دفتي راحلته ورقا . وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فهو له [6] » ؟ فنقول : هذه الأحاديث لاتناقض ماذكرناه بل المراد بها من لم يرد بذلك إلا الدنيا كقوله « من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا » وكان ذلك هو الأغلب على همه وقد ذكرنا أن ذلك عصيان وعدوان لا لأن طلب الدنيا حرام ولكن طلبها بأعمال الدين حرام لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن موضعها ، وأما لفظ الشركة حيث ورد فمطلق للتساوي وقد بينا أنه إذا تساوى القصدان تقاوما ولم يكن له

---

(١) حديث « أتبع السيئة الحسنة تمحها » تقدم في رياضة النفس وفي التوبة . (٢) حديث طاوس وعدة من التابعين : أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عمن يصطنع المعروف ـ أو قال يتصدق ـ فيحب أن يحمد ويؤجر فنزلت ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ﴾ أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب السنة والحاكم نحوه من رواية طاوس مرسلا وقد تقدم في ذم الجاه والرياء .

(٣) حديث معاذ « أدنى الرياء شرك » أخرجه الطبراني والحاكم وتقدم . (٤) حديث أبي هريرة « يقال لمن أشرك في عمله خذ أجرك ممن عملت له » تقدم فيه من حديث محمود بن لبيد بنحوه وتقدم فيه حديث أبي هريرة « من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشريكه » وفي رواية مالك في الموطأ « فهو له كله » . (٥) حديث أبي موسى « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » تقدم فيه . (٦) حديث ابن مسعود « من هاجر يبتغي شيئاً من الدنيا فهو له » تقدم في الباب الذي قبله .

ولاعليه ، فلا ينبغى أن يرجى عليه ثواب ، ثم إن الإنسان عند الشركة أبدا فى خطر فإنه لايدرى أى الأمرين أغلب على قصده فربما يكون عليه وبالا ولذلك قال تعالى ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ أى لايرجى اللقاء مع الشركة التى أحسن أحوالها التساقط ، ويجوز أن يقال أيضاً : منصب الشهادة لاينال إلا بالإخلاص فى الغزو . وبعيد أن يقال : من كانت داعيته الدينية بحيث تزعجه إلى مجرد الغزو - وإن لم يكن غنيمة - وقدر على غزو طائفتين من الكفار إحداهما غنية والأخرى فقيرة فمال إلى جهة الأغنياء - لإعلاء كلمة الله والغنيمة - لاثواب له على غزوه ألبتة ، ونعوذ بالله أن يكون الأمر كذلك فإن هذا حرج فى الدين ومدخل لليأس على المسلمين ، لأن أمثال هذه الشوائب التابعة قط لاينفك الإنسان عنها إلا على الندور ، فيكون تأثير هذا فى نقصان الثواب ، فأما أن يكون فى إحباطه فلا . نعم الإنسان فيه على خطر عظيم لأنه ربما يظن أن الباعث الأقوى هو قصد التقرب إلى الله ويكون الأغلب على سره الحظ النفسى ، وذلك مما يخفى غاية الخفاء . فلا يحصل الأجر إلا بالإخلاص والإخلاص قلما يستيقنه العبد من نفسه وإن بالغ فى الاحتياط ، فلذلك ينبغى أن يكون أبدا بعد كمال الاجتهاد مترددا بين الرد والقبول خائفا أن تكون فى عبادته آفة يكون وبالها أكثر من ثوابها . وهكذا كان الخائفون من ذوى البصائر ، وهكذا ينبغى أن يكون كل ذى بصيرة . ولذلك قال سفيان رحمه الله : لاأعتد بما ظهر من عملى . وقال عبد العزيز بن أبى رواد . جاورت هذا البيت ستين سنة وحججت ستين حجة فما دخلت فى شىء من أعمال الله تعالى إلا وحاسبت نفسى فوجدت نصيب الشيطان أوفى من نصيب الله ، ليته لا لى ولا على . ومع هذا فلا ينبغى أن يترك العمل عند خوف الآفة والرياء فإن ذلك منتهى بغية الشيطان منه إذ المقصود أن لايفوت الإخلاص . ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والإخلاص جميعا . وقد حكى أن بعض الفقراء كان يخدم أبا سعيد الخراز ويخف فى أعماله فتكلم أبو سعيد فى الإخلاص يوما - يريد إخلاص الحركات - فأخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة ويطالبه بالإخلاص فتعذر عليه قضاء الحوائج واستضر الشيخ بذلك ، فسأله عن أمره فأخبره بمطالبته نفسه بحقيقة الإخلاص وأنه يعجز عنها فى أكثر أعماله فيتركها ، فقال أبو سعيد : لاتفعل إذ الإخلاص لايقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد فى تحصيل الإخلاص ، فما قلت لك اترك العمل وإنما قلت لك أخلص العمل ؟ وقد قال الفضيل : ترك العمل بسبب الخلق رياء وفعله لأجل الخلق شرك .

الباب الثالث : فى الصدق وفضيلته وحقيقته

فضيلة الصدق

قال الله تعالى ﴿ رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه ﴾ وقال النبى صلى الله عليه وسلم « إن الصدق يهدى إلى البر والبر يهدى إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإن الكذب يهدى إلى الفجور والفجور يهدى إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا [1] » ويكفى فى فضيلة الصدق أن الصديق مشتق منه والله تعالى وصف الأنبياء به فى معرض المدح والثناء فقال ﴿ واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا ﴾ وقال

الباب الثالث فى الصدق

(١) حديث « إن الصدق يهدى إلى البر ... الحديث » متفق عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

﴿ واذكر فى الكتاب إسمعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ﴾ وقال تعالى ﴿ واذكر فى الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا ﴾ وقال ابن عباس : أربع من كنّ فيه فقد ربح ؛ الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر. وقال بشر ابن الحارث : من عامل الله بالصدق استوحش من الناس . وقال أبو عبدالله الرملى رأيت منصورا الدينورى فى المنام فقلت له : مافعل الله بك ؟ قال : غفرلى ورحمنى وأعطانى مالم أؤمل ، فقلت له : أحسن ماتوجه العبد به إلى الله ماذا ؟ قال : الصدق وأقبح ماتوجه به الكذب . وقال أبو سليمان : اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى غاية طلبتك . وقال رجل لحكيم : مارأيت صادقا ! فقال له : لو كنت صادقا لعرفت الصادقين . وعن محمد بن على الكتانى قال : وجدنا دين الله تعالى مبنيا على ثلاثة أركان ؛ على الحق والصدق والعدل ، فالحق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على العقول . وقال الثورى فى قوله تعالى ﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ﴾ قال : هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا بها صادقين . وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : ياداود من صدقنى فى سريرته صدقته عند المخلوقين فى علانيته . وصاح رجل فى مجلس الشبلى ورمى نفسه فى دجلة ، فقال الشبلى : إن كان صادقا فالله تعالى ينجيه كما نجى موسى عليه السلام وإن كان كاذبا فالله تعالى يغرقه كما أغرق فرعون . وقال بعضهم : أجمع الفقهاء والعلماء على ثلاث خصال أنها إذا صحت ففيها النجاة - ولا يتم بعضها إلا ببعض - الإسلام الخالص عن البدعة والهوى ، والصدق لله تعالى فى الأعمال ، وطيب المطعم . وقال وهب بن منبه: وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفا كان صلحاء بنى إسرائيل يجتمعون فيقرءونها ويتدارسونها : لا كنز أنفع من العلم ، ولا مال أربح من الحلم ، ولا حسب أوضع من الغضب ، ولا قرين أزين من العمل ، ولا رفيق أشين من الجهل ، ولا شرف أعز من التقوى ، ولا كرم أوفى من ترك الهوى ، ولا عمل أفضل من الفكر ، ولا حسنة أعلى من الصبر ، ولا سيئة أخزى من الكبر ، ولا دواء ألين من الرفق ، ولا داء أوجع من الخرق ، ولا رسول أعدل من الحق ، ولا دليل أنصح من الصدق ، ولا فقر أذل من الطمع ، ولا غنى أشق من الجمع ، ولا حياة أطيب من الصحة ، ولا معيشة أهنأ من العفة ، ولا عبادة أحسن من الخشوع ، ولا زهد خير من القنوع ، ولا حارس أحفظ من الصمت ، ولا غائب أقرب من الموت . وقال محمد بن سعيد المروزى : إذا طلبت الله بالصدق آتاك الله تعالى مرآة بيدك حتى تبصر كل شىء من عجائب الدنيا والآخرة . وقال أبو بكر الورّاق : احفظ الصدق فيما بينك وبين الله تعالى والرفق فيما بينك وبين الخلق . وقيل لذى النون : هل للعبد إلى صلاح أموره سبيل ؟ فقال :

قد بقينا من الذنوب حيارى نطلب الصدق ما إليه سبيل
فدعاوى الهوى تخف علينا وخلاف الهوى علينا ثقيل

وقيل لسهل : ما أصل هذا الأمر الذى نحن عليه ؟ فقال : الصدق والسخاء والشجاعة . فقيل : زدنا ، فقال: التقى والحياء وطيب الغذاء . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الكمال فقال: قول الحق والعمل بالصدق [1] ، وعن الجنيد فى قوله تعالى ﴿ ليسأل الصادقين عن صدقهم ﴾ قال : يسأل الصادقين عند أنفسهم عن صدقهم عند ربهم ، وهذا أمر على خطر .

بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه

اعلم أن لفظ الصدق يستعمل فى ستة معان : صدق فى القول ، وصدق فى النية والإرادة ، وصدق فى العزم ،

(١) حديث ابن عباس : سئل عن الكمال فقال : قول الحق والعمل بالصدق . لم أجده بهذا اللفظ .

وصدق فى الوفاء بالعزم ، وصدق فى العمل ، وصدق فى تحقيق مقامات الدين كلها ، فمن اتصف بالصدق فى جميع ذلك فهو صديق لأنه مبالغة فى الصدق . ثم هم أيضا على درجات فمن كان له حظ فى الصدق فى شىء من الجملة فهو صادق بالإضافة إلى ما فيه صدقه . (الصدق الأول) صدق اللسان وذلك لا يكون إلا فى الإخبار أو فيما يتضمن الإخبار وينبه عليه ، والخبر إما أن يتعلق بالماضى أو بالمستقبل ، وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه . وحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه فلا يتكلم إلا بالصدق ، وهذا هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها . فمن حفظ لسانه عن الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هى عليه فهو صادق ولكن لهذا الصدق كمالان :

(أحدهما) الاحتراز عن المعاريض ؛ فقد قيل : فى المعاريض مندوحة عن الكذب وذلك لأنها تقوم مقام الكذب ، إذ المحذور من الكذب تفهيم الشىء على خلاف ما هو عليه فى نفسه ، إلا أن ذلك مما تمس إليه الحاجة وتقتضيه المصلحة فى بعض الأحوال وفى تأديب الصبيان والنسوان ومن يجرى مجراهم وفى الحذر عن الظلمة وفى قتال الأعداء والاحتراز عن اطلاعهم على أسرار الملك ، فمن اضطر إلى شىء من ذلك فصدقه فيه أن يكون نطقه فيه لله فيما يأمره الحق به ويقتضيه الدين ، فإذا نطق به فهو صادق وإن كان كلامه مفهما غير ما هو عليه ، لأن الصدق ما أريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعاء إليه فلا ينظر إلى صورته بل إلى معناه ، نعم فى مثل هذا الموضع ينبغى أن يعدل إلى المعاريض ما وجد إليه سبيلا ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توجه إلى سفر ورى بغيره[1] ، وذلك كى لا ينتهى الخبر إلى الأعداء فيقصد ، وليس هذا من الكذب فى شىء ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو أنمى خيرا »[2] ، ورخص فى النطق على وفق المصلحة فى ثلاثة مواضع : من أصلح بين اثنين ، ومن كان له زوجتان ، ومن كان فى مصالح الحرب . والصدق ههنا يتحول إلى النية فلا يراعى فيه إلا صدق النية وإرادة الخير ، فمهما صح قصده وصدقت نيته وتجردت للخير إرادته صار صادقا وصديقا كيفما كان لفظه ، ثم التعريض فيه أولى . وطريقه ما حكى عن بعضهم ، أنه كان يطلبه بعض الظلمة وهو فى داره فقال لزوجته : خطى بأصبعك دائرة وضعى الأصبع على الدائرة وقولى ليس هو ههنا ، واحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه ، فكان قوله صدق وأفهم الظالم أنه ليس فى الدار . فالكمال الأول فى اللفظ أن يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض أيضا إلا عند الضرورة (والكمال الثانى) أن يراعى معنى الصدق فى ألفاظه التى يناجى بها ربه كقوله ﴿ وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض ﴾ فإن قلبه إن كان منصرفا عن الله تعالى مشغولا بأمانى الدنيا وشهواته فهو كذب . وكقوله ﴿ إياك نعبد ﴾ وقوله : أنا عبد الله ، فإنه إذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صدقا ، ولو طولب يوم القيامة بالصدق فى قوله : أنا عبد الله ، لعجز تحقيقه فإنه إن كان عبدا لنفسه أو عبدا لدنيا أو عبدا لشهواته لم يكن صادقا فى قوله . وكل ما تقيد العبد به فهو عبده كما قال عيسى عليه السلام : يا عبيد الدنيا ! وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة[3] » فسمى كل من تقيد قلبه بشىء عبدا له .

وإنما العبد الحق - لله عز وجل - من أعتق أولا من غير الله تعالى فصار حرا مطلقا ، فإذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا لحلت فيه العبودية لله فتشغله بالله وبمحبته وتقيد باطنه وظاهره بطاعته فلا يكون له مراد

---

(١) حديث : كان إذا أراد سفرا ورى بغيره : متفق عليه من حديث كعب بن مالك . (٢) حديث « ليس بكاذب من أصلح بين الناس ... الحديث » متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط وقد تقدم . (٣) حديث « تعس عبد الدينار ... الحديث » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة وقد تقدم .

إلا الله تعالى ، ثم تجاوز هذا إلى مقام آخر أسنى منه يسمى الحرية وهو أن يعتق أيضا عن إرادته لله من حيث هو بل يقنع بما يريد الله له من تقريب أو إبعاد فتفنى إرادته فى إرادة الله تعالى . وهذا عبد عتق عن غير الله فصار حرا ، ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حرا . وصار مفقودا لنفسه موجودا لسيده ومولاه إن حركه تحرك وإن سكنه سكن وإن ابتلاه رضى ، لم يبق فيه متسع لطلب والتماس واعتراض ، بل هو بين يدى الله كالميت بين يدى الغاسل وهذا منتهى الصدق فى العبودية لله تعالى . فالعبد الحق هو الذى وجوده لمولاه لا لنفسه وهذه درجة الصديقين . وأما الحرية عن غير الله فدرجات الصادقين ، وبعدها تتحقق العبودية لله تعالى ، وما قبل هذا فلا يستحق صاحبه أن يسمى صادقا ولا صديقا : فهذا هو معنى الصدق فى القول .

(الصدق الثانى) فى النية والإرادة ! ويرجع ذلك إلى الإخلاص وهو أن لا يكون له باعث فى الحركات والسكنات إلا الله تعالى ، فإن مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز أن يسمى كاذبا - كما روينا فى فضيلة الإخلاص من حديث الثلاثة حين يسئل العالم ما عملت فيما علمت ؟ فقال : فعلت كذا وكذا ، فقال الله تعالى : كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم [1] - فإنه لم يكذبه ولم يقل له لم تعمل ولكنه كذبه فى إرادته ونيته . وقد قال بعضهم : الصدق صحة التوحيد فى القصد . وكذلك قول الله تعالى ﴿ والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون ﴾ وقد قالوا إنك لرسول الله وهذا صدق ، ولكن كذبهم لا من حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب وكان التكذيب يتطرق إلى الخبر . وهذا القول يتضمن إخبارا بقرينة الحال إذ صاحبه يظهر من نفسه أن يعتقد ما يقول فكذب فى دلالته بقرينة الحال على ما فى قلبه ، فإنه كذب فى ذلك ولم يكذب فيما يلفظ به ، فيرجع أحد معانى الصدق إلى خلوص النية وهو الإخلاص فكل صادق فلا بدّ وأن يكون مخلصا .

(الصدق الثالث) صدق العزم ؛ فإن الإنسان قد يقدّم العزم على العمل فيقول فى نفسه . إن رزقنى الله مالا تصدقت بجميعه - أو بشطره ، أو إن لقيت عدوا فى سبيل الله تعالى قاتلت ولم أبال وإن قتلت ، وإن أعطانى الله تعالى ولاية عدلت فيها ولم أعص الله تعالى بظلم وميل إلى خلق . فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهى عزيمة جازمة صادقة ، وقد يكون فى عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق فى العزيمة ، فكان الصدق ههنا عبارة عن التمام والقوة كما يقال : لفلان شهوة صادقة . ويقال : هذا المريض شهوته كاذبة ، مهما لم تكن شهوته عن سبب ثابت قوى أو كانت ضعيفة ، فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى . والصادق والصديق هو الذى تصادف عزيمته فى الخيرات كلها قوة تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد : بل تسخو نفسه أبدا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات وهو كما قال عمر رضى الله عنه : لأن أقدم فتضرب عنق أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر - رضى الله عنه - فإنه قد وجد من نفسه العزم الجازم ، والمحبة الصادقة بأنه لا يتأمر مع وجود أبى بكر رضى الله عنه ، وأكد ذلك بما ذكره من القتل .

ومراتب الصديقين فى العزائم تختلف ؛ فقد يصادف العزم ولا ينتهى به إلى أن يرضى بالقتل فيه ولكن إذا خلى ورأيه لم يقدّم ، ولو ذكر له حديث القتل لم ينقض عزمه ، بل فى الصادقين والمؤمنين من لو خير بين أن يقتل هو أو أبو بكر كانت حياته أحب من حياة أبى بكر الصديق .

(الصدق الرابع) فى الوفاء بالعزم ، فإنّ النفس قد تسخو بالعزم فى الحال إذ لا مشقة فى الوعد والعزم

(١) « حديث الثلاثة : حين سأل العالم ماذا عملت فيما علمت ... الحديث » تقدم .

والمؤنة فيه خفيفة ، فإذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوات ولم يتفق الوفاء بالعزم ، وهذا يضاد الصدق فيه ، ولذلك قال الله تعالى ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ فقد روى عن أنس : أن عمه أنس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك على قلبه وقال : أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه أما والله لئن أرانى الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ماأصنع ! قال : فشهد أحدا فى العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال : ياأبا عمرو إلى أين ؟ فقال : واها لريح الجنة ! إنى أجد ريحها دون أحد . فقاتل حتى قتل فوجد فى جسده بضع وثمانون مابين رمية وضربة وطعنة فقالت أخته بنت النضر : ماعرفت أخى إلا بثيابه ، فنزلت هذه الآية ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ [1] ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب بن عمير - وقد سقط على وجهه يوم أحد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ﴿ رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ﴾ [2] وقال فضالة بن عبيد : سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الشهداء أربعة : رجل مؤمن جيد الإيمان لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذى يرفع الناس إليه أعينهم يوم القيامة هكذا ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته - قال الراوى : فلاأدرى قلنسوة عمر أو قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم - ورجل جيد الإيمان إذا لقى العدو فكأنما يضرب وجهه بشوك الطلح أتاه سهم عائر فقتله فهو فى الدرجة الثانية ، ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذلك فى الدرجة الثالثة ، ورجل أسرف على نفسه لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذاك فى الدرجة الرابعة [3] » وقال مجاهد : رجلان خرجا على ملأ من الناس قعود فقالا إن رزقنا الله تعالى مالا لنتصدقن فبخلوا به فنزلت ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ﴾ وقال بعضهم : إنما هو شىء نووه فى أنفسهم لم يتكلموا به فقال ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ﴾ فجعل العزم عهدا وجعل الخلف فيه كذبا والوفاء به صدقا . وهذا الصدق أشد من الصدق الثالث ، فإن الناس قد تسخو بالعزم ثم تكيع عند الوفاء لشدته عليها ولهيجان الشهوة عند التمكن وحصول الأسباب . ولذلك استثنى عمر رضى الله عنه فقال : لأن أقدم فتضرب عنقى أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر اللهم إلا أن تسول لى نفسى عند القتل شيئا لا أجده الآن لأنى لا آمن أن يثقل عليها ذلك فتتغير عن عزمها . أشار بذلك إلى شدة الوفاء بالعزم . وقال أبو سعيد الخراز : رأيت فى المنام كأن ملكين نزلا من السماء فقالا لى : ما الصدق ؟ قلت : الوفاء بالعهد ، فقالا لى : صدقت ، وعرجا إلى السماء .

(الصدق الخامس) فى الأعمال ، وهو أن يجتهد حتى لاتدل أعماله الظاهرة على أمر فى باطنه لايتصف هو به ، لا بأن يترك الأعمال ولكن بأن يستجر الباطن إلى تصديق الظاهر ، وهذا مخالف ما ذكرناه من ترك الرياء لأن

---

(١) حديث أنس : أن عمه أنس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث . فى قتاله بأحد حتى قتل فوجد فى جسده بضع وثمانون من بين رمية وضربة وطعنة ونزول (رجال صدقوا) الآية أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى فى الكبرى وهو عند البخارى مختصرا ان هذه الآية نزلت فى أنس بن النضر . (٢) حديث : وقف على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم أحد وقرأ هذه الآية . أخرجه أبو نعيم فى الحلية من رواية عبيد بن عمير مرسلا . (٣) حديث فضالة بن عبيد عن عمر بن الخطاب « الشهداء أربعة : رجل مؤمن جيد الإيمان ... الحديث » أخرجه الترمذى وقال حسن .

المرائى هو الذى يقصد ذلك ، ورب واقف على هيئة الخشوع فى صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة ، فمن ينظر إليه يراه قائما بين يدى الله تعالى وهو بالباطن قائم فى السوق بين يدى شهوة من شهواته فهذه أعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن إعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق فى الأعمال وكذلك قد يمشى الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار ، فهذا غير صادق فى عمله وإن لم يكن ملتفتا إلى الخلق ولا مرائيا إياهم ، ولا ينجو من هذا إلا باستواء السريرة والعلانية بأن يكون باطنه مثل ظاهره أو خيرا من ظاهره . ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر ولبس ثياب الأشرار كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا فى دلالة الظاهر على الباطن .

إذن مخالفة الظاهر للباطن إن كانت عن قصد سميت رياء ويفوت بها الإخلاص ، وإن كانت عن غير قصد فيفوت بها الصدق .

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل سريرتى خيرا من علانيتى واجعل علانيتى صالحة [1] » وقال يزيد بن الحارث : إذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف ، وإن كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل ، وإن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور . وأنشدوا :

إذا السر والإعلان فى المؤمن استوى ... فقد عزّ فى الدارين واستوجب الثنا
فإن خالف الإعلان سرا فما له ... على سعيه فضل سوى الكد والعنا
فما خالص الدينار فى السوق نافق ... ومغشوشه المردود لا يقتضى المنا

وقال عطية بن عبد الغافر : إذا وافقت سريرة المؤمن علانيته باهى الله به الملائكة يقول هذا عبدى حقا . وقال معاوية بن قرة : من يدلنى على بكاء بالليل بسام بالنهار . وقال عبد الواحد بن زيد : كان الحسن إذا أمر بشىء كان من أعمل الناس به وإذا نهى عن شىء كان من أترك الناس له ، ولم أر أحدا قط أشبه سريرة بعلانية منه . وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول : إلهى عاملت الناس فيما بينى وبينهم بالأمانة ، وعاملتك فيما بينى وبينك بالخيانة - ويبكى . وقال أبو يعقوب النهرجورى : الصدق موافقة الحق فى السر والعلانية .

فإذن مساواة السريرة للعلانية أحد أنواع الصدق .

(الصدق السادس) وهو أعلى الدرجات وأعزها ؛ الصدق فى مقامات الدين ، كالصدق فى الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب وسائر هذه الأمور . فإن هذه الأمور لها مبادئ ينطلق الاسم بظهورها ، ثم لها غايات وحقائق والصادق المحقق من نال حقيقتها ، وإذا غلب الشىء وتمت حقيقته سمى صاحبه صادقا فيه ، كما يقال : فلان صدق القتال . ويقال : هذا هو الخوف الصادق ، وهذه هى الشهوة الصادقة . وقال الله تعالى ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ إلى قوله ﴿ أولئك هم الصادقون ﴾ وقال تعالى ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ إلى قوله ﴿ أولئك الذين صدقوا ﴾ وسئل أبو ذر عن الإيمان فقرأ هذه الآية فقيل له : سألناك عن الإيمان ؟ فقال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقرأ هذه الآية [2] .

ولنضرب للخوف مثلا : فما من عبد يؤمن بالله واليوم الآخر إلا وهو خائف من الله خوفا ينطلق عليه الاسم ،

---

(١) حديث « اللهم اجعل سريرتى خيرا من علانيتى ... الحديث » تقدم ولم أجده . (٢) حديث أبى ذر : سألته عن الإيمان فقرأ قوله تعالى ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ الى قوله ﴿ أولئك الذين صدقوا ﴾ رواه محمد بن نصر المروزى فى تعظيم قدر الصلاة بأسانيد منقطعة لم أجد له اسنادا .

ولكنه خوف غير صادق أى غير بالغ درجة الحقيقة ، أما تراه إذا خاف ، سلطانا أو قاطع طريق فى سفره كيف يصفر لونه وترتعد فرائصه ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه أكله ونومه وينقسم عليه فكره ، حتى لا ينتفع به أهله وولده ، وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالأنس الوحشة ، وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للأخطار ، كل ذلك خوفا من درك المحذور . ثم إنه يخاف النار ولا يظهر عليه شىء من ذلك عند جريان معصية عليه . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لم أر مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها [1] » فالتحقيق فى هذه الأمور عزيز جدا ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها ، ولكن لكل عبد منه حظ بحسب حاله إما ضعيف وإما قوى ، فإذا قوى سمى صادقا فيه . فمعرفة الله تعالى وتعظيمه والخوف منه لا نهاية لها ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام « أحب أن أراك فى صورتك التى هى صورتك » فقال لا تطيق ذلك قال « بل أرنى » فواعده البقيع فى ليلة مقمرة فأتاه فنظر النبى صلى الله عليه وسلم فإذا هو به قد سد الأفق - يعنى جوانب السماء - فوقع النبى صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فأفاق وقد عاد جبريل لصورته الأولى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « ماظننت أن أحدا من خلق الله هكذا » قال : وكيف لو رأيت إسرافيل ؟ إن العرش لعلى كاهله ، وإن رجليه قد مرقتا تحت تخوم الأرض السفلى وإنه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوصع [2] يعنى كالعصفور الصغير ، فانظر ما الذى يغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع إلى ذلك الحد ؟ وسائر الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم فى المعرفة فهذا هو الصدق فى التعظيم . وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت ليلة أسرى بى وجبريل بالملأ الأعلى كالحلس البالى من خشية الله تعالى [3] » يعنى الكساء الذى يلقى على ظهر البعير ، وكذلك الصحابة كانوا خائفين وما كانوا بلغوا خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك قال ابن عمر رضى الله عنهما : لن تبلغ حقيقة الإيمان حتى تنظر الناس كلهم حمقى فى دين الله . وقال مطرف : مامن الناس أحد إلا وهو أحمق فيما بينه وبين ربه إلا أن بعض الحمق أهون من بعض وقال النبى صلى الله عليه وسلم « لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى ينظر إلى الناس كالأباعر فى جنب الله ثم يرجع إلى نفسه فيجدها أحقر حقير [4] » فالصادق إذن فى جميع هذه المقامات عزيز . ثم درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق فى بعض الأمور دون بعض ، فإن كان صادقا فى الجميع فهو الصديق حقا . قال سعد بن معاذ : ثلاثة أنا فيهن قوى وفيما سواهن ضعيف ؛ ماصليت صلاة منذ أسلمت فحدثت نفسى حتى أفرغ منها ، ولا شيعت جنازة فحدثت نفسى بغير ماهى قائلة وماهو مقول لها حتى يفرغ من دفنها ، وماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قولا إلا علمت أنه حق ، فقال ابن المسيب : ماظننت أن هذه الخصال تجتمع إلا فى النبى عليه السلام . فهذا صدق فى هذه الأمور ، وكم قوم من جلة الصحابة قد ادوا الصلاة واتبعوا الجنائز ولم يبلغوا هذا المبلغ ؟ فهذه هى درجات الصدق ومعانيه . والكلمات المأثورة عن المشايخ فى حقيقة الصدق فى الأغلب لا تتعرض إلا لآحاد هذه المعانى نعم قد قال أبو بكر الوراق : الصدق ثلاثة ؛ صدق التوحيد ، وصدق الطاعة ، وصدق المعرفة . فصدق التوحيد لعامة المؤمنين قال الله تعالى ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون ﴾ وصدق الطاعة لأهل العلم

---

(١) حديث « لم أر مثل النار نام هاربها الحديث » تقدم . (٢) حديث : قال لجبريل « أحب أن أراك فى صورتك التى هى صورتك » فقال : لا تطيق ذلك ... الحديث . تقدم فى كتاب الرجاء والخوف أخصر من هذا ، والذى ثبت فى الصحيح أنه رأى جبريل فى صورته مرتين . (٣) حديث « مررت ليلة أسرى بى وجبريل بالملأ الأعلى كالحلس البالى من خشية الله ... الحديث » أخرجه محمد بن نصر فى كتاب تعظيم قدر الصلاة والبيهقى فى دلائل النبوة من حديث أنس وفيه الحارث بن عبيد الإيادى ضعفه الجمهور وقال البيهقى ورواه حماد بن سلمة عن أبى عمران الجونى عن محمد بن عمير بن عطارد وهذا مرسل . (٤) حديث « لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى ينظر الى الناس كالأباعر فى جنب الله ثم يرجع الى نفسه فيجدها أحقر حقير » لم أجد له أصلا فى حديث مرفوع .

والورع ، وصدق المعرفة لأهل الولاية الذين هم أوتاد الأرض - وكل هذا يدور على ماذكرناه فى الصدق السادس ، ولكنه ذكر أقسام مافيه الصدق وهو أيضاً غير محيط بجميع الأقسام - وقال جعفر الصادق : الصدق هو المجاهدة وأن لاتختار على الله غيره كما لم يختر عليك غيرك فقال تعالى ﴿ هو اجتباكم ﴾ وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : إنى إذا أحببت عبدا ابتليته ببلايا لاتقوم لها الجبال لأنظر كيف صدقه ، فإن وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا ، وإن وجدته جزوعا يشكونى إلى خلق خذلته ولاأبالى . فإذن من علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليها .

تم كتاب الصدق والإخلاص ، يتلوه كتاب المراقبة والمحاسبة ، والحمد لله .

كتاب المراقبة والمحاسبة

وهو الكتاب الثامن من ربع المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت ، الرقيب على كل جارحة بما اجترحت ، المطلع على ضمائر القلوب إذا هجست ، الحسيب على خواطر عباده إذا اختلجت ، الذى لايعزب عن علمه مثقال ذرة فى السموات والأرض تحركت أو سكنت ، المحاسب على النقير والقطمير والقليل والكثير من الأعمال وإن خفيت ، المتفضل بقبول طاعات العباد وإن صغرت ، المتطول بالعفو عن من معاصيهم وإن كثرت ، وإنما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما أحضرت وتنظر فيما قدمت وأخرت ، فتعلم أنه لولا لزومها للمراقبة والمحاسبة فى الدنيا لشقيت فى صعيد القيامة وهلكت ، وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لولا فضله بقبول بضاعتها المزجاة لخابت وخسرت ، فسبحان من عمت نعمته كافة العباد وشملت ، واستغرقت رحمته الخلائق فى الدنيا والآخرة وغمرت ، فبنفحات فضله اتسعت القلوب للإيمان وانشرحت ، وبيمن توفيقه تقيدت الجوارح بالعبادات وتأدبت ، وبحسن هدايته انجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت ، وبتأييده ونصرته انقطعت مكايد الشيطان واندفعت ، وبلطف عنايته ترجح كفة الحسنات إذا ثقلت ، وبتيسيره تيسرت من الطاعات ماتيسرت ، فمنه العطاء والجزاء والإبعاد والإدناء والإسعاد والإشقاء والصلاة والسلام على محمد سيد الأنبياء وعلى آله سادة الأصفياء وعلى أصحابه قادة الأتقياء .

أما بعد : فقد قال الله تعالى ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ وقال تعالى ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضرا ولايظلم ربك أحدا ﴾ وقال تعالى ﴿ يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شىء شهيد ﴾ وقال تعالى ﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ وقال تعالى ﴿ ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم يظلمون ﴾ وقال تعالى ﴿ يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه ﴾ وقال تعالى ﴿ واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه ﴾ فعرف أرباب البصائر من جملة العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد ، وأنهم سيناقشون

فى الحساب ويطالبون بمثاقيل الذرّ من الخطرات واللحظات ، وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس فى الأنفاس والحركات ومحاسبتها فى الخطرات واللحظات ، فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف فى القيامة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت فى عرصات القيامة وقفاته وقادته إلى الخزى والمقت سيئاته ، فلما انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينجيهم منه إلا طاعة الله وقد أمرهم بالصبر والمرابطه فقال عزمن قائل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ﴾ فرابطوا أنفسهم أوّلا بالمشارطة ، ثم بالمراقبة ، ثم بالمحاسبة ، ثم بالمعاقبة ، ثم بالمجاهدة . ثم بالمعاتبة . فكانت لهم فى المرابطة ست مقامات ، ولا بدّ من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الأعمال فيها وأصل ذلك المحاسبة ، ولكن كل حساب فبعد مشارطة ومراقبة ويتبعه عند الخسران المعاتبة والمعاقبة . فلنذكر شرح هذه المقامات وبالله التوفيق .

المقام الأوّل من المرابطة : المشارطة

اعلم أنّ مطالب المتعاملين فى التجارات المشتركين فى البضائع عند المحاسبة سلامة الربح وكما أنّ التاجر يستعين بشريكه فيسلم إليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه ، فكذلك العقل هو التاجر فى طريق الآخرة وإنما مطلبه وربحه تزكية النفس لأن بذلك فلاحها قال الله تعالى ﴿ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ وإنما فلاحها بالأعمال الصالحة . والعقل يستعين بالنفس فى هذه التجارة إذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذى يتجر فى ماله ، وكما أنّ الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه فى الربح فيحتاج إلى أن يشارطه أوّلا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاقبه أو يعاتبه رابعا ؛ فكذلك العقل يحتاج إلى مشارطة النفس أوّلا فيوظف عليها الوظائف ويشرط عليها الشروط ويرشدها إلى طريق الفلاح ويجزم عليها الأمر بسلوك تلك الطرق ، ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة ، فإنه لو أهملها لم يرمنها إلا الخيانة وتضييع رأس المال كالعبد الخائن إذا خلا له الجو وانفرد بالمال . ثم بعد الفراغ ينبغى أن يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها فإن هذه تجارة ربحها الفردوس الأعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الأنبياء والشهداء ، فتدقيق الحساب فى هذا مع النفس أهم كثيرا من تدقيقه فى أرباح الدنيا مع أنها محتقرة بالإضافة إلى نعيم العقبى ، ثم كيفما كانت فمصيرها إلى التصرم والانقضاء ، ولا خير فى خير لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم ، لأن الشر الذى لا يدوم إذا انقطع بقى الفرح بانقطاعه دائما وقد انقضى الشر ، والخير الذى لا يدوم يبقى الأسف على انقطاعه دائما وقد انقضى الخير . ولذلك قيل :

أشدّ الغم عندى فى سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا

فحتم على كل ذى حزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها فى حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها . فإن كل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن أن يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد ، فانقباض هذه الأنفاس ضائعة أو مصروفة إلى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هائل لا تسمح به نفس عاقل . فإذا أصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغى أن يفرّغ قلبه ساعة لمشارطة النفس كما أنّ التاجر عند تسليم البضاعة إلى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته . فيقول للنفس : مالى بضاعة إلا العمر ومهما فنى فقد فنى رأس المال ووقع اليأس عن التجارة وطلب الربح ، وهذا اليوم الجديد قد أمهلنى الله فيه وأنسأ فى أجلى وأنعم على به ولو توفانى لكنت أتمنى أن يرجعنى إلى الدنيا يوما واحدا حتى أعمل فيه صالحا ، فاحسبى

أنك قد توفيت ثم قد رددت فإياك ثم إياك أن تضيعى هذا اليوم فإنّ كل نفس من الأنفاس جوهرة لا قيمة لها واعلمى يانفس أنّ اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة ، وقد ورد فى الخبر « أنه ينشر للعبد بكل يوم وليلة أربع وعشرون خزانة مصفوفة ، فيفتح له منها خزانة فيراها مملوءة نورا من حسناته التى عملها فى تلك الساعة فيناله من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الأنوار التى هى وسيلته عند الملك الجبار ما لو وزع على أهل النار لأدهشهم ذلك الفرح عن الإحساس بألم النار ، ويفتح له خزانة أخرى سوداء مظلمة يفوح نتنها ويغشاه ظلامها وهى الساعة التى عصى فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على أهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة أخرى فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوءه [1] » وهى الساعة التى نام فيها أو غفل أو اشتغل بشىء من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله من غبن ذلك ما ينال القادر على الربح الكثير والملك الكبير إذا أهمله وتساهل فيه حتى فاته ، وناهيك به حسرة وغبنا . وهكذا تعرض عليه خزائن أوقاته طول عمره فيقول لنفسه : اجتهدى اليوم فى أن تعمرى خزانتك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التى هى أسباب ملكك ولا تميلى إلى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرة لاتفارقك وإن دخلت الجنة ، فألم الغبن وحسرته لا يطاق وإن كان دون ألم النار . وقد قال بعضهم : هب أنّ المسىء قد عفى عنه أليس قد فاته ثواب المحسنين ؟ أشار به إلى الغبن والحسرة وقال الله تعالى ﴿ يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ﴾ فهذه وصيته لنفسه فى أوقاته .

ثم ليستأنف لها وصية فى أعضائه السبعة وهى العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل ، وتسليمها إليها فإنها رعايا خادمة لنفسه فى هذه التجارة وبها تتم أعمال هذه التجارة . وإنّ لجهنم سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ، وإنما تتعين تلك الأبواب لمن عصى الله تعالى بهذه الأعضاء ، فيوصيها بحفظها عن معاصيها (أما العين) فيحفظها عن النظر إلى وجه من ليس له بمحرم ، أو إلى عورة مسلم ، أو النظر إلى مسلم بعين الاحتقار ، بل عن كل فضول مستغنى عنه ، فإنّ الله تعالى يسأل عبده عن فضول النظر كما يسأله عن فضول الكلام ، ثم إذا صرفها عن هذا لم تقنع به حتى يشغلها بما فيه تجارتها وربحها ؛ وهو ما خلقت له من النظر إلى عجائب صنع الله بعين الاعتبار ، والنظر إلى أعمال الخير للاقتداء ، والنظر فى كتاب الله وسنة رسوله ومطالعة كتب الحكمة للاتعاظ والاستفادة .

وهكذا ينبغى أن يفصل الأمر عليها فى عضو عضو لا سيما اللسان والبطن (أما اللسان) فلأنه منطلق بالطبع ولا مؤنة عليه فى الحركة وجنايته عظيمة بالغيبة والكذب والنميمة وتزكية النفس ومذمة الخلق والأطعمة واللعن والدعاء على الأعداء والمماراة فى الكلام وغير ذلك ـ مما ذكرناه فى كتاب آفات اللسان فهو بصدد ذلك كله ـ مع أنه خلق للذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم وإرشاد عباد الله إلى طريق الله وإصلاح ذات البين وسائر خيراته فليشترط على نفسه أن لايحرك اللسان طول النهار إلا فى الذكر : فنطق المؤمن ذكر ونظره عبرة وصمته فكرة و ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ (وأما البطن) فيكلفه ترك الشره وتقليل الأكل من الحلال

كتاب المحاسبة والمراقبة

(١) حديث « ينشر للعبد كل يوم وليلة أربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوءة من حسناته ... » الحديث بطوله لم أجد له أصلا .

واجتناب الشبهات ، ويمنعه من الشهوات ، ويقتصر على قدر الضرورة . ويشرط على نفسه أنها إن خالفت شيئا من ذلك عاقبها بالمنع عن شهوات البطن ليفوتها أكثر مما نالته بشهواتها . هكذا يشرط عليها فى جميع الأعضاء . واستقصاء ذلك يطول ولا تخفى معاصى الأعضاء وطاعاتها .

ثم يستأنف وصيتها فى وظائف الطاعات التى تتكرر عليه فى اليوم والليلة ، ثم النوافل التى يقدر عليها ويقدر على الاستكثار منها ، ويرتب لها تفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد لها بأسبابها . وهذه شروط يفتقر إليها فى كل يوم ولكن إذا تعود الإنسان شرط ذلك على نفسه أياما وطاوعته نفسه فى الوفاء بجميعها استغنى عن المشارطة فيها ، وإن أطاعت فى بعضها بقيت الحاجة إلى تجديد المشارطة فيما بقى ، ولكن لا يخلو كل يوم عن مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد ، ولله عليه فى ذلك حق . ويكثر هذا على من يشتغل بشىء من أعمال الدنيا من ولاية أو تجارة أو تدريس إذ قلما يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج إلى أن يقضى حق الله فيها ، فعليه أن يشترط على نفسه الاستقامة فيها والانقياد للحق فى مجاريها ويحذرها مغبة الإهمال ويعظها كما يوعظ العبد الآبق المتمرد : فإن النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية ولكن الوعظ والتأديب يؤثر فيها ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ فهذا وما يجرى مجراه هو أول مقام المرابطة مع النفس وهى محاسبة قبل العمل . والمحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة قبله للتحذير قال الله تعالى ﴿ واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه ﴾ وهذا للمستقبل . وكل نظر فى كثرة ومقدار لمعرفة زيادة ونقصان فإنه يسمى محاسبة . فالنظر فيما بين يدى العبد فى نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة وقد قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ وقال تعالى ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ﴾ ذكر ذلك تحذيرا وتنبيها للاحتراز منه فى المستقبل . وروى عبادة بن الصامت: أنه عليه السلام قال لرجل سأله أن يوصيه ويعظه « إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فامضه وإن كان غيا فانته عنه [1] » . وقال بعض الحكماء : إذا أردت أن يكون العقل غالبا للهوى فلا تعمل بقضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فإن مكث الندامة فى القلب أكثر من مكث خفة الشهوة وقال لقمان : إن المؤمن إذا أبصر العاقبة أمن الندامة . وروى شداد بن أوس عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله [2] » دان نفسه : أى حاسبها . ويوم الدين : يوم الحساب . وقوله ﴿ أئنا لمدينون ﴾ أى لمحاسبون . وقال عمر رضى الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتهيئوا للعرض الأكبر . وكتب إلى أبى موسى الأشعرى : حاسب نفسك فى الرخاء قبل حساب الشدة . وقال لكعب : كيف تجدها فى كتاب الله؟ قال : ويل لديان الأرض من ديان السماء ؛ فعلاه بالدرة وقال : إلا من حاسب نفسه ، فقال كعب : يا أمير المؤمنين إنها إلى جنبها فى التوراة ما بينهما حرف إلا من حاسب نفسه . وهذا كله إشارة إلى المحاسبة للمستقبل إذ قال : من دان نفسه يعمل لما بعد الموت . ومعناه : وزن الأمور أولا وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم أقدم عليها فباشرها .

المرابطة الثانية : المراقبة

إذا أوصى الإنسان نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى إلا المراقبة لها عند الخوض فى الأعمال وملاحظتها

(١) حديث عبادة بن الصامت « اذا أردت أمرا فتدبر عاقبته ... الحديث » تقدم .
(٢) حديث « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ... الحديث » تقدم .

بالعين الكالئة فإنها إن تركت طغت وفسدت . ولنذكر فضيلة المراقبة ثم درجاتها .

(أما الفضيلة) فقد سأل جبريل عليه السلام عن الإحسان فقال « أن تعبد الله كأنك تراه »[1] ، وقال عليه السلام « اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »[2] ، وقد قال تعالى ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾ وقال تعالى ﴿ ألم يعلم بأن الله يرى ﴾ وقال الله تعالى ﴿ إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ وقال تعالى ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون ﴾ وقال ابن المبارك لرجل : راقب الله تعالى ؛ فسأله عن تفسيره فقال : كن أبدا كأنك ترى الله عز وجل . وقال عبد الواحد بن زيد : إذا كان سيدى رقيبا على فلا أبالى بغيره . وقال أبو عثمان المغربى : أفضل مايلزم الإنسان نفسه فى هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم . وقال ابن عطاء : أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات . وقال الجريرى : أمرنا هذا مبنى على أصلين ؛ أن تلزم نفسك المراقبة لله عز وجل ويكون العلم على ظاهرك قائما . وقال أبو عثمان : قال لى أبو حفص ، إذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فإنهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك . وحكى أنه كان لبعض المشايخ من هذه الطائفة تلميذ شاب وكان يكرمه ويقدمه فقال له بعض أصحابه : كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ ؟ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طائرا وسكينا وقال : ليذبح كل واحد منكم طائره فى موضع لا يراه أحد . ودفع إلى الشاب مثل ذلك ، قال له كما قال لهم ، فرجع كل واحد بطائره مذبوحا ورجع الشاب والطائر حى فى يده ، فقال : مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك ؟ فقال : لم أجد موضعا لايرانى فيه أحد إذ الله مطلع على فى كل مكان ، فاستحسنوا منه هذه المراقبة وقالوا : حق لك أن تكرم . وحكى أن زليخا لما خلت بيوسف عليه السلام قامت فغطت وجه صنم كان لها فقال يوسف : مالك ؟ أتستحيين من مراقبة جماد ولا أستحيي من مراقبة الملك الجبار ! وحكى عن بعض الأحداث أنه راود جارية عن نفسها فقالت له : ألا تستحيي ؟ فقال : ممن أستحيي وما يرانا إلا الكواكب ؟ قالت : فأين مكوكبها ؟ وقال رجل للجنيد بم أستعين على غض البصر ؟ فقال : بعلمك أن نظر الناظر إليك أسبق من نظرك إلى المنظور إليه . وقال الجنيد : إنما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه عز وجل : وعن مالك بن دينار قال : جنات عدن من جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد الجنة ، قيل له : ومن يسكنها ؟ قال : يقول الله عز وجل وإنما يسكن جنات عدن الذين إذا هموا بالمعاصى ذكروا عظمتى فراقبونى ، والذين انثنت أصلابهم من خشيتى ، وعزتى وجلالى إنى لأهم بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتى صرفت عنهم العذاب . وسئل المحاسبى عن المراقبة فقال : أولها علم القلب بقرب الله تعالى . وقال المرتعش : المراقبة مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة . ويروى أن الله تعالى قال للملائكة : أنتم موكلون بالظاهر وأنا الرقيب على الباطن . وقال محمد بن على الترمذى اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك ، واجعل شكرك لمن لاتنقطع نعمه عنك ، واجعل طاعتك لمن لاتستغنى عنه واجعل خضوعك لمن لاتخرج عن ملكه وسلطانه . وقال سهل : لم يتزين القلب بشىء أفضل ولا أشرف من علم العبد بأن الله شاهده حيث كان . وسئل بعضهم عن قوله تعالى ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه ﴾ فقال معناه : ذلك لمن راقب ربه عز وجل وحاسب نفسه وتزود لمعاده . وسئل ذوالنون : بم ينال العبد الجنة ؟ فقال بخمس استقامة ليس فيها روغان واجتهاد ليس معه سهو ومراقبة الله تعالى فى السر والعلانية وانتظار الموت بالتأهب

---

(١) حديث : سأل جبريل عن الإحسان فقال « أن تعبد الله كأنك تراه » متفق عليه من حديث أبى هريرة ورواه مسلم من حديث عمر وقد تقدم . (٢) حديث « اعبد الله كأنك تراه ... الحديث » تقدم .

له ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب وقد قيل :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفيه عنه يغيب
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب وأن غدا للناظرين قريب

وقال حميد الطويل لسليمان بن على : عظنى ، فقال : لئن كنت إذا عصيت الله خاليا ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت . وقال سفيان الثورى عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية ، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء ، وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة. وقال فرقد السنجى إن المنافق ينظر فإذا لم ير أحدا دخل مدخل السوء وإنما يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى . وقال عبد الله بن دينار خرجت مع عمر ابن الخطاب رضى الله عنه إلى مكة فعرسنا فى بعض الطريق فانحدر عليه راع من الجبل فقال له ياراعى بعنى شاة من هذه الغنم ، فقال إنى مملوك ، فقال قل لسيدك أكلها الذئب ؟ قال فأين الله ؟ قال فبكى عمر رضى الله عنه ثم غدا إلى المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه وقال أعتقتك فى الدنيا بهذه الكلمة وأرجو أن تعتقك فى الآخرة .

بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها

اعلم أن حقيقة المراقبة هى ملاحظة الرقيب وانصراف الهم إليه ، فمن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره يقال إنه يراقب فلانا ويراعى جانبه ، ويعنى بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة ، وتثمر تلك الحالة أعمالا فى الجوارح وفى القلب . أما الحالة فهى مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته إليه وملاحظته إياه وانصرافه إليه . وأما المعرفة التى تثمر هذه الحالة فهو العلم بأن الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على اعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت ، وأن سر القلب فى حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشد من ذلك . فهذه المعرفة إذا صارت يقينا ـ أعنى أنها خلت عن الشك ـ ثم استولت بعد ذلك على القلب قهرته ؛ فرب علم لاشك فيه لايغلب على القلب كالعلم بالموت ، فإذا استولت على القلب استجرت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه إليه ، والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون ، وهم ينقسمون إلى الصديقين وإلى أصحاب اليمين ، فراقبتهم على درجتين .

(الدرجة الأولى) مراقبة المقربين من الصديقين ؛ وهى مراقبة التعظيم والإجلال ، وهو أن يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات إلى الغير أصلا ، وهذه مراقبة لاتطول النظر فى تفصيل أعمالها فإنها مقصورة على القلب . أما الجوارح فإنها تتعطل عن التلفت إلى المباحات فضلا عن المحظورات ، وإذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعملة بها فلا تحتاج إلى تدبير وتثبيت فى حفظها على سنن السداد . بل يسدد الرعية من ملك كلبة الراعى ، والقلب هو الراعى ، فإذا صار مستغرقا بالمعبود صارت الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف ، وهذا هو الذى صار همه هما واحدا فكفاه الله سائر الهموم . ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لايبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ، ولا يسمع ما يقال له مع أنه لاصمم به وقد يمر على ابنه مثلا فلا يكلمه ، حتى كان بعضهم يجرى عليه ذلك فقال لمن عاتبه : إذا مررت بى فحركنى . ولاتستبعد هذا فإنك تجد نظير هذا فى القلوب المعظمة لملوك الأرض ، حتى إن خدم الملك قد لايحسون بما يجرى عليهم فى مجالس الملوك لشدة استغراقهم بهم ، بل قد يشتغل القلب بمهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص

الرجل فى الفكر فيه ويمشى فربما يجاوز الموضع الذى قصده وينسى الشغل الذى نهض له . وقد قيل لعبد الواحد ابن زيد : هل تعرف فى زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق ؟ فقال : ما أعرف إلا رجلا سيدخل عليكم الساعة ! فما كان إلا سريعا حتى دخل عتبة الغلام ، فقال له عبد الواحد بن زيد : من أين جئت ياعتبة ؟ فقال من موضع كذا - وكان طريقه على السوق - فقال : من لقيت فى الطريق ؟ فقال : مارأيت أحدا . ويروى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام : أنه مر بامرأة فدفعها فسقطت على وجهها فقيل له : لم فعلت هذا ؟ فقال : ما ظننتها إلا جدارا . وحكى عن بعضهم أنه قال : مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا منهم ، فتقدمت إليه فأردت أن أكلمه فقال : ذكر الله تعالى أشهى ! فقلت وحدك ؟ فقال : معى ربى وملكاى ! فقلت : من سبق من هؤلاء ؟ فقال : من غفر الله له ، فقلت : أين الطريق ؟ فأشار نحو السماء وقام ومشى وقال : أكثر خلقك شاغل عنك . فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لايتكلم إلا منه ولايسمع إلا فيه . فهذا لا يحتاج إلى مراقبة لسانه وجوارحه فإنها لا تتحرك إلا بما هو فيه . ودخل الشبلى على أبى الحسين النورى وهو معتكف فوجده ساكنا حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره شىء فقال له : من أين أخذت هذه المراقبة والسكون ؟ فقال : من سنور كانت لنا ، فكانت إذا أرادت الصيد رابطت رأس الجحر لاتتحرك لها شعرة . وقال أبو عبد الله بن خفيف : خرجت من مصر أريد الرملة للقاء أبى على الروذبارى فقال لى عيسى بن يونس المصرى - المعروف بالزاهد - إن فى صور شابا وكهلا قد اجتمعا على حال المراقبة ، فلو نظرت إليهما نظرة لعلك تستفيد منهما ؟ فدخلت صوراً وأنا جائع عطشان وفى وسطى خرقة وليس على كتفى شىء ، فدخلت المسجد فإذا بشخصين قاعدين مستقبلى القبلة فسلمت عليهما فما أجابانى ، فسلمت ثانية وثالثة فلم أسمع الجواب ، فقلت : نشدتكما بالله إلا رددتما على السلام ! فرفع الشاب رأسه من مرقعته فنظر إلى وقال : يا ابن خفيف الدنيا قليل وما بقى من القليل إلا القليل فخذ من القليل الكثير ، يا ابن خفيف : ما أقل شغلك حتى تتفرغ إلى لقائنا ؛ قال : فأخذ بكليتى ثم طأطأ رأسه فى المكان فبقيت عندهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب جوعى وعطشى وعنائى ، فلما كان وقت العصر قلت : عظنى ! فرفع رأسه إلى وقال : يا ابن خفيف نحن أصحاب المصائب ليس لنا لسان العظة ، فبقيت عندهما ثلاثة أيام لا آكل ولا أشرب ولا أنام ولا رأيتهما أكلا شيئا ولا شربا ، فلما كان اليوم الثالث قلت فى سرى : أحلفهما أن يعظانى لعلى أن أنتفع بعظتهما ، فرفع الشاب رأسه وقال لى : يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته وتقع هيبته على قلبك ، يعظك بلسان فعله ولايعظك بلسان قوله ، والسلام ؛ قم عنا ! فهذه درجة المراقبين الذين غلب على قلوبهم الإجلال والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لغير ذلك .

(الدرجة الثانية) مراقبة الورعين من أصحاب اليمين ؛ وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهرهم وباطنهم وعلى قلوبهم ، ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت إلى الأحوال والأعمال ، إنها مع ممارسة الأعمال لا تخلو عن المراقبة . نعم غلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون ولا يحجمون إلا بعد التثبت فيه ، ويمتنعون عن كل مايفتضحون به فى القيامة فإنهم يرون الله فى الدنيا مطلعا عليهم فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة .

وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات ؛ فإنك فى خلوتك قد تتعاطى أعمالا فيحضرك صبى أو امرأة فتعلم أنه مطلع عليك فتستحيى منه فتحسن جلوسك وتراعى أحوالك ، لا عن إجلال وتعظيم بل عن حياء ، فإن

مشاهدته وإن كانت لاتدهشك ولا تستغرقك فإنها تهيج الحياء منك . وقد يدخل عليك ملك من الملوك أو كبير من الأكابر فيستغرقك التعظيم حتى تترك كل ما أنت فيه شغلا به ، لا حياء منه فهكذا تختلف مراتب العباد فى مراقبة الله تعالى .

ومن كان فى هذه الدرجة فيحتاج أن يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته وبالجملة جميع اختياراته ، وله فيها نظران : نظر قبل العمل ، ونظر فى العمل (أما قبل العمل) فلينظر أن ماظهر له وتحرك بفعله خاطره أهو لله خاصة أو هو فى هوى النفس ومتابعة الشيطان ؟ فيتوقف فيه ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق ، فإن كان لله تعالى أمضاه ، وإن كان لغير الله استحيا من الله وانكف عنه ثم لام نفسه على رغبته فيه وهمه به وميله إليه وعرفها سوء فعلها وسعيها فى فضيحتها وأنها عدوة نفسها إن لم يتداركها الله بعصمته . وهذا التوقف فى بداية الأمور إلى حد البيان واجب محتوم لامحيص لأحد عنه ، فإن فى الخبر : إنه ينشر للعبد فى كل حركة من حركاته وإن صغرت ثلاثة دواوين: الديوان الأول : لم ؟ والثانى كيف ؟ والثالث: لمن؟ [1] ومعنى « لم » أى لم فعلت هذا أكان عليك أن تفعله لمولاك أو ملت إليه بشهوتك وهواك ؟ فإن سلم منه بأن كان عليه أن يعمل ذلك لمولاه سئل عن الديوان الثانى فقيل له : كيف فعلت هذا ، فإن لله فى كل عمل شرطا وحكما لايدرك قدره ووقته وصفته إلا بعلم فيقال له : كيف فعلت أبعلم محقق أم بجهل وظن ؟ فإن سلم من هذا نشر الديوان الثالث وهو المطالبة بالإخلاص فيقال له . لمن عملت ألوجه الله خالصا وفاء بقولك « لا إله إلا الله » فيكون أجرك على الله ؟ أو لمراءاة خلق مثلك فخذ أجرك منه ؟ أم عملته لتنال عاجل دنياك فقد وفيناك نصيبك من الدنيا ؟ ام عملته بسهو وغفلة فقد سقط أجرك وحبط عملك وخاب سعيك ؟ وإن عملت لغيرى فقد استوجبت مقتى وعقابى إذ كنت عبدا لى تأكل رزقى وتترفه بنعمتى ثم تعمل لغيرى أما سمعتنى أقول ﴿ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ﴾ ﴿ إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه ﴾ ويحك أما سمعتنى أقول ﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾ فإذا عرف العبد أنه بصدد هذه المطالبات والتوبيخات طالب نفسه قبل أن تطالب وأعد للسؤال جوابا وليكن الجواب صوابا ، فلا يبدئ ولا يعيد إلا بعد التثبت ، ولا يحرك جفنا ولا أنملة إلا بعد التأمل . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لمعاذ « إن الرجل ليسئل عن كحل عينيه وعن فتة الطين بأصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه [1] » وقال الحسن ، كان أحدهم إذا أراد أن يتصدق بصدقة نظر وتثبت فإن كان لله أمضاه . وقال الحسن : رحم الله تعالى عبدا وقف عند همه فإن كان لله مضى وإن كان لغيره تأخر . وقال فى حديث سعد حين أوصاه سلمان « اتق الله عند همك إذا هممت [2] » وقال محمد بن على : إن المؤمن وقاف متأن يقف عند همه ليس كحاطب ليل . فهذا هو النظر الأول فى هذه المراقبة ولا يخلص من هذا إلا العلم المتين والمعرفة الحقيقة بأسرار الأعمال وأغوار النفس ومكايد الشيطان ، فمتى لم يعرف نفسه وربه وعدوه إبليس ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحبه الله ويرضاه فى نيته وهمته وفكرته وسكونه وحركته ، فلا يسلم فى هذه المراقبة . بل الأكثرون يرتكبون الجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ولا تظنن أن الجاهل بما يقدر على التعلم فيه يعذر هيهات ! بل طلب العلم فريضة على كل مسلم ، ولهذا كانت ركعتان من عالم

---

(١) حديث « ينشر للعبد فى كل حركة من حركاته وان صغرت ثلاثة دواوين : الأول لم . والثانى كيف . والثالث لمن » لم أقف له على أصل .

(٢) حديث : قال لمعاذ « ان الرجل ليسأل عن كحل عينيه ... الحديث » تقدم فى الذى قبله . (٣) حديث سعد حين أوصاه سلمان أن : اتق الله عند همك اذا هممت » أخرجه أحمد والحاكم وصححه وهذا القدر منه موقوف وأوله مرفوع تقدم .

أفضل من ألف ركعة من غير عالم ، لأنه يعلم آفات النفوس ومكايد الشيطان ومواضع الغرور فيتقى ذلك ، والجاهل لايعرفه فكيف يحترز منه ؟ فلا يزال الجاهل فى تعب والشيطان منه فى فرح وشماتة ، فنعوذ بالله من الجهل والغفلة فهو رأس كل شقاوة وأساس كل خسران . فحكم الله تعالى على كل عبد أن يراقب نفسه عند همه بالفعل وسعيه بالجارحة ، فيتوقف عن الهم وعن السعى حتى ينكشف له بنور العلم أنه لله تعالى فيمضيه أوهو لهوى النفس فيتقيه ويزجر القلب عن الفكر فيه وعن الهم به ، فإنّ الخطوة الأولى فى الباطل إذا لم تدفع أورثت الرغبة ، والرغبة تورث الهم والهم يورث جزم القصد ، والقصد يورث الفعل ، والفعل يورث البوار والمقت ، فينبغى أن تحسم مادة الشر من منبعه الأوّل وهو الخاطر فإن جميع ماوراءه يتبعه . ومهما أشكل على العبد ذلك وأظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيتفكر فى ذلك بنور العلم ويستعيذ بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى ، فإن عجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه فيستضىء بنور علماء الدين ، وليفرّ من العلماء المضلين المقبلين على الدنيا فراره من الشيطان بل أشدّ ، فقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : لاتسأل عنى عالما أسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتى أولئك قطاع الطريق على عبادى . فالقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدّة الشره والتكالب عليها محجوبة عن نور الله تعالى ، وإن مستضاء أنوار القلوب حضرة الربوبية فكيف يستضىء بها من استدبرها وأقبل على عدوّها وعشق بغيضها ومقيتها وهى شهوات الدنيا ؟ فلتكن همة المريد أوّلا فى أحكام العلم ، أوفى طلب عالم معرض عن الدنيا أو ضعيف الرغبة فيها إن لم يجد من هو عديم الرغبة فيها . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات [1] » جمع بين الأمرين وهما متلازمان حقا فمن ليس له عقل وازع عن الشهوات فليس له بصر ناقد فى الشبهات . ولذلك قال عليه السلام « من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود إليه أبدا [2] » فما قدر العقل الضعيف الذى سعد الآدمى به حتى يعمد إلى محوه ومحقه بمقارفة الذنوب ، ومعرفة آفات الأعمال قد اندرست فى هذه الأعصار ، فإنّ الناس كلهم قد هجروا هذه العلوم واشتغلوا بالتوسط بين الخلق فى الخصومات الثائرة فى اتباع الشهوات وقالوا هذا هو الفقه ، وأخرجوا هذا العلم الذى هو فقه الدين عن جملة العلوم وتجرّدوا لفقه الدنيا الذى ماقصد به إلا دفع الشواغل عن القلوب ليتفرّغ لفقه الدين ، فكان فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه . وفى الخبر « أنتم اليوم فى زمان خيركم فيه المسارع وسيأتى عليكم زمان خيركم فيه المتثبت [3] » ولهذا توقف طائفة من الصحابة فى القتال مع أهل العراق وأهل الشام لما أشكل عليهم الأمر كسعد بن أبى وقاص وعبدالله بن عمر وأسامة ومحمد بن مسلمة وغيرهم . فمن لم يتوقف عند الاشتباه كان متبعا لهواه معجبا برأيه وكان ممن وصفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذ قال « فإذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعاً وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك وكل من خاض فى شبهه بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى ﴿ ولاتقف ماليس لك به علم [4] ﴾ وقوله عليه السلام « إياكم والظن فإنّ الظن أكذب الحديث [5] » وأراد به ظنا بغير دليل كما يستفتى بعض العوام قلبه فيما أشكل عليه ويتبع ظنه . ولصعوبة هذا الأمر وعظمه كان دعاء الصدّيق رضى الله تعالى عنه : اللهم أرنى الحق حقا وارزقنى اتباعه وأرنى الباطل باطلا وارزقنى اجتنابه ولاتجعله متشابها على فأتبع الهوى وقال عيسى عليه

(١) حديث « ان الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات ... الحديث » أخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث عمران بن حصين وفيه حفص بن عمر العدنى ضعفه الجمهور . (٢) حديث « من قارف ذنبا فارقه عقل لايعود اليه أبدا » تقدم ولم أجده .
(٣) حديث « أنتم اليوم فى زمان خيركم فيه المسارع وسيأتى عليكم زمان خيركم فيه المتثبت » لم أجده . (٤) حديث « فإذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ... الحديث » تقدم . (٥) حديث « اياكم والظن ... الحديث » تقدم .

السلام « الأمور ثلاثة : أمر استبان رشده فاتبعه وأمر استبان غيه فاجتنبه وأمر أشكل عليك فكله إلى عالمه [١] » وقد كان من دعاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « اللهم إنى أعوذ بك أن أقول فى الدين بغير علم [٢] » فأعظم نعمة الله على عباده هو العلم وكشف الحق ، والإيمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تعالى امتنانا على عبده ﴿ وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ وأراد به العلم وقال تعالى ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ وقال تعالى ﴿ إنّ علينا للهدى ﴾ وقال ﴿ ثم إن علينا بيانه ﴾ وقال ﴿ وعلى الله قصد السبيل ﴾ .

وقال على كرم الله وجهه : الهوى شريك العمى ، ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ، ونعم طارد الهم اليقين ، وعاقبة الكذب الندم ، وفى الصدق السلامة ، رب بعيد أقرب من قريب ، وغريب من لم يكن له حبيب ، والصديق من صدق غيبه ، ولا يعدمك من حبيب سوء ظن ، نعم الخلق التكرم ، والحياء سبب إلى كل جميل ، وأوثق العرا التقوى ، وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله تعالى إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك ، والرزق رزقان : رزق تطلبه ورزق يطلبك فإن لم تأته أتاك ، وإن كنت جازعا على ما أصيب مما فى يديك فلا تجزع على مالم يصل إليك ، واستدل على مالم يكن بما كان فإنما الأمور أشباه ، والمرء يسره درك مالم يكن ليفوته ويسوءه فوت مالم يكن ليدركه ، فما نالك من دنياك فلا تكثرن به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك أسفا ، وليكن سرورك بما قدمت وأسفك على ما خلفت وشغلك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت . وغرضنا من نقل هذه الكلمات قوله « ومن التوفيق التوقف عند الحيرة » فإذن النظر الأول للمراقب نظره فى الهم والحركة أهى لله أم للهوى ؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه : لا يخاف فى الله لومة لائم ، ولا يرائى بشىء من عمله ، وإذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا [٣] » وأكثر ما ينكشف له فى حركاته أن يكون مباحا ولكن لا يعنيه فيتركه لقوله صلى الله عليه وسلم « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه [٤] » .

النظر الثانى للمراقبة عند الشروع فى العمل ، وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضى حق الله فيه ويحسن النية فى إتمامه ويكمل صورته ويتعاطاه على أكمل ما يمكنه ، وهذا ملازم له فى جميع أحواله فإنه لا يخلو فى جميع أحواله عن حركة وسكون فإذا راقب الله تعالى فى جميع ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الأدب . فإن كان قاعدا مثلا فينبغى أن يقعد مستقبل القبلة لقوله صلى الله عليه وسلم « خير المجالس ما استقبل به القبلة [٥] » ولا يجلس متربعا إذ لا يجالس الملوك كذلك وملك الملوك مطلع عليه ، قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله : جلست مرة متربعا فسمعت هاتفا يقول : هكذا تجالس الملوك ؟ فلم أجلس بعد ذلك متربعا وإن كان ينام . فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة ـ مع سائر الآداب التى ذكرناها فى موضعها ـ فكل ذلك داخل فى المراقبة بل لو كان فى قضاء الحاجة فمراعاته لآدابها وفاء بالمراقبة .

فإذن لا يخلو العبد إما أن يكون فى طاعة ، أو فى معصية ، أو فى مباح .

فمراقبته فى الطاعة بالإخلاص والإكمال ومراعاة الأدب وحراستها عن الآفات .

---

(٢) حديث « قال عيسى الأمور ثلاثة ... الحديث » أخرجه الطبرانى من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف .

(٢) حديث « اللهم انى أعوذ بك أن أقول فى الدين بغير علم » لم أجده . (٣) حديث « ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف فى الله لومة لائم ... الحديث » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة وقد تقدم .

(٤) حديث « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه » تقدم . (٥) حديث « خير المجالس ما استقبل به القبلة » أخرجه الحاكم من حديث ابن عباس وقد تقدم .

وإن كان فى معصية فمراقبته بالتوبة والندم والإقلاع والحياء والاشتغال بالتفكر .

وإن كان فى مباح فمراقبته بمراعاة الأدب ثم بشهود المنعم فى النعمة وبالشكر عليها .

ولا يخلو العبد فى جملة أحواله عن بلية لابدّ له من الصبر عليها ونعمة لابدّ له من الشكر عليها وكل ذلك من المراقبة . بل لاينفك العبد فى كل حال من فرض لله تعالى عليه إما فعل يلزمه مباشرته أو محظور يلزمه تركه أو ندب حث عليه ليسارع به إلى مغفرة الله تعالى ويسابق به عباد الله أو مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعته . ولكل واحد من ذلك حدود لابدّ من مراعاتها بدوام المراقبة ﴿ ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه ﴾ فينبغى أن يتفقد العبد نفسه فى جميع أوقاته فى هذه الأقسام الثلاثة فإذا كان فارغا من الفرائض وقدر على الفضائل فينبغى أن يلتمس أفضل الأعمال ليشتغل بها فإنّ من فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مغبون ، والأرباح تنال بمزايا الفضائل فبذلك يأخذ العبد من دنياه لآخرته كما قال تعالى ﴿ ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ .

وكل ذلك إنما يمكن بصبر ساعة واحدة . فإنّ الساعات ثلاث : ساعة مضت لاتعب فيها على العبد كيفما انقضت فى مشقة أو رفاهية . وساعة مستقبلة لم تأت بعد لايدرى العبد أيعيش إليها أم لا ولا يدرى ما يقضى الله فيها ؟ وساعة راهنة ينبغى أن يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه . فإن لم تأته الساعة الثانية لم يتحسر على فوات هذه الساعة وإن أتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الأولى . ولا يطول أمله خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون ابن وقته كأنه فى آخر أنفاسه فلعله آخر أنفاسه وهو لايدرى ، وإذا أمكن أن يكون آخر أنفاسه فينبغى أن يكون على وجه لا يكره أن يدركه الموت وهو على تلك الحالة ، وتكون جميع أحواله مقصورة على ماروّاه أبو ذر رضى الله تعالى عنه من قوله عليه السلام « لايكون المؤمن ظاعنا إلا فى ثلاث : تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة فى غير محرم [1] » وما روى عنه أيضا فى معناه « وعلى العاقل أن تكون له أربعة ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها فى صنع الله تعالى وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب [2] » فإن فى هذه الساعة عونا له على بقية الساعات . ثم هذه الساعات التى هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لاينبغى أن يخلو عن عمل هو أفضل الأعمال وهو الذكر والفكر ، فإن الطعام الذى يتناوله مثلا فيه من العجائب مالو تفكر فيه وفطن له كان ذلك أفضل من كثير من أعمال الجوارح . والناس فيه أقسام :

قسم ينظرون إليه بعين التبصر والاعتبار ، فينظرون فى عجائب صنعته وكيفية ارتباط قوام الحيوانات به وكيفية تقدير الله لأسبابه ، وخلق الشهوات الباعثة عليه وخلق الآلات المسخرة للشهوة فيه ـ كما فصلنا بعضه فى كتاب الشكر ـ وهذا مقام ذوى الألباب .

وقسم ينظرون فيه بعين المقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطرار إليه وبودهم لو استغنوا عنه ولكن يرون أنفسهم مقهورين فيه مسخرين لشهواته ، وهذا مقام الزاهدين .

وقوم يرون فى الصنعة الصانع ويترقون منها إلى صفات الخالق ، فتكون مشاهدة ذلك سببا لتذكر أبواب من الفكر تنفتح عليهم بسببه ، وهو أعلى المقامات وهو من مقامات العارفين وعلامات المحبين ، إذ المحب إذا رأى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسى الصنعة واشتغل قلبه بالصانع ، وكل مايتردد العبد فيه صنع الله تعالى فله فى النظر منه إلى

---

(١) حديث أبى ذر « لايكون المؤمن ظاعنا إلا فى ثلاث : تزود لمعاد ... الحديث » أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه أنه صلى الله عليه وسلم قال إنه فى صحف موسى وقد تقدم .

(٢) حديث « وعلى العاقل أن يكون له ثلاث ساعات : ساعة يناجى فيها ربه ... الحديث » وهى بقية حديث أبى ذر الذى قبله .

الصانع مجال رحب إن فتحت له أبواب الملكوت وذلك عزيز جدا .

وقسم رابع ينظرون إليه بعين الرغبة والحرص ، فيتأسفون على مافاتهم منه ويفرحون بما حضرهم من جملته ، ويذمون منه مالا يوافق هواهم ويعيبونه ويذمون فاعله فيذمون الطبيخ والطباخ ، ولا يعلمون أن الفاعل للطبيخ والطباخ ولقدرته ولعلمه هو الله تعالى ، وأن من ذم شيئا من خلق الله بغير إذن فقد ذم الله ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « لاتسبوا الدهر فإن الله هو الدهر [1] » فهذه المرابطة الثانية بمراقبة الأعمال على الدوام والاتصال وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المنهاج لمن أحكم الأصول .

المرابطة الثالثة

محاسبة النفس بعد العمل . ولنذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها

أما الفضيلة : فقد قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾ وهذه إشارة إلى المحاسبة على مامضى من الأعمال ، ولذلك قال عمر رضى الله تعالى عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا ، وفى الخبر : أنه عليه السلام جاءه رجل فقال يا رسول الله أوصنى فقال « أمستوص أنت ؟ » فقال نعم ، قال « إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فامضه وإن كان غيا فانته عنه » وفى الخبر وينبغى للعاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه . وقال تعالى ﴿ وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ والتوبة نظر فى الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه . وقد قال صلى الله عليه وسلم « إنى لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه فى اليوم مائة مرة [2] » وقال تعالى ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ وعن عمر رضى الله عنه ، أنه كان يضرب قدميه بالدرة إذا جنه الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم؟ وعن ميمون ابن مهران أنه قال لايكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه ، والشريكان يتحاسبان بعد العمل . وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن أبا بكر رضوان الله عليه قال لها عند الموت ما أحد من الناس أحب إلى من عمر ، ثم قال لها كيف قلت ؟ فأعادت عليه ما قال فقال لا أحد أعز على من عمر . فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها ! وحديث أبى طلحة حين شغله الطائر فى صلاته ـ فتدبر ذلك ـ فجعل حائطه صدقة لله تعالى، ندما ورجاء للعوض مما فاته [3] .

وفى حديث ابن سلام أنه حمل حزمة من حطب فقيل له ياأبا يوسف قد كان فى بنيك وغلمانك مايكفونك هذا، فقال أردت أن أجرب نفسى هل تنكره ؟ وقال الحسن المؤمن قوام على نفسه يحاسبها لله ، وإنما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم فى الدنيا ، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة . ثم فسر المحاسبة فقال إن المؤمن يفجؤه الشيء يعجبه فيقول والله إنك لتعجبنى وإنك من حاجتى ولكن هيهات حيل بينى وبينك ! وهذا حساب قبل العمل ، ثم قال ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول ماذا أردت بهذا ؟ والله لاأعذر بهذا والله لا أعود لهذا أبدا إن شاء الله ! وقال أنس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يوما وقد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطا فسمعته يقول ـ وبينى وبينه جدار ـ وهو فى الحائط : عمر

---

(١) حديث « لاتسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة . (٢) حديث « إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم مائة مرة » تقدم غير مرة . (٣) حديث أبى طلحة : حين شغله الطائر عن صلاته فجعل حديقته صدقة . تقدم غير مرة .

ابن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ ! والله لتتقين الله أو ليعذبنك . وقال الحسن فى قوله تعالى ﴿ ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ قال : لايلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه ؛ ماذا أردت بكلمتى ؟ ماذا أردت بأكلتى ؟ ماذا أردت بشربتى ؟ والفاجر يمضى قدما لايعاتب نفسه وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى : رحم الله عبدا قال لنفسه ؛ ألست صاحبة كذا ، ألست صاحبة كذا ؟ ثم ذمها ثم خطمها ، ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائدا وهذا من معاتبة النفس كما سيأتى فى موضعه ، وقال ميمون بن مهران : التقى أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح . وقال إبراهيم التيمى : مثلت نفسى فى الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها ، ثم مثلت نفسى فى النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلالها ، فقلت لنفسى يانفس أى شىء تريدين ؟ فقالت : أريد أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحا ! قلت : فأنت فى الأمنية فاعملى . وقال مالك بن دينار : سمعت الحجاج يخطب وهو يقول ؛ رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب إلى غيره ، رحم الله امرأ أخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به رحم الله امرأ نظر فى مكياله ، رحم الله امرأ نظر فى ميزانه ، فما زال يقول حتى أبكانى . وحكى صاحب للأحنف ابن قيس قال : كنت أصحبه فكان عامة صلاته بالليل ، الدعاء ، وكان يجىء إلى المصباح فيضع أصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه : ياحنيف ماحملك على ماصنعت يوم كذا ؟ ماحملك على ماصنعت يوم كذا ؟ .

بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل

اعلم أنّ العبد كما يكون له وقت فى أوّل النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوصية بالحق فينبغى أن يكون له فى آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها ـ كما يفعل التجار فى الدنيا مع الشركاء فى آخر كل سنة أو شهر أو يوم حرصا منهم على الدنيا ، وخوفا من أن يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة لهم فى فواته ! ولو حصل ذلك لهم فلا يبقى إلا أياما قلائل ، فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة أبد الآباد ؟ ماهذه المساهلة إلا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله من ذلك . ومعنى المحاسبة مع الشريك أن ينظر فى رأس المال وفى الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان ، فإن كان من فضل حاصل استوفاه وشكره ، وإن كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه فى المستقبل . فكذلك رأس مال العبد فى دينه الفرائض ، وربحه النوافل والفضائل ، وخسرانه المعاصى . وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعامله نفسه الأمارة بالسوء ، فيحاسبها على الفرائض أوّلا فإن أداها على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها فى مثلها ، وإنّ فوتها من أصلها طالبها بالقضاء ، وإن أداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل ، وإن ارتكب معصية اشتغل بعقوبتها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفى منها ما يتدارك به مافرّط ـ كما يصنع التاجر بشريكه ـ وكما أنه يفتش فى حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن فى شىء منها فينبغى أن يتقى غبينة النفس ومكرها فإنها خدّاعة ملبسة مكارة ، فليطالبها أوّلا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره ، وليتكفل بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره فى صعيد القيامة ، وهكذا عن نظره بل عن خواطره وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه ، حتى عن سكوته أنه لم سكت ؟ وعن سكونه لم سكن ؟ فإذا عرف مجموع الواجب على النفس . وصح عنده قدر أدى الواجب فيه ، كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقى على نفسه فليثبته عليها وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقى الذى على شريكه على قلبه وفى جريدة حسابه .

ثم النفس غريم يمكن أن يستوفى منه الديون . أما بعضها : فبالغرامة والضمان ، وبعضها : برد عينه . وبعضها

بالعقوبة لها على ذلك . ولا يمكن شيء من ذلك إلا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه ،فإذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء . ثم ينبغي أن يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الأعضاء الظاهرة والباطنة - كما نقل عن توبة ابن الصمة وكان بالرقة وكان محاسبا لنفسه ؛ فحسب يوما فإذا هو ابن ستين سنة ، فحسب أيامها فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم ، فصرخ وقال ياويلتي ألقى الملك بأحد وعشرين ألف ذنب ! فكيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب ؟ ثم خر مغشيا عليه فإذا هو ميت ، فسمعوا قائلا يقول يالك ركضة إلى الفردوس الأعلى ! فهكذا ينبغي أن يحاسب نفسه على الأنفاس وعلى معصيته بالقلب والجوارح في كل ساعة ؛ ولو رمى العبد بكل معصية حجرا في داره لامتلأت داره في مدة يسيرة قريبة من عمره ، ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي والملكان يحفظان عليه ذلك ﴿أحصاه الله ونسوه﴾ .

المرابطة الرابعة

في معاقبة النفس على تقصيرها

مهما حاسب نفسه فلم تسلم عن مقارفة معصية وارتكاب تقصير في حق الله تعالى فلا ينبغي أن يهملها فإنه إن أهملها سهل عليه مقارفة المعاصي وأنست بها نفسه وعسر عليه فطامها ، وكان ذلك سبب هلاكها ، بل ينبغي أن يعاقبها ، فإذا أكل لقمة شبهة بشهوة نفس ينبغي أن يعاقب البطن بالجوع ، وإذا نظر إلى غير محرم ينبغي أن يعاقب العين بمنع النظر ، وكذلك يعاقب كل طرف من أطراف بدنه بمنعه عن شهواته . هكذا كانت عادة سالكي طريق الآخرة فقد روى عن منصور بن إبراهيم : أن رجلا من العباد كلم امرأة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها ثم ندم فوضع يده على النار حتى يبست . وروى أنه كان في بني إسرائيل رجل يتعبد في صومعته فمكث كذلك زمانا طويلا فأشرف ذات يوم فإذا هو بامرأة فافتتن بها وهم بها ، فأخرج رجله لينزل إليها فأدركه الله بسابقة فقال : ما هذا الذي أريد أن أصنع ؟ فرجعت إليه نفسه وعصمه الله تعالى فندم ، فلما أراد أن يعيد رجله إلى الصومعة قال : هيهات هيهات ! رجل خرجت تريد أن تعصي الله تعود في صومعتي لا يكون والله ذلك أبدا ! فتركها معلقة في الصومعة تصيبها الأمطار والرياح والثلج والشمس حتى تقطعت فسقطت ؛ فشكر الله له ذلك وأنزل في بعض كتبه ذكره . ويحكى عن الجنيد قال : سمعت ابن الكريبي يقول : أصابتني ليلة جنابة فاحتجت أن أغتسل وكانت ليلة باردة ، فوجدت في نفسي تأخرا وتقصيرا فحدثتني نفسي بالتأخير حتى أصبح وأسخن الماء أو أدخل الحمام ولا أعني على نفسي فقلت : واعجبا أنا أعامل الله في طول عمري فيجب له علي حق فلا أجد في المسارعة وأجد الوقوف والتأخر ! آليت أن لا أغتسل إلا في مرقعتي هذه ! وآليت أن لا أنزعها ولا أعصرها ولا أجففها في الشمس ، ويحكى أن غزوان وأبا موسى كانا في بعض مغازيهما فتكشفت جارية فنظر إليها غزوان ، فرفع يده فلطم عينه حتى بقرت وقال: إنك للحاظة إلى ما يضرك . ونظر بعضهم نظرة واحدة امرأة فجعل على نفسه أن لا يشرب الماء البارد طول حياته فكان يشرب الماء الحار لينغص على نفسه العيش . ويحكى أن حسان بن أبي سنان مر بغرفة فقال : متى بنيت هذه ؟ ثم أقبل على نفسه فقال : تسألين عما لا يعنيك ؟ لأعاقبنك بصوم سنة فصامها . وقال مالك بن ضيغم : جاء رباح القيسي يسأل عن أبي بعد العصر فقلنا : إنه نائم ، فقال : أنوم هذه الساعة ! هذا وقت نوم ؟ ثم ولى منصرفا فأتبعناه رسولا وقلنا له: ألا نوقظه لك ! فجاء الرسول وقال : هو أشغل من أن يفهم عني شيئا ، أدركته وهو يدخل المقابر وهو يعاتب نفسه ويقول: أقلت وقت نوم هذه الساعة ؟ أفكان هذا عليك ؟ ينام الرجل متى شاء ! وما يدريك أن هذا ليس وقت

نوم ؟ تتكلمين بما لا تعلمين ؟ أما إن لله على عهدا لا أنقضه أبدا ! لا أوسدك الأرض لنوم حولا إلا لمرض حائل أو لعقل زائل ، سوأة لك أما تستحين ! كم توبخين ؟ وعن غيك لا تنتهين ؟ قال : وجعل يبكى وهو لا يشعر بمكانى، فلما رأيت ذلك انصرفت وتركته . ويحكى عن تميم الدارى أنه نام ليلة لم يقم فيها يتهجد ؛ فقام سنة لم ينم فيها ، عقوبة للذى صنع . وعن طلحة رضى الله تعالى عنه قال : انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ فى الرمضاء فكان يقول لنفسه : ذوقى ! ونار جهنم أشد حرا ! أجيفة بالليل بطالة بالنهار ؟ فبينما هو كذلك إذ أبصر النبى صلى الله عليه وسلم فى ظل شجرة فأتاه فقال : غلبتنى نفسى ! فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « ألم يكن لك بد من الذى صنعت أما لقد فتحت لك أبواب السماء ولقد باهى الله بك الملائكة » ثم قال لأصحابه « تزودوا من أخيكم » فجعل الرجل يقول له : يافلان ادع لى ! يافلان ادع لى فقال ! النبى صلى الله عليه وسلم « عمهم » فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى أمرهم . فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم سدده » فقال الرجل : اللهم اجعل الجنة مآبهم [1] وقال حذيفة بن قتادة : قيل لرجل كيف تصنع بنفسك فى شهواتها ؟ فقال : ما على وجه الأرض نفس أبغض إلى منها فكيف أعطيها شهواتها ؟ ودخل ابن السماك على داود الطائى حين مات ـ وهو فى بيته على التراب ـ فقال : يا داود سجنت نفسك قبل أن تسجن وعذبت نفسك قبل أن تعذب ، فاليوم ترى ثواب من كنت تعمل له . وعن وهب بن منبة : أن رجلا تعبد زمانا ، ثم بدت له إلى الله تعالى حاجة فقام سبعين سبتا يأكل فى كل سبت إحدى عشرة تمرة ، ثم سأل حاجته فلم يعطها، فرجع إلى نفسه وقال : منك أتيت لو كان فيك خير لأعطيت حاجتك ! فنزل إليه ملك وقال : يا ابن آدم ؛ ساعتك هذه خير من عبادتك التى مضت وقد قضى الله حاجتك . وقال عبد الله بن قيس : كنا فى غزاة لنا فحضر العدو ، فصيح فى الناس فقاموا إلى المصاف فى يوم شديد الريح ، وإذا رجل أمامى وهو يخاطب نفسه ويقول : أى نفسى ألم أشهد مشهد كذا فقلت لى ؛ أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت ! ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت لى ؛ أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت ! والله لأعرضنك اليوم على الله أخذك أو تركك ! فقلت لأرمقنه اليوم ، فرمقته فحمل الناس على عدوهم فكان فى أوائلهم ، ثم إن العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان فى موضعه ، حتى انكشفوا مرات وهو ثابت يقاتل ، فو الله مازال ذاك دأبه حتى رأيته صريعا ، فعددت به وبدابته ستين أو أكثر من ستين طعنة . وقد ذكرنا حديث أبى طلحة : لما اشتغل قلبه فى الصلاة بطائر فى حائطه فتصدق بالحائط كفارة لذلك . وإن عمر كان يضرب قدميه بالدرة كل ليلة ويقول : ماذا عملت اليوم ؟ وعن مجمع : أنه رفع رأسه إلى السطح فوقع بصره على امرأة فجعل على نفسه أن لا يرفع رأسه إلى السماء مادام فى الدنيا . وكان الأحنف بن قيس لا يفارقه المصباح بالليل فكان يضع أصبعه عليه ويقول لنفسه : ما حملك على أن صنعت يوم كذا كذا ؟ وأنكر وهيب بن الورد شيئا على نفسه فنتف شعرات على صدره حتى عظم ألمه ثم جعل يقول لنفسه : ويحك ! إنما أريد بك الخير . ورأى محمد بن بشر داود الطائى ، وهو يأكل عند إفطاره خبزا بغير ملح ! فقال له : لو أكلته بملح ! فقال : إن نفسى لتدعونى إلى الملح منذ سنة ، ولا ذاق داود ملحا مادام فى الدنيا .

فكذا كانت عقوبة أولى الحزم لأنفسهم والعجب أنك تعاقب عبدك وأمتك وأهلك وولدك على مايصدر منهم من سوء خلق وتقصير فى أمر وتخاف أنك لو تجاوزت عنهم لخرج أمرهم عن الاختيار وبغوا عليك ، ثم تهمل

---

(١) حديث طلحة : انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ فى الرمضاء وكان يقول لنفسه : ونار جهنم أشد حرا ... الحديث بطوله أخرجه ابن أبى الدنيا فى محاسبة النفس من رواية ليث بن أبى سليم عنه وهذا منقطع أو مرسل ، ولا أدرى من طلحة هذا .

نفسك وهى أعظم عدو لك وأشد طغيانا عليك ، وضررك من طغيانها أعظم من ضررك من طغيان أهلك ، فإن غايتهم أن يشوشوا عليك معيشة الدنيا ، ولو عقلت لعلمت أن العيش عيش الآخرة وأن فيه النعيم المقيم الذى لا آخر له ونفسك هى التى تنغص عليك عيش الآخرة فهى بالمعاقبة أولى من غيرها .

المرابطة الخامسة : المجاهدة

وهو أنه إذا حاسب نفسه فرآها قد قارفت معصية فينبغى أن يعاقبها بالعقوبات التى مضت ، وإن رآها تتوانى بحكم الكسل فى شىء من الفضائل أو ورد من الأوراد فينبغى أن يؤدبها بتثقيل الأوراد عليها ويلزمها فنونا من الوظائف جبرا لما فات منه وتداركا لما فرط ؛ فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى ، فقد عاقب عمر بن الخطاب نفسه حين فاتته صلاة العصر فى جماعة بأن تصدق بأرض كانت له قيمتها مائتا ألف درهم وكان ابن عمر إذا فاتته صلاة فى جماعة أحيا تلك الليلة ، وأخر ليلة صلاة المغرب حتى طلع كوكبان فأعتق رقبتين . وفات ابن أبى ربيعة ركعتا الفجر فأعتق رقبة . وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة أو الحج ماشيا أو التصدق بجميع ماله . كل ذلك مرابطة للنفس ومؤاخذة لها بما فيه نجاتها .

فإن قلت : إن كانت نفسى لا تطاوعنى على المجاهدة والمواظبة على الأوراد فما سبيل معالجتها ؟ فأقول : سبيلك فى ذلك أن تسمعها ماورد فى الأخبار من فضل المجتهدين [1] ومن أنفع أسباب العلاج أن تطلب صحبة عبد من عباد الله مجتهد فى العبادة فتلاحظ أقواله وتقتدى به . وكان بعضهم يقول : كنت إذا اعترتنى فترة فى العبادة نظرت إلى أحوال محمد بن واسع وإلى اجتهاده فعملت على ذلك أسبوعا . إلا أن هذا العلاج قد تعذر إذ قد فقد فى هذا الزمان من يجتهد فى العبادة اجتهاد الأولين ، فينبغى أن يعدل من المشاهدة إلى السماع فلا شىء أنفع من سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد ، وقد انقضى تعبهم وبقى ثوابهم ونعيمهم أبد الآباد لا ينقطع ، فما أعظم ملكهم وما أشد حسرة من لا يقتدى بهم فيمتع نفسه أياما قلائل بشهوات مكدرة ! ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين كل مايشتهيه أبد الآباد ! نعوذ بالله تعالى من ذلك .

ونحن نورد من أوصاف المجتهدين وفضائلهم مايحرك رغبة المريد فى الاجتهاد اقتداء بهم ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رحم الله أقواما يحسبهم الناس مرضى وماهم بمرضى [2] » قال الحسن : أجهدتهم العبادة ! قال الله تعالى ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ﴾ قال الحسن : يعملون ماعملوا من أعمال البر ويخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله ! وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن طال عمره وحسن عمله [3] » ويروى أن الله تعالى يقول للملائكة : مابال عبادى مجتهدين ، فيقولون : إلها خوفتهم شيئا فخافوه وشوقتهم إلى شىء فاشتاقوا إليه ! فيقول الله تبارك وتعالى : فكيف لو رآنى عبادى لكانوا أشد اجتهادا ، وقال الحسن : أدركت أقواما وصحبت

---

(١) الأخبار الواردة فى حق المجتهدين أخرجها أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص « من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين » وله والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة بإسناد صحيح « رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته » والترمذى من حديث بلال « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ... الحديث » وقال غريب ولا يصح وقد تقدم فى الأوراد مع غيره من الأخبار فى ذلك .

(٢) حديث « رحم الله أقواما تحسبهم مرضى وما بمرضى » لم أجد له أصلا فى حديث مرفوع لا ساكن رواه أحمد فى الزهد موقوفا على على فى كلام له قال فيه : ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض . (٣) حديث « طوبى لمن طال عمره وحسن عمله » أخرجه الطبرانى من حديث عبد الله بن بشر وفيه بقية رواه بصيغة «عن» وهو مدلس والترمذى من حديث أبى بكرة « خير الناس من طال عمره وحسن عمله » وقال حسن صحيح وقد تقدم

طوائف منهم ، ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل ، ولا يتأسفون على شيء منها أدبر ، ولهى كانت أهون فى أعينهم من هذا التراب الذى تطئونه بأرجلكم ، إن كان أحدهم ليعيش عمره كله ماطوى له ثوب ولا أمر أهله بصنعة طعام قط ، ولا جعل بينه وبين الأرض شيئا قط ، وأدركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم إذا جنهم الليل فقيام على أطرافهم ، يفترشون وجوههم ، تجرى دموعهم على خدودهم ، يناجون ربهم فى فكاك رقابهم ، إذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا فى شكرها وسألوا الله أن يتقبلها ، وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله تعالى أن يغفرها لهم ، والله مازالوا كذلك وعلى ذلك ووالله ماسلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة . ويحكى أنّ قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه فى مرضه ، وإذا فيهم شاب ناحل الجسم ، فقال عمر له : يافتى ماالذى بلغ بك ما أرى ؟ فقال : ياأمير المؤمنين أسقام وأمراض ، فقال : سألتك بالله إلا صدقتنى ! فقال : ياأمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندى زهرتها وحلاوتها واستوى عند ذهبها وحجرها ، وكأنى أنظر إلى عرش ربى والناس يساقون إلى الجنة والنار فأظمأت لذلك نهارى وأسهرت ليلى ، وقليل حقير كل ما أنا فيه فى جنب ثواب الله وعقابه . وقال أبو نعيم : كان داود الطائى يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز فقيل له فى ذلك فقال : بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية . ودخل رجل عليه يوما فقال : إنّ فى سقف بيتك جذعا مكسورا فقال : يا ابن أخى إن لى فى البيت منذ عشرين سنة مانظرت إلى السقف . وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام .

وقال محمد بن عبد العزيز : جلسنا إلى أحمد بن رزين من غدوة إلى العصر فما التفت يمنة ولا يسرة ! فقيل له فى ذلك فقال إن الله عز وجل خلق العينين لينظر بهما العبد إلى عظمة الله تعالى ، فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة . وقالت امرأة مسروق : ما كان يوجد مسروق إلا وساقاه منتفختان من طول الصلاة ! وقالت : والله إن كنت لأجلس خلفه فأبكى رحمة له . وقال أبو الدرداء : لولا ثلاث ما أحببت العيش يوما واحدا : الظمأ لله بالهواجر ، والسجود لله فى جوف الليل ، ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب الثمر وكان الأسود بن يزيد يجتهد فى العبادة ويصوم فى الحر حتى يخضر جسده ويصفر ، فكان علقمة بن قيس يقول له : لم تعذب نفسك ؟ فيقول : كرامتها أريد . وكان يصوم حتى يخضر جسده ويصلى حتى يسقط ، فدخل عليه أنس بن مالك والحسن فقالا له : إن الله عز وجل لم يأمرك بكل هذا ؟ فقال : إنما أنا عبد مملوك لا أدع من الاستكانة شيئا إلا جئت به . وكان بعض المجتهدين يصلى كل يوم ألف ركعة ، حتى أقعد من رجليه فكان يصلى جالسا ألف ركعة ، فإذا صلى العصر احتبى ثم قال : عجبت للخليقة كيف أرادت بك بدلا منك ! عجبت للخليقة كيف أنست بسواك ! بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك ! وكان ثابت البنانى قد حببت إليه الصلاة فكان يقول : اللهم إن كنت أذنت لأحد أن يصلى لك فى قبره فأذن لى أن أصلى فى قبرى . وقال الجنيد : مارأيت أعبد من السرى ! أتت عليه ثمان وتسعون سنة مارؤى مضطجعا إلا فى علة الموت . وقال الحارث بن سعد : مر قوم براهب فرأوا مايصنع بنفسه من شدة اجتهاده ، فكلموه فى ذلك فقال : وما هذا عند مايراد بالخلق من ملاقاة الأهوال وهم غافلون ، قد اعتكفوا على حظوظ أنفسهم ونسوا حظهم الأكبر من ربهم ؟ فبكى القوم عن آخرهم . وعن أبى محمد المغازلى قال : جاور أبو محمد الجريرى بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند إلى عمود ولا إلى حائط ولم يمد رجليه ، فعبر عليه أبو بكر الكتانى فسلم عليه وقال له يا أبا محمد بم قدرت على اعتكافك هذا ؟ فقال : علم صدق باطنى فأعاننى على ظاهرى ، فأطرق الكتانى ومشى مفكرا . وعن بعضهم قال : دخلت على فتح الموصلى فرأيته قد مد كفيه

يبكى ـ حتى رأيت الدموع تنحدر من بين أصابعه ـ فدنوت منه فإذا دموعه قد خالطها صفرة ! فقلت : ولم بالله يافتح بكيت الدم ؟ فقال : لولا أنك أحلفتنى بالله ماأخبرتك ، نعم بكيت دما فقلت له : على ماذا بكيت الدموع ؟ فقال : على تخلفى عن واجب حق الله تعالى وبكيت الدم على الدموع لئلا يكون ماصحت لى الدموع ؟ قال : فرأيته بعد موته فى المنام فقلت : ماصنع الله بك ؟ قال : غفر لى ، فقلت له : فماذا صنع فى دمرعك ؟ فقال : قربنى ربى عز وجل وقال لى : يافتح الدمع على ماذا ؟ قلت : يارب على تخلفى عن واجب حقك ، فقال : والدم على ماذا ؟ فقلت على دموعى أن لا تصح لى ، فقال لى يافتح ما أردت بهذا كله ، وعزتى وجلالى لقدصعدحافظاك أربعين سنة بصحيفتك مافيها خطيئة . وقيل إنّ قوما أرادوا سفرا فحادوا عن الطريق ، فانتهوا إلى راهب منفرد عن الناس فنادوه فأشرف عليهم من صومعته ، فقالوا يا راهب إنا قد أخطأنا الطريق فكيف الطريق ؟ فأومأ برأسه إلى السماء ، فعلم القوم ما أراد ، فقالوا يا راهب إنا سائلوك فهل أنت مجيبنا ؟ فقال سلوا ولا تكثروا فإنّ النهار لن يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث ، فعجب القوم من كلامه فقالوا ياراهب علام الحلق غدا عند مليكهم ؟ فقال على نياتهم ، فقالوا أوصنا ، فقال تزودوا على قدر سفركم فإنّ خير الزاد مابلغ البغية . ثم أرشدهم إلى الطريق وأدخل رأسه فى صومعته . وقال عبد الواحد بن زيد مررت بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته ياراهب فلم يجبنى فناديته الثانية فلم يجبنى فناديته الثالثة فأشرف على وقال ياهذا ما أنا براهب إنما الراهب من رهب الله فى سمائه وعظمه فى كبريائه وصبر على بلائه ورضى بقضائه وحمده على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته ، وفكر فى حسابه وعقابه فنهاره صائم وليله قائم ، قد أسهره ذكر النار ومسألة الجبار ، فذلك هو الراهب ، وأما أنا فكلب عقور حبست نفسى فى هذه الصومعة عن الناس لئلا أعقرهم ! فقلت ياراهب فما الذى قطع الخلق عن الله تعالى بعد أن عرفوه ؟ فقال ياأخى لم يقطع الخلق عن الله تعالى إلا حب الدنيا وزينتها لأنها محل المعاصى والذنوب ، والعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب إلى الله تعالى من ذنبه وأقبل على ما يقربه من ربه . وقيل لداود الطائى لو سرحت لحيتك فقال إنى إذن لفارغ . وكان أويس القرنى يقول هذه ليلة الركوع فيحيي الليل كله فى ركعة ، وإذا كانت الليلة الآتية قال هـذه ليلة السجود فيحيي الليل كله فى سجدة . وقيل لما تاب عتبة الغلام كان لايتهنأ بالطعام والشراب فقالت له أمه لو رفقت بنفسك ! قال الرفق أطلب ! دعينى أتعب قليلا وأتنعم طويلا . وحج مسروق فما نام قط إلا ساجدا . وكان سفيان الثورى يقول عند الصباح يحمد القوم السرى وعند الممات يحمد القوم التقى . وقال عبد الله بن داود كان أحدهم إذا بلغ أربعين سنة طوى فراشه أى كان لاينام طول الليل . وكان كهمس بن الحسن يصلى كل يوم ألف ركعة ثم يقول لنفسه قومى يا مأوى كل شر ! فلما ضعف اقتصر على خمسمائة ، ثم كان يبكى ويقول ذهب نصف عملى . وكانت ابنة الربيع بن خثيم تقول له ياأبت مالى أرى الناس ينامون وأنت لا تنام ؟ فيقول ياابنتاه إنّ أباك يخاف البيات . ولما رأت أم الربيع ما يلقى الربيع من البكاء والسهر نادته يابنى لعلك قتلت قتيلا ! قال نعم ياأماه ، قالت : فمن هو حتى نطالب أهله فيعفو عنك ؟ فوالله لو يعلمون ما أنت فيه لرحموك وعفوا عنك ، فيقول : ياأماه هى نفسى . وعن عمر ـ ابن أخت بشر بن الحارث ـ قال سمعت خالى بشر بن الحارث يقول لأمى ، ياأختى جوفى وخواصرى تضرب على ، فقالت له أمى يا أخى أتأذن لى حتى أصلح لك قليل حساء بكف دقيق عندى تتحساه يرم جوفك ! فقال لها ويحك ! أخاف أن يقول أين لك هذا الدقيق ؟ فلا أدرى إيش

أقول له ، فبكت أمى وبكى معهما وبكيت معهم . قال عمر : ورأت أمى ما يبشر من شدة الجوع وجعل يتنفس نفسا ضعيفا فقالت له أمى : ياأخى ليت أمك لم تلدنى فقد والله تقطعت كبدى مما أرى بك ! فسمعته يقول لها وأنا فليت أمى لم تلدنى وإذ ولدتنى لم يدر ثديها على . قال عمر وكانت أمى تبكى عليه الليل والنهار . وقال الربيع . أتيت أويسا فوجدته جالسا حتى صلى الفجر ، ثم جلس فجلست فقلت لا أشغله عن التسبيح فمكث مكانه حتى صلى الظهر ، ثم قام إلى الصلاة حتى صلى العصر ، ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب ، ثم ثبت مكانه حتى صلى العشاء ، ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح ، ثم جلس فغلبته عيناه فقال اللهم إنى أعوذ بك من عين نوامة ومن بطن لا تشبع ! فقلت حسبى هذا منه ، ثم رجعت . ونظر رجل إلى أويس فقال ياأبا عبدالله مالى أراك كأنك مريض ؟ فقال وما لأويس أن لايكون مريضا يطعم المريض وأويس غير طاعم وينام المريض وأويس غير نائم . وقال أحمد بن حرب ياعجبا لمن يعرف أنّ الجنة تزين فوقه وأنّ النار تسعر تحته كيف ينام بينهما ، وقال رجل من النساك أتيت إبراهيم ابن أدهم فوجدته قد صلى العشاء فقعدت أرقبه فلف نفسه بعباءة ثم رمى بنفسه فلم ينقلب من جنب إلى جنب الليل كله حتى طلع الفجر وأذن المؤذن فوثب إلى الصلاة ولم يحدث وضوءا فحاك ذلك فى صدرى فقلت له رحمك الله قد نمت الليل كله مضطجعا ثم لم تجدد الوضوء فقال كنت الليل كله جائلا فى رياض الجنة أحيانا وفى أودية النار أحيانا فهل فى ذلك نوم . وقال ثابت البنانى أدركت رجالا كان أحدهم يصلى فيعجز عن أن يأتى فراشه إلا حبوا ، وقيل مكث أبو بكر بن عياش أربعين سنة لايضع جنبه على فراش ونزل الماء فى إحدى عينيه فمكث عشرين سنة لايعلم به أهله وقيل كان ورد سمنون فى كل يوم خمسمائة ركعة . وعن أبى بكر المطوعى قال كان وردى فى شبيبتى كل يوم وليلة أقرأ فيه قل هو الله أحد ، إحدى وثلاثين ألف مرة أو أربعين ألف مرة ـ شك الراوى ، وكان منصور بن المعتمر إذا رأيته قلت رجل أصيب بمصيبة منكسر الطرف منخفض الصوت رطب العينين إنّ حركته جاءت عيناه بأربع ولقد قالت له أمه ما هذا الذى تصنع بنفسك تبكى الليل عامته لاتسكت لعلك يابنى أصبت نفسا لعلك قتلت قتيلا ؟ فيقول ياأمه أنا أعلم بما صنعت بنفسى ، وقيل لعامر ابن عبدالله كيف صبرك على سهر الليل وظمأ الهواجر فقال هل هو إلا أنى صرفت طعام النهار إلى الليل ونوم الليل إلى النهار وليس فى ذلك خطير أمر وكان يقول مارأيت مثل الجنة نام طالبها ولا مثل النار نام هاربها وكان إذا جاء الليل قال أذهب حرّ النار النوم فما ينام حتى يصبح فإذا جاء النهار قال أذهب حرّ النار النوم فما ينام حتى يمسى فإذا جاء الليل قال من خاف أدلج وعند الصباح يحمد القوم السرى . وقال بعضهم صحبت عامر بن عبد القيس أربعة أشهر فما رأيته نام بليل ولا نهار . ويروى عن رجل من أصحاب على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال صليت خلف على رضى الله تعالى عنه الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يده وقال والله لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما أرى اليوم شيئا يشبههم كانوا يصبحون شعثا غبرا صفرا قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم وكانوا إذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر فى يوم الريح وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم وكأن القوم باتوا غافلين ـ يعنى من كان حوله وكان أبو مسلم الخولانى قد علق سوطا فى مسجد بيته يخوّف به نفسه وكان يقول لنفسه قومى فوالله لأزجفن بك زحفا حتى يكون الكلل منك لامنى فإذا دخلت الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول أنت أولى بالضرب من دابتى وكان يقول أيظن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يستأثروا به دوننا كلا والله لنزاحمهم عليه زحاما

حتى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالا . وكان صفوان بن سليم قد تعقدت ساقاه من طول القيام وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له القيامة غدا ما وجد متزايدا . وكان إذا جاء الشتاء اضطجع على السطح ليضربه البرد ، وإذا كان فى الصيف اضطجع داخل البيوت ليجد الحرّ فلا ينام ، وأنه مات وهو ساجد ، وأنه كان يقول : اللهم إنى أحب لقاءك فأحب لقائى . وقال القاسم بن محمد : غدوت يوما ، وكنت إذا غدوت بدأت بعائشة رضى الله عنها أسلم عليها ، فغدوت يوما إليها فإذا هى تصلى صلاة الضحى ، وهى تقرأ ﴿ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ﴾ وتبكى وتدعو وتردد الآية ، فقمت حتى مللت وهى كما هى ، فلما رأيت ذلك ذهبت إلى السوق فقلت : أفرغ من حاجتى ثم أرجع ففرغت من حاجتى ثم رجعت وهى كما هى تردد الآية وتبكى وتدعو . وقال محمد بن إسحاق : لما ورد علينا عبد الرحمن ابن الأسود حاجا اعتلت إحدى قدميه فقام يصلى على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء العشاء . وقال بعضهم : ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بينى وبين قيام الليل . وقال على بن أبى طالب كرّم الله وجهه : سيما الصالحين صفرة الألوان من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاه من الصوم ، عليهم غبرة الخاشعين ، وقيل للحسن : ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوها ؟ فقال ، لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وكان عامر بن عبد القيس يقول : إلهى خلقتنى ولم تؤامرنى ، وتميتنى ولا تعلمنى ، وخلقت معى عدوا وجعلته يجرى منى مجرى الدم وجعلته يرانى ولا أراه ، ثم قلت لى : استمسك ، إلهى كيف أستمسك إن لم تمسكنى ؟ إلهى فى الدنيا الهموم والأحزان وفى الآخرة العقاب والحساب فأين الراحة والفرح ؟ وقال جعفر بن محمد : كان عتبة الغلام يقطع الليل بثلاث صيحات ، كان إذا صلى العتمة وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فإذا مضى ثلث الليل صاح صيحة ، ثم وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فإذا مضى الثلث الثانى صاح صيحة ، ثم وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فإذا كان السحر صاح صيحة ، قال جعفر بن محمد : فحدثت به بعض البصريين فقال . لا تنظر إلى صياحه ولكن انظر إلى ما كان فيه بين الصيحتين حتى صاح ! وعن القاسم بن راشد الشيبانى قال : كان زمعة نازلا عندنا بالمحصب ـ وكان له أهل وبنات ـ وكان يقوم فيصلى ليلا طويلا فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته : أيها الركب المعرسون أكل هذا الليل ترقدون ! أفلا تقومون فترحلون ؟ فيتواثبون فيسمع من ههنا باك ومن ههنا داع ومن ههنا قارئ ومن ههنا متوضئ ، فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته : عند الصباح يحمد القوم السرى . وقال بعض الحكماء : إنّ لله عبادا أنعم عليهم فعرفوه ، وشرح صدورهم فأطاعوه ، وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والأمر إليه فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة ، فهم بين الخلق مقبلون ومدبرون ، وقلوبهم تجول فى الملكوت وتلوذ بمحجوب الغيوم ، ثم ترجع ومعها طوائف من لطائف الفوائد وما لا يمكن واصفا أن يصفه فهم فى باطن أمورهم كالديباج حسنا وهم الظاهر مناديل ، مبذولون لمن أرادهم تواضعا . وهذه طريقة لا يلغ إليها بالتكلف وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء . وقال بعض الصالحين : بينما أنا أسير فى بعض جبال بيت المقدس إذ هبطت إلى واد هناك ، فإذا أنا بصوت قد علا وإذا تلك الجبال تجيبه لها دوى عال فاتبعت الصوت فإذا أنا بروضة عليها شجر ملتف ، وإذا أنا برجل قائم فيها يردد هذه الآية ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ﴾ إلى قوله ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ قال فجلست خلفه أسمع كلامه وهو يردد هذه الآية إذ صاح صيحة خرّ مغشيا عليه ؛ فقلت : وا أسفاه هذا لشقائى . ثم انتظرت إفاقته فأفاق بعد ساعة فسمعته وهو يقول : أعوذ بك من مقام الكذابين أعوذ بك من أعمال البطالين أعوذ بك من إعراض الغافلين . ثم قال : لك خشعت قلوب الخائفين وإليك

فزعت آمال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ، ثم نفض يده فقال مالى وللدنيا وماللدنيا ومالى ؟ عليك يادنيا بأبناء جنسك وألاف نعيمك ! إلى محبيك فاذهبي ! وإياهم فاخدعى ! ثم قال : أين القرون الماضية وأهل الدهور السالفة ، فى التراب يبلون ، وعلى الزمان يفنون ، فناديته : ياعبد الله أنا منذ اليوم خلفك أنتظر فراغك ! فقال : وكيف يفرغ من يبادر الأوقات وتبادره يخاف سبقها بالموت إلى نفسه ؟ أم كيف يفرغ من ذهبت أيامه ؟ وبقيت آثامه ؟ ثم قال : أنت لها ولكل شدة أتوقع نزولها ، ثم لها عنى ساعة وقرأ ﴿ وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ﴾ ثم صاح صيحة أخرى أشد من الأولى وخر مغشيا عليه ! فقلت : قد خرجت روحه فدنوت منه فإذا هو يضطرب ، ثم افاق وهو يقول : من أنا ، ماخطرى ؟ هب لى إساءتى من فضلك ! وجللنى بسترك واعف عن ذنوبى بكرم وجهك إذا وقفت بين يديك ! فقلت له : بالذى ترجوه لنفسك ! وتثق به إلا كلمتنى ! فقال : عليك بكلام من ينفعك كلامه ، ودع كلام من أو بقته ذنوبه ، إنى لفى هذا الموضع مذ شاء الله أجاهد إبليس ويجاهدنى فلم يجد عونا على ليخرجنى مما أنا فيه غيرك ؟ فإليك عنى ياخدوع فقد عطلت على لسانى وميلت إلى حديثك شعبة من قلبى ! وأنا أعوذ بالله من شرك ، ثم أرجو أن يعيذنى من سخطه ويتفضل على برحمته . قال : فقلت هذا ولى الله أخاف أن أشغله فأعاقب فى موضعى هذا ! فانصرفت وتركته . وقال بعض الصالحين : بينما أنا أسير فى مسير لى إذ ملت إلى شجرة لأستريح تحتها ، فإذا أنا بشيخ قد أشرف على فقال لى : ياهذا قم فإن الموت لم يمت ، ثم هام على وجه فاتبعته فسمعته وهو يقول ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ اللهم بارك لى فى الموت ، فقلت : وفيما بعد الموت ، فقال : من أيقن بما بعد الموت شمر مئزر الحذر ولم يكن له فى الدنيا مستقر ، ثم قال : يامن لوجهه عنت الوجوه بيض وجهى بالنظر إليك واملأ قلبى من المحبة لك وأجرنى من ذلك التوبيخ غدا عندك فقد آن لى الحياء منك وحان لى الرجوع عن الإعراض عنك ، ثم قال : لولا حلمك لم يسعنى أجلى ولولا عفوك لم ينبسط فيما عندك أملى ، ثم مضى وتركنى . وقد أنشدوا فى هذا المعنى :

نحيل الجسم مكتئب الفؤاد ... تراه بقمة أو بطن وادى
ينوح على معاص فاضحات ... يكدر ثقلها صفو الرقاد
فإن هاجت مخاوفه وزادت ... فدعوته : أغثنى ياعمادى
فأنت بما ألاقيه عليم ... كثير الصفح عن زلل العباد

وقيل أيضا :

ألذ من التلذذ بالغوانى ... إذا أقبلن فى حال حسان
منيب فر من أهل ومال ... يسيح إلى مكان من مكان
ليخمل ذكره ويعيش فردا ... ويظهر فى العبادة بالأمانى
تلذذه التلاوة أين ولى ... وذكر بالفؤاد وباللسان
وعند الموت يأتيه بشير ... يبشر بالنجاة من الهوان
فيدرك ما أراد وما تمنى ... من الراحات فى غرف الجنان

وكان كرز بن وبرة يختم القرآن فى كل يوم ثلاث مرات ويجاهد نفسه فى العبادات غاية المجاهدة فقيل له : قد أجهدت نفسك ! فقال : كم عمر الدنيا ؟ فقيل سبعة آلاف سنة ، فقال : كم مقدار يوم القيامة ؟ فقيل : خمسون ألف سنة ، فقال : كيف يعجز أحدكم أن يعمل سبع يوم حتى يأمن ذلك اليوم ؟ يعنى أنك لو عشت عمر الدنيا واجتهدت

سبعة آلاف سنة وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين ألف سنة لكان ربحك كثيرا وكنت بالرغبة فيه جديرا ، فكيف وعمرك قصير والآخرة لاغاية لها ؟ فهكذا كانت سيرة السلف الصالحين فى مرابطة النفس ومراقبتها . فمهما تمردت نفسك عليك وامتنعت من المواظبة على العبادة فطالع أحوال هؤلاء فإنه قد عز الآن وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم فهو أنجع فى القلب وأبعث على الاقتداء فليس الخبر كالمعاينة ، وإذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع أحوال هؤلاء ، فإن لم تكن إبل فمعزى ، وخير نفسك بين الاقتداء بهم والكون فى زمرتهم وغمارهم وهم العقلاء والحكماء وذوو البصائر فى الدين وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من أهل عصرك ، ولا ترض لها أن تنخرط فى سلك الحمق وتقنع بالتشبه بالأغبياء وتؤثر مخالفة العقلاء .

فإن حدثتك نفسك بأن هؤلاء رجال أقوياء لايطاق الاقتداء بهم فطالع أحوال النساء المجتهدات وقل لها : يانفس لاتستنكفى أن تكونى أقل من امرأة فأخسس برجل يقصر عن امرأة فى أمر دينها ودنياها ! ولنذكر الآن نبذة من أحوال المجتهدات ؛ فقد روى عن حبيبة العدوية أنها كانت إذا صلت العتمة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت : إلهى قد غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامى بين يديك ، ثم تقبل على صلاتها فإذا طلع الفجر قالت : إلهى هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعرى أقبلت منى ليلتى فأهنا أم رددتها على فأعزى ؟ وعزتك لهذا دأبى ودأبك ماأبقيتنى ، وعزتك لو انتهرتنى عن بابك ما برحت لماوقع فى نفسى من جودك وكرمك . ويروى عن عجزة أنها كانت تحيى الليل وكانت مكفوفة البصر فإذا كان فى السحر نادت بصوت لها محزون : إليك قطع العابدون دجى الليالى يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك فبك يا إلهى أسألك لا بغيرك أن تجعلنى فى أول زمرة السابقين وأن ترفعنى لديك فى عليين فى درجة المقربين وأن تلحقنى بعبادك الصالحين فأنت أرحم الرحماء وأعظم العظماء وأكرم الكرماء يا كريم ، ثم تخر ساجدة فيسمع لها وجبة ثم لاتزال تدعو وتبكى إلى الفجر . وقال يحيى بن بسطام : كنت أشهد مجلس شعوانة فكنت أرى ماتصنع من النياحة والبكاء ، فقلت لصاحب لى : لو أتيناها إذا خلت فأمرناها بالرفق بنفسها ؟ فقال : أنت وذاك ، قال فأتيناها فقلت لها : لو رفقت بنفسك وأقصرت عن هذا البكاء شيئا فكان لك أقوى على ماتريدين ؟ قال فبكت ثم قالت والله لوددت أنى أبكى حتى تنفد دموعى ثم أبكى دما حتى لاتبقى قطرة من دم فى جارحة من جوارحى وأنى لى بالبكاء وأنى لى بالبكاء . فلم تزل تردد « وأنى لى بالبكاء » حتى غشى عليها . وقال محمد بن معاذ حدثتنى امرأة من المتعبدات قالت رأيت فى منامى كأنى أدخلت الجنة فإذا أهل الجنة قيام على أبوابهم ، فقلت ما شأن أهل الجنة قيام ؟ فقال لى قائل خرجوا ينظرون إلى هذه المرأة التى زخرفت الجنان لقدومها ! فقلت ومن هذه المرأة ؟ فقيل أمة سوداء من أهل الأيكة يقال لها شعوانة . قالت فقلت أختى والله ، قالت فبينما أنا كذلك إذ أقبل بها على نجيبة تطير بها فى الهواء فلما رأيتها ناديت ؛ يا أختى أما ترين مكانى من مكانك فلو دعوت لى مولاك فألحقنى بك ؟ قالت فتبسمت إلى وقالت لم يأن لقدومك ولكن احفظى عنى اثنتين ألزمى الحزن قلبك وقدمى محبة الله على هواك ولايضرك متى مت . وقال عبد الله بن الحسن كانت لى جارية رومية وكنت بها معجبا فكانت فى بعض الليالى نائمة إلى جنبى فانتبهت فالتمستها فلم أجدها ، فقمت أطلبها فإذا هى ساجدة وهى تقول بحبك لى إلا ماغفرت لى ذنوبى ، فقلت لها لا تقولى بحبك لى ولكن قولى بحبى لك ، فقالت : يامولاى بحبه لى أخرجنى من الشرك إلى الإسلام وبحبه لى أيقظ عينى وكثير من خلقه نيام . وقال أبو هاشم القرشى : قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها سرية فنزلت فى بعض

ديارنا ، قال : فكنت أسمع لها من الليل أنينا وشهيقا ، فقلت يوما لخادم لى : أشرف على هذه المرأة ، ماذا تصنع قال : فأشرف عليها فما رآها تصنع شيئا غير أنها لا ترد طرفها عن السماء وهى مستقبلة القبلة تقول : خلقت سرية ثم غذيتها بنعمتك من حال إلى حال ، وكل أحوالك لها حسنة وكل بلائك عندها جميل ، وهى مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلتة بعد فلتة أتراها تظن أنك لا ترى فعالها وأنت عليم خبير وأنت على كل شىء قدير وقال ذو النون المصرى : خرجت ليلة من وادى كنعان فلما علوت الوادى إذا سواد مقبل على وهو يقول : ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ ويبكى فلما قرب منى السواد إذا هى امرأة عليها جبة صوف وبيدها ركوة ، فقالت لى : من أنت ؟ غير فزعة منى ، فقلت : رجل غريب ، فقالت : ياهذا وهل يوجد مع الله غربة ؟ قال : فبكيت لقولها فقالت : ما الذى أبكاك ؟ فقلت : قد وقع الدواء على داء قد قرح فأسرع فى نجاحه ، قالت : فإن كنت صادقا فلم بكيت ؟ قلت يرحمك الله والصادق لا يبكى ؟ قالت لا ، قلت ولم ذاك ؟ قالت لأن البكاء راحة القلب ، فسكت متعجبا من قولها . وقال أحمد بن على استأذنا على عفيرة فحجبتنا فلازمنا الباب ، فلما علمت ذلك قامت لتفتح الباب لنا فسمعتها وهى تقول اللهم إنى أعوذ بك ممن جاء يشغلنى عن ذكرك ، ثم فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا لها يا أمة الله ادعى لنا ، فقالت جعل الله قراءكم فى بيتى المغفرة ، ثم قالت لنا مكث عطاء السلمى أربعين سنة فكان لا ينظر إلى السماء ، فحانت منه نظرة فخر مغشيا عليه فأصابه فتق فى بطنه ، فياليت عفيرة إذا رفعت رأسها لم تعص ! وياليتها إذا عصت لم تعد ! وقال بعض الصالحين خرجت يوما إلى السوق ومعى جارية حبشية فاحتبستها فى موضع بناحية السوق وذهبت فى بعض حوائجى وقلت لا تبرحى حتى أنصرف إليك ، قال فانصرفت فلم أجدها فى الموضع ، فانصرفت إلى منزلى وأنا شديد الغضب عليها ، فلما رأتنى عرفت الغضب فى وجهى فقالت يامولاى لا تعجل على إنك أجلستنى فى موضع لم أرفيه ذاكرا لله تعالى فخفت أن يخسف بذلك الموضع ! فعجبت لقولها وقلت لها أنت حرة . فقالت ساء ما صنعت كنت أخدمك فيكون لى أجران ، وأما الآن فقد ذهب عنى أحدهما . وقال ابن العلاء السعدى كانت لى ابنة عم يقال لها بريرة ، تعبدت وكانت كثيرة القراءة فى المصحف ، فكلما أتت على آية فيها ذكر النار بكت ، فلم تزل تبكى حتى ذهبت عيناها من البكاء فقال بنو عمها انطلقوا بنا إلى هذه المرأة حتى نعذلها فى كثرة البكاء قال فدخلنا عليها فقلنا يابريرة كيف أصبحت ! قالت أصبحنا أضيافا منيخين بأرض غربة ننتظر متى ندعى فنجيب ، فقلنا لها ماهذا البكاء قد ذهبت عيناك منه ؟ فقالت إن يكن لعينى عند الله خير فما يضرهما ما ذهب منهما فى الدنيا ، وإن كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكاء أطول من هذا ؟ ثم أعرضت . قال فقال القوم قوموا بنا فهى والله فى شىء غير مانحن فيه وكانت معاذة العدوية إذا جاء النهار تقول هذا يومى الذى أموت فيه فما تطعم حتى تمسى ، فإذا جاء الليل تقول هذه الليلة التى أموت فيها فتصلى حتى تصبح : وقال أبو سليمان الدارانى بت ليلة عند رابعة فقامت إلى محراب لها وقمت أنا إلى ناحية من البيت ، فلم تزل قائمة إلى السحر فلما كان السحر قلت ما جزاء من قوانا على قيام هذه الليلة ؟ قالت جزاؤه أن تصوم له غدا . وكانت شعوانة تقول فى دعائها إلهى ما أشوقنى إلى لقائك وأعظم رجائى لجزائك وأنت الكريم الذى لا يخيب لديك أمل الآملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين ، إلهى إن كان دنا أجلى ولم يقربنى منك عمل فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عللى ؛ فإن عفوت فمن أولى منك بذلك وإن عذبت فمن أعدل منك هنالك ، إلهى قد جرت على نفسى فى النظر لها وبقى لها حسن نظرك فالويل لها إن لم تسعدها ، إلهى إنك لم تزل بى برا أيام حياتى فلا تقطع عنى برك بعد مماتى

ولقد رجوت ممن تولاني في حياتي بإحسانه أن يسعفني عند مماتي بغفرانه ، إلهي كيف أيأس من حسن نظرك بعد مماتي ولم تولني إلا الجميل في حياتي ، إلهي إن كانت ذنوبي قد أخافتني فإن محبتي لك قد أجارتني فتول من أمري ما أنت أهله وعد بفضلك على من غره جهله ، إلهي لو أردت إهانتي لما هديتني ولو أردت فضيحتي لم تسترني فمتعني بما له هديتني وأدم لي ما به سترتني ، إلهي ما أظنك تردني في حاجة أفنيت فيها عمري ، إلهي لولا ما قارفت من الذنوب ما خفت عقابك ، ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك ، وقال الخواص : دخلنا على رحلة العابدة ، وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عميت وصلت حتى أقعدت ـ وكانت تصلي قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرناها شيئاً من العفو ليهون عليها الأمر ، قال : فشهقت ثم قالت : علمي بنفسي قرح فؤادي وكلم كبدي والله لوددت أن الله لم يخلقني ولم أك شيئاً مذكورا ، ثم أقبلت على صلاتها .

فعليك إن كنت من المرابطين المراقبين لنفسك أن تطالع أحوال الرجال والنساء من المجتهدين لينبعث نشاطك ويزيد حرصك ، وإياك أن تنظر إلى أهل عصرك فإنك إن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله . وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيما ذكرناه كفاية للمعتبر . وإن أردت مزيداً فعليك بالمواظبة على مطالعة كتاب « حلية الأولياء » فهو مشتمل على شرح أحوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبالوقوف عليه يستبين لك بعدك وبعد أهل عصرك من أهل الدين . فإن حدثتك نفسك بالنظر إلى أهل زمانك وقالت : إنما تيسر الخير في ذلك الزمان لكثرة الأعوان والآن فإن خالفت أهل زمانك رأوك مجنونا وسخروا بك فوافقهم فيما هم فيه وعليه ؛ فلا يجري عليك إلا ما يجري عليهم والمصيبة إذا عمت طابت ـ فإياك أن تنخدع بتزويرها ، وقل لها : أرأيت لو هجم سيل جارف يغرق أهل البلد وثبتوا على مواضعهم ولم يأخذوا حذرهم لجهلهم بحقيقة الحال : وقدرت أنت على أن تفارقيهم وتركبي في سفينة تتخلصين بها من الغرق فهل يختلج في نفسك : أن المصيبة إذا عمت طابت ؟ أم تتركين موافقتهم وتستجهلينهم في صنيعهم وتأخذين حذرك مما دهاك ، فإذا كنت تتركين موافقتهم خوفا من الغرق وعذاب الغرق لا يتمادى إلا ساعة فكيف لا تهربين من عذاب الأبد وأنت متعرضة له في كل حال ؟ ومن أين تطيب المصيبة إذا عمت ولأهل النار شغل شاغل عن الالتفات إلى العموم والخصوص ؟ ولم يهلك الكفار إلا بموافقة أهل زمانهم حيث قالوا ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ فعليك إذا اشتغلت بمعاتبة نفسك وحملها على الاجتهاد فاستعصت أن لا تترك معاتبتها وتوبيخها وتعريفها سوء نظرها لنفسها فعساها تنزجر عن طغيانها .

المرابطة السادسة : في توبيخ النفس ومعاتبتها

اعلم أن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ، وقد خلقت أمارة بالسوء ميالة إلى الشر فرارة من الخير ، وأمرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها ، فإن أهملتها جمحت وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك ، وإن لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي أقسم الله بها ورجوت أن تصير النفس المطمئنة المدعوة إلى أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية ، فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغل أولا بوعظ نفسك أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس إلا فاستحي مني ، وقال تعالى ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ وسبيلك أن تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وغباوتها وأنها أبدا تتعزز بفطنتها وهدايتها ، ويشتد أنفها واستنكافها إذا نسبت إلى الحمق فتقول لها : يا نفس ما أعظم جهلك تدعين الحكمة

والذكاء والفطنة وأنت أشدّ الناس غباوة وحمقا ! أما تعرفين مابين يديك من الجنة والنار وأنك صائرة إلى إحداهما على القرب ؟ فمالك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وأنت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين أو غدا ، فأراك ترين الموت بعيدا ويراه الله قريباً ؟ أما تعلمين أن كل ما هو آت قريب وأن البعيد ماليس بآت ؟ أما تعلمين أن الموت يأتى بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطأة وأنه لايأتى فى شىء دون شىء ولا فى شتاء دون صيف ولا فى صيف دون شتاء ولا فى نهار دون ليل ولا فى ليل دون نهار ولا يأتى فى الصبا دون الشباب ولا فى الشباب دون الصبا بل كل نفس من الأنفاس يمكن أن يكون فيه الموت فجأة فإن لم يكن الموت فجأة فيكون المرض فجأة ثم يفضى إلى الموت فمالك لا تستعدين للموت وهو أقرب إليك من كل قريب ؟ أما تتدبرين قوله تعالى ﴿ اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ﴾ ويحك يانفس إن كانت جراءتك على معصية الله لاعتقادك أن الله لايراك فما أعظم كفرك وإن كان مع علمك باطلاعه عليك فما أشدّ وقاحتك وأقل حياءك ، ويحك يانفس لو واجهك عبد من عبيدك بل أخ من إخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك عليه ومقتك له فبأى جسارة تتعرضين لمقت الله وغضبه وشديد عقابه أفتظنين أنك تطيقين عذابه ؟ هيهات هيهات ! جرّبى نفسك ! إن ألهاك البطر عن ألم عذابه فاحتبسى ساعة فى الشمس أو فى بيت الحمام أو قربى أصبعك من النار ليتبين قدر طاقتك ؟ أم تغترين بكرم الله وفضله واستغنائه عن طاعتك وعبادتك فمالك لا تعولين على كرم الله تعالى فى مهمات دنياك ، فإذا قصدك عدو فلم تستنبطين الحيل فى دفعه ولا تكلينه إلى كرم الله تعالى ، وإذا أرهقتك حاجة إلى شهوة من شهوات الدنيا مما لا ينقضى إلا بالدينار والدرهم فمالك تنزعين الروح فى طلبها وتحصيلها من وجوه الحيل فلا تعولين على كرم الله تعالى حتى يعثر بك على كنز أو يسخر عبداً من عبيده فيحمل إليك حاجتك من غير سعى منك ولا طلب ؟ أفتحسبين أن الله كريم فى الآخرة دون الدنيا ! وقد عرفت أن سنة الله لا تبديل لها وأن رب الآخرة والدنيا واحد وأن ليس للإنسان إلا ماسعى . ويحك يا نفس ما أعجب نفاقك ودواعيك الباطلة فإنك تدعين الإيمان بلسانك وأثر النفاق ظاهر عليك ألم يقل لك سيدك ومولاك ﴿ وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ﴾ وقال فى أمر الآخرة ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ماسعى ﴾ فقد تكفل لك بأمر الدنيا خاصة وصرفك عن السعى فيها فكذبته بأفعالك وأصبحت تتكالبين على طلبها تكالب المدهوش المستهتر ، ووكل أمر الآخرة إلى سعيك فأعرضت عنها إعراض المغرور المستحقر ! ما هذا من علامات الإيمان ؟ لو كان الإيمان باللسان فلم كان المنافقون فى الدرك الأسفل من النار ؟ ويحك يانفس كأنك لاتؤمنين بيوم الحساب وتظنين أنك إذا مت انفلت وتخلصت وهيهات ! أتحسبين أنك تتركين سدى ! ألم تكونى نطفة من منى يمنى ثم كنت علقة فخلق فسوى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ؟ فإن كان هذا من إضمارك فما أكفرك وأجهلك ! أما تتفكرين أنه مما ذا خلقك ؛ من نطفة خلقك فقدّرك ثم السبيل يسرك ثم أماتك فأقبرك أفتكذبينه فى قوله . ثم إذا شاء أنشرك ؟ فإن لم تكونى مكذبة فمالك لاتأخذين حذرك ولو أن يهوديا أخبرك فى ألذ أطعمتك بأنه يضرك فى مرضك لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه ، أفكان قول الأنبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله تعالى فى كتبه المنزلة أقل عندك تأثيرا من قول يهودى يخبرك عن حدس وتخمين وظن مع نقصان عقل وقصور علم ؟ والعجب أنه لو أخبرك طفل بأن فى ثوبك عقربا لرميت ثوبك فى الحال من غير مطالبة له بدليل وبرهان ! أفكان قول الأنبياء والعلماء والحكماء وكافة

الأولياء أقل عندك من قول صبي من جملة الأغبياء ! أم صار حر جهنم وأغلالها وأنكالها وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها وأفاعيها وعقاربها أحقر عندك من عقرب لا تحسين بألمها إلا يوماً أو أقل منه ! ما هذه أفعال العقلاء ! بل لو انكشف للبهائم حالك لضحكوا منك وسخروا من عقلك . فإن كنت يا نفس قد عرفت جميع ذلك وآمنت به فما لك تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد ولعله يختطفك من غير مهلة فبماذا أمنت استعجال الأجل ؟ وهبك أنك وعدت بالإمهال مائة سنة أفتظنين أن من يطعم الدابة فى حضيض العقبة يفلح ويقدر على قطع العقبة بها؟ إن ظننت ذلك فما أعظم جهلك أرأيت لو سافر رجل ليتفقه فى الغربة فأقام فيها سنين متعطلا بطالا يعد نفسه بالتفقه فى السنة الأخيرة عند رجوعه إلى وطنه هل كنت تضحكين من عقله وظنه أن تفقيه النفس مما يطمع فيه بمدة قريبة أو حسبانه أن مناصب الفقهاء تنال من غير تفقه اعتماداً على كرم الله سبحانه وتعالى ! ثم هي أن الجهد فى آخر العمر نافع وأنه موصل إلى الدرجات العلا فلعل اليوم آخر عمرك فلم تشتغلين فيه بذلك ؟ فإن أوحى إليك بالإمهال فما المانع من المبادرة وما الباعث لك على التسويف هل له سبب إلا عجزك عن مخالفة شهواتك لما فيها من التعب والمشقة ؟ أفتنتظرين يوماً يأتيك لا تعسر فيه مخالفة الشهوات ؟ هذا يوم لم يخلقه الله قط ولا يخلقه ؛ فلا تكون الجنة قط إلا محفوفة بالمكاره ولا تكون المكاره قط خفيفة على النفوس ، وهذا محال وجوده ، أما تتأملين مذ كم تعدين نفسك وتقولين : غدا غدا ؛ فقد جاء الغد وصار يوما فكيف وجدته ؟ أما علمت أن الغد الذى جاء وصار يوما كان له حكم الأمس لا بل الذى تعجزين عنه اليوم فأنت غدا عنه أعجز وأعجز ؛ لأن الشهوة كالشجرة الراسخة التى تعبد العبد بقلعها . فإذا عجز العبد عن قلعها للضعف وأخرها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوى فأخرها إلى سنة أخرى ، مع العلم بأن طول المدة يزيد الشجرة قوة ورسوخا ويزيد القالع ضعفا ووهنا ، فما لا يقدر عليه فى الشباب لا يقدر عليه قط فى المشيب ، بل من العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب . والقضيب الرطب يقبل الانحناء فإذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك ، فإذا كنت أيتها النفس لا تفهمين هذه الأمور الجلية وتركنين إلى التسويف فما بالك تدعين الحكمة وأية حماقة تزيد على هذه الحماقة ؟ .

ولعلك تقولين ما يمنعنى عن الاستقامة إلا حرصى على لذة الشهوات وقلة صبرى على الآلام والمشقات فما أشد غباوتك وأقبح اعتذارك ! إن كنت صادقة فى ذلك فاطلبى التنعم بالشهوات الصافية عن الكدورات الدائمة أبد الآباد ولا مطمع فى ذلك إلا فى الجنة ، فإن كنت ناظرة لشهوتك فالنظر لها فى مخالفتها فرب أكلة تمنع أكلات . وما قولك فى عقل مريض أشار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة أيام ليصح ويهنأ بشربة طول عمره ، وأخبره أنه إن شرب ذلك مرض مرضا مزمنا وامتنع عليه شربه طول العمر ، فما مقتضى العقل فى قضاء حق الشهوة ؟ أيصبر ثلاثة أيام ليتنعم طول العمر أم يقضى شهوته فى الحال خوفا من ألم المخالفة ثلاثة أيام ؛ حتى يلزمه ألم المخالفة ثلثمائة يوم وثلاثة آلاف يوم ؟ وجميع عمرك بالإضافة إلى الأبد الذى هو مدة نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أقل من ثلاثة أيام بالإضافة إلى جميع العمر وإن طالت مدته . وليت شعرى ألم الصبر عن الشهوات أعظم شدة وأطول مدة أو ألم النار فى دركات جهنم فمن لا يطيق الصبر على ألم المجاهدة كيف يطيق ألم عذاب الله ؟ ما أراك تتوانين عن النظر لنفسك إلا لكفر خفى أو لحمق جلى . أما الكفر الخفى : فهو ضعف إيمانك بيوم الحساب وقلة معرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب . وأما الحمق الجلى : فاعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه من غير التفات إلى مكره واستدراجه واستغنائه عن عبادتك - مع أنك لا تعتمدين على كرمه فى لقمة من الخبز أو حبة من المال أو كلمة واحدة تسمعينها

من الخلق ، بل تتوصلين إلى غرضك فى ذلك بجميع الحيل ـ وبهذا الجهل تستحقين لقب الحماقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » .

ويحك يانفس لا ينبغى أن تغرك الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور فانظرى لنفسك فما أمرك بمهم لغيرك ولا تضيعى أوقاتك فالأنفاس معدودة ؛ فإذا مضى منك نفس فقد ذهب بعضك ، فاغتنمى الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر والشباب قبل الهرم والحياة قبل الموت واستعدى للآخرة على قدر بقائك فيها ، يانفس أما تستعدين للشتاء بقدر طول مدته ؛ فتجمعين له القوت والكسوة والحطب وجميع الأسباب ، ولا تتكلين فى ذلك على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولبد وحطب وغير ذلك فإنه قادر على ذلك ، أفتظنين أيتها النفس أن زمهرير جهنم أخف بردا وأقصر مدة من زمهرير الشتاء أم تظنين أن ذلك دون هذا ؟ كلا أن يكون هذا كذلك أو أن يكون بينهما مناسبة فى الشدة والبرودة ؟ أفتظنين أن العبد ينجو منها بغير سعى هيهات ! كما لا يندفع برد الشتاء إلا بالجبة والنار وسائر الأسباب فلا يندفع حر النار وبردها إلا بحصن التوحيد وخندق الطاعات ، وإنما كرم الله تعالى فى أن عرفك طريق التحصن ويسر لك أسبابه لا فى أن يندفع عنك العذاب دون حصنه ، كما أن كرم الله تعالى فى دفع برد الشتاء أن خلق النار وهداك لطريق استخراجها من بين حديدة وحجر حتى تدفعى بها برد الشتاء عن نفسك ، وكما أن شراء الحطب والجبة مما يستغنى عنه خالقك ومولاك وإنما تشترينه لنفسك إذ خلقه سببا لاستراحتك فطاعاتك ومجاهداتك أيضا هو مستغن عنها وإنما هى طريقك إلى نجاتك فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها والله غنى عن العالمين . ويحك يانفس انزعى عن جهلك وقيسى آخرتك بدنياك ﴿ فما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ﴾ و ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾ و ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ وسنة الله تعالى لا تجدين لها تبديلا ولا تحويلا ويحك يا نفس ما أراك إلا ألفت الدنيا وأنست بها فعسر عليك مفارقتها وأنت مقبلة على مقاربتها وتؤكدين فى نفسك مودتها ، فاحسبى أنك غافلة عن عقاب الله وثوابه وعن أهوال القيامة وأحوالها فما أنت مؤمنة بالموت المفرق بينك وبين محابك ، أفترين أن من يدخل دار ملك ليخرج من الجانب الآخر فمد بصره إلى وجه مليح يعلم أنه يستغرق ذلك قلبه ثم يضطر لامحالة إلى مفارقته أهو معدود من العقلاء أم من الحمق ؟ أما تعلمين أن الدنيا دار لملك الملوك ومالك فيها إلا مجاز وكل ما فيها لا يصحب المجتازين بها بعد الموت ، ولذلك قال سيد البشر صلى الله عليه وسلم « إن روح القدس نفث فى روعى أحبب من أحببت فإنك مفارقه واعمل ماشئت فإنك مجزى به وعش ماشئت فإنك ميت [1] » . ويحك يانفس أتعلمين أن كل من يلتفت إلى ملاذ الدنيا ويأنس بها مع أن الموت من ورائه فإنما يستكثر من الحسرة عند المفارقة وإنما يتزود من السم المهلك وهو لا يدرى ؟ أو ما تنظرين إلى الذين مضوا كيف بنوا وعلوا ثم ذهبوا وخلوا وكيف أورث الله أرضهم وديارهم أعداءهم أما ترينهم كيف يجمعون مالا يأكلون ويبنون ما لا يسكنون ويؤملون ما لا يدركون : يبنى كل واحد قصرا مرفوعا إلى جهة السماء ومقره قبر محفور تحت الأرض فهل فى الدنيا حمق وانتكاس أعظم من هذا ؟ يعمر الواحد دنياه وهو مرتحل عنها يقينا ويخرب آخرته وهو صائر إليها قطعا . أما تستحيين يانفس من مساعدة هؤلاء الحمق على حماقتهم ، واحسبى أنك لست ذات بصيرة تهتدى إلى هذه الأمور وإنما تميلين بالطبع إلى التشبه والاقتداء فقيسى عقل الأنبياء والعلماء

(١) حديث « إن روح القدس نفث فى روعى أحبب من من أحببت فإنك مفارقه ... الحديث » تقدم فى العلم وغيره .

والحكماء بعقل هؤلاء المنكبين على الدنيا واقتدى من الفريقين بمن هو أعقل عندك إن كنت تعتقدين فى نفسك العقل والذكاء . يانفس ما أعجب أمرك وأشد جهلك وأظهر طغيانك ، عجبا لك كيف تعمين عن هذه الأمور الواضحة الجليلة ! ولعلك يانفس أسكرك حب الجاه وأدهشك عن فهمها ، أو ما تتفكرين أن الجاه لامعنى له إلا ميل القلوب من بعض الناس إليك ، فاحسبي أن كل من على وجه الأرض سجد لك وأطاعك . أفما تعرفين أنه بعد خمسين سنة لا تبقين أنت ولا أحد ممن على وجه الأرض ممن عبدك وسجد لك ، وسيأتى زمان لا يبقى ذكرك ولا ذكر من ذكرك كما أتى على الملوك الذين كانوا من قبلك فـ ﴿ هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ﴾ فكيف تبيعين يانفس مايبقى أبد الآباد بما لايبقى أكثر من خمسين سنة إن بقى ؟ هذا إن كنت ملكا من ملوك الأرض سلم لك الشرق والغرب حتى أذعنت لك الرقاب وانتظمت لك الأسباب كيف ويأبى إدبارك وشقاوتك أن يسلم لك أمر محلتك بل أمر دارك فضلا عن محلتك ؟ فإن كنت يانفس لا تتركين الدنيا رغبة فى الآخرة لجهلك وعمى بصيرتك فمالك لا تتركينها ترفعا عن خسة شركائها وتنزها عن كثرة عنائها وتوقيا من سرعة فنائها ؟ أم مالك لا تزهدين فى قليلها بعد أن زهد فيك كثيرها وما لك تفرحين بدنيا إن ساعدتك فلا تخلو بلدك من جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها ويزيدون عليك فى نعيمها وزينتها ، فأف لدنيا يسبقك بها هؤلاء الأخساء ! فما أجهلك وأخس همتك وأسقط رأيك إذ رغبت عن أن تكونى فى زمرة المقربين من النبيين والصديقين فى جوار رب العالمين أبد الآبدين لتكونى فى صف النعال من جملة الحمقى الجاهلين أياما قلائل فيا حسرة عليك إن خسرت الدنيا والدين ! فبادرى ويحك يا نفس فقد أشرفت على الهلاك واقترب الموت وورد النذير فمن ذا يصلى عنك بعد الموت ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ومن ذا يترضى عنك ربك بعد الموت . ويحك يا نفس مالك إلا أيام معدودة هى بضاعتك إن اتجرت فيها وقد ضيعت أكثرها ، فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيعت منها لكنت مقصرة فى حق نفسك فكيف إذا ضيعت البقية وأصررت على عادتك ؟ أما تعلمين يا نفس أن الموت موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك والدود أنيسك والفزع الأكبر بين يديك ؟ أما علمت يا نفس أن عسكر الموتى عندك على باب البلد ينتظرونك وقد آلوا على أنفسهم كلهم بالأيمان المغلظة أنهم لا يبرحون من مكانهم ما لم يأخذوك معهم ؟ أما تعلمين يا نفس أنهم يتمنون الرجعة إلى الدنيا يوما ليشتغلوا بتدارك ما فرط منهم وأنت فى أمنيتهم ويوم من عمرك لو بيع منهم بالدنيا بحذافيرها لاشتروه لو قدروا عليه وأنت تضيعين أيامك فى الغفلة والبطالة ؟ ويحك يا نفس أما تستحيين تزينين ظاهرك للخلق وتبارزين الله فى السر بالعظائم أفتستحيين من الخلق ولا تستحيين من الخالق ؟ ويحك أهو أهون الناظرين عليك أتأمرين الناس بالخير وأنت متلطخة بالرذائل تدعين إلى الله وأنت عنه فارة وتذكرين بالله وأنت له ناسية ؟ أما تعلمين يا نفس أن المذنب أنتن من العذرة وأن العذرة لا تطهر غيرها فلم تطمعين فى تطهير غيرك وأنت غير طيبة فى نفسك ؟ ويحك يا نفس لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت أن الناس ما يصيبهم بلاء إلا بشؤمك ! ويحك يا نفس قد جعلت نفسك حمارا لإبليس يقودك إلى حيث يريد ويسخر بك ، ومع هذا فتعجبين بعملك وفيه من الآفات ما لو نجوت منه رأسا برأس لكان الربح فى يديك ، وكيف تعجبين بعملك مع كثرة خطاياك وزللك وقد لعن الله إبليس بخطيئة واحدة بعد أن عبده مائتى ألف سنة ، وأخرج آدم من الجنة بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه ؟ ويحك يا نفس ما أغدرك ويحك يا نفس ما أوقحك ويحك يا نفس ما أجهلك وما أجرأك على المعاصى ! ويحك كم تعقدين فتنقضين ويحك كم تعهدين فتغدرين ويحك يا نفس أتشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك كأنك غير

مرتحلة عنها ؟ أما تنظرين إلى أهل القبور كيف كانوا جمعوا كثيرا وبنوا مشيدا وأملوا بعيدا فأصبح جمعهم بورا وبنيانهم قبورا وأملهم غرورا ؟ ويحك يا نفس أما لك بهم عبرة أما لك إليهم نظرة أتظنين أنهم دعوا إلى الآخرة وأنت من الخالدين ؟ هيهات هيهات ساء ما تتوهمين ! ما أنت إلا فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك فابنى على وجه الأرض قصرك فإن بطنها عن قليل يكون قبرك ! أما تخافين إذا بلغت النفس منك التراقى أن تبدو رسل ربك منحدرة إليك بسواد الألوان وكلح الوجوه وبشرى بالعذاب فهل ينفعك حينئذ الندم أو يقبل منك الحزن أو يرحم منك البكاء ؟ والعجب كل العجب منك يا نفس أنك مع هذا تدعين البصيرة والفطنة ومن فطنتك أنك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك ! وما نفع مال يزيد وعمر ينقص ؟ ويحك يا نفس تعرضين عن الآخرة وهى مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا وهى معرضة عنك ! فكم من مستقبل يوما لا يستكمله وكم من مؤمل لغد لا يبلغه فأنت تشاهدين ذلك فى إخوانك وأقاربك وجيرانك فترين تحسرهم عند الموت ثم لا ترجعين عن جهالتك ؟ فاحذرى أيتها النفس المسكينة يوما آلى الله فيه على نفسه أن لا يترك عبدا أمره فى الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله دقيقه وجليله سره وعلانيته فانظرى يانفس بأى بدن تقفين بين يدى الله وبأى لسان تجيبين وأعدى للسؤال جوابا وللجواب صوابا واعملى بقية عمرك فى أيام قصار لأيام طوال وفى دار زوال لدار مقامة وفى دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود ، اعملى قبل أن لا تعملى اخرجى من الدنيا اختيارا خروج الأحرار قبل أن تخرجى منها على الاضطرار ولا تفرحى بما يساعدك من زهرات الدنيا فرب مسرور مغبون ورب مغبون لايشعر ، فويل لمن له الويل ثم لا يشعر ، يضحك ويفرح ويلهو ويمرح ويأكل ويشرب وقد حق له فى كتاب الله أنه من وقود النار ، فليكن نظرك يا نفس إلى الدنيا اعتبارا وسعيك لها اضطرارا ورفضك لها اختيارا وطلبك للآخرة ابتدارا ، ولا تكونى ممن يعجز عن شكر ماأوتى ، ويبتغى الزيادة فيما بقى ، وينهى الناس ولا ينتهى ، واعلمى يانفس أنه ليس للدين عوض ولا للإيمان بدل ولا للجسد خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فإنه يسار به وإن لم يسر . فاتعظى يا نفس بهذه الموعظة واقبلى هذه النصيحة فإن من أعرض عن الموعظة فقد رضى بالنار وما أراك بها راضية ولا لهذه الموعظة واعية ، فإن كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة فاستعينى عليها بدوام التهجد والقيام ، فإن لم تزل فالمواظبة على الصيام ، فإن لم يزل فبقلة المخالطة والكلام ، فإن لم تزل فبصلة الأرحام واللطف بالأيتام ، فإن لم تزل فاعلمى أن الله قد طبع على قلبك وأقفل عليه ، وأنه قد تراكمت ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه ، فوطنى نفسك على النار فقد خلق الله الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا فكل ميسر لما خلق له ، فإن لم يبق فيك مجال للوعظ فاقنطى من نفسك ـ والقنوط كبيرة من الكبائر نعوذ بالله من ذلك ـ فلا سبيل لك إلى القنوط ولا سبيل لك إلى الرجاء مع انسداد طرق الخير عليك فإن ذلك اغترار وليس برجاء ، فانظرى الآن هل يأخذك حزن على هذه المصيبة التى ابتليت بها وهل تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك فإن سمحت ـ فستقى الدمع من بحر الرحمة ـ فقد بقى فيك موضع للرجاء فواظبى على النياحة والبكاء واستعينى بأرحم الراحمين واشتكى إلى أكرم الأكرمين وأدمنى الاستغاثة ولا تملى طول الشكاية لعله أن يرحم ضعفك ويغيثك ، فإن مصيبتك قد عظمت وبليتك قد تفاقمت وتماديك قد طال وقد انقطعت منك الحيل وراحت عنك العلل ، فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا ملجأ ولا منجا إلا إلى مولاك فافزعى إليه بالتضرع واخشعى فى تضرعك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك لأنه يرحم المتضرع الذليل ويغيث الطالب المتلهف ويجيب دعوة

المضطر ، وقد أصبحت إليه اليوم مضطرة وإلى رحمته محتاجة وقد ضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق وانقطعت منك الحيل ولم تنجع فيك العظات ولم يكسرك التوبيخ ، فالمطلوب منه كريم والمسئول جواد والمستغاث به بر رءوف والرحمة واسعة والكرم فائض والعفو شامل وقولى يا أرحم الراحمين يارحمن يارحيم ياحليم ياعظيم يا كريم أنا المذنب المصر أنا الجرىء الذى لا أقلع أنا المتمادى الذى لا أستحى هذا مقام المتضرع المسكين والبائس الفقير والضعيف الحقير والهالك الغريق فعجل إغاثتى وفرجى وأرنى آثار رحمتك وأذقنى برد عفوك ومغفرتك وارزقنى قوة عظمتك يا أرحم الراحمين . اقتداء بأبيك آدم عليه السلام ؛ فقد قال وهب بن منبه لما أهبط الله آدم من الجنة إلى الأرض مكث لا ترقأ له دمعة فاطلع الله عز وجل عليه فى اليوم السابع وهو محزون كئيب كظيم منكس رأسه فأوحى الله تعالى إليه : يا آدم ماهذا الجهد الذى أرى بك ؟ قال : يارب عظمت مصيبتى وأحاطت بى خطيئتى وأخرجت من ملكوت ربى فصرت فى دار الهوان بعد الكرامة وفى دار الشقاء بعد السعادة وفى دار النصب بعد الراحة وفى دار البلاء بعد العافية وفى دار الزوال بعد القرار وفى دار الموت والفناء بعد الخلود والبقاء فكيف لا أبكى على خطيئتى ؟ فأوحى الله تعالى إليه : يا آدم ألم أصطفك لنفسى وأحللتك دارى وخصصتك بكرامتى وحذرتك سخطى ، ألم أخلقك بيدى ونفخت فيك من روحى وأسجدت لك ملائكتى فعصيت أمرى ونسيت عهدى وتعرضت لسخطى فوعزتى وجلالى لو ملأت الأرض رجالا كلهم مثلك يعبدوننى ويسبحوننى ثم عصونى لأنزلتهم منازل العاصين . فبكى آدم عليه السلام عند ذلك ثلثمائة عام . وكان عبيدالله البجلى كثير البكاء يقول فى بكائه طول ليله : إلهى أنا الذى كلما طال عمرى زادت ذنوبى أنا الذى كلما هممت بترك خطيئة عرضت لى شهوة أخرى واعبيداه خطيئة لم تبل وصاحبها فى طلب أخرى واعبيداه إن كانت النار لك مقيلا ومأوى ! واعبيداه إن كانت المقامع لرأسك تهيأ ! واعبيداه قضيت حوائج الطالبين ولعل حاجتك لا تقضى . وقال منصور بن عمار : سمعت فى بعض الليالى بالكوفة عابدا يناجى ربه وهو يقول يارب وعزتك ما أرد بمعصيتك مخالفتك ولا عصيتك إذ عصيتك وأنا بمكانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا لنظرك مستخف ولكن سولت لى نفسى وأعانى على ذلك شقوتى وغرنى سترك المرخى على فعصيتك بجهلى وخالفتك بفعلى ؛ فمن عذابك الآن من يستنقذنى أو بحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عنى ؟ واسوأتاه من الوقوف بين يديك غدا إذا قيل للمخفين جوزوا وقيل للمثقلين حطوا أمع المخفين أجوز أم مع المثقلين أحط ؟ ويلى كلما كبرت سنى كثرت ذنوبى ويلى كلما طال عمرى كثرت معاصى فإلى متى أتوب وإلى متى أعود ؟ أما آن لى أن أستحيي من ربى ! .

فهذه طرق القوم فى مناجاة مولاهم وفى معاتبة نفوسهم وإنما مطلبهم من المناجاة الاسترضاء ومقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعاء فمن أهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعيا ويوشك أن لا يكون الله تعالى عنه راضيا والسلام تم كتاب المحاسبة والمراقبة . يتلوه كتاب التفكر إن شاء الله تعالى والحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه .

كتاب التفكر

وهو الكتاب التاسع من ربع المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى لم يقدّر لانتهاء عزته نحوا ولا قطرا ، ولم يجعل لمراقى أقدام الأوهام ومرمى سهام الأفهام إلى حمى عظمته مجرى ، بل ترك قلوب الطالبين فى بيداء كبريائه والهة حيرى، كلما اهتزت لنيل مطلوبها ردتها سبحات الجلال قسرا ، وإذا همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا صبرا ، ثم قيل لها أجيلى فى ذل العبودية منك فكرا لأنك لو تفكرت فى جلال الربوبية لم تقدرى له قدرا ، وإن طلبت وراء الفكر فى صفاتك أمرا فانظرى فى نعم الله تعالى وأياديه كيف توالت عليك تترى ، وجددى لكل نعمة منها ذكرا وشكرا، وتأملى فى بحار المقادير كيف فاضت على العالمين خيرا وشرا ، ونفعا وضرا ، وعسرا ويسرا ، وفوزا وخسرا ، وجبرا وكسرا ، وطيا ونشرا ، وإيمانا وكفرا ، وعرفانا ونكرا ، فإن جاوزت النظر فى الأفعال إلى النظر فى الذات فقد حاولت أمرا إمرا ، وخاطرت بنفسك مجاوزة حد طاقة البشر ظلما وجورا ، فقد انبهرت العقول دون مبادى إشراقه وانتكصت على أعقابها اضطرارا وقهرا ، والصلاة على محمد سيد ولد آدم وإن كان لم يعد سيادته فخرا ، صلاة تبقى لنا فى عرصات القيامة عدة وذخرا ، وعلى آله وأصحابه الذين أصبح كل واحد منهم فى سماء الدين بدرا ولطوائف المسلمين صدرا ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد : فقد وردت السنة بأن « تفكر ساعة خير من عبادة سنة [1] » ، وكثر الحث فى كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار ، ولا يخفى أنّ الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم ، وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته ، ولم يعلم أنه كيف يتفكر وفيماذا يتفكر ولماذا يتفكر وما الذى يطلب به أهو مراد لعينه أم لثمرة تستفاد منه ؟ فإن كان لثمرة فما تلك الثمرة أهى من العلوم أو من الأحوال أو منهما جميعا؟ وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر أولا فضيلة التفكر . ثم حقيقة التفكر وثمرته . ثم مجارى الفكر ومسارحه . إن شاء الله تعالى .

فضيلة التفكر

قد أمر الله تعالى بالتفكر والتدبر فى كتابه العزيز فى مواضع لا تحصى وأثنى على المتفكرين فقال تعالى ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا﴾ وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : إنّ قوما تفكروا فى الله عز وجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم « تفكروا فى

كتاب الفكر

(١) حديث « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » أخرجه ابن حبان فى كتاب العظمة من حديث أبى هريرة بلفظ ستين سنة بإسناد ضعيف ومن طريقه ابن الجوزى فى الموضوعات ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بلفظ « ثمانين سنة » وإسناده ضعيف جدا ورواه أبو الشيخ من قول ابن عباس بلفظ « خير من قيام ليلة » .

خلق الله ولاتتفكروا فى الله فإنكم لن تقدروا قدره [١] » وعن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال « مالكم لا تتكلمون ؟ » فقالوا : نتفكر فى خلق الله عز وجل قال « فكذلك فافعلوا ، تفكروا فى خلقه ولاتتفكروا فيه فإن بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها وبياضها نورها ، مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله طرفة عين » قالوا : يارسول الله فأين الشيطان منهم ؟ قال « مايدرون خلق الشيطان أم لا قالوا : من ولد آدم ؟ قال « لا يدرون خلق آدم أم لا [٢] » وعن عطاء قال : انطلقت يوما أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة رضى الله عنها فكلمتنا وبيننا وبينها حجاب فقالت : ياعبيد مايمنعك من زيارتنا ؟ قال : قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « زر غبا تزدد حبا » قال ابن عمير : فأخبرينا بأعجب شىء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فبكت وقالت كل أمره كان عجبا ، أتانى فى ليلتى حتى مس جلده جلدى ثم قال « ذرينى أتعبد لربى عز وجل » فقام إلى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلى فبكى حتى بل لحيته ، ثم سجد حتى بل الأرض ، ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح ، فقال يارسول الله مايبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال « ويحك يابلال ومايمنعنى أن أبكى وقد أنزل الله تعالى على فى هذه الليلة ﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ﴾ ثم قال « ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها [٣] » فقيل للأوزاعى ماغاية التفكر فيهن قال يقرؤهن ويعقلهن . وعن محمد بن واسع أن رجلا من أهل البصرة ركب إلى أم ذر - بعد موت أبى ذر - فسألها عن عبادة أبى ذر فقالت كان نهاره أجمع فى ناحية البيت يتفكر . وعن الحسن قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة . وعن الفضيل قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك . وقيل لإبراهيم إنك تطيل الفكرة ، فقال الفكرة مخ العقل ، وكان سفيان بن عيينة كثيرا مايتمثل بقول القائل :

إذا المرء كانت له فكرة ففى كل شىء له عبرة

وعن طاوس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم : ياروح الله هل على الأرض اليوم مثلك ؟ فقال نعم ، من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فإنه مثلى . وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ، ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ، ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو ، وفى قوله تعالى ﴿ سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ﴾ قال أمنع قلوبهم التفكر فى أمرى . وعن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعطوا أعينكم حظها من العبادة ، فقالوا يارسول الله وما حظها من العبادة ؟ قال « النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه [٤] » وعن امرأة كانت تسكن البادية قريبا من مكة أنها قالت لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها إلى ماقد ادخر لها فى حجب الغيب من خير الآخرة لم يصف لهم فى الدنيا عيش ولم تقر لهم فى الدنيا عين . وكان لقمان يطيل الجلوس وحده ، فكان يمر به مولاه فيقول يالقمان إنك تديم الجلوس وحدك فلو

---

(١) حديث ابن عباس : لن قوما تفكروا فى الله عزوجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم « تفكروا فى خلق الله ولاتتفكروا فى الله فإنكم لن تقدروا قدره » أخرجه أبو نعيم فى الحلية بالمرفوع منه بإسناد ضعيف ورواه الأصبهانى فى الترغيب والترهيب من وجه آخر أصح منه ، ورواه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر وقال هذا إسناد فيه نظر قلت فيه الوازع بن نافع متروك . (٢) حديث : خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال « مالكم لاتتكلمون » فقالوا : نتفكر فى خلق الله ... الحديث « رويناه فى جزء من حديث عبد الله بن سلام . (٣) حديث عطاء : انطلقت أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة الحديث ... » قال ابن عمير : فأخبرينا بأعجب شىء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث فى نزول ﴿ إن فى خلق السموات والأرض ﴾ وقال « ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها » تقدم فى الصبر والفكر وأتم فى صحيح ابن حبان من رواية عبد الملك بن أبى سليمان عن عطاء . (٤) حديث أبى سعيد الخدرى « أعطوا أعينكم حظها من العبادة ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا ومن طريقه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب العظمة بإسناد ضعيف .

جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان : إنّ طول الوحدة أفهم للفكر وطول الفكر دليل على طريق الجنة وقال وهب بن منبه : ما طالت فكرة امرئ قط إلا علم وما علم امرؤ قط إلا عمل . وقال عمر بن عبد العزيز : الفكرة فى نعم الله عز وجل من أفضل العبادة . وقال عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن على ورآه ساكتا متفكرا أين بلغت ! قال : الصراط . وقال بشر : لو تفكر الناس فى عظمة الله ما عصوا الله عز وجل . وعن ابن عباس : ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب . وبينا أبو شريح يمشى إذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكى فقيل له : مايبكيك ؟ قال : تفكرت فى ذهاب عمرى وقلة عملى واقتراب أجلى . وقال أبو سليمان : عوّدوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكر . وقال أبو سليمان : الفكر فى الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لأهل الولاية ، والفكر فى الآخرة يورث الحكمة ويحيى القلوب ، وقال حاتم : من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف . وقال ابن عباس : التفكر فى الخير يدعو إلى العمل به ، والندم على الشر يدعو إلى تركه . ويروى أنّ الله تعالى قال فى بعض كتبه : إنى لست أقبل كلام كل حكيم ولكن أنظر إلى همه وهواه فإذا كان همه وهواه لى جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وإن لم يتكلم . وقال الحسن : إنّ أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة . وقال إسحاق بن خلف كان داود الطائى رحمه الله تعالى على سطح فى ليلة قمراء ، فتفكر فى ملكوت السموات والأرض وهو ينظر إلى السماء ويبكى حتى وقع فى دار جاره ، قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف وظن أنه لص ، فلما نظر إلى داود رجع ووضع السيف وقال ، من ذا الذى طرحك من السطح ؟ قال ما شعرت بذلك . وقال الجنيد أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة فى ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن لله عز وجل ، ثم قال يالها من مجالس ما أجلها ومن شراب ما ألذه طوبى لمن رزقه . وقال الشافعى رحمه الله تعالى استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر . وقال أيضا صحة النظر فى الأمور نجاة من الغرور ، والعزم فى الرأى سلامة من التفريط والندم : والروية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ، ومشاورة الحكماء ثبات فى النفس وقوة فى البصيرة ففكر قبل أن تعزم ، وتدبر قبل أن تهجم ، وشاور قبل أن تقدم . وقال أيضا الفضائل أربع (إحداها) الحكمة وقوامها الفكرة . (والثانية) العفة وقوامها فى الشهوة . (والثالثة) القوة وقوامها فى الغضب ، (والرابعة) العدل وقوامه فى اعتدال قوى النفس . فهذه أقاويل العلماء فى الفكرة وما شرع أحد منهم فى ذكر حقيقتها وبيان مجاريها .

بيان حقيقة الفكر وثمرته

اعلم أنّ معنى الفكر هو إحضار معرفتين فى القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة . ومثاله أنّ من مال إلى العاجلة وآثر الحياة الدنيا وإراد أن يعرف أنّ الآخرة أولى بالإيثار من العاجلة فله طريقان (أحدهما) ان يسمع من غيره أن الآخرة أولى بالإيثار من الدنيا ، فيقلده ويصدّقه من غير بصيرة بحقيقة الأمر فيميل بعمله إلى إيثار الآخرة اعتمادا على مجرد قوله ، وهذا يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة . (والطريق الثانى) أن يعرف أنّ الأبقى أولى بالإيثار ، ثم يعرف أنّ الآخرة أبقى . فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو أن الآخرة أولى بالإيثار ، ولا يمكن تحقق المعرفة بأنّ الآخرة أولى بالإيثار إلا بالمعرفتين السابقتين .

فإحضار المعرفتين السابقتين فى القلب للتوصل به إلى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا

وتأملا وتدبرا . أما التدبر والتأمل والتفكر : فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معان مختلفة . وأما اسم التذكر والاعتبار والنظر : فهى مختلفة المعانى وإن كان أصل المسمى واحد ؛ كما أنّ اسم : الصارم ، والمهند ، والسيف ؛ يتوارد على شيء واحد ولكن باعتبارات مختلفة . فالصارم يدل على السيف من حيث هو قاطع ، والمهند يدل عليه من حيث نسبته إلى موضعه والسيف يدل دلالة مطلقة من غير إشعار بهذه الزوائد .

فكذلك الاعتبار : ينطلق على إحضار المعرفتين من حيث إنه يعبر منهما إلى معرفة ثالثة ، وإن لم يقع العبور ولم يمكن إلا الوقوف على المعرفتين فينطلق عليه اسم : التذكر ، لا اسم : الاعتبار . وأما النظر والتفكر : فيقع عليه من حيث إن فيه طلب معرفة ثالثة ، فمن ليس يطلب المعرفة الثالثة لا يسمى ناظرا ، فكل متفكر فهو متذكر ، وليس كل متذكر متفكرا . وفائدة التذكار تكرار المعارف على القلب لترسخ ولا تنمحى عن القلب . وفائدة التفكر : تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة . فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكر .

والمعارف إذا اجتمعت فى القلب وازدوجت فى القلب على ترتيب مخصوص أثمرت معرفة أخرى ، فالمعرفة نتاج المعرفة . فإذا حصلت معرفة أخرى وازدوجت مع معرفة أخرى حصل من ذلك نتاج آخر . وهكذا يتمادى النتاج وتتمادى العلوم ويتمادى الفكر إلى غير نهاية ، وإنما تنسدّ طريق زيادة المعارف بالموت . أو بالعوائق وهذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدى إلى طريق التفكير . وأما أكثر الناس فإنما منعوا الزيادة فى العلوم لفقدهم رأس المال وهو المعارف التى بها تستثمر العلوم ، كالذى لا بضاعة له فإنه لا يقدر على الربح ، وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن صناعة التجارة فلا يربح شيئا ، فكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو رأس مال العلوم ولكن ليس يحسن استعمالها وتأليفها وإيقاع الازدواج المفضى إلى النتاج فيها .

ومعرفة طريق الاستعمال والاستثمار تارة تكون بنور إلهى فى القلب يحصل بالفطرة كما كان للأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ـ وذلك عزيز جدا ـ وقد تكون بالتعلم والممارسة وهو الأكثر . ثم المتفكر قد تحضره هذه المعارف وتحصل له الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصولها ، ولا يقدر على التعبير عنها لقلة ممارسته لصناعة التعبير فى الإيراد . فكم من إنسان يعلم أنّ الآخرة أولى بالإيثار علما حقيقيا ، ولو سئل عن سبب معرفته لم يقدر على إيراده والتعبير عنه مع أنه لم تحصل معرفته إلا عن المعرفتين السابقتين : وهو أنّ الأبقى أولى بالإيثار وأنّ الآخرة أبقى من الدنيا ، فتحصل له معرفة ثالثة وهو أنّ الآخرة أولى بالإيثار ، فرجع حاصل حقيقة التفكر إلى إحضار معرفتين للتوصل بهما إلى معرفة ثالثة .

وأما ثمرة الفكر : فهى العلوم والأحوال والأعمال ، ولكن ثمرته الخاصة . العلم ، لا غير . نعم إذا حصل العلم فى القلب تغير حال القلب وإذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح . فالعمل تابع الحال ، والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر . فالفكر إذن هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها ، وهذا هو الذى يكشف لك فضيلة التفكر وأنه خير من الذكر والتذكر لأنّ الفكر ذكر وزيادة . وذكر القلب خير من عمل الجوارح ، بل شرف العمل لما فيه من الذكر . فإذن التفكر أفضل من جملة الأعمال . ولذلك قيل : تفكر ساعة خير من عبادة سنة ، فقيل هو الذى ينقل من المكاره إلى المحاب ومن الرغبة والحرص إلى الزهد والقناعة ، وقيل هو الذى يحدث مشاهدة وتقوى ، ولذلك قال تعالى ﴿ لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا ﴾ وإنّ أردت أن تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فمثاله ماذكرناه من أمر الآخرة ، فإنّ الفكر يعرفنا أنّ الآخرة أولى بالإيثار ، فإذا رسخت هذه المعرفة يقينا

فى قلوبنا تغيرت القلوب إلى الرغبة فى الآخرة والزهد فى الدنيا . وهذا ما عنيناه بالحال ، إذ كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل إليها، والنفرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها .

وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت إرادته ورغبته . ثم أثمر تغير الإرادة أعمال الجوارح فى اطراح الدنيا والإقبال على أعمال الآخرة . فههنا خمس درجات : (أولاها) التذكر وهو إحضار المعرفتين فى القلب . (وثانيتها) التفكر وهو طلب المعرفة المقصودة منهما . (والثالثه) حصول المعرفة المطلوبة واستنارة القلب بها . (والرابعة) تغير حال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة . (والخامسة) خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له من الحال .

فكما يضرب الحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضىء بها الموضع فتصير العين مبصرة بعد أن لم تكن مبصرة وتنتهض الأعضاء للعمل ، فكذلك زناد نور المعرفة هو الفكر فيجمع بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد، ويؤلف بينهما تأليفا مخصوصا كما يضرب الحجر على الحديد ضربا مخصوصا ، فينبعث نور المعرفة كما تنبعث النار من الحديد ، ويتغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل إلى مالم يكن يميل إليه كما يتغير البصر بنور النار فيرى ما لم يكن يراه . ثم تنتهض الأعضاء للعمل بمقتضى حال القلب كما ينتهض العاجز عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند إدراك البصر ما لم يكن يبصره . فإذن ثمرة الفكر : العلوم والأحوال ، والعلوم لا نهاية لها ، والأحوال التى تتصور أن تتقلب على القلب لا يمكن حصرها . ولهذا لو أراد مريد أن يحصر فنون الفكر ومجاريه وأنه فيماذا يتفكر لم يقدر عليه لأن مجارى الفكر غير محصورة وثمراته غير متناهية . نعم نحن نجتهد فى ضبط مجاريه بالإضافة إلى مهمات العلوم الدينية وبالإضافة إلى الأحوال التى هى مقامات السالكين ، ويكون ذلك ضبطا جمليا فإن تفصيل ذلك يستدعى شرح العلوم كلها ، وجملة هذه الكتب كالشرح لبعضها ، فإنها مشتملة على علوم ، تلك العلوم تستفاد من أفكار مخصوصة . فلنشر إلى ضبط الجامع فيها ليحصل الوقوف على مجارى الفكر .

بيان مجارى الفكر

اعلم أن الفكر قد يجرى فى أمر يتعلق بالدين وقد يجرى فيما يتعلق بغير الدين ، وإنما غرضنا مايتعلق بالدين فلنترك القسم الآخر . ونعنى بالدين المعاملة التى بين العبد وبين الرب تعالى ؛ فجميع أفكار العبد : إما أن تتعلق بالعبد وصفاته وأحواله ، وإما أن تتعلق بالمعبود وصفاته وأفعاله ؛ لا يمكن أن يخرج عن هذين القسمين . ومايتعلق بالعبد : إما أن يكون نظرا فيما هو محبوب عند الرب تعالى ، أو فيما هو مكروه ، ولاحاجة إلى الفكر فى غير هذين القسمين . وما يتعلق بالرب تعالى : إما أن يكون نظرا فى ذاته وصفاته وأسمائه الحسنى ، وإما أن يكون فى أفعاله وملكه وملكوته وجميع ما فى السموات والأرض وما بينهما .

وينكشف لك انحصار الفكر فى هذه الأقسام بمثال ، وهو أن حال السائرين إلى الله تعالى والمشتاقين إلى لقائه يتعلق بمعشوقه أو يتعلق بنفسه .

فإن تفكر فى معشوقه ، فإما أن يتفكر فى جماله وحسن صورته فى ذاته ليتنعم بالفكر فيه وبمشاهدته ، وإما أن يتفكر فى أفعاله اللطيفة الحسنة الدالة على أخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضعفا للذة ومقويا لمحبته .

وإن تفكر فى نفسه ؛ فيكون فكره فى صفاته التى تسقطه من عين محبوبه حتى يتنزه عنها ، أو فى الصفات التى تقربه منه وتحببه إليه حتى يتصف بها .

فإن تفكر فى شىء خارج عن هذه الأقسام فذلك خارج عن حدّ العشق ، وهو نقصان فيه ، لأن العشق التام الكامل ؛ ما يستغرق العاشق ويستوفى القلب حتى لا يترك فيه متسعا لغيره . فمحب الله تعالى ينبغى أن يكون كذلك فلا يعدو نظره وتفكره محبوبه . ومهما كان تفكره محصورا فى هذه الأقسام الأربعة لم يكن خارجا عن مقتضى المحبة أصلا . فلنبدأ بالقسم الأوّل وهو تفكره فى صفات نفسه وأفعال نفسه ليميز المحبوب منها عن المكروه ، فإن هذا الفكر هو الذى يتعلق بعلم المعاملة الذى هو المقصود بهذا الكتاب ، وأما القسم الآخر فيتعلق بعلم المكاشفة .

ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله أو محبوب ينقسم إلى ظاهر ، كالطاعات والمعاصى . وإلى باطن ، كالصفات المنجيات والمهلكات التى محلها القلب ـ وذكرنا تفصيلها فى ربع المهلكات والمنجيات .

والمعاصى : تنقسم إلى ما يتعلق بالأعضاء السبعة وإلى ما ينسب إلى جميع البدن ، كالفرار من الزحف وعقوق الوالدين والسكون فى المسكن الحرام . ويجب فى كل واحد من المكاره التفكر فى ثلاثة أمور (الأوّل) التفكر فى أنه هل هو مكروه عند الله أم لا ، فرب شىء لا يظهر كونه مكروها بل يدرك بدقيق النظر (والثانى) التفكر فى أنه إن كان مكروها فما طريق الاحتراز عنه ؟ (والثالث) أن هذا المكروه هل هو متصف به فى الحال فيتركه أو هو متعرض له فى الاستقبال فيحترز عنه ؟ أو قارفه فيما مضى من الأحوال فيحتاج إلى تداركه ؟ وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم إلى هذه الانقسامات فإذا جمعت هذه الأقسام زادت مجارى الفكر فى الأقسام على مائة ، والعبد مدفوع إلى الفكر إما فى جميعها أو فى أكثرها . وشرح آحاد هذه الانقسامات يطول ، ولكن انحصر هذا القسم فى أربعة أنواع : الطاعات والمعاصى والصفات المهلكات والصفات المنجيات . فلنذكر فى كل نوع مثالا ليقيس به المريد سائرها وينفتح له باب الفكر ويتسع عليه طريقه .

(النوع الأول : المعاصى) ينبغى أن يفتش الإنسان صبيحة كل يوم جميع أعضائه السبعة تفصيلا ، ثم بدنه على الجملة هل هو فى الحال ملابس لمعصية بها فيتركها ؟ أو لابسها بالأمس فيتداركها بالترك والندم ؟ أو هو متعرض لها فى نهاره فيستعدّ للاحتراز والتباعد عنها ؟

فينظر فى اللسان ويقول إنه متعرض للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء بالغير والمماراة والمازحة والخوض فيما لا يعنى ، إلى غير ذلك من المكاره ، فيقرر أوّلا فى نفسه أنها مكروهة عند الله تعالى ويتفكر فى شواهد القرآن والسنة على شدّة العذاب فيها ، ثم يتفكر فى أحواله أنه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ، ثم يتفكر أنه كيف يحترز منه ويعلم أنه لا يتم له ذلك إلا بالعزلة والانفراد ، أو بأن لا يجالس إلا صالحا تقيا ينكر عليه مهما تكلم بما يكرهه الله ، وإلا فيضع حجرا فى فيه إذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرا له : فهكذا يكون الفكر فى حيلة الاحتراز .

ويتفكر فى سمعه يصغى به إلى الغيبة والكذب وفضول الكلام وإلى اللهو والبدعة ، وأن ذلك إنما يسمعه من زيد وعمرو ، وأنه ينبغى أن يحترز عنه بالاعتزال أو بالنهى عن المنكر :

فمهما كان ذلك فيتفكر فى بطنه ؛ أنه إنما يعصى الله تعالى فيه بالأكل والشرب ، إما بكثرة الأكل من الحلال

فإن ذلك مكروه عند الله ومقوى للشهوة التى هى سلاح الشيطان عدو الله ، وإما بأكل الحرام أو الشبهة فينظر من أين مطعمه وملبسه ومسكنه ومكسبه وما مكسبه ؟ ويتفكر فى طريق الحلال ومداخله . ثم يتفكر فى طريق الحيلة فى الاكتساب منه والاحتراز من الحرام ، ويقرر على نفسه أن العبادات كلها ضائعة مع أكل الحرام ، وأن أكل الحلال هو أساس العبادات كلها ، وأن الله تعالى لا يقبل صلاة عبد فى ثمن ثوبه درهم حرام [1] كما ورد الخبر به .

فهكذا يتفكر فى أعضائه ففى هذا القدر كفاية عن الاستقصاء . فمهما حصل بالتفكر حقيقة المعرفة بهذه الأحوال اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الأعضاء عنها .

وأما النوع الثانى : وهو الطاعات فينظر أولا فى الفرائض المكتوبة عليه أنه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير أو كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ؟ ثم يرجع إلى عضو عضو ، فيتفكر فى الأفعال التى تتعلق بها مما يحبه الله تعالى فيقول مثلا :

إن العين خلقت للنظر فى ملكوت السموات والأرض عبرة ، ولتستعمل فى طاعة الله تعالى وتنظر فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأنا قادر على أن أشغل العين بمطالعة القرآن والسنة فلم لا أفعله ؟ وأنا قادر على أن أنظر إلى فلان المطيع بعين التعظيم فأدخل السرور على قلبه وأنظر إلى فلان الفاسق بعين الازدراء فأزجره بذلك عن معصيته فلم لا أفعله ؟

وكذلك يقول فى سمعه : إنى قادر على استماع كلام ملهوف أو استماع حكمة وعلم أو استماع قراءة وذكر ، فمالى أعطله وقد أنعم الله على به وأودعنيه لأشكره ؟ فمالى أكفر نعمة الله فيه بتضييعه أو تعطيله ؟

وكذلك يتفكر فى اللسان ويقول : إنى قادر على أن أتقرب إلى الله تعالى بالتعليم والوعظ والتودد إلى قلوب أهل الصلاح وبالسؤال عن أحوال الفقراء وإدخال السرور على قلب زيد الصالح وعمرو العالم بكلمة طيبة، وكل كلمة طيبة فإنها صدقة .

وكذلك يتفكر فى ماله فيقول : أنا قادر على أن أتصدق بالمال الفلانى فإنى مستغن عنه ، ومهما احتجت إليه رزقنى الله تعالى مثله ، وإن كنت محتاجا الآن فأنا إلى ثواب الإيثار أحوج منى إلى ذلك المال .

وهكذا يفتش عن جميع أعضائه وجملة بدنه وأمواله ، بل عن دوابه وغلمانه وأولاده ، فإن كل ذلك أدواته وأسبابه ، ويقدر على أن يطيع الله تعالى بها ، فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها ، ويتفكر فيما يرغبه فى البدار إلى تلك الطاعات ، ويتفكر فى إخلاص النية فيها ويطلب لها مظان الاستحقاق حتى يزكو بها عمله. وقس على هذا سائر الطاعات .

(وأما النوع الثالث : فهى الصفات المهلكة التى محلها القلب) فيعرفها مما ذكرناه فى ربع المهلكات : وهى استيلاء الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب والرياء والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور وغير ذلك، ويتفقد من قلبه هذه الصفات : فإن ظن أن قلبه منزه عنها فيتفكر فى كيفية امتحانه والاستشهاد بالعلامات عليه، فإن النفس أبدا تعد بالخير من نفسها وتخلف ، فإذا ادعت التواضع والبراءة من الكبر فينبغى أن تجرب بحمل حزمة حطب فى السوق ، كما كان الأولون يجربون به أنفسهم . وإذا ادعت الحلم تعرض لغضب يناله من غيره ثم يجربها فى كظم الغيظ وكذلك فى سائر الصفات. وهذا تفكر فى أنه هل هو موصوف بالصفة المكروهة أم لا ؟ ولذلك علامات ذكرناها

---

(١) حديث « إن الله لا يقبل صلاة عبد فى ثوبه درهم حرام » أخرجه أحمد من حديث ابن عمر بسند فيه مجهول وقد تقدم .

فى ربع المهلكات، فإذا دلت العلامة على وجودها فكر فى الأسباب التى تقبح تلك الصفات عنده وتبين أن منشأها من الجهل والغفلة وخبث الدخلة .

كالو رأى فى نفسه عجبا بالعمل ، فيتفكر ويقول : إنما عمل ببدنى وجارحتى وبقدرتى وإرادتى ، وكل ذلك ليس منى ولا إلى وإنما هو من خلق الله وفضله على ، فهو الذى خلقنى وخلق جارحتى وخلق قدرتى وإرادتى ، وهو الذى حرك أعضائى بقدرته وكذلك قدرتى وإرادتى فكيف أعجب بعملى أو بنفسى ولا أقوم لنفسى بنفسى ؟

فإذا أحس فى نفسه بالكبر قرر على نفسه مافيه من الحماقة ويقول لها : لم ترين نفسك أكبر ؟ والكبير من هو عند الله كبير وذلك ينكشف بعد الموت ، وكم من كافر فى الحال يموت مقربا إلى الله تعالى بنزوعه عن الكفر، وكم من مسلم يموت شقيا بتغير حاله عند الموت بسوء الخاتمة ؟

فإذا عرف أن الكبر مهلك وأن أصله الحماقة فيتفكر فى علاج إزالة ذلك بأن يتعاطى أفعال المتواضعين

وإذا وجد فى نفسه شهوة الطعام وشرهه تفكر فى أن هذه صفة البهائم ، ولو كان فى شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من صفات الله وصفات الملائكة كالعلم والقدرة ، ولما اتصف به البهائم ، ومهما كان الشره عليه أغلب كان بالبهائم أشبه وعن الملائكة المقربين أبعد . وكذلك يقرر على نفسه فى الغضب ، ثم يتفكر فى طريق العلاج، وكل ذلك ذكرناه فى هذه الكتب . فمن يريد أن يتسع له طريق الفكر فلا بد له من تحصيل ما فى هذه الكتب .

(وأما النوع الرابع : وهو المنجيات) فهو التوبة ، والندم على الذنوب ، والصبر على البلاء ، والشكر على النعماء ، والخوف ، والرجاء ، والزهد فى الدنيا ، والإخلاص ، والصدق فى الطاعات ، ومحبة الله وتعظيمه والرضا بأفعاله والشوق إليه والخشوع والتواضع له . وكل ذلك ذكرناه فى هذا الربع وذكرنا أسبابه وعلاماته . فليتفكر العبد كل يوم فى قلبه ما الذى يعوزه من هذه الصفات التى هى المقربة إلى الله تعالى ؟ فإذا افتقر إلى شىء منها فليعلم أنها أحوال لا يثمرها إلا علوم ، وأن العلوم لا يثمرها إلا أفكار . فإذا أراد أن يكتسب لنفسه أحوال التوبة والندم : فليفتش ذنوبه أولا وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها فى قلبه . ثم لينظر فى الوعيد والتشديد الذى ورد فى الشرع فيها وليتحقق عند نفسه أنه متعرض لمقت الله تعالى ، حتى ينبعث له حال الندم . وإذا أراد أن يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر فى إحسان الله إليه وأياديه عليه وفى إرساله جميل ستره عليه ـ على ماشرحنا بعضه فى كتاب الشكر فليطالع ذلك . وإذا أراد حال المحبة والشوق : فليتفكر فى جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر فى عجائب حكمته وبدائع صنعه ـ كما سنشير إلى طرف منه فى القسم الثانى من الفكر ـ وإذا أراد حال الخوف : فلينظر أولا فى ذنوبه الظاهرة والباطنة ، ثم لينظر فى الموت وسكراته ، ثم فيما بعده من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه وديدانه ، ثم فى هول النداء عند نفخة الصور ، ثم فى هول المحشر عند جمع الخلائق على صعيد واحد ، ثم فى المناقشة فى الحساب فى النقير والقطمير ، ثم فى الصراط ودقته وحدته ، ثم فى خطر الأمر عنده أنه يصرف إلى الشمال فيكون من أصحاب النار ، أو يصرف إلى اليمين فينزل دار القرار ، ثم ليحضر بعد أهوال القيامة فى قلبه صورة جهنم ودركاتها ومقامعها وأهوالها وسلاسلها وأغلالها وزقومها وصديدها ، وأنواع العذاب فيها وقبح صور الزبانية الموكلين بها ، وأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها . وأنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ، وأنهم إذا رأوها من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وهلم جرا ، إلى جميع ماورد فى القرآن من شرحها . وإذا أراد أن يستجلب حال الرجاء : فلينظر إلى الجنة ونعيمها وأشجارها وأنهارها وحورها وولدانها ونعيمها المقيم وملكها الدائم .

فهكذا طريق الفكر الذى يطلب به العلوم التى تثمر اجتلاب أحوال محبوبة أو التنزه عن صفات مذمومة . وقد ذكرنا فى كل واحد من هذه الأحوال كتابا مفردا يستعان به على تفصيل الفكر ، أما بذكر مجامعه فلا يوجد فيه أنفع من قراءة القرآن بالتفكر ، فإنه جامع لجميع المقامات والأحوال وفيه شفاء للعالمين ، وفيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الأحوال ، وفيه ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة ، فينبغى أن يقرأه العبد ويردد الآية التى هو محتاج إلى التفكر فيها مرة بعد أخرى ولو مائة مرة ! فقراءة آية بتفكر وفهم خير من ختمة بغير تدبر وفهم ، فليتوقف فى التأمل فيها ولو ليلة واحدة ، فإن تحت كل كلمة منها أسرارا لا تنحصر ولا يوقف عليها إلا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة . وكذلك مطالعة أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قد أوتى جوامع الكلم [1] وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة ولو تأملها العالم حق التأمل لم ينقطع فيها نظره طول عمره . وشرح آحاد الآيات والأخبار يطول فانظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم « إن روح القدس نفث فى روعى : أحبب من أحببت فإنك مفارقه وعش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزى به [2] » فإن هذه الكلمات جامعة حكم الأولين والآخرين وهى كافية للمتأملين فيها طول العمر ، إذ لو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم ولحال ذلك بينهم وبين التلفت إلى الدنيا بالكلية .

فهذا هو طريق الفكر فى علوم المعاملة وصفات العبد من حيث هى محبوبة عند الله تعالى أو مكروهة . والمبتدئ ينبغى أن يكون مستغرق الوقت فى هذه الأفكار حتى يعمر قلبه بالأخلاق المحمودة والمقامات الشريفه وينزه باطنه وظاهره عن المكاره ، وليعلم أن هذا مع أنه أفضل من سائر العبادات فليس هو له غاية المطلب ، بل المشغول به محجوب عن مطلب الصديقين وهو التنعم بالفكر فى جلال الله تعالى وجماله واستغراق القلب بحيث يفنى عن نفسه ، أى ينسى نفسه وأحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق الهم بالمحبوب ؛ كالعاشق المستهتر عند لقاء الحبيب فإنه لا يتفرغ للنظر فى أحوال نفسه وأوصافها ، بل يبقى كالمبهوت الغافل عن نفسه وهو منتهى لذة العشاق .

فأما ما ذكرناه فهو تفكر فى عمارة الباطن ليصلح للقرب والوصال ، فإذا ضيع جميع عمره فى إصلاح نفسه فمتى يتنعم بالقرب ؟ ولذلك كان الخواص يدور فى البوادى فلقيه الحسين بن منصور وقال : فيم أنت ؟ قال : أدور فى البوادى أصلح حالى فى التوكل ، فقال الحسين : أفنيت عمرك فى عمران باطنك فأين الفناء فى التوحيد ؟ فالفناء فى الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين . وأما التنزه عن الصفات المهلكات فيجرى مجرى الخروج عن العدة فى النكاح . وأما الاتصاف بالصفات المنجيات وسائر الطاعات فيجرى مجرى تهيئة المرأة وجهازها وتنظيفها وجهها ومشطها شعرها لتصلح بذلك للقاء زوجها ؛ فإن استغرقت جميع عمرها ، فى تبرئة الرحم وتزيين الوجه كان ذلك حجابا لها عن لقاء المحبوب .

فهكذا ينبغى أن تفهم طريق الدين إن كنت من أهل المجالسة ، وإن كنت كالعبد السوء لا يتحرك إلا خوفا من الضرب وطمعا فى الأجرة فدونك وإتعاب البدن بالأعمال الظاهرة ، فإن بينك وبين القلب حجابا كثيفا ، فإذا قضيت حق الأعمال كنت من أهل الجنة ولكن للمجالسة أقوم آخرون . وإذا عرفت مجال الفكر فى علوم المعاملة التى بين العبد وبين ربه فينبغى أن تتخذ ذلك عادتك وديدنك صباحا ومساء ، فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك المبعدة من الله تعالى وأحوالك المقربة إليه سبحانه وتعالى . بل كل مزيد فينبغى أن يكون له جريدة يثبت فيها

---

(١) حديث : أنه صلى الله عليه وسلم أوتى جوامع الكلم . تقدم .

(٢) حديث « إن روح القدس نفث فى روعى : أحبب من أحببت فإنك مفارقه ... الحديث » تقدم غير مرة .

جملة الصفات المهلكات وجملة الصفات المنجيات وجملة المعاصى والطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم .

ويكفيه من المهلكات النظر فى عشرة ـ فإنه إن سلم منها سلم من غيرها ـ وهى : البخل ، والكبر ، والعجب ، والرياء ، والحسد ، وشدّة الغضب ، وشره الطعام ، وشره الوقاع ، وحب المال ، وحب الجاه . ومن المنجيات عشرة : الندم على الذنوب ، والصبر على البلاء ، والرضا بالقضاء ، والشكر على النعماء ، واعتدال الخوف الرجاء ، والزهد فى الدنيا ، والإخلاص فى الأعمال ، وحسن الخلق مع الخلق ، وحب الله تعالى ، والخشوع له .

فهذه عشرون خصلة ؛ عشرة مذمومة ، وعشرة محمودة فهما كفى من المذمومات واحدة فيخط عليها فى جريدته ، ويدع الفكر فيها ، ويشكر الله تعالى على كفايته إياها وتنزيه قلبه عنها ، ويعلم أنّ ذلك لم يتم إلا بتوفيق الله تعالى وعونه ولو وكله إلى نفسه لم يقدر على محو أقل الرذائل عن نفسه ، فيقبل على التسعة الباقية ، وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع ، وكذا يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات ؛ فإذا اتصف بواحدة منها كالتوبة والندم مثلا خط عليها واشتغل بالباقى ، وهذا يحتاج إليه المريد المشمر .

وأما أكثر الناس من المعدودين من الصالحين فينبغى أن يثبتوا فى جرائدهم المعاصى الظاهرة ؛ كأكل الشبهة ، وإطلاق اللسان بالغيبة والنميمة والمراء والثناء على النفس ، والإفراط فى معاداة الأعداء وموالاة الأولياء والمداهنة مع الخلق فى ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإنّ أكثر من يعد نفسه من وجوه الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصى فى جوارحه ، وما لم يطهر الجوارح عن الآثام لا يمكن الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره . بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصية فينبغى أن يكون تفقدهم لها وتفكرهم فيها لا فى معاص هم بمعزل عنها . مثاله : العالم الورع ، فإنه لا يخلو فى غالب الأمر عن إظهار نفسه بالعلم وطلب الشهرة وانتشار الصيت إما بالتدريس أو بالوعظ ، ومن فعل ذلك تصدّى لفتنة عظيمة لا ينجو منها إلا الصديقون ، فإنه إن كان كلامه مقبولا حسن الوقع فى القلوب لم ينفك عن الإعجاب والخيلاء والتزين والتصنع ، وذلك من المهلكات . وإنّ رد كلامه لم يخل عن غيظ وأنفة وحقد على من يرده ، وهو أكثر من غيظه على من يرد كلام غيره ، وقد يلبس الشيطان عليه ويقول : إنّ غيظك من حيث إنه رد الحق وأنكره ، فإن وجد تفرقة بين أن يرد عليه كلامه أو يرد على عالم آخر فهو مغرور وضحكة للشيطان ، ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالثناء واستنكاف من الرد أو الإعراض لم يخل عن تكلف وتصنع لتحسين اللفظ والإيراد ، حرصا على استجلاب الثناء والله لا يحب المتكلفين ، والشيطان قد يلبس عليه ويقول : إنما حرصك على تحسين الألفاظ والتكلف فيها لينتشر الحق ويحسن موقعه فى القلب إعلاء لدين الله . فإن كان فرحه بحسن ألفاظه وثناء الناس عليه أكثر من فرحه بثناء الناس على واحد من أقرانه فهو مخدوع ، وإنما يدور حول طلب الجاه وهو يظن أن مطلبه الدين ! ومهما اختلج ضميره بهذه الصفات ظهر على ظاهره ذلك ، حتى يكون للموقر له المعتقد لفضله أكثر احتراما ويكون بلقائه أشدّ فرحا واستبشارا ممن يغلو فى موالاة غيره وإن كان ذلك الغير مستحقا للموالاة ، وربما ينتهى الأمر بأهل العلم إلى أن يتغايروا تغاير النساء ، فيشق على أحدهم أن يختلف بعض تلامذته إلى غيره وإن كان يعلم أنه ينتفع بغيره ومستفيد منه فى دينه . وكل ذلك رشح الصفات المهلكات المستكنة فى سر القلب التى قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها ، وإنما ينكشف ذلك بهذه العلامات ، ففتنة العالم عظيمة وهو إما مالك وإما هالك ، ولا مطمع له فى سلامة العوام .

فمن أحس فى نفسه بهذه الصفات فالواجب عليه العزلة والانفراد وطلب الخمول والمدافعة للفتاوى مهما سئل .

فقد كان المسجد يحوى فى زمن الصحابة رضى الله تعالى عنهم جميعا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مفتون ، وكانوا يتدافعون الفتوى . وكل من كان يفتى كان يود أن يكفيه غيره . وعندهذا ينبغى أن يتقى شياطين الإنس إذا قالوا لاتفعل هذا ؛ فإنّ هذا الباب لوفتح لاندرست العلوم من بين الخلق ، وليقل لهم : إن دين الإسلام مستغن عنى ، فإنه قد كان معمورا قبلى وكذلك يكون بعدى ، ولو مت لاتهدم أركان الإسلام فإنّ الدين مستغن عنى ، وأما أنا فلست مستغنيا عن إصلاح قلبى . وأما أداء ذلك إلى اندراس العلم فخيال يدل على غاية الجهل ، فإن الناس لوحبسوا فى السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان حب الرياسة والعلو يحملهم على كسر القيود وهدم حيطان الحصون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم . فالعلم لايندرس مادام الشيطان يحبب إلى الخلق الرياسة ، والشيطان لايفتر عن عمله إلى يوم القيامة . بل ينتهض لنشر العلم أقوام لانصيب لهم فى الآخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم [1] » و « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر [2] » فلا ينبغى أن يغتر العالم بهذه التلبيسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يتربى فى قلبه حب الجاه والثناء والتعظيم فإن ذلك بذر النفاق . قال صلى الله عليه وسلم « حب الجاه والمال ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل [3] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم بأكثر إفساد فيها من حب الجاه والمال فى دين المرء المسلم [4] » ولاينقلع حب الجاه من القلب إلا بالاعتزال عن الناس والهرب من مخالطتهم وترك كل مايزيد جاهه فى قلوبهم .

فليكن فكر العالم فى التفطن لخفايا هذه الصفات من قلبه وفى استنباط طريق الخلاص منها ، وهذه وظيفة العالم المتقى . فأما أمثالنا فينبغى أن يكون تفكرنا فيما يقوى إيماننا بيوم الحساب ، إذ لورآنا السلف الصالحون لقالوا قطعا : إن هؤلاء لايؤمنون بيوم الحساب ، فما أعمالنا أعمال من يؤمن بالجنة والنار ! فإن من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئاً طلبه : وقد علمنا أن الهرب من النار بترك الشبهات والحرام وبترك المعاصى ونحن منهمكون فيها ، وأن طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات ونحن مقصرون فى الفرائض منها . فلم يحصل لنا من ثمرة العلم إلا أنه يقتدى بنا فى الحرص على الدنيا والتكالب عليها ، ويقال ! لوكان هذا مذموما لكان العلماء أحق وأولى باجتنابه منا . فليتنا كنا كالعوام إذا متنا ماتت معنا ذنوبنا . فما أعظم الفتنة التى تعرضنا لها لو تفكرنا . فنسأل الله تعالى أن يصلحنا ويصلح بنا ويوفقنا للتوبة قبل أن يتوفانا إنه الكريم اللطيف بنا المنعم علينا .

فهذه مجارى أفكار العلماء والصالحين فى علم المعاملة ، فإن فرغوا منها انقطع التفاتهم عن أنفسهم وارتقوا منها إلى التفكر فى جلال الله وعظمته والتنعم بمشاهدته بعين القلب ، ولايتم ذلك إلا بعد الانفكاك من جميع المهلكات والاتصاف بجميع المنجيات ، وإن ظهر شىء منه قبل ذلك كان مدخولا معلولا مكدرا مقطوعا ، وكان ضعيفا كالبرق الخاطف لايثبت ولايدوم ، ويكون كالعاشق الذى خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه حيات وعقارب تلدغه مرة بعد أخرى فتنغص عليه لذة المشاهدة ، ولاطريق له فى كمال التنعم إلا بإخراج العقارب والحيات من ثيابه . وهذه الصفات المذمومة عقارب وحيات وهى مؤذيات ومشوشات ، وفى القبر يزيد ألم لدغها على

(١) حديث « إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم » تقدم . (٢) حديث « إن الله يؤيدهذا الدين بالرجل الفاجر » تقدم أيضاً فى العلم . (٣) حديث « حب المال والجاه ينبت النفاق فى القلب . . الحديث » تقدم .
(٤) حديث « ماذئبان جائعان أرسلا فى زريبة غنم . . . الحديث » تقدم .

لدغ العقارب والحيات . فهذا القدر كاف فى التنبيه على مجارى فكر العبد فى صفات نفسه المحبوبة والمكروهة عنه ربه تعالى .

(القسم الثانى) الفكر فى جلال الله وعظمته وكبريائه . وفيه مقامان : المقام الأعلى الفكر فى ذاته وصفاته ومعانى أسمائه ، وهذا مما منع منه حيث قيل تفكروا فى خلق الله تعالى ولاتفكروا فى ذات الله ، وذلك لأنّ العقول تتحير فيه فلا يطيق مدّ البصر إليه - إلا الصدّيقون ثم لايطيقون دوام النظر . بل سائر الخلق أحوال أبصارهم بالإضافة إلى جلال الله تعالى كحال بصر الخفاش بالإضافة إلى نور الشمس ، فإنه لايطيقه ألبتة ، بل يختفى نهارا وإنما يتردد ليلا ينظر فى بقية نور الشمس إذا وقع على الأرض . وأحوال الصدّيقين كحال الإنسان فى النظر إلى الشمس فإنه يقدر على النظر إليها ولايطيق دوامه ، ويخشى على بصره لو أدام النظر ، ونظره المختطف إليها يورث العمش ويفرق البصر . وكذلك النظر إلى ذات الله تعالى يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل ، فالصواب إذن أن لايتعرّض لمجارى الفكر فى ذات الله سبحانه وصفاته ، فإنّ أكثر العقول لا تحتمله ، بل القدر اليسير الذى صرح به بعض العلماء وهو : أنّ الله تعالى مقدّس عن المكان ومنزه عن الأقطار والجهات وأنه ليس داخل العالم ولاخارجه ولاهو متصل بالعالم ولاهو منفصل عنه ؛ قد حير عقول أقوام حتى أنكروه إذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته . بل ضعفت طائفة عن احتمال أقل من هذا إذ قيل لهم : إنه يتعاظم ويتعالى عن أن يكون له رأس ورجل ويدوعين وعضو ، وأن يكون جسما مشخصا له مقدار وحجم . فأنكروا هذا وظنوا أن ذلك قدح فى عظمة الله وجلاله ، حتى قال بعض الحمق من العوام : إن هذا وصف بطيخ هندى لاوصف الإله ! لظنّ المسكين أن الجلالة والعظمة فى هذه الأعضاء . وهذا لأن الإنسان لايعرف إلا نفسه فلا يستعظم إلا نفسه ، فكل مالايساويه فى صفاته فلا يفهم العظمة فيه : نعم غايته أن يقدر نفسه جميل الصورة جالسا على سريره وبين يديه غلمان يمتثلون أمره ، فلا جرم غايته أن يقدّر ذلك فى حق الله - تعالى وتقدّس - حتى يفهم العظمة . بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس لخالقك جناحان ولايد ولارجل ولا له طيران لأنكر ذلك وقال : كيف يكون خالقى أنقص منى ؟ أفيكون مقصوص الجناح أو يكون زمنا لايقدر على الطيران ؟ أو يكون لى آلة وقدرة لايكون له مثلها وهو خالقى ومصورى ؟ وعقول أكثر الخلق قريب من هذا العقل ، وإن الإنسان لجهول ظلوم كفار ، ولذلك أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه : لاتخبر عبادى بصفاتى فينكرونى ولكن أخبرهم عنى بما يفهمون .

ولما كان النظر فى ذات الله تعالى وصفاته خطرا من هذا الوجه اقتضى أدب الشرع وصلاح الخلق أن لايتعرض لمجارى الفكر فيه ، لكنا نعدل إلى المقام الثانى وهو النظر فى أفعاله ومجارى قدره وعجائب صنعه وبدائع أمره فى خلقه فإنها تدل على جلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه ، وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيئته وقدرته . فينظر إلى صفاته من آثار صفاته ، فإنا لانطيق النظر إلى صفاته كما أنا نطيق النظر إلى الأرض مهما استنارت بنور الشمس . ونستدل بذلك على عظم نور الشمس بالإضافة إلى نور القمر وسائر الكواكب ، لأن نور الأرض من آثار نور الشمس ، والنظر فى الآثار يدل على المؤثر دلالة ماوإن كان لايقوم مقام النظر فى نفس المؤثر . وجميع موجودات الدنيا أثر من آثار قدرة الله تعالى ونور من أنوار ذاته ، بل لاظلمة أشد من العدم ولانور أظهر من الوجود . ووجود الأشياء كلها نور من أنوار ذاته - تعالى وتقدس - إذ قوام وجود الأشياء بذاته القيوم بنفسه، كما أن قوام

نور الأجسام بنور الشمس المضيئة بنفسها ، ومهما انكشف بعض الشمس فقد جرت العادة بأن يوضع طشت ماء حتى نرى الشمس فيه ويمكن النظر إليها ، فيكون الماء واسطة يغض قليلا من نور الشمس حتى يطاق النظر إليها. فكذلك الأفعال واسطة نشاهد فيها صفات الفاعل ولانبهر بأنوار الذات بعد أن تباعدنا عنها بواسطة الأفعال . فهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم « تفكروا فى خلق الله ولاتتفكروا فى ذات الله تعالى » .

بيان كيفية التفكر فى خلق الله تعالى

اعلم أن كل مافى الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله وخلقه ، وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته ، وإحصاء ذلك غير ممكن لأنه لو كان البحر مدادا لذلك لنفد البحر قبل أن ينفد عشر عشيره . ولكنا نشير إلى جمل منه ليكون ذلك كالمثال لما عداه .

فنقول : الموجودات المخلوقة منقسمة إلى (مالا يعرف أصلها) فلا يمكننا التفكر فيها وكم من الموجودات التى لانعلمها كما قال الله تعالى ﴿ ويخلق مالاتعلمون ـ سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون ﴾ وقال ﴿ وننشئكم فيما لاتعلمون ﴾ وإلى (مايعرف أصلها وجملتها ، ولايعرف تفصيلها) فيمكننا أن نتفكر فى تفصيلها. وهى منقسمة إلى ما أدركناه بحس البصر ، وإلى مالا ندركه بالبصر أما الذى لاندركه بالبصر . فكالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسى وغير ذلك . ومجال الفكر فى هذه الأشياء مما يضيق ويغمض . فلنعدل إلى الأقرب إلى الأفهام وهى المدركات بحس البصر : وذلك هو السموات السبع والأرض ومابينهما فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركتها ودورانها فى طلوعها وغروبها ، والأرض مشاهدة بمافيها من جبالها ومعادنها وأنهارها وبحارها وحيوانها ونباتها ، ومابين السماء والأرض وهو الجو مدرك بغيومها وأمطارها وثلوجها ورعدها وبرقها وصواعقها وشهبها وعواصف رياحها .

فهذه هى الأجناس المشاهدة من السموات والأرض ومابينهما ، وكل جنس منها ينقسم إلى أنواع ، وكل نوع ينقسم إلى أقسام ، ويتشعب كل قسم إلى أصناف . ولانهاية لانشعاب ذلك وانقسامه فى اختلاف صفاته وهيآته ومعانيه الظاهرة والباطنة . وجميع ذلك مجال الفكر . فلا تتحرك ذرة فى السموات والأرض من جماد ولانبات ولا حيوان ولا فلك ولا كوكب إلا والله تعالى هو محركها وفى حركتها حكمة أو حكمتان أو عشر أو ألف حكمة كل ذلك شاهد لله تعالى بالوحدانية ودال على جلاله وكبرياته ، وهى الآيات الدالة عليه .

وقد ورد القرآن بالحث على التفكر فى هذه الآيات كما قال الله تعالى ﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ﴾ وكما قال تعالى ﴿ ومن آياته ﴾ من أول القرآن إلى آخره . فلنذكر كيفية الفكر فى بعض الآيات .

(فمن آياته) الإنسان المخلوق من النطفة ـ وأقرب شىء إليك نفسك ـ وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله تعالى ماتنقضى الأعمار فى الوقوف على عشر عشيره وأنت غافل عنه . فيامن هو غافل عن نفسه وجاهل بها كيف تطمع فى معرفة غيرك ؟ وقد أمرك الله تعالى بالتدبر فى نفسك فى كتابه العزيز فقال ﴿ وفى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ وذكر أنك مخلوق من نطفة قذرة فقال ﴿ قتل الإنسان ما أكفره من أى شىء خلقه ، من نطفة خلقه فقدره ، ثم السبيل يسره ، ثم أماته فأقبره ، ثم إذا شاء أنشره ﴾ وقال تعالى ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ﴾ وقال تعالى

﴿ ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى ﴾ وقال تعالى ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين إلى قدر معلوم ﴾ وقال ﴿ أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾ وقال ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج ﴾ ثم ذكر : كيف جعل النطفة علقة ، والعلقة مضغة ، والمضغة عظاما ، فقال تعالى ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ﴾ الآية .

فتكرير ذكر النطفة فى الكتاب العزيز ليس ليسمع لفظه ويترك التفكر فى معناه ، فانظر الآن إلى النطفة ـ وهى قطرة من الماء قذرة لو تركت ساعة ليضربها الهواء فسدت وأنتنت ـ كيف أخرجها رب الأرباب من الصلب والترائب وكيف جمع بين الذكر والأنثى وألقى الألفة والمحبة فى قلوبهم ، وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة إلى الاجتماع ، وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع ، وكيف استجلب دم الحيض من أعماق العروق وجمعه فى الرحم ؟ .

ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه بماء الحيض وغذاه حتى نما وربا وكبر ، وكيف جعل النطفة وهى بيضاء مشرقة علقة حمراء ، ثم كيف جعلها مضغة ، ثم كيف قسم أجزاء النطفة وهى متساوية متشابهة إلى العظام والأعصاب والعروق والأوتار واللحم ؟ ثم كيف ركب من اللحوم والأعصاب والعروق : الأعضاء الظاهرة ، فدور الرأس وشق السمع والبصر والأنف والفم وسائر المنافذ ، ثم مد اليد والرجل وقسم رءوسها بالأصابع وقسم الأصابع بالأنامل ؟ ثم كيف ركب الأعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والأمعاء ، كل واحد على شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص ! ثم كيف قسم كل عضو من هذه الأعضاء بأقسام أخر ؛ فركب العين من سبع طبقات ، لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقة منها أو زالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن الإبصار ، فلو ذهبنا إلى أن نصف ما فى آحاد هذه الأعضاء من العجائب والآيات لانقضى فيه الأعمار .

فانظر الآن إلى العظام وهى أجسام صلبة قوية كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة ، ثم جعلها قواما للبدن وعمادا له ، ثم قدرها بمقادير مختلفة وأشكال مختلفة فمنه صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق . ولما كان الإنسان محتاجا إلى الحركة بجملة بدنه وببعض أعضائه ، مفتقرا للتردد فى حاجاته ، لم يجعل عظمه عظما واحدا بل عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة ، وقدر شكل كل واحدة منها على وفق الحركة المطلوبة بها ، ثم وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض بأوتار أنبتها من أحد طرفى العظم وألصقه بالعظم الآخر كالرباط له ، ثم خلق فى أحد طرفى العظم زوائد خارجة منه وفى الآخر حفرا غائصة فيه موافقة لشكل الزوائد لتدخل فيها وتنطبق عليها ، فصار العبد إن أراد تحريك جزء من بدنه لم يمتنع عليه ، ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك .

ثم انظر كيف خلق عظام الرأس وكيف جمعها وركبها ، وقد ركبها من خمسة وخمسين عظما مختلفة الأشكال والصور فألف بعضها إلى بعض بحيث استوى به كرة الرأس ـ كما تراه ـ فمنها ستة تخص القحف ، وأربعة عشر للحى الأعلى ، واثنان للحى الأسفل ، والبقية هى الأسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع وهى الأنياب والأضراس والثنايا : ثم جعل الرقبة مركبا للرأس وركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات ، فيها تجويفات

وزيادات ونقصانات لينطبق بعضها على بعض ـ ويطول ذكر وجه الحكمة فيها .

ثم ركب الرقبة على الظهر ، وركب الظهر من أسفل الرقبة إلى منتهى عظم العجز من أربع وعشرين خرزة ، وركب عظم العجز من ثلاثة أجزاء مختلفة ، فيتصل به من أسفله عظم العصعص وهو أيضا مؤلف من ثلاثة أجزاء .

ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام اليدين وعظام العانة وعظام العجز وعظام الفخذين والساقين وأصابع الرجلين ، فلا نطول بذكر عدد ذلك . ومجموع عدد العظام فى بدن الإنسان مائتا عظم وثمانية وأربعون عظما ، سوى العظام الصغيرة التى حشى بها خلل المفاصل . فانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفة سخيفة رقيقة .

وليس المقصود من ذكر أعداد العظام أن يعرف عددها ، فإن هذا علم قريب يعرفه الأطباء والمشرحون ، إنما الغرض أن ينظر منها فى مدبرها وخالقها أنه كيف قدرها ودبرها وخالف بين أشكالها وأقدارها ، وخصصها بهذا العدد المخصوص لأنه لو زاد عليها واحدا لكان وبالا على الإنسان يحتاج إلى قلعه ، ولو نقص منها واحدا لكان نقصانا يحتاج إلى جبره ، فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج فى جبرها وأهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلالة خالقها ومصورها ، فشتان بين النظرين .

ثم انظر كيف خلق الله تعالى آلات لتحريك العظام وهى العضلات فخلق فى بدن الإنسان خمسمائة عضلة وتسعا وعشرين عضلة ـ والعضلة مركبة من لحم وعصب ورباط وأغشية ـ وهى مختلفة المقادير والأشكال بحسب اختلاف مواضعها وقدر حاجاتها . فأربع وعشرون عضلة منها هى لتحريك حدقة العين وأجفانها لو نقصت واحدة من جملتها اختل أمر العين . وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص . وأمر الأعصاب والعروق والأوردة والشرايين وعددها ومنابتها وانشعاباتها أعجب من هذا كله ـ وشرحه يطول ـ فللفكر مجال فى آحاد هذه الأجزاء ، ثم فى جملة البدن فكل ذلك نظر إلى عجائب أجسام البدن وعجائب المعانى والصفات التى لا تدرك بالحواس أعظم ، فانظر الآن إلى ظاهر الإنسان وباطنه وإلى بدنه وصفاته فترى به من العجائب والصنعة مايقضى به العجب ، وكل ذلك صنع الله فى قطرة ماء قذرة ، فترى من هذا صنعه فى قطرة ماء فما صنعه فى ملكوت السموات وكواكبها وماحكمته فى أوضاعها وأشكالها ومقاديرها وأعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها ؟ فلا تظنن أن ذرة من ملكوت السموات تنفك عن حكمة وحكم بل هى أحكم خلقا وأتقن صنعا وأجمع للعجائب من بدن الإنسان . بل لا نسبة لجميع ما فى الأرض إلى عجائب السموات ولذلك قال تعالى ﴿ أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ﴾ .

فارجع الآن إلى النطفة وتأمل حالها أولا وماصارت إليه ثانيا ، وتأمل أنه لو اجتمع الجن والإنس على أن يخلقوا للنطفة سمعا أو بصرا أو عقلا أو قدرة أو علما أو روحا أو يخلقوا فيها عظما أو عرقا أو عصبا أو جلدا أو شعرا هل يقدرون على ذلك ؟ بل لو أرادوا أن يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقته بعد أن خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عنه فالعجب منك لو نظرت إلى صورة إنسان مصور على حائط تأنق النقاش فى تصويرها حتى قرب ذلك من صورة الإنسان وقال الناظر إليها : كأنه إنسان ! عظم تعجبك من صنعة النقاش وحذقه وخفة يده وتمام فطنته وعظم فى قلبك محله ، مع أنك تعلم أن تلك الصورة إنما تمت بالصبغ والقلم واليد وبالقدرة وبالعلم وبالإرادة ، وشىء من ذلك ليس من

فعل النقاش ولا خلقه بل هو من خلق غيره ، وإنما منتهى فعله الجمع بين الصبغ والحائط على ترتيب مخصوص ، فيكثر تعجبك منه وتستعظمه .

وأنت ترى النطفة القذرة كانت معدومة فخلقها خالقها فى الأصلاب والترائب ، ثم أخرجها منها وشكلها فأحسن تشكيلها وقدرها فأحسن تقديرها وتصويرها . وقسم أجزاءها المتشابهة إلى أجزاء مختلفة فأحكم العظام فى أرجائها وحسن أشكال أعضائها وزين ظاهرها وباطنها ورتب عروقها وأعصابها وجعلها مجرى لغذائها ليكون ذلك سبب بقائها ، وجعلها سميعة بصيرة عالمة ناطقة . وخلق لها الظهر أساسا لبدنها والبطن حاويا لآلات غذائها والرأس جامعا لحواسها ، ففتح العينين ورتب طبقاتها وأحسن شكلها ولونها وهيئاتها ، ثم حماها بالأجفان لتسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع الأقذاء عنها ، ثم أظهر فى مقدار عدسة منها صورة السموات مع اتساع أكنافها وتباعد أقطارها فهو ينظر إليها . ثم شق أذنيه وأودعهما ماء مرا ليحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها وحوطها بصدفة الأذن لتجمع الصوت فترده إلى صماخها ولتحس بدبيب الهوام إليها ، وجعل فيها تحريفات واعوجاجات لتكثر حركة مايدب فيها ويطول طريقه فيتنبه من النوم صاحبها إذا قصدها دابة فى حال النوم . ثم رفع الأنف من وسط الوجه وأحسن شكله ، وفتح منخريه وأودع فيه حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطاعمه وأغذيته ، وليستنشق بمنفذ المنخرين روح الهواء غذاء لقلبه وترويحا لحرارة باطنه . وفتح الفم وأودعه اللسان ناطقا وترجمانا ومعربا عما فى القلب . وزين الفم بالأسنان لتكون آلة الطحن والكسر والقطع فأحكم أصولها وحدد رءوسها وبيض لونها ، ورتب صفوفها متساوية الرءوس متناسقة الترتيب كأنها الدر المنظوم . وخلق الشفتين وحسن لونها وشكلها لتنطبق على الفم فتسد منفذه وليتم بها حروف الكلام وخلق الحنجرة وهيأها لخروج الصوت وخلق للسان قدرة للحركات والتقطيعات لتقطع الصوت فى مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع بها طريق النطق بكثرتها . ثم خلق الحناجر مختلفة الأشكال فى الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر ، حتى اختلفت بسببها الأصوات ، فلا يتشابه صوتان ، بل يظهر بين كل صوتين فرقا حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت فى الظلمة . ثم زين الرأس بالشعر والأصداغ . وزين الوجه باللحية والحاجبين ، وزين الحاجب برقة الشعر واستقواس الشكل . وزين العينين بالأهداب .

ثم خلق الأعضاء الباطنة وسخر كل واحد لفعل مخصوص . فسخر المعدة لنضج الغذاء ، والكبد لإحالة الغذاء إلى الدم ، والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد . فالطحال يخدمها بجذب السوداء عنها . والمرارة تخدمها بجذب الصفراء عنها . والكلية تخدمها بجذب المائية عنها . والمثانة تخدم الكلية بقبول الماء عنها ، ثم تخرجه فى طريق الإحليل : والعروق تخدم الكبد فى إيصال الدم إلى سائر أطراف البدن . ثم خلق اليدين وطولها لتمتد إلى المقاصد ، وعرض الكف ، وقسم الأصابع الخمس ، وقسم كل أصبع بثلاث أنامل ، ووضع الأربعة فى جانب والإبهام فى جانب لتدور الإبهام على الجميع . ولو اجتمع الأولون والآخرون على أن يستنبطوا بدقيق الفكر وجها آخر فى وضع الأصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الإبهام عن الأربع وتفاوت الأربع فى الطول وترتيبها فى صف واحد لم يقدروا عليه ؛ إذ بهذا الترتيب صلحت اليد للقبض والإعطاء ، فإن بسطها كانت له طبقا يضع عليها مايريد وإن جمعها كانت له آلة للضرب ، وإن ضمها ضما غير تام كانت مغرفة له ، وإن بسطها وضم أصابعها كانت مجرفة له . ثم خلق الأظفار على رءوسها زينة للأنامل وعمادا لها من ورائها حتى لا تنقطع ، وليلتقط بها الأشياء الدقيقة التى

لا تتناولها الأنامل ، وليحك بها بدنه عند الحاجة ، فالظفر الذى هو أخس الأعضاء لو عدمه الإنسان وظهر به حكة لكان أعجز الخلق وأضعفهم ، ولم يقم أحد مقامه فى حك بدنه . ثم هدى اليد إلى موضع الحك حتى تمتد إليه ولو فى النوم والغفلة من غير حاجة إلى طلب ، ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك إلا بعد تعب طويل . ثم خلق هذا كله من النطفة وهى فى داخل الرحم فى ظلمات ثلاث ، ولو كشف الغطاء والغشاء وامتد إليه البصر لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيئا فشيئا ولا يرى المصور ولا آلته ! فهل رأيت مصورا أو فاعلا لا يمس آلته ومصنوعه ولا يلاقيه وهو يتصرف فيه ؟ فسبحانه ما أعظم شأنه وأظهر برهانه .

ثم انظر مع كمال قدرته إلى تمام رحمته فإنه لما ضاق الرحم عن الصبى لما كبر كيف هداه السبيل حتى تنكس وتحرك ، وخرج من ذلك المضيق وطلب المنفذ كأنه عاقل بصير بما يحتاج إليه .

ثم لما خرج واحتاج إلى الغذاء كيف هداه إلى التقام الثدى ؟ ثم لما كان بدنه سخيفا لا يحتمل الأغذية الكثيفة كيف دبر له فى خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث والدم سائغا خالصا ، وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن ، وأنبت منهما حلمتين على قدر ما ينطبق عليهما فم الصبى ، ثم فتح فى حلمة الثدى ثقبا ضيقا جدا حتى لا يخرج اللبن منه إلا بعد المص تدريجا ، فإن الطفل لا يطيق منه إلا القليل ، ثم كيف هداه للامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع ؟ .

ثم انظر إلى عطفه ورحمته ورأفته كيف أخر خلق الأسنان إلى تمام الحولين لأنه فى الحولين لا يتغذى إلا باللبن فيستغنى عن السن ، وإذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج إلى طعام غليظ ، ويحتاج الطعام إلى المضغ والطحن فأنبت له الأسنان عند الحاجة لا قبلها ولا بعدها ، فسبحانه كيف أخرج تلك العظام الصلبة فى تلك اللثات اللينة ! ثم حنن قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره فى الوقت الذى كان عاجزا عن تدبير نفسه . فلو لم يسلط الله الرحمة على قلوبهما لكان الطفل أعجز الخلق عن تدبير نفسه .

ثم انظر كيف رزقه القدرة والتمييز والعقل والهداية تدريجا حتى بلغ وتكامل ، فصار مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا ؛ إما كفورا أو شكورا مطيعا أو عاصيا مؤمنا أو كافرا تصديقا لقوله تعالى ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ﴾ فانظر إلى اللطف والكرم ثم إلى القدرة والحكمة تبهرك عجائب الحضرة الربانية .

والعجب كل العجب ممن يرى خطا حسنا أو نقشا حسنا على حائط فيستحسنه ، فيصرف جميع همه إلى التفكر فى النقاش والخطاط وأنه كيف نقشه وخطه وكيف اقتدر عليه ! ولا يزال يستعظمه فى نفسه ويقول : ما أحذقه وما أكمل صنعته وأحسن قدرته ! ثم ينظر إلى هذه العجائب فى نفسه وفى غيره ثم يغفل عن صانعه ومصوره فلا تدهشه عظمته ولا يحيره جلاله وحكمته ؟ فهذه نبذة من عجائب بدنك التى لا يمكن استقصاؤها ، فهو أقرب مجال لفكرك وأجلى شاهد على عظمة خالقك وأنت غافل عن ذلك مشغول ببطنك وفرجك ولا تعرف من نفسك إلا أن تجوع فتأكل وتشبع فتنام ، وتشتهى فتجامع ، وتغضب فتقاتل . والبهائم كلها تشاركك فى معرفة ذلك ، وإنما خاصية الإنسان التى حجبت البهائم عنها معرفة الله تعالى بالنظر فى ملكوت السموات والأرض وعجائب الآفاق والأنفس ؛ إذ بها يدخل العبد فى زمرة الملائكة المقربين ويحشر فى زمرة النبيين والصديقين مقربا من حضرة رب العالمين . وليست هذه المنزلة للبهائم ولا لإنسان رضى من الدنيا بشهوات البهائم فإنه شر من البهائم بكثير ،

إذ لا قدرة للبهيمة على ذلك وأما هو فقد خلق الله له القدرة ثم عطلها وكفر نعمة الله فيها ، فأولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا .

وإذا عرفت طريق الفكر فى نفسك فتفكر فى الأرض التى هى مقرك ، ثم فى أنهارها وجبالها ومعادنها ثم ارتفع منها إلى ملكوت السموات . أما الأرض : فمن آياته أن خلق الأرض فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا فجاجا وجعلها ذلولا لتمشوا فى مناكبها ، وجعلها قارة لا تتحرك ، وأرسى فيها الجبال أوتادا لها تمنعها من أن تميد . ثم وسع أكنافها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها وإن طالت أعمارهم وكثر تطوافهم ، فقال تعالى ﴿ والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون والأرض فرشناها فنعم الماهدون ﴾ وقال تعالى ﴿ هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها ﴾ وقال تعالى ﴿ الذى جعل لكم الأرض فراشا ﴾ وقد أكثر فى كتابه العزيز من ذكر الأرض ليتفكر فى عجائبها فظهرها مقر للأحياء وبطنها مرقد للأموات قال الله تعالى ﴿ ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا ﴾ .

فانظر إلى الأرض وهى ميتة فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت واخضرت وأنبتت عجائب النبات ، وخرجت منها أصناف الحيوانات . ثم انظر كيف أحكم جوانب الأرض بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب وكيف أودع المياه تحتها ففجر العيون وأسال الأنهار تجرى على وجهها ، وأخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر ماء رقيقا عذبا صافيا زلالا ، وجعل به كل شىء حى ، فأخرج به فنون الأشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان ، وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الأشكال والألوان والطعوم والصفات والأرابيح ، يفضل بعضها على بعض فى الأكل ، تسقى بماء واحد وتخرج من أرض واحدة .

فإن قلت : إنّ اختلافها باختلاف بذورها وأصولها ؟ فمتى كان فى النواة نخلة مطوقة لعناقيد الرطب ؟ ومتى كان فى حبة واحدة سبع سنابل فى كل سنبلة مائة . ثم انظر إلى أرض البوادى وفتش ظاهرها وباطنها فتراها ترابا متشابها ، فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ألوانا مختلفة ونباتا متشابها وغير متشابه ، لكل واحد طعم وريح ولون وشكل يخالف الآخر فانظر إلى كثرتها واختلاف أصنافها وكثرة أشكالها ، ثم اختلاف طبائع النبات وكثرة منافعه وكيف أودع الله تعالى العقاقير المنافع الغريبة ؟ فهذا النبات يغذى وهذا يقوى وهذا يحيى وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يسخن ، وهذا إذا حصل فى المعدة قمع الصفراء من أعماق العروق وهذا يستحيل إلى الصفراء وهذا يقمع البلغم والسوداء وهذا يستحيل إليهما وهذا يصفى الدم وهذا يستحيل دما وهذا يفرح وهذا ينوم وهذا يقوى وهذا يضعف ! فلم تنبت من الأرض ورقة ولا تنبة إلا وفيها منافع لا يقوى البشر على الوقوف على كنهها . وكل واحد من هذا النبات يحتاج الفلاح فى تربيته إلى عمل مخصوص ؛ فالنخل تؤبر والكرم يكسح والزرع ينقى عنه الحشيش والدغل ، وبعض ذلك يستنبت ببث البذر فى الأرض وبعضه بغرس الأغصان وبعضه يركب فى الشجر . ولو أردنا أن نذكر اختلاف أجناس النبات وأنواعه ومنافعه وأحواله وعجائبه لانقضت الأيام فى وصف ذلك ؛ فيكفيك من كل جنس نبذة يسيرة تدلك على طريق الفكر فهذه عجائب النبات .

(ومن آياته) الجواهر المودعة تحت الجبال ، والمعادن الحاصلة من الأرض : فى الأرض قطع متجاورات مختلفة ، فانظر إلى الجبال كيف يخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج واللعل وغيرها ، بعضها منطبعة تحت المطارق كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد ، وبعضها لا ينطبع كالفيروزج واللعل ؟

وكيف هدى الله الناس إلى استخراجها وتنقيتها واتخاذ الأوانى والآلات والنقود والحلى منها . ثم انظر إلى معادن الأرض من النفط والكبريت والقار وغيرها ، وأقلها الملح ولا يحتاج إليه إلا لتطييب الطعام ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك إليها ! فانظر إلى رحمة الله تعالى كيف خلق بعض الأراضى سبخة بجوهرها بحيث يجتمع فيها الماء الصافى من المطر ، فيستحيل ملحا مالحا محرقا لا يمكن تناول مثقال منه ، ليكون ذلك تطييبا لطعامك إذا أكلته فيتهنأ عيشك . وما من جماد ولا حيوان ولا نبات إلا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس . ما خلق شىء منها عبثا ولا لعبا ولا هزلا ، بل خلق الكل بالحق كما ينبغى وعلى الوجه الذى ينبغى وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه . ولذلك قال تعالى ﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ماخلقناهما إلا بالحق ﴾ .

(ومن آياته) أصناف الحيوانات : وانقسامها إلى ما يطير وإلى مايمشى . وانقسام مايمشى : إلى مايمشى على رجلين ، وإلى مايمشى على أربع ، وعلى عشر ، وعلى مائة ، كما يشاهد فى بعض الحشرات . ثم انقسامها فى المنافع والصور والأشكال والأخلاق والطباع . فانظر إلى طيور الجو وإلى وحوش البر والبهائم الأهلية ترى فيها من العجائب ولا تشك معه فى عظمة خالقها وقدرة مقدرها وحكمة مصورها ، وكيف يمكن أن يستقصى ذلك ؟ بل لو أردنا أن نذكر عجائب البقة أو النملة أو النحلة أو العنكبوت ـ وهى من صغار الحيوانات ـ فى بنائها بيتها وفى جمعها غذاءها وفى إلفها لزوجها وفى ادخارها لنفسها وفى حذقها فى هندسة بيتها وفى هدايتها إلى حاجاتها لم نقدر على ذلك . فترى العنكبوت يبنى بيته على طرف نهر فيطلب أولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنه أن يصل بالخيط بين طرفيه ، ثم يبتدئ ويلقى اللعاب الذى هو خيطه على جانب ليلتصق به ، ثم يغدو إلى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط ، ثم كذلك يتردد ثانيا وثالثا ويجعل بعد ما بينهما متناسبا تناسبا هندسيا ، حتى إذا أحكم معاقد القمط ورتب الخيوط كالسدى اشتغل باللحمة ، فيضع اللحمة على السدى ويضيف بعضه إلى بعض ويحكم العقد على موضع التقاء اللحمة بالسدى ، ويراعى فى جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب ، ويقعد فى زاوية مترصدا لوقوع الصيد فى الشبكة ، فإذا وقع الصيد بادر إلى أخذه وأكله فإن عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفى الزاوية بخيط ، ثم علق نفسه فيها بخيط آخر وبقى منكسا فى الهواء ينتظر ذبابة تطير ؛ فإذا طارت رمى بنفسه إليه فأخذه ولف خيطه على رجليه وأحكمه ثم أكله . وما من حيوان صغير ولا كبير إلا وفيه من العجائب مالا يحصى . أفترى أنه تعلم هذه الصنعة من نفسه أو تكون بنفسه أو كونه آدمى أو علمه أو لا هادى له ولا معلم ؟ أفيشك ذو بصيرة فى أنه مسكين ضعيف عاجز ؟ بل الفيل العظيم شخصه ، الظاهرة قوته ، عاجز عن أمر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف ؟ أفلا يشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته وعجائب صنعته لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم . فالبصير يرى فى هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ماتتحير فيه الألباب والعقول فضلا عن سائر الحيوانات . وهذا الباب أيضا لا حصر له فإن الحيوانات وأشكالها وأخلاقها وطباعها غير محصورة ، وإنما سقط تعجب القلوب منها لأنسها بكثرة المشاهدة . نعم إذا رأى حيوانا غريبا ولو دودا تجدد تعجبه وقال : سبحان الله ما أعجبه ! والإنسان أعجب الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر إلى الأنعام التى ألفها ونظر إلى أشكالها وصورها ، ثم إلى منافعها وفوائدها من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها التى جعلها الله لباسا لخلقه وأكنانا لهم فى ظعنهم وإقامتهم وآنية لأشربتهم وأوعية لأغذيتهم وصوانا لأقدامهم وجعل

ألبانها ولحومها أغذية لهم ، ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للأثقال قاطعة للبوادى والمفازات البعيدة لأكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصورها ، فإنه ما خلقها إلا بعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه إياها فسبحان من الأمور مكشوفة فى علمه من غير تفكر ومن غير تأمل وتدبر ومن غير استعانة بوزير أو مشير فهو العليم الخبير الحكيم القدير ، فلقد استخرج بأقل القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيده ، فما للخلق إلا الإذعان لقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته والإقرار بالعجز عن معرفة جلاله وعظمته ، فمن ذا الذى يحصى ثناء عليه ؟ بل هو كما أثنى على نفسه ، وإنما غاية معرفتنا الاعتراف بالعجز عن معرفته فنسأل الله تعالى أن يكرمنا بهدايته بمنه ورأفته .

(ومن آياته) البحار العميقة المكتنفة لأقطار الأرض ، التى هى قطع من البحر الأعظم المحيط بجميع الأرض ، حتى إن جميع المكشوف من البوادى والجبال والأرض بالإضافة إلى الماء كجزيرة صغيرة فى بحر عظيم وبقية الأرض مستورة بالماء قال النبى صلى الله عليه وسلم « الأرض فى البحر كالاصطبل فى الأرض [1] » فانسب اصطبلا إلى جميع الأرض . واعلم أن الأرض بالإضافة إلى البحر مثله .

وقد شاهدت عجائب الأرض ومافيها فتأمل الآن عجائب البحر ، فإن عجائب مافيه من الحيوان والجواهر أضعاف عجائب ماتشاهده على وجه الأرض ، كما أن سعته أضعاف سعة الأرض ، ولعظم البحر كان فيه من الحيوانات العظام ماترى ظهورها فى البحر فتظن أنها جزيرة فينزل الركاب عليها فربما تحس بالنيران إذا اشتعلت فتتحرك ويعلم أنها حيوان . وما من صنف من أصناف حيوان البر من فرس أوطير أو بقر أو إنسان إلا وفى البحر أمثاله وأضعافه ، وفيه أجناس لايعهد لها نظير فى البر : وقد ذكرت أوصافها فى مجلدات وجمعها أقوام عنوا بركوب البحر وجمع عجائبه .

ثم انظر كيف خلق الله اللؤلؤ ودوره فى صدفه تحت الماء . وانظر كيف أنبت المرجان من صم الصخور تحت الماء ، وإنما هو نبات على هيئة شجر ينبت من الحجر . ثم تأمل ماعداه من العنبر وأصناف النفائس التى يقذفها البحر وتستخرج منه ! ثم انظر إلى عجائب السفن كيف أمسكها الله تعالى على وجه الماء وسير فيها التجار وطلاب الأموال وغيرهم ، وسخر لهم الفلك لتحمل أثقالهم ، ثم أرسل الرياح لتسوق السفن ، ثم عرّف الملاحين موارد الرياح ومهابها ومواقيتها . ولايستقصى على الجملة عجائب صنع الله فى البحر فى مجلدات . وأعجب من ذلك كله ماهو أظهر من كل ظاهر ! وهو كيفية قطره الماء : وهو جسم رقيق لطيف سيال مشف ، متصل الاجزاء كأنه شىء واحد ، لطيف التركيب سريع القبول للتقطيع كأنه منفصل ، مسخر للتصرف قابل للانفصال والاتصال ، به حياة كل ماعلى وجه الأرض من حيوان ونبات ، فلو احتاج العبد إلى شربة ماء ومنع منها لبذل جميع خزائن الأرض وملك الدنيا فى تحصيلها لو ملك ذلك ، ثم لو شربها ومنع من إخراجها لبذل جميع خزائن الأرض وملك الدنيا فى إخراجها ! فالعجب من الآدمى كيف يستعظم الدينار والدرهم ونفائس الجواهر ويغفل عن نعمة الله فى شربة ماء إذا احتاج إلى شربها أو الاستفراغ عنها بذل جميع الدنيا فيها ! فتأمل فى عجائب المياه والأنهار والآبار والبحار ففيها متسع للفكر ومجال . وكل ذلك شواهد متظاهرة وآيات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال بارئها معربة عن كمال حكمته فيها ، منادية أرباب القلوب بنغماتها قائلة لكل ذى لب : أما ترانى وترى صورتى وتركيبى

(١) حديث « الأرض فى البحر كالاصطبل فى الأرض » تقدم ولم أجده .

وصفاتى ومنافعى واختلاف حالاتى وكثرة فوائدى ؟ أتظنّ أنى كوّنت نفسى أوخلقنى أحد من جنسى ؟ أو ماتستحيي أن تنظر فى كلمة مرقومة من ثلاثة أحرف فتقطع بأنها من صنعة آدمى عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر إلى عجائب الخطوط الإلهية المرقومة على صفحات وجهى بالقلم الإلهى الذى لاتدرك الأبصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله بمحل الخط . ثم ينفك قلبك عن جلالة صانعه .

وتقول النطفة لأرباب السمع والقلب لا للذين هم عن السمع معزولون : توهمنى فى ظلمة الأحشاء مغموسة فى دم الحيض فى الوقت الذى يظهر التخطيط والتصوير على وجهى ، فينقش النقاش حدقتى وأجفانى وجبهتى وخدّى وشفتى ، فترى التقويس يظهر شيئا فشيئا على التدريج ولاترى داخل النطفة نقاشا ولاخارجها ، ولاداخل الرحم ولاخارجه ، ولاخبر منها للأمّ ولا للأب ولا للنطفة ولا للرحم ! فما هذا النقاش بأعجب مما نشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت إليها مرة أو مرتين لتعلمته ، فهل تقدر على أن تتعلم هذا الجنس من النقش والتصوير الذى يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع أجزائها من غير ملامسة للنطفة ومن غير اتصال بها لامن داخل ولامن خارج ؟ فإن كنت لاتتعجب من هذه العجائب ولاتفهم بها أنّ الذى صوّر ونقش وقدر لانظير له ولايساويه نقاش ولا مصوّر ، كما أنّ نقشه وصنعه لايساويه نقش وصنع - فبين الفاعلين من المباينة والتباعد مابين الفعلين - فإن كنت لاتتعجب من هذا فتعجب من عدم تعجبك فإنه أعجب من كل عجب ؟ فإن الذى أعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك من التبيين مع هذا البيان جدير بأن تتعجب منه ، فسبحان من هدى وأضل وأغوى وأرشد وأشقى وأسعد وفتح بصائر أحبابه فشاهدوه فى جميع ذرّات العالم وأجزائه ، وأعمى قلوب أعدائه واحتجب عنهم بعزه وعلائه ، فله الخلق والأمر والامتنان والفضل واللطف والقهر لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه .

(ومن آياته) الهواء اللطيف المحبوس بين مقعر السماء ومحدب الأرض : يدرك بحس اللمس عند هبوب الرياح جسمه ، ولايرى بالعين شخصه ، وجملته مثل البحر الواحد والطيور محلقة فى جو السماء ومستبقة سباحة فيه بأجنحتها كما تسبح حيوانات البحر فى الماء ، وتضطرب جوانبه وأمواجه عند هبوب الرياح كما تضطرب أمواج البحر ، فإذا حرّك الله الهواء وجعله ريحا هابة فإن شاء جعله نشرا بين يدى رحمته كما قال سبحانه ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ فيصل بحركته روح الهواء إلى الحيوانات والنباتات فتستعدّ للنماء ، وإن شاء جعله عذابا على العصاة من خليقته كما قال تعالى ﴿ إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر ﴾ ثم انظر إلى لطف الهواء ، ثم شدّته وقوّته مهما ضغط فى الماء ، فالزق المنفوخ يتحامل عليه الرجل القوى ليغمسه فى الماء فيعجز عنه ، والحديد الصلب تضعه على وجه الماء فيرسب فيه . فانظر كيف ينقبض الهواء من الماء بقوّته مع لطافته ؟ وبهذه الحكمة أمسك الله تعالى السفن على وجه الماء ، وكذلك كل مجوف فيه هواء لايغوص فى الماء لأنّ الهواء ينقبض عن الغوص فى الماء فلا ينفصل عن السطح الداخل من السفينة ، فتبقى السفينة الثقيلة مع قوّتها وصلابتها معلقة فى الهواء اللطيف ، كالذى يقع فى بئر فيتعلق بذيل رجل قوى يمتنع عن الهوى فى البئر . فالسفينة بمقعرها تتشبث بأذيال الهواء القوى حتى تمتنع من الهوى والغوص فى الماء ! فسبحان من علق المركب الثقيل فى الهواء اللطيف من غير علاقة تشاهد وعقدة تشد .

ثم انظر إلى عجائب الجو وما يظهر فيه من الغيوم والرعود والبروق والأمطار والثلوج والشهب والصواعق ؛ فهى عجائب مابين السماء والأرض ، وقد أشار القرآن إلى جملة ذلك فى قوله تعالى ﴿ وما خلقنا السموات والأرض

ومابينهما لاعبين ﴾ وهذا هو الذى بينهما . وأشار إلى تفصيله فى مواضع شتى حيث قال تعالى ﴿ والسحاب المسخر بين السماء والأرض ﴾ وحيث تعرض للرعد والبرق والسحاب والمطر ، فإذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة إلا أن ترى المطر بعينك وتسمع الرعد بأذنك فالبهيمة تشاركك فى هذه المعرفة ! فارتفع من حضيض عالم البهائم إلى عالم الملأ الأعلى فقد فتحت عينيك فأدركت ظاهرها ، فغمض عينك الظاهرة وانظر ببصيرتك الباطنة لترى عجائب باطنها وغرائب أسرارها وهذا أيضا باب يطول الفكر فيه إذ لا مطمع فى استقصائه . فتأمل السحاب الكثيف المظلم كيف تراه يجتمع فى جو صاف لا كدورة فيه وكيف يخلقه الله تعالى إذا شاء ومتى شاء ، وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل ويمسكه فى جو السماء إلى أن يأذن الله فى إرسال الماء وتقطيع القشرات كل قطرة بالقدر الذى أراده الله تعالى وعلى الشكل الذى شاءه فترى السحاب يرش الماء على الأرض ويرسله قطرات متفاصلة لا تدرك قطرة منها قطرة ولا تتصل واحدة بأخرى ، بل تنزل كل واحدة فى الطريق الذى رسم لها لا تعدل عنه فلا يتقدم المتأخر ولا يتأخر المتقدم حتى يصيب الأرض قطرة قطرة فلو اجتمع الأولون والآخرون على أن يخلقوا منها قطرة أو يعرفوا عدد ما ينزل منها فى بلدة واحدة أو قرية واحدة لعجز حساب الجن والإنس عن ذلك ، فلا يعلم عددها إلا الذى أوجدها . ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء من الأرض ولكل حيوان فيها من طير ووحش وجميع الحشرات والدواب ، ومكتوب على تلك القطرة بخط إلهى لا يدرك بالبصر الظاهر أنها رزق الدودة الفلانية التى فى ناحية الجبل الفلانى تصل إليها عند عطشها فى الوقت الفلانى ! هذا مع ما فى انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وفى تناثر الثلوج كالقطن المندوف من العجائب التى لا تحصى . كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر ما لأحد من الخلق فيه شرك ولا مدخل ، بل ليس للمؤمنين من خلقه إلا الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته ، ولا للعميان الجاحدين إلا الجهل بكيفيته ورجم الظنون بذكر سببه وعلته ، فيقول الجاهل المغرور إنما ينزل الماء لأنه ثقيل بطبعه وإنما هذا سبب نزوله ، ويظن أن هذه معرفة انكشفت له ويفرح بها ، ولو قيل له : ما معنى الطبع وما الذى خلقه ؟ ومن الذى خلق الماء الذى طبعه الثقل ؟ وما الذى رقى الماء المصبوب فى أسافل الشجر إلى أعالى الأغصان وهو ثقيل بطبعه ؟ فكيف هوى إلى أسفل ثم ارتفع إلى فوق فى داخل تجاويف الأشجار شيئاً فشيئاً بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر فى جميع أطراف الأوراق ، فيغذى كل جزء من كل ورقة ، ويجرى إليها فى تجاويف عروق شعرية صغار يروى منه العرق الذى هو أصل الورقة ، ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير الممدود فى طول الورقة عروق صغار ـ فكأن الكبير نهر وما انشعب عنه جداول ، ثم ينشعب من الجداول سوق أصغر منها ، ثم ينتشر منها خيوط عنكبوتية دقيقة تخرج عن إدراك البصر حتى تنبسط فى جميع عرض الورقة ـ فيصل الماء فى أجوافها إلى سائر أجزاء الورقة ليغذيها وينميها ويزينها وتبقى طراوتها ونضارتها ، وكذلك إلى سائر أجزاء الفواكه . فإن كان الماء يتحرك بطبعه إلى أسفل فكيف تحرك إلى فوق ؟ فإن كان ذلك بجذب جاذب فما الذى سخر ذلك الجاذب ؟ وإن كان ينتهى بالآخرة إلى خالق السموات والأرض وجبار الملك والملكوت فلم لا يحال عليه من أول الأمر ؟ فنهاية الجاهل بداية العاقل .

(ومن آياته) ملكوت السموات والأرض وما فيها من الكواكب : وهو الأمر كله ، ومن أدرك الكل وفاته عجائب السموات فقد فاته الكل تحقيقا . فالأرض والبحار والهواء وكل جسم سوى السموات بالإضافة إلى السموات قطرة فى بحر وأصغر . ثم انظر كيف عظم الله أمر السموات والنجوم فى كتابه ، فما من سورة إلا وتشتمل على تفخيمها فى مواضع ، وكم من قسم فى القرآن بها كقوله تعالى ﴿ والسماء ذات البروج ـ والسماء والطارق ـ والسماء

ذات الحبك ـ والسماء وما بناها ﴾ وكقوله تعالى ﴿ والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها ﴾ وكقوله تعالى ﴿ فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ﴾ وقوله تعالى ﴿ والنجم إذا هوى ـ فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ فقد علمت أن عجائب النطفة القذرة عجز عن معرفتها الأولون والآخرون ـ وما أقسم الله بها ـ فما ظنك بما أقسم الله تعالى به وأحال الأرزاق عليه وأضافها إليه فقال تعالى ﴿ وفى السماء رزقكم وما توعدون ﴾ وأثنى على المفكرين فيه فقال ﴿ ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته [1] » أى تجاوزها من غير فكر . وذم المعرضين عنها فقال ﴿ وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون ﴾ فأى نسبة لجميع البحار والأرض إلى السماء وهى متغيرات على القرب ، والسموات صلاب شداد محفوظات عن التغير إلى أن يبلغ الكتاب أجله ، ولذلك سماه الله تعالى محفوظا فقال ﴿ وجعلنا السماء سقفا محفوظا ﴾ وقال سبحانه ﴿ وبنينا فوقكم سبعا شدادا ﴾ وقال ﴿ أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها ﴾ فانظر إلى الملكوت لترى عجائب العز والجبروت . ولا تظنن أن معنى النظر إلى الملكوت بأن تمد البصر إليه فترى زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرقها فإن البهائم تشاركك فى هذا النظر . فإن كان هذا هو المراد فلم مدح الله تعالى إبراهيم بقوله ﴿ وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ﴾ لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن يعبر عنه بالملك والشهادة ، وما غاب عن الأبصار فيعبر عنه بالغيب والملكوت ، والله تعالى عالم الغيب والشهادة وجبار الملك والملكوت ولا يحيط أحد بشىء من علمه إلا بما شاء ، وهو ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول ﴾ .

فأجل أيها العاقل فكرك فى الملكوت فعسى يفتح لك أبواب السماء فتجول بقلبك فى أقطارها إلى أن يقوم قلبك بين يدى عرش الرحمن ، فعند ذلك ربما يرجى لك أن تبلغ رتبة عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث قال : رأى قلبى ربى . وهذا لأن بلوغ الأقصى لا يكون إلا بعد مجاوزة الأدنى وأدنى شىء إليك نفسك ، ثم الأرض التى هى مقرك ، ثم الهواء المكتنف لك ، ثم النبات والحيوان وما على وجه الأرض ، ثم عجائب الجو وهو ما بين السماء والأرض ، ثم السموات السبع بكواكبها ، ثم الكرسى ، ثم العرش ، ثم الملائكة الذين هم حملة العرش وخزان السموات ، ثم منه تجاوز إلى النظر إلى رب العرش والكرسى والسموات والأرض وما بينهما . فبينك وبين هذه المفاوز العظيمة والمسافات الشاسعة والعقبات الشاهقة ، وأنت بعد لم تفرغ من العقبة القريبة النازلة ، وهى معرفة ظاهر نفسك ، ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك وتدعى معرفة ربك وتقول : قد عرفته وعرفت خلقه ففيماذا أتفكر إلى ماذا أتطلع ؟

فارفع الآن رأسك إلى السماء وانظر فيها وفى كواكبها وفى دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها ودؤوبها فى الحركة على الدوام ـ من غير فتور فى حركتها ومن غير تغير فى سيرها ، بل تجرى جميعا فى منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص إلى أن يطويها الله تعالى طى السجل للكتاب ـ وتدبر عدد كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها فبعضها يميل إلى الحمرة وبعضها إلى البياض وبعضها إلى اللون الرصاصى . ثم انظر كيفية أشكالها : فبعضها على صورة العقرب وبعضها على صورة الحمل والثور والأسد والإنسان ، وما من صورة فى الأرض إلا ولها مثال فى السماء . ثم انظر إلى مسير الشمس فى فلكها فى مدة سنة ، ثم هى تطلع فى كل يوم وتغرب

(١) حديث « ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته » أى قوله تعالى ﴿ ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ﴾ تقدم .

بسير آخر سخرها له خالقها ولو لا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرف المواقيت ولا طبق الظلام على الدوام أو الضياء على الدوام ، فكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة ، فانظر كيف جعل الله تعالى الليل لباسا والنوم سباتا والنهار معاشا ، وانظر إلى إيلاجه الليل فى النهار والنهار فى الليل وإدخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص . وانظر إلى إمالته مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف والشتاء والربيع والخريف فإذا انخفضت الشمس من وسط السماء فى مسيرها برد الهواء وظهر الشتاء ، وإذا استوت فى وسط السماء اشتد القيظ وإذا كانت فيما بينهما اعتدل الزمان . وعجائب السموات لا مطمع فى إحصاء عشر عشير جزء من أجزائها ، وإنما هذا تنبيه على طريق الفكر ، واعتقد على طريق الجملة أنه ما من كوكب من الكواكب إلا ولله تعالى حكم كثيرة فى خلقه ثم فى مقداره ، ثم فى شكله ، ثم فى لونه ثم فى وضعه من السماء ، وقربه من وسط السماء وبعده ، وقربه من الكواكب التى بجنبه وبعده . وقس على ذلك ما ذكرناه من أعضاء بدنك ، إذ ما من جزء إلا وفيه حكمة بل حكم كثيرة ، وأمر السماء أعظم ، بل لا نسبة لعالم الأرض إلى عالم السماء لا فى كبر جسم ولا فى كثرة معانيه . وقس التفاوت الذى بينهما فى كثرة المعانى بما بينهما من التفاوت فى كبر الأرض ، فأنت تعرف من كبر الأرض واتساع أطرافها أنه لا يقدر آدمى على أن يدركها ويدور بجوانبها ، وقد اتفق الناظرون على أن الشمس مثل الأرض مائة ونيفا وستين مرة ، وفى الأخبار ما يدل على عظمتها [1] ثم الكواكب التى تراها أصغرها مثل الأرض ثمانى مرات ، وأكبرها ينتهى إلى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الأرض . وبهذا تعرف ارتفاعها وبعدها ؛ إذ للبعد صارت ترى صغارا ولذلك أشار الله تعالى إلى بعدها فقال ﴿رفع سمكها فسواها﴾ .

وفى الأخبار : أن ما بين كل سماء إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام [2] فإذا كان مقدرا كوكب واحد مثل الأرض أضعافا فانظر إلى كثرة الكواكب . ثم انظر إلى السماء التى الكواكب مركوزة فيها وإلى عظمها . ثم انظر إلى سرعة حركتها وأنت لا تحس بحركتها فضلا عن أن تدرك سرعتها ، لكن لا تشك أنها فى لحظة تسير مقدار عرض كوكب ، لأن الزمان من طلوع أول جزء من كوكب إلى تمامه يسير وذلك الكوكب هو مثل الأرض مائة مرة وزيادة ، فقد دار الفلك فى هذه اللحظة مثل الأرض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام وأنت غافل عنه . وانظر كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركته إذ قال له النبى صلى الله عليه وسلم « هل زالت الشمس ؟ » فقال : لا ... نعم ، فقال « كيف تقول لا ... نعم » فقال : من حين قلت لا إلى أن قلت نعم سارت الشمس خمسمائة عام [3] فانظر إلى عظم شخصها ثم إلى خفة حركتها ، ثم انظر إلى قدرة الفاطر الحكيم كيف أثبت صورتها مع اتساع أكنافها فى حدقة العين مع صغرها حتى تجلس على الأرض وتفتح عينيك نحوها فترى جميعها . فهذه السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر إليها بل انظر إلى بارئها كيف خلقها ، ثم أمسكها من غير عمد ترونها ومن غير علاقة من فوقها وكل العالم

---

(١) الحديث الدال على عظم الشمس رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمر : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الشمس حين غربت فقال « فى نار الله الحامية لولا ما نزعها من أمر الله لأهلكت ما على الأرض » والطبرانى فى الكبير من حديث أبى أمامة « وكل بالشمس تسعة أملاك يرمونها بالثلج كل يوم لولا ذلك ما أتت على شىء إلا أحرقته » .

(٢) حديث « بين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام » أخرجه الترمذى من رواية الحسن عن أبى هريرة وقال غريب ، قال ويروى عن أيوب ويونس بن عبيد وعلى بن زيد قالوا ولم يسمع الحسن من أبى هريرة ، ورواه أبو الشيخ فى العظمة من رواية أبى نضرة عن أبى ذر ورجاله ثقات إلا أنه لا يعرف لأبى نضرة سماع من أبى ذر . (٣) حديث : أنه قال لجبريل « هل زالت الشمس؟ » فقال : لا ... نعم ، فقال : كيف تقول لا ... نعم ؟ فقال : من حين قلت : لا ، إلى أن قلت : نعم ، سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام » لم أجد له أصلا .

كبيت واحد والسماء سقفه فالعجب منك أنك تدخل بيت غنى فتراه مزوّقا بالصبغ مموّها بالذهب فلا ينقطع تعجبك منه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك ! وأنت أبدا تنظر إلى هذا البيت العظيم وإلى أرضه وإلى سقفه وإلى هوائه وإلى عجائب أمتعته وغرائب حيواناته وبدائع نقوشه ثم لا تتحدّث فيه ولا تلتفت بقلبك إليه افما هذا البيت دون ذلك البيت الذى تصفه بل ذلك البيت هو أيضا جزء من الأرض التى هى أخس أجزاء هذا البيت ! ومع هذا فلا تنظر إليه ؛ ليس له سبب إلا أنه بيت ربك هو الذى انفرد ببنائه وترتيبه وأنت قد نسيت نفسك وربك وبيت ربك واشتغلت ببطنك وفرجك ؟ ليس لك هم إلا شهوتك أو حشمتك . وغاية شهوتك أن تملأ بطنك ، ولا تقدر على أن تأكل عشر ما تأكله بهيمة فتكون البهيمة فوقك بعشر درجات . وغاية حشمتك أن تقبل عليك عشرة أو مائة من معارفك فينافقون بألسنتهم بين يديك ، ويضمرون خبائث الاعتقادات عليك ، وإن صدقوك فى مودتهم إياك فلا يملكون لك ولا لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، وقد يكون فى بلدك من أغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك ، وقد اشتغلت بهذا الغرور وغفلت عن النظر فى جمال ملكوت السموات والأرض ثم غفلت عن التنعم بالنظر إلى جلال مالك الملكوت والملك . وما مثلك ومثل عقلك إلا كمثل النملة تخرج من جحرها الذى حفرته فى قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنيان حصين الأركان مزين بالجوارى والغلمان وأنواع الذخائر والنفائس ، فإنها إذا خرجت من جحرها ولقيت صاحبتها لم تتحدّث لو قدرت على النطق إلا عن بيتها وغذائها وكيفية ادخارها ، فأما حال القصر والملك الذى فى القصر فهى بمعزل عنه وعن التفكر فيه ، بل لا قدرة لها على المجاوزة بالنظر عن نفسها وغذائها وبيتها إلى غيره . وكما غفلت النملة عن القصر وعن أرضه وسقفه وحيطانه وسائر بنيانه وغفلت أيضا عن سكانه ، فأنت أيضا غافل عن بيت الله تعالى وعن ملائكته الذين هم سكان سمواته ، فلا تعرف من السماء إلا ما تعرفه النملة من سقف بيتك ، ولا تعرف من ملائكة السموات إلا ما تعرف النملة منك ومن سكان بيتك . نعم ليس للنملة طريق إلى أن تعرفك وتعرف عجائب قصرك وبدائع صنعة الصانع فيه ، وأما أنت فلك قدرة على أن تجول فى الملكوت وتعرف من عجائبه ما الخلق غافلون عنه . ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط فإنه مجال لا آخر له ، ولو استقصينا أعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله تعالى علينا بمعرفته ، وكل ما عرفناه قليل نزر حقير بالإضافة إلى ما عرفه جملة العلماء والأولياء ، وما عرفوه قليل نزر حقير بالإضافة إلى ما عرفه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وجملة ما عرفوه قليل بالإضافة إلى ما عرفه محمد نبينا صلى الله عليه وسلم . وما عرفه الأنبياء كلهم قليل بالإضافة إلى ما عرفته الملائكة المقربون كإسرافيل وجبريل وغيرهما ثم جميع علوم الملائكة والجن والإنس إذا أضيف إلى علم الله سبحانه وتعالى لم يستحق أن يسمى علما ، بل هو إلى أن يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا أقرب . فسبحان من عرّف عباده ما عرّف ثم خاطب جميعهم فقال ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ .

فهذا بيان معاقد الجمل التى تجول فيها فكر المتفكرين فى خلق الله تعالى وليس فيها فكر فى ذات الله تعالى ، ولكن يستفاد من الفكر فى الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته ، وكلما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله تعالى كانت معرفتك بجلاله وعظمته أتم . وهذا كما أنك تعظم عالما بسبب معرفتك بعلمه ، فلا تزال تطلع على غريبة من تصنيفه أو شعره فتزداد به معرفة وتزداد بحسنه له توقيرا وتعظيما واحتراما ، حتى إن كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب من أبيات شعره يزيده محلا من قلبك يستدعى التعظيم له فى نفسك . فهكذا تأمل فى خلق الله تعالى وتصنيفه وتأليفه ، وكل ما فى الوجود من خلق الله وتصنيفه والنظر والفكر فيه لا يتناهى أبدا ، وإنما لكل عبد

منهما بقدر مارزق . فلنقتصر على ماذكرناه ولنضف إلى هذا مافصلناه فى كتاب الشكر ، فإنا نظرنا فى ذلك الكتاب فى فعل الله تعالى من حيث هو إحسان إلينا وإنعام علينا . وفى هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث إنه فعل الله فقط ، وكل مانظرنا فيه فإن الطبيعى ينظر فيه ويكون نظره سبب ضلاله وشقاوته ، والموفق ينظر فيه فيكون سبب هدايته وسعادته . ومامن ذرة فى السماء والأرض إلا والله سبحانه وتعالى يضل بها من يشاء ويهدى بها من يشاء ، فمن نظر فى هذه الأمور من حيث إنها فعل الله تعالى وصنعه استفاد منه المعرفة بجلال الله تعالى وعظمته واهتدى به ، ومن نظر فيها قاصرا النظر عليها من حيث تأثير بعضها فى بعض لامن حيث ارتباطها بمسبب الأسباب فقد شقى وارتدى فنعوذ بالله من الضلال ، ونسأله أن يجنبنا مزلة أقدام الجهال بمنه وكرمه وفضله وجوده ورحمته .

تم الكتاب التاسع من ربع المنجيات والحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله وسلامه ، يتلوه كتاب ذكر الموت وما بعده ، وبه كمل جميع الديوان بحمد الله تعالى وكرمه .

كتاب ذكر الموت وما بعده

وهو الكتاب العاشر من ربع المنجيات ، وبه اختتام كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى قصم بالموت رقاب الجبابرة ، وكسر به ظهور الأكاسرة وقصر به آمال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة ، حتى جاءهم الوعد الحق فأرداهم فى الحافرة ، فنقلوا من القصور إلى القبور ، ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحود ، ومن ملاعبة الجوارى والغلمان إلى مقاساة الهوام والديدان ، ومن التنعم بالطعام والشراب إلى التمرغ فى التراب ، ومن أنس العشرة إلى وحشة الوحدة ، ومن المضجع الوثير إلى المصرع الوبيل ، فانظر هل وجدوا من الموت حصنا وعزا ، واتخذوا من دونه حجابا وحرزا ، وانظر ﴿ هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ﴾ فسبحان من انفرد بالقهر والاستيلاء ، واستأثر باستحقاق البقاء ، وأذل أصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء ، ثم جعل الموت مخلصا للأتقياء وموعدا فى حقهم للقاء ، وجعل القبر سجنا للأشقياء وحبسا ضيقا عليهم إلى يوم الفصل والقضاء ، فله الإنعام بالنعم المتظاهرة ، وله الانتقام بالنقم القاهرة ، وله الشكر فى السموات والأرض وله الحمد فى الأولى والآخرة ، والصلاة على محمد ذى المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد . فجدير بمن الموت مضرعه ، والتراب مضجعه ، والدود أنيسه ، ومنكر ونكير جليسه ، والقبر مقره وبطن الأرض مستقره والقيامة موعده ، والجنة أو النار مورده أن لا يكون له فكر إلا فى الموت ولا ذكر إلا له ، ولا استعداد إلا لأجله ، ولا تدبير إلا فيه ، ولا تطلع إلا إليه ، ولا تعريج إلا عليه ، ولا اهتمام إلا به ، ولا حول إلا حوله ، ولا انتظار وتربص إلا له ، وحقيق بأن يعد نفسه من الموتى ويراها فى أصحاب القبور ، فإن كل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الكيس من دان نفسه وعمل

لما بعد الموت [1] ، ولن يتيسر الاستعداد للشيء إلا عند تجدد ذكره على القلب ، ولا يتجدد ذكره إلا عند التذكر بالإصغاء إلى المذكرات له والنظر فى المنبهات عليه . ونحن نذكر من أمر الموت ومقدماته ولواحقه وأحوال الآخرة والقيامة والجنة والنار ما لا بد للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار ، ليكون ذلك مستحثا على الاستعداد فقد قرب لما بعد الموت الرحيل فما بقى من العمر إلا القليل والخلق عنه غافلون ﴿ اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ﴾ ونحن نذكر ما يتعلق بالموت فى شطرين :

الشطر الأول

فى مقدماته وتوابعه إلى نفخة الصور ، وفيه ثمانية أبواب

(الباب الأول) فى فضل ذكر الموت والترغيب فيه . (الباب الثانى) فى ذكر طول الأمل وقصره . (الباب الثالث) فى سكرات الموت وشدته وما يستحب من الأحوال عند الموت . (الباب الرابع) فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده . (الباب الخامس) فى كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين . (الباب السادس) فى أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور . (الباب السابع) فى حقيقة الموت ومايلقاه الميت فى القبر إلى نفخة الصور (الباب الثامن) فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة فى المنام .

الباب الأول : فى ذكر الموت والترغيب فى الإكثار من ذكره

اعلم أن المنهمك فى الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره . وإذا ذكر به كرهه ونفر منه أولئك هم الذين قال الله فيهم ﴿ قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ ثم الناس : إما منهمك ، وإما تائب مبتدئ ، أو عارف منته . أما المنهمك : فلا يذكر الموت ، وإن ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ويشتغل بمذمته ، وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا . وأما التائب : فإنه يكثر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفى بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من أن يختطفه قبل تمام التوبة وقبل إصلاح الزاد ، وهو معذور فى كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم « من كره لقاء الله كره الله لقاءه [2] » فإن هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وإنما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره ، وهو كالذى يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقائه . وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه وإلا التحق بالمنهمك فى الدنيا ، وأما العارف : فإنه يذكر الموت دائما لأنه موعد لقائه لحبيبه ، والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب ، وهذا فى غالب الأمر يستبطئ مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل إلى جوار رب العالمين . كما روى عن حذيفة أنه لما حضرته الوفاة قال : حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم ؛ اللهم إن كنت تعلم

كتاب ذكر الموت ومابعده

(١) حديث « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت » تقدم غير مرة .

الباب الأول : فى ذكر الموت والترغيب فيه

(٢) حديث « من كره لقاء الله كره الله لقاءه » متفق عليه من حديث أبي هريرة .

أنّ الفقر أحب إلى من الغنى والسقم أحب إلى من الصحة والموت أحب إلى من العيش فسهل على الموت حتى ألقاك فإذن التائب معذور فى كراهة الموت ، وهذا معذور فى حب الموت وتمنيه ، وأعلى منهما رتبة من فوض أمره إلى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حياة ، بل يكون أحب الأشياء إليه أحبها إلى مولاه . فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء إلى مقام التسليم والرضا وهو الغاية والمنتهى . وعلى كل حال فى ذكر الموت ثواب وفضل ، فإن المنهمك أيضا يستفيد بذكر الموت التجافى عن الدنيا إذ ينغص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذته . وكل ما يكدر على الإنسان اللذات والشهوات فهو من أسباب النجاة .

بيان فضل ذكر الموت كيفما كان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثروا من ذكر هاذم اللذات [1] » ومعناه نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم إليها فتقبلوا على الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم « لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم منها سمينا [2] » وقالت عائشة رضى الله عنها : يارسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد ؟ قال « نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة [3] » وإنما سبب هذه الفضيلة كلها أنّ ذكر الموت يوجب التجافى عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للآخرة ، والغفلة عن الموت تدعو إلى الانهماك فى شهوات الدنيا . وقال صلى الله عليه وسلم « تحفة المؤمن الموت [4] » وإنما قال هذا لأن الدنيا سجن المؤمن إذ لا يزال فيها فى عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومداهمة شيطانه ، فالموت إطلاق له من هذا العذاب ، والإطلاق تحفة فى حقه . وقال صلى الله عليه وسلم « الموت كفارة لكل مسلم [5] » وأراد بهذا : المسلم حقا المؤمن صدقا الذى يسلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصى إلا باللمم والصغائر ، فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر وإقامته الفرائض : قال عطاء الخراسانى : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلى فيه الضحك فقال « شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات » قالوا : وما مكدر اللذات ؟ قال « الموت [6] » وقال أنس رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثروا من ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا [7] » وقال صلى الله عليه وسلم « كفى بالموت مفرقا [8] » وقال عليه السلام « كفى بالموت واعظا [9] » وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون ، فقال « اذكروا الموت أما والذى نفسى بيده لو تعلمون

---

(١) حديث « أكثروا من ذكر هاذم اللذات » أخرجه الترمذى وقال حسن والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة وقد تقدم . (٢) حديث « لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم منها سمينا » أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث أم حبيبة الجهنية وقد تقدم . (٣) حديث . قالت عائشة هل يحشر مع الشهداء أحد ؟ قال « نعم من ذكر الموت فى اليوم و الليلة عشرين مرة » تقدم . (٤) حديث « تحفة المؤمن الموت » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت والطبرانى والحاكم من حديث عبد الله بن عمر مرسلا بسند حسن .

(٥) حديث « الموت كفارة لكل مسلم » أخرجه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب والخطيب فى التاريخ من حديث أنس قال ابن العربى فى سراج المريدين أنه حسن صحيح وضعفه ابن الجوزى وقد جمعت طرقه فى جزء . (٦) حديث عطاء الخراسانى : مر النبى صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلاه الضحك فقال « شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الموت هكذا مرسلا ورويناه فى أمالى الجلال من حديث أنس ولا يصح . (٧) حديث أنس « أكثروا من ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الموت بإسناد ضعيف جدا . (٨) حديث « كفى بالموت مفرقا » أخرجه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده من حديث أنس وعراك بن مالك بسند ضعيف ، ورواه ابن أبى الدنيا فى البر والصلة من رواية أبى عبد الرحمن الحبلى مرسلا . (٩) حديث « كفى بالموت واعظا » أخرجه الطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث عمار ابن ياسر بسند ضعيف وهو مشهور من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقى فى الزهد .

ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا [١] » وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فأحسنوا الثناء عليه ، فقال « كيف ذكر صاحبكم للموت ؟ » قالوا : ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت ! قال « فإنّ صاحبكم ليس هنالك [٢] » وقال ابن عمر رضى الله عنهما : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم - عاشر عشرة - فقال رجل من الأنصار : من أكيس الناس وأكرم الناس يارسول الله ؟ فقال « أكثرهم ذكرا للموت وأشدهم استعدادا له أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة [٣] » .

أما الآثار ؛ فقد قال الحسن رحمه الله تعالى فضح الموت الدنيا فلم يترك لذى لب فرحا . وقال الربيع بن خثيم . ما غائب ينتظره المؤمن خيرا له من الموت ، وكان يقول : لا تشعروا بى أحدا وسلونى إلى ربى سلا . وكتب بعض الحكماء إلى رجل من إخوانه : يا أخى احذر الموت فى هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده . وكان ابن سيرين إذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه . وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ، ثم يبكون حتى كأنّ بين أيديهم جنازة . وقال إبراهيم التيمى : شيئان قطعا عنى لذة الدنيا ؛ ذكر الموت والوقوف بين يدى الله عز وجل . وقال كعب : من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها . وقال مطرف : رأيت فيما يرى النائم كأنّ قائلا يقول - فى وسط مسجد البصرة - قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما تراهم إلا والهين . وقال أشعث : كنا ندخل على الحسن فإنما هو النار وأمر الآخرة وذكر الموت . وقالت صفية رضى الله تعالى عنها : إنّ امرأة اشتكت إلى عائشة رضى الله عنها قساوة قلبها فقالت : أكثرى ذكر الموت يرق قلبك ، ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضى الله عنها . وكان عيسى عليه السلام إذا ذكر الموت عنده يقطر جلده دما . وكان داود عليه السلام إذا ذكر الموت والقيامة يبكى حتى تنخلع أوصاله ، فإذا ذكر الرحمة رجعت إليه نفسه . وقال الحسن : ما رأيت عاقلا قط إلا أصبته من الموت حذرا وعليه حزينا . وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء : عظنى ؛ فقال : لست أوّل خليفة تموت ؟ قال ؛ زدنى ، قال : ليس من آبائك أحد إلى آدم إلا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك ، فبكى عمر لذلك وكان الربيع بن خثيم قد حفر قبرا فى داره فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول : لو فارق ذكر الموت قلبى ساعة واحدة لفسد . وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير : إنّ هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لاموت فيه . وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة : أكثر ذكر الموت فإن كنت واسع العيش ضيقه عليك وإن كنت ضيق العيش وسعه عليك . وقال أبو سليمان الدارانى : قلت لأم هرون ، أتحبين الموت ؟ قالت : لا ، قلت : لم ؟ قالت : لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته .

بيان الطريق فى تحقيق ذكر الموت

اعلم أن الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له ، ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا فلا ينجع ذكر الموت فى قلبه . فالطريق فيه أن يفرغ العبد قلبه عن كل

---

(١) حديث : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال « اذكروا الموت ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الموت من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف . (١) حديث : ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فأحسنوا الثناء عليه فقال « كيف كان ذكر صاحبكم للموت ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الموت من حديث أنس بسند ضعيف وابن المبارك فى الزهد قال أخبرنا مالك بن منول فذكره بلاغا بزيادة فيه . (٣) حديث ابن عمر : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم - عاشر عشرة - فقال رجل من الأنصار : من أكيس الناس ... الحديث » أخرجه ابن ماجه مختصرا وابن أبى الدنيا بكماله بإسناد جيد .

شيء إلا عن ذكر الموت الذى هو بين يديه ، كالذى يريد أن يسافر إلى مفازة مخطرة أو يركب البحر فإنه لا يتفكر إلا فيه ، فإذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك أن يؤثر فيه وعندذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه . وأنجع طريق فيه أن يكثر ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ، ويتذكر صورهم فى مناصبهم وأحوالهم ، ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم . وكيف تبددت أجزاؤهم فى قبورهم وكيف أرملوا نساءهم وأيتموا أولادهم وضيعوا أموالهم ، وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم ، وانقطعت آثارهم ، فهما تذكر رجل رجلا وفصل فى قلبه حاله ، وكيفية موته وتوهم صورته ، وتذكر نشاطه وتردده وتأمله للعيش والبقاء ، ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة الأسباب ، وركونه إلى القوة والشباب ، وميله إلى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع . وأنه كيف كان يتردد والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله . وأنه كيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه . وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه . وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه - إلى عشر سنين - فى وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر وهو غافل عما يراد به ، حتى جاءه الموت فى وقت لم يحتسبه ، فانكشف له صورة الملك وقرع سمعه النداء إما بالجنة أو بالنار ، فعند ذلك ينظر فى نفسه أنه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم .

قال أبو الدرداء رضى الله عنه : إذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : السعيد من وعظ بغيره . وقال عمر بن عبد العزيز : ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غادياً أو رائحاً إلى الله عز وجل تضعونه فى صدع من الأرض قد توسد التراب وخلف الأحباب وقطع الأسباب .

فملازمة هذه الأفكار وأمثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذى يجدد ذكر الموت فى القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه ، فعند ذلك يوشك أن يستعد له ويتجافى عن دار الغرور ، وإلا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى فى التحذير والتنبيه ، ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا ينبغى أن يتذكر فى الحال ، أنه لا بد له من مفارقته . نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنها ثم بكى فقال : والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا ، ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته .

الباب الثـــانى

فى طول الأمل وفضيلة قصر الأمل ، وسبب طوله وكيفية معالجته

فضيـــلة قصر الأمل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر « إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فإنك يا عبد الله لا تدرى ما اسمك غدا[1] » وروى على كرم الله وجهه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان . اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق ، وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا » ثم قال « ألا إن الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ويبغض ، وإذا أحب عبدا أعطاه الإيمان ، ألا إن للدين أبناء وللدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا

الباب الثانى فى طول الأمل

(١) حديث : قال لعبد الله بن عمر « إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ... الحديث » أخرجه ابن حبان ورواه البخارى من قول ابن عمر فى آخر حديث « كن فى الدنيا كأنك غريب » .

من أبناء الدنيا ، ألا إن الدنيا قد ارتحلت مولية ألا إن الآخرة قد ارتحلت مقبلة ، ألا وإنكم فى يوم عمل ليس فيه حساب ألا وإنكم توشكون فى يوم حساب ليس فيه عمل [١] ، وقالت أم المنذر : اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية إلى الناس فقال « أيها الناس أما تستحون من الله » قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال « تجمعون مالا تأكلون وتأملون مالا تدركون وتبنون مالا تسكنون [٢] » ، وقال أبو سعيد الخدرى : اشترى أسامة بن زيد من زيد ابن ثابت وليدة بمائة دينار - إلى شهر - فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ألا تعجبون من أسامة المشترى إلى شهر ، إن أسامة لطويل الأمل والذى نفسى بيده ما طرفت عيناى إلا ظننت أن شفرى لا يلتقيان حتى يقبض الله روحى ولا رفعت طرفى فظننت أنى واضعه حتى أفيض ، ولا لفمت لقمة إلا ظننت أنى لا أسيغها حتى أغص بها من الموت » ثم قال « يا بنى آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذى نفسى بيده ﴿ إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين ﴾ [٣] » ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يهريق الماء فيتمسح بالتراب ، فأقول له : يا رسول الله إن الماء منك قريب فيقول « ما يدرينى لعلى لا أبلغه [٤] » ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلاثة أعواد فغرز عوداً بين يديه ، والآخر إلى جنبه ، وأما الثالث فأبعده ، فقال « هل تدرون ما هذا » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال « هذا الإنسان وهذا الأجل وذاك الأمل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الأجل دون الأمل [٥] » ، وقال عليه السلام « مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية إن أخطأته المنايا وقع فى الهرم [٦] » ، قال ابن مسعود : هذا المرء وهذه الحتوف حوله شوارع إليه ، والهرم وراء الحتوف ، والأمل وراء الهرم ، فهو يؤمل وهذه الحتوف شوارع إليه فأيها أمر به أخذه فإن أخطأته الحتوف قتله الهرم وهو ينتظر الأمل . قال عبد الله خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعاً ، وخط وسطه خطا ، وخط خطوطا إلى جنب الخط ، وخط خطا خارجا وقال « أتدرون ما هذا ؟ » قلنا الله ورسوله أعلم ، قال « هذا الإنسان - للخط الذى فى الوسط - وهذا الأجل محيط به ، وهذه الأعراض - للخطوط التى حوله - تنهشه إن أخطأه هذا نهشه هذا ، وذاك الأمل - يعنى الخط الخارج [٧] » ، وقال أنس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والأمل [٨] » ، وفى رواية « وتشب معه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث على « إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الأمل ... الحديث » بطوله أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب قصر الأمل ورواه أيضا من حديث جابر بنحوه وكلاهما ضعيف . (٢) حديث أم المنذر « أيها الناس أما تستحيون من الله تعالى » قالوا : وماذاك يارسول الله ؟ قال « تجمعون مالا تأكلون . . . الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا ومن طريقه البيهقى فى الشعب بإسناد ضعيف وقد تقدم . (٣) حديث أبى سعيد : اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار - إلى شهر - فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ألا تعجبون من أسامة ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل والطبرانى فى مسند الشاميين وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب بسند ضعيف . (٤) حديث ابن عباس : كان يخرج يهريق الماء فيمسح بالتراب فأقول الماء منك قريب فيقول « مايدرينى لعلى لا أبلغه » أخرجه ابن المبارك فى الزهد وابن أبى الدنيا فى قصر الأمل والبزار بسند ضعيف .

(٥) حديث : أنه أخذ ثلاثة أعواد فغرز عودا بين يديه ... الحديث . أخرجه أحمد وابن أبى الدنيا فى قصر الأمل واللفظ له والرامهرمزى فى الأمثال من رواية أبى المتوكل الناجى عن أبى سعيد الخدرى وإسناده حسن ورواه ابن المبارك فى الزهد وابن أبى الدنيا أيضا من رواية أبى المتوكل مرسلا . (٦) حديث : مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث عبد الله بن الشخير وقال حسن . (٧) حديث ابن مسعود : خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط وسطه خطا ... الحديث » رواه البخارى . (٨) حديث أنس : يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنان : الحرص والأمل » وفى رواية « ويشب معه اثنان : الحرص على المال والحرص على العمر » ورواه مسلم بلفظ الثانى وابن أبى الدنيا فى قصر الأمل باللفظ الأول بإسناد صحيح .

« نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل [1] » ، وقيل بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الأرض ، فقال عيسى : اللهم انزع منه الأمل ، فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة ، فقال عيسى اللهم اردد إليه الأمل ، فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال : بينما أنا أعمل إذ قالت لى نفسى : إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير ! فألقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لى نفسى : والله لابد لك من عيش مابقيت ، فقمت إلى مسحاتى . وقال الحسن : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكلكم يحب أن يدخل الجنة ؟ » قالوا : نعم يا رسول الله قال « قصروا من الأمل وثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء [2] » وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه « اللهم إنى أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة ، وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات ، وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل » [3]

الآثار : قال مطرف بن عبد الله : لو علمت متى أجلى لخشيت على ذهاب عقلى ؟ ولكن الله تعالى منّ على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة مانهنأوا بعيش ولاقامت بينهم الأسواق . وقال الحسن : السهو والأمل نعمتان عظيمتان على بنى آدم ولولاهما ما مشى المسلمون فى الطرق وقال الثورى بلغنى أن الإنسان خلق أحمق ولولا ذلك لم يهنأه العيش : وقال أبو سعيد بن عبد الرحمن : إنما عمرت الدنيا بقلة عقول أهلها ، وقال سلمان الفارسى رضى الله عنه . ثلاث أعجبتنى حتى أضحكتنى ، مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس يغفل عنه وضاحك ملء فيه ولا يدرى أساخط رب العالمين عليه أم راض ، وثلاث أحزنتنى حتى أبكتنى ، فراق الأحبة ـ محمد وحزبه ـ وهول المطلع والوقوف بين يدى الله ولا أدرى إلى الجنة يؤمر بى أو إلى النار . وقال بعضهم : رأيت زرارة بن أبى أوفى بعد موته فى المنام فقلت : أى الأعمال أبلغ عندكم ؟ قال : التوكل وقصر الأمل . وقال الثورى : الزهد فى الدنيا قصر الأمل ، ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباءة . وسأل المفضل بن فضالة ربه أن يرفع عنه الأمل فذهبت عن شهوة الطعام والشراب ، ثم دعا ربه فرد عليه الأمل ، فرجع إلى الطعام والشراب ، وقيل للحسن : ياأبا سعيد ألا تغسل قميصك ؟ فقال الأمر أعجل من ذلك . وقال الحسن : الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم . وقال بعضهم أنا كرجل ماد عنقه والسيف عليه ينتظر متى تضرب عنقه . وقال داود الطائى : لو أملت أن أعيش شهرا لرأيتنى قد أتيت عظيما ، وكيف أؤمل ذلك وأرى الفجائع تغشى الخلائق فى ساعات الليل والنهار ؟ وحكى أنه جاء شقيق البلخى إلى أستاذ له يقال له أبو هاشم الرمانى ـ وفى طرف كسائه شىء مصرور ـ فقال له استاذه : إيش هذا معك ؟ فقال : لوزات دفعها إلى أخ لى وقال : أحب أن تفطر عليها ، فقال ياشقيق وأنت تحدث نفسك أنك تبقى إلى الليل لا كلمتك أبدا ، قال : فأغلق فى وجهى الباب ودخل . وقال عمر بن عبد العزيز فى خطبته : إن لكل سفر زادا لامحالة فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى ، وكونوا كمن عاين ماأعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ، ولايطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم ، فإنه والله مابسط أمل من لايدرى لعله لايصبح بعد مسائه ولايمسى بعد صباحه ، وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا ، وكم رأيت ورأيتم من كان بالدنيا مغترا ، وإنما تقر عين من

---

(١) حديث « نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد وهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل » أخرجه ابن أبى الدنيا فيه من رواية ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

(٢) حديث الحسن « أكلكم يحب أن يدخل الجنة ؟ » قالوا : نعم يارسول الله قال « قصروا من الأمل ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فيه هكذا من حديث الحسن مرسلا . (٣) حديث : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه : اللهم إنى أعوذ بك من أمل يمنع خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل » أخرجه ابن أبى الدنيا فيه من رواية حوشب عن النبى صلى الله عليه وسلم وفى إسناده ضعف وجهالة ولا أدرى من حوشب .

وثق بالنجاة من عذاب الله تعالى ، وإنما يفرح من أمن أهوال القيامة فأما من لايداوى كلما إلا أصابه جرح من ناحية أخرى فكيف يفرح ؟ أعوذ بالله من أن آمركم بما لاأنهى عنه نفسى فتخسر صفقتى وتظهر عيبتى وتبدو مسكنتى فى يوم يبدو فيه الغنى والفقر والموازين فيه منصوبة ، لقد عنيتم بأمر لو عنيت به النجوم لانكدرت ولو عنيت به الجبال لذابت ولو عنيت به الأرض لتشققت ، أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة وإنكم صائرون إلى إحداهما . وكتب رجل إلى أخ له : أمابعد ؛ فإن الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن فى أضغاث أحلام والسلام . وكتب آخر إلى أخ له : إن الحزن على الدنيا طويل والموت من الإنسان قريب وللنقص فى كل يوم منه نصيب ، وللبلاء فى جسمه دبيب ، فبادر قبل أن تنادى بالرحيل والسلام . وقال الحسن : كان آدم عليه السلام ـ قبل أن يخطئ ـ أمله خلف ظهره وأجله بين عينيه فلما أصاب الخطيئة حوّل فجعل أمله بين عينيه وأجله خلف ظهره . وقال عبد الله بن سميط : سمعت أبى يقول ، أيها المغتر بطول صحته أما رأيت ميتا قط من غير سقم ، أيها المغتر بطول المهلة أما رأيت مأخوذا قط من غير عدة ، إنك لو فكرت فى طول عمرك لنسيت ماقد تقدم من لذاتك أبالصحة تغترون أم بطول العافية تمرحون ، أم الموت تأمنون أم على ملك الموت تجترئون إن ملك الموت إذا جاء لايمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك ، أماعلمت أن ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على التفريط ، ثم يقال رحم الله عبدا عمل لما بعد الموت ، رحم الله عبدا نظر لنفسه قبل نزول الموت ، وقال أبو زكريا التيمى : بينما سليمان بن عبد الملك فى المسجد الحرام إذ أتى بحجر منقور ، فطلب من يقرؤه ، فأتى بوهب بن منبه فإذا فيه : ابن آدم إنك لو رأيت قرب مابقى من أجلك لزهدت فى طول أملك ولرغبت فى الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك ، وإنما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وفارقك الوالد والقريب ورفضك الولد والنسيب ، فلا أنت إلى دنياك عائد ولا فى حسناتك زائد ، فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة ، فبكى سليمان بكاء شديدا ، وقال بعضهم : رأيت كتابا من محمد بن يوسف إلى عبد الرحمن بن يوسف ، سلام عليك فإنى أحمد الله إليك الذى لاإله إلا هو أما بعد فإنى أحذرك متحولك من دار مهلتك إلى دار إقامتك وجزاء أعمالك ، فتصير فى قرار باطن الأرض بعد ظاهرها فيأتيك منكر ونكير فيقعدانك وينتهرانك فإن يكن الله معك فلا يأس ولا وحشة ولافاقة ، وإن يكن غير ذلك فأعاذنى الله وإياك من سوء مصرع وضيق مضجع ، ثم تبلغك صيحة الحشر ونفخ الصور وقيام الجبار لفصل قضاء الخلائق وخلاء الأرض من أهلها والسموات من سكانها فباحت الأسرار وأسعرت النار ووضعت الموازين وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ، فكم من مفتضح ومستور وكم من هالك وناج وكم من معذب ومرحوم ، فياليت شعرى ماحالى وحالك يومئذ فنى هذا ما هدم اللذات وأسلى عن الشهوات وقصر عن الأمل وأيقظ النائمين وحذر الغافلين ، أعاننا الله وإياكم على هذا الخطر العظيم وأوقع الدنيا والآخرة من قلبى وقلبك موقعهما من قلوب المتقين ، فإنما نحن به وله والسلام وخطب عمر بن عبد العزيز ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى ، وإن لكم معادا يجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم ، فخاب وشقى غدا عبد أخرجه الله من رحمته التى وسعت كل شىء وجنته التى عرضها السموات والأرض ، وإنما يكون الأمان غدا لمن خاف واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا بباق وشقوة بسعادة ، ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين وسيخلف بعدكم الباقون ألا ترون أنكم فى كل يوم تشيعون غاديا ورائحا إلى الله عزوجل قد قضى نحبه وانقطع أمله فتضعونه فى بطن صدع من الأرض غير موسد ولامهد ،

قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وواجه الحساب ، وايم الله إنى لأقول مقالتى هذه ولا أعلم عند أحدكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسى ، ولكنها سنن من الله عادلة آمر فيها بطاعته وأنهى فيها عن معصيته واستغفر الله . ووضع كمه على وجهه وجعل يبكى حتى بلت دموعه لحيته وماعاد إلى مجلسه حتى مات . وقال القعقاع بن حكيم : قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة فلو أتانى ماأحببت تأخير شىء عن شىء . وقال الثورى : رأيت شيخا فى مسجد الكوفة يقول : أتانى هذا المسجد منذ ثلاثين سنة أنتظر الموت أن ينزل بى ، ولو أتانى ماأمرته بشىء ولا نهيته عن شىء ، ولا لى على أحد شىء ولا لأحد عندى شىء . وقال عبد الله بن ثعلبة : تضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار . وقال أبو محمد بن على الزاهد : خرجنا فى جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطائى فانتبذ فقعد ناحية وهى تدفن ، فجئت فقعدت قريبا منه فتكلم فقال : من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ، ومن طال أمله ضعف عمله وكل ماهو آت قريب واعلم ياأخى أن كل شىء يشغلك عن ربك فهو عليك مشئوم ، واعلم أن أهل الدنيا جميعا من أهل القبور إنما يندمون على مايخلفون ويفرحون بما يقدمون ، فما ندم عليه أهل القبور أهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يختصمون ، وروى أن معروفا الكرخى رحمه الله تعالى أقام الصلاة ، قال محمد بن أبى توبة فقال لى تقدم ، فقلت : إنى إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غيرها ، فقال معروف : وأنت تحدث نفسك أن تصلى صلاة أخرى نعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع من خير العمل . وقال عمر بن عبد العزيز فى خطبته : إن الدنيا ليست بدار قراركم دار كتب الله عليها الفناء ، وكتب على أهلها الظعن عنها ، فكم من عامر موثق عما قليل يخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن ، فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما بحضرتكم من النقلة وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، إنما الدنيا كفىء ظلال قلص فذهب ، بينا ابن آدم فى الدنيا ينافس وهو قرير العين إذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه ، وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه ، إن الدنيا لاتسر بقدر ماتضر إنها تسر قليلا وتحزن طويلا . وعن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أنه كان يقول فى خطبته : أين الوضاء الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم ؟ أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان ؟ أين الذين كانوا يعطون الغلبة فى مواطن الحرب ؟ قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا فى ظلمات القبور الوحا الوحا ثم النجا النجا !

بيان السبب فى طول الامل وعلاجه

اعلم أنّ طول الأمل له سببان ، أحدهما : الجهل ، والآخر : حب الدنيا .

أما حب الدنيا : فهو أنه إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها ، فامتنع قلبه من الفكر فى الموت الذى هو سبب مفارقتها ، وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه . والإنسان مشغوف بالأمانى الباطلة فيمنى نفسه أبدا بما يوافق مراده ، وإنما يوافق مراده البقاء فى الدنيا ، فلا يزال يتوهمه ويقدره فى نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج إليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب وسائر أسباب الدنيا ، فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه ، فيلهو عن ذكر الموت فلا يقدر قربه ، فإن خطر له فى بعض الأحوال أمر الموت والحاجة إلى الاستعداد له سوّف ووعد نفسه وقال : الأيام بين يديك إلى أن تكبر ثم تتوب ، وإذا كبر فيقول : إلى أن تصير شيخا . فإذا صار شيخا قال : إلى أن تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة ، أو ترجع من هذه السفرة ، أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له ، أو تفرغ من قهر هذا العدوّ الذى يشمت بك . فلا يزال يسوّف ويؤخر ، ولايخوض فى شغل إلا ويتعلق بإتمام ذلك الشغل عشرة أشغال أخر ، وهكذا على التدريج

يؤخر يوما بعد يوم ويفضى به شغل إلى شغل بل إلى أشغال إلى أن تختطفه المنية فى وقت لايحتسبه ، فتطول عند ذلك حسرته . وأكثر أهل النار وصياحهم من سوف يقولون : واحزناه من سوف . والمسوف المسكين لايدرى أنّ الذى يدعوه إلى التسويف اليوم هو معه غدا ، وإنما يزداد بطول المدّة قوة ورسوخا ، ويظنّ أنه يتصوّر أن يكون للخائض فى الدنيا والحافظ لها فراغ قط وهيهات ! فما يفرغ منها إلا من طرحها .

فما قضى أحد منها لبانته وما انتهى أرب إلا إلى أرب

وأصل هذه الأمانى كلها حب الدنيا والأنس بها والغفلة عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم « أحبب من أحببت فإنك مفارقه (١) » .

وأما الجهل : فهو أن الإنسان قد يعوّل على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب ، وليس يتفكر المسكين أن مشايخ بلده لو عدّوا لكانوا أقل من عشر رجال البلد ، وإنما قلوا لأنّ الموت فى الشباب أكثر فإلى أن يموت شيخ يموت ألف صبى وشاب . وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجأة ، ولايدرى أنّ ذلك غير بعيد ، وإن كان ذلك بعيدا فالمرض فجأة غير بعيد ، وكل مرض فإنما يقع فجأة ، وإذا مرض لم يكن الموت بعيدا . ولو تفكر هذا الغافل وعلم أنّ الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وربيع من ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له ، ولكن الجهل بهذه الأمور وحب الدنيا دعواه إلى طول الأمل وإلى الغفلة عن تقدير الموت القريب ، فهو أبدا يظن أنّ الموت يكون بين يديه ولايقدر نزوله به ووقوعه فيه ، وهو أبدا يظن أنه يشيع الجنائز ولايقدّر أن تشيع جنازته ، لأنّ هذا قد تكرّر عليه وألفه وهو مشاهدة موت غيره ، فأما موت نفسه فلم يألفه ولم يتصوّر أن يألفه فإنه لم يقع ، وإذا وقع فى دفعة أخرى بعد هذه ، فهو الأوّل وهو الآخر . وسبيله أن يقيس نفسه بغيره ويعلم أنه لابدّ وأن تحمل جنازته ويدفن فى قبره ، ولعل اللبن الذى يغطى به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لايدرى فتسويفه جهل محض .

وإذا عرفت أنّ سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه .

(أما الجهل) فيدفع بالفكر الصافى من القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة .

(وأما حب الدنيا) فالعلاج فى إخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال الذى أعيا الأوّلين والآخرين علاجه ؛ ولاعلاج له إلا الإيمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ، ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فإن حب الخطير هو الذى يمحو عن القلب حب الحقير . فإذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف أن يلتفت إلى الدنيا كلها وإن أعطى ملك الأرض من المشرق إلى المغرب ، وكيف وليس عنده من الدنيا إلا قدر يسير مكدّر منغص ، فكيف يفرح بها أو يترسخ فى القلب حبها مع الإيمان بالآخرة ؟ فنسأل الله تعالى أن يرينا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده . ولا علاج فى تقدير الموت فى القلب مثل النظر إلى من مات من الأقران والأشكال وأنهم كيف جاءهم الموت فى وقت لم يحتسبوا . أما من كان مستعدّا فقد فاز فوزا عظيما ، وأما من كان مغرورا بطول الأمل فقد خسر خسرانا مبينا . فلينظر الإنسان كل ساعة فى أطرافه وأعضائه ، وليتدبر أنها كيف تأكلها الديدان لامحالة ؟ وكيف تتفتت عظامها ؟ وليتفكر انّ الدود يبدأ بحدقته اليمنى أوّلا أو اليسرى ؟ فما على بدنه شىء إلا وهو طعمة الدود وماله من نفسه إلا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى

(١) حديث « أحبب من أحببت فإنك مفارقه ... الحديث » تقدم غير مرة .

وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر وأهوال القيامة وقرع النداء يوم العرض الأكبر . فأمثال هذه الأفكار هى التى تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه إلى الاستعداد له .

بيان مراتب الناس فى طول الأمل وقصره

اعلم أنّ الناس فى ذلك يتفاوتون ؛ فمنهم من يأمل البقاء ويشتهى ذلك أبدا قال الله تعالى ﴿ يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ﴾ ومنهم من يأمل البقاء إلى الهرم وهو أقصى العمر الذى شاهده ورآه وهو الذى يحب الدنيا حبا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الشيخ شاب فى حب طلب الدنيا وإن التفت ترقوتاه من الكبر إلا الذين اتقوا وقليل ماهم [1] » ومنهم من يأمل إلى سنة فلا يشتغل بتدبير ماوراءها فلا يقدّر لنفسه وجودا فى عام قابل ، ولكن هذا يستعدّ فى الصيف للشتاء وفى الشتاء للصيف ، فإذا جمع ما يكفيه لسنته اشتغل بالعبادة . ومنهم من يأمل مدّة الصيف أو الشتاء ، فلا يدخر فى الصيف ثياب الشتاء ولا فى الشتاء ثياب الصيف ومنهم من يرجع أمله إلى يوم وليلة ، فلا يستعدّ إلا لنهاره وأما للغد فلا . قال عيسى عليه السلام : لاتهتموا برزق غد فإن يكن غد من آجالكم فستأتى فيه أرزاقكم مع آجالكم وإن لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم . ومنهم من لايجاوز أمله ساعة كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم « ياعبد الله إذا أصبحت فلاتحدّث نفسك بالمساء ، وإذا أمسيت فلاتحدّث نفسك بالصباح » ومنهم من لايقدّر البقاء أيضا ساعة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضى ساعة ويقول « لعلى لا أبلغه » ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كأنه واقع به فهو ينتظره ، وهذا الإنسان هو الذى يصلى صلاة مودع وفيه ورد ما نقل عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة إيمانه فقال : ما خطوت خطوة إلا ظننت أنى لا أتبعها أخرى [2] وكما نقل عن الأسود وهو حبشى أنه كان يصلى ليلا ويلتفت يمينا وشمالا فقال له قائل : ما هذا ؟ قال : أنظر ملك الموت من أى جهة يأتينى .

فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من أمله مقصور على شهر كمن أمله شهر ويوم ، بل بينهما تفاوت فى الدرجة عند الله ، فـ ﴿ إن الله لايظلم مثقال ذرة ـ ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ﴾ ثم يظهر أثر قصر الأمل فى المبادرة إلى العمل ، وكل إنسان يدعى أنه قصير الأمل وهو كاذب ، إنما يظهر ذلك بأعماله فإنه يعتنى بأسباب ربما لايحتاج إليها فى سنة ، فيدل ذلك على طول أمله . وإنما علامة التوفيق أن يكون الموت نصب العين لايغفل عنه ساعة ، فليستعد للموت الذى يرد عليه فى الوقت ، فإن عاش إلى المساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح بأنه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ، ثم يستأنف مثله إلى الصباح ؛ وهكذا إذا أصبح . ولايتيسر هذا إلا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه . فمثل هذا إذا مات سعد وغنم وإن عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة ؛ فالموت له سعادة والحياة له مزيد ، فليكن الموت على بالك يامسكين فإن السير حاث بك وأنت غافل عن نفسك ، ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة ولا تكون كذلك إلا بمبادرة العمل اغتناما لكل نفس أمهلت فيه .

---

(١) حديث « الشيخ شاب فى حب الدنيا وإن التفت ترقوتاه من الكبر إلا الذين اتقوا وقليل ماهم » لم أجده بهذا اللفظ وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة « قلب الشيخ شاب على حب اثنتين طول الحياة وحب المال » . (٢) حديث سؤاله لمعاذ عن حقيقة إيمانه فقال : ماخطوت خطوة إلا ظننت أنى لا أتبعها أخرى » أخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس وهو ضعف .

بيان المبادرة إلى العمل وحذر آفة التأخير

اعلم أن من له أخوان غائبان وينتظر قدوم أحدهما فى غد وينتظر قدوم الآخر بعد شهر أو سنة فلا يستعد الذى يقدم إلى شهر أو سنة ، وإنما يستعد للذى ينتظر قدومه غد . فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار . فمن انتظر مجىء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسى ما وراء المدة ، ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة بكمالها لا ينقص منها اليوم الذى مضى ، وذلك يمنعه من مبادرة العمل أبدا يرى لنفسه متسعا فى تلك السنة فيؤخر العمل كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطغيا أو فقرا منسيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال ، فالدجال شر غائب ينتظر ، أو الساعة والساعة أدهى وأمر [1] » وقال ابن عباس : قال النبى صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه « اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ [3] » أى أنه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما ، وقال صلى الله عليه وسلم « من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل . الا إن سلعة الله غالية ألا أن سلعة الله الجنة [4] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جاءت الراجفة تتبعها وجاء الموت بما فيه [5] » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنس من أصحابه غفلة أو غرة نادى فيهم بصوت رفيع أتتكم المنية راتبة لازمة إما بشقاوة وإما بسعادة [6] » وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا النذير ، والموت المغير ، والساعة الموعد [7] » ، وقال ابن عمر : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على أطراف السعف فقال « مابقى من الدنيا إلا كما بقى من يومنا هذا فى مثل مامضى منه [8] » وقال صلى الله عليه وسلم « مثل الدنيا كمثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقى متعلقا بخيط فى آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع [9] » وقال جابر « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كأنه منذر جيش يقول . صبحتكم ومسيتكم « بعثت أنا والساعة كهاتين - وقرن بين أصبعيه - [10] » ، وقال ابن مسعود رضى الله عنه : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ فقال « إن النور إذا دخل الصدر انفسح » فقيل يارسول الله هل لذلك من علامة تعرف؟

---

(١) حديث « ماينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطغيا أو فقرا منسيا ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة بلفظ « هل ينتظرون إلا غناء ... الحديث » وقال حسن ورواه ابن المبارك فى الزهد ومن طريقه ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل بلفظ المصنف وفيه من لم يسم . (٢) حديث ابن عباس « اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فيه بإسناد حسن ورواه ابن المبارك فى الزهد من رواية عمرو بن ميمون الأزدى مرسلا . (٣) حديث « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » أخرجه البخارى من حديث ابن عباس وقد تقدم . (٤) حديث « من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل » أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال حسن . (٥) حديث « جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ... الحديث » أخرجه الترمذى وحسنه من حديث أبى بن كعب . (٦) حديث « كان إذا أنس من أصحابه غفلة أو غرة نادى فيهم بصوت رفيع أتتكم المنية ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل من حديث زيد السليمى مرسلا .

(٧) حديث أبى هريرة « أنا النذير ، والموت المغير ، والساعة الموعد » أخرجه ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل وأبو القاسم البغوى بإسناد فيه لين .

(٨) حديث ابن عمر : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على أطراف السعف فقال « مابقى من الدنيا الا مثل مابقى من يومنا هذا فى مثل مامضى منه » أخرجه ابن أبى الدنيا فيه بإسناد حسن والترمذى نحوه من حديث أبى سعيد وحسنه

(٩) حديث « مثل الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فيه من حديث أنس ولا يصح

(١٠) حديث جابر : كان إذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه ... الحديث » أخرجه مسلم وابن أبى الدنيا فى قصر الأمل واللفظ له .

قال « نعم التجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد الموت قبل نزوله [1] » وقال السدى ﴿ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ أى أيكم أكثر للموت ذكرا وأحسن له استعدادا وأشد منه خوفا وحذرا . وقال حذيفة : مامن صباح ولامساء إلا ومنادى ينادى : أيها الناس الرحيل الرحيل . وتصديق ذلك قوله تعالى ﴿ إنها لإحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ﴾ فى الموت . وقال سحيم - مولى بنى تميم - جلست إلى عامر بن عبد الله وهو يصلى فأوجز فى صلاته ثم أقبل على فقال : أرحنى بحاجتك فإنى أبادر ، قلت : وما تبادر ؟ قال : ملك الموت رحمك الله ، قال : فقمت عنه وقام إلى صلاته . ومر داود الطائى فسأله رجل عن حديث فقال : دعنى ! إنما أبادر خروج نفسى : قال عمر رضى الله عنه : التؤدة فى كل شىء خير إلا فى أعمال الخير للآخرة . وقال المنذر : سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه : ويحك بادرى قبل أن يأتيك الأمر ؛ ويحك بادرى قبل أن يأتيك الأمر ! حتى كرر ذلك ستين مرة أسمعه ولا يرانى . وكان الحسن يقول فى موعظته : المبادرة المبادرة فإنما هى الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التى تتقربون بها إلى الله عز وجل ، رحم الله امرأ نظر إلى نفسه وبكى على عدد ذنوبه ! ثم قرأ هذه الآية ﴿ إنما نعد لهم عدا ﴾ يعنى الأنفاس ، آخر العدد خروج نفسك ، آخر العدد فراق أهلك ، آخر العدد دخولك فى قبرك . واجتهد أبو موسى الأشعرى قبل موته اجتهادا شديدا ، فقيل له : لو أمسكت أو رفقت بنفسك بعض الرفق ؟ فقال : إن الخيل إذا أرسلت فقاربت رأس مجراها أخرجت جميع ماعندها والذى بقى من أجلى أقل من ذلك ! قال : فلم يزل على ذلك حتى مات . وكان يقول لامرأته : شدى رحلك فليس على جهنم معبرة . وقال بعض الخلفاء على منبره : عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا ، واستعدوا للموت فقد أظلكم وترحلوا فقد جد بكم ، وإن غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة ، وإن غائبا يحدو به الجديدان الليل والنهار لحرى بسرعة الأوبة ، وإن قادما يحل بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العدة ، فالتقى عند ربه من ناصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فإن أجله مستور عنه وأمله خادع له ، والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوقها ويزين إليه المعصية ليرتكبها حتى تهجم منيته عليه أغفل ما يكون عنها ، وإنه ما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به فيالها حسرة على ذى غفلة أو يكون عمره عليه حجة وأن ترديه أيامه إلى شقوة ، جعلنا الله وإياكم ممن لاتبطره نعمة ولاتقصر به عن طاعة الله معصية ولا يحل به بعد الموت حسرة إنه سميع الدعاء وإنه بيده الخير دائما فعال لما يشاء .

وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى ﴿ فتنتم أنفسكم ﴾ قال بالشهوات واللذات ﴿ وتربصتم ﴾ قال بالتوبة ﴿ وارتبتم ﴾ قال شككتم ﴿ حتى جاء أمر الله ﴾ قال الموت ﴿ وغركم بالله الغرور ﴾ قال الشيطان . وقال الحسن : تصبروا وتشددوا فإنما هى أيام قلائل وإنما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى الرجل منكم فيجيب ولايلتفت فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم . وقال ابن مسعود : ما منكم من أحد أصبح إلا وهو ضيف وماله عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة . وقال أبو عبيدة الباجى : دخلنا على الحسن فى مرضه الذى مات فيه فقال : رحبا بكم وأهلا حياكم الله بالسلام وأحلنا وإياكم دار المقام ، هذه علانية حسنة إن صبرتم وصدقتم واتقيتم ، فلا يكن حظكم من هذا الخبر رحمكم الله أن تسمعوه بهذه الأذن وتخرجوه من هذه الأذن ، فإن من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد رآه غاديا

(١) حديث ابن مسعود : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ﴾ فقال « لمن النور إذا دخل القلب انفسح ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل والحاكم فى المستدرك وقد تقدم .

ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر إليه الوحا الوحا النجا النجا علام تعرجون أتيتم ورب الكعبة كأنكم والأمر معا ، رحم الله عبدا جعل العيش عيشاً واحدا فأكل كسرة ولبس خلقا ولزق بالأرض واجتهد فى العبادة وبكى على الخطيئة وهرب من العقوبة وابتغى الرحمة حتى يأتيه أجله وهو على ذلك[1] .

وقال عاصم الأحول : قال لى فضيل الرقاشى ـ وأنا سائله ـ يا هذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك فإن الأمر يخلص إليك دونهم ولا تقل أذهب ههنا وههنا فينقطع عنك النهار فى لاشىء ، فإن الأمر محفوظ عليك ولم تر شيئاً قط أحسن طلباً ولا أسرع إدراكا من حسنة حديثة لذنب قديم .

الباب الثالث : فى سكرات الموت وشدته وما يستحب من الأحوال عنده

اعلم أنه لو لم يكن بين يدى العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها ، لكان جديراً بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته ، وحقيقا بأن يطول فيه فكره ويعظم له استعداده ، لاسيما وهو فى كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء : كرب بيد سواك لا تدرى متى يغشاك . وقال لقمان لابنه . يا بنى أمر لاتدرى متى يلقاك استعد له قبل أن يفجأك . والعجب أن الإنسان لو كان فى أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو فانتظر أن يدخل عليه جندى فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه ، وهو فى كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل ، فما لهذا سبب إلا الجهل والغرور واعلم أن شدة الألم فى سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها ، ومن لم يذقها فإنما يعرفها إلا بالقياس إلى الآلام التى أدركها وإما بالاستدلال بأحوال الناس فى النزع على شدة ما هم فيه . فأما القياس الذى يشهد له : فهو أن كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالألم ، فإذا كان فيه الروح فالمدرك للألم هو الروح ، فهما أصاب العضو جرح أو حريق سرى الأثر إلى الروح فبقدر مايسرى إلى الروح يتألم ، والمؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر الأجزاء ، فلا يصيب الروح إلا بعض الألم ، فإن كان فى الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقى غيره فما أعظم ذلك الألم وما أشده !

والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه ، حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشر فى أعماق البدن إلا وقد حل به الألم فلو أصابته شوكة فالألم الذى يجده إنما يجرى فى جزء من الروح يلاقى ذلك الموضع الذى أصابته الشوكة ، وإنما يعظم أثر الاحتراق لأن أجزاء النار تغوص فى سائر أجزاء البدن ، فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهرا وباطنا إلا وتصيبه النار فتحسه الأجزاء الروحانية المنتشرة فى سائر أجزاء اللحم .

وأما الجراحة : فإنما تصيب الموضع الذى مسه الحديد فقط ، فكان لذلك ألم الجرح دون ألم النار ، فألم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه فإنه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الأعصاب وجزء من الأجزاء ومفصل من المفاصل ومن أصل كل شعرة وبشرة من الفرق إلى القدم ، فلا تسأل عن كربه وألمه ؛ حتى قالوا : إن الموت لأشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف إذا كان المتناول المباشر نفس الروح ؟ وإنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته فى قلبه وفى لسانه ، وإنما انقطع صوت الميت وصياحه من شدة ألمه لأن الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه ، وبلغ كل

(١) حديث أبى عبيدة الجاجى : دخلنا على الحسن فى مرضه الذى مات فيه فقال مرحبا بكم ... الحديث . أخرجه ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل وابن حبان فى الثقات وأبو نعيم فى الحلية من هذا الوجه .

موضع منه فهدّ كل قوّة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوّة الاستغاثة .

أما العقل فقد غشيه وشوّشه . وأما اللسان فقد أبكمه ، وأما الأطراف فقد ضعفها . ويود لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك ، فإن بقيت فيه قوّة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارا وغرغرة من حلقه وصدره ، وقد تغير لونه واربدّ حتى كأنه ظهر منه التراب الذى هو أصل فطرته ، وقد جذب منه كل عرق على حياله ، فالألم منتشر فى داخله وخارجه ، حتى ترتفع الحدقتان إلى أعالى أجفانه ، وتتقلص الشفتان ، ويتقلص اللسان إلى أصله ، وترتفع الأنثيان إلى أعالى موضعهما ، وتخضر أنامله .

فلا تسل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ! ولو كان المجذوب عرقا واحدا لكان ألمه عظيما فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم ؟ لا من عرق واحد بل من جميع العروق . ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجا فتبرد أولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ، ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها إلى الحلقوم ، فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ويغلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تقبل توبة العبد مالم يغرغر [1] » ، وقال مجاهد فى قوله تعالى ﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ﴾ قال : إذا عاين الرسل فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت فلا تسأل عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته ! ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم هوّن على محمد سكرات الموت [2] » ، والناس إنما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فإن الأشياء قبل وقوعها إنما تدرك بنور النبوّة والولاية ، ولذلك عظم خوف الأنبياء عليهم السلام والأولياء من الموت حتى قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ادعوا الله تعالى أن يهوّن على هذه السكرة - يعنى الموت - فقد خفت الموت مخافة أوقفنى خوفى من الموت على الموت ، وروى أن نفرا من اسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض : لو دعوتم الله تعالى أن يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا تسألونه ؟ فدعوا الله تعالى فإذا هم برجل قد قام وبين عينيه أثر السجود قد خرج من قبر من القبور فقال : ياقوم ماأردتم منى لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة ماسكنت مرارة الموت من قلبى . وقالت عائشة رضى الله عنها : لا أغبط أحد يهوّن عليه الموت بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى أنه عليه السلام كان يقول « اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والأنامل . اللهم فأعنى على الموت وهوّنه على [3] » ، وعن الحسن : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته وألمه فقال « هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف [4] » ، وسئل صلى الله عليه وسلم عن الموت وشدّته فقال « إن أهون الموت بمنزلة حسكة فى صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها صوف [5] » ، ودخل صلى الله عليه وسلم على مريض ثم قال « إنى أعلم مايلقى مامنه عرق إلا ويألم للموت على حدته [6] » ، وكان على كرّم الله وجهه يحض على القتال ويقول :

---

(١) حديث « ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر » أخرجه الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث ابن عمر .

(٢) حديث كان يقول « اللهم هون على محمد سكرات الموت » تقدم . (٣) حديث كان يقول « اللهم انك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والأنامل ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت من حديث صمعة بن غيلان الجهنى وهو معضل سقط منه الصحابى والتابعى . (٤) حديث الحسن : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته وألمه فقال « هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف » أخرجه ابن أبى الدنيا فيه هكذا مرسلا ورجاله ثقات . (٥) حديث : سئل عن الموت وشدته فقال « ان أهون الموت بمنزلة حسكة .. الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فيه من رواية شهر بن حوشب مرسلا . (٦) حديث : دخل على مريض فقال « انى لأعلم مايلقى مامنه عرق الا ويألم للموت على حدته » أخرجه ابن أبى الدنيا فيه من حديث سلمان بسند ضعيف ورواه فى المرض والكفارات من رواية عبيد بن عمير مرسلا مع اختلاف ورجاله ثقات .

إن لم تقتلوا تموتوا والذى نفسى بيده لألف ضربة بالسيف أهون على من موت على فراش . وقال الأوزاعى : بلغنا أنّ الميت يجد ألم الموت مالم يبعث من قبره . وقال شدّاد بن أوس : الموت أفظع هول فى الدنيا والآخرة على المؤمن ، وهو أشدّ من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلى فى القدور ، ولو أنّ الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم . وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال : إذا بقى على المؤمن من درجاته شىء لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته فى الجنة ، وإذا كان للكافر معروف لم يجز به هوّن عليه فى الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير إلى النار . وعن بعضهم : أنه كان يسأل كثيرا من المرضى كيف تجدون الموت ؟ فلما مرض قيل له : فأنت كيف تجده ؟ فقال : كأنّ السموات مطبقة على الأرض وكأنّ نفسى يخرج من ثقب إبرة . وقال صلى الله عليه وسلم « موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر [1] » وروى عن مكحول عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لو أنّ شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والأرض لماتوا بإذن الله تعالى لأن فى كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشىء إلا مات [2] » ويروى « لو أنّ قطرة من ألم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت [3] » وروى أنّ إبراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له : كيف وجدت الموت ياخليلى قال : كسفود جعل فى صوف رطب ثم جذب . فقال : أما إنا قد هوّنا عليك . وروى عن موسى عليه السلام أنه لما صارت روحه إلى الله تعالى قال له ربه : ياموسى كيف وجدت الموت ، قال : وجدت نفسى كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير ، وروى عنه أنه قال : وجدت نفسى كشاة حية تسلخ بيد القصاب . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان عنده قدح من ماء عند الموت ، فجعل يدخل يده فى الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول « اللهم هوّن على سكرات الموت [4] » وفاطمة رضى الله عنها تقول : واكرباه لكربك ياأبتاه ! وهو يقول « لا كرب على أبيك بعد اليوم [5] » وقال عمر رضى الله عنه لكعب الأحبار ياكعب حدثنا عن الموت ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين إنّ الموت كغصن كثير الشوك أدخل فى جوف رجل وأخذت كل شوكة بعرق ، ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ماأبقى وقال النبى صلى الله عليه وسلم « إنّ العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول : عليك السلام تفارقنى وأفارقك إلى يوم القيامة [6] » .

فهذه سكرات الموت على أولياء الله وأحبابه . فما حالنا ونحن المنهمكون فى المعاصى وتتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهى فإن دواهى الموت ثلاث :

(الأولى) شدّة النزع كما ذكرناه .

---

(١) حديث « موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر » أخرجه أحمد من حديث عائشة بإسناد صحيح قال « وأخذة أسف ولأبى داود من حديث خالد السلمى « موت الفجأة أخذة أسف » (٢) حديث مكحول « لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والأرض لماتوا ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الموت من رواية أبى ميسرة رفعه وفيه « لو أن ألم شعرة وزاد « وإن فى يوم القيامة لتسعين هولا أدناها هولا يضاعف على الموت سبعين ألف ضعف » وأبو ميسرة هو عمرو بن شرحبيل والحديث مرسل حسن الإسناد (٣) حديث « لوأن قطرة من الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت » لم أجد له أصلا ولعل المصنف لم يورده حديثا فانه قال : ويروى . (٤) حديث : إنه كان عنده قدح من ماء عند الموت ، فجعل يدخل يده فى الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول « اللهم هون على سكرات الموت » متفق عليه من حديث عائشة .

(٥) حديث : لمن فاطمة قالت واكرباه لكربك ياأبت ... الحديث . أخرجه البخارى من حديث أنس بلفظ : واكرب أبتاه ، وفى رواية لابن خزيمة : واكرباه . (٦) حديث « إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض . . الحديث » رويناه فى الأربعين لأبى هدبة إبراهيم بن هدبة عن أنس وأبو هدبة هالك .

(الداهية الثانية) مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب ؛ فلو رأى صورته التى يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته . فقد روى عن إبراهيم الخليل عليه السلام أنه قال لملك الموت : هل تستطيع أن تريني صورتك التى تقبض عليها روح الفاجر ؟ قال : لاتطيق ذلك ، قال : بلى ، قال : فأعرض عنى فأعرض عنه . ثم التفت فإذا هو برجل أسود قائم الشعر ، منتن الريح ، أسود الثياب ، يخرج من فيه ومناخيره لهيب النار والدخان ؛ فغشى على إبراهيم عليه السلام . ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال : ياملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت إلا صورة وجهك لكان حسبه : وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنّ داود عليه السلام كان رجلا غيورا وكان إذا خرج أغلق الأبواب ، فأغلق ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فإذا هى برجل فى الدار فقالت : من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عناء ؟ فجاء داود فرآه فقال : من أنت ؟ فقال : أنا الذى لا أهاب الملوك ولا يمنع منى الحجاب ، فقال : فأنت والله إذن ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه [1] » وروى أنّ عيسى عليه السلام مر بجمجمة فضربها برجله فقال : تكلمى بإذن الله فقالت : ياروح الله أنا ملك زمان كذا وكذا ، بينا أنا جالس فى ملكى على تاجى وحولى جنودى وحشمى على سرير ملكى ، إذ بدا لى ملك الموت فزال منى كل عضو على حياله ، ثم خرجت نفسى إليه ، فياليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة ! وياليت ما كان من ذلك الأنس كان وحشة ! فهذه داهية يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون ، فقد حكى الأنبياء مجرّد سكرة النزع دون الروعة التى يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ، ولو رآها فى منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره ! فكيف برؤيته فى مثل تلك الحال ؟ .

وأما المطيع فإنه يراه فى أحسن صورة وأجملها فقد روى عكرمة عن ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه ، فإذا خرج أغلقه ، فرجع ذات يوم فإذا برجل فى جوف البيت فقال ؛ من أدخلك دارى ؟ فقال ؛ أدخلنيها ربها ! فقال : أنا ربها ، فقال : أدخلنيها من هو أملك بها منى ومنك ، فقال : من أنت من الملائكة ؟ قال : أنا ملك الموت ، قال : هل تستطيع أن تريني الصورة التى تقبض فيها روح المؤمن ؟ قال : نعم ، فأعرض عنى ، فأعرض ثم التفت فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه ، فقال : ياملك الموت ، لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك كان حسبه .

ومنها مشاهدة الملكين الحافظين . قال وهيب : بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله ، فإن كان مطيعا قالا له : جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق أجلستنا وعمل صالح أحضرتنا ، وإن كان فاجرا قالا له : لاجزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح أحضرتنا وكلام قبيح أسمعنا فلا جزاك الله عنا خيرا . فذلك شخوص بصر الميت إليهما ولا يرجع إلى الدنيا أبدا .

(الداهية الثالثة) مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة ؛ فإنهم فى حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم ، ولن تخرج أرواحهم مالم يسمعوا نغمة ملك الموت بأحد البشريين : إما أبشر ياعدوّ الله بالنار ، أو أبشر ياولى الله بالجنة . ومن هذا كان خوف أرباب الألباب ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار [2] » وقال صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث أبى هريرة « إن داود كان رجلا غيورا ... الحديث » أخرجه أحمد باسناد جيد نحوه وابن أبى الدنيا فى كتاب الموت بلفظه

(٢) حديث « لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الموت من رواية رجل لم يسم عن على موقوفا « لاتخرج نفس ابن آدم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره الى الجنة أم الى النار » وفى =

« من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » فقالوا : كلنا نكره الموت قال « ليس ذاك بذاك إن المؤمن إذا فرج له عما هو قادم عليه أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه [1] » وروى أن حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود ـ وهو لما به من آخر الليل : قم فانظر أى ساعة هى ؟ فقام ابن مسعود ثم جاءه فقال : قد طلعت الحمراء فقال حذيفة : أعوذ بالله من صباح إلى النار ، ودخل مروان على أبى هريرة ، فقال مروان : اللهم خفف عنه ، فقال أبو هريرة : اللهم اشدد ! ثم بكى أبو هريرة وقال : والله ما أبكى حزنا على الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكن أنتظر إحدى البشريين من ربى بجنة أم بنار . وروى فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله إذا رضى عن عبد قال : يا ملك الموت اذهب إلى فلان فأتنى بروحه لأريحه ، حسبى من عمله ، قد بلوته فوجدته حيث أحب ؛ فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ومعهم قضبان الريحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه ، وتقوم الملائكة صفين لخروج روحه ، معهم الريحان ، فإذا نظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه ثم صرخ ، قال فيقول له جنوده : مالك ياسيدنا فيقول : أما ترون ما أعطى هذا العبد من الكرامة أين كنتم من هذا ؟ قالوا : قد جهدنا به فكان معصوما [2] » وقال الحسن : لا راحة للمؤمن إلا فى لقاء الله ، ومن كانت راحته فى لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره وفرحه وأمنه وعزه وشرفه . وقيل لجابر بن زيد ـ عند الموت : ماتشتهى ؟ قال : نظرة إلى الحسن ، فلما دخل عليه الحسن قيل له : هذا الحسن ! فرفع طرفه إليه ثم قال : يا إخواناه الساعة والله أفارقكم إلى النار أو إلى الجنة وقال محمد بن واسع ـ عند الموت : يا إخواناه عليكم السلام ! إلى النار أو يعفو الله وتمنى بعضهم أن يبقى فى النزع أبدا ولا يبعث لثواب ولا عقاب . فخوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين وهو من الدواهى العظيمة عند الموت . وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منه فى كتاب الخوف والرجاء وهو لائق بهذا الموضع . ولكننا لا نطول بذكره وإعادته .

بيان مايستحب من أحوال المحتضر عند الموت

اعلم أن المحبوب عند الموت من صورة المحتضر هو الهدوء والسكون ! ومن لسانه أن يكون ناطقا بالشهادة ، ومن قلبه أن يكون حسن الظن بالله تعالى .

(أما الصورة) فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ارقبوا الميت عند ثلاث : إذا رشح جبينه ودمعت عيناه ويبست شفتاه فهى من رحمة الله قد نزلت به ، وإذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه وأربدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به [3] » .

(وأما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة) فهى علامة الخير . قال أبو سعيد الخدرى : قال رسول الله صلى الله عليه

= رواية « حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هى أم من أهل النار » وفى الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت مايمهد لذلك « إن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته وان الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته ... الحديث » .. (١) حديث « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاءه كره الله لقاءه ... الحديث » متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت . (٢) حديث « إن الله إذا رضى على عبده قال : يا ملك الموت اذهب الى فلان فأتنى بروحه لأريحه ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت من حديث تميم الدارى بإسناد ضعيف بزيادة كثيرة ولم يصرح فى أول الحديث برفعه وفى آخره مادل على أنه مرفوع وللنسائى من حديث أبى هريرة بإسناد صحيح « إذا حضر الميت أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء ، فيقولون : أخرجى راضية عنك الى روح الله وريحان ورب راض غير غضبان .. الحديث » .

(٣) حديث « ارقبوا الميت عند ثلاث : إذا رشح جبينه وذرفت عيناه ... الحديث » أخرجه الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول من حديث سلمان ولا يصح .

وسلم « لقنوا موتاكم : لا إله إلا الله [١] » وفى رواية حذيفة « فإنها تهدم ما قبلها من الخطايا [٢] » وقال عثمان : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة [٣] » وقال عبيد الله « وهو يشهد » وقال عثمان : إذا احتضر الميت فلقنوه « لا إله إلا الله » فإنه ما من عبد يختم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة . وقال عمر رضى الله عنه : احضروا موتاكم وذكروهم فإنهم يرون ما لا ترون ولقنوهم : لا إله إلا الله . وقال أبو هريرة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر فى قلبه فلم يجد فيه شيئا ، ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول : لا إله إلا الله ، فغفر له بكلمة الإخلاص [٤] » .

وينبغى للملقن أن لا يلح فى التلقين ولكن يتلطف ، فربما لا ينطق لسان المريض فيشق عليه ذلك ويؤدى إلى استثقاله التلقين وكراهيته للكلمة ويخشى أن يكون ذلك سبب سوء الخاتمة .

وإنما معنى هذه الكلمة أن يموت الرجل وليس فى قلبه شىء غير الله ، فإذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم فى حقه . وإن كان القلب مشغوفا بالدنيا ملتفتا إليها متأسفا على لذاتها وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطبق القلب على تحقيقها ، وقع الأمر فى خطر المشيئة ، فإن مجرد حركة اللسان قليل الجدوى إلا أن يتفضل الله تعالى بالقبول .

(وأما حسن الظن) فهو مستحب فى هذا الوقت ـ وقد ذكرنا ذلك فى كتاب الرجاء ـ وقد وردت الأخبار بفضل حسن الظن بالله . دخل واثلة بن الأسقع على مريض فقال : أخبرنى كيف ظنك بالله ؟ قال : أغرقتنى ذنوب لى وأشرفت على هلكة ولكنى أرجو رحمة ربى ! فكبر واثلة وكبر أهل البيت بتكبيره وقال : الله أكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء » ودخل النبى صلى الله عليه وسلم على شاب وهو يموت فقال « كيف تجدك » قال : أرجو الله وأخاف ذنوبى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « ما اجتمعا فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله الذى يرجو وآمنه من الذى يخاف [٦] » وقال ثابت البنانى . كان شاب به حدة وكان له أم تعظه كثيرا وتقول له . يا بنى إن لك يوما فاذكر يومك ، فلما نزل به أمر الله تعالى أكبت عليه أمه وجعلت تقول له : يابنى قد كنت أحذرك مصرعك هذا وأقول إن لك يوما ، فقال : يا أمه إن لى ربا كثير المعروف وإنى لأرجو أن لا يعدمنى اليوم بعض معروفه ، قال ثابت : فرحمه الله بحسن ظنه بربه . وقال جابر بن وداعة : كان شاب به رهق فاحتضر ، فقالت له أمه : يا بنى توصى بشىء ؟ قال : نعم ، خاتمى لا تسلبينيه فإن فيه ذكر الله تعالى فلعل الله يرحمنى ، فلما دفن رؤى فى المنام فقال : أخبروا أمى أن الكلمة قد نفعتنى وأن الله قد غفر لى . ومرض أعرابى فقيل له إنك تموت ، فقال : أين يذهب بى ؟ قالوا : إلى الله ، قال : فما كراهتى أن أذهب إلى من لا يرى الخير إلا منه . وقال أبو المعتمر بن سليمان : قال أبى لما حضرته الوفاة : يامعتمر حدثنى بالرخص لعلى ألقى الله عز وجل وأنا حسن الظن به وكانوا يستحبون أن يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكى يحسن ظنه بربه .

---

(١) حديث « لقنوا موتاكم : لا إله إلا الله » تقدم . (٢) حديث حذيفة : فإنها تهدم ما قبلها : تقدم . (٣) حديث : من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة . تقدم . (٤) حديث أبى هريرة : حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر فى قلبه فلم يجد فيه شيئا ... الحديث . أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب المحتضرين والطبرانى والبيهقى فى الشعب وإسناده جيد إلا أن فى رواية البيهقى رجلا لم يسم وسمى فى رواية الطبرانى إسحق بن يحيى بن طلحة وهو ضعيف .

(٥) حديث : دخل واثلة بن الأسقع على مريض فقال : أخبرنى كيف ظنك بالله ؟ وفيه « يقول الله أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء » أخرجه ابن حبان بالمرفوع منه وقد تقدم وأحمد والبيهقى فى الشعب به جميعا .

(٦) حديث : دخل على شاب وهو يموت فقال « كيف تجدك ؟ » فقال : أرجو الله وأخاف ذنوبى .. الحديث » تقدم .

بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بحكايات يعرب لسان الحال عنها

قال أشعث بن أسلم : سأل إبراهيم عليه السلام ملك الموت — واسمه عزرائيل وله عينان عين فى وجهه وعين فى قفاه — فقال : ياملك الموت ماتصنع . إذا كان نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بأرض والتقى الزحفان كيف تصنع ؟ قال : أدعوا الأرواح بإذن الله فتكون بين أصبعى هاتين ، وقال : قد دحيت له الأرض فتركت مثل الطشت بين يديه يتناول منها ما يشاء ، قال وهو يبشره بأنه خليل الله عز وجل . وقال سليمان بن داود عليهما السلام لملك الموت عليه السلام مالى لا أراك تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا ؟ قال ما أنا بذلك بأعلم منك ! إنما هى صحف أو كتب تلقى إلى فيها أسماء ، وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلى أرض ، فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه - بعد مرات - وكذلك طلب دابة فأتى بها فلم تعجبه ، حتى أتى بدواب فركب أحسنها ؛ فجاء إبليس فنفخ فى منخره نفخة فملأه كبرا . ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر إلى الناس كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام ، فأخذ بلجام دابته فقال أرسل اللجام فقد تعاطيت أمرا عظيما ! قال إن لى إليك حاجة قال اصبر حتى أنزل قال لا الآن ، فقهره على لجام دابته فقال اذكرها ! قال ، هو سر ، فأدنى له رأسه فساره وقال ، أنا ملك الموت ! فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعنى حتى أرجع إلى أهلى وأقضى حاجتى وأودعهم ، قال لا والله لا ترى أهلك وثقلك أبدا ! فقبض روحه فخر كأنه خشبة ، ثم مضى فلقى عبدا مؤمنا فى تلك الحال فسلم عليه فرد السلام فقال إن لى إليك حاجة أذكرها فى أذنك فقال هات فساره وقال أنا ملك الموت ! فقال أهلا ومرحبا بمن طالت غيبته على فوالله ماكان فى الأرض غائب أحب إلى أن ألقاه منك ! فقال ملك الموت اقض حاجتك التى خرجت لها ، فقال مالى حاجة أكبر عندى ولا أحب من لقاء الله تعالى ! قال فاختر على أى حال شئت أن أقبض روحك ؟ فقال تقدر على ذلك ؟ قال نعم إنى أمرت بذلك ، قال فدعنى حتى أتوضأ وأصلى ثم اقبض روحى وأنا ساجد ، فقبض روحه وهو ساجد وقال أبو بكر بن عبد الله المزنى جمع رجل من بنى إسرائيل مالا فلما أشرف على الموت قال لبنيه أرونى أصناف أموالى ؟ فأتى بشىء كثير من الخيل والإبل والرقيق وغيره فلما نظر إليه بكى تحسرا عليه ، فرآه ملك الموت وهو يبكى فقال له ما يبكيك ؟ فوالذى خولك ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك ! قال فالمهلة حتى أفرقه قال هيهات انقطعت عنك المهلة ! فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك ؟ فقبض روحه . وروى أن رجلا جمع مالا فأوعى ولم يدع صنفا من المال إلا اتخذه ، وابتنى قصرا وجعل عليه بابين وثيقين وجمع عليه حرسا من غلمانه ، ثم جمع أهله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره ورفع إحدى رجليه على الأخرى وهم يأكلون فلما فرغوا قال يا نفس ألعمى لسنين فقد جمعت لك ما يكفيك ؟ فلم يفرغ من كلامه حتى أقبل إليه ملك الموت فى هيئة رجل عليه خلقان من الثياب وفى عنقه مخلاة يتشبه بالمساكين ، فقرع الباب بشدة عظيمة قرعا أفزعه وهو على فراشه ، فوثب إليه الغلمان وقالوا ما شأنك ؟ فقال ادعوا إلى مولاكم فقالوا وإلى مثلك يخرج مولانا ؟ قال نعم فأخبروه بذلك فقال هلا فعلتم به وفعلتم ، فقرع الباب قرعة أشد من الأولى ، فوثب إليه الحرس فقال أخبروه أنى ملك الموت ، فلما سمعوه ألقى عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والتخشع ، فقال قولوا له قولا لينا وقولوا هل تأخذ به أحدا ؟ فدخل عليه وقال اصنع فى مالك ما أنت صانع ، فإنى لست بخارج منها حتى أخرج روحك ، فأمر بماله حتى وضع بين يديه فقال حين رآه لعنك الله من مال ! أنت شغلتنى عن عبادة ربى ومنعتنى أن أتخلى لربى ، فانطلق

الله المال فقال لم تسبنى وقد كنت تدخل على السلاطين بى ويرد المتق عن بابهم وكنت تنكح المتنعمات بى ، وتجلس مجالس الملوك بى وتنفقنى فى سبيل الشر فلا أمتنع منك ولو أنفقتنى فى سبيل الخير نفعتك ؟ خلقت يابن آدم من تراب فنطلق ببر ومنطلق بإثم ، ثم قبض ملك الموت روحه فسقط . وقال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما فى الأرض مثله ! ثم عرج إلى السماء فقالت الملائكة لمن كنت أشد رحمة ممن قبضت روحه ؟ قال أمرت بقبض نفس امرأة فى فلاة من الأرض فأتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه فى فلاة لامتعهد له بها . فقالت الملائكة الجبار الذى قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذى رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء ! قال عطاء بن يسار إذا كانت ليلة النصف من شعبان دفع إلى ملك الموت صحيفة فيقال اقبض فى هذه السنة من فى هذه الصحيفة قال فإنّ العبد ليغرس الغراس وينكح الأزواج ويبنى البنيان وإنّ اسمه فى تلك الصحيفة وهو لايدرى . وقال الحسن ما من يوم إلا وملك اليوم يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى أجله قبض روحه ، فإذا قبض روحه أقبل أهله برنة وبكاء ، فيأخذ ملك الموت بعضادتى الباب فيقول والله ما أكلت له رزقا ولا أفنيت له عمرا ولا انتقصت له أجلا ، وإن لى فيكم لعودة بعد عودة حتى لا أبقى منكم أحدا . قال الحسن فوالله لو يرون مقامه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم ، وقال يزيد الرقاشى بينما جبار من الجبابرة من بنى إسرائيل جالس فى منزله قد خلا ببعض أهله ، إذ نظر إلى شخص قد دخل من باب بيته فثار إليه فزعا مغضبا فقال له من أنت ومن أدخلك على دارى ؟ فقال أما الذى أدخلنى الدار فربها ، وأما أنا فالذى لايمنع من الحجاب ولا أستأذن على الملوك ولا أخاف صولة المتسلطين ولا يمتنع منى كل جبار عنيد ولا شيطان مريد ؟ قال فسقط فى يد الجبار وارتعد حتى سقط منكبا على وجهه ، ثم رفع رأسه إليه مستجديا متذللا له فقال له أنت إذن ملك الموت ! قال أنا هو ، قال فهل أنت مهلى حتى أحدث عهدا ؟ قال هيهات ! انقطعت مدتك وانقضت أنفاسك ونفدت ساعاتك فليس إلى تأخيرك سبيل ! قال فإلى أين تذهب بى ؟ قال إلى عملك الذى قدمته وإلى بيتك الذى مهدته ، قال فإنى لم أقدم عملا صالحا ولم أمهد بيتا حسنا ، قال فإلى لظى نزاعة للشوى ، ثم قبض روحه فسقط ميتا بين أهله ، فمن بين صارخ وباك . قال يزيد الرقاشى لو يعلمون سوء المنقلب كان العويل على ذلك أكثر . وعن الأعمش عن خيثمة قال دخل ملك الموت على سليمان بن داود عليه السلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه ، فلما خرج قال الرجل من هذا ؟ قال هذا ملك الموت ، قال لقد رأيته ينظر إلى كأنه يريدنى قال فماذا تريد ؟ قال أريد أن تخلصنى منه فتأمر الريح حتى تحملنى إلى أقصى الهند ! ففعلت الريح ذلك ، ثم قال سليمان لملك الموت بعد أن أتاه ثانيا رأيتك تديم النظر إلى واحد من جلسائى ، قال نعم كنت أتعجب منه لأنى كنت أمرت أن أقبضه بأقصى الهند فى ساعة قريبة وكان عندك فعجبت من ذلك ! .

الباب الرابع

فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده

وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

اعلم أن فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ـ حيا وميتا وفعلا وقولا ـ وجميع أحواله عبرة للناظرين

وتبصرة المستبصرين ، إذ لم يكن أحد أكرم على الله منه إذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه، وكان صفيه ورسوله ونبيه فانظر هل أمهله ساعة عند انقضاء مدته وهل أخره لحظة بعد حضور منيته ؟ لا بل أرسل إليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض أرواح الأنام ، فجدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها ، وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر إلى رحمة ورضوان ، وخيرات حسان ، بل إلى مقعد صدق فى جوار الرحمن ، فاشتد مع ذلك فى النزع كربه وظهر أنينه، وترادف قلقه وارتفع حنينه ، وتغير لونه وعرق جبينه ، واضطربت فى الانقباض والانبساط شماله ويمينه ، حتى بكى لمصرعه من حضره ، وانتحب لشدة حاله من شهد منظره ، فهل رأيت منصب النبوة دافعا عنه مقدورا؟ وهل راقب الملك فيه أهلا وعشيرا ؟ وهل سامحه إذ كان للحق نصيرا وللخلق بشيرا ونذيرا ! هيهات ! بل امتثل ما كان به مأمورا واتبع ما وجده فى اللوح مسطورا . فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود ، والحوض المورود ، وهو أول من تنشق عنه الأرض ، وهو صاحب الشفاعة يوم العرض ، فالعجب أنا لا نعتبر به ولسنا على ثقة فيما نلقاه بل نحن أسراء الشهوات ! وقرناء المعاصى والسيئات ! فما بالنا لا نتعظ بمصرع محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وحبيب رب العالمين ، لعلنا نظن أننا مخلدون ، أو نتوهم أنا مع سوء أفعالنا عند الله مكرمون ، هيهات ! هيهات ! بل نتيقن أنا جميعا على النار واردون ، ثم لا ينجو منها إلا المتقون ، فنحن للورود مستيقنون ، وللصدور عنها متوهمون ، لا بل ظلمنا أنفسنا إن كنا كذلك لغالب الظن منتظرين ، فما نحن والله من المتقين ، وقد قال الله رب العالمين ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ فلينظر كل عبد إلى نفسه أنه إلى الظالمين أقرب أم إلى المتقين ؟ فانظر إلى نفسك بعد أن تنظر إلى سيرة السلف الصالحين ، فلقد كانوا مع ما وفقوا له من الخائفين . ثم انظر إلى سيد المرسلين فإنه كان من أمره على يقين، إذ كان سيد النبيين وقائد المتقين ، واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا ! وكيف اشتد أمره عند الانقلاب إلى جنة المأوى ، قال ابن مسعود رضى الله عنه : دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أمنا عائشة رضى الله عنها حين دنا الفراق ، فنظر إلينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال « مرحبا بكم حياكم الله ، آواكم الله ، نصركم الله ، وأوصيكم بتقوى الله ، وأوصى بكم الله ، إنى لكم منه نذير مبين ، ألا تعلوا على الله فى بلاده وعباده وقد دنا الأجل ، والمنقلب إلى الله وإلى سدرة المنتهى وإلى جنة المأوى وإلى الكأس الأوفى ، فاقرءوا على أنفسكم وعلى من دخل فى دينكم بعدى منى السلام ورحمة الله »[1] وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام عند موته « من لأمتى بعدى » فأوحى الله تعالى إلى جبريل : أن بشر حبيبى أنى لا أخذله فى أمته ، وبشره بأنه أسرع الناس خروجا من الأرض إذا بعثوا ، وسيدهم إذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الأمم حتى تدخلها أمته . فقال « الآن قرت عينى »[2] ، وقالت عائشة رضى الله عنها : أمرنا

الباب الرابع فى وفاة النبى صلى الله عليه وسلم

(١) حديث ابن مسعود : دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أمنا عائشة حين دنا الفراق ... الحديث » رواه البزار وقال : هذا الكلام قد روى عن مرة عن عبد الله من غير وجه وأسانيدها متقاربة ، قال : وعبد الرحمن الأصبهانى لم يسمع هذا من مرة وإنما هو عمن أخبره عن مرة ، قال : ولا أعلم أحدا رواه عن عبد الله غير مرة . قلت : وقد روى من غير ما وجه . رواه ابن سعد فى الطبقات من رواية ابن عوف عن ابن مسعود . ورويناه فى مشيخة القاضى أبى بكر الأنصارى من رواية الحسن العربى عن ابن مسعود ولكنهما منقطعان وضعيفان ، والحسن العربى إنما يرويه عن مرة كما رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى فى الأوسط . (٢) حديث : أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عند موته « من لأمتى بعدى » فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبى أنى لا أخذله فى أمته ... الحديث » أخرجه الطبرانى من حديث جابر وابن عباس فى حديث طويل فيه « من لأمتى المصطفاة من بعدى » قال : أبشر يا حبيب الله فإن الله عز وجل يقول قد حرمت الجنة على جميع الأنبياء والأمم حتى تدخلها أنت وأمتك قال « الآن طابت نفسى » . وإسناده ضعيف .

رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغسله بسبع قرب من سبعة آبار ، ففعلنا ذلك فوجد راحة ، فخرج فصلى بالناس واستغفر لأهل أحد ودعا لهم وأوصى بالأنصار فقال « أما بعد : يامعشر المهاجرين فإنكم تزيدون وأصبحت الأنصار لا تزيد على التي هي عليها اليوم ، وإنّ الأنصار عيبتي التي أويت إليها فأكرموا كريمهم - يعني محسنهم - وتجاوزوا عن مسيئهم » ثم قال « إن عبدا خير بين الدنيا وبين ماعند الله فاختار ماعند الله » فبكى أبو بكر رضي الله عنه وظن أنه يريد نفسه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « على رسلك يا أبا بكر سدّوا هذه الأبواب الشوارع في المسجد إلا باب أبي بكر فإني لا أعلم امرأ أفضل عندي في الصحبة من أبي بكر [1] » قالت عائشة رضي الله عنها : فقبض صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت ، فدخل علي أخي عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر إليه فعرفت أنه يعجبه ذلك ، فقلت له : آخذه لك ، فأومأ برأسه أن : نعم ، فناولته إياه فأدخله في فيه فاشتدّ عليه فقلت : ألينه لك ؟ فأومأ برأسه أن نعم ، فليّنته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل فيها يده ويقول « لا إله إلا الله إنّ للموت لسكرات » ثم نصب يده يقول « الرفيق الأعلى . . الرفيق الأعلى » فقلت : إذن والله لايختارنا [2] وروى سعيد بن عبدالله عن أبيه قال : لما رأت الأنصار أنّ النبي صلى الله عليه وسلم يزداد ثقلا أطافوا بالمسجد ، فدخل العباس رضي الله عنه على النبي ﷺ فأعلمه بمكانهم وإشفاقهم ، ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي رضي الله عنه فأعلمه بمثله ، فمدّ يده وقال « ها » فتناولوه ، فقال « ماتقولون ! » قالوا : نقول : نخشى أن تموت ، وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم إلى النبي ﷺ ، فثار رسول الله ﷺ فخرج متوكئا على علي والفضل ، والعباس أمامه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر ، وثاب الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه وقال « أيها الناس إنه بلغني أنكم تخافون على الموت كأنه استنكار منكم للموت ، وما تنكرون من موت نبيكم ألم أنع إليكم وتنعى إليكم أنفسكم ؟ هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فأخلد فيكم ؟ ألا إني لاحق بربي وإنكم لاحقون به وإني أوصيكم بالمهاجرين الأولين خيرا وأوصي المهاجرين فيما بينهم فإنّ الله عز وجل قال ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا ﴾ - إلى آخرها - وإن الأمور تجري بإذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله ، فإنّ الله عز وجل لايعجل لعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾ وأوصيكم بالأنصار خيرا فإنهم الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم ألم يشاطروكم الثمار ألم يوسعوا عليكم في الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ؟ ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ، ألا ولا تستأثروا عليهم ألا وإني فرط لكم وأنتم لاحقون بي ، ألا وإنّ موعدكم الحوض ، حوضي أعرض مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن ، يصب فيه ميزاب الكوثر ، ماؤه أشدّ بياضا من اللبن وألين من الزبد وأحلى من الشهد ، من شرب منه لم يظمأ أبدا ، حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه المسك ، من حرمه في الموقف غدا حرم الخير كله ، ألا فمن أحب أن يرده على غدا فليكفف لسانه ويده إلا مما ينبغي » فقال العباس : يا نبي الله أوص بقريش ! فقال « إنما أوصي بهذا الأمر قريشا والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم ، فاستوصوا آل قريش بالناس خيرا ، يا أيها الناس إنّ الذنوب تغير النعم وتبدل القسم ، فإذا بر الناس برهم أئمتهم وإذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى ﴿ وكذلك نولي

---

(١) حديث عائشة : أمرنا أن نغسله بسبع قرب من سبعة آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لأهل أحد . . الحديث » أخرجه الدارمي في مسنده وفيه إبراهيم بن المختار مختلف فيه عن محمد بن إسحق وهو مدلس وقد رواه بالعنعنة .

(٢) حديث عائشة : قبض في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت . . الحديث » متفق عليه

بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ﴾ [١] ، وروى ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر رضى الله عنه « سل يا أبا بكر » فقال يا رسول الله دنا الأجل ؟ فقال « قد دنا الأجل وتدلى » فقال لهنك يانبي الله ما عند الله ! فليت شعرى عن منقلبنا ، فقال « إلى الله وإلى سدرة المنتهى ثم إلى جنة المأوى والفردوس الأعلى والكأس الأوفى والرفيق الأعلى والحظ والعيش المهنا » فقال يا نبي الله من يلى غسلك ؟ قال « رجال من أهل بيتى الأدنى فالأدنى » قال ففيم نكفنك ؟ فقال « فى ثيابى هذه وفى حلة يمانية وفى بياض مصر » فقال كيف الصلاة عليك منا ؟ وبكينا وبكى ثم قال « مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا ، إذا غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى فى بيتى هذا على شفيرى قبرى ، ثم أخرجوا عنى ساعة ، فإنّ أوّل من يصلى على الله عز وجل ﴿ هو الذى يصلى عليكم وملائكته ﴾ ثم يأذن للملائكة فى الصلاة على ، فأوّل من يدخل على من خلق الله ويصلى على جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ، ثم الملائكة بأجمعها صلى الله عليهم أجمعين ، ثم أنتم فادخلوا على أفواجا فصلوا على أفواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ، ولا تؤذونى بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم الإمام وأهل بيتى الأدنى فالأدنى ، ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان » قال فمن يدخلك القبر ؟ قال « زمر من أهل بيتى الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فأدوا عنى إلى من بعدى [٢] » وقال عبد الله بن زمعة جاء بلال فى أوّل شهر ربيع الأوّل فأذن بالصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مروا أبا بكر يصلى بالناس » فخرجت فلم أر بحضرة الباب إلا عمر فى رجال ليس فيهم أبو بكر ، فقلت قم يا عمر فصل بالناس ، فقام عمر فلما كبر وكان رجلا صيتا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته بالتكبير فقال « أين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون » قالها ثلاث مرات « مروا أبا بكر فليصل بالناس » فقالت عائشة رضى الله عنها يارسول الله إن أبا بكر رجل رقيق القلب إذا قام فى مقامك غلبه البكاء ! فقال « إنكن صويحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس » قال فصلى أبو بكر بعد الصلاة التى صلى عمر ، فكان عمر يقول لعبد الله بن زمعة - بعد ذلك - ويحك ماذا صنعت بى ! والله لولا أنى ظننت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك ما فعلت . فيقول عبد الله إنى لم أر أحداً أولى بذلك منك ! قالت عائشة رضى الله عنها وما قلت ذاك ولا صرفته عن أبى بكر إلا رغبة به عن الدنيا ، ولما فى الولاية من المخاطرة والهلكة إلا من سلم الله ، وخشيت أيضا أن لا يكون الناس يحبون رجلا صلى فى مقام النبى صلى الله عليه وسلم وهو حى أبدا إلا أن يشاء الله ، فيحسدونه ويبغون عليه ويتشاءمون به فإذن الأمر أمر الله والقضاء قضاؤه ، وعصمه الله من كل ما تخوفت عليه من أمر الدنيا والدين [٣] وقالت عائشة رضى الله عنها فلما

---

(١) حديث سعيد بن عبد الله عن أبيه قال : لما رأت الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد ثقلا أطافوا بالمسجد ، فدخل العباس فأعلمه بمكانهم وإشفاقهم فذكر ... الحديث فى خروجه متوكئا معصوب الرأس يخط رجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر . فذكر خطبته بطولها هو حديث مرسل ضعيف وفيه نكارة ولم أجد له أصلا وأبوه عبد الله بن ضرار بن الأزور تابعى . روى عن ابن مسعود قال أبو حاتم فيه وفى أبيه سعيد ليس بالقوى . (٢) حديث ابن مسعود : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر « سل يا أبا بكر » فقال . يارسول الله دنا الأجل ؟ فقال « قد دنا الأجل ... الحديث » فى سؤالهم له : من يلى غسلك وفيم نكفنك ؟ وكيفية الصلاة عليه » رواه ابن سعد فى الطبقات عن محمد بن عمر وهو الواقدى باسناد ضعيف الى ابن عوف عن ابن مسعود وهو مرسل ضعيف كما تقدم .

(٣) حديث عبد الله بن زمعة : جاء بلال فى أول ربيع الأول فأذن بالصلاة فقال النبى صلى الله عليه وسلم « مروا أبا بكر فليصل بالناس » فخرجت فلم أر بحضرة الباب إلا عمر فى رجال ليس فيهم أبو بكر ... الحديث » أخرجه أبو داود باسناد جيد نحوه مختصرا دون قوله « فقالت عائشة إن أبا بكر رجل رقيق ... الى آخره » ولم يقل : فى أول ربيع الأول ، وقال « مروا من يصلى بالناس » وقال « يأبى الله ذلك والمؤمنون » مرتين وفى رواية له فقال « لا لا ... ليصل للناس ابن أبى قحافة » يقول ذلك =

كان اليوم الذى مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة فى أول النهار ، فتفرق عنه الرجال إلى منازلهم وحوائجهم مستبشرين ، وأخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء ، فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا فى الرجاء والفرح قبل ذلك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اخرجن عنى ! هذا الملك يستأذن على » فخرج من فى البيت غيرى ورأسه فى حجرى فجلس وتنحيت فى جانب البيت فناجى الملك طويلا ، ثم إنه دعانى فأعاد رأسه فى حجرى وقال للنسوة « ادخلن » فقلت . ما هذا بحس جبريل عليه السلام ؟ فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « أجل ياعائشة هذا ملك الموت جاءنى فقال : إن الله عز وجل أرسلنى وأمرنى أن لا أدخل عليك إلا بإذن ، فإن لم تأذن لى أرجع وإن أذنت لى دخلت ، وأمرنى أن لا أقبضك حتى تأمرنى فماذا أمرك ؟ فقلت : اكفف عنى حتى يأتينى جبريل عليه السلام ، فهذه ساعة جبريل » فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأى ، فوجمنا وكأنما ضربنا بصاخة ما نحير إليه شيئا وما يتكلم أحد من أهل البيت إعظاما لذلك الأمر وهيبة ملأت أجوافنا ، قالت ، وجاء جبريل فى ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج أهل البيت فدخل فقال : إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول : كيف تجدك وهو أعلم بالذى تجد منك ، ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفا وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق وأن تكون سنة فى أمتك فقال « أجدنى وجعا » فقال : أبشر فإن الله تعالى أراد أن يبلغك ما أعد لك فقال « ياجبريل إن ملك الموت استأذن على » وأخبره الخبر فقال جبريل : يامحمد إن ربك إليك مشتاق ألم يعلمك الذى يريد بك ؟ لا والله تعالى ما استأذن ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبدا ، إلا أن ربك متم شرفك وهو إليك مشتاق ، قال « فلا تبرح إذن حتى يجىء » وأذن للنساء فقال « يافاطمة ادنى » فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام ، ثم قال « ادنى منى رأسك » فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وهى تضحك وما تطيق الكلام ، فكان الذى رأينا منها عجبا ، فسألتها بعد ذلك فقالت . أخبرنى وقال « إنى ميت اليوم » فبكيت ثم قال « إنى دعوت الله أن يلحقك بى فى أول أهلى وأن يجمع لك معى » فضحكت ، وأدنت ابنيها منه فشمهما قالت . وجاء ملك الموت واستأذن فأذن له فقال الملك . ماتأمرنا يامحمد ؟ قال « الحقنى بربى الآن » فقال بلى من يومك هذا أما إن ربك إليك مشتاق ولم يتردد عن أحد تردده عنك ولم ينهنى عن الدخول على أحد إلا بإذن غيرك ولكن ساعتك أمامك وخرج قالت وجاء جبريل فقال السلام عليك يارسول الله هذا آخر ما أنزل فيه إلى الأرض أبدا « طوى الوحى وطويت الدنيا وما كان لى فى الأرض حاجة غيرك ، ومالى فيها حاجة إلا حضورك ، ثم لزوم موقفى لا والذى بعث محمدا بالحق مافى البيت أحد يستطيع أن يحير إليه فى ذلك كلمة ولا يبعث إلى أحد من رجاله ، لعظم مايسمع من حديثه ووجدنا وإشفاقنا ، قالت : فقمت إلى النبى صلى الله عليه وسلم حتى أضع رأسه بين ثدىى وأمسكت بصدره ، وجعل يغمى عليه حتى يغلب وجهته ترشح رشحا مارأيته من إنسان قط ، فجعلت أسلت ذلك العرق وما وجدت رائحة شىء أطيب منه فكنت أقول له - إذا أفاق - بأبى أنت وأمى ونفسى وأهلى ماتلقى جبهتك من الرشح ؟ فقال « ياعائشة إن نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقيه كنفس الحمار » فعند ذلك ارتعنا وبعثنا إلى أهلنا ، فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخى ، بعثه إلى أبى ، فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يجىء أحد ، وإنما صدهم الله عنه لأنه ولاه جبريل وميكائيل ، وجعل إذا أغمى عليه قال « بل الرفيق الأعلى » كأن الخيرة تعاد عليه ، فإذا أطاق الكلام قال « الصلاة الصلاة إنكم لاتزالون متماسكين ماصليتم جميعا » الصلاة الصلاة كان يوصى بها حتى مات وهو

= مغضبا ، وأما مافى آخره من قول عائشة ففى الصحيحين من حديثها فقالت عائشة : يارسول الله ان أبابكر رجل رقيق إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء ! فقال « انسكن صواحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس » .

يقول « الصلاة الصلاة [1] » ، قالت عائشة رضى الله عنها : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين [2] قالت فاطمة رضى الله عنها : ما لقيت من يوم الاثنين ، والله لاتزال الأمة تصاب فيه بعظيمة وقالت أم كلثوم - يوم أصيب على كرّم الله وجهه بالكوفة - مثلها : مالقيت من يوم الاثنين ، مات فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وفيه قتل على ؛ وفيه قتل أبى ، فما لقيت من يوم الاثنين . وقالت عائشة رضى الله عنها : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتحم الناس - حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الملائكة بثوبه - فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما تكلم إلا بعد البعد ، وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان ، وبقى آخرون معهم عقولهم ، وأقعد آخرون . فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته ، وعلى فيمن أقعد ، وعثمان فيمن أخرس . فخرج عمر على الناس وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت ، وليرجعنه الله عز وجل ، وليقطعن أيدى وأرجل رجال من المنافقين يتمنون لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الموت ، إنما واعده الله عز وجل كما واعد موسى وهو آتيكم [3] وفى رواية أنه قال : ياأيها الناس كفوا ألسنتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لم يمت ، والله لاأسمع أحدا يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات إلا علوته بسيفى هذا . وأما على فإنه أقعد فلا يبرح البيت . وأما عثمان فجعل لا يكلم أحدا - يؤخذ بيده فيجاء به ويذهب به - ولم يكن أحد من المسلمين فى مثل حال أبى بكر والعباس فإن الله عز وجل أيدهما بالتوفيق والسداد ، وإن كان الناس لم يرعووا إلا بقول أبى بكر حتى جاء العباس فقال : والله الذى لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الموت ، ولقد قال وهو بين أظهركم ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ .

وبلغ أبا بكر الخبر وهو فى بنى الحرث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إليه

---

(١) حديث عائشة : لما كان اليوم الذى مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة فى أول النهار فتفرق عنه الرجال إلى منازلهم وحوائجهم مستبشرين وأخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء فبينما نحن على ذلك لم يكن على مثل حالنا فى الرجاء والفرح قبل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اخرجن عنى ، هذا ملك يستأذن على ... الحديث » بطوله فى مجىء ملك الموت ثم ذهابه ثم مجىء جبريل ثم مجىء ملك الموت ووفاته صلى الله عليه وسلم ، أخرجه الطبرانى فى الكبير من حديث جابر وابن عباس مع اختلاف فى حديث طويل فيه : فلما كان يوم الاثنين اشتد الأمر وأوحى الله الى ملك الموت أن اهبط الى حبيبى وصفيى محمد صلى الله عليه وسلم فى أحسن صورة وارفق به فى قبض روحه . وفيه دخول ملك الموت واستئذانه فى قبضه فقال « ياملك الموت أين خلفت حبيبى جبريل » قال خلفته فى سماء الدنيا والملائكة يعزونه فيك ، فما كان بأسرع أن أتاه جبريل فقعد عند رأسه وذكر بشارة جبريل له بما أعد الله له ، وفيه اذن ياملك الموت فائته الى ماأمرت به ... الحديث . وفيه : فدنا ملك الموت يعالج قبض روح النبى صلى الله عليه وسلم وذكر كربه ذلك ، الى أن قال : فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو حديث طويل فى ورقتين كبار وهو منكر ، وفيه عبد المنعم بن ادريس بن سنان عن أبيه عن وهب بن منبه قال أحمد : كان يكذب على وهب بن منبه ، وأبوه ادريس أيضاً متروك قاله الدارقطنى ، ورواه الطبرانى أيضاً من حديث الحسين بن على : أن جبريل جاءه أولا فقال له عن ربه كيف تجدك ثم جاءه جبريل اليوم الثالث ومعه ملك الموت وملك الهواء إسماعيل وأن جبريل دخل أولا فسأله ثم استأذن ملك الموت وقوله « امض لما أمرت به » وهو منكر أيضا فيه عبد الله بن ميمون القداح قال البخارى ذاهب الحديث ورواه أيضاً من حديث ابن عباس فى مجىء ملك الموت أولا واستئذانه وقوله . لازربك يقرئك السلام فقال « أين جبريل » فقال هو قريب منى الآن يأتى فخرج ملك الموت حتى نزل عليه جبريل .. الحديث وفيه المختار بن نافع منكر الحديث .

(٢) حديث عائشة : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين . رواه ابن عبد البر

(٣) حديث عائشة : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتحم الناس - حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة بثوبه - فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما تكلم إلا بعد البعد ، وخلط آخرون ومعهم عقولهم وأقعد آخرون . وكان عمر بن الخطاب ممن كذب بموته ، وعلى فيمن أقعد ، وعثمان فيمن أخرس . فخرج عمر على الناس وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت ... الحديث الى قوله (عند ربكم تختصمون) لم أجد له أصلا وهو منكر .

ثم أكب عليه فقبله ثم قال : بأبي أنت وأمي يارسول الله ما كان الله تعالى ليذيقك الموت مرتين ، فقد والله توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج إلى الناس فقال : أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فإنه حي لايموت قال الله تعالى ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم . . . الآية ﴾ (١) ، فكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية إلا يومئذ . وفي رواية : أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وهو يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة ، وهو في ذلك جلد الفعل والمقال - فأكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول : بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي طبت حيا وميتا انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء والنبوة ، فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء ، وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ، ولولا أن موتك كان اختيارا منك لجدنا لحزنك بالنفوس ، ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفدنا عليك ماء العيون ، فأما مالا نستطيع نفيه عنا فكمد وادكار محالفان لا يبرحان ، اللهم فأبلغه عنا ، اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ، ولنكن من بالك ، فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم أحد لما خلفت من الوحشة ، اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا (٢) . وعن ابن عمر : أنه لما دخل أبو بكر البيت وصلى وأثنى عج أهل البيت عجيجا سمعه أهل المصلى ، كلما ذكر شيئا ازدادوا ، فما سكن عجيجهم إلا تسليم رجل على الباب صيت جلد قال : السلام عليكم ياأهل البيت ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ الآية إن في الله خلفا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة ، فالله تعالى فارجوا وبه فثقوا . فاستمعوا له وأنكروه وقطعوا البكاء ، فلما انقطع البكاء فقد صوته فاطلع أحدهم فلم ير أحدا ، ثم عادوا فبكوا فناداهم مناد آخر لايعرفون صوته : ياأهل البيت أذكروا الله تعالى واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين ، إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغيبة ، فالله فأطيعوا وبأمره فاعملوا . فقال أبو بكر : هذا الخضر واليسع عليهما السلام حضرا النبي صلى الله عليه وسلم (٣) واستوفى القعقاع بن عمرو حكاية خطبة أبي بكر رضي الله عنه فقال : قام أبو بكر في الناس

---

(١) حديث : بلغ أبا بكر الخبر وهو في بني الحارث بن الخزرج فجاء فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إليه ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال : بأبي أنت وأمي ما كان الله ليذيقك الموت مرتين . . . الحديث . إلى آخر قوله : وكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية إلا يومئذ أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة : أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل ودخل المسجد ، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغشى بثوب حبرة ، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال : بأبي وأمي أنت ، والله لايجمع الله عليك موتتين ، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها . ولهما من حديث ابن عباس : أن أبابكر خرج وعمر يكلم الناس . . . الحديث . وفيه : والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر . لفظ البخاري فيهما .

(٢) حديث : إن أبا بكر لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد الفعل والمقال - فأكب عليه فكشف الثوب عن وجهه . . . الحديث ، إلى قوله : واحفظه فينا ، أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف : جاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى فكشف الثوب عن وجهه . . . الحديث إلى آخره . (٣) حديث ابن عمر في سماع التعزية به صلى الله عليه وسلم : إن في الله خلفا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا . ثم سمعوا آخر بعده : إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغيبة فالله فأطيعوا وبأمره فاعملوا . فقال أبو بكر : هذا الخضر واليسع . لم أجد فيه ذكر « اليسع » وأما ذكر « الخضر » في التعزية فأنكر النووي وجوده في كتب الحديث وقال : إنما ذكره الأصحاب . قلت : بلى قد رواه الحاكم في المستدرك في حديث أنس ولم يصححه ولايصح ، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء من حديث أنس أيضاً قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع أصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل شعر المنكبين في إزار ورداء يتخطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخذ بعضادتي باب البيت فبكى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل =

خطيبا حيث قضى الناس عبراتهم بخطبة جلها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه على كل حال وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فلله الحمد وحده وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخاتم أنبيائه ، وأشهد أن الكتاب كما شرع وأن الدين كما شرع وأن الحديث كما حدث وأن القول كما قال وأن الله هو الحق المبين ، اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك وامينك وخيرتك وصفوتك بأفضل ما صليت به على أحد من خلقك ، اللهم واجعل صلواتك ومعافاتك ورحمتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وإمام المتقين محمد قائد الخير وإمام الخير ورسول الرحمة . اللهم قرب زلفته وعظم برهانه وكرم مقامه وابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأولون والآخرون وانفعنا بمقامه المحمود يوم القيامة واخلفه فينا في الدنيا والآخرة وبلغه الدرجة والوسيلة في الجنة ، اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم إنك حميد مجيد ، أيها الناس إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لم يمت ، وإن الله قد تقدم إليكم في أمره فلا تدعوه جزعا ، وإن الله عز وجل قد اختار لنبيه صلى الله عليه وسلم ما عنده على ما عندكم وقبضه إلى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أنكر ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ﴾ ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم .

وقال ابن عباس : لما فرغ أبو بكر من خطبته قال يا عمر أنت الذي بلغني أنك تقول ما مات نبي الله صلى الله عليه وسلم ؟ أما ترى أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا : كذا وكذا ويوم كذا : كذا وكذا وقال تعالى في كتابه ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ فقال : والله لكأني لم أسمع بها في كتاب الله قبل الآن لما نزل بنا ، أشهد أن الكتاب كما أنزل وأن الحديث كما حدث وأن الله حي لا يموت ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ وصلوات الله على رسوله وعند الله نحتسب رسوله صلى الله عليه وسلم . ثم جلس إلى أبي بكر .

وقالت عائشة رضي الله عنها : لما اجتمعوا لغسله قالوا : والله ما ندري كيف نغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنجرده عن ثيابه كما نصنع بموتانا أو نغسله في ثيابه ؟ قالت : فأرسل الله عليهم النوم حتى ما بقي منهم رجل إلا واضع لحيته على صدره نائما ثم قال قائل - لا يدري من هو - غسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثيابه ، فانتبهوا ففعلوا ذلك فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قميصه . حتى إذا فرغوا من غسله كفن . وقال علي كرم الله وجهه : أردنا خلع قميصه فنودينا لا تخلعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابه . فأقررناه فغسلناه في قميصه كما نغسل موتانا مستلقيا ما نشاء أن يقلب لنا منه عضو لم يبالغ فيه إلا قلب لنا حتى نفرغ منه ، وإن معنا لحفيفا في البيت كالريح الرخاء ويصوت بنا ارفقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنكم ستكفون . فهكذا كانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترك

= على أصحابه فقال : إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت وخلفا من كل هالك فإلى الله تعالى فأنيبوا وإليه فارغبوا وإليه ترجعون فإن المصاب من لم يجبره الثواب . ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر : هل الرجل ، فنظروا يمينا وشمالا فلم يروا أحدا ، فقال أبو بكر : لعل هذا الخضر أخو نبينا عليه السلام جاء يعزينا . ورواه الطبراني في الأوسط وإسناده ضعيف جدا ورواه ابن أبي الدنيا أيضا من حديث علي بن أبي طالب : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت تسمع حسه ولا ترى شخصه قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته إن في الله عوضا من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت ، فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإن المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم . فقال علي : تدرون من هذا ؟ هو الخضر . وفيه محمد بن جعفر الصادق تكلم فيه وفيه انقطاع بين علي بن الحسين وبين جده علي والمعروف عن علي بن الحسين مرسلا من غير ذكر علي كما رواه الشافعي في الأم وليس فيه ذكر « الخضر » .

سبدا ولا لبدا إلا دفن معه . قال أبو جعفر : فرش لحده بمفرشه وقطيفته وفرشت ثيابه عليها التي كان يلبس يقظان على القطيفة والمفرش ، ثم وضع عليها في أكفانه فلم يترك بعد وفاته مالا ولا بنى في حياته لبنة على لبنة ولا وضع قصبة على قصبة [1] ففي وفاته عبرة تامة وللمسلمين به أسوة حسنة .

وفاة أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه

لما احتضر أبو بكر رضى الله تعالى عنه جاءت عائشة رضى الله عنها فتمثلت بهذا البيت :

لعمـــرك مايغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال : ليس كذا ولكن قولي ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾ انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فإن الحي إلى الجديد أحوج من الميت . وقالت عائشة رضى الله عنها عند موته :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل

فقال أبو بكر : ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخلوا عليه فقالوا : ألا ندعو لك طبيبا ينظر إليك؟ قال قد نظر إلي طبيبي وقال : إني فعال لما أريد . ودخل عليه سلمان الفارسي رضى الله تعالى عنه يعوده فقال : يا أبا بكر أوصنا فقال : إن الله فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذن منها إلا بلاغك ، واعلم أن من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله فلا تخفرن الله في ذمته فيكبك في النار على وجهك .

ولما ثقل أبو بكر رضى الله تعالى عنه وأراد الناس منه أن يستخلف ، فاستخلف عمر رضى الله عنه ، فقال الناس له : استخلفت علينا فظا غليظا فماذا تقول لربك ؟ فقال : أقول استخلفت على خلقك خير خلقك . ثم أرسل إلى عمر رضى الله عنه فجاء فقال : إني موصيك بوصية ؛ اعلم أن لله حقا في النهار لا يقبله في الليل وأن لله حقا في الليل لا يقبله في النهار ، وأنه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة ، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يثقل . وإنما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل وخفته عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف ، وإن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم ، فيقول القائل : أنا دون هؤلاء ولا أبلغ مبلغ هؤلاء ؛ فإن الله ذكر أهل النار بأسوإ أعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا ، فيقول القائل : أنا أفضل من هؤلاء ، وإن الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون المؤمن راغبا راهبا ولا يلقي بيديه إلى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق . فإن حفظت وصيتي هذه فلا يكون غائب أحب إليك من الموت ولا بد لك منه ، وإن ضيعت وصيتي فلا يكون غائب أبغض إليك من الموت ولا بد لك منه ، ولست بمعجزه .

وقال سعيد بن المسيب : لما احتضر أبو بكر رضى الله عنه أتاه ناس من الصحابة فقالوا : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم زودنا فإنا نراك لما بك . فقالوا أبو بكر : من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه في الأفق المبين ، قالوا : وما الأفق المبين ؟ قال : قاع بين يدى العرش فيه رياض الله وأنهار وأشجار ، يغشاه كل يوم مائة

---

(١) حديث أبي جعفر : فرش لحده بمفرشه وقطيفته ، وفيه : فلم يترك بعد وفاته مالا ولا بنى في حياته لبنة على لبنة ولا وضع قصبة على قصبة أما وضع المفرشة والقطيفة فالذي وضع القطيفة شقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس ذكر ذلك من شرط كتابنا ، وأما كونه لم يترك مالا فقد تقدم من حديث عائشة وغيرها وأما كونه ما بنى في حياته فتقدم أيضاً .

رحمة ، فمن قال هذا القول جعل الله روحه فى هذا المكان « اللهم إنك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك إليهم ، ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير فاجعلنى للنعيم ولا تجعلنى للسعير ، اللهم إنك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل أن تخلقهم فجعلت منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا ، فلا تشقنى بمعاصيك . اللهم إنك علمت ماتكسب كل نفس قبل أن تخلقها فلا محيص لها مما علمت ، فاجعلنى ممن تستعمله بطاعتك اللهم إن أحدا لا يشاء حتى تشاء ، فاجعل مشيئتك أن أشاء ما يقربنى إليك . اللهم إنك قد قدرت حركات العباد فلا يتحرك شىء إلا بإذنك ، فاجعل حركاتى فى تقواك . اللهم إنك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به ، فاجعلنى من خير القسمين . اللهم إنك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما أهلا ، فاجعلنى من سكان جنتك . اللهم إنك أردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم ، فاشرح صدرى للإيمان وزينه فى قلبى ، اللهم إنك دبرت الأمور وجعلت مصيرها إليك ، فأحيينى بعد الموت حياة طيبة وقربنى إليك زلفى . اللهم من أصبح وأمسى ثقته ورجاؤه غيرك ، فأنت ثقتى ورجائى ولا حول ولا قوة إلا بالله » قال أبو بكر : هذا كله فى كتاب الله عز وجل :

وفاة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

قال عمرو بن ميمون « كنت قائما غداة أصيب عمر ، ما بينى وبينه إلا عبد الله بن عباس ، وكان إذا مر بين الصفين قام بينهما ، فإذا رأى خللا قال : استووا ، حتى إذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر . قال : وربما قرأ سورة يوسف أو النحل - أو نحو ذلك - فى الركعة الأولى حتى يجتمع الناس ، فما هو إلا أن أكبر فسمعته يقول : قتلنى - أو أكلنى - الكلب ، حين طعنه أبو لؤلؤة ، وطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينا أو شمالا إلا طعنه ، حتى طعن ثلاثة عشر رجلا ، فمات منهم تسعة - وفى رواية سبعة . فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا ، فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه . وتناول عمر رضى الله تعالى عنه عبد الرحمن بن عوف فقدمه ، فأما من كان يلى عمر فقد رأى مارأيت ، وأما نواحى المسجد مايدرون ما الأمر ؟ غير أنهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون : سبحان الله سبحان الله ! فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة ، فلما انصرفوا قال : يا ابن العباس انظر من قتلنى ! قال : فغاب ساعة ثم جاء فقال : غلام المغيرة بن شعبة ، فقال عمر رضى الله عنه : قاتله الله لقد كنت أمرت به معروفا . ثم قال : الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل مسلم ، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن يكثر العلوج بالمدينة ! وكان العباس أكثرهم رقيقا فقال ابن عباس : إن شئت فعلت ؛ أى إن شئت قتلناهم ، قال : بعدما تكلموا بلسانكم وصلوا إلى قبلتكم وحجوا حجكم ! فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه قال : وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ ! قال : فقائل يقول أخاف عليه ، وقائل يقول لا بأس . فأتى بنبيذ فشرب منه فخرج من جوفه ، ثم أتى بلبن فشرب منه فخرج من جوفه ، فعرفوا أنه ميت . قال : فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه ، وجاء رجل شاب فقال : أبشر ياأمير المؤمنين ببشرى من الله عز وجل ؛ قد كان لك صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم فى الإسلام ماقد علمت ، ثم وليت فعدلت ، ثم شهادة ، فقال : وددت أن ذلك كان كفافا لا على ولا لى . فلما أدبر الرجل إذا إزاره يمس الأرض ، فقال : ردوا على الغلام ، فقال : يا ابن أخى ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك . ثم قال : ياعبد الله انظر ماعلى من الدين ؟ فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوه ، فقال : إن وفى به مال آل عمر فأده من أموالهم ؛ وإلا فسل فى بنى عدى بن كعب ، فإن لم تف أموالهم فسل فى قريش ولا تعدهم إلى غيرهم ، وأد عنى هذا المال وانطلق إلى أم المؤمنين عائشة فقل :

عمر يقرأ عليك السلام ، ولاتقل أمير المؤمنين فإنى لست اليوم للمؤمنين أميرا ، وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه . فذهب عبد الله فسلم واستأذن ثم دخل عليها ، فوجدها قاعدة تبكى ، فقال : يقرأ عليك عمر ابن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه ، فقالت : كنت أريده لنفسى ولأوثرنه اليوم على نفسى ! فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال : ارفعونى ، فأسنده رجل إليه فقال : مالديك ؟ قال : الذى تحب ياأمير المؤمنين قد أذنت قال : الحمد لله ما كان شىء أهم إلى من ذلك ! فإذا أنا قبضت فاحملونى ثم سلم وقل يستأذن عمر ! فإن أذنت لى فأدخلونى وإن ردتنى ردونى إلى مقابر المسلمين .

وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء يسترنها ، فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة ، واستأذن الرجال فولجت داخلا فسمعنا بكاءها من داخل . فقالوا : أوص ياأمير المؤمنين واستخلف ، فقال : ماأرى أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن وقال : يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شىء ، كهيئة التعزية له ، فإن أصابت الإمارة سعدا فذاك وإلافليستعن به أيكم أمر ، فإنى لم أعزله من عجز ولا خيانة . وقال أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم فضلهم ويحفظ لهم حرمتهم ، وأوصيه بالأنصار خيرا الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم ، وأوصيه بأهل الأمصار خيرا فإنهم ردء الإسلام وجباة الأموال وغيظ العدو وأن لايأخذ منهم إلا فضلهم عن رضا منهم ، وأوصيه بالأعراب خيرا فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام وأن يأخذ من حواشى أموالهم ويرد على فقرائهم ، وأوصيه بذمة الله عز وجل وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل لهم من وراءهم ولايكلفهم إلا طاقتهم . قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشى ، فسلم عبد الله بن عمر وقال يستأذن عمر بن الخطاب ، فقالت أدخلوه ، فأدخلوه فى موضع هنالك مع صاحبيه ... الحديث .

وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال « قال لى جبريل عليه السلام ليبك الإسلام على موت عمر[1] » وعن ابن عباس قال وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنافيهم، فلم يرعنى إلا رجل قد أخذ بمنكبى فالتفت فإذا هو على بن أبى طالب رضى الله عنه فترحم على عمر وقال ماخلفت أحد أحب إلى أن ألقى الله بمثل عمله منك ! وايم الله إن كنت لأظن ليجعلنك الله مع صاحبيك وذلك أنى كنت كثيرا أسمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول « ذهبت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر[2] » فإنى كنت ـ لأرجو أن لأظن ـ أن يجعلك الله معهما .

وفاة عثمان رضى الله عنه

الحديث فى قتله مشهور . وقد قال عبد الله بن سلام : أتيت أخى عثمان لأسلم عليه وهو محصور ، فدخلت عليه فقال مرحبا يا أخى ! رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة فى هذه الخوخة ـ وهى خوخة فى البيت ـ فقال « ياعثمان حصروك ؟ » قلت نعم ، قال « عطشوك » قلت نعم ، فأدلى إلى دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت ـ حتى

---

(١) حديث « قال لى جبريل عليه السلام ليبك الإسلام على موت عمر » أخرجه أبو بكر الآجرى فى كتاب الشريعة من حديث أبى بن كعب بسند ضعيف جداً وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات .

(٢) حديث ابن عباس قال : وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون ، فذكر قول على بن أبى طالب كنت كثيراً أسمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول « ذهبت أنا وأبو بكر وعمر .. الحديث » متفق عليه .

إنى لأجد برده بين ثدىى وبين كتفى - وقال لى « إن شئت نصرت عليهم وإن شئت أفطرت عندنا » فاخترت أن أفطر عنده ! فقتل ذلك اليوم رضى الله عنه . وقال عبد الله بن سلام لمن حضر تشحط عثمان فى الموت حين جرح ماذا قال عثمان وهو يتشحط ؟ قالوا سمعناه يقول ، اللهم اجمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم - ثلاثا - قال والذى نفسى بيده لو دعا الله أن لايجتمعوا أبدا ما اجتمعوا إلى يوم القيامة . وعن ثمامة بن حزن القشيرى قال شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان رضى الله عنه فقال ائتونى بصاحبيكم اللذين ألبا كم على ! قال فجىء بهما كأنهما هما حملان أو حماران ، فأشرف عليهم عثمان رضى الله عنه فقال أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشترى رومة ، يجعل دلوه مع دلاء المسلمين ، بخير له منها فى الجنة ؟ فاشتريتها من صلب مالى ، فأنتم اليوم تمنعونى أن أشرب منها ومن ماء البحر ؟ قالوا اللهم نعم ، قال أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أنى جهزت جيش العسرة من مالى ؟ قالوا نعم ، أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أنّ المسجد كان ضاق بأهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يشترى بقعة آل فلان فيزيدها فى المسجد بخير منها فى الجنة ؟ فاشتريتها من صلب مالى فأنتم اليوم تمنعونى أن أصلى فيها ركعتين ؟ قالوا اللهم نعم ، قال أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير بمكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا ، فتحرك الجبل حتى تساقط حجارته بالحضيض قال فركضه برجله وقال « اسكن ثبير فما عليك إلا نبى وصديق وشهيدان ؟ » قالوا اللهم نعم ، قال الله أكبر شهدوا لى ورب الكعبة أنى شهيد [1] .

وروى عن شيخ من ضبة أن عثمان حين ضرب والدماء تسيل على لحيته جعل يقول ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ﴾ اللهم إنى أستعديك عليهم وأستعينك على جميع أمورى وأسألك الصبر على ما ابتليتنى .

وفاة على كرم الله وجهه

قال الأصبغ الحنظلى لما كانت الليلة التى أصيب فيها على كرم الله وجهه ، أتاه ابن النياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل ، فعاد الثانية وهو كذلك ، ثم عاد الثالثة فقام على يمشى وهو يقول

اشدد حيازيمك للمو ت فإن الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت إذا حل بواديكا

فلما بلغ الباب الصغير شدّ عليه ابن ملجم فضربه . فخرجت أم كلثوم ابنة على رضى الله عنه فجعلت تقول مالى ولصلاة الغداة ! قتل زوجى أمير المؤمنين صلاة الغداة ؛ وقتل أبى صلاة الغداة . وعن شيخ من قريش أنّ عليا كرم الله وجهه لما ضربه ابن ملجم قال : فزت ورب الكعبة . وعن محمد بن على أنه لما ضرب أوصى بنيه ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله ، حتى قبض .

ولما ثقل الحسن بن على رضى الله عنهما دخل عليه الحسين رضى الله عنه فقال ياأخى لأى شىء تجزع ؟ تقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى على بن أبى طالب وهما أبواك وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما أماك ، وعلى حمزة وجعفر وهما عماك ! قال ياأخى أقدم على أمر لم أقدم على مثله .

وعن محمد بن الحسن رضى الله عنهما قال لما نزل القوم بالحسين رضى الله عنه وأيقن أنهم قاتلوه قام فى أصحابه خطيبا ! فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : قد نزل من الأمر ما ترون ! وإنّ الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر

---

(١) حديث ثمامة بن حزن القشيرى : شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان ... الحديث أخرجه الترمذى وقال حسن والنسائى

معروفها ، وانشمرت حتى لم يبق منها إلا كصبابة الإناء ، ألا حسبي من عيش كالمرعى الوبيل ، ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ، ليرغب المؤمن فى لقاء الله تعالى ، وإنى لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا جرما .

الباب الخامس : فى كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين

لما حضرت معاوية بن بى سفيان الوفاة قال : أقعدونى ، فأقعد فجعل يسبح الله تعالى ويذكره ثم بكى وقال : تذكر ربك يامعاوية بعد الهرم والانحطاط ! ألا كان هذا وغصن الشباب نضر ريان ، وبكى حتى علا بكاؤه وقال : يا رب أرحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسى اللهم أقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لا يرجو غيرك ولم يثق بأحد سواك . وروى عن شيخ من قريش : أنه دخل مع جماعة عليه فى مرضه فرأوا فى جلده غضونا ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فهل الدنيا أجمع إلا ما جربنا ورأينا ، أما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا وباستلذاذنا بعيشنا ، فما لبثتنا الدنيا أن نقضت ذلك منا حالا بعد حال وعروة بعد عروة ، فأصبحت الدنيا وقد وترتنا وأخلفتنا واستلأمت إلينا أف للدنيا من دار ، ثم أف لها من دار . ويروى أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال : أيها الناس إنى من زرع قد استحصد وإنى وليتكم ولن يليكم أحد من بعدى إلا وهو شر منى ، كما كان من قبلى خيرا منى ! ويايزيد إذا وفى أجلى فول غسلى رجلا لبيبا ، فإن اللبيب من الله بمكان ، فليتعم الغسل وليجهر بالتكبير ، ثم اعمد إلى منديل فى الخزانة فيه ثوب من ثياب النبى صلى الله عليه وسلم وقراضة من شعره وأظفاره فاستودع القراضة أنفى وفمى وأذنى وعينى ، واجعل الثوب على جلدى دون أكفانى ، ويايزيد احفظ وصية الله فى الوالدين ، فإذا أدرجتمونى فى جديدى ووضعتمونى فى حفرتى فخلوا معاوية وأرحم الراحمين ؛ وقال محمد بن عقبة : لما نزل بمعاوية الموت قال ياليتنى كنت رجلا من قريش بذى طوى وإنى لم أل من هذا الأمر شيئا .

ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة نظر إلى غسال بجانب دمشق يلوى ثوبا بيده ثم يضرب به المغسلة ، فقال عبد الملك : ليتنى كنت غسالا آكل من كسب يدى يوما بيوم ، لم أل من أمر الدنيا شيئا ، فبلغ ذلك أبا حازم فقال : الحمد لله الذى جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه ، وإذا حضرنا الموت لم نتمن ماهم فيه . وقيل لعبد الملك بن مروان فى مرضه الذى مات فيه : كيف تجدك يا أمير المؤمنين ؟ قال : أجدنى كما قال الله تعالى ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ﴾ الآية ومات .

وقالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان - امرأة عمر بن عبد العزيز - كنت أسمع عمر فى مرضه الذى مات فيه يقول : اللهم أخف عليهم موتى ولو ساعة من نهار . فلما كان اليوم الذى قبض فيه خرجت من عنده فجلست فى بيت آخر - بينى وبينه باب وهو فى قبة له - فسمعته يقول ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ﴾ ثم هدأ فجعلت لا أسمع حركة ولا كلاما فقلت لوصيف له : انظر أنائم هو ؟ فلما دخل صاح ، فوثبت فإذا هو ميت . وقيل له لما حضره الموت : أعهد ياأمير المؤمنين ! قال : أحذركم مثل مصرعى هذا فإنه لا بد لكم منه . وروى أنه لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعى له طبيب فلما نظر إليه قال : أرى الرجل قد سقى السم ولا آمن عليه الموت فرفع عمر بصره وقال : ولا تأمن الموت أيضا على من لم يسق السم ! قال الطبيب : هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال نعم قد عرفت ذلك حين وقع فى بطنى قال : فتعالج يا أمير المؤمنين فإنى أخاف أن تذهب نفسك ، قال : ربى خير مذهوب إليه ، والله لو علمت أن شفائى عند شحمة أذنى

مارفعت يدى إلى أذنى فتناولته . اللهم خر لعمر فى لقائك ؛ فلم يلبث إلا أياما حتى مات وقيل : لما حضرته الوفاة بكى فقيل له مايبكيك ياأمير المؤمنين ؟ أبشر فقد أحيا الله بك سننا وأظهر بك عدلا ! فبكى ثم قال : أليس أوقف فأسئل عن أمر هذا الخلق ، فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسى أن لاتقوم بحجتها بين يدى الله إلا أن يلقنها الله حجتها ، فكيف بكثير مما ضيعنا ؟ وفاضت عيناه ، فلم يلبث إلا يسيرا حتى مات . ولما قرب وقت موته قال : أجلسونى ! فأجلسوه فقال : أنا الذى أمرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت ـ ثلاث مرات ـ ولكن لا إله إلا الله ، ثم رفع رأسه فأحدّ النظر فقيل له فى ذلك فقال : إنى لأرى خضرة ؛ ماهم بإنس ولا جن ثم قبض رحمه الله .

وحكى عن هرون الرشيد أنه انتقى أكفانه بيده عند الموت ، وكان ينظر إليها ويقول ﴿ ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه ﴾ .

وفرش المأمون رمادا واضطجع عليه وكان يقول : يامن لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه .

وكان المتعصم يقول عند موته : لو علمت أن عمرى هكذا قصير ما فعلت

وكان المنتصر يضطرب على نفسه عند موته فقيل له : لا بأس عليك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ليس إلا هذا ؛ لقد ذهبت الدنيا وأقبلت الآخرة .

وقال عمرو بن العاص عند الوفاة ـ وقد نظر إلى صناديق لبنيه : من يأخذها بما فيها ليته كان بعرا .

وقال الحجاج عند موته : اللهم اغفرلى فإن الناس يقولون إنك لاتغفرلى . فكان عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه عليها ، ولما حكى ذلك للحسن قال : أقالها ؟ قيل : نعم ، قال : عسى .

بيان أقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين
ومن بعدهم من أهل التصوف رضى الله عنهم أجمعين

لما حضرت معاذا رضى الله عنه الوفاة قال : اللهم إنى قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك ، اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجرى الأنهار ولا لغرس الأشجار ، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر . ولما اشتد به النزع ونزع نزعا لم ينزعه أحد كان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب ما أخنقنى خنقك فوعزتك إنك تعلم أن قلبى يحبك .

ولما حضرت سلمان الوفاة بكى فقيل له مايبكيك ؟ قال : ماأبكى جزعا على الدنيا ، ولكن عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب [1] فلما مات سلمان نظر فى جميع ما ترك فإذا قيمته بضعة عشر درهما .

ولما حضرت بلالا الوفاة قالت امرأته : واحزناه فقال : بل واطرباه ! غدا نلقى الأحبة محمدا وحزبه .

وقيل . فتح عبد الله بن المبارك عينه عند الوفاة وضحك وقال ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ .

ولما حضرت ابراهيم النخعى الوفاة بكى فقيل له مايبكيك ؟ قال : أنتظر من الله رسولا يبشرنى بالجنة أو بالنار

ولما حضرت ابن المنكدر الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك ؟ فقال ، والله ماأبكى لذنب أعلم أنى أتيته ؛ ولكن

---

(١) حديث : لما حضرت سلمان الوفاة بكى ، وقيه عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن يكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب ، أخرجه أحمد والحاكم وصححه ، وقد تقدم .

أخاف أنى أتيت شيئا حسبته هينا وهو عند الله عظيم .

ولما حضرت عامر بن عبد القيس الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك ؟ قال ما أبكى جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن أبكى على ما يفوتنى من ظمأ الهواجر وعلى قيام الليل فى الشتاء !

ولما حضرت فضيلا الوفاة غشى عليه ، ثم فتح عينيه وقال : وابعد سفراه وافلة زاده

ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه . اجعل رأسى على التراب ، فبكى نصر فقال له : ما يبكيك ؟ قال : ذكرت ما كنت فيه من النعيم وأنت هو ذا تموت فقيرا غريبا ! قال : اسكت ! فإنى سألت الله تعالى أن يحيينى حياة الأغنياء وأن يميتنى موت الفقراء ، ثم قال له لقنى ولا تعد على مالم أتكلم بكلام ثان .

وقال عطاء بن يسار : تبدى إبليس لرجل عند الموت فقال له : نجوت ! فقال : ما آمنك بعد . وبكى بعضهم عند الموت فقيل له : ما يبكيك ؟ . آية فى كتاب الله تعالى قوله عز وجل ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ ودخل الحسن رضى الله عنه على رجل يجود بنفسه فقال : إن أمراً هذا أوله لجدير أن يتقى آخره ، وإن أمرا هذا آخره لجدير أن يزهد فى أوله . وقال الجريرى : كنت عند الجنيد فى حال نزعه - وكان يوم الجمعة ويوم النيروز - وهو يقرأ القرآن فختم ، فقلت له : فى هذه الحالة ياأبا القاسم ؟ فقال : ومن أولى بذلك منى وهو ذا تطوى صحيفتى ؟ وقال رويم حضرت وفاة أبى سعيد الخراز وهو يقول :

حنين قلوب العارفين إلى الذكر ... وتذكارهم وقت المناجاة للسر
أديرت كؤوس للمنايا عليهم ... فأغفوا عن الدنيا كإغفاء ذى السكر
همومهم جوالة بمعسكر ... به أهل ود الله كالأنجم الزهر
فأجسامهم فى الأرض قتلى بحبه ... وأرواحهم فى الحجب نحو العلا تسرى
فما عرسوا إلا بقرب حبيبهم ... وما عرجوا من مس بؤس ولا ضر

وقيل للجنيد : إن أبا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت ، فقال : لم يكن بعجب أن تطير روحه اشتياقا . وقيل لذى النون - عند موته ، ماتشتهى ؟ قال : أن أعرفه قبل موتى بلحظة . وقيل لبعضهم وهو فى النزع ! قل الله فقال : إلى متى تقولون الله وأنا محترق بالله . وقال بعضهم : كنت عند ممشاد الدينورى فقدم فقيرا وقال : السلام عليكم ؛ هل هنا موضع نظيف يمكن الإنسان أن يموت فيه ؟ قال : فأشاروا إليه بمكان - وكان ثم عين ماء - فجدد الفقير الوضوء وركع ماشاء الله ، ومضى إلى ذلك المكان ومد رجليه ومات . وكان أبو عباس الدينورى يتكلم فى مجلسه ، فصاحت امرأة تواجدا فقال لها : موتى ، فقامت المرأة ، فلما بلغت الدار التفتت إليه وقالت : قد مت ووقعت ميتة . ويحكى عن فاطمة - أخت أبى على الروذبارى - قالت : لما قرب أجل أبى على الروذبارى - وكان رأسه فى حجرى - فتح عينيه وقال : هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول ياأباعلى قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تردها ثم أنشأ يقول :

وحقك لا نظرت إلى سواكا ... بعين مودة حتى أراكا
أراك معذبى بفتور لحظ ... وبالخد المورد من حياكا

وقيل للجنيد : قل لا إله إلا الله ، فقال : مانسيته فأذكره . وسأل جعفر بن نصير بكران الدينورى - خادم الشبلى - ما الذى رأيت منه ؟ فقال : قال على درهم مظلمة ، وتصدقت عن صاحبه بألوف فما على قلبى شغل أعظم منه ! ثم

قال : وضئنى للصلاة ، ففعلت فنسيت تخليل لحيته ـ وقد أمسك على لسانه ـ فقبض على يدى وأدخلها فى لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال : ماتقولون فى رجل لم يفته فى آخر عمره أدب من آداب الشريعة ؟ وقيل لبشر بن الحارث لما احتضر ـ وكان يشق عليه ـ كأنك تحب الحياة ؟ فقال : القدوم على الله شديد . وقيل لصالح بن مسمار : ألا توصى بابنك وعيالك ؟ فقال إنى لأستحيي من الله أن أوصى بهم إلى غيره ! ولما احتضر أبو سليمان الدارانى أتاه أصحابه فقالوا أبشر فإنك تقدم على رب غفور رحيم ، فقال لهم ألا تقولون احذر فإنك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير ؟ ولما احتضر أبو بكر الواسطى قيل له أوصنا فقال احفظوا مراد الحق فيكم واحتضر بعضهم فبكت امرأته فقال لها ما يبكيك ؟ فقالت عليك أبكى ! فقال إن كنت باكية فابكى على نفسك ! فلقد بكيت لهذا اليوم أربعين سنة . وقال الجنيد دخلت على سرى السقطى أعوده فى مرض موته فقلت كيف تجدك ؟ فأنشأ يقول :

كيف أشكو إلى طبيبى ما بى والذى بى أصابنى من طبيبى

فأخذت المروحة لأروحه فقال ، كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق ؟ ثم أنشأ يقول :

القلب محترق والدمع مستبق والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له مما جناه الهوى والشوق والقلق
يارب إن يك شىء فيه لى فرج فامنن على به ما دام بى رمق

وحكى أنّ قوما من أصحاب الشبلى دخلوا عليه وهو فى الموت فقالوا له قل لا إله إلا الله ، فأنشأ يقول :

إن بيتا أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج
وجهك المأمول حجتنا يوم يأتى الناس بالحجج
لا أتاح الله لى فرجا يوم أدعو منك بالفرج

وحكى أنّ أبا العباس بن عطاء دخل على الجنيد فى وقت نزعه فسلم عليه فلم يجبه ، ثم أجاب بعد ساعة وقال اعذرنى فإنى كنت فى وردى ! ثم ولى وجهه إلى القبلة وكبر ومات . وقيل للكتانى لما حضرته الوفاة ما كان عملك ؟ فقال لو لم يقرب أجلى ما أخبرتكم به ! وقفت على باب قلبى أربعين سنة فكلما مر فيه غير الله حجبته عنه . وحكى عن المعتمر قال : كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الملك حين جاءه الحق ، فقلت اللهم هوّن عليه سكرات الموت فإنه كان وكان ـ فذكرت محاسنه ـ فأفاق فقال من المتكلم ؟ فقلت أنا ! فقال إنّ ملك الموت عليه السلام يقول لى ؛ إنى بكل سخى رفيق ، ثم طفئ . ولما حضرت يوسف بن أسباط الوفاة شهده حذيفة فوجده قلقا فقال: يا أبا محمد هذا أوان القلق والجزع ؟ فقال ياأبا عبد الله وكيف لا أقلق ولا أجزع وإنى لا أعلم أنى صدقت الله فى شىء من عملى ! فقال حذيفة واعجباه لهذا الرجل الصالح يحلف عند موته أنه لا يعلم أنه صدق الله فى شى من عمله . وعن المغازلى قال دخلت على شيخ لى من أصحاب هذه الصفة ـ وهو عليل ـ وهو يقول يمكنك أن تعمل ما تريد فارفق بى ، ودخل بعض المشايخ على ممشاد الدينورى فى وقت وفاته فقال له فعل الله تعالى وصنع ـ من باب الدعاء ـ فضحك ثم قال منذ ثلاثين سنة تعرض على الجنة بما فيها فما أعرتها طرفى . وقيل لرويم عند الموت : قل لا إله إلا الله ، فقال : لا أحسن غيره . ولما حضرت الثورى الوفاة قيل له : قل لا إله إلا الله ، فقال أليس ثم أمر ؟ ودخل المزنى على الشافعى رحمة الله عليهما فى مرضه الذى توفى فيه فقال له كيف أصبحت

يا أبا عبد الله فقال أصبحت من الدنيا راحلا والإخوان مفارقا واسوء عملي ملاقيا ولكأس المنية شاربا وعلى الله تعالى واردا ، ولا أدرى أروحى تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها ؟ ثم أنشأ يقول :

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنتـــه بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منة وتكرما
ولولاك لم يغوى بإبليس عابد فكيف وقد أغوى صفيك آدما

ولما حضرت أحمد بن خضروية الوفاة سئل عن مسئلة فدمعت عيناه وقال يابني باب كنت أدقه خمسا وتسعين سنة هو ذا يفتح الساعة لى ، لاأدرى أيفتح بالسعادة أو الشقاوة ؟ فآن لى أوان الجواب .

فهذه أقاويلهم ، وإنما اختلفت بحسب اختلاف أحوالهم فغلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء وعلى بعضهم الشوق والحب ، فتكلم كل واحد منهم على مقتضى حاله ، والكل صحيح بالإضافة إلى أحوالهم.

الباب السادس : فى أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر ، وحكم زيارة القبور

اعلم أنّ الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير لأهل الغفلة ، فإنها لا تزيدهم مشاهدتها إلا قساوة ، لأنهم يظنون أنهم أبدا إلى جنازة غيرهم ينظرون ، ولا يحسبون أنهم لا محالة على الجنائز يحملون ، أو يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لايقدرون ، ولا يتفكرون أنّ المحمولين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون ، فبطل حسبانهم وانقرض على القرب زمانهم ، فلا ينظر عبد إلى جنازة إلا ويقدّر نفسه محمولا عليها ، فإنه محمول عليها ، على القرب وكأن قد ، ولعله فى غد أو بعد غد . ويروى عن أبي هريرة أنه كان إذا رأى جنازة قال امضوا فإنا على الأثر . وكان مكحول الدمشقى إذا رأى جنازة قال اغدوا فإنا رائحون . موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الأوّل والآخر لاعقل له . وقال أسيد بن حضير ماشهدت جنازة فحدثتني نفسي بشيء سوى ماهو مفعول به وما هو صائر إليه . ولما مات أخو مالك بن دينار خرج مالك فى جنازته يبكى ويقول والله لاتقر عينى حتى أعلم إلى ماذا صرت إليه ، ولاأعلم مادمت حيا . وقال الأعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندرى من نعزى ؟ لحزن الجميع . وقال ثابت البنانى كنا نشهد الجنائز فلا نرى إلا متقنعا باكيا .

فهكذا كان خوفهم من الموت . والآن ! لاننظر إلى جماعة يحضرون جنازة إلا وأكثرهم يضحكون ويلهون ، ولايتكلمون إلا فى ميراثه وماخلفه لورثته ، ولا يتفكر أقرانه وأقاربه إلا فى الحيلة التى بها يتناول بعض ماخلفه ، ولايتفكر واحد منهم - إلا ماشاء الله - فى جنازة نفسه وفى حاله إذا حمل عليها . ولاسبب لهذه الغفلة إلا قسوة القلوب بكثرة المعاصى والذنوب ، حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر والأهوال التى بين أيدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا . فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فإن أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز بكاؤهم على الميت ، ولو عقلوا لبكوا على أنفسهم لاعلى الميت . نظر إبراهيم الزيات إلى أناس يترحمون على الميت فقال لو ترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم ، إنه نجا من أهوال ثلاثة وجه ملك الموت وقد رأى ، ومرارة الموت وقد ذاق ، وخوف الخاتمة وقد أمن . وقال أبو عمرو بن العلاء جلست إلى جرير وهو يملى على كاتبه شعرا فأطلعت جنازة فأمسك وقال شيبتنى والله هذه الجنائز . وأنشأ يقول :

ترّوعنا الجنائز مقبلات ونلهو حين تذهب مدبرات

كروعة ثلة لمغار ذئب فلما غاب عادت راتعات

فمن آداب حضور الجنائز : التفكر والتنبه والاستعداد والمشى أمامها على هيئة التواضع - كما ذكرنا آدابه وسننه فى فن الفقه - ومن آدابه حسن الظن بالميت وإن كان فاسقا ، وإساءة الظن بالنفس وإن كان ظاهرها الصلاح ، فإن الخاتمة مخطرة لاتدرى حقيقتها . ولذلك روى عن عمر بن ذر أنه مات واحد من جيرانه ، وكان مسرفا على نفسه ، فتجافى كثير من الناس عن جنازته ، فحضرها هو وصلى عليها ، فلما دلى فى قبره وقف على قبره وقال : يرحمك الله يا أبا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود ، وإن قالوا مذنب وذو خطايا ؟ فمن منا غير مذنب وغير ذى خطايا ؟ ويحكى أن رجلا من المنهمكين فى الفساد مات فى بعض نواحى البصرة ، فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته إذ لم يدر بها أحد من جيرانه لكثرة فسقه ، فاستأجرت حمالين وحملتها إلى المصلى فما صلى عليه أحد ، فحملتها إلى الصحراء للدفن ؛ فكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار ، فرأته كالمنتظر للجنازة ثم قصد أن يصلى عليها ، فانتشر الخبر فى البلد بأن الزاهد نزل ليصلى على فلان ، فخرج أهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه ، وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال : قيل لى فى المنام انزل إلى موضع فلان ترى فيه جنازة ليس معها أحد إلا امرأة فصل عليه فإنه مغفور له ، فزاد تعجب الناس ! فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وأنه كيف كانت سيرته ؟ قالت : كما عرف كان طول نهاره فى الماخور مشغولا بشرب الخمر ! فقال : انظرى هل تعرفين منه شيئا من أعمال الخير ؟ قالت : نعم ؛ ثلاثة أشياء : كان كل يوم يفيق من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه ويتوضأ ويصلى الصبح فى جماعة ثم يعود إلى الماخور ويشتغل بالفسق (والثانى) أنه كان أبدا لايخلو بيته من يتيم أو يتيمين وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى أولاده ، وكان شديد التفقد لهم . (والثالث) أنه كان يفيق فى أثناء سكره فى ظلام الليل فيبكى ويقول : يارب أى زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث ؟ يعنى نفسه . فانصرف الزاهد وقد ارتفع إشكاله من أمره . وعن صلة بن أشيم وقد دفن أخ له فقال على قبره :

فإن تنج منها تنج من ذى عظيمة وإلا فإنى لا إخالك ناجيا

بيان حال القبر وأقاويلهم عند القبور

قال الضحاك : قال رجل يارسول الله من أزهد الناس ؟ قال « من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على مايفنى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه من أهل القبور [1] » وقيل لعلى كرم الله وجهه : ماشأنك جاورت المقبرة ؟ قال : إنى أجدهم خير جيران أجدهم جيران صدق يكفون الألسنة ويذكرون الآخرة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مارأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه [2] » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه . فبكى وبكيت وبكوا فقال « مايبكيكم ؟ » قلنا : بكينا لبكائك ! قال « هذا قبر أمى آمنة بنت وهب استأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى ، فاستأذنته أن أستغفر لها فأبى على ، فأدركنى مايدرك الولد من الرقة [3] » وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ،

---

(١) حديث الضحاك : قال رجل يارسول الله من أزهد الناس ؟ قال « من لم ينس القبور والبلى .. الحديث » تقدم .

(٢) حديث « مارأيت منظراً إلا والقبر أفظع منه » تقدم فى الباب الثالث من آداب الصحبة .

(٣) حديث عمر : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقابر فجلس على قبر وكنت أدنى القوم ... الحديث » وفيه « هذا قبر آمنة بنت وهب استأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى ... » وتقدم فى آداب الصحبة أيضاً ، ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور من حديث ابن مسعود وفيه ذكر لعمر بن الخطاب ، وآخره عند ابن ماجه مختصراً وفيه أيوب بن هانئ ضعفه ابن معين وقال أبو حاتم صالح .

فسئل عن ذلك وقيل له : تذكر الجنة والنار فلاتبكى ! وتبكى إذا وقفت على قبر ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد »(١) ، وقيل إنّ عمرو بن العاص نظر إلى المقبرة فنزل وصلى ركعتين ، فقيل له هذا شيء لم تكن تصنعه ؟ فقال ذكرت أهل القبور وماحيل بينهم وبينه فأحببت أن أتقرب إلى الله بهما . وقال مجاهد أول مايكلم ابن آدم حفرته فتقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة ، هذا ماأعددت لك فما أعددت لى ؟ وقال أبو ذرّ ألا أخبركم بيوم فقرى ، يوم أوضع فى قبرى . وكان أبو الدرداء يقعد إلى القبور ، فقيل له فى ذلك فقال : أجلس إلى قوم يذكرونى معادى وإذا قمت لم يغتابونى وكان جعفر بن محمد يأتى القبور ليلا ويقول : ياأهل القبور مالى إذا دعوتكم لاتجيبونى ! ثم يقول : حيل والله بينهم وبين جوابى وكأنى بى أكون مثلهم ثم يستقبل الصلاة إلى طلوع الفجر . وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه : يافلان لقد أرقت الليلة أتفكر فى القبر وساكنه ، وإنك لو رأيت الميت بعد ثلاثة فى قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك به ! ولرأيت بيتا تجول فيه الهوام ويجرى فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الأكفان ، بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب ، قال : ثم شهق شهقة خرّ مغشيا عليه . وكان يزيد الرقاشى يقول : أيها المقبور فى حفرته والمتخلى فى القبر بوحدته المستأنس فى بطن الأرض بأعماله ليت شعرى بأى أعمالك استبشرت وبأى إخوانك اغتبطت ؟ ثم يبكى حتى يبل عمامته ثم يقول : استبشر والله بأعماله الصالحة واغتبط والله بإخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى وكان إذا نظر إلى القبور خار كما يخور الثور . وقال حاتم الأصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم . وكان بكر العابد يقول ياأماه ليتك كنت بى عقيما إن لابنك فى القبر حبسا طويلا ومن بعد ذلك منه رحيلا . وقال يحيى بن معاذ : يابن آدم دعاك ربك إلى دار السلام فانظر من أين تجيبه ؟ إن أجبته من دنياك واشتغلت بالرحلة إليه دخلتها ، وإن أجبته من قبرك منعتها . وكان الحسن بن صالح إذا أشرف على المقابر يقول ما أحسن ظواهرك إنما الدواهى فى بواطنك ! وكان عطاء السلمى إذا جن عليه الليل خرج إلى المقبرة ثم يقول ياأهل القبور متم فواموتاه ! وعاينتم أعمالكم فواعملاه ! ثم يقول غدا عطاء فى القبور غدا عطاء فى القبور ، فلايزال ذلك دأبه حتى يصبح وقال سفيان من أكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ، ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار . وكان الربيع بن خثيم قد حفر فى داره قبرا ، فكان إذا وجد فى قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ماشاء الله ثم يقول ﴿ رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت ﴾ يرددها ، ثم يرد على نفسه ياربيع قد رجعتك فاعمل . وقال أحمد بن حرب تتعجب الأرض من رجل يمهد مضجعه ويسوى فراشه للنوم ، فتقول يا ابن آدم لم لاتذكر طول بلاك ومابينى وبينك شيء ! وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل على فقال ياميمون هذه قبور آبائى بنى أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذاتهم وعيشهم ! أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلى وأصابت الهوام مقيلا فى أبدانهم ؟ ثم بكى وقال والله ماأعلم أحدا أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله وقال ثابت البنانى دخلت المقابر فلما قصدت الخروج منها فإذا بصوت قائل يقول ياثابت لايغرنك صموت أهلها فكم من نفس مغمومة فيها . ويروى أن فاطمة بنت الحسين نظرت إلى جنازة زوجها الحسن بن الحسن فغظت وجهها وقالت :

---

(١) حديث عثمان : كان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته وفيه : ان القبر أول منازل الآخرة . أخرجه الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه وتقدم فى آداب الصحبة .

وكانوا رجاء ثم أمسوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

وقيل إنها ضربت على قبره فسطاطا واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ودخلت المدينة ، فسمعوا صوتا من جانب البقيع : هل وجدوا ما فقدوا ؟ فسمعوا من الجانب الآخر : بل يئسوا فانقلبوا . وقال أبو موسى التميمى : توفيت امرأة الفرزدق فخرج فى جنازتها وجوه البصرة - وفيهم الحسن - فقال له الحسن : يا أبا فراس ماذا أعددت لهذا اليوم ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة فلما دفنت أقام الفرزدق على قبرها فقال :

أخاف وراء القبر إن لم تعافنى أشد من القبر التهابا وأضيقا
إذا جاءنى يوم القيامة قائد عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى إلى النار مغلول القلادة أزرقا

وقد أنشدوا فى أهل القبور :

قف بالقبور وقل على ساحاتها من منكم المغمور فى ظلماتها
ومن المكرم منكم فى قعرها قد ذاق برد الأمن من روعاتها
أما السكون لذى العيون فواحد لا يستبين الفضل فى درجاتها
لو جاوبوك لأخبروك بألسن تصف الحقائق بعد من حالاتها
أما المطيع فنازل فى روضة يفضى إلى ما شاء من دوحاتها
والمجرم الطاغى بها متقلب فى حفرة يأوى إلى حياتها
وعقارب تسعى إليه فروحه فى شدة التعذيب من لدغاتها

ومر داود الطائى على امرأة تبكى على قبر وهى تقول :

عدمت الحياة ولا نلتها إذا كنت فى القبر قد ألحدوكا
فكيف أذوق لطعم الكرى وأنت بيمناك قد وسدوكا

ثم قالت : يا ابناه بأى خديك بدأ الدود ؟ فصعق داود مكانه وخر مغشيا عليه . وقال مالك بن دينار : مررت بالمقبرة فأنشأت أقول :

أتيت القبور فناديتها فأين المعظم والمحتقر
وأين المدل بسلطانه وأين المزكى إذا ما افتخر

قال : فنوديت من بينها ، أسمع صوتا ولا أرى شخصا وهو يقول :

تفانوا جميعا فما مخبر وماتوا جميعا ومات الخبر
تروح وتغدو بنات الثرى فتمحو محاسن تلك الصور
فيا سائلى عن أناس مضوا أما لك فيما ترى معتبر

قال : فرجعت وأنا باك .

أبيات وجدت مكتوبة على القبور

وجد مكتوبا على قبر :

تناجيك أجداث وهن صموت وسكانها تحت التراب خفوت

أيا جامع الدنيا لغير بلاغه لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

ووجد على قبر آخر مكتوبا :

أيا غانم أما ذراك فواسع وقبرك معمور الجوانب محكم
وما ينفع المقبور عمران قبره إذا كان فيه جسمه يتهدم

وقال ابن السماك : مررت على المقابر فإذا على قبر مكتوب :

يمر أقاربى جنبات قبرى كأن أقاربى لم يعرفونى
ذوو الميراث يقتسمون مالى وما يألون أن جحدوا ديونى
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا فيالله أسرع ما نسونى

ووجد على قبر مكتوبا :

إن الحبيب من الأحباب مختلس لا يمنع الموت بواب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها يا من يعد عليه اللفظ والنفس
أصبحت ياغافلا فى النقص منغمسا وأنت دهرك فى اللذات منغمس
لا يرحم الموت ذا جهل لغرته ولا الذى كان منه العلم يقتبس
كم أخرس الموت فى قبر وقفت به عن الجواب لسانا ما به خرس
قد كان قصرك معمورا له شرف فقبرك اليوم فى الأجداث مندرس

ووجد على قبر آخر مكتوبا :

وقفت على الأحبة حين صفت قبورهم كأفراس الرهان
فلما أن بكيت وفاض دمعى رأت عيناى بينهم مكانى

ووجد على قبر طبيب مكتوبا :

قد قلت لما قال لى قائل صار لقمان إلى رمسه
فأين ما يوصف من طبه وحذقه فى الماء مع جسه
هيهات لا يدفع عن غيره من كان لا يدفع عن نفسه

ووجد على قبر آخر مكتوبا :

يا أيها الناس كان لى أمل قصر بى عن بلوغه الأجل
فليتق الله ربه رجل أمكنه فى حياته العمل
ماأناوحدى نقلت حيث ترى كل إلى مثقله سينتقل

فهذه أبيات كتبت على قبور لتقصير سكانها عن الاعتبار قبل الموت . والبصير هو الذى ينظر إلى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم فيستعد للحوق بهم ويعلم أنهم لا يبرحون من مكانهم مالم يلحق بهم ، وليتحقق أنه لو عرض عليهم يوم من أيام عمره الذى هو مضيع له لكان ذلك أحب إليهم من الدنيا بحذافيرها ، لأنهم عرفوا قدر الأعمار وانكشفت لهم حقائق الأمور ، فإنما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره فيتخلص من العقاب ، وليستزيد الموفق به رتبته فيتضاعف له الثواب ، فإنهم إنما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحياة وأنت

قادر على تلك الساعة ، ولعلك تقدر على أمثالها ثم أنت مضيع لها ، فوطن نفسك على التحسر على تضييعهما عند خروج الأمر من الاختيار إذا لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار . فقد قال بعض الصالحين : رأيت أخا لى فى الله ـ فيما يرى النائم ـ فقلت : يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين ، قال : لأن أقدر على أن أقولها ـ يعنى الحمد لله رب العالمين ـ أحب إلى من الدنيا وما فيها ، ثم قال ألم تر حيث كانوا يدفنونى فإن فلانا قد قام فصلى ركعتين لأن أكون أقدر على أن أصليهما أحب إلى من الدنيا وما فيها

بيان أقاويلهم عند موت الولد

حق على من مات ولده أو قريب من أقاربه أن ينزله ـ فى تقدمه عليه فى الموت ـ منزلة مالو كانا فى سفر فسبقه الولد إلى البلد الذى هو مستقره ووطنه ، فإنه لا يعظم عليه تأسفه لعلمه أنه لاحق به على اقرب ، وليس بينهما إلا تقدم وتأخر . وهكذا الموت فإن معناه السبق إلى الوطن إلى أن يلحق المتأخر ، وإذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه ، لاسيما وقد ورد فى موت الولد من الثواب مايعزى به كل مصاب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن أقدم سقطا أحب إلى من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل فى سبيل الله[1] » وإنما ذكر السقط تنبيها بالأدنى على الأعلى وإلا فالثواب على قدر محل الولد من القلب . وقال زيد بن أسلم : توفى ابن لداود عليك السلام فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له : ما كان عدله عندك ؟ قال ملء الأرض ذهبا ! قيل له : فإن لك من الأجر فى الآخرة مثل ذلك ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنة من النار » فقالت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو اثنان ؟ قال « أو اثنان[2] » وليخلص الوالد الدعاء لولده عند الموت فإنه أرجى دعاء وأقربه إلى الإجابة . وقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال: اللهم إنى أصبحت أرجوك له وأخافك عليه فحقق رجائى وآمن خوفى . ووقف أبو سنان على قبر ولده فقال : اللهم إنى قد غفرت له ماوجب لى عليه فاغفر له ماوجب لك عليه فإنك أجود وأكرم . ووقف أعرابى على قبر ابنه فقال : اللهم إنى قد وهبت له ما قصر فيه من برى فهب له ما قصر فيه من طاعتك . ولما مات ذر بن عمر بن ذر نام أبوه عمر بن ذر ـ بعد ماوضعه فى لحده ـ فقال : ياذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعرى ماذا قلت وماذا قيل لك ؟ ثم قال : اللهم إن هذا ذر متعتنى به مامتعتنى ووفيته أجله ورزقه ولم تظلمه ، اللهم وقد كنت ألزمته طاعتك وطاعتى ، اللهم ماوعدتنى عليه من الأجر فى مصيبتى فقد وهبت له ذلك فهب لى عذابه ولا تعذبه . فأبكى الناس ثم قال عند انصرافه : ما علينا بعدك من خصاصة ياذر وما بنا إلى إنسان مع الله حاجة ، فلقد مضينا وتركناك ولو أقمنا مانفعناك ونظر رجل إلى امرأة بالبصرة فقال : مارأيت مثل هذه النضارة وما ذاك إلا من قلة الحزن ! فقالت : يا عبد الله إنى لفى حزن مايشركنى فيه أحد ، قال : فكيف ؟ قالت : إن زوجى ذبح شاة فى يوم عيد الأضحى وكان لى صبيان مليحان يلعبان فقال أكبرهما للآخر : أتريد أن أريك كيف ذبح أبى الشاة ؟ قال : نعم ، فأخذه وذبحه وما شعرنا به إلا متشحطا فى دمه ، فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجأ إلى جبل فرهقه ذئب فأكله ، فخرج أبوه يطلبه فمات عطشا من شدة الحر ، قالت : فأردانى الدهر كما ترى . فأمثال هذه المصائب ينبغى أن تتذكر عند موت الأولاد ليتسلى بها عن شدة الجزع ، فما من مصيبة إلا ويتصور ما هو أعظم منها وما يدفعه الله فى كل حال فهو الأكثر .

---

(١) حديث « لأن أقدم سقطا أحب الى من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل فى سبيل الله » لم أجد فيه ذكر « مائة فارس » وروى ابن ماجه من حديث أبى هريرة « اسقط أقدمه بين يدى أحب الى من فارس أخلفه خلفى » .

(٢) حديث « لايموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم ... الحديث » تقدم فى النكاح .

بيان زيارة القبور والدعاء الميت وما يتعلق به

زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار ، وزيارة قبور الصالحين مستحبة لأجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور ثم أذن فى ذلك بعد [١] » .

روى عن على رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة غير أن لاتقولوا هجرا [٢] » وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه فى ألف مقنع فلم ير باكيا أكثر من يومئذ [٣] » وفى هذا اليوم قال « أذن لى فى الزيارة دون الاستغفار [٤] » كما أوردنا من قبل . وقال ابن أبى مليكة : أقبلت عائشة رضى الله عنها يوما من المقابر فقلت ياأم المؤمنين من أين أقبلت ؟ قالت من قبر أخى عبد الرحمن ، فقلت أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها ؟ قالت نعم ، ثم أمر بها [٥] » ولا ينبغى أن يتمسك بهذا فيؤذن للنساء فى الخروج الى المقابر ، فإنهن يكثرن الهجر على رءوس المقابر فلا يفى خير زيارتهن بشرها ، ولا يخلون فى الطريق عن تكشف وتبرج وهذه عظائم ، والزيارة سنة فكيف يحتمل ذلك لأجلها . نعم لا بأس بخروج المرأة فى ثياب بذلة ترد أعين الرجال عنها وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء وترك الحديث على رأس القبر .

وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « زر القبور تذكر بها الآخرة ، واغسل الموتى فإن معالجة جسد خاو موعظة بليغة ، وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك فإن الحزين فى ظل الله [٦] » وقال ابن أبى مليكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « زروا موتاكم وسلموا عليهم فإن لكم فيهم عبرة [٧] » وعن نافع أن ابن عمر كان لا يمر بقبر أحد إلا وقف عليه وسلم عليه وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر عمها حمزة فى الأيام ، فتصلى وتبكى عنده . وقال النبى صلى الله عليه وسلم « من زار قبر والديه أو أحدهما فى كل جمعة غفر له وكتب برا [٨] » وعن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين [٩] » وقال النبى صلى الله عليه وسلم « من زار قبرى فقد

---

(١) حديث : نهيته عن زيارة القبور ثم اذنه فى ذلك . أخرجه مسلم من حديث بريدة وقد تقدم .

(٢) حديث على « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة غير أن لاتقولوا هجراً » رواه أحمد وأبو يعلى فى مسنده وابن أبى الدنيا فى كتاب القبور واللفظ له ولم يقل أحمد وأبو يعلى « غير أن لاتقولوا هجراً » وفيه على بن زيد بن جدعان عن ربيعة بن النابغة قال البخارى لم يصح وربيعة ذكره ابن حبان فى الثقات (٣) حديث : زار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه فى ألف مقنع فلم ير باكيا أكثر من يومئذ أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور من حديث بريدة وشيخه أحمد بن عمران الأخنس متروك ورواه بنحوه من وجه آخر كنا معه قريبا من ألف راكب وفيه أنه لم يأذن له فى الاستغفار لها

(٤) حديث « وقال فى هذا اليوم أذن لى فى الزيارة دون الاستغفار » تقدم فى الحديث قبله من حديث بريدة أنه لم يؤذن له فى الاستغفار لها ورواه مسلم من حديث أبى هريرة « استأذنت ربى أن أستغفر لأمى فلم يأذن لى ، واستأذنت أن أزور قبرها فأذن لى »

(٥) حديث ابن أبى مليكة : أقبلت عائشة يوما من المقابر فقلت : ياأم المؤمنين من أين أقبلت ؟ قالت : من قبر أخى عبد الرحمن قلت : أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها ؟ قالت : نعم ثم أمر بها . أخرجه ابن أبى الدنيا فى القبور بإسناد جيد

(٦) حديث أبى ذر « زر القبور تذكر الآخرة واغسل الموتى ، فإن معالجة جسد خاو موعظة بليغة ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى القبور والحاكم بإسناد جيد (٧) حديث ابن أبى مليكة « زوروا موتاكم وسلموا عليهم وصلوا عليهم ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فيه هكذا مرسلا واسناده حسن . (٨) حديث « من زار قبر أبويه أو أحدهما فى كل جمعة غفر له وكتب برا » أخرجه الطبرانى فى الصغير والأوسط من حديث أبى هريرة وابن أبى الدنيا فى القبور من رواية محمد بن النعمان يرفعه وهو معضل ومحمد بن النعمان مجهول وشيخه عند الطبرانى يحيى بن العلاء البجلى متروك (٩) حديث ابن سيرين « ان الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين » أخرجه ابن أبى الدنيا فيه وهو مرسل صحيح الإسناد ورواه ابن عدى من رواية يحيى بن عقبة أبى العيزار عن محمد بن جحادة عن أنس قال ورواه الصلت بن الحجاج عن ابن جحادة عن قتادة عن أنس ويحيى بن عقبة والصلت بن الحجاج كلاهما ضعيف .

وجبت له شفاعتى [١] ، وقال صلى الله عليه وسلم « من زارنى بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة [٢] » وقال كعب الأحبار : ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك ، حتى إذا انشقت الأرض خرج فى سبعين ألفا من الملائكة يوقرونه.

والمستحب فى زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة مستقبلا بوجهه الميت ، وأن يسلم ولا يمسح القبر ولا يمسه ولا يقبله ، فإن ذلك من عادة النصارى . قال نافع : كان ابن عمر رأيته مائة مرة أو أكثر يجيء إلى القبر فيقول : السلام على النبي ، السلام على أبى بكر ، السلام على أبى ، وينصرف . وعن أبى أمامة قال رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم [٣] » وقال سليمان بن سحيم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم ، فقلت يارسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أتفقه سلامهم ؟ قال نعم وأرد عليهم وقال أبو هريرة إذا مر الرجل بقبر لرجل يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه ، وإذا مر بقبر لايعرفه وسلم عليه ردعليه السلام . وقال رجل من آل عاصم الجحدرى رأيت عاصما فى منامى بعد موته بسنتين فقلت أليس قد مت ؟ قال بلى ، فقلت أين أنت ؟ قال أنا والله فى روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابى نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى أبى بكر ابن عبد الله المزنى فنتلاقى أخباركم . قلت أجسامكم أم أرواحكم ؟ قال هيهات ! بليت الأجسام وإنما تتلاقى الأرواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا إياكم قال نعم نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس قلت وكيف ذاك دون الأيام كلها ؟ قال لفضل يوم الجمعة وعظمه وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقيل له لو أخرت إلى يوم الاثنين ؟ قال بلغنى أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده . وقال الضحاك من زار قبرا قبل طلوع الشمس يوم السبت علم الميت بزيارته ، قيل وكيف ذاك ؟ قال لمكان يوم الجمعة . وقال بشر ابن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف إلى الجبانة فيشهد الصلاة على الجنائز ، فإذا أمسى وقف على باب المقابر فقال آنس الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن سيئاتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل فأمسيت ذات ليلة فانصرفت إلى أهلى ولم آت إلى المقابر فأدعو كما كنت أدعو ، فبينما أنا نائم إذا بخلق كثير قد جاءونى فقلت ماأنتم وما حاجتكم ؟ قالوا نحن أهل المقابر قلت ما جاء بكم ؟ قالوا إنك قد عودتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلك ، قلت وما هى ؟ قالوا الدعوات التى كنت تدعو لنا بها ، قلت فإنى أعود لذلك ، فما تركتها بعد ذلك وقال بشار بن غالب النجرانى رأيت رابعة العدوية العابدة فى منامى وكنت كثير الدعاء لها فقالت لى يابشار بن غالب هداياك تأتينا على طبق من نور مخمرة بمناديل الحرير قلت وكيف ذاك ؟ قالت وهكذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على أطباق من نور وخمر مناديل الحرير ثم أتى به الميت فقيل له هذه هدية فلان إليك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماالميت فى قبره إلا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه

---

(١) حديث « من زار قبرى فقد وجبت له شفاعتى » تقدم فى أسرار الحج (٢) حديث « من زارنى بالمدينة محتسباً كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة » تقدم فيه (٣) حديث عائشة « مامن رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده الا استأنس به ورد عليه حتى يقوم » أخرجه ابن أبى الدنيا فى القبور وفيه عبد الله بن سمعان ولم أقف على حاله ورواه ابن عبد البر فى التمهيد من حديث ابن عباس نحوه وصححه عبد الحق الأشبيلى .

من أبيه أو أخيه أو صديق له ، فإذا لحقته كان أحب إليه من الدنيا وما فيها ، وإن هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار [١] وقال بعضهم مات أخ لى فرأيته فى المنام فقلت ما كان حالك حيث وضعت فى قبرك ؟ قال أتانى آت بشهاب من نار فلولا أن داعيا دعالى لرأيت أنه سيضربنى به

ومن هذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له قال سعيد بن عبد الله الأزدى شهدت أبا أمامة الباهلى وهو فى النزع فقال يا سعيد إذا مت فاصنعوا بى كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ، ثم يقول يا فلان ابن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب ، ثم ليقل يافلان ابن فلانة الثانية فإنه يستوى قاعدا ، ثم ليقل يافلان ابن فلانة الثالثة فإنه يقول أرشدنا يرحمك الله ولكن لا تسمعون فيقول له اذكر ماخرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأنك رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقرآن إماما ، فإن منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد منهما فيقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ، ويكون الله عز وجل حجيجه دونهما » فقال رجل يارسول الله فإن لم يعرف اسم أمه ؟ قال « فلينسبه إلى حواء [٢] »

ولا بأس بقراءة القرآن على القبور . روى عن على بن موسى الحداد قال كنت مع أحمد بن حنبل فى جنازة ومحمد بن قدامة الجوهرى معنا ، فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له أحمد ياهذا إن القراءة عند القبر بدعة ، فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد يا أبا عبد الله ماتقول فى مبشر بن اسماعيل الحلبى ؟ قال ثقة ؛ قال هل كتبت عنه شيئا ؟ قال نعم ، قال أخبرنى مبشر بن اسماعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة البقرة وخاتمتها ، وقال سمعت ابن عمر يوصى بذلك ، فقال له أحمد فارجع إلى الرجل فقل له يقرأ . وقال محمد بن أحمد المروزى سمعت أحمد بن حنبل يقول إذا دخلتم المقابر فاقرءوا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد ، واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم . وقال أبو قلابة : أقبلت من الشام إلى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل ، ثم وضعت رأسى على قبر فنمت ثم تنبهت فإذا صاحب القبر يشتكينى يقول لقد آذيتنى منذ الليلة ، ثم قال إنكم لا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال للركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ، ثم قال جزى الله عنا أهل الدنيا خيرا أقرئهم السلام فإنه قد يدخل علينا من دعائهم نورا مثل الجبال

فالمقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار بها ، وللمزور الانتفاع بدعائه . فلا ينبغى أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت ولا عن الاعتبار به . وإنما يحصل له الاعتبار بأن يصور فى قلبه الميت كيف تفرقت أجزاءه وكيف يبعث من قبره ؟ وأنه على القرب سيلحق به كما روى عن مطرف بن أبى بكر الهذلى قال كانت عجوز فى عبد القيس متعبدة فكان إذا جاء الليل تحزمت ثم قامت إلى المحراب ، وإذا جاء النهار خرجت إلى القبور فبلغنى أنها عوتبت ، فى كثرة إتيانها المقابر فقالت إن القلب القاسى إذا جفا لم يلينه إلا رسوم البلى ، وإنى لآتى القبور فكأنى

---

(١) حديث « ماالميت فى قبره الا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أومن أخيه أو صديق له .. الحديث » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس وفيه الحسن بن على بن عبد الواحد قال الذهبى حدث عن هشام بن عمار بحديث باطل (٢) حديث سعيد بن عبد الله الأزدى قال : شهدت أبا أمامة الباهلى وهو فى النزع فقال : ياسعيد إذامت فاصنعوا بى كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يافلان ابن فلانة ... الحديث » فى تلقين الميت فى قبره أخرجه الطبرانى بإسناد ضعيف .

انظر وقد خرجوا من بين أطباقها ، وكأنى أنظر إلى تلك الوجوه المتغفرة وإلى تلك الأجسام المتغيرة وإلى تلك الأجفان الدسمة ، فيا لها من نظرة لو أشربها العباد قلوبهم ما أنكل مرارتها للأنفس وأشد تلفها للأبدان ، بل ينبغى أن يحضر من صورة الميت ماذكره عمر بن عبدالعزيز ؛ حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته لكثرة الجهاد والعبادة فقال له : يا فلان لو رأيتنى بعد ثلاث وقد أدخلت قبرى وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان عن الأسنان . وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم ، ونتأ البطن فملأ الصدر وخرج الصلب من الدبر وخرج الدود والصديد من المناخر لرأيت أعجب مما تراه الآن .

ويستحب الثناء على الميت وألا يذكر إلا بالجميل قالت عائشة رضى الله عنها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه [1] » وقال صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « لا تذكروا موتاكم إلا بخير فإنهم إن يكونوا من أهل الجنة تأثموا وإن يكونوا من أهل النار فحسبهم ما هم فيه [3] » وقال أنس بن مالك : مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأثنوا عليها شرا فقال عليه السلام « وجبت » ومروا بأخرى فأثنوا عليها خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وجبت » فسأله عمر عن ذلك فقال « إنّ هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار ! وأنتم شهداء الله فى الأرض [4] » وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ العبد ليموت فيثنى عليه القوم الثناء يعلم الله منه غيره فيقول الله تعالى للملائكة أشهدكم أنى قد قبلت شهادة عبيدى على عبدى وتجاوزت عن علمى فى عبدى [5] » .

الباب السابع فى حقيقة الموت ومايلقاه الميت فى القبر إلى نفخة الصور

بيان حقيقة الموت

اعلم أن للناس فى حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد أخطأوا فيها .

فظنّ بعضهم : أنّ الموت هو العدم ، وأنه لاحشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر ، وأنّ موت الإنسان كموت الحيوانات وجفاف النبات . وهذا رأى الملحدين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر .

وظنّ قوم : أنه ينعدم بالموت ولا يتألم بعقاب ولا يتنعم بثواب ما دام فى القبر إلى أن يعاد فى وقت الحشر .

وقال آخرون : إنّ الروح باقية لا تنعدم بالموت ، وإنما المثاب والمعاقب هى الأرواح دون الأجساد ، وإنّ الأجساد لا تبعث ولا تحشر أصلا .

وكل هذه ظنون فاسدة ومائلة عن الحق . بل الذى تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والأخبار أنّ الموت معناه تغير حال فقط وأنّ الروح باقية بعد مفارقة الجسد إما معذبة وإما منعمة ومعنى مفارقتها للجسد

---

(١) حديث « إذا مات صاحبكم فدعوه ولاتقعوا فيه » أخرجه أبو داود من حديث عائشة بإسناد جيد

(٢) حديث « لاتسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا الى ماقدموا » أخرجه البخارى من حديث عائشة أيضاً

(٣) حديث « لاتذكروا موتاكم الا بخير .. الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الموت هكذا بإسناد ضعيف من حديث عائشة وهو عند النسائى من حديث عائشة بإسناد جيد مقتصراً على ماذكر منه هنا بلفظ « هلكاكم » وذكر الزيادة صاحب مسند الفردوس وعلم عليه علامة النسائى والطبرانى (٤) حديث أنس : مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأثنوا عليها شراً فقال « وجبت » الحديث متفق عليه (٥) حديث أبى هريرة « إن العبد ليموت فيثنى عليه القوم الثناء يعلم الله منه غير ذلك .. الحديث أخرجه أحمد من رواية شيخ من أهل البصرة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه عزوجل « مامن عبد مسلم يموت فيشهد له ثلاث أبيات من جيرانه الأدنين بخير إلا قال الله عزوجل قد قبلت شهادة عبادى على ماعلموا وغفرت له ماأعلم »

انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها ، فإن الأعضاء آلات الروح تستعملها حتى إنها لتبطش باليد وتسمع بالأذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب ، والقلب ههنا عبارة عن الروح ، والروح تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة ولذلك قد يتألم بنفسه بأنواع الحزن والغم والكمد ويتنعم بأنواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالأعضاء . فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد ، وما هو لها بواسطة الأعضاء فيتعطل بموت الجسد إلى أن تعاد الروح إلى الجسد ، ولا يبعد أن تعاد الروح إلى الجسد فى القبر ، ولا يبعد أن تؤخر إلى يوم البعث . والله أعلم بما حكم به على كل عبد من عباده . وإنما تعطل الجسد بالموت يضاهى تعطل أعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه وبشدة تقع فى الأعصاب تمنع نفوذ الروح فيها ، فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الأعضاء وقد استعصى عليها بعضها ، والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها وكل الأعضاء آلات والروح هى المستعملة لها ، وأعنى بالروح : المعنى الذى يدرك من الإنسان العلوم وآلام الغموم ولذات الأفراح . ومهما بطل تصرفها فى الأعضاء لم تبطل منها العلوم والإدراكات ، ولا بطل منها الأفراح والغموم ، ولا بطل منها قبولها للآلام واللذات . والإنسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم وللآلام واللذات وذلك لا يموت - أى لا ينعدم - ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن أن يكون آلة له ، كما أن معنى الزمانة خروج اليد عن أن تكون آلة مستعملة . فالموت زمانة مطلقة فى الأعضاء كلها وحقيقة الإنسان نفسه وروحه وهى باقية .

نعم تغير حاله من جهتين : (إحداهما) أنه سلب منه عينه وأذنه ولسانه ويده ورجله وجميع أعضائه ، وسلب منه أهله وولده وأقاربه وسائر معارفه ، وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وسائر أملاكه ولا فرق بين أن تسلب هذه الأشياء من الإنسان وبين أن يسلب الإنسان من هذه الأشياء ، فإن المؤلم هو الفراق ، والفراق يحصل تارة بأن ينهب مال الرجل وتارة بأن يسبى الرجل عن الملك والمال والألم واحد فى الحالتين . وإنما معنى الموت سلب الإنسان عن أمواله بإزعاجه إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم ، فإن كان له فى الدنيا شىء يأنس به ويستريح إليه ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت ويصعب شقاؤه فى مفارقته ، بل يلتفت قلبه إلى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى إلى قميص كان يلبسه مثلا ويفرح به ، وإن لم يكن يفرح إلا بذكر الله ولم يأنس إلا به عظم نعيمه وتمت سعادته إذا خلى بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوائق والشواغل ، إذ جميع أسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله . فهذا أحد وجهى المخالفة بين حال الموت وحال الحياة .

(والثانى) أنه ينكشف له بالموت مالم يكن مكشوفا له فى الحياة ، كما قد ينكشف للمتيقظ ما لم يكن مكشوفا له فى النوم . والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ، وأول ما ينكشف له ما يضره وينفعه من حسناته وسيئاته ، وقد كان ذلك مسطورا فى كتاب مطوى فى سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا ، فإذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع أعماله فلا ينظر إلى سيئة إلا ويتحسر عليها تحسرا يؤثر أن يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة ، وعند ذلك يقال له ﴿ كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن ، وتشتعل فيه نيران الفراق أعنى فراق ما كان يطمئن إليه من هذه الدنيا الفانية دون ما أراد منها لأجل الزاد والبلغة ، فإن من طلب الزاد للبلغة فإذا بلغ المقصد فرح بمفارقته بقية الزاد إذ لم يكن يريد الزاد لعينه . وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا إلا بقدر الضرورة وكان يود أن تنقطع ضرورته ليستغنى عنه ، فقد حصل ما كان يوده

واستغنى عنه وهذه أنواع من العذاب والآلام عظيمة تهجم عليه قبل الدفن .

ثم عند الدفن قد ترد روحه إلى الجسد لنوع آخر من العذاب وقد يعفى عنه ، ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمئن إليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك فى داره وملكه وحريمه اعتمادا على أنّ الملك يتساهل فى أمره ، أو على أنّ الملك ليس يدرى مايتعاطاه من قبيح أفعاله ، فأخذه الملك بغتة وعرض عليه جريدة قد دوّنت فيها جميع فواحشه وجناياته ذرّة ذرّة وخطوة خطوة ، والملك قاهر متسلط وغيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت إلى من يتشفع إليه فى العصاة عليه . فانظر إلى هذا المأخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخزف والخجلة والحياء والتحسر والندم . فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن إليها قبل نزول عذاب القبر به ، بل عند موته نعوذ بالله منه ، فإنّ الخزى والافتضاح وهتك الستر أعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما . فهذه إشارة إلى حال الميت عند الموت شاهدها أولو البصائر بمشاهدة باطنة أقوى من مشاهدة العين ، وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة .

نعم لايمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت إذ لايعرف الموت من لايعرف الحياة ، ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح فى نفسها وإدراك ماهية ذاتها ، ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلم فيها ، ولا أن يزيد على أن يقول « الروح من أمر ربى [1] » فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وإن اطلع عليه ، وإنما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت ،

ويدل على أن الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام إدراكها آيات وأخبار كثيرة (أما الآيات) فاورد فى الشهداء إذ قال تعالى ﴿ ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين ﴾ ولما قتل صناديد قريش يوم بدر ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدنى ربى حقا فهل وجدتم ماوعدكم ربكم حقا » فقيل يارسول الله أتناديهم وهم أموات ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده إنهم لأسمع لهذا الكلام منكم إلا أنهم لايقدرون على الجواب [2] » فهذا نص فى روح الشقى وبقاء إدراكها ومعرفتها والآية نص أرواح فى الشهداء . ولا يخلو الميت عن سعادة أوشقاوة . وقال صلى الله عليه وسلم « القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة [3] » وهذا نص صريح على أن الموت معناه تغير حال فقط ، وأن ما سيكون من شقاوة الميت وسعادته يتعجل عند الموت من غير تأخير ، وإنما يتأخر بعض أنواع العذاب والثواب دون أصله .

وروى أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « الموت القيامة فمن مات فقد قامت قيامته [4] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية إن كان من أهل الجنة فمن الجنة وإن كان من أهل النار فمن النار ويقال هذا مقعدك حتى تبعث إليه يوم القيامة [5] » وليس يخفى مافى مشاهدة المقعدين من عذاب ونعيم فى الحال وعن أبى قيس قال : كنا مع علقمة فى جنازة فقال : أما هذا فقد قامت قيامته وقال على كرم الله وجهه :

---

(١) حديث : إنه لم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلم فى الروح . متفق عليه من حديث ابن مسعود فى سؤال اليهود عن الروح ونزول قوله تعالى (ويسئلونك عن الروح) وقد تقدم . (٢) حديث : نداؤه من قتل من صناديد قريش يوم بدر « يافلان قد وجدت ماوعدنى ربى حقا ... » أخرجه مسلم من حديث عمر بن الخطاب . (٣) حديث « القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة » أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد وتقدم فى الرجاء والخوف .

(٤) حديث أنس « الموت القيامة من مات فقد قامت قيامته » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الموت بإسناد ضعيف وقد تقدم

(٥) حديث « إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالمداة والعشى ... الحديث » متفق عليه من حديث ابن عمر .

حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هى أم من أهل النار ؟ وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات غريبا مات شهيدا ووقى فتانات القبر وغدى وريح عليه برزقه من الجنة [1] » وقال مسروق : ما غبطت مؤمنا فى اللحد قد استراح من نصب الدنيا وأمن عذاب الله تعالى . وقال يعلى بن الوليد : كنت أمشى يوما مع أبى الدرداء فقلت له ما تحب لمن تحب ؟ قال : الموت ، قلت : فإن لم يمت ؟ قال : يقل ماله وولده وإنما أحب الموت لأنه لا يحبه إلا المؤمن ، والموت إطلاق المؤمن من السجن . وإنما أحب قلة المال والولد لأنه فتنة وسبب للأنس بالدنيا ، والأنس بمن لابد من فراقه غاية الشقاء . فكل ماسوى الله وذكره والأنس به فلا بد من فراقه عند الموت لا محالة . ولهذا قال عبد الله بن عمرو . إنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه أو روحه مثل رجل بات فى سجن فأخرج منه فهو يتفسح فى الأرض ويتقلب فيها . وهذا الذى ذكره حال من تجافى عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن له أنس إلا بذكر الله تعالى ، وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه ومقاساة الشهوات تؤذيه ؛ فكان فى الموت خلاصه من جميع المؤذيات وانفراده بمحبوبه الذى كان به أنسه من غير عائق ولا دافع .

وما أجدر ذلك بأن يكون منتهى النعيم واللذات وأكمل اللذات للشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله ! لأنهم ماأقدموا على القتال إلا قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا مشتاقين إلى لقاء الله راضين بالقتل فى طلب مرضاته ، فإن نظر إلى الدنيا فقد باعها طوعا بالآخرة والبائع لا يلتفت قلبه إلى المبيع ، وإن نظر إلى الآخرة فقد اشتراها وتشوق إليها ، فما أعظم فرحه بما اشتراه إذا رآه وما أقل التفاته إلى ماباعه إذا فارقه ! وتجرد القلب لحب الله تعالى قد يتفق فى بعض الأحوال ولكن لايدركه الموت عليه فيتغير . والقتال سبب للموت فكان سببا لإدراك الموت على مثل هذه الحالة . فلهذا عظم النعيم ، إذ معنى النعيم أن ينال الإنسان مايريده قال الله تعالى ﴿ ولهم مايشتهون ﴾ فكان هذا أجمع عبارة لمعانى لذات الجنة وأعظم العذاب أن يمنع الإنسان عن مراده كما قال الله تعالى ﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴾ فكان هذا أجمع عبارة لعقوبات أهل جهنم . وهذا النعيم يدركه الشهيد - كما انقطع نفسه - من غير تأخير . وهذا أمر انكشف لأرباب القلوب بنور اليقين . وإن أردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع أحاديث الشهداء تدل عليه ، وكل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة أخرى ، فقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر « ألا أبشرك يا جابر » وكان قد استشهد أبوه يوم أحد فقال : بلى بشرك الله بالخير فقال « إن الله عز وجل قد أحيا أباك وأقعده بين يديه وقال تمن على ياعبدى ماشئت أعطيك فقال : يارب ماعبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردنى إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك فأقتل فيك مرة أخرى قال له إنه قد سبق منى أنك إليها لاترجع [2] » وقال كعب : يوجد رجل فى الجنة يبكى فيقال له : لم تبكى وأنت فى الجنة ؟ قال : أبكى لأنى لم أقتل فى الله إلا قتلة واحدة ! فكنت أشتهى أن أرد فأقتل فيه قتلات .

واعلم أن المؤمن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله ماتكون الدنيا بالإضافة إليه كالسجن والمضيق ،

---

(١) حديث أبى هريرة « من مات غريبا مات شهيدا ووقى فتانى القبر » أخرجه ابن ماجه بسند ضعيف وقال فتنة القبر وقال ابن أبى الدنيا « فتان » (٢) حديث عائشة « ألا أبشرك ياجابر ... الحديث » وفيه « إن الله أحيا أباك فأقعده بين يديه . الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الموت بإسناد فيه ضعيف وللترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث جابر « ألا أبشرك بما لقى الله به أباك » قال « بلى يارسول الله ... الحديث » وفيه فقال « ياعبدى تمن على أعطك قال يارب تحيينى فأقتل فيك ثانية قال الرب سبحانه إنه سبق منى أنهم لايرجعون » .

ويكون مثاله كالمحبوس فى بيت مظلم فتح له باب إلى بستان واسع الأكناف لا يبلغ طرفه أقصاه فيه أنواع الأشجار والأزهار والثمار والطيور فلا يشتهى العود إلى السجن المظلم وقد ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا فقال لرجل مات « أصبح هذا مرتحلا عن الدنيا وتركها لأهلها فإن كان قد رضى فلا يسره أن يرجع إلى الدنيا كما لا يسر أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه [1] » فعرفك بهذا أن نسبة سعة الآخرة إلى الدنيا كنسبة سعة الدنيا إلى ظلمة الرحم . وقال صلى الله عليه وسلم « إن مثل المؤمن فى الدنيا كمثل الجنين فى بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى إذا رأى الضوء ووضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه [2] » وكذلك المؤمن يجزع من الموت فإذا أفضى إلى ربه لم يحب أن يرجع إلى الدنيا كما لا يحب الجنين أن يرجع إلى بطن أمه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فلانا قد مات فقال مستريح أو مستراح منه [3] » أشار بالمستريح إلى المؤمن وبالمستراح منه إلى الفاجر إذ يستريح أهل الدنيا منه . وقال أبو عمر صاحب السقيا : مر بنا ابن عمر ونحن صبيان فنظر إلى قبر فإذا جمجمة بادية فأمر رجلا فواراها ثم قال : إن هذه الأبدان ليس يضرها هذا الثرى شيئا وإنما الأرواح التى تعاقب وتثاب إلى يوم القيامة . وعن عمرو بن دينار قال : مامن ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون فى أهله بعده وإنهم ليغسلونه ويكفنونه وإنه لينظر إليهم . وقال مالك بن أنس : بلغنى أن أرواح المؤمنين مرسلة تذهب حيث شاءت . وقال النعمان ابن بشير : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول « ألا إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الذباب يمور فى جوها فالله الله فى إخوانكم من أهل القبور وإن أعمالكم تعرض عليهم [4] » وقال أبو هريرة : قال النبى صلى الله عليه وسلم « لا تفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور [5] » ولذلك قال أبو الدرداء : اللهم إنى أعوذ بك أن أعمل عملا أخزى به عند عبدالله بن رواحة ـ وكان قد مات وهو خاله ـ وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص عن أرواح المؤمنين إذا ماتوا أين هى ؟ قال : فى حواصل طير بيض فى ظل العرش ، وأرواح الكافرين فى الأرض السابعة . وقال أبو سعيد الخدرى : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه فى قبره » [6] وقال صالح المرى بلغنى أن الأرواح تتلاقى عند الموت فتقول أرواح الموتى للروح التى تخرج إليهم : كيف كان مأواك وفى أى الجسدين كنت فى طيب أو خبيث ؟ وقال عبيد بن عمير : أهل القبور يترقبون الأخبار ، فإذا أتاهم الميت قالوا . ما فعل فلان ؟ فيقول : ألم يأتكم . . . أو

---

(١) حديث : قال لرجل مات « أصبح هذا قد خلا من الدنيا وتركها لأهلها فإن كان قد رضى فلا يسره أن يرجع إلى الدنيا كما لا يسر أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه » أخرجه ابن أبى الدنيا من حديث عمرو بن دينار مرسلا ورجاله ثقات .

(٢) حديث « إن مثل المؤمن فى الدنيا كمثل الجنين فى بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى إذا رأى الضوء ووضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه » أخرجه ابن أبى الدنيا فيه من رواية بقية عن جابر بن غانم السلمى عن سليم بن عامر الجنائزى مرسلا هكذا

(٣) حديث : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانا قد مات فقال « مستريح أو مستراح منه » متفق عليه من حديث أبى قتادة بلفظ : مر عليه بجنازة فقال ذلك وهو عند ابن أبى الدنيا فى الموت باللفظ الذى أورده المصنف

(٤) حديث النعمان بن بشير : ألا إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الذباب يمور فى جوها فالله الله فى إخوانكم من أهل القبور ، فإن أعمالكم تعرض عليهم » أخرجه ابن أبى الدنيا أبو بكر بن لال من رواية مالك بن أدى عن النعمان من قوله « الله الله » ورواه بكاله الأزدى فى الضعفاء وقال لا يصح إسناده وذكره ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل بكماله فى ترجمة أبى إسماعيل السكونى رواية عن مالك بن أدى ونقل عن أبيه أن كلا منهما مجهول ، قال الأزدى لا يصح إسناده وذكر ابن حبان فى الثقات مالك بن أدى

(٥) حديث أبى هريرة « لا تفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور » أخرجه ابن أبى الدنيا والخلعى بإسناد ضعيف ولأحمد من رواية من سمع أنسا عن أنس « إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات . . . الحديث »

(٦) حديث أبى سعيد الخدرى « إن الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه فى قبره » رواه أحمد من رواية رجل عنه اسمه معاوية أو ابن معاوية نسبه عبد الملك بن حسن .

ما قدم عليكم ؟ فيقولون ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ سلك به غير سبيلنا . وعن جعفر بن سعيد قال : إذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب . وقال مجاهد : إن الرجل ليبشر بصلاح ولده فى قبره . وروى أبو أيوب الأنصارى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير فى الدنيا يقولون انظروا أخاكم حتى يستريح ، فإنه كان فى كرب شديد فيسألونه : ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة ؟ وهل تزوجت فلانة فإذا سألوه عن رجل مات قبله وقال : مات قبلى قالوا ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ ذهب به إلى أمه الهاوية [1] » .

بيان كلام القبر للميت

وكلام الموتى إما بلسان المقال أو بلسان الحال ، التى هى أفصح فى تفهيم الموتى من لسان المقال فى تفهيم الأحياء . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بى ! ألم تعلم أنى بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بى إذ كنت تمر بى فذاذا ؟ فإن كان مصلحا أجاب عنه مجيب القبر فيقول أرأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر : إنى إذا أتحول عليه خضرا ويعود جسده نورا وتصعد روحه إلى الله تعالى [2] » ، والفذاذ هو الذى يقدم رجلا ويؤخر أخرى هكذا فسره الراوى . وقال عبيد بن عمير الليثى : ليس من ميت يموت إلا نادته حفرته التى يدفن فيها : أنا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فإن كنت فى حياتك لله مطيعا كنت عليك اليوم رحمة ، وإن كنت عاصيا فأنا اليوم عليك نقمة ، أنا الذى من دخلنى مطيعا خرج مسرورا ، ومن دخلنى عاصيا خرج مثبورا . وقال محمد بن صبيح : بلغنا أن الرجل إذا وضع فى قبره فعذب أو أصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى : أيها المتخلف فى الدنيا بعد إخوانه وجيرانه أما كان لك فينا معتبر أما كان لك فى متقدمنا إياك فكرة ، أما رأيت انقطاع أعمالنا عنا وأنت فى المهلة فهلا استدركت ما فات إخوانك ؟ وتناديه بقاع الأرض : أيها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك فى بطن الأرض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به أجله إلى القبور وأنت تراه محمولا تهاداه أحبته إلى المنزل الذى لا بد له منه ؟ وقال يزيد الرقاشى : بلغنى أن الميت إذا وضع فى قبره احتوشته أعماله ثم أنطقها الله فقالت : أيها العبد المنفرد فى حفرته انقطع عنك الأخلاء والأهلون فلا أنيس لك اليوم عندنا . وقال كعب : إذا وضع العبد الصالح فى القبر احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة ، قال : فتجىء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة إليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد أطال بى القيام لله عليهما فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام : لا سبيل لكم عليه فقد أطال ظمأه لله فى دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد : إليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله فلا سبيل لكم عليه . قال : فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة : كفوا عن صاحبى فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت فى يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه . قال فيقال له : هنيئا طبت حيا وطبت ميتا . قال : وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له فى قبره مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة

---

(١) حديث أبى أيوب « ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير يقولون انظروا أخاكم حتى يستريح » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت والطبرانى فى مسند الشاميين بإسناد ضعيف ، ورواه ابن المبارك فى الزهد موقوفا على أبى أيوب بإسناد جيد ، ورفعه ابن صاعد فى زوائده على الزهد وفيه سلام الطويل ضعيف وهو عند النسائى وابن حبان نحوه من حديث أبى هريرة بإسناد جيد (٢) حديث « يقول القبر للميت حين يوضع فيه : ويحك يا ابن آدم ما غرك بى ألم تعلم أنى بيت الفتنة ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور والطبرانى فى مسند الشاميين وأبو أحمد الحاكم فى الكنى من حديث أبى الحجاج الثمالى بإسناد ضعيف .

فيستضيء بنوره إلى يوم يبعثه الله من قبره . وقال عبد الله بن عبيد بن عمير فى جنازة : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شيء إلا قبره ويقول ويحك ابن آدم أليس قد حذرتنى وحذرت ضيقى ونتنى وهولى ودودى فماذا أعددت لى » [1] .

بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير

قال البراء بن عازب : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا رأسه ثم قال « اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر » ثلاثا ثم قال « إن المؤمن إذا كان فى قبل من الآخرة بعث الله ملائكة كأن وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مدّ بصره ، فإذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك فى السماء وفتحت أبواب السماء فليس منها باب إلا يحب أن يدخل بروحه منه ، فإذا صعد بروحه قيل أى رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فأروه ما أعددت له من الكرامة فإنى وعدته ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك وما نبيك ؟ فيقول ربى الله ودينى الإسلام ونبيى محمد » صلى الله عليه وسلم قال « فينتهرانه انتهارا شديدا وهى آخر فرصة تعرض على الميت ، فإذا قال ذلك نادى مناد أن قد صدقت وهى معنى قوله تعالى ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ﴾ ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول : أبشر برحمة ربك وجنات فيها نعيم مقيم ، فيقول : وأنت فبشرك الله بخير من أنت ؟ فيقول : أنا عملك الصالح والله ماعلمت أن كنت لسريعا إلى طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا » قال « ثم ينادى مناد أن افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة فيفرش له من فرش الجنة ويفتح له باب إلى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى » قال « وأما الكافر فإنه إذا كان فى قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت إليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فإذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك فى السماء وغلقت أبواب السماء فليس منها باب إلا يكره أن يدخل بروحه منه ، فإذا صعد بروحه نبذ وقيل أى رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا أرض فيقول الله عز وجل ارجعوه فأروه ما أعددت له من الشر إنى وعدته ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ وأنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال له ياهذا من ربك ومن نبيك ومادينك ؟ فيقول : لاأدرى فيقال : لا دريت ، ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول : أبشر بسخط من الله وبعذاب أليم مقيم فيقول : بشرك الله شرا من أنت ؟ فيقول : أنا عملك الخبيث ، والله إن كنت لسريعا فى معصية الله بطيئا عن طاعة الله فجزاك الله شرا فيقول وأنت فجزاك الله شرا ، ثم يقيض له أعمى أصم أبكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على أن يقلوها لم يستطيعوا ، لو ضرب بها جبل صار ترابا ، فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ، ثم تعود فيه الروح فيضربه بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الأرضين ، ليس الثقلين » قال « ثم ينادى مناد أن افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا إلى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب إلى النار [2] » وقال محمد بن على مامن ميت يموت إلا مثل له

---

(١) حديث عبد الله بن عبيد بن عمير : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه إلا قبره يقول ويحك يا ابن آدم الحديث ... » أخرجه ابن أبى الدنيا فى القبور هكذا مرسلا ورجاله ثقات ورواه ابن المبارك فى الزهد إلا أنه قال بلغنى ولم يرفعه . (٢) حديث البراء : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا رأسه ثم قال « اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر .. الحديث » بطوله =

عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة قال فيشخص إلى حسناته ويطرق عن سيئاته . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال : أيتها النفس المطمئنة اخرجي راضية ومرضيا عنك إلى روح الله وكرامته فإذا أخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث بها إلى عليين . وإن الكافر إذا احتضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه انتزاعا شديدا ويقال : أيتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة ومسخوط عليك إلى هوان الله وعذابه فإذا أخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة وأن لها نشيشا ويطوى عليها المسح ويذهب بها إلى سجين [1] » وعن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقرأ قوله تعالى ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت ﴾ قال أي شيء تريد في أي شيء ترغب أتريد أن ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبني البنيان وتشق الأنهار ؟ قال : لا ، لعلي أعمل صالحا فيما تركت ، قال : فيقول الجبار ﴿ كلا إنها كلمة هو قائلها ﴾ أي ليقولنها عند الموت . وقال أبو هريرة : قال النبي صلى الله عليه وسلم « المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر ، هل تدرون فيماذا أنزلت ﴿ فإن له معيشة ضنكا ﴾ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال « عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين ، تسعة وتسعون حية لكل حية تسعة رءوس يخدشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه إلى يوم يبعثون [2] » ولا ينبغي أن يتعجب من هذا العدد على الخصوص ، فإن أعداد هذه الحيات والعقارب بعدد الأخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات ، فإن لها أصولا معدودة ، ثم تتشعب منها فروع معدودة ، ثم تنقسم فروعها إلى أقسام : وتلك الصفات بأعيانها هي المهلكات وهي بأعيانها تنقلب عقارب وحيات ، فالقوي منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقرب ، وما بينهما يؤذي إيذاء الحية . وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها إلا أن مقدار عددها لا يوقف عليه إلا بنور النبوة . فأمثال هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية ولكنها عند أرباب البصائر واضحة ، فمن لم تنكشف له حقائقها فلا ينبغي أن ينكر ظواهرها ، بل أقل درجات الإيمان التصديق والتسليم .

فإن قلت : فنحن نشاهد الكافر في قبره مدة ونراقبه ولا نشاهد شيئا من ذلك فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة ؟ فاعلم أن لك ثلاث مقامات في التصديق بأمثال هذا

(أحدها) وهو الأظهر والأصح والأسلم أن تصدق بأنها موجودة وهي تلدغ الميت ولكنك لا تشاهد ذلك ، فإن هذه العين لا تصلح لمشاهدة الأمور الملكوتية ، وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت . أما ترى الصحابة رضي الله عنهم كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وما كانوا يشاهدونه ، ويؤمنون بأنه عليه السلام يشاهده ، فإن كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح أصل الإيمان بالملائكة والوحي أهم عليك ، وإن كنت آمنت به وجوزت أن يشاهد النبي ما لا تشاهده الأمة فكيف لا تجوز هذا في الميت ؟ وكما أن الملك لا يشبه الآدميين والحيوانات فالحيات والعقارب التي تلدغ في القبر ليست من جنس حيات عالمنا بل هي جنس آخر وتدرك بحاسة أخرى .

= أخرجه أبو داود والحاكم بكماله وقال صحيح على شرط الشيخين وضعفه ابن حبان ورواه النسائي وابن ماجه مختصرا .

(١) حديث أبي هريرة « إن المؤمن اذا حضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان .. الحديث » أخرجه ابن أبي الدنيا وابن حبان مع اختلاف والبزار بلفظ المصنف . (٢) حديث أبي هريرة « المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا .. الحديث » ورواه ابن حبان .

(المقام الثانى) أن تتذكر أمر النائم وأنه قد يرى فى نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك حتى تراه يصيح فى نومه ويعرق جبينه وقد ينزعج من مكانه ، كل ذلك يدركه من نفسه ويتأذى به كما يتأذى اليقظان ، وهو يشاهده وأنت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حواليه حية ، والحية موجودة فى حقه والعذاب حاصل ولكنه فى حقك غير مشاهد . وإذا كان العذاب فى ألم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل أو تشاهد .

(المقام الثالث) أنك تعلم أن الحية بنفسها لا تؤلم بل الذى يلقاك منها وهو السم ، ثم السم ليس هو الألم بل عذابك فى الأثر الذى يحصل فيك من السم ، فلو حصل مثل ذلك الأثر من غير سم لكان العذاب قد توفر وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلا بأن يضاف إلى السبب الذى يفضى إليه فى العادة ، فإنه لو خلق فى الإنسان لذة الوقاع مثلا من غير مباشرة صورة الوقاع لم يمكن تعريفها إلا بالإضافة إليه لتكون الإضافة للتعريف بالسبب وتكون ثمرة السبب حاصلة وإن لم تحصل صورة السبب ، والسبب يراد لثمرته لا لذاته .

وهذه الصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات فى النفس عند الموت فتكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير وجود حيات . وانقلاب الصفة مؤذية يضاهى انقلاب العشق مؤذيا عند موت المعشوق ، فإنه كان لذيذا فطرأت حالة صار اللذيذ بنفسه مؤلما ، حتى يرد بالقلب من أنواع العذاب ما يتمنى معه أن لم يكن قد تنعم بالعشق والوصال . بل هذا بعينه هو أحد أنواع عذاب الميت فإنه قد سلط العشق فى الدنيا على نفسه فصار يعشق ماله وعقاره وجاهه وولده وأقاربه ومعارفه ، ولو أخذ جميع ذلك فى حياته من لا يرجو استرجاعه منه فماذا ترى يكون حاله ؟ أليس يعظم شقاؤه ويشتد عذابه ويتمنى ويقول ليته لم يكن لى مال قط ولا جاه قط فكنت لا أتأذى بفراقه ؟ فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيوية كلها دفعة واحدة :

ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد

فما حال من لا يفرح إلا بالدنيا فتؤخذ منه الدنيا وتسلم إلى أعدائه ؟ ثم ينضاف إلى هذا العذاب تحسره على ما فاته من نعيم الآخرة والحجاب عن الله عز وجل فإن حب غير الله يحجبه عن لقاء الله والتنعم به ، فيتوالى عليه ألم فراق جميع محبوباته وحسرته ما فاته من نعيم الآخرة أبد الآباد وذل الرد والحجاب عن الله تعالى ، وذلك هو العذاب الذى يعذب به إذ لا يتبع نار الفراق إلا نار جهنم كما قال تعالى ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم ﴾ وأما من لم يأنس بالدنيا ولم يحب إلا الله وكان مشتاقا إلى لقاء الله فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها وقدم على محبوبه وانقطعت عنه العوائق والصوارف وتوفر عليه النعيم مع الأمن من الزوال أبد الآباد ولمثل ذلك فليعمل العاملون .

والمقصود أن الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خير بين أن يؤخذ منه وبين أن تلدغه عقرب آثر الصبر على لدغ العقرب . فإذن ألم فراق الفرس عنده أعظم من العقرب ، وحبه الفرس هو الذى يلدغه إذا أخذ منه فرسه . فليستعد لهذه اللدغات ؛ فإن الموت يأخذ منه فرسه ومركبه ودارهوعقاره وأهله وولده وأحبابه ومعارفه ، ويأخذ منه جاهه وقبوله ، بل يأخذ منه سمعه وبصره وأعضاءه ، ويأس من رجوع جميع ذلك إليه . فإذا لم يحب سواه وقد أخذ جميع ذلك منه فذلك أعظم عليه من العقارب والحيات ، وكما لو أخذ ذلك منه وهو حى فيعظم عقابه فكذلك إذا مات ، لأنا قد بينا أن المعنى الذى هو المدرك للآلام واللذات لم يمت بل عذابه بعد الموت أشد . لأنه فى الحياة يتسلى بأسباب يشغل بها حواسه من مجالسة ومحادثة ويتسلى برجاء العود إليه ويتسلى برجاء العوض منه ولا سلوة

بعد الموت ، إذ قد انسد عليه طرق التسلي وحصل اليأس . فإذن كل قيص له ومنديل قد أحبه بحيث كان يشق عليه لو أخذ منه فإنه يبقى متأسفا عليه ومعذبا به ، فإن كان مخفا فى الدنيا سلم وهو المعنى بقولهم : نجا المخفون ، وإن كان مثقلا عظم عذابه . وكما أن حال من يسرق منه دينار أخف من حال من يسرق منه عشرة دنانير فكذلك حال صاحب الدرهم أخف من حال صاحب الدرهمين وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم « صاحب الدرهم أخف حسابا من صاحب الدرهمين [1] » وما من شيء من الدنيا يتخلف عنك عند الموت إلا وهو حسرة عليك بعد الموت ، فإن شئت فاستكثر وإن شئت فاستقلل ، فإن استكثرت فلست بمستكثر إلا من الحسرة ، وإن استقللت فلست تخفف إلا عن ظهرك .

وإنما تكثر الحيات والعقارب فى قبور الأغنياء الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وفرحوا بها واطمأنوا إليها . فهذه مقامات الإيمان فى حيات القبر وعقاربه وفى سائر أنواع عذابه .

رأى أبو سعيد الخدرى ابنا له قد مات فى المنام فقال له : يا بنى عظنى ، قال : لا تخالف الله تعالى فيما يريد ، قال : يا بنى زدنى ، قال : يا أبت لا تطيق ! قال : قل ، قال : لا تجعل بينك وبين الله قيصا . فما لبس قمصا ثلاثين سنة .

فإن قلت : فما الصحيح من هذه المقامات الثلاث ؟ فاعلم أن فى الناس من لم يثبت إلا الأول وأنكر ما بعده . ومنهم من أنكر الأول وأثبت الثانى . ومنهم من لم يثبت إلا الثالث . وإنما الحق الذى انكشف لنا بطريق الاستبصار أن كل ذلك فى حيز الإمكان . وأن من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله سبحانه وعجائب تدبيره ، فينكر من أفعال الله تعالى مالم يأنس به ويألفه وذلك جهل وقصور . بل هذه الطرق الثلاثة فى التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب . ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الأنواع ، ورب عبد تجمع عليه هذه الأنواع الثلاثة ، نعوذ بالله من عذاب الله قليله وكثيره .

هذا هو الحق فصدق به تقليدا فيعز على بسيط الأرض من يعرف ذلك تحقيقا ، والذى أوصيك به أن لا تكثر نظرك فى تفصيل ذلك ولا تشتغل بمعرفته ، بل اشتغل بالتدبير فى دفع العذاب كيفما كان . فإن أهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك ، كنت كمن أخذه سلطان وحبسه ليقطع يده ويجدع أنفه ، فأخذ طول الليل يتفكر فى أنه هل يقطعه بسكين أو بسيف أو بموسى ؟ وأهمل طريق الحيلة فى دفع أصل العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل ، فقد علم على القطع أن العبد لا يخلو بعد الموت من عذاب عظيم أو نعيم مقيم فينبغى أن يكون الاستعداد له . فأما البحث عن تفصيل العقاب والثواب ففضول وتضييع زمان .

بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر وبقية القول فى عذاب القبر

قال أبو هريرة : قال النبى صلى الله عليه وسلم « إذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير ، فيقولان له ما كنت تقول فى النبى ، فإن كان مؤمنا قال هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فيقولان إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك . ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين ذراعا وينور له فى قبره . ثم يقال له نم فيقول دعونى أرجع إلى أهلى فأخبرهم ، فيقال له نم فينام كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وإن كان منافقا قال لا أدرى

(١) حديث « صاحب الدرهم أخف حسابا من صاحب الدرهمين » لم أجد له أصلا .

كنت أسمع الناس يقولون شيئا وكنت أقوله ، فيقولان إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك ثم يقال للأرض التئمى عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك [1] ، وعن عطاء بن يسار قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه « ياعمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة أذرع فى ذراع وشبر ، ثم رجعوا إليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ، ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ، ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك ، فإذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يجران أشعارهما ويبحثان القبر بأنيابهما فتلتلاك وترتراك ، كيف بك عند ذلك ياعمر ؟ » فقال عمر : ويكون معى مثل عقلى الآن ؟ قال « نعم » قال « إذن أكفيكهما [2] » وهذا نص صريح فى أن العقل لايتغير بالموت إنما يتغير البدن والأعضاء . فيكون الميت عاقلا مدركا عالما بالآلام واللذات كما كان ، لايتغير من عقله شىء . وليس العقل المدرك هذه الأعضاء بل هو شىء باطن ليس له طول ولا عرض بل الذى لاينقسم فى نفسه هو المدرك للأشياء . ولو تناثرت أعضاء الإنسان كلها ولم يبق إلا الجزء المدرك الذى لايتجزأ ولا ينقسم لكان الإنسان العاقل بكماله قائما باقيا وهو كذلك بعد الموت ، فإن ذلك الجزء لايحله الموت ولا يطرأ عليه العدم وقال محمد بن المنكدر : بلغنى أن الكافر يسلط عليه فى قبره دابة عمياء صماء فى يدها سوط من حديد فى رأسه مثل غرب الجمل تضربه به إلى يوم القيامة ، لاتراه فتتقيه ولاتسمع صوته فترحمه . وقال أبو هريرة : إذا وضع الميت فى قبره جاءت أعماله الصالحة فاحتوشته ، فإن أتاه من قبل رأسه جاء قراءته القرآن . وإن أتاه من قبل رجليه جاء قيامه ، وإن أتاه من قبل يده قالت اليدان : والله لقد كان يبسطنى للصدقة والدعاء لاسبيل لكم عليه ، وإن جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه ، وكذلك تقف الصلاة والصبر ناحية فيقول أما إنى لو رأيت خللا لكنت أنا صاحبه . قال سفيان : تجاحش عنه أعماله الصالحة كما يجاحش الرجل عن أخيه وأهله وولده ، ثم يقال له عند ذلك : بارك الله لك فى مضجعك فنعم الأخلاء أخلاؤك ونعم الأصحاب أصحابك . وعن حذيفة قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة فجلس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال « يضغط المؤمن فى هذا ضغطة ترد منه حمائله [3] » وقالت عائشة رضى الله عنها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن للقبر ضغطة ولو سلم أو نجا منها أحد لنجا سعد بن معاذ [4] » وعن أنس قال : توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة مسقامة ، فتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءنا حاله ، فلما انتهينا إلى القبر فدخله انتقع وجهه صفرة ، فلما خرج أسفر وجهه ، فقلنا : يارسول الله رأينا منك شأنا فمم ذلك ؟ قال « ذكرت ضغطة ابنتى وشدة عذاب القبر ، فأتيت فأخبرت أن الله قد خفف عنها وقد ضغطت ضغطة سمع صوتها مابين الخافقين [5] » .

---

(١) حديث أبى هريرة « اذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير ... الحديث » أخرجه الترمذى وحسنه وابن حبان مع اختلاف . (٢) حديث عطاء بن يسار ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر ابن الخطاب « ياعمر كيف بك اذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة أذرع فى ذراع وشبر ... الحديث » أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور هكذا مرسلا ورجاله ثقات قال البيهقى فى الاعتقاد : رويناه من وجه صحيح عن عطاء بن يسار مرسلا قلت : ووصله ابن بطة فى الإبانة من حديث ابن عباس ، ورواه البيهقى فى الاعتقاد من حديث عمر وقال غريب بهذا الإسناد تفرد به مفضل ولأحمد وابن حبان من حديث عبدالله بن عمر ؛ فقال عمر : أيرد الينا عقولنا ؟ فقال « نعم كهيئتكم اليوم » فقال عمر : ففيه الحجر . (٣) حديث حذيفة : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة فجلس على راس القبر ثم جعل ينظر فيه ... الحديث رواه أحمد بسند ضعيف . (٤) حديث عائشة « ان للقبر ضغطة لو سلم أو نجا منها أحد لنجا سعد بن معاذ » رواه أحمد بإسناد جيد

(٥) حديث أنس : توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة مسقامة ... الحديث » وفيه « لقد ضغطت ضغطة سمع صوتها مابين الخافقين » أخرجه ابن أبى الدنيا فى الموت من رواية سليمان الأعمش عن أنس ولم يسمع منه .

الباب الثامن : فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة فى المنام

اعلم أن أنوار البصائر - المستفادة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن مناهج الاعتبار - تعرفنا أحوال الموتى على الجملة وانقسامهم إلى سعداء وأشقياء . ولكن حال زيد وعمرو بعينه فلا ينكشف أصلا ، فإنا إن عولنا على إيمان زيد وعمرو فلا ندرى على ماذا مات وكيف ختم له ؟ وإن عولنا على صلاحه الظاهر فالتقوى محله القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره ؟ فلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن قال الله تعالى ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو إلا بمشاهدته ومشاهدة مايجرى عليه ، وإذا مات فقد تحول من عالم الملك والشهادة إلى عالم الغيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة ، وإنما يرى بعين أخرى خلقت تلك العين فى قلب كل إنسان ، ولكن الإنسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته وأشغاله الدنيوية فصار لايبصر بها ، ولا يتصور أن يبصر بها شيئا من عالم الملكوت مالم تنقشع تلك الغشاوة عن عين قلبه .

ولما كانت الغشاوة منقشعة عن أعين الأنبياء عليهم السلام فلا جرم نظروا إلى الملكوت وشاهدوا عجائبه ، والموتى فى عالم الملكوت فشاهدوهم وأخبروا . ولذلك رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضغطة القبر فى حق سعد ابن معاذ وفى حق زينب ابنته [1] وكذلك حال أبى جابر لما استشهد إذ أخبره أن الله أقعده بين يديه ليس بينهما ستر . ومثل هذه المشاهدة لامطمع فيها لغير الأنبياء والأولياء الذين تقرب درجتهم منهم .

إنما الممكن من أمثالنا مشاهدة أخرى ضعيفة إلا أنها أيضا مشاهدة نبوية وأعنى بها المشاهدة فى المنام وهى من أنوار النبوة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة [2] » وهو أيضا انكشاف لا يحصل إلا بانقشاع الغشاوة عن القلب ، فلذلك لا يوثق إلا برؤيا الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه لم تصدق رؤياه ، ومن كثر فساده ومعاصيه أظلم قلبه فكان مايراه أضغاث أحلام ، ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهارة عند النوم لينام طاهرا [3] وهو إشارة إلى طهارة الباطن أيضا فهو أصل وطهارة الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة لها . ومهما صفا الباطن انكشف فى حدقة القلب ما سيكون فى المستقبل ، كما انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فى النوم حتى نزل قوله تعالى ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق - [4] وقلما يخلو الإنسان عن منامات دلت على أمور فوجدها صحيحة ، والرؤيا ومعرفة الغيب فى النوم من عجائب صنع الله تعالى وبدائع فطرة الآدمى وهو من أوضح الأدلة على عالم الملكوت ، والخلق غافلون عنه كغفلتهم عن سائر عجائب القلب وعجائب العالم والقول فى حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره علاوة على علم المعاملة .

ولكن القدر الذى يمكن ذكره ههنا مثال ينفهمك المقصود ، وهو أن تعلم أن القلب مثاله مثال مرآة تتراءى فيها الصور وحقائق الأمور ، وأن كل مافقدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم إلى آخره مسطور ومثبت فى خلق خلقه الله تعالى يعبر عنه تارة باللوح ، وتارة بالكتاب المبين ، وتارة بإمام مبين ؛ كما ورد فى القرآن . لجميع

---

(١) حديث : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضغطة القبر فى حق سعد بن معاذ وفى حق زينب ابنته وكذلك حال أبى جابر لما استشهد تقدمت الثلاثة أحاديث فى الباب الذى قبل (٢) حديث « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة » تقدم . (٣) حديث : أمره بالطهارة عند النوم . متفق عليه من حديث البراء « إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ... الحديث » . (٤) حديث : انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم . أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره من رواية مجاهد مرسلا .

ماجرى فى العالم وما سيجرى مكتوب فيه ومنقوش عليه نقشا لايشاهد بهذه العين . ولا تظنن أنّ ذلك اللوح من خشب أو حديد أو عظم ، وأنّ الكتاب من كاغد أو رق ، بل ينبغى أن تفهم قطعا أن لوح الله لايشبه لوح الخلق ، وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق ، كما أنّ ذاته وصفاته لاتشبه ذات الخلق وصفاتهم . بل إن كنت تطلب له مثالا يقرّبه إلى فهمك فاعلم أنّ ثبوت المقادير فى اللوح يضاهى ثبوت كلمات القرآن وحروفه فى دماغ حافظ القرآن وقلبه ، فإنه مسطور فيه حتى كأنه حين يقرؤه ينظر إليه ، ولو فتشت دماغه جزءا جزءا لم تشاهد من ذلك الخط حرفا . وإن كان ليس هناك خط يشاهد ولا حرف ينظر فمن هذا النمط ينبغى أن تفهم كون اللوح منقوشا بجميع ما قدّره الله تعالى وقضاه . واللوح فى المثال كمرآة ظهر فيها الصور ، فلو وضع فى مقابلة المرآة مرآة أخرى لكانت صورة تلك المرآة تتراءى فى هذه إلا أن يكون بينهما حجاب فالقلب مرآة تقبل رسوم العلم ، واللوح مرآة رسوم العلم كلها موجودة فيها ، واشتغال القلب بشهواته ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذى هو من عالم الملكوت ، فإن هبت ريح حركت هذا الحجاب ورفعته تلألأ فى مرآة القلب شىء من عالم الملكوت كالبرق الخاطف ، وقد يثبت ويدوم ، وقد لايدوم وهو الغالب . ومادام متيقظا فهو مشغول بما تورده الحواس عليه من عالم الملك والشهادة ، وهو حجاب عن عالم الملكوت .

ومعنى النوم أن تركد الحواس عليه فلاتورده على القلب ، فإذا تخلص منه ومن الخيال وكان صافيا فى جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ ، فوقع فى قلبه شىء مما فى اللوح كما تقع الصورة من مرآة فى مرآة أخرى إذا ارتفع الحجاب بينهما ، إلا أنّ النوم مانع سائر الحواس عن العمل وليس مانعا للخيال عن عمله وعن تحركه ، فما يقع فى القلب يبتدره الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه ، وتكون المتخيلات أثبت فى الحفظ من غيرها فيبقى الخيال فى الحفظ ، فإذا انتبه لم يتذكر إلا الخيال ، فيحتاج المعبر أن ينظر إلى هذا الخيال حكاية أى معنى من المعانى فيرجع إلى المعانى بالمناسبة التى بين المتخيل والمعانى . وأمثلة ذلك ظاهرة عند من نظر فى علم التعبير . ويكفيك مثال واحد وهو أنّ رجلا قال لابن سيرين : رأيت كأنّ بيدى خاتما أختم به أفواه الرجال وفروج النساء . فقال : أنت مؤذن تؤذن قبل الصبح فى رمضان ، قال : صدقت ! فانظر أنّ روح الختم هو المنع ولأجله يراد الختم . وإنما ينكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه ، وهو كونه مانعا للناس من الأكل والشرب ، ولكن الخيال ألف المنع عند الختم بالخاتم فتمثله بالصورة الخيالية التى تتضمن روح المعنى ولا يبقى فى الحفظ إلا الصورة الخيالية .

فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرؤيا الذى لا تنحصر عجائبه ! وكيف لا وهو أخو الموت ، وإنما الموت هو عجب من العجائب وهذا لأنه يشبهه من وجه ضعيف أثر فى كشف الغطاء عن عالم الغيب ، حتى صار النائم يعرف ما سيكون فى المستقبل فماذا ترى فى الموت الذى يخرق الحجاب ويكشف الغطاء بالكلية : حتى يرى الإنسان عند انقطاع النفس من غير تأخير نفسه إما محفوفة بالأنكال والمخازى والفضائح ـ نعوذ بالله من ذلك ـ وإما مكنوفا بنعيم مقيم وملك كبير لا آخر له ، وعند هذا يقال للأشقياء وقد انكشف الغطاء ﴿ لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾ ويقال ﴿ أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون اصلوها فاصبروا أو لاتصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ وإليهم الإشارة بقوله تعالى ﴿ وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ﴾ فأعلم العلماء وأحكم الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات مالم يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقل هم وغم إلا الفكرة فى خطر تلك الحال أن الحجاب عماذا يرتفع وما الذى ينكشف عنه الغطاء من

شقاوة لازمة أم سعادة دائمة ؟ لكان ذلك كافيا فى استغراق جميع العمر .

والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين أيدينا ! وأعجب من ذلك فرحنا بأموالنا وأهلينا وبأسبابنا وذريتنا بل بأعضائنا وسمعنا وبصرنا ! مع أنا نعلم مفارقة جميع ذلك يقينا ، ولكن أين من ينفث روح القدس فى روعه فيقول مافال لسيد النبيين « أحبب من أحببت فإنك مفـــارقه وعش ماشئت فإنك ميت واعمل ماشئت فإنك مجزى به [1] » ، فلا جرم لما كان ذلك مكشوفا له بعين اليقين كان فى الدنيا كعابر سبيل لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة [2] ولم يخلف دينارا ولا درهما [3] ولم يتخذ حبيبا ولا خليلا نعم قال « لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن [4] » ، فبين أنّ خلة الرحمن تخللت باطن قلبه وأنّ حبه تمكن من حبة قلبه فلم يترك فيه متسعا لخليل ولا حبيب ! وقد قال لأمته ﴿ إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ﴾ فإنما أمته من اتبعه ، وما اتبعه إلا من أعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة ، فإنه ما دعا إلا إلى الله واليوم الآخر وما صرف إلا عن الدنيا والحظوظ العاجلة ، فبقدر ما أعرضت عن الدنيا وأقبلت على الآخرة فقد سلكت سبيله الذى سلكه وبقدر ما سلكت سبيله فقد اتبعته ، وبقدر ما اتبعته فقد صرت من أمته ، وبقدر ما أقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم ﴿ فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإنّ الجحيم هى المأوى ﴾ فلو خرجت من مكمن الغرور وأنصفت نفسك يارجل ـ وكلنا ذلك الرجل ـ لعلمت أنك من حين تصبح إلى حين تمسى لاتسعى إلا فى الحظوظ العاجلة ، ولا تتحرك ولاتسكن إلا لعاجل الدنيا ثم تطمع أن تكون غدا من أمته وأتباعه ! وما أبعد ظنك وما أبرد طمعك ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون ﴾ .

ولنرجع إلى ما كنا فيه وبصدده فقد امتدّ عنان الكلام إلى غير مقصده ، ولنذكر الآن من المنامات الكاشفة لأحوال الموتى مايعظم الانتفاع به إذ ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وليس ذلك إلا المنامات .

بيان منامات تكشف عن أحوال الموتى والأعمال النافعة فى الآخرة

فمن ذلك رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام « من رآنى فى المنام فقد رآنى حقا فإن الشيطان لا يتمثل بى [5] » ، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فرأيته لا ينظر إلى فقلت : يارسول الله ما شأنى ! فالتفت إلى وقال « ألست المقبل وأنت صائم ؟ » قال : والذى نفسى بيده لا أقبل امرأة وأنا صائم أبدا . وقال العباس رضى الله عنه : كنت ودا لعمر فاشتهيت أن أراه فى المنام ، فما رأيته إلا عند رأس الحول فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول : هذا أوان فراغى إن كان عرشى ليهدّ لولا أنى لقيته رءوفا رحيما . وقال الحسن بن على : قال لى على رضى الله عنه : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سنح لى الليلة فى منامى فقلت : يا رسول الله ما لقيت من أمتك ؟ قال : ادع عليهم ، فقلت : اللهم أبدلنى بهم من هو خير لى منهم وأبدلهم بى من هو شر لهم منى ! فخرج فضربه ابن ملجم . وقال بعض الشيوخ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله استغفر لى ، فأعرض عنى فقلت : يا رسول الله إن سفيان بن عيينة حدّثنا عن محمد بن المنكدر

---

(١) حديث « إن روح القدس نفث فى روعى أحبب من أحببت فإنك مفارقه ... الحديث » تقدم . (٢) حديث : لم يضع لبنة على لبنة ولاقصبة على قصبة . تقدم أيضا . (٣) حديث : لم يخلف دينارا ولادرهما . تقدم أيضا . (٤) حديث « لوكنت متخذا خليلا لاتخذت أبابكر ولكن صاحبكم خليل الرحمن » تقدم أيضا . (٥) حديث « من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان لايتخيل بى » متفق عليه من حديث أبى هريرة .

عن جابر بن عبد الله : أنك لم تسأل شيئا قط فقلت : لا ، فأقبل علىفقال « غفر الله لك[1] » وروى عن العباس بن عبد المطلب قال : كنت مواخيا لأبى لهب مصاحبا له ، فلما مات وأخبر الله عنه بما أخبر حزنت عليه وأهمنى أمره فسألت الله تعالى حولا أن يرينى إياه فى المنام قال : فرأيته يلتهب نارا فسألته عن حاله فقال : صرت إلى النار فى العذاب لا يخفف عنى ولا يروح إلا ليلة الاثنين فى كل الأيام والليالى ! قلت : وكيف ذلك ؟ قال : ولد فى تلك الليلة محمد صلى الله عليه وسلم فجاءتنى أميمة فبشرتنى بولادة آمنة إياه ففرحت به وأعتقت وليدة لى فرحا به ، فأثابنى الله بذلك أن رفع عنى العذاب فى كل ليلة اثنين .

وقال عبد الواحد بن زيد : خرجت حاجا فصحبنى رجل كان لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يسكن إلا صلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، فسألته عن ذلك فقال : أخبرك عن ذلك ؛ خرجت أول مرة إلى مكة ومعى أبى ، فلما انصرفنا نمت فى بعض المنازل ؛ فبينا أنا نائم إذ أتانى آت فقال لى قم فقد أمات الله أباك وسود وجهه ! قال : فقمت مذعورا فكشفت الثوب عن وجهه فإذا هو ميت أسود الوجه ، فداخلنى من ذلك رعب ، فبينا أنا فى ذلك الغم إذ غلبتنى عينى فنمت فإذا على رأس أبى أربعة سودان معهم أعمدة حديد إذ أقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين أخضرين فقال لهم : تنحوا ، فمسح وجهه بيده ثم أتانى فقال : قم فقد بيض الله وجه أبيك ! فقلت له : من أنت بأبى أنت وأمى ؟ فقال : أنا محمد ، قال : فقمت فكشفت الثوب عن وجه أبى فإذا هو أبيض ! فما تركت الصلاة بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن عمر بن عبد العزيز قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما جالسان عنده ـ فسلمت وجلست ، فبينما أنا جالس إذ أتى بعلى ومعاوية فأدخلا بيتا وأجيف عليهما الباب وأنا أنظر ، فما كان بأسرع من أن خرج على رضى الله عنه وهو يقول : قضى لى ورب الكعبة ، وما كان بأسرع من أن خرج معاوية على أثره وهو يقول : غفر لى ورب الكعبة .

واستيقظ ابن عباس رضى الله عنهما مرة من نومه فاسترجع وقال : قتل الحسين والله ! ـ وكان ذلك قبل قتله ـ فأنكره أصحابه فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة من دم فقال : ألا تعلم ما صنعت أمتى بعدى ؟ قتلوا بنى الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرفعها إلى الله تعالى . فجاء الخبر بعد أربعة وعشرين يوما بقتله فى اليوم الذى رآه .

ورؤى الصديق رضى الله عنه فقيل له : إنك كنت تقول أبدا فى لسانك : هذا أوردنى الموارد ، فماذا فعل الله بك ؟ قال : قلت به لا إله إلا الله فأوردنى الجنة .

بيان منامات المشايخ رحمة الله عليهم أجمعين

قال بعض المشايخ : رأيت متمما الدورق فى المنام فقلت : ياسيدى مافعل الله بك ؟ فقال : ديرنى فى الجنان فقيل لى : يامتمم هل استحسنت فيها شيئا ؟ قلت : لا ياسيدى ، فقال : لو استحسنت منها شيئا لوكلتك إليه ولم أوصلك إلى . ورؤى يوسف بن الحسين فى المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى ؛ قيل . بماذا ؟ قال : ماخلطت جدا بهزل . وعن منصور بن إسمعيل قال : رأيت عبد الله البزار فى النوم فقلت : مافعل الله بك ؟ قال : أوقفنى بين يديه فغفر لى كل ذنب أقررت به إلا ذنبا واحدا فإنى استحييت أن أقر به ، فأوقفنى فى العرق حتى سقط لحم وجهى فقلت .

(١) حديث ابن عيينة عن محمد بن المنكدر عن جابر : ماسئل النبى صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا . رواه مسلم وقد تقدم .

ما كان ذلك الذنب ؟ قال : نظرت إلى غلام جميل فاستحسنته فاستحييت من الله أن أذكره . وقال أبو جعفر الصيدلانى : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم وحوله جماعة من الفقراء ، فبينما نحن كذلك إذ انشقت السماء فنزل ملكان أحدهما : بيده طشت ، وبيد الآخر : إبريق ، فوضع الطشت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسل يده ثم أمر حتى غسلوا ، ثم وضع الطشت بين يدى فقال أحدهما الآخر : لا تصب على يده فإنه ليس منهم ! فقلت : يا رسول الله أليس قد روى عنك أنك قلت « المرء مع من أحب » ؟ قال : بلى ، قلت : يارسول الله فإنى أحبك وأحب هؤلاء الفقراء ! فقال صلى الله عليه وسلم : صب على يده فإنه منهم . وقال الجنيد : رأيت فى المنام كأنى أتكلم على الناس فوقف على ملك فقال : أقرب ما تقرب به المتقربون إلى الله تعالى ماذا ؟ فقلت : عمل خفى بميزان وفى ! فولى الملك وهو يقول : كلام موفق والله . ورؤى مجمع فى النوم فقيل له : كيف رأيت الأمر ؟ فقال : رأيت الزاهدين فى الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة . وقال رجل من أهل الشام للعلاء بن زياد : رأيتك فى النوم كأنك فى الجنة ! فنزل عن مجلسه وأقبل عليه ثم قال . لعل الشيطان أراد أمرا فعصمت منه فأشخص رجلا يقتلنى ! وقال محمد بن واسع : الرؤيا تسر المؤمن ولاتغره . وقال صالح بن بشير : رأيت عطاء السلمى فى النوم فقلت له : رحمك الله لقد كنت طويل الحزن فى الدنيا ، قال : أما والله لقد أعقبنى ذلك راحة طويلة وفرحا دائما ، فقلت : فى أى الدرجات أنت ؟ فقال ﴿ مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ وسئل زرارة بن أبى أوفى فى المنام : أى الأعمال أفضل عندكم ؟ فقال : الرضا وقصر الأمل . وقال يزيد بن مذعور : رأيت الأوزاعى فى المنام فقلت : يا أبا عمرو دلنى على عمل أتقرب به إلى الله تعالى ! قال : ما رأيت هناك درجة أرفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين . قال : وكان يزيد شيخا كبيرا ، فلم يزل يبكى حتى أظلمت عيناه . وقال ابن عيينة : رأيت أخى فى المنام فقلت : يا أخى مافعل الله بك ؟ فقال : كل ذنب استغفرت منه غفر لى ومالم أستغفر منه لم يغفر لى . وقال على الطلحى : رأيت فى المنام امرأة لاتشبه نساء الدنيا فقلت : من أنت ؟ فقالت : حوراء ، فقلت زوجينى نفسك ، قالت : اخطبنى إلى سيدى وأمهرنى ، قلت : وما مهرك ؟ قالت : حبس نفسك عن آفاتها . وقال إبراهيم بن اسحق الحربى : رأيت زبيدة فى المنام فقلت : ما فعل الله بك ؟ قالت : غفر لى ، فقلت لها : بما أنفقت فى طريق مكة ؟ قالت : أما النفقات التى أنفقتها رجعت أجورها إلى أربابها ، وغفر لى بذنبى . ولما مات سفيان الثورى رؤى فى المنام فقيل له : مافعل بك ؟ قال : وضعت أول قدمى على الصراط والثانى فى الجنة . وقال أحمد بن أبى الحوارى : رأيت فيما يرى النائم جارية ـ ما رأيت أحسن منها وكان يتلألأ وجهها نورا ـ فقلت لها : بماذا ضوء وجهك ؟ قالت : تذكر تلك الليلة التى بكيت فيها ؟ قلت : نعم ، قالت : أخذت دمعك فمسحت به وجهى ، فمن ثم ضوء وجهى كما ترى . وقال الكتانى : رأيت الجنيد فى المنام فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : طاحت تلك الإشارات وذهبت تلك العبارات وما حصلنا إلا على ركعتين كنا نصليهما فى الليل . ورؤيت زبيدة فى المنام فقيل لها : ما فعل الله بك ؟ قالت : غفر لى بهذه الكلمات الأربع : لا إله إلا الله أفنى بها عمرى ، لا إله إلا الله أدخل بها قبرى ، لا إله إلا الله أخلو بها وحدى ، لا إله إلا الله ألقى بها ربى . ورؤى بشر فى المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : رحمنى ربى عز وجل وقال يابشر أما استحييت منى كنت تخافنى كل ذلك الخوف . ورؤى أبو سليمان فى النوم فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال رحمنى وما كان شىء أضر على من إشارات القوم إلى . وقال أبو بكر الكتانى : رأيت فى النوم شابا لم أر أحسن منه فقلت له : من أنت ؟ قال : التقوى ! قلت : فأين تسكن ؟ قال : كل قلب حزين ! ثم التفت فإذا امرأة سوداء فقلت : من أنت ؟ قالت : أنا السقم ! قلت : فأين

تسكتين ؟ قالت : كل قلب فرح مرح ! قال : فانتبهت وتعاهدت أن لا أضحك إلا غلبة . وقال أبو سعيد الخراز : رأيت فى المنام كأن إبليس وثب على ، فأخذت العصا لأضربه فلم يفزع منها ، فهتف بى هاتف : إن هذا لا يخاف من هذه ، وإنما يخاف من نور يكون فى القلب . وقال المسوحى : رأيت إبليس فى النوم يمشى عريانا فقلت : ألا تستحى من الناس ! فقال : بالله هؤلاء ناس ! لو كانوا من الناس ما كنت ألعب بهم طرفى النهار كما يتلاعب الصبيان بالكرة ! بل الناس قوم غير هؤلاء قد أسقموا جسمى ، وأشار بيده إلى أصحابنا الصوفية . وقال أبو سعيد الخراز : كنت فى دمشق فرأيت فى المنام كأن النبى صلى الله عليه وسلم جاءنى متكئا على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، فجاء فوقف على وأنا أقول شيئا من الأصوات وأدق فى صدرى ، فقال : شر هذا أكثر من خيره . وعن ابن عيينة قال : رأيت سفيان الثورى فى النوم كأنه فى الجنة يطير من شجرة إلى شجرة يقول ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ فقلت له : أوصنى ، قال : أقلل من معرفة الناس ، وروى أبو حاتم الرازى عن قبيصة بن عقبة قال : رأيت سفيان الثورى فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال :

نظرت إلى ربى كفاحا فقال لى ... هنيئا رضائى عنك يا ابن سعيد
فقد كنت قواما إذا أظلم الدجى ... بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أى قصر أردته ... وزرنى فإنى منك غير بعيد

ورؤى الشبلى بعد موته بثلاثة أيام فقيل له : مافعل الله بك ؟ قال : ناقشنى حتى أيست ، فلما رأى يأسى تغمدنى برحمته . ورؤى مجنون بنى عامر بعد موته فى المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى وجعلنى حجة على المحبين . ورؤى الثورى فى المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : رحمنى ، فقيل له : ما حال عبد الله بن المبارك ؟ فقال : هو ممن يلج على ربه فى كل يوم مرتين . ورؤى بعضهم فسئل عن حاله فقال * حاسبونا فدققوا * ثم منوا فأعتقوا * رؤى مالك بن أنس فقيل له : مافعل الله بك ؟ قال غفر لى بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضى الله عنه عند رؤية الجنازة سبحان الحى الذى لا يموت . ورؤى فى الليلة التى مات فيها الحسن البصرى كأن أبواب السماء مفتحة ، وكأن مناديا ينادى ألا إن الحسن البصرى قدم على الله وهو عنه راض . ورؤى الجاحظ فقيل له مافعل الله بك ؟ فقال :

ولا تكتب بخطك غير شىء ... يسرك فى القيامة أن تراه

ورأى الجنيد إبليس فى المنام عريانا فقال ألا تستحى من الناس ؟ فقال وهؤلاء ناس ! الناس أقوام فى مسجد الشونيزية قد أضنوا جسدى وأحرقوا كبدى ! قال الجنيد فلما انتبهت غدوت إلى المسجد فرأيت جماعة قد وضعوا رءوسهم على ركبهم يتفكرون ، فلما رأونى قالوا لا يغرنك حديث الخبيث . ورؤى النصراباذى بمكة - بعد وفاته - فى النوم فقيل له ما فعل الله بك ؟ قال عوتبت عتاب الأشراف ثم نوديت يا أبا القاسم أبعد الاتصال انفصال ؟ فقلت لا يا ذا الجلال ، فما وضعت فى اللحد حتى لحقت بربى . ورأى عتبة الغلام حوراء فى المنام على صورة حسنة فقالت يا عتبة أنا لك عاشقة فانظر لا تعمل من الأعمال شيئا فيحال بينى وبينك ، فقال عتبة طلقت الدنيا ثلاثا لا رجعة لى عليها حتى ألقاك . وقيل رأى أيوب السختيانى جنازة عاص ، فدخل الدهليز كيلا يصلى عليها . فرأى الميت بعضهم فى المنام فقيل له ما فعل الله بك ؟ قال غفر لى وقال قل لأيوب ﴿ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا لأمسكتم خشية الإنفاق ﴾ وقال بعضهم رأيت فى الليلة التى مات فيها

داود الطائى نورا ، وملائكة نزولا وملائكة صعودا ، فقلت : أى ليلة هذه ؟ فقالوا : ليلة مات فيها داود الطائى وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه . وقال أبو سعيد الشحام : رأيت سهلا الصعلوكى فى المنام فقلت : أيها الشيخ ! قال : دع التشبيخ ، قلت : تلك الأحوال التى شاهدتها ، فقال : لم تغن عنا ! فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى بمسائل كان يسأل عنها العجز . وقال أبو بكر الرشيدى : رأيت محمدا الطوسى المعلم - فى النوم - فقال لى : قل لأبى سعيد الصفار المؤدب :

وكنا على أن لا نحول عن الهوى فقد - وحياة الحب - حلتم وما حلنا

قال : فانتبهت فذكرت ذلك له فقال : كنت أزور قبره كل جمعة فلم أزره هذه الجمعة . وقال ابن راشد : رأيت ابن المبارك فى النوم بعد موته فقلت : أليس قد مت ؟ قال : بلى ، قلت : فما صنع الله بك ؟ قال : غفر لى مغفرة أحاطت بكل ذنب ، قلت : فسفيان الثورى ؟ قال : بخ بخ ذاك ﴿ من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين ﴾ الآية وقال الربيع بن سليمان : رأيت الشافعى رحمة الله عليه بعد وفاته فى المنام فقلت : يا أبا عبد الله ما صنع الله بك ؟ قال : أجلسنى على كرسى من ذهب ونثر على اللؤلؤ الرطب . ورأى رجل من أصحاب الحسن البصرى ليلة مات الحسن كأنّ مناديا ينادى - إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين - واصطفى الحسن البصرى على أهل زمانه . وقال أبو يعقوب القارى الدقيق رأيت فى منامى رجلا آدم طوالا والناس يتبعونه فقلت : من هذا ؟ قالوا : أويس القرنى ، فأتيته فقلت أوصنى رحمك الله فكلح فى وجهى فقلت مسترشد فأرشدنى أرشدك الله ، فأقبل على وقال اتبع رحمة ربك عند محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه فى خلال ذلك ، ثم ولى وتركنى . وقال أبو بكر بن أبى مريم رأيت ورقاء بن بشر الحضرمى فقلت ما فعلت يا ورقاء ؟ قال البكاء من خشية الله . وقال يزيد بن نعامة هلكت جارية فى الطاعون الجارف فرآها أبوها فى المنام فقال لها يا بنية أخبرينى عن الآخرة ؟ قالت يا أبت قدمنا على أمر عظيم ، نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون ، والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان فى فسحة عمل أحب إلى من الدنيا وما فيها . وقال بعض أصحاب عتبة الغلام : رأيت عتبة فى المنام فقلت ، ما صنع الله بك ؟ قال دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة فى بيتك ! قال فلما أصبحت جئت إلى بيتى فإذا خط عتبة الغلام فى حائط البيت (يا هادى المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الأحياء المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين) وقال موسى بن حماد رأيت سفيان الثورى فى الجنة يطير من نخلة إلى نخلة ومن شجرة إلى شجرة فقلت ، يا أبا عبد الله بم نلت هذا ؟ فقال بالورع ، قلت فما بال على بن عاصم ؟ قال ذاك لا يكاد يرى إلا كما يرى الكوكب . ورأى رجل من التابعين النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال يارسول الله عظنى ، قال نعم من لم يتفقد النقصان فهو فى نقصان ومن كان فى نقصان فالموت خير له وقال الشافعى رحمة الله عليه دهمنى فى هذه الأيام أمر أمضنى وآلمنى ولم يطلع عليه غير الله عز وجل ، فلما كان البارحة أتانى آت فى منامى فقال لى يامحمد بن إدريس قل اللهم إنى لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتنى ولا أتقى إلا ما وقيتنى اللهم فوفقنى لما تحب وترضى من القول والعمل فى عافية ؛ فلما أصبحت أعدت ذلك فلما ترحل النهار أعطانى الله عز وجل طلبتى وسهل لى الخلاص مما كنت فيه ، فعليكم بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها . فهذه جملة من المكاشفات تدل على أحوال الموتى وعلى الأعمال المقربة إلى

الله زلفى ، فلنذكر بعدها مابين يدى الموتى من ابتداء نفخة الصور إلى آخر القرار إما فى الجنة أوفى النار والحمد لله حمد الشاكرين .

الشطر الثانى

من كتاب ذكر الموت فى أحوال الميت من وقت نفخة الصور إلى آخر الاستقرار فى الجنة أوفى النار وتفصيل مابين يديه من الأهوال والأخطار .

وفيه بيان نفخة الصور . وصفة أرض المحشر وأهله . وصفة طول يوم القيامة . وصفة يوم القيامة ودواهيها وأسامها . وصفة المساءلة عن الذنوب . وصفة الميزان ، وصفة الخصماء ورد المظالم ، وصفة الصراط . وصفة الشفاعة . وصفة الحوض . وصفة جهنم وأهوالها وأنكالها وحياتها وعقاربها . وصفة الجنة وأصناف نعيمها وعدد الجنان وأبوابها وغرفها وحيطانها وأنهارها وأشجارها ولباس أهلها وفرشهم وسررهم ، وصفة طعامهم . وصفة الحور العين والولدان . وصفة النظر إلى وجه الله تعالى . وباب فى سعة رحمة الله تعالى وبه ختم الكتاب إن شاء الله تعالى .

صفة نفخة الصور

قد عرفت فيما سبق شدة أحوال الميت فى سكرات الموت وخطره فى خوف العاقبة ثم مقاساته لظلمة القبر وديدانه ، ثم لمنكر ونكير وسؤالهما ، ثم لعذاب القبر وخطره إن كان مغضوبا عليه . وأعظم من ذلك كله الأخطار التى بين يديه من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير ، ونصب الميزان لمعرفة المقادير ، ثم جواز الصراط مع دقته وحدته ، ثم انتظار النداء عند فصل القضاء إما بالإسعاد وإما بالإشقاء. فهذه أحوال وأهوال لابد لك من معرفتها ، ثم الإيمان بها على سبيل الجزم والتصديق ، ثم تطويل الفكر فى ذلك لينبعث من قلبك دواعى الاستعداد لها ، وأكثر الناس لم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء أفئدتهم ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها مع ماتكتنفه من المصاعب والأهوال ، بل إذا سئلوا عن اليوم الآخر نطقت به ألسنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم ، ومن أخبر بأن مابين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه ـ الذى أخبر ـ صدقت ، ثم مد يديه لتناوله ؛ كان مصدقا بلسانه ومكذبا بعمله وتكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى شتمنى ابن آدم ومايبغى له أن يشتمنى ، وكذبنى ومايبغى له أن يكذبنى ، أما شتمه إياى فيقول إن لى ولدا وأما تكذيبه فقوله لن يعيدنى كما بدأنى [1] » وإنما فتور البواطن عن قوة اليقين والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم فى هذا العالم لأمثال تلك الأمور : ولو لم يشاهد الإنسان توالد الحيوانات وقيل له : إن صانعا يصنع من النطفة القذرة مثل هذا الآدمى المصور العاقل المتكلم المتصرف لاشتد نفور باطنه عن التصديق به ، ولذلك قال الله تعالى ﴿ أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾ وقال تعالى ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ﴾ ففى خلق الآدمى ـ مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب أعضائه ـ أعاجيب تزيد على الأعاجيب فى بعثه وإعادته ، فكيف ينكر ذلك من قدرة الله تعالى وحكمته من يشاهد

(١) حديث « قال الله تعالى شتمنى ابن آدم وما ينبغى له أن يشتمنى وكذبنى وما ينبغى له أن يكذبنى ... الحديث » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة .

ذلك فى صنعته وقدرته ؟ فإن كان فى إيمانك ضعف فقو الإيمان بالنظر فى النشأة الأولى فإن الثانية مثلها وأسهل منها ، وإن كنت قوى الإيمان بها فأشعر قلبك تلك المخاوف والأخطار وأكثر فيها التفكر والاعتبار، لتسلب عن قلبك الراحة والقرار ، فتشتغل بالتشمر للعرض على الجبار ، وتفكر أولا فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفخ الصور ، فإنها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن رءوس الموتى فيثورون دفعة واحدة . فتوهم نفسك وقد وثبت متغيرا وجهك مغبرا بدنك من فرقك إلى قدمك من تراب قبرك مبهوتا من شدة الصعقة شاخص العين نحو النداء، وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التى طال فيها بلاؤهم ؛ وقد أزعجهم الفزع والرعب مضافا إلى ما كان عندهم من الهموم والغموم وشدة الانتظار لعاقبة الأمر ، كما قال تعالى ﴿ ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ وقال تعالى ﴿ فإذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ﴾ وقال تعالى ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ فلو لم يكن بين يدى الموتى إلا هول تلك النفخة لكان ذلك جديرا بأن يتقى فإنها نفخة وصيحة يصعق بها من فى السموات والأرض - يعنى يموتون بها - إلا من شاء الله وهو بعض الملائكة . ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة وأصغى بالأذن ينتظر متى يؤمر فينفخ [1] » .

قال مقاتل : الصور هو القرن ؛ وذلك أن إسرافيل عليه السلام واضع فاه على القرن كهيئة البوق ، ودائرة رأس القرن كعرض السموات والأرض ، وهو شاخص بصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الأولى ، فإذا نفخ صعق من فى السموات والأرض أى مات كل حيوان من شدة الفزع إلا من شاء الله ، وهو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت . ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح جبريل ، ثم روح ميكائيل ، ثم روح إسرافيل ، ثم يأمر ملك الموت فيموت . ثم يلبث الخلق بعد النفخة الأولى فى البرزخ أربعين سنة ، ثم يحيى الله تعالى إسرافيل فيأمره أن ينفخ الثانية فذلك قوله تعالى ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ على أرجلهم ينظرون إلى البعث وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم « حين بعث إلىّ بعث إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فيه وقدم رجلا وأخر أخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ ألا فاتقوا النفخة [2] » فتفكر فى الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفا من هذه الصعقة ، وانتظارا لما يقضى عليهم من سعادة أو شقاوة ، وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم . بل إن كنت فى الدنيا من المترفهين والأغنياء المتنعمين فملوك الأرض فى ذلك اليوم أذل أهل أرض الجمع وأصغرهم وأحقرهم يوطئون بالأقدام مثل الذرة ، وعند ذلك تقبل الوحوش من البرارى والجبال منكسة رءوسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم

---

(١) حديث « كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد وقال حسن ورواه ابن ماجه بلفظ « إن صاحبى القرن بأيديهما أو فى أيديهما قرنان يلاحظان النظر متى يؤمران » وفى رواية ابن ماجه الحجاج بن أرطاة مختلف فيه . (٢) حديث « حين بعث إلى بعث إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فيه وقدم رجلا وأخر أخرى الحديث » لم أجده هكذا بل قد ورد : أن إسرافيل من حين ابتداء الخلق وهو كذلك كما رواه البخارى فى التاريخ وأبو الشيخ فى كتاب العظمة من حديث أبى هريرة « إن الله تبارك وتعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر » قال البخارى ولم يصح وفى رواية لأبى الشيخ « ما طرف صاحب الصور منذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان » وإسنادها جيد .

النشور من غير خطيئة تدنست بها ، ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهول النفخة ، وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى ﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾ ثم أقبلت الشياطين المردة بعد تمردها وعتوها وأذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله تعالى تصديقا لقوله تعالى ﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ﴾ فتفكر فى حالك وحال قلبك هنالك .

صفة أرض المحشر وأهله

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة غرلا إلى أرض المحشر ، أرض بيضاء قاع صفصف لاترى فيها عوجا ولا أمتا ، ولا ترى عليها ربوة يختفى الإنسان وراءها ، ولا وهدة ينخفض عن الأعين فيها . بل هو صعيد واحد بسيط لاتفاوت فيه يساقون إليه زمرا ، فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض إذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة ، والراجفة هى النفخة الأولى والرادفة هى النفخة الثانية ، وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة ولتلك الأبصار أن تكون خاشعة ، قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقى ليس فيها معلم لأحد [1] » .

قال الراوى : والعفرة : بياض ليس بالناصع : والنقى : هو النقى عن القشر والنخالة . ومعلم : أى لا بناء يستر ولا تفاوت يرد البصر .

ولا تظنن أن تلك الأرض مثل أرض الدنيا بل لاتساويها إلا فى الاسم قال تعالى ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ﴾ . قال ابن عباس : يزداد فيها وينقص وتذهب أشجارها وجبالها وأوديتها وما فيها وتمد مد الأديم العكاظى ، أرض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة ، والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها . فانظر يامسكين فى هول ذلك اليوم وشدته ، فإنه إذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر ، وأظلمت الأرض لخمود سراجها . فبينا هم كذلك إذ دارت السماء من فوق رءوسهم وانشقت مع غلظها وشدتها خمسمائة عام ، والملائكة قيام على حافاتها وأرجائها فياهول صوت انشقاقها فى سمعك ويا هيبة ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها ! ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان ، وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن ، واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم حفاة عراة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان » قالت سودة - زوج النبى صلى الله عليه وسلم راوية الحديث - قلت يارسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض ؟ فقال « شغل الناس عن ذلك بهم ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ [2] » فأعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والالتفات . كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات إلى غيرهم ، قال أبو هريرة رضى الله عنه : : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف : ركبانا ومشاة وعلى وجوههم ، فقال رجل : يارسول الله وكيف يمشون على

(١) حديث « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقى ليس فيها معلم لأحد » متفق عليه من حديث سهل ابن سعد وفصل البخارى قوله « ليس فيها معلم لأحد » فجعلها من قول سهل أو غيره وأدرجها مسلم فيه .

(٢) حديث « يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان » قالت سودة راوية الحديث : واسوأتاه ... الحديث » أخرجه الثعلبى والبغوى وهو فى الصحيحين من حديث عائشة وهى القائلة « واسوأتاه » ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أم سلمة وهى القائلة « واسوأتاه » .

وجوههم ؟ قال « الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم [١] » ، فى طبع الآدمى إنكار كل مالم يأنس به ، ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهى تمشى على بطنها كالبرق الخاطف لأنكر تصوّر المشى على غير رجل ، والمشى بالرجل أيضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فإياك أن تنكر شيئا من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس مافى الدنيا ، فإنك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشدّ إنكارا لها ! فأحضر فى قلبك صورتك وأنت واقف عاريا مكشوفا ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتا منتظرا لما يجرى عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاوة وأعظم هذه الحال فإنها عظيمة .

صفة العرق

ثم تفكر فى ازدحام الخلائق واجتماعهم ، حتى ازدحم على الموقف أهل السموات السبع والأرضين السبع من ملك وجنّ وإنس وشيطان ووحش وسبع وطير ، فأشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرّها وتبدّلت عما كانت عليه من خفة أمرها ، ثم أدنيت من رءوس العالمين كقاب قوسين ، فلم يبق على الأرض ظل إلا ظل رب العالمين . ولم يمكن من الاستظلال به إلا المقرّبون ، فمن بين مستظل بالعرش وبين مضح لحرّ الشمس قد صهرته بحرها واشتدّ كربه وغمه من وهجها ، ثم تدافعت الخلائق ودفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الأقدام ، وانضاف إليه شدة الخجلة والحياء من الافتضاح والاختزاء عند العرض على جبار السماء ، فاجتمع وهج الشمس وحر الأنفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق من أصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة . ثم ارتفع على أبدانهم على قدر منازلهم عند الله ، فبعضهم بلغ العرق ركبتيه ، وبعضهم حقويه ، وبعضهم إلى شحمة أذنيه ، وبعضهم كاد يغيب فيه . قال ابن عمر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوم يقوم الناس لرب العالمين - حتى يغيب أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه [٢] » ، وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين باعا ويلجمهم ويبلغ أذقنهم [٣] » ، كذا رواه البخارى ومسلم فى الصحيح . وفى حديث آخر « قياما شاخصة أبصارهم أربعين سنة إلى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب [٤] » ، وقال عقبة بن عامر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس ، فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه - وأشار بيده فألجمها فاه - ومنهم من يغطيه العرق - وضرب بيده على رأسه هكذا [٥] » ، فتأمل يامسكين فى عرق أهل المحشر وشدة كربهم ، وفيهم من ينادى فيقول رب أرحنى من هذا الكرب والانتظار ولو إلى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فإنك واحد منهم ولا تدرى إلى أين يبلغ بك العرق ؟

---

(١) حديث أبى هريرة « يحشر الناس يوم القيامة ركبانا ومشاة وعلى وجوههم ... الحديث » رواه الترمذى وحسنه وفى الصحيحين من حديث أنس : أن رجلا قال : يانبى الله ، كيف يحشر الكافر على وجهه ؟ قال « أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة » . (٢) حديث ابن عمر « يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحه الى أنصاف أذنيه » متفق عليه . (٣) حديث أبى هريرة « يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين ذراعا ... الحديث » أخرجاه فى الصحيحين كما ذكره المصنف . (٤) حديث « قياما شاخصة أبصارهم أربعين سنة الى السماء يلجمهم العرق من شدة الكرب » أخرجه ابن عدى من حديث ابن مسعود وفيه أبو طيبة عيسى بن سليمان الجرجانى ضعفه ابن معين وقال ابن عدى لاأظن أنه كان يتعمد الكذب لكن لعله تشبه عليه . (٥) حديث عقبة بن عامر « تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس فمنهم من يبلغ عرقه عقبه ... الحديث » رواه أحمد وفيه ابن لهيعة .

واعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب فى سبيل الله ـ من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد فى قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة فى أمر بمعروف ونهى عن منكر ـ فسيخرجه الحياء والخوف فى صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق فى تحمل مصاعب الطاعات أهون أمرا وأقصر زمانا من عرق الكرب والانتظار فى القيامة ، فإنه يوم عظيمة شدّته طويلة مدته .

صفة طول يوم القيامة

يوم تقف فيه الخلائق شاخصة أبصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر فى أمورهم ، يقفون ثلثمائة عام لا يأكلون فيه أكلة ولا يشربون فيه شربة ولا يجدون فيه روح نسيم . قال كعب وقتادة ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ قال : يقومون مقدار ثلثمائة عام . بل قال عبدالله بن عمرو ، تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قال « كيف بكم إذا جمعكم الله كما تجمع النبل فى الكنانة خمسين ألف سنة ولا ينظر إليكم [1] » وقال الحسن : ماظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لا يأكلون فيها أكلة ولا يشربون فيها شربة ، حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشا واحترقت أجوافهم جوعا انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرّها واشتدّ لفحها ، فلما بلغ المجهود منهم مالا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضا فى طلب من يكلّم على مولاه ليشفع فى حقهم ، فلم يتعلقوا بنبى إلا دفعهم وقال : دعونى ! نفسى نفسى ؟ شغلنى أمرى عن أمر غيرى . واعتذر كل واحد بشدّة غضب الله تعالى وقال : قد غضب اليوم ربنا غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ، حتى يشفع نبينا صلى الله عليه وسلم لمن يؤذن له فيه ﴿ لا يملكون الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا ﴾ فتأمل فى طول هذا اليوم وشدّة الانتظار فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصى فى عمرك المختصر .

واعلم أنّ من طال انتظاره فى الدنيا للموت لشدّة مقاساته للصبر عن الشهوات فإنه يقصر انتظاره فى ذلك اليوم خاصة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال « والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها فى الدنيا [2] » فاجتهد أن تكون من أولئك المؤمنين فما دام يبقى لك نفس من عمرك فالأمر إليك والاستعداد بيديك ، فاعمل فى أيام قصار لأيام طوال تربح ربحا لامنتهى لسروره ، واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة آلاف سنة ، فإنك لو صبرت سبعة آلاف سنة مثلا لتخلص من يوم مقداره خمسون ألفا لكان ربحك كثيرا وتعبك يسيرا .

صفة يوم القيامة ودواهيه وأساميه

فاستعدّ يامسكين لهذا اليوم العظيم شأنه ، المديد زمانه ، القاهر سلطانه ، القريب أوانه ، يوم ترى السماء فيه قد انفطرت ، والكواكب من هوله قد انتثرت ، والنجوم الزواهر قد انكدرت ، والشمس قد كوّرت ، والجبال قد

---

(١) حديث ابن عمر . تلا هذه الآية (يوم يقوم الناس لرب العالمين) ثم قال « كيف بكم اذا جمعكم الله كما يجمع النبل فى الكنانة خمسين ألف سنة لاينظر اليكم » قلت : إنما هو عبد الله بن عمر ورواه الطبرانى فى الكبير وفيه عبد الرحمن بن ميسرة ولم يذكر له ابن أبى حاتم راويا غير ابن وهب ولم يغير عبدالرحمن بن ميسرة الحضرمى أربعة هذا أحدهم مصرى والثلاثة الآخرون شاميون .

(٢) حديث : سئل عن طول ذلك اليوم فقال « والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها فى الدنيا » أخرجه أبو يعلى والبيهقى فى الشعب من حديث أبى سعيد الخدرى وفيه ابن لهيعة وقد رواه ابن وهب عن عمرو بن الحارث بدل ابن لهيعة وهو حسن ولأبى يعلى من حديث أبى هريرة بإسناد جيد « يهون ذلك على المؤمن كتدلى الشمس للغروب الى أن تغرب ورواه البيهقى فى الشعب إلى أن قال أظنه رفعه بلفظ « إن الله ليخفف على من يشاء من عباده طوله كوقت صلاة مفروضة » .

سيرت ، والعشار قد عطلت ، والوحوش قد حشرت ، والبحار قد سجرت ، والنفوس إلى الأبدان قد زوجت ، والجحيم قدسعرت ، والجنة قد أزلفت ، والجبال قد نسفت ، والأرض قد مدت ، يوم ترى الأرض قدزلزلت فيه زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم ، يوم تحمل الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ، فيومئذوقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ، والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ، يوم تسير الجبال وترى الأرض بارزة ، يوم ترج الأرض فيه رجا وتبس الجبال بسا فكانت هباء منبثا ، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش ، يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ، يوم تنسف فيه الجبال نسفا فتترك قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا أمتا ، يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ، يوم تنشق فيه السماء فتكون وردة كالدهان ، فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان ، يوم يمنع فيه العاصي من الكلام ، ولا يسئل فيه عن الأجرام بل يؤخذ بالنواصي والأقدام ، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ، يوم تعلم فيه كل نفس ما أحضرت وتشهد ماقدمت وأخرت يوم تخرس فيه الألسن وتنطق الجوارح يوم شيب ذكره سيد المرسلين إذ قال له الصديق رضي الله عنه : أراك قد شبت يا رسول الله قال « شيبتني هود وأخواتها [1] » وهي الواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت ، فيا أيها القارئ العاجز إنما حظك من قراءتك أن تجمجم القرآن وتحرك به اللسان ، ولو كنت متفكرا فيما تقرؤه لكنت جديرا بأن تنشق مرارتك مماشاب منه شعر سيد المرسلين ، وإذاقنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القرآن ، فالقيامة أحد ما ذكر فيه . وقد وصف الله بعض دواهيها وأكثر من أساميها لتقف بكثرة أساميها على كثرة معانيها ، فليس المقصود بكثرة الأسامي تكرير الأسامي والألقاب بل الغرض تنبيه أولي الألباب ، فتحت كل اسم من أسماء القيامة سر وفي كل نعت من نعوتها معنى ، فاحرص على معرفه معانيها .

ونحن الآن نجمع لك أساميها . وهي : يوم القيامة ويوم الحسرة ويوم الندامة ويوم المحاسبة ويوم المساءلة ويوم المسابقة ويوم المناقشة ويوم المنافسة ويوم الزلزلة ويوم الدمدمة ويوم الصاعقة ويوم الواقعة ويوم القارعة ويوم الراجفة ويوم الرادفة ويوم الغاشية ويوم الداهية ويوم الآزفة ويوم الحاقة ويوم الطامة ويوم الصاخة ويوم التلاق ويوم الفراق ويوم المساق ويوم القصاص ويوم التناد ويوم الحساب ويوم المآب ويوم العذاب ويوم الفرار ويوم القرار ويوم اللقاء ويوم البقاء ويوم القضاء ويوم الجزاء ويوم البلاء ويوم البكاء ويوم الحشر ويوم الوعيد ويوم العرض ويوم الوزن ويوم الحق ويوم الحكم ويوم الفصل ويوم الجمع ويوم البعث ويوم الفتح ويوم الخزي ويوم عظيم ويوم عقيم ويوم عسير ويوم الدين ويوم اليقين ويوم النشور ويوم المصير ويوم النفخة ويوم الصيحة ويوم الرجفه ويوم الرجة ويوم الزجرة ويوم السكرة ويوم الفزع ويوم المنتهى ويوم الجزع ويوم المأوى ويوم الميقات ويوم الميعاد ويوم المرصاد ويوم القلق ويوم العرق ويوم الافتقار ويوم الانكدار ويوم الانتشار ويوم الانشقاق ويوم الوقوف ويوم الخروج ويوم الخلود ويوم التغابن ويوم عبوس ويوم معلوم ويوم الساعة ويوم مشهود ويوم لاريب فيه ويوم تبلى فيه السرائر ويوم لا تجزى نفس عن نفس شيئا ويوم تشخص فيه الأبصار ويوم

(١) حديث « شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت » أخرجه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه وقد تقدم .

لا يغني مولى عن مولى شيئا ويوم لا تملك نفس لنفس شيئا ويوم يدعون إلى نار جهنم دعا ويوم يسحبون فى النار على وجوههم ويوم تقلب وجوههم فى النار ويوم لا يجزى والد عن ولده ويوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ويوم لاينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون يوم لامرد له من الله يوم هم بارزون ويوم هم على النار يفتنون يوم لاينفع مال ولا بنون يوم لاينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار . يوم ترد فيه المعاذير وتبلى السرائر وتظهر الضمائر وتكشف الأستار . يوم تخشع فيه الأبصار ، وتسكن الأصوات ويقل فيه الالتفات ، وتبرز الخفيات وتظهر الخطيئات ، يوم يساق العباد ومعهم الأشهاد ، ويشيب الصغير ويسكر الكبير . فيومئذ وضعت الموازين ونشرت الدواوين ، وبرزت الجحيم وأغلى الحميم ، وزفرت النار ويئس الكفار ، وسعرت النيران وتغيرت الألوان ، وخرس اللسان ونطقت جوارح الإنسان .

فيا أيها الإنسان ماغرك بربك الكريم ، حيث أغلقت الأبواب وأرخيت الستور ، واستترت عن الخلائق فقارفت الفجور ، فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك ؟ فالويل كل الويل لنا معشر الغافلين ، يرسل الله لنا سيد المرسلين وينزل عليه الكتاب المبين ، ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين ، ثم يعرفنا غفلتنا ويقول ﴿ اقترب الناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ﴾ ثم يعرفنا قرب القيامة فيقول ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر - إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا - وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ﴾ ثم يكون أحسن أحوالنا أن نتخذ دراسة هذا القرآن عملا فلا نتدبر معانيه ولا ننظر فى كثرة أوصاف هذا اليوم وأساميه ولا نستعد للتخلص من دواهيه . فنعوذ بالله من هذه الغفلة إن لم يداركنا الله بواسع رحمته.

صفة المساءلة

ثم تفكر يامسكين بعد هذه الأحوال فيما يتوجه عليك من السؤال شفاها من غير ترجمان ، فتسئل عن القليل والكثير والنقير والقطمير . فبينا أنت فى كرب القيامة وعرقها وشدة عظائمها إذ نزلت ملائكة من أرجاء السماء بأجسام عظام وأشخاص ضخام غلاظ شداد أمروا أن يأخذوا بنواصى المجرمين إلى موقف العرض على الجبار . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله عز وجل ملكا مابين شفرى عينيه مسيرة مائة عام[1] » فما ظنك بنفسك إذا شاهدت مثلا هؤلاء الملائكة أرسلوا إليك ليأخذوك إلى مقام العرض ، وتراهم على عظم أشخاصهم منكسرين لشدة اليوم مستشعرين مما بدا من غضب الجبار على عباده . وعند نزولهم لايبقى نبى ولاصديق ولاصالح إلا ويخرون لأذقانهم خوفا من أن يكونوا هم المأخوذين . فهذا حال المقربين فماظنك بالعصاة المجرمين ؟ وعند ذلك يبادر أقوام من شدة الفزع فيقولون للملائكة : أفيكم ربنا ؟ وذلك لعظم موكبهم وشدة هيبتهم فتفزع الملائكة من سؤالهم إجلالا لخالقهم عن أن يكون فيهم ، فنادوا بأصواتهم منزهين لمليكهم عما توهمه أهل الأرض وقالوا : سبحان ربنا ماهو فينا ولكنه آت من بعد ! وعند ذلك تقوم الملائكة صفا محدقين بالخلائق من الجوانب وعلى جميعهم شعار الذل والخضوع وهيئة الخوف والمهابة لشدة اليوم .

وعند ذلك يصدق الله تعالى قوله ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴾ وقوله ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾ فيبدأ سبحانه بالأنبياء ﴿ يوم يجمع الله الرسل فيقول

(١) حديث « إن لله عزوجل ملكا مابين شفرى عينيه مسيرة مائة عام » لم أره بهذا اللفظ .

ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب ﴾ فيا لشدة يوم تذهل فيه عقول الأنبياء وتنمحى علومهم من شدة الهيبة ؛ إذ يقال لهم : ما أجبتم وقد أرسلتم إلى الخلائق وكانوا قد علموا فتدهش عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون ، فيقولون من شدة الهيبة : لاعلم لنا إنك أنت علام الغيوب . وهم فى ذلك الوقت صادقون إذ طارت منهم العقول وانمحت العلوم إلى أن يقويهم الله تعالى ، فيدعى نوح عليه السلام فيقال له : هل بلغت ، فيقول : نعم ، فيقال لأمته : هل بلغكم ؟ فيقولون : ماأتانا من نذير . ويؤتى بعيسى عليه السلام فيقول الله تعالى له ﴿ أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ﴾ فيبقى متشحطا تحت هيبة هذا السؤال سنين ، فيالعظم يوم تقام فيه السياسة على الأنبياء بمثل هذا السؤال . ثم تقبل الملائكة فينادون واحدا واحدا يافلان بن فلانة هلم إلى موقف العرض . وعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول ، ويتمنى أقوام أن يذهب بهم إلى النار ولا تعرض قبائح أعمالهم على الجبار . ولا يكشف سترهم على ملأ الخلائق .

وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش ﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ﴾ وأيقن كل عبد بإقبال الجبار لمساءلة العباد ، وظن كل واحد أنه مايراه أحد سواه وأنه المأخوذ بالأخذ والسؤال دون من عداه ، فيقول الجبار سبحانه وتعالى عند ذلك : ياجبريل ائتنى بالنار ، فيجىء بها جبريل ويقول : ياجهنم أجبى خالقك ومليكك ، فيصادفها جبريل على غيظها وغضبها ، فلم يلبث بعد ندائها أن ثارت وفارت وزفرت إلى الخلائق وشهقت وسمع الخلائق تغيظها وزفيرها ، وانتهضت خزنتها متوثبة إلى الخلائق غضبا على من عصى الله تعالى وخالف أمره ، فأخطر ببالك وأحضر فى قلبك حالة قلوب العباد وقد امتلأت فزعا ورعبا فتساقطوا جثيا على الركب ، وولوا مدبرين يوم ﴿ ترى كل أمة جاثية ﴾ وسقط بعضهم على الوجوه منكبين وينادى العصاة والظالمون بالويل والثبور ، وينادى الصديقون نفسى نفسى . فبينما هم كذلك إذ زفرت الناس زفرتها الثانية فتضاعف خوفهم وتخاذلت قواهم وظنوا أنهم مأخوذون ، ثم زفرت الثالثة فتساقط الخلائق على وجوههم وشخصوا بأبصارهم ينظرون من طرف خفى خاشع ، وانهضمت عند ذلك قلوب الظالمين فبلغت الحناجر كاظمين ، وذهلت العقول من السعداء والأشقياء أجمعين .

وبعد ذلك أقبل الله تعالى على الرسل وقال ماذا أجبتم ، فإذا رأوا ماقد أقيم من السياسة على الأنبياء اشتد الفزع على العصاة ، ففر الوالد من ولده والأخ من أخيه والزوج من زوجته ، وبقى كل واحد منتظرا لأمره . ثم يؤخذ واحد واحد فيسأله الله تعالى شفاها عن قليل عمله وكثيره وعن سره وعلانيته وعن جميع جوارحه وأعضائه ، قال أبو هريرة قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال « هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليس دونها سحاب » قالوا لا ، قال « فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب » قالوا لا ، قال « فوالذى نفسى بيده لاتضارون فى رؤية ربكم ؛ فيلقى العبد فيقول له ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع ، فيقول العبد بلى ؛ فيقول أظننت أنك ملاقى فيقول لا فيقول فأنا أنساك كما نسيتنى[1] » فتوهم نفسك يا مسكين وقد أخذت الملائكة بعضديك وأنت واقف بين يدى الله تعالى يسألك شفاها ، فيقول لك . ألم أنعم عليك بالشباب ففيماذا أبليته ، ألم أمهل لك فى العمر ففيماذا أفنيته ، ألم أرزقك المال فمن أين اكتسبته وفيماذا أنفقته ، ألم أكرمك بالعلم فماذا عملت فيما علمت . فكيف ترى حياءك وخجلتك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك وأياديه ومساويك ، فإن أنكرت شهدت عليك جوارحك قال أنس رضى الله عنه كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أبي هريرة : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال « هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليس دونها سحاب ... الحديث » متفق عليه دون قوله « فيلقى العبد ... الخ » فانفرد بها مسلم .

فضحك ثم قال « أتدرون مم أضحك » قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال « من مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تجرنى من الظلم ، قال « يقول بلى » قال « فيقول فإنى لاأجيز على نفسى إلا شاهدا منى فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا ، قال « فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقى » قال « فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول لأعضائه بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل [1] » فنعوذ بالله من الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الأعضاء ، إلا أن الله تعالى وعد المؤمن بأن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره . سأل ابن عمر رجل فقال له : كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى ؟ فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول إنى سترتها عليك فى الدنيا وإنى أغفرها لك اليوم [2] » وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة [3] » فهذا إنما يرجى لعبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتمل فى حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك لسانه بذكر مساويهم ولم يذكرهم فى غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه ، فهذا جدير بأن يجازى بمثله فى القيامة ، وهب أنه قد ستره عن غيرك أليس قد قرع سمعك النداء إلى العرض ؟ فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك ، إذ يؤخذ بناصيتك فتقاد وفؤادك مضطرب ولبك طائر وفرائصك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من شدة الهول مظلم ، فقدر نفسك وأنت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتخرق الصفوف وتقاد كانقاد الفرس المجنوب وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم ، فتوهم نفسك أنك فى أيدى الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن فرموك من أيديهم وناداك الله سبحانه وتعالى بعظيم كلامه : ياابن آدم ادن منى ، فدنوت منه بقلب خافق محزون وجل وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر ، وأعطيت كتابك الذى لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فكم من فاحشة نسيتها فتذكرتها ؟ وكم من طاعة غفلت عن آفاتها فانكشف لك عن مساويها ؟ فكم لك من خجل وجبن ؟ وكم لك من حصر وعجز ؟ فليت شعرى بأى قدم تقف بين يديه وبأى لسان تجيب وبأى قلب تعقل ماتقول؟ ثم تفكر فى عظم حيائك إذا ذكرك ذنوبك شفاها إذ يقول : ياعبدى ؟ أما استحييت منى فبارزتنى بالقبيح واستحييت من خلقى فأظهرت لهم الجميل ، أكنت أهون عليك من سائر عبادى ، استخففت بنظرى إليك فلم تكترث واستعظمت نظر غيرى ، ألم أنعم عليك : فماذا غرك بى أظننت أنى لا أراك وأنك لاتلقانى . قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « ما منكم من أحد إلا ويسأله الله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان [4] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليقفن أحدكم بين يدى الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب فيقول له ألم أنعم عليك ألم أوتك مالا فيقول بلى فيقول ألم أرسل إليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار ، فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة [5] » وقاله ابن مسعود : مامنكم من أحد إلا سيخلو الله عز وجل به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ، ثم يقول ياابن آدم ما غرك بى يا ابن آدم ماعملت فيما علمت ياابن آدم ماذا أجبت المرسلين ياابن آدم ألم أكن رقيبا على عينك وأنت تنظر بها إلى ما لا يحل

---

(١) حديث أنس « أتدرون مم أضحك ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال « من مخاطبة العبد ربه ... الحديث » رواه مسلم

(٢) حديث : سأل ابن عمر رجل فقال : كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى ... الحديث » رواه مسلم . (٣) حديث « من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة » تقدم .

(٤) حديث « مامنكم من أحد إلا ويسأله رب العالمين ... الحديث » متفق عليه من حديث ابن عدى عن أبى حاتم بلفظ « إلا سيكلمه » الحديث . (٥) حديث « ليقفن أحدكم بين يدى الله تعالى ليس بينه وبينه ترجمان ... الحديث » أخرجه البخارى من حديث عدى بن حاتم .

لك ألم أكن رقيبا على أذنيك ، وهكذا حتى عد سائر أعضائه ، وقال مجاهد : لاتزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدى الله عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال : عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه ماعمل فيه ، وعن جسده فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيماذا أنفقه ؟ فأعظم يامسكين بحيائك عند ذلك بخطرك فإنك بين أن يقال لك سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم - فعند ذلك يعظم سرورك وفرحك ويغبطك الأولون والآخرون - وإما أن يقال للملائكة خذوا هذا العبد السوء فغلوه ثم الجحيم صلوه - وعند ذلك لو بكت السموات والأرض عليك لكان ذلك جديرا بعظم مصيبتك وشدة حسرتك على مافرطت فيه من طاعة الله وعلى مابعت آخرتك من دنيا دنيئة لم تبق معك ! .

صفة الميزان

ثم لاتغفل عن الفكر فى الميزان وتطاير الكتب إلى الأيمان والشمائل ، فإن الناس بعد السؤال ثلاث فرق (فرقة) ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق أسود فيلقطهم لقط الطير الحب وينطوى عليهم ويلقيهم فى النار ، فتبتلعهم النار وينادى عليهم شقاوة لاسعادة بعدها (وقسم آخر) لاسيئة لهم فينادى مناد ليقم الحامدون لله على كل حال ؛ فيقومون ويسرحون إلى الجنة ، ثم يفعل ذلك بأهل قيام الليل ، ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله تعالى . وينادى عليهم سعادة لاشقاوة بعدها (ويبقى قسم ثالث) وهم الأكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله تعالى أن الغالب حسناتهم أو سيئاتهم ، ولكن يأبى الله إلا أن يعرفهم ذلك ليبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب ، فتتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيئات وينصب الميزان وتشخص الأبصار إلى الكتب أتقع فى اليمين أو فى الشمال ؟ ثم إلى لسان الميزان أيميل إلى جانب السيئات أو إلى جانب الحسنات ؟ وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق . وروى الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأسه فى حجر عائشة رضى الله عنها فنعس ، فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها فنقط على خد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتبه فقال « مايبكيك يا عائشة ؟ » قالت : ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ قال « والذى نفسى بيده فى ثلاث مواطن فإن أحدا لايذكر إلا نفسه : إذا وضعت الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل . وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ كتابه أو بشماله ، وعند الصراط [1] » وعن أنس « يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتى الميزان ويوكل به ملك . فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لايشقى بعدها أبدا ، وإن خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقى فلان شقاوة لايسعد بعدها أبدا . وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار إلى النار » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم القيامة « إنه يوم ينادى الله تعالى فيه آدم عليه السلام فيقول له قم يا آدم فابعث بعث النار فيقول وكم بعث النار؟ فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون » فلما سمع الصحابة ذلك أبلسوا حتى ماأوضحوا بضاحكة ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عند أصحابه قال « اعملوا وأبشروا فوالذى نفس محمد بيده إن معكم لخليقتين ما كانتا مع أحد قط إلا كثرتاه مع من هلك من بنى آدم وبنى إبليس » قالوا وما هما يا رسول الله ؟ قال « يأجوج ومأجوج » قال : فسرى عن القوم فقال « اعملوا وأبشروا فوالذى نفس

---

(١) حديث الحسن : أن عائشة ذكرت الآخرة فبكت ... الحديث » وفيه : فقال « مايبكيك ياعائشة » قالت : ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة ... الحديث » أخرجه أبو داود من رواية الحسن : أنها ذكرت النار فبكت فقال « مايبكيك » دون كون رأسه صلى الله عليه وسلم فى حجرها وأنه نعس ولاسناده جيد .

محمد بيده ماأنتم فى الناس يوم القيامة إلا كالشامة فى جنب البعير أو كالرقة فى ذراع الدابه [1] »

صفة الخصماء ورد المظالم

قد عرفت هول الميزان وخطره وأن الأعين شاخصة إلى لسان الميزان ﴿ فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ماهيه نار حامية ﴾ واعلم أنه لاينجو من خطر الميزان إلا من حاسب فى الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع أعماله وأقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر رضى الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل توزنوا . وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا ويتدارك مافرط من تقصيره فى فرائض الله تعالى ، ويرد المظالم حبة بعد حبة ، ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ، ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه مظلمة ولا فريضة . فهذا يدخل الجنة بغير حساب، وإن مات قبل ردّ المظالم أحاط به خصماؤه ، فهذا يأخذ بيده ، وهذا يقبض على ناصيته ، وهذا يتعلق بلبيه ، هذا يقول ظلمتنى ، وهذا يقول شتمتنى ، وهذا يقول استهزأت بى ، وهذا يقول ذكرتنى فى الغيبة بما يسوءنى ، وهذا يقول جاورتنى فأسأت جوارى ، وهذا يقول عاملتنى فغششتنى ، وهذا يقول بايعتنى فغبنتنى وأخفيت عنى عيب سلعتك ، وهذا يقول كذبت فى سعر متاعك ، وهذا يقول رأيتنى محتاجا وكنت غنيا فما أطعمتنى ، وهذا يقول وجدتنى مظلوما وكنت قادرا على دفع الظلم عنى فداهنت الظالم وماراعيتنى . فبينا أنت كذلك وقد انشب الخصماء فيك مخالبهم وأحكموا فى تلابيبك أيديهم وأنت مبهوت متحير من كثرتهم - حتى لم يبق فى عمرك أحد عاملته على درهم أو جالسته فى مجلس إلا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة أو خيانة أو نظر بعين استحقار ، وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم - إذ قرع سمعك نداء الجبار جل جلاله ﴿ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ﴾ فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار ، وتتذكر ما أنذرك الله تعالى على لسان رسوله حيث قال ﴿ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعى رءوسهم لايرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء وأنذر الناس ﴾ الآية

فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم ! وما أشد حسراتك فى ذلك اليوم إذا وقف ربك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السياسة وأنت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على أن ترد حقا أو تظهر عذرا ؟ فعند ذلك تؤخذ حسناتك التى تعبت فيها عمرك وتنقل إلى خصمائك عوضا عن حقوقهم . قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل تدرون من المفلس » قلنا : المفلس فينا يا رسول الله من لادرهم له ولا دينار ولا متاع ، قال « المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ماعليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار [2] » فانظر إلى مصيبتك فى مثل هذا اليوم إذ ليس يسلم لك حسنة من آفات الرياء ومكايد الشيطان ، فإن سلمت حسنة واحدة فى كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها ، ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل ، لعلمت أنه لاينقضى عنك يوم إلا ويجرى

(١) حديث « يقول الله يا آدم قم فابعث بعث النار فيقول : وكم بعث النار ؟ فيقول من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعون ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدرى ورواه البخارى من حديث أبى هريرة نحوه وقد تقدم .

(٢) حديث أبى هريرة « هل تدرون من المفلس ؟ » قالوا : المفلس يارسول الله من لادرهم له ولامتاع ... الحديث . تقدم

على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفى جميع حسناتك ! فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات ؟ وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء من القرناء ؟ فقد روى أبو ذر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين ينتطحان فقال « ياأبا ذر أتدرى فيم ينتطحان ؟ » قلت : لا ، قال « ولكن الله يدرى وسيقضى بينهما يوم القيامة [1] » .

وقال أبو هريرة في قوله عز وجل ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴾ أنه يحشر الخلق كلهم يوم القيامة - البهائم والدواب والطير وكل شيء - فيبلغ من عدل الله تعالى أن يأخذ للجماء من القرناء ، ثم يقول كونى ترابا ، فذلك حين يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا . فكنت أنت يامسكين في يوم ترى صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك فتقول : أين حسناتى ؟ فيقال : نقلت إلى صحيفة خصمائك . وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبك واشتد بسبب الكف عنها عناؤك فتقول : يارب هذه سيئات ماقارفتها قط ! فيقال هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملة .

قال ابن مسعود : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان قد يئس أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهى الموبقات ، فاتقوا الظلم ما استطعتم فإن العبد ليجيء يوم القيامة بأمثال الجبال من الطاعات فيرى أنهن سينجينه فمايزال عبد يجيء فيقول رب إن فلانا ظلمنى بمظلمة فيقول اخ من حسناته فمايزال كذلك حتى لايبقى له من حسناته شيء ، وإن مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الأرض ليس معهم حطب فتفرق القوم فحطبوا فلم يلبثوا أن أعظموا نارهم وصنعوا ما أرادوا [2] » وكذلك الذنوب ولما نزل قوله تعالى ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ قال الزبير : يارسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب ! قال « نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا إلى كل ذى حق حقه [3] » قال الزبير : والله إن الأمر لشديد . فأعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم ! قال أنس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يحشر الله العباد عراة غبرا بهما » قال : قلنا : مابهما ؟ قال ليس معهم شيء ، ثم يناديهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك أنا الديان لاينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عليه مظلمة حتى أقتصه منه ، ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولأحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى أقتصه منه ؛ حتى اللطمة » قلنا : وكيف وإنما نأتى الله عز وجل عراة غبرا بهما ! فقال « بالحسنات والسيئات [4] » فاتقوا الله عباد الله ، ومظالم العباد بأخذ أموالهم

---

(١) حديث « ياأبا ذر أتدرى فيم ينتطحان » قلت : لا ، قال « ولكن ربك يدرى وسيقضى بينهما » أخرجه أحمد من رواية أشياخ لم يسموا عن أبى ذر .

(٢) حديث ابن مسعود « إن الشيطان قد أيس أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن سيرضى منكم بما دون ذلك المحقرات وهى الموبقات ... الحديث » وفى آخره « وإن مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة ... الحديث » رواه أحمد والبيهقى في الشعب مقتصرا على آخره « إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه » وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلا ... الحديث . وإسناده جيد فأما أول الحديث فرواه مسلم مختصرا من حديث جابر « إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم » . (٣) حديث : لما نزل قوله تعالى ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ قال الزبير : يارسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا ... الحديث . أخرجه أحمد واللفظ له والترمذى من حديث الزبير وقال حسن صحيح . (٤) حديث أنس « يحشر العباد عراة غبرا بهما » قلنا : مابهما ؟ قال « ليس معهم شيء ... الحديث » قلت : ليس من حديث أنس وإنما هو عبيد الله بن أنيس رواه أحمد بإسناد حسن وقال « غرلا » مكان « غبرا » .

والتعرض لأعراضهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق فى معاشرتهم ، فإن ما بين العبد وبين الله خاصة فالمغفرة إليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الإخلاص بحيث لا يطلع عليه إلا الله ، فعساه يقربه ذلك إلى الله تعالى فينال به لطفه الذى ادخره لأحبابه المؤمنين فى دفع مظالم العباد عنهم ، كما روى عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر : ما يضحكك يا رسول الله بأبى أنت وأمى ؟ قال « رجلان من أمتى جثيا بين يدى رب العزة فقال أحدهما : يارب خذلى مظلمتى من أخى ، فقال الله تعالى : أعط أخاك مظلمته قال : يارب لم يبق من حسناته شىء فقال الله تعالى للطالب : كيف تصنع ولم يبق من حسناته شىء قال : يارب يتحمل عنى من أوزارى » قال : وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال « إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم » قال « فقال الله للطالب ارفع رأسك فانظر فى الجنان فرفع رأسه فقال : يارب أرى مدائن من فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لأى نبى هذا أو لأى صديق هذا ؟ أو لأى شهيد هذا ؟ قال لمن أعطانى الثمن ، قال : يارب ومن يملك ثمنه ؟ قال : أنت تملكه ، قال : وماهو ؟ قال عفوك عن أخيك ، قال : يارب إنى قد عفوت عنه ، قال الله تعالى : خذ بيد أخيك فأدخلها الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك « اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين [1] » وهذا تنبيه على أن ذلك إنما ينال بالتخلق بأخلاق الله وهو إصلاح ذات البين وسائر الأخلاق .

فتفكر الآن فى نفسك إن خلت صحيفتك عن المظالم أو تلطف لك حتى عفا عنك وأيقنت بسعادة الأبد ؛ كيف يكون سرورك فى منصرفك من مفصل القضاء وقد خلع عليك خلعة الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وبنعيم لا يدور بحواشيه الفناء ؟ وعند ذلك طار قلبك سرورا وفرحا وابيض وجهك واستنار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر ، فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعا رأسك خاليا عن الأوزار ظهرك ، ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلألأ من جبينك ، وخلق الأولين والآخرين ينظرون إليك وإلى حالك وينبطونك فى حسنك وجمالك ، والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون على رءوس الأشهاد : هذا فلان بن فلان رضى الله عنه وأرضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا ! أفترى أن هذا المنصب ليس بأعظم من المكانة التى تنالها فى قلوب الخلق فى الدنيا برياءك ومداهنتك وتصنعك وتزينك ؟ فإن كنت تعلم أنه خير منه بل لا نسبة له إليه فتوسل إلى إدراك هذه الرتبة بالإخلاص الصافى والنية الصادقة فى معاملتك مع الله فلن تدرك ذلك إلا به .

وإن تكن الأخرى والعياذ بالله بأن خرج من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة وهى عند الله عظيمة فمقتك لأجلها فقال : عليك لعنتى ياعبد السوء لا أتقبل منك عبادتك ، فلا تسمع هذا النداء إلا ويسود وجهك ، ثم تغضب الملائكة لغضب الله تعالى فيقولون : وعليك لعنتنا ولعنة الخلائق أجمعين ، وعند ذلك تنثال إليك الزبانية وقد غضبت لغضب خالقها فأقدمت عليك بفظاظتها وزمارتها وصورها المنكرة ، فأخذوا بناصيتك يسحبونك على وجهك على ملأ الخلق وهم ينظرون إلى اسوداد وجهك وإلى ظهور خزيك ، وأنت تنادى بالويل والثبور ، وهم يقولون لك : لا تدع اليوم ثبورا واحدا وادع ثبورا كثيرا وتنادى الملائكة ويقولون : هذا فلان بن فلان

(١) حديث أنس : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر : ما أضحكك يارسول الله بأبى أنت وأمى ؟ قال « رجلان من أمتى جثيا بين يدى رب العالمين ... الحديث بطوله أخرجه ابن أبى الدنيا فى حسن الظن بالله والحاكم فى المستدرك وقد تقدم .

كشف الله عن فضائحه ومخازيه ولعنه بقبائح مساويه فشق شقاوة لايسعد بعدها أبدا ، وربما يكون ذلك بذنب أذنبته خفية من عباد الله أو طلبا للمكانة فى قلوبهم أو خوفا من الافتضاح عندهم ، فما أعظم جهلك إذ تحترز عن الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله فى الدنيا المنقرضة ثم لاتخشى من الافتضاح العظيم فى ذلك الملأ العظيم مع التعرض لسخط الله وعقابه الأليم والسياق بأيدى الزبانية إلى سواء الجحيم ، فهذه أحوالك وأنت لم تشعر بالخطر الأعظم وهو خطر الصراط .

صفة الصراط

ثم تفكر بعد هذه الأهوال فى قول الله تعالى ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا ﴾ وفى قوله تعالى ﴿ فاهدوهم إلى صراط الجحيم . وقفوهم إنهم مسئولون ﴾ فالناس من بعد هذه الأهوال يساقون إلى الصراط ـ وهو جسر ممدود على متن النار أحد من السيف وأدق من الشعر ـ فمن استقام فى هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة فى الدنيا وأثقل ظهره بالأوزار وعصى تعثر فى أول قدم من الصراط وتردى . فتفكر الآن فيما يحل من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ، ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها ، وقد كلفت أن تمشى على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك عن المشى على بساط الأرض فضلا عن حدة الصراط ، فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك فأحسست بحدته ، واضطررت إلى أن ترفع القدم الثانية والخلائق بين يديك يزلون ويتعثرون ، وتتنازلهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب ، وأنت تنظر إليهم كيف يتنكسون فتتسفل إلى جهة النار رءوسهم وتعلوا أرجلهم ، فياله من منظر ماأفظعه ومرتقى ماأصعبه ومجاز ماأضيقه ! فانظر إلى حالك وأنت تزحف عليه وتصعد إليه وأنت مثقل الظهر بأوزارك ، تلتفت يمينا وشمالا إلى الخلق وهم يتهافتون فى النار والرسول عليه السلام يقول « يا رب سلم سلم » والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت إليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلائق ، فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك ؟ فناديت بالويل والثبور وقلت : هذا ما كنت أخافه فياليتنى قدمت لحياتى ! ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ! ياويلتا ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا ! ياليتنى كنت ترابا ! ياليتنى كنت نسيا منسيا ! ياليت أمى لم تلدنى ! وعند ذلك تختطفك النيران ـ والعياذ بالله ـ وينادى المنادى ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ فلا يبقى سبيل إلا الصياح والأنين والتنفس والاستغاثة ، فكيف ترى الآن عقلك وهذه الأخطار بين يديك ؟ فإن كنت غير مؤمن بذلك فما أطول مقامك مع الكفار فى دركات جهنم ! وإن كنت به مؤمنا وعنه غافلا وبالاستعداد له متهاونا فما أعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك إيمانك إذا لم يبعثك على السعى فى طلب رضا الله تعالى بطاعته وترك معاصيه افلو لم يكن بين يديك إلا هول الصراط وارتياع قلبك من خطر الجواز عليه ـ وإن سلمت ـ فناهيك به هولا وفزعا ورعبا ! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فأكون أول من يجيز بأمته من الرسل ، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم اللهم سلم ، وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان ؟ » قالوا : نعم يارسول الله قال « فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لايعلم قدر عظمها إلا الله تعالى تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو [1] » وقال أبو سعيد الخدرى: قال رسول الله

(١) حديث « ينصب الصراط بين ظهرى جهنم فأكون أول من يجيز » متفق عليه من حديث أبى هريرة فى أثناء حديث طويل

صلى الله عليه وسلم ، يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تختطف الناس يمينا وشمالا وعلى جنبتيه ملائكة يقولون : اللهم سلم اللهم سلم فمن الناس من يمر مثل البرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس الجرى ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يمشى مشيا ومنهم من يحبو حبوا ومنهم من يرحف زحفا ، فأما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون ولا يحيون ، وأما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحما ثم يؤذن فى الشفاعة [1] » وذكر إلى آخر الحديث : وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء » وذكر الحديث إلى أن ذكر وقت سجود المؤمنين قال « ثم يقول للمؤمنين ارفعوا رءوسكم فيرفعون رءوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على إبهام قدمه فيضئ مرة ويخبو مرة فإذا أضاء قدم قدمه فمشى وإذا أظلم قام » ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم « فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذى أعطى نوره على إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تجر منه يد وتعلق أخرى وتعلق رجل وتجر أخرى وتصيب جوانبه النار » قال « فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد أعطانى الله مالم يعط أحدا إذ نجانى منها بعد إذ رأيتها فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل [2] وقال أنس بن مالك : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الصراط كحد السيف أو كحد الشعرة وإن الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وإن جبريل عليه السلام لآخذ بحجزتى وإنى لأقول يارب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ كثير [3] » .

فهذه أهوال الصراط وعظائمه ، فطول فيه فكرك فإن أسلم الناس من أهوال يوم القيامة من طال فيها فكره فى الدنيا ، فإن الله لا يجمع بين خوفين على عبد ، فمن خاف هذه الأهوال فى الدنيا أمنها فى الآخرة . ولست أعنى بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينك ويرق قلبك حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود إلى لهوك ولعبك ؟ فماذا من الخوف فى شىء ؟ بل من خاف شيئا هرب منه ، ومن رجا شيئا طلبه . فلا ينجيك إلا خوف يمنعك عن معاصى الله تعالى ويحثك على طاعته . وأبعد من رقة النساء خوف الحمق إذا سمعوا الأهوال سبق إلى ألسنتهم الاستعاذة فقال أحدهم : استعنت بالله نعوذ بالله اللهم سلم سلم . وهم مع ذلك مصرون على المعاصى التى هى سبب هلاكهم . فالشيطان يضحك من استعاذتهم . كما يضحك على من يقصده سبع ضار فى صحراء ووراءه حصن ، فإذا رأى أنياب السبع وصولته من بعد قال بلسانه : أعوذ بهذا الحصن الحصين وأستعين بشدة بنيانه وإحكام أركانه ؟ فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد فى مكانه فأنى يغنى عنه ذلك من السبع . وكذلك أهوال الآخرة ليس لها حصن إلا قول « لا إله إلا الله » صادقا ومعنى صدقه أن لا يكون له مقصود سوى الله تعالى ولا معبود غيره . ومن اتخذ إلهه هواه فهو

---

(١) حديث أبى سعيد « يحشر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف . . الحديث » متفق عليه مع اختلاف ألفاظ

(٢) حديث ابن مسعود « يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء » قال : وذكر الحديث إلى ذكر سجود المؤمنين الحديث بطوله رواه ابن عدى والحاكم وقد تقدم بعضه مختصرا .

(٣) حديث أنس « الصراط كحد السيف ــ أو كحد الشعرة ... الحديث » أخرجه البيهقى فى الشعب وقال هذا اسناد ضعيف قال وروى عن زياد النميرى عن أنس مرفوعا « الصراط كحد الشعرة ــ أو كحد السيف » قال وهى رواية صحيحة انتهى ورواه أحمد من حديث عائشة وفيه ابن لهيعة .

بعيد من الصدق فى توحيده وأمره مخطر فى نفسه ، فإن عجزت عن ذلك كله فكن محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على تعظيم سننه ومتشوقا إلى مراعاة قلوب الصالحين من أمته ومتبركا بأدعيتهم فعساك أن تنال من شفاعته أو شفاعتهم فتنجو بالشفاعة إن كنت قليل البضاعة .

صفة الشفاعة

أعلم أنه إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الأنبياء والصديقين ، بل شفاعة العلماء والصالحين ، وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة فإن له شفاعة فى أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه ، فكن حريصا على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة ، وذلك بأن لاتحقر آدميا أصلا فإن الله تعالى خبأ ولايته فى عباده فلعل الذى تزدريه عينك هو ولى الله ، ولاتستصغر معصية أصلا فإن الله تعالى خبأ غضبه فى معاصيه فلعل مقت الله فيه ، ولاتستحقر أصلا طاعة فإن الله تعالى خبأ رضاه فى طاعته فلعل رضاه فيه . ولو الكلمة الطيبة أو النية الحسنة أو ما يجرى مجراه .

وشواهد الشفاعة فى القرآن والأخبار كثيرة : قال الله تعالى ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ روى عمرو ابن العاص : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم عليه السلام ﴿ رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم ﴾ وقول عيسى عليه السلام ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك ﴾ ثم رفع يديه وقال « أمتى أمتى » ثم بكى فقال الله عز وجل : يا جبريل اذهب إلى محمد فسله ما يبكيك ، فأتاه جبريل فسأله فأخبره - والله أعلم به - فقال : ياجبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك [1] وقال صلى الله عليه وسلم « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى وجعلت لى الأرض مسجدا وترابها طهورا فأينما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل وأعطيت الشفاعة ، وكل نبى بعث إلى قومه خاصه وبعثت إلى الناس عامة [2] » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر » وقال صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم ولا فخر وأنا أول من تنشق الأرض عنه وأنا أول شافع وأول مشفع بيدى لواء الحمد تحته آدم فمن دونه [3] » وقال صلى الله عليه وسلم « لكل نبى دعوة مستجابة فأريد أن أختبئ دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة [4] » وقال ابن عباس رضى الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينصب للأنبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ، ويبقى منبرى لا أجلس عليه قائما بين يدى ربى منتصبا مخافة أن يبعث بى إلى الجنة وتبقى أمتى بعدى ، فأقول : يارب أمتى فيقول الله عز وجل : يامحمد وماتريد أن أصنع بأمتك فأقول : يارب عجل حسابهم فما أزال أشفع حتى أعطى صكاكا برجال قد بعث بهم

---

(١) حديث عمرو بن العاص : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم صلى الله عليه وسلم ﴿ رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم ﴾ وقول عيسى صلى الله عليه وسلم ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك ﴾ ثم رفع يديه ، ثم قال « أمتى أمتى » ثم بكى ... الحديث . وفيه : ياجبريل اذهب الى محمد فقل : إنا سنرضيك ولانسوءك فى أمتك ، قلت ليس هو من حديث عمرو بن العاص وإنما هو من حديث ابنه عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه مسلم ولعله سقط من الإحياء ذكر عبد الله من بعض النساخ . (٢) حديث « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى ... الحديث » وفيه « وأعطيت الشفاعة » متفق عليه من حديث جابر « إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر » أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى بن كعب قال الترمذى حسن صحيح . (٣) حديث « أنا سيد ولد آدم ولا فخر ... الحديث » أخرجه الترمذى وقال حسن وابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى . (٤) حديث « لكل نبى دعوة مستجابة فأريد أن أختبئ دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة » متفق عليه من حديث أنس ورواه مسلم من حديث أبى هريرة .

إلى النار وحتى إن مالكا خازن النار يقول : يامحمد ما تركت للنار لغضب ربك فى أمتك من بقية [1] ، وقال صلى الله تعالى عليه وسلم « إنى لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر [2] » وقال أبو هريرة أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال « أنا سيد المرسلين يوم القيامة ، وهل تدرون مم ذلك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو الشمس فبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ، فيقول الناس بعضهم لبعض : ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : عليكم بآدم عليه السلام فيأتون آدم فيقولون له : أنت أبو البشر خلقك الله تعالى بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم آدم عليه السلام : إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنه قد نهانى عن الشجرة فعصيته ؛ نفسى نفسى ! اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نوح . فيأتون نوحا عليه السلام فيقولون : يانوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى مانحن فيه ؟ فيقول إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لى دعوة دعوتها على قومى ؛ نفسى نفسى ! اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى إبراهيم خليل الله . فيأتون إبراهيم خليل الله عليه السلام فيقولون : أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى مانحن فيه ؟ فيقول لهم : إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنى كنت كذبت ثلاث كذبات ويذكرهما ؛ نفسى نفسى ! اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى موسى . فيأتون موسى عليه السلام فيقولون : ياموسى أنت رسول الله فضلك برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى مانحن فيه ؟ فيقول : إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنى قتلت نفسا لم أومر بقتلها ؛ نفسى نفسى ! اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى عيسى عليه السلام . فيأتون عيسى فيقولون : ياعيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس فى المهد اشفع لنا إلى ربك ألا ترى مانحن فيه ؟ فيقول عيسى عليه السلام : إن ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذنبا ؛ نفسى نفسى ! اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم . فيأتونى فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم النبيين وغفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى مانحن فيه ؟ فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجدا لربى ، ثم يفتح الله لى من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلى ، ثم يقال : يامحمد ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع ، فأرفع رأسى فأقول : أمتى أمتى يارب ؛ فقال : يامحمد أدخل من أمتك من لاحساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب » ثم قال « والذى نفسى بيده إن بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة وبصرى [3] » وفى حديث آخر . هذا السياق بعينه مع ذكر خطايا إبراهيم ؛ وهو قوله فى الكواكب هذا ربى ، وقوله لآلهتهم بل فعله كبيرهم هذا ، وقوله

---

(١) حديث ابن عباس « ينصب للأنبياء منابر من ذهب يجلسون عليها ويبقى منبرى لاأجلس عليه قائما بين يدى ربى مخافة ... الحديث » أخرجه الطبرانى فى الأوسط وفى إسناده محمد بن ثابت والبنانى ضعيف . (٢) حديث « إنى لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر » أخرجه أحمد والطبرانى من حديث بريدة بسند حسن .

(٣) حديث أبى هريرة : أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بلحم فرفع إليه الذراع وكان يعجبه فنهش منها نهشة ثم قال « أنا سيد الناس ... الحديث بطوله فى الشفاعة » قال وفى حديث آخر هذا السياق مع ذكر خطايا إبراهيم متفق عليه وهذه الرواية الثانية أخرجها مسلم .

إنى سقيم . فهذه شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولآحاد أمته من العلماء والصالحين شفاعة أيضا حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من ربيعة ومضر [1] » وقال صلى الله عليه وسلم يقال للرجل قم يافلان فاشفع فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة ولأهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله [2] » وقال أنس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ رجلا من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول : يافلان هل تعرفنى ؟ فيقول : لاوالله ما أعرفك من أنت ؟ فيقول : أنا الذى مررت بى فى الدنيا فاستسقيتنى شربة ماء فسقيتك ، قال : قد عرفت ، قال : فاشفع لى بها عند ربك ! فيسأل الله تعالى ذكره ويقول إنى أشرفت على أهل النار فنادانى رجل من أهلها فقال : هل تعرفنى ؟ فقلت : لا من أنت ؟ فقال : أنا الذى استسقيتنى فى الدنيا فسقيتك فاشفع لى عند ربك فشفعنى فيه ، فيشفعه الله فيه فيؤمر به فيخرج من النار [3] » وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا يئسوا ، لواء الحمد يومئذ بيدى وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر [4] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنى أقوم بين يدى ربى عز وجل فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى [5] » وقال ابن عباس رضى الله عنهما : جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم : عجبا إنّ الله عز وجل اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابراهيم خليلا ! وقال آخر : ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليما ! وقال آخر : فعيسى كلمة الله وروحه ! وقال آخر : آدم اصطفاه الله ، فخرج عليهم صلى الله عليه وسلم فسلم وقال « قد سمعت كلامكم وتعجبكم إنّ إبراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجى الله وهو كذلك وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله تعالى وهو كذلك ، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فأدخلها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر [6] » .

صفة الحوض

اعلم أنّ الحوض مكرمة عظيمة خص الله بها نبينا صلى الله عليه وسلم وقد اشتملت الأخبار على وصفه ، ونحن

---

(١) حديث « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من ربيعة ومضر » رويناه فى جزء أبى عمر بن السماك من حديث أبى أمامة إلا أنه قال « مثل أحد الحيين ربيعة ومضر » وفيه : فكأن المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان واسناده حسن والترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث عبد الله بن أبى الجدعا « يدخل الجنة بشفاعة الرجل من أمتى أكثر من بنى تميم » قالوا : سواك قال « سواى » قال الترمذى حسن صحيح وقال الحاكم صحيح قيل أراد بالرجل أويسا .

(٢) حديث « يقال للرجل قم يافلان فاشفع فيقوم يشفع للقبيلة ولأهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله » أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد « ان من أمتى من يشفع للفئام ومنهم من يشفع للقبيلة ... الحديث » وقال حسن والبزار من حديث أنس ان الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة » . (٣) حديث أنس « ان رجلا من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول : يافلان هل تعرفنى ؟ فيقول : لاوالله ماأعرفك من أنت ؟ فيقول : أنا الذى مررت بى فى الدنيا يوما فاستسقيتنى شربة فسقيتك ... الحديث » فى شفاعته فيه واخراجه من النار . أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس بسند ضعيف . (٤) حديث أنس « أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا ... الحديث » أخرجه الترمذى . وقال حسن غريب .

(٥) حديث « فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ... الحديث » أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال حسن غريب صحيح . (٦) حديث ابن عباس : جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا : إن الله اتخذ من خلقه خليلا اتخذ إبراهيم خليلا ... الحديث . رواه الترمذى وقال غريب .

نرجو أن يرزقنا الله تعالى فى الدنيا علمه وفى الآخرة ذوقه ، فإن من صفاته أنّ من شرب منه لم يظمأ أبدا . قال أنس : أغفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إغفاءة فرفع رأسه متبسما فقالوا له : يارسول الله لم ضحكت ؟ فقال « آية أنزلت على آنفا » وقرأ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم - إنا أعطيناك الكوثر ﴾ حتى ختمها ثم قال « هل تدرون ما الكوثر ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال « إنه نهر وعدنيه ربى عز وجل فى الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء [1] » وقال أنس : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « بينما أنا أسير فى الجنة إذا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوّف قلت : ماهذا ياجبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى أعطاك ربك فضرب الملك بيده فإذا طينه مسك أذفر [2] » وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مابين لابتى حوضى مثل مابين المدينة وصنعاء - أو مثل مابين المدينة وعمان - [3] » وروى ابن عمر : أنه لما نزل قوله تعالى ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هو نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ، شرابه أشدّ بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب ريحا من المسك يجرى على جنادل اللؤلؤ والمرجان [4] » وقال ثوبان - مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ حوضى مابين عدن إلى عمان البلقان ماؤه أشدّ بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأكوابه عدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ، أوّل الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين » فقال عمر بن الخطاب : ومن هم يارسول الله ؟ قال « هم الشعث رءوسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد [5] » فقال عمر بن عبد العزيز : والله لقد نكحت المتنعمات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لى أبواب السدد إلا أن يرحمنى الله ، لا جرم لا أدهن رأسى حتى يشعث ولا أغسل ثوبى الذى على جسدى حتى يتسخ . وعن أبى ذرّ قال : قلت يارسول الله ما آنية الحوض ؟ قال « والذى نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها فى الليلة المظلمة المصحية ، من شرب منه لم يظمأ آخر ماعليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله مابين عمان وأيلة ، ماؤه أشدّ بياضا من اللبن وأحلى من العسل [6] » وعن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ لكل نبى حوضا وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة وإنى لأرجو أن أكون أكثرهم واردة [7] » فهذا رجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فليرج كل عبد أن يكون فى جملة الواردين ، وليحذر أن يكون متمنيا ومغترا وهو يظن أنه راج ، فإنّ الراجى للحصاد من بث البذر ونقى الأرض وسقاها الماء ثم جلس يرجو فضل الله بالإنبات ودفع الصواعق إلى أوان الحصاد ، فأما من ترك الحراثة أو الزراعة وتنقية الأرض وسقيها وأخذ يرجو من فضل الله أن ينبت له الحب والفاكهة فهذ مغترومتمن

---

(١) حديث أنس . أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة فرفع رأسه متبسما فقالوا له يارسول الله لم ضحكت ؟ فقال « آية نزلت على آنفا » وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ انا أعطيناك الكوثر ﴾ رواه مسلم . (٢) حديث أنس « بينما أنا أسير فى الجنة اذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف ... الحديث » أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح ورواه البخارى من قول أنس: لما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم الى السماء . . الحديث . وهو مرفوع وان لم يكن صرح به عن النبى صلى الله عليه وسلم .

(٣) حديث أنس « مابين لأبتى حوضى مثل مابين المدينة وصنعاء أو مثل مابين المدينة مابين المدينة وعمان » رواه مسلم .

(٤) حديث ابن عمر : لما نزل قوله تعالى ﴿ انا أعطيناك الكوثر ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هو نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ... الحديث » أخرجه الترمذى مع اختلاف لفظ وقال حسن صحيح ورواه الدارمى فى مسنده وهو أقرب الى لفظ المصنف . (٥) حديث ثوبان « ان حوضى مابين عدن إلى عمان البلقاء ... الحديث أخرجه الترمذى وقال غريب وابن ماجه .

(٦) حديث أبى ذر : قلت يارسول الله ما آنية الحوض ؟ قال « والذى نفسى بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء ... الحديث » رواه مسلم . (٧) حديث سمرة « ان لكل نبى حوضا وانهم ليتباهون أيهم أكثر واردة ... الحديث » أخرجه الترمذى وقال غريب قال روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح .

وليس من الراجين فى شىء ، وهكذا رجاء أكثر الخلق وهو غرور الحمق نعوذ بالله من الغرور والغفلة فإن الاغترار بالله أعظم من الاغترار بالدنيا قال الله تعالى ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ .

القول فى صفة جهنم وأهوالها وأنكالها

يا أيها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال ؛ دع التفكر فيما أنت مرتحل عنه واصرف الفكر إلى موردك فإنك أخبرت بأن النار مورد للجميع إذ قيل : ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ فأنت من الورود على يقين ومن النجاة فى شك ، فاستشعر فى قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه ، وتأمل فى حال الخلائق وقد قاسوا من دواهى القيامة ماقاسوا ، فبينما هم فى كربها وأهوالها وقوفا ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب ، وأظلت عليهم نار ذات لهب ، وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب ، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الأمم على الركب حتى أشفق البرءاء من سوء المنقلب . وخرج المنادى من الزبانية قائلا : أين فلان بن فلان المسوف نفسه فى الدنيا بطول الأمل المضيع عمره فى سوء العمل ؟ فيبادرونه بمقامع حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد ، وينكسونه فى قعر الجحيم ويقولون له ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ فأسكنوا دارا ضيقة الأرجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك ، يخلد فيها الأسير ويوقد فيها السعير ، شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم ، الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم ، أمانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك ، قد شدت أقدامهم إلى النواصى واسودت وجوههم من ظلمة المعاصى ، ينادون من أكنافها ويصيحون فى نواحيها وأطرافها : يامالك قد حق علينا الوعيد يامالك قد أثقلنا الحديد يامالك قد نضجت منا الجلود يامالك أخرجنا منها فإنا لانعود . فتقول الزبانية : هيهات لات حين أمان ! ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسئوا فيها ولا تكلمون ، ولو أخرجتم منها لكنتم إلى ما نهيتم عنه تعودون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا فى جنب الله يتأسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف ، بل يكبون على وجوههم مغلولين ، النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم ، فهم غرقى فى النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار ، فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل ، فهم يتجلجلون فى مضايقها ويتحطمون فى دركاتها ويضطربون بين غواشيها ، تغلى بهم النار كغلى القدور ويهتفون بالويل والعويل . ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رءوسهم الحميم يصهر به مافى بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيتفجر الصديد من أفواههم وتتقطع من العطش أكبادهم ، وتسيل على الخدود أحداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الأطراف شعورها بل جلودها ، وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها ، قد عريت من اللحم عظامهم فبقيت الأرواح منوطة بالعروق وعلائق العصب وهى تنش فى لفح تلك النيران ، وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون ! فكيف بك لو نظرت إليهم وقد سودت وجوههم أشد سوادا من الحميم ، وأعميت أبصارهم ، وابكمت ألسنتهم ، وقصمت ظهورهم ، وكسرت عظامهم ، وجدعت آذانهم ، ومزقت جلودهم ، وغلت أيديهم إلى أعناقهم ، وجمع بين نواصيهم وأقدامهم . وهم يمشون على النار بوجوههم ويطأون حسك الحديد بأحداقهم ، فلهيب النار سار فى بواطن أجزائها وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم . هذا بعض جملة أحوالهم . وانظر الآن فى تفصيل أهوالهم وتفكر أيضا فى أودية جهنم وشعابها فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم

« إن فى جهنم سبعين ألف وادفى كل واد سبعين ألف شعب فى كل شعب سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب لا ينتهى الكافر والمنافق حتى يوقع ذلك كله [١] » وقال على كرم الله وجهه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعوذوا بالله من جب الحزن ـ أو وادى الحزن » قيل يارسول الله وما وادى ـ أو جب ـ الحزن قال « واد فى جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله تعالى للقراء المرائين [٢] » فهذه سعة جهنم وانشعاب أوديتها وهى بحسب عدد أودية الدنيا وشهواتها . وعدد أبوابها بعدد الأعضاء السبعة التى بها يعصى العبد بعضها فوق بعض « الأعلى : جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السير ثم الجحيم ثم الهاوية » فانظر الآن فى عمق الهاوية فإنه لاحد لعمقها كما لاحد لعمق شهوات الدنيا ، فكما لاينتهى أرب من الدنيا إلا إلى أرب أعظم منه فلا تنتهى هاوية من جهنم إلا إلى هاوية أعمق منها . قال أبو هريرة : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتدرون ماهذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال « هذا حجر أرسل فى جهنم منذ سبعين عاما الآن انتهى إلى قعرها [٣] » .

ثم انظر إلى تفاوت الدركات فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ، فكما أن إكباب الناس على الدنيا يتفاوت فمن منهمك مستكثر كالغريق فيها ، ومن خائض فيها إلى حد محدود ، فكذلك تناول النار لهم متفاوت فإن الله لايظلم مثقال ذرة . فلا ترادف أنواع العذاب على كل من فى النار كيفما كان ، بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه ، إلا أن أقلهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ماهو فيه ماهو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه [٤] » فانظر الآن إلى من خفف عليه واعتبر بمن شدد عليه . ومهما تشككت فى شدة عذاب النار فقرب أصبعك من النار وقس ذلك به . ثم اعلم أنك أخطأت فى القياس فإن نار الدنيا لاتناسب نار جهنم ، ولكن لما كان أشد عذاب فى الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيهات ! لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين هربا مما هم فيه . وعن هذا عبر فى بعض الأخبار حيث قيل « إن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقها أهل الدنيا [٥] بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة نار جهنم فقال « أمر الله تعالى أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليه ألف عام حتى ابيضت ثم أوقد عليه ألف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة [٦] » وقال صلى الله عليه وسلم « اشتكت النار إلى ربها فقالت يارب أكل بعضى بعضا فأذن لها فى نفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فأشد مانجدونه فى الصيف من حرها وأشد ماتجدونه فى الشتاء من زمهريرها [٧] »

---

(١) حديث « إن فى جهنم سبعين ألف واد فى كل واد سبعون ألف شعب فى كل شعب سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب لاينتهى الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله » لم أجده هكذا بجملته وسيأتى بعده ماورد فى ذكر الحيات والعقارب .

(٢) حديث على : تعوذوا بالله من جب الحزن ـ أو وادى الحزن .. الحديث » رواه ابن عدى بلفظ « وادى الحزن » وقال باطل وأبو نعيم والأصبهانى بسند ضعيف ورواه الترمذى وقال غريب وابن ماجه من حديث أبى هريرة بلفظ « جب الحزن » وضعفه ابن عدى وتقدم فى ذم الجاه والرياء . (٣) حديث أبى هريرة : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة ... الحديث » وفيه « هذا حجر أرسل فى جهنم ... الحديث » رواه مسلم . (٤) حديث « إن أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة من ينتعل بنعلين من نار ... الحديث » متفق عليه من حديث النعمان بن بشير . (٥) حديث « إن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقها أهل الدنيا » ذكر ابن عبد البر من حديث ابن عباس « وهذه النار قد ضربت بماء البحر سبع مرات ولولا ذلك ما انتفع بها أحد » والبزار من حديث أنس وهو ضعيف « وما وصلت إليكم » حتى أحسبه قال « اضحت بالماء فتضىء عليكم » . (٦) حديث « أمر الله ان يوقد على النار ألف عام حتى احمرت ... الحديث » تقدم . (٧) حديث « اشتكت النار الى ربها فقالت يارب أكل بعضى بعضا ، فأذن لها بنفسين ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة .

وقال أنس بن مالك : يؤتى بأنعم الناس فى الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه فى النار غمسة ثم يقال له هل رأيت نعيما قط فيقال : لا ، ويؤتى بأشد الناس ضرا فى الدنيا فيقال اغمسوه فى الجنة غمسة ثم يقال له : هل رأيت ضرا قط؟ فيقول : لا وقال أبو هريرة : لو كان فى المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لماتوا . وقد قال بعض العلماء فى قوله ﴿ تلفح وجوههم النار ﴾ إنها لفحتهم لفحة واحدة فما أبقت لحما على عظم إلا ألقته عند أعقابهم .

ثم انظر بعد هذا فى نتن الصديد الذى يسيل من أبدانهم حتى يغرقون فيه وهو الغساق : قال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن دلوا من غساق جهنم ألقى فى الدنيا لأنتن أهل الأرض [1] » فهذا شرابهم إذا استغاثوا من العطش فيسقى أحرهم من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا .

ثم انظر إلى طعامهم وهو الزقوم كما قال الله تعالى ﴿ ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم ﴾ وقال تعالى ﴿ إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رءوس الشياطين فإنها لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم ﴾ وقال تعالى ﴿ تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ﴾ وقال تعالى ﴿ إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما ﴾ وقال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى بحار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معايشهم [2] » فكيف من يكون طعامه ذلك ؟ وقال أنس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ارغبوا فيما رغبكم الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم ، فإنه لو كانت قطرة من الجنة معكم فى دنياكم التى أنتم فيها طيبتها لكم ، ولو كانت قطرة من النار معكم فى دنياكم التى أنتم فيها خبثتها عليكم [3] » وقال أبو الدرداء : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع ويستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غصة ، فيذكرون كما كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بشراب فيستغيثون بشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد ، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم ، فإذا دخل الشراب بطونهم قطع ما فى بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم ، قال : فيدعون خزنة جهنم ﴿ أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال ﴾ قال « فيقولون ادعوا مالكا فيدعون فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك » قال « فيجيبهم إنكم ماكثون [4] » قال الأعمش : أنبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام قال : فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ﴿ ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ﴾ قال : فيجيبهم ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ قال :

---

(١) حديث أبى سعيد الخدرى « لو أن دلوا من غساق ألقى فى الدنيا لأنتن أهل الأرض » أخرجه الترمذى وقال إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد وفيه ضعف . (٢) حديث ابن عباس « لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا أفسدت على أهل الأرض معاشهم ... الحديث » أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح وابن ماجه . (٣) حديث أنس « ارغبوا فيما رغبكم فيه واحذروا وخافوا مما خوفكم به من عذاب الله وعقابه من جهنم ... الحديث » لم أجد له إسنادا .

(٤) حديث أبى الدرداء « يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام . الحديث » أخرجه الترمذى من رواية سمرة بن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبى الدرداء ، قال الدارمى : والناس لا يعرفون هذا الحديث ، وإنما روى عن الأعمش عن سمرة بن عطية عن شهر عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قوله .

فعند ذلك يئسوا من كل خير ، وعند ذلك أخذوا فى الزفير والحسرة والويل . وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ﴿ ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ﴾ قال « يقرب إليه فيتكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه فوقعت فروة رأسه . فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره » يقول الله تعالى ﴿ وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ﴾ وقال تعالى ﴿ وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه ﴾ فهذه طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم [1]

فانظر الآن إلى حيات جهنم وعقاربها وإلى شدة سمومها وعظم أشخاصها وفظاظة منظرها وقد سلطت على أهلها وأغريت بهم ، فهى لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة ! قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهازمه - يعنى أشداقه - فيقول أنا مالك أنا كنزك » ثم تلا قوله تعالى ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله ... الآية ﴾ [2] وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « إنّ فى النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا ، وإن فيها لعقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا وهذه الحيات والعقارب إنما تسلط على من سلط عليه فى الدنيا البخل وسوء الخلق وإيذاء الناس ومن وقى ذلك وقى هذه الحيات فلم تمثل له [3] » ثم تفكر بعد هذا كله فى تعظيم أجسام أهل النار فإنّ الله تعالى يزيد فى أجسامهم طولا وعرضا حتى يتزايد عذابهم بسببه ، فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع أجزائها دفعة واحدة على التوالى ، قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله وسلم « ضرس الكافر فى النار مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث [4] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه [5] » وقال عليه السلام « إن الكافر ليجرّ لسانه فى سجين يوم القيامة يتواطؤه الناس [6] » ومع عظم الأجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجدّد جلودهم ولحومهم . قال الحسن فى قوله تعالى ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ﴾ قال تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة ، كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا .

ثم تفكر الآن فى بكاء أهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور ، فإن ذلك يسلط عليهم فى أول إلقائهم فى النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك [7] » وقال أنس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يرسل على أهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى فى وجوههم كهيئة الأخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت وما دام يؤذن لهم فى البكاء والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون أيضا من ذلك [8] » قال محمد بن

---

(١) حديث أبى أمامة فى قوله تعالى ﴿ ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ﴾ قال يقرب إليه ... الحديث أخرجه الترمذى وقال غريب . (٢) حديث أبى هريرة « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع ... الحديث » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة ومسلم من حديث جابر نحوه . (٣) حديث « إن فى النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة .. الحديث » أخرجه أحمد من رواية ابن لهيعة عن دراج عن عبد الله بن الحارث بن جزء .

(٤) حديث أبى هريرة « ضرس الكافر فى النار مثل أحد ... الحديث » رواه مسلم . (٥) حديث « شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه » أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد وقال حسن صحيح غريب .

(٦) حديث « إن الكافر ليجر لسانه فرسخين يوم القيامة يتواطؤه الناس » أخرجه الترمذى من رواية أبى المخارق عن ابن عمر وقال غريب وأبو المخارق لا يعرف . (٧) حديث « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود . (٨) حديث أنس « يرسل على أهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدموع ... الحديث » أخرجه ابن ماجه من رواية يزيد الرقاشى عن أنس والرقاشى ضعيف .

كعب : لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل فى أربعة فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدا يقولون ﴿ ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ﴾ فيقول الله تعالى مجيبا لهم ﴿ ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير ﴾ ثم يقولون ﴿ ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل ﴾ فيجيبهم الله تعالى ﴿ أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال ﴾ فيقولون ﴿ ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل به ﴾ فيجيبهم الله تعالى ﴿ أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴾ ثم يقولون ﴿ ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ﴾ فيجيبهم الله تعالى ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ فلا يتكلمون بعدها أبدا وذلك غاية شدة العذاب . قال مالك بن أنس رضى الله عنه : قال زيد بن أسلم فى قوله تعالى ﴿ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ﴾ قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا ﴿ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ويقال ياأهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت [1] » وعن الحسن قال : يخرج من النار رجل بعد ألف عام وليتنى كنت ذلك الرجل . ورؤى الحسن رضى الله عنه جالسا فى زاوية وهو يبكى فقيل له : لم تبكى ؟ فقال: أخشى أن يطرحنى فى النار ولا يبالى . فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة ، وتفصيل عمومها وأجزائها ومحنها وحسرتها لانهاية له ، فأعظم الأمور عليهم مع مايلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه ، مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة ؛ إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة فى الدنيا أياما قصيرة وكانت غير صافية ، بل كانت مكدرة منغصة فيقولون فى أنفسهم واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربنا ! وكيف لم نكلف أنفسنا الصبر أياما قلائل ولو صبرنا لكانت قد انقضت عنا أيامه وبقينا الآن فى جوار رب العالمين متنعمين بالرضا والرضوان ؟ فيالحسرة هؤلاء وقد فاتهم وبلوا بما بلوا به ولم يبق معهم شىء من نعيم الدنيا ولذاتها ، ثم إنهم لولم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتها لكنها تعرض عليهم . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة مارجع الأولون والآخرون بمثلها ، فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا ، فيقول الله تعالى ذاك أردت بكم كنتم إذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس بخلاف ماتعطونى من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابونى وأجللتم الناس ولم تجلونى وتركتم للناس ولم تتركوا لى فاليوم أذيقكم العذاب الأليم مع ماحرمتكم من الثواب المقيم [2] » وقال أحمد بن حرب : إن أحدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لايؤثر الجنة على النار . وقال عيسى عليه السلام : كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح . وقال داود : إلهى لاصبر لى على حر شمسك فكيف صبرى على حر نارك؟ ولا صبر لى على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك ؟ .

فانظر يامسكين فى هذه الأهوال واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها وخلق أهلا لايزيدون ولاينقصون وأن هذا أمر قد قضى وفرغ منه قال الله تعالى ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لايؤمنون ﴾

---

(١) حديث « يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح » أخرجه البخارى من حديث ابن عمر ومسلم من حديث أبى سعيد وقد تقدم . (٢) حديث « يؤمر يوم القيامة بناس من النار الى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا روائحها ... الحديث » رويناه فى الأربعين لأبى هدية عن أنس وأبو هدية إبراهيم بن هدية هالك .

ولعمرى الإشارة به يوم القيامة ، بل فى أزل ولكن أظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء ، فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدرى أن القضاء بماذا سبق فى حقك !

فإن قلت : فليت شعرى ماذا موردى وإلى ماذا مآلى ومرجعى وما الذى سبق به القضاء فى حقى ؟ فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها وهى أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك ، فإن كلا ميسر لما خلق له ، فإن كان قد يسر لك سبيل الخير فأبشر فإنك مبعد عن النار ، وإن كنت لاتقصد خيرا إلا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شرا إلا ويتيسر لك أسبابه فاعلم أنك مقضى عليك ، فإن دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار . فقد قال الله تعالى ﴿ إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم ﴾ فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين والله أعلم .

القول فى صفة الجنة وأصناف نعيمها

اعلم أن تلك الدار التى عرفت همومها وغمومها تقابلها دار أخرى ، فتأمل نعيمها وسرورها فإن من بعد من أحدهما استقر لا محالة فى الأخرى . فاستثر الخوف من قلبك بطول الفكر فى أهوال الجحيم واستثر الرجاء بطول الفكر فى النعيم المقيم الموعود لأهل الجنان ، وسق نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الأليم ، فتفكر فى أهل الجنة وفى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ، جالسين على منابر الياقوت الأحمر فى خيام من اللؤلؤ الرطب الأبيض فيها بسط من العبقرى الأخضر ، متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالخمر والعسل ، محفوفة بالغلمان والولدان ، مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كأنهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ، يمشين فى درجات الجنان إذا اختالت إحداهن فى مشيها حمل أعطافها سبعون ألفا من الولدان ، عليها من طرائف الحرير الأبيض ما تتحير فيه الأبصار ، مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان ، شكلات غنجات عطرات آمنات من الهرم والبؤس مقصورات فى الخيام فى قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان ، قاصرات الطرف عين ، ثم يطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين بيضاء لذة للشاربين ، ويطوف عليهم خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون ، فى مقام أمين فى جنات وعيون فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، ينظرون فيها إلى وجه الملك الكريم وقد أشرقت فى وجوههم نضرة النعيم ، لايرهقهم قتر ولاذلة بل عباد مكرمون وبأنواع التحف من ربهم يتعاهدون ، فهم فيما اشتهيت أنفسهم خالدون ، لايخافون فيها ولايحزنون ، وهم من ريب المنون آمنون ، فهم فيها يتنعمون ويأكلون من أطعمتها ، ويشربون من أنهارها لبنا وخمرا وعسلا فى أنهار أراضيها من فضة وحصباؤها مرجان ، وعلى أرض ترابها مسك أذفر ونباتها زعفران ، ويمطرون من سحاب فيها من ماء التسرين على كثبان الكافور ، ويؤتون بأكواب وأى أكواب بأكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج به السلسبيل العذب ، كوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته ، لم يصنعه آدمى فيقصر فى تسوية صنعته وتحسين صناعته ، فى كف خادم يحكى ضياء وجهه الشمس فى إشراقها ، ولكن من أين للشمس حلاوة مثل حلاوة صورته وحسن أصداغه وملاحة أحداقه . فيا عجبا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بأنه لا يموت أهلها ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها ولا تنظر الأحداث بعين التغيير إلى أهلها كيف يأنس بدار قد أذن الله فى خرابها ويتهنأ بعيش دونها ؟ والله لو لم يكن فيها إلا سلامة الأبدان مع الأمن

من الموت والجوع والعطش وسائر أصناف الحدثان لكان جديرا بأن يهجر الدنيا بسببها ! وأن لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغص من ضرورته ! كيف وأهلها ملوك آمنون وفى أنواع السرير ممتعون لهم فيها كل مايشتهون ، وهم فى كل يوم بفناء العرش يحضرون وإلى وجه الله الكريم ينظرون ، وينالون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه إلى سائر نعيم الجنان ولا يلتفتون ، وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم يترددون وهم من زوالها آمنون . قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينادى مناد يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا فذلك قوله عز وجل ﴿ ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ [1] » .

ومهما أردت أن تعرف صفة الجنة فاقرأ القرآن فليس وراء بيان الله تعالى بيان ، واقرأ من قوله تعالى ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ إلى آخر سورة الرحمن ، واقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور . وإن أردت أن تعرف تفصيل صفاتها من الأخبار فتأمل الآن تفصيلها بعد أن اطلعت على جملتها ، وتأمل أولا عدد الجنان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ قال « جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن [2] » ثم انظر إلى أبواب الجنة فإنها كثيرة بحسب أصول الطاعات ، كما أن أبواب النار بحسب أصول المعاصى . قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أنفق زوجين من ماله فى سبيل الله دعى من أبواب الجنة كلها وللجنة ثمانية أبواب ، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد » فقال أبو بكر رضى الله عنه والله ما على أحد من ضرورة من أيها دعى فهل يدعى أحد منها كلها ؟ قال « نعم ، وأرجو أن تكون منهم [3] » ، وعن عاصم بن ضمرة عن على كرم الله وجهه أنه ذكر النار فعظم أمرها ذكرا لا أحفظه ثم قال ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا ﴾ حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا إلى إحداهما كما أمروا به فشربوا منها فأذهبت ما فى بطونهم من أذى أو بأس ، ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تتغير أشعارهم بعدها أبدا ولا تشعث رءوسهم كأنما دهنوا بالدهان ، ثم انتهوا إلى الجنة فقال لهم خزنتها ﴿ سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾ ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما تطيف ولدان أهل الدنيا بالحبيب يقدم عليهم من غيبة ، يقولون له : أبشر أعد الله لك من الكرامة كذا ، قال : فينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول : قد جاء فلان - باسمه الذى كان يدعى به فى الدنيا - فتقول : أنت رأيته ؟ فيقول أنا رأيته وهو بأثرى ، فيستخفها الفرح حتى تقوم إلى أسكفة بابها ، فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنيانه فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أحمر وأخضر وأصفر من كل لون ، ثم يرفع رأسه فينظر إلى سقفه فإذا مثل البرق ولولا أن الله تعالى قدره لألم أن يذهب بصره ، ثم يطأطىء رأسه فإذا أزواجه ﴿ وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة ﴾ ثم اتكأ فقال ﴿ الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى

---

(١) حديث أبي هريرة « ينادى مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد . (٢) حديث « جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ... الحديث » متفق عليه من حديث أبي موسى . (٣) حديث أبي هريرة « من أنفق زوجين من ماله فى سبيل الله دعى من أبواب الجنة .. الحديث » متفق عليه .

لولا أن هدانا الله ﴾ ثم ينادى مناد : تحيون فلا تموتون أبدا وتقيمون فلا تظعنون أبدا وتصحون فلا تمرضون أبدا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آتى يوم القيامة باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول محمد فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك [1] » .

ثم تأمل الآن فى غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ، وكما أن بين الناس فى الطاعات الظاهرة والأخلاق الباطنة المحمودة تفاوتا ظاهرا فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر ، فإن كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى فقد أمرك الله بالمسابقة والمنافسة فيها فقال تعالى ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم ﴾ وقال تعالى ﴿ وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ والعجب أنه لو تقدم عليك أقرانك أو جيرانك بزيادة درهم أو بعلو بناء ثقل عليك ذلك وضاق به صدرك وتنغص بسبب الحسد عيشك ، وأحسن أحوالك أن تستقر فى الجنة وأنت لا تسلم فيها من أقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها ، فقد قال أبو سعيد الخدرى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما تتراءون الكوكب الغابر فى الأفق من المشرق إلى المغرب لتفاضل ما بينهم » قالوا : يارسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال « بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين [2] » وقال أيضا « إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع فى أفق من آفاق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما [3] » وقال جابر : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أحدثكم بغرف الجنة » قال : قلت بلى يارسول الله صلى الله عليك ، بأبينا أنت وأمنا قال « إن فى الجنة غرفا من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » قال : قلت يارسول الله ولمن هذه الغرف ؟ قال « لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام » قال : قلنا يارسول الله ومن يطيق ذلك ؟ قال « أمتى تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك ، من لقى أخاه فسلم عليه أو رد عليه فقد أفشى السلام ، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ، ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ، ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة فى جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام [4] » يعنى اليهود والنصارى والمجوس . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله ﴿ ومساكن طيبة فى جنات عدن ﴾ قال « قصور من لؤلؤ ، فى كل قصر سبعون دارا من ياقوت أحمر ، فى كل دار سبعون بيتا من زمرد أخضر ، فى كل بيت سرير ، على كل سرير سبعون فراشا من كل لون ، على كل فراش زوجة من الحور العين ، فى كل بيت سبعون مائدة . على كل مائدة سبعون لونا من الطعام ، فى كل بيت سبعون وصيفة ، ويعطى المؤمن فى كل غداة - يعنى من القوة - ما يأتى على ذلك أجمع [5] » .

---

(١) حديث « آتى يوم القيامة باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أنس .

(٢) حديث أبى سعيد « ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما تراءون الكوكب ... الحديث » متفق عليه وقد تقدم . (٣) حديث « إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما يرون النجم الطالع » رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى سعيد . (٤) حديث جابر « ألا أحدثكم بغرف الجنة » قلت : بلى يارسول الله بأبينا أنت وأمنا قال « إن فى الجنة غرفا من أصناف الجوهر ... الحديث » أخرجه أبو نعيم من رواية الحسن عن جابر . (٥) حديث : سئل عن قوله تعالى ﴿ ومساكن طيبة فى جنات عدن ﴾ قال « قصور من لؤلؤ ... الحديث » أخرجه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب العظمة والآجرى فى كتاب النصيحة من رواية الحسن بن خليفة عن الحسن قال : سألت أبا هريرة وعمران بن حصين فى هذه الآية ولا يصح والحسن ابن خليفة لم يعرفه ابن أبى حاتم ، والحسن البصرى لم يسمع من أبى هريرة على قول الجمهور .

صفة حائط الجنة وأراضيها وأشجارها وأنهارها

تأمل فى صورة الجنة وتفكر فى غبطة سكانها وفى حسرة من حرمها لقناعته بالدنيا عوضا عنها فقد قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك [1] » وسئل صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال « درمكة بيضاء مسك خالص [2] » وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سره أن يسقيه الله عز وجل الخمر فى الآخرة فليتركها فى الدنيا ، ومن سره أن يكسوه الله الحرير فى الآخرة فليتركه فى الدنيا [3] » وقال « أنهار الجنة تتفجر من تحت تلال ـ أو تحت جبال ـ المسك [4] » ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعها لكان ما يحليه الله عز وجل به فى الآخرة أفضل من حلية الدنيا جميعها [5] » وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها اقرءوا إن شئتم ﴿ وظل ممدود ﴾ [6] » وقال أبو أمامة : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : إنّ الله عز وجل ينفعنا بالأعراب ومسائلهم ؛ أقبل أعرابى فقال : يارسول الله قد ذكر الله فى القرآن شجرة مؤذية ، وما كنت أدرى أنّ فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما هى ؟ » قال : السدر فإنّ لها شوكا ، فقال « قد قال الله تعالى ﴿ فى سدر مخضود ﴾ يخضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم تنفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من الطعام ما منها لون يشبه الآخر [7] » وقال جرير بن عبد الله : نزلنا الصفاح فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه ، فقلت للغلام : انطلق بهذا النطع فأظله فانطلق فأظله فلما استيقظ فإذا هو سلمان فأتيته أسلم عليه فقال : يا جرير تواضع لله فإن من تواضع لله فى الدنيا رفعه الله يوم القيامة هل تدرى ما الظلمات يوم القيامة ؟ قلت : لا أدرى ! قال : ظلم الناس بعضهم بعضا ، ثم أخذ عويدا لا أكاد أراه من صغره فقال : يا جرير لو طلبت مثل هذا فى الجنة لم تجده ، قلت : يا أبا عبد الله فأين النخل والشجر ؟ قال : أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر .

صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وسررهم وأرائكهم وخيامهم

قال الله ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ﴾ والآيات فى ذلك كثيرة وإنما تفصيله فى الأخبار ؛ فقد روى أبو هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من يدخل الجنة ينعم لا يبأس لا تبلى

---

(١) حديث أبى هريرة « ان حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك » أخرجه الترمذى بلفظ « وملاطها المسك » وقال ليس اسناده بذلك القوى وليس عندى بمتصل ورواه البزار من حديث أبى سعيد بإسناد فيه مقال ورواه موقوفا عليه بإسناد صحيح . (٢) حديث : سئل عن تربة الجنة فقال « درمكة بيضاء مسك خالص » أخرجه مسلم من حديث أبى سعيد أن ابن صياد سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فذكره . (٣) حديث أبى هريرة « من سره أن يسقيه الله الخمر فى الآخرة فليتركها فى الدنيا ومن سره أن يكسوه الله الحرير فى الآخرة فليتركه فى الدنيا » أخرجه الطبرانى فى الاوسط بإسناد حسن وللنسائى بإسناد صحيح « من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة ومن شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة » .

(٤) حديث « أنهار الجنة تتفجر من تحت تلال ـ أو تحت جبال ـ المسك » أخرجه العقيلى فى الضعفاء من حديث أبى هريرة

(٥) حديث « لوكان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعها لكان ما يحليه الله به فى الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعها » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة بإسناد حسن . (٦) حديث « ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة . (٧) حديث أبى أمامة : أقبل أعرابى فقال يارسول الله قد ذكر الله فى القرآن شجرة مؤذية قال « ماهى » قال : السدر . . الحديث » أخرجه ابن المبارك فى الزهد عن صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر مرسلا من غير ذكر لأبى أمامة .

ثيابه ولا يفنى شبابه ، فى الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر عن قلب بشر [١] » وقال رجل : يارسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أخلق تخلق أم نسج تنسج ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك بعض القوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مم تضحكون ؟ من جاهل سأل عالما » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بل ينشق عنها ثمر الجنة مرتين [٢] » وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ أوّل زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون آنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة ورشحهم المسك ، لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشية » وفى رواية « على كل زوجة سبعون حلة [٣] » وقال صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ﴾ قال « إن عليهم التيجان إن أدنى لؤلؤة فيها تضىء مابين المشرق والمغرب [٤] » وقال صلى الله عليه وسلم « الخيمة درّة مجوّفة طولها فى السماء ستون ميلا فى كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون [٥] » رواه البخارى فى الصحيح قال ابن عباس : الخيمة درّة مجوّفة فرسخ فى فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب . وقال أبو سعيد الخدرى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ﴿ وفرش مرفوعة ﴾ قال : مابين الفراشين كما بين السماء والأرض [٦] » .

صفة طعام أهل الجنة

بيان طعام أهل الجنة مذكور فى القرآن من الفواكه والطيور السمان والمن والسلوى والعسل واللبن وأصناف كثيرة لاتحصى ، قال الله تعالى ﴿ كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ﴾ وذكر الله تعالى شراب أهل الجنة فى مواضع كثيرة ، وقد قال ثوبان ـ مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه حبر من أحبار اليهود فذكر أسئلة إلى أن قال : فمن أوّل إجازة ـ يعنى على الصراط ـ ؟ فقال « فقراء المهاجرين » قال اليهودى : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال « زيادة كبد الحوت » قال : فما غداؤهم على أثرها ؟ قال « ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل فى أطرافها » قال : فما شرابهم عليه ؟ قال « من عين فيها تسمى سلسبيلا » فقال : صدقت [١] وقال زيد بن أرقم : جاء رجل من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا أبا القاسم ألست تزعم أنّ أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ؟ وقال لأصحابه : إن أقرّ لى بها خصمته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بلى والذى نفسى بيده إن أحدهم ليعطى قوّة مائة رجل فى المطعم

---

(١) حديث أبى هريرة « من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس لاتبلى ثيابه .. الحديث » رواه مسلم دون قوله « فى الجنة مالا عين رأت .. الخ » فاتفق عليه الشيخان من حديث آخر لأبى هريرة « قال الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت .. الحديث » .

(٢) حديث : قال رجل يارسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أتخلق خلقا أم تنسج نسجا ... الحديث أخرجه النسائى من حديث عبد الله بن عمرو . (٣) حديث أبى هريرة « أول زمرة تدخل الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر ... الحديث » متفق عليه . (٤) حديث : فى قوله تعالى ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ﴾ قال « ان عليهم التيجان أدنى لؤلؤة فيها تضىء مابين المشرق والمغرب » أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد دون ذكر الآية وقال لانعرفه الا من حديث رشدين بن سعد .

(٥) حديث « الخيمة درة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلا ... الحديث » عزاه المصنف للبخارى وهو متفق عليه من حديث أبى موسى الأشعرى . (٦) حديث أبى سعيد فى قوله تعالى ﴿ وفرش مرفوعة ﴾ قال « مابين الفراشين كما بين السماء والأرض » أخرجه الترمذى بلفظ « ارتفاعها لكما بين السماء والأرض » وقال غريب لانعرفه الا من حديث رشدين بن سعد .

(٧) حديث ثوبان : جاء حبر من أحبار اليهود فذكر سؤاله الى أن قال : فمن أول الناس اجازة ؟ يعنى على الصراط فقال « فقراء المهاجرين » قال اليهودى : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال « زيادة كبد النون ... الحديث » رواه مسلم بزيادة فى أوله وآخره .

والمشرب والجماع ، فقال اليهودى : فإنّ الذى يأكل ويشرب يكون له الحاجة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك فإذا البطن قد ضمر [1] » وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا [2] » وقال حذيفة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ فى الجنة طيرا مثل البخاتى . قال أبو بكر رضى الله عنه : إنها لناعمة يا رسول الله ؟ قال أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر [3] » وقال عبد الله بن عمر فى قوله تعالى ﴿ يطاف عليهم بصحاف ﴾ قال : يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون ليس فى الأخرى مثله . وقال عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه ﴿ ومزاجه من تسنيم ﴾ قال : يمزج لأصحاب اليمين ويشربه المقربون صرفا . وقال لو أنّ رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها .

صفة الحور العين والولدان

قد تكرّر فى القرآن وصفهم ووردت الأخبار بزيادة شرح فيه . روى أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « غدوة فى سبيل الله أو روحه خير من الدنيا ومافيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ولملأت ما بينهما رائحة ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا بما فيها [4] » يعنى الخمار ، وقال أبو سعيد الخدرى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾ قال « تنظر إلى وجهها فى خدرها أصفى من المرآة وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضىء مابين المشرق والمغرب وإنه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك [5] » وقال أنس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما أسرى بى دخلت فى الجنة موضعا يسمى البيدخ عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر فقلن : السلام عليك يارسول الله ؛ فقلت : ياجبريل ماهذا النداء قال : هؤلاء المقصورات فى الخيام استأذنّ ربهنّ فى السلام عليك فأذن لهن ، فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط أبدا ونحن الخالدات فلا نظعن أبدا » وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ﴿ حور مقصورات فى الخيام [6] ﴾ »

---

(١) حديث زيد بن أرقم : جاء رجل من اليهود فقال : يا أبا القاسم ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ... الحديث . وفيه « حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك » أخرجه النسائى فى الكبرى بإسناد صحيح .

(٢) حديث ابن مسعود « انك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا » أخرجه البزار بإسناد صحيح .

(٣) حديث حذيفة « ان فى الجنة طيرا أمثال البخاتى ... الحديث » غريب من حديث حذيفة ولأحمد من حديث أنس بإسناد صحيح « ان طير الجنة كأمثال البخت ترعى فى شجر الجنة » قال أبو بكر : يارسول الله ان هذه الطير ناعمة قال « أكلتها أنعم منها » قالها ثلاثا « وانى أرجو أن تكون ممن يأكل منها » وهو عند الترمذى من وجه آخر ذكر فيه نهر الكوثر وقال « فيه طير أعناقها كأعناق الجزر » قال عمر : ان هذه لناعمة ... الحديث . وليس فيه ذكر لأبى بكر وقال حسن .

(٤) حديث « غدوة فى سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها ... الحديث » أخرجه البخارى من حديث أنس .

(٥) حديث أبى سعيد الخدرى فى قوله تعالى ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾ قال « تنظر الى وجهها فى خدرها أصفى من المرآة ... الحديث » أخرجه أبو يعلى من رواية أبى الهيثم عن أبى سعيد بإسناد حسن ورواه أحمد وفيه ابن لهيعة ورواه ابن المبارك فى الزهد والرقائق من رواية أبى الهيثم عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا دون ذكر أبى سعيد والترمذى من حديث ابن مسعود « ان المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض مخ ساقها من وراء سبعين حلة ... الحديث » ورواه عنه موقوفا قال وهذا أصح وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة « لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم » .

(٦) حديث أنس « لما أسرى بى دخلت فى الجنة موضعا يسمى الصرح عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر ... الحديث » وفيه « أن جبريل قال هؤلاء المقصورات فى الخيام » وفيه « فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط » لم أجده هكذا

وقال مجاهد فى قوله تعالى ﴿ وأزواج مطهرة ﴾ قال : من الحيض والغائط والبول والبصاق والنخامة والمنى والولد. وقال الأوزاعى ﴿ فى شغل فاكهون ﴾ قال : شغلهم افتضاض الأبكار . وقال رجل : يا رسول الله أيباضع أهل الجنة ؟ قال « يعطى الرجل منهم من القوة فى اليوم الواحد أفضل من سبعين منكم [1] » وقال عبد الله بن عمر : إن أدنى أهل الجنة منزلة من يسعى له ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره فى الدنيا [2] وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن فى الجنة سوقا مافيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء ، فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها ، وإن فيها لمجتمع الحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له [3] » وقال أنس رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الحور العين فى الجنة يتغنين : نحن الحور الحسان خبئنا لأزواج كرام [4] » وقال يحيى بن كثير فى قوله تعالى ﴿ فى روضة يحبرون ﴾ قال السماع فى الجنة . وقال أبو أمامة الباهلى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين يغنيانه بأحسن صوت سمعه الإنس والجن وليس بمزمار الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه [5] » .

بيان جمل مفرقة من أوصاف أهل الجنة وردت بها الأخبار

روى أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه « ألا هل من مشمر للجنة إن الجنة لا خطر لها هى ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة وزوجة حسناء جميلة فى حبرة ونعمة فى مقام أبدا ونضرة فى دار عالية بهية سليمة » قالوا : نحن المشمرون لها يا رسول الله قال « قولوا إن شاء الله تعالى » ثم ذكر الجهاد وحض عليه [6] . وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : هل فى الجنة خيل فإنها تعجبنى ؟ قال « إن أحببت ذلك أتيت بفرس من ياقوتة حمراء فتطير بك فى الجنة حيث شئت » وقال له رجل : إن الإبل تعجبنى فهل فى الجنة من إبل ؟ فقال يا عبد الله إن أدخلت الجنة فلك فيها ما اشتهت نفسك ولذت

= بتمامه وللترمذى من حديث على « ان فى الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن أصواتا لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له » وقال غريب ولأبي الشيخ فى كتاب العظمة حديث ابن أبي أوفى بسند ضعيف « فيجتمعن فى كل سبعة أيام فيقلن بأصوات ... الحديث » . (١) حديث : قال رجل يارسول الله أيباضع أهل الجنة ؟ قال « يعطى الرجل منهم من القوة فى اليوم الواحد أفضل من سبعين منكم » أخرجه الترمذى وصححه وابن حبان من حديث أنس « يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا من الجماع » فقيل أو يطيق ذلك ؟ قال « يعطى قوة مائة » .

(٢) حديث « إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانيه آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره فى الدنيا » أخرجه أبو الشيخ فى طبقات المحدثين وفى كتاب العظمة من حديث ابن أبى أوفى إلا أنه قال « مائة حوراء » ولم يذكر فيه عناقه لهن ، وإسناده ضعيف ، وتقدم قبله بحديث . (٣) حديث « إن فى الجنة سوقا مافيها بيع ولاشراء إلا الصور من الرجال والنساء ... الحديث » أخرجه الترمذى فرقه فى موضعين من حديث على وقد تقدم بعضه قبل هذا بحديثين .

(٤) حديث أنس « إن الحور فى الجنة يتغنين فيقلن : نحن الحور الحسان خبئنا لأزواج كرام » أخرجه الطبرانى فى الأوسط وفيه الحسن بن داود بن المنكدر قال البخارى يتكلمون فيه وقال ابن عدى أرجو أنه لا بأس به . (٥) حديث أبى أمامة « مامن عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين يغنيانه بأحسن صوت سمعه الإنس والجن وليس بمزمار الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه » أخرجه الطبرانى بإسناد حسن . (٦) حديث أسامة بن زيد « ألا هل من مشمر للجنة إن الجنة لا خطر لها ... الحديث » أخرجه ابن ماجه وابن حبان .

عيناك [١] ، وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل من أهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي ، يكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة [٢] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق الإخوان إلى الإخوان فيسير سرير هذا إلى سرير هذا فيلتقيان ويتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول ياأخي تذكر يوم كذا في مجلس كذا فدعونا الله عز وجل فغفر لنا [٣] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة جرد مرد جعاد مكحولون أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طولهم ستون ذراعا في عرض سبعة أذرع [٤] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم وثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء وإن عليهم التيجان وإن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب [٥] وقال صلى الله عليه وسلم « نظرت إلى الجنة فإذا الرمانة من رمانها كجلد البعير المقتب وإذا طيرها كالبخت » وإذا فيها جارية فقلت ياجارية لمن أنت ؟ فقالت لزيد بن حارثة ، وإذا في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر [٦] » وقال كعب : خلق الله تعالى آدم عليه السلام بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس الجنة بيده ثم قال لها تكلمي فقالت ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ فهذه صفات الجنة ذكرناها جملة ثم نقلناها تفصيلا .

وقد ذكر الحسن البصري رحمه الله جملتها فقال : إن رمانها مثل الدلاء ، وإن أنهارها لمن ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من عسل مصفى لم يصفه الرجال وأنها من خمر لذة للشاربين لاتسفه الأحلام ولاتصدع منها الرءوس ، وإن فيها مالا عين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر : ملوك ناعمون أبناء ثلاث وثلاثون في سن واحد طولهم ستون ذراعا في السماء ، كحل جرد مرد قد أمنوا العذاب واطمأنت بهم الدار ، وإن أنهارها لتجري على رضراض من ياقوت وزبرجد ، وإن عروقها ونخلها وكرمها اللؤلؤ وثمارها لايعلم علمها إلا الله تعالى ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة سنة ، وإن لهم فيها خيلا وإبلا هفافة رحالها وأزمتها وسروجها من ياقوت يتزاورون فيها وأزواجهم الحور العين كأنهن بيض مكنون ، وإن المرأة لتأخذ بين أصبعيها سبعين حلة فتلبسها فيرى

---

(١) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له هل في الجنة خيل فإنها تعجبني ... الحديث » أخرجه الترمذي من حديث بريدة مع اختلاف لفظ وفيه المسعودي مختلف فيه ورواه ابن المبارك في الزهد بلفظ المصنف من رواية عبد الرحمن بن سابط مرسلا قال الترمذي وهذا أصح وقد ذكر أبو موسى المديني عبد الرحمن بن سابط في ذيله على ابن منده في الصحابة ولا يصح له صحبة . (٢) حديث أبي سعيد « إن الرجل من أهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي ، ويكون حمله وفصاله ونشأته في ساعة واحدة » أخرجه ابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب ، قال : وقد اختلف أهل العلم في هذا فقال بعضهم : في الجنة جماع ولا يكون ولد ، انتهى . ولأحمد من حديث لأبي رزين « يلد ويلم مثل لذاتكم في الدنيا ويتلذذن بكم غير أن لاتوالد » . (٣) حديث « إذا استقر أهل الجنة اشتاق الإخوان إلى الإخوان فيسير سرير هذا الى سرير هذا » أخرجه البزار من رواية الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس وقال : لانعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد تفرد به أنس انتهى . والربيع بن صبيح ضعيف جدا ورواه الأصفهاني في الترغيب والترهيب مرسلا دون ذكر أنس . (٤) حديث « أهل الجنة جرد مرد بيض جعاد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين ... الحديث » أخرجه الترمذي من حديث معاذ وحسنه دون قوله « بيض جعاد » ودون قوله « على خلق آدم » الى آخره ورواه أيضا من حديث أبي هريرة مختصرا « أهل الجنة جرد مرد كحل » وقال غريب وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة « على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا »

(٥) حديث « أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم ... الحديث » أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد منقطعا من أوله الى قوله « ولن عليهم التيجان » ومن هنا بإسناده أيضا وقال لانعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد . (٦) حديث « نظرت الى الجنة فإذا الرمانة من رمانها كجلد البعير المقتب واذا طيرها كالبخت ... الحديث » رواه الثعلبي في تفسيره من رواية أبي هرون العبدي عن أبي سعيد وأبو هرون اسمه عمارة بن جرير ضعيف جدا وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة « يقول الله أعددت لعبادي الصالحين مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » .

مخ ساقها من وراء تلك السبعين حلة ، قد طهر الله الأخلاق من السوء والأجساد من الموت ، لا يمتخطون فيها ولا يبولون ولا يتغوطون وإنما هو جشاء ورشح مسك ، لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ، أما إنه ليس ليل يكر الغدو على الرواح والرواح على الغدو ، وإن آخر من يدخل الجنة وأدناهم منزلة ليمد له في بصره وملكه مسيرة مائة عام في قصور من الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ ، ويفسح له في بصره حتى ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه ، يغدى عليهم بسبعين ألف صحفة من ذهب ويراح عليهم بمثلها ، في كل صحفة لون ليس في الأخرى مثله ، ويجد طعم آخره كما يجد طعم أوله ، وإن في الجنة لياقوتة فيها سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت ليس فيها صدع ولا ثقب . وقال مجاهد . إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ؛ وأرفعهم الذي ينظر إلى ربه بالغداة والعشي . وقال سعيد ابن المسيب : ليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة ؛ سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة . وقال أبو هريرة رضي الله عنه : إن في الجنة حوراء يقال لها العيناء إذا مشت مشى عن يمينها ويسارها سبعون ألف وصيفة وهي تقول : أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ؟ وقال يحيى بن معاذ : ترك الدنيا شديد وفوت الجنة أشد وترك الدنيا مهر الآخرة . وقال أيضا في طلب الدنيا ذل النفوس ، وفي طلب الآخرة عز النفوس ، فيا عجبا لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى ويترك العز في طلب ما يبقى !

صفة الرؤية والنظر إلى وجه الله تبارك تعالى

قال الله تعالى ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ وهذه الزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى ، وهي اللذة الكبرى التي ينسى فيها نعيم أهل الجنة ـ وقد ذكرناه حقيقتها في كتاب المحبة ـ وقد شهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده أهل البدعة . قال جرير بن عبد الله البجلي : كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال « إنكم ترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا » ثم قرأ ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ﴾ [1] وهو مخرج في الصحيحين وروى مسلم في الصحيح عن صهيب قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ قال « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد : : يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه قالوا : ما هذا الموعد ؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار ؟ » قال « فيرفع الحجاب وينظرون إلى وجه الله عز وجل فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إليه [2] » وقد روى حديث الرؤيا جماعة من الصحابة ، وهذه هي غاية الحسنى ونهاية النعمى ، وكل ما فصلناه من التنعم عند هذه النعمة ينسى وليس لسرور أهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى ، بل لا نسبة لشيء من لذات الجنة الى لذة اللقاء : وقد أوجزنا في الكلام هنا لما فصلناه في كتاب المحبة والشوق والرضا فلا ينبغي أن تكون همة العبد من الجنة بشيء سوى لقاء المولى . وأما سائر نعيم الجنة فإنه يشارك فيه البهيمة المسرحة في المرعى .

---

(١) حديث جرير : كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال « انكم ترون ربكم ... الحديث » هو في الصحيحين كما ذكر المصنف . (٢) حديث صهيب في قوله تعالى ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ رواه مسلم كما ذكره المصنف .

نختم الكتاب بباب فى سعة رحمة الله تعالى على سبيل التفاؤل بذلك

فقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يحب الفأل [١] وليس لنا من الأعمال ما نرجو به المغفرة فنقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى التفاؤل ، ونرجو أن يختم عاقبتنا بالخير فى الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى . فقد قال الله تعالى ﴿ إن لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ وقال تعالى ﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ وقال تعالى ﴿ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ﴾ .

ونحن نستغفر الله تعالى من كل مازلت به القدم أو طغى به القلم فى كتابنا هذا وفى سائر كتبنا ، ونستغفره من أقوالنا التى لا توافقها أعمالنا ، ونستغفره مما ادعيناه وأظهرناه من العلم والبصيرة بدين الله تعالى مع التقصير فيه ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره ، ونستغفره من كل وعد وعدناه به من أنفسنا ثم قصرنا فى الوفاء به ، ونستغفره من كل نعمة أنعم بها علينا فاستعملناها فى معصيته ، ونستغفره من كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به ، ونستغفره من كل خطرة دعتنا إلى تصنع وتكلف تزينا للناس فى كتاب سطرناه أو كلام نظمناه أو علم أفدناه أو استفدناه ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع كتابنا هذا أو كتبه أو سمعه أن نكرم بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهرا وباطنا فإن الكرم عميم والرحمة واسعة والجود على أصناف الخلائق فائض . ونحن خلق من خلق الله عز وجل لا وسيلة لنا إليه إلا فضله وكرمه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وأخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة [٢] » ويروى أنه كان يوم القيامة أخرج الله تعالى كتابا من تحت العرش فيه إن رحمتى سبقت غضبى وأنا أرحم الراحمين فيخرج من النار مثلا أهل الجنة [٣] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيامة ضاحكا فيقول أبشروا معشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا وقد جعلت مكانه فى النار يهوديا أو نصرانيا [٤] » وقال النبى صلى الله عليه وسلم « يشفع الله تعالى آدم يوم القيامة من جميع ذريته فى مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف [٥] » وقال صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل يقول يوم القيامة للمؤمنين هل أحببتم لقائى فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم ؟ فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد أوجبت لكم مغفرتى [٦] » وقال

---

(١) حديث : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التفاؤل . متفق عليه من حديث أنس فى أثناء حديث « ويعجبنى الفأل الصالح والكلمة الحسنة » ولهما من حديث أبى هريرة « وخيرها الفأل ؟ قال « الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم » .

(٢) حديث « ان لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس ... الحديث » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة وسلمان . (٣) حديث « اذا كان يوم القيامة أخرج الله كتابا من تحت العرش فيه ان رحمتى سبقت غضبى ... الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة « لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق العرش ان رحمتى سبقت غضبى » لفظ البخارى وقال مسلم « كتب فى كتابه على نفسه ان رحمتى تغلب غضبى » . (٤) حديث « يتجلى الله لنا يوم القيامة ضاحكا فيقول أبشروا معشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد الا وقد جعلت مكانه فى النار يهوديا أو نصرانيا » أخرجه مسلم من حديث أبى موسى « اذا كان يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار » ولأبى داود « أمتى أمة مرحومة لاعذاب عليها فى الآخرة ... الحديث » وأما أول الحديث فرواه الطبرانى من حديث أبى موسى أيضاً « يتجلى الله ربنا لنا ضاحكا يوم القيامة حتى ينظروا الى وجهه فيخرون له سجدا فيقول ارفعوا رءوسكم فليس هذا يوم عبادة » وفيه على بن زيد بن جدعان . (٥) حديث « يشفع الله آدم يوم القيامة من ذريته فى مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف » أخرجه الطبرانى من حديث أنس بإسناد ضعيف .

(٦) حديث « ان الله تعالى يقول يوم القيامة للمؤمنين هل أحببتم لقائى فيقولون نعم ... الحديث » أخرجه أحمد والطبرانى من حديث معاذ بسند ضعيف .

رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرني يوما أوخافني في مقام [1] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما أغنى عنكم إسلامكم إذ أنتم معنا في النار فيقولون كانت لنا ذنوب فأخذنا بها ، فيسمع الله عز وجل ماقالوا فيأمر بإخراج من كان في النار من أهل القبلة فيخرجون فإذا رأى ذلك الكفار قالوا ياليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ربما يود الذين كفروا لوكانوا مسلمين [2] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها [3] » وقال جابر بن عبد الله : من زادت حسناته على سيآته يوم القيامة فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيآته فذلك الذي يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة . وإنما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن أوبق نفسه وأثقل ظهره .

ويروى أنّ الله عز وجل قال لموسى عليه السلام : ياموسى استغاث بك قارون فلم تغثه وعزتي وجلالي لو استغاث بي لأغثته وعفوت عنه . وقال سعد بن بلال : يؤمر يوم القيامة بإخراج رجلين من النار ، فيقول الله تبارك وتعالى : ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد ، ويأمر بردهما إلى النار ، فيعدو أحدهما في سلاسله حتى يقتحمها ويتلكأ الآخر ويأمر بردهما ويسألهما عن فعلهما ، فيقول الذي عدا إلى النار قد حذرت من وبال المعصية فلم أكن لأتعرض لسخطك ثانية ويقول الذي تلكأ حسن ظني بك كان يشعرني أن لاتردني إليها بعد ماأخرجتني منها ، فيأمر بهما إلى الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينادي مناد من تحت العرش يوم القيامة ياأمة محمد أما ماكان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي [4] » ويروى أنّ أعرابيا سمع ابن عباس يقرأ ﴿ وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾ فقال الأعرابي : فوالله ماأنقذكم منها وهو يريد أن يوقعكم فيها ، فقال ابن عباس : خذوها من غير فقيه . وقال الصنابحي : دخلت على عبادة بن الصامت وهو في مرض الموت فبكيت فقال : مهلا ... لم تبكي ؟ فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثا واحدا وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسي ؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من شهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله حرّم الله النار عليه [5] » وقال عبد الله ابن عمرو بن العاص : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يستخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مثل مدّ البصر ، ثم يقول أتنكر من هذا شيئا أظلمتك كتبتي الحافظون فيقول لا يارب . فيقول أفلك عذر فيقول لا يارب فيقول بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك

---

(١) حديث « يقول الله عزوجل يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرني يوما أوخافني في مقام » أخرجه الترمذي من حديث أنس وقال حسن غريب . (٢) حديث « إذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين ؟ قالوا بلى فيقولون ماأغنى عنكم إسلامكم إذ أنتم معنا في النار ... الحديث » في إخراج أهل القبلة من النار ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ أخرجه النسائي في الكبرى من حديث جابر نحوه بإسناد صحيح (٣) حديث « لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها » متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب وفي أوله : قصة المرأة من السبي إذ وجدت صبيا في السبي فأخذته ببطنها فأرضعته . (٤) حديث « ينادي مناد من تحت العرش يوم القيامة ياأمة محمد أما ماكان لي قبلكم فقد غفرته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها بينكم وادخلوا الجنة برحمتي » رويناه في سباعيات أبي الأسعد القشيري من حديث أنس وفيه الحسين بن داود البلخي قال الخطيب ليس بثقة . (٥) حديث الصنابحي عن عبادة بن الصامت « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرمه الله على النار » أخرجه مسلم من هذا الوجه واتفقا عليه من غير رواية الصنابحي بلفظ آخر .

اليوم ، فيخرج بطاقة فيها « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله » فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول إنك لاتظلم ، قال « فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة » قال « فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شىء »[1] ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر حديث طويل يصف فيه القيامة والصراط « إن الله يقول للملائكة من وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ياربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ، ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ياربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ، يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ياربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به » فكان أبو سعيد يقول : إن لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما﴾ قال فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون منها كما تخرج الحبة فى حميل السيل ألا ترونها تكون مما يلى الحجر والشجر ما يكون إلى الشمس أصفر وأخضر ، وما يكون منها إلى الظل أبيض ، قالوا يارسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال « فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة يقولون هؤلاء عتقاء الرحمن الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ، ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتم فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا مالم تعط أحدا من العالمين ، فيقول الله تعالى إن لكم عندى ماهو أفضل من هذا فيقولون ياربنا أى شىء أفضل من هذا ؟ فيقول رضائى عنكم فلا أسخط عليكم بعده أبدا »[2] ، رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما . وروى البخارى أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال « عرضت على الأمم يمر النبى ومعه الرجل والنبى ومعه الرجلان والنبى ليس معه أحد والنبى معه الرهط ، فرأيت سوادا كثيرا فرجوت أن تكون أمتى فقيل لى هذا موسى وقومه ، ثم قيل لى انظر فرأيت سوادا كثيرا قد سد الأفق ، فقيل لى انظر هكذا وهكذا فرأيت سوادا كثيرا ، فقيل لى هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ، فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكر ذلك الصحابة فقالوا . أما نحن فولدنا فى الشرك ولكن قد آمنا بالله ورسوله هؤلاء هم أبناؤنا ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » فقام عكاشة فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم يارسول الله فقال « أنت منهم » ثم قام آخر فقال مثل قول عكاشة فقال النبى صلى الله عليه وسلم « سبقك بها عكاشة »[3] ، وعن عمر بن حزم الأنصارى قال : تغيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا لا يخرج إلا لصلاة مكتوبة ثم يرجع ، فلما كان اليوم الرابع خرج إلينا فقلنا : يارسول الله احتبست عنا حتى ظننا أنه قد حدث حدث قال « لم يحدث إلا خير إن ربى عز وجل وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا لاحساب عليهم وإنى سألت ربى فى هذه الثلاثة أيام المزيد فوجدت ربى ماجدا واجدا كريما فأعطانى مع كل واحد من

---

(١) حديث عبد الله بن عمرو « إن الله يستخلص رجلا من أمتى على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا » فذكر حديث البطاقة ابن ماجه والترمذى وقال حسن غريب . (٢) حديث « إن الله يقول للملائكة من وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ... الحديث » فى إخراج الموحدين وقوله تعالى لأهل الجنة « فلا أسخط عليكم بعده أبدا » أخرجاه فى الصحيحين كما ذكر المصنف من حديث أبى سعيد . (٣) حديث ابن عباس « عرضت على الأمم يمر النبى معه الرجل والنبى معه الرجلان والنبى ليس معه أحد ... الحديث » إلى قوله « سبقك بها عكاشة » رواه البخارى .

السبعين ألفا سبعين ألفا ، قال « قلت يارب وتبلغ أمتى هذا ؟ قال أكمل لك العدد من الأعراب [١] » وقال أبو ذر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عرض لى جبريل فى جانب الحرة فقال : بشر أمتك أنه من مات لايشرك بالله شيئا دخل الجنة ، فقلت ياجبريل وإن سرق وإن زنى ؟ قال : نعم وإن سرق وإن زنى ، قلت وإن سرق وإن زنى ؟ قال وإن سرق وإن زنى قلت وإن سرق وإن زنى ؟ قال وإن سرق وإن زنى وإن شرب الخمر [٢] » وقال أبو الدرداء : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ فقلت : وإن سرق وإن زنى يارسول الله ؟ فقال ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ فقلت وإن سرق وإن زنى ؟ فقال ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ فقلت : وإن سرق وإن زنى يارسول الله ؟ قال « وإن رغم أنف أبى الدرداء [٣] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مؤمن رجل من أهل الملل فقيل له هذا فداؤك من النار [٤] » وروى مسلم فى الصحيح عن أبى بردة : أنه حدث عمر بن عبد العزيز عن أبيه أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لايموت رجل مسلم إلا أدخل الله تعالى مكانه النار يهوديا أو نصرانيا » فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذى لاإله إلا هو ـ ثلاث مرات ـ أن أباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف له [٥] وروى أنه وقف صبى فى بعض المغازى ينادى عليه فيمن يزيد ـ فى يوم صائف شديد الحر ـ فبصرت به امرأة فى خباء القوم فأقبلت تشتد وأقبل أصحابها خلفها ، حتى أخذت الصبى وألصقته إلى صدرها ثم ألقت ظهرها على البطحاء وجعلته على بطنها تقيه الحر ، وقالت : ابنى ابنى ! فبكى الناس وتركوا ماهم فيه ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم فأخبروه الخبر فسر برحمتهم ثم بشرهم فقال « أعجبتم من رحمة هذه لابنها ؟ » قالوا : نعم ، قال صلى الله عليه وسلم « فإن الله تبارك وتعالى أرحم بكم جميعا من هذه بابنها [٦] » فتفرق المسلمون على أفضل السرور وأعظم البشارة .

فهذه الأحاديث وما أوردنا فى كتاب الرجاء يبشرنا بسعة رحمة الله تعالى ، فنرجو من الله تعالى أن لايعاملنا بما نستحقه ويتفضل علينا بما هو أهله بمنه وسعة جوده ورحمته .

---

(١) حديث عمرو بن حزم الأنصارى : تغيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا لايخرج إلا لصلاة مكتوبة ثم يرجع وفيه « إن ربى وعدنى أن يدخل من أمتى الجنة سبعين ألفا لاحساب عليهم » وفيه « أعطانى مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا » أخرجه البيهقى فى البعث والنشور ولأحمد وأبى يعلى من حديث أبى بكر « فزادنى مع كل واحد سبعين ألفا » وفيه رجل لم يسم ولأحمد والطبرانى فى الأوسط من حديث عبد الرحمن بن أبى بكر فقال عمر : فهلا استزدته ؟ فقال « قد استزدته فأعطانى مع كل رجل سبعين ألفا » قال عمر : فهلا استزدته ؟ قال « قد استزدته فأعطانى هكذا » وفرج عبد الله بن أبى بكر بين يديه قال عبد الله وبسط باعيه وحثى عليه وفيه موسى بن عبيدة الرندى ضعيف . (٢) حديث أبى ذر « عرض لى جبريل فى جانب الحرة فقال : بشر أمتك بأنه من مات لايشرك بالله شيئا دخل الجنة ... الحديث » متفق عليه بلفظ « أتانى جبريل فبشرنى » وفى رواية لهما « أتانى آت من ربى » . (٣) حديث أبى الدرداء : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ فقلت « وان زنى وان سرق ... الحديث » رواه أحمد بإسناد صحيح . (٤) حديث « اذا كان يوم القيامة دفع الى كل مؤمن رجل من أهل الملل فقيل له هذا فداؤك من النار » رواه مسلم من حديث أبى موسى نحوه وقد تقدم . (٥) حديث أبى بردة . أنه حدث عمر بن عبد العزيز عن أبيه أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لايموت رجل مسلم الا أدخل الله مكانه النار يهوديا أو نصرانيا » عزاه المصنف لرواية مسلم وهو كذلك . (٦) حديث : وقف صبى فى بعض المغازى ، ينادى عليه فيمن يزيد ، فى يوم صائف شديد الحر ، فبصرت به امرأة ... الحديث . وفيه « الله أرحم بكم جميعا من هذه بابنها » متفق عليه مختصرا مع اختلاف من حديث عمر بن الخطاب قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبى فإذا امرأة من السبى تسعى اذ وجدت صبيا فى السبى ، أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته ، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار ؟ قلنا : لا والله وهى تقدر على أن لاتطرحه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله أرحم بعباده من هذه بولدها » لفظ مسلم وقال البخارى : فإذا امرأة من السبى قد تحلب ثديها تسعى اذ وجدت صبيا ... الحديث .

والحمد لله تعالى عودا على بدء والصلاة والتسليم على سيدنا محمد فى كل حركة وهدء .

يقول مؤلفه عبد الرحيم بن الحسين العراقى : انى أكملت مسودة هذا التأليف فى سنة ٧٦١ ، وأكملت تبييض هذا المختصر منها فى يوم الاثنين ١٢ من شهر ربيع الأول سنة ٧٩٠ انتهى

فهرس الجزء الرابع

من إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الإمام الغزالى

صحيفة

٢ كتاب التوبة

٣ الركن الأول فى نفس التوبة ... الخ

بيان حقيقة التوبة وحدها

٤ بيان وجوب التوبة وفضلها

٧ بيان أن وجوب التوبة على الفور

٩ بيان أن وجوب التوبة عام فى الأشخاص والأحوال فلا ينفك عنه أحد ألبتة

١٣ بيان أن التوبة إذا استجمعت شرائطها فهى مقبولة لا محالة

١٦ الركن الثانى فيما عنه التوبة وهى الذنوب

بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات العبد

٢٣ بيان كيفية توزع الدرجات والدركات فى الآخرة على الحسنات والسيئات فى الدنيا

٣٢ بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب

٣٤ الركن الثالث فى تمام التوبة ... الخ

٤٣ بيان أقسام العباد فى دوام التوبة

٤٦ بيان ما ينبغى أن يبادر إليه التائب ... الخ

٤٩ الركن الرابع فى دواء التوبة ... الخ

٦٠ كتاب الصبر والشكر

الشطر الأول فى الصبر

٦١ بيان فضيلة الصبر

٦٢ بيان حقيقة الصبر ومعناه

٦٦ بيان كون الصبر نصف الإيمان

بيان الأسامى التى تتجدد للصبر ... الخ

٦٧ بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف

صحيفة

٦٩ بيان مظان الحاجة إلى الصبر .. الخ

٧٥ بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه

٨٠ الشطر الثانى من الكتاب فى الشكر

الركن الأول فى نفس الشكر

بيان فضيلة الشكر

٨١ بيان حد الشكر وحقيقته

٨٥ بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر فى حق الله تعالى

٩٠ بيان تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه

٩٩ الركن الثانى من أركان الشكر ... الخ

بيان حقيقة النعمة وأقسامها

١٠٩ بيان وجه الانحصار فى كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر

الطرف الأول فى نعم الله تعالى فى خلق أسباب الإدراك

١١١ الطرف الثانى فى أصناف النعم فى خلق الإرادات

١١٢ الطرف الثالث فى نعم الله تعالى فى خلق القدرة وآلات الحركة

١١٦ الطرف الرابع فى نعم الله تعالى فى الأصول التى يحصل فيها الأطعمة ... الخ

١١٨ الطرف الخامس فى نعم الله تعالى فى الأسباب الموصلة للأطعمة إليك

الطرف السادس فى إصلاح الأطعمة

١١٩ الطرف السابع فى إصلاح المصلحين

١٢٠ الطرف الثامن فى بيان نعمة الله تعالى فى خلق الملائكة عليهم السلام

١٢٣ بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر

صحيفة

١٢٧ الركن الثالث من كتاب الصبر
بيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد
١٣٤ بيان فضل النعمة على البلاء
١٣٥ بيان الأفضل من الصبر والشكر
١٤٢ كتاب الخوف والرجاء
ويشتمل على شطرين
الشطر الأول
بيان حقيقة الرجاء
١٤٤ بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه
١٤٦ بيان دواء الرجاء والسبيل الذى يحصل منه حال الرجاء ويغلب
١٥٥ الشطر الثانى من الكتاب
بيان حقيقة الخوف
١٥٧ بيان درجات الخوف واختلافه فى القوة والضعف
١٥٨ بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى مايخاف منه
١٦٠ بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه
١٦٤ بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما
١٦٧ بيان الدواء الذى يستجلب حال الخوف
١٧٣ بيان معنى سوء الخاتمة
١٨٠ بيان أحوال الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام فى الخوف
١٨٣ بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف والصالحين فى شدة الخوف
١٨٩ كتاب الفقر والزهد
١٩٠ الشطر الأول من الكتاب فى الفقر
بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأسامية
١٩٣ بيان فضيلة الفقر مطلقا

صحيفة

١٩٩ بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين
٢٠١ بيان فضيلة الفقر على الغنى
٢٠٦ بيان آداب الفقير فى فقره
٢٠٧ بيان آداب الفقير فى قبول العطاء الخ
٢١٠ بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر فيه
٢١٤ بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال
٢١٥ بيان أحوال السائلين
٢١٦ الشطر الثانى من الكتاب فى الزهد
بيان حقيقة الزهد
٢١٩ بيان فضيلة الزهد
٢٢٥ بيان درجات الزهد وأقسامه الخ
٢٣٠ بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة
٢٤١ بيان علامات الزهد
٢٤٣ كتاب التوحيد والتوكل
بيان فضيلة التوكل
٢٤٥ بيان حقيقة التوحيد الذى هو أصل التوكل وهو الشطر الأول من الكتاب
٢٥٩ الشطر الثانى من الكتاب
بيان حال التوكل
٢٦٤ بيان ماقاله الشيوخ فى أحوال التوكل
٢٦٥ بيان أعمال المتوكلين
٢٧٢ بيان توكل المعيل
٢٧٥ بيان أحوال المتوكلين فى التعلق بالأسباب بضرب مثال
٢٨١ بيان آداب المتوكلين إذا سرق متاعهم
٢٨٦ بيان أن ترك التداوى قد يحمد فى بعض الأحوال ويدل على قوة التوكل الخ
٢٩٠ بيان الرد على من قال ترك التداوى أفضل بكل حال

صحيفة

٢٩٢ بيان أحوال المتوكلين فى إظهار المرض وكتمانه
٢٩٣ كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا
بيان شواهد الشرع فى حب العبد لله تعالى
٢٩٦ بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى
٣٠٠ بيان أن المستحق للمحبة هو الله وحده
٣٠٧ بيان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى الخ
٣١٢ بيان السبب فى زيادة النظر فى لذة الآخرة على المعرفة فى الدنيا
٣١٥ بيان الأسباب المقوية لحب الله تعالى
٣١٩ بيان السبب فى تفاوت الناس فى الحب
٣٢٠ بيان السبب قصور أفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه وتعالى
٣٢٢ بيان معنى الشوق إلى الله تعالى
٣٢٧ بيان محبة الله للعبد ومعناها
٣٢٩ القول فى علامات محبة العبد لله تعالى
بيان معنى الأنس بالله تعالى
٣٤١ بيان معنى الانبساط والإدلال الذى تثمره غلبة الأنس
٣٤٣ القول فى معنى الرضا بقضاء الله الخ
٣٤٤ بيان فضيلة الرضا
٣٤٧ بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى
٣٥١ بيان أن الدعاء غير مناقض للرضا
٣٥٤ بيان أن الفرار من البلاد التى هى مظان المعاصى ومذمتها لا يقدح فى الرضا
٣٥٥ بيان جملة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم
٣٦٠ خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة ينتفع بها

صحيفة

٣٦١ كتاب النية والإخلاص والصدق
٣٦٢ الباب الأول فى النية
بيان فضيلة النية
٣٦٥ بيان حقيقة النية
٣٦٦ بيان سر قوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله
٣٦٨ بيان تفصيل الأعمال المتعلقة بالنية
٣٧٣ بيان أن النية غير داخلة تحت الاختيار
٣٧٦ الباب الثانى فى الإخلاص وفضيلته ودرجاته وحقيقته
فضيلة الإخلاص
٣٧٩ بيان حقيقة الإخلاص
٣٨١ بيان أقاويل الشيوخ فى الإخلاص
٣٨٢ بيان درجات الشوائب والآفات المكدرة للاخلاص
٣٨٤ بيان حكم العمل المشوب واستحقاق الثواب به
٣٧٦ الباب الثالث فى الصدق وفضيلته وحقيقته
فضيلة الصدق
٣٨٧ بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه
٣٩٣ كتاب المراقبة والمحاسبة
المقام الأول من المرابطة المشارطة
٣٩٦ المرابطة الثانية المراقبة
٣٩٨ بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها
٤٠٤ المرابطة الثالثة محاسبة النفس الخ
فضيلة المحاسبة
٤٠٥ بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل
٤٠٦ المرابطة الرابعة فى معاقبة النفس على تقصيرها
٤٠٨ المرابطة الخامسة المجاهدة
٤١٦ المرابطة السادسة فى توبيخ النفس ومعاتبتها
٤٢٣ كتاب التفكر
فضيلة التفكر

صحيفة

٤٢٥ بيان حقيقة الفكر وثمرته
٤٢٧ بيان مجارى الفكر
٤٣٥ بيان كيفية التفكر فى خلق الله تعالى
٤٤٨ كتاب ذكر الموت ومابعده
٤٤٩ الشطر الأول فى مقدماته وتوابعه الخ
الباب الأول فى ذكر الموت الخ
بيان فضل ذكر الموت كيفما كان
٤٥١ بيان الطريق فى تحقيق ذكر الموت فى القلب
٤٥٢ الباب الثانى فى طول الأمل وفضيلة قصر الأمل وسبب طوله وكيفية معالجته
فضيلة قصر الأمل
٤٥٦ بيان السبب فى طول الأمل وعلاجه
٤٥٨ بيان مراتب الناس فى طول الأمل وقصره
٤٥٩ بيان المبادرة إلى العمل وحذر آفة التأخير
٤٦١ الباب الثالث فى سكرات الموت وشدته ومايستحب من الأحوال عنده
٤٦٥ بيان مايستحب من أحوال المحتضر عند الموت
٤٦٧ بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بحكايات يعرب لسان الحال عنها
٤٦٨ (الباب الرابع) فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤٧٦ وفاة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه
٤٧٧ وفاة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه
٤٧٨ وفاة عثمان رضى الله تعالى عنه
٤٧٩ وفاة على كرم الله وجهه
٤٨٠ (الباب الخامس) فى كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين
٤٨١ بيان أقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل التصوف رضى الله عنهم أجمعين

صحيفة

٤٨٤ (الباب السادس) فى أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور
٤٨٥ بيان حال القبر وأقاويلهم عند القبور
٤٨٩ بيان أقاويلهم عند موت الولد
٤٩٠ بيان زيارة القبور والدعاء للميت...الخ
٤٩٣ (الباب السابع) فى حقيقة الموت ومايلقاه الميت فى القبر إلى نفخة الصور
بيان حقيقة الموت
٤٩٨ بيان كلام القبر للميت وكلام الموتى إما بلسان المقال أو بلسان الحال
٤٩٩ بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير
٥٠٢ بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر وبقية القول فى عذاب القبر
٥٠٤ (الباب الثامن) فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة فى المنام
٥٠٦ بيان منامات تكشف عن أحوال المرتى والأعمال النافعة فى الآخرة
٥٠٧ بيان منامات المشايخ رحمة الله عليهم أجمعين
٥١١ (الشطر الثانى) من كتاب ذكر الموت فى أحوال الميت من وقت نفخة الصور إلى آخر الاستقرار فى الجنة أو النار وتفصيل مابين يديه من الأهوال والأخطار وفيه بيان نفخة الصور...الخ
صفة نفخة الصور
٥١٣ صفة أرض المحشر وأهله
٥١٤ صفة العرق
٥١٥ صفة طول يوم القيامة
صفة يوم القيامة ودواهيه وأساميه
٥١٧ صفة المساءلة
٥٢٠ صفة الميزان
٥٢١ صفة الخصماء

صحيفة

٥٢٤ صفة الصراط

٥٢٦ صفة الشفاعة

٥٢٨ صفة الحوض

٥٣٠ القول فى صفة جهنم وأهوالها وأنكالها

٥٣٥ القول فى صفة الجنة وأوصاف نعيمها

٥٣٨ صفة حائط الجنة وأراضيها وأشجارها وأنهارها

صحيفة

٥٣٨ صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وسررهم وأرائكهم وخيامهم

٥٣٩ صفة طعام أهل الجنة

٥٤٠ صفة الحور العين والولدان

٥٤١ بيان جمل مفرقة من أوصاف أهل الجنة وردت بها الأخبار

٥٤٣ صفة الرؤية والنظر إلى وجه الله تعالى

٥٤٤ نختم الكتاب بباب فى سعة الله تعالى على سبيل التفاؤل بذلك

تم الفهرس وبه تم الكتاب

ملحق

إحياء علوم الدين

تصنيف

الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي

المتوفى في ٥٠٥ هـ

يشتمل هذا الملحق على :ـ

١ ـ تعريف الأحياء بفضائل الإحياء :

للعلامة عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس

٢ ـ الإملاء عن إشكالات الإحياء :

للإمام الغزالي : رد به اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من كتابه « إحياء علوم الدين » .

٣ ـ عوارف المعارف :

للعارف بالله تعالى : الإمام السهروردي.

المكتبة التجارية الكبرى

كتاب تعريف الأحياء بفضائل الإحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى وفق لنشر المحاسن وطيها فى أحسن كتاب ، وجعل ذلك قرة لاعين الأحباب وذخيرة ليوم المآب . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أحيا بإحياء شريعته وطريقته قلوب ذوى الألباب ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وجميع الأصحاب ، ماأشرقت شمس الإحياء للقلوب ، وتوجهت همة روحانية مصنفه الولى الموهوب ، إلى إسعاف ملازمى مطالعته ومحبيه بالمطلوب .

وبعد : فإنّ الكتاب العظيم الشأن المسمى بإحياء علوم الدين - المشهور بالجمع والبركة والنفع بين العلماء العاملين ، وأهل طريق الله السالكين المشايخ العارفين ، المنسوب إلى الإمام الغزالى رضى الله عنه عالم العلماء وارث الأنبياء ، حجة الإسلام ، حسنة الدهور والأعوام ، تاج المجتهدين ، سراج المتهجدين ، مقتدى الأئمة ، مبين الحل والحرمة ، زين الملة والدين ، الذى باهى به سيد المرسلين ، صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء ورضى عن الغزالى وعن سائر العلماء المجتهدين ، لما كان عظيم الوقع ، كثير النفع ، جليل المقدار ، ليس له نظير فى بابه ولم ينسج على منواله ، ولا سمحت قريحة بمثاله ، مشتملا على الشريعة والطريقة والحقيقة كاشفا عن الغوامض الخفية مبيناً للأسرار الدقيقة : رأيت أن أضع رسالة تكون كالعنوان والدلالة على صبابة من فضله وشرفه ، ورشحة من فضل جامعه ومصنفه ورتبته على مقدمة ، ومقصد ، وخاتمة . فالمقدمة : فى عنوان الكتاب . والمقصد : فى فضائله وبعض المدائح والثناء من الأكابر عليه ، والجواب عما استشكل منه وطعن بسببه فيه . والخاتمة فى ترجمة المصنف رضى الله عنه وسبب رجوعه إلى هذه الطريقة .

المقدمة : فى عنوان الكتاب

اعلم أن علوم المعاملة التى يتقرب بها إلى الله تعالى تنقسم إلى ظاهرة وباطنة ، والظاهرة قسمان : معاملة بين العبد وبين الله تعالى ، ومعاملة بين العبد وبين الخلق ، والباطنة أيضاً قسمان : مايجب تزكية القلب عنه من الصفات المذمومة ، ومايجب تحلية القلب به من الصفات المحمودة . وقد بنى الإمام الغزالى رحمه الله كتابه « إحياء علوم الدين » على هذه الأربعة الأقسام فقال فى خطبته : ولقد أسسته على أربعة أرباع . ربع العبادات ، وربع العادات ، وربع المهلكات ، وربع المنجيات .

فأما ربع العبادات فيشتمل على عشرة كتب : كتاب العلم . كتاب قواعد العقائد . كتاب أسرار الطهارة . كتاب أسرار الصلاة . كتاب أسرار الزكاة . كتاب أسرار الصيام ، كتاب أسرار الحج . كتاب تلاوة القرآن . كتاب الأذكار والدعوات . كتاب ترتيب الأوراد فى الأوقات .

وأما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب : كتاب آداب الأكل . كتاب آداب النكاح . كتاب آداب الكسب . كتاب الحلال والحرام . كتاب آداب الصحبة . كتاب العزلة . كتاب آداب السفر . كتاب آداب السماع والوجد . كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . كتاب أخلاق النبوة .

وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب : كتاب شرح عجائب القلب . كتاب رياضة النفس . كتاب آفة الشهوتين : البطن والفرج كتاب آفة اللسان . كتاب آفة الغضب والحقد والحسد ، كتاب ذم الدنيا ، كتاب ذم

المال والبخل ، كتاب ذم الجاه والرياء ، كتاب الكبر والعجب ، كتاب الغرور .

وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب : كتاب التوبة . كتاب الصبر والشكر . كتاب الخوف والرجاء كتاب الفقر والزهد . كتاب التوحيد والتوكل . كتاب المحبة والشوق والرضا . كتاب النية والصدق والإخلاص . كتاب المراقبة والمحاسبة كتاب التفكر . كتاب ذكر الموت .

ثم قال رحمه الله : فأما ربع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليها ، بل لا يكون من علماء الآخرة من لم يطلع عليها ، وأكثر ذلك مما أهمل فى الفقهيات .

وأما ربع العادات فأذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق ودقائق سننها ، وخفايا الورع فى مجاريها ، وهى مما لا يستغنى المتدين عنها.

وأما ربع المهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن بإماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه ، وأذكر فى كل واحد من هذه الأخلاق حده وحقيقته ، ثم سببه الذى منه يتولد ، ثم الآفات التى عليها يترتب ، ثم العلامات التى بها يتعرف ، ثم طرق المعالجة التى منها يتخلص ، كل ذلك مقرونا بشواهد من الآيات والأخبار والآثار .

وأما ربع المنجيات فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التى يتقرب بها العبد من رب العالمين ، وأذكر فى كل خصلة حدها وحقيقتها ، وسببها الذى به تجتلب ، وثمرتها التى منها تستفاد ، وعلامتها التى بها تعرف ، وفضيلتها التى لأجلها فيها يرغب ، مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل .

المقصد : فى فضل الكتاب المشار إليه
وبعض المدائح والثناء من الأكابر عليه ، والجواب عما استشكل منه وطعن بسببه فيه

اعلم أن فضائل الإحياء لا تحصى ، بل كل فضيلة له باعتبار حيثياتها لا تستقصى ، جمع الناس مناقبه فقصروا وما قصروا ، وغاب عنهم أكثر مما أبصروا ، وعز من أفرادها فيما علمت بتأليف ، وهى جديرة بالتصنيف ، غاص مؤلفه رضى الله عنه فى بحار الحقائق ، واستخرج جواهر المعانى ثم لم يرض إلا بكبارها ، وجال فى بساتين العلوم فاجتنى ثمارها بعد أن اقتطف من أزهارها ، وسما إلى سماء المعانى فلم يصطف من كواكبها إلا السيارة ، وجليت عليه عرائس أسرار معانى فلم ترق فى عينه منهن إلا بادية النضارة ، جمع رضى الله عنه فأوعى ، وسعى فى إحياء علوم الدين فشكر الله له ذلك المسعى ؛ فلله دره من عالم محقق مجيد ، وإمام جامع لشتات الفضائل محرر فريد ، لقد أبدع فيما أودع كتابه من الفوائد الشوارد ، وقد أغرب فيما أعرب فيه من الأمثلة والشواهد ، وقد أجاد فيما أفاد فيه وأملى ، بيد أنه فى العلوم صاحب القدح المعلى ، إذ كان رضى الله عنه من أسرار العلوم بمحل لا يدرك ، وأين مثله وأصله أصله ، وفضله فضله .

هيهات لا يأتى الزمان بمثله * إن الزمان بمثله لشحيح

وما عسيت أن أقول فيمن جمع أطراف المحاسن ، ونظم أشتات الفضائل ، وأخذ برقاب المحامد ، واستولى على غايات المناقب ، فشجرته فى قرارة العلم والعمل والعلا والفهم والذكاء ، أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، مع كونه رضى الله عنه ذا الصدر الرحيب والقريحة الثاقبة والدراية الصائبة ، والنفس السامية والهمة العالية . ذكر الشيخ عبد الله ابن أسعد اليافعى رحمة الله عليه أن الفقيه العلامة قطب اليمن إسماعيل بن محمد الحضرمى ثم اليمنى سئل عن تصانيف الغزالى فقال من جملة جوابه : محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء ومحمد بن إدريس الشافعى سيد الأئمة ومحمد بن محمد بن محمد الغزالى سيد المصنفين . وذكر اليافعى أيضاً أن الشيخ الإمام الكبير أبا الحسن على بن حرزهم الفقيه المشهور المغربى كان بالغ فى الإنكار على كتاب إحياء علوم الدين وكان مطاعاً مسموع الكلمة ، فأمر بجمع ما ظفر به من نسخ الإحياء وهم بإحراقها فى الجامع يوم الجمعة فرأى ليلة تلك الجمعة كأنه دخل الجامع فإذا هو بالنبى

صلى الله عليه وسلم فيه ومعه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما والإمام الغزالى قائم بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فلما أقبل ابن حرزهم قال الغزالى : هذا خصمى يارسول الله فإن كان الأمر كما زعم تبت إلى الله ، وإن كان شيئاً حصل لى من بركتك واتباع سنتك فخذلى حقى من خصمى ، ثم ناول النبى صلى الله عليه وسلم كتاب الإحياء ، فتصفحه النبى صلى الله عليه وسلم ورقةورقة من أوله إلى آخره ثم قال : والله إن هذا لشىء حسن ، ثم ناوله الصديق رضى الله عنه ، فنظر فيه فاستجاده . ثم قال : نعم والذى بعثك بالحق إنه لشىء حسن ، ثم ناوله الفاروق عمر رضى الله عنه ، فنظر فيه وأثنى عليه كما قال الصديق ، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بتجريد الفقيه على بن حرزهم عن القميص وأن يضرب ويحد حد المفترى ، فجرد وضرب ، فلما ضرب خمسة أسواط تشفع فيه الصديق رضى الله عنه وقال : يارسول الله لعله ظن فيه خلاف سنتك فأخطأ فى ظنه ، فرضى الإمام الغزالى وقبل شفاعة الصديق ، ثم استيقظ ابن حرزهم وأثر السياط فى ظهره ، وأعلم أصحابه وتاب إلى الله عن إنكاره على الإمام الغزالى واستغفر ، ولكنه بقى مدة طويلة متألما من أثر السياط وهو يتضرع إلى الله تعالى ويتشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى أن رأى النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليه ومسح بيده الكريمة على ظهره فعوفى وشفى بإذن الله تعالى ، ثم لازم مطالعة إحياء علوم الدين ففتح الله عليه فيه ونال المعرفة بالله وصار من أكابر المشايخ أهل العلم الباطن والظاهر رحمه الله تعالى .

قال اليافعى : روينا ذلك بالأسانيد الصحيحة فأخبرنى بذلك ولى الله عن ولى الله عن ولى الله عن ولى الله الشيخ الكبير القطب شهاب الدين أحمد بن الميلق الشاذلى عن شيخه الشيخ الكبير العارف بالله ياقوت الشاذلى عن شيخه الشيخ الكبير العارف بالله أبى العباس المرسى عن شيخه الشيخ الكبير شيخ الشيوخ أبى الحسن الشاذلى قدس الله أرواحهم وكان معاصراً لابن حرزهم قال : وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى : ولقدمات الشيخ أبو الحسن ابن حرزهم رحمه الله يوم مات وأثر السياط ظاهر على ظهره . وقال الحافظ ابن عساكر رحمه الله وكان أدرك الإمام الغزالى واجتمع به قال : سمعت الإمام الفقيه الصوفى سعد بن على بن أبى هريرة الإسفراينى يقول : سمعت الشيخ الإمام الأوحد زين القراء جمال الحرم أبا الفتح الشاوى بمكة المشرفة يقول : دخلت المسجد الحرام يوما فطرأ على حال وأخذنى عن نفسى ، فلم أقدر أن أقف ولا أجلس لشدة مابى ، فوقعت على جنبى الأيمن تجاه الكعبة المعظمة وأنا على طهارة ، وكنت أطرد عن نفسى النوم ، فاخذتنى سنة بين النوم واليقظة ، فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى أكمل صورة وأحسن زى من القميص والعمامة ، ورأيت الأئمة الشافعى ومالكا وأبا حنيفة وأحمد رحمهم الله يعرضون عليه مذاهبهم واحدا بعد واحد ، وهو صلى الله عليه وسلم يقررهم عليها ، ثم جاء شخص من رؤساء المبتدعة ليدخل الحلقة فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بطرده وإهانته ، فتقدمت أنا وقلت : يارسول الله ، هذا الكتاب ـ أعنى إحياء علوم الدين ـ معتقدى ومعتقد أهل السنة والجماعة ، فلو أذنت لى حتى أقرأه عليك فأذن لى فقرأت عليه من « كتاب قواعد العقائد » :

بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب قواعد العقائد وفيه أربعة فصول : الفصل الأول فى ترجمة عقيدة أهل السنة ، حتى انتهيت إلى قول الغزالى : وأنه تعالى بعث النبى الأمى القرشى محمدا صلى الله عليه وسلم إلى كافة العرب والعجم والجن والإنس ؛ فرأيت البشاشة فى وجهه صلى الله عليه وسلم . ثم التفت وقال : أين الغزالى ؟ وإذا بالغزالى واقف بين يديه فقال : ها أنا ذا يارسول الله ، وتقدم وسلم ، فرد عليه السلام ، عليه الصلاة والسلام ، وناوله يده الكريمة فأكب عليها الغزالى يقبلها ويتبرك بها ، ومارأيت النبى صلى الله عليه وسلم أشد سروراً بقراءة أحد عليه مثل ما كان بقراءتى عليه الإحياء ، ثم انتبهت والدمع يجرى من عينى من أثر تلك الأحوال والكرامات ، وكان تقريره صلى الله عليه وسلم لمذاهب أئمة السنة ، واستبشاره بعقيدة الغزالى وتقريرها نعمة من الله عظيمة ؟ ومنة جسيمه ، نسأل الله تعالى أن يحيينا على سنته ويتوفانا على ملته ، آمين .

﴿ فصل ﴾ أثنى على الإحياء عالم من علماء الإسلام ، وغير واحد من عارفى الأنام : بل جمع أقطاب وأفراد ، فقال

فيه الحافظ الامام الفقيه أبو الفضل العراقي في تخريجه : إنه من أجل كتب الإسلام في معرفة الحلال والحرام ، جمع فيه بين ظواهر الأحكام ، ونزع إلى سرائر دقت عن الأفهام ، لم يقتصر فيه على مجرد الفروع والمسائل ، ولم يتبحر في اللجة بحيث يتعذر الرجوع إلى الساحل ، بل مزج فيه علمي الظاهر والباطن ، ومزج معانيها في أحسن المواطن ، وسبك فيه نفائس اللفظ وضبطه ، وسلك فيه من النمط أوسطه ، مقتديا بقول علي كرم الله وجهه : خير هذه الأمة النمط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي ، إلى آخر ما ذكره مما الأولى بنافي هذا المحل طيه ، ثم الانتقال إلى نشر محاسن الإحياء ليظهر للمحب والمبغض رشده وغيه . وقال عبد الغافر الفارسي في كتاب الإحياء : إنه من تصانيفه المشهورة التي لم يسبق إليها . وقال فيه النووي : كاد الاحياء أن يكون قرآنا . وقال الشيخ أبو محمد الكازروني : لو محيت جميع العلوم لاستخرجت من الإحياء . وقال بعض علماء المالكية : الناس في فضل علوم الغزالي أي والإحياء جماعها ، كما سيأتي أنه البحر المحيط . وكان السيد الجليل كبير الشأن تاج العارفين وقطب الأولياء الشيخ عبد الله العيدروس رضي الله عنه يكاد يحفظه نقلا وروى عنه قال : مكثت سنين أطالع كتاب الإحياء كل فصل وحرف منه وأعاوده وأتدبره فيظهر لي منه في كل يوم علوم وأسرار عظيمة ومفهومات غزيرة غير التي قبلها . ولم يسبقه أحد ولم يلحقه أحد أثنى على كتاب الإحياء بما أثنى عليه ، ودعا الناس بقوله وفعله إليه ، وحث على التزام مطالعته والعمل بما فيه . ومن كلامه رضي الله عنه : عليكم يا إخواني بمتابعة الكتاب والسنة ، أعني الشريعة المشروحة في الكتب الغزالية ، خصوصا : كتاب ذكر الموت ، وكتاب الفقر والزهد ، وكتاب التوبة ، وكتاب رياضة النفس . ومن كلامه : عليكم بالكتاب والسنة أولا وآخراً وظاهراً وباطنا ، وفكرا واعتبارا واعتقادا ، وشرح الكتاب والسنة مستوفى في كتاب إحياء علوم الدين للإمام حجة الإسلام الغزالي رحمه الله ونفعنا به . ومن كلامه : وبعد فليس لنا طريق ومنهاج سوى الكتاب والسنة ، وقد شرح ذلك كله سيد المصنفين ، وبقية المجتهدين ، حجة الإسلام الغزالي ، في كتابه العظيم الشان الملقب : أعجوبة الزمان « إحياء علوم الدين » الذي هو عبارة عن شرح الكتاب والسنة والطريقة : ومن كلامه : عليكم بملازمة كتاب إحياء علوم الدين فهو موضع نظر الله وموضع رضا الله ، فمن أحبه وطالعه وعمل بما فيه فقد استوجب محبة الله ومحبة رسول الله ومحبة ملائكة الله وأنبيائه وأوليائه ، وجمع بين الشريعة والطريقة والحقيقة في الدنيا والآخرة وصار عالما في الملك والملكوت . ومن كلامه الوجيز العزيز : لو بعث الله الموتى لما أوصوا الأحياء إلا بما في الإحياء . ومن كلامه : اعلموا أن مطالعة الإحياء تحضر القلب الغافل في لحظة كحضور سواد الحبر بوقوع الزاج في العفص والماء ، وتأثير كتب الغزالي واضح ظاهر مجرب عند كل مؤمن . ومن كلامه : أجمع العلماء العارفون بالله على أنه لا شيء أنفع للقلب وأقرب إلى رضا الرب من متابعة حجة الإسلام الغزالي ومحبة كتبه ؛ فإن كتب الإمام الغزالي لباب الكتاب والسنة ، ولباب المعقول والمنقول ، والله وكيل على ما أقول . ومن كلامه : أنا أشهد سرا وعلانية أن من طالع كتاب إحياء علوم الدين فهو من المهتدين . ومن كلامه : من أراد طريق الله وطريق رسول الله وطريق العارفين بالله وطريق العلماء بالله أهل الظاهر والباطن ، فعليه بمطالعة كتب الغزالي خصوصاً « إحياء علوم الدين » فهو البحر المحيط . ومن كلامه : اشهدوا على أن من وقع على كتب الغزالي فقد وقع على عين الشريعة والطريقة والحقيقة . ومن كلامه : من أراد طريق الله ورسوله ورضاهما فعليه بمطالعة كتب الغزالي وخصوصاً البحر المحيط إحياء أعجوبة الزمان ، ومن كلامه : نطق معاني معنوي القرآن ، ولسان حال قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوب الرسل والأنبياء ، وجميع العلماء بالله وجميع العلماء بأمر الله الأتقياء ، بل جميع أرواح الملائكة ، بل جميع فرق الصوفية مثل العارفين والملامتية ، بل جميع سر حقائق الكائنات والمعقولات وما يناسب رضا الذات والصفات ، أجمع هؤلاء المذكورين أن لا شيء أرفع وأنفع وأبهى وأبهج وأتقى وأقرب إلى رضا الرب كمتابعة الغزالي ومحبة كتبه ، وكتب الغزالي قلب الكتاب والسنة ، بل قلب المعقول المنقول ، وأنفع يوم ينفخ إسرافيل في الصور ، وفي يوم نقر الناقور ، والله وكيل على ما أقول ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور . ومن كلامه : كتاب إحياء علوم الدين فيه جميع الأسرار ،

وكتاب بداية الهداية فيه التقوى ، وكتاب الأربعين الأصل فيه شرح الصراط المستقيم ، وكتاب منهاج العابدين فيه الطريق إلى الله ، وكتاب الخلاصة فى الفقه فيه النور . ومن كلامه : السر كله فى اتباع الكتاب والسنة : وهو اتباع الشريعة ، والشريعة مشروحة فى كتاب إحياء علوم الدين المسمى أعجوبة الزمان : ومن كلامه : بخ بخ بخ لمن طالع إحياء علوم الدين أو كتبه أو سمعه . وكلامه رضى الله عنه فى تصانيفه وغيرها مشحون من الثناء على الإمام الغزالى وكتبه ، والحث على العمل بها خصوصا إحياء علوم الدين ، وقد كان سيدى ووالدى الشيخ العارف بالله تعالى شيخ ابن عبد الله العيدروس رضى الله عنه يقول : إن أمهل الزمان جمعت كلام الشيخ عبد الله فى الغزالى وسميته (الجوهر المتلالى ، من كلام الشيخ عبد الله فى الغزالى) فلم يتيسر له ، وأرجو أن يوفقنى الله لذلك ، تحقيقا لرجائه ورجاء أن يتناولنى دعاء الشيخ عبدالله رضى الله عنه ، فإنه قال غفر الله لمن يكتب كلامى فى الغزالى ، وناهيك ببشارة فى هذه العبارة التى برزت من ولى عارف وقطب مكاشف لايجازف فى مقال ولاينطق إلا عن حال ، وفى هذا من الشرف للغزالى وكتبه مالايحتاج معه إلى مزيد ﴿ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ فإن العظيم لايعظم فى عينه إلا عظيم ، ولايعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل ، وإذا تصدى العيدروس لتعريفه فقد أغنى تعريفه عن كل تعريف ووصف ، والشهادة منه خير من شهادة ألف ألف وحصل من الإحياء فى زمانه بسببه نسخ عديدة ، حتى إن بعض العوام حصلها لما رأى من ترغيبه فيه وألزم أخاه الشيخ عليا قراءته فقرأه عليه مدة حياته خمسا وعشرين مرة ، وكان يصنع عند كل ختم ضيافة عامة للفقراء وطلبة العلم الشريف ، ثم إن الشيخ عليا ألزم ولده عبدالرحمن قراءته عليه مدة حياته ، فختمه عليه أيضا خمسا وعشرين مرة ، وكان ولده سيدى الشيخ أبو بكر العيدروس صاحب عدن التزم بطريقة النذر على نفسه مطالعة شىء منه كل يوم ، وكان لايزال يحصل منه نسخة بعد نسخة ويقول : لاأترك تحصيل الإحياء أبدا ماعشت ، حتى اجتمع عنده منه نحو عشر نسخ قلت : وكذلك كان سيدى الشيخ الوالد شيخ ابن عبد الله ابن شيخ ابن الشيخ عبد الله العيدروس رضى الله عنه مدمنا على مطالعته وحصل منه نسخا عديدة نحو السبع ، وأمر بقراءته عليه غير مرة ، وكان يعمل فى ختمه ضيافة عامة ، فلازمته ميراث عيدروسى وتوفيق قدوسى فمن وفقه الله لامتثاله والعمل بما فيه واستعماله بلغ الرتبة العليا وحاز شرف الآخرة والدنيا .

وقال السيد الكبير العارف بالله الشهير على بن أبى بكر ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف . لو قلب أوراق الإحياء كافر لأسلم ، ففيه سر خفى يجذب القلوب شبه المغناطيس . قلت : وهو صحيح ؛ فإنى مع خسيس قصدى وقساوة قلبى أجد عند مطالعتى له من انبعاث الهمة وعزوف النفس عن الدنيا مالا مزيد عليه ، ثم يفتر برجوعى إلى ما أنا فيه ومخالطة أهل الكثافات ، ولا أجد ذلك عند مطالعة غيره من كتب الوعظ والرقائق ، وما ذاك إلا لشىء أودعه الله فيه وسر نفس مصنفه وحسن قصده . والمراد بالكافر هنا فيما يظهر : الجاهل بعيوب النفس المحجوب عن إدراك الحق ، أى فبمجرد مطالعته للكتاب المذكور يشرح الله صدره وينور قلبه ، وذلك لأن الوعظ إذا صدر عن قلب متعظ كان حريا أن يتعظ به سامعه ، وكما أن الله تعالى جعل لعباده الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون رتبة فوق غيرهم ، كذلك جعل لما يبرز منهم ويؤخذ عنهم بركة زائدة على غيره ، لأن ألسنتهم كريمة وأنوار قلوبهم عظيمة ، وهممهم علية وإشاراتهم سنية ، حتى يكون للقرآن أثر عظيم عند سماعه منهم ، وللأحاديث بهجة وجلالة زائدة إذا أخذت عنهم ، وللمواعظ منهم تأثير فى القلوب ظاهر ، ولعلومهم وفقههم أنوار ونفع متظاهر ، حتى تجد الرجل له العلم القليل وبعد ذلك ينتفع به كثير لحسن نيته ووجود بركته وغيره له أكثر من ذلك العلم ولم ينتفع به مثله لأنه دونه فى منزلته ، ومن تأمل ذلك وجده أمرا ظاهرا معهودا ، وشيئا مجربا موجودا ؛ فانظر إلى نفع الناس بكتاب الخلاف فى مذهب مالك رحمه الله تعالى ، والتنبيه فى مذهب الشافعى رحمه الله تعالى ، والجمل العربية والإرشاد فى علم الكلام وانتشارها ؛ مع أن ماحوت من العلم فى فنونها قليل ، وقد جمع غير هؤلاء فى هذه الفنون فى مثل أجرام هذه الكتب أضعاف مافيها من تحقيق تحرير العبارة وتشقيق المعانى وتلخيص الحدود ، وبعد هذا فالنفع بهذه أكثر وهى أظهر وأشهر ،

لأن العلم بمزيد التقوى وقوة سر الإيمان لا بكثرة الذكاء وفصاحة اللسان ، كما بين ذلك مالك رحمه الله تعالى بقوله : ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يضعه الله فى القلب . قلت : ومما أنشده الشيخ على بن أبى بكر رضى الله عنه لنفسه فيه قوله :

أخى انتبه والزم سلوك الطرائق * وسارع إلى المولى بجد وسابق
أيا طالبا شرح الكتاب وسنة * وقانون قلب القلب بحر الرقائق
وإيضاح منهج للحقيقة مشرق * وشرب حميا صفو راح الحقائق
وإجلاء أذكار المعانى ضواحكا * بباهج حسن جاذب للخلائق
عليك بإحياء العلوم ولبها * وأسرارها كم قد حوى من دقائق
وكم من لطيفات لذى اللب منهل * وكم من مليحات سبت لب حاذق
كتاب جليل لم يصنف قبله * ولا بعده مثل له فى الطرائق
فكم من بديع اللفظ يجلى عرائسا * وكم من شموس فى حماه شوارق
معانيه أضحت كالبدور سواطعا * على در لفظ للمعانى مطابق
وكم من عزيزات زهت فى قبابها * محجبة عن غير كفء مسابق
وكم من لطيف مع بديع وتحفة * حلاوتها كالشهد تحلو لذائق
بساتين عرفان وروض لطائف * وجنة أنواع العلوم الفوائق
رعى الله صبارا تعانى جنانها * يروح ويغدو بين تلك الحقائق
ويقطف من ذاكى جناها فواكها * بساحل بحر بالجواهر دافق
خضم طمى قد علا فوق من علا * بشامخ مجد مشرق بالحقائق
فإن لم بهذا القول تؤمن فجربن * وأقبل على تلك المعانى وعانق
وراجع طريقا فى بديع جمالها * وطف فى حماها منشدا كل سابق
ترى فى بدور الحى أقمار قد بدت * بعالى جمال مدهش لب عاشق
فكم أنهلت صبا وكم قشعت عمى * وكم قد سعت فى غربها والمشارق
فيضحى براح الحب سكران مغرما * أصم عن العذال غير موافق
ويمسى يناديها طريحاً ببابها * منعم عيش فى الربوع الغوادق
صلاة على سر الوجود شفيعنا * محمد المختار خير الخلائق
وأصحابه أهل المكارم والعلا * وعترته وراث علم الحقائق

﴿ فصل ﴾ وأما ماأنكر عليه فيه من مواضع مشكلة الظاهر ـ وفى التحقيق لا إشكال ـ أو أخبار وآثار تكلم فى سندها ؛ فأما من جهة تلك المواضع فمن أجاب عنها المصنف فى كتابه المسمى (بالأجوبة) وأسوق لك نبذة من ذلك هنا . قال رحمه الله : سألت ـ يسرك الله لمراتب العلم تصعد مراقيها وقرب لك مقامات الأولياء تحل معاليها ـ عن بعض ماوقع فى الإملاء الملقب بالإحياء ، عما أشكل على من حجب وقصر فهمه ولم يفز بشىء من الحظوظ الملكية قدحه وسهمه ، وأظهرت التحزن لما شاهدته من شركاء الطغام وأمثال الأنعام وأتباع العوام وسفهاء الأحلام وعار أهل الإسلام ، حتى طعنوا عليه ونهوا عن قراءه ومنتحليه ومطالعته ، وأفتوا بالهوى مجردا على غير بصيرة بإطراحه ومنابذته ونسبوا مليه إلى ضلال وإضلال ، ورموا قراءته بزيغ عن الشريعة واختلال ، إلى أن قال : ﴿ ستكتب شهادتهم ويسألون ... وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ﴾ ثم ذكر آيات أخرى فى المعنى ، ثم وصف الدهر وأهله وذهاب العلم وفضله ثم ذكر عذر المعترضين بما يرجع حاصلها إلى الحسد وإلى الجهل وقلة الدين ، بل أفصح بذلك فى الآخر

حيث قال : حجبوا عن الحقيقة بأربعة : الجهل والإصرار ، ومحبة الدنيا ، وإظهار الدعوى . ثم بين ما ورثوه عن الأربعة المذكورة . قال : فالجهل أورثهم السخف إلى آخر ما ذكره . وأما ما اعترض به من تضمينه أخبارا وآثارا موضوعة أو ضعيفة ، وإكثاره من الأخبار والآثار - والإكثار يتحاشى منه المتورع لئلا يقع فى الموضوع .

وحاصل ما أجيب به عن الغزالى - ومن المجيبين الحافظ العراقى - أن أكثر ما ذكره الغزالى ليس بموضوع كما برهن عليه فى التخريج ، وغير الأكثر وهو فى غاية القلة رواه عن غيره أو تبع فيه غيره متبرئا منه بنحو صيغة «روى» وأما الاعتراض عليه أن فيما ذكره الضعيف بكثرة ، فهو اعتراض ساقط ، لما تقرر أنه يعمل به فى الفضائل ، وكتابه فى الرقائق فهو من قبلها ، ولأن له أسوة بأئمة الأئمة الحفاظ فى اشتمال كتبهم على الضعيف بكثرة المنبه على ضعفه تارة والمسكوت عنه أخرى ، وهذه كتب الفقه للمتقدمين - وهى كتب الأحكام لا الفضائل - يوردون فيها الأحاديث الضعيفة ساكتين عليها ، حتى جاء النووى رحمه الله فى المتأخرين ونبه على ضعف الحديث وخلافه ، كما أشار إلى ذلك كله العراقى قال عبد الغافر الفارسى سبط القشيرى : ظهرت تصانيف الغزالى وفشت ولم يبد فى أيامه مناقضة لما كان فيه ولا لمآثره ... إلى آخر ما ذكره . ومما يدلك على جلالة كتب الغزالى ما نقل ابن السمعانى من رؤيا بعضهم فيما يرى النائم : كأن الشمس طلعت من مغربها مع تعبير ثقات المعبرين ببدعة تحدث ، فحدثت فى جميع المغرب بدعة الأمر بإحراق كتبه ، ومن أنه لما دخلت مصنفاته إلى المغرب أمر سلطانه على بن يوسف بإحراقها لتوهمه اشتمالها على الفلسفة وتوعد بالقتل من وجدت عنده بعد ذلك ، فظهر بسبب أمره فى مملكته مناكير ووثب عليه الجند ، ولم يزل من وقت الأمر والتوعد فى عكس ونكد ، بعد أن كان عادلا .

خاتمة فى الإشارة إلى ترجمة المصنف رضى الله عنه

وسبب رجوعه إلى طريقة الصوفية رضى الله عنهم

أما ترجمته رضى الله عنه فهو الإمام زين الدين حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى النيسابورى الفقيه الصوفى الشافعى الاشعرى ، الذى انتشر فضله فى الآفاق وفاق ، ورزق الحظ الأوفر فى حسن التصانيف وجودتها ، والنصيب الأكبر فى جزالة العبارة وسهولتها وحسن الإشارة وكشف المعضلات والتبحر فى أصناف العلوم فروعها وأصولها . ورسوخ القدم فى منقولها ومعقولها ، والتحكم والاستيلاء على إجمالها وتفصيلها ، مع ما خصه الله به من الكرامة وحسن السيرة والاستقامة والزهد ، والعزوف عن زهرة الدنيا والإعراض عن الجهات الفانية واطراح الحشمة والتكلف . قال الحافظ العلامة ابن عساكر والشيخ عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعى والفقيه جمال الدين عبد الرحيم الأسنوى رحمهم الله تعالى ولد الإمام الغزالى بطوس سنة خمسين وأربعمائة ، وابتدأ بها فى صباه بطرف من الفقه ، ثم قدم نيسابور ولازم دروس إمام الحرمين ، وجد واجتهد حتى تخرج فى مدة قريبة وصار أنظر أهل زمانه وأوحد أقرانه ، وجلس للإقراء وإرشاد الطلبة فى أيام إمامه وصنف ، وكان الإمام يتبجح به ويعتد بمكانه منه ، ثم خرج من نيسابور وحضر مجلس الوزير نظام الملك فأقبل عليه وحل منه محلا عظيما لعلو درجته وحسن مناظرته ، وكانت حضرة نظام الملك محط رحال العلماء ، ومقصد الأئمة والفضلاء ، ووقع للإمام الغزالى فيها اتفاقات حسنة من مناظرة الفحول ، فظهر اسمه وطار صيته ، فرسم عليه نظام الملك بالمسير إلى بغداد للقيام بتدريس المدرسة النظامية ، فسار إليها وأعجب الكل تدريسه ومناظرته ، فصار إمام العراق بعد أن حاز إمامة خراسان ، وارتفعت درجته فى بغداد على الأمراء والوزراء والأكابر وأهل دار الخلافة ، ثم انقلب الأمر من جهة أخرى فترك بغداد وخرج عما كان فيه من الجاه والحشمة مشتغلا بأسباب التقوى ، وأخذ فى التصانيف المشهورة التى لم يسبق إليها مثل « إحياء علوم الدين » وغيره ، التى من تأملها عرف محل مصنفها من العلم . قيل إن تصانيفه وزعت على أيام

عمره فأصاب كل يوم كراس ، ثم صار إلى القدس مقبلا على مجاهدة النفس وتبديل الأخلاق وتحسين الشمائل حتى مرن على ذلك ، ثم عاد إلى وطنه طوس لازما بيته مقبلا على العبادة ونصح العباد وإرشادهم ودعائهم إلى الله تعالى ، والاستعداد للدار الآخرة يرشد الضالين ويفيد الطالبين دون أن يرجع إلى ما انخلع عنه من الجاه والمباهاة ، وكان معظم تدريسه فى التفسير والحديث والتصوف ، حتى انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الأولى سنة خمس وخمسمائة - خصه الله تعالى بأنواع الكرامة فى أخراه كما خصه بها فى دنياه - قيل : وكانت مدة القطبية للغزالى ثلاثة أيام على ما حكى فى كرامات الشيخ سيد العمودى نفع الله به . وذكر الشيخ عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعى رحمه الله تعالى بإسناده الثابت إلى الشيخ الكبير القطب الربانى شهاب الدين أحمد الصياد اليمنى الزبيدى وكان معاصراً للغزالى نفع الله بهما قال : بينما أنا ذات يوم قاعد إذ نظرت إلى أبواب السماء مفتحة وإذا عصبة من الملائكة الكرام قد نزلوا ومعهم خلع خضر ومركوب نفيس ، فوقفوا على قبر من القبور وأخرجوا صاحبه وألبسوه الخلع وأركبوه وصعدوا به من سماء إلى سماء إلى أن جاوزت السموات السبع وخرق بعدها ستين حجابا ولا أعلم أين بلغ انتهاؤه ، فسألت عنه فقيل لى : هذا الإمام الغزالى ، وكان ذلك عقيب موته رحمه الله تعالى ، ورأى فى النوم السيد الجليل أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه النبى صلى الله عليه وسلم وقد باهى موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام بالإمام الغزالى وقال : أفى أمتكما حبر كهذا قالا ؟ لا ، وكان الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه يقول لأصحابه من كانت له منكم إلى الله حاجة فليتوسل بالغزالى . وقال جماعة من العلماء رضى الله عنهم منهم الشيخ الإمام الحافظ ابن عساكر فى الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى أن الله تعالى يحدث لهذه الأمة من يجدد لها دينها على رأس كل مائة سنة : أنه كان على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وعلى رأس المائة الثانية الإمام الشافعى رضى الله عنه ، وعلى رأس المائة الثالثة الإمام أبو الحسن الأشعرى رضى الله عنه ، وعلى رأس المائة الرابعة أبو بكر الباقلانى رضى الله عنه ، وعلى رأس المائة الخامسة أبو حامد الغزالى رضى الله عنه . روى ذلك عن الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه فى الإمامين الأولين أعنى عمر بن عبد العزيز والشافعى ، ومناقبه رضى الله عنه أكثر من أن تحصر ، وفيما أوردناه مقنع وبلاغ ومن مشهورات مصنفاته : البسيط ، والوسيط ، والوجيز ، والخلاصة فى الفقه ، وإحياء علوم الدين : وهو من أنفس الكتب وأجلها ، وله فى أصول الفقه : المستصفى ، والمنخول ، والمنتحل فى علم الجدل ، وتهافت الفلاسفة ، ومحك النظر ، ومعيار العلم ، والمقاصد ، والمضنون به على غير أهله ، ومشكاة الأنوار ، والمنقذ من الضلال ، وحقيقة القولين ، وكتاب « ياقوت التأويل فى تفسير التنزيل » أربعين مجلدا ، وكتاب أسرار علم الدين ، وكتاب منهاج العابدين ، والدرة الفاخرة فى كشف علوم الآخرة ، وكتاب الأنيس فى الوحدة ، وكتاب القربة إلى الله عزوجل ، وكتاب أخلاق الأبرار والنجاة من الأشرار ، وكتاب بداية الهداية ، وكتاب جواهر القرآن ، والأربعين فى أصول الدين ، وكتاب المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى ، وكتاب ميزان العمل ، وكتاب القسطاس المستقيم ، وكتاب التفرقة بين الإسلام والزندقة ، وكتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة ، وكتاب المبادى والغايات ، وكتاب كيمياء السعادة ، وكتاب تلبيس إبليس ، وكتاب نصيحة الملوك ، وكتاب الاقتصاد فى الاعتقاد ، وكتاب شفاء العليل فى القياس والتعليل ، وكتاب المقاصد ، وكتاب إلجام العوام عن علم الكلام ، وكتاب الانتصار ، وكتاب الرسالة اللدنية وكتاب الرسالة القدسية ، وكتاب إثبات النظر ، وكتاب المأخذ ، وكتاب القول الجميل فى الرد على من غير الإنجيل ، وكتاب المستظهرى ، وكتاب الأمالى ، وكتاب فى علم أعداد الوفق وحدوده ، وكتاب مقصد الخلاف ، وجزء فى الرد على المنكرين فى بعض ألفاظ إحياء علوم الدين ، وكتبه كثيرة وكلها نافعة .

وقال يمدحه تلميذه الشيخ الإمام أبو العباس الأقليشى المحدث الصوفى صاحب كتاب النجم والكواكب :

أبا حامد أنت المخصص بالمجد * وأنت الذى علمتنا سنن الرشد

وضعت لنا الإحياء تحيى نفوسنا * وتنقذنا من طاعة النازغ المردى

فربع عباداته وعاداته التى * يعاقبها كالدر نظم فى العقد
وثالثها فى المهلكات وإنه * لمنج من الهلك المبرح والبعد
ورابعها فى المنجيات وإنه * ليسرح بالأرواح فى جنة الخلد
ومنها ابتهاج للجوارح ظاهر * ومنها صلاح للقلوب من الحقد

وأما سبب رجوعه إلى هذه الطريقة واستحسانه لها فذكر رحمه الله فى كتابه المنقذ من الضلال ماصورته :

أما بعد : فقد سألتنى أيها الأخ فى الدين أن أبث لك غاية العلوم وأسرارها ، وغاية المذاهب وأغوارها ، وأحكى لك ماقاسيته فى استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق ، مع تباين المسالك والطرق ، وما استجرأت عليه من الارتفاع من حضيض التقليد إلى يفاع الاستبصار ، وما استفدته أولا من علم الكلام وما احتويته من طرق أهل التعليم القاصرين لدرك الحق على تعليم الإمام ، وما ازدريته ثالثا من طريق أهل التفلسف ، وما ارتضيته آخرا من طرق أهل التصوف ، وما تنحل لى فى تضاعيف تفتيشى عن أقاويل أهل الحق ، وماصرفنى عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة ، وما دعانى إلى معاودته بنيسابور بعد طول المدة ، فابتدرت لإجابتك إلى طلبتك بعد الوقوف على صدق رغبتك ، فقلت مستعينا بالله تعالى ومتوكلا عليه ، ومستوفقا منه وملتجئا إليه :

اعلموا - أحسن الله إرشادكم ، وألان إلى قبول الحق انقيادكم - أن اختلاف الخلق فى الأديان والملل ، ثم اختلاف الأئمة فى المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطرق : بحر عميق غرق فيه الأكثرون ، وما نجا منه إلا الأقلون ، وكل فريق يزعم أنه الناجى ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ ولم أزل فى عنفوان شبابى - مذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى أن أناف السن على الخمسين - أقتحم لجة البحر العميق وأخوض غمرته خوض الجسور ، لاخوض الجبان الحذور ، وأتوغل فى كل مظلمة ، وأهجم على كل مشكلة ، وأتقحم كل ورطة ، وأتفحص عن عقيدة كل فرقة ، وأتكشف أسرار مذاهب كل طائفة ، لأميز بين كل محق ومبطل ومستن ومبتدع ، لا أغادر باطنيا إلا وأحب أن أطلع على باطنيته ، ولاظاهريا إلا وأريد أن أعلم حاصل ظاهريته ، ولافلسفيا إلا واقصد الوقوف على فلسفته ، ولامتكلما إلا وأجتهد فى الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولاصوفيا إلا وأحرص على العثور على سر صوفيته ، ولامتعبدا إلا وأريد مايرجع إليه حاصل عبادته . ولازنديقا معطلا إلا وأتجسس وراءه للتنبه لأسباب جرأته فى تعطيله وزندقته ، وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبى وديدنى من أول امرى وريعان عمرى ، غريزة من الله وفطرة وضعها الله فى جبلتى ، لاباختيارى وحيلتى ، حتى انحلت عنى رابطة التقليد ، وانكسرت عنى العقائد الموروثة على قرب عهدى بالصبا ، إذ رأيت صبيان النصارى لايكون لهم نشء إلا على التنصر ، وصبيان اليهود لايكون لهم نشء إلا على التهود ، وصبيان الإسلام لايكون لهم نشء إلا على الإسلام ، وسمعت الحديث المروى عن النبى صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » فتحرك باطنى إلى طلب الفطرة الأصلية ، وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والأستاذين ، والتمييز بين هذه التقليدات ، وأوائلها تلقينات ، وفى تمييز الحق منها من الباطل اختلافات ، فقلت فى نفسى أولا : إنما مطلوبى العلم بحقائق الأمور ، ولا بد من طلب حقيقة العلم ما هى ؟ فظهر لى أن العلم اليقين هو الذى ينكشف فيه المعلوم انكشافا لايبقى معه ريب ، ولايقارنه إمكان الغلط كالوهم ، ولايتسع العقل لتقدير ذلك ، بل الأمان من الخطأ ينبغى أن يكون مقارنا للنص مقارنة لو تحدى بإظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهبا والعصا ثعبانا لم يورث ذلك شكا وإمكانا ، فإنى إذا علمت أن العشرة أكثر من الواحد لو قال لى قائل : الواحد أكثر من العشرة ، بدليل أنى أقلب هذه العصا ثعبانا وقلبها وشاهدت ذلك منه ، لم أشك فى معرفتى لكذبه ، ولم يحصل معى منه إلا التعجب من كيفية قدرته عليه ، وأما الشك فيما علمته فلا . ثم علمت أن كل ما لاأعلمه على هذا الوجه ولاأتيقنه من هذا النوع من اليقين فهو علم لاثقة به ، وكل علم لاأمان معه ليس بعلم يقينى ، ثم فتشت عن علومى فوجدت نفسى عاطلا عن علم موصوف بهذه الصفة إلا فى الحسيات والضروريات ، فقلت الآن بعد حصول اليأس لامطمع فى اقتباس

المستيقنات إلا من الجليات وهي الحسيات والضروريات ، فلابد من إحكامها أولا لأتبين أن يقيني بالمحسوسات وأماني من الغلط في الضروريات من جنس أماني الذي كان من قبل في التقليدات أو من جنس أمان أكثر الخلق في النظريات ، وهو أمان محقق لا تجوز فيه ولا غائلة له ، فأقبلت بجد بليغ أتأمل في المحسوسات والضروريات ، أنظر هل يمكنني أشكك نفسي فيها ! فأنتهى بعد طول التشكك بي إلى أنه لم تسمح نفسي بتسليم الأمان في المحسوسات ، وأخذ يتسع الشك فيها ، ثم أني ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعقلته وطالعت كتب المحققين منهم ، وصنفت ما أردت أن أصنفه ، فصادفته علما وافيا بمقصوده غير واف بمقصودي ، ولم أزل أتفكر فيه مدة وأنا بعد على مقام الاختيار أصمم عزمي على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الأحوال يوما ، وأحل العزم يوما ، وأقدم فيه رجلا وأؤخر فيه أخرى ، ولا تصدق لي رغبة في طلب الآخرة إلا حمل عليها جند الشهوة جملة فيغيرها عشية فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسبب ميلها إلى المقام ، ومنادي الإيمان ينادي : الرحيل الرحيل ، فلم يبق من العمر إلا القليل ، وبين يديك السفر الطويل ، وجميع ما أنت فيه من العمل رياء وتخييل ، وإن لم تستعد الآن للآخرة فمتى تستعد ، وإن لم تقطع الآن هذه العلائق فمتى تقطعها ؟ فعند ذلك تنبعث الرغبة وينجزم الأمر على الهرب والفرار ، ثم يعود الشيطان ويقول : هذه حالة عارضة إياك أن تطاوعها فإنها سريعة الزوال ، وإن أذعنت لها وتركت هذا الجاه الطويل العريض ، والشأن العظيم الخالي عن التكدر والتنغيص والأمر السالم الخالي عن منازعة الخصوم ربما التفتت إليه نفسك ولا تتيسر لك المعاودة ؛ فلم أزل أتردد بين التجاذب بين شهوات الدنيا والدواعي قريبا من ستة أشهر : أولها رجب من سنة ست وثمانين وأربعمائة ، وفي هذا الشهر جاوز الأمر حد الاختيار إلى الاضطرار ، إذ قفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس فكنت أجاهد نفسي أن أدرس يوما واحدا تطييباً للقلوب المختلفة إلى فكان لا ينطلق لساني بكلمة ولا أستطيعها ألبتة ، حتى أورثت هذه العقلة في اللسان حزنا في القلب بطلت معه قوة الهضم ومرى الطعام والشراب ، وكان لا تنساغ لي شربة ولا تنهضم لي لقمة ، وتعدى ذلك إلى ضعف القوى حتى قطع الأطباء طمعهم في العلاج وقالوا : هذا أمر نزل بالقلب ، ومنه سرى إلى المزاج فلا سبيل إليه بالعلاج إلا أن يتروح السر عن الهم المهم ؛ ثم لما أحسست بعجزي وسقط بالكلية اختياري التجأت إلى الله التجاء المضطر الذي لا حيلة له فأجابني الذي يجيب المضطر إذا دعاه ، وسهل على قلبي الإعراض عن المال والجاه والأهل والأولاد ، وأظهرت غرض الخروج إلى مكة وأنا أدبر في نفسي سفر الشام ، حذرا من أن يطلع الخليفة وجملة الأصحاب على غرضي في المقام بالشام ، فتلطفت بلطائف الحيل في الخروج من بغداد على عزم أن لا أعاودها أبدا ، واستهزأ بي أئمة العراق كافة ، إذ لم يكن فيهم من يجوز أن يكون الإعراض عما كنت فيه سبباً دينيا ، إذ ظنوا أن ذلك هو المنصب الأعلى في الدين ، فكان ذلك هو مبلغهم من العلم ، ثم ارتبك الناس في الاستنباطات ، فظن من بعد عن العراق أن ذلك كان لاستشعار من جهة الولاة ، وأما من قرب منهم فكان يشاهد لجاجهم في التعلق بي والإنكار علي وإعراضي عنهم وعن الالتفات إلى قولهم ، فيقولون هذا أمر سماوي ليس له سبب إلا عين أصابت أهل الإسلام وزمرة أهل العلم ، ففارقت بغداد وفارقت ما كان معي من مالي ولم أدخر من ذلك إلا قدر الكفاف وقوت الأطفال ، ترخصا بأن مال العراق مرصد للمصالح لكونه وقفا على المسلمين ، ولم أر في العالم ما يأخذ العالم لعياله أصح منه ، ثم دخلت الشام وأقمت فيه قريباً من سنتين لا شغل لي إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى كما كنت حصلته من علم الصوفية ، وكنت أعتكف مدة بمسجد دمشق أصعد منارة المسجد طول النهار وأغلق بابها على نفسي ، ثم تحرك بي داعية فريضة الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة ، وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه وسلامه ، وثم صرت إلى الحجاز ، ثم جذبتني الهمم ودعوات الأطفال إلى الوطن ، وعاودته بعد أن كنت أبعد الخلق عن أن أرجع إليه ، وآثرت العزلة حرصاً على الخلوة وتصفية القلب للذكر وكانت حوادث الزمان ومهمات العيال وضرورات المعيشة تغير في وجه المراد وتشوش صفوة الخلوة ، وكان لا يصفو لي الحال إلا في أوقات متفرقة ، لكني مع ذلك لا أقطع طمعي عنها فيدفعني عنها العوائق

وأعود إليها ، ودمت على ذلك مقدار عشر سنين ، وانكشف لى فى أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها ، والقدر الذى ينبغى أن نذكره لينتفع به أنى علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة ، وأن سيرتهم أحسن السير ، وطريقتهم أصوب الطرق ، وأخلاقهم أزكى الأخلاق ، بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من سيرتهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلا ؛ فإن جميع حركاتهم وسكناتهم فى ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة ، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به ، وبالجملة ماذا يقول القائل فى طريقة أول شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ، ومفتاحها الجارى منها مجرى التحرم فى الصلاة استغراق القلب بذكر الله ، وآخرها الفناء بالكلية فى الله تعالى ، وهو أقواها بالإضافة إلى ما تحت الاختيار . انتهى .

قال العراقى : فلما نفذت كلمته وبعد صيته وعلت منزلته وشدت إليه الرحال وأذعنت له الرجال ، شرفت نفسه عن الدنيا واشتاقت إلى الأخرى ، فاطرحها وسعى فى طلب الباقية ، وكذلك النفوس الزكية ، كما قال عمر بن عبد العزيز . إن لى نفساً تواقة : لما نالت الدنيا تاقت إلى الآخرة . قال بعض العلماء : رأيت الغزالى رضى الله عنه فى البرية وعليه مرقعة وبيده عكاز وركوة ، فقلت له : يا إمام أليس التدريس ببغداد أفضل من هذا ؟ فنظر إلى شزراً وقال : لما بزغ بدر السعادة فى فلك الإرادة وظهرت شموس الوصل :

تركت هوى ليلى وسعدى بمنزل * وعدت إلى مصحوب أول منزل
ونادتنى الأشواق مهلا فهذه * منازل من تهوى رويدك فانزل

﴿ انتهى كتاب تعريف الأحياء بفضائل الإحياء بحمد الله وعونه ﴾

كتاب الإملاء فى إشكالات الإحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ماخصص وعمم ، وصلى الله على سيد جميع الأنبياء المبعوث إلى العرب والعجم ، وعلى آله وعترته وسلم كثيرا وكرم .

سألت ـ يسرك الله لمراتب العلم تصعد مراقيها ، وقرب لك مقامات الولاية تحل معاليها ـ عن بعض ماوقع فى الإملاء الملقب بالإحياء مما أشكل على من حجب فهمه وقصر علمه ، ولم يفز بشىء من الحظوظ الملكية قدحه وسهمه ، وأظهرت التحزن لما شاش به شركاء الطغام وأمثال الأنعام ، وأجماع العوام وسفهاء الأحلام وذعار أهل الأسلام حتى طعنوا عليه ونهوا عن قراءته ومطالعته ، وأفتوا بمجرد الهوى على غير بصيرة باطراحه ومنابذته ، ونسبوا مليه إلى ضلال وإضلال ، ونبذوا قراءه ومنتحليه بزيغ فى الشريعة واختلال ؛ فإلى الله انصرافهم ومآبهم ، وعليه فى العرض الأكبر إيقافهم وحسابهم ، فستكتب شهادتهم ويسئلون ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ، بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ، ولو ردوه إل الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولكن الظالمون فى شقاق بعيد ، ولاعجب فقد ثوى أدلاء الطريق ، وذهب أرباب التحقيق ، ولم يبق فى الغالب إلا أهل الزور والفسوق ، متشبثين بدعاوى كاذبة ، متصفين بحكايات موضوعة ، متزينين بصفات منمقة ، متظاهرين بظواهر من العلم فاسدة ، متعاطين لحجج غير صادقة ؛ كل ذلك لطلب الدنيا أو محبة ثناء أو مغالبة نظراء ، قد ذهبت المواصلة بينهم بالبر ، وتألفوا جميعاً على المنكر ، وعدمت النصائح بينهم فى الأمر ، وتصافوا بأسرهم على الخديعة والمكر ؛ إن نصحتهم العلماء أغروا بهم ، وإن صمت عنهم العقلاء أزروا عليهم ؛ أولئك الجهال فى علمهم ، الفقراء فى طولهم ، البخلاء عن الله عزوجل بأنفسهم ، لايفلحون ولاينجح تابعهم ، ولذلك لاتظهر عليهم مواريث الصدق ، ولاتسطع حولهم أنوار الولاية ، ولاتخفق لديهم أعلام المعرفة ، ولايستر عوراتهم لباس الخشية ، لأنهم لم ينالوا أحوال النقباء ، ومراتب النجباء وخصوصية البدلاء ، وكرامة الأوتاد وفوائد الأقطاب ، وفى هذه أسباب السعادة وتتمة الطهارة ، لوعرفوا أنفسهم لظهر لهم الحق وعلموا علة أهل الباطل وداء أهل الضعف ودواء أهل القوة ، ولكن ليس هذا من بضائعهم ، حجبوا عن الحقيقة بأربع : بالجهل ، والإصرار ، ومحبة الدنيا ، وإظهار الدعوى . فالجهل أورثهم السخف ، والإصرار أورثهم التهاون ، ومحبة الدنيا أورثتهم طول الغفلة ، وإظهار الدعوى أورثهم الكبر والإعجاب والرياء ﴿والله من ورائهم محيط﴾ ﴿وهو على كل شىء شهيد﴾ فلا يغرنك ـ أعاذنا الله وإياك من أحوالهم ـ شأنهم ، ولايذهلنك عن الاشتغال بصلاح نفسك تمردهم وطغيانهم ، ولا يغوينك بما زين لهم من سوء أعمالهم شيطانهم ، فكأن قد جمع الخلائق فى صعيد ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾ وتلا ﴿ لقد كنت غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾ فياله من موقف قد أذهل ذوى العقول عن القال والقيل ، ومتابعة الأباطيل ؛ فأعرض عن الجاهلين ، ولاتطع كل أفاك أثيم ﴿ وإن كان كبر عليك

إعراضهم فإن استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين﴾ ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ ﴿فاصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين﴾ ﴿كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾ ولقد أجبناك - بحول الله وقوته وبعد استخارته - عما سألت عنه وخاصة ما زعمت فيه من تخصيص الكلام بالمثل الذى ذكر فيه الأقلام ، إذ قد اتفق أن يكون أشهر ما فى الكتاب وأكثر تصرفا على ألسنة الصدور والأصحاب ، حتى لقد صار المثل المذكور فى المجالس تحية الداخل وحديث الجالس ، فساعدتنا أمنيتك ، ولولا العجلة والاشتغال لأضفنا إلى إملائنا هذا بيانا غيره مما عدوه مشكلا ، وصار لعقولهم الضعيفة مخبلا ومضللا ، ونحن نستعيذ بالله من الشيطان ؛ ونستعصم به من جراءة فقهاء الزمان ونتضرع إليه فى المزيد من الإحسان ، إنه الجواد المنان .

ذكر مراسم الأسئلة فى المثل

ذكرت - رزقك الله ذكره وجعلك تعقل نهيه وأمره - كيف جاز انقسام التوحيد على أربعة مراتب ، ولفظة التوحيد تنافى التقسيم فى المشهود كما ينافى التكرير التعديد وإن صح انقسامه على وجه لا يندفع ، فهل تصح القسمة فيما يوجد أو فيما يقدر ، ورغبت من مزيد البيان فى تحقيق كل مرتبة ، وانقسام طبقات أهلها فيها إن كان يقع بينهم التفاوت ، وما وجه تمثيلها بالجوز فى القشور واللبوب ؟ ولم كان الأول لا ينفع والآخر الذى هو الرابع لا يحل إفشاؤه ؟ وما معنى قول أهل هذا الشأن : إفشاء سر الربوبية كفر ؟ أين أصل ما قالوه فى الشرع ؛ إذ الإيمان والكفر والهداية والضلال والتقريب والتبعيد والصديقية وسائر مقامات الولاية ودركات المخالفة إنما هى مآخذ شرعية وأحكام نبوية ، وكيف يتصور مخاطبة العقلاء الجمادات ؟ ومخاطبة الجمادات العقلاء ؟ وبماذا تسمع تلك المخاطبة ؟ أبحاسة الآذان أم بسمع القلب ! وما الفرق بين القلم المحسوس والقلم الإلهى ؟ وما حد عالم الملك وعالم الجبروت وحد عالم الملكوت ؟ وما معنى أن الله تعالى خلق آدم على صورته : وما الفرق بين الصورة الظاهرة التى يكون معتقدها منزها مجللا ؟ وما معنى الطريق فى ﴿إنك بالوادى المقدس طوى﴾ ولعله ببغداد أو أصفهان أو نيسابور أو طبرستان فى غير الوادى الذى سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى ، وما معنى فاستمع بسر قليل لما يوحى ؟ وهل يكون سماع القلب بغير سره ؟ وكيف يسمع لما يوحى من ليس بنبى ؟ أذلك على طريق التعميم أم على سبيل التخصيص ، ومن له بالتسلق إلى مثل ذلك المقام حتى يسمع أسرار الإله وإن كان على سبيل التخصيص ، والنبوة ليست محجورة على أحد إلا على من قصر عن سلوك تلك الطريق ، وما يسمع فى النداء إذا سمع هل أسمع موسى أو أسمع نفسه ؟ وما معنى الأمر للسالك بالرجوع من عالم القدرة ونهيه على أن يتخطى رقاب الصديقين ؟ وما الذى أوصله إلى مقامهم وهو فى المرتبة الثالثة وهى توحيد المقربين ؟ وما معنى انصراف السالك بعد وصوله إلى ذلك الرفيق ؟ وإلى أين وجهته فى الانصراف وكيف صفة انصرافه ؟ وما الذى يمنعه من البقاء فى الموضع الذى وصل إليه وهو أرفع من الذى خلفه ؟ وأين هذا من قول أبى سليمان الدارانى المذكور فى غير الإحياء : لو وصلوا ما رجعوا ، ما وصل من رجع ؟ وما معنى بأن ليس فى الإمكان أبدع من صورة هذا العالم ولا أحسن ترتيبا ولا أكمل صنعا ولو كان وادخره مع القدرة عليه كان ذلك بخلا يناقض الجود وعجزا يناقض القدرة الإلهية ؟ وما حكم هذه العلوم المكنونة هل طلبها فرض أو مندوب إليه أو غير ذلك ؟ ولم كسيت المشكل من الألفاظ واللغز من العبارات ؟ وإن جاز ذلك للشارع فيما له أن يختبر به ويمتحن ، فما بال من ليس شارعا ؟ انتهى جملة مراسم الأسئلة فى المثل .

فأسأل الله تعالى أن يملى علينا ما هو الحق عنده فى ذلك ، وأن يجرى على ألسنتنا ما يستضاء به فى ظلمات المسالك ، وأن يعم بنفعه أهل المبادى والمدارك ، ثم لابد أن أمهد مقدمة ، وأؤكد قاعدة ، وأؤكد وصية .

أما المقدمة فالغرض بها تبيين عبارات انفرد بها أرباب الطريق تغمض معانيها على أهل القصور فنذكر ما يغمض منها

ونذكر المقصد بها عندهم ، فرب واقف على مايكون من كلامنا مختصا بهذا الفن فى هذا وغيره فيتوقف عليه فهم معناه من جهة اللفظ .

وأما القاعدة فنذكر فيها الاسم الذى يكون سلوكنا فى هذه العلوم عليه ، والسمت الذى ننوى بمقصدنا إليه ؛ ليكون ذلك أقرب على المتأمل وأسهل على الناظر المتفهم .

وأما الوصية ، فنقصد فيها تعريف ماعلى من نظر فى كلام الناس وآخذ نفسه بالاطلاع على أغراضهم فيما ألفوه من تصانيفهم ، وكيف يكون نظره فيها واطلاعه عليها واقتباسه منها ، فذلك أوكد عليه أن يتعلمه من ظهورها فشردوا عنها وغلقت فى وجوههم الأبواب وأسدل دونهم الحجاب ، ولو أتوها من أبوابها بالترحيب والجوا على الرضا بالحبيب لكشف لهم كثير من حجب الغيوب ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

المقدمـــة

اعلم أن الألفاظ المستعملة منها مايستعمله الجماهير والعموم ، ومنها مايستعمله أرباب الصنائع ؛ والصنائع على ضربين : علمية ، وعملية ، فالعملية كالمهن والحرف ولأهل كل صناعة منهم ألفاظ يتفاهمون بها آلاتهم ، ويتعاطون أصول صناعتهم . والعلمية هى العلوم المحفوظة بالقوانين المعدلة بما تحرر من الموازين ، ولأهل كل علم أيضا ألفاظ اختصوا بها لايشاركهم فيها غيرهم إلا أن يكون ذلك بالاتفاق من غير قصد ، وتكون المشاركة إذا اتفقت إما فى صورة اللفظ دون المعنى ، أو فى المعنى وصورة اللفظ جميعا ، وهذا يعرفه من بحث عن مجارى الألفاظ عند الجمهور وأرباب الصنائع ، وإنما سمينا من العلوم صنائع ماقصد فيها التصنع بالترتيب فى التقسيم واختيار لفظ دون غيره وحده بطرفين : مبدإ ، وغاية ؛ ومالم يكن كذلك فلا نسميه صناعة كعلوم الأنبياء صلوات الله عليهم والصحابة رضى الله عنهم ، فإنهم لم يكونوا فيما عندهم من العلم على طريق من بعدهم ، ولا كانت العلوم عندهم بالرسم الذى هو عند من خلفهم ؛ ومثل ذلك علوم العرب ولسانها لانسميها عندهم صناعة ، ونسميها بذلك عند ضبطها بما اشتهر من القوانين وتقرر من الحصر والترتيب ، ولأرباب العلوم الروحانية وأهل الإشارات إلى الحقائق والمسمين بالسادة ، والملقبين بالصوفية والمتشبهين بالفقراء ، والمعروفين بالرقة ، والمعزى إليهم العلم والعمل : ألفاظ جرى رسمهم بالتخاطب بها فيما يتذاكرون أو يذكرونه ، ونحن إن شاء الله نذكر مايغمض منها ، إذ قد يقع منا عندما نذكر شيئا من علومهم ونشير إلى غرض من أغراضهم ؛ فلم نر أن يكون ذلك بغير ماعرف من ألفاظهم وعباراتهم ، ولا حرج فى ذلك عقلا وشرعا ، ونحن بحكم مصرف التقدير وهو على كل شىء قدير .

فمن ذلك السفر ، والسالك ، والمسافر ، والحال ، والمقام ، والمكان ، والشطح ، والطوالع ، والذهاب ، والنفس ، والسر ، والوصل ، والفصل ، والأدب ، والرياضة ، والتحلى ، والتخلى ، والتجلى ، والعلة ، والانزعاج ، والمشاهدة ، والمكاشفة ، واللوائح ، والتلوين ، والغيرة ، والحرية ، واللطيفة ، والفتوح ، والوسم ، والرسم ، والبسط ، والقبض ، والفناء ، والبقاء ، والجمع ، والتفرقة ، وعين التحلم والزوائد ، والإرادة ، والمريد ، والمراد ، والهمة ، والغربة ، والمكر ، والاصطلام ، والرغبة ، والرهبة ، والوجد ، والوجود ، والتواجد .

فنذكر شرح هذه على أوجز مايمكن بمشيئة الله تعالى ، وإن كانت ألفاظهم المصرفة بينهم فى علومهم أكثر مما ذكرنا ؛ فإنما قصدنا أن نريك منها أنموذجا ودستوراً تتعلم به إذا طرأ عليك مالم نذكره لك ههنا ، إذ لها مبحث وإليها سبيل ، فتطلبه بعد ذلك على وجهه .

فأما السفر والطريق ؛ فالمراد بها سفر القلب بآلة الفكر فى طريق المعقولات ، وعلى ذلك ابتنى لفظ السالك والمسافر فى لغتهم ، ولم يرد بذلك سلوك الأقدام التى بها يقطع مسافات الأجسام ، فإن ذلك مما شاركه فيه البهائم والأنعام . وأول مسالك السفر إلى الله تعالى عز وجل معرفة قواعد الشرع وخرق حجب الأمر والنهى ، وتعلق

الغرض فيها والمراد بها ومنها ، فإذا خلفوا نواجيها وقطعوا معاطبها ، أشرفوا على مفاوز أوسع ، وبرزت لهم مهامه أعرض وأطول : من ذلك معرفة أركان المعارف النبوية : النفس والعدو والدنيا ؛ فإذا تخلصوا من أوعارها أشرفوا على غيرها أعظم منها فى الانتساب ، وأعرض بغير حساب : من ذلك سر القدر وكيف خفى بحكم فى الخلائق وقادهم بلطف فى عنف ، وشدة فى لين ، وبقوة فى ضعف ، وباختيار فى جبر ، إلى ما هو فى مجاريه لا يخرج المخلفون عنه طرفة عين ، ولا يتقدمون ولا يتأخرون عنه ، والاشراف على الملكوت الأعظم ورؤية عجائب ومشاهدة غرائب : مثل العلم الإلهى ، واللوح المحفوظ ، واليمين الكاتبة وملائكة الله يطوفون حول العرش وبالبيت المعمور وهم يسبحونه ويقدسونه ، وفهم كلام المخلوقات من الحيوانات والجمادات ، ثم التخطى منها إلى معرفة الخالق للكل والمالك للجميع والقادر على كل شىء ، فتغشاهم الأنوار المحرقة ، ويتجلى لمرآة قلوبهم الحقائق المحتجبة فيعلمون الصفات ويشاهدون الموصوف ، ويحجبون حيث غاب أهل الدعوى ، ويبصرون ما عمى عنه أولو الأبصار الضعيفة بحجب الهوى .

والحال : منزلة العبد فى الحين فيصفو له فى الوقت حاله ووقته . وقيل :

هو ما يتحول فيه العبد ويتغير مما يرد على قلبه ، فإذا صفا تارة وتغير أخرى قيل له حال . وقال بعضهم : الحال لا يزول ، فإذا زال لم يكن حالا .

والمقام : هو الذى يقوم به العبد فى الأوقات من أنواع المعاملات وصنوف المجاهدات ، فمتى أقيم العبد بشىء منها على التمام والكمال فهو مقامه حتى ينقل منه إلى غيره .

والمكان : هو لأهل الكمال والتمكين والنهاية ، فإذا كمل العبد فى معانيه فقد تمكن من المكان وغير المقامات والأحوال ، فيكون صاحب مكان كما قال بعضهم .

مقامك من قلبى هو القلب كله * فليس لشىء فيه غيرك موضع

والشطح : كلام يترجم به اللسان عن وجد يفيض عن معدنه مقرون بالدعوى ، إلا أن يكون صاحبه محفوظا .

والطوالع : أنواع التوحيد يطلع على قلوب أهل المعرفة شعاعها ونورها فيطمس سلطان نورها الألوان ، كما أن نور الشمس يمحو أنوار الكواكب

والذهاب : هو أن يغيب القلب عن حس كل محسوس بمشاهدة محبوبها .

والنفس : روح سلطه الله على نار القلب ليطفئ شرها

والسر : ما خفى عن الخلق فلا يعلم به إلا الحق . وسر السر : ما لا يحس به السر ، والسر ثلاثة : سر العلم ، وسر الحال ، وسر الحقيقة ، فسر العلم حقيقة العالمين بالله عز وجل ، وسر الحال معرفة مراد الله فى الحال من الله ، وسر الحقيقة ما وقعت به الإشارة .

والوصل : إدراك الفائت . والفصل : فوت ما ترجوه من محبوبك .

والأدب ثلاثة : أدب الشريعة وهو التعلق بأحكام العلم بصحة عزم الخدمة ، والثانى أدب الخدمة وهو التشمر عن العلامات والتجرد عن الملاحظات ، والثالث أدب الحق وهو موافقة الحق بالمعرفة .

والرياضة اثنان : رياضة الأدب وهو الخروج عن طبع النفس ، ورياضة الطلب وهو صحة المراد .

والتحلى : التشبه بأحوال الصادقين بالأحوال وإظهار الأعمال . والتخلى : اختيار الخلوة والإعراض عن كل ما يشغل عن الحق . والتجلى : هو ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب .

والعلة تنبه عن الحق . والانزعاج انتباه القلب من سنة الغفلة والتحرك للأنس والوحدة .

والمشاهدة ثلاثة : مشاهدة بالحق وهى رؤية الأشياء بدلائل التوحيد ، ومشاهدة للحق وهى رؤية الحق فى الأشياء ، ومشاهدة الحق وهى حقيقة اليقين بلا ارتياب .

والمكاشفة أتم من المشاهدة وهى ثلاث : مكاشفة بالعلم وهى تحقيق الإصابة بالفهم ، ومكاشفة بالحال وهى تحقيق رؤية زيادة الحال ، ومكاشفة بالتوحيد وهى تحقيق صحة الإشارة .

واللوائح : مايلوح من الأسرار الظاهرة الصافية من السمو من حالة إلى حالة أتم منها ، والارتقاء من درجة إلى ماهو أعلى منها.

والتلوين : تلوين العبد فى أحواله . وقالت طائفة : علامة الحقيقة رفع التلوين بظهور الاستقامة. وقال آخرون : علامة الحقيقة التلوين لأنه يظهر فيه قدرة القادر فيكسب منه العبد الغيرة .

والغيرة غيرة فى الحق ، وغيرة على الحق ، وغيرة من الحق ؛ فالغيرة فى الحق برؤية الفواحش والمناهى، وغيرة على الحق هى كتمان السرائر ، والغيرة من الحق ضنه على أوليائه .

والحرية : إقامة حقوق العبودية فتكون لله عبداً وعند غيره حراً .

واللطيفة : إشارة دقيقة المعنى تلوح فى الفهم ولاتسعها العبارة .

والفتوح ثلاثة : فتوح العبادة فى الظاهر وذلك سبب اخلاص القصد ، وفتوح الحلاوة فى الباطن وهو سبب جذب الحق بأعطافه ، وفتوح المكاشفة وهو سبب المعرفة بالحق .

والوسم والرسم : معنيان يجريان فى الأبد بما جريا فى الأزل .

والبسط عبارة عن حال الرجاء . والقبض : عبارة عن حال الخوف .

والفناء : فناء المعاصى ، ويكون فناء رؤية العبد لفعله بقيام الله تعالى على ذلك . والبقاء : بقاء الطاعات ويكون بقاء رؤية العبد قيام الله سبحانه على كل شىء .

والجمع : التسوية فى أصل الخلق . وعن آخرين : معناه إشارة من أشار إلى الحق بلا خلق . والتفرقة : إشارة إلى اللون والخلق ، فمن أشار إلى تفرقة بلا جمع فقد جحد البارى سبحانه ، ومن أشار إلى جمع بلا تفرقة فقد أنكر قدرة القادر ، فإذا جمع بينهما فقد وحد .

وعين التحلم : إظهار غاية الخصوصية بلسان الانبساط فى الدعاء.

والزوائد : زيادات الإيمان بالغيب واليقين.

والإرادات ثلاثة : إرادة الطالب من الله سبحانه وتعالى وذلك موضع التمنى ، وإرادة الحظ منه وذلك موضع الطمع ، وإرادة الله سبحانه وتعالى وذلك موضع الإخلاص، والمريد: هو الذى صح له الابتلاء ودخل فى جملة المنقطعين إلى الله عز وجل بالاسم . والمراد : هو العارف الذى لم يبق له إرادة وقد وصل إلى النهاية وغير الأحوال والمقامات

والهمة ثلاثة : همة منية وهى تحرك القلب للمنى ، وهمة إرادة وهى أول صدق المريد ، وهمة حقيقة القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر والجهل ، فإن المراد إد والخطب جد ، والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة ، والأجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم . والطريق سد : وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير رد . وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد ، فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء . وقد شغر منهم الزمان ولم يبق إلا المترسمون . وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان . وأصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفا فصار يرى المعروف منكرا والمنكر معروفا . حتى ظل علم الدين مندرسا ومنار الهدى فى أقطار الأرض منطمسا . ولقد خيلوا إلى الخلق أن لاعلم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام . أو جدل يتدرع به طالب المباهاة إلى الغلبة والإفحام . أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام . إذ لم يروا ماسوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام ؛ فأما علم طريق الآخرة : هو مادرج عليه السلف الصالح وهى جمع الهمم بصفاء الإلهام .

والغربة ثلاثة : غربة عن الأوطان من أجل حقيقة القصد . وغربة عن الأحوال من حقيقة التفرد بالأحوال،

وغربة عن الحق من حقيقة الدهش عن المعرفة . والاصطلام : نعت وله برد على القلوب بقوة سلطان فيستكنها

والمكر ثلاثة : مكر عموم وهو الظاهر فى بعض الأحوال ، ومكر خصوص وهو فى سائر الأحوال ، ومكر خفى فى إظهار الآيات والكرامات .

والرغبة ثلاثة : رغبة النفس فى الثواب ، ورغبة القلب فى الحقيقة ، ورغبة السر فى الحق .

والرهبة : رهبة الغيب لتحقيق أمر السبق .

والوجد : مصادقة القلب بصفاء ذكر كان قد فقده .

والوجود : تمام وجد الواجدين ، وهو أتم الوجد عندهم . وسئل بعضهم عن الوجد والوجود فقال : الوجد ماتطلبه فتجده بكسبك واجتهادك ، والوجود ماتجده من الله الكريم ، والوجد عن غير تمكين ، والوجود مع التمكين والتواجد : استدعاء الوجد والتشبه فى تكلفه بالصادقين من أهل الوجد .

القاعـــدة

وأما القاعدة التى ينبنى عليها هذا الفن بأسره فذلك اجتذاب أرواح المعانى ، والإشارة إلى البعد فى القرب قصد الاستدلال بالأقوال والأعمال والأحوال على الله تعالى قصداً ذاتيا ، لا على ماسلكه أرباب علوم الظاهر ، ثم التصديق بالقوة والنظر إلى الملكوت من كوة ، ومعرفة العلوم فى الانصراف ، ومصاحبة القدر بالمساعدة وبالمعروف ومعاطاة الوجودات الخمس : الذاتى والحسى والخيالى والعقلى والشبهى حسبما فهم من الشرع وثبت معناه فى المحفوظ من الوحى ، وقلما أدرك شىء من العجز والعلم لا ينال براحة الجسم ، ﴿ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ذلك أمر الله أنزله إليكم ﴾ ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا ﴾ .

والوصية

أيها الطالب للعلوم والناظر فى التصانيف والمستشرف على كلام الناس وكتب الحكمة : ليكن نظرك فيما تنظر فيه بالله ولله وفى الله ، لأنه إن لم يكن نظرك به وكلك إلى نفسك أو إلى من جعلت نظرك به أيا كان غيره من فهم أو علم أو حفظ أو إمام متبع أو صحة ميز أو ماشاكل ذلك ، وكذلك إن لم يكن نظرك له فقد صار علمك لغيره ونكصت على عقبيك وخسرت فى الدارين صفقتك ، وعاد كل هول عليك ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ وكذلك إن لم يكن نظرك فيه فقد أثبت معه غيره ولاحظت بالحقيقة سواه ، ورؤية غيره دونه تعمى القلب وتهتك الستر وتحجب اللب . وإذا نظرت فى كلام أحد من الناس ممن قد شهر بعلم فلا تنظره بازدراء كمن يستغنى عنه فى الظاهر وله إليه كثير حاجة فى الباطن ، ولا تقف به حيث وقف به كلامه ؛ فالمعانى أوسع من العبارات ، والصدور أفسح من الكتب المؤلفات ، وكثير علم بما لم يعبر عنه ، واطمح بنظر قلبك فى كلامه إلى غاية ما يحتمل فذلك يعرفك قدره ويفتح باب قصد ولا تقطع له بصحة ولا تحكم عليه بفساد ، وليكن تحسين النظر أغلب عليك فيه حتى يزول الإشكال عنك بما تتيقن من معانيه . وإذا رأيت له حسنة وسيئة فانشر الحسنة واطلب المعاذير للسيئة ، ولا تكن كالذبابة تنزل على أقذر ماتجده ، ولا تعجل على أحد بالتخطئة ولا تبادر بالتجهيل فربما عاد عليك ذلك وأنت لا تشعر ، فلكل عالم عورة وله فى بعض ما يأتى به احتجاج . وناهيك ماجرى بين ولى الله تعالى الخضر وكليمه موسى على نبينا وعليهما السلام . وإذا عرض لك من كلام عالم إشكال يؤذن فى الظاهر بمحال أو اختلال ، فخذ ماظهر لك علمه ودع ما اعتاص عليك فهمه وكل العلم فيه إلى الله عز وجل ، فهذه وصيتى لك فاحفظها وتذكيرى إياك فلا تذهل عنه :

اسمع وصيتى إن تحفظ حظيت بها وإن تخالف فقد يردى بك الخلف

وأزيدك زيادة تقتضى التعريف بأصناف العلماء لكى تعرف أهل الحقيقة من غيرهم ، فلك فى ذلك أكبر منفعة ولى

فى وصفهم أبلغ غرض . قال علماؤنا : العلماء ثلاثة : حجة ، وحجاج ، ومحجوج ؛ فالحجة : عالم بالله وبأمره وبآياته مهتما بالخشية لله سبحانه ، والورع فى الدين والزهد فى الدنيا والإيثار لله عزوجل المستقيم . والحجاج : مدفوع إلى إقامة الحجة وإطفاء نار البدعة قد أخرس المتكلمين وألجم المتخرصين ، برهانه ساطع ، وبيانه قاطع ، وحفظه ماينازع شواهده بينة ونجومه نيرة ، قد حمى صراط الله المستقيم : والمحجوج : عالم بالله وبأمره وبآياته ، ولكنه فقد الخشية لله برؤيته لنفسه ، وحجبه عن الورع والزهد والرغبة والحرص ؛ وبعده من بركات علمه محبة العلو والشرف ، وخوف السقوط والفقر ، فهو عبد لعبيد الدنيا ، خادم لخدمها ، مفتون بعد علمه ، مغتر بعد معرفته ، مخذول بعد نصرته شأنه الاحتقار لنعم الله ، والازدراء لأوليائه ، والاستخلاف بالجهال من عباده ، وفخره بلقاء أميره وصلة سلطانه ، وطاعة القاضى والوزير والحاجب له قد أهلك نفسه حين لم ينتفع بعلمه والاتباع له ومن يكون بعده قدوة به ومراده من الدنيا مثله ، فى مثل هذا ضرب الله المثل حين قال ﴿واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ فويل لمن صحب مثل هذا فى دنياه ، وويل لمن تبعه فى دينه ، وهذا هو الذى أكل بدينه غير منصف لله سبحانه فى نفسه ولا ناصح له فى عباده ، تراه إن أعطى من الدنيا رضى بالمدحة لمن أعطاه ، وإن منع رش بالدم لمن منعه ، وقد نسى من قسم الأرزاق وقدر الأقدار وأجرى الأسباب وفرغ من الخلق كلهم ، فنعوذ بالله من الحور بعد الكور ، ومن الضلالة بعد الهدى . وإنما زدتك هذه الزيادة وإن ظهر لكثير أنها ليست من الغرض الذى نحن فيه فقصدى أن يعلم من ذهب من الناس ومن يبقى ، ومن أبصر الحقائق ومن عمى ، ومن اهتدى على الصراط المستقيم ومن غوى فليعلم أن الصنفين الأولين من العلماء قد ذهبوا وإن كان بقى منهم أحد فهو غير محسوس للناس ولا مدرك بالملاحظة

غاب الذين إذا ماحدثوا صدقوا وظنهم كيقين إن همو حدسوا

وذلك لما سبق فى القضاء من ظهور الفساد وعدم أهل الصلاح والرشاد ، نعم وعدم الصنف الثالث على غربته وأعز شىء على وجه الأرض ؛ وفى الغالب مايقع عليه فى الحقيقة اسم علم عند شخص مشهور به ، وإنما الموجود اليوم أهل سخافة ودعوى وحماقة واجتراء وعجب بغير فضيلة ورياء ؛ يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، وهم أكثر من عمر الأرض وصيروا أنفسهم أوتاد البلاد وأرسان العوام ؛ وهم خلفاء إبليس وأعداء الحقائق ؛ وأخدان لعوائد السوء وعنهم يرد عتب الحكم الشائعة وانتقاض أهل الارادة والدين :

مثل البهائم جهال بخالقهم لهم تصاوير لم يعرف لهن حجا
كل يروم على مقدار حيلته زوائر الأسد والنباحة اللهثا

فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون ؛ اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون :

أولو النفاق فإن قلت اصدقوا كذبوا من السفاه وإن قلت اكذبوا صدقوا

ولنأخذ فى جواب ما سألت عنه على نحو مارغبت فيه ، وأستوهب الله نفوذ البصيرة وحسن السريرة وغفران الجريرة ؛ وهو ربى ورب كل شىء وإليه المصير

ابتداء الأجوبة عن مراسم الأسئلة

جرى الرسم فى الإحياء بتقسيم التوحيد على أربع مراتب تشبيها لموافقة الغرض فى التمثيل به وذكرت أن المعترض وسوس أو بالخواطر هجس بأن لفظ التوحيد ينافى التقسيم إذ لايخلو بأن يتعلق بوصف الواحد الذى ليس بزائد عليه فذلك لاينقسم لا بالجنس ولا بالفصل ولا بغير ذلك . وإما أن يتعلق بوصف المكلفين الذين توجب لهم حكمه إذا وجد فيهم ؛ فذلك أيضاً لاينقسم من حيث انتسابهم إليه بالعقل ، وذلك لضيق المجال فيه ؛ ولهذا

لايتصور فيه مذاهب، وإنما التوحيد مسلك حق بين مسلكين باطلين : أحدهما الشرك ، والثانى الإلباس ، وكلا الطرفين كفر ؛ والوسط إيمان محض ، وهو أحد من السيف وأضيق من خط الظل ، ولهذا قال أكثر المتكلمين بتماثل إيمان جميع المؤمنين والملائكة والنبيين والمرسلين وسائر عموم المرسلين ؛ وإنما تختلف طرق إيمانهم التى هى علومهم . ومذهبهم فى ذلك معروف ، ونحن لا نلم فى هذه الإجابة كلها بشىء من أنحاء الجدال ومقابلة الأقوال بالأقوال ، بل بقصد إزالة غير الاشكال ورد ما طعن به أهل الضلال والاضلال .

واعلم أن التقسيم على الاطلاق يستعمل على أنحاء يتوجه ههنا بشىء قدح به المعترض أو هجس به الخاطر ، وإنما المستعمل ههنا من أنحائه ماتتميز به بعض الأشخاص بما اختصت به من الأحوال ، وكل حالة منها تسمى توحيدا على جهة تنفرد بها لا يشاركها فيها غيرها ، فمن وجد التوحيد بلسانه يسمى لأجله موحدا ما دام يظن أن قلبه موافق للسانه ، وإن علم منه خلاف ذلك سلب عنه الاسم وأقيم عليه ماشرع فى الحكم ، ومن وجد بقلبه على طريق الركون إليه والميل إلى اعتقاده والسكون نحوه بلاعلم يصحبه فيه ولا برهان يربط به سمى أيضا موحدا ، على معنى أنه يعتقد التوحيد كما يسمى من يعتقد مذهب الشافعى شافعيا والحنبلى حنبليا ، ومن رزق علم التوحيد وما يتحقق به عنده وسعى من أجله بشكوكه العارضة له فيسمى موحدا لأنه عارف به ، يقال جدلى ونحوى وفقيه ، ومعناه يعرف الجدل والفقه والنحو ، وأما من استغرق علم التوحيد قلبه ، واستولى على جملته حتى لا يجد فيه فضلا لغيره إلا على طريق التبعية له ، ويكون شهود التوحيد لكل ماعداه سابقا له مع الذكر والفكر مصاحبا من غير أن يعتريه ذهول ولا نسيان له لأجل اشتغاله بغيره كالعادة فى سائر العلوم ؛ فهذا يسمى موحدا ويكون القصد بالمسمى من ذلك المبالغة فيه .

فأما الصنف الأول وهم أرباب النطق المنفرد فلايضربون فى التوحيد بسهم ولا يفوزون منه بنصيب ولا يكون لهم شىء من أحكام أهله فى الحياة ، إلا مادام الظن بهم أن قلب أحدهم موافق للسانه ، كما نفرد القول عليه بعد هذا إن شاء الله عز وجل .

وأما الصنف الثانى وهم أرباب الاعتقاد الذين سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم أو الوارث أو المبلغ يخبر عن توحيد الله عز وجل أو يأمر به ويلزم البشر قول لا إله إلا الله المنبئ عنه ، فقبلوا ذلك واعتقدوه على الجملة من غير تفصيل ولا دليل ، فنسبوا إلى التوحيد وكانوا من أهله بمنزلة مولى القوم الذى هو منهم ، وبمنزلة « من كثر سواد قوم فهو منهم »

وأما الصنف الثالث والرابع فهم أرباب البصائر السليمة الذين نظروا بها إلى أنفسهم ثم إلى سائر أنواع المخلوقات فتأملوها فرأوا على كل منها خطا منطبعا فيها ليس بعربى ولا سريانى ولا عبرانى ولا غير ذلك من أجناس الخطوط ، فبادر إلى قراءة من لم يستعجم عليه وتعلمه منهم من استعجم عليه ، فإذا هو الحظ الالهى المكتوب على صفحة كل مخلوق المنطبع فيه من مركب ومفرد وصفة وموصوف وحى وجماد وناطق وصامت ومتحرك وساكن ومظلم ونير ، وهو الذى يسمى تارة بعلامة وتارة بسمة وتارة بأثر القدرة وتارة بآية ، كما قال الشاعر ، ولا أدرى عن سماع أو رؤية قلب :

وفى كل شىء له آية تدل على أنه واحد

فلو قرءوا ذلك الخط وجدوا تفسير ذلك المكتوب عليه وشرحه أبدية مالكه والتصريف له بالقدرة على حكم الارادة بما سبق فى ثابت العلم من غير مزيد ولا تقصير ؛ فتركوا الكتابة والمكتوب وترقوا إلى معرفة الكاتب الذى أحدث الأشياء وكونها ولايخرج عن ملكه شىء منها ، ولا استغنت بأنفسها عن حوله وقوته ، ولا انتقلت إلى الحرية عن رق استعباده ، فوجدوه كما وصف نفسه ﴿ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ﴾ فخلصت لهم التفرقة والجمع وعقلت نفس كل واحد منهم توحيد خالقها بإذنه وإيجاده عن غيره ، وعقلت أنها عقلت توحيده فسبحان من يسرها لذلك وفتح عليها بما ليس فى وسعها أن تدركه إلا به وهو اللطيف الخبير ، لكن الصنف الثالث لم يقصر كل منهم أن

يعرف نفسه موجدا لديه فيما لايزال وهم المقربون ، والصنف الرابع لم يقصر كل واحد منهم أن عرف ربه موجدا لنفسه فيما لم يزل وهم الصديقون ، وبينهما تفاوت كثير .

وأما طريق معرفة صحة هذا التقسيم فلأن العقلاء بأسرهم لا يخلو كل واحد منهم أن يوجد أثر التوحيد بأحد الأنحاء المذكورة عنده ؛ فأما من عدمت عنده فهو كافر إن كان فى زمن الدعوة أوعلى قرب يمكن وصول علمها إليه أو فى فترة يتوجه عليه فيها التكليف ، وهذا صنف مبعد عن مقام هذا الكلام . وأما من يوجد عنده فلا يخلو أن يكون مقلدا فى عقده أوعالما به ، والمقلدون هم العوام وهم أهل المرتبة الثانية فى الكتاب ؛ فأما العلماء بحقيقة عقدهم فلايخلو كل واحد أن يكون بلغ الغاية التى أعدت لصنفه دون النبوة ، أو لم يبلغ ولكنه قريب من البلوغ ، فالذى لم يبلغ وكان على قرب هم المقربون وهم أهل المرتبة الثالثة ، والذين بلغوا الغاية التى أعدت لهم وهم الصديقون وهم أهل المرتبة الرابعة ، وهذا التقسيم ظاهر الصحة ، إذ هو دائر بين النفى والإثبات ، ومحصور بين المبادئ والغايات ، ولم يدخل أهل المرتبة الأولى فى شىء من تصحيح هذا التقسيم ، إذ ليس هم من أهله إلا بانتساب كاذب ودعوى غير صافية ، ثم لابد من الوفاء بما وعدناك به من إبداء بحث ومزيد شرح وبسط بيان تعرف منه بإذن الله حقيقة كل مرتبة ومقام وانقسام أهله فيه بحسب الطاقة والإمكان بما يجرى به الواحد الحق على القلب واللسان .

بيان مقام أهل النطق المجرد وتمييز فرقهم

فأقول : أرباب النطق المجرد أربعة أصناف : أحدهم نطقوا بكلمة التوحيد مع شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم لم يعتقدوا معنى مانطقوا به لما لم يعلموه لا يتصورون صحته ولافساده ولاصدقه ولا كذبه ولاخطأه ولاصوابه ، إذ لم يبحثوا عليه ولاأرادوا فهمه إما لبعد همتهم وقلة اكتراثهم ، وإما لنفورهم من التعب وخوفهم أن يكلفوا البحث عما نطقوا به أويبدو لهم مايلزمهم من الاعتقاد والعمل ، ومابعد ذلك ، فإن التزموها فارقوا راحات أبدانهم العاجلة وفراغ أنفسهم ، وإن لم يلتزموا شيئا من ذلك وقد حصل لهم العلم فتكون عيشتهم منغصة وملاذهم مكدرة من خوف عقاب ترك ماعلموا لزومه ، ومثل هؤلاء مثل من يريد قراءة الطب أويعرض عليه ولكنه يمنعه عنه مخافة أن يتطلع منه على مايغير عنه بعض ملاذه من الأطعمة والأشربة والأنكحة أو كثير منها ، فيحتاج إلى أن يتركها أويرتكبها على رقيه وخوف أن يصيبه صورة مايعلم ضرورة منها فيدع قراءة الطب رأسا . سئل هذا الصنف عن معنى مانطقوا به وهل اعتقدوه فيقولون لانعلم فيه مايعتقد ، ومادعانا النطق إلا مساعدة الجماهير وانخراطا باظهار القول فى الجم الغفير ولانعرف هل ماقلناه بالحقيقة من قبل العرف والنكير ولاشك أن هذا الصنف الذى أخبر صلى الله عليه وسلم عن حاله بمسألة الملكين أحدهم فى القبر ، إذ يقولون : من ربك ومن نبيك ومادينك ؟ فيقول لا أدرى سمعت الناس يقولون قولا فقلته فيقولان له لادريت ولاتليت ، وسماه النبى صلى الله عليه وسلم الشاك والمرتاب . والصنف الثانى نطق كما نطق الذين من قبلهم ولكنهم أضافوا إلى قولهم مالايحصل معه الإيمان ولاينتظم به معنى التوحيد ، وذلك مثل ماقالت السبابية طائفة من الشيعة القدماء ـ إن عليا هو الإله وبلغ أمرهم عليا رضى الله عنه ، وكانوا فى زمنه ، فحرق منهم جماعة ، وأمثال من نطق بالشهادتين كثير ثم أصحاب نطقة مثل هذا النكير ويسمون الزنادقة ، وقد رأينا حديثا عنه صلى الله عليه وسلم فى ذلك « ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى الجنة إلا الزنادقة » . والصنف الثالث : نطقوا كما نطق الصنفان المذكوران قبلهم ولكنهم آثروا التكذيب واعتقدوا الرد ، واستبطنوا خلاف ماظهر منهم من الإقرار ، وإذا رجعوا إلى أهل الإلحاد أعلنوا عندهم بكلمة الكفر ؛ فهؤلاء المنافقون الذين ذكرهم الله فى كتابه بقوله : ﴿ وإذا لقوا الذين قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون * الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون ﴾ . الصنف الرابع قوم لم يعرفوا التوحيد ومانشأوا عليه ، ولاعرفوا أهله ، ولاسكنوا بين أظهرهم ولكنهم حين وصلوا إلينا أووصل إليهم أحد منا خوطبوا بالأمر المقتضى للنطق بالشهادتين والإقرار بهما ، فقالوا : لانعلم

مقتضى هذا اللفظ ولا نعقل معنى المأمور به من النطق ، فأمروا أن يظهروا الرضا ويفهموا بلا مهلة، فسكنوا إلى ما قيل لهم ونطقوا بالشهادتين ظاهرا وهم على الجهل بما يعتقدون فيها ، فاخترم أحدهم من حينه من قبل أن يأتى منه استفهام أو تصور يمكن أن تكون له معه معتقد فيرجى أن لا تضيق عنه سعة رحمة الله عز وجل، والحكم عليه بالنار والخلود فيها مع الكفار تحكم على غيب الله سبحانه ، وربما كان من هذا الصنف فى الحكم عند الله عز وجل قوم رزقوا بعد الفهم وغيب الذهن وفرط البلادة أن يدعوا إلى هذا النطق فيجيبوا مساعدة ومحاذاة ثم يدعون إلى تفهم المعنى بكل وجه فلا يتأتى منهم قبول لما يعرض عليهم تفهمه كأنما تخاطب بهيمة ، ومثل هذا أيضا فى الوجود كثير ولا أحكم على أحد مثله بخلود فى النار ، ولا بعد أن هذا الصنف بأسره أعنى المخترم قبل تحصيل العقد مع هذا البليد البعيد بعض ما ذكره النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث الشفاعة الذين أخرجهم الله عز وجل من النار بشفاعته حين يقول تعالى : فرغت شفاعة الملائكة والنبيين وبقيت شفاعتى وهو أرحم الراحمين ، فيخرج من النار أقواما لم يعملوا حسنة قط ويدخلون الجنة ويكون فى أعناقهم سمات ويسمون عتقاء الله عز وجل ، والحديث يطول وهو صحيح ، وإنما اختصرت منه قدر الحاجة على المعنى وحكم الصنف الأول والثانى والثالث أجمعين أن لا يجب لهم حرمة ولا يكون لهم عصمة ولا ينسبون إلى إيمان ولا إسلام ، بل هم أجمعون من زمرة الكافرين وجملة الهالكين ، فإن عثر عليهم فى الدنيا قتلوا فيها بسيوف الموحدين ، وإن لم يعثر عليهم فهم صائرون إلى جهنم خالدون تفلح وجوههم النار وهم فيها كالحون .

(فصل) ولما كان اللفظ المنبئ عن التوحيد إذا انفرد عن العقد وتجرد عنه لم يقع به فى حكم الشرع منفعة ولا لصاحبه بسببه نجاة إلا مدة حياته عن السيف أن يراق دمه ، واليد أن تسلط على ماله إذا لم يعلم خفى حاله حسن فيه أن يشبه بقشر الجوز الأعلى فهو لا يحتمل ولا يرفع فى البيوت ولا يحضر فى المجالس أى مجالس الطعام ، ولا تشتهيه النفوس إلا مادام منطويا على مطعمه صونا على لبه ، فإذا أزيل عنه بكسر أو علم منه أنه منطو على فراغ أو سوس أو طعمه فاسد لا يصلح لشىء ولم يبق فيه غرض لأحد وهذا لا خفاء فى صحته ، والغرض بالتمثيل تقريب ما غمض إلى نفس الطالب وتسهيل ما اعتاص على المتعلم والسامع فهمه ، وليس من شرط المثال أن يطابق الممثل به من كل وجه ، فكان يكون هو ولكن من شرطه أن يكون مطابقا للواحد المراد منه.

(فصل) فإن قلت فما الذى صد هؤلاء الأصناف الثلاثة من أهل النطق عن النظر والبحث حتى تعلموا، أو عن الاعتقاد حتى تخلصوا من عذاب الله وهم فى الظاهر قادرون على ذلك ؟ وما المانع الخفى الذى منعهم وأبعدهم عنه وهم يعلمون أن ما عليهم كبير مؤنة ولا عظيم نفقة ؟ فاعلم أن هذا السؤال يفتح بابا عظيما ويهز قاعدة كبيرة يخاف من التوغل فيها أن يخرج من المقصد . ولكن لابد إذا وقع فى الأسماع ووعته قلوب الطالبين واشتاقت إلى سماع الجواب عنه أن نورد فى ذلك قدر ما يقع به من الكفاية وتقنع به النفوس بحول الله وقوته . نعم ما سبق فى العلم القديم لا تجرى بخلافه المقادير . من ذلك فهم بإرادة الله عز وجل جاء اختصاص قلوبهم بالأخلاق الكلابية والشيم الذئابية والطباع السبعية وغلبتها عليهم . والملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب . كذلك قال عليه الصلاة والسلام . والقلوب بيوت تولى الله بناءها بيده وأعدها لأن تكون خزائن علمه ومشارق مكنوناته ومهبط ملائكته ومغاشى أنواره ومهاب نفحاته ومجال مكاشفاته ومجارى رحمته وهيأها لتحصيل المعرفة به فمتى كان فيها شىء من تلك الأخلاق المذمومة لم يدخلها الملائكة ولم ينزل عليها شىء من الخير من قبله . إذ هى الوسائط بين الله تعالى وبين خلقه وهم الوفود منه بالخيرات والموصولون إليه وعنه بالباقيات الصالحات . ولولا تلك الأخلاق المذمومة التى حلت فيهم وهى التى ذم الكلب لأجلها لما احترمت الملائكة بإذن الله عن حلولها فيها وهى لا تخلو من خير تنزل به ويكون معها فحيثما حلت حل الخير فى ذلك القلب بحلولها وإنما هى لها فحيثما وجدت قلبا خاليا ولو حينا من الدهر وزمنا نزلت عليه ودخلته وثبتت ما عندها من الخير عنده . فإن لم يظهر على الملائكة ما أزعجها عنه من تلك الأخلاق المذمومة بواسطة الشياطين الذين هم فى مقابلة الملائكة ثبتت عنده وسكنت فيه ولم تبرح عنه وعمرته بقدر سعة البيت وانشراحه من الخير . فإن كان البيت كثير الاتساع

أكثرت فيه من متاعها واستعانت بغيرها حتى يمتلئ البيت من متاعها وجهازها وهو الإيمان بالله والصلاح وضروب المعارف النافعة عند الله عزوجل ، فإذا طرق ذلك البيت طارق شيطان ليسرق من ذلك الخير الذى هو متاع الملك ويثبت فيه خلفا مذموما لا يوجد إلا فى الكلب وهو متاع الشيطان قاتله الله وطرده عن ذلك المحل ، فإن جاء للشيطان مدد من الهوى من قبل النفس ولم يجد الملك نصره وهو عزم اليقين من قبل الروح ، انهزم الملك وأخلى البيت ونهب المتاع وخرب البيت بعد عمارته وأظلم بعد نوره وضاق بعد انشراحه ، وهكذا حال من آمن وكفر، وأطاع وعصى ؛ وضل واهتدى .

فإن قلت : فيزلى أصناف هذه الأخلاق المذمومة التى صدت هؤلاء الأصناف المذكورين عن اعتقاد الإيمان ونفرت الملائكة عن النزول إلى قلوبهم بكشف معانى التوحيد ومنعهم من الحلول فيها حتى لم ينالوا شيئا من الخيرات الكائن معها . فاعلم أن الأخلاق التى لا يجتمع معها الملائكة فى قلب واحد كثيرة والتى فى قلوب هؤلاء منها معظمها وهى الطمع فى غير خطير والحرص على فان حقير . وأما الصنف الأول فإنهم رجعوا وخافوا أن تبدو لهم صحة ما يشغلهم عن لذاتهم وينغص عليهم ما رغبوا فيه من راحاتهم وتكدر لديهم منال شهواتهم فأبقوا أمرهم على ما هم عليه. وأما الصنف الثانى والثالث فصدهم أيضا خوف وجزع وحرص على ما ألفوه من تبجيل أحدهم أن يزول ومؤانسة أشياعهم أن تتغير وتذهب ومواساة إيلافهم أن تنقطع واستثقالا لما يشاهدونه من أهل الإيمان أن يلتزموه وفرارا من شرائطه وما يصحبه من الأعمال والوظائف إذ يمتثلوه والكلب ماذم لصورته وإنما ذم بهذه الأخلاق التى هى الطمع فى الخسائس والجزع من الصبر على ما يعده من الفضائل حتى احترمت الملائكة أن تدخل بيتا فيه كلب .

فإن قلت : فكيف آمن من كفر وأطاع من عصى واهتدى من ضل إذا كانت الشياطين لا تفارق قلب الكافر والعاصى والضال بما تثبتون من الأخلاق المذمومة التى هى كلاب نابحة وذئاب عادية وسباع ضارية ؟ وأصناف الخير إنما ترد من الله عزوجل بواسطة الملائكة وهى لا تدخل موضعا يحل فيه شىء مما ذكرنا وإذا لم تدخل لم يصل إلى الخير الذى يكون معها ولم تصل إليه فعلى هذا يجب أن يبقى كل كافر على حاله ومن لم يخلق مؤمنا معصوما فلا سبيل له إلى الإيمان على هذا المفهوم * فاعلم أن هذا يستدعى أصنافا من علم القلوب ولا سبيل إلى ذلك فى مثل هذا المقام المعلوم والقول والمعنى فى جواب ما سألت عنه : أن للشيطان غفلات والأخلاق المذمومة عدمات كما أن الملائكة لها عن القلوب غيبات ولتواتر الخير عليها فترات فإذا وجد الملك كما أعلمتك قلبا خاليا ولو زمنا فر ودخل فيه وأراه ما عنده من الخير فإن صادف منه قبولا ولما عرض عليه من الخير تشوقا ونزوعا أورد عليه ما يملأ ويستغرق لبه وإن صادف منه صحوا وسمع منه بجنود الشياطين استغاثة بالأخلاق الكلابية استعانة رحل عنه وتركه ولهذا قيل : ما خلا لب عن لمة ملك أو نزغة شيطان .

فإن قلت : فأى بيت فهم عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الخطاب ، وأى كلب أذهل بيت القلب كلب الخلق أو بيت اللبن وكلب الحيوان * فاعلم أن الحديث خارج على سبب ، ومعناه وجملته : أن المقصود بالإخبار هو بيت اللبن، وكلب الحيوان معلوم ولا بيتك فى ذلك ، ولكن يستقرأ منه ما قلناه ويستنبط من مفهومه ما نبهناك عليه ويتخطى منه إلى ما أشرنا لك نحوه ، ولا نكر فى ذلك إذا دل عليه العلم وجملة الاستنباط ، ولم تمجه القلوب المستضاءة ، ولم تصادم به شيئا من أركان الشريعة ؛ فلا تكن جاحدا ولا تجزع من تشنيع جاهل ولا من نفور مقلد فكثيرا ما ورد شرع مقرون بسبب فرأى أهل الاعتبار وجه تعديه عن سببه إلى ما فى معناه ومشابه له من الجهة التى تصلح أن يعديها إليه ، ولولا ذلك لما قال النبى صلى الله عليه وسلم « رب مبلغ أوعى من سامع وحامل فقه إلى من هو أفقه منه » .

فإن قلت : فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة » وعلم السبب الذى جاء هذا الحديث عليه وفيه ، فهل يعدى عن سببه ويترقى منه إلى مثل ما ترقى من الحديث الآخر ؟ فهذا كما قيل : الحديث شجون وأتبعنا هذا الباب ما يقرب منه ويبعد علينا التخلص عنه ، نعم يترقى منه إلى قريب من ذلك وشبهه ، ويكون

هذا الحديث منبها عليه ، وهو أن الصورة المنحوتة قد اتخذت آلهة وعبدت من دون الله عز وجل ، وقد نبه الله عز وجل قلوب المؤمنين على عيب فعل من رضى بذلك ، ونقص إدراك من دان به حين قال مخبرا عن إبراهيم عليه السلام حيث قال ﴿ أتعبدون ما تنحتون * والله خلقكم وما تعملون ﴾ فكان امتناع الملائكة من دخول بيت فيه صورة لأجل أن فيه ما عبد من دون الله سبحانه ، أو ما حكى به ما هو على مثاله ، ويترقى من ذلك المعنى إلى أن القلب الذى هو بيت بناه الله ليكون مهبطا للملائكة ومحلا للذكرى ومعرفة عبادته وحده دون غيره ؛ فإذا حل فيه معبود غير الله سبحانه وهو الهوى لم تقربه الملائكة أيضا . فإن قيل : فظاهر الحديث يقتضى منافرة الملائكة لكل صورة عموما وما ذكرته تعليلا ينبغى أن لا يقتضى إلا منافرة ما عبد أو ما نحت على مثاله ؟ قلنا : تشابهت الصور المنحوتة كلها فى المعنى الذى قصد بها التصوير لأجله وهو مضارعة ذى الأرواح ، وما نحت للعبادة إنما قصد به تشبيه ذى روح ؛ فلما كان هذا المعنى الجامع لها وجب تحريم كل صورة منافرة للملائكة .

* فإن قيل : فما وجه الترخيص فيما رقم فى ثوب ؟ فذلك لأنها ليست مقصودة فى نفسها ؛ وإنما المقصود الثوب الذى رقمت فيه .

* فإن قيل : فما بال الثياب رخص فى محاكاتها بالتصوير وذات أنواط فى العرب مشهورة معلومة ؟ فاعلم أن ذات أنواط إنما كانت شجرة فى أيام العرب الجاهلية تعلق عليها يوما فى السنة فاخر ثيابها وحلى نسائها لأجل اجتماعها عندها وراحتها فى ذلك اليوم ؛ ولم يكونوا يقصدونها بالعبادة لما كانت بغير صفة التماثيل المنحوتة والأصنام ، ولو كان ذلك ما سأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم ذات أنواط حتى أنكر النبى صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم ولو عبدت فقد عبد كثير من خلق الله تعالى كالملائكة والشمس والقمر وبعض النجوم والمسيح عليه السلام وعلى رضى الله عنه ، ولم يعبدوا ما نحت على شكل النبات ، فلم تعبد من هذه إلا ذات روح فما أبعد عن دركها من حرمه الله تعالى إياها ، فله الحمد وهو أهله .

بيان أصناف أهل الاعتقاد المجرد

وأما أهل الاعتقاد المجرد عن تحصينه بالعلم وتوثيقه بالأدلة وشده بالبراهين ، فقد انقسموا فى الوجود إلى ثلاثة أصناف :

أحدهم صنف اعتقدوا مضمون ما أقروا به وحشوا به قلوبهم من غير تردد ولا تكذيب أسروه فى أنفسهم ، ولكنهم غير عارفين بالاستدلال على ما اعتقدوا ، وذلك لفرط بعدهم وغلظ طبائعهم واعتياص طرق ذلك عليهم ، ويقع عليهم اسم الموحدين ، وتحققنا وجود أمثالهم كثيراً على عهد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والسلف الصالحين رضى الله عنهم ، ثم لم يبلغنا أنه اعترض أحد إسلامهم ولا أوجب عليهم الخروج منه والمعروف عنه . ولا كلفوا مع قصور فهمهم وبعدهم عن فهم ذلك بعلم الدلالة وقراءة ترك البراهين وترتيب الحجاج ، بل تركوا على ما هم عليه ، وهؤلاء عندى معذورون بعدهم مقبولون بما توافوا عليه من إقرارهم وعقدهم ، والله سبحانه قد عذرهم مع غيرهم بقوله سبحانه ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ لا يخرجون عن مقتضى هذه الآيات بحال ، وسنبدى لك طريقا من الاعتبار تعرف به صحة إسلامهم وسلامة توحيدهم إن شاء الله عز وجل .

والصنف الثانى : اعتقدوا الحق مع ما ظهر منهم من النطق واعتقدت مع ذلك أنواعا من المخاييل قام فى مخيلتها أنها أدلة وطأتها براهين وليست كذلك ، وقد وقع فى هذا كثير ممن يشار إليه فضلا عمن دونهم ، فإن وقع إلى هذا الصنف من يزعزع عليهم تلك المخاييل بالقدح ويبطلها عليهم بالمعارضة أو الاعتراض لم يلتفتوا إليه ولا أصغوا لما يأتى به ويترفعوا إلى أن يجاوبوه لما يحملهم عليه من سوء الفهم أو رداءة الاعتقاد وعندهم أن جميع تلك المخاييل فى باب الاستدلال أرسخ من شوامخ الجبال ، فمنهم من يعتقد دليله مذهب شيخه الرفيع القدر المطلع على العلوم ، ومنهم من

يكون دليله خبرا له ، ومنهم من يكون دليله بعض محتملات آية أو حديث صحيح ، ولعمرى إنهم ينبغى إذا صادفوا السنة باعتقادهم ولم يقعوا فى شىء من الضلال أن يتركوا على ما هم عليه ولا يحركوا بأمر آخر ، بل يصدقوا بذلك ويسلم لهم لئلا يكون إذا تتبع الحال معهم ربما لقنوا شبهة أو ترسخ فى نفوسهم بدعة يعسر انحلالها أو يقعوا فى تكفير مسلم وتضليله ، بل هناك أسباب كثيرة .

واعلم أن اعتقاد الخلائق وعلمها من أغذية النفوس ؛ فمن رغب فى أكلها لم يقنع بدونها ، وإذا حصل له ذلك قوى به ، ومن قنع بأيسرها ولم تطمح همته إلى ما هو أعلى من ذلك ضعف ، ولكنه يعيش عيش الطفيف ، وإنما يهلك من لا بلغة له ولا يجدها ، أو يجدها ولكنها تكون مشابة بمن جاء بمضرة بدعة وسموم كفر ، فلا تذهل عما يشار لك إليه ، وإنما المرغوب تنبيهك والله المستعان ، وقلما بين الصنف الثانى والأول كل التفاوت ، من حيث إن أولئك مقلدون فيما يعتقدونه دليلا ، غير أنهم أوثق رباطا من الأولين ، لأن أولئك إن وقع إليهم من شككهم ربما شكوا وانحل رباط عقدهم ، وهؤلاء فى الأغلب لا سبيل إلى انحلال عقودهم إذ لا يرون أنفسهم أنهم مقلدون ، وإنما يظنون أنهم مستدلون عارفون ، فلهذا كانوا أحسن حالا .

والصنف الثالث : أقروا واعتقدوا كما فعل الذين من قبلهم ، وقدموا النظر أيضا ، ولكنهم لعدم سلوكهم سبيله مع القدرة عليه ومعهم من الذكاء والفطنة والتيقظ ما لو نظروا لعلموا ، ولو استدلوا لتحققوا ، ولو طلبوا لأدركوا سبيل المعارف ووصلوا ، ولكنهم آثروا الراحة ومالوا إلى الدعة ، واستبعدوا طريق العلم ، واستثقلوا الأعمال الموصلة إليه ، وقنعوا بالقعود فى حضيض الجهل ، فهؤلاء فيهم إشكال عند كثير من الناس فى البديهة ، ويتردد فى حالهم النظر وهل يسمون عصاة أو غير ذلك يحتاج إلى تمهيد آخر ليس هذا مقامه ، والالتفات إلى هذا الصنف أوجب خلاف المتكلمين فى العوام على الإطلاق من غير تفريق بين بليد ومتيقظ وفطن ، فمنهم من لم ير أنهم مؤمنون ، ولكن لم يحفظ عنهم أنهم أطلقوا اسم الكفر عليهم ، ولعلك تقول : إن مذهبهم المشهور أن المحل لا يخلو عن الصفات إلا إلى ضدها ، فمن لم يحكم له بالإيمان حكم عليه بالكفر ، كما أن من لم يحكم له بالحركة حكم عليه بالسكون ، وكذلك الحياة والموت ، والعلم والجهل ، وسائر ما له من الصفات . قلنا : فلئن صح ذلك فى الصفات التى هى أعراض فقد لا يصح فى الأوصاف التى هى أحكام الإيمان والكفر ، والهداية والضلال ، والبدعة والسنة ، ربما كانت ليست من قبيل الأعراض . وإنما ذكرت لك هذا فى معرض الشك فى شعوب ما نورد على ذلك ، ومنهم من أوجب لهم الإيمان ولكن أوجب لهم المعرفة وقدرها لهم وعجزهم عن العبادة ووجوب العبادة فى الشرع جار على هذا النحو ، وهؤلاء لم يخالفوا المذكورين قبلهم ؛ لأن أولئك سلبوا الإيمان عمن لم يصدر اعتقاده عن دليل ، وهؤلاء أوجبوا الإيمان لمن أضافوا إليه المعرفة المشروطة فى صحة الإيمان ، وإنما فروا عن الشناعة الظاهرة فشذوا عن الجمهور بهذا الاحتيال ، وزادوا على أنفسهم أنهم ألموا بقول من جعل المعارف كلها ضرورية ، ولم يشعروا بذلك حين قالوا : إنما عجزت العامة عن سرد الدليل وتعظم العبارة عنه ، وأنه لا تجب عليهم لأنهم إذا نبهوا وعرض عليهم ما قرب من الألفاظ واعتادوا من المخاطبات دلائل الحدوث ووجوه الافتقار إلى المحدث بعد لاعتقدوا وعدوا من هذه المعارف كثيرا ووجدوا أنفسهم عارفين بذلك . واعلم أن من يقول إن المعارف كلها ضرورية هكذا يقول إنما افتقر الناس إلى النسبية ولم يتمرنوا على العبارة على مواضع العلوم ، وإلا فهم إذا نبهوا عليها وتلطف بهم فى تفهيمها بالزوال إلى ما ألفوه من العبارات وجدوا أنفسهم غير منكرة لما نبهوا عليه وسارعوا إلى الغيبة ، ومثال هذا كمن نسى شيئا كان معه أو إنسانا نصحه أو رآه فنسيه وغفل عنه لأجل غيبته ثم رآه بعد ذلك فذكر ، فإنه يقال بدا لأنه كان عارفا بما غاب عنه ، ولولا عرفانه به ما وجد عدم الإنكار وسرعة الألفة عنه ، وطائفة من المتكلمين أيضا أوجب لهم الإيمان مع عدم المعرفة المشروطة عند أولئك ، وأى الآراء أحق بالحق وأولى بالصواب ليس من غرضنا فى هذا الموضع ، وإنما غرضنا تبعيد ما أشاعه فى الإحياء أهل الغلول والأغلال فلا يفتح مثل هذا الباب وقد أبدينا من وجه ذلك فى مراقى الزلف ما يغنى فيها بإذن الله عز وجل .

فصل فى بيان أصناف أهل الاعتقاد

تفصيل آخر من جهة أخرى هو من تتمة ماجرى ، فلتعلم أن مامنهم صنف إلا وله على التقريب ثلاثة أحوال : لايستبد أحدهم من أحدها بحكم الاعتقاد الضرورى ، فأصفى الحالات لهم أن يعتقد أحدهم جميع أركان الإيمان على مايكمل عليه فى الغالب ، ولكنه على طريق التفاوت كما سبق ، الحالة الثانية : أن لايعتقدوا إلا بعض الأركان مافيه خلاف إذا نفر ولم تنصف إليه فى اعتقاده سواء هل يكون مؤمنا أو مسلما أن يعتقد وجود الواحد فقط ، أو يعتقد أنه موجود حتى لاغير ، وأمثال هذه التقديرات ، ويخلو عن اعتقاد باقى الصفات خلوا كاملا لايخطر بباله ولا يعتقد فيها حقا ولا باطلا ولا صوابا ولا خطأ ، ولكن التقدير الذى يعتقده من الأركان الثلاثة موافق للحق غير منسوب لغيره . والحالة الثالثة أن يعتقد الوجود كما قلنا والوحدانية والحياة ، ويكون فيما يعتقد فى باقى الصفات على مالايوافق الحق ماهو عليه مما هو بدعة وضلالة وليس بكفر صريح ، فالذى يدل عليه العلم ويستنبط من ظواهر الشرع أن أرباب الحالة الأولى والله أعلم على سبيل نجاة ومسلك خلاص ووصف إيمان أو إسلام ، وسواء فى ذلك الصنف الأول والثانى من أهل الاعتقاد ، ويبقى الصنف الثالث على محتملات النظر كما نبهناك عليه ، وأما أهل الحاله الثانية وهى الاقتصار على الوجود المفرد أو الوجود ووصف آخر معه مع الخلو عن اعتقاد سائر الصفات التى للكمال والجلال واركانهما فالمتقدمون من السلف لم تشتهر عنهم فى صورة المسألة مايخرج صاحب هذا العقد عن حكم الإيمان والإسلام ، والمتأخرون مختلفون فكثير خاف أن يخرج من اعتقد وجود الله عزوجل ، وأظهر الإقرار بنبيه صلى الله عليه وسلم من الإسلام ، ولا يبعد أن يكون كثير ممن أسلم من الأجلاف والرعيان وضعفاء النساء والأتباع على هذا بلا مزيد عليه لو سئلوا واستكشفوا عن الله عزوجل ، هل له إرادة أو بقاء أو كلام أو ماشاكل ذلك ؟ وهل له صفات معنوية ليست هى هو ولا هى غيره ؟ ربما وجدوا يجهلون هذا ولا يعقلون وجه مايخاطبون به ، وكيف يخرج من اعتقد وجود الله ووحدانيته مع الإقرار بالنبوة من حكم الإسلام والنبى صلى الله عليه وسلم قد رفع القتال والقتل واوجب حكم الإيمان أو الإسلام لمن قال لا إله إلا الله واعتقد عليها ، وهذه الكلمات لاتقتضى أكثر من اعتقاد الوجود مع الوحدة فى الظاهر وعلى البديهة من غير نظر ، ثم سمعنا عمن قالها فى صدر الإسلام أنه لم يعلم بعدها إلا فرائض الوضوء والصلاة وهيئات الأعمال البدنية والكف عن أذى المسلم ، ولم يبلغنا أنهم درسوا علم الصفات وأحوالها ، ولا هل الله تعالى عالم بعلم أو عالم بنفسه وهو باق ببقاء أو باق بنفسه وأشباه هذه المعارف ، ولا يدفع ظهور هذا إلا معاند أو جاهل سيرة السلف وماجرى بينهم ، ويدل على قوة هذا الجانب فى الشرع أن من استكشف منه على هذه الحالة وتحققت منه وأبى أن يذعن لتعلم مازاد على ماعنده لم يفت أحد بقتله ولا استرقاقه والحكم عليه بالخلود فى النار عسر جدا أو خطر عظيم مع ثبوت الشرع بأن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ، ولعلك تقول قد قال فى مواطن أخرى إلا بحقها ثم تقول اعتقاد باقى الصفات التى بها يكون اعتقاد جلال الله جل وعز وكماله من حقها ، نعم هى من حقها عند من بلغه أمرها وسمع بها أن يعتقدها ، وأما من خلا من اعتقادها ولم يقوله أن يلقاها ولم يسمع بها ففيه مرمى هذا النظر وعليه يقع مثل هذا الاحتفاظ وفى مثله يخاف أن يطلق عليه اسم الكفر ، هذا وأنت تسمع عن الله عزوجل يقول فى الآخرة : أخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان ، وذكر من المثقال إلى الذرة والخردلة من الإيمان ، إلى أن خرج منها من لم يعمل حسنة قط فما يدريك أن يكونوا هؤلاء وأمثالهم المرادين ، لأن التقدير وقع فى الإيمان لا فى الأعمال .

فإن قلت : فإن من الناس وأئمة العلماء من لم يوجب الإيمان لمن اعتقد جميع الأركان إذا لم يصحبها معرفة ولم يقصدها دليل فكيف بمن فاته اعتقاد بعضها أو كلها ؟ قلنا : قد أريناك وجه الاعتراض على هذا المذهب ونبهناك على بعد أهله عن وجه الحق فيه وأنهم أرباب تعسف ، ولو استقصى مع كثير منهم القول فى ذلك لبداله أنه تسبب إلى مايظهر له من تصوره عن معرفة شرطها فى إيمان غيره ، ولأثر من خسه الركون إلى مارأيناه أولى من رأيه وأحق بالصواب وأعدل

عن مذهبه ، ثم بعد ذلك تراهم حين أخبروا عن سلب الإيمان عنهم لم يبقوا اسم الكفر عليهم ثم يعرضوا على الاستتابة إن كانت من مذهبه ، ثم يحكى فيه بالقتل والاسترقاق ؛ فإذا تأملت هذا لم يخف عليك عيب ماقالوه ونقص ماماوا إليه ، فلنرجع إلى مانحن بسبيله ونستعين بالله عز وجل . وأما أرباب الحالة الثالثة ـ وهى اعتقاد البدعة فى الصفات أو بعضها ـ فإن حكمنا بصحة إيمان أهل الحالة المذكورة قبل هذا وإسلامهم حققنا أمر هؤلاء فيما اعتقدوه ، إذ لم يقعوا فيه بوجه قصد يقطعهم عن إيصال العذر ، لأن هؤلاء قد حصل لهم فى العقد ماهو شرط الخلاص والنجاة من الهلاك الدائم وأصيبوا فيما وراء ذلك ، فإن أمكن ردهم فى الدنيا وزجرهم عنه إن أظهروا المنع عن الإقلاع والرجوع بالعقوبة المؤلمة دون قتل كان ذلك ، وإن قالوا بالموت لم نقصرهم فى اعتقادنا عن أرباب الحالة الثانية المذكورة قبلهم، والله أعلم بالناجى والهالك من خلقه ، والمطيع والعاصى من عباده ، هكذا ينبغى أن يكون مذهب من نظر فى خلق الله تعالى بعين الرأفة والرحمة ولم يدخل بين الله عز وجل وبين عباده فيما غاب عنه علمه وعدم فيه سبيل اليقين وفهم معنى قوله عز وجل ﴿ ولا تقف ماليس لك به علم إنّ السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾

فإن قلت : وأين أنت من تكفير كثير من الناس لجميع أهل البدع عامة وخاصة ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم فى القدرية « إنهم مجوس هذه الأمة » وقوله صلى الله عليه وسلم « ستفترق أمتى إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة » وقال عن قوم « يخرجون على حين فرقة من الناس يقولون بقول خير البرية ، أو من قول خير البرية يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » والأحاديث الواردة فيمن اعتقد شيئا من الأهواء والبدع كثيرة غير هذه مما توجب فى الظاهر تكفيرهم بالإطلاق ، فاعلم أنه وإن كان كفرهم كثير من العلماء فقد أبقى عليهم دينهم وتردد فيهم كثير أو أكثر منهم ، وكل فريق منهم فى مقابلة من خالفه فليقع التحاكم عند العالم الأكبر المؤيد بالعصمة سيد البشر إمام المتقين صلى الله عليه وسلم ، فهو عليه الصلاة والسلام حين قال « مجوس هذه الأمة » أضافهم إلى الأمة ، وما حكم بأن لم يقل مجوس على الإطلاق وحين أخبر عن الفرق أنهم فى النار فما أخبر أنهم خالدون فيها ، وحين قال « يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » فقد قال متصلا بهذا القول وتتمارى فى الفرق ، وماموضع هذا التمارى من المثل الذى ضربه فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمالى أراك تلاحظ جهة وتترك أخرى وتذكر شيئاً وتذهل عن غيره ؟ عليك بالعدل تكن من أهله ، واستعمل التفطن تشاهد العجائب المعجبة وتفهم قول الله ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾

(فصل) ولما كان الاعتقاد المجرد عن العلم بصحته ضعيفا وتفرده عن المعرفة قريبا ممن رآه أبقى عليه شبه القشر الثانى من الجوز ، لأن ذلك القشر يؤكل مع ما هو عليه صوتا ، وإذا انفرد أمكن أن يكون طعاما المحتاج وبلاغا للجائع ، وبالجملة فهو لمن لاشىء معه خير من فقده وكذلك اعتقاد التوحيد . وإن كان مجردا عن سبيل المعرفة وغير منوط بشىء من الأدلة ضعيفا ، فهو فى الدنيا والآخرة وعند لقاء الله عز وجل خير من التعطيل والكفر ، ومتى ركب أحد هذا فقد وقع فى أعظم الحرج والمنكر .

بيان أرباب المرتبة الثالثة وهو توحيد المقربين

والكلام فى هذا النوع من التوحيد له ثلاثة حدود (أحدهما) أن يتكلم فى الأسباب التى توصل إليه والمسالك التى يعبر عليها نحوه والأحوال التى يتخذها بحصوله كما قدره العز بن العليمى ، واختار ذلك ورضاه وسماه الصراط المستقيم (والحد الثانى) أن يكون الكلام فى عين ذلك التوحيد ونفسه وحقيقته ، وكيف يتصور للسالك إليه والطالب له قبل وصوله إليه وانكشافه له بالمشاهدة (والحد الثالث) فى ثمرات ذلك التوحيد ومايلقى أهله به ويطلعون عليه بسببه ويكرمون به من أجله ويتحققون من فوائد المزيد من جهته ، أما الحد الأول فالكلام عليه والبيان له والكشف لدقائقه وتذلله للصغير والكبير مأمور به مشدد فى أمره متوعد بالنار على كتمه فيه بعث الأنبياء ومن أجله أرسل

الرسل وبيانه للناس كافة نزلت من عند الله عز وجل على أمناء وحيه الصحف والكتب وليقع التفقه فى القلوب بتحقيقه وتصديقه أيدت الرسل بالمعجزات والأولياء والأنبياء بالكرامات ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . وعليه أخذ الله الميثاق على الذين أوتوا الكتاب ليبينه للناس ولا يكتمونه ، وفيه أنزل الله ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ وإياه عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » وجميع ذلك محصور فى اثنتين : العلم بالعبرة ، والعمل بالسنة ؛ وهما مبنيان على آيتين : الحرص الشديد والنية الخالصة . والسر فى تحصيلهما اثنان : نظافة الباطن ، وسلامة الجوارح ؛ ويسمى جميع ذلك بعلم المعاملة . وأما الحد الثانى فالكلام فيه أكثر ما يكون على طريقة ضرب الأمثال ، تشبيها بالرمز تارة وبالتصريح أخرى ؛ ولكن على الجملة بما يناسب علوم الظواهر ولكن يشرف بذلك اللبيب الحاذق على بعض المراد ويفهم منه كثيرا من المقصود وينكشف له جل ما يشار إليه ، إذا كان سالما من شرك التعصب بعيداً من هوة الهوى نظيفا من دنس التقليد . (وأما الحد الثالث) فلا سبيل إلى ذكر شىء منه إلا مع أهله بعد علمهم به على سبيل التذكار لا على التعليم وإنما كانت أحكام هذه الحدود الثلاثة على ما وصفناه لأن الحد الأول فيه محض النصح للخلق واستنقاذهم من غمرة الجهل والتنكيب بهم من مهاوى العطب وقودهم إلى معرفة هذا المقام وماوراءه مما هو أعلى منه مما لهم فيه الملك الأكبر وفوز الأبد ، وقد بين لهم غاية البيان وأقيم عليه واضح البرهان وهو يومئذ الطريق وأول سبيل السعادة ، فمن عجز عن ذلك كان على غيره أعجز ، ومن سلكه على استقامة فالغالب عليه الوصول إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ومن وصل شاهد ومن شاهد علم ، وذلك غاية المطلوب ونهاية المرغوب والمحبوب ، ومن قعد حرم الوصول وما بعده ﴿ فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ﴾ ومن غاب لم تنفعه الأخبار ولم يفده كثير من الأحاديث ، وأيضا فإن الإخبار بما وراء الحد الأول والثانى على وجهه لو كشف للخلق كافة وأمكن بما أعد من الكلام وجرى بين الناس من عرف التخاطب كان فيه زيادة محنة وسبب فيه إهلاك أكثرهم ممن ليس من أهل ذلك المقام ، وذلك لغرابة العلم وكثرة غموضه ودقة معناه وعلوه فى منازل الرفعة وبعده بالجملة والتفصيل من جميع ما عهد فى عالم الملك والشهادة وخروجه عن تلك الحدود المألوفة ومباينته لكل ما نشئوا عنه ولم يشاهدوا غيره من محسوسات ومعقولات وضروريات ونظريات ، فلما كان لا يدرك شىء من ذلك بقياس ولا يتصور بواسطة لفظ ولا يحمل عليه مثل كما قال عز وجل ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾ وحكى عن ابن عباس رحمه الله أنه قال : ليس عند الناس من علم الآخرة إلا الأسماء ، وأراد من لم ينكشف له شىء من علمها وحقائقها فى الدنيا ، وأيضاً فلو جاز الإخبار بها لغير أهلها لم يكن لهم سبيل إلى تصورها إلا على خلاف ما هى عليه بمجرد تقليد ويتطرق إليه من أهل الغفلة وذوى القصور جحود وتبعيد ؛ فلهذا أمروا بالكتم إشفاقا على من حجب من العلم ؛ ولهذا قال سيد البشر صلى الله عليه وسلم « لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله » وقال صلى الله عليه وسلم « ما حدث أحدكم قوما بحديث لم تصله عقولهم إلا كان عليهم فتنة » وعلى هذا يخرج قول المشايخ : وإفشاء سر الربوبية كفر ، رزقنا الله وإياكم قلوبا واعية الخير إنه ولى كل صالح ؛ وإذا علمت أن الحد الأول قد تقرر علمه فى كتب الرواية والدراية وماشت منه الطروس وكثرت به فى المحافل الدروس ، وهو غير محجوب عن طالب ولا ممنوع عن راغب ، قد أمر الجهال به أن يتعلموه والعلماء أن يبذلوه ويعلموه ، فلا نعيد فيه ههنا قولا . ولما كان حكم الحد الثالث الكتم تارة وتسكيت الكلام عنه مع غير أهله على كل حال ، لم يكن لنا سبيل إلى تعد إلى محدودات الشرع ، فلنثن العنان إلى الكلام بالذى يليق بهذا الحال والمقام فنقول : أرباب المقام الثالث فى التوحيد وهم المقربون على ثلاثة أصناف ، على الجملة فكلهم نظروا إلى المخلوقات فرأوا علامات الحدوث فيها لائحة ، وعاينوا حالات الافتقار إلى الله تعالى عليهم واضحة وسمعوا جميعها تدل على توحيده وتفريده راشدة ناصحة ، ثم رأوا الله تعالى بإيمان قلوبهم وشاهدوه بغيب أرواحهم ، ولاحظوا جلاله وجماله بخفى أسرارهم ، وهم مع ذلك فى درجات القرب على قدر حظ كل واحد منهم فى

اليقين وصفاء القلب ، وهؤلاء الأصناف الثلاثة إنما عرفوا الله سبحانه بمخلوقاته ، وانقسامهم في تلك المعرفة كانقسام حفاظ تلاوة القرآن مثلا ، فمن حافظ لبعضه ويكون ذلك البعض أكثر أو كثيرا منه دون كماله ، ومن حافظ لجميعه لكنه متلعثم فيه متوقف على الانهمار في تلاوته غير متوقف في شيء منه وكلهم ينسب إليه ويعد في المشهد والمغيب من أهله ، وكذلك أهل هذه المرتبة أيضا منهم متوصل إلى المعرفة من قراءة صفحات أكثر المخلوقات أو كثير منها وربما كان فيما يقرأ من الصفحات مايغم عليه ، ومن قارئ لجميعها متفهم لها لكن بنوع تعب ولزوم فكرة ومداومة عبرة ، ومن ماهر في قراءتها مستخرج لرموزها نافذ البصيرة في رؤية حقيقتها مفتوح السمع تناطقه الأشياء في فراغه وشغله وبحسب ذلك اختلفت أحوالهم في الخوف والرجاء والقبض والبسط والفناء ، ولا مزيد على هذا المثال فهو أصلح لذوى الأفهام من شمس النهار وقت الزوال وعلمت لم سمى أهل هذه المرتبة مقربين فذلك لبعدهم عن ظلمات الجهل وقربهم من أنوار المعرفة والعلم ، ولا أبعد من الجاهل ولا أقرب من العارف العالم ، والقرب والبعد ههنا عبارتان عن حالتين على سبيل التجوز في لسان الجمهور ، وعلى الحقيقة عند المستعملين لها في هذا الفن ، أحد الحالتين عماء البصيرة وانطماس القلب والخلو عن معرفة الرب سبحانه وتعالى ، ويسمى هذا بعدا : مأخوذا من البعد عن محل الراحة والمنزل الواجب وموضع العمارة والأنس والانقطاع في مهامه القفر وأمكنة الخوف ومظان الانفراد والوحشة . والحالة الثانية : عبارة عن انقاد الباطن واشتعال القلب وانفساح الصدر بنور اليقين والمعرفة والعقل ، وعمارة البيت بمشاهدة ماغاب عنه أهل الغفلة واللهو ، ولكنه يدل على أنه لم يصل ؛ لعلك تقول ؛ أرى بعض أئمة الكلام شغل عن لحوق هذا المقام كأن لم يضربوا فيه بسهم ، ولم يفز قدحهم منه بحظ ولا سهم وأراهم عند الجمهور في الظاهر وعند أنفسهم أنهم أهل الدلالة على الله تعالى وقادة الخلق إلى مراشدهم ومجاهدون أرباب النحل المردية والملل الضالة المهلكة ، وقد سبق في الإحياء أنهم مع العوام في الاعتقاد سواء ، وإنما فارقوهم بإحسانهم حراسة عقودهم .

فاعلم أن ما رأيت في الإحياء صحيح ولكن بقي في كشفه أمر لا يخفى على المستبصرين ، ولا يغيب عن الشاذين إذا كانوا منصفين : وهو أن المتكلمين من حيث صناعة الكلام فقط لم يفارقوا عقود العوام ، وإنما فارقوهم بالجدل عن الانخرام ، والجدل علم لفظي وأكثره احتيال وهمي وهو عمل النفس وتخليق الفهم وليس بثمرة المشاهدة والكشف ، ولأجل هذا كان فيه السمين والغث ، وشاع في حال النضال إيراد القطعي وماهو حكمه من غلبة الظن وإبداء الصحيح وإلزام مذهب الخصم ، والمقام المشار إليه بالذكر وشبهه إنما هو علم التوحيد وفهم الأحوال ومعرفته باليقين التام والعلم المضارع للضروري بأن لا إله إلا الله ، إذ لا فاعل غيره ولا حاكم في الدارين سواه ومشاهدة القلوب لما حجب من الغيوب ، ومن أين للنازل طي المنازل ، وما لعلم الكلام مثل هذا المقام ، بل هو من خدام الشرع وحراس متبعيه من أهل الاختلاس والقطع ، وله مقام على قدره ويقطع به ، ولكن ليس عن مطالع الأنوار ومدارك الاستبصار ، والمدار في أوقات الضرورات والاختيار وبين مايراد لوقت حاجته إن دعت ، وخصام صاحب بدعة ومناضلة ذي ضلالة بما ينغص على ذوي اليقين العيش ويشغل الذهن ويكدر النفس ، وما أهله الذين حفظ عنهم ووقع علمه فيما مضى من الزمان إليهم لانقول في أكثرهم إنهم لايحسنون غيره . ولايختصون بالتوحيد بمقام سواه بما هو أعلى منه ، بل الظن بهم أنهم علماء مثل ما ذكرنا ، فهم نصراء لكنهم لم يبدوا من العلم في الظاهر إلا ما كانت الحاجة إليه أمس والمصلحة به لتوجه الضرورة أعم وأوكد ، ولما كان نجم في وقتهم من البدع وظهر من الأهواء وشاع من تشتيت كلمة أهل الحق وتجرؤ العوام مع كل ناعق ، فرأوا الرد عليهم والمنازعة لهم والسعي في اجتماع الكلمة على السنة بعد افتراقها ، وإهلاك ذوي الكيد في احتيالهم ، وإخماد نارهم الذين هم أهل الأهواء والفتن ، وأولى بهم من الكلام بعلوم الإشارات وكشف أحوال أرباب المقامات ووصف فقه الأرواح والنفوس وتفهم كل ناطق وجامد فإن هذه كلها وإن كانت أسنى وأعلى فإن ذلك من علم الخواص وهم مكفيون المؤنة ، والعامة أحق بالحفظ وعقائدهم أولى بالحراسة ، واستنقاذ من يخاف عليه الهلاك أولى من مؤانسة وحيد والتصدق على ذي بلغة من العيش ، فكيف

إن كان عن غناء ، وأيضا فإن علم الكلام إنما يراد كما قلنا للجدال ، وهو يقع من العلماء العارفين مع أهل الإلحاد والزيغ لقصورهم عن ملاحظة الحق موقع السيف للأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، بعد التبليغ من أهل الفساد والتمادى على الغى وسبيل الفساد ، فكما لا يقال : السيف أبلغ حجة النبى صلى الله عليه وسلم ، كذلك لا يقال : علم الكلام والجدال أبلغ مقام من ظهر منه من العلماء ، وكما لا يقال فى الصدر الأول فقهاء الأمصار ومن قبلهم حين لم يحفظ عنهم فى الغالب إلا علوم أخر كالفقه والحديث والتفسير ، لأن الخلق أحوج إلى علم ما حفظ عنهم وذلك لغلبة الجهل على أكثرهم ، فلولا أن حفظ الله تعالى تلك العلوم بمن ذكرنا لجهلت العبارات وانقطع علم الشرع ، ونحن مع هذه الحالة نعلم أنهم عارفون بالتوحيد على جهة اليقين بغير طريق علم الكلام والجدل ، يتحلون بالمقامات المذكورة وإن لم يشتهر عنهم ذلك اشتهار ما أخذه عنهم الخاص والعام ، ومثل ذلك حالة الصحابة رضى الله عنهم بعد النبى صلى الله عليه وسلم لما خافوا من دروس الإسلام وأن يضعف ويقل أهله ويرجع البلاد والعامة إلى الكفر كما لو كانوا أول مرة ، فقد مات صاحب المعجزة صلى الله عليه وسلم والمبعوث لدعوة الحق عليه الصلاة والسلام رأوا أن الجهاد والرباط فى ثغر العدو والغزو فى سبيل الله وضرب وجوه الكفرة بالسيف وإدخال الناس فى دين الله أولى بهم من سائر الأعمال وأحق من تدريس العلوم كلها ظاهرا وباطنا ، وإنما كانت تؤخذ عنهم علوم الشرع على الأقل وهم فى حال ذلك الشغل والنظر إلى حال العموم أوكد من النظر إلى الخصوص ، لأن الخصوص لهم بأنفسهم عناء ولهم بحالهم قيام ، والعموم إن لم يكن مشتغلا بهم وإذا بدا لهم محذر اعن هلكاتهم وسائقا بهم إلى مراشدهم وصلاحهم كان الهلاك إليهم أسرع ، ثم لا يكون من بعد ذلك إن فسد حال العموم للخصوص قدر ، ولا يظهر لهم نور ولا يقدرون على شىء كامل من البر ، فلا خاصة إلا بعامة ، ولقد كانت رعاية النبى صلى الله عليه وسلم بحال الجماهير أكثر ، والخوف عليهم من الزيغ والضلال والهلاك أشد ، واللطف بهم فى تخفيف الوظائف والأخذ بالرفق أبلغ ، وكان أهل القوة وذوى البصائر فى الحقائق يأخذون أنفسهم بالمشقات ، وكان هو صلى الله عليه وسلم يحب أن يعمل بالعمل من الطاعة فما يمنعه منه ، أو من المداومة عليه إلا خوف أن يفرض على أمته حين علم من أكثرهم الضعف ولم يكره لهم ، وفيه زيادة الأجر وكثرة الثواب والقرب من الله تعالى ولكن خاف عليهم أن يقعوا فى تضييع الفرض فيكون عليهم كفل من الوزر ألا ترى كيف نهى الخلق عن قيام الليل كله ، وكان عثمان رضى الله عنه يقومه فلم ينهه ومنع السيف من كل من أراد أخذه بما شرط عليه فيه حتى جاء من علم منه القدرة على الوفاء بما شرط عليه فأعطاه إياه وقال لعائشة رضى الله عنها : لولا حدثان عهد قومك بالكفر لرددت البيت على قواعد إبراهيم . وقال للأنصار أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم ، ومع ذلك فالذى حفظ عنه صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة من بعده وفقهاء الأمصار وأعيان المتكلمين من الإشارات لتلك العلوم كثيرة لا تحصى ، وإنما القليل من حمله اليوم عنهم وتفقه مثلهم فاقصد تجد ، وتصد لاقتباس المعارف تعلم ، وطالع كتب الحديث والتواريخ ومصنفات العلوم توقن ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب ﴾

بيان المرتبة الرابعة وهو توحيد الصديقين

وأما أهل المرتبة الرابعة فهم قوم رأوا الله سبحانه وتعالى وحده ، ثم رأوا الأشياء بعد ذلك به فلم يروا فى الدارين غيره ولا اطلعوا فى الوجود على سواه ، فقد كان بيان إشارات الصحابة رضى الله عنهم أجمعين فيما خصوا من المعرفة فى هجيراهم ، فكان هجير أبى بكر الصديق رضى الله عنه « لا إله إلا الله » وكان هجير عمر رضى الله عنه « الله أكبر » وكان هجير عثمان رضى الله عنه « سبحان الله » وكان هجير على رضى الله عنه « الحمد لله » فاستقرى السابقون من ذلك أن أبا بكر لم يشهد فى الدارين غير الله سبحانه وتعالى ، فلذا كان الصديق ، وسمى به كما علمت ، وكان يقول « لا إله إلا الله » وكان عمر يرى ما دون الله صغيرا مع الله فى جنب عظمته فيقول « الله أكبر » وكان عثمان لا يرى فى التنزيه إلا الله تعالى إذ الكل قائم به غير معرى من النقصان والقائم بغيره معلول فكان يقول « سبحان الله »

وعلى لا يرى نعمة فى الدفع والرفع والعطاء والمنع فى المكروه والمحبوب إلا من الله سبحانه فكان يقول « الحمد لله » وأهل هذه الرتبة على الجملة فى حال خصوصهم فيها صنفان : مريدون ، ومرادون ، فالمريدون فى الغالب لابد لهم من أن يحلوا فى المرتبة الثالثة وهى توحيد المقربين ، ومنها ينتقلون ، وعليها يعبرون إلى المرتبه الرابعة ويتمكنون فيها : ومن أهل هذا المقام يكون القطب والأوتاد والبدلاء ، ومن أهل المرتبة الثالثة يكون النقباء والنجباء والشهداء والصالحون والله أعلم .

* فإن قلت : أليس الوجود مشتركا بين الحادث والقديم والمألوه والإله ، ثم معلوم أن الإله واحد والحوادث كثيرة ؛ فكيف يرى صاحب هذه المرتبة الأشياء شيئا واحدا ؟ ذلك على طريق قلب الأعيان فتعود الحوادث قديمة ثم تتحدث بالواحد فترجع هى هو ، وفى هذا من الاستحالة والمروق عن مصدر العقل مايغنى عن إطالة القول فيه . وإن كان على طريق التخييل للمولى لما حقيقة له ، فكيف يحتج به ؟ أو كيف يعد حالا لولى أو فضيلة لبشر ؟ الجواب عن ذلك : أن الحوادث لم تنقلب إلى القدم ولم تتحد بالفاعل ، ولا اعترى الولى تخييل فتخيل مالا حقيقة له وإنما هو ولى مجتبى وصديق مرتضى ، خصه الله تعالى بمعرفته على سبيل اليقين والكشف التام ، وكشف لقلبه ما لو رآه ببصره عيانا ما ازداد إلا يقينا ، وإن أنكرت أن يكون وهب الله المعرفة به على هذا السبيل أحداً من خلقه فما أطم مصيبتك وما أعظم العزاء فيك حين فتشت الخلق بمعيارك وكلمتهم بمكيالك وفضلت نفسك على الجميع ، إذ لا سبب لإنكارك إن صح إلا أنك تخيلت أنه لم يرزق أحد مالم ترزق ، أو يخص من المعرفة مالم تخص ، فإذا تقررت هذه القاعدة فصار ما كشف لقلبه لا يخرج منه ، وما اطلع عليه لايغيب عنه ، وما ذكره من ذلك لا ينساه ولا فى حال نومه وشغله ، وهذا موجود فيمن كثر اهتمامه بشىء وثبت فى قلبه حاله : أنه إذا نام أو اشتغل لم يفقده فى شغله ونومه كما لا يفقده فى يقظته وفراغه ، ولهذا والله أعلم إذا رأى الولى المتمكن فى رتبة الصديقين مخلوقا كان حياً أو جماداً صغيراً أو كبيرا لم يره من حيث هو هو ، إنما يراه من حيث أوجده الله تعالى بالقدرة وميزه بالإرادة على سابق العلم القديم ثم أدام القهر عليه فى الوجود ، ثم لما كانت الصفات المشهودة آثارها فى المخلوقات ليست لغير الموصوف الذى هو الله عز وجل بل له ، الهت الولى عن غيره وصار لم ير سواه ، ومعنى ذلك أنه لايتميز بالذكر فى سر القلب وخير المعرفة ، ولا بالإدراك فى ظاهر الحس دون ما كان موجوداً به وصار عنه فانيا ، فبعد هذا على من أصحبه أن لايحتاج إليها مع هذا الوضوح ، ولا فهم إلا بالله ، ولا شرح إلا منه ، ولا نور إلا من عنده ، وله الحول والقوة وهو العلى العظيم .

(فصل) وأما معنى « إفشاء سر الربوبية كفر » فيخرج على وجهين ، أحدهما : أن يكون المراد به كفرا دون كفر ، ويسمى بذلك تعظيما لما أتى به المفشى وتعظيما لما ارتكبه ، ويعترض هذا بأن يقال : لا يصح أن يسمى هذا كفراً لأنه ضد الكفر ؛ إذ الكفر الذى سمى على معناه ساتر ، وهذا المفشى للسر ناشر ، وأين النشر والإظهار من التغطية ؟ والإعلان من الكتم ؟ واندفاع هذا هين بأن يقال : ليس الكفر الشرعى تابع الاشتقاق ، وإنما هو حكم لمخالفة الأمر وارتكاب النهى ، فمن رد إحسان محسن أو جحد نعمة متفضل ، فيقال عليه كافر لجهتين : إحداهما من جهة الاشتقاق ويكون إذ ذاك اسما ينبئ عن وصف ، والثانية من جهة الشرع ويكون إذ ذاك حكما يوجب عقوبة ، والشرع قد ورد بشكر المنعم ، فافهم ولا تذهب مع الألفاظ ولا يغرنك العبارات ولا تحجبك التسميات ، وتفطن لخداعتها واحترس من استدراجها ، فإذاً من أظهر ما أمر بكتمه كان كمن كتم ما أمر بنشره ، وفى مخالفة الأمر فيهما حكم واحد على هذا الاعتبار ، ويدل على ذلك من جهة الشرع قوله صلى الله عليه وسلم « لاتحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم » وفى ارتكاب النهى عصيان ، ويسمى فى باب القياس على المذكور كفران البدن ، وقسمة أخرى : وذلك أن العلم إن حلل إلى ماعلم من أجزائه بالاستقراء ، فرأس الإنسان تشابه سماء العالم من حيث إن كل ماعلا فهو سماء ، وحواسه تشابه الكواكب والنجوم من حيث إن الكواكب أجسام مشفة تستمد من نور الشمس فتضىء بها

والحواس أجسام لطيفة مشفة تستمد من الروح فيضىء مسلك المدركات ، وروح الإنسان مشابهة للشمس ، فضياء العالم ونور نباته وحركة ضواربه وحيوانه وحيانه فيها تظهر بتلك الشمس ، وكذلك روح الإنسان به حصل فى الظاهر نمو أجزاء بدنه ونبات شعره وحلول حياته وجعلت الشمس وسط العالم وهى تطلع بالنهار وتغيب بالليل ، وجعلت الروح وسط جسم الإنسان وهى تغيب بالنوم وتطلع باليقظة ، ونفس الإنسان تشابه القمر من حيث إن القمر يستمد من الشمس ونفسه تستمد من الروح ، والقمر خالف الشمس والروح خالف النفس ، والقمر آية ممحوة والنفس مثلها ، ومحو القمر فى آن لايكون ضياؤه منه ومحو النفس فى آن ليس عقلها منها ، ويعترى الشمس والقمر وسائر الكواكب كسوف ، وتعترى النفس والروح وسائر الحواس غيب وذهول ، وفى العالم نبات ومياه ورياح وجبال وحيوان ، وفى الإنسان نبات وهو الشعر ، ومياه وهو العرق والدموع والريق والدم ، وفيه جبال وهى العظام ، وحيوان وهى هوام الجسم ، فحصلت المشابهة على كل حال ولما كانت أجزاء العالم كثيرة ومنها ماهى لنا غير معروفة ولا معلومة كان فى استقصاء مقابلة جميعها تطويل ، وفيما ذكرناه مايحصل به لذوى العقول تشبيه وتمثيل .

* فإن قلت : أراك فرقت بين النفس والروح ، وجعلت كل واحد منهما غير الآخر ، وهذا قلما تساعد عليه ، إذ قد كثر الخلاف فى ذلك : فاعلم أنه إنما على الإنسان أن يبنى كلامه على مايعلم لا على مايجهل ، وأنت لو علمت النفس والروح علمت أنهما اثنان * فإن قلت : فقد سبق فى الإحياء أنهما شىء واحد وقلت فى هذه الإجابة إن النفس من أسماء الروح فالذى سبق فى الإحياء ورأيت فى هذه الإجابة وهو شىء واحد لايتناقض مع ماقلناه الآن ، وذلك أن لها معنى يسمى بالروح تارة وبالنفس أخرى ، وبغير ذلك ثم لايبعد أن يكون لها معنى آخر ينفرد باسم النفس فقط ولايسمى بروح ولا غير ذلك ، فهذا آخر الكلام فى أحد وجهى الإضافة التى فى ضمير صورته والوجه الآخر : وهو أن من حمل إضافة الصورة إلى الله تعالى على معنى التخصيص به ؛ فذلك لأن الله سبحانه نبأ بأنه حى قادر سميع بصير عالم مريد متكلم فاعل وخلق آدم عليه السلام حيا قادرا عالما سميعا بصيرا مريدا متكلما فاعلا ، وكانت لآدم عليه السلام صورة محسوسة مكنونة مخلوقة مقدرة بالفعل وهى لله تعالى مضافة باللفظ ، وذلك أن هذه الأسماء لم تجتمع مع صفات آدم إلا فى الأسماء التى هى عبارة تلفظ فقط ، ولايفهم من ذلك نفى الصفات فليس هو مرادنا ، وإنما مرادنا تباين مابين الصورتين بأبعد وجوه الإمكان ، حتى لم تجتمع مع صفات الله تعالى إلا فى الأسماء الملفوظ بها لاغير ، وفرارا أن نثبت صورة لله تعالى ويطلق عليها حالة الوجود ؛ فافهم هذا فإنه من أدق مايقرع صدرك ويلج قلبك ويظهر لعقلك ، ولهذا قيل لك : فإن كنت تعتقد الصورة الظاهرة ومعناه إن حملت إحدى الصورتين على الأخرى فى الوجود تكن مشبها مطلقا ومعناه نتيقن أنك من المشبهين لامن المنزهين وحكمت على نفسك بالتشبيه معتقدا ولاتنكر ، كما قيل : كن يهوديا صرفا وإلا فلاتلعب بالتوراة : أى تتلبس بدينهم وتريد أن لاتنسب إليهم : أى تقرأ التوراة ولاتعمل بها . وإن كنت تعتقد الصورة الباطنة منزها مجللا ومقدسا مخلصا : أى ليس تعتقد من الإضافة فى الضمير إلى الله تعالى إلا الأسماء دون المعانى ، فتلك المعانى المسماة لايقع عليها اسم صورة على حال . وقد حفظ عن الشبلى رحمة الله عليه فى معنى ماذكرنا من هذا الوجه قول بليغ مختصر ، حين سئل عن معنى الحديث فقال : خلقه الله على الأسماء والصفات لاعلى الذات * فإن قلت : فكذا قال ابن قتيبة فى كتابه المعروف بتناقض الحديث حين قال : هو صورة لا كالصور ، فلم أخذ عليه فى ذلك ؟ وأقيمت عليه الشناعة به ؟ واطرح قوله ولم يرضه أكثر العلماء وأهل التحقيق ؟ فاعلم أن الذى ارتكبه ابن قتيبة عفا الله عنه نحن أشد إعراضا عنه وأبلغ فى الإنكار عليه وأبعد الناس عن تسويغ قوله ، وليس هو الذى المنا نحن به وأفدناك بحول الله وقوته إياه ، بل يدل منك أنك لم تفهم غرضنا ، وذهلت عن تعقل مرادنا ، ولم تفرق بين قولنا وبين ماقاله ابن قتيبة ، الم أخبرك أننا أثبتنا الصورة فى التسميات ، وهو أثبتها حالة للذات ؛ فأين من لب الجوز قشور تفرقع ، والذى يغلب على الظن فى ابن قتيبة أنه لم يقرع سمعه هذه الدقائق التى أشرنا إليها وأخرجناها إلى حيز الوجود بتأييد الله تعالى بالعبارة

عنها ، وإنما ظهر له شيء لم يكن له به إلف ، وعلاه الدهش فتوقف بين ظاهر الحديث الذى هو موجب عند ذوى القصور تشبيها وبين التأويل الذى ينفيه ، فأثبت المعنى المرغوب عنه ، وأراد نفى ماخاف من الوقوع فيه ، فلم يتأت له اجتماع مارام ولا نظام ماأقترف ، فها هو صورة لا كالصور ، ولكل ساقطة لاقطة ، فتبادر الناس إلى الأخذ عنه

(فصل) ومعنى قاطع الطريق ﴿ فإنك بالواد المقدس طوى ﴾ أى دم على ما أنت عليه من البحث والطلب ، فإنك على هداية ورشد . والوادى المقدس عبارة عن مقام الكليم موسى عليه السلام مع الله تعالى فى الوادى ، وإنما تقدس الوادى بما أنزل فيه من الذكر ، وسمع كلام الله تعالى ، واقيم ذكر الوادى مقام ماحصل فيه لحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ؛ وإلا فالمقصود ما حذف لا ماأظهر بالقول ، إذ المواضع لاتأثير لها وإنما هى ظروف .

(فصل) ومعنى ﴿ فاستمع ﴾ أى سر بقلبك لما يوحى ، فلعلك تجد على النار هدى ، ولعلك من سرادقات العز تنادى بما نودى به موسى ﴿ إنى أنا ربك ﴾ أى فرغ قلبك لما يرد عليك من فوائد المزيد وحوادث الصدق وثمار المعارف وارتياح سلوك الطريق وإشارات قرب الوصول ، وسر القلب كما يقول أذن الرأس ووسع الآذان « وما يوحى » أى ما يرد من الله تعالى بواسطة ملك . أو إلقاء فى روع ، أو مكاشفة بحقيقة ، أو ضرب مثل ، مع العلم بتأويله . ومعنى « لعلك » حرف ترويح ، ومعنى لم تدركك آفة تقطعك عن سماع الوحى من إعجاب بحال أو إضافة دعوى إلى النفس أو قنوع بما وصلت إليه واستبداد به عن غيره . وسرادقات المجد : هى حجب الملكوت ، وما نودى به موسى : هو علم التوحيد التى وسعت العبارة اللطيفة عنه بقوله حين قال له ﴿ يا موسى إننى أنا الله لا إله إلا أنا ﴾ والمنادى باسمه ازلا وأبدا هو اسم موسى لما سمى السالك الموجود فى كلام الله تعالى فى أزل الأزل قبل أن يخلق موسى ، لا إلى أول وكلام الله تعالى صفة له لا يتغير كما يتغير هو إذ ليست صفاته المعنوية لغيره ، وهو الذى لا يحول ولا يزول ، وقد زل قوم عظم اقتراحهم وهو أنهم حملوا صدور هذا القول على اعتقاد اكتساب النبوة ، وعياذا بالله من أين يحتمل هذا القول ما حملوه من المذهب ؟ أليسوا وهم يعرفون أن كثيرا ممن يكون بحضرة ملك من ملوك الدنيا وهو يخاطب إنسانا آخر قلده ولاية كبيرة وفوض إليه عملا عظيما وحباه حباء خطيرا ، وهو ينادى باسمه أو بأمره بما يمتثل من أمره . ثم إن السامع للملك الحاضر معه غير المولى لم يشارك المولى المخلوع عليه والمفوض إليه فى شىء مما ولى وأعطى ، ولم يجب له بسماعه ومشاهدته أكثر من حظوة القربة وشرف الحضور ومنزلة المكاشفة من غير وصول إلى درجة المخاطب بالولاية والمفوض إليه الأمر . ولذلك هذا السالك المذكور إذا وصل فى طريقه ذلك بحيث يصل بالمكاشفة والمشاهدة واليقين التام الذى يوجب المعرفة والعلم بتفاصيل المعلوم ؛ فلا يمتنع أن يسمع ما يوحى لغيره من غير أن يقصد هو بذلك ، إذ هو محل سماع الوحى على الدوام وموضع الملائكة ، وكفى بها أنها الحضرة الربوبية ، وموسى عليه السلام ما استحق الرسالة والنبوة ، ولا استوجب التكليم وسماع الوحى مقصودا بذلك بحلوله فى هذا المقام الذى هو المرتبة الثالثة فقط . بل هو قد استحق ذلك بفضل الله تعالى حين خصه بمعنى آخر ترقى إلى ذلك المقام اضعافا فجاوز المرتبة الرابعة ، لأن آخر مقامات الأولياء أول مقامات الأنبياء ، وموسى عليه السلام نبى مرسل ، فمقامه أعلى بكثير مما نحن آخذون فى أطرافه ، لأن هذا المقام الذى هو المرتبة ليست من غايات مقامات الولاية بل هو إلى الثالثة مباديها أقرب منه إلى غايتها ، فان لم يفهم درجات المقام وخصائص النبوة وأحوال الولايات كيف يتعرض للكلام فيها والطعن على أهلها ، هذا لا يصلح إلا لمن لا يعرف انه مؤاخذ بكلامه ، محاسب بظنه ويقينه ، مكتوب عليه خطراته ، محفوظ عليه لحظاته ، مخلصا منه يقظاته وغفلاته ، فما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد .

* فإن قلت : أراك قد أوجبت له نداء الله تعالى ونداء كلامه ، والله تعالى يقول ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ﴾ فقد نبه أن تكليم الله تعالى لمن كلمه من الرسل ، إنما هو على سبيل المبالغة فى التفضيل ، وهذا لا يصلح أن يكون لغيره ممن ليس بنبى ولا رسول ، وإذا بان السبب وقصد بادر الشك العارض فى مسالك الحقائق * فنقول : ليس فى الآية ما يرد ما قلنا ولا يكسره ، لأنا ما أوجبنا أن كلمه وقصد ولا توخاه

بالخطاب عمداً . وإنما قلنا : يجوز أن يسمع مايخاطب الله تعالى به غيره مما هو أعلى منه ، أليس من يسمع كلام إنسان مثلا مما يتكلم به غير السامع فيقال فيه إنه كليمه ؟ وقد حكى أن طائفة من بنى إسرائيل سمعوا كلام الله تعالى الذى خاطب به موسى حين كلمه ، ثم إذا ثبت ذلك لم يجب لهم به درجة موسى عليه السلام ولا المشاركة فى نبوته ورسالته ، على أنا نقول نفس ورود الخطاب إلى السامعين من الله تعالى يمكن الاختلاف فيه ، فيكون النبى المرسل يسمع كلام الله تعالى الذاتى القديم بلا حجاب فى السمع ولا واسطة بينه وبين القلب ، ومن دونه يسمعه على غير تلك الصورة مما يلقى فى روعه ومما ينادى فى سمعه أو سره وأشباه ذلك ، ذكر أن قوم موسى عليه السلام حين سمعوا كلام الله سبحانه مع موسى أنهم سمعوا صوتا كالشبور - وهو القرآن - فإذا صح ذلك فبتباين المقامات اختلف ورود الخطاب فموسى سمع كلام الله بالحقيقة الذى هو صفة له بلا كيف ولا صورة نظم الحروف ولا أصوات ، والذين كانوا معه أيضا سمعوا صوتا مخلوقا وجعل لهم علامة ودلالة على صحة التكليم ، وخلق الله سبحانه لهم بذلك العلم الضرورى ، وسمى ذلك الذى سمعوه كلامه ؛ إذ كان دلالة عليه ، كما تسمى التلاوة وهى الحروف المتلو بها القرآن : كلام الله تعالى ؛ إذ هى دلالة عليه .

* فإن قلت : فما يبقى على السامع إذا سمع كلام الله تعالى الذى يستفيد معرفة وحدانيته وفقه أمره ونهيه وفهم مراده وحكمه يلحقه العلم الضرورى فيما أرى بأنه الشىء المرسل إلا بأن يشتغل بإصلاح الخلق دونه ولو كان عوضا منه أخر عنه ومقامه مقامه ؟ * فاعلم أن الذى أوجب عثورك ودوام زللك واعتراضك على العلوم بالجهل وعلى الحقائق بالمخايل أنك بعيد عن غور المطالب ، قعيد فى شرك المعاطب ، قعيد صوب الصوت عتيد صحب السحاب ، إن الذى استحق به الناظر السالك الواصل المرتبة الثالثة سماع نداء الله تعالى معنى ومقام وحال وخاصة أعلى من تلك الأولى وأجل وأكبر وبينهما مابين من استحق المواجهة بالخطاب والقصد به ، وبين من لا يستحق أكثر من سماعه من يخاطب به غيره ، فهذا من الإشارة باختلاف ورود الخطاب إليهما مما يوجب نفورا وتباين مابينهما . فإن فهمت الآن وإلا فقد عنى لاندر بحبال .

* فإن قيل : ألم يقل الله تعالى ﴿ فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول ﴾ وسماع الله تعالى بحجاب أو بغير حجاب وعلم مافى الملكوت ومشاهدة الملائكة وماغاب عن المشاهدة والحس من أجل الغيوب ؟ فكيف يطلع عليها من ليس برسول ؟ * قلنا فى الكلام حذف يدل على صحة تقديره الشرع الصادق والمشاهدة الصورية ، وهو أن يكون معناه : إلا من ارتضى من رسول ومن اتبع الرسول بالإخلاص والاستقامة ، أو عمل بما جاء به النبى ؛ لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » وهل يبقى إلا ماغاب عنه أن ينكشف إليه وقال « إن يكن منكم محدثون فعمر » أو كما قال « المؤمن ينظر بنور الله » وفى القرآن العزيز ﴿ قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ﴾ فعلم ماغاب عن غيره من إمكان بيان ماوعد به ، وأراد أنه قدر عليه ولم يكن نبيا ولا رسولا . وقد أنبأ الله سبحانه وتعالى عن ذى القرنين من إخباره عن العلوم الغيبية وصدقه فيه حين قال ﴿ فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء ، وكان وعد ربى حقا ﴾ وإن كان وقع الاختلاف فى نبوة ذى القرنين فالإجماع على أنه ليس برسول ، وهو خلاف المسطور فى الآية وإن رام أحد المدافعة بالاحتيال لما أخبر به ذو القرنين ، وماظهر على يدى الذى كان عنده علم من الكتاب ، وأراد أن يجوز على عمر التشبه بالحقائق ، فما يصنع فيما جرى للخضر وما أنبأ الله سبحانه وأظهر عليه من العلوم الغيبية وهو بعد أن يكون نبيا فليس برسول على الوفاق من الجميع ، والله تعالى يقول ﴿ إلا من ارتضى من رسول ﴾ فدل على أن فى الآية حذف مضاف معناه ماتقدم وانظر إلى ماظهر من كلام سعد رضى الله عنه أنه يرى الملائكة وهو غيب الله وأعلم أبو بكر بما فى البطن وهى من غيب الله وشواهد الشرع كثيرة جدا يعجز المتأول ويلهو المعاند . هذا والقول بتخصيص العموم أظهر من الجراءة وأشهر مما نقل الكافة ، ويحتمل أن يكون المراد فى الآية بالرسول المذكور فيها : ملك الوحى الذى بواسطته تنجلى

العلوم وتنكشف الغيوب ، فمتى لم يرسل الله ملكا بإعلام غيب ، أو يخاطب مشافهة ، أو إلقاء معنى فى روع أو ضرب مثل فى يقظة أو منام ، لم يكن إلى علم ذلك الغيب سبيل ، ويكون تقدير الآية : فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول أن يرسله إلى من يشاء من عباده فى يقظة أو منام ، فإنه يطلع على ذلك أيضا . ويكون فائدة الإخبار بهذا فى الآية الامتنان على من رزقه فى الله تعالى علم شىء من مكنوناته ، وإعلامه أنه لا تصل إليها نفسه ولا مخلوق سواه إلا بالله تعالى حين أرسل إليه الملك بذلك وبعثه الله ، حتى يتبرأ المؤمن من حوله ومن حول كل مخلوق وقوته ، ويرجع إلى الله تعالى وحده ، ويتحقق أنه لا يرد عليه شىء من علم أو معرفة أو غير ذلك إلا بإرادته ومشيئته ويحتمل وجه آخر : وهو أن يكون معناه والله أعلم : فلا يظهر على غيبة أحدا إلا من ارتضى يريد من سائر خلقه وأصناف عباده ، ويكون معنى « من رسول » أى عن يد رسول من الملائكة .

(فصل) ومعنى : ولا يتخطى رقاب الصدّيقين * إن قلت : ما الذى أوصله إلى مقامهم أو جاوز به ذلك ـ وهو فى المرتبة الثالثة حال المقربين ما وصل حيث ظننت ـ فكيف يجاوزه ، وإنما خاصية من هو فى رتبة الصديقين عدم السؤال لكثرة التحقق بالأحوال ، وخاصية من هو فى رتبة القرب كثرة السؤال طمعا فى بلوغ الآمال ، ومثالهما فيما أشير إليه مثال إنسانين دخلا فى بستان : أحدهما يعرف جميع أنواع نبات البستان ويتحقق أنواع تلك الثمار ويعلم أسماءها ومنافعها ؛ فهو لا يسأل عن شىء مما يراه ولا يحتاج إلى أن يخبر به ، والثانى لا يعرف مما رأى شيئا أو يعرف بعضا ويجهل أكثر مما يعرف ، فهو يسأل ليصل إلى علم الباقى ، وذلك من تكلمنا عليه حين أكثر السؤال عما يبعد عنه حاله ويتخلف عن مقامه إلى ما هو أعلى منه ، وكان غير مراد لذلك إما فى ذلك الوقت أو الأبد ، وتلك العلوم متى كانت لا تنال بالكسب وإنما تنال بالمنح ، فقيل له : لا تتخط رقاب الصديقين بالسؤال ، فذلك مما لا يخطر به وليس هو من الطرق الموصلة إلى مقامهم ، فارجع إلى الصديق الأكبر فاقتد به فى حاله وسيرته فعساك ترزق مقامه . فإن لم يكن فتبقى على حالة القرب وهى تتلو الصديقية ، فهذا معناه .

(فصل) ومعنى انصراف المالك الناظر بعد وصوله إلى ذلك الرفيق الأعلى : إما أنه لما وصل إليه بالسؤال صرف إليه ما لاق به من الأحوال ليحكم ما بقى عليه من الأعمال كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم للذى سأله أن يعلمه غرائب العلم : اذهب فأحكم ما هناك ، وبعد ذلك أعلمك غرائب العلم . وأما صفة انصرافه فإن نهض بالبحث ورجع بالتذكر ، وفوائد المزيد ووجه أن من لم يستطع المقام فى ذلك الموضع بعد وصوله إليه ، فذلك لتعلق خبر المعرفة بالبدن ومسكنه عالم الملك ولم يفارقه بعد الموت وطول الغيب عنه لا يمكن فى العادة ، ولو أمكن لهلك الجسم وتفرقت الأوصال ، والله تعالى أراد عمارة الدنيا وقد سبق فى علمه ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ ومعنى قول أبى سليمان الدارانى : ولو وصلوا ما رجعوا ، ما رجع إلى حالة الانتقاص من وصل إلى حالة الإخلاص . والذى طمع الناظر فى الحصول فيه سؤاله وتماديه إلى حال القرب منه ، إذ لم يصلح لذلك ولم يصف ولم يخلص أعماله .

(فصل) ومعنى بأن ليس فى الإمكان أبدع من صورة هذا العالم ولا أحسن ترتيبا ولا أكمل صنعا ، ولو كان وادخره مع القدرة كان ذلك بخلا يناقض الكرم الإلهى ، وإن لم يكن قادرا عليه كان ذلك عجزا يناقض القدرة الإلهية ، فكيف يقضى عليه بالعجز فيما لم يخلقه اختيارا وكان ذلك ولم ينسب إليه ذلك قبل خلق العالم ، ويقال : ادخار إخراج العالم من العدم إلى الوجود عجز مثل ما قيل فيما ذكرنا . وما الفرق بينهما ؟ وذلك لأن تأخيره بالعالم قبل خلقه عن أن يخرجه من العدم إلى الوجود يقع تحت الاختيار الممكن ، من حيث إن الفاعل المختار له أن يفعل ، فإذا فعل فليس فى الإمكان أن يفعل إلا نهاية ما تقتضيه الحكمة التى عرفناها أنها حكمة ، ولم تعرفنا بذلك إلا لنعلم مجارى أفعاله ومصادر أموره ، وأن نتحقق أن كل ما اقتضاه ويقضيه من خلقه بعلمه وإرادته وقدرته أن ذلك على غاية الحكمة ونهاية الإتقان ومبلغ جودة الصنع ، ليجعل كمال ما خلق دليلا قاطعا وبرهانا على كماله فى صفات جلاله الموجبة لإجلاله ، فلو كان ما خلق ناقصا بالإضافة إلى غيره ما قدر على خلقه ، ولو لم يخلق لكان يظهر النقصان المدعى على هذا الوجود متى خلقه

كما يظهر على ماخلقه على غير ذلك ، ويكون الجميع من باب الاستدلال على ماصنع من النقصان قطعا ، وما يحمل عليه من القدرة على أكمل منه ظنا ، إذ خلق للخلق عقولا وجعل لهم فهوما وعرفهم ماأكن وكشف لهم ما حجب وأجن ، فيكون من حيث عرفهم بكماله دلهم على نقصه ، ومن حيث أعلمهم بقدرته بصرهم بعجزه ، فتعالى الله رب العالمين الملك الحق المبين . وأيضا فلا يعترض هنا ويتزر به إلا من لايعرف مخلوقاته ولم يصرف الكلام الصحيح فى مشابه ذلك أصلا فى العلم ، أو كان نسخا له ومعنى نقيس عليه غيره ، وأما انكشافه بخبر ممن رزق علم ذلك كان بطلان العلم فى حق المخبر ، إذ أفشاه لغير أهله وأهداه لمن لايستحقه ، كما روى عن عيسى على نبينا وعليه السلام : لاتعلقوا الدر فى أعناق الخنازير . وإنما أراد قطع العلم عن غير أهله وقد جاء : لاتمنعوا الحكمة أهلها فتظلموهم ، ولا تضعوها عند غير أهلها فتظلموها . وأما سر العلم الذى يوجب كشفه بطلان الأحكام ، فإن كان كشفه من الله سبحانه لقلوب ضعيفة ، بطلت الأحكام فى حقها لمن يطلع عليه فى ذلك السر من معرفة مآل الأشياء وعواقب الخلق وكشف أسرار العبادة وما يظن من مقدور ، فمن عرف نفسه مثلا أنه من أهل الجنة لم يصل ولم يصم ولم يتعب نفسه فى خير ، وكذلك لو انكشف له أنه من أهل النار كمل انهماكه فلا يحتاج إلى تعب زائد ولا تصيبه مكابدة ، فلو عرف كل واحد عاقبته ومآله بطلت الأحكام الجارية عليه . وإن كان كشفها من مخبر استروح الضعيف إلى مايسمع من ذلك فيتعطل وينخرم حاله وينحل قيده ، وبعد هذا فلا يحمل كلام سهل إلا على مايقدر لا على مايوجد ، ولذلك جعله مقرونا بحرف «لو» الدال على امتناع الشىء لامتناع غيره ، كما يقال : لو كان للإنسان جناحان لطار ، ولو كان للسماء درج لصعد عليها ، ولو كان البشر ملكا لفقد الشهوات ، فعلى هذا يخرج كلام سهل فى ظاهر العلم

(فصل) وأما خطاب العقلاء للجمادات فغير مستنكر ؛ فقديما ندب الناس الديار وسألوا الأطلال واستخبروا الآثار . وقد جاء فى أشعار العرب وكلامها من ذلك كثير . وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم «اسكن أحد ، فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان» وقال بعضهم : اسأل الأرض تخبرك عمن شق أنهارها وفجر بحارها وفتق أهواءها ورتق أحراءها وأرسى جبالها ، إن لم تجبك أجابتك اعتبارا ، وإنما الذى يتوقف على الأذهان ويتحير فى قوله السامعون وتتعجب منه العقول : هو كيفية كلام الجمادات والحيوانات الصامتات ؛ فهى هذا وقع الإنكار واضطرب النظار ، وكذب فى تصحيح وجوده ذو السمع من الاعتبار ، ولكن لتعلم أن تلقى الكلام للعقلاء ممن لم يعقل عنه فى المشهود يكون على جهات : من ذلك سماع الكلام الذاتى كما تتلقى من أهل النطق إذا قصدوا إلى نظم اللفظ ، وذلك أكثر مايكون للأنبياء والرسل صلوات الله عليهم فى بعض الأوقات ، كحنين الجذع للنبى صلى الله عليه وسلم ، وكان حجر يسلم عليه فى طريقه قبل مبعثه . ومنها تلقى الكلام فى حس السامع من غير أن يكون له وجود من خارج الحس ، ويعترى هذا سائر الحواس ، كمثل مايسمع النائم فى منامه من مثال شخص من غير مثال ، والمثال المرئى للنائم ليس له وجود فى سمعه . وأما مايجده غير النائم فى اليقظة فمنها خاصة وعامة ، فقد ورد أن الحجر فى زمن عيسى ينادى المسلم : يامسلم ، خلفى يهودى فاقتله وإن لم يخلق الله تعالى للحجر حياة ونطقا ويذهب عنه معنى الحجرية أو يوكل بالحجر من يتكلم عنه ممن يستر عن الأبصار فى العادة من الملائكة والجن أو يكون كلام يخلقه الله عز وجل فى أذن السامع ليفيده العلم باختفاء اليهودى حتى يقتله ، وكما يقال فى العرض الأكبر يوم القيامة إذا نودى فيه باسم كل واحد على الخصوص وفى الخلائق مثل اسم المنادى به كثير . وقد قالت العلماء : إنه لايسمع النداء فى ذلك الجمع إلا من نودى فيحتمل أن يكون ذلك النداء يخلق للمنادى فى حاسة أذنه ليتحرك إلى الحساب وحده دون من يشاركه فى اسمه ولا يكون نداء من خارج ، والأمثلة كثيرة فى الشرع ، وفيما سمعت غنية ومقنع . ومنها تلقى الكلام فى العقل وهو المستفاد بالمعرفة ، المسموع بالقلب ، المفهوم بالتقدير على اللفظ ، المسمى بلسان الحال كما قال قيس :

وأجهشت للتوباذ حين رأيته وكبر للرحمن حين رآنى فقلت له أين الذين عهدتهم
حواليك فى عيش وخفض زمان فقال مضوا واستودعونى بلادهم ومن ذا الذى يبقى على الحدثان

وفى أمثال العوام : قال الحائط للوتد : لم تشقنى ؟ فقال الوتد للحائط : سل من يدقنى فلو كانت العبارة تتأتى منها ما عبرت إلا بما قد استعير لها . وعلى هذا المعنى حمل كثير من العلماء قوله تعالى إخبارا عن السماء والأرض حين قالتا : ﴿ أتينا طائعين ﴾ وفى قوله تعالى ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾ ومنها تلقى الكلام من الجبال مثل قوله صلى الله عليه وسلم « كأنى أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام عليه عباءتان قطوانيتان يلبى وتجيبه الجبال ، والله يقول : لبيك يا يونس » فقوله « كأنى » يدل على أنه تخيل حالة سبقت لم يكن لها فى الحال وجود ذاتى ، لأن يونس بن متى عليه السلام قدمات وتلك الحالة منه سلفت وفى هذا الحديث إخبار عن الوجود الخيالى فى البصر ، والوجود الخيالى فى السمع ، ومنها تلقى الكلام بالشبه : وهو أن يسمع السامع كلاما أو صوتا من شخص حاضر فيلقى عليه شبه غيره مما غاب عنه ، كقوله عليه السلام فى صوت أبى موسى الأشعرى إذ سمعه يترنم بالقرآن « لقد أعطى مزمارا من مزامير آل داود » ومزامير آل داود قد عدمت وذهبت . وإنما شبه صوته بها وكما إذا سمع المريد صوت مزمار أو عود فجأة على غير قصد يتخيل صرير أبواب الجنة وشبهها بما فجأ صوته من ذلك ، فهذه مراتب الوجود فأنت إذا أحسنت التصرف بين أساليبها ولم يعترك غلط فى بعضها ببعض ، ولا اشتبهت عليك ، وسمعت عمن نظر بمشكاة نور الله تعالى إلى كاغد وقد رآه اسود وجهه بالحبر فقال له : ما نال وجهك وقد كان أبيض أشقر مونقا والآن قد ظهر فيه السواد ، فلم سودت وجهك ؟ فقال : سل الحبر ، فإنه كان مجموعا فى المحبرة التى هى مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهى ظلما وعدوانا ، فقال : صدقت . ثم أنت إذا سمعت أمثال هذه المراجعات أعمل الفكر وحدد النظر وحل الكلام إلى أجزائه التى ينتظم منها جملة ما بلغت ؛ فسأل عن معنى الناظر ، ومعنى المشكاة ، ومعنى نور الله سبحانه ، وما سبب أنه لم يعرف الناظر الكتابة والمكتوب ؟ وبأى لسان خاطب الكاغد ، وكيف مخاطبة الكاغد وهو ليس من أهل النطق ؟ وفيما صدق الناطق الكاغد ؟ ولم صدقه بمجرد قوله دون دليل ولا شاهد ؟ فيبدو لك ههنا من الناظر هو ناظر القلب فيما أورده عليه الحس ، والمشكاة استعارة من مشكاة الزجاجة التى أعمرت بسراج النار ، إلى خبر المعرفة الملقب بسر القلب شبيها بها ، لأنها مسرجة الرب سبحانه وتعالى أشعلها بنوره ، ونوره المذكور ههنا عبارة عن صفاء الباطن واشتعال السر بطلوع نيران كواكب المعارف الذاهبة باذن الله تعالى بظلم جهالات القلوب ، ووجه إضافته إلى الله تعالى على سبيل الإشارة بالذكر لأجل التخصيص بالشرف ، والكاغد والحبر كناية عن أنفسهما لا عن غيرهما ، وجعلهما مبدأ طريقه وأول سلوكه إذ هما فى عالم الملك والشهادة الذى هو محل جولة الناظر فى حال نظره .

وأما سبب أنه لم يعرف الكتابة والمكتوب ، فلأجل أنه كان أميا لا يقرأ الكتاب الصناعى ، وإنما يروم معرفة قراءة الخط الإلهى الذى هو أبين وأدل على الفهم منه . وأما مخاطبة الناظر الكاغد وهو : جماد فسبق الكلام على مثله ، ومراجعة الكاغد له فعلى قدر حال الناظر إن كان مرادا ، فيلقى الكلام فى الحس بما ينبئه عن المطلوب من الحق ، وهو من باب الإلقاء فى الروع فيودعه الحس المشترك المحفوظ فيه على الإنسان صور الأشياء المحسوسة ، وإن كان مريدا فيتلقاه بلسان الحال المسموع بسمع القلب بواسطة المعرفة والعقل ، وتصديق الناظر للكاغد فى عذره وإحالته على الحبر لم يكن لمجرد قوله ، بل بشهادة أولى الرضا والعدل وهو البحث والتجربة لم تكن وشهادة النفس ، وهذا يسلك إلى القدرة وهو آخرها سئل عن أجزاء عالم الملك . وأما ما سمعته فى حد عالم الجبروت فذلك من القدرة المحدثة إلى العقل والعلم الموجودين فى الإنسان المستقرة فى القوة الوهمية المدركة جميع ما لا يستدعى وجوده جسما ، ولكن قد يعرض له أنه فى جسم ، كما تدرك السخلة عداوة الذئب وعطف أمها فتتبع العطف وتنفر من العداوة . وأما ما سمعته فى حد عالم الملكوت وذلك من العلم الإلهى إلى ما وراء ذلك مما هو داخل فيه ومعدود منه ، فسر القلب الذى يأخذ به عن الملائكة ويسمع به ما بعد مكانه ورق معناه وعزب عن القلوب من جهة الفكر بصوره ، فأما أى شىء حقائق هذه المذكورات وما كنه كل واحد منها على نحو معرفتك لأجزاء عالم الملك والشهادة ، فذلك علم لا ينتفع

بسماعه مع عدم المشاهدة ، والله قد عرفك بأسمائها ؛ فإن كنت مؤمنا فصدق بوجودها على الجملة لعلمك أنك لاتخبر بتسميات ليس لها مسميات إلى أن يلحقك الله بأولى المشاهدة وتحصل خالص الكرامات . ومن كفر فإن الله غنى حميد

(فصل) والفرق بين العلم المحسوس فى عالم الملك وبين العلم الإلهى فى عالم الملكوت : أن العلم قد اعتقدته جسما بطىء الحركة بالفعل ، سريع الانتقال بالهلاك مخلفا عن مثله فى الظاهر ، مجعولا تحت قهر سلطان الآدمى الضعيف الجاهل فى أكثر أوقاته ، متصرف بين أحوال متنافية كالعلم والجهل والعدل والظلم والشك والصدق والإفك ؛ فالعلم الإلهى عبارة عن خلق الله فى عالم الملكوت ، مختص بخلاف خصائص الجواهر الحسية الكائنة فى عالم الملك ، يرى من أوصاف ماسمى به القلم المحسوس كليا مصرفا بتميز الخالق بحكم إرادته على ماسبق به علمه فى أزل الأزل ، وإنما سمى بهذا الاسم لأجل شبهه بعمل ماسمى به ، غير أنه لايكتب إلا حقائق الحق ، والفرق بين يمين الآدمى ويمين الله عز وجل أن يمين الآدمى كما علمت مركبة من عصب استعصى بقاؤها ، وعضل تعضل أدواؤها ، وعظام يعظم بلاؤها ولحم ممتد وجلد غير جلد موصولة ، كمثلها فى الضعف والانفعال ملقبة باليد وهى عاجزة على كل حال ، ويمين الله تعالى هى عند بعض أهل التأويل عبارة عن قدرته ، وعند بعضهم صفة لله تعالى غير قدرته وليست بجارحة ولا جسم ، وعند آخرين . أنها عبارة عن خلق لله هى واسطة بين القلم الإلهى الناقش العلوم المحدثة وغيرها ، وبين قدرته التى هى صفة له صرف بها اليمين الكاتبة بالقلم المذكور بالخط الإلهى المثبت على صفحات المخلوقات الذى ليس بعربى ولا عجمى ، يقرؤه الأميون إذا شرحت صدورهم ، وتستعجم على القارئين إذا كانوا عبيد شهواتهم ، ولم يشارك يمين الآدمى إلا فى بعض الأسماء لأجل الشبه اللطيف الذى بينهما بالفعل ، وتقريبا إلى كل ناقص الفهم ، عساه يعقل ما أنزل على رسل الله تعالى من الذكر .

(فصل) وحد عالم الملك ؛ ماظهر للحواس ويكون بقدرة الله تعالى بعضه من بعض وصحة التعبير . وحد عالم الملكوت ما أوجده سبحانه بالأمر الأزلى بلا تدريج ويبقى على حالة واحدة من غير زيادة فيه ولا نقصان منه . وحد عالم الجبروت هو مابين العالمين مما يشبه أن يكون فى الظاهر من عالم الملك فحيز بالقدرة الأزلية بما هو من عالم الملكوت .

(فصل) ومعنى أن الله خلق آدم على صورته : فذلك على ماجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وللعلماء فيه وجهان ؛ فمنهم من يرى للحديث سببا : وهو أن رجلا ضرب غلامه فرآه النبى صلى الله عليه وسلم ، فنهاه وقال : إن الله تعالى خلق آدم على صورته ، وتأولوا عود الضمير على المضروب ، وعلى هذا لايكون للحديث مدخل فى هذا الموضع لم يرده مورد آخر فى غير هذا الموطن ، ويكون الإيمان به إلى غير هذا المعنى المذكور فى السبب الحادث وإثباته فى غير موطن ذلك السبب المنقول مما يعز ويعسر ، فليبق المسبب على حاله ، ولينظر فى وجه الحديث غير هذا مما يحتمل ، ويحسن الاحتجاج به فى هذا الموطن ، والوجه الآخر : أن يكون الضمير الذى فى «صورته» عائدا إلى الله سبحانه ، ويكون معنى الحديث : أن الله خلق آدم على صورة هى إلى الله سبحانه ، وهذا العبد المضروب على صورة آدم ؛ فإذا هذا العبد المضروب على الصورة المضافة إلى الله تعالى ، ثم ينحصر بيان معنى الحديث ويتوقف على بيان معنى هذه الإضافة وعلى أى جهة يحمل فى الاعتقاد العمى على الله سبحانه ، ففيها وجهان : أحدهما أن إضافته إضافة ملك إلى الله تعالى كما يضاف إليه العبد والبيت والناقة واليمين على أحد الأوجه ، والوجه الآخر : أن تكون إضافة تخصيص به تعالى ، فمن حملها على إضافة الملك له رأى أن المراد بصورته هو العالم الأكبر بجملته ، وآدم مخلوق على مضاهاة صورة العالم الأكبر ، لكنه مختصر صغير ، فإن العالم إذا فصلت أجزاؤه بالعلم ، وفصلت أجزاء آدم عليه السلام بمثله ، وجدت أجزاء آدم عليه السلام مشابهة للعالم الأكبر ، وإذا شابهت أجزاء جملة أجزاء جملة فالجملتان بلا شك متشابهتان ، فالذى نظر فى تحليل صورة العالم الأكبر فقسمه على أنحاء من القسمة وقسم آدم عليه السلام كذلك ، فوجد كل نحوين منهما شبيهين فمن ذلك أن العالم ينقسم إلى قسمين : أحد القسمين ظاهر محسوس كعالم الملك ، والثانى : باطن معقول كعالم الملكوت ، والإنسان كذلك ينقسم إلى ظاهر محسوس كالعظم واللحم والدم وسائر أنواع الجواهر المحسوسة ، وإلى

باطن كالروح والعقل والعلم والإرادة والقدرة وأشباه ذلك ، وقسم آخر : وذلك أن العالم قد انقسم بالعوالم إلى عالم الملك وهو الظاهر للحواس ، وإلى عالم الملكوت وهو الباطن فى العقول ، وإلى عالم الجبروت وهو المتوسط الذى أخذ بطرف من كل عالم منهما ، والإنسان كذلك انقسم إلى ما شابه هذه القسمة ؛ فالمشابه لعالم الملك : الأجزاء المحسوسة وقد علمتها ، والمشابهة لعالم الملكوت فمثل الروح والعقل والقدرة والإرادة وأشباه ذلك ، والمشابه لعالم الجبروت فكالإدراكات الموجودة بالحواس والقوى الموجودة بأجزائه . والوجه الثانى : أن يكون معناه كفر السامع لا للمخبر ، بخلاف الوجه الأول ، ويكون هذا مطابقا لحديث النبى صلى الله عليه وسلم « لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله » فمن حدث أحداً بما لم يصله عقله ربما سارع إلى التكذيب وهو الأكثر ، ومن كذب بقدرة الله تعالى وبما أوجدتها فقد كفر ولو لم يقصد الكفر ؛ فإن أكثر اليهود والنصارى وسائر الكفار ما قصدت الكفر ولا تظنه بأنفسها وهى كفار بلا ريب ؛ وهذا وجه واضح قريب ، ولا تلتفت إلى ما مال إليه بعض من لا يعرف وجوه التأويل ولا يعقل كلام أولى الحكمة والراسخين فى العلم حين ظن أن قائل ذلك أراد الكفر الذى هو نقيض الإيمان والإسلام بتعلق مخبره وتلحق قائله ، وهذ لا يخرج إلا على مذاهب أهل الأهواء الذين يكفرون بالمعاصى ، وأهل السنن لا يرضون بذلك . وكيف يقال لمن آمن بالله واليوم الآخر وعبد الله بالقول الذى ينزه به والعمل الذى يقصد به المتعبد لوجهه الذى يستزيد به إيمانا ومعرفة له سبحانه ، ثم يكرمه الله تعالى على ذلك بفوائد المزيد وينيله ما شرف من المنح ويريه أعلام الرضا ، ثم يكفره أحد بغير شرع ولا قياس عليه ، والإيمان لا يخرج عنه إلا بنبذه واطراحه وتركه واعتقاد ما لا يتم الإيمان معه ولا يحصل بمقارنته ، وليس فى إفشاء سر الولى ما يحصل به تناقض الإيمان ، اللهم إلا أن يريد بإفشائه وقوع الكفر من السامع له فهذا عات متمرد وليس بولى ، ومن أراد بأحد من خلق الله أن يكفر بالله ، فهو لا محالة كافر . وعلى هذا يخرج قوله تعالى ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ﴾ ثم إنه من سب أحدا منهم على معنى ما يجد له من العداوة والبغضاء ، قيل له أخطأت وأثمت من غير تكفير ، وأنه أيما فعل ذلك وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر بالإجماع .

﴿ سؤال ﴾ فإن قيل . فما معنى قول سهل رحمه الله تعالى ونسب إليه : للإلهية سر لو انكشف لبطلت النبوات ، وللنبوات سر لو انكشف لبطل العلم ، وللعلم سر لو انكشف بطلت الأحكام . وجاء فى الإحياء على أثر هذا القول ، وقائل هذا القول إن لم يرد به إبطال النبوة فى حق الضعفاء فما قالوا ليس بحق ، فإن الصحيح لا يتناقض والكامل من لا يطفئ نور معرفته ونور ورعه ، وهذا وإن لم يكن من الأسئلة المرسومة فهو متعلق منها بما فرع من الكلام فيها آنفا وناظر إليه ، إذ ما أدى إفشاؤه إلى إبطال النبوة والأحكام والعلم كفر ، فالجواب ؛ أن الذى قاله رحمه الله وإن كان مستعجما فى الظاهر فهو قريب المسلك ، باد للمتأمل الذى يعرف مصادر أغراضهم ومسالك أقوالهم الإلهية . ومن وصل إليه اليقين الذى لولاه لم يكن نبيا لا يخلو أن يكون انكشافه من الله بما يطلع على القلوب من أنوار الشمس التى هى غائبة عنها بأن كانت القلوب ضعيفة طرأ عليها من الدهش والاصطلام والحيرة والتيه ما يبهر العقول ويفقد الحس ويقطع عن الدنيا وما فيها وذلك لضعفه . ومن انتهى إلى هذه الحالة فتبطل النبوة فى حقه أن يعرفها أو يعقل ما جاء من قبلها ، إذ قد شغله عنها ما هو أعظم لديه منها ، وربما كان سبب موته لعجزه عن حمل ما يطرأ عليه ، كما حكى أن شابا من سالكى طريق الآخرة عرض عليه أبو يزيد ولم يره من قبل ، فلما رآه انكشف له ذلك وكان فى مقام الضعفاء من المريدين فلم يطق حمله فمات به ، وإما أن يكون انكشافه من عالم به على وجه الخبر عنه ، فتبطل النبوة فى حق المخبر حين نهى أن لا يفشى فأفشى أو أمر أن لا يتحدث فلم يفعل ، فخرج بهذه المعصية عن طاعة النبى صلى الله عليه وسلم فيها ، فلهذا قيل فى ذلك : بطلت النبوة فى حقه .

فإن قيل : فلم لا تكفروه على هذا الوجه إذا بطلت النبوة فى حقه بإخباره ؟ قلنا : ما بطلت فى حقه جميعا ، وإنما بطل فى حقه منها ما خالف الأمر الثابت من قبلها ، ويعد هذا من الكلام على تغليظ حق الإفشاء وقد سبق

الكلام عليه فى معنى : إفشاء سر الربوبية كفر . وأما سر النبوة الذى أوجب العلم لمن رزقها أو رزق معرفتها على الجملة ، إذ النبوة لا يعرفها بالحقيقة إلا نبى ، فإن انكشف ذلك لقلب أحد بطل العلم فى حقه بارتفاع المحنة له بالأمر المتوجه عليه بطلبه والبحث عنه والتفكر فيه ، فيكون كالنبى إذا سئل عن شىء لو وقعت له واقعة لم يحتج إلى النظر فيها ولا إلى البحث عنها ، بل ينتظر ما عود من كشف الحقائق بإخبار ملك أو ضرب مثل يفهم عنه أو اطلاع على اللوح المحفوظ أو إلقاء فى روع فيعود مخترعاته ولم يعلم مقدار الدنيا وترتيب الآخرة عليها ، ولا عرف خواصها ولا تنزه فى عجائبها ولا لاحظ الملكوت ببصر قلبه ، ولا جاوز التخوم إلى أسفل من ذلك بسره ولبه ، ولا فهم أن الجنة أعلى النعيم وأن النار أقصى العذاب الأليم وأن النظر إليه منتهى الكرامات ، وأن رضاه وسخطه غاية الدرجات والدركات ، وأن منح المعارف والعلوم أسنى الهبات ، ويرى أن العالم بأسره أخرجه من العدم الذى هو نفى محض ، إلى الوجود الذى هو إثبات صحيح وقدره منازل وجعله الميقات ، فمن حى وميت ، ومتحرك وساكن ، وعالم وجاهل وشقى وسعيد ، وقريب وبعيد ، وصغير وكبير ، وجليل وحقير ، وغنى وفقير ، ومأمور وأمير ، ومؤمن وكافر ، وجاحد وشاكر ، وذكر وأنثى ، وأرض وسماء ، ودنيا وأخرى ، وغير ذلك مما لا يحصى ، والكل قائم به موجود بقدرته ، وباق بعلمه ومنته إلى أجله ، ومصرف بمشيئته ، وذلك على بالغ حكمته ، فما أكمل جهل من لا يجد به إلا قدماه ، ولا من يصرفه إلا استبداده ولا ملكه إلا ملكه ، فيعود المحدث قديما والمربوب ربا والمملوك مالكا ، فيعود الخلق من خلق الله كهو ، تعالى الله عن جهل الجاهلين وتخييل المعتوهين وزيغ الزائغين .

(فصل) وأما حكم هذه العلوم المكتوبة فى الطلب وسلوك هذه المقامات ورفق هذه الدرجات واستفهام هذه المخاطبات ، أهى من قبيل الواجبات والمندوبات أو المباحات ، فاعلم أن المسئول عنه على ضربين ، أحدهما : ما هو فى حكم المبادى والثانى فى حكم الغايات ، فأما الذى هو فى حكم المبادى فطلبه فرض على كل أحد بقدر بذل المجهود وإفراغ الوسع وجميع ما يقدر عليه من العبادة ، وذلك ما تضمنه أصول علم المعاملة ، مثل إخلاص التوحيد والصدق فى العمل وعدم الإجحاف بالخوف والرجاء والتزين بالصبر والشكر ، لأن هذه كلها وما يتعلق بها من علم الأمر والنهى واجبة . قال الله تعالى ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ وقد سبق التنبيه عليه .

أما الذى هو حكم الغايات مثل انقلاب الهيئات والنظر بالتوفيق بحكم الموافقة والرضا بالإثبات والتوكل بالتجريد وحقيقة علم معانى التوحيد وسر معانى التقرير وأوصاف أهل أبيات اليقين ، فهو درجات ومقامات ومنازل ومراتب ومنح يخص الله تعالى بها من شاء من عباده من غير أن ينال بطلب ولا بحث ولا تعليم ، ولو كان ذلك لما قيل للناظر السالك حين أراد الارتقاء إلى درجة أعلى من درجته بلسان السؤال ارجع لا تتخطر قاب الصديقين ، لكنها مواهب أكرم الله تعالى بها أهل صفوته وولايته ، وهى مراتب الصدق فى العلم وبركات الإخلاص فى العمل ، فمن لم يرث من علمه وعمله المفترض عليه فطلبه والعمل به شتان من هذه المعانى ، فليس فى شىء من الحقيقة وإن كان حقا ، غير أن حاله معلول . إما مفتون بدنياه أو محجوب بهواه ، وربك على كل شىء قدير .

(فصل) وأما لأى شىء ذكرت هذه العلوم بالإشارات دون العبارات ، وبالرموز دون التصريحات ، وبالمتشابه من الألفاظ دون المحكمات ، وإن كان قد سبق هذا من الشارع فيما له أن يمتحن به من كاف ويتلو من بعيد ولكن للعلم رجال مخصوصون ، فما بال من لم يجعل شارعا ولم يبعث لغير أن يسلك ذلك .

والجواب عنه أن العالم هو وارث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وإنما ورث العلم ليتجمل بعمله ويحل فيه كمحله والنبى صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ﴿ إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى ﴾ وحكم الوارث فيما ورث حكم الموروث فيما ورث عنه فما عرف فيه الحكم من فعل الموروث عنه امتثله وما لم يصل إليه فيه شىء كان له اجتهاده فإن أخطأ كان له أجر وإن أصاب كان له أجران ثم إن الوارث رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصرح بعلوم المعاملات وأشار بما وراءها بما لا يفهمه إلا أرباب التخصيص كما قال الله عز وجل ﴿ وما يعقلها إلا العالمون ﴾ فلم

يكن للوارث تعد عن حكم الموروث ، كما حكى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : إنى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين أحدهما هو الذى بثثته فيكم ، وأما الثانى فلو بثثته لحزتم السكين على هذا البلعوم وأشار إلى حلقه ، وبعد كل شىء : فنى القدوة بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه النجاة ، وفى اتباعه الفوز بحب الله ويد الله مع الجماعة ، وفوق كل ذى علم عليم وقد أفدناك من طرائف ما عندنا وأهدينا إليك من غرائب ما لدينا ؛ وإلى الله يرد العلم بما دق وجل وكثر وقل وعظم وصغر وظهر واستتر ، وإنما ينطق الإنسان بما أنطقه الله تعالى وهو مستعمل بما استعمله فيه ، إذ كل ميسر لما خلق له ؛ فاستنزل ما عند ربك وخالقك من خير ، واستجلب ما تؤمله منه من هداية وبر بقراءة السبع المثانى والقرآن العظيم التى أمرت بقراءتها فى كل صلاة وكذا عليك أن تعيدها فى كل ركعة ، وأخبرك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أن ليس فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الفرقان مثلها وفى هذا تنبيه بل تصريح بأن يكثر منها بما ضمنت من الفوائد وخصت به من الذخائر والعوائد ، بما لو سطر لكان فيه أوقار الجمال ، فافهم وانتبه واعقل ما خلقت له ، واعرف ما أعد لك ، والله تعالى سبحانه حسيب من أراده ، وهادى من جاهد فى سبيله ، وكاف من توكل عليه ، وهو الغنى الكريم .

انتهى الجواب عما سألت عنه وفرغنا منه بحسب الوسع من الكلام ، ونسأل الله تعالى المباعدة بين حيلات قلوب البشر ، وأن يصرف عنا حجب الكدورات والأهواء ومراتب الغين ، فبيده مجارى المقدورات وهو إله من ظهر وغبر وإليه يرجع من آمن وكفر ، ومجازى الخلائق بنعيم أو سقر ، والصلاة على سيدنا محمد سيد البشر وكافى الضرر ، وعلى آله السادات الغرر ، وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين .

تم كتاب الإملاء فى مشكلات الإحياء

كتاب عوارف المعارف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العظيم شأنه القوى سلطانه ، الظاهر إحسانه الباهر حجته وبرهانه ، المحتجب بالجلال والمنفرد بالكمال ، والمتردى بالعظمة فى الآباد والآزال ، لايصوره وهم وخيال ، ولايحصره حد ومثال ، ذى العز الدائم السرمدى ، والملك القائم الديمومى ، والقدرة الممتنع إدراك كنهها ، والسطوة المستوعر طريق استيفاء وصفها ، نطقت الكائنات بأنه الصانع المبدع ، ولاح من صفات ذرات الوجود بأنه الخالق المخترع ، وسم عقل الإنسان بالعجز والنقصان ، وألزم فصيحات الألسن وصف الحصر فى حلبة البيان ، وأحرقت سبحات وجهه الكريم أجنحة طائر الفهم ، وسدت تعززا وجلالا مسالك ألوهم ، وأطرق طامح البصيرة تعظيما وإجلالا ، ولم يجد من فرط الهيبة فى فضاء الجبروت مجالا ، فعاد البصر كليلا والعقل عليلا ، ولم ينتهج إلى كنه الكبرياء سبيلا ؛ فسبحان من عزت معرفته لولا تعريفه ، وتعذر على العقول تحديده وتكييفه ؛ ثم ألبس قلوب الصفوة من عباده ملابس العرفان ، وخصهم من بين عباده بخصائص الإحسان ؛ فصارت ضمائرهم من مواهب الأنس مملوءة ، ومرائى قلوبهم بنور القدس مجلوة ؛ فتهيأت لقبول الأمداد القدسية ، واستعدت لورود الأنوار العلوية ، واتخذت من الأنفاس العطرية بالأذكار جلاسا ، وأقامت على الظاهر والباطن من التقوى حراسا ، وأشعلت فى ظلم البشرية من اليقين نبراسا ، واستحقرت فوائد الدنيا ولذاتها ، وأنكرت مصايد الهوى وتبعاتها ، وامتطت غوارب الرغبوت والرهبوت ، واستفرشت بعلو همتها بساط الملكوت وامتدت إلى المعالى أعناقها ، وطمحت إلى اللامع العلوى أحداقها ، واتخذت من الملإ الأعلى مسامرا ومحاورا ، ومن النور الأعز الأقصى مزاورا ومجاورا ، أجسادا أرضية بقلوب سماوية ، وأشباح فرشية بأرواح عرشية ، نفوسهم فى منازل الخدمة سيارة ، وأرواحهم فى فضاء القرب طيارة ، مذاهبهم فى العبودية مشهورة ، وأعلامهم فى أقطار الأرض منشورة ، يقول الجاهل بهم : فقدوا ، ومافقدوا ، ولكن سمت أحوالهم فلم يدركوا ، وعلا مقامهم فلم يملكوا ، كائنين بالجثمان بائنين بقلوبهم عن أوطان الحدثان ، لأرواحهم حول العرش تطواف ، ولقلوبهم من خزائن البر إسعاف ، يتنعمون بالخدمة فى الدياجر ، ويتلذذون من وهيج الطلب بظمأ الهواجر ، تسلوا بالصلوات عن الشهوات . وتعوضوا بحلاوة التلاوة عن اللذات ، يلوح من صفحات وجوههم بشر الوجدان ، وينم على مكنون سرائرهم نضارة العرفان ، لايزال فى كل عصر منهم علماء بالحق ، داعون للخلق ، منحوا بحسن المتابعة رتبة الدعوة ، وجعلوا للمتقين قدوة ، فلايزال تظهر فى الخلق آثارهم ، وتزهر فى الآفاق أنوارهم ، من اقتدى بهم اهتدى ، ومن أنكرهم ضل واعتدى ، فلله الحمد على ما هيأ للعباد من بركة خواص حضرته من أهل الوداد ، والصلاة على نبيه ورسوله محمد وآله وأصحابه الأكرمين الأمجاد .

ثم إن إيثارى لهدى هؤلاء القوم ومحبتى لهم ، علما بشرف حالهم وصحة طريقتهم المبنية على الكتاب والسنة المتحقق بهما من الله الكريم الفضل والمنة ، حدانى أن أذهب عن هذه العصابة ، بهذه الصبابة ، وأؤلف أبوابا فى الحقائق

والآداب معرّبة عن وجه الصواب فيما اعتمدوه ، مشعرة بشهادة صريح العلم لهم فيما اعتقدوه ، حيث كثر المتشبهون واختلفت أحوالهم ، وتستر بزيهم المتسترون وفسدت أعمالهم ، وسبق إلى قلب من لا يعرف أصول سلفهم سوء ظن ، وكاد لا يسلم من وقيعة فيهم وطعن ، ظنا منه أن حاصلهم راجع إلى مجرد رسم ، وتخصصهم عائد إلى مطلق اسم .

ومما حضرني فيه من النية : أن أكثر سواد القوم بالاعتزاء إلى طريقهم والإشارة إلى أحوالهم ؛ وقد ورد « من كثر سواد قوم فهو منهم » وأرجو من الله الكريم صحة النية وتخليصها من شوائب النفس ، وكل ما فتح الله تعالى علي فيه منح من الله الكريم وعوارف ، وأجل المنح عوارف المعارف .

والكتاب يشتمل على نيف وستين بابا والله المعين (الباب الأول) في منشأ علوم الصوفية (الباب الثاني) في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع . (الباب الثالث) في بيان فضيلة علم الصوفية والإشارة إلى أنموذج منها (الباب الرابع) في شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم فيها (الباب الخامس) في ذكر ماهية التصوف (الباب السادس) في ذكر تسميتهم بهذا الاسم . (الباب السابع) في ذكر المتصوف والمتشبه (الباب الثامن) في ذكر الملامتي وشرح حاله (الباب التاسع) في ذكر من انتمى إلى الصوفية وليس منهم (الباب العاشر) في شرح رتبة المشيخة (الباب الحادي عشر) في شرح حال الخادم ومن يتشبه به (الباب الثاني عشر) في شرح خرقة المشايخ (الباب الثالث عشر) في فضيلة سكان الربط (الباب الرابع عشر) في مشابهة أهل الربط بأهل الصفة (الباب الخامس عشر) في خصائص أهل الربط فيما يتعاهدونه بينهم (الباب السادس عشر) في اختلاف أحوال المشايخ بالسفر والمقام (الباب السابع عشر) فيما يحتاج المسافر إليه من الفرائض والنوافل والفضائل (الباب الثامن عشر) في القدوم من السفر ودخول الرباط والأدب فيه (الباب التاسع عشر) في حال الصوفي المتسبب (الباب العشرون) في حال من يأكل من الفتوح (الباب الحادي والعشرون) في شرح حال المتجرد من الصوفية والمتأهل (الباب الثاني والعشرون) في القول والسماع قبولا وإيثارا (الباب الثالث والعشرون) في القول في السماع ردا وإنكارا (الباب الرابع والعشرون) في القول في السماع ترفعا واستغناء (الباب الخامس والعشرون) في السماع تأدبا واعتناء (الباب السادس والعشرون) في خاصية الأربعينية التي يتعاهدها الصوفية (الباب السابع والعشرون) في ذكر فتوح الأربعينية (الباب الثامن والعشرون) في كيفية الدخول في الأربعينية (الباب التاسع والعشرون) في ذكر أخلاق الصوفية وشرح الخلق (الباب الثلاثون) في ذكر تفاصيل الأخلاق (الباب الحادي والثلاثون) في الأدب ومكانه من التصوف (الباب الثاني والثلاثون) في آداب الحضرة لأهل القرب (الباب الثالث والثلاثون) في آداب الطهارة ومقدماتها (الباب الرابع والثلاثون) في آداب الوضوء وأسراره (الباب الخامس والثلاثون) في آداب أهل الخصوص والصوفية فيه (الباب السادس والثلاثون) في فضيلة الصلاة وكبر شأنها (الباب السابع والثلاثون) في وصف صلاة أهل القرب (الباب الثامن والثلاثون) في ذكر آداب الصلاة وأسرارها (الباب التاسع والثلاثون) في فضل الصوم وحسن أثره (الباب الأربعون) في أحوال الصوفية في الصوم والإفطار (الباب الحادي والأربعون) في آداب الصوم ومهامه . (الباب الثاني والأربعون) في ذكر الطعام وما فيه من المصلحة والمفسدة . (الباب الثالث والأربعون) في آداب الأكل . (الباب الرابع والأربعون) في ذكر آدابهم في اللباس ونياتهم ومقاصدهم فيه . (الباب الخامس والأربعون) في ذكر فضل قيام الليل . (الباب السادس والأربعون) في الأسباب المعينة على قيام الليل . (الباب السابع والأربعون) في آداب الانتباه من النوم والعمل بالليل . (الباب الثامن والأربعون) في تقسيم قيام الليل (الباب التاسع والأربعون) في استقبال النهار والأدب فيه (الباب الخمسون) في ذكر العمل في جميع النهار وتوزيع الأوقات (الباب الحادي والخمسون) في آداب المريد مع الشيخ (الباب الثاني والخمسون) فيما يعتمده الشيخ مع الأصحاب والتلامذة . (الباب الثالث والخمسون) في حقيقة الصحبة وما فيها من الخير والشر . (الباب الرابع والخمسون) في أداء حقوق الصحبة والأخوة في الله تعالى . (الباب الخامس والخمسون) في آداب

الصحبة والأخوة (الباب السادس والخمسون) فى معرفة الإنسان نفسه ومكاشفات الصوفية من ذلك . (الباب السابع والخمسون) فى معرفة الخواطر وتفصيلها وتمييزها . (الباب الثامن والخمسون) فى شرح الحال والمقام والفرق بينهما (الباب التاسع والخمسون) فى الإشارة إلى المقامات على الاختصار والإيجاز . (الباب الستون) فى ذكر إشارات المشايخ فى المقامات على الترتيب . (الباب الحادى والستون) فى ذكر الأحوال وشرحها (الباب الثانى والستون) فى شرح كلمات من اصطلاح الصوفية مشيرة إلى الأحوال (الباب الثالث والستون) فى ذكر شىء من البدايات والنهايات وصحتها

فهذه الأبواب تحررت بعون الله تعالى مشتملة على بعض علوم الصوفية وأحوالهم ، ومقاماتهم وآدابهم ، وأخلاقهم وغرائب مواجيدهم ، وحقائق معرفتهم وتوحيدهم ، ودقيق إشاراتهم ولطيف اصطلاحاتهم ، فعلومهم كلها إنباء عن وجدان ، واعتزاء إلى عرفان ، وذوق تحقق بصدق الحال . ولم يف باستيفاء كنهه صريح المقال ؛ لأنها مواهب ربانية ، ومنائح حقانية ، استنزلها صفاء السرائر ، وخلوص الضمائر ، فاستعصت بكنهها على الإشارة ، وطفحت على العبارة ، وتهادتها الأرواح بدلالة التشام والائتلاف ، وكرعت حقائقها من بحر الألطاف ، وقد اندرس كثير من دقيق علومهم كما انطمس كثير من حقائق رسومهم . وقد قال الجنيد رحمه الله : علمنا هذا قد طوى بساطه منذ كذا سنة ، ونحن نتكلم فى حواشيه بدا هذا القول منه فى وقته مع قرب العهد بعلماء السلف وصالحى التابعين ، فكيف بنا مع بعد العهد وقلة العلماء الزاهدين ، والعارفين بحقائق علوم الدين ، والله المأمول أن يقابل جهد المقل بحسن القبول ، والحمد لله رب العالمين

الباب الأول : فى ذكر منشأ علوم الصوفية

حدثنا شيخنا شيخ الإسلام أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد السهروردى إملاء من لفظه فى شوال سنة ستين وخمسمائة . وقال : أنبأنا الشريف نور الهدى أبو طالب الحسين بن محمد الزينبى . قال : أخبرتنا كريمة بنت أحمد بن محمد المروزية المجاورة بمكة حرسها الله تعالى . قالت : أخبرنا أبو الهيثم محمد بن مكى الكشميهنى . قال أنبانا أبو عبد الله محمد ابن يوسف الفربرى قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى . قال حدثنا أبو كريب . قال : حدثنا أبو أسامة عن بريد ، عن أبى بردة ، عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إنما مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل أتى قوما فقال : ياقوم ، إنى رأيت الجيش بعينى ، وإنى أنا النذير العريان ، فالنجاء النجاء ، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا ، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم ؛ فذلك مثل من أطاعنى فاتبع ما جئت به ، ومثل من عصانى وكذب بما جئت به من الحق » . معنى اجتاحهم : استأصلهم ، ومن ذلك الجائحة التى تفسد الثمار ، وقال صلى الله عليه وسلم « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا ، فكانت طائفة منها قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير . وكانت منها طائفة أجادب أمسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا . وكانت منها طائفة أخرى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » .

قال الشيخ : أعد الله تعالى لقبول ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم أصفى القلوب وأزكى النفوس ، فظهر تفاوت الصفاء واختلاف التزكية فى تفاوت الفائدة والنفع ؛ فمن القلوب ما هو بمثابة الأرض الطيبة التى أنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وهذا مثل من انتفع بالعلم فى نفسه واهتدى ، ونفعه علمه وهداه إلى الطريق القويم من متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن القلوب ما هو بمثابة الأخاذات ـ أى الغدران : جمع أخاذة ، وهو المصنع والغدير الذى يجتمع فيه الماء ـ فنفوس العلماء الزاهدين من الصوفية والشيوخ تزكت وقلوبهم صفت ، فاختصت بمزيد الفائدة فصاروا أخاذات . قال مسروق صحبت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كأخاذات ؛ لأن قلوبهم كانت واعية فصارت أوعية للعلوم بما رزقت من صفاء الفهوم .

أخبرنا الشيخ الإمام رضى الدين أبو الخير أحمد بن إسماعيل القزوينى إجازة ، قال أنبأنا أبو سعيد محمد الخليلى وقال أنبأنا القاضى أبو سعيد محمد الفرخزاذى ، قال أنبأنا أبو اسحق أحمد بن محمد الثعالبى ، قال أنبأنا ابن فتحويه ، قال حدثنا ابن حبان ، قال حدثنا إسحق بن محمد ، قال حدثنا أبى ، قال حدثنا إبراهيم بن عيسى ، قال حدثنا على بن على ، قال حدثنا أبو حمزة الثمالى ، قال حدثنى عبدالله بن الحسن ، قال : حين نزلت هذه الآية ﴿وتعيها أذن واعية﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى : سألت الله سبحانه وتعالى أن يجعلها أذنك ياعلى . قال على : فما نسيت شيئا بعد ، وما كان لى أن أنسى قال أبو بكر الواسطى : آذان وعت عن الله تعالى أسراره

وقال أيضا : واعية فى معادنها ليس فيها غير ما شهدته شىء ، فهى الخالية عما سواه : فما اضطراب الطبائع إلا ضرب من الجهل ؛ فقلوب الصوفية واعية ؛ لأنهم زهدوا فى الدنيا بعد أن أحكموا أساس التقوى ، فبالتقوى زكت نفوسهم ، وبالزهد صفت قلوبهم ؛ فلما عدموا شواغل الدنيا بتحقيق الزهد : تفتحت مسام بواطنهم ، وسمعت آذان قلوبهم ، وأعاهم على ذلك زهدهم فى الدنيا ، فعلماء التفسير وأئمة الحديث وفقهاء الإسلام أحاطوا علما بالكتاب والسنة واستنبطوا منهما الأحكام ، وردوا الحوادث المتجددة إلى أصول من النصوص ، وحمى الله بهم الدين ، وعرف علماء التفسير وجه التفسير وعلم التأويل ، ومذاهب العرب فى اللغة وغرائب النحو والتصريف وأصول القصص ، واختلاف وجوه القراءة وصنفوا فى ذلك الكتب ، فاتسع بطريقتهم علوم القرآن على الأمة ، وأئمة الحديث ميزوا بين الصحاح والحسان ، وتفردوا بمعرفة الرواة وأسامى الرجال ، وحكموا بالجرح والتعديل ليتبين الصحيح من السقيم ويتميز المعوج من المستقيم ، فيتحفظ بطريقهم طريق الرواية والسند حفظا للسنة وانتدب الفقهاء لاستنباط الأحكام والتفريع فى المسائل ، ومعرفة التعليل ورد الفروع إلى الأصول بالعلل الجوامع ، واستيعاب الحوادث بحكم النصوص وتفرع من علم الفقه والأحكام علم أصول الفقه وعلم الخلاف ، وتفرع من علم الخلاف علم الجدل ، وأحوج علم أصول الفقه إلى شىء من علم أصول الدين ، وكان من علمهم علم الفرائض ، ولزم منه علم الحساب والجبر والمقابلة ، إلى غير ذلك ، فتمهدت الشريعة وتأيدت ، واستقام الدين الحنيفى وتفرع ، وتأصل الهدى النبوى المصطفوى فأنبتت أراضى قلوب العلماء الكلأ والعشب بما قبلت من مياه الحياة من الهدى والعلم قال الله تعالى ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما : الماء العلم ، والأودية القلوب . قال أبو بكر الواسطى رضى الله عنه : خلق الله تعالى درة صافية فلاحظها بعين الجلال ، فذابت حياء منه فسالت ، فقال ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها﴾ فصفاء القلوب من وصول ذلك الماء إليها وقال ابن عطاء ﴿أنزل من السماء ماء﴾ هذا مثل ضربه الله تعالى للعبد ، وذلك إذا سال السيل فى الأودية لا يبقى فى الأودية نجاسة إلا كنسها وذهب بها كذلك إذا سال النور الذى قسمه الله تعالى للعبد فى نفسه لا تبقى فيه غفلة ولا ظلمة ﴿أنزل من السماء ماء﴾ يعنى قسمة النور ﴿فسالت أودية بقدرها﴾ يعنى فى القلوب الأنوار على ما قسم الله تعالى لها فى الأزل ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء﴾ فتصير القلوب منورة لا تبقى فيها جفوة ﴿وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض﴾ تذهب البواطل وتبقى الحقائق . وقال بعضهم ﴿أنزل من السماء ماء﴾ أنواع الكرامات ، فأخذ كل قلب بحظه ونصيبه ، فسالت أودية قلوب علماء التفسير والحديث والفقه بقدرها ، وسالت أودية قلوب الصوفية من العلماء الزاهدين فى الدنيا المتمسكين بحقائق التقوى بقدرها ، فمن كان فى باطنه لوث محبة الدنيا من فضول المال والجاه وطلب المناصب والرفعة سال وادى قلبه بقدره ، فأخذ من العلم طرفا صالحا ولم يحظ بحقائق العلوم ومن زهد فى الدنيا اتسع وادى قلبه فسالت فيه مياه العلوم واجتمعت وصارت أخاذات .

قيل للحسن البصرى : هكذا قال الفقهاء ، فقال : وهل رأيت فقيها قط ، إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا ، فالصوفية أخذوا حظا من علم الدراسة فأفادهم علم الدراسة العمل بالعلم ، فلما عملوا بما علموا أفادهم العمل علم الوراثة ؛ فهم مع سائر العلماء فى علومهم وتميزوا عنهم بعلوم زائدة هى علوم الوراثة ؛ وعلم الوراثة هو الفقه فى الدين قال الله تعالى ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾ فصار الإنذار مستفادا من

الفقه . والإنذار : إحياء المنذر بماء العلم ؛ والإحياء بالعلم رتبة الفقيه في الدين ؛ فصار الفقه في الدين من أكمل المراتب وأعلاها ، وهو العالم الزاهد في الدنيا المتقي الذي يبلغ رتبة الإنذار بعلمه ؛ فورد العلم والهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا ، ورد عليه الهدى والعلم من الله تعالى فارتوى بذلك ظاهرا وباطنا ، فظهر من ارتواء ظاهره الدين، والدين : هو الانقياد والخضوع ، مشتق من الدون ؛ فكل شيء اتضع فهو دون ؛ فالدين : أن يضع الإنسان نفسه لربه . قال الله تعالى ﴿شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا إليك وماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه﴾ فبالتفرق في الدين يستولي الذبول على الجوارح وتذهب عنها نضارة العلم؛ والنضارة في الظاهر بتزيين الجوارح بالانقياد في النفس والمال ، مستفاد من ارتواء القلب ، والقلب في ارتوائه بالعلم بمثابة البحر فصار قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلم والهدى بحرا مواجا . ثم وصل من بحر قلبه إلى النفس ، فظهر على نفسه الشريفة نضارة العلم وريه ، فتبدلت نعوت النفس وأخلاقها . ثم وصل إلى الجوارح جدول فصارت ريانة ناضرة ، فلما استتم نضارة وامتلأ ريا بعثه الله تعالى إلى الخلق ؛ فأقبل على الأمة بقلب مواج بمياه العلوم ، واستقبل جداول الفهوم ، وجرى من بحره في كل جدول قسط ونصيب ، وذلك القسط الواصل إلى الفهوم هو الفقه في الدين. روى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما عبد الله عز وجل بشيء أفضل من فقه في الدين ، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد . ولكل شيء عماد ، وعماد هذا الدين الفقه » .

حدثنا شيخنا شيخ الإسلام أبو النجيب إملاء ، قال حدثنا أبو طالب الزيني ، قال أخبرتنا كريمة بنت أحمد بن محمد المروزية ، قالت أخبرنا أبو الهيثم ، قال أخبرنا الفربري ، قال أخبرنا البخاري ، قال حدثنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن عبد الحميد بن عبدالرحمن ، قال: سمعت معاوية خطيباً يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم والله يعطي » قال الشيخ : إذا وصل العلم إلى القلب انفتح بصر القلب فأبصر الحق والباطل وتبين له الرشد من الغي ، ولما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأعرابي ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ قال الأعرابي : حسبي حسبي ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فقه الرجل » . وروى عبدالله بن عباس : أفضل العبادة الفقه في الدين . والحق سبحانه وتعالى جعل الفقه صفة القلب فقال ﴿لهم قلوب لايفقهون بها﴾ فلما فقهوا علموا ولما علموا عملوا ، ولما عملوا عرفوا ، ولما عرفوا اهتدوا ، فكل من كان أفقه كانت نفسه أسرع إجابة وأكثر انقياد المعالم الدين ، وأوفر حظا من نور اليقين ، فالعلم جملة موهوبة من الله للقلوب ، والمعرفة تميز تلك الجملة ، والهدى وجدان القلوب ذلك ، فالنبي صلى الله عليه وسلم لما قال « مثل مابعثني الله به من الهدى والعلم » أخبر أنه وجد القلب النبوي العلم وكان هاديا مهديا ، وعلمه صلوات الله عليه منها وراثة معجونة فيه من ادم أبي البشر صلى الله عليه وسلم حيث علم الأسماء كلها ، والأسماء سمة الأشياء ؛ فكرمه الله تعالى بالعلم . وقال تعالى ﴿علم الإنسان مالم يعلم﴾ فآدم لما ركب فيه من العلم والحكمة صار ذا الفهم والفطنة والمعرفة والرأفة واللطف والحب والبغض والفرح والغم والرضا والغضب والكياسة ، ثم اقتضاه استعمال كل ذلك وجعل لقلبه بصيرة واهتداء إلى الله تعالى بالنور الذي وهب له ، فالنبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى الأمة بالنور الموروث والموهوب له خاصة ، وقيل : لما خاطب الله السموات والأرض بقوله ﴿ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾ نطق من الأرض وأجاب موضع الكعبة ، ومن السماء مايحاذيها . وقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : أصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الأرض بمكة ، فقال بعض العلماء : هذا يشعر بأن ماأجاب من الأرض ذرة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن موضع الكعبة دحيت الأرض ، فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأصل في التكوين ، والكائنات تبع له . وإلى هذا إشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » وفي رواية « بين الروح والجسد » وقيل لذلك سمي أميا ، لأن مكة أم القرى وذرته أم الخليقة ، وتربة الشخص مدفنه ، فكان يقتضي أن يكون مدفنه بمكة حيث كانت تربته منها ، ولكن قيل : إن الماء لما

تموج رمى الزبد إلى النواحى ، فوقعت جوهرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما يحاذى تربته بالمدينة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكيا مدنيا حنينه إلى مكة وتربته بالمدينة ، والإشارة فيما ذكرناه من ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو ماقال الله تعالى ﴿ وإذ أخذربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴾ ورد فى الحديث « إن الله تعالى مسح ظهر آدم وأخرج ذريته منه كهيئة الذر » استخرج الذر من مسام شعر آدم ، فخرج الذر كخروج العرق ، وقيل : كان المسح من بعض الملائكة فأضاف الفعل إلى المسبب . وقيل معنى القول بأنه مسح أى أحصى الأرض بالمساحة ، وكان ذلك ببطن نعمان واد بجنب عرفة بين مكة والطائف ، فلما خاطب الذر أجابوا ببلى كتب العهد فى رق أبيض وأشهد عليه الملائكة وألقم الحجر الأسود ؛ فكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هى المجيبة من الأرض ، والعلم والهدى فيه معجونان ، فبعث بالعلم والهدى موروثا له وموهوبا . وقيل : لما بعث الله جبرائيل وميكائيل ليقبضا قبضة من الأرض فأبت ، حتى بعث الله عزرائيل فقبض قبضة من الأرض ، وكان إبليس قد وطئ الأرض بقدميه فصار بعض الأرض بين قدميه وبعض الأرض بين موضع أقدامه ، فخلقت النفس مما مس قدم إبليس فصارت مأوى الشر وبعضها لم يصل اليه قدم إبليس ، فمن تلك التربة أصل الأنبياء والأولياء ، وكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع نظر الله تعالى من قبضة عزرائيل لم يمسها قدم إبليس ، فلم يصبه حظ الجهل ، بل صار منزوع الجهل موفراً حظه من العلم ، فبعثه الله تعالى بالهدى والعلم ، وانتقل من قلبه إلى القلوب ، ومن نفسه إلى النفوس ، فوقعت المناسبة فى أصل طهارة الطينة ، ووقع التأليف بالتعارف الأول ؟ فكل من كان أقرب مناسبة بنسبة طهارة الطينة كان أوفر حظا من قبول ما جاء به ، فكانت قلوب الصوفية أقرب مناسبة فأخذت من العلم حظا وافرا وصارت بواطنهم أخاذات ، فعلموا وعلموا « كالأخاذ الذى يسقى منه ويزرع منه » وجمعوا بين فائدة علم الدراسة وعلم الوراثة بإحكام أساس التقوى ، ولما تزكت النفوس انجلت مرايا قلوبهم بما صقلها من التقوى ، فانجلى فيها صور الأشياء على هيئتها وماهيتها ، فبانت الدنيا بقبحها فرفضوها ، وظهرت الآخرة بحسنها فطلبوها ، فلما زهدوا فى الدنيا انصبت إلى بواطنهم أقسام العلوم انصبابا ، وانضاف إلى علم الدراسة علم الوراثة .

واعلم أن كل حال شريف نعزوه إلى الصوفية فى هذا الكتاب هو حال المقرب ، والصوفى هو المقرب ، وليس فى القرآن اسم الصوفى ، واسم الصوفى ترك ووضع للمقرب على ماسنشرح ذلك فى بابه . ولا يعرف فى طرفى بلاد الإسلام شرقا وغربا هذا الاسم لأهل القرب ، وإنما يعرف للمترسمين ، وكم من الرجال المقربين فى بلاد المغرب وبلاد تركستان وماوراء النهر ولا يسمون صوفية ، لأنهم لا يتزيون بزى الصوفية ، ولا مشاحة فى الألفاظ فيعلم أنا نعنى بالصوفية المقربين ، فمشايخ الصوفية الذين أسماؤهم فى الطبقات وغير ذلك من الكتب كلهم كانوا فى طريق المقربين وعلومهم علوم أحوال المقربين ، ومن تطلع إلى مقام المقربين من جملة الأبرار فهو متصوف مالم يتحقق بحالهم ، فإذا تحقق بحالهم صار صوفيا ، ومن عداهما ممن تميز بزى ونسب إليهم فهو متشبه ﴿ وفوق كل ذى علم عليم ﴾ .

الباب الثانى : فى تخصيص الصوفية بحسن الاستماع

حدثنا شيخنا شيخ الإسلام أبو النجيب السهروردى إملاء ، قال أخبرنا أبو منصور المقرى : قال أخبرنا الإمام الحافظ أبو بكر الخطيب : قال أخبرنا أبو عمرو الهاشمى قال أخبرنا أبو على اللؤلؤى قال أخبرنا أبو داود السجستانى ، قال حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى عن شعبة ، قال حدثنى عمر بن سليمان من ولد عمر ابن الخطاب ، عن عبد الرحمن بن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت قال . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، نضر الله امرءاً سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه وليس بفقيه ، أساس كل خير حسن الاستماع ، قال الله تعالى ﴿ ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ﴾ يقول بعضهم : علامة الخير فى السماع أن يسمع العبد بغشاء أوصافه ونعوته ، ويسمعه بحق من حق . وقال بعضهم : لو علمهم أهلا للسماع لفتح آذانهم للاستماع ، فمن تملكته الوساوس وغلب على باطنه

حديث النفس لايقدر على حسن الاستماع ؛ فالصوفية وأهل القرب لما علموا أن كلام الله تعالى ورسائله إلى عباده ومخاطباته إياهم رأوا كل آية من كلامه تعالى بحرا من أبحر العلم بما تتضمن من ظاهر العلم وباطنه وجليه وخفيه ، وبابا من أبواب الجنة باعتبار ماتنبه أو تدعو إليه من العمل .

ورأوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم - الذى لا ينطق به عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى - من عند الله تعالى يتعين الاستماع إليه ؛ فكان من أهم ماعندهم الاستعداد للاستماع ، ورأوا أن حسن الاستماع قرع باب الملكوت واستنزال بركة الرغبوت والرهبوت ورأوا أن الوسواس أدخنة ثائرة من نار النفس الأمارة بالسوء ، وقتام يتراكم من نفث الشيطان ، وأن الحظوظ العاجلة والأقسام الدنيوية التى هى مناط الهوى ومثار الردى بمثابة الحطب الذى تزداد النار به تأججا ويزداد القلب به تحرجا ، فرفضوا الدنيا وزهدوا فيها ، فلما انقطعت عن نار النفس أحطابها ، وفترت نيرانها وقل دخانها ، شهدت بواطنهم وقلوبهم مصادر العلوم ، فهيئوا مواردها بصفاء الفهوم ، فلما شهدوا سمعوا . قال الله تعالى ﴿ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ قال الشبلى رحمه الله : موعظة القرآن لمن قلبه حاضر مع الله لايغفل عنه طرفة عين ، قال يحيى بن معاذ الرازى : القلب قلبان ، قلب قد احتشى بأشغال الدنيا حتى إذا حضر أمر من أمور الطاعة لم يدر صاحبه مايصنع من شغل قلبه بالدنيا ، وقلب قد احتشى بأحوال الآخرة حتى إذا حضر أمر من أمور الدنيا لم يدر صاحبه مايصنع لذهاب قلبه فى الآخرة فانظر كم بين بركة تلك الأفهام الثابتة وشؤم هذه الأشغال الفانية التى أقعدتك عن الطاعة ؟ ! قال بعضهم : لمن كان له قلب سليم من الأغراض والأمراض . قال الحسين بن منصور : لمن كان له قلب لايخطر فيه إلا شهود الرب ، وأنشد :

أنعى إليك قلوبا طالما هطلت سحائب الوحى فيها أبحر الحكم

وقال ابن عطاء : قلب لاحظ الحق بعين التعظيم ، فذاب له وانقطع إليه عما سواه . قال الواسطى : أى لذكرى لقوم مخصوصين لالسائر الناس ، لمن كان له قلب : أى فى الأزل وهم الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ أو من كان ميتا فأحييناه ﴾ وقال أيضا : المشاهدة تذهل ، والحجبة تفهم ، لأن الله تعالى إذا تجلى لشىء خضع له وخشع ، وهذا الذى قاله الواسطى صحيح فى حق أقوام ، وهذه الآية تحكم بخلاف هذه الأقوام آخرين وهم أرباب التمكين يجمع لهم بين المشاهدة والفهم فموضع الفهم محل المحادثة والمكالمة ، وهو سمع القلب ، وموضع المشاهدة بصر القلب ، وللسمع حكمة وفائدة ، وللبصر حكمة وفائدة ، فمن هو فى سكر الحال يغيب سمعه فى بصره ، ومن هو فى حال الصحو والتمكين لايغيب سمعه فى بصره لتملكه ناصية الحال ويفهم بالوعاء الوجودى المستعد لفهم المقال ، لأن الفهم مورد الإلهام ، والسماع والإلهام يستدعيان وعاء وجوديا وهذا الوجود موهوب منشأ إنشاء ثانيا للمتمكن فى مقام الصحو وهو غير الوجود الذى يتلاشى عند لمعان نور المشاهدة لمن جاز على ممر الفناء إلى مقار البقاء .

وقال ابن سمعون ﴿ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ﴾ يعرف آداب الخدمة وآداب القلب ، وهى ثلاثة أشياء ، فالقلب إذا ذاق طعم العبادة عتق من رق الشهوة ، فمن وقف على شهوته وجد ثلث الأدب ، ومن افتقر إلى مالم يجد من الأدب بعد الاشتغال بما وجد فقد وجد ثلثى الأدب ، والثالث : امتلاء القلب ، فالذى بدأ بالفضل عند الوفاء تفضلا فقد وجد كل الأدب .

قال محمد بن على الباقر : موت القلب من شهوات النفس ، فكلما رفض شهوات نال من الحياة بقسطها ، فالسماع للأحياء لا للأموات . قال الله تعالى ﴿ إنك لاتسمع الموتى ﴾ .

قال سهل بن عبدالله القلب رقيق تؤثر فيه الخطرات المذمومة ، وأثر القليل عليه كثير . قال الله تعالى ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ﴾ فالقلب عمال لايفتر ، والنفس يقظانة لاترقد ، فإن كان العبد مستمعا إلى الله تعالى وإلا فهو مستمع إلى الشيطان والنفس ، فكل شىء سد باب الاستماع فمن حركة النفس ، وفى حركتها يطرق الشيطان . وقد ورد « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السموات » .

وقال الجنيد : بصائر المبصرين، ومعارف العارفين، ونور العلماء الربانيين، وطرق السابقين الناجحين، والأزل والأبد وما بينهما من الحدث لمن كان له قلب أو ألقى السمع .

وقال ابن عطاء : هو القلب الذى يلاحظ الحق ويشاهده ولا يغيب عنه خطرة ولا فترة ، فيسمع به بل يسمع منه، ويشهد به بل يشهده ، فإذا لاحظ القلب الحق بعين الجلال فزع وارتعد ، وإذا طالعه بعين الجمال هدأ واستقر .

وقال بعضهم : لمن كان له قلب بصير يقوى على التجريد مع الله تعالى والتفريد له حتى يخرج من الدنيا والخلق والنفس ، فلا يشتغل بغيره ولا يركن إلى سواه ، فقلب الصوفى مجرد عن الأكوان ألقى سمعه وشهد بصره ، فسمع المسموعات وأبصر المبصرات وشاهد المشهودات ، لتخلصه إلى الله تعالى واجتماعه بين يدى الله والأشياء كلها عند الله وهو عنده، فسمع وشاهد فأبصر وسمع جملها ولم يسمع ويشاهد تفاصيلها، لأن الجمل تدرك لسعة عين الشهود ، والتفاصيل لا تدرك لضيق وعاء الوجود ، والله تعالى هو العالم بالجمل والتفاصيل .

وقد مثل بعض الحكماء تفاوت الناس فى الاستماع وقال : إن الباذر خرج ببذره فملأ منه كفه فوقع منه شىء على ظهر الطريق ، فلم يلبث أن انحط عليه الطير فاختطفه ، ووقع منه شىء على الصفوان ـ وهو الحجر الأملس ـ عليه تراب يسير وندى قليل فنبت ، حتى إذا وصلت عروقه ، إلى الصفا لم تجد مساغا تنفذ فيه ، فيبس ووقع منه شىء فى أرض طيبة فيها شوك نابت فنبت ، فلما ارتفع خنقه الشوك فأفسده واختلط به ، ووقع منه شىء على أرض طيبة ليست على ظهر الطريق ولا على الصفوان ولا فيها شوك فنبت ونما وصلح ، فمثل الباذر مثل الحكيم ، ومثل البذر كمثل صواب الكلام ، ومثل ما وقع على ظهر الطريق مثل الرجل يسمع الكلام وهو لا يريد أن يسمعه فما يلبث الشيطان أن يختطفه من قلبه فينساه ، ومثل الذى وقع على الصفوان مثل الرجل يستمع الكلام فيستحسنه ثم تفضى الكلمة إلى قلب ليس فيه عزم على العمل فينسخ من قلبه ، ومثل الذى وقع فى أرض طيبة فيها شوك مثل الرجل يسمع الكلام وهو ينوى أن يعمل به فإذا اعترضت له الشهوات قيدته عن النهوض بالعمل فيترك ما نوى عمله لغلبة الشهوة كالزرع يختنق بالشوك .

ومثل الذى وقع فى أرض طيبة مثل المستمع الذى ينوى عمله فيفهمه ويعمل به ويجانب هواه ، وهذا الذى جانب الهوى وانتهج سبيل الهدى هو الصوفى ، لأن للهوى حلاوة ، والنفس إذا تشربت حلاوة الهوى فهى تركن إليه وتستلذه ، واستلذاذ الهوى هو الذى يخنق النبت كالشوك ، وقلب الصوفى نازله حلاوة الحب الصافى ، والحب الصافى تعلق الروح بالحضرة الإلهية . ومن قوة انجذاب الروح إلى الحضرة الإلهية بداعية الحب تستتبع القلب والنفس ، وحلاوة الحب للحضرة الإلهية تغلب حلاوة الهوى لأن حلاوة الهوى كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار لكونها لا ترتقى عن حد النفس ، وحلاوة الحب كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء لأنها متأصلة فى الروح فرعها عند الله تعالى وعروقها ضاربة فى أرض النفس ، فإذا سمع الكلمة من القرآن أو من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم يتشربها بالروح والقلب والنفس ويفديها بكليته ويقول :

أشم منك نسيما لست أعرفه * أظن لمياء جرت فيك أردانا

فتعمه الكلمة وتشمله وتصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصرا ، فيسمع الكل بالكل ، ويبصر الكل بالكل ويقول :

إن تأملتكم فكلى عيون * أو تذكرتكم فكلى قلوب

قال الله تعالى ﴿ فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب ﴾ .

قال بعضهم : اللب والعقل مائة جزء : تسعة وتسعون فى النبى صلى الله عليه وسلم ، وجزء فى سائر المؤمنين، والجزء الذى فى سائر المؤمنين أحد وعشرون سهما ، فسهم يتساوى المؤمنون كلهم فيه وهو : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وعشرون جزءا يتفاضلون فيها على مقادير حقائق إيمانهم . قيل فى هذه الآية إظهار فضيلة رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، أى : الأحسن مايأتى به ، لأنه لما وقعت له صحبة التمكين ومقارنة الاستقرار قبل خلق الكون ظهرت عليه الأنوار فى الأحوال كلها ، وكان معه أحسن الخطاب ، وله السبق فى جميع المقامات ، ألا تراه صلى الله عليه وسلم يقول « نحن الآخرون السابقون » يعنى الآخرون وجودا السابقون فى الخطاب الأول فى الفضل فى محل القدس . وقال تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ قال الجنيد : تنسموا روح مادعاهم إليه ، فأسرعوا إلى محو العلائق المشغلة ، وهجموا بالنفوس على معانقة الحذر ، وتجرعوا مرارة المكابدة ، وصدقوا الله فى المعاملة ، وأحسنوا الأدب فيما توجهوا إليه ، وهانت عليهم المصائب ، وعرفوا قدر مايطلبون ، وسجنوا همهم عن التلفت إلى مذكور سوى وليهم ، فحيوا حياة الأبد بالحى الذى لم يزل ولايزال .

وقال الواسطى رحمه الله تعالى : حياتها تصفيتها عن كل معلول لفظا وفعلا .

وقال بعضهم : استجيبوا لله بسرائركم ، وللرسول بظواهركم ، فحياة النفوس بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحياة القلوب بمشاهدة العيوب ، وهو الحياء من الله تعالى برؤية التقصير .

وقال ابن عطاء : فى هذه الآية الاستجابة على أربعة أوجه (أولها) إجابة التوحيد . (والثانى) إجابة التحقيق . (والثالث) إجابة التسليم . (والرابع) إجابة التقريب ، فالاستجابة على قدر السماع ، والسماع من حيث الفهم ، والفهم على قدر المعرفة بقدر الكلام ، والمعرفة بالكلام على قدر المعرفة والعلم بالمتكلم ، ووجوه الفهم لاتنحصر ، لأن وجوه الكلام لاتنحصر . قال الله تعالى ﴿ قل لوكان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ﴾ فلله تعالى فى كل كلمة من القرآن كلماته التى ينفد البحر دون نفادها ، فكل الكلام كلمة نظراً إلى ذات التوحيد ، وكل كلمة كلمات نظراً لسعة العلم الأزلى .

حدثنا شيخنا أبو النجيب السهروردى ، قال : أنبأ الرئيس أبو على بن نبهان قال : أخبرنا الحسن بن شاذان قال : أخبرنا دعلج بن أحمد قال أخبرنا أبو الحسن بن عبد العزيز البغوى قال أخبرنا أبو عبيد بن القاسم بن سلام قال حدثنا حجاج عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عن الحسن برفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال « ما نزل من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن ، ولكل حرف حد ، ولكل حد مطلع » قال فقلت يا أبا سعيد ، ماالمطلع ؟ قال : يطلع قوم يعملون به . قال أبو عبيد : أحسب أن قول الحسن هذا إنما ذهب إلى قول عبد الله بن مسعود ، قال أبو عبيد : حدثنى حجاج عن شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة عن عبدالله بن مسعود قال : مامن حرف أو آية إلا وقد عمل بها قوم ، أولها قوم سيعملون بها ، فالمطلع : المصعد يصعد عليه من معرفة علمه ، فيكون المطلع : الفهم بفتح الله تعالى عن كل قلب بما يرزق من النور . واختلف الناس فى معنى الظهر والبطن . قال قوم : الظهر لفظ القرآن ، والبطن تأويله . وقيل الظهر : صورة القصة بما أخبر الله تعالى عن غضبه على قوم وعقابه إياهم ، فظاهر ذلك إخبار عنهم وباطنه عظة وتنبيه لمن يقرأ ويسمع من الأمة . وقيل ظاهره : تنزيله الذى يجب الإيمان به وباطنه وجوب العمل به . وقيل ظهره : تلاوته كما أنزل قال تعالى ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ وبطنه التدبر والتفكر فيه ، قال الله تعالى ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكروا أولو الألباب ﴾ وقيل قوله : لكل حرف حد ، أى فى التلاوة لايجاوز المصحف الذى هو الإمام ، وفى التفسير لايجاوز المسموع المنقول ، وفرق بين التفسير والتأويل ؛ فالتفسير علم نزول الآية وشأنها وقصتها والأسباب الذى نزلت فيها ، وهذا محظور على الناس كافة القول فيه إلا بالسماع والأثر ؛ وأما التأويل : فصرف الآية إلى معنى تحتمله إذا كان المحتمل الذى يراه يوافق الكتاب والسنة ؛ فالتأويل يختلف باختلاف حال المؤول على ماذكرناه من صفاء الفهم ورتبة المعرفة ومنصب القرب من الله تعالى . قال أبو الدرداء : لايفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة ، فما أعجب قول عبدالله بن مسعود . مامن آية إلا ولها قوم سيعملون بها ، وهذا الكلام محرض لكل طالب صاحب همة أن يصفى موارد الكلام ويفهم دقيق معانيه وغامض أسراره من قلبه ، فللصوفى بكمال الزهد فى الدنيا وتجريد القلب عما سوى الله تعالى مطلع من كل آية ، وله بكل مرة فى التلاوة مطلع جديد وفهم عتيد ، وله بكل

فهم عمل جديد ، ففهمهم يدعو إلى العمل ، وعملهم يجلب صفاء الفهم ودقيق النظر فى معانى الخطاب ، فمن الفهم علم ، ومن العلم عمل ، والعلم والعمل يتناوبان فيه ، وهذا العمل آنفا إنما هو عمل القلوب ، وعمل القلوب غير عمل القالب ، وأعمال القلوب للطفها وصداقتها مشاكلة للعلوم ، لأنها نيات وطويات وتعلقات روحية وتأدبات قلبية ومسامرات سرية ، وكلما أتوا بعمل من هذه الأعمال رفع لهم علم من العلم ، وطلعوا على مطلع من فهم الآية جديد ، ويخالج سرى أن يكون المطلع ليس بالوقوف بصفاء الفهم على دقيق المعنى وغامض السر فى الآية ، ولكن المطلع أن يطلع عند كل آية على شهود المتكلم بها ؛ لأنها مستودع وصف من أوصافه ونعت من نعوته ، فتتجدد له التجليات بتلاوة الآيات وسماعها ، ويصير له مرآة منبئة عن عظيم الجلال .

ولقد نقل عن جعفر الصادق رضى الله عنه أنه قال : لقد تجلى الله تعالى لعباده فى كلامه ولكن لا يبصرون ، فيكون لكل آية مطلع من هذا الوجه ؛ فالحد : حد الكلام ، والمطلع : الترقى عن الكلام إلى شهود المتكلم .

وقد نقل عن جعفر الصادق أيضاً أنه خر مغشيا عليه وهو فى الصلاة ، فسئل عن ذلك فقال : مازلت أردد الآية حتى سمعتها من المتكلم بها ؛ فالصوفى لما لاح له نور ناصية التوحيد ، وألقى سمعه عند سماع الوعد والوعيد ، وقلبه بالتخلص عما سوى الله تعالى صار بين يدى الله حاضرا شهيدا ، يرى لسانه أو لسان غيره فى التلاوة ، كشجرة موسى عليه السلام حيث أسمعه الله منها خطابه إياه بإنى أنا الله ؛ فإذا كان سماعه من الله تعالى واستماعه إلى الله ، صار سمعه بصره وبصره سمعه وعلمه عمله وعمله علمه ، وعاد آخره أوله وأوله آخره . ومعنى ذلك : أن الله تعالى خاطب الذر بقوله ﴿ ألست بربكم ﴾ فسمعت النداء على غاية الصفاء ، ثم لم تزل الذرات تتقلب فى الأصلاب وتنتقل إلى الأرحام . قال الله تعالى ﴿ الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين ﴾ يعنى تقلب ذرتك فى أصلاب أهل السجود من آبائك الأنبياء ، فما زالت تنتقل فى الذرات حتى برزت بين أجسادها ، فاحتجبت بالحكمة عن القدرة ، وبعالم الشهادة عن عالم الغيب وتراكم ظلمتها بالتقلب فى الأطوار ؛ فإذا أراد الله تعالى بالعبد حسن الاجتماع بأن يصيره صوفيا صافيا لا يزال يرقيه فى رتب التزكية والتحلية حتى يخلص من مضيق عالم الحكمة إلى فضاء القدرة ، ويزال عن بصيرته النافذة سجف الحكمة فيصير سماعه ﴿ ألست بربكم ﴾ كشفا وعيانا ، وتوحيده وعرفانه تبيانا وبرهانا ، وتندرج له ظلم الأطوار فى لوامع الأنوار

قال بعضهم : أنا أذكر خطاب ﴿ ألست بربكم ﴾ إشارة منه إلى هذا الحال ، فإذا تحقق الصوفى بهذا الوصف صار وقته سرمداً وشهوده مؤبدا وسماعه متواليا متجددا ، يسمع كلام الله تعالى وكلام رسوله حق السماع .

قال سفيان بن عيينة . أول العلم الاستماع ، ثم الفهم ، ثم الحفظ ، ثم العمل ، ثم النشر .

وقال بعضهم : تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام .

وقيل : من حسن الاستماع إمهال المتكلم حتى يقضى حديثه ، وقلة التلفت إلى الجوانب ، والإقبال بالوجه ، والنظر إلى المتكلم ، والوعى . قال الله تعالى لنبيه عليه السلام ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ﴾ وقال ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به ﴾ هذا تعليم من الله تعالى لرسوله عليه السلام حسن الاستماع . قيل : معناه لا تملهى الصحابة حتى تتدبر معانيه حتى تكون أنت أول من يخلص بغرائبه وعجائبه . وقيل : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه جبريل وأوحى إليه لا يفتر من قراءة القرآن مخافة الانفلات والنسيان ، فنهاه الله تعالى عن ذلك ، أى لا تعجل بقراءته قبل أن يفرغ جبرائيل من إلقائه إليك ، وقد تكون مطالعة العلوم وأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى السماع ، ويحتاج المطالع للعلوم والأخبار وسير أهل الصلاح وحكاياتهم وأنواع الحكم والأمثال التى فيها نجاة من عذاب الآخرة : أن يكون فى ذلك كله متأدبا بآداب حسن الاستماع بالزهادة والتقوى حتى يأخذ من كل ما سمعه أحسنه ، فيكون آخذا بالمطالعة من كل شىء أحسنه . ومن الأدب فى المطالعة : أن العبد إذا أراد أن يطالع شيئاً من الحديث والعلم ، يعلم أنه قد تكون مطالعة ذلك بداعية النفس وقلة صبرها على الذكر والتلاوة والعمل ، فتستروح بالمطالعة كما تتروح بمجالسة الناس ومكالمتهم ؛ فليتفقد المتفطن نفسه فى ذلك ، ولا يستحلى مطالعة الكتب إلى حد يأخذ

ذلك من وقته ويراعى الإفراط فيه ، فإذا أراد مطالعة كتاب أوشيء من العلم لايبادر إليه إلابعد التثبت والإنابة والرجوع إلى الله تعالى وطلب التأييد من رحمة الله تعالى فيه ، فإنه قد يرزق بالمطالعة مايكون من مزيدحاله ، ولو قدم الاستخارة لذلك كان حسنا ، فإن الله تعالى يفتح عليه باب الفهم والتفهيم موهبة من الله زيادة على مايتبين من صورة العلم فللعلم صورة ظاهرة وسر باطن وهو الفهم والله تعالى نبه على شرف الفهم بقوله ﴿ ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما ﴾ أشار إلى الفهم بمزيد اختصاص وتميز عن الحكم والعلم . وقال الله تعالى ﴿ إن الله يسمع من يشاء ﴾ فإذا كان المسمع هو الله تعالى ، يسمع تارة بواسطة اللسان وتارة بما يرزق بمطالعه الكتب من التبيان ، فصار مايفتح الله تعالى بمطالعة الكتب على معنى مايرزق من المسموع ببركة حسن الاستماع ، لتفقد العبد حاله فى ذلك ويتعلم علمه وأدبه ، فإنه باب كبير من أبواب الخير ، وعمل صالح من أعمال المشايخ والصوفية والعلماء الزاهدين المتبتلين لاستفتاح أبواب الرحمة والمزيد من كل شيء ينفع سلوك الآخرة .

الباب الثالث : فى بيان فضيلة علوم الصوفية ، والإشارة إلى أنموذج منها

حدثنا شيخنا شيخ الإسلام أبو النجيب السهروردى رحمه الله ، قال أنبأنا أبو عبدالرحمن الصوفى ، قال أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد السرخسى ، قال أخبرنا أبو عمران السمرقندى ، قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى ، قال حدثنا نعيم بن حماد ، قال حدثنا بقية عن الأحوص بن حكيم عن أبيه قال سأل رجل النبى عليه السلام عن الشر فقال ، لاتسألونى عن الشر وسلونى عن الخير يقولها ثلاثا ، ثم قال ؟ إن شر الشر شرار العلماء ، وإن خير الخير خيار العلماء ، أدلاء الأمة ، وعمد الدين ، وسرج ظلمات الجهالات الجلية ، ونقباء ديوان الإسلام ، ومعادن حكم الكتاب والسنة ، وأمناء الله تعالى فى خلقه ، وأطباء العباد ، وجهابذة الملة الحنيفية ، وحملة عظيم الأمانة ، فهم أحق الخلق بحقائق التقوى ، وأحوج العباد إلى الزهد فى الدنيا ، لأنهم يحتاجون إليها لنفسهم ولغيرهم ، ففسادهم فساد ، وصلاحهم صلاح متعد .

قال سفيان بن عيينة : أجهل الناس من ترك العمل بما يعلم . وأعلم الناس من عمل بما يعلم . وأفضل الناس أخشعهم لله تعالى ، وهذا قول صحيح يحكم بأن العالم إذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم ، فلايغرك تشدقه واستطالته وحذاقته وقوته فى المناظرة والمجادلة ، فإنه جاهل وليس بعالم ، إلا أن يتوب الله عليه ببركة العلم ، فإن العلم فى سبيل الإسلام لايضيع أهله ويرجى عود العالم ببركة العلم ، والعلم فريضة وفضيلة ، فالفريضة : مالابد للإنسان من معرفته لتقوم بواجب حق الدين . والفضيلة مازاد على قدر حاجته مما يكسبه فضيله فى النفس موافقة للكتاب والسنة ، وكل علم لايوافق الكتاب والسنة وما هو مستفاد منهما أو معين على فهمهما أو مستند إليهما كائنا ما كان ، فهو رذيلة وليس بفضيلة ، يزداد الإنسان به هواناً ورذيلة فى الدنيا والآخرة ، فالعلم الذى هو فريضة لايسع الإنسان جهله على ما حدثنا شيخنا شيخ الإسلام أبو النجيب قال : أخبرنا الحافظ أبو القاسم المستملى قال أخبرنا الشيخ العالم أبو القاسم عبد الكريم ابن هوازن القشيرى قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصفهانى قال أخبرنا أبو سعيد بن الأعرابى قال حدثنا جعفر بن عامر العسكرى قال حدثنا الحسن بن عطية قال حدثنا أبو عاتكة عن أنس بن مالك قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالصين ، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم » . واختلف العلماء فى العلم الذى هو فريضة . قال بعضهم : هو طلب علم الإخلاص ومعرفة آفات النفوس ومايفسد الأعمال ، لأن الإخلاص مأمور به كما أن العمل مأمور به . قال الله ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين ﴾ فالإخلاص مأمور به ، وخدع النفس وغرورها ودسائسها وشهواتها الخفية تخرب مبانى الإخلاص المأمور به ، فصار علم ذلك فرضا حيث كان الإخلاص فرضا ، ومالايصل العبد إلى الفرض إلابه صار فرضا : وقال بعضهم : معرفة الخواطر وتفصيلها فريضة ، لأن الخواطر هى أصل الفعل ومبدؤه ومنشؤه وبذلك يعلم الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ، فلا يصح الفعل إلابصحتها ، فصار

علم ذلك فرضا حتى يصح الفعل من العبد لله . وقال بعضهم : هو طلب علم الوقت . وقال سهل بن عبدالله : هو طلب علم الحال يعنى حكم حاله الذى بينه وبين الله تعالى فى دنياه وآخرته . وقيل : هو طلب علم الباطن وهو مايزداد به العبد يقينا ، وهذا العلم هو الذى يكتسب بالصحبة ومجالسة الصالحين من العلماء الموقنين والزهاد المقربين الذين جعلهم الله تعالى من جنوده يسوق الطالبين إليهم ويقويهم بطريقهم ويرشدهم بهم ، فهم وراث علم النبى عليه السلام ومنهم من يتعلم علم اليقين . وقال بعضهم : هو علم البيع والشراء والنكاح والطلاق ، إذا أراد الدخول فى شىء من ذلك يجب عليه طلب علمه . وقال بعضهم : هو أن يكون العبد يريد عملا يجهل ما لله عليه فى ذلك ، فلا يجوز أن يعمل برأيه ، إذ هو جاهل فيما له وعليه فى ذلك ، فيراجع عالما يسأله عنه ليجيبه على بصيرة ولا يعمل برأيه ، وهذا علم يجب طلبه حيث جهل . وقال بعضهم : طلب علم التوحيد فرض ، فمن قائل يقول : إن طريقه النظر والاستدلال ، ومن قائل يقول : إن طريقه النقل . وقال بعضهم : إذا كان العبد على سلامة الباطن وحسن الاستسلام والانقياد فى الإسلام ولا يحيك فى صدره شىء فهو سالم ، فإن حاك فى صدره شىء أو توسوس بشىء يقدح فى العقيدة أو ابتلى بشبهة لاتؤمن غائلتها أن تجره إلى بدعة أو ضلالة ، فيجب عليه أن يستكشف عن الاشتباه ويراجع أهل العلم ومن يفهمه طريق الصواب . وقال الشيخ أبو طالب المكى رحمه الله : هو علم الفرائض الخمس التى بنى عليها الإسلام ، لأنها افترضت على المسلمين . وإذا كان عملها فرضا صار علم العمل بها فرضا ، وذكر أن علم التوحيد داخل فى ذلك ، لأن أولها الشهادتان والإخلاص داخل فى ذلك ، لأن ذلك من ضرورة الإسلام ، وعلم الإخلاص داخل فى صحة الإسلام ، وحيث أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فريضة على كل مسلم يقتضى أن لايسع مسلما جهله ، وكل ماتقدم من الأقاويل أكثرها ما يسع المسلم جهله ؛ لأنه قد لا يعلم علم الخواطر وعلم الحال وعلم الحلال بجميع وجوهه وعلم اليقين المستفاد من علماء الآخرة كما ترى ، وأكثر المسلمين على الجهل بهذه الأشياء ، ولو كانت هذه الأشياء فرضت عليهم لعجز عنها أكثر الخلق إلا ما شاء الله ، وميلى فى هذه الأقاويل إلى قول الشيخ أبى طالب أكثر ، وإلى قول من قال : يجب عليه علم البيع والشراء والنكاح والطلاق إذا أراد الدخول فيه . وهذا لعمرى فرض على المسلم علمه وهذا الذى قاله الشيخ أبو طالب عندى فى ذلك حد جامع لطالب العلم المفترض والله أعلم .

فأقول : العلم الذى طلبه فريضة على كل مسلم علم الأمر والنهى ، والمأمور : مايثاب على فعله ويعاقب على تركه ، والمنهى : مايعاقب على فعله ويثاب على تركه ، والمأمورات والمنهيات منها ماهو مستمر لازم للعبد بحكم الإسلام، ومنها مايتوجه الأمر فيه والنهى عنه عند وجود الحادثة ، فما هو لازم مستمر لزومه متوجه بحكم الإسلام علمه به واجب من ضرورة الإسلام ، ومايتخذ بالحوادث ويتوجه الأمر والنهى فيه فعلمه عند تجدده فرض لايسع مسلما على الإطلاق أن يجهله ، وهذا الحد أعم من الوجوه التى سبقت والله أعلم . ثم إن المشايخ من الصوفية وعلماء الآخرة الزاهدين فى الدنيا شمروا عن ساق الجد فى طلب العلم المفترض حتى عرفوه وأقاموا الأمر والنهى وخرجوا من عهدة ذلك بحسن توفيق الله تعالى . فلما استقاموا فى ذلك متابعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أمره الله تعالى بالاستقامة فقال تعالى ﴿ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ﴾ فتح الله عليهم أبواب العلوم التى سبق ذكرها . قال بعضهم : من يطيق مثل هذه المخاطبة بالاستقامة إلا من أيد من المشاهدات القوية والأنوار البينة والآثار الصادقة بالتثبيت ببرهان عظيم كما قال تعالى ﴿ ولولا أن ثبتناك ﴾ ثم حفظ فى وقت المشاهدة ومشافهة الخطاب وهو المزين بمقام القرب والمخاطب على بساط الأنس محمد صلى الله عليه وسلم . وبعد ذلك خوطب بقوله ﴿ فاستقم كما أمرت ﴾ ولولا هذه المقامات ما أطاق الاستقامة التى أمر بها . قيل لأبى حفص : أى الأعمال أفضل ؟ قال : الاستقامة ؛ لأن النبى صلى الله عليه وسلم يقول « استقيموا ولن تحصوا » وقال جعفر الصادق فى قوله تعالى ﴿ فاستقم كما أمرت ﴾ أى افتقر إلى الله بصحة العزم . ورأى بعض الصالحين رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ، قال « قلت يارسول الله روى عنك أنك قلت شيبتنى سورة هود وأخواتها فقال : نعم ، قال فقلت له : ما الذى شيبك منها قصص الأنبياء وهلاك الأمم؟ فقال « لا ، ولكن قوله

﴿ فاستقم كما أمرت ﴾ ، فكما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد مقدمات المشاهدات خوطب بهذا الخطاب وطولب بحقائق الاستقامة فكذلك علماء الآخرة الزاهدون ومشايخ الصوفية المقربون منحهم الله تعالى من ذلك بقسط ونصيب ثم ألهمهم طلب النهوض بواجب حق الاستقامة ورأوا الاستقامة أفضل مطلوب وأشرف مأمور .

قال أبو على الجوزجانى : كن طالب الاستقامة لاطالب الكرامة ، فإن نفسك متحركة فى طلب الكرامة وربك يطلب منك الاستقامة ، وهذا الذى ذكره أصل كبير فى الباب وسر غفل عن حقيقته كثير من أهل السلوك والطلب . وذلك أن المجتهدين والمتعبدين سمعوا بسير الصالحين المتقدمين وما منحوا به من الكرامات وخوارق العادات فأبدأ نفوسهم لا تزال تتطلع إلى شىء من ذلك ويحبون أن يرزقوا شيئا من ذلك ، ولعل أحدهم يبقى منكسر القلب متهما لنفسه فى صحة عمله حيث لم يكشف بشىء من ذلك ، ولو علموا سر ذلك لهان عليهم الأمر فيه فيعلم أن الله سبحانه وتعالى قد يفتح على بعض المجتهدين الصادقين من ذلك بابا ، والحكمة فيه أن يزداد بما يرى من خوارق العادات وآثار القدرة يقينا فيقوى عزمه على الزهد فى الدنيا ، والخروج من دواعى الهوى ؛ وقد يكون بعض عبادة يكاشف بصرف اليقين ويرفع عن قلبه الحجاب ، ومن كوشف بصرف اليقين استغنى بذلك عن رؤية خوارق العادات لأن المراد مهما كان حصول اليقين وقد حصل اليقين ؛ فلو كوشف هذا المرزوق صرف اليقين بشىء من ذلك ما ازداد يقينا فلا تقتضى الحكمة كشف القدرة بخوارق العادات لهذا الموضع لاستغنائه ، وتقتضى الحكمة كشف ذلك للآخر لموضع حاجته فكان هذا الثانى يكون أتم استعدادا وأهلية من الأول حيث رزق حاصل ذلك وهو صرف اليقين بغير واسطة من رؤية قدرة فإن فيه آفة وهو العجب فأغنى عن رؤية شىء من ذلك . فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة فهى كل الكرامة . ثم إذا وقع فى طريقه شىء من ذلك حاز وحسن ، وإن لم يقع فلا يبالى ولا ينقص بذلك ، وإنما ينقص بالإخلال بواجب حق الاستقامة فليعلم هذا لأنه أصل كبير للطالبين . فالعلماء الزاهدون ومشايخ الصوفية والمقربون حيث أكرموا بالقيام بواجب حق الاستقامة رزقوا سائر العلوم التى أشار إليها المتقدمون كما ذكرنا وزعموا أنها فرض . فمن ذلك علم الحال وعلم القيام وعلم الخواطر . وسنشرح علم الخواطر وتفصيلها فى باب إن شاء الله تعالى . وعلم اليقين وعلم الإخلاص وعلم النفس ومعرفتها ومعرفة أخلاقها ، وعلم النفس ومعرفتها من أعز علوم القوم . وأقوم الناس بطريق المقربين والصوفية أقومهم بمعرفة النفس ، وعلم معرفة أقسام الدنيا ووجود دقائق الهوى وخفايا شهوات النفس وشرهها وشرها ، وعلم الضرورة ومطالبة النفس بالوقوف على الضرورة ـ قولا وفعلا ولبسا وخلعا وأكلا ونوما ـ ومعرفة حقائق التوبة ، وعلم خفى الذنوب ومعرفة سيئات هى حسنات الأبرار ومطالبة النفس بترك ما لا يعنى ، ومطالبة الباطن بحصر خواطر المعصية ثم بحصر خواطر الفضول ، ثم علم المراقبة ، وعلم ما يقدح فى المراقبة ، وعلم المحاسبة والرعاية ، وعلم حقائق التوكل وذنوب المتوكل فى توكله وما يقدح فى التوكل وما لا يقدح ، والفرق بين التوكل الواجب بحكم الإيمان وبين التوكل الخاص المختص بأهل العرفان ، وعلم الرضا وذنوب مقام الرضا ، وعلم الزهد وتحديده بما يلزم من ضرورته ، وما لا يقدح فى حقيقته ومعرفة الزهد فى الزهد ومعرفة زهد ثالث بعد الزهد فى الزهد ، وعلم الإنابة والالتجاء ومعرفة أوقات الدعاء ومعرفة وقت السكوت عن الدعاء ، وعلم المحبة والفرق بين المحبة العامة المفسرة بامتثال الأمر والمحبة الخالصة ؛ وقد أنكر طائفة من علماء الدنيا دعوى علماء الآخرة المحبة الخالصة كما أنكروا الرضا وقالوا : ليس إلا الصبر . وانقسام المحبة الخاصة إلى محبة الذات وإلى محبة الصفات والفرق بين محبة القلب ومحبة الروح ومحبة العقل ومحبة النفس ، والفرق بين مقام المحب والمحبوب ، والمريد والمراد ، ثم علوم المشاهدات كعلم الهيبة والأنس والقبض والبسط ، والفرق بين القبض والهمم والبسط والنشاط ، وعلم الفناء والبقاء وتفاوت أحوال الفناء والاستتار والتجلى والجمع والفرق واللوامع والطوالع والبوادى والصحو والسكر إلى غير ذلك ـ لو اتسع الوقت ذكرناها وشرحناها فى مجلدات ، ولكن العمر قصير ، والوقت عزيز ، ولولا سهم الغفلة لضاق الوقت عن هذا القدر أيضا ، وهذا المختصر المؤلف يحتوى من علوم القوم على طرف صالح نرجو من الله الكريم أن ينفع به ويجعله

حجة لنا لا حجة علينا ـ وهذه كلها علوم من ورائها علوم عمل بمقتضاها وظفر بها علماء الآخرة الزاهدون ، وحرم ذلك علماء الدنيا الراغبون وهى علوم ذوقية لايكاد النظر يصل إليها بذوق ووجدان ، كالعلم بكيفية حلاوة السكر لايحصل بالوصف فمن ذاقه عرفه . وينبئك عن شرف علم الصوفية وزهاد العلماء أن العلوم كلها لا يتعذر تحصيلها مع محبة الدنيا والإخلال بحقائق التقوى ؛ وربما كان محبة الدنيا عونا على اكتسابها لأن الاشتغال بها شاق على النفوس فجبلت النفوس على محبة الجاه والرفعة حتى إذا استشعرت حصول ذلك بحصول العلم أجابت إلى تحمل الكلف وسهر الليل والصبر على الغربة والأسفار وتعذر الملاذ والشهوات . وعلوم هؤلاء القوم لاتحصل مع محبة الدنيا ولا تنكشف إلا بمجانبة الهوى ، ولا تدرس إلا فى مدرسة التقوى قال الله تعالى ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ جعل العلم ميراث التقوى وغير علوم هؤلاء القوم متيسر من غير ذلك بلا شك ، فعلم فضل علماء الآخرة حيث لم يكشف النقاب إلا لأولى الألباب ، وأولو الألباب حقيقة هم الزاهدون فى الدنيا .

قال بعض الفقهاء : إذا أوصى رجل بماله لأعقل الناس يصرف الزهاد لأنهم أعقل الخلق . قال سهل بن عبدالله التسترى : للعقل ألف اسم ولكل اسم منه ألف اسم وأول كل اسم منه ترك الدنيا . حدثنا الشيخ الصالح أبو الفتوح محمد ابن عبد الباقى قال : أخبرنا أبو الفضل أحمد بن أحمد قال : أخبرنا الحافظ أبو نعيم الاصفهانى قال : حدثنا محمد بن أحمد ابن محمد قال حدثنا العباس بن أحمد الشاشى قال حدثنا أبو عقيل الوصـــافى قال اخبرنا عبدالله الخواص وكان من أصحاب حاتم قال دخلت مع أبى عبد الرحمن حاتم الأصم الرى ومعه ثلثمائة وعشرون رجلا يريدون الحج وعليهم الصوف والزرمانقات ليس معهم جراب ولا طعام ، فدخلنا الرى على رجل من التجار متنسك يحب المتقشفين فاضافنا تلك الليلة ، فلما كان من الغد قال لحاتم ياأبا عبد الرحمن ألك حاجة ؟ فإنى أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل فقال حاتم إن كان لكم فقيه عليل فعيادة الفقيه لها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة فأنا أيضا أجىء معك ـ وكان العليل محمد بن مقاتل قاضى الرى ـ فقال سر بنا ياأبا عبد الرحمن فجاءوا إلى الباب ، فإذا باب مشرف حسن فبقى حاتم متفكراً يقول باب عالم على هذا الحال ؛ ثم أذن لهم فدخلوا فإذا دار قوراء وإذا بزة ومنعة وستور وجمع ، فبقى حاتم متفكرا ، ثم دخلوا إلى المجلس الذى هو فيه فإذا بفرش وطيئة وإذا هو راقد عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة فقعد الرازى يسائله وحاتم قائم ؛ فأومأ إليه ابن مقاتل أن أقعد فقال ، لا أقعد ، فقال له ابن مقاتل . لعل لك حاجة ؟ قال : نعم ، قال وماهى ؟ قال مسألة أسألك عنها قال : سلنى قال : فقم فاستو جالسا حتى أسالكها ، فأمر غلمانه فأسندوه ، فقال له حاتم علمك هذا من أين جئت به ؟ قال الثقات حدثونى به ، قال عمن ؟ قال عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ؟ قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ورسول الله من أين جاء به ؟ قال عن جبرائيل ؟ قال حاتم ففيما أداه جبرائيل عن الله وأداه رسول الله إلى أصحابه وأداه أصحابه إلى الثقات وأداه الثقات إليك هل سمعت فى العلم من فى داره أمير أو منعته أكثر كانت له المنزلة عندالله أكثر ؟ قال لا ، قال فكيف سمعت ؟ قال من زهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته ، كان له عند الله المنزلة أكثر ، قال حاتم فأنت بمن اقتديت بالنبى وأصحابه والصالحين أم بفرعون ونمرود أول من بنى بالجص والآجر ؟ ياعلماء السوء مثلكم يراه الجاهل الطالب للدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة لا أكون أنا شرا منه ، وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا . فبلغ أهل الرى ماجرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له ياأبا عبد الرحمن ، بقزوين عالم أكبر شأنا من هذا . وأشاروا به إلى الطنافسى ـ قال فسار إليه متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله أنا رجل أعجمى أحب أن تعلمنى أول مبتدإ دينى ومفتاح صلاتى كيف أتوضأ للصلاة ؟ قال نعم وكرامة ياغلام هات إناء فيه ماء ؛ فأتى بإناء فيه ماء فقعد الطنافسى فتوضأ ثلاثا ثلاثا ، ثم قال هكذا فتوضأ . فقعد فتوضأ حاتم ثلاثا ثلاثا حتى إذا بلغ غسل الذراعين غسل أربعا فقال له الطنافسى ياهذا أسرفت ، فقال له حاتم فبماذا ؟ قال غسلت ذراعيك أربعا ، قال حاتم ياسبحان الله أنا فى كف ماء أسرفت وأنت فى هذا الجمع كله لم تسرف ، فعلم الطنافسى أنه أراده بذلك ولم يرد منه

التعلم ، فدخل البيت ولم يخرج إلى الناس أربعين يوما ، وكتب تجار الرى وقزوين ماجرى بينه وبين ابن مقاتل والطنافسى ؛ فلما دخل بغداد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا له : ياأبا عبد الرحمن أنت رجل لكن اعجمى ليس يكلمك احد إلا وقطعته ، قال : معى ثلاث خصال بهن أظهر على خصمى ، قالوا : أى شىء هى ؟ قال : أفرح إذا أصاب خصمى ، وأحزن إذا أخطأ ، واحفظ نفسى أن لاأجهل عليه ، فبلغ ذلك أحمد بن حنبل فجاء إليه وقال : سبحان الله ماأعقله ؟ فلما دخلوا عليه قالوا : يا أبا عبد الرحمن ، ما السلامه من الدنيا ؟ قال حاتم : يا أباعبد الله ، لاتسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال . قال : أىشىء هى ياأباعبد الرحمن ؟ قال تغفر للقوم جهلهم، وتمنع جهلك عنهم ، وتبذل لهم شيئك ، وتكون من شيئهم آيسا ؛ فإذا كان هذا سلمت ، ثم سار إلى المدينة .

قال الله تعالى ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ ذكر بكلمة «إنما» ، فينتفى العلم عمن لايخشى الله ، كما إذاقال إنما يدخل الدار بغدادى ، ينتفى دخول غير البغدادى الدار : فلاح لعلماء الآخرة أن الطريق مسدود إلى أنصبة المعارف ومقامات القرب إلا بالزهد والتقوى . قال أبو يزيد رحمه الله لأصحابه : بقيت البارحة إلى الصباح أجهد أن أقول لاإله إلا الله ماقدرت عليه . قيل : ولم ذلك ؟ قال : ذكرت كلمة قلتها فى صباى ، فجاءتنى وحشة تلك الكلمة فمنعتنى عن ذلك ، وأعجب ممن يذكر الله تعالى وهو متصف بشىء من صفاته ؛ فبصفاء التقوى وكمال الزهادة يصير العبد راسخا فى العلم ، قال الواسطى . الراسخون فى العلم هم الذين رسخوا بأرواحهم فى غيب الغيب فى سر السر فعرفهم ماعرفهم ، وخاضوا فى بحر العلم بالفهم لطلب الزيادات فانكشف لهم من مدخور الخزائن ماتحت كل حرف من الكلام من الفهم وعجائب الخطاب فنطقوا بالحكم . وقال بعضهم : الراسخ من أطلع على محل المراد من الخطاب . وقال الخراز : هم الذين كملوا فى جميع العلوم وعرفوها ، واطلعوا على همم الخلائق كلهم أجمعين ، وهذا القول من أبى سعيد لايعنى به أن الراسخ فى العلم ينبغى أن يقف على جزئيات العلوم ويكمل فيها ، فإن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان من الراسخين فى العلم ووقف فى معنى قوله تعالى ﴿ وفاكهة وأبا ﴾ وقال : ماالأب ؟ ثم قال : إن هذا إلا تكلف . ونقل أن هذا الوقوف فى معنى الأب كان من أبى بكر رضى الله تعالى عنه ، وإنما عنى بذلك أبو سعيد مايفسر أول كلامه بآخره ، وهو قوله : اطلعوا على همم الخلائق كلهم : لأن المتقى حق التقوى والزاهد حق الزهادة فى الدنيا صفا باطنه وانجلت مرآة قلبه ووقعت له محاذاة بشىء من اللوح المحفوظ ، فأدرك بصفاء الباطن أمهات العلوم وأصولها ، فيعلم منتهى أقدام العلماء فى علومهم ، وفائدة كل علم ، والعلوم الجزئية متجزئة فى النفوس بالتعليم والممارسة فلا يغنيه عليه الكلى أن يراجع فى الجزئى أهله الذين هم أوعيته ، فنفوس هؤلاء امتلأت من الجزئى واشتغلت به ، وانقطعت بالجزئى عن الكلى ؛ ونفوس العلماء الزاهدين بعد الأخذ مما لابد لهم منه فى أصل الدين وأساسه من الشرع أقبلوا على الله وانقطعوا إليه وخلصت أرواحهم إلى مقام القرب منه ، فأفاضت أرواحهم على قلوبهم أنوارا تهيأت بها قلوبهم لإدراك العلوم ؛ فأرواحهم ارتقت عن حد إدراك العلوم بعكوفها على العالم الأزلى ، وتجردت عن وجود يصلح أن يكون وعاء للعلم ، وقلوبهم بنسبة وجهها الذى يلى النفوس صارت أوعية وجودية تناسب وجود العلم بالنسبة الوجودية ، فتألفت العلوم وتألفتها العلوم بمناسبة انفصال العلوم باتصالها باللوح المحفوظ ، والمعنى بالانفصال انتقاشها فى اللوح لاغير ، وانفصال القلوب عن مقام الأرواح لوجود انجذابها إلى النفوس ؛ فصار بين المنفصلين نسبة اشتراك موجب للتألف ، فحصلت العلوم لذلك وصار الربانى راسخا فى العلم .

أوحى الله تعالى فى بعض الكتب المنزلة (يابنى إسرائيل ، لاتقولوا العلم فى السماء من ينزل به ، ولافى تخوم الأرض من يصعد به ، ولامن وراء البحار من يعبر فيأتى به . العلم مجعول فى قلوبكم تأدبوا بين يدى بآداب الروحانيين وتخلقوا إلى بأخلاق الصديقين ، أظهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم أو يغمركم . فالتأدب بآداب الروحانيين حصر النفوس عن تقاضى جبلاتها ، وقمعها بصريح العلم فى كل قول وفعل ، ولايصح ذلك إلا لمن علم وقرب وتطرق إلى الحضور بين يدى الله تعالى ، فيحتفظ بالحق للحق .

أخبرنا شيخنا أبو النجيب عبد القاهر السهروردى إجازة ، قال : أخبرنا أبو منصور بن خيرون إجازة ، قال : أخبرنا أبو محمد الحسن بن على الجوهرى إجازة قال أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس قال حدثنا أبو محمد يحيى بن صاعد قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزى قال أخبرنا عبدالله بن المبارك قال أخبرنا الأوزاعى عن حسان بن عطية ، بلغنى أن شداد بن أوس رضى الله عنه نزل منزلا فقال : ائتونا بالسفرة نعبث بها ، فأنكر منه ذلك، فقال: ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها ثم أزمها غير هذه فلا تحفظوها على فمثل هذا يكون التأدب بآداب الروحانيين .

مكتوب فى الإنجيل : لا تطلبوا علم مالم تعلموا حتى تعملوا بما قد علمتم . وقد ورد فى خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان ربما يسوفكم بالعلم » . قلنا : يارسول الله ، كيف يسوفنا بالعلم ؟ قال « يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم ، فلا يزال العبد فى العلم قائلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل » . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : ليس العلم بكثرة الرواية ، إنما العلم الخشية . وقال الحسن : إن الله تعالى لايعبأ بذى علم ورواية ، إنما يعبأ بذى فهم ودراية ، فعلوم الوراثة مستخرجة من علم الدراسة ، ومثال علوم الدراسة كاللبن الخالص السائغ للشاربين . ومثال علوم الوراثة كالزبد المستخرج منه ، فلو لم يكن لبن لم يكن زبد ، ولكن الزبد هو الدهنية المطلوبة من اللبن ، والمائية فى اللبن جسم قام به روح الدهنية ، والمائية بها القوام . قال الله تعالى ﴿ وجعلنا من الماء كل شىء حى ﴾ وقال تعالى ﴿ أو من كان ميتا فأحييناه ﴾ أى كان ميتا بالكفر فأحييناه بالإسلام ، فالإحياء بالإسلام هو القوام الأول والأصل الأول ، والإسلام علوم وهى علوم مبانى الإسلام ، والإسلام بعد الإيمان نظر إلى مجرد التصديق . ولكن للإيمان فروع بعد التحقق بالإسلام ، وهى مراتب كعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ، فقد تقال للتوحيد والمعرفة والمشاهدة . وللإيمان فى كل فرع من فروع من فروعه علوم ، فعلوم الإسلام علوم اللسان ، وعلوم الإيمان علوم القلوب، ثم علوم القلوب لها وصف خاص ، ووصف عام ، فالوصف العام علم اليقين وقد يتوصل إليه بالنظر والاستدلال ويشترك فيه علماء الدنيا مع علماء الآخرة ، وله وصف خاص يختص به علماء الآخرة وهى السكينة التى أنزلت فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ، فعلى هذا جميع الرتب يشملها اسم الإيمان بوصفه الخاص ولا يشملها بوصفه العام ، فبالنظر إلى الوصف الخاص اليقين ومراتبه من الإيمان ، وإلى وصفه العام اليقين زيادة على الإيمان ، والمشاهدة وصف خاص فى اليقين ، وهو عين اليقين ، وفى عين اليقين وصف خاص وهو حق اليقين ، لحق اليقين إذن فوق المشاهدة، وحق اليقين موطنه ومستقره فى الآخرة ، وفى الدنيا منه لمح يسير لأهله ، وهو من أعز ما يوجد من أقسام العلم بالله ، لأنه وجدان ، فصار علم الصوفية وزهاد العلماء نسبته إلى علم علماء الدنيا الذين ظفروا باليقين بطريق النظر والاستدلال كنسبة ما ذكرناه من علم الوراثة والدراسة ، علمهم بمثابة اللبن لأنه اليقين والإيمان الذى هو الأساس ، وعلم الصوفية بالله تعالى من أنصبة المشاهدة ، وعين اليقين وحق اليقين كالزبد المستخرج من اللبن ، ففضيلة الإيمان بفضيلة العلم ، ورزانة الأعمال على قدر الحظ من العلم وقد ورد فى الخبر « فضل العالم على العابد كفضلى على أمتى » ، والإشارة فى هذا العلم ليس إلى علم البيع والشراء والطلاق والعتاق ، وإنما الإشارة إلى العلم بالله تعالى وقوة اليقين ، وقد يكون العبد عالما بالله تعالى ذا يقين كامل وليس عنده علم من فروض الكفايات ، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من علماء التابعين بحقائق اليقين ودقائق المعرفة ، وقد كان علماء التابعين فيهم من هو أقوم بعلم الفتوى والأحكام من بعضهم روى أن عبدالله بن عمر كان إذا سئل عن شىء يقول : سلوا سعيد بن المسيب . وكان عبدالله ابن عباس يقول : سلوا جابر بن عبدالله لو نزل أهل البصرة على فتياه لوسعهم . وكان أنس بن مالك يقول : سلوا مولانا الحسن ، فإنه قد حفظ ونسينا ، فكانوا يردون الناس إليهم فى علم الفتوى والأحكام ، ويعلمونهم حقائق اليقين ودقائق المعرفة ، وذلك لأنهم كانوا أقوم بذلك من التابعين ، صادفتهم طراوة الوحى المنزل وغمرهم غزير العلم المجمل والمفصل ، فتلقى منهم طائفة مجملة ومفصلة ، وطائفة مفصلة دون مجملة ، والمجمل أصل العلم ، ومفصله المكتسب بطهارة القلوب وقوة الغريزة وكمال الاستعداد ، وهو خاص بالخواص .

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ وقال تعالى ﴿قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة﴾ فلهذه السبيل سابلة ، ولهذه الدعوات قلوب قابلة، فمنها نفوس مستعصية جامدة باقية على خشونة طبيعتها وجبلتها ، فلينها بنار الإنذار والموعظة والحذار ، ومنها نفوس زكية من تربة طيبة موافقة للقلوب قريبة منها ، فمن كانت نفسه ظاهرة على قلبه دعاه بالموعظة ، ومن كان قلبه ظاهراً على نفسه دعاه بالحكمة ، فالدعوة بالموعظة أجاب بها الأبرار ، وهي الدعوة بذكر الجنة والنار ، والدعوة بالحكمة أجاب بها المقربون وهي الدعوة بتلويح منح القرب وصفو المعرفة وإشارة التوحيد ، فلما وجدوا التلويحات الحقانية والتعريفات الربانية ، أجابوا بأرواحهم وقلوبهم ونفوسهم فصارت متابعة الأقوال إجابتهم نفسا ، ومتابعة الأعمال إجابتهم قلبا ؛ والتحقق بالأحوال إجابتهم روحا فإجابة الصوفية بالكل وإجابة غيرهم بالبعض . قال عمر رضي الله عنه : رحم الله تعالى صهيبا لو لم يخف الله لم يعصه . يعني لو كتب له كتاب الأمان من النار حمله صرف المعرفة بعظيم أمر الله على القيام بواجب حق العبودية . أداء لما عرف من حق العظمة . فإجابة الصوفية إلى الدعوة إجابة المحب للمحبوب على اللذاذة وذهاب العسر ، وإجابة غيرهم على المكابدة والمجاهدة ، وهذه الإجابة يظهر مع الساعات أثرها في القيام بحقائق الاستقامة والعبودية .

قال الله تعالى ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾ قال بعضهم أعطى للدارين ولم ير هما شيئا واتقى اللغو والسيئات وصدق بالحسنى أقام على طلب الزلفى ، والآية قيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه . ويلوح في الآية وجه آخر ﴿أعطى﴾ بالمواظبة على الأعمال ﴿واتقى﴾ الوساوس والهواجس ، ﴿وصدق بالحسنى﴾ لازم الباطن بتصفية موارد الشهود عن مزاحمة لوث الوجود ﴿فسنيسره لليسرى﴾ نفتح عليه باب السهولة في العمل والعيش والأنس ؛ ﴿وأما من بخل﴾ بالأعمال ﴿واستغنى﴾ امتلأ بالأحوال ﴿وكذب بالحسنى﴾ لم يكن في الملكوت بنفوذ بصيرته بالجوال ﴿فسنيسره للعسرى﴾ نسد عليه باب اليسر في الأعمال . قال بعضهم : إذا أراد الله بعبد سوءاً سد عليه باب العمل وفتح عليه باب الكسل ، فلما أجابت نفوس الصوفية وقلوبهم وأرواحهم الدعوة ظاهراً وباطنا ، كان حظهم من العلم أوفر ونصيبهم من المعرفة أكمل ، فكانت أعمالهم أزكى وأفضل .

جاء رجل إلى معاذ قال : أخبرني عن رجلين أحدهما مجتهد في العبادة كثير العمل قليل الذنوب إلا أنه ضعيف اليقين يعتوره الشك . قال معاذ ليحبطن شك عمله ، قال : فأخبرني عن رجل قليل العمل إلا أنه قوي اليقين وهو في ذلك كثير الذنوب ، فسكت معاذ ، فقال الرجل : والله لئن أحبط شك الأول أعمال بره ، ليحطن يقين هذا ذنوبه كلها . قال : فأخذ معاذ بيده وقال : ما رأيت الذي هو أفقه من هذا .

وفي وصية لقمان لابنه : يا بني ، لا يستطاع العمل إلا باليقين ، ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ، ولا يقصر عامل حتى يقصر يقينه ، فكان اليقين أفضل العلم لأنه أدعى إلى العمل ، وما كان أدعى إلى العمل كان أدعى إلى العبودية ، وما كان أدعى إلى العبودية كان أدعى إلى القيام بحق الربوبية . وكمال الحظ من اليقين والعلم بالله للصوفية والعلماء الزاهدين ، فبان بذلك فضلهم وفضل علمهم .

ثم إني أصور مسألة يستبين بها المعتبر فضل العالم الزاهد العارف بصفات نفسه على غيره : عالم دخل مجلسا وقعد وميز لنفسه مجلسا يجلس فيه كما في نفسه من اعتقاده في نفسه لمحله وعلمه ، فدخل داخل من أبناء جنسه وقعد فوقه ، فانعصر العالم وأظلمت عليه الدنيا ولو أمكنه لبطش بالداخل ، فهذا عارض عرض له ومرض اعتراه ، وهو لا يفطن أن هذه علة غامضة ومرض يحتاج إلى المداواة ، ولا يتفكر في منشأ هذا المرض ، ولو علم أن هذه نفس ثارت وظهرت بجهلها ، وجهلها لوجود كبرها ، وكبرها برؤية نفسها خيرا من غيرها ، فعلم الإنسان أنه أكبر من غيره كبر ، وإظهاره ذلك إلى الفعل تكبر ، فحيث انعصر صار فعلا به تكبر . فالزاهد لا يميز نفسه بشيء دون المسلمين ، ولا يرى نفسه في مقام تمييز يميزها بمجلس ، فالصوفي العالم مخصوص بميز . ولو قدر له أن يبتلى بمثل هذه الواقعة وينعصر من تقدم غيره عليه وترفعه يرى النفس وظهورها ، ويرى أن هذا داء وأنه إن استرسل فيه بالإصغاء إلى النفس وانعصارها صار ذلك ذنب حاله ،

فيرفع فى الحال ذاءه إلى الله تعالى ، ويشكو إليه ظهور نفسه ويحسن الإنابة ، ويقطع دابر ظهور النفس ويرفع القلب إلى الله تعالى مستغيثا من النفس ، فيشغله اشتغاله برؤية داء النفس فى طلب دوائها من الفكر فيمن قعد فوقه ، وربما أقبل على من قعد فوقه بمزيد التواضع والانكسار ، تكفيرا للذنب الموجود ، وتداويا لدائه الحاصل. فتبين بهذا الفرق بين الرجلين .

فإذا اعتبر المعتبر وتفقد حال نفسه فى هذا المقام يرى نفسه كنفوس عوام الخلق وطالبى المناصب الدنيوية ، فأى فرق بينه وبين غيره ممن لا علم له .

ولو أكثرنا تصوير المسائل لنبرهن على فضيلة الزاهدين ونقصان الراغبين ، لأورث الملال ، وهذه من أوائل علوم الصوفية ؛ فما ظنك بنفائس علومهم وشرائف أحوالهم ، والله الموفق للصواب .

الباب الرابع : فى شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم

أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب بن على ، قال أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن أبى القاسم الهروى قال أخبرنا أبو نصر عبد العزيز بن محمد الترياقى قال أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحى ، قال أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبى ، قال أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى ، قال حدثنا مسلمة بن حاتم الأنصارى ، قال : حدثنا محمد بن عبدالله الأنصارى عن أبيه عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب قال : قال أنس بن مالك رضى الله عنه : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « يابنى إن قدرت أن تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لأحد فافعل » ثم قال « يابنى وذلك من سنتى ومن أحيا سنتى فقد أحيانى ومن أحيانى كان معى فى الجنة » وهذا أتم شرف وأكمل فضل أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم فى حق من أحيا سنته ، فالصوفية هم الذين أحيوا هذه السنة ، وطهارة الصدور من الغل والغش عماد أمرهم ، وبذلك طهر جوهرهم وبان فضلهم ؛ وإنما قدروا على إحياء هذه السنة ونهضوا بواجب حقها لزهدهم فى الدنيا وتركها لأربابها وطلابها ، لأن مثار الغل والغش محبة الدنيا ومحبة الرفعة والمنزلة عند الناس ، والصوفية زهدوا فى ذلك كله ، كما قال بعضهم : طريقنا هذا لا يصلح إلا لأقوام كنست بأرواحهم المزابل ، فلما سقط عن قلوبهم محبة الدنيا وحب الرفعة أصبحوا وأمسوا وليس فى قلوبهم غش لأحد ، فقول القائل : كنست بأرواحهم المزابل ، إشارة منه إلى غاية التواضع ، وأن لا يرى نفسه تتميز عن أحد من المسلمين ، لحقارته عند نفسه ، وعند هذا ينسد باب الغش والغل ، وجرت هذه الحكاية فقال بعض الفقراء من أصحابنا : وقع لى أن معنى كنست بأرواحهم المزابل : أن الاشارة بالمزابل إلى النفوس ، لأنها مأوى كل رجس ونجس كالمزبلة ، وكنسها : بنور الروح الواصل إليها ، لأن الصوفية أرواحهم فى محال القرب ونورها يسرى إلى النفوس ، وبوصول نور الروح إلى النفس تطهر النفس ويذهب عنها المذموم من الغل والغش والحقد والحسد ، فكأنها تكنس بنور الروح ، وهذا المعنى صحيح وإن لم يرد القائل بقوله ذلك .

قال الله تعالى فى وصف أهل الجنة ﴿ ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين ﴾ قال أبو حفص : كيف يبقى الغل فى قلوب ائتلفت بالله واتفقت على محبته ، واجتمعت على مودته وأنست بذكره ، إن تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبائع ، بل كحلت بنور التوفيق فصارت إخوانا ، فالخلق حجابهم عن القيام بإحياء سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، قولا وفعلا وحالا صفات نفوسهم ، فإذا تبدلت نعوت النفس ارتفع الحجاب وصحت المتابعة ووقعت الموافقة فى كل شىء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجبت المحبة من الله تعالى عند ذلك . قال الله تعالى ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ﴾ جعل متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم آية محبة العبد ربه ، وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله إياه ، فأوفر الناس حظا من متابعة الرسول أوفرهم حظا من محبة الله تعالى ، والصوفية من بين طوائف الإسلام ظفروا بحسن المتابعة ، لأنهم اتبعوا أقواله فقاموا

بما أمرهم ووقفوا عما نهاهم . قال الله تعالى ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ ، ثم اتبعوه فى أعمالهم من الجد والاجتهاد فى العبادة والتهجد والنوافل من الصوم والصلاة وغير ذلك ، ورزقوا ببركة المتابعة فى الأقوال والأفعال التخلق بأخلاقه : من الحياء والحلم والصفح والعفو والرأفة والشفقة والمداراة والنصيحة والتواضع ، ورزقوا قسطا من أحواله من الخشية والسكينة والهيبة والتعظيم والرضا والصبر والزهد والتوكل ؛ فاستوفوا جميع أقسام المتابعات وأحيوا سنته بأقصى الغايات . قيل لعبد الواحد بن زيد : من الصوفية عندك ؟ قال القائمون بعقولهم على فهم السنة ، والعاكفون عليها بقلوبهم ، والمعتصمون بسيدهم من شر نفوسهم هم الصوفيه . وهذا وصف تام وصفهم به ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم الافتقار إلى مولاه حتى يقول « لا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ، اكلأنى كلاءة الوليد » ومن أشرف ما ظفر به الصوفى من متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الوصف : وهو دوام الافتقار ودوام الالتجاء ، ولا يتحقق بهذا الوصف من صدق الافتقار إلا عبد كوشف باطنه بصفاء المعرفة ، وأشرق صدره بنور اليقين ، وخلص قلبه إلى بساط القرب ، وخلا سره بلذاذة المسامرة ، فبقيت نفسه بين هذه الأشياء كلها أسيرة مأمورة ، ومع ذلك كله يراها مأوى كل شر ، وهى بمثابة النار لو بقيت منها شرارة أحرقت عالما ، وهى وشيكة الرجوع سريعة الانفلات والانقلاب ؛ فالله تعالى بكمال لطفه عرفها إلى الصوفى وكشفها له على شىء من معنى ما كشفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فهو دائم الاستغاثة إلى مولاه من شرها ، وكأنها جعلت سوطا للعبد تسوقه لمعرفته بشرها مع اللحظات ، إلى جناب الالتجاء وصدق الافتقار والدعاء ، فلا يخلو الصوفى عن مطالعتها أدنى ساعة ، كما لا يخلو عن ربه أدنى ساعة ، وربط معرفة الله تعالى فيما ورد « من عرف نفسه فقد عرف ربه » كربط معرفة الليل بمعرفة النهار ومن الذى يقوم بإحياء هذه السنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير الصوفى العالم بالله الزاهد فى الدنيا المستمسك من التقوى بأوثق العرى ؛ ومن الذى يهتدى إلى فائدة هذه الحال غير الصوفى ، فدوام افتقاره إلى ربه تمسك بجناب الحق ولياذ به ، وفى هذا اللياذ استغراق الروح واستتباع القلب إلى محل الدعاء ، وفى انجذاب القلب إلى محل الدعاء بلسان الحال والكون فيه : نبو النفس عن مستقرها من الأقسام العاجلة ونزولها إليها فى مدارج العلم محفوفة بحراسة الله تعالى ورعايته ، والنفس المدبرة بهذا التدبير من حسن تدبير الله تعالى مأمونة من الغل والغش والحقد والحسد وسائر المذمومات ، فهذا حال الصوفى . ويجمع جمل حال الصوفية شيئان : هما وصف الصوفية ، إليهما الإشارة بقوله تعالى ﴿ الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب ﴾ فقوم من الصوفية خصوا بالاجتباء الصرف ، وقوم منهم خصوا بالهداية بشرط مقدمة الإنابة ، بالاجتباء المحض غير معلل بكسب العبد ، وهذا حال المحبوب المراد يبادئه الحق بمنحه ومواهبه من غير سابقة كسب منه يسبق كشوفه اجتهاده ، وفى هذا أخذ بطائفة من الصوفية رفعت الحجب عن قلوبهم وبادرهم سطوع نور اليقين فأثار نازل الحال فيهم شهوة الاجتهاد والأعمال ، فأقبلوا على الأعمال باللذاذة والعيش فيها قرة أعينهم ، فسهل الكشف عليهم الاجتهاد ، كما سهل على سحرة فرعون لذاذة النازل بهم من صفو العرفان : تحمل وعيد فرعون فقالوا ﴿ لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات ﴾ قال جعفر الصادق رضى الله عنه وجدوا أرباح العناية القديمة بهم فالتجأوا إلى السجود شكرا وقالوا ﴿ آمنا برب العالمين ﴾ .

أخبرنا أبو زرعة طاهر بن أبى الفضل إجازة ، قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن على بن خلف إجازة ، قال أخبرنا عبد الرحمن السلمى ، قال : سمعت منصورا يقول : سمعت أبا موسى الزقاق يقول : سمعت أبا سعيد الخراز يقول : أهل الخالصة الذين هم المرادون اجتباهم مولاهم وأكمل لهم النعمة وهيأ لهم الكرامة ، فأسقط عنهم حركات الطلب ، فصارت حركاتهم فى العمل والخدمة على الألفة والذكر والتنعم بمناجاته والانفراد بقربه ، وبهذا الإسناد إلى أبى عبد الرحمن السلمى قال : سمعت على بن سعيد يقول : سمعت أحمد بن الحسن الحمصى يقول . سمعت فاطمة المعروفة بجويرية تلميذة أبى سعيد تقول : سمعت الخراز يقول : المراد : محمول فى حاله معان على حركاته وسعيه فى الخدمة ، مكفى مصون عن الشواهد والنواظر ، وهذا الذى قاله الشيخ أبو سعيد هو الذى اشتبه حقيقته على طائفة من الصوفية ولم يقولوا بالإكثار من النوافل ، وقد

رأوا جمعا من المشايخ قلت نوافلهم فظنوا أن ذلك حال مستمر على الإطلاق ، ولم يعلموا أن الذين تركوا النوافل واقتصروا على الفرائض كانت بداياتهم بدايات المريدين ؛ فلما وصلوا إلى روح الحال وأدركتهم الكشوف بعد الاجتهاد امتلأوا بالحال فطرحوا نوافل الأعمال ؛ فأما المرادون فتبقى عليهم الأعمال والنوافل وفيها قرة أعينهم ، وهذا أتم وأكمل من الأول ؛ فهذا الذى أوضحناه أحد طريق الصوفية ، فأما الطريق الآخر طريق المريدين وهم الذين شرطوا لهم الإنابة ، فقال الله تعالى ﴿ ويهدى إليه من ينيب ﴾ فطولبوا بالاجتهاد أولا قبل الكشوف .

قال تعالى ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ يدرجهم الله تعالى فى مدارج الكسب بأنواع الرياضات والمجاهدات وسهر الدياجر وظمأ الهواجر ، وتتأجج فيهم نيران الطلب ، وتتحجب دونهم لوامع الأرب ، يتقلبون فى رمضاء الإرادة ، وينخلعون عن كل مألوف وعادة ، وهى الإنابة التى شرطها الحق سبحانه وتعالى لهم وجعل الهداية مقرونة بها ، وهذه الهداية آنفا هداية خاصة لأنها هداية إليه ، غير الهداية العامة التى هى الهدى إلى أمره ونهيه بمقتضى المعرفة الأولى ، وهذا حال السالك المحب المريد ، فكانت الإنابة غير الهداية العامة فأثمرت هداية خاصة ، واهتدوا إليه بعد أن اهتدوا له بالمكابدات ، فخلصوا من مضيق العسر إلى فضاء اليسر ، وبرزوا من وهج الاجتهاد إلى روح الأحوال فسبق اجتهادهم كشوفهم ، والمرادون سبق كشوفهم اجتهادهم .

أخبرنا الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن عبد الباقى قال أخبرنا أبو الفضل أحمد بن أحمد قال أخبرنا الحافظ أبو نعيم الأصفهانى ، قال حدثنا محمد بن الحسين بن موسى قال : سمعت محمد بن عبدالله الرازى يقول : سمعت أبا محمد الجريرى يقول : سمعت الجنيد رحمة الله عليه يقول : ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ، ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات .

وقال محمد بن خفيف : الإرادة سمو القلب لطلب المراد وحقيقة الإرادة استدامة الجد وترك الراحة .

وقال أبو عثمان : المريد الذى مات قلبه عن كل شىء دون الله تعالى ، فيريد الله وحده ويريد قربه ويشتاق إليه ، حتى تذهب شهوات الدنيا عن قلبه لشدة شوقه إلى ربه . وقال أيضاً : عقوبة قلب المريدين أن يحجبوا عن حقيقة المعاملات والمقامات إلى أضدادها ؛ فهذان الطريقان يجمعان أحوال الصوفية ودونهما طريقان آخران ليسا من طرق التحقق بالتصوف : (أحدها) مجذوب أبقى على جذبته ما رد إلى الاجتهاد بعد الكشف ، (والثانى) مجتهد متعبد ما خلص إلى الكشف بعد الاجتهاد وللصوفية فى طريقهما باب مزيدهم وصحة طريقهم بحسن المتابعة . ومن ظن أن يبلغ غرضا أو يظفر بمراد لا من طريق المتابعة فهو مخذول مغرور .

أخبرنا شيخنا أبو النجيب السهروردى قال أخبرنا عصام الدين عمر بن أحمد الصفار قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن على بن خلف قال أخبرنا أبو عبدالرحمن قال سمعت نصر بن أبى نصر يقول : سمعت قسيما غلام الزقاق يقول : سمعت أباسعيد السكرى يقول : سمعت أباسعيد الخراز يقول : كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل ، وكان يقول الجنيد رحمه الله . علمنا هذا مشتبك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة .

حكى أن أبا يزيد البسطامى رحمه الله قال ذات يوم لبعض أصحابه : قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذى قد شهر نفسه بالولاية ـ وكان الرجل فى ناحيته مقصودا ومشهورا بالزهد والعبادة ـ فمضينا إليه ؛ فلما خرج من بيته يقصد المسجد رمى بزاقة نحو القبلة ، فقال أبو يزيد : انصرفوا ، فانصرف ولم يسلم عليه وقال : هذا رجل ليس بمأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه من مقامات الأولياء والصالحين .

وسئل خادم الشبلى رحمه الله : ماذا رأيت منه عند موته ؟ فقال : لما أمسك لسانه وعرق جبينه أشار إلى أن وضئنى للصلاة ، فوضأته فنسيت تخليل لحيته ، فقبض على يدى وأدخل أصابعى فى لحيته يخللها .

وقال سهل بن عبد الله : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فباطل : هذا حال الصوفية وطريقهم ، وكل من

يدعى حالا على غير هذا الوجه فدع مفتون كذاب .

الباب الخامس : فى ماهية التصوف

أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر بن أبى الفضل فى كتابه قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن على بن خلف الشيرازى إجازة ، قال أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى ، قال أخبرنا إبراهيم بن أحمد بن محمد بن رجاء ، قال حدثنا عبد الله بن أحمد البغدادى ، قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا عمر بن أسد عن مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شىء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر ، هم جلساء الله تعالى يوم القيامة » فالفقر كائن فى ماهية التصوف وهو أساسه وبه قوامه .

قال رويم : التصوف مبنى على ثلاث خصال : التمسك بالفقر والافتقار ، والتحقق بالبذل والإيثار ، وترك التعرض والاختيار .

وقال الجنيد ـ وقد سئل عن التصوف فقال ـ : أن تكون مع الله بلا علاقة .

وقال معروف الكرخى : التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما فى أيدى الخلائق ، فمن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف .

وسئل الشبلى عن حقيقة الفقر فقال : ألا يستغنى بشىء دون الحق .

وقال أبو الحسين النورى : نعت الفقير السكون عند العدم ، والبذل والإيثار عند الوجود .

وقال بعضهم : إن الفقير الصادق ليحترز من الغنى حذر أن يدخل عليه الغنى فيفسد فقره ، كما أن الغنى يحترز من الفقر حذر أن يدخل عليه الفقر فيفسد عليه غناه .

وبالإسناد الذى سبق إلى أبى عبد الرحمن قال : سمعت أبا عبد الرحمن الرازى يقول : سمعت مظفرا القرميسينى يقول : الفقير الذى لا يكون له إلى الله حاجة . قال : وسمعته يقول : سألت أبا بكر المصرى عن الفقير فقال : الذى لا يملك ولا يملك . قوله « لا يكون له حاجة » معناه أنه مشغول بوظائف عبوديته تام الثقة بربه ، عالم بحسن كلاءته به لا يحوجه إلى رفع الحاجة لعلمه بعلم الله بحاله ، فيرى السؤال فى البين زيادة ، وأقوال المشايخ تتنوع معانيها ؛ لأنهم أشاروا فيها إلى أحوال فى أوقات دون أوقات ، وتحتاج فى تفضيل بعضها عن البعض إلى الضوابط ، فقد تذكر أشياء فى معنى التصوف ذكر مثلها فى معنى الفقر وتذكر أشياء فى معنى الفقر ذكر مثلها فى معنى التصوف ، وحيث وقع الاشتباه فلا بد من بيان فاصل ؛ فقد تشتبه الإشارات فى الفقر بمعانى الزهد تارة وبمعانى التصوف تارة ، ولا يتبين للمسترشد بعضها من البعض ؛ فنقول : التصوف غير الفقير ، والزهد غير الفقر ، والتصوف غير الزهد ؛ فالتصوف اسم جامع لمعانى الفقر ومعانى الزهد مع مزيد أوصاف وإضافات لا يكون بدونها الرجل صوفيا وإن كان زاهدا وفقيرا .

قال أبو حفص : التصوف كله آداب ، لكل وقت أدب ، ولكل حالة أدب ، ولكل مقام أدب ، فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال ، ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب ، ومردود من حيث يرجو القبول .

وقال أيضا : حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن ؛ لأن النبى صلى تعالى الله عليه وآله وسلم قال « لو خشع قلبه لخشعت جوارحه » .

أخبرنا الشيخ رضى الدين أحمد بن إسمعيل إجازة قال أخبرنا الشيخ أبو المظفر عبد المنعم ، قال أخبرنى والدى أبو القاسم القشيرى ، قال سمعت محمد بن أحمد بن يحيى الصوفى يقول : سمعت عبد الله بن على يقول : سئل أبو محمد الجريرى عن التصوف فقال . الدخول فى كل خلق سنى ، والخروج عن كل خلق دنى ؛ فإذا عرف هذا المعنى فى التصوف من حصول الأخلاق وتبديلها واعتبر حقيقته ، يعلم أن التصوف فوق الزهد وفوق الفقر . وقيل : نهاية الفقر مع شرفه هو بداية التصوف ، وأهل الشام لا يفرقون بين التصوف والفقر ، يقولون : قال الله تعالى ﴿ للفقراء الذين

أحصروا فى سبيل الله ﴾ هذا وصف الصوفية ، والله تعالى سماهم فقراء ، وسأوضح معنى يفترق الحال به بين التصوف والفقر ، نقول : الفقير فى فقره متمسك به متحقق بفضله يؤثره على الغنى ، متطلع إلى ما تحقق من العوض عند الله حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم : وهو خمسمائة عام » فكلما لاحظ العوض الباقى أمسك عن الحاصل الفانى وعانق الفقر والقلة وخشى زوال الفقر لفوات الفضيلة والعوض وهذا عين الاعتلال فى طريق الصوفية ، لأنه تطلع إلى الأعواض وترك لأجلها . والصوفى يترك الأشياء لا للأعواض الموعودة بل للأحوال الموجودة فإنه ابن وقته . وأيضا ترك الفقير الحظ العاجل واغتنامه الفقر اختيار منه وإرادة ، والاختيار والإرادة علة فى حال الصوفى ، لأن الصوفى صار قائما فى الأشياء بإرادة الله تعالى لا بإرادة نفسه ، فلا يرى فضيلة فى صورة فقر ولا فى صورة غنى ، وإنما يرى الفضيلة فيما يوقفه الحق فيه ويدخله عليه ويعلم الإذن من الله تعالى فى الدخول فى الشىء ، وقد يدخل فى صورة سعة مباينة للفقر بإذن من الله تعالى ، ويرى الفضيلة حينئذ فى السعة لمكان الإذن من الله فيه ، ولا يفسح فى السعة والدخول فيها للصادقين إلا بعد إحكامهم علم الإذن ، وفى هذا مزلة للأقدام وباب دعوى للمدعين ، وما من حال يتحقق به صاحب الحال إلا وقد يحكيه راكب المحال ﴿ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة ﴾ فإذا اتضح ذلك ظهر الفرق بين الفقر والتصوف ، وعلم أن الفقر أساس التصوف وبه قوامه على معنى أن الوصول إلى رتب التصوف طريقه الفقر لا على معنى أنه يلزم من وجود التصوف وجود الفقر .

قال الجنيد رحمة الله عليه : التصوف هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به ، وهذا المعنى هو الذى ذكرناه من كونه قائما فى الأشياء بالله لا بنفسه ، والفقير والزاهد مكونان فى الأشياء بنفسهما واقفان مع إرادتهما مجتهدان مبلغ علمهما ، والصوفى منهم لنفسه مستقل لعلمه ، غير راكن إلى معلومه ، قائم بمراد ربه لا بمراد نفسه .

قال ذى النون المصرى رحمة الله عليه : الصوفى من لا يتعبه طلب ولا يزعجه سلب . وقال أيضا : الصوفية آثروا الله تعالى على كل شىء فآثرهم الله على كل شىء ، فكان من إيثارهم أن آثروا علم الله على علم نفوسهم ، وإرادة الله على إرادة نفوسهم .

قيل لبعضهم : من أصحب من الطوائف ؟ قال : الصوفية ، فإن للقبيح عندهم وجها من المعاذير ، وليس للكبير من العمل عندهم وقع ، يرفعونك به فتعجبك نفسك ، وهذا علم لا يوجد عند الفقير والزاهد ، لأن الزاهد يستعظم الترك ويستقبح الأخذ وهكذا الفقير ، وذلك لضيق وعائهم ووقوفهم على حد علمهم .

وقال بعضهم : الصوفى من إذا استقبله حالان حسنان أو خلقان حسنان يكون مع الأحسن ، والفقير والزاهد لا يميزان كل التمييز بين الخلقين الحسنين ، بل يختاران من الأخلاق أيضا ما هو أدعى إلى الترك والخروج عن شواغل الدنيا ، حاكمان فى ذلك بعلمهما ، والصوفى : هو المستبين الأحسن من عند الله بصدق التجائه وحسن إنابته وحظ قربه ولطيف ولوجه وخروجه إلى الله تعالى ، لعلمه بربه وحظه من محادثته ومكالمته .

قال رويم : التصوف استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد .

وقال عمرو بن عثمان المكى : التصوف أن يكون العبد فى كل وقت مشغولا بما هو أولى فى الوقت .

قال بعضهم : التصوف أوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة من الله تعالى : وقيل : التصوف ذكر مع اجتماع ، ووجد مع استماع ، وعمل مع اتباع . وقيل التصوف ترك التكلف وبذل الروح .

قال سهل بن عبد الله : الصوفى من صفا من الكدر ، وامتلأ من الفكر ، وانقطع إلى الله من البشر ، واستوى عنده الذهب والمدر .

وسئل بعضهم عن التصوف فقال ، تصفية القلب عن موافقة البرية . ومفارقة الأخلاق الطبيعية ، وإخماد صفات البشرية ، ومجانبة الدواعى النفسانية ، ومنازلة الصفات الروحانية ، والتعلق بعلوم الحقيقة ، واتباع الرسول فى الشريعة .

قال ذو النون المصرى : رأيت ببعض سواحل الشام امرأة ، فقلت : من أين أقبلت ؟ قالت : من عند أقوام تتجافى

جنوبهم عن المضاجع . فقلت : وأين تريدين ؟ قالت: إلى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، فقلت : صفيهم لى ، فأنشأت :

قوم همومهم بالله قد علقت * فما لهم همم تسمو إلى أحد
فطلب القوم مولاهم وسيدهم * يا حسن مطلبهم للواحد الصمد
ما إن تنازعهم دنيا ولا شرف * من المطاعم واللذات والولد
ولا للبس ثياب فائق أنق * ولا لروح سرور حل فى بلد
إلا مسارعة فى إثر منزلة * قد قارب الخطو فيها باعد الأبد
فهم رهائن غدران وأودية * وفى الشواخ تلقاهم مع العدد

وقال الجنيد : الصوفى كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح . وقال أيضا : هو كالأرض يطؤها البر والفاجر ، وكالسحاب يظل كل شىء ، وكالقطر يسقى كل شىء .

وأقوال المشايخ فى ماهية التصوف تزيد على ألف قول ، ويطول نقلها ، ونذكر ضابطا يجمع جمل معانيها ، فإن الألفاظ وإن اختلفت متقاربة المعانى . فنقول : الصوفى هو الذى يكون دائم التصفية لا يزال يصفى الأوقات عن شوب الأكدار بتصفية القلب عن شوب النفس ، ويعينه على كل هذه التصفية دوام افتقاره إلى مولاه ، فبدوام الافتقار ينقى من الكدر ، وكلما تحركت النفس وظهرت بصفة من صفاتها أدركها ببصيرته النافذة وفر منها إلى ربه ، فبدوام تصفيته جمعيته ، وبحركة نفسه تفرقته وكدره ، فهو قائم بربه على قلبه ، وقائم بقلبه على نفسه . قال الله تعالى ﴿ كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ﴾ وهذه القوامية لله على النفس هو التحقق بالتصوف ، قال بعضهم التصوف كله اضطراب ، فإذا وقع السكون فلا تصوف ، والسر فيه أن الروح مجذوبة إلى الحضرة الإلهية يعنى أن روح الصوفى متطلعة منجذبة إلى مواطن القرب ، وللنفس بوضعها رسوب إلى عالمها وانقلاب على عقبها ، ولا بد للصوفى من دوام الحركة بدوام الافتقار ودوام الفرار وحسن التفقد لمواقع إصابات النفس ، ومن وقف على هذا المعنى يجد فى معنى الصوفى جميع المتفرق فى الإشارات .

الباب السادس : فى ذكر تسميتهم بهذا الاسم

أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر ، وقال أخبرنى والدى ، قال أخبرنا أبو على الشافعى بمكة حرسها الله تعالى ، قال أخبرنا أحمد بن إبراهيم ، قال أخبرنا أبو جعفر محمد بن إبراهيم ، قال أخبرنا أبو عبد الله المخزومى ، قال حدثنا سفيان عن مسلم عن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة العبد ويركب الحمار ويلبس الصوف ، فمن هذا الوجه ذهب قوم إلى انهم سموا صوفية نسبة لهم إلى ظاهر اللبسة ، لأنهم اختاروا لبس الصوف لكونه أرفق ولكونه كان لباس الأنبياء عليهم السلام

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مر بالصخرة من الروحاء سبعون نبيا حفاة عليهم العباء يؤمون البيت الحرام » .

وقيل : إن عيسى عليه السلام كان يلبس الصوف والشعر ، ويأكل من الشجر ، ويبيت حيث أمسى .

وقال الحسن البصرى رضى الله عنه : لقد ادركت سبعين بدريا كان لباسهم الصوف ، ووصفهم أبو هريرة وفضالة ابن عبيد فقالا : كانوا يخرون من الجوع حتى يحسبهم الأعراب مجانين ، وكان لباسهم الصوف حتى إن بعضهم كان يعرق فى ثوبه فيوجد منه رائحة الضأن إذا أصابه الغيث . وقال بعضهم : إنه ليؤذينى ريح هؤلاء ، أما يؤذيك ريحهم ! يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، فكان اختيارهم للبس الصوف لتركهم زينة الدنيا ، وقناعتهم بسد الجوعة وستر العورة ، واستغراقهم فى أمر الآخرة ، فلم يتفرغوا لملاذ النفوس وراحاتها ، لشدة شغلهم بخدمة مولاهم ، وانصراف همهم إلى أمر الآخرة ، وهذا الاختيار يلائم ويناسب من حيث الاشتقاق ، لأنه يقال « تصوف » إذا لبس الصوف ، كما يقال « تقمص » إذا لبس القميص .

ولما كان حالهم بين سير وطير لتقلبهم فى الأحوال وارتقائهم من عال إلى أعلى منه ، لايقيدهم وصف ولا يحبسهم نعت ، وأبواب المزيد علما وحالا عليهم مفتوحة ، وبواطنهم معدن الحقائق ومجمع العلوم ، فلما تعذر تقيدهم بحال تقيدهم لتنوع وجدانهم وتجنس مزيدهم ، نسبوا إلى ظاهر اللبسة . وكان ذلك أبين فى الإشارة إليهم ، وأدعى إلى حصر وصفهم ؛ لأن لبس الصوف كان غالبا على المتقدمين من سلفهم ؛ وأيضاً لأن حالهم حال المقربين كما سبق ذكره . ولما كان الاعتزاء إلى القرب ـ وعظم الإشارة إلى قرب الله تعالى أمر صعب يعز كشفه والإشارة إليه ـ وقعت الإشارة إلى زيهم سترا لحالهم وغيرة على عزيز مقامهم أن تكثر الإشارة إليه وتتداوله الألسنة ، فكان هذا أقرب إلى الأدب، والأدب فى الظاهر والباطن والقول والفعل عماد أهل الصوفية ، وفيه معنى آخر : وهو أن نسبتهم إلى اللبسة تنبئ عن تقللهم من الدنيا وزهدهم فيما تدعو النفس إليه بالهوى من الملبوس الناعم ، حتى إن المبتدئ المريد الذى يؤثر طريقهم ويحب الدخول فى أمرهم يوطن نفسه على التقشف والتقلل ، ويعلم أن المأكول أيضا من جنس الملبوس فيدخل فى طريقهم على بصيرة ، وهذا أمر مفهوم معلوم عند المبتدئ ، والإشارة إلى شىء من حالهم فى تسميتهم بهذا أنفع وأولى ، وأيضا غير هذا المعنى مما يقال إنهم سموا صوفية لذلك يتضمن دعوى وإذا قيل سموا صوفية للبسهم الصوف كان أبعد من الدعوى ، وكلما كان أبعد من الدعوى كان أليق بحالهم ، وأيضاً لأن لبس الصوف حكم ظاهر على الظاهر من أمرهم ، ونسبتهم من أمر آخر من حال أو مقام أمر باطن ، والحكم بالظاهر أوفق وأولى ؛ فالقول بأنهم سموا صوفية للبسهم الصوف أليق وأقرب إلى التواضع ، ويقرب أن يقال : لما آثروا الذبول والخمول والتواضع والانكسار والتخفى والتوارى ، كانوا كالخرقة الملقاة والصوفة المرمية التى لايرغب فيها ولا يلتفت إليها ؛ فيقال « صوفى » نسبة إلى الصوفة ، كما يقال « كوفى » نسبة إلى الكوفة ، وهذا ماذكره بعض أهل العلم ، والمعنى المقصود به قريب ويلائم الاشتقاق ، ولم يزل لبس الصوف اختيار الصالحين والزهاد والمتقشفين والعباد .

أخبرنا أبو زرعة طاهر عن أبيه ، قال أخبرنا عبد الرزاق بن عبد الكريم ، قال أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد ، قال حدثنا أبو على بن اسماعيل بن محمد ، قال حدثنا الحسن بن عرفة ، قال حدثنا خلف بن خليفة عن حميد بن الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوم كلم الله تعالى موسى عليه السلام كان عليه جبة صوف وسراويل صوف وكساء صوف وكمه من صوف ونعلاه من جلد حمار غير مذكى .

وقيل : سموا صوفية لأنهم فى الصف الأول بين يدى الله عزوجل بارتفاع هممهم وإقبالهم على الله تعالى بقلوبهم ووقوفهم بسرائرهم بين يديه وقيل : كان هذا الاسم فى الأصل صفوى ، فاستثقل ذلك وجعل صوفيا . وقيل سموا صوفية نسبة إلى الصفة التى كانت لفقراء المهاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لايستطيعون ضربا فى الأرض ﴾ الآية ، وهذا وإن كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوى ولكنه صحيح من حيث المعنى ؛ لأن الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك لكونهم مجتمعين متألفين متصاحبين لله وفى الله ، كأصحاب الصفة ، وكانوا نحوا من أربعمائة رجل لم تكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر ، جمعوا أنفسهم فى المسجد كاجتماع الصوفية قديما وحديثا فى الزوايا والربط ، وكانوا لايرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع ولا إلى تجارة ، كانوا يحتطبون ويرضخون النوى بالنهار ، وبالليل يشتغلون بالعبادة وتعلم القرآن وتلاوته ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواسيهم ويحث الناس على مواساتهم ويجلس معهم ويأكل معهم ، وفيهم نزل قوله تعالى ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ﴾ وقوله تعالى ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ﴾ ونزل فى ابن أم مكتوم قوله تعالى ﴿ عبس وتولى أن جاءه الأعمى ﴾ وكان من أهل الصفة ، فعوتب النبى صلى الله عليه وسلم لأجله ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صافحهم لا ينزع يده من أيديهم ، وكان يفرقهم على أهل الجدة والسعة يبعث مع كل واحد ثلاثة ومع الآخر أربعة ، وكان سعد بن معاذ يحمل إلى بيته منهم ثمانين يطعمهم .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : لقد رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون فى ثوب واحد ، منهم من لا يبلغ ركبتيه ، فإذا ركع أحدهم قبض بيديه مخافة أن تبدو عورته . وقال بعض أهل الصفة : جئنا جماعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلنا يارسول الله ، أحرق بطوننا التمر فسمع بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر ثم قال : مابال أقوام يقولون أحرق بطوننا التمر ، أما علمتم أن هذا التمر هو طعام أهل المدينة وقد واسونا به وواسيناكم بما واسونا به ، والذى نفس محمد بيده إن منذ شهرين لم يرتفع من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دخان للخبز، وليس لهم إلا الأسودان الماء والتمر .

أخبرنا الشيخ أبو الفتوح محمد بن عبد الباقى فى كتابه ، قال أخبرنا الشيخ أبو بكر ابن زكريا الطريثيثى قال أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى ، قال حدثنا محمد بن محمد بن سعيد الأنماطى ، قال حدثنا الحسن بن يحيى بن سلام ، قال حدثنا محمد بن على الترمذى ، قال حدثنى سعيد بن حاتم البلخى ، قال حدثنا سهل بن أسلم عن خلاد بن محمد عن أبى عبد الرحمن السكرى عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهم قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على أهل الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال « أبشروا يا أصحاب الصفة فمن بقى منكم على النعت الذى أنتم عليه اليوم راضيا بما هو فيه فإنه من رفقائى يوم القيامة » .

وقيل : كان منهم طائفة بخراسان يأوون إلى الكهوف والمغارات ولا يسكنون القرى والمدن ، ويسمونهم فى خراسان شكفتية ؛ لأن « شكفت » اسم الغار ، ينسبونهم إلى المأوى والمستقر وأهل الشام يسمونهم جوعية ، والله تعالى ذكر فى القرآن طوائف الخير والصلاح فسمى قوما أبرارا وآخرين مقربين، ومنهم الصابرون والصادقون ، والذاكرون، والمحبون ، واسم الصوفى مشتمل على جميع المتفرق فى هذه الأسماء المذكورة ، وهذا الاسم لم يكن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل كان فى زمن التابعين . ونقل عن الحسن البصرى رحمة الله عليه أنه قال رأيت صوفيا فى الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذ وقال معى أربع دوانيق يكفينى مامعى ويشيد هذا ماروى عن سفيان أنه قال لولا أبو هاشم الصوفى ماعرفت دقيق الرياء . وهذا يدل على أن هذا الاسم كان يعرف قديما وقيل لم يعرف هذا الاسم إلى المائتين من الهجرة العربية ؛ لأن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمون الرجل صحابيا لشرف صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكون الإشارة إليها أولى من كل إشارة ، وبعد انقراض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ منهم العلم سمى تابعيا ، ثم لما تقادم زمان الرسالة ، وبعد عهد النبوة وانقطع الوحى السماوى ، وتوارى النور المصطفوى ، واختلفت الآراء وتنوعت الأهواء ، وتفرد كل ذى رأى برأيه وكدر شرب العلوم شوب الأهوية ، وتزعزعت أبنية المتقين ، واضطربت عزائم الزاهدين، وغلبت الجهالات وكثف حجابها ، وكثرت العادات وتملكت أربابها ، وتزخرفت الدنيا وكثر خطابها ـ تفرد طائفة بأعمال صالحة وأحوال سنية وصدق فى العزيمة وقوة فى الدين ، وزهدوا فى الدنيا ومحبتها ، واغتنموا العزلة والوحدة ، واتخذوا لنفوسهم زوايا يجتمعون فيها تارة وينفردون أخرى ، أسوة بأهل الصفة ، تاركين للأسباب ، متبتلين إلى رب الأرباب؛ فأثمر لهم صالح الأعمال سنى الأحوال ، وتهيأ لهم صفاء الفهوم لقبول العلوم ، وصار لهم بعد اللسان لسان ، وبعد العرفان عرفان، وبعد الإيمان إيمان ، كما قال حارثة أصبحت مؤمنا حقا ، حيث كوشف برتبة فى الإيمان غير مايتعاهدها ، فصار لهم بمقتضى ذلك علوم يعرفونها وإشارات يتعاهدونها، فحرروا لنفوسهم اصطلاحات تشير إلى معان يعرفونها وتعرب عن أحوال يجدونها ، فأخذ ذلك الخلف عن السلف ، حتى صار ذلك رسما مستمرا وخبرا مستقرا فى كل عصر وزمان؛ فظهر هذا الاسم بينهم وتسموا به وسموا به؛ فالاسم سمتهم، والعلم بالله صفتهم، والعبادة حليهم، والتقوى شعارهم، وحقائق الحقيقة أسرارهم ، نزاع القبائل وأصحاب الفضائل ، سكان قباب الغيرة وقطان ديار الحيرة ، لهم مع الساعات من إمداد فضل الله مزيد ، ولهيب شوقهم يتأجج ويقول هل من مزيد اللهم احشرنا فى زمرتهم وارزقنا حالاتهم . والله أعلم .

الباب السابع : فى ذكر المتصوف والمتشبه به

أخبرنا شيخنا شيخ الإسلام أبو النجيب السهروردى إجازة ، قال اخبرنا الشيخ أبو منصور بن خيرون ، قال أخبرنا أبو محمد الحسن بن على الجوهرى إجازة ، قال أخبرنا محمد بن العباس بن زكريا ، قال أخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد الأصفهانى ، قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزى ، قال أخبرنا عبد الله بن المبارك ، قال أخبرنا المعتمر بن سليمان ، قال أخبرنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : جاء رجل إلى النبى عليه الصلاة والسلام فقال : يارسول الله متى قيام الساعة ؟ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة ، فلما قضى الصلاة قال « أين السائل عن الساعة ؟ » فقال الرجل : أنا يا رسول الله ، قال « ما أعددت لها » ؟ قال : ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام - أو قال ماأعددت لها كبير عمل - إلا أنى أحب الله ورسوله ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام « المرء مع من أحب أو أنت مع من أحببت » قال أنس : فما رأيت المسلمين فرحوا بشىء بعد الاسلام فرحهم بهذا ، فالمتشبه بالصوفية ما اختار التشبه بهم دون غيرهم من الطوائف إلا لمحبته إياهم ، وهو مع تقصيره عن القيام بما هم فيه يكون معهم لموضع إرادته ومحبته ، وقد ورد بلفظ آخر أوضح من الخبر الذى رويناه فى المعنى ؛ روى عبادة بن الصامت عن أبى ذر الغفارى قال : قلت يارسول الله ، الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل كعملهم ! قال « أنت ياأباذر مع من أحببت » قال : قلت فإنى أحب الله ورسوله ، قال « فإنك مع من أحببت » قال : فأعادها أبو ذر ، فأعادها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . فمحبة المتشبه إياهم لاتكون إلا لتنبه روحه لما تنبهت له أرواح الصوفية ؛ لأن محبة أمر الله ومايقرب منه ومن يقرب منه ، تكون بجاذب الروح ، غير أن المتشبه تعوق بظلمة النفس ، والصوفى تخلص من ذلك ، والمتصوف متطلع إلى حال الصوفى ، وهو مشارك ببقاء شىء من صفات نفسه عليه للمتشبه ، وطريق الصوفية أوله إيمان ثم علم ثم ذوق ؛ فالمتشبه صاحب إيمان . والإيمان بطريق الصوفية أصل كبير . قال الجنيد رحمة الله عليه : الإيمان بطريقنا هذا ولاية ، ووجه ذلك أن الصوفية تميزوا بأحوال عزيزة وآثار مستغربة عند أكثر الخلق ؛ لأنهم مكاشفون بالقدر وغرائب العلوم وإشاراتهم إلى عظيم أمر الله والقرب منه ، والإيمان بذلك إيمان بالقدرة . وقد أنكر قوم من أهل الملة كرامات الأولياء والإيمان بذلك إيمان بالقدرة ، ولهم علوم من هذا القبيل فلا يؤمن بطريقهم إلا من خصه الله تعالى بمزيد عنايته ، فالمتشبه صاحب إيمان والمتصوف صاحب علم ، لأنه بعد الإيمان اكتسب مزيد علم بطريقهم وصار له من ذلك مواجيد يستدل بها على سائرها ، والصوفى صاحب ذوق ، فللمتصوف الصادق نصيب من حال الصوفى ، وللمتشبه نصيب من حال المتصوف ، وهكذا سنة الله تعالى جارية أن كل صاحب حال له ذوق فيه لابد أن يكشف له علم بحال أعلى مما هو فيه ، فيكون فى الحال الأول صاحب ذوق ، وفى الحال الذى كوشف به صاحب علم ، وبحال فوق ذلك صاحب إيمان ، حتى لايزال طريق الطلب مسلوكا ، فيكون فى حال الذوق صاحب قدم ، وفى حال العلم صاحب نظر ، وفى حال فوق ذلك صاحب إيمان . قال الله تعالى ﴿ إن الأبرار لفى نعيم على الأرائك ينظرون ﴾ وصف الأبرار ووصف شرابهم ثم قال سبحانه وتعالى ﴿ ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ﴾ فكان لشراب الأبرار مزج من شراب المقربين ، وللمقربين ذلك صرفا ؛ فللصوفى شراب صرف ، وللمتصوف من ذلك مزج فى شرابه ، وللمتشبه مزج من شراب المتصوف ؛ فالصوفى سبق إلى مقار الروح من بساط القرب ، والمتصوف بالنسبة إلى الصوفى كالمتزهد بالنسبة إلى الزاهد ، لأنه تفعل وتعمل وتسبب إشارة إلى ما بقى عليه من وصفه ، فهو مجتهد فى طريقه سائر إلى ربه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سيروا ، سبق المفردون » قيل : من المفردون يارسول الله ؟ قال « المستترون بذكر الله وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا » فالصوفى فى مقام المفردين ، والمتصوف فى مقام السائرين واصل فى سيره مقار القلب من ذكر الله عز وجل ومراقبته بقلبه وتلذذه بنظره إلى نظر الله إليه ؛ فالصوفى فى مقار الروح صاحب مشاهدة ، والمتصوف فى مقار القلب

صاحب مراقبة ، والمتشبه فى مقاومة النفس صاحب مجاهدة وصاحب محاسبة ؛ فتلوين الصوفى بوجود قلبه ، وتلوين المتصوف بوجود نفسه ، والمتشبه لا تلوين له لأن التلوين لأرباب الأحوال ، والمتشبه مجتهد سالك لم يصل بعد إلى الأحوال ، والكل تجمعهم دائرة الاصطفاء . قال الله تعالى ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات﴾ قال بعضهم : الظالم الزاهد ، والمقتصد العارف ، والسابق المحب .

وقال بعضهم : الظالم الذى يجزع من البلاء ، والمقتصد الذى يصبر عند البلاء ، والسابق الذى يتلذذ بالبلاء . وقال بعضهم : الظالم يعبد على الغفلة والعادة ، والمقتصد يعمد على الرغبة والرهبة ، والسابق يعبد على الهيبة والمنة . وقال بعضهم : الظالم يذكر الله بلسانه ، والمقتصد بقلبه ، والسابق لاينسى ربه . وقال أحمد بن عاصم الأنطاكى رحمه الله : الظالم : صاحب الأقوال، والمقتصد : صاحب الأفعال ، والسابق : صاحب الأحوال . وكل هذه الأقوال قريبة التناسب من حال الصوفى والمتصوف والمتشبه ، وكلهم من أهل الفلاح والنجاح ، تجمعهم دائرة الاصطفاء ، وتؤلف بينهم نسبة التخصص بالمنح والعطاء .

أخبرنا الشيخ العالم رضى الدين أبو الخير أحمد بن اسمعيل القزوينى إجازة ، قال : أخبرنا أبو سعد محمد بن أبى العباس ، قال أخبرنا القاضى محمد بن سعيد ، قال أخبرنا أبو إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم ، قال أخبرنى الحسين بن محمد بن فتحويه ، قال حدثنا أحمد بن محمد بن رزمة ، قال حدثنا يوسف بن عاصم الرازى ، قال حدثنا أبو أيوب سليمان بن داود ، قال حدثنا حصين بن نمير عن أبى ليلى عن أخيه عن أسامة بن زيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فى قوله تعالى ﴿فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات﴾ « كلهم فى الجنة » .

قال ابن عطاء : الظالم : الذى يحب الله من أجل الدنيا ، والمقتصد الذى يحب الله من أجل العقبى ، والسابق : هو الذى أسقط مراده بمراد الله فيه ، وهذا هو حال الصوفى ؛ فالمتشبه تعرض لشىء من أمر القوم ، ويوجب له ذلك القرب منهم ، والقرب منهم مقدمة كل خير .

سمعت شيخنا يقول : جاء بعض أبناء الدنيا إلى الشيخ أحمد الغزالى ونحن بأصبهان يريد منه الخرقة ، فقال له الشيخ اذهب إلى فلان يشير إلى حتى يكلمك فى معنى الخرقة ، ثم احضر حتى ألبسك الخرقة ، قال فجاء إلى فذكرت له حقوق الخرقة ومايجب من رعاية حقها وآداب من يلبسها ومن يؤهل للبسها ، فاستعظم الرجل حقوق الخرقة وجبن أن يلبسها ، فأخبر الشيخ بما تجدد عند الطالب من قولى له ، فاستحضرنى وعاتبنى على قولى له ذلك وقال بعثته إليك حتى تكلمه بمايزيد رغبته فى الخرقة ، فكلمته بمافترت عزيمته ! ثم الذى ذكرته كله صحيح ، وهو الذى يجب من حقوق الخرقة ، ولكن إذا ألزمنا المبتدى بذلك نفر وعجز عن القيام به ، فنحن نلبسه الخرقة حتى يتشبه بالقوم ويتزيى بزيهم فيقربه ذلك من مجالسهم ومحافلهم ، وببركة مخالطته معهم ونظره إلى أحوال القوم وسيرهم يحب أن يسلك مسالكهم ويصل بذلك إلى شىء من أحوالهم .

ويوافق هذا القول من الشيخ أحمد الغزالى ما أخبرنا شيخنا رحمه الله قال أخبرنا عصام الدين عمر بن أحمد الصفار قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن على بن خلف قال أخبرنا الشيخ عبد الرحمن السلمى قال سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفرا يقول سمعت أبا القاسم الجنيد يقول إذا لقيت الفقير فلا تبدأه بالعلم وابدأه بالرفق ، فإن العلم يوحشه والرفق يؤنسه ، وبرفق الصوفية بالمتشبهين بهم ينتفع المبتدى الطالب ، وكل من كان منهم أكمل حالا وأوفر علما كان أكثر رفقا بالمبتدى الطالب

حكى عن بعضهم أنه صحبه طالب فكان يأخذ نفسه بكثرة المعاملات والمجاهدات ولم يقصد بذلك إلا نظر المبتدى إليه والتأدب بأدبه والاقتداء به فى عمله وهذا هو الرفق الذى مادخل فى شىء إلا زانه ، فالمتشبه الحقيق له إيمان بطريق القوم وعمل بمقتضاه وسلوك واجتهاد ، على ماذكرناه أنه صاحب مجاهدة ومحاسبة ، ثم يصير متصوفا صاحب مراقبة ثم يصير صوفيا صاحب مشاهدة ، فأما من لم يتطلع إلى حال التصوف والصوفى بالتشبه ولا يقصد أوائل

مقاصدهم بل هو مجرد تشبه ظاهر من ظاهر اللبسة والمشاركة فى الزى والصورة دون السيرة والصفة ، فليس بمتشبه بالصوفية ، لأنه غير محاك لهم بالدخول فى بداياتهم ، فإذن هو متشبه بالمتشبه يعتزى إلى القوم بمجرد لبسه ومع ذلك هم القوم لايشقى بهم جليسهم ، وقد ورد « من تشبه بقوم فهو منهم » أخبرنا الشيخ أبو الفتح محمد بن سليمان ، قال أخبرنا الحافظ أبو نعيم الأصفهانى ، قال أخبرنا عبدالله بن جعفر ، قال حدثنا عمر بن أحمد بن أبى عاصم ، قال حدثنا إبراهيم بن محمد الشافعى ، قال حدثنا على بن أحمد ، قال حدثنا على بن على المقدسى ، قال حدثنا محمد بن عبدالله بن عامر ، قال حدثنا إبراهيم بن الأشعث ، قال حدثنا فضيل بن عياض عن سليمان الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله ملائكة فضلا عن كتاب الناس يطوفون فى الطرق ويتتبعون مجالس الذكر ، فإذا رأوا قوما يذكرون الله تنادوا : هلموا إلى حاجاتكم ، فيحفون بأجنحتهم إلى عنان السماء ، فيقول الله وهو أعلم مايقول عبادى ؟ قالوا يحمدونك ويسبحونك ويمجدونك ، فيقول وهل رأونى ؟ فيقولون لا ، فيقول كيف لو رأونى ؟ قالوا لو رأوك كانوا أشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا ، فيقول مايسألونى ؟ قالوا : يسألونك الجنة ، فيقول : وهل رأوها ؟ قالوا : لا ، فيقول : كيف لو رأوها ؟ قالوا : لو رأوها كانوا أشد لها طلبا وعليها أكثر حرصا ، قالوا : ويتعوذون من النار ، فيقول : وهل رأوها ؟ قالوا : لا ، فيقول كيف لو رأوها ؟ قالوا : كانوا أشد منها تعوذا وأشد فرارا ، فيقول أشهدكم أنى قد غفرت لهم ، فيقول الملك فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة ، فيقول تبارك وتعالى هم الجلساء لايشقى جليسهم » فلا يشقى جليس الصوفية والمتشبه بهم والمحب لهم

الباب الثانى : فى ذكر الملامتى وشرح حاله

وقال بعضهم الملامتى هو الذى لايظهر خيرا ، ولايضمر شرا ، وشرح هذا هو أن الملامتى تشربت عروقه طعم الإخلاص ، وتحقق بالصدق ، فلايحب أن يطلع أحد على حاله وأعماله .

أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر بن أبى الفضل المقدسى إجازة قال أخبرنا أبو بكر على بن خلف الشيرازى إجازة ، قال أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى ، قال سمعت على بن سعيد وسألته عن الإخلاص ماهو ؟ قال سمعت على بن إبراهيم وسألته عن الإخلاص ماهو ؟ قال سمعت محمد بن جعفر الخصاف وسألته عن الإخلاص ماهو ؟ قال سألت أحمد بن بشار عن الإخلاص ماهو ؟ قال : سألت أبا يعقوب الشروطى عن الإخلاص ماهو ؟ قال سألت أحمد بن غسان عن الإخلاص ماهو ؟ قال سألت أحمد بن على الجهمى عن الإخلاص ماهو ؟ قال سألت عبد الواحد بن زيد عن الإخلاص ماهو ؟ قال سألت الحسن عن الإخلاص ماهو ؟ قال سألت حذيفة عن الإخلاص ماهو ؟ قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإخلاص ماهو ؟ قال « سألت جبرائيل عن الإخلاص ماهو ؟ قال سألت رب العزة عن الإخلاص ماهو ؟ قال : هو سر من سرى استودعته قلب من أحببت من عبادى » .

فالملامتية لهم مزيد اختصاص بالتمسك بالإخلاص ، يرون كتم الأحوال والأعمال ، ويتلذذون بكتمها ، حتى لو ظهرت أعمالهم وأحوالهم لأحد استوحشوا من ذلك كما يستوحش العاصى من ظهور معصيته ، فالملامتى عظم وقع الإخلاص وموضعه وتمسك به معتدا به ، والصوفى غاب فى إخلاصه عن إخلاصه . قال أبو يعقوب السوسى متى شهدوا فى إخلاصهم الإخلاص احتاج إخلاصهم إلى إخلاص . وقال ذو النون ثلاث من علامات الإخلاص . استواء الذم والمدح من العامة ، ونسيان رؤية الأعمال فى الأعمال ، وترك اقتضاء ثواب العمل فى الآخرة .

أخبرنا أبو زرعة إجازة قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن على بن خلف إجازة قال : أخبرنا أبو عبد الرحمن قال : سمعت أبا عثمان المغربى يقول : الإخلاص مالايكون للنفس فيه حظ بحال ، وهذا إخلاص العوام ، وإخلاص الخواص مايجرى عليهم لابهم ، فتبدو منهم الطاعات وهم عنها بمعزل ولايقع لهم عليها رؤية ولا بها اعتداد ، فذلك إخلاص الخواص ، وهذا الذى فصله الشيخ أبو عثمان المغربى يفرق بين الصوفى والملامتى ، لأن الملامتى أخرج الخلق عن عمله وحاله ، ولكن أثبت

نفسه فهو مخلص ، والصوفى أخرج نفسه عن عمله وحاله كما أخرج غيره فهو مخلص ، وشتان ما بين المخلص الخالص والمخلص

قال أبو بكر الزقاق : نقصان كل مخلص فى إخلاصه رؤية إخلاصه ، فإذا أراد الله أن يخلص إخلاصه أسقط عن إخلاصه رؤيته لإخلاصه ، فيكون مخلصا لا مخلصا . قال أبو سعيد الخراز : رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين . ومعنى قوله أن إخلاص المريدين معلول برؤية الإخلاص ، والعارف منزه عن الرياء الذى يبطل العمل ، ولكن لعله يظهر شيئا من حاله وعمله بعلم كامل عنده فيه لجذب مريد أو معاناة خلق من أخلاق النفس فى إظهار الحال والعمل ، وللعارفين فى ذلك علم دقيق لا يعرفه غيرهم ، فيرى ذلك ناقص العلم صورة رياء وليس برياء ، وإنما هو صريح العلم لله بالله من غير حضور نفس ووجود آفة فيه .

قال رويم : الإخلاص أن لا يرضى صاحبه عليه عوضا فى الدارين ، ولا حظا من الملكين .

وقال بعضهم : صدق الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الحق ، والملامتى يرى الخلق فيخفى عمله وحاله

وكل ما ذكرناه من قبيل وصف إخلاص الصوفى ، ولهذا قال الزقاق . لا بد لكل مخلص من رؤية إخلاصه ، وهو نقصان عن كمال الإخلاص ، والإخلاص هو الذى يتولى الله حفظ صاحبه حتى يأتى به على التمام .

قال جعفر الخلدى : سألت أبا القاسم الجنيد رحمه الله ، قلت : أبين الاخلاص والصدق فرق ؟ قال : نعم ، الصدق أصل وهو الأول ، والإخلاص فرع وهو تابع ، وقال بينهما فرق لأن الإخلاص لا يكون إلا بعد الدخول فى العمل ثم قال إنما هو إخلاص ، ومخالصة الاخلاص ، وخالصة كائنة فى المخالصة ، فعلى هذا الإخلاص حال الملامتى ، ومخالصة الإخلاص حال الصوفى ، والخالصة الكائنة من المخالصة ثمرة مخالصة الإخلاص وهو فناء العبد عن رسومه برؤية قيامه بقيومه ، بل غيبيه عن رؤية قيامه وهو الاستغراق فى العين عن الآثار والتخلص عن لوث الاستتار وهو فقد حال الصوفى . والملامتى مقيم فى أوطان إخلاصه غير متطلع إلى حقيقة خلاصه ، وهذا فرق واضح بين الملامتى والصوفى ولم يزل فى خراسان منهم طائفة ولهم مشايخ يعهدون أساسهم ويعرفونهم شروط حالهم . وقد رأينا فى العراق من يسلك هذا المسلك ولكن لم يشتهر بهذا الاسم ، وقلما يتداول ألسنة أهل العراق هذا الاسم .

حكى أن بعض الملامتية استدعى إلى سماع فامتنع ، فقيل له فى ذلك فقال لأنى إن حضرت يظهر على وجد ، ولا أوثر أنه يعلم أحد حالى .

وقيل إن أحمد بن أبى الحوارى قال لأبى سليمان الدارانى إنى إذا كنت فى الخلوة أجد لمعاملتى لذة لا أجدها بين الناس ، فقال له إنك إذاً لضعيف ، فالملامتى وإن كان متمسكا بعروة الإخلاص مستفرشا بساط الصدق ، ولكن بقى عليه بقية رؤية الخلق ، وما أحسنها من بقية تحقق الإخلاص والصدق ، والصوفى صفا من هذه البقية فى طرفى العمل والترك للخلق وعزلهم بالكلية ، ورآهم بعين الفناء والزوال ، ولاح له ناصية التوحيد ، وعاين سر قوله ﴿ كل شىء هالك إلا وجهه ﴾ كما قال بعضهم فى بعض غلباته ليس فى الدارين غير الله ، وقد يكون إخفاء الملامتى الحال على وجهين أحد الوجهين لتحقيق الإخلاص والصدق ، والوجه الآخر وهو الأتم لستر الحال عن غيره بنوع غيرة ، فإن من خلا بمحبوبه يكره اطلاع الغير عليه ، بل يبلغ فى صدق المحبة أن يكره اطلاع أحد على حبه لمحبوبه ، وهذا وإن علا فى طريق الصوفى علة ونقص ، فعلى هذا يتقدم الملامتى على المتصوف ويتأخر عن الصوفى .

وقيل إن من أصول الملامتية أن الذكر على أربعة أقسام ذكر باللسان ، وذكر بالقلب ، وذكر بالسر وذكر بالروح . فإذا صح ذكر الروح سكت السر والقلب واللسان عن الذكر ، وذلك ذكر المشاهدة . وإذا صح ذكر السر سكت القلب واللسان عن الذكر ، وذلك ذكر الهيبة . وإذا صح ذكر القلب فتر اللسان عن الذكر ، وذلك ذكر الآلاء والنعماء . وإذا غفل القلب عن الذكر أقبل اللسان على الذكر وذلك ذكر العادة ، ولكل واحد من هذه الأذكار عندهم آفة ، فآفة ذكر الروح اطلاع السر عليه ، وآفة ذكر السر اطلاع القلب عليه ، وآفة ذكر القلب اطلاع النفس عليه ، وآفة ذكر النفس رؤية ذلك وتعظيمه ، أو طلب ثوابه ، أو ظن أنه يصل إلى شىء من المقامات

وأقل الناس قيمة عندهم من يريد إظهاره وإقبال الخلق عليه بذلك ، وسر هذا الأصل الذى بنو عليه أن ذكر الروح ذكر الذات ، وذكر السر ذكر الصفات بزعمهم ، وذكر القلب من الآلاء والنعماء ذكر أثر الصفات ، وذكر النفس متعرض للعلات ؛ فمعنى قولهم «اطلاع السر على الروح» يشيرون إلى التحقق بالفناء عند ذكر الذات وذكر الهيبة فى ذلك الوقت ذكر الصفات مشعر بنصيب الهيبة ، وهو وجود الهيبة ، ووجود الهيبة يستدعى وجودا وبقية ، وذلك يناقض حال الفناء ، وهكذا ذكر السر وجود هيبة وهو ذكر الصفات مشعر بنصيب القرب ، وذكر القلب الذى هو ذكر الآلاء والنعماء مشعر ببعد ما ، لأنه اشتغال بذكر النعمة وذهول عن المنعم . والاشتغال برؤية العطاء عن رؤية المعطى ضرب من بعد المنزلة واطلاع النفس ، نظرا إلى الأعواض اعتدادا بوجود العمل ، وذلك عين الاعتدال حقيقة ، وهذه أقسام هذه الطائفة ، وبعضها أعلم من بعض ، والله أعلم .

الباب التاسع : فى ذكر من انتمى إلى الصوفية وليس منهم

فمن أولئك قوم يسمون نفوسهم قلندرية تارة وملامتية أخرى ؛ وقد ذكرنا حال الملامتى ، وأنه حال شريف ومقام عزيز ، وتمسك بالسنن والآثار ، وتحقق بالإخلاص والصدق ، وليس مما يزعم المفتونون بشىء .

فأما القلندرية فهو إشارة إلى أقوام ملكهم سكر طيبة قلوبهم حتى خربوا العادات ، وطرحوا التقييد بآداب المجالسات والمخالطات ، وساحوا فى ميادين طيبة قلوبهم ؛ فقلت أعمالهم من الصوم والصلاة إلا الفرائض ، ولم يبالوا بتناول شىء من لذات الدنيا من كل ما كان مباحا برخصة الشرع ، وربما اقتصروا على رعاية الرخصة ولم يطلبوا حقائق العزيمة ، ومع ذلك هم متمسكون بترك الادخار ، وترك الجمع والاستكثار ، ولا يترسمون بمراسم المتقشفين والمتزهدين والمتعبدين ، وقنعوا بطيبة قلوبهم مع الله تعالى ، واقتصروا على ذلك وليس عندهم تطلع إلى طلع مزيد سوى ما هم عليه من طيبة القلوب ، والفرق بين الملامتى والقلندرى : أن الملامتى يعمل فى كتم العبادات والقلندرى يعمل ، فى تخريب العادات ، والملامتى يتمسك بكل أبواب البر والخير ويرى الفضل فيه ، ولكن يخفى الأعمال والأحوال ويوقف نفسه موقف العوام فى هيئته وملبوسه وحركاته وأموره وسترا للحال لئلا يفطن له ، وهو مع ذلك متطلع إلى طلب المزيد باذل مجهوده فى كل ما يتقرب به العبيد . والقلندرى لا يتقيد بهيئة ولا يبالى بما يعرف من حاله وما لا يعرف ، ولا يتعطف إلا على طيبة القلوب وهو رأس ماله ، والصوفى يضع الأشياء مواضعها ويدبر الأوقات والأحوال كلها بالعلم ، يقيم الخلق مقامه ويقيم أمر الحق مقامهم ، ويستر ما ينبغى أن يستر ويظهر ما ينبغى أن يظهر ، ويأتى بالأمور فى موضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق وإخلاص ، فقوم من المفتونين سموا أنفسهم ملامتية ولبسوا لبسة الصوفية لينتسبوا بها إلى الصوفية وما هم من الصوفية بشىء ، بل هم فى غرور وغلط ، يتسترون بلبسة الصوفية توقيتا تارة ودعوى أخرى ، وينتهجون مناهج أهل الإباحة ، ويزعمون أن ضمائرهم خلصت إلى الله تعالى ، ويقولون : هذا هو الظفر بالمراد ، والارتسام بمراسم الشريعة رتبة العوام والقاصرين الأفهام المنحصرين فى مضيق الاقتداء تقليدا ، وهذا هو عين الإلحاد والزندقة والإبعاد ، فكل حقيقة ردتها الشريعة فهى زندقة ، وجهل هؤلاء المغرورون أن الشريعة حق العبودية ، والحقيقة هى حقيقة العبودية ، ومن صار من أهل الحقيقة تقيد بحقوق العبودية وصار مطالبا بأمور وزيادات لا يطالب بها من لم يصل إلى ذلك ، لأنه يخلع عن عنقه ربقة التكليف ويخامر باطنه الزيغ والتحريف .

أخبرنا أبو زرعة عن أبيه المقدسى قال أخبرنا أبو محمد الخطيب ، حدثنا أبو بكر بن محمد بن عمر ، قال حدثنا أبو بكر بن أبى داود ، قال حدثنا أحمد بن صالح ، قال حدثنا عنبسة قال حدثنا يونس بن يزيد ، قال قال محمد يعنى الزهرى ، أخبرنى حميد بن عبد الرحمن أن عبدالله بن عتبة بن مسعود حدثه قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الوحى قد انقطع ، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه ، وليس إلينا من سريرته شىء ؛ الله تعالى يحاسبه فى

سريرته : ومن أظهر لنا سوى ذلك لم نأمنه وإن قال سريرتى حسنة وعنه أيضا رضى الله عنه قال : من عرض نفسه للتهم فلا يلومن من أساء به الظن ؛ فإذا رأينا متهاونا بحدود الشرع مهملا للصلوات المفروضات لا يعتد بحلاوة التلاوة والصوم والصلاة ويدخل فى المداخل المكروهة المحرمة ، نرده ولا نقبله ولا نقبل دعواه أن له سريرة صالحة .

أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى إجازة عن عمر بن أحمد عن أبى خلف عن السلمى ؛ قال : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت أبا محمد الجريرى يقول : سمعت الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة ، فقال الرجل : أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقوى إلى الله تعالى : فقال الجنيد : إن هذا قول قوم تكلموا باسقاط الأعمال ، وهذه عندى عظيمة ، والذى يسرق ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا ؛ وإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله وإليه يرجعون فيها ، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة ؛ إلا أن يحال بى دونها ؛ وإنها لآكد فى معرفتى وأقوى لحالى . ومن جملة أولئك قوم يقولون بالحلول ويزعمون أن الله تعالى يحل فيهم ويحل فى أجسام يصطفيها ، ويسبق لأفهامهم معنى من قول النصارى فى اللاهوت والناسوت . ومنهم من يستبيح النظر إلى المستحسنات إشارة إلى هذا الوهم ، ويتخايل له أن من قال كلمات فى بعض غلباته كان مضمرا لشىء مما زعموه ، مثل قول الحلاج : أنا الحق ، ومايحكى عن أبى يزيد من قوله : سبحانى ، حاشا أن نعتقد فى أبى يزيد أنه يقول ذلك إلا على معنى الحكاية عن الله تعالى ، وهكذا ينبغى أن يعتقد فى قول الحلاج ذلك ، ولو علمنا أنه ذكر ذلك القول مضمرا لشىء من الحلول رددناه كما نردهم ، وقد أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشريعة بيضاء نقية يستقيم بها كل معوج ، وقد دلتنا عقولنا على ما يجوز وصف الله تعالى به وما لا يجوز ، والله تعالى منزه أن يحل به شىء أو يحل بشىء ، حتى لعل بعض المفتونين يكون عنده ذكاء وفطنة غريزية : ويكون قد سمع كلمات تعلقت بباطنه فيتألف له فى فكره كلمات ينسبها إلى الله تعالى وأنها مكالمة الله إياه ، مثل أن يقول : قال لى وقلت له ، وهذا رجل إما جاهل بنفسه وحديثها جاهل بربه وبكيفية المكالمة والمحادثة : وإما عالم ببطلان مايقول ، يحمله هواه على الدعوى بذلك ليوهم أنه ظفر بشىء ، وكل هذا ضلال ، ويكون سبب تجرئه على هذا ماسمع من كلام بعض المحققين مخاطبات وردت عليهم بعد طول معاملات لهم ظاهرة وباطنة ، وتمسكهم بأصول القوم من صدق التقوى وكمال الزهد فى الدنيا ، فلما صفت أسرارهم تشكلت فى سرائرهم مخاطبات موافقة للكتاب والسنة ، فنزلت بهم تلك المخاطبات عند استغراق السرائر ، ولا يكون ذلك كلاما يسمعونه بل كحديث فى النفس يجدونه برؤية موافقا للكتاب والسنة ، مفهوما عند أهله . موافقا للعلم ، ويكون ذلك مناجاة لسرائرهم ، ومناجاة سرائرهم إياهم ، فيثبتون لنفوسهم مقام العبودية ولمولاهم الربوبية ، فيضيفون ما يجدونه إلى نفوسهم وإلى مولاهم ، وهم مع ذلك عالمون بأن ذلك ليس كلام الله إنما هو علم حادث أحدثه الله فى بواطنهم ، فطريق الأصحاء فى ذلك الفرار إلى الله تعالى من كل ما تحدث نفوسهم به ، حتى إذا برئت ساحتهم من الهوى ألهموا فى بواطنهم شيئا ينسبونه إلى الله تعالى نسبة الحادث إلى المحدث لا نسبة الكلام إلى المتكلم ، لينصانوا عن الزيغ والتحريف ، ومن أولئك قوم يزعمون أنهم يغرقون فى بحار التوحيد ولا يثبتون ؟ ويسقطون لنفوسهم حركة وفعلا يزعمون أنهم مجبورون على الأشياء وأن لا فعل لهم مع فعل الله ، ويسترسلون فى المعاصى وكل ما تدعو النفس إليه ؛ ويركنون إلى البطالة ودوام الغفلة والاغترار بالله والخروج من الملة وترك الحدود والأحكام والحلال والحرام .

وقد سئل سهل عن رجل يقول : أنا كالباب لا أتحرك إلا إذا حركت ، قال : هذا لا يقوله إلا أحد رجلين : إما صديق أو زنديق ، لأن الصديق يقول هذا القول إشارة إلى أن قوام الأشياء بالله مع إحكام الأصول ورعاية حدود العبودية ، والزنديق يقول ذلك إحالة للأشياء على الله وإسقاطا للأئمة عن نفسه وانخلاعا عن الدين ورسمه ، فأما من كان معتقدا للحلال والحرام والحدود والأحكام ، معترفا بالمعصية إذا صدرت منه معتقدا وجوب التوبة منها فهو

سليم صحيح ، وإن كان تحت القصور بما يركن إليه من البطالة ويتروح بهوى النفس إلى الأسفار والتردد فى البلاد ، متوصلا إلى تناول اللذائذ والشهوات ؛ غير متمسك بشيخ يؤدبه ويهذبه ويبصره بعيب ماهو فيه ، والله الموفق .

الباب العاشر : فى شرح رتبة المشيخة

ورد فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى نفس محمد بيده لئن شئتم لأقسمن لكم ، إن أحب عباد الله تعالى إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده ، ويحببون عباد الله إلى الله ، ويمشون على الأرض بالنصيحة» وهذا الذى ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو رتبة المشيخة والدعوة إلى الله تعالى ، لأن الشيخ يحبب الله إلى عباده حقيقة ، ويحبب عباد الله إلى الله ، ورتبة المشيخة من أعلى الرتب فى طريق الصوفية ونيابة النبوة فى الدعاء إلى الله . فأما وجه كون الشيخ يحبب الله إلى عباده ، فلأن الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن صح اقتداؤه واتباعه أحبه الله تعالى ! قال الله تعالى ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ﴾ ووجه كونه يحبب عباد الله تعالى إليه : أنه يسلك بالمريد طريق التزكية ، وإذا تزكت النفس انجلت مرآة القلب ؛ وانعكست فيه أنوار العظمة الإلهية ؛ ولاح فيه جمال التوحيد ؛ وانجذبت أحداق البصيرة إلى مطالعة أنوار جلال القدم ورؤية الكمال الأزلى ؛ فأحب العبد ربه لامحالة ؛ وذلك ميراث التزكية . قال الله تعالى ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾ وفلاحها بالظفر بمعرفة الله تعالى ، وأيضا مرآة القلب إذا انجلت لاحت فيها الدنيا بقبحها وحقيقتها وماهيتها ؛ ولاحت الآخرة ونفائسها بكنهها وغايتها ، فتنكشف للبصيرة حقيقة الدارين وحاصل المنزلين ؛ فيحب العبد الباقى ويزهد فى الفانى ، فتظهر فائدة التزكية وجدوى المشيخة والتربية فالشيخ من جنود الله تعالى يرشد به المريدين ويهدى به الطالبين .

أخبرنا أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسى قال أخبرنا أبو الفضل عبد الواحد بن على بهمذان ، قال أخبرنا أبو بكر محمد ابن على بن أحمد الطوسى ، قال حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، قال حدثنا أبو عتبة ، قال حدثنا بقية ، قال حدثنا صفوان بن عمرو ، قال حدثنى الأزهر بن عبد الله ، قال قد سمعت عبد الله بن بشر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان يقال إذا اجتمع عشرون رجلا أو أكثر ، فإن لم يكن فيهم من يهاب الله عز وجل ، فقد خطر الأمر ، فعلى المشايخ وقار الله وبهم يتأدب المريدون ظاهرا وباطنا ، قال الله تعالى ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ فالمشايخ لما اهتدوا أهلوا للاقتداء بهم وجعلوا أئمة المتقين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه : « إذا كان الغالب على عبدى الاشتغال بى جعلت همته ولذته فى ذكرى ، فإذا جعلت همته ولذته فى ذكرى عشقنى وعشقته ورفعت الحجاب فيما بينى وبينه ، لا يسهو إذا سها الناس ، أولئك كلامهم كلام الأنبياء ، أولئك الأبطال حقا ، أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذابا ذكرتهم فيها فصرفته بهم عنهم ، والسر فى وصول السالك إلى رتبة المشيخة أن السالك مأمور بسياسة النفس مبتلى بصفاتها ، لايزال يسلك بصدق المعاملة حتى تطمئن نفسه وبطمأنينتها ينتزع عنها البرودة واليبوسة التى استصحبتها من أصل خلقتها وبها تستعصى على الطاعة والانقياد للعبودية ، فإذا زالت اليبوسة عنها ولانت بحرارة الروح الواصلة إليها ـ وهذا اللين هو الذى ذكره الله تعالى فى قوله ﴿ ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ تعالى ـ تجيب إلى العبادة وتلين للطاعة عند ذلك ؛ وقلب العبد متوسط بين الروح والنفس ذو وجهين : أحد وجهيه إلى النفس والوجه الآخر إلى الروح ، يستمد من الروح بوجهه الذى يليه ، ويمد النفس بوجهه الذى يليها حتى تطمئن النفس ، فإذا اطمأنت نفس السالك وفرغ من سياستها انتهى سلوكه وتمكن من سياسة النفس ، وانقادت نفسه وفاءت إلى أمر الله ، ثم القلب يشرئب إلى السياسة لما فيه من التوجه إلى النفس ، فتقوم نفوس المريدين والطالبين والصادقين عنده مقام نفسه ، لوجود الجنسية فى عين النفسية من وجه ، ولوجود التآلف بين الشيخ والمريد عن وجه التألف الإلهى . قال الله تعالى ﴿ لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴾ فيسوس نفوس المريدين كما كان يسوس نفسه من قبل ، ويكون فى الشيخ حينئذ معنى التخلق بأخلاق الله تعالى من معنى قول الله تعالى :

« ألا طال شوق الأبرار إلى لقائى ، وإنى إلى لقائهم لأشد شوقا » وبما هيأ الله تعالى من حسن التأليف بين الصاحب والمصحوب يصير المريد جزء الشيخ ، كما أن الولد فى الولادة الطبيعية ، وتصير هذه الولادة آنفا ولادة معنوية ، كما ورد عن عيسى صلوات الله عليه « لن يلج ملكوت السماء من لم يولد مرتين » .

فبالولادة الأولى يصير له ارتباط بعالم الملك ، وبهذه الولادة يصير له ارتباط بالملكوت قال الله تعالى ﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين﴾ وصرف اليقين على الكمال يحصل فى هذه الولادة ، وبهذه الولادة يستحق ميراث الأنبياء ؛ ومن لم يصله ميراث الأنبياء ما ولد وإن كان على كمال من الفطنة والذكاء ، لأن الفطنة والذكاء نتيجة العقل ، والعقل إذا كان يابسا من نور الشرع لا يدخل الملكوت ولا يزال مترددا فى الملك ، ولهذا وقف على برهان من العلوم الرياضية لأنه تصرف فى الملك ولم يرتق إلى الملكوت ، والملك : ظاهر الكون ، والملكوت : باطن الكون ، والعقل : لسان الروح ، والبصيرة التى منها تنبعث أشعة الهداية : قلب الروح ، واللسان : ترجمان القلب ، وكل ماينطق به الترجمان معلوم عند من يترجم عنه ، وليس كل ما عند من يترجم عنه يبرز إلى الترجمان ؛ فلهذا المعنى حرم الواقفون مع مجرد العقول المعرية عن نور الهداية ـ الذى هو موهبة الله تعالى عند الأنبياء وأتباعهم ـ الصواب ، وأسبل دونهم الحجاب لوقوفهم مع الترجمان وحرمانهم غاية التبيان ، وكما أن فى الولادة الطبيعية ذرات الأولاد فى صلب الأب مودعة ، تنقل إلى أصلاب الأولاد بعدد كل ولد ذرة وهى الذرات التى خاطبها الله تعالى يوم الميثاق بـ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾ حيث مسح ظهر آدم وهو ملقى ببطن نعمان بين مكة والطائف ، فسالت الذرات من مسام جسده كما يسيل العرق بعدد كل ولد من ولد آدم ذرة ، ثم لما خوطبت وأجابت ردت إلى ظهر آدم ، فمن الآباء من تنفذ الذرات فى صلبه ، ومنهم من لم يودع فى صلبه شىء فينقطع نسله ، وهكذا المشايخ : فمنهم من تكثر أولاده ويأخذون منه العلوم والأحوال ويودعونها غيرهم كما وصلت إليهم من النبى صلى الله عليه وسلم بواسطة الصحبة ، ومنهم من تقل أولاده ، ومنهم من ينقطع نسله ؛ وهذا النسل هو الذى رد الله على الكفار حيث قالوا : محمد أبتر لا نسل له ، قال الله تعالى ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ وإلا فنسل رسول الله صلى الله عليه وسلم باق إلى أن تقوم الساعة ، وبالنسبة المعنوية يصل ميراث العلم إلى أهل العلم .

أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى إملاء ، قال أخبرنا أبو عبد الرحمن السالمى قال : أخبرنا أبو الحسن الداودى ، قال أخبرنا أبو محمد الحموى ، قال أخبرنا أبو عمران السمرقندى قال أخبرنا أبو محمد الدارمى قال أخبرنا نصر بن على ، قال حدثنا عبد الله بن داود عن عاصم عن رجاء بن حيوة عن داود بن جميل عن كثير بن قيس قال كنت جالسا مع أبى الدرداء فى مسجد دمشق ، فأتاه رجل فقال : ياأبا الدرداء إنى أتيتك من المدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لحديث بلغنى عنك أنك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فما جاء بك تجارة ؟ قال : لا ، قال : ولا جاء بك غيره ؟ قال : لا ، قال . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من سلك طريقا يلتمس به علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم ، وإن طالب العلم يستغفر له من فى السماء والأرض حتى الحيتان فى الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ، وإن العلماء هم ورثة الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما أورثوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظه أو بحظ وافر » فأول ما أودعت الحكمة والعلم عند آدم أبى البشر عليه السلام ، ثم انتقل منه كما انتقل منه النسيان والعصيان وما تدعو إليه النفس والشيطان ، كما ورد « إن الله تعالى أمر جبرائيل حتى أخذ قبضة من أجزاء الأرض ، والله تعالى نظر إلى الأجزاء الأرضية التى كونها من الجوهرة التى خلقها أولا فصار من مواقع نظر الله إليها فيها خاصية السماع من الله تعالى والجواب ، حيث خاطب السموات والأرضين بقوله ﴿ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾ فحملت أجزاء الأرض بهذا الخطاب خاصية ، ثم انتزعت هذه الخاصية منها بأخذ أجزائها لتركيب صورة آدم فركب جسد آدم من أجزاء أرضية محتوية على هذه الخاصية فمن حيث نسبة أجزاء الأرض تركب فيه الهوى ، حتى مديده إلى شجرة الفناء

وهى شجرة الحنطة فى أكثر الأقاويل ، فتطرق لقالبه الفناء وبإكرام الله إياه بنفخ الروح الذى أخبر عنه بقوله ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحى ﴾ قال : العلم الحكمة ، فبالتسوية صار ذا نفس منفوسة وبنفخ الروح صار ذا روح روحانى ، وشرح هذا يطول ، فصار قلبه معدن الحكمة ، وقالبه معدن الهوى ، فانتقل منه العلم والهوى وصار ميراثه فى ولده ، فصار من طريق الولادة أبا بواسطة الطبائع التى هى محتد الهوى ، ومن طريق الولادة المعنوية أبا بواسطة العلم ، فالولادة الظاهرة تطرق إليها الفناء ، والولادة المعنوية محمية من الفناء ، لأنها وجدت من شجرة ، وهى شجرة العلم لا شجرة الحنطة التى سماها إبليس شجرة الخلد ، فإبليس يرى الشىء بضده فتبين أن الشيخ هو الأب معنى ، وكثيرا كان شيخنا شيخ الإسلام أبو النجيب السهروردى رحمه الله يقول : ولدى من سلك طريق واهتدى بهدى ، فالشيخ الذى يكتسب بطريقة الأحوال قد يكون مأخوذا فى ابتدائه فى طريق المحبين ، وقد يكون مأخوذا فى طريق المحبوبين ، وذلك أن أمر الصالحين والسالكين ينقسم أربعة أقسام : سالك مجرد ، ومجذوب مجرد ، وسالك متدارك بالجذبة ، ومجذوب متدارك بالسلوك . فالسالك المجرد لا يؤهل للمشيخة ولا يبلغها لبقاء صفات نفسه عليه ، فيقف عند حظه من رحمة الله تعالى فى مقام المعاملة والرياضة ، ولا يرتقى إلى حال يروح بها عن وهج المكابدة ، والمجذوب المجرد من غير سلوك يبادئه الحق بآيات اليقين ، ويرفع عن قلبه شيئا من الحجاب ، ولا يؤخذ فى طريق المعاملة . والمعاملة أثر تام سوف نشرحه فى موضعه إن شاء الله تعالى ، وهذا أيضا لا يؤهل للمشيخة ويقف عند حظه من الله مروحا بحاله ، غير مأخوذ فى طريق أعماله ماعدا الفريضة . والسالك الذى تدورك بالجذبة هو الذى كانت بدايته بالمجاهدة والمكابدة والمعاملة بالإخلاص والوفاء بالشروط ، ثم أخرج من وهج المكابدة إلى روح الحال ، فوجد العسل بعد العلقم ، وتروح بنسمات الفضل ، وبرز من مضيق المكابدة إلى متسع المساهلة ، وأونس بنفحات القرب ، وفتح له باب من المشاهدة فوجد دواءه وفاض وعاؤه ، وصدرت منه كلمات الحكمة ومالت إليه القلوب ، وتوالى عليه فتوح الغيب وصار ظاهره مسددا وباطنه مشاهداً ، وصلح للجلوة وصار له فى جلوته خلوة ، فيغلب ولا يغلب ، ويفترس ، ولا يفترس ، يؤهل مثل هذا للمشيخة ، لأنه أخذ فى طريق المحبين ، ومنح حالا من أحوال المقربين ، بعد ما دخل من طريق أعمال الأبرار الصالحين ، ويكون له أتباع ينتقل منه إليهم علوم ، ويظهر بطريقه بركة ، ولكن قد يكون محبوسا فى حاله محكما حاله فيه لا يطلق من وثاق الحال ، ولا يبلغ كمال النوال ، يقف عند حظه وهو حظ وافر سنى ؛ والذين أوتوا العلم درجات ، ولكن المقام الأكمل فى المشيخة القسم الرابع ـ وهو المجذوب المتدارك بالسلوك يبادئه الحق بالكشوف وأنوار اليقين ، ويرفع عن قلبه الحجب ، ويستنير بأنوار المشاهدة ، وينشرح وينفسح قلبه ويتجافى عن دار الغرور وينيب إلى دار الخلود ، ويرتوى من بحر الحال ، ويتخلص من الأغلال والأعلال ، ويقول معلنا : لا أعبد ربا لم أره ، ثم يفيض من باطنه على ظاهره ، وتجرى عليه صورة المجاهدة والمعاملة من غير مكابدة وعناء ، بل بلذاذة وهناء ، ويصير قالبه بصفة قلبه ؛ لامتلاء قلبه بحب ربه ، ويلين جلده كما لان قلبه ، وعلامة لين جلده إجابة قالبه للعمل كإجابة قلبه ، فيزيده الله تعالى إرادة خاصة ، ويرزقه محبة خاصة المحبوبين المرادين : ينقطع فيواصل ، ويعرض عنه فيراسل ، يذهب عنه جمود النفس ؛ ويصطلى بحرارة الروح ، وتنكمش عن قلبه عروق النفس . قال الله تعالى ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ أخبر أن الجلود تلين كما أن القلوب تلين ؛ ولا يكون هذا إلا حال المحبوب المراد . وقد ورد فى الخبر : أن إبليس سأل السبيل إلى القلب ، فقيل له : يحرم عليك ولكن السبيل لك فى مجارى العروق المشتبكة بالنفس إلى حد القلب ، فإذا دخلت العروق عرقت فيها من ضيق مجاريها ، وامتزج عرقك بماء الرحمة المترشح من جانب القلب فى مجرى واحد ، ويصل بذلك سلطانك إلى القلب ، ومن جعلته نبيا أو وليا قلعت تلك العروق من باطن قلبه فيصير القلب سليما ، فإذا دخلت العروق لم تصل إلى المشتبكة بالقلب فلا يصل إلى القلب سلطانك ، فالمحبوب المراد الذى أهل للمشيخة سلم قلبه وانشرح صدره ولان جلده ، فصار قلبه بطبع الروح ونفسه بطبع القلب ، ولانت النفس بعد أن كانت أمارة

بالسوء مستعصية ولأن الجلد للين النفس ورد إلى صورة الأعمال بعد وجدان الحال ، ولا يزال روحه ينجذب إلى الحضرة الإلهية فيستتبع الروح القلب وتستتبع القلب النفس ويستتبع النفس القالب ؛ فامتزجت الأعمال القلبية والقالبية ؛ وانخرق الظاهر إلى الباطن والباطن إلى الظاهر ، والقدرة إلى الحكمة والحكمة إلى القدرة ، والدنيا إلى الآخرة والآخرة إلى الدنيا ؛ ويصح له أن يقول : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ، فعند ذلك يطلق من وثاق الحال ويكون مسيطراً على الحال لا الحال مسيطرا عليه ، ويصير حرا من كل وجه ، والشيخ الأول الذى أخذ فى طريق المحبين حر من رق النفس ، ولكن ربما كان باقيا فى رق القلب ؛ وهذا الشيخ فى طريق المحبوبين حر من رق القلب كما هو حر من رق النفس ، وذلك أن النفس حجاب ظلمانى أرضى أعتق منه الأول ، والقلب حجاب نورانى سماوى أعتق منه الآخر ، فصار لربه لا لقلبه ، ولموقته لا لوقته ، فعبد الله حقا وآمن به صدقا ، ويسجد لله سواده وخياله ، ويؤمن به فؤاده ، ويقر به لسانه ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض سجوده ، ولا يتخلف عن العبودية منه شعرة ، وتصير عبادته مشاكلة لعبادة الملائكة ﴿ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال﴾ .

فالقوالب هى الظلال الساجدة ، ظلال الأرواح المقربة فى عالم الشهادة : الأصل كثيف والظل لطيف ، وفى عالم الغيب : الأصل لطيف والظل كثيف ، فيسجد لطيف العبد وكثيفه ، وليس هذا لمن أخذ فى طريق المحبين لأنه يستتبع صور الأعمال ويمتلئ بما أنيل من وجدان الحال ، وذلك قصور فى العلم وقله فى الحظ ، ولو كثر العلم رأى ارتباط الأعمال بالأحوال كارتباط الروح بالجسد ، ورأى أن لا غنى عن الأعمال كما لا غنى فى عالم الشهادة عن القوالب ، فما دامت القوالب باقية فالعمل باق ، ومن صح فى المقام الذى وصفناه هو الشيخ المطلق والعارف المحقق والمحبوب المعتق ؛ نظره دواء وكلامه شفاء ، بالله ينطق وبالله يسكت ، كما ورد « ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا ، بى ينطق وبى يبصر » الحديث ؛ فالشيخ يعطى بالله ويمنع بالله ، فلا رغبة له فى عطاء ومنع لعينه ، بل هو مع مراد الحق والحق يعرفه مراده ؛ فيكون فى الأشياء بمراد الله تعالى لا بمراد نفسه ، فإن علم أن الله تعالى يريد منه الدخول فى صورة محمودة دخل فيها لمراد الله تعالى لا لكون الصورة محمودة ، بخلاف الخادم القائم بواجب خدمة عباد الله تعالى .

الباب الحادى عشر : فى شرح حال الخادم ومن يتشبه به

أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام وقال : يا داود إذا رأيت لى طالبا فكن له خادما ، الخادم يدخل فى الخدمة راغبا فى الثواب وفيما أعد الله تعالى للعباد ، ويتصدى لإيصال الراحة ويفرغ خاطر المقبلين على الله تعالى عن مهام معاشهم ويفعل ما يفعله لله تعالى بنية صالحة ، فالشيخ واقف مع مراد الله تعالى ، والخادم واقف مع نيته ، فالخادم يفعل الشىء لله تعالى ، والشيخ يفعل الشىء لله فالشيخ فى مقام المقربين ، والخادم فى مقام الأبرار ، فيختار الخادم البذل والإيثار والارتفاق من الأغيار للأغيار ، ووظيفة وقته تصديه لخدمة عباد الله ، وفيه يعرف الفضل ويرجحه على نوافله وأعماله ، وقد يقيم من لا يعرف الخادم من الشيخ الخادم مقام الشيخ ، وربما جهل الخادم أيضا حال نفسه فيحسب نفسه شيخا لقلة العلم واندراس علوم القوم فى هذا الزمان ، وقناعة كثير من الفقراء من المشايخ باللقمة دون العلم والحال ، فكل من كان أكثر إطعاما هو عندهم أحق بالمشيخة ولا يعلمون أنه خادم وليس بشيخ ، والخادم فى مقام حسن وحظ صالح من الله تعالى . وقد ورد ما يدل على فضل الخادم فيما أخبرنا الشيخ أبو زرعة بن الحافظ أبى الفضل محمد بن طاهر المقدسى عن أبيه ، قال أخبرنا أبو الفضل محمد بن عبد الله المقرى ، قال حدثنا أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوى ، قال حدثنا أبو حامد الحافظ ، قال حدثنا العباس بن محمد الدورى وأبو الأزهر ، قالا حدثنا أبو داود ، قال حدثنا سفيان عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بطعام وهو بمر الظهران فقال لأبى بكر وعمر . كلا ، فقالا : إنا صائمان ، فقال : ارحلا لصاحبيكما اعملا لصاحبيكما

ادنوا فكلا يعنى أنكما ضعفتما بالصوم عن الخدمة فاحتجتما إلى من يخدمكما فكلا واخدما أنفسكما ، فالخادم يحرص على حيازة الفضل ، فيتوصل بالكسب تارة ، وبالاسترقاق والدرورة تارة أخرى، وباستجلاب الوقف إلى نفسه تارة، لعلمه أنه قيم بذلك ، صالح لإيصاله إلى الموقوف عليهم ، ولا يبالى أن يدخل فى كل مدخل لا يذمه الشرع لحيازة الفضل بالخدمة ، ويرى الشيخ بنفوذ البصيرة وقوة العلم أن الإنفاق يحتاج إلى علم تام ومعاناة تخليص النية عن شوائب النفس والشهوة الخفية ؛ ولو خلصت عليه نيته مارغب فى ذلك ، لوجود مراده فيه ، وحاله ترك المراد وإقامة مراد الحق .

أخبرنا أبو زرعة إجازة ، قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن على بن خلف إجازة ، قال أخبرنا الشيخ أبو عبدالرحمن السلمى قال سمعت محمد بن الحسين بن الخشاب يقول : سمعت محمد بن جعفر يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت السرى يقول : أعرف طريقا مختصرا قصدا إلى الجنة ؛ فقلت له : ماهو ؛ قال : لاتسأل من أحد شيئا ولاتأخذ من أحد شيئا ولا يكن معك شىء تعطى منه أحدا شيئا . والخادم يرى أن من طريق الجنة الخدمة والبذل والإيثار فيقدم الخدمة على النوافل ويرى فضلها ، وللخدمة فضل على النافلة التى يأتى بها العبد طالبا بها الثواب ، غير النافلة التى يتوخى بها صحة حاله مع الله تعالى لوجود نقد قبل وعد .

ومما يدل على فضل الخدمة على النافلة ماأخبرنا أبو زرعة قال أخبرنى والدى الحافظ المقدسى ، قال أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد السمسار بأصفهان ، قال أخبرنا إبراهيم بن عبدالله بن خرشيد ، قال حدثنا الحسين بن إسماعيل المحاملى قال حدثنا أبو السائب ، قال حدثنا أبو معاوية ، قال حدثنا عاصم عن مورق عن أنس قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمنا الصائم ومنا المفطر ، فنزلنا منزلا فى يوم حار شديد الحر ؛ فمنا من يتقى الشمس بيده، وأكثرنا ظلا صاحب الكساء يستظل به ، فنام الصائمون ، وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذهب المفطرون اليوم بالأجر » . وهذا حديث يدل على فضل الخدمة على النافلة ، والخادم له مقام عزيز يرغب فيه ؛ فأما من لم يعرف تخليص النية من شوائب النفس ويتشبه بالخادم ويتصدى لخدمة الفقراء ويدخل فى مداخل الخدام بحسن الإرادة بطلب التأسى بالخدام ، فتكون خدمته مشوبة ، منها ما يصيب فيها لموضع إيمانه وحسن إرادته فى خدمة القوم ، ومنها مالا يصيب فيها لما فيه من مزج الهوى فيضع الشىء فى غير موضعه ، وقد يخدم بهواه فى بعض تصاريفه ، ويخدم من لايستحق الخدمة فى بعض أوقاته ، ويحب المحمدة والثناء من الخلق مع مايحب من الثواب ورضا الله تعالى ، وربما خدم للثناء ، وربما امتنع من الخدمة لوجود هوى يخامره فى حق من يلقاه بمكروه ، ولايراعى واجب الخدمة فى طرفى الرضا والغضب لانحراف مزاج قلبه بوجود الهوى ، والخادم لايتبع الهوى فى الخدمة وفى الرضا والغضب، ولايأخذه فى الله لومة لائم ويضع الشىء موضعه ؛ فإذا الشخص الذى وصفناه آنفا متخادم وليس بخادم ! ولا يميز بين الخادم والمتخادم إلا من له علم بصحة النيات وتخليصها من شوائب الهوى ، والمتخادم النجيب يبلغ ثواب الخادم فى كثير من تصاريفه ولا يبلغ من رتبته لتخلفه عن حاله بوجود مزج هواه ؛ وأما من أقيم لخدمة الفقراء بتسليم وقف إليه أو توفير رفق عليه وهو يخدم لمنال يصيبه أو حظ عاجل يدركه ، فهو فى الخدمة لنفسه لالغيره ؛ فلو انقطع رفقه ماخدم ، وربما استخدم من يخدم ؛ فهو مع حظ نفسه يخدم من يخدمه ، ويحتاج إليه فى المحافل يتكثر به ويقيم به جاه نفسه بكثرة الأتباع والأشياع ، فهو خادم هواه وطالب دنياه، يحرص نهاره وليله فى تحصيل مايقيم به جاهه ويرضى نفسه وأهله وولده ، فيتسع فى الدنيا ويتزيا بغير زى الخدام والفقراء وتنتشر نفسه بطلب الحظوظ ، ويستولى عليه حب الرياسة ، وكلما كثر رفقه كثرت مراد هواه واستطال على الفقراء ، ويحوج الفقراء إلى التملق المفرط له تطلبا لرضاه وتوقيا لضيمه وميله عليهم بقطع ما ينوبهم من الوقف ؛ فهذا أحسن حاله أن يسمى مستخدما ، فليس بخادم ولامتخادم ، ومع ذلك كله ربما نال بركتهم باختياره خدمتهم على خدمة غيرهم وبانتمائه إليهم وقد أوردنا الخبر المسند الذى فى سياقه « هم القوم لايشقى بهم جليسهم » والله الموفق والمعين .

الباب الثانى عشر : فى شرح خدمة المشايخ الصوفية

لبس الخرقة ارتباط بين الشيخ وبين المريد ، وتحكيم من المريد للشيخ فى نفسه ، والتحكيم سائغ فى الشرع لمصالح دنيوية فماذا ينكر المنكر للبس الخرقة على طالب صادق فى طلبه يتقصد شيخا بحسن ظن وعقيدة يحكمه فى نفسه لمصالح دينه يرشده ويهديه ويعرفه طريق المواجيد ويبصره بآفات النفوس وفساد الأعمال ومداخل العدو ، فيسلم نفسه إليه ويستسلم لرأيه واستصوابه فى جميع تصاريفه ، فيلبسه الخرقة إظهارا للتصرف فيه ؛ فيكون لبس الخرقة علامة التفويض والتسليم ودخوله فى حكم الشيخ دخوله فى حكم الله وحكم رسوله وإحياء سنة المبايعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أخبرنا أبو زرعة قال أخبرنى والدى الحافظ المقدسى قال أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد البزار ، قال أخبرنا أحمد بن محمد أخى ميمى ، قال حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد قال حدثنا عمرو بن على بن حفظة ، قال سمعت عبد الوهاب الثقفى يقول : سمعت يحيى بن سعيد يقول : حدثنى عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، قال أخبرنى أبى عن أبيه قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره ، وأن لاننازع الأمر أهله ، وأن نقول بالحق حيث كنا ولانخاف فى الله لومة لائم . ففى الخرقة معنى المبايعة ، والخرقة عتبة الدخول فى الصحبة ، والمقصود الكلى هو الصحبة ؛ وبالصحبة يرجى للمريد كل خير .

وروى عن أبى يزيد أنه قال : من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان .

وحكى الأستاذ أبو القاسم القشيرى عن شيخه أبى على الدقاق أنه قال : الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس فإنها تورق ولا تثمر ، وهو كما قال : ويجوز أنها تثمر كالأشجار التى فى الأودية والجبال ، ولكن لا يكون لفاكهتها طعم فاكهة البساتين . والغرس إذا نقل من موضع إلى موضع آخر يكون أحسن حالا وأكثر ثمرة لدخول التصرف فيه ؛ وقد اعتبر الشرع وجود التعليم فى الكتاب المعلم ، وأكل مايقتله بخلاف غير المعلم .

وسمعت كثيرا من المشايخ يقولون : من لم يرمفلحا لا يفلح ، ولنا فى رسول صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقوا العلوم والآداب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما روى عن بعض الصحابة : علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شىء حتى الخراءة ، فالمريد الصادق إذا دخل تحت حكم الشيخ وصحبه وتأدب بآدابه ، يسرى من باطن الشيخ حال إلى باطن المريد كسراج يقتبس من سراج ، وكلام الشيخ يلفن باطن المريد ويكون مقال الشيخ مستودع نفائس الحال ، وينتقل الحال من الشيخ إلى المريد بواسطة الصحبة وسماع المقال ، ولا يكون هذا إلا لمريد حصر نفسه مع الشيخ وانسلخ من إرادة نفسه وفنى فى الشيخ بترك اختيار نفسه ، فبالتآلف الإلهى يصير بين الصاحب والمصحوب امتزاج وارتباط بالنسبة الروحية والطهارة الفطرية ، ثم لا يزال المريد مع الشيخ كذلك متأدبا بترك الاختيار ، حتى يرتقى من ترك الاختيار مع الشيخ إلى ترك الاختيار مع الله تعالى ، ويفهم من الله كما كان يفهم من الشيخ ، ومبدأ هذا الخير كله الصحبة والملازمة للشيوخ ، والخرقة مقدمة ذلك ، ووجه لبس الخرقة من السنة ما أخبرنا الشيخ أبو زرعة عن أبيه الحافظ أبى الفضل المقدسى ، قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن على بن خلف الأديب النيسابورى ، قال أخبرنا الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ ، قال أخبرنا محمد بن إسحق ، قال أخبرنا أبو مسلم إبراهيم بن عبدالله المصرى ، قال حدثنا أبو الوليد ، قال حدثنا إسحق بن سعيد ، قال حدثنا أبى ، قال حدثتنى أم خالد بنت خالدة قالت : أتى النبى عليه السلام بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة ، فقال : من ترون أكسو هذه ؟ فسكت القوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتونى بأم خالد ، قالت : فأتى بى فألبسنيها بيده فقال : أبلى وأخلقى ، يقولها مرتين ، وجعل ينظر إلى علم فى الخميصة أصفر وأحمر ويقول : ياأم خالد هذا سناه ـ والسناه هو الحسن بلسان الحبشة ـ ولا خفاء أن لبس الخرقة على الهيئة التى تعتمدها الشيوخ فى هذا الزمان لم يكن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه الهيئة

والاجتماع لها والاعتداد بها من استحسان الشيوخ ، وأصله من الحديث ما رويناه ، والشاهد لذلك أيضا التحكيم الذى ذكرناه ، وأى اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم أتم وآكد من الاقتداء به فى دعاء الخلق إلى الحق . وقد ذكر الله تعالى فى كلامه القديم تحكيم الأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحكيم المريد شيخه إحياء سنة ذلك التحكيم . قال الله تعالى ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ وسبب نزول هذه الآية : أن الزبير بن العوام رضى الله عنه اختصم هو وآخر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شراج من الحرة - والشراج مسيل الماء - كانا يسقيان به النخل ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام للزبير : اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك ، فغضب الرجل وقال : قضى رسول الله لابن عمته . فأنزل الله تعالى هذه الآية يعلم فيها الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشرط عليهم فى الآية التسليم وهو الانقياد ظاهراً ونفى الحرج وهو الانقياد باطنا ، وهذا شرط المريد مع الشيخ بعد التحكيم ، فلبس الخرقة يزيل اتهام الشيخ عن باطنه فى جميع تصاريفه ويحذر الاعتراض على الشيوخ فإنه السم القاتل للمريدين ، وقل أن يكون المريد يعترض على الشيخ بباطنه فيفلح ، ويذكر المريد فى كل ما أشكل عليه من تصاريف الشيخ قصة موسى مع الخضر عليه السلام كيف كان يصدر من الخضر تصاريف ينكرها موسى ، ثم لما كشف له عن معناها بان لموسى وجه الصواب فى ذلك ، فهكذا ينبغى للمريد أن يعلم أن كل تصرف أشكل عليه صحته من الشيخ عند الشيخ فيه بيان وبرهان للصحة ، ويد الشيخ فى لبس الخرقة تنوب عن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتسليم المريد له تسليم لله ورسوله . قال الله تعالى ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ﴾ ويأخذ الشيخ على المريد عهد الوفاء بشرائط الخرقة ويعرفه حقوق الخرقة ، فالشيخ للمريد صورة يستشف المريد من وراء هذه الصورة المطالبات الإلهية والمراضى النبوية ، ويعتقد المريد أن الشيخ باب فتحه الله تعالى إلى جناب كرمه ، منه يدخل ، وإليه يرجع ، وينزل بالشيخ سوانحه ومهامه الدينية والدنيوية ويعتقد أن الشيخ ينزل بالله الكريم ما ينزل المريد به ، ويرجع فى ذلك إلى الله المريد كما يرجع المريد إليه ، وللشيخ باب مفتوح من المكانة والمحادثة فى النوم واليقظة فلا يتصرف الشيخ فى المريد بهواه فهو أمانة الله عنده ، ويستغيث إلى الله بحوائج المريد كما يستغيث بحوائج نفسه ومهام دينه ودنياه . قال الله تعالى ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا ﴾ فإرسال الرسول يختص بالأنبياء والوحى كذلك ، والكلام من وراء حجاب بالإلهام والهواتف والمنام وغير ذلك للشيوخ والراسخين فى العلم .

واعلم أن للمريدين مع الشيوخ أوان ارتضاع وأوان فطام ، وقد سبق شرح الولادة المعنوية ، فأوان الارتضاع أوان لزوم الصحبة والشيخ يعلم وقت ذلك ، فلا ينبغى المريد أن يفارق الشيخ إلا بإذنه . قال الله تعالى تأديبا للأمة ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ، إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله ، فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم ﴾ وأى أمر جامع أعظم من أمر الدين ، فلا يأذن الشيخ للمريد فى المفارقة إلا بعد علمه بأن آن له أوان الفطام ، وأنه يقدر أن يستقل بنفسه ، واستقلاله بنفسه أن يفتح له باب الفهم من الله تعالى ، فإذا بلغ المريد رتبة إنزال الحوائج والمهام بالله والفهم من الله تعالى بتعريفاته وتنبيهاته سبحانه وتعالى لعبده السائل المحتاج فقد بلغ أوان فطامه ، ومتى فارق قبل أوان الفطام يناله من الاعلال فى الطريق بالرجوع إلى الدنيا ومتابعة الهوى ما ينال المفطوم لغير أوانه فى الولادة الطبيعية ، وهذا التلازم بصحبة المشايخ للمريد الحقيقى ، والمريد الحقيقى يلبس خرقة الإرادة .

واعلم أن الخرقة خرقتان : خرقة الإرادة ، وخرقة التبرك : والأصل الذى قصده المشايخ للمريدين خرقة الإرادة وخرقة التبرك تشبه بخرقة الإرادة ، فخرقة الإرادة للمريد الحقيقى ، وخرقة التبرك للمتشبه ، ومن تشبه بقوم فهو منهم وسر الخرقة أن الطالب الصادق إذا دخل فى صحبة الشيخ وسلم نفسه وصار كالولد الصغير مع الوالد يرقيه الشيخ بعلمه المستمد من الله تعالى بصدق الافتقار وحسن الاستقامة ، ويكون للشيخ بنفوذ بصيرته الإشراف على البواطن ، فقد

يكون المريد يلبس الخشن كثياب المتقشفين المتزهدين وله فى تلك الهيئة من الملبوس هوى كامن فى نفسه ليرى بعين الزهادة ، فأشدّ ماعليه لبس الناعم وللنفس هوى واختيار فى هيئة مخصوصة من الملبوس فى قصر الكم والذيل وطوله وخشونته ونعومته على قدر حسبانها وهواها ، فيلبس الشيخ مثل هذا الراكن لتلك الهيئة ثوبا يكسر بذلك على نفسه هواها وغرضها ، وقد يكون على المريد ملبوس ناعم أو هيئة فى الملبوس تشرئب النفس إلى تلك الهيئة بالعادة ، فيلبسه الشيخ مايخرج النفس من عادتها وهواها ، فتصرف الشيخ فى الملبوس كتصرفه فى المطعوم ، وكتصرفه فى صوم المريد وإفطاره ، وكتصرفه فى أمر دينه ، إلى مايرى له من المصلحة من دوام الذكر ودوام التنفل فى الصلاة ودوام التلاوة ودوام الخدمة ، وكتصرفه فيه برده إلى الكسب أو الفتوح أو غير ذلك ، فللشيخ إشراف على البواطن وتنوع الاستعدادات ، فيأمر كل مريد من أمر معاشه ومعاده بما يصلح له ، ولتنوع الاستعدادات تنوعت مراتب الدعوة . قال الله تعالى ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ فالحكمة رتبة فى الدعوة ، والموعظة كذلك ، والمجادلة كذلك ، فمن يدعى بالحكمة لايدعى بالموعظة ولا تصلح دعوته إلا بالحكمة ، فهكذا الشيخ يعلم من هو على وضع الأبرار ، ومن هو على وضع المقربين ، ومن يصلح لدوام الذكر ومن يصلح لدوام الصلاة ، ومن له هوى فى التخشن أو فى التنعم ، فيخلع المريد من عادته ويخرجه من مضيق هوى نفسه ، ويطعمه باختياره ، ويلبسه باختياره ثوبا يصلح له وهيئة تصلح له ، ويداوى بالخرقة المخصوصة والهيئة المخصوصة داء هواه ، ويتوخى بذلك تقريبه إلى رضا مولاه ، فالمريد الصادق الملتهب باطنه بنار الإرادة فى بدء أمره وحدة إرادته ، كالملسوع الحريص على من يرقيه ويداويه ، فإذا صادف شيخا انبعث من باطن الشيخ صدق العناية به لاطلاعه عليه وينبعث من باطن المريد صدق المحبة بتألف القلوب وتشام الأرواح وظهور سر السابقة فيهما باجتماعهما لله وفى الله وبالله ، فيكون القميص الذى يلبس المريد خرقة تبشر المريد بحسن عناية الشيخ به فيعمل عند المريد عمل قميص يوسف عند يعقوب عليهما السلام .

وقد نقل أن إبراهيم الخليل عليه السلام حين ألقى فى النار جرد من ثيابه وقذف فى النار عريانا ، فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة وألبسه إياه ، وكان ذلك عند إبراهيم عليه السلام فلما مات ورثه إسحق ، فلما مات ورثه يعقوب ، فجعل يعقوب عليه السلام ذلك القميص فى تعويذ ، وجعله فى عنق يوسف فكان لايفارقه ، ولما ألقى فى البئر عريانا جاءه جبريل وكان عليه التعويذ فأخرج القميص منه وألبسه إياه .

أخبرنا الشيخ العالم رضى الدين أحمد بن إسمعيل القزوينى إجازة ، قال أخبرنا أبو سعد محمد بن أبى العباس ، قال أخبرنا القاضى محمد بن سعيد ، قال أخبرنا أبو إسحق أحمد بن محمد ، قال أخبرنى ابن فنجويه الحسين بن محمد ، قال حدثنا مخلد بن جعفر قال حدثنا الحسن بن علويه ، قال حدثنا إسمعيل بن عيسى ، قال حدثنا إسحق بن بشر عن ابن السدى عن أبيه عن مجاهد قال : كان يوسف عليه السلام أعلم بالله تعالى من أن لايعلم أن قميصه لايرد على يعقوب بصره ، ولكن ذلك كان قميص إبراهيم ، وذكر ماذكرناه ، قال : فأمره جبرائيل أن أرسل بقميصك فإن فيه ريح الجنة لايقع على مبتلى أو سقيم إلا صح وعوفى ، فتكون الخرقة عند المريد الصادق متحملة إليه عرف الجنة ، لما عنده من الاعتداد بالصحبة لله ، ويرى لبس الخرقة من عناية الله به وفضل من الله ، فأما خرقة التبرك فيطلبها من مقصوده التبرك بزىّ القوم ومثل هذا لايطالب بشرائط الصحة بل يوصى بلزوم حدود الشرع ومخالطة هذه الطائفة لتعود عليه بركتهم ويتأدب بآدابهم ، فسوف يرقيه ذلك إلى الأهلية لخرقة الإرادة فعلى هذا خرقة التبرك مبذولة لكل طالب وخرقة الإرادة ممنوعة إلا من الصادق الراغب ، ولبس الأزرق من استحسان الشيوخ فى الخرقة فإن رأى شيخ أن يلبس مريدا غير الأزرق فليس لأحد أن يعترض عليه لأن المشايخ آراؤهم فيما يفعلون بحكم الوقت وكان شيخنا يقول : كان الفقير يلبس قصير الأكمام ليكون أعون على الخدمة . ويجوز للشيخ أن يلبس المريد خرقا فى دفعات على قدر مايتلمح من المصلحة للمريد فى ذلك على ما أسلفناه من تداوى هواه فى الملبوس والملون فيختار الأزرق

لأنه أرفق للفقير لكونه يحمل الوسخ ولا يحوج إلى زيادة الغسل لهذا المعنى فحسب ، وما عدا هذا من الوجوه التى يذكرها بعض المتصوفة فى ذلك كلام إقناعى من كلام المتصنعين ليس من الدين والحقيقة بشىء .

سمعت الشيخ سديد الدين أبا الفخر الهمدانى رحمه الله قال : كنت ببغداد عند أبى بكر الشروطى ، فخرج إلينا فقير من زاويته عليه ثوب وسخ ، فقال له بعض الفقراء : لم لا تغسل ثوبك ؛ فقال : ياأخى ماأتفرغ . فقال الشيخ أبو الفخر : لاأزال أتذكر حلاوة قول الفقير : ماأتفرغ ؛ لأنه كان صادقا فى ذلك ، فأجد لذة لقوله وبركة بتذكارى ذلك ؛ فاختاروا الملون لهذا المعنى ؛ لأنهم من رعاية وقتهم فى شغل شاغل . وإلا فأى ثوب ألبس الشيخ المريد من أبيض وغير ذلك فللشيخ ولاية ذلك بحسن مقصده ووفور علمه وقد رأينا من المشايخ من لايلبس الخرقة ، ويسلك بأقوام من غير لبس الخرقة ، ويؤخذ منه العلوم والآداب ، وقد كان طبقة من السلف الصالحين لا يعرفون الخرقة ولايلبسونها المريدين ، فمن يلبسها فله مقصد صحيح وأصل من السنة وشاهد من الشرع ، ومن لايلبسها فله رأيه وله فى ذلك مقصد صحيح ، وكل تصاريف المشايخ محمولة على السداد والصواب ولاتخلو عن نية صالحة فيه ، والله تعالى ينفع بهم وبآثارهم إن شاء الله تعالى .

الباب الثالث عشر : فى فضيلة سكان الرباط

قال الله تعالى ﴿فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ قيل : إن هذه البيوت هى المساجد ، وقيل : بيوت المدينة . وقيل : بيوت النبى عليه الصلاة والسلام . وقيل لما نزلت هذه الآية قام أبو بكر رضى الله عنه وقال : يارسول الله ، هذه البيوت منها بيت على وفاطمة ؟ قال : نعم أفضلها .

وقال الحسن : بقاع الأرض كلها جعلت مسجداً لرسول الله عليه الصلاة والسلام ، فعلى هذا الاعتبار بالرجال الذاكرين لا بصور البقاع ، وأى بقعة حوت رجالا بهذا الوصف هى البيوت التى أذن الله أن ترفع .

روى أنس بن مالك رضى الله عنه قال « ما من صباح ولا رواح إلا وبقاع الأرض ينادى بعضها بعضا ، هل مر بك اليوم أحد صلى عليك أو ذكر الله عليك ؟ فمن قائلة نعم ، ومن قائلة لا ، فإذا قالت نعم علمت أن لها عليها بذلك فضلا ، ومامن عبد ذكر الله تعالى على بقعة من الأرض أوصلى لله عليها إلا شهدت له بذلك عند ربه وبكت عليه يوم يموت » وقيل فى قوله تعالى ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾ تنبيه على فضيلة أهل الله تعالى من أهل طاعته : لأن الأرض تبكى عليهم ولا تبكى على من ركن إلى الدنيا واتبع الهوى ، فسكان الرباط هم الرجال ، لأنهم ربطوا نفوسهم على طاعة الله تعالى وانقطعوا إلى الله ، فأقام الله لهم الدنيا خادمة .

وروى عمران بن الحصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من انقطع إلى الله كفاه مؤنته ورزقه من حيث لايحتسب ، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها » وأصل الرباط : ما يربط فيه الخيول ، ثم قيل لكل ثغر يدفع أهله عمن وراءهم : رباط ؟ فالمجاهد المرابط يدفع عمن وراءه ، والمقيم فى الرباط على طاعة الله يدفع به وبدعائه البلاء عن العباد والبلاد ، أخبرنا الشيخ العالم رضى الدين أبو الخير أحمد بن إسمعيل القزوينى إجازة قال : أخبرنا أبو سعيد محمد ابن أبى العباس الخليلى قال : أخبرنا القاضى محمد بن سعيد الفرخزاذى قال : أخبرنا أبو إسحق أحمد بن محمد قال : أخبرنا الحسين بن محمد قال : حدثنا أبو بكر بن خرجة قال : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثنى أبو حميد الحمصى قال : حدثنا يحيى بن سعيد القطار [1] قال حدثنا حفص بن سليمان عن محمد بن سوقة عن وبرة بن عبد الرحمن عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيته ومن جيرانه البلاء » .

---

(١) قوله « القطار » هكذا بنسخة ؛ وفى أخرى « العطار » ولعله « القطان » بالنون ، وليحرر .

وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لولا عباد لله ركع وصبية رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا ثم يرض رضا » .

وروى جابر بن عبدالله قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى ليصلح بصلاح الرجل ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله ، ولا يزالون فى حفظ الله مادام فيهم » .

وروى داود بن صالح قال : قال لى أبو سلمة بن عبدالرحمن : ياابن أخى ، هل تدرى فى أى شىء نزلت هذه الآية ﴿اصبروا وصابروا ورابطوا﴾ ؟ قلت : لا ، قال : ياابن أخى ، لم يكن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو يربط فيه الخيل ، ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة ، فالرباط لجهاد النفس والمقيم فى الرباط مرابط مجاهد نفسه . قال الله تعالى ﴿ وجاهدوا فى الله حق جهاده ﴾ قال عبدالله بن المبارك : هو مجاهدة النفس والهوى وذلك حق الجهاد ، وهو الجهاد الأكبر « على ماروى فى الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رجع من بعض غزواته : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » . وقيل : إن بعض الصالحين كتب إلى اخ له يستدعيه إلى الغزو فكتب إليه : ياأخى كل الثغور مجتمعة لى فى بيت واحد والباب على مردود ، فكتب إليه أخوه : لو كان الناس كلهم لزموا مالزمته اختلت أمور المسلمين وغلب الكفار ، فلابد من الغزو والجهاد ، فكتب إليه : ياأخى ، لولزم الناس ماأنا عليه وقالوا فى زواياهم على سجاداتهم : الله أكبر ، انهدم سور قسطنطينية . وقال بعض الحكماء : ارتفاع الأصوات فى بيوت العبادات بحسن النيات وصفاء الطويات يحل ماعقدته الأفلاك الدائرات ؛ فاجتماع أهل الروابط أصح على الوجه الموضوع له الربط ، ولو تحقق أهل الربط بحسن المعاملة ورعاية الأوقات وتوقى مايفسد الأعمال واعتماد مايصحح الأحوال عادت البركة على البلاد والعباد .

وقال سرى السقطى فى قوله تعالى ﴿اصبروا وصابروا ورابطوا﴾ اصبروا عن الدنيا رجاء السلامة ، وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ، رابطوا أهواء النفس اللوامة ، واتقوا مايعقب لكم الندامة . لعلكم تفلحون غدا على بساط الكرامة . وقيل : اصبروا على بلائى ، وصابروا على نعمائى ، ورابطوا فى دار اعدائى واتقوا محبة من سوائى ، لعلكم تفلحون غداً بلقائى . وهذه شرائط ساكن الرباط قطع المعاملة مع الخلق ، وفتح المعاملة مع الحق ، وترك الاكتساب اكتفاء بكفالة مسبب الأسباب ، وحبس النفس عن المخالطات واجتناب التبعات ، وعانق ليله ونهاره العبادة متعوضا بها عن كل عادة ، شغله حفظ الأوقات وملازمة الأوراد وانتظار الصلوات واجتناب الغفلات ، ليكون بذلك مرابطا مجاهدا .

حدثنا شيخنا أبو النجيب السهروردى ، قال أخبرنا ابن نبهان محمد الكاتب ، قال أخبرنا الحسن بن شاذان ، قال أخبرنا دعلج ، قال أخبرنا البغوى عن أبى عبيد القاسم بن سلام ، قال حدثنا صفوان عن الحارث عن سعيد بن المسيب عن على ابن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إسباغ الوضوء فى المكاره ، وإعمال الأقدام إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، يغسل الخطايا غسلا » . وفى رواية « ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ » قالوا : بلى يارسول الله ؛ قال « إسباغ الوضوء فى المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط » .

الباب الرابع عشر : فى مشابهة أهل الرباط بأهل الصفة

قال الله تعالى ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾ هذا وصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قيل لهم : ماذا كنتم تصنعون حتى أثنى الله عليكم بهذا الثناء ؟ قالوا كنا نتبع الماء الحجر ، وهذا وأشباه هذا من الآداب وظيفة صوفية الربط يلازمونه ويتعاهدونه والرباط بيتهم ومضربهم ، ولكل قوم دار والرباط دارهم . وقد شابهوا أهل الصفة فى ذلك على ماأخبرنا أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسى قال أخبرنا أحمد بن محمد البزازى ، قال أخبرنا عيسى بن على الوزير ، قال حدثنا عبدالله البغوى ،

قال حدثنا وهبان بن بقية ، قال حدثنا خالد بن عبد الله عن داود بن أبي هند عن أبي الحارث حرب بن أبي الأسود عن طلحة رضي الله عنه قال : كان الرجل إذا قدم المدينة ، وكان له بها عريف ينزل على عريفه ، فإن لم يكن له بها عريف نزل الصفة وكنت فيمن نزل الصفة ، فالقوم في الرباط مرابطون متفقون على قصد واحد وعزم واحد وأحوال متناسبة ، ووضع الربط لهذا المعنى أن يكون سكانها بوصف ما قال الله تعالى ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين ﴾ والمقابلة باستواء السر والعلانية . ومن أضمر لأخيه غلا فليس بمقابله وإن كان وجهه إليه ؛ فأهل الصفة هكذا كانوا ؛ لأن مثار الغل والحقد وجود الدنيا ، وحب الدنيا رأس كل خطيئة ، فأهل الصفة رفضوا الدنيا وكانوا لا يرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع فزالت الأحقاد والغل عن بواطنهم ، وهكذا أهل الربط متقابلون بظواهرهم وبواطنهم ، يجتمعون على الألفة والمودة يجتمعون للكلام ويجتمعون للطعام ويتعرفون بركة الاجتماع .

روى وحشي بن حرب عن أبيه عن جده أنهم قالوا : يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع ! قال : « لعلكم تفترقون على طعامكم ، اجتمعوا واذكروا الله تعالى يبارك لكم فيه » وروى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ، فقيل : فعلى أي شيء كانوا يأكلون ؟ قال : على السفر .

فالعباد والزهاد طلبوا الانفراد لدخول الآفات عليهم بالاجتماع ، وكون نفوسهم تشتاق للأهوية والخوض فيما لا يعني فرأوا السلامة في الوحدة ، والصوفية لقوة عملهم وصحة حالهم نزع عنهم ذلك فرأوا الاجتماع في بيوت الجماعة على السجادة ، فسجادة كل واحد زاويته ، وهم كل واحد مهمه ، ولعل الواحد منهم لا يتخطى همه سجادته ، ولهم في اتخاذ السجادة وجه من السنة : روى أبو سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت أجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيرا من الليف يصلي عليه من الليل . وروت ميمونة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسط له الخمرة في المسجد حتى يصلي عليها . والرباط يحتوي على شبان وشيوخ وأصحاب خدمة وأرباب خلوة ، فالمشايخ بالزوايا أليق نظرا إلى ما تدعو إليه النفس من النوم والراحة والاستبداد بالحركات والسكنات ، فللنفس شوق إلى التفرد والاسترسال في وجوه الرفق والشاب يضيق عليه مجال النفس بالقعود في بيت الجماعة والانكشاف لنظر الأغيار لتكثر العيون عليه فيتقيد ويتأدب ، ولا يكون هذا إلا إذا كان جمع الرباط في بيت الجماعة مهتمين بحفظ الأوقات وضبط الأنفاس وحراسة الحواس كما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ كان عندهم من هم الآخرة ما يشغلهم عن اشتغال البعض بالبعض وهكذا ينبغي لأهل الصدق والصوفية أن يكون اجتماعهم غير مضر بوقتهم ، فإذا تخلل أوقات الشبان اللغو والغلط فالأولى أن يلزم الشاب الطالب الوحدة والعزلة ويؤثر الشيخ الشاب بزاويته وموضع خلوته ليحبس الشاب نفسه عن دواعي الهوى والخوض فيما لا يعني ، ويكون الشيخ في بيت الجماعة لقوة حاله وصبره على مداراة الناس وتخلصه من تبعات المخالطة وحضور وقاره بين الجمع فينضبط به الغير ولا يتكدر هو . وأما الخدمة فشأن من دخل الرباط مبتدئا ولم يذق طعم العلم ولم ينتبه لنفائس الأحوال : أن يؤمر بالخدمة لتكون عبادته خدمة ، ويجذب بحسن الخدمة قلوب أهل الله إليه فتشمله بركة ذلك ويعين الإخوان المشتغلين بالعبادة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمنون إخوة يطلب بعضهم إلى بعض الحوائج فيقضي بعضهم إلى بعض الحوائج يقضي الله لهم حاجاتهم يوم القيامة » فيحتفظ بالخدمة عن البطالة التي تميت القلب ، والخدمة عند القوم من جملة العمل الصالح ، وهي طريق من طرق المواجيد تكسبهم الأوصاف الجميلة والأحوال الحسنة ، ولا يرون استخدام من ليس من جنسهم ولا متطلعا إلى الاهتداء بهديهم .

أخبرنا الشيخ الثقة أبو الفتح قال أخبرنا أبو الفضل حميد بن أحمد ، قال أخبرنا الحافظ أبو نعيم ، قال حدثنا سليمان بن أحمد ، قال حدثنا علي بن عبد العزيز ، قال حدثنا أبو عبيد ، قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شريك عن أبي هلال الطائي عن وثيق بن الرومي قال : كنت مملوكا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فكان يقول لي : أسلم

فإنك إن أسلمت استعنت بك على أمانة المسلمين ، فإنه لاينبغى أن أستعين على أمانتهم بمن ليس منهم ، قال فأبيت ، فقال عمر ﴿ لا إكراه فى الدين ﴾ فلما حضرته الوفاة أعتقنى فقال : اذهب حيث شئت . فالقوم يكرهون خدمة الأغيار ويأبون مخالطتهم أيضا ؛ فإن من لايحب طريقهم ربما استضر بالنظر إليهم أكثر مما ينتفع ، فإنهم بشر وتبدو منهم أمور بمقتضى طبع البشر ، وينكرها الغير لقلة علمه بمقاصدهم ، فيكون إباؤهم لموضع الشفقة على الخلق لامن طريق التعزز والترفع على أحد من المسلمين ، والشاب الطالب إذا خدم أهل الله المشغولين بطاعته يشاركهم فى الثواب ، وحيث لم يؤهل لأحوالهم السنية يخدم من أهل لها ، فخدمته لأهل القرب علامة حب الله تعالى .

أخبرنا : الثقة أبو الفتح محمد بن سليمان ، قال أخبرنا أبو الفضل حميد بن أحمد ، قال أخبرنا الحافظ أبو نعيم ، قال حدثنا أبو بكر بن خلاد ، قال حدثنا الحارث بن أبى أسامة ، قال حدثنا معاوية بن عمرو ، قال حدثنا أبو إسحق عن حميد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك قال حين دنا من المدينة « إن بالمدينة أقواما ماسرتم من مسير ولاقطعتم واديا إلا كانوا معكم » قالوا : وهم فى المدينة؟ ! قال « نعم ، حبسهم العذر » فالقائم بخدمة القوم تعوق عن بلوغ درجتهم بعذر القصور وعدم الأهلية ، فحام حول الحمى باذلا مجهوده فى الخدمة يتعلل بالأثر حيث منع النظر ، فجزاه الله على ذلك أحسن الجزاء وأناله من جزيل العطاء ، وهكذا كان أهل الصفة يتعاونون على البر والتقوى ويجتمعون على المصالح الدينية ومواساة الإخوان بالمال والبدن .

الباب الخامس عشر : فى خصائص أهل الربط والصوفية فيما يتعاهدونه ويختصون به

اعلم أن تأسيس هذه الربط من زينة هذه الملة الهادية المهدية ، ولسكان الربط أحوال تميزوا بها عن غيرهم من الطوائف ، وهم على هدى من ربهم قال الله تعالى ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ ومايرى من التقصير فى حق البعض من أهل زماننا والتخلف عن طريق سلفهم لايقدح فى أصل أمرهم وصحة طريقهم ، وهذا القدر الباقى من الأثر واجتماع المتصوفة فى الربط وماهيأ الله تعالى لهم من الرفق : بركة جمعية بواطن المشايخ الماضين ، وأثر من آثار منح الحق فى حقهم ، وصورة الاجتماع فى الربط الآن على طاعة الله والترسم بظاهر الآداب : عكس نور الجمعية من بواطن الماضين وسلوك الخلف فى مناهج السلف ، فهم فى الربط كجسد واحد بقلوب متنفقة وعزائم متحدة ، ولايوجد هذا فى غيرهم من الطوائف . قال الله تعالى فى وصف المؤمنين ﴿ كأنهم بنيان مرصوص ﴾ وبعكس ذلك وصف الأعداء فقال . ﴿ تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ﴾ وروى النعمان بن بشير قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنما المؤمنون كجسد رجل واحد إذا اشتكى عضو من أعضائه اشتكى جسده أجمع ، وإذا اشتكى مؤمن اشتكى المؤمنون »

فالصوفية وظيفتهم اللازمة من حفظ اجتماع البواطن ، وإزالة التفرقة بإزالة شعث البواطن ، لأنهم بنسبة الأرواح اجتمعوا ، وبرابطة التأليف الإلهى اتفقوا ، وبمشاهدة القلوب تواطئوا ، ولتهذيب النفوس وتصفية القلوب فى الرباط رابطوا ، فلابد لهم من التآلف والتودد والنصح : روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المؤمن يألف ويؤلف ولاخير فيمن لايألف ولايؤلف » .

وأخبرنا أبو زرعة طاهر بن الحافظ أبى الفضل المقدسى عن أبيه ، قال حدثنا أبو القاسم الفضل بن أبى حرب ، قال أخبرنا أحمد بن الحسين الحيرى ، قال أخبرنا أبو سهل بن زياد القطان ، قال حدثنا الحسين بن مكرم ، قال حدثنا يزيد ابن هرون الواسطى ، قال حدثنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف » فهم باجتماعهم تجتمع بواطنهم وتتقيد نفوسهم ، لأن بعضهم عين على البعض ، على ماورد « المؤمن مرآة المؤمن » فأى وقت ظهر من أحدهم أثر التفرقة نافروه ؛ لأن التفرقة تظهر بظهور النفس ، وظهور النفس من تضييع حق الوقت ، فأى وقت ظهرت نفس الفقير علموا منه خروجه عن دائرة الجمعية وحكموا عليه بتضييع حكم الوقت وإهمال السياسة وحسن الرعاية . فيقاد بالمنافرة إلى دائرة الجمعية

أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب عبدالقاهر السهروردى إجازة ، قال أخبرنا الشيخ العالم عصام الدين أبو حفص عمر بن أحمد بن منصور الصفار ، قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازى ، قال أخبرنا الشيخ أبو عبدالرحمن محمد بن الحسين السلمى ، قال : سمعت محمد بن عبدالله يقول . سمعت رويما يقول : لايزال الصوفيه بخير ماتنافروا ، فإذااصطلحواهلكوا ، وهذه إشارة من رويم إلى حسن تفقد بعضهم أحوال بعض إشفاقا من ظهور النفوس ، يقول : إذا اصطلحواورفعوا المنافرة منبينهم يخاف أن تخامر البواطن المساهلةوالمراءاة ومسامحة البعض البعض فى إهمال دقيق آدابهم ، وبذلك تظهر النفوس وتستولى ،

وكان كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبى . وأخبرنا أبوزرعة عن أبيه الحافظ المقدسى قال أخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبدالعزيز الهروى ، قال أخبرنا عبدالرحمن بن أبى شريح قال أخبرنا أبو القاسم البغوى ، قال حدثنا مصعب بن عبدالله الزبيرى ، قال حدثنى إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب : أن محمد نعمان أخبر بأن عمر قال فى مجلس فيه المهاجرون والأنصار : أرأيتم لو ترخصت فى بعض الأمور ماذا كنتم فاعلين قال : فسكتنا . قال : فقال ذلك مرتين أو ثلاثا : أرأيتم لو ترخصت فى بعض الأمور ماذا كنتم فاعلين ؟ قال بشر بن سعد : لوفعلت ذلك قومناك تقويم القدح ؛ فقال عمر : أنتم إذن أنتم .

وإذا ظهرت نفس الصوفى بغضب وخصومة مع بعض الإخوان فشرط أخيه أن يقابل نفسه بالقلب ؛ فإن النفس إذا قوبلت بالقلب انحسمت مادة الشر ، وإذا قوبلت النفس بالنفس ثارت الفتنة وذهبت العصمة . قال الله تعالى ﴿ ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم . ومايلقاها إلا الذين صبروا ﴾ .

ثم الشيخ أو الخادم إذا شكا إليه فقير من أخيه فله أن يعاتب أيهما شاء ، فيقول للمعتدى : لم تعديت ؟ وللمعتدى عليه : مالذى أذنبت حتى تعدى عليك وسلط عليك ؟ وهلا قابلت نفسه بالقلب رفقا بأخيك ، وإعطاء للفتوة والصحبة حقها ! فكل منهما جان وخارج عن دائرة الجمعية فيرد إلى الدائرة بالنقار ، فيعود إلى الاستغفار ولا يسلك طريق الاصرار .

روت عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم اجعلنى من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا ، فيكون الاستغفار ظاهرا مع الإخوان ، وباطنا مع الله تعالى ، ويرون الله فى استغفارهم ؛ فلهذا المعنى يقفون فى صف النعال على أقدامهم تواضعا وانكسارا .

وسمعت شيخنا يقول للفقير إذا جرى بينه وبين بعض إخوانه وحشة : قم واستغفر ؛ فيقول الفقير : ما أرى باطنى صافيا ، ولا أوثر القيام للاستغفار ظاهرا من غير صفاء الباطن ؛ فيقول : أنت قم فببركة سعيك وقيامك ترزق الصفاء ، فكان يجد ذلك ويرى أثره عند الفقير وتروق القلوب وترتفع الوحشة .

وهذا من خاصية هذه الطائفة لايبيتون والبواطن منطوية على وحشة ، ولا يجتمعون للطعام والبواطن تضمر وحشة ، ولايرون الاجتماع ظاهرا فى شىء من أمورهم إلا بعد الاجتماع بالبواطن وذهاب التفرقة والشعث ، فإذا قام الفقير للاستغفار لايجوز رد استغفاره بحال .

روى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ارحموا ترحموا ، واغفروا يغفر لكم » .

وللصوفية فى تقبيل يد الشيخ بعد الاستغفار أصل من السنة : روى عبد الله بن عمر قال : كنت فى سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحاص الناس حيصة فكنت فيمن حاص ، فقلنا : كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب ؟ ثم قلنا : لو دخلنا المدينة فتبنا فيها ! ثم قلنا : لو عرضنا أنفسنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كان لنا توبة وإلا ذهبنا ، فأتيناه قبل صلاة الغداة فخرج فقال : « من القوم ؟ قلنا : نحن الفرارون . قال : لا ، بل أنتم العكارون ، أنا فئتكم ، أنا فئة المسلمين » يقال : عكر الرجل ، إذا تولى ثم كر راجعا . والعكار العطاف

والرجاع . قال: فأتيناه حتى قبلنا يده . » وروى أن أبا عبيدة بن الجراح قبل يد عمر عند قدومه . وروى عن أبي مرثد الغنوى أنه قال : أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت إليه وقبلت يده . فهذا رخصة فى جواز تقبيل اليد، ولكن أدب الصوفى أنه متى رأى نفسه تتعزز بذلك أو تظهر بوصفها أن يمتنع من ذلك ، فإن سلم من ذلك فلا بأس بتقبيل اليد ومعانقتهم للإخوان عقيب الاستغفار ، لرجوعهم إلى الألفة بعد الوحشة ، وقدومهم من سفر الهجرة بالتفرقة إلى أوطان الجمعية ، فبظهور النفس تفرقوا وبعدوا ، وبغيبة النفس والاستغفار قدموا ورجعوا : ومن استغفر إلى أخيه ولم يقبله فقد أخطأ ، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وعيد: روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال « من اعتذر إليه أخوه معذرة فلم يقبلها كان عليه مثل خطيئة صاحب المكوس » وروى جابر أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تنصل إليه فلم يقبل لم يرد على الحوض » .

ومن السنة أن يقدم للإخوان شيئا من الاستغفار ، روى أن كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إن من توبتى أن أنخلع من مالى كله وأهجر دار قومى التى فيها أتيت الذنب فقال له النبي عليه الصلاة والسلام « يجزيك من ذلك الثلث » فصارت سنة الصوفية المطالبة بالغرامة بعد الاستغفار والمنافرة ، وكل قصدهم رعاية التألف حتى تكون بواطنهم على الاجتماع كما أن ظواهرهم على الاجتماع ، وهذا أمر تفردوا به من بين طوائف الإسلام .

ثم شرط الفقير الصادق إذا سكن الرباط وأراد أن يأكل من وقفه أو مما يطلب لسكانه بالدروزة : أن يكون عنده من الشغل بالله ما لا يسعه الكسب ، وإلا - إذا كان للبطالة والخوض فيما لا يعنى عنده مجال ولا يقوم بشروط أهل الإرادة من الجد والاجتهاد - فلا ينبغى له أن يأكل من مال الرباط بل يكتسب ويأكل من كسبه ؛ لأن طعام الرباط لأقوام كمل شغلهم بالله ، فخدمتهم الدنيا لشغلهم بخدمة مولاهم ؛ إلا أن يكون تحت سياسة شيخ عالم بالطريق ينتفع بصحبته ويهتدى بهديه ، فيرى الشيخ أن يطعمه من مال الرباط ، فلا يكون تصرف الشيخ إلا بصحة بصيرة . ومن جملة ما يكون للشيخ فى ذلك من النية : أن يشغله بخدمة الفقراء ؛ فيكون ما يأكله فى مقابلة خدمته .

روى عن أبي عمرو الزجاجى قال : أقمت عند الجنيد مدة ، فما رآنى قط إلا وأنا مشتغل بنوع من العبادة ، فما كلمنى حتى كان يوم من الأيام خلا الموضع من الجماعة؛ فقمت ونزعت ثيابى وكنست الموضع ونظفته ورششته وغسلت موضع الطهارة ، فرجع الشيخ ورأى على أثر الغبار ، فدعانى ورحب بى وقال : أحسنت عليك بها ثلاث مرات .

ولا يزال مشايخ الصوفية يندبون الشباب إلى الخدمة حفظا لهم عن البطالة ، وكل واحد يكون له حظ من المعاملة، وحظ من الخدمة .

روى أبو محذورة قال : جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا الأذان ، والسقاية لبنى هاشم ، والحجابة لبنى عبد الدار . وبهذا يقتدى مشايخ الصوفيه فى تفريق الخدم على الفقراء ، ولا يعذر فى ترك نوع من الخدمة إلا كامل الشغل بوقته ، ولا نعنى بكامل الشغل شغل الجوارح ، ولكن نعنى به دوام الرعاية والمحاسبة ، والشغل بالقلب والقالب وقتا وبالقلب دون القالب وقتا ، وتفقد الزيادة من النقصان ؛ فإن قيام الفقير بحقوق الوقت شغل تام ، وبذلك يؤدى شكر نعمة الفراغ ونعمة الكفاية . وفى البطالة كفران نعمة الفراغ والكفاية .

أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب عبد القاهر إجازة ، قال أخبرنا عمر بن أحمد بن منصور ، قال أخبرنا أحمد بن خلف ، قال أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين ، قال سمعت أبا الفضل بن حمدون يقول : سمعت على بن عبد الحميد الفضائرى يقول : سمعت السرى يقول : من لا يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم . وقد يعذر الشيخ العاجز عن الكسب فى تناول طعام الرباط ولا يعذر الشاب . هذا فى شرط طريق القوم على الإطلاق ، فأما من حيث فتوى الشرع : فإن كان شرط الوقف على المتصوفة وعلى من تزيا بزى المتصوفة ولبس خرقتهم فيجوز أكل ذلك لهم على الإطلاق فتوى ، وفى ذلك القناعة بالرخصة دون العزيمة التى هى شغل أهل الإرادة . وإن كان شرط الوقف على من يسلك طريق الصوفية عملا ، وحالا فلا يجوز أكله لأهل البطالات والراكنين إلى تضييع الأوقات ، وطرق أهل الإرادة عند

مشايخ الصوفية مشهورة .

أخبرنا الشيخ الثقة أبو الفتح ، قال أخبرنا أبو الفضل حميد ، قال أخبرنا الحافظ أبو نعيم ، قال حدثنا أبو العباس أحمد ابن محمد بن يوسف ، قال حدثنا جعفر الفريابي ، قال حدثنا محمد بن الحسين البلخي بسمرقند ، قال حدثنا عبد الله ابن المبارك ، قال حدثنا سعيد بن أبي أيوب الخزاعي . قال حدثنا عبد الله بن الوليد عن أبي سليمان الليثي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « مثل المؤمن كمثل الفرس في آخيته يجول ويرجع إلى آخيته ، وإن المؤمن يسهو ثم يرجع الإيمان ؛ فأطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين » .

الباب السادس عشر : في ذكر اختلاف أحوال مشايخهم في السفر والمقام

اختلف أحوال مشايخ الصوفية ؛ فمنهم من سافر في بدايته وأقام في نهايته ؛ ومنهم من أقام في بدايته وسافر في نهايته ؛ ومنهم من أقام ولم يسافر ؛ ومنهم من استدام السفر ولم يؤثر الإقامة .

ونشرح حال كل واحد منهم ومقصده فيما رام : فأما الذي سافر في بدايته وأقام في نهايته فقصده السفر لمعان ، منها : تعلم شيء من العلم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالصين » وقال بعضهم : لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن في كلمة تدل على هدى ما كان سفره ضائعا ، ونقل أن جابر بن عبد الله رحل من المدينة إلى مصر في شهر لحديث بلغه أن أنسا يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال عليه الصلاة والسلام « من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » وقيل في تفسير قوله تعالى ﴿ السائحون ﴾ أنهم طلاب العلم .

حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي إملاء قال أخبرنا أبو الفتح عبد الملك الهروي ، قال أخبرنا أبو نصر الترياقي ، قال أخبرنا الجراحي ، قال أخبرنا أبو العباس المحبوبي ، قال أخبرنا أبو عيسى الترمذي ، قال حدثنا وكيع ، قال حدثنا أبو داود عن سفيان عن أبي هرون ، قال : كنا نأتي أبا سعيد فيقول : مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن النبي عليه السلام قال « إن الناس لكم تبع وإن الرجال يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين ؛ فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا » وقال عليه السلام « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وروت عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله تعالى أوحى إلي إنه من سلك مسلكا في طلب العلم سهلت له طريقا إلى الجنة » . ومن جملة مقاصدهم في البداية لقاء المشايخ والإخوان الصادقين ؛ فللمريد بلقاء كل صادق مزيد ، وقد ينفعه لحظ الرجال كما ينفعه لفظ الرجال وقد قيل : من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه . وهذا القول فيه وجهان : (أحدهما) أن الرجل الصديق يكلم الصادقين بلسان فعله أكثر ما يكلمهم بلسان قوله ؛ فإذا نظر الصادق إلى تصاريفه في مورده ومصدره وخلوته وجلوته وكلامه وسكوته ينتفع بالنظر إليه ؛ فهو نفع اللحظ . ومن لا يكون حاله وأفعاله هكذا فلفظه أيضا لا ينفع لأنه يتكلم بهواه ، ونورانية القول على قدر نورانية القلب ، ونورانية القلب بحسب الاستقامة والقيام بواجب حق العبودية وحقيقتها . (والوجه الثاني) أن نظر العلماء الراسخين في العلم والرجال البالغين ترياق نافع ، ينظر أحدهم إلى الرجل الصادق فيستكشف بنور بصيرته حسن استعداد الصادق واستئهاله لمواهب الله تعالى الخاصة : فيقع في قلبه محبة الصادق من المريدين وينظر إليه نظر محبة عن بصيرة ، وهم من جنود الله تعالى فيكسبون بنظرهم أحوالا سنية ويهبون آثارا مرضية ، وماذا ينكر المنكر من قدرة الله ؟ إن الله سبحانه وتعالى كما جعل في بعض الأفاعي من الخاصية أنه إذا نظر إلى إنسان يهلكه بنظره ، جعل في نظر بعض خواص عباده أنه إذا نظر إلى طالب صادق يكسبه حالا وحياة وقد كان شيخنا رحمه الله يطوف في مسجد الخيف بمنى ويتصفح وجوه الناس ، فقيل له في ذلك فقال : لله عباد إذا نظروا إلى شخص أكسبوه سعادة ، فأنا أتطلب ذلك .

ومن جملة المقاصد في السفر ابتداء قطع المألوفات ، والانسلاخ من ركون النفس إلى معهود ومعلوم ، والتحامل على النفس بتجرع مرارة فرقة الألاف والخلان والأهل والأوطان ، فمن صبر على تلك المألوفات محتسبا عند الله أجرا

فقد حاز فضلا عظيما . أخبرنا أبو زرعة بن أبي الفضل الحافظ المقدسي عن أبيه قال أخبرنا القاضي أبو منصور محمد ابن أحمد الفقية الأصفهاني ، قال أخبرنا أبو إسحق إبراهيم بن عبد الله بن خرشيد قوله ، قال حدثنا أبو بكر عبدالله ابن محمد بن زياد النيسابوري ، قال حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال حدثنا ابن وهب ، قال حدثني يحيى بن عبد الله عن أبي عبدالرحمن عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : مات رجل بالمدينة ممن ولد بها ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « ليته مات بغير مولده » قالوا : ولم ذلك يارسول الله ؟ قال : « إن الرجل إذا مات بغير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره من الجنة » .

ومن جملة المقاصد في السفر استكشاف دقائق النفوس واستخراج رعونتها ودعاويها ، لأنها لا تكاد تتبين حقائق ذلك بغير السفر . وسمي السفر سفرا لأنه يسفر عن الأخلاق ، وإذا وقف على دائه يتشمر لدوائه ، وقد يكون أثر السفر في نفس المبتدئ كأثر النوافل من الصلاة والصوم والتهجد وغير ذلك ، وذلك أن المتنفل سائح سائر إلى الله تعالى من أوطان الغفلات إلى محل القربات ، والمسافر يقطع المسافات ويتقلب في المفاوز والفلوات بحسن النية لله تعالى ، سائر إلى الله تعالى بمراغمة الهوى ومهاجرة ملاذ الدنيا .

أخبرنا شيخنا إجازة ، قال أخبرنا عمر بن أحمد ، قال أخبرنا أحمد بن محمد بن خلف ، قال أخبرنا أبو عبدالرحمن السلمي قال سمعت عبدالواحد بن بكر يقول : سمعت علي بن عبدالرحيم يقول : سمعت النووي يقول : التصوف ترك كل حظ النفس . فإذا سافر المبتدئ تاركا حظ النفس تطمئن النفس وتلين كما تلين بدوام النافلة ، ويكون لها بالسفر دباغ يذهب عنها الخشونة واليبوسة الجبلية والعفونة الطبيعية ، كالجلد يعود من هيئة الجلود إلى هيئة الثياب ، فتعود النفس من طبيعة الطغيان إلى طبيعة الإيمان .

ومن جملة المقاصد في السفر : رؤية الآثار والعبر ، وتسريح النظر في مسارح الفكر ، ومطالعة أجزاء الأرض والجبال ومواطئ أقدام الرجال ، واستماع التسبيح من ذوات الجمادات ، والفهم من لسان حال القطع المتجاورات ، فقد تتجدد اليقظة بتجدد مستودع العبر والآيات ، وتتوفر بمطالعة المشاهد والمواقف الشواهد والدلالات . قال الله تعالى ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ وقد كان السري يقول للصوفية : إذا خرج الشتاء ودخل أدار وأورقت الأشجار طاب الانتشار .

ومن جملة المقاصد بالسفر : إيثار الخمول واطراح حظ القبول ، فصدق الصادق ينم على أحسن الحال ، ويرزق من الخلق حسن الإقبال ، وقلما يكون صادق متمسك بعروة الإخلاص ذو قلب عامر إلا ويرزق إقبال الخلق ، حتى سمعت بعض المشايخ يحكي عن بعضهم أنه قال : أريد إقبال الخلق على لا أني أبلغ نفسي حظها من الهوى ، فإني لا أبالي أقبلوا أو أدبروا ، ولكن لكون إقبال الخلق علامة تدل على صحة الحال ، فإذا ابتلى المريد بذلك لا يأمن نفسه أن تدخل عليه بطريق الركون إلى الخلق ، وربما يفتح عليه باب من الرفق وتدخل النفس عليه من طريق السير والدخول في الأسباب المحمودة ، وتريه فيه وجه المصلحة والفضيلة في خدمة عباد الله وبذل الموجود ، ولا تزال النفس به والشيطان حتى يجراه إلى السكون إلى الأسباب واستجلاء قبول الخلق ، وربما قويا عليه فجراه إلى التصنع والتعمل ويتسع الخرق على الراقع .

وسمعت أن بعض الصالحين قال لمريد له ، أنت الآن وصلت إلى مقام لا يدخل عليك الشيطان من طريق الشر ، ولكن يدخل عليك من طريق الخير ، وهذا منزلة عظيمة للأقدام ، فالله تعالى يدرك الصادق إذا ابتلى بشيء من ذلك ويزعجه بالعناية السابقة والمعونة اللاحقة إلى السفر ، فيفارق المعارف والموضع الذي فتح عليه هذا الباب فيه ويتجرد لله تعالى بالخروج إلى السفر ، وهذا من أحسن المقاصد في الأسفار للصادقين ، فهذه جمل المقاصد المطلوبة للمشايخ في بداياتهم ماعدا الحج والغزو وزيارة بيت المقدس . وقد نقل أن عمر خرج من المدينة قاصدا إلى بيت المقدس وصلى فيه الصلوات الخمس ثم اسرع راجعا إلى المدينة من الغد . ثم إذا منّ الله على الصادق بإحكام أمور بدايته ، قلبه في

الأسفار ، ومنحه الحظ من الاعتبار ، وأخذ نصيبه من العلم قدر حاجته ، واستفاد من مجاورة الصالحين ، وانتقش فى قلبه فوائد النظر إلى حال المتقين ، وتعطر باطنه باستنشاق عرف معارف المقربين ، وتحصن بحماية نظر أهل الله وخاصته وسبر أحوال النفس ، وأسفر السفر عن دفائن أخلاقها وشهواتها الخفية ، وسقط عن باطنه نظر الخلق ، وصار يغلب ولا يغلب ، كما قال الله تعالى إخبارا عن موسى ﴿ ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين ﴾ فعند ذلك يرده الحق إلى مقامه ، ويمده بجزيل إنعامه ، ويجعله إماما المتقين به يقتدى ، وعلما للمؤمنين به يهتدى .

وأما الذى أقام فى بدايته وسافر فى نهايته : يكون ذلك شخصا يسر الله له فى بداية أمره صحبة صحيحة وقيض له شيخا عالما يسلك به الطريق ، ويدرجه إلى منازل التحقيق ، فيلازم موضع إرادته ويلتزم بصحبة من يرده عن عادته وقد كان الشبلى يقول للحصرى فى ابتداء أمره : إن خطر ببالك من الجمعة إلى الجمعة غير الله فحرام عليك أن تحضرنى ، فمن رزق مثل هذه الصحبة يحرم عليه السفر ، فالصحبة خير له من كل سفر وفضيلة يقصدها .

أخبرنا رضى الدين أبو الخير أحمد بن إسمعيل القزوينى إجازة قال : أخبرنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم ابن هوازن القشيرى عن والده الأستاذ أبى القاسم قال : سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول : سمعت عياش بن أبى الصخر يقول : سمعت أبا بكر الزقاق يقول : لا يكون المريد مريدا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال شيئا عشرين سنة فمن رزق صحبة من يندبه إلى مثل هذه الأحوال السنية والعزائم القوية يحرم عليه المفارقة واختيار السفر ، ثم إذا أحكم أمره فى الابتداء بلزوم الصحبة وحسن الاقتداء . وارتوى من الأحوال ، وبلغ مبلغ الرجال ، وانبجس من قلبه عيون ماء الحياة ، وصارت نفسه مكسبة للسعادات يستنشق نفس الرحمن من صدور الصادقين من الإخوان فى أقطار الأرض وشاسع البلدان ، يشرئب إلى التلاق وينبعث إلى الطواف فى الآفاق ، يسيره الله تعالى فى البلاد لفائدة العباد ، ويستخرج بمغناطيس حاله خبء أهل الصدق والمتطلعين إلى من يخبر عن الحق ، ويبذر فى أراضى القلوب بذر الصلاح ، ويكثر ببركة نفسه وصحبته أهل الصلاح . وهذا مثل هذه الأمة الهادية فى الإنجيل ﴿ كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ﴾ تعود بركة البعض إلى البعض ويكون طريق الوراثة معمورا ، وعلم الإفادة منشورا

أخبرنا شيخنا قال أخبرنا الإمام عبد الجبار البيهقى فى كتابه ، قال أخبرنا أبو بكر البيهقى ، قال أخبرنا أبو على الروذبارى قال حدثنا أبو بكر بن واسته ، قال حدثنا أبو داود قال أخبرنا يحيى بن أيوب قال حدثنا إسماعيل بن جعفر ، قال أخبرنى العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » فأما من أقام ولم يسافر يكون ذلك شخصا رباه الحق سبحانه وتعالى وتولاه وفتح عليه أبواب الخير وجذبه بعنايته . وقد ورد جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين . ثم لما علم منه الصدق ورأى حاجته إلى من ينتفع به ساق إليه بعض الصديقين . حتى أيده بلطفه ولفظه ، وتداركه بلحظه ، ولقحه بقوة حاله ، وكفاه يسير الصحبة لكمال الأهلية فى الصاحب والمصحوب ، وإجراء سنة الله تعالى فى إعطاء الأسباب حقها الإقامة ، رسم الحكمة يحوج إلى يسير الصحبة ، فيتنبه بالقليل للكثير ، ويغنيه اليسير من الصحبة عن اللحظ الكثير ، ويكتفى بوافر حظ الاستبصار عن الأسفار ، ويتعوض بأشعة الأنوار عن مطالعة الغير والآثار ، كما قال بعضهم : الناس يقولون افتحوا أعينكم وأبصروا ، وأنا أقول : غمضوا أعينكم وأبصروا . وسمعت بعض الصالحين يقول لله عباد طور سيناهم ركبهم تكون رءوسهم على ركبهم وهم فى محال القرب ، فمن نبع له معين الحياة فى ظلمة خلوته فماذا يصنع بدخول الظلمات ؟ ومن اندرجت له أطباق السموات فى طى شهوده ، ماذا يصنع بتقلب طرفه فى السموات ؟ ومن جمعت أحداق بصيرته متفرقات الكائنات ، ماذا يستفيد من طى الفلوات ؟ ومن خلص بخاصية فطرته إلى مجمع الأرواح ، ماذا تفيده زيارة الأشباح ؟

قيل أرسل ذو النون المصرى إلى أبى يزيد رجلا وقال قل له إلى متى هذا النوم والراحة وقد سارت القافلة ؟

فقال للرسول : قل لأخى : الرجل من ينام الليل كله ثم يصبح فى المنزل قبل القافلة ، فقال ذو النون: هنيئاله ،هذا كلام لاتبلغه أحوالنا .

وكان بشر يقول : يامعشر القراء سيحوا تطيبوا ، فإن الماء إذا كثر مكثه فى موضع تغير ، وقيل قال بعضهم عند هذا الكلام صربحراً حتى لاتتغير ، فإذا أدام المريد سير الباطن يقطع مسافة النفس الأمارة بالسوء، حتى قطع منازل آفاتها وبدل أخلاقها المذمومة بالمحمودة ، وعانق الإقبال على الله تعالى بالصدق والإخلاص، اجتمع له المتفرقات، واستفاد فى حضره أكثر من سفره ، لكون السفر لايخلو من متاعب وكلف ومشوشات وطوارق ونوازل يتجدد الضعف عن سياستها بالعلم للضعفاء ، ولايقدر على تسليط العلم على متجددات السفر وطوارقه إلا الأقوياء .قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للذى زكى عنده رجلا هل صحبته فى السفر الذى يستدل به على مكارم الأخلاق ؟ قال لا ، قال ما أراك تعرفه ! فإذا حفظ الله عبده فى بداية أمره من تشويش السفر ، ومتعه بجمع الهم وحسن الإقبال فى الحضر وساق إليه من الرجال من اكتسب به صلاح الحال ، فقد أحسن إليه .

قيل فى تفسير قوله تعالى ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب ﴾ هو الرجل المنقطع إلى الله يشكل عليه شيء من أمر الدين فيبعث الله إليه من يحل إشكاله . فإذا ثبت قدمه على شروط البداية رزق وهو فى المقام من غير سفر ثمرات النهاية ، فيستقر فى الحضر انتهاء ، وأقيم فى هذا المقام جمع من الصالحين . وأما الذى أدام السفر فرأى صلاح قلبه وصحة حاله فى ذلك . يقول بعضهم اجتهد أن تكون كل ليلة ضيف مسجد ،ولاتموت إلا بين منزلين وكان من هذه الطبقة إبراهيم الخواص ما كان يقيم فى بلد أكثر من أربعين يوما ، وكان يرى إن أقام أكثر من أربعين يوما يفسد عليه توكله ، فكان علم الناس ومعرفتهم إياه سببا ومعلوما .

وحكى عنه أنه قال مكثت فى البادية أحد عشر يوما لم آكل وتطلعت نفسى أن آكل من حشيش البر ، فرأيت الخضر مقبلا نحوى فهربت منه ، ثم التفت فإذا هو رجع عنى ، فقيل لم هربت منه ؟ قال تشوفت نفسى أن يغيثنى ، فهؤلاء الفرارون بدينهم . أخبرنا أبو زرعة طاهر بن الحافظ أبى الفضل المقدسى عن أبيه قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن على قال أخبرنا أبو عبدالله بن يوسف بن ناموبه قال حدثنا أبو محمد الزهرى القاضى قال حدثنا محمد بن عبدالله بن أسباط قال حدثنا أبو نعيم قال حدثنا محمود - يعنى ابن مسلم - عن عثمان بن عبدالله بن أوس عن سليمان بن هرمز عن عبدالله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أحب شيء إلى الله الغرباء ، قيل ومن الغرباء ؟ قال الفرارون بدينهم يجتمعون إلى عيسى ابن مريم يوم القيامة » وهذه كلها أحوال اختلفت وانبع أربابها الصحة وحسن النية مع الله . وحسن النية يقتضى الصدق ، والصدق لعينه محمود كيف تقلبت الأحوال ، فمن سافر ينبغى أن يتفقد حاله ، ويصحح نيته . ولايقدر على تخليص النية من شرائب النفس إلا كثير العلم تام التقوى ، وافر الحظ من الزهد فى الدنيا. ومن انطوى على هوى كامن ولم يستقص فى الزهد لا يقدر على تصحيح النية . فقد يدعوه إلى السفر نشاط جبلى نفسانى وهو يظن أن ذلك داعية الحق ولايميز بين داعية الحق وداعية النفس ويحتاج الشخص فى علم صحة النية إلى العلم بمعرفة الخواطر، وشرح الخواطر وعلمها يحتاج إلى باب مفرد لنفسه ، ونومئ الآن إلى ذلك برمز يدركه من نازله شيء من ذلك ، فأكثر الفقراء من علم ذلك ومعرفته على بعد .

اعلم أن ماذكرناه من نشاط النفس واقع للفقير فى كثير من الأمور ، فقد يجد الفقير الروح بالخروج إلى بعض الصحارى والبساتين ، ويكون ذلك الروح مضرا به فى ثانى الحال وإن كان يتراءى له طيبة القلب فى الوقت وسبب طيبة قلبه فى الوقت أن النفس تنفسح وتتسع ببلوغ غرضها وتيسير يسير هواها بالخروج إلى الصحراء والتنزه ، وإذا اتسعت بعدت عن القلب وتنحت عنه متشوفة إلى متعلق هواها ، فيتروح القلب لا بالصحراء بل ببعد النفس منه ، كشخص تباعد عنه قرين يستثقله . ثم إذا عاد الفقير إلى زاويته واستفتح ديوان معاملته وميز دستور حاله ، يجد النفس مقارنة للقلب بمزيد ثقل موجب لتبرمه بها ، وكلما ازداد ثقلها تكدر القلب . وسبب زيادة ثقلها استرسالها فى

تبادل هواها ، فيصير الخروج إلى الصحراء عين الداء ، ويظن الفقير أنه ترويح ودواء ، فلو صبر على الوحدة والخلوة ، ازدادت النفس ذوبانا ، وخفت ولطفت وصارت قرينا صالحا للقلب لا يستثقلها . وعلى هذا يقاس التروح بالأسفار ، فللنفس وثبات إلى توهم التروحات ، فمن فطن لهذه الدقيقة لا يغتر بالتروحات المستعارة التي لا تحمد عاقبتها ولا تؤمن غائلتها ، ويتثبت عند ظهور خاطر السفر ، ولا يكترث بالخاطر بل يطرحه بعدم الالتفات مسيئا ظنه بالنفس وتسولاتها . ومن هذا القبيل - والله أعلم - قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الشمس تطلع من بين قرني الشيطان » فيكون للنفس عند طلوع الشمس وثبات تستند تلك الوثبات والنهضات من النفس إلى المزاج والطبائع ، ويطول شرح ذلك ويعمق . ومن ذلك القبيل خفة مرض المريض غدوة ، بخلاف العشيات فيتشكل اهتزاز النفس بنهضات القلب ، ويدخل على الفقير من هذا القبيل آفات كثيرة : يدخل في مداخل باهتزاز نفسه ظنا منه أن ذلك حكم نهوض قلبه ، وربما يتراءى له أنه بالله يصول وبالله يقول وبالله يتحرك ، فقد ابتلى بنهضة النفس ووثوبها . ولا يقع هذا الاشتباه إلا لأرباب القلوب وأرباب الأحوال ، وغير أرباب القلب والحال عن هذا بمعزل ، وهذه مزلة قدم مختصة بالخواص دون العوام ، فاعلم ذلك فإنه عزيز علمه . وأقل مراتب الفقراء في مبادي الحركة للسفر لتصحيح وجه الحركة أن يقدموا صلاة الاستخارة ، وصلاة الاستخارة لا تهمل وإن تبين للفقير صحة خاطره أو تبين له وجه المصلحة في السفر ببيان أوضح من الخاطر ، فللقوم مراتب في التبيان من العلم بصحة الخاطر وبما فوق ذلك ، ففي ذلك كله لا تهمل صلاة الاستخارة اتباعا للسنة ، ففي ذلك البركة ، وهو من تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي إملاء قال : أخبرنا أبو القاسم بن عبد الرحمن في كتابه ، أن أبا سعيد الكنجرودي أخبرهم قال أخبرنا أبو عمرو بن حمدان ، قال حدثنا أحمد بن الحسين الصوفي ، قال حدثنا منصور بن أبي مزاحم ، قال حدثنا عبد الرحمن بن أبي الموالي عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن قال : « إذا هم أحدكم بالأمر - أو أراد الأمر ، فليصل ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل : اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر - ويسميه بعينه - خير لي في ديني ومعاشي ومعادي وعاقبة أمري - أو قال عاجل أمري وآجله - فاقدره لي ثم بارك لي فيه ، وإن كنت تعلمه شرا لي - مثل ذلك - فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان » .

الباب السابع عشر : فيما يحتاج إليه الصوفي في سفره من الفرائض والفضائل

فأما من الفقه - وإن كان هذا يذكر في كتب الفقه وهذا الكتاب غير موضوع لذلك ، ولكن نقول على سبيل الإيجاز تيمنا بذكر الأحكام الشرعية التي هي الأساس الذي يبنى عليه - لابد للصوفي المسافر من علم التيمم والمسح على الخفين والقصر والجمع في الصلاة ، أما التيمم لجائز المريض والمسافر في الجنابة والحدث عند عدم الماء أو الخوف من استعماله تلفا في النفس أو المال أو زيادة في المرض على القول الصحيح من المذهب ، أو عند حاجته إلى الماء الموجود لعطشه أو عطش دابته أو رفيقه ، ففي هذه الأحوال كلها يصلي بالتيمم ولا إعادة عليه . والخائف من البرود يصلي بالتيمم ويعيد الصلاة على الأصح . ولا يجوز التيمم إلا بشرط الطلب للماء في مواضع الطلب . ومواضع الطلب مواضع تردد المسافر في منزله للاحتطاب والاحتشاش ، ويكون الطلب بعد دخول الوقت ، والسفر القصير في ذلك كالطويل . وإن صلى بالتيمم مع تيقن الماء في آخر الوقت جاز على الأصح . ولا يعيد مهما صلى بالتيمم وإن كان الوقت باقيا . ومهما توهم وجود الماء بطل تيممه ، كما إذا طلع ركب أو غير ذلك . وإن رأى الماء في أثناء الصلاة لا تبطل صلاته ولا تلزمه الإعادة ، ويستحب له الخروج منها واستئنافها بالوضوء على الأصح . ولا يتيمم للفرض قبل دخول الوقت ويتيمم لكل فريضة . ويصلي مهما شاء من نوافل بتيمم واحد . ولا يجوز أداء الفرض بتيمم

النافلة : ومن لم يجد ماء ولا ترابا يصلى عند وجود أحدهما . ولكن إذا كان محدثا لا يمس المصحف . وإن كان جنبا لا يقرأ القرآن فى الصلاة بل يذكر الله تعالى عوض القراءة . ولا يتيمم إلا بتراب طاهر غير مخالط الرمل والحصى ، ويجوز بالغبار على ظهر الحيوان والثوب . ويسمى الله تعالى عند التيمم ، وينوى استباحة الصلاة قبل ضرب اليد على التراب ، ويضم أصابعه لضربة الوجه ويمسح جميع الوجه ، فلو بقى شىء من محل الفرض غير ممسوح لا يصح التيمم ويضرب ضربة لليدين مبسوط الأصابع ، ويعم بالتراب محل الفرض ، وإن لم يقدر إلا بضربتين فصاعدا كيف أمكنه لابد أن يعم التراب محل الفرض . ويمسح إذا فرغ إحدى الراحتين بالأخرى حتى تصيرا ممسوحتين ، ويمر اليد على ما نزل من اللحية من غير إيصال التراب إلى المنابت .

وأما المسح : فيمسح على الخف ثلاثة أيام ولياليهن فى السفر . والمقيم يوما وليلة وابتداء المدة من حين الحدث بعد لبس الخف ، لا من حين لبس الخف . ولا حاجة إلى النية عند لبس الخف ، بل يحتاج إلى كمال الطهارة ، حتى لو لبس أحد الخفين قبل غسل الرجل الأخرى لا يصح أن يمسح على الخف . ويشترط فى الخف إمكان متابعة المشى عليه وستر محل الفرض ، ويكفى مسح يسير من أعلى الخف ، والأولى مسح أعلاه وأسفله من غير تكرار ، ومتى ارتفع حكم المسح - بانقضاء المدة أو ظهور شىء من محل الفرض وإن كان عليه لفافة وهو على الطهارة - يغسل القدمين دون استئناف الوضوء على الأصح . والماسح فى السفر إذا أقام يمسح كالمقيم ، وهكذا المقيم إذا سافر يمسح كالمسافر . واللبد إذا ركب جوربا ونعل يجوز المسح عليه ، ويجوز على المشرج إذا ستر محل الفرض ، ولا يجوز على المنسوج وجهه الذى يستر بعض القدم به والباقى باللفافة :

فأما القصر والجمع فيجمع بين الظهر والعصر فى وقت إحداهما . ويتيمم لكل واحدة ولا يفصل بينهما بكلام وغيره . وهكذا الجمع بين المغرب والعشاء . ولا قصر فى المغرب والصبح بل يصليها كهيئتها من غير قصر وجمع والسنن الرواتب يصليها بالجمع بين السنتين قبل الفريضتين للظهر والعصر وبعد الفراغ من الفريضتين يصلى ما يصلى بعد الفريضة من الظهر ركعتين أو أربعا ، وبعد الفراغ من المغرب والعشاء يؤدى السنن الراتبة لهما ويوتر بعدهما . ولا يجوز أداء الفرض على الدابة بحال إلا عند التحام القتال للغازى . ويجوز ذلك فى السنن الرواتب والنوافل ، وتكفيه الصلاة على ظهر الدابة ، وفى الركوع والسجود الإيماء ، ويكون إيماء السجود أخفض من الركوع ، إلا أن يكون قادرا على التمكن مثل أن يكون فى محاورة وغير ذلك ، ويقوم توجهه إلى الطريق مقام استقبال القبلة ، ولا يوجهها إلى غير الطريق إلا للقبلة حتى لو حرف دابته عن الصوب المتوجه إليه لا إلى نحو القبلة بطلت صلاته . والماشى يتنفل فى السفر ويقنعه استقبال القبلة عند الإحرام ، ولا يجزئه فى الإحرام إلا الاستقبال ، ويقنعه الإيماء للركوع والسجود ، وراكب الدابة لا يحتاج إلى استقبال القبلة للإحرام أيضا . وإذا أصبح المسافر مقيما ثم سافر فعليه إتمام ذلك اليوم فى الصوم ، وهكذا إن أصبح مسافرا ثم أقام ، والصوم فى السفر أفضل من الفطر ، وفى الصلاة القصر أفضل من الإتمام ، فهذا القدر كاف للصوفى أن يعلمه من حكم الشرع فى مهام سفره .

فأما المندوب والمستحب فينبغى أن يطلب لنفسه رفيقا فى الطريق يعينه على أمر الدين ، وقد قيل : الرفيق ثم الطريق ، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر الرجل وحده ، إلا أن يكون صوفيا عالما بآفة نفسه يختار الوحدة على بصيرة من أمره فلا بأس بالوحدة ، وإذا كانوا جماعة ينبغى أن يكون فيهم متقدم أمير . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كنتم ثلاثة فى سفر فأمروا أحدكم » والذى يسميه الصوفية « بيشر » وهو الأمير وينبغى أن يكون الأمير أزهد الجماعة فى الدنيا ، وأوفرهم حظا من التقوى ، وأتمهم مروءة وسخاوة ، وأكثرهم شفقة . روى عبدالله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه » نقل عن عبد الله المروزى : أن أبا على الرباطى صحبه فقال : على أن أكون أنا الأمير أو أنت ؟ فقال : بل أنت ؛ فلم يزل يحمل الزاد لنفسه ولأبى على على ظهره ، وأمطرت السماء ذات ليلة فقام عبد الله طول الليل على رأس رفيقه يغطيه بكسائه من

المطر ، وكلما قال لاتقل يقول ألست الأمير وعليك الانقياد والطاعة . فأما إن كان الأمير يصحب الفقراء لمحبة الاستتباع وطلب الرياسة والتعزز ليتسلط على الخدام فى الربط ويبلغ نفسه هواها ؛ فهذا طريق أرباب الهوى الجهال المباينين لطريق الصوفية ، وهو سبيل من يريد جمع الدنيا ، فليتخذ لنفسه رفقاء مائلين إلى الدنيا يجتمعون لتحصيل أغراض النفس والدخول على أبناء الدنيا والظلمة للتوصل إلى تحصيل مآرب النفس ، ولا يخلو اجتماعهم هذا عن الخوض فى الغيبة والدخول فى المداخل المكروهة والقل فى الربط والاستمتاع والنزهة ، وكلما كثر المعلوم فى الرباط أطالوا المقام وإن تعذرت أسباب الدين ، وكلما قل المعلوم رحلوا وإن تيسرت أسباب الدين ، وليس هذا طريق الصوفية .

ومن المستحب أن يودع إخوانه إذا أراد السفر ، ويدعو لهم بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال بعضهم : صحبت عبد الله بن عمر من مكة إلى المدينة ، فلما أردت مفارقته شيعنى وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال لقمان لابنه : يابنى إن الله تعالى إذا استودع شيئا حفظه ، وإنى أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك » . وروى زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه ، فإن الله تعالى جاعل له فى دعائهم البركة » . وروى عنه عليه السلام أيضا أنه كان إذا ودع رجلا قال : « زودك الله التقوى ، وغفر ذنبك ، ووجهك للخير حيثما توجهت » وينبغى أن يعتقد إخوانه إذا دعالهم واستودعهم الله أن الله يستجيب دعاءه : فقد روى أن عمر رضى الله عنه كان يعطى الناس عطاياهم ، إذ جاء رجل معه ابن له فقال له عمر : مارأيت أحدا أشبه بأحد من هذا بك ؟ فقال الرجل : أحدثك عنه ياأمير المؤمنين ، إنى أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل به فقالت : تخرج وتدعنى على هذه الحالة ؟ فقلت : أستودع الله مافى بطنك ، فخرجت ثم قدمت فإذا هى قد ماتت ، فجلسنا نتحدث فإذا نار تلوح على قبرها ، فقلت للقوم : ما هذه النار ؟ فقالوا : هذه من قبر فلانة تراها كل ليلة ، فقلت : والله إنها كانت صوامة قوامة ، فأخذت المعول حتى انتهينا إلى القبر فحفرنا وإذا سراج وإذا هذا الغلام يدب ، فقيل : إن هذا وديعتك ولو كنت استودعتنا أمه لوجدتها ، فقال عمر : لهو أشبه بك من الغراب بالغراب ، وينبغى أن يودع كل منزل يرحل عنه بركعتين ويقول : اللهم زودنى التقوى واغفر لى ذنوبى ووجهنى للخير أينما توجهت ، وروى أنس بن مالك قال : كان رسول الله عليه الصلاة والسلام لاينزل منزلا إلا ودعه بركعتين ، فينبغى أن يودع كل منزل ورباط يرحل عنه بركعتين ، وإذا ركب الدابة فليقل : سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، بسم الله والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور . والسنة أن يرحل من المنازل بكرة ويبتدئ بيوم الخميس . روى كعب بن مالك قال : قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى السفر إلا يوم الخميس ، وكان إذا أراد أن يبعث سرية بعثها أول النهار ويستحب كلما أشرف على منزل أن يقول : اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين ، ورب البحار وما جرين : أسألك خير هذا المنزل وخير أهله ، وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر أهله . وإذا نزل فليصل ركعتين ، ومما ينبغى للمسافر أن يصحبه آلة الطهارة قيل : كان إبراهيم الخواص لايفارقه أربعة أشياء فى الحضر والسفر : الركوة ، والحبل ، والإبرة وخيوطها ، والمقراض . وروت عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سافر حمل معه خمسة أشياء : المرآة ، والمكحلة ، والمدرى ، والسواك ، والمشط . وفى رواية . المقراض ، والصوفية لاتفارقهم العصى ، وهى أيضاً من السنة .

روى معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن أتخذ منبراً فقد اتخذه إبراهيم ، وإن أتخذ العصا فقد اتخذها إبراهيم وموسى ، وروى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال التوكؤ على العصا من أخلاق الأنبياء ، كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عصا يتوكأ عليها ويأمر بالتوكؤ على العصا ؛ وأخذ الركوة أيضا من السنة . وروى جابر عن عبد الله قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ من ركوة إذ جهش الناس نحوه أى أسرعوا نحوه ، والأصل فيه البكاء ، كالصبى يتلازم بالأم ويسرع إليها عند البكاء ، قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« مالكم ؟ قالوا : يارسول الله مانجد ماء نشرب ولانتوضأ به إلا مابين يديك ؛ فوضع يده فى الركوة ، فنظرت وهو يفور من بين أصابعه مثل العيون ؟ قال : فتوضأ القوم منه . قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة فى غزوة الحديبية .

ومن سنة الصوفية شد الوسط وهو من السنة ؛ روى أبو سعيد قال : حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مشاة من المدينة إلى مكة وقال « اربطوا على أوساطكم بأزركم » فربطنا ومشينا خلفه الهرولة .

ومن ظاهر آداب الصوفية عند خروجهم من الربط أن يصلى ركعتين فى أول النهار يوم السفر بكرة كما ذكرنا ، يودع البقعة بالركعتين ، ويقدم الخف وينفضه ، ويشمر الكم اليمنى ثم اليسرى ، ثم يأخذ الميانيد الذى يشد به وسطه ويأخذ خريطة المداس وينفضها ، ويأتى الموضع الذى يريد أن يلبس الخف فيفرش السجادة طاقين ويحك نعل أحد المداسين بالآخر ، ويأخذ المداس باليسار والخريطة باليمين ، ويضع المداس فى الخريطة أعقابه إلى أسفل ويشد رأس الخريطة ، ويدخل المداس بيده اليسرى من كمه الأيسر ويضعه خلف ظهره ، ثم يقعد على السجادة ويقدم الخف بيساره وينفضه ، ويبتدى باليمنى فيلبس ، ولايدع شيئا من الران أو المنطقة يقع على الأرض ، ثم يغسل يديه ويجعل وجهه إلى الموضع الذى يخرج منه ويودع الحاضرين ، فإن أخذ بعض الإخوان راويته إلى خارج الرباط لايمنعه ، وهكذا العصا والإبريق ، ويودع من شيعه ، ثم يشد الراوية يرفع يده اليمنى ويخرج اليسرى من تحت إبطه الأيمن ويشد الراوية على الجانب الأيسر ، ويكون كتفه الأيمن خاليا وعقدة الراوية عن الجانب الأيمن ؛ فإذا وصل فى طريقه إلى موضع شريف أو استقبله جمع من الإخوان أو شيخ من الطائفة يحل الراوية ويحطها ويستقبلهم ويسلم عليهم ، ثم إذا جاوزوه يشد الراوية ، وإذا دنا من منزل - رباطا كان أو غيره - يحل الراوية ويحملها تحت إبطه الأيسر ، وهكذا العصا والإبريق يمسكه بيساره ، وهذه الرسوم استحسنها فقراء خراسان والجبل ، ولايتعهدها أكثر فقراء العراق والشام والمغرب ، ويجرى بين الفقراء مشاحنة فى رعايتها ؛ فمن لايتعهدها يقول : هذه رسوم لاتلزم ، والالتزام بها وقوف مع الصور وغفلة عن الحقائق . ومن يتعهدها يقول : هذه آداب وضعها المتقدمون ، وإذا رأوا من يخل بها أو بشىء منها ينظرون إليه نظر الازدراء والحقارة ويقال : هذا ليس بصوفى ، وكلا الطائفتين فى الإنكار يتعدون الواجب . والصحيح فى ذلك أن من يتعاهدها لا ينكر عليه ، فليس بمنكر فى الشرع وهو أدب حسن . ومن لم يلتزم بذلك فلاينكر عليه فليس بواجب فى الشرع ولا مندوب إليه . وكثير من فقراء خراسان والجبل يبالغ فى رعاية هذه الرسوم إلى حد يخرج إلى الإفراط ، وكثيراً مايخل بها فقراء العراق والشام والمغاربة إلى حد يخرج إلى التفريط . والأليق أن ماينكره الشرع ينكر وما لاينكره لاينكر ، ويجعل لتصاريف الإخوان أعذاراً مالم يكن فيها منكر أو إخلال بمندوب إليه ، والله الموفق .

الباب الثامن عشر : فى القدوم من السفر ودخول الرباط والأدب فيه

ينبغى للفقير إذا رجع من السفر أن يستعيذ بالله تعالى من آفات المقام كما يستعيذ به من وعثاء السفر . ومن الدعاء المأثور : « اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر فى الأهل والمال والولد » ، وإذا أشرف على بلد يريد المقام بها ، يشير بالسلام على من بها من الأحياء والأموات ويقرأ من القرآن ما تيسر ويجعله هدية للأحياء والأموات ويكبر ، فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قفل من غزو أو حج يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث مرات ويقول « لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، آيبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » ويقول إذا رأى البلد : اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ، ولو اغتسل كان حسنا اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث اغتسل لدخول مكة ، وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من طلب الأحزاب ونزل المدينة نزع لأمته واغتسل » واستحم ، وإلا فليجدد الوضوء ويتنظف ويتطيب ويستعد للقاء الإخوان بذلك ؛ وينوى التبرك

بمن هنالك من الأحياء والأموات ويزورهم .

روى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « خرج رجل يزور أخا له فى الله فأرصد الله بمدرجته ملكا وقال : أين تريد ؟ قال : أزور فلانا ، قال لقرابة ؟ قال : لا ، قال : لنعمة له عندك تشكرها ؟ قال : لا ، قال فيم تزوره ؟ قال إنى أحبه فى الله ، قال : فإنى رسول الله إليك بأنه يحبك بحبك إياه » .

وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا دعا الرجل أخاه أو زاره فى الله قال الله له : طبت وطاب ممشاك ، وتبوأ من الجنة منزلا » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة » فيحصل للفقير فائدة الأحياء والأموات بذلك . فإذا دخل البلد يبتدئ بمسجد من المساجد يصلى فيه ركعتين ، فإن قصد الجامع كان أكمل وأفضل . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم دخل المسجد أولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت والرباط للفقير بمنزلة البيت ، ثم يقصد الرباط فقصده الرباط من السنة ، على ما رويناه عن طلحة رضى الله عنه قال : كان الرجل إذا قدم المدينة وكان له بها عريف ينزل على عريفه ، وإن كان لم يكن له بها عريف نزل الصفة ، فكنت ممن أنزل الصفة . فإذا دخل الرباط يمضى إلى الموضع الذى يريد نزع الخف فيه ، فيحل وسطه وهو قائم ، ثم يخرج الخريطة بيساره من كمه اليسار ويحل رأس الخريطة باليمين ويخرج المداس باليسار ، ثم يضع المداس على الأرض ويأخذ الميانيد ويلقيها فى وسط الخريطة ، ثم ينزع خفه اليسار ، فإن كان على الوضوء يغسل قدميه بعد نزع الخف من تراب الطريق والعرق ، وإذا قدم على السجادة يطوى السجادة من جانب اليسار ، ويمسح قدميه بما انطوى ثم يستقبل القبلة ويصلى ركعتين ، ثم يسلم ويحفظ القدم أن يطأ بها موضع السجود من السجادة ، وهذه الرسوم الظاهرة التى استحسنها بعض الصوفية لا تنكر على من يتقيد بها لأنه من استحسان الشيوخ ، ونيتهم الظاهرة فى ذلك : تقييد المريد فى كل شىء بهيئة مخصوصة ، ليكون أبدا متفقدا لحركاته غير قادم على حركة بغير قصد وعزيمة وأدب ، ومن أخل من الفقراء بشىء من ذلك لا ينكر عليه ما لم يخل بواجب أو مندوب ؛ لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقيدوا بكثير من رسوم المتصوفة ، وكون الشبان يطالبون الوارد عليهم بهذه الرسوم من غير نظر لهم إلى النية فى الأشياء غلط ، فلعل الفقير يدخل الرباط غير مشمر أكمامه ، وقد كان فى السفر لم يشمر الأكمام فينبه أن لا يتعاطى ذلك لنظر الخلق حيث لم يخل بمندوب إليه شرعا ، وكون الآخر يشمر الأكمام يقيس ذلك على شد الوسط وشد الوسط من السنة كما ذكرنا من شد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوساطهم فى سفرهم بين المدينة ومكة ، فتشمير الأكمام فى معناه من الخفة والارتفاق به فى المشى ، فمن كان مشدود الوسط مشمرا يدخل الرباط كذلك ، ومن لم يكن فى السفر مشدود الوسط أو كان راكبا لم يشد وسطه ، فمن الصدق أن يدخل كذلك ، ولا يتعمد شد الوسط وتشمير الأكمام لنظر الخلق فإنه تكلف ونظر إلى الخلق ، ومبنى التصوف على الصدق وسقوط نظر الخلق ، ومما ينكر على المتصوفة أنهم إذا دخلوا الرباط لا يبتدئون بالسلام ويقول المنكر : هذا خلاف المندوب ، ولا ينبغى للمنكر أن يبادر إلى الإنكار دون أن يعلم مقاصدهم فيما اعتمدوه وتركهم السلام يحتمل وجوها ، أحدها : أن السلام اسم من أسماء الله تعالى وقد روى عبد الله بن عمر قال : مر رجل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يبول ، فسلم عليه فلم يرد عليه حتى كاد الرجل أن يتوارى ، فضرب يده على الحائط ومسح بها وجهه ، ثم ضرب ضربة أخرى فمسح بها ذراعيه ، ثم رد على الرجل السلام وقال : « إنه لم يمنعنى أن أرد عليك السلام إلا أنى لم أكن على طهر » وروى أنه لم يرد عليه حتى توضأ ثم اعتذر إليه وقال « إنى كرهت أن أذكر الله تعالى إلا على طهر » وقد يكون جمع من الفقراء مصطحبين فى السفر وقد يتفق لأحدهم حدث ، فلو سلم المتوضئ وأمسك المحدث ظهر حاله ، فيترك السلام حتى يتوضأ من يتوضأ ويغسل قدمه من يغسل سترا للحال على من أحدث ، حتى يكون سلامهم على الطهارة اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يكون بعض المقيمين أيضا على غير طهارة فيستعد لجواب السلام أيضا بالطهارة ؛ لأن السلام اسم من أسماء الله تعالى ، وهذا من أحسن ما يذكر

من الوجوه فى ذلك . ومنها أنه إذا قدم يعانقه الإخوان وقد يكون معه من آثار السفر والطريق مايكره فيستعد بالوضوء والنظافة ثم يسلم ويعانقهم ومنها أن جميع الرباط أرباب مراقبة وأحوال ؛ فلو هجم عليهم بالسلام قد ينزعج منه مراقب ويتشوش محافظ ، والسلام يتقدمه استئناس بدخوله واشتغاله بغسل القدم والوضوء وصلاة ركعتين ، فيتأهب الجمع له كما يتأهب لهم بعد مسابقة الاستئناس . وقال الله تعالى ﴿حتى تستأنسوا﴾ واستئناس كل قوم على ما يليق بحالهم ، ومنها أنه لم يدخل على غير بيته ولا هو بغريب منهم ، بل هم إخوانه والألفة بالنسبة المعنوية الجامعة لهم فى طريق واحد ، والمنزل منزله والموضع موضعه ، فيرى البركة فى استفتاح المنزل بمعاملة الله قبل معاملة الخلق ، وكما يمهد عذرهم فى ترك السلام ينبغى لهم أن لاينكروا على من يدخل ويبتدئ بالسلام ، فكما أن من ترك السلام له نية فالذى ابتدأ به له أيضاً نية .

وللقوم آداب ورد بها الشرع ، ومنها آداب استحسنها شيوخهم ، فما ورد به الشرع : ماذكرنا من شد الوسط والعصا والركوة والابتداء باليمين فى لبس الخف وفى نزعه باليسار : روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا انتعلتم فابدءوا باليمين ، وإذا خلعتم فابدءوا باليسار أو اخلعهما جميعا أو انعلهما جميعا » روى جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخلع اليسرى قبل اليمنى ويلبس اليمنى قبل اليسرى .

وبسط السجادة وردت به السنة وقد ذكرناه . وكون أحدهم لايقعد على سجادة الآخر مشروع ومسنون وقد ورد فى حديث طويل « لايؤم الرجل الرجل فى سلطانه ولافى أهله ولايجلس على تكرمته إلا بإذنه » .

وإذا سلم على الإخوان يعانقهم ويعانقونه ، فقد روى جابر بن عبد الله قال : « لما قدم جعفر من أرض الحبشة عانقه النبى صلى الله عليه وسلم » وإن قبلهم فلا بأس بذلك روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم جعفر قبل بين عينيه وقال « ماأنا بفتح خيبر أسر منى بقدوم جعفر » ويصافح إخوانه فقد قال عليه السلام « قبلة المسلم أخاه المصافحة » وروى أنس بن مالك قال : قيل يارسول الله ، الرجل يلقى صديقه وأخاه ينحنى له ؟ قال : لا . قيل يلزمه ويقبله ؟ قال لا . قيل فيصافحه ؟ قال نعم .

يستحب للفقراء المقيمين فى الرباط أن يتلقوا الفقراء بالترحيب روى عكرمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم جئته « مرحبا بالراكب المهاجر » مرتين . وإن قاموا إليه فلا بأس وهو مسنون روى عنه عليه السلام أنه قام لجعفر يوم قدومه .

ويستحب للخادم أن يقدم له الطعام روى لقيط بن صبرة قال وفدنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نصادفه فى منزله وصادفنا عائشة رضى الله عنها ، فأمرت لنا بالحريرة فصنعت لنا ، وأتينا بقناع فيه تمر ـ والقناع الطبق ـ فأكلنا ، ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أصبتم شيئا ؟ » قلنا نعم يارسول الله .

ويستحب للقادم أن يقدم للفقراء شيئا لحق القدوم ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة نحر جزورا وكراهيتهم لقدوم القادم بعد العصر وجهه من السنة منع النبى صلى الله عليه وسلم عن طروق الليل .

والصوفية بعد العصر يستعدون لاستقبال الليل بالطهارة والانكباب على الأذكار والاستغفار روى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا قدم أحدكم من سفر فلا يطرقن أهله ليلا » وروى كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لايقدم من السفر إلا نهاراً فى الضحى ؛ فيستحبون القدوم فى أول النهار ، فإن فات من أول النهار فقد يتفق تعويق من ضعف بعضهم فى المشى أو غير ذلك ، فيعذر الفقير بقية النهار إلى العصر لاحتمال التعويق ، فإذا صار العصر ينسب إلى تقصيره فى الاهتمام بالسنة وقدوم أول النهار فإنهم يكرهون الدخول بعد العصر والله أعلم ، فإذا صار العصر يؤخر القدوم إلى الغد ليكون عاملا بالسنة للقدوم ضحوة ، وأيضا فيه معنى آخر وهو أن الصلاة بعد العصر مكروهة .

ومن الأدب أن يصلى القادم ركعتين ؛ فلذلك يكرهون القدوم بعد صلاة العصر ، وقد يكون من الفقراء القادمين

من يكون قليل الدراية بدخول الرباط وينالة دهشة : فمن السنة التقرب إليه والتودد وطلاقة الوجه حتى ينبسط وتذهب عنه الدهشة ، ففى ذلك فضل كثير

روى أبو رفاعة قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقلت : يارسول الله ، رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدرى ما دينه ؟ قال : فأقبل النبى صلى الله عليه وسلم وترك خطبته ، ثم أتى بكرسى قوائمه من حديد فقعد رسول الله ثم جعل يعلمنى مما علمه الله ، ثم أتى خطبته وأتم آخرها . فأحسن أخلاق الفقراء الرفق بالمسلمين، واحتمال المكروه من المسموع والمرئى ، وقد يدخل فقير بعض الربط ويخل بشىء من مراسم المتصوفة فينهر ويخرج ، وهذا خطأ كبير ؛ فقد يكون خلق من الصالحين والأولياء لايعرفون هذا الترسم الظاهر ويقصدون الرباط بنية صالحة ، فإذا استقبلوا بالمكروه يخشى أن تتشوش بواطنهم من الأذى ويدخل على المنكر عليه ضرر فى دينه ودنياه ؛ فليحذر ذلك وينظر إلى أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم وما كان يعتمده مع الخلق من المداراة والرفق . وقد صح : أن أعرابيا دخل المسجد وبال ، فأمر النبى عليه السلام حتى أتى بذنوب فصب على ذلك لم ينهر الأعرابى ، بل رفق به وعرفه الواجب بالرفق واللين . والفظاظة والتغليظ والتسلط على المسلمين بالقول والفعل من النفوس الخبيثة وهو ضد حال المتصوفة، ومن دخل الرباط ممن لا يصلح للمقام به رأسا يصرف من الموضع على ألطف وجه بعد أن يقدم له طعام ويحسن له الكلام ، فهذا الذى يليق بسكان الرباط ، ومايعتمده الفقراء من تغميز القادم بخلق حسن ومعاملة صالحة وردت به السنة ، روى عمر رضى الله عنه قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلام له حبشى يغمز ظهره فقلت : يارسول الله ماشأنك ؟ فقال : « إن الناقة اقتحمت بى » فقد يحسن الرضا بذلك ممن يغمز فى وقت تعبه وقدومه من السفر ؛ فأما من يتخذ ذلك عادة ويحب التغميز ويستجلب به النوم ويساكنه حتى لايفوته فلا يليق بحال الفقراء - وإن كان فى الشرع جائز - وكان بعض الفقراء إذا استرسل فى الغمز واستلذه واستدعاه يحتلم ؛ فيرى ذلك الاحتلام عقوبة استرساله فى التغميز ، ولأرباب العزائم أمور لايسعهم فيها الركون إلى الرخص .

ومن آداب الفقير إذا استقر وقعد بعد قدومه أن لايبتدئ بالكلام دون أن يسئل ، ويستحب أن يمكث ثلاثة أيام لايقصد زيارة أو مشهدا أو غير ذلك مما هو مقصوده من المدينة حتى يذهب عنه وعثاء السفر ويعود باطنه إلى هيئته ، فقد يكون بالسفر وعوارضه تغير باطنه وتكدر حتى تجتمع فى الثلاثة أيام همته وينصلح باطنه ويستعد للقاء المشايخ والزيارات بتنوير الباطن ؛ فإن باطنه إذا كان منوراً يستقرى حظه من الخير من كل شيخ وأخ يزوره ، وقد كنت أسمع شيخنا يوصى الأصحاب ويقول : لاتكلموا أهل هذا الطريق إلا فى أصفى أوقاتكم ، وهذا فيه فائدة كبيرة ، فإن نور الكلام على قدر نور القلب ، ونور السمع على قدر نور القلب، فإذا دخل على شيخ أو أخ وزاره ينبغى أن يستأذنه إذا أراد الانصراف ؛ فقد روى عبدالله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا زار أحدكم أخاه فجلس عنده فلا يقومن حتى يستأذنه » وإن نوى أن يقيم أياما وفى وقته سعة ولنفسه إلى البطالة وترك العمل تشوف أن يطلب خدمة يقوم بها ، وإن كان دائم العمل لربه فكفى بالعبادة شغلا لأن الخدمة لأهل العبادة تقوم مقام العبادة ، ولا يخرج من الرباط إلا بإذن المقدم فيه ، ولايفعل شيئا دون أن يأخذ رأيه فيه .

فهذه جمل أعمال يعتمدها الصوفية وأرباب الربط ، والله تعالى بفضله يزيدهم توفيقا وتأديبا :

الباب التاسع عشر : فى حال الصوفى المتسبب

اختلف أحوال الصوفية فى الوقوف مع الأسباب والإعراض عن الأسباب ؛ فمنهم من كان على الفتوح لا يركن إلى معلوم ولا يتسبب بكسب ولا سؤال ؛ ومنهم من كان يكتسب ومنهم من كان يسأل فى وقت فاقته، ولهم فى كل ذلك أدب وحد يراعونه ولا يتعدونه ، وإذا كان الفقير يسوس نفسه بالعلم يأتيه الفهم من الله تعالى فى الذى يدخل فيه من سبب أو ترك سبب ، فلا ينبغى للفقير أن يسأل مهما أمكن ؛ فقد حث النبى عليه الصلاة والسلام على ترك السؤال بالترغيب

والترهيب ، فأما الترغيب فما روى ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يضمن لى واحدة أتكفل له بالجنة » . قال ثوبان : قلت أنا قال « لا تسأل الناس شيئا » فكان ثوبان تسقط علاقة سوطه فلا يأمر أحدا يناوله وينزل هو ويأخذها . وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم « لأن يأخذ أحدكم حبلا فيحتطب على ظهره فيأكل ويتصدق خير له من أن يأتى رجلا فيسأله أعطاه أو منعه ، فإن اليد العليا خير من اليد السفلى » .

أخبرنا الشيخ الصالح أبو زرعة طاهر بن أبى الفضل الحافظ المقدسى قال : أخبرنى والدى قال أخبرنا أبو محمد الصيرفى ببغداد قال أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد قال حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال حدثنا على بن الجعد قال حدثنا شعبة عن أبى حمزة قال سمعت هلال بن حصين قال « أتيت المدينة فنزلت دار أبى سعيد فضمنى وإياه المجلس فحدث أنه أصبح ذات يوم وليس عندهم طعام فأصبح وقد عصب على بطنه حجرا من الجوع ، فقالت لى امرأتى : ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أتاه فلان فأعطاه وأتاه فلان فأعطاه قال : فأتيته وقلت : ألتمس شيئا فذهبت أطلب فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب ويقول « من يستعف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ، ومن سألنا شيئا فوجدناه أعطيناه وواسيناه ، ومن استعف عنه واستغنى فهو أحب إلينا ممن سألنا » قال فرجعت وما سألته فرزقنى الله تعالى حتى ما أعلم أهل بيت من الأنصار أكثر أموالا منه .

وأما من حيث الترهيب والتحذير : فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله ، وليس فى وجهه مزعة لحم » وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس المسكين الذى ترده الأكلة والأكلتان والتمرة والتمرتان ، ولكن المسكين الذى لا يسأل الناس ولا يفطن بمكانه فيعطى » هذا هو حال الفقير الصادق ، والمتصوف المحقق لا يسأل الناس شيئا ، ومنهم من يلزم الأدب حتى يؤديه إلى حال يستحيى من الله تعالى أن يسأله شيئا من أمر الدنيا إذا همت النفس بالسؤال ترده الهيبة ويرى الإقدام على السؤال جراءة فيعطيه الله تعالى عند ذلك من غير سؤال ؛ كما نقل عن إبراهيم الخليل عليه السلام : أنه جاء جبريل وهو فى الهواء ، قبل أن يصل إلى النار فقال هل لك من حاجة ؟ فقال أما إليك فلا ، فقال له فسل ربك ، فقال حسبى من سؤالى علمه بحالى . وقد يضعف عن مثل هذا فيسأل الله عبودية ولا يرى سؤال المخلوقين ، فيسوق الله تعالى إليه القسم من غير سؤال مخلوق .

بلغنا عن بعض الصالحين أنه كان يقول إذا وجد الفقير نفسه مطالبة بشىء لا تخلو تلك المطالبة إما أن تكون لرزق يريد الله أن يسوقه إليه ، فتنبه النفس له ، فقد تتطلع نفوس بعض الفقراء إلى ما سوف يحدث وكأنها تخبر بما يكون ، وإما أن يكون ذلك عقوبة لذنب وجد منه ، فإذا وجد الفقير ذلك ، وألحت النفس بالمطالبة فليقم ويسبغ الوضوء ويصل ركعتين ويقول يارب إن كانت هذه المطالبة عقوبة ذنب فأستغفرك وأتوب إليك ، وإن كانت لرزق قدرته لى فعجل وصوله إلى ، فإن الله تعالى يسوقه إليه إن كان رزقه وإلا فتذهب المطالبة عن باطنه ، فشأن الفقير أن ينزل حوائجه بالحق ، فإما أن يرزقه الشىء أو الصبر أو يذهب ذلك عن قلبه ، فلله سبحانه وتعالى أبواب من طريق الحكمة وأبواب من طريق القدرة ، فإن فتح بابا من طريق الحكمة وإلا فيفتح بابا من طريق القدرة ويأتيه الشىء بخرق العادة ، كما كان يأتى مريم عليها السلام ﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ﴾

حكى عن بعض الفقراء قال جعت ذات يوم وكان حالى أن لا أسأل ، فدخلت بعض المحال ببغداد مجتازا متعرضا لعل الله تعالى يفتح لى على يد بعض عباده شيئا فلم يقدر ، فنمت جائعا فأتى آت فى منامى فقال لى إذهب إلى موضع كذا - وعين الموضع - فثم خرقة زرقاء فيها قطيعات أخرجها فى مصالحك ، فمن تجرد عن المخلوقين وتفرد بالله فقد تفرد بغنى قادر لا يعجزه شىء يفتح عليه من أبواب الحكمة والقدرة كيف شاء ، وأولى من سأل نفسه يسألها الصبر الجميل فإن الصادق تجيبه نفسه .

وحكى شيخنا رحمه الله تعالى أن ولده جاء إليه ذات يوم وقال له : أريد حبة ، قال : فقلت له ؛ ماتفعل بالحبة ؟ فذكر شهوة يشتريها بالحبة ، ثم قال : عن إذنك أذهب وأستقرض الحبة ، قال : قلت نعم استقرضها من نفسك فهى أولى من أقرض . وقد نظم بعضهم هذا المعنى فقال :

إذا شئت أن تستقرض المال منفقا * على شهوات النفس فى زمن العسر
فسل نفسك الإنفاق من كنز صبرها * عليك وإرفاقا إلى زمن اليسر
فإن فعلت كنت الغنى وإن أبت * فكل منوع بعدها واسع العذر

فإذا استنفد الفقير الجهد من نفسه وأشرف على الضعف وتحققت الضرورة وسأل مولاه ولم يقدر له بشىء ووقته يضيق عن الكسب من شغله بحاله ، فعند ذلك يقرع باب السبب ويسأل ؛ فقد كان الصالحون يفعلون ذلك عند فاقتهم .

نقل عن أبى سعيد الخراز أنه كان يمد يده عند الفاقة ويقول ؛ ثم شىء لله .

ونقل عن أبى جعفر الحداد وكان أستاذا للجنيد أنه كان يخرج بين العشاءين ويسأل من باب أو بابين ، ويكون ذلك معلومه على قدر الحاجة بعد يوم أو يومين .

ونقل عن إبراهيم بن أدهم أنه كان معتكفا بجامع البصرة مدة وكان يفطر فى كل ثلاث ليال ليلة ، وليلة إفطاره يطلب من الأبواب .

ونقل عن سفيان الثورى أنه كان يسافر من الحجاز إلى صنعاء اليمن ويسأل فى الطريق وقال : كنت أذكر لهم حديثا فى الضيافة فيقدم لى الطعام فأتناول حاجتى وأترك مايبقى ، وقد ورد « من جاع ولم يسأل فمات دخل النار » ومن عنده علم وله مع الله حال لا يبالى بمثل هذا بل يسأل بالعلم ويمسك عن السؤال بالعلم .

وحكى بعض مشايخنا عن شخص كان مصرا على المعاصى ، ثم انتبه وتاب وحسنت توبته وصار له حال مع الله تعالى قال : عزمت أن أحج مع القافلة ونويت أن لا أسأل أحدا شيئا وأكتفى بعلم الله بحالى ، قال : فبقيت أيامافى الطريق ، ففتح الله على بالماء والزاد فى وقت الحاجة ، ثم وقف الأمر ولم يفتح الله على بشىء ، فجعت وعطشت حتى لم يبق لى طاقة ، فضعفت عن المشى وبقيت أتأخر عن القافلة قليلا قليلا حتى مرت القافلة ، فقلت فى نفسى : هذا الآن منى إلقاء النفس إلى التهلكة ، وقد منع الله من ذلك ، وهذه مسألة الاضطرار أسأل ، فلما هممت بالسؤال انبعث من باطنى إنكار لهذه الحال وقلت : عزيمة عقدتها مع الله لا أنقضها وهان على الموت دون نقض عزيمتى ، فقصدت شجرة وقعدت فى ظلها وطرحت رأسى استطراحا للموت وذهبت القافلة ، فبينا أنا كذلك إذ جاءنى شاب متقلد بسيف وحركنى ، فقمت وفى يده إداوة فيها ماء فقال لى : اشرب ؛ فشربت ثم قدم لى طعاما وقال : كل ، فأكلت ، ثم قال لى : أتريد القافلة ؛ فقلت : من لى بالقافلة وقد عبرت ! فقال لى : قم ، وأخذ بيدى ومشى معى خطوات ثم قال لى اجلس فالقافلة إليك تجىء ، فجلست ساعة فإذا أنا بالقافلة ورائى متوجهة إلى . هذا شأن من يعامل مولاه بالصدق .

وذكر الشيخ أبو طالب المكى رحمه الله : أن بعض الصوفية أول قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحل ماأكل المؤمن من كسب يده » بأنه المسألة عند الفاقة ، وأنكر الشيخ أبو طالب هذا التأويل من هذا الصوفى ، وذكر أن جعفر الخلدى كان يحكى هذا التأويل عن شيخ من شيوخ الصوفية ، ووقع لى والله أعلم أن الشيخ الصوفى لم يرد بكسب اليد ما أنكر الشيخ أبو طالب منه ، وإنما أراد بكسب اليد رفعها إلى الله تعالى عند الحاجة ، فهو من أحل ماياكله إذا أجاب الله سؤاله وساق إليه رزقه . وقال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام ﴿ رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير ﴾ قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : قال ذلك وإن خضرة البقل تتراءى فى بطنه من الهزال ، وقال محمد الباقر رحمه الله قالها وإنه محتاج إلى شق تمرة ، وروى عن مطرف أنه قال أما والله لو كان عند نبى الله شىء ما اتبع المرأة ولكن حمله على ذلك الجهد ، وذكر الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى عن النصراباذى أنه قال فى قول ﴿ إنى لما أنزلت إلى من خير فقير ﴾ لم يسأل الكليم الخلق وإنما كان سؤاله من الحق ، ولم يسأل

غذاء النفس إنما أراد سكون القلب .

وقال أبو سعيد الخراز : الخلق مترددون بين مالهم وبين ما إليهم ، من نظر إلى ماله تكلم بلسان الفقر ، ومن شاهد ما إليه تكلم بلسان الخيلاء والفخر ، ألا ترى حال الكليم عليه السلام لما شاهد خواص ماخاطبه به الحق كيف قال : أرنى أنظر إليك ؟ ولما نظر إلى نفسه كيف أظهر الفقر وقال : إنى لما أنزلت إلى من خير فقير ؟ وقال ابن عطاء نظر من العبودية إلى الربوبية فخشع وخضع ، وتكلم بلسان الافتقار بما ورد على سره من الأنوار ، افتقار العبد إلى مولاه فى جميع أحواله ، لاافتقار سؤال وطلب . وقال الحسين فقير لما خصصتنى من علم اليقين أن ترقينى إلى عين اليقين وحقه ، ووقع والله أعلم فى قوله ﴿ لما أنزلت إلى من خير فقير ﴾ أن الإنزال مشعر ببعد رتبته عن حقيقة القرب فيكون الإنزال عين الفقر فما قنع بالمنزل وأراد قرب المنزل ، ومن صح فقره ففقره فى أمر آخرته كفقره فى أمر دنياه ، ورجوعه إليه فى الدارين وإياه يسأل حوائج المنزلين ، وتتساوى عنده الحاجتان فماله مع غير الله شغل فى الدارين .

الباب العشرون : فى ذكر من يأكل من الفتوح

إذا كمل شغل الصوفى بالله وكمل زهده لكمال تقواه بحكم الوقت عليه يترك التسبب وينكشف له صريح التوحيد وصحة الكفالة من الله الكريم ، فيزول عن باطنه الاهتمام بالأقسام ويكون مقدمة هذا أن يفتح الله له بابا من التعريف بطريق المقابلة على كل فعل يصدر منه حتى لو جرى عليه يسير من ذنب بحسب حاله أو الذنب مطلقا مما هو منهى عنه فى الشرع يجد غب ذلك فى وقته أو يومه ، كان يقول بعضهم إنى لأعرف ذنبى فى سوء خلق غلامى ، وقيل إن بعض الصوفية قرض الفار خفه فلما رآه تألم وقال .

لو كنت من مازن لم تستبح إبلى * بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

إشارة منه إلى أن الداخل عليه مقابلة له على شىء استوجب به ذلك ، فلا تزال به المقابلات متضمنة التعريفات الإلهية حتى يتحصن بصدق المحاسبة وصفاء المراقبة عن تضييع حقوق العبودية ومخالفة حكم الوقت ، ويتجرد له حكم فعل الله وتنمحى عنده أفعال غير الله فيرى المعطى والمانع هو الله سبحانه ذوقا وحالا لا علما وإيمانا ، ثم يتداركه الحق تعالى بالمعونة ويوقفه على صريح التوحيد وتجريد فعل الله تعالى ، كما حكى عن بعضهم أنه خطر له خاطر الاهتمام بالرزق فخرج إلى بعض الصحارى فرأى قنبرة عمياء عرجاء ضعيفة فوقف متعجبا منها متفكرا فيما تأكل مع عجزها عن الطيران والمشى والرؤية ، فبينما هو كذلك إذ انشقت الأرض وخرجت سكرجتان فى إحداهما سمسم نقى وفى الأخرى ماء صافى فأكلت من السمسم وشربت من الماء ثم انشقت الأرض وغابت السكرجتان ، قال فلما رأيت ذلك سقط عن قلبى الاهتمام بالرزق فإذا أوقف الحق عبده فى هذا المقام يزيل عن باطنه الاهتمام بالأقسام ويرى الدخول فى التسبب والتكسب بالسؤال وغيره رتبة العوام ويصير مسلوب الاختيار غير متطلع إلى الأغيار ناظرا إلى فعل الله تعالى منتظرا لأمر الله فتساق إليه الأقسام ويفتح عليه باب الإنعام ، ويكون بدوام ملاحظته لفعل الله وترصده مايحدث من أمر الله تعالى مكاشفا له تجليات من الله تعالى بطريق الأفعال ، والتجلى بطريق الأفعال رتبة من القرب ومنه يترقى إلى التجلى بطريق الصفات ، ومن ذلك يترقى إلى تجلى الذات والإشارة فى هذه التجليات إلى رتب فى اليقين ومقامات فى التوحيد شىء فوق شىء وشىء أصفى من شىء ، فالتجلى بطريق الأفعال يحدث صفو الرضا والتسليم ، والتجلى بطريق الصفات يكسب الهيبة والأنس ، والتجلى بالذات يكسب الفناء والبقاء ، وقد يسمى ترك الاختيار والوقوف مع فعل الله فناء يعنون به فناء الإرادة ، والهوى والإرادة ألطف أقسام الهوى ، وهذا الفناء هو الفناء الظاهر ، فأما الفناء الباطن وهو محو آثار الوجود عند لمعان نور الشهود يكون فى تجلى الذات وهو أكمل أقسام اليقين فى الدنيا ، فأما تجلى حكم الذات فلا يكون إلا فى الآخرة وهو المقام الذى حظى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ومنع عنه موسى

بلن ترانى ، فليعلم أن قولنا فى التجلى إشارة إلى رتب الحظ من اليقين ورؤية البصيرة فإذا وصل العبد إلى مبادى أقسام التجلى وهو مطالعة الفعل الإلهى مجردا عن فعل سواه يكون تناوله الأقسام من الفتوح . روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من وجه إليه شىء من هذا الرزق من غير مسئلة ولا إشراف فليأخذه وليوسع به فى رزقه فإن كان عنده غنى فليدفعه إلى من هو أحوج منه » وفى هذا دلالة ظاهرة على أن العبد يجوز أن يأخذ زيادة على حاجته بنية صرفه إلى غيره ، وكيف لا يأخذ وهو يرى فعل الله تعالى ؟ ثم إذا أخذ فمنهم من يخرجه إلى المحتاج ومنهم من يقف فى الاخراج أيضا حتى يرد عليه من الله علم خاص ليكون أخذه بالحق وإخراجه بالحق .

أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر قال : أخبرنا والدى الحافظ أبو الفضل المقدسى قال : أخبرنا أبو اسحق بن سعيد الحبال قال : أخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن سعيد قال : أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن عمرو قال : أخبرنا يونس ابن عبد الأعلى قال حدثنا ابن وهب قال : حدثنا عمرو بن الحارث عن ابن شهاب عن السائب بن يزيد عن حويطب ابن عبد العزى عن عبيد الله السعدى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطينى العطاء فأقول له أعطه يارسول الله من هو أفقر منى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خذه فتموله أو تصدق به وماجاءك من هذا المال وأنت غير متشرف ولا سائل فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك » قال سالم : فمن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحدا شيئا ولا يرد شيئا أعطيه . درج رسول الله صلى الله عليه وسلم الأصحاب بأوامره إلى رؤية فعل الله تعالى والخروج من تدبير النفس إلى حسن تدبير الله تعالى .

سئل سهل بن عبد الله التسترى عن علم الحال قال : هو ترك التدبير ولو كان هذا فى واحد لكان من أوتاد الأرض

وروى زيد بن خالد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جاءه معروف من أخيه من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله فإنما هو شىء من رزق الله تعالى ساقه الله إليه » .

وهذا العبد الواقف مع الله تعالى فى قبول ماساق الحق آمن مايخشى عليه ، إنما يخشى على من يرد ، لأن من رد لا يأمن من دخول النفس عليه أن يرى بعين الزهد ، فى أخذه إسقاط نظر الخلق تحققا بالصدق والإخلاص ، وفى إخراجه إلى الغير إثبات حقيقته ، فلا يزال فى كلا الحالين زاهدا يراه الغير بعين الرغبة لقلة العلم بحاله ، وفى هذا المقام يتحقق الزهد فى الزهد . ومن أهل الفتوح من يعلم دخول الفتوح عليه ، ومنهم من لا يعلم دخول الفتوح عليه . فمنهم من لا يتناول من الفتوح إلا إذا تقدمه علم بتعريف من الله إياه . ومنهم من يأخذ غير متطلع إلى تقدم العلم حيث تجرد له الفعل ، ومن لا ينتظر تقدمة العلم فوق من ينتظر تقدمة العلم لتمام صحبته مع الله وانسلاخه من إرادته وعلم حاله فى ترك الاختيار ومنهم من يدخل الفتوح عليه لا بتقدمة العلم ولا رؤية تجرد الفعل من الله ، ولكن يرزق شربا من المحبة بطريق رؤية النعمة ، وقد يتكدر شرب هذا بتغير معهود النعمة ، وهذا حال ضعيف بالإضافة إلى الحالين الأولين لأنه علة فى المحبة ووليجة فى الصدق عند الصديقين . وقد ينتظر صاحب الفتوح العلم فى الإخراج أيضاً كما ينتظر فى الأخذ لأن النفس تظهر فى الإخراج كما تظهر فى الأخذ . وأتم من هذا من يكون فى إخراجه مختارا وفى أخذه مختارا بعد تحققه بصحة التصرف فإن انتظار العلم إنما كان لموضع اتهام النفس وهو بقية هوى موجود فإذا زال الاتهام بوجود صريح العلم بأخذ غير محتاج إلى علم متجدد ويخرج كذلك ، وهذه حال من تحقق بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه « فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا » فبى يسمع وبى يبصر ، وبى ينطق ، الحديث فلما صح تعرفه صح تصرفه ، وهذا أعز فى الأحوال من الكبريت الأحمر . وكان شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى رحمه الله يحكى عن الشيخ حماد الدباس أنه كان يقول : أنا لا آكل إلا من طعام الفضل فكان يرى الشخص فى المنام أن يحمل إليه شيئا وقد كان يعين للرائى فى المنام أن احمل إلى حماد كذا وكذا . وقيل إنه بقى زمانا يرى هو فى واقعته أو منامه إنك أحلت على فلان بكذا وكذا . وحكى عنه أنه كان يقول : كل جسم تربى بطعام الفضل لا يتسلط عليه البلاء . ويعنى بطعام الفضل ماشهد له صحة الحال من فتوح الحق ومن كانت هذه حالته فهو غنى بالله .

قال الواسطى : الافتقار إلى الله أعلى درجة المريد والاستغناء بالله أعلى درجة الصديقين . وقال أبو سعيد الخراز : العارف تدبيره فنى فى تدبير الحق فالواقف مع الفتوح واقف مع الله ناظر إلى الله ، وأحسن ماحكى فى هذا : أن بعضهم رأى النورى يمد يده ويسأل الناس ؛ قال : فاستعظمت ذلك منه واستقبحته له فأتيت الجنيد وأخبرته فقال لى لايعظم هذا عليك فإن النورى لم يسأل الناس إلا ليعطيهم سؤلهم فى الآخرة فيؤجرون من حيث لايضره وقول الجنيد ليعطيهم كقول بعضهم اليد العليا يد الآخذ لأنه يعطى الثواب ، قال : ثم قال الجنيد هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فألقاها على المائة ثم قال احملها إليه فقلت فى نفسى إنما يزن ليعرف مقدارها فكيف خلط المجهول بالموزون وهو رجل حكيم واستحييت أن أسأله فذهبت بالصرة إلى النورى فقال : هات الميزان فوزن مائة درهم وقال : ردها وقل له أنا لاأقبل منك شيئا وأخذ مازاد على المائة قال : فزاد تعجبى فسألته عن ذلك ، فقال : الجنيد رجل حكيم يريد أن يأخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلبا للثواب وطرح عليها قبضة بلا وزن لله فأخذت ما كان لله ورددت ماجعله لنفسه ، قال : فرددتها على الجنيد فبكى وقال : أخذ ماله ورد مالنا ، ومن لطائف ماسمعت من أصحاب شيخنا أنه قال ذات يوم لأصحابه : نحن محتاجون إلى شىء من المعلوم فارجعوا إلى خلواتكم واسألوا الله تعالى وما يفتح الله تعالى لكم ائتونى به ففعلوا ثم جاءه من بينهم شخص يعرف باسمعيل البطائحى ومعه كاغد عليه ثلاثون دائرة وقال هذا الذى فتح الله لى فى واقعتى فأخذ الشيخ الكاغد فلم يكن إلا ساعة فإذا بشخص دخل ومعه ذهب فقدمه بين يدى الشيخ ففتح القرطاس وإذا هو ثلاثون صحيحة فترك كل صحيح على دائرة وقال : هذا فتوح الشيخ إسماعيل أو كلاما هذا معناه . وسمعت الشيخ عبد القادر رحمه الله بعث إلى شخص وقال : لفلان طعام وذهب ائتنى من ذلك بكذا ذهبا وكذا طعاما ، فقال الرجل : كيف أتصرف فى وديعة عندى ولو استفتيتك ما أفتيتنى بالتصرف ؟ فألزمه الشيخ بذلك فأحسن الظن بالشيخ وجاء إليه بالذى طلب ، فلما وقع التصرف منه جاءه مكتوب من صاحب الوديعة وهو غائب فى بعض نواحى العراق أن احمل إلى الشيخ عبد القادر كذا وكذا وهو القدر الذى عينه الشيخ عبد القادر ، فعاتبه الشيخ بعد ذلك على توقفه وقال ظننت بالفقراء أن إشاراتهم تكون على غير صحة وعلم فالعبد إذا صح مع الله تعالى وأفنى هواه متطلبا رضا الله تعالى يرفع الله عن باطنه هموم الدنيا ويجعل الغنى فى قلبه ويفتح عليه أبواب الرفق ، وكل الهموم المتسلطة على بعض الفقراء لكون قلوبهم ما استكملت الشغل بالله والاهتمام برعاية حقائق العبودية ، فعلى قدر ماخلت من الهم بالله ابتليت بهم الدنيا ولو امتلأت من هم الله ماعذبت بهموم الدنيا وقنعت وارتقت ، روى أن عوف بن عبد الله المسعودى كان له ثلثمائة وستون صديقا وكان يكون عند كل واحد يوما ، وآخر كان له ثلاثون صديقا يكون عند كل واحد يوما ، وآخر كان له سبعة إخوان يكون كل يوم من الأسبوع عند واحد ؛ فكان إخوانهم معلومهم والمعلوم إذا أقامه الحق للناظر إلى الله الكامل توحيده يكون نعمة هنيئة . جاء رجل إلى الشيخ أبى السعود رحمه الله ـ وكان من أرباب الأحوال السنية والواقفين فى الأشياء مع فعل الله تعالى متمكنا من حاله تاركا لاختياره ؛ ولعله سبق كثيرا من المتقدمين فى تحقيق ترك الاختيار ، رأينا منه وشاهدنا أحوالا صحيحة عن قوة وتمكين ـ فقال له الرجل أريد أن أعين لك شيئا كل يوم من الخبز أحمله إليك ولكى قلت الصوفية يقولون المعلوم شؤم قال الشيخ نحن مانقول المعلوم شؤم فإن الحق يصفى لنا وفعله نرى فكل مايقسم لنا نراه مباركا ولانراه شؤما . أخبرنا أبو زرعة إجازة قال أنبأنا أبو بكر بن أحمد بن خلف الشيرازى إجازة قال أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا بكر بن شاذان قال سمعت أبا بكر الكتانى قال كنت أنا وعمرو المكى وعياش بن المهدى نصطحب ثلاثين سنة نصلى الغداة على طهر العصر ، وكنا قعودا بمكة على التجريد مالنا على الأرض مايساوى فلسا ؛ وربما كان يصحبنا الجوع يوما ويومين وثلاثة وأربعة وخمسة ولانسأل أحدا فإن ظهر لنا شىء وعرفنا وجهه من غير سؤال ولاتعريض قبلناه وأكلناه وإلا طوينا ؛ فإذا اشتد بنا الأمر وخفنا على أنفسنا النقصان فى الفرائض قصدنا أبا سعيد الخراز فيتخذلنا ألوانا من الطعام ولانقصد غيره ولانتبسط إلا إليه لما نعرف من تقواه

وورعه ، وقيل لأبي يزيد : ما نراك تشتغل بكسب فمن أين معاشك ؟ فقال : مولاي يرزق الكلب والخنزير تراه لا يرزق أبا يزيد ؟ قال السلمي : سمعت أبا عبد الله الرازي يقول سمعت مظفرا القوميسني يقول: الفقير الذي لا يكون له إلى الله حاجة ، وقيل لبعضهم ما الفقر ؟ قال : وقوف الحاجة على القلب ومحوها من كل أحد سوى الرب .

وقال بعضهم : أخذ الفقير الصدقة ممن يعطيه لا ممن تصل إليه على يده ، ومن قبل من الوسائط فهو المترسم بالفقر مع دناءة همته ، أنبأنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي قال : أخبرنا عصام الدين أبو حفص عمر بن أحمد بن منصور الصفار قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازي قال أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول : سمعت أن أبا سليمان الداراني كان يقول : آخر أقدام الزاهدين أول أقدام المتوكلين ، روى أن بعض العارفين زهد فبلغ من زهده أن فارق الناس وخرج من الأمصار وقال : لا أسأل أحدا شيئا حتى يأتيني رزقي فأخذ يسيح فأقام في سفح جبل سبعا لم يأته شيء حتى كاد أن يتلف فقال : يارب إن أحببتني فأتني برزقي الذي قسمت لي وإلا فاقبضني إليك فألهمه الله تعالى في قلبه وعزتي وجلالي لا أرزقك حتى تدخل الأمصار وتقيم بين الناس ؛ فدخل المدينة وأقام بين ظهراني الناس فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فأكل وشرب فأوجس في نفسه من ذلك فسمع هاتفا أردت أن تبطل حكمته بزهدك في الدنيا ، أما علمت أن يرزق العباد بأيدي العباد أحب إليه من أن يرزقهم بأيدي القدرة فالواقف مع الفتوح استوى عنده أيدي الآدميين وأيدي الملائكة واستوى عنده القدرة والحكمة وطلب الفقار والتوصل إلى قطع الأسباب من الارتهان برؤية الأسباب وإذا صح التوحيد تلاشت الأسباب في عين الإنسان أخبرنا شيخنا قال أخبرنا أبو حفص عمر قال أخبرنا أحمد بن خلف قال أخبرنا أبو عبد الرحمن قال أخبرنا محمد بن أحمد بن حمدان العكبري قال سمعت أحمد بن محمود بن اليسري يقول سمعت محمدا الإسكاف يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول : من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الأقدار وكل إلى المخلوقين ، قال بعض المنقطعين كنت ذا صنعة جليلة فأريد مني تركها فحاك في صدري من أين المعاش ؟ فهتف بي هاتف لا أراه تنقطع إلى وتتهمني في رزقك على أن أخدمك وليا من أوليائي أو أسخر لك منافقا من أعدائي ، فلما صح حال الصوفي وانقطعت أطماعه وسكنت عن كل تشوف وتطلع خدمته الدنيا ، وصلحت له الدنيا خادمة وما رضيها مخدومة ، فصاحب الفتوح يرى حركة النفس بالتشوف جناية وذنبا .

روى أن أحمد بن حنبل خرج ذات يوم إلى شارع باب الشام فاشترى دقيقا ولم يكن في ذلك الموضع من يحمله فوافى أيوب الحمال فحمله ودفع إليه أحمد أجرته فلما دخل الدار بعد إذنه له اتفق أن أهل الدار قد خبزوا ما كان عندهم من الدقيق وتركوا الخبز على السرير ينشف فرآه أيوب وكان يصوم الدهر ، فقال أحمد لابنه صالح ادفع إلى أيوب من الخبز فدفع له رغيفين فردهما ، قال أحمد ضعهما ثم صبر قليلا ثم قال خذهما فألحقه بهما فلحقه فأخذهما فرجع صالح متعجبا فقال له أحمد عجبت من رده وأخذه ؟ قال نعم ، قال هذا رجل صالح فرأى الخبز فاستشرفت نفسه إليه فلما أعطيناه مع الاستشراف رده ثم أيس فرددناه إليه بعد الإياس فقبل هذا حال أرباب الصدق إن سألوا سألوا بعلم وإن أمسكوا عن السؤال أمسكوا بحال ، وإن قبلوا قبلوا بعلم فمن لم يرزق حال الفتوح فله حال السؤال والكسب بشرط العلم فأما السائل مستكثرا فوق الحاجة لا في وقت الضرورة فليس من الصوفية بشيء سمع عمر رضي الله عنه سائلا يسأل فقال لمن عنده ألم أقل لك عش السائل ؟ فقال قد عشيته ؛ فنظر عمر فإذا تحت إبطه محلاة مملوءة خبزا ؛ فقال عمر ألك عيال ؟ فقال لا ، فقال عمر لست بسائل ولكنك تاجر ، ثم نثر محلاته بين يدي أهل الصدقة وضربه بالدرة وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال إن لله تعالى في خلقه مثوبات فقر وعقوبات فقر ، فمن علامة الفقر إذا كان مثوبة أن يحسن خلقه ويطيع ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره ، ومن علامة الفقر إذا كان عقوبة أن يسوء خلقه ويعصي ربه ويكثر الشكاية ويتسخط للقضاء فحال الصوفية حسن الأدب في السؤال ، والفتوح والصدق مع الله على كل حال كيف تقلب .

الباب الحادى والعشرون

فى شرح حال المتجرد والمتأهل من الصوفية وصحة مقاصدهم

الصوفى يتزوج لله كما يتجرد لله ، فلتجرده مقصد وأوان ، ولتأهله مقصد وأوان والصادق يعلم أوان التجرد والتأهل لأن الطبع الجموح للصوفى ملجم بلجام العلم . مهما يصلح له التجرد لا يستعجله الطبع إلى التزوج ولا يقدم على التزوج إلا إذا انصلحت النفس واستحقت إدخال الرفق عليها ؛ وذلك إذا صارت منقادة مطواعة مجيبة إلى ما يراد منها بمثابة الطفل الذى يتعاهد بما يروق له ويمنع عما يضره . فإذا صارت النفس محكومة مطواعة فقد فاءت إلى أمر الله وتنصلت عن مشاحة القلب فيصلح بينهما بالعدل وينظر فى أمرهما بالقسط . ومن صبر من الصوفية على العزوبة هذا الصبر إلى حين بلوغ الكتاب أجله ينتخب له الزوجة انتخابا ويهيئ الله له أعوانا وأسبابا وينعم برفيق يدخل عليه ورزق يساق إليه ومتى استعجل المريد واستفزه الطبع وخامره الجهل بثوران دخان الشهوة المطفئة لشعاع العلم وانحط من أوج العزيمة الذى هو قضية حاله وموجب إرادته وشريطة صدق طلبه إلى حضيض الرخصة التى هى رحمة من الله تعالى لعامة خلقه يحكم عليه بالنقصان ويشهد له بالخسران ومثل هذا الاستعجال هو حضيض الرجال . قال سهل بن عبد الله التسترى : إذا كان للمريد مال يتوقع به زيادة فدخل عليه الابتلاء فرجوعه فى الابتلاء إلى حال دون ذلك نقصان وحدث . وسمعت بعض الفقراء ، وقد قيل له : لم لا تتزوج ؟ فقال : المرأة لا تصلح إلا للرجال وأنا ما بلغت مبلغ الرجال فكيف أتزوج ؟ فالصادقون لهم أوان بلوغ عنده يتزوجون .

وقد تعارضت الأخبار وتماثلت الآثار فى فضيلة التجريد والتزويج وتنوع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك لتنوع الأحوال ، فمنهم من فضيلته فى التجريد ، ومنهم من فضيلته فى التأهل ، وكل هذا التعارض فى حق من نار توقانه برد وسلام لكمال تقواه وقهره هواه ، وإلا ففى غير هذا الرجل الذى يجب عليه الفتنة يجب النكاح فى حال التوقان المفرط ويكون الخلاف بين الأئمة فى غير التائق فالصوفى إذا صار متأهلا يتعين على الإخوان معاونته بالإيثار ومسامحته فى الاستكثار إذا رؤى ضعيف الحال قاصرا عن رتبة الرجال كما وصفنا من صبر حتى ظفر لما بلغ الكتاب أجله ، أخبرنا أبو زرعه عن والده أبى الفضل المقدسى الحافظ قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد الخطيب قال أخبرنا أبو الحسين محمد بن عبد الله بن أخى ميمى قال أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز ، قال : حدثنا محمد بن هرون قال : أنبأنا المغيرة قال حدثنا صفوان بن عمرو قال حدثنا عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن عوف بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه فىء قسمه فى يومه فأعطى المتأهل حظين والعزب حظا واحد ؛ فدعينا وكنت ادعى قبل عمار بن ياسر فأعطانى حظين ، وأعطاه حظا واحدا فسخط حتى عرف ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهه ومن حضره ، فبقيت معه سلسلة من ذهب فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعها بطرف عصاه وتسقط وهو يقول « كيف أنتم يوم يكثر لكم من هذا ؟ » فلم يجبه أحد ، فقال عمار : وددنا يا رسول الله لو قد أكثر لنا من هذا ؛ فالتجرد عن الأزواج والأولاد أعون على الوقت للفقير وأجمع لهمه وألذ لعيشه ويصلح للفقير فى ابتداء أمره قطع العلائق ومحو العوائق والتنقل فى الأسفار وركوب الأخطار والتجرد عن الأسباب والخروج عن كل ما يكون حجابا ، والتزوج انحطاط من العزيمة إلى الرخص ورجوع من التروح إلى النغص وتقيد بالأولاد والأزواج ودوران حول مظان الاعوجاج والتفات إلى الدنيا بعد الزهادة وانعطاف على الهوى بمقتضى الطبيعة والعادة ، قال أبو سليمان الدارانى : ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا ، من طلب معاشا أو تزوج امرأة أو كتب الحديث ، وقال : ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته . أخبرنا الشيخ طاهر قال أخبرنا والدى أبو الفضل قال أخبرنا محمد بن إسمعيل المقرى قال أخبرنا أحمد بن الحسن قال أخبرنا حاجب الطوسى قال حدثنا عبد الرحيم قال حدثنا الفزارى عن سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم « ماتركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء » وروى رجاء بن حيوة عن معاذ بن جبل « قال ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر وإن أخوف ماأخاف عليكم فتنة النساء إذا تسورن بالذهب ولبسن ربط الشام وعصب اليمن وأتعبن الغنى وكلفن الفقير مالايجد » وقال بعض الحكماء معالجة العزوبة خير من معالجة النساء ، وسئل سهل بن عبد الله عن النساء فقال : الصبر عنهن خير من الصبر عليهن ، والصبر عليهن خير من الصبر على النار . وقيل فى تفسير قوله تعالى ﴿ خلق الإنسان ضعيفا ﴾ لأنه لايصبر عن النساء وقيل فى قوله تعالى ﴿ ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنا به ﴾ الغلمة .

فإن قدر الفقير على مقاومة النفس ورزق العلم الوافر بحسن المعاملة فى معالجة النفس وصبر عنهن فقد حاز الفضل واستعمل العقل ، واهتدى إلى الأمر السهل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيركم بعد المائتين رجل خفيف الحاذ ، قيل يارسول الله وماخفيف الحاذ ؟ قال : الذى لا أهل له ولاولد » وقال بعض الفقراء ـ لما قيل له تزوج ـ أنا إلى أن أطلق نفسى أحوج منى إلى التزوج ، وقيل لبشر بن الحارث : إن الناس يتكلمون فيك فقال : مايقولون ؟ قيل : يقولون إنه تارك للسنة ـ يعنى النكاح ـ فقال : قولوا لهم أنا مشغول بالفرض عن السنة . وكان يقول : لو كنت أعول دجاجة خفت أن أكون جلادا على الجسر .

والصوفى مبتلى بالنفس ومطالبها وهو فى شغل شاغل عن نفسه ، فإذا انضاف إلى مطالبات نفسه مطالبات زوجته يضعف طلبه وتكل إرادته وتفتر عزيمته . والنفس إذا أطمعت طمعت ، وإذا أقنعت قنعت ، فيستعين الشاب الطالب على حسم مواد خاطر النكاح بإدامة الصوم ، فإن للصوم أثرا ظاهرا فى قمع النفس وقهرها ، وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مر بجماعة من الشبان وهم يرفعون الحجارة فقال « يامعشر الشباب : من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فليصم فإن الصوم له وجاء » أصل الوجاء رض الخصيتين ، كانت العرب تجأ الفحل من الغنم لتذهب فحولته ويسمن ، ومنه الحديث : ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين موجوءين ، وقد قيل هى النفس إن لم تشغلها شغلتك ، فإذا أدام الشاب المريد العمل وأداب نفسه فى العبادة ثقل عليه خواطر النفس ، وأيضا شغله بالعبادة يثمر له حلاوة المعاملة ، ومحبة الإكثار منه ، ويفتح عليه باب السهولة والعيش فى العمل فيغار على حاله ووقته أن يتكدر بهم الزوجة

ومن حسن أدب المريد فى عزوبته أن لايمكن خواطر النساء من باطنه ، وكلما خطر له خاطر النساء والشهوة يفر إلى الله تعالى بحسن الإنابة فيتداركه الله تعالى حينئذ بقوة العزيمة ويؤيده بمراغمة النفس ؛ بل ينعكس على نفسه نور قلبه ثوابا لحسن إنابته فتسكن النفس عن المطالبة ، ثم يعرض على نفسه مايدخل عليه بالنكاح من الدخول فى المداخل المذمومة المؤدية إلى الذل والهوان ، وأخذ الشىء من غير وجهه ، ومايتوقع من القواطع بسبب التفات الخاطر إلى ضبط المرأة وحراستها والكلف التى لاتنحصر . وقد سئل عبد الله بن عمر عن جهد البلاء فقال : كثرة العيال وقلة المال وقد قيل كثرة العيال أحد الفقرين ، وقلة العيال أحد اليسارين . وكان إبراهيم بن أدهم يقول : من تعود أفخاذ النساء لايفلح ولاشك أن المرأة تدعو إلى الرفاهية والدعة ، وتمنع عن كثرة الاشتغال بالله وقيام الليل وصيام النهار ويتسلط على الباطن خوف الفقر ومحبة الادخار ، وكل هذا بعيد عن المتجرد ، وقد ورد « إذا كان بعد المائتين أبيحت العزوبة لأمتى » فإن توالت على الفقير خواطر النكاح ، وزاحمت باطنه سيما فى الصلاة والأذكار والتلاوة فليستعن بالله أولا ثم بالمشايخ والإخوان ، ويشرح الحال لهم ويسألهم مسألة الله له فى حسن الاختيار ، ويطوف على الأحياء والأموات والمساجد والمشاهد ويستعظم الأمر ولايدخل فيه بقلة الاكتراث فإنه باب فتنة كبيرة وخطر عظيم وقد قال الله تعالى ﴿ إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ﴾ ويكثر الضراعة إلى الله تعالى ويكثر البكاء بين يديه فى الخلوات ويكرر الاستخارة ، وإن رزق القوة والصبر حتى يستبين له من فضل الله الخيرة فى ذلك فهو الكمال والتمام ؛ فقد يكشف الله تعالى للصادق ذلك منعا أو إطلاقا فى منامه ، أو يقظته ، أو على لسان من يثق إلى دينه ، وحاله أنه إذا

أشار لايشير إلا على بصيرة ، وإذا حكم لايحكم إلا بحق فعند ذلك يكون تزوجه مدبرا معانا فيه. وسمعنا أن الشيخ عبد القادر الجيلي قال له بعض الصالحين : لم تزوجت ؟ فقال : ماتزوجت حتى قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : تزوج ؛ فقال له ذلك الرجل : الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بالرخص وطريق القوم التلزم بالعزيمة . فلا أعلم ما قال الشيخ فى جوابه ولكنى أقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالرخصة وأمره على لسان الشرع ، فأما من التجأ إلى الله تعالى وافتقر إليه واستخاره فيكاشفه الله بتنبيهه إياه فى منامه ، وأمره هذا لايكون أمر رخصة بل هو أمر يتبعه أرباب العزيمة لأنه من علم الحال لامن علم الحكم ، ويدل على صحة ماوقع لى ـ ما نقل عنه ـ أنه قال: كنت أريد الزوجة مدة من الزمان ولا أجترئ على التزوج خوفا من تكدير الوقت فلما صبرت إلى أن بلغ الكتاب أجله ساق الله لى أربع زوجات مافيهن إلا من تتفق على إراده ورغبة ، فهذه ثمرة الصبر الجميل الكامل فإذا صبر الفقير وطلب الفرج من الله يأتيه الفرج والمخرج ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب ﴾ فإذا تزوج الفقير بعد الاستقصاء والإكثار من الضراعة والدعاء وورد عليه وارد من الله تعالى بإذن فيه فهو الغاية والنهاية . وإن عجز عن الصبر إلى ورود الإذن واستنفد جهده فى الدعاء والضراعة فقد يكون ذلك حظه من الله تعالى ، ويعان عليه لحسن نيته وصدق مقصده ، وحسن رجائه واعتماده على ربه، وقد نقل عن عبدالله بن عباس أنه قال : لايتم نسك الشاب حتى يتزوج . ونقل عن شيخ من مشايخ خراسان أنه كان يكثر التزوج حتى لم يكن يخلو عن زوجتين أو ثلاث ؛ فعوتب فى ذلك فقال : هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدى الله تعالى جلسة أو وقف وقفة فى معاملته لخطر على قلبه خاطر شهوة ؟ فقالوا : قد يصيبنا ذلك ، فقال : لو رضيت فى عمرى كله بمثل حالكم فى وقت واحد ماتزوجت قط ، ولكنى ماخطر على قلبى خاطر شهوة قط شغلنى عن حالى إلا نفذته لأستريح منه وأرجع إلى شغلى ، ثم قال منذ أربعين سنة ماخطر على قلبى خاطر معصية ، فالصادقون مادخلوا فى النكاح إلا على بصيرة وقصدوا حسم مواد النفس وقد يكون للأقوياء والعلماء الراسخين فى العلم أحوال فى دخولهم فى النكاح تختص بهم وذلك أنهم بعد طول المجاهدات والمراقبات والرياضات تطمئن نفوسهم وتقبل قلوبهم ، وللقلوب إقبال وإدبار

يقول بعضهم : إن للقلوب إقبالا وإدبارا ، فإذا أدبرت روحت بالإرفاق ، وإذا أقبلت ردت إلى الميثاق فتبقى قلوبهم دائمة الإقبال إلا اليسير . ولايدوم إقبالها إلا لطمأنينة النفوس وكفها عن المنازعة، وترك التشبث فى القلوب فإذا اطمأنت النفوس واستقرت عن طيشها ونفورها وشراستها توفرت عليها حقوقها ، وربما يصير من حقوقها حظوظها . لأن فى أداء الحق إقناعا ، وفى أخذ الحظ اتساعا ، وهذا من دقيق علم الصوفية ، فإنهم يتسعون بالنكاح المباح إيصالا إلى النفس حظوظها لأنها مازالت تخالف هواها حتى صار داؤها دواءها ، وصارت الشهوات المباحة واللذات المشروعة لاتضرها ولاتفتر عليها عزائمها ، بل كلما وصلت النفوس الزكية إلى حظوظها ازداد القلب انشراحا وانفساحا ، ويصير بين القلب والنفس موافقة يعطف أحدهما على الآخر ويزداد كل واحد منهما بما يدخل على الآخر من الحظ ، كلما أخذ القلب حظه من الله خلع على النفس خلع الطمأنينة فيكون مزيد السكينة للقلب مزيد الطمأنينة للنفس وينشد :

إن السماء إذا اكتست كست الثرى * حللا يدبجها الغمام الراهم

وكلما أخذت النفس حظها تروح القلب تروح الجار المشفق براحة الجار . سمعت بعض الفقراء يقول: النفس تقول للقلب كن معى فى الطعام أكن معك فى الصلاة ، وهذا من الأحوال العزيزة لاتصلح إلا لعالم ربانى، وكم من مدع يهلك بتوهمه هذا فى نفسه ، ومثل هذا العبد يزداد بالنكاح ولاينقص ، والعبد إذا كمل علمه يأخذ من الأشياء ولا تأخذ الأشياء منه ، وقد كان الجنيد يقول : أنا أحتاج إلى الزوجة كما أحتاج إلى الطعام .

وسمع بعض العلماء بعض الناس يطعن فى الصوفية فقال : ياهذا ما الذى ينقصهم عندك ؟ فقال : يأكلون كثيرا ،

فقال : وأنت أيضا لو جعت كما يجوعون أكلت كما يأكلون . ثم قال : ويتزوجون كثيراً ، قال : وأنت أيضا لو حفظت فرجك كما يحفظون تزوجت كما يتزوجون ، قال وأى شيء أيضا ؟ قال : يسمعون القول ، قال وأنت أيضا لو نظرت كما ينظرون سمعت كما يسمعون .

وكان سفيان بن عيينة يقول : كثرة النساء ليست من الدنيا لأن عليا رضي الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية ، وكان ابن عباس رضى الله عنه يقول : خير هذه الأمة أكثرها نساء . وقد ذكر فى أخبار الأنبياء أن عابدا تبتل للعبادة حتى فاق أهل زمانه فذكر لنبي ذلك الزمان فقال : نعم الرجل لولا أنه تارك لشيء من السنة ؛ فنمى ذلك إلى العابد فأهمه فقال : ماتنفعنى عبادتى وأنا تارك السنة ؛ فجاء إلى النبي عليه السلام فسأله فقال : نعم إنك تارك التزوج ؛ فقال ماتركته لأنى أحرمه وما منعنى منه إلا أنى فقير لاشيء لى وأنا عيال على الناس يطعمنى هذا مرة وهذا مرة فأكره أن أتزوج بامرأة أعضلها أو أرهقها جهدا ، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام : وما يمنعك إلا هذا ؟ قال : نعم فقال : أنا أزوجك ابنتى فزوجه النبي عليه السلام ابنته وكان عبدالله بن مسعود يقول لو لم يبق من عمرى إلا عشرة أيام أحببت أن أتزوج ولا ألقى الله عزبا وما ذكر الله تعالى فى القرآن من الأنبياء إلا المتأهلين . وقيل إن يحيى بن زكريا عليهما السلام تزوج لأجل السنة ولم يكن يقربها وقيل إن عيسى عليه السلام سينكح إذا نزل إلى الأرض ويولد له . وقيل إن ركعة من متأهل خير من سبعين ركعة من عزب أخبرنا الشيخ طاهر بن أبى الفضل قال أخبرنا أبو منصور محمد بن الحسين بن أحمد بن الهيثم المقومى القزوينى قال أخبرنا أبو طلحة القاسم ابن أبى البدر الخطيب قال حدثنا أبو الحسن على بن إبراهيم بن سلمة القطان قال حدثنا أبو عبدالله بن محمد بن يزيد بن ماجه قال حدثنا أحمد بن الأزهر قال حدثنا آدم قال حدثنا عيسى بن ميمون عن القاسم عن عائشة رضى الله عنه قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النكاح سنتى فمن لم يعمل بسنتى فليس منى فتزوجوا فإنى مكاثر بكم الأمم » ومن كان ذا طول فلينكح ومن لم يجد فعليه بالصيام ، فإن الصوم له وجاء » ومما ينبغى للمتأهل أن يحذر من الإفراط فى المخالطة والمعاشرة مع الزوجة إلى حد ينقطع عن أوراده وسياسة أوقاته ، فإن الإفراط فى ذلك يقوى النفس وجنودها ويفتر ناهض الهمة وللمتأهل بسبب الزوجة فتنتان فتنة لعموم وفتنة لخصوص حاله ففتنة عموم حاله الإفراط فى الاهتمام بأسباب المعيشة ، كان الحسن يقول : والله ما أصبح اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا أكبه الله على وجهه فى النار . وفى الخبر « يأتى على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه مالا يطيق فيدخل فى المداخل التى يذهب فيها دينه فيهلك » . وروى أن قوما دخلوا على يونس عليه السلام فأضافهم ، وكان يدخل ويخرج إلى منزله فتؤذيه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت ، فعجبوا من ذلك وهابوه أن يسألوه فقال لاتعجبوا من هذا فإنى سألت الله فقلت يارب ما كنت معاقبى به فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا فقال إن عقوبتك بذنب فلان تزوج بها فتزوجت بها ، وأنا صابر على ماترون ، فإذا أفرط الفقير فى المداراة ربما تعدى حد الاعتدال فى وجوه المعيشة متطلبا رضا الزوجة فهذا فتنة عموم حاله . وفتنة خصوص حاله الإفراط فى المجالسة والمخالطة فتنطلق النفس عن قيد الاعتدال وتسترق الغرض بطول الاسترسال فيستولى على القلب بسبب ذلك السهو والغفلة ، ويستجلس مقار المهلة فيقل الوارد لقلة الأوراد ويتكدر الحال لإهمال شروط الأعمال وألطف من هذين الفتنتين فتنة أخرى تختص بأهل القرب والحضور وذلك أن للنفوس امتزاجا وبرابطة الامتزاج تعتضد وتشتد وتتطرى طبيعتها الجامدة وتلتهب نارها الخامدة ، فدواء هذه الفتنة أن يكون للمتأهل عند المجالسة عينان باطنان ينظر بهما إلى مولاه وعينان ظاهران يستعملهما فى طريق هواه ، وقد قالت رابعة فى معنى هذا نظماً :

إنى جعلتك فى الفؤاد محدثى * وأبحت جسمى من أراد جلوسى
فالجسم من للجليس مؤانس * وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

وألطف من هذا فتنة أخرى يخشاها المتأهل ، وهو أن يصير للروح استرواح إلى لطف الجمال ، ويكون ذلك

الاسترواح موقوفاً على الروح ، ويصير ذلك وليجة فى حب الروح المخصوص بالتعلق بالحضرة الإلهية ، فتتبلد الروح وينسد باب المزيد من الفتوح ، وهذه البلادة فى الروح ، يعز الشعور بها فلتحذر . ومن هذا القبيل : دخلت الفتنة على طائفة قالوا بالمشاهدة ، وإذا كان فى باب الحلال وليجة فى الحب يتولد منها بلادة الروح فى القيام بوظائف حب الحضرة الإلهية ، فما ظنك فيمن يدعى ذلك فى باب غير مشروع يغره سكون النفس فيظن أنه لو كان من قبل الهوى ماسكنت النفس ؟ والنفس لا تسكن فى ذلك دائما بل تسلب من الروح ذلك الوصف وتأخذه إليها ، على أنى استبحثت عما يبتلى به المفتونون بالمشاهدة ، فوجدت المحمى من ذلك من صورة الفسق عنده رغوة شراب الشهوة ، إذ لو ذهب علة الشراب مابقيت الرغوة ، فليحذر ذلك جدا ولا يسمع ممن يدعى فيه حالا وصحة فإنه كذاب مدع ، ولهذا المعنى قال الأطباء : الجماع يسكن هيجان العشق ـ وإن كان من غير المعشوق ـ فليعلم أن مستنده الشهوة ، ويكذب من يدعى فيه حالا ، وهذه فتن المتأهل .

وفتنة العزب مرور النساء بخاطره وتصورهن فى متخيله ، ومن أعطى الطهارة فى باطنه لا يدنس باطنه بخواطر الشهوة ، وإذا سنح الخاطر يمحوه بحسن الإنابة واللياذ بالهرب ، ومتى سامر الفكر كشف الخاطر خرج من القلب إلى الصدر ، وعند ذلك يحذر حساس العضو بالخاطر فيصير ذلك عملا خفيا ، وما أقبح مثل هذا بالصادق المتطلع إلى الحضور واليقظة ، فيكون ذلك فاحشة الحال . وقد قيل مرور الفاحشة بقلب العارفين كمعمل الفاعلين لها والله أعلم .

الباب الثانى والعشرون : فى القول فى السماع قبولا وإيثارا

قال الله تعالى ﴿ فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب ﴾ قيل أحسنه : أى أهداه وأرشده ، وقال عز وجل ﴿ وإذا سمعوا ماأنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ﴾ هذا السماع هو السماع الحق ـ الذى لا يختلف فيه اثنان من أهل الإيمان ـ محكوم لصاحبه بالهداية واللب ، وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين فتفيض العين بالدمع ، لأنه تارة يثير حزنا والحزن حار ، وتارة يثير شوقاً والشوق حار ، وتارة يثير ندما والندم حار ، فإذا أثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب علوءة ببرد اليقين أبكى وأدمع ، لأن الحرارة والبرودة إذا اصطدما عصرا ماء ، فإذا ألم السماع بالقلب تارة يخف إلمامه فيظهر أثره فى الجسد ويقشعر منه الجلد ، قال الله تعالى ﴿ تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ﴾ وتارة يعظم وقعه ويتصوب أثره إلى فوق نحو الدماغ كالمخبر للعقل فيعظم وقع المتجدد الحادث فتندفق منه العين بالدمع ، وتارة يتصوب أثره إلى الروح فتموج منه الروح موجا يكاد تضيق عنه نطاق القالب فيكون من ذلك الصياح والاضطراب وهذه كلها أحوال يجدها أربابها من أصحاب الحال ، وقد يحكيها بدلائل هوى النفس أرباب المجال :

روى أن عمر رضى الله عنه كان ربما مر بآية فى ورده فتخنقه العبرة ويسقط ، ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب مريضا ، فالسماع يستجلب الرحمة من الله الكريم .

روى زيد بن أسلم قال : قرأ أبى بن كعب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقوا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اغتنموا الدعاء عند الرقة فإنها رحمة من الله تعالى » وروت أم كلثوم قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه الذنوب كما تحات عن الشجرة اليابسة ورقها » وورد أيضا « إذا اقشعر الجلد من خشية الله حرمه الله تعالى على النار » .

وهذه جملة لا تنكر ولا اختلاف فيها ، إنما الاختلاف فى استماع الأشعار بالألحان ، وقد كثرت الأقوال فى ذلك وتباينت الأحوال فمن منكر يلحقه بالفسق ، ومن مولع به يشهد بأنه واضح الحق ويتجاذبان فى طرفى الإفراط والتفريط . قيل لأبى الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسرى السقطى وذو النون يسمعون ؟ فقال : كيف أنكر السماع وقد أجازه وسمعه من هو خير منى ؟ فقد كان جعفر الطيار يسمع ، وإنما المنكر اللهو واللعب

فى السماع وهذا قول صحيح .

أخبرنا الشيخ طاهر بن أبى الفضل عن أبيه الحافظ المقدسى قال : أخبرنا أبو القاسم الحسين بن محمد بن الحسن الخوافى قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف قال حدثنا أبو بكر بن وثاب وقال حدثنا عمرو بن الحارث قال حدثنا الأوزاعى عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها « أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان تغنيان وتضربان بدفين ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى بثوبه ، فانتهرهما أبو بكر فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال : دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد » ، وقالت عائشة رضى الله عنها : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون فى المسجد حتى أكون أنا أسأم . وقد ذكر الشيخ أبو طالب المكى رحمه الله ما يدل على تجويزه ، ونقل عن كثير من السلف صحابى وتابعى وغيرهم . وقول الشيخ أبى الطالب المكى يعتبر لوفور علمه وكمال حاله وعلمه بأحوال السلف ومكان ورعه وتقواه وتحريه الأصوب والأولى . وقال : فى السماع حرام وحلال وشبهه ؛ فمن سمعه بنفس مشاهدة شهوة وهوى فهو حرام ، ومن سمعه بمعقوله على صفة مباح من جارية أو زوجة كان شبهة لدخول اللهو فيه ، ومن سمعه بقلب يشاهد معانى تدله على الدليل ويشده طرفات الجليل فهو مباح ، وهذا قول الشيخ أبى طالب المكى وهو الصحيح . فإذن لا يطلق القول بمنعه وتحريمه والإنكار على من يسمع كفعل القراء المتزهدين المبالغين فى الإنكار ، ولا يفسح فيه على الإطلاق كفعل بعض المشتهرين به المهملين شروطه وآدابه المقيمين على الإصرار .

ونفصل الأمر فيه تفصيلا ، ونوضح الماهية فيه تحريما وتحليلا . فأما الدف والشبابة وإن كان فيهما فى مذهب الشافعى فسحة ؛ فالأولى تركهما والأخذ بالأحوط والخروج من الخلاف .

وأما غير ذلك فإن كان من القصائد فى ذكر الجنة والنار والتشويق إلى دار القرار ووصف نعم الملك الجبار ، وذكر العبادات والترغيب فى الخيرات فلا سبيل إلى الإنكار ، ومن ذلك القبيل قصائد الغزاة والحجاج فى وصف الغزو والحج ؛ مما يثير كامن العزم من الغازى وساكن الشوق من الحاج .

وأما ما كان من ذكر القدود والخدود ووصف النساء فلا يليق بأهل الديانات الاجتماع لمثل ذلك .

وأما ما كان من ذكر الهجر والوصل والقطيعة والصد مما يقرب حمله على أمور الحق سبحانه وتعالى من تلون أحوال المريدين ودخول الآفات على الطالبين ؛ فمن سمع ذلك وحدث عنده ندم على ما فات أو تجدد عنده عزم لما هو آت فكيف يكون سماعه ؟ وقد قيل إن بعض الواجدين يقتات بالسماع ويتقوى به على الطى والوصال ، ويثير عنده من الشوق ما يذهب عنه لهب الجوع ؛ فإذا استمع العبد إلى بيت من الشعر وقلبه حاضر فيه كأن يسمع الحادى يقول مثلا:

أتوب إليك يا رحمن إنى * أسأت وقد تضاعفت الذنوب

فأما من هوى ليلى وحبى * زيارتها فإنى لا أتوب

فطاب قلبه لما يجده من قوة عزمه على الثبات فى أمر الحق إلى الممات ـ يكون فى سماعه هذا ذكر الله تعالى .

قال بعض أصحابنا كنا نعرف مواجيد أصحابنا فى ثلاثة أشياء : عند المسائل ، وعند الغضب ، وعند السماع . وقال الجنيد تنزل الرحمة على هذه الطائفة فى ثلاثة مواضع : عند الأكل لأنهم يأكلون عن فاقة ، وعند المذاكرة لأنهم يتحاورون فى مقامات الصديقين وأحوال النبيين ، وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا .

وسئل رويم عن وجد الصوفية عند السماع فقال : يتنبهون للمعانى التى تعزب عن غيرهم فيشير إليهم إلىّ إلىّ فيتنعمون بذلك من الفرح ، ويقع الحجاب للوقت فيعود ذلك الفرح بكاء ، فمنهم من يمزق ثيابه ، ومنهم من يبكى ، ومنهم من يصيح .

أخبرنا أبو زرعة إجازة عن ابن خلف إجازة عن السلمى قال : سمعت أبا سهل محمد بن سليمان يقول ؟ المستمع بين استتار وتجل ، فالاستتار يورث التلهب ، والتجلى يورث المزيد ، فالاستتار يتولد منه حركات المريدين وهو محل الضعف

والعجز ، والتجلى يتولد منه السكون للواصلين وهو محل الاستقامة والتمكين . وكذلك محل الحضرة ليس فيه إلا الذبول تحت موارد الهيبة . قال الشيخ أبو عبدالرحمن السلمى : سمعت جدى يقول : المستمع ينبغى أن يستمع بقلب ونفس ميتة ، ومن كان قلبه ميتا ونفسه حية لايحل له السماع .

وقيل فى قوله تعالى ﴿ يزيد فى الخلق مايشاء ﴾ الصوت الحسن . وقال عليه السلام « لله أشد أذنا بالرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب قينة إلى قينته » نقل عن الجنيد قال : رأيت إبليس فى النوم فقلت له : هل تظفر من أصحابنا بشىء أو تنال منهم شيئا ؟ فقال إنه يعسر على شأنهم ويعظم على أن أصيب منهم شيئا إلا فى وقتين ، قلت : أى وقت ؟ قال : وقت السماع وعند النظر فإنى أسترق منهم فيه وأدخل عليهم به ، قال : فحكيت رؤياى لبعض المشايخ فقال لو رأيته قلت له ياأحمق من سمع منه إذا سمع ونظر إليه إذا نظر أتربح أنت عليه شيئا أو تظفر بشىء منه ؟ فقلت صدقت ، وروت عائشة رضى الله عنها قالت « كانت عندى جارية تسمعنى فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى على حالها ، ثم دخل عمر ففرت ؛ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر : مايضحكك يارسول الله ؟ فحدثه حديث الجارية فقال : لاأبرح حتى أسمع ماسمع رسول الله ؛ فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسمعته » وذكر الشيخ أبو طالب المكى قال : كان لعطاء جاريتان تلحنان وكان إخوانه يجتمعون اليهما ، وقال : أدركنا أبا مروان القاضى وله جوار يسمعن التلحين أعدهن للصوفية ، وهذا القول نقلته من قول الشيخ أبى طالب فقال : وعندى اجتناب ذلك هو الصواب ، وهو لايسلم إلا بشرط طهارة القلب وغض البصر والوفاء بشرط قوله تعالى ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ﴾ وما هذا القول من الشيخ أبى طالب المكى الا مستغرب عجيب ، والتنزه عن مثل ذلك هو الصحيح .

وفى الحديث : فى مدح داود عليه السلام أنه كان حسن الصوت بالنياحة على نفسه وبتلاوة الزبور حتى كان يجتمع الإنس والجن والطير لسماع صوته ، وكان يحمل من مجلسه آلاف من الجنائز ، وقال عليه السلام فى مدح أبى موسى الأشعرى « لقد أعطى مزمارا من مزامير آل داود » وروى عنه عليه السلام أنه قال « إن من الشعر لحكمة » ، ودخل رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده قوم يقرءون القرآن وقوم ينشدون الشعر فقال : يارسول الله قرآن وشعر ؟ فقال « من هذا مرة ومن هذا مرة » .

وأنشد النابغة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أبياته التى فيها :

ولا خير فى حكم إذا لم يكن له * بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى أمر إذا لم يكن له * حكيم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحسنت يا أباليلى لايفضض الله فاك » فعاش أكثر من مائة سنة وكان أحسن الناس ثغرا . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا فى المسجد ؛ فيقوم على المنبر قائما يهجو الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول النبى صلى الله عليه وسلم « إن روح القدس مع حسان مادام ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » ورأى بعض الصالحين أبا العباس الخضر قال ، فقلت له مانقول فى السماع الذى يختلف فيه أصحابنا ؟ فقال : هو الصفا الزلال لايثبت عليه إلا أقدام العلماء . ونقل عن ممشاد الدينورى قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يارسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا ؟ فقال ماأنكره ولكن قل لهم يفتتحون قبله بقراءة القرآن ويختمون بعده بالقرآن ، فقلت يارسول الله إنهم يؤذونى وينبسطون ، فقال احتملهم ياأباعلى هم أصحابك . فكان ممشاد يفتخر ويقول كنانى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما وجه الإنكار فيه فهو أن يرى جماعة من المريدين دخلوا فى مبادئ الإرادة ونفوسهم ماتمرنت على صدق المجاهدة حتى يحدث عندهم علم بظهور صفات النفس وأحوال القلب حتى تنضبط حركاتهم بقانون العلم ويعلمون مالهم عليهم مشتغلين به .

حكى أن ذا النون لما دخل بغداد دخل عليه جماعة ومعهم قوال ؛ فاستأذنوه أن يقول شيئا فأذن له فأنشد القوال :

صغير هواك عذبنى * فكيف به إذا احتنكا وأنت جمعت من قلبى * هوى قد كان مشتركا

أما ترثى لمكتئب * إذا ضحك الخلى بكى فطاب قلبه ، وقام وتواجد وسقط على جبهته والدم يقطر من جبهته ولا يقع على الأرض . ثم قام واحد منهم فنظر إليه ذو النون فقال : اتق الذى يراك حين تقوم ؛ فجلس الرجل ، وكان جلوسه لموضع صدقه وعلمه أنه غير كامل الحال غير صالح للقيام متواجد ، فيقوم أحدهم من غير تدبر وعلم فى قيامه وذلك إذا سمع إيقاعا موزونا يسمع يؤدى ما سمعه إلى طبع موزون ، فيتحرك بالطبع الموزون للصوت الموزون والإيقاع الموزون ، وينسبل حجاب نفسه المنبسط بانبساط الطبع على وجه القلب ، ويستفزه النشاط المنبعث من الطبع فيقوم يرقص موزونا ممزوجا بتصنع وهو مخزم عند أهل الحق ، ويحسب ذلك طيبة للقلب ، وما رأى وجه القلب وطيبته لله تعالى . ولعمرى هو طيبة القلب ولكن قلب ملون النفس ميال إلى الهوى موافق للردى لا يهتدى إلى حسن النية فى الحركات ولا يعرف شروط صحة الإرادات ، ولمثل هذا الراقص قيل : الرقص نقص ؛ لأنه رقص مصدره الطبع غير مقترن بنية صالحة لا سيما إذا انضاف إلى ذلك شوب حركاته بصريح النفاق بالتودد والتقرب إلى بعض الحاضرين من غير نية ، بل بدلالة نشاط النفس من المعانقة وتقبيل اليد والقدم ، وغير ذلك من الحركات التى لا يعتمدها من المتصوفة إلا من ليس له من التصوف إلا مجرد زى وصورة ، أو يكون القوال أمرد تنجذب النفوس إلى النظر إليه وتستلذ ذلك وتضمر خواطر السوء ، أو يكون للنساء إشراف على الجمع وتراسل البواطن المملوءة من الهوى بسفارة الحركات والرقص وإظهار التواجد فيكون ذلك عين الفسق المجمع على تحريمه فأهل المواخير حينئذ أرجى حالا ممن يكون هذا ضميره وحركاته ، لأنهم يرون فسقهم وهذا لا يراه ويريه عبادة لمن لا يعلم ذلك ، أفترى أحدا من أهل الديانات يرضى بهذا ولا ينكره ؟ فمن هذا الوجه توجه المنكر الإنكار ، وكان حقيقا بالاعتذار ، فكم من حركات موجبة للمقت ، وكم من نهضات تذهب رونق الوقت ، فيكون إنكار المنكر على المريد الطالب يمنعه عن مثل هذه الحركات ، ويحذره من مثل هذه المجالس ، وهذا إنكار صحيح . وقد يرقص بعض الصادقين إيقاع ووزن من غير إظهار وجد وحال ، ووجه نيته فى ذلك أنه ربما يوافق بعض الفقراء فى الحركة فيتحرك بحركة موزونة غير مدع بها حالا ووجداً ، يجعل حركته فى طرف الباطل ، لأنها إن لم تكن محرمة فى حكم الشرع ولكنها غير محللة بحكم الحال لما فيها من اللهو ، فتصير حركاته ورقصه من قبيل المباحات التى تجرى عليه من الضحك والمداعبة وملاعبة الأهل والولد ويدخل ذلك فى باب الترويح للقلب . وربما صار ذلك عبادة بحسن النية إذا نوى به استجمام النفس . كما نقل عن أبى الدرداء أنه قال : إنى لأستجم نفسى بشىء من الباطل ليكون ذلك عونا إلى على الحق . ولموضع الترويح كرهت الصلاة فى أوقات ليستريح عمال الله وترتفق النفوس ببعض مآربها من ترك العمل وتستطيب أوطان المهل . والآدمى بتركيبه المختلف وترتيب خلقه المتنوع بتنوع أصول خلقته ـ وقد سبق شرحه فى غير هذا الباب ـ لا تفى قواه بالصبر على الحق الصرف ، فيكون التفسح فى أمثال ما ذكرناه من المباح الذى ينزع إلى لهو ما باطلا يستعان به على الحق ، فإن المباح وإن لم يكن باطلا فى حقيقة الشرع ؛ لأن حد المباح ما استوى طرفاه واعتدل جانباه ، ولكنه باطل بالنسبة إلى الأحوال . ورأيت فى بعض كلام سهل بن عبد الله يقول فى وصفه للصادق : الصادق يكون جهله مزيدا لعلمه ، وباطله مزيدا لحقه ، ودنياه مزيدا لآخرته ، ولهذا المعنى حبب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ليكون ذلك حظ نفسه الشريفة الموهوب لها حظوظها ، الموفر عليها حقوقها لموضع طهارتها وقدسها ، فيكون ما هو نصيب الباطل الصرف فى حق الغير من المباحات المقبولة برخصة الشرع المردودة بعزيمة الحال فى حقه صلى الله عليه وسلم متسما بسمة العبادات . وقد ورد فى فضيلة النكاح ما يدل على أنه عبادة ، ومن ذلك من طريق القياس اشتماله على المصالح الدينية والدنيوية على ما أطنب فى شرحه الفقهاء فى مسئلة التخلى لنوافل العبادات ؛ فإذاً يخرج هذا الراقص بهذه النية المتبرئ من دعوى الحال فى ذلك من إنكار المنكر فيكون رقصه لا عليه ولا له ، وربما كان بحسن النية فى الترويح يصير عبادة سيما إن أضمر فى نفسه

فرحا بربه ونظرا إلى شمول رحمته وعطفه ، ولكن لايليق الرقص بالشيوخ ، ومن يقتدى به لمافيه من مشابهة اللهو ، واللهو لايليق بمنصبهم ويباين حال التمكن مثل ذلك .

وأما وجه منع الإنكار فى السماع فهو أن المنكر للسماع على الإطلاق من غير تفصيل لايخلو من أحد أمور ثلاثة : إما جاهل بالسنن والآثار ، وإما مغتر بما أتيح له من أعمال الأخيار ، وإما جامد الطبع لا ذوق له فيصر على الإنكار ، وكل واحد من هؤلاء الثلاثة يقابل بما سوف يقبل . أما الجاهل بالسنن والآثار فيعرف بما أسلفناه من حديث عائشة رضى الله عنها وبالأخبار والآثار الواردة فى ذلك ، وفى حركة بعض المتحركين تعرف رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم للحبشة فى الرقص ونظر عائشة رضى الله عنها إليهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا إذا سلمت الحركة من المكاره التى ذكرناها . وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى رضى الله عنه « أنت منى وأنا منك » فخجل ، وقال لجعفر « أشبهت خلقى وخلقى » فخجل ، وقال لزيد « أنت أخونا ومولانا » فخجل ، وكان خجل جعفر فى قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها على وجعفر وزيد . وأما المنكر المغرور بما أتيح له من أعمال الأخيار فيقال : تقربك إلى الله بالعبادة لشغل جوارحك بها ، ولولا نية قلبك ما كان لعمل جوارحك قدر ، فإنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ مانوى ، والنية لنظرك إلى ربك خوفا أو رجاء ، فالسامع من الشعر بيتا يأخذ منه معنى يذكره ربه إما فرحا أو حزنا أو انكسارا أو افتقارا كيف يقلب قلبه فى أنواع ذلك ذاكرا لربه ، ولو سمع صوت طائر طاب له ذلك الصوت وتفكر فى قدرة الله تعالى وتسويته حنجرة الطائر وتسخيره خلقه ومنشأ الصوت وتأديته إلى الأسماع كان فى جميع ذلك الفكر مسبحا مقدسا ، فإذا سمع صوت آدمى وحضره مثل ذلك الفكر وامتلأ باطنه ذكرا وفكرا كيف ينكر ذلك .

حكى بعض الصالحين قال : كنت معتكفا فى جامع جدة على البحر فرأيت يوما طائفة يقولون فى جانب منه شيئا ، فأنكرت ذلك بقلبى وقلت : فى بيت من بيوت الله تعالى يقولون الشعر ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام تلك الليلة وهو جالس فى تلك الناحية وإلى جنبه أبو بكر ، وإذا أبو بكر يقول شيئا من القول والنبى صلى الله عليه وسلم يستمع إليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك ، فقلت فى نفسى : ما كان ينبغى لى أن أنكر على أولئك الذين كانوا يسمعون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع وأبو بكر إلى جنبه يقول ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول هذا حق بحق أو حق من حق ، بلى إذا كان ذلك الصوت من أمرد يخشى بالنظر إليه الفتنة ، أو من امرأة غير محرم ، وإن وجد من الأذكار والأفكار ماذكرنا : يحرم سماعه لخوف الفتنة لا لمجرد الصوت ، ولكن يجعله سماع الصوت حريم الفتنة ، ولكل حرام حريم ينسحب عليه حكم المنع لوجه المصلحة كالقبلة للشاب الصائم ؛ حيث جعلت حريم حرام الوقاع ، وكالخلوة بالأجنبية وغير ذلك . فعلى هذا قد تقتضى المصلحة المنع من السماع إذا علم حال السامع وما يؤديه إليه سماعه فيجعل المنع حريم الحرام هكذا ، وينكر السماع جامد الطبع عديم الذوق فيقال له : العنين لايعلم لذة الوقاع ، والمكفوف ليس له بالجمال البارع استمتاع ، وغير المصاب لايتكلم بالاسترجاع ، فماذا ينكره من محب تربى باطنه بالشوق والمحبة ؟ ويرى انحباس روحه الطيارة فى مضيق قفص النفس الأمارة يمر بروحه نسيم أنس الأوطاز وتلوح له طوالع جنود العرفان ، وهو بوجود النفس فى دار الغربة يتجرع كأس الهجران ، يئن تحت أعباء المجاهدة ولا تحمل عنه سوانح المشاهدة ، وكلما قطع منازل النفس بكثرة الأعمال لايقرب من كعبة الوصول ولا يكشف له المسبل من الحجاب ، فيتروح بنفس الصعداء ويرتاح باللائح من شدة البرحاء ، ويقول مخاطبا للنفس والشيطان وهما المانعان :

أيا جبلى نعمان بالله خليا ٭ نسيم الصبا يخلص إلى نسيمها
فإن الصبا ريح إذا ماتنسمت ٭ على قلب محزون تجلت همومها
أجد بردها أو تشف منى حرارة ٭ على كبد لم يبق إلا صميمها
ألا إن أدوائى بليلى قديمة ٭ وأقتل داء العاشقين قديمها

ولعل المنكر يقول هل المحبة إلا امتثال الأمر ؟ وهل يعرف غير هذا وهل هناك إلا الخوف من الله؟ وينكر المحبة الخاصة التي تختص بالعلماء الراسخين والأبدال المقربين . ولما تقرر في فهمه القاصر أن المحبة تستدعي مثالا وخيالا وأجناسا وأشكالا أنكر محبة القوم ولم يعلم أن القوم بلغوا في رتب الإيمان إلى أتم من المحسوس وجادوا من فرط الكشف والعيان بالأرواح والنفوس . روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه ذكر غلاما كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأمه : من خلق السماء ؟ قالت : الله ، قال : من خلق الأرض؟ قالت : الله ، قال: من خلق الجبال ؟ قالت : الله ، قال : من خلق الغيم ؟ قالت : الله ، فقال: إني أسمع لله شأنا ورمى بنفسه من الجبل فتقطع » فالجمال الأزلي الإلهي منكشف للأرواح غير مكيف للعقل ولا مفسر للفهم ، لأن العقل موكل بعالم الشهادة لا يهتدي من الله سبحانه إلا إلى مجرد الوجود ولا يتطرق إلى حريم الشهود المتجلي في طي الغيب المنكشف الأرواح بلا ريب ، وهذه رتبة من مطالعة الجمال رتبة خاصة ، وأعم منها من رتب المحبة الخاصة دون العامة مطالعة جمال الكمال من الكبرياء والجلال والاستقلال بالمنح والنوال والصفات المنقسمة إلى ما ظهر منها في الآباد ولازم الذات في الآزال؛ فللكمال جمال لا يدرك بالحواس ولا يستنبط بالقياس . وفي مطالعة ذلك الجمال أخذ طائفة من المحبين خصوا بتجلي الصفات ولهم بحسب ذلك ذوق وشوق ووجد وسماع . والأولون منحوا قسطا من تجلي الذات فكان وجدهم على قدر الوجود وسماعهم على حد الشهود .

وحكى بعض المشايخ قال : رأينا جماعة ممن يمشي على الماء والهواء يسمعون السماع ويجدون به ويتولهون عنده . وقال بعضهم : كنا على الساحل فسمع بعض إخواننا فجعل يتقلب على الماء يمر ويجيء حتى رجع إلى مكانه .

ونقل أن بعضهم كان يتقلب على النار عند السماع ولا يحس بها . ونقل أن بعض الصوفية ظهر منه وجد عند السماع فأخذ شمعة فجعلها في عينه ، قال الناقل : قربت من عينه ، أنظر ، فرأيت نارا أو نورا يخرج من عينه يرد نار الشمعة وحكى عن بعضهم أنه كان إذا وجد عند السماع ارتفع من الأرض في الهواء أذرعا يمر ويجيء فيه .

وقال الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله في كتابه : إن أنكرنا السماع مجملا مطلقا غير مقيد مفصل يكون إنكارا على سبعين صديقا ، وإن كنا نعلم أن الإنكار أقرب إلى قلوب القراء والمتعبدين ، وإلا فما لا نفعل ذلك لأنا نعلم ما لا يعلمون ، وسمعنا عن السلف من الأصحاب والتابعين ما لا يسمعون . وهذا قول الشيخ عن علمه الوافر بالسنن والآثار مع اجتهاده وتحريه الصواب . ولكن نبسط لأهل الإنكار لسان الاعتذار ، ونوضح لهم الفرق بين سماع يؤثر وبين سماع ينكر وسمع الشبلي قائلا يقول : أسائل عن سلمى فهل من مخبر * يكون له علم بها أين تنزل

فزعق الشبلي وقال : لا والله ما في الدارين عنه مخبر .

وقيل الوجد سر صفات الباطن كما أن الطاعة سر صفات الظاهر ، وصفات الظاهر الحركة والسكون وصفات الباطن الأحوال والأخلاق . وقال أبو نصر السراج أهل السماع على ثلاث طبقات: فقوم يرجعون في سماعهم إلى مخاطبات الحق لهم فيما يسمعون ، وقوم يرجعون فيما يسمعون إلى مخاطبات أحوالهم ومقامهم وأوقاتهم فهم مرتبطون بالعلم ومطالبون بالصدق فيما يشيرون لله من ذلك ، وقوم هم الفقراء المجردون الذين قطعوا العلائق ولم تتلوث قلوبهم بمحبة الدنيا والجمع والمنع فهم يسمعون لطيبة قلوبهم ويليق بهم السماع فهم أقرب الناس إلى السلامة وأسلمهم من الفتنة . وكل قلب ملوث بحب الدنيا فسماعه سماع طبع وتكلف .

وسئل بعضهم عن التكلف في السماع فقال : هو على ضربين ؛ تكلف في المستمع لطلب جاه أو منفعة دنيوية وذلك تلبيس وخيانة ، وتكلف فيه لطلب الحقيقة كمن يطلب الوجد بالتواجد وهو بمنزلة التباكي المندوب إليه. وقول القائل إن هذه الهيئة من الاجتماع بدعة يقال له : إنما البدعة المحذورة الممنوع منها ، بدعة تزاحم سنة مأمورا بها وما لم يكن هكذا فلا بأس به . وهذا كالقيام للداخل : لم يكن ، فكان في عادة العرب ترك ذلك ، حتى نقل : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل ولا يقام له ، وفي البلاد التي فيها هذا القيام لهم عادة إذا اعتمد ذلك لتطييب القلوب والمداراة لا بأس به ؛

لأن تركه يوحش القلوب ويوغر الصدور ؛ فيكون ذلك من قبيل العشرة وحسن الصحبة ويكون بدعة لابأس بها لأنها لم تزاحم سنة مأثورة .

الباب الثالث والعشرون : فى القول فى السماع ردا وإنكارا

قد ذكرنا وجه صحة السماع ومايليق منه بأهل الصدق وحيث كثرت الفتنة بطريقه وزالت العصمة فيه ، وتصدى للحرص عليه أقوام قلت أعمالهم ، وفسدت أحوالهم وأكثروا الاجتماع للسماع ، وربما يتخذ للاجتماع طعام تطلب النفوس الاجتماع لذلك لارغبة للقلوب فى السماع كما كان من سير الصادقين ، فيصير السماع معلولا تركن إليه النفوس للشهوات واستحلاء لمواطن اللهو والعفلات ، ويقطع ذلك على المريد طلب المزيد . ويكون بطريقه تضييع الأوقات وقلة الحظ من العبادات ، وتكون الرغبة فى الاجتماع طلبا لتناول الشهوة واستروا حالأولى الطرب واللهو والعشرة ولايخفى أن هذا الاجتماع مردود عند أهل الصدق . وكان يقال لايصح السماع إلا لعارف مكين ، ولايباح لمريد مبتدئ .

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : إذا رأيت المريد يطلب السماع فاعلم أن فيه بقية البطالة . وقيل إن الجنيد ترك السماع فقيل له : كنت تستمع ؟ فقال : مع من ؟ قيل له : تسمع لنفسك ؟ فقال : ممن ؟ لأنهم كانوا لايسمعون إلا من أهل مع أهل فلما فقد الإخوان ترك . فما اختاروا السماع حيث اختاروه إلا بشرط وقيود وآداب ؛ يذكرون به الآخرة ، ويرغبون فى الجنة ، ويحذرون من النار ، ويزداد به طلبهم ، وتحسن به أحوالهم ، ويتفق لهم ذلك اتفاقا فى بعض الأحايين لا أن يجعلوه دأبا وديدنا حتى يتركوا لأجله الأوراد .

وقد نقل عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال فى كتاب القضاء : الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ، وقال : من استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته : واتفق أصحاب الشافعى أن المرأة غير المحرم لايجوز الاستماع إليها سواء كانت حرة أو مملوكة أو مكشوفة الوجه أو من وراء حجاب . ونقل عن الشافعى رضى الله عنه ، أنه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول : وضعه الزنادقة ليشغلوا به عن القرآن ، وقال : لابأس بالقراءة بالألحان وتحسين الصوت بها بأى وجه كان . وعند مالك رضى الله عنه : إذا اشترى جارية فوجدها مغنية فله أن يردها بهذا العيب ، وهو مذهب سائر أهل المدينة ، وهكذا مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه .

وسماع الغناء من الذنوب وما أباحه إلا نفر قليل من الفقهاء . ومن أباحه من الفقهاء أيضاً لم ير إعلانه فى المساجد والبقاع الشريفة . وقيل فى تفسير قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يشترى لهو الحديث ﴾ قال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه : هو الغناء والاستماع إليه ، وقيل قوله تعالى ﴿ وأنتم سامدون ﴾ أى مغنون ؛ رواه عكرمة عن عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما وهو الغناء بلغة حمير ، يقول أهل اليمن : سمد فلان ، إذا غنى ، وقوله تعالى ﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك ﴾ قال مجاهد : الغناء والمزامير .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « كان إبليس أول من ناح وأول من تغنى » وروى عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إنما نهيت عن صوتين فاجرين : صوت عند نعمة ، وصوت عند مصيبة » وقد روى عن عثمان رضى الله عنه أنه قال : ماغنيت ولاتمنيت ولامسست ذكرى بيمينى منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : الغناء ينبت النفاق فى القلب ، وروى أن ابن عمر رضى الله عنه مر على قوم وهم محرمون وفيهم رجل يتغنى فقال : ألا لاسمع الله لكم ، ألا لاسمع الله لكم ، وروى أن إنسانا سأل القاسم بن محمد عن الغناء فقال : أنهاك عنه وأكرهه لك ، قال أحرام هو ؟ قال : انظر يا ابن أخى إذا ميز الله الحق والباطل فى أيهما يجعل الغناء ؟ وقال الفضيل بن عياض : الغناء رقية الزنا ، وعن الضحاك : الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب ، وقال بعضهم : إياكم والغناء فإنه يزيد الشهوة ويهدم المروءة ، وأنه لينوب

عن الخمر ويفعل مايفعل السكر ، وهذا الذى ذكره هذا القائل صحيح لأن الطبع الموزون يفيق بالغناء والأوزان ، ويستحسن صاحب الطبع عند السماع مالم يكن يستحسنه من الفرقعة بالأصابع والتصفيق والرقص وتصدر منه أفعال تدل على سخافة العقل ، وروى عن الحسن أنه قال : ليس الدف من سنة المسلمين ، والذى نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه سمع الشعر ، لايدل على إباحة الغناء فإن الشعر كلام منظوم وغيره كلام منثور فحسنه حسن وقبيحه قبيح ، وإنما يصير غناء بالألحان وإن أنصف المنصف وتفكر فى اجتماع أهل الزمان وقعود المغنى بدفه والمشبب بشبابته وتصور فى نفسه هل وقع مثل هذا الجلوس والهيئة بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهل استحضروا قوالا وقعدوا مجتمعين لاستماعه لاشك بأنه ينكر ذلك من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؟ ولو كان فى ذلك فضيلة تطلب ما أهملوها ؟ فمن يشير بأنه فضيلة تطلب ويجتمع لها لم يحظ بذوق معرفة أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين ، واستروح إلى استحسان بعض المتأخرين ذلك . وكثيرا مايغلط الناس فى هذا ، وكلما احتج عليهم بالسلف الماضين يحتجون بالمتأخرين . وكان السلف أقرب إلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهديهم أشبه بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكثير من الفقراء يتسمح عند قراء القرآن بأشياء من غير غلبة . قال عبدالله بن عروة بن الزبير : قلت لجدتى أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن ؟ قالت : كانوا كما وصفهم الله تعالى تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم ، قال : قلت إن ناسا اليوم إذا قرئ عليهم القرآن خر أحدهم مغشيا عليه ، قالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . وروى أن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما مر برجل من أهل العراق يتساقط قال : مالهذا ؟ قالوا : إنه إذا قرئ عليه القرآن وسمع ذكر الله تعالى سقط ، فقال ابن عمر رضى الله عنهما : إنا لنخشى الله وما نسقط إن الشيطان يدخل فى جوف أحدهم ، ماهكذا كان يصنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون إذا قرئ القرآن فقال : بيننا وبينهم أن يقعد واحد منهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره ، فإن رمى بنفسه فهو صادق . وليس هذا القول منهم إنكاراً على الإطلاق إذ يتفق ذلك لبعض الصادقين ، ولكن للتصنع المتوهم فى حق الأكثرين ، فقد يكون ذلك من البعض تصنعا ورياء ، ويكون من البعض لقصور علم ومخامرة جهل ممزوج بهوى يلم بأحدهم يسير من الوجد فيتبعه بزيادات يجهل أن ذلك يضر بدينه ، وقد لايجهل أن ذلك من النفس ولكن النفس تسترق السمع استراقا خفيا تخرج الوجد عن الحد الذى ينبغى أن يقف عليه وهذا يباين الصدق

نقل أن موسى عليه السلام وعظ قومه فشق رجل منهم قميصه ، فقيل لموسى عليه السلام : قل لصاحب القميص لايشق قميصه ويشرح قلبه .

وأما إذا انضاف إلى السماع أن يسمع من أمرد فقد توجهت الفتنة وتعين على أهل الديانات إنكار ذلك . قال بقية بن الوليد : كانوا يكرهون النظر إلى الغلام الأمرد الجميل . وقال عطاء : كل نظرة يهواها القلب فلا خير فيها ، وقال بعض التابعين : ما أنا أخوف على الشاب التائب من السبع الضارى خوفى عليه من الغلام الأمرد يقعد إليه ، وقال بعض التابعين أيضا : اللوطية على ثلاثة أصناف : صنف ينظرون ، وصنف يصافحون ، وصنف يعملون ذلك العمل . فقد تعين على طائفة الصوفية اجتناب مثل هذه الجماعات واتقاء مواضع التهم فإن التصوف صدق كله وجد كله يقول بعضهم : التصوف كله جد فلا تخلطوه بشىء من الهزل ، فهذه الآثار دلت على اجتناب السماع وأخذ الحذر منه .

والباب الأول بما فيه دل على جوازه بشروطه وتنزيهه عن المكاره التى ذكرناها وقد فصلنا القول وفرقنا بين القصائد والغناء وغير ذلك ، وكان جماعة من الصالحين لا يسمعون ومع ذلك لاينكرون على من يسمع بنية حسنة ويراعى الأدب فيه .

الباب الرابع والعشرون : فى القول فى السماع ترفعا واستغناء

اعلم أن الوجد يشعر بسابقة فقد فمن لم يفقد لم يجد ، إنما كان الفقد لمزاحمة وجود العبد بوجود صفاته وبقاياه فلو

تمحض عبد لتمحض حر او من تمحض حرا أفلت من شرك الوجد فشرك الوجد يصطاد البقايا ووجود البقايا التخلف شيء من العطايا

قال الحصرى رحمه الله : ما أدون حال من يحتاج إلى مزعج يزعجه ؛ فالوجد بالسماع فى حق المحق كالوجد بالسماع فى حق المبطل : من حيث النظر إلى انزعاجه ، وتأثير الباطن به ، وظهور أثره على الظاهر ، وتغييره للعبد من حال إلى حال . وإنما يختلف الحال بين المحق والمبطل : أن المبطل يجد لوجود هوى النفس ، والمحق يجد لوجود إرادة القلب ؛ ولهذا قيل : السماع لا يحدث فى القلب شيئا ، وإنما يحرك ما فى القلب ، فمن يتعلق باطنه بغير الله يحركه السماع فيجد بالهوى ، ومن يتعلق باطنه بمحبة الله يجد بالإرادة إرادة القلب ؛ فالمبطل محجوب بحجاب النفس ، والمحق محجوب بحجاب القلب ، وحجاب النفس حجاب أرضى ظلمانى ، وحجاب القلب حجاب سماوى نورانى ، ومن لم يفقد بدوام التحقق بالشهود ولا يتعثر بأذيال الوجود فلا يسمع ولا يجد ، ومن هذه المطالعة قال بعضهم : الوجد نار دم كلى لا ينفذ فى قول .

ومر بمشاد الدينورى رحمه الله بقوم فيهم قوال ؛ فلما رأوه أمسكوا ، فقال : ارجعوا إلى ما كنتم فيه ، فوالله لو جمعت ملاهى الدنيا فى أذنى ما شغل همى ولا شفى بعض مابى ، فالوجد صراخ الروح المبتلى بالنفس تارة فى حق المبطل وبالقلب تارة فى حق المحق ، فثار الوجد الروح الروحانى فى حق المحق والمبطل ، ويكون الوجد تارة من فهم المعانى يظهر ، وتارة من مجرد النغمات والألحان ، فما كان من قبيل المعانى تشارك النفس الروح فى السماع فى حق المبطل ويشارك القلب فى حق المحق . وما كان من قبيل مجرد النغمات تتجرد الروح للسماع ، ولكن فى حق المبطل تسترق النفس السمع ، وفى حق المحق يسترق القلب السمع . ووجه استلذاذ الروح النغمات : أن العالم الروحانى مجمع الحسن والجمال ، ووجود التناسب فى الأكوان مستحسن قولا وفعلا ، ووجود التناسب فى الهياكل والصور ميراث الروحانية فمتى سمع الروح النغمات اللذيذة والألحان المتناسبة تأثر به لوجود الجنسية ، ثم يتقيد ذلك بالشرع بمصالح عالم الحكمة ، ورعاية الحدود للعبد عين المصلحة عاجلا وآجلا ، ووجه آخر : إنما يستلذ الروح النغمات ، لأن النغمات بها نطق النفس مع الروح بالإيماء الخفى إشارة ورمزا بين المتعاشقين ، وبين النفوس والأرواح تعاشق أصلى ينزع ذلك إلى أنوثة النفس وذكورة الروح ، والميل والتعاشق بين الذكر والأنثى بالطبيعة واقع ، قال الله تعالى ﴿ وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾ وفى قوله سبحانه ﴿ منها ﴾ إشعار بتلازم وتلاصق موجب للائتلاف والتعاشق ، والنغمات يستلذها الروح لأنها مناغاة بين المتعاشقين ، وكما أن فى عالم الحكمة كونت حواء من آدم ففى عالم القدرة كونت النفس من الروح الروحانى ، فهذا التآلف من هذا الأصل : وذلك أن النفس روح حيوانى تجنس بالقرب من الروح الروحانى وتجنسها بأن امتازت من أرواح جنس الحيوان بشرف القرب من الروح الروحانى فصارت نفسا ، فإذا تكون النفس من الروح الروحانى فى عالم القدرة ، كتكون حواء من آدم فى عالم الحكمة ، فهذا التآلف والتعاشق ونسبة الأنوثة والذكورة من ههنا ظهر ، وبهذا الطريق استطابت الروح النغمات ، لأنها مراسلات بين المتعاشقين ومكالمة بينهما ، وقد قال القائل :

تكلم منا فى الوجود عيوننا * فنحن سكوت والهوى يتكلم

فإذا استلذ الروح النغمة وجدت النفس المعلولة بالهوى وتحركت بما فيها الحدوث العارض ، ووجد القلب المعلول بالإرادة وتحرك بما فيه لوجود العارض فى الروح :

شربنا وأهرقنا على الأرض جرعة * وللأرض من كأس الكرام نصيب

فنفس المبطل أرض لسماء قلبه ، وقلب المحق أرض لسماء روحه ، فالبالغ مبلغ الرجال والمتجوهر المتجرد من أعراض الأحوال خلع فعل النفس والقلب بالوادى المقدس ، وفى مقعد صدق عند مليك مقتدر استقر وعرس ، وأحرق بنور العيان أجرام الألحان ولم تصغ روحه إلى مناغاة عاشقه لشغله بمطالعة آثار محبوبه ، فالهائم المشتاق لا يسعه كشف ظلامة العشاق ، ومن هذا حاله لا يحركه السماع رأسا ، وإذا كانت الألحان لا تلحق هذا الروح مع لطافة مناجاتها

وخفى لطف مناغاتها ، كيف يلحقه السماع بطريق فهم المعانى وهو أكثف ، ومن يضعف عن حمل لطيف الإشارات كيف يتحمل ثقل أعباء العبارات ، وأقرب من هذا عبارة تقرب إلى الأفهام : الوجد وارد يرد من الحق سبحانه وتعالى ، ومن يريد الله لايقنع بما من عندالله ، ومن صارفى محل القرب متحققا به لايلهيه ولايحركه ماورد من عند الله ؛ فالوارد من عندالله مشعر يبعد ، والقريب واجد فمايصنع بالوارد ، والوجد نار والقلب للواجد ربه نور ، والنور ألطف من النار ، والكثيف غير مسيطر على اللطيف ، فما دام الرجل البالغ مستمرا على جادة استقامته غير منحرف عن وجه معهوده بنوازع وجوده لايدركه الوجد بالسماع ، فإن دخل عليه فتور أوعاقه قصور بدخول الابتلاء عليه من المبتلى المحسن يتألف المحن من تفاريق صور الابتلاء : أى يدخل عليه وجود يدركه الواجد لعود العبد عند الابتلاء إلى حجاب القلب ، فمن هو مع الحق إذا زل وقع على القلب . ومن هو مع القلب إذا زل وقع على النفس .

سمعت بعض مشايخنا يحكى عن بعضهم أنه وجد من السماع ، فقيل له : أين حالك من هذا ؟ فقال : دخل على داخل أوردنى هذا المورد .

قال بعض أصحاب سهل : صحبت سهلا سنين مارأيته تغير عند شىء كان يسمعه من الذكر والقرآن ؛ فلما كان فى آخر عمره قرئ عنده ﴿فاليوم لايؤخذ منكم فدية﴾ فارتعد وكاد يسقط ؛ فسألته عن ذلك ؟ قال نعم لحقنى ضعف . وسمع مرة ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن﴾ فاضطرب ، فسأله ابن سالم وكان صاحبه قال : قد ضعفت ؛ فقيل له : إن كان هذا من الضعف فما القوة ؟ قال . القوة أن الكامل لايرد عليه وارد إلا يبتلعه بقوة حاله فلا يغيره الوارد . ومن هذا القبيل قول أبى بكر رضى الله عنه : هكذا كنا حتى قست القلوب ، لما رأى الباكى يبكى عند قراءة القرآن . وقوله «قست» أى تصلبت وأدمنت سماع القرآن وألفت أنواره فما استغربته حتى تغير والواجد كالمستغرب . لهذا قال بعضهم : حالى قبل الصلاة كحالى فى الصلاة إشارة منه إلى استمرار حال الشهود فهكذا فى السماع كقبل السماع . وقد قال الجنيد : لايضر نقصان الوجد مع فضل العلم ، وفضل العلم أتم من فضل الوجد . وبلغنا عن الشيخ حماد رحمه الله كان يقول : البكاء من بقية الوجود . وكل هذا يقرب البعض من البعض فى المعنى لمن عرف الاشارة فيه ، وفهم وهو عزيز الفهم ، عزيز الوجود ، واعلم أن للباكين عند السماع مواجيد مختلفة فمنهم من يبكى خوفا ، ومنهم من يبكى شوقا ، ومنهم من يبكى فرحا ؛ كما قال القائل :

طفح السرور على حتى إننى ٭ من عظم ما قد سرنى أبكانى

قال الشيخ أبو بكر الكتانى رحمه الله : سماع العوام على متابعة الطبع ، وسماع المريدين رغبة ورهبة ، وسماع الأولياء رؤية الآلاء والنعماء ، وسماع العارفين على المشاهدة ، وسماع أهل الحقيقة على الكشف والعيان ؛ ولكل واحد من هؤلاء مصدر ومقام . وقال أيضا : الموارد ترد فتصادف شكلا أو موافقا فأى وارد صادف شكلا مازجه ؟ وأى وارد صادف موافقا ساكنه ؟ وهذه كلها مواجيد أهل السماع . وماذكرناه حال من ارتفع عن السماع . وهذا الاختلاف منزل على اختلاف أقسام البكاء التى ذكرناها من الخوف والشوق والفرح ، وأعلاها بكاء الفرح بمثابة قادم يقدم على أهله بعد طول غربته فعند رؤية الأهل يبكى من قوة الفرح وكثرته .

وفى البكاء رتبة أخرى أعز من هذه يعز ذكرها ويكبر نشرها لقصور الأفهام عن إدراكها ؛ فربما يقابل ذكرها بالإنكار ويخفى بالاستكبار ، ولكن يعرفها من وجدها قدما ووصولا أو فهمها نظرا كثيرا ومثولا ، وهو بكاء الوجدان غير بكاء الفرح ، وحدوث ذلك فى بعض مواطن حق اليقين ، ومن حق اليقين فى الدنيا إلمامات يسيرة فيوجد البكاء فى بعض مواطنه لوجود تغاير وتباين بين المحدث والقديم ، فيكون البكاء رشحا هو من وصف الحدثان لوهج سطوة عظمة الرحمن . ويقرب من ذلك مثلا فى الشاهد قطر الغمام بتلاقى مختلف الأجرام . وهذا وإن عز مشعر ببقية تقدح فى صرف الفناء . نعم قد يتحقق العبد فى الفناء متجردا عن الآثار منغمسا فى الأنوار ، ثم يرتقى منه إلى مقام البقاء ، ويرد إليه الوجود مظهرا ، فتعود إليه أقسام البكاء خوفا وشوقا وفرحا ووجدانا بمشاكلة صورها ومباينة حقائقها

بفرق لطيف يدركه أربابه ، وعندذلك يعود عليه من السماع أيضا قسم ، وذلك القسم مقدور له مقهور معه يأخذه إذا أراد ويرده إذا أراد ، ويكون هذا السماع من المتمكن بنفس اطمأنت واستنارت وباينت طبيعتها واكتسبت طمأنينتها ، وأكسبها الروح معنى منه فيكون سماعه نوع تمتع للنفس كتمتعها بإباحات اللذات والشهوات لأن يأخذ السماع منه أو يزيد به أو يظهر عليه منه أثر ، فتكون النفس فى ذلك بمثابة الطفل فى حجر الوالد يفرحه فى بعض الأوقات ببعض مآربه .

ومن هذا القبيل ما نقل أن أبا محمد الراشى كان يشغل أصحابه بالسماع وينعزل عنهم ناحية يصلى ؛ فقد تطرق هذه النغمات مثل هذا المصلى فتتدلى إليها النفس متنعمة بذلك ، فيزداد مورد الروح من الأنس صفاء عندذلك لبعد النفس عن الروح فى تمتعها ، فإنها مع طمأنينتها توصف من الأجنبية بوضعها وجبلتها ، وفى بعدها توفر أقسام الروح من الفتوح ، ويكون طروق الألحان سمعه فى الصلاة غير محيل بينه وبين حقيقة المناجاة ، وفهم تنزيل الكلمات ، وتصل الأقسام إلى محالها غير مزاحمة ، ولا مزاحمة وذلك كله لسعة شرح الصدر بالإيمان والله المحسن المنان ولهذا قيل السماع لقوم كالدواء ، ولقوم كالغذاء ، ولقوم كالمروحة . ومن عود أقسام البكاء ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى « اقرأ » ، فقال : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ فقال : أحب أن أسمعه من غيرى . فافتتح سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ فإذا عيناه تهملان » .

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل الحجر واستلمه ثم وضع شفتيه عليه طويلا يبكى ، وقال : ياعمر ههنا تسكب العبرات . والمتمكن تعود إليه أقسام البكاء ، وفى ذلك فضيلة سألها النبى صلى الله عليه وسلم فقال « اللهم ارزقنى عينين هطالتين » ويكون البكاء فى الله ، فيكون لله ويكون بالله هو الأتم لعوده إليه بوجود مستأنف موهوب له من الكريم المنان فى مقام البقاء .

الباب الخامس والعشرون : فى القول فى السماع تأدبا واعتناء

ويتضمن هذا الباب آداب السماع ، وحكم التخريق وإشارات المشايخ فى ذلك ، وما فى ذلك من المأثور والمحذور

مبنى التصوف على الصدق فى سائر الأحوال وهو جد كله ، لاينبغى لصادق أن يتعمد الحضور فى يكون يجمع فيه سماع إلا بعد أن يخلص النية لله تعالى ويتوقع به مزيدا فى إرادته وطلبه ، ويحذر من ميل النفس لشىء من هواها ، ثم يقدم الاستخارة للحضور ويسأل الله تعالى إذا عزم البركة فيه . وإذا حضر يلزم الصدق والوقار بسكون الأطراف ، قال أبو بكر الكتانى رحمه الله : المستمع يجب أن يكون فى سماعه غير مستروح إليه يهيج منه السماع وجداً أو شوقاً أو غلبة أو واردا والوارد عليه يفنيه عن كل حركة وسكون ، فيتقى الصادق استدعاء الوجد ويجتنب الحركة فيه مهما أمكن سيما بحضرة الشيوخ .

حكى أن شابا كان يصحب الجنيد رحمه الله وكلما سمع شيئا زعق وتغير ، فقال له يوما : إن ظهر منك شىء بعد هذا فلا تصحبنى ، فكان بعد ذلك يضبط نفسه ، وربما كان من كل شعرة منه تقطر قطرة عرق ، فلما كان يوما من الأيام زعق زعقة فخرج روحه . فليس من الصدق إظهار الوجد من غير وجد نازل ، أو ادعاء الحال من غير حال حاصل ، وذلك عين النفاق .

قيل كان النصراباذى رحمه الله كثير الولع بالسماع فعوتب فى ذلك فقال : نعم هو خير من أن نقعد ونغتاب ، فقال له أبو عمرو بن نجيد وغيره من إخوانه : هيهات يا أبا القاسم زلة فى السماع شر من كذا وكذا سنة نغتاب الناس . وذلك أن زلة السماع إشارة إلى الله تعالى وترويح للحال بصريح المحال . وفى ذلك ذنوب متعددة منها : أنه يكذب على الله تعالى أنه وهب له شيئا وما وهب له . والكذب على الله من أقبح الزلات ، ومنها : أن يغر بعض الحاضرين فيحسن به الظن والإغرار خيانة ، قال عليه السلام « من غشنا فليس منا » ومنها أنه إذا كان مبطلا ويرى بعين الصلاح فسوف يظهر منه بعد ذلك ما يفسد عقيدة المعتقد فيه فيفسد عقيدته فى غيره ممن يظن به الخير من أمثاله ،

فيكون سببا إلى فساد العقيدة فى أهل الصلاح ، ويدخل بذلك ضرر على الرجل الحسن الظن مع فساد عقيدته؛ فينقطع عنه مدد الصالحين ويتشعب من هذا آفات كثيرة يعثر عليها من يبحث عنها ومنها أنه يحوج الحاضرين إلى موافقته فى قيامه وقعوده فيكون متكلفا مكلفا للناس بباطله ، ويكون فى الجمع من يرى بنور الفراسة أنه مبطل ويحمل على نفسه الموافقة للجمع مداريا ويكثر شرح الذنوب فى ذلك فليتق الله فى ربه ولا يتحرك إلا إذا صارت حركته حركة المرتعش الذى لا يجد سبيلا إلى الإمساك ، وكالعاطس الذى لا يقدر أن يرد الغطسة ، وتكون حركته بمثابة النفس الذى يدعوه إليه داعية الطبع قهرا .

قال السرى : شرط الواجد فى زعقته أن يبلغ إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لا يشعر فيه بوجع ، وقد يقع هذا لبعض الواجدين نادرا ، وقد لا يبلغ الواجد هذه الرتبة من الغيبة ، ولكن زعقته تخرج كالتنفس بنوع إرادة ممزوجة بالاضطرار . فهذا الضبط من رعاية الحركات ورد الزعقات وهو فى تمزيق الثياب آكد ، فإن ذلك يكون إتلاف المال وإنفاق المحال ، وهكذا رمى الخرقة إلى الحادى لا ينبغى أن يفعل إلا إذا حضرته نية يجتنب فيها التكلف والمراءاة وإذا حسنت النية فلا بأس بإلقاء الخرقة إلى الحادى ، فقد روى عن كعب بن زهير أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وأنشده أبياته التى أولها .

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول * . . . . . .

حتى انتهى إلى قوله فيها .

إن الرسول لسيف يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أنت ؟ » فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، أنا كعب بن زهير ؛ فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه بردة كانت عليه ، فلما كان زمن معاوية بعث إلى كعب بن زهير : بعنا بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة آلاف ، فوجه إليه ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا . فلما مات كعب بعث معاوية إلى أولاده بعشرين ألفا وأخذ البردة وهى البردة الباقية عند الإمام الناصر لدين الله اليوم عادت بركتها على أيامه الزاهرة .

وللمتصوفة آداب يتعاهدونها ، ورعايتها حسن الأدب فى الصحبة والمعاشرة ، وكثير من السلف لم يكونوا يعتمدون ذلك ؛ ولكن كل شىء استحسنوه وتواطئوا عليه ولا ينكره الشرع لا وجه للإنكار فيه . فمن ذلك أن أحدهم إذا تحرك فى السماع فوقعت منه خرقة أو نازله وجد ورمى عمامته إلى الحادى ، فالمستحسن عندهم موافقة الحاضرين له فى كشف الرأس إذا كان ذلك من متقدم وشيخ ، وإن كان ذلك من الشبان فى حضرة الشيوخ فليس على الشيوخ موافقة الشبان فى ذلك ، وينسحب حكم الشيوخ على بقية الحاضرين فى ترك الموافقة للشبان ، فإذا سكتوا عن السماع برد الواجد إلى خرقته ، ويوافقه الحاضرون برفع العمائم ثم ردها على الرءوس فى الحال الموافقة ، والخرقة إذا رميت إلى الحادى هى للحادى إذا قصد إعطاءه إياها ، وإن لم يقصد إعطاءها للحادى ، فقيل هى للحادى لأن المحرك هو ومنه صدر الموجب لرمى الخرقة . وقال بعضهم : هى للجمع والحادى واحد منهم لأن المحرك قول الحادى مع بركة الجمع فى إحداث الوجد ، وإحداث الوجد لا يتقاصر عن قول القائل فيكون الحادى واحدا منهما فى ذلك .

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر « من وقف بمكان كذا فله كذا ، ومن قتل فله كذا ومن أسر فله كذا » فتسارع الشبان وأقام الشيوخ والوجوه عند الرايات ، فلما فتح الله على المسلمين طلب الشبان أن يجعل ذلك لهم ، فقال الشيوخ : كنا ظهرا لكم وردءا فلا تذهبوا بالغنائم دوننا ، فأنزل الله تعالى ﴿ يسئلونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول ﴾ فقسم النبى صلى الله عليه وسلم بينهم بالسوية .

وقيل : إذا كان القوال من القوم يجعل كواحد منهم ، وإذا لم يكن من القوم فما كان له قيمة يؤثر به ، وما كان من خرق الفقراء يقسم بينهم . وقيل إذا كان القوال أجيرا فليس له منها شىء ، وإن كان متبرعا يؤثر بذلك ، وكل هذا

إذا لم يكن هناك شيخ يحكم ، فأما إذا كان هناك شيخ يهاب ويمتثل أمره فالشيخ يحكم فى ذلك بما يرى ، فقد تختلف الأحوال فى ذلك وللشيخ اجتهاد فيفعل ما يرى فلا اعتراض لأحد عليه ، وان فداها بعض المحبين أو بعض الحاضرين فرضى القوال والقوم بما رضوا به وعاد كل واحد منهم إلى خرقته فلا بأس بذلك ، وإذا أصر واحد على الإيثار بما خرج منه لنية له فى ذلك يؤثر بخرقته الحادى ، وأما تمزيق الخرقة المجروحة التى مزقها واجد صادق عن غلبة سلبت اختياره كغلبة النفس ، فمن يتعمد إمساكه فنيتهم فى تفرقتها وتمزيقها التبرك بالخرقة لأن الوجد أثر من آثار فضل الحق وتمزيق الخرقة أثر من آثار الوجد ، فصارت الخرقة متأثرة بأثر ربانى من حقها أن تفدى بالنفوس وتترك على الرءوس إكراما واعزازا :

تضوع أرواح نجد من ثيابهم * يوم القدوم لقرب العهد بالدار

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقبل الغيث ويتبرك به ويقول « حديث عهد بربه » فالخرقة الممزقة حديثة العهد ، فحكم المجروحة أن تفرق على الحاضرين ، وحكم ما يتبعها من الخرق الصحاح أن يحكم فيها الشيخ ، إن خصص بشىء منها بعض الفقراء فله ذلك ، وإن خرقها خرقا فله ذلك ، ولا يقال هذا تفريط وسرف فإن الخرقة الصغيرة ينتفع بها فى موضعها عند الحاجات كالكبيرة .

وروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حلة حرير فأرسل بها إلى فخرجت فيها فقال لى « ما كنت لأكره لنفسى شيئا أرضاه لك فشققها بين النساء خمرا » وفى رواية أتيته فقلت : ما أصنع بها ألبسها ؟ قال : لا ، ولكن اجعلها خمرا بين الفواطم ، أراد فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت حمزة ، وفى هذه الرواية أن الهدية كانت حلة مكفوفة بحرير ، وهذا وجه فى السنة لتمزيق الثوب وجعله خرقا .

حكى أن الفقهاء والصوفية بنيسابور اجتمعوا فى دعوة فوقعت الخرقة ، وكان شيخ الفقهاء الشيخ أبا محمد الجوينى وشيخ الصوفية الشيخ أبا القاسم القشيرى ؛ فقسمت الخرقة على عادتهم ؛ فالتفت الشيخ أبو محمد إلى بعض الفقهاء وقال سرا ، هذا سرف وإضاعة للمال ، فسمع أبو القاسم القشيرى ولم يقل شيئا حتى فرغت القسمة ، ثم استدعى الخادم وقال : انظر فى الجمع من معه سجادة خرق ائتنى بها ، فجاءه بسجادة ثم أحضر رجلا من أهل الخبرة ، فقال : هذه السجادة بكم تشترى فى المزاد ؟ قال بدينار ، قال : ولو كانت قطعة واحدة كم تساوى ؟ قال : نصف دينار ثم التفت إلى الشيخ أبى محمد وقال : هذا لا يسمى إضاعة المال . والخرقة الممزقة تقسم على جميع الحاضرين من كان من الجنس أو من غير الجنس إذا كان حسن الظن بالقوم معتقدا للتبرك بالخرقة .

روى طارق بن شهاب أن أهل البصرة غزوا نهاوند ، وأمدهم أهل الكوفة وعلى أهل الكوفة عمار بن ياسر ؛ فظهروا وأراد أهل البصرة أن لا يقسموا لأهل الكوفة من الغنيمة شيئا ، فقال رجل من بنى تميم لعمار . أيها الأجدع تريد أن تشاركنا فى غنائمنا ، فكتب إلى عمر بذلك ، فكتب عمر رضى الله عنه ، إن الغنيمة لمن شهد الوقعة ، وذهب بعضهم إلى أن المجروح من الخرق يقسم على الجمع وما كان من ذلك صحيحا يعطى للقوال ، واستدل بما روى عن أبى قتادة قال : لما وضعت الحرب أوزارها يوم حنين وفرغنا من القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قتل قتيلا فله سلبه » وهذا له وجه فى الخرقة الصحيحة ، فأما المجروحة فحكمها إسهام الحاضرين والقسمة لهم ، ولو دخل على الجمع وقت القسمة من لم يكن حاضرا قسم له . روى أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : لما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خيبر بثلاث ، فأسهم لنا ولم يسهم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا ، ويكره للقوم حضور غير الجنس عندهم فى السماع كمتزهد لا ذوق له من ذلك فينكر ما لا ينكر ، أو صاحب دنيا يحوج إلى المداراة والتكلف ، أو متكلف للوجد يشوش الوقت على الحاضرين بتواجده .

أخبرنا أبو زرعة طاهر عن والده أبى الفضل الحافظ المقدسى قال أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفرى

بسرخس قال أخبرنا أبو على الفضل بن منصور بن نصر الكاغدى السمر قندى إجازة ، قال حدثنا الهيثم بن كليب قال أخبرنا أبو بكر عمار بن اسحق قال حدثنا سعيد عامر عن شعبة عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ نزل عليه جبريل عليه السلام فقال : يارسول الله إن فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام ؛ ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هل فيكم من ينشدنا ؟ فقال بدوى : نعم يارسول الله فقال هات فأنشأ الأعرابى :

قد لسعت حية الهوى كبدى * فلا طبيب لها ولا راق

إلا الحبيب الذى شغفت به * فعنده رقيتى وترياقى

فتواجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتواجد الأصحاب معه حتى سقط رداؤه عن منكبه ، فلما فرغوا أوى كل واحد منهم إلى مكانه ، قال معاوية بن أبى سفيان ما أحسن لعبكم يارسول الله ، فقال « مه يامعاوية ليس بكريم من لم يهتز عند سماع ذكر الحبيب » ثم قسم رداءه رسول الله صلى الله عليه وسلم على من حاضرهم بأربعمائة قطعة . فهذا الحديث أوردناه مسندا كما سمعناه ووجدناه ، وقد تكلم فى صحته أصحاب الحديث . وماوجدنا شيئا نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاكل وجد أهل الزمان وسماعهم واجتماعهم إلا هذا ، وما أحسنه من حجة للصوفية وأهل الزمان فى سماعهم وتمزيقهم الخرق وقسمتها أن لو صح والله أعلم .

ويخالج سرى أنه غير صحيح ، ولم أجد فيه ذوق اجتماع النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه وما كانوا يعتمدونه على مابلغنا فى هذا الحديث ويأبى القلب قبوله ، والله اعلم بذلك .

الباب السادس والعشرين : فى خاصية الأربعينية التى يتعاهدها الصوفية

ليس مطلوب القوم من « الأربعين » شيئا مخصوصا لايطلبونه فى غيرها ؟ ولكن لما طرقتهم مخالفات حكم الأوقات أحبوا تقييد الوقت بأربعين رجاء أن ينسحب حكم الأربعين على جميع زمانهم ، فيكونوا فى جميع أوقاتهم كهيئتهم فى الأربعين . على أن الأربعين خصت بالذكر فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » وقد خص الله تعالى الأربعين بالذكر فى قصة موسى عليه السلام وأمره بتخصيص الأربعين بمزيد تبتل قال الله تعالى ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة﴾ وذلك أن موسى عليه السلام وعد بنى إسرائيل وهم بمصر أن الله تعالى إذا أهلك عدوهم واستنقذهم من أيديهم يأتيهم بكتاب من عند الله تعالى فيه تبيان الحلال والحرام والحدود والأحكام . فلما فعل الله ذلك واهلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب ، فأمره الله تعالى أن يصوم ثلاثين يوما ـ وهو ذو القعدة ـ فلما تمت الثلاثون ليلة أنكر خلوف فمه فتسوك بعود خرنوب ، فقالت له الملائكة : كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك . فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام من ذى الحجة وقال له أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندى من ريح المسك ؟ ولم يكن صوم موسى عليه السلام ترك الطعام بالنهار وأكله بالليل ، بل طوى الأربعين من غير أكل . فدل على أن خلو المعدة من الطعام أصل كبير فى الباب حتى احتاج موسى إلى ذلك مستعد لمكالمة الله تعالى .

والعلوم اللدنية فى قلوب المنقطعين إلى الله تعالى ضرب من المكالمة : ومن انقطع إلى الله أربعين يوما مخلصا متعاهدا نفسه بخفة المعدة يفتح الله عليه العلوم اللدنية كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . غير أن تعيين الأربعين من المدة فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى أمر الله تعالى موسى عليه السلام بذلك والتحديد والتقييد بالأربعين لحكمة فيه . ولا يطلع أحد على حقيقة ذلك إلا الأنبياء إذا عرفهم الحق ذلك أو من يخصه الله تعالى بتعريف ذلك من غير الأنبياء . ويلوح فى سر ذلك معنى والله اعلم .

وذلك أن الله تعالى لما أراد بتكوين آدم من تراب قدر التخمير بهذا القدر من العدد . كما ورد « خمر طينة آدم

بيده أربعين صباحا ، فكأن آدم لما كان مستصلحا لعمارة الدارين وأراد الله تعالى منه عمارة الدنيا كما أراد منه عمارة الجنة كونه من التراب تركيبا يناسب عالم الحكمة والشهادة ، وهذه الدار الدنيا . وما كانت عمارة الدنيا تأتى منه وهو غير مخلوق من أجزاء أرضية سفلية بحسب قانون الحكمة . فمن التراب كونه ، وأربعين صباحا خمر طينته ؛ ليبعد بالتخمير أربعين صباحا بأربعين حجابا من الحضرة الإلهية كل حجاب هو معنى مودع فيه يصلح به لعمارة الدنيا ويتعوق به عن الحضرة الإلهية ومواطن القرب ؛ إذ لو لم يتعوق بهذا الحجاب ما عمرت الدنيا . فتأصل البعد عن مقام القرب فيه لعمارة عالم الحكمة وخلافة الله تعالى فى الأرض . فالتبتل لطاعة الله تعالى والإقبال عليه والانتزاع عن التوجه إلى أمر المعاش بكل يوم يخرج عن حجاب هو معنى فيه مودع . وعلى قدر زوال كل حجاب ينجذب ويتخذ منزلا فى القرب من الحضرة الإلهية التى هى مجمع العلوم ومصدرها . فإذا تمت الأربعون زالت الحجب وانصبت إليه العلوم والمعارف انصبابا . ثم العلوم والمعارف هى أعيان انقلبت أنوارا باتصال إكسير نور العظمة الإلهية بها ، فانقلبت أعيان حديث النفس علوما إلهامية ، وتصدت أجرام حديث النفس لقبول أنوار العظمة ، فلولا وجود النفس وحديثها ما ظهرت العلوم الإلهية ؛ لأن حديث النفس وعاء وجودى لقبول الأنوار وما للقلب فى ذاته لقبول العلم شىء ، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » أشار إلى القلب باعتبار أن للقلب وجها إلى النفس باعتبار توجهه إلى عالم الشهادة ، وله وجه إلى الروح باعتبار توجهه إلى عالم الغيب ، فيستمد القلب العلوم المكنونة فى النفس ويخرجها إلى اللسان الذى هو ترجمانه ، فظهور العلوم من القلب لأنها متأصلة فيه ، فللقلب والروح مراتب من قرب الملهم سبحانه وتعالى فوق رتب الإلهام ، فالعبد بانقطاعه إلى الله تعالى واعتزال الناس يقطع مسافات وجوده ويستنبط من معدن نفسه جواهر العلوم

وقد ورد فى الخبر « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا » ففى كل يوم بإخلاصه فى العمل لله ينكشف طبقة من الطباق الترابية الجبلية المبعدة عن الله تعالى إلى أن يكشف باستكمال الأربعين أربعين طبقة ، فى كل يوم طبقا من أطباق حجابه ، وآية صحة هذا العبد وعلامة تأثره بالأربعين ووفائه بشروط الإخلاص أن يزهد الأربعين فى الدنيا ويتجافى عن دار الغرور وينيب إلى دار الخلود ، لأن الزهد فى الدنيا من ضرورة ظهور الحكمة ، ومن لم يزهد فى الدنيا ما ظفر بالحكمة ، ومن لم يظفر بالحكمة بعد الأربعين تبين أنه قد أخل بالشروط ولم يخلص لله تعالى ، ومن لم يخلص لله ما عبد الله ، لأن الله تعالى أمرنا بالإخلاص كما أمرنا بالعمل فقال تعالى ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ .

أخبرنا الشيخ طاهر بن أبى الفضل إجازة قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن خلف إجازة قال أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمى قال أخبرنا أبو منصور الضبعى قال حدثنا محمد بن أشرس قال حدثنا حفص بن عبدالله قال حدثنا إبراهيم بن طهمان عن عاصم عن زر عن صفوان بن عسال رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان يوم القيامة يجىء الإخلاص والشرك يجثوان بين يدى الرب عز وجل ، فيقول الرب للإخلاص : انطلق أنت وأهلك إلى الجنة . ويقول للشرك : انطلق أنت وأهلك إلى النار » وبهذا الإسناد قال السلمى سمعت على بن سعيد وسألته عن الإخلاص ماهو ؟ قال سمعت إبراهيم الشقيقى وسألته عن الإخلاص ماهو قال سمعت محمد بن جعفر الخصاف وسألته عن الإخلاص ماهو قال سألت أحمد بن بشار عن الإخلاص ماهو قال سألت أبا يعقوب الشروطى عن الإخلاص ماهو قال سألت أحمد بن غسان عن الإخلاص ماهو قال سألت أحمد بن على الهجيمى عن الإخلاص ماهو قال سألت عبد الواحد بن زيد عن الإخلاص ماهو قال سألت الحسن عن الإخلاص ماهو قال سألت حذيفة عن الإخلاص ما هو قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن الإخلاص ماهو قال : سألت جبريل عليه السلام عن الإخلاص ماهو : قال : سألت رب العزة عن الإخلاص ماهو ؟ قال : هو سر من سرى أودعته قلب من أحببت من عبادى .

فمن الناس من يدخل الخلوة على مراغمة النفس ، إذ النفس بطبعها كارهة للخلوة ميالة إلى مخالطة الخلق ، فإذا أزعجها عن مقار عادتها وحبسها على طاعة الله تعالى يعقب كل مرارة تدخل عليها حلاوة فى القلب .

قال ذوالنون رحمه الله : لم أر شيئا أبعث على الإخلاص من الخلوة ، ومن أحب الخلوة ، فقد استمسك بعمود الإخلاص وظفر بركن من أركان الصدق . وقال الشبلي رحمه الله لرجل استوصاه : الزم الوحدة وامح اسمك عن القوم واستقبل الجدار حتى تموت ، وقال يحيي بن معاذ رحمه الله : الوحدة منية الصديقين .

ومن الناس من ينبعث من باطنه داعية الخلوة وتنجذب النفس إلى ذلك وهذا أتم وأكمل وأدل على كمال الاستعداد وقد روى من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم مايدل على ذلك فيما حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب إملاء قال : أخبرنا الحافظ أبو القاسم اسمعيل بن أحمد المقرى قال أخبرنا جعفر بن الحكاك المكى قال أخبرنا أبو عبدالله الصنعانى قال أخبرنا أبو عبدالله البغوى قال أخبرنا اسحق الديرى قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر قال : أخبرنى الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت « أول مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى : الرؤيا الصادقة فى النوم » فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتى حراء فيتحنث فيه الليالى ذوات العدد ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فيه فقال : اقرأ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنا بقارئ ؟ فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ؟ فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ؟ فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق ﴾ حتى بلغ ﴿ مالم يعلم ﴾ فرجع بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال : زملونى زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة : مالى ـ وأخبرها الخبر ـ فقال : قد خشيت على عقلى ، فقالت : كلا أبشر فوالله مايخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ، ثم انطلقت به خديجة رضى الله عنها حتى أتت به ورقة بن نوفل وكان امرأ تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمى ، فقالت له خديجة : ياعم اسمع من ابن أخيك ، فقال ورقة : يا ابن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا هو الناموس الذى أنزل على موسى ، ياليتنى فيها جذعا ، ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجى هم ؟ قال ورقة : نعم إنه لم يأت أحد قط بما جئت به إلا عودى وأوذى ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزرا » .

وحدث جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحى فقال فى حديثه « فبينما أنا أمشى سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسى فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض فجئثت منه رعبا فرجعت فقلت : زملونى زملونى ؟ فدثرونى فأنزل الله تعالى ﴿ ياأيها المدثر قم فأنذر ﴾ إلى ﴿ والرجز فاهجر ﴾ .

وقد نقل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب مرارا كى يردى نفسه من شواهق الجبال ، فكلما وافى ذروة جبل لكى يلقى نفسه منه تبدى له جبرائيل عليه السلام فقال : يامحمد إنك لرسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه ؛ وإذا طالت عليه فترة الوحى عاد لمثل ذلك فيتبدى له جبريل فيقول له مثل ذلك ، فهذه الأخبار المنبئة عن بدء أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم هى الأصل فى إيثار المشايخ الخلوة للمريدين والطالبين ؛ فإنهم إذا أخلصوا لله تعالى فى خلواتهم يفتح الله عليهم مايؤنسهم فى خلوتهم تعويضا من الله إياهم عما تركوا لأجله ، ثم خلوة القوم مستمرة ، وإنما الأربعون واستكمالها له أثر ظاهر فى ظهور مبادى بشائر الحق سبحانه وتعالى وسنوح مواهبه السنية .

الباب السابع والعشرون : فى ذكر فتوح الاربعينية

وقد غلط فى طريق الخلوة والأربعينية قوم وحرفوا الكلم عن مواضعه ودخل عليهم الشيطان وفتح عليهم بابا

من الغرور ودخلوا الخلوة على غير أصل مستقيم من تأدية حق الخلوة بالإخلاص ، وسمعوا أن المشايخ والصوفية كانت لهم خلوات وظهرت لهم وقائع وكوشفوا بغرائب وعجائب فدخلوا الخلوة لطلب ذلك ، وهذا عين الاعتلال ومحض الضلال ، وإنما القوم اختاروا الخلوة والوحدة لسلامة الدين وتفقد أحوال النفس وإخلاص العمل لله تعالى .

نقل عن أبي عمرو الأنماطي أنه قال : لن يصفو للعاقل فهم الأخير إلا بإحكامه مايجب عليه من إصلاح الحال الأول ، والمواطن التي ينبغي أن يعرف منها أمزداد هو أم منتقص ؟ فعليه أن يطلب مواضع الخلوة لكي لايعارضه شاغل فيفسد عليه ما يريده .

أنبأنا طاهر بن أبي الفضل إجازة عن أبي بكر بن خلف إجازة قال . أنبأنا أبو عبد الرحمن قال سمعت أبا تميم المغربي يقول من اختار الخلوة على الصحبة فينبغي أن يكون خاليا من جميع الأفكار إلا ذكر ربه عزوجل ، وخاليا من جميع المرادات إلا مراد ربه ، وخاليا من مطالبة النفس من جميع الأسباب فإن لم يكن بهذه الصفة فإن خلوته توقعه في فتنة أو بلية .

أخبرنا أبو زرعة إجازة قال : أخبرنا أبو بكر إجازة قال أخبرنا أبو عبد الرحمن قال سمعت منصورا يقول : سمعت محمد بن حامد يقول : جاء رجل إلى زيارة أبي بكر الوراق وقال له : أوصني ، فقال : وجدت الدنيا والآخرة في الخلوة والقلة ووجدت شرهما في الكثرة والاختلاط .

فمن دخل الخلوة معتلا في دخوله دخل عليه الشيطان وسول له أنواع الطغيان ، وامتلأ من الغرور والمحال فظن أنه على حسن الحال ، فقد دخلت الفتنة على قوم دخلوا الخلوة بغير شروطها وأقبلوا على ذكر من الأذكار واستجموا نفوسهم بالعزلة عن الخلوة ، ومنعوا الشواغل من الحواس كفعل الرهابين والبراهمة والفلاسفة ، والوحدة في جمع الهم لها تأثير في صفاء الباطن مطلقا ، فما كان من ذلك بحسن سياسة الشرع وصدق المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنتج تنوير القلب والزهد في الدنيا وحلاوة الذكر ، والمعاملة لله بالإخلاص من الصلاة والتلاوة وغير ذلك ، وما كان من ذلك من غير سياسة الشرع ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتج صفاء في النفس يستعان به على اكتساب علوم الرياضة مما يعتني به الفلاسفة والدهريون - خذلهم الله تعالى - وكلما أكثر من ذلك بعد عن الله . ولا يزال المقبل على ذلك يستغويه الشيطان بما يكتسب من العلوم الرياضية أو بما قد يتراءى له من صدق الخاطر وغير ذلك حتى يركن إليه الركون التام ويظن أنه فاز بالمقصود ، ولا يعلم أن هذا الفن من الفائدة غير ممنوع من النصارى والبراهمة ، وليس هو المقصود من الخلوة يقول بعضهم إن الحق يريد منك الاستقامة وأنت تطلب الكرامة ، وقد يفتح على الصادقين شيء من خوارق العادات ، وصدق الفراسة ، ويتبين ماسيحدث في المستقبل ، وقد لايفتح عليهم ذلك ، ولايقدح في حالهم عدم ذلك ، وإنما يقدح في حالهم الانحراف عن حد الاستقامة ، فما يفتح من ذلك على الصادقين يصير سببا لمزيد إبقائهم والداعي لهم إلى صدق المجاهدة والمعاملة والزهد في الدنيا والتخلق بالأخلاق الحميدة وما يفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة الشرع يصير سببا لمزيد بعده وغروره وحماقته واستطالته على الناس وازدرائه بالخلق ، ولايزال به حتى يخلع ربقة الإسلام عن عنقه وينكر الحدود والأحكام والحلال والحرام ، ويظن أن المقصود من العبادات ذكر الله تعالى ويترك متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ ثم يتدرج من ذلك إلى تلحد وتزندق نعوذ بالله من الضلال ، وقد يلوح لأقوام خيالات يظنونها وقائع ويشبهونها بوقائع المشايخ من غير علم بحقيقة ذلك ، فمن أراد تحقيق ذلك فليعلم أن العبد إذا أخلص لله وأحسن نيته وقعد في الخلوة أربعين يوما أو أكثر ؛ فمنهم من يباشر باطنه صفو اليقين ويرفع الحجاب عن قلبه ويصير كما قال قائلهم : رأى قلبي ربي ، وقد يصل إلى هذا المقام تارة بإحياء الأوقات بالصالحات وكف الجوارح وتوزيع الأوراد من الصلاة والتلاوة والذكر على الأوقات ، وتارة يبادئه الحق لموضع صدقه وقوة استعداده مبادأة من غير عمل وجد منه ، وتارة يجد ذلك بملازمة ذكر واحد من الأذكار لأنه لايزال يردد ذلك الذكر ويقوله ، وتكون عبادته الصلوات الخمس بسننها الراتبة فحسب ، وسائر أوقاته مشغولة بالذكر الواحد لايتخللها فتور ، ولايوجد منه قصور ، ولايزال يردد ذلك الذكر ملتزما به حتى في طريق الوضوء

وساعة الأكل لا يفتر عنه .

واختار جماعة من المشايخ من الذكر كلمة « لا إله إلا الله » وهذه الكلمة لها خاصية فى تنوير الباطن وجمع الهم إذا داوم عليها صادق مخلص ، وهى من مواهب الحق لهذه الأمة ، وفيها خاصية لهذه الأمة ، فيما حدثنا شيخنا ضياء الدين إملاء قال : أخبرنا أبو القاسم الدمشقى الحافظ قال أخبرنا عبد الكريم بن الحسين قال أخبرنا عبد الوهاب الدمشقى قال أخبرنا محمد بن خريم قال حدثنا هشام بن عمار قال حدثنا الوليد بن مسلم قال أخبرنا عبد الرحمن بن زيد عن أبيه : أن عيسى بن مريم عليه السلام قال : رب أنبئنى عن هذه الأمة المرحومة ؟ قال : أمة محمد عليه الصلاة والسلام علماء أخفياء أتقياء حلماء أصفياء حكماء كأنهم أنبياء يرضون منى بالقليل من العطاء وأرضى منهم باليسير من العمل وأدخلهم الجنة بلا إله إلا الله يا عيسى هم أكثر سكان الجنة لأنها لم تذل ألسن قوم قط بلا إله إلا الله كما ذلت ألسنتهم ، ولم تذل رقاب قوم قط بالسجود كما ذلت رقابهم .

وعن عبد الله عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : إن هذه الآية مكتوبة فى التوراة ؛ يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيراً وحرزا للمؤمنين وكنزا للأميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن أقبضه حتى تقام به الملة المعوجة بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، ويفتحوا أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا ، فلا يزال العبد فى خلوته يردد هذه الكلمة على لسانه مع مواطأة القلب حتى تصير الكلمة متأصلة فى القلب مزيلة لحديث النفس ينوب معناها فى القلب عن حديث النفس ؛ فإذا استرلت الكلمة وسهلت على اللسان يتشربها القلب ، فلو سكت اللسان لم يسكت القلب ، ثم تتجوهر فى القلب ويتجوهرها يستكن نور اليقين فى القلب ، حتى إذا ذهبت صورة الكلمة من اللسان والقلب لا يزال نورها متجوهرا ويتخذ الذكر مع رؤية عظمة المذكور سبحانه وتعالى ، ويصير الذكر حينئذ ذكر الذات ، وهذا الذكر هو المشاهدة والمكاشفة والمعاينة ـ أعنى ذكر الذات بتجوهر نور الذكر ـ وهذا هو المقصد الأقصى من الخلوة . وقد يحصل هذا من الخلوة لا بذكر الكلمة بل بتلاوة القرآن إذا أكثر من التلاوة واجتهد فى مواطأة القلب مع اللسان ، حتى تجرى التلاوة على اللسان ، ويقوم معنى الكلام مقام حديث النفس ، فيدخل على العبد سهولة فى التلاوة والصلاة ويتنور الباطن بتلك السهولة فى التلاوة والصلاة ويتجوهر نور الكلام فى القلب ويكون منه أيضا ذكر الذات ويجتمع نور الكلام فى القلب مع مطالعة عظمة المتكلم سبحانه وتعالى ، ودون هذه الموهبة ما يفتح على العبد من العلوم الإلهامية اللدنية ، وإلى حين بلوغ العبد هذا المبلغ من حقيقة الذكر والتلاوة إذا صفا باطنه قد يغيب فى الذكر من كمال أنسه وحلاوة ذكره حتى يلتحق فى غيبته فى الذكر بالنائم ، وقد تتجلى له الحقائق فى لبسة الخيال أولا كما تنكشف الحقائق للنائم فى لبسة الخيال ، كمن رأى فى المنام أنه قتل حية فيقول له المعبر : تظفر بالعدو ، فظفره بالعدو هو كشف كاشفه الحق تعالى به ، وهذا الظفر روح مجرد صاغ مثل الرؤيا له جسدا لهذا الروح من خيال الحية ، فالروح الذى هو كشف الظفر إخبار الحق ، ولبسة الخيال الذى هو بمثابة الجسد مثال انبعث من نفس الرائى فى المنام من استصحاب القوة الوهمية والخيالية من اليقظة فيتألف روح كشف الظفر مع جسد مثال الحية فافتقر إلى التعبير ، إذ لو كشف بالحقيقة التى هى روح الظفر من غير هذا المثال الذى هو بمثابة الجسد ما احتاج إلى التعبير ، فكان يرى الظفر ويصح الظفر وقد يتجرد الخيال باستصحاب الخيال والوهم من اليقظة فى المنام من غير حقيقة فيكون المنام أضغاث أحلام لا يعبر وقد يتجرد لصاحب الخلوة الخيال المنبعث من ذاته من غير أن يكون وعاء لحقيقة فلا يبنى على ذلك ولا يلتفت إليه ، فليس ذلك واقعة وإنما هو خيال ، فأما إذا غاب الصادق فيه ذكر الله تعالى حتى يغيب عن المحسوس بحيث لو دخل عليه داخل من الناس لا يعلم به لغيبته فى الذكر ، فعند ذلك قد ينبعث فى الابتداء من نفسه مثال وخيال ينفخ فيه روح الكشف فإذا عاد من غيبته فإما يأتيه تفسيره من باطنه موهبة من الله تعالى وإما يفسره له شيخه ، كما يعبر المعبر المنام ويكون ذلك واقعة لأنه كشف حقيقة فى لبسة مثال ، وشرط صحة الواقعة الإخلاص فى الذكر أولا ثم الاستغراق فى الذكر ثانيا

وعلامة ذلك الزهد فى الدنيا وملازمة التقوى لأن الله جعله بما يكاشف به فى واقعه مورد الحكمة ، والحكمة تحكم بالزهد والتقوى ، وقد يتجرد للذاكر الحقائق من غير لبسة المثال فيكون ذلك كشفا وإخبارا من الله تعالى إياه ، ويكون ذلك تارة بالرؤية وتارة بالسماع ، وقد يسمع فى باطنه وقد يطرق ذلك من الهواء لا من باطنه كالهواتف يعلم بذلك أمرا يريد الله إحداثه له أو لغيره فيكون إخبار الله إياه بذلك مزيدا ليقينه ، أو يرى فى المنام حقيقة الشىء.

نقل عن بعضهم أنه أتى بشراب فى قدح فوضعه من يده وقال : قد حدث فى العالم حدث ، ولا أشرب هذا دون أن أعلم ماهو ؛ فانكشف له أن قوما دخلوا مكة وقتلوا فيها .

وحكى عن أبى سليمان الخواص قال : كنت راكبا حماراً لى يوما ، وكان يؤذيه الذباب فيطأطئ رأسه ؛ فكنت أضرب رأسه بخشبة كانت فى يدى ؛ فرفع الحمار رأسه إلى وقال : اضرب فإنك على رأسك تضرب ، قيل له : يا أبا سليمان وقع لك ذلك أو سمعته ، فقال : سمعته يقول كما سمعتنى . وحكى عن أحمد بن عطاء الروذبارى قال : كان لى مذهب فى أمر الطهارة ؛ فكنت ليلة من الليالى أستنجى إلى أن مضى ثلث الليل ولم يطب قلبى فتضجرت ، فبكيت وقلت : يارب العفو : فسمعت صوتا ولم أر أحدا يقول يا أبا عبد الله العفو فى العلم .

وقد يكاشف الله تعالى عبده بآيات وكرامات تربية للعبد وتقوية ليقينه وإيمانه . قيل : كان عند جعفر الحلدى رحمه الله فص له قيمة ، وكان يوما من الأيام راكبا فى السمارية فى دجلة ، فهم أن يعطى الملاح قطعة وحل الخرقة فوقع الفص فى الدجلة ، وكان عنده دعاء للضالة مجرب ، وكان يدعو به فوجد الفص فى وسط أوراق كان يتصفحها والدعاء هو أن يقول : ياجامع الناس ليوم لاريب فيه اجمع على ضالتى . وسمعت شيخنا بهمذان حكى له شخص أنه كوشف فى بعض خلواته بولد له فى جيحون كاد يسقط فى الماء من السفينة قال : فزجرته فلم يسقط . وكان هذا الشخص بنواحى همذان وولده بجيحون ؛ فلما قدم الولد أخبر أنه كاد يسقط فى الماء فسمع صوت والده فلم يسقط .

وقال عمر رضى الله عنه : ياسارية الجبل ـ على المنبر بالمدينة وسارية بنهاوند ـ فأخذ سارية نحو الجبل وظفر بالعدو ؛ فقيل لسارية كيف علمت ذلك ؟ فقال سمعت صوت عمر وهو يقول : ياسارية الجبل .

سئل ابن سالم وكان قد قال : للإيمان أربعة أركان : ركن منه الإيمان بالقدرة ، وركن منه الإيمان بالحكمة ، وركن منه التبرى من الحول والقوة ، وركن منه الاستعانة بالله عز وجل فى جميع الأشياء قيل له : مامعنى قولك الإيمان بالقدرة ؟ فقال هو أن تؤمن ولاتنكر أن يكون لله عبد بالمشرق ـ قائما على يمينه ـ ويكون من كرامة الله له أن يعطيه من القوة ماينقلب من يمينه على يساره ، فيكون بالمغرب تؤمن بجواز ذلك وكونه .

وحكى لى فقير أنه كان بمكة وأرجف على شخص ببغداد أنه قدمات ؛ فكاشفه الله بالرجل وهو راكب يمشى فى سوق بغداد فأخبر إخوانه أن الشخص لم يمت . وكان كذلك حتى ذكر لى هذا الشخص أنه فى تلك الحالة التى كوشف بالشخص راكبا قال : رأيته فى السوق وأنا أسمع بأذنى صوت المطرقة من الحداد فى سوق بغداد وكل هذه مواهب الله تعالى وقد يكاشف بها قوم وتعطى ، وقد يكون فوق هؤلاء من لايكون له شىء من هذا لأن هذه كلها تقوية اليقين . ومن منح صرف اليقين لاحاجة له إلى شىء من هذا . فكل هذه الكرامات دون ماذكرناه من تجوهر الذكر فى القلب ووجوده ذكر الذات ، فإن تلك الحكمة فيها تقوية للمريدين وتربية للسالكين ليزدادوا بها يقينا يجذبون به إلى مراغمة النفوس والسلو عن ملاذ الدنيا ويستنهض منهم بذلك ساكن عزمهم لعمارتهم الأوقات بالقربات ، فيتروحون بذلك ويروقون لطريقة من كوشف بصرف اليقين من ذلك لمكان أن نفسه أسرع إجابة وأسهل انقيادا وأتم استعداداً . والأولون استلين بذلك منهم ما استوعر واستكشف منهم ما استتر .

وقد لايمنع صور ذلك الرهابين والبراهمة ممن هو غير منتهج سبل الهدى وراكب طريق الردى ليكون ذلك فى حقهم مكرا واستدراجا ، ليستحسنوا حالهم ويستقروا فى مقار الطرد والبعد إبقاء لهم فيما أراد الله منهم من العمى والضلال والردى والوبال ؛ حتى لايغتر السالك بيسير شىء يفتح له ، ويعلم أنه لو مشى على الماء والهواء لاينفعه ذلك حتى يؤدى

حق التقوى والزهد ، فأما من تعوق بخيال أوقنع بمحال ولم يحكم أساس خلوته بالإخلاص يدخل الخلوة بالزور ويخرج بالغرور ، فيرفض العبادات ويستحقرها ويسلبه الله لذة المعاملة وتذهب عن قلبه هيبة الشريعة ويفتضح فى الدنيا والآخرة .

فليعلم الصادق أن المقصود من الخلوة التقرب إلى الله تعالى بعمارة الأوقات وكف الجوارح عن المكروهات ، فيصلح لقوم من أرباب الخلوة إدامة الأوراد وتوزيعها على الأوقات ، ويصلح لقوم ملازمة ذكر واحد ويصلح لقوم دوام المراقبة ، ويصلح لقوم الانتقال من الذكر إلى الأوراد ، ولقوم الانتقال من الأوراد إلى الذكر ، ومعرفة مقادير ذلك يعلمه المصحوب للشيخ المطلع على اختلاف الأوضاع وتنوعها مع نصحه للأمة وشفقته على الكافة ، يريد المريد لله لا لنفسه ، غير مبتلى بهوى نفسه ، محبا للاستتباع ، ومن كان محبا للاستتباع فما يفسده مثل هذا أكثر مما يصلحه .

الباب الثامن والعشرون : فى كيفية الدخول فى الأربعينية

روى أن داود عليه السلام لما ابتلى بالخطيئة خر لله ساجدا أربعين يوما وليلة حتى أتاه الغفران من ربه .

وقد تقرر أن الوحدة والعزلة ملاك الأمر ومتمسك أرباب الصدق ، فمن استمرت أوقاته على ذلك فجميع عمره خلوة وهو الأسلم لدينه ، فإن لم يتيسر له ذلك وكان مبتلى بنفسه أولا ثم بالأهل والأولاد ثانيا فليجعل لنفسه من ذلك نصيبا .

نقل عن سفيان الثورى فيما روى أحمد بن حرب عن خالد بن زيد عنه أنه قال : كان يقال ما أخلص عبد لله أربعين صباحا إلا أنبت الله سبحانه الحكمة فى قلبه وزهده الله فى الدنيا ورغبه فى الآخرة وبصره داء الدنيا ودواءها ، فيتعاهد العبد نفسه فى كل سنة مرة ، وأما المريد الطالب إذا أراد أن يدخل الخلوة فأكمل الأمر فى ذلك أن يتجرد من الدنيا ويخرج كل ما يملكه ويغتسل غسلا كاملا - بعد الاحتياط للثوب والمصلى بالنظافة والطهارة - ويصلى ركعتين ويتوب إلى الله تعالى من ذنوبه ببكاء وتضرع واستكانة وتخشع ، ويسوى بين السريرة والعلانية ولا ينطوى على غل وغش وحقد وحسد وخيانة ، ثم يقعد فى موضع خلوته ولا يخرج إلا لصلاة الجمعة وصلاة الجماعة ، فترك المحافظة على صلاة الجماعة غلط وخطأ ، فإن وجد تفرقة فى خروجه يكون له شخص يصلى معه جماعة فى خلوته ، ولا ينبغى أن يرضى بالصلاة منفردا البتة فيترك الجماعة يخشى عليه آفات ، وقد رأينا من يتشوش عقله فى خلوته ولعل ذلك بشؤم إصراره على ترك صلاة الجماعة ، غير أنه ينبغى أن يخرج من خلوته لصلاة الجماعة وهو ذاكر لا يفتر عن الذكر ، ولا يكثر إرسال الطرف إلى ما يرى ، ولا يصغى إلى ما يسمع لأن القوة الخاطفة والمتخيلة كلوح ينتقش بكل مرئى ومسموع ، فيكثر بذلك الوسواس وحديث النفس والخيال ، ويجتهد أن يحضر الجماعة بحيث يدرك مع الإمام تكبيرة الإحرام ، فإذا سلم الإمام وانصرف ينصرف إلى خلوته ، ويتقى فى خروجه استجلاء نظر الخلق إليه وعلمهم بجلوسه فى خلوته ، فقد قيل : لا تطمع فى المنزلة عند الله وأنت تريد المنزلة عند الناس ، وهذا أصل ينفسد به كثير من الأعمال إذا أهمل وينصلح به كثير من الأحوال إذا اعتبر ، ويكون فى خلوته جاعلا وقته شيئا موهوبا لله بإدامة فعل الرضا إما تلاوة أو ذكرا أو صلاة أو مراقبة ، وأى وقت فتر عن هذه الأقسام ينام . فإن أراد تعيين أعداد من الركعات ومن التلاوة والذكر أتى بذلك شيئا فشيئا ، وإن أراد أن يكون بحكم الوقت يعتمد أخف ما على قلبه من هذه الأقسام ، فإذا فتر عن ذلك ينام ، وإن أراد أن يبقى فى سجود واحد أو ركوع واحد أو ركعة واحدة أو ركعتين ساعة أو ساعتين فعل ، ويلازم فى خلوته إدامة الوضوء ولا ينام إلا عن غلبة بعد أن يدفع النوم عن نفسه مرات . فيكون هذا شغله ليله ونهاره وإذا كان ذاكرا لكلمة : لا إله إلا الله . وسئمت النفس الذكر باللسان يقولها بقلبه من غير حركة اللسان . وقد قال سهل بن عبد الله إذا قلت : لا إله إلا الله . مد الكلمة وانظر إلى قدم الحق فاثبته وأبطل ما سواه ، وليعلم أن الأمر كالسلسلة يتداعى حلقة حلقة فليكن دائم التلزم بفعل الرضا .

وأما قوت من فى الأربعينية والخلوة فالأولى أن يقتنع بالخبز والملح ويتناول كل ليلة رطلا واحدا - بالبغدادى -

يتناوله بعد العشاء الآخرة ، وإن قسمه نصفين يأكل أول الليل نصف رطل وآخر الليل نصف رطل فيكون ذلك أخف للمعدة وأعون على قيام الليل وإحيائه بالذكر والصلاة ، وإن أراد تأخير فطوره إلى السحر فليفعل ، وإن لم يصبر على ترك الإدام يتناول الإدام ، وإن كان الإدام شيئا يقوم مقام الخبز ينقص من الخبز بقدر ذلك ، وإن أراد التقلل من هذا القدر أيضا ينقص كل ليلة دون اللقمة بحيث ينتهى تقلله فى العشر الأخير من الأربعين إلى نصف رطل وإن قوى قنع النفس بنصف رطل من أول الأربعين ونقص يسيرا كل ليلة بالتدريج حتى يعود فطوره إلى ربع رطل فى العشر الأخير .

وقد اتفق مشايخ الصوفية على أن بناء أمرهم على أربعة أشياء : قلة الطعام وقلة المنام وقلة الكلام والاعتزال عن الناس ، وقد جعل للجوع وقتان ؛ أحدهما : آخر الأربع والعشرين ساعة فيكون من الرطل لكل ساعتين أوقية بأكلة واحدة يجعلها بعد العشاء الآخرة أو يقسمها أكلتين كما ذكرنا ، والوقت الآخر : على رأس اثنتين وسبعين ساعة ؛ فيكون الطى ليلتين والإفطار فى الليلة الثالثة ، ويكون لكل يوم وليلة ثلث رطل ، وبين هذين الوقتين وقت وهو أن يفطر من كل ليلتين ليلة ، ويكون لكل يوم وليلة نصف رطل ، وهذا ينبغى أن يفعله إذا لم ينتج عليه سآمة وضجرا وقلة انشراح فى الذكر والمعاملة ، فإذا وجد شيئا من ذلك فليفطر كل ليلة ويأكل الرطل فى الوقتين أو الوقت الواحد ، فالنفس إذا أخذت بالإفطار من كل ليلتين ليلة ، ثم ردت إلى الإفطار كل ليلة تقنع ، وإن سومحت بالإفطار كل ليلة لا تقنع بالرطل وتطلب الإدام والشهوات ، وقس على هذا ، فهى إن أطعمت طعمت ، وإن أقنعت قنعت ، وقد كان بعضهم ينقص كل ليلة حتى يرد النفس إلى أقل قوتها ، ومن الصالحين من كان يعير القوت بنوى التمر وينقص كل ليلة نواة ، ومنهم من كان يعير بعود رطب وينقص كل ليلة بقدر نشاف العود ، ومنهم من كان ينقص كل ليلة ربع سبع الرغيف حتى يفنى الرغيف فى شهر ، ومنهم من كان يؤخر الأكل ولا يعمل فى تقليل القوت ولكن يعمل فى تأخيره بالتدريج حتى تندرج ليلة فى ليلة ، وقد فعل ذلك طائفة حتى انتهى طيهم إلى سبعة أيام وعشرة أيام وخمسة عشر يوما إلى الأربعين .

وقد قيل لسهل بن عبد الله : هذا الذى يأكل فى كل أربعين وأكثر أكلة أين يذهب لهب الجوع عنه ؟ قال يطفئه النور ، وقد سألت بعض الصالحين عن ذلك فذكر لى كلاما بعبارة دلت على أنه يجد فرحا بربه ينطفئ معه لهب الجوع ، وهذا فى الخلق واقع أن الشخص يطرقه فرح وقد كان جائعا فيذهب عنه الجوع ، وهكذا فى طرق الخوف يقع ذلك ، ومن فعل ذلك ودرج نفسه فى شىء من هذه الأقسام التى ذكرناها لا يؤثر ذلك فى نقصان عقله واضطراب جسمه إذا كان فى حماية الصدق والإخلاص ؛ وإنما يخشى فى ذلك وفى دوام الذكر على من لا يخلص لله تعالى .

وقد قيل : حد الجوع أن لا يميز بين الخبز وغيره مما يؤكل ، ومتى عيبت النفس الخبز فليس بجائع وهذا المعنى قد يوجد فى آخر الحدين بعد ثلاثة أيام ، وهذا جوع الصديقين ، وطلب الغذاء عند ذلك يكون ضرورة لقوام الجسد والقيام بفرائض العبودية . ويكون هذا حد الضرورة لمن لا يجتهد فى التقليل بالتدريج فأما من درج نفسه فى ذلك فقد يصبر على أكثر من ذلك إلى الأربعين ـ كما ذكرنا ـ وقد قال بعضهم : حد الجوع أن يبزق ؛ فإذا لم يقع الذباب على بزاقه يدل هذا على خلو المعدة من الدسومة ، وصفاء البزاق كالماء الذى لا يقصده الذباب .

روى أن سفيان الثورى وإبراهيم بن أدهم رضى الله عنهما كانا يطويان ثلاثا ثلاثا وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يطوى ستا . وكان عبد الله بن الزبير رضى الله عنه يطوى سبعة أيام . واشتهر حال جدنا محمد بن عبد الله ـ المعروف بعمويه رحمه الله ، وكان صاحب أحمد الأسود الدينورى ـ أنه كان يطوى أربعين يوما ، وأقصى ما بلغ فى هذا المعنى من الطى : رجل أدركنا زمانه وما رأيته ـ كان فى أبهر يقال له الزاهد خليفة كان يأكل فى كل شهر لوزة ، ولم نسمع أنه بلغ فى هذه الأمة أحد بالطى والتدريج إلى هذا الحد ، وكان فى أول أمره على ما حكى ينقص القوت بنشاف العود ثم طوى حتى انتهى إلى اللوزة فى الأربعين ، ثم إنه قد يسلك هذا الطريق جمع من الصادقين وقد يسلك غير الصادق

هذا لوجود هو مستكن فى باطنه يهون عليه ترك الأكل إذا كان له استحلاء لنظر الخلق وهذا عين النفاق نعوذ بالله من ذلك ، والصادق ربما يقدر على الطى إذا لم يعلم بحاله أحد ؛ وربما تضعف عزيمته فى ذلك إذا علم بأنه يطوى ؛ فإن صدقه فى الطى ونظره إلى من يطوى لأجله يهون عليه الطى ؛ فإذا علم به أحد تضعف عزيمته فى ذلك ، وهذا علامة الصادق فهما أحس فى نفسه أنه يحب أن يرى بعين التقلل فليتهم نفسه فإن فيه شائبة النفاق ، ومن يطوى لله يعوضه الله تعالى فرحا فى باطنه ينسيه الطعام ، وقد لا ينسى الطعام ولكن امتلاء قلبه بالأنوار يقوى جاذب الروح الروحانى فيجذبه إلى مركزه ومستقره من العالم الروحانى وينفر بذلك عن أرض الشهوة النفسانية ، وأما أثر جاذب الروح إذا تخلف عنه جاذب النفس عند كمال طمأنينتها وانعكاس أنوار الروح عليها بواسطة القلب المستنير فأجل من جذب المغناطيس للحديد ؛ إذ المغناطيس يجذب الحديد لروح فى الحديد مشاكل للمغناطيس فيجذبه بنسبة الجنسية الخاصة ، فإذا تجنست النفس بعكس نور الروح الواصل إليها بواسطة القلب يصير فى النفس روح استمدها القلب من الروح وأداها إلى النفس فتجذب الروح النفس بجنسية الروح الحادثة فيها فتزدرى الأطعمة الدنيوية والشهوات الحيوانية . ويتحقق عنده قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى » ولا يقدر على ما وصفناه إلا عبد تصير أعماله وأقواله وسائر أحواله ضرورة فيتناول من الطعام أيضا ضرورة ، ولو تكلم مثلا بكلمة من غير ضرورة التهب فيه نار الجوع التهاب الحلفاء بالنار ، لأن النفس الراقدة تستيقظ بكل ما يوقظها وإذا استيقظت نزعت إلى هواها ، فالعبد المراد بهذا إذا فطن لسياسة النفس ورزق العلم سهل عليه الطى وتداركته المعونة من الله تعالى ؛ لاسيما إن كوشف بشىء من المنح الإلهية

وقد حكى لى فقير أنه اشتد به الجوع وكان لا يطلب ولا يتسبب قال : فلما انتهى جوعى إلى الغاية بعد أيام فتح الله على بتفاحة قال : فتناولت التفاحة وقصدت أكلها فلما كسرتها كوشفت بحوراء نظرت إليها عقيب كسرها ، فحدث عندى من الفرح بذلك ما استغنيت عن الطعام أياما ، وذكر لى أن الحوراء خرجت من وسط التفاحة ، والإيمان بالقدرة ركن من أركان الإيمان فسلم ولا تنكر . قال سهل بن عبد الله رحمه الله : من طوى أربعين يوما ظهرت له القدرة من الملكوت وكان يقال : لا يزهد العبد حقيقة الزهد الذى لا مشوبة فيه إلا بمشاهدة قدرة من الملكوت وقال الشيخ أبو طالب المكى رحمه الله : عرفنا من طوى أربعين يوما برياضة النفس فى تأخير القوت ، وكان يؤخر فطره كل ليلة إلى نصف سبع الليل ، حتى يطوى ليلة فى نصف شهر ، فيطوى الأربعين فى سنة وأربعة أشهر ، فتندرج الأيام والليالى حتى يكون الأربعين بمنزلة يوم واحد ، وذكر لى أن الذى فعل ذلك ظهرت له آيات الملكوت وكوشف بمعانى قدرة من الجبروت تجلى الله بها له كيف شاء .

واعلم أن هذا المعنى من الطى والتقلل لو أنه عين الفضيلة ما فات أحدا من الأنبياء ، ولكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغ من ذلك إلى أقصى غاياته ، ولا شك أن لذلك فضيلة لا تنكر ، ولكن لا تنحصر مواهب الحق تعالى فى ذلك ، فقد يكون من يأكل كل يوم أفضل ممن يطوى أربعين يوما ، وقد يكون من لا يكاشف بشىء من معانى القدرة أفضل ممن يكاشف بها إذا كاشفه الله بصرف المعرفة ، فالقدرة أثر من القادر . وعن أهل القرب القادر لا يستغرب ولا يستنكر شيئا من القدرة ، ويرى القدرة تتجلى له من سجف أجزاء علم الحكمة ، فإذا أخلص العبد لله تعالى أربعين يوما واجتهد فى ضبط أحواله بشىء من الأنواع التى ذكرنا من العمل والذكر والقوت وغير ذلك ، تعود بركة تلك الأربعين على جميع أوقاته وساعاته ، وهو طريق حسن اعتمده طائفة من الصالحين .

وكان جماعة من الصالحين يختارون للأربعين ذا القعدة وعشر ذى الحجة ، وهى أربعون موسى عليه السلام .

أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب إجازة قال أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون إجازة قال : أخبرنا أبو محمد الحسن بن على الجوهرى إجازة قال أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس قال حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد ابن صاعد قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزى قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال حدثنا أبو معاوية الضرير قال حدثنا الحجاج عن مكحول قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أخلص لله تعالى العبادة أربعين يوما ظهرت

ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » .

الباب التاسع والعشرون : فى أخلاق الصوفية وشرح الخلق

الصوفية أوفر الناس حظا فى الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأحقهم بإحياء سنته والتخلق بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن الاقتداء وإحياء سنته ؛ على ما أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين شيخ الإسلام أبو أحمد عبد الوهاب بن على قال أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن أبى القاسم الهروى قال أخبرنا أبو نصر عبد العزيز بن أحمد الترياقى قال أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحى قال أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبى قال أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى قال حدثنا مسلم بن حاتم الأنصارى البصرى قال حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى عن أبيه عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب قال : قال أنس بن مالك رضى الله عنه : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « يابنى إن قدرت أن تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لأحد فافعل » ثم قال « يابنى وذلك من سنتى ، ومن أحيا سنتى فقد أحيانى ومن أحيانى كان معى فى الجنة » فالصوفية أحيوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم وقفوا فى بداياتهم لرعاية أقواله ، وفى وسط حالهم اقتدوا بأعماله فأثمر لهم ذلك أن تحققوا فى نهاياتهم بأخلاقه ، وتحسين الأخلاق لا يأتى إلا بعد تزكية النفس ، وطريق التزكية بالإذعان لسياسة الشرع ، وقد قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ لما كان أشرف الناس وأزكاهم نفسا كان أحسنهم خلقا ، قال مجاهد ﴿ على خلق عظيم ﴾ أى على دين عظيم ، والدين مجموع الأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة .

سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت . كان خلقه القرآن . قال قتادة : هو ما كان يأتمر به من أمر الله تعالى وينتهى عما نهى الله عنه ، وفى قول عائشة : كان خلقه القرآن ، سر كبير وعلم غامض . ما نطقت بذلك إلا بما خصها الله تعالى به من بركة الوحى السماوى وصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيصه إياها بكلمة « خذوا شطر دينكم من هذه الحميراء » وذلك أن النفوس مجبولة على غرائز وطبائع هى من لوازمها وضرورتها ، خلقت من تراب ولها بحسب ذلك طبع ، وخلقت من ماء ولها بحسب ذلك طبع ، وهكذا من حمأ مسنون ، ومن صلصال كالفخار ، وبحسب تلك الأصول التى هى مبادى تكونها استفادت صفات من البهيمية والسبعية والشيطانية ، وإلى صفة الشيطنة فى الإنسان إشارة بقوله تعالى ﴿ من صلصال كالفخار ﴾ لدخول النار فى الفخار . وقد قال الله تعالى ﴿ وخلق الجان من مارج من نار ﴾ والله تعالى بخفى لطفه وعظيم عنايته نزع نصيب الشيطان من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على ما ورد فى حديث حليمة ابنة الحارث أمها قالت فى حديث طويل : فبينا نحن خلف بيوتنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع أخ له من الرضاعة فى بهم لنا ، جاءنا أخوه يشتد فقال : ذاك أخى القرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض فأضجعاه فشقا بطنه ، فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فنجده قائما منتقعا لونه فاعتنقه أبوه ، وقال : أى بنى ما شأنك ؟ قال : جاءنى رجلان عليهما ثياب بياض فأضجعانى فشقا بطنى ، ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ، ثم رداه كما كان ، فرجعنا به معنا ، فقال أبوه يا حليمة : لقد خشيت أن يكون ابنى هذا قد أصيب انطلق بنا فلنرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف قالت : فاحتملناه فلم ترع أمه إلا وقد قدمنا به عليها ، قالت : ما ردكما قد كنتما عليه حريصين ، قلنا : لا والله لا ضير إلا أن الله عز وجل قد أدى عنا وقضينا الذى كان علينا ، وقلنا نخشى الأتلاف والأحداث نرده إلى أهله ، فقالت ماذاك بكما فأصدقانى شأنكما ؟ فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره ، فقالت : خشيتما عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وإنه لكائن لابنى هذا شأن ألا أخبركما بخبره ؟ قلنا : بلى ، قالت : حملت به فما حملت حملا قط أخف منه : فأريت فى النوم حين حملت به كأنه خرج منى نور قد أضاءت به قصور الشام ثم وقع حين ولدته وقوعا لم يقعه المولود معتمدا على يديه رافعا رأسه إلى السماء فدعاه عنكما .

فبعد أن طهر الله رسوله من نصيب الشيطان بقيت النفس الزكية النبوية على حد نفوس البشر ، لها ظهور بصفات

وأخلاق مبقاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة للخلق لوجود أمهات تلك الصفات فى نفوس الأمة بمزيد من الظلمة لتفاوت حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الأمة ، فاستمدت تلك الصفات المبقاة بظهورها فى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنزيل الآيات المحكمات بإزائها لقمعها ، تأديبا من الله لنبيه رحمة خاصة له وعامة للأمة ، موزعة بنزول الآيات على الآناء والأوقات عند ظهور الصفات ، قال الله تعالى ﴿ وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ﴾ وتثبيت الفؤاد بعد اضطرابه بحركة النفس بظهور الصفات لارتباط بين القلب والنفس ؛ وعند كل اضطراب آية متضمنة لخلق صالح سنى إما تصريحا أو تعريضا ، كما تحركت النفس الشريفة النبوية لما كسرت رباعيته وصار الدم يسيل على الوجه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمسحه ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم ؟ ، فأنزل الله تعالى ﴿ليس لك من الأمر شىء﴾ فاكتسى القلب النبوى لباس الاصطبار وفاء بعد الاضطراب إلى القرار ، فلما توزعت الآيات على ظهور الصفات فى مختلف الأوقات صفت الأخلاق النبوية بالقرآن ليكون خلقه القرآن ، ويكون فى إبقاء تلك الصفات فى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى قوله عليه السلام : « إنما أنسى لأسن » فظهور صفات نفسه الشريفة وقت استنزال الآيات لتأديب نفوس الأمة وتهذيبها رحمة فى حقهم حتى تتزكى نفوسهم وتشرف أخلاقهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأخلاق مخزونة عند الله تعالى فإذا أراد الله تعالى بعبد خيرا منحه منها خلقا » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » . وروى عنه صلى الله عليه وسلم « إن لله تعالى مائة وبضعة عشر خلقا من آتاه واحدا منها دخل الجنة » فتقديرها وتحديدها لا يكون إلا بوحى سماوى لمرسل ونبى ، والله تعالى أبرز إلى الخلق أسماءه منبئة عن صفاته سبحانه وتعالى وما أظهرها لهم إلا ليدعوهم إليها ، ولولا أن الله تعالى أودع فى القوى البشرية التخلق بهذه الأخلاق ما أبرزها لهم دعوة لهم إليها يختص برحمته من يشاء .

ولا يبعد ـ والله أعلم ـ أن قول عائشة رضى الله عنها ، كان خلقه القرآن ، فيه رمز غامض وإيماء خفى إلى الأخلاق الربانية فاحتشمت من الحضرة الإلهية أن تقول : متخلقا بأخلاق الله تعالى ، فعبرت عن المعنى بقولها : كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطف المقال ، وهذا من وفور علمها وكمال أدبها وبين قوله تعالى ﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم﴾ وبين قوله ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ مناسبة مشعرة بقول عائشة رضى الله عنها : كان خلقه القرآن .

قال الجنيد رحمه الله : كان خلقه عظيما لأنه لم يكن له همة سوى الله تعالى ، وقال الواسطى رحمه الله : لأنه جاد بالكونين عوضا عن الحق ، وقيل : لأنه عليه السلام عاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه ؛ وهذا ما قاله بعضهم فى معنى التصوف : التصوف الخلق مع الخلق والصدق مع الحق . وقيل : عظم خلقه حيث صغرت الأكوان فى عينه بمشاهدة مكونها . وقيل سمى خلقه عظيما لاجتماع مكارم الأخلاق فيه .

وقد ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته إلى حسن الخلق فى حديث أخبرنا به الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال : أخبرنا الفتح الهروى قال أخبرنا أبو نصر الترياقى قال أخبرنا أبو محمد الجراحى قال أخبرنا أبو العباس المحبوبى قال أخبرنا أبو عيسى الحافظ الترمذى قال حدثنا أحمد بن الحسين بن خراش قال حدثنا حبان بن هلال قال حدثنا مبارك بن فضالة قال حدثنى عبد الله بن سعيد عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وإن أبغضكم إلى وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون » قالوا : يا رسول الله علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون ؟ قال « المتكبرون » والثرثار هو المكثار من الحديث ، والمتشدق المتطاول على الناس فى الكلام .

قال الواسطى رحمه الله : الخلق العظيم أن لا يخاصم ولا يخاصم ، وقال أيضا ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ لوجدانك حلاوة المطالعة على سرك . وقال أيضا : لأنك قبلت فنون ما أسديت من نعمى أحسن مما قبله غيرك من الأنبياء

والرسل وقال الحسين : لأنه لم يؤثر فيك جفاء الخلق مع مطالعة الحق . وقيل : الخلق العظيم لباس التقوى والتخلق بأخلاق الله تعالى إذ لم يبق للأعواض عند خطر .

وقال بعضهم . قوله تعالى ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين﴾ أتم لأنه حيث قال ﴿ وإنك ﴾ أحضره وإذا أحضره أغفله وحجبه ، وقوله ﴿لأخذنا﴾ أتم لأن فيه فناء . فى قول هذا القائل نظر ؛ فهلا قال : إن كان فى ذلك فناء ففى قوله ﴿ وإنك ﴾ بقاء وهو بقاء بعد فناء ، والبقاء أتم من الفناء ، وهذا أليق بمنصب الرسالة لأن الفناء إنما عز لمزاحمة وجود مذموم ، فإذا نزع المذموم من الوجود وتبدلت النعوت فأى عزة تبقى فى الفناء ؟ فيكون حضوره بالله لا بنفسه فأى حجبة تبقى هنالك ؟

وقيل من أوتى الخلق فقد أوتى أعظم المقامات لأن للمقامات ارتباطا عاما والخلق ارتباط بالنعوت والصفات .

وقال الجنيد : اجتمع فيه أربعة أشياء السخاء والألفة والنصيحة والشفقة . وقال ابن عطاء : الخلق العظيم أن لا يكون له اختيار ويكون تحت الحكم مع فناء النفس وفناء المألوف ، وقال أبو سعيد القرشى : العظيم هو الله ومن أخلاقه الجود والكرم والصفح والعفو والإحسان ، ألا ترى إلى قوله عليه السلام « إن لله مائة وبضعة عشر خلقا من أتى بواحد منها دخل الجنة ، فلما تخلق بأخلاق الله تعالى وجد الثناء عليه بقوله ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ وقيل : عظم خلقك لأنك لم ترض بالأخلاق وسرت ولم تسكن إلى النعوت حتى وصلت إلى الذات ، وقيل : لما بعث محمد عليه الصلاة والسلام إلى الحجاز حجزه بها عن اللذات والشهوات وألقاه فى الغربة والجفوة فلما صفا بذلك عن دنس الأخلاق قال له ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ .

وأخبرنا الشيخ الصالح أبو زرعة بن الحافظ أبى الفضل محمد بن طاهر المقدسى عن أبيه قال : أخبرنا أبو عمر المليحى قال : أخبرنا أبو محمد عبدالله بن يوسف قال أخبرنا أبو سعيد بن الأعرابى قال حدثنا جعفر بن الحجاج الرقى قال أخبرنا أيوب بن محمد الوزان ، قال حدثنى الوليد قال حدثنى ثابت عن يزيد عن الأوزاعى عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان نبى الله صلى الله عليه وسلم يقول « مكارم الأخلاق عشرة تكون فى الرجل ولا تكون فى ابنه وتكون فى الابن ولا تكون فى أبيه وتكون فى العبد ولا تكون فى سيده يقسمها الله تعالى لمن أراد به السعادة : صدق الحديث وصدق البأس وأن لا يشبع وجاره وصاحبه جائعان وإعطاء السائل والمكافأة بالصنائع وحفظ الأمانة وصلة الرحم والتذمم للصاحب وإقراء الضيف ورأسهن الحياء » . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال « تقوى الله وحسن الخلق » وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال « الغم والفرح » يكون هذا الغم غم فوات الحظوظ العاجلة ، لأن ذلك يتضمن التسخط والتضجر ، وفيه الاعتراض على الله تعالى وعدم الرضا بالقضاء ، ويكون الفرح المشار إليه الفرح بالحظوظ العاجلة الممنوع منه بقوله تعالى ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾ وهو الفرح الذى قال الله تعالى ﴿ إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ﴾ لما رأى مفاتحه تنوء بالعصبة أول القوة . فأما الفرح بالأقسام الأخروية فمحمود ينافس فيه قال الله تعالى ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ﴾ وفسر عبدالله بن المبارك حسن الخلق فقال : هو بسط الوجه ، وبذل المعروف وكف الأذى .

فالصوفية راضوا نفوسهم بالمكابدات والمجاهدات حتى أجابت إلى تحسين الأخلاق وكم من نفس تجيب إلى الأعمال ولا تجيب إلى الأخلاق . فنفوس العباد أجابت إلى الأعمال وجمحت عن الأخلاق ، ونفوس الزهاد أجابت إلى بعض الأخلاق دون البعض ، ونفوس الصوفية أجابت إلى الأخلاق الكريمة كلها .

أخبرنا الشيخ أبو زرعة إجازة عن أبى بكر بن خلف إجازة عن السلمى قال : سمعت حسين بن أحمد بن جعفر يقول سمعت أبا بكر الكتانى يقول : التصوف خلق فمن زاد عليك بالخلق زاد عليك بالتصوف . فالعباد أجابت نفوسهم إلى الأعمال لأنهم يسلكون بنور الإسلام ، والزهاد أجابت نفوسهم إلى بعض الأخلاق لكونهم سلكوا بنور الإيمان ،

والصوفية أهل القرب سلكوا بنور الإحسان ، فلما باشر بواطن أهل القرب والصوفية نور اليقين وتأصل فى بواطنهم ذلك انصلح القلب بكل أرجائه وجوانبه ، لأن القلب يبيض بعضه بنور الإسلام ، وبعضه بنور الإيمان ، وكله بنور الإحسان والإيقان . فإذا ابيض القلب وتنور انعكس نوره على النفس ، وللقلب وجه إلى النفس ووجه إلى الروح، وللنفس وجه إلى القلب ، ووجه إلى الطبع والغريزة . والقلب إذا لم يبيض كله لم يتوجه إلى الروح بكله ، ويكون ذا وجهين ، وجه إلى الروح ، ووجه إلى النفس ، فإذا ابيض كله توجه إلى الروح بكله ، فيتداركه مدد الروح، ويزداد إشراقا وتنورا وكلما انجذب القلب إلى الروح انجذبت النفس إلى القلب، وكلما انجذبت توجهت إلى القلب بوجهها الذى يليه ، وتنور النفس لتوجهها إلى القلب بوجهها الذى يلى القلب . وعلامة تنورها طمأنينتها قال الله تعالى ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية ﴾ وتنور وجهها الذى يلى القلب بمثابة نورانية أحد وجهى الصدف لاكتساب النورانية من اللؤلؤ . وبقاء شىء من الظلمة على النفس لنسبة وجهها الذى يلى الغريزة والطبع ، كبقاء ظاهر الصدف على ضرب من الكدر والنقصان مخالفا لنورانية باطنه . وإذا تنور أحد وجهى النفس لجأت إلى تحسين الأخلاق وتبديل النعوت ، ولذلك سمى الأبدال أبدالا . والسر الأكبر فى ذلك أن قلب الصوفى بدوام الإقبال على الله ودوام الذكر بالقلب واللسان يرتقى إلى ذكر الذات ، ويصير حينئذ بمثابة العرش . فالعرش قلب الكائنات فى عالم الخلق والحكمة والقلب عرش فى عالم الأمر والقدرة . قال سهل بن عبد الله التسترى : القلب كالعرش والصدر كالكرسى . وقد ورد عن الله تعالى « لا يسعنى أرضى ولا سمائى ويسعنى قلب عبدى المؤمن » .

فإذا اكتحل القلب بنور ذكر الذات وصار بحرا مواجا من نسمات القرب جرى فى جداول أخلاق النفس صفاء النعوت والصفات وتحقق التخلق بأخلاق الله تعالى . حكى عن الشيخ أبى على الفارمذى أنه حكى عن شيخه أبى القاسم الكركانى أنه قال : إن الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافا للعبد السالك وهو بعد فى السلوك غير واصل ، ويكون الشيخ عنى بهذا أن العبد يأخذ من كل اسم وصفا يلائم ضعف حال البشر وقصوره ، مثل أن يأخذ من اسم الله تعالى «الرحيم» معنى من الرحمة على قدر قصور البشر ، وكل إشارات المشايخ فى الأسماء والصفات التى هى أعز علومهم على هذا المعنى والتفسير . وكل من توهم بذلك شيئا من الحلول تزندق وألحد .

وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا بوصية جامعة لمحاسن الأخلاق فقال له « يا معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة ، وحفظ الجوار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل ولزوم الإيمان والتفقه فى القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح، وإياك أن تسب حليما أو تكذب صادقا أو تطيع آثما أو تعصى إماما عادلا أو تفسد أرضا، أوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر ، وأن تحدث لكل ذنب توبة ، السر بالسر ، والعلانية بالعلانية ، بذلك أدب الله عباده ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب ، وروى معاذ أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « حف الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب » .

أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على بإسناده المتقدم إلى الترمذى رحمه الله قال : أخبرنا أبو كريب قال حدثنا قبيصة بن الليث عن مطرف عن عطاء عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قال : سمعت النبى عليه السلام يقول « ما من شىء يوضع فى الميزان أثقل من حسن الخلق وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة» وقد كان من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم ، وإن فضل ولم يجد من يعطيه ويأتيه الليل لا يأوى إلى منزله حتى يبرأ منه ، ولا ينال من الدنيا ، وأكثر قوت عامه من أيسر ما يجد من التمر والشعير ، ويضع ما عدا ذلك فى سبيل الله ، لا يسئل شيئا إلا يعطى ثم يعود إلى قوت عامه فيؤثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام ، وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم فى مهنة أهله ويقطع اللحم معهن ، وكان أشد الناس حياء وأكثرهم تواضعا فصلوات الرحمن عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

الباب الثلاثون : فى تفاصيل أخلاق الصوفية

من أحسن أخلاق الصوفية التواضع، ولا يلبس العبد لبسة أفضل من التواضع ، ومن ظفر بكنز التواضع والحكمة يقيم نفسه عند كل أحد مقداراً يعلم أنه يقيمه ، ويقيم كل أحد على ماعنده من نفسه ؛ ومن رزق هذا فقد استراح وأراح ﴿ وما يعقلها إلا العالمون ﴾

أخبرنا أبوزرعة عن أبيه الحافظ المقدسى ، قال أخبرنا عثمان بن عبدالله ، قال أخبرنا عبد الرحمن بن ابراهيم ، قال حدثنا عبدالرحمن بن حمدان ، قال حدثنا أبو حاتم الرازى ، قال حدثنا النضر بن عبدالجبار ، قال أخبرنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن سنان بن سعد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا ولا يبغى بعضكم على بعض » .

وقال عليه السلام فى قوله تعالى ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى ﴾ قال: « على البر والتقوى والرهبة وذلة النفس ». وكان من تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيب دعوة الحر والعبد ، ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها ويأكلها ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين .

واخبرنا أبوزرعة إجازة عن ابن خلف إجازة عن السلمى ، قال أخبرنا أحمد بن على المقرى ، قال أخبرنا محمد بن المنهال ، قال حدثنى أبى عن محمد بن جابر اليمانى عن سليمان بن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من رأس التواضع أن تبدأ بالسلام على من لقيت ، وترد على من سلم عليك، وأن ترضى بالدون من المجلس ، وأن لا تحب المدحة والتزكية والبر »

وورد أيضا عنه عليه السلام « طوبى لمن تواضع من غير منقصة ، وذل فى نفسه من غير مسكنة » .

سئل الجنيد عن التواضع ؟ فقال : خفض الجناح ولين الجانب . وسئل الفضيل عن التواضع ؟ فقال: تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن قاله وتسمع منه . وقال أيضا : من رأى لنفسه قيمة فليس له فى التواضع نصيب .

وقال وهب بن منبه : مكتوب فى كتب الله : إنى أخرجت الذر من صلب آدم فلم أجد قلبا أشد تواضعا إلى من قلب موسى عليه السلام ، فلذلك اصطفيته وكلمته .

وقيل : من عرف كوامن نفسه لم يطمع فى العلو والشرف ويسلك سبيل التواضع ؛ فلا يخاصم من يذمه، ويشكر الله لمن يحمده .

قال أبو حفص : من أحب أن يتواضع قلبه فليصحب الصالحين وليلتزم بحرمتهم ؛ فمن شدة تواضعهم فى أنفسهم يقتدى بهم ولا يتكبر .

وقال لقمان عليه السلام : لكل شىء مطية ، ومطية العمل التواضع .

وقال النورى : خمسة أنفس أعز الخلق فى الدنيا : عالم زاهد ، وفقيه صوفى، وغنى متواضع، وفقير شاكر وشريف سنى .

وقال الجلاء : لولا شرف التواضع كنا إذا مشينا نخطر . وقال يوسف بن أسباط ـ وقد سئل : ما غاية التواضع ؟ قال: أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحدا إلا رأيته خيرا منك

ورأيت شيخنا ضياء الدين أبا النجيب ـ وكنت معه فى سفره إلى الشام وقد بعث بعض أبناء الدنيا له طعاما على رءوس الأسارى من الأفرنج وهم فى قيودهم ـ فلما مدت السفرة والأسارى ينتظرون الأوانى حتى تفرغ قال للخادم : أحضر الأسارى حتى يقعدوا على السفرة مع الفقراء ، فجاء بهم وأقعدهم على السفرة صفا واحدا ، وقام الشيخ من سجادته ومشى إليهم وقعد بينهم كالواحد منهم ، فأكل وأكلوا ، وظهر لنا على وجهه ما نازل باطنه من التواضع لله والانكسار فى نفسه والسلاخه من التكبر عليهم بإيمانه وعلمه وعمله .

أخبرنا أبوزرعة ، إجازة عن أبى بكر بن خلف ، إجازة عن السلمى قال : سمعت أبا الحسين الفارسى يقول :

سمعت الجريرى يقول : صح عند أهل المعرفة أن للدين رأس مال : خمسة فى الظاهر ، وخمسة فى الباطن ؛ فأما اللواتى فى الظاهر : فصدق فى اللسان ، وسخاوة فى الملك ، وتواضع فى الأبدان ، وكف الأذى ، واحتماله بلا إباء . وأما اللواتى فى الباطن : فحب وجود سيده ، وخوف الفراق من سيده ، ورجاء الوصول إلى سيده ، والندم على فعله ، والحياء من ربه .

وقال يحيى بن معاذ : التواضع فى الخلق حسن ، ولكن فى الأغنياء أحسن . والتكبر سمج فى الخلق ، ولكن فى الفقراء أسمج .

وقال ذو النون : ثلاثة من علامات التواضع : تصغير النفس معرفة بالعيب ، وتعظيم الناس حرمة للتوحيد ، وقبول الحق والنصيحة من كل واحد .

وقيل لأبى يزيد : متى يكون الرجل متواضعا ؟ قال : إذا لم ير لنفسه حقاما ولا حالا من علمه بشرها وازدرائها ولا يرى أن فى الخلق شرا منه .

قال بعض الحكماء : وجدنا التواضع مع الجهل والبخل ، أحمد من الكبر مع الأدب والسخاء .

وقيل لبعض الحكماء : هل تعرف نعمة لا يحسد عليها ، وبلاء لا يرحم صاحبه عليه ؟ قال : نعم ، أما النعمة فالتواضع ، وأما البلاء فالكبر .

والكشف عن حقيقة التواضع : أن التواضع رعاية الاعتدال بين الكبر والضعة ؛ فالكبر رفع الإنسان نفسه فوق قدره ، والضعة وضع الإنسان نفسه مكانا يزرى به ويفضى إلى تضييع حقه . وقد انفهم من كثير من إشارات المشايخ فى شرح التواضع أشياء إلى حد أقاموا التواضع فيه مقام الضعة ، ويلوح فيه الهوى من أوج الإفراط إلى حضيض التفريط ، ويوهم انحرافا عن حد الاعتدال ، ويكون قصدهم فى ذلك المبالغة فى قمع نفوس المريدين خوفا عليهم من العجب والكبر ؛ فقل أن ينفك مريد فى مبادى ظهور سلطان الحال من العجب ، حتى لقد نقل عن جمع من الكبار كلمات مؤذنة بالإعجاب ، وكل ما نقل من ذلك القبيل من المشايخ لبقايا السكر عندهم وانحصارهم فى مضيق سكر الحال وعدم الخروج إلى فضاء الصحو فى ابتداء أمرهم ، وذلك إذا حدق صاحب البصيرة نظاره يعلم أنه من استراق النفس السمع عند نزول الوارد على القلب ، والنفس إذا استرقت السمع عند ظهور الوارد على القلب ظهرت بصفتها على وجه لا يخفى على الوقت وصلافة الحال فيكون من ذلك كلمات مؤذنة بالعجب ، كقول بعضهم : من تحت خضراء السماء مثلى ؟ وقول بعضهم : قدمى على رقبة جميع الأولياء ، وكقول بعضهم : أسرجت وألجمت وطفت فى أقطار الأرض وقلت هل من مبارز فلم يخرج إلى أحد ، إشارة منه فى ذلك إلى تفرده فى وقته . ومن أشكل عليه ذلك ولم يعلم أنه من استراق النفس السمع فليزن ذلك بميزان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتواضعهم واجتنابهم أمثال هذه الكلمات واستبعادهم أن يجوز للعبد التظاهر بشىء من ذلك ، ولكن يجعل لكلام الصادقين وجه فى الصحة ، ويقال : إن ذلك طفح عليهم فى سكر الحال وكلام السكارى يحمل ؛ فالمشايخ أرباب التمكين لما علموا فى النفوس هذا الداء الدفين بالغوا فى شرح التواضع إلى حد الحقوه بالضعة تداويا للمريدين ، والاعتدال فى التواضع : أن يرضى الإنسان بمنزلة دون ما يستحقه ، ولو أمن الشخص جموح النفس لأوقفها على حد يستحقه من غير غير زيادة ولا نقصان ، ولكن لما كان الجموح فى جبلة النفس ـ لكونها مخلوقة من صلصال كالفخار فيها نسبة النارية وطلب الاستعلاء بطبعها إلى مركز النار ـ احتاجت للتداوى بالتواضع وإيقافها دون ما تستحقه لئلا يتطرق إليها الكبر ، فالكبر ظن الإنسان أنه أكبر من غيره والتكبر إظهاره ذلك ، وهذه صفة لا يستحقها إلا الله تعالى ، ومن ادعاها من المخلوقين يكون كاذبا ، والكبر يتولد من الإعجاب ، والإعجاب من الجهل بحقيقة المحاسن ، والجهل الانسلاخ من الإنسانية حقيقة ، وقد عظم الله تعالى شأن الكبر بقوله تعالى ﴿إنه لا يحب المستكبرين﴾ وقال تعالى ﴿أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين﴾ وقد ورد « يقول الله تعالى : الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحداً منهما قصمته » وفى رواية « قذفته فى نار جهنم » وقال

عز وجل ردا الإنسان فى طغيانه إلى حده : ﴿ ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ﴾ وقال تعالى ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق ﴾ وأبلغ من هذا قوله تعالى ﴿ قتل الإنسان ما أكفره من أى شىء خلقه من نطفة خلقه فقدره ﴾ وقد قال بعضهم لبعض المتكبرين : أوّلك نطفة مذرة ، وآخرك جيفة قذرة ، وأنت فيما بين ذلك حامل العذرة : وقد نظم الشاعر هذا المعنى :

كيف يزهو من رجيعه ٭ أبد الدهر ضجيعه

وإذا ارتحل التواضع من القلب وسكن الكبر انتشر أثره فى بعض الجوارح وترشح الإباء بما فيه ، فتارة يظهر أثره فى العنق بالتمايل ، وتارة فى الخد بالتصعير . قال الله تعالى ﴿ ولا تصعر خدك للناس ﴾ وتارة يظهر فى الرأس عند استعصاء النفس . قال الله تعالى ﴿ لووا رءوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون ﴾ .

وكما أن الكبر له انقسام على الجوارح والأعضاء تتشعب منه شعب ، فكذلك بعضها أكثف من البعض : كالتيه والزهو والعزة وغير ذلك ، إلا أن العزة تشتبه بالكبر من حيث الصورة ، وتختلف من حيث الحقيقة ، كاشتباه التواضع بالضعة ، والتواضع محمود والضعة مذمومة ، والكبر مذموم والعزة محمودة . قال الله تعالى ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ والعزة غير الكبر ، ولا يحل لمؤمن أن يذل نفسه ، فالعزة معرفة الإنسان بحقيقة نفسه . وإكرامها : أن لا يضعها لأعراض عاجلة دنيوية ، كما أن الكبر جهل الإنسان بنفسه وإنزالها فوق منزلتها . قال بعضهم للحسن : ما أعظمك فى نفسك ! قال : لست بعظيم ولكنى عزيز . ولما كانت العزة غير مذمومة وفيها مشاكلة بالكبر قال الله تعالى ﴿ تستكبرون فى الأرض بغير الحق ﴾ فيه إشارة خفية لإثبات العزة بالحق ، فالوقوف على حد التواضع من غير انحراف إلى الضعة وقوف على صراط العزة المنصوب على متن نار الكبر ، ولا يؤيد فى ذلك ولا يثبت عليه إلا أقدام العلماء الراسخين والسادة المقربين ورؤساء الأبدال والصديقين . قال بعضهم : من تكبر فقد أخبر عن نذالة نفسه ، ومن تواضع فقد أظهر كرم طبعه .

وقال الترمذى : التواضع على ضربين : الأول أن يتواضع العبد لأمر الله ونهيه ، فإن النفس لطلب الراحة تتلهى عن أمره ، والشهوة التى فيها تهوى فى نهيه ، فإذا وضع نفسه لأمره ونهيه فهو تواضع . والثانى : أن يضع نفسه لعظمة الله فإن اشتهت نفسه شيئاً مما أطلق له من كل نوع من الأنواع منعها ذلك . وجملة ذلك : أن يترك مشيئته لمشيئة الله تعالى

واعلم أن العبد لا يبلغ حقيقة التواضع إلا عند لمعان نور المشاهدة فى قلبه ؛ فعند ذلك تذوب النفس ، وفى ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب ، فتلين وتطيع للحق والخلق لمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها ، وكان الحظ الأوفر من التواضع لنبينا عليه السلام فى أوطان القرب ، كما روى عن عائشة رضى الله عنها فى الحديث الطويل قالت : فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فأخذنى ما يأخذ النساء من الغيرة ظنا منى أنه عند بعض أزواجه ، فطلبته فى حجر نسائه فلم أجده ، فوجدته فى المسجد ساجداً كالثوب الخلق وهو يقول فى سجوده « سجد لك سوادى وخيالى ، وآمن بك فؤادى وأقر بك لسانى ، وها أنا ذا بين يديك ، ياعظيم ياغافر الذنب العظيم » وقوله عليه السلام « سجد لك سوادى وخيالى » استقصاء فى التواضع بمحو آثار الوجود حيث لم تتخلف ذرة منه عن السجود ظاهراً وباطنا ، ومتى لم يكن للصوفى حظ من التواضع الخاص على بساط القرب لا يتوفر حظه فى التواضع للخلق ، وهذه سعادات إن أقبلت جاءت بكليتها . والتواضع من أشرف أخلاق الصوفية .

ومن أخلاق الصوفية : المداراة واحتمال الأذى من الخلق ، وبلغ من مداراة رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه وجد قتيلا من أصحابه بين اليهود ، فلم يحف عليهم ولم يزد على مر الحق ، بل وداه بمائة ناقة من قبله وإن بأصحابه لحاجة إلى بعير واحد يتقوون به .

وكان من حسن مداراته أن لا يذم طعاما ولا ينهر خادما . أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على ،

قال أخبرنا أبو الفتح الكرخي ، قال أخبرنا أبو نصر الترياقي ، قال أخبرنا الجراحي ، قال أخبرنا أبو العباس المحبوبي ، قال أخبرنا أبو عيسى الترمذي ، قال حدثنا قتيبة ، قال حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس قال : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا ، وما مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فالمداراة مع كل أحد من الأهل والأولاد والجيران والأصحاب والخلق كافة من أخلاق الصوفية وباحتمال الأذى يظهر جوهر النفس . وقد قيل لكل شيء جوهر وجوهر الإنسان العقل وجوهر العقل الصبر .

أخبرنا أبو زرعة طاهر عن أبيه الحافظ المقدسي قال أخبرنا أبو محمد الصريفيني ، قال أخبرنا أبو القاسم عبيدالله ابن حبابة ، قال أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز ، قال حدثنا علي بن الجعد ، قال أخبرنا شعبة عن الأعمش عن يحيى بن وثاب عن شيخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : من هو ؟ قال : ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « المؤمن الذي يعاشر الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم » وفي الخبر « أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم » قيل : ماذا كان يصنع أبو ضمضم ؟ قال « كان إذا أصبح قال : اللهم إني تصدقت اليوم بعرضي على من ظلمني ، فمن ضربني لا أضربه ، ومن شتمني لا أشتمه ، ومن ظلمني لا أظلمه » .

وأخبرنا ضياء الدين عبدالوهاب قال أخبرنا أبو الفتح الهروي ، قال حدثنا الترياقي ، قال أخبرنا الجراحي ؛ قال أخبرنا المحبوبي ، قال أخبرنا أبو عيسى الترمذي ، قال حدثنا ابن أبي عمر ، قال حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فقال : بئس ابن العشيرة أو أخو العشيرة ، ثم أذن له فألان له القول ؛ فلما خرج قلت : يارسول الله قلت له ماقلت ثم ألنت له القول قال : « ياعائشة إن من شر الناس من يتركه الناس أو يدعه الناس اتقاء فحشه » وروى أبو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » فما شيء يستدل به على قوة عقل الشخص ووفور علمه وحلمه كحسن المداراة ، والنفس لا تزال تشمئز ممن يعكس مرادها ؛ ويستفزها الغيظ والغضب ، بالمداراة قطع حمة النفس ورد طيشها ونفورها . وقد ورد « من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء » . وروى جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا أخبركم على من تحرم النار ؟ على كل هين لين سهل قريب » . وروى أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : أتى النبي عليه السلام برجل فكلمه فأرعد فقال : « هون عليك فإني لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » .

وعن بعضهم في معنى لين جانب الصوفية :

هينون لينون أيسار بنو يسر * سواس مكرمة أبناء أيسار
لا ينطقون عن الفحشاء إن نطقوا * ولا يمارون إن ماروا بإكثار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التي يسرى بها الساري

وروى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير ، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير » .

حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب إملاء قال حدثنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبي عبد الله المالينى ، قال أخبرنا أبو الحسين عبد الرحمن بن أبي طلحة الداودي ، قال أخبرنا أبو محمد عبد الله الحموي السرخسي ، قال أخبرنا أبو عمران عيسى بن عمر السمرقندي ، قال أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن الدرامي ، قال أخبرنا محمد بن أحمد بن أبي خلف ،

قال حدثنا عبد الرحمن بن محمد عن محمد بن إسحق قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر عن رجل من العرب قال : زحمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وفي رجلي نعل كثيفة ، فوطئت بها على رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنفحني نفحة بسوط في يده وقال « بسم الله أوجعتني » قال . فبت لنفسي لائما أقول : أوجعت رسول الله ، قال : فبت بليلة كما يعلم الله ؛ فلما أصبحنا إذا رجل يقول : أين فلان ؟ قلت : هذا والله الذي كان مني بالأمس . قال : فانطلقت وأنا متخوف ، فقال لي : « إنك وطئت بنعلك على رجلي بالأمس فأوجعتني ، فنفحتك نفحة بالسوط فهذه ثمانون نعجة فخذها بها » .

ومن أخلاق الصوفية : الإيثار والمواساة ويحملهم على ذلك فرط الشفقة والرحمة طبعا ، وقوة اليقين شرعا « يؤثرون بالموجود ويصبرون على المفقود .

قال أبو يزيد البسطامي : ما غلبني أحد ما غلبني شاب من أهل بلخ ، قدم علينا حاجا فقال لي : يا أبا يزيد ، ما حد الزهد عندكم ؟ قلت : إذا وجدنا أكلنا ، وإذا فقدنا صبرنا ، فقال : هكذا عندنا كلاب بلخ ؛ فقلت له : وما حد الزهد عندكم ؟ قال : إذا فقدنا شكرنا ، وإذا وجدنا آثرنا .

وقال ذو النون : من علامة الزاهد المشروح صدره ثلاث : تفريق المجموع ، وترك طلب المفقود ، والإيثار بالقوت .

روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للأنصار « إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة ، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم نقسم لكم شيئا من الغنيمة » فقالت الأنصار : بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها ؛ فأنزل الله تعالى ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ .

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابه جهد فقال : يا رسول الله ، إني جائع فأطعمني ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى أزواجه « هل عندكن شيء ؟ » فكلهن قلن : والذي بعثك بالحق نبيا ما عندنا إلا الماء ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما عندنا ما نطعمك هذه الليلة » ثم قال « من يضيف هذا هذه الليلة رحمه الله ؟ » فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله ؛ فأتى به منزله فقال لأهله : هذا ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكرميه ولا تدخري عنه شيئا ؛ فقالت : ما عندنا إلا قوت الصبية ؛ فقال : فقومي عليهم عن قوتهم حتى يناموا ولا يطعمون شيئا ثم اسرجي ، فإذا أخذ الضيف ليأكل قومي كأنك تصلحين السراج فأطفئيه وتعالي نمضغ ألسنتنا لضيف رسول الله حتى يشبع ضيف رسول الله ، فقامت إلى الصبية فعللتهم حتى ناموا عن قوتهم ولم يطعموا شيئا ، ثم قامت فأثردت وأسرجت ؛ فلما أخذ الضيف ليأكل قامت كأنها تصلح السراج فأطفأته ، فجعلا يمضغان ألسنتهما لضيف رسول الله ، وظن الضيف أنهما يأكلان معه حتى شبع الضيف وباتا طاويين ؛ فلما أصبحوا غدوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما نظر إليهما تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة » وأنزل الله تعالى ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ ،

قال أنس رضي الله عنه : أهدى لبعض أصحابه رأس شاة مشوي - وكان مجهودا - فوجه به إلى جاره له ، فتداوله سبعة أنفس ثم عاد إلى الأول ؛ فأنزلت الآية لذلك .

وروى أن أبا الحسن الأنطاكي اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية بقرى الري وله أرغفة معدودة لم تشبع خمسة منهم ، فكسروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام ؛ فلما رفعوا الطعام فإذا هو بحاله لم يأكل أحد منهم إيثاراً منه على نفسه .

وحكي عن حذيفة العدوي قال انطلقت يوم اليرموك لطلب ابن عم لي معي شيء من ماء وأنا أقول : إن كان به رمق سقيته ومسحت وجهه ، فإذا أنا به ، فقلت : أسقيك ، فأشار إلى أن نعم ؛ فإذا رجل يقول : آه ، فقال ابن عمي : انطلق به إليه ، فجئت إليه ، فإذا هو هشام بن العاص ، فقلت : أسقيتك ، فسمع هشام آخر يقول : آه ، فقال ، انطلق

به إليه ، فجئت إليه فإذا هو قد مات ، ثم رجعت إلى هشام ، فإذا هو أيضا قد مات ، ثم رجعت إلى ابن عمى ، فإذا هو أيضا قد مات .

وسئل أبو الحسين البوشنجى عن الفتوة؟ قال : الفتوة عندى ماوصف الله تعالى به الأنصار فى قوله ﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان ﴾ قال ابن عطاء : ﴿ يؤثرون على أنفسهم ﴾ جودا وكرما ﴿ ولو كان بهم خصاصة ﴾ . يعنى جوعا وفقرا .

قال أبو حفص : الإيثار هو أن يقدم حظوظ الإخوان على حظوظه فى أمر الدنيا والآخرة .

وقال بعضهم : الإيثار لايكون عن اختيار ، إنما الإيثار أن تقدم حقوق الخلق أجمع على حقك ، ولاتميز فى ذلك بين أخ وصاحب وذى معرفة .

وقال يوسف بن الحسين : من رأى لنفسه ملكا لايصح منها الإيثار ، لأنه يرى نفسه أحق بالشىء برؤية ملكه ، إنما الإيثار ممن يرى الأشياء كلها للحق ؛ فمن وصل إليه فهو أحق به ، فإذا وصل شىء من ذلك إليه يرى نفسه ويده فيه يد أمانة يوصلها إلى صاحبها أو يؤديها إليه .

وقال بعضهم : حقيقة الإيثار أن تؤثر بحظ آخرتك على إخوانك ، فإن الدنيا أقل خطرا من أن يكون لإيثار محل أو ذكر . ومن هذا المعنى مانقل أن بعضهم رأى أخا له فلم يظهر البشر الكثير فى وجهه ، فأنكر أخوه ذلك منه ، فقال : ياأخى سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا التقى المسلمان ينزل عليها مائة رحمة تسعون لأكثرهما بشرا ، وعشرة لأقلهما بشرا » فأردت أن أكون أقل بشرا منك ليكون لك الأكثر .

أخبرنا الشيخ ضياء الدين أبو النجم إجازة ، قال أخبرنا أبو حفص عمر بن الصفار النيسابورى قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازى ، قال أخبرنا الشيخ أبو عبدالرحمن السلمى ، قال : سمعت أبا القاسم الرازى يقول : سمعت أبا بكر بن أبى سعدان يقول : من صحب الصوفية فليصحبهم بلانفس ولاقلب ولاملك ، فمن نظر إلى شىء من أسبابه قطعه ذلك عن بلوغ مقصده .

وقال سهل بن عبدالله : الصوفى من يرى دمه هدرا وملكه مباحا .

وقال رويم : التصوف مبنى على ثلاث خصال : التمسك بالفقر والافتقار ، والتحقق بالبذل والإيثار وترك التعرض والاختيار .

قيل : لما سعى بالصوفية وتميز الجنيد بالفقه وقبض على الشحام والرقام والنورى وبسط النطع لضرب رقابهم ، تقدم النورى فقيل له : إلى ماذا تبادر ؟ فقال : أوثر إخوانى بفضل حياة ساعة .

وقيل : دخل الروذبارى دار بعض أصحابه فوجده غائبا وباب بيته مغلق ، فقال: صوفى وله باب مغلق ، اكسروا الباب فكسروه وأمر بجميع ماوجدوا فى البيت أن يباع ، فأنفذوه إلى السوق واتخذوا من رفقا الثمن وقعدوا فى الدار ، فدخل صاحب المنزل ولم يقل شيئا ، ودخلت امرأته وعليها كساء ، فدخلت بيتا فرمت بالكساء وقالت: هذا أيضا من بقية المتاع فبيعوه ، فقال الزوج لها : لم تكلفت هذا باختيارك ؟ قالت : اسكت مثل الشيخ يباسطنا ويحكم علينا ويبقى لنا شىء ندخره عنه.

وقيل : مرض قيس بن سعد فاستبطأ إخوانه فى عيادته ، فسأل عنهم فقالوا : إنهم يستحيون بما لك عليهم من الدين ، فقال : أخزى الله مالا يمنع الإخوان من الزيارة ، ثم أمر مناديا ينادى : من كان لقيس عليه مال فهو منه فى حل . فكسرت عتبة داره بالعشى لكثرة عواده .

وقيل : أتى رجل صديقا له ودق عليه الباب، فلما خرج قال : لماذا جئتنى ؟ قال : لأربعمائة درهم دين على ، فدخل الدار ووزن أربعمائة درهم وأخرجها إليه ودخل الدار باكيا ؛ فقالت امرأته : هلا تعللت حين شق عليك الإجابة ، فقال : إنما أبكى لأنى لم أتفقد حاله حتى احتاج أن يفاتحنى .

وأخبرنا الشيخ أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسي ، قال أخبرنا محمد بن محمد إمام جامع أصفهان : قال حدثنا أبو عبد الله الجرجاني ، قال حدثنا أبو طاهر محمد بن الحسن المحمد اباذي ، قال حدثنا أبو البحتري ، قال حدثنا أبو أسامة قال حدثنا زيد بن أبي بردة عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو وقل طعام عيالهم جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموا في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم » .

وحدث جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه إذا أراد أن يغزو قال « يامعشر المهاجرين والأنصار ، إن من إخوانكم قوما ليس لهم مال ولا عدة ، فليضم أحدكم إليه الرجلين والثلاثة ، فما لأحدكم من ظهر حمله إلا عقبة كعقبة أحدهم » قال : فضممت إلى اثنين أو ثلاثة مالي إلا عقبة كعقبة أحدهم من حمله .

وروى أنس قال : لما قدم عبدالرحمن بن عوف المدينة آخى النبي عليه السلام بينه وبين سعد بن الربيع فقال له : أقاسمك مالي نصفين ، ولي امرأتان فأطلق إحداهما فإذا انقضت عدتها فتزوجها ، فقال له عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك .

فما حمل الصوفي على الإيثار إلا طهارة نفسه وشرف غريزته ، وما جعله الله تعالى صوفيا إلا بعد أن سوى غريزته لذلك ، وكل من كانت غريزته السخاء والسخي يوشك أن يصير صوفيا ، لأن السخاء صفة الغريزة ، وفي مقابلته الشح ، والشح من لوازم صفة النفس . قال الله تعالى ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ حكم بالفلاح لمن يوق الشح ، وحكم بالفلاح لمن أنفق وبذل فقال ﴿ ومما رزقناهم ينفقون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ والفلاح : أجمع اسم لسعادة الدارين ، والنبي عليه السلام نبه بقوله « ثلاث مهلكات ... وثلاث منجيات » فجعل إحدى المهلكات شحا مطاعا ، ولم يقل مجرد الشح يكون مهلكا بل يكون مهلكا إذا كان مطاعا ، فأما كونه موجودا في النفس غير مطاع فإنه لا ينكر ذلك ، لأنه من لوازم النفس مستمدا من أصل جبلتها التراب ، وفي التراب قبض وإمساك ، وليس ذلك بالعجب من الآدمي وهو جبلي فيه : وإنما العجب وجود السخاء في الغريزة ، وهو لنفوس الصوفية الداعي لهم إلى البذل والإيثار والسخاء أتم وأكمل من الجود ففي مقابلة الجود البخل ، وفي مقابلة السخاء الشح ، والجود والبخل يتطرق إليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف ، الشح والسخاء إذا كان من ضرورة الغريزة ، وكل سخي جواد ، وليس كل جواد سخيا ، والحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالسخاء ، لأن السخاء من نتيجة الغرائز والله تعالى منزه عن الغريزة ، والجود يتطرق إليه الرياء ويأتي به الإنسان متطلعا إلى عوض من الخلق أو الحق بمقابل ما من الثناء وغيره من الخلق والثواب من الله تعالى . والسخاء لا يتطرق إليه الرياء لأنه ينبع من النفس الزكية المرتفعة من الأعواض دنيا وآخرة ، لأن طلب العوض مشعر بالبخل لكونه معلولا بطلب العوض ، فما تمحض سخاء ، فالسخاء لأهل الصفاء ، والإيثار لأهل الأنوار ويجوز أن يكون قوله تعالى ﴿ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ﴾ أنه نفى في الآية الإطعام لطلب الأعواض حيث قال ﴿ لا نريد ﴾ بعد قوله ﴿ لوجه الله ﴾ فما كان لله لا يشعر بطلب العوض ، بل الغريزة لطهارتها تنجذب إلى مراد الحق لا العوض ، وذلك أكمل السخاء من أطهر الغرائز .

روت أسماء بنت أبي بكر قالت : قلت يارسول الله ، ليس لي من شيء إلا ما أدخل على الزبير فأعطي ؟ قال « نعم ، لا توكي فيوكى عليك » .

ومن أخلاق الصوفية . التجاوز والعفو ومقابلة السيئة بالحسنة . قال سفيان : الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك ، فإن الإحسان إلى المحسن متاجرة كنقد السوق خذ شيئا وهات شيئا . وقال الحسن . الإحسان أن تعم ولا تخص كالشمس والريح والغيث .

وروى أنس قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت قصورا مشرفة على الجنة فقلت : ياجبريل لمن هذه ؟ قال ، للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس » .

روى أبو هريرة رضى الله عنه : أن أبا بكر رضى الله عنه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مجلس ، فجاء رجل فوقع فى أبى بكر وهو ساكت والنبى عليه السلام يتبسم ، ثم رد أبو بكر عليه بعض الذى قال ، فغضب النبى صلى الله عليه وسلم وقام ، فلحقه أبو بكر فقال : يارسول الله شتمنى وأنت تتبسم ثم رددت عليه بعض ما قال فغضبت وقمت ، فقال «إنك حيث كنت ساكتا كان معك ملك يرد عليه ، فلما تكلمت وقع الشيطان فلم أكن لأقعد فى مقعد فيه الشيطان ، ياأبا بكر ، ثلاث كلهن حق : ليس عبد يظلم بمظلمة فيعفو عنها إلا أعز الله نصره ، وليس عبد يفتح باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله قلة ، وليس عبد يفتح باب عطية أو صلة يبتغى بها وجه الله إلا زاده الله بها كثرة » .

أخبرنا ضياء الدين عبدالوهاب بن على ، قال : أخبرنا الكرخى ، قال أخبرنا الترياقى ، قال أخبرنا الجراحى ، قال أخبرنا المحبوبى ، قال أخبرنا أبو عيسى الترمذى ، قال حدثنا أبو هشام الرفاعى ، قال حدثنا محمد بن فضيل عن الوليد ابن عبدالله بن جميع عن أبى الطفيل عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتكونوا إمعة ، تقولون : إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا فلا تظلموا »

وقال بعض الصحابة : يارسول الله الرجل أمر به فلا يقرينى ولا يضيفنى ، فيمر بى أفأجزيه ؟ قال «لا ، أقره» .

وقال الفضل : الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الواصل المكافئ ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها » وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مكارم الأخلاق أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك » .

ومن أخلاق الصوفية : البشر وطلاقة الوجه ، الصوفى بكاؤه فى خلوته وبشره وطلاقة وجهه مع الناس ، فالبشر على وجهه من آثار أنوار قلبه ، وقد تنازل باطن الصوفى منازلات إلهية ومواهب قدسية يرتوى منها القلب ، ويمتلئ فرحا وسرورا ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ﴾ والسرور إذا تمكن من القلب فاض على الوجه آثاره ، قال الله تعالى ﴿ وجوه يومئذ مسفرة ﴾ أى مضيئة مشرقة ﴿ ضاحكة مستبشرة ﴾ أى فرحة ، قيل : أشرقت من طول ماأغبرت فى سبيل الله ، ومثال فيض النور على الوجه من القلب كفيضان نور السراج على الزجاج والمشكاة ، فالوجه مشكاة والقلب زجاج والروح مصباح ؛ فإذا تنعم القلب بلذيذ المسامرة ظهر البشر على الوجه . قال الله تعالى ﴿ تعرف فى وجوههم نضرة النعيم ﴾ أى نضارته وبريقه ، يقال أنضر النبات إذا أزهر ونور ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ فلما نظرت نضرت ، فأرباب المشاهدة من الصوفية تنورت بصائرهم بنور المشاهدة وانصقلت مرآة قلوبهم وانعكس فيها نور الجمال الأزلى ، وإذا أشرقت الشمس على المرآة المصقولة استنارت الجدران ، قال الله تعالى ﴿ سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ﴾ وإذا تأثر الوجه بسجود الظلال ، وهى القوالب فى قول الله تعالى ﴿ وظلالهم بالغدو والآصال ﴾ كيف لايتأثر بشهود الجمال .

أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب بن على ، قال أخبرنا الكرخى ، قال أخبرنا الترياقى ، قال أخبرنا الجراحى ، قال أخبرنا المحبوبى ، قال أخبرنا أبو عيسى الترمذى ، قال حدثنا قتيبة ، قال حدثنا المنكدر بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل معروف صدقة ، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق ، وأن تفرغ من دلوك فى إناء أخيك » .

وقال سعد بن عبد الرحمن الزبيدى : يعجبنى من القراء كل سهل طلق مضحاك ؛ فأما من تلقاه بالبشر ويلقاك بالعبوس كأنه يمن عليك ، فلا أكثر الله فى القراء مثله .

ومن أخلاق الصوفية : السهولة ولين الجانب والنزول مع الناس إلى أخلاقهم وطباعهم وترك التعسف والتكلف ، وقد روى فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبار . وأخلاق الصوفية تحاكى أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول عليه الصلاة والسلام « أما إنى أمزح ولا أقول إلا حقا » روى أن رجلا يقال له زاهر بن حرام ، وكان بدويا ، وكان لايأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا جاء بطرفة يهديها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء يوما

من الأيام فوجده رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سوق المدينة يبيع سلعة له ولم يكن أتاه ذلك اليوم ، فاحتضنه النبي عليه السلام من ورائه بكفيه ، فالتفت فأبصر النبي عليه السلام فقبل كفيه ، فقال النبي عليه السلام « من يشترى العبد ؟ » فقال : إذن تجدنى كاسدا يارسول الله ، فقال « ولكن عند الله ربيح » ثم قال عليه السلام « لكل أهل حضر بادية وبادية آل محمد زاهر بن حرام » .

وأخبرنا أبو زرعة طاهر بن الحافظ المقدسى عن أبيه ، قال أخبرنا المطهر بن محمد الفقيه ، قال أخبرنا أبو الحسن قال أخبرنا أبو عمرو بن حكيم ، قال أخبرنا أبو أمية ، قال حدثنا عبيد بن إسحق العطار ، قال حدثنا سنان بن هرون عن حميد عن أنس قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، احملنى على جمل ، فقال : « أحملك على ابن الناقة » قال : أقول لك احملنى على جمل وتقول أحملك على ابن الناقة ؟ فقال عليه السلام « فالجمل ابن الناقة » .

وروى صهيب فقال : أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه تمر يأكل ، فقال « أصب من هذا الطعام » فجعلت آكل من التمر ، فقال « أتأكل وأنت رمد ؟ » فقلت : إذن أمضغ من الجانب الآخر ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم « ياذا الأذنين » .

وسئلت عائشة رضى الله عنها : كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا فى البيت ؟ قالت : كان ألين الناس بساما ضحاكا . وروت أيضا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقته ، ثم سابقها بعد ذلك فسبقها ، فقال : « هذه بتلك » .

وأخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على ، قال أخبرنا أبو الفتح الهروى ، قال أخبرنا أبو نصر الترياقى ، قال أخبرنا أبو محمد الجراحى ، قال أخبرنا أبو العباس المحبوبى ، قال أخبرنا أبو عيسى الحافظ الترمذى ، قال حدثنا عبدالله بن الوضاح الكوفى ، قال حدثنا عبدالله بن إدريس عن أبى التياح عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخاطبنا حتى إنه كان يقول لأخ لى صغير « يا أبا عمير مافعل النغير » والنغير : عصفور صغير .

وروى أن عمر سابق زبيرا رضى الله عنهما فسبقه الزبير ، فقال : سبقتك ورب الكعبة ، ثم سابقه مرة أخرى فسبقه عمر ؛ فقال عمر : سبقتك ورب الكعبة . وروى عبدالله بن عباس قال : قال لى عمر : تعال أنافسك فى الماء أينا أطول نفسا ، ونحن محرمون .

وروى بكر بن عبدالله قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمازحون حتى يتبادحون بالبطيخ ؛ فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال . يقال : بدح يبدح : إذا رمى ، أى يترامون بالبطيخ .

وأخبرنا أبو زرعة عن أبيه قال : أخبرنا الحسن بن أحمد الكرخى ، قال حدثنا أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم ؛ قال حدثنا أبو بكر محمد بن محمد بن عبدالله ، حدثنى إسحق الحربى ، قال حدثنا أبو سلمة ، قال حدثنا حماد بن خالد ، قال أخبرنا محمد بن عمرو بن علقمة ، قال حدثنا أبو الحسن بن محيصن الليثى عن يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب بن أبى بلتعة قال : إن عائشة رضى الله عنها قالت : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بحريرة طبختها له وقلت لسودة والنبى صلى الله عليه وسلم بينى وبينها : كلى ، فأبت ، فقلت لها : كلى ، فأبت ، فقلت : لتأكلن أو لألطخن بها وجهك ، فأبت ، فوضعت يدى فى الحريرة فلطخت بها وجهها ، فضحك النبى صلى الله عليه وسلم ، فوضع فخذه وقال لسودة : الطخى وجهها ، فلطخت بها وجهى ، فضحك النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فمر عمر رضى الله عنه على الباب فنادى : ياعبدالله ياعبدالله ، فظن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سيدخل ، فقال قوما فاغسلا وجهيكما ، فقالت عائشة رضى الله عنها فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه .

ووصف بعضهم ابن طاوس فقال : كان مع الصبي صبيا ومع الكهل كهلا وكان فيه مزاحة إذا خلا .

وروى معاوية بن عبد الكريم قال : كنا نتذاكر الشعر عند محمد بن سيرين ، وكان يقول ونمزح عنده ويمازحنا وكنا نخرج من عنده ونحن نضحك ، وكنا إذا دخلنا على الحسن نخرج من عنده ونحن نكاد نبكى ؛ فهذه الأخبار والآثار دالة على حسن لين الجانب وصحة حال الصوفية وحسن أخلاقهم فيما يعتمدونه من المداعبة فى الربط وينزلون مع الناس على حسب طباعهم لنظرهم إلى سعة رحمة الله ؛ فإذا خلوا وقفوا موقف الرجال واكتسوا ملابس الأعمال والأحوال ، ولا يقف فى هذا المعنى على حد الاعتدال إلا صوفى قاهر للنفس عالم بأخلاقها وطباعها سائس لها بوفور العلم ، حتى يقف فى ذلك على صراط الاعتدال بين الإفراط والتفريط ، ولا يصلح الإكثار من ذلك للمريدين المبتدئين لقلة علمهم ومعرفتهم بالنفس وتعديهم حد الاعتدال ؛ فللنفس فى هذه المواطن نهضات ووثبات تجر إلى الفساد وتجنح إلى العناد ، فالنزول إلى طباع الناس يحسن بمن صعد عنهم وترقى لعلو حاله ومقامه ، فينزل إليهم وإلى طباعهم حين ينزل بالعلم ؛ فأما من لم يصعد بصفاء حاله عنهم وفيه بقية مزح من طباعهم ونفوسهم الجامحة الأمارة بالسوء ، إذا دخلت فى هذه المداخل أخذت النفس حظها واغتنمت مآربها واستروحت إلى الرخصة ، والنزول إلى الرخصة يحسن لمن يركب العزيمة غالب أوقاته ، وليس ذلك شأن المبتدئ ؛ فللصوفية العلماء فيما ذكرناه ترويح يعلمون حاجة القلب إلى ذلك ، والشيء إذا وضع للحاجة يتقدر بقدر الحاجة ، ومعيار مقدار الحاجة فى ذلك علم غامض لا يسلم لكل أحد

قال سعيد بن العاص لابنه : اقتصد فى مزاحك فالإفراط فيه يذهب بالبهاء ويجرئ عليك السفهاء وتركه يغيظ المؤانسين ويوحش المخالطين . قال بعضهم : المزاح مسلبة للبهاء مقطعة للإخاء ، وكما يصعب معرفة الاعتدال فى ذلك يصعب معرفه الاعتدال فى الضحك ، والضحك من خصائص الإنسان ويميزه عن جنس الحيوان ، ولا يكون الضحك إلا عن سابقة تعجب ، والتعجب يستدعى الفكر ، والفكر شرف الإنسان وخاصيته ، ومعرفة الاعتدال فيه أيضا شأن من ترسخ قدمه فى العلم ، ولهذا قيل : إياك وكثرة الضحاك فإنه يميت القلب ، وقيل : كثرة الضحك من الرعونة وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال « إن الله تعالى يبغض الضحك من غير عجب » المشاء فى غير أرب ، وذكر فرق بين المداعبة والمزاح ، فقيل : المداعبة ما لا يغضب جده ، والمزاح ما يغضب جده . وقد جعل أبو حنيفة رحمه الله القهقهة فى الصلاة من الذنب ، وحكم ببطلان الوضوء بها ، وقال : يقوم الإثم مقام خروج الخارج ؛ فالاعتدال فى المزاح والضحك لا يتأتى إلا إذا خلص وخرج من مضيق الخوف والقبض والهيبة ، فإنه يتقوم بكل مضيق من هذه المضايق بعض التقويم ، فيعتدل الحال فيه ويستقيم ؛ فالبسط والرجاء ينشئان المزاح والضحك والخوف والقبض يحكمان فيه بالعدل .

ومن أخلاق الصوفية : ترك التكلف ، وذلك أن التكلف تصنع وتعمل وتمايل على النفس لأجل الناس ، وذلك يباين حال الصوفية ، وفى بعضه خفى منازعة للأقدار ، وعدم الرضا بما قسم الجبار . ويقال : التصوف ترك التكلف ، ويقال . التكلف تخلف وهو تخلف عن شأن الصادقين . روى أنس بن مالك قال : شهدت وليمة لرسول الله ما فيها خبز ولا لحم . وروى عن جابر : أنه أتاه ناس من أصحابه فأتاهم بخبز وخل وقال : كلوا فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نعم الإدام الخل » . وعن سفيان بن سلمة قال دخلت على سلمان الفارسى فأخرج إلى خبزا وملحا وقال كل ، لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن يتكلف أحد لأحد لتكلفت لكم . والتكلف مذموم فى جميع الأشياء كالتكلف بالملبوس للناس من غير نية فيه ، والتكلف فى الكلام وزيادة التملق الذى صار دأب أهل الزمان ؛ فما يكاد يسلم من ذلك إلا آحاد وأفراد . وكم من متملق لا يعرف أنه تملق ولا يفطن له ؛ فقد يتملق الشخص إلى حد يخرجه إلى صريح النفاق وهو مباين لحال الصوفى .

أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال أخبرنا أبو الفتح الهروى ، قال أخبرنا أبو نصر الترياقى ، قال أخبرنا أبو محمد الجراحى ، قال أخبرنا أبو العباس المحبوبى ، قال أخبرنا أبو عيسى الترمذى ، قال حدثنا أحمد بن منيع قال حدثنا يزيد بن هرون عن محمد بن مطرف عن حسان بن عطية عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« الحياء والعى شعبتان من الإيمان ، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق » البذاء : الفحش ، وأراد بالبيان ههنا : كثرة الكلام والتكلف للناس بزيادة تملق وثناء عليهم وإظهار التفصح ، وذلك ليس من شأن أهل الصدق .

وحكى عن أبى وائل قال : مضيت مع صاحب لى نزور سلمان ؛ فقدم إلينا خبز شعير وملحا جريشا ؛ فقال صاحبى لو كان فى هذا الملح سعتر كان أطيب ، فخرج سلمان ورهن مطهرته وأخذ سعترا ، فلما أكلنا قال صاحبى الحمد لله الذى قنعنا بما رزقنا ؛ فقال سلمان : لو قنعت بما رزقك لم تكن مطهرتى مرهونة . وفى هذا من سلمان ترك التكلف قولا وفعلا

وفى حديث يونس النبى عليه السلام : أنه زاره إخوانه فقدم إليهم كسرا من خبز شعير وخبز لهم بقلا كان يزرعه ثم قال : لولا أن الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم .

قال بعضهم : إذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر ، وإذا استزرت فلا تبق ولا تذر .

وروى الزبير بن العوام قال : نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما « اللهم اغفر للذين يدعون لأموات أمتى ولا يتكلفون ، ألا إنى برىء من التكلف وصالحو أمتى » .

وروى أن عمر رضى الله عنه قرأ قوله تعالى ﴿ فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا ﴾ ثم قال : هذا كله قد عرفناه فما الأب ؟ قال : وبيد عمر عصاه فضرب بها الأرض ثم قال : هذا لعمر الله هو التكلف ؛ فخذوا أيها الناس ما بين لكم منه ، فما عرفتم اعملوا به ومن لم تعرفوا فكلوا علمه إلى الله .

ومن أخلاق الصوفية : الإنفاق من غير إقتار ، وترك الادخار ؛ وذلك أن الصوفى يرى خزائن فضل الحق ، فهو بمثابة من هو مقيم على شاطىء بحر ، والمقيم على شاطىء البحر لا يدخر الماء فى قربته وراويته : روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما من يوم إلا له ملكان يناديان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا » وروى أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد وروى أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث طوائر ، فأطعم خادمه طيرا ، فلما كان الغد أتاه به فقال رسول الله « ألم أنهك أن تخبأ شيئا لغد ، فإن الله تعالى يأتى برزق كل غد » . وروى أبو هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على بلال وعنده صبرة من تمر ، فقال « ما هذا يا بلال ؟ » فقال : أدخر يا رسول الله قال « أما تخشى ، أنفق بلالا ولا تخش من ذى العرش إقلالا » .

وروى أن عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم كان يأكل الشجر ، ويلبس الشعر ، ويبيت حيث أمسى ، ولم يكن له ولد يموت ، ولا بيت يخرب ، ولا يخبأ شيئا لغد .

فالصوفى كل خباياه فى خزائن الله لصدق توكله وثقته بربه ، فالدنيا للصوفى كدار الغربة ليس له فيها ادخار ولا له منها استكثار . قال عليه السلام « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا »

أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب قال أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبى عبد الله المالينى ، قال أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن الداودى ، قال أخبرنا أبو محمد عبد الله السرخسى ، قال أخبرنا أبو عمران السمرقندى ، قال أخبرنا عبد الله ابن عبد الرحمن الدارمى ، قال أخبرنا محمد بن يوسف عن سفيان عن ابن المنكدر عن جابر قال ما سئل النبى صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا . قال ابن عيينة إذا لم يكن عنده وعد .

وبالإسناد عن الدارمى قال أخبرنا يعقوب بن حميد ، قال أخبرنا عبد العزيز بن محمد عن ابن أخى الزهرى ، قال إن جبريل عليه السلام قال ما فى الأرض أهل عشيرة من أبيات إلا قلبتهم ، فما وجدت أحداً أشد إنفاقا لهذا المال من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن أخلاق الصوفية القناعة باليسير من الدنيا قال ذو النون المصرى من قنع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرابه . وقال بشر بن الحارث لو لم يكن فى القناعة إلا التمتع بالعز لكفى صاحبه . وقال بنان الحمال

الحر عبد ما طمع * والعبد حر ما قنع

وقال بعضهم : انتقم من حرصك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص .

وقال أبو بكر المراغى : العاقل من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسويف ، ودبر أمر الآخرة بالحرص والتعجيل .

وقال يحيى بن معاذ : من قنع بالرزق فقد ذهب بالآخرة وطاب عيشه .

وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه : القناعة سيف لاينبو .

أخبرنا أبو زرعة عن أبيه أبى الفضل قال أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن الحسن الخلال ببغداد قال أخبرنا أبو حفص عمر بن إبراهيم ، قال حدثنا أبو القاسم البغوى ، قال حدثنا محمد بن عباد قال حدثنا أبو سعيد عن صدقة بن الربيع عن عمارة بن عزبة عم عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبيه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الأعواد يقول « ما قل وكفى خير مما كثر وألهى » وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافا ثم صبر عليه » .

وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا وقال « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا » .

وروى جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « القناعة مال لاينفد » .

وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قال : كونوا أوعية الكتاب وينابيع الحكمة ، وعدوا أنفسكم فى الموتى ، واسألوا الله تعالى الرزق يوما بيوم ، ولا يضركم أن لايكثر لكم .

وأخبرنا أبو زرعة طاهر عن أبى الفضل والده ، قال أخبرنا أبو القاسم إسمعيل بن عبدالله الشاوى قال أخبرنا أحمد بن على الحافظ ، قال أخبرنا أبو عمرو بن حمدان ، قال حدثنا الحسن بن سفيان ، قال حدثنا عمرو بن مالك البصرى ، قال حدثنا مروان بن معاوية ، قال حدثنا عبد الرحمن بن أبى سلمة الأنصارى ، قال أخبرنى سلمة بن عبدالله ابن محصن عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا » وقيل فى تفسير قوله تعالى ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ هى القناعة .

فالصوفى قوام على نفسه بالقسط ، عالم بطبائع النفس وجدوى القناعة والتوصل إلى استخراج ذلك من النفس لعلمه بدائها ودوائها .

وقال أبو سليمان الدارانى : القناعة من الرضا كما أن الورع من الزهد .

ومن أخلاق الصوفية : ترك المراء والمجادلة والغضب إلا بحق واعتماد الرفق والحلم ؛ وذلك أن النفوس تثب وتظهر فى المارين . والصوفى كلما رأى نفس صاحبه ظاهرة قابلها بالقلب ، وإذا قوبلت النفس بالقلب ذهبت الوحشة وانطفأت الفتنة . قال الله تعالى تعليما لعباده ﴿ ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ﴾ ولا ينزع المراء إلا من نفوس زكية انتزع منها الغل ، ووجود الغل فى النفوس مراء الباطن ، وإذا انتزع المراء من الباطن ذهب من الظاهر أيضا ؛ وقد يكون الغل فى النفس مع من يشاكله ويماثله لوجود المنافسة ، ومن استقصى فى تذويب النفس بنار الزهادة فى الدنيا ينمحى الغل من باطنه ، ولا تبقى عنده منافسة دنيوية فى حظوظ عاجلة من جاه ومال : قال الله تعالى فى وصف أهل الجنة المتقين ﴿ ونزعنا ما فى صدورهم من غل ﴾ قال أبو حفص : كيف يبقى الغل فى قلوب ائتلفت بالله واتفقت على محبته واجتمعت على مودته وأنست بذكره ؛ فإن تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبائع ، بل كحلت بنور التوفيق فصارت إخوانا ، فهكذا قلوب أهل التصوف والمجتمعين على الكلمة الواحدة ، ومن التزم بشروط الطريق والانكباب على الظفر بالتحقيق .

والناس رجلان : رجل طالب ماعندالله تعالى ويدعو إلى ماعندالله نفسه وغيره ؛ فما للمحق الصوفى مع هذا منافسة ومراء وغل ، فإن هذا معه فى طريق واحد ووجهة واحدة ، وأخوه ومعينه ، والمؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا . ورجل مفتتن بشىء من محبة الجاه والمال والرياسة ونظر الخلق ، فما للصوفى مع هذا منافسة لأنه زهد فيما فيه رغب ، فمن شأن الصوفى أن ينظر إلى مثل هذا نظر رحمة وشفقة حيث يراه محجوبا مفتتنا فلا ينطوى له على غل ولا يماريه

فى الظاهر على شىء ، لعلمه بظهور نفسه الأمارة بالسوء فى المراء والمجادلة

أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال أخبرنا أبو الفتح الهروى ، قال أخبرنا أبو نصر الترياقى ، قال أخبرنا أبو محمد الجراحى ، قال أخبرنا أبو العباس المحبوبى ، قال أخبرنا أبو عيسى الترمذى ، قال حدثنا زياد بن أيوب ، قال حدثنا المحاربى عن ليث عن عبد الملك عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا تمار أخاك ولا تعده موعدا فتخلفه » .

وفى الخبر « من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة ، ومن ترك المراء وهو محق بنى له فى وسطها ، ومن حسن خلقه بنى له فى أعلاها » .

وأخبرنا شيخنا شيخ الإسلام أبو النجيب ، قال أخبرنا أبو عبد الرحمن السهروردى محمد بن أبى عبدالله المالينى ، قال أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن الداودى ، قال أخبرنا أبو محمد عبدالله بن أحمد الحموى ، قال أخبرنا أبو عمران عيسى السمرقندى ، قال أخبرنا أبو محمد عبدالله بن عبد الرحمن الدارمى ، قال حدثنا يحيى بن بسطام عن يحيى بن حمزة قال : حدثنا النعمان بن مكحول عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من طلب العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء أو يريد أن يقبل بوجوه الناس إليه ، أدخله الله تعالى جهنم » انظر كيف جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم المماراة مع السفهاء سببا لدخول النار ، وذلك بظهور نفوسهم فى طلب القهر والغلبة ، والقهر والغلبة من صفات الشيطنة فى الآدمى .

قال بعضهم : المجادل المارى يضع فى نفسه عند الخوض فى الجدال أن لا يقنع بشىء ، ومن لا يقنع إلا أن لا يقنع فالى إقناعه سبيل ، فنفس الصوفى تبدلت صفاتها وذهب عنه صفة الشيطنة والسبعية ، وتبدل باللين والرفق والسهولة والطمأنينة .

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « والذى نفسى بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه » انظر كيف جعل النبى صلى الله عليه وسلم من شرط الإسلام سلامة القلب واللسان .

وروى عنه عليه السلام أنه مر بقوم وهم يحدون حجرا . قال : « ماهذا . ؟ » قالوا : هذا حجر الأشداء . قال : « ألا أخبركم بأشد من هذا ؟ رجل كان بينه وبين أخيه غضب فأتاه فغلب شيطانه وشيطان أخيه فكلمه » .

وروى أنه جاء غلام لأبى ذر وقد كسر رجل شاة فقال أبو ذر : من كسر رجل هذه الشاة ؟ فقال : أنا قال : ولم فعلت ذلك ؟ قال : عمدا فعلت . قال : ولم قال أغيظك فتضربنى فتأثم ، فقال أبو ذر : لأغيظن من حضنك على غيظى ، فأعتقه .

وروى الأصمعى عن أعرابى قال إذا أشكل عليك أمران لا تدرى أيهما أرشد فخالف أقربهما إلى هواك ، فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى

أخبرنا أبو زرعة عن أبيه أبى الفضل قال أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن على قال أخبرنا خورشيد ، قال حدثنا إبراهيم بن عبدالله قال حدثنا أحمد بن محمد بن سليم قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا سعيد بن سعد عن أخيه عن جده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ثلاث منجيات وثلاث مهلكات ، فأما المنجيات فخشية الله فى السر والعلانية ، والحكم بالحق عند الغضب والرضا ، والاقتصاد عند الفقر والغنى . وأما المهلكات فشح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه » فالحكم بالحق عند الغضب والرضا لا يصح إلا من عالم ربانى أمير على نفسه يصرفها بعقل حاضر وقلب يقظان ونظر إلى الله بحسن الاحتساب . .

نقل أنهم كانوا يتوضأون عن إيذاء المسلم ، يقول بعضهم لأن أتوضأ من كلمة خبيثة أحب إلى من أن أتوضأ من طعام طيب .

وقال عبدالله بن عباس رضى الله عنهما الحدث حدثان : حدث من فرجك ، وحدث من فيك ، فلا يحل حبوة الوقار والحلم إلا الغضب ويخرج عن حد العدل إلى العدوان بتجاوز الحد ، فبالغضب يثور دم القلب ، فإن كان الغضب

على من فوقه مما يعجز عن إنفاذ الغضب فيه ذهب الدم من ظاهر الجلد واجتمع فى القلب ويصير منه الهم والحزن والانكماد ، ولاينطوى الصوفى على مثل هذا ؛ لأنه يرى الحوادث والأعراض من الله تعالى فلاينكد ولايغتم . والصوفى صاحب الرضا صاحب الروح والراحة ، والنبى عليه السلام أخبر أن الهم والحزن فى الشك والسخط .

سئل عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن الغم والغضب ؟ قال : مخرجهما واحد واللفظ يختلف ، فمن نازع من يقوى عليه أظهره غضبا ، ومن نازع من لايقوى عليه كتمه حزنا . والحرد : غضب أيضا ولكن يستعمل إذا قصد المغضوب عليه ، وإن كان الغضب على من يشاكله ويماثله من يترددفى الانتقام منه يترددالقلب بين الانقباض والانبساط فيتولد منه الغل والحقد ولا يأوى مثل هذا إلى قلب الصوفى . قال الله تعالى ﴿ ونزعنا مافى صدورهم من غل ﴾ وسلامة قلب الصوفى وحاله يقذف زبد الغل والحقد كما يقذف البحر الزبد ، لمافيه من تلاطم أمواج الأنس والهيبة ، وإن كان الغضب على من دونه ممن يقدر على الانتقام منه ثار دم القلب ، والقلب إذا ثار دمه يحمر ويقسو ويتصلب وتذهب عنه الرقة والبياض ، ومنه تحمر الوجنتان ، لأن الدم فى القلب ثار وطلب الاستعلاء وانتفخت منه العروق ، فظهر عكسه وأثره على الخد ، فيتعدى الحدود حينئذ بالضرب والشتم ، ولايكون هذا فى الصوفى إلا عند هتك الحرمات والغضب لله تعالى ؛ فأما فى غير ذلك فينظر الصوفى عند الغضب إلى الله تعالى ، ثم تقواه تحمله على أن يزن حركته وقوله بميزان الشرع والعدل ، ويتهم النفس بعدم الرضا بالقضاء .

قيل لبعضهم : من أقهر الناس لنفسه ؟ قال : أرضاهم بالمقدور . وقال بعضهم : أصبحت ومالى سرور إلا مواقع القضاء .

وإذا اتهم الصوفى النفس عند الغضب تداركه العلم ، وإذا لاح علم العلم قوى القلب وسكنت النفس وعاد دم القلب إلى موضعه ومقره واعتدل الحال وغاضت حمرة الخد وبانت فضيلة العلم . قال عليه السلام « السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءا من النبوة » .

وروى حارثة بن قدامة قال : قلت يارسول الله أوصنى وأقلل لعلى أعيه ، قال « فأعاد عليه ، كل ذلك يقول « لا تغضب » قال عليه السلام « إن الغضب جمرة من النار » ألم تنظروا حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه ، من وجد ذلك منكم فإن كان قائما فليجلس ، وإن كان جالسا فليضطجع » .

أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال أخبرنا أبو الفتح الهروى ، قال أخبرنا أبو نصر الترياقى قال أخبرنا الجراحى ، قال أخبرنا المحبوبى ، قال أخبرنا أبو عيسى الترمذى ، قال حدثنا محمد بن عبدالله ، قال حدثنا بشر بن المفضل عن قرة بن خالد عن أبى حمزة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأشج عبد القيس : « إن فيك خصلتين يحبهما الله تعالى : الحلم والأناة » .

ومن أخلاق الصوفية : التودد والتآلف ، والموافقة مع الإخوان وترك المخالفة . قال الله تعالى فى وصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ وقال الله تعالى ﴿ لو أنفقت مافى الأرض جميعا ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴾ والتودد والتآلف من ائتلاف الأرواح على ماورد فى الخبر الذى أوردناه « فما تعارف منها ائتلف قال الله تعالى ﴿ فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ وقال سبحانه وتعالى ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وقال عليه السلام « المؤمن آلف مألوف ، لاخير فيمن لايألف ولايؤلف » .

وقال عليه السلام « مثل المؤمنين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى ، وما التقى مؤمنان إلا استفاد أحدهما من صاحبه خيرا » وقال أبو إدريس الخولانى لمعاذ : إنى أحبك فى الله ، فقال : أبشر ثم أبشر ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لايفزعون ، ويخاف الناس وهم لايخافون ، وهم أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون » قيل : من هؤلاء يارسول الله ؟ قال « المتحابون فى الله » .

وقيل : لو تحاب الناس وتعاطوا أسباب المحبة لاستغنوا بها عن العدالة .

وقيل : العدالة خليفة المحبة تستعمل حيث لاتوجد المحبة . وقيل : طاعة المحبة أفضل من طاعة الرهبة ؛ فإن طاعة المحبة من داخل وطاعة الرهبة من خارج ؛ ولهذا المعنى كانت صحبة الصوفية مؤثرة من البعض فى البعض ، لأنهم لما تحابوا فى الله تواصوا بمحاسن الأخلاق ووقع القبول بينهم لوجود المحبة ، فانتفع لذلك المريد بالشيخ ، والأخ بالأخ ؛ ولهذا المعنى أمر الله تعالى باجتماع الناس فى كل يوم خمس مرات فى المساجد أهل كل درب وكل محلة ، وفى الجامع فى الأسبوع مرة أهل بلد ، وانضمام أهل السواد إلى البلدان فى الأعياد فى جميع السنة مرتين ، وأهل الأقطار من البلدان المتفرقة فى العمر مرة للحج : كل ذلك لحكم بالغة ، منها تأكيد الألفة والمودة بين المؤمنين . وقال عليه السلام « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

أخبرنا أبو زرعة قال أخبرنا والدى أبو الفضل قال أخبرنا أبو نصر محمد بن سلمان العدل قال أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادى ، فقال أخبرنا أبو العباس عبد الله بن يعقوب الكرمانى ، قال حدثنا يحيى الكرمانى ، قال حدثنا حماد بن زيد عن مجالد بن سعد عن الشعبى عن النعمان بن بشير قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ألا إن مثل المؤمنين فى توادهم وتحابهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالسهر والحمى »

والتآلف والتودد يؤكدان أسباب الصحبة ، والصحبة مع الأخيار مؤثرة جدا . وقد قيل : لقاء الإخوان لقاح ، ولاشك أن البواطن تتلقح ويتقوى البعض بالبعض ، بل مجرد النظر إلى أهل الصلاح يؤثر صلاحا ، والنظر فى الصور يؤثر أخلاقا مناسبة لخلق المنظور إليه ، كدوام النظر إلى المحزون يحزن ، ودوام النظر إلى المسرور يسر . وقد قيل : من لاينفعك لحظه لا ينفعك لفظه ، والجمل الشرود يصير ذلولا بمقارنة الجمل الذلول ؛ فالمقارنة لها تأثير فى الحيوان والنبات والجماد ، والماء والهواء يفسدان بمقارنة الجيف ، والزروع تنق عن أنواع العروق فى الأرض والنبات لموضع الإفساد بالمقارنة ، وإذا كانت المقارنة مؤثرة فى هذه الأشياء ؛ ففى النفوس الشريفة البشرية أكثر تأثيرا ؛ وسمى الإنسان إنسانا لأنه يأنس بما يراه من خير وشر ، والتآلف والتودد مستجلب للمزيد ، وإنما العزلة والوحدة تحمد بالنسبة إلى أراذل الناس وأهل الشر ؛ فأما أهل العلم والصفاء والوفاء والأخلاق الحميدة فيغتنم مقارنتهم ، والاستئناس بهم استئناس بالله تعالى ، كما أن محبتهم محبة لله ، والجامع رابطة الحق ومع غيرهم رابطة الطبع ؛ فالصوفى مع غير الجنس كائن بائن ، ومع الجنس كائن مغاين ، والمؤمن مرآة المؤمن ، إذا نظر إلى أخيه يستشف من وراء أقواله وأعماله وأحواله تجليات إلهية ، وتعريفات وتلويحات من الله الكريم خفية ؛ غابت عن الأغيار ، وأدركها أهل الأنوار .

ومن أخلاق الصوفية : شكر المحسن على الإحسان والدعاء له ، وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربهم وصفاء توحيدهم وقطعهم النظر إلى الأغيار ورؤيتهم النعم من المنعم الجبار ، ولكن يفعلون ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، على ما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال « ما من الناس أحد أمن علينا فى صحبته وذات يده من ابن أبى قحافة ، ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، وقال « ما نفعنى مال كمال أبى بكر » فالخلق حجبوا عن الله بالخلق فى المنع والعطاء .

فالصوفى فى الابتداء يفنى عن الخلق ، ويرى الأشياء من الله حيث طالع ناصيته التوحيد وخرق الحجاب الذى منع الخلق عن صرف التوحيد ، فلا يثبت للخلق منعا ولا عطاء ، ويحجبه الحق عن الخلق ؛ فإذا ارتقى إلى ذروة التوحيد يشكر الخلق بعد شكر الحق ، ويثبت لهم وجودا فى المنع والعطاء ، بعد أن يرى المسبب أولا ، ولذلك لسعة علمه وقوة معرفته يثبت الوسائط ، فلا يحجبه الخلق عن الحق كعامة المسلمين ، ولا يحجبه الحق عن الخلق كأرباب الإرادة والمبتدئين ؛ فيكون شكره للحق لأنه المنعم والمعطى والمسبب ، ويشكر الخلق لأنهم واسطة وسبب . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول ما يدعى إلى الجنة الحامدون الذين يحمدون الله تعالى فى السراء والضراء » وقال عليه السلام « من عطس أو نجشأ فقال الحمد لله على كل حال دفع الله تعالى بها عنه سبعين داء أهونها الجذام » .

وروى جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من عبد ينعم عليه بنعمة فيحمد الله إلا كان

الحمد أفضل منها ، فقوله عليه السلام « كان الحمد أفضل منها » يحتمل أن يرضى الحق بها شكرا ، ويحتمل أن الحمد أفضل منها نعمة فتكون نعمة الحمد أفضل من النعمة التى حمد عليها ؛ فإذا شكروا المنعم الأول يشكرون الواسطة المنعم من الناس ويدعون له .

روى أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أفطر عند قوم قال « أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار ونزلت عليكم السكينة » .

أخبرنا أبو زرعة عن أبيه قال أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد البزار ، وقال أخبرنا أبو حفص عمر بن إبراهيم ، قال حدثنا عبدالله بن محمد البغوى ، قال أخبرنا عمرو بن زرارة ، قال حدثنا عيينة بن يونس عن موسى بن عبيدة عن محمد ابن ثابت عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال لأخيه جزاك الله خيرا فقد أبلغ فى الثناء » .

ومن أخلاق الصوفية : بذل الجاه للإخوان والمسلمين كافة ، فإذا كان الرجل وافر العلم بصيراً بعيوب النفس وآفاتها وشهواتها فليتوصل إلى قضاء حوائج المسلمين ببذل الجاه والمعاونة فى إصلاح ذات البين ، وفى هذا المعنى يحتاج إلى مزيد علم ، لأنها أمور تتعلق بالخلق ومخالطتهم ومعاشرتهم ، ولا يصلح ذلك إلا لصوفى تام الحال عالم ربانى .

روى عن زيد بن أسلم أنه قال : كان نبى من الأنبياء يأخذ بركاب الملك يتألفه بذلك لقضاء حوائج الناس .

وقال عطاء : لأن يرانى الرجل سنين فيكتسب جاها يعيش فيه مؤمن ، أتم له من أن يخلص العمل لنجاة نفسه. وهذا باب غامض لا يؤمن أن يفتتن به خلق من الجهال المدعين ، ولا يصلح هذا إلا لعبد اطلع على باطنه فعلم منه أن لا رغبة له فى شىء من الجاه والمال ، ولو أن ملوك الأرض وقفوا فى خدمته ما طغى ولا استطال ، ولو دخل إلى أتون يوقد ما ظهرت نفسه بصريح الإنكار لهذا الحال ، وهذا لا يصلح إلا لآحاد من الخلق وأفراد من الصادقين ينسلخون عن إرادتهم واختيارهم ويكاشفهم الله تعالى بمراده منهم ، فيدخلون فى الأشياء بمراد الله تعالى ؛ فإذا علموا أن الحق يريد منهم المخالطة وبذل الجاه يدخلون فى ذلك بغيبة صفات النفس ، وهذا لأقوام ماتوا ثم حشروا وأحكموا مقام الفناء ثم رقوا إلى مقام البقاء ، فيكون لهم فى كل مدخل ومخرج برهان وبيان وإذن من الله تعالى ، فهم على بصيرة من ربهم ، وهذا ليس فيه ارتياب لصاحب قلب مكاشف بصريح المراد فى خفى الخطاب ؛ فيأخذ وقته أبدا من الأشياء ولم تأخذ الأشياء من وقته ، ولا يكون فى قطر من الأقطار إلا واحد متحقق بهذا الحال .

قال أبو عثمان الحيرى : لا يكمل الرجل حتى يستوى قلبه فى أربعة أشياء : المنع والعطاء والعز والذل ، ولمثل هذا الرجل يصلح بذل الجاه والدخول فيما ذكرناه .

قال سهل بن عبدالله : لا يستحق الإنسان الرياسة حتى تجتمع فيه ثلاث خصال : يصرف جهله عن الناس ويحتمل جهل الناس ، ويترك ما فى أيديهم ، ويبذل ما فى يده لهم . وهذه الرياسة ليست عين الرياسة التى زهد فيها وتعين الزهد فيها لضرورة صدقه وسلوكه ، وإنما هذه رياسة أقامها الحق لصلاح خلقه ، فهو فيها بالله يقوم بواجب حقها وشكر نعمتها لله تعالى .

الباب الحادى والثلاثون : فى ذكر الأدب ومكانه من التصوف

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » فالأدب : تهذيب الظاهر والباطن فإذا تهذب ظاهر العبد وباطنه صار صوفيا أديبا ، وإنما سميت المأدبة مأدبة لاجتماعها على أشياء ، ولا يتكامل الأدب فى العبد إلا بتكامل مكارم الأخلاق ، ومكارم الأخلاق مجموعها من تحسين الخلق ؛ فالخلق صورة الإنسان والخلق معناه ، فقال بعضهم : الخلق لا سبيل إلى تغييره كالخلق ، وقد ورد « فرغ ربكم من الخلق والخلق والرزق والأجل » وقد قال تعالى ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ والأصح أن تبديل الأخلاق ممكن مقدور عليه ، بخلاف الخلق . وقد روى

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « حسنوا أخلاقكم » وذلك أن الله تعالى خلق الإنسان وهيأه لقبول الصلاح والفساد وجعله أهلا للأدب ومكارم الأخلاق ، ووجود الأهلية فيه كوجود النار فى الزناد ووجود النخل فى النوى ؛ ثم إن الله تعالى بقدرته ألهم الإنسان ومكنه من إصلاحه بالتربية إلى أن يصير النوى نخلا ، والزناد بالعلاج حتى تخرج منه نار ، وكما جعل فى نفس الإنسان صلاحية الخير جعل فيها صلاحية الشر حال الإصلاح والإفساد ، فقال سبحانه وتعالى ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ﴾ فتسويتها صلاحيتها للشيئين جميعا ؛ ثم قال عز وجل ﴿ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ فإذا تزكت النفس تدبرت بالعقل واستقامت أحوالها الظاهرة والباطنة وتهذبت الأخلاق وتكونت الآداب فالأدب : استخراج ما فى القوة إلى الفعل ، وهذا يكون لمن ركبت السجية الصالحة فيه ، والسجية فعل الحق لا قدرة للبشر على تكوينها ، كتكون النار فى الزناد إذ هو فعل الله المحض واستخراجه بكسب الآدمى ، فهكذا الآداب منبعها السجايا الصالحة والمنح الإلهية ، ولما هيأ الله تعالى بواطن الصوفية بتكميل السجايا فيها توصلوا بحسن الممارسة والرياضة إلى استخراج ما فى النفوس وهو مركوز بخلق الله تعالى إلى الفعل ، فصاروا مؤدبين مهذبين ، والآداب تقع فى حق بعض الأشخاص من غير زيادة ممارسة ، ورياضة لقوة ما أودع الله تعالى فى غرائزهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » وفى بعض الناس من يحتاج إلى طول الممارسة لنقصان قوى أصولها فى الغريزة ، فلهذا احتاج المريدون إلى صحبة المشايخ لتكون الصحبة والتعلم عونا على استخراج ما فى الطبيعة إلى الفعل ، قال الله تعالى ﴿ قوا أنفسكم وأهليكم نارا ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما : فقهوهم وأدبوهم . وفى لفظ آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبنى ربى فأحسن تأديبى ثم أمرنى بمكارم الأخلاق فقال ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ » قال يوسف بن الحسين : بالأدب يفهم العلم ، وبالعلم يصح العمل ، وبالعمل تنال الحكمة ، وبالحكمة يقام الزهد ، وبالزهد تترك الدنيا ، وبترك الدنيا يرغب فى الآخرة ، وبالرغبة فى الآخرة تنال الرتبة عند الله تعالى .

قيل : لما ورد أبو حفص العراق جاء إليه الجنيد فرأى أصحاب أبى حفص وقوفا على رأسه يأتمرون لأمره لا يخطئ أحد منهم ، فقال : يا أبا حفص أدبت أصحابك أدب الملوك ، فقال : لا يا أبا القاسم ، ولكن حسن الأدب فى الظاهر عنوان الأدب فى الباطن .

قال أبو الحسين النورى : ليس لله فى عبده مقام ولا حال ولا معرفة تسقط معها آداب الشريعة ؛ وآداب الشريعة حلية الظاهر ، والله تعالى لا يبيح تعطيل الجوارح من التحلى بمحاسن الآداب .

قال عبد الله بن المبارك : أدب الخدمة أعز من الخدمة .

حكى عن أبى عبيد القاسم بن سلام قال : دخلت مكة فكنت ربما أقعد بحذاء الكعبة وربما كنت أستلقى وأمد رجلى ؛ فجاءتنى عائشة المكية فقالت لى : يا أبا عبيد يقال إنك من أهل العلم ، اقبل منى كلمة ، لا تجالسه إلا بأدب وإلا فيمحى اسمك من ديوان القرب ، قال أبو عبيد : وكانت من العارفات .

وقال ابن عطاء : النفس مجبولة على سوء الأدب ، والعبد مأمور بملازمة الأدب ، والنفس تجرى بطباعها فى ميدان المخالفة والعبد يردها بجهده إلى حسن المطالبة ؛ فمن أعرض عن الجهد فقد أطلق عنان النفس وغفل عن الرعاية ، ومهما أعانها فهو شريكها .

وقال الجنيد : من أعان نفسه على هواها فقد أشرك فى قتل نفسه ، لأن العبودية ملازمة الأدب ، والطغيان سوء الأدب

أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على ، قال أخبرنا أبو الفتح الهروى ، قال أخبرنا أبو النصر الترياقى ، قال أخبرنا أبو محمد الجراحى ، قال أخبرنا أبو العباس المحبوبى ، قال أخبرنا أبو عيسى الترمذى ، قال حدثنا قتيبة ، قال حدثنا يحيى بن يعلى عن ناصح عن سماك عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع » .

وروى أيضا أنه قال عليه السلام « مانحل والدولدا من نحلة أفضل من أدب حسن » . وروت عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه .

وقال أبو على الدقاق : العبد يصل بطاعته إلى الجنة ، وبأدبه فى طاعته إلى الله تعالى قال أبو القاسم القشيرى رحمه الله وكان الأستاذ أبو على لايستند إلى شىء ، فكان يوما فى مجمع ، فأردت أن أضع وسادة خلف ظهره لأنى رأيته غير مستند ، فتنحى عن الوسادة قليلا ، فتوهمت أنه توقى الوسادة لأنه لم يكن عليها خرقة أو سجادة ، فقال : لاأريد الاستناد ، فتأملت بعد ذلك فعلمت أنه لايستند إلى شىء أبدا .

وقال الجلال البصرى : التوحيد يوجب الإيمان ، فمن لاإيمان له لاتوحيد له ، والإيمان يوجب الشريعة ، فمن لاشريعة له لاإيمان له ولاتوحيد له ، والشريعة توجب الأدب فمن لاأدب له لاشريعة له ولاإيمان له ولاتوحيد له

وقال بعضهم : الزم الأدب ظاهرا وباطنا ، فما أساء أحد الأدب ظاهرا إلا عوقب ظاهرا ، وماأساء أحد الأدب باطنا إلا عوقب باطنا .

قال بعضهم ـ هو غلام الدقاق ـ نظرت إلى غلام أمرد فنظر إلى الدقاق وأنا أنظر إليه ، فقال : لتجدن غبها ولو بعد سنين ، قال : فوجدت غبها بعد عشرين سنة أن أنسيت القرآن .

وقال سرى : صليت وردى ليلة من الليالى ومددت رجلى فى المحراب ، فنوديت : ياسرى هكذا تجالس الملوك ؟ فضممت رجلى ثم قلت : وعزتك لامددت رجلى أبدا . وقال الجنيد : فبقى ستين سنة مامد رجله ليلا ولانهارا .

وقال عبد الله بن المبارك : من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن . ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة .

وسئل السرى عن مسئلة فى الصبر فجعل يتكلم فيها ، فدب على رجله عقرب فجعلت تضربه بإبرتها ، فقيل له : ألا تدفعها عن نفسك ؟ قال : أستحى من الله أن أتكلم فى حال ثم أخالف ما أعلم فيه .

وقيل : من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « زويت لى الأرض فأريت مشارقها ومغاربها » ولم يقل رأيت .

وقال أنس بن مالك : الأدب فى العمل علامة قبول العمل .

وقال ابن عطاء : الأدب الوقوف مع المستحسنات . قيل : مامعناه ؟ قال : أن تعامل الله سراً وعلنا بالأدب ، فاذا كنت كذلك كنت أديبا وإن كنت أعجميا . ثم أنشد :

إذا نطقت جاءت بكل مليحة ٭ وإن سكتت جاءت بكل مليح

وقال الجريرى منذ عشرين سنة مامددت رجلى فى الخلوة ، فإن حسن الأدب مع الله أحسن وأولى .

وقال أبو على : ترك الأدب موجب للطرد ، فمن أساء الأدب على البساط رد إلى الباب ، ومن أساء الأدب على الباب رد إلى سياسة الدواب .

الباب الثانى والثلاثون : فى آداب الحضرة الإلهية لأهل القرب

كل الآداب تتلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه عليه السلام جمع الآداب ظاهرا وباطنا ، وأخبر الله تعالى عن حسن أدبه فى الحضرة بقوله تعالى ﴿ مازاغ البصر وماطغى ﴾ وهذه غامضة من غوامض الآداب اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخبر الله تعالى عن اعتدال قلبه المقدس فى الإعراض والإقبال ، أعرض عما سوى الله وتوجه إلى الله ، وترك وراء ظهره الأرضين والدار العاجلة بحظوظها والسموات والدار الآخرة بحظوظها ، فما التفت إلى ماأعرض عنه ولا لحقه الأسف على الغائب فى إعراضه ، قال الله تعالى ﴿ لكيلا تأسوا على مافاتكم ﴾ فهذا الخطاب للعموم و ﴿ مازاغ البصر ﴾ إخبار عن حال النبى عليه السلام بوصف خاص من معنى ماخاطب به العموم .

فكان ﴿ مازاغ البصر ﴾ حاله فى طرف الإعراض وفى طرف الإقبال تلق ماورد عليه فى مقام قاب قوسين بالروح والقلب ؛ ثم فر من الله تعالى حياء منه وهيبة وإجلالا ، وطوى نفسه بفراره فى مطاوى انكساره وافتقاره ، لكيلا تنبسط النفس فتطغى ؛ فإن الطغيان عند الاستغناء وصف النفس . قال الله تعالى ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى ٥ أن رآه استغنى ﴾ والنفس عند المواهب الواردة على الروح والقلب تسترق السمع ، ومتى نالت قسطا من المنح استغنت وطغت والطغيان يظهر منه فرط البسط ، والإفراط فى البسط يسد باب المزيد وطغيان النفس لضيق وعائها عن المواهب ؛ فموسى عليه السلام صح له فى الحضرة أحد طرفى ﴿ مازاغ البصر ﴾ وما التفت إلى مافاته ﴿ وماطغى ﴾ متأسفا لحسن أدبه ، ولكن امتلأ من المنح ، واسترقت النفس السمع وتطلعت إلى القسط والحظ ؛ فلما حظيت النفس استغنت وطفح عليها ما وصل إليها ، وضاق نطاقها فتجاوز الحد من فرط البسط وقال ﴿ أرنى أنظر إليك ﴾ فمنع ولم يطلق فى فضاء المزيد ، وظهر الفرق بين الحبيب والكليم عليهما السلام ، وهذه دقيقة لأرباب القرب والأحوال السنية ، فكل قبض يوجب عقوبة لأن كل قبض سد فى وجه باب الفتوح ، والعقوبة بالقبض أوجبت الإفراط فى البسط ، ولو حصل الاعتدال فى البسط ماوجبت العقوبة بالقبض ، والاعتدال فى البسط بإيقاف النازل من المنح على الروح والقلب ، والإيقاف على الروح والقلب بما ذكرناه من حال النبى عليه السلام من تغييب النفس فى مطاوى الانكسار ، فذلك الفرار من الله إلى الله وهو غاية الأدب حظى به رسول الله عليه الصلاة والسلام فما قوبل بالقبض ، فدام مزيده وكان قاب قوسين أو أدنى ، ويشاكل الشرح الذى شرحناه قول أبى العباس بن عطاء فى قوله تعالى ﴿ مازاغ البصر وماطغى ﴾ قال لم يره بطغيان يميل ، بل رآه على شرط اعتدال القوى .

وقال سهل بن عبدالله التسترى : لم يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاهد نفسه ولا إلى مشاهدتها ، وإنما كان مشاهدا بكليته لربه : يشاهد مايظهر عليه من الصفات التى أوجبت الثبوت فى ذلك المحل ؛ وهذا الكلام لمن اعتبر موافق لما شرحناه برمز فى ذلك عن سهل بن عبد الله ، ويؤيد ذلك أيضا ماأخبرنا به شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى إجازة ، قال أخبرنا الشيخ العالم عصام الدين أبو حفص عمر بن محمد بن منصور الصفار النيسابورى ، قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازى ، قال أخبرنا الشيخ أبو عبدالرحمن السلمى ، قال : سمعت أبا نصر بن عبد الله ابن على السراج ، قال أخبرنا أبو الطيب العكى عن أبى محمد الحريرى ، قال : التسرع إلى استدراك علم الانقطاع وسيلة ، والوقوف على حد الانحسار نجاة ، واللياذ بالهرب من علم الدنو وصلة ، واستقباح ترك الجواب ذخيرة ، والاعتصام من قبول دواعى استماع الخطاب تكلف ، وخوف فوت علم ماانطوى من فصاحة الفهم فى حيز الإقبال مساءة ، والإصغاء إلى تلق ماينفصل عن معدنه بعد ، والاستسلام عند التلاقى جراءة ، والانبساط فى محل الأنس غرة ، وهذه الكلمات كلها من آداب الحضرة لأربابها . وفى قوله تعالى ﴿ مازاغ البصر وماطغى ﴾ وجه آخر ألطف مما سبق ﴿ مازاغ البصر ﴾ حيث لم يتخلف عن البصيرة ولم يتقاصر ﴿ وماطغى ﴾ لم يسبق البصر البصيرة فيتجاوز حده ويتعدى مقامه ، بل استقام البصر مع البصيرة ، والظاهر مع الباطن ، والقلب مع القالب ، والنظر مع القدم ، ففى تقدم النظر على القدم طغيان ، والمعنى بالنظر علم ، وبالقدم حال القالب ، فلم يتقدم النظر على القدم فيكون طغيانا ، ولم يتخلف القدم عن النظر فيكون تقصيرا ، فلما اعتدلت الأحوال وصار قلبه كقالبه وقالبه كقلبه ، وظاهره كباطنه وباطنه كظاهره ، وبصره كبصيرته وبصيرته كبصره ، فحيث انتهى نظره وعلمه قارنه قدمه وحاله ، ولهذا المعنى انعكس حكم معناه ونوره على ظاهره ، وأتى البراق ينتهى خطوه حيث ينتهى نظره ، لايتخلف قدم البراق عن موضع نظره كما جاء فى حديث المعراج ، فكان البراق بقالبه مشاكلا لمعناه ، ومتصفا بصفته لقوة حاله ومعناه ، وأشار فى حديث المعراج إلى مقامات الأنبياء ورأى فى كل سماء بعض الأنبياء إشارة إلى تعويقهم وتخلفهم عن شأوه ودرجته ، ورأى موسى فى بعض السموات فمن هو فى بعض السموات يكون قوله ﴿ أرنى أنظر إليك ﴾ تجاوزاً للنظر عن حد القدم وتخلفا للقدم عن النظر ، وهذا هو الإخلال بأحد الوصفين من قوله ﴿ مازاغ البصر وماطغى ﴾ فرسول الله حمل مقترنا قدمه

ونظره فى حجال الحياء والتواضع ، ناظرا إلى قدمه ، قادما على نظره ، ولو خرج عن حجال الحياء والتواضع وتطاول بالنظر متعديا حدّ القدم تعوق فى بعض السموات كتعوق غيره من الأنبياء ، فلم يزل صلى الله عليه وسلم متجلس حجاله فى خفارة أدب حاله ، حتى خرق حجب السموات ، فانصبت إليه أقسام القرب انصبابا ، وانقشعت عنه سحائب الحجب حجابا حجابا ، حتى استقام على صراط ﴿ مازاغ البصر وماطغى ﴾ فر كالبرق الخاطف إلى مخدع الوصل واللطائف ، وهذا غاية فى الأدب ونهاية فى الأرب .

قال أبو محمد بن رويم حين سئل عن أدب المسافر فقال : لايجاوز همه قدمه ، فحيث وقف قلبه يكون مقره .

أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب إجازة قال أخبرنا عمر بن أحمد ، قال أخبرنا أبو بكر بن خلف قال أخبرنا أبو عبدالرحمن السلمى ، قال حدثنا القاضى أبو محمد يحيى بن منصور ، قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن على الترمذى قال حدثنا محمد بن رزام الأيلى ، قالو حدثنا محمد بن عطاء الهجيمى ، قال حدثنا محمد بن نصير عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس قال « تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ﴿ رب أرنى أنظر إليك ﴾ قال : قال ياموسى إنه لايرانى حى إلا مات ، ولايابس إلا تدهده ، ولارطب إلا تفرق ، إنما يرانى أهل الجنة الذين لاتموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم » .

ومن آداب الحضرة ماقال الشبلى : الانبساط بالقول مع الحق ترك الأدب ، وهذا يختص ببعض الأحوال والأشياء دون البعض ، ليس هو على الإطلاق ، لأن الله تعالى أمر بالدعاء ، وإنما الإمساك عن القول كما أمسك موسى عن الانبساط فى طلب المآرب والحاجات الدنيوية ، حتى رفعه الحق مقاما فى القرب وأذن له فى الانبساط وقال : اطلب منى ولو ملحا لعجينك ، فلما بسط انبسط وقال ﴿ رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير ﴾ لأنه كان يسأل حوائج الآخرة ويستعظم الحضرة أن يسأل حوائج الدنيا لحقارتها وهو فى حجاب الحشمة عن سؤال المحقرات ، ولهذا مثال فى الشاهد ، فإن الملك المعظم يسأل المعظمات ويحتشم فى طلب المحقرات ، فلما رفع بساط حجاب الحشمة صار فى مقام خاص من القرب يسأل الحقير كما يسأل الخطير .

قال ذو النون المصرى : ادب العارف فوق كل أدب ، لأن معروفه مؤدب قلبه

وقال بعضهم : يقول الحق سبحانه وتعالى : من ألزمته القيام مع أسمائى وصفاتى ألزمته الأدب ، ومن كشف له عن حقيقة ذاتى ألزمته العطب . فاختر أيهما شئت : الأدب أو العطب . وقول القائل هذا : يشير إلى أن الأسماء والصفات تستقل بوجوب محتاج إلى الأدب لبقاء رسوم البشرية وحظوظ النفس ومع لمعان نور عظمة الذات تتلاشى الآثار بالأنوار . ويكون معنى العطب : التحقق بالفناء ، وفى ذلك العطب نهاية الأرب .

وقال أبو على الدقاق فى قوله تعالى ﴿ وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾ لم يقل ارحمنى لأنه حفظ أدب الخطاب . وقال عيسى عليه السلام ﴿ إن كنت قلته فقد علمته ﴾ ولم يقل : لم أقل ، رعاية لأدب الحضرة

وقال أبو نصر السراج : أدب أهل الخصوصية من أهل الدين فى طهارة القلوب ، ومراعاة الأسرار ، والوفاء بالعهود ، وحفظ الوقت ، وقلة الالتفات إلى الخواطر والعوارض والبوادى والعوائق ، واستواء السر والعلانية ، وحسن الأدب فى مواقف الطلب ومقامات القرب وأوقات الحضور . والأدب أدبان : أدب قول ، وأدب فعل ؛ فمن تقرب إلى الله تعالى بأدب فعل منحه محبة القلوب .

قال ابن المبارك : نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم . وقال أيضا : الأدب للعارف بمنزلة التوبة للمستأنف .

وقال النورى : من لم يتأدب للوقت فوقته مقت .

وقال ذو النون : إذا خرج المريد عن حد استعمال الأدب فإنه يرجع من حيث جاء .

وقال ابن المبارك أيضا : قد أكثر الناس فى الأدب ونحن نقول : هو معرفة النفس . وهذه إشارة منه إلى أن

النفس هى منبع الجهالات ، وترك الآداب من مخامرة الجهل ؛ فإذا عرف النفس صادف نور العرفان ، على ماورد « من عرف نفسه فقد عرف ربه » ولهذا النور لا تظهر النفس بجهالة إلا ويقمعها بصريح العلم وحينئذ يتأدب ، ومن قام بآداب الحضرة فهو بغيرها أقوم وعليها أقدر .

الباب الثالث والثلاثون : فى آداب الطهارة ومقدماتها

قال الله تعالى فى وصف أصحاب الصفة ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾ قيل فى التفسير: يحبون أن يتطهروا من الأحداث والجنابات والنجاسات بالماء . قال الكلبي : هو غسل الأدبار بالماء . وقال عطاء : كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قباء لما نزلت هذه الآية « إن الله تعالى قد أثنى عليكم فى الطهور فما هو ؟ » قالوا : إنا نستنجى بالماء ، وكان قبل ذلك قال لهم رسول الله « إذا أتى أحدكم الخلاء فليستنج بثلاثة أحجار » وهكذا كان الاستنجاء فى الابتداء حتى نزلت الآية فى أهل قباء .

قيل لسلمان : قد علمكم نبيكم كل شىء حتى الخراءة ! فقال سلمان : أجل نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول ، أو نستنجى باليمين ، أو يستنجى أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار ، أو نستنجى برجيع أو عظم .

حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب إملاء ، قال أخبرنا أبو منصور الحريمى ، قال أخبرنا أبو بكر الخطيب ، قال أخبرنا أبو عمرو الهاشمى ، قال أخبرنا أبو على اللؤلؤى ، قال أخبرنا أبو داود ، قال حدثنا عبد الله بن محمد ، قال حدثنا ابن المبارك عن ابن عجلان عن القعقاع عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال صلى الله عليه وسلم « إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم ، فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطيب بيمينه » وكان يأمر بثلاثة أحجار وينهى عن الروث والرمة ، والفرض فى الاستنجاء شيئان : إزالة الخبث وطهارة المزيل : وهو أن لا يكون رجيعا وهو الروث ، ولا مستعملا مرة أخرى ، ولا رمة وهى عظم الميتة . ووتر الاستنجاء سنة فإما ثلاثة أحجار أو خمس أو سبع ، واستعمال الماء بعد الحجر سنة ، وقد قيل فى الآية ﴿يحبون أن يتطهروا﴾ ولما سئلوا عن ذلك قالوا : كنا نتبع الماء الحجر ، والاستنجاء بالشمال سنة ، ومسح اليد بالتراب بعد الاستنجاء سنة ، وهكذا يكون فى الصحراء إذا كانت أرضا طاهرة وترابا طاهرا . وكيفية الاستنجاء أن يأخذ الحجر بيساره ويضعه على مقدم المخرج قبل ملاقاة النجاسة ويمره بالمسح ويدير الحجر فى مره حتى لا ينقل النجاسة من موضع إلى موضع ، ويفعل ذلك إلى أن ينتهى إلى مؤخر المخرج ، ويأخذ الثانى ويضعه على المؤخر كذلك ، ويمسح إلى المقدمة ، ويأخذ الثالث ويديره حول المسربة . وإن استجمر بحجر ذى ثلاث شعب جاز . وأما الاستبراء إذا انقطع البول فيمد ذكره من أصله ثلاثا إلى الحشفة بالرفق لئلا يندفق بقية البول ، ثم ينثره ثلاثا ، ويحتاط فى الاستبراء بالاستنقاء : وهو أن يتنحنح ثلاثا ؛ لأن العروق ممتدة من الحلق إلى الذكر ، وبالتنحنح تتحرك وتقذف ما فى مجرى البول ؛ فإن مشى خطوات وزاد فى التنحنح فلا بأس ، ولكن يراعى حد العلم ولا يجعل للشيطان عليه سبيلا بالوسوسة فيضيع الوقت ، ثم يمسح الذكر ثلاث مسحات أو أكثر إلى أن لا يرى الرطوبة . وشبه بعضهم الذكر بالضرع وقال ، لا يزال تظهر منه الرطوبة مادام يمد فيراعى الحد فى ذلك ، ويراعى الوتر فى ذلك أيضا ، والمسحات تكون على الأرض الطاهرة أو حجر طاهر وإن احتاج إلى أخذ الحجر لصغره فليأخذ الحجر باليمين والذكر باليسار ويمسح على الحجر ، وتكون الحركة باليسار لا باليمين لئلا يكون مستنجيا باليمين . وإذا أراد استعمال الماء انتقل إلى موضع آخر ويقنع بالحجر مالم ينتشر البول على الحشفة ، وفى ترك الاستنقاء فى الاستبراء وعيد ورد فيما رواه عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال « إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير ، أما هذا فكان لا يستبرئ أو لا يستنزه من البول ، وأما هذا فكان يمشى بالنميمة » ثم دعا بعسيب رطب فشقه اثنين ، ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا وقال « لعله يخفف عنهما مالم ييبسا » والعسيب : الجريد ، وإذا كان فى الصحراء يبعد عن العيون .

روى جابر رضى الله عنه أن النبى عليه السلام كان إذا أراد البراز انطلق حتى لا يراه أحد وروى المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر ، فأتى النبى عليه السلام حاجته فأبعد فى المذهب وروى : أن النبى عليه السلام كان يتبوأ لحاجته كما يتبوأ الرجل المنزل ، وكان يستتر بحائط أو نشز من الأرض أو كوم من الحجارة .

ويجوز أن يستتر الرجل براحلته فى الصحراء أو بذيله إذا حفظ الثوب من الرشاش . ويستحب البول فى أرض دمثة أو على تراب مهيل . قال أبو موسى : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأراد أن يبول ، فأتى دمثا فى أصل جدار فبال ثم قال « إذا أراد أحدكم أن يبول فليرتد لبوله » .

وينبغى أن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ، ولا يستقبل الشمس والقمر ، ولا يكره استقبال القبلة فى البنيان ، والأولى اجتنابه لذهاب بعض الفقهاء إلى كراهية ذلك فى البنيان أيضا ، ولا يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض ، ويتجنب مهاب الريح احترازا من الرشاش : قال رجل لبعض الصحابة من الأعراب وقد خاصمه : أحسبك تحسن الخراءة : فقال : بلى وأبيك إنى بها لحاذق . قال : فصفها لى ، فقال : أبعد البشر وأعد المدر ، وأستقبل الشيح وأستدبر الريح وأقعى إقعاء الظبى وأجفل إجفال النعام يعنى أستقبل أصول النبات من الشيح وغيره وأستدبر الريح احترازا من الرشاش . والإقعاء ههنا : أن يستوفز على صدور قدميه . والإجفال : أن يرفع عجزه .

ويقول عند الفراغ من الاستنجاء : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، وطهر قلبى من الرياء ، وحصن فرجى من الفواحش .

ويكره أن يبول الرجل فى المغتسل : روى عبد الله بن مغفل أن النبى عليه السلام ، نهى أن يبول الرجل فى مستحمه وقال « إن عامة الوسواس منه » . وقال ابن المبارك : يوسع فى البول فى المستحم إذا جرى فيه الماء وإذا كان فى البنيان يقدم رجله اليسرى لدخول الخلاء ويقول قبل الدخول : بسم الله أعوذ بالله من الخبث والخبائث .

حدثنا شيخنا شيخ الإسلام أبو النجيب السهروردى ، قال أخبرنا أبو منصور المقرى ، قال أخبرنا أبو بكر الخطيب قال أخبرنا أبو عمرو الهاشمى ، قال أخبرنا أبو على اللؤلؤى ، قال أخبرنا أبو داود ، قال حدثنا عمرو هو ابن مرزوق البصرى قال حدثنا شعبة عن قتادة عن النضر بن أنس عن زيد بن أرقم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن هذه الحشوش محتضرة فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل : أعوذ بالله من الخبث والخبائث » وأراد بالحشوش الكنف . وأصل الحش : جماعة النخل الكثيف كانوا يقضون حوائجهم إليها قبل أن تتخذ الكنف فى البيوت . وقوله « محتضرة » أى يحضرها الشياطين .

وفى الجلوس للحاجة يعتمد على الرجل اليسرى ولا يتولع بيده ، ولا يخط فى الأرض والحائط وقت قعوده ، ولا يكثر النظر إلى عورته إلا للحاجة إلى ذلك ، ولا يتكلم ، فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يخرج الرجلان يضربان الغائط كاشفين عوراتهما يتحدثان ، فإن الله تعالى يمقت على ذلك » .

ويقول عند خروجه : غفرانك ، الحمد لله الذى أذهب عنى ما يؤذينى وأبقى على ما ينفعنى . ولا يستصحب معه شيئا عليه اسم الله من ذهب وخاتم وغيره ، ولا يدخل حاسر الرأس : روت عائشة رضى الله عنها عن أبيها أبى بكر رضى الله عنه أنه قال : استحيوا من الله فإنى لأدخل الكنيف فألزق ظهرى وأغطى رأسى استحياء من ربى عز وجل .

الباب الرابع والثلاثون : فى آداب الوضوء وأسراره

إذا أراد الوضوء يبتدئ بالسواك : حدثنا شيخنا أبو النجيب قال أخبرنا أبو عبد الله الطائى ، قال أخبرنا الحافظ الفراء ، قال أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى ، قال أخبرنا أبو منصور محمد بن أحمد ، قال أخبرنا أبو جعفر محمد ابن أحمد بن عبد الجبار ، قال حدثنا حميد بن زنجويه ، قال حدثنا يعلى بن عبيد ، قال حدثنا محمد بن إسحق عن محمد

ابن إبراهيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن زيد بن خالد الجهني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا أن أشق على أمتي لأخرت العشاء إلى ثلث الليل ، وأمرتهم بالسواك عند كل مكتوبة » وروت عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب » . وعن حذيفة قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك » . والشوص : الدلك . ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء ، وكلما تغير الفم من أزم وغيره . وأصل الأزم إمساك الأسنان بعضها على بعض . وقيل للسكوت : أزم ، لأن الأسنان تنطبق وبذلك يتغير الفم . ويكره للصائم بعد الزوال . ويستحب له قبل الزوال ، وأكثر استحبابه مع غسل الجمعة ، وعند القيام من الليل ، ويندى السواك اليابس بالماء ، ويستاك عرضا وطولا ؛ فإن اقتصر فعرضا ، فإذا فرغ من السواك يغسله ويجلس للوضوء ، والأولى أن يكون مستقبل القبلة ، ويبتدئ ببسم الله الرحمن الرحيم ويقول ﴿ رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ ويقول عند غسل اليد : اللهم إني أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة . ويقول عند المضمضة : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك . ويقول عند الاستنشاق : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأوجدني رائحة الجنة وأنت عني راض .

ويقول عند الاستنثار : اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك من روائح النار وسوء الدار . ويقول عند غسل الوجه : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبيض وجهي يوم تبيض وجوه أوليائك ، ولا تسود وجهي يوم تسود وجوه أعدائك وعند غسل اليمين : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وآتني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا ، وعند غسل الشمال : اللهم إني أعوذ بك أن تؤتيني كتابي بشمالي أو من وراء ظهري ، وعند مسح الرأس : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وغشني برحمتك وأنزل علي من بركاتك وأظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظل عرشك ويقول عند مسح الأذنين : الله صل على محمد وعلى آل محمد واجعلني ممن يسمع القول فيتبع أحسنه ، اللهم أسمعني منادي الجنة مع الأبرار . ويقول في مسح العنق : اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال . ويقول عند غسل قدمه اليمنى : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وثبت قدمي على الصراط مع أقدام المؤمنين . ويقول عند اليسرى : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك أن تزل قدمي عن الصراط يوم تزل فيه أقدام المنافقين [1] وإذا فرغ من الوضوء يرفع رأسه إلى السماء ويقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي أستغفرك وأتوب إليك فاغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، واجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني صبورا شكورا ، واجعلني أذكرك كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا .

وفرائض الوضوء : النية عند غسل الوجه . وغسل الوجه ـ وحد الوجه من مبتدأ تسطيح الوجه إلى منتهى الذقن وما ظهر من اللحية وما استرسل منها ، ومن الأذن إلى الأذن عرضا ، ويدخل في الغسل البياض الذي بين الأذنين واللحية وموضع الصلع وما انحسر عنه الشعر وهم النزعتان من الرأس ، ويستحب غسلهما مع الوجه ويوصل الماء إلى شعر التحذيف وهو القدر الذي يزيله النساء من الوجه ، ويوصل الماء إلى العنفقة والشارب والحاجب والعذار ، وما عدا ذلك لا يجب ، ثم اللحية إن كانت خفيفة يجب إيصال الماء إلى البشرة ، وحد الخفيف أن ترى البشرة من تحته . وإن كانت كثيفة فلا يجب ، ويجتهد في تنقية مجتمع الكحل من مقدم اللحين الواجب الثالث . غسل اليدين إلى المرفقين ويجب إدخال المرفقين في الغسل ويستحب غسلهما إلى أنصاف العضدين ،

---

(١) ما ذكره المؤلف من الأذكار عند غسل الأعضاء في الوضوء هو خلاف الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لم يرد عن المصطفى صلى الله عليه وسلم في الوضوء الا التسمية أوله والتشهد في آخره ، فيكفينا ما كفى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه ، فتدبر والله ولي التوفيق ، اهـ

وإن طالت الأظافر حتى خرجت من رءوس الأصابع يجب غسل ماتحتها على الأصح . الواجب الرابع : مسح الرأس ، ويكفى مايطلق عليه اسم المسح ، واستيعاب الرأس بالمسح سنة : وهو أن يلصق رأس أصابع اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدم الرأس ويمدها إلى القفا ثم يردهما إلى الموضع الذى بدأ منه ، وينصف بلل الكفين مستقبلا ومستدبرا . والواجب الخامس : غسل القدمين ، ويجب إدخال الكعبين فى الغسل ، ويستحب غسلهما إلى أنصاف الساقين ويقنع غسل القدمين من الكعبين ، ويجب تخليل الأصابع الملتفة ، فيخلل بخنصر يده اليسرى من باطن القدم ويبدأ بخنصر رجله اليمنى ويختم بخنصر اليسرى ، وإن كان فى الرجل شقوق يجب إيصال الماء إلى باطنها ، وإن ترك فيها عجينا أوشحما يجب إزالة عين ذلك الشىء ، الواجب السادس : الترتيب على النسق المذكور فى كلام الله تعالى . الواجب السابع : التتابع فى القول القديم عند الشافعى رحمه الله تعالى ، وحد التفريق الذى يقطع التتابع إنشاف العضو مع اعتدال الهواء .

وسنن الوضوء ثلاثة عشر : التسمية فى أول الطهارة وغسل اليدين إلى الكوعين ، والمضمضة . والاستنشاق ، والمبالغة فيهما ، فيغرغر فى المضمضة حتى يرد الماء إلى الغلصمة ، ويستمد فى الاستنشاق الماء بالنفس إلى الخياشيم ، ويرفق فى ذلك إن كان صائما . وتخليل اللحية الكثة ، وتخليل الأصابع المنفرجة ، والبداءة بالميامن ، وإطالة الغرة ، واستيعاب الرأس بالمسح ، ومسح الأذنين ، والتثليث ، وفى القول الجديد : التتابع ، ويجتنب أن يزيد على الثلاث ، ولا ينفض اليد ، ولا يتكلم فى أثناء الوضوء ، ولا يلطم وجهه بالماء لطما ، وتجديد الوضوء مستحب بشرط أن يصلى بالوضوء ماتيسر ، وإلا فمكروه .

الباب الخامس والثلاثون : فى آداب أهل الخصوص والصوفية فى الوضوء

آداب الصوفية بعد القيام بمعرفة الأحكام ؛ أدبهم فى الوضوء حضور القلب فى غسل الأعضاء ، سمعت بعض الصالحين يقول : إذا حضر القلب فى الوضوء يحضر فى الصلاة ، وإذا دخل السهو فيه دخلت الوسوسة فى الصلاة . ومن آدابهم : استدامة الوضوء ، والوضوء سلاح المؤمن ، والجوارح إذا كانت فى حماية الوضوء الذى هو أثر شرعى يقل طروق الشيطان عليها . قال عدى بن حاتم : ماأقيمت صلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء وقال أنس بن مالك : قدم النبى عليه الصلاة والسلام المدينة وأنا يومئذ ابن ثمان سنين ، فقال لى « يابنى إن استطعت أن لاتزال على الطهارة فافعل ، فإنه من أتاه الموت وهو على الوضوء أعطى الشهادة » فشأن العاقل أن يكون أبدا مستعدا للموت ، ومن الاستعداد لزوم الطهارة . وحكى عن الحصرى أنه قال ، مهما أنتبه من الليل لايحملنى النوم إلا بعد ما أقوم وأجدد الوضوء لئلا يعود إلى النوم وأنا على غير طهارة . وسمعت من صحب الشيخ على بن الهيتمى أنه كان يقعد الليل جميعه ، فإن غلبه النوم يكون قاعدا كذلك ، وكلما انتبه يقول : لاأكون أسأت الأدب ، فيقوم ويجدد الوضوء ويصلى ركعتين . وروى أبو هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال عند صلاة الفجر « يابلال ، حدثنى بأرجى عمل عملته فى الإسلام فإنى سمعت دف نعليك بين يدى فى الجنة » . قال : ماعملت عملا فى الإسلام أرجى عندى أنى لم أتطهر طهرا فى ساعة ليل أو نهار إلا صلت لربى عز وجل بذلك الطهور ما كتب لى أن أصلى .

ومن أدبهم فى الطهارة : ترك الإسراف فى الماء والوقوف على حد العلم ، أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن على ، قال أخبرنا أبو الفتح الهروى ، قال أخبرنا أبو نصر الترياقى ، قال أخبرنا أبو محمد الجراحى ، قال أخبرنا أبو العباس المحبوبى ، قال أخبرنا أبو عيسى الترمذى ، قال حدثنا محمد بن بشار ، قال حدثنا أبو داود ، قال حدثنا خارجة بن مصعب عن يونس بن عبيد عن الحسن عن يحيى بن ضمرة السعدى عن أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوا وساوس الماء » .

قال أبو عبد الله الروذبارى : إن الشيطان يجتهد أن يأخذ نصيبه من جميع أعمال بنى آدم ، فلا يبالى أن يأخذ نصيبه بأن يزدادوا فيما أمروا به أو ينقصوا عنه .

وحكى عن ابن الكرنبي أنه أصابته جنابة ليلة من الليالي ، وكانت عليه مرقعة ثخينة غليظة ، فجاء إلى الدجلة وكان بردشديد ، فحزنت نفسه عن الدخول في الماء لشدة البرد ، فطرح نفسه في الماء مع المرقعة ثم خرج من الماء وقال : عقدت أن لا أنزعها من بدني حتى تجف علي : فمكثت عليه شهرا لثخانتها وغلظها : أدب بذلك نفسه لما حزنت عن الائتمار لأمر الله تعالى . وقيل : إن سهل بن عبدالله كان يحث أصحابه على كثرة شرب الماء وقلة صبه على الأرض ، وكان يرى أن في الإكثار من شرب الماء ضعف النفس وإماتة الشهوات وكسر القوة .

ومن أفعال الصوفية الاحتياط في استبقاء الماء للوضوء . قيل : كان إبراهيم الخواص إذا دخل البادية لايحمل معه إلا ركوة من الماء وربما كان لايشرب منها إلا القليل : يحفظ الماء للوضوء ، وقيل إنه كان يخرج من مكة إلى الكوفة ولايحتاج إلى التيمم يحفظ الماء للوضوء ويقنع بالقليل للشرب ، وقيل : إذا رأيت الصوفي ليس معه ركوة أو كوز فاعلم أنه قد عزم على ترك الصلاة شاء أم أبى .

وحكى عن بعضهم أنه أدب نفسه في الطهارة إلى حد أنه أقام بين ظهراني جماعة من النساك وهم مجتمعون في دار فما رآه أحد منهم أنه دخل الخلاء لأنه كان يقضي حاجته إذا خلا الموضع في وقت يريد تأديب نفسه .

وقيل : مات الخواص في جامع الري في وسط الماء ، وذاك أنه كان به علة البطن وكلما قام دخل الماء وغسل نفسه فدخله مرة ومات فيه ، كل ذلك لحفظه على الوضوء والطهارة ، وقيل : كان إبراهيم بن أدهم به قيام ، فقام في ليلة واحدة نيفا وسبعين مرة ، كل مرة يجدد الوضوء ويصلي ركعتين .

وقيل : إن بعضهم أدب نفسه حتى لا يخرج منه الريح إلا في وقت البراز يراعي الأدب في الخلوات .

واتخاذ المنديل بعد الوضوء كرهه قوم وقالوا : إن الوضوء يوزن ، وأجازه بعضهم ، ودليلهم ما أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبدالوهاب بن علي ، قال أخبرنا أبو الفتح الهروي ، قال أخبرنا أبو نصر ، قال أخبرنا أبو محمد ، قال أخبرنا أبو العباس ، قال أخبرنا أبو عيسى الترمذي ، قال حدثنا سفيان بن وكيع ، قال حدثنا عبد الله بن وهب عن زيد بن حباب عن أبي معاذ عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم خرقة ينشف بها أعضاءه بعد الوضوء ، وروى معاذ بن جبل قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توضأ مسح وجهه بطرف ثوبه .

واستقصاء الصوفية في تطهير البواطن من بين الصفات الرديئة والأخلاق المذمومة ، لا الاستقصاء في طهارة الظاهر إلى حد يخرج عن حد العلم ، وتوضأ عمر رضي الله عنه من حرة نصرانية مع كون النصارى لايحترزون عن الخمر ، وأجرى الأمر على الظاهر وأصل الطهارة .

وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون على الأرض من غير سجادة ، ويمشون حفاة في الطرق ، وقد كانوا لا يجعلون وقت النوم بينهم وبين التراب حائلا ، وقد كانوا يقتصرون على الحجر في الاستنجاء في بعض الأوقات ، وكان أمرهم في الطهارة الظاهرة على التساهل ، واستقصاؤهم في الطهارة الباطنة ، وهكذا شغل الصوفية ، وقد يكون في بعض الأشخاص تشدد في الطهارة ويكون مستند ذلك رعونة النفس ، فلو اتسخ ثوبه تحرج ، ولا يبالي بما في باطنه من الغل والحقد والكبر والعجب والرياء والنفاق ، ولعله ينكر على الشخص لو داس الأرض حافيا مع وجود رخصة الشرع ، ولا ينكر عليه أن يتكلم بكلمة غيبة يخرب بها دينه ، وكل ذلك من قلة العلم وترك التأدب بصحبة الصادقين من العلماء الراسخين ، وكانوا يكرهون كثرة الدلك في الاستبراء ، لأنه ربما يسترخي العرق ولا يمسك البول ويتولد منه القطر المفرد .

ومن حكايات المتصوفة في الوضوء والطهارات : أن أبا عمرو الزجاجي جاور بمكة ثلاثين سنة وكان لايتغوط في الحرم ويخرج إلى الحل ، وأقل ذلك فرسخ .

وقيل : كان بعضهم على وجهه قرح لم يندمل اثنتي عشرة سنة لأن الماء كان يضره ، وكان مع ذلك لا يدع تجديد

الوضوء عند كل فريضة .

وبعضهم نزل فى عينه الماء فحملوا إليه المداوى وبذلوا له مالا كثيرا ليداويه، فقال المداوى: يحتاج إلى ترك الوضوء أياما ويكون مستلقيا على قفاه فلم يفعل ذلك ، واختار ذهاب بصره على ترك الوضوء .

الباب السادس والثلاثون : فى فضيلة الصلاة وكبر شأنها

روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما خلق الله تعالى جنة عدن وخلق فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال لها : تكلمى فقالت ﴿ قد أفلح المؤمنين الذين هم فى صلاتهم خاشعون ﴾ ثلاثا » .

وشهد القرآن المجيد بالفلاح للمصلين ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتانى جبرائيل لدلوك الشمس حين زالت وصلى بى الظهر » .

واشتقاق الصلاة قيل من الصلى وهو النار ، والخشبة المعوجة إذا أرادوا تقويمها تعرض على النار ثم تقوم ، وفى العبد اعوجاج لوجود نفسه الإمارة بالسوء ، وسبحات وجه الله الكريم التى لو كشف حجابها لاحرقت من أدركته: يصيب بها المصلى من وهج السطوة الإلهية والعظمة الربانية مايزول به اعوجاجه ، بل يتحقق به معراجه ؛ فالمصلى كالمصطلى بالنار ، ومن اصطلى بنار الصلاة وزال بها اعوجاجه لايعرض على نار جهنم إلا تحلة القسم .

أخبرنا الشيخ العالم رضى الدين أحمد بن إسمعيل القزوينى إجازة ، قال أخبرنا أبو سعيد محمد بن أبى العباس بن محمد بن أبى العباس الخليلى ، قال أخبرنا أبو سعيد الفرخزاذى ، قال أخبرنا أبو إسحق أحمد بن محمد ، قال أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن ، قال أخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبرى ، قال حدثنا جعفر بن أحمد بن الحافظ قال أخبرنا أحمد بن نصير ، قال حدثنا آدم بن أبى اياس عن ابن سمعان عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله عز وجل : قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ، فإذا قال العبد : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال الله عز وجل : مجدنى عبدى ؛ فإذا قال : الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى : حمدنى عبدى ؛ فإذا قال الرحمن الرحيم ، قال الله تعالى : أثنى علىّ عبدى ، فإذا قال : مالك يوم الدين، قال : فوّض إلى عبدى ؛ فإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين ، قال : هذا بينى وبين عبدى ، فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال الله تعالى: هذا لعبدى ولعبدى ماسأل » .

فالصلاة صلة بين الرب والعبد وما كان صلة بينه وبين الله فحق العبد أن يكون خاشعا لصولة الربوبية على العبودية. وقد ورد أن الله تعالى إذا تجلى لشىء خضع له ؛ ومن يتحقق بالصلة فى الصلاة تلمع له طوالع التجلى فيخشع؛ والفلاح الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، وبانتفاء الخشوع ينتفى الفلاح وقال الله تعالى ﴿ وأقم الصلاة لذكرى ﴾ وإذا كانت الصلاة للذكر كيف يقع فيها النسيان . قال الله تعالى ﴿ لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون ﴾ فمن قال ولا يعلم مايقول كيف يصلى وقد نهاه الله عن ذلك ، فالسكران يقول الشىء لابحضور عقل ، والغافل يصلى لابحضور عقل ؛ فهو كالسكران . وقيل فى غرائب التفسير فى قوله تعالى ﴿فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى﴾ قيل : نعليك همك بامرأتك وغنمك ؛ فالاهتمام بغير الله تعالى سكر فى الصلاة .

وقيل : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم إلى السماء وينظرون يمينا وشمالا ؛ فلما نزلت ﴿الذين هم فى صلاتهم خاشعون﴾ جعلوا وجوههم حيث يسجدون ، وماروى بعد ذلك أحد منهم ينظر إلا إلى الأرض وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن العبد إذا قام إلى الصلاة فإنه بين يدى الرحمن ، فإذا التفت قال له الرب : إلى من تلتفت ؟ إلى من هو خير لك منى ؟ ابن آدم ، أقبل إلى فأنا خير لك ممن تلتفت إليه » .

وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال « لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه » .
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا صليت فصل صلاة مودع » .

فالمصلى سائر إلى الله تعالى بقلبه يودع هواه ودنياه وكل شىء سواه . والصلاة فى اللغة هى الدعاء ، فكأن المصلى يدعو الله تعالى بجميع جوارحه ، فصارت أعضاؤه كلها ألسنة يدعو بها ظاهرا وباطنا ويشارك الظاهر الباطن بالتضرع والتقلب والهيئات فى تملقات متضرع سائل محتاج ، فإذا دعا بكليته أجابه مولاه لأنه وعد فقال ﴿ادعونى أستجب لكم﴾ وكان خالد الربعى يقول : عجبت لهذه الآية ﴿ادعونى أستجب لكم﴾ أمرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابة ليس بينهما شرط ، والاستجابة والإجابة : هى نفوذ دعاء العبد ؛ فإن الداعى الصادق العالم بمن يدعوه بنور يقينه ، فتخرق الحجب وتقف الدعوة بين يدى الله تعالى متقاضية للحاجة . وخص الله تعالى هذه الأمة بإنزال فاتحة الكتاب وفيها تقديم الثناء على الدعاء : ليكون أسرع إلى الإجابة ، وهى تعليم الله تعالى عباده كيفية الدعاء . وفاتحة الكتاب هى السبع المثانى والقرآن العظيم . قيل : سميت مثانى لأنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين : مرة بمكة ومرة بالمدينة ، وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكل مرة نزلت منها فهم آخر ، بل كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكل مرة يقرؤها على الترداد مع طول الزمان فهم آخر ، وهكذا المصلون المحققون من أمته ينكشف لهم عجائب أسرارها ، وتقذف لهم كل مرة درر بحارها . وقيل : سميت مثانى لأنها استثنيت من الرسل وهى سبع آيات .

وروت أم رومان قالت : رآنى أبو بكر وأنا أتميل فى الصلاة ، فزجرنى زجرا كدت أن أنصرف عن صلاتى ، ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فليسكن أطرافه لا يتميل تميل اليهود ، فإن سكون الأطراف من تمام الصلاة » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعوذوا بالله من خشوع النفاق » قيل : وما خشوع النفاق ؟ قال « خشوع البدن ونفاق القلب » .

أما تميل اليهود ، قيل : كان موسى يعامل بنى إسرائيل على ظاهر الأمور لقلة ما فى باطنهم . فكان يهيئ الأمور ويعظمها ، ولهذا المعنى أوحى الله تعالى إليه أن يحلى التوراة بالذهب ، ووقع لى والله أعلم أن موسى كان يرد عليه الوارد فى صلاته ومحال مناجاته فيموج به باطنه كبحر ساكن تهب عليه الريح فتتلاطم الأمواج ، فكان تمايل موسى عليه السلام تلاطم أمواج بحر القلب إذا هب عليه نسمات الفضل ، وربما كانت الروح تتطلع إلى الحضرة الإلهية ، فتهم بالاستعلاء ، وللقلب بها تشبك وامتزاج ، فيضطرب القالب ويتمايل ، فرأى اليهود ظاهره فتمايلوا من غير حظ لبواطنهم من ذلك ؛ ولهذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكارا على أهل الوسوسة « هكذا خرجت عظمة الله من قلوب بنى إسرائيل حتى شهدت أبدانهم وغابت قلوبهم ، لا يقبل الله صلاة امرئ لا يشهد فيها قلبه كما يشهد بدنه ، وإن الرجل على صلاته دائم ولا يكتب عشرها إذا كان قلبه ساهيا لاهيا » .

واعلم أن الله تعالى أوجب الصلوات الخمس ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلاة عماد الدين ، فمن ترك الصلاة فقد كفر » فبالصلاة تحقيق العبودية وأداء حق الربوبية ، وسائر العبادات وسائل إلى تحقيق سر الصلاة .

قال سهل بن عبد الله : يحتاج العبد إلى السنن الرواتب لتكميل الفرائض ، ويحتاج إلى النوافل لتكميل السنن ، ويحتاج إلى الآداب لتكميل النوافل .

ومن الأدب : ترك الدنيا ، والذى ذكره سهل هو معنى ما قال عمر على المنبر : إن الرجل ليشيب عارضاه فى الإسلام وما أكمل لله صلاة ، قيل : وكيف ذاك ؟ قال : لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله فيها . وقد ورد فى الأخبار إن العبد إذا قام إلى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه الكريم ، وقامت الملائكة من لدن منكبيه إلى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه ، وإن المصلى لينشر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه ، ويناديه مناد : لو علم المصلى من يناجى ما التفت ، أو ما انفتل .

وقد جمع الله تعالى للمصلين فى كل ركعة مافرق على أهل السموات ، فلله ملائكة فى الركوع منذ خلقهم الله لايرفعون من الركوع إلى يوم القيامة ، وهكذا فى السجود والقيام والقعود ، والعبد المتيقظ يتصف فى ركوعه بصفة الراكعين منهم ، وفى السجود بصفة الساجدين ، وفى كل هيئة هكذا يكون كالواحد منهم وبينهم . وفى غير الفريضة ينبغى للمصلى أن يمكث فى ركوعه متلذذا بالركوع غير مهتم بالرفع منه ، فإن طرقته سآمة بحكم الجبلة استغفر منها ، ويستديم تلك الهيئة ويتطلع أن يذوق الخشوع اللائق بهذه الهيئة ليصير قلبه بلون الهيئة ، وربما يتراءى للراكع المحق أنه إن سبق همه فى حال الركوع أو السجود إلى الرفع منه ماوفى الهيئة حقها ، فيكون همه الهيئة مستغرقا فيها مشغولا بها عن غيرها من الهيآت ، فبذلك يتوفر حظه من بركة كل هيئة ، فإن السرعة التى يتقاضى بها الطبع تسد باب الفتوح ، ويقف فى مهاب النفحات الإلهية حتى يتكامل حظ العبد ، فتنمى آثاره بحسن الاسترسال ويستقر فى مقعد الوصال .

وقيل : فى الصلاة أربع هيآت وستة أذكار ؛ فالهيئات الأربع : القيام والقعود والركوع والسجود . والأذكار الستة : التلاوة ، والتسبيح ، والحمد ، والاستغفار ، والدعاء ، والصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام . فصارت عشرة كاملة تفرق هذه العشرة على عشرة صفوف من الملائكة : كل صف عشرة آلاف ؛ فيجتمع فى الركعتين مايفرق على مائة ألف من الملائكة

الباب السابع والثلاثون : فى وصف صلاة أهل القرب

ونذكر فى هذا الوصف كيفية الصلاة بهيآتها وشروطها وآدابها الظاهرة والباطنة على الكمال بأقصى ماانتهى إليه فهمنا وعلمنا على الوجه ، مع الإعراض عن نقل الأقوال فى كل شىء من ذلك ، إذ فى ذلك كثرة ويخرج عن حد الاختصار والإيجاز المقصود ، فنقول وبالله التوفيق :

ينبغى للعبد أن يستعد للصلاة قبل دخول وقتها بالوضوء ولا يوقع الوضوء فى وقت الصلاة ؛ فذلك من المحافظة عليها . ويحتاج فى معرفة الوقت إلى معرفة الزوال وتفاوت الأقدام لطول النهار وقصره ، ويعتبر الزوال بأن الظل مادام فى الانتقاص فهو النصف الأول من النهار ؛ فإذا أخذ الظل فى الازدياد فهو النصف الآخر وقد زالت الشمس ، وإذا عرف الزوال وأن الشمس على كم قدم تزول ؟ يعرف أول الوقت وآخره ووقت العصر ، ويحتاج إلى معرفة المنازل ليعلم طلوع الفجر ويعلم أوقات الليل ، وشرح ذلك يطول ويحتاج أن يفرد له باب ، فإذا دخل وقت الصلاة يقدم السنة الراتبة ، ففى ذلك سر وحكمة ، وذلك والله أعلم : أن العبد تشعث باطنه وتفرق همه لما بلى به من المخالطة من الناس وقيامه بمهام المعاش ، أوسهو جرى بوقع الجبلة ، أوصرف هم إلى أكل أونوم بمقتضى العادة ، فإذا قدم السنة ينجذب باطنه إلى الصلاة ويتهيأ للمناجاة ، ويذهب بالسنة الراتبة أثر الغفلة والكدورة من الباطن فينصلح الباطن ويصير مستعدا للفريضة ، فالسنة مقدمة صالحة يستنزل بها البركات وتطرق النفحات ، ثم يجدد التوبة مع الله تعالى عند الفريضة عن كل ذنب عمله ، ومن الذنوب عامة وخاصة ، فالعامة الكبائر والصغائر مما أومأ إليه الشرع ونطق به الكتاب والسنة ، والخاصة . ذنوب حال الشخص ، فكل عبد على قدر صفاء حاله له ذنوب تلائم حاله ويعرفها صاحبها . وقيل : حسنات الأبرار سيئات المقربين ، ثم لايصلى إلا جماعة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تفضل صلاة الجماعة صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » ثم يستقبل القبلة بظاهره والحضرة الإلهية بباطنه ويقرأ ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ ويقرأ فى نفسه آية التوجه ، وهذا التوجه قبل الصلاة والاستفتاح قبل الصلاة لوجهه الظاهر بانصرافه إلى القبلة . وتخصيص جهته بالتوجه دون جهة الصلاة ، ثم يرفع يديه حذو منكبيه بحيث تكون كفاه حذو منكبيه وإبهاماه عند شحمة أذنيه ورءوس الأصابع مع الأذنين ويضم الأصابع ، وإن نشرها جاز ، والضم أولى ، فإنه قيل : النشر نشر الكف لانشر الأصابع ، ويكبر ، ولايدخل بين باء « أكبر » ورائه ألفا ، ويجزم « أكبر » ويجعل المد فى « الله » ، ولايبالغ فى

ضم الهاء من « الله » ، ولا يبتدئ بالتكبير إلا إذا استقرت اليدان حذو المنكبين ، ويرسلهما مع التكبير من غير نفض ؛ فالوقار إذا سكن القلب تشكلت به الجوارح وتأيدت بالأولى والأصوب ، ويجمع بين نية الصلاة والتكبير بحيث لا يغيب عن قلبه حالة التكبير أنه يصلى الصلاة بعينها .

وحكى عن الجنيد أنه قال : لكل شيء صفوة ، وصفوة الصلاة التكبيرة الأولى . وإنما كانت التكبيرة صفوة لأنها موضع النية وأول الصلاة .

قال أبو نصر السراج : سمعت ابن سالم يقول : النية بالله ومن الله ، والآفات التى تدخل فى صلاة العبد بعد النية من العدو ، ونصيب العدو وإن كثر لا يوازن بالنية التى هى لله بالله وإن قل .

وسئل أبو سعيد الخراز : كيف الدخول فى الصلاة ؟ فقال : هو أن تقبل على الله تعالى إقبالك عليه يوم القيامة ووقوفك بين يدى الله ليس بينك وبينه ترجمان وهو مقبل عليك وأنت تناجيه وتعلم بين يدى من أنت واقف فإنه الملك العظيم .

وقيل لبعض العارفين : كيف تكبر التكبيرة الأولى ؟ فقال : ينبغى إذا قلت الله أكبر أن يكون مصحوبك فى الله : التعظيم مع الألف ، والهيبة مع اللام ، والمراقبة والقرب مع الهاء . واعلم أن من الناس من إذا قال « الله أكبر » غاب فى مطالعة العظمة والكبرياء ، وامتلأ باطنه نورا ، وصار الكون بأسره فى فضاء شرح صدره كخردلة بأرض فلاة ، ثم تلقى الخردلة ، فما يخشى من الوسوسة وحديث النفس ! وما يتخايل فى الباطن من الكون الذى صار بمثابة الخردلة فألقيت ! فكيف تزاحم الوسوسة وحديث النفس مثل هذا العبد ؟ وقد تزاحم مطالعة العظمة والغيبوبة فى ذلك كون النية ، غير أنه لغاية لطف الحال يختص الروح بمطالعة العظمة والقلب يتميز بالنية ، فتكون النية موجودة بألطف صفاتها مندرجة فى نور العظمة اندراج الكواكب فى ضوء الشمس ، ثم يقبض بيده اليمنى يده اليسرى ويجعلهما بين السرة والصدر ، واليمنى لكرامتها تجعل فوق اليسرى ، ويمد المسبحة والوسطى على الساعد ، ويقبض بالثلاثة البواقى اليسرى من الطرفين ، وقد فسر أمير المؤمنين على رضى الله عنه قوله تعالى ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ قال : إنه وضع اليمنى على الشمال تحت الصدر ، وذلك أن تحت الصدر عرقا يقال له الناحر : أى ضع يدك على الناحر . وقال بعضهم ﴿ وانحر ﴾ أى استقبل القبلة بنحرك ، وفى ذلك سر خفى يكاشف به من وراء أستار الغيب ، وذلك أن الله تعالى بلطيف حكمته خلق الآدمى وشرفه وكرمه وجعله محل نظره ومورد وحيه ونخبة ما فى أرضه وسمائه روحانيا وجسمانيا أرضيا وسماويا ، منتصب القامة مرتفع الهيئة ، فنصفه الأعلى من حد الفؤاد مستودع أسرار السموات ، ونصفه الأسفل مستودع أسرار الأرض ، فمحل نفسه ومركزها النصف الأسفل ، ومحل روحه الروحانى والقلب النصف الأعلى ؛ لجواذب الروح مع جواذب النفس يتطاردان ويتحاربان ، وباعتبار تطاردهما وتغالبهما تكون لمة الملك ولمة الشيطان ، ووقت الصلاة يكثر التطارد لوجود التجاذب بين الإيمان والطبع ، فيكاشف المصلى الذى صار قلبه سماويا مترددا بين الفناء والبقاء لجواذب النفس متصاعدة من مركزها .

وللجوارح وتصرفها وحركتها مع معانى الباطن ارتباط وموازنة ؛ فبوضع اليمنى على الشمال حصر النفس ومنع من صعود جواذبها ، وأثر ذلك يظهر بدفع الوسوسة وزوال حديث النفس فى الصلاة ، ثم إذا استولت جواذب الروح وتملكت من الفرق إلى القدم - عند كمال الأنس وتحقق قرة العين واستيلاء سلطان المشاهدة - تصير النفس مقهورة ذليلة ، ويستنير مركزها بنور الروح ، وتنقطع حينئذ جواذب النفس ؛ وعلى قدر استنارة مركز النفس يزول كل العبادة ، ويستغنى حينئذ عن مقاومة النفس ومنع جواذبها بوضع اليمين على الشمال فيسبل حينئذ ، ولعل لذلك - والله أعلم - ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى مسبلا ، وهو مذهب مالك رحمه الله ، ثم يقرأ ﴿ وجهت وجهى ﴾ الآية ، وهذا التوجه إنقاء لوجه قلبه ، والذى قبل الصلاة لوجه قالبه ، ثم يقول : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك أنت ربى وأنا عبدك ،

ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها فإنه لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك فالخير كله بيديك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك. ويطرق رأسه في قيامه ويكون نظره إلى موضع السجود، ويكمل القيام بانتصاب القامة ونزع يسير الانطواء عن الركبتين والخواصر ومعاطف البدن، ويقف كأنه ناظر بجميع جسده إلى الأرض؛ فهذا من خشوع سائر الأجزاء، ويتكون الجسد بتكون القلب من الخشوع؛ ويراوح بين القدمين بمقدار أربع أصابع؛ فإن ضم الكعبين هو الصفد المنهي عنه، ولا يرفع إحدى الرجلين فإنه الصفن المنهي عنه: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصفن والصفد، وإذا كان الصفن منهيا عنه ففي زيادة الاعتماد على إحدى الرجلين دون الأخرى معنى من الصفن؛ فالأولى رعاية الاعتدال في الاعتماد على الرجلين جميعا ويكره اشتمال الصماء: وهو أن يخرج يده من قبل صدره. ويجتنب السدل: وهو أن يرخي أطراف الثوب إلى الأرض، ففيه معنى الخيلاء. وقيل: هو الذي يلتف بالثوب، ويجعل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك. وفي معناه ما إذا جعل يديه داخل القميص. ويجتنب الكف: وهو أن يرفع ثيابه بيديه عند السجود، ويكره الاختصار: وهو أن يجعل يده على الخاصرة ويكره الصلب: وهو وضع اليدين جميعا على الخصرين وتجافي العضدين؛ فإذا وقف في الصلاة على الهيئة التي ذكرناها مجتنبا للمكاره فقد تم القيام وكمله، فيقرأ آية التوجه والدعاء كما ذكرناه، ثم يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ويقولها في كل ركعة أمام القراءة، ويقرأ الفاتحة وما بعدها بحضور قلب وجمع هم ومواطأة بين القلب واللسان بحفظ وافر من الوصلة والدنو والهيبة والخشوع والخشية والتعظيم والوقار والمشاهدة والمناجاة، وإن قرأ بين الفاتحة وما يقرأ بعدها إذا كان إماما في السكتة الثانية «اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، ونقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد» فحسن، وإن قالها في السكتة الأولى فحسن. وروي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال ذلك. وإن كان منفردا يقولها قبل القراءة، ويعلم العبد أن تلاوته نطق اللسان ومعناها نطق القلب؛ وكل مخاطب لشخص يتكلم بلسانه، ولسانه يعبر عما في قلبه، ولو أمكن المتكلم إفهام من يكلمه من غير لسان فعل، ولكن حيث تعذر الإفهام إلا بالكلام جعل اللسان ترجمانا؛ فإذا قال باللسان من غير مواطأة القلب فما اللسان ترجمانا ولا القارئ متكلما قاصدا إسماع الله حاجته ولا مستمعا إلى الله فاهما عنه سبحانه ما يخاطبه، وما عنده غير حركة اللسان بقلب غائب عن قصد ما يقول؛ فينبغي أن يكون متكلما مناجيا، أو مستمعا راعيا؛ فأقل مراتب أهل الخصوص في الصلاة الجمع بين القلب واللسان في التلاوة ووراء ذلك أحوال للخواص يطول شرحها.

قال بعضهم: ما دخلت في صلاة قط فأهمني فيها غير ما أقول. وقيل لعامر بن عبد الله: هل تجد في الصلاة شيئا من أمور الدنيا؟ فقال: لأن تختلف عليّ الألسنة أحب إليّ من أجد في الصلاة ما تجدون.

وقيل لبعضهم: هل تحدث نفسك في الصلاة بشيء من أمور الدنيا؟ فقال: لا في الصلاة ولا في غيرها.

ومن الناس من إذا أقبل على الله في صلاته يتحقق بمعنى الإنابة لأن الله تعالى قدم الإنابة وقال: ﴿منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة﴾ فينيب إلى الله تعالى ويتقي الله تعالى بالتبري عما سواه، ويقيم الصلاة بصدر منشرح بالإسلام، وقلب منفتح بنور الإنعام؛ فتخرج الكلمة من القرآن من لسانه ويسمعها بقلبه، فتقع الكلمة في فضاء قلب ليس فيه غيرها، فيتملكها القلب بحسن الفهم ولذيذ نعمة الإصغاء، ويتشربها بحلاوة الاستماع وكمال الوعي، ويدرك لطيف معناها وشريف فحواها معاني تلطف عن تفصيل الذكر وتتشكل بخفي الفكر، ويصير الظاهر من معاني القرآن قوت النفس؛ فالنفس المطمئنة متعوضة بمعاني القرآن عن حديثها لكونها معاني ظاهرية متوجهة إلى عالم الحكمة والشهادة، تقرب مناسبتها من النفس المكونة لإقامة رسم الحكمة ومعاني القرآن الباطنة التي يكاشف بها من الملكوت قوت القلب، وتخلص الروح المقدس إلى أوائل سرادقات الجبروت بمطالعة عظمة المتكلم، وبمثل هذه المطالعة يكون

كمال الاستغراق فى لجج الأشواق ، كما نقل عن مسلم بن يسار أنه صلى ذات يوم فى مسجد البصرة ، فوقعت أسطوانة تسامع بسقوطها أهل السوق ، وهو واقف فى الصلاة لم يعلم بذلك .

ثم إذا أراد الركوع يفصل بين القراءة والركوع ، ثم يركع منطوى القامة والنصف الأسفل بحاله فى القيام من غير انطواء الركبتين ، ويجافى مرفقيه عن جنبيه ، ويمد عنقه مع ظهره ، ويضع راحتيه على ركبتيه منشورة الأصابع . روى مصعب بن سعد قال صليت إلى جنب سعد بن مالك ، فجعلت يدى بين ركبتى وبين فخذى وطبقتهما ، فضرب بيدى وقال : اضرب بكفيك على ركبتيك وقال : يابنى إنا كنا نفعل ذلك فأمرنا أن نضرب بالأكف على الركب ، ويقول « سبحان ربى العظيم » ثلاثا وهو أدنى الكمال ، والكمال أن يقول إحدى عشرة ، وما يأتى به من العدد يكون بعد التمكن من الركوع ، ومن غير أن يمزج آخر ذلك بالرفع ، ويرفع يديه للركوع والرفع من الركوع ، ويكون فى ركوعه ناظرا نحو قدميه فهو أقرب إلى الخشوع من النظر إلى موضع السجود ، وإنما ينظر إلى موضع سجوده فى قيامه ويقول بعد التسبيح « اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت ، خشع لك سمعى وبصرى وعظمى ومخى وعصبى » ويكون قلبه فى الركوع متصفا بمعنى الركوع من التواضع والإخبات ، ثم يرفع رأسه قائلا : سمع الله لمن حمده عالما بقلبه مايقول فإذا استوى قائما يحمد ويقول « ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ماشئت من شىء بعد » ثم يقول « أهل الثناء والمجد أحق ماقال العبد وكلنا لك عبد لامانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد » فإن أطال فى النافلة القيام بعد الرفع من الركوع فليقل « لربى الحمد » مكررا ذلك مهما شاء . فإما فى الفرض فلايطول تطويلا يزيد على الحد زيادة بينة ، ويقنع فى الرفع من الركوع بتمام الاعتدال بإقامة الصلب : ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « لاينظر الله إلى من لايقيم صلبه بين الركوع والسجود » .

ثم يهوى ساجدا ويكون فى هويه مكبرا مستيقظا حاضرا خاشعا عالما بما يهوى فيه وإليه وله ، فمن الساجدين من يكاشف أنه يهوى إلى تخوم الأرضين متغيبا فى أجزاء الملك لامتلاء قلبه من الحياء واستشعار روحه عظيم الكبرياء ، كما ورد أن جبرائيل عليه السلام تستر بخافية من جناحه حياء من الله تعالى ، ومن الساجدين من يكاشف أنه يطوى بسجوده بساط الكون والمكان ويسرح قلبه فى فضاء الكشف والعيان ، فتهوى دون هويه أطباق السموات وتنمحى لقوة شهوده تماثيل الكائنات ويسجد على طرف رداء العظمة وذاك أقصى ما ينتهى إليه طائر الهمة البشرية وكفى بالوصول إليه القوى الإنسانية ، وتتفاوت الأنبياء والأولياء فى مراتب العظمة واستشعار كنهها لكل منهم على قدره حظ من ذلك ، وفوق كل ذى علم عليم . ومن الساجدين من يتسع وعاؤه ، وينتشر ضياؤه ، ويحظى بالصنفين ويبسط الجناحين ، فيتواضع بقلبه إجلالا ، ويرفع بروحه إكراما وإفضالا ، فيجتمع له الأنس والهيبة ، والحضور والغيبة ، والفرار والقرار ، والإسرار والجهار ؛ فيكون فى سجوده ، سابحا فى بحر شهوده ، لم يتخلف منه عن السجود شعرة كما قال سيد البشر فى سجوده « سجد لك سوادى وخيالى » ﴿ ولله يسجد من السموات والأرض طوعا وكرها ﴾ الطوع للروح والقلب لما فيهما من الأهلية ، والكره من النفس لما فيها من الأجنبية .

ويقول فى سجوده : « سبحان ربى الأعلى » ثلاثا إلى العشر الذى هو الكمال ، ويكون فى السجود مفتوح العينين لأنهما يسجدان ، وفى الهوى يضع ركبتيه ثم يديه ثم جبهته وأنفه ، ويكون ناظرا نحو أرنبة أنفه فى السجود ، فهو أبلغ فى الخشوع للساجد ، ويباشر بكفيه المصلى ، ولا يلفهما فى الثوب ، ويكون رأسه بين كفيه ، ويداه حذو منكبيه غير متيامن ومتياسر بهما ، ويقول بعد التسبيح « اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت ، سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين » وروى أمير المؤمنين على رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى سجوده ذلك . « وإن قال سبوح قدوس رب الملائكة والروح » فحسن . روت عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى سجوده ذلك . ويجافى مرفقيه عن جنبيه

ويوجه أصابعه فى السجود نحو القبلة ويضم أصابع كفيه مع الإبهام ، ولا يفرش ذراعيه على الأرض . ثم يرفع رأسه مكبرا ، ويجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى موجها بالأصابع إلى القبلة ، ويضع اليدين على الفخذين من غير تكلف ضمهما وتفريجهما ، ويقول : « رب اغفر لى وارحمنى واهدنى واجبرنى وعافنى واعف عنى » ولا يطيل هذه الجلسة فى الفريضة ؛ أما فى النافلة فلا بأس مهما أطال ، قائلا « رب اغفر وارحم » مكررا ذلك ، ثم يسجد السجدة الثانية مكبرا ، ويكره الإقعاء فى القعود ، وهو ههنا : يضع أليتيه على عقبيه .

ثم إذا أراد النهوض إلى الركعة الثانية يجلس جلسة خفيفة للاستراحة ، ويفعل فى بقية الركعات هكذا ، ثم يتشهد . وفى الصلاة سر المعراج : وهو معراج القلوب ، والتشهد مقر الوصول بعد قطع مسافات الهيئات على تدريج طبقات السموات . والتحيات سلام على رب البريات ، فليذعن لما يقول ، ويتأدب مع من يقول ، ويدر كيف يقول ، ويسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ، ويمثله بين عينى قلبه ، ويسلم على عباد الله الصالحين ؛ فلا يبقى عبد فى السماء ولا فى الأرض من عباد الله إلا ويسلم عليه بالنسبة الروحية والخاصية الفطرية ، ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى مقبوضة الأصابع إلا المسبحة ، ويرفع المسبحة فى الشهادة فى « إلا الله » لا فى كلمة النفى . ولا يرفعها منتصبة بل مائلة برأسها إلى الفخذ منطوية ؛ فهذه هيئة خشوع المسبحة ودليل سراية خشوع القلب إليها .

ويدعو فى آخر صلاته لنفسه وللمؤمنين . وإن كان إماما ينبغى أن لا ينفرد بالدعاء ، بل يدعو لنفسه ولمن وراءه ؛ فإن الإمام المتيقظ فى الصلاة كحاجب دخل على سلطان ووراءه أصحاب الحوائج : يسأل لهم ويعرض حاجتهم ، والمؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وبهذا وصفهم الله تعالى فى كلامه بقوله سبحانه ﴿ كأنهم بنيان مرصوص ﴾ .

وفى وصف هذه الأمة فى الكتب السالفة : صفهم فى صلاتهم كصفهم فى قتالهم .

وحدثنا بذلك شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى إملاء قال أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن عيسى بن شعيب المالينى ، قال أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد المظفر الواعظ ؛ قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد السرخسى ، قال أخبرنا أبو عمران عيسى بن عمر بن العباس السمرقندى ، قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى ، قال أخبرنا مجاهد بن موسى ، قال حدثنا معن هو ابن عيسى : أنه سأل كعب الأحبار : كيف نجد نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة ؟ قال : نجده : « محمد بن عبد الله ، ويولد بمكة ويهاجر لطيبة ، ويكون ملكه بالشام ، وليس بفحاش ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يكافئ بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ، أمته الحامدون : يحمدون الله فى كل سراء ، ويكبرون الله على كل نجد ، يوضئون أطرافهم ويأتزرون فى أوساطهم ، يصفون فى صلاتهم كما يصفون فى قتالهم ، دويهم فى مساجدهم كدوى النحل ، يسمع مناديهم فى جو السماء » .

فالإمام فى الصلاة مقدمة الصف فى محاربة الشيطان ، فهو أولى المصلين بالخشوع والإتيان بوظائف الأدب ظاهرا وباطنا ، والمصلون المتيقظون كلما اجتمعت ظواهرهم تجتمع بواطنهم وتتناصر وتتعاضد ، وتسرى من البعض إلى البعض أنوار وبركات ، بل جميع المسلمين المصلين فى أقطار الأرض بينهم تعاضد وتناصر بحسب القلوب ونسب الإسلام ورابطة الإيمان ؛ بل يمدهم الله تعالى بالملائكة الكرام كما أمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملائكة المسومين ؛ لحاجاتهم إلى محاربة الشيطان أمس من حاجاتهم إلى محاربة الكفار ، ولهذا كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » فتتداركهم الأملاك ، بل بأنفاسهم الصادقة تتماسك الأفلاك .

فإذا أراد الخروج من الصلاة يسلم على يمينه ، وينوى مع التسليم الخروج من الصلاة والسلام على الملائكة والحاضرين من المؤمنين ومؤمنى الجن ، ويجعل خده مبينا لمن على يمينه بالواء عنقه ، ويفصل بين هذا السلام والسلام عن يساره ، فقد ورد النهى عن المواصلة ، والمواصلة خمس : اثنتان تخص بالإمام : هو أن لا يوصل القراءة بالتكبير ، والركوع بالقراءة . واثنتان على المأموم : وهو أن لا يوصل تكبيرة الإحرام بتكبيرة الإمام ، ولا تسليمه بتسليمه . وواحدة على الإمام والمأمومين : وهو أن لا يوصل تسليم الفرض بتسليم النفل . ويجزم التسليم ولا يمد مدا ، ثم يدعو بعد التسليم بما

يشاء من أمر دينه ودنياه ، ويدعو قبل التسليم أيضا فى صلب الصلاة فإنه يستجاب . ومن أقام الصلوات الخمس فى جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة ، وكل المقامات والأحوال زبدتها الصلوات الخمس فى جماعة ، وهى سر الدين ، وكفارة المؤمن ، وتمحيص للخطايا : على ما أخبرنا شيخنا شيخ الإسلام ضياء الدين أبو النجيب السهروردى رحمه الله إجازة ، قال أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون ، قال أخبرنا أبو محمد الحسن بن على الجوهرى إجازة ، قال أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن زكريا ، قال حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ، قال حدثنا الحسين بن الحسين المروزى ، قال أخبرنا عبد الله بن المبارك ، قال أخبرنا يحيى بن عبد الله . قال سمعت أبى يقول : سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلوات الخمس كفارات للخطايا ، واقرءوا إن شئتم ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين﴾ » .

الباب الثامن والثلاثون : فى ذكر آداب الصلاة وأسرارها

أحسن آداب المصلى : أن لا يكون مشغول القلب بشىء قل أو كثر ؛ لأن الأكياس لم يرفضوا الدنيا إلا ليقيموا الصلاة كما أمروا ؛ لأن الدنيا وأشغالها لما كانت شاغلة للقلب رفضوها غيرة على محل المناجاة ، ورغبة فى أوطان القربات ، وإذعانا بالباطن لرب البريات ؛ لأن حضور الصلاة بالظاهر إذعان الظاهر : وفراغ القلب فى الصلاة عما سوى الله تعالى إذعان الباطن ، فلم يروا حضور الظاهر وتخلف الباطن حتى لا يختل إذعانهم فتنخرم عبوديتهم ؛ فيجتنب أن يكون باطنه مرتهنا بشىء ويدخل الصلاة .

وقيل : من فقه الرجل أن يبدأ بقضاء حاجته قبل الصلاة ، ولهذا ورد « إذا حضر العشاء والعشاء فقدموا العشاء على العشاء ، ولا يصلى وهو حاقن يطالبه البول ، ولا حازق يطالبه الغائط » والحزق أيضا : ضيق الخف ، ولا يصلى أيضا وخفه ضيق يشغل قلبه ؛ فقد قيل : لا رأى لحازق ، قيل الذى يكون معه ضيق . وفى الجملة ليس من الأدب أن يصلى وعنده ما يغير مزاج باطنه عن الاعتدال كهذه الأشياء التى ذكرناها ، والاهتمام المفرط ، والغضب : وفى الخبر « لا يدخل أحدكم فى الصلاة وهو مقطب ، ولا يصلين أحدكم وهو غضبان » فلا ينبغى للعبد أن يتلبس بالصلاة إلا وهو على أتم الهيآت .

وأحسن لبسة المصلى سكون الأطراف وعدم الالتفات والإطراق ووضع اليمين على الشمال ؛ فما أحسنها من هيئة عبد ذليل واقف بين يدى ملك عزيز . وفى رخصة الشرع دون الثلاث حركات متواليات جائز ؛ وأرباب العزيمة يتركون الحركة فى الصلاة جملة : وقد حركت يدى فى السلام وعندى شخص من الصالحين ، فلما انصرفت من الصلاة أنكر على وقال : عندنا إن العبد إذا وقف فى الصلاة ينبغى أن يبقى جمادا بحتا لا يتحرك منه شىء . وقد جاء فى الخبر « سبعة أشياء فى الصلاة من الشيطان : الرعاف ، والنعاس ، والوسوسة ، والتثاؤب ، والحكاك ، والالتفات ، والعبث بالشىء من الشيطان أيضا وقيل : السهو والشك .

وقد روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال : إن الخشوع فى الصلاة : أن لا يعرف المصلى من على يمينه وشماله .

ونقل عن سفيان أنه قال : من لم يخشع فسدت صلاته . وروى عن معاذ بن جبل أشد من ذلك قال : من عرف من عن يمينه وشماله فى الصلاة متعمدا فلا صلاة له .

وقال بعض العلماء : من قرأ كلمة مكتوبة فى حائط أو بساط فى صلاته فصلاته باطلة قال بعضهم : لأن ذلك عدوه عملا .

وقيل فى تفسير قوله تعالى ﴿والذين هم على صلاتهم دائمون﴾ قيل : هو سكون الأطراف والطمأنينة .

قال بعضهم : إذا كبرت التكبيرة الأولى فاعلم أن الله ناظر إلى شخصك عالم بما فى ضميرك ، ومثل فى صلاتك الجنة عن يمينك والنار عن شمالك ، وإنما ذكرنا أن تمثل الجنة والنار لأن القلب إذا شغل بذكر الآخرة ينقطع عنه

الوسواس ، فيكون هذا التمثيل تداويا للقلب لدفع الوسوسة .

أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى إجازة ، قال أخبرنا عمر بن أحمد الصفار ، قال أخبرنا أبو بكر ابن خلف ، قال أخبرنا أبو عبد الرحمن ، قال سمعت أبا الحسين الفارسى يقول : سمعت محمد بن الحسين يقول : قال سهل : من خلا قلبه عن ذكر الآخرة تعرض لوساوس الشيطان ؛ فأما من باشر باطنه صفو اليقين ونور المعرفة فيستغنى بمشاهده عن تمثيل مشاهدة . قال أبو سعيد الخراز ؛ إذا ركع فالأدب فى ركوعه أن ينتصب ويدنو ويتدلى فى ركوعه حتى لا يبقى منه مفصل إلا وهو منتصب نحو العرش العظيم ، ثم يعظم الله تعالى حتى لا يكون فى قلبه شىء أعظم من الله ويصغر فى نفسه حتى يكون أقل من الهباء ، وإذا رفع رأسه وحمد الله يعلم أنه سبحانه وتعالى يسمع ذلك . وقال أيضا : ويكون معه من الخشية ما يكاد يذوب به .

قال السراج : إذا أخذ العبد فى التلاوة فالأدب فى ذلك أن يشاهد ويسمع قلبه كأنه يسمع من الله تعالى ، أو كأنه يقرأ على الله تعالى . وقال السراج أيضا : من أدبهم قبل الصلاة المراقبة ومراعاة القلب من الخواطر والعوارض ونفى كل شىء غير الله تعالى ؛ فإذا قاموا إلى الصلاة بحضور القلب فكأنهم قاموا من الصلاة إلى الصلاة ، فيكون مع النفس والعقل اللذين دخلوا فى الصلاة بهما ، فإذا خرجوا من الصلاة رجعوا إلى حالهم من حضور القلب ، فكأنهم أبدا فى الصلاة ؛ فهذا هو أدب الصلاة .

وقيل : كان بعضهم لا يتهيأ له حفظ العدد من كمال استغراقه ، وكان يجلس واحد من أصحابه يعدد عليه كم ركعة صلى

وقيل : للصلاة أربع شعب : حضور القالب فى المحراب ، وشهود العقل عند الملك الوهاب ، وخشوع القلب بلا ارتياب وخضوع الأركان بلا ارتقاب ، لأن عند حضور القلب رفع الحجاب ، وعند شهود العقل رفع العتاب ، وعند حضور النفس فتح الأبواب ، وعند خضوع الأركان وجود الثواب ؛ فمن أتى الصلاة بلا حضور القلب فهو مصل لاه ، ومن أتاها بلا شهود العقل فهو مصل ساه ، ومن أتاها بلا خضوع النفس فهو مصل خاطئ ، ومن أتاها بلا خشوع الأركان فهو مصل جاف ، ومن أتاها كما وصف فهو مصل واف .

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا قام العبد إلى الصلاة المكتوبة مقبلا على الله بقلبه وسمعه وبصره انصرف من صلاته وقد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وإن الله ليغفر بغسل الوجه خطيئة أصابها ، وبغسل رجليه خطيئة أصابها ، حتى يدخل فى صلاته وليس عليه وزر .

وذكرت السرقة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أى السرقة أقبح ؟ » فقالوا : الله ورسوله أعلم ؛ فقال « إن أقبح السرقة أن يسرق الرجل من صلاته » قالوا : كيف يسرق الرجل من صلاته ؟ قال « لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها ولا القراءة فيها » وروى عن أبى عمرو بن العلاء أنه قدم للإمامة فقال لا أصلح ، فلما ألحوا عليه كبر فغشى عليه فقدموا إماما آخر ، فلما أفاق سئل فقال : لما قلت استووا هتف بى هاتف : هل استويت أنت مع الله قط .

وقال عليه السلام « إن العبد إذا أحسن الوضوء وصلى الصلاة لوقتها وحافظ على ركوعها وسجودها ومواقيتها قالت : حفظك الله كما حفظتنى ثم صعدت ولها نور حتى تنتهى إلى السماء وحتى تصل إلى الله فتشفع لصاحبها ، وإذا أضاعها قالت : ضيعك الله كما ضيعتنى ثم صعدت ولها ظلمة حتى تنتهى إلى أبواب السماء فتغلق دونها ، ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها » .

وقال أبو سليمان الدارانى : إذا وقف العبد فى الصلاة يقول الله تعالى : ارفعوا الحجب فيما بينى وبين عبدى ، فإذا التفت يقول الله : ارخوها فيما بينى وبينه وخلوا عبدى وما اختار لنفسه .

وقال أبو بكر الوراق : ربما أصلى ركعتين فأنصرف منهما وأنا أستحى من الله حياء رجل انصرف من الزنا قوله هذا : لعظيم الأدب عنده ، ومعرفة كل إنسان بأدب الصلاة على قدر حظه من القرب .

وقيل لموسى بن جعفر : إن الناس أفسدوا عليك الصلاة بمرهم بين يديك ، قال : إن الذى أصلى له أقرب إلى من الذى يمشى بين يدى . وقيل : كان زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهما إذا أراد أن يخرج إلى الصلاة لايعرف من تغير لونه ، فيقال له فى ذلك فيقول : أتدرون بين يدى من أريد أن أقف ؟

وروى عمار بن ياسر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لايكتب للعبد من صلاته إلا مايعقل » . وقد ورد فى لفظ آخر « منكم من يصلى الصلاة كاملة ، ومنكم من يصلى النصف والثلث والربع والخمس حتى يبلغ العشر »

قال الخواص : ينبغى للرجل أن ينوى نوافله لنقصان فرائضه ، فإن لم ينوها لم يحسب له منها شىء ، بلغنا أن الله لايقبل نافلة حتى تؤدى فريضة ، يقول الله تعالى : مثلكم كمثل العبد السوء بدأ بالهدية قبل قضاء الدين . وقال أيضا . انقطع الخلق عن الله تعالى بخصلتين ، إحداهما : أنهم طلبوا النوافل وضيعوا الفرائض . والثانية : أنهم عملوا أعمالا بالظواهر ولم يأخذوا أنفسهم بالصدق فيها والنصح لها ، وأبى الله تعالى أن يقبل من عامل عملا إلا بالصدق وإصابة الحق ، وفتح العين فى الصلاة أولى من تغميض العين إلا أن يتشتت همه بتفريق النظر فيغمض العين للاستعانة على الخشوع ، وإن تثاءب فى الصلاة يضم شفتيه بقدر الإمكان ولايلزق ذقنه بصدره ولايزاحم فى الصلاة غيره ، قيل : ذهب المزحوم بصلاة المزاحم ، وقيل : من يترك الصف الأول مخافة أن يضيق على أهله فقام فى الثانى أعطاه الله مثل ثواب الصف الأول من غير أن ينقص من أجورهم شىء .

وقيل : إن إبراهيم الخليل عليه السلام كان إذا قام إلى الصلاة يسمع خفقان قلبه من ميل .

وروت عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمع من صدره أزيز كأزيز المرجل ، حتى كان يسمع فى بعض سكك المدينة .

وسئل الجنيد : مافريضة الصلاة ؟ قال : قطع العلائق ، وجمع الهم ، والحضور بين يدى الله وقال الحسن : ماذا يعز عليك من أمر دينك إذا هانت عليك صلاتك ؟

وقيل : أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء فقال : إذا دخلت الصلاة فهب لى من قلبك الخشوع ، ومن بدنك الخضوع ومن عينك الدموع ، فإنى قريب .

وقال أبو الخير الأقطع : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت : يارسول الله أوصنى ، فقال « ياأبا الخير عليك بالصلاة فإنى استوصيت ربى ، فأوصانى بالصلاة وقال لى : إن أقرب ماأكون منك وأنت تصلى » وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ركعتان فى تفكر خير من قيام ليلة وقيل : إن محمد بن يوسف الفرغانى رأى حاتما الأصم واقفا يعظ الناس فقال له : ياحاتم ، أراك تعظ الناس ، أفتحسن أن تصلى ؟ قال : نعم قال . كيف تصلى ؟ قال : أقوم بالأمر وأمشى بالخشية ، وأدخل بالهيبة ، وأكبر بالعظمة ، واقرأ بالترتيل ، وأركع بالخشوع ، وأسجد بالتواضع ، وأقعد للتشهد بالتمام ، وأسلم على السنة ، وأسلمها إلى ربى ، وأحفظها أيام حياتى ، وأرجع باللوم على نفسى ، وأخاف أن لاتقبل منى ، وأرجو أن تقبل منى وأنا بين الخوف والرجاء ، وأشكر من علمنى ، وأعلمها من سألنى ، وأحمد ربى إذا هدانى ، فقال محمد بن يوسف : مثلك يصلح أن يكون واعظا ، وقوله تعالى ﴿ لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾ قيل : من حب الدنيا ، وقيل : من الاهتمام ، وقال عليه السلام « من صلى ركعتين ولم يحدث نفسه بشىء من الدنيا غفر الله له ماتقدم من ذنبه » وقال أيضا « إن الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتنادم وترفع يديك وتقول : اللهم اللهم فمن لايفعل ذلك فهى خداج » أى ناقصة .

وقد ورد أن المؤمن إذا توضأ للصلاة تباعد عنه الشيطان فى أقطار الأرض خوفا منه لأنه تأهب للدخول على الملك فإذا كبر حجب عنه إبليس ، قيل : يضرب بينه وبينه سرادق لاينظر إليه ، وواجهه الجبار بوجهه ، فإذا قال « الله أكبر » اطلع الملك فى قلبه فإذا لم يكن فى قلبه أكبر من الله تعالى يقول صدقت ، الله فى قلبك كما تقول ، وتشعشع من قلبه نور يلحق بملكوت العرش ، ويكشف له بذلك النور ملكوت السموات والأرض ، ويكتب له حشو ذلك

النور حسنات ، إن الجاهل الغافل إذا قام إلى الصلاة احتوشته الشياطين كما يحتوش الذباب على نقطة العسل ؛ فإذا كبر اطلع الله على قلبه ، فإذا كان شيء في قلبه أكبر من الله تعالى عنده يقول له : كذبت ، ليس الله تعالى أكبر في قلبك كما تقول ؛ فيثور من قلبه دخان يلحق بعنان السماء ، فيكون حجابا لقلبه عن الملكوت ؛ فيزداد ذلك الحجاب صلابة ، ويلتقم الشيطان قلبه ، فلا يزال ينفخ فيه وينفث ويوسوس إليه ويزين حتى ينصرف من صلاته ولا يعقل ما كان فيه .

وفي الخبر « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء » والقلوب الصافية التي كمل أدبها لكمال أدب قوالبها تصير سماوية تدخل بالتكبير في السماء كما تدخل في الصلاة ، والله تعالى حرس السماء من تصرف الشياطين فالقلب السماوي لا سبيل للشيطان إليه ، فتبقى هواجس نفسانية عند ذلك لا تنقطع بالتحصن بالسماء كانقطاع تصرف الشيطان والقلوب المرادة بالقرب تدرج بالتقريب ، وتعرج في طبقات السموات ، وفي كل طبقة من أطباق السماء يتخلف شيء من ظلمة النفس ؛ وبقدر ذلك يقل الهاجس إلى ان يتجاوز السموات ويقف أمام العرش ؛ فعند ذلك يذهب بالكلية هاجس النفس بساطع نور العرش ، وتندرج ظلمات النفس في نور القلب اندراج الليل في النهار ، وتتأدى حينئذ حقوق الآداب على وجه الصواب .

وما ذكرنا من أدب الصلاة يسير من كثير وشأن الصلاة أكبر من وصفنا وأكمل من ذكرنا ؛ وقد غلط أقوام وظنوا أن المقصود من الصلاة ذكر الله تعالى ؛ وإذا حصل الذكر فأي حاجة إلى الصلاة ، وسلكوا طرقا من الضلال ، وركنوا إلى أباطيل الخيال ؛ ومحوا الرسوم والأحكام ، ورفضوا الحلال والحرام وقوم آخرون سلكوا في ذلك طريقا أدبهم إلى نقصان الحال ، حيث سلموا من الضلال ، لأنهم اعترفوا بالفرائض وأنكروا فضل النوافل ، واغتروا بيسير رواج الحال ، وأهملوا فضل الأعمال ، ولم يعلموا أن لله في كل هيئة من الهيئات وكل حركة من الحركات أسرارا وحكما لا توجد في شيء من الأذكار ؛ فالأحوال والأعمال روح وجسمان ، ومادام العبد في دار الدنيا إعراضه عن الأعمال عين الطغيان فالأعمال تزكو بالأحوال ، والأحوال تنمو بالأعمال .

الباب التاسع والثلاثون : في فضل الصوم وحسن أثره

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « الصبر نصف الإيمان والصوم نصف الصبر وقيل : ما في عمل ابن آدم شيء إلا ويذهب برد المظالم إلا الصوم فإنه لا يدخله قصاص ويقول الله تعالى يوم القيامة : هذا لي ، فلا ينقص أحد منه شيئا . وفي الخبر : « الصوم لي وأنا أجزي به » قيل : أضافه إلى نفسه ؛ لأن فيه خلقا من أخلاق الصمدية ، وأيضا لأنه من أعمال السر من قبيل التروك لا يطلع عليه أحد إلا الله . وقيل في تفسيره قوله تعالى ﴿ السائحون ﴾ الصائمون ، لأنهم ساحوا إلى الله تعالى بجوعهم وعطشهم ، وقيل في قوله تعالى ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ هم الصائمون ، لأن الصبر اسم من أسماء الصوم ويفرغ للصائم إفراغا ويجازف له مجازفة ، وقيل : أحد الوجوه في قوله تعالى ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ كان عملهم الصوم .

وقال يحيى بن معاذ : إذا ابتلى المرء بكثرة الأكل بكت عليه الملائكة رحمة له ومن ابتلى بحرص الأكل فقد أحرق بنار الشهوة ، وفي نفس ابن آدم ألف عضو من الشر كلها في كف الشيطان متعلق بها ، فإذا جوع بطنه وأخذ حلقه وراض نفسه يبس كل عضو واحترق بنار الجوع وفر الشيطان من ظله ، وإذا أشبع بطنه وترك حلقه في لذائذ الشهوات فقد رطب أعضاؤه وأمكن الشيطان . والشبع نهر في النفس ترده الشيطان ، والجوع نهر في الروح ترده الملائكة ، وينهزم الشيطان من جائع نائم ، فكيف إذا كان قائما ، ويعانق الشيطان شبعانا قائما فكيف إذا كان نائما ، فقلب المريد الصادق يصرخ إلى تعالى من طلب النفس الطعام والشراب .

دخل رجل إلى الطيالسي وهو يأكل خبزا يابسا قد بله بالماء مع ملح جريش ، فقال له : كيف تشتهي هذا ؟ قال :

أدعه حتى أشتهيه ، وقيل : من أسرف فى مطعمه ومشربه يعجل الصغار والذل إليه فى دنياه قبل آخرته، وقال بعضهم: الباب العظيم الذى يدخل منه إلى الله تعالى قطع الغذاء ، وقال بشر : إن الجوع يصفى الفؤاد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق ، وقال ذو النون : ما أكلت حتى شبعت ، ولا شربت حتى رويت إلا عصيت الله أو هممت بمعصية، وروى القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان يأتى علينا الشهر ونصف شهر ما تدخل بيتنا نار لا لمصباح ولا لغيره، قال : قلت سبحان الله ؛ فبأى شىء كنتم تعيشون ؟ قالت : بالتمر والماء وكان لنا جيران من الأنصار جزاهم الله خيرا كانت لهم منائح ، فربما واسونا بشىء ، وروى أن حفصة بنت عمر رضى الله عنهما قالت لأبيها : إن الله قد أوسع الرزق فلو أكلت طعاما أكثر من طعامك ولبست ثيابا ألين من ثيابك ! فقال : إنى أخاصمك إلى نفسك ؛ ألم يكن من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ؟ يقول مرارا ؛ فبكت ، فقال . قد أخبرتك والله لأشاركنه فى عيشه الشديد لعلى أصيب عيشة الرخاء .

وقال بعضهم : ما نخلت لعمر دقيقا إلا وأنا له عاص .

قالت عائشة رضى الله عنها : ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام من خبز بر حتى مضى لسبيله .

قالت عائشة رضى الله عنها: أديموا قرع باب الملكوت يفتح لكم قالوا: كيف ندیم ؟ قالت : بالجوع والعطش والظمأ .

وقيل : ظهر إبليس ليحيى بن زكريا عليهما السلام وعليه معاليق ، فقال: ما هذه؟ قال: الشهوات التى أصيب بها ابن آدم ؛ قال: هل تجد لى فيها شهوة! قال: لا ، غير أنك شبعت ليلة فثقلتك عن الصلاة والذكر ؛ فقال : لاجرم أنى لا أشبع أبدا . قال إبليس : لاجرم أنى لا أنصح أحدا أبدا .

وقال شقيق : العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلاتها الجوع .

وقال لقمان لابنه : إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة .

وقال الحسن : لا تجمعوا بين الآدمين فإنه من طعام المنافقين . وقال بعضهم : أعوذ بالله من زاهد قد أفسدت معدته ألوان الأغذية .

فيكره للمريد أن يوالى فى الأفطار أكثر من أربعة أيام فإن النفس عند ذلك تركن إلى العادة وتتسع بالشهوة .

وقيل . الدنيا بطنك فعلى قدر زهدك فى بطنك زهدك فى الدنيا .

وقال عليه السلام، ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطن، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » .

وقال فتح الموصلى . صحبت ثلاثين شيخا كل يوصينى عند مفارقتى إياه بترك عشرة الأحداث وقلة الأكل .

الباب الأربعون : فى اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والإفطار

جمع من المشايخ الصوفية كانوا يديمون الصوم فى السفر والحضر على الداوم حتى لحقوا بالله تعالى .

وكان عبد الله بن جابر قد صام نيفا وخمسين سنة لا يفطر فى السفر والحضر ، فجهد به أصحابه يوما فأفطر ، فاعتل من ذلك أياما . فإذا رأى المريد صلاح قلبه فى دوام الصوم فليصم دائما ويدع للإفطار جانبا؛ فهو عون حسن له على ما يريد .

روى أبو موسى الأشعرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، من صام الدهر ضيقت عليه جهنم هكذا وعقد تسعين ، أى لم يكن له فيها موضع .

وكره قوم صوم الدهر ، وقد ورد فى ذلك ما رواه أبو قتادة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف بمن صام الدهر ؟ قال « لا صام ولا أفطر » وأول قوم أن صوم الدهر: هو أن لا يفطر العيدين وأيام التشريق فهو الذى يكره ، وإذا أفطر هذه الأيام فليس هو الصوم الذى كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنهم من كان يصوم يوما ويفطر يوما ، وقد ورد « أفضل الصيام صوم أخى داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما » واستحسن ذلك قوم من الصالحين ليكون بين حال الصبر وحال الشكر .

ومنهم من كان يصوم يومين ويفطر يوما أو يصوم يوما ويفطر يومين .

ومنهم من كان يصوم يوم الاثنين والخميس والجمعة . وقيل : كان سهل بن عبد الله يأكل فى كل خمسة عشر يوما مرة وفى رمضان يأكل أكلة واحدة ، وكان يفطر بالماء القراح للسنة .

وحكى عن الجنيد أنه كان يصوم على الدوام ، فإذا دخل عليه إخوانه أفطر معهم ويقول : ليس فضل المساعدة مع الإخوان بأقل من فضل الصوم ، غير أن هذا الإفطار يحتاج إلى علم ، فقد يكون الداعى إلى ذلك شره النفس لا نية الموافقة ، وتخليص النية لمحض الموافقة مع وجود شره النفس صعب . وسمعت شيخنا يقول : لى سنين ما أكلت شيئا بشهوة نفس ابتداء واستدعاء ، بل يقدم إلى الشىء فأراه من فضل الله ونعمته وفعله فأوافق الحق فى فعله : وذكر أنه فى ذات يوم اشتهى الطعام ولم يحضر من عادته تقديم الطعام إليه . قال : ففتحت باب البيت الذى فيه الطعام وأخذت رمانة لآكلها . فدخلت السنور وأخذت دجاجة كانت هناك ، فقلت : هذا عقوبة لى على تصرفى فى أخذ الرمانة . ورأيت الشيخ أبا السعود رحمه الله يتناول الطعام فى اليوم مرات ، أى وقت أحضر الطعام أكل منه . ويرى أن تناوله للطعام موافقة الحق ؛ لأن حاله مع الله كان ترك الاختيار فى مأكوله وملبوسه وجميع تصاريفه ، وكان حاله الوقوف مع فعل الحق ، وقد كان له فى ذلك بداية يعز مثلها ، حتى نقل أنه كان يبقى أياما لا يأكل ولا يعلم أحد بحاله ولا يتصرف هو لنفسه ولا يتسبب إلى تناول شىء وينتظر فعل الحق لسياقه الرزق إليه ، ولم يشعر أحد بحاله مدة من الزمان . ثم إن الله تعالى أظهر حاله وأقام له الأصحاب والتلامذة ، وكانوا يتكلفون الأطعمة ويأتون بها إليه وهو يرى فى ذلك فضل الحق والموافقة ، سمعته يقول أصبح كل يوم وأحب ما إلىّ الصوم ، وينقض الحق علىّ محبتى الصوم بفعله ، فأوفق الحق فى فعله .

وحكى عن بعض الصادقين من أهل واسط أنه صام سنين كثيرة ، وكان يفطر كل يوم قبل غروب الشمس إلا فى رمضان .

وقال أبو نصر السراج : أنكر قوم هذه المخالفة وإن كان الصوم تطوعا . واستحسنه آخرون لأن صاحبه كان يريد بذلك تأديب النفس بالجوع وأن لا يتمتع برؤية الصوم ، ووقع لى أن هذا إن قصد أن لا يتمتع برؤية الصوم ، فقد تمتع برؤية عدم التمتع برؤية الصوم ، وهذا يتسلسل ، والأليق بموافقة العلم إمضاء الصوم . قال الله تعالى ﴿ ولا تبطلوا أعمالكم ﴾ ولكن أهل الصدق لهم نيات فيما يفعلون فلا يعارضون ، والصدق محمود لعينه كيف كان ، والصادق فى خفارة صدقه كيف تقلب . وقال بعضهم : إذا رأيت الصوفى يصوم صوم التطوع فاتهمه فإنه قد اجتمع معه شىء من الدنيا .

وقيل : إذا كان جماعة متوافقين أشكالا وفيهم مريد يحثونه على الصيام فإن لم يساعدوه يهتموا لإفطاره ويتكلفوا له رفقا به ولا يحملوا حاله على حالهم ، وإن كانوا جماعة مع شيخ يصومون لصومه ويفطرون لإفطاره إلا من يأمره الشيخ بغير ذلك .

وقيل : إن بعضهم صام سنين بسبب شاب كان يصحبه حتى ينظر الشاب إليه فيتأدب به ويصوم بصيامه .

وحكى عن أبى الحسن المكى أنه كان يصوم الدهر وكان مقيما بالبصرة ، وكان لا يأكل الخبز إلا ليلة الجمعة ، وكان قوته فى كل شهر أربع دوانيق يعمل بيده حبال الليف ويبيعها . وكان الشيخ أبو الحسن بن سالم يقول . لا أسلم عليه إلا أن يفطر ويأكل . وكان ابن سالم اتهمه بشهوة خفية له فى ذلك لأنه كان مشهورا بين الناس .

وقال بعضهم : ما أخلص لله عبد قط إلا أحب أن يكون فى جب لا يعرف . ومن أكل فضلا من الطعام أخرج فضلا من الكلام . وقيل : أقام أبو الحسن التنيسى بالحرم مع أصحابه سبعة أيام لم يأكلوا ، فخرج بعض أصحابه ليتطهر فرأى قشر بطيخ ، فأخذه وأكله ، فرآه إنسان فاتبع أثره وجاء برفق فوضعه بين يدى القوم ، فقال الشيخ : من جنى منكم هذه الجناية ؟ فقال الرجل : أنا وجدت قشر بطيخ فأكلته ، فقال كن أنت مع جنايتك ورفقك ، فقال أنا تائب من جنايتى .

فقال : لا كلام بعد التوبة ، وكانوا يستحبون صيام أيام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر .

روى أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض اسود جسده من أثر المعصية ، فلما تاب الله عليه أمره أن يصوم أيام البيض ، فابيض ثلث جسده بكل يوم صامه حتى أبيض جميع جسده بصيام أيام البيض .

ويستحبون صوم النصف الأول من شعبان وإفطار نصفه الأخير ، وإن واصل بين شعبان ورمضان فلا بأس به ، ولكن إن لم يكن صام فلا يستقبل رمضان بيوم أو بيومين .

وكان يكره بعضهم أن يصام رجب جميعه كراهة المضاهاة برمضان . ويستحب صوم العشر من ذى الحجة والعشر من المحرم ، ويستحب الخميس والجمعة والسبت أن يصام من الأشهر الحرم ، ورد فى الخبر ؟ من صام ثلاثة أيام من شهر حرام : الخميس ، والجمعة ، والسبت بعد من النار سبعمائة عام » .

الباب الحادى والأربعون : فى آداب الصوم ومهامه

آداب الصوفية فى الصوم : ضبط الظاهر والباطن وكف الجوارح عن الآثام ، كمنع النفس عن الطعام ، ثم كف النفس عن الاهتمام بالأقسام .

سمعت أن بعض الصالحين بالعراق كان طريقه وطريق أصحابه أنهم كانوا يصومون ، وكلما فتح عليهم قبل وقت الإفطار يخرجونه ، ولا يفطرون إلا على ما فتح لهم وقت الإفطار .

وليس من الأدب أن يمسك المريد عن المباح ويفطر بحرام الآثام .

قال أبو الدرداء : ياحبذا نوم الأكياس وفطرهم ، كيف يعيبون قيام الحمق وصيامهم ! ولذرة من ذى يقين وتقوى أفضل من أمثال الجبال من أعمال المغترين .

ومن فضيلة الصوم وأدبه : أن يقلل الطعام عن الحد الذى كان يأكله وهو مفطر ، وإلا فإذا جمع الأكلات بأكلة واحدة فقد أدرك بها ما فوت ، ومقصود القوم من الصوم قهر النفس ومنعها عن الاتساع ، وأخذهم من الطعام قدر الضرورة لعلمهم أن الاقتصار على الضرورة يجذب النفس من سائر الأفعال والأقوال إلى الضرورة ، والنفس من طبعها أنها إذا قهرت لله تعالى فى شىء واحد على الضرورة تأدى ذلك إلى سائر أحوالها ، فيصير بالأكل النوم ضرورة ، والقول والفعل ضرورة ، وهذا باب كبير من أبواب الخير لأهل الله تعالى يجب رعايته وافتقاده ولا يخص بعلم الضرورة وفائدتها وطلبها ، إلا عبدا يريد الله تعالى أن يقربه ويدنيه ويصطفيه ويربيه ، ويمتنع فى صومه من ملاعبة الأهل والملامسة ، فإن ذلك أنزه للصوم .

ويتسحر استعمالا للسنة ، وهو أدعى إلى إمضاء الصوم لمعنيين ، أحدهما : عود بركة السنة عليه ، والثانى : التقوية بالطعام على الصيام : وروى أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تسحروا فإن فى السحور بركة » .

ويعجل الفطر عملا بالسنة ، فإن لم يرد تناول الطعام إلا بعد العشاء ويريد إحياء ما بين العشاءين يفطر بالماء أو على أعداد من الزبيب أو التمر ويأكل لقيمات إن كانت النفس تنازع ، ليصفو له الوقت بين العشاءين ، فإحياء ذلك له فضل كثير ، وإلا فيقتصر على الماء لأجل السنة .

أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على ، قال أخبرنا أبو الفتح الهروى ، قال أخبرنا أبو نصر الترياقى ، قال أخبرنا أبو محمد الجراحى ، قال أخبرنا أبو العباس المحبوبى ، قال أخبرنا أبو عيسى الترمذى ، قال حدثنا إسحق بن موسى الأنصارى ، قال حدثنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعى عن قرة عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه « قال الله عز وجل ، أحب عبادى إلى أعجلهم فطرا » وقال عليه السلام « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » والإفطار قبل الصلاة سنة ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على جرعة من ماء أو مذقة من لبن أو تمرات ، وفى الخبر « كم من صائم حظه من صيامه الجوع والعطش » ، قيل

هو الذى يجوع بالنهار ويفطر على الحرام ، وقيل : هو الذى يصوم عن الحلال من الطعام ويفطر على لحوم الناس بالغيبة ، قال سفيان من اغتاب فسد صومه . وعن مجاهد : خصلتان تفسدان الصوم : الغيبة والكذب . قال الشيخ أبو طالب المكى : قرن الله الاستماع إلى الباطل ؛ والقول بالإثم بأكل الحرام فقال ﴿ سماعون للكذب أكالون للسحت ﴾

وورد فى الخبر « أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تهلكا ، فبعثتا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذنانه فى الإفطار ؛ فأرسل إليهما قدحا وقال « قولوا لهما قيئا فيه ما أكلتما » فقاءت إحداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا ، وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هاتان صامتا عن ما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما » وقال عليه الصلاة والسلام « إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل ، فإن امرؤ شاتمه فليقل إنى صائم » . وفى الخبر « إن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته » والصوفى الذى لا يرجع إلى معلوم ولا يدرى متى يساق إليه الرزق ، فإذا ساق الله إليه الرزق تناوله بالأدب وهو دائم المراقبة لوقته ، وهو فى إفطاره أفضل من الذى له معلوم معدّ فإن كان مع ذلك يصوم فقد أكمل الفضل .

حكى عن رويم قال اجتزت فى الهاجرة ببعض سكك بغداد ، فعطشت فتقدمت إلى باب دار فاستسقيت ، فإذا جارية قد خرجت ومعها كوز جديد ملآن من الماء المبرد ، فلما أردت أن أتناول من يدها قالت : صوفى ويشرب بالنهار ، وضربت بالكوز على الأرض وانصرفت . قال رويم : فاستحييت من ذلك ونذرت أن لا أفطر أبدا .

والجماعة الذين كرهوا دوام الصوم كرهوه لمكان أن النفس إذا ألفت الصوم وتعودته اشتد عليها الإفطار ، وهكذا بتعودها الإفطار تكره الصوم ، فيرون الفضل فى أن لا تركن النفس إلى عادة ، ورأوا أن إفطار يوم وصوم يوم أشدّ على النفس .

ومن أدب الفقراء : أن الواحد إذا كان بين جمع وفى صحبة جماعة لا يصوم إلا بإذنهم ، وإنما كان ذلك لأن قلوب الجمع متعلقة بفطوره وهم على غير معلوم ، فإن صام بإذن الجمع وفتح عليهم بشىء لا يلزمهم ادخار للصائم ، ومع العلم بأن الجمع المفطرين يحتاجون إلى ذلك ، فإن الله تعالى يأتى للصائم برزقه إلا أن يكون الصائم يحتاج إلى الرفق لضعف حاله أو ضعف بنيته لشيخوخته أو غير ذلك ، وهكذا الصائم لا يليق أن يأخذ نصيبه فيدخره ، لأن ذلك من ضعف الحال فإن كان ضعيفا يعترف بحاله وضعفه فيدخره ، والذى ذكرناه لأقوام هم على غير معلوم ، فأما الصوفية المقيمون فى رباط على معلوم فالأليق بحالهم الصيام ، ولا يلزمهم موافقة الجمع فى الإفطار ، وهذا يظهر فى جمع منهم لهم معلوم يقدم لهم بالنهار ، فأما إذا كانوا على غير معلوم ، فقد قيل : مساعدة الصوام للمفطرين أحسن من استدعاء الموافقة من المفطرين للصوام ، وأمر القوم مبناه على الصدق ، ومن الصدق افتقاد النية وأحوال النفس ، فكل ما صحت النية فيه من الصوم والإفطار والموافقة وترك الموافقة فهو الأفضل ، فأما من حيث السنة فمن يوافق له وجه إذا كان صائما وأفطر للموافقة ، وإن صام ولم يوافق فله وجه فأما وجه من يفطر ويوافق فهو ما أخبرنا به أبو زرعة طاهر عن أبيه أبى الفضل الحافظ المقدسى قال أخبرنا أبو الفضل محمد بن عبد الله ، قال أخبرنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوى ، قال أخبرنا أبو بكر محمد بن حمدويه ، قال حدثنا عبد الله بن حماد ، قال حدثنا عبد الله بن صالح ، قال حدثنى عطاء بن خالد عن حماد بن حميد عن محمد بن المنكدر ، عن أبى سعيد الخدرى قال : اصطنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه طعاما ، فلما قدم إليهم قال رجل من القوم : إنى صائم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دعاكم أخوكم وتكلف لكم ، ثم تقول إنى صائم ، افطر واقض يوما مكانه » وأما وجه من لا يوافق ، فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكلوا وبلال صائم ، فقال رسول الله : « نأكل رزقنا ورزق بلال فى الجنة » فإذا علم أن هنالك قلبا يتأذى أو فضلا يرجى من موافقة من يغتنم موافقته يفطر بحسن النية لا بحكم الطبع وتقاضيه ، فإن لم يجد هذا المعنى لا ينبغى أن يتلبس عليه الشره وداعية النفس بالنية فليتم صومه ، وقد تكون الإجابة لداعية

النفس لاقتضاء حق أخيه .

ومن أحسن آداب الفقير الطالب : أنه إذا أفطر وتناول الطعام ربما يجد باطنه متغيرا عن هيئته ونفسه متثبطة عن أداء وظائف العبادة ، فيعالج مزاج القلب المتغير بإذهاب التغير عنه ويذيب الطعام بركعات يصليها أو بآيات يتلوها أو بأذكار واستغفار يأتي به ، فقد ورد في الخبر « أديبوا طعامكم بالذكر » ، ومن مهام آداب الصوم كتمانه مهما أمكن إلا أن يكون متمكنا من الإخلاص فلا يبالي ظهر أم بطن .

الباب الثاني والأربعون : في ذكر الطعام وما فيه من المصلحة والمفسدة

الصوفي بحسن نيته وصحة مقصده ووفور علمه وإتيانه بآدابه تصير عاداته عبادة ، والصوفي موهوب وقته لله وحياته لله ، كما قال الله تعالى لنبيه آمرا له ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ فتدخل على الصوفي أمور العادة لموضع حاجته وضرورة بشريته ، ويحف بعادته نور يقظته وحسن نيته ، فتتنور العادات وتتشكل بالعبادات؛ ولهذا ورد « نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح » هذا مع كون النوم عين الغفلة ، ولكن كل ما يستعان به على العبادة يكون عبادة ، فتناول الطعام أصل كبير يحتاج إلى علوم كثيرة لاشتماله على المصالح الدينية والدنيوية وتعلق أثره بالقلب والقالب ، وبه قوام البدن بإجراء سنة الله تعالى بذلك ، والقالب مركب القلب وبهما عمارة الدنيا والآخرة ، وقد ورد « أرض الجنة قيعان نباتها التسبيح والتقديس » والقالب بمفرده على طبيعة الحيوانات يستعان به على عمارة الدنيا والروح والقلب على طبيعة الملائكة يستعان بهما على عمارة الآخرة ، وباجتماعهما صلحا لعمارة الدارين ، والله تعالى ركب الآدمي بلطيف حكمته من أخص جواهر الجسمانيات والروحانيات ، وجعله مستودع خلاصة الأرضين والسموات جعل عالم الشهادة ومافيها من النبات والحيوان لقوام بدن الآدمي . قال الله تعالى ﴿خلق لكم مافي الأرض جميعا﴾ فكون الطبائع وهي الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة وكون بواسطتها النبات ، وجعل النبات قواما للحيوانات وجعل الحيوانات مسخرة للآدمي يستعين بها على أمر معاشه لقوام بدنه ، فالطعام يصل إلى المعدة ، وفي المعدة طباع أربع ، وفي الطعام طباع أربع ، فإذا أراد الله اعتدال مزاج البدن أخذ كل طبع من طباع المعدة ضده من الطعام ، فتأخذ الحرارة للبرودة والرطوبة لليبوسة ، فيعتدل المزاج ويأمن الاعوجاج . وإذا أراد الله تعالى إفناء قالب وتخريب بنية : أخذت كل طبيعة جنسها من المأكول ، فتميل الطبائع ويضطرب المزاج ويسقم البدن ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾ روى عن وهب بن منبه قال : وجدت في التوراة صفة آدم عليه السلام « إني خلقت آدم وركبت جسده من أربعة أشياء . من رطب ، ويابس ، وبارد ، وسخن : وذلك لأني خلقته من التراب وهو يابس ، ورطوبته من الماء وحرارته من قبل النفس ، وبرودته من قبل الروح ، وخلقت في الجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع من الخلق من ملاك الجسم بإذني وبهن قوامه ، فلا يقوم الجسم إلا بهن ولا تقوم منهن واحدة إلا بأخرى ، منهن المرة السوداء ، والمرة الصفراء والدم والبلغم . ثم أسكنت بعض هذا الخلق في بعض ، فجعلت مسكن اليبوسة في المرة السوداء ، ومسكن الرطوبة في المرة الصفراء ، ومسكن الحرارة في الدم ، ومسكن البرودة في البلغم ، فأيما جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الأربع التي جعلتها ملاكه وقوامه فكانت كل واحدة منهن ربعا لا يزيد ولا ينقص : كملت صحته واعتدلت بنيته ، فإن زادت منهن واحدة عليهن هزمتهن ومالت بهن ودخل عليه السقم من ناحيته بقدر غلبتها حتى يضعف عن طاقتهن ويعجز عن مقدارهن » .

فأهم الأمور في الطعام أن يكون حلالا ، وكل ما لا يذمه الشرع حلال رخصة ورحمة من الله لعباده ، ولولا رخصة الشرع كبر الأمر وأتعب طلب الحلال .

ومن أدب الصوفية : رؤية المنعم على النعمة ، وأن يبتدئ بغسل اليد قبل الطعام : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر » وإنما كان موجبا لنفي الفقر لأن غسل اليد قبل الطعام استقبال النعمة بالأدب ،

وذلك من شكر النعمة ، والشكر يستوجب المزيد ؛ فصار غسل اليد مستجلبا للنعمة مذهبا للفقر .

وقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أحب أن يكثر خير بيته فليتوضأ إذا حضر غداؤه ثم يسمى الله تعالى » فقوله تعالى ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ﴾ تفسيره تسمية الله تعالى عند ذبح الحيوان .

واختلف الشافعى وأبو حنيفة رحمهما الله فى وجوب ذلك . وفهم الصوفى من ذلك بعد القيام بظاهر التفسير : أن لا يأكل الطعام إلا مقرونا بالذكر ؛ فقرنه فريضة وقته وأدبه ، ويرى أن تناول الطعام والماء ينتج من إقامة النفس ومتابعة هواها ، ويرى ذكر الله تعالى دواءه وترياقه .

روت عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل الطعام فى ستة نفر من أصحابه ، فجاء أعرابى فأكله بلقمتين ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما إنه لو كان يسمى الله لكفاكم ؛ فإذا أكل أحدكم طعاما فليقل بسم الله ، فإن نسى ان يقول بسم الله فليقل بسم الله أوله وآخره »

ويستحب أن يقول فى أول لقمة « بسم الله » و فى الثانية « بسم الله الرحمن » وفى الثالثة يتم ، ويشرب الماء بثلاثة أنفاس ، يقول فى أول نفس : « الحمد لله » إذا شرب ، وفى الثانية « الحمد لله رب العالمين » وفى الثالثة « الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم » وكما أن للمعدة طباعا تتقدر كما ذكرناه بموافقة طباع الطعام ، فللقلب أيضا مزاج وطباع لأرباب التفقد والرعاية واليقظة ، ويعرف انحراف مزاج القلب من اللقمة المتناولة : تارة تحدث من اللقمة حرارة الطيش بالنهوض إلى الفضول ، وتارة تحدث فى القلب برودة الكسل بالتقاعد عن وظيفة الوقت ، وتارة تحدث رطوبة السهو والغفلة وتارة يبوسة الهم والحزن بسبب الحظوظ العاجلة ، فهذه كلها عوارض يتفطن لها المتيقظ ، ويرى بتغير القالب بهذه العوارض تغير مزاج القلب عن الاعتدال ، والاعتدال كما هو مهم طلبه للقالب فللقلب أهم وأولى . وتطرق الانحراف إلى القلب أسرع منه إلى القالب . ومن الانحراف مايسقم به القلب فيموت لموت القالب ، واسم الله تعالى دواء نافع مجرب ينفى الأسواء ويذهب الداء ويجلب الشفاء .

حكى أن الشيخ أبا محمد محمدا الغزالى لما رجع إلى طوس وصف له فى بعض القرى عبد صالح ، فقصده زائرا ، فصادفه وهو فى صحراء له يبذر الحنطة فى الأرض ، فلما رأى الشيخ محمدا جاء إليه وأقبل عليه ، فجاء رجل من أصحابه وطلب منه البذر لينوب عن الشيخ فى ذلك وقت اشتغاله بالغزالى ، فامتنع ولم يعطه البذر ، فسأله الغزالى عن سبب امتناعه . فقال : لأنى أبذر هذا البذر بقلب حاضر ولسان ذاكر ، أرجو البركة فيه لكل من يتناول منه شيئا ، فلا أحب أن أسلمه إلى هذا فيبذره بلسان غير ذاكر وقلب غير حاضر

وكان بعض الفقراء عند الأكل يشرع فى تلاوة سورة من القرآن ، يحضر الوقت بذلك حتى تنغمر أجزاء الطعام بأنوار الذكر ولا يعقب الطعام مكروه ويتغير مزاج القلب .

وقد كان شيخنا أبو النجيب السهروردى يقول : أنا آكل وأنا أصلى ، يشير إلى حضور القلب فى الطعام ، وربما كان يوقف من يمنع عنه الشواغل وقت أكله ، لئلا يتفرق همه وقت الأكل ، ويرى للذكر وحضور القلب فى الأكل أثرا كبيرا لا يسعه الإهمال .

ومن الذكر عند الأكل الفكر فيما هيأ الله تعالى من الأسنان المعينة على الأكل فمنها الكاسرة ومنها القاطعة ومنها الطاحنة ، وما جعل الله تعالى من الماء الحلو فى الفم حتى لا يتغير الذوق ، كما جعل ماء العين مالحا لما كان شحما حتى لا يفسد ، وكيف جعل الدواوة تنبع من أرجاء اللسان والفم ليعين ذلك على المضغ والسوغ ، وكيف جعل القوة الهاضمة مسلطة على الطعام تفصله وتجزئه متعلقا مددها بالكبد ، والكبد بمثابة النار ، والمعدة بمثابة القدر وعلى قدر فساد الكبد تعتل الهاضمة ويفسد الطعام ولا ينفصل ولا يصل إلى كل عضو نصيبه ، وهكذا تأثير الأعضاء كلها من الكبد والطحال والكليتين ويطول شرح ذلك ، فمن أراد الاعتبار فليطالع تشريح الأعضاء ، ليرى العجب من قدرة

الله تعالى : من تعاضد الأعضاء وتعاونها ، وتعلق بعضها بالبعض فى إصلاح الغذاء ، واستجذاب القوة منه للأعضاء وانقسامه إلى الدم والثفل واللبن لتغذية المولود من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ؛ فتبارك الله أحسن الخالقين ؛ فالفكر فى ذلك وقت الطعام وتعرّف لطيف الحكم والقدر فيه من الذكر .

ومما يذهب أدواء الطعام المغير لمزاج القلب : أن يدعو فى أول الطعام ويسأل الله تعالى أن يجعله عونا على الطاعة ويكون من دعائه : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد . وما رزقتنا مما تحب اجعله عونا لنا على ما تحب ، وما زويت عنا مما نحب اجعله فراغا لنا فيما نحب .

الباب الثالث والأربعون : فى آداب الأكل

فمن ذلك أن يبتدئ بالملح ويختم به : روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلى رضى الله عنه « ياعلى، ابدأ طعامك بالملح واختم بالملح ؛ فإنّ الملح شفاء من سبعين داء ، منها : الجنون ، والجذام ، والبرص ، ووجع البطن ووجع الأضراس » .

وروت عائشة رضى الله عنها قالت : لدغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إبهامه من رجله اليسرى لدغة، فقال « علىّ بذلك الأبيض الذى يكون فى العجين » فجئنا بملح فوضعه فى كفه ثم لعق منه ثلاث لعقات ، ثم وضع بقيته على اللدغة فسكنت عنه .

ويستحب الاجتماع على الطعام ، وهو سنة الصوفية فى الربط وغيرها : روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أحب الطعام إلى الله تعالى ما كثرت عليه الأيدى » وروى أنه قيل : يارسول الله : إنا نأكل ولا نشبع قال : « لعلكم تفترقون على طعامكم ، اجتمعوا واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه » .

ومن عادة الصوفية : الأكل على السفر ، وهو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخبرنا الشيخ أبو زرعة عن المقومى بإسناده إلى ابن ماجه الحافظ القزوينى ، قال أخبرنا محمد بن المثنى ، قال حدثنا معاذ بن هشام ، قال حدثنا أبى عن يونس بن الفرات عن قتادة عن أنس بن مالك قال : ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا فى سكرجة . قال : فعلام كانوا يأكلون ؟ قال : على السفر .

ويصغر اللقمة ويجود الأكل بالمضغ ، وينظر بين يديه ولا يطالع وجوه الآكلين ، ويقعد على رجله اليسرى وينصب اليمنى ، ويجلس جلسة التواضع غير متكئ ولا متعزز : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل الرجل متكئا . وروى أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة ، فجثا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه يأكل فقال أعرابى : ماهذه الجلسة يارسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلقنى عبدا ولم يجعلنى جبارا عنيدا »

ولا يبتدئ بالطعام حتى يبدأ المقدم أو الشيخ : روى حذيفة قال : كنا إذا حضرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما لم يضع أحدنا يده حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأكل باليمين .

روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ليأكل أحدكم بيمينه ، وليشرب بيمينه ، وليأخذ بيمينه وليعط بيمينه ، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله ويأخذ بشماله ويعطى بشماله » .

وإن كان المأكول تمرا أو ماله عجم لا يجمع من ذلك ما يرمى ولا يؤكل على الطبق ولا فى كفه ، بل يضع ذلك على ظهر كفه من فيه ويرميه .

ولا يأكل من ذروة الثريد : روى عبد الله بن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا وضع الطعام فخذوا من حاشيته وذروا وسطه فإن البركة تنزل فى وسطه .

ولا يعيب الطعام : روى أبو هريرة رضى الله عنه قال : ماعاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط ، إن اشتهاه أكله وإلا تركه .

وإذا سقطت اللقمة يأكلها فقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان » .

ويلعق أصابعه ، فقد روى جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا أكل أحدكم الطعام فليمتص أصابعه ، فإنه لا يدرى فى أى طعامه تكون البركة » .

وهكذا أمر عليه السلام بإسلات القصعة : وهو مسحها من الطعام . قال أنس رضى الله عنه : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلات القصعة .

ولا ينفخ فى الطعام ، فقد روت عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « النفخ فى الطعام يذهب بالبركة » وروى عبد الله بن عباس أنه قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفخ فى طعام ولا فى شراب ولا يتنفس فى الإناء فليس من الأدب ذلك .

والخل والبقل على السفرة من السنة . قيل : إن الملائكة تحضر المائدة إذا كان عليها بقل . روت أم سعد رضى الله عنها قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة رضى الله عنها وأنا عندها فقال : هل من غداء ؟ فقالت : عندنا خبز وتمر وخل ، فقال عليه السلام « نعم الإدام الخل اللهم بارك فى الخل فإنه كان إدام الأنبياء قبلى ، ولم يقفر بيت فيه خل » .

ولا يصمت على الطعام فهو من سيرة الأعاجم ، ولا يقطع اللحم والخبز بالسكين ففيه نهى ، ولا يكف يده عن الطعام حتى يفرغ الجمع ، فقد ورد عن ابن عمر رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا وضعت المائدة فلا يقوم رجل حتى ترفع المائدة ولا يرفع يده وإن شبع حتى يفرغ القوم ، وليتمهل ، فإن الرجل يخجل جليسه فيقبض يده ، وعسى أن يكون له فى الطعام حاجة »

وإذا وضع الخبز لا ينتظر غيره ، فقد روى أبو موسى الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكرموا الخبز ، فإن الله تعالى سخر لكم بركات السماء والأرض والحديد والبقر وابن آدم » .

ومن أحسن الأدب وأهمه أن لا يأكل الا بعد الجوع ويمسك عن الطعام قبل الشبع ، فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه »

ومن عادة الصوفية : أن يلقم الخادم إذا لم يجلس مع القوم وهو سنة . روى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « إذا جاء أحدكم خادمه بطعام فإن لم يجلسه معه فليناوله أكلة أو أكلتين ، فإنه ولى حره ودخانه »

وإذا فرغ من الطعام يحمد الله تعالى : روى أبو سعيد قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أكل طعاما قال « الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين » وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أكل طعاما فقال : الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه »

ويتخلل ، فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « تخللوا فإنه نظافة والنظافة تدعو إلى الإيمان والإيمان مع صاحبه فى الجنة » .

ويغسل يديه ، فقد روى أبو هريرة قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم « من بات وفى يده غمر لم يغسل فأصابه شىء فلا يلومن إلا نفسه »

ومن السنة غسل الأيدى فى طست واحد : وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انزعوا الطسوس وخالفوا المجوس »

ويستحب مسح العين ببلل اليد ، وروى أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا توضأتم فأشربوا أعينكم الماء ولا تنفضوا أيديكم فإنها مراوح الشياطين » قيل لأبى هريرة : فى الوضوء وغيره ؟ قال نعم فى الوضوء

وغيره ، وفى غسل اليد يأخذ الأشنان باليمين ، وفى الخلاء لا يزدرد مايخرج بالخلال من الأسنان ، وأما ما يلوكه باللسان فلا بأس به ، ويجتنب التصنع فى أكل الطعام ، ويكون أكله بين الجمع كأكله منفردا ، فإن الرياء يدخل على العبد فى كل شىء .

وصف لبعض العلماء بعض العباد فلم يثن عليه ، قيل له تعلم به بأسا ؟ قال : نعم ، رأيته يتصنع فى الأكل ، ومن تصنع فى الأكل لايؤمن عليه التصنع فى العمل .

وإن كان الطعام حلالا فليقل : الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات . اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ، اللهم أطعمنا واستعملنا صالحا ، وإن كان شبهة يقول : الحمد لله على كل حال ، اللهم صل على محمد ولا تجعله عونا على معصيتك ، وليكثر الاستغفار والحزن ، ويبكى على أكل الشبهة ولا يضحك ، فليس من يأكل وهو يبكى كمن يأكل وهو يضحك ، ويقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ولإيلاف قريش .

ويجتنب الدخول على قوم فى وقت أكلهم ، فقد ورد « من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقا وأكل حراما » وسمعنا لفظا آخر « دخل سارقا وخرج مغيرا » إلا أن يتفق دخوله على قوم يعلم منهم فرحهم بموافقته .

ويستحب أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار ، ولا يخرج الضيف بغير إذن صاحب الدار ، ويجتنب المضيف التكلف إلا أن يكون له نية فيه من كثرة الإنفاق ، ولا يفعل ذلك حياء وتكلفا .

وإذا أكل عند قوم طعاما فليقل عند فراغه إن كان بعد المغرب « أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة » وروى أيضا « عليكم صلاة قوم أبرار ليسوا بآثمين ولا فجار يصلون بالليل ويصومون بالنهار » كان بعض الصحابة يقول ذلك .

ومن الأدب : أن لا يستحقر مايقدم له من طعام ، وكان بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مايدرى أيهم أعظم وزراء ، الذى يحتقر مايقدم إليه ، أو الذى يحتقر ماعنده أن يقدمه .

ويكره أكل طعام المباهاة وما تكلف للأعراس والتعازى ، فما عمل للنوائح لايؤكل ، وما عمل لأهل العزاء لابأس به وما يجرى مجراه .

وإذا علم الرجل من حال أخيه أنه يفرح بالانبساط إليه فى التصرف فى شىء من طعامه فلا حرج أن يأكل من طعامه بغير إذنه ، قال الله تعالى ﴿أو صديقكم﴾ قيل : دخل قوم على سفيان الثورى فلم يجدوه ، ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وأكلوا ، فدخل سفيان ففرح وقال : ذكرتمونى أخلاق السلف هكذا كانوا .

ومن دعى إلى طعام فالإجابة من السنة ، وأوكد ذلك الوليمة ، وقد يتخلف بعض الناس عن الدعوة تكبرا وذلك خطأ ، وإن عمل ذلك تصنعا ورياء فهو أقل من التكبر . روى أن الحسن بن على مر بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على الطرق وقد نثروا كسرا على الأرض وهو على بغلته ؛ فلما مر بهم سلم عليهم فردوا عليه السلام وقالوا : هلم الغداء يا ابن رسول الله ، فقال نعم إن الله لايحب المتكبرين ، ثم ثنى وركه فنزل عن دابته وقعد معهم على الأرض وأقبل يأكل ، ثم سلم عليهم وركب .

وكان يقال : الأكل مع الإخوان أفضل من الأكل مع العيال .

روى أن هرون الرشيد دعا أبامعاوية الضرير وأمر أن يقدم له طعام ، فلما أكل صب الرشيد على يده فى الطست فلما فرغ قال : ياأبا معاوية ، تدرى من صب على يدك ؟ قال لا . قال أمير المؤمنين ، قال ياأمير المؤمنين ، إنما أكرمت العلم وأجللته فأجلك الله تعالى وأكرمك كما أكرمت العلم .

الباب الرابع والأربعون : فى ذكر أدبهم فى اللباس ونياتهم ومقاصدهم فيه

اللباس من حاجات النفس وضرورتها لدفع الحر والبرد ، كما أن الطعام من حاجات النفس لدفع الجوع . وكما أن

النفس غير قانعة بقدر الحاجة من الطعام بل تطلب الزيادات والشهوات ، فهكذا فى اللباس تتفنن فيه ، ولها فيه أهوية متنوعة ومآرب مختلفة ؛ فالصوفى يرد النفس فى اللباس إلى متابعة صريح العلم قيل لبعض الصوفية : ثوبك ممزق ، قال : ولكنه من وجه حلال ، وقيل له وهو وسخ ، قال : ولكنه طاهر ؛ فنظر الصادق فى ثوبه أن يكون من وجه حلال ، لأنه ورد فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفى ثمنه درهم من حرام لايقبل الله منه صرفا ولاعدلا » أى لافريضة ولانافلة ، ثم بعد ذلك نظره فيه أن يكون طاهرا : لأن طهارة الثوب شرط فى صحة الصلاة ، وماعدا هذين النظرين فنظره فى كونه يدفع الحر والبرد لأن ذلك مصلحة النفس ، وبعد ذلك ماتدعو النفس إليه فكله فضول وزيادة ونظر إلى الخلق ، والصادق لاينبغى أن يلبس الثوب إلا لله : وهو ستر العورة ، أو لنفسه لدفع الحر والبرد .

وحكى أن سفيان الثورى رضى الله عنه خرج ذات يوم وعليه ثوب قد لبسه مقلوبا ؛ فقيل له ـ ولم يعلم بذلك ـ فهم أن يخلعه ويغيره ، ثم تركه وقال : حيث لبسته نويت أنى ألبسه لله ، والآن فما أغيره إلا لنظر الخلق فلا أنقض النية الأولى بهذه .

والصوفية خصوا بطهارة الأخلاق ، ومارزقوا طهارة الأخلاق إلا بالصلاحية والأهلية والاستعداد الذى هيأه الله تعالى لنفوسهم ، وفى طهارة الأخلاق وتعاضدها تناسب واقع لوجود تناسب هيئة النفس ، وتناسب هيئة النفس هو المشار إليه بقوله تعالى ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحى ﴾ فالتناسب هو التسوية ، فمن المناسب أن يكون لباسهم مشاكلا لطعامهم ، وطعامهم مشاكلا لكلامهم ، وكلامهم مشاكلا لمنامهم ؛ لأن التناسب الواقع فى النفس مقيد بالعلم والتشابه والتماثل فى الأحوال يحكم به العلم ؛ ومتصوفة الزمان ملتزمون بشىء من التناسب مع مزج الهوى . وماعندهم من التطلع إلى التناسب رشح حال سلفهم فى وجود التناسب .

قال أبو سليمان الدارانى : يلبس أحدهم عباءة بثلاثة دراهم ، وشهوته فى بطنه بخمسة دراهم ! أنكر ذلك لعدم التناسب : فمن خشن ثوبه ينبغى أن يكون مأكوله من جنسه ، وإذا اختلف الثوب والمأكول دل على وجود انحراف لوجود هوى كامن فى أحد الطرفين ، إما فى طرف الثوب لموضع نظر الخلق ، وإما فى طرف المأكول لفرط الشره ؛ وكلا الوصفين مرض يحتاج إلى المداواة ليعود إلى حد الاعتدال .

لبس أبو سليمان الدارانى ثوبا غسيلا ، فقال له أحمد : لو لبست ثوبا أجود من هذا؟ فقال: ليت قلبى فى القلوب مثل قميص فى الثياب فكان الفقراء يلبسون المرقع ، وربما كانوا يأخذون الخرق من المزابل ويرقعون بها ثوبهم ، وقد فعل ذلك طائفة من أهل الصلاح ، وهؤلاء ما كان لهم معلوم يرجعون إليه ؛ فكما كانت رقاعهم من المزابل ، كانت لقمهم من الأبواب .

وكان أبو عبد الله الرفاعى مثابرا على الفقر والتوكل ثلاثين سنة ، وكان إذا حضر للفقراء طعام لايأكل معهم فيقال له فى ذلك ؛ فيقول : أنتم تأكلون بحق التوكل . وأنا آكل بحق المسكنة ، ثم يخرج بين العشاءين يطلب الكسر من الأبواب ، وهذا شأن من لايرجع إلى معلوم ولايدخل تحت منة

حكى أن جماعة من أصحاب المرقعات دخلوا على بشر بن الحارث فقال لهم : ياقوم ، اتقوا الله ولاتظهروا هذا الزى فإنكم تعرفون به وتكرمون له ، فسكتوا كلهم ، فقال له غلام منهم : الحمد لله الذى جعلنا ممن يعرف به ويكرم له ، والله ليظهرن هذا الزى حتى يكون الدين كله لله ، فقال له بشر : أحسنت ياغلام ، مثلك من يلبس المرقعة ، فكان أحدهم يبقى زمانه لايطوى له ثوب ولا يملك غير ثوبه الذى عليه .

وروى أن أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه لبس قميصا اشتراه بثلاثة دراهم ثم قطع كمه من رءوس أصابعه ، وروى عنه أنه قال لعمر بن الخطاب : إن أردت أن تلقى صاحبك فرقع قميصك واخصف نعلك وقصر أملك وكل دون الشبع

وحكى عن الجريرى قال : كان فى جامع بغداد رجل لاتكاد تجده إلا فى ثوب واحد فى الشتاء والصيف ، فسئل

عن ذلك ؟ فقال : قد كنت وامت بكثرة لبس الثياب ، فرأيت ليلة فيما يرى النائم كأنى دخلت الجنة ، فرأيت جماعة من أصحابنا من الفقراء على مائدة ، فرأيت أن أجلس معهم فإذا بجماعة من الملائكة أخذوا بيدى وأقاموني وقالوا الى هؤلاء أصحاب ثوب واحد وأنت لك قيصان فلا تجلس معهم ، فانتبهت ونذرت أن لا ألبس إلا ثوبا واحدا إلى أن ألقى الله تعالى .

وقيل : مات أبو يزيد ولم يترك إلا قميصه الذى كان عليه وكان عارية ، فردوه إلى صاحبه .

وحكى لنا عن الشيخ حماد شيخ شيخنا : أنه بقى زمانا لا يلبس الثوب إلا مستأجرا ، حتى إنه لم يلبس على ملك نفسه شيئا .

وقال أبو حفص الحداد : إذا رأيت وضاءة الفقير فى ثوبه فلا ترجو خيره .

وقيل : مات ابن الكرنبى وكان أستاذا الجنيد وعليه مرقعته . قيل : كان وزن فردكم له وتخاريصه ثلاثة عشر رطلا فقد يكون جمع من الصالحين على هذا الزى والتخشن ، وقد يكون جمع من الصالحين يتكلفون لبس غير المرقع وزى الفقراء ، ويكون نيتهم فى ذلك ستر الحال أو خوف عدم النهوض بواجب حق المرقعة .

وقيل : كان أبو حفص الحداد يلبس الناعم وله بيت فرش فيه الرمل لعله كان ينام عليه بلا وطاء ـ وقد كان قوم من أصحاب الصفة يكرهون أن يجعلوا بينهم وبين التراب حائلا ـ ويكون لبس أبى حفص الناعم بعلم ونية يلقى الله تعالى بصحتها ، وهكذا الصادقون إن لبسوا غير الخشن من الثوب لنية تكون لهم فى ذلك ، فلا يعترض عليهم ، غير أن لبس الخشن والمرقع يصلح لسائر الفقراء بنية التقلل من الدنيا وزهرتها وبهجتها . وقد ورد « من ترك ثوب جمال وهو قادر على لبسه ألبسه الله تعالى من حلل الجنة » .

وأما لبس الناعم فلا يصلح إلا لعالم بحاله بصير بصفات نفسه متفقد خفى شهوات النفس يلقى الله تعالى بحسن النية فى ذلك ، فلحسن النية فى ذلك وجوه متعددة يطول شرحها . ومن الناس من لا يقصد لبس ثوب بعينه لا لخشونته ولا لنعومته ، بل يلبس ما يدخله الحق عليه فيكون بحكم الوقت ، وهذا حسن . وأحسن من ذلك أنه يتفقد نفسه فيه ، فإن رأى للنفس شرها وشهوة خفية أو جلية فى الثوب الذى أدخله الله عليه يخرجه ، إلا أن يكون حاله مع الله ترك الاختيار فعند ذلك لا يسعه إلا أن يلبس الثوب الذى ساقه الله إليه . وقد كان شيخنا أبو النجيب السهروردى رحمه الله لا يتقيد بهيئة من الملبوس ، بل كان يلبس ما يتفق من غير تعمد تكلف واختيار ، وقد كان يلبس العمامة بعشرة دنانير ويلبس العمامة بدانق . وقد كان الشيخ عبد القادر رحمه الله يلبس هيئة مخصوصة ويتطيلس . وكان الشيخ على بن الهيتى يلبس لبس فقراء السواد . وكان أبو بكر الفراء بزنجان يلبس فروا خشنا كآحاد العوام . ولكل فى لبسه وهيئته نية صالحة . وشرح تفاوت الأقوام فى ذلك يطول .

وكان الشيخ أبو السعود رحمه الله حاله مع الله ترك الاختيار ، وقد يساق إليه الثوب الناعم فيلبسه ، وكان يقال له : ربما يسبق إلى بواطن بعض الناس الإنكار عليك فى لبسك هذا الثوب ! فيقول : لا يرى إلا أحد رجلين : رجل يطالبنا بظاهر حكم الشرع ، فنقول له . هل ترى أن ثوبنا يكرهه الشرع أو يحرمه ؟ فيقول : لا . ورجل يطالبنا بحقائق القوم من أرباب العزيمة ، فنقول له : هل ترى لنا فيما لبسنا اختيارا أو ترى عندنا فيه شهوة ؟ فيقول لا .

وقد يكون من الناس من يقدر على لبس الناعم ولبس الخشن ، ولكن يحب أن يختار الله له هيئة مخصوصة ، فيكثر اللجأ إلى الله والافتقار إليه ، ويسأله أن يريه أحب الزى إلى الله تعالى وأصلحه لدينه ودنياه لكونه غير صاحب غرض وهوى فى زى بعينه ؛ فالله تعالى يفتح عليه ويعرفه زيا مخصوصا ، فيلتزم بذلك الزى فيكون لبسه بالله ويكون هذا أتم وأكمل ممن يكون لبسه لله .

ومن الناس من يتوفر حظه من العلم وينبسط بما بسطه الله ، فيلبس الثوب عن علم وإيقان ولا يبالى بما لبسه ، ناعما لبس أو خشنا ، وربما لبس ناعما ولنفسه فيه اختيار وحظ ، وذلك الحظ فيه يكون مكفرا له مردودا عليه موهوبا له

يوافقه الله تعالى فى إرادة نفسه ، ويكون هذا الشخص تام التزكية تام الطهارة محبوبا مرادا يسارع الله تعالى إلى مراده ومحابه ؛ غير أن ههنا مزلة قدم لكثير من المدعين .

حكى عن يحيى بن معاذ الرازى أنه كان يلبس الصوف والخلقان فى ابتداء أمره ، ثم صار فى آخر عمره يلبس الناعم ؛ فقيل لأبى يزيد ذلك ؛ فقال : مسكين يحيى لم يصبر على الدون فكيف يصبر على التحف .

ومن الناس من يسبق إليه علم ما سوف يدخل عليه من الملبوس فيلبسه محمودا فيه . وكل أحوال الصادقين على اختلاف تنوعها مستحسنة ﴿ قل كلٌّ يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا ﴾ .

ولبس الخشن من الثياب هو الأحب والأولى والأسلم للعبد والأبعد من الآفات : قال مسلمة بن عبد الملك : دخلت على عمر بن عبد العزيز أعوده فى مرضه ، فرأيت قميصه وسخا فقلت لامرأته فاطمة : اغسلوا ثياب أمير المؤمنين ؛ فقالت : نفعل إن شاء الله ، قال : ثم عدته وإذا القميص على حاله ، فقلت : يا فاطمة ، ألم آمركم أن تغسلوه؟ قالت والله ما له قميص غير هذا .

وقال سالم : كان عمر بن عبد العزيز من ألين الناس لباسا من قبل أن يسلم عليه بالخلافة ، فلما سلم عليه بالخلافة ضرب رأسه بين ركبتيه وبكى ، ثم دعا بأطمار له رثة فلبسها .

وقيل : لما مات أبو الدرداء وجد فى ثوبه أربعون رقعة وكان عطاؤه أربعة آلاف .

وقال زيد بن وهب ؛ لبس على بن أبى طالب قميصا رازيا ، وكان إذا مد كمه بلغ أطراف أصابعه ، فعابه الخوارج بذلك ، فقال : أتعيبونى على لباس هو أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدى بى المسلم .

وقيل : كان عمر رضى الله عنه إذا رأى على رجل ثوبين رقيقين علاه بالدرة وقال . دعوا هذه البراقات للنساء .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ، نوروا قلوبكم بلباس الصوف فإنه مذلة فى الدنيا ونور فى الآخرة ، وإياكم أن تفسدوا دينكم بحمد الناس وثنائهم ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتذى نعلين ، فلما نظر إليهما أعجبه حسنهما فسجد لله تعالى ، فقيل له فى ذلك فقال « خشيت أن يعرض عنى ربى فتواضعت له » لاجرم لا يبيتان فى منزلى لما تخوفت المقت من الله تعالى من أجلهما ، فأخرجهما فدفعهما إلى أول مسكين لقيه ثم أمر فاشترى له نعلان مخصوفتان . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس الصوف واحتذى المخصوف وأكل مع العبيد .

وإذا كانت النفس محل الآفات فالوقوف على دسائسها وخفى شهواتها وكامن هواها عسر جدا ، فالأليق والأجدر والأولى الأخذ بالأحوط وترك ما يريب إلى ما لا يريب ، ولا يجوز للعبد الدخول فى السعة إلا بعد إتقان علم السعة تزكية النفس ، وذاك إذا غابت النفس بغيبة هواها المتبع وتخلصت النية وتسدد التصرف بعلم صريح واضح ، وللعزيمة أقوام يركبونها ويراعونها لا يرون النزول إلى الرخص خوفا من فوت فضيلة الزهد فى الدنيا واللباس الناعم من الدنيا . وقد قيل : من رق ثوبه رق دينه . وقد يرخص فى ذلك لمن لا يلتزم بالزهد ويقف على رخصة الشرع . وروى علقمة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من الكبر » فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام « إن الله جميل يحب الجمال » فتكون هذه الرخصة فى حق من يلبسه لا بهوى نفسه فى ذلك غير مفتخر به ومختال : فأما من لبس الثوب للتفاخر بالدنيا والتكاثر بها فقد ورد فيه وعيد ؛ روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إزرة المؤمن إلى نصف الساق لا حرج عليه فيما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من الكعبين فهو فى النار من جر إزاره بطرا لم ينظر الله إليه يوم القيامة » فبينما رجل ممن كان قبلكم يتبختر فى ردائه إذ أعجبه رداؤه فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » والأحوال تختلف ، ومن صح حاله بصحة علمه صحت نيته فى مأكوله وملبوسه وسائر تصاريفه ، وفى كل الأحوال يستقيم ويتسدد باستقامة الباطن مع الله تعالى ، وبقدر ذلك تستقيم تصاريف العبد كلها بحسن توفيق الله تعالى .

الباب الخامس والأربعون : فى فضل قيام الليل

قال الله تعالى ﴿ إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان ﴾ نزلت هذه الآية فى المسلمين يوم بدر حيث نزلوا على كثيب من الرمل تسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب ، وسبقهم المشركون إلى ماء بدر العظمى وغلبوهم عليها ، وأصبح المسلمون بين محدث وجنب وأصابهم الظمأ ، فوسوس لهم الشيطان أنكم تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبى الله وقد غلب المشركون على الماء وأنتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف ترجون الظفر عليهم ، فأنزل الله تعالى مطرا من السماء سال منه الوادى فشرب المسلمون منه واغتسلوا وتوضأوا وسقوا الدواب وملأوا الأسقية ولبد الأرض حتى ثبت به الأقدام . قال الله تعالى ﴿ ويثبت به الأقدام . إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم ﴾ أمدهم الله تعالى بالملائكة حتى غلبوا المشركين ، ولكل آية من القرآن ظهر وبطن وحد ومطلع والله تعالى كما جعل النعاس رحمة وأمنة للصحابة خاصة فى تلك الواقعة والحادثة فهو رحمة تعم المؤمنين ، والنعاس قسم صالح من الأقسام العاجلة للمريدين ، وهو أمنة لقلوبهم عن منازعات النفس ، لأن النفس بالنوم تستريح ولا تشكو الكلال والتعب ، إذ فى شكايتها وتعبها تكدير القلب ، وباستراحتها بالنوم بشرط العلم والاعتدال راحة القلب لما بين القلب والنفس من المواطأة عند طمأنينتها للمريدين السالكين . فقد قيل : ينبغى أن يكون ثلث الليل والنهار نوما حتى لا يضطرب الجسد فيكون ثمان ساعات : للنوم ساعتين من ذلك يجعلهما المريد بالنهار ، وست ساعات بالليل ، ويزيد فى أحدهما وينقص من الآخر على قدر طول الليل وقصره فى الشتاء والصيف ، وقد يكون بحسن الإرادة وصدق الطلب ينقص النوم عن قدر الثلث ، ولا يضر ذلك إذا صار بالتدريج عادة ، وقد يحمل ثقل السهر وقلة النوم وجود الروح والأنس ، فإن النوم طبعه بارد رطب ينفع الجسد والدماغ ويسكن من الحرارة واليبس الحادث فى المزاج ، فان نقص عن الثلث يضر الدماغ ويخشى منه اضطراب الجسم ، فإذا ناب عن النوم روح والقلب وأنسه لا يضر نقصانه ، لأن طبيعة الروح والأنس باردة رطبة كطبيعة النوم . وقد تقصر مدة طول الليل بوجود الروح ، فتصير بالروح أوقات الليل الطويلة كالقصيرة ، كما يقال : سنة الوصل سنة ، وسنة الهجر سنة ، فيقصر الليل لأهل الروح .

نقل عن على بن بكار أنه قال منذ أربعين سنة ما أحزننى إلا طلوع الفجر .

وقيل لبعضهم : كيف أنت والليل ؟ قال : ما راعيته قط يرينى وجهه ثم ينصرف وما تأملته .

وقال أبو سليمان الدارانى : أهل الليل فى ليلهم أشد لذة من أهل اللهو فى لهوهم .

وقال بعضهم : ليس فى الدنيا شىء يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التلاق فى قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة لحلاوة المناجاة ثواب عاجل لأهل الليل .

وقال بعض العارفين : إن الله تعالى يطلع على قلوب المستيقظين فى الأسحار فيملؤها نورا ، فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ، ثم تنتشر من قلوبهم الفوائد إلى قلوب الغافلين .

وقد ورد أن الله تعالى أوحى فى بعض ما أوحى إلى بعض أنبيائه : إن لى عبادا يحبونى وأحبهم ، ويشتاقون إلى وأشتاق إليهم ، ويذكرونى وأذكرهم وينظرون إلى وأنظر إليهم ، فإن حذوت طريقهم أحببتك وإن عدلت عن ذلك مقتك . قال : يارب وما علامتهم ؟ قال : يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى غنمه ، ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها ، فإذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا لى أقدامهم وافترشوا لى وجوههم وناجونى بكلامى وتملقوا إلى بانعامى ، فبين صارخ وباك ، وبين متأوه وشاك ، بعينى مايتحملون من أجلى ، وبسمعى مايشكون من حبى ، أول ما أعطيهم أن أقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم ، والثانى : لو كانت السموات السبع والأرضون وما فيهما فى موازينهم لاستقللتها لهم . والثالث : أقبل

بوجهى عليهم أفترى من أقبلت بوجهى عليه أيعلم أحد ماأريد أن أعطيه ؟ فالصادق المريد إذا خلا فى ليله بمناجاة ربه انتشرت أنوار ليله على جميع أجزاء نهاره ويصير نهاره فى حماية ليله ، وذلك لامتلاء قلبه بالأنوار ، فتكون حركاته وتصاريفه بالنهار تصدر من منبع الأنوار المجتمعة من الليل ، ويصير قالبه فى قبة من قباب الحق مسددا حركاته موفرة سكناته .

وقد ورد «من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار» ويجوز أن يكون لمعنيين . أحدهما أن المشكاة تستنير بالمصباح ، فإذا صار سراج اليقين فى القلب تزهر بكثرة زيت العمل بالليل ، فيزداد المصباح إشراقا وتكتسب مشكاة القالب نورا وضياء .

كان يقول سهل بن عبدالله : اليقين نار ، والإقرار فتيلة ، والعمل زيت . وقد قال الله تعالى ﴿سيماهم فى وجوههم من أثر السجود﴾ وقال تعالى ﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾ فنور اليقين من نور الله فى زجاجة القلب يزداد ضياء بزيت العمل ، فتبقى زجاجة القلب كالكوكب الدرى وتنعكس أنوار الزجاجة على مشكاة القالب ، وأيضا يلين القلب بنار النور ، ويسرى لينه إلى القالب فيلين القالب للين القلب ، فيتشابهان لوجود اللين الذى عمهما ، قال الله تعالى ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ وصف الجلود باللين كما وصف القلوب باللين ، فإذا امتلأ القلب بالنور ، ولان القالب بما يسرى فيه من الأنس والسرور يندرج الزمان والمكان فى نور القلب ، ويندرج فيه الكلم والآيات والسور وتشرق الأرض أرض القالب بنور ربها ، إذ يصير القلب سماء والقالب أرضا ، ولذة تلاوة كلام الله فى محل المناجاة تستر كون الكائنات والكلام المجيد بكونه ينوب عن سائر الوجود فى مزاحمة صفو الشهود ، فلا يبقى حينئذ للنفس حديث ، ولا يسمع للهاجس حسيس ، وفى مثل هذه الحالة يتصور تلاوة القرآن من فاتحته إلى خاتمته من غير وسوسة وحديث نفس ، وذلك هو الفضل العظيم . والوجه الثانى : لقوله عليه السلام « من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار » معناه : أن وجوه أموره التى يتوجه إليها تحسن وتتداركه المعونة من الله الكريم فى تصاريفه ، ويكون معانا فى مصدره ومورده ، فيحسن وجه مقاصده وأفعاله ، وينتظم فى سلك السداد مسددا أقواله ، لأن الأقوال تستقيم باستقامة القلب .

الباب السادس والأربعون : فى ذكر الأسباب المعينة على قيام الليل وأدب النوم

فمن ذلك أن العبد يستقبل الليل عند غروب الشمس بتجديد الوضوء ، ويقعد مستقبل القبلة منتظرا مجىء الليل وصلاة المغرب ، مقيما فى ذلك على أنواع الأذكار ، ومن أولاها التسبيح والاستغفار . قال الله تعالى لنبيه ﴿واستغفر لذنبك﴾ ﴿وسبح بحمد ربك بالعشى والإبكار﴾ ومن ذلك أن يواصل بين العشاءين بالصلاة أو بالتلاوة أو بالذكر ، وأفضل ذلك الصلاة ، فإنه إذا واصل بين العشاءين ينغسل عن باطنه آثار الكدورة الحادثة فى أوقات النهار من رؤية الخلق ومخالطتهم وسماع كلامهم ، فإن ذلك كله له أثر وخدش فى القلوب ، حتى النظر إليهم يعقب كدرا فى القلب يدركه من يرزق صفاء القلب ، فيكون أثر النظر إلى الخلق للبصيرة كالقذى فى العين للبصر ، وبالمواصلة بين العشاءين يرجى ذهاب ذلك الأثر . ومن ذلك : ترك الحديث بعد العشاء الآخرة ، فإن الحديث فى ذلك الوقت يذهب طراوة النور الحادث فى القلب من مواصلة العشاءين ويقيد عن قيام الليل ، سيما إذا كان عريا عن يقظة القلب . ثم تجديد الوضوء بعد العشاء الآخرة أيضا معين على قيام الليل .

حكى لى بعض الفقراء عن شيخ له بخراسان أنه كان يغتسل فى الليل ثلاث مرات : مرة بعد العشاء الآخرة ، ومرة فى أثناء الليل بعد الانتباه من النوم ، ومرة قبل الصبح ، فللوضوء والغسل بعد العشاء الآخرة أثر ظاهر فى تيسير قيام الليل . ومن ذلك التعود على الذكر أو القيام بالصلاة حتى يغلب النوم ، فإن التعود على ذلك يعين على سرعة الانتباه ، إلا أن يكون واثقا من نفسه وعادته فيتعمل للنوم ويستجلبه ليقوم فى وقته المعهود ، وإلا فالنوم عن الغلبة هو الذى يصلح للمريدين والطالبين ، وبهذا وصف المحبون ، قيل : نومهم نوم الغرقى ، وأكلهم أكل المرضى ،

وكلامهم ضرورة ؛ فمن نام عن غلبة بهم مجتمع متعلق بقيام الليل يوفق لقيام الليل ، وإنما النفس إذا طمعت ووطنت على النوم استرسلت فيه ، وإذا أزعجت بصدق العزيمة لاتسترسل فى الاستقرار ، وهذا الانزعاج فى النفس بصدق العزيمة هو التجافى الذى قال الله تعالى ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ لأن الهم بقيام الليل وصدق العزيمة يجعل بين الجنب والمضجع نبوا وتجافيا . وقد قيل : للنفس نظران : نظر إلى تحت لاستيفاء الأقسام البدنية ، ونظر إلى فوق لاستيفاء الأقسام العلوية الروحانية ، فأرباب العزيمة تجافت جنوبهم عن المضاجع لنظرهم إلى فوق إلى الأقسام العلوية الرحمانية ؛ فأعطوا النفوس حقها من النوم ومنعوها حظها ، فالنفس بما فيها مركوز من الترابية والجمادية ترسب وتستجلس وتستلذ النوم ، قال الله تعالى ﴿ هو الذى خلقكم من تراب ﴾ والآدمى بكل أصل من أصول خلقته طبيعة لازمة له . والرسوب صفة التراب والكسل والتقاعد والتنادم بسبب ذلك طبيعة فى الإنسان ؛ فأرباب الهمة أهل العلم الذين حكم الله تعالى لهم بالعلم فى قوله تعالى ﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ﴾ حتى قال ﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون ﴾ حكم لهؤلاء الذين قاموا بالليل بالعلم ؛ فهم لموضع علمهم أزعجوا النفوس عن مقار طبيعتها ورقوها بالنظر إلى اللذات الروحانية إلى ذرى حقيقتها ؛ فتجافت جنوبهم عن المضاجع وخرجوا من صفة الغافل الهاكع .

ومن ذلك : أن يغير العادة ؛ فإن كان ذا وسادة يترك الوسادة ، وإن كان ذا وطاء يترك الوطاء . وقد كان بعضهم يقول : لأن أرى فى بيتى شيطانا أحب إلى من أن أرى وسادة فإنها تدعونى إلى النوم ؛ ولتغيير العادة فى الوسادة والغطاء والوطاء تأثير فى ذلك ، ومن ترك شيئا من ذلك والله عالم بنيته وعزيمته يثيبه على ذلك بتيسير مارام ، ومن ذلك خفة المعدة من الطعام ، ثم تناول مايأكل من الطعام إذا اقترن بذكر الله ويقظة الباطن أعان على قيام الليل ؛ لأن بالذكر يذهب داؤه ؛ فإن وجد للطعام ثقلا على المعدة ينبغى أن يعلم أن ثقله على القلب أكثر ، فلاينام حتى يذيب الطعام بالذكر والتلاوة والاستغفار . قال بعضهم : لأن أنقص من عشائى لقمة أحب إلى من أن أقوم ليلة .

والأحوط أن يوتر قبل النوم فإنه لايدرى ماذا يحدث ، ويعد طهوره وسواكه عنده ، ولايدخل النوم إلا وهو على الطهارة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا نام العبد وهو على الطهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة ، وإن لم ينم على الطهارة قصرت روحه عن البلوغ ، فتكون المنامات أضغاث أحلام لاتصدق » والمريد المتأهل إذا نام فى الفراش مع الزوجة ينتقض وضوءه باللمس ، ولا يفوته بذلك فائدة النوم على الطهارة مالم يسترسل فى التذاذ النفس باللمس ولا يعدم يقظة القلب ؛ فأما إذا استرسل فى الالتذاذ وغفل فتنحجب الروح أيضا لمكان صلاقته .

ومن الطهارة التى تثمر صدق الرؤيا : طهارة الباطن عن خدش الهوى وكدورة محبة الدنيا ، والتنزه عن أنجاس الغل والحقد والحسد ، وقد ورد « من أوى إلى فراشه لاينوى ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له مااجترم » وإذا طهرت النفس عن الرذائل : انجلت مرآة القلب وقابل اللوح المحفوظ فى النوم . وانتقشت فيه عجائب الغيب وغرائب الإنباء ؛ ففى الصديقين من يكون له فى منامه مكالمة ومحادثة ؛ فيأمره الله تعالى وينهاه ويفهمه فى المنام ، يعرفه ، ويكون موضع مايفتح له فى نومه من الأمر والنهى كالأمر والنهى الظاهر : يعصى الله تعالى إن أخل بهما ، بل تكون هذه الأوامر آكد وأعظم وقعا ، لأن المخالفات الظاهرة تمحوها التوبة ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ؛ وهذه أوامر خاصة تتعلق بحاله فيما بينه وبين الله تعالى ؛ فإذا أخل بها يخشى أن ينقطع عليه طريق الإرادة ، ويكون فى ذلك الرجوع عن الله واستيجاب مقام المقت ، فإن ابتلى العبد فى بعض الأحايين بكسل وفتور عزيمة يمنع من تجديد الطهارة عند النوم بعد الحدث : يمسح أعضاءه بالماء مسحا حتى يخرج بهذا القدر عن زمرة الغافلين حيث تقاعد عن فعل المتيقظين ، وهكذا إذا كسل عن القيام عقيب الانتباه يجتهد أن يستاك ويمسح أعضاءه بالماء مسحا ، حتى يخرج فى تقلباته وانتباهاته عن زمرة الغافلين ؛ ففى ذلك فضل كثير لمن كثر نومه وقل قيامه : روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاك فى كل ليلة مرارا عند كل نوم وعند الانتباه منه .

ويستقبل القبلة فى نومه وهو على نوعين فإما على جنبه الأيمن كالملحود وإما على ظهره مستقبلا للقبلة كالميت المنسجى ، ويقول : باسمك اللهم وضعت جنبي وبك أرفعه ، اللهم إن أمسكت نفسى فاغفر لها وارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين اللهم إنى أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى إليك وفوضت أمرى إليك وألجأت ظهرى إليك رهبة منك ورغبة إليك لاملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك ، الحمد لله الذى حكم فقهر ، الحمد لله الذى بطن فخبر ، الحمد لله الذى ملك فقدر ، الحمد لله الذى هو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير اللهم إنى أعوذ بك من غضبك وسوء عقابك وشر عبادك وشر الشيطان وشركه ويقرأ خمس آيات من البقرة : الأربع من الأول والآية الخامسة ﴿ إن فى خلق السموات والأرض ﴾ وآية الكرسى و ﴿ آمن الرسول ﴾ و ﴿ إن ربكم الله ﴾ و ﴿ قل ادعوا الله ﴾ وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر وقل ياأيها الكافرون ، وقل هو الله أحد ، والمعوذتين ، وينفث بهن فى يديه ويمسح بهما وجهه وجسده ، وإن أضاف إلى مافرأ عشرا من أول الكهف وعشرا من آخرها فحسن ، ويقول : اللهم أيقظنى فى أحب الساعات إليك ، واستعملنى بأحب الأعمال إليك التى تقربنى إليك زلفى وتبعدنى من سخطك بعداً ، أسألك فتعطينى ، وأستغفرك فتغفرلى ، وأدعوك فتستجيب لى ، اللهم لاتؤمنى مكرك ، ولا تولى غيرك ، ولا ترفع عنى سترك ، ولاتنسنى ذكرك ، ولاتجعلنى من الغافلين ، ورد أن من قال هذه الكلمات بعث الله تعالى إليه ثلاثة أملاك يوقظونه للصلاة ، فإن صلى ودعا أمنوا على دعائه ، وإن لم يقم تعبدت الأملاك فى الهواء وكتب له ثواب عبادتهم ، ويسبح ويحمد ويكبر كل واحد ثلاثا وثلاثين ، ويتمم المائة بلا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

الباب السابع والأربعون : فى أدب الانتباه من النوم والعمل بالليل

إذا فرغ المؤذن من أذان المغرب يصلى ركعتين بين الأذان والإقامة ، وكان العلماء يصلون هاتين الركعتين فى البيت يعجلون بهما قبل الخروج إلى الجماعة كيلا يظن الناس أنهما سنة مرتبة فيقتدى بهم ، ظنا منهم أنهما سنة مؤكدة ، وإذا صلى المغرب يصل ركعتى السنة بعد المغرب يعجل بهما [1] فإنهما يرفعان مع الفريضة ، يقرأ فيهما بقل ياأيها الكافرون وقل هو الله أحد ؛ ثم يسلم على ملائكة الليل والكرام الكاتبين ، فيقول : مرحبا بملائكة الليل ، مرحبا بالملكين الكريمين الكاتبين ، اكتبا فى صحيفتى أنى أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمد رسول الله ، وأشهد أن الجنة حق ، والنار حق ، والحوض حق ، والشفاعة حق ، والصراط والميزان حق ، وأشهد أن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ، اللهم أودعك هذه الشهادة ليوم حاجتى إليها . اللهم احطط بها وزرى واغفر بها ذنبى ، وثقل بها ميزانى ، وأوجب لى بها أمانى ، وتجاوز عنى يا أرحم الراحمين . فإن واصل بين العشاءين فى مسجد جماعته : يكون جامعا بين الاعتكاف ومواصلة العشاءين ، وإن رأى انصرافه إلى منزله وأن المواصلة بين العشاءين فى بيته أسلم لدينه وأقرب إلى الإخلاص وأجمع للهم فليفعل وسئل رسول الله عليه السلام عن قوله تعالى ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ فقال « هى الصلاة بين العشاءين » وقال عليه السلام « عليكم بالصلاة بين العشاءين فإنها تذهب بملاغاة النهار وتهذب آخره » ويجعل من الصلاة بين العشاءين ركعتين بسورة البروج والطارق ، ثم ركعتين بعد ركعتين : يقرأ فى الأولى عشر آيات من أول سورة البقرة والآيتين ﴿ وإلهكم إله واحد ﴾ إلى آخر الآيتين ، وخمس عشرة مرة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وفى الثانية آية الكرسى و ﴿ آمن الرسول ﴾ وخمس عشرة مرة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ويقرأ فى الركعتين الأخيرتين من سورة الزمر والواقعة ، ويصلى بعد ذلك ماشاء ؛ فإن أراد أن يقرأ شيئا من حزبه فى هذا الوقت فى الصلاة أو غيرها ، وإن شاء صلى عشرين ركعة خفيفة بسورة الإخلاص

(١) أى بعد ختم الصلاة مباشرة فتنبه .

والفاتحة ، ولو واصل بين العشاءين بركعتين يطيلهما فحسن ، وفى هاتين الركعتين يطيل القيام تاليا للقرآن حزبه أو مكررا آية فيها الدعاء والتلاوة ، مثل أن يقرأ مكررا ﴿ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ﴾ أو آية أخرى فى معناها ، فيكون جامعا بين التلاوة والصلاة والدعاء

فى ذلك جمع للهم وظفر بالفضل ، ثم يصلى قبل العشاء أربعا وبعدها ركعتين ، ثم ينصرف إلى منزله أو موضع خلوته فيصلى أربعا أخرى . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى بيته أول ما يدخل قبل أن يجلس أربعا ، ويقرأ فى هذه الأربع سورة لقمان ويس وحم الدخان وتبارك الملك ، وإن أراد أن يخفف فيقرأ فيها آية الكرسى وآمن الرسول وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر ، ويصلى بعد الأربع إحدى عشرة ركعة يقرأ فيها ثلثمائة آية من القرآن من ﴿ والسماء والطارق ﴾ إلى آخر القرآن ثلثمائة آية ، هكذا ذكر الشيخ أبو طالب المكى رحمه الله ، وإن أراد قرأ هذا القدر فى أقل من هذا العدد من الركعات ، وإن قرأ من سورة الملك إلى آخر القرآن وهو ألف آية فهو خير عظيم ، وإن لم يحفظ القرآن يقرأ فى كل ركعة خمس مرات ﴿ قل هو الله أحد ﴾ إلى عشر مرات إلى أكثر ، ولا يؤخر الوتر إلى آخر التهجد إلا أن يكون واثقا من نفسه فى عادتها بالانتباه للتهجد ؛ فيكون تأخير الوتر إلى آخر التهجد حينئذ أفضل . وقد كان بعض العلماء إذا أوتر قبل النوم ثم قام يتهجد يصلى ركعة يشفع بها وتره ، ثم يتنفل ما شاء ويوتر فى آخر ذلك ، وإذا كان الوتر من أول الليل يصلى بعد الوتر ركعتين جالسا يقرأ فيهما بإذا زلزلت وألهاكم ، وقيل : فعل الركعتين قاعدا بمنزلة الركعة قائما يشفع له الوتر ، حتى إذا أراد التهجد يأتى به ويوتر فى آخر تهجده ، ونية هاتين الركعتين نية النفل لا غير ذلك ، وكثيرا ما رأيت الناس يتفاوضون فى كيفية نيتهما ، وإن قرأ فى كل ليلة المسبحات وأضاف إليها سورة الأعلى فتصير سبعا ، فقد كان العلماء يقرءون هذه السور ويترقبون بركتها .

وإذا استيقظ من النوم فمن أحسن الأدب عند الانتباه أن يذهب بباطنه إلى الله ويصرف فكره إلى أمر الله قبل أن يحول الفكر فى شىء سوى الله ، ويشتغل اللسان بالذكر ، فالصادق كالطفل الكلف بالشىء إذا نام ينام على محبة الشىء وإذا انتبه يطلب ذلك الشىء الذى كان كلفا به ، وعلى حسب هذا الكلف والشغل يكون الموت والقيام إلى الحشر ، فلينظر وليعتبر عند انتباهه من النوم : ما همه ؟ فإنه هكذا يكون عند القيام من القبر : إن كان همه الله فهو هو ، وإلا فهمه غير الله . والعبد إذا انتبه من النوم فباطنه عائد إلى طهارة الفطرة ، فلا يدع الباطن يتغير بغير ذكر الله تعالى حتى لا يذهب عنه نور الفطرة الذى انتبه عليه ويكون فارا إلى ربه بباطنه خوفا من ذكر الأغيار ، ومهما وفى الباطن بهذا المعيار فقد انتفى طريق الأنوار وطرق النفحات الإلهية ، فجدير أن تنصب إليه أقسام الليل انصبابا ، ويصير جناب القرب له موئلا ومآبا ، ويقول باللسان : الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور . ويقرأ العشر الأواخر من سورة آل عمران ، ثم يقصد الماء الطهور . قال الله تعالى ﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ﴾ وقال عز وجل ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ﴾ قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : الماء القرآن ، والأودية القلوب ، فسالت بقدرها واحتملت ما وسعت ، والماء مطهر والقرآن مطهر ، والقرآن بالتطهير أجدر ، فالماء يقوم غيره مقامه ، والقرآن والعلم لا يقوم غيرهما مقامهما ولا يسد مسدهما ، فالماء الطهور يطهر الظاهر ، والعلم والقرآن يطهران الباطن ويذهبان رجز الشيطان ، فالنوم غفلة وهو من آثار الطبع ، وجدير أن يكون من رجز الشيطان لما فيه من الغفلة عن الله تعالى ، وذلك أن الله تعالى أمر بقبض القبضة من التراب من وجه الأرض ، فكانت القبضة جلدة الأرض والجلدة ظاهرها بشرة وباطنها أدمة قال الله تعالى ﴿ إنى خالق بشرا من طين ﴾ فالبشرة والبشر عبارة عن ظاهره وصورته والأدمة عبارة عن باطنه وآدميته ، والآدمية مجمع الأخلاق الحميدة ، وكان التراب موطئ أقدام إبليس ، ومن ذلك اكتسب ظلمة ، وصارت تلك الظلمة معجونة فى طينة الآدمى ، ومنها الصفات المذمومة والأخلاق الرديئة ومنها الغفلة والسهو ، فإذا استعمل الماء وقرأ القرآن أتى بالمطهرين جميعا ، ويذهب عنه رجز الشيطان وأثر وطأته ، ويحكم له بالعلم والخروج من حيز الجهل ، فاستعمال الطهور أمر شرعى له تأثير فى تنوير القلب بإزاء النوم الذى هو الحكم الطبيعى

الذى له تأثير فى تكدير القلب ، فيذهب نور هذا بظلمة ذلك ، ولهذا رأى بعض العلماء الوضوء مما مست النار، وحكم أبو حنيفة رحمه الله بالوضوء من القهقهة فى الصلاة حيث رآها حكما طبيعيا جالبا للإثم ، والإثم رجز من الشيطان ، والماء يذهب رجز الشيطان ، حتى كان بعضهم يتوضأ من الغيبة والكذب وعند الغضب لظهور النفس وتصرف الشيطان فى هذه المواطن . ولو أن المتحفظ المراعى المراقب المحاسب ـ كلما انطلقت النفس فى مباح من كلام أو مساكنة إلى مخالطة الناس أو غير ذلك مما هو بعرضة تحليل عقد العزيمة كالخوض فيما لا يعنى قولا وفعلا عقب ذلك بتجديد الوضوء ـ لثبت القلب على طهارته ونزاهته ، ولكان الوضوء لصفاء البصيرة بمثابة الجفن الذى لا يزال بخفقة حركته يجلو البصر ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾ فتفكر فيما نبهتك عليه تجد بركته وأثره .

ولو اغتسل عند هذه المتجددات والعوارض والانتباه من النوم ، لكان أزيد فى تنوير قلبه ، ولكان الأجدر أن العبد يغتسل لكل فريضة باذلا مجهوده فى الاستعداد لمناجاة الله، ويجدد غسل الباطن بصدق الإنابة وقد قال الله تعالى ﴿منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة﴾ قدم الإنابة للدخول فى الصلاة ، ولكن من رحمة الله وحكم الحنيفية السهلة السمحة أن رفع الحرج وعوض بالوضوء عن الغسل ، وجوز أداء مفترضات بوضوء واحد دفعا للحرج عن عامة الأمة ، وللخواص وأهل العزيمة مطالبات من بواطنهم تحكم عليهم بالأولى وتلجئهم إلى سلوك طريق الأعلى ، فإذا قام إلى الصلاة وأراد استفتاح التهجد يقول : الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا، ويقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله عشر مرات ويقول : الله أكبر ذو الملك والملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة ، اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ، ولك الحمد أنت بهاء السموات والأرض ، ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ومن عليهن ، أنت الحق ومنك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق والنار حق ، والنبيون حق ومحمد عليه السلام حق ؛ اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وبك خاصمت وإليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ، اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ، اللهم اهدنى لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت، أسألك مسئلة البائس المسكين، وأدعوك دعاء الفقير الذليل ، فلا تجعلنى بدعائك رب شقيا وكن بى رءوفا رحيما يا خير المسئولين ويا أكرم المعطين

ثم يصلى ركعتين تحية الطهارة : يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم﴾ الآية، وفى الثانية ﴿ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما﴾ ويستغفر بعد الركعتين مرات، ثم يستفتح الصلاة بركعتين خفيفتين إن أراد ، يقرأ فيهما بآية الكرسى وآمن الرسول وإن أراد غير ذلك ، ثم يصلى ركعتين طويلتين : هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتهجد هكذا . ثم يصلى ركعتين طويلتين أقصر من الأوليين ، وهكذا يتدرج إلى أن يصلى اثنى عشرة ركعة أو ثمان ركعات ، أو يزيد على ذلك ، فإن فى ذلك فضلا كثيرا . والله أعلم .

الباب الثامن والاربعون : فى تقسيم قيام الليل

قال الله تعالى ﴿والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما﴾ وقيل فى تفسير قوله تعالى ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ كان عملهم قيام الليل .

وقيل فى تفسير قوله تعالى ﴿استعينوا بالصبر والصلاة﴾ : استعينوا بصلاة الليل على مجاهدة النفس ومصابرة العدو

وفى الخبر « عليكم بقيام الليل فإنه مرضاة لربكم وهو دأب الصالحين قبلكم ومنهاة عن الإثم وملغاة للوزر ومذهب كيد الشيطان ومطردة للداء عن الجسد » .

وقد كان جمع من الصالحين يقومون الليل كله ، حتى نقل ذلك عن أربعين من التابعين كانوا يصلون الغداة

بوضوء العشاء : منهم سعيد بن المسيب ، وفضيل بن عياض ، ووهيب بن الفرات ، وأبو سليمان الدارانى، وعلى بن بكار وحبيب العجمى ، وكهمس بن المنهال ، وأبو حازم ، ومحمد بن المنكدر ، وأبو حنيفة رحمه الله تعالى، وغيرهم عدهم وسماهم بأنسابهم الشيخ أبو طالب المكى فى كتابه قوت القلوب ، فمن عجز عن ذلك يستحب له قيام ثلثيه أو ثلثه . وأقل الاستحباب سدس الليل ، فإما أن ينام ثلث الليل الأول ويقوم نصفه وينام سدسه الآخر ، أو ينام النصف الأول ويقوم ثلثه ، أو ينام السدس .

روى أن داود عليه السلام قال : يارب إنى أحب أن أتعبدلك ، فأى وقت أقوم ؟ فأوحى الله تعالى إليه: ياداود لاتقم أول الليل ولا آخره ، فإنه من قام أوله نام آخره ، ومن قام آخره نام أوله ، ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بى وأخلو بك ، وارفع إلى حوائجك .

ويكون القيام بين نومتين ، وإلا فيغالب النفس من أول الليل ويتنفل ، فإذا غلبه النوم ينام ، فإذا انتبه يتوضأ فيكون له قومتان ونومتان ، ويكون ذلك من أفضل مايفعله ، ولايصلى وعنده نوم يشغله عن الصلاة والتلاوة حتى يعقل مايقول ، وقد ورد « لاتكابدوا الليل » .

وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فلانة تصلى من الليل ، فإذا غلبها النوم تعلقت بحبل ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال « ليصل أحدكم من قليل ماتيسر ، فإذا غلبه النوم فليتم » وقال عليه السلام : « لاتشادوا هذا الدين فإنه متين فمن يشاده يغلبه ، ولاتبغضن إلى نفسك عبادة الله » .

ولايليق بالطالب ولاينبغى له أن يطلع الفجر وهو نائم إلا أن يكون قد سبق له فى الليل قيام طويل فيعذر فى ذلك ، على أنه إذا استيقظ قبل الفجر بساعة مع قيام الليل سبق فى الليل يكون أفضل من قيام طويل ، ثم النوم إلى بعد طلوع الفجر ، فإذا استيقظ قبل الفجر يكثر الاستغفار والتسبيح ويغتنم تلك الساعة ، وكلما يصلى بالليل يجلس قليلا بعد كل ركعتين ويسبح ويستغفر ويصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يجد بذلك ترويحا وقوة على القيام . وقد كان بعض الصالحين يقول : هى أول نومة ، فإن انتبهت ثم عدت إلى نومة أخرى فلا أنام الله عينى .

وحكى لى بعض الفقراء عن شيخ له أنه كان يأمر الأصحاب بنومة واحدة بالليل ، وأكلة واحدة لليوم والليلة .

وقد جاء فى الخبر « قم من الليل ولو قدر حلب شاة » وقيل : يكون ذلك قدر أربع ركعات وقدر ركعتين . وقيل فى تفسير قوله تعالى ﴿ تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ﴾ هو قيام الليل ومن حرم قيام الليل كسلا وفتورا فى العزيمة أوتهاونا به لقلة الاعتداد بذلك أو اغترار بحاله ، فليبك عليه فقد قطع عليه طريق كبير من الخير ، وقد يكون من أرباب الأحوال من يكون له إيواء إلى القرب ويجد من دعة القرب مايفتر عليه داعية الشوق ويرى أن القيام وقوف فى مقام الشوق ، وهذا يغلط فيه ويهلك به خلق من المدعين ، والذى له ذلك ينبغى أن يعلم أن استمرار هذه الحالة متعذر ، والإنسان متعرض للقصور والتخلف والشبهة ، ولاحالة أجل من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما استغنى عن قيام الليل ، قام حتى تورمت قدماه وقد يقول بعض من يحتاج فى ذلك : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك تشريعا . فنقول : ما بالنا لانتبع تشريعه ، وهذه دقيقة ، فتعلم أن رؤية الفضيلة فى ترك القيام وادعاء الإيواء إلى جناب القرب واستواء النوم واليقظة : امتلاء وابتلاء حالى ، وهو تقييد بالحال وتحكيم للحال وتحكم من الحال فى العبد ، والأقوياء لايتحكم فيهم الحال ويصرفون الحال فى صور الأعمال ، فهم متصرفون فى الحال لا الحال متصرف فيهم ، فليعلم ذلك فإنا رأينا من الأصحاب من كان فى ذلك ثم انكشف لنا بتأييد الله تعالى أن ذلك وقوف وقصور .

قيل للحسن : ياأبا سعيد إنى أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهورى ، فما بالى لاأقوم ؟ قال : ذنوبك قيدتك ، فليحذر العبد فى نهاره ذنوبا تقيده فى ليله .

وقال النويرى رحمه الله : حرمت قيام الليل سبعة أشهر بذنب أذنبته ، فقيل له : ما كان الذنب ؟ قال : رأيت

رجلا بكاء ؛ فقلت في نفسي : هذا مراء .

وقال بعضهم : دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي ، فقلت : ما بالك أتاك نعي بعض أهلك ؟ فقال : أشد فقلت : وجع يؤلمك ؟ قال : أشد . فقلت : وما ذاك ؟ قال : بابي مغلق وستري مسبل ولم أقرأ حزبي البارحة وما ذاك إلا بذنب أحدثته .

وقال بعضهم : الاحتلام عقوبة ، وهذا صحيح ، لأن المراعي المتحفظ بحسن تحفظه وعلمه بحاله : يقدر ويتمكن من سد باب الاحتلام ، ولا يتطرق الاحتلام إلا على جاهل بحاله أو مهمل حكم وقته وأدب حاله . ومن كمل تحفظه ورعايته وقيامه بأدب حاله قد يكون من ذنبه الموجب للاحتلام : وضع الرأس على الوسادة إذا كان ذا عزيمة في ترك الوسادة وقد يتمهد للنوم . ووضع الرأس على الوسادة بحسن النية ممن لا يكون ذلك ذنبه وله فيه نية للعون على القيام ، وقد يكون ذلك ذنبا بالنسبة إلى بعض الناس ، فإذا كان هذا القدر يصلح أن يكون ذنبا جالبا للاحتلام فقس على هذا ذنوب الأحوال فإنها تختص بأربابها ويعرفها أصحابها ، وقد يرتفق بأنواع الرفق من الفراش الوطيء والوسادة ولا يعاقب بالاحتلام وغيره على فعله إذا كان عالما ذا نية يعرف مداخل الأمور ومخارجها . وكم من نائم يسبق القائم لوفور علمه وحسن نيته ، وفي الخبر « إذا نام العبد عقد الشيطان على رأسه ثلاث عقد ، فإن قعد وذكر الله تعالى انحلت عقدة وإن توضأ انحلت عقدة أخرى ، وإن صلى ركعتين انحلت العقد كلها فأصبح نشيطا طيب النفس ، وإلا أصبح كسلان خبيث النفس » .

وفي خبر آخر « إن من نام حتى يصبح بال الشيطان في أذنه » والذي يخل بقيام الليل : كثرة الاهتمام بأمور الدنيا ، وكثرة أشغال الدنيا ، وإتعاب الجوارح ، والامتلاء من الطعام ، وكثرة الحديث ، واللغو واللغط ، وإهمال القيلولة . والموفق من يغتنم وقته ويعرف داءه ودواءه ولا يهمل فيهمل .

الباب التاسع والاربعون : في استقبال النهار والادب فيه والعمل

قال الله تعالى ﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار ﴾ أجمع المفسرون على أن أحد الطرفين أراد به الفجر وأمر بصلاة الفجر . واختلفوا في الطرف الآخر ، قال قوم : أراد به المغرب . وقال آخرون : صلاة العشاء . وقال قوم : صلاة الفجر والظهر طرف . وصلاة العصر والمغرب طرف ﴿ وزلفا من الليل ﴾ صلاة العشاء ، ثم إن الله تعالى أخبر عن عظيم بركة الصلاة وشرف فائدتها وثمرتها وقال ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ أي الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات . وروى أن أبا اليسر كعب بن عمرو الأنصاري كان يبيع التمر ، فأتت امرأة تبتاع تمرا ، فقال لها : إن هذا التمر ليس بجيد ، وفي البيت أجود منه ، فهل لك فيه رغبة ؟ قالت : نعم ، فذهب بها إلى بيته فضمها إلى نفسه وقبلها ، فقالت له : اتق الله ، فتركها وندم ، ثم أتى النبي عليه السلام وقال : يا رسول الله ، ما تقول في رجل أراد امرأة عن نفسها ولم يبق شيء مما يفعل الرجال بالنساء إلا ركبه غير أنه لم يجامعها ؟ قال عمر بن الخطاب : لقد ستر الله عليك لو سترت على نفسك ؟ ولم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه شيئا وقال : أنتظر أمر ربي ، وحضرت صلاة العصر وصلى النبي عليه الصلاة والسلام العصر ، فلما فرغ أتاه جبريل بهذه الآية ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : « أين أبو اليسر ؟ » فقال ها أنذا يا رسول الله . قال « شهدت معنا هذه الصلاة ؟ » قال : نعم . قال « اذهب فإنها كفارة لما عملت » فقال عمر : يا رسول الله هذا له خاصة أو لنا عامة ؟ فقال « بل للناس عامة » فيستعد العبد لصلاة الفجر باستكمال الطهارة قبل طلوع الفجر ، ويستقبل الفجر بتجديد الشهادة كما ذكرنا في أول الليل ، ثم يؤذن إن لم يكن أجاب المؤذن ، ثم يصلي ركعتي الفجر : يقرأ في الأولى بعد الفاتحة ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ وفي الثانية ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وإن أراد قرأ في الأولى ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل . . الآية ﴾ في سورة البقرة . وفي الأخرى ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول . . . ﴾ ثم يستغفر الله ويسبح الله تعالى بما يتيسر له من العدد ، وإن اقتصر على كلمة : أستغفر الله لذنبي ، سبحان الله بحمد ربي : أتى بالمقصود من التسبيح

والاستغفار . ثم يقول : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى وتجمع بها شملى وتلم بها شعثى وترد بها الفتن عنى وتصلح بها دينى وتحفظ بها غائبى وترفع بها شاهدى وتزكى بها عملى وتبيض بها وجهى وتلقنى بها رشدى وتعصمنى بها من كل سوء واللهم أعطنى إيمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ، ورحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة ، اللهم إنى أسألك الفوز عند القضاء ، ومنازل الشهداء ، وعيش السعداء ، والنصر على الأعداء ، ومرافقة الأنبياء ، اللهم إنى أنزل بك حاجتى وإن قصر رأيى وضعف عملى وافتقرت إلى رحمتك ، وأسألك ياقاضى الأمور وياشافى الصدور ، كما تجير بين البحور - أن تجيرنى من عذاب السعير ، ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور ، اللهم ماقصر عنه رأيى وضعف فيه عملى ولم تبلغه نيتى وأمنيتى - من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك - فأنا راغب إليك فيه وأسألك إياه يارب العالمين . اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين ، حربا لأعدائك وسلما لأوليائك ، نحب بحبك الناس ونعادى بعداوتك من خالفك من خلقك . اللهم هذا الدعاء منى ومنك الإجابة ، وهذا الجهد وعليك التكلان ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ذى الحبل الشديد والأمر الرشيد ، أسألك الأمن يوم الوعيد ، والجنة يوم الخلود ، مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود ، إنك رحيم ودود ، وأنت تفعل ماتريد ، سبحان من تعطف بالعز وقال به ، سبحان من لبس المجد وتكرم به ، سبحان الذى لاينبغى التسبيح إلا له ، سبحان ذى الفضل والنعم ، سبحان ذى الجود والكرم ، سبحان الذى أحصى كل شىء بعلمه ، اللهم اجعل لى نورا فى قلبى ونورا فى قبرى ، ونورا فى سمعى ، ونورا فى بصرى ، ونورا فى شعرى ، ونورا فى بشرى ، ونورا فى لحمى ونورا فى دمى ، ونورا فى عظامى ونورا من بين يدى ، ونورا من خلفى ، ونورا عن يمينى ، ونورا عن شمالى ، ونورا من فوقى ، ونورا من تحتى . اللهم زدنى نورا وأعطنى نورا ، واجعل لى نورا .

ولهذا الدعاء أثر كبير . وما رأيت أحدا حافظ عليه إلا وعنده خير ظاهر وبركة ، وهو من وصية الصادقين بعضهم بعضا بحفظه والمحافظة عليه ، منقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرؤه بين الفريضة والسنة من صلاة الفجر ، ثم يقصد المسجد للصلاة فى الجماعة ويقول عند خروجه من منزله ﴿ وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا ﴾ ويقول فى الطريق : اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا إليك فإنى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك ، أسألك أن تنقذنى من النار وأن تغفر لى ذنوبى إنه لايغفر الذنوب إلا أنت ، وروى أبو سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، من قال ذلك إذا خرج إلى الصلاة وكل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له وأقبل الله تعالى عليه بوجهه الكريم حتى يقضى صلاته .

وإذا دخل المسجد أو أدخل سجادته للصلاة يقول : بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك ، ويقدم رجله اليمنى فى الدخول واليسرى فى الخروج من المسجد أو السجادة ، فسجادة الصوفى بمنزلة البيت والمسجد ، ثم يصلى صلاة الصبح فى جماعة ؛ فإذا سلم يقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حىّ لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير ، لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ، لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن ، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، ويقرأ : هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم التسعة والتسعين اسما إلى آخرها ، فإذا فرغ منها يقول : اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى وعلى آل محمد صلاة تكون له رضاء ولحقه أداء ، وأعطه الوسيلة والمقام المحمود الذى وعدته ، واجزه عنا ماهو أهله ، واجزه عنا أفضل ماجازيت نبيا عن أمته ، وصل على جميع إخوانه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . اللهم صل على محمد فى الأولين ، وصل على محمد فى الآخرين ، وصل على محمد إلى يوم الدين ، اللهم صل على روح محمد فى الأرواح ، وصل على جسد محمد فى الأجساد ، واجعل شرائف صلواتك ونوامى بركاتك ورأفتك

ورحمتك وتحننك ورضوانك على محمد عبدك ونبيك ورسولك ، اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام فحينا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام ، تباركت ياذا الجلال والإكرام . اللهم إنى أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الأمر بيد غيرى وأصبحت مرتهنا بعملى ، فلا فقير أفقر منى ، اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تسئ بى صديقى ، ولا تجعل مصيبتى فى دينى ولا تجعل الدنيا أكبر همى ، ولا تسلط على من لا يرحمنى ، اللهم هذا خلق جديد فافتحه على بطاعتك واختمه لى بمغفرتك ورضوانك وارزقنى فيه حسنة تقبلها منى وزكها وضعفها ، وماعملت فيه من سيئة فاغفرلى إنك غفور رحيم ودود ، رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ، اللهم إنى أسألك خير هذا اليوم وخير ومافيه وأعوذ بك من شره وشر مافيه ، وأعوذ بك من شر طوارق الليل والنهار ومن بغتات الأمور وفجاءة الأقدار ومن شر كل طارق يطرق إلا طارقا يطرق منك بخير يارحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ، وأعوذ بك أن أزل أو أزل أو أضل أو أضل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على ، عز جارك وجل ثناؤك وتقدست أسماؤك وعظمت نعماؤك ، أعوذ بك من شر مايلج فى الأرض ومايخرج منها ومايتزل من السماء ومايعرج فيها ، أعوذ بك من حدة الحرص وشدة الطمع وسورة الغضب وسنة الغفلة وتعاطى الكلفة ، اللهم إنى أعوذ بك من مباهاة المكثرين ، والإزراء على المقلين ، وأن أنصر ظالما أو أخذل مظلوما ، وأن أقول فى العلم بغير علم ، أو أعمل فى الدين بغير يقين ، أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم ، أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وابن عبديك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ماصنعت ، أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى ، فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وآخره نجاحا وأوسطه فلاحا ، اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكرمة ، أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والكبرياء لله والجبروت والسلطان لله والليل والنهار وماسكن فيهما لله الواحد القهار ، أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين ، اللهم إنا نسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام ، أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، ياحى ياقيوم ، ياحى حين لاحى فى ديمومة ملكه وبقائه ، ياحى محيى الموتى ، ياحى مميت الأحياء ووارث الأرض السماء ، اللهم إنى أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، اللهم إنى أسألك باسمك الأعظم الأجل الأعز الأكرم الذى إذا دعيت به أجبت وإذا سئلت به أعطيت ، يانور النور يامدبر الأمور ياعالم مافى الصدور ، ياسميع ياقريب ياجيب الدعاء ياالطيفا لما يشاء ، ياءوف يارحيم ياكبير ياعظيم ياالله يارحمن ياذا الجلال والإكرام ، ألم الله لا إله إلا هو الحى القيوم وعنت الوجوه للحى القيوم ، ياإلهى وإله كل شىء إلها واحدا لا إله إلا أنت ؛ اللهم إنى أسألك باسمك ياالله ياالله ياالله الله الذى لا إله إلا هو رب العرش العظيم ، فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم أنت الأول والآخر والظاهر والباطن وسعت كل شىء رحمة وعلما ، كهيعص حم عسق الر حم إن ياواحد ياقهار ياعزيز ياجبار ، يا أحد ياصمد ياودود ياغفور ، وهو الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ، اللهم إنى أعوذ باسمك المكنون المخزون المنزل السلام المطهر الطاهر القدوس المقدس . ياأدهر ياديهور ياديهار ياأبد ياأزل يامن لم يزل ولا يزال ولا يزول هو ياهو لا إله إلا هو ، يامن لا هو إلا هو ، يامن لا يعلم ماهو إلا هو ، ياكان ياكينان ياروح ياكائن قبل كل كون ، ياكائن بعد كل كون ، يامكونا لكل كون ، أهيا شراهيا أدوناى أصبؤت ، ياجلى عظائم الأمور ﴿ فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴾ ﴿ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ﴾ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم إنى أعوذ بك من

علم لاينفع وقلب لايخشع ودعاء لايسمع ، اللهم إنى أعوذ بك من فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ، اللهم إنى أعوذ بك من شر ماعلمت وشر ما لم أعلم ، وأعوذ بك من شر سمعى وبصرى ولسانى وقلبى ؛ اللهم إنى أعوذ بك من القسوة والغفلة والذل والمسكنة ، وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق وضيق الأرزاق والسمعة والرياء ، وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسائر الأسقام ، اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحويل عافيتك ومن فجأة نقمتك ومن جميع سخطك ، اللهم إنى أسألك الصلاة على محمد وعلى آل محمد وأسألك من الخير كله عاجله وآجله ماعلمت منه ومالم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ماعلمت منه ومالم أعلم ، وأسألك الجنة وماقرب إليها من قول وعمل ، وأعوذ بك من النار وماقرب إليها من قول وعمل ، وأسألك مما سألك عبدك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، وأسألك مافضيت لى من أمر أن تجعل عاقبته رشدا برحمتك ياأرحم الراحمين ، ياحى ياقيوم برحمتك أستغيث لا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ، وأصلح لى شأنى كله يانور السموات والأرض ياجمال السموات والأرض ، يا عماد السموات والأرض ياذا الجلال والإكرام ، ياصريخ المستصرخين ، ياغوث المستغيثين ، يامنتهى رغبة الراغبين والمفرج عن المكروبين والمروح عن المغمومين ومجيب دعوة المضطرين وكاشف السوء وأرحم الراحمين وإله العالمين ، منزل بك كل حاجة ياأرحم الراحمين ، اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى وأقلنى عثراتى ، اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى ، وأعوذ بك أن أغتال من تحتى . اللهم إنى ضعيف فقو فى رضاك ضعفى ، وخذ إلى الخير بناصيتى ، واجعل الإسلام منتهى رضاى ، اللهم إنى ضعيف فقوتى ، اللهم إنى ذليل فأعزنى ، اللهم إنى فقير فأغننى برحمتك ياأرحم الراحمين ، اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى ، وتعلم حاجتى فأعطنى سؤلى ، وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى ، اللهم إنى أسألك إيمانا يباشر قلبى ، ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلا ما كتب لى ، والرضا بما قسمت لى ياذا الجلال والإكرام .

اللهم ياهادى المضلين ويا راحم المذنبين ومقيل عثرة العاثرين ، ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين ، واجعلنا مع الأحياء المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، آمين يارب العالمين اللهم عالم الخفيات رفيع الدرجات ، تلقى الروح بأمرك على من تشاء من عبادك غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذا الطول لا إله إلا أنت الوكيل وإليك المصير ، يامن لايشغله شأن عن شأن ولايشغله سمع عن سمع ، ولاتشتبه عليه الأصوات ، ويامن لاتغلطه المسائل ولاتختلف عليه اللغات ، ويامن لايتبرم بإلحاح الملحين . أذقنى برد عفوك وحلاوة رحمتك ؛ اللهم إنى أسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وعملا متقبلا . أسألك من خير ماتعلم وأعوذ بك من شر ماتعلم ، وأستغفرك لما تعلم ولاأعلم ، وأنت علام الغيوب . اللهم إنى أسألك إيمانا لا يرتد ، ونعيما لاينفد ، وقرة عين الأبد ، ومرافقة نبيك محمد ، وأسألك حبك وحب من أحبك ، وحب عمل يقرب إلى حبك . اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على خلقك ، أحينى ما كانت الحياة خيرا لى ، وتوفنى ما كانت الوفاة خيرا لى ، أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة ، وكلمة العدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر ، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك ، وأعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة . اللهم اقسم لى من خشيتك ماتحول به بينى وبين معصيتك ، ومن طاعتك مايدخلنى جنتك ، ومن اليقين ماتهون به علينا مصائب الدنيا . اللهم ارزقنا حزن خوف الوعيد وسرور رجاء الموعود حتى نجد لذة ما نطلب وخوف ما منه نهرب ، اللهم ألبس وجوهنا منك الحياء واملأ قلوبنا بك فرحا ، وأسكن فى نفوسنا من عظمتك مهابة ، وذلل جوارحنا لخدمتك ، واجعلك أحب إلينا مما سواك ؛ واجعلنا أخشى لك ممن سواك ، نسألك تمام النعمة بتمام التوبة ، ودوام العافية بدوام العصمة ، وأداء الشكر بحسن العبادة ، اللهم إنى أسألك بركة الحياة وخير الحياة ، وأعوذ بك من شر الحياة وشر الوفاة . وأسألك خير ما بينهما ، أحينى حياة السعدا : حياة من تحب بقاءه . وتوفنى وفاة الشهداء : وفاة من تحب لقاءه ، ياخير الرازقين وأحسن التوابين وأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين

ورب العالمين ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم ماخلقت واغفر ماقدرت وطيب مارزقت وتمم ماأنعمت وتقبل مااستعملت واحفظ مااستحفظت ولاتهتك ماسترت فإنه لاإله إلا أنت ، أستغفرك من كل لذة بغير ذكرك ومن كل راحة بغير خدمتك ومن سرور بغير قربك ، ومن كل فرح بغير محالستك ومن كل شغل بغير معاملتك ، اللهم إنى استغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه ، اللهم إنى أستغفرك من كل عقد عقدته ثم لم أوف به ، اللهم إنى أستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على فقويت بها على معصيتك ، اللهم إنى أستغفرك من كل عمل عملته لك فخالطه ماليس لك ، اللهم إنى أسألك أن تصلى على محمد وعلى آل محمد وأسالك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ، وأعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه ، اللهم احفظنا فيما أمرتنا واحفظنا عما نهيتنا واحفظ لنا ماأعطيتنا ، ياحافظ الحافظين ، وياذاكر الذاكرين ، وياشاكر الشاكرين ، بذكرك ذكروا ، وبفضلك شكروا ، ياغياث يامغيث ، يامستغاث ياغياث المستغيثين ، لاتكلنى إلى نفسى طرفة عين فاهلك ، ولا إلى أحد من خلقك فاضيع ، اكلأنى كلاءة الوليد ، ولا تخل عنى ، وتولنى بما تتولى به عبادك الصالحين ، أنا عبدك وابن عبدك ناصيتى بيدك ، جار فى حكمك ، عدل فى قضاؤك ، نافذ فى مشيئتك ؛ إن تعذب فاهل ذلك أنا ، وإن ترحم فاهل ذلك أنت ، فافعل اللهم يامولاى يا الله يارب ما أنت له أهل ولاتفعل اللهم يارب يا الله ما أنا له أهل ، إنك أهل التقوى وأهل المغفرة ؛ يامن لاتضره الذنوب ولاتنقصه المغفرة ، هب لى مالايضرك وأعطنى مالاينقصك ، يارب أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين توفى مسلما وألحقنى بالصالحين ، أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ، ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، وارزقنا العون على الطاعة ، والعصمة من المعصية ، وإفراغ الصبر فى الخدمة ، وإيداع الشكر فى النعمة ، وأسالك حسن الخاتمة ، وأسالك اليقين وحسن المعرفة بك ، وأسالك المحبة وحسن التوكل عليك ، وأسالك الرضا وحسن الثقة بك ، وأسألك حسن المنقلب إليك ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأصلح أمة محمد ، اللهم ارحم أمة محمد ، واللهم فرج عن أمة محمد فرجا عاجلا ، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم ، اللهم اغفر لى ولوالدى ولمن ولدا وارحمهما كما ربيانى صغيرا ، واغفر لأعمامنا وعماتنا ، وأخوالنا وخالاتنا وأزواجنا وذرياتنا ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات يا أرحم الراحمين ياخير الغافرين .

ولما كان الدعاء مخ العبادة أحببنا أن نستوفى من ذلك قسما صالحا نرجو بركته ، وهذه الأدعية استخرجها الشيخ أبو طالب المكى رحمة الله فى كتابه قوت القلوب ، وعلى نقله كل الاعتماد وفيه البركة ، فليدع بهذه الدعوات منفردا أو فى الجماعة ، إماما أو مأموما ويختصر منها مايشاء .

الباب الخمسون : فى ذكر العمل فى جميع النهار وتوزيع الأوقات

فمن ذلك أن يلازم موضعه الذى صلى فيه الفجر مستقبل القبلة ، إلا أن يرى انتقاله إلى روانبه أسلم لدينه لئلا يحتاج إلى حديث أو التفات إلى شىء ؛ فإن السكون فى هذا الوقت وترك الكلام له أثر ظاهر بين يجده أهل المعاملة وأرباب القلوب . وقد ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك ، ثم يقرأ الفاتحة وأول سورة البقرة إلى المفلحون ، والآيتين : وإلهكم إله واحد ، وآية الكرسى والآيتين بعدها ، وآمن الرسول والآية قبلها ، وشهد الله ، وقل اللهم مالك الملك ، وإن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض - إلى - المحسنين ، ولقد جاءكم رسول إلى الآخر ، وقل ادعوا الله الآيتين ، وآخر الكهف من : إن الذين آمنوا . الخ وذا النون إذ ذهب مغاضبا - إلى - خير الوارثين فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وسبحان ربك إلى آخر السورة ، ولقد صدق الله ، وأول سورة الحديد - إلى - بذات الصدور ، وآخر سورة الحشر من لو أنزلنا ، ثم يسبح ثلاثا وثلاثين ، وهكذا يحمد مثله ، ويكبر مثله ؛ ويتمها

مائة بلا إله إلا الله وحده لاشريك له ، فإذا فرغ من ذلك يشتغل بتلاوة القرآن حفظا أو من المصحف ، أو يشتغل بأنواع الأذكار ، ولايزال كذلك من غير فتور وقصور ونعاس ، فإن النوم فى هذا الوقت مكروه جدا ، فإن غلبه النوم فليقم فى مصلاه قائما مستقبل القبلة ، فإن لم يذهب النوم بالقيام يخط خطوات نحو القبلة ويتأخر بالخطوات كذلك ، ولايستدبر القبلة ، ففى إدامة استقبال القبلة وترك الكلام والنوم ودوام الذكر فى هذا الوقت : أثر كبير وبركة غير قليلة . وجدنا ذلك بحمد الله ونوصى به الطالبين ، وأثر ذلك فى حق من يجمع فى الأذكار بين القلب واللسان أكثر وأظهر ، وهذا الوقت أول النهار - والنهار مظنة الآفات - فإذا أحكم أوله بهذه الرعاية فقد أحكم بنيانه وتبتنى أوقات النهار جميعا على هذا البناء ؛ فإذا قارب طلوع الشمس يبتدئ بقراءة المسبعات العشر وهى من تعليم الخضر عليه السلام علمها إبراهيم التيمى وذكر أنه تعلمها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينال بالمداومة عليها جميع المتفرق فى الأذكار والدعوات ، وهى عشرة أشياء : سبعة سبعة : الفاتحة ، والمعوذتان ، وقل هو الله أحد ، وقل يا أيها الكافرون ، وآية الكرسى ، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، والصلاة على النبى وآله ، ويستغفر لنفسه ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات ، ويقول سبعاً : اللهم افعل بى وبهم عاجلا وآجلا فى الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ، ولاتفعل بنا يامولانا مانحن له أهل إنك غفور حليم جواد كريم رءوف رحيم .

وروى أن إبراهيم التيمى لما قرأ هذه بعد أن تعلمها من الخضر رأى فى المنام أنه دخل الجنة ورأى الملائكة والأنبياء عليهم السلام وأكل من طعام الجنة . وقيل : إنه مكث أربعة أشهر لم يطعم . وقيل : لعله كان ذلك لكونه أكل من طعام الجنة ، فإذا فرغ من المسبعات أقبل على التسبيح والاستغفار والتلاوة إلى أن تطلع الشمس قدر رمح

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لأن أقعد فى مجلس أذكر الله فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب » ثم يصلى ركعتين قبل أن ينصرف من مجلسه ، فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلى الركعتين ، وبهاتين الركعتين تتبين فائدة رعاية هذا الوقت ، وإذا صلى الركعتين بجمع هم وحضور فهم وحسن تدبر لما يقرأ يجد فى باطنه أثرا ونورا وروحا وأنسا إذا كان صادقا ، والذى يجده من البركة ثواب معجل له على عمله هذا ، فى الأولى آية الكرسى ، وفى الأخرى آمن الرسول والله نور السموات والأرض إلى آخر الآية ، وتكون نيته فيها الشكر لله على نعمه فى يومه وليلته ، ثم يصلى ركعتين أخريين يقرأ المعوذتين فيهما فى كل ركعة سورة ، وتكون صلاته هذه ليستعيذ بالله تعالى من شر يومه وليلته ، ويذكر بعد هاتين الركعتين كلمات الاستعاذة فيقول : أعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر السامة والهامة ، وأعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر عذابك وشر عبادك ، وأعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر مايجرى به الليل والنهار إن ربى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .

ويقول بعد الركعتين الأوليين . اللهم إنى أصبحت لاأستطيع دفع ماأكره ولاأملك نفع ماأرجو ، وأصبحت مرتهنا بعملى وأصبح أمرى بيد غيرى فلافقير أفقر منى ، اللهم لاتشمت بى عدوى ولا تسئ بى صديقى ، ولا تجعل مصيبتى فى دينى ، ولا تجعل الدنيا أكبر همى ولا مبلغ علمى ، ولا تسلط على من لايرحمنى ، اللهم إنى أعوذ بك من الذنوب التى تزيل النعم ، وأعوذ بك من الذنوب التى توجب النقم ، ثم يصلى ركعتين أخريين بنية الاستخارة لكل عمل يعمله فى يومه وليلته ، وهذه الاستخارة تكون بمعنى الدعاء على الإطلاق ؛ وإلا فالاستخارة التى وردت بها الأخبار هى التى يصليها أمام كل أمر يريده ، ويقرأ فى هاتين الركعتين ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ و ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ويقرأ دعاء الاستخارة كما سبق ذكره فى غير هذا الباب ، ويقول فيه : كل قول وعمل أريده فى هذا اليوم اجعل فيه الخيرة ثم يصلى ركعتين أخريين يقرأ فى الأولى سورة الواقعة وفى الأخرى سورة الأعلى ، ويقول بعدها : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، واجعل حبك أحب الأشياء إلى وخشيتك أخوف الأشياء عندى ، واقطع عنى حاجات الدنيا بالشوق إلى لقائك ، وإذا أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر عينى بعبادتك ، واجعل طاعتك فى كل شىء يا أرحم الراحمين ،

ثم يصلى بعد ذلك ركعتين يقرأ فيهما شيئا من حزبه من القرآن ، ثم بعد ذلك إن كان متفرغا ليس له شغل فى الدنيا يتنفل فى أنواع العمل من الصلاة والتلاوة والذكر إلى وقت الضحى ، وإن كان ممن له فى الدنيا شغل إما لنفسه أو لعياله فليمض لحاجته ومهامه بعد أن يصلى ركعتين لخروجه من المنزل ؛ وهكذا ينبغى أن يفعل أبدا لا يخرج من البيت إلى جهة إلا بعد أن يصلى ركعتين ليقيه الله سوء المخرج ، ولا يدخل البيت إلا ويصلى ركعتين ليقيه الله سوء المدخل بعد أن يسلم على من فى المنزل من الزوجة وغيرها ؛ وإن لم يكن فى البيت أحد يسلم أيضا ويقول السلام على عباد الله الصالحين المؤمنين . وإن كان متفرغا فأحسن أشغاله فى هذا الوقت إلى صلاة الضحى الصلاة ؛ فإن كان عليه قضاء صلى صلاة يوم أو يومين أو أكثر ، وإلا فليصل ركعات يطولها ويقرأ فيها القرآن ؛ فقد كان من الصالحين من يختم القرآن فى الصلاة بين اليوم والليلة ، وإلا فليصل أعدادا من الركعات خفيفة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وبالآيات التى فى القرآن وفيها الدعاء مثل قوله تعالى ﴿ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ﴾ وأمثال هذه الآية يقرأ فى كل ركعة آية منها إما مرة أو يكررها مهما شاء ، ويقدر للطالب أن يصلى بين الصلاة التى ذكرناها بعد طلوع الشمس وبين صلاة الضحى مائة ركعة خفيفة ، وقد كان فى الصالحين من ورده بين اليوم والليلة مائة ركعة إلى مائتين إلى خمسمائة إلى ألف ركعة ، ومن ليس له فى الدنيا شغل وقد ترك الدنيا إلى أهلها فما باله يبطل ولا يتنعم بخدمة الله تعالى قال سهل بن عبدالله التسترى : لا يكمل شغل قلب عبد بالله الكريم وله فى الدنيا حاجة .

فإذا ارتفعت الشمس وتنصف الوقت من صلاة الصبح إلى الظهر كما يتنصف العصر بين الظهر والمغرب يصلى الضحى ؛ فهذا الوقت أفضل الأوقات لصلاة الضحى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلاة الضحى إذا رمضت الفصال » وهو أن ينام الفصيل فى ظل أمه عند حر الشمس . وقيل الضحى إذا ضحيت الأقدام بحر الشمس ؛ وأقل صلاة الضحى ركعتان ، وأكثرها اثنتا عشرة ركعة ، ويجعل لنفسه دعاء بعد كل ركعتين ، ويسبح ويستغفر ؛ ثم بعد ذلك إن كان هناك حق يقضى مما ندب إليه من زيارة أو عيادة يمضى فيه ، وإلا فيديم العمل لله تعالى من غير فتور إما ظاهرا أو باطنا وقلبا وقالبا ، وإلا فباطنا ؛ وترتيب ذلك : أنه يصلى مادام منشرحا ونفسه مجيبة ، فإن سئم ينزل من الصلاة إلى التلاوة ، فإن مجرد التلاوة أخف على النفس من الصلاة ، فإن سئم التلاوة أيضا يذكر الله بالقلب واللسان فهو أخف من القراءة ، فإن سئم الذكر يدع ذكر اللسان ويلازم بقلبه المراقبة ، والمراقبة علم القلب بنظر الله تعالى إليه فما دام هذا العلم ملازما لقلبه فهو مراقب ، والمراقبة عين الذكر وأفضله ، فإن عجز عن ذلك أيضا وتملكته الوساوس وتزاحم فى باطنه حديث النفس فلينم ففى النوم طرد حديث النفس وبه يقسى القلب كثرة الكلام لأنه كلام من غير لسان فيحترز عن ذلك . قال سهل بن عبدالله أسوأ المعاصى حديث النفس ، والطالب يريد أن يعتبر باطنه كما يعتبر ظاهره ، فإنه بحديث النفس وما يتخايل له من ذكر ما مضى ورأى وسمع كشخص آخر فى باطنه ، فيقيد الباطن بالمراقبة والرعاية كما يقيد الظاهر بالعمل وأنواع الذكر ، ويمكن للطالب الجد أن يصلى من صلاة الضحى إلى الاستواء مائة ركعة أخرى ، وأقل من ذلك عشرون ركعة يصليها خفيفة ، أو يقرأ فى كل ركعتين جزءا من القرآن أو أقل أو أكثر .

والنوم بعد الفراغ من صلاة الضحى وبعد الفراغ من أعداد أخر من الركعات حسن . قال سفيان : كان يعجبهم إذا فرغوا أن يناموا طلبا للسلامة ، وهذا النوم فيه فوائد : منها أنه يعين على قيام الليل ، ومنها أن النفس تستريح ويصفو القلب لبقية النهار والعمل فيه ، والنفس إذا استراحت عادت جديدة ، فبعد الانتباه من نوم النهار تجد فى الباطن نشاطا آخر وشغفا آخر كما كان فى أول النهار ، فيكون للصادق فى النهار نهاران يغتنمهما : بخدمة الله تعالى ، والدءوب فى العمل . وينبغى أن يكون انتباهه من نوم النهار قبل الزوال بساعة حتى يتمكن من الوضوء والطهارة قبل الاستواء ، بحيث يكون وقت الاستواء مستقبل القبلة ذاكرا أو مسبحا أو تاليا : قال الله تعالى ﴿ وأقم الصلاة طرفى النهار ﴾ وقال ﴿ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ﴾ قيل : قبل طلوع الشمس : صلاة الصبح ، وقبل غروبها : صلاة العصر ﴿ ومن آناء الليل فسبح ﴾ أراد العشاء الأخيرة ﴿ وأطراف النهار ﴾ أراد

الظهر والمغرب ، لأن الظهر صلاة فى آخر الطرف الأول من النهار ، وآخر الطرف الآخر غروب الشمس وفيها صلاة المغرب ، فصار الظهر آخر الطرف الأول ، والمغرب آخر الطرف الآخر ، فيستقبل الطرف الآخر باليقظة والذكر كما استقبل الطرف الأول ، وقد عاد بنوم النهار جديدا كما كان بنوم الليل ، ويصلى فى أول الزوال قبل السنة والفرض أربع ركعات بتسليمة واحدة كان يصليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه صلاة الزوال قبل الظهر فى أول أوقاتها ، ويحتاج أن يراعى لهذه الصلاة أول الوقت بحيث يفطن الوقت قبل المؤذنين حين يذهب وقت الكراهية بالاستواء ، فيشرع فى صلاة الزوال ويسمع الآذان وقد توسط هذه الصلاة ، ثم يستعد لصلاة الظهر ، فإن وجد فى باطنه كدرا من مخالطة أو مجالسة اتفقت يستغفر الله تعالى ويتضرع إليه ، ولا يشرع فى صلاة الظهر ، إلا بعد أن يجد الباطن عائدا إلى حاله من الصفاء ، والذائقون حلاوة المناجاة لابد أن يجدوا صفو الأنس فى الصلاة ، ويتكدرون بيسير من الاسترسال فى المباح ، ويصير على بواطنهم من ذلك عقد وكدر ، وقد يكون ذلك بمجرد المخالطة والمجالسة مع الأهل والولد مع كون ذلك عبادة ، ولكن حسنات الأبرار سيئات المقربين ، فلا يدخل الصلاة إلا بعد حل العقد وإذهاب الكدر ، وحل العقد بصدق الإنابة والاستغفار والتضرع إلى الله تعالى ودواء ما يحدث من الكدر بمجالسة الأهل والولد : أن يكون فى مجالسته غير راكن إليهم كل الركون ، بل يسترق القلب فى ذلك نظرات إلى الله تعالى ، فتكون تلك النظرات كفارة لتلك المجالسة ، إلا أن يكون قوى الحال لا يحجبه الخلق عن الحق فلا ينعقد على باطنه عقدة ، فهو كما يدخل فى الصلاة لا يجدها ويجد باطنه وقلبه ، لأنه حيث استروحت نفس هذا إلى المجالسة كان استرواح نفسه منغمراً بروح قلبه ، لأنه يجالس ويخالط وعين ظاهره ناظرة إلى الخلق وعين قلبه مطالعة للحضرة الإلهية فلا ينعقد على باطنه عقدة ، وصلاة الزوال التى ذكرناها تحل العقد وتهيئ الباطن لصلاة الظهر ، فيقرأ فى صلاة الزوال بمقدار سورة البقرة فى النهار الطويل ، وفى القصير ما يتيسر من ذلك . قال الله تعالى : ﴿ وعشيا وحين تظهرون ﴾ وهذا هو الإظهار ، فإن انتظر بعد السنة حضور الجماعة للفرد وقرأ الدعاء الذى بين الفريضة والسنة من صلاة الفجر لحسن ، وكذلك ما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا به إلى صلاة الفجر ، ثم إذا فرغ من صلاة الظهر يقرأ الفاتحة وآية الكرسى ويسبح ويحمد ويكبر ثلاثا وثلاثين مرة كما وصفنا ، ولو قدر على الآيات كلها التى ذكرناها بعد صلاة الصبح وعلى الأدعية أيضا كان ذلك خيرا كثيرا وفضلا عظيما .

ومن له همة ناهضة وعزيمة صادقة لا يستكثر شيئا لله تعالى ، ثم يحيى بين الظهر والعصر كما يحيى بين العشاءين على الترتيب الذى ذكرناه من الصلاة والتلاوة والذكر والمراقبة ، ومن دام سهره ينام نومة خفيفة فى النهار الطويل بين الظهر والعصر ، ولو أحيا بين الظهر والعصر بركعتين يقرأ فيهما ربع القرآن أو يقرأ ذلك فى أربع ركعات فهو خير كثير ، وإن أراد أن يحيى هذا الوقت بمائة ركعة فى النهار الطويل أمكن ذلك ، أو بعشرين ركعة يقرأ فيها قل هو الله أحد ألف مرة فى كل ركعة خمسين ، ويستاك قبل الزوال إن كان صائما ، وإن لم يكن صائما فأى وقت تغير فيه الفم ، وفى الحديث « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب » وعند القيام إلى الفرائض يستحب ، قيل : إن الصلاة بالسواك تفضل على الصلاة بغير سواك سبعين ضعفا ، وقيل هو خبر ، وإن أراد أن يقرأ بين الصلاتين فى صلاته فى عشرين ركعة فى كل ركعة آية أو بعض آية يقرأ فى الركعة الأولى ﴿ ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾ ثم فى الثانية ﴿ ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾ ثم ﴿ ربنا لا تؤاخذنا ... ﴾ إلى آخر السورة ، ثم ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا ... الآية ﴾ ثم ﴿ ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان ... الآية ﴾ ثم ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت ... ﴾ ثم ﴿ أنت ولينا فاغفر لنا ﴾ ثم ﴿ فاطر السموات والأرض أنت ولى ﴾ ثم ﴿ ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن ... الآية ﴾ ثم ﴿ وقل رب زدنى علما ﴾ ثم ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك ﴾ ثم ﴿ رب لا تذرنى فردا ﴾ ثم ﴿ وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين ﴾ ثم ﴿ ربنا هب لنا من أزواجنا ﴾ ثم ﴿ رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين ﴾

ثم ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور﴾ ثم ﴿رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على ... الآية﴾ من سورة الأحقاف ، ثم ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان .. الآية﴾ ثم ﴿ربنا عليك توكلنا﴾ ثم ﴿رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا﴾ مهما يصل فليقرأ بهذه الآيات ، وبالمحافظة على هذه الآيات فى الصلاة مراطئا للقلب واللسان يوشك أن يرقى إلى مقام الإحسان ، ولو ردد فرد آية من هذه فى ركعتين من الظهر أو العصر كان فى جميع الوقت مناجيا لمولاه وداعيا وناليا ومصليا ، والدءوب فى العمل واستيعاب أجزاء النهار بلذاذة وحلاوة من غير سآمة لايصح إلا لعبد تزكت نفسه بكمال التقوى والاستقصاء فى الزهد فى الدنيا وانتزع منه متابعة الهوى . ومتى بقى على الشخص من التقوى والزهد والهوى بقية لايدوم روحه فى العمل ، بل ينشط وقتا ويسأم وقتا ، ويتناوب النشاط والكسل فيه لبقاء متابعة شىء من الهوى بنقصان تقوى أو محبة دنيا وإذا صح فى الزهد والتقوى ، فإن ترك العمل بالجوارح لايفتر عن العمل بالقلب ، فمن رام دوام الروح واستحلاء الدءوب فى العمل فعليه بحسم مادة الهوى ، والهوى روح النفس لايزول ولكن تزول متابعته ، والنبى عليه السلام ما استعاذ من وجود الهوى ، ولكن استعاذ من متابعته فقال « أعوذ بك من هوى متبع » ولم يستعذ من وجود الشح فإنه طبيعة النفس ، ولكن استعاذ من طاعته فقال «وشح مطاع» ودقائق متابعة الهوى تتبين على قدر صفاء القلب وعلو الحال ، فقد يكون متبعا للهوى باستحلاء مجالسة الخلق ومكالمتهم أو النظر إليهم . وقد يتبع الهوى بتجاوز الاعتدال فى النوم والأكل وغير ذلك من أقسام الهوى المتبع ، وهذا شغل من ليس له شغل إلا فى الدنيا ، ثم يصلى العبد قبل العصر أربع ركعات ، فإن أمكنه تجديد الوضوء لكل فريضة كان أكمل وأتم ، ولو اغتسل كان أفضل ، فكل ذلك له أثر ظاهر فى تنوير الباطن وتكميل الصلاة ويقرأ فى الأربع قبل العصر : إذا زلزلت والعاديات ، والقارعة ، والهاكم . ويصلى العصر ويجعل من قراءته فى بعض الأيام : والسماء ذات البروج . وسمعت أن قراءة سورة البروج فى صلاة العصر أمان من الدماميل ، ويقرأ بعد العصر ما ذكرنا من الآيات والدعاء وما يتيسر له من ذلك ، فإذا صلى العصر ذهب وقت التنفل بالصلاة وبقى وقت الأذكار والتلاوة ، وأفضل من ذلك مجالسة من يزهده فى الدنيا ويسدد كلامه عرى التقوى من العلماء الزاهدين المتكلمين بما يقوى عزائم المؤيدين ، فإذا صحت نية القائل والمستمع فهذه المجالسة أفضل من الانفراد والمداومة على الأذكار ، وإن عدمت هذه المجالسة وتعذرت فليتروح بالتنقل فى أنواع الأذكار ، وإن كان خروجه لحوائجه وأمر معاشه فى هذا الوقت يكون أفضل وأولى من خروجه فى أول النهار ، ولا يخرج من المنزل إلا وهو على الوضوء ، وكره جمع من العلماء تحية الطهارة بعد صلاة العصر ، وأجازه المشايخ والصالحون ، ويقول كلما خرج من منزله : بسم الله ماشاء الله ، حسبى الله لاقوة إلا بالله ، اللهم إليك خرجت وأنت أخرجتنى ، وليقرأ الفاتحة والمعوذتين ، ولا يدع أن يتصدق كل يوم بما يتيسر له ولو تمرة أو لقمة ، فإن القليل بحسن النية كثير . وروى أن عائشة رضى الله عنها أعطت السائل عبة واحدة وقالت : إن فيها لمثاقيل ذر كثير . وجاء فى الخبر « كل امرئ يوم القيامة تحت ظل صدقته » ويكون من ذكره من العصر إلى المغرب مائة مرة لاإله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من قال ذلك كل يوم مائة مرة كان له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك ، ومائة مرة لاإله إلا الله الملك الحق المبين ، فقد ورد أن من قال فى يومه مائة مرة لاإله إلا الله الملك الحق المبين لم يعمل أحد فى يومه أفضل من عمله ، ويقول مائة مرة : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ومائة مرة : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده أستغفر الله ، ومائة مرة : لاإله إلا الله الملك الحق المبين ، ومائة مرة : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، ومائة مرة : أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأسأله التوبة ، ومائة مرة : ماشاء الله لاقوة إلا بالله . ورأيت بعض الفقراء من المغرب

بمكة وله سبحة فيها ألف حبة فى كيس له ، ذكر أن ورده أن يديرها كل يوم اثنتى عشرة مرة بأنواع الذكر .

ونقل عن بعض الصحابة أن ذلك كان ورده بين اليوم والليلة . ونقل عن بعض التابعين . كان ورده من التسبيح ثلاثين ألفا بين اليوم والليلة ، وليقل مائة مرة بين اليوم والليلة هذا التسبيح : سبحان الله العلى الديان ، سبحان الله شديد الأركان ، سبحان من يذهب بالليل ويأتى بالنهار ، سبحان من لايشغله شان عن شان ، سبحان الله الحنان المنان ، سبحان الله المسبح فى كل مكان .

روى أن بعض الأبدال بات على شاطئ البحر ، فسمع فى هدوء الليل هذا التسبيح ، فقال : من الذى أسمع صوته ، ولا أرى شخصه ؟ فقال : أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر ، أسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت ؛ فقال : ما اسمك ؟ فقال : مهلهيائيل ؛ فقال : ماثواب هذا التسبيح ؟ قال : من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له .

وروى أن عثمان رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ فقال : سألنى عن شىء عظيم ماسألنى عنه غيرك ، هو : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله عز وجل ، وأستغفر الله الأول الآخر الظاهر الباطن ، له الملك وله الحمد ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير .

من قالها عشرا حين يصبح وحين يمسى أعطى ست خصال ؛ فأول خصلة : أن يحرس من إبليس وجنوده . الثانية : أن يعطى قنطارا من الأجر . الثالثة : يرفع له درجة فى الجنة . الرابعة : يزوجه الله من الحور العين . الخامسة . اثنا عشر ملكا يستغفرون له . السادسة : يكون له من الأجر كمن حج واعتمر ، ويقول أيضا فى هذا الوقت وفى أول النهار : اللهم أنت خلقتنى وأنت هديتنى وأنت تطعمنى وأنت تسقينى وأنت تميتنى وأنت تحيينى ، أنت ربى لارب سواك ولا إله إلا أنت وحدك لاشريك لك ، ويقول : ماشاء الله لاقوة إلا بالله ، ماشاء الله كل نعمة من الله ، ماشاء الله الخير كله بيد الله ، ماشاء الله لايصرف السوء إلا الله ؛ ويقول : حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .

ثم يستعد لاستقبال الليل بالوضوء والطهارة ، ويقرأ المسبعات قبل الغروب ، ويديم التسبيح والاستغفار ، بحيث تغيب الشمس وهو فى التسبيح والاستغفار ، ويقرأ عند الغروب أيضا : والشمس والليل والمعوذتين ، ويستقبل الليل كما استقبل النهار . قال الله تعالى ﴿وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا﴾ فكما أن الليل يعقب النهار والنهار يعقب الليل : ينبغى أن يكون العبد بين الذكر والشكر يعقب أحدهما الآخر ، ولا يتخللهما شىء كما لايتخلل بين الليل والنهار شىء ، والذكر جميعه أعمال القلب ، والشكر أعمال الجوارح . قال الله تعالى ﴿ اعملوا آل داود شكرا ﴾ والله الموفق المعين .

الباب الحادى والخمسون : فى آداب المريد مع الشيخ

أدب المريدين مع الشيوخ عند الصوفية من مهام الآداب ؛ وللقوم فى ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم ﴾ .

روى عن عبدالله بن الزبير قال : قدم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى تميم ، فقال أبو بكر : أمر القعقاع بن معبد وقال عمر : بل أمر الأقرع بن حابس ، فقال أبو بكر : ماأردت إلا خلافى ؟ وقال عمر : ماأردت خلافك ، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما ؛ فأنزل الله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا ... الآية ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما ﴿لاتقدموا﴾ لاتتكلموا بين يدى كلامه . وقال جابر : كان ناس يضحون قبل رسول الله ، فنهوا عن تقديم الأضحية على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل : كان قوم يقولون : لو أنزل فى كذا وكذا فكره الله ذلك . وقالت عائشة رضى الله عنها : أى لاتصوموا قبل أن يصوم نبيكم . وقال الكلبى : لاتسبقوا رسول الله بقول ولا فعل حتى يكون

هو الذى يأمركم به ، وهكذا أدب المريد مع الشيخ أن يكون مسلوب الاختيار لا يتصرف فى نفسه وماله إلا بمراجعة الشيخ وأمره . وقد استوفينا هذا المعنى فى باب المشيخة . وقيل ﴿ لا تقدموا ﴾ لا تمشوا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى أبو الدرداء قال : كنت أمشى أمام أبى بكر ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تمشى أمام من هو خير منك فى الدنيا والآخرة » . وقيل : نزلت فى أقوام كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا سئل الرسول عليه السلام عن شىء خاضوا فيه وتقدموا بالقول والفتوى ، فنهوا عن ذلك ، وهكذا أدب المريد فى مجلس الشيخ ينبغى أن يلزم السكوت ولا يقول شيئا بحضرته من كلام حسن إلا إذا استأمر الشيخ ووجد من الشيخ فسحة فى ذلك ، وشأن المريد فى حضرة الشيخ كمن هو قاعد على ساحل بحر ينتظر رزقا يساق إليه ، فتطلعه إلى الاستماع ومايرزق من طريق كلام الشيخ يحقق مقام إرادته وطلبه واستزادته من فضل الله ، وتطلعه إلى القول يرده عن مقام الطلب والاستزادة إلى مقام إثبات شىء لنفسه وذلك جناية المريد .

وينبغى أن يكون تطلعه إلى مبهم من حاله يستكشف عنه بالسؤال من الشيخ : على أن الصادق لا يحتاج إلى السؤال باللسان فى حضرة الشيخ بل يبادئه بما يريد ، لأن الشيخ يكون مستنطقاً نطقه بالحق ، وهو عند حضور الصادقين يرفع قلبه إلى الله ويستمطر ويستسقى لهم ، فيكون لسانه وقلبه فى القول والنطق مأخوذين إلى مهم الوقت من أحوال الطالبين المحتاجين إلى مايفتح به عليه : لأن الشيخ يعلم تطلع الطالب إلى قوله واعتداده بقوله ، والقول كالبذر يقع فى الأرض ؛ فإذا كان البذر فاسدا لاينبت ، وفساد الكلمة بدخول الهوى فيها ؛ فالشيخ ينقى بذر الكلام عن شوب الهوى ، ويسلمه إلى الله ، ويسأل الله المعونة والسداد ، ثم يقول ، فيكون كلامه بالحق من الحق للحق ، فالشيخ للمريدين أمين الإلهام ، كما أن جبريل أمين الوحى ، فكما لايخون جبريل فى الوحى لايخون الشيخ فى الإلهام ، وكما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاينطق عن الهوى فالشيخ مقتد برسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا ، لايتكلم بهوى النفس . وهوى النفس فى القول بشيئين : أحدهما طلب استجلاب القلوب وصرف الوجوه إليه ، وما هذا من شأن الشيوخ . والثانى : ظهور النفس باستجلاء الكلام والعجب ، وذلك خيانة عند المحققين والشيخ فيما يجرى على لسانه راقد النفس تشغلة مطالعة نعم الحق فى ذلك فاقد الحظ من فوائد ظهور النفس بالاستجلاء والعجب ، فيكون الشيخ لما يجريه الحق سبحانه وتعالى عليه مستمعا كأحد المستمعين ، وكان الشيخ أبو السعود رحمه الله يتكلم مع الأصحاب بما يلقى إليه ، وكان يقول : أنا فى هذا الكلام مستمع كأحدكم ، فأشكل ذلك على بعض الحاضرين وقال : إذا كان القائل هو يعلم مايقول كيف يكون كمستمع لايعلم حتى يسمع منه ؟ فرجع إلى منزله فرأى ليلته فى المنام . كأن قائلا يقول له : أليس الغواص يغوص فى البحر لطلب الدر . ويجمع الصدف فى مخلاته ، والدر قد حصل معه ولكن لا يراه إلا إذا خرج من البحر ، ويشاركه فى رؤية الدر من هو على الساحل ، ففهم بالمنام إشارة الشيخ فى ذلك .

فاحسن أدب المريد من الشيخ السكوت والخمود والجمود حتى يبادئه الشيخ بما له فيه من الصلاح قولا وفعلا . وقيل أيضا فى قوله تعالى ﴿ لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ﴾ : لا تطلبوا منزلة وراء منزلته ، وهذا من محاسن الآداب وأعزها .

وينبغى للمريد أن لايحدث نفسه بطلب منزلة فوق منزلة الشيخ ، بل يحب للشيخ كل منزلة عالية ، ويتمنى للشيخ عزيز المنح وغرائب المواهب ، وبهذا يظهر جوهر المريد فى حسن الإرادة ، وهذا يعز فى المريدين ؛ فإرادته للشيخ تعطيه فوق مايتمنى لنفسه ويكون قائما بادب الإرادة . قال السرى رحمه الله : حسن الأدب ترجمان العقل . وقال أبو عبدالله بن خفيف : قال لى رويم : يابنى اجعل عملك ملحا وأدبك دقيقا ، وقيل : التصوف كله أدب ؛ لكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب ، فمن يلزم الأدب يبلغ مبلغ الرجال ، ومن حرم الأدب فهو بعيد من حيث

يظن القرب ، ومردود من حيث يرجو القبول . ومن تأديب الله تعالى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ﴿ لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾ كان ثابت بن قيس بن شماس فى أذنه وقر وكان جهورى الصوت ، فكان إذا كلم إنسانا جهر بصوته ، وربما كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته ، فأنزل الله تعالى الآية تأديباً له ولغيره .

أخبرنا ضياء الدين عبدالوهاب بن على ، قال أخبرنا أبو الفتح الهروى ، قال أخبرنا أبو نصر الترياقى قال أخبرنا أبو محمد الجراحى ، قال أخبرنا أبو العباس المحبوبى ، قال أخبرنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا محمد بن المثنى ، قال حدثنا مؤمل بن إسمعيل ، قال حدثنا نافع بن عمر بن جميل الجمحى ، قال حدثنى حابس بن أبى مليكة ، قال حدثنى عبد الله ابن الزبير أن الأقرع بن حابس قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر : استعمله على قومه ، فقال عمر : تستعمله يارسول الله فتكلما عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى علت أصواتهما ؛ فقال أبو بكر لعمر : ماأردت إلا خلافى ، وقال عمر : ماأردت خلافك ، فانزل الله تعالى الآية ، فكان عمر بعد ذلك إذا تكلم عند النبي صلى الله عليه وسلم لايسمع كلامه حتى يستفهم .

وقيل : لما نزلت الآية آلى أبو بكر أن لايتكلم عند النبي صلى الله عليه وسلم إلا كأخ السرار ؛ فهكذا ينبغى أن يكون المريد مع الشيخ . لاينبسط برفع الصوت وكثرة الضحك وكثرة الكلام إلا إذا بسطه الشيخ ، فرفع الصوت تنحية جلباب الوقار ؛ والوقار إذا سكن القلب عقل اللسان ما يقول ، وقد ينازل باطن بعض المريدين من الحرمة والوقار من الشيخ مالايستطيع المريد أن يشبع النظر إلى الشيخ . وقد كنت أحم فيدخل على عمى وشيخى أبو النجيب السهروردى رحمه الله فيترشح جسدى عرقا ـ وكنت أتمنى العرق لتخف الحمى ـ فكنت أجد ذلك عند دخول الشيخ على ، ويكون فى قدومه بركة وشفاء . وكنت ذات يوم فى البيت خاليا وهناك منديل وهبه لى الشيخ وكان يتعمم به ، فوقع قدمى على المنديل اتفاقا ، فتألم باطنى من ذلك وهالنى الوطء بالقدم على منديل الشيخ ، وانبعث من باطنى من الاحترام ما أرجو بركته .

قال ابن عطاء فى قوله تعالى ﴿ لاترفعوا أصواتكم ﴾ زجر عن الأدنى لئلا يتخطى أحد إلى مافوقه من ترك الحرمة .

وقال سهل فى ذلك : لا تخاطبوه إلا مستفهمين . وقال أبو بكر بن طاهر : لاتبدءوه بالخطاب ولاتجيبوه إلا على حدود الحرمة ﴿ ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ﴾ أى لاتغلظوا له فى الخطاب ولاتنادوه باسمه : يامحمد ، ياأحمد ، كما ينادى بعضكم بعضاً ، ولكن فخموه واحترموه وقولوا له : يانبى الله ، يارسول الله .

ومن هذا القبيل يكون خطاب المريد مع الشيخ ، وإذا سكن الوقار القلب علم اللسان كيفية الخطاب .

ولما كلفت النفوس بمحبة الأولاد والأزواج وتمكنت أهوية النفوس والطباع استخرجت من اللسان عبارات غريبة وهى تحت وقتها صاغها كلف النفس وهواها ؛ فإذا امتلأ القلب حرمة ووقارا تعلم اللسان العبارة .

وروى : لما نزلت هذه الآية قعد ثابت بن قيس فى الطريق يبكى ، فمر به عاصم بن عدى فقال : مايبكيك ياثابت ؟ قال : هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت فى ﴿ أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون ﴾ وأنا رفيع الصوت على النبى صلى الله عليه وسلم أخاف أن يحبط عملى وأكون من أهل النار ، فمضى عاصم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابتاً البكاء فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبى بن سلول ، فقال لها : إذا دخلت بيت فرسى فسدى على الضبة بمسمار فضربته بمسمار حتى إذا خرجت عطفته وقال : لاأخرج حتى يتوفانى الله أو يرضى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتى عاصم النبي وأخبره بخبره قال ، اذهب فادعه ، فجاء عاصم إلى المكان الذى فيه رآه فلم يجده ، فجاء إلى أهله فوجده فى بيت الفرس ، فقال له : إن رسول الله يدعوك ؛ فقال ، اكسر الضبة ، فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مايبكيك ياثابت ؟ ، فقال : أنا صيت وأخاف أن تكون هذه الآية نزلت فى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما ترضى أن تعيش سعيداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة ، فقال : قد رضيت

ببشرى الله تعالى ورسوله ولا أرفع صوتى أبدا على رسول الله ، فأنزل الله تعالى ﴿ إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله ... ﴾ قال أنس : كنا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يمشى بين أيدينا ؛ فلما كان يوم اليمامة فى حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهزمت طائفة منهم ؛ فقال : أف لهؤلاء وما يصنعون ، ثم قال ثابت لسالم ابن حذيفة : ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ، ثم ثبتا ولم يزالا يقاتلان حتى قتلا واستشهد ثابت كما وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه درع ؛ فرآه رجل من الصحابة بعد موته فى المنام فقال له : اعلم أن فلانا رجل من المسلمين نزع درعى فذهب بها وهو فى ناحية من العسكر وعنده فرس يستن فى طيله وقد وضع على درعى برمة ، فأت خالد بن الوليد فأخبره حتى يسترد درعى ، وأئت أبا بكر خليفة رسول الله عليه السلام فقل له : إن على دينا حتى يقضى عنى ، وفلان من عبيدى عتيق ، فأخبر الرجل خالدا فوجد الدرع والفرس على ما وصفه ، فاسترد الدرع ، وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا فأجاز أبو بكر وصيته . قال مالك بن أنس رضى الله عنهما : لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها إلا هذه كرامة ظهرت لثابت بحسن تقواه وأدبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فليعتبر المريد الصادق ويعلم أن الشيخ عنده تذكرة من الله ورسوله ، وأن الذى يعتمده مع الشيخ عوض ما لو كان فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتمده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام القوم بواجب الأدب أخبر الحق عن حالهم وأثنى عليهم فقال ﴿ أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ﴾ أى اختبر قلوبهم وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه ، وكما أن اللسان ترجمان القلب وتهذب اللفظ لتأدب القلب ، فهكذا ينبغى أن يكون المريد مع الشيخ .

قال أبو عثمان : الأدب عند الأكابر وفى مجالسة السادات من الأولياء يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلا والخير فى الأولى والعقبى ، ألا ترى إلى قول الله تعالى ﴿ ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم ﴾ ومما علمهم الله تعالى قوله سبحانه ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾ وكان هذا الحال من وفد بنى تميم جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادوا : يا محمد ، اخرج إلينا فإن مدحنا زين وذمنا شين . قال : فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم وهو يقول « إنما ذلكم الله الذى ذمه شين ومدحه زين » فى قصة طويلة ، وكانوا أتوا بشاعرهم وخطيبهم ، فغلبهم حسان بن ثابت وشبان المهاجرين والأنصار بالخطبة .

وفى هذا تأدب للمريد فى الدخول على الشيخ والإقدام عليه وتركه الاستعجال وصبره إلى أن يخرج الشيخ من موضع خلوته .

سمعت أن الشيخ عبد القادر رحمه الله كان إذا جاء إليه فقير زائر يخبر بالفقير فيخرج ويفتح جانب الباب ويصافح الفقير ويسلم عليه ولا يجلس معه ويرجع إلى خلوته ، وإذا جاء أحد ممن ليس من زمرة الفقراء يخرج ويجلس معه ، فخطر لبعض الفقراء نوع إنكار لتركه الخروج إلى الفقير وخروجه لغير الفقير ، فانتهى ما خطر للفقير إلى الشيخ ، فقال : الفقير رابطتنا معه رابطة قلبية وهو أهل وليس عنده أجنبية فنكتفى معه بموافقة القلوب ونقنع بها عن ملاقاة الظاهر بهذا القدر ، وأما من هو من غير جنس الفقراء فهو واقف مع العادات والظاهر ، فمن لم يوف حقه من الظاهر استوحش ، فحق المريد عمارة الظاهر والباطن بالأدب مع الشيخ .

قيل لأبى منصور المغربى : كم صحبت أبا عثمان ؟ قال خدمته لا صحبته ، فالصحبة مع الإخوان والأقران ، ومع المشايخ الخدمة .

وينبغى للمريد أنه كلما أشكل عليه شىء من حال الشيخ يذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام كيف كان الخضر يفعل أشياء ينكرها موسى ، وإذا أخبره الخضر بسرها يرجع موسى عن إنكاره ، فما ينكره المريد لقلة علمه بحقيقة ما يوجد من الشيخ فللشيخ فى كل شىء عذر بلسان العلم والحكمة .

سأل بعد أصحاب الجنيد مسألة من الجنيد ، فأجابه الجنيد ، فعارضه فى ذلك ! فقال الجنيد : فإن لم تؤمنوا لى فاعتزلون . فقال بعض المشايخ ؛ من لم يعظم حرمة من تأدب به حرم بركة ذلك الأدب .

وقيل : من قال لأستاذه : لا ، لايفلح أبدا .

أخبرنا شيخنا ضياء الدين عبد الوهاب بن على ، قال أخبرنا أبو الفتح الهروى ، قال أخبرنا أبو نصر الترياقى ، قال أخبرنا أبو محمد الجراحى ، قال أخبرنا أبو العباس المحبوبى ، قال أخبرنا أبو عيسى الترمذى ، قال حدثنا هناد عن أبى معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتركونى ماتركتكم ، وإذا حدثتكم فخذوا عنى ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم » .

قال الجنيد رحمه الله : رأيت مع أبى حفص النيسابورى إنسانا كثير الصمت لايتكلم ، فقلت لأصحابه : من هذا ؟ فقيل لى : هذا إنسان يصحب أبا حفص ويخدمنا ، وقد أنفق عليه مائة ألف درهم كانت له واستدان مائة ألف أخرى أنفقها عليه مايسوغ له أبو حفص أن يتكلم بكلمة واحدة .

وقال أبو يزيد البسطامى : صحبت أبا على السندى فكنت ألقنه مايقيم به فرضه ، وكان يعلمنى التوحيد والحقائق صرفا

وقال أبو عثمان : صحبت أبا حفص وأنا غلام حدث ، فطردنى وقال : لاتجلس عندى ، فلم أجعل مكافأتى له على كلامه أن أولى ظهرى إليه ، فانصرفت أمشى إلى خلف ووجهى مقابل له حتى غبت عنه واعتقدت أن أحفر لنفسى بئرا على بابه وأنزل وأقعد فيه ولا أخرج منه إلا بإذنه ؛ فلما رأى ذلك منى قربنى وقبلنى وصيرنى من خواص أصحابه إلى أن مات رحمه الله .

ومن آدابهم الظاهرة : أن المريد لايبسط سجادته مع وجود الشيخ إلا لوقت الصلاة ، فإن المريد من شأنه التبتل للخدمة ، وفى السجادة إيماء إلى الاستراحة والتعزز ، ولا يتحرك فى السماع مع وجود الشيخ إلا أن يخرج عن حد التمييز ، وهيبة الشيخ تملك المريد عن الاسترسال فى السماع وتقيده . واستغراقه فى الشيخ بالنظر إليه ومطالعة موارد فضل الحق عليه أنجع له من الإصغاء إلى السماع .

ومن الأدب : أن لايكتم على الشيخ شيئاً من حاله ومواهب الحق عنده ومايظهر له من كرامة وإجابة ، ويكشف للشيخ من حاله مايعلم الله تعالى منه ، وما يستحى من كشفه يذكره إيماء وتعريضا ، فإن المريد متى انطوى ضميره على شىء لايكشفه للشيخ تصريحاً أو تعريضاً يصير على باطنه منه عقدة فى الطريق ، وبالقول مع الشيخ تنحل العقدة وتزول .

ومن الأدب : أن لايدخل فى صحبة الشيخ إلا بعد علمه بأن الشيخ قيم بتأديبه وتهذيبه ، وأنه أقوم بالتأديب من غيره ؛ ومتى كان عند المريد تطلع إلى شيخ آخر لاتصفو صحبته ولا ينفذ القول فيه ولايستعد باطنه لسراية حال الشيخ إليه ، فإن المريد كلما أيقن تفرد الشيخ بالمشيخة عرف فضله وقويت محبته ، والمحبة والتآلف هو الواسطة بين المريد والشيخ ، وعلى قدر قوة المحبة تكون سراية الحال ، لأن المحبة علامة التعارف ، والتعارف علامة الجنسية ، والجنسية جالبة المريد حال الشيخ أو بعض حاله .

أخبرنا الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن سليمان ، قال أخبرنا أبو الفضل حميد ، قال أخبرنا الحافظ أبو نعيم ، قال حدثنا سليمان بن أحمد ، قال حدثنا أنس بن أسلم ، قال حدثنا عتبة بن رزين عن أبى أمامة الباهلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من علم عبدا آية من كتاب الله فهو مولاه ينبغى له أن لايخذله ولا يستأثر عليه ، فمن فعل ذلك فقد فصم عروة من عرى الإسلام » .

ومن الأدب : أن يراعى خطرات الشيخ فى جزئيات الأمور وكلياتها ، ولا يستحقر كراهة الشيخ ليسير حركاته معتمداً على حسن خلق الشيخ وكمال حلمه ومداراته .

قال إبراهيم بن شيبان : كنا نصحب أبا عبدالله المغربى ونحن شبان يسافر بنا فى البرارى والفلوات ، وكان معه شيخ اسمه حسن وقد صحبه سبعين سنة ، فكان إذا جرى من أحدنا خطأ وتغير عليه الشيخ نتشفع إليه بهذا الشيخ حتى يرجع لنا إلى ما كان .

ومن أدب المريد مع الشيخ : أن لايستقل بوقائعه وكشفه دون مراجعة الشيخ ، فإن الشيخ علمه أوسع وبابه

المنتوح إلى الله أكبر ؛ فإن كان واقعة المريد من الله تعالى يوافقه الشيخ ويمضيها له ، وما كان من عند الله لا يختلف. وإن كان فيه شبهة تزول شبهة الواقعة بطريق الشيخ ، ويكتسب المريد علما بصحة الوقائع والكشوف ، فالمريد لعله في واقعته يخامره كون إرادة في النفس فيتشبك كون الإرادة بالواقعة مناما كان ذلك أو يقظة ، ولهذا سر عجيب ، ولا يقوم المريد باستئصال شأفة الكامن في النفس ، وإذا ذكره للشيخ فما في المريد من كون إرادة النفس مفقود في حق الشيخ ، فإن كان من الحق يتبرهن بطريق الشيخ ، وإن كان ينزع واقعته إلى كون هوى النفس تزول وتبرأ ساحة المريد ويتحمل الشيخ ثقل ذلك لقوة حاله وصحة إيوائه إلى جناب الحق وكمال معرفته .

ومن الأدب مع الشيخ : أن المريد إذا كان له كلام مع الشيخ في شيء من أمر دينه أو أمر دنياه لا يستعجل بالإقدام على مكالمة الشيخ والهجوم عليه حتى يتبين له من حال الشيخ أنه مستعد له ولسماع كلامه وقوله متفرغ ، وكما أن للدعاء أوقاتا وآدابا وشروطا لأنه مخاطبة الله تعالى ، فللقول مع الشيخ أيضا آداب وشروط ، لأنه من معاملة الله تعالى ، ويسأل الله تعالى قبل الكلام مع الشيخ التوفيق لما يجب من الأدب ؛ وقد نبه الحق سبحانه وتعالى على ذلك فيما أمر به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مخاطبته فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ﴾ يعنى أمام مناجاتكم . قال عبد الله بن عباس : سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكثروا حتى شقوا عليه وأحفوه بالمسئلة ؛ فأدبهم الله تعالى وفطمهم عن ذلك وأمرهم أن لا يناجوه حتى يقدموا صدقة بوقيل. كان الأغنياء يأتون النبي عليه السلام ويغلبون الفقراء على المجلس ، حتى كره النبي عليه السلام طول حديثهم ومناجاتهم فأمر الله تعالى بالصدقة عند المناجاة ، فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته ؛ فأما أهل العسرة فلأنهم لم يجدوا شيئا ، وأما أهل اليسرة فبخلوا ومنعوا ، فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الرخصة وقال تعالى ﴿ أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات ﴾ وقيل : لما أمر الله تعالى بالصدقة لم يناج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على بن أبي طالب ، فقدم دينارا فتصدق به . وقال على : في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدى . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآية دعا عليا وقال « ما ترى في الصدقة كم تكون ، دينارا ؟ » قال على : لا يطيقونه ، قال « كم ؟ » قال على : تكون حبة أو شعيرة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنك لزهيد » ثم نزلت الرخصة ونسخت الآية ، وما نبه الحق عليه بالأمر بالصدقة وما فيه من حسن الأدب وتقييد اللفظ والاحترام ما نسخ ، والفائدة باقية .

أخبرنا الشيخ الثقه أبو الفتح محمد بن سليمان ، قال أخبرنا أبو الفضل أحمد ، قال أخبرنا الحافظ أبو نعيم ، قال حدثنا سليمان بن أحمد ، قال حدثنا مطلب بن شعيب ، قال حدثنا عبد الله بن صالح ، قال حدثنا ابن لهيعة عن أبي قبيل عن عبادة بن الصامت قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه » فاحترام العلماء توفيق وهداية ، وإهمال ذلك خذلان وعقوق .

الباب الثاني والخمسون : في آداب الشيخ وما يعتمده مع الأصحاب والتلامذة

أهم الآداب : أن لا يتعرض الصادق للتقدم على قوم ، ولا يتعرض لاستجلاب بواطنهم بلطف الرفق وحسن الكلام محبة للاستتباع ؛ فإذا رأى أن الله تعالى يبعث إليه المريدين والمسترشدين بحسن الظن وصدق الإرادة ، يحذر أن يكون ذلك ابتلاء وامتحانا من الله تعالى ، والنفوس مجبولة على محبة إقبال الخلق والشهرة ، وفي الخمول السلامة ؛ فإذا بلغ الكتاب أجله وتمكن العبد من حاله وعلم بتعريف الله إياه أنه مراد بالإشارة والتعليم للمريدين ، فيكلمهم حينئذ كلام الناصح المشفق الوالد لولده بما ينفعه في دينه ودنياه ، وكل مريد ومسترشد ساقه الله تعالى إليه يراجع الله تعالى في معناه ويكثر اللجأ إليه أن يتولاه فيه وفي القول معه ، ولا يتكلم مع المريد بالكلمة إلا وقلبه ناظر إلى الله مستعين به في الهداية للصواب من القول .

سمعت شيخنا أبا النجيب السهروردى رحمه الله يوصى بعض أصحابه ويقول : لا تكلم أحدا من الفقراء إلا فى أصفى أوقاتك ، وهذه وصية نافعة ، لأن الكلمة تقع فى سمع المريد كالحبة تقع فى الأرض ، وقد ذكرنا أن الحبة الفاسدة تهلك وتضيع ، وفساد حبة الكلام بالهوى ، وقطرة من الهوى تكدر بحرا من العلم ، فعند الكلام مع أهل الصدق والإرادة ينبغى أن يستمد القلب من الله تعالى كما يستمد اللسان من الجنان ، وكما أن اللسان ترجمان القلب يكون قلبه ترجمان الحق عند العبد ، فيكون ناظرا إلى الله مصغيا إليه متلقيا ما يرد عليه مؤديا للأمانة فيه ، ثم ينبغى للشيخ أن يعتبر حال المريد ويتفرس فيه بنور الإيمان وقوة العلم والمعرفة ما يتأتى منه ومن صلاحيته واستعداده ؛ فمن المريدين من يصلح للتعبد المحض وأعمال القوالب وطريق الأبرار ، ومن المريدين من يكون مستعدا صالحا للقرب وسلوك طريق المقربين المرادين بمعاملة القلوب والمعاملات السنية ، ولكل من الأبرار والمقربين مبادو نهايات فيكون الشيخ صاحب الإشراف على البواطن يعرف كل شخص وما يصلح له ، والعجب أن الصحراوى يعلم الأراضى والغروس ويعلم كل غرس وأرضه ، وكل صاحب صنعة يعلم منافع صنعته ومضارها ، حتى المرأة تعلم قطنها وما يتأتى منه من الغزل ودقته وغلظه ، ولا يعلم الشيخ حال المريد وما يصلح له .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم الناس على قدر عقولهم ، ويأمر كل شخص بما يصلح له ؛ فمنهم من كان يأمره بالإنفاق ومنهم من أمره بالإمساك ، ومنهم من أمره بالكسب ، ومنهم من قرره على ترك الكسب كأصحاب الصفة ؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف أوضاع الناس وما يصلح لكل واحد ، فأما فى رتبة الدعوة فقد كان يعمم الدعوة لأنه مبعوث لإثبات الحجة وإيضاح المحجة يدعو على الإطلاق ، ولا يخصص بالدعوة من يتفرس فيه الهداية دون غيره .

ومن أدب الشيخ : أن يكون له خلوة خاصة ووقت خاص لا يسعه فيه معاناة الخلق حتى يفيض على جلوته فائدة خلوته ، ولا تدعى نفسه قوة ظنا منها أن استدامة المخالطة مع الخلق والكلام معهم لا يضره ولا يأخذ منه وأنه غير محتاج إلى الخلوة ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كمال حاله كان له قيام الليل وصلوات يصليها ويدوم عليها وأوقات يخلو فيها ، فطبع البشر لا يستغنى عن السياسة قل ذلك أو كثر لطف ذلك أو كثف وكم من مغرور قانع باليسير من طيبة القلب ، اتخذ ذلك رأس ماله واغتر بطيبة قلبه ، واسترسل فى الممازجة والمخالطة ، وجعل نفسه مناخا للبطالين بلقمة تؤكل عنده وبرفق يوجد منه ، فيقصده من ليس قصده الدين ولا بغيته سلوك طريق المتقين ، فافتتن وافتن ، وبقى فى خطة القصور ، ووقع فى دائرة الفتور ، فما يستغنى الشيخ عن الاستمداد من الله تعالى والتضرع بين يدى الله بقلبه إن لم يكن بقالبه وقلبه ، فيكون له فى كل كلمة إلى الله الرجوع ، وفى كل حركة بين يدى الله خضوع ، وإنما دخلت الفتنة على المغرورين المدعين للقوة والاسترسال فى الكلام والمخالطة ، لقلة معرفتهم صفات النفس واغترارهم بيسير من الموهبة وقلة تأدبهم بالشيوخ .

كان الجنيد رحمه الله يقول لأصحابه : لو علمت أن صلاة ركعتين لى أفضل من جلوسى معكم ما جلست عندكم ، فإذا رأى الفضل فى الخلوة يخلو ، وإذا رأى الفضل فى الجلوة يجلس مع الأصحاب ، فتكون جلوته فى حماية خلوته ، وجلوته مزيدا لخلوته . وفى هذا سر : وذلك أن الآدمى ذو تركيب مختلف ، فيه تضاد وتغاير على ما أسلفنا من كونه مترددا بين السفلى والعلوى ، ولما فيه من التغاير له حظ من الفتور عن الصبر على صرف الحق ، ولهذا كان لكل عامل فترة والفترة قد تكون تارة فى صورة العمل وتارة فى عدم الروح فى العمل وإن لم تكن فى صورة العمل ، ففى وقت الفترة المريدين والسالكين تضييع واسترواح للنفس وركون إلى البطالة ، فمن بلغ رتبة المشيخة انصرف قسم فترته إلى الخلق فأفلح الخلق بقسم فترته ، وما ضاع قسم فترته كضياعه فى حق المريدين ، فالمريد يعود من الفترة بقوة الشدة وحدة الطلب إلى الإقبال على الله ، والشيخ يكتسب الفضيلة من نفع الخلق بقسم فترته ويعود إلى أوطان خلوته وخاص حالة بنفس مشرئبة ، أكثر من عود الفقير بحدة إرادته من فترته ، فيعود من الخلق إلى الخلوة منتزع الفتور ، بقلب متعطش وافر النور ، وروح متخلصة عن مضيق مطالعة الأغيار ، قادمة بحدة شغفها إلى دار القرار .

ومن وظيفة الشيخ : حسن خلقه مع أهل الإرادة والطلب ، والنزول من حقه فيما يجب من التبجيل والتعظيم

للمشايخ واستعماله التواضع .

حكى الرقى قال : كنت بمصر وكنا فى المسجد جماعة من الفقراء جلوسا ، فدخل الزقاق فقام عندا سطوانة يركع ، فقلنا يفرغ الشيخ من صلاته ونقوم نسلم عليه ، فلما فرغ جاء إلينا وسلم علينا ، فقلنا : نحن كنا أولى بهذا من الشيخ ، فقال : ماعذب الله قلبى بهذا قط ، يعنى ماتقيدت بأن أحترم وأقصد .

ومن آداب الشيوخ : النزول إلى حال المريدين من الرفق بهم وبسطهم . قال بعضهم : إذا رأيت الفقير فألفه بالرفق ولاتلقه بالعلم ، فإن الرفق يؤنسه والعلم يوحشه ، فإذا فعل الشيخ هذا المعنى من الرفق يتدرج المريد ببركة ذلك إلى الانتفاع بالعلم فيعامل حينئذ بصريح العلم .

ومن آداب الشيوخ : التعطف على الأصحاب وقضاء حقوقهم فى الصحة والمرض ، ولايترك حقوقهم اعتمادا على إرادتهم وصدقهم . قال بعضهم : لاتضيع حق أخيك بما بينك وبينه من المودة .

وحكى عن الجريرى قال : وافيت من الحج فابتدأت بالجنيد وسلمت عليه وقلت حتى لايتعنى . ثم أتيت منزلى ، فلما صليت الغداة التفت وإذا بالجنيد خلفى ؛ فقلت : ياسيدى إنما ابتدأت بالسلام عليك لكيلا تتعنى إلى ههنا ، فقال لى : ياأبا محمد ، هذا حقك وذاك فضلك .

ومن آداب الشيوخ : أنهم إذا علموا من بعض المسترشدين ضعفا فى مراغمة النفس وقهرها واعتماد صدق العزيمة : أن يرفقوا به ويوقفوه على حد الرخصة ، ففى ذلك خير كثير ، وما دام العبد لايتخطى حريم الرخصة فهو حر ، ثم إذا ثبت وخالط الفقراء وتدرب فى لزوم الرخصة يدرج بالرفق إلى أوطان العزيمة .

قال أبو سعيد بن الأعرابى : كان شاب يعرف بابراهيم الصائغ ، وكان لأبيه نعمة ، فانقطع إلى الصوفية وصحب أبا أحمد القلانسى ، فربما كان يقع بيد أبى أحمد شىء من الدراهم فكان يشترى له الرقاق والشواء والحلواء ويؤثره عليه ويقول : هذا خرج من الدنيا وقد تعود النعمة ، فيجب أن نرفق به ونؤثره على غيره .

ومن آداب الشيوخ : التنزه عن مال المريد وخدمته والارتفاق من جانبه بوجه من الوجوه ، لأنه جاء الله تعالى ، فيجعل نفعه وإرشاده خالصاً لوجه الله تعالى ، فما يسدى الشيخ للمريد من أفضل الصدقات . وقد ورد « ماتصدق متصدق بصدقة أفضل من علم يبثه فى الناس » وقد قال الله تعالى تنبيهاً على خلوص ماله وحراسته من الشوائب ﴿ إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكورا ﴾ فلا ينبغى للشيخ أن يطالب على صدقته جزاء إلا أن يظهر له فى شىء من ذلك علم يرد عليه من الله تعالى فى قبول الرفق منه ، أو صلاح يتراءى للشيخ فى حق المريد بذلك ، فيكون التلبس بماله والارتفاق بخدمته لمصلحة تعود على المريد مأمونة الغائلة من جانب الشيخ : قال الله تعالى ﴿ يؤتكم أجوركم ولايسألكم أموالكم إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم ﴾ معنى يحفكم : أى يجهدكم ويلح عليكم

قال قتادة : علم الله تعالى أن فى خروج المال إخراج الأضغان ، وهذا تأديب من الله الكريم والأدب أدب الله

قال جعفر الخلدى : جاء رجل إلى الجنيد وأراد أن يخرج عن ماله كله ويجلس معهم على الفقر ، فقال له الجنيد : لاتخرج من مالك كله احبس منه مقدار مايكفيك ، وأخرج الفضل ، وتقوت بما حبست ، واجتهد فى طلب الحلال لاتخرج كل ماعندك فلست آمن عليك أن تطالبك نفسك .

وكان النبى عليه السلام إذا أراد أن يعمل عملا تثبت ، وقد يكون الشيخ يعلم من حال المريد أنه إذا خرج من الشىء يكسبه من الحال مالايتطلع به إلى المال ، فحينئذ يجوز له أن يفسح للمريد فى الخروج من المال ، كما فسح رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر وقبل منه جميع ماله .

ومن آداب الشيخ : إذا رأى من بعض المريدين مكروها ، أو علم من حاله اعوجاجا ، أو أحس منه بدعوى ، أو رأى أنه داخله عجب : أن لايصرح له بالمكروه ، بل يتكلم مع الأصحاب ويشير إلى المكروه الذى يعلم ، ويكشف عن وجه المذمة مجملا فتحصل بذلك الفائدة للكل ، فهذا أقرب إلى المداراة وأكثر أثرا لتألف القلوب ، وإذا رأى

من المريد تقصيراً فى خدمة ندبه إليها : يحمل تقصيره ويعفو عنه ويحرضه على الخدمة بالرفق واللين ، وإلى ذلك ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال : أخبرنا أبو الفتح الكروخى قراءة عليه ، قال أخبرنا أبو نصر الترياقى ، قال أخبرنا أبو محمد الجراحى ، قال أخبرنا أبو العباس المحبوبى ، قال أخبرنا أبو عيسى الترمذى ، قال حدثنا قتيبة ، قال حدثنا رشد بن سعد عن أبى هلال الخولانى عن ابن عباس بن جليد الحجرى عن عبد الله بن عمر قال : جاء رجل إلى النبى عليه السلام فقال : يارسول الله ، كم أعفو عن الخادم ؟ قال « كل يوم سبعين مرة » .

وأخلاق المشايخ مهذبة بحسن الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم أحق الناس بإحياء سنته فى كل ما أمر وندب وأنكر وأوجب .

ومن جملة مهام الآداب : حفظ أسرار المريدين فيما يكاشفون به ويمنحون من أنواع المنح ، فسر المريد لا يتعدى ربه وشيخه ، ثم لا يحقر الشيخ فى نفس المريد مايجده فى خلوته من كشف أو سماع خطاب أو شىء من خوارق العادات ويعرفه أن الوقوف مع شىء من هذا يشغل عن الله ويسد باب المزيد ، بل يعرفه أن هذه نعمة تشكر ومن ورائها نعم لا تحصى ، ويعرفه أن شأن المريد طلب المنعم لا النعمة حتى يبقى سره محفوظاً عند نفسه وعند شيخه ، ولا يذيع سره ، فإذاعة الأسرار من ضيق الصدر ، وضيق الصدر الموجب لإذاعة السر يوصف به النسوان وضعفاء العقول من الرجال ، وسبب إذاعة السر أن للإنسان قوتين آخذه ومعطية ، وكلتاهما تتشوف إلى الفعل المختص بها ولولا أن الله تعالى وكل المعطية بإظهار ما عندها ماظهرت الأسرار ؛ فكامل العقل كلما طلبت القوة الفعل قيدها ووزنها بالعقل حتى يضعها فى مواضعها ، فيجل حال الشيوخ عن إذاعة الأسرار لرزانة عقولهم .

وينبغى للمريد أن يحفظ سره من بثه ، ففى ذلك صحته وسلامته وتأييد الله سبحانه وتعالى له بتدارك المريدين الصادقين فى موردهم ومصدرهم .

الباب الثالث والخمسون : فى حقيقة الصحبة وما فيها من الخير والشر

المقتضى للصحبة وجود الجنسية ، وقد يدعو إليها أعم الأوصاف ، وقد يدعو إليها أخص الأوصاف ، فالدعاء بأعم الأوصاف : كميل جنس البشر بعضهم إلى بعض ، والدعاء بأخص الأوصاف كميل أهل كل ملة بعضهم إلى بعض ، ثم أخص من ذلك كميل أهل الطاعة بعضهم إلى بعض ، وكميل أهل المعصية بعضهم إلى بعض ، فإذا علم هذا الأصل وأن الجاذب إلى الصحبة وجود الجنسية بالأعم تارة وبالأخص أخرى ، فليتفقد الإنسان نفسه عند الميل إلى صحبة شخص ، وينظر ما الذى يميل به إلى صحبته ؟ ويزن أحوال من يميل إليه بميزان الشرع ، فإن رأى أحواله مسددة فليبشر نفسه بحسن الحال ، فقد جعل الله تعالى مرآته بجلوة يلوح له فى مرآة أخيه جمال حسن الحال ، وإن رأى أفعاله غير مسددة فيرجع إلى نفسه باللائمة والاتهام ، فقد لاح له فى مرآة أخيه سوء حاله ، فبالجدير أن يفر منه كفراره من الأسد ، فإنهما إذا اصطحبا ازدادا ظلمة واعوجاجا ، ثم إذا علم من صاحبه الذى مال إليه حسن الحال وحكم لنفسه بحسن الحال طالع ذلك فى مرآة أخيه ، فليعلم أن الميل بالوصف الأعم مركوز فى جبلته ، والميل بطريقه واقع ، وله بحسبه أحكام ، وللنفس بسببه سكون وركون ، فيسلب الميل بالوصف الأعم جدوى الميل بالوصف الأخص ، ويصير بين المتصاحبين استرواحات طبيعية وتلذذات جبلية لا يفرق بينها وبين خلوص الصحبة لله إلا العلماء الزاهدون ، وقد ينفسد المريد الصادق بأهل الصلاح أكثر مما ينفسد بأهل الفساد ، ووجه ذلك أن أهل الفساد علم فساد طريقهم فأخذ حذره ، وأهل الصلاح غره صلاحهم فمال إليهم بجنسية الصلاحية ، ثم حصل بينهم استرواحات طبيعية جبلية حالت بينهم وبين حقيقة الصحبة لله ، فاكتسب من طريقهم الفتور فى الطلب والتخلف عن بلوغ الأرب ، فليتنبه الصادق لهذه الدقيقة ويأخذ من الصحبة أصفى الأقسام ويذر منها مايبتدئ وجهه المرام قال بعضهم هل رأيت شرا قط إلا من

تعرف ؛ ولهذا المعنى أنكر طائفة من السلف الصحبة ورأوا الفضيلة فى العزلة والوحدة كإبراهيم بن أدهم وداود الطائى وفضيل بن عياض وسليمان الخواص ، وحكى عنه أنه قيل له : جاء إبراهيم بن أدهم أما تلقاه ؟ قال : لأن ألقى سبعا ضاريا أحب إلى من أن ألقى إبراهيم بن أدهم ، قال : لأنى إذا رأيته أحسن له كلامى وأظهر نفسى بإظهار أحسن أحوالها ، وفى ذلك الفتنة ، وهذا كلام عالم بنفسه وأخلاقها ، وهذا واقع بين المتصاحبين إلا من عصمه الله تعالى .

أخبرنا الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن عبد الباقى إجازة ، قال أخبرنا الحافظ أبو بكر محمد بن أحمد ، قال أخبرنا أبو القاسم إسمعيل بن مسعدة ، قال أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد الله بن أحمد ، قال أخبرنا أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابى ، قال أخبرنا محمد بن بكر بن عبد الرازق ، قال حدثنا سليمان بن الأشعث ، قال حدثنا عبدالله بن مسلمة عن مالك عن عبدالرحمن بن أبى صعصعة عن أبيه أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعاب الجبال ومواقع القطر يفر بدينه عن الفتن » قال الله تعالى إخبارا عن خليله إبراهيم ﴿ وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى ﴾ استظهر بالعزلة على قومه . قيل : العزلة نوعان : فريضة وفضيلة ، فالفريضة العزلة عن الشر وأهله ، والفضيلة عزلة الفضول وأهله . ويجوز أن يقال : الخلوة غير العزلة ؛ فالخلوة من الأغيار ، والعزلة من النفس وما تدعو إليه وما يشغل عن الله ، فالخلوة كثيرة الوجود ، والعزلة قليلة الوجود .

قال أبو بكر الوراق : ماظهرت الفتنة إلا بالخلطة من لدن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا ، وما سلم إلا من جانب الخلطة : وقيل السلامة عشرة أجزاء ، تسعة فى الصمت ، وواحد فى العزلة وقيل : الخلوة أصل . والخلطة عارض فليلازم الأصل ، ولايخالط إلا بقدر الحاجة ، وإذا خالط لا يخالط إلا بحجة ، وإذا خالط يلازم الصمت ، فإنه أصل والكلام عارض ، ولايتكلم إلا بحجة ، فخطر الصحبة كثير يحتاج العبد فيه إلى مزيد علم ، والأخبار والآثار فى التحذير عن الخلطة والصحبة كثيرة ، والكتب بها مشحونة وأجمع الأخبار فى ذلك : ماأخبرنا الشيخ الثقة أبو الفتح بإسناده السابق إلى أبى سليمان ، قال حدثنا مسلم بن سليمان النجاد ، قال حدثنا محمد بن يونس الكريمى ، قال حدثنا محمد بن منصور الجشمى ، قال حدثنا مسلم بن سالم ، قال حدثنا السرى بن يحيى عن الحسن عن أبى الأحوص عن عبد الله ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليأتين على الناس زمان لايسلم لذى دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاهق إلى شاهق ومن جحر إلى جحر كالثعلب الذى يروغ » قالوا : ومتى ذلك يارسول الله ؟ قال : « إذا لم تنل المعيشة إلا بمعاصى الله ، فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة » قالوا : وكيف ذلك يارسول الله وقد أمرنا بالتزوج ؟ قال « إنه إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه ، فإن لم يكن له أبوان فعلى يد زوجته وولده ، فإن لم يكن له زوجة ولاولد فعلى يد قرابته » قالوا : وكيف ذلك يارسول الله ؟ قال « يعيرونه بضيق المعيشة فيتكلف مالا يطيق حتى يوردوه موارد الهلكة » .

وقد رغب جمع من السلف فى الصحبة والأخوة فى الله ورأوا أن الله تعالى من على أهل الإيمان حيث جعلهم إخوانا ، فقال سبحانه وتعالى ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ وقال تعالى ﴿ هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافى الأرض جميعا ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴾ وقد اختار الصحبة والأخوة فى الله تعالى سعيد بن المسيب وعبدالله بن المبارك وغيرهما .

وفائدة الصحبة : أنها تفتح مسام الباطن ، ويكتسب الإنسان بها علم الحوادث والعوارض . قيل : أعلم الناس بالآفات أكثرهم آفات ، ويتصلب الباطن برزين العلم ، يتمكن الصدق بطروق هبوب الآفات ، ثم التخلص منها بالإيمان ، ويقع بطريق الصحبة والأخوة والتعاضد والتعاون ، وتتقوى جنود القلب ، وتستريح الأرواح بالتشام ، وتتفق فى التوجه إلى الرفيق الأعلى ، ويصير مثالها فى الشاهد كالأصوات إذا اجتمعت خرقت الأجرام ، وإذا تفردت قصرت عن بلوغ المرام .

ورد فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن كثير بأخيه » .

وقال تعالى مخبرا عمن لاصديق له ﴿ فما لنا من شافعين ، ولا صديق حميم ﴾ والحميم فى الأصل الهميم ، إلا أنه أبدلت الهاء بالحاء لقرب مخرجها ، إذ هما من حروف الحلق . والهميم : مأخوذ من الاهتمام : أى يهتم بأمر أخيه، فالاهتمام بهم الصديق حقيقة الصداقة .

وقال عمر : إذا رأى أحدكم ودا من أخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك . وقد قال القائل :

وإذا صفا لك من زمانك واحد ، فهو المراد وأين ذاك الواحد

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قال : ياداود ، مالى أراك منتبذا وحدك ؟ قال : إلهى ، قليت الخلق من أجلك فأوحى الله إليه : ياداود ، كن يقظانا مرتادا لنفسك إخوانا وكل خدن لايوافق على مسرتى فلا تصحبه فإنه عدو يقسى قلبك ويباعدك منى .

وقد ورد فى الخبر « إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون فالمؤمن آلف مألوف » وفى هذا دقيقة : وهى أنه ليس من اختار العزلة والوحدة لله يذهب عنه هذا الوصف فلا يكون آلفا مألوفا ، فإن هذه الإشارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخلق الجبلى ، وهذا الخلق يكمل فى كل من كان أتم معرفة ويقينا وأوزن عقلا وأتم أهلية واستعدادا ، وكان أوفر الناس حظا من هذا الوصف : الأنبياء ثم الأولياء ، وأتم الجميع فى هذا : نبينا صلوات الله عليه ، وكل من كان من الأنبياء أتم ألفة كان أكثر تبعا ، ونبينا صلى الله عليه وسلم كان أكثرهم ألفة وأكثرهم تبعا ، وقال « تناكحوا تكثروا فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة » وقد نبه الله تعالى على هذا الوصف من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ﴿ ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ وإنما طلب العزلة مع وجود هذا الوصف ، ومن كان هذا الوصف فيه أقوى وأتم كان طلب العزلة فيه أكثر فى الابتداء ، ولهذا المعنى حبب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلوة فى أول أمره ، وكان يخلو فى غار حراء ويتحنث الليالى ذوات العدد ، وطلب العزلة لايسلب وصف كونه آلفا مألوفا ، وقد غلط فى هذا قوم ظنوا أن العزلة تسلب هذا الوصف فتركوا العزلة طلبا لهذه الفضيلة ، وهذا خطأ وسر طلب العزلة لمن هذا الوصف فيه أتم من الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل ما أسلفنا فى أول الباب : أن فى الإنسان ميلا إلى الجنس بالوصف الأعم ، فلما علم الحذاق ذلك ألهمهم الله تعالى محبة الخلوة والعزلة لتصفية النفس عن الميل بالوصف الأعم لترتقى الهمم العالية عن ميل الطباع إلى تآلف الأرواح؛ فإذا وفوا التصفية حقها اشرأبت الأرواح إلى جنسها بالتآلف الأصلى الأولى ، وأعادها الله تعالى إلى الخلق ومخالطتهم مصفاة ، واستنارت النفوس الطاهرة بأنوار الأرواح ، وظهرت صفة الجبلة من الألفة المكملة آلفة مألوفة ، فصارت الألفة من أهم الأمور عند من يألف فيؤلف . ومن أدل الدليل على أن الذى اعتزل آلف مألوف حتى يذهب الغلط عن الذى غلط فى ذلك وذم العزلة على الإطلاق من غير علم بحقيقة الصحبة وحقيقة العزلة ، فصارت العزلة مرغوبا فيها فى وقتها ، والصحبة مرغوبا فيها فى وقتها . قال : محمد بن الحنفية رحمه الله : ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لايجد فى معاشرته بدا حتى يجعل الله له منه فرجا .

وكان بشر بن الحارث يقول : إذا قصر العبد فى طاعة الله سلبه الله تعالى من يؤنسه ، فالأنيس يهيئه الله للصادقين رفقا من الله تعالى وبوابا للعبد معجلا ، والأنيس قد يكون مفيداً كالمشايخ وقد يكون مستفيداً كالمريدين ، فصحيح الخلوة والعزلة لايترك من غير أنيس ، فإن كان قاصرا يؤنسه الله بمن يتمم حاله به ، وإن كان غير قاصر يقيض الله تعالى من يؤنسه من المريدين ، وهذا الأنس ليس فيه ميل بالوصف الأعم بل هو بالله ومن الله وفى الله .

وروى عبدالله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المتحابون فى الله على عمود من ياقوتة حمراء ، فى رأس العمود سبعون ألف غرفة مشرفون على أهل الجنة يضىء حسنهم لأهل الجنة كما تضىء الشمس لأهل الدنيا، فيقول أهل الجنة انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين فى الله عز وجل ، فإذا أشرفوا عليهم أضاء حسنهم لأهل الجنة كما تضىء الشمس لأهل الدنيا ، عليهم ثياب سندس خضر ، مكتوب على جباههم : هؤلاء المتحابون فى الله عز وجل » وقال أبو إدريس الخولانى لمعاذ : إنى أحبك فى الله ، فقال له : أبشر ثم أبشر ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول « ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة ، وجوههم كالقمر ليلة البدر : يفزع الناس ولا يفزعون ، ويخاف الناس ولا يخافون ، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فقيل : من هؤلاء يا رسول الله ؟ قال : المتحابون فى الله عز وجل » .

وروى عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله عز وجل : حقت محبتى للمتحابين فىّ والمتزاورين فىّ والمتباذلين فىّ والمتصادقين فىّ » .

أخبرنا الشيخ أبو الفتح محمد بن عبد الباقى إجازة ، قال أخبرنا أحمد بن الحسين بن خيرون ، قال أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الله المحاملى ، قال أخبرنا أبو القاسم عمر بن جعفر بن محمد بن سلام ، قال أخبرنا أبو إسحق إبراهيم بن إسحق الحربى ، قال حدثنا حماد عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا أخبركم بخير من كثير من الصلاة والصدقة ؟ » قالوا : وماهو ؟ قال « إصلاح ذات البين ، وإياكم والبغضة فإنها هى الحالقة » وبإسناد إبراهيم الحربى عن عبيد الله بن عمر عن أبى أسامة عن عبد الله بن الوليد عن عمران بن رباح قال : سمعت أبا مسلم يقول : سمعت أبا هريرة يقول الخبر ؛ وفى الخبر تحذير عن البغضة : وهو أن يجفو المختلى الناس مقتاً لهم وسوء ظن بهم ، وهذا خطأ ، وإنما يريد أن يخلو مقتاً لنفسه وعلماً بما فى نفسه من الآفات ، وحذرا على نفسه من نفسه ، وعلى الخلق أن يعود عليهم من شره ، فمن كانت خلوته بهذا الوصف لا يدخل تحت هذا الوعيد ، والإشارة بالحالقة ، يعنى أن البغضة حالقة للدين . لأنه نظر إلى المؤمنين والمسلمين بعين المقت .

وأخبرنا الشيخ أبو الفتح بإسناده إلى إبراهيم الحربى ، قال حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال حدثنا أبو عاصم عن ثور عن خالد بن معدان وقال : إن لله تعالى ملكا نصفه من نار ونصفه من ثلج ، وإن من دعائه اللهم فكما ألفت بين هذا الثلج وهذه النار فلا الثلج يطفئ النار ولا النار تذيب الثلج ، ألف بين قلوب عبادك الصالحين .

وكيف لا تتألف قلوب الصالحين وقد وجدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وقته العزيز بقاب قوسين فى وقت لا يسعه فيه شىء للطف حال الصالحين وجدهم فى ذلك المقام العزيز وقال : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ؛ فهم يجتمعون وإن كانوا متفرقين ، وصحبتهم لازمة ، وعزيمتهم فى التواصل فى الدنيا والآخرة جازمة .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لو أن رجلا صام النهار وقام الليل وتصدق وجاهد ولم يحب فى الله ولم يبغض فيه ما نفعه ذلك .

أخبرنا رضى الدين أحمد بن إسماعيل بن يوسف إجازة إن لم يكن سماعا ، قال أخبرنا أبو المظفر عن والده أبى القاسم القشيرى قال : سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت عبد الله بن المعلم يقول : سمعت أبا بكر التلمسانى يقول : اصحبوا مع الله ، فإن لم تطيقوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله ، لتوصلكم بركة صحبتهم إلى صحبة الله .

وأخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب إجازة . قال أخبرنا عمر بن أحمد الصفار النيسابورى إجازة ، قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن خلف ، قال أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمى ، قال سمعت أبا نصر الأصفهانى يقول : سمعت أبا جعفر الحداد يقول . سمعت على بن سهل يقول : الأنس بالله تعالى أن تستوحش من الخلق إلا من أهل ولاية الله ؛ فإن الأنس بأهل ولاية الله هو الأنس بالله .

وقد نبه القائل نظما على حقيقة جامعة لمعانى الصحبة والخلوة وفائدتهما وما يحذر فيهما بقوله :

وحـــدة الإنسان خير * من جليس السوء عنده
وجليس الخـــير خير * من قعود المرء وحده

الباب الرابع والخمسون : فى أداء حقوق الصحبة والأخوة فى الله تعالى

قال الله تعالى ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ وقال تعالى ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالمرحمة﴾ وقال فى وصف أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ وكل هذه الآيات تنبيه من الله تعالى للعباد على آداب حقوق الصحبة ؛ فمن اختار صحبة أو أخوة فأدبه فى أول ذلك أن يسلم نفسه وصاحبه إلى الله تعالى بالمسألة والدعاء والتضرع ويسأل البركة فى الصحبة ، فإنه يفتح على نفسه بذلك إما باباً من أبواب الجنة وإما باباً من أبواب النار ؛ فإن كان الله تعالى يفتح بينهما خيراً فهو باب من أبواب الجنة ، قال الله تعالى ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ وقيل: إن أحد الأخوين فى الله تعالى يقال له : ادخل الجنة ، فيسأل عن منزل أخيه ، فإن كان دونه لم يدخل الجنة حتى يعطى أخوه مثل منزله ، فإن قيل له : لم يكن يعمل مثل عملك ، فيقول : إنى كنت أعمل لى وله ، فيعطى جميع ما يسال لأخيه ، ويرفع أخوه إلى درجته . وإن فتح الله تعالى عليهما بالصحبة شرا ، فهو باب من أبواب النار ، قال الله تعالى ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا﴾ وإن كانت الآية وردت فى قصة مشهورة ، ولكن الله تعالى نبه بذلك عباده على الحذر من كل خليل يقطع عن الله واختيار الصحبة والأخوة اتفاقا من غير نية فى ذلك ، وتثبت فى أول الأمر شأن أرباب الغفلة الجاهلين بالنيات والمقاصد والمنافع والمضار .

وقد قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فى كلام له : وهل يفسد الناس إلا الناس ؛ فالفساد بالصحبة متوقع ، والصلاح متوقع ، وما هذه سبيله كيف لا يحذر فى أوله ويحكم الأمر فيه بكثرة اللجأ إلى الله تعالى وصدق الاختيار وسؤال البركة والخيرة فى ذلك وتقديم صلاة الاستخارة .

ثم إن اختيار الصحبة والأخوة عمل ، وكل عمل يحتاج إلى النية وإلى حسن الخاتمة ، وقد قال عليه الصلاة والسلام فى الخبر الطويل « سبعة يظلهم الله تعالى . . فمنهم : اثنان تحابا فى الله فعاشا على ذلك وماتا عليه » إشارة إلى أن الأخوة والصحبة من شرطهما حسن الخاتمة حتى يكتب لهما ثواب المؤاخاة ، ومتى أفسد المؤاخاة بتضييع الحقوق فيها فسد العمل من الأول .

قيل : ما حسد الشيطان متعاونين على بر حسده متآخيين فى الله متحابين فيه ، فإنه يجهد نفسه ويحث قبيله على إفساد ما بينهما .

وكان الفضيل يقول : إذا وقعت الغيبة ارتفعت الأخوة ، والأخوة فى الله تعالى مواجهة ، قال الله ﴿إخوانا على سرر متقابلين﴾ ومتى أضمر أحدهما للآخر سوءا أو كره منه شيئا ولم ينبهه عليه حتى يزيله أو يتسبب إلى إزالته منه فما واجهه ، بل استدبره .

قال الجنيد رحمه الله : ما تواخى اثنان فى الله واستوحش أحدهما إلا لعلة فى أحدهما .

فالمؤاخاة فى الله أصفى من الماء الزلال ، وما كان لله فالله مطالب بالصفاء فيه وكل ما صفا دام ، والأصل فى دوام صفائه عدم المخالفة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه » .

قال أبو سعيد الخراز : صحبت الصوفية خمسين سنة ما وقع بينى وبينهم خلاف . فقيل له . وكيف ذلك ؟ قال : لأنى كنت معهم على نفسى .

أخبرنا شيخنا أبو النجيب السهروردى إجازة ، قال أخبرنا عمر بن أحمد الصفار ، قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن خلف قال أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمى قال : سمعت عبد الله الدارانى قال : سمعت أبا عمرو الدمشقى الرازى يقول سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول وقد سأله رجل : على أى شرط أصحب الخلق ؟ فقال : إن لم تبرهم فلا تؤذهم ، وإن لم تسرهم فلا تسؤهم .

وبهذا الإسناد قال أبو عبد الله . لا تضيع حق أخيك بما بينك وبينه من المودة والصداقة ، فإن الله تعالى فرض لكل مؤمن حقوقا لم يضيعها إلا من لم يراع حقوق الله عليه .

ومن حقوق الصحبة : أنه إذا وقع فرقة ومباينة لا يذكر أخاه إلا بخير .

وقيل : كان لبعضهم زوجة وكان يعلم منها ما يكره ؛ فكان يقال له استخبارا عن حالها فيقول : لا ينبغى للرجل أن

يقول فى أهله إلا خيرا ، ففارقها وطلقها ، فاستخبر عن ذلك فقال : امرأة بعدت عنى وليست منى فى شىء كيف أذكرها ؟ وهذا من التخلق بأخلاق الله تعالى أنه سبحانه يظهر الجميل ويستر القبيح .

وإذا وجد من أحدهما مايوجب التقاطع فهل يبغضه أولا ؟ اختلف القول فى ذلك ، كان أبو ذر يقول : إذا انقلب عما كان عليه أبغضه من حيث أحببته . وقال غيره لايبغض الأخ بعد الصحبة ولكن يبغض عمله ، قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿فإن عصوك فقل إنى برىء مما تعملون﴾ ولم يقل إنى برىء منكم . وقيل : كان شاب يلازم مجالس أبى الدرداء وكان أبو الدرداء يميزه على غيره ، فابتلى الشاب بكبيرة من الكبائر وانتهى إلى أبى الدرداء ما كان منه ، فقيل له : لو أبعدته وهجرته ! فقال : سبحان الله لايترك الصاحب بشىء كان منه .

قيل : الصداقة لحمة كلحمة النسب . وقيل لحكيم مرة : أيما أحب إليك ، أخوك أو صديقك ؟ فقال : إنما أحب أخى إذا كان صديقى ، وهذا الخلاف فى المفارقة ظاهرا وباطنا . وأما الملازمة باطنا إذا وقعت المباينة ظاهرا فتختلف باختلاف الأشخاص ، ولا يطلق القول فيه إطلاقا من غير تفصيل ، فمن الناس من كان تغيره رجوعا عن الله وظهور حكم سوء السابقة ، فيجب بغضه وموافقة الحق فيه . ومن الناس من كان تغيره عثرة حدثت وفترة وقعت يرجى عوده فلا ينبغى أن يبغض ولكن يبغض عمله فى الحالة الحاضرة ، ويلحظ بعين الود منتظرا له الفرج والعود إلى أوطان الصلح ، فقد ورد : أن النبى عليه الصلاة والسلام لما شتم القوم الرجل الذى أتى بفاحشة قال « مه » وزجرهم بقوله «ولا تكونوا عونا للشيطان على أخيكم» .

وقال إبراهيم النخعى . لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب يذنبه ، فإنه يركبه اليوم ويتركه غداً .

وفى الخبر «اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته» .

وروى أن عمر رضى الله عنه سأل عن أخ له كان آخاه فخرج إلى الشام ، فسأل عنه بعض من قدم عليه فقال : مافعل أخى ؟ فقال له : ذاك أخو الشيطان . قال له : مه ، قال له : إنه قارف الكبائر حتى وقع فى الخمر ، فقال . إذا أردت الخروج فآذنى ، قال فكتب إليه ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب﴾ ثم عاتبه تحت ذلك وعذله ، فلما قرأ الكتاب بكى فقال صدق الله تعالى ونصح عمر ، فتاب ورجع .

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ابن عمر يلتفت يمينا وشمالا فسأله فقال : يارسول الله ، آخيت رجلا فأنا أطلبه ولا أراه ، فقال . ياعبدالله ، إذا آخيت أحدا فاسأله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله ، فإن كان مريضا عدته ، وإن كان مشغولا أعنته» .

وكان يقول ابن عباس رضى الله عنهما : مااختلف رجل إلى مجلسى ثلاثا من غير حاجة تكون له فعلمت مامكافأته فى الدنيا .

وكان يقول سعيد بن العاص . لجليسى على ثلاث : إذا دنا رحبت به ، وإذا حدث أقبلت عليه ، وإذا جلس أوسعت له .

وعلامة خلوص المحبة لله تعالى : أن لايكون فيها شائبة حظ عاجل من رفق أو إحسان ، فإن ما كان معلولا يزول بزوال علته ، ومن لايستند فى خلته إلى علة يحكم بدوام خلته .

ومن شرط الحب فى الله إيثار الأخ بكل مايقدر عليه من أمر الدين والدنيا . قال الله تعالى ﴿يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ فقوله تعالى ﴿لايجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا﴾ أى لايحسدون إخوانهم على مالهم ، وهذان الوصفان بهما يكمل صفو المحبة ، أحدهما انتزاع الحسد على شىء من أمر الدين والدنيا . والثانى : الإيثار بالمقدور . وفى الخبر عن سيد البشر عليه الصلاة والسلام «المرء على دين خليله ولا خير لك فى صحبة من لايرى لك مثل مايرى لنفسه» .

وكان يقول أبو معاوية الأسود : إخوانى كلهم خير منى . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : كلهم يرى لى الفضل عليه ، ومن فضلنى على نفسه فهو خير منى .

ولبعضهم نظما : تذلل لمن إن تذللت له يرى ذاك للفضل لا للبله
وجانب صداقة من لم يزل على الأصدقاء يرى الفضل له

الباب الخامس والخمسون : فى آداب الصحبة والأخوة

سئل أبو حفص عن أدب الفقراء فى الصحبة . فقال : حفظ حرمات المشايخ ، وحسن العشرة مع الإخوان ، والنصيحة للأصاغر ، وترك صحبة من ليس فى طبقتهم ، وملازمة الإيثار ، ومجانبة الادخار ، والمعاونة فى أمر الدين والدنيا .

فمن أدبهم : التغافل عن زلل الإخوان ، والنصح فيما يجب فيه النصيحة ، وكتم عيب صاحبه ، وإطلاعه على عيب يعلم منه .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : رحم الله امرأ أهدى إلىّ عيوبى . وهذا فيه مصلحة كلية تكون للشخص ممن ينبهه على عيوبه . قال جعفر بن برقان . قال لى ميمون بن مهران : قل لى فى وجهى ما أكره فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له فى وجهه ما يكرهه ، فإن الصادق يحب من يصدقه ، والكاذب لا يحب الناصح . قال الله تعالى : ﴿ولكن لا تحبون الناصحين﴾ والنصيحة ما كانت فى السر .

ومن آداب الصوفية : القيام بخدمة الإخوان واحتمال الأذى منهم ، فبذلك يظهر جوهر الفقير . وروى أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أمر بقلع ميزاب كان فى دار العباس بن عبد المطلب إلى الطريق بين الصفا والمروة ، فقال له العباس : قلعت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعه بيده ، فقال : إذن لا يرده إلى مكانه غير يدك ، ولا يكون لك سلم غير عاتق عمر ، فأقامه على عاتقه ورده إلى موضعه .

ومن أدبهم : أن لا يرون لنفسهم ملكا يختصون به ، قال إبراهيم بن شيبان : كنا لا نصحب من يقول نعلى .

أخبرنا بذلك رضى الدين عن أبى المظفر عن والده أبى القاسم القشيرى قال : سمعت أبا حاتم الصوفى قال : سمعت أبا نصر السراج يقول ذلك . وقال أحمد بن القلانسى : دخلت على قوم من الفقراء يوما بالبصرة فأكرمونى وبجلونى فقلت يوما لبعضهم : أين إزارى ؟ فسقطت من أعينهم .

وكان إبراهيم بن أدهم إذا صحبه إنسان شارطه على ثلاثة أشياء : أن تكون الخدمة والأذان له ، وأن تكون يده فى جميع ما يفتح الله عليهم من الدنيا كيده فقال رجل من أصحابه : أنا لا أقدر على هذا . فقال : أعجبنى صدقك

وكان إبراهيم بن أدهم ينظر البساتين ويعمل فى الحصاد وينفق على أصحابه .

وكان من أخلاق السلف : أن كل من احتاج إلى شىء من مال أخيه استعمله من غير مؤامرة . قال الله تعالى ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ أى مشاع فيه سواء .

ومن أدبهم أنهم إذا استثقلوا صاحبا يتهمون أنفسهم ويتسببون فى إزالة ذلك من بواطنهم ، لأن انطواء الضمير على مثل ذلك للمصاحب وليجة فى الصحبة .

قال أبو بكر الكتانى : صحبنى رجل وكان على قلبى ثقيلا ، فوهبت له شيئا بنية أن يزول ثقله من قلبى ، فلم يزل ، فخلوت به يوما وقلت له : ضع رجلك على خـــدى ، فأبى ، فقلت له : لا بد من ذلك ، ففعل ذلك فزال ما كنت أجده فى باطنى .

قال الرقى : قصدت من الشام إلى الحجاز حتى سألت الكتانى عن هذه الحكاية .

ومن أدبهم : تقديم من يعرفون فضله والتوسعة له فى المجلس والإيثار بالموضع روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا فى صفة ضيقة ، فجاءه قوم من البدريين ، فلم يجدوا موضعا يجلسون فيه ، فأقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لم يكن من أهل بدر فجلسوا مكانهم ، فاشتدّ ذلك عليهم فأنزل الله تعالى ﴿وإذا قيل انشزوا

فانتشروا ... الآية ﴾

وحكى أن على بن بندار الصوفى ورد على أبى عبد الله بن خفيف زائرا فتماشيا ، فقال له أبو عبد الله : تقدم ، فقال : بأى عذر ؟ فقال : بأنك لقيت الجنيد وما لقيته :

ومن أدبهم : ترك صحبة من همه شىء من فضول الدنيا : قال الله تعالى ﴿فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ﴾ .

ومن أدبهم : بذل الإنصاف للإخوان وترك مطالبة الإنصاف : قال أبو عثمان الحيرى : حق الصحبة أن توسع على أخيك من مالك ولا تطمع فى ماله ، وتنصفه من نفسك ولا تطلب منه الإنصاف ، وتكون تبعا له ولا تطمع أن يكون تبعا لك وتستكثر مايصل إليك منه وتستقل مايصل إليه منك .

ومن أدبهم فى الصحبة : لين الجانب وترك ظهور النفس بالصولة : قال أبو على الروذبارى : الصولة على من فوقك قحة ، وعلى من مثلك سوء أدب ، وعلى من دونك عجز .

ومن أدبهم : أن لايجرى فى كلامهم : لو كان كذا لم يكن كذا وليت كان كذا وعسى ان يكون كذا ، فإنهم يرون هذه التقديرات عليه اعتراضا .

ومن أدبهم فى الصحبة : حذر المفارقة والحرص على الملازمة ، قيل : صحب رجل رجلا ثم أراد المفارقة ، فاستأذن صاحبه فقال : بشرط أن لا تصحب أحدا إلا إذا كان فوقنا ، وإن كان فوقنا أيضا فلا تصحبه لأنك صحبتنا أولا ، فقال الرجل : زال عن قلبى نية المفارقة .

ومن أدبهم : التعطف على الأصاغر . قيل : كان إبراهيم بن أدهم يعمل فى الحصاد ويطعم الأصحاب ، وكانوا يجتمعون بالليل وهم صيام وربما كان يتأخر فى بعض الأيام فى العمل ؛ فقالوا ليلة : تعالوا نأكل فطورنا دونه حتى يعود بعد هذا يسرع ؛ فافطروا وناموا ، فرجع إبراهيم فوجدهم نياما ، فقال : مساكين لعلهم لم يكن لهم طعام ، فعمد إلى شىء من الدقيق فعجنه ، فانتبهوا وهو ينفخ فى النار واضعاً محاسنه على التراب ، فقالوا له فى ذلك فقال : قلت لعلكم لم تجدوا فطورا فنمتم ، فقالوا : انظروا بأى شىء عاملناه وبأى شىء يعاملنا .

ومن أدبهم : أن لايقولوا عند الدعاء إلى أين ؟ ولم ؟ وبأى سبب ؟ قال بعض العلماء : إذا قال الرجل للصاحب : قم بنا ، فقال : إلى أين ؟ فلا تصحبه : وقال آخر : من قال لأخيه أعطنى من مالك فقال : كم تريد ؟ ماقام بحق الإخاء وقد قال الشاعر :

لايسألون أخاهم حين يندبهم ... للنائبات على ما قال برهانا

ومن أدبهم : أن لايتكلفوا للإخوان قيل لما ورد أبو حفص العراق تكلف له الجنيد أنواعا من الأطعمة ؛ فانكر ذلك أبو حفص وقال : صير أصحابى مثل المخانيث يقدم لهم الألوان .

والفتوة عندنا ترك التكلف وإحضار ماحضر ؛ فإن بالتكلف ربما يؤثر مفارقة الضيف ، وبترك التكلف يستوى مقامه وذهابه .

ومن أدبهم فى الصحبة : المداراة وترك المداهنة ، وتشبه المداراة المداهنة والفرق بينهما : أن المداراة ما أردت به صلاح أخيك فداريته لرجاء صلاحه واحتملت منه ماتكره . والمداهنة : ماقصد به شيئا من الهوى من حظ أو إقامة جاه .

ومن أدبهم فى الصحبة : رعاية الاعتدال بين الانقباض والانبساط : نقل عن الشافعى رحمه الله أنه قال : الانقباض عن الناس مكسبة لعداوتهم ، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء ، فكن بين المنقبض والمنبسط .

ومن أدبهم : ستر عورات الإخوان : قال عيسى عليه السلام لأصحابه : كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائما فكشف الريح عنه ثوبه ؟ قالوا : نستره ونغطيه ، فقال : بل تكشفون عورته . قالوا : سبحان الله من يفعل هذا ؟ قال : أحدكم يسمع فى أخيه بالكلمة فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها .

ومن أدبهم : الاستغفار للإخوان بظهر الغيب ، والاهتمام لهم مع الله تعالى فى دفع المكاره عنهم .

حكى أن أخوين ابتلى أحدهما بهوى فأظهر عليه أخاه فقال : إنى ابتليت بهوى فإن شئت أن لا تعقد على محبتى لله فافعل ، فقال : ما كنت لأحل عقد إخائك لأجل خطيئتك ، وعقد بينه وبين الله عقدا أن لا يأكل ولا يشرب حتى يعافيه الله تعالى من هواه ، وطوى أربعين يوما كلما يسأله عن هواه ، يقول : مازال ، فبعد الأربعين أخبره أن الهوى قد زال ، فأكل وشرب .

ومن أدبهم : أن لا يحوجوا صاحبهم إلى المداراة ولا يلجئوه إلى الاعتذار ولا يتكلفوا للصاحب مايشق عليه ، بل يكونوا للصاحب من حيث هو مؤثرين مراد الصاحب على مراد أنفسهم . قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : شر الأصدقاء من أحوجك إلى مداراة أو ألجأك إلى اعتذار أو تكلفت له .

وقال جعفر الصادق : أثقل إخوانى على من يتكلف لى وأتحفظ منه وأخفهم على قلبى من أكون معه كما أكون وحدى ؛ فآداب الصحبة وحقوق الأخوة كثيرة ، والحكايات فى ذلك يطول نقلها . وقد رأيت فى كتاب الشيخ أبى طالب المكى رحمه الله من الحكايات فى هذا المعنى شيئا كثيرا ، فقد أودع كتابه كل شىء حسن من ذلك وحاصل الجميع : أن العبد ينبغى له أن يكون لمولاه ويريد كل مايريد لمولاه لا لنفسه ، وإذا صاحب شخصا تكون صحبته إياه لله تعالى ، وإذا صحبه لله تعالى يجتهد له فى كل شىء يزيده عند الله زلفى ، وكل من قام بحقوق الله تعالى يرزقه الله تعالى علما بمعرفة النفس وعيوبها ، ويعرفه محاسن الأخلاق ومحاسن الآداب ، ويوقفه من أداء الحقوق على بصيرة ويفقهه فى ذلك كله ، ولا يفوته شىء مما يحتاج إليه فيما يرجع إلى حقوق الحق ، وفيما يرجع إلى حقوق الخلق ، فكل تقصير يوجد من خبث النفس وعدم تزكيتها وبقاء صفاتها عليه ، فإن صحبت ظلمت بالإفراط تارة وبالتفريط أخرى ، وتعدت الواجب فيما يرجع إلى الحق والخلق ، والحكايات والمواعظ والآداب وسماعها لا يعمل فى النفس زيادة تأثير ، ويكون كبئر يقلب فيه الماء من فوق فلا يمكث فيه ولا ينتفع به ، وإذا أخذت بالتقوى والزهد فى الدنيا نبع منها ماء الحياء وتفقهت وعلمت وأدت الحقوق وقامت بواجب الآداب بتوفيق الله سبحانه وتعالى .

الباب السادس والخمسون : فى معرفة الإنسان نفسه ومكاشفات الصوفية من ذلك

حدثنا شيخنا أبو النجيب السهروردى ، قال أخبرنا الشريف نور الهدى أبو طالب الزينى ، قال أخبرنا كريمة المروزية ، قالت أخبرنا أبو الهيثم الكشميهنى قال أخبرنا أبو عبد الله الفربرى ، قال أخبرنا أبو عبد الله البخارى ، قال حدثنا عمر بن حفص ، قال حدثنا أبى ، قال حدثنا الأعمش ، قال حدثنا زيد بن وهب ، قال حدثنا عبد الله ، قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال « إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله تعالى إليه ملكا بأربع كلمات ، فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقى أم سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار » .

وقال تعالى ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ﴾ أى حريز لاستقرارها فيه إلى بلوغ أمدها ، ثم قال بعد ذكر تقلباته ﴿ ثم أنشأناه خلقا آخر ﴾ قيل هذا الإنشاء نفخ الروح فيه .

واعلم أن الكلام فى الروح صعب المرام والإمساك عن ذلك سبيل ذوى الأحلام ، وقد عظم الله تعالى شأن الروح وأنجل على الخلق بقلة العلم حيث قال ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ وقد أخبرنا الله تعالى فى كلامه عن إكرامه بنى آدم فقال ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم ﴾ وروى : أنه لما خلق الله تعالى آدم وذريته قالت الملائكة : يارب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون ، فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة ، فقال : وعزتى وجلالى لا أجعل ذرية من خلقت بيدى كمن قلت له كن فكان . فمع هذه الكرامة واختياره سبحانه وتعالى إياهم على الملائكة لما أخبر عن الروح أخبر عنهم بقلة

العلم ، ، وقال ﴿ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ... الآية﴾ قال ابن عباس : قالت اليهود للنبي عليه السلام : أخبرنا ما الروح ؟ وكيف تعذب الروح التى فى الجسد ؟ وإنما الروح من أمر الله ولم يكن نزل إليه فيها شيء ، فلم يجبهم ، فأتاه جبرائيل بهذه الآية ، وحيث أمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإخبار عن الروح وماهيته بإذن الله تعالى ووحيه وهو صلوات الله عليه معدن العلم وينبوع الحكمة ، فكيف يسوغ لغيره الخوض فيه والإشارة إليه لاجرم لما تقاضت الأنفس الإنسانية المتطلعة إلى الفضول المتشوقة إلى المعقول المتحركة بوضعها إلى كل ما أمره بالسكون فيه ، والمتسورة بحرصها إلى كل تحقيق وكل تمويه ، وأطلقت عنان النظر فى مسارح الفكر ، وخاضت غمرات معرفة ماهية الروح تاهت فى التيه وتنوعت آراؤها فيه ، ولم يوجد الاختلاف بين أرباب النقل والعقل فى شيء كالاختلاف فى ماهية الروح . ولو لزمت النفوس حدها معترفة بعجزها كان ذلك أجدر بها وأولى ؛ فأما أقاويل من ليس متمسكا بالشرائع فننزه الكتاب عن ذكرها ، لأنها أقوال أبرزتها العقول التى ضلت عن الرشاد وطبعت على الفساد ، ولم يصبها نور الاهتداء ببركة متابعة الأنبياء ، فهم كما قال الله تعالى ﴿كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا﴾ ، ﴿وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب﴾ فلما حجبوا عن الأنبياء لم يسمعوا ، وحيث لم يسمعوا لم يهتدوا فأصروا على الجهالات وحجبوا بالمعقول عن المأمول ، والعقل حجة الله تعالى يهدى به قوما ويضل به قوما آخرين ؛ فلم ننقل أقوالهم فى الروح واختلافهم فيه .

وأما المستمسكون بالشرائع الذين تكلموا فى الروح ؛ فقوم منهم بطريق الاستدلال والنظر ، وقوم منهم بلسان الذوق والوجد لا باستعمال الفكر ، حتى تكلم فى ذلك مشايخ الصوفية أيضاً ، وكان الأولى الإمساك عن ذلك والتأدب بأدب النبي عليه الصلاة والسلام .

وقد قال الجنيد : الروح شيء استأثر الله بعلمه ولا تجوز العبارة عنه بأكثر من موجود ، ولكن نجعل للصادقين محملا لأقوالهم وأفعالهم .

ويجوز أن يكون كلامهم فى ذلك بمثابة التأويل لكلام الله تعالى والآيات المنزلة ، حيث حرم تفسيره وجوز تأويله ، إذ لا يسع القول فى التفسير إلا نقل . وأما التأويل فتمتد العقول إليه بالباع الطويل ، وهو ذكر ما تحتمل الآية من المعنى من غير القطع بذلك ، وإذا كان الأمر كذلك فللقول فيه وجه ومحمل .

قال أبو عبدالله النباحى : الروح جسم يلطف عن الحس ويكبر عن اللمس ولا يعبر عنه بأكثر من موجود ، وهو وإن منع عن العبارة فقد حكم بأنه جسم ؛ فكأنه عبر عنه .

وقال ابن عطاء الله : خلق الله الأرواح قبل الأجساد ، لقوله تعالى ﴿ولقد خلقناكم﴾ يعنى الأرواح ﴿ثم صورناكم﴾ يعنى الأجساد .

وقال بعضهم : الروح لطيف قائم فى كثيف ، كالبصر جوهر لطيف قائم فى كثيف . وفى هذا القول نظر . وقال بعضهم : الروح عبارة والقائم بالأشياء هو الحق ، وهذا فيه نظر أيضا إلا أن يحمل على معنى الإحياء ؛ فقد قال بعضهم ؛ الإحياء صفة المحيي ، كالتخليق صفة الخالق وقال ﴿قل الروح من أمر ربى﴾ وأمره كلامه ، وكلامه ليس بمخلوق : أى صار الحى حيا بقوله : كن حيا ؛ وعلى هذا لا يكون الروح معنى فى الجسد ، فمن الأقوال ما يدل على أن قائله يعتقد قدم الروح ، ومن الأقوال ما يدل على أنه يعتقد حدوثه .

ثم إن الناس مختلفون فى الروح الذى سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، فقال قوم : هو جبرائيل . ونقل عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه ، ولكل وجه منه سبعون ألف لسان ، ولكل لسان منه سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها ، ويخلق من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة .

وروى عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما : أن الروح خلق من خلق الله صورهم على صورة بنى آدم ، وما

نزل من السماء ملك إلا ومعه واحد من الروح .

وقال أبو صالح : الروح كهيئة الإنسان وليسوا بناس .

وقال مجاهد : الروح على صورة بنى آدم لهم أيد وأرجل ورءوس يأكلون الطعام وليسوا بملائكة . وقال سعيد ابن جبير : لم يخلق الله خلقا أعظم من الروح غير العرش ، ولو شاء أن يبلع السموات والأرضين السبع فى لقمة لفعل ، صورة خلقه على صورة الملائكة ، وصورة وجهه على صورة الآدميين ، يقوم يوم القيامة عن يمين العرش والملائكة معه فى صف واحد . وهو ممن يشفع لأهل التوحيد ، ولولا أن بينه وبين الملائكة سترا من نور لحرق أهل السموات من نوره ؛ فهذه الأقاويل لاتكون إلا نقلا وسماعا بلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، وإذا كان الروح المسئول عنه شيئا من هذا المنقول فهو غير الروح الذى فى الجسد ؛ فعلى هذا يسوغ القول فى هذا الروح ولا يكون الكلام فيه ممنوعا .

وقال بعضهم : الروح لطيفة تسرى من الله إلى أماكن معروفة لايعبر عنه بأكثر من موجود بإيجاد غيره .

وقال بعضهم : الروح لم يخرج من « كن » لأنه لو خرج من « كن » كان عليه الذل . قيل : فمن أى شىء خرج ؟ قال من بين جماله وجلاله سبحانه وتعالى بملاحظة الإشارة بخصها بسلامه وحياها بكلامه ؛ فهى معتقة من ذل « كن » .

وسئل أبو سعيد الخراز عن الروح ، أمخلوقة هى ؟ قال : نعم ، ولولا ذلك ما أقرت بالربوبية ، حيث قال « بلى » والروح هى التى قام بها البدن واستحق بها اسم الحياة ، وبالروح ثبت العقل ، وبالروح قامت الحجة ؛ ولو لم يكن الروح كان العقل معطلا لاحجة عليه ولا له ، وقيل : إنها جوهر مخلوق ولكنها ألطف المخلوقات وأصفى الجواهر وأنورها وبها تتراءى المغيبات وبها يكون الكشف لأهل الحقائق ، وإذا حجبت الروح عن مراعاة السير أساءت الجوارح الأدب ، ولذلك صارت الروح بين تجلٍّ واستتار وقابض ونازع ، وقيل : الدنيا والآخرة عند الأرواح سواء ، وقيل الأرواح أقسام : أرواح تجول فى البرزخ وتبصر أحوال الدنيا والملائكة وتسمع ما تتحدث به فى السماء عن أحوال الآدميين وأرواح تحت العرش ، وأرواح طيارة إلى الجنان وإلى حيث شاءت على أقدارها من السعى إلى الله أيام الحياة .

وروى سعيد بن المسيب عن سلمان قال : أرواح المؤمنين تذهب فى برزخ من الأرض حيث شاءت بين السماء والأرض حتى يردها إلى جسدها .

وقيل : إذا ورد على الأرواح ميت من الأحياء التقوا وتحدثوا وتساءلوا ، ووكل الله بها ملائكة تعرض عليها أعمال الأحياء ، حتى إذا عرض على الأموات مايعاقب به الأحياء فى الدنيا من أجل الذنوب قالوا : نعتذر إلى الله ظاهرا عنه ، فإنه لاأحد أحب إليه العذر من الله تعالى . وقد ورد فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم « تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله ، وتعرض على الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة ، فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضا وإشراقا ، فاتقوا الله تعالى ولاتؤذوا موتاكم .

وفى خبر آخر « إن أعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم من الموتى ، فإن كان حسنا استبشروا ، وإن كان غير ذلك قالوا : اللهم لاتمتهم حتى تهديهم كما هديتنا » .

وهذه الأخبار والأقوال تدل على أنها أعيان فى الجسد ، وليست بمعان وأعراض .

سئل الواسطى : لأى علة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلم الخلق ؟ قال : لأنه خلق روحه أولا فوقع له صحبة التمكين والاستقرار ، ألا تراه يقول « كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد » أى لم يكن روحا ولا جسدا وقال بعضهم : الروح خلق من نور العزة ، وإبليس من نار العزة ، ولهذا قال ﴿ خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾ ولم يدر أن النور خير من النار ، فقال بعضهم : قرن الله تعالى العلم بالروح ، فهى للطافتها تنمو بالعلم كما ينمو البدن بالغذاء وهذا فى علم الله ، لأن علم الخلق قليل لايبلغ ذلك .

والمختار عند أكثر متكلمى الإسلام : أن الإنسانية والحيوانية عرضان خلقا فى الإنسان، والموت يعدمهما ؛ وأن الروح هى الحياة بعينها صار البدن بوجودها حيا : وبالإعادة إليه فى القيامة يصير حيا . وذهب بعض متكلمى الإسلام إلى أنه جسم لطيف مشتبك بالأجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الأخضر ، وهو اختيار أبى المعالى الجوينى ، وكثير منهم مال إلى أنه عرض ؛ إلا أنه ردهم عن ذلك الأخبار الدالة على أنه جسم ، لما ورد فيه من العروج والهبوط والتردد فى البرزخ ، فحيث وصف بأوصاف دل على أنه جسم ، لأن العرض لا يوصف بأوصاف ؛ إذ الوصف معنى والمعنى لا يقوم بالمعنى . واختار بعضهم أنه عرض .

سئل ابن عباس رضى الله عنهما قيل : أين تذهب الأرواح عند مفارقة الأبدان ؟ فقال : أين يذهب ضوء المصباح عند فناء الأدهان ، قيل له : فأين تذهب الجسوم إذا بليت . قال : فأين يذهب لحمها إذا مرضت .

وقال بعض من يتهم بالعلوم المردودة المذمومة وينسب إلى الإسلام : الروح تنفصل من البدن فى جسم لطيف

وقال بعضهم : إنها إذا فارقت البدن تحل معها القوة الوهمية بتوسط النطقية ، فتكون حينئذ مطالعة للمعانى والمحسوسات ، لأن تجردها من هيآت البدن عند المفارقة غير ممكن ، وهى عند الموت شاعرة بالموت وبعد الموت ؛ متخلية بنفسها مقبورة ، وتتصور جميع ما كانت تعتقده حال الحياة ، وتحس بالثواب والعقاب فى القبر. وقال بعضهم: أسلم المقالات أن يقال : الروح شىء مخلوق أجرى الله تعالى العادة أن يحيى البدن مادام متصلا به ، وأنه أشرف من الجسد يذوق الموت بمفارقة الجسد ، كما أن الجسد بمفارقته يذوق الموت ، فإن الكيفية والماهية يتعاشى العقل فيهما كما يتعاشى البصر فى شعاع الشمس . ولما رأى المتكلمون أنه يقال لهم : الموجودات محصورة : قديم، وجسم، وجوهر، وعرض فالروح من اى هؤلاء ؟ فاختار قوم منهم أنه عرض . وقوم منهم أنه جسم لطيف كما ذكرنا ، واختار قوم أنه قديم لأنه أمر والأمر كلام والكلام قديم ، فما أحسن الإمساك عن القول فيما هذا سبيله. وكلام الشيخ أبى طالب المكى فى كتابه يدل على أنه يميل إلى أن الأرواح أعيان فى الجسد ، وهكذا النفوس ، لأنه يذكر أن الروح تتحرك للخير ، ومن حركتها يظهر نور فى القلب يراه الملك فيلهم الخير عند ذلك . وتتحرك للشر، ومن حركتها تظهر ظلمة فى القلب فيرى الشيطان الظلمة فيقبل بالإغواء .

وحيث وجدت أقوال المشايخ تشير إلى الروح أقول : ما عندى فى ذلك على معنى ما ذكرت من التأويل دون أن أقطع به ، إذ ميلى فى ذلك إلى السكوت والإمساك، وأقول والله أعلم : الروح الإنسانى العلوى السماوى من عالم الأمر ، والروح الحيوانى البشرى من عالم الخلق ، والروح الحيوانى البشرى محل الروح العلوى ومورده . والروح الحيوانى جسمانى لطيف حامل لقوة الحس والحركة ، ينبعث من القلب - أعنى بالقلب ههنا . المضغة اللحمية المعروفة الشكل المودعة فى الجانب الأيسر من الجسد ، وينتشر فى تجاويف العروق الضوارب ، وهذه الروح لسائر الحيوانات، ومنه تفيض قوى الحواس وهو الذى قوامه بإجراء سنة الله بالغذاء غالبا، ويتصرف بعلم الطب فيه باعتدال مزاج الأخلاط ولورود الروح الإنسانى العلوى على هذا الروح تجنس الروح الحيوانى وبان أرواح الحيوانات ، واكتسب صفة أخرى فصار نفسا محلا للنطق والإلهام . قال الله تعالى ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ﴾ فتسويتها بورود الروح الإنسانى عليها وانقطاعها عن جنس أرواح الحيوانات ، فتكونت النفس بتكوين الله تعالى من الروح العلوى وصار تكون النفس التى هى الروح الحيوانى من الآدمى من الروح العلوى فى عالم الأمر ، كتكون حواء من آدم فى عالم الخلق ، وصار بينهما من التآلف والتعاشق كما بين آدم وحواء ، وصار كل واحد منهما يذوق الموت بمفارقة صاحبه قال الله تعالى ﴿ وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾ فسكن آدم إلى حواء ، وسكن الروح الإنسانى العلوى إلى الروح الحيوانى وصيره نفسا ، وتكون من سكون الروح إلى النفس القلب، وأعنى بهذا القلب اللطيفة التى محلها المضغة اللحمية ، فالمضغة اللحمية من عالم الخلق ، وهذه اللطيفة من عالم الأمر ، وكان تكون القلب من الروح والنفس فى عالم الأمر كتكون الذرية من آدم وحواء فى عالم الخلق ، ولولا المساكنة بين الزوجين اللذين أحدهما النفس ما تكون القلب ، فمن القلوب قلب

متطلع إلى الأب الذى هو الروح العلوى ميال إليه ، وهو القلب المؤيد الذى ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه حذيفة رضى الله عنه قال « القلوب أربعة : قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن ، وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر ، وقلب مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق ، وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق ، فمثل الإيمان فيه مثل البقلة يمدها الماء الطيب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد ، فأى المادتين غلبت عليه حكم له بها » والقلب المنكوس ميال إلى الأم التى هى النفس الأمارة بالسوء ومن القلوب قلب متردد فى ميله إليها ، وبحسب غلبة ميل القلب يكون حكمه من السعادة والشقاوة ، والعقل جوهر الروح العلوى ولسانه والدال عليه ، وتدبيره للقلب المؤيد والنفس الزكية المطمئنة تدبير الوالد للولد البار ، والزوج للزوجة الصالحة ؛ وتدبيره للقلب المنكوس والنفس الأمارة بالسوء تدبير الوالد للولد العاق ، والزوج للزوجة السيئة ؛ فمنكوس من وجه ومنجذب إلى تدبيرهما من وجه ؛ إذ لا بد له منهما .

وقول القائلين واختلافهم فى محل العقل : فمن قائل إن محله الدماغ ، ومن قائل إن محله القلب كلام القاصرين عن درك حقيقة ذلك ، واختلافهم فى ذلك لعدم استقرار العقل على نسق واحد ، وانجذابه إلى البارتارة وإلى العاق اخرى وللقلب والدماغ نسبة إلى البار والعاق ، فإذا رؤى فى تدبير العاق قيل مسكنه الدماغ ، وإذا رؤى فى تدبير البار قيل مسكنه القلب ؛ فالروح العلوى يهم بالارتفاع إلى مولاه شوقا وحنوا وتنزها عن الأكوان ، ومن الأكوان القلب والنفس ؛ فإذا ارتقى الروح يجر القلب إليه حنو الولد الحنين البار إلى الوالد ، وتحن النفس إلى القلب الذى هو الولد حنين الوالدة الحنينة إلى ولدها ، وإذا حنت النفس ارتقت من الأرض وانزوت عروقها الضاربة فى العالم السفلى وانطوى هواها وانحسمت مادته وزهدت فى الدنيا وتجافت عن دار الغرور وأنابت إلى دار الخلود ، وقد تجلد النفس التى هى الأم إلى الأرض بوضعها الجبلى لتكونها من الروح الحيوانى المجنس ومستندها فى ركونها إلى الطبائع التى هى أركان العالم السفلى . قال الله تعالى ﴿ ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ﴾ فإذا سكنت النفس التى هى الأم إلى الأرض انجذب إليها القلب المنكوس انجذاب الولد الميال إلى الوالدة المعوجة الناقصة دون الوالد الكامل المستقيم ، وينجذب الروح إلى الولد الذى هو القلب لما جبل عليه من انجذاب الوالد إلى ولده ، فعند ذلك يتخلف عن حقيقة القيام بحق مولاه . وفى هذين الانجذابين يظهر حكم السعادة والشقاوة ﴿ ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ .

وقد ورد فى أخبار داود عليه السلام أنه سأل ابنه سليمان : أين موضع العقل منك ؟ قال : القلب ؛ لأنه قالب الروح ، والروح قالب الحياة .

وقال أبو سعيد القرشى : الروح روحان روح الحياة وروح الممات ؛ فإذا اجتمعا عقل الجسم . وروح الممات هى التى إذا خرجت من الجسد يصير الحى ميتا ، وروح الحياة ما به مجارى الأنفاس وقوة الأكل والشرب وغيرهما .

وقال بعضهم : الروح نسيم طيب يكون به الحياة ، والنفس ريح حارة تكون منها الحركات المذمومة والشهوات ويقال : فلان حار الرأس وفى الفصل الذى ذكرناه يقع التنبيه بماهية النفس ، وإشارة المشايخ بماهية النفس إلى ما يظهر من آثارها من الأفعال المذمومة والأخلاق المذمومة ، وهى التى تعالج بحسن الرياضة إزالتها وتبديلها ، والأفعال الرديئة تزال والأخلاق الرديئة تبدل .

أخبرنا الشيخ العالم رضى الدين أحمد بن اسمعيل القزوينى ، قال أخبرنا إجازة أبو سعيد محمد بن أبى العباس الخليلى ، قال أخبرنا القاضى محمد بن سعيد الفرخزادى ، قال أخبرنا أبو إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم ، قال أخبرنا الحسين بن محمد بن عبد الله السفيانى ، قال حدثنا محمد بن الحسن البقطينى ، قال حدثنا أحمد بن عبد الله بن يزيد العقيلى ، قال حدثنا صفوان بن صالح ، قال حدثنا الوليد بن مسلم عن ابن لهيعة عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه الآية ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾ وقف ثم قال « اللهم آت نفسى تقواها أنت وليها ومولاها وزكها أنت خير من زكاها » .

وقيل : النفس لطيفة مودعة فى القالب ، منها الأخلاق والصفات المذمومة ، كما أن الروح لطيفة مودعة فى القلب، منها الأخلاق والصفات المحمودة، كما أن العين محل الرؤية، والأذن محل السمع، والأنف محل الشم، والفم محل الذوق، وهكذا النفس محل الأوصاف المذمومة والروح محل الأصاف المحمودة ، وجميع أخلاق النفس وصفاتها من أصلين، أحدهما الطيش ، والثانى الشره ، وطيشها من جهلها ، وشرهها من حرصها ، وشبهت النفس فى طيشها بكرة مستديرة على مكان أملس مصوب ، لا تزال متحركة بجبلتها ووضعها ، وشبهت فى حرصها بالفراش الذى يلقى نفسه على ضوء المصباح ولا يقنع بالضوء اليسير دون الهجوم على جرم الضوء الذى فيه هلاكه ، فمن الطيش توجد العجلة وقلة الصبر، والصبر جوهر العقل ، والطيش صفة النفس ، وهواها وروحها لا يغلبه إلا الصبر، إذ العقل يقمع الهوى، ومن الشره يظهر الطمع والحرص ، وهما اللذان ظهرا فى آدم حيث طمع فى الخلود ، فحرص على أكل الشجرة .

وصفات النفس لها أصول من أصل تكونها ، لأنها مخلوقة من تراب ، ولها بحسبه وصف، وقيل وصف الضعف فى الآدمى من التراب ، ووصف البخل فيه من الطين ، ووصف الشهوة فيه من الحمأ المسنون، ووصف الجهل فيه من الصلصال . وقيل قوله ﴿ كالفخار ﴾ فهذا الوصف فيه شىء من الشيطنة لدخول النار فى الفخار ؛ فمن ذلك الخداع والحيل والحسد ؛ فمن عرف أصول النفس وجبلاتها عرف أن لا قدرة له عليها إلا بالاستعانة ببارئها وفاطرها ، فلا يتحقق العبد بالإنسانية إلا بعد أن يدبر دواعى الحيوانية فيه بالعلم والعدل ، وهو رعاية طرفى الإفراط والتفريط ، ثم بذلك تتقوى إنسانيته ومعناه ويدرك صفات الشيطنة فيه والأخلاق المذمومة ، وكمال إنسانيته يتقاضاه أن لا يرضى لنفسه بذلك ، ثم تنكشف له الأخلاق التى تنازع بها الربوبية من الكبر والعز ورؤية النفس والعجب وغير ذلك ، فيرى أن صرف العبودية فى ترك المنازعة للربوبية ، والله تعالى ذكر النفس فى كلامه القديم بثلاثة أوصاف: بالطمأنينة، قال ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ﴾ وسماها لوامة ، قال ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ وسماها أمارة ، فقال ﴿ إن النفس لأمارة بالسوء ﴾ وهى نفس واحدة . ولها صفات متغايرة ، فإذا امتلأ القلب سكينة خلع على النفس خلع الطمأنينة ، لأن السكينة مزيد الإيمان ، وفيها ارتقاء القلب إلى مقام الروح لما منح من حظ اليقين ، وعند توجه القلب إلى محل الروح تتوجه النفس إلى محل القلب ، وفى ذلك طمأنينتها ؛ وإذا انزعجت من مقار جبلاتها ودواعى طبيعتها متطلعة إلى مقار الطمأنينة فهى لوامة ؛ لأنها تعود باللائمة على نفسها لنظرها وعلمها بمحل الطمأنينة ثم انجذابها إلى محلها التى كانت فيه أمارة بالسوء ؛ وإذا أقامت فى محلها لا يغشاها نور العلم والمعرفة ، فهى على ظلمتها أمارة بالسوء؛ فالنفس والروح يتطاردان ؛ فتارة يملك القلب دواعى الروح ، وتارة يملكه دواعى النفس .

وأما السر فقد أشار القوم إليه . ووجدت فى كلام القوم أن منهم من جعله بعد القلب وقبل الروح . ومنهم من جعله بعد الروح وأعلى منها وألطف . وقالوا : السر محل المشاهدة ، والروح محل المحبة، والقلب محل المعرفة، والسر الذى وقعت إشارة القوم إليه غير مذكور فى كتاب الله، وإنما المذكور فى كلام الله الروح والنفس ، وتنوع صفاتها والقلب والفؤاد والعقل ، وحيث لم نجد فى كلام الله تعالى ذكر السر بالمعنى المشار إليه ، ورأينا الاختلاف فى القوم فيه وأشار قوم إلى أنه دون الروح ، وقوم إلى أنه ألطف من الروح ؛ فنقول ـ والله أعلم : الذى سموه سرا ليس هو بشىء مستقل بنفسه له وجود وذات كالروح والنفس ، وإنما لما صفت النفس وتزكت انطلق الروح من وثاق ظلمة النفس ، فأخذ فى العروج إلى أوطان القرب ، وانتزح القلب عند ذلك عن مستقره متطلعا إلى الروح ؛ فاكتسب وصفاً زائدا على وصفه ، فانعجم على الواجدين ذلك الوصف حيث رأوه أصفى من القلب فسموه سرا . ولما صار للقلب وصف زائد على وصفه بتطلعه إلى الروح اكتسب الروح وصفا زائدا فى عروجه وانعجم على الواجدين فسموه سرا ، والذى زعموا أنه ألطف من الروح : روح متصفة بوصف أخص مما عهدوه ، والذى سموه قبل الروح سرا : هو قلب اتصف بوصف زائد غير ما عهدوه ، وفى مثل هذا الترقى من الروح والقلب تترقى النفس إلى محل القلب ، وتنخدع من وصفها فتصير نفسا مطمئنة تريد كثيرا من مرادات القلب من قبل إذ صار القلب يريد ما يريد

مولاه متبرئا عن الحول والقوة والإرادة والاختيار ، وعندها ذاق طعم صرف العبودية حيث صار حرا عن إرادته واختياراته .

وأما العقل فهو لسان الروح وترجمان البصيرة ، والبصيرة للروح بمثابة القلب ، والعقل بمثابة اللسان. وقد ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « أول ماخلق الله العقل ، فقال له أقبل فأقبل ، ثم قال له أدبر فأدبر ، ثم قال له اقعد فقعد ، ثم قال له انطق فنطق ، ثم قال له اصمت فصمت . فقال : وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي وسلطاني وجبروتي ماخلقت خلقا أحب إلي منك ولا أكرم علي منك ، بك أعرف وبك أحمد ، وبك أطاع وبك آخذ وبك أعطي ، وإياك أعاتب ، ولك الثواب وعليك العقاب، وما أكرمتك بشيء أفضل من الصبر، وقال عليه السلام « لا يعجبنكم إسلام رجل حتى تعلموا ماعقله عقله » . وسألت عائشة رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم قالت : قلت يارسول الله : بأي شيء يتفاضل الناس ؟ قال : « بالعقل في الدنيا والآخرة» قالت: قلت أليس يجزى الناس بأعمالهم ؟ قال « ياعائشة ، وهل يعمل بطاعة الله إلا من قد عقل فبقدر عقولهم يعملون وعلى قدر مايعملون يجزون » وقال عليه السلام « إن الرجل لينطلق إلى المسجد فيصلي وصلاته لاتعدل جناح بعوضة ، وإن الرجل ليأتي المسجد فيصلي وصلاته تعدل جبل أحد إذا كان أحسنهما عقلا » قيل : وكيف يكون أحسنهما عقلا ؟ قال « أورعهما عن محارم الله وأحرصهما على أسباب الخير وإن كان دونه في العمل والتطوع » .

وقال عليه الصلاة والسلام « إن الله تعالى قسم العقل بين عباده أشتاتا ، فإن الرجلين يستوى علمهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب أحد » .

وروى عن وهب بن منبه أنه قال : إني أجد في سبعين كتابا أن جميع ماأعطى الناس من بدء الدنيا إلى انقطاعها من العقل في جنب عقل رسول الله صلى الله عليه وسلم كهيئة رملة وقعت من بين جميع رمال الدنيا .

واختلف الناس في ماهية العقل ، والكلام في ذلك يكثر ، ولا نؤثر نقل الأقاويل ، وليس ذلك من غرضنا ، فقال قوم : العقل من العلوم ؛ فإن الخالي من جميع العلوم لايوصف بالعقل ، وليس العقل جميع العلوم ؛ فإن الخالي عن معظم العلوم يوصف بالعقل . وقالوا : ليس من العلوم النظرية ، فإن من شرط ابتداء النظر تقدم كمال العقل؛ فهو إذن من العلوم الضرورية وليس هو جميعها ، فإن صاحب الحواس المختلة عاقل وقد عدم بعض مدارك العلوم الضرورية .

وقال بعضهم : العقل ليس من أقسام العلوم ؛ لأنه لو كان منها لوجب الحكم بأن الذاهل عن ذكر الاستحالة والجواز لايتصف بكونه عاقلا ونحن نرى العاقل في كثير من أوقاته ذاهلا وقالوا . هذا العقل صفة يتهيأ بها درك العلوم

ونقل عن الحارث بن أسد المحاسبي وهو من أجل المشايخ أنه قال : العقل غريزة يتهيأ بها درك العلوم، وعلى هذا يتقرر ماذكرناه في أول ذكر العقل : أنه لسان الروح ؛ لأن الروح من أمر الله ، وهي المتحملة للأمانة التي أبت السموات والأرضون أن يحملنها ، ومنها يفيض نور العقل وفي نور العقل تتشكل العلوم؛ فالعقل للعلوم بمثابة اللوح المكتوب ، وهو بصفته منكوس متطلع إلى النفس تارة ومنتصب مستقيم تارة ، فمن كان العقل فيه منكوسا إلى النفس فرقه في أجزاء الكون وعدم حسن الاعتدال بذلك وأخطأ طريق الاهتداء ، ومن انتصب العقل فيه واستقام : تأيد العقل بالبصيرة التي هي للروح بمثابة القلب ، واهتدى إلى المكون ، ثم عرف الكون بالمكون : مستوفيا أقسام المعرفة بالمكون والكون ؛ فيكون هذا العقل عقل الهداية ؛ فكما أحب الله إقباله في أمر دله على إقباله عليه، وما كرهه الله في أمر دله على الإدبار عنه ؛ فلا يزال يتبع محاب الله تعالى ويجتنب مساخطه ، وكلما استقام العقل وتأيد بالبصيرة كانت دلالته على الرشد ونهيه عن الغي .

قال بعضهم : العقل على ضربين : ضرب يبصر به أمر دنياه ، وضرب يبصر به أمر آخرته ، وذكر أن العقل الأول من نور الروح ، والعقل الثاني من نور الهداية ؛ فالعقل الأول موجود في عامة ولد آدم ، والعقل الثاني

موجود فى الموحدين مفقود من المشركين .

وقيل : إنما سمى العقل عقلا لأن الجهل ظلمة ، فإذا غلب النور بصره فى تلك الظلمة زالت الظلمة فأبصر فصار عقالا للجهل .

وقيل : عقل الإيمان مسكنه فى القلب ومتعمله فى الصدر بين عينى الفؤاد ، والذى ذكرناه من كون العقل لسان الروح - وهو عقل واحد ليس هو على ضربين ، ولكنه إذا انتصب واستقام تأيد بالبصيرة واعتدل ووضع الأشياء فى مواضعها ، وهذا العقل هو المستضىء بنور الشرع ؛ لأن انتصابه واعتداله مداه إلى الاستضاءة بنور الشرع ، لكون الشرع ورد على لسان النبى المرسل ، وذلك لقرب روحه من الحضرة الإلهية ومكاشفة بصيرته التى هى الروح بمثابة القلب بقدرة الله وآياته واستقامة عقله بتأييد البصيرة ، فالبصيرة تحيط بالعلوم التى يستوعبها العقل والتى يضيق عنها نطاق العقل ، لأنها تستمد من كلمات الله التى ينفد البحر دون نفادها ، والعقل ترجمان تؤدى البصيرة إليه من ذلك شطرا ، كما يؤدى القلب إلى اللسان بعض مافيه ويستأثر ببعضه دون اللسان ، ولهذا المعنى من جمد على مجرد العقل من غير الاستضاءة بنور الشرع حظى بعلوم الكائنات التى هى الملك ، والملك ظاهر الكائنات . ومن استضاء عقله بنور الشرع تأيد بالبصيرة فاطلع على الملكوت ، والملكوت باطن الكائنات اختص بمكاشفته أرباب البصائر والعقول دون الجامدين على مجرد العقول ، وقد قال بعضهم : إن العقل عقلان ، عقل للهداية مسكنه فى القلب وذلك للمؤمنين الموقنين ومتعمله الصدر بين عينى الفؤاد ، والعقل الآخر مسكنه فى الدماغ ومتعمله فى الصدر بين عينى الفؤاد ، فبالأول يدبر أمر الآخرة ، وبالثانى يدبر أمر الدنيا ، والذى ذكرناه أنه عقل واحد إذا تأيد بالبصيرة دبر الأمرين ، وإذا تفرد دبر أمر واحد وهو أوضح وأبين . وقد ذكرنا فى أول الباب من تدبيره للنفس المطمئنة والأمارة مايتنبه الإنسان به على كونه عقلا واحدا مؤيدا بالبصيرة تارة ومنفردا بوصفه تارة . والله الملهم للصواب .

الباب السابع والخمسون : فى معرفة الخواطر وتفصيلها وتمييزها

أخبرنا شيخنا أبو النجيب السهروردى ، قال أخبرنا أبو الفتح الهروى ، قال أخبرنا أبو نصر الترياقى ، قال أخبرنا أبو محمد الجراحى ، قال أخبرنا أبو العباس المحبوبى ، قال أخبرنا أبو عيسى الترمذى ، قال أخبرنا هناد ، قال أخبرنا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة الهمدانى عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ، ثم قرأ ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾ » ، وإنما يتطلع إلى معرفة اللمتين وتمييز الخواطر طالب مريد يتشوف إلى ذلك تشوف العطشان إلى الماء . لما يعلم من وقع ذلك وخطره وفلاحه وصلاحه وفساده ، ويكون ذلك عبدا مرادا بالحظوة بصفو اليقين ومنح الموقنين ، وأكثر التشوف إلى ذلك المقربين ومن أخذ به فى طريقهم . ومن أخذ فى طريق الأبرار قد يتشوف إلى ذلك بعض التشوف ، لأن التشوف إليه يكون على قدر الهمة والطلب والإرادة والحظ من الله الكريم ، ومن هو فى مقام عامة المؤمنين والمسلمين لايتطلع إلى معرفة اللمتين ولا يهتم بتمييز الخواطر ، ومن الخواطر ما هى رسل الله تعالى إلى العبد ، كما قال بعضهم : لى قلب إن عصيته عصيت الله ، وهذا حال عبد استقام قلبه ، واستقامة القلب اطمأنينة النفس ، وفى طمأنينة النفس يأس الشيطان ، لأن النفس كلما تحركت كدرت صفو القلب ، وإذا تكدر طمع الشيطان وقرب منه ، لأن صفاء القلب محفوف بالتذكر والرعاية ، وللذكر نور يتقيه الشيطان كاتقاء أحدنا النار ، وقد ورد فى الخبر « الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا ذكر الله تعالى تولى وخنس ، وإذا غفل التقم قلبه فحدثه ومناه » ، وقال الله تعالى ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ﴾ وقال الله تعالى ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ فبالتقوى وجود خالص الذكر ، وبها ينفتح

بابه ، ولايزال العبد يتقى حتى يحمى الجوارح من المكاره ثم يحميها من الفضول ومالايعنيه ، فتصير أقواله وأفعاله ضرورة ، ثم تنتقل تقواه إلى باطنه ويطهر الباطن ويقيده عن المكاره ثم من الفضول ، حتى يتقى حديث النفس . قال سهل بن عبدالله : أسوأ المعاصى حديث النفس ، ويرى الاصغاء إلى ماتحدث به النفس ذنبا فيتقيه ، ويتقد القلب عند هذا الاتقاء بالذكر اتقاد الكواكب فى كبد السماء ، ويصير القلب سماء محظوظا بزينة كواكب الذكر ؛ فإذا صار كذلك بعد الشيطان ، ومثل هذا العبد يندر فى حقه الخواطر الشيطانية ولماته ، ويكون له خواطر النفس ويحتاج إلى أن يتقيها ويميزها بالعلم ، لأن منها خواطر لايضر إمضاؤها ، كمطالبات النفس بحاجاتها ، وحاجاتها تنقسم إلى الحقوق والحظوظ ، ويتعين التمييز عند ذلك واتهام النفس بمطالبات الحظوظ . قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ أى فتثبتوا ، وسبب نزول الآية الوليد بن عقبة حيث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى المصطلق فكذب عليهم ونسبهم إلى الكفر والعصيان ، حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتالهم ، ثم بعث خالدا إليهم فسمع أذان المغرب والعشاء ، ورأى مايدل على كذب الوليد بن عقبة ؛ فأنزل الله تعالى الآية فى ذلك ؛ فظاهر الآية وسبب نزولها ظاهر ، وصار ذلك تنبيها من الله عباده على التثبت فى الأمور . قال سهل فى هذه الآية : الفاسق الكذاب ، والكذب صفة النفس لأنها تملى أشياء وتسول أشياء على غير حقائقها ، فتعين التثبت عند خاطرها وإلقائها فيجعل العبد خاطر النفس نبأ يوجب التثبت ولايستفزه الطبع ولايستعجله الهوى ، فقد قال بعضهم : أدنى الأدب أن تقف عند الجهل ، وآخر الأدب أن تقف عند الشبهة .

ومن الأدب عند الاشتباه : إنزال الخاطر بمحرك النفس وخالقها وبارئها وفاطرها ؛ وإظهار الفقر والفاقة إليه ، والاعتراف بالجهل وطلب المعرفة والمعونة منه ، فإنه إذا أتى بهذا الأدب يغاث ويعان ، ويتبين له هل الخاطر لطلب حظ أو طلب حق ؟ فإن كان للحق أمضاه ، وإن كان للحظ نفاه ، وهذا التوقف إذا لم يتبين له الخاطر بظاهر العلم ؛ لأن الافتقار إلى باطن العلم عند فقد الدليل فى ظاهر العلم ، ثم من الناس من لا يسعه فى صحته إلا الوقوف على الحق دون الحظ وإن أمضى خاطر الحظ يصير ذلك ذنب حاله فيستغفر منه كما يستغفر من الذنوب .

ومن الناس من يدخل فى تناول الحظ ويمضى خاطره بمزيد علم لديه من الله . وهو علم السعة لعبد مأذون له فى السعة عالم بالإذن ؛ فيمضى خاطر الحظ ، والمراد بذلك على بصيرة من أمره يحسن به ذلك ويليق به عالم بزيادته ونقصانه عالم بحاله محكم لعلم الحال ، وعلم القيام لايقاس على حاله ولايدخل فيه بالتقليد ؛ لأنه أمر خاص لعبد خاص ، وإذا كان شأن العبد تمييز خواطر النفس فى مقام تخلصه من لمات الشيطان تكثر لديه خواطر الحق وخواطر الملك ، وتصير الخواطر الأربعة فى حقه ثلاثا ويسقط خاطر الشيطان إلا نادراً لضيق مكانه من النفس ؛ لأن الشيطان يدخل بطريق اتساع النفس ، واتساع النفس باتباع الهوى والإخلاد إلى الأرض ، ومن ضايق النفس على التمييز بين الحق والحظ ضاقت نفسه وسقط محل الشيطان إلا نادرا لدخول الابتلاء عليه ؛ ثم من المرادين المتعلقين بمقام المقربين من إذا صار قلبه سماء مزينا بزينة كوكب الذكر ، يصير قلبه سماويا يترقى ويعرج بباطنه ومعناه وحقيقته فى طبقات السموات ، وكلما ترقى تتضاءل النفس المطمئنة وتبعد عنه خواطرها حتى يجاوز السموات بعروج باطنه ، كما كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بظاهره وقالبه ؛ فإذا استكمل العروج تنقطع عنه خواطر النفس لتستره بأنوار القرب وبعدت عنه النفس وعند ذلك تنقطع عنه خواطر الحق أيضا لأن الخاطر رسول والرسالة إلى من بعد وهذا قريب . وهذا الذى وصفناه نازل ينزل به ولايدوم ، بل يعود فى هبوطه إلى منازل مطالبات النفس وخواطرها فتعود إليه خواطر الحق وخواطر الملك ، وذلك أن الخواطر تستدعى وجودا . وما أشرنا إليه حال الفناء ولاخاطر فيه ، وخاطر الحق انتفى لمكان القرب ، وخاطر النفس بعد عنه لبعد النفس ، وخاطر الملك تخلف عنه كتخلف جبريل فى ليلة المعراج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : لو دنوت أنملة لاحترقت . قال محمد بن على الترمذى : المحدث والمكلم إذا تحققا فى درجتهما لم يخافا من حديث النفس ؛ فكما أن النبوة محفوظة من إلقاء الشيطان كذلك محل المكالمة والمحادثة محفوظ من إلقاء النفس وفتنتها ومحروس بالحق والسكينة ؛ لأن السكينة

حجاب المتكلم والمحدث مع نفسه .

وسمعت الشيخ أبا محمد بن عبدالله البصري بالبصرة يقول : الخواطر أربعة : خاطر من النفس ، وخاطر من الحق ، وخاطر من الشيطان ، وخاطر من الملك . فأما الذى من النفس : فيحس به من أرض القلب ، والذى من الحق : من فوق القلب ، والذى من الملك : عن يمين القلب ، والذى من الشيطان : عن يسار القلب . والذى ذكره إنما يصح لعبد أذاب نفسه بالتقوى والزهد ، وتصفى وجوده ، واستقام ظاهره وباطنه ، فيكون قلبه كالمرآة المجلوة : لا يأتيه الشيطان من ناحية إلا ويبصره ، فإذا أسود القلب وعلاه الزين لا يبصر الشيطان .

روى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد إذا أذنب نكت فى قلبه نكتة سوداء ، فإن نزع واستغفر وتاب صقل وإن عاد زيد فيه حتى تعلو قلبه . قال الله تعالى ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾

سمعت بعض العارفين يقول كلاما دقيقاً كوشف به فقال : الحديث فى باطن الإنسان . والخيال الذى يراءى لباطنه ويخيل بين القلب وصفاء الذكر : هو من القلب وليس هو من النفس ، وهذا بخلاف ماتقرر ، فسألته عن ذلك ؛ فذكر أن بين القلب والنفس مناغاة ومحادثات وتألفا وتوددا ، وكلما انطلقت النفس فى شىء بهواها من القول والفعل تأثر القلب بذلك وتكدر ، فإذا عاد العبد من مواطن مطالبات النفس وأقبل على ذكره ومحل مناجاته وخدمته لله تعالى ، أقبل القلب بالمعاتبة للنفس ، وذكر النفس شيئا من فعلها وقولها كاللائم للنفس والمعاتب لها على ذلك ، فإذا كان الخاطر أول الفعل ومفتتحه فمعرفته من أهم شأن العبد ، لأن الأفعال من الخواطر تنشأ ، حتى ذهب بعض العلماء إلى أن العلم المفترض طلبه بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » هو علم الخواطر ، قال : لأنها أول الفعل ، وبفسادها فساد الفعل ، وهذا لعمرى لايتوجه ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب ذلك على كل مسلم ، وليس كل المسلمين عندهم من القريحة ، والمعرفة مايعرفون به ذلك ، ولكن يعلم الطالب أن الخواطر بمثابة البذر ، فمنها ماهو بذر السعادة ، ومنها ما هو بذر الشقاوة .

وسبب اشتباه الخواطر أحد أربعة أشياء لاخامس لها : إما ضعف اليقين ، أو قلة العلم بمعرفة صفات النفس وأخلاقها ، أو متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى ، أو محبة الدنيا جاهها ومالها وطلب الرفعة والمنزلة عند الناس . فمن عصم عن هذه الأربعة : يفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان . ومن ابتلى بها : لايعلمها ولا يطلبها ، وانكشاف بعض الخواطر دون البعض لوجود بعض هذه الأربعة دون البعض ، وأقوم الناس بتمييز الخواطر أقومهم بمعرفة النفس ومعرفتها صعبة المنال لاتكاد تتيسر إلا بعد الاستقصاء فى الزهد والتقوى .

واتفق المشايخ على أن من كان أكله من الحرام لايفرق بين الإلهام والوسوسة .

وقال أبو على الدقاق : من كان قوته معلوما لايفرق بين الإلهام والوسوسة ، وهذا لايصح على الإطلاق إلا بقيد ، وذلك أن من المعلوم مايقسمه الحق سبحانه وتعالى لعبد بإذن يسبق إليه فى الأخذ منه والتقوت به ، ومثل هذا المعلوم لايحجب عن تمييز الخواطر إنما ذلك يقال فى حق من دخل فى معلوم باختيار منه وإيثار ، لأنه ينحجب لموضع اختياره ، والذى أشرنا إليه منسلخ من إرادته فلا يحجبه المعلوم .

وفرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان ، وقالوا : إن النفس تطالب وتلح ، فلا تزال كذلك حتى تصل إلى مرادها ، والشيطان إذا دعا إلى زلة ولم يجب يوسوس بأخرى ، إذ لاغرض له فى تخصيص ، بل مراده الإغواء كيفما أمكنه . وتكلم الشيوخ فى الخاطرين إذا كانا من الحق أيهما يتبع ؟ قال الجنيد : الخاطر الأول لأنه إذا بقى رجع صاحبه إلى التأمل ، وهذا شرط العلم . وقال ابن عطاء : الثانى أقوى لأنه ازداد قوة بالأول . وقال أبو عبدالله ابن خفيف : هما سواء لأنهما من الحق فلا مزية لأحدهما على الآخر .

قالوا : الواردات أعم من الخواطر ، لأن الخواطر تختص بنوع خطاب أو مطالبة ، والواردات تكون تارة خواطر وتارة تكون وارد سرور ووارد حزن ووارد قبض ووارد بسط .

وقيل : بنور التوحيد يقبل الخاطر من الله تعالى ، وبنور المعرفة يقبل من الملك ، وبنور الإيمان ينهى النفس ، وبنور الإسلام يرد على العدو . ومن قصر عن درك حقائق الزهد وتطلع إلى تمييز الخواطر بين الخاطر أولا بميزان الشرع ، فما كان من ذلك نفلا أو فرضا يمضيه ، وما كان من ذلك محرما أو مكروها ينفيه ؛ فإن استوى الخاطران فى نظر العلم ينفذ أقربهما إلى مخالفة هوى النفس ، فإن النفس قد يكون لها هوى كامن فى أحدهما ، والغالب من شأن النفس الاعوجاج والركون إلى الدون ، وقد يلم الخاطر بنشاط النفس والعبد يظن أنه بنهوض القلب ، وقد يكون من القلب نفاق بسكونه إلى النفس ، يقول بعضهم : منذ عشرين سنة ما سكن قلبى إلى نفسى ساعة ، فيظهر من سكون القلب إلى النفس خواطر تشتبه بخواطر الحق على من يكون ضعيف العلم ، فلا يدرك نفاق القلب والخواطر المتولدة منه إلا العلماء الراسخون ، وأكثر ما تدخل الآفات على أرباب القلوب والآخذين من اليقين واليقظة والحال بسهم من هذا القبيل ، وذلك لقلة العلم بالنفس والقلب وبقاء نصيب الهوى فيهم .

وينبغى أن يعلم العبد قطعا أنه مهما بقى عليه أثر من الهوى وإن دق وقل يبقى عليه بحسبه بقية من اشتباه الخواطر ، ثم قد يغلط فى تمييز الخواطر من هو قليل العلم ، ولا يؤاخذ بذلك ما لم يكن عليه من الشرع مطالبة ، وقد لا يسامح بذلك بعض الغالطين لما كوشفوا به من دقيق الخفاء فى التمييز ، ثم استعجالهم مع علمهم وقلة التثبت .

وذكر بعض العلماء أن لمة الملك ولمة الشيطان وجدتا لحركة النفس والروح ، وأن النفس إذا تحركت انقدح من جوهرها ظلمة تنكت فى القلب همة سوء ، فينظر الشيطان إلى القلب فيقبل بالإغواء والوسوسة ، وذكر أن حركة النفس تكون إما هوى وهو عاجل حظ النفس ، أو أمنية وهى عن الجهل الغريزى ، أو دعوى حركة أو سكون وهى آفة العقل ومحبة القلب ، ولا ترد هذه الثلاثة إلا بأحد ثلاثة : بجهل ، أو غفلة ، أو طلب فضول . ثم يكون من هذه الثلاثة ما يجب نفيه ، فإنها ترد بخلاف مأمور أو على وفق منهى . ومنها ما يكون نفيها فضيلة إذا وردت بمباحات ،

وذكر أن الروح إذا تحركت انقدح من جوهرها نور ساطع يظهر من ذلك النور فى القلب همة عالية بأحد معان ثلاثة : إما بفرض أمر به ، أو بفضل ندب إليه ، وإما بمباح يعود صلاحه إليه ، وهذا الكلام يدل على أن حركتى الروح والنفس هما الموجبتان للمتين . وعندى والله أعلم أن اللمتين يتقدمان على حركة الروح والنفس ، فحركة الروح من لمة الملك ، والهمة العالية من حركة الروح ، وهذه الحركة من الروح ببركة لمة الملك . وحركة النفس من لمة الشيطان ومن حركة النفس الهمة الدنيئة ، وهى من شؤم لمة الشيطان . فإذا وردت اللمتان ظهرت الحركتان وظهر سر العطاء والابتلاء من معط كريم ومبل حكيم . وقد تكون هاتان اللمتان متداركتين وينمحى أثر إحداهما بالأخرى . والمتفطن المتيقظ ينفتح عليه بمطالعة وجود هذه الآثار فى ذاته باب أنس ، ويبقى أبدا متفقدا حاله مطالعا آثار اللمتين .

وذكر خاطر خامس : وهو خاطر العقل متوسط بين الخواطر الأربعة ، يكون مع النفس والعدو لوجود التمييز وإثبات الحجة على العبد ، ليدخل العبد فى الشىء بوجود عقل ، إذ لو فقد العقد سقط العقاب والعتاب ، وقد يكون مع الملك والروح ليوقع الفعل مختارا ويستوجب به الثواب .

وذكر خاطر سادس : وهو خاطر اليقين ، وهو روح الإيمان ومزيد العلم ، ولا يبعد أن يقال : الخاطر السادس وهو خاطر اليقين حاصله راجع إلى ما يرد من خاطر الحق وخاطر العقل أصله تارة من خاطر الملك ، وتارة من خاطر النفس ، وليس من العقل خاطر على الاستقلال ، لأن العقل كما ذكرنا غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم ويتهيأ بها الانجذاب إلى دواعى النفس تارة وإلى دواعى الملك تارة ، وإلى دواعى الروح تارة وإلى دواعى الشيطان تارة فعلى هذا لا تزيد الخواطر على أربعة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يذكر غير اللمتين ، وهاتان اللمتان هما الأصل ، والخاطران الآخران فرع عليهما ، لأن لمة الملك إذا حركت الروح واهتزت الروح بالهمة الصالحة قربت أن تهتز بالهمة الصالحة إلى حظائر القرب ، فورد عليه عند ذلك خواطر من الحق ، وإذا تحقق بالقرب يتحقق بالفناء ، فتثبت الخواطر الربانية عند ذلك ، كما ذكرناه قبل لموضع قربه ، فيكون أصل خواطر الحق لمة الملك ، ولمة الشيطان إذا حركت النفس هوت بجبلتها إلى

مركزها من الغريزة والطبع ، فظهر منها لحركتها خواطر ملائمة لغريزتها وطبيعتها وهواها ، فصارت خواطر النفس نتيجة لمة الشيطان ؛ فأصلها لمتان وينتجان أخريين ، وخاطر اليقين والعقل مندرج فيهما . والله أعلم .

الباب الثامن والخمسون : فى شرح الحال والمقام والفرق بينهما

قد كثر الاشتباه بين الحال والمقام ، واختلفت إشارات الشيوخ فى ذلك ، ووجود الاشتباه لمكان تشابههما فى نفسهما وتداخلهما ، فتراءى للبعض الشيء حالا وتراءى للبعض مقاما ، وكلا الرؤيتين صحيح لوجود تداخلهما ، ولابد من ذكر ضابط يفرق بينهما ، على أن اللفظ والعبارة عنهما مشعر بالفرق ؛ فالحال سمى حالا لتحوله ، والمقام مقاما لثبوته واستقراره ، وقد يكون الشيء بعينه حالا ثم يصير مقاما ، مثل أن ينبعث من باطن العبد داعية المحاسبة ، ثم تزول الداعية بغلبة صفات النفس ثم تعود ثم تزول ، فلا يزال العبد حال المحاسبة يتعاهد الحال ، ثم يحول الحال بظهور صفات النفس إلى أن تتداركه المعونة من الله الكريم ويغلب حال المحاسبة وتنقهر النفس وتنضبط وتتملكها المحاسبة فتصير المحاسبة وطنه ومستقره ومقامه ، فيصير فى مقام المحاسبة بعد أن كان له حال المحاسبة ، ثم ينازله حال المراقبة ؛ فمن كانت المحاسبة مقامه يصير له من المراقبة حال ، ثم يحول حال المراقبة لتناوب السهو والغفلة فى باطن العبد إلى أن ينقشع ضباب السهو والغفلة ويتدارك الله عبده بالمعونة ، فتصير المراقبة مقاما بعد أن كانت حالا ولا يستقر مقام المحاسبة قراره إلا بنازل حال المراقبة . ولا يستقر مقام المراقبة قراره إلا بنازل حال المشاهدة ؛ فإذا منح العبد بنازل حال المشاهدة استقرت مراقبته وصارت مقامه ، ونازل المشاهدة أيضا يكون حالا يحول بالاستتار ويظهر بالتجلى ، ثم يصير مقاما وتتخلص شمسه عن كسوف الاستتار ، ثم مقام المشاهدة أحوال وزيادات وترقيات من حال إلى حال أعلى منه كالتحقق بالفناء والتخلص إلى البقاء ، والترقى من عين اليقين إلى حق اليقين ، وحق اليقين نازل يخرق شغاف القلب وذلك أعلى فروع المشاهدة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم إنى أسألك إيمانا يباشر قلبى » .

قال سهل بن عبد الله : للقلب تجويفان ، أحدهما باطن وفيه السمع والبصر وهو قلب القلب وسويداؤه ، والتجويف الثانى ظاهر القلب وفيه العقل ، ومثل العقل فى القلب مثل النظر فى العين ، وهو صقال لموضع مخصوص فيه بمنزلة الصقال الذى فى سواد العين ، ومنه تنبعث الأشعة المحيطة بالمرئيات ، فهكذا تنبعث من نظر العقل أشعة العلوم المحيطة بالمعلومات ، وهذه الحالة التى خرقت شغاف القلب ووصلت إلى سويدائه وهى حق اليقين : هى أسنى العطايا وأعز الأحوال وأشرفها ، ونسبة هذه الحال من المشاهدة كنسبة الآجر من التراب ، إذ يكون ترابا ثم طينا ثم لبنا ثم آجرا ؛ فالمشاهدة هى الأول والأصل ، يكون منها الفناء كالطين ، ثم البقاء كاللبن ثم هذه الحالة وهى آخر الفروع

ولما كان الأصل فى الأحوال هذه الحالة وهى أشرف الأحوال وهى محض موهبة لا تكتسب سميت كل المواهب من النوازل بالعبد أحوالا ، لأنها غير مقدورة للعبد بكسبه ، فأطلقوا القول وتداولت ألسنة الشيوخ أن المقامات مكاسب ، والأحوال مواهب ، وعلى الترتيب الذى درجنا عليه كلها مواهب ، إذ المكاسب محفوفة بالمواهب ، والمواهب محفوفة بالمكاسب ، فالأحوال مواجيد ، والمقامات طرق المواجيد ، ولكن فى المقامات ظهر الكسب وبطنت المواهب ، وفى الأحوال بطن الكسب وظهرت المواهب ، فالأحوال مواهب علوية سماوية ، والمقامات طرقها وقول أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه : سلونى عن طرق السموات فإنى أعرف بها من طرق الأرض : إشارة إلى المقامات والأحوال ، فطرق السموات التوبة والزهد وغير ذلك من المقامات . فإن السالك لهذه الطرق يصير قلبه سماويا ، وهى طرق السموات ومتنزل البركات ، وهذه الأحوال لا يتحقق بها إلا ذو قلب سماوى . قال بعضهم الحال هو الذكر الخفى ؛ وهذا إشارة إلى شيء مما ذكرناه ، وسمعت المشايخ بالعراق يقولون : الحال مامن الله ، فكل ما كان من طريق الاكتساب والأعمال يقولون : هذا مامن العبد ، فإذا لاح للمريد شيء من المواهب والمواجيد قالوا : هذا مامن الله ، وسموه حالا إشارة منهم إلى أن الحال موهبة .

وقال بعض مشايخ خراسان : الأحوال مواريث الأعمال .

وقال بعضهم . الأحوال كالبروق ، فإن بقى لحديث النفس ، وهذا لايكاد يستقيم على الإطلاق وإنما يكون ذلك فى بعض الأحوال فإنها تطرق ثم تستلبها النفس ؛ فأما على الإطلاق فلا ، والأحوال لاتمتزج بالنفس كالدهن لايمتزج بالماء .

وذهب بعضهم إلى أن الأحوال لاتكون إلا إذا دامت ، فأما إذا لم تدم فهى لوائح وطوالع وبوادر ، وهى مقدمات الأحوال وليست بأحوال .

واختلف المشايخ فى أن العبد هل يجوز له أن ينتقل إلى مقام غير مقامه الذى هو فيه قبل إحكام حكم مقامه . قال بعضهم : لاينبغى أن ينتقل عن الذى هو فيه دون أن يحكم حكم مقامه .

وقال بعضهم : لايكمل المقام الذى هو فيه إلا بعد ترقيه إلى مقام فوقه فينظر من مقامه العالى إلى مادونه من المقام فيحكم أمر مقامه . والأولى أن يقال ـ والله أعلم ـ : الشخص فى مقامه يعطى حالا من مقامه الأعلى الذى سوف يرتقى إليه ، فبوجدان ذلك الحال يستقيم أمر مقامه الذى هو فيه ويتصرف الحق فيه كذلك ، ولايضاف الشىء إلى العبد أنه يرتقى أولا يرتقى ، فإن العبد بالأحوال يرتقى إلى المقامات ، والأحوال مواهب ترقى إلى المقامات التى يمتزج فيها الكسب بالموهبة ، ولايلوح للعبد حال من مقام أعلى مما هو فيه إلا وقد قرب ترقيه إليه ، فلا يزال العبد يرقى إلى المقامات بزائد الأحوال ، فعلى ماذكرناه يتضح تداخل المقامات والأحوال حتى التوبة ، ولاتعرف فضيلة إلا فيها حال ومقام ، وفى الزهد حال ومقام ، وفى التوكل حال ومقام ، وفى الرضا حال ومقام .

قال أبو عثمان الحيرى : منذ أربعين سنة ماأقامنى الله فى حال فكرهته ، أشار إلى الرضا ويكون منه حالا ثم يصير مقاما ، والمحبة حال ومقام ، ولايزال العبد يتتوب بطروق حال التوبة حتى يتوب ، وطروق حال التوبة بالانزجار أولا قال بعضهم : الزجر هيجان فى القلب لايسكنه إلا الانتباه من الغفلة فيرده إلى اليقظة ، فإذا تيقظ أبصر الصواب من الخطأ . وقال بعضهم الزجر ضياء فى القلب يبصر به خطأ قصده . والزجر فى مقدمة التوبة على ثلاثة أوجه : زجر من طريق العلم ، وزجر من طريق العقل ، وزجر من طريق الإيمان ، فينازل التائب حال الزجر ، وهى موهبة من الله تعالى تقوده إلى التوبة ، ولايزال بالعبد ظهور هوى النفس يمحوه آثار حال التوبة والزجر حتى تستقر وتصير مقاما ، وهكذا فى الزهد لايزال يتزهد بنازلة حال تريه لذة ترك الاشتغال بالدنيا وتقبح له الإقبال عليها ، فتمحو أثر حاله بدلالة شره النفس وحرصها على الدنيا ورؤية العاجلة حتى تتداركه المعونة من الله الكريم ، فيزهد ويستقر زهده ويصير الزهد مقامه ، ولاتزال نازلة حال التوكل تقرع باب قلبه حتى يتوكل ، وهكذا حال الرضا حتى يطمئن على الرضا ، ويصير ذلك مقامه ، وههنا لطيفة : وذلك أن مقام الرضا والتوكل يثبت ويحكم ببقائه مع وجود داعية الطبع ، ولايحكم ببقاء حال الرضا مع وجود داعية الطبع ، وذلك مثل كراهة يجدها الراضى بحكم الطبع ، ولكن علمه بمقام الرضا يغمر حكم الطبع وظهور حكم الطبع فى وجود الكراهية المغمورة بالعلم لايخرجه عن مقام الرضا ، ولكن يفقد حال الرضا لأن الحال لما تجردت موهبة أحرقت داعية الطبع ، فيقال : كيف يكون صاحب مقام فى الرضا ولايكون صاحب حال فيه والحال مقدمة المقام والمقام أثبت ، نقول : لأن المقام لما كان مشوبا بكسب العبد احتمل وجود الطبع فيه ، والحال لما كانت موهبة من الله نزهت عن مزج الطبع فحال الرضا أشرف ، ومقام الرضا أمكن ، ولابد للمقامات من زائد الأحوال ، فلا مقام إلا بعد سابقة حال ، ولاتفرد للمقامات دون سابقة الأحوال .

وأما الأحوال فمنها مايصير مقاما ، ومنها مالايصير مقاما ، والسر فيه ماذكرناه : أن الكسب فى المقام ظهر والموهبة بطنت ، وفى الحال ظهرت الموهبة والكسب بطن ، فلما كان فى الأحوال الموهبة غالبة لم تتقيد وصار الأحوال إلى ما لانهاية لها ، ولطف سنى الأحوال أن يصير مقاما ، ومقدورات الحق غير متناهية ، ومواهبه غير متناهية ، ولهذا قال بعضهم : لو أعطيت روحانية عيسى ومكالمة موسى وخلة إبراهيم عليه السلام لطلبت ماوراء ذلك ، لأن مواهب الله

لاتنحصر ؛ وهذه أحوال الأنبياء ولاتعطى الأولياء . ولكن هذه إشارة من القائل إلى دوام تطلع العبد وتطلبه وعدم قناعته بما فيه من أمر الحق تعالى ؛ لأن سيد الرسل صلوات الله عليه وسلامه نبه على عدم القناعة وقرع باب الطلب واستنزال بركة المزيد بقوله عليه السلام « كل يوم لم أزدد فيه علما فلا بورك لى فى صبيحة ذلك اليوم » . وفى دعائه صلى الله عليه وسلم « اللهم ماقصر عنه رأيى وضعف فيه عملى ولم تبلغه نيتى وأمنيتى من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك فأنا أرغب إليك وأسألك إياه » .

فاعلم أن مواهب الحق لاتنحصر ، والأحوال مواهب وهى متصلة بكلمات الله التى ينفد البحر دون نفادها وتنفد أعداد الرمال دون أعدادها . والله المنعم المعطى .

الباب التاسع والخمسون : فى الإشارات إلى المقامات على الاختصار والإيجاز

أخبرنا شيخنا شيخ الإسلام أبو النجيب السهروردى رحمه الله ، قال أخبرنا أبو منصور بن خيرون إجازة ، قال أخبرنا أبو محمد الحسن بن على بن محمد الجوهرى إجازة ، قال أخبرنا أبو عمرو محمد بن العباس بن محمد ، قال أخبرنا أبو محمد يحيى بن صاعد . قال أخبرنا الحسين بن الحسن المروزى ، قال أخبرنا عبد الله بن المبارك ، قال أخبرنا الهيثم ابن جميل ، قال أخبرنا كثير بن سليم المدائنى ، قال سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل فقال . يارسول الله ، إنى رجل ذرب اللسان وأكثر ذلك على أهلى ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « أين أنت من الاستغفار ؟ فإنى أستغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة » وروى أبو هريرة رضى الله عنه فى حديث آخر « فإنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى كل يوم مائة مرة » وروى أبو بردة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنه ليغان على قلبى فأستغفر الله فى اليوم مائة مرة » .

وقال الله تعالى ﴿ وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ وقال الله عزوجل ﴿ إن الله يحب التوابين ﴾ وقال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا ﴾ التوبة أصل كل مقام ، وقوام كل مقام ، ومفتاح كل حال ، وهى أول المقامات ، وهى بمثابة الأرض للبناء ؛ فمن لا أرض له لا بناء له ، ومن لا توبة له لا حال له ولا مقام له ؛ وإنى بمبلغ علمى وقدر وسعى وجهدى اعتبرت المقامات والأحوال وثمرتها ، فرأيتها بجمعها ثلاثة أشياء بعد صحة الإيمان وعقوده وشروطه ، فصارت مع الإيمان أربعة ، ثم رأيتها فى إفادة الولادة المعنوية الحقيقية بمثابة الطبائع الأربع التى جعلها الله تعالى بإجراء سنته مفيدة للولادة الطبيعية ، ومن تحقق بحقائق هذه الأربع يلج ملكوت السموات ويكاشف بالقدر والآيات ، ويصير له ذوق وفهم لكلمات الله تعالى المنزلات ويحظى بجميع الأحوال والمقامات فكلها من هذه الأربع ظهرت وبها تهيأت وتأكدت ، فأخذ الثلاث بعد الإيمان : التوبة النصوح . والثانى : الزهد فى الدنيا . والثالث : تحقيق مقام العبودية بدوام العمل لله تعالى ظاهرا وباطنا من الأعمال القلبية والقالبية من غير فتور وقصور ، ثم يستعان على إتمام هذه الأربعة بأربعة أخرى بها تمامها وقوامها ، وهى قلة الكلام ، وقلة الطعام ، وقلة المنام ، والاعتزال عن الناس . واتفق العلماء الزاهدون والمشايخ على أن هذه الأربع بها تستقر المقامات وتستقيم الأحوال ، وبها صار الأبدال أبدالا بتأييد الله تعالى وحسن توفيقه . وتبين بالبيان الواضح أن سائر المقامات تندرج فى صحة هذه ، ومن ظفر بها فقد ظفر بالمقامات كلها ، أولها بعد الإيمان : التوبة ، وهى فى مبدإ صحتها تفتقر إلى أحوال وإذا صحت تشتمل على مقامات وأحوال ، ولابد فى ابتدائها من وجود زاجر ووجدان الزاجر حال ، لأنه موهبة من الله تعالى على ماتقرر أن الأحوال مواهب ، وحال الزجر مفتاح التوبة ومبدؤها .

قال رجل لبشر الحافى : مالى أراك مهموما ؟ قال : لأنى ضال ومطلوب ، ضللت الطريق والمقصد وأنا مطلوب به ولو تبينت كيف الطريق إلى المقصد لطلبت ، ولكن سنة الغفلة أدركتنى وليس لى منها خلاص إلا أن أزجر فأنزجر

وقال الأصمعى : رأيت أعرابيا بالبصرة يشتكى عينيه وهما يسيل منهما الماء ، فقلت له : ألا تمسح عينيك؟ فقال : لا ؛ لأن الطبيب زجرنى ، ولاخير فيمن لا ينزجر .

فالزاجر فى الباطن حال يهبها الله تعالى ، ولابد من وجودها للتائب ؛ ثم بعد الانزجار يجد العبد حال الانتباه .

قال بعضهم : من لزم مطالعة الطوارق انتبه . وقال أبو يزيد : علامة الانتباه خمس : إذا ذكر نفسه افتقر ، وإذا ذكر ذنبه استغفر ، وإذا ذكر الدنيا اعتبر ، وإذا ذكر الآخرة استبشر ، وإذا ذكر المولى اقشعر .

وقال بعضهم : الانتباه أوائل دلالات الخير ، إذا انتبه العبد من رقدة غفلته أداه ذلك الانتباه إلى التيقظ ؛ فإذا تيقظ ألزمه تيقظه الطلب لطريق الرشد فيطلب ، وإذا طلب عرف أنه على غير سبيل الحق فيطلب الحق ويرجع إلى باب توبته ثم يعطى بانتباهه حال التيقظ .

قال فارس : أوفى الأحوال التيقظ والاعتبار . وقيل : التيقظ تبيان خط المسلك بعد مشاهدة سبيل النجاة .

وقيل : إذا صحت اليقظة كان صاحبها فى أوائل طريق التوبة .

وقيل : اليقظة طردة من جهة المولى لقلوب الخائفين تدلهم على طلب التوبة ، فإذا تمت يقظته نقل بذلك إلى مقام التوبة ؛ فهذه أحوال ثلاثة تتقدم التوبة ، ثم التوبة فى استقامتها تحتاج إلى المحاسبة ، ولا تستقيم التوبة إلا بالمحاسبة .

نقل عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه أنه قال : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوها قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الأكبر على الله ﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾ فالمحاسبة بحفظ الأنفاس وضبط الحواس ورعاية الأوقات وإيثار المهمات ، ويعلم العبد أن الله تعالى أوجب عليه هذه الصلوات الخمس فى اليوم والليلة رحمة منه لعلمه سبحانه بعبده واستيلاء الغفلة عليه ، كى لا يستعبده الهوى وتسترقه الدنيا ؛ فالصلوات الخمس سلسلة تجذب النفوس إلى مواطن العبودية لأداء حق الربوبية ، ويراقب العبد نفسه بحسن المحاسبة من كل صلاة إلى صلاة أخرى ، ويسد مداخل الشيطان بحسن المحاسبة والرعاية ، ولا يدخل فى الصلاة الا بعد حل العقد عن القلب بحسن التوبة والاستغفار ؛ لأن كل كلمة وحركة على خلاف الشرع تنكت فى القلب نكتة سوداء وتعقد عليه عقدة ، والمتفقد المحاسب يهيئ الباطن للصلاة بضبط الجوارح ويحقق مقام المحاسبة ؛ فيكون عند ذلك لصلاته نور يشرق على أجزاء وقته إلى الصلاة الأخرى ، فلا تزال صلاته منورة تامة بنور وقته ، ووقته منورا معمورا بنور صلاته .

وكان بعض المحاسبين يكتب الصلوات فى قرطاس ، ويدع بين كل صلاتين بياضا ، وكلما ارتكب خطيئة من كلمة غيبة أو أمر آخر خط خطا ، وكلما تكلم أو تحرك فيما لا يعنيه نقط نقطة ، ليعتبر ذنوبه وحركاته فيما لا يعنيه لتضيق المحاسبة مجارى الشيطان والنفس الأمارة بالسوء لموضع صدقه فى حسن الافتقاد وحرصه على تحقيق مقام العباد ، وهذا مقام المحاسبة والرعاية يقع من ضرورة صحة التوبة .

قال الجنيد : من حسنت رعايته دامت ولايته . وسئل الواسطى : أى الأعمال أفضل ؟ قال : مراعاة السر ، والمحاسبة فى الظاهر ، والمراقبة فى الباطن ، ويكمل أحدهما بالآخر ، وبهما تستقيم التوبة . والمراقبة والرعاية حالان شريفان ويصيران مقامين شريفين يصحان بصحة مقام التوبة ، وتستقيم التوبة على الكمال بهما ؛ فصارت المحاسبة والمراقبة والرعاية من ضرورة مقام التوبة .

أخبرنا أبو زرعة إجازة عن ابن خلف أبى بكر الشيرازى قال : سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت الحسن الفارسى يقول : سمعت الجريرى يقول : أمرنا هذا مبنى على فصلين : وهو أن تلزم نفسك المراقبة لله تعالى ، ويكون العلم على ظاهرك قائما

وقال المرتعش : المراقبة مراعاة السر لملاحظة الحق فى كل لحظة ولفظة . قال الله تعالى ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾ وهذا هو علم القيام ، وبذلك يتم علم الحال ومعرفة الزيادة والنقصان : وهو أن يعلم معيار حاله فيما بينه وبين الله ، وكل هذا ملازم لصحة التوبة ، وصحة التوبة ملازم لها ، لأن الخواطر مقدمات العزائم ، والعزائم مقدمات الأعمال ، لأن الخواطر تحقق إرادة القلب ، والقلب أمير الجوارح ، ولا تتحرك الجوارح إلا بتحرك القلب بالإرادة وبالمراقبة حسم مواد الخواطر الرديئة ، فصار من تمام المراقبة التوبة ، لأن من حصر الخواطر كفى مؤونة الجوارح ، لأن بالمراقبة اصطلام عروق إرادة المكاره من القلب ، وبالمحاسبة استدراك ما انفلت من المراقبة .

أخبرنا أبو زرعة عن ابن خلف عن السلمى قال : سمعت أبا عثمان المغربى يقول : أفضل ما يلزم الإنسان فى هذا الطريق المحاسبة والمراقبة وسياسة العمل بالعلم ، وإذا صحت التوبة صحت الإنابة .

قال إبراهيم بن أدهم إذا صدق العبد فى توبته صار منيبا ؛ لأن الإنابة ثانى درجة التوبة .

وقال أبو سعيد القرشى : المنيب الراجع عن كل شىء يشغله عن الله إلى الله .

قال بعضهم : الإنابة الرجوع منه إليه لا من شىء غيره ، فمن رجع من غيره إليه ضيع أحد طرفى الإنابة ، والمنيب على الحقيقة : من لم يكن له مرجع سواه ، فيرجع إليه من رجوعه ، ثم يرجع من رجوع رجوعه ، فيبقى شبحا لا وصف له قائما بين يدى الحق مستغرقا فى عين الجمع ومخالفة النفس ورؤية عيوب الأفعال والمجاهدة تتحقق بتحقيق الرعاية والمراقبة .

قال أبو سليمان : ما استحسنت من نفسى عملا فأحتسبه . وقال أبو عبد الله السجزى : من استحسن شيئا من أحواله فى حال إرادته فسدت عليه إرادته ، إلا أن يرجع إلى ابتدائه فيروض نفسه ثانيا ومن لم يزن نفسه بميزان الصدق فيماله وعليه لا يبلغ مبلغ الرجال . ورؤية عيوب الأفعال من ضرورة صحة الإنابة وهو فى تحقيق مقام التوبة . ولا تستقيم التوبة إلا بصدق المجاهدة . ولا يصدق العبد فى المجاهدة إلا بوجود الصبر .

وروى فضالة بن عبيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « المجاهد من جاهد نفسه » ولا يتم ذلك إلا بالصبر ، وأفضل الصبر الصبر على الله بعكوف الهم عليه ، وصدق المراقبة بالقلب ، وجسم موادا لخواطر . والصبر ينقسم إلى فرض وفضل ؛ فالفضل كالصبر على أداء المفترضات ، والصبر عن المحرمات .

ومن الصبر الذى هو فضل : الصبر على الفقر ، والصبر عند الصدمة الأولى ، وكتمان المصائب والأوجاع ، وترك الشكوى ، والصبر على إخفاء الفقر ، والصبر على كتم المنح والكرامات ورؤية العبر والآيات .

ووجوه الصبر فرضا وفضلا كثيرة ، وكثير من الناس من يقوم بهذه الأقسام من الصبر ، ويضيق عن الصبر على الله بلزوم صحة المراقبة والرعاية ونفى الخواطر ، فإذا حقيقة الصبر كائنة فى التوبة كينونة المراقبة فى التوبة ، والصبر من أعز مقامات الموقنين ، وهو داخل فى حقيقة التوبة .

قال بعض العلماء : أى شىء أفضل من الصبر ـ وقد ذكره الله تعالى فى كلامه فى نيف وتسعين موضعا ! وما ذكر شيئا بهذا العدد وصحة التوبة تحتوى على مقام الصبر مع شرفه .

ومن الصبر : الصبر على النعمة : وهو أن لا يصرفها فى معصية الله تعالى ، وهذا أيضا داخل فى صحة التوبة .

وكان سهل بن عبد الله يقول : الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء .

وروى عن بعض الصحابة : بلينا بالضراء فصبرنا ، وبلينا بالسراء فلم نصبر .

ومن الصبر : رعاية الاقتصاد فى الرضا والغضب ، والصبر عن محمدة الناس ، والصبر على الخمول . والتواضع والذل : داخل فى الزهد وإن لم يكن داخلا فى التوبة ، وكل ما فات من مقام التوبة من المقامات السنية والأحوال وجد فى الزهد ، وهو ثالث الأربعة التى ذكرنا .

وحقيقة الصبر تظهر من طمأنينة النفس ، وطمأنينتها من تزكيتها ، وتزكيتها بالتوبة ؛ فالنفس إذا تزكت بالتوبة النصوح زالت عنها الشراسة الطبيعية ، وقلة الصبر من وجوه الشراسة للنفس وإبائها واستعصائها . والتربة النصوح تلين النفس وتخرجها من طبيعتها وشراستها إلى اللين ؛ لأن النفس بالمحاسبة والمراقبة تصفو وتنطفئ نيرانها المتأججة بمتابعة الهوى ، وتبلغ بطمأنينتها محل الرضا ومقامه ، وتطمئن فى مجارى الأقدار .

قال أبو عبد الله النباجى : لله عباد يستحيون من الصبر ويتلقفون مواضع أقداره بالرضا تلقفا .

وكان عمر بن عبد العزيز يقول : أصبحت ومالى سرور إلا مواقع القضاء : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس حين وصاه « اعمل لله باليقين فى الرضا » فإن لم يكن فإن فى الصبر خيرا كثيرا ، وفى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من خير ما أعطى الرجل : الرضا بما قسم الله تعالى له » .

فالأخبار والآثار والحكايات فى فضيلة الرضا وشرفه أكثر من أن تحصى ، والرضا ثمرة التوبة النصوح ، وما تخلف عبد عن الرضا إلا بتخلفه عن التوبة النصوح ، فإذاً تجمع التوبة النصوح حال الصبر ومقام الصبر، وحال الرضا ومقام الرضا . والخوف والرجاء مقامان شريفان من مقامات أهل اليقين، وهما كائنان فى صلب التوبة النصوح؛ لأنّ خوفه حمله على التوبة ، ولولا خوفه ماتاب ، ولولا رجاؤه ماخاف ؛ فالرجاء والخوف يتلازمان فى قلب المؤمن، ويعتدل الخوف والرجاء للتائب المستقيم فى التوبة : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل وهو فى سياق الموت فقال : « كيف تجدك ؟ » قال أجدنى أخاف ذنوبى وأرجو رحمة ربى . فقال « ما اجتمعا فى قلب عبد فى هذا الموطن إلا أعطاه الله مارجا وآمنه مما يخاف » .

وجاء فى تفسير قوله تعالى ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ هو العبد يذنب الكبائر ثم يقول : قد هلكت لاينفعنى عمل ؛ فالتائب خاف فتاب ورجا المغفرة ، ولا يكون التائب تائبا إلا وهو راج خائف ؛ ثم إن التائب حيث قيد الجوارح عن المكاره واستعان بنعم الله على طاعة الله . فقد شكر النعم ؛ لأن كل جارحة من الجوارح نعمة ، وشكرها قيدها عن المعصية واستعمالها فى الطاعة ، وأى شاكر للنعمة أكبر من التائب المستقيم ؛ فإذا جمع مقام التوبة هذه المقامات كلها ، فقد جمع مقام التوبة : حال الزجر ، وحال الانتباه ، وحال التيقظ ، ومخالفة النفس ، والتقوى ، والمجاهدة ، ورؤية عيوب الأفعال ، والإنابة ، والصبر ، والرضا ، والمحاسبة ، والمراقبة ، والرعاية ، والشكر ، والخوف ، والرجاء .

وإذا صحت التوبة النصوح وتزكت النفس انجلت مرآة القلب وبان قبح الدنيا فيها ، فيحصل الزهد ، والزاهد يتحقق فيه التوكل لأنه لايزهد فى الموجود إلا لاعتماد على الموعود ، والسكون إلى وعد الله تعالى هو عين التوكل ، وكلما بقى على العبد بقية فى تحقق المقامات كلها بعد توبته يستدركه : بزهده فى الدنيا ، وهو ثالث الأربعة .

أخبرنا شيخنا قال أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون ، قال أخبرنا أبو محمد الحسن بن على الجوهرى إجازة ، قال أخبرنا أبو عمرو محمد بن العباس ، قال أخبرنا أبو محمد يحيى بن سعادة ، قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزى ، قال حدثنا عبد الله بن المبارك ، قال حدثنا الهيثم بن جميل ، قال أخبرنا محمد بن سليمان عن عبدالله بن بريدة قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر ، فبدأ بفاطمة رضى الله عنها فرآها قد أحدثت فى البيت سترا وزوائد فى يديها ، فلما رأى ذلك رجع ولم يدخل ، ثم جلس فجعل ينكت فى الأرض ويقول : مالى وللدنيا، مالى وللدنيا ، فرأت فاطمة أنه إنما رجع من أجل الستر ، فأخذت الستر والزوائد وأرسلت بهما مع بلال وقالت له : اذهب إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقل له : قد تصدقت به ، فضعه حيث شئت ، فأتى بلال إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : قالت فاطمة قد تصدقت به فضعه حيث شئت ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « بأبى وأمى قد فعلت ، بأبى وأمى قد فعلت ، اذهب فبعه » .

وقيل فى قوله تعالى ﴿ إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ﴾ قيل : الزهد فى الدنيا .

سئل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه عن الزهد ؟ فقال : هو أن لاتبالى بمن أكل الدنيا مؤمن أو كافر .

وسئل الشبلى عن الزهد فقال : ويلكم أى مقدار لجناح بعوضة أن يزهد فيها ؟ ! .

وقال أبو بكر الواسطى : إلى متى تصول بترك كنيف ، وإلى متى تصول بإعراضك عما لاتزن عند الله جناح بعوضة ! ؟ .

فإذا صح زهد العبد صح توكله أيضا ؛ لأن صدق توكله مكنه من زهده فى الموجود؛ فمن استقام فى التوبة وزهد فى الدنيا وحقق هذين المقامين استوفى سائر المقامات وتكون فيها وتحقق بها .

وترتيب التوبة مع المراقبة وارتباط إحداهما بالأخرى : أن يتوب العبد ، ثم يستقيم فى التوبة حتى لايكتب عليه صاحب الشمال شيئا ، ثم يرتقى من تطهير الجوارح عن المعاصى إلى تطهير الجوارح عما لايعنى فلا يسمح بكلمة فضول

ولا حركة فضول ، ثم ينتقل للرعاية والمحاسبة من الظاهر إلى الباطن وتستولى المراقبة على الباطن : وهو التحقق بعلم القيام بمحو خواطر المعصية عن باطنه ثم خواطر الفضول ؛ فإذا تمكن من رعاية الخطرات عصم عن مخالفة الأركان والجوارح وتستقيم توبته . قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك﴾ أمره الله تعالى بالاستقامة فى التوبة أمراً له ولأتباعه وأمته . وقيل : لا يكون المريد مريدا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال شيئا عشرين سنة ، ولا يلزم من هذا وجود العصمة ولكن الصادق التائب فى النادر إذا ابتلى بذنب ينمحى أثر الذنب من باطنه فى ألطف ساعة لوجود الندم فى باطنه على ذلك ، والندم توبة فلا يكتب عليه صاحب الشمال شيئا ؛ فإذا تاب توبة نصوحا ثم زهد فى الدنيا حتى لا يهتم فى غدائه لعشائه ولا فى عشائه لغدائه ولا يرى الادخار ، ولا يكون له تعلق هم بغد ، فقد جمع فى هذا الزهد ، والفقر ، والزهد أفضل من الفقر ، وهو فقر وزيادة ، لأن الفقير عادم للشىء اضطرارا ، والزاهد تارك للشىء اختيارا ، وزهده يحقق توكله ، وتوكله يحقق رضاه ، ورضاه يحقق الصبر ، وصبره يحقق حبس النفس وصدق المجاهدة وحبس النفس لله يحقق خوفه ، وخوفه يحقق رجاءه ويجمع بالتوبة والزهد كل المقامات . والزهد والتوبة إذا اجتمعا مع صحة الإيمان وعقوده وشروطه يعوز هذه الثلاثة رابع به تمامها وهو دوام العمل ، لأن الأحوال السنية ينكشف بعضها بهذه الثلاثة ، وتيسير بعضها متوقف على وجود الرابع وهو دوام العمل . وكثير من الزهاد المتحققين بالزهد المستقيمين فى التوبة تخلفوا عن كثير من سنى الأحوال لتخلفهم عن هذا الرابع ، ولا يراد الزهد فى الدنيا إلا لاكتمال الفراغ المستعان به على إدامة العمل لله تعالى . والعمل لله : أن يكون العبد لا يزال ذاكراً أو تالياً أو مصليا أو مراقبا ، لا يشغله عن هذه إلا واجب شرعى أو مهم لابد منه طبيعى ، فإذا استولى العمل القلبى على القلب مع وجود الشغل الذى أداه إليه حكم الشرع لا يفتر باطنه عن العمل ، فإذا كان مع الزهد والتقوى متمسكا بدوام العمل فقد أكمل الفضل وما آلى جهدا فى العبودية .

قال أبو بكر الوراق : من خرج من قالب العبودية صنع به ما يصنع بالآبق .

وسئل سهل بن عبدالله التسترى : أى منزلة إذا قام العبد بها قام مقام العبودية ؟ قال : إذا ترك التدبير والاختيار .

فإذا تحقق العبد بالتوبة والزهد ودوام العمل لله يشغله وقته الحاضر عن وقته الآتى ويصل إلى مقام ترك التدبير والاختيار ، ثم يصل إلى أن يملك الاختيار ، فيكون اختياره من اختيار الله تعالى لزوال هواه ووفور علمه وانقطاع مادة الجهل عن باطنه .

قال يحيى بن معاذ الرازى : مادام العبد يتعرف يقال له لا تختر ولا تكن مع اختيارك حتى تعرف ، فإذا عرف وصار عارفا يقال له إن شئت اختر وإن شئت لا تختر ؛ لأنك إن اخترت فباختيارنا اخترت ، وإن تركت الاختيار فباختيارنا تركت الاختيار ؛ فإنك بنا فى الاختيار وفى ترك الاختيار . والعبد لا يتحقق بهذا المقام العالى والحال العزيز - الذى هو الغاية والنهاية : وهو أن يملك الاختيار بعد ترك التدبير والخروج من الاختيار - إلا بإحكامه هذه الأربعة التى ذكرناها ، لأن ترك التدبير فناء ، وتمليك التدبير والاختيار من الله تعالى لعبده ورده إلى الاختيار تصرف بالحق ، وهو مقام البقاء ، وهو الانسلاخ عن وجود كان بالعبد إلى وجود يصير بالحق ، وهذا العبد ما بقى عليه من الاعوجاج ذرة ، واستقام ظاهره وباطنه فى العبودية ، وعمر العلم والعمل ظاهره وباطنه ، وتوطن حضرة القرب بنفس بين يدى الله عز وجل متمسكة بالاستكانة والافتقار ، متحققة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تكلنى إلى نفسى طرفة عين فأهلك ولا إلى أحد من خلقك فأضيع ، اكلأنى كلاءة الوليد ولا تخل عنى » .

الباب الستون : فى ذكر إشارات المشايخ فى المقامات على الترتيب

قولهم فى التوبة

قال رويم : معنى التوبة أن يتوب من التوبة قيل له فما تاه قول رابعة : استغفر الله العظيم من قلة صدقى فى قولى أستغفر الله

وسئل الحسن المغازلى عن التوبة ؟ فقال : تسألنى عن توبة الإنابة أوعن توبة الاستجابة ؟ فقال السائل : ماتوبة الإنابة ؟ فقال : أن تخاف من الله عزوجل من أجل قدرته عليك . قال : فما توبة الاستجابة ؟ قال: أن تستحى من الله لقربه منك ، وهذا الذى ذكره من توبة الاستجابة إذا تحقق العبد بها ربما تاب فى صلاته من كل خاطر يلم به سوى الله تعالى ويستغفر الله منه ، وهذه توبة الاستجابة لازمة لبواطن أهل القرب ، كما قيل :

* وجودك ذنب لايقاس به ذنب *

قال ذو النون : توبة العوام من الذنوب ، وتوبة الخواص من الغفلة ، وتوبة الأنبياء من رؤية عجزهم عن بلوغ ماناله غيرهم .

سئل أبو محمد سهل عن الرجل يتوب من الشىء ويتركه ثم يخطر ذلك الشىء بقلبه أو يراه أو يسمع به فيجد حلاوته ، فقال : الحلاوة طبع البشرية ولابد من الطبع ، وليس له حيلة إلا أن يرفع قلبه إلى مولاه بالشكوى ، وينكره بقلبه ، ويلزم نفسه الإنكار ولايفارقه ، ويدعو الله أن ينسيه ذلك ويشغله بغيره من ذكره وطاعته . قال: وإن غفل عن الإنكار طرفة عين أخاف عليه أن لايسلم وتعمل الحلاوة فى قلبه ، ولكن مع وجدان الحلاوة يلزم قلبه الإنكار ويحزن ، فإنه لايضره وهذا الذى قاله سهل كاف بالغ لكل طالب صادق يريد صحة توبته والعارف القوى الحال يتمكن من إزالة الحلاوة عن باطنه ويسهل عليه ذلك . وأسباب سهولة ذلك متنوعة للعارف ومن تمكن من قلبه حلاوة حب الله الخاص عن صفاء مشاهدة وصرف يقين ، فأى حلاوة تبقى فى قلبه ، وإنما حلاوة الهوى لعدم حلاوة حب الله .

وسئل السوسى عن التوبة ؟ فقال : التوبة من كل شىء ذمه العلم إلى مامدحه العلم ، وهذا وصف يعم الظاهر والباطن لمن كوشف بصريح العلم ، لأنه لابقاء للجهل مع العلم ، كما لابقاء لليل مع طلوع الشمس ، وهذا يستوعب جميع أقسام التوبة بالوصف الخاص والعام ، وهذا العلم يكون علم الظاهر والباطن بتطهير الظاهر والباطن بأخص أوصاف التوبة وأعم أوصافها .

وقال أبو الحسن النورى : التوبة أن تتوب عن كل شىء سوى الله تعالى .

قولهم فى الورع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ملاك دينكم الورع » أخبرنا أبو زرعة إجازة عن أبى بكر بن خلف عن أبى عبد الرحمن السلمى إجازة ، قال أخبرنا أبو سعيد الخلال ، قال حدثنى ابن قتيبة قال حدثنا عمر بن عثمان ، قال حدثنا بقية عن أبى بكر بن أبى مريم عن حبيب بن عبيد عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ على نهر فلما فرغ من وضوئه أفرغ فضله فى النهر وقال : يبلغه الله عز وجل قوما ينفعهم .

قال عمر بن الخطاب : لاينبغى لمن أخذ بالتقوى ووزن بالورع أن يذل لصاحب دنيا . قال معروف الكرخى احفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الذم .

نقل عن الحارث بن أسد المحاسبى أنه كان على طرف أصبعه الوسطى عرق إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة ضرب عليه ذلك العرق .

سئل الشبلى عن الورع ؟ فقال : الورع أن تتورع أن يتشتت قلبك عن الله طرفة عين .

وقال أبو سليمان الدارانى : الورع أول الزهد كما أن القناعة طرف من الرضا .

وقال يحيى بن معاذ : الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل .

سئل الخواص عن الورع ؟ فقال : أن لايتكلم العبد إلا بالحق غضب أو رضى وأن يكون اهتمامه بما يرضى الله تعالى .

أخبرنا أبو زرعة إجازة عن أبي بكر بن خلف إجازة عن السلمي قال سمعت الحسن بن أحمد بن جعفر يقول : سمعت محمد بن داود الدينوري يقول : سمعت ابن الجلاء يقول : أعرف من أقام بمكة ثلاثين سنة ولم يشرب من ماء زمزم إلا من ماء استقاه بركوته ورشائه ولم يتناول من طعام جلب من مصر شيئا .

وقال الخواص : الورع دليل الخوف ، والخوف دليل المعرفة والمعرفة دليل القربة .

قولهم في الزهـــد

قال الجنيد : الزهد خلوّ الأيدي من الأملاك والقلوب من التتبع .

وسئل الشبلي عن الزهد ؟ فقال : لازهد في الحقيقة ، لأنه إما أن يزهد فيما ليس له فليس ذلك بزهد ، أو يزهد فيما هو له فكيف يزهد فيه وهو معه وعنده ، فليس إلا ظلف النفس وبذل مواساة : يشير إلى الأقسام التي سبقت بها الأقلام ، وهذا لو اطرد هدم قاعدة الاجتهاد والكسب ، ولكن مقصود الشبلي : أن يقلل الزهد في عين المعتد بالزهد لئلا يغتر به .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم الرجل قد أوتي زهدا في الدنيا ومنطقا ، فاقربوا منه فإنه يلقى الحكمة » .

وقد سمى الله عزوجل الزاهدين علماء في قصة قارون فقال تعالى ﴿ وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير ﴾ قيل هم الزاهدون .

وقال سهل بن عبد الله : للعقل ألف اسم ، ولكل اسم منه ألف اسم ، وأول كل اسم منه ترك الدنيا .

وقيل في قوله تعالى ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ﴾ قيل : عن الدنيا .

وفي الخبر « العلماء أمناء الرسل مالم يدخلوا في الدنيا فإذا دخلوا في الدنيا فاحذروهم على دينكم » .

وجاء في الأثر : لاتزال « لاإله إلا الله » تدفع عن العباد سخط الله مالم يبالوا مانقص من دنياهم ؛ فإذا فعلوا ذلك وقالوا لاإله إلا الله قال الله تعالى : كذبتم لستم بها صادقين .

وقال سهل : أعمال البر كلها في موازين الزهاد وثواب زهدهم زيادة لهم .

وقيل : من سمى باسم الزهد في الدنيا فقد سمى بألف اسم محمود ؛ ومن سمى باسم الرغبة في الدنيا فقد سمى بألف اسم مذموم .

وقال السري : الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا ، ويجمع هذا : الحظوظ المالية ، والجاهية ، وحب المنزلة عند الناس ، وحب المحمدة والثناء .

وسئل الشبلي عن الزهد فقال : الزهد غفلة ، لأن الدنيا لاشيء ، والزهد في لاشيء غفلة .

وقال بعضهم : لما رأوا حقارة الدنيا زهدوا في زهدهم في الدنيا لهوانها عندهم ، وعندي أن الزهد في الزهد غير هذا ، وإنما الزهد في الزهد بالخروج من الاختيار في الزهد ، لأنّ الزاهد اختار الزهد وأراده ، وإرادته تستند إلى علمه ، وعلمه قاصر ، فإذا أقيم في مقام ترك الإرادة وانسلخ من اختياره كاشفه الله تعالى بمراده ، فيترك الدنيا بمراد الحق لابمراد نفسه ، فيكون زهده بالله تعالى حينئذ . أو يعلم أن مراد الله منه التلبس بشيء من الدنيا ، فما يدخل بالله في شيء من الدنيا لاينقص عليه زهده ، فيكون دخوله في الشيء من الدنيا بالله وبإذن منه زهدا في الزهد ، والزهد في الزهد استوى عنده وجود الدنيا وعدمها ، إن تركها تركها بالله ، وإن أخذها أخذها بالله ، وهذا هو الزهد في الزهد : وقد رأينا من العارفين من أقيم في هذا المقام . وفوق هذا مقام آخر في الزهد : وهو لمن يردّ الحق إليه اختياره لسعة علمه وطهارة نفسه في مقام البقاء ، فيزهد زهداً ثالثاً ويترك الدنيا بعد أن مكن من ناصيتها وأعيدت عليه موهوبة ، ويكون تركه الدنيا في هذا المقام باختياره ، واختياره من اختيار الحق ؛ فقد يختار تركها حينا تأسيا بالأنبياء والصالحين ، ويرى أن أخذها في مقام الزهد في الزهد رفق أدخل عليه لموضع ضعفه عن درك شأو الأقوياء من الأنبياء

والصديقين ؛ فيترك الرفق من الحق بالحق للحق ، وقد يتناوله باختياره رفقا بالنفس بتدبير يسوسه فيه صريح العلم : وهذا مقام التصرف لأقوياء العارفين : زهدوا ثالثاً بالله ، كما رغبوا ثانياً بالله ، كما زهدوا أولا لله .

قولهم فى الصبر

قال سهل : الصبر انتظار الفرج من الله وهو أفضل الخدمة وأعلاها .

وقال بعضهم : الصبر أن تصبر فى الصبر : أى لا تطالع فيه الفرج : قال الله تعالى ﴿ والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ .

وقيل : لكل شىء جوهر ، وجوهر الإنسان العقل ، وجوهر العقل الصبر ؛ فالصبر : عرك النفس ، وبالعرك تلين والصبر جار فى الصابر مجرى الانفاس ، لأنه يحتاج الى الصبر عن كل منهى ومكروه ومذموم ظاهراً وباطنا ، والعلم يدل والصبر يقبل ، ولا تنفع دلالة العلم بغير قبول الصبر . ومن كان العلم سائسه فى الظاهر والباطن لا يتم ذلك له إلا إذا كان الصبر مستقره ومسكنه . والعلم والصبر متلازمان كالروح والجسد لا يستقل أحدهما بدون الآخر ، ومصدرهما الغريزة العقلية ، وهما متقاربان لاتحاد مصدرهما ، وبالصبر يتحامل على النفس ، وبالعلم يترقى الروح ، وهما البرزخ والفرقان بين الروح والنفس ليستقر كل واحد منهما فى مستقره ، وفى ذلك صريح العدل وصحة الاعتدال ، وبانفصال أحدهما عن الآخر أعنى العلم والصبر ميل أحدهما على الآخر أعنى النفس والروح ، وبيان ذلك يدق . وناهيك بشرف الصبر قوله تعالى ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ كل أجير أجره بحساب وأجر الصابرين بغير حساب . وقال الله تعالى لنبيه : ﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ﴾ أضاف الصبر إلى نفسه لشرف مكانه وتكمل النعمة به .

قيل : وقف رجل على الشبلى فقال : أى صبر أشد على الصابرين ؟ فقال : الصبر فى الله ؛ فقال : لا . فقال : الصبر لله ، فقال : لا . فقال : الصبر مع الله ، فقال : لا . فغضب الشبلى وقال : ويحك ، أى شىء هو ؟ فقال الرجل : الصبر عن الله . قال : فصرخ الشبلى صرخة كاد أن تتلف روحه وعندى فى معنى الصبر عن الله وجه ، ولكونه من أشد الصبر على الصابرين وجه : وذلك أن الصبر عن الله يكون فى أخص مقامات المشاهدة يرجع العبد عن الله استحياء وإجلالا ، وتنطق بصيرته خجلا وذوبانا ، ويتغيب فى مفاوز استكانته وتخفيه لإحساسه بعظيم أمر التجلى ، وهذا من أشد الصبر لأنه يود استدامة هذا الحال تأدية لحق الجلال ، والروح تود أن تكتحل بصيرتها باستلباع نور الجمال ، وكما أن النفس منازعة لعموم حال الصبر ، فالروح فى هذا الصبر منازعة ، فاشتد الصبر عن الله تعالى لذلك .

وقال أبو الحسن بن سالم : هم ثلاثة : متصبر ، وصابر ، وصبار ؛ فالمتصبر : من صبر فى الله ؛ فمرة يصبر ، ومرة يجزع . والصابر : من يصبر فى الله ولله ولا يجزع ، ولكن تتوقع منه الشكوى ، وقد يمكن منه الجزع . وأما الصبار : فذاك الذى صبره فى الله ولله بالله ، فهذا لو وقع عليه جميع البلايا لا يجزع ولا يتغير من جهة الوجود والحقيقة ، لا من جهة الرسم والخلقة ، وإشارته فى هذا ظهور حكم العلم فيه مع ظهور صفة الطبيعة .

وكان الشبلى يتمثل بهذين البيتين :

إن صوت المحب من ألم الشو ق وخوف الفراق يورث ضرا
صابر الصبر فاستغاث به الصب سر فصاح المحب للصبر صبرا

قال جعفر الصادق رحمه الله : أمر الله تعالى أنبياءه بالصبر وجعل الحظ الأعلى للرسول صلى الله عليه وسلم حيث جعل صبره بالله لا بنفسه ، فقال ﴿ وما صبرك إلا بالله ﴾ .

وسئل السرى عن الصبر ، فتكلم فيه ، فدب على رجله عقرب ، فجعل يضربه بإبرته ، فقيل له : لم لا تدفعه ؟ قال : أستحى من الله تعالى أن أتكلم فى حال ثم أخالف ما أتكلم فيه .

أخبرنا أبو زرعة إجازة ، عن أبى بكر بن خلف إجازة ، عن أبى عبد الرحمن قال : سمعت محمد بن خالد يقول : سمعت الفرغانى يقول : سمعت الجنيد رحمه الله يقول : إن الله تعالى أكرم المؤمنين بالإيمان ، وأكرم الإيمان بالعقل

أسألهم فيمنعونى فلا يفلحون .

وأنشد لبعضهم :

قالوا غدا عيد ماذا أنت لابسه فقلت خلعة ساق عبده الجرعا
فقر وصبر هما ثوبان تحتهما قلب يرى ربه الأعياد والجمعا
أحرى الملابس أن تلقى الحبيب به يوم التزاور فى الثوب الذى خلعا
الدهر لى مأتم إن غبت ياأملى والعيد مادمت لى مرأى ومستمعا

قولهم فى الشكر

قال بعضهم : الشكر هو الغيبة عن النعمة برؤية المنعم .

وقال يحيى بن معاذ الرازى : لست بشاكر مادمت تشكر وغاية الشكر التحير ، وذلك أن الشكر نعمة من الله يجب الشكر عليها .

وفى أخبار داود عليه السلام : إلهى كيف أشكرك وأنا لاأستطيع أن أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمتك ؟ فأوحى الله إليه : إذا عرفت هذا فقد شكرتنى .

ومعنى الشكر فى اللغة : هو الكشف والإظهار ، يقال : شكر وكشر ، إذا كشف عن ثغره وأظهره ، فنشر النعم وذكرها وتعدادها باللسان من الشكر . وباطن الشكر : أن تستعين بالنعم على الطاعة ولاتستعين بها على المعصية فهو شكر النعمة .

وسمعت شيخنا رحمه الله ينشد عن بعضهم :

أوليتنى نعما أبوح بشكرها وكفيتنى كل الأمور بأسرها
فلأشكرنك ماحييت وإن أمت فلتشكرنك أعظمى فى قبرها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله فى السراء والضراء »

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ابتلى فصبر ، وأعطى فشكر ، وظلم فغفر ، وظلم فاستغفر » قيل : فما باله ؟ قال « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » .

قال الجنيد فرض الشكر الاعتراف بالنعم بالقلب واللسان .

وفى الحديث « أفضل الذكر لاإله إلا الله . وأفضل الدعاء الحمد لله » .

وقال بعضهم فى قوله تعالى ﴿ وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾ قال الظاهرة العوافى والغنى . والباطنة البلاوى والفقر ، فإن هذه نعم أخروية لما يستوجب بها من الجزاء .

وحقيقة الشكر أن يرى جميع المقضى له به نعما غير ما يضره فى دينه ، لأن الله تعالى لايقضى للعبد المؤمن شيئا إلا وهو نعمة فى حقه ؛ فإما عاجلة يعرفها ويفهمها ، وإما آجلة بما يقضى له من المكاره ، فإما أن تكون درجة له أو تمحيصا أو تكفيرا ؛ فإذا علم أن مولاه أنصح له من نفسه وأعلم بمصالحه وأن كل مامنه نعم ، فقد شكر .

قولهم فى الخوف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأس الحكمة مخافة الله » وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال « كان داود النبى عليه السلام يعوده الناس يظنون أن به مرضا وما به مرض إلا خوف الله تعالى والحياء منه » .

قال أبو عمر الدمشقى الخائف من يخاف من نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان .

وقال بعضهم ليس الخائف من يخاف ويمسح عينيه ولكن الخائف التارك مايخاف أن يعذب عليه .

وقيل الخائف الذى لايخاف غير الله قيل أى لايخاف لنفسه إنما يخاف إجلالا له ، والخوف للنفس خوف العقوبة .

وقال سهل الخوف ذكر والرجاء أنثى أى منهما تتولد حقائق الإيمان ، قال الله تعالى ﴿ ولقد وصينا الذين أوتوا

الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ﴾ قيل . هذه الآية قطب القرآن ، لأن مدار الأمر كله على هذا .

وقيل : إن الله تعالى جمع للخائفين مافرقه على المؤمنين : وهو الهدى والرحمة والعلم والرضوان ، فقال تعالى : ﴿ هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ﴾ وقال ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وقال ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه ﴾ .

وقال سهل : كمال الإيمان بالعلم ، وكمال العلم بالخوف . وقال أيضا : العلم كسب الإيمان ، والخوف كسب المعرفة .

وقال ذو النون : لا يسقى المحب كأس المحبة إلا من بعد أن ينضح الخوف قلبه .

وقال فضيل بن عياض . إذا قيل لك : تخاف الله ؟ اسكت ، فإنك إن قلت لا ، كفرت ، وإن قلت نعم ؛ كذبت ، فليس وصفك وصف من يخاف .

قولهم فى الرجاء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله عزوجل أخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ، ثم يقول : وعزتى وجلالى لا أجعل من آمن بى ساعة من ليل أو نهار كمن لا يؤمن بى » .

وقيل : جاء أعرابى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من يلى حساب الخلق ؟ فقال « الله تبارك وتعالى » قال : هو بنفسه ؟ قال « نعم » فتبسم الأعرابى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « مم ضحكت يا أعرابى ؟ » فقال إن الكريم إذا قدر عفا ، وإذا حاسب سمح .

وقال شاه الكرمانى : علامة الرجاء حسن الطاعة ، وقيل : الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال ، وقيل : قرب القلب من ملاطفة الرب .

قال أبو على الروذبارى : الخوف والرجاء كجناحى الطائر إذا استويا استوى الطائر وتم فى طيرانه .

قال أبو عبد الله بن خفيف : الرجاء ارتياح القلوب لرؤية كرم المرجو ، قال مطرف : لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا .

والخوف والرجاء للإيمان كالجناحين ، ولا يكون خائفا إلا وهو راج ، ولا راجيا إلا وهو خائف ، لأن موجب الخوف الإيمان ، وبالإيمان رجاء ، وموجب الرجاء الإيمان ، ومن الإيمان خوف ولهذا المعنى روى عن لقمان أنه قال لابنه : خف الله تعالى خوفا لا تأمن فيه مكره ، وارجه أشد من خوفك ، قال : فكيف أستطيع ذلك إنما لى قلب واحد ؟ : أما علمت أن المؤمن ذو قلبين يخاف بأحدهما ويرجو بالآخر ؟ وهذا لأنهما من حكم الإيمان .

قولهم فى التوكل

قال السرى : التوكل الانخلاع من الحول والقوة . وقال الجنيد : التوكل أن تكون لله كما لم تكن ، فيكون الله لك كما لم يزل .

وقال سهل : كل المقامات لها وجه وقفا ، غير التوكل فإنه وجه بلاقفا .

قال بعضهم : يريد توكل العناية لا توكل الكفاية ، والله تعالى جعل التوكل مقرونا بالإيمان فقال ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ وقال ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ وقال لنبيه ﴿ وتوكل على الحى الذى لا يموت ﴾ .

وقال ذو النون : التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة .

وقال أبو بكر الرقاق : التوكل رد العيش إلى يوم واحد وإسقاط هم غد .

وقال أبو بكر الواسطى : أصل التوكل صدق الفاقة والافتقار وأن لا يفارق التوكل فى أمانيه ولا يلتفت بصره إلى توكله لحظة فى عمره .

وقال بعضهم : من أراد أن يقوم بحق التوكل فليحفر لنفسه قبرا يدفنها فيه وينس الدنيا وأهلها ، لأن حقيقة التوكل لا يقوم لها أحد من الخلق على كماله .

وقال سهل : أول مقامات التوكل أن يكون العبد بين يدى الله تعالى كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف أراد ولايكون له حركة ولاتدبير . وقال حمدون القصار : التوكل هو الاعتصام بالله وقال سهل أيضاً : العلم كله باب من التعبد ، والتعبد كله باب من الورع ، والورع كله باب من الزهد ، والزهد كله باب من التوكل . وقال : التقوى واليقين مثل كفتى الميزان ، والتوكل لسانه به تعرف الزيادة والنقصان .

ويقع لى أن التوكل على قدر العلم بالوكيل ، فكل من كان أتم معرفة كان أتم توكلا ، ومن كمل توكله غاب فى رؤية الوكيل عن رؤية توكله ، ثم إن قوة المعرفة تفيد صرف العلم بالعدل فى القسمة ، وأن الأقسام نصبت بإزاء المقسوم لهم عدلا وموازنة ، فإن النظر إلى غير الله لوجود الجهل فى النفس ، وكل ما أحس بشىء يقدح فى توكله يراه من منبع النفس ، فنقصان التوكل يظهر بظهور النفس ، وكماله يثبت بغيبة النفس ، وليس للأقوياء اعتداد بتصحيح توكلهم وإنما شغلهم فى تغييب النفس بتقوية مراد القلب ، فإذا غابت النفس انحسمت مادة الجهل فصح التوكل والعبد غير ناظر إليه ، وكلما تحرك من النفس بقية يرد على ضميرهم سر قوله تعالى ﴿ إن الله يعلم مايدعون من دونه من شىء ﴾ فيغلب وجود الحق الأعيان والأكوان ، ويرى الكون بالله من غير استقلال الكون فى نفسه ، ويصير التوكل حينئذ اضطرارا ، ولايقدح فى توكل مثل هذا المتوكل مايقدح فى توكل الضعفاء فى التوكل من وجود الأسباب والوسائط ، لأنه يرى الأسباب مواتا لاحياة لها إلا بالتوكل ، وهذا توكل خواص أهل المعرفة .

قولهم فى الرضا

قال الحارث الرضا سكون القلب تحت جريان الحكم . وقال ذوالنون : الرضا سرور القلب بمر القضاء . وقال سفيان عند رابعة : اللهم ارض عنا ، فقالت له : أما تستحى أن تطلب رضا من لست عنه براض ، فسألها بعض الحاضرين : متى يكون العبد راضيا عن الله تعالى ؟ فقالت : إذا كان سروره بالمصيبة كسروره بالنعمة .

وقال سهل : إذا اتصل الرضا بالرضوان اتصلت الطمأنينة ﴿ فطوبى لهم وحسن مآب ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا » وقال عليه السلام « إن الله تعالى بحكمته جعل الروح والفرح فى الرضا واليقين ، وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط »

وقال الجنيد : الرضا هو صحة العلم الواصل إلى القلوب ، فإذا باشر القلب حقيقة العلم أداه إلى الرضا ، وليس الرضا والمحبة كالخوف والرجاء ، فإنهما حالان لايفارقان العبد فى الدنيا والآخرة لأنه فى الجنة لايستغنى عن الرضا والمحبة .

وقال ابن عطاء الله : الرضا سكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد ، لأنه اختار له الأفضل فيرضى له وهو ترك السخط .

وقال أبو تراب . ليس ينال الرضا من الله من للدنيا فى قلبه مقدار .

وقال السرى : خمس من أخلاق المقربين : الرضا عن الله فيما تحب النفس وتكره ، والحب له بالتحبب إليه ، والحياء من الله ، والأنس به والوحشة مما سواه

وقال الفضيل : الراضى لايتمنى فوق منزلته شيئا . وقال ابن شمعون : الرضا بالحق والرضا له والرضا عنه ، فالرضا به مدبرا ومختارا ، والرضا عنه قاسما ومعطيا ، والرضا له إلها وربا .

سئل أبو سعيد : هل يجوز أن يكون العبد راضيا ساخطا ؟ قال : نعم . يجوز أن يكون راضيا عن ربه ساخطا على نفسه وعلى كل قاطع يقطعه عن الله . وقيل للحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما . إن أباذر يقول : الفقر أحب إلى من الغنى ، والسقم أحب من الصحة ! قال : رحم الله أباذر ، أما أنا فأقول : من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن أنه فى غير الحالة التى اختار الله له .

وقال على رضى الله عنه : من جلس على بساط الرضا لم ينله من الله مكروه أبدا ، ومن جلس على بساط السؤال لم يرض عن الله فى كل حال .

وقال يحيى : يرجع الأمر كله إلى هذين الأصلين : فعل منه لك ، وفعل منك له ، فترضى بما عمل وتخلص فيما تعمل .

وقال بعضهم : الراضى من لم يندم على فائت من الدنيا ولم يتأسف عليها.

وقيل ليحيى بن معاذ : متى يبلغ العبد إلى مقام الرضا ؟ قال : إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به، يقول: إن أعطيتنى قبلت ، وإن منعتنى رضيت ، وإن تركتنى عبدت ، وإن دعوتنى أجبت .

وقال الشبلى رحمه الله بين يدى الجنيد : لاحول ولاقوة إلا بالله .قال الجنيد : قولك ذا ضيق صدر، فقال: صدقت قال : فضيق الصدر ترك الرضا بالقضاء ، وهذا إنما قاله الجنيد رحمه الله تنبيها منه على أصل الرضا ،وذلك أن الرضا يحصل لانشراح القلب وانفساحه ، وانشراح القلب من نور اليقين . قال الله تعالى ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾ فإذا تمكن النور من الباطن اتسع الصدر وانفتحت عين البصيرة وعاين حسن تدبير الله تعالى فينتزع السخط والضجر ، لأن اتساع الصدر يتضمن حلاوة الحب وفعل المحبوب بموقع الرضا عن المحب الصادق؛ لأن المحب يرى أن الفعل من المحبوب مراده واختياره ، فيفنى فى لذة رؤية اختيار المحبوب عن اختيار نفسه ، كما قيل :

* وكل مايفعل المحبوب محبوب *

الباب الحادى والستون : فى ذكر الأحوال وشرحها

حدثنا شيخنا شيخ الإسلام أبو النجيب السهروردى رحمه الله ،قال أخبرنا أبو طالب الزينى ، قال أخبرتنا كريمة المروزية ، قالت أخبرنا أبو الهيثم الكشميهنى ، قال أخبرنا أبو عبدالله الفربرى ،قال أخبرنا أبو عبدالله البخارى، قال حدثنا سليمان بن حرب ، قال حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبدا لايحبه إلا لله ، ومن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار » .

وأخبرنا شيخنا أبو زرعة طاهر بن أبى الفضل ، قال أخبرنا أبو بكر بن خلف ، قال أخبرنا أبو عبدالرحمن ،قال أخبرنا أبو عمر بن حيوة ، قال حدثنى أبو عبيد بن مؤمل عن أبيه ، قال حدثنى بشر بن محمد ، قال حدثنا عبدالملك بن وهب عن إبراهيم بن أبى عبلة عن العرباض بن سارية قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو « اللهم اجعل حبك أحب إلى من نفسى وسمعى وبصرى وأهلى ومالى ومن الماء البارد » فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب خالص الحب ، وخالص الحب : هو أن يحب الله تعالى بكليته ،وذلك أن العبد قد يكون فى حال قائما بشروط حاله بحكم العلم ، والجبلة تتقاضاه بضد العلم ، مثل أن يكون راضيا والجبلة قد تكره ، ويكون النظر إلى الانقياد بالعلم لا إلى الاستعصاء بالجبلة ؛ فقد يحب الله تعالى ورسوله بحكم الإيمان ، ويحب الأهل والولد بحكم الطبع .

وللمحبة وجوه . وبواعث المحبة فى الإنسان متنوعة : فمنها محبة الروح ، ومحبة القلب ، ومحبة النفس ، ومحبة العقل ؛ فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر الأهل والمال والماء البارد : معناه استئصال عروق المحبة بمحبة الله تعالى حتى يكون حب الله تعالى غالبا ، فيحب الله تعالى بقلبه وروحه وكليته ، حتى يكون حب الله تعالى أغلب فى الطبع أيضا والجبلة من حب الماء البارد ، وهذا يكون حبا صافيا لخواص تنغمر به وبنوره نار الطبع والجبلة ، وهذا يكون حب الذات عن مشاهدة بعكوف الروح وخلوصه إلى مواطن القرب .

قال الواسطى فى قوله تعالى ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته ، فالهاء راجعة إلى الذات دون النعوت والصفات .

وقال بعضهم : المحب شرطه أن تلحقه سكرات المحبة ، فإذا لم يكن ذلك لم يكن حبه فيه حقيقة ، فإذاً الحب حبان : حب عام ، وحب خاص ، فالحب العام مفسر بامتثال الأمر، وربما كان حبا من معدن العلم بالآلاء والنعماء، وهذا الحب مخرجه من الصفات ، وقد ذكر جمع من المشايخ الحب فى المقامات ، فيكون النظر إلى هذا الحب العام الذى يكون لكسب العبد فيه مدخل .

وأما الحب الخاص فهو حب الذات عن مطالعة الروح ، وهو الحب الذى فيه السكرات ، وهو الاصطناع من الله الكريم لعبده واصطفاؤه إياه ، وهذا الحب يكون من الأحوال ؛ لأنه محض موهبة ليس للكسب فيه مدخل ، وهو مفهوم من قول النبي صلى الله عليه وسلم « أحب إلى من الماء البارد » لأنه كلام عن وجدان روح تلذذ بحب الذات ، وهذا الحب روح ، والحب الذى يظهر عن مطالعة الصفات ويطلع من مطالع الإيمان قالب هذا الروح ، ولما صحت محبتهم هذه أخبر الله تعالى عنهم بقوله ﴿ أذلة على المؤمنين ﴾ لأن المحب يذل لمحبوبه ولمحبوب محبوبه ، وينشد :

لعين تفـــدى ألف عين وتتقى * ويكرم ألف للحبيب المكرم

وهذا الحب الخالص هو أصل الأحوال السنية وموجبها ، وهو فى الأحوال كالتوبة فى المقامات ؛ فمن صحت توبته على الكمال تحقق بسائر المقامات من الزهد والرضا والتوكل على ما شرحناه أولا : ومن صحت محبته هذه تحقق بسائر الأحوال من الفناء والبقاء والصحو والمحو وغير ذلك ؛ والتوبة لهذا الحب أيضا بمثابة الجسمان ؛ لأنها مشتملة على الحب العام الذى هو لهذا الحب كالجسد ، ومن أخذ فى طريق المحبوبين وهو طريق خاص من طريق المحبة يتكمل فيه ويجتمع له روح الحب الخاص مع قالب الحب العام الذى تشتمل عليه التوبة النصوح ، وعند ذلك لا يتقلب فى أطوار المقامات ، لأن التقلب فى أطوار المقامات والترقى من شىء منها إلى شىء طريق المحبين ، ومن أخذ فى طريق المجاهدة من قوله تعالى ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ ومن قوله تعالى ﴿ ويهدى إليه من ينيب ﴾ أثبت كون الإنابة سببا للهداية فى حق المحب ، وفى حق المحبوب صرح بالاجتباء غير معلل بالكسب فقال الله تعالى ﴿ الله يجتبى إليه من يشاء ﴾ فمن أخذ فى طريق المحبوبين يطوى بساط أطوار المقامات ويندرج فيه صفوها وخالصها بأتم وصفها ، والمقامات لا تقيده ولا تحبسه وهو يقيدها ويحبسها بترقيه منها وانتزاعه صفوها وخالصها ، لأنه حيث أشرقت عليه أنوار الحب الخاص خلع ملابس صفات النفس ونعوتها ، والمقامات كلها مصفية للنعوت والصفات النفسانية ، فالزهد يصفيه عن الرغبة ، والتوكل يصفيه عن قلة الاعتماد المتولد عن جهل النفس ، والرضا يصفيه عن ضربان عرق المنازعة ، والمنازعة لبقاء جمود فى النفس ما أشرق عليها شموس المحبة الخاصة فبقى ظلمتها وجمودها ، فمن تحقق بالحب الخاص لانت نفسه وذهب جمودها ، فماذا ينزع الزهد منه من الرغبة ورغبة الحب أحرقت رغبته ! وماذا يصفى منه التوكل ومطالعة الوكيل حشو بصيرته ! وماذا يسكن فيه الرضا من عروق المنازعة والمنازعة ممن لم تسلم كليته ؟

قال الروذبارى مالم تخرج من كليتك لا تدخل فى حد المحبة . وقال أبو يزيد : من قتلته محبته فديته رؤيته ، ومن قتله عشقه فديته منادمته .

أخبرنا بذلك أبو زرعة عن ابن خلف عن أبى عبد الرحمن قال : سمعت أحمد بن على بن جعفر يقول : سمعت الحسين ابن علويه يقول : قال أبو يزيد بذلك ، فإذاً التقلب فى أطوار المقامات لعوام المحبين ، وطى بساط الأطوار لخواص المحبين وهم المحبوبون : تخلفت عن همهم المقامات ، وربما كانت المقامات على مدارج طبقات السموات ؛ وهى مواطن من يتعثر فى أذيال بقاياه .

قال بعض الكبار لإبراهيم الخواص : إلى ماذا أدى بك التصوف ؟ فقال : إلى التوكل ، فقال : تسعى فى عمران باطنك ! أين أنت من الفناء فى التوكل برؤية الوكيل ؟

فالنفس إذا تحركت بصفتها متفلتة من دائرة الزهد يردها الزاهد إلى الدائرة بزهده ، والمتوكل إذا تحركت نفسه يردها بتوكله ، والراضى يردها برضاه ، وهذه الحركات من النفس بقايا وجودية تفتقر إلى سياسة العلم ، وفى ذلك تنسم روح القرب من بعيد : وهو أداء حق العبودية مبلغ العلم وبحسبه الاجتهاد والكسب . ومن أخذ فى طريق الخاصة عرف طريق التخلص من البقايا بالتستر بأنوار فضل الحق . ومن اكتسى ملابس نور أهل القرب بروح دائمة العكوف محمية عن الطوارق والصروف لا يزعجه طلب ولا يوحشه سلب ، فالزهد والتوكل والرضا كائن فيه ، وهو غير كائن فيها ، على معنى أنه كيف تقلب كان زاهدا وإن رغب ، لأنه بالحق لا بنفسه ، وإن رؤى منه الالتفات إلى الأسباب

فهو متوكل ، وإن وجد منه الكراهة فهو راض ، لأن كراهته لنفسه ونفسه للحق وكراهته للحق أعيد إليه نفسه بدون فيها وصفاتها مطهرة موهوبة محمولة ملطوف بها ، صار عين الداء دواءه وصار الإعلال شفاءه ، وناب طلب الله له مناب كل طالب من زهد وتوكل ورضا ، أو صار مطلوبه من الله ينوب عنه كل مطلوب من زهد وتوكل ورضا .

قالت رابعة : محب الله لا يسكن أنينه وحنينه حتى يسكن مع محبوبه .

وقال أبو عبدالله القرشي : حقيقة المحبة أن تهب لمن أحببت كلك ولا يبقى لك منك شيء .

وقال أبو الحسين الوراق : السرور بالله من شدة المحبة له ، والمحبة في القلب نار تحرق كل دنس .

وقال يحيى بن معاذ : صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين ، واعجبا كيف يصبر الإنسان عن حبيبه !

وقال بعضهم : من ادعى محبة الله من غير تورع عن محارمه فهو كذاب ، ومن ادعى محبة الجنة من غير إنفاق ملكه فهو كذات ، ومن ادعى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير حب الفقراء فهو كذاب . وكانت رابعة تنشد :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى فى الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

وإذا كان الحب للأحوال كالتوبة للمقامات فمن ادعى حالا يعتبر حبه ، ومن ادعى محبة تعتبر توبته ، فإن التوبة قالب روح الحب ، وهذا الروح قيامه بهذا القالب ، والأحوال أعراض قوامها بجوهر الروح .

وقال سمنون : ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال « المرء مع من أحب » فهم مع الله تعالى .

وقال أبو يعقوب السوسى : لا تصح المحبة حتى تخرج من رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب بفناء علم المحبة من حيث كان له المحبوب فى الغيب ولم يكن هذا بالمحبة ، فإذا خرج المحب إلى هذه النسبة كان محبا من غير محبة .

سئل الجنيد عن المحبة ؟ قال : دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب . قيل : هذا على معنى قوله تعالى « فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا » وذلك أن المحبة إذا صفت وكملت لا تزال تجذب بوصفها إلى محبوبها ، فإذا انتهت إلى غاية جهدها وقفت والرابطة متأصلة متأكدة ، وكمال وصف المحبة أزال الموانع من المحب ، وبكمال وصف المحبة تجذب صفات المحبوب تعطفا على المحب المخلص من موانع قادحة فى صدق الحب ، ونظرا إلى قصوره بعد استنفاد جهده ، فيعود المحب بفوائد اكتساب الصفات من المحبوب ، فيقول عند ذلك .

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتنى أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

وهذا الذى عبرنا عنه حقيقة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « تخلقوا بأخلاق الله » لأنه بنزاهة النفس وكمال التزكية يستعد للمحبة والمحبة موهبة غير معللة بالتزكية ، ولكن سنة الله جارية أن يزكى نفوس أحبائه بحسن توفيقه وتأييده ، وإذا منح نزاهة النفس وطهارتها ثم جذب روحه بجاذب المحبة خلع عليه خلع الصفات والأخلاق ، ويكون ذلك عنده رتبة فى الوصول ، فتارة ينبعث الشوق من باطنه إلى ماوراء ذلك لكون عطايا الله غير متناهية ، وتارة يتسلى بما منح فيكون ذلك وصوله الذى يسكن نيران شوقه ، وبباعث الشوق تستقر الصفات الموهوبة المحققة رتبة الوصول عند المحب ، ولولا باعث الشوق رجع القهقرى وظهرت صفات نفسه الحائلة بين المرء وقلبه ، ومن ظن من الوصول غير ماذكرناه أو تخايل له غير هذا القدر ، فهو متعرض لمذهب النصارى فى اللاهوت والناسوت .

وإشارات الشيوخ فى الاستغراق والفناء كلها عائدة إلى تحقيق مقام المحبة باستيلاء نور اليقين وخلاصة الذكر على القلب ، وتحقيق حق اليقين بزوال اعوجاج البقايا ، وأمنت اللوث الوجودى من بقاء صفات النفس . وإذا صحت المحبة ترتبت عليها الأحوال وتبعتها .

سئل الشبلي عن المحبة ؟ فقال : كأس لها وهج إذا استقر فى الحواس وسكن فى النفوس تلاشت .

وقيل : للمحبة ظاهر وباطن ، ظاهرها اتباع رضا المحبوب ، وباطنها أن يكون مفتونا بالحبيب عن كل شيء ولا يبقى فيه بقية لغيره ولا لنفسه ؛ فمن الأحوال السنية فى المحبة الشوق ، ولا يكون المحب إلا مشتاقا أبدا ؛ لأن أمر الحق تعالى لا نهاية له ؛ فما من حال يبلغها المحب إلا ويعلم أن ما وراء ذلك أوفى منها وأتم :

حزنى كحسنك لا لذا أمد * ينهى إليه ولا لذا أمد

ثم هذا الشوق الحادث عنده ليس من كسبه ، وإنما هو موهبة خص الله بها المحبين .

قال أحمد بن أبى الحوارى : دخلت على أبى سليمان الدارانى فرأيته يبكى ، فقلت : ما يبكيك رحمك الله ! قال : ويحك يا أحمد ، إذا جن هذا الليل افترشت أهل المحبة أقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم ، وأشرف الجليل جل جلاله عليهم يقول : بعينى من تلذذ بكلامى واستراح إلى مناجاتى ، وإنى مطلع عليهم فى خلواتهم أسمع أنينهم وأرى بكاءهم ، يا جبريل ناد فيهم ما هذا البكاء الذى أراه فيكم ؟ هل خبركم مخبر أن حبيبا يعذب أحبابه بالنار؟ كيف يجمل بى أن أعذب قوما إذا جن عليهم الليل تملقوا إلى ؟ فبى حلفت إذا وردوا القيامة على أن أسفر لهم عن وجهى وأبيحهم رياض قدسى .

وهذه أحوال قوم من المحبين أقيموا مقام الشوق ، والشوق من المحبة كالزهد من التوبة : إذا استقرت التوبة ظهر الزهد ، وإذا استقرت المحبة ظهر الشوق .

قال الواسطى فى قوله تعالى ﴿ وعجلت إليك رب لترضى ﴾ قال شوقا واستهانة بمن وراءه ﴿ قال هم أولاء على أثرى ﴾ من شوقه إلى مكالمة الله ، ورمى بالألواح لما فاته من وقته .

قال أبو عثمان : الشوق ثمرة المحبة ، فمن أحب الله اشتاق إلى لقائه . وقال أيضاً فى قوله تعالى ﴿ فإن أجل الله لآت ﴾ تقربة للمشتاقين ، معناه : إنى أعلم أن شوقكم إلى غالب ، وأنا أجلت للقائكم أجلا ، وعن قريب يكون وصولكم إلى من تشتاقون إليه .

وقال ذو النون : الشوق أعلى الدرجات وأعلى المقامات ، فإذا بلغها الإنسان استبطأ الموت شوقا إلى ربه ورجاء للقائه والنظر إليه .

وعندى : أن الشوق الكائن فى المحبين إلى رتب يتوقعونها فى الدنيا ، غير الشوق الذى يتوقعون به ما بعد الموت ، والله تعالى يكاشف أهل وده بعطايا يجدونها علما ويطلبونها ذوقا ؛ فكذلك يكون شوقهم ليصير العلم ذوقا ، وليس من ضرورة مقام الشوق استبطاء الموت ، وربما الأصحاء من المحبين يتلذذون بالحياة لله تعالى ، كما قال الجليل لرسوله عليه الصلاة والسلام ﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ﴾ فمن كانت حياته لله ، منحه الكريم لذة المناجاة والمحبة ، فتمتلئ عينه من النقد ، ثم يكاشفه من المنح والعطايا فى الدنيا ما يتحقق بمقام الشوق من غير الشوق إلى ما بعد الموت .

وأنكر بعضهم مقام الشوق وقال : إنما يكون الشوق لغائب ، ومتى يغيب الحبيب عن الحبيب حتى يشتاق ؟ ولهذا سئل الأنطاكى عن الشوق ؟ فقال : إنما يشتاق إلى الغائب وما غبت عنه منذ وجدته ، وإنكار الشوق على الإطلاق لا أرى له وجها ؛ لأن رتب العطايا والمنح من أنصبة القرب إذا كانت غير متناهية كيف ينكر الشوق من المحب ؟ فهو غير غائب وغير مشتاق بالنسبة إلى ما وجد ، ولكن يكون مشتاقا إلى ما لم يجد من أنصبة القرب ، فكيف يمنع حال الشوق والأمر هكذا ؟ ووجه آخر : أن الإنسان لا بد له من أمور يردها حكم الحال لموضع بشريته وطبيعته وعدم وقوفه على حد العلم الذى يقتضيه حكم الحال ، ووجود هذه الأمور مثير لنار الشوق ، ولا نعنى بالشوق إلا مطالبة تنبعث من الباطن إلى الأولى والأعلى من أنصبة القرب ، وهذه المطالبة كائنة فى المحبين ، فالشوق إذاً كائن لا وجه لإنكاره .

وقد قال قوم : شوق المشاهدة واللقاء أشد من شوق البعد والغيبوبة ، فيكون فى حال الغيبوبة مشتاقا إلى اللقاء ، ويكون فى حال اللقاء والمشاهدة مشتاقا إلى زوائد ومبار من الحبيب وإفضاله ، وهذا هو الذى أراه وأختاره .

وقال فارس : قلوب المشتاقين منورة بنور الله ، فإذا تحركت اشتياقا أضاء النور مابين المشرق والمغرب ، فيعرضهم الله على الملائكة فيقول . هؤلاء المشتاقون إلى أشهدكم أنى إليهم أشوق .

وقال أبو يزيد : لو أن الله حجب أهل الجنة عن رؤيته لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار .

سئل ابن عطاء الله عن الشوق فقال : هو احتراق الحشا وتلهب القلوب وتقطع الأكباد من البعد بعد القرب .

سئل بعضهم : هل الشوق أعلى أم المحبة : فقال : المحبة ؛ لأن الشوق يتولد منها ، فلا مشتاق إلا من غلبه الحب ، فالحب أصل والشوق فرع .

وقال النصراباذى : للخلق كلهم مقام الشوق لا مقام الاشتياق ، ومن دخل فى حال الاشتياق هام فيه حتى لا يرى له أثر ولا قرار .

ومنها الأنس : وقد سئل الجنيد عن الأنس ؟ فقال : ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة .

وسئل ذو النون عن الأنس ؟ فقال : هو انبساط المحب إلى المحبوب . قيل : معناه قول الخليل ﴿ أرنى كيف تحيى الموتى ﴾ وقول موسى ﴿ أرنى أنظر إليك ﴾ . وأنشد لرويم :

شغلت قلبى بما لديك فلا * ينفك طول الحياة عن فكر
آنستنى منك بالوداد فقد * أوحشتنى من جميع ذا البشر
ذكرك لى مؤنس يعارضنى * يوعدنى عنك منك بالظفر
وحيثما كنت يامدى همى * فأنت منى بموضع النظر

وروى أن مطرف بن الشخير كتب إلى عمر بن عبد العزيز : ليكن أنسك بالله وانقطاعك إليه ، فإن لله عبادا استأنسوا بالله وكانوا فى وحدتهم أشد استئناسا من الناس فى كثرتهم ، وأوحش مايكون الناس آنس مايكونون ، وآنس مايكون الناس أوحش ما يكونون .

قال الواسطى : لايصل إلى محل الأنس من لم يستوحش من الأكوان كلها .

وقال أبو الحسين الوراق : لا يكون الأنس بالله إلا ومعه التعظيم ، لأن كل من استأنست به سقط عن قلبك تعظيمه إلا الله تعالى ، فإنك لاتتزايد به أنسا إلا ازددت منه هيبة وتعظيما .

قالت رابعة : كل مطيع مستأنس . وأنشدت :

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى * وأبحت جسمى من أراد جلوسى
فالجسم منى للجليس مؤانس * وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

وقال مالك بن دينار : من لم يأنس بمحادثة الله عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمى قلبه وضيع عمره .

قيل لبعضهم : من معك فى الدار ؟ قال : الله تعالى معى ولا يستوحش من أنس بربه .

وقال الخراز : الأنس محادثة الأرواح مع المحبوب فى مجالس القرب .

وصف بعض العارفين صفة أهل المحبة الواصلين فقال : جدد لهم الود فى كل طرفة بدوام الاتصال ، وآواهم فى كنفه بحقائق السكون إليه حتى أنت قلوبهم وحنت أرواحهم شوقا . وكان الحب والشوق منهم إشارة من الحق إليهم عن حقيقة التوحيد وهو الوجود بالله ، فذهبت مناهم وانقطعت آمالهم عنده لما بان منه لهم ، ولو أن الحق تعالى أمر جميع الأنبياء يسألون لهم ماسألوه بعض ماأعد لهم من قديم وحدانيته ودوام أزليته وسابق علمه ، وكان نصيبهم معرفتهم به وفراغ همهم عليه واجتماع أهوائهم فيه ، فصار يحسدهم من عبيده العموم : أن رفع عن قلوبهم جميع الهموم وأنشد فى معناه :

كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت إذ رأتك النفس أهوائي
فصار يحسدني من كنت أحسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي

وقد يكون من الأنس : الأنس بطاعة الله وذكره وتلاوة كلامه وسائر أبواب القربات ، وهذا القدر من الأنس نعمة من الله تعالى ومنحة منه ، ولكن ليس هو حال الأنس الذي يكون للمحبين ، والأنس حال شريف يكون عند طهارة الباطن وكنسه بصدق الزهد وكمال التقوى وقطع الأسباب والعلائق ومحو الخواطر والهواجس ، وحقيقته عندي : كنس الوجود بثقل لائح العظمة وانتشار الروح في ميادين الفتوح ، وله استقلال بنفسه يشتمل على القلب فيجمعه به عن الهيبة ، وفي الهيبة اجتماع الروح ورسوبه إلى محل النفس ، وهذا الذي وصفناه من أنس الذات وهيبة الذات يكون في مقام البقاء بعد العبور على ممر الفناء ، وهما غير الأنس والهيبة اللذين يذهبان بوجود الفناء ؛ لأن الهيبة والأنس قبل الفناء ظهرا مطالعة الصفات من الجلال والجمال وذلك مقام التلوين ، وما ذكرناه بعد الفناء في مقام التمكين والبقاء من مطالعة لذات .

ومن الأنس ؟ خضوع النفس المطمئنة ، ومن الهيبة : خشوعها ، والخضوع والخشوع يتقاربان ويفترقان بفرق لطيف يدرك بإيماء الروح .

ومنها : القرب ، قال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام ﴿واسجد واقترب﴾ وقد ورد « أقرب ما يكون العبد من ربه في سجوده » فالساجد إذا أذيق طعم السجود يقرب لأنه يسجد ويطوى بسجوده بساط الكون ما كان وما يكون ، ويسجد على طرف رداء العظمة فيقرب قال بعضهم : إني لأجد الحضور فأقول : يا الله ، أو يا رب ؛ فأجد ذلك على أثقل من الجبال . قيل : ولم ؟ قال : لأن النداء يكون من وراء حجاب ، وهل رأيت جليسا ينادي جليسه ، وإنما هي إشارات وملاحظات ومناغاة وملاطفات ، وهذا الذي وصفه مقام عزيز متحقق فيه القرب ، ولكنه مشعر بمحو ، ومؤذن بسكر ، يكون ذلك لمن غابت نفسه في نور روحه لغلبة سكره وقوة محوه ؛ فإذا صحا وأفاق تتخلص الروح من النفس والنفس من الروح ، ويعود كل من العبد إلى محله ومقامه ، فيقول : يا الله ويا رب ، بلسان النفس المطمئنة العائدة إلى مقام حاجتها ومحل عبوديتها ، والروح تستقل بفتوحه وبكمال الحال عن الأقوال ، وهذا أتم وأقرب من الأول ، لأنه وفي حق القرب باستقلال الروح بالفتوح ، وأقام رسم العبودية بعود حكم النفس إلى محل الافتقار ، وحظ القرب لا يزال يتوفر نصيب الروح بإقامة رسم العبودية من النفس .

وقال الجنيد : إن الله تعالى يقرب من قلوب عباده على حسب ما يرى من قرب قلوب عباده منه ، فانظر ماذا يقرب من قلبك .

وقال أبي يعقوب السوسي : مادام العبد يكون بالقرب لم يكن قريبا حتى يغيب عن رؤية القرب بالقرب فإذا ذهب عن رؤية القرب بالقرب فذلك قرب . وقد قال قائلهم :

قد تحققت في السـ ـر فناجاك لساني
فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعان
إن يكن غيبك التعـ ـظيم عن لحظ عياني
فلقد صيرك الوجـ ـد من الأحشاء داني

قال ذو النون : ما ازداد أحد من الله قربة إلا ازداد هيبة . وقال سهل . أدنى مقام من مقامات القرب الحياء . وقال النصراباذي : باتباع السنة تنال المعرفة ، وبأداء الفرائض تنال القربة ، وبالمواظبة على النوافل تنال المحبة .

ومنها : الحياء ، والحياء على الوصف العام والوصف الخاص ؛ فأما الوصف العام فما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله « استحيوا من الله حق الحياء » قالوا : إنا نستحيي يا رسول الله . قال « ليس ذلك ، ولكن من

استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وليذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء ، وهذا الحياء من المقامات ،

وأما الحياء الخاص فمن الأحوال : وهو مانقل عن عثمان رضى الله عنه أنه قال : إنى لأغتسل فى البيت المظلم فأنطوى حياء من الله .

أخبرنا أبو زرعة عن ابن خلف عن أبى عبد الرحمن قال سمعت أبا العباس البغدادى يقول : سمعت أحمد السقطى ابن صالح يقول : سمعت محمد بن عبدون يقول سمعت أبا العباس المؤدب يقول : قال لى سرى : احفظ عنى ماأقول لك إن الحياء والأنس يطوفان بالقلب ، فإذا وجدا فيه الزهد والورع حطا ، وإلا رحلا ، والحياء إطراق الروح إجلالا لعظيم الجلال . والأنس التذاذ الروح بكمال الجمال ؛ فإذا اجتمعا فهو الغاية فى المنى والنهاية فى العطاء . وأنشد شيخ الإسلام

أشتاقه فإذا بدا أطرقت من إجلاله لاخيفة بل هيبة وصيانة لجماله
المسوت فى إدباره والعيش فى إقباله وأصد عنه إذا بدا وأروم طيف خياله

قال بعض الحكماء : من تكلم فى الحياء ولا يستحيى من الله فيما يتكلم به فهو مستدرج .

وقال ذو النون الحياء وجود الهيبة فى القلب مع حشمة ما سبق منك إلى ربك .

وقال ابن عطاء الله : العلم الأكبر الهيبة والحياء ؛ فإذا ذهب عنه الهيبة والحياء فلا خير فيه .

وقال أبو سليمان : إن العباد عملوا على أربع درجات : على الخوف ، والرجاء ، والتعظيم ، والحياء . وأشرفهم منزلة : من عمل على الحياء ، لما أيقن أن الله تعالى يراه على كل حال استحيا من حسناته أكثر مما استحيا العاصون من سيئاتهم .

وقال بعضهم : الغالب على قلوب المستحيين الإجلال والتعظيم دائما عند نظر الله إليهم .

ومنها الاتصال قال النورى الاتصال مكاشفات القلوب ومشاهدات الأسرار وقال بعضهم الاتصال وصول السر إلى مقام الذهول . وقال بعضهم الاتصال أن لايشهد العبد غير خالقه ولا يتصل بسره خاطر لغير صانعه . وقال سهل بن عبد الله حركوا بالبلاء فتحركوا ، ولو سكنوا اتصلوا . وقال يحيى بن معاذ الرازى العمال أربعة تائب ، وزاهد ، ومشتاق ، وواصل ؛ فالتائب محجوب بتوبته ، والزاهد محجوب بزهده ، والمشتاق محجوب بحاله ، والواصل لايحجبه عن الحق شىء .

وقال أبو سعيد القرشى الواصل الذى يصله الله فلا يخشى عليه القطع أبدا ، والمتصل الذى بجهده يتصل ، وكلما دنا انقطع ، وكأن هذا الذى ذكره حال المريد والمراد ، لكون أحدهما مبادأ بالكشوف وكون الآخر مردودا إلى الاجتهاد .

وقال أبو يزيد الواصلون فى ثلاثة أحرف همهم لله ، وشغلهم فى الله ، ورجوعهم إلى الله .

وقال السيارى الوصول مقام جليل ، وذلك أن الله تعالى إذا أحب عبدا أن يوصله اختصر عليه الطريق وقرب إليه البعيد .

وقال الجنيد الواصل هو الحاصل عند ربه . وقال رويم أهل الوصول أوصل الله إليهم قلوبهم ، فهم محفوظو القوى ، ممنوعون من الخلق أبدا .

وقال ذو النون مارجع من رجع إلا من الطريق ، وماوصل إليه أحد فرجع عنه .

واعلم أن الاتصال والمواصلة أشار إليه الشيوخ ، وكل من وصل إلى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو من رتبة الوصول ، ثم يتفاوتون ، فمنهم من يجد الله بطريق الأفعال وهو رتبة فى التجلى فيفنى فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله ، ويخرج فى هذه الحالة من التدبير والاختيار ، وهذه رتبة فى الوصول . ومنهم من يوقف فى مقام الهيبة والأنس بما يكاشف قلبه به من مطالعة الجمال والجلال ، وهذا تجلى طريق الصفات وهو رتبة فى الوصول . ومنهم

من ترقى لمقام الفناء مشتملا على باطنه أنوار اليقين والمشاهدة مغيبا فى شهوده عن وجوده ، وهذا ضرب من تجلى الذات لخواص المقربين ، وهذا المقام رتبة فى الوصول ، وفوق هذا حق اليقين ، ويكون من ذلك فى الدنيا للخواص لمح : وهو سريان نور المشاهدة فى كلية العبد حتى يحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه ، وهذا من أعلى رتب الوصول ؛ فإذا تحققت الحقائق يعلم العبد مع هذه الأحوال الشريفة أنه بعد فى أول المنزل فأين الوصول؟ هيهات منازل طريق الوصول لا تقطع أبد الآباد فى عمر الآخرة الأبدى ، فكيف فى العمر القصير الدنيوى ؟

ومنها القبض والبسط : وهما حالان شريفان ، قال الله تعالى ﴿ والله يقبض ويبسط ﴾ وقد تكلم الشيوخ وأشاروا بإشارات هى علامات القبض والبسط ، ولم أجد كشفا عن حقيقتهما لأنهم اكتفوا بالإشارة ، والإشارة تقنع الأهل ، وأحببت أن أشبع الكلام فيهما لعله يتشوق إلى ذلك طالب ويحب بسط القول فيه والله أعلم .

واعلم أن القبض والبسط لهما موسم معلوم ووقت محتوم لا يكونان قبله ولا يكونان بعده ، ووقتهما وموسمهما فى أوائل حال المحبة الخاصة لا فى نهايتها ، ولا قبل حال المحبة الخاصة ؛ فمن هو فى مقام المحبة العامة الثابتة بحكم الإيمان لا يكون له قبض ولا بسط ، وإنما يكون له خوف ورجاء ، وقد يجد شبه حال القبض وشبه حال البسط ، ويظن ذلك قبضا وبسطا ، وليس هو ذلك ، وإنما هو هم يعتريه فيظنه قبضا ، واهتزاز نفسانى ونشاط طبيعى يظنه بسطا ، والهم والنشاط يصدران من محل النفس ومن جوهرها لبقاء صفاتها ، وما دامت صفة الأمارة فيها بقية على النفس يكون منها الاهتزاز والنشاط والهم : وهج ساجور النفس ، والنشاط : ارتفاع موج النفس عند تلاطم بحر الطبع ؛ فإذا ارتقى من حال المحبة العامة إلى أوائل المحبة الخاصة يصير ذا حال وذا قلب وذا نفس لوامة ، ويتناوب القبض والبسط فيه عند ذلك ؛ لأنه ارتقى من رتبة الإيمان إلى رتبة الإيقان وحال المحبة الخاصة ، فيقبضه الحق تارة ويبسطه أخرى

قال الواسطى : يقبضك عما لك ويبسطك فيما له : وقال النورى : يقبضك بإياك ، ويبسطك لإياه .

واعلم أن وجود القبض لظهور صفة النفس وغلبتها ، وظهور البسط لظهور صفة القلب وغلبته ، والنفس ما دامت لوامة فتارة مغلوبة ، وتارة غالبة ، والقبض والبسط باعتبار ذلك منها ، وصاحب القلب تحت حجاب نورانى لوجود قلبه ، كما أن صاحب النفس تحت حجاب ظلمانى لوجود نفسه ، فإذا ارتقى من القلب وخرج من حجابه لا يقيده الحال ولا يتصرف فيه ، فيخرج من تصرف القبض والبسط حينئذ ، فلا يقبض ولا يبسط ما دام متخلصا من الوجود النورانى الذى هو القلب ومتحققا بالقرب من غير حجاب النفس والقلب ؛ فإذا عاد إلى الوجود من الفناء والبقاء ، يعود إلى الوجود النورانى الذى هو القلب ، فيعود القبض والبسط إليه عند ذلك ، ومهما تخلص إلى الفناء والبقاء فلا قبض ولا بسط .

قال فارس : أولا القبض ثم البسط ، ثم لا قبض ولا بسط ، لأن القبض والبسط يقع فى الوجود ، فأما مع الفناء والبقاء فلا ، ثم إن القبض قد يكون عقوبة لإفراط فى البسط ، وذلك أن الوارد من الله تعالى يرد على القلب فيمتلئ القلب منه روحا وفرحا واستبشارا ، فتسترق النفس السمع عند ذلك وتأخذ نصيبها ، فإذا وصل أثر الوارد إلى النفس طغت بطبعها وأفرطت فى البسط حتى تشاكل البسط نشاطا ، فتقابل بالقبض عقوبة ، وكل القبض إذا فتش لا يكون إلا من حركة النفس وظهورها بصفتها ، ولو تأدبت النفس وعدلت ولم تجر بالطغيان تارة وبالعصيان أخرى ما وجد صاحب القلب القبض ، وما دام روحه وأنسه . ورعاية الاعتدال الذى يسد باب القبض متلق من قوله تعالى ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾ فوارد الفرح ما دام موقوفا على الروح والقلب لا يكثف ولا يستوجب صاحبه القبض سيما إذا لطف بالفرح بالوارد بالإيواء إلى الله ، وإذا لم يلتجئ بالإيواء إلى الله تعالى تطامت النفس وأخذت حظها من الفرح ، وهو الفرح بما أوتى الممنوع منه ، فمن ذلك القبض فى بعض الأحايين ، وهذا من ألطف الذنوب الموجبة للقبض . وفى النفس من حركاتها وصفاتها وثبات متعددة موجبة للقبض ، ثم الخوف والرجاء لا يعدمها صاحب القبض والبسط ولا صاحب الأنس والهيبة ، لأنهما من ضرورة الإيمان فلا ينعدمان . وأما القبض والبسط فينعدمان عند صاحب الإيمان لنقصان الحظ من القلب ، وعند صاحب الفناء والبقاء والقرب لتخلصه من القلب ، وقد يرد على الباطن قبض وبسط ولا يعرف

سببهما ، ولايخفى سبب القبض والبسط إلا على قليل الحظ من العلم الذى لم يحكم علم الحال ولاعلم المقام ، ومن أحكم علم الحال والمقام لايخفى عليه سبب القبض والبسط ، وربما يشتبه عليه سبب القبض والبسط كما يشتبه عليه الهم بالقبض والنشاط بالبسط ، وإنما علم ذلك لمن استقام قلبه ، ومن عدم القبض والبسط وارتقى منهما فنفسه مطمئنة لاتتقدح من جوهرها نار توجب القبض ، ولا يتلاطم بحر طبعها من أهوية الهوى حتى يظهر منه البسط ، وربما صار لمثل هذا القبض والبسط فى نفسه لامن نفسه ، فتكون نفسه المطمئنة بطبع القلب فيجرى القبض والبسط فى نفسه المطمئنة ، وما لقلبه قبض ولابسط ؛ لأن القلب متحصن بشعاع نور الروح مستقر فى دعة القرب فلاقبض ولابسط . ومنها : الفناء والبقاء . وقد قيل : الفناء أن يفنى عن الحظوظ فلا يكون له فى شىء حظ ، بل يفنى عن الأشياء كلها شغلا بمن فنى فيه . وقد قال عامر بن عبدالله : لاأبالى امرأة رأيت أم حائطا ، ويكون محفوظا فيما لله عليه مصروفا عن جميع المخالفات . والبقاء يعقبه ، وهو أن يفنى عما له ويبقى بما لله تعالى .

وقيل الباقى أن تصير الأشياء كلها له شيئا واحدا ، فيكون كل حركاته فى موافقة الحق دون مخالفته ، فكان فانيا عن المخالفات باقيا فى الموافقات .

وعندى أن هذا الذى ذكره هذا القائل هو مقام صحة التوبة النصوح ، وليس من الفناء والبقاء فى شىء .

ومن الإشارة إلى الفناء ماروى عن عبدالله بن عمر أنه سلم عليه إنسان وهو فى الطواف فلم يرد عليه . فشكاه إلى بعض أصحابه ، فقال له كنا نتراءى الله فى ذلك المكان .

وقيل الفناء هو الغيبة عن الأشياء كما كان فناء موسى حين تجلى ربه للجبل .

وقال الخراز الفناء هو التلاشى بالحق . والبقاء هو الحضور مع الحق .

وقال الجنيد الفناء استعجام الكل عن أوصافك واشتغال الكل منك بكليته .

وقال إبراهيم بن شيبان : علم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوحدانية وصحة العبودية ، وما كان غير هذا فهو من المغاليط والزندقة .

وسئل الخراز ماعلامة الفانى ؟ قال : علامة من ادّعى الفناء ذهاب حظه من الدنيا والآخرة إلا من الله تعالى .

وقال أبو سعيد الخراز : أهل الفناء فى الفناء صحتهم أن يصحبهم علم البقاء ، وأهل البقاء فى البقاء صحتهم أن يصحبهم علم الفناء .

واعلم أن أقاويل الشيوخ فى الفناء والبقاء كثيرة ، فبعضها إشارة إلى فناء المخالفات وبقاء الموافقات وهذا تقتضيه التوبة النصوح ، فهو ثابت بوصف التوبة وبعضها يشير إلى زوال الرغبة والحرص والأمل ، وهذا يقتضيه الزهد . وبعضها إشارة إلى فناء الأوصاف المذمومة وبقاء الأوصاف المحمودة ، وهذا يقتضيه تزكية النفس . وبعضها إشارة إلى حقيقة الفناء المطلق ، وكل هذه الإشارات فيها معنى الفناء من وجه . ولكن الفناء المطلق هو مايستولى من أمر الحق سبحانه وتعالى على العبد ، فيغلب كون الحق سبحانه وتعالى على كون العبد ، وهو ينقسم إلى فناء ظاهر وفناء باطن ، فأما الفناء الظاهر : فهو أن يتجلى الحق سبحانه وتعالى بطريق الأفعال ويسلب عن العبد اختياره وإرادته فلا يرى لنفسه ولا لغيره فعلا إلا بالحق ، ثم يأخذ فى المعاملة مع الله تعالى بحسبه ، حتى سمعت أن بعض من أقيم فى هذا المقام من الفناء كان يبقى أياما لايتناول الطعام والشراب حتى يتجرد له فعل الحق فيه ويقيض الله تعالى له من يطعمه ويسقيه كيف شاء وأحب ، وهذا لعمرى فناء ، لأنه فنى عن نفسه وعن الغير نظرا إلى فعل الله تعالى بفناء فعل غير الله . والفناء الباطن : أن يكاشف تارة بالصفات وتارة بمشاهدة آثار عظمة الذات ، فيستولى على باطنه أمر الحق حتى لايبقى له هاجس ولاوسواس . وليس من ضرورة الفناء أن يغيب إحساسه ، وقد يتفق غيبة الإحساس لبعض الأشخاص ، وليس ذلك من ضرورة الفناء على الإطلاق .

وقد سألت الشيخ أبا محمد بن عبدالله البصرى وقلت له : هل يكون بقاء المتخيلات فى السر ووجود الوسواس

من الشرك الخفى ؟ـ وكان عندى أن ذلك من الشرك الخفى ـ فقال لى : هذا يكون فى مقام الفناء . ولم يذكر أنه هل هو من الشرك الخفى أم لا ؟ ثم ذكر حكاية مسلم بن يسار أنه كان فى الصلاة فوقعت اسطوانة فى الجامع فانزعج لهدتها أهل السوق ، فدخلوا المسجد فرأوه فى الصلاة ولم يحس بالأسطوانة ووقوعها ؛ فهذا هو الاستغراق والفناء باطنا ، ثم قد يتسع وعاؤه حتى لعله يكون متحققا بالفناء ومعناه روحا وقلبا ، ولا يغيب عن كل ما يجرى عليه من قول وفعل ، ويكون من أقسام الفناء : أن يكون فى كل فعل وقول مرجعه إلى الله وينتظر الإذن فى كليات أموره ليكون فى الأشياء بالله لا بنفسه ؛ فتارك الاختيار منتظر لفعل الحق فان ، وصاحب الانتظار لإذن الحق فى كليات أموره راجع إلى الله بباطنه فى جزئياتها فان ، ومن ملكه الله تعالى اختياره وأطلقه فى التصرف يختار كيف شاء وأراد لا منتظرا للفعل ولا منتظرا للإذن هو باق ، والباقى فى مقام لا يحجبه الحق عن الخلق ، ولا الخلق عن الحق ، والفانى محجوب بالحق عن الخلق ، والفناء الظاهر لأرباب القلوب والأحوال ، والفناء الباطن لمن أطلق عن وثاق الأحوال ، وصار بالله لا بالأحوال ، وخرج من القلب فصار مع مقلبه لا مع قلبه .

الباب الثانى والستون

فى شرح كلمات مشيرة إلى بعض الأحوال فى اصطلاح الصوفية

أخبرنا الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن عبد الباقى بن سليمان إجازة ، قال أخبرنا أبو الفضل حمد بن أحمد ، قال أخبرنا الحافظ أبو نعيم الأصفهانى ، قال حدثنا محمد بن إبراهيم ، قال حدثنا أبو مسلم الكشى ، قال حدثنا مسور بن عيسى ، قال حدثنا القاسم بن يحيى ، قال حدثنا ياسين الزيات عن أبى الزبير عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «إن من معادن التقوى تعلمك إلى ما قد علمت علم ما لم تعلم ، والنقص فيما علمت قلة الزيادة فيه ، وإنما يزهد الرجل فى علم ما لم يعلم قلة الانتفاع بما قد علم ، فمشايخ الصوفية أحكموا أساس التقوى ، وتعلموا العلم لله تعالى ، وعملوا بما علموا لموضع تقواهم ، فعلمهم الله تعالى ما لم يعلموا من غرائب العلوم ودقيق الإشارات ، واستنبطوا من كلام الله تعالى غرائب العلوم وعجائب الأسرار وترسخ قدمهم فى العلم قال أبو سعيد الخراز أول الفهم لكلام الله العمل به . لأن فيه العلم والفهم والاستنباط . وأول الفهم إلقاء السمع والمشاهدة لقوله تعالى ﴿إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ وقال أبو بكر الواسطى : الراسخون فى العلم هم الذين رسخوا بأرواحهم فى غيب الغيب ، وفى سر السر ، فعرفهم ما عرفهم ، وأراد منهم من مقتضى الآيات ما لم يرد من غيرهم ، وخاضوا بحر العلم بالفهم لطلب الزيادات فانكشف لهم من مدخور الخزائن والمخزون تحت كل حرف وآية من الفهم وعجائب النص ، فاستخرجوا الدرر والجواهر ونطقوا بالحكمة .

وقد ورد فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن أبى هريرة أنه قال : إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله ؛ فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله .

أخبرنا أبو زرعة ، قال أخبرنا أبو بكر بن خلف ، قال حدثنا أبو عبد الرحمن ، قال سمعت النصراباذى يقول : سمعت ابن عائشة يقول سمعت القرشى يقول هى أسرار الله تعالى يبديها إلى أمناء أوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراسة ، وهى من الأسرار التى لم يطلع عليها إلا الخواص .

وقال أبو سعيد الخراز للعارفين خزائن أودعوها علوما غريبة وأنباء عجيبة يتكلمون فيها بلسان الأبدية ويخبرون عنها بعبارة الأزلية ، وهى من العلم المجهول ، فقوله بلسان الأبدية وعبارة الأزلية ، إشارة إلى أنهم بالله ينطقون . وقد قال تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم «بى ينطق» وهو العلم اللدنى الذى قال الله تعالى فيه فى حق الخضر ﴿آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما﴾ فما تداولته ألسنتهم من الكلمات تفهيما من بعضهم للبعض ، وإشارة منهم إلى أحوال يجدونها ومعاملات قلبية يعرفونها . قولهم الجمع والتفرقة ، قيل أصل الجمع والتفرقة قوله تعالى ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ فهذا جمع ثم فرق فقال ﴿والملائكة وأولوا العلم﴾ وقوله تعالى ﴿آمنا بالله﴾ جمع ثم فرق بقوله

﴿ وما أنزل إلينا ﴾ والجمع أصل والتفرقة فرع ؛ فكل جمع بلا تفرقة زندقة ، وكل تفرقة بلا جمع تعطيل .

وقال الجنيد : القرب بالوجد جمع، وغيبته فى البشرية تفرقة . وقيل: جمعهم فى المعرفة وفرقهم فى الأحوال. والجمع اتصال لايشاهد صاحبه إلا الحق ، فمتى شاهد غيره فما جمع ، والتفرقة شهود لمن شاء بالمباينة، وعباراتهم فى ذلك كثيرة والمقصود أنهم أشاروا بالجمع إلى تجريد التوحيد ، وأشاروا بالتفرقة إلى الاكتساب ،فعلى هذا لاجمع إلا بتفرقة، ويقولون فلان فى عين الجمع ، يعنون استيلاء مراقبة الحق على باطنه ؛ فإذا عاد إلى شىء من أعماله عاد إلى التفرقة ؛ فصحة الجمع بالتفرقة . وصحة التفرقة بالجمع ؛ فهذا يرجع حاصله إلى أن الجمع من العلم بالله ، والتفرقة من العلم بأمر الله ، ولا بد منهما جميعا .

قال المزين : الجمع عين الفناء بالله ، والتفرقة العبودية متصل بعضها بالبعض . وقد غلط قوم وادعوا أنهم فى عين الجمع وأشاروا إلى صرف التوحيد وعطلوا الاكتساب فتزندقوا . وإنما الجمع حكم الروح؛ والتفرقة حكم القالب. ومادام هذا التركيب باقيا فلا بد من الجمع والتفرقة .

وقال الواسطى : إذا نظرت إلى نفسك فرقت وإذا نظرت إلى ربك جمعت ، وإذا كنت قائما بغيرك فأنت فان فلا جمع ولا تفرقة .

وقيل : جمعهم بذاته ، وفرقهم فى صفاته ، وقد يريدون بالجمع والتفرقة : أنه إذا أثبت لنفسه كسبا ونظر إلى أعماله فهو فى التفرقة ، وإذا أثبت الأشياء بالحق فهو فى الجمع ، ومجموع الإشارات ينبىء أن الكون يفرق والمكون يجمع ؛ فمن أفرد المكون جمع ، ومن نظر إلى الكون فرق ؛ فالتفرقة عبودية ، والجمع توحيد ؛ فإذا أثبت طاعته نظرا إلى كسبه فرق ، وإذا أثبتها بالله جمع ، وإذا تحقق بالفناء فهو جمع الجمع، ويمكن أن يقال : رؤية الأفعال تفرقة، ورؤية الصفات جمع ، ورؤية الذات جمع الجمع .

سئل بعضهم عن حال موسى عليه السلام فى وقت الكلام فقال : أفنى موسى عن موسى فلم يكن لموسى خبر من موسى ، ثم كلم فكان المكلم والمكلم هو ، وكيف كان يطيق موسى حمل الخطاب ورد الجواب لولا إياه سمع، ومعنى هذا : أن الله تعالى منحه قوة بتلك القوة سمع ، ولولا تلك القوة مافدر على السمع ، ثم أنشد القائل متمثلا :

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى * برق تألق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه * صعب الذرى متمنع أركانه
فبدا لينظر كيف لاح فلم يطق * نظرا إليه ورده أشجانه
فالنار مااشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سمحت به أجفانه

ومنها قولهم : التجلى والاستتار . قال الجنيد : إنما هو تأديب وتهذيب وتذويب ، فالتأديب: محل الاستتار وهو للعوام ، والتهذيب للخواص وهو التجلى ، والتذويب للأولياء وهو المشاهدة .

وحاصل الإشارات فى الاستتار والتجلى راجع إلى ظهور صفات النفس .

ومنها الاستتار : وهو إشارة إلى غيبة صفات النفس بكمال قوة صفات القلب. ومنها التجلى ، ثم التجلى قد يكون بطريق الأفعال ، وقد يكون بطريق الصفات ، وقد يكون بطريق الذات ، والحق تعالى أبقى على الخواص موضع الاستتار رحمة منه لهم ولغيرهم ؛ فأما لهم فلأنهم به يرجعون إلى مصالح النفوس ، وأما لغيرهم فلأنه لولا مواضع الاستتار لم ينتفع بهم لاستغراقهم فى جمع الجمع وبروزهم لله الواحد القهار .

قال بعضهم : علامة تجلى الحق للأسرار هو أن لايشهد السر مايتسلط عليه التعبير ويحويه الفهم ، فمن عبر أو فهم فهو صاحب استدلال لاناظر إجلال .

وقال بعضهم : التجلى : رفع حجبه البشرية لا أن يتلون ذات الحق عز وجل . والاستتار : أن تكون البشرية حائلة بينك وبين شهود الغيب .

ومنها : التجريد والتفريد ، الإشارة منهم فى التجريد والتفريد أن العبد يتجرد عن الأغراض فيما يفعله ، لا يأتى

بما يأتى به نظرا إلى الأغراض فى الدنيا والآخرة ، بل ما كوشف به من حق العظمة يؤديه حسب جهده عبودية وانقيادا والتفريد : أن لا يرى نفسه فيما يأتى به بل يرى منة الله عليه ، فالتجريد ينفى الأغيار ، والتفريد ينفى نفسه واستغراقه عن رؤية نعمة الله عليه وغيبته عن كسبه ، ومنها: الوجد والتواجد والوجود؛ فالوجد: ما يرد على الباطن من الله يكسبه فرحا أو حزنا ، ويغيره عن هيئته ويتطلع إلى الله تعالى، وهو فرحة يجدها المغلوب عليه بصفات نفسه ينظر منها الى الله تعالى . والتواجد : استجلاب الوجد بالذكر والتفكر، والوجود: اتساع فرجه الوجد بالخروج إلى فضاء الوجدان، فلا وجد مع الوجدان، ولا خبر مع العيان؛ فالوجد بعرضية الزوال والوجود ثابت بثبوت الجبال، وقد قيل:

قد كان يطربنى وجـــدى فأقعدنى * عن رؤية الوجد من فى الوجد موجود

والوجـد يطرب من فى الوجـد راحته * والوجـد عنـد حضور الحـق مفقـود

ومنها : الغلبة والغلبة وجد متلاحق ، فالوجد كالبرق يبدو، والغلبة كتلاحق البرق وتواتره يغيب عن التمييز؛ فالوجد ينطفئ سريعا ، والغلبة تبقى للأسرار حرزا منيعا .

ومنها المسامرة : وهى تفرد الأرواح بخفى مناجاتها ولطيف مناغاتها فى سر السر بلطيف إدراكها للقلب لتفرد الروح بها فتلتذ بها دون القلب .

ومنها السكر والصحو : فالسكر : استيلاء سلطان الحال ، والصحو: العود إلى ترتيب الأفعال وتهذيب الأقوال، قال محمد بن خفيف : السكر غليان القلب عند معارضات ذكر المحبوب ، وقال الواسطى : مقامات الوجد أربعة: الذهول ، ثم الحيرة ، ثم السكر ، ثم الصحو : كمن سمع بالبحر ، ثم دنا منه . ثم دخل فيه ، ثم أخذته الأمواج؛ فعلى هذا : من بقى عليه أثر من سريان الحال فيه فعليه أثر من السكر ، ومن عاد كل شىء منه إلى مستقره فهو صاح ؛ فالسكر لأرباب القلوب ، والصحو للمكاشفين بحقائق الغيوب .

ومنها . المحو والإثبات ، المحو : بإزالة أوصاف النفوس ، والإثبات : بما أدير عليهم من آثار الحب كؤوس. أو المحو : محو رسوم الأعمال بنظر الفناء إلى نفسه ومأمنه ، والإثبات : إثباتها بما أنشأ الحق له من الوجود به ؛ فهو بالحق لا بنفسه بإثبات الحق إياه مستأنفا بعد أن محاه عن أوصافه .

قال ابن عطاء الله : يمحو أوصافهم ويثبت أسرارهم .

ومنها : علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ، فعلم اليقين : ما كان من طريق النظر والاستدلال . وعين اليقين ما كان من طريق الكشوف والنوال . وحق اليقين : ما كان بتحقيق الانفصال عن لوث الصلصال بورود رائد الوصال

قال فارس : علم اليقين لا اضطراب فيه ، وعين اليقين : هو العلم الذى أودعه الله الأسرار والعلم إذا انفرد عن نعت اليقين كان علما بشبهة ، فإذا انضم إليه اليقين كان علما بلا شبهة . وحق اليقين : هو حقيقة ما أشار إليه علم اليقين وعين اليقين .

وقال الجنيد : حق اليقين ما يتحقق العبد بذلك ، وهو أن يشاهد الغيوب كما يشاهد المرئيات مشاهدة عيان ، ويحكم على الغيب فيخبر عنه بالصدق ، كما أخبر الصديق حين قال لما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماذا أبقيت لعيالك ؟ » قال : الله ورسوله . وقال بعضهم : علم اليقين حال التفرقة . وعين اليقين حال الجمع. وحق اليقين جمع الجمع بلسان التوحيد .

وقيل : لليقين : اسم ، ورسم ، وعلم ، وعين وحق؛ فالاسم والرسم للعوام ، وعلم اليقين للأولياء ، وعين اليقين لخواص الأولياء ، وحق اليقين للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وحقيقة حق اليقين اختص بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

ومنها : الوقت ، والمراد بالوقت : ما هو غالب على العبد ، وأغلب ما على العبد وقته ، فإنه كالسيف يمضى الوقت بحكمه ويقطع . وقد يراد بالوقت ما يهجم على العبد لا بكسبه ، فيتصرف فيه فيكون بحكمه . يقال : فلان بحكم الوقت ، يعنى مأخوذا عما منه بما للحق .

ومنها : الغيبة والشهود ؛ فالشهود : هو الحضور وقتا بنعت المراقبة ، ووقتا بوصف المشاهدة ؛ فمادام العبد موصوفا بالشهود والرعاية فهو حاضر ؛ فإذا فقد حال المشاهدة والمراقبة خرج من دائرة الحضور فهو غائب ، وقد يعنون بالغيبة الغيبة عن الأشياء بالحق ؛ فيكون على هذا المعنى حاصل ذلك راجعا إلى مقام الفناء .

ومنها : الذوق والشرب والرى ، فالذوق : إيمان ، والشرب : علم ، والرى : حال ؛ فالذوق لأرباب البواده ، والشرب لأرباب الطوالع واللوائح واللوامع ، والرى لأرباب الأحوال : وذلك أن الأحوال هى التى تستقر ؛ فما لم يستقر فليس بحال وإنما هى لوامع وطوالع . وقيل : الحال لا تستقر لأنها تحول ، فإذا استقرت تكون مقاما .

ومنها : المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة : فالمحاضرة لأرباب التلوين ، والمشاهدة لأرباب التمكين ، والمكاشفة بينهما إلى أن تستقر ؛ فالمشاهدة والمحاضرة لأهل العلم ، والمكاشفة لأهل العين ، والمشاهدة لأهل الحق : أى حق اليقين .

ومنها : الطوارق ، والبوادى ، والباده ، والواقع ، والقادح ، والطوالع ، واللوامع واللوائح : وهذه كلها ألفاظ متقاربة المعنى ، ويمكن بسط القول فيها ، ويكون حاصل ذلك راجعا إلى معنى واحد يكثر بالعبارة فلا فائدة فيه ، والمقصود أن هذه الأسماء كلها مبادى الحال ومقدماته ، وإذا صح الحال استوعب هذه الأسماء كلها ومعانيها .

ومنها : التلوين والتمكين : فالتلوين لأرباب القلوب لأنهم تحت حجب القلوب ، وللقلوب تخلص إلى الصفات ، وللصفات تعدد بتعدد جهاتها ؛ فظهر لأرباب القلوب بحسب تعدد الصفات تلوينات ، ولا تجاوز للقلوب وأربابها عن عالم الصفات . وأما أرباب التمكين فخرجوا عن مشائم الأحوال ، وخرقوا حجب القلوب ، وباشرت أرواحهم سطوع نور الذات ؛ فارتفع التلوين لعدم التغير فى الذات ، إذ جلت ذاته عن حلول الحوادث والتغيرات ؛ فلما خلصوا إلى مواطن القرب من أنصبة تجلى الذات ارتفع عنهم التلوين ، فالتلوين حينئذ يكون فى نفوسهم لا بها فى محل القلوب لموضع طهارتها وقدسها ، والتلوين الواقع فى النفوس لا يخرج ساحبه عن حالة التمكين ، لأن جريان التلوين فى النفس لبقاء رسم الإنسانية ، وثبوت القدم فى التمكين كشف حق الحقيقة ، وليس المعنى بالتمكين : أن لا يكون للعبد تغير فإنه بشر ، وإنما المعنى به : أن ما كوشف به من الحقيقة لا يتوارى عنه أبدا ولا يتناقص بل يزيد ، وصاحب التلوين قد يتناقص الشىء فى حقه عند ظهور صفات نفسه ، وتغيب عنه الحقيقة فى بعض الأحوال ، ويكون ثبوته على مستقر الإيمان وتلوينه فى زوائد الأحوال .

ومنها النفس : ويقال النفس للمنتهى ، والوقت للمبتدى ، والحال للمتوسط ، فكأنه إشارة منهم إلى أن المبتدئ يطرقه من الله تعالى طارق لا يستقر ، والمتوسط صاحب حال غالب حاله عليه ، والمنتهى صاحب نفس متمكن من الحال لا يتناوب عليه الحال بالغيبة والحضور ، بل تكون المواجيد مقرونة بأنفاسه مقيمة لا تتناوب عليه . وهذه كلها أحوال لأربابها ، ولهم منها ذوق وشرب ، والله ينفع ببركتهم آمين

الباب الثالث والستون : فى ذكر شىء من البدايات والنهايات وصحتها

حدثنا شيخنا شيخ الإسلام أبو النجيب السهروردى ، قال أخبرنا الشريف أبو طالب الحسين بن محمد الزينى ، قال أخبرتنا كريمة المروزية ، قالت أخبرنا أبو الهيثم محمد بن مكى الكشميهنى ، قال أخبرنا أبو عبدالله محمد بن يوسف الفربرى ، قال حدثنا أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخارى ، قال حدثنا الحميدى ، قال حدثنا سفيان بن عيينة ، قال حدثنا يحيى بن سعيد الأنصارى ، قال أخبرنى محمد بن إبراهيم التيمى أنه سمع علقمة بن وقاص ، قال : سمعت عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يقول على المنبر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » النية أول العمل ، وبحسبها يكون العمل ، وأهم ما للمريد فى ابتداء أمره فى طريق القوم : أن يدخل طريق الصوفية ويتزيا بزيهم ويجالس طائفتهم لله تعالى ، فإن دخوله فى طريقهم هجرة حاله

ووقاه ، وقد ورد « المهاجر من هجر مانهاه الله عنه » وقد قال الله تعالى ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ﴾ فالمريد ينبغى أن يخرج إلى طريق القوم لله تعالى ؛ فإنه إن وصل إلى نهايات القوم فقد لحق بالقوم بالمنزل ، وإن أدركه الموت قبل الوصول إلى نهايات القوم فأجره على الله ، وكل من كانت بدايته أحكم كانت نهايته أتم .

أخبرنا أبو زرعة إجازة عن ابن خلف عن أبى عبد الرحمن عن ابن أبى العباس البغدادى عن جعفر الخلدى قال : سمعت الجنيد يقول : أكثر العوائق والحوائل والموانع من فساد الابتداء ، فالمريد فى أول سلوك هذا الطريق يحتاج إلى إحكام النية ، وإحكام النية : تنزيهها من دواعى الهوى ، وكل ما كان للنفس فيه حظ عاجل ، حتى يكون خروجه خالصا لله تعالى .

وكتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز : اعلم يا عمر أن عون الله للعبد بقدر النية ، فمن تمت نيته تم عون الله له ، ومن قصرت عنه نيته قصر عنه عون الله بقدر ذلك .

وكتب بعض الصالحين إلى أخيه : أخلص النية فى أعمالك يكفك قليل من العمل ، ومن لم يهتد إلى النية بنفسه يصحب من يعلمه حسن النية .

قال سهل بن عبد الله التسترى : أول ما يؤمر به المريد المبتدئ : التبرى من الحركات المذمومة ، ثم النقل إلى الحركات المحمودة ، ثم التفرد لأمر الله تعالى ، ثم التوقف فى الرشاد ، ثم الثبات ، ثم البيان ، ثم القرب ، ثم المناجاة ، ثم المصافاة ثم الموالاة ؛ ويكون الرضا والتسليم مراده ، والتفويض والتوكل حاله ، ثم يمن الله تعالى بعد هذه بالمعرفة ، فيكون مقامه عند الله مقام المتبرئين من الحول والقوة ؛ وهذا مقام حملة العرش وليس بعده مقام . هذا من كلام سهل جمع فيه ما فى البداية والنهاية .

ومتى تمسك المريد بالصدق والإخلاص بلغ مبلغ الرجال ، ولا يحقق صدقه وإخلاصه شىء مثل متابعة أمر الشرع وقطع النظر عن الخلق ؛ فكل الآفات التى دخلت على أهل البدايات لموضع نظرهم إلى الخلق . وبلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يكمل إيمان المرء حتى يكون الناس عنده كالأباعر ثم يرجع إلى نفسه فيراها أصغر صاغر » إشارة إلى قطع النظر عن الخلق والخروج منهم وترك التقيد بعاداتهم .

قال أحمد بن خضرويه : من أحب أن يكون الله تعالى معه على كل حال فليلزم الصدق ، فإن الله تعالى مع الصادقين ، وقد ورد فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصدق يهدى إلى البر » ولابد للمريد من الخروج من المال والجاه والخروج عن الخلق بقطع النظر عنهم إلى أن يحكم أساسه فيعلم دقائق الهوى وخفايا شهوات النفس ، وأنفع شىء للمريد معرفة النفس ؛ ولا يقوم بواجب حق معرفة النفس من له فى الدنيا حاجة من طلب الفضول والزيادات ، أو عليه من الهوى بقية .

قال زيد بن أسلم : خصلتان هما كمال أمرك تصبح لا تهم لله بمعصية وتمسى ولا تهم لله بمعصية ؛ فإذا أحكم الزهد والتقوى انكشفت له النفس وخرجت من حجبها وعلم طريق حركتها وخفى شهواتها ودسائسها وتلبيساتها . ومن تمسك بالصدق فقد تمسك بالعروة الوثقى . قال ذو النون : لله تعالى فى أرضه سيف ما وضع على شىء إلا قطع وهو الصدق .

ونقل فى معنى الصدق : أن عابدا من بنى إسرائيل راودته ملكة عن نفسه فقال : اجعلوا لى ماء فى الخلاء أتنظف به ، ثم صعد على موضع فى القصر فرمى بنفسه ؛ فأوحى الله تعالى إلى ملك الهواء أن الزم عبدى ، فلزمه ووضعه على الأرض وضعا رفيقا ، فقيل لإبليس ألا أغويته . فقال ليس لى سلطان على من خالف هواه وبذل نفسه لله تعالى .

وينبغى للمريد أن تكون له فى كل شىء نية لله تعالى حتى فى أكله وشربه وملبوسه ، فلا يلبس إلا لله ولا يأكل إلا لله ولا يشرب إلا لله ولا ينام إلا لله ، لأن هذه كلها أرفاق أدخلها على النفس إذا كانت لله لا تستعصى النفس وتجيب إلى ما يراد منها من المعاملة لله والإخلاص ، وإذا دخل فى شىء من رفق النفس لا لله بغير نية صالحة صار ذلك وبالا

عليه . وقد ورد فى الخبر « من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك الأذفر ، ومن تطيب لغير الله عز وجل جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة » .

وقيل : كان أنس يقول : طيبوا كفى بمسك ، فإنّ ثابتا يصافحنى ويقبل يدى وقد كانوا يحسنون اللباس للصلاة متقربين بذلك إلى الله بنيتهم : فالمريد ينبغى أن يتفقد جميع أحواله وأعماله وأقواله ولا يسامح نفسه أن تتحرك بحركة أو تتكلم بكلمة إلا لله تعالى ، وقد رأينا من أصحاب شيخنا من كان ينوى عند كل لقمة ويقول بلسانه أيضا : آكل هذه اللقمة لله تعالى ، ولا ينفع القول إذا لم تكن النية فى القلب ؛ لأن النية عمل القلب ، وإنما اللسان ترجمان ؛ فما لم تشتمل عليه عزيمة القلب لله لا تكون نية .

ونادى رجل امرأته وكان يسرح شعره فقال : هاتى المدرى ، أراد المليل ليفرق شعره ، فقالت له امرأته : أجىء بالمدرى والمرآة ، فسكت ثم قال : نعم ، فقال له من سمعه : سكت وتوقفت عن المرآة ثم قلت نعم ؛ فقال : إنى قلت لها هات المدرى بنية ، فلما قالت : المرآة لم يكن لى فى المرآة نية ، فتوقفت حتى هيأ الله تعالى لى نية ، فقلت نعم ، وكل مبتدئ لا يحكم أساس بدايته بمهاجرة الآلاف والأصدقاء والمعارف ويتمسك بالوحدة لا تستقر بدايته . وقد قيل : من قلة الصدق كثرة الخلطاء ، وأنفع ماله لزوم الصمت وأن لا يطرق سمعه كلام الناس ؛ فإن باطنه يتغير ويتأثر بالأقوال المختلفة ، وكل من لا يعلم كمال زهده فى الدنيا وتمسكه بحقائق التقوى لا يعرفه أبدا ، فإن عدم معرفته يفتح عليه خيرا ، وبواطن أهل الابتداء كالشمع تقبل كل نقش ، وربما استضر المبتدئ بمجرد النظر إلى الناس ، ويستضر بفضول النظر أيضا وفضول المشى ، فيقف من الأشياء كلها على الضرورة ، فينظر ضرورة ؛ حتى لو مشى فى بعض الطريق يجتهد أن يكون نظره إلى الطريق الذى يسلكه لا يلتفت يمينه ويساره ، ثم يتقى موضع نظر الناس إليه وإحساسهم منه بالرعاية والاحتراز ؛ فإن علم الناس منه بذلك أضر عليه من فعله ، ولا يستحقر فضول المشى ، فإن كل شىء من قول وفعل ونظر وسماع خرج عن حد الضرورة جر إلى الفضول ، ثم يجر إلى تضييع الأصول .

قال سفيان : إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول ، فكل من لا يتمسك بالضرورة فى القول والفعل لا يقدر أن يقف على قدر الحاجة من الطعام والشراب والنوم ، ومتى تعدى الضرورة تداعت عزائم قلبه وانحلت شيئا بعد شىء

قال سهل بن عبدالله : من لم يعبد الله اختيارا يعبد الخلق اضطرارا ، وينفتح على العبد أبواب الرخص والاتساع ويهلك مع الهالكين .

ولا ينبغى للمبتدى أن يعرف أحدا من أرباب الدنيا ، فإن معرفته لهم سم قاتل . وقد ورد « الدنيا مبغوضة الله فمن تمسك بحبل منها قادته إلى النار » وما حبل من حبالها إلا كأبنائها ، والطالبين لها والمحبين ، فمن عرفهم انجذب إليها شاء أو أبى .

ويحترز المبتدئ عن مجالسة الفقراء الذين لا يقولون بقيام الليل وصيام النهار ، فانه يدخل عليه منهم أشر ما يدخل عليه بمجالسة أبناء الدنيا ، وربما يشيرون إلى أن الأعمال شغل المتعبدين ، وأن أرباب الأحوال ارتقوا عن ذلك ، وينبغى للفقير أن يقتصر على الفرائض وصوم رمضان فحسب ! ولا ينبغى أن يدخل هذا الكلام سمعه رأسا ، فإنا اختبرنا ومارسنا الأمور كلها وجالسنا الفقراء والصالحين ، ورأينا أن الذين يقولون هذا القول ويرون الفرائض دون الزيادات والنوافل تحت القصور مع كونهم أصحاء فى أحوالهم . فعلى العبد التمسك بكل فريضة وفضيلة ، فبذلك يثبت قدمه فى بدايته ، ويراعى يوم الجمعة خاصة ويجعله لله تعالى خالصا لا يمزجه بشىء من أحوال نفسه ومآربها ، ويبكر إلى الجامع قبل طلوع الشمس بعد الغسل للجمعة ، وإن اغتسل قريبا من وقت الصلاة إذا أمكنه ذلك فحسن ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أباهريرة اغتسل للجمعة ولو اشتريت الماء بعشائك ، وما من نبى إلا وقد أمره الله تعالى أن يغتسل للجمعة ، فإن غسل الجمعة كفارة للذنوب ما بين الجمعتين » ويشتغل بالصلاة والتضرع والدعاء والتلاوة وأنواع الأذكار من غير فتور إلى أن يصلى الجمعة ، ويجلس معتكفا فى الجامع إن أن يصلى فرض العصر وبقية النهار

يشغله بالتسبيح والاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : فإنه يرى بركة ذلك فى جميع الأسبوع حتى يرى ثمرة ذلك يوم الجمعة .

وقد كان من الصادقين من يضبط أحواله وأقواله وأفعاله جميع الأسبوع لأنه يوم المزيد لكل صادق ، ويكون ما يجده يوم الجمعة معيارا يعتبر به سائر الأسبوع الذى مضى ؛ فإنه إذا كان الأسبوع سليما يكون يوم الجمعة فيه مزيد الأنوار والبركات ، وما يجد فى يوم الجمعة من الظلمة وسآمة النفس وقلة الانشراح ، فلما ضيع فى الأسبوع يعرف ذلك ويعتبر .

ويتقى جدا أن يلبس للناس : اما المرتفع من الثياب أو ثياب المتقشفين ليرى بعين الزهد ؛ فى لبس المرتفع للناس هوى ، وفى لبس الخشن رياء ، فلا يلبس إلا لله .

بلغنا أن سفيان لبس القميص مقلوبا ولم يعلم بذلك حتى ارتفع النهار ونبهه على ذلك بعض الناس ، فهم أن يخلع ويغير ثم أمسك وقال : لبسته بنية لله فلا أغيره فألبسه بنية للناس ؛ فليعلم العبد ذلك وليعتبره .

ولا بد للمبتدئ أن يكون له حظ من تلاوة القرآن ومن حفظه ، فيحفظ من القرآن من السبع إلى الجميع إلى أقل أو أكثر كيف أمكن ، ولا يصغى إلى قول من يقول : ملازمة ذكر واحد أفضل من تلاوة القرآن ؛ فإنه يجد بتلاوة القرآن فى الصلاة وفى غير الصلاة جميع ما يتمنى بتوفيق الله تعالى . وإنما اختار بعض المشايخ يديم المريد ذكرا واحدا ليجتمع الهم فيه ، ومن لازم التلاوة فى الخلوة وتمسك بالوحدة تفيده التلاوة والصلاة أوفى ما يفيده الذكر الواحد ؛ فإذا سئم فى بعض الأحايين يصانع النفس على الذكر مصانعة ، وينزل من التلاوة إلى الذكر فإنه أخف على النفس .

وينبغى أن يعلم أن الاعتبار بالقلب ، فكل عمل من تلاوة وصلاة وذكر لا يجمع فيه بين القلب واللسان لا يعتد به كل الاعتداد ؛ فإنه عمل ناقص .

ولا يحقر الوساوس وحديث النفس فإنه مضروداء عضال ؛ فيطالب نفسه أن تصير فى تلاوته معنى القرآن مكان حديث النفس من باطنه ، فكما أن التلاوة على اللسان هو مشغول بها ولا يمزجها بكلام آخر ، هكذا يكون معنى القرآن فى القلب لا يمزجه بحديث النفس ، وإن كان أعجميا لا يعلم معنى القرآن يكون لمراقبة حلية باطنه ، فيشغل باطنه بمطالعة نظر الله إليه مكان حديث النفس ؛ فإن بالدوام على ذلك يصير من أرباب المشاهدة .

قال مالك : قلوب الصديقين إذا سمعت القرآن طربت إلى الآخرة ، فليتمسك المريد بهذه الأصول ، وليستعن بدوام الافتقار إلى الله ، فبذلك ثبات قدمه .

قال سهل : على قدر لزوم الالتجاء والافتقار إلى الله تعالى يعرف البلاء ، وعلى قدر معرفته بالبلاء يكون افتقاره إلى الله ، فدوام الافتقار إلى الله أصل كل خير ومفتاح كل علم دقيق فى طريق القوم ، وهذا الافتقار مع كل الأنفاس لا يتشبث بحركة ولا يستقل بكلمة دون الافتقار إلى الله فيها ، وكل كلمة وحركة خلت عن مراجعة الله والافتقار فيها لا تعقب خيرا قطعا ، علمنا ذلك وتحققناه .

وقال سهل : من انتقل من نفس إلى نفس من غير ذكر فقد ضيع حاله ، وأدنى ما يدخل على من ضيع حاله دخوله فيما لا يعنيه وتركه ما يعنيه .

وبلغنا أن حسان بن سنان قال ذات يوم : لمن هذه الدار ؟ ثم رجع إلى نفسه وقال : مالى وهذا السؤال ؟ وهل هذه إلا كلمة لا تعنينى ؟ وهل هذا إلا لاستيلاء نفسى وقلة أدبها ! وآلى على نفسه أن يصوم سنة كفارة لهذه الكلمة ، فبالصدق نالوا ما نالوا ، وبقوة العزائم - عزائم الرجال - بلغوا ما بلغوا .

أخبرنا أبو زرعة إجازة ، قال أخبرنا أبو بكر بن خلف ، قال أخبرنا أبو عبد الرحمن ، قال سمعت منصورا يقول : سمعت أبا عمرو الأنماطى يقول : سمعت الجنيد يقول : لو أقبل صادق على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة لكان

مافاته من الله أكثر مما ناله ، وهذه الجملة يحتاج المبتدئ أن يحكمها ، والمنتهى عالم بها عالم بحقائقها ؛ فالمبتدئ صادق والمنتهى صديق .

قال أبو سعيد القرشي : الصادق الذى ظاهره مستقيم وباطنه يميل أحيانا إلى حظ النفس ، وعلامته أن يجد الحلاوة فى بعض الطاعة ولا يجدها فى بعض ، وإذا اشتغل بالذكر نور الروح ، وإذا اشتغل بحظوظ النفس يحجب عن الأذكار . والصديق : الذى استقام ظاهره وباطنه يعبد الله تعالى بتلوين الأحوال ، لا يحجبه عن الله وعن الأذكار أكل ولا نوم ولا شرب ولا طعام ، والصديق يريد نفسه لله . وأقرب الأحوال إلى النبوة الصديقية .

وقال أبو يزيد : آخر نهايات الصديقين أول درجة الأنبياء .

واعلم أن أرباب النهايات استقامت بواطنهم وظواهرهم لله ، وأرواحهم خلصت عن ظلمات النفس ووطئت بساط القرب ، ونفوسهم منقادة مطواعة صالحة مع القلوب مجيبة إلى كل ما تجيب إليه القلوب ، أرواحهم متعلقة بالمقام الأعلى ، انطفأت فيهم نيران الهوى ، وتخمر فى بواطنهم صريح العلم وانكشفت لهم الآخرة ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حق أبى بكر رضى الله عنه « من أراد أن ينظر إلى ميت يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى أبى بكر » إشارة منه عليه الصلاة والسلام إلى ما كوشف به من صريح العلم الذى لا يصل إليه عوام المؤمنين إلا بعد الموت حيث يقال ﴿ فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾ فأرباب النهايات ماتت أهويتهم وخلصت أرواحهم .

قال يحيى بن معاذ ـ وقد سئل عن وصف العارف ؛ فقال : رجل معهم بأن منهم وقال مرة : عبد كان فبان .

فأرباب النهايات هم عند الله بحقيقتهم معوقين بتوقيت الأجل ، جعلهم الله تعالى من جنوده فى خلقه ، بهم يهدى وبهم يرشد وبهم يجذب أهل الإرادة ، كلامهم دواء ونظرهم دواء ، ظاهرهم محفوظ بالحكم ، وباطنهم معمور بالعلم .

قال ذو النون : علامة العارف ثلاثة : لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ، ولا يعتقد باطنا من العلم ينقض عليه ظاهرا من الحكم ، ولا يحمله كثرة نعم الله وكرامته على هتك أستار محارم الله ؛ فأرباب النهايات كلما ازدادوا نعمة ازدادوا عبودية ، وكلما ازدادوا دنيا ازدادوا قربا ، وكلما ازدادوا جاها ورفعة ازدادوا تواضعا وذلة ﴿ أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ وكلما تناولوا شهوة من شهوات النفوس استخرجت منهم شكرا صافيا ، يتناولون الشهوات تارة رفقا بالنفوس لأنها معهم كالطفل الذى يلطف بالشىء ويهدى له شىء ؛ لأنه مقهور تحت السياسة مرحوم ملطوف به . وتارة يمنعون نفوسهم الشهوات تأسيا بالأنبياء واختيارهم التقلل من الشهوات الدنيوية .

قال يحيى بن معاذ : الدنيا عروس تطليها ما شطتها ، والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها ، والعارف بالله مشتغل بسيده ولا يلتفت إليها .

واعلم أن المنتهى مع كمال حاله لا يستغنى أيضا عن سياسة النفس ومنعها الشهوات وأخذ الحظ من زيادة الصيام والقيام وأنواع البر ، وقد غلط فى هذا خلق ، وظنوا أن المنتهى استغنى عن الزيادات والنوافل ولا على قلبه من الاسترسال فى تناول الملاذ والشهوات ، وهذا خطأ لا من حيث إنه يحجب العارف عن معرفته ، ولكن يوقف عن مقام المزيد . وقوم لما رأوا أن هذه الأشياء لا تؤثر فيهم قسوة ولا تورثهم حجبة ركنوا إليها واسترسلوا فيها وقنعوا بأداء الفرائض واتسعوا فى المأكل والمشرب ، وهذا الانبساط منهم بقية من سكر الأحوال ، وتقيد بنور الحال ، وعدم التخلص بالكلية إلى نور الحق ، ومن تخلص من نور الحال إلى نور الحق يذهب عنه بقايا السكر ويوقف نفسه مقام العبيد ، كأحد عوام المؤمنين يتقرب بالصلاة والصوم وأنواع البر حتى بإماطة الأذى عن الطريق ، ولا يستكبر ولا يستنكف أن يعود فى صور عوام المؤمنين من إظهار الإرادة بكل بر وصلة ، فيتناول الشهوات وقتا رفقا بالنفس المطهرة المزكاة المنقادة المطواعة لأنها أسيرته ، ويمنعها الشهوات وقتا لأن فى ذلك صلاحها ، واعتبر هذا سواء بحال الصبى ، فإنه إن جاوز حد الاعتدال من إعطاء المراد وقتا ومنعه وقتا انفسد طبعه ، لأن الجبلة لا بد من قمعها بسياسة العلم ، وما دامت الجبلة باقية لا بد من سياسة العلم ، وهذا باب غامض دخل فى النهايات على المنتهى من ذلك دواخل ووقع الركون والسد

به باب المزيد ؛ فالمنتهى ملك ناصية الاختيار فى الأخذ والترك ، ولا بد له من أخذ وترك فى الأعمال والحظوظ ؛ ففى الأعمال لابد له من أخذ وترك ، فتارة يأتى بالأعمال كآحاد الصادقين ، وتارة يترك زيادة الأعمال رفقا بالنفس ، وتارة يأخذ الحظوظ والشهوات رفقا بالنفس ، وتارة يتركها افتقاداً للنفس بحسن السياسة ، فيكون فى ذلك كله مختارا ؛ فمن ساكن ترك الحظوظ بالكلية ؛ فهو زاهد تارك بالكلية . ومن استرسل فى أخذها فهو راغب بالكلية . والمنتهى شمل الطرفين ، فإنه على غاية الاعتدال ، واقف على الصراط بين الإفراط والتفريط ، فمن ردت إليه الأقسام فى النهاية فأخذها زاهدا فى الزهد فهو تحت قهر الحال من ترك الاختيار ، وتارك الاختيار الواقف مع فعل الله تعالى مقيد بالحال . وكما أن الزاهد مقيد بالترك تارك الاختيار ، فكذلك الزاهد فى الزهد الآخذ من الدنيا ما سيق إليه لرؤيته فعل الله مقيدا بالأخذ ، وإذا استقرت النهاية لا يتقيد بالأخذ ولا بالترك بل يترك وقتا واختياره من اختيار الله ، ويأخذ وقتا واختياره من اختيار الله ، وهكذا صومه النافلة وصلاته النافلة يأتى بها وقتا ويسمح للنفس وقتا ، لأنه مختار صحيح فى الاختيار فى الحالين ، وهذا هو الصحيح ونهاية النهاية ، وكل حال يستقر ويستقيم يشاكل حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهكذا كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يقوم من الليل ولا يقوم الليل كله ، ويصوم من الشهر ولا يصوم الشهر كله غير رمضان ويتناول الشهوات . ولما قال الرجل إنى عزمت أن لا آكل اللحم ، قال : فإنى آكل اللحم وأحبه ، ولو سألت ربى أن يطعمنى كل يوم لأطعمنى . وذلك يدلك على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مختارا فى ذلك ، إن شاء أكل وإن شاء لم يأكل ، وكان يترك الأكل اختيارا ، وقد دخلت الفتنة على قوم كلما قيل لهم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كذا يقولون : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشرعا ، وهذا إذا قالوه على معنى أنه لا يلزمهم التأسى به جهل محض ؛ فإن الرخصة الوقوف على حد قوله ، والعزيمة التأسى بفعله . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأرباب الرخص وفعله لأرباب العزائم ، ثم إن المنتهى يحاكى حاله حال رسول الله عليه الصلاة والسلام فى دعاء الخلق إلى الحق ، فكل ما كان يعتمده رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبغى أن يعتمده ، فكان قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيامه الزائد لا يخلو : إما أنه كان ليقتدى به ، وإما أنه كان لمزيد كان يجده بذلك ، فإن كان ليقتدى به فالمنتهى أيضا مقتدى به ينبغى أن يأتى بمثل ذلك ، والصحيح الحق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك لمجرد الاقتداء ، بل كان يجد بذلك زيادة ، وهو ما ذكرناه من تهذيب الجبلة . قال الله تعالى خطابا له ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ لأنه بذلك ازداد استمداداً من الحضرة الإلهية وقرع باب الكرم ، والنبى عليه الصلاة والسلام مفتقر إلى الزيادة من الله تعالى غير مستغن عن ذلك ، ثم فى ذلك سر غريب : وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم برابطة جنسية النفس كان يدعو الخلق إلى الحق ، ولولا رابطة الجنسية ما وصلوا إليه ولا انتفعوا به ، وبين نفسه الطاهرة ونفوس الأتباع رابطة التأليف كما بين روحه وأرواحهم رابطة التأليف ، ورابطة التأليف : أن النفوس ألفت آنفا ، كما أن الأرواح ألفت أولا . ولكل روح مع نفسه تأليف خاص ، والسكون والتأليف والامتزاج واقع بين الأرواح والنفوس . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم العمل لتصفية نفسه ونفوس الأتباع ، فما احتاج إليه نفسه من ذلك ناله ، وما فضل من ذلك وصل إلى نفوس الأمة ، وهكذا المنتهى مع الأصحاب والأتباع على هذا المعنى ، فلا يتخلف عن الزيادات والنوافل ، ولا يسترسل فى الشهوات واللذات إلا بدلالة نفس النفس ، ولا يعطى الاعتدال حقه من ذلك إلا بتأييد الله تعالى ونور الحكمة ، وكل من يحتاج إلى صحة الجلوة للغير لابد له من خلوة صحيحة بالحق ، حتى تكون جلوته فى حماية خلوته .

ومن يتراءى له أن أوقاته كلها خلوة وأنه لا يحجبه شىء وأن أوقاته بالله ولله ولا يرى نقصانا لأن الله ما فطنه لحقيقة المزيد ، فهو صحيح فى حاله ، غير أنه تحت قصور ، لأنه ما نبه لسياسة الجبلة ، وما عرف سر تمليك الاختيار ، ما وقف من البيان على البيضاء النقية . وقد نقلت عن المشايخ كلمات فيها موضع الاشتباه ، فقد يسمعها الإنسان ويبنى عليها ، والأولى أن يفتقر إلى الله تعالى فى أى كلمة يسمعها حتى يسمعه الله من ذلك الصواب .

نقل عن بعضهم أنه سئل عن كمال المعرفة فقال : إذا اجتمعت المتفرقات ، واستوت الأحوال والأماكن ، وسقطت

رؤية التمييز . ومثل هذا القول يوهم أن لا يبقى تمييز بين الخلوة والجلوة وبين القيام بصور الأعمال وبين تركها ، ولم يفهم منه أن القائل أراد بذلك معنى خاصا ، يعنى أن حظ المعرفة لا يتغير بحال من الأحوال ، وهذا صحيح ، لأن حظ المعرفة لا يتغير ولا يفتقر إلى التمييز وتستوى الأحوال فيه ، ولكن حظ المريد يتغير ويحتاج إلى التمييز ، وليس فى هذا الكلام وأمثاله ما ينافى ما ذكرناه .

قيل لمحمد بن الفضل : حاجة العارفين إلى ماذا ؟ قال : حاجتهم إلى الخصلة التى كملت بها المحاسن كلها ألا وهى الاستقامة ، وكل من كان أتم معرفة كان أتم استقامة ؛ فاستقامة أرباب النهاية على التمام ، والعبد فى الابتداء مأخوذ فى الأعمال محجوب بها عن الأحوال . وفى التوسط محفوظ بالأحوال فقد يحجب عن الأعمال . وفى النهاية لا تحجبه الأعمال عن الأحوال ولا الأحوال عن الأعمال ، وذلك هو الفضل العظيم .

سئل الجنيد عن النهاية فقال : هى الرجوع إلى البداية ، وقد فسر بعضهم قول الجنيد فقال : معناه أنه كان فى ابتداء أمره فى جهل ، ثم وصل إلى المعرفة ، ثم رد إلى التحير والجهل ، وهو كالطفولية : يكون جهل ثم علم ثم جهل . قال الله تعالى ﴿ لكيلا يعلم بعد علم شيئا ﴾ .

وقال بعضهم : أعرف الخلق بالله أشدهم تحيرا فيه . ويجوز أن يكون معنى ذلك ما ذكرناه أنه يبادئ الأعمال ، ثم يرقى إلى الأحوال ، ثم يجمع له بين الأعمال والأحوال ، وهذا يكون للمنتهى المراد المأخوذ فى طريق المحبوبين تنجذب روحه إلى الحضرة الإلهية وتستتبع القلب ، والقلب يستتبع النفس ، والنفس تستتبع القالب ، فيكون بكليته قائما بالله ساجدا بين يدى الله تعالى ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سجد لك سوادى وخيالى » وقال الله تعالى ﴿ ولله يسجد من السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال ﴾ والظلال القوالب تسجد بسجود الأرواح وعند ذلك تسرى روح المحبة فى جميع أجزائهم وأبعاضهم . فيتلذذون ويتنعمون بذكر الله تعالى وتلاوة كلامه محبة وودا ، فيحبهم الله تعالى ويحببهم إلى خلقه نعمة منه عليهم وفضلا ، على ما أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى رحمه الله قال أخبرنا أبو طالب الزينى ، قال أخبرتنا كريمة المروزية ، قال أخبرنا أبو الهيثم الكشميهنى ، قال أخبرنا أبو عبد الله الفربرى ، قال أخبرنا أبو عبد الله البخارى ، قال حدثنى إسحق ، قال حدثنا عبد الصمد ، قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل : إن الله تعالى قد أحب فلانا فأحبه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادى جبريل فى السماء : إن الله قد أحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ويوضع له القبول فى الأرض » وبالله العون والعصمة والتوفيق .

تم بحمد الله المعيد المبدى

كتاب عوارف المعارف للإمام السروردى

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فهرس

ملحق كتاب علوم الدين

صحيفة

كتاب تعريف الأحياء بفضائل الإحياء

٢ خطبة الكتاب

المقدّمة فى عنوان الكتاب

٣ المقصد فى فضل الكتاب وبعض المدائح والثناء من الأكابر عليه والجواب عما استشكل منه وطعن بسببه فيه

٤ فصل فيمن أثنى على الإحياء من العلماء الأعلام

٧ فصل بيان المواضع التى استشكل فيها على الإحياء والجواب عنها

٨ خاتمة فى الاشارة إلى ترجمة الإمام الغزالى وسبب رجوعه إلى طريقة الصوفية رضي الله عنهم

كتاب الإملاء فى إشكالات الإحياء

١٣ خطبة الكتاب

١٤ ذكر مراسم الأسئلة فى المثل

١٥ مقدمة فى الألفاظ المستعملة

١٨ وصية لطالب العلوم والناظر فى التصانيف والمستشرف على كلام الناس وكتب الحكمة

١٩ ابتداء الأجوبة عن مراسم الأسئلة

٢١ بيان مقام أهل النطق المجرد وتمييز فرقهم

٢٢ فصل فى بيان اللفظ المنبئ عن التوحيد

فصل فان قلت فما الذى صد هؤلاء الأصناف الثلاثة من أهل النطق عن النظر، والبحث حتى تعلموا، أو عن الاعتقاد حتى تخلصوا من عذاب الله الخ

٢٤ بيان أصناف أهل الاعتقاد المجرد

صحيفة

٢٦ فصل فى بيان أصناف أهل الاعتقاد

٢٧ فصل لما كان الاعتقاد المجرد عن العلم بصحته ضعيفا وتفرده عن المعرفة قريبا الخ

بيان أرباب المرتبة الثالثة وهو توحيد المقربين

٣٠ بيان المرتبة الرابعة وهو توحيد الصديقين

٣١ فصل فى معنى إفشاء سر الربوبية كفر وغير ذلك

٣٣ فصل فى معنى قاطع الطريق

فصل فى معنى فاستمع لما يوحي

٣٥ فصل فى معنى ولا يتخطى رقاب الصديقين

فصل فى معنى انصراف السالك الناظر بعد وصوله إلى ذلك الرفيق الأعلى

فصل فى معنى ليس فى الإمكان أبدع من صورة هذا العالم الخ

٣٦ فصل فى بيان أن خطاب العقلاء للجمادات غير مستنكر

٣٨ فصل فى الفرق بين العلم المحسوس فى عالم الملك وبين العلم الإلهي فى عالم الملكوت

فصل فى حدّ عالم الملك

فصل فى معنى إن الله خلق آدم على صورته

٣٩ سؤال فى بيان معنى قول سهل رحمه الله للالهية سرّ لو انكشف لبطلت النبوّات وللنبوات سر لو انكشف لبطل العلم، وللعلم سر لو انكشف بطلت الأحكام

٤٠ فصل فى حكم هذه العلوم المكتوبة فى الطلب، وسلوك هذه المقامات، ورفق هذه الدرجات، واستفهام هذه المخاطبات

صحيفة

٤٠ فصل لأى شيء ذكرت هذه العلوم بالإشارات دون العبارات ، وبالرموز دون التصريحات ، وبالمتشابه من الألفاظ دون المحكمات

كتاب عوارف المعارف

٤٢ خطبة الكتاب

٤٤ الباب الاول فى ذكر منشأ علوم الصوفية

٤٧ الباب الثانى فى تخصيص الصوفية بحسن الاستماع

٥٢ الباب الثالث فى بيان فضيلة علوم الصوفية والإشارات إلى أنموذج منها

٥٩ الباب الرابع فى شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم

٦٢ الباب الخامس فى ماهية التصوف

٦٤ الباب السادس فى ذكر تسميتهم بهذا الاسم

٦٧ الباب السابع فى ذكر المتصوف والمتشبه به

٦٩ الباب الثامن فى ذكر الملامتى وشرح حاله

٧١ الباب التاسع فى ذكر من انتمى إلى الصوفية وليس منهم

٧٣ الباب العاشر فى شرح رتبة المشيخة

٧٦ الباب الحادى عشر فى شرح حال الخادم ومن يتشبه به

٧٨ الباب الثانى عشر فى شرح خرقة الصوفية

٨١ الباب الثالث عشر فى فضيلة سكان الرباط

٨٢ الباب الرابع عشر فى مشابهة أهل الرباط بأهل الصفة

٨٤ الباب الخامس عشر فى خصائص أهل الربط والصوفية فيما يختصون به

٨٧ الباب السادس عشر فى ذكر اختلاف أحوال مشايخهم فى السفر والمقام

٩١ الباب السابع عشر فيما يحتاج إليه الصوفى فى سفره من الفرائض والفضائل

صحيفة

٩٤ الباب الثامن عشر فى القدوم من السفر ودخول الرباط والأدب فيه

٩٧ الباب التاسع عشر فى حال الصوفى المتسبب

١٠٠ الباب العشرون فى ذكر من يأكل من الفتوح

١٠٤ الباب الحادى والعشرون فى شرح حال المتجرد والمتأهل من الصوفية وصحة مقاصدهم

١٠٨ الباب الثانى والعشرون فى القول فى السماع

١١٤ الباب الثالث والعشرون فى القول فى السماع ردا وإنكارا

١١٥ الباب الرابع والعشرون فى القول فى السماع ترفعا واستغناء

١١٨ الباب الخامس والعشرون فى القول فى السماع تأدبا واعتناء

١٢١ الباب السادس والعشرون فى خاصية الأربعينية التى يتعاهدها الصوفية

١٢٣ الباب السابع والعشرون فى ذكر فتوح الأربعينية

١٢٧ الباب الثامن والعشرون كيفية الدخول فى الأربعينية

١٣٠ الباب التاسع والعشرون أخلاق الصوفية

١٣٤ الباب الثلاثون فى تفاصيل أخلاق الصوفية

١٤٩ الباب الحادى والثلاثون فى ذكر الأدب ومكانه من التصوف

١٥١ الباب الثانى والثلاثون فى آداب الحضرة الإلهية لأهل القرب

١٥٤ الباب الثالث والثلاثون فى آداب الطهارة ومقدماتها

١٥٥ الباب الرابع والثلاثون فى آداب الوضوء وأسراره

١٥٧ سنن الوضوء ثلاثة عشر

الباب الخامس والثلاثون فى آداب أهل

صحيفة

الخصوص والصوفية فى الوضوء
١٥٩ الباب السادس والثلاثون فى فضيلة الصلاة وكبر شأنها
١٦١ الباب السابع والثلاثون فى وصف صلاة أهل القرب
١٦٦ الباب الثامن والثلاثون فى ذكر آداب الصلاة وأسرارها
١٦٩ الباب التاسع والثلاثون فى فضل الصوم وحسن أثره
١٧٠ الباب الاربعون فى اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والافطار
١٧٢ الباب الحادى والاربعون فى آداب الصوم ومهامه
٧٤ الباب الثانى والاربعون فى ذكر الطعام وما فيه من المصلحة والمفسدة
١٧٦ الباب الثالث والاربعون فى آداب الاكل
١٧٨ الباب الرابع والاربعون ذكر أدبهم فى اللباس وثيابهم ومقاصدهم فيه
١٨٢ الباب الخامس والاربعون فى ذكر فضل قيام الليل
١٨٣ الباب السادس والاربعون فى ذكر الاسباب المعينة على قيام الليل وأدب النوم
١٨٥ الباب السابع والاربعون فى أدب الانتباه من النوم والعمل بالليل
١٨٧ الباب الثامن والاربعون فى تقسيم قيام الليل
١٨٩ الباب التاسع والاربعون فى استقبال النهار والادب فيه والعمل
١٩٣ الباب الخمسون فى ذكر العمل فى جميع

صحيفة

النهار وتوزيع الاوقات
١٩٨ الباب الحادى والخمسون فى آداب المريد مع الشيخ
٢٠٣ الباب الثانى والخمسون فى آداب الشيخ وما يعتمده مع الاصحاب والتلامذة
٢٠٦ الباب الثالث والخمسون فى حقيقة الصحبة ومافيها من الخير والشر
٢٠٩ الباب الرابع والخمسون فى أداء حقوق الصحبة والاخوة فى الله تعالى
٢١٢ الباب الخامس والخمسون فى آداب الصحبة والاخوة
٢١٤ الباب السادس والخمسون فى معرفة الإنسان نفسه ومكاشفات الصوفية من ذلك
٢٢١ الباب السابع والخمسون فى معرفة الخواطر وتفصيلها وتمييزها
٢٢٥ الباب الثامن والخمسون فى شرح الحال والمقام والفرق بينهما
٢٢٧ الباب التاسع والخمسون فى الإشارات إلى المقامات على الاختصار والإيجاز
١٣١ الباب الستون فى ذكر إشارات المشايخ فى المقامات على الترتيب
٢٣٩ الباب الحادى والستون فى ذكر الاحوال وشرحها
٢٤٨ الباب الثانى والستون فى شرح كلمات مشيرة إلى بعض الاحوال فى اصطلاح الصوفية
٢٥١ الباب الثالث والستون فى ذكر شيء من البدايات والنهايات وصحتها

كتاب الشعب

إحياء علوم الدين

للإمام أبي حامد الغزالي

الجزء الأول

دار الشعب
٩٢ شارع قصر العيني - القاهرة ت ٣١٨١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أحمد الله أوّلاً ، حمداً كثيراً متواليًا ، وإن كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين . وأصلي وأسلم على رسله ثانياً، صلاة تستغرق مع سيد البشر سائرَ المرسلين . وأستخيره تعالي ثالثاً فيما انبعث له عزمى من تحرير كتاب فى إحياء علوم الدين . وأنتدب لقطع تعجبك رابعًا أيها العاذل المتغالي فى العذل من بين زمرة الجاحدين، المسرف فى التقريع والإنكار من بين طبقات المنكرين الغافلين

فلقد حلّ عن لسانى عقدة الصمت ، وطوقنى عهدة الكلام وقلادة النطق، ما أنت مثابر عليه من العمي عن جلية الحق ، مع اللجاج فى نصرة الباطل وتحسين الجهل ، والتشغيب على من آثر النزوع قليلا عن مراسم الخلق ، ومال ميلا يسيراً عن ملازمة الرسم ، إلي العمل بمقتضى العلم : طمعاً فى نيل ما تعبّده الله تعالي به من تزكية النفس وإصلاح القلب ؛ وتداركا لبعض مافرط من إضاعة العمر يأساً من تمام التلافى والجبر ، وانحيازاً عن غمار من قال فيهم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أحيا علوم الدين فأينعت بعد اضمحلالها ، وأعيا فهوم الملحدين عن دركها فرجعت بكلالها . أحمده وأستبكين له من مظالم أنقضت الظهور بأثقالها ، وأعبده وأستعين به لعظام الأمور وعضالها . وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له شهادة وافية بحصول الدرجات وظلالها ، واقية من حلول الدركات وأهوالها . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أطلع به فجر الايمان من ظلمة القلوب وضلالها ، وأسمع به وقر الآذان وجلا به رين القلوب بصقالها . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم صلاة لا قاطع لاتصالها .

(وبعد) فلما وفق الله تعالى لاكمال الكلام على أحاديث إحياء علوم الدين فى سنة إحدى وخمسين «*» تعذر الوقوف على بعض أحاديثه ، فأخرت تبييضه الى سنة ستين ، فظفرت بكثير مما عزب عنى علمه ، ثم شرعت فى تبييضه فى مصنف متوسط حجمه ، وأنا مع ذلك متباطئ فى إكماله غير متعرض لتركه وإهماله . إلى أن ظفرت بأكثر ما كنت لم أقف عليه ، وتكرر السؤال من جماعة فى إكماله، فأجبت وبادرت إليه ، ولكنى اختصرته فى غاية الاختصار ، ليسهل تحصيله وحمله فى الأسفار . فاقتصرت فيه علي ذكر طرف الحديث وصحابيه ومخرجه وبيان

«*» أى بعد السبعمائة ، وكان رحمه الله إذ ذاك فى السابعة والعشرين من عمره. اهـ مصححه

صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه[1]: « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِعِلْمِهِ »

ولعمرى إنه لا سبب لإصرارك على التكبر إلا الداء الذى عم الجم الغفير ؛ بل شمل الجماهير ، من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر ، والجهل بأن الأمر إدّ ، والخطب جد ، والآخرة مقبلة، والدنيا مدبرة، والأجل قريب ، والسفر بعيد ، والزاد طفيف والخطر عظيم ، والطريق سد ، وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير رد ، وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد

فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ؛ وقد شغر منهم الزمان ولم يبق إلا المترسمون ، وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان ، واستغواهم الطغيان ، وأصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفا ؛ فصار يرى المعروف منكراً والمنكر معروفا، حتي ظل علم الدين مندرساً، ومنار الهدى فى أقطار الأرض منطمساً . ولقد خيلوا إلى الخلق أن لا علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام ، عند تهاوش الطغام ؛ أو جدل يتدرع به طالب المباهاة إلى الغلبة والإفحام؛ أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام ؛ إذ لم يروا ماسوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام ، وشبكة للحطام

فأما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح ، مما سماه الله سبحانه فى كتابه فقهاً

صحته أو حسنه أو ضعف مخرجه ، فان ذلك هو المقصود الأعظم عند أبناء الآخرة ، بل وعند كثير من المحدثين عند المذاكرة والمناظرة ، وأبين ما ليس له أصل فى كتب الأصول . والله أسأل أن ينفع به إنه خير مسئول .

فان كان الحديث فى الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه اليه ، وإلا عزوته إلى من خرجه من بقية الستة ، وحيث كان فى أحد الستة لم أعزه إلى غيرها إلا لغرض صحيح ، بأن يكون فى كتاب التزم مخرجه الصحة ، أو يكون أقرب إلى لفظه فى الاحياء . وحيث كرر المصنف ذكر الحديث فان كان فى باب واحد منه اكتفيت بذكره أول مرة ، وربما ذكرته فيه ثانياً وثالثا لغرض أو لذهول عن كونه تقدم ، وإن كرره فى باب آخر ذكرته ونبهت على أنه قد تقدم ، وربما لم أنبه على تقدمه لذهول عنه . وحيث عزوت الحديث لمن خرجه من الأئمة فلا أريد ذلك اللفظ بعينه ، بل قد يكون بلفظه ، وقد يكون بمعناه أو باختلاف على قاعدة المستخرجات . وحيث لم أجد ذلك الحديث ذكرت ما يغني عنه غالباً ، وربما لم أذكره .

وسميته « المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار ، فى تخريج ما فى الاحياء من الأخبار » جعله الله خالصاً لوجهه الكريم ، ووسيلة إلى النعيم المقيم .

أحاديث الخطبة

(١) حديث أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه : الطبرانى فى الصغير والبيهقى فى شعب الايمان من حديث أبى هريرة باسناد ضعيف

وحكمة، وعلما وضياء ونوراً، وهداية ورشداً، فقد أصبح من بين الخلق مطويا؛ وصار نسياً منسياً

ولما كان هذا ثلما فى الدين ملمًّا، وخطباً مدلهما، رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما، إحياءً لعلوم الدين، وكشفاً عن مناهج الأئمة المتقدمين، وإيضاحا لمناهي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين

وقد أسسته على أربعة أرباع، وهى : ربع العبادات، وربع العادات، وربع المهلكات، وربع المنجيات. وصدّرت الجملة بكتاب العلم لأنه غاية المهم، لأكشف أولاً عن العلم الذى تعبد الله على لسان رسوله صلي الله عليه وسلم الأعيان بطلبه، إذ قال رسول الله صلي الله عليه وسلم[1] طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» وأميز فيه العلم النافع من الضار، إذ قال صلى الله عليه وسلم: «نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ» وأحقق ميل أهل العصر عن شاكلة الصواب، وانخداعهم بلامع السراب، واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب

ويشتمل ربع العبادات على عشرة كتب :

كتاب العلم، وكتاب قواعد العقائد، وكتاب أسرار الطهارة، وكتاب أسرار الصلاة وكتاب أسرار الزكاة، وكتاب أسرار الصيام، وكتاب أسرار الحج، وكتاب آداب تلاوة القرءان، وكتاب الأذكار والدعوات، وكتاب ترتيب الأوراد فى الأوقات

وأما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب :

كتاب آداب الأكل، وكتاب آداب النكاح، وكتاب أحكام الكسب، وكتاب الحلال والحرام، وكتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق، وكتاب العزلة، وكتاب آداب السفر، وكتاب السماع والوجد، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة

وأما ربع المهلكات فيشتمل علي عشرة كتب :

كتاب شرح عجائب القلب، وكتاب رياضة النفس؛ وكتاب آفات الشهوتين: شهوة البطن؛ وشهوة الفرج، وكتاب آفات اللسان، وكتاب آفات الغضب والحقد، والحسد

---

(١) حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم : ابن ماجه من حديث أنس وضعفه احمد والبيهقي وغيرهما

(٢) حديث نعوذ بالله من علم لاينفع : ابن ماجه من حديث جابر باسناد حسن

وكتاب ذم الدنيا ، وكتاب ذم المال والبخل ، وكتاب ذم الجاه والرياء ، وكتاب ذم الكبر ، والعجب ، وكتاب ذم الغرور

وأما ربع المنجيات ، فيشتمل علي عشرة كتب :

كتاب التوبة ، وكتاب الصبر والشكر ، وكتاب الخوف والرجاء ، وكتاب الفقر والزهد ، وكتاب التوحيد والتوكل ، وكتاب المحبة والشوق والأنس والرضا ، وكتاب النية والصدق والإخلاص ، وكتاب المراقبة والمحاسبة ، وكتاب التفكر ، وكتاب ذكر الموت

فأما ربع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها ، ودقائق سننها ، وأسرار معانيها ، مايضطر العالم العامل اليه ، بل لا يكون من علماء الآخرة من لايطلع عليه . وأكثر ذلك مما أهمل فى فن الفقهيات

وأما ربع العادات ، فأذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق ، وأغوارها ، ودقائق سننها ، وخفايا الورع فى مجاريها ، وهى مما لا يستغنى عنها متدين

وأما ربع المهلكات ، فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرءان بإماطتِه وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه ، وأذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حده وحقيقته ، ثم أذكر سببه الذى منه يتولد ، ثم الآفات التى عليها تترتب ، ثم العلامات التي بها تتعرف ، ثم طرق المعالجة التى بها منها يتخلص . كل ذلك مقروناً بشواهد الآيات والأخبار والآثار

وأما ربع المنجيات ، فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين ، التي بها يتقرب العبد من رب العالمين ، وأذكر فى كل خصلة حدها وحقيقتها ، وسببها الذي به تجتلب ، وثمرتها التى منها تستفاد ، وعلامتها التى بها تتعرف ، وفضيلتها التي لأجلها فيها يرغب ، مع ماورد فيها من شواهد الشرع والعقل

ولقد صنف الناس فى بعض هذه المعانى كتباً ، ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة أمور : (الأول) حل ما عقدوه وكشف ما أجملوه . (الثانى) ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه (الثالث) إيجاز ما طولوه وضبط ماقرروه . (الرابع) حذف ما كرروه وإثبات ما حرروه (الخامس) تحقيق أمور غامضة اعتاصت علي الأفهام لم يتعرض لها فى الكتب أصلا ؛ إذ الكل وإن تواردوا علي منهج واحد فلا مستنكر أن يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لأمر يخصه ويغفل عنه رفقاؤه ، أو لايغفل عن التنبيه ولكن يسهو عن إيراده فى الكتب

أو لايسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف .فهذه خواص هذا الكتاب، مع كونه حاوياً لمجامع هذه العلوم

وإنما حملني علي تأسيس هذا الكتاب على أربعة أرباع أمران:

(أحدهما وهو الباعث الأصلي) : أن هذا الترتيب فى التحقيق والتفهيم كالضرورى ؛ لأن العلم الذى يُتوجّه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة ، وعلم المكاشفة ، وأعني بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط ، وأعنى بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به . والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة فى إيداعها الكتب ، وإن كانت هى غاية مقصد الطالبين، ومطمح نظر الصديقين ،وعلم المعاملة طريق اليه ؛ ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلا فى علم الطريق والارشاد اليه. وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والايماء على سبيل التمثيل والاجمال ، علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال ، والعلماء ورثة الأنبياء ، فما لهم سبيل إلى العدول عن نهج التأسى والاقتداء

ثم إن علم المعاملة ينقسم إلى علم ظاهر ، أعنى العلم بأعمال الجوارح ، وإلى علم باطن، أعنى العلم بأعمال القلوب . والجارى على الجوارح إما عادة وإما عبادة ، والوارد على القلوب التى هى بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت إما محمود وإما مذموم . فبالواجب انقسم هذا العلم إلى شطرين : ظاهر ، وباطن ، والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم إلى عادة وعبادة، والشطر الباطن المتعلق بأحوال القلب وأخلاق النفس انقسم إلى مذموم ومحمود ، فكان المجموع أربعة أقسام ، ولا يشذ نظر فى علم المعاملة عن هذه الأقسام

(الباعث الثانى) : أنى رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة فى الفقه الذى صلح عند من لا يخاف الله سبحانه وتعالى ، المتدرع به إلى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته فى المنافسات . وهو مرتب علي أربعة أرباع ، والمتزيى بزى المحبوب محبوب ، فلم أبعد أن يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفاً في استدراج القلوب . ولهذا تلطف بعض من رام استمالة قلوب الرؤساء إلى الطب ، فوضعه على هيئة تقويم النجوم ، موضوعا فى الجداول والرقوم ، وسماه تقويم الصحة ، ليكون أنسهم بذلك الجنس جاذباً لهم إلى المطالعة ، والتلطف فى اجتذاب القلوب إلى العلم الذى يفيد حياة الأبد ،أهم من التلطف فى اجتذابها إلى الطب الذى لا يفيد إلا صحة الجسد

فثمرة هذا العلم طب القلوب والأرواح، المتوصل به إلى حياة تدوم أبد الآباد، فأين منه الطب الذى يعالج به الأجساد، وهي معرضة بالضرورة للفساد فى أقرب الآماد ؟ فنسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والسداد، إنه كريم جواد .

كتاب العلم

كتاب العلم

وفيه سبعة أبواب

(الباب الأول) فى فضل العلم والتعليم والتعلم . (الباب الثانى) فى فرض العين وفرض الكفاية من العلوم ، وبيان حد الفقه والكلام من علم الدين ، وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا (الباب الثالث) فيما تعده العامة من علوم الدين وليس منها ، وفيه بيان جنس العلم المذموم وقدره (الباب الرابع) فى آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل . (الباب الخامس) فى آداب المعلم والمتعلم. (الباب السادس) في آفات العلم والعلماء، والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة . (الباب السابع) في العقل وفضله وأقسامه وما جاء فيه من الأخبار

الباب الأول

فى فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهده من النقل والعقل

فضيلة العلم

شواهدها من القرءان قوله عز وجل: (شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا ٱلْعِلْمِ قَائِمًا بِٱلْقِسْطِ) . فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه ، وثنّى بالملائكة ، وثلّث بأهل العلم . وناهيك بهذا شرفا وفضلا ، وجلاء ونبلا . وقال الله تعالى (يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) . قال ابن عباس رضى الله عنهما: «للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة، ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام» . وقال عز وجل: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ). وقال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ) . وقال تعالى: (قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ). وقال تعالى: (قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ) تنبيهاً على أنه اقتدر بقوة العلم . وقال عز وجل: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) بيّن أن عظم

قدر الآخرة يعلم بالعلم . وقال تعالى: (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) وقال تعالى : (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) ردّ حكمه فى الوقائع إلى استنباطهم ، وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء فى كشف حكم الله

وقيل فى قوله تعالى(يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ) يعنى العلم (وَرِيشًا) يعنى اليقين (وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ) يعنى الحياء

وقال عزوجل: (وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) . وقال تعالى:(فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ) . وقال عزوجل: (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) . وقال تعالى:(خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) . وإنما ذكر ذلك فى معرض الامتنان

(وأما الأخبار) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَيُلْهِمْهُ رُشْدَهُ » . وقال صلى الله عليه وسلم [2] « الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ » . ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة ، ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة . وقال صلى الله عليه وسلم [3] « يَسْتَغْفِرُ لِلْعَالِمِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » . وأيّ منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له ، فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له . وقال صلى الله عليه وسلم [4] « إِنَّ الْحِكْمَةَ تَزِيدُ الشَّرِيفَ شَرَفًا، وَتَرْفَعُ الْمَمْلُوكَ حَتَّى يُدْرِكَ مَدَارِكَ الْمُلُوكِ » . وقد نبه بهذا على ثمرته فى الدنيا ، ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى

وقال صلى الله عليه وسلم [5] « خَصْلَتَانِ لَا يَكُونَانِ فِي مُنَافِقٍ : حُسْنُ سَمْتٍ ، وَفِقْهٌ فِي الدِّينِ » . ولا تشكنّ فى الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان، فانه ما أراد به الفقه الذى ظننته ،

﴿ كتاب العلم — الباب الأول ﴾

(١) حديث من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ويلهمه رشده : متفق عليه من حديث معاوية دون قوله ويلهمه رشده . وهذه الزيادة عند الطبرانى فى الكبير

(٢) حديث العلماء ورثة الأنبياء : أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من حديث أبي الدرداء

(٣) حديث يستغفر للعالم مافى السموات وما فى الأرض : هو بعض حديث أبي الدرداء المتقدم

(٤) حديث الحكمة تزيد الشريف شرفا ـ الحديث: أبو نعيم فى الحلية وابن عبدالبر فى بيان العلم وعبد الغنى الأزدى فى آداب المحدث من حديث أنس باسناد ضعيف

(٥) حديث خصلتان لا تجتمعان فى منافق ـ الحديث: الترمذى من حديث أبي هريرة وقال حديث غريب

وسيأتى معنى الفقه . وأدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا ، وهذه المعرفة إذا صدقت وغلبت عليه برىء بها من النفاق والرياء . وقال صلى الله عليه وسلم[١] « أَفْضَلُ ٱلنَّاسِ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْعَالِمُ ٱلَّذِي إِنِ ٱحْتِيجَ إِلَيْهِ نَفَعَ ، وَإِنِ ٱسْتُغْنِيَ عَنْهُ أَغْنَى نَفْسَهُ » . وقال صلى الله عليه وسلم[٢] « ٱلْإِيمَانُ عُرْيَانٌ وَلِبَاسُهُ ٱلتَّقْوَى وَزِينَتُهُ ٱلْحَيَاءُ وَثَمَرَتُهُ ٱلْعِلْمُ » . وقال صلى الله عليه وسلم[٣] « أَقْرَبُ ٱلنَّاسِ مِنْ دَرَجَةِ ٱلنُّبُوَّةِ أَهْلُ ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِهَادِ ، أَمَّا أَهْلُ ٱلْعِلْمِ فَدَلُّوا ٱلنَّاسَ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ ٱلرُّسُلُ ، وَأَمَّا أَهْلُ ٱلْجِهَادِ فَجَاهَدُوا بِأَسْيَافِهِمْ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ ٱلرُّسُلُ » . وقال صلى الله عليه وسلم[٤] « لَمَوْتُ قَبِيلَةٍ أَيْسَرُ مِنْ مَوْتِ عَالِمٍ » . وقال عليه الصلاة والسلام[٥] « ٱلنَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ فَخِيَارُهُمْ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي ٱلْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا » . وقال صلى الله عليه وسلم[٦] « يُوزَنُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ مِدَادُ ٱلْعُلَمَاءِ بِدَمِ ٱلشُّهَدَاءِ »

وقال صلى الله عليه وسلم[٧] « مَنْ حَفِظَ عَلَى أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا مِنَ ٱلسُّنَّةِ حَتَّى يُؤَدِّيَهَا إِلَيْهِمْ كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا وَشَهِيدًا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ » . وقال صلى الله عليه وسلم[٨] « مَنْ حَمَلَ مِنْ أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا لَقِيَ ٱللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَقِيهًا عَالِمًا » . وقال صلى الله عليه وسلم[٩] « مَنْ تَفَقَّهَ فِي دِينِ ٱللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَفَاهُ ٱللَّهُ تَعَالَى مَا أَهَمَّهُ وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ » . وقال صلى الله

---

(١) حديث أفضل الناس المؤمن العالم الحديث : البيهقى فى شعب الايمان موقوفا على أبى الدرداء باسناد ضعيف ولم أره مرفوعا

(٢) حديث الايمان عريان ـ الحديث : الحاكم فى تاريخ نيسابور من حديث أبى الدرداء باسناد ضعيف

(٣) حديث أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد ـ الحديث : أبو نعيم فى فضل العالم العفيف من حديث ابن عباس باسناد ضعيف

(٤) حديث لموت قبيلة أيسر من موت عالم ـ الطبرانى وابن عبد البر من حديث أبى الدرداء : وأصل الحديث عند أبي الدرداء

(٥) حديث الناس معادن ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٦) حديث يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودماء الشهداء ـ ابن عبد البر : من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف

(٧) حديث من حفظ على أمتى أربعين حديثاً من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة ـ ابن عبد البر : فى العلم من حديث ابن عمر وضعفه

(٨) حديث من حمل من أمتى أربعين حديثاً لقى الله يوم القيامة فقيها عالما ـ ابن عبد البر : من حديث أنس وضعفه

(٩) حديث من تفقه فى دين الله كفاه الله همه ـ الحديث : الخطيب فى التاريخ من حديث عبد الله بن جزء الزبيدي باسناد ضعيف

عليه وسلم[١] « أَوْحَى ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : يَا إِبْرَاهِيمُ إِنِّي عَلِيمٌ أُحِبُّ كُلَّ عَلِيمٍ ». وقال صلى الله عليه وسلم[٢] «ٱلْعَالِمُ أَمِينُ ٱللهِ سُبْحَانَهُ فِي ٱلْأَرْضِ »

وقال صلي الله عليه وسلم[٣] « صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي إِذَا صَلَحُوا صَلَحَ ٱلنَّاسُ ، وَإِذَا فَسَدُوا فَسَدَ ٱلنَّاسُ : ٱلْأُمَرَاءُ وَٱلْفُقَهَاءُ » . وقال عليه السلام[٤] « إِذَا أَتَى عَلَيَّ يَوْمٌ لَا أَزْدَادُ فِيهِ عِلْمًا يُقَرِّبُنِي إِلَى ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا بُورِكَ لِي فِي طُلُوعِ شَمْسِ ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ ». وقال صلى الله عليه وسلم في تفضيل العلم على العبادة والشهادة[٥] «فَضْلُ ٱلْعَالِمِ عَلَى ٱلْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِي ». فانظر كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة ، وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم ، وإن كان العابد لايخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ، ولولاه لم تكن عبادة

وقال صلى الله عليه وسلم[٦] « فَضْلُ ٱلْعَالِمِ عَلَى ٱلْعَابِدِ كَفَضْلِ ٱلْقَمَرِ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ ٱلْكَوَاكِبِ » وقال صلى الله عليه وسلم[٧] « يَشْفَعُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ : ٱلْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ ٱلْعُلَمَاءُ ثُمَّ ٱلشُّهَدَاءُ » فأعظم بمرتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة مع ماورد في فضل الشهادة . وقال صلى الله عليه وسلم[٨] « مَا عُبِدَ ٱللهُ تَعَالَى بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ فِقْهٍ فِي ٱلدِّينِ ، وَلَفَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى ٱلشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ عِمَادٌ وَعِمَادُ هَذَا ٱلدِّينِ ٱلْفِقْهُ » . وقال صلى الله عليه

---

(١) حديث أوحى الله إلى إبراهيم يا إبراهيم إني عليم أحب كل عليم : ذكره ابن عبد البر تعليقاً ، ولم أظفر له باسناد

(٢) حديث العالم أمين الله في الأرض ؛ ابن عبد البر من حديث معاذ بسند ضعيف

(٣) حديث صنفان من امتي إذا صلحوا صلح الناس ـ الحديث : ابن عبد البر وأبو نعيم من حديث ابن عباس بسند ضعيف

(٤) حديث إذا أتي على يوم لا أزداد فيه علماً يقربني الحديث : الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية وابن عبد البر في العلم من حديث عائشة باسناد ضعيف

(٥) حديث فضل العالم علي العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي : الترمذي من حديث أبي أمامة وقال حسن صحيح

(٦) حديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب : أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان ، وهو قطعة من حديث أبي الدرداء المتقدم

(٧) حديث يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء : ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان باسناد ضعيف

(٨) حديث ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين ـ الحديث : الطبراني في الأوسط وأبو بكر الآجري في كتاب فضل العلم وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف ، وعند الترمذي و ابن ماجه من حديث ابن عباس بسند ضعيف . فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد

وسلم[١] «خَيْرُ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ ، وَخَيْرُ الْعِبَادَةِ الْفِقْهُ » . وقال صلى الله عليه وسلم[٢] « فَضْلُ الْمُؤْمِنِ الْعَالِمِ عَلَى الْمُؤْمِنِ الْعَابِدِ بِسَبْعِينَ دَرَجَةً ». وقال صلى الله عليه وسلم[٣] « إِنَّكُمْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنٍ كَثِيرٍ فُقَهَاؤُهُ قَلِيلٍ قُرَّاؤُهُ وَخُطَبَاؤُهُ قَلِيلٍ سَائِلُوهُ كَثِيرٍ مُعْطُوهُ ، الْعَمَلُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْعِلْمِ ، وَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ قَلِيلٌ فُقَهَاؤُهُ كَثِيرٌ خُطَبَاؤُهُ قَلِيلٌ مُعْطُوهُ كَثِيرٌ سَائِلُوهُ ، الْعِلْمُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ » . وقال صلى الله عليه وسلم[٤] « بَيْنَ الْعَالِمِ وَالْعَابِدِ مِائَةُ دَرَجَةٍ بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ حُضْرُ الْجَوَادِ الْمُضَمَّرِ سَبْعِينَ سَنَةً » . و« قيل يارسول الله[٥] أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ فقال: الْعِلْمُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فقيل: أَيُّ الْعِلْمِ تُرِيدُ ؟ قال صلى الله عليه وسلم : الْعِلْمُ بِاللهِ سُبْحَانَهُ ، فقيل له : نسأل عن العمل وتجيب عن العلم؟ فقال صلى الله عليه وسلم: إِنَّ قَلِيلَ الْعَمَلِ يَنْفَعُ مَعَ الْعِلْمِ بِاللهِ ، وَإِنَّ كَثِيرَ الْعَمَلِ لَا يَنْفَعُ مَعَ الْجَهْلِ بِاللهِ». وقال صلى الله عليه وسلم[٦] « يَبْعَثُ اللهُ سُبْحَانَهُ الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَبْعَثُ الْعُلَمَاءَ ثُمَّ يَقُولُ : يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ إِنِّي لَمْ أَضَعْ عِلْمِي فِيكُمْ إِلَّا لِعِلْمِي بِكُمْ ، وَلَمْ أَضَعْ عِلْمِي فِيكُمْ لِأُعَذِّبَكُمْ ، اذْهَبُوا فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » . نسأل الله حسن الخاتمة

(وأما الآثار) : فقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكُمَيل : يا كميل: العلم خير من المال ، العلم يحرُسك وأنت تحرس المال ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، والمال تنقصه

---

(١) حديث خير دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه ـ ابن عبد البر : من حديث أنس بسند ضعيف، والشطر الأول عند أحمد من حديث محجن بن الأدرع باسناد جيد ، والشطر الثاني عند الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف

(٢) حديث فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة : ابن عدى من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف ، ولأبي يعلى نحوه من حديث عبد البر بن عوف

(٣) حديث إنكم أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه : الطبراني من حديث حزام بن حكيم عن عمه. وقيل عن أبيه وإسناده ضعيف

(٤) حديث بين العالم والعابد مائة درجة : الأصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث ابن عمر عن أبيه وقال: سبعون درجة ، بسند ضعيف . وكذا رواه صاحب مسند الفردوس من حديث أبي هريرة

(٥) حديث قيل له يارسول الله أي الأعمال أفضل ؟ فقال العلم بالله ـ الحديث : ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف

(٦) حديث يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ـ الحديث : الطبراني من حديث أبي موسى بسند ضعيف

النفقة والعلم يزكو بالانفاق . وقال علىّ أيضاً رضى الله عنه : العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد ، واذا مات العالم ثلم فى الإسلام ثلمة لايسدها إلا خلف منه . وقال رضى الله تعالى عنه نظما:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدي لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرىء ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حياً به أبدا ... الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقال أبو الأسود : ليس شىء أعزّ من العلم : الملوكُ حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : خُيِّر سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك ، فاختار العلم ، فأعطى المال والملك معه . وسئل ابن المبارك مَن الناسُ ؟ فقال: العلماء، قيل : فمن الملوك ؟ قال : الزهاد ، قيل فمن السِّفْلة ؟ قال: الذين يأكلون الدنيا بالدين . ولم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصية التى يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم . فالانسان إنسان بما هو شريف لأجله ، وليس ذلك بقوة شخصه فإن الجمل أقوى منه ، ولا بعظمه فإن الفيل أعظم منه ، ولا بشجاعته فإن السبع أشجع منه ، ولا بأكله فإن الثور أوسع بطنا منه ، ولا ليجامع فان أخس العصافير أقوي على السفاد منه ، بل لم يخلق إلا للعلم . وقال بعض العلماء : ليت شعري أيّ شىء أدرك مَن فاته العلم ، وأىّ شىء فاته مَن أدرك العلم !

وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ أُوتِيَ الْقُرْءانَ فَرَأَى أَنَّ أَحَداً أُوتِيَ خَيْراً مِنْهُ فَقَدْ حَقَّرَ مَاعَظَّمَ اللهُ تَعَالَى» . وقال فتح الموصلى رحمه الله : أليس للمريض إذا منع الطعام والشراب يموت؟ قالوا بلى، قال : كذلك القلب إذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت . ولقد صدق ، فإن غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته، كما أن غذاء الجسد الطعام ، ومن فقد العلم فقلبه مريض، وموته لازم ،ولكنه لايشعر به ،إذ حب الدنيا وشغله بها أبطل إحساسه ، كما أن غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح فى الحال وإن كان واقعا ، فاذا حط الموت عنه أعباء الدنيا أحس بهلاكه ، وتحسر تحسراً عظيما ثم لاينفعه ، وذلك كإحساس الآمن من خوفه ، والمفيق من سكره ، بما أصابه من الجراحات فى حالة السكر أو الخوف ، فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء ، فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا

وقال الحسن رحمه الله : يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء .
وقال ابن مسعود رضى الله عنه : عليكم بالعلم قبل أن يرفع ، ورفعه موتُ رواته ، فوالذي نفسى بيده ليودّن رجال قتلوا فى سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم ، فان أحداً لم يولد عالما وإنما العلم بالتعلم . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : تذاكُرُ العلم بعض ليلة أحب إلىّ من إحيائها . وكذلك عن أبى هريرة رضى الله عنه وأحمد بن حنبل رحمه الله . وقال الحسن فى قوله تعالى : (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً) : إن الحسنة فى الدنيا هى العلم والعبادة ، وفى الآخرة هى الجنة . وقيل لبعض الحكماء : أىّ الأشياء تقتنى؟ قال : الأشياء التى إذا غرقت سفينتك سبحت معك ، يعنى العلم ، وقيل أراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت . وقال بعضهم : من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس إماما ، ومن عُرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار

وقال الشافعى رحمة الله عليه : من شرف العلم أن كل من نسب اليه ولو فى شىء حقير فرح ، ومن رفع عنه حزن . وقال عمر رضى الله عنه : يأيها الناس عليكم بالعلم فان لله سبحانه رداء يحبه ؛ فمن طلب بابا من العلم رداه الله عز وجل بردائه ؛ فان أذنب ذنبا استعتبه ثلاث مرات لئلا يسلبه رداءه ذلك وإن تطاول به ذلك الذنب حتى يموت . وقال الأحنف رحمه الله : كاد العلماء أن يكونوا أربابا ؛ وكل عز لم يوطَّد بعلم فإلى ذل مصيره . وقال سالم بن أبى الجعد : اشترانى مولاى بثلثمائة درهم وأعتقنى ، فقلت بأى شىء أحترف ؟ فاحترفت بالعلم ، فما تمت لى سنة حتى أتانى أمير المدينة زائراً فلم آذن له

وقال الزبير بن أبى بكر : كتب إلىّ أبى بالعراق : عليك بالعلم فانك إن افتقرت كان لك مالا ؛ وإن استغنيت كان لك جمالا . وحكي ذلك فى وصايا لقمان لابنه ؛ قال : يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ؛ فان الله سبحانه يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء . وقال بعض الحكماء : إذا مات العالم بكاه الحوت فى الماء والطير فى الهواء ، ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره . وقال الزهري رحمه الله : العلم ذكَر ولا يحبه إلا ذُكران الرجال

فضيلة التعلم

(أما الآيات) فقوله تعالى: (فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ). وقوله عز وجل: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)

(وأما الأخبار) فقوله صلى الله عليه وسلم[1]: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ». وقال صلى الله عليه وسلم[2]: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ». وقال صلى الله عليه وسلم[3] «لَأَنْ تَغْدُوَ فَتَتَعَلَّمَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ». وقال صلى الله عليه وسلم[4] «بَابٌ مِنَ الْعِلْمِ يَتَعَلَّمُهُ الرَّجُلُ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». وقال صلى الله عليه وسلم[5] «اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصِّينِ» وقال صلى الله عليه وسلم «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ*» وقال عليه الصلاة والسلام[6]: «الْعِلْمُ خَزَائِنُ مَفَاتِيحُهَا السُّؤَالُ؛ أَلَا فَاسْأَلُوا فَإِنَّهُ يُؤْجَرُ فِيهِ أَرْبَعَةٌ: السَّائِلُ، وَالْعَالِمُ وَالْمُسْتَمِعُ، وَالْمُحِبُّ لَهُمْ». وقال صلى الله عليه وسلم[7] «لَا يَنْبَغِي لِلْجَاهِلِ أَنْ يَسْكُتَ عَلَى

---

(١) حديث من سلك طريقاً يطلب فيه علماً ـ الحديث: مسلم من حديث أبي هريرة

(٢) حديث إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع: أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال

(٣) حديث لأن تغدو فتتعلم بابا من الخير خير من أن تصلي مائة ركعة: ابن عبد البر من حديث أبي ذر وليس إسناده بذاك والحديث عند ابن ماجه بلفظ آخر

(٤) حديث باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا: ابن حبان في روضة العقلاء وابن عبد الله موقوفا على الحسن البصري ولم أره مرفوعا إلا بلفظ خير له من مائة ركعة، رواه الطبراني في الأوسط بسند ضعيف من حديث أبي ذر

(٥) حديث اطلبوا العلم ولو بالصين: ابن عدي والبيهقي في المدخل والشعب من حديث أنس قال البيهقي متنه مشهور وأسانيده ضعيفة

(٦) حديث العلم خزائن مفاتيحها السؤال ـ الحديث: رواه أبو نعيم من حديث علي مرفوعا باسناد ضعيف

(٧) حديث لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله: الطبراني في الأوسط وابن مردويه في التفسير وابن السني وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف

(*) انظر تخريجه في صفحة ٣ ج ١

جَهْلِهِ وَلَا لِلْعَالِمِ أَنْ يَسْكُتَ عَلَى عِلْمِهِ » . وفى حديث أبى ذر رضى الله عنه[1] « حُضُورُ مَجْلِسِ عَالِمٍ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ أَلْفِ رَكْعَةٍ ، وَعِيَادَةِ أَلْفِ مَرِيضٍ ، وَشُهُودِ أَلْفِ جَنَازَةٍ » فقيل يارسول الله : ومن قراءة القرءان ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « وَهَلْ يَنْفَعُ الْقُرْءَانُ إِلَّا بِالْعِلْمِ ؟ » وقال عليه الصلاة والسلام[2] : « مَنْ جَاءَهُ الْمَوْتُ وَهُوَ يَطْلُبُ الْعِلْمَ لِيُحْيِيَ بِهِ الْإِسْلَامَ فَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْجَنَّةِ دَرَجَةٌ وَاحِدَةٌ »

(وأما الآثار) فقال ابن عباس رضى الله عنهما: ذللتُ طالبا فعززتُ مطلوبا . وكذلك قال ابن أبى مليكة رحمه الله : ما رأيت مثل ابن عباس : إذا رأيته رأيت أحسن الناس وجها ؛ وإذا تكلم فأعرب الناس لسانا ؛ وإذا أفتى فأكثر الناس علما . وقال ابن المبارك رحمه الله : عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة ! وقال بعض الحكماء : إنى لا أرحم رجالا كرحمتى لأحد رجلين : رجل يطلب العلم ولا يفهم ؛ ورجل يفهم العلم ولا يطلبه . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه: لأن أتعلم مسألة أحب إلىّ من قيام ليلة . وقال أيضا : العالم والمتعلم شريكان فى الخير ؛ وسائر الناس همج لاخير فيهم . وقال أيضا : كن عالما أومتعلما أومستمعا ، ولا تكن الرابع فتهلك

وقال عطاء : مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو . وقال عمر رضى الله عنه : موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهونُ من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه . وقال الشافعى رضى الله عنه : طلب العلم أفضل من النافلة . وقال ابن عبد الحكم رحمه الله: كنت عند مالك أقرأ عليه العلم فدخل الظهر ، فجمعت الكتب لأصلى ، فقال: ياهذا ماالذى قمت اليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النية . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : من رأى أن الغُدوّ إلى طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص فى رأيه وعقله

فضيلة التعليم

(أما الآيات) فقوله عزوجل: (وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) . والمراد هو التعليم والارشاد ، وقوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ

---

(١) حديث أبى ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة الحديث: ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات من حديث عمر ولم أجده من طريق أبى ذر

(٢) حديث من جاءه الموت وهو يطلب العلم الحديث : الدارمي وابن السنى فى رياضة المتعلمين من حديث الحسن ، فقيل هو ابن على وقيل هو ابن يسار البصرى فيكون مرسلا

لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ) وهو إيجاب للتعليم . وقوله تعالى: (وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) وهو تحريم للكتمان، كما قال تعالى في الشهادة : (وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ) وقال صلى الله عليه وسلم (١) « مَا آتَى اللهُ عَالِمًا عِلْمًا إِلَّا وَأَخَذَ عَلَيْهِ مِنَ الْمِيثَاقِ مَا أَخَذَ عَلَى النَّبِيِّينَ أَنْ يُبَيِّنُوهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُوهُ » . وقال تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا) . وقال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) . وقال تعالى: (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)

(وأما الأخبار) فقوله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً رضى الله عنه إلى اليمن (٢) « لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » . وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « مَنْ تَعَلَّمَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ أُعْطِيَ ثَوَابَ سَبْعِينَ صِدِّيقًا » وقال عيسى صلى الله عليه وسلم: « مَنْ عَلِمَ وَعَمِلَ وَعَلَّمَ فَذَلِكَ يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ لِلْعَابِدِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ : ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ الْعُلَمَاءُ : بِفَضْلِ عِلْمِنَا تَعَبَّدُوا وَجَاهَدُوا ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنْتُمْ عِنْدِي كَبَعْضِ مَلَائِكَتِي ، اشْفَعُوا تُشَفَّعُوا ، فَيَشْفَعُونَ ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ » . وهذا إنما يكون بالعلم المتعدى بالتعليم ، لا العلم اللازم الذى لا يتعدى

وقال صلى الله عليه وسلم (٥) « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنْتَزِعُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ أَنْ يُؤْتِيَهُمْ إِيَّاهُ وَلَكِنْ يَذْهَبُ بِذَهَابِ الْعُلَمَاءِ ، فَكُلَّمَا ذَهَبَ عَالِمٌ ذَهَبَ بِمَا مَعَهُ مِنَ الْعِلْمِ

---

(١) حديث ما آتى الله عالما علماً إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين ـ الحديث : أبو نعيم فى فضل العالم العفيف من حديث ابن مسعود بنحوه وفى الخلعيات نحوه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث قال لمعاذ حين بعثه الى اليمن : لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم : أحمد من حديث معاذ ، وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد أنه قال ذلك لعلى

(٣) حديث من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقاً: رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن مسعود بسند ضعيف

(٤) حديث إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة ـ الحديث : أبو العباس الذهبي فى العلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف

(٥) حديث إن الله لا ينتزع العلم انتزاعا من الناس ـ الحديث : متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو

حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ إِلاَّ رُؤُسَاءَ جُهَّالاً إِنْ سُئِلُوا أَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ ». وقال صلى الله عليه وسلم[١] « مَنْ عَلِمَ عِلْمًا فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ ». وقال صلى الله عليه وسلم[٢] « نِعْمَ الْعَطِيَّةُ وَنِعْمَ الْهَدِيَّةُ كَلِمَةُ حِكْمَةٍ تَسْمَعُهَا فَتَطْوِيَ عَلَيْهَا ثُمَّ تَحْمِلُهَا إِلَى أَخٍ لَكَ مُسْلِمٍ تُعَلِّمُهُ إِيَّاهَا تَعْدِلُ عِبَادَةَ سَنَةٍ ». وقال صلى الله عليه وسلم[٣] « الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَافِيهَا إِلاَّ ذِكْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَمَا وَالاَهُ أَوْ مُعَلِّمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا »

وقال صلى الله عليه وسلم[٤] « إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَمَلاَئِكَتَهُ وَأَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَرْضِهِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ فِي الْبَحْرِ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ ». وقال صلى الله عليه وسلم[٥] « مَا أَفَادَ الْمُسْلِمُ أَخَاهُ فَائِدَةً أَفْضَلَ مِنْ حَدِيثٍ حَسَنٍ بَلَغَهُ فَبَلَّغَهُ ». وقال صلى الله عليه وسلم[٦] « كَلِمَةٌ مِنَ الْخَيْرِ يَسْمَعُهَا الْمُؤْمِنُ فَيُعَلِّمُهَا وَيَعْمَلُ بِهَا خَيْرٌ لَهُ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ ». وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم[٧] ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله عز وجل ويرغبون اليه، والثاني يعلّمون الناس، فقال: «أَمَّا هَؤُلاءِ فَيَسْأَلُونَ اللهَ تَعَالَى فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ، وَأَمَّا هَؤُلاءِ فَيُعَلِّمُونَ النَّاسَ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا » ثم عدل اليهم وجلس معهم

---

(١) حديث من علم علماً فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار : أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة قال الترمذى حديث حسن

(٢) حديث نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها ـ الحديث : الطبرانى من حديث ابن عباس نحوه باسناد ضعيف

(٣) حديث الدنيا ملعونة ملعون مافيها ـ الحديث : الترمذى وابن ماجه من حديث أبي هريرة قال الترمذى حسن غريب

(٤) حديث إن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير : الترمذى من حديث أبي أمامة وقال غريب وفى نسخة حسن صحيح

(٥) حديث ماأفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن ـ الحديث : ابن عبد البر من رواية محمد بن المنكدر مرسلا نحوه ، ولأبى نعيم من حديث عبدالله بن عمرو ما أهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة تزيده هدي أو ترده عن ردى

(٦) حديث كلمة من الحكمة يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها ـ الحديث : ابن المبارك فى الزهد والرقائق من رواية زيد بن أسلم مرسلا نحوه ، وفى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة بسند ضعيف : كلمة حكمة يسمعها الرجل خير له من عبادة سنة

(٧) حديث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله ـ الحديث : ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف

وقال صلى الله عليه وسلم (١) « مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ مِنْهَا بُقْعَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا بُقْعَةٌ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً » . فالأول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه، والثانى ذكره مثلا للنافع، والثالث للمحروم منهما .

وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ » الحديث . وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ » . وقال صلى الله عليه وسلم (٤): « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْخَيْرِ » . وقال صلى الله عليه وسلم: عَلَى خُلَفَائِي رَحْمَةُ اللهِ، قيل: وَمَنْ خُلَفَاؤُكَ؟ قال: الَّذِينَ يُحْيُونَ سُنَّتِي وَيُعَلِّمُونَهَا عِبَادَ اللهِ »

(وأما الآثار) فقد قال عمر رضى الله عنه: من حدّث حديثاً فعمل به فله مثل أجر من عمل ذلك العمل . وقال ابن عباس رضى الله عنهما: مُعلّم الناس الخيرَ يستغفر له كلُّ شىء حتى الحوتُ فى البحر . وقال بعض العلماء: العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه، فلينظر كيف يدخل . وروى أن سفيان الثورى رحمه الله قدم عسقلان فمكث لا يسأله إنسان، فقال: اكروا لى لأخرج من هذا البلد، هذا بلد يموت فيه العلم! وإنما قال ذلك حرصاً على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به . وقال عطاء رضى الله عنه: دخلت على سعيد بن المسيّب وهو يبكى فقلت: مايبكيك؟ قال: ليس أحد يسألنى عن شىء!

---

(١) حديث مثل ما بعثنى الله به من العلم والهدى ـ الحديث: متفق عليه من حديث أبى موسى

(٢) حديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ـ الحديث: مسلم من حديث أبى هريرة

(٣) حديث الدال على الخير كفاعله: الترمذى من حديث أنس وقال غريب ورواه مسلم وأبو داود والترمذى وصححه عن أبى مسعود البدرى بلفظ من دل على خير فله مثل أجر فاعله

(٤) حديث لا حسد إلا فى اثنتين ـ الحديث: متفق عليه من حديث ابن مسعود

(٥) حديث على خلفائي رحمة الله ـ الحديث: ابن عبدالبر فى العلم والهروى فى ذم الكلام من حديث الحسن فقيل هو ابن على وقيل ابن يسار البصرى فيكون مرسلا ولابن السنى وأبى نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث على نحوه

وقال بعضهم . العلماء سُرج الازمنة ، كل واحد مصباح زمانه يستضىء به أهل عصره. وقال الحسن رحمه الله : لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم . أى أنهم بالتعليم يخرجون الناس من حدّ البهيمية الى حدّ الانسانية . وقال عِكْرِمة : إن لهذا العلم ثَمناً . قيل : وما هو ؟ قال : أن تضعه فيمن يُحسن حمله ولا يضيعه . وقال يحيى بن معاذ : العلماء أرحم بأمة محمد صلى الله عليه وسلم من آبائهم وأمهاتهم ؛ قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة .

وقيل : أول العلم الصمت ؛ ثم الاستماع ؛ ثم الحفظ ؛ ثم العمل ؛ ثم نشره . وقيل : علّم علمك من يجهل ، وتعلّم ممن يعلم ما تجهل ؛ فانك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت ، وحفظت ما علمت .

وقال معاذ بن جبل فى التعليم والتعلم ورأيته أيضاً مرفوعا : (١) تعلّموا العلم فان تعلّمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، وهو الأنيس فى الوحدة ، والصاحب فى الخلوة ، والدليل على الدِّين ؛ والمصبر على السراء والضراء ، والوزير عند الإخلاء ، والقريب عند الغرباء ، ومنار سبيل الجنة ، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم فى الخير قادة سادة هُداة يقتدَى بهم ، أدلة فى الخير تُقتَصُّ آثارهم وترمق أفعالهم ، وترغب الملائكة فى خُلتهم وبأجنحتها تمسحهم ، وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه ، وسباع البر وأنعامه ، والسماء ونجومها ، لأن العلم حياة القلوب من العمى ، ونور الأبصار من الظلَم ، وقوة الأبدان من الضعف ، يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى ، والتفكر فيه يعدل بالصيام ، ومدارسته بالقيام ، به يطاع الله عز وجل ، وبه يعبد ، وبه يوحد ، وبه يمجد ، وبه يتورّع ، وبه توصل الأرحام . وبه يعرف الحلال والحرام ، وهو إمام والعمل تابعه ، يُلهَمُه السعداء ، ويحرمه الأشقياء . نسأل الله تعالى حسن التوفيق

---

(١) حديث معاذ تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ـ الحديث بطوله : أبو الشيخ وابن حبان فى كتاب الثواب وابن عبد البر وقال ليس له اسناد قوى

فى الشواهد العقلية :

إعلم أن المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم و نفاسته ، ومالم تفهم الفضيلة فى نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن أن تعلم وجودها صفة للعلم أو لغيره من الخصال ، فلقد ضل عن الطريق من طمع أن يعرف أن زيداً حكيم أم لا وهو بعدُ لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها

والفضيلة مأخوذة من الفضل وهو الزيادة ، فاذا تشارك شيئان فى أمر واختص أحدهما بمزيد يقال: فَضَله وله الفضل عليه، مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشيء ، كما يقال الفرس أفضل من الحمار بمعنى أنه يشاركه فى قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة ، فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة لم يقل إنه أفضل ، لأن تلك زيادة فى الجسم ونقصان فى المعنى ، وليست من الكمال فى شيء ، والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه . فاذا فهمت هذا لم يخف عليك أن العلم فضيلة إن أخذته بالاضافة إلي سائر الأوصاف، كما أن للفرس فضيلة إن أخذته بالاضافة إلى سائر الحيوانات ، بل شدة العَدْو فضيلة فى الفرس وليست فضيلة على الاطلاق ، والعلم فضيلة فى ذاته وعلى الاطلاق من غير إضافة ، فانه وصف كمال الله سبحانه ، وبه شرف الملائكة والأنبياء ، بل الكيس من الخيل خير من البليد ، فهى فضيلة على الاطلاق من غير إضافة .

واعلم أن الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم الى مايطلب لغيره، وإلى مايطلب لذاته ، وإلى مايطلب لغيره ولذاته جميعا . فما يطلب لذاته أشرف وأفضل مما يطلب لغيره ، والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير، فانهما حجران لا منفعة لهما ، ولولا أن الله سبحانه وتعالى يسّر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصباء بمثابة واحدة . والذى يطلب لذاته فالسعادة فى الآخرة ، ولذة النظر لوجه الله تعالى . والذى يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن ، فان سلامة الرجل مثلا مطلوبة من حيث إنها سلامة للبدن عن الألم ، ومطلوبة للمشي بها ، والتوصل الى المآرب والحاجات

وبهذا الاعتبار إذا نظرت إلي العلم رأيته لذيذاً فى نفسه ، فيكون مطلوبا لذاته ، ووجدته وسيلة الى دار الآخرة وسعادتها ، وذريعة الى القرب من الله تعالى ، ولا يتوصل إليه إلا به . وأعظم الأشياء رتبة فى حق الآدمي السعادة الأبدية ، وأفضل الأشياء ماهو وسيلة اليها ،

ولن يتوصل اليها إلا بالعلم والعمل ، ولا يتوصل إلى العمل إلا بالعلم بكيفية العمل . فأصل السعادة فى الدنيا والآخرة هو العلم ، فهو إذن أفضل الأعمال ، وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء أيضاً بشرف ثمرته ، وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من رب العالمين ، والالتحاق بأفق الملائكة ومقارنة الملأ الأعلى . هذا فى الآخرة

وأما فى الدنيا فالعز والوقار ، ونفوذ الحكم على الملوك ، ولزوم الاحترام فى الطباع ، حتى إن أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة ، بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتمييز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها .

هذه فضيلة العلم مطلقاً . ثم تختلف العلوم كما سيأتى بيانه وتتفاوت لامحالة فضائلها بتفاوتها

وأما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة مما ذكرناه ، فان العلم إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طلباً للأفضل ، فكان تعليمه إفادة للأفضل . وبيانه : أن مقاصد الخلق مجموعة فى الدين والدنيا ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا ، فان الدنيا مزرعة الآخرة ، وهى الآلة الموصلة إلى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ومنزلا ، لا لمن يتخذها مستقراً ووطنا ، وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين ، وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر فى ثلاثة أقسام :

(أحدها) أصول لا قوام للعالم دونها وهى أربعة : الزراعة وهى لِلْمَطْعَم ، والحياكة وهى للملبَس ، والبناء وهو للمسكَن ، والسياسة وهى للتأليف والاجتماع ، والتعاونِ على أسباب المعيشة وضبطها .

(الثانى) ماهى مهيئة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالحدادة ، فانها تخدم الزراعة ، وجملة من الصناعات باعداد آلاتها كالحلاجة والغزل ، فانها تخدم الحياكة بإعداد عملها

(الثالث) ماهى متممة للأصول ومزينة : كالطحن والخبز للزراعة ، وكالقصارة والخياطة للحياكة ، وذلك بالاضافة الى قوام أمر العالم الأرضي مثل أجزاء الشخص بالاضافة الى جملته ، فانها ثلاثة أضرب أيضا : إما أصول كالقلب والكبد والدماغ ، وإما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والأعصاب والأوردة ، وإما مكملة لها ومزينة كالأظفار والأصابع والحاجبين

وأشرف هذه الصناعات أصولها ، وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح ،

ولذلك تستدعى هـذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها مالا يستدعيه سائر الصناعات . ولذلك يستخدم لا محالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع .

والسياسة فى استصلاح الخلق وإرشادهم إلى الطريق المستقيم المنجى فى الدنيا والآخرة على أربع مراتب : الأولى وهى العليا : سياسة الأنبياء عليهم السلام ، وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً فى ظاهرهم وباطنهم . والثانيـة : الخلفـاء والملوك والسلاطين ، وحكمهم على الخاصة والعـامة جميعاً ، ولـكن على ظاهرهم لا على باطنهم . والثـالثة : العلمـاء بالله عز وجـل وبدينه الذين هم ورثة الأنبياء ، وحكمهم على باطن الخـاصة فقط ، ولا يرتفع فهم العـامة على الاستفادة منهم ، ولا تنتهى قوتهم إلى التصرف فى ظواهرهم بالالزام والمنع والشرع . والرابعة : الوعاظ ، وحكمهم على بواطن العوام فقط . فأشرف هذه الصناعات الأربع بعد النبوة : إفادة العلم ، وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة ، وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة المسعدة ، وهو المراد بالتعليم

وإنما قلنا إن هـذا أفضل من سائر الحرف والصناعات ، لأن شرف الصناعة يعرف بثلاثة أمور : إما بالالتفات الى الغريزة التى بها يتوصل إلى معرفتها كفضل العـلوم العقلية على اللغوية ، إذ تدرك الحـكمة بالعقل ، واللغة بالسمع ، والعقل أشرف من السمع ؛ وإما بالنظر الى عموم النفع : كفضل الزراعة على الصياغة ؛ وإما بملاحظة المحل الذى فيه التصرف: كفضل الصياغة على الدباغة ، إذ محل أحدهما الذهب ، ومحل الآخر جلد الميتة .

وليس يخفى أن العـلوم الدينية وهى فقه طريق الآخرة إنمـا تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء ، والعقل أشرف صفات الانسان كما سيأتى بيانه ، إذ به تقبل أمانةُ الله ، وبه يتوصل إلى جوار الله سبحانه

وأما عموم النفع فلا يستراب فيه، فإن نفعه وثمرته سعادة الآخرة

وأما شرف المحـل فـكيف يخفى والمعـلم متصرف فى قلوب البشر ونفوسهم ، وأشرف موجود على الأرض جنس الانس ، وأشرف جزء من جواهر الانسان قلبه، والمعلم مشتغل بتكميله وتجليته وتطهيره وسياقته إلى القرب من الله عزّ وجل

فتعليم العلم من وجهٍ عبادةٌ لله تعالى، ومن وجه خلافة لله تعالى ، وهو من أجل خلافة الله،

فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلمَ الذى هو أخص صفاته ، فهو كالخازن لأنفس خزائنه ، ثم هو مأذون له فى الإنفاق منه على كل محتاج اليه . فأى رتبة أجلّ من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه فى تقريبهم إلى الله زلفى ، وسياقهم إلى جنة المأوى؟ جعلنا الله منهم بكرمه ! وصلى الله على كل عبد مصطفى .

الباب الثانى

فى العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما ، وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان أن موقع الكلام والفقه من علم الدين إلى أى حد هو وتفضيل علم الآخرة

بيان العلم الذى هو فرض عين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طَلَبُ ٱلْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ » وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم : « اطْلُبُوا ٱلْعِلْمَ وَلَوْ بِٱلصِّينِ * »

واختلف الناس فى العلم الذى هو فرض على كل مسلم ، فتفرقوا فيه أكثر من عشرين فرقة ، ولا نطيل بنقل التفصيل ، ولكن حاصله أن كل فريق نزّل الوجوب على العلم الذى هو بصدده ، فقال : المتكلمون: هو علم الكلام ، إذ به يدرك التوحيدُ ، ويعلم به ذات الله سبحانه وصفاته . وقال الفقهاء : هو علم الفقه إذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحلّ ، وعَنَوْا به ما يحتاج إليه الآحاد ، دون الوقائع النادرة . وقال المفسرون والمحدثون : هو علم الكتاب والسنة إذ بهما يتوصل إلى العلوم كلها . وقال المتصوفة : المراد به هذا العلم : فقال بعضهم : هو علم العبد بحاله ، ومقامه من الله عز وجل ، وقال بعضهم : هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييز لَمَّة الملك من لمة الشيطان. وقال بعضهم : هو علم الباطن وذلك يجب على أقوام مخصوصين هم أهل ذلك ، وصرفوا اللفظ عن عمومه . وقال أبو طالب المكى : هو العلم بما يتضمنه الحديث الذى فيه مبانى الاسلام ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم[1] « بُنِيَ ٱلْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللهُ » إلى آخر الحديث ، لأن الواجب هذه الخمس ، فيجب العلم بكيفية العمل فيها ، وبكيفية الوجوب .

---

(١) حديث بنى الاسلام على خمس: متفق عليه من حديث ابن عمر * راجع تخريجه فى ص ١٥

والذى ينبغي أن يقطع به المحصل ولا يستريب فيه ما سنذكره ، وهو : أن العلم كما قدّمناه فى خطبة الكتاب ينقسم إلي علم معاملة وعلم مكاشفة ، وليس المراد بهذا العلم إلا علم المعاملة

والمعاملة التى كلف العبد العاقل البالغ العملَ بها ثلاثة : اعتقاد ، وفعل ، وترك . فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلا ، فأول واجب عليه تعلّم كلمتى الشهادة وفهم معناهما ، وهو قول : لا إله إلا الله محمد رسول الله . وليس يجب عليه أن يحصّل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلّة ، بل يكفيه أن يصدق به ويعتقده جزما من غير اختلاج ريب واضطراب نفس ، وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث ولا برهان ، إذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل ، فاذا فعل ذلك فقد أدّى واجب الوقت ، وكان العلم الذي هو فرض عين عليه في الوقت تعلم الكلمتين وفهمهما ، وليس يلزمه أمر وراء هذا فى الوقت ، بدليل أنه لو مات عقيب ذلك مات مطيعا لله عز وجل غير عاص له

وإنما يجب غير ذلك بعوارض تعرض ، وليس ذلك ضروريا فى حق كل شخص ، بل يتصوّر الانفكاك عنها ، وتلك العوارض إما أن تكون فى الفعل ، وإما فى الترك ، وإما فى الاعتقاد .

أما الفعل فبأن يعيش من ضحوة نهاره الى وقت الظهر ، فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة ، فان كان صحيحا وكان بحيث لو صبر الى وقت زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل فى الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم ، فلا يبعد أن يقال الظاهر بقاؤه ، فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ، ويحتمل أن يقال وجوب العلم الذى هو شرط العمل بعد وجوب العمل ، فلا يجب قبل الزوال ، وهكذا في بقية الصلوات .

فان عاش الى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم ، وهو يعلم أن وقته من الصبح الى

﴿ الباب الثانى ﴾

(١) حديث اكتفى رسول الله صلي الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل مشهور فى كتب السير والحديث ، فعند مسلم قصة ضمام بن ثعلبة

غروب الشمس ، وأن الواجب فيه النية والامساك عن الأكل والشرب والوقاع ، وأن ذلك يتمادى إلى رؤية الهلال أو شاهدين .

فان تجدد له مال أو كان له مال عند بلوغه ، لزمه تعلم مايجب عليه من الزكاة ، ولكن لايلزمه فى الحال ، إنما يلزمه عندتمام الحول من وقت الاسلام ، فان لم يملك الا الابل لم يلزمه إلا تعلم زكاة الابل ، وكذلك فى سائر الأصناف .

فاذا دخل فى أشهر الحج فلا يلزمه المبادرة الى علم الحج ، مع أن فعله على التراخى ، فلا يكون تعلمه على الفور ، ولكن ينبغى لعلماء الاسلام أن ينبهوه على أن الحج فرض على التراخى على كل من ملك الزاد والراحلة اذا كان هو مالكا ، حتى ربما يرى الحزم لنفسه فى المبادرة ، فعنه ذلك اذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ، ولم يلزمه إلا تعلم أركانه وواجباته دون نوافله ، فانّ فعلَ ذلك نفل ، فعلمه أيضا نفل ، فلا يكون تعلمه فرض عين . وفى تحريم السكوت على التنبيه على وجوب أصل الحج فى الحال نظر يليق بالفقه ، وهكذا التدريج فى علم سائر الأفعال التى هى فرض عين .

وأما التروك فيجب تعلم علم ذلك بحسب مايتجدد من الحال ، وذلك يختلف بحال الشخص اذ لايجب على الأبكم تعلم مايحرم من الكلام ، ولا على الأعمى تعلم مايحرم من النظر ، ولا على البدوى تعلم مايحرم الجلوس فيه من المساكن ، فذلك أيضا واجب بحسب مايقتضيه الحال ، فما يعلم أنه ينفك عنه لايجب تعلمه ، وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه ، كما لو كان عند الاسلام لابسا للحرير أو جالسا فى الغصب أو ناظرا الى غير ذى محرم ، فيجب تعريفه بذلك ، وما ليس ملابسا له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالأكل والشرب فيجب تعليمه ، حتى اذا كان فى بلد يتعاطى فيه شرب الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه ، وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه .

وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر ، فان خطر له شك فى المعانى التى تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم مايتوصل به الي إزالة الشك ، فان لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله سبحانه قديم ، وأنه مرئي ، وأنه ليس محلا للحوادث ، الى غير ذلك مما يذكر فى المعتقدات ، فقد مات على الاسلام إجماعا . ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع ، وبعضها يخطر بالسماع من أهل البلد ،

فان كان فى بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع ، فينبغى أن يصان فى أول بلوغه عنها بتلقين الحق ، فانه لو ألقى اليه الباطل لوجبت إزالته عن قلبه ، وربما عسر ذلك ، كما أنه لو كان هـذا المسلم تاجرا وقد شاع فى البلد معاملة الربا ، وجب عليه تعلم الحذر من الربا . وهذا هو الحق في العلم الذى هو فرض عين . ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب ؛ فمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذى هو فرض عين

وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو ولمّة الملك حق أيضا ، ولكن فى حق من يتصدى له ، فاذا كان الغالب أن الانسان لاينفك عن دواعى الشر والرياء والحسد، فيلزمه أن يتعلم من علم ربع المهلكات مايرى نفسه محتاجا اليه ؛ وكيف لايجب عليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (١) « ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ : شُحٌّ مُطَاعٌ ، وهَوًى مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ » . ولا ينفك عنها بشر . وبقيـة ماسنذكره من مذمومات أحوال القلب كالكبر والعجب وأخواتهما تتبع هذه الثلاث المهلكات ، وإزالتها فرض عين . ولا يمكن إزالتها إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ، ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها ، فان من لايعرف الشر يقع فيه ، والعلاج هو مقابلة السبب بضده ، وكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب ؟ وأكثر ماذكرناه في ربع المهلكات من فروض الأعيان ، وقد تركها الناس كافة اشتغالا بما لايعنى .

ومما ينبغى أن يبادر فى إلقائه اليه اذا لم يكن قد انتقل عن ملة الى ملة أخرى : الإيمان بالجنة والنار ، والحشر والنشر ، حتى يؤمن به ويصدق ، وهو من تتمة كلمتى الشهادة ، فانه بعد التصديق بكونه عليه السلام رسولا ينبغى أن يفهم الرسالة التى هو مبلغها ، وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاهما فله النار . فاذا انتبهت لهذا التدريج علمت أن المذهب الحق هو هذا ، وتحققت أن كل عبد هو فى مجارى أحواله فى يومه وليلته لايخلو من وقائع فى عباداته ومعاملاته عن تجدّد لوازم عليه ، فيلزمه السؤال عن كل مايقع له من النوادر ، ويلزمه المبادرة الى تعلم مايتوقع وقوعه على القرب غالبا . فاذا تبين أنه عليه الصلاة والسلام إنما أراد بالعلم المعرّف بالألف واللام فى قوله صلى الله عليه وسلم : « طلبُ الْعِلْمِ فريضةٌ على كلِّ مُسْلِمٍ »

(١) حديث ثلاث مهلكات شح مطاع ـ الحديث : البزار والطبرانى وأبو نعيم والبيهقى فى الشعب من حديث أنس باسناد ضعيف

علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لاغير . فقد اتضح وجه التدريج ووقت وجوبه ، والله أعلم

بيان العلم الذى هو فرض كفاية

اعلم أن الفرض لايتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم ، والعلومُ بالاضافة الى الفرض الذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية ، وأعنى بالشرعية مااستفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، ولا يرشد العقل اليه مثل الحساب ، ولا التجربة مثل الطب ، ولا السماع مثل اللغة . فالعلوم التى ليست بشرعية تنقسم الى ماهو محمود والى ماهو مذموم والى ماهو مباح . فالمحمود مايرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب ، وذلك ينقسم الى ماهو فرض كفاية ، والى ماهو فضيلة وليس بفريضة

أما فرض الكفاية فهو كل علم لايستغني عنه فى قوام أمور الدنيا: كالطب، إذ هو ضرورى فى حاجة بقاء الأبدان ، وكالحساب فانه ضرورى فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما . وهذه هى العلوم التى لو خلا البلد عمن يقوم بها حَرِج أهلُ البلد ، واذا قام بها واحد كفي وسقط الفرض عن الآخرين ، فلا يتعجب من قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات، فان أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات: كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة ، فانه لو خلا البلد من الحجّام تسارع الهلاك اليهم ، وحَرِجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك ، فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد الى استعماله ، وأعدّ الأسباب لتعاطيه، فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله

وأما مايعد فضيلة لافريضة فالتعمق فى دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغني عنه ، ولكنه يفيد زيادة قوة فى القدر المحتاج اليه

وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات ، وعلم الشعبذة والتلبيسات

وأما المباح منه فالعلم بالأشعار التى لا سخف فيها ، وتواريخ الأخبار وما يجرى مجراه

وأما العلوم الشرعية وهى المقصودة بالبيان ، فهى محمودة كلها ، ولكن قد يلتبس بها مايظن

أنها شرعية وتكون مذمومة ؛ فتنقسم الي المحمودة والمذمومة أما المحمودة فلها أصول وفروع ومقدّمات ومتممات ، وهى أربعة أضرب :

الضرب الأول : الأصول ـ وهى أربعة : كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله عليه السلام ، وإجماع الأمة ، وآثار الصحابة . والاجماع أصل من حيث إنه يدل على السنة ، فهو أصل فى الدرجة الثالثة ، وكذا الأثر ، فانه يدل على السنة ، لأن الصحابة رضى الله عنهم قد شاهدوا الوحى والتنزيل ، وأدركوا بقرائن الأحوال ما غاب عن غيرهم عيانه ، وربما لاتحيط العبارات بما أدرك بالقرائن ، فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم ، وذلك بشرط مخصوص على وجه مخصوص عند من يراه ، ولا يليق بيانه بهذا الفن

الضرب الثانى : الفروع ـ وهو ما فهم من هذه الأصول لا بموجب ألفاظها بل بمعان تنبه لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتي فهم من اللفظ الملفوظ به غيره ، كما فهم من قوله عليه السلام :(١) « لَا يَقْضِي الْقَاضِي وَهُوَ غَضْبَانُ » أنه لايقضى إذا كان حاقنا أو جائعا أو متألما بعرض . وهذا على ضربين : أحدهما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه ، والمتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا . والثانى ما يتعلق بمصالح الآخرة وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة والمذمومة ، وما هو مرضى عند الله تعالى ، وما هو مكروه ، وهو الذى يحويه الشطر الأخير من هذا الكتاب ، أعنى جملة كتاب إحياء علوم الدين ، ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح فى عباداتها وعاداتها ، وهو الذى يحويه الشطر الأول من هذا الكتاب

والضرب الثالث : المقدمات ـ وهي التى تجرى منه مجرى الآلات : كعلم اللغة والنحو ، فانهما آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية فى أنفسها ، ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع ، إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب ، وكل شريعة لاتظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة . ومن الآلات علم كتابة الخط ، إلا أن ذلك ليس ضروريا ، إذ كان رسول الله صلي الله عليه وسلم (١) أميًّا . ولو تصور

---

(١) حديث لايقضي القاضى وهو غضبان : متفق عليه من حديث أبى بكرة

(٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمياً أى لايحسن الكتابة : ابن مردويه فى التفسير من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا أنا محمد النبي الأمي وفيه ابن لهيعة ، ولابن حبان والدارقطنى والحاكم والبيهقى وصححه من حديث ابن مسعود قولوا اللهم صل على محمد النبي الأمى ، وللبخارى من حديث البراء : وأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب

استقلال الحفظ بجميع مايسمع لاستغنى عن الكتابة ، ولكنه صار بحكم العجز فى الغالب ضروريا

الضرب الرابع : المتممات ـ وذلك فى علم القرءان ، فإنه ينقسم الى مايتعلق باللفظ كتعلم القراءات ومخارج الحروف ، والي مايتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعتماده أيضا على النقل ، إذ اللغة بمجردها لاتستقل به ، والى مايتعلق بأحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ ، والعام والخاص ، والنص والظاهر ، وكيفية استعمال البعض منه مع البعض ، وهو العلم الذي يسمى أصول الفقه ، ويتناول السنة أيضا .

وأما المتممات فى الآثار والأخبار ، فالعلم بالرجال وأسمائهم وأنسابهم ، وأسماء الصحابة وصفاتهم ، والعلمُ بالعدالة فى الرواة . والعلم بأحوالهم ليميز الضعيف عن القوى ، والعلم بأعمارهم ليميز المرسل عن المسند ، وكذلك مايتعلق به . فهذه هي العلوم الشرعية ، وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات .

فان قلت : لم ألحقت الفقه بعلم الدنيا وألحقت الفقهاء بعلماء الدنيا ؟ فاعلم أن الله عز وجل أخرج آدم عليه السلام من التراب ، وأخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق ، فأخرجهم من الأصلاب إلى الأرحام ، ومنها إلى الدنيا ، ثم إلى القبر ، ثم إلى العرض ، ثم إلى الجنة أو إلى النار ، فهذا مبدؤهم وهذا غايتهم ، وهذه منازلهم . وخلق الدنيا زاداً للمعاد ليتناول منها مايصلح للتزود ، فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ، ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات ، فمسّت الحاجة إلى سلطان يسوسهم ، واحتاج السلطان إلى قانون يسوسهم به . فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا بحكم الشهوات ، فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم ، لينتظم باستقامتهم أمورهم فى الدنيا . ولعمرى إنه متعلق أيضاً بالدين ، ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا ، فان الدنيا مزرعة الآخرة ، ولا يتم الدين إلا بالدنيا ، والملك والدين توأمان . فالدين أصل والسلطان حارس ، ومالا أصل له فمهدوم ، ومالا حارس له فضائع ، ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان ، وطريق الضبط فى فصل الحكومات بالفقه

وكما أن سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين فى الدرجة الأولى ، بل هو معين على مالا يتم الدين إلا به ، فكذلك معرفة طريق السياسة . فمعلوم أن الحج لا يتم إلا ببذرقة تحرس

من العرب فى الطريق ، ولكن الحج شيء وسلوك الطريق إلى الحج شيء ثان ، والقيام بالحراسة التى لايتم الحج إلا بها شيء ثالث ، ومعرفة طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شيء رابع . وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة . ويدل على ذلك ما روى مسنداً [1] «لا يُفْتِي النَّاسَ إلاَّ ثَلاثَةٌ : أَمِيرٌ أَوْ مَأْمُورٌ أَوْ مُتَكَلِّفٌ» . فالأمير هو الامام وقد كانوا هم المفتين ، والمأمور نائبه ، والمتكلف غيرهما ، وهو الذى يتقلد تلك العهدة من غير حاجة . وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يحترزون عن الفتوى حتي كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه ، وكانوا لايحترزون إذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة . وفى بعض الروايات بدل المتكلف المرائى ، فان من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به إلا طلب الجاه والمال .

فان قلت : هذا إن استقام لك فى أحكام الجراحات والحدود والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة ، ولا فيما يشتمل عليه ربع العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام . فاعلم أن أقرب مايتكلم الفقيه فيه من الأعمال التي هى أعمال الآخرة ثلاثة : الاسلام ، والصلاة ، والزكاة ، والحلال والحرام . فاذا تأملت منتهي نظر الفقيه فيها ، علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة . وإذا عرفت هذا فى هذه الثلاثة فهو فى غيرها أظهر .

أما الإسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد ، وفى شروطه ، وليس يلتفت فيه إلا الى اللسان ، وأما القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم أرباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال : [2] «هَلَّا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ» للذى قتل من تكلم بكلمة الاسلام معتذرا بأنه قال ذلك من خوف السيف ، بل يحكم الفقيه بصحة الاسلام تحت ظلال السيوف ؛ مع أنه يعلم أن السيف لم يكشف له عن نيته ، ولم يدفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة ، ولكنه مشير على صاحب السيف ، فان السيف ممتد إلى رقبته ، واليد ممتدة إلى ماله ، وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله مادامت له رقبة ومال ، وذلك فى الدنيا ، ولذلك

---

(١) حديث لايفتى الناس إلا ثلاثة ـ الحديث : ابن ماجة من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ : لايقص على الناس ، وإسناده حسن

(٢) حديث هلا شققت عن قلبه : مسلم من حديث أسامة بن زيد

قال صلى الله عليه وسلم :[١] « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَإِذَا قَالُوهَا فَقَدْ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ » جعل أثر ذلك في الدم والمال . وأما الآخرة فلا تنفع فيها الأموال ، بل أنوار القلوب وأسرارها وإخلاصها ؛ وليس ذلك من فن الفقه ، وإن خاض الفقيه فيه كان كما لو خاض فى الكلام والطب وكان خارجا عن فنه

وأما الصلاة فالفقيه يفتى بالصحة اذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط ، وإن كان غافلا فى جميع صلاته من أولها الى آخرها ، مشغولا بالتفكر فى حساب معاملاته فى السوق إلا عند التكبير ، وهذه الصلاة لا تنفع فى الآخرة ، كما أن القول باللسان فى الاسلام لا ينفع ، ولكن الفقيه يفتي بالصحة ، أى أن مافعله حصل به امتثال صيغة الأمر وانقطع به عنه القتل والتعزير . فأما الخشوع وإحضار القلب الذى هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه ، ولو تعرض له لكان خارجا عن فنه

وأما الزكاة فالفقيه ينظر الى مايقطع به مطالبة السلطان حتي اذا امتنع عن أدائها فأخذها السلطان قهراً حكم بأنه برئت ذمته . وحكى أن أبا يوسف القاضى كان يهب ماله لزوجته آخر الحول ويستوهب مالها إسقاطا للزكاة ، فحكى ذلك لأبى حنيفة رحمه الله ، فقال : ذلك من فقهه ، وصدق فان ذلك من فقه الدنيا ؛ ولكن مضرّته فى الآخرة أعظم من كل جناية ، ومثل هذا هو العلم الضار

وأما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين ، ولكن الورع له أربع مراتب :

الأولى ـ الورع الذى يشترط فى عدالة الشهادة ، وهو الذى يخرج بتركه الانسانُ عن أهلية الشهادة والقضاء والولاية ، وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر

الثانية ـ ورع الصالحين ، وهو التوقي من الشبهات التى يتقابل فيها الاحتمالات ، قال صلى الله عليه وسلم :[٢] « دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ » وقال صلى الله عليه وسلم :[٣] « الْإِثْمُ حَزَّازُ الْقُلُوبِ »

---

(١) حديث أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبى هريرة وعمر وابن عمر

(٢) حديث دع مايريبك إلى مالا يريبك : الترمذي وصححه والنسائي وابن حبان من حديث الحسن بن علي

(٣) حديث الاثم حزاز القلوب : البيهقى فى شعب الايمان من حديث ابن مسعود ورواه العدني فى مسنده موقوفا عليه

الثالثة ـ ورع المتقين ، وهو ترك الحلال المحض الذى يخاف منه أداؤه الى الحرام ؛ قال صلى الله عليه وسلم[1] « لَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَالَا بَأْسَ بِهِ مَخَافَةَ مِمَّا بِهِ بَأْسٌ » وذلك مثل التورع عن التحدث بأحوال الناس خيفة من الانجرار الى الغيبة ، والتورع عن أكل الشهوات خيفة من هيجات النشاط والبطر المؤدى الى مقارفة المحظورات

الرابعة ـ ورع الصديقين ، وهو الإعراض عما سوى الله تعالى خوفا من صرف ساعة من العمر الى مالا يفيد زيادة قرب عند الله عز وجل ؛ وإن كان يعلم ويتحقق أنه لا يفضى إلى حرام

فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه ، إلا الدرجة الأولى ، وهو ورع الشهود والقضاة وما يقدح فى العدالة ، والقيام بذلك لا ينفي الاثم فى الآخرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] « لِوَابِصَةَ اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَوْكَ وَإِنْ أَفْتَوْكَ وَإِنْ أَفْتَوْكَ » . والفقيه لا يتكلم فى حزازات القلوب وكيفية العمل بها ، بل فيما يقدح فى العدالة فقط ، فاذاً جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التى بها صلاح طريق الآخرة ، فان تكلم فى شىء من صفات القلب وأحكام الآخرة فذلك يدخل فى كلامه على سبيل التطفل ، كما قد يدخل في كلامه شىء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام ، وكما تدخل الحكمة فى النحو والشعر . وكان سفيان الثوري وهو إمام فى علم الظاهر يقول : إن طلب هذا ليس من زاد الآخرة . كيف وقد اتفقوا على أن الشرف فى العلم العمل به ، فكيف يظن أنه علم الظهار واللعان والسلم والإجارة والصرف ؟ ومن تعلم هذه الأمور ليتقرب بها الى الله تعالى فهو مجنون ، وإنما العمل بالقلب والجوارح فى الطاعات ، والشرف هو تلك الأعمال

فان قلت : لم سويت بين الفقه والطب إذ الطب أيضاً يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد ، وذلك يتعلق به أيضاً صلاح الدين ، وهذه التسوية تخالف إجماع المسلمين ؟ فاعلم أن التسوية غير لازمة بل بينهما فرق ، وأن الفقه أشرف منه من ثلاثة اوجه : (أحدها) أنه علم شرعي

---

(١) حديث لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع مالا بأس به ـ الحديث : الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث عطية السعدى

(٢) حديث استفت قلبك وإن أفتوك : أحمد من حديث وابصة

إذ هو مستفاد من النبوة ، بخلاف الطب فانه ليس من علم الشرع . و(الثانى) أنه لا يستغني عنه أحد من سالكى طريق الآخرة ألبتة لا الصحيح ولا المريض؛ وأما الطب فلا يحتاج إليه إلا المرضى وهم الأقلون . و(الثالث) أن علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لأنه نظر فى أعمال الجوارح، ومصدر أعمال الجوارح ومنشؤها صفات القلوب ، فالمحمود من الأعمال يصدر عن الأخلاق المحمودة المنجية فى الآخرة ، والمذموم يصدر من المذموم، وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب. وأما الصحة والمرض فمنشؤهما صفاء فى المزاج والأخلاط ، وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب ، فهما أضيف الفقه إلي الطب ظهر شرفه ، وإذا أضيف علم طريق الآخرة إلى الفقه ظهر أيضاً شرف علم طريق الآخرة

فإن قلت : فصّل لى علم طريق الآخرة تفصيلا يشير الى تراجمه وإن لم يمكن استقصاء تفاصيله ، فاعلم أنه قسمان : علم مكاشفة وعلم معاملة .

فالقسم الأول علم المكاشفة وهو علم الباطن، وذلك غاية العلوم، فقد قال بعض العارفين : من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة . وأدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله . وقال آخر: من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم : بدعة أو كبر . وقيل : من كان محباً للدنيا أو مصرًّا على هوى لم يتحقق به ؛ وقد يتحقق بسائر العلوم ، وأقل عقوبة من ينكره أنه لا يذوق منه شيئا ؛ وينشد على قوله :

وارض لمن غاب عنك غيبته * فذاك ذنب عقابه فيه

وهو علم الصديقين والمقربين ؛ أعنى علم المكاشفة . فهو عبارة عن نور يظهر فى القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة ؛ وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معانى مجملة غير متضحة ؛ فتتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته الباقيات التامات ، وبأفعاله وبحكمه فى خلق الدنيا والآخرة، ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي ، وبمعنى الوحى ومعنى الشيطان ، ومعنى لفظ الملائكة والشياطين ، وكيفية معاداة الشياطين للانسان ، وكيفية ظهور الملك للأنبياء ، وكيفية وصول الوحى اليهم ، والمعرفة بملكوت السموات والأرض ، ومعرفة القلب ، وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ، ومعرفة الفرق بين لمّة الملك ولمة الشيطان ، ومعرفة الآخرة والجنة والنار ، وعذاب القبر ، والصراط ، والميزان والحساب ، ومعنى قوله تعالى :

(اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً) ومعنى قوله تعالى : (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر إلى وجهه الكريم ، ومعنى القرب منه والنزول فى جواره ، ومعني حصول السعادة بمرافقة الملأ الأعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ، ومعني تفاوت درجات أهل الجنان حتى يري بعضهم البعض كما يري الكوكب الدرى فى جوف السماء ، إلى غير ذلك مما يطول تفصيله ، إذ للناس فى معانى هذه الأمور بعد التصديق بأصولها مقامات شتى ، فبعضهم يرى أن جميع ذلك أمثلة وأن الذى أعده الله لعباده الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وأنه ليس مع الخلق من الجنة إلا الصفات والأسماء . وبعضهم يرى أن بعضها أمثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من ألفاظها ، وكذا يرى بعضهم أن منتهى معرفة الله عز وجل الاعتراف بالعجز عن معرفته ، وبعضهم يدعى أمورا عظيمة فى المعرفة بالله عزّ وجل . وبعضهم يقول : حدّ معرفة الله عزّ وجل ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام ، وهو أنه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم . فنعنى بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق فى هذه الأمور اتضاحا يجرى مجرى العيان الذى لا يشك فيه . وهذا ممكن فى جوهر الانسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدؤها وخبثها بقاذورات الدنيا ، وإنما نعنى بعلم طريق الآخرة العلمَ بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التي هى الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله ، وإنما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات ، والاقتداء بالأنبياء صلوات الله عليهم فى جميع أحوالهم ، فبقدر ماينجلى من القلب ويحاذى به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه ، ولا سبيل اليه إلا بالرياضة التى يأتى تفصيلها فى موضعها ، وبالعلم والتعليم . وهذه هى العلوم التى لا تسطر فى الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشىء منها إلا مع أهله ، وهو المشارك فيه ، على سبيل المذاكرة وبطريق الإسرار . وهذا هو العلم الخفي الذى أراده صلى الله عليه وسلم بقوله : (١) « إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ كَهَيْئَةِ الْمَكْنُونِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِاللهِ تَعَالَى ، فَإِذَا نَطَقُوا بِهِ لَمْ يَجْهَلْهُ إِلَّا أَهْلُ الاغْتِرَارِ بِاللهِ تَعَالَى ، فَلَا تَحْقِرُوا عَالِمًا آتَاهُ اللهُ تَعَالَى عِلْمًا مِنْهُ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَحْقِرْهُ إِذْ آتَاهُ إِيَّاهُ »

---

(١) حديث من العلم كهيئة المكنون ـ الحديث : أبو عبد الرحمن السلمى فى الأربعين له فى التصوف من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف .

وأما القسم الثانى وهو علم المعاملة فهو علم أحوال القلب .

أما ما يحمد منها فكالصبر والشكر ، والخوف والرجاء ، والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاء ، ومعرفة المنة لله تعالى فى جميع الأحوال ، والاحسان وحسن الظن ، وحسن الخلق وحسن المعاشرة ، والصدق والاخلاص . فمعرفة حقائق هذه الأحوال وحدودها وأسبابها التى بها تكتسب ، وثمرتها وعلاماتها ومعالجة ماضعف منها حتى يقوى ، وما زال حتى يعود ، من علم الآخرة

وأما مايذم فخوف الفقر ، وسخط المقدور ، والغل والحقد ، والحسد والغش ، وطلب العلوّ وحب الثناء ، وحب طول البقاء فى الدنيا للتمتع ، والكبرُ والرياء ، والغضب والأنفة ، والعداوة والبغضاء ، والطمع والبخل ، والرغبة والبذَخ ، والأشر والبطر ، وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء ، والفخر والخيلاء والتنافس ، والمباهاة ، والاستكبار عن الحق والخوض فيما لايعنى ، وحب كثرة الكلام ، والصلف والتزين للخلق ، والمداهنة والعجب ، والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس ، وزوال الحزن من القلب ، وخروج الخشية منه ، وشدة الانتصار للنفس إذا نالها الذل ، وضعف الانتصار للحق ، واتخاذ إخوان العلانية على عداوة السر ، والأمن من مكر الله سبحانه فى سلب ماأعطى ، والاتكال على الطاعة ، والمكر والخيانة والمخادعة ، وطول الأمل والقسوة والفظاظة ، والفرح بالدنيا والأسف على فواتها ، والأنس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم ، والجفاء والطيش والعجلة ، وقلة الحياء وقلة الرحمة . فهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ، ومنابت الأعمال المحظورة .

وأضدادها وهى الأخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات ؛ فالعلم بحدود هذه الأمور وحقائقها وأسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة ، وهو فرض عين فى فتوى علماء الآخرة . فالمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك فى الآخرة ؛ كما أن المعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا . فنظر الفقهاء فى فروض العين ، بالاضافة الى صلاح الدنيا ؛ وهذا بالاضافة الى صلاح الآخرة . ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعانى حتى عن الاخلاص مثلا أو عن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه ، مع أنه فرض عينه الذي فى اهماله هلاكه فى الآخرة . ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمى لسرد عليك

مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج إلى شيء منها ، وإن احتيج لم تخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها، فلا يزال يتعب فيها ليلا ونهارا ، وفي حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم نفسه في الدين، وإذا روجع فيه قال اشتغلت به لأنه علم الدين وفرض الكفاية ، ويلبّس على نفسه وعلى غيره في تعلمه ، والفطن يعلم أنه لو كان غرضه أداء حق الأمر في فرض الكفاية لقدّم عليه فرض العين ، بل قدم عليه كثيرا من فروض الكفايات؛ فكم من بلدة ليس فيها طبيب إلا من أهل الذمة ، ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه ثم لا نرى أحداً يشتغل به، ويتهاترون على علم الفقه لاسيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع .

فليت شعري كيف يرخص فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة ، وإهمال مالا قائم به ؟ هل لهذا سبب إلا أن الطب ليس يتيسر الوصول به إلى تولي الأوقاف والوصايا وحيازة مال الأيتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الأقران والتسلط به على الأعداء ، هيهات هيهات ! قد اندرس علم الدين بتلبيس علماء السوء ، فالله تعالى المستعان ، واليه الملاذ في أن يعيذنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ، ويضحك الشيطان !

وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب ، كان الامام الشافعي رضي الله عنه يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يقعد الصبي في المكتب ويسأله كيف يفعل كذا وكذا ؛ فيقال له : مثلك يسأل هذا البدوي؟ فيقول : إن هذا وفق لما أغفلناه . وكان أحمد بن حنبل رضي الله عنه ويحيى بن معين يختلفان إلى معروف الكرخي ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسألانه . وكيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] لما قيل له : كيف نفعل إذا جاءنا أمر لم نجده في كتاب ولا سنة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « سَلُوا الصَّالِحِينَ وَاجْعَلُوهُ شُورَى بَيْنَهُمْ » . ولذلك قيل : علماء الظاهر زينة الأرض والملك؛ وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت . وقال الجنيد رحمه الله: قال لي السري شيخي يوما : اذا قمت من عندي فمن تجالس ؟ قلت المحاسبي فقال : نعم خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه الكلام وردّه على المتكلمين ، ثم لما

(١) حديث قيل له كيف نفعل اذا جاء أمر لم نجده في كتاب الله ولا سنة رسوله ـ الحديث : الطبراني من حديث ابن عباس فيه عبد الله بن كيسان ضعفه الجمهور

وليت سمعته يقول : جعلك الله صاحب حديث صوفيا ، ولا جعلك صوفيا صاحب حديث . أشار إلى أن من حصّل الحديث والعلم ثم تصوف أفلح ، ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه .

فان قلت : فلم لم تورد فى أقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين أنهما مذمومان أو محمودان ؟ فاعلم أن حاصل مايشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التى ينتفع بها فالقرءان والأخبار مشتملة عليه، وما خرج عنهما فهو إما مجادلة مذمومة وهى من البدع كما سيأتى بيانه، وإما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق لها، وتطويل بنقل المقالات التى أكثرها تُرَّهات وهذيانات تزدريها الطباع، وتمجها الأسماع ، وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شىء منه مألوفا فى العصر الأول ، وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ، ولكن تغير الآن حكمه إذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القرءان والسنة ، ونبغت جماعة لفقوا لها شبها ورتبوا فيها كلاما مؤلفا ، فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة مأذونا فيه ، بل صار من فروض الكفايات ، وهو القدر الذي يقابل به المبتدع إذا قصد الدعوة إلى البدعة ، وذلك إلى حد محدود سنذكره فى الباب الذى يلى هذا ، إن شاء الله تعالى .

وأما الفلسفة فليست علماً برأسها بل هى أربعة أجزاء :

(أحدها) الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق، ولا يُمنع عنهما إلا من يُخاف عليه أن يتجاوز بهما إلى علوم مذمومة، فان أكثر الممارسين لهما قد خرجوا منهما إلى البدع ، فيصان الضعيف عنهما لا لعينهما، كما يصان الصبي عن شاطىء النهر خيفة عليه من الوقوع فى النهر ، وكما يصان حديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار خوفا عليه، مع أن القوى لا يندب إلى مخالطتهم .

(الثانى) المنطق، وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه، ووجه الحد وشروطه، وهما داخلان فى علم الكلام

و(الثالث) الإلهيات ، وهو بحث عن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته ، وهو داخل فى الكلام أيضاً . والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم ، بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة . وكما أن الاعتزال ليس علماً برأسه بل أصحابه طائفة من المتكلمين ، وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة ، فكذلك الفلاسفة

و(الرابع) الطبيعيات، وبعضها مخالف للشرع والدين الحق، فهو جهل وليس بعلم حتى يورَد

فى أقسام العلوم ، وبعضها بحث عن صفات الأجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها ، وهو شبيه بنظر الأطباء ، إلا أن الطبيب ينظر فى بدن الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح ، وهم ينظرون فى جميع الأجسام من حيث تتغير وتتحرك . ولكن للطب فضل عليه وهو أنه محتاج اليه ، وأما علومهم فى الطبيعيات فلاحاجة اليها . فاذاً الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخييلات المبتدعة ، وإنما حدث ذلك بحدوث البدع ، كما حدثت حاجة الانسان إلى استئجار البذرقة فى طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ، ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج ، فلذلك لو ترك المبتدع هذيانه لما افتقر الى الزيادة على ماعهد فى عصر الصحابة رضى الله عنهم ..

فليعلم المتكلم حدّه من الدين ، وأن موقعه منه موقع الحارس فى طريق الحج ، فاذا تجرّد الحارس للحراسة لم يكن من جملة الحاج ، والمتكلم اذا تجرّد للمناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الآخرة ، ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين أصلا ، وليس عند المتكلم من الدين إلا العقيدة التى يشاركه فيها سائر العوام ، وهى من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان ، وإنما يتميز عن العامي بصنعة المجادلة والحراسة ، فأما معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا اليه فى علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام ، بل يكاد أن يكون الكلام حجابا عليه ومانعا عنه ، وإنما الوصول اليه بالمجاهدة التى جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال تعالى : (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)

فان قلت : فقد رددت حدّ المتكلم إلى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة ، كما أن حدّ البذرقة حراسة أقمشة الحجيج عن نهب العرب ، ورددت حدّ الفقيه إلى حفظ القانون الذى به يكف السلطان شرّ بعض أهل العدوان عن بعض ، وهاتان رتبتان نازلتان بالاضافة إلى علم الدين ، وعلماء الأمّة المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون ، وهم أفضل الخلق عند الله تعالى ، فكيف تنزل درجاتهم إلى هذه المنزلة السافلة بالاضافة إلى علم الدين ؟

فاعلم أن من عرف الحقّ بالرجال ، حار فى متاهات الضلال ، فاعرف الحقّ تعرف أهله إن كنت سالكا طريق الحق ، وإن قنعت بالتقليد والنظر إلى ما اشتهر من درجات الفضل بين

الناسَ فلا تغفل عن الصحابة وعلو منصبهم ، فقد أجمع الذين عرّضت بذكرهم على تقدمهم ، وأنهم لايدرك فى الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ، ولم يكن تقدّمهم بالكلام والفقه ، بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها . وما فَضَل أبو بكر[1] رضى الله عنه الناسَ بكثرة صيام ولا صلاة ولا بكثرة رواية ولا فتوى ولا كلام ولكن بشيء وقر فى صدره ، كما شهد له سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم . فليكن حرصك فى طلب ذلك السرّ ، فهو الجوهر النفيس والدّر المكنون ، ودع عنك ماتطابق أكثر الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لأسباب ودواع يطول تفصيلها ، فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آلاف من الصحابة رضى الله عنهم كلهم علماء بالله أثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن فيهم أحد يحسن صنعة الكلام ، ولا نصب نفسه للفتيا منهم أحد ، إلا بضعة عشر رجلا . ولقد كان ابن عمر رضي الله عنهما منهم ، وكان إذا سئل عن الفتيا يقول للسائل : اذهب إلى فلان الأمير الذى تقلد أمور الناس وضعْها فى عنقه . إشارة الى أن الفتيا فى القضايا والأحكام من توابع الولاية والسلطنة . ولما مات عمر رضى الله عنه قال ابن مسعود : مات تسعة أعشار العلم ، فقيل له : أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة ؟ فقال : لم أرد علم الفتيا والأحكام إنما أريد العلم بالله تعالى ؛ أفترى أنه أراد صنعة الكلام والجدل ؟ فما بالك لاتحرص على معرفة ذلك العلم الذي مات بموت عمر تسعة أعشاره ؟ وهو الذى سد باب الكلام والجدل ، وضرب ضبيعا بالدرّة لما أورد عليه سؤالا فى تعارض آيتين فى كتاب الله ، وهجره وأمر الناس بهجره .

وأما قولك : إن المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون ، فاعلم أن ما يُنال به الفضل عند الله شيء ، وما ينال به الشهرة عند الناس شيء آخر ، فلقد كان شهرة أبى بكر الصديق رضى الله عنه بالخلافة ، وكان فضله بالسر الذى وقر فى قلبه . وكان شهرة عمر رضى الله عنه بالسياسة ، وكان فضله بالعلم بالله الذى مات تسعة أعشاره بموته ؛ وبقصده التقرّب إلى الله عز وجل فى ولايته ، وعدله وشفقته على خلقه ، وهو أمر باطن فى سره . فأما سائر أفعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب فى الشهرة ، فتكون الشهرة فيما هو المهلك ، والفضل فيما هو سرّ لايطلع عليه أحد . فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة والعلماء ،

---

(١) حديث مافضل أبو بكر الناس بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام ـ الحديث : الترمذى الحكيم فى النوادر من قول أبى بكر بن عبد الله المزنى ولم أجده مرفوعا

وقد انقسموا : فمنهم من أراد الله سبحانه بعلمه وفتواه وذبه عن سنة نبيه ، ولم يطلب به رياء ولا سمعة ، فأولئك أهل رضوان الله تعالى ، وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ، ولإرادتهم وجه الله سبحانه بفتواهم ونظرهم ، فان كل علم عمل ، فانه فعل مكتسب ، وليس كل عمل علماً ، والطبيب يقدر على التقرب إلى الله تعالى بعلمه فيكون مثابا على علمه من حيث إنه عامل لله سبحانه وتعالى به ، والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضياً عند الله سبحانه ومثابا ، لا من حيث إنه متكفل بعلم الدين ، بل من حيث هو متقلد بعمل يقصد به التقرب إلى الله عزّ وجل بعلمه

وأقسام مايتقرب به الى الله تعالى ثلاثة : علم مجرد وهو علم المكاشفة، وعمل مجرد وهو كعدل السلطان مثلا وضبطه للناس ، ومركب من عمل وعلم وهو علم طريق الآخرة ، فانّ صاحبه من العلماء والعمال جميعا . فانظر إلى نفسك أتكون يوم القيامة فى حزب علماء الله ، أو عمال الله تعالى ، أو فى حزبيهما فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما ؛ فهذا أهم عليك من التقليد لمجرد الاشتهار كما قيل:

خذ ماتراه ودع شيئا سمعت به * فى طلعة الشمس مايغنيك عن زحل

على أنا سننقل من سيرة فقهاء السلف ماتعلم به أن الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم ؛ وأنهم من أشدّ خصمائهم يوم القيامة ، فانهم ماقصدوا بالعلم إلا وجه الله تعالى؛ وقدشوهدمن أحوالهم ماهو من علامات علماء الآخرة كما سيأتى بيانه فى باب علامات علماء الآخرة ، فانهم ما كانوا متجرّدين لعلم الفقه ، بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها، ولكن صرفهم عن التدريس والتصنيف فيه ماصرف الصحابة عن التصنيف والتدريس فى الفقه مع أنهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتوى ، والصوارف والدواعى متيقنة ، ولا حاجة الى ذكرها

ونحن الآن نذكر من أحوال فقهاء الاسلام ماتعلم به أن ماذكرناه ليس طعنا فيهم ، بل هو طعن فيمن أظهر الاقتداء بهم منتحلا مذاهبهم وهو مخالف لهم فى أعمالهم وسيرهم .

فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق، أعنى الذين كثر أتباعهم فى المذاهب ، خمسة : الشافعى ، ومالك ، وأحمد بن حنبل ، وأبوحنيفة ، وسفيان الثورى رحمهم الله تعالى . وكل واحد منهم كان عابدا ، وزاهدا ، وعالما بعلوم الآخرة ، وفقيها فى مصالح الخلق فى الدنيا، ومريدا بفقهه وجه الله تعالى . فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جملتها على خصلة واحدة ، وهى التشمير والمبالغة

فى تفاريع الفقه ، لأن الخصال الأربع لاتصلح إلا للآخرة ، وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة ، إن أريد بها الآخرة قلّ صلاحها للدنيا، شمروا لها وادّعوا بها مشابهة أولئك الأئمة ، وهيهات أن تقاس الملائكة بالحدّادين

فلنورد الآن من أحوالهم مايدل على هذه الخصال الأربع ، فان معرفتهم بالفقه ظاهرة :

أما الامام الشافعى رحمه الله تعالى فيدل على أنه كان عابدا ماروى أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء : ثُلثاً للعلم ، وثلثا للعبادة ، وثلثا للنوم . قال الربيع : كان الشافعى رحمه الله يختم القرءان فى رمضان ستين مرة كل ذلك فى الصلاة . وكان البويطى أحد أصحابه يختم القرءان فى رمضان فى كل يوم مرة . وقال الحسن الكرابيسى : بتُّ مع الشافعى غير ليلة فكان يصلى نحوا من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية ، فاذا أكثر فمائة آية ، وكان لايمرّ بآية رحمة إلا سأل الله تعالى لنفسه ولجميع المسلمين والمؤمنين ، ولا يمرّ بآية عذاب إلا تعوّذ فيها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين ؛ وكأنما جمع له الرجاء والخوف معا . فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين آية على تبحره فى أسرار القرءان وتدبره فيها . وقال الشافعى رحمه الله: ماشبعت منذ ست عشرة سنة ، لأن الشبع يثقل البدن ، ويقسى القلب، ويزيل الفطنة ، ويجلب النوم ، ويضعف صاحبه عن العبادة . فانظر إلى حكمته فى ذكر آفات الشبع ، ثم فى جدّه فى العبادة إذ طرح الشبع لأجلها ، ورأس التعبد تقليل الطعام . وقال الشافعى رحمه الله : ماحلفت بالله تعالى لاصادقا ولا كاذبا قط . فانظر إلى حرمته وتوقيره لله تعالى ، ودلالة ذلك على علمه بجلال الله سبحانه

وسئل الشافعي رضى الله عنه عن مسألة فسكت ، فقيل له : ألا تجيب رحمك الله ! فقال : حتى أدرى الفضل فى سكوتى أوفى جوابى . فانظر فى مراقبته للسانه مع أنه أشدّ الأعضاء تسلطا على الفقهاء ، وأعصاها عن الضبط والقهر . وبه يستبين أنه كان لايتكلم ولا يسكت إلا لنيل الفضل وطلب الثواب . وقال أحمد بن يحيي بن الوزير : خرج الشافعى رحمه الله تعالى يوما من سوق القناديل فتبعناه فاذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم ، فالتفت الشافعى الينا وقال : نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به ، فان المستمع شريك القائل، وإن السفيه لينظر إلى أخبث شيء فى إنائه فيحرص أن يفرغه فى أوعيتكم ، ولو ردّت كلمة السفيه لسعد رادّها كما شقى بها قائلها . وقال الشافعى رضى الله عنه : كتب حكيم إلى حكيم : قد

أوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم

وأما زهده رضى الله عنه فقد قال الشافعى رحمه الله : من ادّعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها فى قلبه فقد كذب . وقال الحميدى : خرج الشافعى رحمه الله إلى اليمن مع بعض الولاة فانصرف إلى مكة بعشرة آلاف درهم ، فضرب له خباء فى موضع خارجا من مكة فكان الناس يأتونه ، فما برح من موضعه ذلك حتى فرّقها كلها . وخرج من الحمام مرة فأعطى الحمامى مالا كثيرا . وسقط سوطه من يده مرة فرفعه إنسان اليه فأعطاه جزاء عليه خمسين دينارا . وسخاوة الشافعى رحمه الله أشهر من أن تحكى ، ورأس الزهد السخاء ، لأن من أحبّ شيئا أمسكه ولم يفارقه ، فلا يفارق المال إلا من صغرت الدنيا فى عينه ، وهو معنى الزهد .

ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همته بالآخرة ما رُوى أنه رَوى سفيان بن عيينة حديثا فى الرقائق فغشى على الشافعى ، فقيل له : قد مات ، فقال : إن مات فقد مات أفضل زمانه . وما رَوى عبد الله بن محمد البلوى قال : كنت أنا وعمر بن نباتة جلوسا نتذاكر العبّاد والزهاد ، فقال لى عمر : ما رأيت أورع ولا أفصح من محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه : خرجت أنا وهو والحارث بن لبيد إلى الصفا ، وكان الحارث تلميذا لصالح المرى فافتتح يقرأ وكان حسن الصوت ، فقرأ هذه الآية : (هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ، وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ) فرأيت الشافعى رحمه الله وقد تغير لونه ، واقشعر جلده ، واضطرب اضطرابا شديدا ، وخرّ مغشيا عليه ، فلما أفاق جعل يقول : أعوذ بك من مقام الكاذبين ، وإعراض الغافلين ، اللهم لك خضعت قلوب العارفين ، وذلت لك رقاب المشتاقين ، إلهى هب لى جودك وجَلّلنى بسترك ، واعف عن تقصيرى بكرم وجهك ! قال ثم مشى وانصرفنا ، فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقعدت على الشط أتوضأ للصلاة إذ مر بى رجل فقال لى : ياغلام أحسن وضوءك أحسن الله إليك فى الدنيا والآخرة . فالتفتّ فاذا أنا برجل يتبعه جماعة فأسرعت فى وضوئى وجعلت أقفو أثره ، فالتفت إلىّ فقال : هل لك من حاجة ؟ فقلت : نعم تعلمنى مما علمك الله شيئا . فقال لي : اعلم أن من صَدَق الله نجا ، ومن أشفق على دينه سلم من الردى ، ومن زهد فى الدنيا قرّت عيناه بما يراه من ثواب الله تعالى غدا ، أفلا أزيدك ؟ قلت نعم . قال : من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الإيمان : من أمر بالمعروف وائتمر ، ونهى عن المنكر وانتهى ، وحافظ

على حدود الله تعالي . ألا أزيدك ؟ قلت : بلى . فقال : كن فى الدنيا زاهدا وفى الآخرة راغبا ، واصدق الله تعالى في جميع أمورك تنج مع الناجين . ثم مضى ، فسألت من هذا ؟ فقالوا : هو الشافعى . فانظر إلى سقوطه مغشيا عليه ، ثم إلى وعظه ، كيف يدل ذلك على زهده وغاية خوفه ؛ ولايحصل هذا الخوف والزهد إلا من معرفة الله عز وجل، فانه (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) . ولم يستفد الشافعى رحمه‌الله هذا الخوف والزهد من علم كتاب السَّلَم والاجارة وسائر كتب الفقه ؛ بل هو من علوم الآخـرة المستخرجة من القرءان والأخبار ؛ إذ حكَم الأولين والآخرين مودعة فيهما .

وأما كونه عالمـا بأسرار القلب وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم المأثورة عنه : روى أنه سئل عن الرياء فقال على البديهة : الرياء فتنة عقدها الهوى حيال أبصار قلوب العلمـاء فنظروا اليها بسوء اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم . وقال الشـافعى رحمه الله تعالى : إذا أنت خفت على عملك العجب فانظر رضا من تطلب ، وفى أى ثواب ترغب ، ومن أى عقاب ترهب ، وأى عافية تشكر ، وأى بلاء تذكر ، فانك إذا تفكرت فى واحدة من هذه الخصال صغر فى عينك عملك . فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب . وقال الشافعى رضى الله عنه : من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه . وقال رحمه الله : من أطاع الله تعـالى بالعلم نفعه سرّه . وقال : ما من أحد إلا له محب ومبغض ، فاذا كان كذلك فكن مع أهل طاعة الله عز وجل . وروى أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا ، وكان يسأل الشافعى رضى‌الله عنه عن مسائل فى الورع ، والشافعى رحمه الله يُقبل عليه لورعه

وقال للشافعى يوما : أيها أفضل : الصبر ، أو المحنة ، أو التمـكين ؟ فقال الشافعى رحمه الله : التمـكين درجة الأنبياء ولا يكون التمـكين إلا بعد المحنة ، فاذا امتحن صبر ، وإذا صبر مكن ، ألا تري أن الله عز وجل امتحن ابراهيم عليه السلام ثم مكّنه ، وامتحن موسى عليه السلام ثم مكّنه ، وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنه ، وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه وآتاه ملكا ؟ والتمـكين أفضل الدرجات ، قال‌الله عز وجل : (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ) وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مكّن ، قال الله تعالي : (وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ) الآية ، فهذا الـكلام من الشافعي رحمه الله يدل على تبحره فى أسرار القرآن ، واطلاعه على مقـامات

السائرين إلى الله تعالى من الأنبياء والأولياء ، وكل ذلك من علوم الآخرة

وقيل للشافعي رحمه الله : متى يكون الرجل عالما ؟ قال : إذا تحقق في علم فعلمه وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاته ، فعند ذلك يكون عالما ، فانه قيل لجالينوس : إنك تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجمعة ، فقال : إنما المقصود منها واحد ، وإنما يجعل معه غيره لتسكن حدّته لأن الإفراد قاتل . فهذا وأمثاله مما لايحصى يدل على علوّ رتبته في معرفة الله تعالى وعلوم الآخرة .

وأما إرادته بالفقه والمناظرة فيه وجهَ الله تعالى ، فيدل عليه ماروى عنه انه قال : وددتُ أن الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب إليّ شيء منه . فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم له ، وكيف كان منزّه القلب عن الالتفات اليه ، بمجرد النية فيه لوجه الله تعالى ! وقال الشافعي رضي الله عنه : ماناظرت أحدا قط فأحببت أن يخطىء . وقال : ما كلمت أحدا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدّد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ ، وما كلمت أحدا قط وأنا أبالي أن يبين الله الحق على لساني أو على لسانه . وقال : ماأوردت الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هبته واعتقدت محبته ، ولا كابرني أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عيني ورفضته . فهذه العلامات هي التي تدل على إرادة الله تعالى بالفقه والمناظرة . فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط ، ثم كيف خالفوه فيها أيضا ! ولهذا قال أبو ثور رحمه الله : مارأيت ولا رأى الراءون مثل الشافعي رحمه الله تعالى .

وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه : ماصليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي رحمه الله تعالى . فانظر إلى إنصاف الداعي ، وإلى درجة المدعوّ له ، وقس به الأقران والأمثال من العلماء في هذه الأعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء بهؤلاء . ولكثرة دعائه له قال له ابنه : أي رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء؟ فقال احمد : يا بني كان الشافعي رحمه الله تعالى كالشمس للدنيا ، وكالعافية للناس . فانظر هل لهذين من خلف ؟ وكان أحمد رحمه الله يقول : مامس أحد بيد محبرة إلا وللشافعي رحمه الله في عنقه منة .

وقال يحيى بن سعيد القطان : ماصليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو فيها للشافعي لما فتح الله عز وجل عليه من العلم ، ووفقه للسداد فيه .

ولنقتصر على هذه النبذة من أحواله ، فان ذلك خارج عن الحصر . وأكثر هذه المناقب نقلناه من الكتاب الذى صنفه الشيخ نصر بن ابراهيم المقدسى رحمه الله تعالى فى مناقب الشافعى رضى الله عنه وعن جميع المسلمين .

وأما الامام مالك رضى الله عنه فإنه كان أيضاً متحليا بهذه الخصال الخمس، فإنه قيل له: ماتقول يامالك فى طلب العلم ؟ فقال : حسن جميل ولكن انظر إلى الذى يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسى فالزمه . وكان رحمه الله تعالى فى تعظيم علم الدين مبالغا، حتى كان اذا أراد أن يحدّث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرّح لحيته واستعمل الطيب وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة ثم حدّث . فقيل له في ذلك ، فقال : أحبّ أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال مالك : العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية . وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوّة معرفته بجلال الله تعالى .

وأما إرادته وجهَ الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله : « الجدال فى الدين ليس بشىء » . ويدل عليه قول الشافعى رحمه الله : إنى شهدت مالكا وقد سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال فى اثنتين وثلاثين منها : لاأدرى . ومن يرد غير وجه الله تعالي بعلمه فلا تسمح نفسه بأن يقر على نفسه بأنه لايدرى . ولذلك قال الشافعي رضى الله عنه : إذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب، وما أحد أمنّ عليّ من مالك . وروى أن أبا جعفر المنصور منعه من رواية الحديث فى طلاق المكره ثم دسّ عليه من يسأله، فروَى على ملأ من الناس : « ليس على مستكره طلاق » فضربه بالسياط ، ولم يترك رواية الحديث . وقال مالك رحمه الله : ما كان رجل صادقا فى حديثه ولا يكذب إلا متع بعقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا خرف .

وأما زهده فى الدنيا فيدل عليه ماروى أن المهدى أمير المؤمنين سأله فقال له : هل لك من دار ؟ فقال لا ولكن أحدّثك : سمعت ربيعة بن أبى عبد الرحمن يقول : نسب المرء داره . وسأله الرشيد : هل لك دار ؟ فقال : لا ، فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال اشتر بها دارا ، فأخذها ولم ينفقها ، فلما أراد الرشيد الشخوص قال لمالك رحمه الله : ينبغى أن تخرج معنا فانى عزمت على أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان رضى الله عنه الناس على القرءان ، فقال له : أما حمل الناس على الموطأ فليس اليه سبيل لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده في الأمصار فحدثوا فعند كل أهل مصر علم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم

« اخْتِلَافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ »[1]: وأما الخروج معك فلا سبيل اليه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :[2] « اَلْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » وقال عليه الصلاة والسلام :[3] « اَلْمَدِينَةُ تَنْفِي خَبَثَهَا كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ » وهذه دنانيركم كما هي إن شئتم فخذوها وإن شئتم فدعوها . يعني أنك إنما تكلفني مفارقة المدينة لما اصطنعته إلىّ ، فلا أوثر الدنيا على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهكذا كان زهد مالك في الدنيا . ولما حملت اليه الأموال الكثيرة من أطراف الدنيا لانتشار علمه وأصحابه كان يفرّقها في وجوه الخير ، ودل سخاؤه على زهده وقلة حبه للدنيا ، وليس الزهد فقد المال ، وإنما الزهد فراغ القلب عنه . ولقد كان سليمان عليه السلام في ملكه من الزهاد . ويدل على احتقاره للدنيا ماروى عن الشافعي رحمه الله أنه قال : رأيت على باب مالك كراعا من أفراس خراسان ويقال مصر مارأيت أحسن منه ، فقلت لمالك رحمه الله : ماأحسنه ! فقال: هو هدية مني اليك ياأباعبدالله ، فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها ، فقال إني أستحيي من الله تعالى أن أطأ تربة فيها نبيّ الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة . فانظر إلى سخائه إذ وهب جميع ذلك دفعة واحدة ، وإلى توقيره لتربة المدينة

ويدل على إرادته بالعلم وجه الله تعالى واستحقاره للدنيا ماروى عنه أنه قال : دخلت على هرون الرشيد فقال لي : ياأبا عبدالله ينبغي أن تختلف الينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ . قال فقلت: أعز الله مولانا الأمير: إن هذا العلم منكم خرج ، فان أنتم أعززتموه عزّ ، وإن أنتم أذللتموه ذلّ ، والعلم يؤتى ولا يأتي . فقال صدقت ، اخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا مع الناس

وأما أبو حنيفة رحمه الله تعالى لقد كان أيضا عابدا ، زاهدا ، عارفا بالله تعالى ، خائفا منه ، مريدا وجه الله تعالى بعلمه

فأما كونه عابدا فيعرف بما روى عن ابن المبارك أنه قال : كان أبو حنيفة رحمه الله له مروءة وكثرة صلاة . وروى حماد بن أبي سليمان أنه كان يحيي الليل كله . وروى أنه كان يحيي نصف الليل فمر يوما في طريق فأشار اليه إنسان وهو يمشي ، فقال لآخر : هذا هو الذي يحيي الليل

---

(١) حديث اختلاف أمتي رحمة : ذكره البيهقي في رسالته الأشعرية تعليقا وأسنده في المدخل من حديث ابن عباس بلفظ اختلاف أصحابي لكم رحمة ، وإسناده ضعيف

(٢) حديث المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون : متفق عليه من حديث سفيان بن أبي زهير

(٣) حديث المدينة تنفي خبثها ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبي هريرة

كله ، فلم يزل بعدذلك يحيي الليل كله ؛ وقال أنا أستحى من الله سبحانه أن أوصف بما ليس فيّ من عبادته

وأما زهـده فقد روى عن الربيع بن عاصم قال : أرسلني يزيد بن عمر بن هبيرة فقدمت بأبي حنيفة عليه ، فأراده أن يكون حاكما على بيت المال فأبى . فضربه عشرين سوطا . فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب . قال الحكم بن هشام الثقفي : حدثت بالشام حديثاً في أبي حنيفة أنه كان من أعظم الناس أمانة ، وأراده السلطان على أن يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختار عذابهم له على عذاب الله تعالى . وروى أنه ذُكر أبو حنيفة عند ابن المبارك فقال : أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففرّ منها ! وروى عن محمد بن شجاع عن بعض أصحابه أنه قيل لأبي حنيفة : قد أمر لك أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم ، قال : فما رضى أبو حنيفة، قال: فلما كان اليوم الذى توقع أن يؤتي بالمال فيه صلى الصبح ثم تغشي بثوبه فلم يتكلم ، فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه، فقال بعض من حضر : مايكلمنا إلا بالكلمة بعد الكلمة ، أى هذه عادته ، فقال ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت،ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته ؛ وقال لابنه : إذامت ودفنتموني فخذ هذه البدرة واذهب بها إلى الحسن بن قحطبة فقل له : خذ وديعتك التى أودعتها أبا حنيفة . قال ابنه : ففعلت ذلك ، فقال الحسن : رحمة الله على أبيك فلقد كان شحيحا على دينه . وروى أنه دعى إلى ولاية القضاء فقال: أنا لاأصلح لهذا ، فقيل له : لم ؟ فقال: إن كنت صادقا فما أصلح لها ، وإن كنت كاذباً فالكاذب لا يصلح للقضاء .

وأما علمـه بطريق الآخرة وطريق أمور الدين ومعرفته بالله عزّ وجل ، فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده في الدنيا . وقد قال ابن جريج : قد بلغني عن كوفيّكم هذا النعمان ابن ثابت أنه شديد الخوف لله تعالى . وقال شريك النخعي :كان أبو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر ، قليل المحادثة للناس . فهذا من أوضح الأمارات على العلم الباطني، والاشتغال بمهمات الدين ، فمن أوتى الصمت والزهد فقد أوتى العلم كله . فهذه نبذة من أحوال الأئمة الثلاثة

وأما الامام أحمد بن حنبل وسفيان الثورى رحمهما الله تعالى فأتباعهما أقلّ من أتباع هؤلاء، وسفيان أقلّ أتباعا من أحمد ، ولكن اشتهارهما بالورع والزهد أظهر . وجميع هذا الكتاب

مشحون بحكايات أفعالهما وأقوالهما ، فلا حاجة إلى التفصيل الآن ، فانظر الآن فى سير هؤلاء الأئمة الثلاثة . وتأمّل أن هذه الأحوال والأقوال والأفعال فى الإعراض عن الدنيا والتجرد لله عز وجل هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه ، من معرفة السلم والإجارة والظهار والإيلاء واللعان ، أو يثمرها علم آخر أعلى وأشرف منه ؟ وانظر إلى الذين ادّعوا الاقتداء بهؤلاء أصدقوا فى دعواهم أم لا ؟

الباب الثالث

فيما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها . وفيه بيان الوجه الذى قد يكون بين بعض العلوم مذموماً ، وبيان تبديل أسامى العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة ، وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها

بيان علة ذم العلم المذموم

لعلك تقول : العلم هو معرفة الشيء على ماهو به وهو من صفات الله تعالى فكيف يكون الشيء علما ويكون مع كونه علما مذموما ؟ فاعلم أن العلم لايذم لعينه وإنما يذم فى حق العباد لأحد أسباب ثلاثة :

الأول ـ أن يكون مؤدّيا إلى ضرر مّا إما لصاحبه أو لغيره كما يذم علم السحر والطلسمات ، وهو حقّ ، إذ شهد القرءان له ، وأنه سبب يتوصل به إلى التفرقة بين الزوجين . وقد «سُحر[1] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه حتى أخبره جبريل عليه السلام بذلك ، وأُخرج السحرُ من تحت حَجَر في قعر بئر » وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمور حسابية فى مطالع النجوم ، فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ، ويرصد

﴿ الباب الثالث ﴾

(١) حديث سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم : متفق عليه من حديث عائشة

به وقت مخصوص من المطالع ، وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ، ويتوصل بسببها إلى الاستعانة بالشياطين ، ويحصل من مجموع ذلك ، بحكم إجراء الله تعالى العادة ، أحوال غريبة فى الشخص المسحور . ومعرفة هذه الأسباب من حيث إنها معرفة ليست بمذمومة ، ولكنها ليست تصلح إلا للإضرار بالخلق ، والوسيلة إلى الشرّ شرّ ، فكان ذلك هو السبب فى كونه علما مذموما ، بل من اتبع وليا من أولياء الله ليقتله وقد اختفى منه فى موضع حريز إذا سأل الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه ، بل وجب الكذب فيه ، وذكر موضعه إرشاد وإفادةُ علم بالشيء على ماهو عليه ، ولكنه مذموم لأدائه إلى الضرر

الثانى ـ أن يكون مضراً بصاحبه في غالب الأمر كعلم النجوم ، فانه فى نفسه غير مذموم لذاته ، إذ هو قسمان : قسم حسابى ، وقد نطق القرءان بأن مسير الشمس والقمر محسوب ، إذ قال عزّ وجل: (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) وقال عزّ وجل : (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) . والثانى الأحكام ، وحاصله يرجع إلى الاستدلال على الحوادث بالأسباب ، وهو يضاهي استدلال الطبيب بالنبض على ماسيحدث من المرض ، وهو معرفة لمجارى سنة الله تعالى وعادته فى خلقه ، ولكن قد ذمّه الشرع ، قال صلى الله عليه وسلم [1] « إِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا ، وَإِذَا ذُكِرَتِ النُّجُومُ فَأَمْسِكُوا ، وَإِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا » . وقال صلى الله عليه وسلم [2] « أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي بَعْدِي ثَلَاثًا : حَيْفُ الْأَئِمَّةِ ، وَالْإِيمَانُ بِالنُّجُومِ ، وَالتَّكْذِيبُ بِالْقَدَرِ » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : تعلموا من النجوم ماتهتدون به فى البرّ والبحر ثم أمسكوا . وإنما زجر عنه من ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه مضر بأكثر الخلق ، فانه إذا ألقي اليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع فى نفوسهم أن الكواكب هى المؤثرة ، وأنها الآلهة المدبرة ، لأنها جواهر شريفة سماوية ، ويعظم وقعها فى القلوب ، فيبقى القلب ملتفتا اليها ، ويرى الخير والشرّ محذورا أو مرجوّا من جهتها ، وينمحى ذكر الله سبحانه عن القلب . فان الضعيف يقصر نظره على الوسائط ، والعالم الراسخ هو الذي يطلع على أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره سبحانه وتعالى . ومثال نظر الضعيف الى

---

(١) حديث إذا ذكر القدر فأمسكوا ـ الحديث : رواه الطبرانى من حديث ابن مسعود باسناد حسن

(٢) حديث أخاف على أمتى بعدى ثلاثا حيف الأئمة ـ الحديث : ابن عبد البر من حديث أبى محجن باسناد ضعيف

حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس وهى تنظر إلى سواد الخط يتجدد ،فتعتقد أنه فعل القلم ولا تترقى فى نظرها إلى مشاهدة الأصابع ، ثم منها إلى اليد ،ثم منها إلى الارادة المحركة لليد ، ثم منها إلى الكاتب القادر المريد ، ثم منه إلى خالق اليد والقدرة والإرادة ، فأكثر نظر الخلق مقصور على الأسباب القريبة السافلة، مقطوع من الترقي إلى مسبب الأسباب . فهذا أحد أسباب النهى عن النجوم . و (ثانيها) أن أحكام النجوم تخمين محض ليس يدرك فى حق آحاد الأشخاص لا يقينا ولا ظنا ، فالحكم به حكم بجهل، فيكون ذمه على هذا من حيث إنه جهل لا من حيث إنه علم ، فلقد كان ذلك معجزة لأدريس عليه السلام فيما يحكى ، وقد اندرس وانمحى ذلك العلم وانمحق ، وما يتفق من إصابة المنجم على ندور فهو اتفاق، لأنه قد يطلع على بعض الأسباب ولا يحصل المسبب عقيبها إلا بعد شروط كثيرة ليس فى قدرة البشر الاطلاع على حقائقها ،فان اتفق أن قدر الله تعالى بقية الأسباب وقعت الإصابة ، وإن لم يقدر أخطأ ، ويكون ذلك كتخمين الانسان فى أن السماء تمطر اليوم مهما رأى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك ، وربما يحمى النهار بالشمس ويذهب الغيم ، وربما يكون بخلافه ، ومجرد الغيم ليس كافيا فى مجيء المطر ، وبقية الأسباب لا تدرى، وكذلك تخمين الملاّح أن السفينة تسلم اعتمادا على ما ألفه من العادة فى الرياح ، ولتلك الرياح أسباب خفية هو لا يطلع عليها ، فتارة يصيب فى تخمينه وتارة يخطىء ، ولهذه العلة يمنع القوى عن النجوم أيضا . و (ثالثها) أنه لا فائدة فيه، فأقل أحواله أنه خوض فى فضول لا يغنى، وتضييع العمر الذى هو أنفس بضاعة الانسان فى غير فائدة ، وذلك غاية الخسران ، فقد « مرّ (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال : ماهذا ؟ فقالوا : رجل علامة، فقال بماذا ؟ قالوا بالشعر وأنساب العرب ، فقال : عِلْمٌ لَا يَنْفَعُ وَجَهْلٌ لَا يَضُرُّ » . وقال صلى الله عليه وسلم (١) « إِنَّمَا الْعِلْمُ آيَةٌ مُحْكَمَةٌ أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ » . فاذاً الخوض فى النجوم وما يشبهه اقتحام خطر ، وخوض فى جهالة من غير فائدة ، فان ما قدر كائن والاحتراز منه غير ممكن ، بخلاف الطب فان الحاجة ماسة اليه ، وأكثر أدلته بما يطلع عليه ،

---

(١) حديث مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون فقال ماهذا فقالوا رجل علامة ـ الحديث: ابن عبد البر من حديث أبى هريرة وضعفه وفى آخر الحديث « إنما العلم آية محكمة » الى آخره ، وهذه القطعة عند أبى داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو ،

وبخلاف التعبير وإن كان تخمينا لأنه جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة ولا خطر فيه

السبب الثالث ـ الخوض فى علم لا يستفيد الخائض فيه فائدة علم ، فهو مذموم فى حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها ، وخفيها قبل جليها ، وكالبحث عن الأسرار الإلهية ، إذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون اليها ولم يستقلوا بها ، ولم يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها إلا الأنبياء والأولياء ، فيجب كف الناس عن البحث عنها ، وردهم إلى ما نطق به الشرع ، ففى ذلك مقنع للموفق ، فكم من شخص خاض فى العلوم واستضرّ بها ، ولو لم يخض فيها لكان حاله أحسن فى الدين مما صار اليه . ولا ينكر كون العلم ضارا لبعض الناس كما يضر لحم الطير وأنواع الحلوى اللطيفة بالصبي الرضيع ، بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الأمور ، فلقد حكي أن بعض الناس شكا إلى طبيب عقم امرأته وأنها لا تلد فجس الطبيب نبضها وقال : لا حاجة لكِ إلى دواء الولادة فإنك ستموتين إلى أربعين يوما وقد دل النبض عليه ، فاستشعرت المرأة الخوف العظيم وتنغص عليها عيشها ؛ وأخرجت أموالها وفرقتها ؛ وأوصت ، وبقيت لا تأكل ولا تشرب حتى انقضت المدة ؛ فلم تمت ، فجاء زوجها إلى الطبيب وقال له لم تمت ؛ فقال الطبيب : قد علمت ذلك فجامعها الآن فانها تلد . فقال : كيف ذاك ؟ قال رأيتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها فعلمت أنها لا تهزل إلا بخوف الموت ؛ فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة . فهذا ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم . ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وسلم : (١) « نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ » . فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بحاثا عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها ، ولازم الاقتداء بالصحابة رضى الله عنهم ، واقتصر على اتباع السنة ، فالسلامة فى الاتباع ، والخطر فى البحث عن الأشياء والاستقلال ، ولا تكثر اللجج برأيك ومعقولك ، ودليلك وبرهانك ، وزعمك أنى أبحث عن الأشياء لأعرفها على ما هى عليه ، فأى ضرر فى التفكر فى العلم ، فان ما يعود عليك من ضرره أكثر ، وكم من شيء تطّلع عليه فيضرك اطلاعك عليه ضرراً يكاد يهلكك فى الآخرة إن لم يتداركك الله برحمته

واعلم أنه كما يطلع الطبيب الحاذق على أسرار فى المعالجات يستبعدها من لا يعرفها ، فكذلك الأنبياء أطباء القلوب والعلماء بأسباب الحياة الأخروية ، فلا تتحكم على سنتهم بعقولك

---

(١) حديث نعوذ بالله من علم لا ينفع : ابن عبد البر من حديث جابر بسند حسن وهو عند ابن ماجه بلفظ تعوذوا . وقد تقدم .

فتهلك ، فكم من شخص يصيبه عارض فى أصبعه فيقتضى عقله أن يطليه حتى ينبهه الطبيب الحاذق أن علاجه أن يطلى الكف من الجانب الآخر من البدن ، فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انشعاب الأعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن ، فهكذا الأمر فى طريق الآخرة ، وفى دقائق سنن الشرع وآدابه . وفى عقائده التى تعبّد الناس بها أسرار ولطائف ليست فى سعة العقل وقوته الإحاطة بها ، كما أن فى خواص الأحجار أموراً عجائبَ غاب عن أهل الصنعة علمها ، حتى لم يقدر أحد على أن يعرف السبب الذى به يجذب المغناطيس الحديد . فالعجائب والغرائب فى العقائد والأعمال وإفادتها لصفاء القلوب ونقائها وطهارتها وتزكيتها وإصلاحها للترقي إلى جوار الله تعالى وتعرضها لنفحات فضله ، أكثر وأعظم مما فى الأدوية والعقاقير . وكما أن العقول تقصر عن إدراك منافع الأدوية مع أن التجربة سبيل اليها فالعقول تقصر عن إدراك ماينفع فى حياة الآخرة مع أن التجربة غير متطرقة اليها ، وإنما كانت التجربة تتطرق اليها لو رجع الينا بعض الأموات فأخبرنا عن الأعمال المقبولة النافعة المقربة إلى الله تعالى زلفى ، وعن الأعمال المبعدة عنه ، وكذا عن العقائد ، وذلك مما لا يطمع فيه ، فيكفيك من منفعة العقل أن يهديك إلى صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، ويفهمك موارد إشاراته ، فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ، ولازم الاتباع فلا تسلم إلا به والسلام ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم[1] « إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ جَهْلًا ، وَإِنَّ مِنَ الْقَوْلِ عِيًّا » ومعلوم أن العلم لا يكون جهلا ولكنه يؤثر تأثير الجهل فى الإضرار . وقال أيضا صلى الله عليه وسلم[2] « قَلِيلٌ مِنَ التَّوْفِيقِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ » وقال عيسى عليه السلام : « ما أكثر الشجر وليس كلها بمثمر ، وما أكثر الثمر وليس كلها بطيب ، وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع !

بيان ما بدل من ألفاظ العلوم

اعلم أن منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسامى المحمودة وتبديلها ونقلها بالأغراض الفاسدة إلى معان غير ما أراده السلف الصالح والقرن الأوّل ، وهى خمسة

---

(١) حديث إن من العلم جهلا ـ الحديث : أبو داود من حديث بريدة وفى اسناده من يجهل

(٢) حديث قليل من التوفيق خير من كثير من العلم ـ لم أجد له أصلا وقد ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء وقال : العقل ، بدل العلم ، ولم يخرجه ولده فى مسنده

ألفاظ : الفقه، و العلم، والتوحيد، والتذكير والحكمة، فهذه أسام محمودة ، والمتصفون بها أرباب المناصب فى الدين ، ولكنها نقلت الآن إلى معان مذمومة ، فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع إطلاق هذه الأسامى عليهم .

اللفظ الأول : الفقه ـ فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل ، إذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة فى الفتاوى ، والوقوف على دقائق عللها ، واستكثار الكلام فيها، وحفظ المقالات المتعلقة بها ، فمن كان أشد تعمقا فيها وأكثر اشتغالا بها يقال هو الأفقه . ولقد كان اسم الفقه فى العصر الأول مطلقا على علم طريق الآخرة، ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال ، وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا ، وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة ، واستيلاء الخوف على القلب . ويدلك عليه قوله عز وجل : (لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ) . وما يحصل به الإنذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق والعتاق واللعان والسلم والاجارة ، فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف، بل التجرد له على الدوام يقسى القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد الآن من المتجردين له . وقال تعالى : (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا) وأراد به معانى الايمان دون الفتاوى . ولعمرى إن الفقه والفهم فى اللغة اسمان بمعنى واحد ، وإنما يتكلم فى عادة الاستعمال به قديما وحديثا، قال تعالى: (لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ) الآية ، فأحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه . فانظر إن كان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى ، أو هو نتيجة عدم ماذكرناه من العلوم ، وقال صلى الله عليه وسلم[1] « عُلَمَاءُ حُكَمَاءُ فُقَهَاءُ » للذين وفدوا عليه. وسئل سعد بن ابراهيم الزهرى رحمه الله: أىّ أهل المدينة أفقه ؟ فقال : أتقاهم لله تعالى ، فكأنه أشار إلى ثمرة الفقه ، والتقوى ثمرة العلم الباطنى دون الفتاوى والأقضية . وقال صلى الله عليه وسلم :[2] « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِالْفَقِيهِ كُلِّ الْفَقِيهِ ؟ قالوا بلى، قَالَ : مَنْ لم يُقْنِطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَمْ يُؤَمِّنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ وَلَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ وَلَمْ يَدَعِ الْقُرْآنَ رَغْبَةً عَنْهُ إِلَى مَا سِوَاهُ » ولما روى أنس بن مالك قوله صلى الله عليه

(١) حديث علماء حكماء فقهاء : أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الزهد والخطيب فى التاريخ من حديث سويد بن الحارث باسناد ضعيف

(٢) حديث ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه ـ الحديث : أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق وأبو بكر بن السنى وابن عبد البر من حديث على وقال ابن عبد البر أكثرهم يوقفونه عن على

وسلم :[1] (لَأن أقْعُدَ مَع قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللهَ تَعَالَى مِنْ غُدْوَةٍ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَ رِقَابٍ) قال فالتفت إلى زيد الرقاشي وزياد النميري وقال : لم تكن مجالسُ الذكر مثلَ مجالسكم هذه يَقُصُّ أحدُكم وعظَه على أصحابه ويسرُدُ الحديث سردا ، إنما كنا نقعدُ فنذْكر الايمانَ ، ونتدبَّر القرءان ونتفقه فى الدين ، ونعدّ نعم الله علينا تفقها ، فسمى تدبر القرءان وعد النعم تفقها. قال صلى الله عليه وسلم :[2] « لَا يَفْقَهُ الْعَبْدُ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى يَمْقُتَ النَّاسَ فِى ذَاتِ اللهِ وَحَتَّى يَرَى لِلْقُرْءَانِ وُجُوهاً كَثِيرَةً » وروى أيضا موقوفا على أبى الدرداء رضى الله عنه مع قوله (ثُمَّ يُقْبِلَ عَلَى نَفْسِهِ فَيَكُونَ لَهَا أَشَدَّ مَقْتاً) وقد سأل فَرْقَدُ السَّنجي الحسن عن الشيء فأجابه فقال : إن الفقهاء يخالفونك ، فقال الحسن رحمه الله : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ فريقد ، وهل رأيت فقيها بعينك ! إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا الراغب فى الآخرة ، البصير بدينه ، المداوم على عبادة ربه ، الورع الكافّ نفسه عن أعراض المسلمين ، العفيف عن أموالهم ، الناصح لجماعتهم ، ولم يقل فى جميع ذلك : الحافظ لفروع الفتاوى . ولست أقول إن اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى فى الأحكام الظاهرة ، ولكن كان بطريق العموم والشمول ، أو بطريق الاستتباع ، فكان إطلاقهم له على علم الآخرة أكثر . فبان من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والاعراض عن علم الآخرة وأحكام القلوب ، ووجدوا على ذلك معينا من الطبع ، فان علم الباطن غامض ، والعمل به عسير ، والتوصل به إلى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر ، فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك فى القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذى هو اسم محمود فى الشرع .

اللفظ الثانى : العلم — وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى وبآياته وبأفعاله فى عباده وخلقه ، حتى إنه لما مات عمر رضى الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله : لقد مات تسعة أعشار العلم ، فعرّفه بالألف واللام ، ثم فسره بالعلم بالله سبحانه وتعالى . وقد تصرفوا فيه أيضا بالتخصيص حتى شهروه فى الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم فى المسائل الفقهية وغيرها ، فيقال : هو العالم على الحقيقة ، وهو الفحل فى العلم . ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ، ولا يعدونه فى زمرة أهل العلم . وهذا أيضا تصرف بالتخصيص ، ولكن ما ورد

---

(١) حديث أنس لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس الحديث : أبو داود باسناد حسن

(٤) حديث لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس فى ذات الله ـ الحديث : ابن عبد البر من حديث شداد ابن أوس وقال لا يصح مرفوعا

من فضائل العلم والعلماء أكثره فى العلماء بالله تعالى وبأحكامه وبأفعاله وصفاته . وقد صار الآن مطلقا على من لايحيط من علوم الشرع بشىء سوى رسوم جدلية فى مسائل خلافية ، فيعد بذلك من فحول العلماء ، مع جهله بالتفسير والأخبار وعلم المذهب وغيره ، وصار ذلك سببا مهلكا لخلق كثير من أهل الطلب للعلم .

اللفظ الثالث : التوحيد — وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ، ومعرفة طريق المجادلة ، والاحاطة بطرق مناقضات الخصوم ، والقدرة على التشدق فيها بتكثير الأسئلة وإثارة الشبهات ، وتأليف الالزامات ، حتى لقب طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد ، وسمى المتكلمون ، العلماء بالتوحيد ، مع أن جميع ماهو خاصة هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شىء فى العصر الأوّل ، بل كان يشتد منهم النكير على من كان يفتح بابا من الجدل والمماراة ، فأما مايشتمل عليه القرءان من الأدلة الظاهرة التى تسبق الأذهان إلى قبولها فى أول السماع ، فلقد كان ذلك معلوما للكل . وكان العلم بالقرءان هو العلم كله ؛ وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لايفهمه أكثر المتكلمين ، وإن فهموه لم يتصفوا به ، وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط ، فلا يرى الخير والشر كله إلا منه جل جلاله . فهذا مقام شريف إحدى ثمراته التوكل كما سيأتى بيانه فى كتاب التوكل . ومن ثمراته أيضا ترك شكاية الخلق ، وترك الغضب عليهم ، والرضا والتسليم لحكم الله تعالى . وكانت إحدى ثمراته قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه لما قيل له فى مرضه : أنطلب لك طبيبا ؟ فقال : الطبيب أمرضنى . وقال آخر لما مرض فقيل له : ماذا قال لك الطبيب فى مرضك ؟ فقال : قال لى : إنى فعال لما أريد . وسيأتى في كتاب التوكل وكتاب التوحيد شواهد ذلك .

والتوحيد: جوهر نفيس، وله قشران : أحدهما أبعد عن اللب من الآخر ، فخصص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر ، وأهملوا اللب بالكلية . فالقشر الأول : هو أن تقول بلسانك : لاإله إلا الله . وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذى صرح به النصارى ، ولكنه قد يصدر من المنافق الذى يخالف سره جهره . والقشر الثانى : أن لايكون فى القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول ، بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده ، وكذلك التصديق به ، وهو توحيد عوام الخلق . والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة . والثالث وهو اللباب : أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط ، وأن يعبده

عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره ، ويخرج عن هذا التوحيد أتباع الهوى ، فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده . قال الله تعالى : (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ) وقال صلى الله عليه وسلم : « أَبْغَضُ إِلَٰهٍ عُبِدَ فِي الْأَرْضِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى هُوَ الْهَوَى [1] » . وعلى التحقيق : من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم وإنما يعبد هواه ، إذ نفسه مائلة إلى دين آبائه ، فيتبع ذلك الميل ، وميل النفس إلى المألوفات أحد المعانى التى يعبر عنها بالهواء . ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والالتفات اليهم ، فان من يرى الكل من الله عز وجل كيف يتسخط على غيره ! فلقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام ، وهو مقام الصديقين . فانظر إلى ماذا حول وبأى قشر قنع منه ، وكيف اتخذوا هذا معتصما فى التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الإفلاس عن المعنى الذى يستحق الحمد الحقيق ؟ وذلك كإفلاس من يصبح بكرة ويتوجه إلى القبلة ويقول : وجهتُ وَجهىَ للذى فطر السموات والأرضَ حنيفا ، وهو أول كذب يفاتح الله به كل يوم إن لم يكن وَجْه قلبه متوجها إلى الله تعالى على الخصوص ، فانه إن أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجّهه إلا إلى الكعبة ، وما صرفه إلا عن سائر الجهات ؛ والكعبة ليست جهة للذى فطر السموات والأرض حتى يكون المتوجه اليها متوجها اليه ، تعالى عن أن تحده الجهات والأقطار ؛ وإن أراد به وجه القلب ، وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق فى قوله ، وقلبهُ متردّد فى أوطاره وحاجاته الدنيوية ، ومتصرف فى طلب الحيل فى جمع الأموال والجاه واستكثار الأسباب ، ومتوجه بالكلية اليها ، فمتى وجّه وجهه للذى فطر السموات والأرض ؟ وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد ، فالموحد هو الذى لا يرى إلا الواحد ، ولا يوجه وجهه إلا اليه ، وهو امتثال قوله تعالى : (قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) وليس المراد به القول باللسان فانما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب أخرى ، وإنما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه هو القلب ، وهو معدن التوحيد ومنبعه

اللفظ الرابع : الذكر والتذكير ـ فقد قال الله تعالى : (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) . وقد ورد فى الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة ، كقوله صلى الله عليه وسلم [2] « إِذَا مَرَرْتُمْ

---

(١) حديث أبغض إله عبد عند الله فى الارض هو الهوى : الطبراني من حديث أبى أمامه باسناد ضعيف

(٢) حديث اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ـ الحديث : الترمذى من حديث أنس وحسنه

بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا ، قيل: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ مَجَالِسُ الذِّكْرِ » وفى الحديث[1] « إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِى الدُّنْيَا سِوَى مَلَائِكَةِ الْخَلْقِ إِذَا رَأَوْا مَجَالِسَ الذِّكْرِ يُنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَلَا هَلُمُّوا إِلَى بُغْيَتِكُمْ فَيَأْتُونَهُمْ وَيَحُفُّونَ بِهِمْ وَيَسْتَمِعُونَ ، أَلَا فَاذْكُرُوا اللَّهَ وَذَكِّرُوا أَنْفُسَكُمْ » فنقل ذلك إلى ماترى أكثر الوعاظ فى هذا الزمان ، يواظبون عليه ، وهو القصص والأشعار والشطح والطامات ، أما القصص فهى بدعة ؛ وقد ورد نهى السلف عن الجلوس إلى القُصَّاصِ ، وقالوا :[2] لم يكن ذلك فى زمن رسول الله صلي الله عليه وسلم ولا فى زمن أبى بكر ولا عمر رضى الله عنهما حتى ظهرت الفتنة وظهر القصاص.

وروى أن ابن عمر رضى الله عنهما خرج من المسجد فقال : ما أخرجني إلا القاصُّ ولولاه لما خرجت . وقال ضمرة : قلت لسفيان الثورى : نستقبل القاص بوجوهنا ؟ فقال : وَلُّوا البدعَ ظهورَكم . وقال ابن عون : دخلت على ابن سيرين فقال : ما كان اليوم من خبر ؟ فقلت : نهى الأمير القصاص أن يقصوا ، فقال : وُفِّق للصواب . ودخل الأعمش جامع البصرة فرأى قاصاً يقص ويقول : حدثنا الأعمش ، فتوسط الحلقة وجعل ينتف شعر إبطه ، فقال القاص : ياشيخ ألا تستحي ! فقال : لم ؟ أنا فى سنة وأنت فى كذب ، أنا الأعمش وما حدثتك ! وقال أحمد : أكثر الناس كذبا القُصَّاص والسُّؤَّال .

وأخرج علىّ رضى الله عنه القصاصَ من مسجد جامع البصرة فلما سمع كلام الحسن البصرى لم يخرجه ، إذ كان يتكلم فى علم الآخرة ، والتفكير بالموت ، والتنبيه على عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ، ويذكّر بآلاء الله ونعمائه ، وتقصير العبد فى شكره ، ويعرّف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها ونكث عهدها ، وخطر الآخرة وأهوالها . فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذى روى الحث عليه فى حديث أبى ذر رضى الله عنه حيث قال :[3] « حُضُورُ مَجْلِسِ ذِكْرٍ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ أَلْفِ رَكْعَةٍ ، وَحُضُورُ مَجْلِسِ عِلْمٍ أَفْضَلُ مِنْ عِيَادَةِ

---

(١) حديث إن لله ملائكة سياحين فى الهواء سوى ملائكة الخلق ـ الحديث: متفق عليه من حديث أبى هريرة دون قوله فى الهواء ، وللترمذى سياحين فى الارض ، وقال مسلم سيارة

(٢) حديث لم تكن القصص فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ابن ماجه من حديث عمر باسناد حسن

(٣) حديث أبى ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة: تقدم فى الباب الاول

أَلْفِ مَرِيضٍ ، وَحُضُورُ مَجْلِسِ عِلْمٍ أَفْضَلُ مِنْ شُهُودِ أَلْفِ جَنَازَةٍ . فقيل : يَا رَسُولَ اللهِ : وَمِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْءَانِ ؟ قال : وهل تَنْفَعُ قِرَاءَةُ الْقُرْءَانِ إِلاَّ بِالْعِلْمِ ؟ » وقال عطاء رحمه الله : مجلسُ ذكر يكفرّ سبعين مجلساً من مجالس اللهو . فقد اتخذ المذخرفون هذه الأحاديث حجة على تزكية أنفسهم ، ونقلوا اسم التذكير إلى خرافاتهم ، وذهلوا عن طريق الذكر المحمود ، واشتغلوا بالقصص التى تتطرق اليها الاختلافات والزيادة والنقص ، وتخرج عن القصص الواردة فى القرءان وتزيد عليها ، فان من القصص ماينفع سماعه، ومنها مايضر وإن كان صدقا . ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب ، والنافع بالضار ، فمن هذا نهى عنه . ولذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله : ما أحوج الناس إلى قاص صادق !

فان كانت القصة من قصص الأنبياء عليهم السلام فيما يتعلق بأمور دينهم، وكان القاص صادقا صحيح الرواية ، فلست أرى به بأسا . فليحذر الكذب وحكايات أحوال تومئ إلى هفوات أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها، أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات متداركة بحسنات تغطى عليها ، فان العامى يعتصم بذلك فى مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذراً فيه ، ويحتج بأنه حكى كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الأكابر ، فكلنا بصدد المعاصى ، فلاغرو إن عصيت الله تعالى فقد عصاه من هو أكبر منى ، ويفيده ذلك جراءة على الله تعالى من حيث لايدرى . فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلا بأس به ، وعند ذلك يرجع إلى القصص المحمودة ، وإلى ما يشتمل عليه القرءان ، ويصح فى الكتب الصحيحة من الأخبار

ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة فى الطاعات ، ويزعم أن قصده فيها دعوة الخلق إلى الحق ، فهذه من نزغات الشيطان ، فان فى الصدق مندوحة عن الكذب ، وفيما ذكر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم غنية عن الاختراع فى الوعظ ، كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع ؟ قال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه لابنه عمر وقد سمعه يسجع : هذا الذى يبغّضك إلىّ ، لا قضيت حاجتك أبدا حتى تتوب ! وقد كان جاءه فى حاجة . وقد قال صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن رواحة فى سجع من ثلاث كلمات[1] : « إِيَّاكَ وَالسَّجْعَ يَاابْنَ رَوَاحَةَ »

---

(١) حديث اياك والسجع يا ابن رواحة لم أجده هكذا ولأحمد وأبى يعلى وابن السنى وأبى نعيم فى كتاب الرياضة من حديث عائشة باسناد صحيح أنها قالت للسائب إياك والسجع فان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا لايسجعون ، ولابن حبان: واجتنب السجع ، وفى البخارى نحوه من قول ابن عباس

فكان السجع المحذور المتكلف مازاد على كلمتين ، ولذلك لما قال الرجل فى دية الجنين : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح ولا استهل ، ومثل ذلك يطل ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم [1] « أَسَجْعٌ كَسَجْعِ الْأَعْرَابِ ! »

وأما الأشعار فتكثيرها فى المواعظ مذموم ، قال الله تعالى : (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) وقال تعالى : (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) وأكثر ماعتاده الوعاظ من الأشعار مايتعلق بالتواصف بالعشق وجمال المعشوق ، وروح الوصال وألم الفراق ، والمجلس لايحوى إلا أجلاف العوام ، وبواطنهم مشحونة بالشهوات ، وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات إلى الصور المليحة ، فلا تحرك الأشعار من قلوبهم إلا ماهو مستكن فيها ، فتشتعل فيها نيران الشهوات ، فيزعقون ويتواجدون ، وأكثر ذلك أو كله يرجع إلى نوع فساد ، فلاينبغى أن يستعمل من الشعر إلا مافيه موعظة أو حكمة على سبيل استشهاد واستئناس . وقد قال صلى الله عليه وسلم : [2] « إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً » ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله تعالى ولم يكن معهم غيرهم ، فان أولئك لايضر معهم الشعر الذى يشير ظاهره إلى الخلق ، فان المستمع ينزل كل مايسمعه على مايستولى على قلبه كما سيأتى تحقيق ذلك فى كتاب السماع ، ولذلك كان الجنيد رحمه الله يتكلم على بضعة عشر رجلا ، فان كثروا لم يتكلم ، وما تم أهل مجلسه قط عشرين . وحضر جماعة باب دار ابن سالم فقيل له : تكلم فقد حضر أصحابك ، فقال : لا ماهؤلاء أصحابى إنما هم أصحاب المجلس إن أصحابى هم الخواص .

وأما الشطح فنعنى به صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية :

أحدهما ـ الدعاوى الطويلة العريضة فى العشق مع الله تعالى ، والوصال المغنى عن الأعمال الظاهرة ، حتى ينتهى قوم إلى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب ، والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب ، فيقولون : قيل لنا كذا وقلنا كذا ، ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذى صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس ، ويستشهدون بقوله : أنا الحق . وبما حكى عن أبى

---

(١) حديث أسجع كسجع الأعراب : مسلم من حديث المغيرة

(٢) حديث إن من الشعر لحكمة : البخارى من حديث أبي بن كعب

يزيد البسطامي أنه قال : سبحاني سبحاني ؛ وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام ؛ حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم ، وأظهروا مثل هذه الدعاوى ، فان هذا الكلام يستلذه الطبع ، إذ فيه البطالة من الأعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والأحوال ، فلا تعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ، ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ، ومهما أنكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن أن يقولوا : هذا إنكار مصدره العلم والجدل ، والعلم حجاب ، والجدل عمل النفس . وهذا الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق. فهذا ومثله مما قد استطار في البلاد شرره وعظم في العوام ضرره حتى من نطق بشيء منه فقتله أفضل في دين الله من إحياء عشرة . وأما أبو يزيد البسطامي رحمه الله ، فلا يصح عنه مايحكى ، وإن سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله عز وجل في كلام يردده في نفسه ، كما لو سمع وهو يقول : إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ، فانه ما كان ينبغي أن يفهم منه ذلك إلا على سبيل الحكاية .

الصنف الثاني من الشطح : كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة ، وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل ، وذلك إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط في عقله وتشويش في خياله لقلة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه، وهذا هو الأكثر. وإما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على ضميره ، لقلة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالألفاظ الرشيقة ، ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام إلا أنه يشوش القلوب ويدهش العقول ، ويحير الأذهان ، أو يحمل على أن يفهم منها معاني ما أريدت بها ، ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه . وقد قال صلى الله عليه وسلم [1] « مَا حَدَّثَ أَحَدُكُمْ قَوْمًا بِحَدِيثٍ لَا يَفْقَهُونَهُ إِلَّا كَانَ فِتْنَةً عَلَيْهِمْ » . وقال صلى الله عليه وسلم [2] « كَلِّمُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ وَدَعُوا مَا يُنْكِرُونَ ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ ؟ » وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع ، فكيف فيما لا يفهمه قائله ؟ فان كان يفهمه القائل دون المستمع فلا يحل ذكره . وقال عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها

---

(١) حديث ماحدث أحدكم قوما بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم : العقيلي في الضعفاء وابن السني وأبو نعيم في الرياء من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ولمسلم في مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود

(٢) حديث كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ماينكرون ـ الحديث : البخاري موقوفا على علي ورفعه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي نعيم

فتظلموهم ، كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء فى موضع الداء . وفى لفظ آخر : من وضع الحكمة فى غير أهلها فقد جهل ، ومن منعها أهلها فقد ظلم ، إن للحكمة حقا ، وإن لها أهلا ، فأعط كل ذى حق حقه .

وأما الطامات، فيدخلها ماذكرناه فى الشطح ، وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لايسبق منها إلى الأفهام فائدة: كدأب الباطنية فى التأويلات، فهذا أيضا حرام وضرره عظيم ،فان الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ، ومن غير ضرورة تدعو اليه من دليل العقل ، اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ ، وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه و سلم ، فان مايسبق منه إلى الفهم لايوثق به ، والباطن لاضبط له، بل تتعارض فيه الخواطر ، ويمكن تنزيله على وجوه شتى ؛ وهذا أيضا من البدع الشائعة العظيمة الضرر، وإنما قصد أصحابها الإغراب ، لأن النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذة له . وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها ، وتنزيلها على رأيهم ، كما حكيناه من مذاهبهم فى كتاب المستظهرى المصنف فى الرد على الباطنية

ومثال تأويل أهل الطامات قول بعضهم فى تأويل قوله تعالى : (اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ) : إنه إشارة إلى قلبه ، وقال هو المراد بفرعون، وهو الطاغى على كل إنسان، وفى قوله تعالى : (وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ) أى كل مايتوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله عز وجل ؛ فينبغى أن يلقيه ، وفى قوله صلى الله عليه وسلم :[1] « تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً » أراد به الاستغفار فى الأسحار . وأمثال ذلك، حتى يحرفون القرءان من أوله إلى آخره عن ظاهره ، وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء . وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعا ، كتنزيل فرعون على القلب ، فان فرعون شخص محسوس تواتر الينا النقل بوجوده ودعوة موسى له ، وكأبى جهل وأبى لهب وغيرهما من الكفار ، وليس من جنس الشياطين والملائكة مما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل الى ألفاظه . وكذا حمل السحور على الاستغفار ، فانه كان

---

(١) حديث تسحروا فان فى السحور بركة : متفق عليه من حديث أنس

صلى الله عليه وسلم: (١) « يَتَنَاوَلُ الطَّعَامَ، وَيَقُولُ: تَسَحَّرُوا » (٢) وَ« هَلُمُّوا إِلَى الْغَدَاءِ الْمُبَارَكِ » . فهذه أمور يدرك بالتواتر والحس بطلانها نقلا ، وبعضها يعلم بغالب الظن ، وذلك فى أمور لا يتعلق بها الاحساس . فكل ذلك حرام وضلالة ، وإفساد للدين على الخلق ، ولم ينقل شيء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصرى مع إكبابه على دعوة الخلق ووعظهم ، فلا يظهر لقوله صلى الله عليه وسلم (٣) « مَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » معنى إلا هذا النمط ، وهو أن يكون غرضه ورأيه تقرير أمر وتحقيقه ، فيستجر شهادة القرءان اليه ، ويحمله عليه من غير أن يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية أو نقلية .

ولا ينبغى أن يفهم منه أنه يجب أن لا يفسر القرءان بالاستنباط والفكر ، فان من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ، ويعلم أن جميعها غير مسموع من النبي صلى الله عليه وسلم ، فانها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع ، فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر . ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنه (٤) « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ » ومن يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مرادة بالألفاظ ويزعم أنه يقصد بها دعوة الخلق الى الخالق ، يضاهى من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو فى نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع : كمن يضع فى كل مسألة يراها حقاً حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فذلك ظلم وضلال ، ودخول فى الوعيد المفهوم من قوله صلى الله عليه وسلم (٥) « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِن

---

(١) حديث تناول الطعام فى السحور : البخارى من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم وزيد بن ثابت تسحرا

(٢) حديث هلموا إلى الغداء المبارك : أبوداود والنسائى وابن حبان من حديث العرباض بن سارية وضعفه ابن القطان

(٣) حديث من فسر القرءان برأيه فليتبوأ مقعده من النار : الترمذي من حديث ابن عباس وحسنه وهو عند أبى داود من رواية ابن العبد وعند النسائى فى الكبرى

(٤) حديث اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل ـ قاله لابن عباس : البخارى من حديث ابن عباس دون قوله : وعلمه التأويل ، وهو بهذه الزيادة عند أحمد وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد

(٥) حديث من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار : متفق عليه من حديث أبي هريرة وعلى وأنس

النَّارِ » بل الشر فى تأويل هـذه الألفاظ أطم وأعظم ، لأنها مبطلة للثقة بالألفاظ ، وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرءان بالكلية . فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعى الخلق عن العلوم المحمودة إلى المذمومة . فكل ذلك من تلبيس علماء السوء بتبديل الأسامى، فان اتبعت هؤلاء اعتمادا على الاسم المشهور من غير التفات الى ماعرف فى العصر الأول ، كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيما ، فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم فى هذا العصر ، وذلك بالغفلة عن تبديل الألفاظ

اللفظ الخامس : وهو الحكمة ـ فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم ، حتى على الذى يدحرج القرعة على أكف السوادية فى شوارع الطرق . والحكمة هى التى أثنى الله عز وجل عليها فقال تعالى : (يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا) . وقال صلي الله عليه وسلم[1] « كَلِمَةٌ مِنَ الْحِكْمَةِ يَتَعَلَّمُهَا الرَّجُلُ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » فانظر ما الذى كانت الحكمة عبارة عنه ، وإلى ماذا نقل ، وقس به من بقية الألفاظ ، واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء ، فان شرهم على الدين أعظم من شر الشياطين ، إذ الشيطان بواسطتهم يتدرج إلى انتزاع الدين من قلوب الخلق . ولهذا[2] لما سئل رسول الله صلي الله عليه وسلم عن شر الخلق أبى وقال: « اللَّهُمَّ غَفْرًا » حتى كرروا عليه فقال : « هُمْ عُلَمَاءُ السُّوءِ » فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس، واليك الخيرة فى أن تنظر لنفسك ، فتقتدى بالسلف ، أو تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف، فكل ماارتضاه السلف من العلوم قد اندرس ،وما أكب الناس عليه فأكثره مبتدع ومحدث ، وقد صح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] « بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ » فقيل : ومن الغرباء؟ قَالَ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَهُ النَّاسُ مِنْ سُنَّتِى . وَالَّذِينَ يُحْيُونَ مَا أَمَاتُوهُ مِنْ سُنَّتِى »

---

(١) حديث كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا : تقدم بنحوه

(٢) حديث لما سئل عن شر الخلق أبى وقال اللهم غفرا ـ الحديث : الدارمى بنحوه من رواية الأحوص ابن حكيم عن أبيه مرسلا وهو ضعيف ورواه البزار فى مسنده من حديث معاذ بسند ضعيف .

(٣) حديث بدأ الاسلام غريبا ـ الحديث : مسلم من حديث أبى هريرة مختصراً وهو بتمامه عند الترمذى من حديث عمرو بن عوف وحسنه

وفى خبر آخر [١] « هُمُ الْمُتَمَسِّكُونَ بِمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ الْيَوْمَ » وفى حديث آخر [٢] « الْغُرَبَاءُ نَاسٌ قَلِيلٌ صَالِحُونَ بَيْنَ نَاسٍ كَثِيرٍ مَنْ يُبْغِضُهُمْ فِى الْخَلْقِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُحِبُّهُمْ » . وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها . ولذلك قال الثورى رحمه الله : إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه مخلط ، لأنه إن نطق بالحق أبغضوه

بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة

اعلم أن العلم بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام : قسم هو مذموم قليله وكثيره ، وقسم هو محمود قليله وكثيره ، وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل، وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه ، والاستقصاء فيه ، وهو مثل أحوال البدن ، فان منها مايحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ، ومنها مايذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ، ومنها مايحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فان التبذير لايحمد فيه وهو بذل، وكالشجاعة فان التهور لايحمد فيها وإن كان من جنس الشجاعة ، فكذلك العلم

فالقسم المذموم منه قليله وكثيره هو مالافائدة فيه فى دين ولا دنيا ، إذ فيه ضرر يغلب نفعه : كعلم السحر والطلسمات والنجوم ، فبعضه لافائدة فيه أصلا، وصرف العمر الذى هو أنفس مايملكه الانسان اليه إضاعة ، وإضاعة النفيس مذمومة ، ومنه مافيه ضرر يزيد على مايظن أنه يحصل به من قضاء وطر فى الدنيا ، فان ذلك لايعتد به بالاضافة إلى الضرر الحاصل عنه

وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء ، فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسنته فى خلقه وحكمته فى ترتيب الآخرة على الدنيا ، فان هذا علم مطلوب لذاته ، وللتوصل به إلى سعادة الآخرة ، وبذل المقدور فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب ، فانه البحر الذى لايدرك غوره ، وإنما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر مايسّر لهم ، وما خاض أطرافه إلا الأنبياء والأولياء والراسخون فى العلم على اختلاف درجاتهم ، بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت

---

(١) حديث هم المتمسكون بما أنتم عليه اليوم يقوله فى وصف الغرباء : لم أر له أصلا

(٢) حديث الغرباء ناس قليلون صالحون : أحمد من حديث عبدالله بن عمرو

تقدير الله تعالى فى حقهم، وهذا هو العلم المكنون الذى لايسطر فى الكتب . ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة أحوال علماء الآخرة كما سيأتى علامتهم ، هذا فى أول الأمر . ويعين عليه في الآخرة المجاهدة والرياضة ، وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا ، والتشبه فيها بالأنبياء والأولياء ، ليتضح منه لكل ساع إلى طلبه بقدر الزرق لا بقدر الجهد ، ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد ، فالمجاهدة مفتاح الهداية لامفتاح لها سواها

وأما العلوم التى لايحمد منها إلا مقدار مخصوص ، فهى العلوم التى أوردناها فى فروض الكفايات ، فان فى كل علم منها اقتصارا وهو الأقل، واقتصادا وهو الوسط ، واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لامرد له إلى آخر العمر . فكن أحد رجلين : إما مشغولا بنفسك ، وإما متفرغا لغيرك بعد الفراغ من نفسك ، وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك، فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذى هو فرض عليك بحسب مايقتضيه حالك ، ومايتعلق منه بالأعمال الظاهرة : من تعلم الصلاة ، والطهارة ، والصوم ، وإنما الأهم الذى أهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم ، إذ لاينفك بشر عن الصفات المذمومة : مثل الحرص والحسد ، والرياء ، والكبر ، والعجب وأخواتها ؛ وجميع ذلك مهلكات، وإهمالها من الواجبات مع أن الاشتغال بالأعمال الظاهرة يضاهى الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذى بالجرب والدماميل ، والتهاون باخراج المادة بالفصد والإسهال . وحشويةُ العلماء يشيرون بالأعمال الظاهرة كمايشير الطرقية من الأطباء بطلاء ظاهر البدن، وعلماء الآخرة لايشيرون إلا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر : بافساد منابتها ، وقلع مغارسها من القلب . وإنما فزع الأكثرون إلى الأعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة أعمال الجوارح ، واستصعاب أعمال القلوب ، كما يفزع إلى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الأدوية المرة ، فلا يزال يتعب فى الطلاء ويزيد فى المواد ، وتتضاعف به الأمراض

فان كنت مريداً للآخرة وطالبا للنجاة وهاربا من الهلاك الأبدى ، فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها ، على مافصلناه فى ربع المهلكات . ثم ينجرّ بك ذلك إلى المقامات المحمودة المذكورة فى ربع المنجيات لامحالة . فان القلب إذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود ، والأرض إذا نقيت من الحشيش نبت فيها أصناف الزرع والرياحين، وإن لم تفرّغ من ذلك لم تنبت ذاك ، فلا تشتغل بفروض الكفاية ، لاسيما وفى زمرة الخلق من قد قام بها ، فان مهلك نفسه فيما به

صلاح غيره سفيه . فما أشد حماقة من دخلت الأفاعي والعقارب تحت ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبّة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لايغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب إذا همت به !

وإن تفرغت من نفسك وتطهيرها ، وقدرت على ترك ظاهر الأثم وباطنه ، وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك ، وما أبعد ذلك منك ، فاشتغل بفروض الكفايات ، وراع التدريج فيها : فابتدىء بكتاب الله تعالى ، ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرءان : من علم الناسخ والمنسوخ ، والمفصول والموصول ، والمحكم والمتشابه ، وكذلك فى السنة . ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ، ثم بأصول الفقه ، وهكذا إلى بقية العلوم على مايتسع له العمر ويساعد فيه الوقت . ولا تستغرق عمرك فى فن واحد منها طلبا للاستقصاء ، فان العلم كثير ، والعمر قصير . وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها ، وكل مايطلب لغيره فلا ينبغى أن ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه ، فاقتصر من شائع علم اللغة على ماتفهم منه كلام العرب وتنطق به ، ومن غريبه على غريب القرءان وغريب الحديث ، ودع التعمق فيه . واقتصر من النحو على مايتعلق بالكتاب والسنة ، فما من علم إلا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء .

ونحن نشير اليها فى الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها .

فالاقتصار فى التفسير مايبلغ ضعف القرءان فى المقدار ، كما صنفه على الواحدى النيسابورى وهو الوجيز ، والاقتصاد مايبلغ ثلاثة أضعاف القرءان كما صنفه من الوسيط فيه ، وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه ، فلا مرد له الى انتهاء العمر .

وأما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل مافى الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث .

وأما حفظ أسامى الرجال فقد كفيت فيه بما تحمّله عنك من قبلك ، ولك أن تعول على كتبهم ، وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ، ولكن تحصله تحصيلا تقدر منه على طلب ماتحتاج اليه عند الحاجة . وأما الاقتصاد فيه فأن تضيف اليهما ماخرج عنهما مما ورد فى المسندات الصحيحة . وأما الاستقصاء فما وراء ذلك إلى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوى والصحيح

والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة فى النقل ، ومعرفة أحوال الرجال وأسمائهم وأوصافهم .

وأما الفقه فالاقتصار فيه على مايحويه مختصر المزنى رحمه الله ، وهو الذى رتبناه فى خلاصة المختصر . والاقتصاد فيه مايبلغ ثلاثة أمثاله ، وهو القدر الذى أوردناه فى الوسيط من المذهب ، والاستقصاء ما أوردناه فى البسيط ، الى ماوراء ذلك من المطولات

وأما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التى نقلها أهل السنة من السلف الصالح لاغير ، وما وراء ذلك طلب لكشف حقائق الأمور من غير طريقتها . ومقصود حفظ السنة تحصيل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر ، وهو القدر الذى أوردناه فى كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب ، والاقتصاد فيه مايبلغ قدر مائة ورقة ، وهو الذى أوردناه فى كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد ، ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامي ، وذلك لاينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم . وأما المبتدع بعد أن يعلم من الجدل ولو شيئاً يسيراً فقلما ينفع معه الكلام ، فانك إن أفحمته لم يترك مذهبه ، وأحال بالقصور على نفسه ، وقدّر أن عند غيره جوابا ما وهو عاجز عنه ، وإنما أنت ملبس عليه بقوة المجادلة . وأما العامي إذا صُرف عن الحق بنوع جدل يمكن أن يرد اليه بمثله قبل أن يشتدّ التعصب للأهواء . فاذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم ، إذ التعصب سبب يرسخ العقائد فى النفوس ، وهو من آفات العلماء السوء ، فانهم يبالغون فى التعصب للحق ، وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار ، فتنبعث منهم الدعوي بالمكافأة والمقابلة والمعاملة وتتوافر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ، ويقوى غرضهم فى التمسك بما نسبوا اليه ، ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح فى الخلوة لا فى معرض التعصب والتحقير لأنجحوا فيه . ولكن لما كان الجاه لايقوم إلا بالاستتباع ولا يستميل الأتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم ، اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم وسموه ذباً عن الدين ونضالا عن المسلمين ، وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة فى النفوس

وأما الخلافيات التى أُحدثت فى هذه الأعصار المتأخرة ، وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات مالم يعهد مثلها فى السلف ، فإياك وأن تحوم حولها ، واجتنبها

اجتناب السم القاتل، فانها الداء العضال ، وهو الذى رد الفقهاء كلهم الى طلب المنافسة والمباهاة على ماسيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتها . وهذا الكلام ربما يسمع من قائله ، فيقال : الناس أعداء ماجهلوا . فلا تستنّ ذلك، فعلى الخبير سقطت ؛ فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زمانا ، وزاد فيه على الأولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ، ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على عيبه ، فهجره واشتغل بنفسه ؛ فلا يغرنك قول من يقول : الفتوى عماد الشرع ، ولا يعرف علله إلا بعلم الخلاف ، فان علل المذهب مذكورة فى المذهب ، والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الأولون ولا الصحابة ، وكانوا أعلم بعلل الفتاوى من غيرهم ، بل هى مع أنها غير مفيدة فى علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه ؛ فان الذى يشهد له حدس المفتى إذا صح ذوقه فى الفقه لايمكن تمشيته على شروط الجدل فى أكثر الأمر . فمن ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الإذعان لذوق الفقه ، وإنما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ، ويتعلل بأنه يطلب علل المذهب ، وقد ينقضى عليه العمر ولا تنصرف همته إلى علم المذهب . فكن من شياطين الجن فى أمان ، واحترز من شياطين الانس ، فانهم أراحوا شياطين الجن من التعب فى الإغواء والإضلال

وبالجملة فالمرضىّ عند العقلاء أن تقدر نفسك فى العالم وحدك مع الله ، و بين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار، وتأمل فيما يعنيك مما بين يديك ، ودع عنك ماسواه، والسلام

وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء فى المنام فقال له : ماخبر تلك العلوم التى كنت تجادل فيها وتناظر عليها ؟ فبسط يده ونفخ فيها ، وقال : طاحت كلها هباء منثورا، وما انتفعت إلا بركعتين خلصتا لى فى جوف الليل ! وفى الحديث[1] « مَاضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلاَّ أُوتُوا الْجَدَلَ » ثم قرأ (مَاضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) . وفي الحديث فى معنى قوله تعالى : (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ) الآية[2] هم أهل الجدل الذين عناهم الله بقوله تعالى: (فَاحْذَرْهُمْ) . وقال بعض السلف : يكون فى آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل ، ويفتح

---

(١) حديث ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل :الترمذى وابن ماجه من حديث أبي أمامة، قال الترمذى حسن صحيح

(٢) حديث هم أهل الجدل الذين عنى الله بقوله فاحذرهم : متفق عليه من حديث عائشة

لهم باب الجدل . وفى بعض الأخبار[1] « إِنَّكُمْ فِى زَمَانٍ أُلْهِمْتُم فِيهِ الْعَمَلَ وَسَيَأْتِى قَوْمٌ يُلْهَمُونَ الْجَدَلَ » وفى الخبر المشهور[2] « أَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ تَعَالَى الأَلَدُّ الْخَصِمُ » وفى الخبر[3] « مَا أُوتِىَ قَوْمٌ الْمَنْطِقَ إِلاَّ مُنِعُوا الْعَمَلَ » . والله أعلم

الباب الرابع

فى سبب إقبال الخلق على علم الخلاف

وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط إباحتها

اعلم أن الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاها الخلفاء الراشدون المهديون ، وكانوا أئمة علماء بالله تعالى ، فقهاء فى أحكامه ، وكانوا مستقلين بالفتاوى فى الأقضية ، فكانوا لا يستعينون بالفقهاء إلا نادرا ، فى وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة ، فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها ، وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا ، وأقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم ، كما نقل من سيرهم . فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام ، اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء ، وإلى استصحابهم فى جميع أحوالهم لاستفتائهم فى مجارى أحكامهم .

وكان قد بقى من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأول ، وملازم صفو الدين ، ومواظب على سمت علماء السلف ، فكانوا إذا طُلبوا هربوا وأعرضوا ، فاضطر الخلفاء إلى الإلحاح فى طلبهم لتولية القضاء والحكومات

فرأى أهل تلك الأعصار عز العلماء وإقبال الأئمة والولاة عليهم مع إعراضهم عنهم ، فاشرأبوا لطلب العلم توصلا إلى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة ، فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولاة ، وتعرفوا اليهم ، وطلبوا الولايات والصلات منهم ، فمنهم من

---

(١) حديث إنكم فى زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتى قوم يلهمون الجدل : لم أجده

(٢) حديث أبغض الخلق الى الله الألد الخصم : متفق عليه من حديث عائشة

(٣) حديث ما أوتى قوم المنطق إلا منعوا العمل: لم أجد له أصلا

حرم ومنهم من أنجح ، والمنجح لم يخل من ذل الطلب ومهانة الابتذال ، فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين ، وبعد أن كانوا أعزة بالإعراض عن السلاطين أذلة بالإقبال عليهم، إلا من وفقه الله تعالى فى كل عصر من علماء دين الله . وقد كان أكثر الاقبال فى تلك الأعصار على علم الفتاوى والأقضية لشدّة الحاجة اليها فى الولايات والحكومات ، ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من يسمع مقالات الناس فى قواعد العقائد ، ومالت نفسه إلى سماع الحجج فيها ، فعامت رغبته إلى المناظرة والمجادلة فى الكلام ،فأكب الناس على علم الكلام ، وأكثروا فيه التصانيف، ورتبوا فيه طرق المجادلات، واستخرجوا فنون المناقضات فى المقالات، وزعموا أن غرضهم الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع المبتدعة ، كما زعم من قبلهم أن غرضهم بالاشتغال بالفتاوى الدين وتقلد أحكام المسلمين ،إشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم، ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض فى الكلام وفتح باب المناظرة فيه، لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية المفضية إلى إهراق الدماء وتخريب البلاد ، ومالت نفسه إلى المناظرة فى الفقه ، وبيان الأولى من مذهب الشافعى وأبى حنيفة رضى الله عنهما على الخصوص ، فترك الناس الكلام وفنون العلم ، وانثالوا على المسائل الخلافية بين الشافعى وأبى حنيفة على الخصوص ، وتساهلوا فى الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم ، وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد أصول الفتاوى ، وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات، ورتبوا فيها أنواع المجادلات والتصنيفات، وهم مستمرون عليه إلى الآن ، ولسنا ندرى ما الذى يحدث الله فيما بعدنا من الأعصار .فهذا هو الباعث على الاكباب على الخلافيات والمناظرات لاغير ، ولو مالت نفوس أرباب الدنيا إلى الخلاف مع إمام آخر من الأئمة أو الى علم آخر من العلوم لمالوا أيضا معهم ، ولم يسكتوا عن التعلل بأن مااشتغلوا به هو علم الدين ، وأن لامطلب لهم سوى التقرب إلى رب العالمين .

بيان التلبيس فى تشبيه هذه المناظرات

بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف

اعلم أن هؤلاء قد يستدرجون الناس الى ذلك بأن غرضنا من المناظرات المباحثة عن الحق ليتضح ، فان الحق مطلوب والتعاون على النظر فى العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر ، هكذا

كان عادة الصحابة رضى الله عنهم فى مشاوراتهم : كتشاورهم فى مسألة الجد والإخوة ، وحدّ شرب الخمر ، ووجوب الغرم على الامام إذا أخطأ ، كما نقل من إجهاض المرأة جنينها خوفا من عمر رضى الله عنه ، وكما نقل من مسائل الفرائض وغيرها ، وما نقل عن الشافعى وأحمد ومحمد ابن الحسن ومالك وأبى يوسف وغيرهم من العلماء ، رحمهم الله تعالى

ويطلعك على هذا التلبيس ماأذكره، وهو أن التعاون على طلب الحق من الدين ، ولكن له شروط وعلامات ثمان :

الأول — أن لايشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ من فروض الأعيان. ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم أن مقصده الحق فهو كذاب ، ومثاله من يترك الصلاة فى نفسه ويتجرد فى تحصيل الثياب ونسجها ويقول : غرضى أستر عورة من يصلى عريانا ولا يجد ثوبا ، فان ذلك ربما يتفق ، ووقوعه ممكن ، كما يزعم الفقيه أن وقوع النوادر التى عنها البحث فى الخلاف ممكن ، والمشتغلون بالمناظرة مهملون لأمور هى فرض عين بالاتفاق . ومن توجه عليه ردّ وديعة فى الحال فقام وأحرم بالصلاة التى هى أقرب القربات الى الله تعالى عصى به ، فلا يكفى فى كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات مالم يراع فيه الوقت والشرط والترتيب .

الثانى ـ أن لا يرى فرض كفاية أهم من المناظرة ، فان رأى ماهو أهم وفعل غيره عصى بفعله، وكان مثاله مثال من يرى جماعة من العطاش أشرفوا على الهلاك وقد أهملهم الناس وهو قادر على إحيائهم بأن يسقيهم الماء ، فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم أنه من فروض الكفايات ، ولو خلا البلد عنها لهلك الناس، وإذا قيل له فى البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية ، فيقول : هذا لايخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية . فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطاش من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفى البلد فروض كفايات مهملة لاقائم بها . فأما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بلد من جملة الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء اليها ، وأقربها الطب ، إذ لايوجد فى أكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول فيه على قول الطبيب شرعا ، ولا يرغب أحد من الفقهاء فى الاشتغال به . وكذا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فهو من فروض الكفايات ، وربما يكون المناظر فى مجلس مناظرته مشاهدا للحرير ملبوسا ومفروشا وهو ساكت ، ويناظر فى مسألة لايتفق وقوعها قط ، وإن وقعت قام بها

جماعة من الفقهاء ، ثم يزعم أنه يريد أن يتقرب إلى الله تعالى بفروض الكفايات، وقد روى أنس رضى الله عنه أنه « قِيلَ يَارَسُولَ اللهِ (١) مَتَى يُتْرَكُ الأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ فقال عليه السّلامُ : إِذَا ظَهَرَتِ الْمُدَاهَنَةُ فِي خِيَارِكُمْ وَالْفَاحِشَةُ فِي شِرَارِكُمْ وَتَحَوَّلَ الْمُلْكُ فِي صِغَارِكُمْ وَالْفِقْهُ فِي أَرَاذِلِكُمْ »

الثالث — أن يكون المناظر مجتهدا يفتى برأيه لا بمذهب الشافعى وأبى حنيفة وغيرهما ، حتى إذا ظهر له الحق من مذهب أبى حنيفة ترك مايوافق رأى الشافعى وأفتى بما ظهر له ، كما كان يفعله الصحابة رضى الله عنهم والأئمة ، فأما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم كل أهل العصر وإنما يفتى فيما يُسأل عنه ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجز له أن يتركه ، فأى فائدة له فى المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره ، وما يشكل عليه يلزمه أن يقول لعل عند صاحب مذهبي جوابا عن هذا فانى لست مستقلا بالاجتهاد فى أصل الشرع ؟ ولو كانت مباحثته عن المسائل التى فيها وجهان أوقولان لصاحبه لكان أشبه به، فانه ربما يفتى بأحدهما فيستفيد من البحث ميلا إلى أحد الجانبين ولا يرى المناظرات جارية فيها قط ، بل ربما ترك المسألة التى فيها وجهان أو قولان وطلب مسألة يكون الخلاف فيها مبتوتا

الرابع ـ أن لا يناظر إلا فى مسألة واقعة أو قريبة الوقوع غالباً ، فان الصحابة رضى الله عنهم ما تشاوروا إلا فيما تجدد من الوقائع ، أو ما يغلب وقوعه كالفرائض ، ولا نرى المناظرين يهتمون بانتقاد المسائل التى تعم البلوى بالفتوى فيها ، بل يطلبون الطبوليات التى تسمع فيتسع مجال الجدل فيها كيفما كان الأمر . وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسألة خبرية أو هى من الزوايا وليست من الطبوليات ، فمن العجائب أن يكون المطلب هو الحق ثم يتركون المسألة لأنها خبرية ومدرك الحق فيها هو الأخبار . أو لأنها ليست من الطبول فلا نطول فيها الكلام ، والمقصود فى الحق أن يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا أن يطول

الخامس ـ أن تكون المناظرة فى الخلوة أحب اليه وأهم من المحافل وبين أظهر الأكابر

﴿ الباب الرابع ﴾

(١) حديث أنس قيل يارسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : ابن ماجه باسناد حسن

والسلاطين . فان الخلوة أجمع للفهم ، وأحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق ، وفى حضور الجمع ما يحرك دواعى الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقاً كان أو مبطلا ، وأنت تعلم أن حرصهم على المحافل والمجامع ليس لله ، وأن الواحد منهم يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه ، وربما يقترح عليه فلا يجيب ، وإذا ظهر مقدم أو انتظم مجمع لم يغادر فى قوس الاحتيال منزعا حتى يكون هو المتخصص بالكلام .

السادس ـ أن يكون فى طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه ، ويرى رفيقه معينا لا خصما ، ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق ، كما لو أخذ طريقا فى طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته فى طريق آخر ، فانه كان يشكره ولا يذمه ويكرمه ويفرح به ، فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضى الله عنهم ، حتى إن امرأة ردت على عمر رضى الله عنه ونبهته على الحق وهو فى خطبته على ملأ من الناس ، فقال : أصابت امرأة وأخطأ رجل . وسأل رجل عليا رضى الله عنه فأجابه فقال : ليس كذلك ياأمير المؤمنين ولكن كذا وكذا ، فقال : أصبتَ وأخطأتُ وفوق كل ذى علم عليم . واستدرك ابن مسعود على أبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما فقال أبو موسى : لا تسألونى عن شىء وهذا الحبر بين أظهركم ، وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل فى سبيل الله فقتل ، فقال : هو فى الجنة ، وكان أمير الكوفة ، فقام ابن مسعود فقال أعده على الأمير فلعله لم يفهم ، فأعادوا عليه ، فأعاد الجواب ، فقال ابن مسعود : وأنا أقول : إن قتل فأصاب الحق فهو فى الجنة ، فقال أبو موسى : الحق ما قال . وهكذا يكون إنصاف طالب الحق . ولو ذكر مثل هذا الآن لأقل فقيه لأنكره واستبعده وقال لا يحتاج إلى أن يقال أصاب الحق ، فان ذلك معلوم لكل أحد . فانظر إلى مناظرى زمانك اليوم كيف يسودّ وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه ، وكيف يخجل به ، وكيف يجتهد فى مجاحدته بأقصى قدرته ، وكيف يذم من أفحمه طول عمره ، ثم لا يستحيى من تشبيه نفسه بالصحابة رضى الله عنهم فى تعاونهم على النظر فى الحق !

السابع ـ أن لا يمنع معينه فى النظر من الانتقال من دليل إلى دليل ، ومن إشكال إلى إشكال ، فهكذا كانت مناظرات السلف ، ويُخرج من كلامه جميع دقائق الجدل المبتدعة فيما له وعليه ، كقوله : هذا لا يلزمنى ذكره ، وهذا يناقض كلامك الأول فلا يقبل منك ، فان الرجوع إلى الحق مناقض للباطل ، ويجب قبوله . وأنت ترى أن جميع المجالس تنقضى فى المدافعات والمجادلات حتى يقيس

المستدل على أصل بعلّة يظنها فيقال له : ماالدليل على أن الحكم فى الأصل معلل بهذه العلة ؟ فيقول: هذا ماظهر لى فان ظهر لك ماهو أوضح منه وأولى فاذكره حتى أنظر فيه ، فيصر المعترض ويقول : فيه معان سوى ماذكرته وقدعرفتها ولاأذكرها إذ لايلزمني ذكرها؛ ويقول المستدل: عليك إيراد ماتدعيه وراء هذا ، ويصر المعترض على أنه لايلزمه ، ويتوخى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وأمثاله، ولا يعرف هذا المسكين أن قوله إنى أعرفه ولاأذكره إذ لا يلزمنى، كذب على الشرع ، فانه إن كان لايعرف معناه وإنما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصى الله تعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها ، وإن كان صادقا فقدفسق بإخفائه ماعرفه من أمر الشرع وقد سأله أخوه المسلم ليفهمه وينظر فيه، فان كان قويا رجع اليه، وإن كان ضعيفا أظهر له ضعفه وأخرجه عن ظلمة الجهل إلى نور العلم . ولا خلاف أن إظهار ماعلم من علوم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم . فمعنى قوله : لايلزمنى ، أى فى شرع الجدل الذى أبدعناه بحكم التشهى والرغبة فى طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لايلزمنى ، وإلا فهو لازم بالشرع ، فانه بامتناعه عن الذكر إما كاذب وإما فاسق .

فتفحّص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رضى الله عنهم : هل سمعت فيها مايضاهى هذا الجنس ؟ وهل منع أحدمن الانتقال من دليل إلى دليل ومن قياس إلى أثر ومن خبر إلى آية ؟ بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس ، إذ كانوا يذكرون كل مايخطر لهم كما يخطر ، وكانوا ينظرون فيه

الثامن — أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم ، والغالب أنهم يحترزون من مناظرة الفحول والأكابر خوفا من ظهور الحق على ألسنتهم ، فيرغبون فيمن دونهم طمعا فى ترويج الباطل عليهم

ووراء هذه شروط دقيقة كثيرة ؛ ولكن فى هذه الشروط الثمانية مايهديك إلى من يناظر لله ومن يناظر لعلة

واعلم بالجملة أن من لايناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو أعدى عدوّ له ولا يزال يدعوه إلى هلاكه ، ثم يشتغل بمناظرة غيره فى المسائل التى المجتهد فيها مصيب أو مساهم للمصيب فى الأجر ، فهو ضحكة للشيطان ، وعبرة للمخلصين . ولذلك شمت الشيطان به لما غمسه فيه من ظلمات الآفات التى نعددها ونذكر تفاصيلها . فنسأل الله حسن العون والتوفيق

بيان آفات المناظرة وما يتولد منها

من مهلكات الأخلاق

اعلم وتحقق أن المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والإفحام، وإظهار الفضل والشرف والتشدق عند الناس، وقصد المباهاة والمماراة واستمالة وجوه الناس، هى منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله، المحمودة عند عدو الله إبليس، ونسبتُها إلى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة: من الزنا، والقذف والقتل والسرقة، وكما أن الذى خُيِّر بين الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه، فدعاه ذلك إلى ارتكاب بقية الفواحش فى سكره، فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة فى المناظرة وطلب الجاه والمباهاة، دعاه ذلك إلى إضمار الخبائث كلها فى النفس، وهيج فيه جميع الأخلاق المذمومة. وهذه الأخلاق ستأتى أدلة مذمتها من الأخبار والآيات فى ربع المهلكات، ولكنا نشير الآن إلى مجامع ماتهيجه المناظرة:

فمنها الحسد، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] «اَلْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ». ولا ينفك المناظر عن الحسد، فانه تارة يغلب وتارة يغلب، وتارة يحمد كلامه وأخرى يحمد كلام غيره؛ فما دام يبقى فى الدنيا واحد يذكر بقوة العلم والنظر، أو يظن أنه أحسن منه كلاما وأقوى نظرا، فلا بد أن يحسده ويحب زوال النعم عنه، وانصراف القلوب والوجوه عنه اليه. والحسد نار محرقة، فمن بلى به فهو فى العذاب فى الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأعظم، ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما: خذوا العلم حيث وجدتموه؛ ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض فانهم يتغايرون كما تتغاير التيوس فى الزريبة

ومنها التكبر والترفع على الناس، فقد قال صلى الله عليه وسلم[2] «مَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللهُ

---

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب: أبو داود من حديث أبى هريرة، وقال البخارى لا يصح، وهو عند ابن ماجه من حديث أنس باسناد ضعيف، وفى تاريخ بغداد باسناد حسن

(٢) حديث من تكبر وضعه الله ـ الحديث: الخطيب من حديث عمر باسناد صحيح وقال غريب من حديث الثوري ولابن ماجه نحوه من حديث أبى سعيد بسند حسن

وَمَنْ تَوَاضَعَ رَفَعَهُ ٱللهُ » . وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى [١] « ٱلْعَظَمَةُ إِزَارِى وَٱلْكِبْرِيَاءُ رِدَائِى ، فَمَنْ نَازَعَنِى فِيهِمَا قَصَمْتُهُ » . ولا ينفك المناظر عن التكبر على الأقران والأمثال ، والترفع إلى فوق قدره ، حتى إنهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه فى الارتفاع والانخفاض ، والقرب من وسادة الصدر والبعد منها ، والتقدم فى الدخول عند مضايق الطرق . وربما يتعلل الغبي والمكار الخداع منهم بأنه يبغى صيانة عز العلم ، [٢] وَ « أَنَّ ٱلْمُؤْمِنَ مَنْهِىٌّ عَنِ ٱلْإِذْلَالِ لِنَفْسِهِ » فيعبر عن التواضع الذى أثنى الله عليه وسائر أنبيائه بالذل ، وعن التكبر الممقوت عند الله بعز الدين ، تحريفا للاسم ، وإضلالا للخلق به ، كما فعل فى اسم الحكمة والعلم وغيرهما .

ومنها الحقد ، فلا يكاد المناظر يخلو عنه . وقد قال صلى الله عليه وسلم [٣] « ٱلْمُؤْمِنَ لَيْسَ بِحَقُودٍ » . وورد فى ذم الحقد مالا يخفى ، ولا نرى مناظرا يقدر على أن لا يضمر حقدا على من يحرك رأسه من كلام خصمه ، ويتوقف فى كلامه فلا يقابله بحسن الإصغاء ، بل يضطر إذا شاهد ذلك إلى إضمار الحقد وتربيته فى نفسه ، وغاية تماسكه الإخفاء بالنفاق ، ويترشح منه إلى الظاهر لامحالة فى غالب الأمر . وكيف ينفك عن هذا ، ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه ، واستحسان جميع أحواله فى إيراده وإصداره ؟ بل لو صدر من خصمه أدنى سبب فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس فى صدره حقد لا يقلعه مدى الدهر إلى آخر العمر

ومنها الغيبة ، وقد شبهها الله بأكل الميتة ، ولا يزال المناظر مثابرا على أكل الميتة ، فانه لاينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته . وغاية تحفظه أن يصدق فيما يحكيه عليه ولا يكذب فى الحكاية عنه ، فيحكى عنه لامحالة مايدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله ، وهو الغيبة . فأما الكذب فبهتان ، وكذلك لايقدر على أن يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض عن كلامه ويصغى إلى خصمه ويقبل عليه ، حتى ينسبه إلى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة .

---

(١) حديث الكبرياء ردائى والعظمة ازارى ـ الحديث : أبو داود وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة ، وهو عند مسلم بلفظ الكبرياء رداؤه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد

(٢) حديث نهى المؤمن عن إذلال نفسه : الترمذى وصححه وابن ماجه من حديث حذيفة لاينبغي للمؤمن أن يذل نفسه

(٣) حديث المؤمن ليس بحقود : لم أقف له على أصل

ومنها تزكية النفس ، قال الله تعالى: (فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى) . وقيل لحكيم : ما الصدق القبيح ؟ فقال : ثناء المرء على نفسه . ولا يخلو المناظر من الثناء على نفسه بالقوة والغلبة ، والتقدم بالفضل على الأقران . ولا ينفك فى أثناء المناظرة عن قوله : لست ممن يخفى عليه أمثال هذه الأمور ، وأنا المتفنن فى العلوم ، والمستقل بالأصول وحفظ الأحاديث ، وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف ، وتارة للحاجة إلى ترويج كلامه . ومعلوم أن الصلف والتمدح مذمومان شرعا وعقلا .

ومنها التجسس وتتبع عورات الناس ، وقد قال تعالى :(وَلَا تَجَسَّسُوا) . والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه وتتبع عورات خصومه ، حتى إنه ليخبر بورود مناظر إلى بلده فيطلب من يخبر بواطن أحواله ، ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة لنفسه فى إفضاحه وتخجيله إذا مست إليه حاجة ، حتى إنه ليستكشف عن أحوال صباه وعن عيوب بدنه فعساه يعثر على هفوة أو على عيب به من قرع أو غيره ، ثم إذا أحس بأدنى غلبة من جهته عرّض به إن كان متماسكا ، ويستحسن ذلك منه ، ويعد من لطائف التسبب ، ولا يمتنع عن الإفصاح به إن كان متبجحا بالسفاهة والاستهزاء ، كما حكى عن قوم من أكابر المناظرين المعدودين من فحولهم .

ومنها الفرح لمساءة الناس والغم لمسارّهم ، ومن لا يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد من أخلاق المؤمنين ، فكل من طلب المباهاة باظهار الفضل يسره لا محالة ما يسوء أقرانه وأشكاله الذين يسامونه فى الفضل ، ويكون التباغض بينهم كما بين الضرائر ، فكما أن إحدى الضرائر إذا رأت صاحبتها من بعيد ارتعدت فرائصها واصفر لونها ، فهكذا ترى المناظر إذا رأى مناظرا تغير لونه واضطرب عليه فكره ، فكأنه يشاهد شيطانا ماردا أو سبعا ضاريا ! فأين الاستئناس والاسترواح الذى كان يجرى بين علماء الدين عند اللقاء ، وما نقل عنهم من المؤاخاة والتناصر والتساهم فى السراء والضراء ، حتى قال الشافعى رضى الله عنه : العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل . فلا أدرى كيف يدعى الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة ، فهل يتصوّر أن ينسب الأنس بينهم مع طلب الغلبة والمباهاة ؟ هيهات هيهات ! وناهيك بالشر شرا أن يُلزمك أخلاقَ المنافقين ، ويبرئك عن أخلاق المؤمنين والمتقين

ومنها النفاق ، فلا يحتاج إلى ذكر الشواهد فى ذمه ، وهم مضطرون اليه ، فانهم يلقون

الخصوم ومحبيهم وأشياعهم ولا يجدون بدّا من التودد اليهم باللسان وإظهار الشوق والاعتداد بمكانهم وأحوالهم ، ويعلم ذلك المخاطب والمخاطبَ وكل من يسمع منهم أن ذلك كذب وزور ونفاق وفجور ، فانهم متوددون بالألسنة متباغضون بالقلوب . نعوذ بالله العظيم منه ! فقد قال صلى الله عليه وسلم (١) « إِذَا تَعَلَّمَ النَّاسُ الْعِلْمَ وَتَرَكُوا الْعَمَلَ وَتَحَابُّوا بِالْأَلْسُنِ وَتَبَاغَضُوا بِالْقُلُوبِ وَتَقَاطَعُوا فِي الْأَرْحَامِ، لَعَنَهُمُ اللهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ » رواه الحسن، وقد صح ذلك بمشاهدة هذه الحالة

ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على المماراة فيه ، حتى إن أبغض شيء إلى المناظر أن يظهر على لسان خصمه الحق، ومهما ظهر تشمر لجحده وإنكاره بأقصى جهده، وبذل غاية إمكانه في المخادعة والمكر والحيلة لدفعه، حتى تصير المماراة فيه عادة طبيعية ، فلا يسمع كلاما إلا وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه، حتى يغلب ذلك على قلبه في أدلة القرءان وألفاظ الشرع، فيضرب البعض منها بالبعض . والمراء في مقابلة الباطل محذور ، إذ ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ترك المراء بالحق على الباطل ، قال صلى الله عليه وسلم (٢) « مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ ، وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ ». وقد سوى الله تعالى بين من افترى على الله كذبا وبين مَن كذّب بالحق ؛ فقال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ) وقال تعالى : (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ)

ومنها الرياء وملاحظة الخلق ، والجهد في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم . والرياء هو الداء العضال الذي يدعو إلى أكبر الكبائر، كما سيأتي في كتاب الرياء ، والمناظر لا يقصد إلا الظهور عند الخلق ، وانطلاق ألسنتهم بالثناء عليه

---

(١) حديث إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب ـ الحديث : الطبراني من حديث سلمان باسناد ضعيف

(٢) حديث من ترك المراء وهو مبطل ـ الحديث : الترمذي وابن ماجه من حديث أنس مع اختلاف ، قال الترمذي : حسن

فهذه عشر خصال من أمهات الفواحش الباطنة ، سوى ما يتفق لغير المتماسكين منهم : من الخصام المؤدى الى الضرب واللكم واللطم، وتمزيق الثياب ، والأخذ باللحى ، وسب الوالدين وشتم الأستاذين ، والقذف الصريح ، فان أولئك ليسوا معدودين فى زمرة الناس المعتبرين ؛ وإنما الأكابر والعقلاء منهم هم الذين لاينفكون عن هذه الخصال العشر . نعم قد يسلم بعضهم من بعضها ، مع من هو ظاهر الانحطاط عنه ، أو ظاهر الارتفاع عليه ، أو هو بعيد عن بلده وأسباب معيشته ، ولا ينفك أحد منهم عنه مع أشكاله المقارنين له فى الدرجة

ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الخصال العشر عشر أخرى من الرذائل، لم نطوّل بذكرها وتفصيل آحادها : مثل الأنفة ، والغضب ، والبغضاء ، والطمع ، وحب طلب المال والجاه ، للتمكن من الغلبة ، والمباهاة ، والأشر ، والبطر ، وتعظيم الأغنياء والسلاطين ، والتردد اليهم ، والأخذ من حرامهم ، والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المحظورة ، والاستحقار للناس بالفخر والخيلاء ، والخوض فيما لا يعنى ، وكثرة الكلام ، وخروج الخشية والخوف والرحمة من القلب ، واستيلاء الغفلة عليه حتى لايدرى المصلى منهم فى صلاته ما صلى ، وما الذى يقرأ ومن الذى يناجيه ، ولا يحس بالخشوع من قلبه مع استغراق العمر فى العلوم التى تعين فى المناظرة مع أنها لاتنفع فى الآخرة : من تحسين العبارة ، وتسجيع اللفظ ، وحفظ النوادر ، إلى غير ذلك من أمور لاتحصى . والمناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ، ولهم درجات شتى ، ولا ينفك أعظمهم دينا وأكثرهم عقلا عن جمل من مواد هذه الأخلاق ، وإنما غايته إخفاؤها ومجاهدة النفس بها .

واعلم أن هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ أيضاً إذا كان قصده طلب القبول وإقامة الجاه ونيل الثروة والعزة ، وهى لازمة أيضا للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى إذا كان قصده طلب القضاء وولاية الأوقاف والتقدم على الأقران

وبالجملة هى لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الله تعالى فى الآخرة . فالعلم لايهمل العالم بل يهلكه هلاك الأبد ، أو يحييه حياة الأبد . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَا يَنْفَعُهُ اللهُ بِعِلْمِهِ » فلقد ضره مع أنه لم ينفعه ، وليته نجا منه رأساً برأس ؛ وهيهات هيهات ! فخطر العلم عظيم ، وطالبه طالب الملك المؤبد والنعيم السرمد ، فلا

ينفك عن المُلك أو الهُلك ، وهو كطالب الملك فى الدنيا ، فان لم يتفق له الإصابة فى الأموال لم يطمع فى السلامة من الإذلال ، بل لا بد من لزوم أفضح الأحوال

فان قلت : فى الرخصة فى المناظرة فائدة وهى ترغيب الناس فى طلب العلم ، إذ لولا حب الرياسة لاندرست العلوم . فقد صدقتَ فيما ذكرتَه من وجه ، ولكنه غير مفيد ، إذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير ما رغب الصبيان فى المكتب ، وذلك لا يدل على أن الرغبة فيه محمودة ، ولولا حب الرياسة لاندرس العلم ، ولا يدل ذلك على أن طالب الرياسة ناج ، بل هو من الذين قال صلى الله عليه وسلم فيهم [1] « إِنَّ ٱللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا ٱلدِّينَ بِأَقْوَامٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ » . وقال صلى الله عليه وسلم [2] « إِنَّ ٱللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا ٱلدِّينَ بِٱلرَّجُلِ ٱلْفَاجِرِ » . فطالب الرياسة فى نفسه هالك ، وقد يصلح بسببه غيره إن كان يدعو إلى ترك الدنيا ، وذلك فيمن كان ظاهر حاله فى ظاهر الأمر ظاهرَ حال علماء السلف ، ولكنه يضمر قصد الجاه . فمثاله مثال الشمع الذى يحترق فى نفسه ويستضىء به غيره ؛ فصلاح غيره فى هلاكه . فأما إذا كان يدعو إلى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التى تأكل نفسها وغيرها

فالعلماء ثلاثة : إما مهلك نفسه وغيره ، وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها ؛ وإما مسعد نفسه وغيره ، وهم الداعون الخلق إلى الله سبحانه ظاهرا وباطنا ؛ وإما مهلك نفسه مسعد غيره ، وهو الذى يدعو إلى الآخرة وقد رفض الدنيا فى ظاهره وقصدُه فى الباطن قبول الخلق وإقامة الجاه . فانظر من أى الأقسام أنت ، ومن الذى اشتغلت بالاعتداد له ؛ فلا تظنن أن الله تعالى يقبل غير الخالص لوجهه تعالى من العلم والعمل . وسيأتيك فى كتاب الرياء بل فى جميع ربع المهلكات ماينفى عنك الريبة فيه ، إن شاء الله تعالى

---

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم : النسائي من حديث أنس باسناد صحيح

(٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر : متفق عليه من حديث أبي هريرة

الباب الخامس

فى آداب المتعلم والمعلم

أما المتعلم فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة، ولكن تنظم تفاريقها عشر جمل :

الوظيفة الأولى ـ تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف ؛ إذ العلم عبادة القلب، وصلاة السر، وقربة الباطن إلى الله تعالى . وكما لا تصح الصلاة التى هى وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث، فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف . قال صلى الله عليه وسلم (١) « بُنِيَ الدِّينُ عَلَى النَّظَافَةِ » وهو كذلك باطنا وظاهرا ؛ قال الله تعالى : (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) تنبيها للعقول على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس، فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر، أى باطنه ملطخ بالخبائث . والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه، وخبائث صفات الباطن أهم بالاجتناب، فانها مع خبثها فى الحال مهلكات فى المآل ؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : « لَا تَدْخُلُ (١) الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ » والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم ومحل استقرارهم ؛ والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد، والحسد والكبر والعجب، وأخواتها، كلاب نابحة ؛ فأنّى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب، ونور العلم لا يقذفه الله تعالى فى القلب إلا بواسطة الملائكة ؟ (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ) وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم إلى

(الباب الخامس)

(١) حديث بنى الدين على النظافة : لم أجده هكذا . وفى الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة : تنظفوا فان الاسلام نظيف . وللطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود : النظافة تدعو الى الايمان

(٢) حديث لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب : متفق عليه من حديث أبي طلحة الانصارى

القلوب إنما تتولاها الملائكة الموكلون بها ، وهم المقدسون للطهرون المبرءون من الصفات المذمومات، فلا يلاحظون إلا طيبا ،ولا يعمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله إلا طيبا طاهرا . ولست أقول: المراد بلفظ البيت هو القلب ، وبالكلب هو الغضب والصفات المذمومة، ولكنى أقول: هو تنبيه عليه. وفرق بين تعبير الظواهر إلى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر. ففارق الباطنية بهذه الدقيقة، فان هذه طريق الاعتبار، وهو مسلك العلماء والأبرار، إذ معنى الاعتبار أن يعبر ماذكر إلى غيره فلا يقتصر عليه، كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون فيها له عبرة : بأن يعبر منها الى التنبه لكونه أيضا عرضة للمصائب؛ وكون الدنيا بصدد الانقلاب؛ فعبوره من غيره إلى نفسه ومن نفسه إلى أصل الدنيا عبرة محمودة . فاعبر أنت أيضا من البيت الذى هو بناء الخلق ، الى القلب الذى هو بيت من بناء الله تعالى ؛ ومن الكلب الذى ذم لصفته لا لصورته وهو مافيه من سبعية ونجاسة ، الى الروح الكلبية وهى السبعية

واعلم أن القلب المشحون بالغضب والشره الى الدنيا والتكلب عليها والحرص على التمزيق لأعراض الناس ، كلب في المعنى ، وقلب فى الصورة ، فنور البصيرة يلاحظ المعانى لا الصور ؛ والصور فى هذا العالم غالبة على المعانى ، والمعانى باطنة فيها ، وفى الآخرة تتبع الصورُ المعانى ، وتغلب المعانى، فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية، فيحشر الممزق[1] لأعراض الناس كلبا ضاريا، والشره إلى أموالهم ذئبا عاديا ، والمتكبر عليهم فى صورة نمر، وطالب الرياسة فى صورة أسد . وقد وردت بذلك الأخبار ، وشهد به الاعتبار عند ذوى البصائر والأبصار

فان قلت : كم من طالب ردىء الأخلاق حصل العلوم . فهيهات ماأبعده عن العلم الحقيقى النافع فى الآخرة الجالب للسعادة ! فان من أوائل ذلك العلم أن يظهر له أن المعاصى سموم قاتلة مهلكة . وهل رأيت من يتناول سما مع علمه بكونه سما قاتلا ؟ إنما الذى تسمعه من المترسمين حديث يلفقونه بألسنتهم مرة ، ويرددونه بقلوبهم أخرى ، وليس ذلك من العلم فى شىء ، قال ابن مسعود رضى الله عنه : ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يقذف فى القلب. وقال بعضهم:

---

(١) حديث حشر الممزق لأعراض الناس فى صورة كلب ضار ـ الحديث : الثعلبى فى التفسير من حديث البراء بسند ضعيف

إنما العلم الخشية لقوله تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) . وكأنه أشار إلى أخص ثمرات العلم . ولذلك قال بعض المحققين : معنى قولهم : تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله ، أن العلم أبى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته ، وإنما حصل لنا حديثه وألفاظه

فان قلت : إنى أرى جماعة من العلماء الفقهاء المحققين برّزوا فى الفروع والأصول، وعُدوا من جملة الفحول ، وأخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها . فيقال : إذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك أن ما اشتغلوا به قليل الغَناء من حيث كونه علما ، وإنما غناؤه من حيث كونه عملا لله تعالى اذا قصد به التقرب الى الله تعالى . وقد سبقت الى هذا إشارة ، وسيأتيك فيه مزيد بيان وإيضاح ، إن شاء الله تعالى

الوظيفة الثانية — أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ، ويبعد عن الأهل والوطن ، فان العلائق شاغلة وصارفة ، وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ، ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ، ولذلك قيل : العلم لايعطيك بعضه حتى تعطيه كلك . فاذا أعطيته كلك فأنت من عطائه إياك بعضه على خطر . والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الأرض بعضه، واختطف الهواء بعضه، فلا يبقى منه مايجتمع ويبلغ المزدرع

الوظيفة الثالثة — أن لايتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم ، بل يلقى اليه زمام أمره بالكلية فى كل تفصيل ، ويذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق . وينبغى أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته ، قال الشعبى : صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت اليه بغلته ليركبها ، فجاء ابن عباس [1] فأخذ بركابه ، فقال زيد : خلّ عنه ياابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء ، فقبّل زيد بن ثابت يده وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم . وقال صلى الله عليه وسلم [2] « لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِ التَّمَلُّقُ إِلَّا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ » . فلا ينبغى لطالب العلم أن يتكبر على المعلم ، ومن تكبره على المعلم أن يستنكف عن الاستفادة

---

(١) حديث أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت وقوله هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء : الطبرانى والحاكم والبيهقي فى المدخل الا أنهم قالوا : هكذا نفعل. قال الحاكم صحيح الاسناد على شرط مسلم

(٢) حديث ليس من أخلاق المؤمن الملق الا فى طلب العلم: ابن عدى من حديث معاذ وأبى أمامة باسنادين ضعيفين

إلا من المرموقين المشهورين، وهو عين الحماقة . فان العلم سبب النجاة والسعادة . ومن يطلب مهربا من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين أن يرشده الى الهرب مشهور أو خامل ، وضراوة سباع النار بالجهال بالله تعالى أشد من ضراوة كل سبع . فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ، ويتقلد المنة لمن ساقها اليه كائنا من كان ، فلذلك قيل :

العلم حرب للفتى المتعالى كالسيل حرب للمكان العالى

فلا ينال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع . قال الله تعالى : (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) . ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلا للعلم فهماً ثم لاتعينه القدرة على الفهم حتى يلقى السمع وهو شهيد حاضر القلب ، ليستقبل كل ماألقى اليه بحسن الاصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة . فليكن المتعلم لمعلمه كأرض دمثة نالت مطرا غزيرا فشربت جميع أجزائها ، وأذعنت بالكلية لقبوله . ومهما أشار عليه المعلم بطريق فى التعلم فليقلده وليدع رأيه ، فان خطأ مرشده أنفع له من صوابه فى نفسه ، إذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع أنه يعظم نفعها ، فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب فى بعض أوقاته بالحرارة ليزيد فى قوته إلى حد يحتمل صدمة العلاج، فيعجب منه من لاخبرة له به. وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر : (إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ، وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا) ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال : (فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) ثم لم يصبر ولم يزل فى مراودته إلى أن كان ذلك سبب الفراق بينهما . وبالجملة كل متعلم استبق لنفسه رأيا واختيارا دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالإخفاق والخسران . فان قلت : فقد قال الله تعالى : (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) فالسؤال مأمور به

فاعلم أنه كذلك ، ولكن فيما يأذن المعلم فى السؤال عنه ، فان السؤال عما لم تبلغ مرتبتك الى فهمه مذموم ، ولذلك منع الخضر موسى عليه السلام من السؤال ، أى دع السؤال قبل أوانه فالمعلم أعلم بما أنت أهل له ، وبأوان الكشف ، ومالم يدخل أوان الكشف فى كل درجة من مراقى الدرجات لايدخل أوان السؤال عنه . وقد قال على رضى الله عنه : إن من حق العالم

أن لا تكثر عليه بالسؤال ، ولا تعنته فى الجواب ، ولا تلح عليه إذا كسل ، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ، ولا تفشى له سرا ، ولا تغتابن أحدا عنده ، ولا تطلبن عثرته ، وإن زل قبلت معذرته ، وعليك أن توقره وتعظمه لله تعالى مادام يحفظ أمر الله تعالى ، ولا تجلس أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته

الوظيفة الرابعة — أن يحترز الخائض فى العلم فى مبدأ الأمر عن الاصغاء إلى اختلاف الناس ، سواء كان ماخاض فيه من علوم الدنيا أو علوم الآخرة ، فان ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ، ويفتر رأيه ويؤيسه عن الادراك والاطلاع ، بل ينبغى أن يتقن أولا الطريق الحميدة الواحدة المرضية عند أستاذه ، ثم بعد ذلك يصغى الى المذاهب والشبه ، وإن لم يكن أستاذه مستقلا باختيار رأى واحد وإنما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها ، فليحذر منه ، فان إضلاله أكثر من إرشاده ، فلا يصلح الأعمى لقود العميان وإرشادهم ، ومن هذاحاله يعد فى عمى الحيرة وتيه الجهل . ومنع المبتدئ عن الشبه يضاهى منع الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار ، وندب القوى إلى النظر فى الاختلافات يضاهي حث القوى على مخالطة الكفار . ولهذا يمنع الجبان عن التهجم على صف الكفار ، ويندب الشجاع له . ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء أن الاقتداء بالأقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ، ولم يدر أن وظائف الأقوياء تخالف وظائف الضعفاء . وفى ذلك قال بعضهم : من رآنى فى البداية صار صديقا ، ومن رآنى فى النهاية صار زنديقا ، إذ النهاية ترد الأعمال إلى الباطن ، وتسكن الجوارح إلا عن رواتب الفرائض ، فيتراءى للناظرين أنها بطالة وكسل وإهمال ، وهيهات . فذلك مرابطة القلب فى عين الشهود والحضور ، وملازمة الذكر الذى هو أفضل الأعمال على الدوام . وتشبه الضعيف بالقوى فيما يرى من ظاهره أنه هفوة يضاهى اعتذار من يلقى نجاسة يسيرة فى كوز ماء ، ويتعلل بأن أضعاف هذه النجاسة قد يلقى فى البحر والبحر أعظم من الكوز ، فما جاز للبحر فهو للكوز أجوز . ولا يدرى المسكين أن البحر بقوته يحيل النجاسة ماء فتنقلب عين النجاسة باستيلائه إلى صفته ، والقليل من النجاسة يغلب على الكوز ويحيله إلى صفته . ولمثل هذا جوز للنبي صلى الله عليه وسلم مالم يجوز لغيره[1] «حَتَّى أُبِيحَ لَهُ تِسْعُ نِسْوَةٍ»

---

(١) حديث أبيح له صلى الله عليه وسلم تسع نسوة ، وهو معروف . وفى الصحيحين من حديث ابن عباس : كان عند النبي صلى الله عليه وسلم تسع — الحديث

إذ كان له من القوة مايتعدى منه صفة العدل إلى نسائه وإن كثرن . وأما غيره فلا يقدر على بعض العدل بل يتعدى مابينهن من الضرار اليه ، حتى ينجر إلى معصية الله تعالى فى طلبه رضاهن ، فما أفلح من قاس الملائكة بالحدادين

الوظيفة الخامسة — أن لايدع طالب العلم فنًّا من العلوم المحمودة ولا نوعا من أنواعه إلا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ، ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه ، وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه ، وتطرف من البقية ، فان العلوم متعاونة ، وبعضها مرتبط ببعض ، ويستفيد منه فى الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله ، فان الناس أعداء ماجهلوا ؛ قال تعالى « وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ » . قال الشاعر :

ومن يك ذا فم مر مريض * يجدْ مُرا به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها إما سالكة بالعبد إلى الله تعالى ، أو معينة على السلوك نوعا من الإعانة . ولها منازل مرتبة فى القرب والبعد من المقصود ، والقُوام بها حفظة كحفاظ الرباطات والثغور ، ولكل واحد رتبة ، وله بحسب درجته أجر فى الآخرة اذا قصد به وجه الله تعالى

الوظيفة السادسة — أن لايخوض فى فن من فنون العلم دفعة ، بل يراعى الترتيب ، ويبتدىء بالأهم ، فان العمر اذا كان لايتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم أن يأخذ من كل شىء أحسنه ، ويكتفى منه بشمه ، ويصرف جمام قوته فى الميسور من علمه الى استكمال العلم الذى هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة ، أعنى قسمى المعاملة والمكاشفة ، فغاية المعاملة المكاشفة ، وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى . ولست أعنى به الاعتقاد الذى يتلقفه العامى وراثة أو تلقفا ، ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة فى تحصين الكلام عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم ، بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى فى قلب عبد طهّر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهى إلى رتبة إيمان أبى بكر رضى الله عنه[1] الذي « لَوْ وُزِنَ بِإِيمَانِ الْعَالَمِينَ لَرَجَحَ » كما شهد له به سيد البشر صلى الله عليه وسلم ، فما عندى أن مايعتقده العامى ويرتبه المتكلم الذى لايزيد على العامى إلا فى صنعة الكلام ، ولأجله سميت صناعته كلاما ، وكان يعجز عنه عمر وعثمان وعلى

---

(١) حديث لو وزن ايمان أبى بكر بايمان العالمين لرجح : ابن عدى من حديث ابن عمر باسناد ضعيف ورواه البيهقى فى الشعب موقوفا على عمر باسناد صحيح

وسائر الصحابة رضى الله عنهم ، حتى كان يفضلهم أبو بكر بالسر الذى وقر فى صدره . والعجب ممن يسمع مثل هذه الأقوال من صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ثم يزدرى مايسمعه على وفقه ، ويزعم أنه من ترهات الصوفية ، وأن ذلك غير معقول ، فينبغى أن تتئد فى هذا فعنده ضيعت رأس المال ، فكن حريصا على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين ، ولا يرشدك اليه إلا حرصك فى الطلب

وعلى الجملة فأشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل ، وهو بحر لايدرك منتهى غوره . وأقصى درجات البشر فيه رتبة الأنبياء ، ثم الأولياء ، ثم الذين يلونهم . وقد روى أنه رئى صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين فى مسجد وفى يد أحدهما رقعة فيها : إن أحسنت كل شىء فلا تظنن أنك أحسنت شيئا حتى تعرف الله تعالى وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء ، وفى يد الآخر : كنت قبل أن أعرف الله تعالى أشرب وأظمأ حتى إذا عرفته رويت بلا شرب .

الوظيفة السابعة — أن لايخوض فى فن حتى يستوفى الفن الذى قبله ، فان العلوم مرتبة ترتيبا ضروريا ، وبعضها طريق إلى بعض ، والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج ، قال الله تعالى : (ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ) أى لايجاوزون فنا حتى يحكموه علما وعملا . وليكن قصده فى كل علم يتحراه الترقى إلى ماهو فوقه ، فينبغى أن لايحكم على علم بالفساد لوقوع الخلف بين أصحابه فيه ، ولا بخطأ واحد أو آحاد فيه ، ولا بمخالفتهم موجب علمهم بالعمل ، فترى جماعة تركوا النظر فى العقليات والفقهيات متعللين فيها بأنها لو كان لها أصل لأدركه أربابها ، وقد مضى كشف هذه الشبه فى كتاب معيار العلم . وترى طائفة يعتقدون بطلان الطب لخطأ شاهدوه من طبيب ، وطائفة اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفق لواحد ، وطائفة اعتقدوا بطلانه لخطأ اتفق لآخر ، والكل خطأ ، بل ينبغى أن يعرف الشىء فى نفسه . فلا كل علم يستقل بالإحاطة به كل شخص . ولذلك قال على رضى الله عنه : لاتعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله

الوظيفة الثامنة ـ أن يعرف السبب الذى به يدرك أشرف العلوم ، وأن ذلك يراد به شيئان : أحدهما شرف الثمرة ، والثانى وثاقة الدليل وقوته ، وذلك كعلم الدين وعلم الطب ، فان ثمرة أحدهما الحياة الأبدية ، وثمرة الآخر الحياة الفانية ، فيكون علم الدين أشرف . ومثل علم الحساب وعلم النجوم ، فان علم الحساب أشرف لوثاقة أدلته وقوتها ، وإنْ نسب الحساب إلى الطب كان

الطب أشرف باعتبار ثمرته ، والحساب أشرف باعتبار أدلته ، وملاحظة الثمرة أولى ، ولذلك كان الطب أشرف وإن كان أكثره بالتخمين . وبهذا تبين أن أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله ، والعلم بالطريق الموصل إلى هذه العلوم . فإياك وأن ترغب إلا فيه ، وأن تحرص إلا عليه

الوظيفة التاسعة ـ أن يكون قصد المتعلم فى الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة ، وفى المآل القرب من الله سبحانه والترقى إلى جوار الملأ الأعلى من الملائكة والمقربين ، ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الأقران ، وإذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الأقرب إلى مقصوده وهو علم الآخرة . ومع هذا فلا ينبغى له أن ينظر بعين الحقارة إلى سائر العلوم ، أعنى علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة ، وغير ذلك مما أوردناه فى المقدمات والمتممات من ضروب العلوم التى هى فرض كفاية . ولا تفهمن من غلوّنا فى الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم ، فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدين فى سبيل الله ، فمنهم المقاتل ، ومنهم الرِّدْء ، ومنهم الذى يسقيهم الماء ، ومنهم الذى يحفظ دوابهم ويتعهدهم . ولا ينفك أحد منهم عن أجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم ، فكذلك العلماء ، قال الله تعالى : (يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) . وقال تعالى : (هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ ٱللَّهِ) . والفضيلة نسبية ، واستحقارنا للصيارفة عند قياسهم بالملوك لايدل على حقارتهم اذا قيسوا بالكناسين . فلا تظنن أن ما نزل عن الرتبة القصوى ساقط القدر ، بل الرتبة العليا للأنبياء ، ثم الأولياء ، ثم العلماء الراسخين فى العلم ، ثم للصالحين على تفاوت درجاتهم . وبالجملة من يعملْ مثقال ذرة خيراً يَرهُ ، ومَنْ يعملْ مثقال ذرة شراً يره ، ومن قصد الله تعالى بالعلم أىّ علم كان ، نفعه ، ورفعه لامحالة

الوظيفة العاشرة — أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد ، كيما يؤثر الرفيع القريب على البعيد ، والمهم على غيره . ومعنى المهم مايهمك ، ولا يهمك إلا شأنك فى الدنيا والآخرة . وإذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرءان وشهد له من نور البصائر مايجرى مجرى العيان ، فالأهم مايبقى أبد الآباد ؛ وعند ذلك تصير الدنيا منزلا ، والبدن مركبا ، والأعمال سعيا إلى المقصد . ولا مقصد إلا لقاء الله تعالى ، ففيه النعيم كله ، وإن كان لا يَعرف فى هذا العالم قدره

إلا الأقلون . والعلوم بالاضافة إلى سادة لقاء الله سبحانه والنظر إلى وجهه الكريم، أعنى النظر الذى طلبه الأنبياء وفهموه دون مايسبق إلى فهم العوام والمتكلمين، على ثلاث مراتب ، تفهمها بالموازنة بمثال: وهو أن العبد الذى علق عتقه وتمكينه من الملك بالحج وقيل له : إن حججت وأتممت وصلت إلى العتق والملك جميعا ، وإن ابتدأت بطريق الحج والاستعداد له وعاقك فى الطريق مانع ضرورى فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك، فله ثلاثة أصناف من الشغل : (الأول) تهيئة الأسباب بشراء الناقة وخرز الراوية وإعداد الزاد والراحلة. و(الثانى) السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه إلى الكعبة منزلا بعد منزل . و(الثالث) الاشتغال بأعمال الحج ركنا بعد ركن ، ثم بعد الفراغ والنزوع عن هيئة الإحرام وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة . وله فى كل مقام منازل ، من أول إعداد الأسباب إلى آخره ، ومن أول سلوك البوادى إلى آخره ، ومن أول أركان الحج الى آخره . وليس قرب من ابتدأ بأركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد فى إعداد الزاد والراحلة ، ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك ، بل هو أقرب منه . فالعلوم أيضاً ثلاثة أقسام : قسم يجرى مجرى إعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة ، وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن فى الدنيا . وقسم يجرى مجرى سلوك البوادى وقطع العقبات، وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة التى عجز عنها الأولون والآخرون إلا الموفقين ، فهذا سلوك الطريق ، وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله . وكما لا يغنى علم المنازل وطرق البوادى دون سلوكها ، كذلك لا يغنى علم تهذيب الأخلاق دون مباشرة التهذيب ، ولكن المباشرة دون العلم غير ممكن . وقسم ثالث يجرى مجرى نفس الحج وأركانه ، وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وأفعاله وجميع ماذكرناه فى تراجم علم المكاشفة ، وهاهنا نجاة وفوز بالسعادة ، والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق إذا كان غرضه المقصد الحق وهو السلامة . وأما الفوز بالسعادة فلا يناله إلا العارفون بالله تعالى ، وهم المقربون المنعمون فى جوار الله تعالى بالرَّوْح والريحان وجنة النعيم . وأما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة ، كما قال الله عز وجل : (فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) . وكل من لم يتوجه إلى المقصد ولم ينتهض له ، أو انتهض إلى جهته

لا على قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل، فهو من أصحاب الشمال، ومن الضالين، فله نُزُل من حميم وتصلية جحيم

واعلم أن هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين ، أعنى أنهم أدركوه بمشاهدة من الباطن هى أقوى وأجلى من مشاهدة الأبصار ، وترقوا فيه عن حد التقليد لمجرد السماع ، وحالهم حال من أخبر فصدّق ، ثم شاهد فحقق ، وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والايمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان . فالسعادة وراء علم المكاشفة ، وعلم المكاشفة وراء علم المعاملة التى هى سلوك طريق الآخرة . وقطع عقبات الصفات وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات . وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك فى ذلك وراء علم سلامة البدن: ومساعدة أسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذى يتوصل به إلى الملبس والمطعم والمسكن، وهو منوط بالسلطان ، وقانونه فى ضبط الناس على منهج العدل والسياسة فى ناصية الفقيه . وأما أسباب الصحة ففى ناصية الطبيب . ومن قال : العلم علمان: علم الأبدان وعلم الأديان، وأشار به الى الفقه ، أراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة

فان قلت : لم شبهت علم الطب والفقه باعداد الزاد والراحلة ؟

فاعلم أن الساعى إلى الله تعالى لينال قربه هو القلب دون البدن ، ولست أعنى بالقلب اللحم المحسوس ، بل هو سر من أسرار الله عز وجل لا يدركه الحس ، ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح ، وتارة بالنفس المطمئنة . والشرع يعبر عنه بالقلب لأنه المطية الأولى لذلك السر ، وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة . وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة ، وهو مضنون به بل لا رخصة فى ذكره . وغاية المأذون فيه أن يقال : هو جوهر نفيس ودر عزيز أشرف من هذه الأجرام المرئية ، وإنما هو أمر إلهى، كما قال تعالى: « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى» وكل المخلوقات منسوبة إلى الله تعالى، ولكن نسبته أشرف من نسبة سائر أعضاء البدن ، فلله الخلق والأمر جميعا ، والأمر أعلى من الخلق ، وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لأمانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والأرضين والجبال إذ أبين أن يحملنها وأشفقن منها، من عالم الأمر . ولا يفهم من هذا أنه تعريض بقدمها، فان القائل بقدم الأرواح مغرور جاهل لا يدرى ما يقول . فلنقبض عنان البيان عن هذا الفن ، فهو وراء ما نحن

بصدده . والمقصود أن هذه اللطيفة هى الساعية إلى قرب الرب لأنها من أمر الرب ، فمنه مصدرها، واليه مرجعها. وأما البدن فمطيتها التى تركبها وتسعى بواسطتها. فالبدن لها فى طريق الله تعالى كالناقة للبدن فى طريق الحج ، وكالراوية الخازنة للماء الذى يفتقر اليه البدن ، فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية ، ولا يخفى أن الطب كذلك، فانه قد يحتاج اليه فى حفظ الصحة على البدن ، ولو كان الانسان وحده لاحتاج اليه ،والفقه يفارقه فى أنه لو كان الانسان وحده ربما كان يستغنى عنه، ولكنه خلق على وجه لا يمكنه أن يعيش وحده ،إذ لا يستقل بالسعى وحده فى تحصيل طعامه ، بالحراثة والزرع والخبز والطبخ، وفى تحصيل الملبس والمسكن، وفى إعداد آلات ذلك كله ، فاضطر إلى المخالطة والاستعانة ، ومهما اختلط الناس وثارت شهواتهم تجاذبوا أسباب الشهوات ، وتنازعوا وتقاتلوا ، وحصل من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من خارج ، كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الأخلاط من داخل ، وبالطب يحفظ الاعتدال فى الأخلاط المتنازعة من داخل ، وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال فى التنافس من خارج ، وعلم طريق اعتدال الأخلاط طب ، وعلم طريق اعتدال أحوال الناس فى المعاملات والأفعال فقه ، وكل ذلك لحفظ البدن الذى هو مطية . فالمتجرد لعلم الفقه أو الطب اذا لم يجاهد نفسه ولا يصلح قلبه كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها اذا لم يسلك بادية الحج ، والمستغرق عمره فى دقائق الكلمات التى تجرى فى مجادلات الفقه كالمستغرق عمره فى دقائق الأسباب التى بها تستحكم الخيوط التى تخرز بها الراوية للحج . ونسبة هؤلاء من السالكين لطريق إصلاح القلب الموصل إلى علم المكاشفة كنسبة أولئك الى سالكى طريق الحج أو ملابسى أركانه . فتأمل هذا أولاً ، واقبل النصيحة مجّانا ممن قام عليه ذلك غالبا ولم يصل اليه إلا بعد جهد جهيد ، وجراءة تامة على مباينة الخلق العامة والخاصة ، فى النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة . فهذا القدر كاف فى وظائف المتعلم

بيان وظائف المرشد المعلم

اعلم أن للانسان فى علمه أربعة أحوال، كحاله فى اقتناء الأموال : اذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسبا ، وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال ، وحال إنفاق على نفسه

فيكون منتفعا ، وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا ، وهو أشرف أحواله . فكذلك العلم يقتنى كما يقتنى المال ، فله حال طلب واكتساب ، وحال تحصيل يغنى عن السؤال ، وحال استبصار وهو التفكر فى المحصَّل والتمتع به ، وحال تبصير وهو أشرف الأحوال . فمن علم وعمل وعلّم فهو الذى يدعى عظيما فى ملكوت السموات ، فانه كالشمس تضىء لغيرها وهى مضيئة فى نفسها ، وكالمسك الذى يطيّب غيره وهو طيب . والذى يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذى يفيد غيره وهو خال عن العلم ، وكالمسن الذى يشحذ غيره ولا يقطع ، والإبرة التى تكسو غيرها وهى عارية ، وذبالة المصباح تضىء لغيرها وهى تحترق ، كما قيل :

ماهو إلا ذبالة وقدت * تضىء للناس وهى تحترق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما ، فليحفظ آدابه ووظائفه

الوظيفة الأولى ـ الشفقة على المتعلمين ، وأن يجريهم مُجرى بنيه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ » بأن يقصد إنقاذهم من نار الآخرة ، وهو أهم من إنقاذ الوالدَين ولدهما من نار الدنيا ، ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين ، فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ، والمعلم سبب الحياة الباقية ، ولولا المعلم لانساق ماحصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم ، وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة ، أعنى معلم علوم الآخرة ، أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا ، فأما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك ، نعوذ بالله منه . وكما أن حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها ، فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتوادد ، ولا يكون إلا كذلك إن كان مقصدهم الآخرة ، ولا يكون إلا التحاسد والتباغض إن كان مقصدهم الدنيا ، فان العلماء وأبناء الآخرة مسافرون الى الله تعالى ، وسالكون اليه الطريق من الدنيا ، وسنوها وشهورها منازل الطريق ، والترافق فى الطريق بين المسافرين الى الأمصار سبب التواد والتحاب ، فكيف السفر الى الفردوس الأعلى والترافق فى طريقه ولا ضيق فى سعادة الآخرة ؟ فلذلك لايكون بين أبناء الآخرة تنازع ، ولا سعة فى سعادات الدنيا ، فلذلك لاينفك عن ضيق التزاحم .

---

(١) حديث إنما أنا لكم مثل الوالد لولده : أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة

والعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) وداخلون فى مقتضى قوله تعالى : (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ)

الوظيفة الثانية ـ أن يقتدى بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه ، فلا يطلب على إفادة العلم أجرا ، ولا يقصد به جزاء ولا شكراً ، بل يعلّم لوجه الله تعالى وطلبا للتقرب اليه ؛ ولا يرى لنفسه منّة عليهم وإن كانت المنة لازمة عليهم ، بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم لأن تتقرب إلى الله تعالى بزراعة العلوم فيها ، كالذى يعيرك الأرض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الأرض ، فكيف تقلده منة وثوابك فى التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى ، ولولا المتعلم مانلت هذا الثواب ؟ فلا تطلب الأجر إلا من الله تعالى ، كما قال عز وجل : (وَيَاقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ) فان المال وما فى الدنيا خادم البدن ، والبدن مركب النفس ومطيتها ، والمخدوم هو العلم ، إذ به شرف النفس ؛ فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه ، فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما ، وذلك هو الانتكاس على أم الراس . ومثله هو الذى يقوم فى العرض الأكبر مع المجرمين ناكسى رءوسهم عند ربهم . وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم . فانظر كيف انتهى أمر الدين إلى قوم يزعمون أن مقصودهم التقرب إلى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفى غيرهما ، فانهم يبذلون المال والجاه ويتحملون أصناف الذل فى خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ، ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف اليهم ، ثم يتوقع المعلم من المتعلم أن يقوم له فى كل نائبة ، وينصر وليه ، ويعادى عدوه ، وينتهض جهارا له فى حاجاته ، ومسخرا بين يديه فى أوطاره ، فان قصّر فى حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه ، فأخسِسْ بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ، ثم لا يستحيي من أن يقول : غرضى من التدريس نشر العلم تقربا الى الله تعالى ونصرة لدينه ! فانظر إلى الأمارات حتى ترى ضروب الاغترارات .

الوظيفة الثالثة ـ أن لا يدع من نصح المتعلم شيئا ، وذلك بأن يمنعه من التصدى لرتبة قبل استحقاقها ، والتشاغل بعلم خفى قبل الفراغ من الجلى ، ثم ينبهه على أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ، ويقدم تقبيح ذلك فى نفسه بأقصى

مايمكن، فليس مايصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده ، فانْ علم من باطنه أنه لايطلب العلم إلا للدنيا نظر الى العلم الذى يطلبه : فان كان هو علم الخلاف فى الفقه والجدل فى الكلام والفتاوى فى الخصومات والأحكام ، فيمنعه من ذلك ، فان هذه العلوم ليست من علوم الآخرة ولا من العلوم التى قيل فيها : تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله ، وإنما ذلك علم التفسير وعلم الحديث ، وما كان الأولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها ، فاذا تعلمه الطالب وقصد به الدنيا فلا بأس أن يتركه ، فانه يثمر له طمعا فى الوعظ والاستتباع ، ولكن قد يتنبه فى أثناء الأمر أو آخره ، إذ فيه العلوم المخوفة من الله تعالى المحقرة للدنيا المعظمة للآخرة ، وذلك يوشك أن يؤدى الى الصواب فى الآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ، ويجرى حُب القبول والجاه مجرى الحب الذى ينثر حوالى الفخ ليقتنص به الطير ، وقد فعل الله ذلك بعباده ، إذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل ، وخلق أيضا حب الجاه ليكون سببا لإحياء العلوم . وهذا متوقع فى هذه العلوم

فأما الخلافيات المحضة ومجادلات الكلام ومعرفة التفاريع الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الإعراض عن غيرها إلا قسوة فى القلب ، وغفلة عن الله تعالى ، وتماديا فى الضلال ، وطلبا للجاه ، إلا من تداركه الله تعالى برحمته ، أو مزج به غيره من العلوم الدينية ، ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة . فانظر واعتبر ، واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك فى العباد والبلاد ، والله المستعان . وقد رئى سفيان الثورى رحمه الله حزينا ، فقيل له : مالك ؟ فقال : صرنا متجراً لأبناء الدنيا ، يلزمنا أحدهم حتى إذا تعلم جعل قاضيا أو عاملا أو قهرمانا

الوظيفة الرابعة وهى من دقائق صناعة التعليم ـ أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ماأمكن ، ولا يصرح ، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ ، فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ، ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ، ويهيج الحرص على الإصرار ، إذ قال صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم [1] « لَوْ مُنِعَ النَّاسُ عَنْ فَتِّ الْبَعْرِ لَفَتُّوهُ وَقَالُوا فَانْهِينَا عَنْهُ إِلاَّ وَفِيهِ شَيْءٌ » ! وينبهك على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام وما نهيا عنه ، فما ذكرت القصة معك لتكون سمرا ، بل لتتنبه بها على سبيل العبرة ، ولأن التعريض أيضا يميل

(١) حديث لو منع الناس عن فت البعر لفتوه ـ الحديث: لم أجده

النفوس الفاضلة والأذهان الذكية إلى استنباط معانيه ، فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة فى العلم به ليعلم أن ذلك مما لا يعزب عن فطنته

الوظيفة الخامسة ـ أن المتكفل ببعض العلوم ينبغى أن لا يقبّح فى نفس المتعلم العلوم التى وراءه كمعلم اللغة إذ عادته تقبيح علم الفقه ، ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وأن ذلك نقل محض وسماع وهو شأن العجائز ، ولا نظر للعقل فيه ، ومعلم الكلام ينفّر عن الفقه ويقول : ذلك فروع وهو كلام فى حيض النسوان ، فأين ذلك من الكلام فى صفة الرحمن . فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغى أن تجتنب ، بل المتكفل بعلم واحد ينبغى أن يوسع على المتعلم طريق التعلم فى غيره ؛ وإن كان متكفلا بعلوم فينبغى أن يراعى التدريج فى ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة

الوظيفة السادسة ـ أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه ، فلا يلقى اليه ما لا يبلغه عقله ، فينفره أو يخبط عليه عقله ، اقتداء فى ذلك بسيد البشر صلى الله عليه وسلم حيث قال : (١) « نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُنْزِلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ وَنُكَلِّمَهُمْ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ » . فليبثّ اليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها . وقال صلى الله عليه وسلم : « مَا أَحَدٌ يُحَدِّثُ قَوْمًا بِحَدِيثٍ لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ فِتْنَةً عَلَى بَعْضِهِمْ » . وقال على رضى الله عنه وأشار إلى صدره : إن هاهنا لعلوما جمّة لو وجدت لها حملة . وصدق رضى الله عنه ، فقلوب الأبرار قبور الأسرار ، فلا ينبغى أن يفشى العالم كل ما يعلم إلى كل أحد . هذا إذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلا للانتفاع به ، فكيف فيما لا يفهمه ؟ وقال عيسى عليه السلام : لا تعلقوا الجواهر فى أعناق الخنازير ، فان الحكمة خير من الجوهر ، ومن كرهها فهو شر من الخنازير . ولذلك قيل : كِلْ لكل عبد بمعيار عقله ، وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك ، وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار . وسئل بعض العلماء عن شىء فلم يجب ، فقال السائل : أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) قال : « « مَنْ كَتَمَ عِلْمًا نَافِعًا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلْجَمًا بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ » !

---

(١) حديث نحن معاشر الانبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ـ الحديث : رويناه فى جزء من حديث أبى بكر ابن الشخير من حديث عمر أخصر منه ، وعند أبى داود من حديث عائشة : انزلوا الناس منازلهم

(٢) حديث من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار : ابن ماجه من حديث أبى سعيد بإسناد ضعيف ، وتقدم حديث أبى هريرة بنحوه

فقال : اترك اللجام واذهب فإن جاء من يفقه وكتمته فليلجمنى، فقد قال الله تعالى : (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ) تنبيها على أن حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى ، وليس الظلم فى إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم فى منع المستحق :

أأنثر درًّا بين سارحة النَّعم فأصبح مخزونا براعية الغنم
لأنهم أمسوا بجهل لقدره فلا أنا أضحى أن أطوقه البَهم
فان لَطف الله اللطيف بلطفه وصادفتُ أهلا للعلوم وللحكم
نشرت مفيدا واستفدت مودة وإلا فمخزون لدىّ ومكتتم
فمن منح الجهال علما أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

الوظيفة السابعة — أن المتعلم القاصر ينبغى أن يلقى اليه الجلى اللائق به ، ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه ، فان ذلك يفتر رغبته فى الجلىّ ، ويشوّش عليه قلبه ، ويوهم اليه البخل به عنه ، إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق ، فما من أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه فى كمال عقله ، وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلا هو أفرحهم بكمال عقله . وبهذا يعلم أن من تقيد من العوام بقيد الشرع ، ورسخ فى نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل ، وحسن مع ذلك سريرته ، ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك ، فلا ينبغى أن يشوّش عليه اعتقاده ، بل ينبغي أن يخلى وحرفته ، فانه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحلّ عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص ، فيرتفع عنه السد الذى بينه وبين المعاصى ، وينقلب شيطانا مريدا يهلك نفسه وغيره ، بل لا ينبغى أن يخاض مع العوام فى حقائق العلوم الدقيقة ، بل يقتصر معهم على تعليم العبادات ، وتعليم الأمانة فى الصناعات التى هم بصددها ، ويملأ قلوبهم من الرغبة والرهبة فى الجنة والنار ، كما نطق به القرءان ، ولا يحرك عليهم شبهة ، فانه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويعسر عليه حلها فيشقى ويهلك . وبالجملة لا ينبغى أن يفتح للعوام باب البحث ، فانه يعطل عليهم صناعاتهم التى بها قوام الخلق ، ودوام عيش الخواص

الوظيفة الثامنة — أن يكون المعلم عاملا بعلمه ، فلا يكذب قوله فعله ، لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار ، وأرباب الأبصار أكثر ، فاذا خالف العمل العلم منع الرشد ، وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك ، سخر الناس به واتهموه ، وزاد

حرصهم على مانهوا عنه ، فيقولون : لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به . ومَثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود ، فكيف ينتقش الطين بمالا نقش فيه ، ومتى استوى الظل والعود أعوج ؟! ولذلك قيل فى المعنى :

لاتنهَ عن خُلق وتأتىَ مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى : (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ) . ولذلك كان وزر العالم فى معاصيه أكبر من وزر الجاهل، إذ يزل بزلته عالَم كثير، ويقتدون به، و«مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا» ، ولذلك قال على رضى الله عنه : قَصَم ظهرى رجلان : عالمٌ متهتك ، وجاهل متنسّك ، فالجاهل يغر الناس بتنسكه ، والعالم يغرهم بتهتكه . والله أعلم

الباب السادس

فى آفات العالم

وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء

قد ذكرنا ماورد من فضائل العلم والعلماء ، وقد ورد فى العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على أنهم أشدّ الخلق عذابا يوم القيامة ، فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ، ونعنى بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصْدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها ، قال صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِعِلْمِهِ » . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال [1] « لَا يَكُونُ الْمَرْءُ عَالِمًا حَتَّى يَكُونَ بِعِلْمِهِ عَامِلًا » . وقال صلى الله عليه وسلم [2] «الْعِلْمُ عِلْمَانِ : عِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ، فَذَلِكَ حُجَّةُ

﴿ الباب السادس ﴾

(١) حديث لايكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا : ابن حبان فى كتاب روضة العقلاء ، والبيهقى فى المدخل موقوفا على أبى الدرداء ، ولم أجده مرفوعا

(٢) حديث العلم علمان علم على اللسان ـ الحديث : الترمذى الحكيم فى النوادر، وابن عبد البر من حديث الحسن مرسلا باسناد صحيح ، وأسنده الخطيب فى التاريخ من رواية الحسن عن جابر باسناد جيد ، وأعله ابن الجوزى

اللهُ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ ؛ وَعِلْمٌ فِي الْقَلْبِ فَذَلِكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ » . وقال صلى الله عليه وسلم[1] « يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ عُبَّادٌ جُهَّالٌ وَعُلَمَاءُ فُسَّاقٌ » وقال صلى الله عليه وسلم[2] « لَا تَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ وَلِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلِتَصْرِفُوا بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ فِي النَّارِ » . وقال صلى الله عليه وسلم: « مَنْ كَتَمَ عِلْمًا عِنْدَهُ أَلْجَمَهُ اللهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ » . وقال صلى الله عليه وسلم[3] « لَأَنَا مِنْ غَيْرِ الدَّجَّالِ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ مِنَ الدَّجَّالِ » فقيل: وماذلك؟ فقال: « مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ » . وقال صلى الله عليه وسلم[4] « مَنِ ازْدَادَ عِلْمًا وَلَمْ يَزْدَدْ هُدًى لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا » . وقال عيسى عليه السلام: إلى متى تصفون الطريق للمُدْلِجين وأنتم مقيمون مع المتحيرين !

فهذا وغيره من الأخبار يدل على عظيم خطر العلم ، فان العالم إما متعرض لهلاك الأبد ، أو لسعادة الأبد ، وإنه بالخوض فى العلم قد حُرم السلامة إن لم يدرك السعادة

وأما الآثار ، فقد قال عمر رضى الله عنه : إن أخوف ماأخاف على هذه الأمة المنافق العليم. قالوا : وكيف يكون منافقا عليما ؟ قال : عليم اللسان جاهل القلب والعمل . وقال الحسن رحمه الله : لاتكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ، ويجرى فى العمل مجرى السفهاء . وقال رجل لأبى هريرة رضى الله عنه : أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه ، فقال : كفى بترك العلم إضاعة له . وقيل لابراهيم بن عيينة : أى الناس أطول تدما ؟ قال : أما فى عاجل الدنيا فصانع المعروف إلى من لايشكره ، وأما عند الموت فعالم مفرّط . وقال الخليل بن أحمد : الرجال

---

(١) حديث يكون فى آخر الزمان عباد جهال وعلماء فسقة : الحاكم من حديث أنس وهو ضعيف

(٢) حديث لاتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ـ الحديث : ابن ماجه من حديث جابر باسناد صحيح

(٣) حديث غير الدجال أخوف عليكم من الدجال ـ الحديث : أحمد من حديث أبى ذر باسناد جيد

(٤) حديث من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا : أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس وحديث على باسناد ضعيف إلا أنه قال : زهدا . وروى ابن حبان فى روضة العقلاء موقوفا على الحسن : من ازداد علما ثم ازداد على الدنيا حرصا لم يزدد من الله إلا بعدا . وروى أبو الفتح الاذرى فى الضعفاء من حديث على من ازداد بالله علما ثم ازداد للدنيا حبا ازداد الله عليه غضبا

أربعة : رجل يدرى ويدرى أنه يدرى ، فذلك عالم فاتبعوه ، ورجل يدرى ولايدرى أنه يدرى، فذلك نائم فأيقظوه ، ورجل لايدرى ويدرى أنه لايدرى،فذلك مسترشد فأرشدوه ، ورجل لايدرى ولايدرى أنه لايدرى ، فذلك جاهل فارفضوه. وقال سفيان الثورى رحمه الله : يهتف العلم بالعمل فان أجابه وإلا ارتحل . وقال ابن المبارك : لا يزال المرء عالما ما طلب العلم ، فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل . وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : إنى لأرحم ثلاثة : عزيزَ قوم ذل ، وغنى قوم افتقر ، وعالما تلعب به الدنيا. وقال الحسن :عقوبة العلماء موت القلب ، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة . وأنشدوا :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشترى دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه بدنيا سواه فهو من ذين أعجب

وقال صلى الله عليه وسلم: (١) «إِنَّ الْعَالِمَ لَيُعَذَّبُ عَذَابًا يَطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ اسْتِعْظَامًا لِشِدَّةِ عَذَابِهِ» أراد به العالم الفاجر. وقال أسامة بن زيد: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (٢) : «يُؤْتَى بِالْعَالِمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى فَيَطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ مَالَكَ ؟ فَيَقُولُ : كُنْتُ آمُرُ بِالْخَيْرِ وَلَا آتِيهِ ، وَأَنْهَى عَنِ الشَّرِّ وَآتِيهِ» . وإنما يضاعف عذاب العالم فى معصيته لأنه عصى عن علم . ولذلك قال الله عز وجل : (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) لأنهم جحدوا بعد العلم ، وجعل اليهود شراً من النصارى مع أنهم ماجعلوا لله سبحانه ولداً ولا قالوا إنه ثالث ثلاثة ، إلا أنهم أنكروا بعد المعرفة ، إذ قال الله : (يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ) وقال تعالى : (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ) . وقال تعالى فى قصة بلعام بن باعوراء : (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ)

---

(١) حديث إن العالم يعذب عذابا يطيف به أهل النار ـ الحديث : لم أجده بهذا اللفظ ، وهو معنى حديث أسامة المذكور بعده

(٢) حديث أسامة بن زيد : يؤتى بالعالم يوم القيامة ويلقى فى النار فتندلق أقتابه ـ الحديث : متفق عليه بلفظ ارجل بدل العالم

حتى قال : (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ) فكذلك العالم الفاجر؛ فان بلعام أوتى كتاب الله تعالى فأخلد إلى الشهوات ، فشبه بالكلب ، أى سواء أوتى الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث إلى الشهوات

وقال عيسى عليه السلام : مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لاهى تشرب الماء ولا هى تترك الماء يخلص الى الزرع . ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ، ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى

فهذه الأخبار والآثار تبين أن العالم الذى هو من أبناء الدنيا أخس حالا وأشد عذابا من الجاهل ؛ وأن الفائزين المقربين هم علماء الآخرة ، ولهم علامات :

فمنها أن لا يطلب الدنيا بعلمه ، فان أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها ، وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ، ويعلم أنهما متضادتان ، وأنهما كالضرتين مهما أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى ، وأنهما ككفتى الميزان مهما رجحت إحداهما خفت الأخرى ، وأنهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من أحدهما بعدت عن الآخر ، وأنهما كقدحين أحدهما مملوء والآخر فارغ ؛ فبقدر ما تصب منه فى الآخر حتى يمتلىء يفرغ الآخر ؛ فان من لا يعرف حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها بألمها ثم انصرام ما يصفو منها ، فهو فاسد العقل ، فان المشاهدة والتجربة ترشد إلى ذلك ، فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ؟ ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الايمان ، فكيف يكون من العلماء من لا إيمان له ؟ ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة ، وأن الجمع بينهما طمع فى غير مطمع ، فهو جاهل بشرائع الأنبياء كلهم ، بل هو كافر بالقرءان كله من أوله الى آخره ، فكيف يعد من زمرة العلماء ؟ ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته ، فكيف يعد من حزب العلماء من هذه درجته؟

وفى أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى : إن أدنى ما أصنع بالعالم اذا آثر شهوته على محبتى أن أحرمه لذيذ مناجاتى . ياداود لا تسأل عنى عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتى ، أولئك قطاع الطريق على عبادي . ياداود اذا رأيت لى طالبا فكن له خادما .

يا داود من رد إلىّ هاربا كتبته جهبذا ، ومن كتبته جهبذا لم أعذبه أبداً ». ولذلك قال الحسن رحمه الله : عقوبة العلماء موت القلب ، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة . ولذلك قال يحيى بن معاذ : إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا . وقال سعيد بن المسيّب رحمه الله : إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فهو لص . وقال عمر رضى الله عنه : إذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم ، فان كل محب يخوض فيما أحب . وقال مالك بن دينار رحمه الله : قرأت فى بعض الكتب السالفة أن الله تعالى يقول : إن أهون ماأصنع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتى من قلبه . وكتب رجل إلى أخ له : إنك قد أوتيت علما فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم فى نور علمهم . وكان يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله يقول لعلماء الدنيا : ياأصحاب العلم قصوركم قيصرية ، وبيوتكم كسروية وأثوابكم ظاهرية ، وأخفافكم جالوتية ، ومراكبكم قارونية ، وأوانيكم فرعونية ، ومآثمكم جاهلية ، ومذاهبكم شيطانية ، فأين الشريعة المحمدية ! قال الشاعر :

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

وقال آخر :

يامعشر القراء يامِلح البلد مايصلح الملح إذا الملح فسد !

وقيل لبعض العارفين : أترى ان من تكون المعاصى قرة عينه لايعرف الله ؟ فقال : لاأشك أن من تكون الدنيا عنده آثر من الآخرة أنه لايعرف الله تعالى . وهذا دون ذلك بكثير . ولاتظنن أن ترك المال يكفى فى اللحوق بعلماء الآخرة ، فان الجاه أضر من المال . ولذلك قال بشر : حدّثنا باب من أبواب الدنيا ، فاذا سمعت الرجل يقول حدثنا فانما يقول أوسعوا لى . ودفن بشر بن الحارث بضعة عشر مابين قمطرة وقوصرة من الكتب ، وكان يقول أنا أشتهى أن أحدث ، ولو ذهبت عنى شهوة الحديث لحدثت . وقال هو وغيره : إذا اشتهيت أن تحدث فاسكت ، فاذا لم تشته فحدث . وهذا لأن التلذذ بجاه الافادة ومنصب الارشاد أعظم لذة من كل تنعم فى الدنيا ، فمن أجاب شهوته فيه فهو من أبناء الدنيا . ولذلك قال الثورى : فتنة الحديث أشد من فتنة الأهل والمال والولد ، وكيف لاتخاف فتنته وقد قيل لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم : (وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا)

وقال سهل رحمه الله : العلم كله دنيا ، والآخرة منه العمل به ، والعمل كله هباء إلا الاخلاص : وقال الناس كلهم موتى إلا العلماء ، والعلماء سكارى إلا العاملين ، والعاملون كلهم مغرورون إلا المخلصين ، والمخلص على وجل حتى يدرى ماذا يختم له به. وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله : إذا طلب الرجل الحديث أو تزوّج أو سافر فى طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا. وإنما أراد به طلب الأسانيد العالية ، أو طلب الحديث الذي لايحتاج اليه فى طلب الآخرة . وقال عيسى عليه السلام : كيف يكون من أهل العلم مَن مسيره إلى آخرته وهو مقبل على طريق دنياه ؟ وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به؟ وقال صالح بن كيسان البصرى : أدركت الشيوخ وهم يتعوّذون بالله من الفاجر العالم بالسنة . وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « مَنْ طَلَبَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ تَعَالَى لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »

وقد وصف الله علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم ، ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد فقال عز وجل فى علماء الدنيا : (وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) وقال تعالى فى علماء الآخرة : (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لله لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) وقال بعض السلف : العلماء يحشرون فى زمرة الأنبياء ، والقضاة يحشرون فى زمرة السلاطين . وفى معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه

وروى أبو الدرداء رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (٢) « أَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ : قُلْ لِلَّذِينَ يَتَفَقَّهُونَ لِغَيْرِ الدِّينِ، وَيَتَعَلَّمُونَ لِغَيْرِ الْعَمَلِ،

---

(١) حديث أبي هريرة من طلب علما مما يبتغى به وجه الله ليصيب به عرضاً ـ الحديث : أبى داود وابن ماجه باسناد جيد.

(٢) حديث أبى الدرداء أوحي الله الى بعض الأنبياء : قل للذين يتفقهون لغير الدين ـ الحديث : ابن عبد البر باسناد ضعيف

وَيَطْلُبُونَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ ، يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ مُسُوكَ الْكِبَاشِ وَقُلُوبُهُمْ كَقُلُوبِ الذِّئَابِ أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، وَقُلُوبُهُمْ أَمَرُّ مِنَ الصَّبِرِ ، إِيَّايَ يُخَادِعُونَ ، وَبِي يَسْتَهْزِءُونَ : لَأَفْتَحَنَّ لَهُمْ فِتْنَةً تَذَرُ الْحَلِيمَ حَيْرَانًا »

وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « عُلَمَاءُ هَذِهِ الأُمَّةِ رَجُلَانِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ عِلْمًا فَبَذَلَهُ لِلنَّاسِ وَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِ طَمَعًا وَلَمْ يَشْتَرِ بِهِ ثَمَنًا ، فَذَلِكَ يُصَلِّي عَلَيْهِ طَيْرُ السَّمَاءِ وَحِيتَانُ الْمَاءِ وَدَوَابُّ الأَرْضِ وَالْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ ، يَقْدِمُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَيِّدًا شَرِيفًا حَتَّى يُرَافِقَ الْمُرْسَلِينَ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ عِلْمًا فِي الدُّنْيَا فَضَنَّ بِهِ عَلَى عِبَادِ اللهِ وَأَخَذَ عَلَيْهِ طَمَعًا وَاشْتَرَى بِهِ ثَمَنًا ، فَذَلِكَ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلْجَمًا بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يُنَادِي مُنَادٍ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ : هَذَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ آتَاهُ اللهُ عِلْمًا فِي الدُّنْيَا فَضَنَّ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَأَخَذَ بِهِ طَمَعًا وَاشْتَرَى بِهِ ثَمَنًا ، فَيُعَذَّبُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ »

وأشد من هذا ماروى أن رجلا كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول : حدثنى موسى صفى الله ، حدثنى موسى نجىّ الله ، حدثنى موسى كليم الله ، حتى أثرى وكثر ماله ، ففقده موسى عليه السلام ، فجعل يسأل عنه ولا يحس له خبرا ، حتى جاءه رجل ذات يوم وفى يده خنزير وفى عنقه حبل أسود ، فقال له موسى عليه السلام : أتعرف فلانا ؟ قال : نعم ، هو هذا الخنزير ؛ فقال موسى : يا رب أسألك أن ترده إلى حاله حتى أسأله بم أصابه هذا؟ فأوحى الله عز وجل اليه : لو دعوتنى بالذى دعانى به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه ، ولكن أخبرك لم صنعت هذا به : لأنه كان يطلب الدنيا بالدين

وأغلظ من هذا ماروى معاذ بن جبل رضى الله عنه موقوفا ومرفوعا فى رواية عن النبى

---

(١) حديث ابن عباس علماء هذه الأمة رجلان ـ الحديث : الطبرانى فى الأوسط باسناد ضعيف

صلى الله عليه وسلم قال : (١) «مِنْ فِتْنَةِ الْعَالِمِ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الاسْتِمَاعِ، وَفِي الْكَلَامِ تَنْمِيقٌ وَزِيَادَةٌ وَلَا يُؤْمَنُ عَلَى صَاحِبِهِ الْخَطَأُ، وَفِي الصَّمْتِ سَلَامَةٌ وَعِلْمٌ، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَخْزُنُ عِلْمَهُ فَلَا يُحِبُّ أَنْ يُوجَدَ عِنْدَ غَيْرِهِ فَذَلِكَ فِي الدَّرْكِ الْأَوَّلِ مِنَ النَّارِ، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَكُونُ فِي عِلْمِهِ بِمَنْزِلَةِ السُّلْطَانِ إِنْ رُدَّ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ عِلْمِهِ أَوْ تَهَوَّنَ بِشَيْءٍ مِنْ حَقِّهِ غَضِبَ فَذَلِكَ فِي الدَّرْكِ الثَّانِي مِنَ النَّارِ، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَجْعَلُ عِلْمَهُ وَغَرَائِبَ حَدِيثِهِ لِأَهْلِ الشَّرَفِ وَالْيَسَارِ وَلَا يَرَى أَهْلَ الْحَاجَةِ لَهُ أَهْلًا فَذَلِكَ فِي الدَّرْكِ الثَّالِثِ مِنَ النَّارِ، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَنْصِبُ نَفْسَهُ لِلْفُتْيَا فَيُفْتِي بِالْخَطَأِ، وَاللهُ تَعَالَى يُبْغِضُ الْمُتَكَلِّفِينَ فَذَلِكَ فِي الدَّرْكِ الرَّابِعِ مِنَ النَّارِ، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لِيَغْزُرَ بِهِ عِلْمُهُ فَذَلِكَ فِي الدَّرْكِ الْخَامِسِ مِنَ النَّارِ، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَتَّخِذُ عِلْمَهُ مُرُوءَةً وَنُبْلًا وَذِكْرًا فِي النَّاسِ فَذَلِكَ فِي الدَّرْكِ السَّادِسِ مِنَ النَّارِ، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَسْتَفِزُّهُ الزَّهْوُ وَالْعُجْبُ فَإِنْ وُعِظَ عَنَفَ وَإِنْ وُعِظَ أَنِفَ فَذَلِكَ فِي الدَّرْكِ السَّابِعِ مِنَ النَّارِ. فَعَلَيْكَ يَا أَخِي بِالصَّمْتِ فَبِهِ تَغْلِبُ الشَّيْطَانَ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَضْحَكَ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ أَوْ تَمْشِي فِي غَيْرِ أَرَبٍ»

وفي خبر آخر (٢) «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُنْشَرُ لَهُ مِنَ الثَّنَاءِ مَا يَمْلَأُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَمَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» وروى أن الحسن حمل اليه رجل من خراسان كيسا بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البز وقال : ياأبا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة . فقال الحسن : عافاك الله تعالى ، ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك ، إنه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا ، لقي الله تعالى يوم القيامة

---

(١) حديث معاذ من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب اليه من الاستماع ـ الحديث: أبو نعيم وابن الجوزى فى الموضوعات

(٢) حديث إن العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة : لم أجده هكذا وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة : إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة

ولا خلاق له! وعن جابر رضى الله عنه موقوفا ومرفوعا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] « لَا تَجْلِسُوا عِنْدَ كُلِّ عَالِمٍ إِلَّا إِلَى عَالِمٍ يَدْعُوكُمْ مِنْ خَمْسٍ إِلَى خَمْسٍ : مِنَ الشَّكِّ إِلَى الْيَقِينِ وَمِنَ الرِّيَاءِ إِلَى الْإِخْلَاصِ ، وَمِنَ الرَّغْبَةِ إِلَى الزُّهْدِ ، وَمِنَ الْكِبْرِ إِلَى التَّوَاضُعِ ، وَمِنَ الْعَدَاوَةِ إِلَى النَّصِيحَةِ، قَالَ تَعَالَى: (فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ . وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ) الآية . فعرف أهل العلم بإيثار الآخرة على الدنيا

ومنها أن لا يخالف فعله قوله ، بل لا يأمر بالشيء مالم يكن هو أول عامل به ، قال الله تعالى : (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ) وقال تعالى : (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) وقال تعالى فى قصة شعيب : (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ) وقال تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ) وقال تعالى :(وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا) (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا). وقال تعالى لعيسى عليه السلام « يَا ابْنَ مَرْيَمَ عِظْ نَفْسَكَ فَإِنِ اتَّعَظَتْ فَعِظِ النَّاسَ وَإِلَّا فَاسْتَحِي مِنِّي » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] « مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِأَقْوَامٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فَقَالُوا : كُنَّا نَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَلَا نَأْتِيهِ وَنَنْهَىٰ عَنِ الشَّرِّ وَنَأْتِيهِ » . وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « هَلَاكُ أُمَّتِي عَالِمٌ فَاجِرٌ وَعَابِدٌ جَاهِلٌ وَشَرُّ الشِّرَارِ شِرَارُ الْعُلَمَاءِ ، وَخَيْرُ الْخِيَارِ خِيَارُ الْعُلَمَاءِ »

وقال الأوزاعى رحمه الله : شكت النواويس ماتجد من نتن جيف الكفار ، فأوحى الله اليها : بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه . وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : بلغنى أن

---

(١) حديث جابر لا تجلسوا عند كل عالم ـ الحديث : أبو نعيم فى الحلية وابن الجوزي فى الموضوعات

(٢) حديث مررت ليلة أسرى بى بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار ـ الحديث : ابن حبان من حديث أنس

(٣) حديث هلاك أمتى عالم فاجر وشر الشرار شرار العلماء ـ الحديث : الدارمي من رؤية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا بآخر الحديث نحوه، وقد تقدم ولم أجد صدر الحديث

الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه: ويل لمن لا يعلم مرة ، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات . وقال الشعبي : يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم : ماأدخلكم النار وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم ؟ فيقولون: إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله ، وننهى عن الشر ونفعله . وقال حاتم الأصم رحمه الله : ليس فى القيامة أشد حسرة من رجل علّم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك هو . وقال مالك بن دينار : إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب كما يزل القَطْر عن الصفا . وأنشدوا :

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما ... اذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا ... فالموبقات لعمرى أنت جانيها
تعيب دنيا وناسا راغبين لها ... وأنت أكثر منهم رغبة فيها

وقال آخر :

لاتنه عن خلق وتأتى مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله : مررت بحجر بمكة مكتوبٍ عليه : اقلبنى تعتبر: فقلبته فاذا عليه مكتوب : أنت بما تعلم لاتعمل فكيف تطلب علم مالم تعلم ! وقال ابن السماك رحمه الله : كم من مذكّر بالله ناس لله ؛ وكم من مخوّف بالله جرىء على الله، وكم من مقرّب إلى الله بعيد من الله ؛ وكم من داع إلى الله فارّ من الله ؛ وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله ! وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله: لقد أعربنا فى كلامنا فلم نلحَن ولحنّا فى أعمالنا فلم نعرب . وقال الأوزاعى: إذا جاء الإعراب ذهب الخشوع

وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غَنْم أنه قال : حدثنى عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : كنا ندرس العلم فى مسجد قُباء إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (١) « تَعَلَّمُوا مَاشِئْتُمْ أن تَعْلَمُوا فَلَنْ يَأْجُرَكُمُ اللهُ حَتَّى تَعْمَلُوا » وقال عيسى

(١) حديث عبد الرحمن بن غنم عن عشرة من الصحابة تعلموا ماشئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا: علقمة بن عبد البر وأسنده ابن عدى وابو نعيم والخطيب في كتاب اقتضاء العلم للعمل من حديث معاذ فقط بسند ضعيف ورواه الدارمى موقوفا على معاذ بسند صحيح

عليه السلام : مثل الذى يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت فى السر فحملت فظهر حملها فافتضحت ؛ فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رءوس الأشهاد . وقال معاذ رحمه الله : احذروا زَلّة العالم لأن قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته . وقال عمر رضي الله عنه : إذا زل العالم زل بزلته عالَم من الخلق . وقال عمر رضى الله عنه : ثلاث بهن ينهدم الزمان : إحداهن زلة العالم . وقال ابن مسعود : سيأتى على الناس زمان تملُح فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع بالعلم يومئذ عالمه ولا متعلمه ، فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها عذوبة، وذلك إذا مالت قلوب العلماء إلى حب الدنيا وإيثارها على الآخرة ، فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة ، ويطفىء مصابيح الهدى من قلوبهم ، فيخبرك عالمهم حين تلقاه أنه يخشى الله بلسانه والفجور ظاهر فى عمله ، فما أخصب الألسن يومئذ وما أجدب القلوب ! فوالله الذى لا إله إلا هو ماذلك إلا لأن المعلمين علموا لغير الله تعالى ، والمتعلمين تعلموا لغير الله تعالى . وفى التوراة والانجيل مكتوب : لا تطلبوا علم مالم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم وقال حذيفة رضى الله عنه : إنكم فى زمان من ترك فيه عُشر مايعلم هلك ، وسيأتى زمان من عمل فيه بعشر مايعلم نجا ، وذلك لكثرة البطالين

واعلم أن مثل العالم مثل القاضى ، وقد قال صلى الله عليه وسلم [1] «اَلْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ : قَاضٍ قَضَى بِالْحَقِّ وَهُوَ يَعْلَمُ فَذَلِكَ فِى الْجَنَّةِ ، وَقَاضٍ قَضَى بِالْجَوْرِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَوْ لَا يَعْلَمُ فَهُوَ فِى النَّارِ ، وَقَاضٍ قَضَى بِغَيْرِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ فَهُوَ فِى النَّارِ » . وقال كعب رحمه الله : يكون فى آخر الزمان علماء يزهّدون الناس فى الدنيا ولا يزهدون ، ويخوفون الناس ولا يخافون ، وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم ، ويؤثرون الدنيا على الآخرة ، يأكلون بألسنتهم ، يقربون الأغنياء دون الفقراء ، يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال ، يغضب أحدهم على جليسه إذا جالس غيره ، أولئك الجبارون أعداء الرحمن . وقال صلى الله عليه وسلم [2] «إِنَّ الشَّيْطَانَ رُبَّمَا يُسَوِّفُكُمْ بِالْعِلْمِ » فقيل يارسول الله وكيف ذلك ؟ قال صلى الله عليه وسلم :

---

(١) حديث القضاة ثلاثة ـ الحديث: أصحاب السنن من حديث بريدة ، وهو صحيح

(٢) حديث إن الشيطان ربما سبقكم بالعلم ـ الحديث : فى الجامع من حديث أنس بسند ضعيف

« يَقُولُ : اُطْلُبِ الْعِلْمَ وَلَا تَعْمَلْ حَتَّى تَعْلَمَ ، فَلَا يَزَالُ لِلْعِلْمِ قَائِلاً وَلِلْعَمَلِ مُسَوِّفاً حَتَّى يَمُوتَ وَمَا عَمِلَ »

وقال سَرِى السَّقَطى : اعتزل رجل للتعبد كان حريصا على طلب علم الظاهر ، فسألته فقال : رأيت فى النوم قائلا يقول لى إلى كم تضيع العلم ضيعك الله ! فقلت : إنى لأحفظه، فقال حفظ العلم العمل به . فتركت الطلب وأقبلت على العمل . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية . وقال الحسن : تعلموا ماشئتم أن تعلموا فوالله لايأجركم الله حتى تعملوا، فان السفهاء همتهم الرواية ، والعلماء همتهم الرعاية . وقال مالك رحمه الله : إن طلب العلم لحسن ، وإن نشره لحسن إذا صحت فيه النية ، ولكن انظر مايلزمك من حين تصبح إلى حين تمسى فلا تؤثرن عليه شيئا

وقال ابن مسعود رضى الله عنه: أنزل القرءان ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا ، وسيأتى قوم يثقفونه مثل القناة ليسوا بخياركم ، والعالم الذى لا يعمل كالمريض الذى يصف الدواء ، وكالجائع الذى يصف لذائذ الأطعمة ولا يجدها وفى مثله قوله تعالى : (وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ) . وفى الخبر [1] « مِمَّا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي زَلَّةُ عَالِمٍ وَجِدَالُ مُنَافِقٍ فِي الْقُرْءَانِ »

ومنها أن تكون عنايته بتحصيل العلم النافع فى الآخرة ، المرغب فى الطاعات ، مجتنبا للعلوم التى يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال . فمثال من يعرض عن علم الأعمال ويشتغل بالجدال مثل رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيبا حاذقا فى وقت ضيق يخشى فواته ، فاشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير والأدوية وغرائب الطب ، وترك مهمه الذى هو مؤاخذ به ، وذلك محض السفه . وقد روى [2] « أَنَّ رَجُلًا جَاءَ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: عَلِّمْنِي مِنْ غَرَائِبِ الْعِلْمِ، فَقَالَ لَهُ : مَاصَنَعْتَ فِي رَأْسِ الْعِلْمِ؟

---

(١) حديث مما أخاف على أمتى زلة عالم ـ الحديث : الطبرانى من حديث أبى الدرداء ، ولابن حبان نحوه من حديث عمران بن حصين

(٢) حديث ان رجلا جاء الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علمنى من غرائب العلم ـ الحديث : ابن السني وأبو نعيم فى كتاب الرياضة لهما وابن عبدالبر من حديث عبدالله بن المسور مرسلا وهو ضعيف جدا

فَقَالَ : وَمَا رَأْسُ الْعِلْمِ ؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم : هَلْ عَرَفْتَ الرَّبَّ تَعالى ؟ قَالَ نَعَمْ . قَال فَاصْنَعْتَ فى حَقِّهِ ؟ قَالَ : ماشَاءَ اللهُ . فَقَال صلى الله عليه وسلم : هَلْ عَرَفْتَ الْمَوْتَ ؟ قَالَ نَعَمْ . قَالَ فَمَا أَعْدَدْتَ لَهُ ؟ قَالَ : مَاشَاءَ الله . قَالَ صلى الله عليه وسلم : اذْهَبْ فَأَحْكِمْ مَاهُنَاكَ ثُمَّ تَعَال نُعَلِّمْكَ مِنْ غَرَائِبِ الْعِلْمِ»

بل ينبغى أن يكون المتعلم من جنس ما روى عن حاتم الأصم تلميذ شقيق البلخى رضى الله عنهما : أنه قال له شقيق : منذ كم صحبتنى ؟ قال حاتم : منذ ثلاث وثلاثين سنة . قال : فما تعلمت منى فى هذه المدة ؟ قال : ثمانى مسائل . قال شقيق له : إنّا لله وإنا اليهِ رَاجِعُونَ ، ذهب عمرى معك ولم تتعلم إلا ثمانى مسائل ! قال ياأستاذ لم أتعلم غيرها ، وإنى لا أحب أن أكذب. فقال : هات هذه الثمانى مسائل حتى أسمعها

قال حاتم : نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه الى القبر فاذا وصل الى القبر فارقه ، فجعلت الحسنات محبوبى ، فاذا دخلت القبر دخل محبوبى معى ، فقال أحسنت ياحاتم ، فما الثانية ؟

فقال : نظرت فى قول الله عز وجل : (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) فعلمت أن قوله سبحانه هو الحق ، فأجهدت نفسى فى دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى

الثالثة : أنى نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل من معه شىء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه، ثم نظرت الى قول الله عز وجل : (مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ) فكلما وقع معى شىء له قيمة ومقدار وجهته الى الله ليبقى عنده محفوظا

الرابعة : أنى نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع الى المال والى الحسب والشرف والنسب، فنظرت فيها فاذا هى لاشىء ، ثم نظرت الى قول الله تعالى : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ) فعملت فى التقوى حتى أكون عند الله كريما

الخامسة : أنى نظرت الى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم فى بعض ويلعن بعضهم بعضا ، وأصل هذا كله الحسد ، ثم نظرت الى قول الله عز وجل : (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فى

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فتركت الحسدَ واجتنبت الخلق ، وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه، فتركت عداوة الخلق عنى

السادسة : نظرت الى هذا الخلق يبغى بعضهم على بعض ، ويقاتل بعضهم بعضا ، فرجعت إلى قول الله عزوجل (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) فعاديته وحده واجتهدت فى أخذ حذرى منه ، لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدوٌ لى ، فتركت عداوة الخلق غيره

السابعة : نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لايحل له ، ثم نظرت الى قوله تعالى : (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا) فعلمت أنى واحد من هذه الدواب التى على الله رزقها ، فاشتغلت بما لله تعالى علىّ ،وتركت مالى عنده

الثامنة : نظرت الى هذا الخلق فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق : هذا على ضيعته ، وهذا على تجارته ، وهذا على صناعته ، وهذا على صحة بدنه ، وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله ، فرجعت الى قوله تعالى : (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) فتوكلت على الله عز وجل ، فهو حسبي .

قال شقيق : ياحاتم وفقك الله تعالى ، فانى نظرت فى علوم التوراة والانجيل والزبور والفرقان العظيم فوجدت جميع أنواع الخير والديانة ، وهى تدور على هذه الثمان مسائل ،فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة ..

فهذا الفن من العلم لا يهتم بادراكه والتفطن له إلا علماء الآخرة ، فأما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ، ويهملون أمثال هذه العلوم التى بعث الله بها الأنبياء كلهم عليهم السلام . وقال الضحاك بن مزاحم : أدركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض إلا الورع ، وهم اليوم ما يتعلمون إلا الكلام

ومنها أن يكون غير مائل إلى الترفه فى المطعم والمشرب ، والتنعم فى الملبس ، والتجمل فى الأثاث والمسكن، بل يؤثر الاقتصاد فى جميع ذلك ، ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله تعالى ، ويميل الى الاكتفاء بالأقل فى جميع ذلك ، وكلما زاد الى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه ،

وارتفع فى علماء الآخرة حزبه . ويشهدلذلك ماحكى عن أبى عبد الله الخوّاص ، وكان من أصحاب حاتم الأصم : قال : دخلت مع حاتم الى الرّى ومعنا ثلثمائة وعشرون رجلا نريد الحج وعليهم الزرمانقات وليس معهم جراب ولا طعام ، فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين ، فأضافنا تلك الليلة ، فلما كان من الغد ، قال لحاتم : ألك حاجة ؟ فاني أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل . قال حاتم : عيادة المريض فيها فضل ، والنظر إلى الفقيه عبادة ، وأنا أيضا أجيء معك ، وكان العليل محمد بن مقاتل قاضى الرى ، فلما جئنا إلى الباب فاذا قصر مشرف حسن ، فبقى حاتم متفكراً يقول : باب عالم على هذه الحالة ! ثم أذن لهم فدخلوا ، فاذا دار حسناء قوراء ، واسعة نزهة ، واذا بزة وستور ، فبقى حاتم متفكرا ، ثم دخلوا الى المجلس الذى هو فيه ، واذا بفرش وطيئة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة ، فقعد الزائر عند رأسه وسأل عن حاله وحاتم قائم ، فأومأ اليه ابن مقاتل أن اجلس ، فقال : لاأجلس ، فقال : لعل لك حاجة ، قال : نعم ، قال : وما هى ؟ قال : مسألة أسألك عنها ، قال : سل ، قال : قم فاستو جالسا حتى أسألك ، فاستوى جالسا ، قال حاتم : علمك هذا من أين أخذته ؟ فقال : من الثقات حدثونى به ، قال : عمن ؟ قال : عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ؟ قال : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ؟ قال: عن جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل ، قال حاتم : ففيما أداه جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأداه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه، وأصحابه إلى الثقات، وأداه الثقات اليك: هل سمعت فيه من كان فى داره إشراف وكانت سعتها أكثر ، كان له عند الله عز جل المنزلة أكبر ؟ قال : لا ، قال : فكيف سمعت ؟ قال : سمعت أنه من زهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة وأحب المساكين وقدّم لآخرته، كانت له عند الله المنزلة ، قال له حاتم : فأنت بمن اقتديت : أبالنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم والصالحين رحمهم الله ، أم بفرعون ونمروذ أول من بنى بالجص والآجر ؟ ياعلماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول : العالم على هذه الحالة ، أفلا أكون أناشراً منه ؟ وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا ، وبلغ أهل الرّى ماجرى بينه وبين ابن مقاتل ، فقالوا له : إن الطنافسى بقزوين أكثر توسعا منه،

فسار حاتم متعمدا فدخل عليه ، فقال : رحمك الله أنا رجل أعجمى أحب أن تعلّمنى مبتدأ دينى ومفتاح صلاتى كيف أتوضأ للصلاة . قال نعم وكرامة ، ياغلام هات إناء فيه ماء ، فأُتى به فقعد الطنافسى فتوضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال : هكذا فتوضأ ، فقال حاتم : مكانك حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكد لما أريد ، فقام الطنافسى وقعد حاتم فتوضأ ثم غسل ذراعيه أربعا أربعا ، فقال الطنافسى : باهذا أسرفت ، قال له حاتم : فبماذا ؟ قال : غسلت ذراعيك أربعا ، فقال حاتم : ياسبحان الله العظيم : أنا فى كف من ماء أسرفت وأنت فى جميع هذا كله لم تسرف ! فعلم الطنافسى أنه قصد ذلك دون التعلم ، فدخل منزله فلم يخرج إلى الناس أربعين يوما ، فلما دخل حاتم بغداد اجتمع اليه أهل بغداد فقالوا : ياأبا عبد الرحمن أنت رجل ألكن أعجمى وليس يكلمك أحد إلا قطعته ، قال : معى ثلاث خصال أظهر بهن على خصمى : أفرح إذا أصاب خصمى ، وأحزن إذا أخطأ ، وأحفظ نفسى أن لا أجهل عليه . فبلغ ذلك الامام أحمد بن حنبل فقال : سبحان الله ماأعقله ! قوموا بنا اليه ، فلما دخلوا عليه قال له : ياأبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا ؟ قال : ياأبا عبدالله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال : تغفر للقوم جهلهم ، وتمنع جهلك منهم ، وتبذل لهم شيئك ، وتكون من شيئهم آيسا ، فاذا كنت هكذا سلمت

ثم سار إلى المدينة فاستقبله أهل المدينة ، فقال : ياقوم أية مدينة هذه ؟ قالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فأين قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصلى فيه ؟ قالوا : ما كان له قصر إنما كان له بيت لاطىء بالأرض ، قال : فأين قصور أصحابه رضى الله عنهم ؟ قالوا : ما كان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لاطئة بالأرض ، قال حاتم : ياقوم فهذه مدينة فرعون ! فأخذوه وذهبوا به الى السلطان وقالوا : هذا العجمى يقول : هذه مدينة فرعون ، قال الوالى : ولم ذلك ؟ قال حاتم : لا تعجل علىّ أنا رجل أعجمى غريب دخلت البلد فقلت : مدينة من هذه ؟ فقالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت فأين قصره ، وقص القصة ، ثم قال : وقد قال الله تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) فأنتم بمن تأسيتم ؟ أبرسول الله صلى الله عليه وسلم أم بفرعون أول من بنى بالجص والآجر ؟ فخلوا عنه وتركوه . فهذه حكاية حاتم الأصم رحمه الله تعالى ، وسيأتى من سيرة السلف فى البذاذة وترك التجمل مايشهد لذلك فى مواضعه

والتحقيق فيه : أن التزين بالمباح ليس بحرام ، ولكن الخوض فيه يوجب الأنس به حتى يشق تركه ، واستدامة الزينة لاتمكن إلا بمباشرة أسباب فى الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصى : من المداهنة ، ومراعاة الخلق ومراءاتهم ، وأمور أخر هى محظورة ؛ والحزم اجتناب ذلك ، لأن من خاض فى الدنيا لايسلم منها ألبتة ،ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض فيها لكان صلى الله عليه وسلم لايبالغ فى ترك الدنيا حتى [1] « نَزَعَ الْقَمِيصَ الْمُطَرَّزَ بِالْعَلَمِ » « وَنَزَعَ خَاتَمَ الذَّهَبِ [2] فِي أَثْنَاءِ الْخُطْبَةِ » إلى غير ذلك مما سيأتى بيانه

وقد حكى أن يحيى بن يزيد النوفلى كتب إلى مالك بن أنس رضى الله عنهما :

بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على رسوله محمد فى الأولين والآخرين . من يحيى بن يزيد بن عبدالملك إلى مالك بن أنس . أما بعد : فقد بلغنى أنك تلبس الدقاق ، وتأكل الرقاق ، وتجلس على الوطىء ، وتجعل على بابك حاجبا ، وقد جلستَ مجلس العلم ، وقد ضربت اليك المطى ، وارتحل اليك الناس، واتخذوك إماما ، ورضوا بقولك ، فاتق الله تعالى يامالك ، وعليك بالتواضع . كتبت اليك بالنصيحة منى كتابا ما اطلع عليه غير الله سبحانه وتعالى . والسلام

فكتب اليه مالك :

بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على محمـــد وآله وصحبه وسلم . من مالك بن أنس إلى يحيى بن يزيد . سلام الله عليك . أما بعد : فقد وصل إلىّ كتابك فوقع منى موقع النصيحة والشفقة والأدب ، أمتعك الله بالتقوى ، وجزاك بالنصيحة خيرا ، وأسأل الله تعالى التوفيق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، فأما ماذكرت لى أنى آكل الرقاق وألبس الدقاق وأحتجب وأجلس على الوطىء ، فنحن نفعل ذلك ، ونستغفر الله تعالى ، فقد قال الله تعالى : (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) . وإنى لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ، ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا . والسلام

فانظر الى إنصاف مالك إذ اعترف أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ، وأفتى بأنه مباح ، وقد صدق فيهما جميعا ، ومثل مالك فى منصبه اذا سمحت نفسه بالانصاف والاعتراف فى مثل

---

(١) حديث نزع القميص العلم : متفق عليه من حديث عائشة

(٢) حديث نزع الخاتم الذهب فى أثناء الخطبة : متفق عليه من حديث ابن عمر

هذه النصيحة ، فتقوى أيضا نفسه على الوقوف على حدود المباح ، حتى لا يحمله ذلك على المراءاة والمداهنة ، والتجاوز الى المكروهات ، وأما غيره فلا يقدر عليه . فالتعريج على التنعم بالمباح خطر عظيم، وهو بعيد من الخوف والخشية . وخاصية علماء الله تعالى الخشية . وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر

ومنها ـ أن يكون مستقصيا عن السلاطين ، فلا يدخل عليهم ألبتة مادام يجد الى الفرار عنهم سبيلا ، بل ينبغي أن يحترز عن مخالطتهم وإن جاءوا اليه ، فأن الدنيا حلوة خضرة ، وزمامها بأيدى السلاطين ، والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف فى طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم ، مع أنهم ظلمة ، ويجب على كل متدين الإنكار عليهم ، وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم . فالداخل عليهم إما أن يلتفت إلى تجملهم فيزدرى نعمة الله عليه، أو يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا لهم ، أو يتكلف فى كلامه كلاما لمرضاتهم وتحسين حالهم ، وذلك هو البهت الصريح ، أو أن يطمع فى أن ينال من دنياهم ، وذلك هو السحت . وسيأتى فى كتاب الحلال والحرام مايجوز أن يؤخذ من أموال السلاطين ومالا يجوز من الأدرار والجوائز وغيرها. وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للشرور ، وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط

وقد قال صلى الله عليه وسلم[1] «مَنْ بَدَا جَفَا ـ يعنى من سكن البادية جفا ـ وَمَنِ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنْ أَتَى السُّلْطَانَ افْتَتَنَ »وقال صلى الله عليه وسلم[2] «سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ تَعْرِفُونَ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ بَرِئَ ، وَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ سَلِمَ ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ أَبْعَدَهُ اللهُ تَعَالَى)قيل: أفلا نقاتلهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم «لا، مَاصَلُّوا» . وقال سفيان: فى جهنم وادٍ لا يسكنه إلا القُراء الزائرون للملوك . وقال حذيفة: إياكم ومواقف الفتن ، قيل: وما هى ؟ قال : أبواب الأمراء ، يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول فيه مالبس فيه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] « الْعُلَمَاءُ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ عَلَى عِبَادِ اللهِ تَعَالَى مَالَمْ يُخَالِطُوا

---

(١) حديث من بدا جفا ـ الحديث : أبو داود والترمذى وحسنه والنسائى من حديث ابن عباس

(٢) حديث سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون ـ الحديث : مسلم من حديث أم سلمة.

(٣) حديث أنس العلماء أمناء الرسل على عباد الله ـ الحديث ; العقيلى فى الضعفاء وذكره ابن الجوزى في الموضوعات

السَّلَاطِينَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ خَانُوا الرُّسُلَ فَاحْذَرُوهُمْ وَاعْتَزِلُوهُمْ » رواه أنس

وقيل للأعمش: لقد أحييت العلم لكثرة من يأخذه عنك ، فقال : لا تعجلوا : ثلث يموتون قبل الادراك، وثلث يلزمون أبواب السلاطين فهم شر الخلق. والثلث الباقى لا يفلح منه إلا القليل . ولذلك قال سعيد بن المسيب رحمه الله : اذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فاحترزوا منه فانه لص . وقال الأوزاعى : مامن شىء أبغض الى الله تعالى من عالم يزور عاملا . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] « شِرَارُ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يَأْتُونَ الأُمَرَاءَ ، وَخِيَارُ الأُمَرَاءِ الَّذِينَ يَأْتُونَ الْعُلَمَاءَ » .

وقال مكحول الدمشقى رحمه الله : من تعلم القرءان وتفقه فى الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه وطمعا فيما لديه ، خاض فى بحر من نار جهنم بعدد خطاه . وقال سمنون : ماأسمج بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال : هو عند الأمير ! قال : وكنت أسمع أنه يقال: إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك ، إذ ما دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسى بعد الخروج فأرى عليها الدرك ، وأنتم ترون ما ألقاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ، ولودِدت أن أنجو من الدخول عليه كفافا، مع أنى لا آخذ منه شيئا، ولا أشرب له شربة ماء ، ثم قال : وعلماء زماننا شر من علماء بنى اسرائيل : يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ، ولو أخبروه بالذى عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم عليه ، وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم

وقال الحسن : كان فيمن كان قبلكم رجل له قَدَم فى الاسلام وصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال عبد الله بن المبارك ، عنى به سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ، قال : وكان لا يغشى السلاطين ، وينفر عنهم . فقال له بنوه: يأتى هؤلاء من ليس هو مثلك فى الصحبة والقدم فى الاسلام فلو أتيتهم ! فقال: يابَنِىَّ آتى جيفة قد أحاط بها قوم ، والله لئن استطعت لا أشاركهم فيها ! قالوا يا أبانا إذن نهلك هزالا ، قال: يابنى لأن أموت مؤمنا مهزولا أحب إلى من أن أموت منافقا سمينا ! قال الحسن : خصمهم والله ، إذ علم أن التراب يأكل اللحم والسمن، دون الايمان. وفى هذا إشارة إلى أن الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق ألبتة ، وهو مضاد للايمان . وقال أبو ذر لسلمة : يا سلمة لا تغش أبواب السلاطين فانك لا تصيب شيئا من دنياهم إلا أصابوا من

---

(١) حديث شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء : ابن ماجه بالشطر الأول نحوه من حديث أبى هريرة بسند ضعيف

دينك أفضل منه . وهذه فتنة عظيمة للعلماء ، وذريعة صعبة للشيطان عليهم، لاسيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو ، إذ لا يزال الشيطان يلقى اليه أن فى وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم و يقيم شعائر الشرع ، الى أن يخيل اليه أن الدخول عليه من الدين ، ثم اذا دخل لم يلبث أن يتلطف فى الكلام ويداهن ، ويخوض فى الثناء والإطراء ، وفيه هلاك الدين . وكان يقال : العلماء اذا علموا عملوا ، فاذا عملوا شغلوا ، فاذا شغلوا فقدوا ، فاذا فقدوا طلبوا ، فاذا طلبوا هربوا

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله الى الحسن :

أما بعد فأشر علىّ بأقوام أستعين بهم على أمر الله تعالى

فكتب اليه :

أما أهل الدين فلا يريدونك ، وأما أهل الدنيا فلن تريدهم ، ولكن عليك بالأشراف فانهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة

هذا فى عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، وكان أزهد أهل زمانه ، فاذا كان شرط أهل الدين الهرب منه فكيف يستنسب طلب غيره ومخالطته . ولم يزل السلف العلماء مثل الحسن والثورى وابن المبارك والفضيل وابراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط يتكلمون فى علماء الدنيا من أهل مكة والشام وغيرهم ، إما لميلهم الى الدنيا ، وإما لمخالطتهم السلاطين

ومنها ـ ألا يكون مسارعا إلى الفتيا ، بل يكون متوقفا ومحترزا ماوجد إلى الخلاص سبيلا ، فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب الله أو بنص حديث أو إجماع أو قياس جلى ، أفتى ، وإن سئل عما يشك فيه قال : لاأدرى ، وإن سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره إن كان فى غيره غنية . هذا هو الحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم . وفى الخبر «الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ (١) : كِتَابٌ نَاطِقٌ ، وَسُنَّةٌ قَائِمَةٌ ، وَلَا أَدْرِى» قال الشعبى : لا أدرى نصف العلم ، ومن سكت حيث لا يدرى لله تعالى فليس بأقل أجرا ممن نطق ، لان الاعتراف بالجهل

---

(١) حديث العلم ثلاثة : كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدرى : الخطيب فى أسماء من روى عن مالك موقوفا على ابن عمر ولأبى داود وابن ماجه من حديث عبدالله بن عمر مرفوعا نحوه مع اختلاف وقد تقدم

أشد على النفس . فهكذا كانت عادة الصحابة والسلف رضى الله عنهم

كان ابن عمر اذا سئل عن الفتيا قال : اذهب الى هذا الأمير الذى تقلد أمور الناس فضعها فى عنقه . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : إن الذى يفتى الناس فى كل مايستفتونه لمجنون . وقال جُنة العالم لاأدرى ، فان أخطأها فقد أصيبت مقاتله . وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله : ليس شىء أشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم ، يقول انظروا الى هذا سكوته أشد علىّ من كلامه . ووصف بعضهم الأبدال فقال : أكلهم فاقة ، ونومهم غلبة ، وكلامهم ضرورة ، أى لايتكلمون حتى يسألوا ، وإذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا ، فان اضطروا أجابوا . وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام .

ومرّ علىّ وعبد الله رضى الله عنهما برجل يتكلم على الناس ، فقال : هذا يقول اعرفونى . وقال بعضهم : إنما العالم الذى إذا سئل عن المسألة فكأنما يقلع ضرسه . وكان ابن عمر يقول : تريدون أن تجعلونا جسرا تعبرون علينا الى جهنم ؟ وقال أبو حفص النيسابورى : العالم هو الذى يخاف عند السؤال أن يقال له يوم القيامة : من أين أجبت ؟ وكان ابراهيم التيمى إذا سئل عن مسألة يبكى ويقول : لم تجدوا غيرى حتى احتجتم الىّ ؟ وكان أبو العالية الرياحى وابراهيم بن أدهم والثورى يتكلمون على الاثنين والثلاثة والنفر اليسير ، فاذا كثروا انصرفوا . وقال صلى الله عليه وسلم[1] مَا أَدْرِى أَعُزَيْرٌ نَبِىٌّ أَمْ لَا ، وَمَا أَدْرِى أَتُبَّعٌ مَلْعُونٌ أَمْ لَا ، وَمَا أَدْرِى ذُو الْقَرْنَيْنِ نَبِىٌّ أَمْ لَا »[2] «ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خَيْرِ الْبِقَاعِ فِى الْأَرْضِ وَشَرِّهَا ، قَالَ : لَا أَدْرِى ، حَتَّى نَزَلَ عليه جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ : لَا أَدْرِى ، إِلَى أَنْ أَعْلَمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ خَيْرَ الْبِقَاعِ الْمَسَاجِدُ ، وَشَرَّهَا الْأَسْوَاقُ »

وكان ابن عمر رضى الله عنهما يُسأل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع . وكان ابن عباس رضى الله عنهما يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة . وكان فى الفقهاء من يقول لاأدرى أكثر ممن يقول أدرى ، منهم سفيان الثورى ، ومالك بن أنس ، وأحمد بن حنبل

---

(١) حديث ما أدري أعزير نبى أم لا ـ الحديث : أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة

(٢) حديث لما سئل عن خير البقاع وشرها قال لا أدرى حتى نزل جبريل ـ الحديث : أحمد وأبو يعلى والبزار والحاكم وصححه ونحوه من حديث ابن عمر

والفضيل بن عياض ، وبشر بن الحارث . وقال عبدالرحمن بن أبى ليلى : أدركت فى هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنهم أحد يُسأل عن حديث أوفتيا إلا ودّ أن أخاه كفاه ذلك . وفى لفظ آخر : كانت المسألة تعرض على أحدهم فيردها إلى الآخر ، ويردها الآخر إلى الآخر ، حتى تعود إلى الأول

وروى أن أصحاب الصُّفّة أُهدى إلى واحد منهم رأس مشوى وهو فى غاية الضر ، فأهداه إلى الآخر ، وأهداه الآخر إلى الآخر ، هكذا دار بينهم حتى رجع إلى الأول . فانظر الآن كيف انعكس أمر العلماء فصار المهروب منه مطلوبا والمطلوب مهروبا عنه . ويشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتاوى ماروى مسندا عن بعضهم أنه قال : لايفتى الناس إلا ثلاثة : أمير ، أو مأمور ، أو متكلف . وقال بعضهم : كان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء : الامامة والوصية ، والوديعة ، والفتيا . وقال بعضهم : كان أسرعهم إلى الفتيا أقلهم علما ، وأشدهم دفعا لها أورعهم . وكان شغل الصحابة والتابعين رضى الله عنهم فى خمسة أشياء : قراءة القرءان ، وعمارة المساجد ، وذكر الله تعالى ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وذلك لما سمعوه من قوله صلى الله عليه وسلم[1] «كُلُّ كَلَامِ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ إِلَّا ثَلَاثَةً : أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ ، أَوْ نَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ ، أَوْ ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى»

وقال تعالى: (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ) الآية . ورأى بعض العلماء بعض أصحاب الرأى من أهل الكوفة فى المنام فقال : مارأيت فيما كنت عليه من الفتيا والرأى ؟ فكره وجهه وأعرض عنه ، وقال : ماوجدناه شيئا ، وما حمدنا عاقبته . وقال ابن حصين : إن أحدهم ليفتى فى مسألة لو وردت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه لجمع لها أهل بدر ! فلم يزل السكوت دأب أهل العلم إلا عند الضرورة . وفى الحديث « إِذَا رَأَيْتُمُ[2] الرَّجُلَ قَدْ أُوتِيَ صَمْتًا وَزُهْدًا فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلَقَّنُ الْحِكْمَةَ » .

---

(١) حديث كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاثة ـ الحديث : الترمذى وابن ماجه من حديث أم حبيبة قال الترمذى حديث غريب

(٢) حديث اذا رأيتم الرجل قد أوتى صمتا وزهدا ـ الحديث : ابن ماجه من حديث ابن خلاد باسناد ضعيف

وقيل : العالم إما عالم عامة وهو المفتى وهم أصحاب السلاطين ، أو عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد وأعمال القلوب وهم أصحاب الزوايا المتفرقون المنفردون

وكان يقال : مثل أحمد بن حنبل مثل دِجلة : كل أحد يغترف منها ، ومثل بشر بن الحارث مثل بئر عذبة مغطاة لايقصدها إلا واحد بعد واحد . وكانوا يقولون : فلان عالم ، وفلان متكلم ، وفلان أكثر كلاما ، وفلان أكثر عملا . وقال أبو سليمان: المعرفة إلى السكوت أقرب منها الى الكلام . وقيل : إذا كثر العلم قلّ الكلام ، واذا كثر الكلام قلّ العلم . وكتب سلمان الى أبى الدرداء رضى الله عنهما وكان «قد آخى(٥) بَيْنَهُمَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم» : ياأخى : بلغنى أنك قعدت طبيبا تداوى المرضى ، فانظر فان كنت طبيبا فتكلم فان كلامك شفاء وإن كنت متطببا فالله الله لاتقتل مسلما. فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك اذا سئل . وكان أنس رضى الله عنه إذا سئل يقول : سلوا مولانا الحسن . وكان ابن عباس رضى الله عنهما اذا سئل يقول : سلوا حارثة بن زيد . وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول : سلوا سعيد بن المسيب وحكى أنه روى صحابى فى حضرة الحسن عشرين حديثا فسئل عن تفسيرها فقال : ماعندى إلا ماروبت ، فأخذ الحسن فى تفسيرها حديثا حديثا فتعجبوا من حسن تفسيره وحفظه ، فأخذ الصحابى كفًّا من حصى ورماهم به وقال : تسألونى عن العلم وهذا الحبر بين أظهركم !

ومنها ـ أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ، ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه ، وصدق الرجاء فى انكشاف ذلك ، من المجاهدة والمراقبة ، فان المجاهدة تفضى إلى المشاهدة ، ودقائق علوم القلوب تتفجر بها ينابيع الحكمة من القلب ، وأما الكتب والتعليم فلا تفى بذلك ، بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد إنما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الأعمال الظاهرة والباطنة، والجلوس مع الله عز وجل فى الخلوة مع حضور القلب بصافى الفكرة ، والانقطاع إلى الله تعالى عما سواه ، فذلك مفتاح الالهام ، ومنبع الكشف ، فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة . وكم من مقتصر على المهم فى التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوى الألباب !

---

(١) حديث مؤاخاته صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبى الدرداء : البخارى من حديث أبى جحيفة

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : (١) « مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللهُ عِلْمَ مَالَمْ يَعْلَمْ »

وفى بعض الكتب السالفة : يابنى اسرائيل لا تقولوا : العلم فى السماء من ينزل به إلى الأرض، ولا فى تخوم الأرض من يصعد به، ولا من وراء البحار من يعبر يأتى به، العلم مجعول فى قلوبكم، تأدبوا بين يدىّ بآداب الروحانيين، وتخلقوا لى بأخلاق الصدّيقين أظهر العلم فى قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم . وقال سهل بن عبد الله التُسْتَرى رحمه الله : خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ، ولم تفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء، ثم تلاقوله تعالى : (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ) الآية . ولولا أن إدراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال صلى الله عليه وسلم : « اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَوْكَ وَأَفْتَوْكَ وَأَفْتَوْكَ » . وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى : (٢) « لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ » الحديث. فكم من معان دقيقة من أسرار القرءان تخطر على قلب المتجردين للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين ، وإذا انكشف ذلك للمريد المراقب وعرض على المفسرين استحسنوه ، وعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية ، وألطاف الله تعالى بالهمم العالية المتوجهة اليه ، وكذلك فى علوم المكاشفة وأسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب، فان كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه ، وإنما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق منه ، وبحسب ما وفق له من حسن العمل

وفى وصف هؤلاء العلماء قال على رضى الله عنه فى حديث طويل : « القلوب أوعية وخيرها أوعاها للخير ، والناس ثلاثة : عالم ربانى ، ومتعلم على سبيل النجاة ، وهمج رعاع أتباع لكل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق ، العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم يزكو على الانفاق والمال ينقصه الانفاق ، والعلم دين يدان به ، تكتسب به الطاعة فى حياته، وجميل الأحدوثة بعد وفاته ، العلم حاكم والمال

---

(١) حديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم : أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس وضعفه

(٢) حديث لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا : متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ كنت سمعه وبصره. وهو فى الحلية كما ذكره المؤلف من حديث أنس بسند ضعيف

محكوم عليه، ومنفعة المال تزول بزواله، مات خُزَّان الأموال وهم أحياء، والعلماء أحياء باقون ما بقى الدهر. ثم تنفس الصعداء، وقال: هاه! إن ها هنا علما جمًّا لو وجدت له حملة، بل أجد طالبًا غير مأمون يستعمل آلة الدين فى طلب الدنيا، ويستطيل بنعم الله على أوليائه، ويستظهر بحجته على خلقه، أو منقادا لأهل الحق لكن ينزرع الشك فى قلبه بأول عارض من شبهة، لا بصيرة له لا ذا ولا ذاك، أو منهوما باللذات سلس القياد فى طلب الشهوات، أو مغرى بجمع الأموال والادخار منقادًا لهواه، أقرب شبها بهم الأنعام السائمة، اللهم هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه، ثم لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إما ظاهر مكشوف، وإما خائف مقهور، لكيلا تبطل حجج الله تعالى وبيناته؛ وكم وأين أولئك هم الأقلون عددًا، الأعظمون قدرا، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم فى القلوب موجودة، يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها من وراءهم، ويزرعوها فى قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الغافلون، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى، أولئك أولياء الله عز وجل من خلقه، وأمناؤه وعماله فى أرضه، والدعاة إلى دينه. ثم بكى وقال: واشوقاه إلى رؤيتهم!!»

فهذا الذى ذكره أخيرا هو وصف علماء الآخرة، وهو العلم الذى يستفاد أكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة

ومنها ـ أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين، فان اليقين هو رأس مال الدين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] «اَلْيَقِينُ الإِيمَانُ كُلُّهُ» فلا بد من تعلم علم اليقين، أعنى أوائله، ثم ينفتح للقلب طريقه، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [2] «تَعَلَّمُوا الْيَقِينَ» ومعناه جالسوا الموقنين واستمعوا منهم علم اليقين، وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوى يقينهم، وقليل من اليقين خير من كثير من العمل. وقال صلى الله عليه وسلم لما قيل له: رجل حسن اليقين كثير الذنوب، ورجل مجتهد فى العبادة قليل اليقين، فقال صلى الله عليه وسلم [3] «مَا مِنْ آدَمِيٍّ

(١) حديث اليقين الايمان كله: البيهقي فى الزهد والخطيب فى التاريخ من حديث ابن مسعود باسناد حسن

(٢) حديث تعلموا اليقين: أبو نعيم من رواية ثور بن يزيد مرسلا وهو معضل ورواه ابن أبى الدنيا فى اليقين من قول خالد بن معدان

(٣) حديث قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب: الترمذى الحكيم فى النوادر من حديث أنس باسناد مظلم

إلاَّ وَلَهُ ذُنُوبٌ » ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب ، لأنه كلما أذنب تاب واستغفر وندم ، فتكفر ذنوبه ، ويبقى له فضل يدخل به الجنة ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم[1] «إِنَّ مِنْ أَقَلِّ مَاأُوتِيتُمُ الْيَقِينَ وَعَزِيمَةَ الصَّبْرِ وَمَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْهُمَا لَمْ يُبَالِ مَافَاتَهُ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَصِيَامِ النَّهَارِ» . وفى وصية لقمان لابنه : يابنى لايستطاع العمل إلا باليقين، ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ، ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه

وقال يحيى بن معاذ : إن للتوحيد نورا ، وللشرك نارا ، وإن نور التوحيد أحرقُ لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين . وأراد به اليقين . وقد أشار الله تعالى فى القرءان إلى ذكر الموقنين فى مواضع دل بها على أن اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات

فان قلت : فما معنى اليقين ، وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه أولاً ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه ، فان مالا تفهم صورته لا يمكن طلبه ؟

فاعلم أن اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين : أما النظّار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك ، إذ ميل النفس إلى التصديق بالشىء له أربع مقامات :

الأول ـ أن يعتدل التصديق والتكذيب ، ويعبر عنه بالشك ، كما إذا سئلت عن شخص معين أن الله تعالى يعاقبه أم لا وهو مجهول الحال عندك ، فان نفسك لاتميل إلى الحكم فيه باثبات ولا نفى ، بل يستوى عندك إمكان الأمرين ، فيسمى هذا شكا

الثانى ـ أن تميل نفسك إلى أحد الأمرين مع الشعور بامكان نقيضه ، ولكنه إمكان لا يمنع ترجيح الأول، كما إذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى أنه بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب ؟ فان نفسك تميل إلى أنه لا يعاقب أكثر من ميلها الى العقاب ، وذلك لظهور علامات الصلاح ، ومع هذا فأنت تجوّز اختفاء أمر موجب للعقاب فى باطنه وسريرته ، فهذا التجويز مساو لذلك الميل ، ولكنه غير دافع رجحانه . فهذه الحالة تسمى ظنا

الثالث ـ أن تميل النفس الى التصديق بشىء بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال غيره ، ولو خطر بالبال تأبى النفس عن قبوله ، ولكن ليس ذلك مع معرفة محققة ، إذ لو أحسن صاحب

---

(١) حديث من أولى ماأوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ـ الحديث: لم أقف له على أصل وروى ابن عبد البر من حديث معاذ ماأنزل الله شيئا أقل من اليقين ولا قسم شيئا بين الناس أقل من الحلم ـ الحديث

هذا المقام التأمل والاصغاء الى التشكيك والتجويز اتسعت نفسه للتجويز، وهذا يسمى اعتقادا مقاربا لليقين ، وهو اعتقاد العوام فى الشرعيات كلها ، إذ رسخ فى نفوسهم بمجرد السماع ، حتى إن كل فرقة تثق بصحة مذهبها وإصابة إمامها ومتبوعها ، ولو ذكر لأحدهم إمكان خطأ إمامه نفر عن قبوله

الرابع ـ المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذى لايشك فيه ولا يتصوّر الشك فيه ، فاذا امتنع وجود الشك وإمكانه يسمى يقينا عند هؤلاء . ومثاله أنه إذا قيل للعاقل : هل فى الوجود شىء هو قديم؟ فلا يمكنه التصديق به بالبديهة ، لأن القديم غير محسوس، لا كالشمس والقمر ، فانه يصدق بوجودهما بالحس ، وليس العلم بوجود شىء قديم أزلى ضروريا مثل العلم بأن الاثنين أكثر من الواحد ، بل مثل العلم بأن حدوث حادث بلا سبب محال، فان هذا أيضا ضرورى ، فحق غريزة العقل أن تتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة . ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقا جزما ويستمر عليه ، وذلك هو الاعتقاد ، وهو حال جميع العوام . ومن الناس من يصدّق به بالبرهان وهو أن يقال له : إن لم يكن فى الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة ، فان كانت كلها حادثة فهى حادثة بلا سبب أو فيها حادث بلا سبب وذلك محال ، فالمؤدى الى المحال محال ، فيلزم فى العقل التصديق بوجود شىء قديم بالضرورة ، لأن الأقسام ثلاثة : وهى أن تكون الموجودات كلها قديمة ؛ أو كلها حادثة ، أو بعضها قديمة وبعضها حادثة ، فان كانت كلها قديمة فقد حصل المطلوب إذ ثبت على الجملة قديم ، وإن كان الكل حادثا فهو محال، إذ يؤدى الى حدوث بغير سبب ، فيثبت القسم الثالث أو الأول ، وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا عند هؤلاء ، سواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه أو حصل بحس أو بغريزة العقل ، كالعلم باستحالة حادث بلا سبب ، أو بتواتر كالعلم بوجود مكة ، أو بتجربة كالعلم بأن السقمونيا المطبوخ مسهل ، أو بدليل كما ذكرنا

فشرط إطلاق هذا الاسم عندهم عدم الشك . فكل علم لاشك فيه يسمى يقينا عند هؤلاء، وعلى هذا لايوصف اليقين بالضعف ، إذ لا تفاوت فى نفى الشك .

الاصطلاح الثانى — اصطلاح الفقهاء والمتصوّفة وأكثر العلماء ، وهو أن لا يلتفت فيه الى اعتبار التجويز والشك ، بل الى استيلائه وغلبته على العقل ، حتى يقال : فلان ضعيف اليقين

بالموت مع أنه لاشك فيه ، ويقال: فلان قوى اليقين فى إتيـان الرزق مع أنه قد يجوز أنه لايأتيه . فهما مالت النفس إلى التصديق بشىء وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف فى النفس بالتجويز والمنع ، سمى ذلك يقينا .ولا شك فى أن الناس مشتركون فى القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ، ولـكن فيهم من لايلتفت اليه ، ولا الى الاستعداد له ، وكأنه غير موقن به . ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق جميع همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا لغيره، فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوّة اليقين . ولذلك قال بعضهم : مارأيت يقينا لاشك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت . وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوّة . ونحن إنما أردنا بقولنا : إن من شأن علمـاء الآخرة صرف العناية الى تقوية اليقين بالمعنيين جميعا ، وهو نفى الشك ، ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكم عليها المتصرف فيها

فاذا فهمت هذا علمت أن المراد من قولنا إن اليقين ينقسم ثلاثة أقسام، بالقوّة والضعف ، والـكثرة والقلة ، والخفاء والجلاء ، فأما بالقوّة والضعف فعلى الاصطلاح الثـانى ، وذلك فى الغلبة والاستيلاء على القلب ، ودرجات معانى اليقين فى القوّة والضعف لاتتناهى ، وتفاوت الخلق فى الاستعداد للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعانى .وأما التفاوت بالخفاء والجلاء فى الاصطلاح الأول فلا ينكر أيضا ، أما فيما يتطرق اليه التجويز فلا ينكر، أعنى الاصطلاح الثانى ، وفيما انتفى الشك أيضـا عنه لاسبيل الى إنـكاره ، فانك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود فَدَك مثلا ، وبين تصديقك بوجود موسى ووجود يوشع عليهما السلام مع أنك لاتشك فى الأمرين جميعا ، اذ مستندهما جميعا التواتر ، ولـكن ترى أحدهما أجلى وأوضح فى قلبك من الثانى ، لأن السبب فى أحدهما أقوى وهو كثرة المخبرين ، وكذلك يدرك الناظر هذا فى النظريات المعروفة بالأدلة ، فانه ليس وضوح مالاح له بدليل واحد كوضوح مالاح له بالأدلة الـكثيرة مع تساويهما فى نفى الشك ، وهذا قد ينكره المتكلم الذى يأخذ العلم من الـكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الأحوال. وأما القلة والـكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين ، كما يقال : فلان أكثر علما من فلان ، أى معلوماته أكثر ، ولذلك قد يكون العالم قوى اليقين فى جميع ماورد الشرع به ، وقد يكون قوى اليقين فى بعضه

فان قلت : قد فهمت اليقين وقوته وضعفه ، وكثرته وقلته ، وجلاءه وخفاءه ، بمعنى نفى

الشك ، أو بمعنى الاستيلاء على القلب ، فما معنى متعلقات اليقين ومجاريه، وفيماذا يطلب اليقين، فانى مالم أعرف مايطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه ؟

فاعلم أن جميع ما ورد به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من أوله إلى آخره هو من مجارى اليقين، فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة، ومتعلقه المعلومات التى وردت بها الشرائع، فلا مطمع فى إحصائها ، ولكنى أشير إلى بعضها وهى أمهاتها :

فمن ذلك التوحيد : وهو أن يرى الأشياء كلها من مسبب الأسباب، ولا يلتفت إلى الوسائط، بل يرى الوسائط مسخرة لاحكم لها ،فالمصدق بهذا موقن ، فان انتفى عن قلبه مع الايمان إمكان الشك فهو موقن بأحد المعنيين ، فان غلب على قلبه مع الايمان غلبة أزالت عنه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم، ونزّل الوسائط فى قلبه منزلة القلم واليد فى حق المنعم بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما، بل يراهما آلتين مسخرتين وواسطتين ، فقد صار موقنا بالمعنى الثانى، وهو الأشرف، وهو ثمرة اليقين الأول وروحه وفائدته . ومهما تحقق أن الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهى مسخرات بأمره حسب تسخير القلم فى يد الكاتب ، وأن القدرة الأزلية هى المصدر للكل ، استولى على قلبه غلبة التوكل والرضا والتسليم ، وصار موقنا بريئا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق . فهذا أحد أبواب اليقين

ومن ذلك الثقة بضمان الله سبحانه بالرزق فى قوله تعالى : (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا) ، واليقين بأن ذلك يأتيه ، وأن ما قدر له سيساق اليه . ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا فى الطلب ، ولم يشتد حرصه وشرهه وتأسفه على مافاته ، وأثمر هذا اليقين أيضا جملة من الطاعات والأخلاق الحميدة

ومن ذلك أن يغلب على قلبه أن مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ،وهو اليقين بالثواب والعقاب ، حتى يرى نسبة الطاعات الى الثواب كنسبة الخبز الى الشبع ، ونسبة المعاصى الى العقاب كنسبة السموم والأفاعى الى الهلاك ، فكما يحرص على التحصيل للخبز طلبا للشبع فيحفظ قليله وكثيره ، فكذلك يحرص على الطاعات كلها قليلها وكثيرها ،وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها ، فكذلك يجتنب المعاصى قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها . فاليقين بالمعنى الأول قد يوجد لعموم المؤمنين ، أما بالمعنى الثانى فيختص به المقربون.

وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة فى الحركات والسكنات والخطرات، والمبالغة فى التقوى، والتحرز عن كل السيئات ، وكلما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشد والتشمير أبلغ

ومن ذلك اليقين بأن الله تعالى مطلع عليك فى كل حال ، ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك ، فهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الأول وهو عدم الشك ، وأما بالمعنى الثانى وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصدّيقون . وثمرته أن يكون الانسان فى خلوته متأدبا فى جميع أحواله ، كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر اليه ، فانه لايزال مطرقا متأدبا فى جميع أعماله ، متماسكا محترزا عن كل حركة تخالف هيئة الأدب ، ويكون فى فكرته الباطنة كهو فى أعماله الظاهرة ، إذ يتحقق أن الله تعالى مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره ، فتكون مبالغته فى عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بعين الله تعالى الكائنة أشد من مبالغته فى تزيين ظاهره لسائر الناس ، وهذا المقام فى اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار، والذل والاستكانة والخضوع ، وجملة من الأخلاق المحمودة . وهذه الأخلاق تورث أنواعا من الطاعات رفيعة ، فاليقين فى كل باب من هذه الأبواب مثل الشجرة . وهذه الأخلاق فى القلب مثل الأغصان المتفرعة منها . وهذه الأعمال والطاعات الصادرة من الأخلاق كالثمار وكالأنوار المتفرعة من الأغصان . فاليقين هو الأصل والأساس ، وله مجار وأبواب أكثر مما عددناه . وسيأتى ذلك فى ربع المنجيات ، إن شاء الله تعالى . وهذا القدر كاف فى معنى اللفظ الآن

ومنها ـ أن يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا ، يظهر أثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته ، لاينظر اليه ناظر إلا وكان نظره مذكرا لله تعالى ، وكانت صورته دليلا على عمله ، فالجواد عينه مرآته ، وعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم فى السكينة والذلة والتواضع . وقد قيل : ماألبس الله عبدا ألبسة أحسن من خشوع فى سكينة، فهى لبسة الأنبياء ، وسيما الصالحين والصديقين والعلماء

وأما التهافت فى الكلام والتشدّق ، والاستغراق فى الضحك والحدة فى الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطر ، والأمن والغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه ، وهو دأب أبناء الدنيا الغافلين عن الله دون العلماء به . وهذا لأن العلماء ثلاثة كما قال سهل التُّسْتَرى رحمه الله : عالم بأمر الله تعالى لا بأيام الله ، وهم المفتون فى الحلال والحرام ، وهذا العلم لايورث الخشية ؛ وعالم بالله تعالى لا بأمر الله ولا بأيام الله، وهم عموم المؤمنين؛ وعالم بالله تعالى وبأمر الله

تعالى وبأيام الله تعالى ، وهم الصديقون ، والخشية والخشوع إنما تغلب عليهم . وأراد بأيام الله أنواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التى أفاضها على القرون السالفة واللاحقة . فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه

وقال عمر رضى الله عنه : تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم ، وتواضعوا لمن تتعلمون منه ، وليتواضع لكم من يتعلم منكم ، ولا تكونوا من جبابرة العلماء ؛ فلا يقوم علمكم بجهلكم . ويقال ما آتى الله عبدا علما إلا آتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورفقا ؛ فذلك هو العلم النافع . وفى الأثر : من آتاه الله علما وزهدا وتواضعا وحسن خلق فهو إمام المتقين . وفى الخبر [1] « إِنَّ مِنْ خِيَارِ أُمَّتِي قَوْمًا يَضْحَكُونَ جَهْرًا مِنْ سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ ، وَيَبْكُونَ سِرًّا مِنْ خَوْفِ عَذَابِهِ ، أَبْدَانُهُمْ فِي الْأَرْضِ وَقُلُوبُهُمْ فِي السَّمَاءِ ، أَرْوَاحُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَعُقُولُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ، يَتَمَشَّوْنَ بِالسَّكِينَةِ ، وَيَتَقَرَّبُونَ بِالْوَسِيلَةِ » . وقال الحسن : الحلم وزير العلم ، والرفق أبوه ، والتواضع سرباله

وقال بشر بن الحارث : من طلب الرياسة بالعلم فتقرب إلى الله تعالى ببغضه فانه ممقوت فى السماء والأرض . ويروى فى الاسرائيليات أن حكيما صنف ثلاثمائة وستين مصنفا فى الحكمة حتى وصف بالحكيم ، فأوحى الله تعالى إلى نبيهم : قل لفلان ملأت الأرض نفاقا ولم تردنى من ذلك بشىء وإنى لا أقبل من نفاقك شيئا . فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى فى الأسواق وواكل بنى إسرائيل وتواضع فى نفسه ، فأوحى الله تعالى إلى نبيهم : قل له : الآن وفقت لرضاى

وحكى الأزاعى رحمه الله عن بلال بن سعد أنه كان يقول : ينظر أحدكم إلى الشرطى فيستعيذ بالله منه ؛ وينظر إلى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوفين إلى الرياسة فلا يمقتهم وهم أحق بالمقت من ذلك الشرطى . وروى أنه [2] « قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ

---

(١) حديث إن من خيار أمتى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من خوف عذابه الحديث : الحاكم والبيهقى فى شعب الايمان وضعفه من حديث عياض بن سليمان

(٢) حديث قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله الحديث : لم أجده هكذا بطوله وفى زيادات الزهد لابن المبارك من حديث الحسن مرسلا : سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أى الأعمال أفضل قال أن تموت يوم تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى . وللدارمى من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا ألا إن شر الشر شرار العلماء وإن خير الخير خيار العلماء . وقد تقدم

اجْتِنَابُ الْمَحَارِمِ، وَلَا يَزَالُ فُوكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى . قيل : فَأَيُّ الْأَصْحَابِ خَيْرٌ ؟ قال صلى الله عليه وسلم : صَاحِبٌ إِنْ ذَكَرْتَ اللهَ أَعَانَكَ ، وَإِنْ نَسِيتَهُ ذَكَّرَكَ . قِيلَ : فَأَيُّ الْأَصْحَابِ شَرٌّ ؟ قال صلى الله عليه وسلم : صَاحِبٌ إِنْ نَسِيتَ لَمْ يُذَكِّرْكَ ، وَإِنْ ذَكَرْتَ لَمْ يُعِنْكَ . قيل : فَأَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ قال : أَشَدُّهُمْ لِلهِ خَشْيَةً . قيل : فَأَخْبِرْنَا بِخِيَارِنَا نُجَالِسْهُمْ . قال صلى الله عليه وسلم : الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ . قيل : فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ ؟ قال : اللَّهُمَّ غَفْرًا . قَالُوا أَخْبِرْنَا يَارَسُولَ اللهِ ، قال : الْعُلَمَاءُ إِذَا فَسَدُوا »

وقال صلى الله عليه وسلم[1] « إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ أَمَانًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ فِكْرًا فِي الدُّنْيَا ، وَأَكْثَرَ النَّاسِ ضِحْكًا فِي الْآخِرَةِ أَكْثَرُهُمْ بُكَاءً فِي الدُّنْيَا ، وَأَشَدُّ النَّاسِ فَرَحًا فِي الْآخِرَةِ أَطْوَلُهُمْ حُزْنًا فِي الدُّنْيَا »

وقال على رضى الله عنه فى خطبة له : ذمتى رهينة وأنا به زعيم ، إنه لا يهيج على التقوى زرع قوم ، ولا يظمأ على الهدى سبخ أصل ، وإن أجهل الناس من لا يعرف قدره ، وإن أبغض الخلق إلى الله تعالى رجل قمش علما أغار به فى أغباش الفتنة ، سمّاه أشباه له من الناس وأرذالهم عالما ، ولم يعش فى العلم يوما سالما ، بكّر واستكثر ، فما قل منه وكفى خير مما كثر وألهى ، حتى إذا ارتوى من ماء آجن ، وأكثر من غير طائل ، جلس للناس معلما لتخليص ما التبس على غيره ، فان نزلت به إحدى المهمات هيأ لها من رأيه حشو الرأى ، فهو من قطع الشبهات فى مثل نسج العنكبوت لا يدرى أخطأ أم أصاب ، ركّاب جهالات ، خباط عشوات ، لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ، ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم ، تبكى منه الدماء ، وتستحل بقضائه الفروج الحرام ، لا ملىء والله بإصدار ما ورد عليه ، ولا هو أهل لما فوض اليه ، أولئك الذين حلت عليهم المثلات ، وحقت عليهم النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا . وقال على رضى الله عنه: إذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب

وقال بعض السلف : العالم إذا ضحك ضحكة مج من العلم مجة . وقيل : إذا جمع المعلم

---

(١) حديث إن أكثر الناس أمناً يوم القيامة أكثرهم خوفا في الدنيا ـ الحديث : لم أجد له أصلا

ثلاثا تمت النعمة بها على المتعلم : الصبر ، والتواضع ، وحسن الخلق ، وإذا جمع المتعلم ثلاثا تمت النعمة بها على المعلم : العقل، والأدب، وحسن الفهم. وعلى الجملة فالأخلاق التى ورد بها القرءان لاينفك عنها علماء الآخرة لأنهم يتعلمون القرءان للعمل لا للرياسة . وقال ابن عمر رضى الله عنهما[1] « لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنَ الدَّهْرِ وَإِنَّ أَحَدَنَا يُؤْتَى الإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْءَانِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ فَيَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا وَأَوَامِرَهَا وَزَوَاجِرَهَا ، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ رِجَالاً يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْءَانَ قَبْلَ الإِيمَانِ فَيَقْرَأُ مَابَيْنَ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ إِلَى خَاتِمَتِهِ لَايَدْرِى مَا آمِرُهُ وَمَا زَاجِرُهُ وَمَايَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ ، يَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ » وفى خبر آخر بمثل معناه[2] « كُنَّا أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أُوتِينَا الإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْءَانِ ، وَسَيَأْتِي بَعْدَكُمْ قَوْمٌ يُؤْتَوْنَ الْقُرْءَانَ قَبْلَ الإِيمَانِ يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ وَيُضَيِّعُونَ حُدُودَهُ وَحُقُوقَهُ يَقُولُونَ قَرَأْنَا فَمَنْ أَقْرَأُ مِنَّا وَعَلِمْنَا فَمَنْ أَعْلَمُ مِنَّا ؟ فَذَلِكَ حَظُّهُمْ » وفى لفظ آخر : « أُولَئِكَ شِرَارُ هَذِهِ الأُمَّةِ »

وقيل : خمس من الأخلاق هى من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات من كتاب الله عز وجل: الخشية، والخشوع ، والتواضع ، وحسن الخلق ، وإيثار الآخرة على الدنيا، وهو الزهد، فأما الخشية فمن قوله تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) . وأما الخشوع فمن قوله تعالى: (خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَايَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) . وأما التواضع فمن قوله تعالى: (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) . وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ) وأما الزهد فمن قوله تعالى (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) ولما تلا[3] رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى :(فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ

---

(١) حديث ابن عمر لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الايمان قبل القرءان ـ الحديث : الحاكم وصححه على شرط الشيخين والبيهقى

(٢) حديث كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الايمان قبل القرءان ـ الحديث: ابن ماجه من حديث جندب مختصرا مع اختلاف

(٣) حديث لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم «فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام» الحديث الحاكم والبيهقي فى الزهد من حديث ابن مسعود

صَدْرَهُ للإِسْلَامِ) فقيل له : ماهذا الشَّرْحُ ؟ فقال : إن النُّورَ إذا قُذِفَ فِي الْقَلْبِ انْشَرَحَ لَهُ الصَّدْرُ وَانْفَسَحَ ، قيل : فَهَلْ لِذَلِكَ مِن عَلَامَةٍ ؟ قال صلى الله عليه وسلم : نَعَمْ : التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ ، وَالإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ ، وَالاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ »

ومنها ـ أن يكون أكثر بحثه عن علم الأعمال وعما يفسدها ويشوش القلوب ويهيج الوسواس ويثير الشر ، فان أصل الدين التوقى من الشر ، ولذلك قيل :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

ولأن الأعمال الفعلية قريبة ، وأقصاها بل أعلاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان ، وإنما الشأن فى معرفة مايفسدها ويشوشها ، وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفريعه ، وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة اليه ، وتعم به البلوى فى سلوك طريق الآخرة

وأما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفريعات فى الحكومات والأقضية ، ويتعبون فى وضع صور تنقضى الدهور ولا تقع أبدا ، وإن وقعت فانما تقع لغيرهم لا لهم ، وإذا وقعت كان فى القائمين بها كثرة ، ويتركون مايلازمهم ويتكرر عليهم آناء الليل وأطراف النهار ، فى خواطرهم ووساوسهم وأعمالهم . وما أبعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر ، ايثارا للتقرب والقبول من الخلق على التقرب من الله سبحانه ، وشرهاً فى أن يسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق ! وجزاؤه من الله أن لاينتفع فى الدنيا بقبول الخلق ، بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ، ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على مايشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين ، وذلك هو الخسران المبين

ولقد كان الحسن البصرى رحمه الله أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأقربهم هديا من الصحابة رضى الله عنهم : اتفقت الكلمة فى حقه على ذلك ، وكان أكثر كلامه فى خواطر القلوب ، وفساد الأعمال ، ووساوس النفوس ، والصفات الخفية الغامضة ، من شهوات النفس . وقد قيل له : ياأبا سعيد إنك تتكلم بكلام لايسمع من غيرك فمن أين أخذته ؟ قال : من حذيفة بن اليمان . وقيل لحذيفة : نراك تتكلم بكلام لايسمع من غيرك من الصحابة فمن

أين أخذته ؟ قال: خصّنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] « كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ أَقَعَ فِيهِ وَعَلِمْتُ أَنَّ الْخَيْرَ لَا يَسْبِقُنِي عِلْمُهُ » . وقال مرة : « فَعَلِمْتُ أَنَّ مَنْ لَا يَعْرِفُ الشَّرَّ لَا يَعْرِفُ الْخَيْرَ » وفى لفظ آخر « كَانُوا يَقُولُونَ يَارَسُولَ اللهِ مَا لِمَنْ عَمِلَ كَذَا وَكَذَا ؟ يَسْأَلُونَهُ عَنْ فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ ، وَكُنْتُ أَقُولُ يَارَسُولَ اللهِ : مَا يُفْسِدُ كَذَ وَكَذَا ؟ فَلَمَّا رَآنِي أَسْأَلُهُ عَنْ آفَاتِ الْأَعْمَالِ خَصَّنِي بِهَذَا الْعِلْمِ »

وكان حذيفة رضى الله عنه أيضا قد خص بعلم المنافقين ، وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن ، فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضى الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة . وكان يسأل عن المنافقين فيخبر بعدد من بقى منهم، ولا يخبر بأسمائهم . وكان عمر رضى الله عنه يسأله عن نفسه : هل يعلم فيه شيئا من النفاق ؟ فبرأه من ذلك . وكان عمر رضى الله عنه اذا دُعى الى جنازة ليصلى عليها نظر : فان حضر حذيفة صلى عليها ، وإلا ترك . وكان يسمى صاحب السر

فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة ، لأن القلب هو الساعى إلى قرب الله تعالى . وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا ، واذا تعرض العالم لشىء منه استغرب واستبعد ، وقيل هذا تزويق المذكرين ، فأين التحقيق ، ويرون أن التحقيق فى قادئق المجادلات . ولقد صدق من قال :

الطُّرْق شتىّ وطُرْق الحق مفردة ... والسالكون طريقَ الحق أفراد
لا يُعرفون ولا تُدرى مقاصدُهم ... فهم على مهل يمشون قُصاد
والناس فى غفلة عما يراد بهم ... فجلهم عن سبيل الحق رقاد

وعلى الجملة فلا يميل أكثر الخلق إلا إلى الأسهل والأوفق لطباعهم ، فان الحق مرّ ، والوقوف عليه صعب ، وإدراكه شديد ، وطريقه مستوعر ، ولا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق المذمومة ، فان ذلك نزع للروح على الدوام ، وصاحبه ينزل منزلة الشارب

---

(١) حديث حذيفة كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أساله عن الشر ـ الحديث : أخرجاه مختصرا

للدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء ، وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه ، فهو يقاسى الشدائد ليكون فطره عند الموت ، ومتى تكثر الرغبة فى هذا الطريق . ولذلك قيل : إنه كان فى البصرة مائة وعشرون متكلما فى الوعظ والتذكير، ولم يكن من يتكلم فى علم اليقين وأحوال القلوب وصفات الباطن إلا ثلاثة : منهم سهل التُستَرى ، والصبيحى ، وعبد الرحيم ، وكان يجلس إلى أولئك الخلقُ الكثير الذى لايحصى ، وإلى هؤلاء عدد يسير قلّما يجاوز العشرة ، لأن النفيس العزيز لايصلح إلا لأهل الخصوص ، وما يبذل للعموم فأمره قريب

ومنها ـ أن يكون اعتماده فى علومه على بصيرته وإدراكه بصفاء قلبه ، لا على الصحف والكتب ، ولا على تقليد ما يسمعه من غيره ، وإنما المقلّد صاحبُ الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما أمر به وقاله ؛ وإنما يقلد الصحابة رضى الله عنهم من حيث إن فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم إذا قلد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فى تلقى أقواله وأفعاله بالقبول فينبغى أن يكون حريصا على فهم أسراره ؛ فان المقلد إنما يفعل الفعل لأن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فعلَه، وفعله لابد وأن يكون لسرّ فيه ، فينبغى أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال ، فانه إن اكتفى بحفظ مايقال كان وعاء للعلم ، ولا يكون عالما . ولذلك كان يقال : فلان من أوعية العلم ، فلا يسمى عالما اذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحِكَم والأسرار ، ومن كشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار فى نفسه متبوعا مقلّدا ، فلاينبغى أن يقلد غيره . ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما[1] «مَامِنْ أحَدٍ إلاَّ يُؤْخَذُ مِنْ عِلْمِهِ وَيُتْرَكُ إلاَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم » وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه ، وقرأ على أبىّ بن كعب ، ثم خالفهما فى الفقه والقراءة جميعا . وقال بعض السلف : ماجاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعين ، وما جاءنا عن الصحابة رضى الله عنهم فنأخذ منه ونترك ، وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال

وإنما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واعتلاق قلوبهم أمورا أدركت بالقرائن ، فسددهم ذلك الى الصواب من حيث لايدخل فى الرواية والعبارة

---

(١) حديث ابن عباس مامن أحد الا يؤخذ من علمه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم: الطبرانى من من حديثه يرفعه بلفظه من قوله: ويدع

إذ فاض عليهم من نور النبوّة مايحرسهم فى الأكثر عن الخطأ . وإذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا غير مرضىّ فالاعتماد على الكتب والتصانيف أبعد ، بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شىء منها فى زمن الصحابة وصدر التابعين ، وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة ، وبعد وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين رضى الله عنهم ، وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين ، بل كان الأولون يكرهون كَتْب الأحاديث وتصنيف الكتب ، لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرءان وعن التدبر والتذكر ، وقالوا : احفظوا كما كنا نحفظ . ولذلك كره أبو بكر وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم تصحيف القرءان فى مصحف ، وقالوا : كيف نفعل شيئا مافعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخافوا اتكال الناس على المصاحف ، وقالوا : نترك القرءان يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والإقراء ليكون هذا شغلهم وهمهم ، حتى أشار عمر رضى الله عنه وبقية الصحابة بكَتْب القرءان ، خوفا من تخاذل الناس وتكاسلهم ، وحذرا من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع اليه فى كلمة أو قراءة من المتشابهات ، فانشرح صدر أبى بكر رضى الله عنه لذلك ، فجمع القرءان فى مصحف واحد . وكان أحمد بن حنبل ينكر على مالك فى تصنيفه الموطأ ، ويقول : ابتدع مالم تفعله الصحابة رضى الله عنهم

وقيل : أول كتاب صنف فى الاسلام كتاب ابن جريج فى الآثار ، وحروف التفاسير عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس رضى الله عنهم بمكة ، ثم كتاب معمر بن راشد الصنعانى باليمن ، جمع فيه سننا مأثورة نبوية ، ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس ، ثم جامع سفيان الثورى .

ثم فى القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام ، وكثر الخوض فى الجدال ، والغوص فى إبطال المقالات ، ثم مال الناس اليه وإلى القصص والوعظ بها ، فأخذ علم اليقين فى الاندراس من ذلك الزمان ، فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب ، والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان ، وأعرض عن ذلك إلا الأقلون ، فصار يسمى المجادل المتكلم عالما ، والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالما ، وهذا لأن العوام هم المستمعون اليهم ، فكان لا يتميز لهم حقيقة العلم من غيره ، ولم تكن سيرة الصحابة رضى الله عنهم وعلومهم ظاهرةً عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم ، فاستمر عليهم اسم العلماء ، وتوارث اللقب خلف عن سلف ، وأصبح

علم الآخرة مطويا، وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام إلا عن الخواص منهم: كانوا إذا قيل لهم فلان أعلم أم فلان، يقولون: فلان أكثر علما، وفلان أكثر كلاما، فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام. هكذا ضعف الدين فى قرون سالفة، فكيف الظن بزمانك هذا؟ وقد انتهى الأمر إلى أن مظهر الانكار يستهدف لنسبته إلى الجنون، فالأولى أن يشتغل الانسان بنفسه ويسكت

ومنها أن يكون شديد التوقى من محدثات الأمور وإن اتفق عليها الجمهور، فلا يغرنّه إطباق الخلق على ما أحدث بعد الصحابة رضى الله عنهم، وليكن حريصا على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم، وما كان فيه أكثر همهم: أكان فى التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية وتولى الأوقاف والوصايا وأكل مال الأيتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم فى العشرة، أم كان فى الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الظاهر والباطن واجتناب دقيق الإثم وجليله، والحرص على إدراك خفايا شهوات النفوس ومكايد الشيطان، إلى غير ذلك من علوم الباطن.

واعلم تحقيقا أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق السلف، فمنهم أخذ الدين، ولذلك قال على رضى الله عنه: خيرنا أتبعُنا لهذا الدين لمّا قيل له: خالفت فلانا. فلا ينبغى أن يكترث بمخالفة أهل العصر فى موافقة أهل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فان الناس رأوا رأيا فيما هم فيه لميل طباعهم اليه، ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف بأن ذلك سبب الحرمان من الجنة، فادّعوا أنه لا سبيل إلى الجنة سواه. ولذلك قال الحسن: محدثان أحدثا فى الاسلام: رجل ذو رأى سىء زعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيه، ومترَفٌ يعبد الدنيا، لها يغضب ولها يرضى وإياها يطلب، فارفضوهما إلى النار، وإن رجلا أصبح فى هذه الدنيا بين مترف يدعوه إلى دنياه، وصاحب هوى يدعوه إلى هواه، وقد عصمه الله تعالى منهما، يحنّ إلى السلف الصالح يسأل عن أفعالهم ويقتفى آثارهم، متعرض لأجر عظيم، فكذلك كونوا

وقد روى عن ابن مسعود موقوفا ومسندا [1] أنه قال: « إِنَّمَا هُمَا اثْنَتَانِ: اَلْكَلَامُ

---

(١) حديث ابن مسعود إنما هما اثنتان الكلام والهدى ـ الحديث: ابن ماجه

وَالْهَدْيُ ، فَأَحْسَنُ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى ، وَأَحْسَنُ الْهَدْيِ هَدْيُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، أَلَا وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ شَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، أَلَا لَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الْأَمَدُ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ ، أَلَا كُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ ، أَلَا إِنَّ الْبَعِيدَ مَا لَيْسَ بِآتٍ »

وفي خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ وَأَنْفَقَ مِنْ مَالٍ اكْتَسَبَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ ، وَخَالَطَ أَهْلَ الْفِقْهِ وَالْحِكَمِ ، وَجَانَبَ أَهْلَ الزَّلَلِ وَالْمَعْصِيَةِ ، طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ ، وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ ، وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ ، طُوبَى لِمَنْ عَمِلَ بِعِلْمِهِ وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ ، وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ وَلَمْ يَعْدُهَا إِلَى بِدْعَةٍ »

وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول : حُسن الهدى فى آخر الزمان خير من كثير من العمل ، وقال : أنتم فى زمان خيركم فيه المسارع فى الأمور ، وسيأتى بعدكم زمان يكون خيرهم فيه المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات . وقد صدق ، فمن لم يتوقف فى هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا فيه ، هلك كما هلكوا . وقال حذيفة رضى الله عنه : أعجب من هذا أن معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى ، وأن منكركم اليوم معروف زمان قد أتى ، وإنكم لا تزالون بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به . ولقد صدق ، فان أكثر معروفات هذه الأعصار منكرات فى عصر الصحابة رضى الله عنهم ، إذ من غرر المعروفات فى زماننا تزيين المساجد وتنجيدها ، وإنفاق الأموال العظيمة فى دقائق عماراتها ، وفرش البسط الرفيعة فيها

ولقد كان يعد فرش البوارى فى المسجد بدعة . وقيل إنه من محدثات الحجاج ، فقد كان الأولون قلما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا

---

(١) حديث طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق مالا اكتسبه ـ الحديث : أبو نعيم من حديث الحسين ابن على بسند ضعيف والبزار من حديث أنس أول الحديث وآخره ، والطبرانى والبيهقى من حديث ركب المصرى وسط الحديث وكلها ضعيفة .

وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة من أجلّ علوم أهل الزمان ، ويزعمون أنه من أعظم القربات . وقد كان من المنكرات

ومن ذلك التلحين فى القرءان والأذان

ومن ذلك التعسف فى النظافة والوسوسة فى الطهارة ، وتقدير الأسباب البعيدة فى نجاسة الثياب ، مع التساهل فى حل الأطعمة وتحريمها ؛ إلى نظائر ذلك

ولقد صدق ابن مسعود رضى الله عنه حيث قال : أنتم اليوم فى زمانٍ الهوى فيه تابع للعلم ، وسيأتى عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى . وقد كان أحمد بن حنبل يقول: تركوا العلم وأقبلوا على الغرائب ، ماأقل العلم فيهم ! والله المستعان . وقال مالك بن أنس رحمه الله : لم تكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الأمور كما يسأل الناس اليوم ، ولم يكن العلماء يقولون : حرام ولا حلال ، ولكن أدركتهم يقولون : مستحب ومكروه . ومعناه أنهم كانوا ينظرون فى دقائق الكراهة والاستحباب ، فأما الحرام فكان فحشه ظاهرا . وكان هشام بن عروة يقول : لا تسألوهم اليوم عما أحدثوه بأنفسهم فانهم قد أعدوا له جوابا ، ولكن سلوهم عن السنة فانهم لايعرفونها . وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله يقول : لاينبغى لمن ألهم شيئا من الخير أن يعمل به حتى يسمع به فى الأثر فيحمدالله تعالى إذ وافق مافى نفسه. وإنما قال هذا لأن ماقد أبدع من الآراء قد قرع الأسماع وعلق بالقلوب ، وربمايشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا . فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الآثار . ولهذا لما أحدث مروان المنبر فى صلاة العيد عند المصلى قام اليه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه فقال: يامروان ماهذه البدعة ؟ فقال: إنها ليست ببدعة ، إنها خير مما تعلم ، إن الناس قد كثروا فاردت أن يبلغهم الصوت ، فقال أبو سعيد : والله لاتأتون بخير مما أعلم أبدا ، ووالله لاصليت وراءك اليوم ! وإنما أنكر ذلك عليه لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « كَانَ يَتَوَكَّأُ فِي خُطْبَةِ ٱلْعِيدِ وَٱلِاسْتِسْقَاءِ عَلَى قَوْسٍ أَوْ عَصاً » لَا عَلَى ٱلْمِنْبَرِ

---

(١) حديث كان يتوكأ فى خطبة العيد والاستسقاء على قوس او عصا : الطبرانى من حديث البراء ونحوه فى يوم الأضحى ليس فيه الاستسقاء وهو ضعيف ورواه فى الصغير من حديث سعد القرظ كان اذا خطب فى العيدين خطب على قوس واذا خطب فى الجمعة خطب على عصا وهو عند ابن ماجه بلفظ كان اذا خطب فى الحرب خطب على قوس ـ الحديث

وفى الحديث المشهور[١] « مَنْ أَحْدَثَ فِي دِينِنَا مَالَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » . وفى خبر آخر : « مَنْ[٢] غَشَّ أُمَّتِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » قيل يارسول الله : وما غش أمتك ؟ قال « أَنْ يَبْتَدِعَ بِدْعَةً يَحْمِلُ النَّاسَ عَلَيْهَا » وقال صلى الله عليه وسلم[٣] « إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَلَكًا يُنَادِي كُلَّ يَوْمٍ : مَنْ خَالَفَ سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَمْ تَنَلْهُ شَفَاعَتُهُ » ومثال الجانى على الدين بابداع مايخالف السنة بالنسبة إلى من يذنب ذنبا مثال من عصى الملك فى قلب دولته بالنسبة إلى من خالف أمره فى خدمة معينة ،وذلك قد يغفر له؛ فأما قلب الدولة فلا . وقال بعض العلماء : ماتكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء ، وماسكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف . وقال غيره : الحق ثقيل من جاوزه ظلم ، ومن قصر عنه عجز، ومن وقف معه اكتفى . وقال صلى الله عليه وسلم[٤] « عَلَيْكُمْ بِالنَّمَطِ الْأَوْسَطِ الَّذِي يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْعَالِي وَيَرْتَفِعُ إِلَيْهِ التَّالِي »

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : الضلالة لها حلاوة فى قلوب أهلها ، قال الله تعالى : (وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا) وقال تعالى: (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا) . فكل ما أحدث بعد الصحابة رضى الله عنهم مما جاوز قدر الضرورة والحاجة ،فهو من اللعب واللهو

وحكى عن إبليس لعنه الله أنه بث جنوده فى وقت الصحابة رضى الله عنهم فرجعوا اليه محسورين ، فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : ما رأينا مثل هؤلاء : ما نصيب منهم شيئا وقد أتعبونا، فقال : إنكم لا تقدرون عليهم : قد صحبوا نبيهم ، وشهدوا تنزيل ربهم ، ولكن سيأتى بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم . فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا اليه منكسين ، فقالوا : ما رأينا أعجب من هؤلاء :نصيب منهم الشيء بعد الشيء من الذنوب فاذا كان آخر النهار

---

(١) حديث من أحدث فى ديننا ما ليس فيه فهو رد : متفق عليه من حديث عائشة بلفظ :فى أمرنا ماليس منه . وعند أبى داود فيه

(٢) حديث من غش أمتى فعليه لعنة الله ـ الحديث :الدارقطنى فى الافراد من حديث أنس بسند ضعيف جداً

(٣) حديث إن لله ملكا ينادى كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعته: لم أجد له أصلا

(٤) حديث عليكم بالنمط الأوسط ـ الحديث : أبو عبيد في غريب الحديث موقوفا على على بن أبى طالب ولم أجده مرفوعا

أخذوا فى الاستغفار فيبدل الله سيئاتهم حسنات ، فقال : إنكم لن تنالوا من هؤلاء شيئا لصحة توحيدهم ، واتباعهم لسنة نبيهم ، ولكن سيأتى بعد هؤلاء قوم تقر أعينكم بهم ، تلعبون بهم لعبا ، وتقودونهم بأزمة أهوائهم كيف شئتم ، إن استغفروا لم يغفر لهم ، ولا يتوبون فيبدل الله سيئاتهم حسنات . قال : فجاء قوم بعد القرن الأول فبث فيهم الأهواء وزين لهم البدع ، فاستحلوها ، واتخذوها دينا ، لا يستغفرون الله منها ، ولا يتوبون عنها ، فسلط عليهم الأعداء ، وقادوهم أين شاءوا

فان قلت : من أين عرف قائل هذا ماقاله إبليس ولم يشاهد إبليس ولا حدثه بذلك؟

فاعلم أن أرباب القلوب يكاشفون بأسرار الملكوت ، تارة على سبيل الإلهام بأن يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون ، وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة ، وتارة فى اليقظة على سبيل كشف المعانى بمشاهدة الأمثلة كما يكون فى المنام ، وهذا أعلى الدرجات ، وهى من درجات النبوة العالية ، كما أن الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة

فاياك أن يكون حظك من هذا العلم إنكار ماجاوز حد قصورك ، ففيه هلك المتحذلقون من العلماء ، الزاعمون أنهم أحاطوا بعلوم العقول . فالجهل خير من عقل يدعو إلى إنكار مثل هذه الأمور لأولياء الله تعالى . ومن أنكر ذلك للأولياء لزمه إنكار الأنبياء ، وكان خارجا عن الدين بالكلية . قال بعض العارفين : إنما انقطع الأبدال فى أطراف الأرض واستتروا عن أعين الجمهور ، لأنهم لا يطيقون النظر إلى علماء الوقت ، لأنهم عندهم جهال بالله تعالى ، وهم عند أنفسهم وعند الجاهلين علماء . قال سهل التستترى رضى الله عنه : إن من أعظم المعاصى الجهل بالجهل ، والنظر إلى العامة ، واستماع كلام أهل الغفلة ، وكل عالم خاض فى الدنيا فلا ينبغى أن يصغى إلى قوله ، بل ينبغى أن يتهم فى كل مايقول ، لأن كل إنسان يخوض فيما أحب ، ويدفع مالا يوافق محبوبه . ولذلك قال الله عز وجل (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) . والعوام العصاة أسعد حالا من الجهال بطريق الدين ، المعتقدين أنهم من العلماء ، لأن العامى العاصى معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب ، وهذا الجاهل الظان أنه عالم فان ماهو مشتغل به من العلوم التى هى وسائله إلى الدنيا عن سلوك طريق الدين ، فلا يتوب ولا يستغفر ، بل لا يزال مستمرا عليه إلى الموت

وإذ غلب هذا على أكثر الناس إلا من عصمه الله تعالى ، وانقطع الطمع من إصلاحهم ، فالأسلم لذى الدين المحتاط العزلة والانفراد عنهم ، كما سيأتى فى كتاب العزلة بيانه، إن شاء الله تعالى. ولذلك كتب يوسف بن أسباط الى حذيفة المَرْعَشى : ماظنك بمن بقى لايجد أحدا لايذكر الله تعالى معه إلا كان آثما أو كانت مذاكرته معصيةً ، وذلك أنه لايجد أهله ؟ ولقد صدق ، فان مخالطة الناس لاتنفك عن غيبة أو سماع غيبة ، أو سكوت على منكر . وإن أحسن أحواله أن يفيد علما أو يستفيده . ولو تأمل هذا المسكين وعلم أن إفادته لاتخلو عن شوائب الرياء وطلب الجمع والرياسة ، علم أن المستفيد إنما يريد أن يجعل ذلك آلة الى طلب الدنيا ، ووسيله الى الشر ، فيكون هو معينا له على ذلك ؛ وردءاً وظهيرا ومهيئا لأسبابه ، كالذى يبيع السيف من قطاع الطريق . فالعلم كالسيف ، وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو ، ولذلك لايرخص له فى البيع ممن يعلم بقرائن أحواله أنه يريد به الاستعانة على قطع الطريق

فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة منها جملة من أخلاق علماء السلف . فكن أحد رجلين : إما متصفا بهذه الصفات ، أو معترفا بالتقصير مع الإقرار به. وإياك أن تكون الثالث فتلبس على نفسك بأن بدلت آلة الدنيا بالدين ، وتشبه سيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين ، وتلتحق بجهلك وإنكارك بزمرة الهالكين الآيسين . نعوذ بالله من خدع الشيطان ، فبها هلك الجمهور. فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن لاتغره الحياة الدنيا ، ولا يغره بالله الغرور !

الباب السابع

فى العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه

بيان شرف العقل

اعلم أن هذا مما لايحتاج إلى تكلف فى إظهاره ، لاسيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل. والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه ، والعلم يجرى منه مجرى الثمرة من الشجرة ، والنور من الشمس ، والرؤية من العين ، فكيف لايشرف ماهو وسيلة السعادة فى الدنيا والآخرة ؟

أو كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل ، حتى إن أعظم البهائم بدنا وأشدها ضراوة وأفواها سطوة اذا رأى صورة الانسان احتشمه وهابه ، لشعوره باستيلائه عليه ، لما خص به من إدراك الحيل . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (١) « الشَّيْخُ فِي قَوْمِهِ كَالنَّبِيِّ فِي أُمَّتِهِ » وليس ذلك لكثرة ماله ، ولا لكبر شخصه ، ولا لزيادة قوته ، بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله ، ولذلك ترى الأتراك والأكراد وأجلاف العرب وسائر الخلق مع قرب منزلتهم من رتبة البهائم يوقرون المشايخ بالطبع ، ولذلك حين قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقعت أعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة ، هابوه ، وتراءى لهم ما كان يتلألأ على ديباجة وجهه من نور النبوة ، وإن كان ذلك باطنا في نفسه بطون العقل

فشرف العقل مدرك بالضرورة . وإنما القصد أن نورد ماوردت به الأخبار والآيات في ذكر شرفه ، وقد سماه الله نورا في قوله تعالى : (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ) . وسمى العلم المستفاد منه روحا ووحيا وحياة ، فقال تعالى : (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا) . وقال سبحانه : (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ) . وحيث ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل ، كقوله : (يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) . وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْقِلُوا عَنْ رَبِّكُمْ وَتَوَاصَوْا بِالْعَقْلِ تَعْرِفُوا مَا أُمِرْتُمْ بِهِ وَمَا نُهِيتُمْ عَنْهُ ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ يُنْجِدُكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْعَاقِلَ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَإِنْ كَانَ دَمِيمَ الْمَنْظَرِ حَقِيرَ الْخَطَرِ دَنِيَّ الْمَنْزِلَةِ رَثَّ الْهَيْئَةِ ، وَإِنَّ الْجَاهِلَ مَنْ عَصَى اللَّهَ تَعَالَى وَإِنْ كَانَ جَمِيلَ الْمَنْظَرِ عَظِيمَ الْخَطَرِ شَرِيفَ الْمَنْزِلَةِ حَسَنَ الْهَيْئَةِ فَصِيحًا نَطُوقًا ، فَالْقِرَدَةُ وَالْخَنَازِيرُ أَعْقَلُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِمَّنْ عَصَاهُ ، وَلَا تَغْتَرَّ

﴿ الباب السابع في العقل ﴾

(١) حديث الشيخ في قومه كالنبي في أمته : ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر وأبو منصور الديلمي من حديث أبي رافع بسند ضعيف

(٢) حديث يأيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل ـ الحديث : داود بن المحبر أحد الضعفاء في كتاب العقل من حديث أبي هريرة وهو في مسند الحارث بن أبي أسامة عن داود

بِتَعْظِيمِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِيَّاكُمْ فَإِنَّهُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ » . وقال صلى الله عليه وسلم (١) « أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْعَقْلَ فَقَالَ لَهُ أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ ، ثُمَّ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْكَ ، بِكَ آخُذُ ، وَبِكَ أُعْطِي ، وَبِكَ أُثِيبُ ، وَبِكَ أُعَاقِبُ » .

فان قلت : فهذا العقل إن كان عرضا فكيف خلق قبل الأجسام ؟ وإن كان جوهرا فكيف يكون جوهر قائم بنفسه ولا يتحيز ؟

فاعلم أن هذا من علم المكاشفة ، فلا يليق ذكره بعلم المعاملة . وغرضنا الآن ذكر علوم المعاملة . وعن أنس رضي الله عنه (٢) قال « أَثْنَى قَوْمٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى بَالَغُوا ، فقال صلى الله عليه وسلم : كَيْفَ عَقْلُ الرَّجُلِ ؟ فَقَالُوا : نُخْبِرُكَ عَنِ اجْتِهَادِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَأَصْنَافِ الْخَيْرِ وَتَسْأَلُنَا عَنْ عَقْلِهِ ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : إِنَّ الْأَحْمَقَ يُصِيبُ بِحَمْقِهِ أَكْثَرَ مِنْ فُجُورِ الْفَاجِرِ ، وَإِنَّمَا يَرْتَفِعُ الْعِبَادُ غَدًا فِي الدَّرَجَاتِ الزُّلْفَى مِنْ رَبِّهِمْ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ » . وعن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) « مَا اكْتَسَبَ رَجُلٌ مِثْلَ فَضْلِ عَقْلٍ يَهْدِي صَاحِبَهُ إِلَى هُدًى وَيَرُدُّهُ عَنْ رَدًى ، وَمَا تَمَّ إِيمَانُ عَبْدٍ وَلَا اسْتَقَامَ دِينُهُ حَتَّى يَكْمُلَ عَقْلُهُ » . وقال صلى الله عليه وسلم (٤) « إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ ، وَلَا يَتِمُّ لِرَجُلٍ حُسْنُ خُلُقِهِ حَتَّى يَتِمَّ عَقْلُهُ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَمَّ إِيمَانُهُ وَأَطَاعَ رَبَّهُ وَعَصَى عَدُوَّهُ إِبْلِيسَ »

---

(١) حديث أول ما خلق الله العقل قال له أقبل ـ الحديث : الطبراني في الأوسط من حديث أبي أمامة وأبو نعيم من حديث عائشة باسنادين ضعيفين

(٢) حديث أنس أثنى قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا في الثناء فقال : كيف عقل الرجل الحديث : ابن المحبر في العقل بتمامه والترمذي الحكيم في النوادر مختصراً

(٣) حديث عمر ما اكتسب رجل مثل فضل عقل ـ الحديث : ابن المحبر في العقل وعنه الحارث بن أبي أسامة

(٤) حديث إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله الحديث : ابن المحبر من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به . والحديث عند الترمذي مختصر دون قوله ولا يتم ، من حديث عائشة وصححه

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] « لِكُلِّ شَيْءٍ دِعَامَةٌ وَدِعَامَةُ ٱلْمُؤْمِنِ عَقْلُهُ ، فَبِقَدْرِ عَقْلِهِ تَكُونُ عِبَادَتُهُ ، أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ ٱلْفُجَّارِ فِي النَّارِ : «لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ ٱلسَّعِيرِ!» . وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لتميم الداري[٢] : « مَا ٱلسُّؤْدَدُ فِيكُمْ ؟ قَالَ ٱلْعَقْلُ . قَالَ : صَدَقْتَ :سَأَلْتُ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم كَمَا سَأَلْتُكَ فَقَالَ كَمَا قُلْتَ ، ثُمَّ قَالَ : سَأَلْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : مَا ٱلسُّؤْدَدُ فَقَالَ : ٱلْعَقْلُ » وعن البراء بن عازب رضي الله عنه[٣] قال « كَثُرَتْ ٱلْمَسَائِلُ يَوْمًا عَلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مَطِيَّةً وَمَطِيَّةُ ٱلْمَرْءِ ٱلْعَقْلُ ، وَأَحْسَنُكُمْ دَلَالَةً وَمَعْرِفَةً بِٱلْحُجَّةِ أَفْضَلُكُمْ عَقْلًا » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال[٤] « لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ غَزْوَةِ أُحُدٍ سَمِعَ النَّاسَ يَقُولُونَ : فُلَانٌ أَشْجَعُ مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانٌ أَبْلَى مَالَمْ يُبْلِ فُلَانٌ وَنَحْوُ هَذَا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَمَّا هَذَا فَلَا عِلْمَ لَكُمْ بِهِ ، قَالُوا : وَكَيْفَ ذَلِكَ يَارَسُولَ ٱللهِ ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : إِنَّهُمْ قَاتَلُوا عَلَى قَدْرِ مَاقَسَمَ ٱللهُ لَهُمْ مِنَ ٱلْعَقْلِ ، وَكَانَتْ نُصْرَتُهُمْ وَنِيَّتُهُمْ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ فَأُصِيبَ مِنْهُمْ مَنْ أُصِيبَ عَلَى مَنَازِلَ شَتَّى ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ ٱلْقِيَامَةِ ٱقْتَسَمُوا ٱلْمَنَازِلَ عَلَى قَدْرِ نِيَّاتِهِمْ وَقَدْرِ عُقُولِهِمْ » .

وعن البراء بن عازب أنه صلى الله عليه وسلم قال[٥] : « جَدَّ ٱلْمَلَائِكَةُ وَٱجْتَهَدُوا

---

(١) حديث أبي سعيد لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله ـ الحديث : ابن المحبر وعنه الحارث

(٢) حديث عمر أنه قال لتميم الداري ما السودد فيكم قال العقل قال صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الحديث : ابن المحبر وعنه الحارث

(٣) حديث البراء كثرت المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يأيها الناس ان لكل شيء مطية ـ الحديث : ابن المحبر وعنه الحارث

(٤) حديث أبي هريرة لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون كان فلان أشجع من فلان ـ الحديث : ابن المحبر

(٥) حديث البراء بن عازب جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله بالعقل ـ الحديث ابن المحبر كذلك وعنه الحارث في مسنده ورواه البغوي في معجم الصحابة من حديث ابن عازب رجل من الصحابة غير البراء وهو بالسند الذي رواه ابن المحبر

فِي طَاعَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْعَقْلِ ، وَجَدَّ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ فَأَعْمَلُهُم بِطَاعَةِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ أَوفَرُهُمْ عَقْلاً » . وعن عائشة رضى الله عنها قالت[1] «قُلْتُ يَارَسُولَ اللهِ بِمَ يَتَفَاضَلُ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا ؟ قَالَ : بِالْعَقْلِ ، قُلْتُ : وَفِي الآخِرَةِ ؟ قَالَ : بِالْعَقْلِ ، قُلْتُ أَلَيْسَ إِنَّمَا يُجْزَوْنَ بِأَعْمَالِهِمْ ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : يَاعَائِشَةُ : وَهَلْ عَمِلُوا إِلاَّ بِقَدْرِ مَا أَعْطَاهُمْ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْعَقْلِ ؟ فَبِقَدْرِ مَا أُعْطُوا مِنَ الْعَقْلِ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ ، وَبِقَدْرِ مَاعَمِلُوا يُجْزَوْنَ »

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] « لِكُلِّ شَيْءٍ آلَةٌ وَعُدَّةٌ ، وَإِنَّ آلَةَ الْمُؤْمِنِ الْعَقْلُ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ مَطِيَّةٌ وَمَطِيَّةُ الْمَرْءِ الْعَقْلُ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ دِعَامَةٌ وَدِعَامَةُ الدِّينِ الْعَقْلُ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ غَايَةٌ وَغَايَةُ الْعِبَادِ الْعَقْلُ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ دَاعٍ وَدَاعِي الْعَابِدِينَ الْعَقْلُ ، وَلِكُلِّ تَاجِرٍ بِضَاعَةٌ وَبِضَاعَةُ الْمُجْتَهِدِينَ الْعَقْلُ ، وَلِكُلِّ أَهْلِ بَيْتٍ قَيِّمٌ وَقَيِّمُ بُيُوتِ الصِّدِّيقِينَ الْعَقْلُ ، وَلِكُلِّ خَرَابٍ عِمَارَةٌ وَعِمَارَةُ الآخِرَةِ الْعَقْلُ ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ عَقِبٌ يُنْسَبُ إِلَيْهِ وَيُذْكَرُ بِهِ وَعَقِبُ الصِّدِّيقِينَ الَّذِي يُنْسَبُونَ إِلَيْهِ وَيُذْكَرُونَ بِهِ الْعَقْلُ ، وَلِكُلِّ سَفَرٍ فُسْطَاطٌ وَفُسْطَاطُ الْمُؤْمِنِينَ الْعَقْلُ » وقال صلى الله عليه وسلم[3] : « إِنَّ أَحَبَّ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ نَصَبَ فِي طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَنَصَحَ لِعِبَادِهِ وَكَمَلَ عَقْلُهُ وَنَصَحَ نَفْسَهُ فَأَبْصَرَ ، وَعَمِلَ بِهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِ فَأَفْلَحَ وَأَنْجَحَ» .

وقال صلى الله عليه وسلم[4] « أَتَمُّكُمْ عَقْلاً أَشَدُّكُمْ لِلهِ تَعَالَى خَوْفًا وَأَحْسَنُكُمْ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ نَظَرًا ، وَإِنْ كَانَ أَقَلَّكُمْ تَطَوُّعًا »

---

(١) حديث عائشة قلت يارسول الله بأى شىء يتفاضل الناس فى الدنيا قال بالعقل ـ الحديث ابن المحبر والترمذى الحكيم فى النوادر نحوه

(٢) حديث ابن عباس لكل شىء آلة وعدة وان آلة المؤمن العقل ـ الحديث: ابن المحبر وعنه الحارث

(٣) حديث ان أحب المؤمنين الى الله من نصب فى طاعة الله ـ الحديث ابن المحبر من حديث ابن عمر ورواه أبومنصور الديلمى فى مسند الفردوس باسناد آخر ضعيف

(٤) حديث أتمكم عقلا أشدكم لله خوفا ـ الحديث : ابن المحبر من حديث أبى قتادة

بيان حقيقة العقل وأقسامه

اعلم أن الناس اختلفوا فى حد العقل وحقيقته ، وذهل الأكثرون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة ، فصار ذلك سبب اختلافهم

والحق الكاشف للغطاء فيه : أن العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان ، كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة ، وما يجرى هذا المجرى ، فلا ينبغى أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد ، بل يفرد كل قسم بالكشف عنه

فالأول — الوصف الذى يفارق الانسان به سائر البهائم ، وهو الذى استعدّ به لقبول العلوم النظرية ، وتدبير الصناعات الخفية الفكرية ، وهو الذى أراده الحارث بن أسد المحاسبي حيث قال فى حد العقل : إنه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية ، وكأنه نور يقذف فى القلب به يستعد لادراك الأشياء . ولم ينصف من أنكر هذا ورد العقل الى مجرد العلوم الضرورية ، فان الغافل عن العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع فقد العلوم. وكما أن الحياة غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية ، فكذلك العقل غريزة بها تتهيأ بعض الحيوانات للعلوم النظرية .ولو جاز أن يسوى بين الانسان والحمار فى الغريزة والادراكات الحسية ، فيقال : لافرق بينهما إلا أن الله تعالى بحكم إجراء العادة يخلق فى الانسان علوما وليس يخلقها فى الحمار والبهائم ، لجاز أن يسوّى بين الحمار والجماد فى الحياه ،ويقال: لافرق إلا أن الله عز وجل يخلق فى الحمار حركاتٍ مخصوصةً بحكم إجراء العادة ، فانه لو قدر الحمار جمادا ميتا لوجب القول بأن كل حركة تشاهد منه فالله سبحانه وتعالى قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد ، وكما وجب أن يقال : لم يكن مفارقته للجماد فى الحركات إلا بغريزة اختصت به عبر عنها بالحياة ، فكذا مفارقة الانسان البهيمة فى إدراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل ، وهو كالمرآة التى تفارق غيرها من الأجسام فى حكاية الصور والألوان بصفة اختصت بها وهى الصقالة ، وكذلك العين تفارق الجبهة فى صفات وهيئات بها استعدت للرؤية . فنسبة هذه الغريزة الى العلوم كنسبة العين الى الرؤية ، ونسبة القرءان والشرع إلى هذه الغريزة فى سياقها الى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس الى البصر، فهكذا ينبغى أن تفهم هذه الغريزة

الثانى ـ هى العلوم التى تخرج إلى الوجود فى ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات : كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد ، وأن الشخص الواحد لايكون فى مكانين فى وقت واحد ، وهو الذى عناه بعض المتكلمين حيث قال فى حد العقل : إنه بعض العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات . وهو أيضا صحيح فى نفسه ، لأن هذه العلوم موجودة ، وتسميتها عقلا ظاهر ، وإنما الفاسد أن تنكر تلك الغريزة ويقال : لا موجود إلا هذه العلوم

الثالث ـ علوم تستفاد من التجارب بمجارى الأحوال ، فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال إنه عاقل فى العادة ، ومن لايتصف بهذه الصفة فيقال إنه غبى غمر جاهل ، فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا

الرابع ـ أن تنتهى قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ، ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها ، فاذا حصلت هذه القوة سمى صاحبها عاقلا ، من حيث إن إقدامه وإحجامه بحسب ما يقتضيه النظر فى العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة ، وهذه أيضا من خواص الانسان التى بها يتميز عن سائر الحيوان . فالأول هو الأس والسنخ والمنبع ، والثانى هو الفرع الأقرب اليه ، والثالث فرع الأول والثانى ، إذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب ، والرابع هو الثمرة الأخيرة وهى الغاية القصوى ، فالأولان بالطبع ، والأخيران بالاكتساب ، ولذلك قال علىّ كرم الله وجهه :

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع
كما لاتنفع الشمس وضوء العين ممنوع

والأول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم :[1] «مَاخَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَقْلِ» والأخير هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم[2] «إِذَا تَقَرَّبَ النَّاسُ بِأَبْوَابِ الْبِرِّ

(١) حديث ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل : الترمذى الحكيم فى النوادر بسند ضعيف من رواية الحسن عن عدة من الصحابة

(٢) حديث اذا تقرب الناس بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك : أبو نعيم فى الحلية من حديث على اذا اكتسب الناس من أنواع البر ليتقربوا بها الى ربنا عز وجل فاكتسب أنت من أنواع العقل تسبقهم بالزلفة والقرب . واسناده ضعيف

وَالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَتَقَرَّبْ أَنْتَ بِعَقْلِكَ » وهو المراد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى الدرداء رضى الله عنه[1] « أُزْدَدْ عَقْلًا تَزْدَدْ مِنْ رَبِّكَ قُرْبًا » فَقَالَ : بِأَبِى أَنْتَ وَأُمِّى وَكَيْفَ لِى بِذَلِكَ ؟ فقال : « أُجْتَنِبْ مَحَارِمَ اللهِ تَعَالَى وَأَدِّ فَرَائِضَ اللهِ سُبْحَانَهُ تَكُنْ عَاقِلًا ، وَاعْمَلْ بِالصَّالِحَاتِ مِنَ الأَعْمَالِ تَزْدَدْ فِى عَاجِلِ الدُّنْيَا رِفْعَةً وَكَرَامَةً وَتَنَلْ فِى آجِلِ الْعُقْبَى بِهَا مِنْ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ الْقُرْبَ وَالْعِزَّ » وعن سعيد بن المسيب[2] « أَنَّ عُمَرَ وَأُبَىَّ بْنَ كَعْبٍ وَأَبَا هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ دَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا : يَارَسُولَ اللهِ مَنْ أَعْلَمُ النَّاسِ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : الْعَاقِلُ . قَالُوا: فَمَنْ أَعْبَدُ النَّاسِ ؟ قَالَ : الْعَاقِلُ . قَالُوا : فَمَنْ أَفْضَلُ النَّاسِ؟ قَالَ: الْعَاقِلُ . قَالُوا : أَلَيْسَ الْعَاقِلُ مَنْ تَمَّتْ مُرُوءَتُهُ وَظَهَرَتْ فَصَاحَتُهُ وَجَادَتْ كَفُّهُ وَعَظُمَتْ مَنْزِلَتُهُ ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ » إن العاقل هو المتقى وإن كان فى الدنيا خسيسا ذليلا ، قال صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر[3] « إِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَصَدَّقَ رُسُلَهُ وَعَمِلَ بِطَاعَتِهِ » .

ويشبه أن يكون أصل الاسم فى أصل اللغة لتلك الغريزة وكذا فى الاستعمال، وإنما أطلق على العلوم من حيث إنها ثمرتها كما يعرف الشىء بثمرته ، فيقال : العلم هو الخشية ، والعالم من يخشى الله تعالى ،فان الخشية ثمرة العلم ، فتكون كالمجاز لغير تلك الغريزة ، ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة . والمقصود أن هذه الأقسام الأربعة موجودة ، والاسم يطلق على جميعها ، ولا خلاف فى وجود جميعها إلا فى القسم الأول . والصحيح وجودها ،بل هى الأصل ،وهذه العلوم كأنها مضمنة فى تلك الغريزة بالفطرة ، ولكن تظهر فى الوجود إذا جرى سبب

---

(١) حديث ازدد عقلا تزدد من ربك قربا ـ الحديث : قاله لأبى الدرداء : ابن المحبر ومن طريقه الحارث ابن أبي أسامة والترمذى الحكيم في النوادر .

(٢) حديث ابن المسيب أن عمر وأبى بن كعب وأبا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس فقال العاقل ـ الحديث : ابن المحبر

(٣) حديث إنما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته : ابن المحبر من حديث سعيد بن المسيب مرسلا وفيه قصة

يخرجها الى الوجود ، حتى كأن هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج ، وكأنها مستكنة فيها فظهرت . ومثاله الماء فى الأرض ، فانه يظهر بحفر البئر ، ويجتمع ويتميز بالحس ، لا بأن يساق اليها شيء جديد . وكذلك الدهن فى اللوز ، وماء الورد فى الورد ، ولذلك قال تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى) فالمراد به إقرار نفوسهم لا إقرار الألسنة ، فانهم انقسموا فى إقرار الألسنة حيث وجدت الألسنة والأشخاص الى مقرّ والى جاحد ، ولذلك قال تعالى : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) معناه : إن اعتبرت أحوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) أى كل آدمى فطر على الايمان بالله عز وجل ، بل على معرفة الأشياء على ما هى عليه ، أعنى أنها كالمضمنة فيها لقرب استعدادها للادراك

ثم لما كان الايمان مركوزا فى النفوس بالفطرة انقسم الناس إلى قسمين : إلى من أعرض فنسى وهم الكفار ، وإلى من أجال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها . ولذلك قال عز وجل : (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)(وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)(وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ) (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ). وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد ، فكأن التذكر ضربان : أحدهما أن يذكر صورة كانت حاضرة الوجود فى قلبه لكن غابت بعد الوجود ، والآخر أن يذكر صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة . وهذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ، ثقيلة على من مستروحه السماع والتقليد دون الكشف والعيان ، ولذلك تراه يتخبط فى مثل هذه الآيات ، ويتعسف فى تأويل التذكر وإقرار النفوس أنواعا من التعسفات ، ويتخايل اليه فى الأخبار والآيات ضروب من المناقضات ، وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر اليها بعين الاستحقار ، ويعتقد فيها التهافت . ومثاله مثال الأعمى الذى يدخل دارا فيعثر فيها بالأوانى المصفوفة فى الدار فيقول : ما لهذه الأوانى لا ترفع من الطريق وترد إلى مواضعها ؟ فيقال له إنها فى مواضعها وإنما الخلل فى بصرك . فكذلك خلل البصيرة يجرى مجراه وأطمّ منه وأعظم ، إذ النفس كالفارس ، والبدن كالفرس ، وعمى الفارس أضر من عمى الفرس .

ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى : (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى) وقال تعالى :(وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) الآية. وسمّى ضده عمى،فقال تعالى :(فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) وقال تعالى :(وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا). وهذه الأمور التى كشفت للأنبياء بعضها كان بالبصر وبعضها كان بالبصيرة ،وسمى الكل رؤية

وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة ،لم يعلق به من الدين إلا قشوره ، وأمثلته دون لبابه وحقائقه . فهذه أقسام ما ينطلق اسم العقل عليها

بيان تفاوت النفوس فى العقل

قد اختلف الناس فى تفاوت العقل ، ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قلّ تحصيله ، بل الأولى والأهم المبادرة الى التصريح بالحق

والحق الصريح فيه أن يقال : إن التفاوت يتطرق الى الأقسام الأربعة سوى القسم الثانى وهو العلم الضرورى بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات ، فان من عرف أن الاثنين أكثر من الواحد عرف أيضا استحالة كون الجسم فى مكانين ، وكون الشيء الواحد قديما حادثا ، وكذا سائر النظائر وكل مايدركه إدراكا محققا من غير شك . وأما الأقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق اليها

أما القسم الرابع وهو استيلاء القوّة على قمع الشهوات ، فلا يخفى تفاوت الناس فيه ، بل لايخفى تفاوت أحوال الشخص الواحد فيه ، وهذا التفاوت يكون تارة لتفاوت الشهوة ، إذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ، ولكن غير مقصور عليه ، فان الشاب قد يعجز عن ترك الزنا ، واذا كبر وتم عقله قدر عليه ، وشهوة الرياء والرياسة تزداد قوّة بالكبر لا ضعفا ، وقد يكون سببه التفاوت فى العلم المعرف لغائلة تلك الشهوة ، ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الأطعمة المضرة ، وقد لا يقدر من يساويه فى العقل على ذلك إذا لم يكن

طبيبا وإن كان يعتقد على الجملة فيه مضرة ، ولكن اذا كان علم الطبيب أتم كان خوفه أشد ، فيكون الخوف جندا للعقل وعُدّة له فى قمع الشهوات وكسرها ، وكذلك يكون العالم أقدر على ترك المعاصى من الجاهل لقوّة علمه بضرر المعاصى، وأعنى به العالم الحقيق دون أرباب الطيالسة وأصحاب الهذيان . فان كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع الى تفاوت العقل، وإن كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلا أيضا ، فانه يقوى غريزة العقل ، فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية اليه . وقد يكون بمجرد التفاوت فى غريزة العقل ، فانها اذا قويت كان قمعها للشهوة لامحالة أشد

وأما القسم الثالث وهو علوم التجارب، فتفاوت الناس فيها لا ينكر ، فانهم يتفاوتون بكثرة الإصابة وسرعة الإدراك ، ويكون سببه إما تفاوتا فى الغريزة ، وإما تفاوتا فى الممارسة. فأما الأول وهو الأصل أعنى الغريزة ، فالتفاوت فيه لاسبيل إلى جحده ، فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه . ومبادىء إشراقه عند سن التميز ، ثم لايزال ينمو ويزداد نموا خفى التدريج إلى أن يتكامل بقرب الأربعين سنة . ومثاله نور الصبح ، فان أوائله يخفى خفاء يشق إدراكه ، ثم يتدرج إلى الزيادة ، إلى أن يكمل بطلوع قرص الشمس

وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر، والفرق مدرك بين الأعمش وبين حاد البصر، بل سنة الله عزوجل جارية فى جميع خلقه بالتدريج فى الإيجاد ، حتى إن غريزة الشهوة لاتظهر فى الصبي عند البلوغ دفعة وبغتة بل تظهر شيئا فشيئا على التدريج، وكذلك جميع القوى والصفات. ومن أنكر تفاوت الناس فى هذه الغريزة فكأنه منخلع عن ربقة العقل

ومن ظن أن عقل النبي صلى الله عليه وسلم مثل عقل آحاد السوادية وأجلاف البوادى فهو أخس فى نفسه من آحاد السوادية ، وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلف الناس فى فهم العلوم ، ولما انقسموا الى بليد لايفهم بالتفهيم إلا بعد تعب طويل من المعلم ، والى ذكى يفهم بأدنى رمز وإشارة ، والى كامل تنبعث من نفسه حقائق الأمور بدون التعليم، كما قال تعالى : (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ، نُورٌ عَلَى نُورٍ) وذلك مثل الأنبياء عليهم السلام، إذ يتضح لهم فى بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم وسماع ، ويعبر عن ذلك بالالهام . وعن مثله

عبّر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال[١] «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي: أَحْبِبْ مَنْ أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَعِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ». وهذا النمط من تعريف الملائكة للأنبياء يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة الأذن، ومشاهدة الملك بحاسة البصر، ولذلك أخبر عن هذا بالنفث في الروع. ودرجات الوحي كثيرة، والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة، بل هو من علم المكاشفة

ولا تظنن أن معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي، إذ لا يبعد أن يعرّف الطبيبُ المريضَ درجات الصحة، ويعلّم العالم الفاسقَ درجات العدالة وإن كان خاليا عنها، فالعلم شيء ووجود المعلوم شيء آخر، فلا كل من عرف النبوّة والولاية كان نبيا ولا وليا، ولا كل من عرف التقوى والورع ودقائقه كان تقيا

وانقسام الناس إلى من يتنبه من نفسه ويفهم، والى من لا يفهم إلا بتنبيه وتعليم، والى من لا ينفعه التعليم أيضا ولا التنبيه، كانقسام الأرض الى ما يجتمع فيه الماء فيقوى فيتفجر بنفسه عيونا، والى ما يحتاج الى الحفر ليخرج الى القنوات، والى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس، وذلك لاختلاف جواهر الأرض في صفاتها، فكذلك اختلاف النفوس في غريزة العقل. ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روى أن عبد الله بن سلام رضى الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت[٢]: يَا رَبَّنَا هَلْ خَلَقْتَ شَيْئًا أَعْظَمَ مِنَ الْعَرْشِ؟ قَالَ نَعَمْ: الْعَقْلُ، قالوا وَمَا بَلَغَ مِنْ قَدْرِهِ؟ قَالَ هَيْهَاتَ لَا يُحَاطُ بِعِلْمِهِ، هَلْ لَكُمْ عِلْمٌ بِعَدَدِ الرَّمْلِ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنِّي خَلَقْتُ الْعَقْلَ أَصْنَافًا شَتَّى كَعَدَدِ الرَّمْلِ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ أُعْطِيَ حَبَّةً، وَمِنْهُمْ مَنْ أُعْطِيَ حَبَّتَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُعْطِيَ الثَّلَاثَ وَالْأَرْبَعَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُعْطِيَ فَرَقًا، وَمِنْهُمْ مَنْ أُعْطِيَ وَسْقًا، وَمِنْهُمْ مَنْ أُعْطِيَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»

---

(١) ان روح القدس نفث فى روعى أحبب من أحببت فانك مفارقه ـ الحديث: الشيرازى في الألقاب من حديث سهل بن سعد نحوه والطبرانى فى الأصغر والأوسط من حديث على وكلاهما ضعيف

(٢) حديث ابن سلام سئل النبي صلي الله عليه وسلم فى حديث طويل فى آخره وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت يارب هل خلقت شيئا أعظم من العرش ـ الحديث: ابن المحبر من حديث أنس بتمامه والترمذي الحكيم في النوادر مختصرا

فإن قلت : فما بال أقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول ؟

فاعلم أن السبب فيه أن الناس نقلوا اسم العقل والمعقول الى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والإلزامات ، وهو صنعة الكلام ، فلم يقدروا على أن يقرروا عندهم أنكم أخطأتم فى التسمية ، إذ كان ذلك لا ينمحى عن قلوبهم بعد تداول الألسنة به ورسوخه فى القلوب ، فذموا العقل والمعقول ، وهو المسمى به عندهم . فأما نور البصيرة الباطنة التى بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق رسله فكيف يتصور ذمه وقد أثنى الله تعالى عليه ؟ وإن ذم فما الذى بعده يحمد ؟ فان كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع ؟ فان علم بالعقل المذموم الذى لا يوثق به فيكون الشرع أيضا مذموما . ولا يلتفت إلى من يقول: إنه يدرك بعين اليقين ونور الايمان لا بالعقل ، فانا نريد بالعقل ما يريده بعين اليقين ونور الايمان ، وهى الصفة الباطنة التى يتميز بها الآدمى عن البهائم حتى أدرك بها حقائق الأمور

وأكثر هذه التخبيطات إنما ثارت من جهل أقوام طلبوا الحقائق من الألفاظ فتخبطوا فيها لتخبط اصطلاحات الناس فى الألفاظ . فهذا القدر كاف فى بيان العقل . والله أعلم

تم كتاب العلم بحمد الله تعالى ومنّه . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب قواعد العقائد . والحمد لله وحده أولاً وآخراً

كتاب قواعد العقائد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب قواعد العقائد

وفيه أربعة فصول

الفصل الأول

في ترجمة عقيدة أهل السنة في كلمتي الشهادة التي هي أحد مباني الإسلام

فنقول وبالله التوفيق :

الحمد لله المبدىء المعيد ، الفعال لما يريد ، ذي العرش المجيد ، والبطش الشديد ، الهادي صفوة العبيد ، الى المنهج الرشيد ، والمسلك السديد ، المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد ، السالك بهم الى اتباع رسوله المصطفى واقتفاء آثار صحبه الأكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد ، المتجلي لهم في ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التي لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد ، المعرِّف إياهم أنه في ذاته واحد لا شريك له ، فرد لا مثيل له ، صمد لا ضد له ، منفرد لا ندّ له ، وأنه واحد قديم لا أول له ، أزلي لا بداية له ، مستمر الوجود لا آخر له ، أبديّ لا نهاية له ، قيوم لا انقطاع له ، دائم لا انصرام له ، لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال ، لا يقضي عليه بالانقضاء والانفصال ، بتصرم الآباد وانقراض الآجال ، بل هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم

التنزيه :

وأنه ليس بجسم مصور ، ولا جوهر محدود مقدر ، وأنه لا يماثل الأجسام ، لا في التقدير ولا في قبول الانقسام ، وأنه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ، ولا بعرض ولا تحله الأعراض ، بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود ، ليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء ، وأنه لا يحده المقدار ، ولا تحويه الأقطار ، ولا تحيط به الجهات ، ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات ، وأنه

مستو على العرش على الوجه الذى قاله ، وبالمعنى الذى أراده ، استواء منزها عن المماسة والاستقرار ، والتمكن والحلول والانتقال ، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ، ومقهورون فى قبضته ، وهو فوق العرش والسماء ، وفوق كل شىء إلى تخوم الثرى ، فوقية لا تزيده قربا إلى العرش والسماء ، كما لا تزيده بعدا عن الأرض والثرى ، بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء ، كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى ، وهو مع ذلك قريب من كل موجود ، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد ، وهو على كل شىء شهيد ، إذ لا يماثل قربه قربَ الأجسام ، كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام ، وأنه لا يحل فى شىء ولا يحل فيه شىء ، تعالى عن أن يحويه مكان ، كما تقدس عن أن يحده زمان ، بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان ، وهو الآن على ما عليه كان ، وأنه بائن عن خلقه بصفاته ، ليس فى ذاته سواه ، ولا فى سواه ذاته ، وأنه مقدس عن التغير والانتقال ، لا تحله الحوادث ، ولا تعتريه العوارض ، بل لا يزال فى نعوت جلاله منزها عن الزوال ، وفى صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال ، وأنه فى ذاته معلوم الوجود بالعقول ، مرئىّ الذات بالأبصار ، نعمةً منه ولطفا بالأبرار فى دار القرار ، وإتماماً منه للنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم

الحياة والقدرة :

وأنه تعالى حى قادر ، جبار قاهر ، لا يعتريه قصور ولا عجز ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا يعارضه فناء ولا موت ، وأنه ذو الملك والملكوت ، والعزة والجبروت ، له السلطان والقهر ، والخلق والأمر ، والسموات مطويات بيمينه ، والخلائق مقهورون فى قبضته ، وأنه المنفرد بالخلق والاختراع ، المتوحد بالإيجاد والابداع ، خلق الخلق وأعمالهم ، وقدّر أرزاقهم وآجالهم ، لا يشذ عن قبضته مقدور ، ولا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور ، لا تحصى مقدوراته ، ولا تتناهى معلوماته

العلم :

وأنه عالم بجميع المعلومات ، محيط بما يجرى من تخوم الأرضين إلى أعلى السموات ، وأنه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، بل يعلم دبيب النملة السوداء ، على

الصخرة الصماء ، فى الليلة الظلماء ، ويدرك حركة الذرّ فى جوّ الهواء ، ويعلم السر وأخفى ، ويطلع على هواجس الضمائر ، وحركات الخواطر ، وخفيات السرائر ، بعلم قديم أزلى لم يزل موصوفا به فى أزل الآزال ، لا بعلم متجدد حاصل فى ذاته بالحلول والانتقال

الإرادة :

وأنه تعالى مريد للكائنات مدبر للحادثات ، فلا يجرى فى الملك والملكوت قليل أو كثير، صغير أو كبير، خير أو شر ،نفع أوضر، إيمان أو كفر، عرفان أو نكر، فوز أو خسران، زيادة أو نقصان ،طاعة أو عصيان ، إلا بقضائه وقدره ، وحكمته ومشيئته ، فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن ، لايخرج عن مشيئته لفتة ناظر ، ولا فلتة خاطر ، بل هو المبدىء المعيد ، الفعال لما يريد ، لا رادّ لأمره ، ولا معقب لقضائه ، ولا مهرب لعبد عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته ، ولا قوّة له على طاعته إلا بمشيئته وإرادته ، فلو اجتمع الإنس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا فى العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته لعجزوا عن ذلك ، وأن إرادته قائمة بذاته فى جملة صفاته ، لم يزل كذلك موصوفا بها ، مريداً فى أزله لوجود الأشياء فى أوقاتها التى قدّرها فوجدت فى أوقاتها كما أراده فى أزله من غير تقدّم ولا تأخر ، بل وقعت على وفق علمه وإراته من غير تبدل ولا تغير ، دبر الأمور لا بترتيب أفكار ، ولا تربص زمان ، فلذلك لم يشغله شان عن شان

السمع والبصر :

وأنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى ، لايعزب عن سمعه مسموع وإن خفى ، ولايغيب عن رؤيته مرئىّ وإن دقّ ، ولا يحجب سمعه بُعد ، ولا يدفع رؤيته ظلام ، يرى من غير حدقة وأجفان ، ويسمع من غير أصمخة وآذان ، كما يعلم بغير قلب ، ويبطش بغير جارحة ، ويخلق بغير آلة ، إذ لاتشبه صفاته صفات الخلق ، كما لاتشبه ذاته ذوات الخلق .

الكلام :

وأنه تعالى متكلم آمرٌ ناهٍ ، واعدٌ متوعد ، بكلام أزلى قديم قائم بذاته ، لا يشبه كلام الخلق ، فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو اصطكاك أجرام ، ولا بحرف ينقطع

باطباق شفة أو تحريك لسان ، وأن القرءان والتوراة والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله عليهم السلام ، وأن القرءان مقروء بالألسنة ، مكتوب فى المصاحف ، محفوظ فى القلوب ، وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى ، لا يقبل الانفصال والافتراق ، بالانتقال إلى القلوب والأوراق ، وأن موسى صلى الله عليه وسلم سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف ، كما يرى الأبرار ذات الله تعالى فى الآخرة من غير جوهر ولا عرض ، وإذا كانت له هذه الصفات كان حياً ، عالما ، قادراً ، مريدا ، سميعا ، بصيراً ، متكلماً ، بالحياة ، والقدرة ، والعلم ، والارادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، لا بمجرد الذات

الأفعال :

وأنه سبحانه وتعالى لاموجود سواه إلا وهو حادث بفعله ، وفائض من عدله ، على أحسن الوجوه وأكملها ، وأتمها وأعدلها ، وأنه حكيم فى أفعاله ، عادل فى أقضيته ، لا يقاس عدله بعدل العباد ، إذ العبد يتصوّر منه الظلم بتصرفه فى ملك غيره ، ولا يتصوّر الظلم من الله تعالى ، فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما ، فكل ما سواه من إنس وجن ، وملك وشيطان وسماء وأرض وحيوان ، ونبات وجماد وجوهر وعرض ، ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا ، وأنشأه إنشاء بعد أن لم يكن شيئا ، إذ كان فى الأزل موجوداً وحده ولم يكن معه غيره ، فأحدث الخلق بعد ذلك إظهاراً لقدرته ، وتحقيقا لما سبق من إرادته ، ولما حق فى الأزل من كلمته ، لا لافتقاره اليه وحاجته ، وأنه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ، ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم ، فله الفضل والإحسان والنعمة والامتنان ، إذ كان قادراً على أن يصب على عباده أنواع العذاب ، ويبتليهم بضروب الآلام والأوصاب . ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ، ولم يكن منه قبيحا ولا ظلما ، وأنه عز وجل يثيب عباده المؤمنين على الطاعات بحكم الكرم والوعد ، لا بحكم الاستحقاق واللزوم له ، إذ لا يجب عليه لأحد فعل ، ولا يتصور منه ظلم ، ولا يجب لأحد عليه حق ، وأن حقه فى الطاعات وجب على الخلق بإيجابه على ألسنة أنبيائه عليهم السلام لا بمجرد العقل ، ولكنه بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة ، فبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده ، فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به

معنى الكلمة الثانية وهى الشهادة للرسل بالرسالة

وأنه بعث النبي الأمى القرشى محمداً صلى الله عليه وسلم برسالته إلى كافة العرب والعجم والجن والانس، فنسخ بشريعته الشرائع إلا ماقرره منها، وفضّله على سائر الأنبياء، وجعله سيد البشر، ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد، وهو قول لا إله إلا الله مالم تقترن بها شهادة الرسول وهو قولك. محمد رسول الله، وألزم الخلق تصديقه فى جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة، وأنه لا يتقبل إيمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت، وَأَوَّلُهُ سُؤَالُ (١) مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَهُمَا شَخْصَانِ مُهِيبَانِ هَائِلَانِ يُقْعِدَانِ الْعَبْدَ فِي قَبْرِهِ سَوِيًّا ذَا رُوحٍ وَجَسَدٍ فَيَسْأَلَانِهِ عَنِ التَّوْحِيدِ وَالرِّسَالَةِ، وَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ وَهُمَا (٢) فَتَّانَا الْقَبْرِ (٣)، وَسُؤَالُهُمَا أَوَّلُ فِتْنَةٍ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَنْ يُؤْمِنَ (٤) بِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَنَّهُ حَقٌّ وَحُكْمُهُ عَدْلٌ عَلَى الْجِسْمِ وَالرُّوحِ عَلَى مَا يَشَاءُ (٥)، وَأَنْ يُؤْمِنَ بِالْمِيزَانِ ذِي الْكَفَّتَيْنِ وَاللِّسَانِ وَصِفَتُهُ فِي الْعِظَمِ أَنَّهُ مِثْلُ طَبَقَاتِ

---

(١) حديث سؤال منكر ونكير: الترمذي وصححه وابن حبان من حديث أبى هريرة اذا قبر الميت أو قال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير. وفى الصحيحين من حديث أنس أن العبد اذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وأنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعد انه ـ الحديث

(٢) حديث انهما فتانا القبر: أحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمر وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فتانى القبر فقال عمر: أترد علينا عقولنا ـ الحديث

(٣) حديث ان سؤالهما أول فتنة بعد الموت: لم أجده

(٤) حديث عذاب القبر: أخرجاه من حديث عائشة انكم تفتنون أو تعذبون فى قبوركم ـ الحديث. ولهما من حديث أبى هريرة وعائشة استعاذته صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر

(٥) حديث الايمان بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته فى العظم انه مثل طباق السموات والارض: البيهقي فى البعث من حديث عمر قال الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالجنة والناو والميزان ـ الحديث. وأصله عند مسلم ليس فيه ذكر الميزان ولأبى داود من حديث عائشة أما فى ثلاثه مواطن لايذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، زاد ابن مردويه فى تفسيره قالت عائشة أى حبى قد علمنا الموازين هي الكفتان فيوضع فى هذه الشيء ويوضع فى هذه الشيء فيرجح احداهما وتخف الاخرى والترمذى وحسنه من حديث أنس واطلبنى عند الميزان. ومن حديث عبد الله بن عمر فى حديث البطاقة فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة ـ الحديث. وروى ابن شاهين فى كتاب السنة عن ابن عباس كفة الميزان كأطباق الدنيا كلها

السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ، توزن فيه الأعمال بقدرة الله تعالى ، والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل ، تحقيقا لتمام العدل ، وتوضع صحائف الحسنات فى صورة حسنة فى كفة النور ، فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله ، وتطرح صحائف السيئات فى صورة قبيحة في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله (١) وَأَنْ يُؤْمِنَ بِأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ، وَهُوَ جِسْرٌ مَمْدُودٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ أَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ وَأَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ تَزِلُّ عَلَيْهِ أَقْدَامُ الْكَافِرِينَ بِحُكْمِ اللهِ سُبْحَانَهُ فَتَهْوِي بِهِمْ إِلَى النَّارِ وَتَثْبُتُ عَلَيْهِ أَقْدَامُ الْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِ اللهِ فَيُسَاقُونَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ (٢) وَأَنْ يُؤْمِنَ بِالْحَوْضِ الْمَوْرُودِ: حَوْضِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم يَشْرَبُ منه المؤمنون قبل دخول الجنة وَبَعْدَ جَوَازِ الصِّرَاطِ (٣) مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا عَرْضُهُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ حَوْلَهُ أَبَارِيقُ عَدَدُهَا بِعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ (٤) فِيهِ مِيزَابَانِ يَصُبَّانِ فِيهِ مِنَ

---

(١) حديث الايمان بالصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر: الشيخان من حديث أبى هريرة ويضرب الصراط بين ظهرانى جهنم . ولهما من حديث أبى سعيد ثم يضرب الجسر على جهنم زاد مسلم قال أبو سعيد إن الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف ورفعه أحمد من حديث عائشة والبيهقى فى الشعب والبعث من حديث أنس وضعفه وفى البعث من رواية عبيد بن عمير مرسلا ومن قول ابن مسعود الصراط كحد السيف وفى آخر الحديث مايدل على أنه مرفوع

(٢) حديث الايمان بالحوض وانه يشرب منه المؤمنون : مسلم من حديث أنس فى نزول «إنا أعطيناك الكوثر» هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم . ولهما من حديث ابن مسعود وعقبة ابن عامر وجندب وسهل بن سعد أنا فرطكم على الحوض ومن حديث ابن عمر أمالكم حوض كما بين جرباء وأذرح وقال الطبرانى كما بينكم وبين جرباء وأذرح وهو الصواب وذكر الحوض فى الصحيح من حديث أبى هريرة وأبى سعيد وعبد الله بن عمر وحذيفة وأبى ذر وحابس بن سمرة وحارثة بن وهب وثوبان وعائشة وأم سلمة وأسماء

(٣) حديث من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا عرضه مسيرة شهر أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عدد نجوم السماء من حديث عبد الله بن عمرو ولهما من حديث أنس فيا من الأباريق كعدد نجوم السماء . وفى رواية لمسلم أكثر من عدد نجوم السماء

(٤) حديث فيه ميزابان يصبان من الكوثر : مسلم من حديث ثوبان يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق

الْكَوْثَرِ (١) وَأَنْ يُؤْمِنَ بِالْحِسَابِ وَتَفَاوُتِ النَّاسِ فِيهِ إِلَى مُنَاقَشٍ فِي الْحِسَابِ وَإِلَى مُسَامَحٍ فِيهِ، وَإِلَى مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَهُمُ الْمُقَرَّبُونَ، فَيَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى (٢) مَنْ شَاءَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَنْ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، وَمَنْ شَاءَ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْ تَكْذِيبِ الْمُرْسَلِينَ (٣) وَيَسْأَلُ الْمُبْتَدِعَةَ عَنِ السُّنَّةِ (٤) وَيَسْأَلُ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْأَعْمَالِ، وَأَنْ يُؤْمِنَ (٥) بِإِخْرَاجِ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ الْانْتِقَامِ حَتَّى لَا يَبْقَى فِي جَهَنَّمَ مُوَحِّدٌ بِفَضْلِ اللهِ تَعَالَى، فَلَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ

---

(١) حديث الايمان بالحساب وتفاوت الخلق فيه الي مناقش فى الحساب ومسامح فيه والي من يدخل الجنة بغير حساب :البيهقى فى البعث من حديث عمر فقال يا رسول الله ما الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالموت وبالبعث من بعد الموت والحساب والجنة والنار والقدر كله ـ الحديث . وهو عند مسلم دون ذكر الحساب . وللشيخين من حديث عائشة من نوقش الحساب عذب قالت قلت أليس يقول الله تعالى « فسوف يحاسب حسابا يسيرا » قال ذلك العرض ولهما من حديث ابن عباس عرضت على الأمم فقيل هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب . ولمسلم من حديث أبى هريرة وعمران بن حصين يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا بغير حساب زاد البيهقى فى البعث من حديث عمرو بن حزم وأعطانى مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا زاد أحمد من حديث عبد الرحمن بن أبى بكر بعده هذه الزيادة فقال فهلا استزدته ؟ قال : قد استزدته فأعطانى مع كل رجل سبعين ألفا قال عمر فهلا استزدته ؟ قال:قد استزدته فأعطانى هكذا وفرج عبد الرحمن بن أبي بكر بين يديه الحديث

(٢) حديث سؤال من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين : البخارى من حديث أبى سعيد يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يارب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمته فيقولون ما أتانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وأمته الحديث . ولابن ماجه يجيء النبي يوم القيامة ـ الحديث وفيه فيقال هل بلغت قومك ـ الحديث

(٣) حديث سؤال المبتدعة عن السنة: ابن ماجه من حديث عائشة من تكلم بشيء من القدر سئل عنه يوم القيامة . ومن حديث أبى هريرة مامن داع يدعو الى شيء الا وقف يوم القيامة لازما لدعوة مادعا اليه وان دعا رجل رجلا واسنادهما ضعيف

(٤) حديث سؤال المسلمين عن الاعمال : أصحاب السنن من حديث أبي هريرة إن أول مايحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ـ الحديث . وسيأتي فى الصلاة

(٥) حديث اخراج الموحدين من النار حتى لايبقي فيها موحد بفضل الله سبحانه : الشيخان من حديث أبى هريرة فى حديث طويل حتي اذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لايشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لاإله الا الله ـ الحديث

مُوَحِّدٍ ، وأَنْ يُؤْمِنَ (١) بِشَفَاعَةِ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الْعُلَمَاءِ ثُمَّ الشُّهَدَاءِ ثُمَّ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى حَسَبِ جَاهِهِ وَمَنْزِلَتِهِ عِنْدَاللهِ تعالَى ، ومن بقى من المؤمنين ولم يكن له شفيع ، أُخْرِجَ بفضل الله عزّ وجل ، فَلَا يَخْلُدُ فِي النَّارِ مؤمن بل يخرُجُ منها مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَأَنْ يَعْتَقِدَ فَضْلَ الصَّحَابَةِ رضى الله عنهم وَتَرْتِيبَهُمْ ، وَأَنَّ (٢) أَفْضَلَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرَ ثُمَّ عُثْمَانَ ثم على رضى الله عنهم ، (٣) وأن يُحْسِنَ الظَّنَّ بجميع الصحابة ، ويُثنى عليهم كما أثنى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين

فكل ذلك مما وردت به الأخبار وشهدت به الآثار . فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من أهل الحق وعصابة السنة ، وفارق رَهْط الضلال وحزب البدعة . فنسأل الله كمال اليقين ، وحسن الثبات فى الدين لنا ولكافة المسلمين برحمته ، إنه أرحم الراحمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى

الفصل الثانى

فى وجه التدريج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد

اعلم أن ما ذكرناه فى ترجمة العقيدة ينبغى أن يقدم إلى الصبى فى أول نشوه ليحفظه حفظا

---

(١) حديث شفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين ومن بقى من المؤمنين ولم يكن لهم شفيع أخرج بفضل الله فلا يخلد فى النار مؤمن بل يخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء وقد تقدم فى العلم . وللشيخين من حديث أبي سعيد الخدرى من وجدتم فى قلبه مثقال حبة من خردل من الايمان فأخرجوه وفى رواية من خير وفيه فيقول الله تعالي شفعت الملائكة وشفعت النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط ـ الحديث :

(٢) حديث أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على البخارى من حديث ابن عمر قال كنا نخير بين الناس فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر ثم عمر ابن الخطاب ثم عثمان بن عفان ولأبى داود كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حى أفضل أمة النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضى الله عنهم زاد الطبرانى ويسمع ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ولا ينكره

(٣) حديث أحسان الظن بجميع الصحابة والثناء عليهم الترمذى من حديث عبد الله بن مغفل الله الله فى أصحابى لاتتخذوهم غرضا بعدى وللشيخين من حديث أبى سعيد لا تسبوا أصحابى . وللطبرانى من حديث ابن مسعود اذا ذكر أصحابي فأمسكوا

ثم لا يزال ينكشف له معناه فى كبره شيئا فشيئا ، فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والايقان والتصديق به ، وذلك مما يحصل فى الصبي بغير برهان . فمن فضل الله سبحانه على قلب الانسان أن شرحه فى أول نشوّه للايمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان ، وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مباديها التلقين المجرد والتقليد المحض ، نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف فى الابتداء ، على معنى أنه يقبل الازالة بنقيضه لو ألقى اليه ، فلابد من تقويته وإثباته فى نفس الصبي والعامى حتى يترسخ ولا يتزلزل ، وليس الطريق فى تقويته وإثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام ، بل يشتغل بتلاوة القرءان وتفسيره ، وقراءة الحديث ومعانيه ، ويشتغل بوظائف العبادات ، فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من أدلة القرءان وحججه ، وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها ، وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها ، وبما يسرى اليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم ، وسيماهم وسماعهم وهيآتهم فى الخضوع لله عز وجل والخوف منه والاستكانة له ، فيكون أول التلقين كإلقاء بذر فى الصدر ، وتكون هذه الأسباب كالسقى والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها فى السماء

وينبغى أن يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة ، فان ما يشوشه الجدل أكثر مما يمهده ، وما يفسده أكثر مما يصلحه ، بل تقويته بالجدل تضاهى ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد رجاء تقويتها بأن تكثر أجزاؤها وربما يفتتها ذلك ويفسدها وهو الأغلب ، والمشاهدة تكفيك فى هذا بيانا ، فناهيك بالعيان برهانا

فقس عقيدة أهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين ، فترى اعتقاد العامى فى الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق ، وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء تفيئه الرياح مرة هكذا ومرة هكذا ، الا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليداً ، كما تلقف نفس الاعتقاد تقليداً اذ لا فرق في التقلد بين تعلم الدليل أو تعلم المدلول ، فتلقين الدليل شيء والاستدلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه

ثم الصبي اذا وقع نشوه على هذه العقيدة ان اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ، ولكنه يسلم فى الآخرة باعتقاد أهل الحق ، إذ لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد ، فأما البحث والتفتيش وتكلف نظم الأدلة فلم يكلفوه أصلا . وإن

أراد أن يكون من سالكى طريق الآخرة ، وساعده التوفيق حتي اشتغل بالعمل ، ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى ، واشتغل بالرياضة والمجاهدة ، انفتحت له أبواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهى يقذف فى قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده عز وجل إذ قال : (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) . وهو الجوهر النفيس الذى هو غاية إيمان الصدّيقين والمقربين ، واليه الاشارة بالسر الذى وقر فى صدر أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه حيث فضَل به الخلق . وانكشاف ذلك السر بل تلك الأسرار له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن ، فى النظافة والطهارة عما سوى الله تعالى، وفى الاستضاءة بنور اليقين ، وذلك كتفاوت الخلق فى أسرار الطب والفقه وسائر العلوم ، إذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة فى الذكاء والفطنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه

مسئلة

فان قلت : تعلُّم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم أو هو مباح أومندوب اليه ؟

فاعلم أن للناس فى هذا غلوا وإسرافا فى أطراف : فمن قائل إنه بدعة وحرام ، وإن العبد إن لقى الله عز وجل بكل ذنب سوى الشرك خيرٌ له من أن يلقاه بالكلام . ومن قائل أنه واجب وفرض إما على الكفاية أو على الأعيان ، وإنه أفضل الأعمال وأعلى القربات ، فانه تحقيق لعلم التوحيد ، ونضال عن دين الله تعالي

والى التحريم ذهب الشافعى ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف . قال ابن عبد الاعلى رحمه الله : سمعت الشافعى رضى الله عنه يوم ناظر حفصا الفرد وكان من متكلمى المعتزلة يقول : لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشيء من علم الكلام . ولقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه . وقال أيضا : قد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط ، ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر فى الكلام . وحكى الكرابيسى أن الشافعي رضى الله عنه سئل عن شيء من الكلام فغضب وقال سل عن هذا حفصا الفرد وأصحابه أخزاهم الله . ولما مرض الشافعى رضى الله عنه دخل عليه حفص الفرد فقال له من أنا : فقال حفص الفرد:

لاحفظك الله ولارعاك حتى تتوب مما أنت فيه . وقال أيضا : لوعلم الناس مافى الكلام من الأهواء لفروا منه فرارهم من الأسد . وقال أيضا اذا سمعت الرجل يقول : الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد بأنه من أهل الكلام ولا دين له . قال الزعفرانى قال الشافعى حكمى فى أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم فى القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ فى الكلام

وقال أحمد بن حنبل : لا يفلح صاحب الكلام أبداً ، ولا تكاد ترى أحداً نظر فى الكلام إلا وفى قلبه دغل . وبالغ فى ذمه حتى هجر الحارث المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا فى الرد على المبتدعة ، وقال له ويحك ألست تحكى بدعتهم أو لا ثم ترد عليهم ! ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر فى تلك الشبهات فيدعوهم ذلك إلى الرأى والبحث !

وقال أحمد رحمه الله : علماء الكلام زنادقة

وقال مالك رحمه الله : أرأيت إن جاءه من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد ؟ يعنى أن أقوال المتجادلين تتفاوت . وقال مالك رحمه الله أيضا : لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء . فقال بعض أصحابه فى تأويله إنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أى مذهب كانوا

وقال أبو يوسف : من طلب العلم بالكلام تزندق

وقال الحسن : لا تجادلوا أهل الأهواء ولا تجالسوهم ولا تسمعوا منهم . وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا . ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه ، وقالوا : ماسكت عنه الصحابة مع أنهم أعرف بالحقائق وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم إلا لعلمهم بما يتولد منه من الشر : ولذلك : قال النبى صلى الله عليه وسلم [1] « هَلَكَ ٱلْمُتَنَطِّعُونَ ، هَلَكَ ٱلْمُتَنَطِّعُونَ هَلَكَ ٱلْمُتَنَطِّعُونَ ؟ » أى المتعمقون فى البحث والاستقصاء

واحتجوا أيضا بأن ذلك لو كان من الدين لكان ذلك أهم ما يأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم طريقه ويثنى عليه وعلى أربابه [2] فقد عَلَّمَهُمُ ٱلاسْتِنْجَاءَ [3] وَنَدَبَهُمْ إِلَى عِلْمِ

---

(١) حديث هلك المتنطعون مسلم من حديث ابن مسعود

(٢) حديث أن النبى صلى الله عليه وسلم علمهم الاستنجاء مسلم من حديث سلمان الفارسى

(٣) حديث ندبهم إلى علم الفرائض وأثني عليهم : ابن ماجه من حديث أبى هريرة تعلموا الفرائض وعلموها الناس الحديث وللترمذى من حديث أنس وأفرضهم زيد بن ثابت

الْفَرَائِضِ وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ [١] وَنَهَاهُمْ عَنِ الْكَلَامِ فِي الْقَدَرِ وَقَالَ : أَمْسِكُوا عَنِ الْقَدَرِ » وعلى هذا استمر الصحابة رضى الله عنهم فالزيادة على الاستاذ طغيان وظلم ، وهم الاستاذون والقدوة ، ونحن الاتباع والتلامذة .

وأما الفرقة الأخرى فاحتجوا بأن قالوا : إن المحذور من الكلام إن كان هو لفظا الجوهر والعرض . وهذه الاصطلاحات الغريبة التى لم تعهدها الصحابة رضي الله عنهم فالأمر فيه قريب ، إذ ما من علم إلا وقد أحدث فيه اصطلاحات لأجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه ، ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدية وفساد الوضع ، الى جميع الاسئلة التي تورد على القياس ، لما كانوا يفقهونه فاحداث عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كاحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها فى مباح .

وإن كان المحذور هو المعنى فنحن لا نعنى به الا معرفة الدليل على حدوث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كما جاء فى الشرع ، فمن أين تحرم معرفة الله تعالى بالدليل ؟

وإن كان المحذور هو التشعب والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضى اليه الكلام ، فذلك محرم ، ويجب الاحتراز عنه ، كما أن الكبر والعجب والرياء وطلب الرياسة مما يفضى اليه علم الحديث والتفسير والفقه ، وهو محرم يجب الاحتراز عنه ، ولكن لا يمنع من العلم لأجل أدائه اليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظورا وقد قال الله تعالى (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) . وقال عز وجل : (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ). وقال تعالى : (قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا) ـ أى حجة وبرهان . وقال تعالى : (قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ) ـ وقال تعالي : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ) إلى قوله: (فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ) اذ ذكر سبحانه احتجاج ابراهيم ومجادلته وافحامه خصمه فى معرض الثناء عليه . وقال عز وجل: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ) : وقال تعالى : (قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا) وقال تعالى فى قصة فرعون : (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ) إلى قوله : (أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ)

وعلى الجملة فالقرءان من أوله إلى آخره محاجة مع الكفار . فعمدة أدلة المتكلمين فى

---

(١) حديث نهاهم عن الكلام فى القدر وقال : أمسكوا : تقدم فى العلم

التوحيد قوله تعالى (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا) . وفى النبوة : (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ) وفى البعث : (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ) الى غير ذلك من الآيات والأدلة

ولم تزل الرسل صلوات الله عليهم يحاجون المنكرين ويجادلونهم قال تعالى : (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) فالصحابة رضى الله عنهم أيضا كانوا يحاجون المنكرين ويجادلون ولكن عند الحاجة ، وكانت الحاجة اليه قليلة فى زمانهم

وأوّل من سنّ دعوة المبتدعة بالمجادلة الى الحق على بن أبى طالب رضى الله عنه ، اذ بعث ابن عباس رضى الله عنهما الى الخوارج فكلمهم فقال : ما تنقمون على إمامكم ؟ قالوا : قاتل ولم يسبُ ولم يغنم . فقال : ذلك فى قتال الكفار ، أرأيتم لو سبيت عائشة رضي الله عنها فى يوم الجمل فوقعت عائشة رضى الله عنها فى سهم أحدكم أكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهى أمكم فى نص الكتاب ؟ فقالوا : لا ، فرجع منهم الى الطاعة بمجادلته ألفان

وروى أن الحسن ناظر قَدَريا فرجع عن القدر . وناظر على بن أبى طالب كرم الله وجهه رجلا من القدرية . وناظر عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يزيد بن عميرة فى الايمان ، قال عبد الله لو قلت إنى مؤمن لقلت إني فى الجنة ، فقال له يزيد بن عميرة : يا صاحب رسول الله هذه زلة منك ، وهل الايمان الا أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والميزان وتقيم الصلاة والصوم والزكاة ، ولنا ذنوب لو نعلم أنها تغفر لنا لعلمنا أننا من أهل الجنة ، فمن أجل ذلك نقول انا مؤمنون ولا نقول انا من أهل الجنة ، فقال ابن مسعود : صدقت والله إنها منى زلة ، فينبغى أن يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيرا لا طويلا ، وعند الحاجة لا بطريق التنصيف والتدريس واتخاذه صناعة ، فيقال اما قلة خوضهم فيه فانه كان لقلة الحاجة اذ لم تكن البدعة تظهر فى ذلك الزمان

واما القصر فقد كان الغاية إفحام الخصم واعترافه وانكشاف الحق وازالة الشبهة ، فلو طال إشكال الخصم أو لجاجه لطال لا محالة إلزامهم ، وما كانوا يقدرون قدر الحاجة بميزان ولا مكيال بعد الشروع فيها

وأما عدم تصديهم للتدريس والتصنيف فيه فهكذا كان دأبهم فى الفقه والتفسير والحديث

أيضا ، فإن جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التى لا تتفق إلا على الندور إما ادخاراً ليوم وقوعها وإن كان نادراً ، أو تشحيذاً للخواطر ، فنحن أيضا نرتب طرق المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة ، أو هيجان مبتدع ، أو لتشحيذ الخاطر ، أو لادخار الحجة حتي لا يعجز عنها عند الحاجة على البديهة والارتجال ، كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال . فهذا ما يمكن أن يذكر للفريقين

فان قلت : فما المختار عندك فيه فاعلم أن الحق فيه أن إطلاق القول بذمه فى كل حال أو بحمده فى كل حال خطأ ، بل لا بد فيه من تفصيل . فاعلم أولا أن الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة وأعنى بقولى لذاته أن علة تحريمه وصف فى ذاته وهو الإسكار والموت . وهذا إذا سئلنا عنه أطلقنا القول بأنه حرام ، ولا يلتفت إلى إباحة الميتة عند الاضطرار ، وإباحة تجرع الخمر إذا غص الانسان بلقمة ولم يجد ما يسيغها سوى الخمر . وإلى مايحرم لغيره كالبيع على بيع أخيك المسلم فى وقت الخيار ، والبيع وقت النداء ، وكأكل الطين ، فانه يحرم لما فيه من الاضرار . وهذا ينقسم إلى مايضر قليله وكثيره ، فيطلق القول عليه بأنه حرام كالسم الذى يقتل قليله وكثيره ، وإلى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالاباحة كالعسل ، فان كثيره يضر بالمحرور ، وكأكل الطين وكان اطلاق التحريم على الطين والخمر ، والتحليل على العسل ، التفات الى أغلب الأحوال . فإنْ تصدّى شيء تقابلت فيه الاحوال فالأولى والأبعد عن الالتباس أن يفصّل

فنعود الى علم الكلام ونقول : إن فيه منفعة وفيه مضرة ، فهو باعتبار منفعته فى وقت الانتفاع حلال أو مندوب اليه أو واجب كما يقتضيه الحال ، وهو باعتبار مضرته فى وقت الاستضرار ومحله حرام . أما مضرته فإثارة الشبهات ، وتحريك العقائد ، وإزالتها عن الجزم والتصميم ، فذلك مما يحصل فى الابتداء ، ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ، ويختلف فيه الاشخاص . فهذا ضرره فى الاعتقاد الحق

وله ضرر آخر فى تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة ، وتثبيته فى صدورهم ، بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الأصرار عليه ، ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذى يثور من الجدل ، ولذلك ترى المبتدع العامى يمكن أن يزول اعتقاده باللطف فى أسرع زمان ، إلا

اذا كان نشؤه فى بلد يظهر فيها الجدل والتعصب ،فانه لو اجتمع عليه الأوّلون والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره ، بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولى على قلبه ويمنعه من ادراك الحق ، حتى لو قيل له : هل تريد أن يكشف الله تعالى لك الغطاء ويعرفك بالعيان أن الحق مع خصمك ، لكره ذلك خيفة من أن يفرح به خصمه.وهذا هو الداء العضال الذى استطار فى البلاد والعباد ، وهو نوع فساد أثاره المجادلون بالتعصب . فهذا ضرره

وأما منفعته ، فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هى عليه ، وهيهات ، فليس فى الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ، ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف ، وهذا اذا سمعته من محدّث أو حشوى ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ماجهلوا . فأسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة ، وبعد التغلل فيه الى منتهى درجة المتكلمين ، وجاوز ذلك الى التعمق فى علوم أخر تناسب نوع الكلام ، وتحقق أن الطريق الى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود

ولعمرى لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وايضاح لبعض الأمور ، ولكن على الندور فى أمور جلية تكاد تفهم قبل التعمق فى صنعة الكلام ، بل منفعته شيء واحد ، وهو حراسة العقيدة التى ترجمناها على العوام ، وحفظها عن تشويشات المبتدعة بانواع الجدل ، فان العامى ضعيف يستفزه جدل المبتدع وإن كان فاسدا ، ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه ، والناس متعبدون بهذه العقيدة التى قدمناها، إذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم ، وأجمع السلف الصالح عليها ، والعلماء يتعبدون بحفظها على العوام من تلبيسات المبتدعة ، كما تعبد السلاطين بحفظ أموالهم عن تهجمات الظامة والغصاب . واذا وقعت الاحاطة بضرره ومنفعته فينبغى أن يكون كالطبيب الحاذق فى استعمال الدواء الخطر ، اذ لا يضعه إلا فى موضعه ، وذلك فى وقت الحاجة ، وعلى قدر الحاجة

وتفصيله أن العوام المشتغلين بالحرف والصناعات يجب أن يتركوا على سلامة عقائدهم التى اعتقدوها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذى ذكرناه ، فان تعليمهم الكلام ضرر محض فى حقهم إذ ربما يثير لهم شكا ، ويزلزل عليهم الاعتقاد ، ولا يمكن القيام بعد ذلك بالاصلاح

وأما العامي المعتقد للبدعة فينبغي أن يدعى إلى الحق بالتلطف لا بالتعصب ، وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر فى القلب القريب من سياق أدلة القرءان والحديث الممزوج بفن من الوعظ والتحذير ،فان ذلك أنفع من الجدل الموضوع على شرط المتكلمين ، إذ العامى إذا سمع ذلك اعتقد أنه نوع صنعة من الجدل تعلمها المتكلم ليستدرج الناس إلى اعتقاده . فان عجز عن الجواب قدر أن المجادلين من أهل مذهبه أيضا يقدرون على دفعه . فالجدل مع هذا ومع الأول حرام ، وكذا من وقع فى شك ، إذ يجب إزالته باللطف والوعظ ، والأدلة القريبة المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام

واستقصاء الجدل إنما ينفع فى موضع واحد وهو أن يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود إلى اعتقاد الحق ، وذلك فيمن ظهر له من الأنس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامية ، فقد انتهى هذا إلى حالة لايشفيه منها إلا دواء الجدل . فجاز أن يلقى اليه

واما فى بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد الذى ذكرناه ، ولا يتعرض للأدلة ، ويتربص وقوع شبهة فان وقعت ذكر بقدر الحاجة

فان كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان أن يخدعوا ، فلا بأس أن يعلموا القدر الذى أودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سبباً لدفع تأثير مجادلات المبتدعة إن وقعت إليهم . وهذا مقدار مختصر . وقد أودعناه هذا الكتاب لاختصاره

فان كان فيه ذكاء وتنبهَ بذكائه لموضع سؤال أو ثارت فى نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا بأس أن يرقى منه إلى القدر الذى ذكرناه فى كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد وهو قدر خمسين ورقة ، وليس فيه خروج عن النظر فى قواعد العقائد ، إلى غير ذلك من مباحث المتكلمين

فان أقنعه ذلك عنه ، وإن لم يقنعه ذلك فقد صارت العلة مزمنة ، والداء غالباً ، والمرض سارياً ، فليتلطف به الطبيب بقدر إمكانه ، وينتظر قضاء الله تعالى فيه ، إلى أن ينكشف له الحق بتنبيه من الله سبحانه ، أو يستمر على الشك والشبهة إلى ما قدر له

فالقدر الذى يحويه ذلك الكتاب وجنسه من المصنفات هو الذى يرجى نفعه

فأما الخارج منه فقسمان (أحدهما) بحث عن غير قواعد العقائد، كالبحث عن الاعتمادات وعن الأكوان، وعن الادراكات، وعن الخوض فى الرؤية: هل لها ضد يسمى المنع أو العمى؛ وإن كان فذلك واحد هو منع عن جميع مالا يرى، أو ثبت لكل مرئى يمكن رؤيته منع بحسب عدده، إلى غير ذلك من الترهات المضلات. والقسم الثانى: زيادة تقرير لتلك الأدلة فى غير تلك القواعد، وزيادة أسئلة وأجوبة، وذلك أيضاً استقصاء لا يزيد إلا ضلالا وجهلا فى حق من لم يقنعه ذلك القدر. فرب كلام يزيده الإطناب والتقرير عموصاً

ولو قال قائل: البحث عن حكم الادراكات والاعتمادات فيه فائدة تشحيذ الخواطر، والخاطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد، فلا بأس بتشحيذه، كان كقوله لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من الدين أيضا، وذلك هوس، فان الخاطر يتشحذ بسائر علوم الشرع ولا يخاف فيها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام، والحال التى يذم فيها، والحال التى يحمد فيها، والشخص الذى ينتفع به، والشخص الذى لا ينتفع به

فان قلت مهما اعترفت بالحاجة اليه فى دفع المبتدعة، والآن قد ثارت البدع وعمت البلوى وأرهقت الحاجة، فلا بد أن يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق كالقضاء والولاية وغيرهما، وما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم، ولو ترك بالكلية لا ندرس، وليس فى مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة مالم يتعلم، فينبغى أن يكون التدريس فيه والبحث عنه أيضا من فروض الكفايات، بخلاف زمن الصحابة رضى الله عنهم، فان الحاجة ما كانت ماسة اليه

فاعلم أن الحق أنه لا بد فى كل بلد من قائم بهذا العلم، مستقل بدفع شبه المبتدعة التى ثارت فى تلك البلدة، وذلك يدوم بالتعليم، ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير، فان هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء، وضرر الغذاء لا يحذر، وضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من أنواع الضرر

فالعالم ينبغى أن يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال

(احداها) التجرد للعلم والحرص عليه، فان المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام وإزالة الشكوك إذا عرضت.

(الثانية) الذكاء والفطنة والفصاحة ، فان البليد لا ينتفع بفهمه والقدم لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه نفعه

(الثالثة) أن يكون فى طبعه الصلاح والديانة والتقوى ، ولا تكون الشهوات غالبة عليه ، فان الفاسق بادنى شبهة ينخلع عن الدين ، فان ذلك يحل عنه الحجر و يرفع السد الذى بينه وبين الملاذ ، فلا يحرص على إزالة الشبة بل يغتنمها ليتخلص من أعباء التكليف ، فيكون ما يفسده مثل هذا المتعلم أكثر مما يصلحه

واذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك أن هذه الحجة المحمودة فى الكلام إنما هي من جنس حجج القرءان من الكلمات اللطيفة المؤثرة فى القلوب ، المقنعة للنفوس ، دون التغلغل فى التقسيمات والتدقيقات التى لا يفهمها أكثر الناس ، واذا فهموها اعتقدوا أنها شعوذة وصناعة تعلمها صاحبها للتلبيس . فاذا قابله مثله فى الصنعة قاومه . وعرفت أن الشافعى وكافة السلف انما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذى نبهنا عليه ، وأن ما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما من مناظرة الخوارج وما نقل عن علىّ رضى الله عنه من المناظرة فى القدَر وغيره ، كان من الكلام الجلى الظاهر وفى محل الحاجة ، وذلك محمود فى كل حال . نعم : قد تختلف الأعصار فى كثرة الحاجة وقلتها ، فلا يبعد أن يختلف الحكم لذلك . فهذا حكم العقيدة التى تعبد الخلق بها ، وحكم طريق النضال عنها وحفظها . فأما ازالة الشبهة وكشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ماهى عليه ، وإدراك الأسرار التى يترجمها ظاهر ألفاظ هذه العقيدة ، فلا مفتح له الا المجاهد ، وقمع الشهوات والاقبال بالكلية على الله تعالى وملازمة الفكر الصافى عن شوائب المجادلات ، وهى رحمة من الله عز وجل تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر الرزق وبحسب التعرض وبحسب قبول المحل وطهارة القلب ، وذلك البحر الذى لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله

مسألة

فان قلت : هذا الكلام يشير إلى أن هذه العلوم لها ظواهر وأسرار ، وبعضها جلي يبدو أولا ، وبعضها خفى يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافى والسر الخالى عن كل شىء من أشغال الدنيا سوى المطلوب ، وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع ، إذ

ليس للشرع ظاهر وباطن وسر وعلن ، بل الظاهر والباطن والسر والعلن واحد فيه

فاعلم أن انقسام هذه العلوم الى خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيره ، وإنما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا فى أوائل الصبا شيئا وجمدوا عليه ، فلم يكن لهم ترق الى شأو العلاء ، ومقامات العلماء والأولياء ، وذلك ظاهر من أدلة الشرع . قال صلى الله عليه وسلم (١) « إِنَّ لِلْقُرْءانِ ظَاهِراً وَبَاطِناً وَحَدًّا وَمَطْلَعاً » وقال علىّ رضى الله عنه وأشار الى صدره : ان ها هنا علوما جمة لو وجدت لها حملة . وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « نَحنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ » وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « مَا حَدَّثَ أَحَدٌ قَوماً بِحَدِيثٍ لَمْ تَبْلُغْهُ عُقُولُهُمْ إِلاَّ كَانَ فِتْنَةً عَلَيْهِم » وقال الله تعالى : (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ). وقال صلى الله عليه وسلم (٤) « إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ كَهَيْئَةِ الْمَكْنُونِ لَا يَعْلَمُهُ إِلاَّ الْعَالِمُونَ بِاللهِ تَعَالَى » الحديث الى آخره كما أوردناه فى كتاب العلم . وقال صلى الله عليه وسلم (٥) « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً » فليت شعرى إن لم يكن ذلك سرا منع من إفشائه لقصور الأفهام عن إدراكه أو لمعنى آخر ، فلم لم يذكره لهم، ولا شك أنهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم ؟

وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عز وجل : (اللهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ) : لو ذكرت تفسيره لرجمتمونى . وفى لفظ آخر لقلتم إنه كافر وقال أبو هريرة رضى الله عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين أما أحدهما فبثثته وأما الآخر لو بثثته لقطع هذا الحلقوم . وقال صلى الله عليه وسلم (٦) « مَا

---

(١) حديث ان للقرآن ظاهرا وباطنا الحديث ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن مسعود بنحوه

(٢) حديث نحن معاشر الانبياء أمرنا أن نكلم الناس على عقولهم ـ الحديث : تقدم في العلم

(٣) حديث ماحدث أحد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم ـ الحديث : تقدم فى العلم

(٤) حديث ان من العلم كهيئة المكنون ـ الحديث تقدم فى العلم

(٥) حديث لوتعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا أخرجاه من حديث عائشة وأنس

(٦) حديث ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ـ الحديث : تقدم فى العلم .

فَضَلَكُمْ أَبُو بَكْرٍ بِكَثْرَةِ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ وَلَكِنْ بِسِرٍّ وَقَرَ فِي صَدْرِهِ » رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . ولاشك فى أن ذلك السر كان متعلقا بقواعد الدين غير خارج منها ، وما كان من قواعد الدين لم يكن خافيا بظواهره على غيره

وقال سهل التسترى رضى الله عنه : للعالم ثلاثة علوم : علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر ، وعلم باطن لايسعه إظهاره الا لأهله ، وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لأحد .. وقال بعض العارفين : إفشاء سر الربوبية كفر . وقال بعضهم : للربوبية سر لو أظهر لبطلت النبوّة ، وللنبوّة سر لو كشف لبطل العلم ، وللعلماء بالله سر لو أظهروه لبطلت الأحكام وهذا القائل إن لم يرد بذلك بطلان النبوّة فى حق الضعفاء لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق ، بل الصحيح أنه لا تناقض فيه ، وأن الكامل من لا يطفىء نور معرفته نور ورعه ، وملاك الورع النبوة

مسألة

فان قلت : هذه الآيات والأخبار يتطرق اليها تأويلات ، فبين لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن ، فان الباطن إن كان مناقضا للظاهر ففيه إبطال الشرع ، وهو قول من قال إن الحقيقة خلاف الشريعة ، وهو كفر ، لان الشريعة عبارة عن الظاهر ، والحقيقة عبارة عن الباطن ، وإن كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو ، فيزول به الانقسام ، ولا يكون للشرع سر لا يفشى ، بل يكون الخفى والجلى واحداً

فاعلم أن هذا السؤال يحرك خطبا عظيما ، وينجرّ الى علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة ، وهو غرض هذه الكتب ، فان العقائد التى ذكرناها من أعمال القلوب وقد تعبدنا بتلقينها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها ، لا بأن يتوصل الى أن ينكشف لنا حقائقها ، فان ذلك لم يكلف به كافة الخلق ، ولولا أنه من الأعمال لما أوردناه فى هذا الكتاب ، ولولا أنه عملُ ظاهر القلب لاعمل باطنه لما أوردناه فى الشطر الاول من الكتاب وانما الكشف الحقيقى هو صفة سر القلب وباطنه ، ولكن اذا انجر الكلام الى تحريك خيال فى مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز فى حله :

فمن قال : إن الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يناقض الظاهر ، فهو الى الكفر أقرب منه الى الايمان ، بل الأسرار التى يختص بها المقربون يدركها ، ولا يشاركهم الأكثرون فى

عملها ، ويمتنعون عن إفشائها اليهم ترجع الى خمسة أقسام

القسم الأوّل ـ أن يكون الشيء فى نفسه دقيقا تكلّ أكثر الافهام عن دركه ، فيختص بدركه الخواص ، وعليهم أن لا يفشوه الى غير أهله ، فيصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر أفهامهم عن الدرك . وإخفاءُ سر الروح [1] وَ« كَفَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ بَيَانِهِ » من هذا القسم ، فان حقيقته مما تكل الأفهام عن دركه ، وتقصر الأوهام عن تصوّر كنهه

ولا تظنن أن ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه ، ومن لم يعرف نفسه ، فكيف يعرف ربه سبحانه ؟ ولا يبعد أن يكون ذلك مكشوفا لبعض الأولياء والعلماء ، وان لم يكونوا أنبياء ، ولكنهم يتأدبون بآداب الشرع فيسكتون عما سكت عنه ، بل فى صفات الله عز وجل من الخفايا ما تقصر أفهام الجماهير عن دركه ، ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها الا الظواهر للأفهام : من العلم ، والقدرة ، وغيرهما ، حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها الى علمهم وقدرتهم ، اذ كان لهم من الأوصاف ما يسمى علما وقدرة ، فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ، ولو ذكر من صفاته ماليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شيء لم يفهموه ، بل لذة الجماع اذا ذكرت للصبي أو العنين لم يفهمها الا بمناسبة الى لذة المطعوم الذى يدركه ، ولا يكون ذلك فهما على التحقيق . والمخالفة بين علم الله تعالى وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم أكثر من المخالفة بين لذة الجماع والأكل

وبالجملة فلا يدرك الانسان الا نفسه وصفات نفسه مما هى حاضرة له فى الحال ، أو مما كانت له من قبل ، ثم بالمقايسة اليه يفهم ذلك لغيره ، ثم قد يصدق بأن بينهما تفاوتا فى الشرف والكمال ، فليس فى قوة البشر إلا أن يثبت لله تعالى ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بان ذلك أكمل وأشرف ، فيكون معظم تحويمه على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به من الجلال ، ولذلك قال صلي الله عليه وسلم [2] « لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » وليس المعنى أنى أعجز عن التعبير عما أدركته ، بل هو اعتراف بالقصور

---

(١) حديث كف رسول الله صلي الله عليه وسلم عن بيان الروح الشيخان من حديث ابن مسعود حين سأله اليهود عن الروح قال فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيأ ـ الحديث :

(١) حديث لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك مسلم من حديث عائشة انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك فى سجوده

عن إدراك كنه جلاله . ولذلك قال بعضهم : ما عرف الله بالحقيقة سوى الله عزوجل . وقال الصدّيق رضى الله عنه : الحمد لله الذى لم يجعل للخلق سبيلا الى معرفته إلا بالعجز عن معرفته ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط . ولنرجع الى الغرض وهو أن أحد الأقسام ما تكل الأفهام عن أدراكه ، ومن جملته الروح ، ومن جملته بعض صفات الله تعالى . ولعل الاشارة الى مثله فى قوله صلى الله عليه وسلم (١) «إِنَّ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ سَبْعِينَ حِجَاباً مِنْ نُورٍ لَوْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ مَنْ أَدْرَكَهُ » بَصَرُهُ

القسم الثانى — من الخفيات التى تمتنع الأنبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم فى نفسه لا يكل الفهم عنه ، ولكن ذكره يضر بأكثر المستمعين ، ولا يضر بالانبياء والصديقين . وسر القدر الذى منع أهل العلم من إفشائه من هذا القسم ، فلا يبعد أن يكون ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض الخلق ، كما يضر نور الشمس بابصار الخفافيش ، وكما تضر رياح الورد بالجعل ، وكيف يبعد هذا وقولنا أن الكفر والزنا والمعاصى والشرور كله بقضاء الله تعالى وإرادته ومشيئته حق فى نفسه وقد أصر سماعه بقوم ، اذ أوهم ذلك عندهم أنه دلالة على السفه ، ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم . وقد ألحد بن الراوندى وطائفة من المخذولين بمثل ذلك ، وكذلك سر القدر ، ولو أفشى لأوهم عند أكثر الخلق عجزا اذ تقصر أفهامهم عن ادراك ما يزيل ذلك الوهم عنهم . ولو قال قائل : ان القيامة لو ذكر ميقاتها وأنها بعدألف سنة أو أكثر أو أقل لكان مفهوما ، ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من الضرر ، فلعل المدة اليها بعيدة فيطول الامد ، واذا استبطأت النفوس وقت العقاب قلّ اكتراثها ، ولعلها كانت قريبة فى علم الله سبحانه ، ولو ذكرت لعظم الخوف وأعرض الناس عن الأعمال وخربت الدنيا . فهذا المعني لو اتجه وصح فيكون مثالا لهذا القسم

---

(١) حديث ان لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب العظمة من حديث أبى هريرة بين الله وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجابا من نور واسناده ضعيف . وفيه أيضا من حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل هل ترى ربك قال ان بينى وبينه سبعين حجابا من نور وفى الأكبر للطبرانى من حديث سهل بن سعد دون الله تعالى ألف حجاب من نور وظلمة ولمسلم من حديث أبى موسى حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ولابن ماجه شىء أدركه بصره

القسم الثالث ـ أن يكون الشيء بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ، ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ، ليكون وقعه فى قلب المستمع أغلب ، وله مصلحة فى أن يعظم وقع ذلك الأمر فى قلبه ، كما لو قال قائل : رأيت فلانا يقلد الدر فى أعناق الخنازير ، فكني به عن افشاء العلم وبث الحكمة الى غير أهلها ، فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهر اللفظ ، والمحقق اذا نظر وعلم أن ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان فى موضعه خنزير تفطن لدرك السر والباطن ، فيتفاوت الناس فى ذلك. ومن هذا قال الشاعر :

رجلان خياط وآخر حائك * متقابلان على السماك الأعزل

لازال ينسج ذاك خرقة مدبر * ويخيط صاحبه ثياب المقبل

فانه عبر عن سبب سماوى فى الاقبال والادبار برجلين صانعين . وهذا النوع يرجع إلى التعبير عن المعنى بالصورة التى تتضمن عين المعنى أو مثله ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم [1] إِنَّ ٱلْمَسْجِدَ لَيَنْزَوِي مِنَ النَّخَامَةِ كَمَا تَنْزَوِي ٱلْجِلْدَةُ عَلَى النَّارِ » وأنت ترى أن ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة . ومعناه أن روح المسجد كونه معظما ورمى النخامة فيه تحقير له ، فيضاد معنى المسجدية مضادة النار لاتصال أجزاء الجلدة . وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : [2] « أَمَا يَخْشَى ٱلَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ ٱلْإِمَامِ أَنْ يُحَوِّلَ اللهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ !؟ » وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون ، ولكن من حيث المعني هو كائن ، إذ رأس الحمار لم يكن بحقيقته لكونه وشكله ، بل بخاصيته وهى البلادة والحمق . ومن رفع رأسه قبل الامام فقد صار رأسه رأس حمار فى معنى البلادة والحمق وهو المقصود ، دون الشكل الذى هو قالب المعنى ، اذ من غاية الحمق أن يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانهما متناقضان

وإنما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر إما بدليل عقلى أو شرعى

أما العقلى فأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله صلى الله عليه وسلم : [3] « قَلْبُ ٱلْمُؤْمِنِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمٰنِ » إذ لو فتشنا عن قلوب المؤمنين فلم نجد فيها أصابع

---

(١) حديث ان المسجد لينزوي من النخامة ـ الحديث : لم أجد له أصلا

(٢) حديث أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الامام ـ الحديث : أخرجاه من حديث أبى هريرة

(٣) حديث قلب العبد بين أصبعين من أصابع الرحمن مسلم من حديث عبد الله بن عمرو

فعلم أنها كناية عن القدرة التى هى سر الأصابع وروحها الخفى ، وكنى بالأصابع عن القدرة لأن ذلك أعظم وقعا فى تفهم تمام الاقتدار . ومن هذا القبيل فى كنايته عن الاقتدار قوله تعالى : (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) فان ظاهره ممتنع؛ إذ قوله :(كن) إن كان خطابا للشىء قبل وجوده فهو محال ؛ إذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل ، وإن كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ، ولكن لما كانت هذه الكناية أوقع فى النفوس فى تفهيم غاية الاقتدار عدل اليها

وأما المدرك بالشرع فهو أن يكون إجراؤه على الظاهر ممكنا ، ولكنه يروى أنه أريد به غير الظاهر كما ورد فى تفسير قوله تعالى : (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) الآية ، وأن معنى الماء ها هنا هو القرءان ، ومعنى الأودية هى القلوب ، وأن بعضها احتملت شيئا كثيراً ، وبعضها قليلا ، وبعضها لم يحتمل ، والزبد مثل الكفر والنفاق ، فانه وإن ظهر وطفا على رأس الماء فانه لا يثبت ، والهداية التى تنفع الناس تمكث. وفى هذا القسم تعمق جماعة فأوّلوا ما ورد فى الآخرة من الميزان والصراط وغيرهما ، وهو بدعة ،إذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية ، وإجراؤه على الظاهر غير محال ، فيجب إجراؤه على الظاهر

القسم الرابع ـ أن يدرك الانسان الشىء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بأن يصير حالا ملابسا له ، فيتفاوت العلمان ويكون الأول كالقشر ، والثانى كاللباب ، والأول كالظاهر ، والثانى كالباطن ، وذلك كما يتمثل للانسان فى عينه شخص فى الظلمة أو على البعد فيحصل له نوع علم ، فاذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظلام أدرك تفرقة بينهما ، ولا يكون الأخير ضد الأول بل هو استكمال له . فكذلك العلم والايمان والتصديق ، إذ قد يصدق الانسان بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه ، ولكن تحققه به عند الوقوع أكمل من تحققه قبل الوقوع ، بل للإنسان فى الشهوة والعشق وسائر الأحوال ثلاثة أحوال متفاوتة وإدراكات متباينة . (الأول) تصديقه بوجوده قبل وقوعه . (والثانى) عند وقوعه (والثالث) بعد تصرمه ، فان تحققك بالجوع بعد زواله يخالف التحقق به قبل الزوال . وكذلك من علوم الدين مايصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالإضافة إلى ماقبل ذلك، ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها . فى هذه الأقسام الأربعة تتفاوت

الخلق ، وليس فى شىء منها باطن يناقض الظاهر ، بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر . والسلام

القسم الخامس — أن يعبر بلسان المقال عن لسان الحال ، فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقا ، والبصير بالحقائق يدرك السر فيه . وهذا كقول القائل : قال الجدار للوتد : لم تشقني ؟ قال : سل من يدقني فلم يتركني ورائى الحجر الذى ورائى . فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال . ومن هذا قوله تعالى : (ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) . فالبليد يفتقر فى فهمه الى أن يقدر لهما حياة و عقلا ، وفهما للخطاب ، وخطابا هو صوت وحرف تسمعه السماء والأرض فتجيبان بحرف وصوت وتقولان : أتينا طائعين ، والبصير يعلم أن ذلك لسان الحال ، وأنه إنباء عن كونهما مسخرتين بالضرورة ومضطرتين الى التسخير . ومن هذا قوله تعالي : (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) فالبليد يفتقر فيه إلى أن يقدر للجمادات حياة وعقلا ونطقا بصوت وحرف حتى يقول سبحان الله ليتحقق تسبيحه ، والبصير يعلم أنه ما أريد به نطق اللسان ، بل كونه مسبحا بوجوده ، ومقدسا بذاته ، وشاهدا بوحدانية الله سبحانه ، كما يقال

وفى كل شىء له آية • تدل على أنه الواحد

وكما يقال : هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكمال العلم ، لا بمعنى أنها تقول أشهد بالقول ، ولكن بالذات والحال . وكذلك : ما من شىء إلا وهو محتاج فى نفسه إلى موجد يوجده ويبقيه ويديم أوصافه ويردده فى أطواره : فهو بحاجته يشهد لخالقه بالتقديس ، يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجامدين على الظواهر ، ولذلك قال تعالى : (وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) . وأما القاصرون فلا يفقهون أصلا . وأما المقربون والعلماء الراسخون فلا يفقهون كنهه وكماله ، إذ لكل شىء شهادات شتى على تقديس الله سبحانه وتسبيحه ، ويدرك كل واحد بقدر عقله وبصيرته . وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم المعاملة . فهذا الفن أيضا مما يتفاوت أرباب الظواهر وأرباب البصائر فى علمه ، وتظهر به مفارقة الباطن للظاهر

وفى هذا المقام لأرباب المقامات إسراف واقتصاد : فمن مسرف فى رفع الظواهر انتهى الى تغيير جميع الظواهر والبراهين أو أكثرها ، حتى حملوا قوله تعالى : (وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ) وقوله تعالى : (وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ

كلَّ شَيْءٍ) وكذلك المخاطبات التي تجرى من منكر ونكير ، وفى الميزان والصراط والحساب ، ومناظرات أهل النار وأهل الجنة فى قولهم : (أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ) زعموا أن ذلك كله بلسان الحال

وغلا آخرون فى حسم الباب ، منهم أحمد بن حنبل رضى الله عنه حتى منع تأويل قوله: (كُنْ فَيَكُونُ) وزعموا أن ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى فى كل لحظة بعدد كَوْن كل مكوّن ، حتى سمعت بعض أصحابه يقول : إنه حسم باب التأويل إلا لثلاثة ألفاظ : قوله صلى الله عليه وسلم (١) « اَلْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللهِ فِي أَرْضِهِ » وقوله صلى الله عليه وسلم « قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمٰنِ » وقوله صلى الله عليه وسلم (٢) إِنِّي لَأَجِدُ نَفَسَ الرَّحْمٰنِ مِنْ جَانِبِ الْيَمَنِ » ومال الى حسم الباب أرباب الظواهر

والظن بأحمد بن حنبل رضى الله عنه أنه علم أن الاستواء ليس هو الاستقرار ، والنزولَ ليس هو الانتقالَ ، ولكنه منع من التأويل حسما للباب ، ورعاية لصلاح الخلق ، فانه إذا فتح الباب اتسع الخرق ، وخرج الأمر عن الضبط ، وجاوز حد الاقتصاد ، إذ حد ما جاوز الاقتصاد لا ينضبط ، فلا بأس بهذا الزجر

ويشهد له سيرة السلف ، فانهم كانوا يقولون أمِرّوها كما جاءت ، حتى قال مالك رحمه الله لما سئل عن الاستواء : الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة

وذهبت طائفة الى الاقتصاد ، وفتحوا باب التأويل فى كل ما يتعلق بصفات الله سبحانه ، وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها ، ومنعوا التأويل فيه وهم الأشعرية

وزاد المعتزلة عليهم حتى أوّلوا من صفاته تعالى الرؤية ، وأوّلوا كونه سميعا بصيرا ، وأوّلوا المعراج ، وزعموا أنه لم يكن بالجسد ، وأوّلوا عذاب القبر ، والميزان ، والصراط ، وجملة من أحكام الآخرة ، ولكن أقروا بحشر الأجساد ، وبالجنة واشتمالها على المأكولات والمشمومات والمنكوحات والملاذ المحسوسة ، وبالنار واشتمالها على جسم محسوس محرق يحرق الجلود ويذيب الشحوم

---

(١) حديث الحجر يمين الله فى الأرض الحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو

(٢) حديث انى لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن أحمد من حديث أبى هريرة فى حديث قال فيه وأجد نفس ربكم من قبل اليمن ورجاله ثقات

ومن ترقيهم الى هذا الحد زاد الفلاسفة فأولوا كل ما ورد فى الآخرة ، وردوه الى آلام عقلية وروحانية ، ولذات عقلية ، وأنكروا حشر الأجساد ، وقالوا ببقاء النفوس ، وأنها تكون إما معذبة وإما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس . وهؤلاء هم المسرفون

وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال كله وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه الا الموفقون الذين يدركون الأمور بنور إلهي لا بالسماع . ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هى عليه نظروا الى السمع والألفاظ الواردة : فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه ، وما خالف أولوه . فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد ، فلا يستقر له فيها قدم ، ولا يتعين له موقف ، والأليق بالمقتصر على السمع المجرد مقام أحمد بن حنبل رحمه الله

والآن فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد فى هذه الأمور داخل فى علم المكاشفة ، والقول فيه يطول ، فلا نخوض فيه . والعرض بيان موافقة الباطن الظاهر وأنه غير مخالف له . فقد انكشفت بهذه الأقسام الخمسة أمور كثيرة

وإذا رأينا أن نقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها ، وأنهم لا يكلفون غير ذلك فى الدرجة الأولى إلا إذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة فيرقى فى الدرجة الثانية إلى عقيدة فيها لوامع من الأدلة مختصرة من غير تعمق ، فلنورد فى هذا الكتاب تلك اللوامع ، ولنقتصر فيها على ما حررناه لأهل القدس ، وسميناه الرسالة القدسية فى قواعد العقائد ، وهى مودعة فى هذا الفصل الثالث من هذا الكتاب

الفصل الثالث

من كتاب قواعد العقائد فى لوامع الأدلة للعقيدة التى ترجمناها بالقدس

فنقول :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الذى ميز عصابة السنة بأنوار اليقين ، وآثر رهط الحق بالهداية إلى دعائم الدين ، وجنبهم زيغ الزائغين وضلال الملحدين ، ووفقهم للاقتداء بسيد المرسلين ، وسددهم للتأسى بصحبه الأكرمين ، ويسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين ، ومن سير الأولين وعقائدهم بالمنهج المبين ، فجمعوا

بالقبول بين نتائج العقول وقضايا الشرع المنقول ، وتحققوا أن النطق بما تعبدوا به من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ليس له طائل ولا محصول ، إن لم تتحقق الإحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من الأقطاب والأصول ، وعرفوا أن كلمتي الشهادة على إيجازها تتضمن إثبات ذات الاله وإثبات صفاته وإثبات أفعاله وإثبات صدق الرسول ، وعلموا أن بناء الإيمان على هذه الأركان وهي أربعة ، ويدور كل ركن منها على عشرة أصول :

الركن الأول : في معرفة ذات الله تعالى ، ومداره على عشرة أصول ، وهي : العلم بوجود الله تعالى ، وقدمه ، وبقائه ، وأنه ليس بجوهر ، ولا جسم ولا عرض ، وأنه سبحانه ليس مختصا بجهة ولا مستقراً على مكان ، وأنه يرى ، وأنه واحد

الركن الثاني : في صفاته ، ويشتمل على عشرة أصول ، وهو : العلم بكونه حيا ، عالما ، قادراً ، مريداً ، سميعاً ، بصيراً ، متكلما ، منزها عن حلول الحوادث ، وأنه قديم الكلام ، والعلم ، والإرادة

الركن الثالث : في أفعاله تعالى ، ومداره على عشرة أصول ، وهي : أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ، وأنها مكتسبة للعباد ، وأنها مرادة لله تعالى ، وأنه متفضل بالخلق والاختراع ، وأن له تعالى تكليفَ مالا يطاق ، وأن له إيلام البرىء ، ولا يجب عليه رعاية الأصلح ، وأنه لا واجب إلا بالشرع ، وأن بعثه الأنبياء جائز وأن نبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة مؤيدة بالمعجزات

الركن الرابع : في السمعيات ، ومداره على عشرة أصول ، وهي : إثبات الحشر ، والنشر ، وسؤال منكر ونكير ، وعذاب القبر ، والميزان ، والصراط ، وخلق الجنة والنار ، وأحكام الإمامة ، وأن فضل الصحابة على حسب ترتيبهم ، وشروط الإمامة

فاما الركن الأوّل من أركان الايمان فى معرفة ذات الله سبحانه وتعالى وأن الله تعالى واحد ومداره على عشرة أصول

الأصل الأول : معرفة وجوده تعالى

وأوّل ما يستضاء به من الأنوار، ويسلك من طريق الاعتبار ، ما أرشد اليه القرءان ، فليس بعد بيان الله سبحانه بيان . وقد قال تعالى : (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً ، وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً ، وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً ، وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً ، وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً ، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً ، وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً ، وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً ، وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً ، لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً ، وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً) وقال تعالى : (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ، وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) وقال تعالى : (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ طِبَاقاً وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً ، وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً) وقال تعالى : (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ، أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ) إلى قوله : (لِلْمُقْوِينَ) فليس يخفى على من معه أدنى مُسكة من عقل إذا تأمل بأدنى فكرة مضمون هذه الآيات ، وأدار نظره على عجائب خلق الله فى الأرض والسموات ، وبدائع فطرة الحيوان والنبات ، أن هذا الأمر العجيب والترتيب المحكم لا يستغنى عن صانع يدبره ، وفاعل يحكمه ويقدره ، بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ، ومصرفة بمقتضى تدبيره ، ولذلك قال الله تعالى : (أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) . ولهذا بعث الأنبياء صلوات الله عليهم لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا : لا إله إلا الله ، وما أمروا أن يقولوا : لنا إله وللعالم إله ، فإن ذلك كان مجبولا في فطرة عقولهم من مبدأ نشوهم وفى عنفوان شبابهم

ولذلك قال عز وجل : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ) وقال تعالى : (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فطرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) فاذاً فى فطرة الانسان وشواهد القرءان ما يغنى عن إقامة البرهان ، ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار نقول :

من بدائه العقول أن الحادث لا يستغنى فى حدوثه عن سبب يحدثه ، والعالَم حادث ، فاذاً لا يستغنى فى حدوثه عن سبب . أما قولنا : إن الحادث لا يستغنى فى حدوثه عن سبب جلّي ، فان كل حادث مختص بوقت يجوز فى العقل تقدير تقديمه وتأخيره ، فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده يفتقر بالضرورة الى المخصص . وأما قولنا : العالم حادث ، فبرهانه أن أجسام العالم لاتخلو عن الحركة والسكون ، وهما حادثان ، وما لايخلو عن الحوادث فهو حادث ، ففى هذا البرهان ثلاث دعاوى :

الأولى : قولنا : إن الأجسام لاتخلو عن الحركة والسكون ، وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار ، فلا يحتاج فيها إلى تأمل وافتكار؛ فانمن عقل جسما لا ساكنا ولا متحركا ، كان لمتن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا

الثانية : قولنا: إنهما حادثان . ويدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما بعد البعض ، وذلك مشاهد فى جميع الأجسام ما شوهد منها وما لم يشاهد . فما من ساكن إلا والعقل قاض بجواز حركته ، وما من متحرك إلا والعقل قاض بجواز سكونه ، فالطارىء منهما حادث لطريانه ، والسابق حادث لعدمه ، لأنه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه ، على ما سيأتى بيانه وبرهانه فى إثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس

الثالثة : قولنا : مالا يخلو عن الحوادث فهو حادث . وبرهانه أنه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا أوّل لها ، ولو لم تنقض تلك الحوادث بجملتها لا تنتهى النوبة الى وجود الحادث الحاضر فى الحال ، وانقضاء مالا نهاية له محال؛ ولأنه لو كان للفلك دورات لانهاية لها لكان لا يخلو عددها عن أن تكون شفعا أو وترا ، أو شفعا ووترا جميعا ، أولا شفعا ولا وترا ، ومحال أن تكون شفعا ووتراً جميعا ، أولا شفعا ولا وترا ؛ فان ذلك جمع بين النفى والاثبات ، إذ فى إثبات أحدهما نفى الآخر ، وفى نفي أحدهما إثبات الآخر ، ومحال

أن يكون شفعا ؛ لأن الشفع يصير وترا بزيادة واحد ، وكيف يعوز مالانهاية له واحد ؟! ومحال أن يكون وترا إذ الوتر يصير شفعا بواحد ، فكيف يعوزها واحد مع أنه لا نهاية لأعدادها ؟ ومحال أن يكون لاشفعا ولا وترا ، إذ له نهاية .فتحصل من هذا أن العالم لا يخلو عن الحوادث فهو إذا حادث . وإذا ثبت حدوثه كان افتقاره إلى المحدث من المدركات بالضرورة

الأصل الثانى

العلم بأن الله تعالى قديم لم يزل أزلى ليس لوجوده أول بل أول كل شيء وقبل كل ميت وحى

وبرهانه أنه لو كان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو أيضا إلى محدث ، وافتقر محدثه إلى محدث ، وتسلسل ذلك إلى ما لانهاية ، وما تسلسل لم يتحصل ، أو ينتهى إلى محدث قديم هو الأوّل ، وذلك هو المطلوب الذى سميناه صانع العالم ومبدئه وبارئه ومحدثه ومبدعه

الأصل الثالث

العلم بأنه تعالى مع كونه أزليا أبديا ليس لوجوده آخر ، فهو الأول والآخر ،والظاهر والباطن، لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه

وبرهانه : أنه لو انعدم لكان لا يخلو إما أن ينعدم بنفسه أو بعدم يضاده ، ولو جاز أن ينعدم شيء يتصور دوامه بنفسه لجاز أن يوجد شيء يتصور عدمه بنفسه ، فكما يحتاج طريان الوجود إلى سبب فكذلك يحتاج طريان العدم إلى سبب ، وباطل أن ينعدم بعدم يضاده ، لأن ذلك المعدم لو كان قديما لما تصوّر الوجود معه ، وقد ظهر بالأصلين السابقين وجوده وقدمه ، فكيف كان وجوده فى القدم ومعه ضده ؟ فإن كان الضد المعدم حادثا كان محالا إذ ليس الحادث فى مضادته للقديم حتى يقطع وجوده بأولى من القديم فى مضادته للحادث حتى يدفع وجوده ، بل الدفع أهون من القطع ، والقديم أقوى وأولى من الحادث

الأصل الرابع

العلم بأنه تعالى ليس بجوهر يتحيز ، بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز

وبرهانه أن كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ، ولا يخلو من أن يكون ساكنا فيه أو متحركا عنه ، فلا يخلو عن الحركة أو السكون وهما حادثان ، وما يخلو عن الحوادث فهو حادث ، ولو تصوّر جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم ، فان سماه مسمّى جوهراً

ولم يرد به المتحيز كان مخطئا من حيث اللفظ لا من حيث المعنى

الأصل الخامس

العلم بأنه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر ، إذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر ، وإذا بطل كونه جوهراً مخصوصا بحيز بطل كونه جسما ، لأن كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر ، فالجوهر يستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع ، والحركة والسكون ، والهيئة والمقدار . وهذه سمات الحدوث ، ولو جاز أن يعتقد أن صانع العالم جسم ، لجاز أن يعتقد الالهية للشمس والقمر ، أو لشيء آخر من أقسام الأجسام . فان تجاسر متجاسر على تسميته تعالي جسما من غير إرادة التأليف من الجواهر ، كان ذلك غلطا فى الاسم ، مع الإصابة فى نفى معنى الجسم

الأصل السادس

العلم بأنه تعالى ليس بعرض قائم بجسم أو حال فى محل ، لأن العرض مايحل فى الجسم ، فكل جسم فهو حادث لا محالة ، ويكون محدثه موجوداً قبله ، فكيف يكون حالا فى الجسم وقد كان موجوداً فى الأزل وحده وما معه غيره ، ثم أحدث الأجسام والأعراض بعده ؟ ولأنه عالم قادر مريد خالق، كما سيأتى بيانه ، وهذه الأوصاف تستحيل على الأعراض ، بل لا تعقل إلا لموجود قائم بنفسه ، مستقل بذاته ، وقد تحصل من هذه الأصول أنه موجود قائم بنفسه ، ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض ، وأن العالم كله جواهر وأعراض وأجسام ،فإذاً لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء ، بل هو الحى القيوم الذى ليس كمثله شيء . وأنى يشبه المخلوق خالقه ، والمقدور مقدره ، والمصور مصوره والأجسام والأعراض كلها من خلقه وصنعه ؟! فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابهته.

الأصل السابع ـ العلم بأن الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات

فان الجهة إما فوق ، وإما أسفل ، وإما يمين ، وإما شمال : أو قدام ، أو خلف . وهذه الجهات هو الذى خلقها وأحدثها بواسطة خلق الإنسان ، إذ خلق له طرفين أحدهما يعتمد على الأرض ويسمى رجلا ، والآخر يقابله ويسمى رأسا . فحدث اسم الفوق لما يلى جهة الرأس ،

واسم السفل لما يلي جهة الرجل ، حتى إن النملة التى تدب منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق فى حقها تحتا ، وإن كان فى حقنا فوقا . وخلق للإنسان اليدين وإحداهما أقوى من الأخرى فى الغالب ، فحدث اسم اليمين للأقوى ، واسم الشمال لما يقابله ، وتسمى الجهة التى تلى اليمين يمينا ، والأخرى شمالا ، وخلق له جانبين يبصر من أحدهما ويتحرك اليه ، فحدث اسم القدام للجهة التي يتقدم اليها بالحركة ، واسم الخلف لما يقابلها : فالجهات حادثة بحدوث الإنسان ، ولولم يخلق الإنسان بهذه الخلقة بل خلق مستديرا كالكرة ، لم يكن لهذه الجهات وجود ألبتة ، فكيف كان فى الأزل مختصا بجهة والجهة حادثة ؟ أو كيف صار مختصا بجهة بعد أن لم يكن له : أبأن خلق العالم فوقه ، وتعالى عن أن يكون له فوق ، إذ تعالى أن يكون له رأس ، والفوق عبارة عما يكون جهة الرأس ، أو خلق العالم تحته ، فتعالى عن أن يكون له تحت إذ تعالى عن أن يكون له رجل ، والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل ، وكل ذلك مما يستحيل فى العقل ، ولأن المعقول من كونه مختصا بجهة أنه مختص بحيز اختصاص الجواهر ، أو مختص بالجواهر اختصاص العرض ، وقد ظهر استحالة كونه جوهراً أو عرضا ، فاستحال كونه مختصا بالجهة . وإن أريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطا فى الاسم مع المساعدة على المعنى ، ولأنه لو كان فوق العالم لكان محاذيا له ، وكل محاذ لجسم فإما أن يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر ، وكل ذلك تقدير محوج بالضرورة إلى مقدر ، ويتعالى عنه الخالق الواحد المدبر . فأما رفع الأيدى عند السؤال إلى جهة السماء ، فهو لأنها قبلة الدعاء ، وفيه أيضا إشارة إلى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء ، تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء ، فإنه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء

الأصل الثامن

العلم بأنه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذى أراد الله تعالى بالاستواء ، وهو الذى لاينافى وصف الكبرياء ، ولايتطرق اليه سمات الحدوث والفناء ، وهو الذى أريد بالاستواء إلى السماء حيث قال فى القرءان : (ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ) وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء ، كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

واضطر أهل الحق الى هذا التأويل كما اضطر أهل الباطل الى تأويل قوله تعالى : (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ) إذ حمل ذلك بالاتفاق على الإحاطة والعلم ، وحمل قوله صلى الله عليه وسلم : « قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمٰنِ » على القدرة والقهر ، وحمل قوله صلى الله عليه وسلم : « الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللهِ فِي أَرْضِهِ » على التشريف والإكرام ؛ لأنه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال ، فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن جسما مماسا للعرش ، إما مثله أو أكبر منه أو أصغر ، وذلك محال ، وما يؤدى الى المحال فهو محال

الأصل التاسع

العلم بأنه تعالى مع كونه منزها عن الصورة والمقدار مقدسا عن الجهات والأقطار ، مرئي بالأعين والأبصار فى الدار الآخرة دار القرار ، لقوله تعالى : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) ولا يرى فى الدنيا تصديقا لقوله عز وجل : (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) ولقوله تعالى فى خطاب موسى عليه السلام : (لَنْ تَرَانِي) . وليت شعرى كيف عرف المعتزلى من صفات رب الأرباب ما جهله موسى عليه السلام ؟ ! وكيف سأل موسى عليه السلام الرؤية مع كونها محالا ؟! ولعل الجهل بذوى البدع والأهواء من الجهلة الأغبياء أولى من الجهل بالأنبياء صلوات الله عليهم !

وأما وجه إجراء آية الرؤية على الظاهر ، فهو أنه غير مؤد الى المحال ، فان الرؤية نوع كشف وعلم ، إلا أنه أتم وأوضح من العلم . فإذا جاز تعلق العلم به وليس فى جهة جاز تعلق الرؤية به وليس بجهة . وكما يجوز أن يرى الله تعالى الخلق وليس فى مقابلتهم ، جاز أن يراه الخلق من غير مقابلة ، وكما جاز أن يعلم من غير كيفية وصورة ، جاز أن يرى كذلك

الاصل العاشر

العلم بأن الله عز وجل واحد لا شريك له ، فرد لا ندّ له ، انفرد بالخلق والابداع واستبد بالإيجاد والاختراع ، لا مثل له يساهمه ويساويه ، ولا ضد له فينازعه ويناويه . وبرهانه قوله تعالى : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا) وبيانه : أنه لو كانا اثنين وأراد

أحدهما أمراً فالثانى إن كان مضطرا الى مساعدته كان هذا الثانى مقهورا عاجزا ولم يكن إلها قادراً ، وإن كان قادراً على مخالفته ومدافعته كان الثانى قويا قاهراً ، والأول ضعيفا قاصراً ولم يكن إلها قادراً

(الركن الثانى العلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة أصول)

الأصل الأول

العلم بأن صانع العالم قادر ، وأنه تعالى فى قوله : (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) صادق ، لأن العالم محكم فى صنعته ، مرتب فى خلقته ومن رأى ثوبا من ديباج حسن النسج والتأليف متناسب التطريز والتطريف ، ثم توهم صدور نسجه عن ميت لااستطاعة له ، أو عن إنسان لاقدرة له ، كان منخلعا عن غريزة العقل ، ومنخرطا فى سلك أهل الغباوة والجهل

الأصل الثانى

العلم بأنه تعالى عالم بجميع الموجودات ، ومحيط بكل المخلوقات ، لايعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، صادق فى قوله : (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) و مرشد إلى صدقه بقوله تعالى : (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) أرشدك إلى الاستدلال بالخلق علي العلم بأنك لاتستريب فى دلالة الخلق اللطيف ، والصنع المزين بالترتيب ولو فى الشيء الحقير الضعيف ، علي علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف ، فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى فى الهداية والتعريف

الأصل الثالث

العلم بكونه عز وجل حيا ، فإن من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ، ولو تصوّر قادر وعالم فاعل مدبر دون أن يكون حيا لجاز أن يشك فى حياة الحيوانات عند ترددها فى الحركات والسكنات ، بل فى حياة أرباب الحرف والصناعات ، وذلك انغماس فى غمرة الجهالات والضلالات

الأصل الرابع

العلم بكونه تعالى مريدا لأفعاله ، فلا موجود إلاوهو مستند إلى مشيئته وصادر عن

إرادته ، فهو المبدىء المعيد ، والفعال لما يريد ، وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه أمكن أن يصدر منه ضده ، ومالاضد له أمكن أن يصدر منه ذلك بعينه قبله أو بعده : والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة ، فلابد من إرادة صارفة للقدرة إلى أحد المقدورين ، ولو أغنى العلم عن الإرادة فى تخصيص المعلوم حتى يقال إنما وجد فى الوقت الذى سبق العلم بوجوده ، لجاز أن يغنى عن القدرة حتى يقال : وجد بغير قدرة ، لأنه سبق العلم بوجوده فيه

الأصل الخامس

العلم بأنه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكير ، ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ، وكيف لا يكون سميعا بصيراً والسمع والبصر كمال لامحالة وليس بنقص ؟ فكيف يكون المخلوق أكمل من الخالق ، والمصنوع أسنى وأتم من الصانع ؟ وكيف تعتدل القسمة مهما وقع النقص فى جهته والكمال فى خلقه وصنعته ؟ أو كيف تستقيم حجة إبراهيم صلى الله عليه وسلم على أبيه إذ كان يعبد الأصنام جهلا وغيا ، فقال له : «لِمَ تَعْبُدُ مَالَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا» ولو انقلب ذلك عليه فى معبوده لأضحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ، ولم يصدق قوله تعالى : (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ) وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة ، وعالما بلا قلب ودماغ ، فليعقل كونه بصيرا بلا حدقة ، وسميعا بلا أذن ، إذ لا فرق بينهما

الاصل السادس

أنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام ، وهو وصف قائم بذاته ليس بصوت ولا حرف ، بل لا يشبه كلامه كلام غيره ، كما لا يشبه وجوده وجود غيره . والكلام بالحقيقة كلام النفس ، وإنما الأصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والإشارات ، وكيف التبس هذا على طائفة من الأغبياء ولم يلتبس على جهلة الشعراء ، حيث قال قائلهم :

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما * جعل اللسان على الفؤاد دليلا !

ومن لم يعقله عقله ولا نهاه نُهاه عن أن يقول : لسانى حادث ولكن ما يحدث فيه بقدرتى الحادثة قديم ، فاقطع عن عقله طمعك ، وكف عن خطابه لسانك . ومن لم يفهم أن القديم عبارة عما ليس قبله شىء ، وأن الباء قبل السين فى قولك : بسم الله ، فلا يكون

السين المتأخر عن الباء قديما ، فنزه عن الالتفات اليه قلبك ، فلله سبحانه سر فى إبعاد بعض العباد ، ومن يضلل الله فما له من هاد ، ومن استبعد أن يسمع موسى عليه السلام فى الدنيا كلاما ليس بصوت ولا حرف فليستنكر أن يرى فى الآخرة موجوداً ليس بجسم ولا لون وإن عقل أن يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا كمية وهو إلى الآن لم ير غيره ، فليعقل فى حاسة السمع ما عقله فى حاسة البصر . وإن عقل أن يكون له علم واحد هو علم بجميع الموجودات ، فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع ما دل عليه بالعبارات . وإن عقل كون السموات السبع وكون الجنة والنار مكتوبة فى ورقة صغيرة ومحفوظة فى مقدار ذرة من القلب وأن كل ذلك مرئى فى مقدار عدسة من الحدقة من غير أن تحل ذات السموات والأرض والجنة والنار فى الحدقة والقلب والورقة ، فليعقل كون الكلام مقروءاً بالألسنة ، محفوظا فى القلوب ، مكتوبا فى المصاحف ، من غير حلول ذات الكلام فيها ؛ إذ لو حلت بكتاب الله ذات الكلام فى الورق لحل ذات الله تعالى بكتابة اسمه فى الورق ، وحلت ذات النار بكتابة اسمها فى الورق ، ولاحترق

الاصل السابع

أن الكلام القائم بنفسه قديم ، وكذا جميع صفاته ، إذ يستحيل أن يكون محلا للحوادث داخلا تحت التغير بل يجب للصفات من نعوت القدم مايجب للذات فلاتعتريه التغيرات ولا تحله الحادثات بل لم يزل فى قدمه موصوفا بمحامد الصفات ، ولا يزال فى أبده كذلك منزها عن تغير الحالات ، لأن ما كان محل الحوادث لا يخلو عنها ، وما لايخلو عن الحوادث فهو حادث ، وإنما ثبت نعت الحدوث للأجسام من حيث تعرضها للتغير وتقلب الأوصاف ، فكيف يكون خالقها مشاركا لها فى قبول التغير ، وينبنى على هذا أن كلامه قديم قائم بذاته ، وإنما الحادث هى الأصوات الدالة عليه . وكما عقل قيام طلب التعلم وإرادته بذات الوالد للولد قبل أن يخلق ولده ، حتى إذا خلق ولده وعَقَل وخلق الله له علما متعلقا بما فى قلب أبيه من الطلب ، صار مأموراً بذلك الطلب الذى قام بذات أبيه ودام وجوده إلى وقت معرفة ولده له ، فليعقل قيام الطلب الذى دل عليه قوله عز وجل : (اُخْلَعْ نَعْلَيْكَ) بذات الله ، ومصير موسى عليه السلام مخاطبا به بعد وجوده ، إذ خلقت له معرفة بذلك الطلب ، وسمع لذلك الكلام القديم

الأصل الثامن

أن علمه قديم ، فلم يزل عالما بذاته وصفاته ، وما يحدثه من مخلوقاته ، ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها ، بل حصلت مكشوفة له بالعلم الأزلى ، إذلو خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك علم تقديرا حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند طلوع الشمس معلوما لنا بذلك العلم من غير تجدد علم آخر . فهكذا ينبغى أن يفهم قدم علم الله تعالى

الأصل التاسع

أن إرادته قديمة ، وهى فى القدم تعلقت بإحداث الحوادث فى أوقاتها اللائقة بها على وفق سبق العلم الأزلى ، إذلو كانت حادثة لصار محل الحوادث ، ولو حدثت فى غير ذاته لم يكن هو مريدا لها ، كما لا تكون أنت متحركا بحركة ليست فى ذاتك ، وكيفما قدرت فيفتقر حدوثها إلى إرادة أخرى ، وكذلك الارادة الأخرى تفتقر إلى أخرى ، ويتسلسل الأمر إلى غير نهاية . ولو جاز أن يحدث إرادة بغير إرادة لجاز أن يحدث العالم بغير إرادة

الأصل العاشر

أن الله تعالى عالم بعلم ، حى بحياة ، قادر بقدرة ، ومريد بارادة ، ومتكلم بكلام ، وسميع بسمع ، وبصير ببصر . وله هذه الأوصاف من هذه الصفات القديمة . وقول القائل : عالم بلا علم ، كقوله : غنىّ بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم ، فان العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل . وكما لا يتصوّر قاتل بلا قتل ولا قتيل ولا يتصوّر قتيل بلا قاتل ولا قتل ، كذلك لا يتصوّر عالم بلا علم ، ولا علم بلا معلوم ، ولا معلوم بلا عالم . بل هذه الثلاثة متلازمة فى العقل لا ينفك بعض منها عن البعض : فمن جوز انفكاك العالم عن العلم فليجوّز انفكاكه عن المعلوم ، وانفكاك العلم عن العالم إذ لا فرق بين هذه الأوصاف

(تم الجزء الأول ويليه الجزء الثانى وأوله الركن الثالث من أركان الإيمان)

كتاب الشعب

إحياء علوم الدين

للإمام أبي حامد الغزالي

الجزء الثاني

دار الشعب
٩٩ شارع قصر العيني - القاهرة ت ٨٨١٠

(كتاب الشعب)

الركن الثالث : العلم بأفعال الله تعالى ، ومداره على عشرة أصول

الاصل الأول

العلم بأن كل حادث فى العالم فهو فعله وخلقه واختراعه ، لا خالق له سواه ولا محدث له إلا إياه ، خلق الخلق وصنعهم ، وأوجد قدرتهم وحركتهم ، فجميع أفعال عباده مخلوقة له ، ومتعلقة بقدرته ، تصديقا له فى قوله تعالى : (اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) وفى قوله تعالى : (وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) وفى قوله تعالى (وأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) أمر العباد بالتحرز فى أقوالهم وأفعالهم وإسرارهم وإضمارهم ،لعلمه بموارد أفعالهم واستدل على العلم بالخلق ، وكيف لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته تامة لاقصور فيها ، وهى متعلقة بحركة أبدان العباد ، والحركات متماثلة ، وتعلق القدرة بها لذاتها ؟ فما الذى يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون البعض مع تماثلها ؟ أو كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوى الألباب ؟ فكيف انفردت هى باختراعها دون رب الأرباب وهى غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب ؟ هيهات هيهات ! ذلت المخلوقات ، وتفرد بالملك والملكوت جبار الأرض والسموات

الأصل الثانى

أن انفراد الله سبحانه باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب ، بل الله تعالى خلق القدرة والمقدور جميعا ، وخلق الاختيار والمختار جميعا . فأما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه وليست بكسب له . وأما الحركة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسب له ، فانها خلقت مقدورة بقدرة هى وصفه ، وكانت للحركة نسبة إلى صفة أخرى تسمى قدرة ، فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبا ، وكيف تكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية ؟ أو كيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل أجزاء الحركات المكتسبة وأعدادها ، وإذا بطل الطرفان لم يبق إلا الاقتصاد فى الاعتقاد ، وهو أنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا ، وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب ، وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع فقط ، إذ

قدرة الله تعالى فى الأزل قد كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلا بها ، وهى عند الاختراع متعلقة به نوعا آخر من التعلق . فبه يظهر أن تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها

الأصل الثالث

أن فعل العبد وإن كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مراداً لله سبحانه ، فلا يجرى فى الملك والملكوت طرفة عين ولا لفتة خاطر ولا فلتة ناظر إلا بقضاء الله وقدرته ، وبإرادته ومشيئته ، ومنه الشر والخير ، والنفع والضر ، والاسلام والكفر ، والعرفان والنكر ، والفوز والخسران ، والغواية والرشد ، والطاعة والعصيان ، والشرك والإيمان ، لا رادّ لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، يضل من يشاء ويهدى من يشاء ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . ويدل عليه من النقل قول الأمة قاطبة : ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وقول الله عز وجل : (أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا) وقوله تعالى : (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا)

ويدل عليه من جهة العقل أن المعاصى والجرائم إن كان الله يكرهها ولا يريدها وإنما هى جارية على وفق إرادة العدو إبليس لعنه الله مع أنه عدو لله سبحانه والجارى على وفق إرادة العدو أكثر من الجارى على وفق إرادته تعالى ، فليت شعرى ، كيف يستجيز المسلم أن يرد ملك الجبار ذى الجلال والاكرام إلى رتبة لو ردت اليها رياسة زعيم ضيعة لاستنكف منها ! إذ لو كان ما يستمر لعدو الزعيم فى القرية أكثر مما يستقيم له لاستنكف من زعامته وتبرأ عن ولايته ، والمعصية هى الغالبة على الخلق ، وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف إرادة الحق تعالى . وهذا غاية الضعف والعجز ، تعالى رب الأرباب عن قول الظالمين علواً كبيراً .

ثم مهما ظهر أن أفعال العباد مخلوقة لله صح أنها مرادة له

فإن قيل : فكيف ينهى عما يريد ويأمر بما لا يريد ؟ قلنا الأمر غير الارادة ، ولذلك إذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فأراد إظهار حجته بأن يأمر العبد بفعل ويخالفه بين يديه ، فقال له : أسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان فهو يأمره بما لا يريد امتثاله ، ولو لم يكن آمراً لما كان عذره عند السلطان ممهدا ، ولو كان مريداً لامتثاله لكان مريداً لهلاك نفسه ، وهو محال

الأصل الرابع

أن الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ، ومتطوّل بتكليف العباد ، ولم يكن الخلق والتكليف واجبا عليه . وقالت المعتزلة : وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد، وهو محال ، إذ هو الموجب والآمر والناهى ، وكيف يتهدف لإيجاب أو يتعرض للزوم وخطاب ؟ والمراد بالواجب أحد أمرين : إما الفعل الذى فى تركه ضرر. إما آجل كما يقال : يجب على العبد أن يطيع الله حتى لا يعذبه فى الآخرة بالنار ، أوضرر عاجل كما يقال : يجب على العطشان أن يشرب حتى لا يموت ، وإما أن يرادبه الذى يؤدى عدمه إلى محال ، كما يقال : وجود المعلوم واجب ، إذ عدمه يؤدى إلى محال وهو أن يصير العلم جهلا ، فان أراد الخصم بأن الخلق واجب على الله بالمعنى الأول فقد عرضه للضرر ، وأن أراد به المعنى الثانى فهو مسلّم ، إذ بعد سبق العلم لابد من وجود المعلوم . وإن أراد به معنى ثالثا فهو غير مفهوم . وقوله : يجب لمصلحة عباده ، كلام فاسد ، فانه اذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب فى حقه معنى . ثم ان مصلحة العباد فى أن يخلقهم فى الجنة ، فأما أن يخلقهم فى دار البلايا ويعرضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر العقاب وهول العرض والحساب ، فما فى ذلك غبطة عند ذوى الألباب

الأصل الخامس

أنه يجوز على الله سبحانه أن يكلف الخلق مالا يطيقونه ، خلافا للمعتزلة ، ولو لم يجز ذلك لاستحال سؤال دفعه ، وقد سألوا ذلك فقالوا : « رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ » ولأن الله تعالى أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن أباجهل لا يصدّقه ثم أمره بأن يأمره بأن يصدّقه فى جميع أقواله ، وكان من جملة أقواله أنه لا يصدقه ، فكيف يصدقه فى أنه لا يصدقه ؟ وهل هذا الا محال وجوده ؟

الأصل السادس

أن لله عز وجل إيلامَ الخلق وتعذيبَهم من غير جرم سابق ، ومن غير ثواب لاحق ، خلافا للمعتزلة ، لأنه متصرف فى ملكه ، ولا يتصوّر أن يعدُوَ تصرفهُ ملكَه ، والظلم هو عبارة عن التصرف فى ملك الغير بغير إذنه ، وهو محال على الله تعالى ، فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما . ويدل على جواز ذلك وجوده ، فان ذبح البهائم إيلام لها ، وما صب عليها من أنواع العذاب من جهة الآدميين لم يتقدمها جريمة

فإن قيل : إن الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما قاسته من الآلام ، ويجب ذلك على الله سبحانه

فنقول : من زعم أنه يجب على الله إحياء كل نملة وُطئت ، وكل بقة عُركت حتى يثيبها على آلامها ، فقد خرج عن الشرع والعقل ، اذ يقال : وصف الثواب والحشر بكونه واجبا عليه إن كان المراد به أنه يتضرر بتركه ، فهو محال ، وإن أريد به غيره فقد سبق أنه غير مفهوم إذا خرج عن المعانى المذكورة للواجب

الأصل السابع

أنه تعالى يفعل بعباده ما يشاء ، فلا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده لما ذكرناه من أنه لا يجب عليه سبحانه شيء ، بل لا يعقل فى حقه الوجوب ، فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون . وليت شعرى بما يجيب المعتزلى فى قوله : إن الاصلح واجب عليه فى مسألة نعرضها عليه ، وهو أن يفرض مناظرة فى الآخرة بين صبي وبين بالغ ماتا مسلمين فإن الله سبحانه يزيد فى درجات البالغ ويفضله عن الصبى لأنه تعب بالايمان والطاعات بعد البلوغ ، ويجب عليه ذلك عند المعتزلى ، فلو قال الصبي : يارب لم رفعت منزلته على ؟ فيقول : لأنه بلغ واجتهد فى الطاعات ويقول الصبي : أنت أمتنى فى الصبا فكان يجب عليك أن تديم حياتى حتى أبلغ فأجتهد فقد عدلت عن العدل فى التفضيل عليه بطول العمر له دونى فلم فضلته ؟ فيقول الله تعالى : لأنى علمت أنك لو بلغت لأشركت أو عصيت فكان الأصلح لك الموت فى الصبا . هذا عذر المعتزلى عن الله عز وجل ، وعند هذا ينادى الكفارُ من دركات لَظى ويقولون : يارب أما علمت أننا إذا بلغنا أشركنا فهلا أمتنا فى الصبا فانا رضينا بما دون منزلة الصبي المسلم : فبماذا يجاب عن ذلك؟ وهل يجب عند هذا إلا القطع بأن الأمور الالهية تتعالى بحكم الجلال عن أن توزن بميزان أهل الاعتزال

فان قيل : مهما قدر على رعاية الأصلح للعباد ثم سلط عليهم أسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة

قلنا : القبيح مالا يوافق الغرض ، حتى إنه قد يكون الشيء قبيحا عند شخص حسنا عند غيره إذا وافق غرض أحدهما دون الآخر ، حتى يستقبح قتل الشخص أولياؤه ويستحسنه

أعداؤه ، فان أريد بالقبيح مالا يوافق غرض البارى سبحانه فهو محال ، إذ لا غرض له ، فلا يتصور منه قبيح ، كما لا يتصور منه ظلم ، إذ لا يتصور منه التصرف فى ملك الغير . وإن أريد بالقبيح مالا يوافق غرض الغير فلم قلتم إن ذلك عليه محال ؟ وهل هذا إلا مجرد تشهى يشهد بخلافه ما قد فرضناه من مخاصمة أهل النار ؟ ثم الحكيم معناه العالم بحقائق الأشياء القادر على فعلها على وفق إرادته ، وهذا من أين يوجب رعاية الأصلح ، وأما الحكيم منا يراعى الأصلح نظرا لنفسه ليستفيد به فى الدنيا ثناء وفى الآخرة ثوابا ، أو يدفع به عن نفسه آفة ، وكل ذلك على الله سبحانه وتعالى محال

الأصل الثامن

أن معرفة الله سبحانه وطاعته واجبة بإيجاب الله تعالى وشرعه ، لا بالعقل ، خلافاً للمعتزلة لأن العقل وإن أوجب الطاعة فلا يخلو إما أن يوجبها لغير فائدة وهو محال ، فان العقل لا يوجب العبث ، وإما أن يوجبها لفائدة وغرض ، وذلك لا يخلو إما أن يرجع إلى المعبود وذلك محال فى حقه تعالى ، فإنه يتقدس عن الأغراض والفوائد ، بل الكفر والإيمان والطاعة والعصيان فى حقه تعالى سيّان . وإما أن يرجع ذلك إلى غرض العبد وهو أيضاً محال لأنه لا غرض له فى الحال ، بل يتعب به وينصرف عن الشهوات بسببه ، وليس فى المآل إلا الثواب والعقاب . ومن أين يعلم أن الله تعالى يثيب على المعصية والطاعة ولا يعاقب عليهما مع أن الطاعة والمعصية فى حقه يتساويان ، إذ ليس له إلى أحدهما ميل ولا به لأحدهما اختصاص وإنما عرف تمييز ذلك بالشرع ؟ ولقد ذل من أخذ هذا من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق بين الشكر والكفران لما له من الارتياح والاهتزاز والتلذذ بأحدهما دون الآخر

فإن قيل : فإذا لم يجب النظر والمعرفة إلا بالشرع والشرع لا يستقر ما لم ينظر المكلف فيه ، فإذا قال المكلف للنبىّ : إن العقل ليس يوجب على النظر والشرع لا يثبت عندى إلا بالنظر ، ولست أقدم على النظر ، أدّى ذلك إلى إفحام الرسول صلى الله عليه وسلم

قلنا : هذا يضاهى قول القائل للواقف فى موضع من المواضع : إن وراءك سبعاً ضارياً فإن لم تبرح عن المكان قتلك ، وإن التفتّ وراءك ونظرت عرفت صدقى . فيقول الواقف :

لا يثبت صدقك ما لم ألتفت ورائى ، ولا ألتفت ورائى ولا أنظر ما لم يثبت صدقك . فيدل هذا على حماقة هذا القائل وتهدفه للهلاك ، ولا ضرر فيه على الهادى المرشد ، فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن وراءكم الموت ، ودونه السباع الضارية والنيران المحرقة إن لم تأخذوا منها حذركم وتعرفوا لى صدق بالالتفات إلى معجزتى وإلا هلكتم ، فمن التفت عرف واحترز ونجا ، ومن لم يلتفت وأصر هلك وتردى ، ولا ضرر عَلَيَّ إن هلك الناس كلهم أجمعون ، وإنما عَلَيَّ البلاغ المبين . فالشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت ، والعقل يفيد فهم كلامه والإحاطة بإمكان ما يقوله فى المستقبل ، والطبع يستحث على الحذر من الضرر ومعنى كون الشيء واجبا أن فى تركه ضرراً . ومعنى كون الشرع موجبا أنه معرف للضرر المتوقع ، فان العقل لا يهدى إلى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات . فهذا معنى الشرع والعقل وتأثيرهما فى تقدير الواجب . ولولا خوف العقاب على ترك ما أمر به لم يكن الوجوب ثابتا ، إذ لا معني للواجب إلا ما يرتبط بتركه ضرر فى الآخرة

الأصل التاسع

أنه ليس يستحيل بعثة الأنبياء عليهم السلام ، خلافا للبراهمة حيث قالوا : لا فائدة فى بعثتهم إذ فى العقل مندوحة عنهم ، لأن العقل لا يهدى إلى الأفعال المنجية فى الآخرة كما لا يهدى إلى الأدوية المفيدة للصحة ، فحاجة الخلق إلى الأنبياء كحاجتهم إلى الأطباء ، ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ، ويعرف صدق النبي بالمعجزة

الأصل العاشر

أن الله سبحانه قد أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين ، وناسخا لما قبله من شرائع اليهود والنصارى والصابئين ، وأيده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة[1] « كَانْشِقَاقِ ٱلْقَمَرِ » [2] « وتَسْبِيحِ ٱلْحَصَى » [3] « وَإِنْطَاقِ ٱلْعَجْمَاءِ وَمَا تَفَجَّرَ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ مِنَ ٱلْمَاءِ »

---

(١) حديث انشقاق القمر متفق عليه من حديث أنس وابن مسعود وابن عباس

(٢) حديث تسبيح الحصى البيهقى فى دلائل النبوة من حديث أبى ذر وقال صالح بن أبى الأخضر ليس بالحافظ والمحفوظ رواية رجل من بنى سليم لم يسم عن أبى ذر

(٣) حديث إنطاق العجماء أحمد والبيهقى باسناد صحيح من حديث يعلي بن مرة فى البعير الذى شكا الى النبي صلى الله عليه وسلم أهله وقد ورد فى كلام الضب والذئب والحرة أحاديث رواها البيهقى فى الدلائل

ومن آياته الظاهرة التى تحدّى بها مع كافة العرب القرءان العظيم ، فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهدّفوا لسبيه ونهبه وقتله وإخراجه كما أخبر الله عز وجل عنهم ، ولم يقدروا على معارضته بمثل القرءان ، إذ لم يكن فى قدرة البشر الجمع بين جزالة القرءان ونظمه ، هذا مع ما فيه من أخبار الأولين ، مع كونه أمياً غير ممارس للكتب ، والإنباء عن الغيب فى أمور تحقق صدقه فيها فى الاستقبال ، كقوله تعالى : (لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ) وكقوله تعالى : (أَلَمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِى بِضْعِ سِنِينَ)

ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل أن كل ما عجز عنه البشر لم يكن إلا فعلا لله تعالى ، فهما كان مقرونا بتحدى النبى صلى الله عليه وسلم ينزّل منزلة قوله : صدقت ، وذلك مثل القائم بين أيدى الملك المدعى على رعيته أنه رسول الملك اليهم ، فانه مهما قال للملك إن كنت صادقا فقم على سريرك ثلاثا واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك ، حصل للحاضرين علم ضرورى بأن ذلك نازل منزلة قوله صدقت

الركن الرابع فى السمعيات وتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه ومداره على عشرة أصول

الأصل الأول

« ٱلْحَشْرُ وَٱلنَّشْرُ »[1] وقد ورد بهما الشرع ، وهو حق ، والتصديق بهما واجب لأنه فى العقل ممكن . ومعناه الاعادة بعد الافناء ، وذلك مقدور لله تعالى ، كابتداء الانشاء ، قال الله تعالى : (قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَامَ وَهِىَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ) فاستدل بالابتداء على الاعادة . وقال عز وجل : (مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ) والاعادة ابتداء ثان ، فهو ممكن كالابتداء الأول

---

(١) حديث الحشر والنشر الشيخان من حديث ابن عباس انكم لمحشورون الى الله ـ الحديث : ومن حديث سهل يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء ـ الحديث : ومن حديث عائشة يحشرون يوم القيامة حفاة ومن حديث أبى هريرة يحشر الناس على ثلاث طرائق ـ الحديث : ولابن ماجه من حديث ميمونة مولاة النبى صلى الله عليه وسلم أفتنا فى بيت المقدس وأرض المحشر والمنشر الحديث واسناده جيد

الأصل الثانى

« سُؤَالُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ »[1] وقد وردت به الأخبار ، فيجب التصديق به ، لأنه ممكن ، إذ ليس يستدعى إلا إعادة الحياة إلى جزء من الأجزاء الذى به فهم الخطاب ، وذلك ممكن فى نفسه ، ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون أجزاء الميت وعدم سماعنا للسؤال له ، فان النائم ساكن بظاهره ويدرك بباطنه من الآلام واللذات ما يحس بتأثيره عند التنبه ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] « يَسْمَعُ كلامَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُشَاهِدُهُ وَمَنْ حَوْلَهُ لَا يَسْمَعُونَهُ وَلَا يَرَوْنَهُ وَلَا يحيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ » فاذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه

الأصل الثالث

« عَذَابُ الْقَبْرِ » وقد ورد الشرع به قال الله تعالى[3] (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) واشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح الاستعاذة من عذاب القبر ، وهو ممكن ، فيجب التصديق به ، ولا يمنع من التصديق به تفرق أجزاء الميت فى بطون السباع وحواصل الطيور ، فان المدرك لألم العذاب من الحيوان أجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على إعادة الادراك إليها

الأصل الرابع

الميزان ، وهو حق ، قال الله تعالى : (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) . وقال تعالى : (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) الآية . ووجهه أن الله تعالى يحدث فى صحائف الأعمال وزنًا بحسب درجات الأعمال عند الله تعالى ، فتصير مقادير أعمال العباد معلومة للعباد ، حتى يظهر لهم العدل فى العقاب ، أو الفضل فى العفو وتضعيف الثواب

---

(١) حديث سؤال منكر ونكير تقدم

(٢) حديث كان يسمع كلام جبريل ويشاهده ومن حوله لايسمعونه ولا يرونه البخارى ومسلم من حديث عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ياعائشة هذا جبريل جماعة من الصحابة منهم عمر وابنه عبد الله وكعب بن مالك وغيرهم

(٣) حديث استعاذ من عذاب القبر أخرجاه من حديث أبى هريرة وعائشة وقد تقدم

الأصل الخامس

الصراط ، وهو جسر ممدود على متن جهنم ، أرق من الشعرة وأحد من السيف ، قال الله تعالى : (فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ) . وهذا ممكن ، فيجب التصديق به ، فان القادر على أن يطير الطير فى الهواء قادر على أن يسير الإنسان على الصراط

الأصل السادس

أن الجنة والنار مخلوقتان ، قال الله تعالى : (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) . فقوله تعالى :(أعدت) ، دليل علي أنها مخلوقة ، فيجب إجراؤه على الظاهر إذ لا استحالة فيه . ولا يقال : لا فائدة فى خلقها قبل يوم الجزاء لأن الله تعالى : « لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ »

الأصل السابع

أن الإمام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على رضي الله عنهم ، ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إمام أصلا ، إذ لو كان لكان أولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة والأمراء على الجنود فى البلاد ، ولم يخفَ ذلك ، فكيف خفي هذا ؟ وإن ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل إلينا ؟ فلم يكن أبو بكر إماماً إلا بالاختيار والبيعة . وأما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كلهم إلى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرق الإجماع ، وذلك مما لا يستجرىء على اختراعه إلا الروافض . واعتقاد أهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما أثنى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم . وما جرى بين معاوية وعلى رضى الله عنهما كان مبنياً على الإجتهاد لامنازعة من معاوية فى الإمامة ، إذ ظن على رضى الله عنه أن تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدى إلى اضطراب أمر الإمامة فى بدايتها ، فرأى التأخير أصوب ، وظن معاوية أن تأخير أمرهم مع عظم جنايتهم يوجب الإغراء بالأئمة ويعرّض الدماء للسفك . وقدقال أفاضل العلماء : كل مجتهد مصيب . وقال قائلون : المصيب واحد ، ولم يذهب إلى تخطئة على ذو تحصيل أصلا

الاصل الثامن

أن فضل الصحابة رضى الله عنهم على حسب ترتيبهم فى الخلافة ، إذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله عز وجل ، وذلك لا يطلع عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] وقد ورد فى الثناء على جميعهم آيات وأخبار كثيرة وإنما يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه المشاهدون للوحى والتنزيل بقرائن الأحوال ودقائق التفصيل ، فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الأمر كذلك إذ كانوا لا تأخذهم فى الله لومة لائم ، ولا يصرفهم عن الحق صارف

الأصل التاسع

أن شرائط الامامة بعد الإسلام والتكليف خمسة : الذكورة ، والورع ، والعلم ، والكفاية ، ونسبة قريش ، لقوله صلى الله عليه وسلم [2] « الأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ » وإذا اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات فالامام من انعقدت له البيعة أكثر الخلق ، والمخالف للأكثر باغ يجب رده إلى الانقياد إلى الحق

الاصل العاشر

أنه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للامامة وكان فى صرفه إثارة فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد إمامته لأنا بين أن نحرك فتنة بالاستبدال ، فما يلقى المسلمون فيه من الضرر يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التى أثبتت لمزية المصلحة ، فلا يهدم أصل المصلحة شغفا بمزاياها ، كالذى يبنى قصرا ويهدم مصرا ، وبين أن نحكم بخلو البلاد عن الأمام وبفساد الأقضية وذلك محال ، ونحن نقضى بنفوذ قضاء أهل البغى فى بلادهم لمسيس حاجتهم ، فكيف لا نقضى بصحة الإمامة عند الحاجة والضرورة

فهذه الأركان الأربعة الحاوية للاصول الأربعين هى قواعد العقائد . فمن اعتقدها كان موافقا لأهل السنة ومباينا لرهط البدعة . فالله تعالى يسددنا بتوفيقه ، ويهدينا الى الحق وتحقيقه ، بمنه وسعة جوده وفضله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وكل عبد مصطفى

---

(١) حديث الثناء على الصحابة تقدم

(٢) حديث الأئمة من قريش النسائى من حديث أنس والحاكم من حديث ابن عمر .

الفصل الرابع

من قواعد العقائد

فى الإيمان والإسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال ، وما يتطرق إليه من الزيادة والنقصان ، ووجه استثناء السلف فيه ، وفيه ثلاثة مسائل

مسألة

اختلفوا فى أن الاسلام هو الايمان أو غيره ، وإن كان غيره فهل هو منفصل عنه يوجد دونه أو مرتبط به يلازمه ؟ فقيل : إنهما شىء واحد . وقيل : إنهما شيآن لايتواصلان . وقيل إنهما شيآن ولكن يرتبط أحدهما بالآخر . وقد أورد أبو طالب المكى فى هذا كلاما شديد الاضطراب كثير التطويل . فلنهجم الآن على التصريح بالحق من غير تعريج على نقل مالا تحصيل له . فنقول: فى هذا ثلاثة مباحث : بحث عن موجب اللفظين فى اللغة ، وبحث عن المراد بهما فى إطلاق الشرع ، وبحث عن حكمهما فى الدنيا والآخرة . والبحث الأول لغوى ، والثانى تفسيري ، والثالث فقهى شرعي

البحث الأول فى موجب اللغة

والحق فيه أن الإيمان عبارة عن التصديق قال الله تعالي : (وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا) أي بمصدّق . والاسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالإذعان والانقياد وترك التمرد والاباء والعناد . وللتصديق محل خاص وهو القلب ، واللسان ترجمانه . وأما التسليم فإنه عام فى القلب واللسان والجوارح ؛ فأن كل تصديق بالقلب فهو تسليم وترك الاباء والجحود ، وكذلك الاعتراف باللسان ، وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح . فموجب اللغة أن الاسلام أعم ، والايمان أخص ، فكان الايمان عبارة عن أشرف أجزاء الاسلام ، فاذن كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقاً

البحث الثانى عن إطلاق الشرع

والحق فيه أن الشرع قد ورد باستعمالهما على سبيل الترادف والتوارد ، وورد على سبيل الاختلاف ، وورد على سبيل التداخل

أما الترادف فى قوله تعالى : (فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) ولم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد . وقال تعالى : (يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ) . وقال صلى الله عليه وسلم : [1] « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ » [2] وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة عن الايمان فأجاب بهذه الخمس

وأما الاختلاف فقوله تعالى : (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) ومعناه استسلمنا فى الظاهر فأراد بالايمان هاهنا التصديق فقط ، وبالاسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح . وفى حديث جبرائيل عليه السلام [3] لَمَّا سَأَلَهُ عَنِ الْإِيمَانِ . فَقَالَ « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَبِالْحِسَابِ وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » فقال : فَمَا الْإِسْلَامُ فأجاب بذكر الخصال الخمس فعبر بالاسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل . وفى الحديث عن سعد أنه صلى الله عليه وسلم [4] « أَعْطَى رَجُلًا عَطَاءً وَلَمْ يُعْطِ الْآخَرَ فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ : يَارَسُولَ اللهِ تَرَكْتَ فُلَانًا لَمْ تُعْطِهِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، فقال صلى الله عليه وسلم : أَوْ مُسْلِمٌ ، فَأَعَادَ عليه فَأَعَادَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم

وأما التداخل فما روى أيضاً أنه سئل [5] فقيل « أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « الْإِسْلَامُ » فقال : أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « الْإِيمَانُ » وهذا دليل على الاختلاف ، وعلى التداخل ، وهو أوفق الاستعمالات فى اللغة ، لأن الايمان عمل من

---

(١) حديث بنى الاسلام على خمس أخرجاه من حديث ابن عمر

(٢) حديث سئل عن الايمان فأجاب بهذه الخمس البيهقى فى الاعتقاد من حديث ابن عباس فى قصة وفد عبد القيس تدرون ما الأيمان شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتصوموا رمضان وتحجوا البيت الحرام والحديث فى الصحيحين لكن ليس فيه ذكر الحج وزاد وأن تؤتوا خمسا من المغنم

(٣) حديث جبريل لما سأله عن الايمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته ـ الحديث : أخرجاه من حديث أبى هريرة ومسلم من حديث عمر دون ذكر الحساب فرواه البيهقى فى البعث وقد تقدم

(٤) حديث سعد أعطى رجلا عطاء ولم يعط الاخر فقال له سعد يارسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال أو مسلم ـ الحديث : أخرجاه بنحوه

(٥) حديث سئل أى الاعمال أفضل فقال الاسلام فقال أى الاسلام أفضل فقال الايمان أحمد والطبرانى من حديث عمرو بن عنبسة بالشطر الاخير قال رجل يارسول الله أى الاسلام أفضل قال الايمان واسناده صحيح

الاعمال وهو افضلها ، والاسلام هو تسليم إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح وأفضلها الذى بالقلب ، وهو التصديق الذي يسمى إيماناً . والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز فى اللغة

أما الاختلاف فهو أن يجعل الايمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط ، وهو موافق للغة . والاسلام عبارة عن التسليم ظاهرا ، وهو أيضا موافق للغة ، فان التسليم ببعض محالّ التسليم ينطلق عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن أن يوجد المعنى فيه ، فان من لمس غيره ببعض بدنه يسمى لامسا وإن لم يستغرق جميع بدنه : فاطلاق اسم الاسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى:(قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَـٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) . وقوله صلى الله عليه وسلم: فى حديث سعد « أَوْ مُسْلِمٌ » لأنه فضل أحدهما على الآخر ، ويريد بالاختلاف تفاضل المسمّيين

وأما التداخل فموافق أيضاً للغة فى خصوص الإيمان ، وهو أن يجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعاً ، والإيمان عبارة عن بعض ما دخل فى الاسلام وهو التصديق بالقلب وهو الذى عنيناه بالتداخل وهو موافق للغة فى خصوص الايمان وعموم الاسلام للكل . وعلى هذا خرج قوله : (الايمان) ، فى جواب قول السائل : أى الاسلام أفضل؟ لأنه جعل الايمان خصوصاً من الاسلام فأدخله فيه

وأما استعماله فيه على سبيل الترادف بأن يجعل الاسلام عبارة على التسليم بالقلب والظاهر جميعاً فان كل ذلك تسليم ، وكذا الايمان ، ويكون التصرف فى الايمان على الخصوص بتعميمه وإدخال الظاهر فى معناه ، وهو جائز ، لأن تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته . وقد يطلق إسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمره على سبيل التسامح ، فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الاسلام ومطابقا له ، فلا يزيد عليه ولا ينقص . وعليه خرج قوله : (فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ)

البحث الثالث عن الحكم الشرعى

وللاسلام والايمان حكمان أخروى ودنيوى

أما الأخروى فهو الأخراج من النار ، ومنع التخليد ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] : « يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ » وقد اختلفوا فى أن هذا الحكم على ماذا يترتب ، وعبروا عنه بأن الايمان ماذا هو ؟ فمن قائل : إنه مجرد العقد ، ومن قائل يقول : إنه عقد بالقلب وشهادة اللسان ، ومن قائل : يزيد ثالثا وهو العمل بالاركان

ونحن نكشف الغطاء عنه ونقول : من جمع بين هذه الثلاثة فلاخلاف فى أن مستقره الجنة : وهذه درجة

والدرجة الثانية : أن يوجد اثنان وبعض الثالث ، وهو القول والعقد وبعض الأعمال ، ولكن ارتكب صاحبه كبيرة أو بعض الكبائر ، فعند هذا قالت المعتزلة : خرج بهذا عن الإيمان ولم يدخل فى الكفر ، بل اسمه فاسق ، وهو على منزلة بين المنزلتين ، وهو مخلد فى النار وهذا باطل كما سنذكره

الدرجة الثالثة : أن يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الأعمال بالجوارح . وقد اختلفوا فى حكمه ، فقال أبو طالب المكى : العمل بالجوارح من الايمان ولا يتم دونه ، وادعى الاجماع فيه ، واستدل بأدلة تشعر بنقيض غرضه ، كقوله تعالى : (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) إذ هذا يدل على أن العمل وراء الايمان لا من نفس الايمان ، وإلا يكون العمل فى حكم المعاد . والعجب أنه ادعى الاجماع فى هذا ، وهو مع ذلك ينقل قوله صلى الله عليه وسلم : [٢] « لَا يَكْفُرُ إِلَّا بَعْدَ جُحُودِهِ لِمَا أَقَرَّ بِهِ » وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد فى النار بسبب الكبائر . والقائل بهذا قائل بنفس مذهب المعتزلة إذ يقال له : من صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات فى الحال فهل هو فى الجنة : فلا بد أن يقول نعم ، وفيه حكم بوجود الايمان دون العمل ، فنزيد ونقول : لو بقى حياً حتى دخل عليه وقت صلاة واحدة فتركها ثم مات ، أو زنى ثم مات

---

(١) حديث يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان أخرجاه من حديث أبى سعيد الخدرى فى الشفاعة وفيه اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من ايمان فأخرجوه ـ الحديث : ولهما من حديث أنس فيقال انطلق فأخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان وهو عندهما متصل بلفظ خير مكان ايمان

(٢) حديث لاتكفروا أحدا لا بجحوده بما أقر به الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى سعيد لن يخرج أحد من الايمان الا بجحود ما دخل فيه واسناده ضعيف

فهل يخلد فى النار ؟ فان قال نعم فهو مراد المعتزلة ، وإن قال لا فهو تصريح بأن العمل ليس ركنا من نفس الايمان ولا شرطا فى وجوده ولا فى استحقاق الجنة به ، وإن قال : أردت به أن يعيش مدة طويلة ولا يصلى ولا يقدم على شىء من الأعمال الشرعية ، فنقول : فما ضبط تلك المدة ؟ وما عدد تلك الطاعات التى بتركها يبطل الايمان ؟ وما عدد الكبائر التى بارتكابها يبطل الايمان ؟ وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصر إليه صائر أصلا

الدرجة الرابعة : أن يوجد التصديق بالقلب قبل أن ينطق باللسان أو يشتغل بالأعمال ومات ، فهل نقول : مات مؤمناً بينه وبين الله تعالى ؟ وهذا مما اختلف فيه . ومن شرط القول لتمام الإيمان يقول هذا مات قبل الايمان وهو فاسد ، إذ قال صلى الله عليه وسلم « يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ » . وهذا قلبه طافح بالايمان ، فكيف يخلد فى النار ولم يشترط فى حديث جبريل عليه السلام للايمان إلا التصديق بالله تعالى وملائكته وكتبه واليوم الآخر ، كما سبق

الدرجة الخامسة : أن يصدّق بالقلب ويساعده من العمر مهلة النطق بكلمتى الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها ، فيحتمل أن يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلاة ونقول : هو مؤمن غير مخلد فى النار ، والايمان هو التصديق المحض ، واللسان ترجمان الايمان فلا بد أن يكون الايمان موجوداً بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان ، وهذا هو الأظهر ، إذ لا مستند إلا اتباع موجب الألفاظ ووضع اللسان أن الايمان هو عبارة عن التصديق بالقلب. وقد قال صلى الله عليه وسلم : « يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ » ولا ينعدم الايمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب ، كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب. وقال قائلون : القول ركن إذ ليس كلمتا الشهادة إخباراً عن القلب بل هو إنشاء عقد آخر وابتداء شهادة والتزام ، والأول أظهر وقد غلا فى هذا طائفة المرجئة فقالوا : هذا لا يدخل النار أصلا ، وقالوا : إن المؤمن وإن عصى فلا يدخل النار . وسنبطل ذلك عليهم

الدرجة السادسة : أن يقول بلسانه : لا اله إلا الله محمد رسول الله ، ولكن لم يصدق بقلبه ، فلا نشك فى أن هذا فى حكم الآخرة من الكفار ، وأنه مخلد فى النار . ولا نشك فى أنه فى

حكم الدنيا الذى يتعلق بالأئمة والولاة ، من المسلمين ، لأن قلبه لا يطلع عليه وعلينا أن نظن به أنه ما قاله بلسانه إلا وهو منطو عليه فى قلبه ، وإنما نشك فى أمر ثالث وهو الحكم الدنيوى فيما بينه وبين الله تعالى ، وذلك بأن يموت له فى الحال قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم يستفتى ويقول : كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت والميراث الآن فى يدى ، فهل يحل لى بينى وبين الله تعالى ؟ أو نكح مسلمة ثم صدق بقلبه هل تلزمه إعادة النكاح ؟ هذا محل نظر ، فيحتمل أن يقال : أحكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهرا وباطنا ، ويحتمل أن يقال : تناط بالظاهر فى حق غيره ، لأن باطنه غير ظاهر لغيره ، وباطنه ظاهر له فى نفسه بينه وبين الله تعالى . والأظهر والعلم عند الله تعالى أنه لا يحل له ذلك الميراث ، ويلزمه إعادة النكاح . ولذلك كان حذيفة رضى الله عنه لا يحضر جنازة من يموت من المنافقين ، وعمر رضى الله عنه كان يراعى ذلك منه فلا يحضر إذا لم يحضر حذيفة رضى الله عنه ، والصلاة فعل ظاهر فى الدنيا وإن كان من من العبادات . والتوقى عن الحرام أيضا من جملة ما يجب لله كالصلاة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « طَلَبُ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ » وليس هذا مناقضاً لقولنا أن الارث حكم الاسلام وهو الاستسلام ، بل الاستسلام التام هو ما يشمل الظاهر والباطن ، وهذه مباحث فقهية ظنية تبنى على ظواهر الألفاظ والعمومات والأقيسة ، فلا ينبغى أن يظن القاصر فى العلوم أن المطلوب فيه القطع من حيث جرت العادة بإيراده فى فن الكلام الذى يطلب فيه القطع ، فما أفلح من نظر إلى العادات والمراسم فى العلوم

فان قلت : فما شبهة المعتزلة والمرجئة ؟ وما حجة بطلان قولهم ؟ فأقول شبهتهم عمومات القرءان

أما المرجئة فقالوا : لا يدخل المؤمن النار وإن أتى بكل المعاصى لقوله عز وجل : (فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْساً وَلَا رَهَقاً) ولقوله عز وجل : (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ) الآية ولقوله تعالى : (كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا) إلى قوله : (فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ) فقوله : « كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ » عام ، فينبغى أن يكون كل من ألقى فى النار مكذباً ، ولقوله تعالى : (لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّى) وهذا حصر

وإثبات ونفى ، ولقوله تعالى : (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) فالايمان رأس الحسنات ، ولقوله تعالى : (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) وقال تعالى : (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً) ولا حجة لهم فى ذلك ، فانه حيث ذكر الايمان فى هذه الآيات أريد به الايمان مع العمل ، إذ بينا أن الايمان قد يطلق ويراد به الاسلام ، وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التأويل أخبار كثيرة فى معاقبة العاصين ومقادير العقاب . وقوله صلى الله عليه وسلم « يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ » فكيف يخرج إذا لم يدخل ؟ ومن القرءان قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) والاستثناء بالمشيئة يدل على الانقسام ، وقوله تعالى : (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) وتخصيصه بالكفر تحكم ، وقوله تعالى : (أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِى عَذَابٍ مُقِيمٍ) . وقال تعالى : (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى النَّارِ) فهذه العمومات فى معارضة عموماتهم ، ولابد من تسليط التخصيص والتأويل على الجانبين؛ لأن الأخبار مصرحة بأن العصاة يعذبون [1] ، بل قوله تعالى : (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) كالصريح فى أن ذلك لا بد منه للكل إذ لايخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه ، وقوله تعالى : (لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّى) أراد به من جماعة مخصوصين أو أراد بالأشقى شخصا معينا أيضا . وقوله تعالى : (كُلَّمَا أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا) أى فوج من الكفار . وتخصيص العمومات قريب . ومن هذه الآية وقع للأشعرى وطائفة من المتكلمين إنكار صيغ العموم ؛ وأن هذه الألفاظ يتوقف فيها إلى ظهور قرينة تدل على معناها

وأما المعتزلة فشبهتهم قوله تعالى : (وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) وقوله تعالى: (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِى خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وقوله تعالى: (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا) ثم قال : (ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوْا) وقوله

---

(١) حديث تعذيب العصاة البخارى من حديث أنس «ليصيبن أقواما سفع من النار بذنوب أصابوها» الحديث ويأتى فى ذكر الموت عدة أحاديث

تعالى : (وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ) . وكل آية ذكر الله عز وجل العمل الصالح فيها مقرونًا بالإيمان. وقوله تعالى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا) وهذه العمومات أيضًا مخصوصة ، بدليل قوله تعالى : (وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) فينبغي أن تبقى له مشيئة في مغفرة ما سوى الشرك . وكذلك قوله عليه السلام « يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ » وقوله تعالى : (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) وقوله تعالى : (إِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) فكيف يضيع أجر أصل الايمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة ؟ وقوله تعالى : (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا) أي لايمانه وقد ورد على مثل هذا السبب

فإن قلت : فقد مال الاختيار إلى أن الايمان حاصل دون العمل ، وقد اشتهر عن السلف قولهم : الايمان عقد وقول وعمل فما معناه ؟

قلنا : لا يبعد أن يعد العمل من الايمان لأنه مكمل له ومتمم ، كما يقال الرأس واليدان من الانسان ، ومعلوم أنه يخرج عن كونه إنسانًا بعدم الرأس ، ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد . وكذلك يقال التسبيحات والتكبيرات من الصلاة وإن كانت لا تبطل بفقدها . فالتصديق بالقلب من الايمان كالرأس من وجود الانسان ، إذ ينعدم بعدمه . وبقية الطاعات كالأطراف بعضها أعلى من بعض . وقد قال صلى الله عليه وسلم : [1] « لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ » والصحابة رضي الله عنهم ما اعتقدوا مذهب المعتزلة في الخروج عن الايمان بالزنا ، ولكن معناه غير مؤمن حقا إيمانًا تامًا كاملًا ، كما يقال للعاجز المقطوع الأطراف : هذا ليس بإنسان أي ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الانسانية

مسئلة

فان قلت : فقد اتفق السلف على أن الايمان يزيد وينقص : يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، فاذا كان التصديق هو الايمان فلا يتصور فيه زيادة ولا نقصان

فاقول : السلف هم الشهود العدول وما لأحد عن قولهم عدول ، فما ذكروه حق ، وإنما

(١) حديث : لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن : متفق عليه من حديث أبي هريرة

الشأن فى فهمه ، وفيه دليل على أن العمل ليس من أجزاء الايمان وأركان وجوده ، بل هو مزيد عليه يزيد به ، والزائد موجود ، والناقص موجود ، والشيء لا يزيد بذاته ، فلا يجوز أن يقال : الانسان يزيد برأسه ، بل يقال : يزيد بلحيته وسمنه ، ولا يجوز أن يقال : الصلاة تزيد بالركوع والسجود ، بل تزيد بالآداب والسنن . فهذا تصريح بان الإيمان له وجود ، ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان

فان قلت : فالإشكال قائم فى أن التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة ؟

فأقول : إذا تركنا المداهنة ولم نكترث بتشغيب من تشغب وكشفنا الغطاء ارتفع الأشكال

فنقول : الإيمان اسم مشترك يطلق من ثلاثة أوجه

الأول ــ أنه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر ، وهو إيمان العوام ، بل إيمان الخلق كلهم إلا الخواص . وهذا الاعتقاد عقدة على القلب ، تارة تشتد وتقوى ، وتارة تضعف وتسترخى ، كالعقدة على الخيط مثلا ، ولا تستبعد هذا ، واعتبره باليهودى وصلابته فى عقيدته التى لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ، ولا بتخييل ووعظ ، ولا تحقيق وبرهان . وكذلك النصرانى والمبتدعة ، وفيهم من يمكن تشكيكه بأدنى كلام ، ويمكن استنزاله عن اعتقاده بأدنى استمالة أو تخويف ، مع أنه غير شاك فى عقده كالأول ولكنهما متفاوتان فى شدة التصميم . وهذا موجود فى الاعتقاد الحق أيضاً . والعمل يؤثر فى نماء هذا التصميم وزيادته ، كما يؤثر سقى الماء فى نماء الأشجار . ولذلك قال تعالى : (فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا) وقال تعالى : (لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ) . وقال صلى الله عليه وسلم : فيما يروى فى بعض الأخبار[1] « الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ » وذلك بتأثير الطاعات فى القلب ، وهذا لا يدركه إلا من راقب أحوال نفسه فى أوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع أوقات الفتور وإدراك التفاوت فى السكون إلى عقائد الإيمان فى هذه الأحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك ، بل من يعتقد فى اليتيم معنى الرحمة إذا عمل

---

(١) حديث : الايمان يزيد وينقص : ابن عدى فى الكامل وأبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث أبى هريرة وقال ابن عدى باطل فيه محمد بن أحمد بن حرب اللحى يتعمد الكذب وهو عند ابن ماجه موقوف على أبى هريرة وابن عباس وأبى الدرداء

بموجب اعتقاده فمسح رأسه وتلطف به ، ادرك من باطنه تأكيد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل . وكذلك معتقد التواضع إذا عمل بموجبه عملا مقبلا أو ساجدا لغيره أحس من قلبه بالتواضع عند إقدامه على الخدمة . وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها أعمال الجوارح ، ثم يعود أثر الأعمال عليها فيؤكدها ويزيدها وسيأتى هذا فى ربع المنجيات والمهلكات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر ، والأعمال بالعقائد والقلوب ، فان ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت ، وأعنى بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس ، وبالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة ، والقلب من عالم الملكوت ، والأعضاء وأعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى الى حد ظن بعض الناس اتحاد أحدهما بالآخر ، وظن آخرون أنه لا عالم الا عالم الشهادة ، وهو هذه الأجسام المحسوسة . ومن أدرك الأمرين وأدرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه فقال :

رق الزجاج وراقت الخمر * وتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

ولنرجع إلى المقصود فان هذا العالم خارج عن علم المعاملة ، ولكن بين العالمين أيضاً اتصال وارتباط فلذلك ترى علوم المكاشفة تتسلق كل ساعة على علوم المعاملة إلى أن تنكشف عنها بالتكليف ، فهذا وجه زيادة الايمان بالطاعة بموجب هذا الاطلاق ، ولهذا قال على كرم الله وجهه : إن الايمان ليبدو لمعة بيضاء ، فاذا عمل العبد الصالحات نمت فزادت حتى يبيض القلب كله ، وإن النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه فذلك هو الختم ، وتلا قوله تعالى : (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) الآية

الاطلاق الثانى ـ أن يراد به التصديق والعمل جميعا . كما قال صلى الله عليه وسلم :[1] « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ بَابًا » وكما قال صلى الله عليه وسلم : « لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي هُوَ مُؤْمِنٌ » وإذا دخل العمل فى مقتضى لفظ الايمان لم تخف زيادته ونقصانه ، وهل يؤثر

---

(١) حديث : الايمان بضع وسبعون بابا : وذكر بعد هذا فزاد فيه : أدناها إماطة الأذى عن الطريق : البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة : الايمان بضع وسبعون : زاد مسلم فى رواية : وأفضلها قول لا اله الا الله وأدناها : فذكره ورواه بلفظ المصنف الترمذى وصححه

ذلك فى زيادة الايمان الذى هو مجرد التصديق ؟ هذا فيه نظر . وقد أشرنا إلى أنه يؤثر فيه الاطلاق الثالث ـ أن يراد به التصديق اليقينى على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة . وهذا أبعد الأقسام عن قبول الزيادة ، ولكنى أقول : الأمر اليقيني الذى لا شك فيه تختلف طمأنينة النفس إليه ، فليس طمأنينة النفس إلى أن الاثنين أكثر من الواحد كطمأنينتها إلى أن العالم مصنوع حادث وإن كان لا شك فى واحد منهما ، فان اليقينيات تختلف فى درجات الايضاح ، ودرجات طمأنينة النفس اليها . وقد تعرضنا لهذا فى فصل اليقين من كتاب العلم فى باب علامات علماء الآخرة ، فلا حاجة إلى الاعادة . وقد ظهر فى جميع الاطلاقات أن ما قالوه من زيادة الايمان ونقصانه حق ، وكيف لا وفى الأخبار أنه يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان . وفى بعض المواضع فى خبر آخر[1] « مِثْقَالُ دِينَارٍ » فأى معنى لاختلاف مقاديره إن كان ما فى القلب لا يتفاوت ؟ !

مسألة

فان قلت : ما وجه قول السلف : أنا مؤمن إن شاء الله ، والاستثناء شك ، والشك فى الايمان كفر ، وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالايمان ويحترزون عنه ، فقال سفيان الثورى رحمه الله : من قال أنا مؤمن عند الله فهو من الكذابين ، ومن قال أنا مؤمن حقا فهو بدعة ، فكيف يكون كاذبا وهو يعلم أنه مؤمن فى نفسه ، ومن كان مؤمناً فى نفسه كان مؤمناً عند الله ، كما أن من كان طويلا وسخيا فى نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله ، وكذا من كان مسروراً أو حزينا أو سميعا أو بصيراً . ولو قيل للانسان . هل أنت حيوان لم يحسن أن يقول أنا حيوان إن شاء الله . ولما قال سفيان ذلك قيل له : فماذا نقول ؟ قال : قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا ، وأى فرق بين أن يقول آمنا بالله وما أنزل إلينا وبين أن يقول أنا مؤمن ؟ وقيل للحسن : أمؤمن أنت ؟ فقال : إن شاء الله ، فقيل له : لم تستثنى يا أبا سعيد فى الايمان ؟ فقال : أخاف أن أقول نعم فيقول الله سبحانه كذبت يا حسن فتحق على الكلمة ، وكان يقول ما يؤمننى أن يكون الله سبحانه قد اطلع على فى بعض ما يكره فمقتنى وقال اذهب

---

(١) حديث : يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال دينار : متفق عليه من حديث أبى سعيد وسيأتي فى ذكر الموت وما بعده

لاقبلتُ لك عملا فأنا أعمل فى غير معمل . وقال ابراهيم بن أدهم . إذا قيل لك أمؤمن أنت؟ فقل لا إله إلا الله . وقال مرة . قل : أنا لا أشك فى الايمان وسؤالك إياى بدعة . وقيل لعلقمة : أمؤمن أنت ؟ قال أرجو إن شاء الله . وقال الثورى : نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وماندرى ما نحن عند الله تعالى ، فما معنى هذه الاستثناءات ؟

فالجواب أن هذا الاستثناء صحيح وله أربعة أوجه : وجهان مستندان إلى الشك لا فى أصل الايمان ولكن فى خاتمته أو كماله ، ووجهان لايستندان إلى الشك

الوجه الأول الذى لايستند إلى معارضة الشك : الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس ، قال الله تعالى : (فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ) وقال : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ) وقال تعالى : (انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ) . وقيل لحكيم . ما الصدق القبيح ؟ فقال : ثناء المرء على نفسه . والايمان من أعلى صفات المجد ، والجزم به تزكية مطلقة ، وصيغة الاستثناء كأنها نقل من عرف التزكية كما يقال للانسان أنت طبيب أو فقيه أو مفسر ؟ فيقول نعم إن شاء الله ، لافى معرض التشكيك ، ولكن لاخراج نفسه عن تزكية نفسه . فالصيغة صيغة الترديد والتضعيف لنفس الخبر ، ومعناه التضعيف للازم من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التأويل لو سئل عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء

الوجه الثانى : التأدب بذكر الله تعالى فى كل حال ، وإحالة الأمور كلها إلى مشيئة الله سبحانه ، فقد أدب الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ) ثم لم يقتصر على ذلك فيما لا يشك فيه ، بل قال تعالى : (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ) وكان الله سبحانه عالما بأنهم يدخلون لا محالة ، وأنه شاءه ، ولكن المقصود تعليمه ذلك ، فتأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل ما كان يخبر عنه معلوما كان أو مشكوكا ، حتى قال صلى الله عليه وسلم لما دخل المقابر [1] « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ » واللحوق بهم غير مشكوك فيه ، ولكن مقتضى الأدب ذكر الله تعالى ، وربط الأمور به ، وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار بعرف الاستعمال عبارة عن إظهار الرغبة والتمنى . فاذا قيل لك : إن فلانا

---

(١) حديث لما دخل المقابر قال السلام عليكم دار قوم مؤمنين ـ الحديث : مسلم من حديث أبى هريرة

يموت سريعا ، فتقول : إن شاء الله ، فيفهم منه رغبتك لا تشكيك . وإذا قيل لك : فلان سيزول مرضه ويصح ، فتقول : إن شاء الله ، بمعنى الرغبة ، فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك إلى معنى الرغبة ، وكذلك العدول إلى معنى التأدب لذكر الله تعالى كيف كان الأمر

الوجه الثالث

مستنده الشك ، ومعناه : أنا مؤمن حقا إن شاء الله ، إذ قال الله تعالى لقوم مخصوصين بأعيانهم: (أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا *) فانقسموا إلى قسمين ، ويرجع هذا إلى الشك فى كمال الإيمان لا فى أصله ، وكل إنسان شاك فى كمال إيمانه ، وذلك ليس بكفر ، والشك فى كمال الإيمان حق من وجهين :

أحدهما من حيث إن النفاق يزيل كمال الايمان وهو خفى لا تتحقق البراءة منه

والثانى أنه يكمل بأعمال الطاعات ولا يدرى وجودُها على الكمال. أما العمل فقد قال الله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ *) فيكون الشك فى هذا الصدق . وكذلك قال الله تعالى: (وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ *) فشرط عشرين وصفاً : كالوفاء بالعهد ، والصبر على الشدائد ، ثم قال تعالى : (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا *) وقد قال تعالى : (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ *) . وقال تعالى : (لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ *) الآية . وقد قال تعالى : (هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ *)

وقال صلى الله عليه وسلم : [1] « الْإِيمَانُ عُرْيَانٌ وَلِبَاسُهُ التَّقْوَى » الحديث . وقال صلى الله عليه وسلم : « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ بَابًا أَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ » . فهذا ما يدل على ارتباط كمال الإيمان بالأعمال

---

(١) حديث الايمان عريان تقدم فى العلم

* الانفال الآية ٤ . الحجرات الآية ١٥ ـ البقرة : ١٧٧ ـ المجادلة : ١١ الحديد : ١٠ ـ آل عمران : ٣٦١

وأما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الخفي فقوله صلى الله عليه وسلم: (١) « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ خَالِصٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ » وفي بعض الروايات « وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ » وفي حديث أبي سعيد الخدري (٢) « الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ : قَلْبٌ أَجْرَدُ وَفِيهِ سِرَاجٌ يُزْهِرُ فَذَلِكَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ ، وَقَلْبٌ مُصَفَّحٌ فِيهِ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ فَمَثَلُ الْإِيمَانِ فِيهِ كَمَثَلِ الْبَقْلَةِ يَمُدُّهَا الْمَاءُ الْعَذْبُ ، وَمَثَلُ النِّفَاقِ فِيهِ كَمَثَلِ الْقُرْحَةِ يَمُدُّهَا الْقَيْحُ وَالصَّدِيدُ ، فَأَيُّ الْمَادَّتَيْنِ غَلَبَ عَلَيْهِ حُكِمَ لَهُ بِهَا » وفي لفظ آخر « غَلَبَتْ عَلَيْهِ ذَهَبَتْ بِهِ » وقال عليه السلام : (٣) « أَكْثَرُ مُنَافِقِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قُرَّاؤُهَا » وفي حديث (٤) « الشِّرْكُ أَخْفَى فِي أُمَّتِي مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا »

وقال حذيفة رضي الله عنه : (٥) « كَانَ الرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَصِيرُ بِهَا مُنَافِقًا إِلَى أَنْ يَمُوتَ ، وَإِنِّي لَأَسْمَعُهَا مِنْ أَحَدِكُمْ فِي الْيَوْمِ عَشْرَ مَرَّاتٍ »

وقال بعض العلماء : أقرب الناس من النفاق من يرى أنه بريء من النفاق . وقال حذيفة : « المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانوا إذ ذاك يُخْفُونه وهم اليوم يُظْهِرونه » وهذا النفاق يضاد صدق الإيمان وكماله ، وهو خفيّ وأبعد الناس منه من يتخوفه ، وأقربهم منه من يرى أنه بريء منه ، فقد قيل للحسن البصري : يقولون أن لا نفاق اليوم ، فقال : يا أخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم في الطريق . وقال هو أو غيره : لو نبت للمنافقين أذناب ما قدرنا أن نطأ على الأرض بأقدامنا

---

(١) حديث أربع من كن فيه فهو منافق ـ الحديث : متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو

(٢) حديث القلوب أربعة قلب أجرد ـ الحديث : أحمد من حديث أبي سعيد وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه

(٣) حديث أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها : أحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر

(٤) حديث الشرك أخفى في أمتي من دبيب النملة على الصفا: أبو يعلى وابن عدي وابن حبان في الضعفاء من حديث أبي بكر. ولأحمد والطبراني نحوه من حديث أبي موسى وسيأتي في ذم الجاه والرياء

(٥) حديث حذيفة كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا . الحديث : أحمد باسناد فيه جهالة وحديث حذيفة المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الحديث : البخاري الا أنه قال شر بدل أكثر

وسمع ابن عمر [١] رضي الله عنه رجلا يتعرض للحجاج فقال : « أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ حَاضِراً يَسْمَعُ أَكُنْتَ تَتَكَلَّمُ فِيهِ ؟ فَقَالَ : لَا ، فَقَالَ : كُنَّا نَعُدُّ هَـذَا نِفَاقاً عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم »

وَقَالَ صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَ ذَا لِسَانَيْنِ فِي الدُّنْيَا جَعَلَهُ اللهُ ذَا لِسَانَيْنِ فِي الْآخِرَةِ »

وقال أيضاً : صلى الله عليه وسلم « شَرُّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَيَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ »

وقيل للحسن : إن قوماً يقولون إنا لا نخاف النفاق ، فقال : والله لأن أكون أعلم أني بريء من النفاق أحبُّ إليَّ من تلاع الأرض ذهباً . وقال الحسن : إن من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج . وقال رجل لحذيفة رضي الله عنه : إني أخاف أن أكون منافقا ، فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق، إن المنافق قد أمن من النفاق . وقال ابن أبي مليكة : « أدركت ثلاثين ومائة . وفي رواية : خمسين ومائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون النفاق »

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] « كَانَ جَالِساً فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَذَكَرُوا رَجُلاً وَأَكْثَرُوا الثَّنَاءَ عَلَيْهِ ، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمُ الرَّجُلُ وَوَجْهُهُ يَقْطُرُ مَاءً مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ وَقَدْ عَلَّقَ نَعْلَهُ بِيَدِهِ وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ أَثَرُ السُّجُودِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ هُوَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي وَصَفْنَاهُ ، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم : أَرَى عَلَى وَجْهِهِ سَفْعَةً مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَجَاءَ الرَّجُلُ حَتَّى سَلَّمَ وَجَلَسَ مَعَ الْقَوْمِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : نَشَدْتُكَ اللهَ هَلْ حَدَّثْتَ نَفْسَكَ حِينَ أَشْرَفْتَ عَلَى الْقَوْمِ أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِمْ خَيْرٌ مِنْكَ ؟ فَقَالَ : اللَّهُمَّ نَعَمْ » وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه : [٣] « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ لِمَا عَلِمْتُ وَلِمَا لَمْ أَعْلَمْ ، فَقِيلَ لَهُ : أَتَخَافُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟

---

(١) حديث سمع ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج فقال أرأيت لو كان حاضرا أكنت تتكلم فيه قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحمد والطبراني بنحوه وليس فيه ذكر الحجاج

(٢) حديث كان جالسا في جماعة من أصحابه فذكروا رجلا فأكثروا الثناء عليه فبينما هم كذلك إذ طلع رجل عليهم ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء ـ الحديث : أحمد والبزار والدارقطني من حديث أنس

(٣) حديث اللهم إني أستغفرك لما علمت وما لم أعلم ـ الحديث : مسلم من حديث عائشة اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل ولأبي بكر بن الضحاك في الشمائل في حديث مرسل وشر ما أعلم وشر مالا أعلم

فقال : وَمَا يُؤْمِنُنِي وَالْقُلُوبُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمٰنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ » وقد قال سبحانهُ : (وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ*) قيل فى التفسير: عملوا أعمالا ظنوا أنها حسنات فكانت فى كفة السيئات

وقال سَرِيّ السَّقَطِى : لو أن إنسانا دخل بستانا فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور فخاطبه كل طير منها بلغة فقال : السلام عليك يا ولى الله ، فسكنت نفسه إلى ذلك، كان أسيراً فى يديها

فهذه الأخبار والآثار تعرفك خطر الأمر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي ، وأنه لا يؤمَن منه ، حتى كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وأنه هل ذُكر فى المنافقين ؟ وقال أبو سليمان الدارانى: سمعت من بعض الأُمراء شيئا فأردت أن أنكره فخفت أن يؤمر بقتلى ولم أخف من الموت ، ولكن خشيت أن يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحى فكففت . وهذا من النفاق الذى يضاد حقيقة الإيمان وصدقه وكماله وصفاءه لا أصله

فالنفاق نفاقان :

أحدهما يُخرج من الدين ، ويُلحق بالكافرين ، ويُسلك فى زمرة المخلدين فى النار

والثانى : يفضى بصاحبه إلى النار مدة ، أو ينقص من درجات عليين، ويحط من رتبة الصدِّيقين ، وذلك مشكوك فيه ، ولذلك حُسن الاستثناء فيه

وأصل هذا النفاق تفاوت بين السر والعلانية ، والأمن من مكر الله ، والعجب ، وأمور أُخر لا يخلو عنها إلا الصدِّيقون

الوجه الرابع

وهو أيضا مستند إلى الشك ، وذلك من خوف الخاتمة ، فانه لا يدرى أيسلم له الإيمان عند الموت أم لا ، فإن ختم له بالكفر حبط عمله السابق ، لأنه موقوف على سلامة الآخر، ولو سئل الصائم ضحوة النهار عن صحة صومه فقال أنا صائم قطعا ، فلو أفطر فى أثناء نهاره بعد

* الزمر : ٤٧ .

ذلك لتبين كذبه ، إذ كانت الصحة موقوفة على التمام الى غروب الشمس من آخر النهار ، وكما أن النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام صحة الإيمان ، ووصفه بالصحة قبل آخره. بناء على الإستصحاب ، وهو مشكوك فيه ، والعاقبة مخوفة، ولاجلها كان بكاء أكثر الخائفين لأجل أنها ثمرة القضية السابقة والمشيئة الأزلية التى لا تظهر إلا بظهور المقضى به ، ولامطلع عليه لأحد من البشر ، فخوف الخاتمة كخوف السابقة . وربما يظهر فى الحال ما سبقت الكلمة بنقيضه ، فمن الذى يدرى أنه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى ؟

وقيل فى معنى قوله تعالى: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوتِ بِٱلْحَقِّ *) أى بالسابقة ، يعنى أظهرتها. وقال بعض السلف : إنما يوزن من الأعمال خواتيمها . وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يحلف بالله ما من أحد يأمن أن يسلب إيمانه إلا سُلبه

وقيل : من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك . وقيل : هى عقوبات دعوى الولاية والكرامة بالافتراء

وقال بعض العارفين : لو عرضت علىّ الشهادة عند باب الدار والموتُ على التوحيد عند باب الحجرة ، لاخترت الموت على التوحيد عند باب الحجرة ، لأنى لا أدرى ما يعرض لقلبى من التغيير عن التوحيد إلى باب الدار

وقال بعضهم : لو عرفت واحداً بالتوحيد خمسين سنة ثم حال بينى وبينه سارية ومات ، لم أحكم أنه مات على التوحيد

وفى الحديث (١) « مَنْ قَالَ أَنَا مُؤْمِنٌ فَهُوَ كَافِرٌ ، وَمَنْ قَالَ أَنَا عَالِمٌ فَهُوَ جَاهِلٌ ». وقيل فى قوله تعالى : (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً *) صدقاً لمن مات على الإيمان ، وعدلاً لمن مات على الشرك . وقد قال تعالى : (وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ ٱلْأُمُورِ *)

---

(١) حديث من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل: الطبراني فى الأوسط بالشطر الاخير منه من حديث ابن عمر وفيه ليث بن أبى سليم تقدم والشطر الاول روى من قول يحى بن أبي كثير رواه الطبرانى فى الاصغر بلفظ من قال أنا في الجنة فهو فى النار وسنده ضعيف

---

* ق : ١٩ * الأنعام : ١٥ * الحج : ٤١

فمهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجباً لأن الإيمان عبارة عما يفيد الجنة ، كما أن الصوم عبارة عما يبرىء الذمة ، وما فسد قبل الغروب لا يبرىء الذمة ، فيخرج عن كونه صوماً ، فكذلك الإيمان ، بل لا يبعد أن يسأل عن الصوم الماضى الذى لا يشك فيه بعد الفراغ منه ، فيقال : أصمت بالأمس ؟ فيقول : نعم إن شاء الله تعالى . إذ الصوم الحقيقى هو المقبول ، والمقبول غائب عنه لا يطلع عليه إلا الله تعالى . فمن هذا حسن الإستثناء فى جميع أعمال البر ، ويكون ذلك شكا فى القبول ، إذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة أسباب خفية لا يطلع عليها إلا رب الأرباب جل جلاله . فيحسن الشك فيه

فهذه وجوه حسن الإستثناء فى الجواب عن الإيمان ، وهى آخر ما نختم به كتاب قواعد العقائد

تم الكتاب بحمد الله تعالى . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى !

كتاب أسرار الطهارة

كتاب أسرار الطهارة

وهو الكتاب الثالث من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافة ، وأفاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم أنواره وألطافه، وأعد لظواهرهم تطهيرا لها الماء المخصوص بالرقة واللطافة. وصلى الله على النبي محمد المستغرق بنور الهدى أطراف العالم وأكنافه ، وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة تنجينا بركاتها يوم المخافة ، وتنتصب جُنة بيننا وبين كل آفة :

أما بعد فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (١) « بُنِيَ الدِّينُ عَلَى النَّظَافَةِ » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطُّهُورِ » وقال الله تعالى (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ*) وقال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم (٣) « الطُّهُورُ نِصْفُ الإِيمَانِ » قال الله تعالى (مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ*) فتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر أن أهم الأمور تطهير السرائر ، إذ يبعد أن يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم « الطهور نصف الايمان » عمارة الظاهر بالتنظيف بافاضة الماء وإلقائه وتخريب الباطن وإبقائه مشحونا بالأخباث والأقذار هيهات هيهات

﴿ كتاب الطهارة ﴾

(١) حديث بنى الدين على النظافة لم أجده هكذا وفى الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا فان الاسلام نظيف. والطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود : النظافة تدعو الى الايمان

(٢) حديث مفتاح الصلاة الطهور ، د ت ه من حديث على قال الترمذي هذا أصح شيء فى هذا الباب وأحسن

(٣) حديث الطهور نصف الايمان ت من حديث رجل من بنى سليم وقال حسن ورواه مسلم من حديث أبى مالك الأشعرى بلفظ شطر كما فى الاحياء

* هذه رموز يشير بها الحافظ العراقى الى مراجع التخريج وبيانها أن خ للبخارى و م لمسلم و ت للترمذى و ن للنسائى و ه لابن ماجه و د لأبى داود وقط للدار قطنى وطس للطبرانى فى الأوسط وطص للطبرانى فى الأصغر وهق للبيهقى وحب لابن حبان وعق للعقيلى و ك للحاكم

---

* التوبة : ١٠٨ * المائدة : ٦

والطهارة لها أربع مراتب

المرتبة الأولى : تطهير الظاهر عن الأحداث وعن الأخباث والفضلات

المرتبة الثانية : تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام

المرتبة الثالثة : تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة

المرتبة الرابعة : تطهير السر عما سوى الله تعالى ، وهى طهارة الأنبياء صلوات الله عليهم والصديقين . والطهارة فى كل رتبة نصف العمل الذى فيها ، فإن الغاية القصوى فى عمل السر أن ينكشف له جلال الله تعالى وعظمته ، ولن تحل معرفة الله تعالى بالحقيقة فى السر مالم يرتحل ما سوى الله تعالى عنه ، ولذلك قال الله عزوجل (قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ*) لأنهما لايجتمعان فى قلب، وَمَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ . وأما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالأخلاق المحمودة والعقائد المشروعة، ولن يتصف بها مالم ينظف عن نقائضها ، من العقائد الفاسدة والرذائل الممقوتة ، فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذى هو شرط فى الثانى. فكان الطهور شطر الإيمان بهذا المعنى، وكذلك تطهير الجوارح عن المناهى أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذى هو شرط فى الثانى، فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأوّل، وعمارتها بالطاعات الشطر الثانى ، فهذه مقامات الإيمان، ولكل مقام طبقة ،ولن ينال العبد الطبقة العالية إلا أن يجاوز الطبقة السافلة ،فلايصل إلى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة مالم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق المذموم وعمارته بالخلق المحمود ، ولن يصل إلى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهى وعمارتها بالطاعات ،وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته،فلا تظن أن هذا الأمر يدرك بالمنى وينال بالهوينا ،نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة إلا الدرجة الأخيرة التى هى كالقشرة الأخيرة الظاهرة بالإضافة إلى اللب المطلوب ، فصار يمعن فيها ويستقصى فى مجاريها ، ويستوعب جميع أوقاته فى الاستنجاء ، وغسل الثياب ، وتنظيف الظاهر ، وطلب المياه الجارية الكثيرة ، ظنا منه بحكم

* الانعام : ٩١

الوسوسة وتخيل العقل أن الطهارة المطلوبة الشريفة هي هذه فقط، وجهالة بسيرة الأولين واستغراقهم جميع الهم والفكر في تطهير القلب، وتساهلهم في أمر الظاهر، حتى إن عمر رضي الله عنه مع علوّ منصبه توضأ من ماء في جرة نصرانية، وحتى إنهم ما كانوا يغسلون اليد من الدسومات والأطعمة، بل كانوا يمسحون أصابعهم بأخمص أقدامهم، وعدوا الأشنان من البدع المحدثة، ولقد كانوا يصلون على الأرض في المساجد ويمشون حفاة في الطرقات، ومن كان لا يجعل بينه وبين الأرض حاجزا في مضجعه كان من أكابرهم، وكانوا يقتصرون على الحجارة في الاستنجاء، وقال أبو هريرة وغيره من أهل الصفة (١) «كُنَّا نَأْكُلُ الشِّوَاءَ فَتَقَامُ الصَّلَاةُ فَنُدْخِلُ أَصَابِعَنَا فِي الْحَصَى ثُمَّ نَفْرُكُهَا بِالتُّرَابِ وَنُكَبِّرُ» وقال عمر رضي الله عنه (٢) «مَا كُنَّا نَعْرِفُ الْأَشْنَانَ فِي عَصْرِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم» وإنما كانت مناديلنا بطون أرجلنا كنا إذا أكلنا الغمر مسحنا بها، ويقال أول ما ظهر من البدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع: المناخل، والأشنان، والموائد، والشبع، فكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم، الصلاة في النعلين أفضل، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) «لَمَّا نَزَعَ نَعْلَيْهِ فِي صَلَاتِهِ بِإِخْبَارِ جِبْرَائِيلَ عليه السلامُ لَهُ أَنَّ بِهِمَا نَجَاسَةً» وخلع الناس نعالهم، قال صلى الله عليه وسلم «لِمَ خَلَعْتُمْ نِعَالَكُمْ؟» وقال النخعي في الذين يخلعون نعالهم: وددت لو أن محتاجا جاء إليها فأخذها، منكرا لخلع النعال، فكذا كان تساهلهم في هذه الأمور، بل كانوا يمشون في طين الشوارع حفاة، ويجلسون عليها، ويصلون في المساجد على الأرض، ويأكلون من دقيق البر والشعير، وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الابل والخيل مع كثرة تمرغها في النجاسات، ولم ينقل قط عن أحد منهم سؤال في دقائق النجاسات، فهكذا كان تساهلهم فيها، وقد انتهت النوبة الآن إلى طائفة يسمون الرعونة نظافة، فيقولون هي مبنى

---

(١) حديث كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة فندخل أصابعنا في الحصباء ـ الحديث هـ من حديث عبد الله بن الحارث ابن جزء ولم أره من حديث أبي هريرة

(٢) حديث عمر ما كنا نعرف الأشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كانت مناديلنا باطن أرجلنا ـ الحديث: لم أجده من حديث عمر ولابن ماجه نحوه مختصرا من حديث جابر

(٣) حديث خلع نعليه في الصلاة اذ أخبره جبريل عليه الصلاة والسلام أن عليه نجاسة د ك وصححه من حديث أبي سعيد الخدري

الدين ، فأكثر أوقاتهم في تزيينهم الظواهر كفعل الماشطة بعروسها ، والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر . والعجب . والجهل . والرياء . والنفاق ، ولا يستنكرون ذلك ولا يتعجبون منه ، ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر ، أو مشى على الأرض حافيا ، أو صلى على الأرض أو على بواري المسجد من غير سجادة مفروشة ، أو مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من أدم ، أو توضأ من آنية عجوز ، أو رجل غير متقشف أقاموا عليه القيامة وشدوا عليه النكير ، ولقبوه بالقذر ، وأخرجوه من زمرتهم ، واستنكفوا عن مؤاكلته ومخالطته ، فسموا البذاذة التي هي من الإيمان قذراة ، والرعونة نظافة ، فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس حقيقته وعلمه

فإن قلت : أفتقول إن هذه العادات التي أحدثها الصوفية في هيآتهم ونظافتهم من المحظورات أو المنكرات ؟

فأقول : حاش لله أن أطلق القول فيه من غير تفصيل ، ولكني أقول : إن هذا التنظيف والتكلف وإعداد الأواني والآلات واستعمال غلاف القدم والإزار المقنع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الأسباب ، إن وقع النظر إلى ذاتها على سبيل التجرد فهي من المباحات ، وقد يقترن بها أحوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات

فأما كونها مباحة في نفسها فلا يخفى أن صاحبها متصرف بها في ماله وبدنه وثيابه ، فيفعل بها ما يريد إذا لم يكن فيه إضاعة وإسراف

وأما مصيرها منكراً ، فبأن يجعل ذلك أصل الدين ، ويفسر به قوله صلى الله عليه وسلم « بُنِيَ الدِّينُ عَلَى النَّظَافَةِ » حتى ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الأولين ، أو يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق ، وتحسين موقع نظرهم ، فإن ذلك هو الرياء المحظور ، فيصير منكرا بهذين الاعتبارين

وأما كونه معروفاً ، فبأن يكون القصد منه الخير دون التزين ، وأن لا ينكر على من ترك ذلك ، ولا يؤخر بسببه الصلاة عن أوائل الأوقات ، ولا يشتغل به عن عمل هو أفضل منه ، أو عن علم ، أو غيره ، فإذا لم يقترن به شيء من ذلك فهو مباح يمكن أن يجعل

قربة بالنية ، ولكن لا يتيسر ذلك إلا للبطالين الذين لو لم يشتغلوا بصرف الأوقات فيه لاشتغلوا بنوم أو حديث فيما لا يعنى ، فيصير شغلهم به أولى ، لأن الاشتغال بالطهارات يجدد ذكر الله تعالى وذكر العبادات ، فلا بأس به إذا لم يخرج إلى منكر أو اسراف

وأما أهل العلم والعمل فلا ينبغى أن يصرفوا من أوقاتهم اليه إلا قدر الحاجة ، فالزيادة عليه منكر فى حقهم ، وتضييع العمر الذى هو أنفس الجواهر وأعزها فى حق من قدر على الانتفاع به . ولا يتعجب من ذلك فان حسنات الأبرار سيآت المقربين . ولا ينبغى للبطال أن يترك النظافة وينكر على المتصوفة ويزعم أنه يتشبه بالصحابة ، إذ التشبه بهم فى أن لا يتفرغ إلا لما هو أهم منه ، كما قيل لداود الطائى : لم لا تسرح لحيتك ؟ قال : إنى إذاً لفارغ . فلهذا لا أرى للعالم ولا للمتعلم ولا للعامل أن يضيع وقته فى غسل الثياب احترازاً من أن يلبس الثياب المقصورة ، وتوهما بالقصار تقصيراً فى الغسل ، فقد كانوا فى العصر الأول يصلون فى الفراء المدبوغة ، ولم يعلم منهم من فرق بين المقصورة والمدبوغة فى الطهارة والنجاسة ، بل كانوا يجتنبون النجاسة إذا شاهدوها ، ولا يدققون نظرهم فى استنباط الاحتمالات الدقيقة ، بل كانوا يتأملون فى دقائق الرياء والظلم ، حتى قال سفيان الثورى لرفيق له كان يمشى معه فنظر إلى باب دار مرفوع معمور : لا تفعل ذلك فان الناس لو لم ينظروا اليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الإسراف . فالناظر اليه مُعين له على الإسراف ، فكانوا يعدون جمام الذهن لاستنباط مثل هذه الدقائق لا فى احتمالات النجاسة ، فلو وجد العالم عاميا يتعاطى له غسل الثياب محتاطا فهو أفضل ، فانه بالإضافة إلى التساهل خير ، وذلك العامى ينتفع بتعاطيه ، إذ يشغل نفسه الأمارة بالسوء بعمل المباح فى نفسه ، فيمتنع عليه المعاصى فى تلك الحال . والنفس إن لم تشغل بشىء شغلت صاحبها وإذا قصد به التقرب إلى العالم صار ذلك عنده من أفضل القربات ، فوقت العالم أشرف من أن يصرفه إلى مثله فيبقى محفوظا عليه ، وأشرف وقت العامى أن يشتغل بمثله ، فيتوفر الخير عليه من الجوانب كلها وليتفطن بهذا المثل لنظائره من الأعمال ، وترتيب فضائلها ، ووجه

تقديم البعض منها على البعض ، فتدقيق الحساب فى حفظ لحظات العمر بصرفها إلى الأفضل أهم من التدقيق فى أمور الدنيا بحذافيرها

وإذا عرفت هذه المقدمة ، واستبنت أن الطهارة لها أربع مراتب ، فاعلم أنا فى هذا الكتاب لسنا نتكلم إلا فى المرتبة الرابعة وهى نظافة الظاهر ، لأنا فى الشطر الأول من الكتاب لا نتعرض قصدا إلا للظواهر

فنقول : طهارة الظاهر ثلاثة أقسام : طهارة عن الخبث ، وطهارة عن الحدث ، وطهارة عن فضلات البدن ، وهى التى تحصل بالقلم ، والاستحداد ، واستعمال النورة والختان وغيره

القسم الأول فى طهارة الخبث

والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال به والإزالة

الطرف الأول فى المزال

وهى النجاسة . والأعيان ثلاثة : جمادات ، وحيوانات ، وأجزاء حيوانات

أما الجمادات فطاهرة كلها إلا الخمر ، وكل منتبذ مسكر

والحيوانات طاهرة كلها إلا الكلب والخنزير وما تولد منهما أو من أحدهما ، فإذا ماتت فكلها نجسة إلا خمسة : الآدمى ، والسمك ، والجراد ، ودود التفاح ، وفى معناه كل ما يستحيل من الأطعمة ، وكل ما ليس له نفس سائلة كالذباب والخنفساء وغيرهما ، فلا ينجس الماء بوقوع شىء منها فيه

وأما أجزاء الحيوانات فقسمان : (أحدهما) ما يقطع منه ، وحكمه حكم الميت . والشعر لا ينجس بالجز والموت ، والعظم ينجس . (الثانى) الرطوبات الخارجة من باطنه ، فكل ما ليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر : كالدمع والعرق ، واللعاب ، والمخاط ، وماله مقر وهو مستحيل فنجس إلا ما هو مادة الحيوان : كالمنى ، والبيض ، والقيح ، والدم ، والروث والبول نجس من الحيوانات كلها

ولا يعفى عن شيء من هذه النجاسات قليلها وكثيرها إلا عن خمسة :

(الأول) أثر النجو بعد الاستجمار بالأحجار يعفى عنه ما لم يعْدُ المخرج

(الثانى) طين الشوارع وغبار الروث فى الطريق . يعفى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه ، وهو الذى لا ينسب المتلطخ به إلى تفريط أو سقطة

(الثالث) ما على أسفل الخف من نجاسة لا يخلو الطريق عنها ، فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة

(الرابع) دم البراغيث ما قل منه أو كثر ، إلا إذا جاوز حد العادة ، سواء كان فى ثوبك أو فى ثوب غيرك فلبسته

(الخامس) دم البثرات وما ينفصل منها من قيح وصديد . ودلك ابن عمر رضى الله عنه بثرة على وجهه ، فخرج منها الدم وصلى ولم يغسل . وفى معناه ما يترشح من لطخات الدماميل التى تدوم غالبا ، وكذلك أثر الفصد إلا ما يقع نادرا من خُرَّاج أو غيره فيلحق بدم الاستحاضة ، ولا يكون فى معنى البثرات التى لا يخلو الإنسان عنها فى أحواله .

ومسامحة الشرع فى هذه النجاسات الخمس تعرفك أن أمر الطهارة على التساهل ، وما ابتدع فيها وسوسة لا أصل لها

الطرف الثانى فى المزال به

وهو إما جامد ، وإما مائع . أما الجامد فحجر الاستنجاء ، وهو مطهر تطهير تجفيف ، بشرط أن يكون صلباً طاهراً منشفاً غير محترم

وأما المائعات فلا تُزال النجاسات بشيء منها إلا الماء ، ولا كل ماء بل الطاهر الذى لم يتفاحش تغيره بمخالطة ما يستغنى عنه

ويخرج الماء عن الطهارة بأن يتغير بملاقاة النجاسة طعمه . أو لونه . أو ريحه ، فان لم يتغير وكان قريباً من مائتين وخمسين منًّا وهو خمسمائة رطل برطل العراق ، لم ينجس ، لقوله صلى الله عليه وسلم : (١) « إِذَا بَلَغَ ٱلْمَاءُ قُلَّتَيْنِ لَمْ يَحْمِلْ خَبَثاً » وإن كان دونه صار نجسا عند الشافعى رضى الله عنه . هذا فى الماء الراكد

(١) حديث إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا أصحاب السنن وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن عمر

وأما الماء الجارى إذا تغير بالنجاسة فالجرية المتغيرة نجسة دون ما فوقها وما تحتها ، لأن جريات الماء متفاصلات . وكذا النجاسة الجارية إذا جرت بمجرى الماء فالنجس موقعها من الماء ، وما عن يمينها وشمالها إذا تقاصر عن قلتين ، وإن كان جرى الماء أقوى من جرى النجاسة فما فوق النجاسة طاهر ، وما سفل عنها فنجس وإن تباعد وكثر ، إلا إذا اجتمع فى حوض قدر قلتين ، وإذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجسا بالتفريق . هذا هو مذهب الشافعى رضى الله عنه

وكنت أود أن يكون مذهبه كمذهب مالك رضى الله عنه ، فى أن الماء وإن قل لا ينجس إلا بالتغير ، إذ الحاجة ماسة إليه ، ومثار الوسواس اشتراط القلتين ، ولأجله شق على الناس ذلك . وهو لعمرى سبب المشقة ، ويعرفه من يجربه ويتأمله

ومما لا أشك فيه أن ذلك لو كان مشروطا لكان أولى المواضع بتعسر الطهارة مكة والمدينة ، إذ لا يكثر فيهما المياه الجارية ولا الراكدة الكثيرة . ومن أول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آخر عصر أصحابه لم تنقل واقعة فى الطهارة ، ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات ، وكانت أوانى مياههم يتعاطاها الصبيان والاماء الذين لا يحترزون عن النجاسات . وقد توضأ عمر رضى الله عنه بماء فى جرة نصرانية . وهذا كالصريح فى أنه لم يعول إلا على عدم تغير الماء ، وإلا فنجاسة النصرانية وإنائها غالبة تُعلم بظن قريب ، فإذا عسر القيام بهذا المذهب وعدم وقوع السؤال فى تلك الاعصار دليل أول ، وفعل عمر رضى الله عنه دليل ثان

والدليل الثالث[1] « إِصْغَاءُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم الاناء لِلْهِرَّةِ » وَعَدَمُ تَغْطِيَةِ الأَوَانِي مِنْهَا بعد أن يرى أنها تأكل الفأرة ، ولم يكن فى بلادهم حياض تلغ السنانير فيها وكانت لا تنزل الآبار .

والرابع : أن الشافعى رضى الله عنه نص على أن غسالة النجاسة طاهرة إذا لم تتغير ونجسة إن تغيرت . وأى فرق بين أن يلاقى الماء النجاسة بالورود عليها أو بورودها عليه ؟ وأى معنى لقول القائل : إن قوة الورود تدفع النجاسة مع أن الورود لم يمنع مخالطة النجاسة؟

---

(١) حديث اصغاء الاناء للهرة الطبرانى فى الأوسط والدارقطنى من حديث عائشة وروى أصحاب السنن ذلك من فعل أبى قتادة

وإن أحيل ذلك على الحاجة ، فالحاجة أيضا ماسة إلى هذا ، فلا فرق بين طرح الماء فى أجانة فيها ثوب نجس ، أو طرح الثوب النجس فى الأجانة فيها ماء ، وكل ذلك معتاد في غسل الثياب والأوانى

والخامس: أنهم كانوا يستنجون على أطراف المياه الجارية القليلة ، ولا خلاف فى مذهب الشافعى رضى الله عنه أنه إذا وقع بول فى ماء جار ولم يتغير أنه يجوز التوضؤ به وإن كان قليلا ، وأىّ فرق بين الجارى والراكد . وليت شعرى هل الحوالة على عدم التغير أولى أو على قوّة الماء بسبب الجريان ؟ ثم ماحدُّ تلك القوة : أتجرى فى المياه الجارية فى أنابيب الحمامات أم لا ؟ فإن لم تجر فما الفرق ، وإن جرت فما الفرق بين مايقع فيها وبين مايقع فى مجرى الماء من الأوانى على الأبدان وهى أيضا جارية ؟ ثم البول أشد اختلاطا بالماء الجارى من نجاسة جامدة ثابتة إذا قضى بأن مايجرى عليها وإن لم يتغير نجس إلى أن يجتمع فى مستنقع قلتان ، فأى فرق بين الجامد والمائع والماء واحد والاختلاط أشد من المجاورة ؟

والسادس : أنه إذا وقع رطل من البول فى قلتين ، ثم فرقتا فكل كوز يغترف منه طاهر ، ومعلوم أن البول منتشر فيه وهو قليل ، وليت شعرى : هل تعليل طهارته بعدم التغير أولى أو بقوة كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوالها مع تحقق بقاء أجزاء النجاسة فيها

والسابع : أن الحمامات لم تزل فى الأعصار الخالية يتوضأ فيها المتقشفون ويغمسون الأيدى والأوانى فى تلك الحياض مع قلة الماء ، ومع العلم بأن الأيدى النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليها

فهذه الأمور مع الحاجة الشديدة تقوى فى النفس أنهم كانوا ينظرون إلى عدم التغير ، معوّلين على قوله صلى الله عليه وسلم [1] « خُلِقَ ٱلْمَاءُ طَهُوراً لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ إِلَّا مَا غَيَّرَ طَعْمَهُ أَوْ لَوْنَهُ أَوْ رِيحَهُ » وهذا فيه تحقيق ، وهو أن طبع كل مائع أن يقلب إلى صفة نفسه كل مايقع فيه وكان مغلوبا من جهته ، فكما ترى الكلب يقع فى المملحة فيستحيل ملحا ، ويحكم بطهارته بصيرورته ملحا وزوال صفة الكلبية عنه ، فكذلك الخل يقع فى الماء ،

---

(١) حديث خلق الله الماء طهورا لاينجسه شيء إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه هـ من حديث أبي أمامة باسناد ضعيف وقد رواه بدون الاستثناء د ن ت من حديث أبى سعيد وصححه د وغيره

وكذا اللبن يقع فيه وهو قليل فتبطل صفته ، ويتصوّر بصفة الماء وينطبع بطبعه ، إلا إذ كثر وغلب . وتعرف غلبته بغلبة طعمه أو لونه أو ريحه

فهذا المعيار وقد أشار الشرع إليه فى الماء القوى على إزالة النجاسة ، وهو جدير بأن يعول عليه ، فيندفع به الحرج ، ويظهر به معنى كونه ظهورا ؛ إذ يغلب عليه فيطهره ، كما صار كذلك فيما بعد القلتين ، وفى الغسالة ، وفى الماء الجارى ، وفى إسقاء الإناء للهرة

ولا تظن ذلك عفوا إذ لو كان كذلك لكان كأثر الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاقى له نجسا ، ولا ينجس بالغسالة ، ولا بولوغ السنور في الماء القليل

وأما قوله صلى الله عليه وسلم « لَا يَحْمِلُ خَبَثًا » فهو فى نفسه مبهم ، فانه يحمل إذا تغير . فان قيل : أراد به إذا لم يتغير ، فيمكن أن يقال : إنه أراد به أنه فى الغالب لا يتغير بالنجاسات المعتادة . ثم هو تمسك بالمفهوم فيما إذا لم يبلغ قلتين ، وترك المفهوم بأقل من الأدلة التى ذكرناها ممكن . وقوله : « لا يحمل خبثا » ظاهره نفى الحمل أى يقلبه إلى صفة نفسه ، كما يقال للمملحة لا تحمل كلبا ولا غيره أى ينقلب ، وذلك لأن الناس قد يستنجون فى المياه القليلة وفى الغدران ويغمسون الأوانى النجسة فيها ثم يترددون فى أنها تغيرت تغيرا مؤثرا أم لا . فتبين أنه إذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسات المعتادة

فإن قلت : فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « لا يَحْمِلُ خَبَثًا » ومهما كثرت حملها ، فهذا ينقلب عليك فإنها مهما كثرت حملها حكما كما حملها حسا ، فلا بد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعا

وعلى الجملة فميلى فى أمور النجاسات المعتادة إلى التساهل ، فهما من سبرة الأولين ، وحسما لمادة الوسواس ، وبذلك أفتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه فى مثل هذه المسائل

الطرف الثالث فى كيفية الازالة

والنجاسة إن كانت حكمية وهى التى ليس لها جرم محسوس ، فيكفى إجراء الماء على جميع مواردها . وإن كانت عينية فلابد من إزاله العين . وبقاء الطعم يدل على بقاء العين .

وكذا بقاء اللون إلا فيما يلتصق به فهو معفو عنه بعد الحت والقرص . وأما الرائحة فبقاؤها يدل على بقاء العين . ولا يعفى عنها إلا إذا كان الشيء له رائحة فائحة يعسر إزالتها . فالدلك والعصر مرات متواليات يقوم مقام الحت والقرص فى اللون . والمزيل للوسواس أن يعلم أن الأشياء خلقت طاهرة بيقين ، فما لا يشاهد عليه نجاسة ولا يعلمها يقينا يصلى معه ، ولا ينبغى أن يتوصل بالاستنباط إلى تقدير النجاسات

القسم الثانى فى طهارة الأحداث

ومنها الوضوء والغسل والتيمم ، ويتقدمها الاستنجاء

فلنورد كيفيتها على الترتيب مع آدابها وسننها مبتدئين بسبب الوضوء وآداب قضاء الحاجة ، إن شاء الله تعالى

باب آداب قضاء الحاجة

ينبغى أن يبعد عن أعين الناظرين فى الصحراء ، وأن يستتر بشيء إن وجده ، وأن لا يكشف عورته قبل الانتهاء إلى موضع الجلوس ، وأن لا يستقبل الشمس والقمر ، وأن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها إلا إذا كان فى بناء ، والعدول أيضا عنها فى البناء أحب ؛ وإن استتر فى الصحراء براحلته جاز ، وكذلك بدبله ، وأن يتقى الجلوس فى متحدث الناس ، وأن لا يبول فى الماء الراكد ، ولا تحت الشجرة المثمرة ، ولا فى الجحر ، وأن يتقى الموضع الصلب ، ومهاب الرياح فى البول استنزاها من رشاشه ، وأن يتكىء فى جلوسه على الرجل اليسرى ؛ وإن كان فى بنيان يقدم الرجل اليسرى فى الدخول واليمنى فى الخروج ، ولا يبول قائما . قالت عائشة رضى الله عنها (١) « مَنْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَبُولُ قَائِمًا فَلَا تُصَدِّقُوهُ » وقال عمر رضى الله عنه (٢) رَآنِى « رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا أَبُولُ قَائِمًا فَقَالَ : يَا عُمَرُ لَا تَبُلْ قَائِمًا قَالَ عُمَرُ : فَمَا بُلْتُ قَائِمًا بَعْدُ » وفيه رخصة ،

---

(١) حديث عائشة من حدثكم أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه ما كان يبول إلا جالسا قال ت هو أحسن شيء فى هذا الباب وأصح .

(٢) حديث عمر رآنى النبى صلى الله عليه وسلم وأنا أبول قائما فقال يا عمر لا تبل قائما ابن ماجه بإسناد ضعيف ورواه ابن حبان من حديث ابن عمر ليس فيه ذكر عمر

إذ روى حذيفة رضى الله عنه « أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ [١] بالَ قَائِمًا فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ » ولا يبول فى المغتسل ، قال صلى الله عليه وسلم [٢] « عَامَّةُ الْوَسْوَاسِ مِنْهُ » وقال ابن المبارك : فد وسع فى البول فى المغتسل اذا جرى الماء عليه ، ذكره الترمذى . وقال عليه السلام : « لا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي مُسْتَحَمِّهِ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ فِيهِ فَإِنَّ عَامَّةَ الْوَسْوَاسِ مِنْهُ » وقال ابن المبارك : إن كان الماء جاريا فلا بأس به

ولا يستصحب شيئا عليه اسم الله تعالى أورسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولايدخل بيت الماء حاسر الرأس . وأن يقول عند الدخول : بسم الله أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ، وعند الخروج : الحمدلله الذى أذهب عنى مايؤذينى وأبقى علىّ ماينفعنى . ويكون ذلك خارجا عن بيت الماء ، وأن يعد النبل قبل الجلوس ، وأن لايستنجى بالماء فى موضع الحاجة . وأن يستبريء من البول بالتنحنح والنثر ثلاثا وإمرار اليد على أسفل القضيب ، ولا يكثر التفكر فى الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه الأمر . وما يحس به من بلل فليقدر أنه بقية الماء ، فإن كان يؤذيه ذلك فليرش عليه الماء حتى يقوى فى نفسه ذلك ، ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس . وفى الخبر [٣] «أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم فَعَلَهُ » أعنى رَشَّ الماء . وقد كان أخفهم استبراء أفقههم . فتدل الوسوسة فيه على قلة الفقه . وفى حديث سلمان رضى الله عنه [٤] « عَلَّمَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةِ فَأَمَرَنَا أَنْ لَا نَسْتَنْجِيَ بِعَظْمٍ وَلَا رَوْثٍ ، وَنَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ » وقال رجل لبعض الصحابة من العرب وقد خاصمه : لأأحسبك تحسن الخراءة ، قال: بلى وأبيك إنى لأحسنها وإنى بها لحاذق : أبعد الأثر وأعد المدر ، واستقبل الشيح ، واستدبر

---

(١) حديث أنه عليه الصلاة والسلام بال قائما الحديث متفق عليه

(٢) حديث قال فى البول فى المغتسل عامه الوسواس منه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن مغفل قال الترمذى غريب قلت واسناده صحيح

(٣) حديث رش الماء بعد الوضوء وهو الانتضاح د ن . من حديث سفيان بن الحكم الثقفى أوالحكم بن سفيان وهو مضطرب كما قال ت وابن عبد البر

(٤) حديث سلمان علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة الحديث م وقد تقدم فى قواعد العقائد

الريح ، وأقعى إقعاء الظبي ، وأجفل إجفال النعام . الشيح : نبت طيب الرائحة بالبادية . والإقعاء هاهنا أن يستوفز على صدور قدميه ، والاجفال أن يرفع عجزه

ومن الرخصة أن يبول الانسان قريبا من صاحبه مستترا عنه [1] فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شدة حيائه ليبين للناس ذلك

كيفية الاستنجاء

ثم يستنجي لمقعدته بثلاثة أحجار ، فان أنقى بها كفى ، وإلا استعمل رابعا ، فان أنقى؟ استعمل خامسا ، لأن الإنقاء واجب والإيتار مستحب . قال عليه السلام [2] « مَنِ اسْتَجْمَرَ فَلْيُوتِرْ » ويأخذ الحجر بيساره ويضعه على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة وَيُمِرّه بالمسح ، والإدارة الى المؤخر ، ويأخذ الثاني ويضعه على المؤخر كذلك ويمره إلى المقدمة ، ويأخذ الثالث فيديره حول المسربة إدارة ، فإن عسرت الادارة ومسح من المقدمة إلى المؤخر أجزأه ، ثم يأخذ حجرا كبيرا بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح ثلاثا في ثلاثة مواضع أو في ثلاثة أحجار أو في ثلاثة مواضع من جدار ، إلى أن لا يرى الرطوبة في محل المسح ، فإن حصل ذلك بمرتين أتى بالثالثة ، ووجب ذلك إن أراد الاقتصار على الحجر ، وإن حصل بالرابعة استحب الخامسة للإيتار ، ثم ينتقل من ذلك الموضع إلى موضع آخر ، ويستنجي بالماء بأن يفيضه باليمنى على محل النجو ، ويدلك باليسرى حتى لا يبقى أثر يدركه الكف بحس اللمس ، ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فإن ذلك منبع الوسواس

وليعلم أن كل مالا يصل إليه الماء فهو باطن ، ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة ما لم تظهر ، وكل ماهو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فحد ظهوره أن يصل الماء اليه فيزيله ، ولا معنى للوسواس

---

(١) حديث البول قريبا من صاحبه متفق عليه من حديث حذيفة

(٢) حديث من استجمر فليوتر متفق عليه من حديث أبي هريرة

ويقول عند الفراغ من الاستنجاء : اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش . ويدلك يده بحائط أو بالأرض إزاله للرائحة إن بقيت . والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روى أنه لما نزل قوله تعالى [١] (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ *) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل قُباء « مَا هَذِهِ الطَّهَارَةُ الَّتِي أَثْنَى اللهُ بِهَا عَلَيْكُمْ ؟ قَالُوا : كُنَّا نَجْمَعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْحَجَرِ »

كيفية الوضوء

إذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء ، فلم يُر رسول الله صلى الله عليه وسلم قط خارجا من الغائط إلا توضأ ، ويبتدئ بالسواك ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] « إِنَّ أَفْوَاهَكُمْ طُرُقُ الْقُرْآنِ فَطَيِّبُوهَا بِالسِّوَاكِ » فينبغي أن ينوى عند السواك تطهير فمه لقراءة القرءان وذكر الله تعالى في الصلاة . وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « صَلَاةٌ عَلَى أَثَرِ سِوَاكٍ أَفْضَلُ مِنْ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ صَلَاةً بِغَيْرِ سِوَاكٍ » . وقال صلى الله عليه وسلم [٤] لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ » . وقال صلى الله عليه وسلم [٥] « مَالِي أَرَاكُمْ تَدْخُلُونَ عَلَيَّ قُلْحًا ؟ اسْتَاكُوا » أي صفرَ الأسنان « وكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ [٦] يَسْتَاكُ

---

(١) حديث لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يطهروا الحديث في أهل قباء وجمعهم بين الحجر والماء البزار من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه هـ ك وصححه من حديث أبي أيوب وجابر وأنس في الاستنجاء بالماء ليس فيه ذكر الحجر وقول النووي تبعا لابن الصلاح إن الجمع بين الماء والحجر في أهل قباء لا يعرف مردود بما تقدم

(٢) حديث ان أفواهكم طرق القرءان : أبو نعيم في الحلية من حديث علي ورواه هـ موقوفا على علي وكلاهما ضعيف

(٣) حديث صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك أبو نعيم في كتاب السواك من حديث ابن عمر باسناد ضعيف ورواه د ك وصححه والبيهقي وضعفه من حديث عائشة وضعفه بلفظ من سبعين صلاة

(٤) حديث لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٥) حديث مالي أراكم تدخلون علي قلحا استاكوا البزار والبيهقي من حديث العباس بن عبد المطلب د والبغوي من حديث تمام بن عباس والبيهقي من حديث عبد الله بن عباس وهو مضطرب

(٦) حديث كان يستاك من الليل مرارا م من حديث ابن عباس

---

* التوبة : ١٠٨

فِي اللَّيْلَةِ مِرَّاراً » وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال[١] « لَمْ يَزَلْ صلى الله عليه وسلم يَأْمُرُنَا بِالسِّوَاكِ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَنْزِلُ عَلَيْهِ فِيهِ شَيْءٌ » . وقال عليه السلام[٢] « عَلَيْكُمْ بِالسِّوَاكِ فَإِنَّهُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ وَمَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ » . وقال علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه : السِّوَاكُ يزيد فى الحفظ ويُذْهِبُ البلغم[٣] « وكان أصحابُ النبىّ صلى الله عليه وسلم يَرُوحُونَ وَالسِّوَاكُ عَلَى آذَانِهِمْ »

وكيفيته أن يستاك بخشب الأراك أو غيره من قضبان الأشجار مما يخشن ويزيل القلح، ويستاك عرضا وطولا ، وإن اقتصر فعرضا

ويستحب السواك عند كل صلاة ، وعند كل وضوء وإن لم يصلّ عقيبه ، وعند تغير النَّكْهة بالنوم ، أوطول الأزم ، أوأكل ماتكره رائحته

ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء مستقبل القبلة ويقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال صلى الله عليه وسلم[٤] « لَاوُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يُسَمِّ اللهَ تَعَالَى » أى لاوضوء كامل . ويقول عند ذلك : أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ . ثم يغسل يديه ثلاثا قبل أن يدخلهما الاناء ويقول : اللهم إنى أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة ، ثم ينوى رفع الحدث أواستباحة الصلاة ، ويستديم النية إلى غسل الوجه ، فإن نسيها عند الوجه لم يُجزه ، ثم يأخذ غرفة لفيه بيمينه فيتمضمض بها ثلاثا ويُغَرْغِر : بأن يرد الماء إلى الْغَلْصَمَة إلا أن يكون صائما فيرفق ، ويقول : اللهم أعِنّى على

---

(١) حديث ابن عباس لم يزل يأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شىء رواه أحمد

(٢) حديث عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم مرضاة للرب البخارى تعليقا مجزوما من حديث عائشة والنسائى وابن خزيمة موصولا نات وصل المصنف هذا الحديث بحديث ابن عباس الذى قبله وقد رواه من حديث ابن عباس الطبرانى فى الاوسط والبيهقى فى شعب الايمان

(٣) حديث كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يروحون والسواك على آذانهم الخطيب فى كتاب أسماء من روى عن مالك وعند د ت أن زيد بن خالد كان يشهد الصلوات وسواكه على أذنه موضع القلم من أذن الكاتب

(٤) حديث لا وضوء لمن لم يسم الله ت ه من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة ونقل ت عن البخارى أنه أحسن شىء فى هذا الباب

تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ، ثم يأخذ غرفة لأنفه ويستنشق ثلاثا ويصعد الماء بالنفس إلى خياشيمه ويستنثر ما فيها ، ويقول فى الأستنشاق : اللهم أوجدلى رائحة الجنة وأنت عن راض ، وفى الاستنثار : اللهم إنى أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار ، لأن الاستنشاق إيصال ، والاستنثار إزالة . ثم يغرف غرفة لوجهه فيغسله من مبتدأ سطح الجبهة إلى منتهى مايقبل من الذقن فى الطول ، ومن الأذن إلى الأذن فى العرض . ولايدخل فى حد الوجه النزعتان اللتان على طرفى الجبينين فهما من الرأس ، ويوصل الماء إلى موضع التحذيف وهو مايعتاد النساء تنحية الشعر عنه ، وهو القدر الذى يقع فى جانب الوجه مهما وضع طرف الخيط على رأس الأذن ، والطرف الثانى على زاوية الجبين ، ويوصل الماء إلى منابت الشعور الأربعة : الحاجبان ، والشاربان ، والعذاران ، والأهداب ، لأنها خفيفة فى الغالب . والعذاران هما مايوازيان الأذنين من مبتدأ اللحية

ويجب إيصال الماء إلى منابت اللحية الخفيفة ، أعنى ما يقبل من الوجه ، وأما الكثيفة فلا . وحكم العَنْفَقَة حكم اللحية فى الكثافة والخفة ، ثم يفعل ذلك ثلاثا ، أو يفيض الماء على ظاهر مااسترسل من اللحية ، ويدخل الأصابع فى محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما [1] فقد رُوى أنه عليه السلام فَعَلَ ذَلِكَ . ويأمل عند ذلك خروج الخطايا من عينيه ، وكذلك عند كل عضو ، ويقول عنده : اللهم بيضْ وجهى بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ، ولا تسوّد وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه أعدائك . ويخلل اللحية الكثيفة عند غسل الوجه فإنه مستحب ، ثم يغسل يديه إلى مرفقيه ثلاثا ، ويحرك الخاتم ، ويطيل الغُرة ويرفع الماء إلى أعلى العضد « فَإِنَّهُمْ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ » كذلك ورد الخبر ، قال عليه السلام [2] « مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ » وروى « أَنَّ [3] الْحِلْيَةَ تَبْلُغُ مَوَاضِعَ الْوُضُوءِ » . ويبدأ باليمنى ويقول : اللهم أعطنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيرا ، ويقول عند غسل الشمال : اللهم إنى أعوذ

---

(١) حديث ادخاله الاصبع فى محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل أحمد من حديث أبى أمامة كان يتعاهد الماقين ورواه الدار قطنى من حديث أبى هريرة باسناد ضعيف أشربوا الماء أعينكم

(٢) حديث من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل خرجاه من حديث أبى هريرة

(٣) حديث تبلغ الحلية من المؤمن ما يبلغ ماء الوضوء أخرجاه من حديثه

بك أن تُعْطِيَنِي كتابي بِشِمالي أو مِن وراء ظهري ، ثم يستوعب رأسه بالمسح بأن يبل يديه ويلصق رءوس أصابع يديه اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدمة الرأس ويمدهما الى القفا ، ثم يردهما الى المقدمة . وهذه مسحة واحدة ، يفعل ذلك ثلاثا ، ويقول: اللهم اغشني برحمتك وأنزل عَلَيّ من بركاتك ، وأظلني تحت ظل عرشك يوم لاظل إلا ظلك . ثم يمسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد بأن يدخل مسبحتيه في صماخي أذنيه ويدير إبهاميه على ظاهر أذنيه ، ثم يضع الكف على الأذنين استظهارا ويكرره ثلاثا ، ويقول : اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، اللهم اسمعني منادي الجنة مع الأبرار ، ثم يمسح رقبته بماء جديد لقوله صلى الله عليه وسلم [1] « مَسْحُ الرَّقَبَةِ أَمَانٌ مِنَ الْغُلِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ويقول اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ، ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثا ويخلل باليد اليسرى من أسفل أصابع الرجل اليمنى ، ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من الرجل اليسرى ، ويقول : اللهم ثبت قدمي على الصراط المستقيم يوم تزل الأقدام في النار ، ويقول عند غسل اليسرى : أعوذ بك أن تزل قدمي عن الصراط يوم تزل فيه أقدام المنافقين ، ويرفع الماء الى أنصاف الساقين

فإذا فرغ رفع رأسه إلى السماء وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت ، عملتُ سوءاً وظلمتُ نفسي أستغفرك اللهم وأتوب اليك فاغفرلي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم ، اللهم اجعلني من التوابين ، واجعلني من المتطهرين ، واجعلني من عبادك الصالحين ، واجعلني عبداً صبوراً شكوراً ، واجعلني أذكرك كثيراً وأسبحك بكرة وأصيلا . يقال : إن من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله تعالى ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك إلى يوم القيامة

ويكره في الوضوء أمور : منها أن يزيد على الثلاث ، فمن زاد فقد ظلم ، وأن يسرف

---

(١) حديث مسح الرقبة أمان من الغل أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عمر وهو ضعيف

فى الماء[1] « توضأ عليه السلام ثلاثا وقال : من زاد فقد ظلم وأساء » وقال :[2] « سَيَكُونُ قَوْمٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَعْتَدُونَ فِى الدُّعَاءِ وَالطُّهُورِ » ويقال :[3] « مِنْ وَهَنِ عِلْمِ الرَّجُلِ وَلَوْعُهُ بِالْمَاءِ فِى الطُّهُورِ » وقال ابراهيم بن أدهم : يقال إن أول ما يبتدئ الوسواس من قِبَل الطهور . وقال الحسن : إن شيطانا يضحك بالناس فى الوضوء يقال له الولهان . ويكره أن ينفض اليد فيرش الماء ، وأن يتكلم فى أثناء الوضوء ، وأن يلطم وجهه بالماء لطماً ، وكره قوم التنشيف وقالوا : الوضوء يوزن ؛ قاله سعيد بن المسيب والزهرى ، لكن روى معاذ رضى الله عنه أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَسَحَ وَجْهَهُ[4] بِطَرَفِ ثَوْبِهِ » وروت عائشة رضى الله عنها « أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم[5] كَانَتْ لَهُ مِنْشَفَةٌ » ولكن طعن فى هذه الرواية عن عائشة . ويكره أن يتوضأ من إناء صفر ، وأن يتوضأ بالماء المشمس ، وذلك من جهة الطب . وقد روى عن ابن عمر وأبى هريرة رضى الله عنهما كراهية الإناء الصفر . وقال بعضهم أخرجت لشعبة ماء فى إناء صفر فأبى أن يتوضأ منه . ونقل كراهية ذلك عن ابن عمر وأبى هريرة رضى الله عنهما

ومهما فرغ من وضوئه وأقبل على الصلاة فينبغى أن يخطر بباله أنه طهر ظاهره وهو موضع نظر الخلق ، فينبغى أن يستحى من مناجاة الله تعالى من غير تطهير قلبه وهو موضع نظر الرب سبحانه . وليتحقق أن طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الأخلاق المذمومة والتخلق بالأخلاق الحميدة أولى ، وأن من يقتصر على طهارة الظاهر كمن أراد أن يدعو ملكا إلى بيته فتركه مشحونا بالقاذورات واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البرانى من الدار . وما أجدر مثل هذا الرجل بالتعرض للمقت والبوار والله سبحانه أعلم

---

(١) حديث توضأ ثلاثا ثلاثا وقال من زاد فقد أساء وظلم د ن واللفظ له و ه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده

(٢) حديث سيكون قوم من هذه الامة يعتدون فى الدعاء والطهور د ه وابن حبان و ك من حديث عبدالله ابن مغفل

(٣) حديث من وهن علم الرجل ولوعه فى الماء فى التطهير لم أجد له أصلا

(٤) حديث معاذ أن النبى صلى الله عليه وسلم مسح وجهه بطرف ثوبه ت وقال غريب واسناده ضعيف

(٥) حديث عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان له منشفة ت وقال ليس بالقائم قال ولا يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب شىء

فضيلة الوضوء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(١) « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ فِيهِمَا بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » وفى لفظ آخر : « لَمْ يَسْهُ فِيهِمَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً :(٢) « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُكَفِّرُ اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَنَقْلُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَذَالِكُمُ الرِّبَاطُ - ثلاث مرات » وَتَوَضَّأَ صلى الله عليه وسلم (٣) مَرَّةً مَرَّةً وَقَالَ هَذَا وُضُوءٌ لَا يَقْبَلُ اللهُ الصَّلَاةَ إِلَّا بِهِ ، وَتَوَضَّأَ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ وَقَالَ مَنْ تَوَضَّأَ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ أَتَاهُ اللهُ أَجْرَهُ مَرَّتَيْنِ ، وتَوَضَّأَ ثَلَاثًا ثَلَاثًا وَقَالَ هَذَا وُضُوئِي وَوُضُوءُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي وَوُضُوءُ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وقال صلى الله عليه وسلم :(٤) « مَنْ ذَكَرَ اللهَ عِنْدَ وُضُوئِهِ طَهَّرَ اللهُ جَسَدَهُ كُلَّهُ وَمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اللهَ لَمْ يُطَهِّرْ مِنْهُ إِلَّا مَا أَصَابَ الْمَاءُ » وقال صلى الله عليه وسلم :(٥) « مَنْ تَوَضَّأَ عَلَى طُهْرٍ كَتَبَ اللهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ » وقال صلى الله عليه وسلم :(٦) « الْوُضُوءُ عَلَى الْوُضُوءِ نُورٌ عَلَى نُورٍ » وهذا كله حث على تجديد الوضوء . وقال عليه السلام : « إِذَا تَوَضَّأَ(٧) الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ فَتَمَضْمَضَ خَرَجَتْ

---

(١) حديث من توضأ وأسبغ الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وفى لفظ آخر لم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه ابن المبارك فى كتاب الزهد والرقائق باللفظين معا وهو متفق عليه من حديث عثمان بن عفان دون قوله بشيء من الدنيا ودون قوله لم يسه فيهما و د من حديث زيد بن خالد م صلى ركعتين لا سهو فيهما الحديث

(٢) حديث ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات الحديث م عن أبى هريرة

(٣) حديث توضأ مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به الحديث ه من حديث ابن عمر باسناد ضعيف

(٤) حديث من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله الحديث دار قطنى من حديث أبى هريرة باسناد ضعيف

(٥) حديث من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات د ت ه من حديث ابن عمر باسناد ضعيف

(٦) حديث الوضوء على الوضوء نور على نور لم أجد له أصلا

(٧) حديث اذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه الحديث د ه من حديث الصنابحى واسناده صحيح ولكن اختلف فى صحبه وعند م من حديث أبى هريرة وعمرو بن عبسة نحوه مختصرا

الْخَطَايَا مِنْ فِيهِ ، فَإِذَا اسْتَنْثَرَ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ أَنْفِهِ ، فَإِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ وَجْهِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَشْفَارِ عَيْنَيْهِ ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ يَدَيْهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ ، فَإِذَا مَسَحَ بِرَأْسِهِ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ رَأْسِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أُذُنَيْهِ ، وَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ رِجْلَيْهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِ رِجْلَيْهِ ثُمَّ كَانَ مَشْيُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَصَلَاتُهُ نَافِلَةً لَهُ » ويروى[1] « أَنَّ الطَّاهِرَ كَالصَّائِمِ » قال عليه الصلاة والسلام[2] « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ » وقال عمر رضى الله عنه : إن الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان . وقال مجاهد : من استطاع أن لا يبيت إلا طاهراً ذاكراً مستغفراً فليفعل فإن الأرواح تبعث على ما قبضت عليه

كيفية الغسل

وهو أن يضع الإناء عن يمينه ، ثم يسمى الله تعالى . ويغسل يديه ثلاثاً ، ثم يستنجى كما وصفت لك ، ويزيل ماعلى بدنه من نجاسة إن كانت ، ثم يتوضأ وضوأه للصلاة كما وصفنا إلا غسل القدمين فإنه يؤخرهما ، فإن غسلهما ثم وضعهما على الأرض كان إضاعة للماء ، ثم يصب الماء على رأسه ثلاثا ، ثم على شقه الأيمن ثلاثا ، ثم على شقه الأيسر ثلاثا ، ثم يدلك ما أقبل من بدنه وما أدبر ، ويخلل شعر الرأس واللحية ، ويوصل الماء إلى منابت ما كثف منه أوخف . وليس على المرأة نقض الضفائر إلا إذا علمت أن الماء لا يصل إلى خلال الشعر ، ويتعهد معاطف البدن ، وليتق أن يمس ذكره فى أثناء ذلك ، فإن فعل ذلك فليعد الوضوء ، وإن توضأ قبل الغسل فلا يعيده بعد الغسل

---

(١) حديث الطاهر النائم كالصائم أبو منصور الديلمى من حديث أبى هريرة وعمرو بن حريث الطاهر النائم كالصائم القائم وسنده ضعيف

(٢) حديث من توضأ فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله الحديث د من حديث عقبه بن عامر وهو عندم دون قوله ثم رفع هكذا عزاه المزى فى الأطراف وقد رواه ن فى اليوم والليلة من رواية عقبة بن عامر وكذا رواه الدارمى فى مسنده

فهذه سنن الوضوء والغسل ، ذكرنا منها مالابدلسالك طريق الآخرة من علمه وعمله ، وما عداه من المسائل التي يحتاج اليها في عوارض الأحوال فليرجع فيها إلى كتب الفقه

والواجب من جملة ماذكرناه في الغسل أمران : النية ، واستيعاب البدن بالغسل

وفرض الوضوء : النية ، وغسل الوجه ؛ وغسل اليدين إلى المرفقين ، ومسح ماينطلق عليه الاسم من الرأس ، وغسل الرجلين إلى الكعبين ، والترتيب . وأما الموالاة فليست بواجبة

والغسل الواجب بأربعة : بخروج المني ، والتقاء الختانين ، والحيض ، والنفاس . وماعداه من الأغسال سنة : كغسل العيدين ، والجمعة ، والأعياد والإحرام ، والوقوف بعرفة ومزدلفة ، ولدخول مكة ، وثلاثة أغسال أيام التشريق ، ولطواف الوداع على قول ، والكافر إذا أسلم غير جنب ، والمجنون إذا أفاق ، ولمن غسل ميتا . فكل ذلك مستحب

كيفية التيمم

من تعذر عليه استعمال الماء لفقده بعد الطلب ، أو بمانع له عن الوضوء إليه من سبع أوحابس ، أو كان الماء الحاضر يحتاج إليه لعطشه أولعطش رفيقه ، أوكان ملكا لغيره ولم يبعه إلا بأكثر من ثمن المثل ، أو كان به جراحة أومرض وخاف من استعماله فساد العضو أوشدة الضنا ، فينبغي أن يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة ، ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب طاهر خالص لين بحيث يثور منه غبار ، ويضرب عليه كفيه ضاما بين أصابعه ، ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة ، وينوى عند ذلك استباحة الصلاة

ولايكلف إيصال الغبار إلى ماتحت الشعور خفّت أو كثفت ، ويجتهد أن يستوعب بشرة وجهه بالغبار ، ويحصل ذلك بالضربة الواحدة ، فإنّ عرض الوجه لايزيد على عرض الكفين ، ويكفي في الاستيعاب غالب الظن ، ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية يفرج بين أصابعه ، ثم يلصق ظهور أصابع يده اليمنى ببطون أصابع يده اليسرى بحيث لايجاوز أطراف الأنامل من إحدى الجهتين عن المسبحة من الأخرى ، ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده الأيمن إلى المرفق ، ثم يقلب بطن كفه اليسري على باطن

ساعده الأيمن ويمرها إلى الكوع ، ويمر بطن إبهامه اليسرى على ظاهر إبهامه اليمنى ، ثم يفعل باليسري كذلك ، ثم يمسح كفيه ويخلل بين أصابعه

وغرض هذا التكليف تحصيل الاستيعاب إلى المرفقين بضربة واحدة ، وإن عسر عليه ذلك فلا بأس بأن يستوعب بضربتين وزيادة

وإذا صلى به الفرض فله أن يتنفل كيف شاء ، وإن جمع بين فريضتين فينبغى أن يعيد التيمم للثانية ، وهكذا يفرد كل فريضة بتيمم . والله أعلم

القسم الثالث فى النظافة والتنظيف عن الفضلات الظاهرة

وهى نوعان : أوساخ وأجزاء ــ النوع الأول الأوساخ والرطوبات المترشحة وهى ثمانية

الأول : ما يجتمع فى شعر الرأس من الدرن والقمل ، فالتنظيف عنه مستحب بالغسل والترجيل والتدهين ، إزالة للشعث عنه . «وَكَانَ صلى الله عليه وسلم [1] يَدْهُنُ الشَّعْرَ وَيُرَجِّلُهُ غِبًّا » ويأمر به ويقول عليه السلام : [2] « ادْهِنُوا غِبًّا » وقال عليه الصلاه والسلام : [3] « مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرَةٌ فَلْيُكْرِمْهَا » أى ليصنها عن الأوساخ . « وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ [4] ثَائِرُ الرَّأْسِ أَشْعَثُ اللِّحْيَةِ فَقَالَ : أَمَا كَانَ لِهَذَا دُهْنٌ يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ ؟ ثم قال : يَدْخُلُ أَحَدُكُمْ كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ ؟ »

الثانى : ما يجتمع من الوسخ فى معاطف الأذن ، والمسح يزيل مايظهر منه وما يجتمع فى قعر الصماخ ، فينبغى أن ينظف برفق عند الخروج من الحمام ، فإن كثرة ذلك ربما تضر بالسمع

---

(١) حديث كان يدهن الشعر ويرجله عبات فى الشمائل باسناد ضعيف من حديث أنس كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته وفى الشمائل أيضا باسناد حسن من حديث صحابى لم يسم أنه عليه الصلاة والسلام كان يترجل غبا

(٢) حديث ادهنوا غبا قال ابن الصلاح لم أجد له أصلا وقال النووى غير معروف وعند د ت ن من حديث عبد الله بن مغفل النهى عن الترجل إلا غبا باسناد صحيح

(٣) حديث من كانت له شعرة فليكرمها من حديث أبى هريرة وقال به شعر فليكرمه وليس اسناده بالقوى

(٤) حديث دخل عليه رجل سائر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره الحديث د ت وابن حبان من حديث جابر باسناد جيد

الثالث : مايجتمع فى داخل الأنف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبه ، ويزيلها بالاستنشاق والاستنثار

الرابع : مايجتمع على الأسنان وطرف اللسان من القَلَح ، فيزيله السواك والمضمضة ، وقد ذكرناهما

الخامس : مايجتمع فى اللحية من الوسخ والقمل إذا لم يتعهد . ويستحب إزالة ذلك بالغسل والتسريح بالمشط . وفى الخبر المشهور « أنه صلى الله عليه وسلم [1] كَانَ لَا يُفَارِقُهُ الْمُشْطُ وَالْمِدْرَى وَالْمِرْآةُ فِي سَفَرٍ وَلَا حَضَرٍ » وهى سنة العرب . وفى خبر غريب أنه صلى الله عليه وسلم [2] كان يسرح لحيته فى اليوم مرتين وكان صلى الله عليه وسلم [3] كث اللحية وكذلك كان أبو بكر وكان عثمان طويل اللحية رقيقها وكان علىّ عريض اللحية قد ملأت ما بين منكبيه وفى حديث أغرب منه قالت عائشة رضى الله عنها [4] « اجْتَمَعَ قَوْمٌ بِبَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَرَأَيْتُهُ يَطْلَعُ فِي الْحِبِّ يُسَوِّي مِنْ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ ، فَقُلْتُ أَوَ تَفْعَلُ ذَلِكَ يَارَسُولَ اللهِ ؟ فَقَالَ نَعَمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَتَجَمَّلَ لِإِخْوَانِهِ إِذَا خَرَجَ إِلَيْهِمْ » . والجاهل ربما يظن أن ذلك من حب التزين للناس ، قياساً على أخلاق غيره ، وتشبيها للملائكة بالحدادين وهيهات ، فقد كان صلى الله عليه وسلم مأمورا بالدعوة ، وكان من وظائفه أن يسعى ، فى تعظيم أمر نفسه فى قلوبهم ، كيلا تزدريه نفوسهم ، ويحسن صورته فى أعينهم كيلا تستصغره أعينهم فينفرهم ذلك . ويتعلق المنافقون بذلك فى تنفيرهم وهذا القصد واجب على كل عالم تصدى لدعوة الخلق إلى الله عز وجل ، وهو أن

---

(١) حديث كان لايفارقه المشط والمدرى فى سفر ولا حضر ابن طاهر فى كتاب صفة التصوف من حديث أبى سعيد كان لا يفارق مصلاه سواكه ومشطه ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة واسادها ضعيف وسيأتى فى آداب السفر مطولا

(٢) حديث كان يسرح لحيته كل يوم مرتين تقدم حديث أنس كان يكثر تسريح لحيته وللخطيب فى الجامع من حديث الحكم مرسلا كان يسرح لحيته بالمشط

(٣) حديث كان كث اللحية ت فى الشمائل من حديث هند بن أبى هاله وأبو نعيم فى دلائل النبوه من حديث على وأصله عند ت

(٤) حديث عائشة اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فرايته يطلع فى الحب يسوى من رأسه ولحيته ابن عدى وقال حديث منكر

يراعي من ظاهره مالا يوجب نفرة الناس عنه . والاعتياد في مثل هذه الأمور على النية فإنها أعمال في أنفسها تكتسب الأوصاف من المقصود . فالتزين على هذا القصد محبوب ، وترك الشعث في اللحية اظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور ، وتركه شغلا بما هو أهم منه محبوب . وهذه أحوال باطنة بين العبد وبين الله عز وجل . والناقد بصير ، والنابيس بصير رابح عليه بحال

وكم من جاهل يتعاطى هذه الأمور التفاتا إلى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى غيره ، ويزعم أن قصده الخير ، فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون أن قصدهم إرغام المبتدعة والمجادلين والتقرب إلى الله تعالى به . وهذا أمر ينكشف يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ * ويوم يُبْعَثَرُ ما في القبور ، ويُحَصَّلُ ما في الصدور ، فعند ذلك تتميز السبيكة الخالصة من النبهرجة ، فنعوذ بالله من الخزي يوم العرض الأكبر

السادس : وسخ البراجم . وهي معاطف ظهور الأنامل ، كانت العرب لا تكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام ، فيجتمع في تلك الغضون وسخ ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم (١) بِغَسْلِ الْبَرَاجِمِ

السابع : تنظيف الرَّوَاجِبِ ، أَمَرَ (٢) رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الْعَرَبَ بِتَنْظِيفِهَا . وَهِيَ رُءُوسُ الْأَنَامِلِ وَمَا تَحْتَ الْأَظْفَارِ من الْوَسَخِ ، لأنها كانت لا يحضرها المقراض في كل وقت فتجتمع فيها أوساخ (٣) فَوَقَّتَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَلْمَ الْأَظْفَارِ وَنَتْفَ الْإِبِطِ وَحَلْقَ الْعَانَةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا . لكنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث الأمر بغسل البراجم الترمذي الحكيم في النوادر من حديث عبد الله بن بسر نقوا براجمكم ولابن عدي في حديث لأنس وأن يتعاهد البراجم اذا توضأ ولمسلم من حديث عائشة عشر من الفطرة وفيه وغسل البراجم

(٢) حديث الأمر بتنظيف الرواجب أحمد من حديث ابن عباس أنه قيل له يا رسول الله لقد أبطأ عنك جبريل فقيل ولم لا يبطأ وأنتم لاتستنون ولا تقلمون أظافركم ولا تقصون شواربكم ولاتنفون رواجبكم وفيه اسمعيل بن عياش

(٣) حديث التوقيت في قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة أربعين يوما م من حديث أنس

---

* الطارق : ٨ .

(١) بتنظيف ما تحت الأظفار . وجاء فى الأثر « أن النبي صلى الله عليه وسلم (٢) استبطأ الوحى فلما هبط عليه جبريل عليه السلام قال له : كيف تنزل عليكم وأنتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم وقلحا لا تستاكون ؟ مر أمتك بذلك » والأف : وسخ الظفر . والتف : وسخ الأذن . وقوله عز وجل : (فلا تقل لهما أف *) تعبهما أى بما تحت الظفر من الوسخ . وقيل لا تتأذ بهما كما تتأذى بما تحت الظفر

الثامن : الدرن الذى يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق ، وذلك يزيله الحمام ، ولا بأس بدخول الحمام ، دخل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام وقال بعضهم : نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار . روى ذلك عن أبى الدرداء وأبى أيوب الأنصارى رضى الله عنهما . وقال بعضهم : بئس البيت بيت الحمام يبدى العورة ويذهب الحياء . فهذا تعرض لآفته وذاك تعرض لفائدته . ولا بأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته . ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات

فعليه واجبان فى عورته ، وواجبان فى عورة غيره . أما الواجبان فى عورته فهو أن يصونها عن نظر الغير ، ويصونها عن مس الغير ، فلا يتعاطى أمرها وإزالة وسخها إلا بيده ، ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة إلى العانة . وفى إباحة مس ماليس بسوأة لازالة الوسخ احتمال ، ولكن الأقيس التحريم إذ الحق مس السوأتين فى التحريم بالنظر ، فكذلك ينبغى أن تكون بقية العورة أعنى الفخذين

والواجبان فى عورة الغير أن يغض بصر نفسه عنها ، وأن ينهى عن كشفها ، لأن النهى عن المنكر واجب ، وعليه ذكر ذلك ، وليس عليه القبول ، ولا يسقط عنه وجوب الذكر إلا لخوف ضرب أو شتم أو ما يجرى عليه مما هو حرام فى نفسه ، فليس عليه أن

---

(١) حديث الأمر بتنظيف ما تحت الأظفار الطبرانى من حديث وابصة بن سعيد سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن كل شيء حتى سألته عن الوسخ الذى يكون فى الاظفار فقال دع ما يريبك إلى مالا يريبك

(٢) حديث استبطاء الوحى فلما هبط عليه جبريل قال له كيف تنزل عليكم وأنتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم تقدم قبل هذا بحديثين

* الاسراء : ٢٣

يستكثر حراما يرمى المستكثر حليه إلى مباشره حرام آخر . فأما قوله . أعلم أن ذلك لا يفيد ولا يعمل به ، فهذا لا يكون عذراً بل لا بد من الذكر ، فلا يخلو قلب عن التأثر من سماع الإنكار ، واستشعار الاحتراز عند التعبير بالمعاصى ، وذلك يؤثر فى تقبيح الأمر فى عينه وتنفير نفسه عنه ، فلا يجوز تركه . ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام فى هذه الأوقات ، إذ لا تخلو عن عورات مكشوفة لا سيما ما تحت السره إلى ما فوق العانة ، إذ الناس لا يعدونها عورة . وقد ألحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحريم لها ، ولهذا يستحب تخلية الحمام . وقال بشر بن الحارث : ما أعنف رجلا لا يملك إلا درهما دفعه ليخلى له الحمام . ورؤى ابن عمر رضى الله عنهما فى الحمام ووجهه إلى الحائط وقد عصب عينيه بعصابة . وقال بعضهم : لا بأس بدخول الحمام ولكن بإزارين : إزار للعورة وإزار للرأس يتقنع به ويحفظ عينيه

وأما السنن فعشرة . فالأول النية ، وهو أن لا يدخل لعاجل دنيا ولا عابثا لأجل هوى . بل يقصد به النظف المحبوب تربنا للصلاة ، ثم يعطى الحمامى الأجرة قبل الدخول فان ما يستوفيه مجهول وكذا ما ينتظره الحمامى ، فتسليم الأجرة قبل الدخول دفع للجهالة من أحد العوضين وتطييب لنفسه ، ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول ، ويقول : بسم الله الرحمن الرحيم . أعوذ بالله من الرجس النجس ، الخبيث المخبث ، الشيطان الرجيم ، ثم يدخل وقت الخلوة أو يتكلف تخلية الحمام ، فإنه إن لم يكن فى الحمام إلا أهل الدين والمحتاطين للعورات فالنظر إلى الأبدان مكشوفة فيه شائبة من قلة الحياء ، وهو مذكر للنظر فى العورات ، ثم لا يخلو الإنسان فى الحركات عن انكشاف العورات بانعطاف فى أطراف الإزار فيقع البصر على العورة من حيث لا يدرى ؛ ولأجله عصب ابن عمر رضى الله عنهما عينيه ، ويغسل الجناحين عند الدخول ، ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق فى الأول ؛ وأن لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فإنه المأذون فيه بقرينة الحال ، والزيادة عليه لو علمه الحمامى لكرهه لاسيما الماء الحار فله مؤنة وفيه تعب ، وأن يتذكر حر النار بحراره الحمام ، ويقدر نفسه محبوساً فى البيت الحار ساعة ، ويقيسه

إلى جهنم ، فإنه أشبه بيت بجهنم ، النار من تحت والظلام من فوق ، نعوذ بالله من ذلك ، بل العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة فى لحظة ، فإنها مصيره ومستقره ، فيكون له فى كل ما يراه من ماء أو نار أو غيرهما عبرة وموعظة ، فإن المرء ينظر بحسب همته

فإذا دخل بزاز ونجار وبناء وحائك دارا معمورة مفروشة فإذا تفقدتهم رأيت البزاز ينظر إلى الفرش يتأمل قيمتها ، والحائك ينظر إلى الثياب يتأمل نسجها ، والنجار ينظر إلى السقف يتأمل كيفية تركيبها ، والبناء ينظر إلى الحيطان يتأمل كيفية إحكامها واستقامتها ، فكذلك سالك طريق الآخرة لا يرى من الأشياء شيئاً إلا ويكون له موعظة وذكرى للآخرة بل لا ينظر إلى شيء إلا ويفتح الله عز وجل له طريق عبرة ، فإن نظر إلى سواد تذكر ظلمة اللحد ، وإن نظر إلى حية تذكر أفاعى جهنم ، وإن نظر إلى صورة قبيحة شنيعة تذكر منكراً ونكيراً والزبانية ، وإن سمع صوتاً هائلا تذكر نفخة الصور ، وإن رأى شيئاً حسناً تذكر نعيم الجنة ، وإن سمع كلمة رد أو قبول فى سوق أو دار تذكر ما ينكشف من آخر أمره بعد الحساب من الرد والقبول . وما أجدر أن يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل ! إذ لا يصرفه عنه إلا مهمات الدنيا ، فإذا نسب مدة المقام فى الدنيا إلى مدة المقام فى الآخرة استحقرها إن لم يكن ممن أغفل قلبه وأعميت بصيرته

ومن السنن أن لا يسلم عند الدخول ، وإن سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت إن أجاب غيره ، وإن أحب قال : عافاك الله . ولا بأس بأن يصافح الداخل ويقول : عافاك الله لابتداء الكلام ، ثم لا يكثر الكلام فى الحمام ، ولا يقرأ القرءان إلا سراً . ولا بأس باظهار الاستعاذة من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشاءين وقريباً من الغروب ، فان ذلك وقت انتشار الشياطين

ولا بأس بأن يدلكه غيره ، فقد نقل ذلك عن يوسف بن أسباط : أوصى بأن يغسله إنسان لم يكن من أصحابه ، وقال إنه دلكنى فى الحمام مرة فأردت أن أكافئه بما يفرح به وإنه ليفرح بذلك . ويدل على جوازه ما روى بعض الصحابة « أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم (١) نَزَلَ مَنْزِلاً فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَنَامَ عَلَى بَطْنِهِ وَعَبْدٌ أَسْوَدُ يَغْمِزُ ظَهْرَهُ ،

(١) حديث نزل منزلا فى بعض أسفاره فنام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره الحديث الطبرانى فى الأوسط حديث عمر بسند ضعيف

فقلت : ما هذا يا رسول الله ؟ فقال إن الناقة تقحمت بي »

ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله عز وجل على هذه النعمة ، فقد قيل : الماء الحار في الشتاء من النعيم الذي يسأل عنه . وقال ابن عمر رضي الله عنهما : الحمام من النعيم الذي أحدثوه . هذا من جهة الشرع

أما من جهة الطب فقد قيل : الحمام بعد النورة أمان من الجذام . وقيل : النورة في كل شهر مرة تطفىء المرة الصفراء وتنقي اللون وتزيد في الجماع . وقيل بولة في الحمام قائما في الشتاء أنفع من شربة دواء . وقيل : نومة في الصيف بعد الحمام تعدل شربة دواء . وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام أمان من النقرس . ويكره صب الماء البارد على الرأس عند الخروج وكذا شربه . هذا حكم الرجال

وأما النساء فقد قال صلى الله عليه وسلم : [1] « لا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُدْخِلَ حَلِيلَتَهُ الْحَمَّامَ ، وَفِي الْبَيْتِ الْمُسْتَحَمِّ » والمشهور [2] « أَنَّهُ حَرَامٌ عَلَى الرِّجَالِ دُخُولُ الْحَمَّامِ إِلَّا بِمِئْزَرٍ وَحَرَامٌ عَلَى الْمَرْأَةِ دُخُولُ الْحَمَّامِ إِلَّا نُفَسَاءَ أَوْ مَرِيضَةً » ودخلت عائشة رضي الله عنها حماما من سقم بها فان دخلت لضرورة فلا تدخل إلا بمئزر سابغ . ويكره للرجل أن يعطيها أجرة الحمام ، فيكون معينا لها على المكروه

النوع الثاني فيما يحدث في البدن

من الأجزاء وهي ثمانية

الأول : شعر الرأس ولا بأس بحلقه لمن أراد التنظيف ، ولا بأس بتركه لمن يدهنه ويرجله إلا إذا تركه قزعا أي قطعا ، وهو دأب أهل الشطارة ، أو أرسل الذوائب على هيئة أهل الشرف حيث صار ذلك شعارا لهم ، فإنه إذ لم يكن شريفا كان ذلك تلبيسا

---

(١) حديث لا يحل لرجل أن يدخل حليلته الحمام الحديث يأتي في الذي يليه مع اختلاف

(٢) حديث حرام على الرجال دخول الحمام الا بمئزر الحديث النسائي والحاكم وصححه من حديث جابر من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام وللحاكم من حديث عائشة الحمام حرام على نساء أمتي قال صحيح الاسناد ولأبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر فلا يدخلها الرجال بالازار وامنعوها النساء الا من مريضة أو نفساء

الثانى : شعر الشارب . وقد قال صلى الله عليه وسلم [١] « قُصُّوا الشَّارِبَ » وفى لفظ آخر « جُزُّوا الشَّوارِبَ » وفى لفظ آخر « حُفُّوا الشَّوَارِبَ وَاعْفُوا اللِّحَى » أى اجعلوها حفاف الشفة أى حولها ، وحفاف الشيء حوله ، ومنه (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ*) وفى لفظ آخر «احْفُوا» وهذا بشعر بالاستئصال . وقوله : حُفُّوا ، بدل على مادون ذلك : قال الله عز وجل . (إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا *) أى يستقصى عليكم . وأما الحلق فلم يرد . والاحفاء القريب من الحلق نقل عن الصحابة : نظر بعض التابعين إلى رجل أحفى شاربه فقال : ذكرتنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال المغيرة ابن شعبة « نَظَرَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم [٢] وَقَدْ طَالَ شَارِبِي فَقَالَ تَعَالَ فَقُصَّهُ لِي عَلَى سِوَاكٍ »

ولا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب، فعل ذلك عمر وغيره ، لأن ذلك لا يستر الفم ، ولا يبقى فيه غمر الطعام ، إذ لا يصل اليه . وقوله صلى الله عليه وسلم « اعْفُوا اللِّحَى » أى كثروها . وَفِي الْخَبَرِ « أَنَّ الْيَهُودَ [٣] يُعْفُونَ شَوَارِبَهُمْ وَيَقُصُّونَ لِحَاهُمْ فَخَالِفُوهُمْ » وكره بعض العلماء الحلق ورآه بدعه

الثالث : شعر الأبط . ويستحب نتفه فى كل أربعين يوما مرة ، وذلك سهل على من تعوّد نتفه فى الابتداء ، فأما من تعود الحلق فيكفيه الحلق ، إذ فى النتف تعذيب وإيلام ، والمقصود النظافة ، وأن لا يجتمع الوسخ فى خللها ، ويحصل ذلك بالحلق

الرابع : شعر العانة . ويستحب إزالة ذلك إما بالحلق أو بالنورة ؛ ولا ينبغى أن تتأخر عن أربعين يوماً

---

(١) حديث قصوا وفى لفظ جزوا وفى لفظ أخفوا الشوارب واعفوا اللحية متفق عليه من حديث ابن عمر بلفظ احفوا ولمسلم من حديث أبى هريرة جزوا ولأحمد من حديثه قصوا

(٢) حديث المغيرة بن شعبه نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربى فقال تعال فقصه لى على سواك د ن ت فى الشمائل

(٣) حديث أن اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم أحمد من حديث أبى أمامة قلنا يارسول الله أن أهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم فقال قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا أهل الكتاب قلت والمشهور أن هذا فعل المجوس ففى صحيح ابن حبان من حديث ابن عمر فى المجوس أنهم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم

---

* الزمر : ٧٥ * محمد : ٣٧

الخامس : الأظفار وتقليمها مستحب لشناعة صورتها إذا طالت ، ولما يجتمع فيها من الوسخ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَلِّمْ أَظْفَارَكَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَقْعُدُ عَلَى مَا طَالَ مِنْهَا » ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضوء ، لأنه لا يمنع وصول الماء ، ولأنه يتساهل فيه للحاجة ، لاسيما فى أظفار الرجل ، وفى الأوساخ التى تجتمع على البراجم وظهور الأرجل والأيدى من العرب وأهل السواد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهم بالقلم ، وينكر عليهم ما يرى تحت أظفارهم من الأوساخ ، ولم يأمرهم بإعادة الصلاة ، ولو أمر به لكان فيه فائدة أخرى وهو التغليظ والزجر عن ذلك

ولم أر فى الكتب خبراً مرويا فى ترتيب قلم الأظفار ، ولكن سمعت أنه صلى الله عليه وسلم [٢] بدأ بمسبحته اليمنى ، وختم بإبهامه اليمنى ، وابتدأ فى اليسرى بالخنصر إلى الابهام . ولما تأملت فى هذا خطر لى من المعنى ما يدل على أن الرواية فيه صحيحة ، إذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتداء إلا بنور النبوة ، وأما العالم ذو البصيرة فغايته أن يستنبطه من العقل بعد نقل الفعل اليه . فالذى لاح لى فيه ، والعلم عند الله سبحانه ، أنه لا بد من قلم أظفار اليد والرجل ، واليد أشرف من الرجل فيبدأ بها ، ثم اليمنى أشرف من اليسرى فيبدأ بها ، ثم على اليمنى خمسة أصابع ، والمسبحة أشرفها ، إذ هى المشيرة فى كلمتى الشهادة من جملة الأصابع ، ثم بعدها ينبغى أن يبتدئ بما على يمينها ، إذ الشرع يستحب إداره الطهور وغيره على اليمنى ، وإن وضعت ظهر الكف على الأرض فالابهام هو اليمين ، وإن وضعت بطن الكف فالوسطى هى اليمنى ، واليد إذا تركت بطبعها كان الكف مائلا إلى جهة الارض ، إذ جهة حركة اليمين إلى اليسار ، واستتمام الحركة إلى اليسار يجعل ظهر الكف عاليا ، فما يقتضيه الطبع أولى ، ثم إذا وضعت الكف على الكف صارت الأصابع فى حكم حلقة دائرة ، فيقتضى ترتيب الدور الذهاب عن يمين المسبحة إلى أن يعود إلى المسبحة ، فتقع البداءة

---

(١) حديث ياأبا هريرة قلم ظفرك فان الشيطان يقعد على ما طال منها . الخطيب فى الجامع باسناد ضعيف من حديث جابر قصوا أظافيركم فان الشيطان يجرى ما بين اللحم والظفر

(٢) حديث البداءة فى قلم الأظفار : بمسبحة اليمنى والختم بإبهامها وفى اليسرى بالخنصر الى الابهام لم أجد له أصلا وقد أنكره أبو عبد الله المازرى فى الرد على الغزالى وشنع عليه به

بخنصر اليسرى ، والخم بإبهامها ، ويبقى إبهام اليمنى فيختم به التقليم . وإنما قدرت الكف موضوعة على الكف حتى تصير الأصابع كأشخاص فى حلقة ليظهر ترتيبها ، وتقدير ذلك أولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف ، أو وضع ظهر الكف على ظهر الكف ، فإن ذلك لا يقتضيه الطبع . وأما أصابع الرجل فالأولى عندى أن لم يثبت فيها نقل ، أن يبدأ بخنصر اليمنى ، ويختم بخنصر اليسرى كما فى التخليل ، فإن المعانى التى ذكرناها فى اليد لا تتجه هاهنا إذ لا مسبحة فى الرجل ، وهذه الأصابع فى حكم صف واحد ثابت على الأرض ، فيبدأ من جانب اليمنى ، فإن تقديرها حلقة بوضع الأخمص على الأخمص يأباه الطبع بخلاف اليدين . وهذه الدقائق فى الترتيب تنكشف بنور النبوّة فى لحظة واحدة ، وإنما يطول التعب علينا . ثم لو سئلنا ابتداء عن الترتيب فى ذلك ربما لم يخطر لنا ، وإذا ذكرنا فعله صلى الله عليه وسلم وترتيبه ربما تيسر لنا بما عاينه صلى الله عليه وسلم بشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى استنباط المعنى

ولا تظنن أن أفعاله صلى الله عليه وسلم فى جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب ، بل جميع الأمور الاختيارية التى ذكرناها يتردد فيها الفاعل بين قسمين أو أقسام ، كأن لا يقدم على واحد معين بالاتفاق ، بل بمعنى يقتضى الاقدام والتقديم ، فان الاسترسال مهملا كما يتفق سجية البهائم ، وضبط الحركات بموازين المعانى سجية أولياء الله تعالى . وكلما كانت حركات الإنسان وخطراته إلى الضبط أقرب ، وعن الإهمال وتركه سدى أبعد ، كانت مرتبته إلى رتبة الأنبياء والأولياء أكثر ، وكان قربه من الله عز وجل أظهر ، إذ القريب من النبى صلى الله عليه وسلم هو القريب من الله عز وجل ، والقريب من الله لابد أن يكون قريبا ، فالقريب من القريب قريب بالإضافة إلى غيره . فنعوذ بالله أن يكون زمام حركاتنا وسكناتنا فى يد الشيطان بواسطة الهوى

واعتبر فى ضبط الحركات باكتحاله صلى الله عليه وسلم [1] « فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتَحِلُ فِي عَيْنِهِ الْيُمْنَى ثَلَاثًا ، وَفِي الْيُسْرَى اثْنَيْنِ فَيَبْدَأُ بِالْيُمْنَى لِشَرَفِهَا » وتفاوته بين العينين لتكون الجملة وترا ، فإن للوتر فضلا عن الزوج ، فإن الله سبحانه وتر يحب الوتر ، فلا ينبغى أن يخلو

(١) حديث كان يكتحل فى عينه اليمنى ثلاثا وفى اليسرى اثنين الطبرانى من حديث ابن عمر باسناد ضعيف

فعل العبد من مناسبة لوصفه من أوصاف الله تعالى ، ولذلك استحب الإيتار فى الإستجمار ، وإنما لم يقتصر على الثلاث وهو وتر لأن اليسرى لايخصها إلا واحدة والغالب أن الواحدة لاتستوعب أصول الأجفان بالكحل ، وإنما خصص اليمين بالثلاث لأن التفضيل لابد منه للإيتار واليمين أفضل فهى بالزيادة أحق

فإن قلت : فلم اقتصر على اثنين لليسرى وهى زوج ؟

فالجواب أن ذلك ضرورة ، إذ لوجعل لكل واحدة وترا كان المجموع زوجا ، إذ الوتر مع الوتر زوج ، ورعايته الإيتار فى مجموع الفعل وهو فى حكم الخصلة الواحدة أحب من رعايته فى الآحاد ، ولذلك أيضاً وجه ، « وهُوَ أَنْ يَكْتَحِلَ فِى كُلِّ وَاحِدَةٍ ثَلَاثًا » على قياس الوضوء ، وقد نقل ذلك فى الصحيح[1] وهو الأولى. ولوذهبت أستقصى دقائق ماراعاه صلى الله عليه وسلم فى حركاته لطال الأمر، فقس بما سمعته مالم تسمعه

واعلم أن العالم لا يكون وارثا للنبى صلى الله عليه وسلم إلا إذا اطلع على جميع معانى الشريعة ، حتى لا يكون بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم إلا درجة واحدة ، وهى درجة النبوة ، وهى الدرجة الفارقة بين الوارث والموروث ، إذ الموروث هو الذى حصل المال له واشتغل بتحصيله واقتدر عليه ، والوارث هو الذى لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل اليه وتلقاه منه بعد حصوله له ، فأمثال هذه المعانى مع سهولة أمرها بالإضافة إلى الأغوار والأسرار لا يستقل بدركها ابتداء إلا الأنبياء ، ولايستقل باستنباطها تلقيا بعد تنبيه الأنبياء عليها إلا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء عليهم السلام

السادس والسابع : زيادة السرة وقلفة الحشفة . أما السرة فتقطع فى أول الولادة ، وأما التطهير بالختان فعادة اليهود فى اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير إلى أن يثغر الولد أحب وأبعد عن الخطر ، قال صلى الله عليهم وسلم[2] «الْخِتَانُ سُنَّةٌ لِلرِّجَالِ وَمَكْرُمَةٌ لِلنِّسَاءِ» وينبغى أن لا يبالغ فى خفض المرأة قال صلى الله عليه وسلم: لأم عطية وكانت تخفض «يَا أُمَّ

---

(١) حديث الاكتحال فى كل عين ثلاثا قال الغزالى ونقل ذلك فى الصحيحين قلت هو عند الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس قال الترمذى حديث حسن

(٢) حديث الختان سنة الرجال مكرمة النساء أحمد والبيهقى من رواية أبى المليح بن أسامة عن أبيه باسناد ضعيف

عَطِيَّةَ [١] أَشِمِّي وَلَا تَنْهَكِي فَإِنَّهُ أَسْرَى لِلْوَجْهِ وَأَحْظَى عِنْدَ الزَّوْجِ » أى أكثر لماء الوجه ودمه ، وأحسن فى جماعها . فانظر إلى جزالة لفظه صلى الله عليه وسلم فى الكناية ، وإلى إشراق نور النبوة من مصالح الآخرة التى هى أهم مقاصد النبوة إلى مصالح الدنيا ، حتى انكشف له وهو أمى من هذا الأمر النازل قدره ما لو وقعت الغفلة عنه خيف ضرره ، فسبحان من أرسله رحمة للعالمين ، ليجمع لهم بيمن بعثته مصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وسلم

الثامنة : ما طال من اللحية . وإنما أخرناها لنلحق بها ما فى اللحية من السنن والبدع ، إذ هذا أقرب موضع يليق به ذكرها : وقد اختلفوا فيما طال منها : فقيل : ان قبض الرجل على لحيته وأخذ ما فضل عن القبضة فلا بأس ، فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين ، واستحسنه الشعبى وابن سيرين ، وكرهه الحسن وقتادة ، وقالا : تركها عافية أحب ، لقوله صلى الله عليه وسلم « اعْفُوا اللِّحَى » والأمر فى هذا قريب إن لم ينته إلى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب ، فإن الطول المفرط قد يشوه الخلقة ويطلق ألسنة المغتابين بالنبذ اليه ، فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية : وقال النخعى : عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا يأخذ من لحيته ويجعلها بين لحيتين ، فإن التوسط فى كل شىء حسن ، ولذلك قيل : كلما طالت اللحية تشمر العقل

فصل

وفى اللحية عشر خصال مكروهة ، وبعضها أشد كراهة من بعض . خضابها بالسواد ، وتبييضها بالكبريت ، ونتفها ، ونتف الشيب منها ، والنقصان منها ، والزيادة فيها ، وتشريحها تصنعا لأجل الرياء ، وتركها شعثة إظهارا للزهد ، والنظر إلى سوادها عجبا بالشباب ، وإلى بياضها تكبرا بعلو السن ، وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبها بالصالحين

أما الأول وهو الخضاب بالسواد . فهو منهى عنه لقوله صلى الله عليه وسلم [٢] « خَيْرُ شَبَابِكُمْ مَنْ تَشَبَّهَ بِشُيُوخِكُمْ وَشَرُّ شُيُوخِكُمْ مَنْ تَشَبَّهَ بِشَبَابِكُمْ » والمراد بالتشبه بالشيوخ

---

(١) حديث أم عطية أشمى ولا تنهكى . الحديث الحاكم والبيهقى من حديث الضحاك بن قيس ولأبى داود نحوه من حديث أم عطية وكلاهما ضعيف

(٢) حديث خير شبابكم من تشبه بكهولكم . الحديث الطبرانى من حديث واثلة باسناد ضعيف

فى الوقار لا فى تبييض الشعر [١] ونهى عن الخضاب بالسواد وقال : هو خضاب [٢] أهل النار وفى لفظ آخر الخضاب بالسواد خضاب الكفار، وتزوج رجل على عهد عمر رضى الله عنه وكان يخضب بالسواد ، فنصل خضابه وظهرت شيبته ، فرفعه أهل المرأة إلى عمر رضى الله عنه ، فرد نكاحه وأوجعه ضربا ، وقال : غررت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك . ويقال : أول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله . وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال [٣] « يكون فى آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة »

الثانى: الخضاب بالصفرة والحمرة ، وهو جائز تلبيسا للتشبيب على الكفار فى الغزو والجهاد ، فإن لم يكن على هذه النية بل للتشبه بأهل الدين فهو مذموم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤] « الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين » وكانوا يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة ، وخضب بعض العلماء بالسواد لأجل الغزو ، وذلك لا بأس به إذا صحت النية ولم يكن فيه هوى وشهوة

الثالث : تبييضها بالكبريت استعجالاً لإظهار علو السن ، توصلاً إلى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ ، وترفعا عن الشباب ، وإظهاراً لكثرة العلم ، ظناً بأن كثرة الأيام تعطيه فضلاً ، وهيبات ، فلا يزيد كبر السن للجاهل إلا جهلا ، فالعلم ثمرة العقل ، وهى غريزة ، ولا يؤثر الشيب فيها ، ومن كانت غريزته الحمق فطول المدة يؤكد

---

(١) حديث نهى عن الخضاب بالسواد ابن سعد فى الطبقات من حديث عمرو بن العاص باسناد منقطع ولمسلم من حديث جابر وغيروا هذا بشىء واجتنبوا السواد قاله حين رأى بياض شعر أبى قحافة

(٢) حديث الخضاب بالسواد خضاب أهل النار وفى لفظ خضاب الكفار الطبرانى والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ الكافر قال ابن أبى حاتم منكر

(٣) حديث يكون فى آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد ـ الحديث : أبو داود والنسائي من حديث ابن عباس باسناد جيد

(٤) حديث الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين الطبراني والخلال بلفظ الافراد من حديث ابن عمر قال ابن أبى حاتم منكر

حماقته ، وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن على أكابر الصحابة ويسأله دونهم . وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما آتى الله عز وجل عبدا علما إلا شابا والخير كله فى الشباب ، ثم تلا قوله عز وجل : (قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ *) وقوله تعالى (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى *) وقوله تعالى : (وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا *)

وكان أنس رضى الله عنه يقول:(١) « قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَلَيْسَ فى رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعَرَةً بَيْضَاءَ . فَقِيلَ لَهُ يَاأَبَا حَمْزَةَ فَقَدْ أَسَنَّ ، فَقَالَ : لَمْ يَشِنْهُ اللهُ بِالشَّيْبِ ، فَقِيلَ : أَهُوَ شَيْنٌ ؟؟ فَقَالَ كُلُّكُمْ يَكْرَهُهُ » ويقال (٢) إِنَّ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمَ وَلِيَ الْقَضَاءَ وَهُوَ ابْنُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ فِي مَجْلِسِهِ يُرِيدُ أَنْ يُخْجِلَهُ بِصِغَرِ سِنِّهِ : كَمْ سِنُّ الْقَاضِي أَيَّدَهُ اللهُ ؟ فقال مِثْلُ سِنِّ عَتَّابِ بْنِ أَسِيدٍ حِينَ وَلَّاهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِمَارَةَ مَكَّةَ وَقَضَاءَهَا فَأَفْحَمَهُ »

• وروى عن مالك رحمه الله أنه قال : قرأت فى بعض الكتب لا تغرنكم اللحى فإن التيس له لحية . وقال أبو عمرو بن العلاء : إذا رأيت الرجل طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحمق . ولو كان أمية بن عبد شمس . وقال أيوب السختيانى : أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه . وقال على بن الحسين : من سبق إليه العلم قبلك فهو إمامك فيه وإن كان أصغر سنا منك . وقيل لأبى عمرو بن العلاء : أيحسن من الشيخ أن يتعلم من الصغير ؟

---

(١) حديث قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له ياأبا حمزة وقد أسن فقال لم يشنه الله بالشيب متفق عليه من حديث أنس دون قوله فقيل الخ ولمسلم من حديثه وسئل عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فال ما شانه الله ببيضاء

(٢) حديث أن يحى بن أكثم ولى القضاء وهو ابن احدى وعشرين سنة فقيل له كم سن القاضى فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم امارة مكة وقضاءها يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل حين وجه به رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل اليمن الخطيب فى التاريخ باسناد فيه نظر وما ذكره ابن أكثم صحيح بالنسبة الى عتاب بن أسيد فانه كان حين الولاية ابن عشرين سنة وأما بالنسبة الي معاذ فانما يتم له ذلك على قول يحى بن سعيد الانصاري ومالك وابن أبي حاتم انه كان حين مات ابن ثمان وعشرين سنة والمرجح أنه مات ابن ثلاثة وثلاثين سنة فى الطاعون سنة ثمانية عشر والله أعلم

---

* الأنبياء : ٦٠ * الكهف : ١٣ * مريم : ١٢

فقال : إن كان الجهل يقبح به فالتعلم يحسن به . وقال يحيى بن معين لأحمد بن حنبل وقد رآه يمشي خلف بغلة الشافعي : يا أبا عبد الله تركت حديث سفيان بعلوه وتمشي خلف بغلة هذا الفتي وتسمع منه فقال له أحمد : لو عرفت لكنت تمشي من الجانب الآخر إن علم سفيان إن فاتني بعلو أدركته بنزول وإن عقل هذا الشاب إن فاتني لم أدركه بعلو ولا نزول

الرابع : نَتف بياضها استنكافا من الشيب . وقد « نَهى عَلَيْهِ السَّلَامُ[1] عَنْ نَتْفِ الشَّيْبِ وَقَالَ هُوَ نُورُ الْمُؤْمِنِ » وهو فى معنى الخضاب بالسواد. وعلة الكراهية ماسبق، والشيب نور الله تعالى ، والرغبة عنه رغبة عن النور .

الخامس : نتفها أو نتف بعضها بحكم العبث والهوس ، وذلك مكروه ومشوه للخلقة ونتف الْفِنيكَيْنِ بدعة وهما جانبا العنفقة . شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان ينتف فَنِيكَيْه ، فرد شهادته . ورد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وابن أبى ليلى قاضى المدينة شهادة من كان ينتف لحيته . وأما نتفها فى أول النبات تشبها بالمرد فمن المنكرات الكبار ، فإن اللحية زينة الرجال ، فإن لله سبحانه ملائكة يُقْسمون : والذى زين بنى آدم باللحى ، وهو من تمام الخلق ، وبها يتميز الرجال عن النساء . وقيل فى غريب التأويل : اللحية هى المراد بقوله تعالى : (يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ *) قال أصحاب الأحنف بن قيس : وددنا أن نشترى للأحنف لحية ولو بعشرين ألفا . وقال شريح القاضى : وددت أن لى لحية ولو بعشرة آلاف . وكيف تكره اللحية وفيها تعظيم الرجل ، والنظر اليه بعين العلم والوقار والرفع فى المجالس ، وإقبال الوجوه اليه ، والتقديم على الجماعة ، ووقاية العرض ، فان من يشتم يعرض باللحية إن كان للمشتوم لحية . وقد قيل : إن أهل الجنة مرد إلا هرون أخا موسى صلى الله عليهما وسلم ، فإن له لحية إلى سرته تخصيصا له وتفضيلا

السادس : تقصيصها كالتعبية طاقة على طاقة للتزين للنساء والتصنع . قال كعب : يكون فى آخر الزمان أقوام يقصون لحاهم كذنب الحمامة ، ويعرقبون نعالهم كالمناجل ، أولئك لا خلاق لهم

---

(١) حديث نهى عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن د ت وحسنه ن ه من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده

* فاطر : ١

السابع : الزيادة فيها وهو أن يزيد فى شعر العارضين من الصدغين ، وهو من شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللحى وينتهى إلى نصف الخد ، وذلك يباين هيئة أهل الصلاح

الثامن : تسريحها لأجل الناس ، قال بشر : فى اللحية شركان : تسريحها لأجل الناس ، وتركها متفتلة لإظهار الزهد .

التاسع والعاشر : النظر فى سوادها وفى بياضها بعين العجب ، وذلك مذموم فى جميع أجزاء البدن ، بل فى جميع الأخلاق والأفعال على ما سيأتى بيانه

فهذا ما أردنا أن نذكره من أنواع التزين والنظافة ، وقد حصل من ثلاثة أحاديث من سنن الجسد اثنتا عشرة خصلة : خمس منها فى الرأس ، وهى [1] فرق شعر الرأس ، والمضمضة ، والاستنشاق [2] وقص الشارب ، والسواك ، وثلاثة فى اليد والرجل ، وهى : القلم ، وغسل البراجم [3] وتنظيف الرواجب . وأربعة فى الجسد ، وهى نتف الإبط ، والاستحداد ، والختان ، والاستنجاء بالماء ، فقد وردت الأخبار بمجموع ذلك . وإذا كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر على هذا . وليتحقق أن فضلات الباطن وأوساخه التى يجب التنظيف منها أكثر من أن تحصى ، وسيأتى تفصيلها فى ربع المهلكات مع تعريف الطرق فى إزالتها وتطهير القلب منها ، إن شاء الله عز وجل

تم كتاب أسرار الطهارة بحمد الله تعالى وعونه ، ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الصلاة ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى

---

(١) حديث فرق شعر الرأس الخ من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره إلى أن قال ثم فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه

(٢) حديث عشر من الفطرة الحديث مسلم من حديث عائشة ولفظ قص الشارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاقه الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء قال وكيع يعنى الاستنجاء قال مصعب ونسيت العاشرة الا أن تكون المضمضة ضعفة ن ولأبى د هـ من حديث عمار بن ياسر نحوه فذكر فيه المضمضة والاختتان والانتضاح ولم يذكر اعفاء اللحية وانتقاص الماء قال د روى نحوه عن ابن عباس قال خمس كلها فى الرأس وذكر منها الفرق ولم يذكر اعفاء اللحية وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة الفطرة خمس الختان الحديث

(٣) حديث تنظيف الرواجب تقدم

كتاب أسرار الصلاة ومهماتها

كتاب أسرار الصلاة ومهماتها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى غمر العباد بلطائفه ، وعمر قلوبهم بأنوار الدين ووظائفه ، الذى تنزل عن عرش الجلال إلى السماء الدنيا من درجات الرحمة إحدى عواطفه ، فارق الملوك مع التفرد بالجلال والكبرياء بترغيب الخلق فى السؤال والدعاء فقال : هَلْ مِنْ دَاعٍ فأَسْتَجِيبَ لهُ ؟ وَهَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فأَغْفِرَ لَهُ ، وباين السلاطين بفتح الباب ورفع الحجاب ، فرخص للعباد فى المناجاة بالصلوات كيفما تقلبت بهم الحالات فى الجماعات والخلوات ، ولم يقتصر على الرخصة بل تلطف بالترغيب والدعوة ، وغيره من ضعفاء الملوك لا يسمح بالخلوة إلا بعد تقديم الهدية والرشوة . فسبحانه ما أعظم شأنه وأقوى سلطانه ، وأتم لطفه وأعم إحسانه ! والصلاة على محمد نبيه المصطفى ، ووليه المجتبى ، وعلى آله وأصحابه مفاتيح الهدى ، ومصابيح الدجى ، وسلم تسليما

أما بعد : فان الصلاة عماد الدين ، وعصام اليقين ، ورأس القربات ، وغرة الطاعات . وقد استقصينا فى فن الفقه فى بسيط المذهب ووسيطه ووجيزه أصولها وفروعها ، صارفين جمام العناية إلى تفاريعها النادرة ووقائعها الشاذة ، لتكون خزانة للمفتى منها يستمد ، ومعولا له اليها يفزع ويرجع . ونحن الآن فى هذا الكتاب نقتصر على ما لا بد للمريد منه من أعمالها الظاهرة وأسرارها الباطنة ، وكاشفون من دقائق معانيها الخفية فى معانى الخشوع والإخلاص والنية ما لم تجر العادة بذكره فى فن الفقه ، ومرتبون الكتاب على سبعة أبواب : (الباب الأول) فى فضائل الصلاة . (الباب الثانى) فى تفضيل الأعمال الظاهرة من الصلاة . (الباب الثالث) فى تفضيل الأعمال الباطنة منها . (الباب الرابع) فى الإمامة والقدوة (الباب الخامس) فى صلاة الجمعة وآدابها (الباب السادس) فى مسائل متفرقة تعم بها البلوى يحتاج المريد إلى معرفتها (الباب السابع) فى التطوعات وغيرها

الباب الأول

فى فضائل الصلاة والسجود والجماعة والأذان وغيرها

فضيلة الأذان

قال صلى الله عليه وسلم :(١) « ثَلاثَةٌ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلَى كَثِيبٍ مِنْ مِسْكٍ أَسْوَدَ لا يَهُولُهُمْ حِسَابٌ وَلا يَنالُهُمْ فَزَعٌ حَتَّى يُفْرَغَ مِمَّا بَيْنَ النَّاسِ: رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَمَّ بِقَوْمٍ وَهُمْ بِهِ رَاضُونَ ، وَرَجُلٌ أَذَّنَ فِي مَسْجِدٍ وَدَعَا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ ، وَرَجُلٌ ابْتُلِيَ بِالرِّزْقِ فِي الدُّنْيَا فَلَمْ يَشْغَلْهُ ذَلِكَ عَنْ عَمَلِ الآخِرَةِ » وقال صلى الله عليه وسلم :(٢) « لا يَسْمَعُ نِدَاءَ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلا إِنْسٌ وَلا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ » وقال صلى الله عليه وسلم :(٣) « يَدُ الرَّحْمَنِ عَلَى رَأْسِ الْمُؤَذِّنِ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ أَذَانِهِ » وقيل فى تفسير قوله عز وجل : (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا *) نزلت فى المؤذنين :

وقال صلى الله عليه وسلم :(٤) « إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ » وذلك مستحب إلا فى الحيعلتين فإنه يقول فيهما : لاحول ولا قوة إلا بالله ، وفى قوله : قد قامت الصلاة : أقامها الله وأدامها ما دامت السموات والأرض ، وفى التثويب : صدقت وبررت ونصحت ، وعند الفراغ يقول : اللهم ربَّ هـذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعـة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته إنك لا تخلف الميعاد .

وقال سعيد بن المسيب : من صلى بأرض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك ، فإن أذن وأقام صلى وراءه أمثال الجبال من الملائكة

﴿ كتاب أسرار الصلاة ﴾

(١) حديث ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك ـ الحديث : ت وحسنه من حديث ابن عمر مختصر وهو فى الصغير للطبرانى بنحو مما ذكره المؤلف

(٢) حديث لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شىء الا شهدله يوم القيامة خ من حديث أبى سعيد

(٣) حديث يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه الطبرانى فى الأوسط والحسن بن سعيد فى مسنده من حديث أنس باسناد ضعيف

(٤) حديث اذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن متفق عليه من حديث أبى سعيد

* فصلت : ٣٣

فضيلة المكتوبة

قال الله تعالى : (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا *) وقال صلى الله عليه وسلم : (١) « خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَى الْعِبَادِ فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ وَلَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٢) « مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ عَذْبٍ غَمْرٍ بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَقْتَحِمُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا تَرَوْنَ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ ؟ قَالُوا لَا شَيْءَ ، قال صلى الله عليه وسلم : فَإِنَّ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ تُذْهِبُ الذُّنُوبَ كَمَا يُذْهِبُ الْمَاءُ الدَّرَنَ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٣) « إِنَّ الصَّلَوَاتِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٤) « بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُنَافِقِينَ شُهُودُ الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَا يَسْتَطِيعُونَهُمَا » وقال صلى الله عليه وسلم : (٥) « مَنْ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ مُضَيِّعٌ لِلصَّلَاةِ لَمْ يَعْبَإِ اللهُ بِشَيْءٍ مِنْ حَسَنَاتِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٦) « الصَّلَاةُ عِمَادُ الدِّينِ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ هَدَمَ الدِّينَ » (٧) « وَسُئِلَ صلى الله عليه وسلم أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ : الصَّلَاةُ لِمَوَاقِيتِهَا » وقال صلى الله عليه وسلم : (٨) « مَنْ حَافَظَ عَلَى الْخَمْسِ بِإِكْمَالِ طُهُورِهَا وَمَوَاقِيتِهَا

---

(١) حديث خمس صلوات كتبهن الله على العباد الحديث د ن هـ حب من حديث عبادة بن الصامت وصححه ابن عبد البر

(٢) حديث مثل خمس صلوات كمثل نهر الحديث مسلم من حديث جابر ولهما نحوه من حديث أبي هريرة

(٣) حديث الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر م من حديث أبي هريرة

(٤) حديث بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح مالك من رواية سعيد بن المسيب مرسلا

(٥) حديث من لقي الله مضيعا للصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسناته وفي معناه حديث أول ما يحاسب به العبد الصلاة وفيه فان فسدت فسد سائر عمله رواه طب في الأوسط من حديث أنس

(٦) حديث الصلاة عماد الدين البيهقي في الشعب بسند ضعفه من حديث عمر قال ك عكرمة لم يسمع من عمر قال ورواه ابن عمر ولم يقف عليه ابن الصلاح فقال في مشكل الوسيط انه غيره معروف

(٧) حديث سئل أي الأعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها متفق عليه من حديث ابن مسعود

(٨) حديث من حافظ على الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا ـ الحديث : أحمد حب من حديث عبد الله بن عمرو

---

* النساء : ١٠٣

كانت له نورا وبرهانا يوم القيامة ، ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان » وقال صلى الله عليه وسلم : (١) « مفتاح الجنة الصلاة » وقال : (٢) « ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة ، ولو كان شيء أحب إليه منها لتعبد به ملائكته : فمنهم راكع ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد »

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (٣) « من ترك صلاة متعمداً فقد كفر » أي قارب أن ينخلع عن الإيمان بانحلال عروته وسقوط عماده ، كما يقال لمن قارب البلدة إنه بلغها ودخلها . وقال صلى الله عليه وسلم : (٤) « من ترك صلاة متعمدا فقد برئ من ذمة محمد عليه السلام » وقال أبو هريرة رضي الله عنه : من توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج عامداً إلى الصلاة فإنه في صلاة ما كان يعمد إلى الصلاة ، وإنه يكتب له بإحدى خطوتيه حسنة وتمحى عنه بالأخرى سيئة ، فإذا سمع أحدكم الإقامة فلا ينبغي له أن يتأخر فإن أعظمكم أجرا أبعدكم داراً قالوا : لم يا أبا هريرة ؟ قال : من أجل كثرة الخطا

ويروى « أن (٥) أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة فإن وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وإن وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله » وقال صلى الله عليه وسلم : (٦) « يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب » وقال بعض العلماء : مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال ، وكذلك المصلي لا تقبل له نافلة حتى يؤدي الفريضة . وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول : اذا حضرت الصلاة : قوموا الى ناركم التي أوقدتموها فأطفؤها

---

(١) حديث مفاتيح الجنة الصلاة د الطيالسي من حديث جابر وهو عند الترمذي ولكن ليس داخلا في الرواية

(٢) حديث ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد شيئاً أحب اليه من الصلاة ـ الحديث : لم أجده هكذا وآخر الحديث عند الطبراني من حديث جابر وعند الحاكم من حديث ابن عمر

(٣) حديث من ترك صلاة متعمدا فقد كفر البزار من حديث أبي الدرداء باسناد فيه مقال

(٤) حديث من ترك صلاة متعمدا فقد تبرأ من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم : حم هق من حديث أم أيمن بنحوه ورجاله ثقات

(٥) حديث أول ما ينظر الله فيه يوم القيامة من عمل العبد الصلاة ـ الحديث : رويناه في الطيوريات من حديث أبي سعيد باسناد ضعيف ولأصحاب السنن ك وصحح اسناده نحوه من حديث أبي هريرة وسيأتي

(٦) حديث يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فان الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب لم أقف له على أصل

فضيلة إتمام الأركان

قال صلى الله عليه وسلم : (١) « مَثَلُ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ كَمَثَلِ الْمِيزَانِ مَنْ أَوْفَى اسْتَوْفَى » وقال (٢) يزيد الرقاشي: «كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مُسْتَوِيَةً كَأَنَّهَا مَوْزُونَةٌ » وقال صلى الله عليه وسلم: (٣) « إِنَّ الرَّجُلَيْنِ مِنْ أُمَّتِي لَيَقُومَانِ إِلَى الصَّلَاةِ وَرُكُوعُهُمَا وَسُجُودُهُمَا وَاحِدٌ وَإِنَّ مَا بَيْنَ صَلَاتَيْهِمَا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ » وأشار إلى الخشوع وقال صلى الله عليه وسلم : (٤) « لَا يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْعَبْدِ لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ بَيْنَ رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٥) « أَمَا يَخَافُ الَّذِي يُحَوِّلُ وَجْهَهُ فِي الصَّلَاةِ أَنْ يُحَوِّلَ اللهُ وَجْهَهُ وَجْهَ حِمَارٍ ! » وقال صلى الله عليه وسلم: (٦) « مَنْ صَلَّى صَلَاةً لِوَقْتِهَا وَأَسْبَغَ وُضُوءَهَا وَأَتَمَّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا وَخُشُوعَهَا عَرَجَتْ وَهِيَ بَيْضَاءُ مُسْفِرَةٌ تَقُولُ : حَفِظَكَ اللهُ كَمَا حَفِظْتَنِي ، وَمَنْ صَلَّى لِغَيْرِ وَقْتِهَا وَلَمْ يُسْبِغْ وُضُوءَهَا وَلَمْ يُتِمَّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا وَلَا خُشُوعَهَا عَرَجَتْ وَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ تَقُولُ ضَيَّعَكَ اللهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي حَتَّى إِذَا كَانَتْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ لُفَّتْ كَمَا يُلَفُّ الثَّوْبُ الْخَلَقُ فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُهُ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٧) « أَسْوَأُ النَّاسِ سَرِقَةً الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ » وقال ابن مسعود رضى الله عنه وسلمان رضى الله عنه الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى ، ومن طفف فقد علم ما قال الله فى المطففين

---

(١) حديث مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى : ابن مبارك فى الزهد من حديث ابن الحسن مرسلا وأسنده البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس باسناد فيه جهالة

(٢) حديث يزيد الرقاشى كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كلها موزونة: ابن المبارك فى الزهد ومن طريقه أبو الوليد الصفار فى كتاب الصلاة وهو مرسل ضعيف

(٣) حديث أن الرجلين من أمتى ليقومان الى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد الحديث: ابن الحبر فى العقل من حديث أبى أيوب الأنصارى بنحوه وهو موضوع ورواه الحارث بن أبى اسامة فى مسنده عن ابن المحبر

(٤) حديث لا ينظر الله إلى عبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده أحمد من حديث أبى هريرة باسناد صحيح

(٥) حديث أما يخاف الذى يحول وجهه فى الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار ابن عدى فى عوالى مشايخ مصر من حديث جابر ما يؤمنه اذا التفت فى صلاته أن يحول الله عز وجل وجهه وجه كلب أو وجه خنزير قال منكر بهذا الاسناد وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الامام أن يجعل الله وجهه وجه حمار

(٦) حديث من صلى الصلاة لوقتها فاسبغ وضوأها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرضت وهى بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتنى الحديث طب فى الاوسط من حديث أنس بسند ضعيف والطيالسى والبيهقى فى الشعب من حديث عبادة بن الصامت بسند ضعيف نحوه

(٧) حديث أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته أحمد والحاكم وصحح اسناده من حديث أبى قتادة

فضيلة الجماعة

قال صلى الله عليه وسلم: (١) « صَلاةُ الجَمَاعَةِ تَفضُلُ صَلاةَ الفَذِّ بِسَبْعٍ وعِشرينَ دَرجَةً » وروى أبو هريرة « أنَّهُ صلى الله عليه وسلم فَقَدَ نَاساً في بَعْضِ الصَّلَوات فقالَ (٢): لَقَدْ هَمَمْتُ أنْ آمُرَ رَجُلاً يُصَلِّي بالنَّاسِ ثُمَّ أُخَالِفَ إلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنْهَا فَأُحَرِّقَ بُيُوتَهُمْ » وفي رواية أخرى « ثُمَّ أُخَالِفَ إلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنْهَا فَآمُرَ بِهِمْ فَتُحَرَّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتُهُمْ بِحُزَمِ الحَطَبِ وَلَوْ عَلِمَ أَحَدُهُمْ أنَّهُ يَجِدُ عَظْماً سَمِيناً أَوْ مِرْمَاتَيْنِ لَشَهِدَهَا » يعني صلاة العشاء. وقال عثمان رضي الله عنه مرفوعاً (٣) « مَنْ شَهِدَ العِشَاءَ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ لَيْلَةٍ، وَمَنْ شَهِدَ الصُّبْحَ فَكَأَنَّمَا قَامَ لَيْلَةً » وقال صلى الله عليه وسلم: (٤) « مَنْ صَلَّى صَلاةً فِي جَمَاعَةٍ فَقَدْ مَلأَ نَحْرَهُ عِبَادَةً »

وقال سعيد ابن المسيب: ما أذَّن مؤذن منذ عشرين سنة إلا وأنا في المسجد. وقال محمد بن واسع: ما أشتهي من الدنيا إلا ثلاثة: أخاً إن تعوّجت قوّمني، وقُوتاً من الرزق عفواً من غير تبعة، وصلاةً في جماعة يرفع عني سهوها ويكتب لي فضلها. وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أمَّ قوماً مرة فلما انصرف قال: مازال الشيطان بي آنفاً حتى أريت أن لي فضلاً على غيري، لا أؤم أبداً. وقال الحسن: لا تصلوا خلف رجل لا يختلف إلى العلماء. وقال النخعي: مثل الذي يؤم الناس بغير علم مثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدري زيادته من نقصانه. وقال حاتم الأصم: فاتتني الصلاة في الجماعة فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده، ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا

---

(١) حديث صلاة الجماعة تفضل الفذ بسبع وعشرين درجة متفق عليه من حديث ابن عمر

(٢) حديث أبي هريرة لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف الى رجال يتخلفون الحديث متفق عليه

(٣) حديث عثمان من شهد صلاة العشاء فكأنما قام نصف الليلة الحديث: م من حديثه مرفوعا قال الترمذي وروي عن عثمان موقوفا

(٤) حديث من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة لم أجده مرفوعا وانما هو من قول سعيد بن المسيب رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة

وقال ابن عباس رضى الله عنهما: من سمع المنادى فلم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به خير. وقال أبو هريرة رضى الله عنه: لأن تملأ أذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من أن يسمع النداء ثم لا يجيب. وروى أن ميمون بن مهران أتى المسجد فقيل له: إن الناس قد انصرفوا فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون لفضل هذه الصلاة أحب إلى من ولايه العراق. وقال صلى الله عليه وسلم[1] «مَنْ صلَّى أَرْبَعِينَ يَوْماً الصَّلَوات فى جَماعَةٍ لا تَفُوتُهُ فِيهَا تَكْبِيرَةُ الإِحْرامِ كَتَبَ اللهُ لَهُ بَراءَتَيْنِ بَراءَةً مِنَ النِّفاقِ، وَبَراءَةً مِنَ النَّارِ»

ويقال: إنه إذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدرى: فتقول لهم الملائكة: ما كانت أعمالكم؟ فيقولون: كنا إذا سمعنا الأذان قمنا الى الطهارة لا يشغلنا غيرها، ثم تحشر طائفة وجوههم كالأقمار فيقولون بعد السؤال: كنا نتوضأ قبل الوقت، ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون: كنا نسمع الأذان فى المسجد. وروى أن السلف كانوا يعزون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى، ويعزون سبعا إذا فاتتهم الجماعة

فضيلة السجود

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:[2] «مَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَى اللهِ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ سُجُودٍ خَفِيٍّ» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:[3] «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَسْجُدُ لِلهِ سَجْدَةً إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً» وروى[4] «أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْ أَهْلِ شَفَاعَتِكَ وَأَنْ يَرْزُقَنِي مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ صلى الله عليه

---

(١) حديث من صلى أربعين يوما الصلوات فى جماعة لا تفوته تكبيرة الاحرام الحديث ت من حديث أنس باسناد رجاله ثقات

(٢) حديث ما تقرب العبد الى الله بشىء أفضل من سجود حفى ابن المبارك فى الزهد من حديث صمره ابن حبيب مرسلا

(٣) حديث ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئه هـ من حديث عبادة ابن الصامت باسناد صحيح ولمسلم نحوه من حديث ثوبان وأبى الدرداء

(٤) حديث أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أدع الله أن يجعلنى من أهل شفاعتك ويرزقنى مرافقتك فى الجنة الحديث م من حديث ربيعة بن كعب الاسلمى نحوه وهو الذى سأله ذلك

وسلم : أعِنِّي بِكَثْرَةِ السُّجُودِ » وقيل : [١] « أَقْرَبُ مايَكُونُ الْعَبْدُ إِلَى اللهِ تعالى أَنْ يكونَ سَاجِدًا » وهو معنى قوله عز وجل : (وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ *) وقال عز وجل : (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ *) فقيل هو ما يلصق بوجوههم من الأرض عند السجود . وقيل هو نور الخشوع فإنه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الأصح . وقيل هي الغرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء

وقال صلى الله عليه وسلم : [٢] «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي وَيَقُولُ : يَاوَيْلَاهُ أُمِرَ هَذَا بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ وَأُمِرْتُ أَنَا بِالسُّجُودِ فَعَصَيْتُ فَلِيَ النَّارُ » . ويروى عن علي بن عبد الله بن عباس أنه كان يسجد في كل يوم ألف سجدة ، وكانوا يسمونه السجاد . ويروى أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان لا يسجد إلا على التراب . وكان يوسف بن أسباط يقول : يامعشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض فما بقي أحد أحسده إلا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك . وقال سعيد بن جبير : ما آسى على شيء من الدنيا إلا على السجود

وقال عقبة بن مسلم : مامن خصلة في العبد أحب إلى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله عز وجل ، وما من ساعة العبد فيها أقرب إلى الله عز وجل منه حيث يخرّ ساجدا . وقال أبو هريرة رضي الله عنه : أقرب مايكون العبد إلى الله عز وجل إذا سجد ، فأكثروا الدعاء عند ذلك

فضيلة الخشوع

قال الله تعالى : (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي *) وقال تعالى : (وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ *) وقال عز وجل : (لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ *) قيل سكارى من كثرة الهم ، وقيل من حب الدنيا . وقال وهب : المراد به ظاهره ، ففيه تنبيه على سكر

---

(١) حديث أن أقرب ما يكون العبد الى الله أن يكون ساجدا م من حديث أبي هريره

(٢) حديث اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي الحديث م من حديث أبي هريره ا

* العلق ١٩ * طه ١٤ * الأعراف ٢٠٥ * النساء ٤٣

الدنيا ، إذ بين فيه العلة فقال : (حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) وكم من مصلّ لم يشرب خمرا وهو لايعلم ما يقول فى صلاته

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (١) « مَنْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ فِيهِمَا بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (٢) « إِنَّمَا الصَّلَاةُ تَمَكُّنٌ وَتَوَاضُعٌ وَتَضَرُّعٌ وَتَأَوُّهٌ وَتَنَادُمٌ وَتَضَعُ يَدَيْكَ فَتَقُولُ اللَّهُمَّ اللَّهُمَّ فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَهِيَ خِدَاجٌ » وروى عن الله سبحانه فى الكتب السالفة أنه قال : ليس كل مصل أتقبل صلاته ، إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتى ولم يتكبر على عبادى ، وأطعم الفقير الجائع لوجهى

وقال صلى الله عليه وسلم : (٣) « إِنَّمَا فُرِضَتِ الصَّلَاةُ وَأُمِرَ بِالْحَجِّ وَالطَّوَافِ وَأُشْعِرَتِ الْمَنَاسِكُ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى » فإذا لم يكن فى قلبك للمذكور الذى هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك . وقال صلى الله عليه وسلم للذى أوصاه (٤) « وإِذَا صَلَّيْتَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ » أي مودع لنفسه ، مودع لهواه ، مودع لعمره ، سائر إلى مولاه ، كما قال عز وجل : (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ *) وقال تعالى : (وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ *) وقال تعالى : (وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ *)

وقال صلى الله عليه وسلم : (٥) « مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ

---

(١) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له من ذنبه ابن أبى شيبة فى المصنف من حديث صلة بن أشيم مرسلا وهو فى الصحيحين من حديث عثمان بزيادة فى أوله دون قوله بشيء من الدنيا وزاد طس الا غير

(٢) حديث انما الصلاة تمكن ودعاء وتضرع الحديث ت ن نحوه من حديث الفضل بن عباس باسناد مضطرب

(٣) حديث انما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لاقامة ذكر الله د ت من حديث عائشة نحوه دون ذكر الصلاة قال ت حسن صحيح

(٤) حديث اذا صليت فصل صلاة مودع ابن ماجه من حديث أبى أيوب و ك من حديث سعد بن أبى وقاص وقال صحيح الاسناد والبيهقى فى الزهد من حديث ابن عمر ومن حديث أنس نحوه

(٥) حديث من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا على بن معبد فى كتاب الطاعة والمعصية من حديث الحسن مرسلا باسناد صحيح ورواه طب واسناده ابن مردويه فى تفسيره من حديث ابى عباس باسناد لين والطبرانى من قول ابن مسعود من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر الحديث واسناده صحيح

---

* الانشقاق : ٦ * البقرة ٢٨٢ * البقرة ٢٢٣

مِنَ اللهِ إِلاَّ بُعْداً » والصلاة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة . وقال بكر بن عبد الله : يا ابن آدم إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت . قيل : وكيف ذلك ؟ قال تسبغ وضوأك وتدخل محرابك فاذا أنت قد دخلت على مولاك بغير إذن فتكلمه بغير ترجمان . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم (١) يُحَدِّثُنَا وَنُحَدِّثُهُ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْنَا وَلَمْ نَعْرِفْهُ » لاشتغالاً بعظمة الله عز وجل

وقال صلى الله عليه وسلم : (٢) « لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلى صَلَاةٍ لَا يَحْضُرُ الرَّجُلُ فِيهَا قَلْبَهُ مَعَ بَدَنِهِ » وكان ابراهيم الخليل إذا قام إلى الصلاة يُسمع وَجِيبُ قلبه على ميلين . وكان سعيد التنوخى إذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته . « وَرَأَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم (٣) رَجُلاً يَعْبَثُ بِلِحْيَتِهِ فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ » ويروى أن الحسن نظر إلى رجل يعبث بالحصى ويقول : اللهم زوجنى الحور العين . فقال : بئس الخاطب أنت تخطب الحور العين وأنت تعبث بالحصى ! وقيل لخلف بن أيوب : ألا يؤذيك الذباب فى صلاتك فتطردها ؟ قال : لا أعوّد نفسى شيئا يفسد على صلاتى . قيل له :

---

(١) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرته الصلاة كانه لم يعرفنا ولم نعرفه الازدى فى الضعفاء من حديث سويد بن غفلة مرسلا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمع الاذان كانه لا يعرف أحدا من الناس

(٢) حديث لا ينظر الله الى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه لم أجده بهذا اللفظ وروى محمد بن نصر فى كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبى دهرش مرسلا لا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى بن كعب واسناده ضعيف

(٣) حديث رأى رجلا يعبث بلحيته فى الصلاه فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ت الحكيم فى النوادر من حديث أبى هريره بسند ضعيف والمعروف انه من قول سعيد بن المسيب رواه ابن أبى شيبة فى المصنف وفيه رجل لم يسم

وكيف تصبر على ذلك؟ قال بلغنى أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك فأنا قائم بين يدى ربى أفأتحرك لذبابة

ويروى عن مسلم بن يسار أنه كان إذا أراد الصلاة قال لأهله : تحدثوا أنتم فانى لست أسمعكم. ويروى عنه أنه كان يصلى يوما فى جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة . وكان علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلوّن وجهه . فقيل له : مالك ياأمير المؤمنين ؟ فيقول : جاء وقت أمانةٍ عرَضها الله على السموات والأرض والجبال فأَبَيْن أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها . ويروى عن علىّ بن الحسين أنه كان إذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله : ماهذا الذى يعتريك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم ؟

ويروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال قال داود صلى الله عليه وسلم فى مناجاته : إلهى من يسكن بيتك وممن تتقبل الصلاة ؟ فاوحى الله إليه : باداود إنما يسكن بيتى وأقبل الصلاة منه مَن تواضع لعظمتى ، وقطع نهاره بذكرى ، وكف نفسَه عن الشهوات من أجلى، يطعم الجائع ، ويؤوى الغريب ، ويرحم المصاب ، فذلك الذى يضىء نوره فى السموات كالشمس ، إن دعانى لبّيته ، وإن سألنى أعطيته ، أجعل له فى الجهل حلما ، وفى الغفلة ذكرا، وفى الظلمة نورا ، وانما مثله فى الناس كالفردوس فى أعلى الجنان لاتيبس أنهارها ولاتتغير ثمارها

ويروى عن حاتم الأصم رضى الله عنه أنه سئل عن صلاته فقال : إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذى أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحى ؛ ثم أقوم إلى صلاتى وأجعل الكعبة بين حاجبى والصراط تحت قدمى والجنة عن يمينى والنار عن شمالى وملك الموت ورائى أظنها آخر صلاتى ، ثم أقوم بين الرجاء والخوف ، وأكبر تكبيرا بتحقيق ، وأقرأ قراءة بترتيل ، وأركع ركوعا بتواضع ، وأسجد سجودا بتخشع ، وأقعد على الورك الأيسر ، وأفرش ظهر قدمها وأنصب القدم اليمنى على الابهام ، وأتبعها الأخلاص ، ثم لاأدرى أقبلت منى أم لا . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه

فضيلة المسجد وموضع الصلاة

قال الله عز وجل : (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ *) وقال صلى الله عليه وسلم : (١) « مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِداً وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ بَنَى اللهُ لَهُ قَصْراً فِي الْجَنَّةِ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٢) « مَنْ أَلِفَ الْمَسْجِدَ أَلِفَهُ اللهُ تَعَالَى » وقال صلى الله عليه وسلم : (٣) « إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَجْلِسَ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٤) « لَا صَلَاةَ لِجَارِ الْمَسْجِدِ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٥) « الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ ، تَقُولُ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ ، مَا لَمْ يُحْدِثْ أَوْ يَخْرُجْ مِنَ الْمَسْجِدِ »

وقال صلى الله عليه وسلم : (٦) « يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ الْمَسَاجِدَ فَيَقْعُدُونَ فِيهَا حِلَقاً حِلَقاً ذِكْرُهُمُ الدُّنْيَا وَحُبُّ الدُّنْيَا ، لَا تُجَالِسُوهُمْ فَلَيْسَ لِلَّهِ بِهِمْ حَاجَةٌ » وقال صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل في بعض الكتب : (٧) إِنَّ بُيُوتِي فِي أَرْضِي الْمَسَاجِدُ ، وَإِنَّ زُوَّارِي فِيهَا عُمَّارُهَا ، فَطُوبَى لِعَبْدٍ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ زَارَنِي فِي بَيْتِي ، فَحَقٌّ

---

(١) حديث من بنى لله مسجداً ولو مثل مفحص قطاة الحديث هـ من حديث جابر بسند صحيح وابن حبان من حديث أبي ذر وهو متفق عليه من حديث عثمان دون قوله ولو مثل مفحص القطاة

(٢) حديث من ألف المسجد ألفه الله تعالى طب في الأوسط من حديث أبي سعيد بسند ضعيف

(٣) حديث إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس : متفق عليه من حديث أبي قتادة

(٤) حديث لاصلاة لجار المسجد إلا في المسجد : الدارقطني من حديث جابر وأبي هريرة باسنادين ضعيفين وله من حديث أبي هريرة

(٥) حديث الملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٦) حديث يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا حلقاً ذكرهم الدنيا الحديث : ابن حبان من حديث ابن مسعود وله من حديث أنس وقال صحيح الأسناد

(٧) حديث قال الله تعالى : ان بيوتي في أرضي المساجد وان زواري فيها عمارها ـ الحديث : أبو نعيم من حديث أبي سعيد بسند ضعيف يقول الله عز وجل : يوم القيامة أين جيراني فتقول الملائكة من هذا الذي ينبغي له أن يجاورك فيقول أين قراء القرآن وعمار المساجد ؟ وهو في الشعب نحوه موقوفا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باسناد صحيح وأسند ابن حبان في الضعفاء آخر الحديث من حديث سلمان وضعفه

---

* التوبة : ١٨

عَلَى الْمَزُورِ أَنْ يُكْرِمَ زَائِرَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم : (١) « إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ » وقال سعيد بن المسيب : من جلس فى المسجد فإنما يجالس ربه فحقه أن يقول إلا خيراً . ويروى فى الأثر أو الخبر (٢) « الْحَدِيثُ فِي الْمَسْجِدِ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ الْبَهَائِمُ الْحَشِيشَ »

وقال النخعى : كانوا يرون أن المشى فى الليلة المظلمة إلى المسجد موجب للجنة . وقال أنس بن مالك : من أسرج فى المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له مادام فى ذلك المسجد ضوؤه . وقال على كرم الله وجهه : إذا مات العبد يبكى عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ، ثم قرأ (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ☆) وقال ابن عباس : تبكى عليه الأرض أربعين صباحا . وقال عطاء الخراسانى : مامن عبد يسجد لله سجدة فى بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت . وقال أنس بن مالك : مامن بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر إلا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل إلى منتهاها من سبع أرضين، ومامن عبد يقوم يصلى إلا تزخرفت له الأرض ويقال: مامن منزل ينزل فيه قوم إلا أصبح ذلك المنزل يصلى عليهم أو يلعنهم

الباب الثانى

فى كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وما قبله

ينبغى للمصلى إذا فرغ من الوضوء ، والطهارة من الخبث فى البدن والمكان والثياب ، وستر العورة من السرة إلى الركبة ، أن ينتصب قائما متوجها إلى القبلة ، ويراوح بين قدميه

---

(١) حديث إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان ت وحسنه و هو ك وصححه من حديث أبى سعيد

(٢) حديث الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش: لم أقف له على أصل

☆ الدخان : ٢٩

ولا يضمهما ، فإن ذلك مما كان يستدل به على فطنة الرجل . وقد « نهى صلى الله عليه وسلم[1] الصَّفْنِ وَالصَّفْدِ فِي الصَّلَاةِ » والصفد : هو اقتران القدمين معا ، ومنه قوله تعالى (مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ *) . والصفن : هو رفع إحدى الرجلين ، ومنه قوله عز وجل : (الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ *) هذا ما يراعيه فى رجليه عند القيام

ويراعى فى ركبتيه ومعقد نطاقه الانتصاب . وأما رأسه إن شاء تركه على استواء القيام ، وإن شاء أطرق ، والإطراق أقرب للخشوع وأغض للبصر ، وليكن بصره محصوراً على مصلاه الذى يصلى عليه ، فإن لم يكن له مصلى فليقرب من جدار الحائط أو ليخط خطا ، فان ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرّق الفكر ، وليحجر على بصره أن يجاوز أطراف المصلى وحدود الخط ، وليدم على هذا القيام كذلك إلى الركوع من غير التفات . هذا أدب القيام

فاذا استوى قيامه واستقباله وإطراقه كذلك فليقرأ قل أعوذ برب الناس تحصنا به من الشيطان ، ثم ليأت بالاقامة ، وان كان يرجو حضور من يقتدى به فليؤذن أوّلا ثم ليحضر النية ، وهو أن ينوى فى الظهر مثلا ويقول بقلبه : أؤدى فريضة الظهر لله ، ليميزها بقوله أؤدى عن القضاء ، وبالفريضة عن النفل ، وبالظهر عن العصر وغيره ، ولتكن معانى هذه الألفاظ حاضرة فى قلبه فإنه هو النية ، والألفاظ مذكرات وأسباب لحضورها ؛ ويجتهد أن يستديم ذلك إلى آخر التكبير حتى لا يعزب

فاذا حضر فى قلبه ذلك[2] فَلْيَرْفَعْ يَدَيْهِ إِلَى حَذْوِ مَنْكِبَيْهِ بَعْدَ إرسالهما بحيث يحاذى

﴿ الباب الثانى ﴾

(١) حديث النهى عن الصفن والصفد فى الصلاة : عزاه رزين الى ت ولم أجده عنده ولا عند غيره وانما ذكره أصحاب الغريب كابن الأثير فى النهاية وروى سعيد بن منصور أن ابن مسعود رأى رجلا صافا أوصافنا قدميه فقال أخطأ هذا السنة

(٢) حديث رفع اليدين إلى حذو المنكبين وورد الى شحمة أذنيه وورد الى رءوس أذنيه : متفق عليه من حديث ابن عمر باللفظ الأول ود من حديث وائل بن حجر باسناد ضعيف الى شحمة أذنيه ولمسلم من حديث مالك بن الحويرث فروع أذنيه

* ابراهيم : ٢٩ * ص : ٣١

بكفيه منكبيه ، وبإبهاميه شحمتى أذنيه ، وبرءوس أصابعه رءوس أذنيه ، ليكون جامعا بين الأخبار الواردة فيه ، ويكون مقبلا بكفيه وإبهاميه إلى القبلة ، ويبسط الأصابع ولا يقبضها ، ولا يتكلف فيها تفريجا ولا ضما ، بل يتركها على مقتضى طبعها ، إذ نقل فى الأثر النَّشْرُ والضَّمُّ (١) وهذا بينهما ، فهو أولى

وإذا استقرت اليدان فى مقرهما ابتدأ التكبير مع إرسالهما وإحضار النية . ثم يضع اليدين على ما فوق السرة وتحت الصدر ، ويضع اليمنى على اليسرى إكراما لليمنى : بأن تكون محمولة ، وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد ، ويقبض بالابهام والخنصر والبنصر على كوع اليسرى . وقد روى (٢) أَنَّ التَّكْبِيرَ مَعَ رَفْعِ الْيَدَيْنِ وَمَعَ (٣) اسْتِقْرَارِهِمَا وَمَعَ الْإِرْسَالِ (٤) فكل ذلك لا حرج فيه ، وأراه بالارسال أليق ، فانه كلمة العقد ، ووضع إحدى اليدين على الأخرى فى صورة العقد ، ومبدؤه الارسال وآخره الوضع . ومبدأ التكبير الألف وآخره الراء ، فيليق مراعاة التطابق بين الفعل والعقد . وأما رفع اليد فكالمقدمة لهذه البداية . ثم لا ينبغى أن يرفع يديه إلى قدام رفعا عند التكبير ولا يردهما إلى خلف منكبيه ، ولا ينفضهما عن يمين وشمال نفضا إذا فرغ من التكبير ، ويرسلهما إرسالا خفيفا رفيقا ، ويستأنف وضع اليمين على الشمال بعد الارسال . وفى بعض الروايات « أَنَّه صلى الله عليه وسلم (٥) كَانَ إِذَا كَبَّرَ أَرْسَلَ يَدَيْهِ وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَ وَضَعَ

---

(١) حديث نشر الأصابع عند الافتتاح ونقل ضمها وقال عطاء وابن خزيمة من حديث أبى هريرة والبيهقى لم يفرج بين أصابعه ولم يضمها ولم أجد التصريح بضم الأصابع

(٢) حديث التكبير مع رفع اليدين : البخارى من حديث ابن عمر : كان يرفع يديه حين يكبر ، ولأبى داود من حديث وائل يرفع يديه مع التكبير

(٣) حديث التكبير مع استقرار اليدين أي مرفوعتين : مسلم من حديث ابن عمر : كان اذا قام الى الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه ثم كبر زاد دوهما كذلك

(٤) حديث التكبير مع ارسال اليدين د من حديث أبى حميد : كان اذا قام الى الصلاة يرفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه ثم كبر حتى يقر كل عظم فى موضعه معتدلا ، قال ابن الصلاح فى المشكل فكلمة حتى التى هى للغاية تدل بالمعنى على ما ذكره أى من ابتداء التكبير مع الارسال

(٥) حديث كان اذا كبر أرسل يديه فاذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى : الطبرانى من حديث معاذ باسناد ضعيف

أَلْيُمْنَى على أَلْيُسْرَى » فإن صح هذا فهو أولى مما ذكرناه وأما التكبير فينبغي أن يضم الهاء من قوله : الله ، ضمة خفيفة من غير مبالغة ، ولا يدخل بين الهاء والألف شبه الواو ، وذلك ينساق إليه بالمبالغة ، ولا يدخل بين باء أكبر ورائه ألفا كأنه يقول أكبار ، ويجزم راء التكبير ولا يضمها . فهذه هيئة التكبير وما معه

القراءة :

ثم يبتدئ بدعاء الاستفتاح . وحسن أن يقول عقب قوله الله أكبر [1] « اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً [2] وَجَّهْتُ وَجْهِيَ إلى قوله : وأنا مِنَ الْمُسْلِمِينَ » ثم يقول : [3] « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وتبارك اسْمُكَ وتعالى جَدُّكَ وَجَلَّ ثناؤُكَ وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ » ليكون جامعا بين متفرقات ما ورد في الأخبار . وإن كان خلف الإمام اختصر إن لم يكن للامام سكتة طويلة يقرأ فيها . ثم يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . ثم يقرأ الفاتحة ، يبتدئ فيها ببسم الله الرحمن الرحيم بتمام تشديداتها وحروفها ، ويجتهد في الفرق بين الضاد والظاء ، ويقول : آمين في آخر الفاتحة ، ويمدها مداً ، ولا يصل آمين بقوله ولا الضالين وصلاً ، ويجهر بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء إلا أن يكون مأموما ، ويجهر بالتأمين . ثم يقرأ السورة أو قدر ثلاث آيات من القرءان فما فوقها ، ولا يصل آخر السورة بتكبير الهوى بأن يفصل بينهما بقدر قوله : سبحان الله ، ويقرأ في الصبح من السور الطوال من المفصل ، وفي المغرب من قصاره ، وفي الظهر والعصر والعشاء نحو : والسماء ذات البروج وما قاربها ، وفي الصبح في السفر : قل

---

(١) حديث انه يقول بعد قوله الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا : م من حديث ابن عمر قال بينا نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال رجل من القوم الله أكبر كبيرا الحديث و د ه من حديث جبير بن مطعم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال الله أكبر كبيرا الحديث

(٢) حديث دعاء الاستفتاح وجهت وجهي الحديث : م من حديث علي

(٣) حديث سبحانك اللهم وبحمدك الحديث في الاستفتاح أيضا د ت ك وصححه من حديث عائشة وضعفه ت قط ورواه م موقوفا على عمر وعند هن من حديث جابر الجمع بين وجهت وبين سبحانك اللهم

يأيها الكافرون، وقل هو الله أحد، وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتحية، وهو في جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما وصفنا في أول الصلاة

الركوع ولواحقه

ثم يركع ويراعي فيه أموراً، وهو أن يكبر للركوع، وأن يرفع يديه مع تكبيرة الركوع، وأن يمد التكبير مدا إلى الانتهاء إلى الركوع، وأن يضع راحتيه على ركبتيه في الركوع وأصابعه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق، وأن ينصب ركبتيه ولا يثنيهما، وأن يمد ظهره مستويا، وأن يكون عنقه ورأسه مستويين مع ظهره كالصفيحة الواحدة، لا يكون رأسه أخفض ولا أرفع، وأن يجافي مرفقيه عن جنبيه، وتضم المرأة مرفقيها إلى جنبيها، وأن يقول: سبحان ربي العظيم ثلاثاً، والزيادة إلى السبعة وإلى العشر حسن إن لم يكن إماما، ثم يرتفع من الركوع إلى القيام، ويرفع يديه ويقول: سمع الله لمن حمده، ويطمئن في الاعتدال ويقول: ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد، ولا يطول هذا القيام إلا في صلاة التسبيح والكسوف والصبح (١) «وَيَقْنُتُ فِي الصُّبْحِ» في الركعة الثانية بالكلمات المأثورة قبل السجود

السجود

ثم يهوى إلى السجود مكبراً، فيضع ركبتيه على الأرض، ويضع جبهته وأنفه وكفيه مكشوفة، ويكبر عند الهوى، ولا يرفع يديه في غير الركوع. وينبغي أن يكون أول ما يقع منه على الأرض ركبتاه، وأن يضع بعدهما يديه، ثم يضع بعدهما وجهه، وأن يضع جبهته وأنفه على الأرض، وأن يجافي مرفقيه عن جنبيه، ولا تفعل المرأة ذلك، وأن يفرج بين رجليه، ولا تفعل المرأة ذلك، وأن يكون في سجوده مخويا على الأرض، ولا تكون المرأة مخوية، والتخوية: رفع البطن عن الفخذين والتفريج بين الركبتين، وأن

(١) حديث القنوت في الصبح بالكلمات المأثورة: هق من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يقنت في صلاة الصبح وفي وتر الليل بهؤلاء الكلمات اللهم اهدني فيمن هديت الحديث د ت وحسنه و ن من حديث الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلمه هؤلاء الكلمات يقولهن في الوتر. واسناده صحيح

يضع يديه على الأرض حذاء منكبيه ، ولا يفرج بين أصابعها بل يضمها ويضم الأبهام اليهما ، وإن لم يضم الابهام فلا بأس [1] ولا يفترش ذراعيه على الأرض كما يفترش الكلب فإنه منهى عنه ، وأن يقول : سبحان ربى الأعلى ثلاثا ، فان زاد فحسن إلا أن يكون إماما

ثم يرفع من السجود فيطمئن جالسا معتدلا ، فيرفع رأسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى ، وينصب قدمه اليمنى ، ويضع يديه على فخذيه والأصابع منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها ، ويقول : رب اغفر لى وارحمنى وارزقنى واهدنى واجبرنى وعافنى واعف عنى . ولا يطول هذه الجلسة إلا فى سجود التسبيح ، ويأتى بالسجدة الثانية كذلك ، ويستوى منها جالسا جلسة خفيفة للاستراحة فى كل ركعة لا تشهد عقيبها ، ثم يقوم فيضع اليد على الأرض ، ولا يقدم إحدى رجليه فى حال الارتفاع ، ويمد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه من القعود إلى وسط ارتفاعه إلى القيام ، بحيث تكون الهاء من قوله : الله ، عند استوائه جالسا ، وكاف أكبر عند اعتماده على اليد للقيام ، وراء أكبر فى وسط ارتفاعه إلى القيام ، ويبتدئ فى وسط ارتفاعه إلى القيام حتى يقع التكبير فى وسط انتقاله ، ولا يخلو عنه إلا طرفاه ، وهو أقرب إلى التعميم ، ويصلى الركعة الثانية كالأولى ، ويعيد التعوذ كالابتداء

التشهد

ثم يتشهد فى الركعة الثانية التشهد الأول ، ثم يصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ، ويقبض أصابعه اليمنى إلا المسبحة ، ولا بأس بارسال الابهام أيضا ، ويشير بمسبحة يمناه وحدها عند قوله : إلا الله ، لا عند قوله : لا إله ، ويجلس فى هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدتين ، وفى التشهد الأخير يستكمل [2] الدعاء المأثور بعد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وسننه كسنن التشهد الأول ،

---

(١) حديث النهى عن أن يفرش ذراعيه على الأرض كما يفرش الكلب : متفق عليه من حديث أنس

(٢) حديث الدعاء المأثور بعد التشهد م من حديث على فى دعاء الاستفتاح قال ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم اللهم اغفرلى ما قدمت ـ الحديث . وفى الصحيحين من حديث عائشة اذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع : من عذاب جهنم ـ الحديث . وفى الباب غير ذلك جميعها فى الأصل

لكن يجلس في الأخير على وركه الأيسر ، لأنه ليس مستوفزا للقيام بل هو مستقر ، ويضجع رجله اليسرى خارجة من تحته ، وينصب اليمنى ، ويضع رأس الابهام إلى جهة القبلة إن لم يشق عليه ، ثم يقول : السلام عليكم ورحمة الله ، ويلتفت يمينا بحيث يرى خده الأيمن من وراءه من الجانب اليمين ، ويلتفت شمالا كذلك ، ويسلم تسليمة ثانية ، وينوى الخروج من الصلاة بالسلام ، وينوى بالسلام من على يمينه من الملائكة والمسلمين فى الأولى . وينوى مثل ذلك فى الثانية [1] ويجزم التسليم ولايمده مدا ، فهو السنة . وهذه هيئة صلاة المنفرد . ويرفع صوته بالتكبيرات ، ولايرفع صوته إلا بقدر مايسمع نفسه

وينوى الإمام الإمامة لينال الفضل ، فإن لم ينو صحت صلاة القوم إذا نووا الاقتداء ، ونالوا فضل الجماعة . ويسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد . ويجهر بالفاتحة والسورة فى جميع الصبح وأولي العشاء والمغرب ، وكذلك المنفرد . ويجهر بقوله : آمين فى الصلاة الجهرية ، وكذلك المأموم ، ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الإمام معا لاتعقيبا ، ويسكت الإمام سكتة عقيب الفاتحة ليثوب اليه نفسه ، ويقرأ المأموم الفاتحة فى الجهرية فى هذه السكتة ليتمكن من الاستماع عند قراءة الإمام ، ولايقرأ المأموم السورة فى الجهرية إلا إذا لم يسمع صوت الإمام ، ويقول الامام : سمع الله لمن حمده ، عند رفع رأسه من الركوع . وكذا المأموم ، ولايزيد الإمام على الثلاث فى تسبيحات الركوع والسجود ، ولايزيد فى التشهد الأول بعد قوله : اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ، ويقتصر فى الركعتين الأخيرتين على الفاتحة ، ولا يطول على القوم ، ولايزيد على دعائه فى التشهد الأخير على قدر التشهد والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينوى عند السلام السلام على القوم والملائكة ، وينوى القوم بتسليمهم جوابه ، ويثبت الإمام ساعة حتى يفرغ الناس من السلام ، ويقبل على الناس بوجهه . والأولى أن يثبت إن كان خلف الرجل نساء لينصرفن قبله ، ولايقوم واحد من القوم حتى يقوم ، وينصرف الامام حيث يشاء عن يمينه وشماله واليمين أحب إلىّ ، ولايخص الإمام نفسه بالدعاء فى قنوت الصبح بل يقول : اللهم اهدنا ، ويجهر به ويؤمّن القوم ، ويرفعون أيديهم حذاء الصدور ، ويمسح الوجه عند ختم الدعاء الحديث نقل فيه ، وإلا فالقياس أن لايرفع اليد كما فى آخر التشهد

(١) حديث جزم السلام سنة : د ت من حديث ابى هريرة وقال حسن صحيح وضعفه ابن القطان

المنهيات

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التفنن فى الصلاة والتشدد وقد ذكرناهما ، وعن الإقعاء [١] ، وعن السدل [٢] والكف ، [٣] وعن الإختصار [٤] وعن التسلب [٥] وعن المواصلة [٦] وعن صلاة الحاقن [٧] والحاقب [٨] والحاذق [٩] وعن صلاة الجائع والغضبان والمتلثم [١٠] وهو ستر الوجه .

---

(١) حديث النهى عن الاقعاء . ت ه من حديث على بسند ضعيف لا تقع بين السجدتين و م من حديث عائشة كان ينهى عن عقبة الشيطان و ك من حديث سمرة وصححه نهى عن الاقعاء

(٢) حديث النهى عن السدل فى الصلاة . د ت ك وصححه من حديث أبى هريرة

(٣) حديث النهى عن الكفت فى الصلاة . متفق عليه من حديث ابن عباس أمرنا النبى صلى الله عليه وسلم أن نسجد على سبعة أعظم ولا نكفت شعرا ولا ثوبا .

(٤) حديث النهى عن الاختصار . د ك وصححه من حديث أبى هريرة وهو متفق عليه بلفظ نهى أن يصلى الرجل مختصرا

(٥) حديث النهى عن التسلب فى الصلاة . د ن من حديث ابن عمر باسناد صحيح

(٦) حديث النهى عن المواصلة . عزاه رزين الى ت ولم أجده عنده وقد فسره الغزالى بوصل القراءة بالتكبير ووصل القراءة بالركوع وغير ذلك وقد روى د ت وحسنه وابن ماجة من حديث سمرة سكتتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل فى صلاته فاذا فرغ من قراءته واذا فرغ من قراءة القرءان وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة كان يسكت بين التكبير والقراءة اسكاتة الحديث

(٧) حديث النهى عن صلاة الحاقن . ه و قط من حديث أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يصلى الرجل وهو حاقن و د من حديث أبى هريرة لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصلى وهو حاقن وله و ت وحسنه نحوه من حديث ثوبان و م من حديث عائشة لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان

(٨) حديث النهى عن صلاة الحاقب . لم أجده بهذا اللفظ وفسره المصنف تبعاً للأزهرى بمدافعة الغائط وفيه حديث عائشة الذى قبل هذا

(٩) حديث النهى عن صلاة الحاذق . عزاه رزين الى ت ولم أجده عنده والذى ذكره أصحاب الغريب حديث لا رأى لحاذق وهو صاحب الخف الضيق

(١٠) حديث النهى عن التلثم فى الصلاة . د ه من حديث أبى هريرة بسند حسن نهى أن يغطى الرجل فاه فى الصلاة رواه الحاكم وصححه قال الخطابى هو التلثم على الافواه

[illegible] ويجعل يديه على الأرض كالكلب . وعند أهل الحديث : أن يجلس على ساقيه جاثيا وليس على الأرض منه إلا رءوس أصابع الرجلين والركبتين

وأما السدل. فمذهب أهل الحديث فيه : أن يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك . وكان هذا فعل اليهود فى صلاتهم فنهوا عن التشبه بهم ، والقميص فى معناه ، فلا ينبغى أن يركع ويسجد ويداه فى بدن القميص . وقيل معناه : أن يضع وسط الإزار على رأسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير أن يجعلهما على كتفيه والأول أقرب

وأما الكف . فهو أن يرفع ثيابه من بين يديه أو من خلفه إذا أراد السجود ، وقد يكون الكف فى شعر الرأس فلا يصلين وهو عاقص شعره ، والنهى للرجال . وفى الحديث[1] « أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْضَاءٍ وَلَا أَكُفَّ شَعْراً وَلَا ثَوْباً » وكره أحمد بن حنبل رضى الله عنه أن يأتزر فوق القميص فى الصلاة ورآه من الكف

وأما الإختصار. فإن يضع يديه على خاصرتيه

وأما الصلب . فأن يضع يديه على خاصرتيه فى القيام ويجافى بين عضديه فى القيام

وأما المواصلة فهى خمسة ، اثنان على الإمام : أن لا يصل قراءته بتكبيرة الإحرام ، ولا ركوعه بقراءته ؛ واثنان على المأموم : أن يصل تكبيرة الإحرام بتكبيرة الإمام ، ولا تسليمة بتسليمة ؛ وواحدة بينهما : أن لا يصل تسليمة الفرض بالتسليمة الثانية ، وليفصل بينهما

وأما الحاقن : فمن البول ، والحاقب : من الغائط ، والحاذق : صاحب الخف الضيق ، فإن كل ذلك يمنع من الخشوع ، وفى معناه الجائع والمهتم ، وفهم نهى الجائع من قوله صلى الله عليه وسلم[2] « إِذَا حَضَرَ الْعَشَاءُ وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَابْدَءُوا بِالْعَشَاءِ » إلا أن يضيق الوقت أو يكون ساكن القلب . وفى الخبر[3] « لَا يَدْخُلَنَّ أَحَدُكُمُ الصَّلَاةَ وَهُوَ مُقْطِبٌ وَلَا

---

(١) حديث أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكفت شعرا ولا ثوبا . متفق عليه من حديث ابن عباس

(٢) حديث اذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤا بالعشاء . متفق عليه من حديث ابن عمر وعائشة

(٣) حديث لا يدخل أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان لم أجده

يصلين أحدكم وهو مختصر» وقال الحسن: كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع. وفي الحديث[1] «سَبْعَةُ أَشْيَاءَ فِي الصَّلَاةِ مِنَ الشَّيْطَانِ: الرُّعَافُ وَالنُّعَاسُ، وَالْوَسْوَسَةُ. وَالتَّثَاؤُبُ. وَاحْتِكَاكُ وَالْإِلْتِفَاتُ وَالْعَبَثُ بِالشَّيْءِ» وزاد بعضهم السهو والشك. وقال بعض السلف: أربعة في الصلاة من الجفاء: الالتفات، ومسح الوجه، وتسوية الحصى وأن تصلي بطريق من يمر بين يديك، ونهى أيضا عن أن يشبك أصابعه[2] أو يفرقع أصابعه[3] أو يستر وجهه[4] أو يضع إحدى كفيه على الأخرى ويدخلهما بين فخذيه[5] في الركوع. وقال بعض الصحابة رضي الله عنهم: كنا نفعل ذلك فنهينا عنه. ويكره أيضاً أن ينفخ في الأرض عند السجود للتنظيف، وأن يسوي الحصى بيده فإنها أفعال مستغنى عنها، ولا يرفع إحدى قدميه فيضعها على فخذه، ولا يستند في قيامه إلى حائط، فإن استند بحيث لو سل ذلك الحائط لسقط فالأظهر بطلان صلاته. والله أعلم

---

(١) حديث سبعة أشياء من الشيطان في الصلاة الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والالتفات وزاد بعضهم السهو والشك. ت من رواية عدي بن ثابت عن أبيه عن جده فذكر منها الرعاف والنعاس والتثاؤب وزاد ثلاثة أخرى وقال حديث غريب ولمسلم من حديث عثمان بن أبي العاص يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي الحديث وللبخاري من حديث عائشة في الالتفات في الصلاة هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة أحدكم وللشيخين من حديث أبي هريرة التثاؤب من الشيطان ولهما من حديث أبي هريرة إن أحدكم إذا قام يصلي جاء الشيطان فلبس عليه صلاته حتى لا يدري كم صلى

(٢) حديث النهي عن تشبيك الأصابع. أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة ودت هـ حبه نحوه من حديث كعب بن عجرة

(٣) حديث النهي عن تفقيع الأصابع في الصلاة. هـ من حديث علي بإسناد ضعيف لا تفقع أصابعك في الصلاة

(٤) حديث النهي عن ستر الوجه. د هـ ك وصححه من حديث أبي هريرة حديث نهى أن يغطي الرجل فاه في الصلاة قد تقدم

(٥) حديث النهي عن التطبيق في الركوع. متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص قال كنا نفعله فنهينا عنه وأمرنا أن نضع الأيدي على الركب

تمييز الفرائض والسنن

جملة ماذكرناه يشتمل على فرائض وسنن وآداب وهيآت مما ينبغي لمريد طريق الآخرة أن يراعي جميعها

فالفرض من جملتها اثنتا عشرة خصلة : النية ، والتكبير ، والقيام ، والفاتحة ، والانحناء في الركوع إلى أن تنال راحتاه ركبتيه ، مع الطمأنينة ، والاعتدال عنه قائما ، والسجود مع الطمأنينة ، ولا يجب وضع اليدين ، والاعتدال عنه قاعدا ، والجلوس للتشهد الأخير ، والتشهد الأخير ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والسلام الأول ، فأمّا نية الخروج فلا تجب . وما عدا هذا فليس بواجب بل هي سنن وهيآت فيها وفي الفرائض

أما السنن فمن الأفعال أربعة . رفع اليدين في تكبيرة الاحرام ، وعند الهوىّ إلى الركوع ، وعند الارتفاع إلى القيام ، والجلسة للتشهد الأول ، فأما ماذكرناه من كيفية نشر الأصابع وحدّ رفعها فهي هيآت تابعة لهذه السنة ، والتورك ، والافتراش هيآت تابعة للجلسة ، والاطراق : وترك الالتفات هيآت للقيام وتحسين صورته ، وجلسة الاستراحة لم نعدّها من أصول السنة في الأفعال لأنها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود إلى القيام لأنها ليست مقصودة في نفسها ، ولذلك لم تفرد بذكر

وأما السنن من الاذكار فدعاء الاستفتاح ، ثم التعوذ ، ثم قوله آمين فإنه سنة مؤكدة ، ثم قراءة السورة ، ثم تكبيرات الانتقالات ، ثم الذكر في الركوع والسجود والاعتدال عنهما ، ثم التشهد الأوّل ، والصلاة فيه على النبي صلى الله عليه وسلم . ثم الدعاء في آخر التشهد الاخير ، ثم التسليمة الثانية ، وهذه وإن جمعناها في اسم السنة فلها درجات متفاوتة إذ تجبر أربعة منها بسجود السهو

وأما من الأفعال فواحدة وهي الجلسة الأولى للتشهد الأوّل فانها مؤثرة في ترتيب نظم الصلاة في أعين الناظرين حتى يعرف بها أنها رباعية أم لا ، بخلاف رفع اليدين فإنه لايؤثر في تغيير النظم ، فعبر عن ذلك بالبعض . وقيل الابعاض تجبر بالسجود

وأما الأذكار فكلها لاتقتضي سجود السهو إلا ثلاثة : القنوت ، والتشهد الأول ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه ، بخلاف تكبيرات الانتقالات وأذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما ، لأن الركوع والسجود فى صورتهما مخالفان للعادة ويحصل بهما معنى العبادة مع السكوت عن الاذكار وعن تكبيرات الانتقالات ، فعدم تلك الأذكار لاتغير صورة العبادة

وأما الجلسة للتشهد الاول ففعل معتاد وما زيدت إلا للتشهد ، فتركها ظاهر التأثير . وأما دعاء الاستفتاح والسورة فتركهما لايؤثر مع أن القيام صار معمورا بالفاتحة ومميزا عن العادة بها . وكذلك الدعاء فى التشهد الأخير والقنوت أبعد مايجبر بالسجود ، ولكن شرع مدّ الاعتدال فى الصبح لأجله ، فكان كمد جلسة الاستراحة ، إذ صارت بالمد مع التشهد جلسة للتشهد الأوّل فبقى هذا قياما ممدودا معتادا ليس فيه ذكر واجب ، وفى الممدود احتراز عن غير الصبح ، وفى خلوه عن ذكر واجب احتراز عن أصل القيام فى الصلاة

فان قلت : تمييز السنن عن الفرائض معقول إذ تفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة ويتوجه العقاب به دونها ، فأما تمييز سنة عن سنة والكل مأمور به على سبيل الاستحباب ولا عقاب فى ترك الكل والثواب موجود على الكل فما معناه ؟

فاعلم أن اشتراكهما فى الثواب والعقاب والاستحباب لايرفع تفاوتهما . ولنكشف ذلك لك بمثال ، وهو : أن الأنسان لايكون إنسانا موجودا كاملا إلا بمعنى باطن وأعضاء ظاهرة ، فالمعنى الباطن هو الحياة والروح ، والظاهر أجسام أعضائه ، ثم بعض تلك الأعضاء ينعدم الانسان بعدمها كالقلب والكبد والدماغ وكل عضو تفوت الحياة بفواته ، وبعضها لاتفوت بها الحياة ولكن يفوت بها مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل واللسان ، وبعضها لايفوت بها الحياة ولا مقاصدها ولكن يفوت بها الحسن كالحاجبين واللحية والأهداب وحسن اللون ، وبعضها لايفوت بها أصل الجمال ولكن كماله كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية والأهداب وتناسب خلقة الأعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض فى اللون . فهذه درجات متفاوتة . فكذلك العبادة صورة صورها الشرع وتعبدنا باكتسابها .

فروحها وحياتها الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص كما سيأتى ونحن الآن فى أجزائها الظاهرة ، فالركوع والسجود والقيام وسائر الأركان تجرى منها مجرى القلب والرأس والكبد ، إذ يفوت وجود الصلاة بفواتها ، والسنن التى ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الإستفتاح والتشهد الأول تجرى منها مجرى اليدين والعينين والرجلين ولا تفوت الصحة بفواتها كما لا تفوت الحياة بفوات هذه الأعضاء ، ولكن يصير الشخص بسبب فواتها مشوه الخلقة مذموما غير مرغوب فيه ، فكذلك من اقتصر على أقل ما يجرى من الصلاة كان كمن أهدى إلى ملك من الملوك عبداً حيا مقطوع الأطراف

وأما الهيآت وهى ماوراء السنن فتجرى مجرى أسباب الحسن من الحاجبين واللحية والأهداب وحسن اللون

وأما وظائف الأذكار فى تلك السنن فهى مكملات للحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرها ، فالصلاة عندك قربة وتحفة تتقرب بها إلى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة من السلاطين اليهم ، وهذه التحفة تعرض على الله عز وجل ثم ترد عليك يوم العرض الاكبر ، فاليك الخيرة فى تحسين صورتها وتقبيحها ، فان أحسنت فلنفسك وان أسأت فعليها ، ولا ينبغى أن يكون حظك من ممارسة الفقه أن يتميز لك السنة عن الفرض فلا يعلق بفهمك من أوصاف السنة الا أنه يجوز تركها فتتركها ، فان ذلك يضاهى قول الطبيب : إن فقء العين لا يبطل وجود الانسان ولكن يخرجه عن أن يصدق رجاء المتقرب فى قبول السلطان إذا أخرجه فى معرض الهدية ، فهكذا ينبغى أن تفهم مراتب السنن والهيآت والآداب ، فكل صلاة لم يتم الانسان ركوعها وسجودها فهى الخصم الاول على صاحبها ، تقول ضيعك الله كما ضيعتنى . فطالع الاخبار التى أوردناها فى كمال أركان الصلاة ليظهر لك وقعها .

الباب الثالث

فى الشروط الباطنة من أعمال القلب

ولنذكر فى هذا الباب ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب ، ثم نذكر المعانى الباطنة وحدودها وأسبابها وعلاجها ، ثم لنذكر تفصيل ماينبغى أن يحضر فى كل ركن من أركان الصلاة لتكون صالحة لزاد الآخرة

بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب

اعلم أن أدلة ذلك كثيرة ، فمن ذلك قوله تعالى (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِى *) وظاهر الأمر الوجوب ، والغفلة تضاد الذكر ، فمن غفل فى جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلاة لذكره ، وقوله تعالى (وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ *) نهى ، وظاهره التحريم . وقوله عزوجل : (حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ *) تعليل لنهي السكران وهو مطرد فى الغافل المستغرق الهم بالوسواس وأفكار الدنيا . وقوله صلى الله عليه وسلم « إِنَّمَا الصَّلَاةُ تَمَسْكُنٌ وَتَوَاضُعٌ » حصر بالالف واللام ، وكلمة إنما للتحقيق والتوكيد ، وقد فهم الفقهاء من قوله عليه السلام « إِنَّمَا الشُّفْعَةُ فِيمَا لَمْ يُقْسَمْ » الحصر والاثبات والنفى . وقوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا » وصلاة الغافل لاتمنع من الفحشاء والمنكر

وقال صلى الله عليه وسلم : [1] « كَمْ مِنْ قَائِمٍ حَظُّهُ مِن صَلَاتِهِ التَّعَبُ وَالنَّصَبُ » وما أراد به إلا الغافل . وقال صلى الله عليه وسلم [2] « لَيْسَ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ مِنْهَا »

﴿ الباب الثالث ﴾

(١) حديث كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب. ن ه من حديث أبى هريرة رب قائم ليس له من قيامه الا السهر ولأحمد رب قائم حظه من صلاته السهر واسناده حسن

(٢) حديث ليس للعبد من صلاته الا ما عقل. لم أجده مرفوعا وروى محمد بن نصر المروزى فى كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبى دهرش مرسلا لا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى بن كعب ولابن المبارك فى الزهد موقوفا على عمار لا يكتب للرجل من صلاته ما سهى عنه

---

* طه : ١٤ * الأعراف : ٢٠٥ * النساء : ٤٣

والتحقيق فيه أن المصلى [١] مُنَاجٍ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كما ورد به الخبر ، والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة ألبتة . وبيانه : أن الزكاة إن غفل الانسان عنها مثلا فهى فى نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى الذى هو آلة للشيطان عدو الله ، فلا يبعد أن يحصل منها مقصود مع الغفلة . وكذلك الحج أفعاله شاقة شديدة ، وفيه من المجاهدة ما يحصل به الإيلام ، كان القلب حاضراً مع أفعاله أو لم يكن

أما الصلاة فليس فيها إلا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود . فأما الذكر فانه محاورة ومناجاة مع الله عز وجل ، فاما أن يكون المقصود منه كونه خطابا ومحاورة ، أو المقصود منه الحروف والأصوات امتحانا للسان بالعمل ، كما تمتحن المعدة والفرج بالإمساك فى الصوم ، وكما يمتحن البدن بمشاق الحج ، ويمتحن القلب بمشقة إخراج الزكاة واقتطاع المال المعشوق . ولا شك أن هذا القسم باطل ، فان تحريك اللسان بالهذيان ما أخفّه على الناقل ، فليس فيه امتحان من حيث إنه عمل ، بل المقصود الحروف من حيث إنه نطق ، ولا يكون نطقا إلا إذا أعرب عما فى الضمير ، ولا يكون معربا إلا بحضور القلب . فأى سؤال فى قوله : (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ *) إذا كان القلب غافلا ، وإذا لم يقصد كونه تضرعا ودعاء فأى مشقة فى تحريك اللسان به مع الغفلة ، لا سيما بعد الاعتياد هذا حكم الأذكار

بل أقول : لو حلف الانسان وقال لأشكرن فلانا وأثنى عليه وأسأله حاجة ، ثم جرت الألفاظ الدالة على هذه المعانى على لسانه فى النوم ، لم يبر فى يمينه ، ولو جرت على لسانه فى ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير باراً فى يمينه ، إذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا معه ما لم يكن هو حاضراً فى قلبه ، فلو كانت تجرى هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر إلا أنه فى بياض النهار غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الأفكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب اليه عند نطقه ، لم يصر باراً فى يمينه ، ولا شك فى أن المقصود من القراءة والأذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء ، والمخاطب هو الله عز وجل ، وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده ، بل هو غافل عن المخاطب

---

(١) حديث المصلى يناجى ربه متفق عليه من حديث أنس

* الفاتحة : ٦

ولسانه يتحرك بحكم العادة ، فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التى شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله عز وجل ورسوخ عقد الإيمان به : هذا حكم القراءة والذكر وبالجملة فهذه الخاصية لا سبيل إلى إنكارها فى النطق وتمييزها عن الفعل

وأما الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم قطعا ، ولو جاز أن يكون معظما لله عز وجل بفعله وهو غافل عنه لجاز أن يكون معظما لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه أو يكون معظما للحائط الذى بين يديه وهو غافل عنه ، وإذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق إلا مجرد حركة الظهر والرأس ، وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به ثم يجعله عماد الدين والفاصل بين الكفر والإسلام ويقدم على الحج وسائر العبادات ، ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص

وما أرى أن هذه العظمة كلها للصلاة من حيث أعمالها الظاهرة إلا أن يضاف اليها مقصود المناجاة ، فإن ذلك يتقدم على الصوم والزكاة والحج وغيره ، بل الضحايا والقرابين التى هى مجاهدة للنفس بتنقيص المال ، قال الله تعالى : (لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَـٰكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ *) أى الصفة التى استولت على القلب حتى حملته على امتثال الأوامر هى المطلوبة ، فكيف الأمر فى الصلاة ولا أرب فى أفعالها ؟ فهذا ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب

فإن قلت : إن حكمت ببطلان الصلاة وجعلت حضور القلب شرطا فى صحتها خالفت إجماع الفقهاء ؛ فإنهم لم يشترطوا إلا حضور القلب عند التكبير

فاعلم أنه قد تقدم فى كتاب العلم أن الفقهاء لا يتصرفون فى الباطن ولا يشقون عن القلوب ولا فى طريق الآخرة ، بل يبنون ظاهر أحكام الدين على ظاهر أعمال الجوارح ، وظاهر الأعمال كاف لسقوط القتل وتعزير السلطان ، فأما أنه ينفع فى الآخرة فليس هذا من حدود الفقه . على أنه لا يمكن أن يدعى الإجماع ، فقد نقل عن بشر بن الحارث فيما رواه عنه أبو طالب المكى عن سفيان الثورى أنه قال : من لم يخشع فسدت صلاته . وروى

* الحج : ٣٧

عن الحسن أنه قال : كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى إلى العقوبة أسرع . وعن معاذ ابن جبل : من عرف من على يمينه وشماله متعمداً وهو فى الصلاة فلا صلاة له

وروى أيضاً مسنداً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :[1] « إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّى الصَّلاَةَ لاَ يُكْتَبُ لَهُ سُدْسُهَا وَلاَ عُشْرُهَا وَإِنَّمَا يُكْتَبُ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلاَتِهِ مَا عَقَلَ مِنْهَا » وهذا لو نقل عن غيره لجعل مذهبا فكيف لا يتمسك به . وقال عبد الواحد بن زيد : أجمعت العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها . فجعله إجماعا . وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى . والحق الرجوع إلى أدلة الشرع ، والأخبار والآثار ظاهرة فى هذا الشرط ، إلا أن مقام الفتوى فى التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق ، فلا يمكن أن يشترط على الناس إحضار القلب فى جميع الصلاة ، فإن ذلك يعجز عنه كل البشر إلا الأقلين . وإذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له ، إلا أن يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو فى اللحظة الواحدة ، وأولى اللحظات به لحظة التكبير ، فاقتصرنا على التكليف بذلك

ونحن مع ذلك نرجو أن لا يكون حال الغافل فى جميع صلاته مثل حال التارك بالكلية ، فإنه على الجملة أقدمَ على الفعل ظاهراً وأحضر القلب لحظة ، وكيف لا والذى صلى مع الحدث ناسيا صلاته باطلة عند الله تعالى ولكن له أجر مّا بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ، ومع هذا الرجاء فيخشى أن يكون حاله أشد من حال التارك وكيف لا والذى يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر أشد حالا من الذى يعرض عن الخدمة . وإذا تعارض أسباب الخوف والرجاء وصار الأمر مخطراً فى نفسه فإليك الخيرة بعده فى الاحتياط والتساهل ، ومع هذا فلا مطمع فى مخالفة الفقهاء فيما أفتوا به من الصحة مع الغفلة ، فإن ذلك من ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه . ومن عرف سر الصلاة علم أن الغفلة تضادها ، ولكن قد ذكرنا فى باب الفرق بين العلم الباطن والظاهر فى كتاب قواعد العقائد أن قصور الخلق أحد الأسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من أسرار الشرع

---

(١) حديث أن العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها الحديث د ن حب من حديث عمار ابن ياسر بنحوه

فلنقتصر على هـذا القدر من البحث ، فإن فيه مقنعا للمريد الطالب لطريق الآخرة وأما المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن

وحاصل الكلام أن حضور القلب هو روح الصلاة ، وأن أقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير فالنقصان منه هلاك ، وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح فى أجزاء الصلاة ، وكم من حى لا حراك به قريب من ميت . فصلاة الغافل فى جميعها إلا عند التكبير كمثل حى لا حراك به . نسأل الله حسن العون

بيان المعانى الباطنة التى تتم بها حياة الصلاة

اعلم أن هذه المعانى تكثر العبارات عنها ، ولكن يجمعها ست جمل ، وهى : حضور القلب ، والتفهم ، والتعظيم ، والهيبة ، والرجاء ، والحياء . فلنذكر تفاصيلها ثم أسبابها ثم العلاج فى اكتسابها

أما التفاصيل فالأول حضور القلب ، ونعنى به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به ، فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ، ولا يكون الفكر جائلا فى غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان فى قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شىء فقد حصل حضور القلب ، ولكن التفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب ، فربما يكون القلب حاضراً مع اللفظ ولا يكون حاضراً مع معنى اللفظ ، فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذى أردناه بالتفهم . وهذا مقام يتفاوت الناس فيه ، إذ ليس يشترك الناس فى تفهم المعانى للقرءان والتسبيحات . وكم من معان لطيفة يفهمها المصلى فى أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله . ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر ، فإنها تفهم أموراً تلك الأمور تمنع عن الفحشاء لا محالة

وأما التعظيم : فهو أمر وراء حضور القلب والفهم ، إذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له ، فالتعظيم زائد عليهما

وأما الهيبة : فزائدة على التعظيم ، بل هى عبارة عن خوف منشؤه التعظيم ، لأن من لا يخاف لا يسمى هائبا ، والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجرى مجراه من

من الأسباب الخسيسة لا نسمى مهابة ، بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة ، والهيبة خوف مصدرها الاجلال

وأما الرجاء : فلا شك أنه زائد ، فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه أو يخاف سطوته ولكن لا يرجو مثوبته ، والعبد ينبغى أن يكون راجيا بصلاته ثواب الله عز وجل ، كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله عز وجل

وأما الحياء : فهو زائد على الجملة ، لأن مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ، ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب

وأما أسباب هذه المعانى الستة فاعلم أن حضور القلب سببه الهمة ، فإن قلبك تابع لهمتك فلا يحضر إلا فيما يهمك ، ومهما أهمك أمر حضر القلب فيه شاء أم أبى ، فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه ، والقلب إذا لم يحضر فى الصلاة لم يكن متعطلا بل جائلا فيما الهمة مصروفة إليه من أمور الدنيا ، فلا حيلة ولا علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلى الصلاة ، والهمة لا تنصرف إليها ما لم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها ، وذلك هو الإيمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى ، وأن الصلاة وسيلة اليها ، فإذا أضيف هذا إلى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهما تها حصل من مجموعها حضور القلب فى الصلاة ، وبمثل هذه العلة يحضر قلبك إذا حضرت بين يدى بعض الأكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك ، فإذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذى بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظنن أن له سببا سوى ضعف الإيمان . فاجتهد الآن فى تقوية الإيمان ، وطريقه يستقصى فى غير هذا الموضع

وأما التفهم : فسببه بعد حضور القلب إدمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك المعنى . وعلاجه ما هو علاج إحضار القلب مع الإقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها ، أعنى النزوع عن تلك الأسباب التى تنجذب الخواطر اليها ، ومالم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر ، فمن أحب شيئا أكثر ذكره ، فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة ، فلذلك ترى أن من أحب غير الله لا تصفو له صلاة عن الخواطر

وأما التعظيم: فهى حالة للقلب تتولد من معرفتين إحداهما معرفة جلال الله عز وجل وعظمته وهو من أصول الإيمان ، فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه . الثانية : معرفة حقارة النفس وخستها ، وكونها عبدا مسخرا مربوبا ، حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه ، فيعبر عنه بالتعظيم ، ومالم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله لاتنتظم حالة التعظيم والخشوع ، فإن المستغنى عن غيره الآمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله ، لأن القرينة الأخرى وهى معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن إليه

وأما الهيبة والخوف :فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة به وأنه لوأهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة ، هذا مع مطالعة ما يجرى على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف مايشاهد من ملوك الأرض . وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة . وسيأتى أسباب ذلك فى كتاب الخوف من ربع المنجيات

وأما الرجاء فسببه معرفة لطف الله عز وجل وكرمه وعميم إنعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه فى وعده الجنة بالصلاة فإذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة

وأما الحياء فباستشعاره التقصير فى العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها ، وقلة إخلاصها وخبث دَخْلتها ، وميلها إلى الحظ العاجل فى جميع أفعالها ، مع العلم بعظيم مايقتضيه جلال الله عز وجل والعلم بأنه مطلع على السر وخطرات القلب وإن دقت وخفيت ، وهذه المعارف إذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء . فهذه أسباب هذه الصفات وكل ماطلب تحصيله فعلاجه إحضار سببه ، فنى معرفة السبب معرفة العلاج ، ورابطة جميع هذه الأسباب الإيمان واليقين . أعنى به هذه المعارف التى ذكرناها ، ومعنى كونها يقينا انتفاء الشك

واستيلاؤها على القلب كما سبق فى بيان اليقين من كتاب العلم ، وبقدر اليقين يخشع القلب، ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها « كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُحدِّثُنَا وَنُحَدِّثُهُ فإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاةُ كَأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْنَا وَلَمْ نَعْرِفْهُ »

وقد روى أن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام « يا موسى إذا ذكرتنى فاذكرنى وأنت تنتفض أعضاؤك ، وكن عند ذكرى خاشعا مطمئنا ، وإذا ذكرتنى فاجعل لسانك من وراء قلبك ، وإذا قمت بين يدىّ فقم قيام العبد الذليل وناجنى بقلب وجل ولسان صادق » وروى أن الله تعالى أوحى إليه : قل لعُصاة أمتك لا يذكرونى فإنى آليت على نفسى أن من ذكرنى ذكرته فإذا ذكرونى ذكرتهم باللعنة . هذا فى عاص غير غافل فى ذكره ، فكيف إذا اجتمعت الغفلة والعصيان . وباختلاف المعانى التى ذكرناها فى القلوب انقسم الناس إلى غافل يتمم صلاته ولم يحضر قلبه فى لحظة منها ، وإلى من يتمم ولم يغب قلبه فى لحظة ، بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لا يحس بما يجرى بين يديه ولذلك لم يحس مسلم ابن يسار بسقوط الاسطوانة فى المسجد اجتمع الناس عليها . وبعضهم كان يحضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره ، ووجيب قلب إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه كان يسمع على ميلين ، وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد ، فان أضعافه مشاهد فى همم أهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع عجزهم وضعفهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم ، حتى يدخل الواحد على ملك أو وزير ويحدثه بمهمته ثم يخرج ولو سئل عمن حواليه أو عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الإخبار عنه لاشتغال همه به عن ثوبه وعن الحاضرين حواليه ، ولكلّ درجات مما عملوا فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه ، فإن موقع نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهر الحركات ، ولذلك قال بعض الصحابة رضى الله عنهم : يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم فى الصلاة من الطمأنينة والهدوّ ، ومن وجود النعيم بها واللذة . ولقد صدق فإنه يحشر كل على ما مات عليه ، ويموت على ما عاش عليه ، ويراعى فى ذلك حال قلبه لا حال شخصه . فمن صفات القلوب تصاغ الصور فى الدار الآخرة ، ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم . نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه

بيان الدواء النافع في حضور القلب

اعلم أن المؤمن لابد أن يكون معظما لله عز وجل وخائفا منه وراجيا له ومستحييا من تقصيره ، فلا ينفك عن هذه الأحوال بعد إيمانه وإن كانت قوتها بقدر قوة يقينه ، فانفكاكه عنها في الصلاة لا سبب له إلا تفرق الفكر وتقسم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة ، ولا يلهي عن الصلاة إلا الخواطر الواردة الشاغلة ، فالدواء في إحضار القلب هو دفع تلك الخواطر ، ولا يدفع الشيء إلا بدفع سببه ، فلنعلم سببه

وسبب موارد الخواطر إما أن يكون أمرا خارجا أو أمرا في ذاته باطنا ، أما الخارج فما يقرع السمع أو يظهر للبصر ، فإن ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ، ثم تنجر منه الفكرة إلى غيره ويتسلسل ، ويكون الإبصار سببا للافتكار ، ثم تصير بعض تلك الأفكار سبباً للبعض ، ومن قويت نيته وعلت همته لم يلهه ما جرى على حواسه ، ولكن الضعيف لابد وأن يتفرق به فكره . وعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يغض بصره ، أو يصلي في بيت مظلم ، أو لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ، ويقرب من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة بصره ، ويحترز من الصلاة على الشوارع ، وفي المواضع المنقوشة المصنوعة ، وعلى الفرش المصبوغة ، ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم سمته قدر السجود ليكون ذلك أجمع للهم . والأقوياء منهم كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزون به موضع السجود ، ويرون كمال الصلاة في أن لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم . وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يدع في موضع الصلاة مصحفاً ولا سيفاً إلا نزعه ولا كتابا إلا محاه

وأما الأسباب الباطنة فهي أشد ، فإن من تشعبت به الهموم في أودية الدنيا لا ينحصر فكره في فن واحد ، بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب ، وغض البصر لا يغنيه ، فإن ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل . فهذا طريقه أن يرد النفس قهراً إلى فهم ما يقرؤه في الصلاة ويشغلها به عن غيره . ويعينه على ذلك أن يستعد له قبل التحريم بأن يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله سبحانه وهول المطلع

ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهمه ، فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت إليه خاطره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن أبي شيبة : [1] « إِنِّي نَسِيتُ أَنْ أَقُولَ لَكَ أَنْ تُخَمِّرَ الْقِدْرَ الَّذِي فِي الْبَيْتِ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي الْبَيْتِ شَيْءٌ يَشْغَلُ النَّاسَ عَنْ صَلَاتِهِمْ » فهذا طريق تسكين الأفكار فإن كان لا يسكن هائج أفكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه إلا المسهل الذي يقمع مادة الداء من أعماق العروق ، وهو أن ينظر في الأمور الصارفة الشاغلة له عن إحضار القلب ، ولا شك أنها تعود إلى مهماته ، وأنها إنما صارت مهمات لشهواته ، فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق ، فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه ، وجند إبليس عدوه ، فإمساكه أضر عليه من إخراجه ، فيتخلص منه بإخراجه ، كما روي أنه صلى الله عليه وسلم لما لَبِسَ [2] الْخَمِيصَةَ التي أتاه بها أبو جَهْمٍ وعليها عَلَم وصلى بها نزعها بعد صلاته وقال صلى الله عليه وسلم : « اذْهَبُوا بِهَا إِلَى أَبِي جَهْمٍ فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِي آنِفًا عَنْ صَلَاتِي وَائْتُونِي بِأَنْبِجَانِيَّةِ أَبِي جَهْمٍ » وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجديد شراك نعله ثم نظر اليه في صلاته إذ كان جديداً فأمر أن [3] ينزع منها ويرد الشراك الْخَلَق . وكان صلى الله عليه وسلم : [4] قَدِ احْتَذَى نَعْلًا فَأَعْجَبَهُ حُسْنُهَا فَسَجَدَ وقَالَ : « تَوَاضَعْتُ لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ كَيْ لَا يَمْقُتَنِي » ثم خرج فدفعها إلى أول سائل لقيه ، ثم أمر علياً رضي الله عنه أن يشتري له نعلين سبتيتين جَرْدَاوَيْنِ فَلَبِسَهما . وكان صلى الله عليه وسلم في يده خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه [5] وقال : « شَغَلَنِي هَذَا نَظْرَةً إِلَيْهِ وَنَظْرَةً إِلَيْكُمْ » .

---

(١) حديث اني نسيت أن أقول لك تخمر القربتين اللذين في البيت . الحديث د من حديث عمان الحجي وهو عثمان بن طلحة كما في مسند أحمد ووقع للمصنف انه قل ذلك لعثمان بن شيبة وهو وهم

(٢) حديث نزع الخميصة وقال ائتوني بانبجانية أبي جهم متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم في العلم

(٣) حديث أمره بنزع الشراك الجديد ورد الشراك الخلق اذ نظر اليه في صلاته: ابن المبارك في الزهد من حديث أبي النضر مرسلا باسناد صحيح

(٤) حديث احتذى نعلا فأعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربي. الحديث: أبو عبد الله بن حقيق في شرف الفقراء من حديث عائشة باسناد ضعيف

(٥) حديث رميه بالخاتم الذهب من يده وقال شغلني هذا نظرة اليه ونظرة اليكم . ن من حديث ابن عباس باسناد صحيح وليس فيه بيان أن الخاتم كان ذهبا ولا فضة انما هو مطلق

وروى أن أبا طلحة [١] صلى فى حائط له فيه شجر فأعجبه دبسى طار فى الشجر يلتمس مخرجا فأتبعه ببصره ساعة ثم لم يدر كم صلى ، فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصابه من الفتنة ، ثم قال : يارسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت

وعن رجل آخر أنه صلى فى حائط له والنخل مطوقة بثمرها فنظر اليها فأعجبته ولم يدر كم صلى ، فذكر ذلك لعثمان رضى الله عنه وقال : هو صدقة فاجعله فى سبيل الله عز وجل ، فباعه عثمان بخمسين ألفاً ، فكانوا يفعلون ذلك قطعاً لمادة الفكر ، وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة . وهذا هو الداء القامع لمادة العلة ، ولا يغنى غيره . فأما ما ذكرناه من التلطف بالتسكين ، والرد إلى فهم الذكر ، فذلك ينفع فى الشهوات الضعيفة ، والهمم التى لا تشغل إلا حواشى القلب . فأما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع فيها التسكين ، بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك ، وتنقضى جميع صلاتك فى شغل المجاذبة . ومثاله رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره وكانت أصوات العصافير تشوش عليه ، فلم يزل يطيرها بخشبة فى يده ويعود إلى فكره ، فتعود العصافير ، فيعود إلى التنقير بالخشبة فقيل له إن هذا سير السوانى ، ولا ينقطع . فإن أردت الخلاص فاقطع الشجرة ، فكذلك شجرة الشهوات إذا تشعبت وتفرعت أغصانها انجذبت اليها الأفكار انجذاب العصافير إلى الأشجار ، وانجذاب الذباب إلى الأقذار ، والشغل يطول فى دفعها ، فإن الذباب كلما ذب آب ولأجله سمى ذبابا ، فكذلك الخواطر

وهذه الشهوات كثيرة ، وقلما يخلو العبد عنها ، ويجمعها أصل واحد وهو حب الدنيا وكذلك رأس كل خطيئة وأساس كل نقصان ومنبع كل فساد . ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال إلى شىء منها لا ليتزود منها ولا ليستعين بها على الآخرة ، فلا يطمعن

---

(١) حديث ان أبا طلحة صلى فى حائط له فيه شجر فأعجبه ريش طائر فى الشجر . الحديث : فى سهوه فى الصلاة وتصدقه بالحائط . مالك عن عبد الله بن أبى بكر أن أبا طلحة الأنصارى فذكره بنحوه

فى أن تصفو له لذة المناجاة فى الصلاة فإن من فرح بالدنيا لا يفرح بالله سبحانه وبمناجاته . وهمة الرجل مع قرة عينه فإن كانت قرة عينه فى الدنيا انصرف لامحالة إليها همه، ولكن مع هذا فلا ينبغى أن يترك المجاهدة ، ورد القلب إلى الصلاة ، وتقليل الأسباب الشاغلة. فهذا هو الدواء المر ، ولمرارته استبشعته الطباع ، وبقيت العلة مزمنة ، وصار الداء عضالا ، حتى إن الأكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين لايحدثوا أنفسهم فيها بأمور الدنيا فعجزوا عن ذلك، فاذاً لا مطمع فيه لأمثالنا ، وليته سلم لنا من الصلاة شطرها أو ثلثها من الوسواس لنكون ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً

وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة فى القلب مثل الماء الذى يصب فى قدح مملوء بخل ، فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج منه من الخل لامحالة ، ولا يجتمعان

بيان تفصيل ما ينبغى أن يحضر فى القلب

عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة

فنقول : حقك إن كنت من المريدين للآخرة أن لا تغفل أوّلا عن التنبيهات التى فى شروط الصلاة وأركانها

أما الشروط السوابق فهى : الأذان ، والطهارة ، وستر العورة ، واستقبال القبلة والانتصاب قائما ، والنية . فإذا سمعت نداء المؤذن فأحضر فى قلبك هول النداء يوم القيامة ، وتشمر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة ، فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر ، فاعرض قلبك على هذا النداء فإن وجدته مملوءا بالفرح والإستبشار ، مشحونا بالرغبة إلى الابتدار ، فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: (١) « أَرِحْنَا يَا بِلَالُ » أى أرحنا بها وبالنداء اليها إذ كان قرة عينه فيها صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث بها أرحنا يا بلال . قط فى العلل من حديث بلال ولأبى داود ونحوه من حديث رجل من الصحابة لم يسم باسناد صحيح

وأما الطهارة: فإذا أتيت بها فى مكانك وهو ظرفك الأبعد، ثم فى ثيابك وهى غلافك الأقرب، ثم فى بشرتك وهو قشرك الأدنى، فلا تغفل عن لبك الذى هو ذاتك وهو قلبك، فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على مافرطت، وتصميم العزم على الترك فى المستقبل، فطهر بها باطنك فإنه موضع نظر معبودك

وأما ستر العورة: فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق، فإن ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق، فما بالك فى عورات باطنك وفضائح سرائرك التى لا يطلع عليها إلا ربك عز وجل؟ فأحضر تلك الفضائح ببالك، وطالب نفسك بسترها، وتحقق أنه لا يستر عن عين الله سبحانه ساتر، وإنما يكفرها الندم والحياء والخوف، فتستفيد بإحضارها فى قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنهما، فتذل بها نفسك، ويستكين تحت الخجلة قلبك، وتقوم بين يدى الله عز وجل قيام العبد المجرم المسىء الآبق الذى ندم فرجع إلى مولاه ناكساً رأسه من الحياء والخوف

وأما الاستقبال: فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى، أفترى أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى أمر الله عز وجل ليس مطلوبا منك؟ هيهات! فلا مطلوب سواه، وإنما هذه الظواهر تحريكات للبواطن، وضبط للجوارح، وتسكين لها بالاثبات فى جهة واحدة حتى لا تبغى على القلب، فإنها إذا بغت وظلمت فى حركاتها والتفاتها إلى جهاتها، استتبعت القلب، وانقلبت به عن وجه الله عز وجل، فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك، فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها، فلا ينصرف القلب إلى الله عز وجل إلا بالتفرغ عما سواه وقد قال صلى الله عليه وسلم (١) «إِذَا قَامَ ٱلْعَبْدُ إِلَى صَلاَتِهِ فَكَانَ هَوَاهُ وَوَجْهُهُ وَقَلْبُهُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ انْصَرَفَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»

أما الاعتدال قائما: فإنما هو مثول بالشخص والقلب بين يدى الله عز وجل، فليكن رأسك الذى هو أرفع أعضائك مطرقا مطأطئا متنكسا، وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه

(١) حديث إذا قام العبد الى صلاته وكان وجهه وهواه الى الله انصرف كيوم ولدته أمه لم أجده

تنبيهاً على الزام القلب التواضع والتذلل والتبرى عن الترؤس والتكبر ، وليكن على ذكرك هاهنا خطر القيام بين يدى الله عز وجل فى هول المطلع عند العرض للسؤال . واعلم فى الحال أنك قائم بين يدى الله عز وجل وهو مطلع عليك ، فقم بين يديه قيامك بين يدى بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله ، بل قدر فى دوام قيامك فى صلاتك أنك ملحوظ ومر قوب بعين كالئة من رجل صالح من أهلك أو ممن ترغب فى أن يعرفك بالصلاح ، فإنه تهدأ عند ذلك أطرافك ، وتخشع جوارحك وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع . وإذا أحسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها . إنك تدّعين معرفة الله وحبه أفلا تستحين من استجرائك عليه مع توفيرك عبدا من عباده ، أو تخشين الناس ولا تخشينه وهو أحق أن يخشى ؟ ! ولذلك لما قال [1] أبو هريرة : كيف الحياء من الله ؟ فقال صل الله عليه وسلم « تَسْتَحِي مِنْهُ كَمَا تَسْتَحِي مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مِنْ قَوْمِكَ » وروى : مِنْ أَهْلِكَ

وأما النية : فاعزم على إجابة الله عز وجل فى امتثال أمره بالصلاة وإتمامها ، والكف عن نوافضها ومفسداتها ، وإخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه ، متقلدا للمنة منه باذنه إياك فى المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك . وعظّم فى نفسك قدر مناجاته ، وانظر من تناجى ، وكيف تناجى ، وبما ذا تناجى ؟ وعند هذا ينبغى أن يعرق جبينك من الخجل ، وترتعد فرائصك من الهيبة ، ويصفر وجهك من الخوف

وأما التكبير : فإذا نطق به لسانك فينبغى أن لا يكذبه قلبك فإن كان فى قلبك شىء هو أكبر من الله سبحانه فالله يشهد إنك لكاذب ، وإن كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين فى قولهم إنه صلى الله عليه وسلم رسول الله ، فان كان هواك أغلب عليك من أمر الله عز وجل

---

(١) حديث قال أبو هريرة كيف الحياء من الله ؟ قال تستحى منه كما تستحى من الرجل الصالح من قومك . الخرائطى فى مكارم الأخلاق . هق فى الشعب من حديث سعيد بن زيد مرسلا نحوه وأرسله هق زيادة ابن عمر فى السند وفى العلل قط عن ابن عمر له وقال انه أشبه شىء بالصواب لوروده من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة

فأنت أطوع له منك لله تعالى، فقد اتخذته إلهك وكبرته ، فيوشك أن يكون قولك الله أكبر كلاماً باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته ، وما أعظم الخطر فى ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه

وأما دعاء الاستفتاح: فأول كلماته قولك : وجهت وجهى الذى فطر السموات والأرض وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر ، فانك إنما وجهته إلى جهة القبلة ، والله سبحانه يتقدس عن أن تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه . وإنما وجه القلب هو الذى تتوجه به إلى فاطر السموات والأرض . فانظر اليه أمتوجه هو إلى أمانيه وهمه فى البيت والسوق متبع للشهوات ، أو مقبل على فاطر السموات . وإياك أن تكون أول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق ، ولن ينصرف الوجه إلى الله تعالى إلا بانصرافه عما سواه ، فاجتهد فى الحال فى صرفه اليه وإن عجزت عنه على الدوام فليكن قولك فى الحال صادقا . وإذا قلت : حنيفاً مسلماً ، فينبغى أن يخطر ببالك أن المسلم هو الذى سلم المسلمون من لسانه ويده ، فان لم تكن كذلك كنت كاذبا ، فاجتهد فى أن تعزم عليه فى الاستقبال وتندم على ماسبق من الأحوال . وإذا قلت : وما أنا من المشركين ، فأخطر ببالك الشرك الخفى ، فان قوله تعالى (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا *) نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس ، وكن حذرا مشفقا من هذا الشرك ، واستشعر الخجلة فى قلبك إن وصفت نفسك بأنك لست من المشركين من غير براءة عن هذا الشرك ، فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه . وإذا قلت : محياى ومماتى لله . فاعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده ، وأنه إن صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته فى الحياة ورهبته من الموت لأمور الدنيا لم يكن ملائما للحال

وإذا قلت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فاعلم أنه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله عز وجل حسدا لك على مناجاتك مع الله عز وجل وسجودك له ، مع أنه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها ، وأن استعاذتك بالله سبحانه منه بترك مايحبه وتبديله بما يحب الله عز وجل لا بمجرد قولك ، فان من قصده سبع أو عدو ليفترسه أو ليقتله فقال :

* الكهف : ١١٠

أعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه فان ذلك لا ينفعه ، بل لا يعيذه إلا تبديل المكان ، فكذلك من يتبع الشهوات التى هى محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول . فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عز وجل عن شر الشيطان ، وحصنه لا إله إلا الله ، إذ قال عز وجل فيما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم[1] « لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ حِصْنِي فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي » والمتحصن به من لا معبود له سوى الله سبحانه ، فأما من اتخذ إلهه هواه فهو فى ميدان الشيطان لا فى حصن الله عز وجل

واعلم أن من مكايده أن يشغلك فى صلاتك بذكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرأ ، فاعلم أن كل ما يشغلك عن فهم معانى قرائتك فهو وسواس ، فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها

فأما القراءة فالناس فيها ثلاثة : رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ، ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره ، وهى درجات أصحاب اليمين ، ورجل يسبق قلبه إلى المعانى أولا ثم يخدم اللسان القلب فيترجمه ، ففرق بين أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب ، والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب

وتفصيل ترجمة المعانى أنك إذا قلت : بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله سبحانه . وافهم أن معناها أن الأمور كلها بالله سبحانه ، وأن المراد بالاسم هاهنا هو المسمى . وإذا كانت الأمور بالله سبحانه فلا جرم كان الحمد لله . ومعناه أن الشكر لله إذ النعم من الله . ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله سبحانه بشكر لا من حيث إنه مسخر من الله عز وجل ففى تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله تعالى .

فإذا قلت : الرحمن الرحيم ، فأحضر فى قلبك جميع أنواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث بها رجاؤك ، ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك : مالك يوم الدين

---

(١) حديث قال الله تعالى لا إله الا الله حصنى . ك فى التاريخ وأبو نعيم فى الحلية من طريق أهل البيت من حديث على باسناد ضعيف جدا وقول أبى منصور الديلمى انه حديث ثابت مردود عليه

أما العظمة فلأنه لامُلك إلاله . وأما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذى هو مالكه ، ثم جدد الاخلاص بقولك : إياك نعبد ، وجدد العجز والاحتياج والتبرى من الحول والقوة بقولك : وإياك نستعين ، وتحقق أنه ماتيسرت طاعتك إلا باعانته ، وأن له المنة إذ وفقك الله لطاعته ، واستخدمك لعبادته ، وجعلك أهلا لمناجاته ، ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين

ثم إذا فرغت من التعوذ ومن قولك : بسم الله الرحمن الرحيم ، ومن التحميد ، ومن إظهار الحاجة إلى الاعانة مطلقا ، فعين سؤالك ، ولا تطلب إلا أهم حاجاتك ، وقل : اهدنا الصراط المستقيم الذى يسوقنا إلى جوارك ، ويفضى بنا إلى مرضاتك ، وزده شرحا وتفصيلا وتأكيدا واستشهادا بالذين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين ، ثم التمس الاجابة وقل : آمين

فإذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم (١) « قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِى نِصْفَيْنِ : نِصْفُهَا لِى وَنِصْفُهَا لِعَبْدِى وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ : يَقُولُ الْعَبْدُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : حَمِدَنِى عَبْدِى وَأَثْنَى عَلَىَّ » وهو معنى قوله : سمع الله لمن حمده ـ الحديث الخ : فلو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك فى جلاله وعظمته فناهيك بذلك غنيمة ، فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله ؟

وكذلك ينبغى أن تفهم مانقرؤه من السور كما سيأتى فى كتاب تلاوة القرآن ، فلا تغفل عن أمره ونهيه ، ووعده ووعيده ، ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر مننه وإحسانه ، ولكل واحد حق ، فالرجاء حق الوعد ، والخوف حق الوعيد ، والعزم حق الأمر والنهى ، والاتعاظ حق الموعظة ، والشكر حق ذكر المنة ، والاعتبار حق أخبار الأنبياء .

---

(١) حديث قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ، الحديث : م عن أبى هريرة .

وروى أن زرارة بن أوفى لما انتهى إلى قوله تعالى : (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ *) خر ميتاً وكان ابراهيم النخعى إذا سمع قوله تعالى : (إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ *) اضطرب حتى تضرب أوصاله . وقال عبد الله بن واقد : رأيت ابن عمر يصلى مغلوبا عليه . وحق له أن يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده ، فانه عبد مذنب ذليل بين يدى جبار قاهر ، وتكون هذه المعانى بحسب درجات الفهم ، ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب . ودرجات ذلك لا تنحصر . والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف أسرار الكلمات . فهذا حق القراءة وهو حق الأذكار والتسبيحات أيضاً

ثم يراعى الهيبة فى القراءة ، فيرتل ولا يسرد ، فان ذلك أيسر للتأمل ، ويفرق بين نغماته فى آية الرحمة والعذاب ، والوعد والوعيد ، والتحميد والتعظيم والتمجيد . كان النخعى إذا مر بمثل قوله عز وجل : (مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ *) يخفض صوته كالمستحى عن أن يذكره بكل شىء لا يليق به . وروى « أَنَّهُ يُقَالُ[1] لِقَارِىءِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْقَ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا »

وأما دوام القيام فانه تنبيه على إقامة القلب مع الله عز وجل على نعت واحد من الحضور . قال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ[2] مُقْبِلٌ عَلَى الْمُصَلِّي مَا لَمْ يَلْتَفِتْ » وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات ، فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات إلى غير الصلاة . فاذا التفت إلى غيره فذكره باطلاع الله عليه وبقبح التهاون بالمناجى عند غفلة المناجى ليعود إليه وألزم الخشوع للقلب بأن الخلاص عن الالتفات باطناً وظاهراً ثمرة الخشوع ، ومهما خشع الباطن خشع الظاهر . قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى رجلا مصلياً يعبث بلحيته : « أَمَّا هَذَا لَوْ خَشَعَ قَلْبُهُ لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ » فان الرعية بحكم الراعى . ولهذا ورد فى الدعاء[3] « اللَّهُمَّ أَصْلِحِ الرَّاعِيَ وَالرَّعِيَّةَ » وهو القلب والجوارح

---

(١) حديث يقال لصاحب القرآن اقرا وارق . د ت ن من حديث عبدالله بن عمر وقال ت حسن صحيح

(٢) حديث أن الله يقبل على المصلى مالم يلتفت . د ن ك وصحح اسناده من حديث أبى ذر

(٣) حديث اللهم أصلح الراعى والرعية لم أقف له على أصل وفسره المصنف بالقلب والجوارح

* المدثر : ٨ * الانشقاق : ١ * المؤمنون : ٩١

وكان الصديق رضى الله عنه فى صلاته كأنه وتد . وابن الزبير رضى الله عنه كأنه عود وبعضهم كان يسكن فى ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كأنه جماد . وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدى من يعظم من أبناء الدنيا ، فكيف لا يتقاضاه بين يدى ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك ؟ وكل من يطمئن بين يدى غير الله عز وجل خاشعا ، وتضطرب أطرافه بين يدى الله عابثاً ، فذلك لقصور معرفته عن جلال الله عز وجل ، وعن اطلاعه على سره وضميره . وقال عكرمة فى قوله عز وجل : (الَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِى السَّاجِدِينَ *) قال : قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه

وأما الركوع والسجود : فينبغي أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه ، وترفع يديك مستجيراً بعفو الله عز وجل من عقابه بتجديد نية ، ومتبعاً سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم تستأنف له ذلاً وتواضعاً بركوعك ، وتجتهد فى ترقيق قلبك وتجديد خشوعك ، وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك فى قلبك بلسانك ، فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة ، وأنه أعظم من كل عظيم ، وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار ، ثم ترتفع من ركوعك راجياً أنه راحم لك ومؤكداً للرجاء فى نفسك بقولك : سمع الله لمن حمده ، أى أجاب لمن شكره

ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضى للمزيد فتقول : ربنا لك الحمد . وتكثر الحمد بقولك ملء السموات وملء الأرض . ثم تهوى إلى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة ، فتمكن أعز أعضائك وهو الوجه ، من أذل الأشياء وهو التراب . وإن أمكنك أن لا تجعل بينهما حائلا فتسجد على الأرض فافعل ، فإنه أجلب للخشوع ، وأدل على الذل . وإذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم أنك وضعتها موضعها ، ورددت الفرع إلى أصله ، فإنك من التراب خلقت ، وإليه تعود ، فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربى الأعلى ، وأكده بالتكرار فإن الكرة الواحدة ضعيفة الأثر فإذا رق قلبك وظهر ذلك فلتصدق رجاءك فى رحمة الله فإن رحمته تتسارع إلى الضعف والذل ، لا إلى التكبر والبطر . فارفع رأسك مكبراً

* الشعراء : ٢١٨

وسائلاً حاجتك وقائلاً : رب اغفر و ارحم وتجاوز عما تعلم ، أو ما أردت من الدعاء . ثم أكد التواضع بالتكرار فعد إلى السجود ثانياً كذلك

وأما التشهد فاذا جلست له فاجلس متأدبا ، وصرح بأن جميع ما تدلى به من الصلوات والطيبات ، أى من الأخلاق الطاهرة لله . وكذلك الملك لله وهو معنى التحيات ، وأحضر فى قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم ، وقل سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . وليصدق أملك فى أنه يبلغه ويرد عليك ما هو أوفى منه . ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين، ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلاما وافيا بعدد عباده الصالحين ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ، ولمحمد صلى الله عيه وسلم نبيه بالرسالة ، مجدداً عهد الله سبحانه باعادة كلمتى الشهادة ، ومستأنفاً للتحصن بها . ثم ادع فى آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء بالإجابة ، وأشرك فى دعائك أبويك وسائر المؤمنين ، واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين ، وانو ختم الصلاة به ، واستشعر شكراً لله سبحانه على توفيقه لإتمام هذه الطاعة ، وتوهم أنك مودع لصلاتك هذه وأنك ربما لا تعيش لمثلها . وقال صلى الله عليه وسلم للذى أوصاه . « صَلِّ صَلاَةَ مُوَدِّعٍ » ثم أشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير فى الصلاة ، وخف أن لا تقبل صلاتك ، وأن تكون ممقوتا بذنب ظاهر أو باطن ، فترد صلاتك فى وجهك وترجو مع ذلك أن يقبلها بكرمه وفضله ، كان يحيى بن وثاب إذا صلى مكث ما شاء الله تعرف عليه كآية الصلاة . وكان ابراهيم يمكث بعد الصلاة ساعة كأنه مريض

فهذا تفصيل صلاة الخاشعين ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم على صلاتهم يحافظون ، والذين هم على صلاتهم دائمون ، والذين هم يناجون الله على قدر استطاعتهم فى العبودية . فليعرض الانسان نفسه على هذه الصلاة ، فبالقدر الذى يسّر له منه ينبغى أن يفرح ، وعلى ما يفوته ينبغى أن يتحسر ، وفى مداواة ذلك ينبغى أن يجتهد

وأما صلاة الغافلين فهى مخطرة ، إلا أن يتغمده الله برحمته ، والرحمة واسعة ، والكرم فائض . فنسأل الله أن يتغمدنا برحمته ، ويغمرنا بمغفرته ، إذ لا وسيلة لنا إلا الإعتراف بالعجز عن القيام بطاعته .

واعلم أن تخليص الصلاة عن الآفات ، وإخلاصها لوجه الله عز وجل ، وأداءها بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول أنوار في القلب تكون تلك الأنوار مفاتيح علوم المكاشفة . فأولياء الله المكاشفون بملكوت السموات والأرض وأسرار الربوبية إنما يكاشفون في الصلاة ، لا سيما في السجود إذ يتقرب العبد من ربه عز وجل بالسجود ، ولذلك قال تعالى : (وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ *) وإنما تكون مكاشفة كل مصل على قدر صفاته عن كدورات الدنيا . ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة ، وبالجلاء والخفاء ، حتى ينكشف لبعضهم الشيء بعينه ، وينكشف لبعضهم الشيء بمثاله ، كما كشف لبعضهم الدنيا في صورة جيفة ، والشيطان في صورة كلب جاثم عليها يدعو اليها ، ويختلف أيضاً بما فيه المكاشفة ، فبعضهم ينكشف له من صفات الله تعالى وجلاله ولبعضهم من أفعاله ، ولبعضهم من دقائق علوم المعاملة ، ويكون لتعين تلك المعاني في كل وقت أسباب خفية لا تحصى ، وأشدها مناسبة الهمة ، فانها إذا كانت مصروفة إلى شيء معين كان ذلك أولى بالانكشاف

ولما كانت هذه الأمور لا تتراءى إلا في المرآى الصقيلة ، وكانت المرآة كلها صدئة ، فاحتجبت عنها الهداية لا لبخل من جهة المنعم بالهداية ، بل لخبث متراكم الصدأ على مصب الهداية تسارعت الألسنة إلى إنكار مثل ذلك ، إذ الطبع مجبول على إنكار غير الحاضر ولو كان للجبين عقل لأنكر إمكان وجود الإنسان في متسع الهواء . ولو كان للطفل تمييز ما ربما أنكر ما يزعم العقلاء إدراكه من ملكوت السموات والأرض . وهكذا الإنسان في كل طور يكاد ينكر ما بعده . ومن أنكر طور الولاية لزمه أن ينكر طور النبوّة ، وقد خلق الخلق أطوارا ، فلا ينبغي أن ينكر كل واحد ما وراء درجته . نعم لما طلبوا هذا من المجادلة والمباحثة المشوّشة ولم يطلبوها من تصفية القلوب عما سوى الله عز وجل ، فقدوه فأنكروه

ومن لم يكن من أهل المكاشفة فلا أقل من أن يؤمن بالغيب ويصدق به إلى أن

* العلق : ١٩

يشاهد بالتجربة ، ففي الخبر[1] «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ رَفَعَ اللهُ سُبْحَانَهُ الْحِجَابَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِهِ وَوَاجَهَهُ بِوَجْهِهِ وَقَامَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ لَدُنْ مَنْكِبَيْهِ إِلَى الْهَوَاءِ يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ وَيُؤَمِّنُونَ عَلَى دُعَائِهِ ، وَإِنَّ الْمُصَلِّيَ لَيُنْثَرُ عَلَيْهِ الْبِرُّ مِنْ عَنَانِ السَّمَاءِ إِلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ وَيُنَادِي مُنَادٍ : لَوْ عَلِمَ هَذَا الْمُنَاجِي مَنْ يُنَاجِي مَا الْتَفَتَ ، وَإِنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ تُفْتَحُ لِلْمُصَلِّينَ ، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ بِعَبْدِهِ الْمُصَلِّي » . ففتح أبواب السماء ، ومواجهة الله تعالى إياه بوجهه ، كناية عن الكشف الذى ذكرناه

وفى التوراة مكتوب : ياابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يدىّ مصليا باكيا ، فأنا الله الذى اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نورى . قال فكنا نرى أن تلك الرقة والبكاء والفتوح الذى يجده المصلى فى قلبه من دنوّ الربّ سبحانه من القلب ، وإذا لم يكن هذا الدنو هو القرب بالمكان ، فلا معنى له إلا الدنو بالهداية والرحمة ، وكشف الحجاب

ويقال إن العبد إذا صلى ركعتين عجب منه عشرة صفوف من الملائكة ، كل صف منهم عشرة آلاف ، وباهى الله به مائة ألف ملك . وذلك أن العبد قد جمع فى الصّلاة بين القيام والقعود والركوع والسجود ، وقد فرّق الله ذلك على أربعين ألف ملك ، فالقائمون لا يركعون إلى يوم القيامة ، والساجدون لا يرفعون إلى يوم القيامة ، وهكذا الراكعون والقاعدون ؛ فان مارزق الله تعالى الملائكة من القرب والرتبة لازم لهم مستمر على حال واحد لا يزيد ولا ينقص ، ولذلك أخبر الله عنهم أنهم قالوا (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ *) وفارق الانسان الملائكة فى الترقى من درجة إلى درجة ، فانه لا يزال يتقرب إلى الله تعالى فيستفيد مزيد قربه ، وباب المزيد مسدود على الملائكة عليهم السلام ، وليس لكل واحد إلا رتبته التى هى وقف عليه ، وعبادته التى هو مشغول بها ، لا ينتقل إلى غيرها ، ولا يفتر عنها (فَلَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ *) مفتاح مزيد الدرجات هى الصلوات ، قال الله عز وجل (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ

---

(١) حديث ان العبد اذا قام فى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبين عبده الحديث : لم أجده

* الصافات : ١٦٤ * الأنبياء : ١٩ ، ٢٠ * المؤمنون : ١

فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ *) فمدحهم بعد الإيمان بصلاة مخصوصة وهى المقرونة بالخشوع ، ثم ختم أوصاف المفلحين بالصلاة أيضاً فقال تعالى : (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ *) ثم قال تعالى فى ثمرة تلك الصفات : (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *) فوصفهم بالفلاح أوّلا ، وبوراثة الفردوس آخرا . وما عندى أن هذرمة اللسان مع غفلة القلب تنتهى إلى هذا الحد ، ولذلك قال الله عز وجل فى أضدادهم (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ؟ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ *) فالمصلون هم ورثة الفردوس ، وهم المشاهدون لنور الله تعالى والمتمتعون بقربه ودنوّه من قلوبهم

نسأل الله أن يجعلنا منهم ، وأن يعيذنا من عقوبة من تزينت أقواله وقبحت أفعاله ، إنه الكريم المنان القديم الإحسان وصلى الله على كل عبد مصطفى.

حكايات وأخبار فى صلاة الخاشعين

رضى الله عنهم

اعلم أن الخشوع ثمرة الإيمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله عز وجل ، ومن رزق ذلك فإنه يكون خاشعا فى الصلاة وفى غير الصلاة ، بل فى خلوته ، وفى بيت الماء عند قضاء الحاجة ، فان موجب الخشوع معرفة اطلاع الله تعالى على العبد ، ومعرفة جلاله ، ومعرفة تقصير العبد . فمن هذه المعارف يتولد الخشوع ، وليست مختصة بالصلاة . ولذلك روي عن بعضهم أنه لم يرفع رأسه إلى السماء أربعين سنة حياء من الله سبحانه وخشوعاله

وكان الربيع بن خيثم من شدة غضه لبصره وإطرافه يظن بعض الناس أنه أعمى . وكان يختلف إلى منزل ابن مسعود عشرين سنة ، فاذا رأته جاريته قالت لابن مسعود : صديقك الأعمى قد جاء . فكان يضحك ابن مسعود من قولها . وكان إذا دق الباب تخرج الجارية إليه فتراه مطرقا غاضا بصره . وكان ابن مسعود إذا نظر إليه يقول «(وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ *) أما والله لو رآك محمد صلى الله عليه وسلم لفرح بك » وفى لفظ آخر : لأحبك . وفى لفظ آخر : لضحك

* المؤمنون : ٢ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، * المدثر : ٤٢ ، ٤٣ * الحج : ٣٤

ومشى ذات يوم مع ابن مسعود فى الحدادين فلما نظر إلى الأنوار تلفح وإلى النار تلتهب، صعق وسقط مغشيا عليه. وقعد ابن مسعود عند رأسه إلى وقت الصلاة فلم يفق، فحمله على ظهره إلى منزله، فلم يزل مغشيا عليه إلى مثل الساعة التى صعق فيها، فنالته خمس صلوات وابن مسعود عند رأسه يقول: هذا والله هو الخوف. وكان الربيع يقول: مادخلت فى صلاة قط فأهمنى فيها إلا ما أقول وما يقال لى

وكان عامر بن عبد الله من خاشعى المصلين، وكان إذا صلى ربما ضربت ابنته بالدف وتحدث النساء بما يردن فى البيت، ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله. وقيل له ذات يوم: هل تحدثك نفسك فى الصلاة بشىء؟ قال نعم بوقوفى بين يدى الله عز وجل ومنصرفى إلى احدى الدارين. قيل: فهل تجد شيئا مما تجد من أمور الدنيا؟ فقال: لأن تختلف الأسنة فىّ أحب الىّ من أن أجد فى صلاتى ماتجدون. وكان يقول: لو كشف الغطاء ماازددت يقينا. وقد كان مسلم بن يسار منهم وقد نقلنا أنه لم يشعر بسقوط أسطوانة فى المسجد وهو فى الصلاة. وتأكل طرف من أطراف بعضهم واحتيج فيه إلى القطع فلم يمكن منه فقيل: إنه فى الصلاة لا يحس بما يجرى عليه فقطع وهو فى الصلاة

وقال بعضهم: الصلاة من الآخرة فإذا دخلت فيها خرجت من الدنيا. وقيل لآخر: هل تحدث نفسك بشىء من الدنيا فى الصلاة؟ فقال: لا فى الصلاة ولا فى غيرها. وسئل بعضهم هل تذكر فى الصلاة شيأ؟ فقال: وهل شىء أحب إلىّ من الصلاة فأذكره فيها. وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول: من فقه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله فى الصلاة ليدخل فى الصلاة وقلبه فارغ. كان بعضهم يخفف الصلاة خيفة الوسواس. وروى أن (١) عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ صَلَّى صَلاتًا فَأَخَفَّهَا، فقيل له: خَفَّفْتَ ياأَبَا الْيَقْظَانِ. فقال: هل رأيتمونى نقصت من حدودها شيئا؟ قالوا لا قال: إِنِّى بَادَرْتُ سَهْوَ الشيطان، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّى الصَّلاَةَ لاَ يُكْتَبُ لَهُ نِصْفُهَا وَلاَ ثُلُثُهَا وَلاَ رُبُعُهَا وَلاَ خُمُسُهَا وَلاَ سُدُسُهَا وَلاَ عُشْرُهَا» وكان يقول: إنما يكتب للعبد من صلاته ماعقل منها

(١) حديث ان عمار بن ياسر صلى فأخفها فقيل له خففت ياأبا اليقظان. الحديث وفيه ان العبد ليصلى صلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها الى آخره احمد باسناد صحيح وتقدم المرفوع عنه وهو عند د ن

ويقال إن طلحة والزبير وطائفة من الصحابة رضى الله عنهم كانوا أخف الناس صلاة ، وقالوا : نبادر بها وسوسة الشيطان

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال على المنبر : إن الرجل ليشيب عارضاه فى الاسلام وما أكمل لله تعالى صلاة . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله عز وجل فيها * وسئل أبو العالية عن قوله (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ *) قال هو الذى يسهو فى صلاته فلا يدرى على كم ينصرف : أعلى شفع أم على وتر ؟ وقال الحسن : هو الذى يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج . وقال بعضهم : هو الذى إن صلاها فى أوّل الوقت لم يفرح وإن أخرها عن الوقت لم يحزن ، فلا يرى تعجيلها خيرا ولا تأخيرها إثما

واعلم أن الصلاة قد يحسب بعضها ويكتب بعضها دون بعض كما دلت الأخبار عليه وإن كان الفقيه يقول ، إن الصلاة فى الصحة لا تتجزأ ، ولكن ذلك له معنى آخر ذكرناه ، وهذا المعنى دلت عليه الأحاديث ، إذ ورد[1] جَبْرُ نقصانِ الفرائضِ بالنَّوافِلِ . وفى الخبر قال عيسى عليه السلام يقول الله تعالى : بالفرائض نجانى عبدى ، وبالنَّوافل تقرب إلىّ عبدى

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : [2] « قَالَ اللهُ تَعَالَى لَا يَنْجُو مِنِّى عَبْدِى إِلَّا بِأَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ » وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم [3] صَلَّى صَلَاتًا فَتَرَكَ مِنْ قِرَاءَتِهَا آيَةً ، فَلَمَّا انْفَتَلَ قَالَ : مَا ذَا قَرَأْتُ ؟ فسكت القوم ، فسأل أبى بن كعب رضى الله عنه فقال : قَرَأْتَ سُورَةَ كَذَا وَتَرَكْتَ آيَةَ كَذَا فَمَا نَدْرِى أَنُسِخَتْ أَمْ رُفِعَتْ ، فقال : أَنْتَ لَهَا يَا أُبَىُّ ، ثم أقبل على الآخرين فقال « مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَحْضُرُونَ صَلَاتَهُمْ وَيُتِمُّونَ صُفُوفَهُمْ وَنَبِيُّهُمْ بَيْنَ

---

(١) حديث جبر نقصان الفرائض بالنوافل. أصحاب السنن والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة ان أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته وفيه فان انتقص من فرضه شيأ قال الرب عز وجل انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل بها ما نقص من الفريضة

(٢) حديث قال الله تعالى لا ينجو منى عبدى الا بأداء ما افترضت عليه لم أجده

(٣) حديث صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما التفت قال ما ذا قرأت فسكت القوم فسأل أبى بن كعب الحديث : رواه محمد بن نصر فى كتاب الصلاة مرسلا وأبو منصور الديلمى من حديث أبى بن كعب ورواه ن مختصرا من حديث عبد الرحمن بن أبزى باسناد صحيح

أَيْدِيهِمْ لَا يَدْرُونَ مَا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ مِنْ كِتَابِ رَبِّهِمْ ، أَلَا إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَذَا فَعَلُوا فَأَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى نَبِيِّهِمْ أَنْ قُلْ لِقَوْمِكَ : تُحْضِرُونِي أَبْدَانَكُمْ وَتُعْطُونِي أَلْسِنَتَكُمْ وَتَغِيبُونَ عَنِّي بِقُلُوبِكُمْ ، بَاطِلٌ مَا تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ » وهذا يدل على أن استماع مايقرأ الامام وفهمه بدل عن قراءة السورة بنفسه

وقال بعضهم إن الرجل يسجد السجدة عنده أنه تقرب بها إلى الله عز وجل ولوقسمت ذنوبه فى سجدته على أهل مدينته لهلكوا ، قيل : وكيف يكون ذلك ؟ قال : يكون ساجدا عند الله وقلبه مصغ إلى هوى ، ومشاهد لباطل ، قد استولى عليه . فهذه صفة الخاشعين

فدلت هذه الحكايات والأخبار مع ماسبق على أن الأصل فى الصلاة الخشوع وحضور القلب ، وأن مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى فى المعاد . والله أعلم . نسأل الله حسن التوفيق

الباب الرابع

فى الإمامة والقدوة ، وفى أركان الصلاة وبعد السلام وعلى الإمام وظائف قبل الصلاة وفى القراءة

أما الوظائف التى هى قبل الصلاة فستة :

أولها : أن لا يتقدم للإمامة على قوم يكرهونه ، فإن اختلفوا كان النظر إلى الأكثرين ، فان كان الأفلون هم أهل الخير والدين فالنظر اليهم أولى . وفى الحديث : (١) « ثَلَاثَةٌ لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ رُءُوسَهُمْ : الْعَبْدُ الْآبِقُ وَامْرَأَةٌ زَوْجُهَا سَاخِطٌ عَلَيْهَا ، وَإِمَامُ أَمَّ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ » وكما ينهى عن تقدمه مع كراهتهم ، فكذلك ينهى عن التقدمة

---

* الباب الرابع *

(١) حديث ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رؤسهم العبد الآبق . الحديث : ت من حديث أبى أمامة وقال حسن غريب وصححه هق

إن كان وراءه من هو أفقه منه ، إلا إذا امتنع من هو أولى منه فله التقدم فإن لم يكن شيء من ذلك فليتقدم مهما قدم وعرف من نفسه القيام بشروط الإمامة

ويكره عند ذلك المدافعة ، فقد قيل إن قوما تدافعوا الإمامة بعد إقامة الصلاة فخسف بهم وما روى من مدافعة الإمامة بين الصحابة رضى الله عنهم فسببه إيثارهم من رأوه أنه أولى بذلك ، أو خوفهم على أنفسهم السهو وخطر ضمان صلاتهم ، فإن الأئمة ضمناء . وكان من لم يتعود ذلك ربما يشتغل قلبه ويتشوش عليه الإخلاص فى صلاته حياء من المقتدين ، لاسيما فى جهره بالقراءة ، فكان لاحتراز من احترز أسباب من هذا الجنس

الثانية : إذا خير المرء بين الآذان والإمامة فينبغى أن يختار الإمامة ، فان لكل واحد منهما فضلا ، ولكن الجمع مكروه ، بل ينبغى أن يكون الإمام غير المؤذن . وإذا تعذر الجمع فالإمامة أولى . وقال قائلون : الأذان أولى لما نقلناه من فضيلة الأذان ، ولقوله صلى الله عليه وسلم : (١) « اَلْإِمَامُ ضَامِنٌ وَالْمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ » فقالوا فيها خطر الضمان . وقال صلى الله عليه وسلم : (٢) « الْإِمَامُ أَمِينٌ فَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا » وفى الحديث (٣) « فَإِنْ أَتَمَّ فَلَهُ وَلَهُمْ وَإِنْ نَقَصَ فَعَلَيْهِ لَا عَلَيْهِمْ » ولأنه صلى الله عليه وسلم قال : (٤) « اللَّهُمَّ أَرْشِدِ الْأَئِمَّةَ وَاغْفِرْ لِلْمُؤَذِّنِينَ » والمغفرة أولى بالطلب فأن الرشد يراد للمغفرة . وفى الخبر (٥) « مَنْ أَمَّ فِى مَسْجِدٍ سَبْعَ سِنِينَ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ بِلَا حِسَابٍ وَمَنْ أَذَّنَ أَرْبَعِينَ عَامًا دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ » ولذلك نقل عن الصحابة رضى الله عنهم أنهم كانوا يتدافعون الإمامة

---

(١) حديث الامام ضامن والمؤذن مؤتمن : د ت من حديث أبى هريرة وحكى عن ابن المدينى أنه لم يثبته ورواه أحمد من حديث أبى أمامة باسناد حسن

(٢) حديث الامام أمين فاذا ركع فاركعوا . الحديث : خ من حديث أبى هريرة دون قوله الامام أمين وهو بهذه الزيادة فى مسند الحميدى وهو متفق عليه من حديث أنس دون هذه الزيادة

(٣) حديث فان أتم فله ولهم وان انتقص فعليه ولاعليهم . د هـ ك وصححه من حديث عقبة بن عامر والبخارى من حديث أبى هريرة يصلون بكم فان أصابوا فلكم وان أخطؤا فلكم وعليهم

(٤) حديث اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين هو بقية حديث الامام ضامن وتقدم قبل بحديثين

(٥) حديث من أذن فى مسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب ت هـ من حديث ابن عباس بالشطر الأول نحوه قال ت حديث غريب

والصحيح أن الإمامة أفضل، إذ واظب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما والأئمة بعدهم. نعم فيها خطر الضمان. والفضيلة مع الخطر، كما أن رتبة الإمارة والخلافة أفضل، لقوله صلى الله عليه وسلم [١] « لَيَوْمٌ مِنْ سُلْطَانٍ عَادِلٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سَبْعِينَ سَنَةً » ولكن فيها خطر، ولذلك وجب تقديم الأفضل والأفقه، فقد قال صلى الله عليه وسلم: [٢] « أَئِمَّتُكُمْ شُفَعَاؤُكُمْ » أو قال: « وَفْدُكُمْ إِلَى اللهِ » فان أردتم أن تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم. وقال بعض السلف: ليس بعد الأنبياء أفضل من العلماء، ولا بعد العلماء أفضل من الأئمة المصلين لأن هؤلاء قاموا بين يدى الله عز وجل وبين خلقه: هذا بالنبوة، وهذا بالعلم، وهذا بعماد الدين وهو الصلاة

وبهذه الحجة احتج الصحابة [٣] فى تقديم أبى بكر الصديق رضى الله عنه وعنهم للخلافة إذ قالوا: « نَظَرْنَا فَإِذَا الصَّلَاةُ عِمَادُ الدِّينِ فَاخْتَرْنَا لِدُنْيَانَا مَنْ رَضِيَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِدِينِنَا » وما قدموا [٤] بِلَالاً احتجاجا بأنه رضيه للأذان. وما روى « أَنَّهُ قَالَ

---

(١) حديث ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة: الطبرانى من حديث ابن عباس بسند حسن بلفظ ستين

(٢) حديث أئمتكم وفدكم إلى الله تعالى فان أردتم أن تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم: قط هق وضعف اسناده من حديث ابن عمر والبغوي وابن قانع والطبرانى فى معاجمهم و ك من حديث مرثد ابن أبى مرثد نحوه وهو منقطع وفيه يحيى بن يحيى الأسلمى وهو ضعيف

(٣) حديث تقديم الصحابة أبا بكر وقولهم اخترنا لدنيانا من اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا ابن شاهين فى شرح مذاهب اهل السنة من حديث على قال لقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلى بالناس وانى لشاهد ما أنا بغائب ولا بى مرض فرضينا لدنيانا فارضى به النبى صلى الله عليه وسلم لديننا والمرفوع منه متفق عليه من حديث عائشة وأبى موسى فى حديث قال مروا أبا بكر فليصل بالناس

(٤) حديث تقديم الصحابة بلالا احتجاجاً بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيه للأذان أما المرفوع منه فرواه أبو داود والترمذى وصححه وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان من حديث عبد الله بن زيد فى بدء الأذان وفيه قم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به ـ الحديث: وأما تقديمهم له بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم فروى الطبرانى أن بلالا جاء الى أبى بكر فقال يا خليفة رسول الله أردت أن أربط نفسى فى سبيل الله حتى أموت فقال أبو بكر أنشدك بالله يا بلال وحرمتى وحقى لقد كبرت سنى وضعفت قوتى واقترب أجلى فأقام بلال معه فلما

لَهُ رَجُلٌ : يا رسول الله (١) دلني على عمل أدخل به الجنة قال : كن مؤذنا قال : لا أستطيع ، قال : كن إماما ، قال لا أستطيع ، فقال صل بإزاء الإمام » فلعله ظن أنه لا يرضى بإمامته ، إذ الأذان اليه والإمامة إلى الجماعة وتقديمهم له . ثم بعد ذلك توهم أنه ربما يقدر عليها

الثالثة : أن يراعي الإمام أوقات الصلوات فيصلي في أوائلها ليدرك رضوان الله سبحانه (٢) فَفَضْلُ أَوَّلِ الْوَقْتِ عَلَى آخِرِهِ كَفَضْلِ الآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا . هكذا روى عن رسول الله صلى عليه وسلم . وفي الحديث : (٣) « إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ فِي آخِرِ وَقْتِهَا وَلَمْ تَفُتْهُ وَلَمَا فَاتَهُ مِنْ أَوَّلِ وَقْتِهَا خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

ولا ينبغي أن يؤخر الصلاة لانتظار كثرة الجماعة ، بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة أول الوقت ، فهي أفضل من كثرة الجماعة ، ومن تطويل السورة . وقد قيل : كانوا إذا حضر اثنان في الجماعة لم ينتظروا الثالث ، وإذا حضر أربعة في الجنازة لم ينتظروا الخامس . وقد (٤) تَأَخَّرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَكَانُوا فِي سَفَرٍ . وإنما تأخر للطهارة فلم ينتظر ، وقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام يقضيها ، قال فأشفقنا من ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قَدْ أَحْسَنْتُمْ هَكَذَا فَافْعَلُوا » وقد (٥) تَأَخَّرَ فِي صَلَاةِ الظُّهْرِ فَقَدَّمُوا أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ

توفي أبو بكر جاء عمر فقال له مثل ماقال لأبي بكر فأبى عليه فقال عمر فمن يا بلال فقال الى سعد فانه قد أذن بقباء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمر الأذان الى سعد وعقبة وفي أسناده جهالة

(١) حديث قال له رجل يارسول الله دلني على عمل أدخل به الجنة قال كن مؤذنا ـ الحديث : البخاري في التاريخ والعقيلي في الضعفاء و طب في الأوسط من حديث ابن عباس باسناد ضعيف

(٢) حديث فضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف

(٣) حديث ان العبد ليصلي الصلاة في أول وقتها ولم تفته ـ الحديث : الدارقطني من حديث أبي هريرة نحوه باسناد ضعيف

(٤) حديث تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما عن صلاة الفجر وكان في سفر وانما تأخر للطهارة فقدموا عبد الرحمن بن عوف ـ الحديث : متفق عليه من حديث المغيرة

(٥) حديث تأخر في صلاة الظهر فقدموا أبا بكر ـ الحديث : متفق عليه من حديث سهل بن سعد

اللهُ عَنْهُ حَتّى جَاءَ رَسُولُ اللهُ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ فِى الصَّلَاةِ فَنَامَ إِلَى جانِبِهِ

وليس على الإمام انتظار المؤذن ، وإنما على المؤذن انتظار الامام للاقامة ، فاذا حضر فلا ينتظر غيره

الرابعة : أن يؤم مخلصاً لله عز وجل ، ومؤديا أمانة الله تعالى فى طهارته وجميع شروط صلاته

أما الإخلاص فبأن لا يأخذ عليها أجرة ، فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان ابن أبى العاص الثقفى وقال : (١) « اتَّخِذْ مُؤَذِّنًا لاَ يَأْخُذُ عَلَى الْأَذَانِ أَجْراً » فالأذان طريق إلى الصَّلاة ، فهى أولى بأن لا يؤخذ عليها أجر ، فان أخذ رزقاً من مسجد قد وقف على من يقوم بامامته أو من السلطان أو آحاد الناس فلا يحكم بتحريمه ولكنه مكروه ، والكراهية فى الفرائض أشد منها فى التراويح ، وتكون أجرة له على مداومته على حضور الموضع ، ومراقبة مصالح المسجد فى إقامة الجماعة ، لا على نفس الصَّلاة

وأما الأمانة : فهى الطهارة باطناً عن الفسق والكبائر والإصرار على الصغائر . فالمترشح للإمامة ينبغى أن يحترز عن ذلك بجهده فانه كالوفد والشفيع للقوم ، فينبغى أن يكون خير القوم . وكذا الطهارة ظاهراً عن الحدث والخبث ، فانه لا يطلع عليه سواه فان تذكر فى أثناء صلاته حدثا أو خرج منه ريح فلا ينبغى أن يستحى ، بل يأخذ بيد من يقرب منه ويستخلفه ، فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) الجنابة فى أثناء الصَّلاة فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل فى الصَّلاة .. وقال سفيان : صلِّ خلف كل بَر وفاجر إلا مُدْمِن خمر ، أو معلن بالفسوق ، أو عاق لوالديه أو صاحب بدعة ، أو عبد آبق

الخامسة : أن لا يكبر حتى تستوى الصفوف ، فليلتفت يميناً وشمالاً فان رأى خللاً أمر بالتسوية . قيل كانوا يتحاذون بالمناكب ويتضامون بالكعاب ، ولا يكبر حتى يفرغ

---

(١) حديث اتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجرة . أصحاب السنن و ك وصححه من حديث عثمان بن أبى العاص الثقفى

(٢) حديث تذكر النبى صلى الله عليه وسلم الجنابة فى صلاته فاستخلف واغتسل ثم رجع د من حديث أبى بكرة باسناد صحيح وليس فيه ذكر الاستخلاف وانما قال ثم أومأ اليهم أن مكانكم الحديث : وورد الاستخلاف من فعل عمر وعلى وعند خ استخلاف عمر فى قصة طعنه

المؤذن من الاقامة ، والمؤذن يؤخر الاقامة عن الأذان بقدر استعداد الناس للصلاة ، ففى الخبر [١] « لِيَتَمَهَّلِ الْمُؤَذِّنُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ بِقَدْرِ مَا يَفْرُغُ الْآكِلُ مِنْ طَعَامِهِ وَالْمُعْتَصِرُ مِنِ اعْتِصَارِهِ » وذلك لأنه « نَهَى [٢] عَنْ مُدَافَعَةِ الْأَخْبَثَيْنِ » [٣] « وَأَمَرَ بِتَقْدِيمِ الْعَشَاءِ عَلَى الْعِشَاءِ » طلبا لفراغ القلب

السادسة : أن يرفع صوته بتكبيرة الاحرام وسائر التكبيرات ، ولا يرفع المأموم صوته إلا بقدر مايسمع نفسه ، وينوى الإمامة لينال الفضل ، فان لم ينو صحت صلاته وصلاة القوم إذا نووا الاقتداء ، ونالوا فضل القدوة ، وهو لاينال فضل الإمامة . وليؤخر المأموم تكبيره عن تكبيرة الامام ، فيبتدىء بعد فراغه . والله أعلم

وأما وظائف القراءة فثلاثة :

أولها : أن يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ، ويجهر بالفاتحة والسورة بعدها فى جميع الصبح واولي العشاء والمغرب ، وكذلك المنفرد . ويجهر بقوله : آمين فى الصلاة الجهرية ، وكذا المأموم ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الإمام معا لاتعقيبا [٤] ، ويجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والاخبار فيه متعارضة [٥] . واختيار الشافعى رضى الله عنه الجهر

---

(١) حديث يمهل المؤذن بين الأذان والأقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره : ت ك من حديث جابر يابلال اجعل بين أذانك واقامتك قدرما يفرغ الآكل من أكله والشارب من شربه والمعتصر إذا دخل لقضاء حاجته قال ت اسناده مجهول وقال ك ليس فى اسناده مطعون فيه غير عمرو بن قايد قلت بل فيه عبد المنعم الدياجى منكر الحديث قاله خ وغيره

(٢) حديث النهى عن مدافعة الأخبثين م من حديث عائشة بلفظ لاصلاة وللبيهقى لايصلين أحدكم الحديث

(٣) حديث الأمر بتقديم العشاء على العشاء تقدم من حديث ابن عمر وعائشة إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤا بالعشاء متفق عليه

(٤) حديث الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قط ك وصححه من حديث ابن عباس

(٥) حديث ترك الجهر بها م من حديث أنس صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر فلم أسمع أحدا منهم يقرأ ببسم الله الرحمن الرحيم وللنسائى يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم

الثانيه : أن يكون للأمام فى القيام ثلاث سكتات . هكذا رواه [١] سُمرة بن جُنْدُب وعِمْران بن الحُصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (أولاهن) إذا كبر وهى الطولى منهنّ مقدار مايقرأ مَن خلفه فاتحة الكتاب ، وذلك وقت قراءته لدعاء الاستفتاح ، فانه إن لم يسكت يفوتهم الاستماع ، فيكون عليه مانقص من صلاتهم ، فان لم يقرءوا الفاتحة فى سكوته واشتغلوا بغيرها فذلك عليه لاعليهم (السكة الثانية) إذا فرغ من الفاتحة ليتم من يقرأ الفاتحة فى السكتة الأولى فاتحته ، وهى كنصف السكتة الأولى (السكتة الثالثة) إذا فرغ من السورة قبل أن يركع ، وهى أخفها ، وذلك بقدر ماتنفصل القراءة عن التكبير ، فقد نهى عن الوصل فيه ، ولا يقرأ المأموم وراء الامام إلا الفاتحة ، فان لم يسكت الامام قرأ فاتحة الكتاب معه ، والمقصر هو الامام ، وإن لم يسمع المأموم فى الجهرية لبعده أو كان فى السرية فلا بأس بقراءته السورة

الوظيفة الثالثة : أن يقرأ فى الصبح سورتين من المثانى مادون المائة ، فان الاطالة فى قراءة الفجر والتغليس بها سنة ، ولا يضره الخروج منها مع الإسفار ، ولا بأس بأن يقرأ فى الثانية بأواخر السور نحو الثلاثين أو العشرين إلى أن يختمها ، لأن ذلك لا يتكرر على الأسماع كثيرا ، فيكون أبلغ فى الوعظ ، وأدعى إلى التفكر ، وإنما كره بعض العلماء قراءة بعض أول السورة وقطعها . وقد روى « أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم [٢] قَرَأَ بَعْضَ سُورَةِ يُونُسَ

---

(١) حديث سمرة بن جندب وعمران بن حصين فى سكتات الأمام أحمد من حديث سمرة قال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سكتات فى صلاته وقال عمران أنا أحفظهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبوا فى ذلك الى أبى بن كعب فكتب أن سمرة قد حفظ هكذا وجدته فى غير نسخة صحيحة من المسند والمعروف ان عمران أنكر ذلك على سمرة هكذا فى غير موضع من المسند و د ه حب و ت فأنكر ذلك عمران وقال حفظا سكتة وقال حديث حسن انتهى وليس فى حديث سمرة الاسكتتان ولكن اختلف عنه فى محل الثانية فروى عنه بعد الفاتحة وروى عنه بعد السورة ولقط من حديث أبى هريرة وضعفه من صلى صلاة مكتوبة مع الأمام فليقرأ بفاتحة الكتاب فى سكتاته

(٢) حديث قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى إلى ذكر موسى وفرعون قطع وركع م من حديث عبدالله بن السائب وقال سورة المؤمنين وقال موسى وهرون وعلقه خ

فَلَمَّا انتَهَى إِلَى ذِكْرِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ قَطَعَ فَرَكَعَ » وروى « أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم[1] قَرَأَ فِى ٱلْفَجْرِ آيَةً مِنَ ٱلْبَقَرَةِ وهى قوله : (قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا *) وفى الثانية (رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ *) »[2] وسمع بلالا يقرأ من هاهنا وهاهنا فسأله عن ذلك فقال : أخلط الطيب بالطيب فقال : أَحْسَنْتُ

ويقرأ فى الظهر بطول المفصل إلى ثلاثين آية ، وفى العصر بنصف ذلك ، وفى المغرب بأواخر المفصل

وآخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] ٱلْمَغْرِبِ قرأ فيها سورة ٱلْمُرْسَلَاتِ ماصلى بعدها حتى قبض

وبالجملة التخفيف أولى لاسيما إذا كثر الجمع ، قال صلى الله عليه وسلم فى هذه الرخصة[4] « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَٱلْكَبِيرَ وَذَا ٱلْحَاجَةِ » وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء وقد « كَانَ[5] مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يُصَلِّى بِقَوْمِ ٱلْعِشَاءَ ، فَقَرَأَ ٱلْبَقَرَةَ ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الصَّلَاةِ وَأَتَمَّ لِنَفْسِهِ ، فَقَالُوا : نَافَقَ الرَّجُلُ ! فَتَشَاكَيَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَزَجَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مُعَاذاً فَقَالَ : أَفَتَّانٌ أَنْتَ يَا مُعَاذُ ! اقْرَأْ سُورَةَ سَبِّحْ ، وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ، وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا »

---

(١) حديث قرأ فى الفجر ـ قولوا آمنا بالله ـ الآية وفى الثانية ـ ربنا آمنا بما أنزلت ـ م من حديث ابن عباس كان يقرأ فى ركعتى الفجر فى الأولى منهما ـ قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا ـ الآية التى فى البقرة وفى الآخرة منهما ـ آمنا بالله واشهدوا بأنا مسلمون ـ و د من حديث أبى هريرة ـ قل آمنا بالله وما أنزل علينا ـ الآية وفى الركعة الآخرة ـ ربنا آمنا بما أنزلت أو إنا أرسلناك بالحق ـ

(٢) حديث سمع بلالا يقرأ من هاهنا ومن هاهنا فسأله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال أحسنت د من حديث أبى هريرة باسناد صحيح نحوه

(٣) حديث قراءته فى المغرب بالمرسلات وهى آخر صلاة صلاها متفق عليه من حديث أم الفضل

(٤) حديث إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف. الحديث: متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٥) حديث صلى معاذ بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة. الحديث: متفق عليه من حديث جابر وليس فيه ذكر والسماء والطارق وهى عند البيهقى

---

* البقرة : ١٣٦ * آل عمران : ٥٣

وأما وظائف الأركان فثلاثة :

أولها : أن يخفف الركوع والسجود ، فلا يزيد فى التسبيحات على ثلاث ، فقد روى عن أنس أنه قال [١] « مَا رَأَيْتُ أَخَفَّ صَلَاةً مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِى تَمَامٍ » نعم روى أيضا أن أنس بن مالك [٢] لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أميراً بالمدينة قال « مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَحَدٍ أَشْبَهَ صَلَاةً بِصَلَاةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ هَذَا الشَّابِّ. قَالَ : وَكُنَّا نُسَبِّحُ وَرَاءَهُ عَشْراً عَشْراً » وروى مجملا أنهم قالوا [٣] « كُنَّا نُسَبِّحُ وَرَاءَ رَسُولِ صلى الله عليه وسلم فِى الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ عَشْراً عَشْراً » وذلك حسن ، ولكن الثلاث إذا كثر الجمع أحسن ، فاذا لم يحضر إلا المتجردون للدين فلا بأس ، لعشر . هذا وجه الجمع بين الروايات . وينبغى أن يقول الامام عند رفع رأسه من الركوع : سمع الله لمن حمده

الثانية فى المأموم : ينبغى أن لايساوى الامام فى الركوع والسجود بل يتأخر ، فلايهوى للسجود الا إذا وصلت جبهة الامام إلى المسجد [٤] هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولايهوى للركوع حتى يستوى الامام راكعا . وقد قيل : إن الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام : طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد الامام ، وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساوونه ، وطائفة بلاصلاة وهم الذين يسابقون الأمام . وقد اختلف فى أن الإمام فى الركوع هل ينتظر لحوق من يدخل لينال فضل الجماعة وإدراكهم لتلك الركعة : ولعل الأولى أن ذلك مع الاخلاص لابأس به إذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين ، فإن حقهم مرعى فى ترك التطويل عليهم

الثالثة : لايزيد فى دعاء التشهد على مقدار التشهد حذرا من التطويل ، ولا يخص نفسه

---

(١) حديث أنس مارأيت أخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تمام متفق عليه

(٢) حديث أنس انه صلى خلف عمر بن عبد العزيز فقال ماصليت وراء أحد أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب الحديث: د ن باسناد جيد وضعفه ابن القطان

(٣) حديث كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الركوع والسجود عشرا لم أجد له أصلا الافى الحديث الذى قبله وفيه فخررنا فى ركوعه عشر تسبيحات وفى سجوده عشر تسبيحات

(٤) حديث كان الصحابة لايهوون للسجود الا إذا وصلت جبهة النبى صلى الله عليه وسلم إلى الأرض متفق عليه من حديث البراء بن عازب

فى الدعاء ، بل يأتى بصيغة الجمع فيقول : اللهم اغفر لنا ، ولا يقول : اغفر لى ، فقد كره للامام أن يخص نفسه . ولا بأس أن يستعيذ فى التشهد بالكلمات الخمس المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] فيقول : « نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَاقْبِضْنَا إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونِينَ » . وقيل سمى مسيحا لأنه يمسح الأرض بطولها . وقيل لأنه ممسوح العين أى مطموسها

وأما وظائف التحلل فثلاثة :

أولها : أن ينوى بالتسليمتين السلام على القوم والملائكة

الثانية : أن يثبت عقيب السلام [2] كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، فيصلى النافلة فى موضع آخر ، فإن كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن . وفى الخبر المشهور « أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم [3] لَمْ يَكُنْ يَقْعُدُ إِلَّا قَدْرَ قَوْلِهِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ »

الثالثة : إذا وثب فينبغى أن يقبل بوجهه على الناس . ويكره للمأموم القيام قبل انفتال الإمام ، فقد روى عن طلحة والزبير رضى الله عنهما أنهما صليا خلف إمام فلما سلما قالا للامام : ما أحسن صلاتك وأتمها إلا شيئاً واحدا : إنك لما سلمت لم تنفتل بوجهك ، ثم قالا للناس : ما أحسن صلاتكم إلا أنكم انصرفتم قبل أن ينفتل إمامكم ! ثم ينصرف الامام حيث شاء من يمينه وشماله ، واليمين أحب . هذه وظيفة الصلوات

---

(١) حديث التعوذ فى التشهد من عذاب جهنم وعذاب القبر الحديث : تقدم وزاد فيه الغزالى هنا واذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين . ولم أجده مقيدا بآخر الصلاة والترمذى من حديث ابن عباس واذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون وله نحوه من حديث ثوبان . وعبد الرحمن بن عايش وصححهما وسيأتى فى الدعاء

(٢) حديث المكث بعد السلام خ من حديث أم سلمة

(٣) حديث انه لم يكن يقعد الا بقدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام : م من حديث عائشة

وأما الصبح فزيد فيها القنوت ، فيقول الامام : اللهم اهدنى ، ويؤمن المأموم . فإذا انتهى إلى قوله : إنك تقضى ولا يقضى عليك ، فلا يليق به التأمين، وهو ثناء فيقرأ معه فيقول مثل قوله أو يقول : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين، أو صدقت وبررت ، وما أشبه ذلك وقد روى حديث[1] فى رفع اليدين فى القنوت، فإذا صح الحديث استحب ذلك وإن كان على خلاف الدعوات فى آخر التشهد ، اذ لا يرفع بسببها اليد ، بل التعويل على التوقيف ، وبينهما أيضا فرق ، وذلك أن للأيدى وظيفة فى التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ، ولا وظيفة لهما هاهنا ، فلا يبعد أن يكون رفع اليدين هو الوظيفة فى القنوت ، فانه لائق بالدعاء . والله أعلم

فهذه جمل آداب القدوة والامامة ، والله الموفق

الباب الخامس

فى فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها

فضيلة الجمعة

اعلم أن هذا يوم عظيم عظّم الله به الإسلام وخصص به المسلمين . قال الله تعالى : (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ *) فحرّم الاشتغال بأمور الدنيا ، وبكل صارف عن السعى إلى الجمعة . وقال صلى الله عليه وسلم :[2] « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْجُمُعَةَ فِى يَوْمِى هَذَا فِى مَقَامِى هَذَا » وقال صلى الله عليه سلم :[3] « مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثًا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ » وفى لفظ آخر[4] « فَقَدْ نَبَذَ

---

(١) حديث رفع اليدين فى القنوت: البيهقى من حديث أنس بسند جيد فى قصة قتل القراء : ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما صلى الغداة رفع يديه يدعو عليهم

﴿ الباب الخامس ﴾

(٢) حديث ان الله فرض عليكم الجمعة فى يومى هذا ـ الحديث هـ من حديث جابر باسناد ضعيف

(٣) حديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه: أحمد واللفظ له وأصحاب السنن ولك وصححه من حديث أبى الجعد الضمرى

(٤) حديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره: البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس

* الجمعة : ٩

الْإِسْلَامَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ » واختلف رجل إلى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة ، فقال : في النار ، فلم يزل يتردد إليه شهراً يسأله عن ذلك وهو يقول : في النار

وفي الخبر[1] « إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ أُعْطُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ فَصُرِفُوا عَنْهُ وَهَدَانَا اللهُ تَعَالَى لَهُ ، وَأَخَّرَهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ وَجَعَلَهُ عِيداً لَهُمْ فَهُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِهِ سَبْقاً وَأَهْلُ الْكِتَابَيْنِ لَهُمْ تَبَعٌ » وفي حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : [2] « أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كَفِّهِ مِرْآةٌ بَيْضَاءُ ، وَقَالَ هَذِهِ الْجُمُعَةُ يَفْرِضُهَا عَلَيْكَ رَبُّكَ لِتَكُونَ لَكَ عِيداً وَلِأُمَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ ، قُلْتُ فَمَا لَنَا فِيهَا ؟ قَالَ : لَكُمْ فِيهَا خَيْرُ سَاعَةٍ مَنْ دَعَا فِيهَا بِخَيْرٍ قُسِمَ لَهُ أَعْطَاهُ اللهُ سُبْحَانَهُ إِيَّاهُ أَوْ لَيْسَ لَهُ قَسْمٌ ذُخِرَ لَهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ ، أَوْ تَعَوَّذَ مِنْ شَرٍّ هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ إِلَّا أَعَاذَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَعْظَمَ مِنْهُ وهو سَيِّدُ الأيامِ عِنْدَنَا وَنَحْنُ نَدْعُوهُ فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ الْمَزِيدِ ، قُلْتُ : وَلِمَ ؟ قَالَ : إِنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ اتَّخَذَ فِي الْجَنَّةِ وَادِياً أَفْيَحَ مِنَ الْمِسْكِ ، أَبْيَضَ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ نَزَلَ تَعَالَى مِنْ عِلِّيِّينَ عَلَى كُرْسِيِّهِ فَيَتَجَلَّى لَهُمْ حَتَّى يَنْظُرُوا إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ »

وقال صلى الله عليه وسلم : [3] « خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ : فِيهِ خُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ ، وَفِيهِ أُهْبِطَ إِلَى الْأَرْضِ ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ ، وَفِيهِ مَاتَ ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ ، وَهُوَ عِنْدَ اللهِ يَوْمُ الْمَزِيدِ ، كَذَلِكَ تُسَمِّيهِ الْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ ، وَهُوَ يَوْمُ النَّظَرِ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي الْجَنَّةِ »

وفي الخبر[4] « إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ سِتَّمِائَةِ أَلْفِ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ » وفي حديث

---

(١) حديث ان أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبي هريرة بنحوه

(٢) حديث أنس أتاني جبريل في كفه مرآة بيضاء فقال هذه الجمعة ـ الحديث : الشافعي في المسند والطبراني في الأوسط وابن مردويه في التفسير بأسانيد ضعيفة مع اختلاف

(٣) حديث خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ـ الحديث : م من حديث أبي هريرة

(٤) حديث ان لله في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار : عد حب في الضعفاء وهب في الشعب من حديث أنس قال قط في العلل : والحديث غير ثابت

أنس رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم[١] قال : « إِذَا سَلِمَتِ الْجُمُعَةُ سَلِمَتِ الْأَيَّامُ »
وقال صلى الله عليه وسلم :[٢] « إِنَّ الْجَحِيمَ تُسَعَّرُ فِي كُلِّ يَوْمٍ قَبْلَ الزَّوَالِ عِنْدَ اسْتِوَاءِ الشَّمْسِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ فَلَا تَصَلُّوا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَإِنَّهُ صَلَاةٌ كُلُّهُ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَا تُسَعَّرُ فِيهِ »

وقال كعب إن الله عز وجل فضّل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ، ومن الأيام الجمعة ، ومن الليالى ليلة القدر . ويقال إن الطير والهوام يلقى بعضها بعضاً فى يوم الجمعة فتقول : سلام سلام ، يوم صالح . وقال صلى الله عليه وسلم :[٣] « مَنْ مَاتَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ كَتَبَ اللهُ لَهُ أَجْرَ شَهِيدٍ ، وَوُقِيَ فِتْنَةَ الْقَبْرِ »

بيان شروط الجمعة

اعلم أنها تشارك جميع الصلوات فى الشروط ، وتتميز عنها بستة شروط :

الأول: الوقت ، فان وقعت تسليمة الامام فى وقت العصر فاتت الجمعة ، وعليه أن يتمها ظهرا أربعا . والمسبوق إذا وقعت ركعته الأخيرة خارجا من الوقت ففيه خلاف

الثانى: المكان ، فلا تصح فى الصحارى والبرارى وبين الخيام ، بل لابد من بقعة جامعة لأبنية لاتنقل ، بجمع أربعين ممن تلزمهم الجمعة ، والقرية فيه كالبلد ، ولا يشترط فيه حضور السلطان ولا إذنه ، ولكن الأحب استئذانه

الثالث : العدد، فلا تنعقد بأقل من أربعين ذكورا ، مكلفين ، أحراراً ، مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفا ، فان انفضوا حتى نقص العدد إما فى الخطبة أو فى الصلاة ، لم تصح الجمعة ، بل لابد منهم من الأول إلى الآخر

---

(١) حديث أنس اذا سلمت الجمعة سلمت الأيام: حب فى الضعفاء وأبو نعيم فى الحلية وهق فى الشعب من حديث عائشة ولم أجده من حديث أنس

(٢) حديث ان الجحيم تسعر كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس الى أن قال الا يوم الجمعة الحديث: د من حديث أبى قتادة وأعله بالانقطاع

(٣) حديث من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر: أبو نعيم فى الحلية من حديث جابر وهو و ت نحوه مختصرا من حديث عبد الله بن عمر وقال غريب ليس اسناده بمتصل. قلت وصله ت الحكيم فى النوادر .

الرابع : الجماعة ، فلو صلى أربعون فى قرية أو فى بلد متفرقين لم تصح جمعتهم ، ولكن المسبوق إذا أدرك الركعة الثانية جاز له الانفراد بالركعة الثانية ، وإن لم يدرك ركوع الركعة الثانية افتدى ونوى الظهر ، وإذا سلم الامام تمها ظهرا

الخامس : أن لا تكون الجمعة مسبوقة بأخرى فى ذلك البلد ، فان تعذر اجتماعهم فى جامع واحد جاز فى جامعين وثلاثة وأربعة بقدر الحاجة ، وإن لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التى يقع بها التحريم أولا ، وإذا تحققت الحاجة فالأفضل الصلاة خلف الأفضل من الامامين ، فان تساويا فالمسجد الأقدم ، فان تساويا ففى الأقرب ، ولكثرة الناس أيضا فضل يراعى

السادس : الخطبتان ، فهما فريضتان ، والقيام فيهما فريضة ، والجلسة بينهما فريضة . وفى الأولى أربع فرائض : التحميد ، وأقله الحمد لله ، والثانية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ والثالثة الوصية بتقوى الله سبحانه وتعالى ، والرابعة قراءة آية من القرءان ، وكذا فرائض الثانية أربعة ، إلا أنه يجب فيها الدعاء بدل القراءة ، واستماع الخطبتين واجب من الأربعين

وأما السنن :

فاذا زالت الشمس وأذن المؤذن وجلس الامام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية ، والكلام لا ينقطع إلا بافتتاح الخطبة ، ويسلم الخطيب على الناس إذا أقبل عليهم بوجهه ويردون عليه السلام ، فاذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه لا يلتفت يمينا ولا شمالا ، ويشغل يديه بقائم السيف أو العنزة والمنبر ، كى لا يعبث بهما ، أو يضع إحداهما على الأخرى ، ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة ، ولا يستعمل غريب اللغة ، ولا يمطط ، ولا يتغنى ، وتكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة . ويستحب أن يقرأ آية فى الثانية أيضا ، ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب ، فان سلم لم يستحق جوابا ، والاشارة بالجواب حسن ، ولا يشمت العاطسين أيضا . هذه شروط الصحة

فأما شروط الوجوب فلا تجب الجمعة إلا على ذكر ، بالغ ، عاقل ، مسلم ، حر ، مقيم فى

قرية تشتمل على أربعين جامعين لهذه الصفات ، أو فى قرية من سواد البلد يبلغها نداء البلد من طرف يليها ، والأصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت ، لقوله تعالى : (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ *) ويرخص لهؤلاء فى ترك الجمعة لعذر المطر والوحل والفزع والمرض والتمريض إذا لم يكن للمريض قيم غيره ، ثم يستحب لهم أعنى أصحاب الأعذار تأخير الظهر إلى أن يفرغ الناس من الجمعة ، فإن حضر الجمعة مريض أو مسافر أو عبد أو امرأة صحت جمعتهم وأجزأت عن الظهر . والله أعلم

بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة

وهى عشرة جمل

الأول : أن يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لفضلها ، فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد العصر يوم الخميس ، لأنها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة فى يوم الجمعة . قال بعض السلف : إن لله عز وجل فضلا سوى أرزاق العباد لا يعطى من ذلك الفضل إلا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة . ويغسل فى هذا اليوم ثيابه ويبيضها ، ويعد الطيب إن لم يكن عنده ، ويفرغ قلبه من الأشغال التى تمنعه من البكور إلى الجمعة ، وينوى فى هذه الليلة صوم يوم الجمعة فإن له فضلا ، وليكن مضموما إلى يوم الخميس أو السبت لا مفردا ، فإنه مكروه . ويشتغل بإحياء هذه الليلة بالصلاة وختم القرءان ، فلها فضل كثير ، وينسحب عليها فضل يوم الجمعة ، ويجامع أهله فى هذه الليلة أو فى يوم الجمعة ، فقد استحب ذلك قوم حملوا عليه قوله صلى الله عليه وسلم (١) « رَحِمَ اللَّهُ مَنْ بَكَّرَ وَابْتَكَرَ وَغَسَّلَ وَاغْتَسَلَ » وهو حمل الأهل على الغسل . وقيل : معناه غسل ثيابه ، فروى بالتخفيف ، واغتسل لجسده . وبهذا تم آداب الاستقبال ، ويخرج من زمرة الغافلين الذين إذا أصبحوا قالوا : ماهذا اليوم ؟ قال بعض السلف : أو فى الناس نصيبا من الجمعة من انتظرها ورعاها من الأمس ، وأخفهم نصيبا من إذا أصبح يقول إيش اليوم ؟ وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة فى الجامع لأجلها

---

(١) حديث رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل . الحديث : أصحاب السنن . وحسنه وصححه من حديث أوس بن أوس . من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر . الحديث وحسنه

* الجمعة : ٩

الثانى : إذا أصبح ابتدأ بالغسل بعد طلوع الفجر ، وإن كان لا يبكر فأقربه إلى الرواح أحب ، ليكون أقرب عهدا بالنظافة ، فالغسل مستحب استحبابا مؤكدا . وذهب بعض العلماء إلى وجوبه ، قال صلى الله عليه وسلم: (١) « غُسْلُ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ » والمشهور من حديث نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما (٢) « مَنْ أَتَى الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ » وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « مَنْ شَهِدَ الْجُمُعَةَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فَلْيَغْتَسِلْ » وكان أهل المدينة إذا تسابَّ المتسابان يقول أحدهما للآخر : لأنت أشر ممن لا يغتسل يوم الجمعة (٤) وقال عمر لعثمان رضى الله عنهما لما دخل وهو يخطب : أهذه الساعة ! منكرا عليه ترك البكور، فقال : ما زدت بعد أن سمعت الأذان على أن توضأت وخرجت ، فقال : والوضوء أيضاً وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا بالغسل !

وقد عرف جواز ترك الغسل بوضوء عثمان رضى الله عنه ، وبما روى أنه صلى الله عليه وسلم (٥) قال « مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَبِهَا وَنِعْمَتْ وَمَنِ اغْتَسَلَ فَالْغُسْلُ أَفْضَلُ » ومن اغتسل للجنابة فليفض الماء على بدنه مرة أخرى على نية غسل الجمعة ، فان اكتفى بغسل واحد أجزأه وحصل له الفضل إذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة فى غسل الجنابة . وقد دخل بعض الصحابة على ولده وقد اغتسل فقال له : ألجمعة ؟ فقال : بل عن الجنابة ، فقال أعد غسلا ثانياً ، وروى الحديث فى غسل الجمعة على كل محتلم ، وإنما أمره به لأنه لم يكن نواه . وكان لا يبعد أن يقال : المقصود النظافة وقد حصلت دون النية ، ولكن هذا ينقدح فى الوضوء أيضا ، وقد جعل فى الشرع قربة فلا بد من طلب فضلها . ومن اغتسل ثم أحدث توضأ ولم يبطل غسله ، والأحب أن يحترز عن ذلك .

---

(١) حديث غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم : متفق عليه من حديث أبى سعيد

(٢) حديث نافع عن ابن عمر من أتى الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل : متفق عليه . وهذا لفظ حب

(٣) حديث من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا : حب وهق من حديث ابن عمر

(٤) حديث قال عمر لعثمان لما دخل وهو يخطب أهذه الساعة ـ الحديث: الى أن قال والوضوء أيضا وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل: متفق عليه من حديث أبى هريرة ولم يسم البخارى وعثمان

(٥) حديث من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ـ الحديث: د ت وحسنه و ن من حديث سمرة

الثالث : الزينة وهي مستحبة في هذا اليوم ، وهي ثلاثة : الكسوة ، والنظافة ، وتطييب الرائحة

أما النظافة فبالسواك ، وحلق الشعر ، وقلم الظفر وقص الشارب ، وسائر ماسبق في كتاب الطهارة . قال ابن مسعود : من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله عز وجل منه داء وأدخل فيه شفاء ، فان كان قد دخل الحمام في الخميس أو الأربعاء فقد حصل المقصود ، فليتطيب في هذا اليوم بأطيب طيب عنده ، ليغلب بها الروائح الكريهة ، ويوصل بها الروح والرائحة إلى مشام الحاضرين في جواره . [1] وأحب طيب الرجال ماظهر ريحه وخفي لونه ، وطيب النساء ماظهر لونه وخفي ريحه . روى ذلك في الأثر . وقال الشافعي رضي الله عنه : من نظف ثوبه قل همه ، ومن طاب ريحه زاد عقله

وأما الكسوة فأحبها البياض من الثياب ، إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البيض ، ولا يلبس ما فيه شهرة ، ولبس السواد ليس من السنة ، ولا فيه فضل بل كره جماعة النظر اليه لأنه بدعة محدثه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والعمامة مستحبة في هذا اليوم [2] روى واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى أَصْحَابِ الْعَمَائِمِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ » فإن أكربه الحر فلا بأس بنزعها قبل الصلاة وبعدها ، ولكن لاينزع في وقت السعي من المنزل إلى الجمعة ، ولا في وقت الصلاة ، ولا عند صعود الامام المنبر ولا في خطبته

الرابع : البكور إلى الجامع ، ويستحب أن يقصد الجامع من فرسخين ، وثلاث ، وليبكر . ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر ، وفضل البكور عظيم . وينبغي أن يكون في سعيه إلى الجمعة خاشعا متواضعا ناويا للاعتكاف في المسجد إلى وقت الصلاة قاصداً للمبادرة إلى جواب نداء الله عز وجل إلى الجمعة إياه ، والمسارعة إلى مغفرته ورضوانه.

---

(١) حديث طيب الرجال ماظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه: د ت وحسنه و ن من حديث أبي هريرة

(٢) حديث واثلة بن الأسقع ان الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة: ط وعد وقال منكر من حديث أبي الدرداء ولم أره من حديث واثلة

وقد قال صلى الله عليه وسلم : (١) « مَنْ رَاحَ إِلَى الْجُمُعَةِ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشاً أَقْرَنَ ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا أَهْدَى دَجَاجَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا أَهْدَى بَيْضَةً ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ طُوِيَتِ الصُّحُفُ وَرُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَاجْتَمَعَتِ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ الْمِنْبَرِ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ ، فَمَنْ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ فَإِنَّمَا جَاءَ لِحَقِّ الصَّلَاةِ لَيْسَ لَهُ مِنَ الْفَضْلِ شَيْءٌ » والساعة الأولى إلى طلوع الشمس ، والثانية إلى ارتفاعها ، والثالثة إلى انبساطها حين ترمض الأقدام ، والرابعة والخامسة بعد الضحى الأعلى إلى الزوال ، وفضلهما قليل ، ووقت الزوال حق الصلاة ، ولا فضل فيه

وقال صلى الله عليه وسلم : (٢) « ثَلَاثٌ لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِيهِنَّ لَرَكَضُوا رَكْضَ الْإِبِلِ فِي طَلَبِهِنَّ : الْأَذَانُ ، وَالصَّفُّ الْأَوَّلُ ، وَالْغُدُوُّ إِلَى الْجُمُعَةِ » وقال أحمد بن حنبل رضى الله عنه : أفضلهن الغدو إلى الجمعة . وفى الخبر: (٣) « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ قَعَدَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ بِأَيْدِيهِمْ صُحُفٌ مِنْ فِضَّةٍ وَأَقْلَامٌ مِنْ ذَهَبٍ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ » وجاء فى الخبر : (٤) « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَتَفَقَّدُونَ الرَّجُلَ إِذَا تَأَخَّرَ عَنْ وَقْتِهِ

---

(١) حديث من راح الى الجمعة فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ـ الحديث متفق عليه : من حديث أبى هريرة وليس فيه ورفعت الأقلام وهذه اللفظة عند البيهقي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده

(٢) حديث ثلاث لو يعلم الناس مافيهن لركضوا ركض الابل فى طلبهن الأذان والصف الأول والغدو الى الجمعة : أبو الشيخ فى ثواب الأعمال من حديث أبى هريرة ثلاث لو يعلم الناس مافيهن ما أخذته الا بالاستهام عليها حرصا على مافيهن من الخير والبركة ـ الحديث قال والتهجير الى الجمعة وفى الصحيحين من حديثه لو يعلم الناس مافى النداء والصف الأول ثم لم يجدوا الا أن يستهموا لاستهموا ولو يعلمون مافى التهجير لاستبقوا اليه

(٣) حديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب ـ الحديث ابن مردويه فى التفسير من حديث على باسناد ضعيف اذا كان يوم الجمعة نزل جبريل فركز لواء بالمسجد الحرام وغدا سائر الملائكة الى المساجد التى يجمع فيها يوم الجمعة فركزوا ألويتهم وراياتهم بباب المساجد ثم نشروا قراطيس من فضة وأقلاما من ذهب

(٤) حديث ان الملائكة يتفقدون العبد اذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضاً مافعل فلان

يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَيَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً عَنْهُ : مَا فَعَلَ فُلاَنٌ وَمَا الَّذِى أَخَّرَهُ عَنْ وَقْتِهِ ؟ فَيَقُولُونَ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَخَّرَهُ فَقْرٌ فَاغْنِهِ ، وَإِنْ كَانَ أَخَّرَهُ مَرَضٌ فَاشْفِهِ ، وَإِنْ كَانَ أَخَّرَهُ شُغْلٌ فَفَرِّغْهُ لِعِبَادَتِكَ ، وَإِنْ كَانَ أَخَّرَهُ لَهْوٌ فَأَقْبِلْ بِقَلْبِهِ إِلَى طَاعَتِكَ »

وكان يرى فى القرن الأول سحرا وبعد الفجر الطرقات مملوءة من الناس يمشون فى السرج ، ويزدحمون بها إلى الجامع كأيام العيد حتى اندرس ذلك . فقيل : أول بدعة حدثت فى الإسلام ترك البكور إلى الجامع ، وكيف لا يستحى المسلمون من اليهود والنصارى وهم يبكرون إلى البيع والكنائس يوم السبت والأحد ، وطلاب الدنيا كيف يبكرون إلى رحاب الأسواق للبيع والشراء والربح ، فلم لا يسابقهم طلاب الآخرة

ويقال إن الناس يكونون فى قربهم عند النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى على قدر بكورهم إلى الجمعة . ودخل ابن مسعود رضى الله عنه بكرة الجامع فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور ، فاغتم لذلك وجعل يقول فى نفسه معاتبا لها : رابع أربعة ، وما رابع أربعة من البكور ببعيد

الخامس : فى هيئة الدخول ، ينبغى أن لا يتخطى رقاب الناس ، ولا يمر بين أيديهم ، والبكور يسهل ذلك عليه ، فقد ورد وعيد شديد [1] فى تخطى الرِّقَابِ وهو أنه يُجْعَلُ جِسْراً يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَخَطَّاهُ النَّاسُ [2] وروى ابن جريج مرسلا : « أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَمَا هُوَ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِذْ رَأَى رَجُلاً يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ حَتَّى تَقَدَّمَ فَجَلَسَ فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم صَلاَتَهُ عَارَضَ الرَّجُلَ حَتَّى لَقِيَهُ فَقَالَ : يَا فُلاَنُ مَامَنَعَكَ أَنْ تُجَمِّعَ الْيَوْمَ مَعَنَا ؟ قَالَ : يَا نَبِيَّ اللهِ قَدْ جَمَّعْتُ مَعَكُمْ . فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : أَلَمْ تَرَكَ تَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ !؟ » أشار به إلى أنه أحبط عمله

هق من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مع زيادة ونقص باسناد حسن واعلم أن المصنف ذكر هذ أثرا فان لم يرد به حديثا مرفوعا فليس من شرطنا وانما ذكرناه احتياطا

(١) حديث من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا الى جهنم: ت وضعفه و هـ من حديث معاذ بن أنس

(٢) حديث ابن جريج مرسلا أن النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب اذ رآى رجلا يتخطى رقاب الناس الحديث وفيه مامنعك أن تجمع معنا اليوم ابن المبارك فى الرقائق

وفى حديث مسند أنه قال : (١) « مَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَنَا ؟ قَالَ : أَوَلَمْ تَرَنِي يَا رَسُولَ اللهِ ؟ » فقال صلى الله عليه وسلم : رَأَيْتُكَ تَأَنَّيْتَ وَآذَيْتَ » : أى تأخرت عن البكور وآذيت الحضور . ومهما كان الصف الأول متروكا خاليا فله أن يتخطى رقاب الناس ، لأنهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة . قال الحسن : تخطوا رقاب الناس الذين يقعدون على أبواب الجوامع يوم الجمعة فانه لا حرمة لهم . وإذا لم يكن فى المسجد إلا من يصلى فينبغى أن لا يسلم لأنه تكليف جواب فى غير محله

السادس : أن لا يمر بين يدى الناس ويجلس حيث هو إلى قرب اسطوانة أو حائط حتى لا يمرون بين يديه ، أعنى بين يدى المصلى ، فإن ذلك لا يقطع الصلاة ، ولكنه منهى عنه ، قال صلى الله عليه وسلم (٢) : « لَأَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ عَاماً خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي » وقال صلى الله عليه وسلم : (٣) « لَأَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ رَمَاداً رَمْدِيداً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي » وقد روى فى حديث آخر فى المار والمصلى حيث صلى على الطريق أو قصر فى الدفع ، فقال : « لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي وَالْمُصَلِّي مَا عَلَيْهِمَا فِي ذَلِكَ لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ سَنَةً خَيْراً لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ » والإسطوانة والحائط والمصلى المفروش حد للمصلى ، فمن اجتاز به فينبغى أن يدفعه ، قال صلى الله عليه وسلم : (٤) « لِيَدْفَعْهُ فَإِنْ أَبَى فَلْيَدْفَعْهُ فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ »

وكان أبو سعيد الخضرى رضى الله عنه يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه ، فربما

---

(١) حديث مامنعك أن تصلى معنا فقال أولم ترنى قال رأيتك آنيت وآذيت : د ن حب ك من حديث عبد الله بن بسر مختصرا

(٢) حديث لأن يقف أربعين سنة خير له من أن يمر بين يدى المصلى : البزار من حديث زيد بن خالد وفى الصحيحين من حديث أبى جهم أن يقف أربعين قال أبو النضر لاأدرى أربعين يوما أوشهراً أو سنة و ه وحب من حديث أبى هريرة مائة عام

(٣) حديث لأن يكون الرجل رمادا تذروه الرياح خير له من أن يمر بين يدى المصلى : أبو نعيم فى تاريخ اصبهان وابن عبد البر فى التمهيد موقوفا على عبد الله بن عمر وزاد متعمدا

(٤) حديث لو يعلم المار بين المصلى والمصلي ماعليها فى ذلك ـ الحديث : رواه هكذا أبو العباس محمد بن يحيى السراج فى مسنده من حديث زيد بن خالد باسناد صحيح

(٥) حديث أبى سعيد فليدفعه فان أبى فليقاتله فانما هو شيطان ـ متفق عليه

تعلق به الرجل فاستعدى عليه عند مروان ، فيخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بذلك فإن لم يجد اسطوانة فلينصب بين يديه شيئا طوله قدر ذراع ليكون ذلك علامة لحده

السابع: أن يطلب الصف الأول فإن فضله كثير كما رويناه وفي الحديث: (١) « مَنْ غَسَّلَ وَاغْتَسَلَ وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ وَاسْتَمَعَ كَانَ ذَلِكَ لَهُ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ وَزِيَادَةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ » وفي لفظ آخر: « غَفَرَ اللهُ لَهُ إِلَى الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى » (٢)

وقد اشترط في بعضها: ولم يتخط رقاب الناس

ولا يغفل في طلب الصف الأول عن ثلاثة أمور:

أولها: أنه إذا كان يرى بقرب الخطيب منكرا يعجز عن تغييره من لبس حرير أو غيره من الإمام أو غيره، أو صلى في سلاح كثير ثقيل شاغل، أو سلاح مذهب أو غير ذلك مما يجب فيه الإنكار، فالتأخر له أسلم وأجمع للهم. فعل ذلك جماعة من العلماء طلبا للسلامة. قيل لبشر بن الحارث: نراك تبكر وتصلي في آخر الصفوف. فقال: إنما يراد قرب القلوب لا قرب الأجساد، وأشار به إلى أن ذلك أقرب لسلامة قلبه. ونظر سفيان الثوري إلى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع إلى الخطبة من أبي جعفر المنصور، فلما فرغ من الصلاة قال: شغل قلبي قربك من هذا هل أمنت أن تسمع كلاما يجب عليك إنكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما أحدثوا من لبس السواد فقال يا أبا عبد الله أليس في الخبر (٣) أَدْنُ وَاسْتَمِعْ؟ فقال ويحك ذاك للخلفاء الراشدين المهديين فأما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر إليهم كان أقرب إلى الله عز وجل. وقال سعيد بن عامر: صليت إلى جنب أبي الدرداء فجعل يتأخر في الصفوف حتى كنا في آخر صف فلما صلينا قلت له: أليس يقال: خير الصفوف أولها؟

---

(١) حديث من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع ـ الحديث: ك من حديث أوس ابن أوس وأصله عند أصحاب السنن

(٢) حديث انه اشترط في بعضها ولم يتخط رقاب الناس: د حب ك من حديث أبي سعيد وابي هريرة وقال صحيح على شرط م

(٣) حديث أدن فاستمع: د من حديث سمرة أحضروا الذكر وادنوا من الامام وتقدم بلفظ من هجر ودنا واستمع وهو عند أصحاب السنن من حديث شداد

قال نعم [1] إلا أن : هذه الأمة : مرحومة منظور إليها من بين الأمم ، فإن الله تعالى إذا نظر إلى عبد فى الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس ، فانما تأخرت رجاء أن يغفر لى بواحد منهم ينظر الله إليه . وروى بعض الرواة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك . فمن تأخر على هذه النية إيثارا واظهارا لحسن الخلق فلا بأس . وعند هذا يقال : الأعمال بالنيات

ثانيها : إن لم تكن مقصورةٌ عند الخطيب مقتطعة عن المسجد للسلاطين فالصف الأوّل محبوب ، وإلا فقد كره بعض العلماء دخول المقصورة. كان الحسن وبكر المزنى لايصليان فى المقصورة ، ورأيا أنها قصرت على السلاطين ، وهى بدعة أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المساجد ، والمسجد مطلق لجميع الناس ، وقد اقتطع ذلك على خلافه ، وصلى أنس بن مالك وعمران بن حصين فى المقصورة ولم يكرها ذلك لطلب القرب . ولعل الكراهية تختص بحالة التخصيص والمنع . فأما مجرد المقصورة إذا لم يكن منع فلا يوجب كراهة

وثالثها : أن المنبر يقطع بعض الصفوف ، وإنما الصف الأوّل الواحد المتصل الذى فى فناء المنبر ، وما على طرفيه مقطوع . وكان الثورى يقول : الصف الأوّل هو الخارج بين يدى المنبر . وهو متجه لأنه متصل ، ولأن الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع منه . ولا يبعد أن يقال الأقرب إلى القبلة هو الصف الأوّل ، ولا يراعى هذا المعنى . وتكره الصّلاة فى الأسواق والرحاب الخارجة عن المسجد . وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب

الثامن : أن يقطع الصّلاة عند خروج الأمام ، ويقطع الكلام أيضاً بل يشتغل بجواب المؤذن ، ثم باستماع الخطبة ، وقد جرت عادة بعض العوام بالسجود عند قيام المؤذنين ، ولم يثبت له أصل فى أثر ولا خبر ، ولكنه إن وافق سجود تلاوة فلا بأس بها للدعاء ، لأنه وقت فاضل ، ولا يحكم بتحريم هذا السجود فإنه لا سبب لتحريمه .

---

(١) حديث أبى الدرداء إن هذه الأمة مرحومة منظور اليها من بين الأمم وإن الله اذا نظر الى عبد فى الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس ولم أجده

وقد روى عن على وعثمان رضى الله عنهما أنهما قالا: من استمع وأنصت فله أجران، ومن لم يستمع وأنصت فله أجر، ومن سمع ولغا فعليه وزران، ومن لم يستمع ولغا فعليه وزر واحد

وقال صلى الله عليه وسلم: (١) « مَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ أَنْصِتْ أَوْ مَهْ فقدْ لَغَا وَمَنْ لَغَا وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَلَا جُمُعَةَ لَهُ » وهذا يدل على أن الإسكات ينبغى أن يكون بإشارة أو رمى حصاة لا بالنطق وفى حديث أبى ذر: (٢) « أَنَّهُ لَمَّا سَأَلَ أُبَيًّا وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُ فَقَالَ مَتَى أُنْزِلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ أَنِ اسْكُتْ، فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهُ أُبَيٌّ اذْهَبْ فَلَا جُمُعَةَ لَكَ، فَشَكَاهُ أَبُو ذَرٍّ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: صَدَقَ أُبَيٌّ. وإن كان بعيداً من الإمام فلا ينبغى أن يتكلم فى العلم وغيره بل يسكت، لأن كل ذلك يتسلسل ويفضى إلى هينمة حتى ينتهى إلى المستمعين، ولا يجلس فى حلقة من يتكلم فمن عجز عن الاستماع بالبعد فلينصت فهو المستحب. وإذا كانت تكره الصلاة فى وقت خطبة الإمام فالكلام أولى بالكراهية وقال علىّ كرم الله وجهه: تكره الصلاة فى أربع ساعات: بعد الفجر، وبعد العصر، ونصف النهار، والصلاة والإمام يخطب

التاسع: أن يراعى فى قدوة الجمعة ما ذكرناه فى غيرها، فاذا سمع قراءة الامام لم يقرأ سوى الفاتحة، فإذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد لله سبع مرات قبل أن يتكلم، وقل هو الله أحد والمعوذتين سبعاً سبعاً. وروى بعض السلف أن من فعله عصم من الجمعة إلى الجمعة وكان حرزاً له من الشيطان

---

(١) حديث من قال لصاحبه والامام يخطب أنصت فقد لغا ومن لغا لاجمعة له: ت ن عن أبى هريرة د و ت قوله ومن لغا فلا جمعة له قال ت حديث حسن صحيح وهو فى الصحيحين بلفظ اذا قلت لصاحبك و د من حديث على من قال صه فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له

(٢) حديث أبى ذر لما سأل أبيا والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب وقال متى أنزلت هذه السورة ـ الحديث: هق وقال فى المعرفة أسناده صحيح د ه من حديث أبى بن كعب بسند صحيح ان السائل له أبو الدرداء وأبو ذر ولاحمد من حديث أبى الدرداء انه سأل أبيا ولابن حبان من حديث جابر أن السائل عبد الله بن مسعود ولأبى يعلى من حديث جابر قال: قال سعد بن أبى وقاص لرجل لا جمعة لك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: لم يا سعد فقال لأنه كان يتكلم وأنت تخطب فقال صدق سعد

ويستحب أن يقول بعد الجمعة : اللهم يا غنى يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود أغننى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك . يقال من داوم على هذا الدعاء أغناه الله سبحانه عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب . ثم يصلى بعد الجمعة ست ركعات ، فقد روى ابن عمر رضى الله عنهما : « أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم [٣] كَانَ يُصَلِّى بَعْدَ الْجُمُعَةِ رَكْعَتَيْنِ » وروى أبو هريرة أربعاً [٤] وروى على وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما ستا [٥] والكل صحيح فى أحوال مختلفة ، والأكمل أفضل

العاشر : أن يلازم المسجد حتى يصلى العصر ، فإن أقام إلى المغرب فهو الأفضل . يقال من صلى العصر فى الجامع كان له ثواب الحج ، ومن صلى المغرب فله ثواب حجة وعمرة ، فان لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق إلى اعتكافه أو خاف الخوض فيما لا يعنى . فالأفضل أن يرجع إلى بيته ذاكراً الله عز وجل ، مفكراً فى آلائه ، شاكراً لله تعالى على توفيقه ، خائفاً من تقصيره ، مراقباً لقلبه ولسانه إلى غروب الشمس ، حتى لا تفوته الساعة الشريفة . ولا ينبغى أن يتكلم فى الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا ، قال صلى الله عليه وسلم : [٦] « يَأْتِى عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ حَدِيثُهُمْ فِى مَسَاجِدِهِمْ أَمْرُ دُنْيَاهُمْ لَيْسَ لِلَّهِ تَعَالَى فِيهِمْ حَاجَةٌ فَلَا تُجَالِسُوهُمْ »

بيان السنن والآداب الخارجة عن الترتيب السابق

الذى يعم جميع النهار ، وهى سبعة أمور

الأول : أن يحضر مجالس العلم بكرة أو بعد العصر ، ولا يحضر مجالس القُصاص فلا خير فى كلامهم ، ولا ينبغى أن يخلو المريد فى جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات

---

(١) حديث ابن عمر فى الركعتين بعد الجمعة - متفق عليه

(٢) حديث أبى هريرة فى الأربع ركعات بعد الجمعة : م اذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعا

(٣) حديث على وعبد الله فى صلاة ست ركعات بعد الجمعة: هق مرفوعا عن على وله موقوفا على ابن مسعود أربعا و د من حديث ابن عمر كان اذا كان بمكة صلى بعد الجمعة سنا

(٤) حديث يأتى على أمتى زمان يكون حديثهم فى مساجدهم أمر دنياهم - الحديث: هق فى الشعب من حديث الحسن مرسلا وأسنده ك من حديث أنس وصحح أسناده وحب نحوه من حديث ابن مسعود وقد تقدم

حتى توافيه الساعة الشريفة وهو فى خير ، ولا ينبغى أن يحضر الحلق قبل الصَّلاة . وروى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ (١) نَهَى عَنِ التَّحَلُّقِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَبْلَ الصَّلَاةِ » إلا أن يكون عالما بالله ، يذكر بأيام الله ، ويفقه فى دين الله ، يتكلم فى الجامع بالغداة فيجلس إليه فيكون جامعاً بين البكور وبين الاستماع ، واستماع العلم النافع فى الآخرة أفضل من اشتغاله بالنوافل (٢) فقد روى أبو ذر أن حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة ، قال أنس بن مالك فى قوله تعالى : (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ *) : أما إنه ليس بطلب دنيا ، ولكن عيادة مريض وشهود جنازة ، وتعلم علم ، وزيارة أخ فى الله عز وجل

وقد سمى الله عز وجل العلم فضلا فى مواضع : قال تعالى : (وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا *) وقال تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا *) يعنى العلم . فتعلمُ العلم فى هذا اليوم وتعليمه من أفضل القربات ،

والصَّلاة أفضل من مجالس القُصَّاص ، إذ كانوا يرونه بدعة ، ويخرجون القصاص من الجامع . بكر ابن عمر رضى الله عنهما إلى مجلسه فى المسجد الجامع فاذا قاصٌّ يقص فى موضعه ، فقال : قم عن مجلسى ، فقال : لا أقوم وقد جلست وسبقتك اليه . فأرسل ابن عمر إلى صاحب الشرطة فأقامه . فلو كان ذلك من السنة لما جازت إقامته ، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (٣) « لَا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا » وكان ابن عمر إذا قام الرجل له من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود إليه . وروى أن قاصًّا كان يجلس بفناء حجرة عائشة رضى الله عنها ، فأرسلت إلى ابن عمر أن هذا قد آذانى بقصصه وشغلنى عن سبحتى ، فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده

---

(١) حديث عبد الله بن عمر فى النهى عن التحلق يوم الجمعة : د ن و ه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ولم أجده من حديث ابن عمر

(٢) حديث أبى ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة تقدم فى العلم

(٣) حديث لا يقيمن أحدكم أخاه من مجلسه ـ الحديث : متفق عليه من حديث ابن عمر

---

* الجمعة : ١٠ * النساء : ٣١١ * سبأ : ١٠

الثانى : أن يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة ، فى الخبر المشهور [١] « إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ » وفى خبر آخر [٢] « لَا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ يُصَلِّي » واختلف فيها فقيل إنها عند طلوع الشمس . وقيل عند الزوال . وقيل مع الأذان . وقيل إذا صعد الإمام المنبر وأخذ فى الخطبة . وقيل إذا قام الناس إلى الصلاة . وقيل آخر وقت العصر أعنى وقت الاختيار . وقيل قبل غروب الشمس [٣] . وكانت فاطمة رضى الله عنها تراعى ذلك الوقت وتأمر خادمتها أن تنظر إلى الشمس فتؤذنها بسقوطها ، فتأخذ فى الدعاء والاستغفار إلى أن تغرب الشمس ، وتخبر بأن تلك الساعة هى المنتظرة وتؤثره عن أبيها صلى الله عليه وسلم وعليها . وقال بعض العلماء هى مبهمة فى جميع اليوم مثل ليلة القدر ، حتى تتوفر الدواعى على مراقبتها . وقيل إنها تنتقل فى ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر . وهذا هو الأشبه ، وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره ، ولكن ينبغى أن يصدق بما قال صلى الله عليه وسلم [٤] « إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ أَلَا فَتَعَرَّضُوا لَهَا » ويوم الجمعة من جملة تلك الأيام ، فينبغى أن يكون العبد فى جميع نهاره متعرضا لها بإحضار القلب ، وملازمة الذكر ، والنزوع عن وساوس الدنيا ، فعساه يحظى بشىء من تلك النفحات

وقد قال كعب الأحبار : [٥] إنها فى آخر ساعة من يوم الجمعة ، وذلك عند الغروب ، فقال أبو هريرة : وكيف تكون آخر ساعة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يوافقها عبد يصلى ولات حين صلاة ، فقال كعب : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث ان فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه : ت ه من حديث عمرو ابن عوف المزنى

(٢) حديث لا يصادفها عبد مصل : متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٣) حديث فاطمة فى ساعة الجمعة : قط فى العلل هق فى الشعب وعلته الاختلاف

(٤) حديث إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ـ الحديث : الحكيم فى النوادر وطب فى الأوسط من حديث محمد بن مسلمة ولابن عبد البر فى التمهيد نحوه من حديث أنس ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الفرج من حديث أبى هريرة واختلف فى أسناده

(٥) حديث اختلاف كعب وأبى هريرة فى ساعة الجمعة وقول أبى هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلى ولات حين صلاة فقال كعب ألم يقل عليه الصلاة والسلام

« مَنْ قَعَدَ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ فَهُوَ فِي الصَّلَاةِ » قال بلى ، قال فذلك صلاة ، فسكت أبو هريرة . وكان كعب مائلاً إلى أنها رحمة من الله سبحانه للقائمين بحق هذا اليوم ، وأوان إرسالها عند الفراغ من تمام العمل . وبالجملة هذا وقت شريف مع وقت صعود الامام المنبر ، فليكثر الدعاء فيهما

الثالث : يستحب أن يكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا اليوم ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : (١) « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ثَمَانِينَ مَرَّةً غَفَرَ اللهُ لَهُ ذُنُوبَ ثَمَانِينَ سَنَةً . قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ ؟ قَالَ تَقُولُ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَتَعْقِدُ وَاحِدَةً ، وَإِنْ قُلْتَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ صَلَاةً تَكُونُ لَكَ رِضَاءً وَلِحَقِّهِ أَدَاءً وَأَعْطِهِ الْوَسِيلَةَ وَابْعَثْهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدْتَهُ وَاجْزِهِ عَنَّا مَا هُوَ أَهْلُهُ وَاجْزِهِ أَفْضَلَ مَا جَازَيْتَ نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ ، وَصَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيعِ إِخْوَانِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّالِحِينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ » تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها فى سبع جمع فى كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته صلى الله عليه وسلم ، وإن أراد أن يزيد أتى بالصلاة المأثورة (٢) فقال « اللَّهُمَّ اجْعَلْ فَضَائِلَ صَلَوَاتِكَ وَنَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ وَشَرَائِفَ زَكَوَاتِكَ وَرَأْفَتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَتَحِيَّتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَرَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَائِدِ الْخَيْرِ وَفَاتِحِ الْبِرِّ وَنَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَسَيِّدِ الْأُمَّةِ اللَّهُمَّ ابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا تَزْلِفُ بِهِ قُرْبَهُ وَتُقِرُّ بِهِ عَيْنَهُ يَغْبِطُهُ بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ اللَّهُمَّ أَعْطِهِ الْفَضْلَ وَالْفَضِيلَةَ وَالشَّرَفَ وَالْوَسِيلَةَ وَالدَّرَجَةَ الرَّفِيعَةَ وَالْمَنْزِلَةَ الشَّامِخَةَ الْمُنِيفَةَ ، اللَّهُمَّ أَعْطِ مُحَمَّدًا

من قعد ينتظر الصلاة فهو فى صلاة قلت وقع فى الاحياء أن كعبا هو القائل أنها آخر ساعة وليس كذلك وانما هو عبد الله بن سلام وأما كعب فانما قال إنها فى كل سنة مرة ثم رجع والحديث رواه د ت ن حب من حديث أبى هريرة و هـ نحوه من حديث عبد الله بن سلام

(١) حديث من صلى فى يوم الجمعة ثمانين مرة ـ الحديث : قط من رواية ابن المسيب قال أظنه عن أبى هريرة وقال حديث غريب وقال ابن النعمان حديث حسن

(٢) حديث اللهم اجعل فضائل صلواتك ـ الحديث : ابن أبى عاصم فى كتاب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن مسعود نحوه بسند ضعيف وقفه على ابن مسعود

سُؤْلَهُ وَبَلِّغْهُ مَأْمُولَهُ وَاجْعَلْهُ أَوَّلَ شَافِعٍ وَأَوَّلَ مُشَفَّعٍ ، اللَّهُمَّ عَظِّمْ بُرْهَانَهُ وَثَقِّلْ مِيزَانَهُ وَأَبْلِغْ حُجَّتَهُ وَارْفَعْ فِي أَعْلَى الْمُقَرَّبِينَ دَرَجَتَهُ ؛ اللَّهُمَّ احْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ وَاجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ شَفَاعَتِهِ وَأَحْيِنَا عَلَى سُنَّتِهِ وَتَوَفَّنَا عَلَى مِلَّتِهِ وَأَوْرِدْنَا حَوْضَهُ وَاسْقِنَا بِكَأْسِهِ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَادِمِينَ وَلَا شَاكِّينَ وَلَا مُبَدِّلِينَ وَلَا فَاتِنِينَ وَلَا مَفْتُونِينَ ، آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ »

وعلى الجملة فكل ماأتى به من ألفاظ الصلاة ولو بالمشهورة فى التشهد كان مصليا ، وينبغى أن يضيف إليه الاستغفار ، فإن ذلك أيضاً مستحب فى هذا اليوم

الرابع : قراءة القرآن فليكثر منه ، وليقرأ سورة الكهف خاصة فقدروى عن ابن عباس وأبى هريرة رضى الله عنهما [1] « أَنَّ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ أَوْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أُعْطِيَ نُورًا مِنْ حَيْثُ يَقْرَؤُهَا إِلَى مَكَّةَ وَغُفِرَ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى وَفَضْلَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَصَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ وَعُوفِيَ مِنَ الدَّاءِ وَالدَّبِيلَةِ وَذَاتِ الْجَنْبِ وَالْبَرَصِ وَالْجُذَامِ وَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ » ويستحب أن يختم القرءان فى يوم الجمعة وليلتها إن قدر، وليكن ختمه للقرءان فى ركعتى الفجر إن قرأ بالليل . أوفى ركعتى المغرب ، أو بين الأذان والإقامة للجمعة ، فله فضل عظيم . وكان العابدون يستحبون أن يقرءوا يوم الجمعة قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ألف مرة ، ويقال إن من قرأها فى عشر ركعات أو عشرين فهو أفضل من ختمة ، وكانوا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم ألف مرة . وكانوا يقولون : سبحان الله والحمدلله ولا إله إلا الله والله أكبر ألف مرة ، وإن قرأ المسبعات الست فى يوم الجمعة أو ليلتها فحسن ، وليس يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ سورا بأعيانها إلا فى يوم الجمعة وليلتها « كَانَ [2] يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْمَغْرِبِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، وَكَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ سُورَةَ الْجُمُعَةِ وَالْمُنَافِقِينَ »

---

(١) حديث ابن عباس وأبى هريرة من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة ـ الحديث : لم أجده من حديثهما

(٢) حديث القراءة فى المغرب ليلة الجمعة قل ياأيها الكافرون وقل هو الله أحد وفى عشائها الجمعة والمنافقين حب وهق من حديث سمرة وفى ثقات حب المحفوظ عن سماك مرسلا قلت لايصح مسندا ولا مرسلا

وروى « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١] كَانَ يَقْرَؤُهُمَا فِي رَكْعَتَيِ الْجُمُعَةِ وَكَانَ يَقْرَأُ فِي الصُّبْحِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سُورَةَ سَجْدَةِ لُقْمَانَ وَسُورَةَ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ »

الخامس : الصلوات يستحب إذا دخل الجامع أن لايجلس حتى يصلى أربع ركعات يقرأ فيهنّ [٢] قل هو الله أحد مائتى مرة فى كل ركعة خمسين مرة ، فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنَّ مَنْ فَعَلَهُ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ » أَوْ يرى لَهُ ، ولايدع ركعتى التحية وإن كان الإمام يخطب ، ولكن يخفف [٣] أَمَرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بذلك . وفى حديث غريب « أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم [٤] سَكَتَ لِلدَّاخِلِ حَتَّى صَلَّاهُمَا » فَقَالَ الكوفيون إن سكت له الإمام صلاهما . ويستحب فى هذا اليوم أوفى ليلته أن يصلى أربع ركعات بأربع سور : الأنعام ، والكهف ، وطه ، ويس . فإن لم يحسن قرأ يس وسورة سجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك ، ولايدع قراءة هذه الأربع سور فى ليلة الجمعة ، ففيها فضل كثير . ومن لايحسن القرءان قرأ مايحسن فهو له بمنزلة الختمة ، ويكثر من قراءة سورة الإخلاص . ويستحب أن يصلى صلاة التسبيح كما سيأتى فى باب التطوّعات كيفيتها [٥] لأَنَّهُ صلى الله عليه وسلم قال لعمه العباس « صَلِّهَا فِي كُلِّ جُمُعَةٍ » وكان ابن عباس رضى الله عنهما لايدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال ، وكان يخبر عن جلالة فضلها . والأحسن أن يجعل وقته إلى الزوال للصلاة ، وبعد الجمعة إلى العصر لاستماع العلم ، وبعد العصر إلى المغرب للتسبيح والاستغفار

---

(١) حديث القراءة فى الجمعة بالجمعة والمنافقين وفى صبح الجمعة بالسجدة وهل أتى : م من حديث ابن عباس وأبى هريرة

(٢) حديث من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى أربع ركعاتٍ يقرأ فيها قل هو الله أحد مائتى مرة ـ الحديث الخطيب فى الرواة عن مالك من حديث ابن عمر وقال غريب جدا

(٣) حديث الامر بالتخفيف فى التحية إذا دخل والامام يخطب : م من حديث جابر وخ الامر بالركعتين ولم يذكر التخفيف

(٤) حديث سكوته صلى الله عليه وسلم عن الخطبة للداخل حتى فرغ من التحية : قط من حديث أنس وقال أسنده عبيد بن محمد ووهم فيه والصواب عن معتمر عن أبيه مرسلا

(٥) حديث صلاة التسبيح وقوله لعمه العباس صلها فى كل جمعة : د هـ وابن خزيمة والحاكم من حديث ابن عباس وقال عق وغيره ليس فيها حديث صحيح

السادس : الصدقة مستحبة فى هذا اليوم خاصة ، فإنها تتضاعف إلا على من سأل والإمام يخطب وكان يتكلم فى كلام الإمام ، فهذا مكروه . وقال صالح بن محمد : سأل مسكين يوم الجمعة والإمام يخطب وكان إلى جانب أبى ، فأعطى رجل أبى قطعة ليناوله إياها فلم يأخذها منه أبى . وقال ابن مسعود : إذا سأل رجل فى المسجد فقد استحق أن لا يعطى ، وإذا سأل على القرءان فلا تعطوه . ومن العلماء من كره الصدقة على السؤال فى الجامع الذين يتخطون رقاب الناس ، إلا أن يسأل قائماً أو قاعداً فى مكانه من غير تخط وقال كعب الأحبار : من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما وخشوعهما ثم يقول : اللهم إنى أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم ، وباسمك الذى لا إله إلا الله هو الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ، لم يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه . وقال بعض السلف : من أطعم مسكيناً يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤخذ أحداً ثم قال حين يسلم الإمام : بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم أسألك أن تغفر لى وترحمنى وتعافينى من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له

السابع : أن يجعل يوم الجمعة للآخرة فيكف فيه عن جميع أشغال الدنيا ، ويكثر فيه الأوراد ، ولا يبتدئ فيه السفر[1] فقد روى « أَنَّهُ مَنْ سَافَرَ فِى لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ دَعَا عَلَيْهِ مَلَكَاهُ » وهو بعد طلوع الفجر حرام إلا إذا كانت الرفقة تفوت . وكره بعض السلف شراء الماء فى المسجد من السقاء ليشربه أو يسبله حتى لا يكون مبتاعا فى المسجد فان البيع والشراء فى المسجد مكروه ، وقالوا لا بأس لو أعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب أو سبل فى المسجد

وبالجملة ينبغى أن يزيد فى الجمعة فى أوراده وأنواع خيراته ، فإن الله سبحانه إذا أحب عبداً استعمله فى الأوقات الفاضلة بفواضل الأعمال ، وإذا مقته استعمله فى الأوقات الفاضلة بسئ الأعمال ، ليكون ذلك أوجع فى عتابه ، وأشد لمقته ، لحرمانه بركة الوقت ، وانتهاكه حرمة الوقت . ويستحب فى الجمعة دعوات وسيأتى ذكرها فى كتاب الدعوات إن شاء الله تعالى . وصلى الله على كل عبد مصطفى

---

(١) حديث من سافر يوم الجمعة دعا عليه ملكاه : قط فى الأفراد من حديث ابن عمر وفيه ابن لهيعة وقال غريب والخطيب فى الرواة عن مالك من حديث أبى هريرة بسند ضعيف

الباب السادس

فى مسائل متفرقة تعم بها البلوى ويحتاج المريد إلى معرفتها

فأما المسائل التى تقع نادرة فقد استقصيناها فى كتب الفقه

مسألة :

الفعل القليل وإن كان لا يبطل الصَّلاة فهو مكروه إلا لحاجة ، وذلك فى دفع المار ، وقتل العقرب التى تخاف ويمكن قتلها بضربة أو بضربتين ، فإذا صارت ثلاثا فقد كثرت وبطلت الصَّلاة ، وكذلك القملة والبرغوث مهما تأذى بهما كان له دفعهما ، وكذلك حاجته إلى الحك الذى يشوش عليه الخشوع . كان معاذ يأخذ القملة والبرغوث فى الصَّلاة ، وابن عمر كان يقتل القملة فى الصَّلاة حتى يظهر الدم على يده . وقال النخعى . يأخذها ويوهنها ولا شىء عليه إن قتلها . وقال ابن المسيب يأخذها ويخدّرها ثم يطرحها . وقال مجاهد : الأحب إلىّ أن يدعها إلا أن تؤذيه فتشغله عن صلاته فيوهنها قدر ما لا تؤذى ثم يلقيها . وهذه رخصة ، وإلا فالكمال الاحتراز عن الفعل وإن قل ، ولذلك كان بعضهم لا يطرد الذباب ، وقال : لا أعود نفسى ذلك فيفسد علىّ صلاتى ، وقد سمعت أن الفساق بين يدى الملوك يصبرون على أذى كثير ولا يتحركون . ومهما تثاءب فلا بأس أن يضع يده على فيه وهو الأولى ، وإن عطس حمد الله عز وجل فى نفسه ولا يحرك لسانه ، وإن تجشأ فينبغى أن لا يرفع رأسه إلى السماء ، وإن سقط رداؤه فلا ينبغى أن يسويه ، وكذلك أطراف عمامته ، فكل ذلك مكروه إلا لضرورة

مسألة :

الصَّلاة فى النعلين جائزة وإن كان نزع النعلين سهلا وليست الرخصة فى الخف لعسر النزع بل هذه النجاسة معفو عنها وفى معناها المداس « صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) فِى نَعْلَيْهِ ثُمَّ نَزَعَ فَنَزَعَ النَّاسُ نِعَالَهُمْ ، فَقَالَ لِمَ خَلَعْتُمْ نِعَالَكُمْ ؟ قَالُوا : رَأَيْنَاكَ

﴿ الباب السادس ﴾

(١) حديث صلى فى نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم الحديث : أحمد واللفظ له دك وصححه من حديث أبى سعيد

خَلَعْتَ نَخَلَعْنَا ، فَقَالَ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَانِى فَأَخْبَرَنِى أَنَّ بِهِمَا خَبَثًا ، فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيَقْلِبْ نَعْلَيْهِ وَلْيَنْظُرْ فِيهِمَا فَإِنْ رَأَى خَبَثًا فَلْيَمْسَحْهُ بِالْأَرْضِ وَلْيُصَلِّ فِيهِمَا » وقال بعضهم : الصَّلاة فى النعلين أفضل ، لأنه صلى الله عليه وسلم قال : لِمَ خَلَعْتُمْ نِعَالَكُمْ ؟ وهذه مبالغة ، فإنه صلى الله عليه وسلم سألهم ليبين لهم سبب خلعه إذ علم أنهم خلعوا على موافقته وقد روى عبد الله بن السائب [1] « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلَعَ نَعْلَيْهِ » فإذاً قد فعل كليهما ، فمن خلع فلا ينبغى أن يضعهما عن يمينه ويساره فيضيق الموضع ويقطع الصف ، بل يضعهما بين يديه ولا يتركهما وراءه فيكون قلبه ملتفتا اليهما . ولعل من رأى الصَّلاة فيهما أفضل راعى هذا المعنى وهو التفات القلب اليهما ، روى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم [2] قال : إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَجْعَلْ نَعْلَيْهِ بَيْنَ رِجْلَيْهِ » وقال أبو هريرة لغيره اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما « وَوَضَعَهُمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [3] عَلَى يَسَارِهِ وَكَانَ إِمَامًا » فللإمام أن يفعل ذلك ، إذ لا يقف أحد على يساره ، والأولى أن لا يضعهما بين قدميه فيشغلانه ولكن قدام قدميه ، ولعله المراد بالحديث . وقد قال جبير بن مطعم : وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة

مسألة :

إذا بزق فى صلاته لم تبطل صلاته لأنه فعل قليل ؛ وما لا يحصل به صوت لا يعد كلاما وليس على شكل حروف الكلام ، إلا أنه مكروه ؛ فينبغى أن يحترز منه ، إلا كما أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه : إذ روى بعض الصحابة « أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [4] رَأَى فِى الْقِبْلَةِ نُخَامَةً فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا ثُمَّ حَكَّهَا بِعَرْجُونٍ كَانَ فِى يَدِهِ وَقَالَ ائْتُونِى بِعَبِيرٍ فَلَطَخَ أَثَرَهَا بِزَعْفَرَانٍ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا وَقَالَ : أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُبْزَقَ فِى وَجْهِهِ ؟

---

(١) حديث عبد الله بن السائب فى خلع النبى صلى الله عليه وسلم نعليه : م

(٢) حديث أبى هريرة إذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه : د بسند صحيح وضعفه المنذرى وليس بجيد

(٣) حديث وضعه نعليه على يساره : م من حديث عبد الله بن السائب

(٤) حديث رأى فى القبلة نخامة فغضب ـ الحديث : م من حديث جابر واتفقا عليه مختصرا من حديث أنس وعائشة وأبى سعيد وأبى هريرة وابن عمر

فَقُلْنَا لَا أَحَدَ ، قَالَ : فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ » وفى لفظ آخر : « وَاجِهَهُ اللهُ تَعَالَى فَلَا يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ وَلَا عَنْ يَمِينِهِ وَلَكِنْ عَنْ شِمَالِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ الْيُسْرَى فَإِنْ بَدَرَتْهُ بَادِرَةٌ فَلْيَبْصُقْ فِي ثَوْبِهِ وَلْيَقُلْ بِهِ هَكَذَا » وَدَلَكَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ

مسألة :

لوقوف المقتدى سنة وفرض . أما السنة فأن يقف الواحد عن يمين الإمام متأخراً عنه قليلا ، والمرأة الواحدة تقف خلف الإمام ، فان وقفت بجنب الإمام لم يضر ذلك ، ولكن خالفت السنة ، فان كان معها رجل وقف الرجل عن يمين الإمام وهى خلف الرجل ، ولا يقف أحد خلف الصف منفرداً ، بل يدخل فى الصف ، أو يجرّ إلى نفسه واحداً من الصف ، فان وقف منفرداً صحت صلاته مع الكراهية

وأما الفرض فاتصال الصف ، وهو أن يكون بين المقتدى والإمام رابطة جامعة ، فإنهما فى جماعة ، فإن كانا فى مسجد كفى ذلك جامعاً لأنه بنى له ، فلا يحتاج إلى اتصال صف ، بل إلى أن يعرف أفعال الإمام ، صلى أبو هريرة رضى الله عنه على ظهر المسجد بصلاة الإمام . وإذا كان المأموم على فناء المسجد فى طريق أو صحراء مشتركة وليس بينهما اختلاف بناء مفرّق فيكفى القرب بقدر غلوة سهم ، وكفى بها رابطة ، إذ يصل فعل أحدهما إلى الآخر ، وإنما يشترط إذا وقف فى صحن دار على يمين المسجد أو يساره وبابها لا طىء فى المسجد ، فالشرط أن يمد صف المسجد فى دهليزها من غير انقطاع إلى الصحن ثم تصح صلاة من فى ذلك الصف ومن خلفه دون من تقدم عليه ، وهكذا حكم الأبنية المختلفة ، فأما البناء الواحد والعرصة الواحدة فكالصحراء

مسألة :

المسبوق إذا أدرك آخر صلاة الإمام فهو أوّل صلاته ، فليوافق الإمام وليبن عليه ، وليقنت فى الصبح فى آخر صلاة نفسه وإن قنت مع الإمام ، وإن أدرك مع الامام بعض القيام فلا يشتغل بالدعاء ، وليبدأ بالفاتحة وليخففها ، فان ركع الإمام قبل تمامها وقدر على لحوقه فى اعتداله من الركوع فليتم ، فان عجز وافق الإمام وركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها فتسقط عنه بالسبق

وإن ركع الإمام وهو فى السورة فليقطعها ، وإن أدرك الإمام فى السجود أو التشهد كبّر للإحرام ثم جلس ولم يكبر ، بخلاف ما إذا أدركه فى الركوع فإنه يكبر ثانيا فى الهوى ، لأن ذلك انتقال محسوب له ، والتكبيرات للانتقالات الأصلية فى الصلاة لا للعوارض بسبب القدوة ، ولا يكون مدركا للركعة مالم يطمئن راكعاً فى الركوع والامام بعد فى حدّ الراكعين ، فإن لم يتم طمأنينته إلا بعد مجاوزة الامام حدّ الراكعين فاتته تلك الركعة

مسألة :

من فاتته صلاة الظهر إلى وقت العصر فليصل الظهر أوّلا ثم العصر ، فان ابتدأ بالعصر أجزأه ، ولكن ترك الأولى واقتحم شبهة الخلاف ، فان وجد إماماً فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده ، فإن الجماعة بالأداء أوّلى ، فان صلى منفردا فى أوّل الوقت ثم أدرك جماعة صلى فى الجماعة ونوى صلاة الوقت ، والله يحتسب أيهما شاء ، فان نوى فائتة أو تطوّعا جاز ، وان كان قد صلى فى الجماعة فأدرك جماعة أخرى فلينو الفائتة أو النافلة ، فإعادة المؤداة بالجماعة مرة أخرى لا وجه له ، وإنما احتمل ذلك لدرك فضيلة الجماعة

مسألة :

من صلى ثم رأى على ثوبه نجاسة فالأحب قضاء الصلاة ولا يلزمه ، ولو رأى النجاسة فى أثناء الصلاة رمى بالثوب وأتم ، والأحب الاستئناف وأصل هذا قصة خلع النعلين حين أخبر جبرائيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن عليهما نجاسة فانه صلى الله عليه وسلم لم يستأنف الصلاة

مسألة :

من ترك التشهد الأوّل أو القنوت أو ترك الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التشهد الأول أو فعل فعلا سهوا ، وكانت تبطل الصلاة بتعمده ، أو شك فلم يدر أصلى ثلاثا أو أربعا ، أخذ باليقين وسجد سجدتى السهو قبل السلام ، فان نسى فبعد السلام مهما تذكر على القرب ، فإن سجد بعد السلام ، وبعد أن أحدث ، بطلت صلاته ، فإنه لما دخل

فى السجود كأنه جعل سلامه نسيانا فى غير محله ، فلايحصل التحلل به ، وعاد إلى الصلاة ، فلذلك يستأنف السلام بعد السجود ، فان تذكر سجود السهو بعد خروجه من المسجد ، أو بعد طول الفصل فقدفات

مسألة :

الوسوسة فى نية الصلاة : سببها خبل فى العقل أو جهل بالشرع ، لأن امتثال أمر الله عز وجل مثل امتثال أمر غيره ، وتعظيمه كتعظيم غيره فى حق القصد ، ومن دخل عليه عالم فقام له فلو قال نويت أن أنتصب قائما تعظيما لدخول زيد الفاضل لأجل فضله متصلا بدخوله مقبلا عليه بوجهى ، كان سفها فى عقله ، بل كما يراه ويعلم فضله تنبعث داعية التعظيم فتقيمه ويكون معظما ، إلا إذا قام لشغل آخر أو فى غفلة . واشتراط كون الصلاة ظهرا أداء فرضا فى كونه امتثالا كاشتراط كون القيام مقرونا بالدخول مع الاقبال بالوجه على الداخل ، وانتفاء باعث آخر سواه وقصد التعظيم به ليكون تعظيما ، فانه لوقام مدبرا عنه أو صبر فقام بعد ذلك بمدة لم يكون معظما . ثم هذه الصفات لابد وأن تكون معلومة ، وأن تكون مقصودة ، ثم لايطول حضورها فى النفس فى لحظة واحدة ، وإنما يطول نظم الألفاظ الدالة عليها ، إما تلفظا باللسان ، وإما تفكراً بالقلب ، فمن لم يفهم نية الصلاة على هذا الوجه فكأنه لم يفهم النية ، فليس فيه إلا أنك دعيت إلى أن تصلى فى وقت فأجبت وقمت ، فالوسوسة محض الجهل ، فان هذه القصود وهذه العلوم تجتمع فى النفس فى حالة واحدة ، ولاتكون مفصلة الآحاد فى الذهن بحيث تطالعها النفس وتتأملها ، وفرق بين حضور الشىء فى النفس وبين تفصيله بالفكر ، والحضور مضاد للعزوب والغفلة وإن لم يكن مفصلا ، فان من علم الحادث مثلا فيعامه بعلم واحد فى حالة واحدة ، وهذا العلم يتضمن علوما هى حاضرة وإن لم تكن مفصلة ، فان من علم الحادث فقد علم الموجود والمعدوم والتقدّم والتأخر والزمان ، وأن التقدم للعدم ، وأن التأخر للوجود . فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث ، بدليل أن العالم بالحادث إذا لم يعلم غيره لوقيل له : هل علمت التقدم فقط أو التأخر أو العدم أو تقدم العدم أو تأخر الوجود أو الزمان المنقسم إلى المتقدم والمتأخر فقال ما عرفته قط ، كان كاذبا ، وكان قوله مناقضاً لقوله : إنى أعلم الحادث

ومن الجهل بهذه الدقيقة يثور الوسواس ، فان الموسوس يكلف نفسه أن يحضر فى قلبه الظهرية والأدائية والفرضية فى حالة واحدة مفصلة بألفاظها وهو يطالعها ، وذلك محال، ولو كلف نفسه ذلك فى القيام لأجل العالم لتعذر عليه ، فبهذه المعرفة يندفع الوسواس ، وهو أن يعلم أن امتثال أمر الله سبحانه فى النية كامتثال أمر غيره

ثم أزيد عليه على سبيل التسهيل والترخص وأقول : لولم يفهم الموسوس النية إلا باحضار هذه الأمور مفصلة ، ولم يمثل فى نفسه الامتثال دفعة واحدة ، وأحضر جملة ذلك فى أثناء التكبير من أوله إلى آخره بحيث لايفرغ من التكبير الاوقد حصلت النية ، كفاه ذلك ولا نكلفه أن يقرن الجميع بأوّل التكبير أو آخره ، فان ذلك تكليف شطط ، ولوكان مأموراً به لوقع للأوّلين سؤال عنه ، ولوسوس واحد من الصحابة فى النية ، فعدم وقوع ذلك دليل على أن الأمر على التساهل ، فكيفما تيسرت النية للموسوس ينبغى أن يقنع به حتى يتعوّد ذلك وتفارقه الوسوسة ، ولايطالب نفسه بتحقيق ذلك ، فان التحقيق يزيد فى الوسوسة . وقد ذكرنا فى الفتاوى وجوهاً من التحقيق فى تحقيق العلوم والقصود المتعلقة بالنية تفتقر العلماء إلى معرفتها ، أما العامة فربما ضرها سماعها ويهيج عليها الوسواس ، فلذلك تركناها

مسألة :

ينبغى أن لايتقدّم المأموم على الامام فى الركوع والسجود والرفع منهما ولاقى سائر الأعمال ، ولاينبغى أن يساويه بل يتبعه ويقفو أثره ، فهذا معنى الاقتداء ، فإن ساواه عمدا لم تبطل صلاته كما لووقف بجنبه غير متأخر عنه ، فان تقدم عليه ففى بطلان صلاته خلاف ، ولا يبعد أن يقضى بالبطلان تشبيها بما لوتقدم فى الموقف على الإمام ، بل هذا أولى ، لأن الجماعة اقتداء فى الفعل لافى الموقف ، فالتبعية فى الفعل أهمّ ، وإنما شرط ترك التقدم فى الموقف تسهيلاً للمتابعة فى الفعل ، وتحصيلا لصورة التبعية ، إذ اللائق بالمقتدى به أن يتقدم ، فالتقدم عليه فى الفعل لا وجه له إلا أن يكون سهواً ، ولذلك شدد رسول الله

صلى الله عليه وسلم النكير فيه فقال[١] « أما يَخْشَى الَّذِى يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يُحَوِّلَ اللهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ » وأما التأخر عنه بركن واحد فلا يبطل الصلاة ، وذلك بأن يعتدل الامام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ، ولكن التأخر إلى هذا الحد مكروه ، فان وضع الإمام جبهته على الأرض وهو بعد لم ينته إلى حد الراكعين بطلت صلاته ، وكذا إن وضع الامام جبهته للسجود الثانى وهو بعد لم يسجد السجود الأوّل

مسألة :

حق على من حضر الصّلاة إذا رأى من غيره إساءة فى صلاته أن يغيره وينكر عليه ، وإن صدر من جاهل رفق بالجاهل وعلمه ، فمن ذلك الأمر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد الوقوف خارج الصف ، والانكار على من يرفع رأسه قبل الإمام ، إلى غير ذلك من الأمور فقد قال صلى الله عليه وسلم[٢] « وَيْلٌ لِلْعَالِمِ مِنَ الْجَاهِلِ حَيْثُ لَا يُعَلِّمُهُ » وقال ابن مسعود رضى الله عنه : من رأى من يسىء صلاته فلم ينهه فهو شريكه فى وزرها . وعن بلال بن سعد أنه قال الخطيئة إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها ، فإذا أظهرت فلم تغير أضرت بالعامة . وجاء[٣] فى الحديث « أَنَّ بِلَالًا كَانَ يُسَوِّى الصُّفُوفَ وَيَضْرِبُ عَرَاقِيبَهُمْ بِالدِّرَّةِ » وعن عمر رضى الله عنه قال : تفقدوا اخوانكم فى الصلاة فإذا فقدتموهم ، فان كانوا مرضى فعودوهم ، وإن كانوا أصحاء فعاتبوهم . والعتاب إنكار على من ترك الجماعة ، ولا ينبغى أن يتساهل فيه . وقد كان الأولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة إلى بعض من تخلف عن الجماعة إشارة إلى أن الميت هو الذى يتأخر عن الجماعة دون الحى . ومن دخل المسجد ينبغى أن يقصد يمين الصف ، ولذلك تزاحم الناس عليه فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤] حتى قيل له . تعطلت الميسرة فقال صلى الله عليه وسلم « مَنْ عَمَرَ مَيْسَرَةَ الْمَسْجِدِ كَانَ لَهُ كِفْلَانِ مِنَ الْأَجْرِ » ومهما وجد غلاما فى الصف ولم يجد لنفسه مكانا فله أن يخرجه إلى خلف ويدخل فيه ، أعنى إذا لم يكن بالغا . وهذا ما أردنا أن نذكره من المسائل التى تعم بها البلوى . وسيأتى أحكام الصلوات المتفرقة فى كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى

---

(١) حديث أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الامام : متفق عليه . من حديث أبى هريرة

(٢) حديث ويل للعالم من الجاهل ـ الحديث : صاحب مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف

(٣) حديث أن بلالا كان يسوى الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة : لم أجده

(٤) حديث قيل له قد تعطلت الميسرة فقال من عمر ميسرة المسجد ـ الحديث : هو من حديث ابن عمر بسند ضعيف

الباب السابع

فى النوافل من الصلوات

اعلم أن ما عدا الفرائض من الصلوات ينقسم إلى ثلاثة أقسام : سنن ، ومستحبات ، وتطوعات . ونعنى بالسنن ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المواظبة عليه : كالرواتب عقيب الصلوات ، وصلاة الضحى ، والوتر ، والتهجد ، وغيرها ، لأن السنة عبارة عن الطريق المسلوكة ، ونعنى بالمستحبات ما ورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه كما سننقله فى صلوات الأيام والليالى فى الأسبوع ، وكالصلاة عند الخروج من المنزل والدخول فيه ، وأمثاله . ونعنى بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد فى عينه أثر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب فى مناجاة الله عز وجل بالصّلاة التى ورد الشرع بفضلها مطلقاً فكأنه متبرع به ، إذ لم يندب إلى تلك الصّلاة بعينها وإن ندب إلى الصّلاة مطلقاً . والتطوع عبارة عن التبرع . وسميت الأقسام الثلاثة نوافل من حيث إن النفل هو الزيادة وجملتها زائدة على الفرائض . فلفظ النافلة والسنة والمستحب والتطوع أردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد ، ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح ، فلا مشاحة فى الألفاظ بعد فهم المقاصد . وكل قسم من هذه الأقسام تتفاوت درجاته فى الفضل بحسب ما ورد فيها من الأخبار والآثار المعرّفة لفضلها ، وبحسب طول مواظبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ، وبحسب صحة الأخبار الواردة فيها واشتهارها ، ولذلك يقال سنن الجماعات أفضل من سنن الانفراد ، وأفضل سنن الجماعات صلاة العيد ، ثم الكسوف ، ثم الاستسقاء وأفضل سنن الانفراد الوتر ، ثم ركعتا الفجر ، ثم ما بعدهما من الرواتب على تفاوتها

واعلم أن النوافل باعتبار الإضافة إلى متعلقاتها تنقسم إلى ما يتعلق بأسباب كالكسوف والاستسقاء ، وإلى ما يتعلق بأوقات ، والمتعلق بالأوقات ينقسم إلى ما يتكرر بتكرر اليوم والليلة ، أو بتكرر الأسبوع ، أو بتكرر السنة . فالجملة أربعة أقسام

القسم الأول

ما يتكرر بتكرر الأيام والليالى وهى ثمانية : خمسة هى رواتب الصلوات الخمس ، وثلاثة وراءها وهى صلاة الضحى وإحياء ما بين العشاءين والتهجد

الأولى : راتبة الصبح ، وهى ركعتان : قال رسول الله صلى الله عليه سلم : [1] « رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » . ويدخل وقتها بطلوع الفجر الصادق ، وهو المستطير دون المستطيل ، وإدراك ذلك بالمشاهدة عسير فى أوله ، إلا أن يتعلم منازل القمر ، أو يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر ، فيستدل بالكواكب عليه ، ويعرف بالقمر فى ليلتين من الشهر ، فان القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ، ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثنى عشر من الشهر . هذا هو الغالب . ويتطرق اليه تفاوت فى بعض البروج . وشرح ذلك يطول . وتعلُّم منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الأوقات بالليل وعلى الصبح . ويفوت وقت ركعتى الفجر بفوات وقت فريضة الصبح وهو طلوع الشمس ولكن السنة أداؤهما قبل الفرض ، فان دخل المسجد وقد قامت الصَّلاة فليشتغل بالمكتوبة فإنه صلى الله عليه وسلم [2] قال : « إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا صَلَاةَ إِلَّا الْمَكْتُوبَةُ » ثم إذا فرغ من المكتوبة قام إليهما وصلاهما . والصحيح أنهما أداء ما وقعتا قبل طلوع الشمس ، لأنهما تابعتان للفرض فى وقته ، وإنما الترتيب بينهما سنة فى التقديم والتأخير إذا لم يصادف جماعة ، فإذا صادف جماعة انقلب الترتيب وبقيتا أداء . والمستحب أن يصليهما فى المنزل ويخففهما ثم يدخل المسجد ويصلى ركعتين تحية المسجد ، ثم يجلس ولا يصلى إلى أن يصلى المكتوبة ، وفيما بين الصبح إلى طلوع الشمس الأحب فيه الذكر والفكر والاقتصار على ركعتى الفجر والفريضة

الثانية : راتبة الظهر ، وهى ست ركعات : ركعتان بعدها وهى أيضا سنة مؤكدة ، وأربع قبلها وهى أيضا سنة وإن كانت دون الركعتين الأخيرتين . روى أبو هريرة

﴿ الباب السابع ﴾

(١) حديث ركعتا الفجر خير من الدنيا ـ الحديث : م من حديث عائشة

(٢) حديث إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة م من حديث أبى هريرة

رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم [١] أنه قال : « مَنْ صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ بَعْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ يُحْسِنُ قِرَاءَتَهُنَّ وَرُكُوعَهُنَّ وَسُجُودَهُنَّ صَلَّى مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى اللَّيْلِ » « وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٢] لَا يَدَعُ أَرْبَعًا بَعْدَ الزَّوَالِ ، يُطِيلُهُنَّ وَيَقُولُ إِنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ تُفَتَّحُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ لِي فِيهَا عَمَلٌ » رواه أبو أيوب الأنصارى وتفرد به ، ودل عليه أيضاً ما روت أم حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم [٣] أنه قال : « مَنْ صَلَّى فِي كُلِّ يَوْمٍ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً غَيْرَ الْمَكْتُوبَةِ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ : وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ ، وَأَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْعَصْرِ ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ » وقال ابن عمر رضى الله عنهما : حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٤] فِي كُلِّ يَوْمٍ عَشْرَ رَكَعَاتٍ فذكر ما ذكرته أم حبيبة رضى الله عنها إلا ركعتى الفجر فانه قال : تلك ساعة لم يكن يدخل فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن حدثتنى أختى حفصة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى ركعتين فى بيتها ثم يخرج . وقال فى حديثه : ركعتين قبل الظهر ، وركعتين بعد العشاء ، فصارت الركعتان قبل الظهر آكد من جملة الأربعة . ويدخل وقت ذلك بالزوال

والزوال يعرف بزيادة ظل الأشخاص المنتصبة مائلة إلى جهة الشرق ، إذ يقع للشخص ظل عند الطلوع فى جانب المغرب يستطيل ، فلا تزال الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف عن جهة المغرب إلى أن تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار ، فيكون ذلك منتهى نقصان الظل ، فاذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع أخذ الظل فى الزيادة ،

---

(١) حديث أبى هريرة من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن ـ الحديث : ذكره عبد الملك بن حبيب بلاغا من حديث ابن مسعود ولم أره من حديث أبى هريرة

(٢) حديث أبى أيوب كان لا يدع أربعا بعد الزوال ـ الحديث : أحمد بسند ضعيف نحوه وهو عند أبى داود و ه مختصرا و ت نحوه من حديث عبد الله بن السائب وقال حسن

(٣) حديث أم حبيبة من صلى فى يوم اثنتى عشرة ركعة ـ الحديث : ن ك وصحح أسناده على شرط م ورواه م مختصرا ليس فيه تعيين أوقات الركعات

(٤) حديث ابن عمر حفظت من النبى صلى الله عليه وسلم فى كل يوم عشر ركعات ـ الحديث متفق عليه واللفظ لخ ولم يقل فى كل يوم

فمن حيث صارت الزيادة مدركة بالحس دخل وقت الظهر ، ويعلم قطعاً أن الزوال فى علم الله سبحانه وقع قبله ، ولكن التكاليف لا ترتبط إلا بما يدخل تحت الحس . والقدر الباقى من الظل الذى منه يأخذ فى الزيادة يطول فى الشتاء ويقصر فى الصيف ، ومنتهى طوله بلوغ الشمس أول الجدى ، ومنتهى قصره بلوغها أول السرطان . ويعرف ذلك بالأقدام والموازين

ومن الطرق القريبة من التحقيق لمن أحسن مراعاته أن يلاحظ القلب الشمالى بالليل ويضع على الأرض لوحا مربعاً وضعاً مستويا بحيث يكون أحد أضلاعه من جانب القطب بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب إلى الأرض ثم توهمت خطاً من مسقط الحجر إلى الضلع الذى يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين ، أى لا يكون الخط مائلا إلى أحد الضلعين ، ثم تنصب عموداً على اللوح نصباً مستويا فى موضع علامة ه وهو بازاء القطب ، فيقع ظله على اللوح فى أول النهار مائلا إلى جهة المغرب فى صوب خط ا ثم لا يزال يميل إلى أن ينطبق على خط ب بحيث لو مد رأسه لانتهى على الاستقامة إلى مسقط الحجر ، ويكون موازيا للضلع الشرقى والغربى غير مائل إلى أحدهما فاذا بطل ميله إلى الجانب الغربى فالشمس فى منتهى الارتفاع ، فإذا انحرف الظل عن الخط الذى على اللوح إلى جانب الشرق فقد زالت الشمس . وهذا يدرك بالحس تحقيقاً فى وقت هو قريب من أول الزوال فى علم الله تعالى ، ثم يعلم على رأس الظل عند انحرافه علامة ، فاذا صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر . فهذا القدر لا بأس بمعرفته فى علم الزوال . وهذه صورته

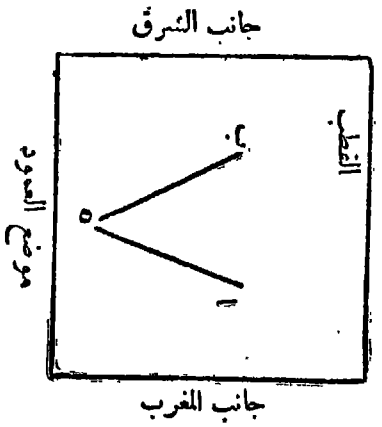

الثالثة : راتبة العصر ، وهى أربع ركعات قبل العصر ، روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال [١] : « رَحِمَ اللهُ عَبْداً صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعاً » ففعل ذلك على رجاء الدخول فى دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستحب استحبابا مؤكداً ، فان دعوته تستجاب لامحالة. ولم تكن مواظبته على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر

الرابعة : راتبة المغرب ، وهما ركعتان بعد الفريضة لم تختلف الرواية فيهما . وأما ركعتان قبلها بين أذان المؤذن وإقامة المؤذن على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كأبىّ ابن كعب وعبادة بن الصامت وأبى ذر وزيد بن ثابت وغيرهم ، قال عبادة أو غيره « كَانَ الْمُؤَذِّنُ إِذَا أَذَّنَ لِصَلاَةِ الْمَغْرِبِ ابْتَدَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٢] السَّوَارِىَ يُصَلُّونَ رَكْعَتَيْنِ » وقال بعضهم : [٣] « كُنَّا نُصَلِّى الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْمَغْرِبِ حَتَّى يَدْخُلَ الدَّاخِلُ فَيَحْسَبُ أَنَّا صَلَّيْنَا فَيَسْأَلُ : أَصَلَّيْتُمُ الْمَغْرِبَ ؟ » وذلك يدخل فى عموم قوله صلى الله عليه وسلم : [٤] « بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاَةٌ لِمَنْ شَاءَ » وكان أحمد بن حنبل يصليهما فعابه الناس فتركهما ، فقيل له فى ذلك فقال : لم أر الناس يصلونهما فتركتهما ، وقال: لئن صلاهما الرجل فى بيته أو حيث لا يراه الناس فحسن

ويدخل وقت المغرب بغيبوبة الشمس عن الأبصار فى الأراضى المستوية التى ليست محفوفة بالجبال ، فإن كانت محفوفة بها فى جهة المغرب فيتوقف إلى أن يرى إقبال السواد من جانب المشرق ، قال صلى الله عليه وسلم [٥] « إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَاهُنَا وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَاهُنَا فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ » والأحب المبادرة فى صلاة المغرب خاصة ، وإن أخرت وصليت

---

(١) حديث أبى هريرة رحم الله عبدا صلى أربعا قبل العصر : دت حب من حديث ابن عمر وأعله ابن القطان ولم أره من حديث أبى هريرة

(٢) حديث عبادة أو غيره فى ابتدار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السوارى إذا أذن لصلاة المغرب متفق عليه : من حديث أنس لا من حديث عبادة وروى عبد الله ابن أحمد فى زيادات المسند أن أبى بن كعب وعبد الرحمن بن عوف كانا يركعان حين تغرب الشمس ركعتين قبل المغرب

(٣) حديث كنا نصلى الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب أنا صلينا : م من حديث أنس

(٤) حديث بين كل أذانين صلاة لمن شاء : متفق عليه من حديث عبد الله بن مغفل

(٥) حديث اذا أقبل الليل من هاهنا ـ الحديث : متفق عليه من حديث عمر

قبل غيبوبة الشفق الأحمر وقعت أداء ، ولكنه مكروه . وأخر عمر رضى الله عنه صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فأعتق رقبة ، وأخرها ابن عمر حتى طلع كوكبان فأعتق رقبتين

الخامسة : راتبة العشاء الآخرة أربع ركعات بعد الفريضة ، قالت عائشة رضى الله عنها « كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) يُصَلِّي بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ثُمَّ يَنَامُ » واختار بعض العلماء من مجموع الأخبار أن يكون عدد الرواتب سبع عشرة كعدد المكتوبة: ركعتان قبل الصبح ، وأربع قبل الظهر ، وركعتان بعدها ، وأربع قبل العصر ، وركعتان بعد المغرب ، وثلاث بعد العشاء الآخرة ، وهى الوتر (٢) ومهما عرفت الاحاديث الواردة فيه فلا معنى للتقدير ، فقد قال صلى الله عليه وسلم (٣) « الصَّلَاةُ خَيْرُ مَوْضُوعٍ فَمَنْ شَاءَ أَكْثَرَ وَمَنْ شَاءَ أَقَلَّ » فإذاً اختيار كل مريد من هذه الصلوات بقدر رغبته فى الخير فقد ظهر فيما ذكرناه أن بعضها آكد من بعض ، وترك الآكد أبعد ، لاسيما والفرائض تكمل بالنوافل ، فمن لم يستكثر منها يوشك أن لا تسلم له فريضة من غير جابر

السادسة : الوتر ، قال أنس بن مالك « كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤) يُوتِرُ بَعْدَ الْعِشَاءِ بِثَلَاثِ رَكَعَاتٍ يَقْرَأُ فِي الْأُولَى سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَفِي الثَّانِيَةِ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وَفِي الثَّالِثَةِ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ » وجاء فى الخبر « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥) كَانَ يُصَلِّي بَعْدَ الْوِتْرِ رَكْعَتَيْنِ جَالِسًا وَفِي بَعْضِهَا مُتَرَبِّعًا » وفى بعض الأخبار (٦) « إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ فِرَاشَهُ زَحَفَ إِلَيْهِ وَصَلَّى فَوْقَهُ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَرْقُدَ يَقْرَأُ فِيهِمَا إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ وَسُورَةَ التَّكَاثُرِ » وفى رواية أخرى « قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ » ويجوز الوتر

---

(١) حديث عائشة كان يصلى بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام : د

(٢) حديث الوتر بثلاث بعد العشاء : أحمد واللفظ له والنسائى من حديث عائشة كان يوتر بثلاث لا يفصل بينهن

(٣) حديث الصلاة خير موضوع: أحمد وابن حبان ك وصححه من حديث أبى در

(٤) حديث أنس كان يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ فى الأولى سبح ـ الحديث : ابن عدى فى ترجمة محمد بن أبان ورواه ت ن ه من حديث ابن عباس بسند صحيح

(٥) حديث كان يصلى بعد الوتر ركعتين جالسا: م من حديث عائشة

(٦) حديث اذا أراد أن يدخل فراشه زحف اليه ثم صلى ركعتين ـ الحديث : هق من حديث أبى أمامة وأنس نحوه وضعفه وليس فيه زحف اليه ولا ذكر ألهاكم التكاثر

مفصولا وموصولاً بتسليمة واحدة وتسليمتين : وَقَدْ « أَوْتَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَكْعَةٍ (١) وَثَلاَثٍ (٢) وَخَمْسٍ (٣) وَهَكَذَا بِالْأَوْتَارِ (٤) إِلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً (٥) والرواية مترددة فى ثلاث عشرة (٦) وفى حديث شاذ سبع عشرة ركعة (٧) وكانت هذه الركعات أعنى ماسمينا جملتها وترا صلاته بالليل ، وهو التهجد . والتهجد بالليل سنة مؤكدة وسيأتى ذكر فضلها فى كتاب الأوراد .

وفى الأفضل خلاف . فقيل إن الإيتار بركعة فردة أفضل ، إذ صح أنه صلى الله عليه وسلم كان يواظب على الإيتار بركعة فردة . وقيل الموصولة أفضل للخروج عن شبهة الخلاف لا سيما الإمام ، إذ قد يقتدى به من لا يرى الركعة الفردة صلاة ، فان صلى موصولا نوى بالجميع الوتر ، وإن اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتى العشاء أو بعد فرض العشاء نوى الوتر وصح ، لأن شرط الوتر أن يكون فى نفسه وترا ، وأن يكون موترا لغيره مما سبق قبله ، وقد أوتر الفرض ، ولو أوتر قبل العشاء لم يصح ، أى لاينال فضيلة الوتر (٨) الذى هو « خَيْرٌ لَهُ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ » كما ورد به الخبر ، وإلا فركعة فردة صحيحة فى أىّ وقت كان ، وإنما لم يصح قبل العشاء لأنه خرق إجماع الخلق فى الفعل ، ولأنه لم يتقدم ما يصير به وترا ،

---

(١) حديث الوتر بركعة متفق عليه : من حديث ابن عمر وهو لمسلم من حديث عائشة

(٢) حديث الوتر بثلاث تقدم

(٣) حديث الوتر بخمس من حديث عائشة يوتر من ذلك بخمس ولا يجلس فى شىء الا فى آخرها

(٤) حديث الوتر بسبع : م د ن واللفظ من حديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كبر وضعف أوتر بسبع ركعات لايقعد الا فى السادسة ثم ينهض ولا يسلم فيصلي السابعة حديث الوتر تسع م من حديث عائشة وهو فى الذى قبله

(٥) حديث الوتر باحدى عشرة أبو داود باسناد صحيح من حديث عائشة كان يوتر باربع وثلاث وست وثلاث وثمان وثلاث وعشر وثلاث ـ الحديث : ولمسلم من حديثها كان يصلى بالليل احدى عشرة ركعة ـ الحديث

(٦) حديث الوتر بثلاث عشرة تقدم فى الذى قبله وللترمذى والنسائى من حديث أم سلمة كان يوتر بثلاث عشرة وقال ت حسن ولمسلم من حديث عائشة كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة زاد فى رواية بركعتى الفجر

(٧) حديث الوتر سبع عشرة ابن المبارك من حديث طاوس مرسلا كان يصلى سبع عشرة ركعة من الليل

(٨) حديث الوتر خير من حمر النعم : د ت ه من حديث خارجة بن حذافة ان الله امدكم بصلاة هي خير لكم من حمر النعم وضعفه خ وغيره

فأما إذا أراد أن يوتر بثلاث مفصولة ففى نيته فى الركعتين نظر ، فانه إن نوى بهما التهجد أو سنة العشاء لم يكن هو من الوتر ، وإن نوى الوتر لم يكن هو فى نفسه وترا ، وإنما الوتر مابعده ولكن الأظهر أن ينوى الوتر كما ينوى فى الثلاث الموصولة الوتر ، ولكن للوتر معنيان : أحدهما أن يكون فى نفسه وترا ، والآخر أن ينشأ ليجعل وترا بما بعده ، فيكون مجموع الثلاثة وترا والركعتان من جملة الثلاث ، إلا أن وتريته موقوفة على الركعة الثالثة ، وإذا كان هو على عزم أن يوترهما بثالثة كان له أن ينوى بهما الوتر ، والركعة الثالثة وتر بنفسها وموترة لغيرها ، والركعتان لا يوتران غيرهما وليستا وترا بأنفسهما ، ولكنهما موترتان بغيرهما . والوتر ينبغى أن يكون آخر صلاة الليل ، فيقع بعد التهجد . وسيأتى فضائل الوتر والتهجد وكيفية الترتيب بينهما فى كتاب ترتيب الأوراد

السابعة : صلاة الضحى فالمواظبة عليها من عزائم الأفعال وفواضلها . أما عدد ركعاتها فأكثر مانقل فيه ثمانى ركعات ، روت أم هانئ أخت علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) صَلَّى الضُّحَى ثَمَانِىَ رَكَعَاتٍ أَطَالَهُنَّ وَحَسَّنَهُنَّ » ولم ينقل هذا القدر غيرها . فأما عائشة رضى الله عنها فإنها ذكرت « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢) كَانَ يُصَلِّى الضُّحَى أَرْبَعاً وَيَزِيدُ مَاشَاءَ اللهُ سُبْحَانَهُ » فلم تحد الزيادة ، أى أنه كان يواظب على الأربعة ولاينقص منها ، وقد يزيد زيادات . وروى فى حديث مفرد « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣) كَانَ يُصَلِّى الضُّحَى سِتَّ رَكَعَاتٍ » : وأما وقتها فقد روى على رضى الله عنه « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّى الضُّحَى سِتًّا فِى وَقْتَيْنِ : (٤) إِذَا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ وَارْتَفَعَتْ قَامَ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، وهو أول الورد الثانى من أوراد النهار كما سيأتى ،

---

(١) حديث أم هانئ صلى الضحى ثمانى ركعات أطالهن وأحسنهن : متفق عليه دون زيادة أطالهن وأحسنهن وهى منكرة

(٢) حديث عائشة كان يصلى الضحى أربعا ويزيد ما شاء الله : م

(٣) حديث كان يصلى الضحى ست ركعات : ك فى فضل صلاة الضحى من حديث جابر ورجاله ثقات

(٤) حديث كان اذا أشرقت وارتفعت قام وصلى ركعتين واذا انبسطت الشمس وكانت فى ربع النهار من جانب المشرق صلى أربعا : ت ن ه من حديث علي كان نبى الله صلى الله عليه وسلم اذا زالت الشمس من مطلعها قيد رمح أو رمحين كقدر صلاة العصر من مغربها صلى ركعتين ثم أمهل

وَإِذا انْبَسَطَتِ الشَّمْسُ وَكَانَتْ فِي رُبُعِ السَّماءِ مِنْ جانِبِ الشَّرْقِ صلّى أَرْبَعا » فالأوّل إنما يكون إذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح ، والثانى إذا مضى من النهار ربعه بإزاء صلاة العصر ، فإن وقته أن يبقى من النهار ربعه ، والظهر على منتصف النهار . ويكون الضحى على منتصف ما بين طلوع الشمس إلى الزوال ، كما أن العصر على منتصف ما بين الزوال إلى الغروب . وهذا أفضل الأوقات . ومن وقت ارتفاع الشمس إلى ما قبل الزوال وقت للضحى على الجملة

الثامنة : إحياء ما بين العشاءين ، وهى سنة مؤكدة . ومما نقل عدده من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] بين العشاءين ستُّ ركعاتٍ . ولهذه الصلاة فضل عظيم . وقيل إنها المراد بقوله عز وجل : (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ *) وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم [2] أنه قال : « مَنْ صَلَّى بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فَإِنَّهَا مِنْ صَلاةِ الْأَوَّابِينَ » وقال صلى الله عليه وسلم [3] « مَنْ عَكَفَ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فِي مَسْجِدِ جَمَاعَةٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ إِلاَّ بِصَلاةٍ أَوْ بِقُرْآنٍ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَبْنِيَ لَهُ قَصْرَيْنِ فِي الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ كُلِّ قَصْرٍ مِنْهُمَا مِائَةُ عَامٍ وَيَغْرِسُ لَهُ بَيْنَهُمَا غِرَاسًا لَوْ طَافَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ لَوَسِعَهُمْ » وسيأتى بقية فضائلها فى كتاب الأوراد ، إن شاء الله تعالى

حتى اذا ارتفع الضحى صلى أربع ركعات لغط ن وقال ت حسن

(١) حديث صلى بين العشاءين ست ركعات : ابن مده فى الضحى به وطب فى الأوسط والأصغر من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف و ت وضعفه من حديث أبى هريرة من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعباده ثنتى عشرة سنة

(٢) حديث من صلى بين المغرب والعشاء فانها من صلاة الأوابين : ابن المبارك فى الرقائق من رواية ابن المنذر مرسلا

(٣) حديث من عكف نفسه بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة : أبو الوليد الصفار فى كتاب الصلاة من طريق عبد الملك بن حبيب بلاغا له من حديث عبد الله بن عمر

---

* السجدة : ١٦

القسم الثانى

ما يتكرر بتكرر الأسابيع

وهى صلوات أيام الأسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة

أما الأيام فنبدأ فيها بيوم الأحد

يوم الأحد :

روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم [١] أنه قال : « مَنْ صَلَّى يَوْمَ الْأَحَدِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَآمَنَ الرَّسُولُ مَرَّةً كَتَبَ اللهُ لَهُ بِعَدَدِ كُلِّ نَصْرَانِيٍّ وَنَصْرَانِيَّةٍ حَسَنَاتٍ وَاعْطَاهُ اللهُ ثَوَابَ نَبِيٍّ وَكَتَبَ لَه حَجَّةً وَعُمْرَةً وَكَتَبَ لَهُ بِكُلِّ رَكْعَةٍ أَلْفَ صَلَاةٍ وَأَعْطَاهُ اللهُ فِي الْجَنَّةِ بِكُلِّ حَرْفٍ مَدِينَةً مِنْ مِسْكٍ أَذْفَرَ »

وروى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم [٢] أنه قال : « وَحِّدُوا اللهَ بِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ يَوْمَ الْأَحَدِ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ فَمَنْ صَلَّى يَوْمَ الْأَحَدِ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ وَالسُّنَّةِ يَقْرَأُ فِي الْأُولَى فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَتَنْزِيلِ السَّجْدَةِ وَفِي الثَّانِيَةِ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَتَبَارَكَ الْمُلْكُ ثُمَّ تَشَهَّدَ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ يَقْرَأُ فِيهِمَا فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَسُورَةَ الْجُمُعَةِ وَسَأَلَ اللهَ سُبْحَانَهُ حَاجَتَهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَقْضِيَ حَاجَتَهُ »

يوم الاثنين :

روى عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣] أنه قال : « مَنْ صَلَّى يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ عِنْدَ ارْتِفَاعِ النَّهَارِ رَكْعَتَيْنِ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ مَرَّةً وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ مَرَّةً

---

(١) حديث من صلى يوم الأحد أربع ركعات ـ الحديث : أبو موسى المدينى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف

(٢) حديث على وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد ـ الحديث : ذكره أبو موسى المدينى فيه بغير أسناد

(٣) حديث جابر من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين ـ الحديث : أبو موسى المدينى من حديث جابر عن عمر مرفوعا وهو حديث منكر

وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ مَرَّةً مَرَّةً فَإِذَا سَلَّمَ اسْتَغْفَرَ اللهَ عشر مرات وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ مَرَّاتٍ غَفَرَ اللهُ تَعَالَى لَهُ ذُنُوبَهُ كُلَّهَا » وروى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم (١) أنه قال : « مَنْ صَلَّى يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ مَرَّةً فَإِذَا فَرَغَ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً وَاسْتَغْفَرَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً يُنَادَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ لِيَقُمْ فَلْيَأْخُذْ ثَوَابَهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَوَّلُ مَا يُعْطَى مِنَ الثَّوَابِ أَلْفَ حُلَّةٍ وَيُتَوَّجُ وَيُقَالُ لَهُ ادْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَسْتَقْبِلُهُ مِائَةُ أَلْفِ مَلَكٍ مَعَ كُلِّ مَلَكٍ هَدِيَّةٌ يُشَيِّعُونَهُ حَتَّى يَدُورُ عَلَى أَلْفِ قَصْرٍ مِنْ نُورٍ يَتَلَأْلَأُ

يوم الثلاثاء :

روى يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال قال صلى الله عليه وسلم : (٢) « مَنْ صَلَّى يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ عَشْرَ رَكَعَاتٍ عِنْدَ انْتِصَافِ النَّهَارِ ـ وفي حديث آخر : عِنْدَ ارْتِفَاعِ النَّهَارِ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ مَرَّةً وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ إِلَى سَبْعِينَ يَوْمًا فَإِنْ مَاتَ إِلَى سَبْعِينَ يَوْمًا مَاتَ شَهِيدًا وَغُفِرَ لَهُ ذُنُوبُ سَبْعِينَ سَنَةً

يوم الأربعاء :

روى أبو إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (٣) « مَنْ صَلَّى يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً عِنْدَ ارْتِفَاعِ النَّهَارِ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ

---

(١) حديث أنس من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة ـ الحديث : ذكره أبو موسى المديني بغير سند وهو منكر

(٢) حديث يزيد الرقاشي عن أنس من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف ـ الحديث : أبوموسى المديني بسند ضعيف ولم يقل عند انتصاف النهار ولا عند ارتفاعه

(٣) حديث أبي إدريس الخولاني عن معاذ من صلى يوم الأربعاء اثنتي عشرة ركعة ـ الحديث : أبوموسى المديني وقال رواته ثقات والحديث مركب . قلت بل فيه غير مسمى وهو محمد بن حميد الرازي أحد الكذابين

فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ مَرَّةً وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ثَلاثَ مَرَّاتٍ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ نَادَى مُنَادٍ عِنْدَ الْعَرْشِ : يَا عَبْدَ اللهِ اسْتَأْنِفِ الْعَمَلَ فَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَرَفَعَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَنْكَ عَذَابَ الْقَبْرِ وَضِيقَهُ وَظُلْمَتَهُ وَرَفَعَ عَنْكَ شَدَائِدَ الْقِيَامَةِ وَرَفَعَ لَهُ مِنْ يَوْمِهِ عَمَلَ نَبِيٍّ »

يوم الخميس :

عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (١) « مَنْ صَلَّى يَوْمَ الْخَمِيسِ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ رَكْعَتَيْنِ يَقْرَأُ فِي الْأُولَى فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ مِائَةَ مَرَّةٍ وَفِي الثَّانِيَةِ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ مِائَةَ مَرَّةٍ وَيُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ مِائَةَ مَرَّةٍ أَعْطَاهُ اللهُ ثَوَابَ مَنْ صَامَ رَجَبَ وَشَعْبَانَ وَرَمَضَانَ وَكَانَ لَهُ مِنَ الثَّوَابِ مِثْلُ حَاجِّ الْبَيْتِ وَكَتَبَ لَهُ بِعَدَدِ كُلِّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ حَسَنَةً »

يوم الجمعة :

روى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (٢) أنه قال : « يَوْمُ الْجُمُعَةِ صَلاةٌ كُلُّهُ مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ قَامَ إِذَا اسْتَقَلَّتِ الشَّمْسُ وَارْتَفَعَتْ قَدْرَ رُمْحٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ أَسْبَغَ الْوُضُوءَ فَصَلَّى سُبْحَةَ الضُّحَى رَكْعَتَيْنِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا إِلاَّ كَتَبَ اللهُ لَهُ مِائَتَيْ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ مِائَةَ سَيِّئَةٍ وَمَنْ صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ رَفَعَ اللهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ أَرْبَعَمِائَةِ دَرَجَةٍ وَمَنْ صَلَّى ثَمَانَ رَكَعَاتٍ رَفَعَ اللهُ تَعَالَى لَهُ فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِمِائَةِ دَرَجَةٍ وَغَفَرَ لَهُ ذُنُوبَهُ كُلَّهَا وَمَنْ صَلَّى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَيْنِ وَمِائَتَيْ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَيْنِ وَمِائَتَيْ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ لَهُ فِي الْجَنَّةِ أَلْفَيْنِ وَمِائَتَيْ دَرَجَةٍ » وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم (٣) أنه قال: « مَنْ دَخَلَ الْجَامِعَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ

---

(١) حديث عكرمة عن ابن عباس من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين ـ الحديث : أبوموسى المدينى بسند ضعيف جدا

(٢) حديث علي يوم الجمعة مامن عبد مؤمن قام إذا استقلت الشمس ـ الحديث : لم أجد له أصلا وهو باطل

(٣) حديث نافع عن ابن عمر من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى أربع ركعات ـ الحديث: الدارقطنى فى غرائب مالك وقال لايصح وعبدالله بن وصيف مجهول والخطيب فى الرواة عن مالك وقال غريب جدا ولا أعرف له وجها غير هذا

قَبْلَ صَلاَةِ الْجُمُعَةِ يَقْرَأُ فِى كُلِّ رَكْعَةٍ الْحَمْدُ لِلّٰهِ وَقُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ خَمْسِينَ مَرَّةً لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ يُرَى لَهُ

يوم السبت :

روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (١) « مَنْ صَلَّى يَوْمَ السَّبْتِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ يَقْرَأُ فِى كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ مَرَّةً وَقُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فَإِذَا فَرَغَ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِىِّ كَتَبَ اللّٰهُ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَجَّةً وَعُمْرَةً وَرَفَعَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ أَجْرَ سَنَةٍ صِيَامِ نَهَارُهَا وَقِيَامِ لَيْلُهَا وَأَعْطَاهُ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ بِكُلِّ حَرْفٍ ثَوَابَ شَهِيدٍ وَكَانَ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِ اللّٰهِ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ »

وأما الليالى ـ ليلة الأحد :

روى أنس بن مالك فى ليلة الأحد أنه صلى الله عليه وسلم (٢) قال : « مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ الْأَحَدِ عِشْرِينَ رَكْعَةً يَقْرَأُ فِى كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَقُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ خَمْسِينَ مَرَّةً وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ مَرَّةً مَرَّةً وَاسْتَغْفَرَ اللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ مِائَةَ مَرَّةٍ وَاسْتَغْفَرَ لِنَفْسِهِ وَلِوَالِدَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِائَةَ مَرَّةٍ وَتَبَرَّأَ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ وَالْتَجَأَ إِلَى اللّٰهِ ثُمَّ قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ آدَمَ صَفْوَةُ اللّٰهِ وَفِطْرَتُهُ وَإِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللّٰهِ وَمُوسَى كَلِيمُ اللّٰهِ وَعِيسَى رُوحُ اللّٰهِ وَمُحَمَّداً حَبِيبُ اللّٰهِ كَانَ لَهُ مِنَ الثَّوَابِ بِعَدَدِ مَنْ دَعَا لِلّٰهِ وَلَداً وَمَنْ لَمْ يَدْعُ لِلّٰهِ وَلَداً وَبَعَثَهُ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْآمِنِينَ وَكَانَ حَقًّا عَلَى اللّٰهِ تَعَالَى أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ مَعَ النَّبِيِّينَ »

---

(١) حديث أبى هريرة من صلى يوم السبت أربع ركعات ـ الحديث : أبو موسى المدينى فى كتاب وظائف الليالى والأيام بسند ضعيف جدا

(٢) حديث أنس من صلى ليلة الأحد بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة ـ الحديث : لم أجد له أصلا وحديث من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة ـ الحديث : ذكره أبو موسى المدينى بغير أسناد وهو منكر وروى أبو موسى من حديث أنس فى فضل الصلاة فيها ست ركعات وأربع ركعات وكلاهما ضعيف جدا

قول العراقى حديث أنس من صلى ليلة الأحد عشرين الخ لم يكن بالاحياء ولعله بنسخته وكذا مالم يخرجه تأمل

ليلة الاثنين :

روى الأعمش عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (١) « مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ الْإِثْنَيْنِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى الْحَمْدُ لِلَّهِ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ وَفِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ عِشْرِينَ مَرَّةً وَفِي الثَّالِثَةِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ثَلَاثِينَ مَرَّةً وَفِي الرَّابِعَةِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ أَرْبَعِينَ مَرَّةً ثُمَّ يُسَلِّمُ وَيَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ خَمْسًا وَسَبْعِينَ مَرَّةً وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ لِنَفْسِهِ وَلِوَالِدَيْهِ خَمْسًا وَسَبْعِينَ مَرَّةً ثُمَّ سَأَلَ اللَّهَ حَاجَتَهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُعْطِيَهُ سُؤَالَهُ مَا سَأَلَ » وهي تسمى صلاة الحاجة

ليلة الثلاثاء :

« مَنْ صَلَّى (٢) رَكْعَتَيْنِ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً وَيَقْرَأُ بَعْدَ التَّسْلِيمِ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ تَعَالَى خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً كَانَ لَهُ ثَوَابٌ عَظِيمٌ وَأَجْرٌ جَسِيمٌ » روى عن عمر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ رَكْعَتَيْنِ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ مَرَّةً وَإِنَّا أَنْزَلْنَاهُ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعْتَقَ اللَّهُ رَقَبَتَهُ مِنَ النَّارِ وَيَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدَهُ وَدَلِيلَهُ إِلَى الْجَنَّةِ »

ليلة الأربعاء :

روت فاطمة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم (٣) أنه قال: « مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ رَكْعَتَيْنِ يَقْرَأُ فِي الْأُولَى فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ عَشْرَ مَرَّاتٍ وَفِي الثَّانِيَةِ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ

---

(١) حديث الأعمش عن أنس من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات ـ الحديث : ذكره أبو موسى المدينى هكذا عن الأعمش بغير أسناد وأسند من رواية يزيد الرقشى عن أنس حديثا فى صلاة ست ركعات فيها وهو منكر

(٢) حديث الصلاة فى ليلة الثلاثاء ركعتين ـ الحديث : ذكره أبو موسى بغير أسناد حكاية عن بعض المصنفين وأسند من حديث ابن مسعود وجابر حديثا فى صلاة أربع ركعات فيها وكلها منكرة

(٣) حديث من صلى ليلة الأربعاء ركعتين ـ الحديث : لم أجد فيه إلا حديث جابر فى صلاة أربع ركعات فيها ورواه أبو موسى المدينى وروي من حديث أنس ثلاثين ركعة

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ عَشْرَ مَرَّاتٍ ثُمَّ إِذَا سَلَّمَ اسْتَغْفَرَ اللهَ عَشْرَ مَرَّاتٍ ثُمَّ يُصَلِّى عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ مَرَّاتٍ نَزَلَ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَكْتُبُونَ ثَوَابَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » وفى حديث آخر : « سِتَّ عَشْرَةَ رَكْعَةً يَقْرَأُ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ مَاشَاءَ اللهُ وَيَقْرَأُ فِى آخِرِ الرَّكْعَتَيْنِ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ثَلَاثِينَ مَرَّةً وَفِى الْأُولَيَيْنِ ثَلَاثِينَ مَرَّةً قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ يُشَفَّعُ فِى عَشَرَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلُّهُمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِمُ النَّارُ » روت فاطمة رضى الله عنها أنها قالت[1] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ سِتَّ رَكَعَاتٍ قَرَأَ فِى كُلِّ رَكْعَةٍ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ إِلَى آخِرِ الآية فَإِذَا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ يَقُولُ : جَزَى اللهُ مُحَمَّدًا عَنَّا مَا هُوَ أَهْلُهُ غُفِرَ لَهُ ذُنُوبُ سَبْعِينَ سَنَةً وَكُتِبَ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ »

ليلة الخميس :

قال أبو هريرة رضى الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم :[2] « مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ الْخَمِيسِ مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ رَكْعَتَيْنِ يَقْرَأُ فِى كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ خَمْسَ مَرَّاتٍ وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ خَمْسَ مَرَّاتٍ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَإِذَا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ اللهَ تَعَالَى خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً وَجَعَلَ ثَوَابَهُ لِوَالِدَيْهِ فَقَدْ أَدَّى حَقَّ وَالِدَيْهِ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ عَاقًّا لَهُمَا وَأَعْطَاهُ اللهُ تَعَالَى مَا يُعْطِى الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءَ »

ليلة الجمعة :

قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :[3] « مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً يَقْرَأُ فِى كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ مَرَّةً وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ إِحْدَى عَشْرَةَ مَرَّةً فَكَأَنَّمَا عَبَدَ اللهَ تَعَالَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً صِيَامُ نَهَارِهَا وَقِيَامُ لَيْلِهَا »

---

(١) حديث فاطمة من صلى ست ركعات أى ليلة الأربعاء ـ الحديث : أبو موسى المدينى بسند ضعيف جدا

(٢) حديث أبى هريرة من صلى ليلة الخميس مابين المغرب والعشاء ركعتين ـ الحديث : أبو موسى المدينى وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس بسند ضعيف جدا وهو منكر

(٣) حديث جابر من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة ـ الحديث : باطل لاأصل له

وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم : (١) « مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ صَلاَةَ الْعِشَاءِ الآخِرَةِ فِي جَمَاعَةٍ وَصَلَّى رَكْعَتَي السُّنَّةِ ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهُمَا عَشْرَ رَكَعَاتٍ قَرَأَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ مَرَّةً مَرَّةً ثُمَّ أَوْتَرَ بِثَلاَثِ رَكَعَاتٍ وَنَامَ عَلَى جَنْبِهِ الأَيْمَنِ وَجْهُهُ إِلَى الْقِبْلَةِ فَكَأَنَّمَا أَحْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « أَكْثِرُوا مِنَ الصَّلاَةِ عَلَيَّ فِي اللَّيْلَةِ الْغَرَّاءِ وَالْيَوْمِ الأَزْهَرِ : لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ وَيَوْمِ الْجُمُعَةِ »

ليلة السبت

قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (٣) « مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ السَّبْتِ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً بُنِيَ لَهُ قَصْرٌ فِي الْجَنَّةِ وَكَأَنَّمَا تَصَدَّقَ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ وَتَبَرَّأَ مِنَ الْيَهُودِ وَكَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ »

القسم الثالث

ما يتكرر بتكرر السنين

وهي أربعة : صلاة العيدين ، والتراويح ، وصلاة رجب وشعبان

الأولى : صلاة العيدين

وهي سنة مؤكدة ، وشعار من شعائر الدين ، وينبغي أن يراعى فيها سبعة أمور

الأول : التكبير ثلاثا نسقا ، فيقول : الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلا ، لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، مخلصين له الدين ولو كره

---

(١) حديث أنس من صلى ليلة الجمعة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدهما عشر ركعات ـ الحديث : باطل لا أصل له وروى المظفر بن الحسين الأرجاني في كتاب فضائل القرءان وابراهيم بن المظفر في كتاب وصول القرءان للميت من حديث أنس من صلى ركعتين ليلة الجمعة قرأ فيهما بفاتحة الكتاب وإذا زلزلت خمسة عشر مرة وقال ابراهيم بن المظفر خمسين مرة أمنه الله من عذاب القبر ومن أهوال يوم القيامة ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من هذا الوجه ومن حديث ابن عباس أيضا وكلها ضعيفة منكرة وليس يصح في أيام الاسبوع ولياليه شيء والله أعلم

(٢) حديث أكثروا علي من الصلاة في الليلة الغراء واليوم الازهر طب في الاوسط من حديث أبي هريرة وفيه عبد المنعم بن بشير ضعفه ابن معين وابن حبان

(٣) حديث أنس من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة ـ الحديث : لم أجد له أصلا

الكافرون ، يفتتح بالتكبير ليلة الفطر إلى الشروع فى صلاة العيد ، وفى العيد الثانى يفتتح التكبير عقيب الصبح يوم عرفة إلى آخر النهار يوم الثالث عشر. وهذا أكمل الأقاويل . ويكبر عقب الصلوات المفروضة وعقيب النوافل ، وهو عقيب الفرائض آكد

الثانى : إذا أصبح يوم العيد يغتسل ويتزين ويتطيب كما ذكرناه فى الجمعة ، والرداء والعمامة هو الأفضل للرجال ، وليجنب الصبيان الحرير ، والعجائز التزين عند الخروج

الثالث : أن [1] يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر هكذا فعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [2] يَأْمُرُ بِإِخْرَاجِ الْعَوَاتِقِ وَذَوَاتِ الْخُدُورِ »

الرابع : المستحب الخروج إلى الصحراء إلا بمكة وبيت المقدس ، فان كان يوم مطر فلا بأس بالصلاة فى المسجد ، ويجوز فى يوم الصحو أن يأمر الإمام رجلا يصلى بالضعفة فى المسجد ويخرج بالأقوياء مكبرين

الخامس : يراعى الوقت ، فوقت صلاة العيد ما بين طلوع الشمس إلى الزوال ، ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر خطبتين وركعتين إلى آخر اليوم الثالث عشر . ويستحب تعجيل صلاة الأضحى لأجل الذبح وتأخير صلاة الفطر لأجل تفريق صدقة الفطر قبلها . هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم [3]

السادس : فى كيفية الصلاة ، فليخرج الناس مكبرين فى الطريق ، وإذا بلغ الإمام المصلى لم يجلس ولم يتنفل ، ويقطع الناس التنفل ، ثم ينادى مناد : الصلاة جامعة . ويصلى الإمام بهم ركعتين ، يكبر فى الأولى سوى تكبيرة الاحرام والركوع سبع تكبيرات ، يقول بين كل تكبيرتين : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ويقول : وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض عقيب تكبيرة الافتتاح ، ويؤخر الاستاذة إلى ما وراء الثامنة ، ويقرأ سورة ق فى الأولى بعد الفاتحة ، واقتربت فى الثانية ،

---

(١) حديث الخروج فى العيد فى طريق والرجوع فى أخرى م من حديث أبى هريرة

(٢) حديث كان يأمر باخراج العواتق وذوات الخدور متفق عليه : من حديث أم عطية

(٣) حديث تعجيل صلاة الأضحى وتأخير صلاة الفطر الشافعى من رواية أبى الحويرث مرسلا أن النبى صلى الله عليه وسلم كتب إلى عمرو بن حزم وهو بنجران أن عجل الأضحى وأخر الفطر

والتكبيرات الزائدة فى الثانية خمس سوى تكبيرتى القيام والركوع ، وبين كل تكبيرتين ماذكرناه ، ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة ، ومن فاتته صلاة العيد قضاها

السابع : أن يضحى بكبش « ضَحَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ وَذَبَحَ بِيَدِهِ وَقَالَ بِسْمِ اللهِ وَاللهُ أَكْبَرُ هَذَا عَنِّى وَعَمَّنْ لَمْ يُضَحِّ مِنْ أُمَّتِى » وقال صلى الله عليه وسلم : (٢) « مَنْ رَأَى هِلَالَ ذِى الْحِجَّةِ وَأَرَادَ أَنْ يُضَحِّىَ فَلَا يَأْخُذْ مِنْ شَعْرِهِ وَلَا مِنْ أَظْفَارِهِ شَيْئًا » قال أبو أيوب الأنصارى : (٣) « كَانَ الرَّجُلُ يُضَحِّى عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالشَّاةِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَيَأْكُلُونَ وَيُطْعِمُونَ » وله أن يأكل من الضحية بعد ثلاثة أيام فما فوق ، وردت فيه الرخصة بعد النهى عنه (٤) وقال سفيان الثورى : يستحب أن يصلى بعد عيد الفطر اثنتي عشرة ركعة ، وبعد عيد الأضحى ست ركعات ، وقال هو من السنة

الثانية : التراويح

وهى عشرون ركعة ، وكيفيتها مشهورة ، وهى سنة مؤكدة ، وإن كانت دون العيدين واختلفوا فى أن الجماعة فيها أفضل أم الانفراد . وقد « خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥) فِيهَا لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا لِلْجَمَاعَةِ ثُمَّ لَمْ يَخْرُجْ وَقَالَ : أَخَافُ أَنْ تُوجَبَ عَلَيْكُمْ »

---

(١) حديث ضحى بكبشين أملحين وذبح بيده وقال بسم الله والله أكبر هذا عنى وعمن لم يضح من أمتى متفق عليه دون قوله عنى الخ من حديث أنس وهذه الزيادة عند أبى داود و ت من حديث جابر وقال ت غريب ومنقطع

(٢) حديث من رأى هلال ذى الحجة وأراد أن يضحى فلا يأخذ من شعره وأظفاره : م من حديث أم سلمة

(٣) حديث أبى أيوب كان الرجل يضحى على عهد الرسول الله صلى الله عليه وسلم الشاة عن أهله فيأكلون ويطعمون : ت ه حسن صحيح

(٤) قال سفيان الثورى من السنة أن يصلى بعد الفطر اثنتى عشرة ركعة وبعد الأضحى ست ركعات : لم أجد له أصلا فى كونه سنة وفى الحديث الصحيح ما يخالفه وهو أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل قبلها ولا بعدها وقد اختلفوا فى قول التابعى من السنة كذا وأما قول تابعي التابع كذلك كالثورى فهو مقطوع

(٥) حديث خروجه لقيام رمضان ليلتين أو ثلاثا ثم لم يخرج وقال أخاف أن يوجب عليكم : متفق عليه من حديث عائشة بلفظ خشيت أن تفرض عليكم

وجمع عمر رضى الله عنه الناس عليها فى الجماعة حيث أمن من الوجوب بانقطاع الوحى ، فقيل : إن الجماعة أفضل لفعل عمر رضى الله عنه ، ولأن الاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرائض ، ولأنه ربما يكسل فى الانفراد ، وينشط عند مشاهدة الجمع . وقيل الانفراد أفضل لأن هذه سنة ليست من الشعائر كالعيدين فألحقها بصلاة الضحى ، وتحية المسجد أولى ولم تشرع فيها جماعة . وقد جرت العادة بأن يدخل المسجد جمع معاً ثم لم يصلوا التحية بالجماعة ، ولقوله صلى الله عليه وسلم[1] « فَضْلُ صَلَاةِ التَّطَوُّعِ فِى بَيْتِهِ عَلَى صَلَاتِهِ فِى الْمَسْجِدِ كَفَضْلِ صَلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ فِى الْمَسْجِدِ عَلَى صَلَاتِهِ فِى الْبَيْتِ » وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال :[2] « صَلَاةٌ فِى مَسْجِدِى هَذَا أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ صَلَاةٍ فِى غَيْرِهِ مِنَ الْمَسَاجِدِ ، وَصَلَاةٌ فِى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِى مَسْجِدِى وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ رَجُلٌ يُصَلِّى فِى زَاوِيَةِ بَيْتِهِ رَكْعَتَيْنِ لَا يَعْلَمُهُمَا إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ » وهذا لأن الرياء والتصنع ربما يتطرق إليه فى الجمع ، ويأمن منه فى الوحدة . فهذا ما قيل فيه . والمختار أن الجماعة أفضل ، كما رآه عمر رضى الله عنه ، فان بعض النوافل قد شرعت فيها الجماعة ، وهذا جدير بأن يكون من الشعائر التى تظهر . وأما الالتفات إلى الرياء فى الجمع ، والكسل فى الانفراد ، عدول عن مقصود النظر فى فضيلة الجمع من حيث إنه جماعة . وكأن قائله يقول : الصلاة

---

(١) حديث فضل صلاة التطوع فى بيته على صلاته فى المسجد كفضل صلاة المكتوبة فى المسجد على صلاته فى البيت ـ رواه آدم بن أبى اياس فى كتاب الثواب من حديث ضمرة بن حبيب مرسلا ورواه ابن أبى شيبة فى المصنف فجعله عن ضمرة بن حبيب عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم موقوفا وفى سنن د باسناد صحيح من حديث زيد بن ثابت صلاة المرء فى بيته أفضل من صلاته فى مسجدى هذا الا المكتوبة

(٢) حديث صلاة فى مسجدى هذا أفضل من مائة صلاة فى غيره وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة فى مسجدى وأفضل من هذا كله رجل يصلى ركعتين فى زاوية بيته لا يعلمها إلا الله ـ أبو الشيخ فى الثواب من حديث أنس صلاة فى مسجدى تعدل بعشرة آلاف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة والصلاة بارض الرباط تعدل بألفى ألف صلاة وأكثر من ذلك كله الركعتان يصليها العبد فى جوف الليل لايريد بها الا وجه الله عز وجل وأسناده ضعيف وذكر أبو الوليد الصفار فى كتاب الصلاة تعليقا من حديث الأوزاعى قال دخلت على يحى فاسند لى حديثا فذكره الا أنه قال فى الأولى ألف وفى الثانية مائة

خير من تركها بالكسل ، والإخلاص خير من الرياء . فلنفرض المسألة فيمن يثق بنفسه أنه لا يكسل لو انفرد ، ولا يرائى لو حضر الجمع ، فأيهما أفضل له ؟ فيدور النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الإخلاص وحضور القلب فى الوحدة ، فيجوز أن يكون فى تفضيل أحدهما على الآخر تردد . ومما يستحب القنوت فى الوتر فى النصف الأخير من رمضان .

أما صلاة رجب

فقد روى باسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (١) « مَا مِنْ أَحَدٍ يَصُومُ أَوَّلَ خَمِيسٍ مِنْ رَجَبٍ ثُمَّ يُصَلِّى فِيمَا بَيْنَ الْعِشَاءِ وَالْعَتَمَةِ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ رَكْعَةً يَفْصِلُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ بِتَسْلِيمَةٍ يَقْرَأُ فِى كُلِّ رَكْعَةٍ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ مَرَّةً وَإِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ مَرَّةً فَإِذَا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ صَلَّى عَلَىَّ سَبْعِينَ مَرَّةً يَقُولُ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَعَلَى آلِهِ ، ثُمَّ يَسْجُدُ وَيَقُولُ فِى سُجُودِهِ سَبْعِينَ مَرَّةً سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ ، ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَيَقُولُ سَبْعِينَ مَرَّةً : رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَتَجَاوَزْ عَمَّا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ ، ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَةً أُخْرَى وَيَقُولُ فِيهَا مِثْلَ مَا قَالَ فِى السَّجْدَةِ الْأُولَى ثُمَّ يَسْأَلُ حَاجَتَهُ فِى سُجُودِهِ فَإِنَّهَا تُقْضَى ـ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا يُصَلِّى أَحَدٌ هَذِهِ الصَّلَاةَ إِلَّا غَفَرَ اللهُ تَعَالَى لَهُ جَمِيعَ ذُنُوبِهِ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ وَعَدَدِ الرَّمْلِ وَوَزْنِ الْجِبَالِ وَوَرَقِ الْأَشْجَارِ وَيُشَفَّعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِى سَبْعِمِائَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ مِمَّنْ قَدِ اسْتَوْجَبَ النَّارَ » فهذه صلاة مستحبة ، وإنما أوردناها فى هذا القسم لأنها تتكرر بتكرر السنين ، وإن كانت رتبتها لا تبلغ رتبة التراويح وصلاة العيد ، لأن هذه الصلاة نقلها الآحاد ، ولكنى رأيت أهل القدس بأجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها ، فأحببت إيرادها

وأما صلاة شعبان

فليلة الخامس عشر منه ، يصلى مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة ، يقرأ فى كل ركعة

---

(١) حديث مامن أحد يصوم أول خميس من رجب ـ الحديث : فى صلاة الرغائب أورده رزين فى كتابه وهو حديث موضوع

بعد الفاتحة قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة ، وإن شاء صلى عشر ركعات يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله أحد . فهذا أيضاً مروى فى جملة الصلوات ، كان السلف يصلون هذه الصّلاة ويسمونها صلاة الخير ، ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة . روى عن الحسن أنه قال : حدثنى ثلاثون من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم [1] « أَنَّ مَنْ صَلَّى هَـذِهِ الصَّلاَةَ فى هَـذِهِ اللَّيْلَةِ نَظَرَ اللهُ إِلَيْهِ سَبْعِينَ نَظْرَةً وَقَضَى لَهُ بِكُلِّ نَظْرَةٍ سَبْعِينَ حَاجَةً أَدْنَاهَا الْمَغْفِرَةُ » .

القسم الرابع

من النوافل ما يتعلق بأسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهى تسعة

صلاة الخسوف ، والكسوف ، والاستسقاء ، وتحية المسجد وركعتى الوضوء ، وركعتين بين الأذان والإقامة ، وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول فيه ، ونظائر ذلك فنذكر منها ما يحضرنا الآن

الأولى : صلاة الخسوف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [2] « إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ لاَ يُخْسَفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَالصَّلاَةِ » قال ذلك لما مات ولده إبراهيم صلى الله عليه وسلم وكسفت الشمس فقال الناس : إنما كسفت لموته . والنظر فى كيفيتها ووقتها

أما الكيفية : فإذا كسفت الشمس فى وقت الصّلاة فيه مكروهة أو غير مكروهة نودى : الصّلاة جامعة ، وصلى الإمام بالناس فى المسجد ركعتين ، وركع فى كل ركعة ركوعين أوائلها أطول من أواخرها ، ولا يجهر ، فيقرأ فى الأولى من قيام الركعة الأولى الفاتحة والبقرة ، وفى الثانية الفاتحة وآل عمران ، وفى الثالثة الفاتحة وسورة النساء

---

(١) حديث صلاة ليلة نصف شعبان: حديث باطل و ه من حديث علي إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها وأسناده ضعيف

(٢) حديث ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله ـ الحديث : أخرجاه من حديث المغيرة بن شعبة

وفى الرابعة الفاتحة وسورة المائدة ، أو مقدار ذلك من القرءان من حيث أراد ؛ ولو اقتصر على الفاتحة فى كل قيام أجزأه ، ولو اقتصر على سور قصار فلا بأس . ومقصود التطويل دوام الصلاة إلى الانجلاء ، ويسبح فى الركوع الأول قدر مائة آية ، وفى الثانى قدر ثمانين ، وفى الثالث قدر سبعين ، وفى الرابع قدر خمسين ، وليكن السجود على قدر الركوع فى كل ركعة ، ثم يخطب خطبتين بعد الصَّلاة بينهما جلسة ، ويأمر الناس بالصدقة والعتق والتوبة ، وكذلك يفعل بخسوف القمر ، إلا أنه يجهر فيها لأنها ليلية

فأما وقتها فعند ابتداء الكسوف إلى تمام الانجلاء ، ويخرج وقتها بأن تغرب الشمس كاسفة ، وتفوت صلاة خسوف القمر بأن يطلع قرص الشمس ، إذ يبطل سلطان الليل ، ولا تفوت بغروب القمر خاسفا ، لأن الليل كله سلطان القمر ، فان انجلى فى أثناء الصَّلاة أتمها مخففة ومن أدرك الركوع الثانى مع الإمام فقد فاتته تلك الركعة لأن الأصل هو الركوع الأول

الثانية : صلاة الاستسقاء

فإذا غارت الأنهار وانقطعت الأمطار أو انهارت قناة ، فيستحب للإمام أن يأمر الناس أولا بصيام ثلاثة أيام ، وما أطاقوا من الصدقة ، والخروج من المظالم ، والتوبة من المعاصى ، ثم يخرج بهم فى اليوم الرابع ، وبالعجائز والصبيان ، متنظفين فى ثياب بذلة واستكانة ، متواضعين ، بخلاف العيد . وقيل يستحب إخراج الدواب لمشاركتها فى الحاجة ولقوله صلى الله عليه وسلم : [1] « لَوْلَا صِبْيَانٌ رُضَّعٌ وَمَشَايِخُ رُكَّعٌ وَبَهَائِمُ رُتَّعٌ لَصُبَّ عَلَيْكُمُ الْعَذَابُ صَبًّا » ولو خرج أهل الذمة أيضاً متميزين لم يمنعوا ، فاذا اجتمعوا فى المصلى الواسع من الصحراء نودى : الصلاة جامعة ، فصلى بهم الإمام ركعتين مثل صلاة العيد بغير تكبير ، ثم يخطب خطبتين وبينهما جلسة خفيفة ، وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغى فى وسط الخطبة الثانية [2] أن يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحول رداءه فى هذه الساعة تفاؤلا بتحويل الحال . هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجعل أعلاه

---

(١) حديث لولا صبيان رضع ومشايخ ركع ـ الحديث : هق وضعفه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث استدبار الناس واستقبال القبلة وتحويل الرداء فى الاستسقاء أخرجاه من حديث عبد الله بن زيد المازنى

أسفله ، وما على اليمين على الشمال ، وما على الشمال على اليمين ، وكذلك يفعل الناس ، ويدعون فى هذه الساعة سراً ، ثم يستقبلهم فيختم الخطبة ويدعون أرديتهم محولة كما هى حتى ينزعوها متى نزعوا الثياب ، ويقول فى الدعاء : اللهم إنك أمرتنا بدعائك ووعدتنا إجابتك ، فقد دعوناك كما أمرتنا فأجبنا كما وعدتنا ، اللهم فامنن علينا بمغفرة ماقارفنا وإجابتك فى سقيانا وسعة أرزاقنا . ولا بأس بالدعاء أدبار الصلوات فى الأيام الثلاثة قبل الخروج ، ولهذا الدعاء آداب وشروط باطنة من التوبة ورد المظالم وغيرها ، وسيأتى ذلك فى كتاب الدعوات

الثالثة : صلاة الجنائز

وكيفيتها مشهورة ، وأجمع دعاء مأثور ما روى فى الصحيح عن عوف بن مالك قال : « رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ وَوَسِّعْ مَدْخَلَهُ وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ وَأَبْدِلْهُ دَاراً خَيْراً مِنْ دَارِهِ وَأَهْلاً خَيْراً مِنْ أَهْلِهِ وَزَوْجاً خَيْراً مِنْ زَوْجِهِ وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ » حتى قال عوف : تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت . ومن أدرك التكبيرة الثانية فينبغى أن يراعى ترتيب الصلاة فى نفسه ويكبر مع تكبيرة الإمام ، فإذا سلم الإمام قضى تكبيره الذى فات كفعل المسبوق ، فإنه لو بادر التكبيرات لم تبق للقدوة فى هذه الصلاة معنى . فالتكبيرات هى الأركان الظاهرة ، وجدير بأن تقام مقام الركعات فى سائر الصلوات . هذا هو الأوجه عندى وإن كان غيره محتملا . والأخبار الواردة فى فضل صلاة الجنازة وتشييعها مشهورة ، فلا نطيل بإيرادها ، وكيف لا يعظم فضلها وهى من فرائض الكفايات ، وإنما تصير نفلا فى حق من لم تتعين عليه بحضور غيره ، ثم ينال بها فضل فرض الكفاية وإن لم يتعين ، لأنهم بجملتهم قاموا بما هو فرض الكفاية وأسقطوا الحرج عن غيرهم ، فلا يكون ذلك كنفل لا يسقط به فرض عن أحد . ويستحب طلب

---

(١) حديث عوف بن مالك فى الصلاة على الجنازة اللهم اغفرلى وله وارحمنى وارحمه وعافنى وعافه الحديث : مسلم دون الدعاء للمصلى

كثرة الجمع تبركا بكثرة الهمم والأدعية واشتماله على ذى دعوة مستجابة ، لما روى كريب عن ابن عباس أنه مات له ابن فقال : يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس ، قال : فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته ، فقال تقول هم أربعون ؟ قلت : نعم ، قال : أخرجوه فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] يقول : « مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً لاَ يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئاً إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ » وإذا شيع الجنازة فوصل المقابر أو دخلها ابتداء قال : السلام عليكم أهل هذه الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون . والأولى أن لا ينصرف حتى يدفن الميت ، فإذا سوى على الميت قبره قام عليه وقال : اللهم عبدك رد إليك فارأف به وارحمه ، اللهم جاف الأرض عن جنبيه وافتح أبواب السماء لروحه وتقبله منك بقبول حسن ، اللهم إن كان محسناً فضاعف له فى إحسانه وإن كان مسيئاً فتجاوز عنه

الرابعة : تحية المسجد

ركعتان فصاعداً سنة مؤكدة ، حتى إنها لا تسقط وإن كان الإمام يخطب يوم الجمعة مع تأكد وجوب الإصغاء إلى الخطيب ، وإن اشتغل بفرض أو قضاء تأدى به التحية وحصل الفضل ، إذ المقصود أن لا يخلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياما بحق المسجد ، ولهذا يكره أن يدخل المسجد على غير وضوء ، فإن دخل لعبور أو جلوس فليقل : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، يقولها أربع مرات . يقال إنها عدل ركعتين فى الفضل . ومذهب الشافعى رحمه الله أنه لا تكره التحية فى أوقات الكراهية ، وهى بعد العصر ، وبعد الصبح ، ووقت الزوال ، ووقت الطلوع والغروب ، لما روى « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [2] صَلَّى رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ ، فَقِيلَ لَهُ : أَمَا نَهَيْتَنَا عَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : هُمَا رَكْعَتَانِ كُنْتُ أُصَلِّيهِمَا بَعْدَ الظُّهْرِ فَشَغَلَنِي عَنْهُمَا الْوَفْدُ » فأفاد هذا الحديث فائدتين

---

(١) حديث ابن عباس ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون ـ الحديث : م

(٢) حديث صلى ركعتين بعد العصر قيل له أما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت أصليها بعد الظهر الحديث أخرجاه من حديث أم سلمة ولمسلم من حديث عائشة كان يصلى ركعتين قبل العصر ثم انه شغل عنهما ـ الحديث

إحداهما : أن الكراهية مقصورة على صلاة لاسبب لها ومن أضعف الأسباب قضاء النوافل ، إذ اختلفت العلماء فى أن النوافل هل تقضى ؟ وإذا فعل مثل ما فاته هل يكون قضاء ؟ وإذا انتفت الكراهية بأضعف الأسباب فبأحرى أن تنتفى بدخول المسجد وهو سبب قوى ، ولذلك لا تكره صلاة الجنازة إذا حضرت ، ولا صلاة الخسوف والاستسقاء فى هذه الأوقات لأن لها أسبابا

الفائدة الثانية : قضاء النوافل إذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، ولنا فيه أسوة حسنة . وقالت عائشة رضى الله عنها « كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [1] إِذَا غَلَبَهُ نَوْمٌ أَوْ مَرَضٌ فَلَمْ يَقُمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ صَلَّى مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً » وقد قال العلماء : من كان فى الصلاة ففاته جواب المؤذن فاذا سلم قضى وأجاب ، وإن كان المؤذن سكت . ولا معنى الآن لقول من يقول إن ذلك مثل الأول وليس يقضى إذ لو كان كذلك لما صلاها رسول الله صلى عليه وسلم فى وقت الكراهة . نعم من كان له ورد فعاقه عن ذلك عذر فينبغى أن لا يرخص لنفسه فى تركه ، بل يتداركه فى وقت آخر ، حتى لا تميل نفسه إلى الدعة والرفاهية ، وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولأنه صلى الله عليه وسلم [2] قال : « أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ » فيقصد به أن لا يفتر فى دوام عمله . وروت عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم [3] أنه قال : « مَنْ عَبَدَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بِعِبَادَةٍ ثُمَّ تَرَكَهَا مَلَالَةً مَقَتَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ » فليحذر أن يدخل تحت الوعيد . وتحقيق هذا الخبر أنه مقته الله تعالى بتركها ملالة ، فلولا المقت والإبعاد لما سلطت الملالة عليه .

الخامسة : ركعتان بعد الوضوء

مستحبتان ، لأن الوضوء قربة ومقصودها الصلاة والأحداث عارضة ، فربما يطرأ الحدث قبل صلاة فينتقض الوضوء ويضيع السعى ، فالمبادرة إلى ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء

---

(١) حديث عائشة كان اذا غلبه نوم أو مرض فلم يقم تلك الليلة ـ الحديث : م

(٢) حديث أحب الاعمال الى الله أدومها وان قل : أخرجاه من حديث عائشة

(٣) حديث عائشة من عبد الله عبادة ثم تركها ملالة مقته الله : ورواه ابن السنى فى رياضة المتعبدين موقوفا على عائشة

قبل الفوات ، وعرف ذلك بحديث بلال ، إذ قال صلى الله عليه وسلم [١] « دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ بِلَالاً فِيهَا فَقُلْتُ لِبِلَالٍ : بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ ؟ فَقَالَ بِلَالٌ : لَا أَعْرِفُ شَيْئاً إِلَّا أَنِّي لَا أُحْدِثُ وُضُوءاً إِلَّا أُصَلِّي عَقِيبَهُ رَكْعَتَيْنِ »

السادسة : ركعتان عند دخول المنزل وعند الخروج منه

روى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [٢] « إِذَا خَرَجْتَ مِنْ مَنْزِلِكَ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ يَمْنَعَانِكَ مَخْرَجَ السُّوءِ ، وَإِذَا دَخَلْتَ إِلَى مَنْزِلِكَ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ يَمْنَعَانِكَ مَدْخَلَ السُّوءِ » وفى معنى هذا كل أمر يبتدأ به مما له وقع ، ولذلك ورد : « رَكْعَتَانِ [٣] عِنْدَ الْإِحْرَامِ وَرَكْعَتَانِ [٤] عِنْدَ ابْتِدَاءِ السَّفَرِ ، وَرَكْعَتَانِ [٥] عِنْدَ الرُّجُوعِ مِنَ السَّفَرِ فِي الْمَسْجِدِ قَبْلَ دُخُولِ الْبَيْتِ » فكل ذلك مأثور من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان بعض الصالحين إذا أكل أكلة صلى ركعتين ، وإذا شرب شربة صلى ركعتين ، وكذلك فى كل أمر يحدثه

وبداية الأمور ينبغى أن يتبرك فيها بذكر الله عز وجل ، وهى على ثلاث مراتب ، بعضها يتكرر مراراً كالأكل والشرب ، فيبدأ فيه باسم الله عز وجل ، قال صلى الله عليه وسلم : [٦] « كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَهُوَ أَبْتَرُ »

---

(١) حديث دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت بلال بم سبقتنى إلى الجنة ـ الحديث : أخرجاه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث أبى هريرة إذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء واذا دخلت منزلك ـ الحديث : هق فى الشعب من رواية بكر بن عمرو عن صفوان ابن سليم قال بكر حسبته عن أبى هريرة فذكره وروى الخرائطى فى مكارم الأخلاق وابن عدى فى الكامل من حديث أبى هريرة اذا دخل أحدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين فان الله جاعل له من ركعتيه خيرا قال ابن عدى وهو بهذا الأسناد منكر وقال خ لا أصل له

(٣) حديث ركعتى الاحرام خ من حديث ابن عمر

(٤) حديث صلاة ركعتين عند ابتداء السفر الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث أنس مااستخلف فى أهله من خليفة أحب الى الله من أربع ركعات يصليهن العبد فى بيته اذا شد عليه ثياب سفره ـ الحديث وهو ضعيف

(٥) حديث الركعتين عند القدوم من السفر أخرجاه من حديث كعب بن مالك

(٦) حديث كل أمر ذى بال لم يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر د ن هـ حب فى صحيحه من حديث أبى هريرة

الثانية : ما لا يكثر تكرره وله وقع ، كعقد النكاح ، وابتداء النصيحة والمشورة ، فالمستحب فيها أن يصدر بحمد الله ، فيقول المزوج : الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجتك ابنتي ، ويقول القابل: الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلت النكاح . وكانت عادة الصحابة رضى الله عنهم فى ابتداء أداء الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم التحميد

الثالثة : ما لا يتكرر كثيراً وإذا وقع دام وكان له وقع ، كالسفر ، وشراء دار جديده ، والإحرام وما يجرى مجراه ، فيستحب تقديم ركعتين عليه ، وأدناه الخروج من المنزل والدخول إليه ، فانه نوع سفر قريب

السابعة : صلاة الاستخارة

فمن هم بأمر وكان لا يدرى عاقبته ولا يعرف أن الخير فى تركه أو فى الإقدام عليه ، فقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « بِأَنْ يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ يَقْرَأُ فِي الْأُولَى فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، وَفِي الثَّانِيَةِ الْفَاتِحَةَ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فَإِذَا فَرَغَ دَعَا وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَعَاقِبَةِ أَمْرِي وَعَاجِلِهِ وَآجِلِهِ فَاقْدِرْهُ لِي وَبَارِكْ لِي فِيهِ ثُمَّ يَسِّرْهُ لِي وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَعَاقِبَةِ أَمْرِي وَعَاجِلِهِ وَآجِلِهِ فَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ أَيْنَمَا كَانَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » رواه جابر ابن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرءان ، وقال صلى الله عليه وسلم : إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِأَمْرٍ فَلْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ لِيُسَمِّ الْأَمْرَ وَيَدْعُو بِمَا ذَكَرْنَا . وقال بعض الحكماء : من أعطى أربعاً لم يمنع أربعاً : من أعطي الشكر لم يمنع المزيد ، ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ، ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ، ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب

---

(١) حديث صلاة الاستخارة: خ من حديث جابر قال أحمد حديث منكر

الثامنة : صلاة الحاجة

فمن ضاق عليه الأمر ومسته حاجة فى صلاح دينه ودنياه إلى أمر تعذر عليه فليصل هذه الصلاة ، فقد[1] روى عن وهيب بن الورد أنه قال : إن من الدعاء الذى لا يرد أن يصلى العبد ثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة بأم الكتاب وآية الكرسى وقل هو الله أحد ، فاذا فرغ خر ساجداً ثم قال : سبحان الذى لبس العز وقال به ، سبحان الذى تعطف بالمجد وتكرم به ، سبحان الذى أحصى كل شىء بعلمه ، سبحان الذى لا ينبغى التسبيح إلا له ، سبحان ذى المنّ والفضل ، سبحان ذى العز والكرم ، سبحان ذى الطول ، أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك ، وباسمك الأعظم وجدك الأعلى وكلماتك التامات العامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، أن تصلى على محمد وعلى آل محمد . ثم يسأل حاجته التى لا معصية فيها ، فيجاب إن شاء الله عز وجل ، قال وهيب : بلغنا أنه كان يقال لا تعلموها لسفهائكم فيتعاونون بها على معصية الله عز وجل

التاسعة : صلاة التسبيح

وهذه الصلاة مأثورة على وجهها ، ولا تختص بوقت ولا بسبب ، ويستحب أن لا يخلو الأسبوع عنها مرة واحدة أو الشهر مرة ، فقد روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم[2] قال للعباس بن عبد المطلب : « أَلاَ أُعْطِيكَ أَلاَ أَمْنَحُكَ أَلاَ أَحْبُوكَ بِشَيْءٍ إِذَا أَنْتَ فَعَلْتَهُ غَفَرَ اللهُ لَكَ ذَنْبَكَ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ قَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ خَطَأَهُ وَعَمْدَهُ سِرَّهُ وَعَلاَنِيَتَهُ ؟ تُصَلِّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ تَقْرَأُ فِى كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَسُورَةً فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِى أَوَّلِ رَكْعَةٍ وَأَنْتَ قَائِمٌ تَقُولُ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً ثُمَّ تَرْكَعُ فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ رَاكِعٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ ثُمَّ تَرْفَعُ مِنَ الرُّكُوعِ فَتَقُولُهَا قَائِمًا عَشْرًا ثُمَّ تَسْجُدُ فَتَقُولُهَا عَشْرًا ثُمَّ تَرْفَعُ مِنَ السُّجُودِ فَتَقُولُهَا جَالِسًا

---

(١) حديث ابن مسعود فى صلاة الحاجة اثنى عشر ركعة : أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس باسادين ضعيفين جدا فيها عمرو بن هارون البلخى كذبه ابن معين وفيه علل أخرى وقد وردت صلاة الحاجة ركعتين رواه ت ه من حديث عبد الله بن أبى أوفى وقال ت حديث غريب وفى أسناده مقال

(٢) حديث صلاة التسبيح تقدم

عَشْراً ثُمَّ تَسْجُدُ فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ سَاجِدٌ عَشْراً ثُمَّ تَرْفَعُ مِنَ السُّجُودِ فَتَقُولُهَا عَشْراً فَذَلِكَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ فِى كُلِّ رَكْعَةٍ تَفْعَلُ ذَلِكَ فِى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُصَلِّيَهَا فِى كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً فَافْعَلْ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِى كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِى كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِى السَّنَةِ مَرَّةً » وفى رواية أخرى أنه يقول فى أول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وتقدست أسماؤك ولا إله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشراً بعد القراءة والباقى كما سبق عشراً عشراً ولا يسبح بعد السجود الأخير قاعداً . وهذا هو الأحسن ، وهو اختيار ابن المبارك والمجموع من الروايتين ثلثمائة تسبيحة ، فان صلاها نهاراً فبتسليمة واحدة ، وإن صلاها ليلا فبتسليمتين أحسن ، إذ ورد « أَنَّ صَلَاةَ[1] اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى » وإن زاد بعد التسبيح قوله : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فهو حسن ، فقد ورد ذلك فى بعض الروايات

فهذه الصلوات المأثورة . ولا يستحب شىء من هذه النوافل فى الأوقات المكروهة إلا تحية المسجد ، وما أوردناه بعد التحية من ركعتى الوضوء وصلاة السفر والخروج من المنزل والاستخارة فلا ، لأن النهى مؤكد ، وهذه الأسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الخسوف والاستسقاء والتحية . وقد رأيت بعض المتصوّفة يصلى فى الأوقات المكروهة ركعتى الوضوء وهو فى غاية البعد ، لأن الوضوء لا يكون سبباً للصلاة بل الصلاة سبب الوضوء ، فينبغى أن يتوضأ ليصلى لا أنه يصلى لأنه توضأ ، وكل محدث يريد أن يصلى فى وقت الكراهية فلا سبيل له إلا أن يتوضأ ويصلى فلا يبقى للكراهية معنى ، ولا ينبغى أن ينوى ركعتى الوضوء كما ينوى ركعتى التحية ، بل إذا توضأ صلى ركعتين تطوعا كيلا يتعطل وضوء كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء . وحديث بلال لم يدل على أن الوضوء سبب كالخسوف والتحية حتى ينوى ركعتى الوضوء ، فيستحيل أن ينوى بالصلاة الوضوء ، بل ينبغى أن ينوى بالوضوء الصلاة ، وكيف ينتظم أن يقول فى وضوئه أتوضأ لصلاتى وفى صلاته يقول أصلى لوضوئى ، بل من أراد أن يحرس وضوءه عن التعطيل فى وقت الكراهية فلينو قضاء إن كان يجوز أن يكون فى ذمه صلاة تطرق اليها خلل لسبب من الأسباب ، فإن قضاء الصلوات فى أوقات الكراهية غير مكروه فأما نية التطوع فلا وجه لها

---

(١) حديث صلاة الليل مثنى مثنى : أخرجاه من حديث ابن عمر

ففى النهى فى أوقات الكراهية مهمات ثلاثة : (أحدها) التوقى من مضاهاة عبدة الشمس . و (الثانى) الاحتراز من انتشار الشياطين ، إذ قال صلى الله عليه وسلم [1] إِنَّ الشَّمْسَ لَتَطْلُعُ وَمَعَهَا قَرْنُ الشَّيْطَانِ فَإِذَا طَلَعَتْ قَارَنَهَا، وَإِذَا ارْتَفَعَتْ فَارَقَهَا ، فَإِذَا اسْتَوَتْ قَارَنَهَا ، فَإِذَا زَالَتْ فَارَقَهَا ، فَإِذَا تَضَيَّفَتْ لِلْغُرُوبِ قَارَنَهَا ، فَإِذَا غَرَبَتْ فَارَقَهَا » ونهى عن الصلوات فى هذه الأوقات ونبه به على العلة . و (الثالث) أن سالكى طريق الآخرة لا يزالون يواظبون على الصلوات فى جميع الأوقات ، والمواظبة على نمط واحد من العبادات يورث الملل ومهما منع منها ساعة زاد النشاط وانبعثت الدواعى ، والإنسان حريص على ما منع منه ، ففى تعطيل هذه الأوقات زيادة تحريض وبعث على انتظار انقضاء الوقت ، فخصصت هذه الأوقات بالتسبيح والاستغفار ، حذراً من الملل بالمداومة ، وتفرجا بالانتقال من نوع عبادة إلى نوع آخر ، ففى الاستطراف والاستجداد لذة ونشاط وفى الاستمرار على شىء واحد استثقال وملال ، ولذلك لم تكن الصلاة سجوداً مجرداً ولا ركوعا مجرداً ولا قياما مجرداً ، بل رتبت العبادات من أعمال مختلفة وأذكار متباينة ، فان القلب يدرك من كل عمل منها لذة جديدة عند الانتقال إليها ، ولو واظب على الشىء الواحد لتسارع إليه الملل . فإذا كانت هذه أموراً مهمة فى النهى عن ارتكاب أوقات الكراهة إلى غير ذلك من أسرار أخر ، ليس فى قوة البشر الاطلاع عليها ، والله ورسوله أعلم بها . فهذه المهمات لا تترك إلا بأسباب مهمة فى الشرع مثل قضاء الصلوات وصلاة الاستسقاء والخسوف وتحية المسجد ، فأما ماضعف عنها فلا ينبغى أن يصادم به مقصود النهى . هذا هو الأوجه عندنا والله أعلم

كمل كتاب أسرار الصلاة من كتاب إحياء علوم الدين ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، والحمد لله وحده ، وصلاته على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً

---

(١) حديث أن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها ـ الحديث : ن من حديث عبد الله الصنابحى وهو مرسل ومالك هو الذى يقول عبد الله الصنابحى ووهم فيه والصواب عبد الرحمن ولم ير النبى صلى الله عليه وسلم

كتاب أسرار الزكاة

كتاب أسرار الزكاة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أسعد وأشقى ، وأمات وأحيا ، وأضحك وأبكى ، وأوجد وأفنى ، وأفقر وأغنى ، وأضر وأقنى ، الذى خلق الحيوان من نطفة تمنى ، ثم تفرد عن الخلق بوصف الغنى ، ثم خصص بعض عباده بالحسنى ، فأفاض عليهم من نعمه ما أيسر به من شاء واستغنى ، وأحوج إليه من أخفق فى رزقه وأكدى ، إظهاراً للامتحان والابتلا ، ثم جعل الزكاة للدين أساساً ومبنى ، وبين أن بفضله تزكى من عباده من تزكى ومن غناه زكى ماله من زكى . والصلاة على محمد المصطفى سيد الورى وشمس الهدى ، وعلى آله وأصحابه المخصوصين بالعلم والتقى

أما بعد : فإن الله تعالى جعل الزكاة إحدى مبانى الإسلام ، وأردف بذكرها الصلاة التى هى أعلى الأعلام فقال تعالى : (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ *) وقال صلى الله عليه وسلم :[1] « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ » وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال : (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ *) ومعنى الإنفاق فى سبيل الله إخراج حق الزكاة . قال الأحنف بن قيس : كنت فى نفر من قريش فمر أبو ذر فقال : بشر الكانزين بكىّ فى ظهورهم يخرج من جنوبهم ، وبكىّ فى أقفائهم يخرج من جباههم . وفى رواية أنه يوضع على حلمة ثدى أحدهم فيخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل . وقال أبو ذر : انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رآنى قال : « هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ » فقلت ومن هم ؟ قال « الْأَكْثَرُونَ

﴿ كتاب أسرار الزكاة ﴾

(١) حديث بنى الاسلام على خمس أخرجاه من حديث ابن عمر

(٢) حديث أبي ذر انتهيت الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رآنى قال هم الأخسرون ورب الكعبة ـ الحديث : أخرجاه م و خ

* البقرة : ١١٠ * التوبة : ٣٤

أَمْوَالًا إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَقِيلَ : مَا هُمْ مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ وَلَا بَقَرٍ وَلَا غَنَمٍ لَا يُؤَدِّى زَكَاتَهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْظَمَ مَا كَانَتْ وَأَسْمَنَهُ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا كُلَّمَا نَفَدَتْ أُخْرَاهَا عَادَتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ » وإذا كان هذا التشديد مخرجاً فى الصحيحين فقد صار من مهمات الدين الكشف عن أسرار الزكاة وشروطها الجلية والخفية ، ومعانيها الظاهرة والباطنة ، مع الإقتصار على مالا يستغنى عن معرفته مؤدى الزكاة وقابضها .

وينكشف ذلك فى أربعة فصول :

الفصل الأول : فى أنواع الزكاة وأسباب وجوبها

الثانى : فى آدابها وشروطها الباطنة والظاهرة

الثالث : فى القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضه

الرابع : فى صدقة التطوع وفضلها

الفصل الأول

فى أنواع الزكاة وأسباب وجوبها

والزكوات باعتبار متعلقاتها ستة أنواع : زكاة النعم ، والنقدين ، والتجارة ، وزكاة الركاز والمعادن ، وزكاة المعشرات ، وزكاة الفطر

النوع الأول زكاة النعم

ولا تجب هذه الزكاة وغيرها إلا على حر مسلم ، ولا يشترط البلوغ ، بل تجب فى مال الصبي والمجنون . هذا شرط من عليه

وأما المال فشروطه خمسة : أن يكون نعما ، سائمة ، بافية حولا ، نصابا كاملا ، مملوكا على الكمال

الشرط الأول : كونه نعما ، فلا زكاة إلا فى الإبل والبقر والغنم . أما الخيل والبغال والحمير والمتولد من بين الظباء والغنم . فلا زكاة فيها

الثانى : السوم ، فلا زكاة فى معلوفة ، وإذا أسيمت فى وقت وعلفت فى وقت تظهر بذلك مؤنتها فلا زكاة فيها

الثالث : الحول ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] « لَازَكَاةَ فِى مَالٍ حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ » . ويستثنى من هذا نتاج المال فانه ينسحب عليه حكم المال . وتجب الزكاة فيه لحول الأصول ، ومهما باع المال فى أثناء الحول أو وهبه انقطع الحول

الرابع : كمال الملك والتصرف ، فتجب الزكاة فى الماشية المرهونة لأنه الذى حجر على نفسه فيه ، ولاتجب فى الضال والمغصوب إلا إذا عاد بجميع نمائه ، فتجب زكاة مامضى عند عوده ولو كان عليه دين يستغرق ماله فلا زكاة عليه فإنه ليس غنياً به إذ الغنى مايفضل عن الحاجة

الخامس : كمال النصاب

أما الإبل

فلا شىء فيها حتى تبلغ خمسا ففيها جذعة من الضأن ، والجذعة هى التى تكون فى السنة الثانية أو ثنية من المعز وهى التى تكون فى السنة الثالثة ، وفى عشر شاتان ، وفى خمس عشرة ثلاث شياه ، وفى عشرين أربع شياه ، وفى خمس وعشرين بنت مخاض وهى التى فى السنة الثانية ، فإن لم يكن فى ماله بنت مخاض فابن لبون ذكر وهو الذى فى السنه الثالثة يؤخذ وإن كان قادرا على شرائها وفى ست وثلاثين ابنة لبون ، ثم إذا بلغت ستا وأربعين ففيها حقة وهى التى فى السنة الرابعة ، فاذ صارت احدى وستين ففيها جذعة وهى التى فى السنة الخامسة ، فاذا صارت ستا وسبعين ففيها بنتا لبون ، فإذا صارت إحدى وتسعين ففيها حقتان ، فاذا صارت إحدى وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون ، فإذا صارت مائة وثلاثين فقد استقر الحساب ففى كل خمسين حقة وفى كل أربعين بنت لبون

وأما البقر

فلا شىء فيها حتى تبلغ ثلاثين ففيها تبيع وهو الذى فى السنة الثانية ثم فى أربعين مُسنة وهى التى فى السنة الثالثة ثم فى ستين تبيعان ، واستقر الحساب بعد ذلك ففى كل أربعين مسنة ، وفى كل ثلاثين تبيع

(١) حديث لازكاة فى مال حتى يحول عليه الحول : أبو داود من حديث على باسناد جيد وهو من حديث عائشة باسناد ضعيف

وأما الغنم : فلازكاة فيها حتى تبلغ أربعين ، ففيها شاة جَذَعَة من الضأن أو ثنية من المعز ثم لاشىء فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان ، إلى مائتى شاة وواحدة ففيها ثلاث شياة إلى ، أربعمائة ففيها أربع شياه ، ثم استقر الحساب فى كل مائة شاة . وصدقة الخليطين كصدقة المالك الواحد فى النصاب ، فإذا كان بين رجلين أربعون من الغنم ففيها شاة ، وإن كان بين ثلاثة نفرمائة شاة وعشرون ففيها شاة واحدة على جميعهم ، وخلطة الجوار كخلطة الشيوع ، ولكن يشترط أن يريحا معا ويسقيا معا ويحلبا معا ويسرحا معا ، ويكون المرعى معا ، ويكون انزاء الفحل معا ، وأن يكونا جميعا من أهل الزكاة . ولاحكم للخلطة مع الذمى والمكاتب ، ومهما نزل فى واجب الابل عن سن إلى سن فهو جائز مالم يجاوز بنت مخاض فى النزول ، ولكن تضم إليه جبران السن لسنة واحدة شاتين أوعشرين درهما ولسنتين أربع شياه أو أربعين درهما وله أن يصعد فى السن مالم يجاوز الجذعة فى الصعود ، ويأخذ الجبران من الساعين من بيت المال ، ولا تؤخذ فى الزكاة مريضة إذا كان بعض المال صحيحا ولو واحدة ، ويؤخذ من الكرائم كريمة ومن اللئام لئيمة ، ولا يؤخذ من المال الأكولة ولاالماخض ولا الربى ولا الفحل ولا غراء المال

النوع الثانى زكاة المعشرات

فيجب العشر فى كل مستنبت مقتات بلغ ثمانمائة مَنّ ، ولا شىء فيما دونها ، ولافى الفواكه والقطن ولكن فى الحبوب التى تقتات ، وفى التمر والزبيب . ويعتبر أن تكون ثمانمائة مَنّ تمرا أو زبيبا ، لارطبا وعنبا . ويخرج ذلك بعد التجفيف ويكمل مال أحد الخليطين بمال الآخر فى خلطة الشيوع كالبستان المشترك بين ورثة لجميعهم ثمانمائة مَنّ من زبيب ، فيجب على جميعهم ثمانون منا من زبيب بقدر حصصهم ، ولايعتبر خلطة الجوار فيه ، ولا يكمل نصاب الحنطة بالشعير ، ويكمل نصاب الشعير بالسُّلْت فانه نوع منه . هذا قدر الواجب ان كان يسقى بسيح أوقناة

فان كان يسقى بنضح أودالية فيجب نصف العشر ، فان اجتمعا فالأغلب يعتبر

وأما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابس والحب اليابس بعد التنقية ، ولا يؤخذ عنب

ولا رطب الا إذا حلت بالأشجار آفة وكانت المصلحة فى قطعها قبل تمام الإدراك ، فيؤخذ الرطب فيكال تسعة للمالك وواحد للفقير . ولا يمنع من هذه القسمة قولنا : إن القسمة بيع ، بل يرخص فى مثل هذا للحاجة

ووقت الوجوب أن يبدو الصلاح فى الثمار وأن يشتد الحبُّ . ووقت الأداء بعد الجفاف

النوع الثالث زكاة النقدين

فإذا تم الحول على وزن مائتى درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم وهو ربع العشر ، ومازاد فبحسابه ولو درهما . ونصاب الذهب عشرون مثقالا خالصا بوزن مكة ففيها ربع العشر ومازاد فبحسابه ، وإن نقص من النصاب حبة فلا زكاة . وتجب على من معه دراهم مغشوشة إذا كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة . وتجب الزكاة فى التبر وفى الحلي المحظور كأوانى الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال ، ولا تجب فى الحلى المباح . وتجب فى الدين الذى هو على ملىء ، ولكن تجب عند الاستيفاء وإن كان مؤجلا فلا تجب إلا عند حلول الأجل

النوع الرابع زكاة التجارة

وهى كزكاة النقدين ، وإنما ينعقد الحول من وقت ملك النقد الذى به اشترى البضاعة إن كان النقد نصابا ، فإن كان ناقصاً أو اشترى بعرض على نية التجارة فالحول من وقت الشراء . وتؤدى الزكاة من نقد البلد ، وبه يقوّم ، فإن كان مابه الشراء نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به أولى من نقد البلد . ومن نوى التجارة من مال قُنية فلا ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشترى به شيئاً ، ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكاة . والأولى أن تؤدى زكاة تلك السنة . وما كان من ربح فى السلعة فى آخر الحول وجبت الزكاة فيه بحول رأس المال ، ولم يستأنف له حولا كما فى النتاج . وأموال الصيارفة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات وزكاة ربح مال القراض على العامل وإن كان قبل القسمة . هذا وهو الأقيس

النوع الخامس الركاز والمعدن

والركاز مال دفن فى الجاهلية ووجد فى أرض لم يجر عليها فى الاسلام ملك ، فعلى واجده فى الذهب والفضة منه الخمس ، والحول غير معتبر . والأولى أن لايعتبر النصاب أيضا لأن إيجاب الخمس يؤكد شبهه بالغنيمة ، واعتباره أيضاً ليس ببعيد ، لأن مصرفه مصرف الزكاة ، ولذلك يخصص على الصحيح بالنقدين . وأما المعادن فلازكاة فيما استخرج منها سوى الذهب والفضة ، ففيها بعد الطحن والتخليص ربع العشر على أصح القولين ، وعلى هذا يعتبر النصاب. وفى الحول قولان ، وفى قول يجب الخمس . فعلى هذا لايعتبر . وفى النصاب قولان والأشبه والعلم عند الله تعالى أن يلحق فى قدر الواجب بزكاة التجارة فانه نوع اكتساب ، وفى الحول بالمعشرات فلا يعتبر لأنه عين الرفق ، ويعتبر النصاب كالمعشرات . والاحتياط أن يخرج الخمس من القليل والكثير ، ومن عين النقدين أيضا خروجا عن شبهة هذه الاختلافات فانها ظنون قريبة من التعارض ، وجزم الفتوى فيها خطر لتعارض الاشتباه

النوع السادس فى صدقة الفطر

وهى « وَاجِبَة عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1] عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فَضَلَ عَنْ قُوتِهِ وَقُوتِ مَنْ يَقُوتُهُ يَوْمَ الْفِطْرِ وَلَيْلَتَهُ صَاعٌ مِمَّا يُقْتَاتُ بِصَاعِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وهو . مَنَوَانِ وثلثا مَنٍّ يخرجه من جنس قوته أو من أفضل منه ، فإن اقتات بالحنطة لم يجز الشعير ، وإن اقتات حبوباً مختلفة اختار خيرها ، ومن أيها أخرج أجزأه . وقسمتها كقسمة زكاة الأموال ، فيجب فيها استيعاب الأصناف ، ولايجوز أخراج الدقيق والسَّوِيق

ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته ومماليكه وأولاده وكل قريب هو فى نفقته ، أعنى من تجب عليه نفقته من الآباء والأمهات والأولاد ، قال صلى الله عليه وسلم[2] « أَدُّوا صَدَقَةَ الْفِطْرِ عَمَّنْ تَمُونُونَ » وتجب صدقة العبد المشترك على الشريكين ، ولا تجب صدقة

---

(١) حديث وجوب صدقة الفطر على كل مسلم : أخرجاه من حديث ابن عمر قال فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان ـ الحديث

(٢) حديث أدوا زكاة الفطر عمن تمونون: قط هق من حديث ابن عمر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد ممن تمونون قال هق أسناده غير قوى

العبد الكافر ، وإن تبرعت الزوجة بالاخراج عن نفسها أجزأها ، وللزوج الاخراج عنها دون إذنها ؛ وإن فضل عنه ما يؤدى عن بعضهم أدى عن بعضهم ، وأولاهم بالتقديم من كانت نفقته آكد . وقد «قَدَّمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [1] نَفَقَةَ الْوَلَدِ عَلَى نَفَقَةِ الزَّوْجَةِ وَنَفَقَتَهَا عَلَى نَفَقَةِ الْخَادِمِ » فهذه أحكام فقهية لابد للغنى من معرفتها . وقد تعرض له وقائع نادرة خارجة عن هذا فله أن يتكل فيها على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد إحاطته بهذا المقدار

الفصل الثانى

فى الأداء وشروطه الباطنة والظاهرة

اعلم أنه يجب على مؤدى الزكاة مراعاة خمسة أمور :

الأول : النية ، وهو أن ينوى بقلبه زكاة الفرض . ويسن عليه تعيين الأموال ؛ فان كان له مال غائب فقال هذا عن مالى الغائب إن كان سالما وإلا فهو نافلة ، جاز ، لأنه لم يصرح به فكذلك يكون عند إطلاقه ، ونية الولى تقوم مقام نية المجنون والصبى ، ونية السلطان تقوم مقام نية المالك الممتنع عن الزكاة ، ولكن فى ظاهر حكم الدنيا أعنى فى قطع المطالبة عنه ، أما فى الآخرة فلا ، بل تبقى ذمته مشغولة إلى أن يستأنف الزكاة ، وإذا وكل بأداء الزكاة ونوى عند التوكيل أو وكل الوكيل بالنية كفاه ، لأن توكيله بالنية نية

الثانى : البدار عقيب الحول . وفى زكاة الفطر لا يؤخرها عن يوم الفطر . ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس من آخر يوم من شهر رمضان ، ووقت تعجيلها شهر رمضان كله ، ومن أخر زكاة ماله مع التمكن عصى ولم يسقط عنه بتلف ماله وتمكنه بمصادفة المستحق ، وإن أخر لعدم المستحق فتلف ماله سقطت الزكاة عنه ، وتعجيل الزكاة جائز بشرط أن يقع بعد كمال النصاب وانعقاد الحول . ويجوز تعجيل زكاة حولين ، ومهما عجل فمات المسكين قبل الحول أوارتد أوصار غنياً بغير ما عجل إليه أو تلف مال المالك أومات فالمدفوع ليس بزكاة ، واسترجاعه غير ممكن إلا إذا قيد الدفع بالاسترجاع ، فليكن المعجل مراقبا آخر الأمور وسلامة العاقبة

---

(١) حديث قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم : د من حديث أبى هريرة بسند صحيح وحب ك وصححه ورواه ن حب بتقديم الزوجة على الولد وسيأتى

الثالث : أن لايخرج بدلا باعتبار القيمة ، بل يخرج المنصوص عليه ، فلا يجزئ ورق عن ذهب ولاذهب عن ورق ، وإن زاد عليه فى القيمة . ولعل بعض من لايدرك غرض الشافعي رضى الله عنه يتساهل فى ذلك ويلاحظ المقصود من سد الخلة ، وما أبعده عن التحصيل ، فان سد الخلة مقصود ، وليس هو كل المقصود ، بل واجبات الشرع ثلاثة أقسام :

قسم هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ والأغراض فيه ، وذلك كرمى الجمرات مثلا ، إذ لا حظّ للجمرة فى وصول الحصى اليها ، فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل مالا يعقل له معنى ، لأن مايعقل معناه فقد يساعده الطبع عليه ويدعوه اليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية ، إذ العبودية تظهر بأن تكون الحركة لحق أمر المعبود فقط لالمعنى آخر ، وأكثر أعمال الحج كذلك ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (١) في إحرامه « لَبَّيْكَ بِحَجَّةٍ حَقًّا تَعَبُّداً وَرِقًّا » تنبيهاً على أن ذلك إظهار للعبودية بالانقياد لمجرد الأمر وامتثاله كما أمر من غير استئناس العقل منه بما يميل إليه ويحث عليه

القسم الثانى : من واجبات الشرع ماالمقصود منه حظ معقول وليس يقصد منه التعبد كقضاء دين الآدميين ورد المغصوب ، فلا جرم لايعتبر فيه فعله ونيته ، ومهما وصل الحق إلى مستحقه بأخذ المستحق أو يبدل عنه عند رضاه تأدى الوجوب وسقط خطاب الشرع . فهذان قسمان لاتركيب فيهما يشترك فى دركهما جميع الناس

والقسم الثالث : هو المركب الذى يقصد منه الأمران جميعا وهو حظ العباد وامتحان المكلف بالاستعباد ، فيجتمع فيه تعبد رمى الجمار وحظ رد الحقوق . فهذا قسم فى نفسه معقول ، فان ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ، ولا ينبغى أن ينسى أدق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق بسبب أجلاهما ، ولعل الأدق هو الأهم . والزكاة من هذا القبيل ، ولم ينتبه له غير الشافعى رضى الله عنه ، فحظ الفقير مقصود فى سد الخلة وهو جلى سابق إلى الأفهام ، وحق التعبد فى اتباع التفاصيل مقصود للشرع ، وباعتباره صارت الزكاة قرينة للصلاة والحج فى كونها من مبانى الاسلام ولا شك فى أن على المكلف تعبا فى تمييز أجناس ماله وإخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ، ثم توزيعه على الأصناف الثمانية كما سيأتى ،

---

(١) حديث لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا : البزار والدارقطنى فى العلل من حديث أنس

والتساهل فيه غير قادح فى حظ الفقير لكنه قادح فى التعبد . ويدل على أن التعبد مقصود بتعيين الأنواع أمور ذكرناها فى كتب الخلاف من الفقهيات ، ومن أوضحها أن الشرع أوجب فى خمس من الابل شاة ، فعدل من الابل إلى الشاة ، ولم يعدل إلى النقدين والتقويم ، وإن قدر أن ذلك لقلة النقود فى أيدى العرب بطل بذكره عشرين درهماً فى الجبران مع الشاتين ، فلم لم يذكر فى الجبران قدر النقصان من القيمة ، ولم قدر بعشرين درهما وشاتين ، وإن كانت الثياب والأمتعة كلها فى معناها . فهذا وأمثاله من التخصيصات يدل على أن الزكاة لم تترك خالية عن التعبدات كما فى الحج ، ولكن جمع بين المعنيين ، والأذهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات . فهذا شأن الغلط فيه

الرابع : أن لا ينقل الصدقة إلى بلد آخر ، فان أعين المساكين فى كل بلدة تمتد إلى أموالها ، وفى النقل تخييب للظنون ، فان فعل ذلك أجزأه فى قول ، ولكن الخروج عن شبهة الخلاف أولى ، فليخرج زكاة كل مال فى تلك البلدة ، ثم لا بأس أن يصرف إلى الغرباء فى تلك البلدة

الخامس : أن يقسم ماله بعدد الأصناف الموجودين فى بلده ، فان استيعاب الأصناف واجب ، وعليه يدل ظاهر قوله تعالى : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ *) الآية فانه يشبه قول المريض : إنما ثلث مالى للفقراء والمساكين ، وذلك يقتضى التشريك فى التمليك والعبادات ينبغى أن يتوقى عن الهجوم فيها على الظواهر . وقد عدم من الثمانية صنفان فى أكثر البلاد ، وهم المؤلفة قلوبهم ، والعاملون على الزكاة ، ويوجد فى جميع البلاد أربعة أصناف : الفقراء ، والمساكين ، والغارمون ، والمسافرون أعنى أبناء السبيل . وصنفان يوجدان فى بعض البلاد دون البعض وهم الغزاة والمكاتبون ، فان وجد خمسة أصناف مثلا قسم بينهم زكاة ماله بخمسة أقسام متساوية أو متقاربة ، وعين لكل صنف قسما ثم قسم كل قسم ثلاثة أسهم فما فوقه إما متساوية أو متفاوتة ؛ وليس عليه التسوية بين آحاد الصنف ، فان له أن يقسمه على عشرة وعشرين ، فينقص نصيب كل واحد ، وأما الأصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان ، فلا ينبغى أن ينقص فى كل صنف عن ثلاثة إن وجد ، ثم لو لم يجب إلا صاع للفطرة ووجد خمسة أصناف فعليه أن يوصله إلى خمسة عشر نفراً ،

* التوبة : ٦٠

ولو نقص منهم واحد مع الإمكان غرم نصيب ذلك الواحد ، فان عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليتشارك جماعة ممن عليهم الزكاة ، وليخلط مال نفسه بمالهم ، وليجمع المستحقين ، وليسلم إليهم حتي يتساهموا فيه فإن ذلك لا بد منه

بيان دقائق الآداب الباطنة فى الزكاة

اعلم أن على مريد طريق الآخرة بزكاته وظائف

الوظيفة الأولى : فهم وجوب الزكاة ومعناها ، ووجه الامتحان فيها ، وأنها لم جعلت من مبانى الإسلام مع أنها تصرف مالى وليست من عبادة الأبدان : وفيه ثلاثة معان

الأول : أن التلفظ بكلمتى الشهادة التزام للتوحيد ، وشهادة بافراد المعبود ، وشرط تمام الوفاء به أن لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد ، فان المحبة لا تقبل الشركة ، والتوحيد باللسان قليل الجدوى ، وإنما يمتحن به درجة المحب بمفارقة المحبوب ، والأموال محبوبة عند الخلائق لأنها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع أن فيه لقاء المحبوب ، فامتحنوا بتصديق دعواهم فى المحبوب ، واستنزلوا عن المال الذى هو مرموقهم ومعشوقهم ، ولذلك قال الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ *) وذلك بالجهاد ، وهو مسامحة بالمهجة شوقا إلى لقاء الله عزوجل ، والمسامحة بالمال أهون . ولما فهم هذا المعنى فى بذل الأموال انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام :

قسم صدّقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع أموالهم فلم يدخروا ديناراً ولا درهما ، فأبوا أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم حتي قيل لبعضهم : كم يجب من الزكاة فى مائتى درهم ؟ فقال : أما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم ، وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع [1] ولهذا تصدق أبو بكر رضى الله عنه بجميع ماله ، وعمر رضى الله عنه بشطر ماله ، فقال صلى الله عليه وسلم : مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ ؟ فقال مثله . وقال لأبى بكر رضى الله عنه : ما أبقيتَ لأهلك ؟ قال الله ورسوله ، فقال صلى الله عليه وسلم : « بَيْنَكُمَا مَا بَيْنَ كَلِمَتَيْكُمَا » فالصديق وفّى بتمام الصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله

---

(١) حديث جاء أبو بكر بجميع ماله وعمر بشطر ماله ـ الحديث : د ت ك وصححه من حديث ابن عمر وليس فيه قوله بينكما مابين كلمتيكما

* التوبة : ١١١

القسم الثانى : درجتهم دون درجة هـذا ، وهم الممسكون أموالهـم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات ، فيكون قصـدهم فى الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم ، وصرف الفاضل عن الحاجة إلى وجوه البر مهما ظهر وجوهها ، وهؤلاء لايقتصرون على مقدار الزكاة . وقد ذهب جماعة من التابعين إلى أن فى المال حقوقا سوى الزكاة كالنخعى والشعبي وعطاء ومجاهد ، قال الشعبي بعد أن قيل له : هل فى المال حق سوى الزكاة ؟ قال : نعم أما سمعت قوله عز وجـل (وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى *) الآية ، واستدلوا بقوله عز وجـل : (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ *) وبقوله تعالى : (وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ *) وزعموا أن ذلك غير منسوخ بآية الزكاة بل هو داخل فى حق المسلم على المسلم ، ومعناه أنه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا أن يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة

والذى يصح فى الفقه من هذا الباب أنه مهما أرهقته حاجته كانت إزالتها فرض كفاية ، إذ لا يجوز تضييع مسلم ، ولـكن يحتمل أن يقال ليس على الموسر إلا تسليم مايزيل الحاجة قرضا ، ولا يلزمه بذله بعد أن أسقط الزكاة عن نفسه . ويحتمل أن يقال يلزمه بذله فى الحال ولا يجوز له الاقتراض أى لايجوز له تـكليف الفقير قبول القرض ، وهـذا مختلف فيه والاقتراض نزول إلى الدرجة الأخيرة من درجات العوام وهى درجة القسم الثالث الذين يقتصرون على أداء الواجب ، فلا يزيدون عليه ولا ينقصون عنه ، وهى أقل الرتب . وقد اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمـال وميلهم إليه وضعف حبهم للآخرة ، قال الله تعالى : (إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا *) يحفكم أى يستقص عليكم ، فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بأن له الجنة ، وبين عبد لايستقصى عليه لبخله : فهذا أحد معانى أمر الله سبحانه عباده ببذل الأموال

المعنى الثانى : التطهير من صفة البخل ، فانه من المهلـكات ، قال صلى الله عليه وسـلم (١) « ثَلاثٌ مُهْلِكَاتٌ شُحٌّ مُطَاعٌ وَهَوًى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ » وقال تعالى : (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ *) وسيأتى فى ربع المهلـكات وجه كونه مهلـكا ،

(١) حديث ثلاث مهلـكات ـ الحديث : تقدم

* البقرة : ١٧٧ * الأنفال : ٣ * المنافقون : ١٠ * محمد : ٣٧ * التغابن : ١٦

وكيفية التفصى منه ، وإنما تزول صفة البخل بأن تتعود بذل المال ، فحب الشيء لا ينقطع إلا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا. فالزكاة بهذا المعنى طهرة أى تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك ، وإنما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى

المعنى الثالث : شكر النعمة ، فان لله عز وجل على عبده نعمة فى نفسه وفى ماله فالعبادات البدنية شكراً لنعمة البدن ، والمالية شكراً لنعمة المال ،وما أخس من ينظر إلى الفقير وقد ضيق عليه الرزق وأحوج إليه ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدى شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه بربع العشر أو العشر من ماله !

الوظيفة الثانية : فى وقت الأداء . ومن آداب ذوى الدين التعجيل عن وقت الوجوب إظهاراً للرغبة فى الامتثال ، بايصال السرور إلى قلوب الفقراء ، ومبادرة لعوائق الزمان أن تعوقه عن الخيرات ، وعلماً بأن فى التأخير آفات مع ما يتعرض العبد له من العصيان لو أخر عن وقت الوجوب ، ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغى أن يغتنم ، فان ذلك لمة الملك ، وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن ، فما أسرع تقلبه ، والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر ، وله لمة عقيب لمة الملك ، فليغتنم الفرصة فيه ، وليعين لزكاتها إن كان يؤديها جميعا شهراً معلوما ، وليجتهد أن يكون من أفضل الأوقات ليكون ذلك سبباً لنماء قربته وتضاعف زكاته ، وذلك كشهر المحرم ، فانه أول السنة وهو وهو من الأشهر الحرم ، أو رمضان فقد « كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) أَجْوَدَ الْخَلْقِ وَكَانَ فِى رَمَضَانَ كَالرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ لَا يُمْسِكُ فِيهِ شَيْئاً » ولرمضان فضيلة ليلة القدر ، وأنه أنزل فيه القرءان . وكان مجاهد يقول : لا تقولوا رمضان فانه اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان . وذو الحجة أيضاً من الشهور الكثيرة الفضل فانه شهر حرام ، وفيه الحج الأكبر ، وفيه الأيام المعلومات وهى العشر الأول ، والأيام المعدودات وهى أيام التشريق ، وأفضل أيام شهر رمضان العشر الأواخر ، وأفضل أيام ذى الحجة العشر الأول

---

(١) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الخلق وأجود مايكون فى رمضان ـ الحديث : أخرجاه من حديث ابن عباس

كتاب الشعب

إحياء علوم الدين

للإمام أبي حامد الغزالي

الجزء الثالث

دار الشعب
٩٢ شارع قصر العيني - القاهرة ت: ٣١٨١٠

الوظيفة الثالثة : الإسرار ، فان ذلك أبعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم :[١] « أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدُ الْمُقِلِّ إِلَى فَقِيرٍ فِي سِرٍّ » وقال بعض العلماء[٢] « ثَلَاثٌ مِنْ كُنُوزِ الْبِرِّ مِنْهَا إِخْفَاءُ الصَّدَقَةِ » وقد روى أيضاً مسنداً وقال صلى الله عليه وسلم:[٣] « إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلاً فِي السِّرِّ فَيَكْتُبُهُ اللهُ لَهُ سِرًّا ، فَإِنْ أَظْهَرَهُ نُقِلَ مِنَ السِّرِّ وَكُتِبَ فِي الْعَلَانِيَةِ ، فَإِنْ تَحَدَّثَ بِهِ نُقِلَ مِنَ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَكُتِبَ رِيَاءً » وفى الحديث المشهور :[٤] « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ أَحَدُهُمْ رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَلَمْ تَعْلَمْ شِمَالُهُ بِمَا أَعْطَتْ يَمِينُهُ » وفى الخبر:[٥] « صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ » وقال تعالى : (وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ *) وفائدة الإخفاء الخلاص من آفات الرياء والسمعة ، فقد قال صلى الله عليه وسلم[٦] : « لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ مُسْمِعٍ وَلَا مُرَاءٍ وَلَا مَنَّانٍ » والمتحدث بصدقته يطلب السمعة ، والمعطى فى ملأ من الناس يبغى الرياء ، والإخفاء والسكوت هو المخلص منه .

وقد بالغ فى فضل الإخفاء جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطى ، فكان بعضهم يلقيه فى يد أعمى ، وبعضهم يلقيه فى طريق الفقير وفى موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطى ، وبعضهم كان يصره فى ثوب الفقير وهو نائم ، وبعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطى وكان يستكتم المتوسط شأنه ويوصيه بأن لا يفشيه ، كل ذلك توصلا إلى إطفاء غضب الرب سبحانه ، واحترازاً من الرياء والسمعة

---

(١) حديث أفضل الصدقة جهد المقل الى فقير فى سر: أحمد حب ك من حديث أبى ذر ولأبى داود من حديث أبى هريرة أى الصدقة أفضل قال جهد المقل

(٢) حديث ثلاث من كنوز البر فذكر منها اخفاء الصدقة: أبو نعيم فى كتاب الايجاز وجوامع الكلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف

(٣) حديث ان العبد ليعمل عملا فى السر فيكتبه الله سرا فان أظهره نقل من السر ـ الحديث : الخطيب فى التاريخ من حديث أنس نحوه باسناد ضعيف

(٤) حديث سبعة يظلهم الله فى ظله ـ الحديث : أخرجاه من حديث أبى هريرة

(٥) حديث صدقة السر تطفىء غضب الرب: طب من حديث أبى أمامة ورواه أبو الشيخ فى كتاب الثواب و هق في الشعب من حديث أبى سعيد كلاهما ضعيف والترمذى وحسنه من حديث أبى هريرة ان الصدقة لتطفىء غضب الرب ولابن حبان نحوه من حديث أنس وهو ضعيف أيضا

(٦) حديث لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان : لم أظفر به هكذا

* البقرة ٢٧١

ومهما لم يتمكن إلا بأن يعرفه شخص واحد فتسليمه إلى وكيل ليسلم إلى المسكين والمسكين لا يعرف أولى، إذ فى معرفة المسكين الرياء والمنة جميعاً، وليس فى معرفة المتوسط إلا الرياء، ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لأن الزكاة إزالة للبخل وتضعيف لحب المال، وحب الجاه أشد استيلاء على النفس من حب المال، وكل واحد منهما مهلك فى الآخرة ولكن صفة البخل تنقلب فى القبر فى حكم المثال عقربا لادغا، وصفة الرياء تنقلب فى القبر أفعى من الأفاعى، وهو مأمور بتضعيفهما أو قتلهما لدفع أذاهما أو تخفيف أذاهما، فمهما قصد الرياء والسمعة فكأنه جعل بعض أطراف العقرب مقويا للحية، فبقدر ما ضعف من العقرب زاد فى قوة الحية، ولو ترك الأمر كما كان لكان الأمر أهون عليه، وقوّة هذه الصفات التى بها قوّتها العمل بمقتضاها، وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها، والعمل بخلاف مقتضاها، فأى فائدة فى أن يخالف دواعى البخل ويجيب دواعى الرياء فيضعف الأدنى ويقوى الأقوى. وستأتى أسرار هذه المعانى فى ربع المهلكات

الوظيفة الرابعة: أن يُظهر حيث يعلم أن فى إظهاره ترغيباً للناس فى الاقتداء، ويحرس سره من داعية الرياء بالطريق الذى سنذكره فى معالجة الرياء فى كتاب الرياء، فقد قال الله عز وجل: (إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ *) وذلك حيث يقتضى الحال الابداء، إما للاقتداء، وإما لأن السائل إنما سأل على ملأ من الناس، فلا ينبغى أن يترك التصدق خيفة من الرياء فى الإظهار، بل ينبغى أن يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الامكان، وهذا لأن فى الاظهار محذوراً ثالثاً سوى المنّ والرياء وهو هتك ستر الفقير، فإنه ربما يتأذى بان يُرى فى صورة المحتاج، فمن أظهر السؤال فهو الذى هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى فى إظهاره، وهو كاظهار الفسق على من تستر به فانه محظور، والتجسس فيه والاعتياد بذكره منهى عنه، فأما من أظهره فاقامة الحد عليه إشاعة، ولكن هو السبب فيها، وبمثل هذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم [1] «مَنْ أَلْقَى جِلْبَابَ الْحَيَاءِ فَلَا غِيبَةَ لَهُ» وقد قال الله تعالى (وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً *) ندب إلى العلانية أيضا لما فيها من فائدة الترغيب، فليكن العبد دقيق التأمل فى وزن هذه الفائدة بالمحذور الذى فيه، فإن ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص

(١) حديث من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له: عد حب فى الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف

* البقرة ٢٧١ * فاطر ٢٨

فقد يكون الاعلان فى بعض الأحوال لبعض الاشخاص أفضل، ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة ، اتضح له الأولى والأليق بكل حال

الوظيفة الخامسة : أن لا يفسد صدقته بالمنّ والأذى ، قال الله تعالى (لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى *) واختلفوا فى حقيقة المنّ والأذى ، فقيل المنّ أن يذكرها ، والأذى أن يظهرها . قال سفيان : من منّ فسدت صدقته ، فقيل له كيف المنّ ؟ فقال : أن يذكره ويتحدث به . وقيل المنّ أن يستخدمه بالعطاء ، والأذى أن يعيره بالفقر . وقيل المنّ أن يتكبر عليه لأجل عطائه ، والأذى أن ينتهره أو يوبخه بالمسألة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم[1] « لَا يَقْبَلُ اللهُ صَدَقَةَ مَنَّانٍ »

وعندى أن المنَّ له أصل ومغرس ، وهو من أحوال القلب وصفاته ، ثم يتفرع عليه أحوال ظاهرة على اللسان والجوارح ، فأصله أن يرى نفسه محسناً إليه ومنعماً عليه ، وحقه أن يرى الفقير محسِناً إليه بقبول حق الله عز وجل منه الذى هو طهرته ونجاته من النار ، وأنه لو لم يقبله لبقى مرتهناً به ، فحقه أن يتقلد منة الفقير إذ جعل كفه نائباً عن الله عز وجل فى قبض حق الله عز وجل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :[2] « إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ بِيَدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي يَدِ السَّائِلِ » . فليتحقق أنه مسلم إلى الله عز وجل حقه ، والفقير آخذ من الله تعالى رزقه بعد صيرورته إلى الله عز وجل ، ولو كان عليه دين لإنسان فأحال به عبده أو خادمه الذى هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدى الدين كون القابض تحت منته سفهاً وجهلا ، فإن المحسن إليه هو المتكفل برزقه ، أما هو فإنما يقضى الذى لزمه بشراء ما أحبه فهو ساع فى حق نفسه فلم يمنّ به على غيره ، ومهما عرف المعانى الثلاثة التى ذكرناها فى فهم وجوب الزكاة أو أحدها لم ير نفسه محسناً إلا إلى نفسه ، إما ببذل ماله إظهاراً لحب الله تعالى ، أو تطهيراً لنفسه عن رذيلة البخل : أو شكراً على نعمة المال طلباً للمزيد ؛ وكيفما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسناً إليه ، ومهما حصل هذا الجهل بأن رأى

---

(١) حديث لا يقبل الله صدقة منان : هو كالذى قبله بحديث لم أجده

(٢) حديث ان الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع فى يد السائل : قط فى الافراد من حديث ابن عباس وقال غريب من حديث عكرمة عنه ورواه هق فى الشعب بسند ضعيف

* البقرة : ٢٦٤

نفسه محسناً إليه تفرع منه على ظاهره ما ذكر فى معنى المنّ ، وهو التحدث به ، وإظهاره ، وطلب المكافأة منه ، بالشكر والدعاء ، والخدمة والتوقير ، والتعظيم والقيام بالحقوق ، والتقديم فى المجالس ، والمتابعة فى الأمور . فهذه كلها ثمرات المنة : ومعنى المنة فى الباطن ما ذكرناه

وأما الأذى فظاهره التوبيخ والتعيير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك الستر بالإظهار وفنون الاستخفاف ، وباطنه وهو منبعه أمران (أحدهما) كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على نفسه ، فان ذلك يضيق الخلق لامحالة و (الثانى) رؤيته أنه خير من الفقير ، وأن الفقير لسبب حاجته أخس منه ، وكلاهما منشؤه الجهل . أما كراهية تسليم المال فهو حمق ، لأن من كره بذل درهم فى مقابلة مايساوى ألفا فهو شديد الحمق ، ومعلوم أنه يبذل المال لطلب رضا الله عز وجل والثواب فى الدار الآخرة ، وذلك أشرف مما بذله أو يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل أو شكراً لطلب المزيد ، وكيفما فرض فالكراهة لاوجه لها . وأما الثانى فهو أيضا جهل ، لأنه لو عرف فضل الفقر على الغنى وعرف خطر الأغنياء لما استحقر الفقير ، بل تبرك به وتمنى درجته ، فصلحاء الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ . فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : هُمُ الْأَكْثَرُونَ أَمْوَالاً » الحديث . ثم كيف يستحقر الفقير وقد جعله الله تعالى متجرة له ، إذ يكتسب المال بجهده ، ويستكثر منه ، ويجتهد فى حفظه بمقدار الحاجة . وقد ألزم أن يسلم إلى الفقير قدر حاجته ، ويكف عنه الفاضل الذى يضره لو سلم اليه . فالغنى مستخدم للسعى فى رزق الفقير ، ويتميز عليه بتقليد المظالم والتزام المشاق وحراسة الفضلات ، إلى أن يموت فيأكله أعداؤه ، فاذن مهما انتقلت الكراهية وتبدلت بالسرور والفرح بتوفيق الله تعالى له فى أداء الواجب وتقبيضه الفقير حتى يخلصه عن عهدته بقبوله منه ، انتفى الأذى والتوبيخ وتقطيب الوجه ، وتبدل بالاستبشار والثناء وقبول المنة . فهذا منشأ المن والأذى

فإن قلت : فرؤيته نفسه فى درجة المحسن أمر غامض ، فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف بها أنه لم ير نفسه محسنا ؟

فاعلم أن له علامة دقيقة واضحة ، وهو أن يقدر أن الفقير لو جنى عليه جناية أو مالأ عدوا له عليه مثلا ، هل كان يزيد استنكاره واستبعاده له على استنكاره قبل التصدق ؟ فان زاد لم تخل صدقته عن شائبة المنة ، لأنه توقع بسببه مالم يكن يتوقعه قبل ذلك

فان قلت : فهذا أمر غامض ولا ينفك قلب أحد عنه ، فما دواؤه ؟

فاعلم أن له دواء باطنا ودواء ظاهرا ، أما الباطن فالمعرفة بالحقائق التى ذكرناها فى فهم الوجوب ، وأن الفقير هو المحسن اليه فى تطهيره بالقبول. وأما الظاهر فالأعمال التى يتعاطاها متقلد المنة ، فإن الأفعال التى تصدر عن الأخلاق تصبغ القلب بالأخلاق كما سيأتى أسراره فى الشطر الأخير من الكتاب ، ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدى الفقير ويتمثل قائما بين يديه يسأله قبولها حتى يكون هو فى صورة السائلين ، وهو يستشعر مع ذلك كراهية لوْ رَدَّهُ وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير من كفه وتكون يد الفقير هى العليا

وكانت عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما إذا أرسلتا معروفا إلى فقير قالتا للرسول : احفظ مايدعو به ، ثم كانتا تردان عليه مثل قوله وتقولان : هذا بذلك حتى تخلص لنا صدقتنا . فكانوا لا يتوقعون الدعاء لأنه شبه المكافأة ، وكانوا يقابلون الدعاء بمثله . وهكذا فعل عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضى الله عنهما ، وهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من حيث الظاهر إلا هذه الأعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة ، ومن حيث الباطن المعارف التى ذكرناها ، هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم ، ولا يعالج القلب إلا بمعجون العلم والعمل. وهذه الشريطة من الزكوات تجرى مجرى الخشوع من الصلاة وثبت ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم: (١) « لَيْسَ لِلْمَرْءِ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ مِنْهَا » وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم « لَا يَتَقَبَّلُ اللهُ صَدَقَةَ مَنَّانٍ » وكقوله عز وجل : (لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى *) وأما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنها دون هذا الشرط فحديث آخر ، وقد أشرنا إلى معناه فى كتاب الصلاة

---

(١) حديث ليس للمؤمن من صلاته إلا ماعقل منها : تقدم فى الصلاه

* البقرة : ٢٦٤

الوظيفة السادسة : أن يستصغر العطية فانه إن استعظمها أعجب بها، والعجب من المهلكات وهو محبط للأعمال ، قال تعالى: (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا *) ويقال إن الطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله عز وجل ، والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله عز وجل . وقيل : لايتم المعروف الا بثلاثة أمور : تصغيره ، وتعجيله ، وستره . وليس الاستعظام هو المنّ والأذى، فانه لو صرف ماله إلى عمارة مسجد أو رباط أمكن فيه الاستعظام ، ولا يمكن فيه المنّ والاذى ، بل العجب والاستعظام يجرى فى جميع العبادات

ودواؤه علم وعمل ، أما العلم فهو أن يعلم أن العشر أو ربع العشر قليل من كثير ، وأنه قد قنع لنفسه بأخس درجات البذل كما ذكرنا فى فهم الوجوب ، فهو جدير بأن يستحيي منه ، فكيف يستعظمه وإن ارتقى إلى الدرجة العليا : فبذل كل ماله أو أكثره فليتأمل أنه من أين له المال وإلى ما ذا يصرفه ، فالمال لله عز وجل ، وله المنة عليه إذ أعطاه ووفقه لبذله ، فلم يستعظم فى حق الله تعالى ماهو عين حق الله سبحانه ، وإن كان مقامه يقتضى أن ينظر إلى الآخرة وأنه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ماينتظر عليه أضعافه . وأما العمل فهو أن يعطيه عطاء الخجل من بخله بامساك بقية ماله عن الله عز وجل ، فتكون هيئته الانكسار والحياء ، كهيئة من يطالب برد وديعة فيمسك بعضها ويرد البعض ، لأن المال كله لله عز وجل ، وبذل جميعه هو الأحب عند الله سبحانه ، وإنما لم يأمر به عبده لأنه يشق عليه بسبب بخله ، كما قال الله عز وجل : (فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا *)

الوظيفة السابعة : أن ينتقى من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه ، فان الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا ، وإذا كان المخرج من شبهة فربما لا يكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموقع وفى حديث أبان عن أنس بن مالك[1] « طُوبَى لِعَبْدٍ أَنْفَقَ مِنْ مَالٍ اكْتَسَبَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ » وإذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الأدب ، إذ قد يمسك الجيد لنفسه أو لعبده أو لأهله ، فيكون قد آثر على الله عز وجل غيره ، ولو فعل هذا بضيفه وقدم إليه أردأ طعام

---

(١) حديث أنس طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية عدو البزار

* التوبة : ٢٥ محمد : ٣٧

فى بيته لأوغر بذلك صدره . هـذا إن كان نظره إلى الله عز وجـل ، وإن كان نظره إلى نفسه وثوابه فى الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسـه ، وليس له من ماله إلا ما تصدق به فأبقى ، أو أكل فأفنى ، والذى يأكله قضـاء وطر فى الحال ، فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار . وقد قال الله تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ *) أى لا تأخذوه إلا مع كراهية وحياء وهو بمعنى الإغماض فلا تؤثروا به ربكم . وفى الخبر [1] « سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ » وذلك بأن يخرجه الانسان وهو من أحل ماله وأجوده ، فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبدل ، وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك على أنه ليس يؤثر الله عز وجـل بشىء مما يحبه ، وبذلك ذم الله تعالى قوما جعلوا لله مايكرهون ، فقال تعالى : (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا *) وقف بعض القراء على النفى تكذيبا لهم ، ثم ابتدأ وقال : (جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ *) أى كسب لهم جعلهم لله مايكرهون النار

الوظيفة الثامنة : أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ، ولا يكتفى بأن يكون من عموم الأصناف الثمانية ، فان فى عمومهم خصوص صفات ، فليراع خصوص تلك الصفات ، وهى ستة :

الأولى : أن يطلب الأتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة ، قال صلى الله عليه وسلم [2] « لَا تَأْكُلْ إِلَّا طَعَامَ تَقِيٍّ وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ » . وهـذا لأن التقى يستعين به على التقوى ، فتكون شريكا له فى طاعته باعانتك إياه . وقال صلى الله عليه وسلم [3] « أَطْعِمُوا طَعَامَكُمُ الْأَتْقِيَاءَ وَأَوْلُوا مَعْرُوفَكُمُ الْمُؤْمِنِينَ » وفى لفظ آخر [4] « أَضِفْ بِطَعَامِكَ مَنْ تُحِبُّهُ فِي اللهِ تَعَالَى » . وكان بعض العلماء يؤثر بالطعام فقراء الصوفية دون غيرهم

---

(١) حديث سبق درهم مائة ألف : ن حب وصححه من حديث أبى هريرة ،

(٢) حديث لا تأكل الاطعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى : د ت من حديث أبى سعيد بلفظ لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى

(٣) حديث أطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين : ابن المبارك فى البر والصلة من حديث أبى سعيد الخدرى قال ابن طاهر غريب فيه مجهول

(٤) حديث أضف بطعامك من يحبه الله : ابن المبارك أنبأنا جويبر عن الضحاك مرسلا

* البقرة : ٢٦٧ * النحل : ٦٢

فقيل له : لو عممت بمعروفك جميع الفقراء لكان أفضل ، فقال : لا هؤلاء قوم هممهم لله سبحانه فإذا طرقتهم فاقة تشتت هَمُّ أحدهم فلأن أردهمة واحد إلى الله عز وجل أحب إلى من أن أعطى ألفا ممن همته الدنيا ، فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه ، وقال هذا : ولى من أولياء الله تعالى ، وقال : ماسمعت منذ زمان كلاما احسن من هذا ، ثم حكى أن هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث إليه الجنيد مالا وقال : اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك . وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه

الصفة الثانية : أن يكون من أهل العلم خاصة ، فان ذلك إعانة له على العلم ، والعلم أشرف العبادات مهما صحت فيه النية . وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه أهل العلم ، فقيل له : لو عممت ! فقال : إنى لا أعرف بعد مقام النبوّة أفضل من مقام العلماء ، فاذا اشتغل قلب أحدهم بحاجة لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم ، فتفريغهم للعلم أفضل

الصفة الثالثة : أن يكون صادقا فى تقواه وعامه بالتوحيد ، وتوحيده أنه إذا أخذ العطاء حمد الله عز وجل وشكره ورأى أن النعمة منه ولم ينظر إلى واسطة . فهذا هو أشكر العباد لله سبحانه ، وهو أن يرى أن النعمة كلها منه . وفى وصية لقمان لابنه : لا تجعل بينك وبين الله منعما ، وأعدد نعمة غيره عليك مغرما . ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف المنعم ولم يتيقن أن الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله عز وجل ، إذ سلط الله تعالى عليه دواعى الفعل ويسر له الأسباب فأعطى وهو مقهور ، ولو أراد تركه لم يقدر عليه بعد أن ألقى الله عز وجل فى قلبه أن صلاح دينه ودنياه فى فعله . فمهما قوى الباعث أوجب ذلك جزم الإرادة وانتهاض القدرة ، ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوى الذى لا تردد فيه ، والله عز وجل خالق للبواعث ومهيجها ، ومزيل للضعف والتردد عنها ، ومسخر القدرة للانتهاض بمقتضى البواعث ، فمن تيقن هذا لم يكن له نظر إلا إلى مسبب الأسباب ، وتيقن مثل هذا العبد أنفع للمعطى من ثناء غيره وشكره ، فذلك حركة لسان يقل فى الأكثر جدواه ، وإعانة مثل هذا العبد الموحد لا تضيع . وأما الذى يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ، ويدعو بالشر عند الإيذاء ، وأحواله متفاوتة .

وقد روى « أَنَّهُ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١] بَعَثَ مَعْرُوفًا إِلَى بَعْضِ الْفُقَرَاءِ وَقَالَ لِلرَّسُولِ: احْفَظْ مَا يَقُولُ فَلَمَّا أَخَذَ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَنْسَى مَنْ ذَكَرَهُ وَلَا يُضَيِّعُ مَنْ شَكَرَهُ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَمْ تَنْسَ فُلَانًا ـ يَعْنِي نَفْسَهُ ـ فَاجْعَلْ فُلَانًا لَا يَنْسَاكَ يَعْنِي بِفُلَانٍ نَفْسَهُ فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَسُرَّ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عَلِمْتُ أَنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ » فانظر كيف قصر التفاته على الله وحده ! وقال صلى الله عليه وسلم [٢] لرجل : تُبْ ، فَقَالَ : أَتُوبُ إِلَى اللهِ وَحْدَهُ وَلَا أَتُوبُ إِلَى مُحَمَّدٍ ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَرَفَ الْحَقَّ لِأَهْلِهِ » [٣] ولما نزلت براءة عائشة رضى الله عنها فى قصة الإفك قال أبو بكر رضى الله عنه قومى فقبِّلى رأسَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : والله لَا أَقُومُ ولا أَحْمَدُ إِلَّا اللهَ ، فقال صلى الله عليه وسلم : دَعْهَا يَا أَبَا بَكْرٍ . وفى لفظ آخر : أنها رضى الله عنها قالت لأبى بكر رضى الله عنه : بِحَمْدِ اللهِ لَا بِحَمْدِكَ وَلَا بِحَمْدِ صَاحِبِكَ ، فَلَمْ يُنْكِرْ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم عليها ذلك ، مع أن الوحى وصل إليها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورؤية الأشياء من غير الله سبحانه وصف الكافرين ؛

---

(١) حديث بعث معروفا إلى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما أخذه قال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره ـ الحديث : لم أجد له أصلا إلا فى حديث ضعيف من حديث ابن عمر روى ابن منده فى الصحابة أوله ولم يسق هذه القطعة التى أوردها المصنف وسمى الرجل حديرا فقد روينا من طريق البيهقى أنه وصل لحدير من أبى الدرداء شىء فقال اللهم انك لم تنس حديرا فاجعل حديرا لا ينساك وقيل أن هذا آخر لا صحبة له يكنى أبا جريرة وقد ذكره ابن حبان فى ثقات التابعين

(٢) حديث قال لرجل تب فقال أتوب الى الله ولا أتوب الى محمد ـ الحديث : أحمد وطب من حديث الأسود بن سريع بسند ضعيف

(٣) حديث لما نزلت براءة عائشة قال أبو بكر قومى فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الحديث : د من حديث عائشة بلفظ فقال أبواى قومى فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أحمد الله لا اياكما وللبخارى تعليقا فقال أبواى قومى اليه فقلت لا والله لاأقوم اليه ولا أحمده ولا أحمدكما ولكن أحمد الله وله ولمسلم فقالت لى أمى قومى اليه فقلت لا والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله وللطبرانى فقالت بحمد الله لا بحمد صاحبك وله من حديث ابن عباس فقالت لا بحمدك ولا بحمد صاحبك وله من حديث ابن عمر فقال أبو بكر قومى فاحتضنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا والله لاأدنو منه ـ الحديث : وفيه أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم بحمد الله لا بحمدك

قال الله تعالى : (وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ *) ومن لم يصفِّ باطنه عن رؤية الوسائط إلا من حيث أنهم وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفي سره ، فليتق الله سبحانه في تصفية توحيده عن كدورات الشرك وشوائبه

الصفة الرابعة : أن يكون مستترا مخفيا حاجته لا يكثر البث والشكوى ، أو يكون من أهل المروءة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته ، فهو يتعيش في جلباب التجمل ، قال الله تعالى: (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا *) أي لا يلحون في السؤال لأنهم أغنياء بيقينهم ، أعزة بصبرهم . وهذا ينبغي أن يطلب بالتفحص عن أهل الدين في كل محلة ، ويستكشف عن بواطن أحوال أهل الخير والتجمل ، فثواب صرف المعروف إليهم أضعاف ما يصرف إلى المجاهرين بالسؤال

الصفة الخامسة : أن يكون معيلا أو محبوسا بمرض أو سبب من الأسباب ، فيوجد فيه معنى قوله عز وجل (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ *) أي حبسوا في طريق الآخرة بعلة أو ضيق معيشة أو إصلاح قلب لا يستطيعون ضربا في الأرض لأنهم مقصوصو الجناح مقيدو الاطراف . فبهذه الأسباب كان عمر رضي الله عنه يعطي أهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها ، « وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) يُعْطِي الْعَطَاءَ عَلَى مِقْدَارِ الْعَيْلَةِ » وسئل عمر رضي الله عنه عن جهد البلاء فقال : كثرة العيال وقلة المال

الصفة السادسة : أن يكون من الأقارب وذوي الأرحام ، فتكون صدقة وصلة رحم ، وفي صلة الرحم من الثواب ما لا يحصى ، قال عليّ رضي الله عنه : لأن أصل أخا من إخواني بدرهم أحب إلي من أن أتصدق بعشرين درهما ، ولأن أصله بعشرين درهما أحب إلي من أن أتصدق بمائة درهم ، ولأن أصله بمائة درهم أحب إلي من أن أعتق رقبة . والأصدقاء وإخوان الخير أيضا يقدمون على المعارف كما يتقدم الأقارب على الأجانب . فليراع هذه الدقائق

(١) حديث كان يعطي العطاء على مقدار العيلة: لم أر له أصلا ولابي داود من حديث عوف بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أتاه الفيء قسمه في يومه وأعطى الآهل حظين وأعطى العزب حظا

* الزمر : ٤٥ * البقرة : ٢٧٣

فهذه هى الصفات المطلوبة ، وفى كل صفة درجات ، فينبغى أن يطلب أعلاها ، فإن وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهى الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ، ومهما اجتهد فى ذلك وأصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر واحد ، فانّ أَحَدَ أَجْرَيه فى الحال تطهيره نفسه عن صفة البخل وتأكيد حب الله عز وجل فى قلبه واجتهاده فى طاعته . وهذه الصفات هى التى تقوى فى قلبه فتشوّقه إلى لقاء الله عز وجل . والأجر الثانى : مايعود اليه من فائدة دعوة الآخذ وهمته ، فإن قلوب الأبرار لها آثار فى الحال والمآل ، فان أصاب حصل الاجران ، وإن أخطا حصل الاوّل دون الثانى فبهذا يضاعف أجر المصيب فى الاجتهاد هاهنا وفى سائر المواضع ، والله أعلم

الفصل الثالث

فى القابض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه

بيان أسباب الاستحقاق

اعلم أنه لايستحق الزكاة إلا حر مسلم ليس بها شمى ولامطلبى اتصف بصفة من صفات الأصناف الثمانية المذكورين فى كتاب الله عز وجل. ولاتصرف زكاة إلى كافر، ولا إلى عبد ، ولا إلى هاشمى ، ولا إلى مطلبى . أما الصبى والمجنون فيجوز الصرف اليهما إذا قبض وليهما . فلنذكر صفات الأصناف الثمانية

الصنف الأول : الفقراء :

والفقير : هو الذى ليس له مال ولا قدرة له على الكسب ، فإن كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين ، وان كان معه نصف قوت يومه فهو فقير ، وإن كان معه قميص وليس معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تفى بجميع ذلك كما يليق بالفقراء فهو فقير ، لانه فى الحال قد عدم ماهو محتاج اليه وما هو عاجز عنه ، فلا ينبغى أن يشترط فى الفقير أن لا يكون له كسوة سوى ساتر العورة ، فان هذا غلو ، والغالب انه لا يوجد مثله ، ولا يخرجه عن الفقر كونه معتادا للسؤال ، فلا يجعل السؤال كسبا ، بخلاف مالو قدر على كسب فان ذلك يخرجه عن الفقر ، فان قدر على الكسب بآلة فهو فقير، ويجوز أن يشترى له آلة ، وإن قدر على كسب لا يليق بمروءته وبحال مثله فهو فقير

وإن كان متفقها ويمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته ، وإن كان متعبدا يمنعه الكسب من وظائف العبادات وأوراد الاوقات فليكتسب ، لان الكسب أولى من ذلك ، قال صلى الله عليه وسلم[1] « طَلَبُ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ » وأراد به السعى فى الاكتساب . وقال عمر رضى الله عنه : كسب فى شبهة خير من مسألة ، وإن كان مكتفيا بنفقة أبيه أو من تجب عليه نفقته فهذا اهون من الكسب ، فليس بفقير

الصنف الثانى : المساكين

والمسكين : هو الذى لا يفى دخله بخرجه ، فقد يملك ألف درهم وهو مسكين ، وقد لا يملك إلا فأسا وحبلا وهو غنى ، والدويرة التى يسكنها والثوب الذى يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين ، وكذا أثاث البيت ، أعنى ما يحتاج إليه ، وذلك ما يليق به ، وكذا كتب الفقه لا تخرجه عن المسكنة ، وإذا لم يملك إلا الكتب فلا تلزمه صدقة الفطر ، وحكم الكتاب حكم الثوب ، وأثاث البيت فانه محتاج إليه ، ولكن ينبغى أن يحتاط فى قطع الحاجة بالكتاب ، فالكتاب محتاج إليه لثلاثة أغراض : التعليم ، والاستفادة ، والتفرج بالمطالعة . أما حاجة التفرج فلا تعتبر كاقتناء كتب الأشعار وتواريخ الاخبار وأمثال ذلك مما لا ينفع فى الآخرة ولا يجرى فى الدنيا إلا مجرى التفرج والاستئناس ، فهذا يباع فى الكفارة وزكاة الفطر ، ويمنع اسم المسكنة . وأما حاجة التعليم إن كان لأجل الكسب كالمؤدب والمعلم والمدرس بأجرة فهذه آلته ، فلا تباع فى الفطرة كأدوات الخياط وسائر المحترفين ، وإن كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا تباع ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لأنها حاجة مهمة . وأما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب كادخاره كتب طب ليعالج بها نفسه أو كتاب وعظ ليطالع فيه ويتعظ به ، فان كان فى البلد طبيب وواعظ فهذا مستغنى عنه ، وإن لم يكن فهو محتاج إليه ، ثم ربما لا يحتاج إلى مطالعة الكتاب إلا بعد مدة ، فينبغى أن يضبط مدة الحاجة . والأقرب أن يقال : ما لا يحتاج إليه فى السنة فهو مستغنى عنه ، فان من فضل من قوت يومه شىء لزمته الفطرة ، فاذا قدرنا القوت باليوم

(١) حديث طلب الحلال فريضة بعد الفريضة : الطبرانى والبيهقى فى شعب الايمان من حديث ابن مسعود بسند ضعيف

لحاجة أثاث البيت ، وثياب البدن ينبغى أن تقدر بالسنة ، فلا تباع ثياب الصيف فى الشتاء والكتب بالثياب والأثاث أشبه ،وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة إلى إحداهما ، فان قال إحداهما أصح والأخرى أحسن فانا محتاج اليهما ، قلنا : اكتف بالأصح وبع الأحسن ودع التفرج والترفه ، وإن كان نسختان من علم واحد إحداهما بسيطة والأخرى وجيزة ، فان كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيط ، وإن كان قصده التدريس فيحتاج اليهما ، إذ فى كل واحدة فائدة ليست فى الأخرى.، وأمثال هذه الصور لاتنحصر ، ولم يتعرض له فى فن الفقه ، وإنما أوردناه لعموم البلوى والتنبيه بحسن هذا النظر على غيره ، فان استقصاء هذه الصور غير ممكن ، إذ يتعدى مثل هذا النظر فى أثاث البيت فى مقدارها وعددها ونوعها وفى ثياب البدن وفى الدار وسعتها وضيقها ، وليس لهذه الأمور حدود محدودة ، ولكن الفقيه يجتهد فيها برأيه،ويقرب فى التحديدات بما يراه ، ويقتحم فيه خطر الشبهات، والمتورع يأخذ فيه بالأحوط ويدع مايريبه إلى مالا يريبه ، والدرجات المتوسطة المشكلة بين الأطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينجى منها إلا الاحتياط . والله أعلم

الصنف الثالث : العاملون

وهم السعاة الذين يجمعون الزكوات سوى الخليفة والقاضى . ويدخل فيه العريف والكاتب والمستوفى والحافظ والنقال ، ولا يزاد واحد منهم على أجرة المثل ، فان فضل شيء من الثمن عن أجر مثلهم رد على بقية الأصناف ، وإن نقص كمل من مال المصالح

الصنف الرابع : المؤلفة قلوبهم على الإسلام

وهم الأشراف الذين أسلموا وهم مطاعون فى قومهم وفى إعطائهم تقريرهم على الإسلام وترغيب نظائرهم وأتباعهم

الصنف الخامس : المكاتبون

فيدفع إلى السيد سهم المكاتب ، وإن دفع إلى المكاتب جاز ، ولا يدفع السيد زكاته إلى مكاتب نفسه لأنه يعد عبداً له

الصنف السادس : الغارمون

والغارم هو الذى استقرض فى طاعة أو مباح وهو فقير ، فإن استقرض فى معصية

فلا يعطى إلا إذا تاب، وإن كان غنيا لم يقض دينه إلا إذا كان قد استقرض لمصلحة أو إطفاء فتنة

الصنف السابع : الغزاة الذين ليس لهم مرسوم فى ديوان المرتزقة

فيصرف اليهم سهم وإن كانوا أغنياء إعانة لهم على الغزو

الصنف الثامن : ابن السبيل

وهو الذى شخص من بلده ليسافر فى غير معصية أو اجتاز بها ، فيعطى إن كان فقيرا ، وإن كان له مال ببلد آخر أعطي بقدر بلغته

فإن قلت : فبم تعرف هذه الصفات

قلنا : أما الفقر والمسكنة فبقول الآخذ ، ولا يطالب ببينة ، ولا يحلف ، بل يجوز اعتماد قوله إذا لم يعلم كذبه . وأما الغزو والسفر فهو أمر مستقبل فيعطى بقوله إنى غاز ، فان لم يف به استرد . وأما بقية الأصناف فلا بد فيها من البينة . فهذه شروط الاستحقاق . وأما مقدار مايصرف إلى كل واحد فسيأتى

بيان وظائف القابض

وهى خمسة

الأولى : أن يعلم أن الله عز وجل أوجب صرف الزكاة اليه ليكفى همه ويجعل همومه هما واحدا، فقد تعبد الله عز وجل الخلق بأن يكون همهم واحدا وهو الله سبحانه واليوم الآخر وهو المعنى بقوله تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ *) ولكن لما اقتضت الحكمة أن يسلط على العبد الشهوات والحاجات وهى تفرق همه اقتضى الكرم إفاضة نعمة تكفى الحاجات ، فأكثر الأموال وصبها فى أيدى عباده لتكون آلة لهم فى دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعاتهم ، فمنهم من أكثر ماله فتنة وبلية فأقحمه فى الخطر ، ومنهم من أحبه فحماه عن الدنيا كما يحمى المشفق مريضه ، فزوى عنه فضولها ، وساق اليه قدر حاجته على يد الأغنياء ليكون سهل الكسب ، والتعب فى الجمع والحفظ عليهم ، وفائدته تنصب إلى الفقراء ، فيتجردون لعبادة الله والاستعداد لما بعد الموت ، فلا تصرفهم عنها فضول الدنيا ، ولا تشغلهم عن التأهب الفاقة ، وهذا منتهى النعمة . فحق الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر ،

* الذاريات : ٥٦

ويتحقق أن فضل الله عليه فيما زواه عنه أكثر من فضله فيما أعطاه ، كما سيأتى فى كتاب الفقر تحقيقه وبيانه إن شاء الله تعالى . فليأخذ ما يأخذه من الله سبحانه رزقا وعونا له على الطاعة . ولتكن نيته فيه أن يتقوى به على طاعة الله ، فإن لم يقدر عليه فليصرفه إلى ماأباحه الله عز وجل ، فان استعان به على معصية الله كان كافرا لأنعم الله عز وجل ، مستحقا للبعد والمقت من الله سبحانه

الثانية : أن يشكر المعطى ويدعوله ويثنى عليه ، ويكون شكره ودعاؤه بحيث لايخرجه عن كونه واسطة ، ولكنه طريق وصول نعمة الله سبحانه إليه ، وللطريق حق من حيث جعله الله طريقا وواسطة ، وذلك لاينافى رؤية النعمة من الله سبحانه ، فقد قال صلى الله عليه وسلم [1] « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ » وقد أثنى الله عز وجل على عباده فى مواضع على أعمالهم وهو خالقها وفاطر القدرة عليها ، نحو قوله تعالى : (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ [1]) إلى غير ذلك ، وليقل القابض فى دعائه : طهر الله قلبك فى قلوب الأبرار ، وزكى عملك فى عمل الأخيار ، وصلى على روحك فى أرواح الشهداء . وقد قال صلى الله عليه وسلم [2] « مَنْ أَسْدَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ » ومن تمام الشكر أن يستر عيوب العطاء إن كان فيه عيب ، ولايحقره ، ولايذمه ، ولايعيره بالمنع إذا منع ، ويفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه ، فوظيفة المعطى الاستصغار ، ووظيفة القابض تقلد المنة والاستعظام ، وعلى كل عبد القيام بحقه ، وذلك لاتناقض فيه ، إذ موجبات التصغير والتعظيم تتعارض ، والنافع للمعطى ملاحظة أسباب التصغير ، ويضره خلافه ، والأخذ بالعكس منه : وكل ذلك لايناقض رؤية النعمة من الله عز وجل ، فإن من لايرى الواسطة واسطة فقد جهل وإنما المنكر أن يرى الواسطة أصلا

الثالثة : أن ينظر فيما يأخذه ، فان لم يكن من حل تورع عنه (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ [2]) ولن يعدم المتورع عن الحرام فتوحا من الحلال ،

---

(١) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله : ت وحسنه من حديث أبى سعيد وله ولأبى داود وابن حبان نحوه من حديث أبى هريرة وقال حسن صحيح

(٢) حديث من أسدى اليكم معروفا فكافئوه ـ الحديث : د ن من حديث ابن عمر بإسناد صحيح بلفظ من صنع

[1] ص : ٤٤ [2] الطلاق : ٢ ، ٣

فلا يأخذ من أموال الأتراك والجنود وعمال السلاطين ومن أكثر كسبه من الحرام إلا إذا ضاق الأمر عليه وكان مايسلم إليه لايعرف له مالكا معينا فله أن يأخذ بقدر الحاجة ، فان فتوى الشرع فى مثل هذا أن يتصدق به على ماسيأتى بيانه فى كتاب الحلال والحرام ، وذلك إذا عجز عن الحلال ، فإذا أخذ لم يكن أخذه أخذ زكاة ، إذ لا يقع زكاة عن مؤديه وهو حرام

الرابعة : أن يتوقى مواقع الريبة والاشتباه فى مقدار ما يأخذه ، فلا يأخذ إلا المقدار المباح ، ولا يأخذ الا إذا تحقق أنه موصوف بصفة الاستحقاق ، فان كان يأخذه بالكتابة والغرامة فلا يزيد على مقدار الدين ، وإن كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على أجرة المثل ، وإن أعطى زيادةً أبى وامتنع ، اذ ليس المال للمعطى حتى يتبرع به ، وإن كان مسافرا لم يزد على الزاد وكراء الدابة إلى مقصده ، وإن كان غازيا لم يأخذ الا ما يحتاج إليه للغزو خاصة من خيل وسلاح ونفقة ، وتقدير ذلك بالاجتهاد ، وليس له حدّ ، وكذا زاد السفر ، والورع ترك مايريبه إلى مالا يريبه ، وإن أخذ بالمسكنة فلينظر أوّلا إلى أثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها مايستغنى عنه بعينه أو يستغنى عن نفاسته ، فيمكن أن يبدل بما يكفى ويفضل بعض قيمته ، وكل ذلك إلى اجتهاده ، وفيه طرف ظاهر يتحقق معه انه مستحق ، وطرف آخر مقابل يتحقق معه أنه غير مستحق ، وبينهما أوساط مشتبهة ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه . والاعتماد فى هذا على قول الآخذ ظاهرا

وللمحتاج فى تقدير الحاجات مقامات فى التضييق والتوسيع ، ولا تنحصر مراتبه . وميل الورع إلى التضييق ، وميل المتساهل إلى التوسيع ، حتى يرى نفسه محتاجاً إلى فنون من التوسع ، وهو ممقوت فى الشرع

ثم إذا تحققت حاجته فلا يأخذن مالا كثيراً ، بل ما يتمم كفايته من وقت أخذه إلى سنة . فهذا أقصى مايرخص فيه من حيث إن السنة إذا تكررت تكررت أسباب الدخل ، ومن حيث « إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) ادَّخَرَ لِعِيَالِهِ قُوتَ سَنَةٍ » فهذا أقرب مايحدّ به حدّ الفقير والمسكين . ولو اقتصر على حاجة شهره أو حاجة يومه فهو أقرب للتقوى

---

(١) حديث ادخر لعياله قوت سنة: أخرجاه من حديث عمر كان يعزل نفقة أهله سنة وللطبرانى فى الأوسط من حديث أنس كان اذا ادخر لأهله قوت سنة تصدق بما بقي قال الذهبي حديث منكر

ومذاهب العلماء فى قدر المأخوذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة ، فمن مبالغ فى التقليل إلى حد أوجب الاقتصار على قد قوت يومه وليلته ، وتمسكوا بماروى سهل بن الحنظلية « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) نَهَى عَنِ السُّؤَالِ مَعَ الْغِنَى فَسُئِلَ عَنْ غِنَاهُ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : غَدَاؤُهُ وَعَشَاؤُهُ » . وقال آخرون : يأخذ إلى حد الغنى . وحد الغنى نصاب الزكاة ، إذ لم يوجب الله تعالى الزكاة إلا على الاغنياء ، فقالوا له أن يأخذ بنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة . وقال آخرون : حد الغنى خمسون درهما أو قيمتها من الذهب ، لماروى ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم (٢) قال « مَنْ سَأَلَ وَلَهُ مَالٌ يُغْنِيهِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفِى وَجْهِهِ خُمُوشٌ » فسئل : وماغناه ؟ قال : خمسون درهما أوقيمتها من الذهب . وقيل راويه ليس بقوى . وقال قوم أربعون ، لمارواه عطاء بن يسار منقطعا أنه صلى الله عليه وسلم (٣) قال « مَنْ سَأَلَ وَلَهُ أُوقِيَّةٌ فَقَدْ أَلْحَفَ فِى السُّؤَالِ » . وبالغ آخرون فى التوسيع فقالوا : له أن يأخذ مقدار مايشترى به ضيعة فيستغنى به طول عمره ، أو يهيىء بضاعة ليتجر بها ويستغنى بها طول عمره ، لأن هذا هو الغنى . وقد قال عمر رضى الله عنه : إذا أعطيتم فأغنوا . حتى ذهب قوم إلى أن من افتقر فله أن يأخذ بقدر ما يعود به إلى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم ، إلا إذا خرج عن حد الاعتدال (٤) ولما شغل أبو طَلْحَةَ ببستانه عن الصلاة قال جَعَلْتُهُ صَدَقَةً فقال صلى الله عليه وسلم « اجْعَلْهُ فِى قَرَابَتِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » فأعطاه حسان وأبا قتادة ، فحائط من نخل لرجلين كثير مغن . وأعطى عمر رضى الله عنه أعرابيا ناقة معها ظئرها . فهذا ما حكى فيه

فأما التقليل إلى قوت اليوم أو الأوقية فذلك ورد فى كراهية السؤال والتردد على الأبواب ، وذلك مستنكر ، وله حكم آخر ، بل التجويز إلى أن يشترى ضيعة فيستغنى بها أقرب إلى الاحتمال ، وهو أيضا مائل إلى الإسراف

---

(١) حديث سهل بن الحنظلية فى النهى عن السؤال مع الغنى فيسال مايغنيه فقال غداؤه وعشاؤه : د حب بلفظ من سأل وله ما يغنيه فانما يستكثر من جمر جهنم ـ الحديث :

(٢) حديث ابن مسعود من سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة وفى وجهه خموش ـ الحديث : أصحاب السنن وحسنه ت وضعفه النسائى والخطابى

(٣) حديث عطاء بن يسار منقطعا من سأل وله أوقية فقد ألحف فى السؤال : د ن من رواية عطاء عن رجل من بنى أسد متصلا وليس بمنقطع كما ذكر المصنف لأن الرجل صحابى فلا يضر عدم تسميته وأخرجه د ن حب من حديث أبى سعيد

(٤) حديث لما شغل أبا طلحة بستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة : تقدم فى الصلاة

والأقرب إلى الاعتدال كفاية سَنَة ، فما وراءه فيه خطر ، وفيما دونه تضييق . وهذه الأمور إذا لم يكن فيها تقدير جزم بالتوقيف ، فليس للمجتهد الا الحكم بما يقع له ثم يقال للورع[1] « اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَوْكَ وَأَفْتَوْكَ » كما قاله صلى الله عليه وسلم ، إذ الاثم حِزَازُ القلوب ، فإذا وَجد القابض فى نفسه شيئا مما يأخذه فليتق الله فيه ولا يترخص تعللا بالفتوى من علماء الظاهر ، فان لفتواهم قيودا ومطلقات من الضرورات ، وفيها تخمينات واقتحام شبهات ، والتوقى من الشبهات من شيم ذوى الدين وعادات السالكين لطريق الآخرة

الخامسة : أن يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه ، فان كان مايعطيه فوق الثمن فلا يأخذه منه فانه لايستحق مع شريكه الا الثمن ، فلينقص من الثمن مقدار مايصرف إلى اثنين من صنفه . وهذا السؤال واجب على أكثر الخلق ، فانهم لايراعون هذه القسمة إما لجهل وإما لتساهل . وانما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الأمور إذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم . وسيأتى ذكر مظان السؤال ودرجة الاحتمال فى كتاب الحلال والحرام ، إن شاء الله تعالى .

الفصل الرابع

فى صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها وإعطائها

بيان فضيلة الصدقة

من الأخبار :

قوله صلى الله عليه وسلم :[3] « تَصَدَّقُوا وَلَوْ بِتَمْرَةٍ فَإِنَّهَا تَسُدُّ مِنَ الْجَائِعِ وَتُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ » وقال صلى الله عليه وسلم :[2] « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا

---

(١) حديث استفت قلبك وان أفتوك تقدم فى العلم

(٢) حديث تصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجائع وتطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار : ابن المبارك فى الزهد من حديث عكرمة مرسلا ولأحمد من حديث عائشة بسند حسن استتروا من النار ولو بشق تمرة فانها تسد من الجائع مسدها من الشبعان ولابى يعلى والبزار من حديث أبى بكر اتقوا النار ولو بشق تمرة فانها تقوم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع موقعها من الشبعان وأسناده ضعيف وللترمذى و ن فى الكبرى و ه فى حديث معاذ والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار

(٣) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة أخرجاه من حديث عدى بن حاتم

فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ » وقال صلى الله عليه وسلم:(١) « مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَتَصَدَّقُ بِصَدَقَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا طَيِّبًا إِلَّا كَانَ اللهُ آخِذَهَا بِيَمِينِهِ فَيُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَصِيلَهُ حَتَّى تَبْلُغَ التَّمْرَةُ مِثْلَ أُحُدٍ » وقال صلى الله عليه وسلم:(٢) لأبي الدرداء « إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا ثُمَّ انْظُرْ إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ فَأَصِبْهُمْ مِنْهُ بِمَعْرُوفٍ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٣) « مَا أَحْسَنَ عَبْدٌ الصَّدَقَةَ إِلَّا أَحْسَنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخِلَافَةَ عَلَى تَرِكَتِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٤) « كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٥) « الصَّدَقَةُ تَسُدُّ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الشَّرِّ » وقال صلى الله عليه وسلم : « صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ »

وقال صلى الله عليه وسلم : (٦) « مَا الَّذِي أَعْطَى مِنْ سِعَةٍ بِأَفْضَلَ أَجْرًا مِنَ الَّذِي يَقْبَلُ مِنْ حَاجَةٍ » ولعل المراد به الذي يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين ، فيكون مساويا للمعطي الذي يقصد بإعطائه عمارة دينه . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : (٧) « أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : أَنْ تَصَدَّقَ . وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَأْمُلُ الْبَقَاءَ وَتَخْشَى الْفَاقَةَ وَلَا تُمْهِلْ حَتَّى

---

(١) حديث مامن عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا ـ الحديث : خ تعليقا و م ت ن في الكبرى واللفظ له ه من حديث أبي هريرة

(٢) حديث قال لابي الدرداء اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ـ الحديث : م من حديث أبي ذر انه قال ذلك له وماذكره المصنف انه قال لابي الدرداء وهم

(٣) حديث ماأحسن عبد الصدقة الا أحسن الله الخلافة على تركته : ابن المبارك في الزهد من حديث ابن شهاب مرسلا باسناد صحيح واسنده الخطيب فيمن روي عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه

(٤) حديث كل امرىء في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس : حب ك وصححه على شرط م من حديث عقبة ابن عامر

(٥) حديث الصدقة تسد سبعين بابا من الشر : ابن المبارك في البر من حديث أنس بسند ضعيف أن الله ليدر أبا الصدقة سبعين بابا من ميتة السوء

(٦) حديث ماالمعطي من سعة بأفضل أجرا من الذي يقبل من حاجة : حب في الضعفاء وطب في الأوسط من حديث أنس ورواه في الكبير من حديث ابن عمر بسند ضعيف

(٧) حديث سئل أي الصدقة أفضل ؟ قال ان تصدق وأنت صحيح شحيح ـ الحديث : أخرجاه من حديث أبي هريرة

إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومُ قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ » وقد قال صلى الله عليه وسلم[1] يوماً لأصحابه : « تَصَدَّقُوا ، فَقَالَ رَجُلٌ إِنَّ عِنْدِي دِينَاراً ، فَقَالَ : أَنْفِقْهُ عَلَى نَفْسِكَ ، فَقَالَ إِنَّ عِنْدِي آخَرَ ، قَالَ : أَنْفِقْهُ عَلَى زَوْجَتِكَ ، قَالَ إِنَّ عِنْدِي آخَرَ ، قَالَ : أَنْفِقْهُ عَلَى وَلَدِكَ ، قَالَ إِنَّ عِنْدِي آخَرَ ، قَالَ : أَنْفِقْهُ عَلَى خَادِمِكَ ، قَالَ إِنَّ عِنْدِي آخَرَ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَ أَبْصَرُ بِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم :[2] « لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِآلِ مُحَمَّدٍ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ » وقَالَ :[3] « رُدُّوا مَذَمَّةَ السَّائِلِ وَلَوْ بِمِثْلِ رَأْسِ الطَّائِرِ مِنَ الطَّعَامِ » وقال صلى الله عليه وسلم :[4] « لَوْ صَدَقَ السَّائِلُ مَا أَفْلَحَ مَنْ رَدَّهُ »

وقال عيسى عليه السلام : من رد سائلا خائباً من بيته لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام « وَكَانَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[5] لَا يَكِلُ خَصْلَتَيْنِ إِلَى غَيْرِهِ : كَانَ يَضَعُ طَهُورَهُ بِاللَّيْلِ وَيُخَمِّرُهُ ، وَكَانَ يُنَاوِلُ الْمِسْكِينَ بِيَدِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم :[6] « لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ وَاللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الْمُتَعَفِّفُ ، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً » وقال صلى الله عليه وسلم[7] « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَكْسُو مُسْلِماً إِلَّا كَانَ فِي حِفْظِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا دَامَتْ عَلَيْهِ مِنْهُ رُقْعَةٌ »

الآثار :

قال عروة بن الزبير : لقد تصدقت عائشة رضى الله عنها بخمسين ألفاً وإن درعها لمرقع .

---

(١) حديث قال يوما لاصحابه تصدقوا فقال رجل إن عندى دينارا فقال أنفقه على نفسك ـ الحديث : د ن واللفظ له وحب ك من حديث أبى هريرة وقد تقدم قبل بيسير

(٢) حديث لاتحل الصدقة لآل محمد ـ الحديث : م من حديث المطلب بن ربيعة

(٣) حديث ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام : العقيلى فى الضعفاء من حديث عائشة

(٤) حديث لو صدق السائل ماأفلح من رده : العقيلى فى الضعفاء وابن عبد البر فى التمهيد من حديث عائشة قال العقيلى لايصح فى هذا الباب شىء وللطبرانى نحوه من حديث أبى أمامة بسند ضعيف

(٥) حديث كان لايكل خصلتين إلى غيره ـ الحديث : الدارقطنى من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ابن المبارك فى البر مرسلا

(٦) حديث ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان ـ الحديث : متفق عليه من حديث عائشة

(٧) حديث مامن مسلم يكسو مسلما إلا كان فى حفظ الله ـ الحديث : ت وحسنه و ك وصحح أسناده من حديث ابن عباس وفيه خالد بن طهمان ضعيف

وقال مجاهد فى قول الله عز وجل : (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً[1]) فقال : وهم يشتهونه . وكان عمر رضى الله عنه يقول : اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون به على ذوى الحاجة منا . وقال عمر بن عبد العزيز : الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك، والصدقة تدخلك عليه . وقال ابن أبى الجعد : إن الصدقة لتدفع سبعين باباً من السوء ، وفضل سرها على علانيتها بسبعين ضعفاً ، وإنها لتفك لحي سبعين شيطانا . وقال ابن مسعود : إن رجلا عبد الله سبعين سنة ثم أصاب فاحشة فأحبط عمله ، ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين سنة . وقال لقمان لابنه : اذا أخطأت خطيئة فاعط الصدقة . وقال يحيى بن معاذ . ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا الا الحبة من الصدقة وقال عبد العزيز بن أبى رواد كان يقال ثلاثة من كنوز الجنة : كتمان المرض ، وكتمان الصدقة ، وكتمان المصائب ، وروى مسنداً . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن الأعمال تباهت فقالت الصدقة . أنا أفضلكن . وكان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر ويقول سمعت الله يقول : (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ[2]) والله يعلم أنى أحب السكر . وقال النخعى . اذا كان الشيء لله عز وجل لا يسرنى أن يكون فيه عيب وقال عبيد بن عمير : يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط ، وأعطش ما كانوا قط ، وأعرى ما كانوا قط فمن أطعم لله عز وجل أشبعه الله . ومن سقى لله عز وجل سقاه الله ، ومن كسا لله عز وجل كساه الله . وقال الحسن : لو شاء الله لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم ، ولكنه ابتلى بعضكم ببعض . وقال الشعبى من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة أحوج من الفقير الى صدقته ، فقد أبطل صدقته ، وضرب بها وجهه . وقال مالك لا نرى بأسا بشرب الموسر من الماء الذى يتصدق به ويسقى فى المسجد لأنه انما جعل للعطشان من كان ولم يرد به أهل الحاجة والمسكنة على الخصوص . ويقال : إن الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال للنخاس أترضى ثمنها الدرهم والدرهمين ؟ قال لا ، قال فاذهب فان الله عز وجل رضى فى الحور العين بالفلس واللقمة

(١) الانسان : ٨ (٢) آل عمران : ٩٢

بيان إخفاء الصدقة وإظهارها

قد اختلف طريق طلاب الاخلاص فى ذلك ، فمال قوم إلى أن الاخفاء أفضل ومال قوم إلى أن الاظهار أفضل . ونحن نشير إلى ما فى كل واحد من المعانى والآفات ، ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه .

أما الاخفاء ففيه خمسة معان :

الأول : أنه أبقى للستر على الآخذ ، فان أخذه ظاهرا هتك لستر المروءة ، وكشف عن الحاجة ، وخروج عن هيئة التعفف والتصون المحبوب الذى يحسب الجاهل أهله أغنياء من التعفف

الثانى : أنه أسلم لقلوب الناس وألسنتهم ، فانهم ربما يحسدون أو ينكرون عليه أخذه ويظنون أنه آخذ مع الاستغناء ، أو ينسبونه إلى أخذ زيادة ، والحسدُ وسوء الظن والغيبة من الذنوب الكبائر ، وصيانتهم عن هذه الجرائم أولى وقال أبو أيوب السختيانى : إنى لأترك لبس الثوب الجديد خشية أن يُحدث فى جيرانى حسدا . وقال بعض الزهاد : ربما تركت استعمال الشىء لأجل اخوانى : يقولون : من أين له هذا ؟ وعن ابراهيم التيمى أنه رئى عليه قميص جديد فقال بعض إخوانه : من أين لك هذا ؟ فقال كسانيه أخى خَيْثَمَة» ولو علمت أن أهله علموا به ماقبلته

الثالث : إعانة المعطى على إسرار العمل ، فان فضل السر على الجهر فى الاعطاء أكثر ، والاعانة على إتمام المعروف معروف ، والكتمان لايتم إلا باثنين : فمهما أظهر هذا انكشف أمر المعطى . ودفع رجل إلى بعض العلماء شيئاً ظاهراً فردّه اليه ، ودفع اليه آخر شيئاً فى السر فقبله ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إن هذا عمِلَ بالأدب فى إخفاء معروفه فقبلته ، وذاك أساء أدبه فى عمله فرددته عليه . وأعطى رجل لبعض الصوفية شيئا فى الملا فردّه ، فقال له : لم ترد على الله عز وجل ماأعطاك ؟ فقال : إنك أشركت غير الله سبحانه فيما كان لله تعالى ولم تقنع بالله عز وجل ، فرددتُ عليك شِرْكك . وقبل بعض العارفين فى السر شيئاً كان رده فى العلانية ، فقيل له فى ذلك ، فقال : عصيتَ الله بالجهر فلم أكن عونا لك على المعصية ،

وأطعته بالاخفاء فأعنتك على برّك . وقال الثورى : لو علمت أن أحدهم لايذكر صدقته ولا يتحدث بها لقبلت صدقته

الرابع : أن فى إظهار الأخذ ذلا وامتهانا ، وليس للمؤمن أن يذل نفسه . كان بعض العلماء يأخذ فى السر ولا يأخذ فى العلانية ويقول : إن فى إظهاره إذلالاً للعلم وامتهانا لأهله، فما كنت بالذى أرفع شيئا من الدنيا بوضع العلم وإذلال أهله

الخامس : الاحتراز عن شبهة الشركة ، قال صلى الله عليه وسلم (١) « مَنْ أُهْدِىَ لَهُ هَدِيَةٌ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ فَهُمْ شُرَكَاؤُهُ فِيهَا » وبأن يكون ورقا أوذهبا لايخرج عن كونه هدية . قال صلى الله عليه وسلم (٢) « أَفْضَلُ مَا يُهْدِى الرَّجُلُ إِلَى أَخِيهِ وَرِقاً أَوْ يُطْعِمُهُ خُبْزاً » فجعل الورق هدية بانفراده فما يعطى فى الملأ مكروه إلا برضا جميعهم ، ولايخلو عن شبهة ، فإذا انفرد سلم من هذه الشبهة

أما الاظهار والتحدث به ففيه معان أربعة :

الأول : الإخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والمراءاة

والثانى : إسقاط الجاه والمنزلة ، وإظهار العبودية والمسكنة ، والتبرى عن الكبرياء ودعوى الاستغناء ، وإسقاط النفس من أعين الخلق . قال بعض العارفين لتلميذه : أظهر الأخذ على كل حال إن كنت آخذاً ، فانك لاتخلو عن أحد رجلين : رجل تسقط من قلبه إذا فعلت ذلك ، فذلك هو المراد لأنه أسلم لدينك واقل لآفات نفسك ، أورجل تزداد فى قلبه باظهارك الصدق ، فذلك الذى يريده أخوك ، لأنه يزداد ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه إياك ، فتؤجر أنت إذ كنت سبب مزيد ثوابه

الثالث : هو أن العارف لانظر له إلا إلى الله عز وجل ، والسر والعلانية فى حقه واحد ،

---

(١) حديث من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها: العقيلى وابن حبان فى الضعفاء وطب فى الأوسط وهق من حديث ابن عباس قال عق لا يصح فى هذا المتن حديث

(٢) حديث أفضل مايهدى الرجل إلى أخيه ورقا أو يعطيه خبزا: عد وضعفه من حديث ابن عمر أن أفضل العمل عند الله أن يقضى عن مسلم دينه أو يدخل عليه سرورا أو يطعمه خبزا ولأحمد وت وصححه من حديث البراء من منح منحة ورق أو منحة لبن أو هدى زقاقا فهو كعتاق نسمة

فاختلاف الحال شرك فى التوحيد . قال بعضهم : كنا لانعبأ بدعاء من يأخذ فى السر ويردفى العلانية . والالتفات إلى الخلق حضروا أم غابوا نقصان فى الحال ؛ بل ينبغى أن يكون النظر مقصورا على الواحد الفرد . حكى أن بعض الشيوخ كان كثير الميل إلى واحد من جملة المريدين ، فشق على الآخرين فأراد أن يظهر لهم فضيلة ذلك المريد ، فأعطى كل واحد منهم دجاجة وقال . لينفرد كل واحد منكم بها وليذبحها حيث لايراه أحد ، فانفرد كل واحد وذبح ، إلا ذلك المريد فانه رد الدجاجة ، فسألهم فقالوا : فعلنا ما أمرنا به الشيخ ، فقال الشيخ للمريد: مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك ؟ فقال ذلك المريد : لم أقدر على مكان لايرانى فيه أحد فان الله يرانى فى كل موضع ، فقال الشيخ : لهذا أميل إليه لأنه لايلتفت لغير الله عز وجل

الرابع : أن الاظهار إقامة لسنة الشكر ، وقد قال تعالى : (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ[1]) والكتمان كفران النعمة ، وقد ذم الله عز وجل من كتم ما آتاه الله عز وجل وقرنه بالبخل فقال تعالى: (الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ[2]) وقال صلى الله عليه وسلم [1] « إِذَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أَحَبَّ أَنْ تُرَى نِعْمَتُهُ عَلَيْهِ » وأعطى رجل بعض الصالحين شيئا فى السر فرفع به يده وقال : هذا من الدنيا والعلانية فيها أفضل والسر فى أمور الآخرة أفضل . ولذلك قال بعضهم : إذا أعطيت فى الملا فخذ ثم اردد فى السر . والشكر فيه محثوث عليه ، قال صلى الله عليه وسلم [2] « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ » والشكر قائم مقام المكافأة ، حتى قال صلى الله عليه وسلم « مَنْ أَسْدَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا فَأَثْنُوا عَلَيْهِ بِهِ خَيْراً وَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ » [3] ولما قال المهاجرون فى الشكر يا رسول الله مارأينا خيراً من قوم نزلنا عندهم قاسمونا الأموال حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كله ، فقال صلى الله عليه وسلم « كُلُّ مَا شَكَرْتُمْ لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ بِهِ فَهُوَ مُكَافَأَةٌ »

---

(١) حديث إذا أنعم الله تعالى على عبد نعمة أحب أن ترى عليه: أحمد من حديث عمران ابن حصين بسند صحيح وحسنه ت من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده

(٢) حديث من لم يشكر الناس لم يشكره الله تقدم

(٣) حديث قالت المهاجرون يا رسول الله مارأينا خيرا من قوم نزلنا عليهم ـ الحديث : ت وصححه من حديث أنس ورواه مختصرا د ن في اليوم والليلة و ك وصححه ه

(١) الضحى : ١١ (٢) النساء : ٣٧

فالآن إذا عرفت هـذه المعانى فاعـلم أن ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا فى المسألة بل هو اختلاف حال

فكشف الغطاء فى هذا أنا لا نحكم حكما بتاتا بأن الاخفاء أفضل فى كل حال أو الاظهار أفضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات ، وتختلف النيات باختـلاف الأحوال والأشخاص ، فينبغى أن يكون المخلص مراقبا لنفسه ، حتى لا يتدلى بحبـل الغرور ، ولا ينخدع بتلبيس الطبع ، ومكر الشيطان . والمكر والخداع أغلب فى معانى الاخفاء منه فى الاظهار ، مع أن له دخلا فى كل واحد منهما ، فأما مدخل الخداع فى الاسرار فمن ميل الطبع إليه ، لما فيه من خفض الجاه والمنزلة ، وسقوط القدر عن أعين الناس ، ونظر الخلق إليه بعين الازدراء ، وإلى المعطي بعين المنعم المحسن . فهذا هو الداء الدفين ، ويستكن فى النفس ، والشيطان بواسطته يظهر معانى الخير حتى يتعلل بالمعانى الخمسة التى ذكرناها :

ومعيار كل ذلك ومحكه أمر واحد ، وهو أن يكون تألمه بانكشاف أخذه الصدقة كتألمه بانكشاف صـدقة أخذها بعض نظرائه وأمثاله ، فانه إن كان يبغى صيانة الناس عن الغيبة والحسـد وسوء الظن ، أو يتقي انتهاك الستر ، أو إعانة المعطى على الاسرار ، أو صيانة العـلم عن الابتذال ، فـكل ذلك مما يحصل بانكشاف صدقة أخيه ، فان كان انكشاف أمره أثقل عليه من انكشاف أمر غيره : فتقديره الحـذر من هـذه المعانى أغاليط وأباطيل من مكر الشيطان وخدعه ، فإن اذلال العـلم محذور من حيث إنه علم لا من حيث إنه علم زيد أو علم عمرو ، والغيبة محذورة من حيث إنها تعرض لعرض مصون لا من حيث إنها تعرض لعرض زيد على الخصوص . ومن أحسن من ملاحظة مثل هـذا ربما يعجز الشيطان عنه ، والا فلا يزال كثير العمل قليل الحظ .

وأما جانب الإظهار فميل الطبع إليه من حيث إنه تطييب لقلب المعطى واستحثاث له على مثله وإظهاره عند غيره أنه من المبالغين فى الشكر حتى يرغبوا فى إكرامه وتفقده . وهذا داء دفين فى الباطن ، والشيطان لا يقدر على المتدين إلا بان يروج عليه هذا الخبث فى معرض السنة ويقول له الشكر من السـنة والاخفاء من الرياء ، ويورد عليه المعانى التى ذكرناهـا ليحمله على الاظهار ، وقصده الباطن ما ذكرناه

ومعيار ذلك ومحكه أن ينظر إلى ميل نفسه إلى الشكر حيث لا ينتهى الخبر إلى المعطى، ولا إلى من يرغب فى عطائه، وبين يدى جماعة يكرهون اظهار العطية ويرغبون فى اخفائها، وعادتهم أنهم لا يعطون الا من يخفى ولا يشكر، فان استوت هذه الأحوال عنده فليعلم أن باعثه هو إقامة السنة فى الشكر والتحدث بالنعمة، وإلا فهو مغرور

ثم إذا علم أن باعثه السنة فى الشكر فلا ينبغى أن يغفل عن قضاء حق المعطى فينظر: فإن كان هو ممن يحب الشكر والنشر فينبغى أن يخفى ولا يشكر، لأن قضاء حقه أن لا ينصره على الظلم، وطلبه الشكر ظلم

وإذا علم من حاله أنه لا يحب الشكر ولا يقصده فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته. ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (١) للرجل الذى مدح بين يديه: « ضَرَبْتمْ عُنُقَهُ، لَوْ سَمِعَهَا مَا أَفْلَحَ » مع أنه صلى الله عليه وسلم كان يثنى على قوم فى وجوههم لثقته بيقينهم وعلمه بأن ذلك لا يضرهم بل يزيد فى رغبتهم فى الخير فقال لواحد (٢) « إِنَّهُ سَيِّدُ أَهْلِ الْوَبَرِ » وقال صلى الله عليه وسلم (٣) فى آخر « إِذَا جَاءَكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ » وسمع كلام رجل فأعجبه فقال صلى الله عليه وسلم (٤) « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْراً » وقال صلى الله عليه وسلم (٥) « إِذَا عَلِمَ أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ خَيْراً فَلْيُخْبِرْهُ فَإِنَّهُ يَزْدَادُ رَغْبَةً فِى الْخَيْرِ » وقال صلى الله عليه وسلم (٦) « إِذَا مُدِحَ الْمُؤْمِنُ رَبَا الْإِيمَانُ فِى قَلْبِهِ » وقال الثورى: من عرف نفسه لم يضره مدح الناس

---

(١) حديث قال للرجل الذى مدح بين يديه ضربتم عنقه لو سمعها ماأفلح: متفق عليه من حديث أبى بكرة بلفظ ويحك قطعت عنق صاحبك زاد طب فى رواية والله لو سمعها ماأفلح أبدا وفى سنده على ابن زيد بن جدعان متكلم فيه وله نحوه من حديث أبى موسى

(٢) حديث أنه سيد الوبر: العنبرى وطب وابن قانع فى معاجمهم وحب فى الثقات من حديث قيس بن عاصم المنقرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له ذلك

(٣) حديث اذا جاءكم كريم قوم فأكرموه: هـ من حديث ابن عمر ورواه د فى المراسيل من حديث الشعبى مرسلا بسند صحيح وقال روى متصلا وهو ضعيف ولك نحوه من حديث معبد بن خالد الانصارى عن أبيه وصحح أسناده

(٤) حديث أن من البيان لسحرا: خ من حديث ابن عمر

(٥) حديث اذا علم أحدكم من أخيه خيرا فليخبره فانه يزداد رغبة فى الخير: قط فى العلل من رواية ابن المسيب عن أبى هريرة وقال لا يصح عن الزهرى وروى عن ابن المسيب مرسلا

(٦) حديث اذا مدح المؤمن ربا الايمان فى قلبه: طب من حديث أسامة بن زيد بسند ضعيف

وقال أيضاً ليوسف بن أسباط : إذا أوليتك معروفاً كنت أنا أسر به منك ورأيت ذلك نعمة من الله عز وجل على فاشكر وإلا فلا تشكر

ودقائق هذه المعانى ينبغى أن يلحظها من يراعى قلبه ، فإن أعمال الجوارح مع اهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان ، وشماتة له لكثرة التعب وقلة النفع . ومثل هذا العلم هو الذى يقال فيه إن تعلم مسألة واحدة منه أفضل من عبادة سنة ، إذ بهذا العلم تحيا عبادة العمر ، وبالجهل به تموت عبادة العمر كله ، وتتعطل

وعلى الجملة فالأخذ فى الملأ والرد فى السر أحسن المسالك وأسلمها، فلا ينبغى أن يدفع بالتزويقات إلا أن تكمل المعرفة بحيث يستوى السر والعلانية ، وذلك هو الكبريت الأحمر الذى يتحدث به ولا يرى . نسأل الله الكريم حسن العون والتوفيق

بيان الأفضل من أخذ الصدقة والزكاة

كان إبراهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون أن الاخذ من الصدقة أفضل ، فان فى أخذ الزكاة مزاحمة للمساكين وتضييقا عليهم ، ولأنه ربما لا يكمل فى أخذه صفة الإستحقاق كما وصف فى الكتاب العزيز، وأما الصدقة فالأمر فيها أوسع، وقال قائلون بأخذ الزكاة دون الصدقة لأنها إعانة على الواجب ولو ترك المساكين كلهم أخذ الزكاة لأثموا ، ولأن الزكاة لامنة فيها ، وإنما هو حق واجب لله سبحانه رزقا لعباده المحتاجين ، ولأنه أخذ بالحاجة ، والانسان يعلم حاجة نفسه قطعا وأخذ الصدقة أخذ بالدين ، فإن الغالب أن المتصدق يعطى من يعتقد فيه خيرا ولأن مرافقة المساكين أدخل فى الذل والمسكنة وأبعد من التكبر إذ قد يأخذ الانسان الصدقة فى معرض الهدية فلا تتميز عنه وهذا تنصيص على ذل الآخذ وحاجته

والقول الحق فى هذا أن هذا يختلف بأحوال الشخص وما يغلب عليه وما يحضره من النية ، فان كان فى شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغى أن يأخذ الزكاة ، فاذا علم أنه مستحق قطعا كما إذا حصل عليه دين صرفه إلى خير وليس له وجه فى قضائه فهو مستحق قطعا ، فاذا خير هذا بين الزكاة وبين الصدقة ، فاذا كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك المال

لو لم يأخذه هو فليأخذ الصدقة ، فإن الزكاة الواجبة يصرفها صاحبها إلى مستحقها ، ففى ذلك تكثير للخير وتوسيع على المساكين ، وإن كان المال معرضا للصدقة ولم يكن فى أخذ الزكاة تضييق على المساكين فهو مخير ، والأمر فيهما يتفاوت . وأخذ الزكاة أشد فى كسر النفس وإذلالها فى أغلب الأحوال . والله أعلم .

كمل كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الصوم

والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ، وعلى الملائكة والمقربين من أهل السموات والأرضين ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائماً إلى يوم الدين . والحمد لله وحده ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

كتاب أسرار الصوم

كتاب أسرار الصوم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أعظم على عباده المنه ، بما دَفَعَ عنهم كيد الشيطان وفتّه ، ورد أمله وخيب ظنه ، إذ جعل الصوم حصناً لأوليائه وجُنّه ، وفتح لهم به أبواب الجنه ، وعرفهم أن وسيلة الشيطان إلى قلوبهم الشهوات المستكنه ، وأن بقمعها تصبح النفس المطمئنة، ظاهرة الشوكة فى قصم خصمها قوية المنة . والصلاة على محمد قائد الخلق وممهد السنه ، وعلى آله وأصحابه ذوى الأبصار الثاقبة والعقول المرجحة ، وسلم تسليما كثيرا

أما بعد : فان الصوم ربع الإيمان بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم [1] « الصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْرِ » وبمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم [2] « الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ » ثم هو متميز بخاصية النسبة إلى الله تعالى من بين سائر الأركان ، إذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم [3] « كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَّا الصِّيَامُ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ » وقد قال الله تعالى : (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ [1]) والصوم نصف الصبر ، فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب ، وناهيك فى معرفة فضله قوله صلى الله عليه وسلم [4] « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا يَذَرُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ لِأَجْلِي فَالصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم [5] « لِلْجَنَّةِ بَابٌ يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ » وهو موعود بلقاء الله تعالى فى جزاء صومه وقال صلى الله عليه وسلم [6] « لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ : فَرْحَةٌ عِنْدَ إِفْطَارِهِ

﴿ كتاب أسرار الصيام ﴾

(١) حديث الصوم نصف الصبر : ت وحسنه من حديث رجل من بنى سليم و ه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث الصبر نصف الايمان : أبو نعيم فى الحلية والخطيب فى التاريخ من حديث ابن مسعود بسند حسن

(٣) حديث كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا الصوم ـ الحديث : أخرجاه من حديث أبى هريرة

(٤) حديث والذي نفسى بيده لخلوف فم الصائم ـ الحديث : أخرجاه من حديثه وهو بعض الذى قبله

(٥) حديث للجنة باب يقال له الريان ـ الحديث : أخرجاه من حديث سهل بن سعد

(٦) حديث للصائم فرحتان ـ الحديث : أخرجاه من حديث أبى هريرة

---

(1) الزمر : ١٠

وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ » . وقال صلى الله عليه وسلم [١] « لِكُلِّ شَيْءٍ بَابٌ ، وَبَابُ الْعِبَادَةِ الصَّوْمُ » . وقال صلى الله عليه وسلم [٢] « نَوْمُ الصَّائِمِ عِبَادَةٌ » . وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم [٣] قال : « إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَنَادَى مُنَادٍ : يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ هَلُمَّ وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ اقْصِرْ »

وقال وكيع فى قوله تعالى (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ [١]) هى أيام الصيام اذتركوا فيها الأكل والشرب . وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رتبة المباهاة بين الزهد فى الدنيا و بين الصوم [٤] فقال « إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ بِالشَّابِّ الْعَابِدِ فَيَقُولُ أَيُّهَا الشَّابُّ التَّارِكُ شَهْوَتَهُ لِأَجْلِي الْمُبْذِلُ شَبَابَهُ لِي أَنْتَ عِنْدِي كَبَعْضِ مَلَائِكَتِي » وقال صلى الله عليه وسلم فى الصائم « يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ [٥] انْظُرُوا يَا مَلَائِكَتِي إِلَى عَبْدِي تَرَكَ شَهْوَتَهُ وَلَذَّتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي » وقيل فى قوله تعالى : (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [٢]) قيل كان عملهم الصيام لأنه قال : (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ [٣]) فيفرغ للصائم جزاؤه إفراغا ، ويجازف جزافا ، فلا يدخل تحت وَهْم و تقدير . وجدير بأن يكون كذلك ، لأن الصوم إنما كان له ومشرفا بالنسبة إليه وإن كانت العبادات كلها له ، كما شرف البيت بالنسبة إلى نفسه ، والأرض كلها له ، لمعنيين

---

(١) حديث لكل شيء باب وباب العبادة الصوم: ابن المبارك فى الزهد ومن طريقه أبو الشيخ فى الثواب من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف

(٢) حديث نوم الصائم عبادة: رويناه فى أمالى ابن منده من رواية ابن المغيرة القواس عن عبدالله بن عمر بسند ضعيف ولعله عبد الله بن عمرو فانهم لم يذكروا لابن المغيرة رواية الا عنه ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث عبد الله بن أبى أوفى وفيه سليمان ابن عمرو النخعي أحد الكذابين

(٣) حديث اذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة ـ الحديث : ت وقال غريب و ه و ك وصححه على شرطهما من حديث أبى هريرة وصحح خ وقفه على مجاهد وأصله متفق عليه دون قوله ونادمناد

(٤) حديث ان الله تعالى يباهي ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته ـ الحديث : عد من حديث ابن مسعود بسند ضعيف

(٥) حديث يقول الله تعالي لملائكته ياملائكتى انظروا الى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلى

---

(١) الحاقة : ٢٤ (٢) السجدة : ١٧ (٣) الزمر : ١٠

أحدهما : أن الصوم كف وترك وهو فى نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد ، وجميع أعمال الطاعات يشهد من الخلق ومرأى ، والصوم لا يراه إلا الله عز وجل ، فانه عمل فى الباطن بالصبر المجرد

والثانى : أنه قهر لعدوّ الله عز وجل ، فان وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات ، وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [1] « إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَجْرِى مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ فَضَيِّقُوا مَجَارِيَهُ بِالْجُوعِ » . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها « دَاوِمِى [2] قَرْعَ بَابِ الْجَنَّةِ . قَالَتْ : بِمَاذَا ؟ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بِالْجُوعِ » . وسيأتى فضل الجوع فى كتاب شره الطعام وعلاجه من ربع المهلكات

فلما كان الصوم على الخصوص قمعاً للشيطان وسداً لمسالكه وتضييقاً لمجاريه ، استحق التخصيص بالنسبة إلى الله عز وجل ، ففى قمع عدوّ الله نصرة لله سبحانه ، وناصر الله تعالى موقوف على النصرة له ، قال الله تعالى : (إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ [1]) فالبداية بالجهد من العبد ، والجزاء بالهداية من الله عز وجل ، ولذلك قال تعالى (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا [2]) وقال تعالى : (إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ [3]) وانما التغيير تكثير الشهوات ، فهى مرتع الشياطين ومرعاهم ، فمادامت مخصبة لم ينقطع ترددهم ، وما داموا يترددون لم ينكشف للعبد جلال الله سبحانه وكان محجوبا عن لقائه . وقال صلى الله عليه وسلم [3] « لَوْلَا أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحُومُونَ عَلَى قُلُوبِ بَنِى آدَمَ لَنَظَرُوا إِلَى مَلَكُوتِ السَّمٰوَاتِ » فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة ، وصار جنة .

وإذا عظمت فضيلته إلى هذا الحد فلابد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة ، بذكر أركانه ، وسننه ، وشروطه الباطنة . ونبين ذلك بثلاثة فصول :

---

(١) حديث ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ـ الحديث : متفق عليه من حديث صفية دون قوله فضيقوا مجاريه بالجوع

(٢) حديث قال لعائشة داومى قرع باب الجنة ـ الحديث : لم أجد له أصلا

(٣) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم ـ الحديث : أحمد من حديث أبى هريرة بنحوه

(١) محمد : ٧ (٢) العنكبوت : ٦٩ (٣) الرعد : ١١

الفصل الأول

فى الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بافساده

أما الواجبات الظاهرة فستة

الأوّل : مراقبة أوّل شهر رمضان ، وذلك برؤية الهلال ، فإن غمّ فاستكمال ثلاثين يوما من شعبان . ونعنى بالرؤية العلم ، ويحصل ذلك بقول عدل واحد ، ولا يثبت هلال شوّال إلا بقول عدلين احتياطا للعبادة ، ومن سمع عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وإن لم يقض القاضى به ، فليتبع كل عبد فى عبادته موجب ظنه ، وإذا رؤى الهلال ببلدة ولم يُرَ بأخرى وكان بينهما أقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وإن كان أكثر كان لكل بلدة حكمها ، ولا يتعدّى الوجوب

الثانى : النية . ولا بد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة ، فلو نوى أن يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكفه ، وهو الذى عنينا بقولنا كل ليلة ، ولو نوى بالنهار لم يجزه صوم رمضان ولا صوم الفرض إلا التطوع ، وهو الذى عنينا بقولنا مبيتة ، ولو نوى الصوم مطلقا أو الفرض مطلقا لم يجزه حتى ينوى فريضة الله عز وجل صوم رمضان ، ولو نوى ليلة الشك أن يصوم غدا إن كان من رمضان لم يجزه فانها ليست جازمة إلا أن تستند نيته إلى قول شاهد عدل ، واحتمال غلط العدل أو كذبه لا يبطل الجزم ، أو يستند إلى استصحاب حال كالشك فى الليلة الأخيرة من رمضان ، فذلك لا يمنع جزم النية ، أو يستند إلى اجتهاد كالمحبوس فى المطمورة إذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشكه لا يمنعه من النية ، ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزمه النية باللسان فان النية محلها القلب ، ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك ، كما لو قال فى وسط رمضان : أصوم غدا إن كان من رمضان فإن ذلك لا يضره لأنه ترديد لفظ ، ومحل النية لا يتصور فيه تردد ، بل هو قاطع بأنه من رمضان . ومن نوى ليلا ثم أكل لم تفسد نيته . ولو نوت امرأة فى الحيض ثم طهرت قبل الفجر صح صومها

الثالث : الإمساك عن إيصال شىء إلى الجوف عمدا مع ذكر الصوم ، فيفسد صومه بالأكل ، والشرب ، والسعُوط ، والحقنة . ولا يفسد بالفصد ، والحجامة ، والاكتحال ،

وإدخال الميل فى الأذن والاحليل ، إلا أن يقطر فيه مايبلغ المثانة . وما يصل بغير قصد من غبار الطريق أو ذبابة تسبق إلى جوفه ، أو مايسبق إلى جوفه فى المضمضة فلا يفطر ، إلا إذا بالغ فى المضمضة فيفطر لأنه مقصر ، وهو الذى أردنا بقولنا : عمدا . فأما ذكر الصوم فأردنا به الاحتراز عن الناسى فإنه لايفطر ، أما من أكل عامدا فى طرفى النهار ثم ظهر له أنه أكل نهارا بالتحقيق فعليه القضاء ، وإن بقى على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه . ولا ينبغى أن يأكل فى طرفى النهار إلا بنظر واجتهاد

الرابع : الإمساك عن الجماع ، وحدُّه مغيب الحشفة . وإن جامع ناسيا لم يفطر ، وإن جامع ليلا أو احتلم فأصبح جنبا لم يفطر ، وإن طلع الفجر وهو مخالط أهله فنزع فى الحال صح صومه ، فان صبر فسد ولزمته الكفارة

الخامس : الامساك عن الاستمناء ، وهو إخراج المنى قصداً بجماع أو بغير جماع فإن ذلك يفطر . ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها مالم ينزل ، لكن يكره ذلك إلا أن يكون شيخا أو مالكا لإربه ، فلا بأس بالتقبيل ، وتركه أولى . وإذا كان يخاف من التقبيل أن ينزل فقبل وسبق المنى أفطر لتقصيره

السادس : الامساك عن إخراج القىء ، فالاستقاء يفسد الصوم ، وإن ذَرَعه القىء لم يفسد صومه . وإذا ابتلع نخامة من حلقه أو صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به ، إلا أن يبتلعه بعد وصوله إلى فيه ، فانه يفطر عند ذلك

وأما لوازم الافطار فأربعة :

القضاء ، والكفارة ، والفدية ، وإمساك بقية النهار تشبيها بالصائمين

أما القضاء : فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر أو بغير عذر ، فالحائض تقضى الصوم ، وكذا المرتد . أما الكافر والصبى والمجنون فلا قضاء عليهم . ولا يشترط التتابع فى قضاء رمضان ، ولكن يقضى كيف شاء متفرقا ومجموعا .

وأما الكفارة : فلا تجب إلا بالجماع . وأما الاستمناء والأكل والشرب وما عدا الجماع لاتجب به كفارة . فالكفارة عتق رقبة ، فان أعسر فصوم شهرين متتابعين ، وإن عجز فاطعام ستين مسكينا مُدًّا مُدًّا

وأما إمساك بقية النهار : فيجب على من عصى بالفطر او قصر فيه ، ولا يجب على الحائض إذا طهرت إمساك بقية نهارها ، ولا على المسافر إذا قدم مفطرا من سفر بلغ مرحلتين . ويجب الامساك إذا شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك ، والصوم فى السفر أفضل من الفطر الا إذا لم يطق ، ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيما فى أوله ، ولا يوم يقدم إذا قدم صائما

وأما الفدية : فتجب على الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفا على ولديهما ، لكل يوم مد حنطة لمسكين واحد مع القضاء والشيخ الهرم إذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا

وأما السنن فست : تأخير السحور ، وتعجيل الفطر بالتمر أو الماء قبل الصلاة ، وترك السواك بعد الزوال ، والجود فى شهر رمضان لما سبق من فضائله فى الزكاة ، ومدارسة القرآن والاعتكاف فى المسجد لاسيما فى العشر الأخير ، فهو عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « كَانَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ الْأَوَاخِرُ طَوَى الْفِرَاشَ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ وَدَأَبَ وَأَدْأَبَ أَهْلَهُ » أى أداموا النصب فى العبادة ، إذ فيها ليلة القدر ، والأغلب أنها فى أوتارها ، وأشبهُ الأوتار ليلة إحدى وثلاث وخمس وسبع ، والتتابع فى هذا الاعتكاف أولى ، فان نذر اعتكافا متتابعا أو نواه انقطع تتابعه بالخروج من غير ضرورة : كما لو خرج لعيادة ، أو شهادة أو جنازة أو زيارة ، أو تجديد طهارة . وإن خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع ، وله أن يتوضأ فى البيت . ولا ينبغى أن يعرج على شغل آخر « كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢) لَا يَخْرُجُ إِلَّا لِحَاجَةِ الْإِنْسَانِ وَلَا يَسْأَلُ عَنِ الْمَرِيضِ إِلَّا مَارًّا » . وينقطع التتابع بالجماع ، ولا ينقطع بالتقبيل ، ولا بأس فى المسجد بالطيب وعقد النكاح ، وبالأكل والنوم وغسل اليد فى الطست ، فكل ذلك قد يحتاج إليه فى التتابع . ولا ينقطع التتابع بخروج بعض بدنه « كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣) يُدْنِي رَأْسَهُ فَتُرَجِّلُهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَهِيَ فِي الْحُجْرَةِ » ومهما خرج المعتكف لقضاء حاجته فإذا عاد ينبغى أن يستأنف النية ، الا إذا كان قد نوى أولا عشرة أيام مثلا ، والأفضل مع ذلك التجديد .

---

(١) حديث كان اذا دخل العشر الأواخر طوى الفراش ــ الحديث : متفق عليه من حديث عائشة بلفظ أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر

(٢) حديث كان لا يخرج الا لحاجته ولا يسأل عن المريض الا مارا : متفق على الشطر الأول من حديث عائشة والشطر الثانى رواه أبو داود بنحوه بسند لين

(٣) حديث كان يدنى رأسه لعائشة متفق عليه من حديثها

الفصل الثانى

فى أسرار الصوم وشروطه الباطنة

اعلم أن الصوم ثلاث درجات : صوم العموم ، وصوم الخصوص ، وصوم خصوص الخصوص

أما صوم العموم : فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله

وأما صوم الخصوص : فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام

وأما صوم خصوص الخصوص : فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية ، وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية . ويحصل الفطر فى هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله عز وجل واليوم الآخر ، وبالفكر فى الدنيا إلا دنيا تراد للدين ، فان ذلك من زاد الآخرة وليس من الدنيا ، حتى قال أرباب القلوب : من تحركت همته بالتصرف فى نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة ، فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عز وجل ، وقلة اليقين برزقه الموعود . وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقربين . ولا يطول النظر فى تفصيلها قولا ولكن فى تحقيقها عملا ، فانه اقبال بكنه الهمة على الله عز وجل ، وانصراف عن غير الله سبحانه ، وتلبس بمعنى قوله عز وجل : (قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ[1])

وأما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين : فهو كف الجوارح عن الآثام . وتمامه بستة أمور

الأول : غض البصر وكفه عن الاتساع فى النظر إلى كل ما يذم ويكره ، وإلى كل ما يشغل القلب ويلهى عن ذكر الله عز وجل ، قال صلى الله عليه وسلم[1] « النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللهُ فَمَنْ تَرَكَهَا خَوْفًا مِنَ اللهِ آتَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِيمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ » وروى جابر عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] أنه قال « خَمْسٌ يُفْطِرْنَ الصَّائِمَ : الْكَذِبُ وَالْغِيبَةُ وَالنَّمِيمَةُ وَالْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ وَالنَّظَرُ بِشَهْوَةٍ »

---

(١) حديث النظرة سهم مسموم من سهام ابليس ـ الحديث : ك وصحح أسناده من حديث حذيفة

(٢) حديث جابر عن أنس خمس يفطرون الصائم ـ الحديث : الأزدى فى الضعفاء من رواية جابان عن أنس وقوله جابر تصحيف قال أبو حاتم الرازي هذا كذاب

* الأنعام : ٩١

الثانى : حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء ، والزامه السكوت ، وشغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القرءان فهذا صوم اللسان . وقد قال سفيان : الغيبة تفسد الصوم . رواه بشر بن الحارث عنه ، وروى ليث عن مجاهد : خصلتان يفسدان الصيام : الغيبة والكذب . وقال صلى الله عليه وسلم [1] « إِنَّمَا الصَّوْمُ جُنَّةٌ فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ » وجاء فى الخبر « أَنَّ [2] امْرَأَتَيْنِ صَامَتَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجْهَدَهُمَا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ مِنْ آخِرِ النَّهَارِ حَتَّى كَادَتَا أَنْ تَتْلَفَا فَبَعَثَتَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَأْذِنَانِهِ فِي الْإِفْطَارِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمَا قَدَحًا وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْ لَهُمَا قِيئَا فِيهِ مَا أَكَلْتُمَا فَقَاءَتْ إِحْدَاهُمَا نِصْفَهُ دَمًا عَبِيطًا وَلَحْمًا غَرِيضًا وَقَاءَتِ الْأُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى مَلَأَتَاهُ فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَاتَانِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللهُ لَهُمَا وَأَفْطَرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمَا قَعَدَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى الْأُخْرَى فَجَعَلَتَا يَغْتَابَانِ النَّاسَ ، فَهَذَا مَا أَكَلَتَا مِنْ لُحُومِهِمْ »

الثالث : كف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه ، لأن كل ما حرم قوله حرم الاصغاء إليه ، ولذلك سوى الله عز وجل بين المستمع وآكل السحت ، فقال تعالى : (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ [1]) وقال عز وجل (لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ [2]) فالسكوت على الغيبة حرام وقال تعالى : (إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ [3]) ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [3] « الْمُغْتَابُ وَالْمُسْتَمِعُ شَرِيكَانِ فِي الْإِثْمِ »

الرابع : كف بقية الجوارح عن الآثام : من اليد ، والرجل ، وعن المكاره ، وكف البطن عن الشبهات وقت الافطار ، فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام ، فمثال هذا الصائم مثال من يبنى قصرا ويهدم مصرا ، فإن الطعام الحلال إنما يضر

---

(١) حديث الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائما ـ الحديث أخرجاه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الحديث : فى الغيبة للصائم أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الحديث : بسند فيه مجهول

(٣) حديث المغاب والمستمع شريكان فى الاثم غريب وللطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع الى الغيبة

(١) المائدة : ٤٢ (٢) المائدة : ٦٣ (٣) النساء : ١٠٤

بكثرته لا بنوعه، فالصوم لتقليله. وتارك الاستكثار من الدواء خوفا من ضرره إذا عدل إلى تناول السم كان سفيها، والحرام سم مهلك للدين، والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم تقليله. وقد قال صلى الله عليه وسلم: (١) «كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صَوْمِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ» فقيل هو الذى يفطر على الحرام، وقيل هو الذى يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام، وقيل هو الذى لا يحفظ جوارحه عن الآثام

الخامس: أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الافطار بحيث يمتلىء جوفه، فما من وعاء أبغض إلى الله عز وجل من بطن ملىء من حلال، وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره مافاته ضحوة نهاره، وربما يزيد عليه فى ألوان الطعام حتى استمرت العادات بأن تدخر جميع الأطعمة لرمضان فيؤكل من الأطعمة فيه مالا يؤكل فى عدة أشهر. ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى، لتقوى النفس على التقوى، وإذا دفعت المعدة من ضحوة نهار إلى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات وأشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها، وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها. فروح الصوم وسره تضعيف القوى التى هى وسائل الشيطان فى العود إلى الشرور ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل، وهو أن يأكل أكلته التى كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم، فأما اذا جمع ما كان يأكل ضحوة الى ما كان يأكل ليلا فلم ينتفع بصومه، بل من الآداب أن لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى، فيصفو عند ذلك قلبه، ويستديم فى كل ليلة قدراً من الضعف حتى يخف عليه تهجده وأوراده، فعسى الشيطان أن لا يحوم على قلبه فينظر إلى ملكوت السماء وليلة القدر عبارة عن الليلة التى ينكشف فيها شىء من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١)) ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب، ومن أخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله عز وجل؛ وذلك هو الأمر كله، ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام. وسيأتى له مزيد بيان فى كتاب الأطعمة، إن شاء الله عز وجل

---

(١) حديث كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش ن ه من حديث أبى هريرة

(١) القدر: ١

السادس : أن يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء ، إذ ليس يدرى أيقبَلُ صومه فهو من المقربين ، أو يرد عليه فهو من الممقوتين . وليكن كذلك فى آخر كل عبادة يفرُغ منها ، فقد روى عن الحسن بن أبى الحسن البصرى أنه مر بقوم وهم يضحكون فقال: «إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته ، فسبق قوم ففازوا ، وتخلف أقوام فخابوا ، فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب فى اليوم الذى فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون ! أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن باحسانه والمسىء باساءته ! أى كان سرور المقبول يشغله عن اللعب ، وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك . وعن الأحنف بن قيس أنه قيل له إنك شيخ كبير وإن الصيام يضعفك ، فقال إنى أعده لسفر طويل ، والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه . فهذه هى المعانى الباطنة فى الصوم

فان قلت : فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعانى فقد قال الفقهاء صومه صحيح ، فما معناه ؟

فاعلم أن فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بأدلة هى أضعف من هذه الأدلة التى أوردناها فى هذه الشروط الباطنة ، لاسيما الغيبة وأمثالها ، ولكن ليس إلى فقهاء الظاهر من التكليفات إلا ما يتيسر على عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحته ، فأما علماء الآخرة فيعنون بالصحة القبول ، وبالقبول الوصول الى المقصود ، ويفهمون أن المقصود من الصوم التخلق بخلق من أخلاق الله عز وجل ، وهو الصمدية ، والاقتداء بالملائكة فى الكف عن الشهوات بحسب الامكان ، فأنهم منزهون عن الشهوات ، والانسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ، ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكلما انهمك فى الشهوات انحط إلى أسفل السافلين ، والتحق بغمار البهائم ، وكلما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين ، والتحق بأفق الملائكة ، والملائكة مقربون من الله عز وجل ، والذى يقتدى بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله عز وجل كقربهم ، فان الشبيه من القريب قريب ، وليس القرب ثَمَّ بالمكان بل بالصفات

وإذا كان هذا سر الصوم عند أرباب ، الألباب وأصحاب القلوب ، فأى جدوى لتأخير أكلة وجمع أكلتين عند العشاء ، مع الانهماك فى الشهوات الأخر طول النهار ؟ ولو كان لمثله جدوى

فأى معنى لقوله صلى الله عليه وسلم « كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صَوْمِهِ إِلاَّ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ » ؟ ولهذا قال أبو الدرداء : ياحبذا نوم الأكياس وفطرهم ، كيف لايعيبون صوم الحمق وسهرهم ، ولَذرة من ذوى يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترين، ولذلك قال بعض العلماء : كم من صائم مفطر ؛ وكم من مفطر صائم . والمفطر الصائم هو الذى يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب ، والصائم المفطر هو الذى يجوع ويعطش ويطلق جوارحه .

ومن فهم معنى الصوم وسره علم أن مثل من كف عن الأكل والجماع وأفطر بمخالطة الآثام كمن مسح على عضو من أعضائه فى الوضوء ثلاث مرات ، فقد وافق فى الظاهر العدد ، إلا أنه ترك المهم وهو الغسل ، فصلاته مردودة عليه بجهله . ومثل من أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل أعضاءه مرة مرة ، فصلاته متقبلة إن شاء الله لإحكامه الأصل ، وإن ترك الفضل . ومثل من جمع بينهما كمن غسل كل عضو ثلاث مرات فجمع بين الأصل والفضل وهو الكمال. وقد قال صلى الله عليه وسلم[1] « إِنَّ الصَّوْمَ أَمَانَةٌ فَلْيَحْفَظْ أَحَدُكُمْ أَمَانَتَهُ » [2] ولما تلا قوله عز وجل : (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا[1]) وضع يده على سمعه وبصره فقال : السمع أمانة ، والبصر أمانة . ولو لا أنه من أمانات الصوم لما قال صلى الله عليه وسلم « فَلْيَقُلْ إِنِّى صَائِمٌ » أى انى أودعت لسانى لاحفظه فكيف أطلقه بجوابك

فإذاً قد ظهر أن لكل عبادة ظاهرا وباطنا وقشرا ولبا ، ولقشورها درجات ، ولكل درجة طبقات ، فاليك الْخِيَرَةَ الآن فى أن تقنع بالقشر عن اللباب أو تتحيز إلى غمار أرباب الألباب

---

(١) حديث انما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته : الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث ابن مسعود فى حديث فى الامانة والصوم واسناده حسن

(٢) حديث لما تلا قوله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وضع يده على سمعه وبصره وقال السمع والبصر أمانة : د من حديث أبى هريرة دون قوله السمع أمانة

(١) النساء : ٥٨

الفصل الثالث

فى التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه

اعلم أن استحباب الصوم يتأكد فى الأيام الفاضلة ، وفواضل الأيام بعضها يوجد فى كل سنة ، وبعضها يوجد فى كل شهر ، وبعضها فى كل أسبوع

أما فى السنة بعد أيام رمضان : فيوم عرفة ، ويوم عاشوراء ، والعشر الأول من ذى الحجة ، والعشر الأول من المحرم ، وجميع الأشهر الحرم مظان الصوم ، وهى أوقات فاضلة وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) يُكْثِرُ صَوْمَ شَعْبَانَ حَتَّى كَانَ يُظَنُّ أَنَّهُ فِي رَمَضَانَ (٢) وفى الخبر « أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ » لانه ابتداء السنة ، فبناؤها على الخير أحب وأرجى لدوام بركته . قال صلى الله عليه وسلم (٣) « صَوْمُ يَوْمٍ مِنْ شَهْرٍ حَرَامٍ أَفْضَلُ مِنْ ثَلَاثِينَ مِنْ غَيْرِهِ وَصَوْمُ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ أَفْضَلُ مِنْ ثَلَاثِينَ مِنْ شَهْرٍ حَرَامٍ » (٤) وفى الحديث « مَنْ صَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ شَهْرٍ حَرَامٍ : الْخَمِيسَ وَالْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ عِبَادَةَ تِسْعِمِائَةِ عَامٍ » (٥) وفى الخبر « إِذَا كَانَ النِّصْفُ مِنْ شَعْبَانَ فَلَا صَوْمَ حَتَّى رَمَضَانَ » ولهذا يستحب أن يفطر قبل رمضان أياما ، فان وصل شعبان برمضان فجائز ، فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرَّةً (٦) وَفَصَلَ مِرَاراً كَثِيرَةً (٧) ولا يجوز أن يقصد استقبال رمضان بيومين أو ثلاثة إلا أن يوافق وردا له . وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حتى لا يضاهى بشهر رمضان

---

(١) حديث كان يكثر صيام شعبان ـ الحديث : متفق عليه من حديث عائشة

(٢) حديث أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم : من حديث أبى هريرة

(٣) حديث صوم يوم من شهر حرام أفضل من صوم ثلاثين ـ الحديث : لم أجده هكذا وفى المعجم الصغير للطبرانى من حديث ابن عباس من صام يوما من المحرم فله بكل يوم ثلاثون يوما

(٤) حديث من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت ـ الحديث : الأزدى فى الضعفاء من حديث أنس

(٥) حديث اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان : الاربعة من حديث أبى هريرة حب فى صحيحه عنه اذا كان النصف من شعبان فافطروا حتى يجىء رمضان وصححه ت

(٦) حديث وصل شعبان برمضان مرة : الاربعة من حديث أم سلمة لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما الا شعبان يصل به رمضان و د ن نحوه من حديث عائشة

(٧) حديث فصل شعبان من رمضان مرارا : د من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحفظ من هلال شعبان مالا يتحفظ من غيره فان غم عليه عد ثلاثين يوما ثم صام وأخرجه قط وقال اسناده صحيح و ك وقال صحيح على شرط الشيخين

فالأشهر الفاضلة ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان ، والأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ، واحد فرد وثلاثة سرد . وأفضلها ذو الحجة لأن فيه الحج والأيام المعلومات والمعدودات ، وذو القعدة من الأشهر الحرم وهو من أشهر الحج ، وشوال من أشهر الحج وليس من الحرم ، والمحرم ورجب ليسا من أشهر الحج [1] وفى الخبر مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ فِيهِنَّ أَفْضَلُ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَيَّامِ عَشْرِ ذِى الْحِجَّةِ ، إِنَّ صَوْمَ يَوْمٍ مِنْهُ يَعْدِلُ صِيَامَ سَنَةٍ : وَقِيَامَ لَيْلَةٍ مِنْهُ تَعْدِلُ قِيَامَ لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، قِيلَ : وَلَا الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى ؟ قَالَ : وَلَا الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا مَنْ عُقِرَ جَوَادُهُ وَأُهْرِيقَ دَمُهُ »

وأما ما يتكرر فى الشهر : فأول الشهر ، وأوسطه ، وآخره . ووسطه الأيام البيض ، وهى الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر

وأما فى الأسبوع : فالاثنين ، والخميس ، والجمعة فهذه هى الأيام الفاضلة فيستحب فيها الصيام ، وتكثير الخيرات لتضاعف أجورها ببركة هذه الأوقات

وأما صوم الدهر فانه شامل للكل وزيادة . وللسالكين فيه طرق : فمنهم من كره ذلك ، إذ وردت أخبار تدل على كراهته [2] والصحيح أنه إنما يكره لشيئين : أحدهما أن لا يفطر فى العيدين وأيام التشريق فهو الدهر كله ، والآخر أن يرغب عن السنة فى الافطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه ، مع أن الله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه ، فاذا لم يكن شىء من ذلك ورأى صلاح نفسه فى صوم الدهر فليفعل ذلك ، فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم . وقال صلى الله عليه وسلم [3] فيما رواه أبو موسى الأشعرى « مَنْ صَامَ الدَّهْرَ كُلَّهُ ضُيِّقَتْ عَلَيْهِ جَهَنَّمُ وَعَقَدَ تِسْعِينَ » ومعناه لم يكن له فيها موضع

---

(١) حديث ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب الى الله من عشر ذى الحجة ـ الحديث : ت هـ من حديث أبى هريرة دون قوله قيل ولا الجهاد الخ وعند خ من حديث ابن عباس ما العمل فى أيام أفضل من العمل فى هذا العشر قالوا ولا الجهاد قال ولا الجهاد الا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشىء

(٢) الاحاديث الدالة على كراهة صيام الدهر : خ م من حديث عبد الله بن عمرو فى حديث له لا صام من صام الابد ولمسلم من حديث أبى قتادة قيل يارسول الله كيف بمن صام الدهر قال لا صام ولا أفطر و ن نحوه من حديث عبد الله بن عمر وعمران بن حصين وعبدالله بن الشخير

(٣) حديث أبى موسى الاشعرى من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم هكذا وعقد تسعين : أحمد ن فى الكبرى و حب وحسنه أبو على الطوسى

ودونه درجة أخرى وهو صوم نصف الدهر : بأن يصوم يوما ويفطر يوما ، وذلك أشد على النفس وأقوى فى قهرها . وقد ورد فى فضله أخبار كثيرة ، لأن العبد فيه بين صوم يوم وشكر يوم ، فقد قال صلى الله عليه وسلم (١) « عُرِضَتْ عَلَيَّ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَكُنُوزُ الْأَرْضِ فَرَدَدْتُهَا وَقُلْتُ أَجُوعُ يَوْماً وَأَشْبَعُ يَوْماً أَحْمَدُكَ إِذَا شَبِعْتُ وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ إِذَا جُعْتُ » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « أَفْضَلُ الصِّيَامِ صَوْمُ أَخِي دَاوُدَ : كَانَ يَصُومُ يَوْماً وَيُفْطِرُ يَوْماً » ومن ذلك (٣) مُنَازَلَتُهُ صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو رضى الله عنهما فى الصوم وهو يقول إنى أطيق أكثر من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم « صُمْ يَوْماً وَأَفْطِرْ يَوْماً ، فَقَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ » وقد روى « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤) مَا صَامَ شَهْراً كَامِلاً قَطُّ إِلَّا رَمَضَانَ »

ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس بثلثه ، وهو أن يصوم يوما ويفطر يومين وإذا صام ثلاثة من أول الشهر وثلاثة من الوسط وثلاثة من الآخر فهو ثلث ، وواقع فى الأوقات الفاضلة ، وإن صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث . وإذا ظهرت أوقات الفضيله فالكمال فى أن يفهم الأنسان معنى الصوم ، وأن مقصوده تصفية القلب وتفريغ الهم لله عز وجل . والفقيه بدقائق الباطن ينظر إلى أحواله ، فقد يقتضى حاله دوام الصوم ، وقد يقتضى دوام الفطر ، وقد يقضى مزج الافطار بالصوم . وإذا فهم المعنى وتحقق حده فى سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه ، وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا ، ولذلك روى « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥) كَانَ يَصُومُ حَتَّى يُقَالَ لَا يُفْطِرُ وَيُفْطِرُ حَتَّى يُقَالَ لَا يَصُومُ وَيَنَامُ حَتَّى يُقَالَ لَا يَقُومُ وَيَقُومُ حَتَّى يُقَالَ لَا يَنَامُ » وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الأوقات

---

(١) حديث عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا ـ الحديث : ت من حديث أبى أمامة بلفظ عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا وقال حسن

(٢) حديث أفضل الصيام صوم أخى داود ـ الحديث : أخرجاه من حديث عبد الله بن عمرو

(٣) حديث منازلته لعبد الله بن عمرو وقوله صم يوما وافطر يوما ـ الحديث : أخرجاه من حديثه

(٤) حديث ماصام شهرا كاملا قط إلا رمضان : أخرجاه من حديث عائشة

(٥) حديث كان يصوم حتى يقال لا يفطر ـ الحديث : م أخرجاه من حديث عائشة وابن عباس دون ذكر القيام والنوم وخ من حديث أنس كان يفطر من الشهر حتى يظن أن لا يصوم منه شيئا ويصوم حتى يظن أن لا يفطر منه شيئا وكان لا تشاء تراه من الليل مصليا الا رأيته ولا نائما الا رأيته

وقد كره العلماء أن يوالى بين الافطار أكثر من أربعة أيام ، تقديرا بيوم العيد وأيام التشريق ، وذكروا أن ذلك يقسى القلب ، ويولد ردىء العادات ، ويفتح أبواب الشهوات . ولعمرى هو كذلك فى حق أكثر الخلق ، لا سيما من يأكل فى اليوم والليلة مرتين . فهذا ما أردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوّع به . والله أعلم بالصواب

تم كتاب أسرار الصوم ، والحمد لله بجميع محامده كلها ما علمنا منها ومالم نعلم . وعلى جميع نعمه كلها ما علمنا منها ومالم نعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وكرم ، وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء

يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الحج ، والله المعين لا رب غيره ،

وما توفيقى إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل

كتاب أسرار الحج

كتاب أسرار الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا ، وجعل البيت العتيق مثابة للناس وأمنا ، وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشريفا وتحصينا ومنًّا ، وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد وبين العذاب ومجنًّا والصلاة على محمد نبى الرحمة ، وسيد الأمة ، وعلى آله وصحبه قادة الحق ، وسادة الخلق ، وسلم تسليما كثيرا

أما بعد : فان الحج من بين أركان الاسلام ومبانيه ، عبادة العمر ، وختام الأمر ، وتمام الاسلام ، وكمال الدين فيه ، أنزل الله عز وجل قوله (ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا[1]) وفيه قال صلى الله عليه وسلم[1] « مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَحُجَّ فَلْيَمُتْ إِنْ شَاءَ يَهُودِيًّا وَإِنْ شَاءَ نَصْرَانِيًّا » فأعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال ويساوى تاركها اليهود والنصارى فى الضلال ، وأجدر بها أن تصرف العناية الى شرحها وتفصيل أركانها وسننها وآدابها وفضائلها وأسرارها . وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله عز وجل فى ثلاثة أبواب :

الباب الأول : فى فضائلها وفضائل مكة والبيت العتيق ، وجمل أركانها وشرائط وجوبها

الباب الثانى : فى أعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدأ السفر إلى الرجوع

الباب الثالث : فى آدابها الدقيقة وأسرارها المخفية وأعمالها الباطنة فلنبدأ بالباب الأوّل وفيه فصلان :

الفصل الأوّل : فى فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى وشد الرحال إلى المساجد

﴿ كتاب أسرار الحج ﴾

(١) حديث من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا عد من حديث أبى هريرة : و ت نحوه من حديث على وقال غريب وفى اسناده مقال

(١) المائدة : ٣

فضيلة الحج

قال الله عز وجل (وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ [1]) وقال قتادة لما أمر الله عز وجل إبراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وعلى كل عبد مصطفى أن يؤذن فى الناس بالحج ، نادى : يأيها الناس إن الله عز وجل بنى بيتا فحجوه . وقال تعالى (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ [2]) قيل التجارة فى الموسم، والأجر فى الآخرة . ولما سمع بعض السلف هذا قال : غفر لهم ورب الكعبة . وقيل فى تفسير قوله عز وجل: (لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ [3]) أى طريق مكة يقعد الشيطان عليه ليمنع الناس منها وقال صلى الله عليه وسلم [1] « مَنْ حَجَّ الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم [2] « مَا رُئِيَ الشَّيْطَانُ فِي يَوْمٍ أَصْغَرَ وَلَا أَدْحَرَ وَلَا أَحْقَرَ وَلَا أَغْيَظَ مِنْهُ يَوْمَ عَرَفَةَ » وما ذلك إلا لما يرى من نزول الرحمة ، وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب العظام ، إذ يقال [3] « إِنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوباً لَا يُكَفِّرُهَا إِلَّا الْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ » وقد أسنده جعفر ابن محمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذكر بعض المكاشفين من المقربين أن إبليس لعنة الله عليه ظهر له فى صورة شخص بعرفة ، فاذا هو ناحل الجسم ، مصفر اللون ، باكى العين ، مقصوف الظهر ، فقال له : ما الذى أبكى عينك؟ قال: خروج الحاج إليه بلا تجارة أقول قد قصدوه أخاف أن لا يخيبهم فيحزننى ذلك ، قال فما الذى أنحل جسمك ؟ قال صهيل الخيل فى سبيل الله عز وجل ولو كانت فى سبيلى كان أحب إلىّ ، قال فما الذى غيرلونك ؟ قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية كان أحب إلىّ ، قال فما الذى قصف ظهرك ؟ قال قول العبد أسألك حسن الخاتمة أقول يا ويلتى متى يعجب هذا بعمله أخاف أن يكون قد فطن

---

(١) حديث من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه: أخرجاه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث ما رؤى الشيطان فى يوم هو أصغر ـ الحديث: مالك عن ابراهيم بن أبى عبلة عن طلحة بن عبد الله بن كريز مرسلا

(٣) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الوقوف بعرفة : لم أجده أصلا

(1) الحج : ٢٧ (2) الحج : ٢٨ (3) الاعراف : ١٦

وقال صلى الله عليه وسلم : (١) « مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ حَاجّاً أَوْ مُعْتَمِراً فَمَاتَ أُجْرِيَ لَهُ أَجْرُ الْحَاجِّ الْمُعْتَمِرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ مَاتَ فِي إِحْدَى الْحَرَمَيْنِ لَمْ يُعْرَضْ وَلَمْ يُحَاسَبْ وَقِيلَ لَهُ ادْخُلِ الْجَنَّةَ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٢) « حِجَّةٌ مَبْرُورَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَحِجَّةٌ مَبْرُورَةٌ لَيْسَ لَهَا جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٣) « الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَزُوَّارُهُ إِنْ سَأَلُوهُ أَعْطَاهُمْ وَإِنِ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ وَإِنْ دَعَوْا اسْتُجِيبَ لَهُمْ وَإِنْ شَفَعُوا شُفِّعُوا » وفي حديث مسند من طريق أهل البيت عليهم السلام (٤) « أَعْظَمُ النَّاسِ ذَنْباً مَنْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ فَظَنَّ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَغْفِرْ لَهُ »

وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم (٥) أنه قال : « يَنْزِلُ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ رَحْمَةً : سِتُّونَ لِلطَّائِفِينَ ، وَأَرْبَعُونَ لِلْمُصَلِّينَ ، وَعِشْرُونَ لِلنَّاظِرِينَ » (٦) وفي الخبر : « اسْتَكْثِرُوا مِنَ الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ فَإِنَّهُ مِنْ أَجَلِّ شَيْءٍ تَجِدُونَهُ فِي صُحُفِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَغْبَطِ عَمَلٍ تَجِدُونَهُ » ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة (٧) وفي الخبر : « مَنْ طَافَ أُسْبُوعاً حَافِياً حَاسِراً كَانَ لَهُ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ ، وَمَنْ طَافَ أُسْبُوعاً فِي الْمَطَرِ غُفِرَ لَهُ مَا سَلَفَ مِنْ ذَنْبِهِ » ويقال إن الله عز وجل إذا غفر لعبده ذنبا في الموقف غفره لكل من أصابه في ذلك الموقف

---

(١) حديث من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجرى الله له أجر الحاج المعتمر الى يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة: هق في الشعب بالشطر الاول من حديث أبي هريرة وروى هو وقط من حديث عائشة الشطر الثاني نحوه وكلاهما ضعيف

(٢) حديث حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة: أخرجاه من حديث أبي هريرة الشطر الثاني بلفظ الحج المبرور وقال أن الحجة المبرورة وعند ابن عدي حجة مبرورة

(٣) حديث الحجاج والعمار وفد الله وزواره ـ الحديث: ه من حديث أبي هريرة دون قوله وزواره ودون قوله ان سألوه أعطاهم وان شفعوا شفعوا وله من حديث ابن عمر وسألوه فأعطاهم ورواه حب

(٤) حديث أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له : الخطيب في المتفق والمفترق وأبو منصور شهر دار بن شيرويه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر باسناد ضعف

(٥) حديث ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة : حب في الضعفاء وهق في الشعب من حديث ابن عباس باسناد حسن وقال أبو حاتم حديث منكر

(٦) حديث استكثروا من الطواف بالبيت ـ الحديث : حب و ك من حديث ابن عمر استمتعوا من هذا البيت فانه هدم مرتين ويرفع في الثالثة وقال ك صحيح على شرط الشيخين

(٧) حديث من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنوبه: لم أجده هكذا وعند ت ه من حديث ابن عمر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة لفظ ت وحسنه

وقال بعض السلف : إذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل أهل عرفة ، وهو أفضل يوم فى الدنيا وفيه حَجَّ رسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1] حَجَّةَ الْوَدَاعِ وَكَانَ وَاقِفًا إِذْ نَزَلَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا[1]) قال أهل الكتاب : لو أنزلت هذه الآية علينا لجعلناها يوم عيد ، فقال عمر رضى الله عنه: أشهد لقد أنزلت هذه الآية فى يوم عيدين اثنين : يوم عرفة ، ويوم جمعة ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة . وقال صلى الله عليه وسلم :[2] « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْحَاجِّ وَلِمَنِ اسْتَغْفَرَ لَهُ الْحَاجُّ »

ويروى أن على بن موفق حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حججا ، قال : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى : يا ابن موفق حججت عنى ؟ قلت نعم ، قال ولبيت عنى قلت نعم ، قال فانى أكافئك بها يوم القيامة آخذ بيدك فى الموقف فأدخلك الجنة والخلائق فى كرب الحساب، وقال مجاهد وغيره من العلماء : إن الحجاج إذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الإبل ، وصافحوا ركبان الحمر ، واعتنقوا المشاة اعتناقا

وقال الحسن : من مات عقيب رمضان أو عقيب غزو أو عقيب حج ، مات شهيدا . وقال عمر رضى الله عنه . الحاج مغفور له ولمن يستغفر له فى شهر ذى الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الأول .

وقد كان من سنة السلف رضى الله عنهم أن يشيعوا الغزاة، وأن يستقبلوا الحاج ، ويقبلوا بين أعينهم ويسألوهم الدعاء ، ويبادرون ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام .

ويروى عن على بن موفق قال حججت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمنى فى مسجد الخيف فرأيت فى المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر ، فنادى أحدهما صاحبه : ياعبد الله فقال الآخر : لبيك ياعبد الله ، قال تدرى كم حج بيت ربنا عز وجل فى هذه السنة قال : لا أدرى ، قال حج بيت ربنا ستمائة ألف أتدرى كم قبل منهم ؟ قال لا قال ستة أنفس

---

(١) حديث وقوفه فى حجة الوداع يوم الجمعة ونزول اليوم أكملت لكم دينكم الحديث: أخرجاه من حديث عمر

(٢) حديث اللهم اغفر للحجاج ولمن استغفر له الحاج : ك من حديث أبى هريرة وقال صحيح على شرط م

(١) المائدة : ٣

قال : ثم ارتفعا فى الهواء فعاباعنى ، فانتبهت فزعا ، واغتممت غما شديدا ، وأهمنى أمرى ، فقلت إذا قبل حج ستة أنفس ؟ فأين أكون أنا فى ستة أنفس ؟ فلما أفضت من عرفة قمت عند المشعر الحرام فجعلت أفكر فى كثرة الخلق وفى قلة من قبل منهم ، فحملنى النوم فاذا الشخصان قد نزلا على هيئتهما فنادى أحدهما صاحبه وأعاد الكلام بعينه ، ثم قال : أتدرى ماذا حكم ربنا عز وجل فى هذه الليلة ؟ قال لا ، قال فانه وهب لكل واحد من الستة مائة ألف قال فانتبهت وبى من السرور ما يجل عن الوصف

وعنه أيضا رضى الله عنه قال حججت سنة فلما قضيت مناسكى تفكرت فيمن لا يقبل حجه فقلت : اللهم إنى قد وهبت حجتى وجعلت ثوابها لمن لم تقبل حجته ، قال فرأيت رب العزة فى النوم جل جلاله فقال لى : ياعلى تتسخى على وأنا خلقت السخاء والأسخاء ، وأنا أجود الأجودين وأكرم الأكرمين ، وأحق بالجود والكرم من العللين : قد وهبت كل من لم أقبل حجه لمن قبلته

فضيلة البيت ومكة المشرفة

قال صلى الله عليه وسلم : (١) « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَعَدَ هَذَا الْبَيْتَ أَنْ يَحُجَّهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ سِتُّمِائَةِ أَلْفٍ، فَإِنْ نَقَصُوا أَكْمَلَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَإِنَّ الْكَعْبَةَ تُحْشَرُ كَالْعَرُوسِ الْمَزْفُوفَةِ وَكُلُّ مَنْ حَجَّهَا يَتَعَلَّقُ بِأَسْتَارِهَا يَسْعَوْنَ حَوْلَهَا حَتَّى تَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَيَدْخُلُونَ مَعَهَا » وفى الخبر : (٢) « إِنَّ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ يَاقُوتَةٌ مِنْ يَوَاقِيتِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ يَشْهَدُ لِكُلِّ مَنِ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ وَصِدْقٍ » وَ« كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣) يُقَبِّلُهُ كَثِيراً » وروى « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤) سَجَدَ عَلَيْهِ » وَ« كَانَ يَطُوفُ عَلَى الرَّاحِلَةِ

---

(١) حديث ان الله قد وعد هذا البيت ان يحجه فى كل سنة ستمائة ألف ـ الحديث : لم أجد له أصلا

(٢) حديث ان الحجر ياقوته من يواقيت الجنة ويبعث يوم القيامة له عينان ـ الحديث : ت وصححه ن من حديث ابن عباس الحجر الأسود من الجنة لفظ ن وباقي الحديث رواه ت وحسنه و ه وحب و ك وصحح اسناده من حديث ابن عباس أيضا وللحاكم من حديث أنس ان الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة وصحح اسناده ورواه ن حب ك من حديث عبدالله بن عمرو

(٣) حديث انه صلى الله عليه وسلم كان يقبله كثيرا أخرجاه من حديث عمر دون قوله كثيرا و ن أنه كان يقبله كل مرة ثلاثا ان رآه خاليا

(٤) حديث انه كان يسجد عليه : البزار و ك من حديث عمر وصحح اسناده

فيضعُ ٱلْمِحْجَنَ عَلَيْهِ ثُمَّ يُقَبِّلُ طَرَفَ ٱلْمِحْجَنِ »[١] « وَقَبَّلَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ثُمَّ قَالَ : إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ ثُمَّ بَكَى حَتَّى عَلَا نَشِيجُهُ فَالْتَفَتَ إِلَى وَرَائِهِ فَرَأَى عَلِيًّا كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ يَا أَبَا ٱلْحَسَنِ هَاهُنَا تُسْكَبُ ٱلْعَبَرَاتُ وَتُسْتَجَابُ الدَّعَوَاتُ ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ بَلْ هُوَ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ ، قَالَ : وَكَيْفَ ؟ قَالَ : إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا أَخَذَ ٱلْمِيثَاقَ عَلَى الذُّرِّيَّةِ كَتَبَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا ثُمَّ أَلْقَمَهُ هَذَا ٱلْحَجَرَ فَهُوَ يَشْهَدُ لِلْمُؤْمِنِ بِٱلْوَفَاءِ وَيَشْهَدُ عَلَى ٱلْكَافِرِ بِٱلْجُحُودِ » قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام : اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك

وروى عن الحسن البصرى رضى الله عنه أن صوم يوم فيها بمائة ألف يوم ، وصدقة درهم بمائة ألف درهم ، وكذلك كل حسنة بمائة ألف ، ويقال طواف سبعة أسابيع يعدل عمرة وثلاث عمر تعدل حجة[٢] وفى الخبر الصحيح : « عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ كَحَجَّةٍ مَعِي » وقال صلى الله عليه وسلم :[٣] « أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ ٱلْأَرْضُ ثُمَّ آتِي أَهْلَ ٱلْبَقِيعِ فَيُحْشَرُونَ مَعِي ثُمَّ آتِي أَهْلَ مَكَّةَ فَأُحْشَرُ بَيْنَ ٱلْحَرَمَيْنِ » وفى الخبر :[٤] « إِنَّ آدَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَضَى مَنَاسِكَهُ لَقِيَتْهُ ٱلْمَلَائِكَةُ فَقَالُوا يَرَّ حَجُّكَ يَا آدَمُ لَقَدْ حَجَجْنَا هَذَا ٱلْبَيْتَ قَبْلَكَ بِأَلْفَيْ عَامٍ » وجاء فى الأثر : « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْظُرُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى أَهْلِ ٱلْأَرْضِ فَأَوَّلُ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ أَهْلُ ٱلْحَرَمِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ ٱلْحَرَمِ أَهْلُ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ، فَمَنْ رَآهُ طَائِفًا غَفَرَ لَهُ وَمَنْ رَآهُ مُصَلِّيًا غَفَرَ لَهُ وَمَنْ رَآهُ قَائِمًا مُسْتَقْبِلَ ٱلْكَعْبَةِ غَفَرَ لَهُ »

---

(١) حديث قبله عمر وقال انى لأعلم انك حجر: أخرجاه دون الزيادة التى رواها على ورواه بتلك الزيادة ك وقال ليس من شرط الشيخين

(٢) حديث عمرة فى رمضان كحجة معى: أخرجاه من حديث ابن عباس دون قوله معى فهى عند مسلم على الشك تقضى حجة أو حجة معى ورواه ك بزيادتها من غير شك

(٣) حديث أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم آتى أهل البقيع فيحشرون معى ـ الحديث : ت وحسنه وحب من حديث ابن عمر

(٤) حديث ان آدم لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا برحجك يا آدم ـ الحديث : رواه الفضل الجندى ومن طريقه ابن الجوزى فى العل من حديث ابن عباس وقال لا يصح ورواه الأزرقي فى تاريخ مكة موقوفا على ابن عباس

وكوشف بعض الأولياء رضى الله عنهم ، قال : إنى رأيت الثغور كلها تسجد لعبادان ، ورأيت عبادان ساجدة لجدة . ويقال لا تغرب الشمس من يوم إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال ، ولا يطلع الفجر من ليلة إلا طاف به واحد من الأوتاد ، وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى الناس لها أثرا وهذا إذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد ، ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فاذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ، ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة ، ثم يرجع الناس إلى الأشعار والأغانى وأخبار الجاهلية ، ثم يخرج الدجال وينزل عيسى عليه السلام فيقتله ، والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب التى تتوقع ولادتها . وفى الخبر [1] « اسْتَكْثِرُوا مِنَ الطَّوَافِ بِهَذَا الْبَيْتِ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ فَقَدْ هُدِمَ مَرَّتَيْنِ وَيُرْفَعُ فِى الثَّالِثَةِ » وروى عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله تعالى : [2] « إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أُخَرِّبَ الدُّنْيَا بَدَأْتُ بِبَيْتِى فَخَرَّبْتُهُ ثُمَّ أُخَرِّبُ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِه »

فضيلة المقام بمكة المكرمة حرسها الله تعالى وكراهيته

كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لمعان ثلاثة :

الأول : خوف التبرم والانس بالبيت ، فإن ذلك ربما يؤثر فى تسكين حرقة القلب فى الاحترام ، وهكذا كان عمر رضى الله عنه يضرب الحجاج إذا حجوا ويقول : يا أهل اليمن يمنكم ، ويأهل الشام شامكم ، ويأهل العراق عراقكم ولذلك هم عمر رضى الله عنه بمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت أن يأنس الناس بهذا البيت

الثانى : تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود ، فإن الله تعالى جعل البيت مثابة للناس وأمنا أى يثوبون ويعودون إليه مرة بعد أخرى ولا يقضون منه وطرا . وقال بعضهم : تكون فى بلد وقلبك مشتاق إلى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه وأنت متبرم بالمقام وقلبك فى بلد آخر . وقال بعض السلف : كم من رجل بخراسان وهو أقرب إلى هذا البيت ممن يطوف به . ويقال إن لله تعالى عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا إلى الله عز وجل

---

(١) حديث استكثروا من الطواف بهذا البيت ـ الحديث : البزار وحب وك وصححه من حديث ابن عمر استمتعوا من هذا البيت فانه هدم مرتين ويرفع فى الثالثة

(٢) حديث قال الله اذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتى فخربته ثم أخرب الدنيا على أثره : ليس له أصل

الثالث : الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها، فإن ذلك مخطر ، وبالحرى أن يورث مقت الله عز وجل لشرف الموضع . وروى عن وهيب بن الورد المكى قال : كنت ذات ليلة فى الحجر أصلى فسمعت كلاما بين الكعبة والأستار يقول إلى الله أشكو ثم إليك ياجبرائيل ماألقى من الطائفين حولى من تفكرهم فى الحديث ولغوهم ولهوهم ، لئن لم ينتهوا عن ذلك لأنتفضن انتفاضة يرجع كل حجر منى إلى الجبل الذى قطع منه .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه مامن بلد يؤاخذ فيه العبد بالنية قبل العمل إلا مكة ، وتلا قوله تعالى : (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ[1]) أى أنه على مجرد الارادة ويقال إن السيآت تضاعف بها كما تضاعف الحسنات . وكان ابن عباس رضى الله عنه يقول الإحتكار بمكة من الالحاد فى الحرم . وقيل الكذب أيضاً وقال ابن عباس : لأن أذنب سبعين ذنباً بركية أحب إلى من أن أذنب ذنباً واحداً بمكة . وركية منزل بين مكة والطائف ولخوف ذلك انتهى بعض المقيمين إلى أنه لم يقض حاجته فى الحرم بل كان يخرج إلى الحل عند قضاء الحاجة . وبعضهم أقام شهرا ، وما وضع جنبه على الأرض . وللمنع من الاقامة كره بعض العلماء أجورد ورمكة

ولا تظنن أن كراهة المقام يناقض فضل البقعة ، لأن هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع . فمعنى قولنا : إن ترك المقام به أفضل ، أى بالاضافة إلى مقام مع التقصير والتبرم ، أما أن يكون أفضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيهات ، وكيف لا ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة استقبل الكعبة وقال[2] « إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وأَحَبُّ بِلَادِ اللهِ تَعَالَى إِلَيَّ وَلَوْلَا أَنِّي اخرِجْتُ مِنْكِ لَمَا خَرَجْتُ » وكيف لا . والنظر إلى البيت عباده ، والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناه ؟

---

(١) حديث انك لخير أرض الله وأحب بلاد الله الى الله ولولا انى أخرجت منك ماخرجت : ت وصححه و ن فى الكبرى و هو حب من حديث عبد الله بن عدى بن الحمراء

(١) الحج : ٢٥

فضيلة المدينة الشريفة على سائر البلاد

ما بعد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فالأعمال فيها أيضا مضاعفة، قال صلى الله عليه وسلم (١) « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ » وكذلك كل عمل بالمدينة بألف، وبعد مدينته الأرض المقدسة فان الصلاة فيها بخمسمائة صلاة فيما سواها إلا المسجد الحرام، وكذلك سائر الأعمال. وروى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم (٢) أنه قال: « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ بِعَشْرَةِ آلَافِ صَلَاةٍ ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بِأَلْفِ صَلَاةٍ ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ » وقال صلى الله عليه وسلم: (٣) « مَنْ صَبَرَ عَلَى شِدَّتِهَا وَلَأْوَائِهَا كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٤) « مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ فَإِنَّهُ لَنْ يَمُوتَ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ »

وما بعد هذه البقاع الثلاث فالمواضع فيها متساوية إلا الثغور فان المقام بها للمرابطة فيها فيه فضل عظيم. ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: (٥) لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ : الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي هَذَا وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى »

وقد ذهب بعض العلماء إلى الاستدلال بهذا الحديث فى المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء، وما تبين لى أن الأمر كذلك ، بل الزيارة مأمور بها ، قال صلى الله عليه وسلم (٦) « كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا وَلَا تَقُولُوا هُجْراً » .

---

(١) حديث صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام: متفق عليه من حديث أبى هريرة ورواه م من حديث ابن عمر

(٢) حديث ابن عباس صلاة فى مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة فى المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة: غريب لم أجده بجملته هكذا و ه من حديث ميمونة باسناد جيد فى بيت المقدس إئتوه فصلوا فيه فان صلاة فيه كألف صلاة فى غيره وله من حديث أنس صلاة بالمسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة وصلاة فى مسجدى بخمسين ألف صلاة ليس فى أسناده من ضعف وقال الذهبي انه منكر

(٣) حديث لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد الا كنت له شفيعا يوم القيامة: م من حديث أبى هريرة وابن عمر وأبى سعيد

(٤) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها ـ الحديث: ت ه من حديث ابن عمر قال ت حسن صحيح

(٥) حديث لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد

(٦) حديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها م من حديث بريدة بن الحصيب

والحديث إنما ورد فى المساجد، وليس فى معناها المشاهد، لأن المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة، ولا بلد إلا وفيه مسجد فلا معنى للرحلة إلى مسجد آخر. وأما المشاهد فلا تتساوى، بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله عز وجل، ثم لو كان فى موضع لا مسجد فيه فله أن يشد الرحال إلى موضع فيه مسجد، وينتقل إليه بالكلية إن شاء

ثم ليت شعرى هل يمنع هذا القائل من شد الرحال إلى قبور الأنبياء عليهم السلام؛ مثل ابراهيم وموسى ويحيى وغيرهم عليهم السلام! فالمنع من ذلك فى غاية الاحالة، فاذا جوز هذا فقبور الأولياء والعلماء والصلحاء فى معناها، فلا يبعد أن يكون ذلك من أغراض الرحلة، كما أن زيارة العلماء فى الحياة من المقاصد هذا فى الرحلة

أما المقام فالأولى بالمريد أن يلازم مكانه إذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله فى وطنه، فان لم يسلم فيطلب من المواضع ماهو أقرب إلى الخمول وأسلم للدين وأفرغ للقلب وأيسر للعبادة، فهو أفضل المواضع له، قال صلى الله عليه وسلم [1] « اَلْبِلَادُ بِلَادُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْخَلْقُ عِبَادُهُ فَأَيُّ مَوْضِعٍ رَأَيْتَ فِيهِ رِفْقًا فَأَقِمْ وَاحْمَدِ اللهَ تَعَالَى » وفى الخبر: [2] « مَنْ بُورِكَ لَهُ فِى شَيْءٍ فَلْيَلْزَمْهُ وَمَنْ جُعِلَتْ مَعِيشَتُهُ فِى شَيْءٍ فَلَا يَنْتَقِلْ عَنْهُ حَتَّى يَتَغَيَّرَ عَلَيْهِ »

وقال أبو نعيم: رأيت سفيان الثورى وقد جعل جرابه على كتفه وأخذ نعليه بيده، فقلت إلى أين ياأباعبد الله؟ قال: إلى بلد أملا فيه جرابى بدرهم. وفى حكاية أخرى بلغنى عن قرية فيها رخص أقيم فيها، قال: فقلت وتفعل هذا ياأباعبد الله؟ فقال نعم إذا سمعت برخص فى بلد فاقصده فانه أسلم لدينك وأقل لهمك. وكان يقول: هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين؟ هذا زمان تنقل يتنقل الرجل من قرية إلى قرية يفر بدينه من الفتن

---

(١) حديث البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فأى موضع رأيت فيه رفقا فأقم: أحمد والطبرانى من حديث الزبير بسند ضعيف

(٢) حديث من رزق فى شىء فليلزمه ومن جعلت معيشته فى شىء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه: هـ من حديث أنس بالجملة الاولى بسند حسن ومن حديث عائشة بسند فيه جهالة بلفظ اذا سبب الله لأحدكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير أو يتنكر له

ويحكى عنه أنه قال : والله ما أدرى أى البلاد أسكن ؟ فقيل له : خراسان ، فقال : مذاهب مختلفة وآراء فاسدة ؟ قيل : فالشام ، قال : يشار اليك بالأصابع . أراد الشهرة قيل : فالعراق . قال : بلد الجبابرة . قيل مكة . قال : مكة تذيب الكيس والبدن . وقال له رجل غريب : عزمت على المجاورة بمكة فأوصنى . قال : أوصيك بثلاث : لاتصلين فى الصف الأول ، ولاتصحبن قرشيا ، ولا تظهرن صدقة . وإنما كره الصف الأول لانه يشتهر فيفتقد إذا غاب فيختلط بعمله التزين والتصنع

الفصل الثانى

فى شروط وجوب الحج وصحة أركانه وواجباته ومحظوراته

أما الشرائط : فشرط صحة الحج اثنان : الوقت ، والاسلام . فيصح حج الصبى ، ويحرم بنفسه إن كان مميزا ، ويحرم عنه وليه أن كان صغيرا ، ويفعل به مايفعل فى الحج من الطواف والسعى وغيره . وأما الوقت فهو شوال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر . فمن أحرم بالحج فى غير هذه المدة فهى عمرة ، وجميع السنة وقت العمرة ، ولكن من كان معكوفا على النسك أيام منى فلا ينبغى أن يحرم بالعمرة لأنه لايتمكن من الاشتغال عقيبه لاشتغاله بأعمال منى

وأما شروط وقوعه عن حجة الاسلام فخمسة : الاسلام ، والحرية ، والبلوغ ، والعقل ، والوقت . فان أحرم الصبى أو العبد ولكن عتق العبد وبلغ الصبى بعرفة أو بمزدلفة وعاد إلى عرفة قبل طلوع الفجر ، أجزأهما عن حجة الاسلام ، لأن الحج عرفة ، وليس عليهما دم إلا شاة . وتشترط هذه الشرائط فى قوع العمرة عن فرض الاسلام الا الوقت

وإما شروط وقوع الحج نفلا عن الحر البالغ : فهو بعد براءة ذمته عن حجة الاسلام . فحج الاسلام متقدم ، ثم القضاء لمن أفسده فى حالة الوقوف ، ثم النذر ، ثم النيابة . ثم النفل وهذا الترتيب مستحق ، وكذلك يقع وإن نوى خلافه

وأما شروط لزوم الحج فخمسة : البلوغ ، والاسلام ، والعقل ، والحرية ، والاستطاعة . ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة . ومن أراد دخول مكة لزيارة أو تجارة ولم يكن حطابا لزمه الاحرام على قول ، ثم يتحلل بعمل عمرة أو حج

وأما الاستطاعة فنوعان : أحدهما المباشرة ، وذلك له أسباب : أما فى نفسه فبالصحة ، وأما فى الطريق فبأن تكون خصبة آمنة بلابحر مخطر ولاعدو قاهر ، وأما فى المال فبأن يجد نفقته ذهابه وايابه إلى وطنه ، كان له أهل أولم يكن ، لأن مفارقة الوطن شديدة ، وأن يملك نفقة من تلزمه نفقته فى هذه المدة ، وأن يملك مايقضى به ديونه ، وأن يقدر على راحلة أو كرائها بمحمل أو زاملة إن استمسك على الزاملة

وأما النوع الثانى : فاستطاعة المعضوب بماله ، وهو أن يستأجر من يحج عنه بعد فراغ الأجير عن حجة الاسلام لنفسه ، ويكفى نفقة الذهاب بزاملة فى هذا النوع ، والابن إذا عرض طاعته على الاب الزمن صار به مستطيعا ، ولو عرض ماله لم يصر به مستطيعا ، لأن الخدمة بالبدن فيها شرف للولد ، وبذل المال فيه منة على الوالد . ومن استطاع لزمه الحج وله التأخير ، ولكنه فيه على خطر ، فان تيسر له ولو فى آخر عمره سقط عنه ، وإن مات قبل الحج لقى الله عز وجل عاصيا بترك الحج ، وكان الحج فى تركته يحج عنه وإن لم يوص ، كسائر ديونه . وإن استطاع فى سنة فلم يخرج مع الناس وهلك ماله فى تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقي الله عز وجل ولاحج عليه

ومن مات ولم يحج مع اليسار فأمره شديد عند الله تعالى ، قال عمر رضى الله عنه : لقد هممت أن أكتب فى الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع إليه سبيلا ! وعن سعيد ابن جبير وابراهيم النخعى ومجاهد وطاوس : لوعلمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ماصليت عليه . وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه . وكان ابن عباس يقول : من مات ولم يزك ولم يحج سأل الرجعة الى الدنيا ، وقرأ قوله عزوجل « (١) رَبِّ أَرْجِعُونِ لَعَلِّى أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ » قال الحج

وأما الأركان التى لايصح الحج بدونها فخمسة : الاحرام ، والطواف ، والسعى بعده ، والوقوف بعرفة ، والحلق بعده على قول . وأركان العمرة كذلك إلا الوقوف

والواجبات المجبورة بالدم ست : الاحرام من الميقات ، فمن تركه وجاوز الميقات محلا فعليه شاة ، والرمى فيه الدم قولا واحدا . وأما الصبر بعرفة إلى غروب الشمس . والمبيت بمزدلفة

(١) المؤمنون : ٩٩

والمبيت بمنى . وطواف الوداع . فهذه الأربعة يجبر تركها بالدم على أحد القولين ، وفى القول الثانى فيها دم على وجه الاستحباب

وأما وجوب أداء الحج والعمرة فثلاثة : الأول الافراد وهو الأفضل، وذلك أن يقدم الحج وحده ، فاذا فرغ خرج إلى الحل فأحرم واعتمر. وأفضل الحل لاحرام العمرة الجعرانة ، ثم التنعيم ، ثم الحديبية : وليس على المفرد دم إلا أن يتطوع

الثانى : القران وهو أن يجمع فيقول : لبيك بحجة وعمرة معا فيصير محرما بهما ، ويكفيه أعمال الحج ، وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الغسل ، إلا أنه إذا طاف وسعى قبل الوقوف بعرفة فسعيه محسوب من النسكين . وأما طوافه فغير محسوب لأن شرط طواف الفرض فى الحج أن يقع بعد الوقوف . وعلى القارن دم شاة إلا أن يكون مكيا فلا شىء عليه ، لأنه لم يترك ميقاته إذ ميقاته مكة

الثالث : التمتع ، وهو أن يجاوز الميقات محرما بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات إلى وقت الحج ثم يحرم بالحج ، ولا يكون متمتعا إلا بخمس شرائط :

أحدها: أن لا يكون من حاضرى المسجد الحرام، وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة

الثانى : أن يقدم العمرة على الحج

الثالث : أن تكون عمرته فى أشهر الحج

الرابع : أن لا يرجع إلى ميقات الحج ، ولا إلى مثل مسافته لإحرام الحج

الخامس : أن يكون حجه وعمرته عن شخص واحد

فاذا وجدت هذه الأوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاة ، فان لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج قبل يوم النحر متفرقة أو متتابعة ، وسبعة إذا رجع إلى الوطن. وإن لم يصم الثلاثة حتى رجع إلى الوطن صام العشرة تتابعا أو متفرقا. وبدل دم القران والتمتع سواء . والافضل الافراد ثم التمتع ثم القران

وأما محظورات الحج والعمرة فستة :

الأول : اللبس للقميص والسراويل والخف والعمامة ، بل ينبغى أن يلبس أزارا ورداء ونعلين ، فان لم يجد نعلين فكعبين ، فان لم يجد ازارا فسراويل ولا بأس بالمنطقة والاستظلال فى المحمل ، ولكن لا ينبغى أن يغطي رأسه فان احرامه فى الرأس . وللمرأة أن تلبس

كل مخيط بعد أن لا تستر وجهها بما يماسه فإن إحرامها فى وجهها

الثانى : الطيب ، فليجتنب كل مايعده العقلاء طيبا فان تطيب أو لبس فعليه دم شاة

الثالث : الحلق والقلم ، وفيهما الفدية أعنى دم شاة . ولا بأس بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر

الرابع : الجماع ، وهو مفسد قبل التحلل الأول ، وفيه بدنة أو بقرة أو سبع شياه ، وأن كان بعد التحلل الأول لزمه البدنة ولم يفسد حجه

الخامس : مقدمات الجماع كالقبلة والملامسة التى تنقض الطهر مع النساء ، فهو محرم ، وفيه شاة ، وكذا فى الاستمناء . ويحرم النكاح والانكاح ، ولا دم فيه لأنه لا ينعقد

السادس : قتل صيد البر أعنى مايؤكل أو هو متولد من الحلال والحرام ، فان قتل صيدا فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب فى الخلقة ، وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه

الباب الثانى

فى ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر إلى الرجوع وهى عشر جمل

الجملة الاولى فى السير من أول الخروج إلى الاحرام ، وهى ثمانية :

الأولى فى المال : فينبغى أن يبدأ بالتوبة ، ورد المظالم ، وقضاء الديون ، واعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع ، ويرد ماعنده من الودائع ، ويستصحب من المال الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه وإيابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه معه التوسع فى الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ، ويتصدق بشىء قبل خروجه ، ويشترى لنفسه دابة قوية على الحمل لا تضعف ، أو يكتريها ، فان اكترى فليظهر للمكارى كل ما يريد أن يحمله من قليل أو كثير ويحصل رضاه فيه

الثانية : فى الرفيق : ينبغى أن يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه ، إن نسى ذكره ، وإن ذكر أعانه ، وإن جبن شجعه ، وإن عجز قواه ، وإن ضاق صدره صبره . ويودع رفقاءه المقيمين وإخوانه وجيرانه ؛ فيودعهم ويلتمس أدعيتهم ؛ فان الله تعالى جاعل فى أدعيتهم خيرا

والسنة فى الوداع أن يقول[1] «أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ» وكان صلى الله عليه وسلم [2] يقول لمن أراد السفر « فِى حِفْظِ اللهِ وَكَنَفِهِ ، زَوَّدَكَ اللهُ التَّقْوَى وَغَفَرَ ذَنْبَكَ وَوَجَّهَكَ لِلْخَيْرِ أَيْنَمَا كُنْتَ »

الثالثة : فى الخروج من الدار : ينبغى إذا همّ بالخروج أن يصلى ركعتين أولا ، يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) ، وفى الثانية الاخلاص ، فاذا فرغ رفع يديه ودعا الله سبحانه عن إخلاص صاف ونية صادقة ، وقال : اللهم أنت الصاحب فى السفر ، وأنت الخليفة فى الأهل والمال والولد والأصحاب ، احفظنا وإياهم من كل آفة وعاهة ، اللهم إنا نسألك فى مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى ، اللهم انا نسألك أن تطوى لنا الأرض ، وتهون علينا السفر ، وأن ترزقنا فى سفرنا سلامة البدن والدين والمال ، وتبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى الأهل والمال والولد والأصحاب ، اللهم اجعلنا وإياهم فى جوارك ، ولا تسلبنا وإياهم نعمتك ، ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك

الرابعة : إذ حصل على باب الدار قال : بسم الله توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، رب أعوذ بك أن أضل أو أضل ، أو أذل أو أذل ، أو أزل أو أزل ، أو أظلم أو أظلم ، أو أجهل أو يجهل على ، اللهم إنى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة ، بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا إلى لقائك . فاذا مشى قال : اللهم بك انتشرت وعليك توكلت ، وبك اعتصمت وإليك توجهت ، اللهم أنت ثقتي وأنت رجائى ، فاكفنى ما أهمني وما لا أهتم به وما أنت أعلم به منى ، عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك ، اللهم زودنى التقوى واغفر لى ذنبي ووجهني للخير أينما توجهت . ويدعو بهذا الدعاء فى كل منزل يدخل عليه

﴿ الباب الثانى فى ترتيب الأفعال الظاهرة ﴾

(١) حديث استودع الله دينك وأماناتك وخواتيم عملك : د ت وصححه و ن من حديث ابن عمر أنه كان يقول للرجل اذا اراد سفرا ادن منى حتى أودعك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعنا

(٢) حديث كان صلى الله عليه وسلم يقول لمن اراد سفرا فى حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما توجهت فى الدعاء : الطبرانى من حديث أنس وهو عند ت وحسنه دون قوله فى حفظ الله وكنفه

الخامسة فى الركوب : فاذا ركب الراحلة يقول : بسم الله وبالله والله أكبر ، توكلت على الله ، ولاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم ، ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ، سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، اللهم إنى وجهت وجهى اليك وفوضت أمرى كله اليك وتوكلت فى جميع أمورى عليك ، أنت حسبى ونعم الوكيل ؛ فاذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال ، سبحان الله والحمدلله ولاإله إلاالله والله أكبر، سبع مرات ، وقال : الحمد لله الذى هدانالهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور

السادسة فى النزول: والسنة أن لاينزل حتى يحمى النهار ، ويكون أكثر سيره بالليل ، قال صلى الله عليه وسلم[1] « عَلَيْكُمْ بِالدُّلْجَةِ فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ مَا لَا تُطْوَى بِالنَّهَارِ » وليقلل نومه بالليل حتى يكون عونا على السير ، ومهما أشرف على المنزل فليقل : اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين ، ورب البحار وماجرين ، أسألك خير هذا المنزل وخير أهله ، وأعوذ بك من شره وشر مافيه ، اصرف عنى شر شرارهم ، فاذا نزل المنزل صلى ركعتين فيه ثم قال : أعوذ بكلمات الله التامة التى لايجوزهن برولا فاجر من شر ماخلق . فاذا جن عليه الليل يقول : ياأرض ربى وربك الله ، أعوذ بالله من شرك وشر مافيك ، وشر مادب عليك ،أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود ، وحية وعقرب ، ومن شر ساكن البلد ، ووالد وماولد ، (وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ[1])

السابعة فى الحراسة : ينبغى أن يحتاط بالنهار ، فلا يمشى منفردا خارج القافلة لأنه ربما يغتال أو ينقطع ، ويكون بالليل متحفظا عند النوم[2] فان نام فى ابتداء الليل افترش ذراعه ، وإن نام فى آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه فى كفه ، هكذا كان ينام

---

(١) حديث عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار : د من حديث أنس دون قوله مالا تطوى بالنهار وهذه الزيادة فى الموطأ من حديث خالد بن معدان مرسلا

(٢) حديث كان اذا نام فى أول الليل افترش ذراعه واذا نام فى آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل ذراعه فى كفه : أحمد و ت فى الشمائل من حديث أبى قتادة باسناد صحيح وعزاه أبو مسعود الدمشقي والحميدى الى م ولم أره فيه

(١) الانعام : ١٣

رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفره ، لأنه ربما استثقل النوم فتطلع الشمس وهو لايدرى، فيكون مايفوته من الصلاة أفضل مما يناله من الحج . والأحب فى الليل [1] أَنْ يَتَنَاوَبَ الرَّفِيقَانِ فِى الْحِرَاسَةِ ، فاذا نام أحدهما حرس الآخر فهو السنة ، فان قصده عدو أو سبع فى ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسى وشهد الله ، والاخلاص والمعوذتين ، وليقل : بسم الله ماشاء الله لاقوة الابالله ، حسبى الله توكلت على الله ، ماشاء الله لايأتى بالخير الاالله ، ماشاء الله لايصرف السوء الاالله ، حسبى الله وكفى ، سمع الله لمن دعا ، ليس وراء الله منتهى ولادون الله ملجا ، كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز ، تحصنت بالله العظيم ، واستغثت بالحى الذى لايموت ، اللهم احرسنا بعينك التى لاتنام ، واكنفنا بركنك الذى لايرام ، اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلانهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا ، اللهم أعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة انك أنت أرحم الراحمين

الثامنة : مهما علا نشزا من الأرض فى الطريق فيستحب أن يكبر ثلاثا ، ثم يقول : اللهم لك الشرف على كل شرف ، ولك الحمد على كل حال ، ومهما هبط سبّح ، ومهما خاف الوحشة فى سفره قال : سبحان الله الملك القدوس ، رب الملائكة والروح ، جللت السموات بالعزة والجبروت

الجملة الثانية فى آداب الاحرام من الميقات الى دخول مكة وهى خمسة :

الأول : أن يغتسل وينوى به غسل الاحرام ، أعنى إذا انتهى إلى الميقات المشهور الذى يحرم الناس منه ، ويتمم غسله بالتنظيف ، ويسرح لحيته ورأسه ، ويقلم أظفاره ، ويقص شاربه ويستكمل النظافة التى ذكرناها فى الطهارة

الثانى : إن يفارق الثياب المخيطة ويلبس ثوبى الاحرام ، فيرتدى ويتزر بثوبين أبيضين فالأبيض هو أحب الثياب إلى الله عز وجل ، ويتطيب فى ثيابه وبدنه ، ولا بأس بطيب يبقى جرمه بعد الاحرام [2] فقد « روى بَعْضُ الْمِسْكِ عَلَى مَفْرِقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الْإِحْرَامِ » مما كان استعمله قبل الاحرام

---

(١) حديث تناوب الرفيقين فى الحراسة فاذا نام أحدهما حرس الآخر : هق من طريق ابن اسحق من حديث جابر فى حديث فيه فقال الانصارى للمهاجرى أى الليل أحب اليك أن أكفيكه أوله أو آخره فقال له اكفنى أوله فاضطجع المهاجرى ـ الحديث : والحديث عند أبى داود لكن ليس فيه قول الانصارى للمهاجرى

(٢) حديث رؤية وبيص المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام : متفق عليه من حديث عائشة قالت كأنما أنظر الى وبيص المسك ـ الحديث :

الثالث : أن يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحلته إن كان راكبا ، أو يبدأ بالسير إن كان راجلا ، فعند ذلك ينوى الاحرام بالحج أو بالعمرة قرانا أو افرادا كما أراد ، ويكفي مجرد النية لانعقاد الاحرام ، ولكن السنة أن يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لاشريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك . وان زاد قال: لبيك وسعديك ، والخير كله بيديك ، والرغباء اليك ، لبيك بحجة حقا ، تعبدا ورقا ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

الرابع : إذا انعقد احرامه بالتلبية المذكورة فيستحب أن يقول : اللهم إنى أريد الحج فيسره لى وأعنى على أداء فرضه وتقبله منى ، اللهم انى نويت أداء فريضتك فى الحج فاجعلنى من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا أمرك ، واجعلنى من وفدك الذين رضيت عنهم وارتضيت وقبلت منهم ، اللهم فيسرلى أداء مانويت من الحج ، اللهم قد أحرم لك لحمى وشعرى ودمى وعصبى ومخى وعظامى ، وحرمت على نفسى النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة . ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التى ذكرناها من قبل ، فليجتنبها

الخامس : يستحب تجديد التلبية فى دوام الاحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق ، وعند اجتماع الناس ، وعند كل صعود وهبوط ، وعند كل ركوب ونزول ، رافعا بها صوته بحيث لايبح حلقه ولاينبهر [1] فانه لاَ يُنَادِى أَصَمَّ وَلاغَائِبًا كما ورد فى الخبر . ولا بأس برفع الصوت بالتلبية فى المساجد الثلاثة ، فانها مظنة المناسك ، أعنى المسجد الحرام ، ومسجد الخيف ، ومسجد الميقات . وأما سائر المساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت . وكان صلى الله عليه وسلم [2] إذا أعجبه شىء قال « لَبَّيْكَ إِنَّ ٱلعَيْشَ عَيْشُ ٱلآخِرَةِ » .

---

(١) حديث انكم لاتنادون أصم ولا غائبا : متفق عليه من حديث أبى موسى

(٢) حديث كان اذا أعجبه شىء قال لبيك ان العيش عيش الآخرة : الشافعى فى المسند من حديث مجاهد مرسلا بنحوه وللحاكم وصححه من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف بعرفات فلما قال لبيك اللهم لبيك قال انما الخير خير الآخرة .

الجملة الثالثة فى آداب دخول مكة إلى الطواف ، وهى ستة :

الأول: أن يغتسل بذى طوى لدخول مكة. والاغتسالات المستحبة المسنونة فى الحج تسعة : الأول للاحرام من الميقات ، ثم لدخول مكة ، ثم لطواف القدوم ، ثم للوقوف بعرفة ، ثم للوقوف بمزدلفة ، ثم ثلاثة أغسال لرمي الجمار الثلاث ، ولا غسل لرمى جمرة العقبة ، ثم لطواف الوداع . ولم ير الشافعي رضى الله عنه فى الجديد الغسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع ، فتعود إلى سبعة

الثانى : أن يقول عند الدخول فى أول الحرم وهو خارج مكة : اللهم هذا حرمك وأمنك فحرم لحمى ودمى وشعرى وبشرى على النار ، وآمنى من عذابك يوم تبعث عبادك ، واجعلنى من أوليائك وأهل طاعتك

الثالث : أن يدخل مكة من جانب الأبطح وهو من ثنية كداء بفتح الكاف « عَدَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1] مِنْ جَادَّةِ الطَّرِيقِ إِلَيْهَا » فالتأسى به أولى . وإذا خرج خرج من ثنية كدى بضم الكاف وهى الثنية السفلى ، والاولى هى العليا

الرابع : إذا دخل مكة وانتهى إلى رأس الردم فعنده يقع بصره على البيت ، فليقل : لا إله إلا الله والله أكبر ، اللهم أنت السلام ومنك السلام ، وداركَ دار السلام ، تباركت يا ذا الجلال والاكرام ، اللهم إن هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته ، اللهم فزده تعظيما ، وزده تشريفاً وتكريماً ، وزده مهابة ، وزد من حجه برا وكرامة ، اللهم افتح لى أبواب رحمتك وأدخلنى جنتك ، وأعذنى من الشيطان الرجيم

الخامس : إذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بنى شيبة وليقل : بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا قرب من البيت قال : الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى ابراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك ، وليرفع يديه وليقل : اللهم انى أسألك فى مقامى هذا فى أول مناسكى أن تقبل توبتى وأن تتجاوز عن خطيئتى وتضع عنى وزرى ، الحمد لله الذى بلغنى بيته الحرام الذى جعله مثابة للناس وأمنا ، وجعله مباركا وهدى للعالمين ، اللهم إنى عبدك

---

(١) حديث دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثنية كداء بفتح الكاف : متفق عليه من حديث ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل مكة دخل من الثنية العليا التى بالبطحاء ـ الحديث

والبلد بلدك ، والحرم حرمك ، والبيت بيتك ، جئتك أطلب رحمتك وأسألك مسئلة المضطر الخائف من عقوبتك ، الراجى لرحمتك ، الطالب مرضاتك .

السادس: أن تقصد الحجر الاسود بعد ذلك وتمسه بيدك اليمنى وتقبله وتقول : اللهم أمانتى أديتها وميثاقى وفيته اشهد لى بالموافاة ، فان لم يستطع التقبيل وقف فى مقابلته ويقول ذلك ثم لا يعرج على شىء دون الطواف وهو طواف القدوم إلا أن يجد الناس فى المكتوبة فيصلى معهم ثم يطوف

الجملة الرابعة فى الطواف :

فاذا أراد افتتاح الطواف إما للقدوم وأما لغيره فينبغى أن يراعى أمورا ستة :

الأول: أن يراعى شروط الصلاة من طهارة الحدث والخبث فى الثوب والبدن والمكان وستر العورة فالطواف بالبيت صلاة ، ولكن الله سبحانه أباح فيه الكلام ، وليضطبغ قبل ابتداء الطواف ، وهو أن يجعل وسط ردائه تحت إبطه اليمنى ويجمع طرفيه على منكبه الايسر فيرخى طرفا وراء ظهره وطرفا على صدره ، ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ، ويشتغل بالادعية التى سنذكرها

الثانى : إذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره ، وليقف عند الحجر الأسود ، وليتنح عنه قليلا ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه فى ابتداء طوافه ، وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريبا من البيت فانه أفضل ، ولكيلا يكون طائفاً على الشاذروان ، فإنه من البيت ، وعند الحجر الأسود قد يتصل الشاذروان بالأرض ويلتبس به ، والطائف عليه لا يصح طوافه لأنه طائف فى البيت . والشاذروان هو الذى فضل عن عرض جدار البيت بعد أن ضيق أعلى الجدار ، ثم من هذا الموقف يبتدىء الطواف

الثالث : أن يقول قبل مجاوزة الحجر بل فى ابتداء الطواف : بسم الله والله أكبر ، اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ، ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم . ويطوف ، فأول مايجاوز الحجر ينتهى إلى باب البيت فيقول : اللهم هذا البيت بيتك ، وهذا الحرم حرمك ، وهذا الامن أمنك ، وهذا مقام العائذ بك من النار . وعند ذكر المقام يشير بعينه إلى مقام ابراهيم عليه السلام: اللهم ان بيتك عظيم ووجهك كريم وأنت أرحم الراحمين

فأعذني من النار ، من الشيطان الرجيم ، وحرم لحمي ودمي على النار ، وآمني من أهوال يوم القيامة ، واكفني مؤنة الدنيا والآخرة . ثم يسبح الله تعالى ويحمده حتى يبلغ الركن العراقي ، فعنده يقول : اللهم إني أعوذ بك من الشرك والشك ، والكفر والنفاق ، والشقاق وسوء الاخلاق ، وسوء المنظر في الاهل والمال والولد . فاذا بلغ الميزاب قال : اللهم أظلنا تحت عرشك يوم لاظل إلا ظلك ، اللهم اسقني بكأس محمد صلى الله عليه وسلم شربة لا أظمأ بعدها أبدا . فاذا بلغ الركن الشامي قال : اللهم اجعله حجا مبرورا ، وسعيا عليه مشكورا ، وذنبا مغفورا ، وتجارة لن تبور ، ياعزيز ياغفور ، رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الاكرم . فاذا بلغ الركن اليماني قال : اللهم إني أعوذ بك من الكفر ، وأعوذ بك من الفقر ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، وأعوذ بك من الخزي في الدنيا والآخرة . ويقول بين الركن اليماني والحجر الأسود : اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك فتنة القبر وعذاب النار . فاذا بلغ الحجر الأسود قال : اللهم اغفرلي برحمتك ، أعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر ، وضيق الصدر وعذاب القبر . وعند ذلك قد تم شوط واحد : فيطوف كذلك سبعة أشواط فيدعو بهذه الأدعية في كل شوط

الرابع : أن يرمل في ثلاثة أشواط ، ويمشي في الأربعة الأخر على الهيئة المعتادة . ومعنى الرمل الاسراع في المشي مع تقارب الخطأ ، وهو دون العدو ، وفوق المشي المعتاد ؛ والمقصود منه ومن الاضطباع اظهار الشطارة والجلادة والقوة . هكذا كان القصد أولا قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك السنة[1] والأفضل الرمل مع الدنو من البيت ؛ فان لم يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد أفضل ؛ فليخرج إلى حاشية المطاف وليرمل ثلاثا ؛ ثم ليقرب إلى البيت في المزدحم

(١) حديث مشروعية الرمل والاضطباع قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك السنة أما الرمل : فمتفق عليه من حديث ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال المشركون أنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الاشواط الثلاثة ـ الحديث : وأما الاضطباع فروى د هـ ك وصححه من حديث عمر قال فيم الرملان الآن والكشف عن المناكب وقد أظهر الله الاسلام ونفى الكفر وأهله ومع ذلك لاندع شيئا كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وليمش أربعا ؛ وإن أمكنه استلام الحجر فى كل شوط فهو الأحب ؛ وإن منعه الزحمة أشار باليد وقبّل يده ؛ وكذلك استلام الركن اليمانى يستحب من سائر الأركان . وروى « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) كَانَ يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ الْيَمَانِيَّ وَيُقَبِّلُهُ (٢) وَيَضَعُ خَدَّهُ عَلَيْهِ » (٣) ومن أراد تخصيص الحجر بالتقبيل واقتصر فى الركن اليمانى على الاستلام أغنى عن اللمس باليد فهو أولى

الخامس : إذا تم الطواف سبعا فليأت الملتزم ؛ وهو بين الحجر والباب ؛ وهو موضع استجابة الدعوة ؛ وليلتزق بالبيت ؛ وليتعلق بالأستار ؛ وليلصق بطنه بالبيت ؛ وليضع عليه خده الأيمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه ، وليقل : اللهم يارب البيت العتيق أعتق رقبتى من النار وأعذنى من الشيطان الرجيم ؛ وأعذنى من كل سوء ؛ وقنعنى بما رزقتنى ؛ وبارك لى فيما آتيتنى اللهم ان هذا البيت بيتك ؛ والعبد عبدك ؛ وهذا مقام العائذ بك من النار ؛ اللهم اجعلنى أكرم وفدك عليك ثم ليحمد الله كثيرا فى هذا الموضع وليصل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الرسل كثيرا وليدع بحوائجه الخاصة وليستغفر من ذنوبه . كان بعض السلف فى هذا الموضع يقول لمواليه تنحوا عنى حتى أقر لربى بذنوبى

السادس : إذا فرغ من ذلك ينبغى أن يصلى خلف المقام ركعتين يقرأ فى الأولى

---

(١) حديث استلامه صلى الله عليه وسلم للركن اليمانى : متفق عليه من حديث ابن عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقدم مكة اذا استلم الركن الاسود ـ الحديث : ولهما من حديثه لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمس من الاركان الا اليمانيين ولمسلم من حديث ابن عباس لم أره يستلم غير الركنين اليمانيين وله من حديث جابر الطويل حتى اذا أتيت البيت معه استلم الركن

(٢) حديث تقبيله صلى الله عليه وسلم له : متفق عليه من حديث عمر أنه قبل الحجر وقال لولا إنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ماقبلتك وللبخارى من حديث ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله وله فى التاريخ من حديث ابن عباس كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا استلم الركن اليمانى قبله

(٣) حديث وضع الخد عليه: قط ك من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الركن اليمانى ـ الحديث : قال ك صحيح الاسناد قلت فيه عبد الله بن مسلم بن هرمز ضعفه الجمهور

قل ياأيها الكافرون ، وفى الثانية الاخلاص ، وهما ركعتا الطواف ، قال الزهرى[١] مَضَت السُّنة أن يصلى لكل سبع ركعتين ، وإن قرن بين أسابيع وصلى ركعتين جاز[٢] فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكل أسبوع طواف ، وليدع بعد ركعتى الطواف ، وليقل: اللهم يسر لى اليسرى وجنبنى العسرى ، واغفرلى فى الآخرة والاولى ، واعصمنى بألطافك حتى لا أعصيك ، وأعنِّى على طاعتك بتوفيقك وجنبنى معاصيك ، واجعلنى ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين ، اللهم حببنى إلى ملائكتك ورسلك وإلى عبادك الصالحين ، اللهم فكما هديتنى إلى الاسلام فثبتنى عليه بألطافك وولايتك ، واستعملنى لطاعتك وطاعة رسولك ، وأجرنى من مضلات الفتن . ثم ليعد إلى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف . قال صلى الله عليه وسلم:[٣] « مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ اسْبُوعاً وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ فَلَهُ مِنَ الْأَجْرِ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ » : وهذه كيفية الطواف . والواجب من جملته بعد شروط الصلاة أن يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت ، وأن يبتدىء بالحجر الاسود ويجعل البيت على يساره ، وأن يطوف داخل المسجد وخارج البيت ، لاعلى الشاذروان ولافى الحجر ، وأن يوالى بين الأشواط ولايفرقها تفريقا خارجا عن المعتاد ، وما عدا هذا فهو سنن وهيآت

الجملة الخامسة فى السعى :

فاذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو فى محاذاة الضلع الذى بين الركن اليمانى والحجر ، فاذا خرج من ذلك الباب وانتهى إلى الصفا وهو جبل ، فيرقى فيه درجات

---

(١) حديث الزهرى مضت السنة أن يصلى لكل أسبوع ركعتين : ذكره خ تعليقا السنة أفضل لم يطف النبي صلى الله عليه وسلم أسبوعا إلا صلى ركعتين وفى الصحيحين من حديث ابن عمر قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين

(٢) حديث قرانه صلى الله عليه وسلم بين أسابيع : ابن أبى حاتم من حديث بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرن ثلاثة أطواف ليس بينها صلاة ورواه عق فى الضعفاء وابن شاهين فى أماليه من حديث أبى هريرة وزاد ثم صلى لكل أسبوع ركعتين وفى أسنادهما عبد السلام بن أبى الجنوب منكر ـ الحديث :

(٣) حديث من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الاجر كعتق رقبة : ت وحسنه و ن ه من حديث ابن عمر من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة لفظ ه وقال الآخر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة وللبيهقى فى الشعب من طاف أسبوعا وركع ركعتين كانت كعتاق رقبة

فى حضيض الجبل بقدر قامة الرجل . رَقِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [1] حَتَّى بَدَتْ لَهُ الْكَعْبَةُ » وابتداء السعي من أصل الجبل كاف . وهذه الزيادة مستحبة ، ولكن بعض تلك الدرج مستحدثة ، فينبغي أن لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعى . وإذا ابتدأ من هاهنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات

وعند رقيه فى الصفا ينبغى أن يستقبل البيت ويقول : الله أكبر الله أكبر ، الحمد لله على ماهدانا ، الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها ، لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين ، فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون ، يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ، ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ، اللهم إنى أسألك إيمانا دائما ويقينا صادقا ، وعلما نافعا ، وقلبا خاشعا ، ولسانا ذاكرا ، وأسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة . ويصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ويدعوا الله عز وجل بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء

ثم ينزل ويبتدىء السعي وهو يقول : رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم ، اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . ويمشى على هينة حتى ينتهى إلى الميل الأخضر وهو أول مايلقاه إذا نزل من الصفا ، وهو على زاوية المسجد الحرام فاذا بقى بينه وبين محاذاة الميل ستة أذرع أخذ فى السير السريع وهو الرمل حتى ينتهى إلى الميلين الأخضرين ، ثم يعود إلى الهينة

فإذا انتهى الى المروة صعدها كما صعد الصفا ، وأقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء ، وقد حصل السعي مرة واحدة ، فاذا عاد الى الصفا حصلت مرتان ، يفعل ذلك سبعا

---

(١) حديث انه رقى على الصفا حتى بدت له الكعبة : م من حديث جابر فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت وله من حديث أبي هريرة أتى الصفا فعلا عليه حتى نظر الى البيت

ويرمل فى موضع الرمل فى كل مرة ، ويسكن فى موضع السكون كما سبق ، وفى كل نوبة يصعد الصفا والمروة ، فاذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعى وهما سنتان والطهارة مستحبة للسعى وليست بواجبة ؛ بخلاف الطواف. وإذا سعى فينبغى أن لا يعيد السعى بعد الوقوف . ويكتفى بهذا ركنا ، فانه ليس من شرط السعى أن يتأخر عن الوقوف وإنما ذلك شرط فى طواف الركن، نعم شرط كل سعى أن يقع بعد طواف أى طواف كان

الجملة السادسة فى الوقوف وما قبله

الحاج إذا انتهى يوم عرفة إلى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف . وإذا وصل قبل ذلك بأيام فطاف طواف القدوم فيمكث محرما إلى اليوم السابع من ذى الحجة، فيخطب الامام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة، ويأمر الناس بالاستعداد للخروج إلى منى يوم التروية والمبيت بها وبالغدوّ منها إلى عرفة لاقامة فرض الوقوف بعد الزوال ؛ إذ وقت الوقوف من الزوال إلى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر . فينبغى أن يخرج إلى منى ملبيا . ويستحب له المشى من مكة فى المناسك إلى انقضاء حجته إن قدر عليه ، والمشى من مسجد ابراهيم عليه السلام إلى الموقف أفضل وآكد.

فاذا انتهى إلى منى قال : اللهم هذه منى فامنن علىّ بما مننت به على أوليائك وأهل طاعتك . وليمكث هذه الليلة بمنى ، وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك، فاذا أصبح يوم عرفة صلى الصبح ، فاذا طلعت الشمس على ثبير سار إلى عرفات ويقول : اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط ، وأقربها من رضوانك ، وأبعدها من سخطك ، اللهم إليك غدوت وإياك رجوت وعليك اعتمدت ووجهك أردت فاجعلنى ممن تباهى به اليوم من هو خير منى وأفضل

فاذا أتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريبا من المسجد فَثَمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) قُبَّتَهُ . ونمرة هى بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة وليغتسل للوقوف .

---

(١) حديث ضربه صلى الله عليه وسلم قبته بنمرة : مسلم من حديث جابر الطويل فأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة ـ الحديث :

فاذا زالت الشمس خطب الأمام خطبة وجيزة وقعد ، وأخذ المؤذن فى الأذان والامام فى الخطبة الثانية، ووصل الاقامة بالاذان ، وفرغ الامام مع تمام إقامة المؤذن،ثم جمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين، وقصر الصلاة ، وراح إلى الموقف، فليقف بعرفة ولا يقفن فى وادى عرنة

وأما مسجد إبراهيم عليه السلام فصدره فى الوادى وأخرياته من عرفة فمن وقف فى صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة ، ويتميز مكان عرفة من المسجد بصحرات كبار فرشت ثم . والأفضل أن يقف عند الصخرات بقرب الامام مستقبلا للقبلة راكبا ، وليكثر من أنواع التحميد والتسبيح والتهليل والثناء على الله عز وجل والدعاء والتوبة ، ولا يصوم فى هذا اليوم ليقوى على المواظبة على الدعاء ، ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل لأحب أن يلبى تارة ويكب على الدعاء أخرى

وينبغى أن لا ينفصل من طرف عرفة الا بعد الغروب ليجمع فى عرفة بين الليل والنهار ، وإن أمكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند إمكان الغلط فى الهلال فهو الحزم وبه الامن من الفوات

ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج ، فعليه أن يتحلل عن إحرامه بأعمال العمرة ، ثم يريق دما لأجل الفوات ، ثم يقضى العام الآتى . وليكن أهم اشتغاله فى هذا اليوم الدعاء ، ففى مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجى إجابة الدعوات

والدعاء المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وعن السلف فى يوم عرفة أولى ما يدعو به فليقل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير ، اللهم اجعل فى قلبى نورا ، وفى سمعى نورا ،

---

(١) حديث الدعاء المأثور فى يوم عرفة لا اله الا الله وحده لا شريك له ـ الحديث : ت من رواية عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير وقال حسن غريب وله من حديث على قال أكثر ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة فى الموقف اللهم لك الحمد كالذى تقول وخيرا مما نقول لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى واليك آبى ولك رب تراثى اللهم انى أعوذ بك من شر ما تجىء به الريح وقال ليس بالقوى اسناده وروى المستغفرى فى الدعوات من حديثه يا على ان أكثر دعاء من قبلى يوم عرفة أن أقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير اللهم اجعل فى بصرى نورا وفى سمعى نورا وفى قلبى نورا اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى اللهم إنى أعوذ بك من وسواس الصدر وشتات الامر وفتنة القبر وشر ما يلج

وفى بصرى نورا ، وفى لسانى نورا ، اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى. وليقل: اللهم رب الحمد لك الحمد كما نقول وخيرا مما نقول ، لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى ، واليك مآبى واليك ثوابى اللهم إنى أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر وعذاب القبر ، اللهم إنى أعوذ بك من شر ما يلج فى الليل ، ومن شر ما يلج فى النهار ، ومن شر ما تهب به الرياح ، ومن شر بوائق الدهر ، اللهم إنى أعوذ بك من تحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك ، اللهم اهدنى بالهدى ، واغفر لى فى الآخرة والأولى ، ياخير مقصود ، وأسنى منزول به ، وأكرم مسؤل مالديه ، أعطنى العشية أفضل ما أعطيت أحدا من خلقك وحجاج بيتك ياأرحم الراحمين اللهم يارفيع الدرجات ومنزل البركات ، ويافاطر الأرضين والسموات : ضجت اليك الأصوات بصنوف اللغات يسألونك الحاجات ، وحاجتى اليك أن لاتنسانى فى دار البلاء إذا نسينى أهل الدنيا ، اللهم إنك تسمع كلامى وترى مكانى وتعلم سرى وعلانيتى ولايخفى عليك شىء من أمرى ، أنا البائس الفقير المستغيث المستجير ، الوجل المشفق المعترف بذنبه ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل اليك ابتهال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، دعاء من خضعت لك رقبته ، وفاضت لك عبرته ، وذل لك جسده ، ورغم لك أنفه . اللهم لاتجعلنى بدعائك رب شقيا ، وكن بى رءوفا . رحيما ، ياخير المسؤلين ، وأكرم المعطين . الهى من مدح لك نفسه فانى لائم نفسى ، الهى أخرست المعاصى لسانى فمالى وسيلة من عمل ، ولاشفيع سوى الأمل . الهى إنى أعلم أن ذنوبى لم تبق لى عندك جاها ولا للاعتذار وجها ولكنك أكرم الأكرمين . إلهى إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فان رحمتك أهل أن تبلغنى ، ورحمتك وسعت كل شىء ، وأنا شىء . إلهى إن ذنوبى وإن كانت عظاما ولكنها صغار فى جنب عفوك فاغفرها لى يا كريم . إلهى أنت أنت وأنا أنا أنا العواد إلى الذنوب ، وأنت العواد إلى المغفرة . إلهى إن كنت لاترحم إلا أهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون .

فى الليل وشر ما يلج فى النهار وشر ما تهب به الرياح ومن شر بوائق الدهر واسناده ضعيف وروى الطبرانى فى المعجم الصغير من حديث ابن عباس قال كان مما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة اللهم انك ترى مكانى وتسمع كلامى وتعلم سرى وعلانيتى ولايخفى عليك شىء من أمرى أنا البائس الفقير فذكر ـ الحديث : الى قوله ياخير المسؤلين وياخير المعطين واسناده ضعيف وباقى الدعاء من دعاء بعض السلف وفى بعضه ماهو مرفوع ولكن ليس مقيدا بموقف عرفة .

إلهى تجنبت عن طاعتك عمداً وتوجهت إلى معصيتك قصدا ، فسبحانك ما أعظم حجتك على وأكرم عفوك عنى ، فبوجوب حجتك على وانقطاع حجتى عنك وفقرى اليك وغناك عنى إلا غفرت لى ، يا خير من دعاه داع ، وأفضل من رجاه راج ، بحرمة الاسلام ، وبذمة محمد عليه السلام أتوسل اليك فاغفر لى جميع ذنوبى ، واصرفنى من موقفى هذا مقضى الحوائج ، وهب لى ماسألت، وحقق رجائى فيما تمنيت . إلهى دعوتك بالدعاء الذى علمتنيه فلا تحرمنى الرجاء الذى عرفتنيه . إلهى ماأنت صانع العشية بعبد مقر لك بذنبه ، خاشع لك بذلته ، مستكين بجرمه ، متضرع اليك من عمله ، تائب اليك من اقترافه ، مستغفر لك من ظلمه ، مبتهل اليك فى العفو عنه ، طالب اليك نجاح حوائجه ، راج اليك فى موقفه مع كثرة ذنوبه ، فياملجأ كل حى ، وولى كل مؤمن ، من أحسن فبرحمتك يفوز ، ومن أخطأ فبخطيئته يهلك . اللهم اليك خرجنا ، وبفنائك أنخنا ، وإياك أملنا ، وما عندك طلبنا ، ولإحسانك تعرضنا ، ورحمتك رجونا به ومن عذابك أشفقنا ، واليك بأثقال الذنوب هربنا ، ولبيتك الحرام حججنا ، يامن يملك حوائج السائلين ، ويعلم ضمائر الصامتين ، يامن ليس معه رب يدعى ، ويامن ليس فوقه خالق يخشى ، ويامن ليس له وزير يؤتى ، ولا حاجب يرشى ، يامن لا يزداد على كثرة السؤال إلا جودا وكرما ، وعلى كثرة الحوائج إلا تفضلا وإحسانا . اللهم إنك جعلت لكل ضيف قرى ، ونحن أضيافك فاجعل قرانا منك الجنة . اللهم إن لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ، ولكل سائل عطية ، ولكل راج ثوابا ، ولكل ملتمس لما عندك جزاء ، ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راغب إليك زلفى ، ولكل متوسل إليك عفوا ، وقد وفدنا إلى بيتك الحرام ، ووقفنا بهذه المشاعر العظام ، وشهدنا هذه المشاهد الكرام ، رجاء لما عندك ، فلا تخيب رجاءنا . إلهنا تابعت النعم حتى اطمأنت الأنفس بتتابع نعمك ، وأظهرت العبر حتى نطقت الصوامت بحجتك ، وظاهرت المنن حتى اعترف أولياؤك بالتقصير عن حقك ، وأظهرت الآيات حتى أفصحت السموات والأرضون بأدلتك ، وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزتك ، وعنت الوجوه لعظمتك ، إذا أساءت عبادك حلمت وأمهلت ، وإن أحسنوا تفضلت وقبلت ، وإن عصوا سترت ، وإن أذنبوا عفوت وغفرت ، وإذا دعونا أجبت ، وإذا نادينا سمعت ، وإذا أقبلنا إليك قربت ،

وإذا ولينا عنك دعوت . إلهنا إنك قلت فى كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين : (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ [1]) فأرضاك عنهم الاقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود ، وإنا نشهد لك بالتوحيد مخبتين ، ولمحمد بالرسالة مخلصين ، فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف الإجرام ، ولا تجعل حظنا فيه أنقص من حظ من دخل فى الاسلام إلهنا إنك أحببت التقرب إليك بعتق ماملكت أيماننا ونحن عبيدك وأنت أولى بالتفضل فأعتقنا ، وإنك أمرتنا أن نتصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك وأنت أحق بالتطول فتصدق علينا ، ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا وأنت أحق بالكرم فاعف عنا ، ربنا اغفر لنا وارحمنا أنت مولانا ، ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار

وليكثر من دعاء الخضر عليه السلام وهو أن يقول : يامن لا يشغله شأن عن شأن ، ولا سمع عن سمع ، ولا تشتبه عليه الأصوات ، يامن لا تغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات ، يامن لا يبرمه إلحاح الملحين ، ولا تضجره مسئلة السائلين ، أذقنا بَرْد عفوك وحلاوة مناجاتك ، وليدع بمابداله . وليستغفر له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات ، وليلح فى الدعاء ، وليعظم المسئلة فان الله لا يتعاظمه شىء وقال مطرف بن عبد الله وهو بعرفة : اللهم لا ترد الجميع من أجلى . وقال بكر المزنى قال رجل لما نظرت إلى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم لولا أنى كنت فيهم

الجملة السابعة فى بقية أعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمى والنحر والحلق والطواف

فاذا أفاض من عرفة بعد غروب الشمس فينبغى أن يكون على السكينة والوقار . وليجتنب وجيف الخيل وايضاع الابل كما يعتاده بعض الناس ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] « نَهَى عَنْ وَجِيفِ الْخَيْلِ وَإِيضَاعِ الْإِبِلِ ، وقال : اتَّقُوا اللهَ وَسِيرُوا سَيْراً جَمِيلاً لَا تَطَؤُا ضَعِيفاً وَلَا تُؤْذُوا مُسْلِماً » فاذا بلغ المزدلفة اغتسل لها لان المزدلفة من الحرم ، فليدخله بغسل وإن قدر على دخوله ماشيا فهو أفضل وأقرب إلى توقير الحرم ، ويكون فى الطريق رافعا صوته بالتلبية

---

(١) حديث نهى النبى عن وجيف الخيل وايضاع الابل: ن ك وصححه من حديث أسامة بن زيد عليكم بالسكينة والوقار فان البر ليس فى ايضاع الابل وقال ك ليس البر ابا يجاف الخيل والابل وللبخارى من حديث ابن عباس فان البر ليس بالايضاع

(١) الأنفال : ٣٨

فاذا بلغ المزدلفة ، قال : اللهم إن هذه مزدلفة ، جمعت فيها ألسنة مختلفة ، تسألك حوائج مؤتنفة، فاجعلني ممن دعاك فاستجبت له ، وتوكل عليك فكفيته ، ثم يجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة في وقت العشاء قاصرا لها بأذان واقامتين ليس بينهما نافلة ، ولكن يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين ، ويبدأ بنافلة المغرب ، ثم بنافلة العشاء كما في الفريضتين ، فان ترك النوافل في السفر خسران ظاهر ، وتكليف ايقاعها في الاوقات إضرار وقطع للتبعية بينها وبين الفرائض. فاذا جاز أن يؤدى النوافل مع الفرائض بتيمم واحد بحكم التبعية فبأن يجوز أداؤهما على حكم الجمع بالتبعية أولى . ولا يمنع من هذا مفارقة النفل للفرض في جواز أدائه على الراحلة لما أومأنا اليه من التبعية والحاجة ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نسك . ومن خرج منها في النصف الأول من الليل ولم يبت فعليه دم وإحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه

ثم إذا انتصف الليل يأخذ في التأهب للرحيل، ويتزوّد الحصى منها ، ففيها أحجار رخوة فليأخذ سبعين حصاة فانها قدر الحاجة . ولا بأس بأن يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضها ولتكن الحصى خفافا بحيث يحتوى عليه أطراف البراجم ، ثم ليغلس بصلاة الصبح ، وليأخذ في المسير حتى إذا انتهى إلى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف ويدعو إلى الاسفار ويقول اللهم بحق المشعر الحرام ، والبيت الحرام والشهر الحرام والركن والمقام ، أبلغ روح محمد منا التحية والسلام ، وأدخلنا دار السلام ، ياذا الجلال والاكرام

ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهى إلى موضع يقال له وادى محسر ، فيستحب له أن يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادى وإن كان راجلا أسرع في المشى

ثم إذا أصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير : فيلبي تارة ويكبر أخرى ، فينتهي إلى منى ومواضع الجمرات وهى ثلاثة ، فيتجاوز الأولى والثانية فلا شغل له معهما يوم النحر ؛ حتى ينتهى الى جمرة العقبة ، وهى على يمين مستقبل القبلة في الجادة والمرمى مرتفع قليلا في سفح الجبل ، وهو ظاهر بمواقع الجمرات ، ويرمى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر رمح

وكيفيته : أن يقف مستقبلا للقبلة وإن استقبل الجمرة فلا بأس ، ويرمى سبع حصيات رافعاً يده ، ويبدل التلبية بالتكبير ، ويقول مع كل حصاة : الله أكبر على طاعة الرحمن

ورغم الشيطان ، اللهم تصديقاً بكتابك واتباعا لسنة نبيك ، فاذا رمى قطع التلبية والتكبير ، الا التكبير عقيب فرائض الصلوات من ظهر يوم النحر الى عقيب الصبح من آخر أيام التشريق . ولا يقف فى هذا اليوم للدعاء بل يدعو فى منزله

وصفة التكبير أن يقول: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحانه الله بكرة وأصيلا، لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، لا اله الا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، لا اله إلا الله والله أكبر. ثم ليذبح الهدى إن كان معه ، والأولى أن يذبح بنفسه ، وليقل : بسم الله والله أكبر اللهم منك وبك وأليك ، تقبل منى كما تقبلت من خليك ابراهيم

والتضحية بالبدن أفضل ، ثم بالبقر ، ثم بالشاة ، والشاة أفضل من مشاركة ستة فى البدنة أو البقرة ، والضأن أفضل من المعز ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] «خَيْرُ الْأُضْحِيَةِ الْكَبْشُ الْأَقْرَنُ » والبيضاء أفضل من الغبراء والسوداء . وقال أبو هريرة : البيضاء أفضل فى الأضحى من دم سوداوين . وليأكل منه إن كانت من هدى التطوع . ولا يضحين بالعرجاء والجدعاء والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء . والجدع فى الأنف والاذن القطع منهما . والعضب فى القرن : وفى نقصان القوائم . والشرقاء المشقوقة الأذن من فوق . والخرقاء من أسفل . والمقابلة المخروقة الأذن من قدام . والمدابرة من خلف . والعجفاء المهزولة التى لا تنقى أى لا مخ فيها من الهزال

ثم ليحلق بعد ذلك والسنة أن يستقبل القبلة ويبتدىء بمقدم رأسه فيحلق الشق الأيمن إلى العظمين المشرفين على القفا ، ثم ليحلق الباقى ويقول : اللهم أثبت لى بكل شعرة حسنة وامح عنى بها سيئة ، وارفع لى بها عندك درجة . والمرأة تقصر الشعر ، والأصلع يستحب له إمرار الموسى على رأسه . ومهما حلق بعد رمى الجمرة فقد حصل له التحلل الأول ، وحل له كل المحذورات إلا النساء والصيد

ثم يفيض إلى مكة ويطوف كما وصفناه . وهذا الطواف طواف ركن فى الحج ، ويسمى طواف الزيارة . وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر . وأفضل وقته يوم النحر ،

---

(١) حديث خير الاضحية الكبش: د من حديث عبادة بن الصامت و ت ه من حديث أبى أمامة قال ت غريب وعفير يضعف فى الحديث

ولا آخر لوقته بل أن يؤخر إلى أى وقت شاء ، ولكن يبقى مقيداً بعلقة الاحرام ، فلا تحل له النساء إلى أن يطوف ، فاذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الاحرام بالكلية ، ولم يبق إلا رمى أيام التشريق والمبيت بمنى وهى واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج وكيفية هـذا الطواف مع الركعتين كما سبق فى طواف القدوم. فاذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفنا إن لم يكن سعى بعـد طواف القدوم ، وإن كان قد سعى فقد وقع ذلك ركنا فلا ينبغى أن يعيد السعى

وأسباب التحلل ثلاثة : الرمى ، والحلق، والطواف الذى هو ركن. ومهما أتى باثنين من هذه الثلاثة فقد تحلل أحد التحللين ولا حرج عليه فى التقديم والتأخير بهذه الثلاث مع الذبح ، ولكن الأحسن أن يرمى ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف

والسنة للامام فى هذا اليوم أن يخطب بعد الزوال، وهى خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم ففى الحج أربع خطب : خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة . وخطبة[1] يوم النحر ، وخطبة يوم النفر الأول . وكلها عقيب الزوال ، وكلها افراد إلا خطبة يوم عرفة فانها خطبتان بينهما جلسة

ثم إذا فرغ من الطواف عاد الى منى للمبيت والرمى ، فيبيت تلك الليـلة بمنى ، وتسمى ليـلة القر لأن الناس فى غـد يقرون بمنى ولا ينفرون، فاذا أصبح اليوم الثانى من العيد وزالت الشمس اغتسل للرمي وقصد الجمرة الأولى التى تلى عرفة وهى على يمين الجادة ، ويرمى اليها بسبع حصيات ، فاذا تعداها انحرف قليلا عن يمين الجادة ووقف مستقبل القبـلة وحمد الله تعـالى وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ، ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلا على الدعاء ، ثم يتقدم إلى الجمرة الوسطى ويرمى كما رمى الأولى ، ويقف كما وقف للاولى ، ثم يتقدم إلى جمرة العقبة ويرمي سبعا، ولا يعرج على شغل بل يرجع إلى منزله ويبيت تلك الليـلة بمنى ، وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الأول ، ويصبح

---

(١) حديث الخطبة يوم النحر وهى خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم: خ من حديث أبى بكرة خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر وله من حديث ابن عباس خطب الناس يوم النحر وفى حديث علقه خ ووصله هـ من حديث ابن عمر وقف النبى صلى الله عليه وسلم يوم النحر بين الجمرات فى الحجة التى حج فيها فقال أى يوم هذا ـ الحديث : وفيه ثم ودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع

فاذا صلى الظهر فى اليوم الثانى من أيام التشريق رمى فى هـذا اليوم إحدى وعشرين حصاة كاليوم الذي قبله ، ثم هو مخـير بين المقام بمنى وبين العود إلى مكة ، فان خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شيء عليه ، وان صبر إلى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه المبيت حتى يرمى فى يوم النفر الثانى أحـدا وعشرين حجرا كما سبق . وفى ترك المبيت والرمى اراقة دم ، وليتصدق باللحم ، وله أن يزور البيت فى ليالى منى بشرط أن لا يبيت إلا بمنى كَانَ رسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُ ذٰلِكَ [1] ولا يتركن حضور الفرائض مع الأمام فى مسجد الخيف ، فان فضله عظيم ، فاذا أفاض من مني فالاولى أن يقيم بالمحصب من منى ، ويصلى العصر والمغرب والعشاء ويرقد رقدة فهو السنة [2] رواه جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، فان لم يفعل ذلك فلا شيء عليه

الجملة الثامنة فى صفة العمرة وما بعدها إلى طواف الوداع

من أراد أن يعتمر قبل حجه أو بعده كيفما أراد فليغتسل ويلبس ثياب الاحرام كما سبق فى الحج ، ويحرم بالعمرة من ميقاتها

وأفضل مواقيتها الجعرانة ، ثم التنعيم ، ثم الحديبية . وينوى العمرة ويلبى ، ويقصد مسجد عائشة رضي الله عنها ويصلى ركعتين ويدعو بما شاء ، ثم يعود إلى مكة وهو يلبى حتى يدخل المسجد الحرام ، فاذا دخـل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفنا . فاذا فرغ حلق رأسه وقد تمت عمرته

والمقيم بمكة ينبغى أن يكثر الاعتمار والطواف . وليكثر النظر إلى البيت . فاذا دخـله فليصل ركعتين بين العمودين فهو الافضل ، وليدخله حافيا موقرا ، قيل لبعضهم : هل دخلت بيت ربك اليوم ؟ فقـال : والله ما أرى هاتين القـدمين أهـلا للطواف حول بيت ربى

---

(١) حديث زيارة البيت في ليالى منى والمبيت بمنى : د فى المراسيل من حديث طاوس قال أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفيض كل ليلة من ليالى منى قال د وقد أسند قلت وصله ابن عدى عن طاوس عن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور البيت أيام منى وفيـه عمرو بن رباح ضعيف والمرسل صحيح الاسناد ولأبى داود من حـديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم مكث بمنى ليالى أيام التشريق

(٢) حديث نزول المحصب وصلاة العصر والمغرب والعشاء به والرقود به رقدة : خ من حـديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلي الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالبطحاء ثم هجع هجعة ـ الحديث :

فكيف أراهما أهلا لأن أسلمهما بيت ربي، وقد علمت حيث مشيتا وإلى أين مشيتا ؟ وليكثر شرب ماء زمزم ، وليستق بيده من غير استنابة إن أمكنه ، وليرتو منه حتى يتضلع ، وليقل : اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم، وارزقني الاخلاص واليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة!

قال صلى الله عليه وسلم [1] « مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ » أي يشفي ماقصد به

الجملة التاسعة في طواف الوداع

مهما عنّ له الرجوع إلى الوطن بعد الفراغ من إتمام الحج والعمرة فلينجز أولا أشغاله ، وليشد رحاله ، وليجعل آخر أشغاله وداع البيت . ووداعه بأن يطوف به سبعا كما سبق ولكن من غير رمل واضطباع ، فاذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام ، وشرب من ماء زمزم ، ثم يأتي الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول : اللهم إن البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك ، وبلغتني بنعمتك حتى أعنتني على قضاء مناسكك ، فان كنت رضيت عني فازدد عني رضا ، وإلا فمن الآن قبل تباعدي عن بيتك ، هذا أوان انصرافي إن أذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك ، اللهم أصحبني العافية في بدني ، والعصمة في ديني ، وأحسن منقلبي ، وارزقني طاعتك أبدا ما أبقيتني ، واجمع لي خير الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير ، اللهم لاتجعل هذا آخر عهدي ببيتك الحرام ، وإن جعلته آخر عهدي فعوضني عنه الجنة ! والأحب أن لايصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه

الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها

قال صلى الله عليه وسلم [2] مَنْ زَارَنِي بَعْدَ وَفَاتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي » وقال صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث ماء زمزم لما شرب له: ه من حديث جابر بسند ضعيف ورواه فط و ك في المستدرك من حديث ابن عباس قال الحاكم صحيح الاسناد ان سلم من محمد بن حبيب الحارودي قال ابن القطان سلم منه فان الخطيب قال فيه كان صدوقا قال ابن القطان لكن الراوي عنه مجهول وهو محمد ابن هشام المروزي

(٢) حديث من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي : الطبراني والدارقطني من حديث ابن عمر

(١) « وَمَنْ وَجَدَ سَعَةً وَلَمْ يَفِدْ إِلَيَّ فَقَدْ جَفَانِي » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « مَنْ جَاءَنِي زَائِرًا لَا يَهُمُّهُ إِلَّا زِيَارَتِي كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ شَفِيعًا » فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريقه كثيرا

فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال : اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لى وقاية من النار وأمانا من العذاب وسوء الحساب . وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة ، وليتطيب ، وليلبس أنظف ثيابه ، فإذا دخلها فليدخلها متواضعاً معظما ، وليقل : بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أدخلنى مُدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيرا

ثم يقصد المسجد ويدخله ، ويصلى بجنب المنبر ركعتين ، ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن ، ويستقبل السارية التى إلى جانبها الصندوق ، وتكون الدائرة التى فى قبلة المسجد بين عينيه ، فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يغير المسجد . وليجتهد أن يصلى فى المسجد الأول قبل أن يزاد فيه

ثم يأتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه ، وذلك بأن يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو من أربعة أذرع من السارية التى فى زاوية جدار القبر ، ويجعل القنديل على رأسه : وليس من السنة أن يمس الجدار ولا أن يقبله ، بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام فيقف ويقول : السلام عليك يارسول الله ، السلام عليك يانبى الله ، السلام عليك ياأمين الله ، السلام عليك ياحبيب الله ، السلام عليك ياصفوة الله ، السلام عليك ياخيرة الله ، السلام عليك ياأحمد ، السلام عليك ياحمد ، السلام عليك ياأبا القاسم ، السلام عليك ياماحى ، السلام عليك ياعاقب ، السلام عليك ياحاشر ، السلام عليك يامبشر ، السلام عليك ياندير ،

---

(١) حديث من وجد سعة ولم يفد الى فقد جفانى : ابن عدى والدارقطنى فى غرائب مالك وابن حبان فى الضعفاء والخطيب فى الرواة عن مالك من حديث ابن عمر من حج ولم يزرني فقد جفانى وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وروى ابن النجار فى تاريخ المدينة من حديث أنس مامن أحد من أمتى له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر

(٢) حديث من جاءنى زائرا لاتهمه الا زيارتى كان حقا على الله أن أكون له شفيعا : الطبرانى من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن

السلام عليك يا طهر ، السلام عليك يا طاهر ، السلام عليك ياأكرم ولد آدم ، السلام عليك ياسيد المرسلين ، السلام عليك يا خاتم النبيين ، السلام عليك يا رسول رب العالمين ، السلام عليك ياقائد الخير ، السلام عليك يافاتح البر ، السلام عليك يا نبي الرحمة ، السلام عليك ياهادى الأمة ، السلام عليك ياقائد الغر المحجلين ، السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين ، جزاك الله عنا أفضل ماجزى نبياً عن قومه ورسولا عن أمته. وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون ، وكلما غفل عنك الغافلون ، وصلى عليك فى الأولين والآخرين أفضل وأكمل وأعلى وأجلّ وأطيب وأطهر ما صلى على أحد من خلقه ، كما استنقذنا بك من الضلالة ، وبصرنا بك من العماية ، وهدانا بك من الجهالة ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك عبده ورسوله ، وأمينه وصفيه ، وخيرته من خلقه ، وأشهد أنك قد بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وجاهدت عدوك ، وهديت أمتك ، وعبدت ربك حتى أتاك اليقين ، فصلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين وسلم وشرّف وكرم وعظم وإن كان قد أوصى بتبليغ سلام فيقول : السلام عليك من فلان، السلام عليك من فلان

ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبى بكر الصديق رضى الله عنه لأن رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورأس عمر رضى الله عنه عند منكب أبى بكر رضى الله عنه

ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضى الله عنه و يقول : السلام عليكما يا وزيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمعاونين له على القيام بالدين مادام حيا ، والقائمين فى أمته بعده بأمور الدين، تتبعان فى ذلك آثاره، وتعملان بسنته ، فجزاكما الله خير ماجزى وزيرى نبي عن دينه ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والاسطوانه اليوم ويستقبل القبلة ، وليحمد الله عز وجل ، وليمجده ، وليكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول : اللهم إنك قد قلت وقولك الحق: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا [1]) اللهم إنا قد سمعنا قولك وأطعنا أمرك

(١) النساء : ٦٤

وقصدنا نبيك ، متشفعين به اليك فى ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا ، تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا ، فتب اللهم علينا ، وشفّع نبيك هذا فينا ، وارفعنا بمنزلته عندك وحقهِ عليك ، اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار ، واغفرلنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك ياأرحم الراحمين

ثم يأتى الروضة فيصلى فيها ركعتين ويكثر من الدعاء مااستطاع لقوله صلى الله عليه وسلم (١) « مَا بَيْنَ قَبْرِى وَمِنْبَرِى رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَمِنْبَرِى عَلَى حَوْضِى » ويدعو عند المنبر . ويستحب أن يضع يده على الرمانة السفلى التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) يضع يده عليها عند الخطبة . ويستحب له أن يأتى أحدا يوم الخميس ويزور قبور الشهداء ، فيصلى الغداة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ثم يخرج ، ويعود إلى المسجد لصلاة الظهر ، فلا يفوته فريضة فى الجماعة فى المسجد . ويستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزور قبر عثمان رضى الله عنه وقبر الحسن بن على رضى الله عنهما ، وفيه أيضا قبر على بن الحسين ومحمد بن على وجعفر بن محمد رضى الله عنهم ، ويصلى فى مسجد فاطمة رضى الله عنها ويزور قبر ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذلك كله بالبقيع

ويستحب له أن يأتى مسجد قباء فى كل سبت ويصلى فيه ، لماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) قال « مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ حَتَّى يَأْتِىَ مَسْجِدَ قُبَاءَ وَيُصَلِّىَ فِيهِ كَانَ لَهُ عِدْلُ عُمْرَةٍ » ويأتى بئر أريس ، يقال إن النبى صلى الله عليه وسلم (٤) تَفَلَ فيها ، وهى عند المسجد ، فيتوضأ منها ويشرب من مائها . ويأتى مسجد الفتح وهو على الخندق ، وكذا يأتى سائر المساجد والمشاهد

---

(١) حديث مابين قبري ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى : متفق عليه من حديث أبى هريرة وعبد الله بن زيد

(٢) حديث وضعه صلى الله عليه وسلم يده عند الخطبة على رمانة المنبر : لم أقف له على أصل وذكر محمد ابن الحسن بن زبالة فى تاريخ المدينة أن طول رمانتى المنبر اللتين كان يمسكها صلى الله عليه وسلم بيديه الكريمتين اذا جلس شبر وأصبعان

(٣) حديث من خرج من بيته حتى يأتى مسجد قباء ويصلى فيه كان عدل عمرة : النسائى وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف باسناد صحيح

(٤) حديث ان النبى صلى الله عليه وسلم تفل فى بئر أريس : لم أقف له على أصل وانما ورد أنه تفل فى بئر البصة وبئر غرس كما سيأتى عند ذكرها

ويقال إن جميع المشاهد والمساجد بالمدينة ثلاثون موضعا يعرفها أهل البلد، فيقصد مافدر عليه. وكذلك يقصد الآبار التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها وهي سبع آبار طلبا للشفاء وتبركا به صلى الله عليه وسلم وإن أمكنه

---

(١) حديث الآبار التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها وهي سبعة آبار: قلت وهي بئر أريس وبئرحا وبئر رومة وبئر غرس وبئر بضاعة وبئر البصة وبئر السقيا أو العهن أو بئر جمل فحديث بئر أريس رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري في حديث فيه حتى دخل بئر أريس قال فجلست عند بابها وبابها من حديد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته وتوضأ ـ الحديث: وحديث بئر حا متفق عليه من حديث أنس قال كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نخلا وكان أحب أمواله اليه بئر حا وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ـ الحديث: وحديث بئر رومة رواه ت ن من حديث عثمان أنه قال أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري بئر رومة ويجعل دلوه مع دلاء المسلمين ـ الحديث: قال ت حديث حسن وفي رواية لها هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد الا بالثمن فابتعتها فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل ـ الحديث: وقال حسن صحيح وروى البغوي والطبراني من حديث بشير الاسلمي قال لما قدم المهاجرون المدينة استبكروا الماء وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع منها القربة بمد الحديث: وحديث بئر غرس رواه ابن حبان في الثقات من حديث أنس أنه قال ائتوني بماء من بئر غرس فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويتوضأ ولابن ماجه باسناد جيد مرفوعا اذا أنامت فاغسلوني بسبع قرب من بئري بئر غرس وروينا في تاريخ المدينة لابن النجار باسناد ضعيف مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ منها وبرق فيها وغسل منها حين توفي: وحديث بئر بضاعة رواه أصحاب السنن من حديث أبي سعيد الخدري أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنتوضأ من بئر بضاعة وفي رواية انه يستقى لك من بئر بضاعة ـ الحديث: قال يحيى بن معين اسناده جيد وقال ت حسن وللطبراني من حديث أبي أسيد بصق النبي صلى الله عليه وسلم في بئر بضاعة وروينا أيضا في تاريخ ابن النجار من حديث سهل بن سعد وحديث بئر البصة رواه ابن عدي من حديث أبي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءه يوما فقال هل عندكم من سدر أغسل به رأسي فان اليوم الجمعة قال نعم فأخرج له سدرا وخرج معه الى البصة فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وصب غسالة رأسه ومراق شعره في البصة وفيه محمد بن الحسن ابن زبالة ضعيف وحديث بئر السقيا رواه د من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعذب له من بيوت السقيا زاد البزار في مسنده أو من بئر السقيا ولاحمد من حديث علي خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بالسقيا التي كانت لسعد ابن أبي وقاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتوني بوضوء فلما توضأ قام ـ الحديث:

الاقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم ، قال صلى الله عليه وسلم[1] « لَا يَصْبِرُ عَلَى لَأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقال صلى الله عليه وسلم :[2] « مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ فَإِنَّهُ لَنْ يَمُوتَ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ »

ثم إذا فرغ من أشغاله وعزم على الخروج من المدينة فالمستحب أن يأتى القبر الشريف ويعيد دعاء الزيارة كما سبق ، ويودع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويسأل الله عز وجل أن يرزقه العودة اليه ، ويسأل السلامة فى سفره ، ثم يصلى ركعتين فى الروضة الصغيرة ، وهى موضع مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن زيدت المقصورة فى المسجد ، فاذا خرج فليخرج رجله اليسرى أولا ، ثم اليمنى ، وليقل : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك وحط أوزارى بزيارته وأصحبنى فى سفرى السلامة ويسر رجوعى إلى أهلى ووطنى سالما ياأرحم الراحمين . وليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بماقدر عليه ، وليتتبع المساجد التى بين المدينة ومكة فيصلى فيها ، وهى عشرون موضعا

فصل فى سنن الرجوع من السفر

كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[3] إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ يُكَبِّرُ عَلَى رَأْسِ كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الْأَرْضِ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ وَيَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ

وأما بئر جمل ففى الصحيحين من حديث أبى الجهم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بئر جمل ـ الحديث : وصله خ وعلقه م والمشهور أن الآبار بالمدينة سبعة وقد روى الدارمي من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه صبوا على سبع قرب من آبار شتى ـ الحديث : وهو عند خ دون قوله من آبار شتي

(١) حديث لايصبر على لأوائها وشدتها أحد الا كنت له شفيعا يوم القيامة : تقدم فى الباب قبله

(٢) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها ـ الحديث : تقدم فى الباب قبله

(٣) حديث كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قفل من غزو أوحج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ـ الحديث : متفق عليه من حديث ابن عمر وما زاده فى آخره فى بعض الروايات من قوله وكل شىء هالك إلاوجهه له الحكم واليه ترجعون رواه المحاملى فى الدعاء باسناد جيد

صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ » وفى بعض الروايات « وَكُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » فينبغى أن يستعمل هذه السنة فى رجوعه

وإذا أشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول : اللهم اجْعَلْ لنا بها قَرَارا ورزقا حسنا[1] ثم لبرسل إلى أهله من يخبرهم بقدومه كى لايقدم عليهم بغتة ، فذلك هو السنة ولا ينبغى أن يطرق أهله ليلا فاذا دخل البلد فليقصد المسجد أولا[2] وليصل ركعتين فهو السنة . كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاذا دخل بيته قال : توبا توبا لربنا أوبا لايغادر علينا حَوْبا فاذا استقر فى منزله فلا ينبغى أن ينسى ماأنعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه صلى الله عليه وسلم فيكفر تلك النعمة بأن يعود إلى الغفلة واللهو والخوض فى المعاصى ، فما ذلك علامة الحج المبرور ، بل علامته أن يعود زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة متأهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت

الباب الثالث

فى الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة

بيان دقائق الآداب وهى عشرة

الأول: أن تكون النفقة حلالا ، وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم ، حتى يكون الهم مجردا لله تعالى ، والقلب مطمئنا منصرفا إلى ذكر الله تعالى وتعظيم شعائره وقد روى فى خبر من طريق أهل البيت[3] « إِذَا كَانَ آخِرُ الزَّمَانِ خَرَجَ النَّاسُ إِلَى الْحَجِّ أَرْبَعَةَ أَصْنَافٍ : سَلَاطِينُهُمْ لِلنُّزْهَةِ ، وَأَغْنِيَاؤُهُمْ لِلتِّجَارَةِ ، وَفُقَرَاؤُهُمْ لِلْمَسْأَلَةِ ، وَقُرَّاؤُهُمْ لِلسُّمْعَةِ »

---

(١) حديث ارسال المسافر إلى أهل بيته من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة : لم أجد فيه ذكر الارسال وفى الصحيحين من حديث جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فلما قدمنا المدينة دخلنا لندخل فقال أمهلوا حتى ندخل ليلا أى عشاء كى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة

(٢) حديث صلاة ركعتين فى المسجد عند القدوم من السفر : تقدم فى الصلاة

﴿ الباب الثالث فى الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة ﴾

(٣) حديث اذا كان فى آخر الزمان خرج الناس للحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة وأغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للسؤال وقراؤهم للسمعة : الخطيب من حديث أنس باسناد مجهول وليس فيه ذكر السلاطين ورواه أبو عثمان الصابونى فى كتاب المائتين فقال تحج أغنياء أمتى للنزهة وأوساطهم للتجارة وفقراؤهم للمسئلة وقراؤهم للرياء والسمعة

وفى الخبر إشارة إلى جملة أغراض الدنيا التى يتصوَّر أن تتصل بالحج ، فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ، ويخرجه عن حيز حج الخصوص؛ لاسيما إذا كان متجردا بنفس الحج بأن يحج لغيره بأجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة . وقد كره الورعون وأرباب القلوب ذلك إلا أن يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له مايبلغه فلا بأس أن يأخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين إلى الدنيا بل بالدنيا إلى الدين ، فعند ذلك ينبغى أن يكون قصده زيارة بيت الله عز وجل ومعاونة أخيه المسلم باسقاط الفرض عنه . وفى مثله ينزل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « يُدْخِلُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِالْحَجَّةِ الْوَاحِدَةِ ثَلَاثَةً الْجَنَّةَ : الْمُوصِى بِهَا ، وَالْمُنَفِّذِ لَهَا ، وَمَنْ حَجَّ بِهَا عَنْ أَخِيهِ » ولست أقول لا تحل الاجرة أو يحرم ذلك بعد أن أسقط فرض الاسلام عن نفسه ، ولكن الأولى أن لا يفعل ، ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره ، فان الله عز وجل يعطى الدنيا بالدين ولا يعطى الدين بالدنيا . وفى الخبر (٢) « مَثَلُ الَّذِى يَغْزُو فِى سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَأْخُذُ أَجْراً مَثَلُ امِّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : تُرْضِعُ وَلَدَهَا وَتَأْخُذُ أَجْرَهَا » فمن كان مثاله فى أخذ الاجرة على الحج مثال أم موسى فلا بأس بأخذه ، فانه يأخذ ليتمكن من الحج والزيارة فيه ، وليس يحج ليأخذ الأجرة بل يأخذ الأجرة ليحج كما كانت تأخذ أم موسى ليتيسر لها الارضاع بنلبيس حالها عليهم

الثانى : أن لا يعاون أعداء الله سبحانه بتسليم المكس ، وهم الصادون عن المسجد الحرام من أمراء مكة والأعراب المترصدين فى الطريق ، فان تسليم المال اليهم إعانة على الظلم وتيسير لأسبابه عليهم ، فهو كالاعانة بالنفس ، فليتلطف فى حيلة الخلاص ، فان لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا بأس بما قاله . إن ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق أفضل من إعانة الظلمة ، فان هذه بدعة أحدثت ، وفى الانقياد لها مايجعلها سنة مطردة ، وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل جزية ، ولا معنى لقول القائل إن ذلك يؤخذ منى وأنا مضطر ، فانه لو قعد فى البيت أو رجع من الطريق لم يؤخذ منه شىء ، بل ربما يظهر أسباب الترفه فتكثر مطالبته ، فلو كان فى زى الفقراء لم يطالب ، فهو الذى ساق نفسه إلى حالة الاضطرار

---

(١) حديث يدخل الله بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الموصى بها والمنفذ لها ومن حج بها عن أخيه : هق من حديث جابر بسند ضعيف

(٢) حديث مثل الذى يغزو ويأخذ أجرا مثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها : ابن عدى من حديث معاذ وقال مستقيم الاسناد منكر المتن

الثالث : التوسع فى الزاد وطيب النفس بالبذل والانفاق من غير تقتير ولا إسراف ، بل على الاقتصاد ، وأعنى بالاسراف التنعم بألذ الأطعمة والترفه بشرب أنواعها على عادة المترفين ، فأما كثرة البذل فلاسرف فيه ، إذ لاخير فى السرف ولا سرف فى الخير كما قيل ، وبذل الزاد فى طريق الحج نفقة فى سبيل الله عز وجل ، والدرهم بسبعمائة درهم ، قال ابن عمر رضى الله عنهما : من كرم الرجل طيب زاده فى سفره . وكان يقول : أفضل الحاج أخلصهم نية وأزكاهم نفقة . وأحسنهم يقينا . وقال صلى الله عليه وسلم[1] « اَلْحَجُّ اَلْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا اَلْجَنَّةَ . فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللهِ : مَا بِرُّ اَلْحَجِّ ؟ فَقَالَ : طِيبُ اَلْكَلَامِ وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ »

الرابع : ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرءان . والرفث اسم جامع لكل لغو وخناء وفحش من الكلام ، ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن ، والتحدث بشأن الجماع ومقدماته ، فان ذلك يهيج داعية الجماع المحظور ، والداعى إلى المحظور محظور . والفسوق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله عز وجل . والجدال هو المبالغة فى الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ويفرق فى الحال الهمة ويناقض حسن الخلق . وقد قال سفيان : من رفث فسد حجه . وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الكلام مع إطعام الطعام من بر الحج ، والمماراة تناقض طيب الكلام ، فلا ينبغى أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله ، وعلى غيره من أصحابه ، بل يلين جانبه ، ويخفض جناحه للسائرين إلى بيت الله عز وجل ، ويلزم حسن الخلق . وليس حسن الخلق كف الأذى بل احتمال الأذى . وقيل سمى السفر سفرا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال . ولذلك قال عمر رضى الله عنه لمن زعم أنه يعرف رجلا : هل صحبته فى السفر الذى يستدل به على مكارم الأخلاق ؟ قال لا ، فقال : ما أراك تعرفه

الخامس : أن يحج ماشياً إن قدر عليه ، فذلك الأفضل . أوصى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما بنيه عند موته فقال : يا بنى حجوا مشاة فان للحاج الماشى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم ، قيل : وما حسنات الحرم : قال الحسنة بمائة ألف . والاستحباب فى المشى فى المناسك ، والتردد من مكة إلى الموقف وإلى منى آكد منه فى الطريق ،

---

(١) حديث الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة فقيل له ما بر الحج قال طيب الكلام واطعام الطعام : أحمد من حديث جابر باسناد لين ورواه الحاكم مختصرا وقال صحيح الأسناد

وإن أضافه إلى المشي الإحرام من دويرة أهله فقد قيل إن ذلك من إتمام الحج، قاله عمر وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم في معنى قوله عز وجل: (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ [1]) وقال بعض العلماء: الركوب أفضل لما فيه من الإنفاق والمؤنة، ولأنه أبعد عن ضجر النفس وأقل لأذاه، وأقرب إلى سلامته وتمام حجه. وهذا عند التحقيق ليس مخالفاً للأول؛ بل ينبغي أن يفصل ويقال: من سهل عليه المشي فهو أفضل، فإن كان يضعف ويؤدي به ذلك إلى سوء الخلق وقصور عن عمل فالركوب له أفضل، كما أن الصوم للمسافر أفضل وللمريض ما لم يفض إلى ضعف وسوء خلق

وسئل بعض العلماء عن العمرة أيمشي فيها أو يكتري حمارا بدرهم فقال ان كان وزن الدرهم أشد عليه فالكراء أفضل من المشي، وإن كان المشي أشد عليه كالأغنياء فالمشي له أفضل، فكأنه ذهب فيه إلى طريق مجاهدة النفس؛ وله وجه، ولكن الأفضل له أن يمشي ويصرف ذلك الدرهم إلى خير، فهو أولى من صرفه إلى المكاري عوضا عن ابتذال الدابة فاذا كانت لا تتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس ونقصان المال فما ذكره غير بعيد فيه

السادس: أن لا يركب إلا زاملة، أما المحمل فليجتنبه إلا إذا كان يخاف من الزاملة أن لا يستمسك عليها لعذر، وفيه معنيان: أحدهما التخفيف على البعير فان المحمل يؤذيه. والثاني اجتناب زي المترفين المتكبرين « حَجَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [1] عَلَى رَاحِلَةٍ وَكَانَ تَحْتَهُ رَحْلٌ رَثٌّ وَقَطِيفَةٌ خَلَقَةٌ قِيمَتُهَا أَرْبَعَةُ دَرَاهِمَ » [2] « وَطَافَ عَلَى الرَّاحِلَةِ لِيَنْظُرَ النَّاسُ إِلَى هَدْيِهِ وَشَمَائِلِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم: [3] « خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ » وقيل إن هذه المحامل أحدثها الحجاج وكان العلماء في وقته ينكرونها، فروى سفيان الثوري عن أبيه أنه قال: برزت من الكوفه إلى القادسية للحج ووافيت الرفاق من البلدان فرأيت الحاج كلهم على زوامل وجوا لقات ورواحل وما رأيت في جميعهم إلا محملين. وكان ابن عمر إذا نظر إلى ما أحدث الحجاج من الزي والمحامل يقول: الحاج قليل والركب كثير. ثم نظر إلى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا نعم من الحجاج

---

(١) حديث حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم : الترمذي في الشمائل وابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف

(٢) حديث طوافه صلى الله عليه وسلم على راحلته : تقدم

(٣) حديث خذوا عني مناسككم : م ن واللفظ له من حديث جابر

[1] البقرة : ١٩٦

السابع: أن يكون رث الهيئة أشعث أغبر، غير مستكثر من الزينة ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر، فيكتب في ديوان المتكبرين المترفين، ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين وخصوص الصالحين، فقد «أَمَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1] بِالشُّعْثِ وَالِاخْتِفَاءِ». وَ«نَهَى عَنِ التَّنَعُّمِ وَالرَّفَاهِيَةِ» في حديث فضالة بن عبيد[2] وفي الحديث[3] «إِنَّمَا الْحَاجُّ الشَّعِثُ التَّفِثُ»[4] ويقول الله تعالى: انظروا إلى زوار بيتي قد جاءوني شعثاً غبراً من كل فج عميق. وقال تعالى: (ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ[1]) والتفث: الشعث والاغبرار، وقضاؤه بالحلق وقص الشارب والأظفار.

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد. اخلولقوا واخشوشنوا، أي البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة في الأشياء. وقد قيل. زين الحجيج أهل اليمن. لأنهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف، فينبغي أن يجتنب الحمرة في زيه على الخصوص والشهرة كيفما كانت. على العموم، فقد روي «أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[5] كَانَ فِي سَفَرٍ فَنَزَلَ أَصْحَابُهُ مَنْزِلاً فَسَرَحَتِ الْإِبِلُ فَنَظَرَ إِلَى أَكْسِيَةٍ حُمْرٍ عَلَى الْأَقْتَابِ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَى هَذِهِ الْحُمْرَةَ قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْكُمْ قَالُوا فَقُمْنَا إِلَيْهَا وَنَزَعْنَاهَا عَنْ ظُهُورِهَا حَتَّى شَرَدَ بَعْضُ الْإِبِلِ»

الثامن: أن يرفق بالدابة فلا يحملها ما لا تطيق، والمحمل خارج عن حد طاقتها، والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها. كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة عن قعود، وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل. قال صلى الله عليه وسلم[6] «لَا تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ كَرَاسِيَّ»

---

(١) حديث الامر بالشعث والاختفاء: البغوي والطبراني من حديث عبد الله بن أبي حدرد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعددوا واخشوشنوا وانتضلوا وامشوا حفاة وفيه اختلاف ورواه ابن عدي من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف

(٢) حديث فضالة بن عبيد في النهي عن التنعم والرفاهية وان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن كثير من الارفاه ولأحمد من حديث معاذ اياك والتنعم ــ الحديث:

(٣) حديث انما الحاج الشعث النفث: ت ه من حديث ابن عمر وقال غريب

(٤) حديث يقول الله تعالى انظروا الى زوار بيتي قد جاءوا شعثا غبرا من كل فج عميق: الحاكم وصححه من حديث أبي هريرة دون قوله من كل فج عميق وكذا رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو

(٥) حديث انه صلى الله عليه وسلم كان في سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر الى أكسية حمر على الاقتاب: فقال أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم ــ الحديث: د من حديث رافع بن خديج وفيه رجل لم يسم

(٦) حديث لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي: أحمد من حديث سهل بن معاذ بسند ضعيف ورواه الحاكم وصححه من رواية معاذ بن أنس عن أبيه

---

(١) الحج: ٢٩

ويستحب أن ينزل عن دابته غدوة وعشية يروّحها بذلك[1] فهو سنة وفيه آثار عن السلف . وكان بعض السلف يكترى بشرط أن لا ينزل . ويوفى الأجرة ، ثم : كان ينزل عنها ليكون بذلك محسنا إلى الدابة ، فيكون فى حسناته ويوضع فى ميزانه لا فى ميزان المكارى . وكل من آذى بهيمة وحمّلها ما لا تطيق طولب به يوم القيامة . قال أبو الدرداء لبعيره عند الموت : يأيها البعير لا تخاصمنى إلى ربك فانى لم أكن أحمّلك فوق طاقتك . وعلى الجملة فى كل كبد حرّاء أجر . فليراع حق الدابة وحق المكارى جميعا . وفى نزوله ساعة ترويح الدابة وسرور قلب المكارى . قال رجل لابن المبارك : احمل لى هذا الكتاب معك لتوصله فقال : حتى أستأمر الجمال فانى قد اكتريت . فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له ؟ وهو طريق الحزم فى الورع ، فانه إذا فتح باب القليل انجرّ إلى الكثير يسيراً يسيراً

التاسع : أن يتقرب باراقة دم وإن لم يكن واجبا عليه . ويجتهد أن يكون من سمين النعم ونفيسه ، وليأكل منه إن كان تطوعا ولا يأكل منه إن كان واجبا . قيل فى تفسير قوله تعالى: (ذٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ[1]) إنه تحسينه وتسمينه . وسوق الهدى من الميقات أفضل إن كان لا يجهده ولا يكده ، وليترك المكاس فى شرائه ، فقد كانوا يغالون فى ثلاث ويكرهون المكاس فيهن: الهدى والأضحية والرقبة ، فان أفضل ذلك أغلاه ثمنا وأنفسه عند أهله[2] وروى ابن عمر أن عمر رضى الله عنهما أهدى بختية فطُلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها ، وذلك لأن القليل الجيد خير من الكثير الدون . وفى ثلثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة ، وفيها تكثير اللحم ، ولكن ليس المقصود اللحم إنما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله عز وجل ، فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة فى القيمة كثر العدد أو قل

---

(١) حديث النزول عن الدابة غدوة وعشية يريحها بذلك: الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس باسناد جيد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى الفجر فى السفر مشى ورواه البيهقى فى الأدب وقال مشى قليلا وباقيه نفاد

(٢) حديث ابن عمر أن عمر أهدى بختيه فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها : أخرجه د وقال انحرها

---

(1) الحج : ٣٢

« وَسُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [١] مَا بِرُّ الْحَجِّ ؟ فَقَالَ : الْعَجُّ وَالثَّجُّ » والعج هو رفع الصوت بالتلبيـة . والثج هو نحر البـدن . وروت عائشة رضى الله عنهـا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] قال : « مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ إِهْرَاقِهِ دَمًا وَإِنَّهَا لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَظْلَافِهَا وَإِنَّ الدَّمَ يَقَعُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ بِالْأَرْضِ فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا » وفى الخبر : [٣] « لَكُمْ بِكُلِّ صُوفَةٍ مِنْ جِلْدِهَا حَسَنَةٌ وَكُلِّ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهَا حَسَنَةٌ وَإِنَّهَا لَتُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ فَأَبْشِرُوا » وقال صلى الله عليه وسلم : « اسْتَنْجِدُوا هَدَايَاكُمْ فَإِنَّهَا مَطَايَاكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »

العاشر : أن يكون طيب النفس بما أنفقه من نفقة وهـدى ، وبما أصـابه من خسران ومصيبة فى مال أو بدن إن أصابه ذلك ، فان ذلك من دلائـل قبول حجه ، فان المصيبة فى طريق الحج تعدل النفقة فى سبيل الله عز وجل : الدرهم بسبعمائة درهم ، وهو بمثابة الشدائد فى طريق الجهاد ، فله بكل أذى احتمله وخسران أصابه ثواب ، فلا يضيع منه شىء عنـد الله عز وجـل . ويقال إن من علامة قبول الحج أيضا ترك ما كان عليـه من المعاصى ، وأن يتبدل باخوانه البطالين إخوانا صالحين ، وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة

بيان الأعمال الباطنة ووجه الإخلاص فى النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر لأسرارها ومعانيها من أول الحج إلى آخره

اعـلم أن أول الحج الفهم ، أعنى فهم موقع الحج فى الدين ، ثم الشوق إليه ، ثم العزم عليه ، ثم قطع العلائق المانعة منه ، ثم شراء ثوب الإحرام ، ثم شراء الزاد ، ثم اكتراء الراحلة

---

(١) حديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماير الحج فقال العج والثج : ت واستغر به و ه و ك وصححه والبزار واللفظ له من حديث أبى بكر وقال الباقولى أى الحج أفضل

(٢) حديث عائشة ماعمل ابن آدم يوم النحر أحب إلى الله من اهراقـه دما ـ الحـديث : ت وحسنه ابن ماجه وضعفه ابن حبان وقال خ انه مرسل ووصله ابن خزيمة

(٣) حديث لـكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع فى الميزان فابشروا ه ك وصححه البيهقى من حديث زيد بن أرقم فى حديث فيه بكل شعرة حسنة قالوا فالصوف قال بكل شعرة من الصوف حسنة وفى رواية للبيهقى بكل قطرة حسنة قال خ لايصح وروى أبو الشيخ فى كتاب الضحايا من حـديث على أما انها تجاء بها يوم القيامة بلحومها ودمائها حتى توضع فى ميزانك يقولها لفاطمة

ثم الخروج ، ثم المسير فى البادية ، ثم الإحرام من الميقات بالتلبية ، ثم دخول مكة ثم استتمام الأفعال كما سبق . وفى كل واحد من هذه الأمور تذكرة للمتذكر ، وعبرة للمعتبر ، وتنبيه للمريد الصادق ، وتعريف وإشارة للفطن . فلنرمز إلى مفاتحها حتى إذا انفتح بابها وعرفت أسبابها انكشف لكل حاج من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة فهمه

أما الفهم : فاعلم أنه لا وصول إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالتنزه عن الشهوات ، والكف عن اللذات ، والاقتصار على الضرورات فيها ، والتجرد لله سبحانه فى جميع الحركات والسكنات ، ولأجل هذا انفرد الرهبانيون فى الملل السالفة عن الخلق ، وانحازوا إلى قلل الجبال ، وآثروا التوحش عن الخلق ، لطلب الأنس بالله عز وجل ، فتركوا لله عز وجل اللذات الحاضرة ، وألزموا أنفسهم بالمجاهدات الشاقة طمعا فى الآخرة ، وأثنى الله عز وجل عليهم فى كتابه فقال (ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ [1])

فلما اندرس ذلك وأقبل الخلق على اتباع الشهوات ، وهجروا التجرد لعبادة الله عز وجل ، وفتروا عنه ، بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم لاحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين فى سلوكها [1] فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياحة فى دينه فقال صلى الله عليه وسلم « أَبْدَلَنَا اللهُ بِهَا الْجِهَادَ وَالتَّكْبِيرَ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ » يعنى الحج . « وَسُئِلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [2] عَنِ السَّائِحِينَ فَقَالَ هُمُ الصَّائِمُونَ » فانعم الله عز وجل على هذه الامة بأن جعل الحج رهبانية لهم . فشرف البيت العتيق بالاضافة إلى نفسه تعالى ، ونصبه مقصدا لعباده ، وجعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما لأمره ، وجعل عرفات كالميزاب على فناء حوضه ،

---

(١) حديث سئل عن الرهبانية والسياحة فقال بدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف : أبوداود من حديث أبى أمامة أن رجلا قال يارسول الله ائذن لى فى السياحة فقال ان سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله رواه الطبرانى بلفظ ان لكل أمة سياحة وسياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله ولكل أمة رهبانية ورهبانية أمتى الرباط فى نحر العدو وللبيهقى فى الشعب من حديث أنس رهبانية أمتى الجهاد فى سبيل الله وكلاهما ضعيف والترمذى وحسنه والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه من حديث أبى هريرة ان رجلا قال يارسول الله انى أريد ان أسافر فأوصنى قال عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف

(٢) حديث سئل عن السائحين فقال هم الصائمون البيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة وقال المحفوظ عن عبيد بن عمير عن عمر مرسلا .

---

(١) المائدة : ٨٢

وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ، ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق ، شعثاً غبراً متواضعين لرب البيت ، ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته ، مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ، ليكون ذلك أبلغ فى رقهم وعبوديتهم ، وأتم فى إذعانهم وانقيادهم ، ولذلك وظف عليهم فيها أعمالا لاتأنس بها النفوس ، ولاتهتدى إلى معانيها العقول : كرمى الجمار بالأحجار ، والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار . وبمثل هـذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية ، فان الزكاة ارفاق ، ووجهه مفهوم ، وللعقل إليه ميل . والصوم كسر للشهوة التى هى آلة عدو الله ، وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل ؛ والركوع والسجود فى الصلاة تواضع لله عز وجل بأفعال هى هيئة التواضع ، وللنفوس أنس بتعظيم الله عز وجل . فأما ترددات السعى ورمي الجمار وأمثال هـذه الأعمال فلا حظ للنفوس ولاأنس للطبع فيها ، ولااهتداء للعقل إلى معانيها ، فلايكون فى الاقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد ، وقصد الامتثال للأمر من حيث إنه أمر واجب الاتباع فقط ، وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل أنسه ، فان كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلاً ما ، فيكون ذلك الميل معينا للأمر وباعثا معه على الفعل ، فلايكاد يظهر به كمال الرق والانقياد . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى الحج على الخصوص (١) « لَبَّيْكَ بِحَجَّةٍ حَقًّا تَعَبُّداً وَرِقًّا » ولم يقل ذلك فى صلاة ولا غيرها

وإذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم ، وأن يكون زمامها بيد الشرع ، فيترددون فى أعمالهم على سنن الانقياد ، وعلى مقتضى الاستعباد وكان مالا يهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات فى تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق . وإذا تفطنت لهذا فهمت أن تعجب النفوس من هذه الافعال العجيبة مصدره الذهول عن أسرار التعبدات . وهذا القدر كاف فى تفهم أصل الحج إن شاء الله تعالى

وأما الشوق : فانما ينبعث بعد الفهم والتحقق بأن البيت بيت الله عز وجل ، وأنه وضع على مثال حضرة الملوك ، فقاصده قاصد إلى الله عز وجل وزائره ، وإن من قصد البيت فى الدنيا جدير بأن لايضيع زيارته ، فيُرْزق مقصود الزيارة فى ميعاده المضروب له ، وهو النظر إلى وجه الله الكريم فى دار القرار من حيث إن العين القاصرة الفانية فى دار الدنيا

---

(١) حديث لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا تقدم فى الزكاة

لا تتهيأ لقبول نور النظر إلى وجه الله عز وجل، ولا تطيق احتماله ، ولا تستعد للاكتمال به لقصورها ، وإنها إن أمدت في الدار الآخرة بالبقاء ونزهت عن أسباب التغير والفناء استعدت للنظر والإبصار ، ولكنها بقصد البيت والنظر إليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم . فالشوق إلى لقاء الله عز وجل يشوقه إلى أسباب اللقاء لا محالة . هذا مع أن المحب مشتاق إلى كل ماله إلى محبوبه إضافة ، والبيت مضاف إلى الله عز وجل ، فبالحرى أن يشتاق إليه لمجرد هذه الاضافة ، فضلا عن الطلب لنيل ماوعد عليه من الثواب الجزيل

وأما العزم : فليعلم أنه بعزمه قاصد إلى مفارقة الأهل والوطن ، ومهاجرة الشهوات واللذات ، متوجها إلى زيارة بيت الله عز وجل . وليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت ، وليعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره ، وأن من طلب عظيما خاطر بعظيم ، وليجعل عزمه خالصا لوجه الله سبحانه بعيدا عن شوائب الرياء والسمعة . وليتحقق أنه لا يقبل من قصده وعمله إلا الخالص ، وأن من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود غيره ، فليصحح مع نفسه العزم ، وتصحيحه باخلاصه ، وإخلاصه باجتناب كل مافيه رياء وسمعة . فليحذر أن يستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير .

وأما قطع العلائق : فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن جملة المعاصى ، فكل مظلمة علاقة ، وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلابيبه ينادى عليه ويقول له : إلى أين تتوجه ؟ أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيع أمره في منزلك هذا ، ومستهين به ، ومهمل له : أولا تستحى أن تقدم عليه قدوم العبد العاصى فيردك ولا يقبلك ، فان كنت راغبا في قبول زيارتك فنفذ أوامره ، ورد المظالم ، وتب إليه أولا من جميع المعاصى ، واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ماوراءك ، لتكون متوجها إليه بوجه قلبك ، كما انك متوجه إلى بيته بوجه ظاهرك ، فان لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك أولا إلا النصب والشقاء ، وآخراً إلا الطرد والرد . وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر أن لا يعود إليه وليكتب وصيته لأولاده وأهله ، فان المسافر وماله لعلى خطر إلا من وقى الله سبحانه . وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة ، فان ذلك بين يديه على القرب ، وما يقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقر وإليه المصير ، فلا ينبغى أن يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد بهذا السفر .

وأما الزاد : فليطلبه من موضع حلال ، وإذا أحس من نفسه الحرص على استكثاره وطلب مايبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد ، فليتذكر أن سفر الآخرة أطول من هـذا السفر ، وأن زاده التقوى،وأن ماعداه مما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه،كالطعام الرطب الذى يفسد فى أوّل منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيرا محتاجا لاحيلة له . فليحذر أن تكون أعماله التى هى زاده إلى الآخرة لاتصحبه بعد الموت ، بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير

وأما الراحلة:إذا أحضرها فليشكر الله تعالى بقلبه على تسخير الله عز وجل له الدواب لتحمل عنه الأذى وتخفف عنه المشقة، وليتذكر عنده المركب الذى يركبه إلى دار الآخرة وهى الجنازة التى يحمل عليها ، فان أمر الحج من وجهٍ يوازى أمر السفر إلى الآخرة ، ولينظر أيصلح سفره على هذا المركب لأن يكون زادا له لذلك السفر على ذلك المركب ،فما أقرب ذلك منه، ومايدريه لعل الموت قريب،ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمل،وركوب الجنازة مقطوع به ، وتيسر أسباب السفر مشكوك فيه، فكيف يحتاط فى أسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر فى زاده وراحلته ويهمل أمر السفر المستيقن

وأما شراء ثوبى الاحرام:فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه،فانه سيرتدى ويتزر بثوبى الاحرام عند القرب من بيت الله عز وجل وربما لايتم سفره إليه ، وأنه سيلقى الله عز وجل ملفوفا فى ثياب الكفن لامحالة ، فكما لايلقى بيت الله عز وجل إلا مخالفا عادته فى الزى والهيئة ، فلا يلقى الله عز وجل بعد الموت إلا فى زى مخالف لزى الدنيا ، وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس فيه مخيط كما فى الكفن

وأما الخروج من البلد : فليعلم عنده أنه فارق الأهل والوطن متوجها إلى الله عز وجل فى سفر لايضاهى أسفار الدنيا فليحضر فى قلبه أنه ماذا يريد وأين يتوجه،وزيارة مَن يقصد وأنه متوجه إلى ملك الملوك فى زمرة الزائرين له ، الذين نُودوا فأجابوا ، وشُوِّقوا فاشتاقوا واستنهضوا فنهضوا ، وقطعوا العلائق ؛ وفارقوا الخلائق ، وأقبلوا على بيت الله عز وجل الذى فخم أمرَه وعظَّم شأنه ورفع قدره ، تسليا بلقاء البيت عن لقاء رب البيت ، إلى أن يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم . وليحضر فى قلبه رجاء الوصول والقبول

لا إرادة لا باعماله في الأموال وبمفارقة الأهل والمال ، ولكن ثقة بفضل الله عز وجل ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته ، وليرج أنه إن لم يصل إليه وأدركته المنية فى الطريق لقى الله عز وجل وافداً إليه إذ قال جل جلاله (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ[1])

وأما دخول البادية إلى الميقات ومشاهدة تلك العقبات : فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات يوم القيامة وما بينهما من الأهوال والمطالبات . وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ، ومن سباع البوادى عقاربَ القبر وديدانه وما فيه من الأفاعى والحيات ، ومن انفراده عن أهله وأقاربه وحشةَ القبر وكربته ووحدته وليكن فى هذه المخاوف فى اعماله وأقواله متزوداً لمخاوف القبر

وأما الاحرام والتلبية من الميقات : فليعلم أن معناه إجابة نداء الله عز وجل ، فارج أن تكون مقبولا ، وأخش أن يقال لك : لا لبيك ولا سعديك . فكن بين الرجاء والخوف مترددا ، وعن حولك وقوتك متبرئا ، وعلى فضل الله عز وجل وكرمه متكلا ، فان وقت التلبية هو بداية الأمر وهى محل الخطر . قال سفيان بن عيينة : حج على بن الحسين رضى الله عنهما فلما أحرم واستوت به راحلته اصفرّ لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبي ، فقيل له : لم لا تلبي ؟ فقال : أخشى أن يقال لى لا لبيك ولا سعديك ، فلما لبى غشى عليه ووقع عن راحلته ، فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه . وقال أحمد بن أبى الحوارى : كنت مع أبى سليمان الدارنى رضى الله عنه حين أراد الاحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا فأخذته الغشية ثم أفاق وقال . ياأحمد إن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام : مُرْ ظلمة بنى إسرائيل أن يقلوا من ذكرى فانى أذكر من ذكرنى منهم باللعنة ، ويحك ياأحمد : بلغنى أن من حج من غير حله ثم لبى قال الله عز وجل لا لبيك ولا سعديك حتى تردما فى يديك ، فما نأمن أن يقال لنا ذلك ! وليتذكر الملبى عند رفع الصوت بالتلبية فى الميقات إجابته لنداء الله عز وجل ، إذ قال : (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ[2]) ونداء الخلق بنفخ الصور ، وحشرهم من القبور ، وازدحامهم فى عرصات القيامة مجيبين لنداء الله سبحانه ، ومنقسمين إلى مقربين وممقوتين ، ومقبولين ومردودين ، ومترددين فى أول الأمر بين الخوف والرجاء تردد الحاج فى الميقات حيث لا يدرون أيتيسر لهم إتمام الحج وقبوله أم لا

(١) النساء : ١٠٠ . (٢) الحج : ٢٧

وأما دخول مكة : فليتذكر عندها أنه قد انتهى إلى حرم الله تعالى آمنا ، وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله عز وجل ، وليخش أن لا يكون أهلا للقرب فيكون بدخوله الحرم خائبا ومستحقا للمقت ، وليكن رجاؤه فى جميع الأوقات غالبا ، فالكرم عميم ، والرب رحيم ، وشرف البيت عظيم ، وحق الزائر مرعى ، وذمام المستجير اللائذ غير مضيع

وأما وقوع البصر على البيت . فينبغى أن يحضر عنده عظمة البيت فى القلب ، ويقدر كأنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه اياه ، وارج أن يرزقك الله تعالى النظر إلى وجهه الكريم كما رزقك الله النظر إلى بيته العظيم . واشكر الله تعالى على تبليغه إياك هذه الرتبة وإلحاقه إياك بزمرة الوافدين عليه ، واذكر عند ذلك انصباب الناس فى القيامة إلى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ، ثم انقسامهم إلى مأذونين فى الدخول ومصروفين ، انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين . ولا تغفل عن تذكر أمور الآخرة فى شىء مما تراه ، فان كل أحوال الحاج دليل على أحوال الآخرة

وأما الطواف بالبيت : فاعلم أنه صلاة فاحضر فى قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة مافصلناه فى كتاب الصلاة . واعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ، ولا تظنن أن المقصود طواف جسمك بالبيت ، بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت ، حتى لا تبتدىء الذكر إلا منه ولا تختم إلا به كما تبتدىء الطواف من البيت وتختم بالبيت . واعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية ، وأن البيت مثال ظاهر فى عالم الملك لتلك الحضرة التى لا تشاهد بالبصر وهى عالم الملكوت ، كما أن البدن مثال ظاهر فى عالم الشهادة للقلب الذى لا يشاهد بالبصر وهو فى عالم الغيب ، وأن عالم الملك والشهادة مَدْرَجة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح الله له الباب . والى هذه الموازنة وقعت الاشارة بأن البيت المعمور فى السموات بازاء الكعبة ، فان طواف الملائكة به كطواف الأنس بهذا البيت . ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ، ووعدوا بأن (١) « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » والذى يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذى يقال إن الكعبة تزوره وتطوف به ، على ما رآه بعض المكاشفين لبعض أولياء الله سبحانه وتعالى

---

(١) حديث من تشبه بقوم فهو منهم: أبو داود من حديث ابن عمر بسند صحيح

وأما الاستلام : فاعتقد عنده أنك مبايع لله عز وجل على طاعته ، فصمم عزيمتك على الوفاء ببيعتك ، فمن غدر فى المبايعة استحق المقت ، وقد روى ابن عباس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] أنه قال « اَلْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِى الْأَرْضِ يُصَافِحُ بِهَا خَلْقَهُ كَمَا يُصَافِحُ الرَّجُلُ أَخَاهُ »

وأما التعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم . فلتكن نيتك فى الالتزام طلب القرب حبا وشوقا للبيت ولرب البيت ، وتبركا بالمماسة ، ورجاء للتحصن عن النار فى كل جزء من بدنك لا فى البيت . ولتكن نيتك فى التعلق بالستر الالحاح فى طلب المغفرة وسؤال الأمان ، كالمذنب المتعلق بثياب من أذنب إليه المتضرع اليه فى عفوه عنه المظهر له أنه لا ملجأ له منه إلا اليه ، ولا مفزع له إلا كرمه وعفوه ، وأنه لا يفارق ذيله إلا بالعفو وبذل الأمن فى المستقبل

وأما السعي بين الصفا والمروة فى فناء البيت : فانه يضاهى تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد أخرى ، إظهارا للخلوص فى الخدمة ، ورجاء للملاحظة بعين الرحمة ، كالذى دخل على الملك وخرج وهو لا يدرى ما الذى يقضى به الملك فى حقه من قبول أو رد ، فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن يرحم فى الثانية إن لم يرحم فى الأولى . وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتى الميزان فى عرصات القيامة ، وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيآت . وليتذكر تردده بين الكفتين ناظرا إلى الرجحان والنقصان متردداً بين العذاب والغفران

وأما الوقوف بعرفة : فاذكر بما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات ، واختلاف اللغات ، واتباع الفرق أئمتهم فى الترددات على المشاعر ، اقتفاء لهم ، وسيرا بسيرهم ، عرصات القيامة ، واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة ، واقتفاء كل أمة نبيها ، وطمعهم فى شفاعتهم وتحيرهم فى ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول . واذا تذكرت ذلك فالزم قلبك الضراعة والابتهال إلى الله عز وجل ، فتحشر فى زمرة الفائزين المرحومين . وحقق رجاءك بالاجابة فالموقف شريف ، والرحمة إنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من أوتاد الأرض . ولا ينفك الموقف عن طبقة من الأبدال والأوتاد ، وطبقة من الصالحين وأرباب القلوب . فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم ،

---

(١) حديث ابن عباس الحجر يمين الله فى الأرض يصافح بها خلقه ـ الحديث : تقدم فى العلم من حديث عبد الله بن عمرو

وارتفعت إلى الله سبحانه أيديهم وامتدت إليه أعناقهم ، وشخصت نحو السماء أبصارهم، مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة ، فلا تظنن أنه يخيب أملهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم . ولذلك قيل : إن من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله تعالى لم يغفر له وكأن اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده ، فلا طريق إلى استدرار رحمة الله سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب فى وقت واحد على صعيد واحد

وأما رمى الجمار: فاقصد به الانقياد للأمر اظهارا للرق والعبودية ،وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه ، ثم اقصد به التشبه بابراهيم عليه السلام حيث عرض له إبليس لعنه الله تعالى فى ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية فأمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لأمله،فان خطر لك أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه وأما أنا فليس يعرض لى الشيطان ، فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان وأنه الذى ألقاه فى قلبك ليفتر عزمك فى الرمى ويخيل إليك أنه فعل لافائدة فيه ، وأنه يضاهى اللعب فلم تشتغل به . فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير فى الرمى فيه برغم أنف الشيطان. واعلم أنك فى الظاهر ترمى الحصى إلى العقبة ، وفى الحقيقة ترمى به وجه الشيطان وتقصم به ظهره اذ لا يحصل ارغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيما له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه ، وأما ذبح الهدى فاعلم أنه تقرب إلى الله تعالى بحكم الامتثال ، فأكمل الهدى وارج [1] أن يعتق الله بكل جزء منه جزءاً منك من النار،فهكذا ورد الوعد فكلما كان الهدى أكبر وأجزاؤه أوفر كان فداؤك من النار أعم

وأما زيارة المدينة : فاذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر أنها البلدة التى اختارها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم وجعل اليها هجرته ، وأنها داره التى شرع فيها فرائض ربه عز وجل وسننه ، وجاهد عدوه وأظهر بها دينه ، إلى أن توفاه الله عز وجل ، ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق بعده رضى الله عنهما. ثم مثل فى نفسك مواقع أقدام رسول الله

---

(١) حديث انه يعتق بكل جزء من الأضحية جزأ من المضحى من النار: لم أقف له على أصل وفى كتاب الضحايا لأبى الشيخ من حديث أبى سعيد فان لك بأول قطرة تقطر من دمها أن يغفر لك ماتقدم من ذنوبك يقوله لفاطمه واسناده ضعيف

صلى الله عليه وسلم عند ترددا ته فيها ، وأنه ما من موضع قدم تطؤه إلا وهو موضع أقدامه العزيزة ، فلا تضع قدمك عليه إلا عن سكينة ووجل ، وتذكر مشيه وتخطيه فى سككها ، وتصور خشوعه وسكينته فى المشى ، وما استودع الله سبحانه قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره مع ذكره تعالى حتى قرنه بذكر نفسه ، وإحباطه عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته . ثم تذكر ما منّ الله تعالى به على الذين أدركوا صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه ، وأعظم تأسفك على ما فاتك من صحبته وصحبة أصحابه رضى الله عنهم ثم اذكر أنك قد فاتتك رؤيته فى الدنيا وأنك من رؤيته فى الآخرة على خطر ، وأنك ربما لا تراه إلا بحسرة وقد حيل بينك وبينه قبوله إياك بسوء عملك ، كما قال صلى الله عليه وسلم (١) « يَرْفَعُ اللهُ إِلَيَّ أَقْوَاماً فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ ! فَأَقُولُ يَارَبِّ أَصْحَابِي ! فَيَقُولُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ . فَأَقُولُ بُعْداً وَسُحْقاً » فان تركت حرمة شريعته ولو فى دقيقة من الدقائق فلا تأمن أن يحال بينك وبينه بعدولك عن محجته . وليعظم مع ذلك رجاؤك أن لا يحول الله تعالى بينك وبينه بعد أن رزقك الايمان وأشخصك من وطنك لأجل زيارته من غير تجارة ولا حظ فى دنيا ، بل لمحض حبك له وشوقك إلى أن تنظر إلى آثاره وإلى حائط قبره إذ سمحت نفسك بالسفر بمجرد ذلك لما فاتتك رؤيته ، فما أجدرك بأن ينظر الله تعالى اليك بعين الرحمة

فاذا بلغت المسجد فاذكر أنها العرصة التى اختارها الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ولأوّل المسلمين وأفضلهم عصابة ، وأن فرائض الله سبحانه أول ما أقيمت فى تلك العرصة ، وأنها جمعت أفضل خلق الله حيا وميتا ، فليعظم أملك فى الله سبحانه أن يرحمك بدخولك إياه ، فادخله خاشعا معظما ، وما أجدر هذا المكان بأن يستدعى الخشوع من قلب كل مؤمن كما حكى عن أبى سليمان أنه قال : حج أويس القرنى رضى الله عنه ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له : هذا قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فغشي عليه ، فلما أفاق قال : أخرجونى فليس يلذلى بلد فيه محمد صلى الله عليه وسلم مدفون !

---

(١) حديث يرفع الى أقوام فيقولون يامحمد يامحمد فأقول يارب أصحابى فيقول انك لاتدري ماأحدثوا بعدك فأقول بعدا وسحقا : متفق عليه من حديث ابن مسعود وأنس وغيرهما دون قوله يامحمد يامحمد

وأما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] وصفاته ، وتزوره ميتا كما تزوره حيا ، ولا تقرب من [illegible] إلا [illegible] تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا ، وكما كنت ترى الحرمة فى أن لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد مائلا بين يديه ، فكذلك فافعل ، فان المس والتقبيل للمشاهد عادة النصارى واليهود . واعلم أنه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك ، وأنه يبلغه سلامك وصلاتك ، فمثل صورته الكريمة فى خيالك موضوعا فى اللحد بازائك وأحضر عظيم رتبته فى قلبك فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم[1] « أَنَّ اللهَ تَعَالَى وَكَّلَ بِقَبْرِهِ مَلَكاً يُبَلِّغُهُ سَلَامَ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِهِ » هذا فى حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادى شوقا الى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم إذ فاته مشاهدة غرته الكريمة؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم[2] « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْراً » فهذا جزاؤه فى الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته ببدنه ؟ ثم ائت منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وتوهم صعود النبي صلى الله عليه وسلم المنبر ، ومثل فى قلبك طلعته البهية كأنها على المنبر وقد أحدق به المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم وهو صلى الله عليه وسلم يحثهم على طاعة الله عز وجل بخطبته ، وسل الله عز وجل أن لا يفرق فى القيامة بينك وبينه . فهذه وظيفة القلب فى أعمال الحج

فاذا فرغ منها كلها فينبغى أن يلازم قلبه الحزن والهم والخوف وأنه ليس يدرى أقبل منه حجه وأثبت فى زمرة المحبوبين أم رد حجه والحق بالمطرودين . وليتعرف ذلك من قلبه وأعماله فان صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور وانصرافا إلى دار الأنس بالله تعالى ، ووجد أعماله قد اتزنت بميزان الشرع ، فليثق بالقبول ، فان الله تعالى لا يقبل إلا من أحبه ، ومن أحبه تولاه وأظهر عليه آثار محبته . وكف عنه سطوة عدوه إبليس لعنه الله ، فاذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وإن كان الأمر بخلافه فيوشك أن يكون حظه من سفره العناء والتعب . نعوذ بالله سبحانه وتعالى من ذلك

تم كتاب أسرار الحج ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب آداب تلاوة القرءان

---

(١) حديث ان الله وكل بقبره صلى الله عليه وسلم ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته: ن حب ك من حديث ابن مسعود بلفظ ان لله ملائكة سياحين فى الارض يبلغونى عن أمتى السلام

(٢) حديث من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا: م من حديث أبي هريرة وعبد الله بن عمرو

(كتاب الشعب)

كتاب آداب تلاوة القرآن

كتاب آداب تلاوة القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى امتنّ على عباده بنبيه المرسل صلى الله عليه وسلم ، وكتابه المنزل الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، حتى اتسع على أهل الأفكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص والأخبار ، واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصّل فيه من الأحكام ، وفرّق بين الحلال والحرام ، فهو الضياء والنور ، وبه النجاة من الغرور ، وفيه شفاء لما فى الصدور . من خالفه من الجبابرة قصمه الله ، ومن ابتغى العلم فى غيره أضله الله . هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والعروة الوثقى ، والمعتصم الأوفى ، وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير ، لا تنقضى عجائبه ، ولا تتناهى غرائبه ، لا يحيط بفوائده عند أهل العلم تحديد ، ولا يخلقه عند أهل التلاوة كثرة الترديد . هو الذى أرشد الأوّلين والآخرين ، ولما سمعه الجن لم يلبثوا أن ولوا إلى قومهم منذرين فقالوا (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا [1]) فكل من آمن به فقد وفق ، ومن قال به فقد صدق ، ومن تمسك به فقد هدى ، ومن عمل به فقد فاز . وقال تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [2]) : ومن أسباب حفظه فى القلوب والمصاحف استدامة تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه ، والمحافظة على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة ، وذلك لابد من بيانه وتفصيله

وتنكشف مقاصده فى أربعة أبواب

الباب الأول : فى فضل القرءان وأهله

الباب الثانى : فى آداب التلاوة فى الظاهر

الباب الثالث : فى الأعمال الباطنة عند التلاوة

الباب الرابع : فى فهم القرءان وتفسيره بالرأى وغيره

(١) الجن : ١ ، ٢ (٢) الحجر : ٩

الباب الأول

فى فضل القرآن وأهله وذم المقصرين فى تلاوته

فضيلة القرآن

قال صلى الله عليه وسلم : (١) « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ثُمَّ رَأَى أَنَّ أَحَداً أُوتِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُوتِيَ فَقَدِ اسْتَصْغَرَ مَا عَظَّمَهُ اللهُ تَعَالَى » وقال صلى الله عليه وسلم : (٢) « مَا مِنْ شَفِيعٍ أَفْضَلَ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ تَعَالَى مِنَ الْقُرْآنِ لاَ نَبِيٌّ وَلاَ مَلَكٌ وَلاَ غَيْرُهُ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٣) « لَوْ كَانَ الْقُرْآنُ فِي إِهَابٍ مَا مَسَّتْهُ النَّارُ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٤) « أَفْضَلُ عِبَادَةِ أُمَّتِي تِلاَوَةُ الْقُرْآنِ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٥) أيضاً « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَرَأَ طٰهٰ وَيٰسٓ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ بِأَلْفِ عَامٍ فَلَمَّا سَمِعَتِ الْمَلاَئِكَةُ الْقُرْآنَ قَالَتْ طُوبَى لِأُمَّةٍ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ هٰذَا، وَطُوبَى لِأَجْوَافٍ تَحْمِلُ هٰذَا، وَطُوبَى لِأَلْسِنَةٍ تَنْطِقُ بِهٰذَا » وقال صلى الله عليه وسلم : (٦) « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ »

﴿ كتاب آداب تلاوة القرآن ﴾

﴿ الباب الأول فى فضل القرآن وأهله ﴾

(١) حديث من قرأ القرآن ثم رأى ان أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ما عظمه الله: طب من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف

(٢) حديث ما من شفيع أعظم منزلة عند الله من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره: رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسلا وللطبرانى من حديث ابن مسعود القرآن شافع مشفع ولمسلم من حديث أبى أمامة اقرءوا القرآن فانه يجيء يوم القيامة شفيعا لصاحبه

(٣) حديث لو كان القرآن فى اهاب ما مسته النار : الطبرانى وابن حبان فى الضعفاء من حديث سهل ابن سعد ولأحمد والدارمى والطبرانى من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة ورواه ابن عدى والطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث عصمة بن مالك باسناد ضعيف

(٤) حديث أفضل عبادة أمتى تلاوة القرآن: أبو نعيم فى فضائل القرآن من حديث النعمان بن بشير وأنس واسنادهما ضعيف

(٥) حديث ان الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام ـ الحديث : الدارمى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف

(٦) حديث خيركم من تعلم القرآن وعلمه: خ من حديث عثمان بن عفان ؛

وقال صلى الله عليه وسلم: (١) « يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: مَنْ شَغَلَهُ قِرَاءَةُ الْقُرْءَانِ عَنْ دُعَائِي وَمَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ ثَوَابِ الشَّاكِرِينَ » وقال صلى الله عليه وسلم: (٢) « ثَلَاثَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى كَثِيبٍ مِنْ مِسْكٍ أَسْوَدَ لَا يَهُولُهُمْ فَزَعٌ وَلَا يَنَالُهُمْ حِسَابٌ حَتَّى يُفْرَغَ مَا بَيْنَ النَّاسِ : رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْءَانَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَجُلٌ أَمَّ بِهِ قَوْمًا وَهُمْ بِهِ رَاضُونَ » . وقال صلى الله عليه وسلم: (٣) أَهْلُ الْقُرْءَانِ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ » وقال صلى الله عليه وسلم: (٤) « إِنَّ الْقُلُوبَ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ ، فَقِيلَ يَارَسُولَ اللهِ وَمَا جِلَاؤُهَا؟ فَقَالَ: تِلَاوَةُ الْقُرْءَانِ وَذِكْرُ الْمَوْتِ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٥) « لَلّٰهُ أَشَدُّ أُذُنًا إِلَى قَارِئِ الْقُرْءَانِ مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ إِلَى قَيْنَتِهِ »

الآثار : قال أبو أمامة الباهلي : اقرءوا القرءان ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة : فان الله لا يعذب قلبا هو وعاء للقرءان . وقال ابن مسعود : إذا أردتم العلم فانثروا القرءان فان فيه علم الأولين والآخرين . وقال أيضا : اقرءوا القرءان فانكم تؤجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات ، أمَا إني لاأقول الحرف الم ، ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف . وقال أيضا : لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرءان ، فان كان يحب القرءان ويعجبه فهو يحب الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان يبغض القرءان فهو يبغض الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم . وقال عمرو بن العاص: كل آية في القرءان درجة في الجنة ومصباح في بيوتكم . وقال أيضاً من قرأ القرءان فقد أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى اليه

وقال أبو هريرة : إن البيت الذي يتلى فيه القرءان اتسع بأهله ، وكثر خيره ، وحضرته الملائكة ، وخرجت منه الشياطين ، وإن البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق بأهله ، وقل خيره ، وخرجت منه الملائكة ، وحضرته الشياطين . وقال أحمد بن حنبل :

---

(١) حديث يقول الله من شغله قراءة القرءان عن دعائي ومسألتي أعطيته ثواب الشاكرين: ت من حديث أبي سعيد من شغله القرءان عن ذكري أو مسألتي أعطيته أفضل ماأعطي السائلين وقال حسن غريب ورواه ابن شاهين بلفظ المصنف

(٢) حديث ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك ـ الحديث : تقدم في الصلاة

(٣) حديث أهل القرءان أهل الله وخاصته: ن في الكبرى و هـ ك من حديث أنس باسناد حسن .

(٤) حديث ان هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل ماجلاؤها قال تلاوة القرءان وذكر الموت: البيهقي في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف

(٥) حديث لله أشد أذنا الى قارىء القرءان من صاحب القينة الى قينته: هـ حب ك وصححه من حديث فضالة بن عبيد

رأيت الله عز وجل فى المنام فقلت : يارب ماأفضل ماتقرب به المتقربون اليك؟ قال بكلامى ياأحمد . قال قلت يارب بفهم أو بغير فهم ؟ قال : بفهم وبغير فهم . وقال محمد بن كعب القرظى: اذا سمع الناس القرءان من الله عز وجل يوم القيامة فكأنهم لم يسمعوه قط

وقال الفضيل بن عياض : ينبغى لحامل القرءان أن لا يكون له إلى أحد حاجة ولا إلى الخلفاء ، فمن دونهم ، فينبغى أن تكون حوائج الخلق إليه . وقال أيضا : حامل القرءان حامل راية الاسلام فلا ينبغى أن يلهو مع من يلهو ، ولا يسهو مع من يسهو ، ولا يلغو مع من يلغو ، تعظيما لحق القرءان . وقال سفيان الثورى : إذا قرأ الرجل القرءان قبل الملك بين عينيه . وقال عمرو بن ميمون : من نشر مصحفاً حين يصلى الصبح فقرأ منه مائة آية رفع الله عز وجل له مثل عمل جميع أهل الدنيا

ويروى (٢) أَنَّ خَالِدَ بْنَ عُقْبَةَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْءَانَ فَقَرَأَ عَلَيْهِ (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى (١)) الآية فقال له : أَعِدْ فَأَعَادَ ، فقال وَاللهِ إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً ، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً ، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُورِقٌ ، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ وَمَا يَقُولُ هَذَا بَشَرٌ » وقال الحسن : والله مادون القرءان من غنى ولا بعده من فاقة . وقال الفضيل : من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ، ومن قرأها حين يمسى ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء . وقال القاسم بن عبد الرحمن : قلت لبعض النساك : ماهاهنا أحد تستأنس به ، فمد يده الى المصحف ووضعه على حجره وقال : هذا . وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : ثلاث يزدن فى الحفظ ، ويذهبن البلغم : السواك ، والصيام ، وقراءة القرءان

فى ذم تلاوة الغافلين

قال أنس بن مالك : رب تال للقرءان والقرءان يلعنه . وقال ميسرة : الغريب هو القرءان فى جوف الفاجر . وقال أبو سليمان الدارنى : الزبانية أسرع إلى حملة القرءان الذين يعصون الله عز وجل منهم إلى عبدة الأوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القرءان . وقال بعض العلماء : إذا قرأ ابن آدم القرءان ثم خلط ثم عاد فقرأ ، قيل له : مالك ولكلامى

---

(٢) حديث ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرأ على فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى فقال أعد فأعاد فقال ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أسفله لمغدق وان أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر : ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب بغير اسناد ورواه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد الا أنه قال الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة وكذا ذكره ابن اسحق فى السيرة بنحوه

وقال ابن الرماح : ندمت على استظهارى القرءان لأنه بلغنى أن أصحاب القرءان يسألون عما يسأل عنه الأنبياء يوم القيامة . وقال ابن مسعود : ينبغى لحامل القرءان أن يعرف بليله اذا الناس ينامون ، وبنهاره اذا الناس يفرطون ، وبحزنه اذا الناس يفرحون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته اذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون وينبغى لحامل القرءان أن يكون مستكينا لينا ، ولا ينبغى له أن يكون جافيا ولا ممارياولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا

وقال صلى الله عليه وسلم: (١) « أَكْثَرُ مُنَافِقِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قُرَّاؤُهَا » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « اقْرَإِ الْقُرْءَانَ مَا نَهَاكَ ، فَإِنْ لَمْ يَنْهَكَ فَلَسْتَ تَقْرَؤُهُ » وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « مَا آمَنَ بِالْقُرْءَانِ مَنِ اسْتَحَلَّ مَحَارِمَهُ »

وقال بعض السلف : إن العبد ليفتتح سورة فتصلى عليه الملائكة حتى يفرغ منها ، وإن العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ فقال : إذا أحل حلالها وحرم حرامها صلت عليه وإلا لعنته . وقال بعض العلماء : إن العبد ليتلو القرءان فيلعن نفسه وهو لا يعلم ، يقول . ألا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه ، ألا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم! وقال الحسن: إنكم اتخذتم قراءة القرءان مراحل وجعلتم الليل جملا فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله ، وإن من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار

وقال ابن مسعود: أنزل القرءان عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ، إن أحدكم ليقرأ القرءان من فاتحته إلى خاتمته مايسقط منه حرفا وقد أسقط العمل به. وفى حديث ابن عمر وحديث جندب رضى الله عنهما (٤) « لَقَدْ عِشْنَا دَهْرًا طَوِيلًا وَأَحَدُنَا يُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْءَانِ فَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا وَآمِرَهَا وَزَاجِرَهَا وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ رِجَالًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْءَانَ قَبْلَ الْإِيمَانِ فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ إِلَى خَاتِمَتِهِ لَا يَدْرِي مَا آمِرُهُ وَلَا زَاجِرُهُ وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ يَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ »

---

(١) حديث أكثر منافقى أمتى قراؤها: أحمد من حديث عقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو وفيها ابن لهيعة

(٢) حديث اقرأ القرءان مانهاك فان لم ينهك فلست تقرؤه: طب من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف

(٣) حديث ما آمن بالقرءان من استحل محارمه: ت من حديث صهيب وقال ليس اسناده بالقوى

(٤) حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا دهرا وأحدنا يؤتى الايمان قبل القرءان ـ الحديث : تقدما فى العلم

وقد ورد فى التوراة : ياعبدى أما تستحى منى : يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت فى الطريق تمشى فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله وتقرؤه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك شىء منه ، وهذا كتابى أنزلته إليك ، أنظركم فصلت لك فيه من القول ، وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه ، أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك! ياعبدى يقعد اليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغى إلى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم أوشغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن كف ، وها أنا ذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عنى ، أفجعلتنى أهون عندك من بعض إخوانك ؟

الباب الثانى

فى ظاهر آداب التلاوة وهى عشرة

الأول فى حال القارىء :

وهو أن يكون على الوضوء واقفاً على هيئة الأدب والسكون إماقائما ، وإما جالساً مستقبل القبلة ، مطرقاً رأسه ، غير متربع ولامتكىء ولاجالس على هيئة التكبر، ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدى أستاذه . وأفضل الأحوال أن يقرأ فى الصلاة قائما ، وأن يكون فى المسجد ، فذلك من أفضل الأعمال . فان قرأعلى غير وضوء وكان مضطجعا فى الفراش فله أيضاً فضل ولكنه دون ذلك ، قال الله تعالى : (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ [1]) فأثنى على الكل ولكن قدم القيام فى الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعا . قال علىّ رضى الله عنه : من قرأ القرءان وهو قائم فى الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ، ومن قرأه وهو جالس فى الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ، ومن قرأه فى غير صلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ، ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات ، وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب. قال أبو ذر الغفارى رضى الله عنه : إن كثرة السجود بالنهار وإن طول القيام بالليل أفضل

الثانى فى مقدار القراءة :

وللقراء عادات مختلفة فى الاستكثار والاختصار ، فمنهم من يختم القرءان فى اليوم والليلة مرة ، وبعضهم مرتين ، وانتهى بعضهم إلى ثلاث ، ومنهم من يختم فى الشهر مرة .

(١) آل عمران ١٩١

وأولى ما يرجع إليه فى التقديرات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِى أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ لَمْ يَفْقَهْهُ » وذلك لان الزيادة عليه تمنعه الترتيل . وقد قالت عائشة رضى الله عنها لما سمعت رجلا يهذر القرءان هذرا : إن هذا ما قرأ القرءان ولا سكت . « وَأَمَرَ النَّبِىُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٢] عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا أَنْ يَخْتِمَ الْقُرْآنَ فِى كُلِّ سَبْعٍ » وكذلك كان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم يختمون القرءان فى كل جمعة : كعثمان ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، وأبىّ بن كعب رضى الله عنهم . ففى الختم أربع درجات : الختم فى يوم وليلة وقد كرهه جماعة ، والختم فى كل شهر كل يوم جزء من ثلاثين جزءا ، وكانه مبالغة فى الاقتصار كما أن الأوّل مبالغة فى الاستكثار ، وبينهما درجتان معتدلتان : إحداهما فى الأسبوع مرة ، والثانية فى الأسبوع مرتين تقريبا من الثلاث

والأحب أن يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار ، ويجعل ختمه بالنهار يوم الاثنين فى ركعتى الفجر أو بعدهما ، ويجعل ختمه بالليل ليلة الجمعة فى ركعتى المغرب أو بعدهما ، ليستقبل أول النهار وأول الليل بختمته ، فان الملائكة عليهم السلام تصلى عليه إن كانت ختمته ليلا حتى يصبح ، وإن كان نهارا حتى يمسى فتشمل بركتهما جميع الليل والنهار . والتفصيل فى مقدار القراءة أنه إن كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغى أن ينقص عن ختمتين فى الاسبوع ، وإن كان من السالكين بأعمال القلب وضروب الفكر أو من المشتغلين بنشر العلم فلا بأس أن يقتصر فى الأسبوع على مرة ، وإن كان نافذ الفكر فى معانى القرءان فقد يكتفى فى الشهر بمرة لكثرة حاجته إلى كثرة الترديد والتأمل

الثالث فى وجه القسمة :

أما من ختم فى الأسبوع مرة فيقسم القرءان [٣] سبعة أحزاب ، فقد حزب الصحابة رضى الله عنهم القرءان أحزابا ، فروى أن عثمان رضى الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة

﴿ الباب الثانى فى ظاهر آداب التلاوة ﴾

(١) حديث من قرأ القرءان فى أقل من ثلاث لم يفقهه : أصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو وصححه ت

(٢) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو أن يختم القرءان فى كل أسبوع : متفق عليه من حديثه

(٣) حديث تحزيب القرءان على سبعة أحزاب د ه من حديث أوس بن حذيفة فى حديث فيه طرأ على حزبى من القرءان قال أوس فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تحزبون القرءان قالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع واحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل وفى رواية للطبرانى فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزىء القرءان فقالوا كان يجزئه ثلاثا فذكره مرفوعا واسناده حسن

وليلة السبت بالأنعام إلى هود ، وليلة الأحد بيوسف إلى مريم ، وليلة الاثنين بطه إلى طسم موسى وفرعون ، وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى ص ، وليلة الأربعاء بتنزيل إلى الرحمن ، ويختم ليلة الخميس . وابن مسعود كان يقسمه أقساما لا على هذا الترتيب . وقيل أحزاب القرءان سبعة : فالحزب الأول ثلاث سور ، والحزب الثانى خمس سور ، والحزب الثالث سبع سور ، والرابع تسع سور ، والخامس إحدى عشرة سورة ، والسادس ثلاث عشر سورة ، والسابع المفصل من ق إلى آخره . فهكذا حزبه الصحابة رضى الله عنهم ، وكانوا يقرءونه كذلك . وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا قبل أن تعمل الأخماس والأعشار والأجزاء ، فما سوى هذا محدث .

الرابع فى الكتابة :

يستحب تحسين كتابة القرءان وتبيينه ، ولا بأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها ، فإنها تزيين وتبيين وصد عن الخطأ واللحن لمن يقرؤه . وقد كان الحسن وابن سيرين ينكرون الأخماس والعواشر والأجزاء . وروى عن الشعبى وابراهيم كراهية النقط بالحمرة وأخذ الأجرة على ذلك ، وكانوا يقولون : جردوا القرءان . والظن بهؤلاء أنهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من أن يؤدى إلى احداث زيادات وحسما للباب ، وتشوقا إلى حراسة القرءان عما يطرق اليه تغييراً ، وإذا لم يؤد إلى محظور واستقر أمر الأمة فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا بأس به ، ولا يمنع من ذلك كونه محدثا ، فكم من محدث حسن ، كما قيل فى إقامة الجماعات فى التراويح إنها من محدثات عمر رضى الله عنه ، وإنها بدعة حسنة ، إنما البدعة المذمومة ما يصادم السنة القديمة أو يكاد يفضى إلى تغييرها . وبعضهم كان يقول : أقرأ فى المصحف المنقوط ولا أنقطه بنفسى . وقال الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير : كان القرءان مجرداً فى المصاحف فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا بأس به ، فانه نور له ، ثم أحدثوا بعده نقطا كباراً عند منتهى الآى فقالوا لا بأس به يعرف به رأس الآية ، ثم أحدثوا بعد ذلك الخواتم والفواتح . قال أبو بكر الهذلى : سألت الحسن عن تنقيط المصاحف بالأحمر فقال : وما تنقيطها ؟ قلت : يعربون الكلمة بالعربية . قال : أما إعراب القرءان فلا بأس به

وقال خالد الحذاء : دخلت على ابن سيرين فرأيته يقرأ فى مصحف منقوط وقد كان يكره النقط . وقيل إن الحجاج هو الذى أحدث ذلك ، وأحضر القراء حتى عدُّوا كلمات القرءان وحروفه وسوّوا أجزاءه وقسموه إلى ثلاثين جزءاً وإلى أقسام أخر

الخامس الترتيل :

هو المستحب فى هيئة القرءان لأنا سنبين أن المقصود من القراءة التفكر ، والترتيل معين عليه ، ولذلك نعتت أم سلمة رضى الله عنها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] فاذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا. وقال ابن عباس رضى الله عنه: لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما أحب إلىّ من أن أقرأ القرءان كله هذرمةً . وقال أيضا : لأن أقرأ إذا زلزلت والقارعة أتدبرهما أحب إلىّ من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهذيرا. وسئل مجاهد عن رجلين دخلا فى الصلاة فكان قيامهما واحدا إلا أن أحدهما قرأ البقرة فقط والآخر القرءان كله فقال: هما فى الأجر سواء. واعلم أن الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر، فان العجمى الذى لا يفهم معنى القرءان يستحب له فى القراءة أيضا الترتيل والتؤدة، لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام ؛ وأشد تأثيرا فى القلب من الهذرمة والاستعجال

السادس البكاء :

البكاء مستحب مع القراءة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] « اتْلُوا الْقُرْءَانَ وَابْكُوا فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوا » وقال صلى الله عليه وسلم [3] « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْءَانِ » وقال صالح المرّى : قرأت القرءان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى: ياصالح هذه القراءة فأين البكاء ؟ وقال ابن عباس رضى الله عنهما : إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه . وإنما طريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن ، فمن الحزن ينشأ البكاء . قال صلى الله عليه وسلم [4] « إِنَّ الْقُرْءَانَ نَزَلَ بِحُزْنٍ فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَتَحَازَنُوا » ووجه احضار الحزن أن يتأمل مافيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ، ثم يتأمل تقصيره فى أوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكى، فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب السافية فليبك على فقد الحزن والبكاء فان ذلك أعظم المصائب

---

(١) حديث نعتت أم سلمة قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فاذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا: د ن ت وقال حسن صحيح

(٢) حديث اتلوا القرءان وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا : هـ من حديث سعد ابن أبى وقاص بأسناد جيد

(٣) حديث ليس منا من لم يتغن بالقرءان: خ من حديث أبى هريرة

(٤) حديث أن القرءان نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا: أبو يعلى وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف

السابع: ان يراعى حق الآيات فاذا مر بآية سجدة سجد ، وكذلك إذا سمع من غيره سجدة سجد إذا سجد التالى ، ولا يسجد إلا إذا كان على طهارة . وفى القرءان أربع عشرة سجدة وفى الحج سجدتان ، وليس فى ص سجدة . وأقله أن يسجد بوضع جبهته على الأرض ، وأكمله أن يكبر فيسجد ويدعو فى سجوده بما يليق بالآية التى قرأها ، مثل أن يقرأ قوله تعالى: (خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ[1]) فيقول: اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك أو على أوليائك . وإذا قرأ قوله تعالى : (وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا[2]) فيقول : اللهم اجعلنى من الباكين إليك ، الخاشعين لك . وكذلك كل سجدة . ويشترط فى هذه السجدة شروط الصلاة: من ستر العورة ، واستقبال القبلة ، وطهارة الثوب والبدن من الحدث والخبث . ومن لم يكن على طهارة عند السماع فاذا تطهر يسجد . وقد قيل فى كمالها أن يكبر رافعا يديه لتحريمه ، ثم يكبر للهوىّ للسجود ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم . وزاد زائدون التشهد ، ولا أصل لهذا إلا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد ، فانه ورد الأمر فى السجود فليتبع فيه الأمر ، وتكبيرة الهوى أقرب للبداية وما عدا ذلك ففيه بُعد . ثم المأموم ينبغى أن يسجد عند سجود الامام ، ولا يسجد لتلاوة نفسه إذا كان مأموما

الثامن: أن يقول فى مبتدأ قراءته : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون . وليقرأ قل أعوذ برب الناس وسورة الحمد لله ، وليقل عند فراغه من القراءة صدق الله تعالى وبلّغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه ، الحمد لله رب العالمين ، وأستغفر الله الحى القيوم ، وفى أثناء القراءة اذا مر بآية تسبيح سبّح وكبّر ، وإذا مر بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر ، وإن مر بمرجوّ سأل ، وإن مر بمخوّف استعاذ . يفعل ذلك بلسانه أو بقلبه فيقول : سبحان الله نعوذ بالله ، اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا . قال حذيفة : « صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَابْتَدَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ[1] فَكَانَ لَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا سَأَلَ ، وَلَا بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا اسْتَعَاذَ ،

---

(١) حديث حذيفة كان لا يمر بآية عذاب الا تعوذ ولا بآية رحمة إلا سأل ولا بآية تنزيه الا سبح: م مع اختلاف لفظ

(1) السجدة : ١٥ (2) الاسراء : ١٠٩

وَلَا بِآيَةٍ تَنْزِيهٍ إِلَّا سَبَّحَ» فاذا فرغ قال ما كان يقوله صلوات الله عليه وسلامه[1] عند ختم القرءان «اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي بِالْقُرْءَانِ وَاجْعَلْهُ لِي إِمَامًا وَنُورًا وَهُدًى وَرَحْمَةً اللَّهُمَّ ذَكِّرْنِي مِنْهُ مَا نَسِيتُ وَعَلِّمْنِي مِنْهُ مَا جَهِلْتُ وَارْزُقْنِي تِلَاوَتَهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ وَاجْعَلْهُ لِي حُجَّةً يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ»

التاسع فى الجهر بالقراءة :

ولا شك فى أنه لابد أن يجهر به إلى حد يسمع نفسه إذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف، ولابد من صوت فأقله ما يسمع نفسه ، فان لم يسمع نفسه لم تصح صلاته. فأما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر

ويدل على استحباب الإسرار ما روى أنه صلى الله عليه وسلم[2] قال: «فَضْلُ قِرَاءَةِ السِّرِّ عَلَى قِرَاءَةِ الْعَلَانِيَةِ كَفَضْلِ صَدَقَةِ السِّرِّ عَلَى صَدَقَةِ الْعَلَانِيَةِ» وفى لفظ آخر : «الْجَاهِرُ بِالْقُرْءَانِ كَالْجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ وَالْمُسِرُّ بِهِ كَالْمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ» وفى الخبر العام:[3] «يَفْضُلُ عَمَلُ السِّرِّ عَلَى عَمَلِ الْعَلَانِيَةِ سَبْعِينَ ضِعْفًا» وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم[4] «خَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي وَخَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ» وفى الخبر[5] «لَا يَجْهَرْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْقِرَاءَةِ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ» وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة فى صلاته وكان حسن الصوت فقال لغلامه : اذهب إلى هذا المصلى فمره أن يخفض من صوته فقال الغلام : إن المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته

---

(١) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند ختم القرءان اللهم ارحمنى بالقرءان واجعله لى اماما وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه ما نسيت وعلمنى منه ما جهلت وارزقنى تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله لى حجة يارب العالمين : رواه أبو منصور المظفر بن الحسين الارجانى فى فضائل القرءان وأبو بكر بن الضحاك فى الشمائل كلاهما من طريق أبى ذر الهروى من روايه داود ابن قيس مفصلا

(٢) حديث فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية: قال وفى لفظ آخر الجاهر بالقرءان كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرءان كالمسر بالصدقة: د ن ت وحسنه من حديث عقبة بن عامر باللفظ الثانى

(٣) حديث يفضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا : البيهقى فى الشعب من حديث عائشة

(٤) حديث خير الرزق ما يكفى وخير الذكر الخفى: أحمد وابن حبان من حديث سعد بن أبى وقاص

(٥) حديث لا يجهر بعضكم على بعض فى القراءة بين المغرب والعشاء : رواه أبو داود من حديث البياضى دون قوله بين المغرب والعشاء والبيهقى فى الشعب من حديث على قبل العشاء وبعدها وفيه الحارث الاعور وهو ضعيف

وقال : ياأيها المصلى إن كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض صوتك، وإن كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئا فسكت عمر بن عبد العزيز وخفف ركعته، فلما سلم أخذ نعليه وانصرف ، وهو يومئذ أمير المدينة

ويدل على استحباب الجهر ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم [1] سَمِعَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ يَجْهَرُونَ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ فصوّب ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم [2] «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى فَلْيَجْهَرْ بِالْقِرَاءَةِ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ وَعُمَّارَ الدَّارِ يَسْتَمِعُونَ قِرَاءَتَهُ وَيُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ» ومر صلى الله عليه وسلم بثلاثة من أصحابه رضى الله عنهم مختلفى الأحوال [3] فمر على أبى بكر رضى الله عنه وهو يخافت ، فسأله عن ذلك ، فقال : إن الذى أناجيه هو يسمعنى . ومر على عمر رضى الله عنه وهو يجهر ، فسأله عن ذلك، فقال : أوقظ الوسنان وأزجر الشيطان، ومر على بلال وهو يقرأ آيا من هذه السورة وآيا من هذه السورة ، فسأله عن ذلك ، فقال : أخلط الطيب بالطيب . فقال صلى الله عليه وسلم « كُلُّكُمْ قَدْ أَحْسَنَ وَأَصَابَ »

فالوجه فى الجمع بين هذه الأحاديث أن الإسرار أبعد عن الرياء والتصنع فهو أفضل فى حق من يخاف ذلك على نفسه ، فإن لم يخف ولم يكن فى الجهر مايشوش الوقت على مصل آخر فالجهر أفضل ، لأن العمل فيه أكثر ، ولأن فائدته أيضا تتعلق بغيره ، فالخير المتعدى أفضل من اللازم ، ولأنه يوقظ قلب القارىء ، ويجمع همه الى الفكر فيه ، ويصرف إليه سمعه ، ولأنه يطرد النوم فى رفع الصوت ، ولأنه يزيد فى نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ، ولأنه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون له سبب إحيائه . ولأنه قد يراه بطال

---

(١) حديث أنه سمع جماعة من الصحابة يجهرون فى صلاة الليل فصوب ذلك : هو الصحيحين من حديث عائشة ان رجلا قام من الليل فقرأ فرفع صوته بالقرآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله فلانا ـ الحديث : ومن حديث أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رأيتنى وأنا أسمع قراءتك البارحة ـ الحديث : ومن حديثه أيضا انما أعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن : الحديث

(٢) حديث اذا قام أحدكم من الليل يصلى فليجهر بقراءته فان الملائكة وعمار الدار يستمعون إلى قراءته ويصلون بصلاته : رواه بنحوه بزيادة فيه أبو بكر البزار ونصر المقدسى فى المواعظ وأبو نجاع من حديث معاذ بن جبل وهو حديث منكر منقطع

(٣) حديث مروره صلى الله عليه وسلم بأبى بكر وهو يخافت وبعمر وهو يجهر وببلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة ـ الحديث : تقدم فى الصلاة

غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق إلى الخدمة ، فمتى حضره شيء من هـذه النيات فالجهر أفضل ، وإن اجتمعت هـذه النيات تضاعف الأجر ، وبكثرة النيات تزكو أعمال الأبرار وتتضاعف أجورهم ، فان كان فى العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر أجور .

ولهـذا نقول : قراءة القرءان فى المصاحف أفضـل ، إذ يزيد فى العمل النظر ، وتأمل المصحف ، وحمله ، فيزيد الأجر بسببه . وقد قيل الختمة فى المصحف بسبع ، لأن النظر فى المصحف أيضا عبادة . وخرق عثمان رضى الله عنه مصحفين لـكثرة قراءته منهما ، فـكان كثير من الصحابة يقرءون فى المصاحف ، ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا فى المصحف. ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعى رضى الله عنه فى السحَر وبين يديه مصحف ، فقال له الشافعي: شغلكم الفقه عن القرءان، إنى لأصلى العتمة وأضع المصحف بين يدى فما أطبقه حتى أصبح

العاشر: تحسين القراءة وترتيلها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم، فذلك سنة . قال صلى الله عليه وسلم[1] « زَيِّنُوا الْقُرْءَانَ بِأَصْوَاتِكُمْ » وقال عليه السلام :[2] « مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ إِذْنَهُ لِحُسْنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْءَانِ» وقال صلى الله عليه وسلم : «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْءَانِ» فقيل أراد به الاستغناء ، وقيـل أراد به الترنم . وترديد الألحان به ، وهو أقرب عند أهـل اللغة . وروى أن رسول الله صـلى الله عليه وسـلم كان ليلة[3] ينتظر عائشة رضى الله عنها فابطأت عليه فقال صلى الله عليه وسلم مَا حَبَسَكِ ؟ قالت : يارسول الله كُنْتُ أستمع قراءة رجل ماسمعت أحسن صوتا منه ، فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع إليه طويلا ثم رجع ، فقال صلى الله عليه وسلم : هَـذَا سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مِثْلَهُ[4] واستمع صلى الله عليه وسلم أيضا ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما

---

(١) حديث زينوا القرءان بأصواتكم: د ن ه حب ك وصححه من حديث البراء بن عازب

(٢) حديث ما أذن الله لشيء أذنه لحسن الصوت بالقرءان: متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ ما آذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرءان زاد م لنبي حسن الصوت وفى رواية له كأذنه لنبي يتغنى بالقرءان

(٣) حديث كان ينتظر عائشة فابطأت عليه فقال ما حبسك قالت يارسول الله كنت أسمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى أبى حذيفة الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله: ه من حديث عائشة ورجال اسناده ثقات

(٤) حديث استمع ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر فوقفوا طويلا ثم قال من أراد أن يقرأ القرءان غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد: أحمد ن فى الكبرى من حديث عمر و ت ه من حديث ابن مسعود ان أبابكر وعمر بشراه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن يقرأ القرءان ـ الحديث : قال ت حسن صحيح

فوقفوا طويلا ثم قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا طَرِيًّا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ »

وقال صلى الله عليه وسلم[1] لابن مسعود : اقْرَأْ عَلَيَّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ ؟ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي ، فَكَانَ يَقْرَأُ وَعَيْنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَفِيضَانِ »[2] واستمع صلى الله عليه وسلم إلى قراءة أبي موسى فقال « لَقَدْ أُوتِيَ هَذَا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ » فبلغ ذلك أبا موسى فقال : يارسول الله لو علمت أنك تسمع لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيرًا . ورأى هيثم القارىء رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام قال فقال لي : أنت الهيثم الذي تزين القرءان بصوتك ؟ قلت : نعم . قال : جزاك الله خيرا . وفي الخبر كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرءان

وقد كان عمر يقول لأبي موسى رضي الله عنهما ذكرنا ربنا ، فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط ، فيقال يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة ، فيقول أولسنا في صلاة ؟ إشارة إلى قوله عز وجل (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ[1]) وقال صلى الله عليه وسلم[3] « مَنِ اسْتَمَعَ إِلَى آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . وفي الخبر : كتب له عشر حسنات . ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه كان شريكا في الأجر ، إلا أن يكون قصده الرياء والتصنع

الباب الثالث

في أعمال الباطن في التلاوة وهي عشرة

فهم أصل الكلام ، ثم التعظيم ، ثم حضور القلب ، ثم التدبر ، ثم التفهم ، ثم التخلي عن موانع الفهم ، ثم التخصيص ، ثم التأثر ، ثم الترقي ، ثم التبري ،

فالأول : فهم عظمة الكلام وعلوه ، وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة أفهام خلقه . فلينظر كيف لطف بخلقه في إيصال معاني كلامه

---

(١) حديث أنه قال لابن مسعود اقرأ فقال يارسول الله أقرأ وعليك أنزل فقال اني أحب أن أسمعه من غيري ـ الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود

(٢) حديث استمع الى قراءة أبي موسى فقال لقد أوتي هذا من مزامير آل داود : متفق عليه من حديث أبي موسى

(٣) حديث من استمع الى آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة وفي الخبر كتب له عشر حسنات : أحمد من حديث أبي هريرة من استمع الى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة وفيه ضعف وانقطاع

(١) العنكبوت : ٤٥

الذى هو صفة قديمة قائمة بذاته إلى أفهام خلقه ، وكيف تجلت لهم تلك الصفة فى طى حروف وأصوات هى صفات البشر ، اذا يعجز البشر عن الوصول الى فهم صفات الله عز وجل إلا بوسيلة صفات نفسه . ولولا استتارُ كنه جلالة كلامه بكسوة الحروف لماثبت لسماع الكلام عرش ولاثرى، ولتلاشى مابينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ، ولولا تثبيت الله عز وجل لموسى عليه السلام لماأطاق لسماع كلامه كالم يطق الجبل مبادى تجليه حيث صار دكا ، ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام إلا بأمثلة ، على حدّ فهم الخلق . ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال : إن كل حرف من كلام الله عز وجل فى اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف ، وإن الملائكة عليهم السلام لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ماأطاقوه ، حتى يأتى إسرافيل عليه السلام وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله باذن الله عز وجل ورحمته لا بقوته وطاقته ، ولكن الله عز وجل طوقه ذلك واستعمله به

ولقد تأنق بعض الحكماء فى التعبير عن وجه اللطف فى إيصال معانى الكلام مع علو درجته الى فهم الانسان وتثبيته مع قصور رتبته ، وضرب له مثلا لم يقصر فيه ، وذلك أنه دعا بعضَ الملوك حكيم إلى شريعة الأنبياء عليهم السلام ، فسأله الملك عن أمور فاجاب بما لايحتمله فهمه ، فقال الملك : أرأيت ماتأتى به الأنبياء إذا ادعت أنه ليس بكلام الناس وأنه كلام الله عز وجل فكيف يطيق الناس حمله ؟ فقال الحكيم : إنا رأينا الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطير مايريدون من تقديمها وتأخيرها واقبالها وادبارها، ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنوار عقولهم مع حسنه وتزيينه وبديع نظمه ، فنزلوا إلى درجة تمييز البهائم ، وأوصلوا مقاصدهم إلى بواطن البهائم بأصوات يضعونها لائقة بهم من النقر والصفير والأصوات القريبة من أصواتها لكي يطيقوا حملها ، وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله عز وجل بكنهه وكمال صفاته ، فصاروا بما تراجعوا بينهم من الأصوات التى سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذى سمعت بالدواب من الناس ، ولم يمنع ذلك معانى الحكمة المخبوأة فى تلك الصفات من أن شرف الكلام أى الأصوات لشرفها وعظم لتعظيمها ، فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا ، والحكمة للصوت نفسا وروحا فكما أن أجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك أصوات الكلام تشرف للحكمة التى فيها ،

والكلام على المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم فى الحق والباطل ، وهو القاضى العدل ، والشاهد المرتضى ، يأمر وينهى ، ولا طاقة للباطل أن يقوم قدام كلام الحكمة ، كما لايستطيع الظل أن يقوم قدام شعاع الشمس ، ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة، كما لاطاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس ، ولكنهم ينالون من ضوء عين الشمس ماتحيا به أبصارهم ، ويستدلون به على حوائجهم فقط ، فالكلام كالملك المحجوب، الغائب وجهه، النافذ أمره، وكالشمس العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها، وكالنجوم الزاهرة التى قد يهتدى بها من لايقف على سيرها ، فهو مفتاح الخزائن النفيسة ، وشراب الحياة الذى من شرب منه لم يمت ، ودواء الأسقام الذى من سقى منه لم يسقم . فهذا الذى ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام، والزيادة عليه لاتليق بعلم المعاملة، فينبغى أن يقتصر عليه.

الثانى : التعظيم للمتكلم . فالقارىء عند البداية بتلاوة القرءان ينبغى أن يحضر فى قلبه عظمة المتكلم ، ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر، وأن فى تلاوة كلام الله عز وجل غاية الخطر ، فانه تعالى قال : (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ [1]) وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا كان متطهرا ، فباطن معناه أيضا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب إلا إذا كان متطهرا عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير، وكما لايصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان، ولا لنيل معانيه كل قلب ، ولمثل هذا التعظيم كان عِكرمة بن أبى جهل إذا نشر المصحف غشى عليه ويقول: هو كلام ربى ، هو كلام ربى فتعظيم الكلام تعظيم المتكلم ، ولن تحضره عظمة المتكلم مالم يتفكر فى صفاته وجلاله وأفعاله ، فاذا حضر بباله العرش والكرسى والسموات والأرض وما بينهما من الجن والانس والدواب والأشجار ، وعلم أن الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد ، وأن الكل فى قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته، إن أنعم فبفضله، وإن عاقب فبعدله ، وأنه الذى يقول: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالى، وهؤلاء إلى النار ولا أبالى وهذا غاية العظمة والتعالى ، فبالتفكر فى أمثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام

الثالث : حضور القلب وترك حديث النفس. قيل فى تفسير (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ [2])

(1) الواقعة : ٧٩ (2) مريم : ١٢

أي بجد واجتهاد ، وأخذه الجد أن يكون متعبدا له عند قراءته منصرف الهمه إليه عن غيره وقيل لبعضهم: إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء؟ فقال : أي شيء أحب إلي من القرآن حتى أحدث به نفسي ؟ وكان بعض السلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية . وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم ، فان المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به و يستأنس ولا يغفل عنه ، ففي القرآن ما يستأنس به القلب إن كان التالي أهلا له ، فكيف يطلب الأنس بالفكر في غيره وهو في منتزه ومتفرج ، والذي يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها ، فقد قيل: إن في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس ودياييج ورياضا وخانات ، فالميمات ميادين القرآن ، والراءات بساتين القرآن ، والحاءات مقاصيره ، والمسبحات عرائس القرآن ، والحاميمات دياييج القرآن ، والمفصّل رياضه ، والخانات ماسوى ذلك فاذا دخل القارى الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الدياييج وتنزه في الرياض وسكن غرف الخانات ، استغرقه ذلك ، وشغله عما سواه ، فلم يعزب قلبه ، ولم يتفرق فكره

الرابع : التدبر وهو وراء حضور القلب ، فانه قد لا يتفكر في غير القرآن ، ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره . والمقصود من القراءة التدبر ، ولذلك سن فيه الترتيل لأن الترتيل في الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن . قال علي رضي الله عنه : لا خير في عبادة لا فقه فيها ، ولا في قراءة لا تدبر فيها . وإذا لم يتمكن من التدبر إلا بترديد فليردد إلا أن يكون خلف إمام ، فانه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل الامام بآية أخرى كان مسيئا ، مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه ، وكذلك إن كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في آية قرأها إمامه فهذا وسواس ، فقد روى عن عامر بن عبد قيس أنه قال : الوسواس يعتريني في الصلاة ، فقيل في أمر الدنيا فقال : لأن تختلف فيّ الأسنة أحب إليّ من ذلك ، ولكن يشتغل قلبي بوقفي بين يدي ربي عز وجل واني كيف أنصرف . فعد ذلك وسواسا ، وهو كذلك ، فانه يشغله عن فهم ما هو فيه ، والشيطان لا يقدر على مثله إلا بأن يشغله بمهم ديني ، ولكن يذهله به عن الأفضل . ولما ذكر ذلك للحسن قال : إن كنتم صادقين عنه فما استطاع الله ذلك منا

ويروى « أنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١] قَرَأَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ فَرَدَّدَهَا عِشْرِينَ مَرَّةً » وإنما ردّدها صلى الله عليه وسلم لتدبره فى معانيها . وعن أبى ذر قال : « قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٢] بِنَا لَيْلَةً فَقَامَ بِآيَةٍ يُرَدِّدُهَا وَهِيَ (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ [١]) الآية وقام تميم الدارى ليلة بهذه الآية (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ [٢]) الآية وقام سعيد ابن جبير ليلة يردد هذه الآية (وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ [٣]) وقال بعضهم : إنى لأفتتح السورة فيوقفنى بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر . وكان بعضهم يقول: آية لا أتفهمها ولا يكون قلبى فيها لا أعدّلها ثوابا . وحكى عن أبى سليمان الدارانى أنه قال : إنى لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال ولولا أنى أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها . وعن بعض السلف أنه بقى فى سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها . وقال بعض العارفين : لى فى كل جمعة ختمة ، وفى كل شهر ختمة ، وفى كل سنة ختمة ولى ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد ، وذلك بحسب درجات تدبره وتفتيشه . وكان هذا أيضا يقول : أقمت نفسى مقام الأجراء فأنا أعمل مياومة ومجامعة ومشاهرة ومسانهة

الخامس : التفهم ، وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها إذ القرءان يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل ، وذكر أفعاله ، وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام ، وذكر أحوال المكذبين لهم وأنهم كيف أهلكوا ، وذكر أوامره وزواجره ، وذكر الجنة والنار

أما صفات الله عز وجل فكقوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [٤]) وكقوله تعالى : (الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ [٥]) فليتأمل معانى هذه الأسماء والصفات لينكشف له أسرارها ، فتحتها معان مدفونة لا تنكشف إلا للموفقين ، واليه أشار على رضى الله عنه بقوله [٣] « مَا أَسَرَّ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا كَتَمَهُ عَنِ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يُؤْتِيَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدًا فَهْمًا فِي كِتَابِهِ » فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم

---

(١) حديث انه اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة : رواه أبو ذر الهروى فى معجمه من حديث أبى هريرة بسند ضعيف

(٢) حديث أبى ذر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا ليلة بآية يرددها وهى إن تعذبهم فانهم عبادك : نه بسند صحيح

(٣) حديث علي ما أسر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً كتمه عن الناس الا أن يؤتى الله عبدا فهما فى كتابه

---

(١) المائدة : ١١٨ (٢) الجاثية : ٢١ (٣) يس : ٥٩ (٤) الشورى : ١١ (٥) الحشر : ٢٣

وقال ابن مسعود رضى الله عنه: من أراد علم الأوّلين والآخرين فليثور القرءان، وأعظم علوم القرءان تحت أسماء الله عز وجل وصفاته ، إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا أموراً لائقة بأفهامهم ولم يعثروا على أغوارها

وأما أفعاله تعالى فكذكره خلق السموات والأرض وغيرها . فليفهم التالى منها صفات الله عز وجل وجلاله ، إذا لفعل يدل على الفاعل ، فتدل عظمته على عظمته ، فينبغى أن يشهد فى الفعل الفاعل دون الفعل ، فمن عرف الحق رآه فى كل شىء ، إذ كل شىء فهو منه واليه وبه وله ، فهو الكل على التحقيق ، ومن لا يراه فى كل مايراه فكأنه ما عرفه ، ومن عرفه عرف أن كل شىء ماخلا الله باطل ، وأن كل شىء هالك إلا وجهه ، لا أنه سيبطل فى ثانى الحال ، بل هو الآن باطل إن اعتبر ذاته من حيث هو ، إلا أن يعتبر وجوده من حيث انه موجود بالله عز وجل وبقدرته ، فيكون له بطريق التبعية ثبات ، وبطريق الاستقلال بطلان محض . وهذا مبدأ من مبادىء علم المكاشفة . ولهذا ينبغى اذا قرأ التالى قوله عز وجل : (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ [1]) (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ [2]) (أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ [3]) (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِى تُورُونَ [4]) فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمنى ، بل يتأمل فى المنى وهو نطفة متشابهة الأجزاء ، ثم ينظر فى كيفية انقسامها الى اللحم والعظم والعروق والعصب، وكيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها، ثم الى ماظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها ، ثم الى ماظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة ، كما قال تعالى : (أَوَ لَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ [5]) فيتأمل هذه العجائب ليترقى منها إلى عجب العجائب وهو الصفة التى منها صدرت هذه الأعاجيب ، فلا يزال ينظر إلى الصنعة فيرى الصانع

ن من رواية أبى جحيفة قال سألنا عليا فقلنا هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شىء سوى القرءان فقال لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة الا أن يعطى الله عبدا فهما فى كتابه ـ الحديث : وهو عند البخارى بلفظ هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ماليس فى القرءان وفى رواية وقال مرة ماليس عند الناس ولأبى داود والنسائى فقلنا هل عهد اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ لم يعهده الى الناس قال لا الا مافى كتابى هذا ـ الحديث : ولم يذكر الفهم فى القرءان

(1) الواقعة : ٦٣ ، ٥٨ ، ٦٨ ، ٧١ (2) يس : ٧٧

وأما أحوال الأنبياء عليهم السلام: فاذا سمع منها أنهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل والمرسل إليهم، وأنه لو أهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه شيئا، واذا سمع نصرتهم في آخر الأمر فليفهم قدرة الله عز وجل وإرادته لنصرة الحق

وأما أحوال المكذبين: كعاد وثمود وما جرى عليهم، فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته، وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وأنه إن غفل وأساء الأدب واغتر بما أمهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية، وكذلك اذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما في القرءان، فلا يمكن استقصاء ما يفهم منها لأن ذلك لانهاية له، وإنما لكل عبد منه بقدر رزقه، فلا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين. (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا [1]) ولذلك قال علي رضي الله عنه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب. فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهيم لينفتح بابه، فأما الاستقصاء فلا مطمع فيه، ومن لم يكن له فهم ما في القرءان ولو في أدنى الدرجات دخل في قوله تعالى: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ [2]) والطابع هي الموانع التي سنذكرها في موانع الفهم، وقد قيل: لا يكون المريد مريدا حتى يجد في القرءان كل ما يريد، ويعرف منه النقصان من المزيد، ويستغني بالمولى عن العبيد

السادس: التخلي عن موانع الفهم، فان أكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرءان لأسباب وحجب أسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرءان قال صلى الله عليه وسلم [1] «لَوْلَا أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحُومُونَ عَلَى قُلُوبِ بَنِي آدَمَ لَنَظَرُوا إِلَى الْمَلَكُوتِ» معاني القرءان من جملة الملكوت، وكل ما غاب عن الحواس ولم يدرك إلا بنور البصيرة فهو من الملكوت

وحجب الفهم أربعة:

أولها: أن يكون الهم منصرفا إلى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها، وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله عز وجل، فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه، فهذا يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف

---

(١) حديث لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى الملكوت: تقدم في الصلاة

(١) الكهف: ١٠٩ (٢) محمد: ١٦

فأنى تنكشف له المعانى ؟ وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس

ثانيها: أن يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت فى نفسه التعصب له بمجرد الانباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة ، فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده ، فصار نظره موقوفا على مسموعه فان لمع برق على بعد وبداله معنى من المعانى التى تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال : كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك؟فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثله ، ولمثل هذا قالت الصوفية إن العلم حجاب ، وأرادوا بالعلم العقائد التى استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد، أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها إليهم، فأما العلم الحقيق الذى هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجابا وهو منتهى المطلب ؟وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعا: كمن يعتقد فى الاستواء على العرش التمكنَ والاستقرار ، فان خطر له مثلا فى القدُّوس أنه المقدس عن كل مايجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك فى نفسه ،ولو استقر فى نفسه لانجرّ إلى كشف ثان وثالث ، ولتواصل ، ولكن يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل ، وقد يكون حقا ويكون أيضا مانعا من الفهم والكشف لأن الحق الذى كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات ، وله مبدأ ظاهر وغور باطن وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول إلى الغور الباطن كما ذكرناه فى الفرق بين العلم الظاهر والباطن فى كتاب قواعد العقائد

ثالثها : أن يكون مصرا على ذنب أو متصفا بكبر ، مبتلى فى الجملة بهوى فى الدنيا مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداه وهو كالخبث على المرآة فيمنع جلية الحق من أن يتجلى فيه وهو أعظم حجاب للقلب ، وبه حجب الأكثرون . وكلما كانت الشهوات أشد تراكما كانت معانى الكلام أشد احتجابا ، وكلما خف عن القلب أثقال الدنيا قرب تجلى المعنى فيه ، فالقلب مثل المرآة ، والشهوات مثل الصدأ ، ومعانى القرآن مثل الصور التى تتراءى فى المرآة ، والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (١) « إِذَا عَظَّمَتْ أُمَّتِي الدِّينَارَ وَالدِّرْهَمَ نُزِعَ مِنْهَا هَيْبَةُ الْإِسْلَامِ ، وَإِذَا تَرَكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ

(١) حديث اذا عظمت أمتى الدينار والدرهم نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف حرموا بركة الوحى: رواه ابن أبي الدنيا فى كتاب الامر بالمعروف معضلا من حديث الفضل بن عياض قال ذكر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم

وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ حُرِمُوا بَرَكَةَ الْوَحْيِ » قال الفضيل : يعني حرموا فهم القرءان . وقد شرط الله عز وجل الانابة في الفهم والتذكير فقال تعالى (تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ [1]) وقال عز وجل (وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ [2]) وقال تعالى (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ [3]) فالذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الألباب، ولذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب

رابعها : أن يكون قد قرأ تفسيرا ظاهرا واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرءان إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما ، وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأي ، وأن من فسر القرءان برأيه فقد تبوأ مقعده من النار ، فهذا أيضا من الحجب العظيمة . وسنبين معنى التفسير بالرأي في الباب الرابع وأن ذلك لا ينافض قول علي رضي الله عنه : إلا أن يؤتى الله عبدا فهماً في القرآن ، وأنه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلفت الناس فيه

السابع : التخصيص ، وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب في القرءان ، فإن سمع أمراً أو نهيا قدّر أنه المنهي والمأمور ، وإن سمع وعداً أو وعيداً فكمثل ذلك ، وإن سمع قصص الأوّلين والأنبياء علم أن السمر غير مقصود ، وإنما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج اليه ، فما من قصة في القرءان إلا وسياقها لفائدة في حق النبي صلى الله عليه وسلم وأمته ولذلك قال تعالى (مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ [4]) فليقدر العبد أن الله ثبت فؤاده بما يقصه عليه من أحوال الأنبياء ، وصبرهم على الايذاء ، وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله تعالى ، وكيف لا يقدر هذا والقرءان ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله خاصة ، بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ، ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال تعالى: (وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ [5]) وقال عز وجل (لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ [6]) (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ [7]) (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ [8]) (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ [9]) (هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ [10]) (هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ [11]) وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد، فهذا القارىء

---

(1) ق : ٨ (2) غافر : ١٣ (3) الرعد : ١٩ (4) هود : ١٢٠ (5) البقرة : ٢٣١ (6) الانبياء : ١٠
(7) النحل : ٤٤ (8) محمد : ٣ (9) الزمر : ٥٥ (10) الجاثية : ٢٠ (11) آل عمران : ١٣٨

الواحد مقصود، فما له ولسائر الناس؟ فليقدر أنه المقصود قال تعالى (وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ [1]) قال محمد بن كعب القرظي : من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله . وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله ، بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه اليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه ، ولذلك قال بعض العلماء : هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا عز وجل بعهوده ، نتدبرها في الصلوات ، ونقف عليها في الخلوات ، وننفذها في الطاعات والسنن المتبعات . وكان مالك بن دينار يقول : ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن ؟ إن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض . وقال قتادة: لم يجالس أحد هذا القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان ، قال الله تعالى: (هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا [2])

الثامن : التأثر ، وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات ، فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره ، ومهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه ، فان التضييق غالب على آيات القرآن ، فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة إلا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها، كقوله عز وجل (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ [3]) ثم أتبع ذلك بأربعة شروط (لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) وقوله تعالى (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ [4]) ذكر أربعة شروط، وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعاً فقال تعالى (إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ [5]) فالاحسان يجمع الكل . وهكذا من يتصفح القرآن من أوله إلى آخره ومن فهم ذلك . فجدير بأن يكون حاله الخشية والحزن ، ولذلك قال الحسن : والله ما أصبح اليوم عبد يتلو القرآن يؤمن به إلا كثر حزنه وقلّ فرحه ، وكثر بكاؤه وقلّ ضحكه ، وكثر نصبه وشغله ، وقلت راحته وبطالته

وقال وهيب بن الورد: نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئاً أرق للقلوب ولا أشد استجلابا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره، فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت ، وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح، وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله واستشعار العظمته

(1) الأنعام : ١٩ (2) الاسراء : ٨٢ (3) طه : ٨٢ (4) العصر (5) الأعراف : ٥٦

وعند ذكر الكفار مايستحيل على الله عز وجل كذكرهم لله عز وجل ولدا وصاحبة يغض صوته وينكسر فى باطنه حياء من قبح مقالتهم ، وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا اليها ، وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا منها . ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] لابن مسعود : اقرأ علىّ قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً [1]) رأيت عينيه تذرفان بالدمع ، فقال لى : حسبك الآن . وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية

ولقد كان فى الخائفين من خر مغشيا عليه عند آيات الوعيد ، ومنهم من مات فى سماع الآيات . فمثل هذه الأحوال يخرجه عن أن يكون حاكيا فى كلامه فاذا قال (إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ [2]) ولم يكن خائفا كان حاكيا ، واذا قال (عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ [3]) ولم يكن حاله التوكل والانابة كان حاكيا ، واذا قال (وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا [4]) فليكن حاله الصبر أو العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة فان لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه فى قوله تعالى (أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ [5]) وفى قوله تعالى (كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ [6]) وفى قوله عز وجل (وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ [7]) وفى قوله (فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا [8]) وفى قوله تعالى : (وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [9]) الى غير ذلك من الآيات ، وكان داخلا فى معنى قوله عز وجل : (وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ [10]) يعنى التلاوة المجردة ، وقوله عز وجل : (وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ [11]) لأن القرءان هو المبين لتلك الآيات فى السموات والأرض . ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضا عنها . ولذلك قيل : إن من لم يكن متصفا بأخلاق القرءان فاذا قرأ القرءان ناداه الله تعالى : مالك ولكلامى وأنت معرض عنى ! دع عنك كلامى إن لم تُنِبْ إِلَيَّ

---

(١) حديث انه قال لابن مسعود اقرأ على : الحديث تقدم فى الباب قبله

---

(١) النساء : ٤١ (٢) الانعام : ١٥ (٣) الممتحنة : ٤ (٤) ابراهيم : ١٢ (٥) هود : ١٨ (٦) الصف : ٣
(٧) الانبياء : ١ (٨) النجم : ٢٩ (٩) الحجرات : ١١ (١٠) البقرة : ٧٨ (١١) يوسف : ١٠٥

ومثال العاصي اذا قرأ القرءان وكرره مثال من يكرر كتاب الملك فى كل يوم مرات وقد كتب اليه فى عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه ، فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان أبعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت . ولذلك قال يوسف ابن أسباط : إنى لأهم بقراءة القرءان فاذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فأعدل إلى التسبيح والاستغفار . والمعرض عن العمل به أريد بقوله عز وجل (فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ [1]) ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [1] « اقْرَأُوا الْقُرْءَانَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ وَلَانَتْ لَهُ جُلُودُكُمْ فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَلَسْتُمْ تَقْرَءُونَهُ » وفى بعضها (فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ) قال الله تعالى : (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ [2]) وقال صلى الله عليه وسلم [2] « إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْءَانِ الَّذِي إِذَا سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ رَأَيْتَ أَنَّهُ يَخْشَى اللَّهَ تَعَالَى » وقال صلى الله عليه وسلم [3] « لَا يَسْمَعُ الْقُرْءَانَ مِنْ أَحَدٍ أَشْهَى مِنْهُ مِمَّنْ يَخْشَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ »

فالقرءان يراد لاستجلاب هذه الأحوال إلى القلب والعمل به ، وإلا فالمؤنة فى تحريك اللسان بحروفه خفيفة . ولذلك قال بعض القراء : قرأت القرءان على شيخ لى ثم رجعت لاقرأ ثانياً فانتهرنى وقال : جعلت القرءان علىّ عملا ، اذهب فاقرأ على الله عز وجل فانظر بماذا يأمرك وبماذا ينهاك . وبهذا كان شغل الصحابة رضي الله عنهم فى الأحوال والأعمال ، فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم [4] عَنْ عِشْرِينَ أَلْفًا مِنَ الصَّحَابَةِ لَمْ يَحْفَظِ الْقُرْءَانَ مِنْهُمْ إِلَّا سِتَّةٌ

---

(١) حديث اقرؤا القرءان ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤنه وفى بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه: متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله البجلى فى اللفظ الثانى دون قوله ولانت جلودكم

(٢) حديث ان أحسن الناس صوتا بالقرءان الذى اذا سمعته يقرأ رأيت انه يخشى الله تعالى: ه بسند ضعيف

(٣) حديث لا يسمع القرءان من أحد أشهى ممن يخشى الله تعالى : رواه أبو عبد الله الحاكم فيما ذكره أبو القاسم الغافقى فى كتاب فضائل القرءان

(٤) حديث مات رسول الله عليه وسلم عن عشرين ألفا من الصحابة لم يحفظ القرءان منهم الا ستة اختلف منهم فى اثنين وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذى يحفظ البقرة والانعام من علمائهم قلت قوله مات عن عشرين ألفا لعله أراد بالمدينة والا فقد روينا عن أبى زرعة الرازى انه قال قبض عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه انتهى

---

(١) آل عمران : ١٨٧ (٢) الأنفال : ٢

اختلف فى اثنين منهم . وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين . وكان الذى يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم [١] ولما جاء واحد ليتعلم القرءان فانتهى إلى قوله عز وجل (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ [١]) قال يكفى هذا وانصرف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انصرف الرجل وهو فقيه . وإنما العزيز مثل تلك الحالة التى منّ الله عز وجل بها على قلب المؤمن عقيب فهم الآية ، فأما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى ، بل التالى باللسان المعرض عن العمل جدير بأن يكون هو المراد بقوله تعالى : (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى [٢]) وبقوله عز وجل (كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى [٣]) أى تركتها ولم تنظر اليها ولم تعبأ بها ، فان المقصر فى الأمر يقال إنه نسى الأمر

وتلاوة القرءان حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب ، فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل ، وحظ العقل تفسير المعانى ، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار . فاللسان يرتل ، والعقل يترجم ، والقلب يتعظ

وأما من حفظ القرءان فى عهده ففى الصحيحين من حديث أنس قال جمع القرءان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الانصار أبى بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد وأبو زيد قلت ومن أبو زيد قال أحد عمومتى وزاد ابن أبى شيبة كالمصنف من رواية الشعبى مرسلا وأبو الدرداء وسعيد بن عبيد وفى الصحيحين من حديث عبدالله بن عمرو استقرءوا القرءان من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبى حذيفة ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب وروى ابن الأنبارى بسنده الى عمر قال كان الفاضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدر هذه الامة من يحفظ من القرءان السورة ونحوها ـ الحديث : وسنده ضعيف وللترمذى وحسنه من حديث أبى هريرة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم دو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل ما معه من القرءان فأتى على رجل من أحدثهم سنا فقال ما معك يافلان قال معى كذا وكذا وسورة البقرة فقال أمعك سورة البقرة ؟ قال نعم قال اذهب فأنت أميرهم ـ الحديث :

(١) حديث الرجل الذى جاء ليتعلم فانتهى الى قوله تعالى ـ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ـ فقال يكفينى هذا وانصرف فقال النبى صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو فقيه : د ن فى الكبرى وحب ك وصححه من حديث عبدالله بن عمر وقال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرئنى يارسول الله ـ الحديث : وفيه فأقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت حتى فرغ منها فقال الرجل والذى بعثك بالحق لا أزيد عليها أبدا ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلح الرويجل أفلح الرويجل ولاحمدون فى الكبرى من حديث صعصعة عم الفرزدق أنه صاحب القصة فقال حسبى لا أبالى أن لا أسمع غيرها

---

(١) الزلزلة : ٧ ، ٨ (٢،٣) طه : ١٢٤ ، ١٢٦

التاسع الترقى : وأعنى به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لا من نفسه فدرجات القراءة ثلاث .

أدناها : أن يقدر العبد كأنه يقرؤه على الله عز وجل ، واقفا بين يديه ، وهو ناظر اليه ومستمع منه ، فيكون حاله عند هذا التقدير السؤالَ والتملقَ والتضرعَ والابتهالَ

الثانية : أن يشهد بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بألطافه ، ويناجيه بانعامه وإحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم

الثالثة : أن يرى فى الكلام المتكلم ، وفى الكلمات الصفات ، فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ولا إلى تعلق الأنعام به من حيث إنه منعَم عليه بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره ، وهذه درجة المقربين وماقبله درجة أصحاب اليمين ، وماخرج عن هذا فهو درجات الغافلين . وعن الدرجة العليا أخبر جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه قال: والله لقد تجلى الله عز وجل لخلقه فى كلامه ولكنهم لا يبصرون ! وقال أيضاً. وقد سألوه عن حالة لحقته فى الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سرى عنه قيل له فى ذلك فقال : مازلت أردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها ، فلم يثبت جسمى لمعاينة قدرته . ففى مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة . ولذلك قال بعض الحكماء : كنت أقرأ القرءان فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأنى أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو على أصحابه ، ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت أتلوه كأنى أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمعه من المتكلم به ، فعندها وجدت له لذة ونعيما لا أصبر عنه وقال عثمان وحذيفة رضى الله عنهما : لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرءان. وإنما قالوا ذلك لأنها بالطهارة تترقى الى مشاهدة المتكلم فى الكلام . ولذلك قال ثابت البنانى : كابدت القرءان عشرين سنة ، وتنعمت به عشرين سنة . وبمشاهدة المتكلم دون ماسواه يكون العبد ممتثلا لقوله عز وجل : (فَفِرُّوا إِلَى اللهِ [1]) ولقوله تعالى : (وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ [2]) فمن لم يره فى كل شىء فقد رأى غيره ، وكل ماالتفت اليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته

(١) (٢) الذاريات : ٥٠ ، ٥١

شيئا من الشرك الخفى ، بل التوحيد الخالص أن لا يرى فى كل شىء إلا الله عز وجل

العاشر : التبرى ، وأعنى به أن يتبرأ من حوله وقوته والالتفات إلى نفسه بعين الرضا والتزكية ، فإذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك . بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ، ويتشوف إلى أن يلحقه الله عز وجل بهم . وإذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد على نفسه هناك وقدر أنه المخاطب خوفا وإشفاقا . ولذلك كان ابن عمر رضى الله عنهما يقول : اللهم إنى أستغفرك لظلمى وكفرى . فقيل له هذا الظلم فما بال الكفر ؟ فتلا قوله عز وجل : (إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ[1])

وقيل ليوسف بن أسباط : إذا قرأت القرءان بماذا تدعو ؟ فقال : بماذا أدعو ؟ أستغفر الله عز وجل من تقصيرى سبعين مرة فاذا رأى نفسه بصورة التقصير فى القراءة كان رؤيته سبب قربه ، فان من شهد العبد فى القرب لطف به فى الخوف حتى يسوقه الخوف إلى درجة أخرى فى القرب وراءها ، ومن شهد القرب فى البعد مكر به بالأمن الذى يفضيه إلى درجة أخرى فى البعد أسفل مما هو فيه ، ومهما كان مشاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه ، فاذا جاوز حدّ الالتفات إلى نفسه ولم يشاهد إلا الله تعالى فى قراءته كشف له سر الملكوت . قال أبو سليمان الدارنى رضى الله عنه : وعد ابن ثوابان أخا له أن يفطر عنده فأبطأ عليه حتى طلع الفجر ، فلقيه أخوه من الغد فقال له : وعدتنى أنك تفطر عندى فأخلفت فقال : لو لا ميعادى معك ما أخبرتك بالذى حبسنى عنك : إنى لما صليت العتمة قلت أوتر قبل أن أجيئك لأنى لا آمن ما يحدث من الموت ، فلما كنت فى الدعاء من الوتر رفعت إلىّ روضة خضراء فيها أنواع الزهر من الجنة فمازلت أنظر اليها حتى أصبحت

وهذه المكاشفات لاتكون إلا بعد التبرى عن النفس وعدم الالتفات إليها والى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب أحوال المكاشف : فحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار ينكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عيانا ، وإن غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها ، وذلك لأن كلام الله عز وجل يشتمل على السهل اللطيف

[1] ابراهيم : ٣٤

والشديد العسوف والمرجو والمخوف ، وذلك بحسب أوصافه ، إذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب فى اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بأمر يناسب تلك الحالة ويقاربها اذ يستحيل أن يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا إذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لايبالى وكلام حنان متعطف لايهمل .

الباب الرابع

فى فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل

لعلك تقول : عظمت الأمر فيما سبق فى فهم أسرار القرءان وما ينكشف لأرباب القلوب الزكية من معانيه ، فكيف يستحب ذلك . وقد قال صلى الله عليه وسلم [1] « مَنْ فَسَّرَ ٱلْقُرْءانَ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » وعن هذا شنع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل التصوّف من المفسرين المنسوبين إلى التصوف فى تأويل كلمات فى القرءان على خلاف مانقل عن ابن عباس وسائر المفسرين ، وذهبوا إلى أنه كفر ، فان صح ماقاله أهل التفسير فما معنى فهم القرءان سوى حفظ تفسيره ؟ وإن لم يصح ذلك فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « مَنْ فَسَّرَ ٱلْقُرْءانَ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ »

فاعلم أن من زعم أن لامعنى للقرءان إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه ، وهو مصيب فى الإخبار عن نفسه ، ولكنه مخطىء فى الحكم برد الخلق كافة إلى درجته التى هى حده ومحطه [2] بل الأخبار والآثار تدل على أن فى معانى القرءان متسعا لأرباب الفهم ، قال على رضى الله عنه إلا أن يؤتى الله عبدا فهماً فى القرءان . فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم ؟ وقال صلى الله عليه وسلم [3] « إِنَّ لِلْقُرْءانِ ظَهْراً وَبَطْناً وَحَدّاً وَمَطْلَعاً » ويروى أيضاً عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير ، فما معنى الظهر

﴿ الباب الرابع فى فهم القرءان وتفسيره بالرأى من غير نقل ﴾

(١) حديث من فسر القرءان برأيه فليتبوأ مقعده من النار تقدم فى الباب الثالث من العلم

(٢) حديث الاخبار والآثار الدالة على أن فى معانى القرءان متسعا لأرباب الفهم تقدم فى قول على فى الباب قبله الا أن يؤتى الله عبدا فهما فى كتابه

(٣) حديث ان للقرءان ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا تقدم فى قواعد العقائد.

والبطن والحد والمطلع ؟ وقال علي كرم الله وجهه : لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب ، فما معناه وتفسير ظاهرها في غاية الاختصار ؟ وقال أبو الدرداء : لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرءان وجوها . وقد قال بعض العلماء : لكل آية ستون ألف فهم ومابقي من فهمها أكثر . وقال آخرون : القرءان يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم ، اذ كل كلمة علم ، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف ، إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع . وترديد رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ عشرين مرة لايكون إلا لتدبره باطن معانيها ، والافترجمتها وتفسيرها ظاهر لايحتاج مثله إلى تكرير . وقال ابن مسعود رضي الله عنه : من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرءان . وذلك لايحصل بمجرد تفسيره الظاهر

وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله عز وجل وصفاته وفي القرءان شرح ذاته وأفعاله وصفاته . وهذه العلوم لانهاية لها ، وفي القرءان إشارة الى مجامعها والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرءان . ومجرد ظاهر التفسير لايشير إلى ذلك ، بل كل ما أشكل فيه على النظار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القرءان إليه رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها ، فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ؟ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [2] « اقْرَءُوا الْقُرْءانَ وَالْتَمِسُوا غَرَائِبَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم : [3] في حديث عَلِيّ كرم الله وجهه « والَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَنْ أَصْلِ دِينِهَا وَجَمَاعَتِهَا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا ضَلَالَةٌ مُضِلَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ فَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّ فِيهِ نَبَأَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَنَبَأَ مَا يَأْتِي بَعْدَكُمْ وَحُكْمَ مَا بَيْنَكُمْ مَنْ خَالَفَهُ مِنَ الْجَبَابِرَةِ قَصَمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنِ ابْتَغَى الْعِلْمَ فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَهُوَ حَبْلُ اللهِ

---

(١) حديث تكرير النبي صلى الله عليه وسلم البسملة عشرين مرة تقدم في الباب قبله

(٢) حديث اقرءوا القرءان والتمسوا غرائبه ابن أبي شيبة في المصنف وأبو يعلى الموصلي والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بلفظ اعربوا وسنده ضعيف

(٣) حديث علي والذي بعثني بالحق لتفترقن أمتي على أصل دينها وجماعتها على اثنين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون الى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله فان فيه نبأ من كان قبلكم ـ الحديث : بطوله هو عند ت دون ذكر افتراق الامة بلفظ ألا انها ستكون فتنة مضلة فقلت ماالمخرج منها يارسول الله قال كتاب الله فيه نبأ من كان قبلكم فذكره مع اختلاف وقال غريب وأسناده مجهول

الْمَتِينُ وَنُورُهُ الْمُبِينُ وَشِفَاؤُهُ النَّافِعُ ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ وَنَجَاةٌ لِمَنِ اتَّبَعَهُ ، لَا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمَ ، وَلَا يَزِيغُ فَيَسْتَقِيمَ ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ وَلَا يُخْلِقُهُ كَثْرَةُ التَّرْدِيدِ » الحديث . وفى حديث حُذَيفة لما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] بالاختلاف والفرقة بعده قال : فقلت يارسول الله فماذا تأمرنى إن أدركت ذلك ؟ فقال: تَعَلَّمْ كِتَابَ اللهِ وَاعْمَلْ بِمَا فِيهِ فَهُوَ الْمُخَرِّجُ مِنْ ذٰلِكَ. قال : فأعدت عليه ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم ثلاثا : تَعَلَّمْ كِتَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاعْمَلْ بِمَا فِيهِ فَفِيهِ النَّجَاةُ وقال على كرم الله وجهه : من فهم القرءان فسر به جمل العلم ، أشار به إلى أن القرءان يشير إلى مجامع العلوم كلها : وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً [1]) يعنى الفهم فى القرءان : وقال عز وجل : (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً [2]) سمى ما آتاهما علما وحكما ، وخصص ماانفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم ، وجعله مقدما على الحكم والعلم . فهذه الأمور تدل على أن فى فهم معانى القرءان مجالا رحباً ومتسعاً بالغاً ، وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه

فأما قوله صلى الله عليه وسلم [2] مَنْ فَسَّرَ الْقُرْءَانَ بِرَأْيِهِ ، ونهيه عنه صلى الله عليه وسلم ، وقول أبى بكر رضى الله عنه أىّ أرض تقلّنى وأىّ سماء تظلنى اذا قلت فى القرءان برأيى إلى غير ذلك مما ورد فى الأخبار والآثار فى النهى عن تفسير القرءان بالرأى فلا يخلو: إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم ، أو المراد به أمرا آخر. وباطل قطعا أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد فى القرءان إلا بما يسمعه لوجوه

أحدها : أنه يشترط أن يكون ذاك مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسندا اليه ، وذلك مما لا يصادف إلا فى بعض القرءان فأما مايقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهم فينبغى أن لا يقبل ، ويقال هو تفسير بالرأى لأنهم لم يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذا غيرهم من الصحابة رضى الله عنهم

---

(١) حديث حذيفة فى الاختلاف والفرقة بعده فقلت ما تأمرنى ان أدركت ذلك قال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه ـ الحديث د ن فى الكبرى وفيه تعلم كتاب الله وتبع ما فيه ثلاث مرات

(٢) حديث النهى عن تفسير القرءان بالرأى غريب

(١) البقرة ٢٦٩ : (٢) الانبياء : ٧٩

والثانى : أن الصحابة والمفسرين اختلفوا فى تفسير بعض الآيات. فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها، وسماع جميعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال، ولو كان الواحد مسموعا لرُدَّ الباقى فتبين على القطع أن كل مفسر قال فى المعنى بما ظهر له باستنباطه، حتى قالوا فى الحروف التى فى أوائل السور سبعة أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها فقيل إن (الر) هى حروف من الرحمن وقيل : إن الألف الله، واللام لطيف ، والراء رحيم . وقيل غير ذلك ، والجمع بين الكل غير ممكن ، فكيف يكون الكل مسموعا

والثالث : أنه صلى الله عليه وسلم[1] دعا لابن عباس رضى الله عنه وقال: « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِى الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ » فان كان التأويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك

والرابع : أنه قال عز وجل (لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ[1]) فأثبت لأهل العلم استنباطا ومعلوم أنه وراء السماع ، وجملة ما نقلناه من الآثار فى فهم القرءان ينافض هذا الخيال، فبطل أن يشترط السماع فى التأويل وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرءان بقدر فهمه وحد عقله

وأما النهى فانه ينزل على أحد وجهين .

أحدهما : أن يكون له فى الشىء رأى ، واليه ميل من طبعه وهواه، فيتأوّل القرءان على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ، ولو لم يكن له ذلك الرأى والهوى لكان لا يلوح له من القرءان ذلك المعنى، وهذا تارة يكون مع العلم كالذى يحتج ببعض آيات القرءان على تصحيح بدعته، وهو يعلم أنه ليس المراد بالآيه ذلك ولكن يلبس به على خصمه ، وتارة يكون مع الجهل ، ولكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذى يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه فيكون قد فسر برأيه ، أى برأيه هو الذى حمله على ذلك التفسير ، ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه ، وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرءان ، ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به كمن يدعو إلى الاستغفار بالأسحار فيستدل بقوله صلى الله عليه وسلم[2] « تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِى السُّحُورِ بَرَكَةً » ويزعم أن المراد به التسحر بالذكر، وهو يعلم أن المراد به الأكل، وكالذى يدعو إلى مجاهدة القلب القاسى

---

(١) حديث دعائه لابن عباس اللهم فقهه فى الدين وعلمه لتأويل تقدم فى الباب الثانى من العلم

(٢) حديث تسحروا فان فى السحور بركة تقدم فى الباب الثالث من العلم

(١) النساء : ٨٣

يقول: قال الله عز وجل: (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى [١]) ويشير الى قلبه ويومئ إلى أنه المراد بفرعون: وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع، وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فينزلون القرءان على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعا أنها غير مرادة به فهذه الفنون أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي، ويكون المراد بالرأي الرأي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والرأي يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص باسم الرأي

والوجه الثاني: أن يتسارع إلى تفسير القرءان بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرءان، وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة، وما فيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير. فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه، ودخل في زمرة من يفسر بالرأي. فالنقل والسماع لابد منه في ظاهر التفسير أولا، ليتقى به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط

والغرائب التي لا تفهم إلا بالسماع كثيرة، ونحن نرمز إلى جمل منها، ليستدل بها على أمثالها، ويعلم أنه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولا، ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر. ومن ادعى فهم أسرار القرءان ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعي البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب، أو يدعي فهم مقاصد الأتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك، فان ظاهر التفسير يجري مجرى تعليم اللغة التي لابد منها للفهم

ومالابد فيه من السماع فنون كثيرة: منها الايجاز بالحذف والاضمار كقوله تعالى: (وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا [٢]) معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها. فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء، ولم يدر أنهم بماذا ظلموا وأنهم ظلموا غيرهم أو أنفسهم. وقوله تعالى: (وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ [٣]) أي حب العجل، فحذف الحب. وقوله عز وجل: (إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ [٤]) أي ضعف عذاب الأحياء، وضعف عذاب الموتى، فحذف العذاب وأبدل الأحياء والموتى

---

(١) طه: ٢٤ (٢) الاسراء: ٥٩ (٣) البقرة: ٩٣ (٤) الاسراء: ٧٥

بذكر الحياة والموت ، وكل ذلك جائز فى فصيح اللغة . وقوله تعالى : (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا [١]) أى أهل القرية وأهل العير ، فالأهل فيهما محذوف مضمر . وقوله عز وجل (ثَقُلَتْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ [٢]) معناه خفيت على أهل السموات والأرض ، والشىء إذا خفى ثقل ، فأبدل اللفظ به وأقيم فى مقام على ، وأضمر الأهل وحذف . وقوله تعالى: (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ [٣]) أى شكر رزقكم. وقوله عز وجل : (آتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ [٤]) أى على ألسنة رسلك فحذف الألسنة . وقوله تعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ [٥]) أراد القرءان وماسبق له ذكر. وقال عز وجل: (حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ [٦]) أراد الشمس وما سبق لها ذكر . وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى [٧]) أى يقولون مانعبدهم . وقوله عز وجل (فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا. مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ [٨]) معناه لا يفقهون حديثا ، يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله ، فان لم يرد هذا كان مناقضا لقوله (قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ [٩]) وسبق إلى الفهم منه مذهب القدرية

ومنها المنقول المنقلب : كقوله تعالى (وَطُورِ سِينِينَ [١٠]) أى طور سيناء (سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ [١١]) أى على الياس ، وقيل ادريس لان فى حرف ابن مسعود سلام على ادراسين

ومنها المكرر القاطع لوصل الكلام فى الظاهر : كقوله عز وجل: (وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ [١٢]) معناه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إلا الظن . وقوله عز وجل : (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ [١٣]) معناه الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا

ومنها المقدم والمؤخر: وهو مظنة الغلط . كقوله عز وجل: (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى [١٤]) معناه لولا الكلمة وأجل مسمى لكان لزاما ولولاه لكان نصبا كاللزام. وقوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا [١٥]) أى يسئلونك عنها كأنك حفى بها . وقوله عز وجل: (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ [١٦])

---

(١) يوسف : ٨٢ (٢،١٥) الاعراف: ١٨٧ (٣) الواقعة: ٨٢ (٤) آل عمران: ١٩٤ (٥) القدر: ١ (٦) ص : ٣٢
(٧) الزمر: ٣ (٨،٩) النساء: ٧٩ ، ٧٨ (١٠) التين : ٢ (١١) الصافات : ١٣٠ (١٢) يونس: ٦٦ (١٣) الاعراف: ٧٥
(١٤) طه : ١٢٩ (١٦) الأنفال : ٤ ، ٥

فهذا الكلام غير متصل وانما هو عائد إلى قوله السابق قل الانفال لله والرسول. كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، أى فصارت أنفال الغنائم لك، إذا أنت راض بخروجك وهم كارهون، فاعترض بين الكلام الأمر بالتقوى وغيره، ومن هذا النوع قوله عز وجل: (حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ [1]) الآية

ومنها المبهم: وهو اللفظ المشترك بين معان من كلمة أو حرف، أما الكلمة فكالشىء والقرين، والامّة، والروح، ونظائرها. قال الله تعالى: (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلوكاً لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ [2]) أراد به النفقة مما رزق. وقوله عز وجل: (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ [3]) أى الأمر بالعدل والاستقامة. وقوله عز وجل: (فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ [4]) أراد به من صفات الربوبية وهى العلوم التى لا يحل السؤال عنها حتى يبتدئ بها العارف فى أوان الاستحقاق. وقوله عز وجل: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ [5]) أى من غير خالق، فربما يتوهم به أنه يدل على أنه لا يخلق شىء إلا من شىء

وأما القرين. فكقوله عز وجل: (وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ. أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ [6]) أراد به الملك الموكل به، وقوله تعالى: (قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ [7]) أراد به الشيطان

وأما الأمة: فتطلق على ثمانية أوجه، الامة الجماعة. كقوله تعالى: (وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ [8]) وأتباعُ الأنبياء، كقولك نحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ورجل جامع للخير يقتدى به. كقوله تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ [9]) والأمة الدِّينُ. كقوله عز وجل: (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ [10]) والأمة الحين والزمان. كقوله عز وجل (إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ [11]) وقوله عز وجل: (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ [12]) والأمة القامة، يقال فلان حسنُ الأمة أى القامة، وأمة رجل منفرد بدين لا يشركه فيه أحد. قال صلى الله عليه وسلم [1] «يُبْعَثُ زَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنُ نُفَيْلٍ أُمَّةً وَحْدَهُ» والأمة الأم. يقال هذه امة زيد أى أم زيد

والروح أيضا ورد فى القرءان على معان كثيرة فلا نطول بايرادها

---

(١) حديث يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده ن فى الكبرى من حديث زيد بن حارثة وأسماء بنت أبى بكر باسنادين جيدين

---

(١) الممتحنة: ٤ (٢)، (٣) النحل: ٧٥، ٧٦ (٤) الكهف: ٧٠ (٥) الطور: ٣٥ (٦) ق: ٢٣ (٧) ق: ٢٧

(٨) القصص: ٢٣ (٩) النحل: ١٢٠ (١٠) الزخرف: ٢٢ (١١) هود: ٨ (١٢) يوسف: ٤٥

وكذلك قد يقع الابهام فى الحروف مثل قوله عز وجل: (فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا [١]) فالهاء الأولى كناية عن الحوافر وهى الموريات ، أى أثرن بالحوافر نقعا . والثانية كناية عن الاغارة ، وهى المغيرات صبحا فوسطن به جمعا ، جمع المشركين فاغاروا بجمعهم . وقوله تعالى (فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ [٢]) يعنى السحاب (فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ [٣]) يعنى الماء وأمثال هذا فى القرءان لا ينحصر

ومنها التدريج فى البيان . كقوله عز وجل: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ [٤]) إذ لم يظهر به انه ليل أو نهار . وبان بقوله عز وجل : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ [٥]) ولم يظهر به أى ليلة فظهر بقوله تعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ [٦]) وربما يظن فى الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات ؛ فهذا وأمثاله مما لا يغنى فيه إلا النقل والسماع ، فالقرءان من أوله إلى آخره غير خال عن هذا الجنس ، لأنه أنزل بلغة العرب ، فكان مشتملا على أصناف كلامهم من إيجاز وتطويل وإضمار وحذف وإبدال وتقديم وتأخير ليكون ذلك مفحما لهم ومعجزا فى حقهم ، فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية ، وبادر إلى تفسير القرءان ولم يستظهر بالسماع والنقل فى هذه الأمور ، فهو داخل فيمن فسر القرءان برأيه ، مثل أن يفهم من الأمة المعنى الأشهر منه ، فيميل طبعه ورأيه إليه ، فإذا سمعه فى موضع آخر مال برأيه إلى ما سمعه من مشهور معناه وترك تتبع النقل فى كثير معانيه ، فهذا ما يمكن أن يكون منهيا عنه دون التفهم لأسرار المعانى كما سبق ؛ فاذا حصل السماع بامثال هذه الامور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الألفاظ ، ولا يكفى ذلك فى فهم حقائق المعانى ، ويدرك الفرق بين حقائق المعانى وظاهر التفسير بمثال ، وهو أن الله عز وجل : قال (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى [٧]) فظاهر تفسيره واضح ، وحقيقة معناه غامض ، فانه اثبات للرمى ، ونفى له ؛ وهما متضادان فى الظاهر ، مالم يفهم انه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذى لم يرم رماه الله عز وجل ، وكذلك قال تعالى : (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ [٨]) فاذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله سبحانه هو المعذب ، وان كان الله تعالى هو المعذب بتحريك أيديهم ؛ فما معنى أمرهم بالقتال ؟ فحقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات

---

(١) العاديات : ٤ ، ٥ (٢ ، ٣) الاعراف : ٥٧ (٤) البقرة : ١٨٥ (٥) الدخان : ٣ (٦) القدر : ١
(٧) الانفال : ١٧ (٨) التوبة : ١٤

لا يغنى عنه ظاهر التفسير ، وهو أن يعلم وجه ارتباط الأفعال بالقدرة الحادثة ، ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله عز وجل حتى ينكشف بعد ايضاح أمور كثيرة غامضة صدقُ قوله عز وجل : (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى [1]) ولعل العمر لو أنفق فى استكشاف أسرار هذا المعنى ، وما يرتبط بمقدماته ولواحقه ، لانقضى العمر قبل استيفاء جميع لواحقه ، وما من كلمة من القرءان إلا وتحقيقها مُحوِج إلى مثل ذلك ، وإنما ينكشف للراسخين فى العلم من أسراره بقدر غزارة علومهم ، وصفاء قلوبهم ، وتوفر دواعيهم على التدبر ، وتجردهم للطلب ، ويكون لكل واحد حد فى الترقى إلى درجة أعلى منه ، فاما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والاشجار أقلاما ، فاسرار كلمات الله لانهاية لها ، فتنفد الابحر قبل أن تنفد كلمات الله عز وجل ، فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق فى الفهم بعد الاشتراك فى معرفة ظاهر التفسير ، وظاهر التفسير لايغنى عنه ، ومثاله فهم بعض أرباب القلوب من قوله صلى الله عليه وسلم [1] فى سجوده « أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » أنه قيل له اسجد واقترب ، فوجد القرب فى السجود فنظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض ، فان الرضا والسخط وصفان ، ثم زاد قربه فاندرج القرب الأول فيه فرقى إلى الذات ، فقال « أَعُوذُ بِكَ مِنْكَ » ثم زاد قربه بما استحيا به من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء فأثنى بقوله « لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ » ثم علم أن ذلك قصور فقال « أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » فهذه خواطر تفتح لأرباب القلوب ، ثم لها أغوار وراء هذا ، وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ، ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به ، وأسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه ، وليس هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ، ووصول إلى لبابه عن ظاهره ، فهذا ما نورده لفهم المعانى الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله أعلم :

تم كتاب آداب التلاوة ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة على محمد خاتم النبيين ، وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين ، وعلى آل محمد وصحبه وسلم . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأذكار والدعوات ، والله المستعان لا رب سواه

---

(١) حديث قوله صلى الله عليه وسلم فى سجوده أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك . الحديث : مسلم من حديث عائشة

(١) الأنفال : ١٧

كتاب الأذكار والدعوات

كتاب الأذكار والدعوات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الشاملة رأفته ، العامة رحمته ، الذى جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال تعالى : (فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ [1]) ورغبهم فى السؤال والدعاء بامره فقال (ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ [2]) فأطمع المطيع والعاصى والدانى والقاصى فى الانبساط إلى حضرة جلاله ، برفع الحاجات والأمانى ، بقوله (فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ [3]) والصلاة على محمد سيد أنبيائه ، وعلى آله وأصحابه خيرة أصفيائه ، وسلم تسليما كثيرا

أما بعد : فليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل عبادة تؤدى باللسان أفضل من ذكر الله تعالى ، ورفع الحاجات بالادعية الخالصة إلى الله تعالى ، فلابد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل فى أعيان الاذكار ، وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه ، ونقل المأثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها ، ويتحرر المقصود من ذلك بذكر أبواب خمسة

الباب الأول : فى فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلا

الباب الثانى : فى فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

الباب الثالث : فى أدعية مأثورة ومعزية إلى أصحابها وأسبابها

الباب الرابع : فى أدعية منتخبة محذوفة الاسناد من الادعية المأثوره

الباب الخامس : فى الأدعية المأثورة عند حدوث الحوادث

الباب الأول

فى فضيلة الذكر وفائدته على الجملة والتفصيل من الآيات والأخبار والآثار

ويدل على فضيلة الذكر على الجملة من الآيات قوله سبحانه وتعالى : (فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ [4]) قال ثابت البنانى رحمه الله . انى أعلم متى يذكرنى ربى عز وجل ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك ؟ فقال إذا ذكرته ذكرنى ، وقال تعالى : (اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا [5]) وقال تعالى (فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ [6])

---

(١) البقرة : ١٥٢ (٢) غافر : ٦٠ (٣) البقرة : ١٨٦ (٥) الأحزاب : ٤١ (٦) البقرة : ١٩٨

وقال عزوجل : (فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً [1]) وقال تعالى: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ [2]) وقال تعالى : (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ [3]) قال ابن عباس رضى الله عنهما أى بالليل والنهار فى البر والبحر ، والسفر والحضر ، والغنى والفقر ، والمرض والصحة ، والسر والعلانية ، وقال تعالى فى ذم المنافقين (وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً [4]) وقال عز وجل : (وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ . [5]) وقال تعالى : (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ [6]) قال ابن عباس رضى الله عنهما له وجهان ، أحدهما . أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه ، والآخر . أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه ، إلى غير ذلك من الآيات

وأما الأخبار : فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذَاكِرُ اللهِ فِي الْغَافِلِينَ كَالشَّجَرَةِ الْخَضْرَاءِ فِي وَسَطِ الْهَشِيمِ [1] » وقال صلى الله عليه وسلم : « ذَاكِرُ اللهِ فِي الْغَافِلِينَ كَالْمُقَاتِلِ بَيْنَ الْفَارِّينَ » وقال صلى الله عليه وسلم [2] يقول الله عز وجل : « أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ شَفَتَاهُ بِي » وقال صلى الله عليه وسلم : [3] « مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ مِنْ عَمَلٍ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ » قالوا يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال : « وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا أَنْ تَضْرِبَ بِسَيْفِكَ حَتَّى يَنْقَطِعَ ثُمَّ تَضْرِبَ بِهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ ثُمَّ تَضْرِبَ بِهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ » وقال صلى الله عليه وسلم : [4] « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْتَفِعَ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ فَلْيُكْثِرْ

---

(١) حديث ذاكر الله فى الغافلين كالشجرة الخضراء فى وسط الهشيم : أبو نعيم فى الحلية والبيهقي فى الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقال فى وسط الشجر ـ الحديث

(٢) حديث يقول الله تعالى أنا مع عبدى ماذكرنى وتحركت بى شفتاه : هـ حب من حديث أبى هريرة وك من حديث أبى الدرداء وقال صحيح الأسناد

(٣) حديث ماعمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يارسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثلاث مرات : ابن أبى شيبة فى المصنف والطبرانى من حديث معاذ باسناد حسن

(٤) حديث من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى : ابن أبى شيبة فى المصنف والطبرانى من حديث معاذ بسند ضعيف ورواه الطبرانى فى الدعاء من حديث أنس وهو عند ت بلفظ إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا : وقد تقدم فى الباب الثالث من العلم

---

(١) البقرة : ٢٠٠ (٢) آل عمران : ١٩١ (٣) النساء : ١٠٣ (٤) النساء : ١٤٢ (٥) الاعراف : ٢٠٥
(٦) العنكبوت : ٤٥

ذِكْرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ » وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) أى الأعمال أفضل؟ فقال: «أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ بِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ» وقال صلى الله عليه وسلم: (٢) «أَصْبِحْ وَأَمْسِ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ بِذِكْرِ اللهِ تُصْبِحُ وَتُمْسِي وَلَيْسَ عَلَيْكَ خَطِيئَةٌ» وقال صلى الله عليه وسلم: (٣) « لَذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ أَفْضَلُ مِنْ حَطْمِ السُّيُوفِ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمِنْ إِعْطَاءِ الْمَالِ سُحًّا » وقال صلى الله عليه وسلم (٤) يقول الله تبارك وتعالى : « إِذَا ذَكَرَنِي عَبْدِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِذَا ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْ مَلَئِهِ وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِذَا مَشَى إِلَيَّ هَرْوَلْتُ إِلَيْهِ » يعنى بالهرولة سرعة الاجابة وقال صلى الله عليه وسلم (٥) «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ » من جملتهم « رَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ » وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (٦) « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الْوَرِقِ وَالذَّهَبِ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُونَ أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُونَ أَعْنَاقَكُمْ » قالوا وماذاك يارسول الله؟ قال « ذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ دَائِمًا » وقال صلى الله عليه وسلم (٧) قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ،

---

(١) حديث سئل أى الأعمال أفضل قال أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى: حب وطب فى الدعاء والبيهقى فى الشعب من حديث معاذ

(٢) حديث أمس وأصبح ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسى وليس عليك خطيئة: أبو القاسم الاصبهانى فى الترغيب والترهيب من حديث أنس من أصبح وأمسى ولسانه رطب من ذكر الله يمسى ويصبح وليس عليه خطيئة وفيه من لا يعرف

(٣) حديث لذكر الله بالغداة والعشى أفضل من حطم السيوف فى سبيل الله ومن اعطاء المال سحا: رويناه من حديث أنس بسند ضعيف فى الاصل وهو معروف من قول ابن عمر كما رواه ابن عبد البر فى التمهيد

(٤) حديث قال الله عز وجل اذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى ـ الحديث: متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٥) حديث سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه: متفق عليه من حديث أبى هريرة أيضا

(٦) حديث ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم ـ الحديث : ت هـ ك وصحح اسناده من حديث أبى الدرداء

(٧) حديث قال الله تعالى من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين : خ فى التاريخ والبزار فى المسند والبيهقى فى الشعب من حديث عمر بن الخطاب وفيه صفوان بن أبى الصفا ذكره حب فى الضعفاء وفى الثقات أيضا

وأما الآثار: فقد قال الفضيل : بلغنا أن الله عز وجل قال : عبدى، اذكرنى بعد الصبح ساعة ، وبعد العصر ساعة ، أكفك ما بينهما . وقال بعض العلماء : ان الله عز وجل يقول : أيما عبد اطّلعت على قلبه ، فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى، توليت سياسته وكنت جليسه ، ومحادثه وأنيسه . وقال الحسن: الذكر ذكران ، ذكر الله عز وجل، بين نفسك وبين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره ، وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرّم الله عز وجل. ويروى أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا ذاكر الله عز وجل . وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ليس يتحسر أهل الجنة على شيء، الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها . والله تعالى أعلم

فضيلة مجالس الذكر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِساً يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ تَعَالَى فِيمَنْ عِنْدَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللهَ تَعَالَى لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ قُومُوا مَغْفُوراً لَكُمْ قَدْ بُدِّلَتْ لَكُمْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ » وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم (٣) « مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَداً لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقال داود صلى الله عليه وسلم : « إِلَهِي إِذَا رَأَيْتَنِي أُجَاوِزُ مَجَالِسَ الذَّاكِرِينَ إِلَى مَجَالِسِ الْغَافِلِينَ فَاكْسِرْ رِجْلِي دُونَهُمْ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ تُنْعِمُ بِهَا عَلَيَّ » وقال صلى الله عليه وسلم (٤): « الْمَجْلِسُ الصَّالِحُ يُكَفِّرُ عَنِ الْمُؤْمِنِ أَلْفَ أَلْفِ مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ السُّوءِ »

---

(١) حديث ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله تعالى الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده : م من حديث أبى هريرة

(٢) حديث ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات: أحمد وأبو يعلى والطبرانى بسند ضعيف من حديث أنس

(٣) حديث ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فيه الا كان عليهم حسرة يوم القيامة: ت وحسنه من حديث أبى هريرة

(٤) حديث المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألف ألف مجلس من مجالس السوء : ذكره صاحب الفردوس من حديث ابن وداعة وهو مرسل ولم يخرجه ولده وكذلك لم أجد له أسنادا

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : إن أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض التى يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم . وقال سفيان بن عيينة رحمه الله ، إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى ، اعتزل الشيطان والدنيا ، فيقول الشيطان للدنيا الا ترين مايصنعون ؟ فتقول الدنيا دعهم فانهم إذا تفرقوا أخذت بأعناقهم إليك .[1] وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أنه دخل السوق وقال : اراكم هاهنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فى المسجد ! فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق ، فلم يرو ميراثا ، فقالوا ياأبا هريرة مارأينا ميراثا يقسم فى المسجد ، قال فماذا رأيتم ؟ قالوا رأينا قوما يذكرون الله عزوجل ويقرؤن القرءان ، قال فذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم

وروى الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال[2] « إِنَّ لِلّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَلائِكَةً سَيَّاحِينَ فِى الْأَرْضِ فَضْلاً عَنْ كُتَّابِ النَّاسِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْماً يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى بُغْيَتِكُمْ . فَيَجِيئُونَ فَيَحُفُّونَ بِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى . أَىَّ شَىْءٍ تَرَكْتُمْ عِبَادِى يَصْنَعُونَهُ . فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ يَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ وَيُسَبِّحُونَكَ . فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهَلْ رَأَوْنِى فَيَقُولُونَ لَا . فَيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِى فَيَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ لَكَانُوا أَشَدَّ تَسْبِيحاً وَتَحْمِيداً وَتَمْجِيداً . فَيَقُولُ لَهُمْ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ يَتَعَوَّذُونَ . فَيَقُولُونَ مِنَ النَّارِ . فَيَقُولُ تَعَالَى وَهَلْ رَأَوْهَا فَيَقُولُونَ لَا فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا . فَيَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا لَكَانُوا أَشَدَّ هَرَباً مِنْهَا وَأَشَدَّ نُفُوراً . فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ . وَأَىَّ شَىْءٍ يَطْلُبُونَ ؟ فَيَقُولُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ تَعَالَى وَهَلْ رَأَوْهَا فَيَقُولُونَ لَا . فَيَقُولُ تَعَالَى فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا فَيَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا لَكَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصاً . فَيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ إِنِّى أُشْهِدُكُمْ . أَنِّى قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَيَقُولُونَ كَانَ فِيهِمْ فُلَانٌ لَمْ يُرِدْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ . فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ . هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى جَلِيسُهُمْ

---

(١) حديث أبى هريرة أنه دخل السوق وقال اراكم هاهنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فى المسجد فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق ـ الحديث : الطبرانى فى المعجم الصغير باسناد فيه جهالة أو انقطاع

(٢) حديث الاعمش عن أبى هريرة أو أبى سعيد الخدرى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله عز وجل ملائكة سياحين فى الارض فضلا عن كتاب الناس ـ الحديث : رواه من هذا الوجه والحديث فى الصحيحين من حديث أبى هريرة وحده وقد تقدم فى الباب الثالث من العلم

فضيلة التهليل

قال صلى الله عليه وسلم (١) « أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ » وقال صلى الله عليه وسلم (٣) مَا مِنْ عَبْدٍ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ » وقال صلى الله عليه وسلم (٤) « لَيْسَ عَلَى أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْشَةٌ فِي قُبُورِهِمْ وَلَا فِي نُشُورِهِمْ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ عِنْدَ الصَّيْحَةِ يَنْفُضُونَ رُؤُسَهُمْ مِنَ التُّرَابِ وَيَقُولُونَ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ » وقال صلى الله عليه وسلم (٥) أيضاً لأبي هريرة « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ إِنَّ كُلَّ حَسَنَةٍ تَعْمَلُهَا تُوزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِنَّهَا لَا تُوضَعُ فِي مِيزَانٍ لِأَنَّهَا لَوْ وُضِعَتْ فِي مِيزَانٍ مَنْ قَالَهَا صَادِقاً وَوُضِعَتِ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَا فِيهِنَّ كَانَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَرْجَحَ مِنْ ذَلِكَ »

---

(١) حديث أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله ـ الحديث : تقدم في الباب الثاني من الحج

(٢) حديث من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد علي كل شيء قدير مائة مرة الحديث : متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٣) حديث مامن عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد أن لااله الا الله ـ الحديث د من حديث عقبة بن عامر وقد تقدم في الطهارة

(٤) حديث ليس على أهل لااله الا الله وحشة في قبورهم ولا في النشور ـ الحديث : أبو يعلى والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف

(٥) حديث ياأبا هريرة ان كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة الا شهادة أن لااله الا الله فانها لاتوضع في ميزان لانها لو وضعت في ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كان لااله الا الله أرجح من ذلك قلت وصية أبي هريرة هذه موضوعة وآخر الحديث رواه المستغفري في الدعوات ولو جعلت لااله الا الله وهو معروف من حديث أبي سعيد مرفوعا لو أن السموات السبع وعمارهن غيري والارضين السبع في كفة مالت بهن لااله الا الله رواه ن في اليوم والليلة وحب و ك وصححه

وقال صلى الله عليه وسلم (١) «لَوْ جَاءَ قَائِلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ صَادِقًا بِقُرَابِ الْأَرْضِ ذُنُوبًا لَغَفَرَ اللهُ لَهُ ذَلِكَ»
وقال صلى الله عليه وسلم (٢) «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ لَقِّنِ الْمَوْتَى شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَإِنَّهَا تَهْدِمُ الذُّنُوبَ هَدْمًا» قلت يارسول الله هذا للموتى. فكيف للاحياء؟ قال صلى الله عليه وسلم هِيَ أَهْدَمُ وَأَهْدَمُ»
وقال صلى الله عليه وسلم (٣) «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الْجَنَّةَ» وقال صلى الله عليه وسلم (٤) «لَتَدْخُلُنَّ الْجَنَّةَ كُلُّكُمْ إِلَّا مَنْ أَبَى وَشَرَدَ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ شِرَادَ الْبَعِيرِ عَنْ أَهْلِهِ» فقيل يا رسول الله من الذي يأبى ويشرد عن الله قال «مَنْ لَمْ يَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَأَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا فَإِنَّهَا كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَهِيَ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ وَهِيَ كَلِمَةُ التَّقْوَى وَهِيَ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ وَهِيَ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَهِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى. وَهِيَ ثَمَنُ الْجَنَّةِ» وقال الله عز وجل (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (١))

---

(١) حديث لو جاء حامل لااله الا الله صادقا بقراب الارض ذنوبا لغفر الله له غريب بهذا اللفظ وللترمذى فى حديث لانس يقول الله يابن آدم انك لو أتيتنى بقراب الارض خطايا ثم لقيتنى لاتشرك بى شيأ لأتيتك بقرابها مغفرة ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث أنس يارب ماجزاء من هلل مخلصا من قلبه قال جزاؤه أن يكون كيوم ولدته أمه من الذنوب وفيه انقطاع

(٢) حديث ياأبا هريرة لقن الموتى شهادة أن لااله الا الله فانها تهدم الذنوب ـ الحديث : أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق ابن المقرى من حديث أبى هريرة وفيه موسى بن وردان مختلف فيه وزواه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف ورواه ابن أبى الدنيا فى المحتضرين من حديث الحسن مرسلا

(٣) حديث من قال لااله الا الله مخلصا دخل الجنة: الطبرانى من حديث زيد بن آرقم باسناد ضعيف

(٤) حديث لندخلن الجنة كلكم الا من أبى وشرد على الله شرود البعير على أهله : البخاري من حديث أبى هريرة كل أمتى يدخلون الجنة الامن أبى: زاد ك وصححها وشرد على الله شرود البعير على أهله قال البخارى قالوا يارسول الله ومن يأبى قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى: ولابن عدى وأبى يعلى والطبرانى فى الدعاء من حديثه أكثروا من قول لااله الا الله قبل أن يحال بينكم وبينها وفيه ابن وردان أيضا ولابى الشيخ فى الثواب من حديث الحكم بن عمير الثمالى مرسلا اذا قلت لااله الا الله وهى كلمة التوحيد ـ الحديث والحكم ضعيف ولأبى بكر ابن الضحاك فى الشمائل من حديث ابن مسعود فى إجابة المؤذن اللهم رب هذه الدعوة المجابة المستجاب لها دعوة الحق وكلمة الاخلاص ولابن عدى من حديث ابن عمر فى اجابة المؤذن دعوة الحق وللطبرانى فى الدعاء عن عبد الله بن عمر وكلمة الاخلاص لااله الا الله ـ الحديث : وللطبراني من حديث سلمة بن الاكوع وألزمهم كلمة التقوى قال لااله الا الله وللطبرانى فى الدعاء عن ابن عباس كلمة طيبة قال شهادة أن لااله الا الله وله عنه فى قوله دعوة الحق قال شهادة أن لااله الا الله وله عنه فقد استمسك بالعروة الوثقى قال لااله الا الله ولابن عدى والمستغفرى من حديث أنس ثمن الجنة لااله الا الله ولا يصح شيء منها

---

(١) الرحمن : ٦٠

فقيل الاحسان فى الدنيا، قول لا إله إلا الله، وفى الآخرة الجنة . وكذا قوله تعالى: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ[1]) وروى البراء بن عازب أنه صلى الله عليه وسلم قال[1] «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ كَانَتْ لَهُ عِدْلَ رَقَبَةٍ أَوْ قَالَ نَسَمَةٍ » وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] «مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مِائَتَيْ مَرَّةٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ كَانَ قَبْلَهُ وَلَا يُدْرِكُهُ أَحَدٌ كَانَ بَعْدَهُ إِلَّا مَنْ عَمِلَ بِأَفْضَلَ مِنْ عَمَلِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَالَ فِي سُوقٍ مِنَ الْأَسْوَاقِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ »[3] ويروى أن العبد إذا قال لا إله إلا الله . أتت إلى صحيفته ، فلا تمر على خطيئة إلا محتها . حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إلى جنبها . وفى الصحيح عن أبى أيوب عن النبى صلى الله عليه وسلم[4] أنه قال « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وفى الصحيح أيضا عن عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم[5] أنه قال: « مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي غُفِرَ لَهُ أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ »

---

(١) حديث البراء من قال لااله الا الله وحده لاشريك له ـ الحديث : الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وهو فى مسند أحمد دون قوله عشر مرات

(٢) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال فى كل يوم مائة مرة لااله الا الله وحده لاشريك له ـ الحديث: أحمد بلفظ مائة وكذا رواه ك فى المستدرك واسناده جيد وهكذا هو فى بعض نسخ الاحياء

(٣) حديث ان العبد اذا قال لااله الا الله أتت الى صحيفته فلا تمر على خطيئه الا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس اليها: أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف

(٤) حديث أبى أيوب من قال لااله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد اسماعيل: متفق عليه

(٥) حديث عبادة بن الصامت من تعار من الليل فقال لااله الا الله ـ الحديث : رواه خ

---

(١) يونس : ٢٦

فضيلة التسبيح والتحميد

وبقية الأذكار

قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَبَّحَ[1] دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَحَمِدَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَكَبَّرَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَخَتَمَ الْمِائَةَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » وقال صلى الله عليه وسلم.[2] « مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ »

وروى أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] فقال : تولت عنى الدنيا ، وقلّت ذات يدى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ صَلَاةِ الْمَلَائِكَةِ وَتَسْبِيحِ الْخَلَائِقِ وَبِهَا يُرْزَقُونَ » قال فقلت وما ذا يا رسول الله ؟ قال : « قُلْ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِائَةَ مَرَّةٍ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى أَنْ تُصَلِّيَ الصُّبْحَ تَأْتِيكَ الدُّنْيَا رَاغِمَةً صَاغِرَةً وَيَخْلُقُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ كُلِّ كَلِمَةٍ مَلَكًا يُسَبِّحُ اللهَ تَعَالَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَكَ ثَوَابُهُ » وقال صلى الله عليه وسلم :[4] « إِذَا قَالَ الْعَبْدُ الْحَمْدُ لِلَّهِ مَلَأَتْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الثَّانِيَةَ مَلَأَتْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى الْأَرْضِ السُّفْلَى فَإِذَا قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الثَّالِثَةَ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : سَلْ تُعْطَ »

---

(١) حديث من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ـ الحديث : م من حديث أبى هريرة

(٢) حديث من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر : متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٣) حديث ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال تولت عنى الدنيا وقلت ذات يدى فقال رسول الله عليه وسلم فأين أنت عن صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون ـ الحديث : المستغفرى فى الدعوات من حديث ابن عمر وقال غريب من حديث مالك ولا أعرف له أصلا فى حديث مالك ولاحمد من حديث عبد الله بن عمرو ان نوحا قال لابنه آمرك بلا إله الا الله ـ الحديث ثم قال وسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شىء وبها يرزق الخلق واسناده صحيح

(٤) حديث اذا قال العبد الحمد لله ملأت مابين السماء والارض واذا قال الحمد لله الثانية ملأت مابين السماء السابعة الى الارض واذا قال الحمد لله الثالثة قال الله تعالى سل تعط : غريب بهذا اللفظ لم أجده

قال رفاعة الزرقى كنا يوما نصلى وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] فلما رفع رأسه من الركوع ، وقال سمع الله لمن حمده ، قال رجل وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربنا لك الحمد ، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاته قال « مَنِ الْمُتَكَلِّمُ آنِفاً ؟ » قال أنا يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم : « لَقَدْ رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلاثِينَ مَلَكاً يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلاً » وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : [٢] « الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ هُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَسُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ لِلهِ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ » وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « مَا عَلَى الْأَرْضِ رَجُلٌ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ إِلَّا غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » رواه ابن عمر . وروى النعمان بن بشير عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: [٤] «الَّذِينَ يَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللهِ وَتَسْبِيحِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَحْمِيدِهِ يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ يَذْكُرُونَ بِصَاحِبِهِنَّ أَوَلَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ لَا يَزَالُ عِنْدَ اللهِ مَا يَذْكُرُ بِهِ » وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم [٥] قال: « لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ » وفى رواية أخرى زاد « لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ »

---

(١) حديث رفاعة الزرقى كنا يوما نصلى وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ـ الحديث : رواه خ

(٢) حديث الباقيات الصالحات هن لا اله الا الله وسبحان الله والله أكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله ن فى اليوم والليلة وحب ك وصححه من حديث أبى سعيد و ن ك من حديث أبى هريرة دون قوله ولا حول ولا قوة الا بالله

(٣) حديث ماعلى الأرض رجل يقول لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله الا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر : ك من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم وهو عند ت وحسنه و ن فى اليوم والليلة مختصرا دون قوله سبحان الله والحمد لله

(٤) حديث النعمان بن بشير الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتمجيده وتهليله وتحميده ينعطف حول العرش له دوى كدوى النحل يذكر بصاحبه ـ الحديث: ه و ك وصححه على شرط م

(٥) حديث أبى هريرة لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب الى مما طلعت عليه الشمس وزاد فى رواية ولا حول ولا قوة الا بالله وقال خير من الدنيا ومافيها: م باللفظ الأول وللمستغرق فى الدعوات من رواية مالك بن دينار ان أبا أمامة قال النبي صلى الله عليه وسلم قلت سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر خير من الدنيا ومافيها قال أنت أغنم القوم وهو مرسل جيد الاسناد

وَقَالَ هِيَ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» وقال صلى الله عليه وسلم:(١) «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ» رواه سمرة بن جندب وروى أبو مالك الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) كان يقول: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللهِ وَاللهُ أَكْبَرُ تَمْلَآنِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ. كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو. فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقُهَا. أَوْ مُشْتَرٍ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا. وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(٣) كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ» وقال أبو ذر رضي الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم(٤) أي الكلام أحب إلى الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم: «مَا اصْطَفَى اللهُ سُبْحَانَهُ لِمَلَائِكَتِهِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ» وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(٥) «إِنَّ اللهَ تَعَالَى اصْطَفَى مِنَ الْكَلَامِ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ سُبْحَانَ اللهِ كُتِبَتْ لَهُ عِشْرُونَ حَسَنَةً وَتُحَطُّ عَنْهُ عِشْرُونَ سَيِّئَةً وَإِذَا قَالَ اللهُ أَكْبَرُ فَمِثْلُ ذَلِكَ» وذكر إلى آخر الكلمات. وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(٦) «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ» وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال قال الفقراء لرسول الله

---

(١) حديث سمرة بن جندب أحب الكلام الى الله اربع ـ الحديث: رواه م

(٢) حديث أبي مالك الاشعري الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان ـ الحديث: رواه م وقد تقدم في الطهارة

(٣) حديث أبي هريرة كلمتان خفيفتان على اللسان ـ الحديث: متفق عليه

(٤) حديث أبي ذر أي الكلام أحب الى الله قال ما اصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم رواه م دون قوله سبحان الله العظيم

(٥) حديث أن الله اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله ـ الحديث: ن في اليوم والليلة و ك وقال صحيح على شرط م وصححه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الا انهما قالا في ثواب الحمد لله كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون سيئة

(٦) حديث جابر من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة: ت وقال حسن و ن في اليوم والليلة وحب و ك وقال صحيح على شرط م وصحح

صلى الله عليه وسلم [١] ذهب أهل الدثور بالأجور ، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم، فقال « أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ بِهِ إِنَّ لَكُمْ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً وَتَحْمِيدَةٍ وَتَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً وَتَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً وَأَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ وَيَضَعُ أَحَدُكُمُ اللُّقْمَةَ فِي فِي أَهْلِهِ فَهِيَ لَهُ صَدَقَةٌ وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ » قالوا يارسول الله يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال صلى الله عليه وسلم « أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ قَالُوا نَعَمْ. قَالَ كَذَلِكَ إِنْ وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ » وقال أبو ذر رضي الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] « سَبَقَ أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِالْأَجْرِ . يَقُولُونَ كَمَا نَقُولُ وَيُنْفِقُونَ وَلَا نُنْفِقُ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنْتَ عَمِلْتَهُ أَدْرَكْتَ مَنْ قَبْلَكَ ، وَفُقْتَ مَنْ بَعْدَكَ إِلَّا مَنْ قَالَ مِثْلَ قَوْلِكَ تُسَبِّحُ اللهَ بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ » . وروت بسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم [٣] أنه قال « عَلَيْكُنَّ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيسِ فَلَا تَغْفُلْنَ وَاعْقِدْنَ بِالْأَنَامِلِ فَإِنَّهَا مُسْتَنْطَقَاتٌ » يعني بالشهادة في القيامة . وقال ابن عمر رأيته صلى الله عليه وسلم [٤] يعقد التسبيح . وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما شهد عليه أبو هريرة وأبو سعيد الخدري [٥] « إِذَا قَالَ الْعَبْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ ، وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ قَالَ تَعَالَى صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي لَا شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

---

(١) حديث أبي ذر قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي الحديث : رواه م

(٢) حديث أبي در قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبق أهل الاموال بالاجر يقولون كما نقول وينفقون ولا ننفق ـ الحديث : رواه ه الا أنه قال قال سفيان لاأدري أيتهن أربع ولاحمد في هذا الحديث وتحمد أربعا وثلاثين واسنادها جيد ولأبي الشيخ في الثواب من حديث أبي الدرداء وتكبر أربعا وثلاثين كما ذكر المصنف

(٣) حديث بسرة عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ولا تغفلن واعقدن بالانامل فانها مستنطقات : د ت ك باسناد جيد

(٤) حديث ابن عمر رأيته صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح قلت انما هو عبد الله بن عمرو بن العاص: كما رواه د ن ت وحسنه و ك

(٥) حديث أبي هريرة وأبي سعيد إذا قال العبد لا إله الا الله والله أكبر قال الله صدق عبدي ـ الحديث: ت وقال حسن و ن في اليوم والليلة و ه ك وصححه

وَلَاحَوْلَ وَلَاقُوَّةَ إِلَّابِاللهِ يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ صَدَقَ عَبْدِي لَاحَوْلَ وَلَاقُوَّةَ إِلَّابِي وَمَنْ قَالَهُنَّ عِنْدَ الْمَوْتِ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ » وروى مصعب بن سعد عن أبيه عنه صلى الله عليه وسلم (١) أنه قال أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ فَقِيلَ كَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يُسَبِّحُ اللهَ تَعَالَى مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ وَيُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ سَيِّئَةٍ » وقال صلى الله عليه وسلم: (٢) « يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ أَوْ يَا أَبَا مُوسَى أَوَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ قَالَ بَلَى قَالَ قُلْ لَاحَوْلَ وَلَاقُوَّةَ إِلَّابِاللهِ » وفي رواية أخرى « أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَةً مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ . لَاحَوْلَ وَلَاقُوَّةَ إِلَّابِاللهِ » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (٣) « أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ قَوْلِ لَاحَوْلَ وَلَاقُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى أَسْلَمَ عَبْدِي وَاسْتَسْلَمَ » وقال صلى الله عليه وسلم: (٤) « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِالْقُرْآنِ إِمَامًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا وَرَسُولًا كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُرْضِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وفي رواية « مَنْ قَالَ ذَلِكَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ »

وقال مجاهد إذا خرج الرجل من بيته، فقال بسم الله ، قال الملك هديت، فإذا قال. توكلت على الله قال الملك كفيت ، وإذا قال لاحول ولاقوة إلا بالله ، قال الملك وقيت فتتفرق عنه الشياطين فيقولون ماتريدون من رجل ، قد هدى وكفى ووقى لاسبيل لكم إليه

فان قلت : فما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان ، وقلة التعب فيه ، صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها

---

(١) حديث مصعب بن سعد عن أبيه أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة ـ الحديث : م الا أنه قال أو يحط كما ذكره المصنف وقال حسن صحيح

(٢) حديث ياعبد الله بن قيس أو ياأبا موسى ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لاحول ولا قوة الا بالله : متفق عليه

(٣) حديث أبي هريرة عمل من كنز الجنة ومن تحت العرش قول لاحول ولا قوة الا بالله يقول الله أسلم عبدى واستسلم: ن فى اليوم والليلة و ك من قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله قال أسلم عبدى واستسلم وقال صحيح الاسناد

(٤) حديث من قال حين يصبح رضيت بالله ربا ـ الحديث : د ن فى اليوم والليلة و ك وقال صحيح الاسناد من حديث خادم النبى صلى الله عليه وسلم ورواه ت من حديث ثوبان وحسنه وفيه نظر ففيه سعد بن المرزبان ضعيف جدا .

فاعلم أن تحقيق هذا لا يليق إلا بعلم المكاشفة . والقدر الذى يسمح بذكره فى علم المعاملة أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب ، فاما الذكر باللسان والقلب لاه فهو قليل الجدوى ، وفى الأخبار ما يدل عليه أيضاً [1] وحضور القلب فى لحظة بالذكر والذهول عن الله عز وجل مع الاشتغال بالدنيا أيضا قليل الجدوى ، بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أو فى أكثر الاوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات ، وهو غاية ثمرة العبادات العملية ، وللذكر أول وآخر ، فأوله يوجب الانس والحب ، وآخره يوجبه الانس والحب ويصدر عنه ، والمطلوب ذلك الانس والحب ؛ فان المريد فى بداية أمره قد يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى ذكر الله عز وجل ، فان وفق للمداومة أنس به وانغرس فى قلبه حب المذكور . ولا ينبغى أن يتعجب من هذا فان من المشاهد فى العادات أن تذكر غائبا غير مشاهد بين يدى شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيحبه ، وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ، ثم إذا عشق بكثرة الذكر المتكلف أولا صار مضطرا إلى كثرة الذكر آخرا بحيث لا يصبر عنه ، فإن من أحب شيئاً أكثر من ذكره ، ومن أكثر ذكر شيء وأن كان تكلفا أحبه ، فكذلك أول الذكر متكلف إلى أن يثمر الانس بالمذكور والحب له ، ثم يمتنع الصبر عنه آخرا فيصير الموجب موجبا والثمر مثمراً ، وهذا معنى قول بعضهم كابدت القرءان عشرين سنة ، ثم تنعمت به عشرين سنة ، ولا يصدر التنعم إلا من الانس والحب ولا يصدر الأنس إلا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعا ، فكيف يستبعد هذا ؟ وقد يتكلف الانسان تناول طعام يستبشعه أولا ، ويكابد أكله ، ويواظب عليه فيصير موافقا لطبعه حتى لا يصبر عنه ، فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف * هى النفس ماعودتها تتعود *

أى ما كلفتها أولا يصير لها طبعاً آخرا ، ثم إذا حصل الأنس بذكر الله سبحانه انقطع من غير ذكر الله ، وما سوى الله عز وجل هو الذى يفارقه عند الموت ، فلا يبقى معه فى القبر أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية . ولا يبقى إلا ذكر الله عز وجل

---

(١) حديث الدال على أن الذكر والقلب لاه قليل الجدوى: ت وقال حسن والحاكم وقال حديث مستقيم الاسناد من حديث أبى هريرة واعلموا أن الله لا يقبل الدعاء من قلب لاه

فان كان قد أنس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه ، إذ ضرورات الحاجات فى الحياة الدنيا تصد عن ذكر الله عز وجل ولا يبقى بعد الموت عائق ، فكانه خلى بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذى كان ممنوعا فيه عما به أنسه، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: (١) « إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوعِي ، أَحْبِبْ مَاأَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ » أراد به كل ما يتعلق بالدنيا ، فان ذلك يفنى فى حقه بالموت ، فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ، وانما تفنى الدنيا بالموت فى حقه إلى أن تفنى فى نفسها عند بلوغ الكتاب أجله ، وهذا الانس يتلذذ به العبد بعد موته إلى أن ينزل فى جوار الله عز وجل ، ويترقى من الذكر إلى اللقاء وذلك بعد أن يبعثر مافى القبور ويحصل مافى الصدور ، ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت ، فيقول انه أعدم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل فانه لم يعدم عدما يمنع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لامن عالم الملكوت ، وإلى ماذكرناه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم (٢) « الْقَبْرُ إِمَّا حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ أَوْرَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ » وبقوله صلى الله عليه وسلم : (٣) « أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ خُضْرٍ » وبقوله صلى الله عليه وسلم (٤) لقتلى بدر من المشركين « يَافُلَانُ يَافُلَانُ » وقد سماهم النبى صلى الله عليه وسلم « هَلْ وَجَدْتُمْ مَاوَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا فَإِنِّي وَجَدْتُ مَاوَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا » فسمع عمر رضى الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كيف يسمعون وأنى يجيبون وقد جيفوا ، فقال صلى الله عليه وسلم « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَاأَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِكَلَامِي مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لَايَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا » والحديث فى الصحيح هذا قوله عليه السلام فى المشركين

---

(١) حديث ان روح القدس نفث فى روعى أحبب من أحببت فانك مفارقه : تقدم فى الكتاب السابع من العلم

(٢) حديث القبر اما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة : ت من حديث أبى سعيد بتقديم وتأخير وقال غريب قلت فيه عبيد الله بن الوليد الوصافى ضعيف

(٣) حديث أرواح الشهداء فى حواصل طيور خضر : م من حديث ابن مسعود انه سئل عن هذه الآية ـ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ـ الآية قال أما أنا قد سألنا عن ذلك فقال أرواحهم فى جوف طير خضر فلم يسم فيه النبي صلى الله عليه وسلم وفى رواية ت أما أنا سألنا عن ذلك فأخبرنا وذكر صاحب مسند الفردوس ان ابن منيع صرح برفعه فى مسنده

(٤) حديث ندائه لقتلى بدر من المشركين يافلان يا فلان وقد سماهم انى قد وجدت ماوعدنى ربى حقا فهل وجدتم ماوعدكم ربكم حقا : م من حديث أنس ـ

فأما المؤمنون والشهداء فقد قال صلى الله عليه وسلم[1] « أَرْوَاحُهُمْ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ خُضْرٍ مُعَلَّقَةٍ تَحْتَ الْعَرْشِ » وهذه الحالة وما أشير بهذه الألفاظ إليه لا ينافي ذكر الله عز وجل وقال تعالى : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ[1]) الآية ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة ، لأن المطلوب الخاتمة ونعني بالخاتمة وداعَ الدنيا والقدوم على الله ، والقلبُ مستغرق بالله عز وجل منقطعُ العلائق عن غيره ، فان قدر عبد على أن يجعل همه مستغرقا بالله عز وجل ، فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة الا في صف القتال ، فانه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده ، بل من الدنيا كلها فانه يريدها لحياته ، وقد هوّن على قلبه حياته في حب الله عز وجل وطلب مرضاته ، فلا تجرد لله أعظم من ذلك ولذلك عظم أمر الشهادة ، وورد فيه من الفضائل مالا يحصى ، فمن ذلك انه لما استشهد عبدالله بن عمرو الأنصاري يوم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] لجابر « أَلَا أُبَشِّرُكَ يَا جَابِرُ قَالَ بَلَى بَشَّرَكَ اللَّهُ بِالْخَيْرِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحْيَا أَبَاكَ فَأَقْعَدَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ سِتْرٌ فَقَالَ تَعَالَى تَمَنَّ عَلَيَّ يَا عَبْدِي مَا شِئْتَ أُعْطِكَهُ فَقَالَ يَا رَبِّ أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا حَتَّى أُقْتَلَ فِيكَ وَفِي نَبِيِّكَ مَرَّةً أُخْرَى فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ سَبَقَ الْقَضَاءُ مِنِّي بِأَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ » ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة ، فانه لو لم يقتل وبقي مدة ربما عادت شهوات الدنيا اليه وغلبت على ما استولى على قلبه من ذكر الله عز وجل ، ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الخاتمة ، فان القلب وان ألزم ذكر الله عز وجل فهو متقلب ، لا يخلو عن الالتفات إلى شهوات الدنيا ، ولا ينفك عن فترة تعتريه ، فاذا تمثل في آخر الحال في قلبه أمر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا ، والحالة هذه ، فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيحن بعد الموت اليه ، ويتمنى الرجوع إلى الدنيا ، وذلك لقلة حظه في الآخرة ، إذ يموت المرء على ما عاش عليه ، ويحشر على ما مات عليه ، فأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة ،

---

(١) حديث أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش : هـ من حديث كعب بن مالك ان أرواح المومنين في طير خضر تعلق بشجر الجنة وروى ن بلفظ انما نسمة المؤمن طائر ورواه ت بلفظ أرواح الشهداء وقال حسن صحيح

(٢) حديث ألا أبشرك ياجابر قال بلى بشرك الله بالخير قال ان الله أحيا أباك وأقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمن علي ـ الحديث : ت وقال حسن و هـ ك وصحح اسناده من حديث جابر

---

(١) آل عمران : ١٦٩ ، ١٧٠ .

إذا لم يكن قصد الشهيد [١] نيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك كما ورد به الخبر ، بل حب الله عز وجل ، وإعلاء كلمته ، فهذه الحالة هى التى عبر عنها بأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة ، ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة وحالة الشهيد توافق معنى قولك ، لا إله إلا الله ، فانه لامقصود له سوى الله عز وجل وكل مقصود معبود ، وكل معبود إله ، فهذا الشهيد قائل بلسان حاله لا إله إلا الله، إذ لامقصود له سواه، ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فأمره فى مشيئة الله عز وجل ولا يؤمن فى حقه الخطر ، ولذلك فضّل رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] « قَوْلَ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ عَلَى سَائِرِ الْأَذْكَارِ » وذكر ذلك مطلقا فى مواضع الترغيب ، ثم ذكر فى بعض المواضع الصدق والاخلاص فقال مرة من قال لا إله إلا الله مخلصاً ومعنى الاخلاص مساعدة الحال للمقال .

فنسأل الله تعالى ، أن يجعلنا فى الخاتمة من أهل لا إله إلا الله حالاً ومقالاً ، وظاهراً وباطناً حتى نودع الدنيا غير ملتفتين إليها ، بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله، فان من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، فهذه مرامز إلى معانى الذكر التى لا يمكن الزيادة عليها فى علم المعاملة .

الباب الثانى

فى آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية المأثورة وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فضيلة الدعاء

قال الله تعالى : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى [١]) وقال تعالى : (أُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ [٢])

---

(١) حديث الرجل يقاتل لنيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك : متفق عليه من حديث أبى موسى قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن فى سبيل الله قال من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله

(٢) حديث تفضيل لا اله الا الله على سائر الاذكار : ت وقال حسن و ن فى اليوم والليلة و همن حديث جابر .

(١) البقرة : ١٨٦ (٢) الاعراف : ٥٥

وقال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ[1]) وقال عز وجل: (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى[2])

وروى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم[1] أنه قال « إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ. ثُمَّ قَرَأَ ـ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ » الآية. وقال صلى الله عليه وسلم[2] « الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ » وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم[3] قال « لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الدُّعَاءِ » وقال صلى الله عليه وسلم[4] « إِنَّ الْعَبْدَ لَا يُخْطِئُهُ مِنَ الدُّعَاءِ إِحْدَى ثَلَاثٍ إِمَّا ذَنْبٌ يُغْفَرُ لَهُ وَإِمَّا خَيْرٌ يُعَجَّلُ لَهُ وَإِمَّا خَيْرٌ يُدَّخَرُ لَهُ » وقال أبو ذر رضي الله عنه، يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح، وقال صلى الله عليه وسلم[5] « سَلُوا اللهَ تَعَالَى مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ انْتِظَارُ الْفَرَجِ »

آداب الدعاء

وهي عشرة

الأول: أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة، كيوم عرفة من السنة، ورمضان من الأشهر، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من ساعات الليل، قال تعالى: (وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ[3]). وقال صلى الله عليه وسلم[6] « يَنْزِلُ اللهُ تَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ فَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي

﴿ الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله ﴾

(١) حديث النعمان بن بشير ان الدعاء هو العبادة: أصحاب السنن و ك وقال صحيح الاسناد وقال ت حسن صحيح

(٢) حديث الدعاء مخ العبادة: ت من حديث أنس وقال غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث بن لهيعة

(٣) حديث أبي هريرة ليس شيء أكرم عند الله من الدعاء: ت وقال غريب و ه حب ك وقال صحيح الاسناد

(٤) حديث ان العبد لا يخطئه من الدعاء احدى ثلاث اما ذنب يغفر له واما خير يعجل له واما خير يدخر له: الديلمي في الفردوس من حديث أنس وفيه روح بن مسافر عن أبان بن أبي عياش وكلاهما ضعيف: ولأحمد و خ في الادب والحاكم وصحح اسناده من حديث أبي سعيد اما أن تعجل له دعوته واما أن يدخر له في الآخرة واما أن يدفع عنه من السوء مثلها

(٥) حديث سلوا الله من فضله فان الله يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج: ت من حديث ابن مسعود وقال حماد بن واقد ليس بالحافظ قلت وضعفه ابن معين وغيره.

(٦) حديث ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل ـ الحديث: متفق عليه من حديث أبي هريرة.

(١) غافر: ٦٠ (٢) الاسراء: ١١٠ (٣) الذاريات: ١٨

فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ » . وقيل إن يعقوب صلى الله عليه وسلم انما قال (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي[1]) ليدعو في وقت السحر، فقيل : انه قام في وقت السحر يدعو، وأولاده يؤمنون خلفه ، فأوحى الله عز وجل إليه ، أني قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء

الثاني : أن يغتنم الاحوال الشريفة . قال أبو هريرة رضى الله عنه . إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله تعالى ، وعند نزول الغيث ، وعند اقامة الصلوات المكتوبة ، فاغتنموا الدعاء فيها ، وقال مجاهد . إن الصلاة جعلت في خير الساعات ، فعليكم بالدعاء خلف الصلوات ، وقال صلى الله عليه وسلم[1] « الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لَا يُرَدُّ » وقال صلى الله عليه وسلم[2] أيضاً « الصَّائِمُ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُ » وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضاً ، إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه ، وفراغه من المشوّشات ، ويوم عرفة ويوم الجمعة ، وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله عز وجل ، فهذا أحد أسباب شرف الأوقات سوى مافيها من أسرار لايطلع البشر عليها ، وحالة السجود أيضاً أجدر بالاجابة ، قال أبو هريرة رضى الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم[3] « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا فِيهِ مِنَ الدُّعَاءِ » وروى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم[4] أنه قال « إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعاً أَوْ سَاجِداً فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ تَعَالَى وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِيهِ بِالدُّعَاءِ فَإِنَّهُ قَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ »

الثالث : أن يدعو مستقبل القبلة ، ويرفع يديه بحيث يرى بياض ابطيه ، وروى جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم[5] « أَتَى الْمَوْقِفَ بِعَرَفَةَ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَلَمْ يَزَلْ

---

(١) حديث الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد : د ن في اليوم والليلة و ت وحسنه من حديث أنس وضعفه ابن عدي وابن القطان ورواه في اليوم والليلة باسناد آخر جيد وحب و ك وصححه

(٢) حديث الصائم لاترد دعوته : ت وقال حسن و ه من حديث أبي هريرة بزيادة فيه

(٣) حديث أبي هريرة أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء : رواه م

(٤) حديث ابن عباس انى نهيت أن أقرأ القرءان راكعا أو ساجدا ـ الحديث : م أيضا

(٥) حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس : م دون قوله يدعو فقال مكانها واقفا و ن من حديث أسامة بن زيد كنت ردفه بعرفات فرفع يديه يدعو ورجاله ثقات

---

(١) يوسف : ٩٨

يَدْعُو حَتَّى غَرُبَتِ الشَّمْسُ » . وقال سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] « إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبِيدِهِ إِذَا رَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهَا صِفْرًا » . وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم[٢] « كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ حَتَّى يُرَى بَيَاضُ إِبْطَيْهِ فِي الدُّعَاءِ وَلَا يُشِيرُ بِأُصْبُعِهِ » وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم[٣] مر على انسان يدعو ويشير باصبعيه السبابتين فقال صلى الله عليه وسلم « أَحَدٌ أَحَدٌ » أى اقتصر على الواحدة . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ارفعوا هذه الايدى قبل أن تغل بالاغلال

ثم ينبغى أن يمسح بهما وجهه فى آخر الدعاء . قال عمر رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤] « إِذَا مَدَّ يَدَيْهِ فِي الدُّعَاءِ لَمْ يَرُدَّهُمَا حَتَّى يَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ » وقال ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم[٥] « إِذَا دَعَا ضَمَّ كَفَّيْهِ وَجَعَلَ بُطُونَهُمَا مِمَّا يَلِي وَجْهَهُ » فهذه هيآت اليد . ولا يرفع بصره إلى السماء . قال صلى الله عليه وسلم[٦] « لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ رَفْعِ أَبْصَارِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ عِنْدَ الدُّعَاءِ أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ »

الرابع : خفض الصوت بين المخافتة والجهر . لما روى أن أباموسى الأشعرى . قال قدمنا مع رسول الله . فلما دنونا من المدينة كبر وكبر الناس ورفعوا أصواتهم . فقال النبى صلى الله عليه وسلم[٧] « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ لَيْسَ بِأَصَمَّ وَلَا غَائِبٍ إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَعْنَاقِ رِكَابِكُمْ »

---

(١) حديث سلمان إن ربكم حيى كريم يستحى من عبده اذا رفع يديه أن يردهما صفرا : د ت وحسنه و ه ك وقال أسناد صحيح على شرطها

(٢) حديث أنس كان يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه فى الدعاء ولا يشير باصبعه: م دون قوله ولا يشير باصبعه والحديث : متفق عليه لكن مقيد بالاستسقاء

(٣) حديث أبى هريرة مر على انسان يدعو باصبعيه السبابتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد أحد: ن وقال حسن و ه ك وقال صحيح الاسناد.

(٤) حديث عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه فى الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه ت وقال غريب و ك فى المستدرك وسكت عليه وهو ضعيف

(٥) حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلى وجهه: الطبرانى فى الكبير بسند ضعيف

(٦) حديث لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم الى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم : م من حديث أبى هريرة وقال عند الدعاء فى الصلاة

(٧) حديث أبى موسى الأشعرى يأيها الناس ان الذى تدعون ليس بأصم ولا غائب : متفق عليه مع اختلاف واللفظ الذى ذكره المصنف لابى داود

قالت عائشة رضي الله عنها في قوله عز وجل [1] (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا [1]) أي بدعائك . وقد أثنى الله عز وجل على نبيه زكرياء عليه السلام حيث قال : (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا [2]) وقال عز وجل : (أُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً [3])

الخامس : أن لا يتكلف السجع في الدعاء . فان حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه ، قال صلى الله عليه وسلم [2] « سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ » وقد قال عز وجل: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ [4]) قيل معناه التكلف للاسجاع ؛ والاولى أن لا يجاوز الدعوات المأثورة فانه قد يعتدى في دعائه ، فيسأل ما لا تقتضيه مصلحته ، فما كل أحد يحسن الدعاء ، ولذلك روى عن مُعاذ رضي الله عنه . أن العلماء يحتاج إليهم في الجنة . اذ يقال لأهل الجنة تمنوا ، فلا يدرون كيف يتمنّون حتى يتعلموا من العلماء ، وقد قال صلى الله عليه وسلم [3] « إِيَّاكُمْ وَالسَّجْعَ فِي الدُّعَاءِ حَسْبُ أَحَدِكُمْ . أَنْ يَقُولَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ » وفي الخبر « سَيَأْتِي قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ وَالطُّهُورِ » ومر بعض السلف بقاص يدعو بسجع ، فقال له . أَعَلَى الله تبالغ ؟ أشهد لقد رأيت حبيباً العجمي يدعو وما يزيد على قوله . اللهم اجعلنا جيدين ، اللهم لا تفضحنا يوم القيامة ، اللهم وفقنا للخير ، والناس يدعون من كل ناحية وراءه ، وكان يعرف بركة دعائه ، وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار ، لا بلسان الفصاحة والانطلاق ، ويقال ان العلماء والابدال لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات فما دونها ، ويشهد له آخر سورة البقرة ، فإن الله تعالى لم يخبر في موضع من أدعية عباده أكثر من ذلك

---

(١) حديث عائشة في قوله تعالى ـ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ـ أي بدعائك : متفق عليه

(٢) حديث سيكون قوم يعتدون في الدعاء وفي رواية والطهور : د هـ حب ك من حديث عبد الله بن مغفل

(٣) حديث اياكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل : غريب بهذا السياق وللبخاري عن ابن عباس وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فاني عهدت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفعلون الا ذلك : و هـ ك واللفظ له وقال صحيح الاسناد من حديث عائشة عليك بالكوامل وفيه وأسألك الجنة الى آخره

---

(١) الاسراء : ١١٠ (٢) مريم : ٣ (٣، ٤) الاعراف : ٥٥

واعلم أن المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام ، فان ذلك لا يلائم الضراعة والذلة ، وإلا ففي الأدعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله صلى الله عليه وسلم [1] « أَسْأَلُكَ الْأَمْنَ يَوْمَ الْوَعِيدِ . وَالْجَنَّةَ يَوْمَ الْخُلُودِ مَعَ الْمُقَرَّبِينَ الشُّهُودِ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ الْمُوفِينَ بِالْعُهُودِ إِنَّكَ رَحِيمٌ وَدُودٌ وَأَنَّكَ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ » وأمثال ذلك . فليقتصر على المأثور من الدعوات ، أو ليلتمس بلسان التضرع والخشوع من غير سجع وتكلف ، فالتضرع هو المحبوب عند الله عز وجل

السادس : التضرع والخشوع ، والرغبة والرهبة ، قال الله تعالى (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا [1]) وقال عز وجل : (أُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً [2]) وقال صلى الله عليه وسلم [2] « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا ابْتَلَاهُ حَتَّى يَسْمَعَ تَضَرُّعَهُ »

السابع : أن يجزم الدعاء ، ويوقن بالاجابة ، ويصدق رجاءه فيه ، قال صلى الله عليه وسلم [3] « لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ إِذَا دَعَا اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ لِيَعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ فَإِنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم [4] إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ » وقال صلى الله عليه وسلم [5] « ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ » وقال سفيان بن عيينة . لا يمنعن أحدكم

---

(١) حديث أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود انك رحيم ودود وانك تفعل ماتريد : ت من حديث ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته فذكر حديثا طويلا من جملته هذا وقال حديث غريب انتهى وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى سيء الحفظ

(٢) حديث إذا أحب الله عبد ابتلاه حتى يسمع تضرعه : أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس اذا أحب الله عبدا صب عليه البلاء صبا ـ الحديث : وفيه دعه فاني أحب أن أسمع صوته وللطبراني من حديث أبي أمامة ان الله يقول للملائكة انطلقوا إلى عبدي فصبوا عليه البلاء الحديث : وفيه فاني أحب أن أسمع صوته وسندهما ضعيف

(٣) حديث لا يقل أحدكم اللهم اغفرلي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ليعزم المسألة فانه لامكره له : متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٤) حديث اذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فان الله لايتعاظمه شيء : حب من حديث أبي هريرة

(٥) حديث ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله لايستجيب دعاء من قلب غافل : ت من حديث أبي هريرة وقال غريب : و ك وقال مستقيم الاسناد تفرد به صالح المري وهو أحد زهاد البصرة قلت لكنه ضعيف في الحديث

---

(١) الانبياء : ٩٠ (٢) الاعراف : ٥٥

من الدعاء ما يعلم من نفسه ، فان الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق ابليس لعنه الله ، إذ قال (رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ [1])

الثامن : أن يلح فى الدعاء ، ويكرره ثلاثا ، قال ابن مسعود كان عليه السلام [1] « إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا » وينبغى أن لا يستبطىء الإجابة لقوله صلى الله عليه وسلم [2] « يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ فَيَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي فَإِذَا دَعَوْتَ فَاسْأَلِ اللهَ كَثِيرًا فَإِنَّكَ تَدْعُو كَرِيمًا » : وقال بعضهم . انى أسأل الله عز وجل منذ عشرين سنة حاجة وما أجابنى وأنا أرجو الاجابة ، سألت الله تعالى أن يوفقنى لترك ما لا يعنينى ، وقال صلى الله عليه وسلم [3] « إِذَا سَأَلَ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ مَسْأَلَةً فَتَعَرَّفَ الْإِجَابَةَ فَلْيَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ وَمَنْ أَبْطَأَ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ »

التاسع : أن يفتتح الدعاء بذكر الله عز وجل ، فلا يبدأ بالسؤال . قال سلمة بن الأكوع : « مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [4] يَسْتَفْتِحُ الدُّعَاءَ إِلَّا اسْتَفْتَحَهُ بِقَوْلِ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى الْوَهَّابِ » وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله ، من أراد أن يسأل الله حاجة ، فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يسأله حاجته ، ثم يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فان الله عز وجل يقبل الصلاتين ، وهو أكرم من أن يدع ما بينهما ، وروى فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [5] أنه قال « إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَاجَةً فَابْتَدِئُوا بِالصَّلَاةِ عَلَيَّ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ فَيَقْضِي إِحْدَاهُمَا وَيَرُدُّ الْأُخْرَى » رواه أبو طالب المكى

---

(١) حديث ابن مسعود كان صلى الله عليه وسلم اذا دعا دعا ثلاثا واذا سأل سأل ثلاثا : رواه مسلم وأصله : متفق عليه

(٢) حديث يستجاب لاحدكم مالم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لى : متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٣) حديث اذا سأل أحدكم مسألة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عنه من ذلك شىء فليقل احمد لله على كل حال : البيهقى فى الدعوات من حديث أبى هريرة وللحاكم نحوه من حديث عائشة مختصرا باسناد ضعيف

(٤) حديث سلمة بن الاكوع ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا استفتحه وقال سبحان ربى العلى الأعلى الوهاب : أحمد و ك وقال صحيح الأسناد قلت فيه عمر بن راشد اليمامى ضعفه الجمهور

(٥) حديث اذا سألتم الله حاجة فابدءوا بالصلاة على فان الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيعطى احداهما ويرد الاخرى : لم أجده مرفوعا وانما هو موقوف على أبى الدرداء

---

(١) الأعراف : ١٤ ، ١٥

العاشر : وهو الأدب الباطن ، وهو الأصل فى الاجابة ، التوبة ورد المظالم والاقبال على الله عز وجل بكنه الهمة ، فذلك هو السبب القريب فى الاجابة ،فيروى عن كعب الأحبار أنه قال : أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج موسى ببنى اسرائيل يستسقى بهم ، فلم يسقوا حتى خرج ثلاث مرات ولم يسقوا ، فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أنى لااستجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمام ، فقال موسى يارب ومن هو حتى نخرجه من بيننا ، فأوحى الله عز وجل إليه ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما ، فقال موسى لبنى اسرائيل توبوا إلى ربكم بأجمعكم عن النميمة فتابوا ، فأرسل الله تعالى عليهم الغيث ، وقال سعيد بن جبير . قحط الناس فى زمن ملك من ملوك بنى اسرائيل فاستسقوا ، فقال الملك لبنى اسرائيل ليرسلنّ الله تعالى علينا السماء أو لنؤذينه ، قيل له وكيف تقدر أن تؤذيه وهو فى السماء . فقال . أقتل أولياءه وأهل طاعته ، فيكون ذلك أذى له فأرسل الله تعالى عليهم السماء.وقال سفيان الثورى بلغنى أن بنى اسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة من المزابل ، وأكلوا الأطفال ، وكانوا كذلك يخرجون إلى الجبال يبكون ويتضرعون فأوحى الله عز وجل إلى أنبيائهم عليهم السلام ، لو مشيتم إلىّ بأقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ أيديكم عنان السماء ، وتكل ألسنتكم عن الدعاء،فانى لاأجيب لكم داعيا ، ولا أرحم لكم باكيا ، حتى تردوا المظالم إلى أهلها ، ففعلوا فمطروا من يومهم ، وقال مالك بن دينار أصاب الناس فى بنى إسرائيل قحط،فخرجوا مرارا فأوحى الله عز وجل . إلى نبيهم أن أخبرهم انكم تخرجون إلىّ بأبدان نجسة،وترفعون إلىّ أكفا قد سفكتم بها الدماء وملأتم بطونكم من الحرام،الآن قد اشتدّ غضبى عليكم ولن تزدادوا منى إلا بعدا ، وقال أبو الصديق الناجى خرج سليمان عليه السلام يستسقى فمرّ بنملة ملقاة على ظهرها ، رافعة قوائمها إلى السماء ، وهى تقول. اللهم انا خلق من خلقك،ولاغنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا ، فقال سليمان عليه السلام ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم . وقال الأوزاعى . خرج الناس يستسقون ، فقام فيهم بلال بن سعد . فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال يامعشر من حضر ألستم مقرّين بالاساءة ؟ فقالوا اللهم نعم ، فقال اللهم إنا قد سمعناك تقول (مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ [1]) وقد أقررنا بالاساءة فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا،اللهم فاغفر لنا وارحمنا واسقنا

(١) التوبة : ٩١

فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا. وقيل لمالك بن دينار، ادع لنا ربك فقال أنكم تستبطئون المطر، وأنا أستبطئ الحجارة، وروى أن عيسى صلوات الله عليه وسلامه خرج يستسقى فلما ضجروا قال لهم عيسى عليه السلام. من أصاب منكم ذنبا فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق معه فى المفازة الا واحد، فقال له عيسى عليه السلام أمالك من ذنب؟ فقال والله ماعلمت من شيء غير أنى كنت ذات يوم أصلى، فمرت بى امرأة فنظرت إليها بعينى هذه فلما جاوزتني أدخلت أصبعى فى عينى فانتزعتها واتبعت المرأة بها فقال له عيسى عليه السلام فادع الله حتى أؤمن على دعائك، قال فدعا فتجللت السماء سحابا، ثم صبت فسقوا. وقال يحيى الغسانى. أصاب الناس قحط على عهد داود عليه السلام، فاختاروا ثلاثة من علمائهم، فخرجوا حتى يستسقوا بهم، فقال أحدهم. اللهم انك أنزلت فى توراتك أن نعفو عمن ظلمنا، اللهم إنا قد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا، وقال الثانى. اللهم انك أنزلت فى توراتك أن نعتق أرقاءنا، اللهم انا أرقاؤك فاعتقنا، وقال الثالث. اللهم انك أنزلت فى توراتك أن لا نرد المساكين إذا وقفوا بأبوابنا، اللهم إنا مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا. فسقوا، وقال عطاء السلمى. منعنا الغيث فخرجنا نستسقى، فاذا نحن بسعدون المجنون فى المقابر، فنظر إلىّ فقال ياعطاء أهذا يوم النشور أو بعثر مافى القبور؟ فقلت لا، ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقى، فقال ياعطاء بقلوب أرضية أم بقلوب سماوية. فقلت بل بقلوب سماوية، فقال هيهات ياعطاء قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا، فان الناقد بصير، ثم رمق السماء بطرفه، وقال الهى وسيدى ومولاى، لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالسر المكنون من أسمائك، وما وارت الحجب من آلائك إلا ماسقيتنا ماء غدقا فراتا تحيى به العباد وتروى به البلاد، يامن هو على كل شيء قدير، قال عطاء فما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت، وجاءت بمطر كأفواه القرب، فولى وهو يقول

أفلح الزاهدون والعابدونا * إذ لمولاهم أجاعوا البطونا
أسهروا الأعين العليلة حبا * فانقضى ليلهم وهم ساهرونا
شغلتهم عبادة الله حتى * حسب الناس ان فيهم جنونا

وقال ابن المبارك : قدمت المدينة فى عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون فخرجت معهم: إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش . قد اتزر باحداهما وأتى الأخرى على عاتقه فجلس إلى جنبي فسمعته يقول: الهى أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوى الأعمال وقد حبست عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك ، فاسألك ياحليما ذا أناة ، يامن لا يعرف عباده منه إلا الجميل أن تسقيهم الساعة الساعة ، فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كل جانب ، قال ابن المبارك فجئت إلى الفضيل فقال مالى أراك كئيبا فقلت أمر سبقنا اليه غيرنا فتولاه دوننا ، وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل وخر مغشيا عليه

ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استسقى بالعباس رضى الله عنه ، فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس اللهم انه لم ينزل بلاء من السماء إلا بذنب ، ولم يكشف إلا بتوبة قد توجه بى القوم اليك لمكانى من نبيك صلى الله عليه وسلم ، وهذه أيدينا اليك بالذنوب ، ونواصينا بالتوبة ، وأنت الراعى لا تهمل الضالة ، ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الأصوات بالشكوى ، وأنت تعلم السر وأخفى ، اللهم فاغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا ، فانه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، قال فما تم كلامه حتى ارتفعت السماء مثل الجبال

فضيلة الصلاة على رسول الله

صلى الله عليه وسلم وفضله صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [1]) وروى أنه صلى الله عليه وسلم [1] « جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالْبُشْرَى تُرَى فِي وَجْهِهِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهُ جَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ أَمَا تَرْضَى يَا مُحَمَّدُ أَنْ لَا يُصَلِّيَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ صَلَاةً وَاحِدَةً إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ

(١) حديث انه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى تري فى وجهه فقال انه جاءنى جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ماترضى يامحمد أن لايصلى عليك أحد من أمتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك الا سلمت عليه عشرا : ن و حب من حديث أبى طلحة باسناد جيد

(١) الاحزاب : ٥٦

إِلاَّ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا » وقال صلى الله عليه وسلم : (١) « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلاَئِكَةُ مَا صَلَّى عَلَيَّ فَلْيُقْلِلْ عِنْدَ ذٰلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٢) « إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاَةً » وقال صلى الله عليه وسلم : (٣) « بِحَسْبِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْبُخْلِ أَنْ أُذْكَرَ عِنْدَهُ فَلاَ يُصَلِّي عَلَيَّ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٤) « أَكْثِرُوا مِنَ الصَّلاَةِ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٥) « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِنْ أُمَّتِي كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٦) « مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْأَذَانَ وَالْإِقَامَةَ اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلاَةِ الْقَائِمَةِ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَأَعْطِهِ الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَالدَّرَجَةَ الرَّفِيعَةَ وَالشَّفَاعَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) حديث من صلى على صلت عليه الملائكة ماصلى فليقلل عبد من ذلك أوليكثر : هـ من حديث عامر ابن ربيعة باسناد ضعيف والطبرانى فى الاوسط باسناد حسن

(٢) حديث ان أولى الناس بى أكثرهم على صلاة : ت من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب وحب

(٣) حديث بحسب امرىء من البخل ان أذكر عنده فلا يصلى على : قاسم بن أصبغ من حديث الحسن ابن على هكذا : و ن وحب من حديث أخيه الحسن البخيل. من ذكرت عنده فلم يصل على ورواه ت من رواية الحسين بن علي عن أبيه وقال حسن صحيح

(٤) حديث أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة : د ن هـ حب ك وقال صحيح على شرط خ من حديث أوس بن أوس وذكره بن أبى حاتم فى العلل وحكى عن أبيه أنه حديث منكر

(٥) حديث من صلى على من أمتى كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات : ن فى اليوم والليلة من حديث عمرو بن دينار وزاد فيه مخلصا من قلبه صلى الله عليه بها عشر صلوات ورفعه بها عشر درجات وله فى السير ولابن حبان من حديث أنس نحوه دون قوله مخلصا من قلبه ودون ذكر محو السيئات ولم يذكر ابن حبان أيضا رفع الدرجات

(٦) حديث من قال حين يسمع الأذان والأقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك واعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتى : البخارى من حديث جابر دون ذكر الاقامة والشفاعة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وقال النداء وللمستغفرى فى الدعوات حين يسمع الدعاء للصلاة وزاد ابن وهب ذكر الصلاة والشفاعة فيه بسند ضعيف وزاد الحسن بن على المعمرى فى اليوم والليلة من حديث أبى الدرداء ذكر الصلاة فيه وله وللمستغفرى فى الدعوات بسند ضعيف من حديث أبى رافع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمع الأذان فذكر حديثا فيه واذا قال قد قامت الصلاة قال اللهم رب هذه الدعوة التامة ـ الحديث : وزاد وتقبل شفاعته فى أمته ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا على ثم سلوا الله لى الوسيلة وفيه فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة

(١) « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ مَادَامَ اسْمِي فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « إِنَّ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ » وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « لَيْسَ أَحَدٌ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ » (٤) وقيل له يارسول الله كيف نصلي عليك فقال « قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَعَلَى آلِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ » وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي ويقول بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم (٥) فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك كانت أولى بالحنين إليك لما فارقتهم بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعل طاعتك طاعته فقال عز وجل (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ (١))

---

(١) حديث من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمي في ذلك الكتاب : الطبراني في الأوسط وأبو الشيخ في الثواب والمستغفري في الدعوات من حديث أبي هريرة بسند ضعيف

(٢) حديث ان في الارض ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام : تقدم في آخر الحج

(٣) حديث ليس أحد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام : دمن حديث أبي هريرة بسند جيد

(٤) حديث قيل له يارسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته الحديث : متفق عليه من حديث أبي حميد الساعدي

(٥) حديث عمر في حنين الجذع ونبع الماء من بين أصابعه والاسراء به على البراق الى السماء السابعة ثم صلاة الصبح من ليلته بالابطح وكلام الشاة المسمومة وانه دمى وجهه وكسرت رباعيته فقال اللهم اغفر لقومي فانهم لايعلمون وانه لبس الصوف وركب الحمار وأردف خلفه ووضع طعامه بالارض ولعق أصابعه : وهو غريب بطوله من حديث عمر وهو معروف من أوجه أخرى . فحديث حنين الجذع : متفق عليه من حديث جابر وابن عمر . وحديث نبع الماء من بين أصابعه : متفق عليه من حديث أنس وغيره . وحديث الاسراء : متفق عليه من حديث أنس دون ذكر صلاة الصبح بالابطح . وحديث كلام الشاة المسمومة : رواه د من حديث جابر وفيه انقطاع . وحديث أنه دمى وجهه وكسرت رباعيته : متفق عليه من حديث سهل بن سعد في غزوة أحد . وحديث اللهم اغفر لقومي فانهم لايعلمون رواه البيهقي في دلائل النبوة : والحديث في الصحيح من حديث ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم حكاه عن نبي من الانبياء ضربه قومه . وحديث لبس الصوف رواه الطيالسي من حديث سهل بن سعد . وحديث ركوبه الحمار وارداقه خلفه : متفق عليه من حديث أسامة بن زيد . وحديث وضع طعامه بالارض : رواه أحمد في الزهد من حديث الحسن مرسلا وللبخاري من حديث أنس ماأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان قط . وحديث لعقه أصابعه رواه مسلم من حديث كعب بن مالك وأنس بن مالك

بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالذنب، فقال تعالى:(عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ [1]) بأبي أنت وأمي يارسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم، فقال عز وجل :(وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ [2])الآية، بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون (يَقُولُونَ يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا [3]) بأبي أنت وأمي يارسول الله ، لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تتفجر منه الأنهار فماذا بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يارسول الله ؛ لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريح غدوّها شهر ورواحها شهر فماذا بأعجب من البراق حين سريت عليه إلى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح صلى الله عليك، بأبي أنت وأمي يارسول الله،لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله إحياء الموتى فماذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مشوية فقالت لك الذراع لاتأكلني فاني مسمومة، بأبي أنت وأمي يارسول الله .لقد دعا نوح على قومه فقال (رَبِّ لَاتَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا [4]) ولودعوت علينا بمثلها لهلكنا كلنا فلقد وطىء ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فابيت أن تقول إلا خيرا، فقلت« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » بأبي أنت وأمي يارسول الله، لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك مالم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره، ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا القليل، بأبي أنت وأمي يارسول الله،لولم تجالس إلا كفؤالك ماجالستنا: ولولم تنكح إلا كفؤالك مانكحت إلينا، ولولم تؤاكل إلا كفؤالك ماواكلتنا،فلقدوالله جالستنا ونكحت إلينا وواكلتنا، ولبست الصوف،وركبت الحمار،وأردفت خلفك،ووضعت طعامك على الأرض، ولعقت أصابعك تواضعا منك صلى الله عليك وسلم،وقال بعضهم كنت أكتب الحديث وأصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فيه ولا أسلم،فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي،أما تتم الصلاة علي في كتابك فما كتبت بعد ذلك إلا صليت وسلمت عليه،وروى عن أبي الحسن قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يارسول الله بم جوزي الشافعي عنك حيث يقول في كتابه الرسالة وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون،فقال صلى الله عليه وسلم جوزي عني أنه لا يوقف للحساب

(١) التوبة : ٤٣ (٢) الأحزاب : ٧ (٣) الأحزاب : ٦٦ (٤) نوح : ٢٦

فضيلة الاستغفار

قال الله عز وجل: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ[1]) وقال علقمة والاسود قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنهم فى كتاب الله عز وجل آيتان ماأذنب عبد ذنبا فقرأهما واستغفر الله عز وجل إلا غفر الله تعالى له (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ[2]) الآية وقوله عز وجل (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا[3]) وقال عز وجل (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا[4]) وقال تعالى (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ[5]) وكان صلى الله عليه وسلم: [1] يكثر أن يقول «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» وقال صلى الله عليه وسلم: [2] «مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» وقال صلى الله عليه وسلم: [3] «إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً» هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وقال صلى الله عليه وسلم: [4] «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي حَتَّى إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ» وقال صلى الله عليه وسلم: [5] «مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ أَوْ عَدَدَ رَمْلِ عَالِجٍ أَوْ عَدَدَ وَرَقِ الشَّجَرِ أَوْ عَدَدَ أَيَّامِ الدُّنْيَا» وقال صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى انك أنت التواب الرحيم: الحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح ان كان أبو عبيدة سمع من أبيه. والحديث متفق عليه من حديث عائشة انه كان يكثر أن يقول ذلك فى ركوعه وسجوده دون قوله انك أنت التواب الرحيم

(٢) حديث من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل غم مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب: د ن فى اليوم والليلة هـ ك وقال صحيح الاسناد من حديث ابن عباس وضعفه ابن حبان

(٣) حديث انى لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم سبعين مرة: خ من حديث أبى هريرة الا أنه قال أكثر من سبعين وهو فى الدعاء للطبرانى كما ذكره المصنف

(٤) حديث انه ليغان على قلبي حتى انى لاستغفر الله فى كل يوم مائة مرة: م من حديث الاغر

(٥) حديث من قال حين يأوى الى فراشه أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر ـ الحديث: ت من حديث أبى سعيد وقال غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الله بن الوليد الوصافى قلت الوصافى وان كان ضعيفا فقد تابعه عليه عصام بن قدامة وهو ثقة. رواه خ فى التاريخ دون قوله حين يأوى الى فراشه وقوله ثلاث مرات

(١، ٢) آل عمران: ١٣٥ (٣) النساء: ١١٠ (٤) النصر: ٣ (٥) آل عمران: ١٧

(١) فى حديث آخر . « مَنْ قَالَ ذَلِكَ غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَ فَارًّا مِنَ الزَّحْفِ » وقال حذيفة (٢) كنت ذَرِب اللسان على أهلى ، فقلت يارسول الله لقد خشيت أن يدخلنى لسانى النار ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الاِسْتِغْفَارِ ، فَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ ، وقالت عائشة رضى الله عنها قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) « إِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِى اللهَ وَتُوبِى إِلَيْهِ . فَإِنَّ التَّوْبَةَ مِنَ الذَّنْبِ النَّدَمُ وَالاِسْتِغْفَارُ » وكان صلى الله عليه وسلم (٤) يقول فى الاستغفار « اللَّهُمَّ اغْفِرْلِى خَطِيئَتِى وَجَهْلِى وَإِسْرَافِى فِى أَمْرِى وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّى اللَّهُمَّ اغْفِرْلِى هَزْلِى وَجِدِّى وَخَطَإِى وَعَمْدِى وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِى اللَّهُمَّ اغْفِرْلِى مَاقَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّى أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » وقال على رضى الله عنه كنت رجلا إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعنى الله عز وجل بما شاء أن ينفعنى منه ، وإذا حدثنى أحد من أصحابه استحلفته فاذا حلف صدقته ، قال وحدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) « يَقُولُ مَامِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ إِلَّا غُفِرَ لَهُ » ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ (١)) الآية .

---

(١) حديث من قال ذلك غفرت ذنوبه وان كان فارا من الزحف : د ت من حديث زيد مولى النبى صلى الله عليه وسلم وقال غريب . قلت ورجاله موثقون ورواه ابن مسعود و ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط الشيخين

(٢) حديث حذيفة كنت ذرب اللسان على أهلى ـ الحديث : وفيه أين أنت عن الاستغفار : ن فى اليوم والليلة و هـ ك وقال صحيح على شرط الشيخين

(٣) حديث عائشة ان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله فان التوبة من الذنب الندم والاستغفار : متفق عليه دون قوله فان التوبة الخ وزاد أو توبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه : وللطبرانى فى الدعاء فان العبد اذا أذنب ثم استغفر الله غفر له

(٤) حديث كان يقول اللهم اغفرلى خطيئتى وجهلى واسرافى فى أمرى وما أنت أعلم به منى اللهم اغفرلى جدى وهزلى : متفق عليه من حديث أبى موسى واللفظ لمسلم

(٥) حديث على عن أبى بكر ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له أصحاب السنن وحسنه ت

(١) آل عمران : ١٣٥

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم[1] أنه قال « إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْباً كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ مِنْهَا فَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ : (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ[1]) »

وروى أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم[2] قال : « إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَذِهِ فَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ »

وروت عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم[3] قال : « اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا اسْتَبْشَرُوا وَإِذَا أَسَاءُوا اسْتَغْفَرُوا » وقال صلى الله عليه وسلم :[4] « إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ ذَنْباً فَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْباً فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبّاً يَأْخُذُ بِالذَّنْبِ وَيَغْفِرُ الذَّنْبَ عَبْدِي اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ » وقال صلى الله عليه وسلم :[5] « مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ وَإِنْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً » وقال صلى الله عليه وسلم :[6] « إِنَّ رَجُلاً لَمْ يَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ إِنَّ لِي رَبّاً يَا رَبِّ فَاغْفِرْ لِي فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَفَرْتُ لَكَ »

وقال صلى الله عليه وسلم :[7] « مَنْ أَذْنَبَ ذَنْباً فَعَلِمَ أَنَّ اللهَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَيْهِ غُفِرَ لَهُ وَإِنْ لَمْ يَسْتَغْفِرْ »

---

(١) حديث أبي هريرة ان المؤمن اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه ـ الحديث : ت وصححه و ن فى اليوم والليلة و هـ حب ك

(٢) حديث أبي هريرة ان الله ليرفع العبد الدرجة فى الجنة فيقول يارب أنى لى هذه فيقول باستغفار ولدك لك : رواه أحمد باسناد حسن

(٣) حديث عائشة اللهم اجعلنى من الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا أساءوا استغفروا : هـ وفيه على بن زيد بن جدعان مختلف فيه

(٤) حديث اذا أذنب العبد فقال اللهم اغفرلى يقول الله أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يأخذ بالذنب ويغفر الذنب ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٥) حديث ماأصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة : د ت من حديث أبي بكر وقال غريب وليس اسناده بالقوى

(٦) حديث ان رجلا لم يعمل خيرا قط نظر الى السماء فقال ان لى ربا يارب اغفرلى فقال الله تعالى قد غفرت لك لم أقف له على أصل

(٧) حديث من أذنب فعلم أن الله قد اطلع عليه غفر له وان لم يستغفر : الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن مسعود بسند ضعيف

---

(1) المطففين : ١٤

وقال صلى الله عليه وسلم: (١) « يَقُولُ اللهُ تَعَالَى يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ مُذْنِبٌ إِلَّا مَنْ عَافَيْتُهُ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ وَمَنْ عَلِمَ أَنِّي ذُو قُدْرَةٍ عَلَى أَنْ أَغْفِرَ لَهُ غَفَرْتُ لَهُ وَلَا أُبَالِي » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « مَنْ قَالَ سُبْحَانَكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَعَمِلْتُ سُوءًا فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ غَفَرْتُ لَهُ ذُنُوبَهُ وَلَوْ كَانَتْ كَمَدَبِّ النَّمْلِ » وروى (٣) أن أفضل الاستغفار « اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ عَلَى نَفْسِي بِذَنْبِي فَقَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي مَا قَدَّمْتُ مِنْهَا وَمَا أَخَّرْتُ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعَهَا إِلَّا أَنْتَ »

الآثار: قال خالد بن معدان يقول الله عز وجل ان أحب عبادى إلى المتحابون بحبى، والمتعلقة قلوبهم بالمساجد. والمستغفرون بالاسحار، أولئك الذين إذا أردت أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم، وصرفت العقوبة عنهم، وقال قتادة رحمه الله القرءان يدلكم على دائكم ودوائكم، أما داؤكم فالذنوب، وأما دواؤكم فالاستغفار، وقال على كرم الله وجهه. العجب ممن يهلك ومعه النجاة، قيل وما هى قال الاستغفار؛ وكان يقول: ما ألهم الله سبحانه عبدا الاستغفار وهو يريد أن يعذبه، وقال الفضيل. قول العبد أستغفر الله، تفسيرها أقلنى وقال بعض العلماء. العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما إلا الحمد والاستغفار، وقال الربيع بن خيثم رحمه الله لا يقولن أحدكم أستغفر الله وأتوب اليه فيكون ذنباً وكذبا إن لم يفعل، ولكن ليقل اللهم اغفرلى وتب علىّ، وقال الفضيل، رحمه الله. الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين،

---

(١) حديث يقول الله ياعبادى كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفرونى أغفر لكم ومن علم انى ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالى: ت هـ من حديث أبى ذر وقال ت حسن وأصله عند م بلفظ آخر

(٢) حديث من قال سبحانك ظلمت نفسى وعملت سوءا فاغفرلى انه لا يغفر الذنوب الا أنت غفرت ذنوبه وان كانت كمدب النمل: البيهقى فى الدعوات من حديث على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أعلمك كلمات تقولهن لو كان عليك كعدد النمل أو كعدد الذر ذنوبا غفرها الله لك فذكره بزيادة لا اله الا أنت فى أوله وفيه ابن لهيعة

(٣) حديث أفضل الاستغفار اللهم أنت ربى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ـ الحديث: خ من حديث شداد بن أوس دون قوله وقد ظلمت نفسى واعترفت بذنبى ودون قوله ذنوبى ما قدمت منها وما أخرت ودون قوله جميعا

وقالت رابعة العدوية رحمها الله : استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير ، وقال بعض الحكماء من قدّم الاستغفار على الندم كان مستهزئا بالله عز وجل وهو لا يعلم ، وسمع أعرابى وهو متعلق بأستار الكعبة يقول . اللهم إن استغفارى مع إصرارى للؤم ، وان تركى استغفارك مع علمى بسعة عفوك لعجز ، فكم تتحبب إلىّ بالنعم مع غناك عنى ، وكم أتبغض اليك بالمعاصى مع فقرى اليك ، يامن إذا وعد وفى ، وإذا أوعد عفا ؛ أدخل عظيم جرمى فى عظيم عفوك ياأرحم الراحمين ، وقال أبو عبد الله الوراق . لوكان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبا لمحيت عنك إذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصا ان شاء الله تعالى . اللهم انى أستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه ، وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسى ولم أوف لك به ، وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك ، وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علىّ فاستعنت بها على معصيتك ، وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيته فى ضياء النهار وسواد الليل ، فى ملأ أو خلاء وسر وعلانية ، ياحليم . ويقال انه استغفار آدم عليه السلام وقيل الخضر عليه الصلاة والسلام

الباب الثالث

فى أدعية مأثورة ومعزية إلى أسبابها وأربابها

مما يستحب أن يدعو بها المرء صباحاً ومساء وبعقب كل صلاة

فمنها : دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتى الفجر ، قال ابن عباس رضى الله عنهما بعثنى العباس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته ممسيا وهو فى بيت خالتى ميمونة ، فقام يصلى من الليل فلما صلى ركعتى الفجر قبل صلاة الصبح[1] قال : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي وَتَجْمَعُ بِهَا شَمْلِي وَتَلُمُّ بِهَا شَعَثِي وَتَرُدُّ بِهَا الْفِتَنَ عَنِّي وَتُصْلِحُ بِهَا دِينِي وَتَحْفَظُ بِهَا غَائِبِي وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِي وَتُزَكِّي بِهَا عَمَلِي وَتُبَيِّضُ بِهَا وَجْهِي وَتُلْهِمُنِي بِهَا رُشْدِي

الباب الثالث فى أدعية مأثورة

(١) حديث ابن عباس اللهم انى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبي وتجمع بها شملى وتلم بها شعثى ـ الحديث : ت وقال غريب ولم يذكر فى أوله بعث العباس لابنه عبد الله ولا نومه فى بيت ميمونة وهو بهذه الزيادة فى الدعاء للطبراني

وَتَعْصِمُنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ . اللَّهُمَّ أَعْطِنِي إِيمَانًا صَادِقًا وَيَقِينًا لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ وَرَحْمَةً أَنَالُ بِهَا شَرَفَ كَرَامَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْفَوْزَ عِنْدَ الْقَضَاءِ وَمَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَعَيْشَ السُّعَدَاءِ وَالنَّصْرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَمُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أُنْزِلُ بِكَ حَاجَتِي وَإِنْ ضَعُفَ رَأْيِي وَقَلَّتْ حِيلَتِي وَقَصُرَ عَمَلِي وَافْتَقَرْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَأَسْأَلُكَ يَا كَافِيَ الْأُمُورِ وَيَا شَافِيَ الصُّدُورِ كَمَا تُجِيرُ بَيْنَ الْبُحُورِ أَنْ تُجِيرَنِي مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ وَمِنْ دَعْوَةِ الثُّبُورِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْقُبُورِ ، اللَّهُمَّ مَا قَصُرَ عَنْهُ رَأْيِي وَضَعُفَ عَنْهُ عَمَلِي وَلَمْ تَبْلُغْهُ نِيَّتِي وَأُمْنِيَتِي مِنْ خَيْرٍ وَعَدْتَهُ أَحَدًا مِنْ عِبَادِكَ أَوْ خَيْرٍ أَنْتَ مُعْطِيهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ فَإِنِّي أَرْغَبُ إِلَيْكَ فِيهِ وَأَسْأَلُكَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هَادِينَ مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ حَرْبًا لِأَعْدَائِكَ وَسِلْمًا لِأَوْلِيَائِكَ نُحِبُّ بِحُبِّكَ مَنْ أَطَاعَكَ مِنْ خَلْقِكَ وَنُعَادِي بِعَدَاوَتِكَ مَنْ خَالَفَكَ مِنْ خَلْقِكَ اللَّهُمَّ هَذَا الدُّعَاءُ وَعَلَيْكَ الْإِجَابَةُ وَهَذَا الْجَهْدُ وَعَلَيْكَ التُّكْلَانُ وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ذِي الْحَبْلِ الشَّدِيدِ وَالْأَمْرِ الرَّشِيدِ أَسْأَلُكَ الْأَمْنَ يَوْمَ الْوَعِيدِ وَالْجَنَّةَ يَوْمَ الْخُلُودِ مَعَ الْمُقَرَّبِينَ الشُّهُودِ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ الْمُوفِينَ بِالْعُهُودِ إِنَّكَ رَحِيمٌ وَدُودٌ وَأَنْتَ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ، سُبْحَانَ الَّذِي لَبِسَ الْعِزَّ وَقَالَ بِهِ سُبْحَانَ الَّذِي تَعَطَّفَ بِالْمَجْدِ وَتَكَرَّمَ بِهِ، سُبْحَانَ الَّذِي لَا يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ إِلَّا لَهُ، سُبْحَانَ ذِي الْفَضْلِ وَالنِّعَمِ، سُبْحَانَ ذِي الْعِزَّةِ وَالْكَرَمِ، سُبْحَانَ الَّذِي أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ بِعِلْمِهِ اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَلْبِي وَنُورًا فِي قَبْرِي وَنُورًا فِي سَمْعِي وَنُورًا فِي بَصَرِي وَنُورًا فِي شَعْرِي وَنُورًا فِي بَشَرِي وَنُورًا فِي لَحْمِي وَنُورًا فِي دَمِي وَنُورًا فِي عِظَامِي وَنُورًا مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَنُورًا مِنْ خَلْفِي وَنُورًا عَنْ يَمِينِي وَنُورًا عَنْ شِمَالِي وَنُورًا مِنْ فَوْقِي وَنُورًا مِنْ تَحْتِي اللَّهُمَّ زِدْنِي نُورًا وَأَعْطِنِي نُورًا وَاجْعَلْ لِي نُورًا

دعاء عائشة رضي الله عنها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] لعائشة رضي الله عنها « عَلَيْكِ بِالْجَوَامِعِ الْكَوَامِلِ قُولِي اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ

(١) حديث قوله لعائشة عليك بالجوامع الكوامل قولى اللهم انى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ماعلمت منه وما لم أعلم ـ الحديث : هـ و ك وصححه من حديثها

عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ، وَأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَسْتَعِيذُكَ مِمَّا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَسْأَلُكَ مَا قَضَيْتَ لِي مِنْ أَمْرٍ أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ رُشْداً بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ »

دعاء فاطمة رضى الله عنها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] « يَا فَاطِمَةُ مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيكِ بِهِ أَنْ تَقُولِي يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ »

دعاء أبي بكر الصديق رضى الله عنه

علّم رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] أبا بكر الصديق رضى الله عنه أن يقول « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّكَ وَإِبْرَاهِيمَ خَلِيلِكَ وَمُوسَى نَجِيِّكَ وَعِيسَى كَلِمَتِكَ وَرُوحِكَ وَبِتَوْرَاةِ مُوسَى وَإِنْجِيلِ عِيسَى وَزَبُورِ دَاوُدَ وَفُرْقَانِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَبِكُلِّ وَحْيٍ أَوْحَيْتَهُ أَوْ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ أَوْ سَائِلٍ أَعْطَيْتَهُ أَوْ غَنِيٍّ أَفْقَرْتَهُ أَوْ فَقِيرٍ أَغْنَيْتَهُ أَوْ ضَالٍّ هَدَيْتَهُ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَهُ عَلَى مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي بَثَثْتَ بِهِ أَرْزَاقَ الْعِبَادِ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى الْأَرْضِ فَاسْتَقَرَّتْ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى السَّمَوَاتِ فَاسْتَقَلَّتْ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى الْجِبَالِ فَرَسَتْ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي اسْتَقَلَّ بِهِ عَرْشُكَ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الطُّهْرِ الطَّاهِرِ الْأَحَدِ الصَّمَدِ الْوَتْرِ الْمُنَزَّلُ فِي كِتَابِكَ مِنْ لَدُنْكَ مِنَ النُّورِ الْمُبِينِ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى النَّهَارِ فَاسْتَنَارَ وَعَلَى اللَّيْلِ فَأَظْلَمَ وَبِعَظَمَتِكَ وَكِبْرِيَائِكَ وَبِنُورِ وَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَنْ تَرْزُقَنِي الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ بِهِ وَتَخْلِطَهُ بِلَحْمِي وَدَمِي وَسَمْعِي وَبَصَرِي وَتَسْتَعْمِلَ بِهِ جَسَدِي بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

---

(١) حديث يافاطمة مايمنعك أن تسمعي ماأوصيك به أن تقولي ياحي ياقيوم برحمتك أستغيث لاتكلني الى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله : ن في اليوم والليلة و ك من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين

(٢) حديث علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه أن يقول اللهم اني أسألك بمحمد نبيك وابراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك ـ الحديث : في الدعاء لحفظ القرءان : رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من رواية عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه أن أبا بكر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني أتعلم القرءان ويتفلت مني فذكره وعبد الملك وأبوه ضعيفان وهو منقطع بين هارون وأبي بكر

دعاء بريدة الأسلمي رضي الله عنه

رُوِيَ أَنَّهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) يَا بُرَيْدَةُ أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ مَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْراً عَلَّمَهُنَّ إِيَّاهُ ثُمَّ لَمْ يُنْسِهِنَّ إِيَّاهُ أَبَداً قَالَ فَقُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ قُلْ «اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ فَقَوِّ فِي رِضَاكَ ضَعْفِي، وَخُذْ إِلَى الْخَيْرِ بِنَاصِيَتِي، وَاجْعَلِ الْإِسْلَامَ مُنْتَهَى رِضَايَ اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ فَقَوِّنِي وَإِنِّي ذَلِيلٌ فَأَعِزَّنِي وَإِنِّي فَقِيرٌ فَأَغْنِنِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»

دعاء قبيصه بن المخارق

إذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) علمني كلمات ينفعني الله عز وجل بها فقد كبرسني وعجزت عن أشياء كثيرة كنت أعملها فقال عليه السلام: «أَمَّا لِدُنْيَاكَ فَإِذَا صَلَّيْتَ الْغَدَاةَ فَقُلْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَهُنَّ أَمِنْتَ مِنَ الْغَمِّ وَالْجُذَامِ وَالْبَرَصِ وَالْفَالِجِ. وَأَمَّا لِآخِرَتِكَ فَقُلْ اللَّهُمَّ اهْدِنِي مِنْ عِنْدِكَ وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ وَانْشُرْ عَلَيَّ مِنْ رَحْمَتِكَ وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا إِنَّهُ إِذَا وَفَّى بِهِنَّ عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يَدَعْهُنَّ فُتِحَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ مِنَ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»

دعاء أبي الدرداء رضي الله عنه

قيل لأبي الدرداء رضي الله عنه (٣) قد احترقت دارك، وكانت النار قد وقعت في محلته، فقال ما كان الله ليفعل ذلك، فقيل له ذلك ثلاثا وهو يقول. ما كان الله ليفعل ذلك، ثم أتاه آت فقال يا أبا الدرداء. إن النار حين دنت من دارك طفئت، قال قد علمت ذلك، فقيل له ما ندري أيّ قوليك أعجب، قال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ وَقَدْ قُلْتُهُنَّ وَهِيَ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

---

(١) حديث يا بريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيرا علمهن اياه ـ الحديث: ك من حديث بريدة وقال صحيح الاسناد

(٢) حديث ان قبيصة بن المخارق قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم علمني كلمات ينفعني الله بها فقد كبرت سني وعجزت ـ الحديث: ابن السني في اليوم والليلة من حديث ابن عباس وهو عند أحمد في المسند مختصرا من حديث قبيصة نفسه وفيه رجل لم يسم

(٣) حديث قيل لأبي الدرداء أحرقت دارك فقال ما كان الله ليفعل ذلك ـ الحديث: الطبراني في الدعاء من حديث أبي الدرداء ضعيف

عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ لَاحَوْلَ وَلَاقُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ مَاشَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »

دعاء الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام

كان يقول إذا أصبح . اللهم ان هذا خلق جديد فافتحه عَلَيَّ بطاعتك ، واختمه لى بمغفرتك ورضوانك ، وارزقنى فيه حسنة تقبلها منى ، وزكها وضعفها لى ، وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لى إنك غفور رحيم ودود كريم . قال ومن دعا بهذا الدعاء إذا أصبح فقد أدى شكر يومه

دعاء عيسى صلى الله عليه وسلم

كان يقول . اللهم انى أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو ، وأصبح الأمر بيد غيرى . وأصبحت مرتهنا بعملى ، فلافقير أفقر منى ، اللهم لاتشمت بى عدوى ، ولا تسؤ بى صديق ، ولا تجعل مصيبتى فى دينى ، ولا تجعل الدنيا أكبر همى ، ولا تسلط علىَّ من لا يرحمنى ياحى ياقيوم

دعاء الخضر عليه السلام

يقال إن الخضر والياس عليهما السلام إذا التقيا فى كل موسم لم يفترقا إلا عن هذه الكلمات بسم الله ماشاء الله لاقوة إلا بالله ، ماشاء الله كل نعمة من الله ، ماشاء الله الخير كله بيد الله ، ماشاء الله لايصرف السوء إلا الله ، فمن قالها ثلاث مرات إذا أصبح أمن من الحرق والغرق والسرق إن شاء الله تعالى

دعاء معروف الكرخى رضى الله عنه

قال محمد بن حسان . قال لى معروف الكرخى رحمه الله ، ألا أعلمك عشر كلمات . خمس للدنيا وخمس للآخرة ، من دعا الله عز وجل بهنّ وجد الله تعالى عندهنّ ، قلت اكتبها لى ، قال لا ، ولكن أرددها عليك كما رددها عَلَيَّ بكر بن خنيس رحمه الله ، حسبى الله لدينى حسبى الله لدنياى ، حسبى الله الكريم لما أهمنى ، حسبى الله الحليم القوى لمن بغى على ، حسبى الله الشديد لمن كادنى بسوء ، حسبى الله الرحيم عند الموت ، حسبى الله الرؤف عند المسألة فى القبر ،

حسبي الله الكريم عند الحساب ، حسبي الله اللطيف عند الميزان ، حسبي الله القدير عند الصراط ، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ، وقد روى عن أبي الدرداء أنه قال. من قال في كل يوم سبع مرات (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ [1]) كفاه الله عز وجل ما أهمه ، من أمر آخرته صادقا كان أو كاذبا

دعاء عتبة الغلام

وقد رؤى في المنام بعد موته فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات، اللهم يا هادي المضلين، ويا راحم المذنبين ، ويا مقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الأخيار والمرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين

دعاء آدم عليه الصلاة والسلام

قالت عائشة رضي الله عنها لما أراد الله عز وجل أن يتوب على آدم صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت سبعا ؛ وهو يومئذ ليس بمبنى ربوة حمراء ، ثم قام فصلى ركعتين ثم قال ، اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي ، وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي ، وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي ، اللهم إني أسألك أيمانا يباشر قلبي ، ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبته علي، والرضا بما قسمته لي يا ذا الجلال والاكرام ، فأوحى الله عز وجل اليه أني قد غفرت لك ، ولم يأتني أحد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به إلا غفرت له ، وكشفت غمومه وهمومه ، ونزعت الفقر من بين عينيه ، واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهي راغمة وإن كان لا يريدها

دعاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه

رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم [1] أنه قال « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُمَجِّدُ نَفْسَهُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَقُولُ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا الْحَيُّ الْقَيُّومُ، إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا الْعَفُوُّ الْغَفُورُ، إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا مُبْدِئُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيَّ يَعُودُ ، الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ خَالِقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ

---

(١) حديث علي ان الله تعالى يمجد نفسه كل يوم فيقول اني أنا الله رب العالمين اني أنا الله لا اله الا أنا الحي القيوم ـ الحديث : بطوله لم أجد له أصلا

(1) التوبة : ١٢٩

خَالِقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا الْفَرْدُ الْوَتْرُ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ الْخَالِقُ الْبَارِىءُ الْمُصَوِّرُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ الْمُقْتَدِرُ الْقَهَّارُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ أَهْلُ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ أَعْلَمُ السِّرِّ وَأَخْفَى ، الْقَادِرُ الرَّزَّاقُ فَوْقَ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ» .

وذكر قبل كل كلمة انى أنا الله لا إله إلا أنا كما أوردناه فى الأول ، فمن دعا بهذه الأسماء فليقل انك أنت الله لا إله إلا أنت كذا وكذا ، فمن دعا بهن كتب من الساجدين المخبتين ، الذين يجاورون محمدا وإبراهيم وموسى وعيسى والنبيين ، صلوات الله عليهم فى دار الجلال وله ثواب العابدين فى السموات والأرضين ، وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى

دعاء ابن المعتمد وهو سليمان التيمى وتسبيحاته رضى الله عنه

روى أن يونس بن عبيد رأى رجلا فى المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم، فقال ما أفضل ما رأيت ثَمَّ من الأعمال ،قال رأيت تسبيحات ابن المعتمر من الله عز وجل بمكان وهى هذه. سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، عدد ماخلق ، وعدد ماهو خالق ، وزنة ماخلق ، وزنة ماهو خالق ، وملء ماخلق ، وملء ما هو خالق ، وملء سمواته ، وملء أرضه ، ومثل ذلك وأضعاف ذلك ، وعدد خلقه وزنة عرشه ، ومنتهى رحمته، ومداد كلماته ، ومبلغ رضاه حتى يرضى ، وإذا رضى، وعدد ماذكره به خلقه فى جميع مامضى ، وعدد ماهم ذاكروه فيما بقى فى كل سنة ، وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات وشمّ ونفس من الأنفاس وأبد من الآباد من أبد إلى أبد أبد الدنيا وأبد الآخرة وأكثر من ذلك لاينقطع أوله ولا ينفد آخره

دعاء إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه

روى ابراهيم بن بشار خادمه أنه كان يقول هذا الدعاء فى كل يوم جمعة إذا أصبح وإذا أمسى ، مرحبا بيوم المزيد والصبح الجديد ، والكاتب والشهيد ، يومنا هذا يوم عيد ، اكتب لنا فيه مانقول ، بسم الله الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال فى خلقه مايريد ، أصبحت بالله مؤمنا ، وبلقائه مصدقا ، وبحجته معترفا ، ومن ذنبى مستغفرا ، ولربوبية الله خاضعا ،

ولسوى الله فى الآلهة جاحدا ، وإلى الله فقيرا ، وعلى الله متكلا ، وإلى الله منيبا ، أشهد الله وأشهد ملائكته وأنبياءه ورسله وحملة عرشه ومن خلقه ومن هو خالقه ، بأنه هو الله الذى لا إله إلا هو وحده لاشريك له ،وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما،وان الجنة حق ، وأن النار حق ، والحوض حق، والشفاعة حق ، ومنكرا ونكيرا حق ،ووعدك حق ووعيدك حق ، ولقاءك حق ، والساعة آتية لاريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور ، على ذلك أحيا وعليه أموت، وعليه أبعث إن شاء الله ، اللهم أنت ربى لا إله إلا انت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك مااستطعت ، أعوذ بك اللهم من شر ماصنعت ومن شر كل ذى شر ، اللهم إنى ظلمت نفسى فاغفرلى ذنوبى فانه لايغفر الذنوب إلا أنت ، واهدنى لأحسن الأخلاق فانه لايهدى لأحسنها إلا أنت، واصرف عنى سيئها فانه لا يصرف سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك ، والخير كله بيديك، أنا لك وإليك، أستغفرك وأتوب إليك ، آمنت اللهم بما أرسلت من رسول ، وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب ، وصلى الله على محمد النبى الأمى وعلى آله وسلم تسليما كثيرا، خاتم كلامى ومفتاحه وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين يارب العالمين ، اللهم أوردنا حوض محمد ، واسقنا بكاسه مشربا رويا سائغا هنيا لانظمأ بعده أبدا ،واحشرنا فى زمرته غير خزايا ولا ناكثين للعهد ولا مرتابين ولامفتونين ولامغضوب علينا ولاضالين ، اللهم اعصمنى من فتن الدنيا ووفقنى لما تحب وترضى وأصلح لى شأنى كله وثبتنى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا و فى الآخرة ، ولاتضانى وإن كنت ظالما سبحانك ياعلى ياعظيم يابارىء يارحيم ياعزيز ياجبار ،سبحان من سبحت له السموات باكنافها ، وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها، وسبحان من سبحت له الجبال باصدائها ،وسبحان من سبحت له الحيتان بلغتها ، وسبحان من سبحت له النجوم فى السماء بأبراجها ، وسبحان من سبحت له الأشجار بأصولها وثمارها ، وسبحان من سبحت له السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن ومن عليهن ، سبحان من سبح له كل شىء من مخلوقاته تباركت وتعاليت سبحانك ، سبحانك ياحي ياقيوم يا عليم يا حليم ، سبحانك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك تحيي وتميت وأنت حى لا تموت بيدك الخير وأنت على كل شىء قدير

الباب الرابع

فى أدعية مأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم

وعن أصحابه رضى الله عنهم محذوفة الأسانيد منتخبة

من جملة ما جمعه أبو طالب المكى وابن خزيمة وابن منذر رحمهم الله

يستحب للمريد إذا أصبح أن يكون أحب أوراده الدعاء كما سيأتى ذكره فى كتاب الأوراد ، فان كنت من المريدين لحرث الآخرة المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما دعا به فقل فى مفتتح دعواتك (١) أعقاب صلواتك (٢) « سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى الْوَهَّابِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » وقل (٣) « رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ » وَقُلْ (٤) « اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ » وقل (٥) « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي ، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي وَأَقِلْ عَثْرَاتِي وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي

﴿ الباب الرابع فى أدعية مأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾

(١) حديث افتتاح الدعاء بسبحان ربى العلى الأعلى الوهاب : تقدم فى الباب الثانى فى الدعاء

(٢) حديث القول عقب الصلوات لا اله الا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير : متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة

(٣) حديث رضيت بالله ربا ـ الحديث : تقدم فى الباب الأول من الأذكار

(٤) حديث اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شىء ومليكه أشهد أن لااله الاأنت أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه : د ت وصححه وحب و ك وصححه من حديث أبى هريرة أن أبا بكر الصديق قال يارسول الله مرنى بكلمات أقولهن اذا أصبحت واذا أمسيت قال قل اللهم فذكره

(٥) حديث اللهم انى أسألك العافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالي اللهم استر عورتى وآمن روعتى وأقل عثرتى واحفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى : د ن ه ك من حديث ابن عمر قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الكلمات حين يمسى وحين يصبح

وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَغْتَالَ مِنْ تَحْتِي ، اللَّهُمَّ (١) لَا تُؤْمِنِّي مَكْرَكَ وَلَا تُوَلِّنِي غَيْرَكَ وَلَا تَنْزِعْ عَنِّي سِتْرَكَ وَلَا تُنْسِنِي ذِكْرَكَ وَلَا تَجْعَلْنِي مِنَ الْغَافِلِينَ ، وقل «اللَّهُمَّ (٢) أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وقل اللَّهُمَّ (٣) عَافِنِي فِي بَدَنِي وَعَافِنِي فِي سَمْعِي وَعَافِنِي فِي بَصَرِي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَقُلِ اللَّهُمَّ (٤) إِنِّي أَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ ، وَبَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ وَشَوْقًا إِلَى لِقَائِكَ مِنْ غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَعْتَدِيَ أَوْ يُعْتَدَى عَلَيَّ أَوْ أَكْسِبَ خَطِيئَةً أَوْ ذَنْبًا لَا تَغْفِرُهُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ (٥) الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ فِي الرُّشْدِ ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا خَاشِعًا سَلِيمًا ، وَخُلُقًا مُسْتَقِيمًا ، وَلِسَانًا صَادِقًا ، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي (٦) مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي فَإِنَّكَ أَنْتَ الْمُقَدِّمُ ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَعَلَى كُلِّ غَيْبٍ شَهِيدٌ ،

---

(١) حديث اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين : رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس دون قوله ولا تولني غيرك واسناده ضعيف

(٢) حديث اللهم أنت ربي لااله الا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك مااستطعت أعوذ بك من شر ماصنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفرلي انه لايغفر الذنوب الا أنت : خ من حديث شداد بن أوس وقد تقدم

(٣) حديث اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لااله الا أنت ثلاث مرات : د ن في اليوم والليلة من حديث أبي بكرة وقال ن جعفر بن ميمون ليس بالقوى

(٤) حديث اللهم اني أسألك الرضا بعد القضاء ـ الحديث : الى قوله أو ذنبا لايغفر : أحمد و ك من حديث زيد بن ثابت في أثناء حديث وقال صحيح الاسناد

(٥) حديث اللهم اني أسألك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد ـ الحديث : الى قوله ـ وأنت علام الغيوب ـ ت ن ك وصححه من حديث شداد بن أوس قلت بل هو منقطع وضعيف

(٦) حديث اللهم اغفرلي ماقدمت وما أخرت وما أسررت وماأعلنت ـ الحديث : الى قوله وعلى كل غيب شهيد . متفق عليه من حديث أبي موسى دون قوله وعلى كل غيب شهيد وقد تقدم في الباب الثاني من هذا الكتاب

اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ (١) إِيمَانًا لَا يَرْتَدُّ وَنَعِيمًا لَا يَنْفَدُ وَقُرَّةَ عَيْنٍ الْأَبَدَ وَمُرَافَقَةَ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَعْلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ ، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ (٢) الطَّيِّبَاتِ وَفِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ ، أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ أَحَبَّكَ ، وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ ، وَأَنْ تَتُوبَ عَلَيَّ وَتَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ اللهُمَّ (٣) بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي مَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي ، أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَكَلِمَةَ الْعَدْلِ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ وَالْقَصْدَ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَفِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ ، اللهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ ، اللهُمَّ (٤) اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، اللهُمَّ (٥) امْلَأْ وُجُوهَنَا مِنْكَ حَيَاءً ، وَقُلُوبَنَا مِنْكَ فَرَقًا ، وَأَسْكِنْ فِي نُفُوسِنَا مِنْ عَظَمَتِكَ مَا تُذَلِّلُ بِهِ جَوَارِحَنَا لِخِدْمَتِكَ وَاجْعَلْكَ اللهُمَّ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِمَّنْ سِوَاكَ ، وَاجْعَلْنَا أَخْشَى لَكَ مِمَّنْ سِوَاكَ ،

---

(١) حديث اللهم انى أسألك ايمانا لايرتد ونعيما لاينفد وقرة عين الابد ـ الحديث : ن فى اليوم والليلة وك من حديث عبد الله بن مسعود دون قوله وقرة عين الابد وقال صحيح الاسناد و ن من حديث عمار بن ياسر باسناد جيد وأسألك نعيما لايبيد وقرة عين لاتنقطع

(٢) حديث اللهم انى أسألك الطيبات وفعل الخيرات ـ الحديث : الى قوله غير مفتون : ت من حديث معاذ اللهم انى أسألك فعل الخيرات ـ الحديث : وقال حسن صحيح ولم يذكر الطيبات وهى فى الدعاء للطبرانى من حديث عبد الرحمن بن عايش وقال أبو حاتم ليست له صحبة

(٣) حديث اللهم انى أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينى ما كانت الحياة خيرا لى ـ الحديث : الى قوله واجعلنا هداة مهتدين : ن ك وقال صحيح الاسناد من حديث عمار بن ياسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به

(٤) حديث اللهم اقسم لنا من خشيتك ماتحول به بيننا وبين معصيتك ـ الحديث : ت وقال حسن و ن فى اليوم والليلة و ك وقال صحيح على شرط خ من حديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يختم مجلسه بذلك

(٥) حديث اللهم املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا بك فرحا ـ الحديث : إلى قوله واجعلنا أخشى لك من سواك لم أقف له على أصل

اللَّهُمَّ[١] اجْعَلْ أَوَّلَ يَوْمِنَا هَذَا صَلَاحًا وَأَوْسَطَهُ فَلَاحًا وَآخِرَهُ نَجَاحًا ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَوَّلَهُ رَحْمَةً وَأَوْسَطَهُ نِعْمَةً وَآخِرَهُ تَكْرِمَةً وَمَغْفِرَةً[٢] الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَوَاضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِهِ ، وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لِعِزَّتِهِ ، وَخَضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِمُلْكِهِ ، وَاسْتَسْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ لِقُدْرَتِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَكَنَ كُلُّ شَيْءٍ لِهَيْبَتِهِ ، وَأَظْهَرَ كُلَّ شَيْءٍ بِحِكْمَتِهِ وَتَصَاغَرَ كُلُّ شَيْءٍ لِكِبْرِيَائِهِ ، اللَّهُمَّ[٣] صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِ مُحَمَّدٍ وَذُرِّيَّتِهِ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللَّهُمَّ[٤] صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ رَسُولِكَ الْأَمِينِ وَأَعْطِهِ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدْتَهُ يَوْمَ الدِّينِ ، اللَّهُمَّ[٥] اجْعَلْنَا مِنْ أَوْلِيَائِكَ الْمُتَّقِينَ وَحِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاسْتَعْمِلْنَا لِمَرْضَاتِكَ عَنَّا ، وَوَفِّقْنَا لِمَحَابِّكَ مِنَّا ، وَصَرِّفْنَا بِحُسْنِ اخْتِيَارِكَ لَنَا ،[٦] نَسْأَلُكَ جَوَامِعَ الْخَيْرِ وَفَوَاتِحَهُ وَخَوَاتِمَهُ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ جَوَامِعِ الشَّرِّ وَفَوَاتِحِهِ وَخَوَاتِمِهِ

---

(١) حديث اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكرمة : عبد بن حميد فى المنتخب والطبرانى من حديث ابن أوفى بالشطر الأول فقط إلى قوله نجاحا وأسناده ضعيف

(٢) حديث الحمد لله الذى تواضع كل شىء لعظمته وذل كل شىء لعزته ـ الحديث : إلى قوله وتصاغر كل شىء لكبريائه : الطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف دون قوله : والحمد لله الذى سكن كل شىء لهيبته إلى آخره . وكذلك رواه فى الدعاء من حديث أم سلمة وسنده ضعيف أيضا

(٣) حديث اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته ـ الحديث : إلى قوله حميد مجيد : تقدم فى الباب الثانى

(٤) حديث اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى رسول الأمين وأعطه المقام المحمود يوم الدين : لم أجده بهذا اللفظ مجموعا و خ من حديث أبى سعيد اللهم صل على محمد عبدك ورسولك و حب قط ك هق من حديث ابن مسعود اللهم صل على محمد النبى الأمى و ن من حديث جابر وابعثه المقام المحمود الذى وعدته وهو عند خ بلفظ وابعثه مقاما محمودا قال قط أسناده حسن وقال ك صحيح وقال هق فى المعرفة أسناده صحيح

(٥) حديث اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين ـ الحديث : إلى قوله صرفنا بحسن اختيارك لنا : لم أقف له على أصل

(٦) حديث نسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه : طب من حديث أم سلمة إنه كان يدعو بهؤلاء الكلمات فذكر منها اللهم إنى أسألك فواتح الخير وخواتمه وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلى من الجنة آمين : فيه عاصم بن عبيد لا أعلم روى عنه الا موسى بن عقبة

اللَّهُمَّ[1] بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ تُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَبِحِلْمِكَ عَنِّي اعْفُ عَنِّي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفَّارُ الْحَلِيمُ، وَبِعِلْمِكَ بِي ارْفُقْ بِي إِنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَبِمُلْكِكَ لِي مَلِّكْنِي نَفْسِي وَلَا تُسَلِّطْهَا عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ الْمَلِكُ الْجَبَّارُ، [2] سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي إِنَّكَ أَنْتَ رَبِّي وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، اللَّهُمَّ[3] أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي، اللَّهُمَّ[4] ارْزُقْنِي حَلَالًا لَا تُعَاقِبْنِي عَلَيْهِ وَقَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي وَاسْتَعْمِلْنِي بِهِ صَالِحًا تَقْبَلُهُ مِنِّي، [5] أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَحُسْنَ الْيَقِينِ، وَالْمُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ [6] يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الذُّنُوبُ وَلَا تَنْقُصُهُ الْمَغْفِرَةُ، هَبْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ وَأَعْطِنِي مَا لَا يَنْقُصُكَ (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ[1])، (أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ[2])(أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ[3])(رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ[4]) (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ[5])(رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا،

---

(١) حديث اللهم بقدرتك على تب علي انك أنت التواب الرحيم وبحلمك على اعف عني ـ الحديث الى قوله انك الملك الجبار: لم أقف له على أصل

(٢) حديث سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي أنت ربي انه لا يغفر الذنوب الا أنت: هق في الدعوات من حديث علي دون قوله ذنبي انك أنت ربي: وقد تقدم في الباب الثاني

(٣) حديث اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي: ت من حديث عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه لحصين وقال حسن غريب: ورواه ن في اليوم والليلة و ك من حديث حصين والد عمران وقال صحيح على شرط الشيخين

(٤) حديث اللهم ارزقني حلالا لا تعاقبني فيه وقنعني بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله مني: ك من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه واخلف على كل غائبة لي بخير وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه

(٥) حديث اللهم اني أسألك العفو والعافية والمعافاة وحسن اليقين في الدنيا والآخرة: ن من حديث أبي بكر الصديق بلفظ سلوا الله المعافاة فانه لم يؤت أحد بعد اليقين خيرا من المعافاة وفي رواية للبيهقي سلوا الله العفو والعافية واليقين في الأولى والآخرة فانه ما أوتي العبد بعد اليقين خيرا من العافية وفي رواية لأحمد أسأل الله العفو والعافية

(٦) حديث يامن لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي مالا يضرك وأعطني مالا ينقصك: أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بسند ضعيف

---

(١) الاعراف: ١٢٦ (٢) يوسف: ١٠١ (٣) الاعراف: ١٥٥، ١٥٦ (٤) الممتحنة: ٤ (٥) يونس: ٨٥

رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ[١]) ، (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ[٢]).(رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ[٣]).(رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا[٤]).(رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ[٥]).(رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ)إلى قوله عزوجل (إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ[٦]).(رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا[٧]): إلى آخر السورة [١] رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا وَاغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ [٢] رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَتَجَاوَزْ عَمَّا تَعْلَمُ وَأَنْتَ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

أنواع الاستعاذة المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم : اللَّهُمَّ[٣] إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا

---

(١) حديث رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات : د هـ باسناد حسن من حديث أبي أسيد الساعدي قال رجل من بني سلمة هل بقي علي من بر أبوي شيء قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما ـ الحديث : ولأبي الشيخ حب في الثواب والمستغفري في الدعوات من حديث أنس من استغفر للمومنين والمؤمنات رد الله عليه عن كل مؤمن مضى من أول الدهر أو هو كائن إلى يوم القيامة وسنده ضعيف وفي صحيح حب من حديث أبي سعيد أيما رجل مسلم لم يكن عنده صدقة فليتل في دعائه اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فانها زكاة

(٢) حديث رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم وأنت خير الراحمين وخير الغافرين: أحمد من حديث أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول رب اغفر وارحم واهدني السبيل الأقوم وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه وللطبراني في الدعاء من حديث ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا سعى في بطن المسيل اللهم اغفر وارحم وأنت الأعز الأكرم وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه ورواه موقوفا عليه بسند صحيح

(٣) حديث اللهم اني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد الى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر : خ من حديث سعد بن أبي وقاص

---

(١) الممتحنة:٥ (٢) آل عمران:١٤٧ (٣) الحشر: ١٠ (٤) الكهف: ١٠ (٥) البقرة: ٢٠١ (٦) آل عمران: ١٩٣، ١٩٤
(٧) البقرة : ٢٨٦

وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ(١) إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ طَمَعٍ يَهْدِي إِلَى طَبَعٍ وَمِنْ طَمَعٍ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ وَمِنْ طَمَعٍ حَيْثُ لَا مَطْمَعَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ (٢) مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَمِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ وَمِنَ الْكَسَلِ وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ، وَمِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ قُلُوبًا أَوَّاهَةً مُخْبِتَةً مُنِيبَةً فِي سَبِيلِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَمُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ(٣) مِنَ التَّرَدِّي وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْغَمِّ وَالْغَرَقِ وَالْهَدْمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَمُوتَ فِي تَطَلُّبِ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ(٤) مِنْ شَرِّ مَا عَلِمْتُ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ(٥) جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَدْوَاءِ وَالْأَهْوَاءِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ(٦) مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ وَدَرْكِ الشَّقَاءِ وَسُوءِ الْقَضَاءِ وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ(٧) مِنَ الْكُفْرِ وَالدَّيْنِ وَالْفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ

---

(١) حديث اللهم انى أعوذ بك من طبع يهدى الى طمع وطمع فى غير مطمع ومن طمع حيث لامطمع: أحمد ك من حديث معاذ وقال مستقيم الأسناد

(٢) حديث اللهم انى أعوذ بك من علم لاينفع وقلب لايخشع ودعاء لايسمع ـ الحديث : الى قوله والنجاة من النار ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الاسناد وليس كما قال الا أنه ورد مفرقا فى أحاديث جيدة الأسانيد

(٣) حديث اللهم إنى أعوذ بك من التردى وأعوذ بك من الغم ـ الحديث : الى قوله وأعوذ بك أن أموت فى تطلب الدنيا : د ن ك وصحح أسناده من حديث أبى اليسر واسمه كعب بن عمر بزيادة فيه دون قوله وأعوذ بك أن أموت فى تطلب دنيا وتقدم من عند البخارى الاستعاذة من فتنة الدنيا

(٤) حديث اللهم انى أعوذ بك من شر ماعلمت ومن شر مالم أعلم : قلت هكذا فى غير نسخة علمت وانما هو عملت وأعمل كذا رواه : م من حديث عائشة ولأبى بكر بن الضحاك فى الشمائل فى حديث مرسل فى الاستعاذة وفيه وشر مالم أعمل وشر مالم أعلم

(٥) حديث اللهم جنبنى منكرات الاخلاق والاعمال والادواء والاهواء : ت وحسنة و ك وصححه واللفظ له من حديث قطبة بن مالك

(٦) حديث اللهم انى أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء : متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٧) حديث اللهم انى أعوذ بك من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال : ن ك وقال صحيح الاسناد من حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول من الكفر والدين وفى رواية للنسائى من الكفر والفقر ولمسلم من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يتعوذ من عذاب القبر وعذاب جهنم وفتنة الدجال وللشيخين من حديث عائشة فى حديث قال فيه ومن شر فتنة المسيح الدجال

مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ (١) شَرِّ سَمْعِي وَبَصَرِي وَشَرِّ لِسَانِي وَقَلْبِي وَشَرِّ مَنِيِّي ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ (٢) جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ فَإِنَّ جَارَ الْبَادِيَةِ يَتَحَوَّلُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ (٣) مِنَ الْقَسْوَةِ وَالْغَفْلَةِ وَالْعَيْلَةِ وَالذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ وَالْفُسُوقِ وَالشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَسُوءِ الْأَخْلَاقِ وَضِيقِ الْأَرْزَاقِ وَالسُّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الصَّمَمِ وَالْبَكَمِ وَالْعَمَى وَالْجُنُونِ وَالْجُذَامِ وَالْبَرَصِ وَسَيِّءِ الْأَسْقَامِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ (٤) زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَمِنْ تَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَمِنْ فُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ وَمِنْ جَمِيعِ سَخَطِكَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ (٥) مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَفِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَشَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى وَشَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ وَشَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَغْرَمِ وَالْمَأْثَمِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ (٦) مِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَصَلَاةٍ لَا تَنْفَعُ وَدَعْوَةٍ لَا تُسْتَجَابُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْغَمِّ وَفِتْنَةِ الصَّدْرِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ (٧) مِنْ غَلَبَةِ الْعَدُوِّ وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى كُلِّ عَبْدٍ مُصْطَفَى مِنْ كُلِّ الْعَالَمِينَ آمِينَ

---

(١) حديث اللهم انى أعوذ بك من شر سمعى وشر بصرى وشر لسانى وقلبى وشر منيي: د ن ت وحسنه ك وصحح أسناده من حديث سهل بن حميد

(٢) حديث اللهم انى أعوذ بك من جار السوء فى دار المقامة فان جار البادية يتحول : ن ك من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط م

(٣) حديث اللهم انى أعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيء الأسقام : د ن مقتصرين على الاربعة الاخيرة و ك بتمامه من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين

(٤) حديث اللهم انى أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك ومن جميع سخطك: م من حديث ابن عمر

(٥) حديث اللهم انى أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من المأثم والمغرم: متفق عليه من حديث عائشة

(٦) حديث اللهم انى أعوذ بك من نفس لاتشبع وقلب لايخشع وصلاة لاتنفع ودعوة لاتستجاب وأعوذ بك من سوء العمر وفتنة الصدر : م من حديث زيد بن أرقم فى أثناء حديث اللهم انى أعوذ بك من قلب لايخشع ونفس لاتشبع وعمل لايرفع ودعوة لايستجاب لها وصلاة لاتنفع وشك أبو المعتمر فى سماعه من أنس وللنسائى باسناد جيد من حديث عمر فى أثناء حديث وأعوذ بك و د من حديث أنس اللهم انى أعوذ بك من سوء العمر وأعوذ بك من فتنة الصدر

(٧) حديث اللهم انى أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء : ن ك من حديث عبد الله ابن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم

الباب الخامس

فى الأدعية المأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث

إذا أصبحت وسمعت الأذان فيستحب لك جواب المؤذن وقد ذكرناه ؛ وذكرنا أدعية دخول الخلاء والخروج منه ، وأدعية الوضوء فى كتاب الطهارة ، فاذا خرجت إلى المسجد فقل «اللَّهُمَّ[1] اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُوراً وَفِي لِسَانِي نُوراً وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُوراً وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُوراً وَاجْعَلْ خَلْفِي نُوراً وَأَمَامِي نُوراً وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُوراً ، اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نُوراً. وَقُلْ أَيْضاً ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ[2] بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ وَبِحَقِّ مَمْشَايَ هَذَا إِلَيْكَ فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشَراً وَلَا بَطَراً وَلَا رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً ، خَرَجْتُ اتِّقَاءَ سُخْطِكَ ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ ، فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُنْقِذَنِي مِنَ النَّارِ وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ »

فان خرجت من المنزل لحاجة فقل[3] « بِسْمِ اللهِ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ[4] بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ بِسْمِ اللهِ التُّكْلَانُ عَلَى اللهِ » فاذا انتهيت إلى المسجد تريد دخوله فقل « اللَّهُمَّ[5] صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جَمِيعَ ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ » وقدم رجلك اليمنى فى الدخول

﴿ الباب الخامس فى الأدعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث ﴾

(١) حديث القول عند الخروج إلي المسجد اللهم اجعل فى قلبي نورا وفى لسانى نورا ـ الحديث : متفق عليه من حديث ابن عباس

(٢) حديث اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا اليك ـ الحديث : من حديث أبى سعيد الخدرى باسناد حسن

(٣) حديث القول عند الخروج من المنزل لحاجته بسم الله رب أعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على : أصحاب السنن من حديث أم سلمة قال ت حسن صحيح

(٤) حديث بسم الله الرحمن الرحيم ولاحول ولاقوة إلا بالله التكلان على الله : ه من حديث أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من منزله قال بسم الله فذكره إلا أنه لم يقل الرحمن الرحيم وفيه ضعف

(٥) حديث القول عند دخول المسجد اللهم صل على محمد اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك : ت ه من حديث فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ت حسن وليس أسناده بمتصل ولمسلم من حديث أبى حميد أو أبى أسيد اذا دخل أحدكم المسجد فليقل اللهم افتح لى أبواب رحمتك وزاد د فى أوله فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم

فإذا رأيت فى المسجد[١] من يبيع أو يبتاع فقل «لَا أَرْبَحَ اللهُ تِجَارَتَكَ» وإذا رأيت من[٢] ينشد ضالة فى المسجد فقل «لَا رَدَّهَا اللهُ عَلَيْكَ» أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣] فاذا صليت ركعتى الصبح فقل: بِسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِى بِهَا قَلْبِي الدعاء إلى آخره كما أوردناه عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم[٤] فإذا ركعت فَقُلْ فِى رُكُوعِكَ «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ وَلَكَ خَشَعْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ أَنْتَ رَبِّى خَشَعَ سَمْعِى وَبَصَرِى وَمُخِّى وَعَظْمِى وَعَصَبِى وَمَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ قَدَمِى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» وإن أحببت فقل[٥] «سُبْحَانَ رَبِّىَ الْعَظِيمِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[٦] أَوْ سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»[٧] فاذا رفعت رأسك من الركوع فقل «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمٰوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَىْءٍ بَعْدُ أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِىَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»

وإذا سجدت فقل «اللَّهُمَّ[٨] لَكَ سَجَدْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ سَجَدَ وَجْهِى لِلَّذِى خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، اللَّهُمَّ سَجَدَ لَكَ سَوَادِى وَخَيَالِى وَآمَنَ بِكَ فُؤَادِى أَبُوءُ بِنِعْمَتِكَ عَلَىَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِى وَهَذَا مَا جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِى فَاغْفِرْ لِى فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أو تقول[٩] «سُبْحَانَ رَبِّىَ الْأَعْلَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ

---

(١) حديث القول اذا رأى من يبيع أو يبتاع فى المسجد لا أربح الله تجارتك : ت وقال حسن غريب و ن فى اليوم والليلة من حديث أبى هريرة

(٢) حديث القول اذا رأى من ينشد ضالة في المسجد لاردها الله عليك : م من حديث أبى هريرة

(٣) حديث ابن عباس فى القول بعد ركعتى الصبح اللهم انى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى الخ: قد تقدم في الدعاء

(٤) حديث ابن عباس فى القول فى الركوع اللهم لك ركعت ولك أسلمت ـ الحديث : م من حديث على

(٥) حديث القول فيه سبحان ربى العظيم ثلاثا : د ت ه من حديث ابن مسعود وفيه انقطاع

(٦) حديث القول فيه سبوح قدوس رب الملائكة والروح : م من حديث عائشة

(٧) حديث القول عند الرفع من الركوع سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ـ الحديث : م من حديث أبى سعيد الخدرى وابن عباس دون قوله سمع الله لمن حمده فهى فى اليوم والليلة للحسن بن على المعمرى وهى عند م من حديث ابن أبى أوفى وعند خ من حديث أبى هريرة

(٨) حديث القول فى السجود اللهم لك سجدت ـ الحديث : م من حديث على اللهم سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى أبوء بنعمتك على وأبوء بذنبى وهذا ماجنيت على نفسي فاغفرلى فانه لايغفر الذنوب الاأنت ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الأسناد وليس كما قال بل هو ضعيف

(٩) حديث سبحان ربى الأعلى ثلاثا : د ت ه من حديث ابن مسعود وهو منقطع

فإذا فرغت من الصلاة فقل «اللَّهُمَّ[١] أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» وتدعو بسائر الأدعية التي ذكرناها

فإذا قمت من المجلس وأردت دعاء يكفر لغو المجلس فقل[٢] سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » فإذا دخلت السوق فقل[٣] «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »

[٤] بِسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ السُّوقِ وَخَيْرَ مَا فِيهَا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُصِيبَ فِيهَا يَمِينًا فَاجِرَةً أَوْ صَفْقَةً خَاسِرَةً »

فإن كان عليك دين فقل : اللَّهُمَّ[٥] اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ»

فإذا لبست ثوباً جديداً فقل اللَّهُمَّ[٦] كَسَوْتَنِي هَذَا الثَّوْبَ فَلَكَ الْحَمْدُ ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ

وإذا رأيت شيئاً من الطيرة تكرهه فقل[٧] « اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ ، وَلَا يَذْهَبُ بِالسَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ »

---

(١) حديث القول إذا فرغ من الصلاة اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام : م من حديث ثوبان

(٢) حديث كفارة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت : ن فى اليوم والليلة من حديث رافع بن خديج باسناد حسن

(٣) حديث القول عند دخول السوق لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير : ت من حديث عمر وقال غريب و ك وقال صحيح على شرط الشيخين

(٤) حديث بسم الله اللهم انى أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم انى أعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم انى أعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة أو صفقة خاسرة : ك من حديث بريدة وقال أقربها لشرائط هذا الكتاب حديث بريدة . قلت فيه أبو عمر جار لشعيب بن حرب ولعله حفص بن سليمان الأسدى مختلف فيه

(٥) حديث دعاء الدين اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك : ت وقال حسن غريب . و ك وقال صحيح الأسناد من حديث على بن أبى طالب

(٦) حديث الدعاء اذا لبس ثوبا جديدا اللهم كسوتنى هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له : د ت وقال حسن و ن فى اليوم والليلة من حديث أبى سعيد الخدري : ورواه ابن السنى بلفظ المصنف

(٧) حديث القول إذا رأى شيئا من الطيرة يكرهه اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت لا حول ولا قوة الا بالله : ابن أبى شيبة وأبو نعيم فى اليوم والليلة وهق فى الدعوات من حديث عروة بن عامر مرسلا ورجاله ثقات وفى اليوم والليلة لابن السنى عن عقبة ابن عامر فجعله مسندا

وإذا رأيت الهلال فقل « اللَّهُمَّ (١) أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ وَالْبِرِّ وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ وَالتَّوْفِيقِ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَالْحِفْظِ مِمَّنْ تَسْخَطُ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ » ويقول « هِلَالُ (٢) رُشْدٍ وَخَيْرٍ، آمَنْتُ بِخَالِقِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ (٣) خَيْرَ هَذَا الشَّهْرِ وَخَيْرَ الْقَدَرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ يَوْمِ الْحَشْرِ ، وتكبر قبله أولا ثلاثا ،

وإذا هبت الريح فقل « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ (٤) خَيْرَ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَمِنْ شَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ »

وإذا بلغك وفاة أحد فقل (٥) (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١)) (وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (٢)) اللَّهُمَّ اكْتُبْهُ فِي الْمُحْسِنِينَ، وَاجْعَلْ كِتَابَهُ فِي عِلِّيِّينَ وَاخْلُفْهُ عَلَى عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ » وتقول عند التصدق (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣)) وتقول عند الخسران: (عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٤)) وتقول عند ابتداء الأمور (رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (٥)) (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٦))

---

(١) حديث التكبير عند رؤية الهلال ثلاثا ثم يقول اللهم أهله علينا بالأمن والايمان والسلامة والاسلام ربى وربك الله : الدارمي من حديث ابن عمر الا أنه أطلق التكبير ولم يقل ثلاثا : ورواه ت وحسنه من حديث طلحة بن عبيد الله دون ذكر التكبير وللبيهقى فى الدعوات من حديث قتادة مرسلا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأى الهلال كبر ثلاثا .

(٢) حديث هلال خير ورشد آمنت بخالقك : د مرسلا من حديث قتادة أنه بلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى الهلال قال هلال خير ورشد هلال خير ورشد آمنت بالذى خلقك ثلاث مرات وأسنده الدارقطنى فى الأفراد والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس وقال د وليس فى هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث مسند صحيح

(٣) حديث اللهم انى أسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم الحشر : ابن أبى شيبة وأحمد فى مسنديهما من حديث عبادة بن الصامت وفيه من لم يسم بل قال الراوى عنه حدثنى من لا أتهم

(٤) حديث القول اذا هبت الريح اللهم انى أسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به : ت وقال حسن صحيح و ن فى اليوم والليلة من حديث أبى بن كعب

(٥) حديث القول اذا بلغه وفاة أحد انا لله وانا اليه راجعون وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه من المحسنين واجعل كتابه فى عليين واخلفه على عقبه فى الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله : ابن السنى فى اليوم والليلة وحب من حديث أم سلمة اذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل انا لله وانا اليه راجعون ولمسلم من حديثها اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المهديين واخلفه فى عقبه فى الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وافسح له فى قبره ونور له فيه

---

(١) البقرة : ١٥٦ (٢) الزخرف : ١٤ (٣) البقرة : ١٢٧ (٤) ن : ٣٢ (٥) الكهف : ١٠ (٦) طه : ٢٥، ٢٦

وتقول عند النظر إلى السماء (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ [١]) (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا [٢])

وإذا سمعت صوت الرعد فقل [١] «سُبْحَانَ مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ»

فإن رأيت الصواعق فقل [٢] «اللَّهُمَّ لَا تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ وَلَا تُهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ» قاله كعب

فإذا أمطرت السماء فقل «اللَّهُمَّ [٣] سَقْيًا هَنِيئًا وَصَيِّبًا نَافِعًا، اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ [٤] صَيِّبَ رَحْمَةٍ وَلَا تَجْعَلْهُ صَيِّبَ عَذَابٍ» فإذا غضبت فقل اللَّهُمَّ [٥] اغْفِرْ لِي ذَنْبِي وَأَذْهِبْ غَيْظَ قَلْبِي وَأَجِرْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

فإذا خفت قوما فقل، اللَّهُمَّ [٦] إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ،

فإذا غزوت فقل اللَّهُمَّ [٧] أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي وَبِكَ أُقَاتِلُ [٨] وإذا طنت أذنك فصل على محمد صلى الله عليه وسلم وقل: ذَكَرَ اللَّهُ مَنْ ذَكَرَنِي بِخَيْرٍ [٩]، فإذا رأيت استجابة دعائك فقل، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِعِزَّتِهِ وَجَلَالِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وإذا أبطأت فقل الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ [١٠] وإذا سمعت أذان المغرب فقل «اللَّهُمَّ هَذَا إِقْبَالُ لَيْلِكَ وَإِدْبَارُ نَهَارِكَ وَأَصْوَاتُ دُعَاتِكَ

---

(١) حديث القول اذا سمع صوت الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته: مالك في الموطأ عن عبد الله بن الزبير موقوفا ولم أجده مرفوعا

(٢) حديث القول عند الصواعق اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك: ت وقال غريب ن في اليوم والليلة من حديث ابن عمر وابن السني باسناد حسن

(٣) حديث القول عند المطر اللهم سقيا هنيأ وصيبا نافعا: خ من حديث عائشة كان إذا رأى المطر قال اللهم اجعله صيبا نافعا وهو سيبا بالسين أوله ون في اليوم والليلة اللهم اجعله صيبا هنيأ واسنادهما صحيح

(٤) حديث اللهم اجعله صيب رحمة ولا تجعله صيب عذاب: ن في اليوم والليلة من حديث سعيد بن المسيب مرسلا

(٥) حديث القول إذا غضب اللهم اغفر ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم: ابن السني في اليوم والليلة من حديث عائشة بسند ضعيف

(٦) حديث القول اذا خاف قوما اللهم انا نجعلك في نحورهم وأعوذ بك من شرورهم: دن في اليوم والليلة من حديث أبي موسى بسند صحيح

(٧) حديث القول اذا غزا اللهم أنت عضدي ونصيري بك اقاتل: د ت ن من حديث أنس قال ت حسن غريب

(٨) حديث القول عند طنين الأذن اللهم صل على محمد ذكر الله بخير من ذكرني: الطبراني وابن عدي وابن السني في اليوم والليلة من حديث أبي رافع بسند ضعيف

(٩) حديث القول اذا رأى استجابة دعائه الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات: تقدم في الدعاء

(١٠) حديث القول اذا سمع أذان المغرب اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك وأصوات دعاتك وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لي: ت د وقال غريب و ك من حديث أم سلمة دون قوله وحضور صلواتك فانها عند الخرائطي في مكارم الأخلاق والحسن بن علي المعمري في اليوم والليلة

---

(١) آل عمران: ١٩١ (٢) الفرقان: ٦١

وَحُضُورُ صَلَوَاتِكَ ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَلِي »[١] وإذا أصابك همّ فقل ، اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجَلَاءَ غَمِّي وَذَهَابَ حُزْنِي وَهَمِّي قال صلى الله عليه وسلم « مَا أَصَابَ أَحَداً حُزْنٌ فَقَالَ ذَلِكَ إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحاً » فقيل له يارسول الله أفلا نتعلمها؟ فقال صلى الله عليه وسلم « بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا » وإذا وجدت وجعا فى جسدك أو جسد غيرك فارقه برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى الإنسان قرحة أو جرحا وضع سبابته على الأرض ثم رفعها ، وقال[٢] بِسْمِ اللهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا بِرُقْيَةِ بَعْضِنَا يُشْفَى سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا[٣] ، وإذا وجدت وجعا فى جسدك فضع يدك على الذى يتألم من جسدك وقل « بِسْمِ اللهِ ثَلَاثاً وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ[٤] ، فإذا أصابك كرب فقل « لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَلِيُّ الْحَلِيمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ[٥] فان أردت النوم فتوضأ أولا ، ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة ، ثم كبر الله تعالى أربعا وثلاثين ، وسبحه ثلاثا وثلاثين ، واحمده ثلاثا وثلاثين ، ثم قل[٦] ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ،

---

(١) حديث القول اذا أصابه هم اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ـ الحديث : أحمد وحب ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط م ان سلم من ارسال عبد الرحمن عن أبيه فانه مختلف فى سماعه من أبيه

(٢) حديث رقية رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله تربة أرضنا برقية بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا: متفق عليه من حديث عائشة

(٣) حديث وضع يده على الذى يألم من جسده ويقول بسم الله ثلاثا ويقول أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات : م من حديث عثمان بن أبى العاص

(٤) حديث دعاء الكرب لا اله الا الله العلى الحليم ـ الحديث : متفق عليه من حديث ابن عباس

(٥) حديث التكبير عند النوم أربعا وثلاثين والتسبيح ثلاثا وثلاثين والتحميد ثلاثا وثلاثين : متفق عليه من حديث على

(٦) حديث القول عند ارادة النوم اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم لا أستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثنيت على نفسك: النسائى فى اليوم والليلة من حديث على وفيه انقطاع

اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَبْلُغَ ثَنَاءً عَلَيْكَ وَلَوْ حَرَصْتُ وَلَكِنْ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ ، اللَّهُمَّ[1] بِاسْمِكَ أَحْيَا وَأَمُوتُ. اللَّهُمَّ[2] رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ، أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ ، اللَّهُمَّ[3] إِنَّكَ خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَتَوَفَّاهَا ، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا ، اللَّهُمَّ إِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا وَإِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ[4] بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، اللَّهُمَّ[5] قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَجْمَعُ عِبَادَكَ ، اللَّهُمَّ[6] أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ » ويكون هذا آخر دعائك فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وليقل قبل ذلك اللَّهُمَّ[7] أَيْقِظْنِي فِي أَحَبِّ السَّاعَاتِ إِلَيْكَ وَاسْتَعْمِلْنِي بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَيْكَ تُقَرِّبُنِي إِلَيْكَ زُلْفَى وَتُبْعِدُنِي مِنْ سَخَطِكَ بُعْدًا أَسْأَلُكَ فَتُعْطِيَنِي وَأَسْتَغْفِرُكَ فَتَغْفِرَ لِي وَأَدْعُوكَ فَتَسْتَجِيبَ لِي »

---

(١) حديث اللهم باسمك أحيا وأموت : خ من حديث حذيفة و م من حديث البراء

(٢) حديث اللهم رب السموات والأرض رب كل شيء ومليكه فالق الحب والنوى ـ الحديث : الى قوله وأغنا من الفقر م من حديث أبي هريرة

(٣) حديث اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفاها ـ الحديث : الى قوله اني أسألك العافية م من حديث ابن عمر

(٤) حديث باسمك ربي وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي : ن في اليوم والليلة من حديث عبد الله بن عمرو بسند جيد وللشيخين من حديث أبي هريرة باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه ان أمسكت نفسي فاغفر لها وقال خ فارحمها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين

(٥) حديث اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك : ت في الشمائل من حديث ابن مسعود وهو عند د من حديث حفصة بلفظ تبعث وكذا رواه ت من حديث حذيفة وصححه من حديث البراء وحسنه

(٦) حديث اللهم اني أسلمت نفسي اليك وفوضت أمري اليك ـ الحديث : متفق عليه من حديث البراء

(٧) حديث اللهم أيقظني في أحب الساعات اليك واستعملني في أحب الأعمال اليك تقربني اليك زلفى وتبعدني من سخطك بعدا أسألك فتعطيني واستغفرك فتغفر لي وأدعوك فتستجيب لي : أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس اللهم ابعثنا في أحب الساعات اليك حتى نذكرك فتذكرنا ونسألك فتعطينا وندعوك فتستجيب لنا ونستغفرك فتغفر لنا واسناده ضعيف، وهو معروف من قول حبيب الطائي كما رواه ابن ابي الدنيا في الدعاء

(١) فإذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ » (٢) أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ وَالْعَظَمَةُ وَالسُّلْطَانُ لِلَّهِ وَالْعِزَّةُ وَالْقُدْرَةُ لِلَّهِ (٣) أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، اللَّهُمَّ (٤) بِكَ أَصْبَحْنَا وَبِكَ أَمْسَيْنَا وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ، اللَّهُمَّ (٥) إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَبْعَثَنَا فِي هَذَا الْيَوْمِ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ ، وَنَعُوذُ بِكَ أَنْ نَجْتَرِحَ فِيهِ سُوءًا أَوْ نَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ فَإِنَّكَ قُلْتَ (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى (١)) اللَّهُمَّ (٦) فَالِقَ الْإِصْبَاحِ وَجَاعِلَ اللَّيْلِ سَكَنًا وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ حُسْبَانًا ، أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ وَخَيْرَ مَا فِيهِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا فِيهِ ،

---

(١) حديث القول اذا استيقظ من منامه الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور : خ من حديث حذيفة وم من حديث البراء

(٢) حديث أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله : الطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة أصبحنا وأصبح الملك والحمد والحول والقوة والقدرة والسلطان والسموات والارض وكل شىء لله رب العالمين وله فى الدعاء من حديث ابن أبى أوفى أصبحت وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والليل والنهار وما سكن فيها لله واسنادها ضعيف ولمسلم من حديث ابن مسعود أصبحنا وأصبح الملك لله

(١) حديث أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين : ن فى اليوم والليلة من حديث عبد الرحمن بن أبزى بسند صحيح ورواه أحمد من حديث ابن أبزى عن أبى كعب مرفوعا

(٢) حديث اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت واليك المصير : أصحاب السنن وحب وحسنه ت الا أنهم قالوا واليك النشور ولا بن السنى واليك المصير

(٣) حديث اللهم انا نسألك أن تبعثنا فى هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه سوأ أو نجره الى مسلم الحديث : لم أجد أوله وت من حديث أبى بكر فى حديث له وأعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه وأن تقترف على أنفسنا سوءا أو نجره الى مسلم رواه د من حديث أبى مالك الأشعرى باسناد جيد

(٤) حديث اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر مافيه : قلت هو مركب من حديثين فروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اقض عنى الدين وأغننى من الفقر وقوّنى على الجهاد فى سبيلك وللدارقطنى فى الأفراد من حديث البراء نسألك خير هذا اليوم وخير مابعده ونعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده و د من حديث أبى مالك الأشعرى اللهم انا نسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وهداه وبركته وأعوذ بك من شر مافيه وشر مابعده وبسنده جيد وللحسن بن على المعمر فى اليوم والليلة من حديث ابن مسعود اللهم انى أسألك خير مافى هذا اليوم وخير مابعده وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر مابعده والحديث عند م فى المساء خير مافى هذه الليلة ـ الحديث : ثم قال واذا أصبح قال ذلك أيضا

---

(١) الأنعام : ٦٠

« (١) بِسْمِ اللهِ مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ، مَاشَاءَ اللهُ كُلُّ نِعْمَةٍ مِنَ اللهِ ، مَاشَاءَ اللهُ الْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِ اللهِ ، مَا شَاءَ اللهُ لَا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا اللهُ ، (٢) رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا ، (رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (١)) .

(٣) وإذا أمسى قال ذلك إلا أنه يقول أمسينا ويقول مع ذلك « أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ وَأَسْمَائِهِ كُلِّهَا مِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ وَبَرَأَ ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » .

(٤) وإذا نظر فى المرآة قال « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَوَّى خَلْقِي فَعَدَّلَهُ وَكَرَّمَ صُورَةَ وَجْهِي وَحَسَّنَهَا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ » .

---

(١) حديث بسم الله ماشاء الله لاقوة إلا بالله ماشاء الله كل نعمة فمن الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لايصرف السوء إلا الله : عد فى الكامل من حديث ابن عباس ولا أعلمه إلا مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال يلتقى الخضر والياس عليهما الصلاة والسلام كل عام بالموسم بمنى فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه فيفترقان عن هذه الكلمات فذكره ولم يقل الخير كله بيد الله قال موضعها لايسوق الخير إلا الله قال ابن عباس من قالهن حين يصبح وحين يمسى أمنه الله من الغرق والحرق وأحسبه قال ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب أورده فى ترجمة الحسين بن رزين وقال ليس بالمعروف وهو بهذا الاسناد منكر

(٢) حديث رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا : تقدم فى الباب الأول

(٣) حديث القول عند المساء مثل الصباح الا أنك تقول أمسينا وتقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ماذرأ وبرأ ومن شر كل ذى شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط المستقيم : أبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث عبد الرحمن بن عوف من قال حين يصبح أعوذ بكلمات الله التامات التى لايجاوزهن بر ولا فاجر من شر ماخلق وبرأ وذرأ اعتصم من شر الثقلين ـ الحديث : وفيه وان قالهن حين يمسى كن له كذلك حتى يصبح وفيه ابن لهيعة ولأحمد من حديث عبد الرحمن بن حسن فى حديث أن جبريل قال يامحمد قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء الحديث : واسناده جيد ولمسلم من حديث أبى هريرة فى الدعاء عند النوم أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها وللطبرانى فى الدعاء من حديث أبى الدرداء اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة الخ ـ الحديث : وقد تقدم فى الباب الثانى

(٤) حديث القول اذا نظر فى المرآة الحمد لله الذى سوى خلقى فعدله وكرم صورة وجهى وحسنها وجعلنى من المسلمين : الطبرانى فى الأوسط وابن السنى فى اليوم والليلة من حديث أنس بسند ضعيف

(١) الممتحنة : ٤

(١) وإذا اشتريت خادما أو غلاما أو دابة فخذ بناصيته وقل : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا جُبِلَ عَلَيْهِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا جُبِلَ عَلَيْهِ »

(٢) وإذا هنأت بالنكاح فقل : « بَارَكَ اللهُ فِيكَ وَبَارَكَ عَلَيْكَ وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ »

. وإذا قضيت الدين فقل للمقضى له (٣) « بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ » إذ قال صلى الله عليه وسلم « إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ الْحَمْدُ وَالْأَدَاءُ »

فهذه أدعية لا يستغنى المريد عن حفظها ، وما سوى ذلك من أدعية السفر والصلاة والوضوء ذكرناها فى كتاب الحج والصلاة والطهارة

فان قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له

فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء ، فالدعاء سبب لرد البلاء ، واستجلاب الرحمة ، كما أن الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض ، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان ، فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان ، وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يحمل السلاح ، وقد قال تعالى: (خُذُوا حِذْرَكُمْ (١)) وأن لا يسقى الأرض بعد بث البذر ، فيقال إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر، وإن لم يسبق لم ينبت ، بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذى هو كلمح البصر أو هو أقرب ، وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذى قدر الخير قدره بسبب والذى قدر الشر قدر لدفعه سببا ، فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته ،

ثم فى الدعاء من الفائدة ما ذكرناه فى الذكر فانه يستدعى حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات

---

(١) حديث القول اذا اشترى خادما أو دابة اللهم انى أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ماجبل عليه : د ه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند جيد

(٢) حديث التهنئة بالنكاح بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير : دت ه من حديث أبى هريرة قال ت حسن صحيح

(٣) حديث الدعاء لصاحب الدين اذا قضى الله دينه بارك الله لك فى أهلك ومالك انما جزاء السلف الحمد والاداء : ن من حديث عبد الله بن أبى ربيعة قال استقرض منى النبى صلى الله عليه وسلم أربعين ألفا فجاءه مال فدفعه الى قال فذكره واسناده حسن

---

(١) النساء : ٧١

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (١) « الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ »

والغالب على الخلق أنه لا تنصرف قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل إلا عند إلمام حاجة وإرهاق مامة ، فان الانسان إذا مسه الشر فذو دعاء عريض ، فالحاجة تحوج إلى الدعاء ، والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة ، فيحصل به الذكر الذى هو أشرف العبادات، ولذلك صار البلاء موكلا بالأنبياء عليهم السلام ، ثم الأولياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، لأنه يرد القلب بالافتقار والتضرع إلى الله عز وجل ، ويمنع من نسيانه ، وأما الغنى فسبب للبطر فى غالب الأمور ، فان الانسان ليطغى أن رآه استغنى

فهذا ماأردنا أن نورده من جملة الأذكار والدعوات، والله الموفق للخير ، وأما بقية الدعوات فى الأكل والسفر وعيادة المريض وغيرها ، فستأتى فى مواضعها إن شاء الله تعالى وعلى الله التكلان ،

نجز كتاب الأذكار والدعوات بكماله ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأوراد ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) حديث الدعاء مخ العبادة : تقدم فى الباب الأول

فهرست الجزء الأول

الصفحة

مقدمة ١

كتاب العلم ٨

الباب الأول : فى فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهده من النقل والعقل ٨
فضيلة العلم ٨
فضيلة التعلم ١٥
فضيلة التعليم ١٦
فى الشواهد العقلية ٢١
أعمال الآدميين وحرفهم ٢٢
شرف السياسة ٢٢
الباب الثانى : فى العلم المحمود والمذموم ٢٤
بيان العلم الذى هو فرض عين ٢٤
آراء الناس فى العلم العينى ٢٤
أنواع المعاملة المكلف بها ٢٥
بيان العلم الذى هو فرض كفاية ٢٨
منزلة العلوم الشرعية ٢٨
أضرب العلوم الشرعية ٢٩
منزلة الفقه ومهمة الفقهاء ٣٠
مراتب الورع ٣٢
تفصيل علم طريق الآخرة — علم المكاشفة ٣٤
علم المعاملة ٣٦
الامام الشافعى ٤٢
الامام مالك ٤٦
الامام أبو حنيفة ٤٧
الامامان أحمد والثورى ٤٨
الباب الثالث : فيما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها ٤٩
بيان علة ذم العلم المذموم ٤٩
كلمة فى السحر ٤٩
علم النجوم ٥٠
بيان ما يدل من الفاظ العلوم ٥٣
ذم القصص ٥٨
المباح من القصص ٥٩
بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة ٦٥
الباب الرابع : فى سبب اقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط اباحتها ٧٠
بيان التلبيس فى تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف ٧١
شروط المناظرة لطلب الحق ٧٢
بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق ٧٦

الصفحة

أقسام العلماء ٨١
الباب الخامس : فى آداب المتعلم والمعلم ٨٢
مراتب العلوم ٩٠
كلمة فى القلب ٩١
بيان وظائف المرشد المعلم ٩٢
الباب السادس : فى آفات العلم ٩٨
علامات علماء الآخرة ١٠١
اجتناب المباح تورعا وانصاف العلماء للحق ١١٤
التحرز من مخالطة السلاطين ١١٥
التحرج من الفتيا ١١٧
معنى اليقين — اليقين فى اصطلاح النظار والمتكلمين ١٢٣
اليقين فى اصطلاح الفقهاء والمتصوفة ١٢٤
مجارى اليقين ١٢٦
أوائل المصنفات فى الاسلام ١٣٤
ابتداء تصنيف الكلام ١٣٤
مقياس العلم الصحيح ١٣٥
الباب السابع : فى العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه — **بيان شرف العقل** ١٤٠
بيان حقيقة العقل وأقسامه ١٤٥
بيان تفاوت النفوس فى العقل ١٤٩

كتاب قواعد العقائد ١٥٤

الفصل الأول : فى ترجمة عقيدة أهل السنة فى كلمتى الشهادة والتنزيه ١٥٤
الحياة والقدرة و العلم ١٥٥
الارادة والسمع والبصر والكلام ١٥٦
الأفعال ١٥٧
معنى الكلمة الثانية وهى الشهادة للرسل بالرسالة ١٥٨
الفصل الثانى : فى وجه التدريج الى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد ١٦١
التحقيق فى حكم الجدل ١٦٧
الحقيقة والشريعة ١٧١
التأويل والتفويض ١٧٨
الفصل الثالث : فى لوامع الأدلة للعقيدة التى ترجمناها بالقدس ١٨٠
الركن الأول من اركان الايمان فى معرفة ذات الله سبحانه وتعالى ١٨٢
العلم بوجوده تعالى ١٨٢
البرهان العقلى على وجوده ١٨٣
القدم والبقاء والتنزه عن كونه جوهرا ١٨٤
التنزه عن الجسمية ١٨٥

الصفحة

التنزه عن الجسمية والتنزه عن كونه عرضا ١٨٥
الاستواء ١٨٦
الرؤية والوحدانية ١٨٧
الركن الثانى : العلم بصفات الله تعالى ١٨٨
القدرة ١٨٨
القدرة والعلم والحياة والارادة ١٨٨
السمع والبصر والكلام ١٨٩
قدم الكلام والصفات والتنزه عن حلول الحوادث ١٩٠
قدم العلم ١٩١

فهرست الجزء الثانى

الصفحة

العلم بأفعال الله تعالى وكسب العبد ١٩٣
ارادة الله فعل العبد ١٩٤
تفضل الله بالخلق ١٩٥
التكليف بما لا يطاق وجواز ابلام الخلق ١٩٥
عدم رعاية الأصلح عليه ١٩٦
بعثة الأنبياء جائزة وثبوت نبوة خاتم النبيين ١٩٨
الركن الرابع فى السمعيات وتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به ١٩٩
الحشر والنشر ١٩٩
سؤال منكر ونكير ـ عذاب القبر ـ الميزان ٢٠٠
الصراط ـ الجنة والنار ـ الأمامة الحقه ٢٠١
فضل الصحابة وترتيبه ـ شروط الامامة ٢٠٢
انعقاد الأمامة عند خوف الفتنة ٢٠٢
الفصل الرابع : فى الايمان والاسلام ٢٠٣
شبهة المرجئة ٢٠٨
زيادة الايمان ونقصانه ٢١٠
اطلاقات الايمان ٢١١
الاستثناء فى الاقرار بالايمان ٢١٣
ارتباط الايمان بالبراءة عن النفاق ٢١٦
بعض الآثار التى وردت فى التخلى عن النفاق ٢١٦
اقسام النفاق ٢١٨

كتاب أسرار الطهارة ٢٢٢

مراتب الطهاره ٢٢٣
القسم الأول : فى طهاره الخبث ٢٢٧
الطرف الأول فى المزال ٢٢٧
الطرف الثانى فى المزال به ٢٢٨
الطرف الثالث فى كيفية المزال ٢٣١
القسم الثانى : طهارة الأحداث ٢٣٢
باب آداب قضاء الحاجه ٢٣٢
كيفية الاستنجاء ٢٣٤
كيفية الوضوء ٢٣٥
فضيلة الوضوء ٢٤٠
كيفية الغسل ٢٤١
كيفية التيمم ٢٤٢
القسم الثالث : فى النظافة والتنظيف ٢٤٣
النوع الأول : الأوساخ والرطوبات المترشحة ٢٤٣
دخول الحمام ـ ما يجب على من دخل الحمام ٢٤٦
ما يسن لداخل الحمال ٢٤٧
جواز الدلك فى الحمام ٢٤٨
النوع الثانى فيما يحدث فى البدن من الأجزاء وشعر الرأس ٢٤٩
شعر الشارب ـ شعر الابط ـ شعر العانة ٢٥٠
الأظفار ـ ترتيب القلم ٢٥١
كيفية اكتحاله صلى الله عليه وسلم ٢٥٢
السرة والقلفة ٢٥٣
اللحية ٢٥٤
الخضاب ـ تبييض اللحية ٢٥٥

كتاب أسرار الصلاة

ومهماتها ٢٦٠
الباب الأول : فى فضائل الصلاة ٢٦١
فضيلة الأذان ٢٦١
فضيلة المكتوبة ٢٦٢
فضيلة اتمام الأركان ٢٦٤
فضيلة الجماعة ٢٦٥
فضيلة السجود ٢٦٦
فضيلة الخشوع ٢٦٧
فضيلة المسجد وموضع الصلاة ٢٧١
الباب الثانى : فى كيفية الأعمال الظاهره من الصلاة ٢٧٢
كيفية رفع اليدين للصلاة ٢٧٣
تكبيرة الاحرام ٢٧٤
القراءة فى الصلاة ٢٧٥
الركوع ولواحقه ـ السجود ٢٧٦
التشهد ٢٧٧
المنهيات ٢٧٩
تمييز الفرائض والسنن ٢٨٢
الباب الثالث : فى الشروط الباطنة من أعمال القلب ٢٨٥

	الصفحة
بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب	٢٨٥
بيان المعانى الباطنة التى تتم بها الصلاة	٢٨٩
بيان الدواء النافع فى حضور القلب	٢٩٣
بيان تفصيل ما ينبغى أن يحضر فى القلب	٢٩٦
ما يراعى فى الركوع والسجود	٣٠٣
ما يراعى فى التشهد	٣٠٤
ثمرة الخشوع فى الصلاة	٣٠٥
حكايات وأخبار فى صلاة الخاشعين	٣٠٧
مم يتولد الخشوع وفيم يكون	٣٠٧
الباب الرابع : فى الأمامة والقدوة	٣١٠
فضل الأمامة على الأذان	٣١٢
الأجرة على الأمامة والأذان	٢١٤
ما يجهر وما يسر به ومواطنهما	٣١٥
سكتات الأمام وما يقرأ فى الصلوات	٣١٦
آخر صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم	٣١٧
التخفيف فى الصلاة والتطويل	٣١٧
دعاء التشهد وحده	٣١٨
وظائف التحلل	٣١٩
الباب الخامس : فى فضل الجمعة وآدابها	٣٢٠
فضيلة الجمعة	٣٢٠
بيان شروط الجمعة	٣٢٢
بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة	٣٢٤
بدعة المقاصير ـ تحديد الصف الأول	٣٣١
بيان السنن والآداب الخارجة عن الترتيب السابق	٣٣٣
الساعة الشريفة من يوم الجمعة	٣٣٥
فضل سورة الكهف فى يوم الجمعة	٣٣٧
استحباب الصدقة يوم الجمعة	٣٣٩
الباب السادس : فى مسائل متفرقة	٣٤٠
العمل القليل فى الصلاة والصلاة فى النعلين	٣٤٠
البزق فى الصلاة	٣٤١
كيفية وقوف المقتدى ـ صلاة المسبوق	٣٤٢
الصلاة الفائتة ـ الصلاة فى الثوب النجس	٣٤٣
ترك شىء من سنن الصلاة	٣٤٣
الوسوسة فى نية الصلاة	٣٤٤
تقدم المأموم أو مساواته	٣٤٥
انكار المنكر وتنبيه المسىء فى صلاته	٣٤٦
الباب السابع : فى النوافل من الصلوات	٣٤٧
القسم الأول : فيما يتكرر بتكرر الأيام والليالى	٣٤٨
رواتب الصلوات الخمس	٣٤٨
الزوال	٣٤٩
وقت المغرب	٣٥٢
الأفضل فى الايتار	٣٥٣
القسم الثانى : ماينتكرر بتكرر الأسابيع	٣٥٦
القسم الثالث : ماينتكرر بتكرر السنين	٣٦٢
صلاة العيدين	٣٦٢
التراويح	٣٦٤
صلاة رجب ـ صلاة شعبان	٣٦٦
القسم الرابع : النوافل العارضة	٣٦٧
صلاة الخسوف والكسوف	٣٦٧
صلاة الاستسقاء	٣٦٨
صلاة الجنائز	٣٦٩
تحية المسجد	٣٧٠
ركعتا الوضوء	٣٧١
تحية المنزل	٣٧٢
صلاة الاستخارة	٣٧٣
صلاة الحاجة وصلاة التسبيح	٣٧٤
أسرار النهى فى أوقات الكراهة	٣٧٦
كتاب أسرار الزكاة	٣٧٨
الفصل الأول : فى أنواع الزكاة وأسباب وجوبها	٣٧٩
النوع الأول : زكاة النعم وشروط الزكاة	٣٧٩
زكاة الأبل وزكاة البقر	٣٨٠
زكاة الغنم	٣٨١
النوع الثانى : زكاة المعشرات	٣٨١
النوع الثالث : زكاة النقدين	٣٨٢
النوع الرابع : زكاة التجارة	٣٨٢
النوع الخامس : الركاز والمعدن	٣٨٣
النوع السادس : صدقة الفطر	٣٨٣
الفصل الثانى : فى الأداء وشروطه الباطنة والظاهرة	٣٨٤
بيان دقائق الآداب الباطنة فى الزكاة	٣٨٧

فهرست الجزء الثالث

	الصفحة
فضيلة اخفاء الصدقة	٣٩١
مواطن استحباب العلانية فى الصدقة	٣٩٢
محبطات الصدقة ـ المن ومصدره	٣٩٣
الأذى ومنبعه	٣٩٤
تخير المصرف	٣٩٧
الفصل الثالث : فى القابض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه	٤٠١
بيان أسباب الاستحقاق	٤٠١
مصارف الزكاة ـ الفقراء	٤٠١
المساكين	٤٠٢
العاملون ـ المؤلفة قلوبهم ـ المكاتبون	٤٠٣
الغارمون	٤٠٣
الغزاة ـ ابن السبيل ـ حد التحرى عن الفقير	٤٠٤

الصفحة

بيان وظائف القابض ٤٠٤
الأولى التجرد لعبادة الله ٤٠٤
الثانية الدعاء لمعطى الزكاة ٤٠٥
الثالثة التورع عن أخذ زكاة المال الحرام ٤٠٥
الرابعة التعفف فى أخذ مال الزكاة ٤٠٦
مذاهب العلماء فى مقدار الصدقة ٤٠٧
سؤال صاحب المال عن قدر الواجب عليه ٤٠٨
الفصل الرابع : فى صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها واعطائها ٤٠٨
بيان فضيلة الصدقة ٤٠٨
بيان اخفاء الصدقة واظهارها ٤١٢
مزايا اخفاء الصدقة ٤١٢
مزايا اظهار الصدقة ٤١٣
متى تخفى الصدقة ومتى تظهر ٤١٥
بيان الأفضل من أخذ الصدقة والزكاة ٤١٧
كتاب أسرار الصوم ٤١٩
الفصل الأول : فى الواجبات والسنن الظاهرة ٤٢٣
الواجبات الظاهرة ٤٢٣
سنن الصوم ٤٢٥
الفصل الثانى : فى أسرار الصوم وشروطه الباطنة ٤٢٦
صوم الصالحين وأسراره غض البصر ٤٢٦
حفظ اللسان ـ كف السمع كف الجوارح ٤٢٧
تقليل الطعام فى الافطار ٤٢٨
الفصل الثالث : فى التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه ٤٣١
رواتب الصوم السنوية ٤٣١
الأشهر الفاضلة والأشهر الحرم ٤٣٢
رواتب الصوم الشهرية ٤٣٢
رواتب الصوم الأسبوعية ـ صوم الدهر ٤٣٢
كتاب أسرار الحج ٤٨٥
الفصل الأول : فضائل الحج ومكة والمدينة ٤٣٦
فضيلة الحج ٤٣٧
فضيلة البيت ومكة المشرفة ٤٤٠
فضيلة المقام بمكة وكراهيته ٤٤٢
فضيلة المدينة على سائر البلاد ٤٤٤
زيارة المشاهد وقبور الأولياء ٤٤٤
الفصل الثانى : فى شروط الحج وأركانه ومحظوراته وشروط الحج ٤٤٦
أركان الحج ٤٤٧
محظورات الحج والعمرة الظاهرة ٤٤٨
السير من أول الخروج الى الاحرام ٤٤٩
آداب الاحرام ٤٥٢
آداب دخول مكة ٤٥٤
الطواف ٤٥٥
السعى ٤٥٨
الوقوف وما قبله ٤٦٠

الصفحة

الدعاء فى عرفة ٤٦١
بقية أعمال الحج ٤٦٤
كيفية الرمى ٤٦٥
التكبير يوم النحر وأيام التشريق ٨٦٦
طواف الزيارة ووقته ٤٦٦
أسباب التحلل ـ خطب الحج ٤٦٧
العمرة ومواقيتها ٤٦٨
طواف الوداع ـ زيارة المدينة وآدابها ٤٦٩
كيفية الوقوف أمام القبر الشريف ٤٧٠
مشاهد المدينة ومساجدها وآبارها ٤٧٣
سنن الرجوع من السفر ٤٧٤
الباب الثالث : الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة ٤٧٥
بيان دقائق الآداب ٤٧٥
بيان الأعمال الباطنة ٤٨١
فهم أصل الحج ٤٨٢
الشوق الى الحج ٤٨٣
العزم على الحج ـ التجرد للحج ٤٨٤
الزاد للحج ـ الراحلة ٤٨٥
لباس الاحرام ـ الخروج للحج ٤٨٥
الدخول الى الميقات ـ الاحرام والتلبية ٤٨٦
دخول مكة ـ مشاهدة البيت ٤٨٧
الطواف بالبيت ٤٨٧
استلام الحجر الأسود ٤٨٨
التعلق بأستار الكعبة ٤٨٨
السعى بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة ٤٨٨
رمى الجمار ـ زيارة المدينة ٤٨٩
زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٤٩١
كتاب آداب التلاوة ٤٩٣
الباب الأول : فى فضل القرآن وذم المقصرين فى تلاوته ٤٩٥
فضيلة القرآن ٤٩٥
فى ذم تلاوة الغافلين ٤٩٧
الباب الثانى : فى ظاهر آداب التلاوة ٤٩٩
أدب القارى ـ مقدار القراءة ٤٩٩
تقسيم القرآن فى الورد ٥٠٠
كتابة القرآن ٥٠١
ترتيل القرآن ـ البكاء فى القرآن ٥٠٢
مراعاة السجدات ـ الاستعاذة ٥٠٣
الجهر بالقراءة ٥٠٤
تحسين الصوت فى القراءة ٥٠٦
الباب الثالث : فى اعمال الباطن فى التلاوة ٥٠٧
فهم عظمة الكلام وعلوه ٥٠٧
التعظيم للمتكلم ـ حضور القلب ٥٠٩
التدبر ٥١٠
التفهم ٥١١
التخلى عن موانع الفهم ٥١٤
التخصيص ٥١٥

الصفحة

التائن ٥١٦
الترقى ٥٢٠
التبرى ٥٢١
الباب الرابع : فى فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل ٥٢٢
النهى عن التفسير بالرأى ٥٢٥
الواجب علمه للمفسر ٥٢٦

كتاب الأذكار والدعوات ٥٣١

وفائدته ٥٣٢
فضيلة مجالس الذكر ٥٣٥
فضيلة التهليل ٥٣٧
فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الأذكار ٥٤٠
الباب الثانى : فى آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية المأثورة ٥٤٨
فضيلة الدعاء ٥٤٨
آداب الدعاء ٥٤٩
تخير الأوقات الشريفة ٥٤٩
اغتنام الأحوال الشريفة ٥٥٠
استقبال القبلة ٥٥٠
انخفاض الصوت ٥٥١
عدم تكلف السجع ٥٥٢
التضرع والخشوع ـ الايقان بالاجابة ٥٥٣
الالحاح فى الدعاء ـ افتتاح الدعاء بالذكر ٥٥٤
التوبة ٥٥٥
النميمة واثرها فى احباط الدعاء ـ رد المظالم ـ الاقرار بالاساءة ٥٥٥
كفارة النظر الى المرأة ٥٥٦
الاستسقاء بالعباس ٥٥٧
فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥٥٧
حنين عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥٥٩
بعض معجزاته صلى الله عليه وسلم ٥٦٠
حلمه صلى الله عليه وسلم ٥٦٠
تواضعه صلى الله عليه وسلم ٥٦٠
فضيلة الاستغفار ٥٦١
مزايا الاكثار من الاستغفار ٥٦١
استغفار الولد رافع لدرجات والده ٥٦٣
احب العباد الى الله ٥٦٤
الباب الثالث : فى ادعية مأثورة ومعزية الى اسبابها وأربابها ٥٦٥
دعاء الفجر ٥٦٦
دعاء عائشة رضى الله عنها ٥٦٦

الصفحة

دعاء فاطمة رضى الله عنها ٥٦٧
دعاء أبى بكر رضى الله عنه ٥٦٧
دعاء بريدة وقبيصة وابى الدرداء رضى الله عنهم ٥٦٨
دعاء ابراهيم وعيسى والخضر عليهم السلام ٥٦٩
دعاء معروف الكرخى رضى الله تعالى عنه ٥٦٩
دعاء عتبة الغلام وآدم عليهما السلام ٥٧٠
دعاء على رضى الله تعالى عنه ٥٧٠
دعاء ابن المعتمد رضى الله تعالى عنه وتسبيحاته ٥٧١
دعاء ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه ٥٧١
الباب الرابع : فى أدعية مأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه ٥٧٣
الباب الخامس : فى الادعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث ٥٨١
عند الذهاب الى المسجد ٥٨١
عند الخروج من المنزل لحاجة ٥٨١
عند دخول المسجد ٥٨١
فى الركوع ـ فى السجود ٥٨٢
عند الفراغ من الصلاة ٥٨٣
عند القيام من المجلس ٥٨٣
عند دخول السوق ٥٨٣
عند الدين ٥٨٣
عند لبس ثوب جديد ٥٨٣
عند رؤية ما يكره ٥٨٣
عند رؤية الهلال ٥٨٤
عند هبوب الريح ٥٨٤
عند وفاة أحد ٥٨٤
عند التصدق ٥٨٤
عند الخسران ٥٨٤
عند الابتداء فى أمر ما ٥٨٤
عند النظر الى السماء ٥٨٥
عند سماع صوت الرعد والصواعق والمطر ٥٨٥
عند الغضب ـ عند الخوف ٥٨٥
عند الغزو ـ عند طن الآذن ٥٨٥
عند الهم ـ عند الوجع ـ عند الكرب ٥٨٦
عند ارادة النوم ٥٨٦
عند الاستيقاظ ٥٨٨
عند المساء ـ عند النظر فى المرآة ٥٨٩
عند شراء الحاجة ٥٩٠
عند التهنئة بالنكاح ـ عند قضاء الدين ٥٩٠
فائدة الدعاء ٥٩٠

كتاب الشعب

إحياء علوم الدين

للإمام أبي حامد الغزالي

الجزء الرابع

دار الشعب
٩٢ شارع قصر العيني - القاهرة ت ٣١٨١٠

كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل أحياء الليل

كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل

وهو الكتاب العاشر من إحياء علوم الدين
وبه اختتام ربع العبادات نفع الله به المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله على آلائه حمدا كثيرا ، ونذكره ذكرا لا يغادر فى القلب استكبارا ولا نفورا ، ونشكره إذ جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ، ونصلى على نبيه الذى بعثه بالحق بشيراً ونذيرا ، وعلى آله الطاهرين وصحبه الأكرمين ، الذين اجتهدوا فى عبادة الله غدوة وعشيا وبكرة وأصيلا ، حتى أصبح كل واحد منهم نجما فى الدين هاديا وسراجا منيرا

أما بعد : فان الله تعالى جعل الأرض ذلولا لعباده ، لا ليستقروا فى مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودوا منها زادا يحملهم فى سفرهم إلى أوطانهم ، ويكتنزون منها تحفا لنفوسهم عملا وفضلا ، محترزين من مصائدها ومعاطبها ، ويتحققون أن العمر يسيرهم سير السفينة براكبها ، فالناس فى هذا العالم سفر ، وأول منازلهم المهد ، وآخرها اللحد ، والوطن هو الجنة أو النار ، والعمر مسافة السفر ، فسنوه مراحله ، وشهوره فراسخه ، وأيامه أمياله ، وأنفاسه خطواته ، وطاعته بضاعته ، وأوقاته رءوس أمواله ، وشهواته وأغراضه قطاع طريقه ، وربحه الفوز بلقاء الله تعالى فى دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم ، وخسرانه البعد من الله تعالى مع الأنكال والأغلال والعذاب الأليم فى دركات الجحيم ، فالغافل فى نفس من أنفاسه حتى ينقضى فى غير طاعة تقربه إلى الله زلفى متعرض فى يوم التغابن لغبينة وحسرة مالها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد ، وودعوا بالكلية ملاذ النفس ، واغتنموا بقايا العمر ، ورتبوا بحسب تكرر الأوقات وظائف الأوراد ، حرصا على إحياء الليل والنهار فى طلب القرب من الملك الجبار والسعى إلى دار القرار ، فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول فى كيفية قسمة الأوراد وتوزيع العبادات التى سبق شرحها على مقادير الأوقات ، ويتضح هذا المهم بذكر بابين

الباب الأول : فى فضيلة الأوراد ، وترتيبها فى الليل والنهار

الباب الثانى : فى كيفية إحياء الليل ، وفضيلته وما يتعلق به

الباب الأول

فى فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها

فضيلة الأوراد

وبيان أن المواظبة عليها هى الطريق إلى الله تعالى

اعلم ان الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لانجاة إلا فى لقاء الله تعالى ، وأنه لاسبيل إلى اللقاء إلا بان يموت العبد محبا لله تعالى ، وعارفا بالله سبحانه ، وأن المحبة والأنس لاتحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه ، وأن المعرفة به لاتحصل إلا بدوام الفكر فيه وفى صفاته وأفعاله ، وليس فى الوجود سوى الله تعالى وأفعاله ،ولن يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بوداع الدنيا وشهواتها ، والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة ، وكل ذلك لايتم إلا باستغراق أوقات الليل والنهار فى وظائف الأذكار والأفكار ، والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملال لاتصبر على فن واحد من الأسباب المعينة على الذكر والفكر، بل إذا رُدَّت إلى نمط واحد أظهرت الملال والاستثقال ، وان الله تعالى لايمل حتى تملوا ، فمن ضرورة اللطف بها أن تروَّح بالتنقل من فن الى فن ، ومن نوع إلى نوع ، بحسب كل وقت لتغزر بالانتقال لذتها ، وتعظم باللذة رغبتها ، وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها ، فلذلك تقسم الأوراد قسمة مختلفة ، فالذكر والفكر ينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثرها ، فان النفس بطبعها مائلة إلى ملاذ الدنيا ، فان صرف العبد شطر أوقاته إلى تدبيرات الدنيا وشهواتها المباحة مثلا ، والشطر الآخر الى العبادات رجح جانب الميل إلى الدنيا ، لموافقتها الطبع ، إذ يكون الوقت متساويا فانّى يتقاومان والطبع لأحدهما مرجح ، إذ الظاهر والباطن يتساعدان على أمور الدنيا ويصفو فى طلبها القلب ويتجرد ، وأما الرد إلى العبادات فمتكلف ، ولايسلم اخلاص القلب فيه وحضوره إلا فى بعض الأوقات ، فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقاته فى الطاعة ، ومن أراد أن تترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب فى الطاعة أكثر أوقاته ، فان خلط عملا صالحا وآخر سيئا فامره مخطر ، ولكن الرجاء غير منقطع ، والعفو من كرم الله منتظر ، فعسى الله تعالى أن يغفر له بجوده وكرمه ،

فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة ، فان لم تكن من أهله فانظر إلى خطاب الله تعالى لرسوله واقتبسه بنور الايمان ، فقد قال الله تعالى لاقرب عباده إليه وأرفعهم درجة لديه (إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً . وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً [١]) وقال تعالى : (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً [٢]) وقال تعالى: (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ [٣]) وقال سبحانه : (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ [٤]) وقال تعالى : (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً [٥]) وقال تعالى : (وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى [٦]) وقال تعالى : (وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ [٧]) ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم فقال تعالى : (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ . قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ [٨]) وقال تعالى: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً [٩]) وقال عز وجل : (وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً [١٠]) وقال عز وجل : (كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ [١١]) وقال عز وجل : (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ [١٢]) وقال تعالى: (وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ [١٣])

فهذا كله يبين لك أن الطريق إلى الله تعالى مراقبة الأوقات وعمارتها بالاوراد على سبيل الدوام ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [١] « أَحَبُّ عِبَادِ اللهِ إِلَى اللهِ الَّذِينَ يُرَاعُونَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالأَظِلَّةَ لِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى » وقد قال تعالى: (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ [١٤]) وقال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً [١٥])

﴿ كتاب الأوراد وفضل إحياء الليل ﴾

﴿ الباب الأول في فضيلة الأوراد ﴾

(١) حديث أحب عباد الله إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر والأهلة لذكر الله : الطبراني و ك وقال صحيح الاسناد من حديث ابن أبي أوفى بلفظ خيار عباد الله

(١) المزمل : ٧ ، ٨ (٢) الدهر : ٢٥ ، ٢٦ (٣) ق : ٣٩ ، ٤٠ (٤) الطور : ٤٨ ، ٤٩ (٥) المزمل : ٦
(٦) طه : ١٣٠ (٧) هود : ١١٤ (٨) الزمر : ٩ (٩) السجدة : ١٦ (١٠) الفرقان : ٦٤ (١١) الذاريات : ١٧ ، ١٨
(١٢) الروم : ١٧ (١٣) الأنعام : ٥٢ (١٤) الرحمن : ٥ (١٥) الفرقان : ٤٥ ، ٤٦

وقال تعالى (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ [١]) وقال تعالى (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ [٢]) فلا تظنن أن المقصود من سير الشمس والقمر بحسبان منظوم مرتب ، ومن خلق الظل والنور والنجوم أن يستعان بها على أمور الدنيا ، بل لتعرف بها مقادير الاوقات ، فتشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الآخرة ، يدلك عليه قوله تعالى (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا [٣]) أي يخلف أحدهما الآخر ليتدارك في أحدهما مافات في الآخر ، وبين أن ذلك للذكر والشكر لاغير ، وقال تعالى : (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ [٤]) وإنما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة ، ونسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه

بيان إعداد الأوراد وترتيبها

اعلم أن أوراد النهار سبعة ، فما بين طلوع الصبح إلى طلوع قرص الشمس ورد ، وما بين طلوع الشمس إلى الزوال وردان ، وما بين الزوال إلى وقت العصر وردان ، وما بين العصر إلى المغرب وردان ، والليل ينقسم إلى أربعة أوراد ، وردان من المغرب إلى وقت نوم الناس ، ووردان من النصف الأخير من الليل إلى طلوع الفجر ؛ فلنذكر فضيلة كل ورد ووظيفته وما يتعلق به

فالورد الأول : ما بين طلوع الصبح إلى طلوع الشمس ، وهو وقت شريف ويدل على شرفه وفضله إقسام الله تعالى به إذ قال (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ [٥]) وتمدحه به إذ قال (فَالِقُ الْإِصْبَاحِ [٦]) وقال تعالى : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ [٧]) وإظهاره القدرة بقبض الظل فيه إذ قال تعالى : (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا [٨]) وهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس وارشاده الناس إلى التسبيح فيه ، بقوله تعالى : (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ [٩]) وبقوله تعالى: (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا [١٠]) وقوله عز وجل: (وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى [١١]) وقوله تعالى: (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا [١٢])

---

(١) يس : ٣٩ (٢) الأنعام : ٩٧ (٣) الفرقان : ٦٢ (٤) الاسراء : ١٢ (٥) التكوير : ١٨ (٦) الأنعام : ٩٦
(٧) الفلق : ١ (٨) الفرقان : ٤٦ (١) الروم : ١٧ (١٠) طه : ١٣٠ (١١) طه : ١٣٠ (١٢) الدهر : ٢٥

فأما ترتيبه: فليأخذ من وقت انتباهه من النوم، فإذا انتبه فينبغي أن يبتدىء بذكر الله تعالى فيقول. الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور، إلى آخر الأدعية والآيات التى ذكرناها فى دعاء الاستيقاظ من كتاب الدعوات، وليلبس ثوبه وهو فى الدعاء، وينوى به ستر عورته إمتثالا لأمر الله تعالى، واستعانة به على عبادته من غير قصد رياء ولا رعونة ثم يتوجه إلى بيت الماء إن كان به حاجة إلى بيت الماء، ويدخل أولا رجله اليسرى ويدعو بالأدعية التى ذكرناها فيه فى كتاب الطهارة عند الدخول والخروج، ثم يستاك على السنة كما سبق، ويتوضأ مراعيا لجميع السنن والأدعية التى ذكرناها فى الطهارة، فإنا إنما قدمنا آحاد العبادات لكى نذكر فى هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط، فاذا فرغ من الوضوء صلى ركعتى الفجر، أعنى السنة فى منزله [1] «كَذَلِكَ كَانَ يَفْعَلُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم» ويقرأ بعد الركعتين سواء أداهما فى البيت أو المسجد الدعاء الذى رواه ابن عباس رضى الله عنهما، ويقول: اللهم [2] إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى، إلى آخر الدعاء، ثم يخرج من البيت متوجها إلى المسجد، ولا ينسى دعاء الخروج إلى المسجد، ولا يسعى إلى الصلاة سعيا [3] بل يمشى وعليه السكينة والوقار كما ورد به الخبر، ولا يشبك بين أصابعه، ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو [4] بالدعاء المأثور لدخول المسجد، ثم يطلب من المسجد الصف الأول ان وجد متسعا، ولا يتخطى رقاب الناس ولا يزاحم، كما سبق ذكره فى كتاب الجمعة ثم يصلى ركعتى الفجر إن لم يكن صلاهما فى البيت، ويشتغل بالدعاء المذكور بعدهما، وإن كان قد صلى ركعتى الفجر صلى ركعتى التحية وجلس منتظرا للجماعة، والأحب التغليس بالجماعة فقد كان صلى الله عليه وسلم [5] يغلس بالصبح، ولا ينبغى أن يدع الجماعة فى الصلاة عامة وفى الصبح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل،

---

(١) حديث صلاة ركعتى الصبح فى المنزل: متفق عليه من حديث حفصة

(٢) حديث الدعاء بعد ركعتى الصبح اللهم انى أسألك رحمة من عندك ـ الحديث: تقدم

(٣) حديث المشى إلى الصلاة وعليه السكينة: متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٤) حديث الدعاء المأثور لدخول المسجد تقدم فى الباب الخامس من الأذكار

(٥) حديث التغليس فى الصبح: متفق عليه من حديث عائشة

فقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] أنه قال فى صلاة الصبح « مَنْ تَوَضَّأَ ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى الْمَسْجِدِ لِيُصَلِّيَ فِيهِ الصَّلَاةَ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ حَسَنَةٌ وَمُحِيَ عَنْهُ سَيِّئَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا فَإِذَا صَلَّى ثُمَّ انْصَرَفَ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ فِي جَسَدِهِ حَسَنَةٌ وَانْقَلَبَ بِحَجَّةٍ مَبْرُورَةٍ فَإِنْ جَلَسَ حَتَّى يَرْكَعَ الضُّحَى كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ رَكْعَةٍ أَلْفَا أَلْفِ حَسَنَةٍ وَمَنْ صَلَّى الْعَتَمَةَ فَلَهُ مِثْلُ ذَلِكَ وَانْقَلَبَ بِعُمْرَةٍ مَبْرُورَةٍ . »

وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر، قال رجل من التابعين: دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فلقيت أبا هريرة قد سبقنى ، فقال لى يا ابن أخى لأى شىء خرجت من منزلك فى هذه الساعة ، فقلت لصلاة الغداة فقال[2] أبشر فانا كنا نعد خروجنا وقعودنا فى المسجد فى هذه الساعة بمنزلة غزوة فى سبيل الله تعالى ، أو قال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علىّ رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم[3] طرقه وفاطمة رضى الله عنهما وهما نائمان فقال أَلَا تُصَلِّيَانِ؟ قال علىّ ، فقلت يارسول الله إنما أنفسنا بيد الله تعالى فاذا شاء أن يبعثها بعثها ، فانصرف صلى الله عليه وسلم فسمعته وهو منصرف يضرب فخذه ويقول : « وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا »

ثم ينبغى أن يشتغل بعد ركعتى الفجر ودعائه بالاستغفار والتسبيح إلى أن تقام الصلاة فيقول: أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه سبعين مرة ، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ، ثم يصلى الفريضة مراعيا جميع ماذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة فى الصلاة والقدوة، فاذا فرغ منها قعد فى المسجد إلى طلوع الشمس

---

(١) حديث أنس فى صلاة الصبح من توضأ ثم توجه إلى المسجد يصلى فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئة ، والحسنة بعشر أمثالها ، وإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة فى جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فان جلس حتى يركع كتب له بكل ركعة ألفا ألف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بحجة مبرورة لم أجد له أصلا بهذا السياق وفى شعب الايمان للبيهق من حديث أنس بسند ضعيف ومن صلى المغرب فى جماعة كان له كحجة مبرورة وعمرة متقبلة

(٢) حديث أبى هريرة كنا نعد خروجنا وقعودنا فى المجلس فى هذه الساعة بمنزلة غزوة فى سبيل الله لم أقف له على أصل

(٣) حديث على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة وهما نائمان فقال ألا تصليان ؟ قال على فقلت يارسول الله انما أنفسنا بيد الله ـ الحديث : متفق عليه

فى ذكر الله تعالى كما سنرتبه ، فقد قال صلى الله عليه وسلم [١] « لَأَنْ أَقْعُدَ فِي مَجْلِسٍ أَذْكُرُ اللهَ تَعَالَى فِيهِ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَ رِقَابٍ » وروى أنه صلى الله عليه وسلم [٢] كَانَ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ قَعَدَ فِي مُصَلَّاهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ » وفى بعضها « وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ » أى بعد الطلوع، وقد ورد فى فضل ذلك مالا يحصى، وروى الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣] كان فيما يذكره من رحمة ربه يقول إنه قال « يَا ابْنَ آدَمَ اذْكُرْنِي بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ سَاعَةً وَبَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ سَاعَةً أَكْفِكَ مَا بَيْنَهُمَا »

وإذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم إلى طلوع الشمس، بل ينبغى أن تكون وظيفته إلى الطلوع أربعة أنواع، أدعية، وأذكار، ويكررها فى سبحة، وقراءة قرءان، وتفكر

أما الأدعية فكلما يفرغ من صلاته فليبدأ وليقل: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم أنت السلام، ومنك السلام، وإليك يعود السلام، حينا ربنا بالسلام، وأدخلنا دار السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام، ثم يفتتح الدعاء بما كان يفتتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤] وهو قوله «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى الْوَهَّابِ [٥] لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَهْلُ النِّعْمَةِ وَالْفَضْلِ ، وَالثَّنَاءِ الْحَسَنِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ ، مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » ثم يبدأ بالأدعية التى أوردناها فى الباب الثالث والرابع من كتاب الأدعية فيدعو بجميعها إن قدر عليه، أو يحفظ من جملتها ما يراه أوفق بحاله، وأرق لقلبه، وأخف على لسانه

---

(١) حديث لأن أقعد فى مجلس أذكر الله فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب : د من حديث أنس وتقدم فى الباب الثالث من العلم

(٢) حديث كان إذا صلى الغداة قعد فى مصلاه حتى تطلع الشمس وفى بعضها ويصلى ركعتين أى بعد الطلوع : م من حديث جابر بن سمرة دون ذكر الركعتين و ت من حديث أنس وحسنه من صلى الفجر فى جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة

(٣) حديث الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكر من رحمة ربه انه قال يا ابن آدم اذكرنى من بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما : ابن المبارك فى الزهد هكذا مرسلا

(٤) حديث كان يفتتح الدعاء بسبحان ربى العلى الأعلى الوهاب : تقدم

(٥) حديث الفضل فى تكرار لا اله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير : تقدم من حديث أبى أيوب بتكرارها عشرا دون قوله يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير فانها فى اليوم والليلة للنسائى من حديث أبى ذر دون قوله وهو حى لا يموت وهى كلها عند البزار من حديث عبد الرحمن بن عوف فيما يقال عند الصباح والمساء وتقدم تكرارها مائة ومائتين وللطبرانى فى الدعاء من حديث عبد الله بن عمرو تكرارها ألف مرة وأسناده ضعيف

وأما الأذكار المكررة فهى كلمات ورد فى تكرارها فضائل لم نطول بايرادها ، وأقل ماينبغى أن يكرر كل واحدة منها ثلاثا أو سبعا وأكثره مائة أو سبعون ، وأوسطه عشر فليكررها بقدر فراغه وسعة وقته ، وفضل الأكثر أكثر والأوسط الأقصدُ أن يكررها عشر مرات ، فهو أجدر بأن يدوم عليه، وخير الأمور أدومها وإن قل، وكل وظيفة لايمكن المواظبة على كثيرها ، فقليلها مع المداومة أفضل ، وأشد تأثيرا فى القلب من كثيرها مع الفترة ومثال القليل الدائم كقطرات ماء تتقاطر على الأرض على التوالى فتحدث فيها حفيرة ؛ ولو وقع ذلك على الحجر ، ومثال الكثير المتفرق ماء يصب دفعة أو دفعات متفرقة متباعدة الأوقات فلا يبين لها أثر ظاهر ، وهذه الكلمات عشرة

الأولى: قوله · لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد ، يحيي و يميت وهو حى لا يموت ، بيده الخير ، وهو على كل شىء قدير

الثانية: قوله[1] سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

الثالثة : قوله . [2] سبوح قدوس رب الملائكة والروح

الرابعة : قوله . [3] سبحان الله العظيم وبحمده

الخامسة: قوله . [4] أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأسأله التوبة

---

(١) حديث الفضل فى تكرار سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ن فى اليوم والليلة وحبك وصححه من حديث أبى سعيد الخدرى اسنكثروا من الباقيات الصالحات فذكرها

(٢) حديث تكرار سبوح قدوس رب الملائكة والروح: لم أجد ذكرها مكررة لكن عند م من حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان يقولها فى ركوعه وسجوده وقد تقدم ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث البراء أكثر من أن تقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح

(٣) حديث تكرار سبحان الله وبحمده : متفق عليه من حديث أبى هريرة من قال ذلك فى يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر

(٤) حديث تكرار أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأسأله التوبة: المستغفرى فى الدعوات من حديث معاذ أن من قالها بعد الفجر وبعد العصر ثلاث مرات كفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر ولفظه وأتوب إليه وفيه ضعف وهكذا رواه ت من حديث أبى سعيد فى قولها ثلاثا وللبخارى من حديث أبى هريرة انى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة ولم يقل الطبرانى أكثر ولمسلم من حديث الاعرابى لأستغفر الله فى كل يوم مائة مرة. تقدمت هذه الأحاديث فى الباب الثانى من الأذكار)

السادسة: قوله . اللهم [١] لامانع لما أعطيت، ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد

السابعة : قوله . [٢] لا إله إلا الله الملك الحق المبين

الثامنة : قوله [٣] بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء، وهو السميع العليم

التاسعة: اللهم [٤] صل على محمد ، عبدك ونبيك ورسولك، النبىّ الأمىّ وعلى آله وصحبه وسلم

العاشرة : قوله [٥] أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، رب أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون ،

فهذه العشر كلمات ، إذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة مرة فهو أفضل من أن يكرر ذكرا واحدا مائة مرة ، لأن لكل واحدة من هؤلاء الكلمات فضلا على حياله، وللقلب بكل واحدة نوع تنبه وتلذذ ، وللنفس فى الانتقال من كلمة إلى كلمة نوع استراحة وأمن من الملل

---

(١) حديث تكرار اللهم لامانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الحد منك الجد: لم أجد تكرارها فى حديث وانما وردت مطلقة عقب الصلوات وفى الرفع من الركوع

(٢) حديث تكرار لا إله إلا الله الملك الحق المبين: المستغفرى فى الدعوات والخطيب فى الرواة عن مالك من حديث على من قالها فى يوم مائة مرة كان له أمان من الفقر وأمان من وحشة القبر واستجلب به الغنى واستفرع به باب الجنة وفيه الفضل بن غانم ضعيف ولأبى نعيم فى الحلية من قال ذلك فى كل يوم وليلة مائتى مرة لم يسأل الله فيها حاجة إلا قضاها وفيه سليم الخواص ضعيف وقال فيه أظنه عن على

(٣) حديث تكرار بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم: أصحاب السنن وابن حبان و ك وصححه من حديث عثمان من قال ذلك ثلاث مرات حين يمسى لم يصبه فجأة بلاء حتى يصبح ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم يصبه فجأة بلاء حتى يمسى قال ت حسن صحيح غريب

(٤) حديث تكرار اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الامى وعلى آل محمد: ذكره أبو القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقى فى فضائل الفرءان من حديث ابن أبى أوفى من أراد أن يموت فى السماء الرابعة فليقل كل يوم ثلاث مرات فذكره وهو منكر قلت ورد التكرار عند الصباح والمساء من غير تعيين لهذه الصيغة رواه الطبرانى من حديث أبى الدرداء بلفظ من صلى على حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتى يوم القيامة وفيه انقطاع

(٥) حديث تكرار أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم أعوذ بالله من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون: ت من حديث معقل بن يسار من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك ـ الحديث : ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة وقال حسن غريب ولابن أبى الدنيا من حديث أنس مثل حديث مقطوع قبله من قالها حين يصبح عشر مرات أجير من الشيطان إلى الصبح ـ الحديث : ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث عائشة ألا أعلمك يا خالد كلمات تقولها ثلاث مرات قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون والحديث عند أبى داود و ت وحسنه و ك وصححه فيما يقال عند الفزع دون تكرارها ثلاثا من حديث عبد الله بن عمرو

فأما القراءة : فيستحب له قراءة جملة من الآيات ؛ وردت الاخبار بفضلها ، وهو أن يقرأ سورة الحمد [١] وآية الكرسى [٢] وخاتمة البقرة [٣] من قوله (آمَنَ الرَّسُولُ [١]) [٤] (وَشَهِدَ اللهُ [٢]) [٥] (وَقُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ [٣]) الآيتين وقوله تعالى [٦] (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ [٤]) إلى آخرها وقوله تعالى [٧] (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ [٥]) إلى آخرها

---

(١) حديث فضل سورة الحمد: خ من حديث أبى سعيد بن المعلى أنها أعظم السور فى القرءان و م من حديث ابن عباس فى الملك الذى نزل إلى الأرض وقال للنبى صلى الله عليه وسلم أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة لم تقرأ بحرف منها إلا أعطيته

(٢) حديث فضل آية الكرسى : م من حديث أبى ابن كعب ياأبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم قلت الله لاإله إلا هو الحى القيوم ـ الحديث و خ من حديث أبى هريرة فى توكيله بحفظ تمر الصدقة ومجىء الشيطان اليه وقوله إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى فانه لن يزال عليك من الله حافظ ـ الحديث : وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انه قد صدقك وهو كذوب

(٣) حديث فضل خاتمة البقرة : متفق عليه من حديث أبى مسعود من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه وتقدم حديث ابن عباس قبله بحديث

(٤) حديث فضل شهد الله: أبو الشيخ حب فى كتاب الثواب من حديث ابن مسعود من قرأ شهد الله إلى قوله الاسلام ثم قال وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى عنده وديعة جىء به يوم القيامة فقيل له عبدى هذا عهد إلى عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى الجنة وفيه عمر بن الخنار روى الاباطيل قاله ابن عدى وسيأتى حديث على بعده

(٥) حديث فضل قل اللهم مالك الملك الآيتين: المستغفرى فى الدعوات من حديث على أن فاتحة الكتاب وآية الكرسى والآيتين من آل عمران شهد الله إلى قوله الاسلام وقل اللهم مالك الملك إلى قوله بغير حساب معلقات مابينهن وبين الله حجاب ـ الحديث : وفيه فقال الله لايقرأ كن أحد من عبادى دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مثواه ـ الحديث : وفيه الحارث ابن عمير وفى ترجمته ذكره حب فى الضعفاء وقال موضوع لاأصل له والحارث يروى عن الاثبات الموضوعات قلت وثقه حماد بن زيد وابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم و ن وروى له خ تعليقا

(٦) حديث فضل لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها: طب فى الدعاء من حديث أنس بسند ضعيف علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأحترز به من كل شيطان رجيم ومن كل جبار عنيد فذكر حديثا وفى آخره فقل حسبى الله إلى آخر السورة وذكر أبو القاسم الغافقى فى فضائل القرءان فى رغائب القرءان لعبد الملك بن حبيب من رواية محمد بن بكار أن رسول الله صلى عليه وسلم قال من لزم قراءة لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة لم يمت هدما ولا غرقا ولا حرقا ولا ضربا بحديدة وهو ضعيف

(٧) حديث فضل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق: لم أجد فيه حديثا يخصها لكن فى فضل سورة الفتح مارواه أبو الشيخ فى كتاب من حديث أبى بن كعب من قرأ سورة الفتح فكأنما شهد فتح مكة مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو حديث موضوع

---

(١) البقرة : ٢٨٥ (٢) آل عمران : ١٨ (٣) آل عمران : ٢٦ (٤) التوبة : ١٢٨ (٥) الفتح : ٢٧

وقوله سبحانه[1] (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا[1]) الآية[2] وخمس آيات من أول الحديد[3] وثلاثا من آخر سورة الحشر

وإن قرأ المسبعات العشر التى أهداها الخضر عليه السلام إلى إبراهيم التيمى رحمه الله ووصاه أن يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة جملة الأدعية المذكورة فقد روى عن[4] كرز بن وبرة رحمه الله ، وكان من الأبدال قال أتانى أخ لى من أهل الشام فأهدى لى هدية وقال يا كرز اقبل منى هذه الهديه ، فانها نعمت الهدية فقلت ياأخى ومن أهدى لك هذه الهدية ، قال أعطانيها إبراهيم التيمى ، قلت أفلم تسأل إبراهيم من أعطاه أياها قال . بلى ، قال كنت جالسا فى فناء الكعبة ، وأنا فى التهليل والتسبيح والتحميد والتمجيد فجاءنى رجل فسلم علىّ وجلس عن يمينى ، فلم أر فى زمانى أحسن منه وجها ولا أحسن منه ثيابا ولا أشد بياضا ولا أطيب ريحا منه ، فقلت ياعبدالله من أنت ، ومن أين جئت ، فقال أنا الخضر فقلت فى أى شىء جئتنى ، فقال جئتك للسلام عليك ، وحبا لك فى الله ، وعندى هدية أريد أن أهديها لك ، فقلت ماهى قال أن تقول قبل طلوع الشمس وقبل انبساطها على الأرض وقبل الغروب ، سورة الحمد ، وقل أعوذ برب الناس ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل هو الله أحد وقل ياأيها الكافرون ، وآية الكرسى ، كل واحدة سبع مرات ، وتقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبعا ، وتصلى على النبىّ صلى الله عليه وسلم سبعا ، وتستغفر لنفسك

---

(١) حديث فضل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا الآية: أحمد والطبرانى من حديث معاذ بن أنس آية العز الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا الآية كلها وأسناده ضعيف

(٢) حديث فضل خمس آيات من أول الحديد: ذكر أبو القاسم الغافقى فى فضائل القرءان من حديث على إذا أردت تسأل الله حاجة فاقرأ خمس آيات من أول سورة الحديد إلى قوله عليم بذات الصدور ومن آخر سورة الحشر من قوله لو أنزلنا هذا القرءان على جبل إلى آخر السورة ثم تقول يامن هو كذا افعل بى كذا وتدعو بما تريد

(٣) حديث فضل ثلاث آيات من آخر سورة الحشر: ت من حديث معقل بن يسار وقد تقدم قبل هذا بورقة وللبيهقى فى البعث من حديث أبى أمامة بسند ضعيف من قرأ خواتيم سورة الحشر فى ليل أو نهار فمات من يومه أو ليلته فقد اوجب الله له الجنة

(٤) حديث كرز بن وبرة عن رجل من أهل الشام عن ابراهيم التيمى أن الخضر علمه المسبعات العشرة وقال فى آخرها أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم ليس له أصل ولم يصح فى حديث قط اجتماع الخضر بالنبى صلى الله عليه وسلم ولا عدم اجتماعه ولا حياته ولا موته

---

(١) الاسراء : ١١١

ولوالديك وللمؤمنين والمؤمنات سبعا ، وتقول اللهم افعل بى وبهم عاجلا وآجلا فى الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ، ولا تفعل بنا يامولانا مانحن له أهل انك غفور حليم جواد كريم رؤف رحيم سبع مرات وانظر أن لاتدع ذلك غدوة وعشية

فقلت أحب أن تخبرنى من أعطاك هذه العطية العظيمة ، فقال أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم ، فقلت أخبرنى بثواب ذلك ، فقال إذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فاسأله عن ثوابه فإنه يخبرك بذلك ، فذكر ابراهيم التيمى أنه رأى ذات يوم فى منامه كأن الملائكة جاءته فاحتملته حتى أدخلوه الجنة ، فرأى ما فيها ووصف أمورا عظيمة مما رآه فى الجنة ، قال فسألت الملائكة فقلت لمن هذا؟ فقالوا للذى يعمل مثل عملك ، وذكر أنه أكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال فأتانى النبىّ صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل مابين المشرق والمغرب ، فسلم علىّ وأخذ بيدى فقلت يارسول الله، الخضر أخبرنى أنه سمع منك هذا الحديث، فقال صدق الخضر ، صدق الخضر ، وكل مايحكيه فهو حق، وهو عالم أهل الأرض، وهو رئيس الأبدال وهو من جنود الله تعالى فى الأرض ، فقلت يارسول الله فمن فعل هذا أو عمله ولم ير مثل الذى رأيت فى منامى ، هل يعطى شيأ مما أعطيته ؟ فقال والذى بعثنى بالحق نبيا إنه ليعطى العامل بهذا وإن لم يرنى ولم ير الجنة ، إنه ليغفر له جميع الكبائر التى عملها، ويرفع الله تعالى عنه غضبه ومقته ، ويأمر صاحب الشمال أن لايكتب عليه خطيئة من السيئات إلى سنة والذى بعثنى بالحق نبيا مايعمل بهذا إلا من خلقه الله سعيدا، ولا يتركه إلا من خلقه الله شقيا وكان ابراهيم التيمى يمكث أربعة أشهر لم يطعم ولم يشرب فلعله كان بعد هذه الرؤيا

فهذه وظيفة القراءة فإن أضاف إليها شيأ مما انتهى إليه ورده من القرءان أو اقتصر عليه فهو حسن ، فان القرءان جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر كما ذكرنا فضله وآدابه فى باب التلاوة

وأما الأفكار فليكن ذلك إحدى وظائفه وسيأتى تفصيل مايتفكر فيه وكيفيته فى كتاب التفكر من ربع المنجيات ولكن مجامعه ترجع إلى فنين

أحدهما : أن يتفكر فيما ينفعه من المعاملة ، بأن يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره

ويرتب وظائفه فى يومه الذى بين يديه ، ويدبر فى دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق إليه الخلل من أعماله ، ليصلحه ويحضر فى قلبه النيات الصالحة من أعماله فى نفسه وفى معاملته للمسلمين

الفن الثانى : فيما ينفعه فى علم المكاشفة وذلك بأن يتفكر مرة فى نعم الله تعالى، وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة، لتزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها ، أو فى عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الإله واستغنائه ، ويزيد خوفه منها ولكل واحد من هذه الأمور شعب كثيرة يتسع التفكر فيها على بعض الخلق دون البعض ، وإنما نستقصى ذلك فى كتاب التفكر ، ومهما تيسر الفكر فهو أشرف العبادات ، إذ فيه معنى الذكر لله تعالى ، وزيادة أمرين

أحدهما : زيادة المعرفة إذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف

والثانى: زيادة المحبة إذ لا يحب القلب إلا من اعتقد تعظيمه ، ولا تنكشف عظمة الله سبحانه وجلاله إلا بمعرفة صفاته ، ومعرفة قدرته ، وعجائب أفعاله فيحصل من الفكر المعرفة ، ومن المعرفة التعظيم، ومن التعظيم المحبة ، والذكر أيضا يورث الانس ، وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التى سببها المعرفة أقوى وأثبت وأعظم ، ونسبة محبة العارف إلى أنس الذاكر من غير تمام الاستبصار ، كنسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين واطلع على حسن أخلاقه وأفعاله وفضائله وخصاله الحميدة بالتجربة إلى أنس من كرر على سمعه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن فى الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما ، فليس محبته له كمحبة المشاهد؛ وليس الخبر كالمعاينة، فالعباد المواظبون على ذكر الله بالقلب واللسان الذين يصدقون بما جاءت به الرسل بالايمان التقليدى ليس معهم من محاسن صفات الله تعالى إلا أمور جملية إعتقدوها بتصديق من وصفها لهم ، والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة الباطنة التى هى أقوى من البصر الظاهر ، لأن أحدا لم يحط بكنه جلاله وجماله فان ذلك غير مقدور لأحد من الخلق ، ولكن كل واحد شاهد بقدر مارفع له من الحجاب ، ولا نهاية لجمال حضرة الربوبية ولا لحجبها ، وإنما عدد حجبها التى استحقت أن تسمى نوراً وكاد يظن الواصل إليها أنه قد تم وصوله إلى الأصل سبعون حجابا

قال صلى الله عليه وسلم[1] « إِنَّ لِلَّهِ سَبْعِينَ حِجَاباً مِنْ نُورٍ لَوْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ مَا أَدْرَكَ بَصَرُهُ » وتلك الحجب أيضا مترتبة ، وتلك الأنوار متفاوتة فى الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب ، ويبدو فى الأول أصغرها ثم مايليه ، وعليه أول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم فى ترقيه وقال : (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ) أى أظلم عليه الأمر ،(رَأَى كَوْكَباً) أى وصل إلى حجاب من حجب النور ، فعبر عنه بالكوكب ، وما أريد به هذه الأجسام المضيئة، فان آحاد العوام لايخفى عليهم أن الربوبية لاتليق بالأجسام ، بل يدركون ذلك بأوائل نظرهم فما لايضلل العوام لايضلل الخليل عليه السلام ، والحجب المسماة أنوارا ماأريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل أريد بها ماأريد بقوله تعالى: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ[1])الآية ولنتجاوز هذه المعانى ، فانها خارجة عن علم المعاملة ولايوصل إلى حقائقها الا الكشف التابع للفكر الصافى ، وقل من ينفتح له بابه ، والمتيسر على جماهير الخلائق الفكر فيما يفيد فى علم المعاملة ، وذلك أيضا مما تغزر فائدته ، ويعظم نفعه

فهذه الوظائف الأربعة أعنى الدعاء والذكر والقراءة والفكر ، ينبغى أن تكون وظيفة المريد بعد صلاة الصبح بل فى كل ورد بعد الفراغ من وظيفة الصلاة ، فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الأربع ، ويقوى على ذلك بأن يأخذ سلاحه ومجنته ، والصوم هو الجنة التى تضيق مجارى الشيطان المعادى الصارف له عن سبيل الرشاد ، وليس بعد طلوع الصبح صلاة سوى ركعتى الفجر ، وفرض الصبح إلى طلوع الشمس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم يشتغلون فى هذا الوقت بالأذكار[2] وهو الأولى، إلا أن يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع إلا بالصلاة فلو صلى لذلك فلا بأس به

الورد الثانى : ما بين طلوع الشمس إلى ضحوة النهار ، وأعنى بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس الى الزوال ، وذلك بمضى ثلاث ساعات من النهار إذا فرض النهار اثنتى عشرة ساعة وهو الربع ، وفى هذا الربع من النهار وظيفتان زائدتان

---

(١) حديث ان لله سبعين حجابا من نور ـ الحديث : تقدم فى قواعد العقائد

(٢) حديث اشتغاله بالأذكار من الصبح إلي طلوع الشمس: تقدم حديث جابر بن سمرة عند م فى جلوسه صلى الله عليه وسلم إذا صلى الفجر فى مجلسه حتى تطلع الشمس وليس فيه ذكر اشتغاله بالذكر وانما هو من قوله عما تقدم من حديث أنس

(١) النور : ٣٥

إحداها : صلاة الضحى وقد ذكرناها فى كتاب الصلاة ، وأن الأولى أن يصلى ركعتين عند الاشراق ، وذلك اذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر نصف رمح ، ويصلى أربعا أو ستا أو ثمانيا إذا رمضت الفصال ، وضحيت الأقدام بحر الشمس ، فوقت الركعتين هو الذى أراد الله تعالى بقوله : (يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ [1]) فانه وقت اشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن مؤازاة البخارات والغبارات التى على وجه الأرض ، فانها تمنع إشراقها التام ، ووقت الركعات الأربع هو الضحى الأعلى الذى أقسم الله تعالى به فقال : (وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى [2]) وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] على أصحابه ، وهم يصلون عند الاشراق ، فنادي بأعلى صوته « أَلَا إِنَّ صَلَاةَ الْأَوَّابِينَ إِذَا رَمِضَتِ الْفِصَالُ » فلذلك نقول. إذا كان يقتصر على مرة واحدة فى الصلاة فهذا الوقت أفضل لصلاة الضحى ، وإن كان أصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفى وقتى الكراهة ، وهو ما بين ارتفاع الشمس بطلوع نصف رمح بالتقريب إلى ما قبل الزوال فى ساعة الاستواء ، واسم الضحى ينطلق على الكل وكأن ركعتى الاشراق تقع فى مبتدا وقت الاذن فى الصلاة ، وانقضاء الكراهة إذ قال صلى الله عليه وسلم : [2] « إِنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ وَمَعَهَا قَرْنُ الشَّيْطَانِ فَإِذَا ارْتَفَعَتْ فَارَقَهَا » فأقل ارتفاعها ان ترتفع عن بخارات الأرض وغبارها ، وهذا يراعى بالتقريب

الوظيفة الثانية فى هذا الوقت : الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها العادات بكرة من عيادة مريض ، وتشييع جنازة ، ومعاونة على بر وتقوى ، وحضور مجلس علم ، ومايجرى مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها ، فان لم يكن شيء من ذلك عاد إلى الوظائف الأربع التي قدمناها من الأدعية ، والذكر والقراءة والفكر والصلوات المتطوع بها أن شاء؛ فانها مكروهة بعد صلاة الصبح ، وليست مكروهة الآن ، فتصير الصلاة قسما خامسا من جملة وظائف هذا الوقت لمن أراده ، أما بعد فريضة الصبح فتكره كل صلاة لا سبب لها ، وبعد الصبح الأحب أن يقتصر على ركعتى الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلاة بل بالأذكار والقراءة والدعاء والفكر

---

(١) حديث خرج على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى بأعلى صوته ألا إن صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال طب من حديث زيد بن أرقم دون قوله فنادى بأعلى صوته وهو عند م دون ذكر الأشراق

(٢) حديث ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها تقدم فى الصلاة

[1] ص : ١٨ [2] الضحى : ١

الورد الثالث : من ضحوة النهار إلى الزوال ، ونعنى بالضحوة المنتصف وماقبله بقليل ، وإن كان بعد كل ثلاث ساعات أمر بصلاة فاذا انقضى ثلاث ساعات بعد الطلوع فعندها ، وقبل مضيها صلاة الضحى فاذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالظهر ، فاذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالعصر ، فاذا مضت ثلاث أخرى فالمغرب ، ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والغروب ، الا أن الضحى لم تفرض لأنه وقت انكباب الناس على أشغالهم فخفف عنهم

الوظيفة الرابعة : فى هذا الوقت الأقسام الأربعة وزيد أمران

أحدهما : الاشتغال بالكسب وتدبير المعيشة وحضور السوق ، فان كان تاجرا فينبغى أن يتجر بصدق وأمانة ، وان كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة ، ولاينسى ذكر الله تعالى فى جميع أشغاله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على أن يكتسب فى كل يوم لقوته ، فاذا حصّل كفاية يومه فليرجع إلى بيت ربه وليتزود لآخرته ، فان الحاجة إلى زاد الآخرة أشد ، والتمتع به أدوم ، فاشتغاله بكسبه أهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت ، فقد قيل : لايوجد المؤمن إلا فى ثلاث مواطن ، مسجد يعمره ، أو بيت يستره ، أوحاجة لابدله منها ، وقل من يعرف القدر فيما لابد منه ، بل أكثر الناس يقدرون فيما عنه بُدٌّ انه لابد لهم منه ، وذلك لأن الشيطان يعدهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء ، فيصغون إليه ، ويجمعون مالا يأكلون ، خيفة الفقر ، والله يعدهم مغفرة منه وفضلا ، فيعرضون عنه ولايرغبون فيه

الأمر الثانى : القيلولة وهى سنة يستعان بها على قيام الليل ، كما ان التسحر سنة يستعان به على صيام النهار ، فان كان لايقوم بالليل لكن لولم ينم لم يشتغل بخير وربما خالط أهل الغفلة وتحدث معهم فالنوم أحب له ، إذا كان لاينبعث نشاطه للرجوع إلى الاذكار والوظائف المذكورة ، إذ فى النوم الصمت والسلامة ، وقد قال بعضهم : يأتى على الناس زمان الصمت والنوم فيه أفضل أعمالهم ، وكم من عابد أحسن أحواله النوم ، وذلك إذا كان يرائى بعبادته ولايخلص فيها ، فكيف بالغافل الفاسق ؟ قال سفيان الثورى رحمه الله : كان يعجبهم إذا تفرغوا أن يناموا طلبا للسلامة ، فاذا كان نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل كان نومه قربة ، ولكن ينبغى أن يتنبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء

وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلاة ، فان ذلك من فضائل الأعمال ، وإن لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة والذكر فهو أفضل أعمال النهار ، لأنه وقت غفلة الناس عن الله عز وجل واشتغالهم بهموم الدنيا ، فالقلب المتفرغ لخدمة ربه عند اعراض العبيد عن بابه جدير بأن يزكيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته ، وفضل ذلك كفضل إحياء الليل ، فان الليل وقت الغفلة بالنوم وهـذا وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا ، وأحد معنيي قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ [1]) أي يخلف أحدهما الآخر في الفضل ، والثاني انه يخلفه فيتداركا فيه مافات في أحدهما

الورد الرابع : مابين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر ، وراتبته ، وهـذا أقصر أوراد النهار وأفضلها ، فاذا كان قد توضأ قبـل الزوال وحضر المسجد فهما زالت الشمس وابتدأ المؤذن الاذان فليصبر إلى الفراغ من جواب أذانه ، ثم ليقم إلى احياء مابين الاذان والاقامة فهو وقت الاظهار الذى أراده الله تعالى بقوله (وَحِينَ تُظْهِرُونَ [2]) وليصل [1] في هذا الوقت أربع ركعات لايفصل بينهن بتسليمة واحده ، وهذه الصلاة وحدها من بين سائر صلوات النهار نقل بعض العلماء . انه يصليها بتسليمة واحدة ، ولكن طعن في تلك الرواية ، ومذهب الشافعي رضي الله عنه : انه يصلي مثنى مثنى كسائر النوافل ويفصـل بتسليمة وهو الذى صحت به الأخبار [2] وليطول هـذه الركعات إذ فيها تفتح أبواب السماء كما أوردنا الخبر فيه في باب صلاة التطوع ، وليقرأ فيها سورة البقرة أوسورة من المئين ، أو أربعا من المثاني ، فهذه ساعات يستجاب فيها الدعاء ، وأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرفع له فيها عمل ثم يصـلي الظهر بجماعة بعـد أربع ركعات طويلة كما سبق أو قصيرة لاينبغي أن يدعها ، ثم ليصل بعد الظهر ركعتين ثم أربعا ، فقد كره ابن مسعود أن تتبع الفريضة بمثلها من غير فاصل ، ويستحب أن يقرأ في هذه النافلة آية الكرسي ، وآخر سورة البقرة ، والآيات التي أوردناها في الورد الأول ، ليكون ذلك جامعا له بين الدعاء والذكر والقراءة والصـلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت

---

(١) حديث صلاة أربع بعد الزوال بتسليمة واحدة وفيه انها فيها تفتح أبواب السماء وانها ساعة يستجاب فيها الدعاء فأحب أن يرفع لي فيها عمل صالح : دهمن حديث أبي أيوب وقد تقدم في الصلاة في الباب السادس

(٢) حديث صلاة الليل والنهار مثنى مثنى : د و حب من حديث ابن عمر

---

(١) الفرقان : ٦٢ (٢) الروم : ١٨

الورد الخامس : مابعد ذلك إلى العصر ، ويستحب فيه العكوف فى المسجد مشتغلا بالذكر والصلاة أو فنون الخير ويكون فى انتظار الصلاة معتكفا ، فمن فضائل الأعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سنة السلف ، وكان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويا كدوى النحل من التلاوة ، فان كان بيته أسلم لدينه وأجمع لهمه فالبيت أفضل فى حقه ، فاحياء هـذا الورد وهو أيضا وقت غفلة الناس كاحياء الورد الثالث فى الفضل ، وفى هـذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال إذ يكره نومتان بالنهار ، قال بعض العلماء : ثلاث يمقت الله عليها الضحك بغير عجب ، والأكل من غير جوع ، والنوم بالنهار من غير سهر بالليـل ،

والحد فى النوم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ، فالاعتدال فى نومه ثمان ساعات فى الليل والنهار جميعا ، فان نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار ، وإن نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار ، فحسب ابن آدم إن عاش ستين سنة أن ينقص من عمره عشرون سـنة ، ومهما نام ثمان ساعات وهو الثلث فقـد نقص من عمره الثلث ، ولـكن لما كان النوم غذاء الروح كما أن الطعام غذاء الأبدان ، وكما أن العـلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه عنه ، وقدر الاعتدال هـذا والنقصان منه ربما يفضى إلى اضطراب البدن ، الا من يتعود السهر تدريجا فقد يمرن نفسه عليه من غير اضطراب ، وهذا الورد من أطول الاوراد وأمتعها للعباد وهو أحد الآصال التى ذكرها الله تعالى اذ قال : (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ [1]) وإذا سجد لله عز وجـل الجمادات فكيف يجوز أن يغفل العبد العاقل عن أنواع العبادات !

الورد السادس : إذا دخـل وقت العصر دخل وقت الورد السادس ، وهو الذى أقسم الله تعالى به فقال تعالى (وَالْعَصْرِ [2]) هذا أحد معنى الآية ، وهو المراد بالآصال فى أحـد التفسيرين ، وهو العشى المذكور فى قوله (وَعَشِيًّا [3]) وفى قوله (بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ [4]) وليس فى هذا الورد صلاة الا أربع ركعات بين الاذان والاقامة كما سبق فى الظهر ، ثم يصلى الفرض ويشتغل بالاقسام الاربعة المذكورة فى الورد الاول إلى أن ترتفع الشمس إلى رءوس الحيطان وتصفر ، والافضل فيه اذ منع عن الصلاة تلاوة القرءان بتدبر وتفهم ، إذ يجمع ذلك بين الذكر والدعاء والفكر ، فيندرج فى هذا القسم أكثر مقاصد الأقسام الثلاثة

(١) الرعد : ١٥ (٢) الروم : ١٨ (٣) العصر : ١ (٤) ص : ١٨

الورد السابع: إذا اصفرت الشمس بأن تقرب من الأرض بحيث يغطى نورها الغبارات والبخارات التى على وجه الأرض ويرى صفرة فى ضوئها دخل وقت هذا الورد، وهو مثل الورد الأول من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، لأنه قبل الغروب كما أن ذلك قبل الطلوع. وهو المراد بقوله تعالى (فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ [1]) وهذا هو الطرف الثانى المراد بقوله تعالى (فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ [2]) قال الحسن: كانوا أشد تعظيما للعشى منهم لأول النهار، وقال بعض السلف: كانوا يجعلون أول النهار للدنيا وآخره للآخرة. فيستحب فى هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وسائر ما ذكرناه فى الورد الأول، مثل أن يقول: أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم، وأسأله التوبة، وسبحان الله العظيم وبحمده، مأخوذ من قوله تعالى (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ [3]) والاستغفار على الأسماء التى فى القرءان أحب كقوله أستغفر الله إنه كان غفارا، أستغفر الله إنه كان توابا، رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين، فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين، فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين

ويستحب أن يقرأ قبل غروب الشمس (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا [4]) (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى [5]) والمعوذتين ولتغرب الشمس عليه وهو فى الاستغفار، فاذا سمع الأذان قال اللهم هذا إقبال ليلك، وإدبار نهارك، وأصوات دعاتك، كما سبق ثم يجيب المؤذن ويشتغل بصلاة المغرب، وبالغروب قد انتهت أوراد النهار، فينبغى أن يلاحظ العبد أحواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة، فان ساوى يومه أمسه فيكون مغبونا وإن كان شرا منه فيكون ملعونا فقد قال صلى الله عليه وسلم [1] «لَا بُورِكَ لِى فِى يَوْمٍ لَا أَزْدَادُ فِيهِ خَيْراً» فان رأى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره، مترفها عن التجشم كانت بشارة فليشكر الله تعالى على توفيقه وتسديده إياه لطريقه، وإن تكن الأخرى فالليل خلفة النهار فليعزم على تلافى ما سبق من تفريطه فان الحسنات يذهبن السيآت، وليشكر الله تعالى على صحة جسمه، وبقاء بقية من عمره طول ليله ليشتغل بتدارك تقصيره، وليحضر فى قلبه ان نهار العمر له آخر تغرب فيه شمس الحياة، فلا يكون لها بعدها طلوع وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار، فليس العمر إلا أياما معدودة تنقضى لا محاله جملتها بانقضاء آحادها

---

(١) حديث لا بورك لى فى يوم لا أزداد فيه خيرا: تقدم فى العلم فى الباب الأول الا أنه قال علما بدل خيرا

(١) الروم: ١٧ (٢) طه: ١٣٠ (٣) غافر: ٥٥ (٤) الشمس: ١ (٥) الليل: ١

بيان أوراد الليل

وهي خمسة

الأول . إذا غربت الشمس صلى المغرب واشتغل باحياء مابين العشائين ، فآخر هذا الورد عند غيبوبة الشفق ، أعني الحمرة التي بغيبوبتها يدخل وقت العتمة،وقد أقسم الله تعالى به فقال (فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١)) والصلاة فيه هي ناشئة الليل،لأنه أول نشو ساعاته وهو آن من الآناء المذكورة في قوله تعالى(وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ (٢)) وهي صلاة الأوابين وهي المراد بقوله تعالى (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ (٣)) روى ذلك عن الحسن وأسنده ابن أبي زياد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل(١) عن هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم « الصَّلَاةُ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ » ثم قال صلى الله عليه وسلم « عَلَيْكُمْ بِالصَّلَاةِ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ فَإِنَّهَا تَذْهَبُ بِمُلَاغَاتِ النَّهَارِ وَتُهَذِّبُ آخِرَهُ »والملاغات جمع ملغاة من اللغو،وسئل أنس رحمه الله عمن ينام بين العشاءين فقال: لا تفعل فإنها الساعة المعنية بقوله تعالى (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ (٤)) وسيأتي فضل احياء مابين العشاءين في الباب الثاني

وترتيب هذا الورد : أن يصلي بعد المغرب ركعتين أولا يقرأ فيهما قل ياأيها الكافرون وقل هو الله أحد ، ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولاشغل ؛ ثم يصلي أربعا يطيلها، ثم يصلي إلى غيبوبة الشفق ماتيسر له،وإن كان المسجد قريبا من المنزل فلا بأس أن يصليها في بيته ان لم يكن عزمه العكوف في المسجد وإن عزم على العكوف في انتظار العتمة فهو الأفضل اذا كان آمنا من التصنع والرياء

---

(١) حديث سئل عن قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقال الصلاة بين العشاءين ثم قال عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره قال المصنف أسنده ابن أبي الزناد * إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت إنما هو اسماعيل بن أبي زياد بالياء المثناة من تحت رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية إسماعيل ابن أبي زياد الشامي عن الأعمش حدثنا أبو العلاء العنبري عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغات أول النهار ومهذبة آخره واسماعيل هذا متروك يضع الحديث قاله الدارقطني واسم أبي زياد مسلم وقد اختلف فيه على الأعمش ولابن مردويه من حديث أنس انها نزلت في الصلاة بين المغرب والعشاء والحديث عندت وحسنه بلفظ نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة

---

* قول العراقي ابن أبي الزناد هي نسخة وقعت له والا ففي النسخ الصحيحة ابن أبي زياد فليتأمل اهـ

الورد الثانى . يدخل بدخول وقت العشاء الآخرة إلى حد نومة الناس ، وهو أول استحكام الظلام وقد أقسم الله تعالى به إذ قال (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ [1]) أى وما جمع من ظلمته وقال (إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ [2]) فهناك يغسق الليل وتستوسق ظلمته

وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلاثة أمور

الأول : أن يصلى سوى فرض العشاء عشر ركعات ، أربعا قبل الفرض احياء لما بين الاذانين ، وستا بعد الفرض، ركعتين ، ثم أربعا ، ويقرأ فيها من القرءان الآيات المخصوصة كآخر البقرة وآية الكرسى وأول الحديد وآخر الحشر وغيرها

والثانى: أن يصلى [1] ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر، فانه أكثر ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى بها من الليل ، والأكياس يأخذون أوقاتهم من أول الليل : والاقوياء من آخره ، والحزم التقديم فانه ربما لا يستيقظ أو يثقل عليه القيام الا اذا صار ذلك عادة له فآخر الليل أفضل ثم ليقرأ فى هذه الصلاة قدر ثلثمائة آية من السور المخصوصة التى كان النبى صلى الله عليه سلم يكثر قراءتها مثل يس، [2] وسجدة لقمان ، وسورة الدخان، وتبارك الملك، والزمر والواقعة ، فان لم يصل فلا يدع قراءة هذه السور أو بعضها قبل النوم ؛

---

(١) حديث الوتر ثلاث عشرة ركعة يعنى بالليل وانه أكثر ما يصلى به النبى صلى الله عليه وسلم من الليل د من حديث عائشة لم يكن يوتر بانقص من سبع ولا بأكثر من ثلاث عشرة ركعة وخ من حديث ابن عباس كانت صلاته ثلاث عشرة ركعة يعنى بالليل و م كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة وفى رواية للشيخين منها ركعتا الفجر ولهما أيضا ما كان يزيد فى رمضان ولا غيره على احدى عشرة ركعة

(٢) حديث اكثاره صلى الله عليه وسلم من قراءة يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة غريب لم أقف على ذكر الاكثار فيه وحب من حديث جندب من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر له و ت من حديث جابر كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذى بيده الملك وله من حديث عائشة كان لا ينام حتى يقرأ بنى اسرائيل والزمر وقال حسن غريب وله من حديث أبى هريرة من قرأ حم الدخان فى ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك وقال غريب ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث عائشة من قرأ فى ليلة الم تنزيل ويس وتبارك الذى بيده الملك واقتربت كن له نورا ـ الحديث : ولأبى منصور المظفر بن الحسين الغزنوى فى فضائل القرءان من حديث على ياعلى أكثر من قراءة يس ـ الحديث: وهو منكر وللحارث بن أبى أسامة من حديث ابن مسعود بسند ضعيف من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا وت من حديث ابن عباس شيبتنى هود والواقعة ـ الحديث وقال حسن غريب

---

(١) الانشقاق : ١٧ (٢) الاسراء : ٧٨

فقد روى ثلاث أحاديث ما كان يقرؤه رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] فى كل ليلة أشهرها السجدة ، وتبارك الملك، والزمر [٢] والواقعة ، وفى رواية الزمر وبنى إسرائيل ، وفى أخرى انه كان يقرأ [٣] المسبحات فى كل ليلة ويقول فيها آية أفضل من ألف آية ، وكان العلماء يجعلونها ستاً فيزيدون سبح اسم ربك الأعلى، إذ فى الخبر انه صلى الله عليه وسلم [٤] كان يحب سبح اسم ربك الاعلى، [٥] وكان يقرأ فى ثلاث ركعات الوتر ثلاث سور ، سبح اسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرن، والاخلاص، فاذا فرغ قال : سبحان الملك القدوس ثلاث مرات

الثالث : الوتر . وليوتر قبل النوم إن لم يكن عادته القيام ، قال أبو هريرة رضى الله عنه أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم [٦] أن لا أنام إلا على وتر، وإن كان معتادا صلاة الليل فالتأخير أفضل، قال صلى الله عليه وسلم [٧] «صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى فَإِذَا خِفْتَ الصُّبْحَ فَأَوْتِرْ بِرَكْعَةٍ» وقالت عائشة رضى الله عنها : أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم [٨] أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر ، وقال على رضى الله عنه الوتر على ثلاثة أنحاء ، إن شئت أوترت أول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين، يعنى أنه يصير وترا بما مضى، وإن شئت أوترت بركعة فاذا استيقظت شفعت إليها أخرى ثم أوترت من آخر الليل ، وإن شئت أخرت الوتر ليكون آخر صلاتك ، هذا ماروى عنه ، والطريق الأول والثالث لا بأس به [٩] وأما نقص الوتر فقد صح فيه نهى فلا ينبغى أن ينقص ،

---

(١) حديث كان يقرأ فى كل ليلة السجدة وتبارك الملك : ت وتقدم فى الحديث قبله

(٢) حديث كان يقرأ فى كل ليلة الزمر وبنى اسرائيل: ت وتقدم أيضا

(٣) حديث كان يقرأ المسبحات فى كل ليلة ويقول فيهن آية أفضل من ألف آية : د ت وقال حسن و ن فى الكبرى من حديث عرباض بن سارية

(٤) حديث كان يحب سبح اسم ربك الأعلى: أحمد والبزار من حديث على بسند ضعيف

(٥) حديث كان يقرأ فى ثلاث ركعات الوتر بسبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون والاخلاص د ن ه من حديث أبى بن كعب باسناد صحيح وتقدم فى الصلاة من حديث أنس

(٦) حديث أبى هريرة أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أنام إلا على وتر: متفق عليه بلفظ أن أوتر قبل أن أنام

(٧) حديث صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فأوتر بركعة : متفق عليه من حديث ابن عمر

(٨) حديث عائشة أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر: متفق عليه

(٩) حديث النهى عن نقص الوتر: قال المصنف صح فيه نهى قلت وإنما صح من قول عابد بن عمرو وله صحبة كما رواه خ ومن قول ابن عباس كما رواه هق ولم يصرح بأنه مرفوع فالظاهر أنه إنما أراد ما ذكرناه عن الصحابة

وروى مطلقاً أنه صلى الله عليه وسلم قال : [١] « لَا وِتْرَانِ فِي لَيْلَةٍ »

ولمن يتردد في استيقاظه تلطف استحسنه بعض العلماء، وهو أن يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا على فراشه عند النوم ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] يزحف إلى فراشه ويصليهما ويقرأ فيهما إذا زلزلت ، وألهاكم، لما فيهما من التحذير والوعيد ، وفي رواية قل يا أيها الكافرون لما فيها من التبرئة وإفراد العبادة لله تعالى ، فقيل إن استيقظ قامتا مقام ركعة واحدة ، وكان له أن يوتر بواحدة في آخر صلاة الليل ، وكانه صار مامضى شفعا بهما وحسن استئناف الوتر واستحسن هذا أبو طالب المكي ، وقال : فيه ثلاثة أعمال ، قصر الأمل ، وتحصيل الوتر والوتر آخر الليل ، وهو كما ذكره لكن ربما يخطر إنهما لو شفعتا مامضى لكان كذلك وإن لم يستيقظ وأبطل وتره الأول، فكونه شافعا إن استيقظ غير مشفع إن نام فيه نظر، إلا أن يصح من رسول الله صلى الله عليه وسلم إيتاره قبلهما وإعادته الوتر فيفهم منه أن الركعتين شفع بصورتهما وتر بمعناهما فيستحب وتراً إن لم يستيقظ وشفعا إن استيقظ ، ثم يستحب بعد التسليم من الوتر أن يقول: سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح، جللت السموات والأرض بالعظمة والجبروت، وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت، روى أنه صلى الله عليه وسلم [٣] مامات حتى كان أكثر صلاته جالسا إلا المكتوبة، وقد قال [٤] « لِلْقَاعِدِ نِصْفُ أَجْرِ الْقَائِمِ وَلِلنَّائِمِ نِصْفُ أَجْرِ الْقَاعِدِ » وذلك يدل على صحة النافلة نائما

الورد الثالث : النوم . ولا بأس أن يعد ذلك في الأوراد. فانه إذا روعيت آدابه احتسب عبادة، فقد قيل [٥] إن العبد إذا نام على طهارة ، وذكر الله تعالى ، يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك، فان تحرك في نومه فذكر الله تعالى دعا له الملك واستغفر له الله ،

---

(١) حديث لا وتران في ليلة : د ت وحسنه و ن من حديث طلق بن علي

(٢) حديث الركعتين بعد الوتر جالسا : تقدم في الصلاة رواه مسلم من حديث عائشة

(٣) حديث مامات حتى كان أكثر صلاته جالسا الا المكتوبة : متفق عليه من حديث عائشة لما بدن النبي صلى الله عليه وسلم وثقل كان أكثر صلاته جالسا

(٤) حديث للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد : خ من حديث عمران بن حصين

(٥) حديث قيل إنه إذا نام على طهارة ذاكر الله تعالى يكتب مصليا ويدخل في شعاره ملك ـ الحديث : حب من حديث ابن عمر من بات طاهرا بات في شعاره ملك فلم يستيقظ إلا قال الملك اللهم اغفر لعبدك فلان فانه بات طاهرا

وفى الخبر[١] « إِذَا نَامَ عَلَى طَهَارَةٍ رُفِعَ رُوحُهُ إِلَى الْعَرْشِ » هذا فى العوام، فكيف بالخواص والعلماء وأرباب القلوب الصافية، فانهم يكاشفون بالأسرار فى النوم، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم[٢] « نَوْمُ الْعَالِمِ عِبَادَةٌ وَنَفَسُهُ تَسْبِيحٌ »[٣] وقال معاذ لأبى موسى كيف تصنع فى قيام الليل ؟ فقال أقوم الليل أجمع، لا أنام منه شيئا وأتفوق القرءان فيه تفوقا ، قال معاذ لكن أنا أنام ثم أقوم، وأحتسب فى نومتى ما أحتسب فى قومتى ، فذكرا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « مُعَاذٌ أَفْقَهُ مِنْكَ »

وآداب النوم عشرة :

الأول الطهارة والسواك: قال صلى الله عليه وسلم[٤] « إِذَا نَامَ الْعَبْدُ عَلَى طَهَارَةٍ عُرِجَ بِرُوحِهِ إِلَى الْعَرْشِ فَكَانَتْ رُؤْيَاهُ صَادِقَةً وَإِنْ لَمْ يَنَمْ عَلَى طَهَارَةٍ قَصُرَتْ رُوحُهُ عَنِ الْبُلُوغِ، فَتِلْكَ الْمَنَامَاتُ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ لَا تَصْدُقُ » وهذا أريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا ، وطهارة الباطن هى المؤثرة فى انكشاف حجب الغيب

الثانى : أن يعد عند رأسه سواكه وطهوره وينوى القيام للعبادة عند التيقظ ، وكلما يتنبه يستاك ، كذلك كان يفعله بعض السلف ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[٥] أنه كان يستاك فى كل ليلة مرارا عند كل نومة ، وعند التنبه منها ، وإن لم تتيسر له الطهارة يستحب له مسح الاعضاء بالماء ، فان لم يجد فليقعد ، وليستقبل القبلة ، وليشتغل بالذكر والدعاء والتفكر فى آلاء الله تعالى وقدرته ، فذلك يقوم مقام قيام الليل وقال صلى الله عليه وسلم[٦] « مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِى أَنْ يَقُومَ يُصَلِّى مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى يُصْبِحَ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى »

---

(١) حديث إذا نام على الطهارة رفع روحه إلى العرش: ابن المبارك فى الزهد موقوفا على أبى الدرداء وهق فى الشعب موقوفا على عبد الله بن عمرو بن العاص وروى طب فى الأوسط من حديث علي ما من عبد ولا أمة ينام فتثقل نوما إلا عرج بروحه إلى العرش فالذى لا يستيقظ دون العرش فهى الرؤيا التى تكذب هو ضعيف

(٢) حديث نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح قلت المعروف فيه الصائم دون العالم وقد تقدم فى الصوم

(٣) حديث قال معاذ لأبى موسى كيف تصنع فى قيام الليل فقال أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيئا وأتفوق القرءان تفوقا قال معاذ لكنى أنام ثم أقوم وأحتسب فى نومتى ما أحتسب فى قومتى فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال معاذ أفقه منك متفق عليه بنحوه من حديث أبى موسى وليس فيه أنهما ذكرا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ولا قوله معاذ أفقه منك وانما زاد فيه طب فكان معاذ أفضل منه

(٤) حديث إذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة الحديث تقدم

(٥) حديث انه كان يستاك فى كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها تقدم فى الطهارة

(٦) حديث من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة من الله عليه: ن ه من حديث أبى الدرداء بسند صحيح

الثالث : أن لا يبيت من له وصية إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه فانه لا يأمن القبض فى النوم ، فان من مات من غير وصية لم يؤذن له فى الكلام بالبرزخ إلى يوم القيامة ، يتزاوره الأموات ويتحدثون وهو لا يتكلم ، فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات من غير وصية ، وذلك مستحب خوف موت الفجأة ، وموت الفجأة تخفيف ، إلا لمن ليس مستعدا للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم

الرابع : أن ينام تائبا من كل ذنب ، سليم القلب لجميع المسلمين ، لا يحدث نفسه بظلم أحد ولا يعزم على معصية إن استيقظ قال صلى الله عليه وسلم (١) « مَنْ أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ لَا يَنْوِي ظُلْمَ أَحَدٍ وَلَا يَحْقِدُ عَلَى أَحَدٍ غُفِرَ لَهُ مَا اجْتَرَمَ »

الخامس : أن لا يتنعم بتمهيد الفُرُش الناعمة بل يترك ذلك أو يقتصد فيه ، كان بعض السلف يكره التمهيد للنوم ويرى ذلك تكلفا ، وكان أهل الصفة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا ، ويقولون منها خلقنا واليها نرد ، وكانوا يرون ذلك أرق لقلوبهم وأجدر بتواضع نفوسهم ، فمن لم تسمح بذلك نفسه فليقتصد

السادس : أن لا ينام مالم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه إلا إذا قصد به الاستعانة على القيام فى آخر الليل ، فقد كان نومهم غلبة ، وأكلهم فاقة ، وكلامهم ضرورة ، ولذلك وصفوا بأنهم كانوا قليلا من الليل مايهجعون ، وإن غلبه النوم عن الصلاة والذكر وصار لا يدرى مايقول فلينم حتى يعقل مايقول ، وكان ابن عباس رضى الله عنه يكره النوم قاعدا ، وفى الخبر (٢) « لَا تُكَابِدُوا اللَّيْلَ » وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) أن فلانة تصلى بالليل ، فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال « لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا تَيَسَّرَ لَهُ ، فَإِذَا غَلَبَهُ النَّوْمُ فَلْيَرْقُدْ » وقال صلى الله عليه وسلم (٤) « تَكَلَّفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَمَلَّ حَتَّى تَمَلُّوا »

---

(١) حديث من أوى إلى فراشه لا ينوى ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجترم ابن أبى الدنيا فى كتاب النية من أنس من أصبح ولم يهم بظلم أحد غفر له ما اجترم وسنده ضعيف

(٢) حديث لا تكابدوا الليل : أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف وفى جامع سفيان الثورى موقوفا على ابن مسعود لا تغالبوا هذا الليل

(٣) حديث قيل له فلانة تصلى فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهاهن عن ذلك الحديث : متفق عليه من حديث أنس

(٤) حديث تكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا : متفق عليه من حديث عائشة بلفظ أكلفوا

وقال صلى الله عليه وسلم [١] « خَيْرُ هَذَا الدِّينِ أَيْسَرُهُ » وقيل له صلى الله عليه وسلم [٢] ان فلانا يصلى فلا ينام ، ويصوم فلا يفطر ، فقال « لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ هَذِهِ سُنَّتِي فَمَنْ رَغِبَ عَنْهَا فَلَيْسَ مِنِّي » وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « لَا تُشَادُّوا هَذَا الدِّينَ فَإِنَّهُ مَتِينٌ فَمَنْ يُشَادِّهِ يَغْلِبْهُ فَلَا تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللهِ »

السابع أن ينام مستقبل القبلة ، والاستقبال على ضربين (أحدهما) استقبال المحتضر ، وهو المستلقى على قفاه ، فاستقباله أن يكون وجهه وأخمصاه إلى القبلة (والثانى) استقبال اللحد ، وهو أن ينام على جنب بان يكون وجهه اليها مع قبالة بدنه إذا نام على شقه الأيمن

الثامن : [٤] الدعاء عند النوم فيقول باسمك ربى وضعت جنبى وباسمك أرفعه إلى آخر الدعوات المأثورة التى أوردناها فى كتاب الدعوات ، ويستحب أن يقرأ الآيات المخصوصة ، مثل آية الكرسى وآخر البقرة وغيرهما ، وقوله تعالى (وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) إلى قوله (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [١]) يقال ان من قرأها عند النوم حفظ الله عليه القرءان فلم ينسه ، ويقرأ من سورة الاعراف هذه الآية (إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) إلى قوله (قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ [٢]) وآخر بنى اسرائيل (قُلِ ادْعُوا اللهَ) الآيتين ، فانه يدخل فى شعاره ملك يوكل بحفظه فيستغفر له ، ويقرأ المعوذتين وينفث بهن فى يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده ، كذلك روى من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم [٥] وليقرأ عشرا من أول الكهف ، وعشرا من آخرها وهذه الآى للاستيقاظ لقيام الليل ، وكان على كرم الله وجهه يقول ما أرى ان رجلا مستكملا عقله ينام قبل أن يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة ، وليقل خمسا وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ليكون مجموع هذه الكلمات الاربع مائة مرة

---

(١) حديث خير هذا الدين أيسره : أحمد من حديث محجن بن الأدرع وتقدم فى العلم

(٢) حديث قيل له أن فلانا يصلى ولا ينام ويصوم ولا يفطر فقال لكنى اصلى وأنام وأصوم وأفطر هذه سنتى فمن رغب عنها فليس منى : ن من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله هذه سنتى الخ وهذه الزيادة لابن خزيمة من رغب عن سنتى فليس منى وهي متفق عليها من حديث أنس

(٣) حديث لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله : خ من حديث أبى هريرة لن يشاد هذا الدين أحد الاغلبه فسددوا وقاربوا وللبيهقى من حديث جابر ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله ولا يصح اسناده

(٤) حديث الدعاء المأثور عند النوم باسمك اللهم رب وضعت جنبى ـ الحديث : إلى آخر الدعوات المأثورة التى أوردناها فى الدعوات تقدم هناك وبقية الدعوات

(٥) حديث قراءة المعوذتين عند النوم ينفث بهن فى يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده متفق عليه من حديث عائشة

---

(١) البقرة : ١٦٣ ، ١٦٤ (٢) الأعراف : ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦

التاسع : أن يتذكر عند النوم أن النوم نوع وفاة ، والتيقظ نوع بعث ، قال الله تعالى : (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا[1]) وقال (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ[2]) فسماه توفيا ، وكما أن المستيقظ تنكشف له مشاهدات لا تناسب أحواله فى النوم ، فكذلك المبعوث يرى مالم يخطر قط بباله ولا شاهده حسه ، ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة ،

وقال لقمان لابنه : يابنى ان كنت تشك فى الموت فلا تنم ، فكما انك تنام كذلك تموت ، وإن كنت تشك فى البعث فلا تنتبه ، فكما انك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك ، وقال كعب الأحبار : إذا نمت فاضطجع على شقك الايمن ، واستقبل القبلة بوجهك ، فانها وفاة وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] آخر مايقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى انه ميت فى ليلته تلك « اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ » الدعاء إلى آخره كما ذكرناه فى كتاب الدعوات فحق على العبد أن يفتش عن ثلاثة عند نومه : انه على ماذا ينام ، وما الغالب عليه حب الله تعالى وحب لقائه أو حب الدنيا ، وليتحقق أنه يتوفى على ما هو الغالب عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فان المرء مع من أحب ومع ما أحب

العاشر : الدعاء عند التنبه فليقل فى تيقظاته وتقلباته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] « لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ، رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ » وليجتهد أن يكون آخر مايجرى على قلبه عند النوم ذكر الله تعالى ، وأول مايرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى ، فهو علامة الحب ، ولا يلازم القلب فى هاتين الحالتين الا ما هو الغالب عليه ، فليجرب قلبه به فهو علامة الحب فانها علامة تنكشف عن باطن القلب ، وإنما استحبت هذه الأذكار لتستجر القلب إلى ذكر الله تعالى ، فاذا استيقظ ليقوم قال : الحمد لله الذى أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور ، إلى آخر ما أوردناه من أدعية التيقظ

---

(١) حديث عائشة كان آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحديث : تقدم فى الدعوات دون وضع الخد على اليد وتقدم من حديث حفصة

(٢) حديث كان يقول عند تيقظه لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار ابن السنى وأبو نعيم فى كتابيهما عمل اليوم والليلة من حديث عائشة

---

(١) الزمر : ٤٢ (٢) الأنعام : ٥٩

الورد الرابع : يدخل بمضى النصف الأول من الليل إلى أن يبقى من الليل سدسه ، وعند ذلك يقوم العبد للتهجد ، فاسم التهجد يختص بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم ، وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذى بعد الزوال وهو وسط النهار ، وبه أقسم الله تعالى فقال : (وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى [1]) أى إذا سكن ، وسكونه هدوه فى هذا الوقت ، فلا تبقى عين الا نائمة ، سوى الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ، وقيل إذا سجى . إذا امتد وطال ، وقيل إذا أظلم . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] أى الليل أسمع فقال « جَوْفُ اللَّيْلِ » وقال داود صلى الله عليه وسلم : إلهى إنى أحب أن أتعبدلك ، فأى وقت أفضل ؟ فأوحى الله تعالى إليه ، ياداود لا تقم أول الليل ولا آخره فان من قام أوله نام آخره ، ومن قام آخره لم يقم أوله : ولكن قم وسط الليل حتى تخاوبى وأخاوبك ، وارفع إلىّ حوائجك ، وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] أى الليل أفضل ؟ فقال « نِصْفُ اللَّيْلِ الْغَابِرِ » يعنى الباقى ، وفى آخر الليل وردت الأخبار [3] باهتزاز العرش ، وانتشار الرياح من جنات عدن ، ومن نزول الجبار تعالى إلى سماء الدنيا ، وغير ذلك من الأخبار ،

وترتيب هذا الورد أنه بعد الفراغ من الأدعية التى للاستيقاظ ، يتوضأ وضوءا كما سبق بسننه وآدابه وأدعيته ، ثم يتوجه إلى مصلاه ، ويقوم مستقبلا القبلة ، ويقول : الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، ثم يسبح عشرا وليحمد الله عشرا ، ويهلل عشرا ، وليقل الله أكبر ذو الملكوت والجبروت ، والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة ،

---

(١) حديث سئل أى الليل أسمع قال جوف الليل : دت وصححه من حديث عمرو بن عنبسة

(٢) حديث سئل أى الليل أفضل قال نصف الليل الغابر : أحمد وحب من حديث أبى ذر دون قوله الغابر وهى فى بعض طرق حديث عمرو بن عنبسة

(٣) حديث الأخبار الواردة فى اهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن فى آخر الليل ونزول الجبار إلى سماء الدنيا أما حديث النزول فقد تقدم وأما الباقى فهى آثار رواها محمد بن نصر فى قيام الليل من رواية سعيد الجريرى قال قال داود ياجبريل أى الليل أفضل قال ماأدرى غير أن العرش يهز من السحر وفى رواية له عن الجريرى عن سعيد بن أبى الحسن قال إذا كان من السحر ألا ترى كيف تفوح ريح كل شجر وله من حديث أبى الدرداء مرفوعا إن الله تبارك وتعالى لينزل فى ثلاث ساعات بقين من الليل يفتح الذكر فى الساعة الأولى وفيه ثم ينزل فى الساعة الثانية إلى جنة عدن ـ الحديث : وفيه مثله

---

(١) الضحى : ١

وليقل هذه الكلمات فانها مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] فى قيامه للتهجد اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ ، أَنْتَ بَهَاءُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ ، أَنْتَ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكَ الْحَمْدُ ، أَنْتَ قَيُّومُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَنْ عَلَيْهِنَّ ، أَنْتَ الْحَقُّ ، وَمِنْكَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالنُّشُورُ حَقٌّ ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ ، اللَّهُمَّ [٢] آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا ، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا ، اللَّهُمَّ [٣] اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَعْمَالِ ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ ، [٤] أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْبَائِسِ الْمِسْكِينِ ، وَأَدْعُوكَ دُعَاءَ الْمُضْطَرِّ الذَّلِيلِ ، فَلَا تَجْعَلْنِي بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ! وَكُنْ بِي رَءُوفًا رَحِيمًا يَا خَيْرَ الْمَسْئُولِينَ وَأَكْرَمَ الْمُعْطِينَ ، وقالت عائشة رضى الله عنها : كان صلى الله عليه وسلم [٥] إذا قام من الليل افتتح صلاته قال : اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »

---

(١) حديث القول فى قيامه للتهجد اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ـ الحديث : متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت زين السموات والأرض ودون قوله ومن عليهن ومنك الحق

(٢) حديث اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها : أحمد باسناد جيد من حديث عائشة انها فقدت النبى صلى الله عليه وسلم من مضجعه فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول رب أعط نفسى تقواها ـ الحديث :

(٣) حديث اللهم اهدنى لأحسن الأعمال لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت : م من حديث على عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة فذكره بلفظ لأحسن الأخلاق وفيه زيادة فى أوله

(٤) حديث أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء المضطر الذليل ـ الحديث : الطبرانى فى الصغير من حديث ابن عباس أنه كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عشية عرفة تقدم فى الحج

(٥) حديث عائشة كان إذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض ـ الحديث : رواه م

ثم يفتتح الصلاة ، ويصلى [١] ركعتين خفيفتين ، ثم يصلى مثنى مثنى ما تيسر له ، ويختم بالوتر إن لم يكن قد صلى الوتر ، ويستحب أن يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ؛ ليستريح ويزيد نشاطه للصلاة ، وقد صح فى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل انه صلى أولا ركعتين خفيفتين ، ثم ركعتين طويلتين ، ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ، ثم لم يزل يقصر بالتدريج إلى ثلاث عشرة ركعة ، وسئلت عائشة رضى الله عنها أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] يجهر فى قيام الليل أم يسر؟ فقالت ربما جهر ، وربما أسر ، وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « صَلاَةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى فَإِذَا خِفْتَ الصُّبْحَ فَأَوْتِرْ بِرَكْعَةٍ » وقال : « صَلاَةُ [٤] الْمَغْرِبِ أَوْتِرَتْ صَلاَةَ النَّهَارِ فَأَوْتِرُوا صَلاَةَ اللَّيْلِ » وأكثر ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٥] فى قيام الليل ثلاث عشرة ركعة ، ويقرأ فى هذه الركعات من ورده من القرءان ؛ أو من السور المخصوصة ما خف عليه ، وهو فى حكم هذا الورد قريب من السدس الأخير من الليل ،

الورد الخامس : السدس الأخير من الليل ، وهو وقت السحر ، فان الله تعالى قال : (وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ [١]) قيل يصلون لما فيها من الاستغفار ، وهو مقارب للفجر الذى هو وقت انصراف ملائكة الليل وإقبال ملائكة النهار ، وقد أمر بهذا الورد سلمان أخاه أبا الدرداء رضى الله عنهما ليلة زاره ، [٦] فى حديث طويل قال فى آخره فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم ، فقال له سلمان نم فنام ، ثم ذهب ليقوم فقال له نم فنام ، فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن ، فقاما فصليا ، فقال إن لنفسك عليك حقا ، وإن لضيفك عليك حقا وإن لأهلك عليك حقا فأعط كل ذى حق حقه ، وذلك أن امرأة أبى الدرداء أخبرت سلمان أنه لا ينام الليل ، قال فأتيا النبى صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له ، فقال « صَدَقَ سَلْمَانُ »

---

(١) حديث أنه صلى بالليل أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج إلى ثلاث عشرة ركعة : م من حديث زيد ابن خالد الجهنى

(٢) حديث سئلت عائشة أكان يجهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قيام الليل أم يسر فقالت ربما جهر وربما أسر : د ن ه باسناد صحيح

(٣) حديث صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فأوتر بركعة : متفق عليه وقد تقدم

(٤) حديث صلاة المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل : أحمد من حديث ابن عمر باسناد صحيح

(٥) حديث القيام من الليل ثلاث عشرة ركعة فانه أكثر ما صح عنه : تقدم

(٦) حديث زار سلمان أبا الدرداء فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام ـ الحديث : وفى آخره فقال صدق سلمان خ من حديث أبى جحيفة

---

(١) الذاريات : ١٨

وهذا هو الورد الخامس ، وفيه يستحب السحور ، وذلك عند خوف طلوع الفجر

والوظيفة فى هذين الوردين الصلاة ، فاذا طلع الفجر انقضت أوراد الليل ، ودخلت أوراد النهار ، فيقوم ويصلى ركعتى الفجر وهو المراد بقوله تعالى (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ[1]) ثم يقرأ (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ[2]) إلى آخرها ثم يقول : وأنا أشهد بما شهد الله به لنفسه ، وشهدت به ملائكته ، وأولو العلم من خلقه ، وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله تعالى وديعة ، وأسأله حفظها حتى يتوفانى عليها ، اللهم احطط عنى بها وزرا ، واجعلها لى عندك ذخرا ، واحفظها علىّ وتوفنى عليها حتى ألقاك بها غير مبدّل تبديلا

فهذا ترتيب الأوراد للعباد ، وقد كانوا يستحبون أن يجمعوا مع ذلك فى كل يوم بين أربعة أمور ، صوم ، وصدقة ، وإن قلّت وعيادة مريض ، وشهود جنازة ، ففى الخبر[1] « مَنْ جَمَعَ بَيْنَ هَذِهِ الْأَرْبَعِ فِي يَوْمٍ غُفِرَ لَهُ » وفى رواية « دَخَلَ الْجَنَّةَ » فان انفق بعضها وعجز عن الآخر كان له أجر الجميع بحسب نيته ، وكانوا يكرهون أن ينقضى اليوم ، ولم يتصدّقوا فيه بصدقة ولو بتمرة ، أو بصلة أو كسرة خبز ، لقوله صلى الله عليه وسلم[2] « الرَّجُلُ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ » ولقوله صلى الله عليه وسلم[2] « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » ودفعت عائشة رضى الله عنها إلى سائل عنبة فأخذها ، فنظر من كان عندها بعضهم إلى بعض ، فقالت مالكم أن فيها لمثقال ذرة كثير ، وكانوا لا يستحبون رد السائل ، إذ كان من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] ذلك ، ما سأله أحد شيئا فقال لا ، ولكنه إن لم يقدر عليه سكت ، وفى الخبر[5] « يُصْبِحُ ابْنُ آدَمَ وَعَلَى كُلِّ سَلَامَى مِنْ جَسَدِهِ صَدَقَةٌ » يعنى المفصل ، وفى جسده ثلثمائة وستون مفصلا ، « فَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ ، وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ ، وَحَمْلُكَ عَنِ الضَّعِيفِ صَدَقَةٌ ، وَهِدَايَتُكَ إِلَى الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ ، وَإِمَاطَتُكَ الْأَذَى صَدَقَةٌ » حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال « وَرَكْعَتَا الضُّحَى تَأْتِي عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ أَوْ تُجْمِعُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ

---

(١) حديث من جمع بين صوم وصدقة وعيادة مريض وشهود جنازة فى يوم غفر له وفى رواية دخل الجنة : م من حديث أبى هريرة ما اجتمعن فى امرىء إلا دخل الجنة

(٢) حديث الرجل فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس : تقدم فى الزكاة

(٣) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة : تقدم فى الزكاة

(٤) حديث ما سأله أحد شيئا فقال لا إن لم يقدر عليه سكت : م من حديث جابر وللبزار من حديث أنس أو يسكت

(٥) حديث يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة ـ الحديث : م من حديث أبى ذر

بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال

اعلم أن المريد لحرث الآخرة ، السالك لطريقها ، لايخلو عن ستة أحوال ، فانه اما عابد ، واما عالم ، واما متعلم ، واما وال ، وأما محترف ، واما موحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره ،

الأوّل : العابد ! وهو المتجرد للعبادة الذى لاشغل له غيرها أصلا ، ولو ترك العبادة لجلس بطالا ، فترتيب أوراده ماذكرناه ، نعم لايبعد أن تختلف وظائفه ، بأن يستغرق أكثر أوقاته ، إما فى الصلاة ، أو فى القراءة ، أوفى التسبيحات ، فقد كان فى الصحابة رضى الله عنهم مَن ورده فى اليوم اثنا عشر ألف تسبيحة ، وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفا ، وكان فيهم من ورده ثلثمائة ركعة إلى ستمائة ، وإلى ألف ركعة ، وأقل مانقل فى أورادهم من الصلاة مائة ركعة فى اليوم والليلة ، وكان بعضهم أكثر ورده القرءان ، وكان يختم الواحد منهم فى اليوم مرة وروى مرتين عن بعضهم ، وكان بعضهم يقضى اليوم أو الليلة فى التفكر فى آية واحدة يرددها ، وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة ، فكان يطوف فى كل يوم سبعين أسبوعا ، وفى كل ليلة سبعين أسبوعا ، وكان مع ذلك يختم القرءان فى اليوم والليلة مرتين ، فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ، ويكون مع كل أسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة وختمتان وعشرة فراسخ

فان قلت : فما الأولى أن يصرف إليه أكثر الاوقات من هذه الأوراد ؟

فاعلم أن قراءة القرءان فى الصلاة قائما مع التدبر يجمع الجميع ، ولكن ربما تعسر المواظبة عليه ، فالافضل يختلف باختلاف حال الشخص ، ومقصود الاوراد تزكية القلب ، وتطهيره وتحليته بذكر الله تعالى ، وإيناسه به ، فلينظر المريد إلى قلبه فما يراه أشد تأثيرا فيه فليواظب عليه ، فاذا أحس بملالة منه فلينتقل إلى غيره ، ولذلك نرى الاصوب لاكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الاوقات ، كما سبق والانتقال فيها من نوع إلى نوع ، لان الملال هو الغالب على الطبع ، وأحوال الشخص الواحد فى ذلك أيضا تختلف ، ولكن إذا فهم فقه الأوراد وسرها فليتبع المعنى ، فان سمع تسبيحة مثلا وأحس لها بوقع فى قلبه فليواظب على تكرارها مادام يجد لها وقعا ، وقد روى عن إبراهيم بن أدهم عن بعض الابدال أنه قام ذات ليلة يصلى على شاطىء البحر ، فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير أحدا ، فقال من أنت

أسمع صوتك ولا أرى شخصك؟ فقال أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر ، أسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت ، قلت فما اسمك ؟ قال مهلهائيل، قلت فما ثواب من قاله ؟ قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة ، أو يرى له ، والتسبيح هو قوله: سبحان الله العلى الديان، سبحان الله الشديد الاركان، سبحان من يذهب بالليل ويأتى بالنهار، سبحان من لا يشغله شأن عن شان، سبحان الله الحنان المنان ، سبحان الله المسبَّح فى كل مكان ، فهذا وأمثاله إذا سمعه المريد ووجد له فى قلبه وقعا فيلازمه ، وأيّاما وجد القلب عنده ، وفتح له فيه خير فليواظب عليه

الثانى : العالم الذى ينفع الناس بعلمه ، فى فتوى ، أو تدريس ، أو تصنيف، فترتيبه الأوراد يخالف ترتيب العابد ، فانه يحتاج إلى المطالعة للكتب ، والى التصنيف والافادة ، ويحتاج إلى مدة لها لا محالة ، فان أمكنه استغراق الاوقات فيه فهو أفضل ما يشتغل بعد المكتوبات ورواتبها ، ويدل على ذلك جميع ماذكرناه فى فضيلة التعليم والتعلم فى كتاب العلم ، وكيف لا يكون كذلك وفى العلم المواظبة على ذكر الله تعالى ، وتأمل ماقال الله تعالى وقال رسوله وفيه منفعة الخلق وهدايتهم إلى طريق الآخرة ، ورب مسألة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ، ولو لم يتعلمها لكان سعيه ضائعا ، وانما نعنى بالعلم المقدم على العبادة العلم الذى يرغب الناس فى الآخرة ويزهدهم فى الدنيا ، أو العلم الذى يعينهم على سلوك طريق الآخرة ، إذا تعلموه على قصد الاستعانه به على السلوك دون العلوم التى تزيدبها الرغبة فى المال والجاه ، وقبول الخلق، والأولى بالعلم أن يقسم أوقاته أيضاً

فان استغراق الأوقات فى ترتيب العلم لا يحتمله الطبع ، فينبغى أن يخصص مابعد الصبح إلى طلوع الشمس بالأذكار والأوراد ، كما ذكرناه فى الورد الأول ، وبعد الطلوع إلى ضحوة النهار فى الافادة والتعليم ، ان كان عنده من يستفيد علما لأجل الآخرة وان لم يكن فيصرفه إلى الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين ، فإن صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات ، ومن ضحوة النهار إلى العصر للتصنيف والمطالعة ، لا يتركها إلا فى وقت أكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة ان طال النهار ، ومن العصر إلى الاصفرار يشتغل بسماع مايقرأ بين يديه من تفسير أو حديث أو علم نافع ، ومن الاصفرار إلى الغروب يشتغل بالذكر والاستغفار والتسبيح ، فيكون ورده الأول قبل طلوع الشمس فى عمل اللسان ، وورده الثانى فى عمل القلب بالفكر إلى الضحوة

ووردة الثالث إلى العصر فى عمل العين واليد بالمطالعة والكتابة ، ووردة الرابع بعد العصر فى عمل السمع ليروح فيه العين واليد فان المطالعة والكتابة بعد العصر ربما أضرا بالعين ، وعند الاصفرار يعود إلى ذكر اللسان، فلا يخلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب فى الجميع

وأما الليل فأحسن قسم فيه قسمة الشافعى رضى الله عنه ، اذ كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للمطالعة وترتيب العلم وهو الأول، وثلثا للصلاة وهو الوسط الوسطى، وثلثا للنوم وهو الأخير وهذا يتيسر فى ليالى الشتاء والصيف ربما لا يحتمل ذلك الا إذا كان أكثر النوم بالنهار، فهذا ما نستحبه من ترتيب أوراد العلم

الثالث : المتعلم، والاشتغال بالتعلم أفضل من الاشتغال بالاذكار والنوافل فحكمه حكم العالم فى ترتيب الاوراد، ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالأفادة وبالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف، ويرتب أوقاته كما ذكرنا وكل ما ذكرناه فى فضيلة التعلم والعلم من كتاب معلم يدل على ان ذلك أفضل بل ان لم يكن متعلما على معنى انه يعلق ويحصل ليصير عالما بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والوعظ والعلم أفضل من اشتغاله بالأوراد التى ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفى سائر الأوقات فى حديث أبى ذر رضى الله عنه[1] « إِنَّ حُضُورَ مَجْلِسِ ذِكْرٍ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ أَلْفِ رَكْعَةٍ وَشُهُودِ أَلْفِ جَنَازَةٍ وَعِيَادَةِ أَلْفِ مَرِيضٍ » وقال صلى الله عليه وسلم[2] « إِذَا رَأَيْتُمْ رِيَاضَ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا فِيهَا فقيل: يَارَسُولَ اللهِ وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قال: حَلَقُ الذِّكْرِ » وقال كعب الأحبار رضى الله عنه ؛ لو أن ثواب مجالس العلماء بدا للناس لاقتتلوا عليه ، حتى يترك كل ذى إمارة إمارته، وكل ذى سوق سوقه، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة، فاذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه وانصرف إلى منزله ، وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء ، فان الله عز وجل لم يخلق على وجه الأرض تربة أكرم من مجالس العلماء ، وقال رجل للحسن رحمه الله أشكو اليك قساوة قلبى، فقال أدنه من مجالس الذكر، ورأى عمار الزاهدى مسكينة الطفاوية فى المنام وكانت من المواظبات على حلق الذكر ، فقال مرحبا يامسكينة فقالت : هيهات هيهات ، ذهبت المسكنة وجاء الغنى، فقال هيه فقالت : ماتسأل عمن أبيح لها الجنة بحذافيرها، قال وبم ذلك ؟ قالت : بمجالسة أهل الذكر

---

(١) حديث أبى ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة ـ الحديث : تقدم فى العلم

(٢) حديث إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها ـ الحديث : تقدم فى العلم

وعلى الجملة فما ينحل عن القلب من عُقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكي السيرة أشرف وأنفع من ركعات كثيرة مع اشتمال القلب على حب الدنيا

الرابع: المحترف الذي يحتاج إلى الكسب لعياله فليس له أن يضيع العيال ويستغرق الأوقات في العبادات، بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق، والاشتغال بالكسب، ولكن ينبغي أن لا ينسى ذكر الله تعالى في صناعته، بل يواظب على التسبيحات والأذكار وقراءة القرءان، فان ذلك يمكن أن يجمع إلى العمل، وانما لا يتيسر مع العمل الصلاة الا أن يكون ناظورا فانه لا يعجز عن إقامة أوراد الصلاة معه، ثم مهما فرغ من كفايته ينبغي أن يعود إلى ترتيب الأوراد، وإن داوم على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فهو أفضل من سائر الاوراد التي ذكرناها، لأن العبادات المتعدية فائدتها أنفع من اللازمة، والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له في نفسه تقربه إلى الله تعالى، ثم يحصل به فائدة للغير وتنجذب اليه بركات دعوات المسلمين ويتضاعف به الأجر

الخامس: الوالي مثل الامام والقاضي والمتولي لينظر في أمور المسلمين، فقيامه بحاجات المسلمين وأغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص أفضل من الأوراد المذكورة، فحقه أن يشتغل بحقوق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة، ويقيم الأوراد المذكورة بالليل، كما كان عمر رضي الله عنه يفعله، إذ قال: مالي وللنوم، فلو نمت بالنهار ضيعت المسلمين، ولو نمت بالليل ضيعت نفسي

وقد فهمت بما ذكرناه أنه يقدم على العبادات البدنية أمران، أحدهما العلم، والآخر الرفق بالمسلمين، لأن كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل في نفسه، وعبادة تفضل سائر العبادات، يتعدى فائدته وانتشار جدواه، فكانا مقدمين عليه

السادس: الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذي أصبح وهمومه هم واحد، فلا يحب إلا الله تعالى ولا يخاف إلا منه، ولا يتوقع الرزق من غيره، ولا ينظر في شيء إلا ويرى الله تعالى فيه، فمن ارتفعت رتبته إلى هذه الدرجة لم يفتقر إلى تنويع الأوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحدا وهو حضور القلب مع الله تعالى في كل حال، فلا يخطر بقلوبهم أمر، ولا يقرع سمعهم قارع، ولا يلوح لأبصارهم لائح، إلا كان لهم فيه عبرة وفكر ومزيد، فلا محرك لهم ولا مسكن إلا الله تعالى، فهؤلاء جميع أحوالهم تصلح أن تكون

سببا لازديادهم ، فلا تتميز عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا إلى الله عزوجل، كما قال تعالى: (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. فَفِرُّوا إِلَى اللهِ [1]) وتحقق فيهم قوله تعالى: (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ [2]) واليه الاشارة بقوله: إنى ذاهب إلى ربى سيهدين ، وهذه منتهي درجات الصديقين ، ولا وصول اليها الا بعد ترتيب الاوراد والمواظبة عليها دهرا طويلا ، فلا ينبغى أن يغتر المريد بما سمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ، ويفتر عن وظائف عبادته فذلك علامته أن لا يهجس فى قلبه وسواس ، ولا يخطر فى قلبه معصية ، ولا تزعجه هو اجم الاهوال ، ولا تستفزه عظائم الاشغال ، وأنى ترزق هذه الرتبة لكل أحد فيتعين على الكافة ترتيب الاوراد كما ذكرناه وجميع ماذكرناه طرق إلى الله تعالى قال تعالى (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً [3]) فكلهم مهتدون وبعضهم أهدى من بعض، وفى الخبر [1] « الْإِيمَانُ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ وَثَلَاثُمِائَةِ طَرِيقَةٍ مَنْ لَقِيَ اللهَ تَعَالَى بِالشَّهَادَةِ عَلَى طَرِيقٍ مِنْهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ » وقال بعض العلماء الايمان ثلثمائة عشر خلقا بعدد الرسل ، فكل مؤمن على خلق منها فهو سالك الطريق إلى الله ، فاذا الناس وان اختلفت طرقهم فى العبادة فكلهم على الصواب (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ [4]) وإنما يتفاوتون فى درجات القرب فى أصله وأقربهم إلى الله تعالى أعرفهم به ، وأعرفهم به لابد وأن يكون أعبدهم له ، فمن عرفه لم يعبد غيره

والأصل فى الأوراد فى حق كل صنف من الناس المداومة ، فان المراد منه تغيير الصفات الباطنة ، وآحاد الأعمال يقل آثارها بل لا يحس بآثارها ، وإنما يترتب الأثر على المجموع فاذا لم يعقب العمل الواحد أثرا محسوسا ولم يردف بثان وثالث على القرب انمحى الأثر الأول وكان كالفقيه يريد أن يكون فقيه النفس ، فانه لا يصير فقيه النفس إلا بتكرار كثير ، فلو بالغ ليلة فى التكرار ، وترك شهرا أو أسبوعا ثم عاد وبالغ ليلة لم يؤثر هذا فيه ، ولو وزع

---

(١) حديث الايمان ثلاث وثلاثون وثلثمائة طريقة من لقى الله بالشهادة على طريق منها دخل الجنة: ابن شاهين واللالكائى فى السنة والطبرانى والبيهقى فى الشعب من رواية المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده الايمان ثلثمائة وثلاثة وثلاثون شريعة من وافى شريعة منهن دخل الجنة وقال الطرانى والبيهقى ثلثمائة وثلاثون وفى أسناده جهالة

---

(١) الذاريات : ٤٩ ، ٥٠ (٢) الكهف : ١٦ (٣) الاسراء ٨٤ (٤) الاسراء : ٥٧

ذلك القدر على الليالى المتواصلة لأثر فيه ، ولهذا السر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] « أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ » « وَسُئِلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنْ عَمَلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٢] فَقَالَتْ كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً وَكَانَ إِذَا عَمِلَ عَمَلاً أَثْبَتَهُ » ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [٣] « مَنْ عَوَّدَهُ اللهُ عِبَادَةً فَتَرَكَهَا مَلاَ لَهُ مَقَتَهُ اللهُ »

وهذا كان السبب فى صلاته بعد العصر تداركا لما فاته من ركعتين [٤] شغله عنهما الوفد ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما بعد العصر، ولكن فى منزله لا فى المسجد كيلا يقتدى به روته عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما

فإن قلت فهل لغيره أن يقتدى به فى ذلك مع أن الوقت وقت كراهية

فاعلم أن المعانى الثلاثة التى ذكرناها فى الكراهية ، من الاحتراز عن التشبه بعبدة الشمس أو السجود وقت ظهور قرن الشيطان ، أو الاستراحة عن العبادة حذرا من الملال ، لا يتحقق فى حقه، فلا يقاس عليه فى ذلك غيره، ويشهد لذلك فعله فى المنزل حتى لا يقتدى به صلى الله عليه وسلم

الباب الثانى

فى الأسباب الميسرة لقيام الليل وفى الليالى التى يستحب إحياؤها وفى فضيلة إحياء الليل وما بين العشاءين وكيفية قسمة الليل

فضيلة إحياء ما بين العشاءين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روت عائشة رضى الله عنها [٥] « إِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَوَاتِ عِنْدَ اللهِ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ لَمْ يَحُطَّهَا عَنْ مُسَافِرٍ ، وَلَا عَنْ مُقِيمٍ ، فَتَحَ بِهَا صَلَاةَ اللَّيْلِ وَخَتَمَ بِهَا صَلَاةَ النَّهَارِ ، فَمَنْ صَلَّى الْمَغْرِبَ وَصَلَّى بَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ بَنَى اللهُ لَهُ قَصْرَيْنِ فِى الْجَنَّةِ » قال الراوى لا أدرى من ذهب أو فضة

---

(١) حديث أحب الاعمال إلى الله أدومها وان قل : متفق عليه من حديث عائشة

(٢) حديث سئلت عائشة عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملا أثبته : رواه م

(٣) حديث من عوده الله عبادة فتركها ملالا مقته الله : تقدم فى الصلاة وهو موقوف على عائشة

(٤) حديث شغله الوفد عن ركعتين فصلاهما بعد العصر ثم لم يزل يصليها بعد العصر فى منزله : متفق عليه من حديث أم سلمة أنه صلى بعد العصر ركعتين وقال شغلنى ناس من عبد القيس عن الركعتين بعد الظهر ولهما من حديث عائشة ما تركها حتى لقى الله وكان النبى صلى الله عليه وسلم يصليها ولا يصليها فى المسجد مخافة أن يثقل على أمته والله الموفق للصواب

﴿ الباب الثانى فى الأسباب الميسرة لقيام الليل ﴾

(٥) حديث عائشة ان أفضل الصلاة عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا عن مقيم الحديث : رواه أبو الوليد يونس بن عبيد الله الصفار فى كتاب الصلاة ورواه الطبرانى فى الأوسط مختصرا وأسناده ضعيف

« وَمَنْ صَلَّى بَعْدَهَا أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُ عِشْرِينَ سَنَةً أَوْ قَالَ أَرْبَعِينَ سَنَةً »
وروت أم سلمة وأبو هريرة رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم [1] أنه قال :
« مَنْ صَلَّى سِتَّ رَكَعَاتٍ بَعْدَ الْمَغْرِبِ عَدَلَتْ لَهُ عِبَادَةَ سَنَةٍ كَامِلَةٍ أَوْ كَأَنَّهُ صَلَّى لَيْلَةَ الْقَدْرِ »
وعن سعيد بن جبير عن ثوبان ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] « مَنْ عَكَفَ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فِي مَسْجِدِ جَمَاعَةٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ إِلَّا بِصَلَاةٍ أَوْ قُرْآنٍ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَبْنِيَ لَهُ قَصْرَيْنِ فِي الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ كُلِّ قَصْرٍ مِنْهُمَا مِائَةُ عَامٍ ، وَيَغْرِسُ لَهُ بَيْنَهُمَا غِرَاسًا لَوْ طَافَهُ أَهْلُ الدُّنْيَا لَوَسِعَهُمْ » وقال صلى الله عليه وسلم [3] « مَنْ رَكَعَ عَشْرَ رَكَعَاتٍ مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ بَنَى اللهُ لَهُ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ » فقال عمر رضى الله عنه إذاً تكثر قصورنا يارسول الله ، فقال « اللهُ أَكْثَرُ وَأَفْضَلُ » أوقال « أَطْيَبُ » وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [4] « مَنْ صَلَّى الْمَغْرِبَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِشَيْءٍ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَيَقْرَأُ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَعَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، وَآيَتَيْنِ مِنْ وَسَطِهَا ، (وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ . إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [1]) إلى آخر الآية (وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ)

---

(١) حديث أبي سلمة عن أبي هريرة من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة أو كأنه صلى ليلة القدر : ت ه بلفظ اثنتي عشرة سنة وضعفه ت وأما قوله كأنه صلى ليلة القدر فهو من قول كعب الأحبار كما رواه أبو الوليد الصفار ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يكلم أحدا وضعت له في عليين وكان كمن أدرك ليلة القدر في المسجد الأقصى وسنده ضعيف

(٢) حديث سعيد بن جبير عن ثوبان من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قرءان كان حقا على الله أن يبني له قصرين في الجنة : لم أجد له أصلا من هذا الوجه وقد تقدم في الصلاة من حديث ابن عمر

(٣) حديث من ركع عشر ركعات بين المغرب والعشاء بنى الله له قصرا في الجنة عمر إذن تكثر قصورنا يارسول الله ـ الحديث : ابن المبارك في الزهد من حديث عبد الكريم بن الحارث مرسلا

(٤) حديث أنس من صلى المغرب في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولا يتكلم بشيء فيما بين ذلك من امر الدنيا ويقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وعشر آيات من أول البقرة وآيتين من وسطها وإلهكم إله واحد ـ الحديث : أبو الشيخ في الثواب من رواية زياد بن ميمون عنه مع اختلاف يسير وهو ضعيف

---

(١) البقرة : ١٦٣ ، ١٦٤

خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةٍ، ثُمَّ يَرْكَعُ وَيَسْجُدُ فَإِذَا قَامَ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ، قَرَأَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ وَآيَتَيْنِ بَعْدَهَا إِلَى قَوْلِهِ: (أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ[1]) وَثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، مِنْ قَوْلِهِ، لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَى آخِرِهَا وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةٍ » وصف من ثوابه فى الحديث مايخرج عن الحصر ،

[1] وقال كرز بن وبرة وهو من الأبدال، قلت للخضر عليه السلام علمنى شيئا أعمله فى كل ليلة فقال إذا صليت المغرب فقم إلى وقت صلاة العشاء مصليا من غير أن تكلم أحدا ، وأقبل على صلاتك التى أنت فيها، وسلم من كل ركعتين ، واقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاثا ، فاذا فرغت من صلاتك انصرف إلى منزلك ولا تكلم أحدا وصلّ ركعتين ، واقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد سبع مرات ، فى كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك، واستغفر الله تعالى سبع مرات ، وقل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولاحول ولاقوة إلا بالله العلىّ العظيم سبع مرات ، ثم ارفع رأسك من السجود ، واستو جالسا ، وارفع يديك وقل: ياحى ياقيوم ياذا الجلال والاكرام ، ياإله الأوّلين والآخرين يارحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يارب يارب يارب ، ياالله ياالله ياالله : ثم قم وأنت رافع يديك وادع بهذا الدعاء، ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك، وصلّ على النبى صلى الله عليه وسلم وأدم الصلاة عليه ، حتى يذهب بك النوم ، فقلت له أحب أن تعلمنى ممن سمعت هذا فقال إنى حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعاء وأوحى إليه به فكنت عنده وكان ذلك بمحضر منى فتعلمته ممن علمه إيّاه

ويقال إن هذا الدعاء وهذه الصلاة من داوم عليهما بحسن يقين ، وصدق نية رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامه قبل أن يخرج من الدنيا ، وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى أنه أدخل الجنة ، ورأى فيها الأنبياء ورأى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وعلمه

وعلى الجملة ماورد فى فضل إحياء مابين العشاءين كثير ، حتى قيل[2] لعبيد الله مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بصلاة غير المكتوبة

---

(١) حديث كرز بن وبرة إن الخضر علمه صلاة بين المغرب والعشاء وفيه أن كرزا سأل الخضر ممن سمعت هذا قال انى حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حين علم هذا الدعاء ـ الحديث : وهذا باطل لا أصل له

(٢) حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بصلاة غير المكتوبة قال مابين المغرب والعشاء: رواه أحمد وفيه رجل لم يسم

---

[1] البقرة : ٢٥٧

قال مابين المغرب والعشاء وقال صلى الله عليه وسلم [١] «مَنْ صَلَّى مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فَذَلِكَ صَلَاةُ الْأَوَّابِينَ» وقال الأسود ماأتيت ابن مسعود رضى الله عنه فى هذا الوقت إلا ورأيته يصلى ؛ فسألته فقال نعم هى ساعة الغفلة ، وكان أنس رضى الله عنه يواظب عليها ويقول هى ناشئة الليل ، ويقول فيها نزل قوله تعالى (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ [١]) وقال أحمد بن أبى الحوارى قلت لأبى سليمان الدرانى أصوم النهار وأتعشى بين المغرب والعشاء أحب إليك أو أفطر بالنهار وأحيى مابينهما ؛ فقال اجمع بينهما فقلت إن لم يتيسر قال أفطر وصل مابينهما

فضيلة قيام الليل

أما من الآيات فقوله تعالى : (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ [٢]) الآية وقوله تعالى : (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً [٣]) وقوله سبحانه وتعالى : (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ [٤]) وقوله تعالى : (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ [٥]) الآية وقوله عز وجل : (وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً [٦]) وقوله تعالى (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ [٧]) قيل هى قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس

ومن الأخبار : قوله صلى الله عليه وسلم [٢] « يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ مَكَانَ كُلِّ عُقْدَةٍ، عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ وَذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَأَصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ » وفى الخبر [٣] إنه ذكر عنده رجل ينام كل الليل حتى يصبح ، فقال ذاك رجل بال الشيطان فى أذنه ، وفى الخبر [٤] «إِنَّ لِلشَّيْطَانِ سَعُوطاً وَلَعُوقاً وَذَرُوراً ، فَإِذَا أَسْعَطَ الْعَبْدُ سَاءَ خُلُقُهُ ، وَإِذَا أَلْعَقَهُ ذَرِبَ لِسَانُهُ بِالشَّرِّ ، وَإِذَا ذَرَّهُ نَامَ

(١) حديث من صلى مابين المغرب والعشاء فذلك صلاة الاوابين: تقدم فى الصلاة

(٢) حديث يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٣) حديث ذكر عنده رجل نام حتى أصبح فقال ذاك بال الشيطان فى أذنه : متفق عليه من حديث ابن مسعود

(٤) حديث إن للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا ـ الحديث : طب من حديث أنس إن للشيطان لعوقا وكحلا فاذا لعق الانسان من لعوقه ذرب لسانه بالشر وإذا كحله من كحله نامت عيناه عن الذكر ورواه البزار من حديث سمرة بن جندب وسندها ضعيف

(١) السجدة: ١٦ (٢) المزمل: ٢٠ (٣) المزمل: ٦ (٤) السجدة: ٩ (٥) الزمر: ٩ (٦) الفرقان: ٦٤ (٧) البقرة: ٤٥

اللَّيْلَ حَتَّى يُصْبِحَ » وقال « صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١] رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا الْعَبْدُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَلَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَفَرَضْتُهُمَا عَلَيْهِمْ » وفي الصحيح عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ » وفي رواية : « يَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ » وقال المغيرة بن شعبة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] حتى تفطرت قدماه ، فقيل له : أما قد غفر الله لك ماتقدّم من ذنبك وماتأخر ، فقال : « أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا » ويظهر من معناه أن ذلك كناية عن زيادة الرتبة ، فان الشكر سبب المزيد ، قال تعالى (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ [١]) وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَتُرِيدُ أَنْ تَكُونَ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ حَيًّا وَمَيِّتًا وَمَقْبُورًا وَمَبْعُوثًا ؟ قُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلِّ وَأَنْتَ تُرِيدُ رِضَا رَبِّكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ صَلِّ فِي زَوَايَا بَيْتِكَ يَكُنْ نُورُ بَيْتِكَ فِي السَّمَاءِ كَنُورِ الْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا وقال صلى الله عليه وسلم : [٤] « عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ فَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَتَكْفِيرٌ لِلذُّنُوبِ ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الْإِثْمِ » وقال صلى الله عليه وسلم : [٥] « مَا مِنِ امْرِئٍ تَكُونُ لَهُ صَلَاةٌ بِاللَّيْلِ فَغَلَبَهُ عَلَيْهَا النَّوْمُ إِلَّا كُتِبَ لَهُ أَجْرُ صَلَاتِهِ ، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ »

---

(١) حديث ركعتان يركعها العبد فى جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتى لفرضتها عليهم : آدم بن أبى أياس فى الثواب ومحمد بن نصر المروزى فى كتاب قيام الليل من رواية حسان بن عطية مرسلا ووصله أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر ولا يصح .

(٢) حديث المغيرة بن شعبة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تفطرت قدماه ـ الحديث : متفق عليه

(٣) حديث ياأباهريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك ياأبا هريرة صل فى زوايا بيتك يكن نور بيتك فى السماء كنور الكواكب والنجوم عند أهل الدنيا : باطل لاأصل له

(٤) حديث عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم ـ الحديث : ت من حديث بلال وقال غريب ولا يصح ورواه طب وهق من حديث أبى أمامة بسند حسن وقال ت أنه أصح

(٥) حديث مامن امرىء يكون له صلاة بالليل يغلبه عليها نوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه : د ن من حديث عائشة وفيه رجل لم يسم سماه ن فى رواية الأسود بن يزيد لكن فى طريقه ابن جعفر الرازى قال ن ليس بالقوى ورواه ن هـ من حديث أبى الدرداء نحوه بسند صحيح وتقدم فى الباب قبله

---

(١) ابراهيم : ٧

وقال صلى الله عليه وسلم [١] لأبي ذر « لَوْ أَرَدْتَ سَفَراً أَعْدَدْتَ لَهُ عُدَّةً ؟ قَالَ نَعَمْ ، قَالَ فَكَيْفَ سَفَرُ طَرِيقِ الْقِيَامَةِ . أَلَا أُنَبِّئُكَ يَا أَبَا ذَرٍّ بِمَا يَنْفَعُكَ ذَلِكَ الْيَوْمَ ؟ قَالَ بَلَى بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي قَالَ صُمْ يَوْماً شَدِيدَ الْحَرِّ لِيَوْمِ النُّشُورِ ، وَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ لِوَحْشَةِ الْقُبُورِ ، وَحُجَّ حَجَّةً لِعِظَائِمِ الْأُمُورِ ، وَتَصَدَّقْ بِصَدَقَةٍ عَلَى مِسْكِينٍ ، أَوْ كَلِمَةِ حَقٍّ تَقُولُهَا أَوْ كَلِمَةِ شَرٍّ تَسْكُتُ عَنْهَا

وروى أنه كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم [٢] رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم ، وهدأت العيون ، قام يصلي ويقرأ القرءان ويقول : يارب النار أجرني منها ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال « إِذَا كَانَ ذَلِكَ فَآذِنُونِي فَأَتَاهُ فَاسْتَمَعَ فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ يَا فُلَانُ هَلَّا سَأَلْتَ اللهَ الْجَنَّةَ ؟ قال يارسول الله إني لست هناك ، ولا يبلغ عملي ذاك ، فلم يلبث الا يسيرا حتى نزل جبرائيل عليه السلام ، قال « أَخْبِرْ فُلَاناً أَنَّ اللهَ قَدْ أَجَارَهُ مِنَ النَّارِ وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ » ويروى أن جبرائيل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم [٣] « نِعْمَ الرَّجُلُ ابْنُ عُمَرَ لَوْ كَانَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَكَانَ يُدَاوِمُ بَعْدَهُ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ » قال نافع كان يصلي بالليل ثم يقول . يا نافع أسحرنا فأقول لا ، فيقوم لصلاته ، ثم يقول يانافع أسحرنا ؟ فأقول نعم فيقعد ، فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر ، وقال علي بن أبي طالب ، شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح ، فأوحى الله تعالى إليه يايحيى أوجدت دارا خيرا لك من داري ؟ أم وجدت جوارا خيرا لك من جواري ؟ فوعزتي وجلالي يايحيى لو اطلعت إلى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ، ولزهقت نفسك اشتياقا ، ولو اطلعت إلى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ، ولبكيت الصديد بعد الدموع ، ولبست الجلد بعد المسوح ،

---

(١) حديث أنه قال لأبي ذر لو أردت سفرا أعددت له عدة فكيف بسفر طريق القيامة ألا أنبئك يا أباذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأبي وأمي قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور ـ الحديث : ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد من رواية السري ابن مخلد مرسلا والسري ضعفه الأزدي

(٢) حديث أنه كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرءان ويقول يارب النار أجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إذا كان ذلك فآذنوني ـ الحديث : لم أقف له على أصل

(٣) حديث أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل ـ الحديث : متفق عليه من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك وليس فيه ذكر لجبريل

وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « إِنَّ فُلَانًا يُصَلِّي بِاللَّيْلِ فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ فَقَالَ سَيَنْهَاهُ مَا يَعْمَلُ » وقال صلى الله عليه وسلم: (٢) « رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى ثُمَّ أَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ » وقال صلى الله عليه وسلم « رَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ثُمَّ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى ، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ » وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ » وقال صلى الله عليه وسلم: (٤) « أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ قِيَامُ اللَّيْلِ » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم « مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ بِاللَّيْلِ فَقَرَأَهُ بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَالظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ »

الآثار : روى أن عمر رضى الله عنه ، كان يمر بالآية من ورده بالليل فيسقط حتى يعاد منها أياما كثيرة كما يعاد المريض ، وكان ابن مسعود رضى الله عنه : إذا هدأت العيون قام فيسمع له دوى كدوى النحل حتى يصبح ، ويقال إن سفيان الثورى رحمه الله : شبع ليلة فقال : إن الحمار إذا زيد فى علفه زيد فى عمله ، فقام تلك الليلة حتى أصبح ، وكان طاوس رحمه الله إذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما تتقلى الحبة على المقلاة ، ثم يثب ويصلى إلى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين ، وقال الحسن رحمه الله : مانعلم عملا أشد من مكابدة الليل ، ونفقة هذا المال ، فقيل له مابال المتهجدين من أحسن الناس وجوها ، قال لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره ، وقدم بعض الصالحين من سفره فمهد له فراش ، فنام عليه حتى فاته ورده ، فحلف أن لاينام بعدها على فراش أبدا ، وكان عبد العزيز بن أبى رواد إذا جنّ الليل يأتى فراشه فيمر يده عليه ، ويقول إنك للين ، ووالله إن فى الجنة لألين منك ولا يزال يصلى الليل كله ، وقال الفضيل : إنى لأستقبل الليل من أوله فيهولنى طوله فافتتح القرءان فأصبح وماقضيت نهمتى ، وقال الحسن : إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل

---

(١) حديث قيل له إن فلانا يصلى بالليل فاذا أصبح سرق قال سينهاه مايقول: ابن حبان من حديث أبى هريرة

(٢) حديث رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت ـ الحديث : د حب من حديث أبى هريرة

(٣) حديث من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات: د ن من حديث أبى هريرة وأبى سعيد بسند صحيح

(٤) حديث أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل : م من حديث أبى هريرة

(٥) حديث عمر من نام عن حزبه أو عن شىء منه فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنه قرأه من الليل: رواه م

وقال الفضيل : إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم، وقد كثرت خطيئتك وكان صلة بن أشيم رحمه الله : يصلى الليل كله فاذا كان فى السحر قال: إلهى ليس مثلى يطلب الجنة ، ولكن أجرنى برحمتك من النار ، وقال رجل لبعض الحكماء : إنى لأضعف عن قيام الليل ، فقال له ياأخى لاتعص الله تعالى بالنهار ولا تقم بالليل ، وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان فى جوف الليل قامت الجارية ، فقالت ياأهل الدار الصلاة الصلاة فقالوا أصبحنا أطلع الفجر ؟ فقالت : وماتصلون إلا المكتوبة ؟ قالوا نعم فرجعت إلى الحسن فقالت يا مولاى بعتنى من قوم لايصلون إلا المكتوبة ردنى فردها

وقال الربيع بت فى منزل الشافعى رضى الله عنه ليالى كثيرة ، فلم يكن ينام من الليل إلا يسيرا ، وقال أبو الجويرية لقد صحبت أبا حنيفة رضى الله عنه ستة أشهر ، فما فيها ليلة وضع جنبه على الأرض ، وكان أبو حنيفة يحيى نصف الليل ، فمر بقوم فقالوا ان هذا يحيى الليل كله ، فقال انى أستحى أن أوصف بما لا أفعل، فكان بعد ذلك يحيى الليل كله، ويروى أنه ما كان له فراش بالليل ، ويقال إن مالك ابن دينار رضى الله عنه بات يردد هذه الآية ليلة حتى أصبح (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ[1]) الآية، وقال المغيرة بن حبيب رمقت مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء ، ثم قام إلى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة ، فجعل يقول اللهم حرم شيبة مالك على النار ، إلهى قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فأى الرجلين مالك؟ وأى الدارين دار مالك ؟ فلم تزل ذلك قوله حتى طلع الفجر ، وقال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردى ونمت، فإذا أنا فى المنام بجارية كأحسن مايكون، وفى يدها رقعة، فقالت لى أتحسن تقرأ؟ فقلت نعم، فدفعت إلى الرقعة فاذا فيها

أألهتك اللذائذ والأماني * عن البيض الأوانس فى الجنان
تعيش مخلدا لا موت فيها * وتلهو فى الجنان مع الحسان
تنبه من منامك إن خيرا * من النوم التهجد بالقرءان

وقيل حج مسروق فما بات ليلة إلا ساجدا، ويروى عن أزهر بن مغيث وكان من القواءين أنه قال : رأيت فى المنام امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا ، فقلت لها من أنت ؟ قالت جوراء فقلت زوجينى نفسك ، فقالت أخطبنى إلى سيدى وأمهرنى فقلت: ومامهرك؟ قالت: طول التهجد

(١) الجاثية : ٢١

وقال يوسف بن مهران : بلغنى أن تحت العرش ملكا فى صورة ديك براثنه من لؤلؤ ، وصئصئه من زبرجد أخضر ، فاذا مضى ثلث الليل الأول ضرب بجناحيه وزقى وقال ليقم القائمون ، فاذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقى وقال ، ليقم المتهجدون ، فاذا مضى ثلثا الليل ضرب بجناحيه وزقى ، وقال ليقم المصلون ، فاذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقى وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم ، وقيل إن وهب بن منبه اليمانى ماوضع جنبه إلى الأرض ثلاثين سنة ، وكان يقول لأن أرى فى بيتى شيطانا أحب إلى من أن أرى فى بيتى وسادة لأنها تدعو إلى النوم وكانت له مسورة من أدم إذا غلبه النوم وضع صدره عليها ، وخفق خفقات ، ثم يفزع إلى الصلاة

وقال بعضهم رأيت رب العزة فى النوم فسمعته يقول : وعزتى وجلالى لأكرمن مثوى سليمان التيمى ، فانه صلى لى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة ، ويقال . كان مذهبه أن النوم إذا خامر القلب بطل الوضوء ، وروى فى بعض الكتب القديمة عن الله تعالى ، أنه قال : إن عبدى الذى هو عبدى حقا الذى لا ينتظر بقيامه صياح الديكة

بيان الأسباب التى بها يتيسر قيام الليل

اعلم أن قيام الليل عسير على الخلق إلا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا فاما الظاهرة : فاربعة أمور

الاول : أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام ، كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول : معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا ، فتشربوا كثيرا ، فترقدوا كثيرا ، فتتحسروا عند الموت كثيرا ، وهذا هو الأصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام :

الثانى : أن لا يتعب نفسه بالنهار فى الاعمال التى تعيا بها الجوارح ، وتضعف بها الأعصاب ، فان ذلك أيضا مجلبة للنوم

الثالث : أن لا يترك القيلولة بالنهار فانها سنة [1] ، للاستعانة على قيام الليل

الرابع : أن لا يحتقب الأوزار بالنهار ، فان ذلك مما يقسى القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة

---

(١) حديث الاستعانة بقيلولة النهار على قيام الليل : هـ من حديث ابن عباس وقد تقدم

قال رجل للحسن : ياأباسعيد. إنى أبيت معافى ، وأحب قيام الليل ، وأعد طهورى ، فما بالى لا أقوم ؟ فقال ذنوبك قيدتك ، وكان الحسن رحمه الله : إذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم ، يقول أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء فإنهم لايقبلون ، وقال الثورى : حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته ، قيل وماذاك الذنب ، قال رأيت رجلا يبكى ، فقلت فى نفسى هذا مراء ، وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكى ، فقلت أتاك نعى بعض أهلك فقال أشد ، فقلت وجع يؤلمك ، قال أشد ، قلت فماذاك ؟ قال بابى مغلق ، وسترى مسبل ، ولم أقرأ حزبى البارحة ، وماذاك الابذنب أحدثته ، وهذا لأن الخير يدعو إلى الخير ، والشر يدعو إلى الشر ، والقليل من كل واحد منهما يجر إلى الكثير ، ولذلك قال أبو سليمان الدارانى : لاتفوت أحدا صلاة الجماعة إلا بذنب ، وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة بُعد ، وقال بعض العلماء : إذا صمت يامسكين فانظر عند من تفطر ، وعلى أى شىء تفطر فان العبد ليأكل أكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ، ولايعود إلى حالته الأولى ، فالذنوب كلها تورث قساوة القلب ، وتمنع من قيام الليل ، وأخصها بالتأثير تناول الحرام ، وتؤثر اللقمة الحلال فى تصفية القلب وتحريكه إلى الخير ما لايؤثر غيرها ، ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ، ولذلك قال بعضهم كم من أكلة منعت قيام ليلة ، وكم من نظرة منعت قراءة سورة ، وإن العبد ليأكل أكلة ، أو يفعل فعلة ، فيحرم بها قيام سنة ، وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات ، وقال بعض السجانين كنت سجانا نيفا وثلاثين سنة ، أسأل كل مأخوذ بالليل ، أنه هل صلى العشاء فى جماعة فكانوا يقولون لا ، وهذا تنبيه على أن بركة الجماعة تنهى عن تعاطى الفحشاء والمنكر

وأما الميسرات الباطنة فأربعة أمور :

الأول : سلامة القلب عن الحقد على المسلمين ، وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا ، فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لايتيسر له القيام ، وإن قام فلا يتفكر فى صلاته إلا فى مهماته ، ولايحول إلا فى وساوسه وفى مثل ذلك يقال

يخبرنى البواب أنك نائم * وأنت إذا استيقظت أيضا فنائم

الثانى : خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل ، فإنه إذا تفكر فى أهوال الآخرة ودركات جهنم

طار نومه، وعظم حذره ، كما قال طاوس إن ذكر جهنم طير نوم العابدين، وكما حكى أن غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله ، فقالت له سيدته إن قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار ، فقال إن صهيبا إذا ذكر النار لا يأتيه النوم ، وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل، فقال: إذا ذكرت النار اشتد خوفى ، وإذا ذكرت الجنة اشتد شوقى، فلا أقدر أن أنام ، وقال ذو النون المصري رحمه الله

منع القران بوعده ووعيده * مقل العيون بليلها أن تهجعا
فهموا عن الملك الجليل كلامه * فرقابهم ذلت إليه تخضعا

وأنشدوا أيضا: ياطويل الرقاد والغفلات * كثرة النوم تورث الحسرات
إن فى القبر إن نزلت إليه * لرقادا يطول بعد الممات * ومهادا ممهدا لك فيه
بذنوب عملت أو حسنات * أأمنت البيات من ملك الموت وكم نال آمنا ببيات

وقال ابن المبارك : إذا ما الليل أظلم كابدوه * فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا * وأهل الأمن فى الدنيا هجوع

الثالث : أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأخبار والآثار، حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه إلى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة فى درجات الجنان، كما حكى أن بعض الصالحين رجع من غزوته، فمهدت امرأته فراشها وجلست تنتظره، فدخل المسجد ولم يزل يصلى حتى أصبح فقالت له زوجته كنا ننتظرك مدة ، فلما قدمت صليت إلى الصبح قال والله إنى كنت أتفكر فى حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والمنزل فقمت طول ليلتى شوقا إليها

الرابع: وهو أشرف البواعث الحب لله وقوة الإيمان بأنه فى قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناج ربه ، وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه، وان تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه فاذا أحب الله تعالى أحب لا محالة الخلوة به، وتلذذ بالمناجاة، فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام

ولا ينبغى أن تستبعد هذه اللذة إذ يشهد لها العقل والنقل

فأما العقل : فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله ، أو لملك بسبب إنعامه وأمواله أنه كيف يتلذذ به فى الخلوة ومناجاته ، حتى لا يأتيه النوم طول ليله

فإن قلت إن الجميل يتلذذ بالنظر إليه ، وإن الله تعالى لا يرى

فاعلم أنه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر، أو كان فى بيت مظلم، لكان المحب يتلذذ بمجاورته

المجردة دون النظر ودون الطمع فى أمر آخر سواه ، وكان يتنعم باظهار حبه عليه وذكره بلسانه بمسمع منه ، وإن كان ذلك أيضاً معلوما عنده

فان قلت إنه ينتظر جوابه ، فليتلذذ بسماع جوابه ، وليس يسمع كلام الله تعالى

فاعلم أنه كان يعلم أنه لا يجيبه ويسكت عنه فقد بقيت له أيضا لذة فى عرض أحواله عليه ، ورفع سريرته إليه كيف والموقن يسمع من الله تعالى كل مايرد على خاطره فى أثناء مناجاته ، فيتلذذ به ، وكذا الذى يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته فى جنح الليل يتلذذ به فى رجاء إنعامه ، والرجاء فى حق الله تعالى أصدق ، وما عند الله خير وأبقى وأنفع مما عند غيره . فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه فى الخلوات

وأما النقل : فيشهد له أحوال قوام الليل فى تلذذهم بقيام الليل ، واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب ، حتى قيل لبعضهم : كيف أنت والليل ؟ قال ماراعيته قط ، يرينى وجهه ثم ينصرف ، وما تأملته بعد ، وقال آخر : أنا والليل فرسا رهان ، مرة يسبقنى إلى الفجر ، ومرة يقطعنى عن الفكر ، وقيل لبعضهم كيف الليل عليك ، فقال ساعة أنافيها بين حالتين أفرح بظلمته إذا جاء ، وأغتم بفجره إذا طلع ، ما تم فرحى به قط ، وقال على بن بكار : منذ أربعين سنة ما أحزننى شىء سوى طلوع الفجر ، وقال الفضيل بن عياض : إذا غربت الشمس فرحت بالظلام ، لخلوتى بربى وإذا طلعت حزنت لدخول الناس على ، وقال أبو سليمان : أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو فى لهوهم ، ولولا الليل ماأحببت البقاء فى الدنيا ، وقال أيضاً لو عوض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم ما يجدونه من اللذة لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم ، وقال بعض العلماء : ليس فى الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملق فى قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة ، وقال بعضهم : لذة المناجاة ليست من الدنيا ، إنما هى من الجنة ، أظهرها الله تعالى لأوليائه لا يجدها سواهم ، وقال ابن المنكدر : ما بقى من لذات الدنيا إلا ثلاث : قيام الليل ، ولقاء الإخوان ، والصلاة فى الجماعة ، وقال بعض العارفين : إن الله تعالى ينظر بالأسحار إلى قلوب المتيقظين فيملؤها أنواراً ، فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ، ثم تنتشر من قلوبهم العوافى إلى قلوب الغافلين ، وقال بعض العلماء من القدماء : إن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين : ان لى عبادا من عبادى أحبهم ويحبوننى ، ويشتاقون إلىّ وأشتاق اليهم ، ويذكروننى وأذكرهم ، وينظرون إلىّ وأنظر إليهم : فان حذوت طريقهم أحببتك

وإن عدلت عنهم مقتك. قال يارب وما علامتهم؟ قال يراعون الظلال بالنهار. كما يراعى الراعى غنمه ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها. فإذا جنّهم الليل، واختلط الظلام، وخلا كل حبيب بحبيبه، نصبوا إلى أقدامهم، وافترشوا إلى وجوههم، وناجونى بكلامى، وتعلقوا إلىّ بأنعامى فبين صارخ وباكى، وبين متأوّه وشاكى، بعينى مايتحملون من أجلى، وبسمعى مايشتكون من حبى أول ماأعطيهم، أقذف من نورى فى قلوبهم، فيخبرون عنى، كما أخبر عنهم، والثانية: لو كانت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهما فى موازينهم لاستقللتها لهم، والثالثة: أقبل بوجهى عليهم، أفترى من أقبلت بوجهى عليه أيعلم أحد ماأريد أن أعطيه؟ وقال مالك بن دينار رحمه الله إذا قام العبد يتهجد من الليل قرب منه الجبار عز وجل، وكانوا يرون مايجدون من الرقة والحلاوة فى قلوبهم والأنوار من قرب الرب تعالى من القلب، وهذا له سر وتحقيق ستأتى الاشارة إليه فى كتاب المحبة

وفى الأخبار عن الله عز وجل أى عبدى، أنا الله الذى اقتربت من قلبك، وبالغيب رأيت نورى، وشكا بعض المريدين إلى أستاذه طول سهر الليل، وطلب حيلة يجلب بها النوم، فقال أستاذه: يابنى إن لله نفحات فى الليل والنهار، تصيب القلوب المتيقظة، وتخطىء القلوب النائمة، فتعرض لتلك النفحات، فقال ياسيدى تركتنى لاأنام بالليل ولا بالنهار

واعلم أن هذه النفحات بالليل أرجى لما فى قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل، وفى الخبر الصحيح عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] أنه قال «إِنَّ مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى خَيْراً إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» وفى رواية أخرى «يَسْأَلُ اللهَ خَيْراً مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» وذلك كل ليلة، ومطلوب القائمين تلك الساعة وهى مبهمة فى جملة الليل كليلة القدر فى شهر رمضان، وكساعة يوم الجمعة، وهى ساعة النفحات المذكورة، والله أعلم

بيان طرق القسمة لأجزاء الليل

اعلم أن إحياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب

الأولى: إحياء كل الليل: وهذا شأن الأقوياء الذين تجردوا لعبادة الله تعالى، وتلذذوا بمناجاته، وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم، فلم يتعبوا بطول القيام، وردوا المنام إلى النهار فى وقت اشتغال الناس، وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء.

(١) حديث جابر إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا من امر الدنيا والآخرة إلا اعطاه إياه وذلك كل ليلة: رواه م

حكى أبو طالب المكى أن ذلك حكى على سبيل التواتر والاشتهار عن أربعين من التابعين وكان فيهم من واظب عليه أربعين سنة ، قال منهم سعيد بن المسيب ، وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض ، ووهيب بن الورد المكيان ، وطاوس ، ووهب بن منبه اليمانيان ، والربيع ابن خيثم ، والحكم الكوفيان ، وأبو سليمان الدارانى ، وعلى بن بكار الشاميان ، وأبو عبد الله الخواص وأبو عاصم العباديان ، وحبيب أبو محمد ، وأبو جابر السامانى الفارسيان ، ومالك ابن دينار ، وسليمان التيمى ، ويزيد الرقاشى ، وحبيب بن أبى ثابت ، ويحيى البكاء ، البصريون وكهمس بن المنهال ، وكان يختم فى الشهر تسعين ختمة ، ومالم يفهمه رجع وقرأه مرة أخرى وأيضا من أهل المدينة أبو حازم ، ومحمد بن المنكدر فى جماعة يكثر عددهم

المرتبة الثانية : أن يقوم نصف الليل ، وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السلف ، وأحسن طريق فيه أن ينام الثلث الأول من الليل ، والسدس الأخير منه ، حتى يقع قيامه فى جوف الليل ووسطه فهو الأفضل ،

المرتبة الثالثة : أن يقوم ثلث الليل ، فينبغى أن ينام النصف الأول والسدس الأخير ، وبالجملة نوم آخر الليل محبوب ، لأنه يذهب النعاس بالغداة ، وكانوا يكرهون ذلك ، ويقلل صفرة الوجه ، والشهرة به ، فلو قام أكثر الليل ، ونام سحراً قلت صفرة وجهه ، وقل نعاسه ، وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] إذا أوتر من آخر الليل ، فان كانت له حاجة إلى أهله دنا منهن ، وإلا اضطجع فى مصلاه حتى يأتيه بلال ، فيؤذنه للصلاة ، وقالت أيضا رضى الله عنها [2] ، ما ألفيته بعد السحر إلا نائما ، حتى قال بعض السلف : هذه الضجعة قبل الصبح سنة ، منهم أبو هريرة رضى الله عنه ، وكان نوم هذا الوقت سببا للمكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب ، وذلك لأرباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الاول من أوراد النهار ،

---

(١) حديث كان رسول الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل فان كانت له حاجة إلى أهله دنا منهن وإلا اضطجع فى مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذن بالصلاة : م من حديث عائشة كان ينام أول الليل ويحيى آخره ثم إن كان له حاجة إلى أهله قضى حاجته ثم ينام وقال النسائى فاذا كان من السحر أوتر ثم أتى فراشه فاذا كان له حاجة ألم بأهله ولأبى داود كان إذا قضى صلاته من آخر الليل نظر فان كنت مستيقظة حدثنى وإن كنت نائمة أيقظنى وصلى الركعتين ثم اضطجع حتى يأتيه المؤذن فيؤذنه بصلاة الصبح فيصلى ركعتين خفيفتين ثم يخرج إلى الصلاة وهو متفق عليه بلفظ كان إذا صلى فان كنت مستيقظة حدثنى وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة وقال م إذا صلى ركعتى الفجر

(٢) حديث عائشة ما ألفيته السحر الأعلى إلا نائما : متفق عليه بلفظ ما ألفى رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر الأعلى فى بيتى أو عندى إلا نائما لم يقل : خ الأعلى وقال هما كنت ألفى أو ألقى النبى صلى الله عليه وسلم من آخر الليل إلا وهو نائم عندى

وقيام ثلث الليل من النصف الأخير ، ونوم السدس الأخير قيام داود صلى الله عليه وسلم

المرتبة الرابعة : أن يقوم سدس الليل أو خمسه ، وأفضله أن يكون في النصف الأخير وقبل السدس الأخير منه

المرتبة الخامسة : أن لا يراعي التقدير . فان ذلك إنما يتيسر لنبي يوحى إليه أو لمن يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه ، ويواظبه ، ويوقظه ثم ربما يضطرب في ليالي الغيم ، ولكنه يقوم من أول الليل إلى أن يغلبه النوم ، فاذا انتبه قام ، فاذا غلبه النوم عاد إلى النوم فيكون له في الليل نومتان ، وقومتان وهو من مكابدة الليل ، وأشد الأعمال وأفضلها وقد كان هذا من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وهو طريقة ابن عمر ، وأولى العزم من الصحابة ، وجماعة من التابعين رضى الله عنهم وكان بعض السلف يقول : هي أول نومة ، فاذا انتبهت ثم عدت إلى النوم فلا أنام الله لي عينا فأما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث المقدار ، فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان يقوم (٢) نصف الليل ، أو ثلثيه أو ثلثه ، أو سدسه ، يختلف ذلك في الليالي ، ودل عليه قوله تعالى في الموضعين من سورة المزمل (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ (١)) فأدنى من ثلثي الليل كأنه نصفه ، ونصف سدسه فان كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والربع ، وإن نصب كان نصف الليل وقالت عائشة رضى الله عنها ، كان صلى الله عليه وسلم (٣) يقوم إذا سمع الصارخ يعني الديك ، وهذا يكون السدس فما دونه وروى غير واحد أنه قال راعيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) في السفر ليلا ، فنام بعد العشاء زمانا

---

(١) حديث قيامه أول الليل إلى أن يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه عاد إلى النوم فيكون له في الليل نومتان : د ت وصححه و ه من حديث أم سلمة كان يصلي وينام قدر ما صلى ثم يصلي قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح وللبخاري من حديث ابن عباس صلى العشاء ثم جاء فصلى أربع ركعات ثم نام ثم قام وفيه فصلى خمس ركعات ثم صلى ركعتين ثم نام حتى سمعت غطيطه ـ الحديث

(٢) حديث ربما كان يقوم نصف الليل أو ثلثه أو ثلثيه أو سدسه : الشيخان من حديث ابن عباس قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ ـ الحديث : وفي رواية للبخاري فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء ـ الحديث : ولأبي داود قام حتى إذا ذهب ثلث الليل أو نصفه استيقظ ـ الحديث : لمسلم من حديث عائشة فيبعثه الله بما شاء أن يبعثه من الليل

(٣) حديث عائشة كان يقوم إذا سمع الصارخ : متفق عليه

(٤) حديث غير واحد قال راعيت صلاة رسول الله عليه وسلم في السفر ليلا فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر في الأفق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك حتى بلغ إنك لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه سواكا فاستاك وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام ـ الحديث : ن من رواية

---

(١) المزمل : ٢٠

ثم استيقظ فنظر فى الأفق فقال (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً [1]) حتى بلغ (إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ) ثم استل من فراشه سواكا فاستاك به ، وتوضأ وصلى ، حتى قلت صلى مثل الذى نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ماصلى ، ثم استيقظ فقال ماقال أول مرة وفعل مافعل أول مرة

المرتبة السادسة : وهى الأقل أن يقوم مقدار أربع ركعات أو ركعتين ، أو تتعذر عليه الطهارة ، فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلا بالذكر والدعاء ، فيكتب فى جملة قوام الليل برحمة الله وفضله ، وقد جاء فى الأثر [1] « صَلِّ مِنَ اللَّيْلِ وَلَوْ قَدْرَ حَلْبِ شَاةٍ » . فهذه طرق القسمة فليختر المريد لنفسه مايراه أيسر عليه وحيث يتعذر عليه القيام فى وسط الليل فلا ينبغى أن يهمل إحياء مابين العشاءين ، والورد الذى بعد العشاء ، ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائما ، ويقوم بطرفى الليل وهذه هى الرتبة السابعة ، ومهما كان النظر إلى المقدار فترتيب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره وأما فى الرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيهما إلى القدر فليس يجرى أمرهما فى التقدم والتأخر على الترتيب المذكور إذ السابعة ليست دون ماذكرناه فى السادسة ولا الخامسة دون الرابعة

بيان الليالى والأيام الفاضلة

اعلم أن الليالى المخصوصة بمزيد الفضل التى يتأكد فيها استحباب الاحياء فى السنة خمس عشرة ليلة ، لا ينبغى أن يغفل المريد عنها ، فانها مواسم الخيرات ، ومظان التجارات ، ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ، ومتى غفل المريد عن فضائل الأوقات لم ينجح ، فستة من هذه الليالى فى شهر رمضان خمس فى أوتار العشر الأخير ، إذ فيها تطلب ليلة القدر ، وليلة سبع عشرة من رمضان ، فهى ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ، فيه كانت وقعة بدر ، وقال ابن الزبير رحمه الله هى ليلة القدر ، وأما التسع الأخر فأول ليلة من المحرم ، وليلة عاشوراء ، وأول ليلة من رجب ، وليلة النصف منه ، وليلة سبع وعشرين منه

حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال قلت وأنا فى سفر مع رسول الله عليه وسلم والله لارقبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه وروى أبو الوليد بن مغيث فى كتاب الصلاة من رواية إسحق بن عبد الله بن أبى طلحة أن رجلا قال لأرمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ـ الحديث : وفيه أنه أخذ سواكه من مؤخر الرحل وهذا يدل أنه أيضا كان فى سفر

(١) حديث صل من الليل ولو قدر حلب شاة : أبو يعلى من حديث ابن عباس فى صلاة الليل مرفوعا نصفه ثلثه ربعه فواق حلب ناقة فواق حلب شاة ولأبى الوليد بن مغيث من رواية اياس بن معاوية مرسلا لابد من صلاة الليل ولو حلبة ناقة أو حلبة شاة

---

(١) آل عمران : ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤

وهى ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة [١] فقد قال صلى الله عليه وسلم « لِلْعَامِلِ فِى هَذِهِ اللَّيْلَةِ حَسَنَاتُ مِائَةِ سَنَةٍ. فَمَنْ صَلَّى فِى هَذِهِ اللَّيْلَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً يَقْرَأُ فِى كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَسُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ وَيَتَشَهَّدُ فِى كُلِّ رَكْعَتَيْنِ وَيُسَلِّمُ فِى آخِرِهِنَّ، ثُمَّ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ مِائَةَ مَرَّةٍ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ مِائَةَ مَرَّةٍ، وَيُصَلِّى عَلَى النَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِائَةَ مَرَّةٍ، وَيَدْعُو لِنَفْسِهِ بِمَا شَاءَ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، وَيُصْبِحُ صَائِمًا، فَإِنَّ اللهَ يَسْتَجِيبُ دُعَاءَهُ كُلَّهُ إِلَّا أَنْ يَدْعُوَ فِى مَعْصِيَةٍ » وليلة النصف من شعبان، ففيها مائة ركعة، يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة سورة الإخلاص عشر مرات كانوا لا يتركونها كما أوردناه فى صلاة التطوع، وليلة عرفة، وليلتا العيدين قال صلى الله عليه وسلم [٢] «مَنْ أَحْيَا لَيْلَتَيِ الْعِيدَيْنِ لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَمُوتُ الْقُلُوبُ». وأما الأيام الفاضلة فتسعة عشر، يستحب مواصلة الأوراد فيها: يوم عرفة، ويوم عاشوراء ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم، وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣] قال « مَنْ صَامَ يَوْمَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ كَتَبَ اللهُ لَهُ صِيَامَ سِتِّينَ شَهْرًا » وهو اليوم الذى أهبط الله فيه جبرائيل عليه السلام عَلَى محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويوم سبعة عشر من رمضان، وهو يوم وقعة بدر، ويوم النصف من شعبان، ويوم الجمعة ويوما العيدين والأيام المعلومات وهى عشر من ذى الحجة، والأيام المعدودات، وهى أيام التشريق وقد روى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤] أنه قال « إِذَا سَلِمَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ سَلِمَتِ الْأَيَّامُ، وَإِذَا سَلِمَ شَهْرُ رَمَضَانَ سَلِمَتِ السَّنَةُ » وقال بعض العلماء: من أخذ مهناة فى الأيام الخمسة فى الدنيا لم ينل مهناة فى الآخرة، وأراد به العيدين، والجمعة، وعرفة، وعاشوراء

ومن فواضل الأيام فى الأسبوع، يوم الخميس، والاثنين، ترفع فيهما الأعمال إلى الله تعالى، وقد ذكرنا فضائل الأشهر والأيام للصيام فى كتاب الصوم، فلا حاجة إلى الاعادة والله أعلم، وصلى الله على كل عبد مصطفى من كل العالمين

---

(١) حديث الصلاة المأثورة فى ليلة السابع والعشرين من رجب ذكر أبو موسى المدينى فى كتاب فضائل الأيام والليالى أن أبا محمد الحبارى: رواه من طريق الحاكم أبى عبد الله من رواية محمد ابن الفضل عن أبان عن أنس مرفوعا ومحمد بن الفضل وأبان ضعيفان جدا والحديث منكر

(٢) حديث من أحيا ليلتى العيد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب: ه باسناد ضعيف من حديث أبى أمامة

(٣) حديث أبى هريرة من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذى هبط فيه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم: رواه أبو موسى المدينى فى كتاب فضائل الليالى والأيام من رواية شهر بن حوشب عنه

(٤) حديث أنس إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة: تقدم فى الباب الخامس من الصلاة فذكر يوم الجمعة فقط وقد رواه بجملته ابن حبان فى الضعفاء وأبو نعيم فى الحلية من حديث عائشة وهو ضعيف

ربع العادات

كتاب آداب الأكل

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب آداب الأكل

وهو الأول من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

الحمد لله الذى أحسن تدبير الكائنات ، فخلق الأرض والسموات ، وأنزل الماء الفرات من المعصرات ، فأخرج به الحب والنبات، وقدر الأرزاق والأقوات ، وحفظ بالمأكولات قوى الحيوانات ، وأعان على الطاعات والأعمال الصالحات بأكل الطيبات . والصلاة على محمد ذى المعجزات الباهرات ، وعلى آله وأصحابه صلاة تتوالى على ممر الأوقات، وتتضاعف بتعاقب الساعات . وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد : فان مقصد ذوى الألباب لقاء الله تعالى فى دار الثواب. ولا طريق إلى الوصول للقاء الله إلا بالعلم والعمل ، ولا تمكن المواظبة عليهما إلا بسلامة البدن ، ولا تصفو سلامة البدن إلا بالأطعمة والأقوات ، والتناول منها بقدر الحاجة على تكرر الأوقات ، فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين إن الأكل من الدين ، وعليه نبه رب العالمين بقوله وهو أصدق القائلين (كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا)[1] فمن يقدم على الأكل ليستعين به على العلم والعمل ، ويقوى به على التقوى ، فلا ينبغى أن يترك نفسه مهملا سدى ، يسترسل فى الأكل استرسال البهائم فى المرعى ، فان ماهو ذريعة إلى الدين ووسيلة إليه، ينبغى أن تظهر أنوار الدين عليه . وإنما أنوار الدين آدابه وسننه التى يزم العبد بزمامها ، ويلجم المتقى بلجامها حتى يتزن بميزان الشرع شهوة الطعام فى إقدامها واحجامها ، فيصير بسببها مدفعة للوزر ومجلبة للأجر ، وإن كان فيها أوفى حظ للنفس . قال صلى الله عليه وسلم[1] « إِنَّ الرَّجُلَ لَيُؤْجَرُ حَتَّى فِى اللُّقْمَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى فِيهِ وَإِلَى فِى امْرَأَتِهِ » وإنما ذلك إذا رفعها بالدين وللدين ، مراعيا فيه آدابه ووظائفه . وهانحن نرشد الى وظائف الدين فى الأكل ، فرائضها وسننها وآدابها ومروءاتها وهيئاتها ، فى أربعة أبواب وفصل فى آخرها .

﴿ كتاب آداب الأكل ﴾

(١) حديث إن الرجل ليؤجر فى اللقمة يرفعها إلى فيه وإلى فى امرأته : خ من حديث لسعد بن أبى وقاص . وانك مهما أنفقت من نفقة فانها صدقة حتى اللقمة ترفعها إلى فى امرأتك

[1] المؤمنون : ٥١

الباب الأوّل : فيما لا بد للآكل من مراعاته وإن انفرد بالأكل
الباب الثانى : فيما يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الأكل
الباب الثالث : فيما يخص تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين
الباب الرابع : فيما يخص الدعوة والضيافة وأشباهها

الباب الأول

فيما لا بد للمنفرد منه

وهو ثلاثة أقسام : قسم قبل الأكل ، وقسم مع الأكل ، وقسم بعد الفراغ منه

القسم الأول

فى الآداب التى تتقدم على الأكل

وهى سبعة :

الأول : أن يكون الطعام بعد كونه حلالا فى نفسه ، طيبا فى جهة مكسبه ، موافقا للسنة والورع ، لم يكتسب بسبب مكروه فى الشرع ، ولا بحكم هوى ومداهنة فى دين ، على ماسيأتى فى معنى الطيب المطلق فى كتاب الحلال والحرام . وقد أمر الله تعالى بأكل الطيب وهو الحلال ، وقدم النهي عن الأكل بالباطل على القتل ، تفخيما لأمر الحرام ، وتعظيما لبركة الحلال ، فقال تعالى (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ[1]) إلى قوله (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) الآية . فالاصل فى الطعام كونه طيبا . وهو من الفرائض وأصول الدين

الثانى : غسل اليد ، قال صلى الله عليه وسلم[1] « الْوُضُوءُ قَبْلَ الطَّعَامِ يَنْفِي الْفَقْرَ وَبَعْدَهُ يَنْفِي اللَّمَمَ » وفى رواية « يَنْفِي الْفَقْرَ قَبْلَ الطَّعَامِ وَبَعْدَهُ » ولأن اليد لاتخلو عن لوث فى تعاطى الأعمال ، فغسلها أقرب إلى النظافة والنزاهة ، ولأن الأكل لقصد الاستعانة على الدين عبادة ، فهو جدير بأن يقدم عليه مايجرى منه مجرى الطهارة من الصلاة

﴿ الباب الأول ﴾

(١) حديث الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر وبعده مما ينفى اللمم وفى رواية ينفى الفقر قبل الطعام وبعده : القضاعى فى مسنده الشهاب من رواية موسى الرضا عن آبائه متصلا باللفظ الأول وللطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس الوضوء قبل الطعام وبعده مما ينفى الفقر ولأبى داود وت من حديث سلمان بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده وكلها ضعيفة

(١) النساء : ٩٢

الثالث : أن يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الأرض ، فهو أقرب إلى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفعه على المائدة : « كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1] إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ وَضَعَهُ عَلَى الْأَرْضِ » فهذا أقرب إلى التواضع . فإن لم يكن فعلى السفرة ، فانها تذكر السفر ، ويتذكر من السفر سفر الآخرة وحاجته إلى زاد التقوى . وقال أنس ابن مالك رحمه الله ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] على خوان ولا فى سُكُرُّجَة . قيل فعلى ماذا كنتم تأكلون؟ قال على السفرة وقيل أربع أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : الموائد ، والمناخل ، والأشنان ، والشبع

واعلم أنا وإن قلنا الأكل على السفرة أولى ، فلسنا نقول الأكل على المائدة منهى عنه نهى كراهة أو تحريم . إذ لم يثبت فيه نهى . وما يقال أنه أبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس كل ما أبدع منهيا ، بل المنهى بدعة تضاد سنة ثابتة ، وترفع أمرا من الشرع مع بقاء علته ، بل الابداع قد يجب فى بعض الاحوال إذا تغيرت الاسباب . وليس فى المائدة الا رفع الطعام عن الأرض لتيسير الأكل ، وأمثال ذلك مما لا كراهة فيه . والأربع التى جمعت فى أنها مبدعة ، ليست متساوية . بل الاشنان حسن لما فيه من النظافة ، فان الغسل مستحب للنظافة ، والاشنان أتم فى التنظيف . وكانوا لا يستعملونه لانه ربما كان لا يعتاد عندهم ، أو لا يتيسر ، أو كانوا مشغولين بأمور أهم من المبالغة فى النظافة ، فقد كانوا لا يغسلون اليد أيضا ، وكانت مناديلهم أخمص أقدامهم . وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبا ، وأما المنخل ، فالمقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح ، مالم ينته إلى التنعم المفرط . وأما المائدة . فتيسير للأكل وهو أيضا مباح ، مالم ينته إلى الكبر والتعاظم . وأما الشبع ، فهو أشد هذه الأربعة ، فانه يدعو إلى تهييج الشهوات ، وتحريك الادواء فى البدن ، فلتدرك التفرقة بين هذه المبدعات

الرابع : أن يحسن الجلسة على السفرة فى أول جلوسه ، ويستديمها كذلك . « كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[3] رُبَّمَا جَثَا لِلْأَكْلِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَجَلَسَ عَلَى ظَهْرِ قَدَمَيْهِ

---

(١) حديث كان إذا أتى بطعام وضعه على الأرض : أحمد فى كتاب الزهد من رواية الحسن مرسلا ورواه البزار من حديث أبى هريرة نحوه وفيه مجاهد وثقه أحمد وضعفه الدارقطنى

(٢) حديث أنس ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا فى سكرجة ـ الحديث : رواه خ

(٣) حديث ربما جثا للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى د من حديث عبد الله بن بشير فى أثناء حديث أتوا تلك القصعة فالتقوا عليها فلما كثروا جثا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الحديث : وله و ن من حديث أنس رأيته يأكل وهو مقع من الجوع وروى أبو الحسن بن المقرى فى الشمائل من حديثه كان إذا قعد على الطعام استوفز على ركبته اليسرى وأقام اليمنى

وَرُبَّمَا نَصَبَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى وَجَلَسَ عَلَى الْيُسْرَى وَكَانَ يَقُولُ [١] لَا آكُلُ مُتَّكِئًا [٢] إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ) والشرب متكئا مكروه للمعدة أيضا ويكره الأكل نائما ومتكئا ، الاما يتنقل به من الحبوب . وروى عن على كرم الله وجهه أنه أكل كعكا على ترس وهو مضطجع ، ويقال منبطح على بطنه ، والعرب قد تفعله

الخامس : أن ينوى بأكله أن يتقوى به على طاعة الله تعالى ، ليكون مطيعا بالأكل . ولا يقصد التلذذ والتنعم بالأكل . قال إبراهيم بن شيبان :منذ ثمانين سنة ما أكلت شيئا لشهوتى . ويعزم مع ذلك على تقليل الاكل ، فانه إذا أكل لأجل قوة العبادة ، لم تصدق نيته إلا بأكل مادون الشبع ، فان الشبع يمنع من العبادة ولا يقوى عليها . فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة ، وايثار القناعة على الاتساع . قال صلى الله عليه وسلم [٣] « مَامَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ . حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَثُلُثٌ طَعَامٌ وَثُلُثٌ شَرَابٌ وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ » ومن ضرورة هذه النية أن لا يمد اليد إلى الطعام إلا وهو جائع ، فيكون الجوع أحد مالابد من تقديمه على الأكل .ثم ينبغى أن يرفع اليد قبل الشبع ، ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب . وسيأتى فائدة قلة الأكل ، وكيفية التدريج فى التقليل منه ، فى كتاب كسر شهوة الطعام من ربع المهلكات

السادس : أن يرضى بالموجود من الرزق ، والحاضر من الطعام ، ولا يجتهد فى التنعم وطلب الزيادة وانتظار الادم . بل من كرامة الخبز أن لا ينتظر به الادم . « وَقَدْ وَرَدَ الْأَمْرُ بِإِكْرَامِ الْخُبْزِ » [٤] فكل مايديم الرمق ، ويقوى على العبادة ، فهو خير كثير لا ينبغى أن يستحقر . بل لا ينتظر بالخبز الصلاة أن حضر وقتها ، إذا كان فى الوقت متسع قال صلى الله عليه وسلم [٥] « إِذَا حَضَرَ الْعِشَاءُ وَالْعَشَاءُ فَابْدَءُوا بِالْعَشَاءِ » وكان ابن عمر رضى الله عنهما ربما سمع قراءة الامام

ثم قال إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأفعل كما يفعل العبد وأسناده ضعيف

(١) حديث كان يقول لا آكل متكئا : خ من حديث أبى جحيفة

(٢) حديث : انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ، تقدم قبله ، من حديث أنس بلفظ وأفعل بدل وأجلس ، رواه البزار من حديث ابن عمر ، دون قوله وأجلس .

(٣) حديث ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ــ الحديث :ت وقال حسن نه من حديث المقداد بن معديكرب

(٤) حديث أكرموا الخبز : البزار والطبرانى وابن قانع من حديث عبد الله بن أم حرام باسناد ضعيف جدا وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات

(٥) حديث إذا حضر العشاء والعشاء فابدءوا بالعشاء : تقدم فى الصلاة والمعروف واقيمت الصلاة

ولا يقوم من عشائه . ومهما كانت النفس لا تتوق إلى الطعام ، ولم يكن فى تأخير الطعام ضرر ، فالأولى تقديم الصلاة فأما إذا حضر الطعام ، وأقيمت الصلاة ، وكان فى التأخير ما يبرد الطعام أو يشوش أمره ، فتقديمه أحب عند اتساع الوقت ، تاقت النفس أو لم تتق ، لعموم الخبر ، ولأن القلب لا يخلو عن الالتفات إلى الطعام الموضوع ، وإن لم يكن الجوع غالبا

السابع : أن يجتهد فى تكثير الأيدى على الطعام ، ولو من أهله وولده . قال صلى الله عليه وسلم (١) « اجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ » وقال أنس رضى الله عنه « كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢) لَا يَأْكُلُ وَحْدَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم « خَيْرُ الطَّعَامِ مَا كَثُرَتْ عَلَيْهِ الْأَيْدِى »

القسم الثانى

فى آداب حالة الأكل

وهو أن يبدأ ببسم الله فى أوله ، وبالحمد لله فى آخره . ولو قال مع كل لقمة بسم الله فهو حسن ، حتى لا يشغله الشره عن ذكر الله تعالى . ويقول مع اللقمة الأولى بسم الله ، ومع الثانية بسم الله الرحمن ، ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم . ويجهر به ليذكر غيره ، ويأكل باليمنى ، ويبدأ بالملح ويختم به ، ويصغر اللقمة ، ويجود مضغها ، وما لم يبتلعها لم يمد اليد إلى الأخرى ، فان ذلك عجلة فى الأكل . وأن لا يذم مأكولا . كان صلى الله عليه وسلم (٣) « لَا يَعِيبُ مَأْكُولاً ، كَانَ إِذَا أَعْجَبَهُ أَكَلَهُ وَإِلَّا تَرَكَهُ » وأن يأكل مما يليه ، الا الفاكهة فان له أن يجيل يده فيها . قال صلى الله عليه وسلم (٤) « كُلْ مِمَّا يَلِيكَ » ثم كان صلى الله عليه وسلم (٥) « يَدُورُ عَلَى الْفَاكِهَةِ فَقِيلَ لَهُ فِى ذَلِكَ فَقَالَ لَيْسَ هُوَ نَوْعًا وَاحِدًا » وأن لا يأكل من دورة القصعة

---

(١) حديث اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه : د ه من حديث وحشي بن حرب باسناد حسن

(٢) حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل وحده : رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف

(٣) حديث أنس كان لا يعيب مأكولا إن أعجبه أكله وإلا تركه : متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٤) حديث كل ما يليك : متفق عليه من حديث عمر بن أبى سلمة

(٥) حديث كان يدور على الفاكهة وقال ليس هو نوعا واحدا : ت ه من حديث عكراش بن دويب وفيه وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الطبق فقال يا عكراش كل من حيث شئت فانه غير لون واحد قال ت غريب ورواه حب فى الضعفاء .

ولا من وسط الطعام ، بل يأكل من استدارة الرغيف ، إلا إذا قل الخبز فيكسر الخبز ، ولا يقطع [1] بالسكين ، ولا يقطع اللحم أيضا [2] فقد نهى عنه ، وقال انهشوه نهشا ، ولا يوضع على الخبز قصعة ولا غيرها الا مايؤكل به . قال صلى الله عليه وسلم « أَكْرِمُوا الْخُبْزَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى أَنْزَلَهُ مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ » ولا يمسح يده بالخبز . وقال صلى الله عليه وسلم [3] « إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا وَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ وَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ بِالْمِنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ » [4] « وَلَا يَنْفُخُ فِي الطَّعَامِ الْحَارِّ فَهُوَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ » بل يصبر إلى أن يسهل أكله ويأكل من التمر وترا سبعا أو إحدى عشرة أو إحدى وعشرين أو ماتفق ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا يجمع في كفه بل يضع النواة من فيه على ظهر كفه ثم يلقيها وكذا كل ماله عجم وثفل وأن لا يترك مااسترذله من الطعام ويطرحه في القصعة بل يتركه مع الثفل حتى لا يلتبس على غيره فيأكله وأن لا يكثر الشرب في أثناء الطعام ، الا إذا غص بلقمة أو صدق عطشه ، فقد قيل ان ذلك مستحب في الطب ، وإنه دباغ المعدة .

وأما الشرب فأدبه أن يأخذ الكوز بيمينه ، ويقول بسم الله ، ويشربه مصا لا عبا . قال صلى الله عليه وسلم [5] « مُصُّوا الْمَاءَ مَصًّا وَلَا تَعُبُّوهُ عَبًّا فَإِنَّ الْكُبَادَ مِنَ الْعَبِّ » ولا يشرب قائما ولا مضطجعا ، فانه صلى الله عليه وسلم [6] « نَهَى عَنِ الشُّرْبِ قَائِمًا » وروى « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [7] شَرِبَ قَائِمًا » ولعله كان لعذر . ويراعي أسفل الكوز حتى لا يقطر عليه ، وينظر في الكوز

---

(١) حديث النهى عن قطع الخبز بالسكين : رواه حب فى الضعفاء من حديث أبى هريرة فيه نوح بن أبى مريم وهو كذاب ورواه البيهقى فى الشعب من حديث أم سلمة بسند ضعيف

(٢) حديث النهى عن قطع اللحم بالسكين : د من حديث عائشة وقال انهشوه نهشا قال ن منكر و ت هـ من حديث صفوان بن أمية وانهشوا اللحم نهشا وسنده ضعيف

(٣) حديث إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه فانه لايدرى فى أى طعامه البركة : م من حديث أنس وجابر

(٤) حديث النهى عن النفخ فى الطعام والشراب : أحمد فى مسنده من حديث ابن عباس وهو عند أبى داود وت وصححه ابن ماجه الا انهم قالوا فى الاناء وت وصححه من حديث أبى سعيد نهى عن النفخ فى الشراب

(٥) حديث مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بالشطر الأول ولأبى داود فى المراسيل من رواية عطاء بن أبى رباح إذا شربتم فاشربوا مصا

(٦) حديث النهى عن الشرب قائما : م من حديث أنس وأبى سعيد وأبى هريرة

(٧) حديث أنه صلى الله عليه وسلم شرب قائما : متفق عليه من حديث ابن عباس وذلك من زمزم

قبل الشرب ، ولا يتجشأ ولا يتنفس فى الكوز ، بل ينحيه عن فمه بالحمد ، ويرده بالتسمية . وقد قال صلى الله عليه وسلم [١] بعد الشرب « اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى جَعَلَهُ عَذْبًا فُرَاتًا بِرَحْمَتِهِ وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِلْحًا أُجَاجًا بِذُنُوبِنَا » والكوز وكل مايدار على القوم يدار يمنة . وقد شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا ، وأبو بكر رضى الله عنه عن شماله ، واعرابى عن يمينه ، وعمر ناحية . فقال عمر رضى الله عنه ، أعط أبابكر ، فناول الاعرابى ، وقال الأيمن فالأيمن . ويشرب فى ثلاثة أنفاس ، يحمد الله فى أواخرها ، ويسمي الله فى أوائلها ، ويقول فى آخر النفس الاول الحمد لله وفى الثانى يزيد رب العالمين ، وفي الثالث يزيد الرحمن الرحيم

فهذا قريب من عشرين أدبا فى حالة الأكل والشرب ، دلت عليها الأخبار والآثار

القسم الثالث

ما يستحب بعد الطعام

وهو أن يمسك قبل الشبع ، ويلعق أصابعه ، ثم يمسح بالمنديل ، ثم يغسلها . ويلتقط فتات الطعام . قال صلى الله عليه وسلم [٢] « مَنْ أَكَلَ مَا يَسْقُطُ مِنَ الْمَائِدَةِ عَاشَ فِى سَعَةٍ وَعُوفِيَ فِى وَلَدِهِ » ويتخلل ولا يبتلع كل مايخرج من بين أسنانه بالخلال الا مايجمع من أصول أسنانه بلسانه . أما المخرج بالخلال فيرميه ، وليتمضمض بعد الخلال ففيه أثر عن أهل البيت عليهم السلام وأن يلعق القصعة ويشرب ماءها ويقال : من لعق القصعة وغسلها وشرب ماءها كان له عتق رقبة . وان التقاط الفتات مهور الحور العين . وأن يشكر الله تعالى بقلبه على ما أطعمه فيرى الطعام نعمة منه قال الله تعالى (كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلّٰهِ [١]) ومهما أكل حلالا قال الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وتنزل البركات .

---

(١) حديث كان يقول بعد الشرب الحمد لله الذى جعل الماء عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا الطبرانى فى الدعاء مرسلا من رواية أبى جعفر محمد بن على بن الحسين

(٢) حديث من أكل ماسقط من المائدة عاش فى سعة وعوفى فى ولده : أبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث جابر بلفظ أمن من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده الحمق وله من حديث الحجاج بن علاط أعطى سعة من الرزق ووقى فى ولده وكلاهما منكر جدا

(١) البقرة : ١٧٢

اللهم أطعمنا طيبا ، واستعملنا صالحا وإن أكل شبهة فليقل : الحمد لله على كل حال ، اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك . ويقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ، ولإيلاف قريش ،

ولا يقوم عن المائدة حتى ترفع أولا . فان أكل طعام الغير فليدع له ، وليقل اللهم أكثر خيره ، وبارك له فيما رزقته ، ويسر له أن يفعل فيه خيرا ، وقنعه بما أعطيته ، واجعلنا وإياه من الشاكرين وأن أفطر عند قوم ، فليقل أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة . وليكثر الاستغفار والحزن على ما أكل من شبهة ، ليطفىء بدموعه وحزنه حر النار التي تعرض لها ، لقوله صلى الله عليه وسلم [1] (كُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ حَرَامٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ) وليس من يأكل ويبكي كمن يأكل ويلهو . وليقل إذا أكل لبنا [2] (اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيمَا رَزَقْتَنَا وَزِدْنَا مِنْهُ)

فان أكل غيره قال : اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيرا منه فذلك الدعاء مما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن لعموم نفعه . ويستحب عقيب الطعام أن يقول : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا ، وكفانا وآوانا ، سيدنا ومولانا ، يا كافي من كل شيء ولا يكفي منه شيء أطعمت من جوع وآمنت من خوف ، فلك الحمد آويت من يُتم ، وهديت من ضلالة ، وأغنيت من عيلة ، فلك الحمد حمدا كثيرا دائما طيبا نافعا مباركا فيه ، كما أنت أهله ومستحقه ، اللهم أطعمتنا طيبا فاستعملنا صالحا ، واجعله عونا لنا على طاعتك . ونعوذ بك أن نستعين به على معصيتك

وأما غسل اليدين بالاشنان ، فكيفيته أن يجعل الاشنان في كفه اليسرى ، ويغسل الاصابع الثلاث من اليد اليمنى أولا ، ويضرب أصابعه على الأشنان اليابس ، فيمسح به شفتيه ، ثم ينعم غسل الفم باصبعه ، ويدلك ظاهر اسنانه وباطنها والحنك واللسان ، ثم يغسل أصابعه من ذلك بالماء ، ثم يدلك ببقية الأشنان اليابس أصابعه ظهرا وبطنا . ويستغني بذلك عن اعادة الأشنان إلى الفم واعادة غسله .

---

(١) حديث كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به : هو في شعب الايمان من حديث كعب بن عجرة بلفظ سحت وهو عند ت وحسنه بلفظ لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به

(٢) حديث القول عند أكل اللبن اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه : د ت وحسنه و ه من حديث ابن عباس إذا أكل أحدكم طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه واطعمنا خيرا منه ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه

الباب الثانى

فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة فى الأكل وهى سبعة

الأول : أن لا يبتدىء بالطعام ومعه من يستحق التقديم ، بكبر سن أو زيادة فضل ، إلا أن يكون هو المتبوع والمقتدى به ، فحينئذ ينبغى أن لا يطول عليهم الانتظار إذا اشرأبوا للأكل ، واجتمعوا له .

الثانى : أن لا يسكتوا على الطعام ، فان ذلك من سيرة العجم ، ولكن يتكلمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات الصالحين فى الأطعمة وغيرها

الثالث : أن يرفق برفيقه فى القصعة ، فلا يقصد أن يأكل زيادة على ما يأكله ، فان ذلك حرام إن لم يكن موافقا لرضا رفيقه مهما كان الطعام مشتركا . بل ينبغى أن يقصد الايثار ولا يأكل تمرتين فى دفعة إلا إذا فعلوا ذلك أو استأذنهم . فان قلل رفيقه نشطه ورغبه فى الأكل ، وقال له كل ، ولا يزيد فى قوله كل على ثلاث مرات ، فان ذلك الحاح وافراط . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] إذا خوطب فى شىء ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث وكان صلى الله عليه وسلم [2] يكرر الكلام ثلاثا فليس من الأدب الزيادة عليه فأما الحلف عليه بالأكل فممنوع . قال الحسن بن على رضى الله عنهما : الطعام أهون من أن يحلف عليه

الرابع : أن لا يحوج رفيقه إلى أن يقول له كل . قال بعض الأدباء : أحسن الآكلين أكلا من لا يحوج صاحبه إلى أن يتفقده فى الأكل ، وحمل عن أخيه مؤنة القول . ولا ينبغى أن يدع شيئا مما يشتهيه لأجل نظر الغير إليه ، فان ذلك تصنع . بل يجرى على المعتاد ولا ينقص من عادته شيئا فى الوحدة ، ولكن يعود نفسه حسن الادب فى الوحدة ، حتى لا يحتاج إلى التصنع عند الاجتماع . نعم ، لو قلل من أكله ايثارا لاخوانه ونظر لهم عند الحاجة إلى ذلك

﴿ الباب الثانى فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة فى الأكل ﴾

(١) حديث كان إذا خوطب فى شىء ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث : أحمد من حديث جابر فى حديث طويل ومن حديث أبى حدرد أيضا وأسنادهما حسن

(٢) حديث كان يكرر الكلمة ثلاثا : خ من حديث أنس كان يعيد الكلمة ثلاثا

فهو حسن . وإن زاد فى الأكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم فى الأكل ، فلا بأس به ، بل هو حسن . وكان ابن المبارك يقدم فاخر الرطب إلى إخوانه ويقول : من أكل أكثر أعطيته بكل نواة درهما وكان يعد النوى ، ويعطى كل من له فضل نوى بعدده دراهم ، وذلك لدفع الحياء ، وزيادة النشاط فى الانبساط . وقال جعفر بن محمد رضى الله عنهما أحب اخوانى إلى أكثرهم أكلا ، وأعظمهم لقمة . وأثقلهم عَلَىَّ من يحوجنى إلى تعهده فى الأكل . وكل هذا إشارة إلى الجرى على المعتاد وترك التصنع . وقال جعفر رحمه الله أيضا تتبين جودة محبة الرجل لاخيه بجودة أكله فى منزله

الخامس : إن غسل اليد فى الطست لاباس به ، وله أن يتنخم فيه إن أكل وحده ، وإن أكل مع غيره فلا ينبغى أن يفعل ذلك . فاذا قدم الطست إليه غيره إكراماً له فليقبله . اجتمع أنس ابن مالك وثابت البنانى رضى الله عنهما على طعام ، فقدم أنس الطست إليه ، فامتنع ثابت ، فقال أنس : إذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا تردها ، فانما يكرم الله عز وجل : وروى أن هرون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير ، فصب الرشيد على يده فى الطست ، فلما فرغ قال ياأبا معاوية تدرى من صب على يدك ؟ فقال لا قال صبه أمير المؤمنين . فقال ياأمير المؤمنين إنما أكرمت العلم وأجللته ، فاجلك الله وأكرمك كما أجللت العلم وأهله .

ولا بأس أن يجتمعوا على غسل اليد فى الطست فى حالة واحدة ، فهو أقرب إلى التواضع ، وأبعد عن طول الانتظار . فان لم يفعلوا ، فلا ينبغى أن يصب ماء كل واحد ، بل يجمع الماء فى الطست . قال صلى الله عليه وسلم [1] (اجْمَعُوا وَضُوءَكُمْ جَمَعَ اللهُ شَمْلَكُمْ) قيل إن المراد به هذا . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الامصار : لا يرفع الطست من بين يدى قوم الا مملوءة ولا تشبهوا بالعجم . وقال ابن مسعود : اجتمعوا على غسل اليد فى طست واحد ولا تستنوا بسنة الاعاجم

والخادم الذى يصب الماء على اليد كره بعضهم أن يكون قائما ، وأحب أن يكون جالسا لانه أقرب إلى التواضع . وكره بعضهم جلوسه فروى أنه صب جالسا على يد واحد خادم جالسا

---

(١) حديث اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم : رواه القضاعى فى مسند الشهاب من حديث أبى هريرة باسناد لا بأس به وجعل ابن طاهر مكان أبى هريرة ابراهيم وقال انه معضل وفيه نظر

فقام المصبوب عليه ، فقيل له لم قمت ؟ فقال أحدنا لابدوأن يكون قائماوهذا أولى لانه أيسر للصب والغسل وأقرب إلى تواضع الذى يصب .وإذا كان له نية فيه فتمكينه من الخدمة ليس فيه تكبر فان العادة جارية بذلك

ففى الطست اذا سبعة آداب:أن لا يبزق فيه.وأن يقدم به المتبوع.وأن يقبل الاكرام بالتقديم.وأن يدار يمنة.وأن يجتمع فيه جماعة.وأن يجمع الماء فيه . وأن يكون الخادم قائما . وأن يمج الماء من فيه ويرسله من يده برفق،حتى لايرش على الفراش وعلى أصحابه.وليصب صاحب المنزل بنفسه الماء على يد ضيفه.هكذا فعل مالك بالشافعى رضى الله عنهما، فى أول نزوله عليه ، وقال لايروعك مارأيت منى ، فخدمة الضيف فرض .

السادس : أن لاينظر إلى أصحابه ، ولايراقب أكلهم فيستحيون.بل يغض بصره عنهم ويشتغل بنفسه.ولايمسك قبل إخوانه إذا كانوا يحتشمون الأكل بعده.بل يمد اليد ويقبضها ويتناول قليلا قليلا إلى أن يستوفوا . فان كان قليل الأكل،توقف فى الابتداء وقلل الأكل حتى إذا توسعوا فى الطعام أكل معهم أخيرا.فقد فعل ذلك كثير من الصحابة رضى الله عنهم فان امتنع لسبب فليعتذر إليهم ، دفعا للخجلة عنهم

السابع : أن لايفعل مايستقذره غيره . فلا ينفض يده فى القصعة ، ولا يقدم إليها رأسه عند وضع اللقمة فى فيه . وإذا أخرج شيئامن فيه صرف وجهه عن الطعام ،وأخذه بيساره ولا يغمس اللقمة الدسمة فى الخل ، ولا الخل فى الدسومة ، فقد يكرهه غيره . واللقمة التى قطعها بسنه، لا يغمس بقيتها فى المرقة والخل . ولا يتكلم بما يذكر المستقذرات

الباب الثالث

فى آداب تقديم الطعام إلى الإخوان والزائرين

تقديم الطعام إلى الاخوان فيه فضل كثير.قال جعفر بن محمد رضى الله عنهما : إذا قعدتم مع الاخوان على المائدة فاطيلوا الجلوس ، فانها ساعة لاتحسب عليكم من أعماركم . وقال الحسن رحمه الله : كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم ، يحاسب عليها ألبتة إلا نفقة الرجل على إخوانه فى الطعام ، فان الله يستحيى أن يسأله عن ذلك،

هذا مع ماورد من الأخبار فى الاطعام . قال صلى الله عليه وسلم «(١) لَا تَزَالُ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَادَامَتْ مَائِدَتُهُ مَوْضُوعَةً بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى تُرْفَعَ» وروى عن بعض علماء خراسان أنه كان يقدم إلى إخوانه طعاما كثيرا لا يقدرون على أكل جميعه . وكان يقول : بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) أنه قال «إِنَّ الْإِخْوَانَ إِذَا رَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَنِ الطَّعَامِ لَمْ يُحَاسَبْ مَنْ أَكَلَ فَضْلَ ذَلِكَ» فأنا أحب أن أستكثر مما أقدمه إليكم لنأكل فضل ذلك . وفى الخبر (٣) «لَا يُحَاسَبُ الْعَبْدُ عَلَى مَا يَأْكُلُهُ مَعَ إِخْوَانِهِ» وكان بعضهم يكثر الأكل مع الجماعة لذلك ويقلل إذا أكل وحده . وفى الخبر (٤) «ثَلَاثَةٌ لَا يُحَاسَبُ عَلَيْهَا الْعَبْدُ أَكْلَةُ السُّحُورِ، وَمَا أَفْطَرَ عَلَيْهِ، وَمَا أَكَلَ مَعَ الْإِخْوَانِ» وقال على رضى الله عنه : لأن أجمع اخوانى على صاع من طعام ، أحب إلى من أن أعتق رقبة ، وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول : من كرم المرء طيب زاده فى سفره وبذله لأصحابه . وكان الصحابة رضى الله عنهم يقولون : الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق . وكانوا رضى الله عنهم يجتمعون على قراءة القرءان ، ولا يتفرقون إلا عن ذواق ، وقيل اجتماع الاخوان على الكفاية مع الأنس والألفة ليس هو من الدنيا ، وفى الخبر (٥) «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا ابْنَ آدَمَ جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمْنِي : فَيَقُولُ كَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ جَاعَ أَخُوكَ الْمُسْلِمُ فَلَمْ تُطْعِمْهُ ، وَلَوْ أَطْعَمْتَهُ كُنْتَ أَطْعَمْتَنِي

---

(١) حديث : لا تزال الملائكة تصلى على أحدكم مادامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع ، الطبرانى فى الأوسط ، من حديث عائشة ، بسند ضعيف

(٢) حديث : ان الآخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لا يحاسب من أكل من فضل ذلك الطعام ، لم أقف له على أصل

(٣) حديث لا يحاسب العبد بما يأكله مع اخوانه . هو فى الحديث الذى بعده بمعناه

(٤) حديث : ثلاثة لا يحاسب عليها العبد : أكلة السحور ، وما أفطر عليه ، وما أكل مع الأخوان ، الازدى فى الضعفاء ، من حديث جابر ، ثلاثة لا يسئلون عن النعيم : الصائم ، والمتسحر ، والرجل يأكل مع ضيفه . أورده فى ترجمة سليمان بن داود الجزرى ، وقال فيه منكر الحديث ولأبى منصور الديلمى فى مسند الفردوس ، نحوه من حديث أبى هريرة

(٥) حديث : يقول الله للعبد يوم القيامة يابن آدم جعت فلم تطعمنى ـ الحديث . م . من حديث أبى هريرة بلفظ استطعمتك فلم تطعمنى

وقال صلى الله عليه وسلم[١] «إِذَا جَاءَكُمُ الزَّائِرُ فَأَكْرِمُوهُ» وقال صلى الله عليه وسلم[٢] «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، هِيَ لِمَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ» وقال صلى الله عليه وسلم[٣] «خَيْرُكُمْ مَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ» وقال صلى الله عليه وسلم[٤] «مَنْ أَطْعَمَ أَخَاهُ حَتَّى يُشْبِعَهُ، وَسَقَاهُ حَتَّى يَرْوِيَهُ بَعَّدَهُ اللهُ مِنَ النَّارِ بِسَبْعِ خَنَادِقَ، مَا بَيْنَ كُلِّ خَنْدَقَيْنِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ»

وأما آدابه: فبعضها في الدخول، وبعضها في تقديم الطعام

آداب الدخول للطعام

أما الدخول، فليس من السنة أن يقصد قوما متربصا لوقت طعامهم، فيدخل عليهم وقت الأكل، فان ذلك من المفاجأة، وقد نهى عنه. قال الله تعالى (لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ)[١] يعني منتظرين حينه ونضجه. وفي الخبر[٥] «مَنْ مَشَى إِلَى طَعَامٍ لَمْ يُدْعَ إِلَيْهِ مَشَى فَاسِقًا وَأَكَلَ حَرَامًا» ولكن حق الداخل إذا لم يتربص واتفق أن صادفهم على طعام، أن لا يأكل ما لم يؤذن له، فاذا قيل له كل، نظر، فان علم أنهم يقولونه على محبة لمساعدته فليساعد، وإن كانوا يقولونه حياء منه، فلا ينبغي أن يأكل، بل ينبغي أن يتعلل. أما إذا كان جائعا، فقصد بعض إخوانه ليطعمه، ولم يتربص به وقت

---

(١) حديث إذا جاءكم الزائر فاكرموه: الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أنس، وهو حديث منكر. قاله ابن أبي حاتم في العلل عن أبيه

(٢) حديث: ان في الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها هي لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام. ت. من حديث علي، وقال غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الرحمن بن اسحاق، وقد تكلم فيه من قبل حفظه

(٣) حديث: خيركم من أطعم الطعام. أحمد، والحاكم، من حديث صهيب، وقال صحيح الأسناد

(٤) حديث: من أطعم أخاه حتى يشبعه، وسقاه حتى يرويه؛ بعده الله من النار سبع خنادق، ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام، الطبراني، من حديث عبد الله بن عمر. وقال ابن حبان، ليس من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال الذهبي، غريب منكر

(٥) حديث: من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقا وأكل حراما. هق. من حديث عائشة نحوه، وضعفه ولأبي داود، من حديث ابن عمر، من دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغيرا اسناده ضعيف

---

(١) الأحزاب: ٥٣

أكله ، فلا بأس به . قَصَدَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم [١] وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مَنْزِلَ أَبِي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الانصاري لأَجْلِ طَعَامٍ يَأْكُلُونَهُ وَكَانُوا جِيَاعًا» والدخول على مثل هذه الحالة اعانة لذلك المسلم على حيازة ثواب الاطعام . وهي عادة السلف وكان عون بن عبدالله المسعودي له ثلثمائة وستون صديقاً ، يدور عليهم في السنة . ولآخر ثلاثون يدور عليهم في الشهر . ولآخر سبعة يدور عليهم في الجمعة . فكان إخوانهم معلومهم بدلا عن كسبهم وكان قيام أولئك بهم على قصد التبرك عبادة لهم

فان دخل ولم يجد صاحب الدار ، وكان واثقا بصداقته ، عالما بفرحه إذا أكل من طعامه فله أن يأكل بغير إذنه . إذ المراد من الإذن الرضاء لاسيما في الأطعمة ، وأمرها على السعة فرب رجل يصرح بالأذن ويحلف ، وهو غير راض ، فأكل طعامه مكروه . ورب غائب لم يأذن ، وأكل طعامه محبوب . وقد قال تعالى (أَوْ صَدِيقِكُمْ [١]) وَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم [٢] دَارَ بَرِيرَةَ وَأَكَلَ طَعَامَهَا وَهِيَ غَائِبَةٌ ، وَكَانَ الطَّعَامُ مِنَ الصَّدَقَةِ فَقَالَ بَلَغَتِ الصَّدَقَةُ مَحَلَّهَا» وذلك لعلمه بسرورها بذلك . لذلك يجوز أن يدخل الدار بغير استئذان ، اكتفاء بعلمه بالاذن . فان لم يعلم فلابد من الاستئذان أولا ، ثم الدخول . وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن ، فيأكلون ما يجدون بغير اذن ، وكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسر به ، ويقول هكذا كنا . وروى عن الحسن رضى الله عنه ، أنه كان قائماً يأكل من متاع بقال في السوق ، يأخذ من هذه الجونة تينة ، ومن هذه قسبة . فقال له هشام : مابدا لك يا أبا سعيد في الورع تأكل متاع الرجل بغير اذنه ! فقال يا لكع ، اتل علىّ آية الاكل . فتلا إلى

---

(١) حديث قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهم منزل أبى الهيثم بن التيهان ، وأبى أيوب الأنصارى لأجل طعام يأكلونه : أما قصة أبى الهيثم فرواها من حديث أبى هريرة وقال حسن غريب صحيح والقصة عند م لكن ليس فيها ذكر لأبى الهيثم وانما قال رجل من الأنصار وأما حديث قصدهم منزل أبى أيوب فرواها الطبرانى فى المعجم الصغير من حديث ابن عباس بسند ضعيف

(٢) حديث دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة وأكل طعامها وهى غائبة وكان من الصدقة فقال بلغت الصدقة مكانها : متفق عليه من حديث عائشة أهدى لبريرة لحم فقال النبى صلى الله عليه وسلم هو لها صدقة ولنا هدية وأما قوله بلغت محلها فقاله فى الشاة التى أعطيتها نسيبة من الصدقة وهو متفق عليه أيضا من حديث أم عطية

---

(١) النور : ٦١

قوله تعالى (أَوْ صَدِيقِكُمْ) فقال فمن الصديق يا أباسعيد ؟ قال من استروحت اليه النفس ، واطمأن اليه القلب . ومشى قوم الى منزل سفيان الثورى فلم يجدوه ، ففتحوا الباب ، وأنزلوا السفرة ، وجعلوا يأكلون . فدخل الثورى وجعل يقول : ذكرتمونى أخلاق السلف ، هكذا كانوا . وزار قوم بعض التابعين ، ولم يكن عنده مايقدمه اليهم ، فذهب الى منزل بعض اخوانه ، فلم يصادفه فى المنزل ، فدخل فنظر الى قدر قد طبخها ، والى خبز قد خبزه وغير ذلك ، فحمله كله ، فقدمه الى أصحابه ، وقال كلوا . فجاء رب المنزل فلم ير شيأ . فقيل له قد أخذه فلان ، فقال قد أحسن . فلما لقيه قال ياأخى إن عادوا فعد

فهذه آداب الدخول

آداب تقديم الطعام

وأما آداب التقديم فترك التكلف أوّلا ، وتقديم ماحضر . فان لم يحضره شىء ولم يملك ، فلايستقرض لأجل ذلك ، فيشوّش على نفسه . وان حضره ماهو محتاج اليه لقوته ، ولم تسمح نفسه بالتقديم ، فلاينبغى أن يقدم . دخل بعضهم على زاهد وهو يأكل ، فقال : لولا انى أخذته بِدَيْنٍ لأطعمتك منه . وقال بعض السلف فى تفسير التكلف ، أن تطعم أخاك مالاتأكله أنت ، بل تقصد زيادة عليه فى الجودة والقيمة . وكان الفضيل يقول : انما تقاطع الناس بالتكلف ، يدعو أحدهم أخاه ، فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع اليه . وقال بعضهم : ماأبالى بمن أتانى من إخوانى ، فانى لا أتكلف له ، انما أُقَرِّب ماعندى ، ولو تكلفت له لكرهت مجيئه ومللته . وقال بعضهم : كنت أدخل على أخ لى فيتكلف لى ، فقلت له إنك لاتأكل وحدك هذا ، ولا أنا ، فمابالنا اذا اجتمعنا أكلناه ! فاما أن تقطع هذا التكلف ، أو أقطع المجىء . فقطع التكلف ، ودام اجتماعنا بسببه

ومن التكلف أن يقدم جميع ماعنده ، فيجحف بعياله ويؤذى قلوبهم . روى ان رجلا دعا عليا رضى الله عنه ، فقال على : أجيبك على ثلاث شرائط : لاتدخل من السوق شيأ ، ولاتدخر مافى البيت ، ولاتجحف بعيالك . وكان بعضهم يقدم من كل مافى البيت فلايترك

(1) النور : ٦١

نوعا إلا ويحضر شيأ منه . وقال بعضهم [١] «دَخَلْنَا عَلَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ فَقَدَّمَ إِلَيْنَا خُبْزاً وَخَلاً وَقَالَ لَوْلاَ أَنَّا نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ لَتَكَلَّفْتُ لَكُمْ» وقال بعضهم: إذا قصدت للزيارة فقدم ماحضر، وان استزرت فلا تبق، ولا تذر . وقال سلمان «أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم [٢] أَنْ لاَ نَتَكَلَّفَ لِلضَّيْفِ مَا لَيْسَ عِنْدَنَا . وَأَنْ نُقَدِّمَ إِلَيْهِ مَا حَضَرَنَا» وفي حديث يونس النبي صلى الله عليه وسلم، أنه زاره إخوانه، فقدم اليهم كسراً، وجز لهم بقلا كان يزرعه . ثم قال لهم كلوا، لولا أن الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه وغيره من الصحابة، أنهم كانوا يقدمون ماحضر من الكسر اليابسة وحشف التمر، ويقولون لاندرى أيهما أعظم وزرا، الذى يحتقر مايقدم اليه، أو الذى يحتقر ماعنده أن يقدمه

الأدب الثانى : وهو للزائر أن لا يقترح، ولا يتحكم بشيء بعينه، فربما يشق على المزور احضاره . فان خيره أخوه بين طعامين، فليتخير ايسرهما عليه . كذلك السنة . ففى الخبر [٣] «أَنَّهُ مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ شَيْئَيْنِ إِلاَّ اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا» وروى الأعمش عن ابى وائل أنه قال مضيت مع صاحب لى نزور سلمان، فقدم الينا خبز شعير وملحا جريشا. فقال صاحبى لو كان فى هذا الملح سعتر كان أطيب . فخرج سلمان فرهن مطهرته وأخذ سعترا . فلما أكلنا قال صاحبي : الحمد لله الذى قنعنا بما رزقنا . فقال سلمان لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتى مرهونة هذا إذا توهم تعذر ذلك على أخيه، أو كراهته له. فان علم أنه يسر باقتراحه، ويتيسر عليه ذلك، فلا يكره له الاقتراح. فعل الشافعي رضى الله عنه ذلك مع الزعفرانى، إذ كان نازلا عنده ببغداد، وكان الزعفرانى يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان، ويسلمها إلى الجارية

---

(١) حديث دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم الينا خبزاً وخلا وقال لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم: رواه أحمد دون قوله لولا أنا نهينا وهى من حديث سلمان الفارسى وسيأتى بعده وكلاهما ضعيف وللبخارى عن عمر بن الخطاب نهينا عن التكلف

(٢) حديث سلمان أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتكلف للضيف ماليس عندنا وأن نقدم اليه ماحضرنا : الخرائطى فى مكارم الأخلاق ولأحمد لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أو لولا أنا نهينا أن يتكلف أحدنا لصاحبه لتكلفنا لك وللطبرانى نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتكلف للضيف ماليس عندنا

(٣) حديث ماخير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيئين إلا اختار أيسرهما : متفق عليه من حديث عائشة وزاد مالم يكن إثما ولم يذكرها م فى بعض طرقه

فأخذ الشافعي الرقعة في بعض الأيام ، وألحق بها لونا آخر بخطه . فلما رأى الزعفراني ذلك اللون ، أنكر وقال : ما أمرت بهذا فعرضت عليه الرقعة ملحقا فيها خط الشافعي . فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك ، وأعتق الجارية سرورا باقتراح الشافعي عليه . وقال أبو بكر الكتاني : دخلت على السري ، فجاء بفتيت وأخذ يجعل نصفه في القدح . فقلت له أي شيء تعمل وأنا أشربه كله في مرة واحدة ! فضحك وقال ، هذا أفضل لك من حجة. وقال بعضهم الاكل على ثلاثة أنواع : مع الفقراء بالايثار ، ومع الأخوان بالانبساط ، ومع أبناء الدنيا بالأدب

الأدب الثالث : أن يشهي المزور أخاه الزائر ، ويلتمس منه الاقتراح ، مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح . فذلك حسن ، وفيه أجر وفضل جزيل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « مَنْ صَادَفَ مِنْ أَخِيهِ شَهْوَةً غُفِرَ لَهُ. وَمَنْ سَرَّ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فَقَدْ سَرَّ اللهَ تَعَالَى » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) فيما رواه جابر « مَنْ لَذَّذَ أَخَاهُ بِمَا يَشْتَهِي كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ وَمَحَى عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ وَأَطْعَمَهُ اللهُ مِنْ ثَلَاثِ جَنَّاتٍ جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ، وَجَنَّةِ عَدْنٍ وَجَنَّةِ الْخُلْدِ)

الأدب الرابع : أن لا يقول له هل أقدم لك طعاما؟ بل ينبغي أن يقدّم ان كان. قال الثوري إذا زارك اخوك فلا تقل له أتأكل ؟ أو أقدم إليك ؟ ولكن قدم . فان أكل والا فارفع . وإن كان لا يريد أن يطعمهم طعاما ، فلا ينبغي أن يظهرهم عليه ، أو يصفه لهم. قال الثوري إذا أردت أن لا تطعم عيالك مما تأكله ، فلا تحدثهم به، ولا يرونه معك. وقال بعض الصوفية : إذا دخل عليكم الفقراء ، فقدموا إليهم طعاما . وإذا دخل الفقهاء ، فسلوهم عن مسئلة. فاذا دخل القراء ، فداوهم على المحراب .

---

(١) حديث من صادف من أخيه شهوة غفر له ومن سر أخاه المؤمن فقد سر الله عز وجل : البزار والطبراني من حديث أبي الدرداء من وافق من أخيه شهوة غفر له قال ابن الجوزي حديث موضوع وروى ابن حبان والعقيلي في الضعفاء من حديث أبي بكر الصديق من سر مؤمنا فانما سر الله ـ الحديث : قال العقيلي باطل لا أصل له

(٢) حديث جابر من لذذ أخاه بما يشتهي كتب الله له ألف ألف حسنة ـ الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من رواية محمد بن نعيم عن ابن الزبير عن جابر وقال أحمد بن حنبل هذا باطل كذب

الباب الرابع

فى آداب الضيافة

ومظان الآداب فيها ستة : الدعوة أولا ، ثم الاجابة ، ثم الحضور ، ثم تقديم الطعام ، ثم الأكل ، ثم الانصراف

ولنقدم على شرحها إن شاء الله تعالى فضيلة الضيافة .

قال صلى الله عليه وسلم [1] «لَا تَكَلَّفُوا لِلضَّيْفِ فَتَبْغَضُوهُ فَإِنَّهُ مَنْ أَبْغَضَ الضَّيْفَ فَقَدْ أَبْغَضَ اللهَ وَمَنْ أَبْغَضَ اللهَ أَبْغَضَهُ اللهُ» وَقَالَ صلى الله عليه وسلم « [2] لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُضِيفُ» وَمَرَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم [3] بِرَجُلٍ لَهُ إِبِلٌ وَبَقَرٌ كَثِيرَةٌ فَلَمْ يُضَيِّفْهُ وَمَرَّ بِامْرَأَةٍ لَهَا شُوَيْهَاتٌ فَذَبَحَتْ لَهُ . فَقَالَ صلى الله عليه وسلم انْظُرُوا إِلَيْهِمَا، إِنَّمَا هَذِهِ الْأَخْلَاقُ بِيَدِ اللهِ فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَمْنَحَهُ خُلُقًا حَسَنًا فَعَلَ » وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنه نَزَلَ بِهِ صلى الله عليه وسلم [4] ضَيْفٌ فَقَالَ : قُلْ لِفُلَانٍ الْيَهُودِيِّ نَزَلَ بِي ضَيْفٌ فَأَسْلِفْنِي شَيْئًا مِنَ الدَّقِيقِ إِلَى رَجَبَ . فَقَالَ الْيَهُودِيُّ وَاللهِ مَا أُسْلِفُهُ إِلَّا بِرَهْنٍ . فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ . وَاللهِ إِنِّي لَأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ ، أَمِينٌ فِي الْأَرْضِ ، وَلَوْ أَسْلَفَنِي لَأَدَّيْتُهُ فَاذْهَبْ بِدِرْعِي وَارْهَنْهُ عِنْدَهُ » وكان ابراهيم الخليل ، صلوات الله عليه وسلامه ، إذا أراد أن يأكل خرج ميلا أو ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى أبا الضيفان . ولصدق نيته فيه، دامت ضيافته فى مشهده إلى يومنا هذا ، فلا تنقضى ليلة إلا ويأكل عنده

﴿ الباب الرابع فى آداب الضيافة ﴾

(١) حديث لاتتكلفوا للضيف فتبغضوه فانه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق من حديث سلمان لايتكلفن أحد لضيفه مالايقدر عليه وفيه محمد بن الفرج الأزرق متكلم فيه

(٢) حديث لاخير فيمن لايضيف أحمد من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة

(٣) حديث مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له ـ الحديث : الخرائطى فى مكارم الأخلاق من رواية أبى المنهال مرسلا

(٤) حديث أبى رافع أنه نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فقال قل لفلان اليهودى نزل بى ضيف فأسلفنى شيأ من الدقيق إلى رجب ـ الحديث : رواه إسحق بن راهويه فى مسنده والخرائطى فى مكارم الأخلاق وابن مردويه فى التفسير باسناد ضعيف

جماعة ، من بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة .وقال قوّام الموضع إنه لم يخل إلى الآن ليلة عن ضيف وَسُئِلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم[1] « مَا الْإِيمَانُ ؟ فَقَالَ إِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَبَذْلُ السَّلَامِ » وقال صلى الله عليه وسلم[2] « فِي الْكَفَّارَاتِ وَالدَّرَجَاتِ إِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ »[3] وسئل عن الحج المبرور « فقال إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَطِيبُ الْكَلَامِ » وقال أنس رضى الله عنه : كل بيت لايدخله ضيف لاتدخله الملائكة . والأخبار الواردة فى فضل الضيافة والاطعام لاتحصى فلنذكر آدابها

أما الدعوة : فينبغى للداعى أن يعمد بدعوته الاتقياء دون الفساق قال صلى الله عليه وسلم[4] « أَكَلَ طَعَامَكَ الْأَبْرَارُ » فى دعائه لبعض من دعا له : وقال صلى الله عليه وسلم[5] « لَا تَأْكُلْ إِلَّا طَعَامَ تَقِيٍّ وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ » ويقصد الفقراء دون الأغنياء على الخصوص. قال صلى الله عليه وسلم[6] « شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ ، يُدْعَى إِلَيْهَا الْأَغْنِيَاءُ دُونَ الْفُقَرَاءِ » وينبغى أن لايهمل أقاربه فى ضيافته ، فان إهمالهم إيحاش وقطع رحم. وكذلك يراعى الترتيب فى أصدقائه ومعارفه ، فان فى تخصيص البعض إيحاشا لقلوب الباقين . وينبغى أن لايقصد بدعوته المباهاة والتفاخر ، بل استمالة قلوب الاخوان ، والتسنن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إطعام الطعام ، وإدخال السرور على قلوب المؤمنين . وينبغى أن لايدعو من يعلم أنه يشق عليه الاجابة ، وإذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الأسباب . وينبغى أن لايدعو الا من يحب إجابته . قال سفيان : من دعا أحدا إلى طعام وهو يكره الاجابة ،

---

(١) حديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماالايمان قال إطعام الطعام وبذل السلام : متفق عليه من حديث عبدالله ابن عمرو بلفظ أى الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرى السلام على من عرفت ومن لم تعرف

(٢) حديث قال صلى الله عليه وسلم فى الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام ت وصححه و ك من حديث معاذ وقد تقدم بعضه فى الباب الرابع من الأذكار وهو حديث اللهم إنى أسألك فعل الخيرات

(٣) حديث سئل عن الحج المبرور فقال إطعام الطعام وطيب الكلام تقدم فى الحج

(٤) حديث أكل طعامكم الأبرار : د من حديث أنس باسناد صحيح

(٥) حديث لاتأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقى : تقدم فى الزكاة

(٦) حديث شر الطعام طعام الوليمة ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبى هريرة

فعليه خطيئة ، فان أجاب المدعو ، فعليه خطيئتان . لأنه حمله على الأكل مع كراهة ، ولو علم ذلك لما كان يأكله . وإطعام التقى إعانة على الطاعة . وإطعام الفاسق تقوية على الفسق . قال رجل خياط لابن المبارك : أنا أخيط ثياب السلاطين ، فهل تخاف أن أكون من أعوان الظلمة ؟ قال : لا ، إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والابرة ، أما أنت فمن الظلمة نفسهم

وأما الاجابة فهى سنة مؤكدة : وقد قيل بوجوبها فى بعض المواضع : قال صلى الله عليه وسلم (١) «لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ»

آداب إجابة الدعوة إلى الطعام

وللاجابة خمسة آداب

الأول : أن لا يميز الغنى بالاجابة عن الفقير فذلك هو التكبر المنهى عنه . ولأجل ذلك امتنع بعضهم عن أصل الاجابة ، وقال ، انتظار المرقة ذل . وقال آخر ، إذا وضعت يدى فى قصعة غيرى فقد ذلت له رقبتى . ومن المتكبرين من يجيب الاغنياء دون الفقراء . وهو خلاف السنة . كَانَ صلى الله عليه وسلم (٢) يُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ وَدَعْوَةَ الْمِسْكِينِ . ومر الحسن ابن على رضى الله عنهما بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على قارعة الطريق ، وقد نشروا كسرا على الأرض فى الرمل ، وهم يأكلون ، وهو على بغلته . فسلم عليهم . فقالوا له هلم إلى الغداء يابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال نعم ، إن الله لا يحب المستكبرين . فنزل وقعد معهم على الأرض وأكل ، ثم سلم عليهم وركب ، وقال ، قد أجبتكم فأجيبونى قالوا نعم . فوعدهم وقتا معلوما ، فحضروا ، فقدم إليهم فاخر الطعام ، وجلس يأكل معهم

وأما قول القائل ، إن من وضعت يدى فى قصعته ، فقد ذلت له رقبتى ، فقد قال بعضهم هذا خلاف السنة ، وليس كذلك . فانه ذل إذا كان الداعى لا يفرح بالاجابة ، ولا يتقلد بها منة ، وكان يرى ذلك يداله على المدعو . ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحضر لعامه

---

(١) حديث : لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى ذراع لقبلت . خ من حديث أبى هريرة

(٢) حديث كان يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين : ت ه من حديث أنس دون ذكر المسكين وضعفه ت وصححه ك

أن الداعى له يتقلد منة ، ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه فى الدنيا والآخرة . فهذا يختلف باختلاف الحال . فمن ظن به أنه يستثقل الاطعام ، وإنما يفعل ذلك مباهاة أو تكلفا ، (١) فَلَيْسَ مِنَ السُّنَّةِ إِجَابَتُهُ . بل الأولى التعلل . ولذلك قال بعض الصوفية: لا تجب إلا دعوة من يرى أنك أكلت رزقك ، وأنه سلم اليك وديعة كانت لك عنده ، ويرى لك الفضل عليه فى قبول تلك الوديعة منه . وقال سرى السقطى رحمه الله : آه على لقمة ليس على لله فيها تبعة ، ولا لمخلوق فيها منة . فاذا علم المدعو أنه لا منة فى ذلك ، فلا ينبغى أن يرد . وقال أبو تراب النخشبي رحمة الله عليه، عرض على طعام فامتنعت ، فابتليت بالجوع أربعة عشر يوما، فعلمت أنه عقوبته . وقيل لمعروف الكرخى رضى الله عنه ، كل من دعاك تمر اليه ؟ فقال أنا ضيف أنزل حيث أنزلونى .

الثانى : أنه لا ينبغى أن يمتنع عن الاجابه لبعد المسافة ، كما لا يمتنع لفقر الداعى وعدم جاهه . بل كل مسافة يمكن احتمالها في العادة لا ينبغى أن يمتنع . لاجل ذلك يقال فى التوراة أو بعض الكتب: سر ميلا عد مريضا ، سر ميلين شيع جنازة ، سر ثلاثة أميال أجب دعوة، سر أربعة أميال زر أخا فى الله . وانما قدم إجابة الدعوة والزيارة ، لأن فيه قضاء حق الحى، فهو أولى من الميت . وقال صلى الله عليه وسلم (٢) (لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ بِالغَمِيمِ لَأَجَبْتُ) وهو موضع على أميال من المدينة ، أَفْطَرَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم (٣) فِي رَمَضَانَ لَمَّا بَلَغَهُ وَقَصَرَ عِنْدَهُ فِي سَفَرِهِ (٤)

---

(١) حديث : ليس من السنة اجابة من يطعم مباهاة أو تكلفاً . د. من حديث ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن طعام المتباريين . قال .د. من رواه عن جرير لم يذكر فيه ابن عباس . وللعقيلى فى الضعفاء ، نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن طعام المتباهيين ، والمتباريان المتعارضان بفعلهما للمباهاة والرياء ، قاله أبو موسى المدينى

(٢) حديث : لو دعيت الى كراع بالغميم لأجبت ، ذكر الغميم فيه لبعرف ، والمعروف لو دعيت الى كراع كما تقدم قبله بثلاثة أحاديث . ويرد هذه الزيادة مارواه .ت. من حديث أنس، لو أهدى الى كراع لقبلت

(٣) حديث : افطاره صلى الله عليه وسلم فى رمضان لما بلغ كراع الغميم رواه .م. من حديث جابر فى عام الفتح

(٤) حديث : قصره صلى الله عليه وسلم فى سفره عند كراع الغميم ، لم أقف له على أصل ، وللطبرانى فى الصغير ، من حديث ابن عمر ، كان يقصر الصلاة بالعقيق ، يريد اذا بلغه ، وهذا يرد الأول ، لأن بين العقيق وبين المدينة ثلاثه أميال أو أكثر ، وكراع الغميم بين مكة وعسفان والله أعلم

الثالث : أن لا يمتنع لكونه صائما . بل يحضر . فان كان يسر أخاه إفطاره ، فليفطر . وليحتسب فى إفطاره بنية إدخال السرور على قلب أخيه ، مايحتسب فى الصوم وأفضل . وذلك فى صوم التطوع . وإن لم يتحقق سرور قلبه ، فليصدقه بالظاهر ، وليفطر . وإن تحقق أنه متكلف ، فليتعلل . وقد قال صلى الله عليه وسلم [1] لمن امتنع بعذر الصوم (تَكَلَّفَ لَكَ أَخُوكَ وَتَقُولُ إِنِّي صَائِمٌ) وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : من أفضل الحسنات إكرام الجلساء بالافطار . فالافطار ، عبادة بهذه النية ، وحسن خلق ، فثوابه فوق ثواب الصوم . ومهما لم يفطر ، فضيافته الطيب والمجمرة والحديث الطيب . وقد قيل ، الكحل والدهن أحد القراءين

الرابع : أن يمتنع من الاجابة ان كان الطعام طعام شبهة ، أو الموضع أو البساط المفروش من غير حلال ، أو كان يقام فى الموضع منكر ، من فرش ديباج ، أو إناء فضة أو تصوير حيوان على سقف أو حائط ، أو سماع شيء من المزامير والملاهي ، أو التشاغل بنوع من اللهو والعزف والهزل واللعب ، واستماع الغيبة والنميمة والزور والبهتان والكذب وشبه ذلك ، فكل ذلك مما يمنع الاجابة واستحبابها ، ويوجب تحريمها أو كراهيتها . وكذلك إذا كان الداعى ظالما ، أو مبتدعا ، أو فاسقا ، أو شريرا ، أو متكلفا طلبا للمباهاة والفخر

الخامس : أن لا يقصد بالاجابة قضاء شهوة البطن ، فيكون عاملا فى أبواب الدنيا . بل يحسن نيته ، ليصير بالاجابة عاملا للآخرة ، وذلك بان تكون نيته الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله « لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ »

وينوى الحذر من معصية الله لقوله صلى الله عليه وسلم [2] (مَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ

---

(١) حديث : وقال لمن امتنع بعذر الصوم ، تكلف لك أخوك وتقول إنى صائم . هق . من حديث أبى سعيد الخدرى ، صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما ، وأتانى هو وأصحابه ، فلما وضع الطعام ، قال رجل من القوم إنى صائم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دعاكم أخوكم وتكلف لكم الحديث . وللدارقطنى نحوه ، من حديث جابر

(٢) حديث : من لم يجب الداعي فقد عصي الله ورسوله . متفق عليه ، من حديث أبى هريرة

وينوى إكرام أخيه المؤمن اتباعا لقوله صلى الله عليه وسلم[1] « مَنْ أَكْرَمَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فَكَأَنَّمَا أَكْرَمَ اللهَ »

وينوى إدخال السرور على قلبه امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم[2] « مَنْ سَرَّ مُؤْمِناً فَقَدْ سَرَّ اللهَ » وينوى مع ذلك زيارته ، ليكون من المتحابين فى الله إذ شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] فيه التزاور والتباذل لله ، وقد حصل البذل من أحد الجانبين ، فتحصل الزيارة من جانبه أيضا

وينوى صيانة نفسه عن أن يساء به الظن فى امتناعه ، ويطلق اللسان فيه ، بأن يحمل على تكبر أو سوء خلق ، أو استحقار أخ مسلم ، أو مايجرى مجراه

فهذه ست نيات تلحق إجابته بالقربات آحادها ، فكيف مجموعها . وكان بعض السلف يقول : أنا أحب أن يكون لى في كل عمل نية ، حتى فى الطعام والشراب . وفى مثل هذا قال صلى الله عليه وسلم[4] « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ . وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » والنية إنما تؤثر فى المباحات والطاعات ، أما المنهيات فلا ، فانه لو نوى أن يسر إخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر ، أو حرام آخر ، لم تنفع النية . ولم يجز أن يقال الأعمال بالنيات . بل لو قصد بالغزو الذى هو طاعة ، المباهاة وطلب المال ، انصرف عن جهة الطاعة . وكذلك المباح ، المردد بين وجوه الخيرات وغيرها ، يلتحق بوجوه الخيرات بالنية . فتؤثر النية فى هذين القسمين ، لا فى القسم الثالث

---

(١) حديث : من أكرم أخاه المؤمن فانما يكرم الله تعالى . الاصفهانى فى الترغيب والترهيب ، من حديث جابر . والعقيلى فى الضعفاء من حديث أبى بكر . وأسنادهما ضعيف

(٣) حديث : من سر مؤمنا فقد سر الله . تقدم فى الباب قبله

(٤) حديث : وجبت محبتى للمتزاورين فى والمتباذلين فى . م من حديث أبى هريرة . ولم يذكر المصنف هذا الحديث ، وانما أشار اليه

(٥) حديث : الاعمال بالنيات . متفق عليه ، من حديث عمر بن الخطاب

آداب الحضور لمنزل الداعي والجلوس فيه

وأما الحضور فأدبه أن يدخل الدار ، ولا يتصدر فيأخذ أحسن الأماكن ، بل يتواضع ولا يطول الانتظار عليهم ، ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد ، ولا يضيق المكان على الحاضرين بالزحمة . بل إن أشار إليه صاحب المكان بموضع لا يخالفه ألبتة ، فانه قد يكون رتب فى نفسه موضع كل واحد ، فمخالفته تشوش عليه . وإن أشار اليه بعض الضيفان بالارتفاع إكراما ، فليتواضع . قال صلى الله عليه وسلم [1] «إِنَّ مِنَ التَّوَاضُعِ لِلّٰهِ الرِّضَا بِالدُّونِ مِنَ الْمَجْلِسِ» ولا ينبغى أن يجلس فى مقابلة باب الحجرة الذى للنساء وسترهم . ولا يكثر النظر إلى الموضع الذى يخرج منه الطعام ، فانه دليل على الشره . ويخص بالتحية والسؤال من يقرب منه إذا جلس .

وإذا دخل ضيف للمبيت ، فليعرفه صاحب المنزل عند الدخول القبلة وبيت الماء وموضع الوضوء كذلك فعل مالك بالشافعى رضى الله عنهما . وغسل مالك يده قبل الطعام قبل القوم ، وقال الغسل قبل الطعام لرب البيت أولى ، لأنه يدعو الناس إلى كرمه ، فحكمه أن يتقدم بالغسل ، وفى آخر الطعام يتأخر بالغسل ، لينتظر أن يدخل من يأكل ، فيأكل معه

وإذا دخل فرأى منكرا غيّره إن قدر ، وإلا أنكر بلسانه وانصرف . والمنكر فرش الديباج ، واستعمال أوانى الفضة والذهب ، والتصوير على الحيطان ، وسماع الملاهى والمزامير وحضور النسوة المتكشفات الوجوه ، وغير ذلك من المحرمات . حتى قال أحمد رحمه الله إذا رأى مكحلة رأسها مفضض ، ينبغى أن يخرج . ولم يأذن فى الجلوس إلا فى ضبة ، وقال ، إذا رأى كلّة فينبغى أن يخرج ، فان ذلك تكلف لا فائدة فيه ، ولا تدفع حرا ولا بردا ، ولا تستر شيأ . وكذلك قال ، يخرج اذا رأى حيطان البيت مستورة بالديباج كما تستر الكعبة وقال اذا اكترى بيتا فيه صورة ، أو دخل الحمام ورأى صورة ، فينبغى أن يحكها ، فان لم يقدر ، خرج

---

(١) حديث : إن من التواضع لله الرضا بالدون من المجلس . الخرائطى فى مكارم الاخلاق ، وأبو نعيم فى رياضة المتعلمين ، من حديث طلحة بن عبيد ، بسند جيد

وكل ماذكره صحيح وإنما النظر فى الكلة وتزيين الحيطان بالديباج ، فان ذلك لا ينتهى إلى التحريم إذ الحرير يحرم على الرجال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] « هَذَانِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي حِلٌّ لِإِنَاثِهَا » وما على الحائط ليس منسوبا إلى الذكور . ولو حرم هذا لحرم تزيين الكعبة . بل الاولى إباحته لموجب قوله تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ [1]) لاسيما فى وقت الزينة ، إذا لم يتخذ عادة للتفاخر ، وإن تخيل أن الرجال ينتفعون بالنظر إليه . ولا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر إلى الديباج ، مهما لبسه الجوارى والنساء . والحيطان فى معنى النساء ، إذ لسن موصوفات بالذكورة

آداب إحضار الطعام

وأما إحضار الطعام فله آداب خمسة

الأول : تعجيل الطعام . فذلك من اكرام الضيف . وقد قال صلى الله عليه وسلم [2] « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » ومهما حضر الأكثرون وغاب واحد أو اثنان ، وتأخروا عن الوقت الموعود ، فحق الحاضرين فى التعجيل أولى من حق أولئك فى التأخير . الا أن يكون المتأخر فقيرا ، أو ينكسر قلبه بذلك ، فلا بأس فى التأخير . وأحد المعنيين فى قوله تعالى (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ [2]) أنهم أكرموا بتعجيل الطعام إليهم . دل عليه قوله تعالى (فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ [2]) وقوله (فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ [4]) والروغان الذهاب بسرعة ، وقيل فى خفية . وقيل جاء بفخذ من لحم ، وإنما سمى عجلا لانه عجله ، ولم يلبث . قال [3] حاتم الاصم الْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا فِي خَمْسَةٍ فَإِنَّهَا مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ

(١) حديث : هذان حرامان على ذكور أمتي . د . ن . ه ، من حديث علي ، وفيه أبو أفلح الهمدانى ، جهله ابن القطان . و . ن . ت . وصححه ، من حديث أبي موسى بنحوه . قلت الظاهر انقطاعه بين سعيد ابن أبى هند وأبى موسي ، فأدخل أحمد بينهما رجلا لم يسم

(٢) حديث : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه . متفق عليه ، من حديث أبى سريج

(٣) حديث حاتم الأصم : العجلة من الشيطان إلا فى خمسة فانها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعام الطعام ، وتجهيز الميت ، وتزويج البكر ، وقضاء الدين ، والتوبة من الذنب . ت . من حديث سهل بن سعد : الاناة من الله ، والعجلة من الشيطان . وسنده ضعيف . وأما الاستثناء

(١) الأعراف ٣٢ (٢) الذاريات ٢٤ (٣) هود ٩٦ (٤) الذاريات ٢٦

صلى الله عليه وسلم إِطْعَامِ الضَّيْفِ وَتَجْهِيزِ الْمَيِّتِ وَتَزْوِيجِ الْبِكْرِ وَقَضَاءِ الدَّيْنِ وَالتَّوْبَةِ مِنَ الذَّنْبِ» ويستحب التعجيل في الوليمة. قيل الوليمة في أول يوم سنة، وفي الثاني معروف، وفي الثالث رياء

الثاني : ترتيب الاطعمة بتقديم الفاكهة أولا ان كانت ، فذلك أوفق في الطب ، فانها أسرع استحاله ، فينبغي أن تقع في أسفل المعدة. وفي القرءان تنبيه على تقديم الفاكهة، في قوله تعالى (وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ[1]) ثم قال (وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ[2]) ثم أفضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد. فقد قال عليه السلام «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ». فان جمع إليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات. ودل على حصول الاكرام باللحم قوله تعالى في ضيف ابراهيم، إذ أحضر العجل الحنيذ أي المحنوذ ، وهو الذي أجيد نضجه وهو أحد معنى الاكرام أعني تقديم اللحم. وقال تعالى في وصف الطيبات (وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى[3]) المن العسل والسلوى اللحم سمي سلوى لانه يتسلى به عن جميع الادام ولا يقوم غيره مقامه. ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «سَيِّدُ الادامِ اللَّحْمُ» ثم قال بعد ذكر المن والسلوى (كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ[4]) فاللحم والحلاوة من الطيبات. قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه أكل الطيبات يورث الرضا عن الله

وتتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند الغسل. قال المأمون شرب الماء بثلج يخلص الشكر. وقال بعض الادباء: إذا دعوت إخوانك فأطعمهم حصرمية وبورانية ، وسقيتهم ماء باردا ، فقد أكملت الضيافة. وأنفق بعضهم دراهم في ضيافة فقال بعض الحكماء : لم نكن نحتاج إلى هذا إذا كان خبزك جيدا ، وماؤك باردا ، وخلك حامضا فهو كفاية وقال بعضهم : الحلاوة بعد الطعام ، خير من كثرة الالوان، والتمكن على المائدة

فروى . د . من حديث سعد بن أبي وقاص : التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة . قال الأعمش لا أعلم إلا أنه رفعه . وروى المزي في التهذيب ، في ترجمة محمد بن موسى بن نفيع ، عن مشيخة من قومه ، ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : الاناة في كل شيء إلا في ثلاث : اذا صبح في خيل الله ، وإذا نودي بالصلاة ، واذا كانت الجنازة ـ الحديث. وهذا مرسل . و . ت . من حديث علي : ثلاثة لا تؤخرها : الصلاة اذا أتت ، والجنازة اذا حضرت ، والأيم اذا وجدت كفؤا وسنده حسن .

---

(١) الواقعة ٢١ (٢) الواقعة ٢٢ (٣) البقرة ٥٧ (٤) البقرة ٥٧

خير من زيادة لونين ويقال إن الملائكة تحضر المائدة إذا كان عليها بقل ، فذلك أيضا مستحب ولما فيه من التزين بالخضرة، وفى الخبر إن المائدة التى أنزلت على بنى اسرائيل كان عليها من كل البقول إلا الكراث وكان عليها سمكة عند رأسها خل ، وعند ذنبها ملح، وسبعة أرغفة ، على كل رغيف زيتون وحب رمان فهذا إذا اجتمع حسن للموافقة :

الثالث : أن يقدم من الألوان ألطفها ، حتى يستوفى منها من يريد ، ولا يكثر الأكل بعده . وعادة المترفين تقديم الغليظ ، ليستأنف حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده . وهو خلاف السنة . فانه حيلة فى استكثار الأكل . وكان من سنة المتقدمين أن يقدموا جملة الألوان دفعة واحدة ، ويصففون القصاع من الطعام على المائدة ، ليأكل كل واحد مما يشتهى . وأن لم يكن عنده الا لون واحد ، ذكره ، ليستوفوا منه ، ولا ينتظروا أطيب منه

ويحكى عن بعض أصحاب المروءات، أنه كان يكتب نسخة بما يستحضر من الألوان ، ويعرض على الضيفان . وقال بعض الشيوخ : قدم إلىّ بعض المشايخ لونا بالشام ، فقلت عندنا بالعراق إنما يقدم هذا آخرا ! فقال وكذا عندنا بالشام . ولم يكن له لون غيره . فخجلت منه وقال آخر : كنا جماعة فى ضيافة ، فقدم الينا ألوان من الرءوس المشوية ،طبيخا وقديدا ، فكنا لا نأكل ، ننتظر بعدها لونا أو حملا . فجاءنا بالطست ، ولم يقدم غيرها فنظر بعضنا إلى بعض فقال بعض الشيوخ وكان مزاحا ، إن الله تعالى يقدر ان يخلق رءوسا بلا أبدان . قال ، وبتنا تلك الليلة جياعا نطلب فتيتا إلى السحور . فلهذا يستحب أن يقدم الجميع ، أو يخبر بما عنده.

الرابع : أن لا يبادر إلى رفع الألوان قبل تمكنهم من الاستيفاء ، حتى يرفعوا الأيدى عنها . فلعل منهم من يكون بقية ذلك اللون أشهى عنده مما استحضروه ، أو بقيت فيه حاجة إلى الأكل ، فيتنغص عليه بالمبادرة . وهى من التمكن على المائدة ، التى يقال انها خير من لونين . فيحتمل أن يكون المراد به قطع الاستعجال . ويحتمل أن يكون أراد به سعة المكان . حكى عن الستورى ، وكان صوفيا مزاحا، فحضر عند واحد من أبناء الدنيا على مائدة فقدم اليهم حمل ، وكان فى صاحب المائدة بخل ، فلما رأى القوم مزقوا الحمل كل ممزق ، ضاق صدره ، وقال ، ياغلام : ارفع إلى الصبيان . فرفع الحمل إلى داخل الدار . فقام الستورى

يعدو خلف الحمل ، فقيل له إلى أين ؟ فقال آكل مع الصبيان . فاستحيا الرجل وأمر برد الحمل

ومن هذا الفن أن لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم ، فانهم يستحيون . بل ينبغى أن يكون آخرهم أكلا . كان بعض الكرام يخبر القوم بجميع الألوان ، ويتركهم يستوفون. فاذا قاربوا الفراغ ، جثا على ركبتيه ، ومديده إلى الطعام وأكل ، وقال ، بسم الله، ساعدونى بارك الله فيكم وعليكم . وكان السلف يستحسنون ذلك منه

الخامس : أن يقدم من الطعام قدر الكفايه . فان التقليل عن الكفايه نقص فى المروءة ، والزيادة عليه تصنع ومراءاة ، لاسيما إذا كانت نفسه لا تسمح بان يأكلوا الكل ، إلا أن يقدم الكثير ، وهو طيب النفس لو أخذو الجميع رنوى أن يتبرك بفضلة طعامهم . إذ فى الحديث : لا يحاسب عليه . أحضر إبراهيم بن أدهم رحمه الله طعاما كثيرا على مائدته ، فقال سفيان ، ياأبا اسحق ، أما تخاف أن يكون هذا سرفا ؟ فقال إبراهيم ، ليس فى الطعام سرف . فان لم تكن هذه النية ، فالتكثير تكلف . قال ابن مسعود رضى الله عنه : نهينا أن نجيب دعوة من يباهى بطعامه . وكره جماعة من الصحابة أكل طعام المباهاة . ومن ذلك كان لا يرفع من بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط ، لأنهم كانوا لا يقدمون إلا قدر الحاجة ، ولا يأكلون تمام الشبع

وينبغى أن يعزل أولا نصيب أهل البيت ، حتى لا تكون أعينهم طامحة إلى رجوع شىء منه ، فلعله لا يرجع ، فتضيق صدورهم ، وتنطلق فى الضيفان ألسنتهم . ويكون قد أطعم الضيفان مايتبعه كراهية قوم . وذلك خيانة فى حقهم

وما بقى من الأطعمة ، فليس للضيفان أخذه . وهو الذى تسميه الصوفيه الزلة . إلا إذا صرح صاحب الطعام ، بالأذن فيه عن قلب راض ، أو علم ذلك بقرينة حاله ، وانه يفرح به فان كان يظن كراهيته ، فلا ينبغى أن يؤخذ . وإذا علم رضاه ، فينبغى مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء . فلا ينبغى أن يأخذ الواحد إلا مايخصه ، أو مايرضى به رفيقه عن طوع ، لا عن حياء

آداب الانصراف

فأما الأنصراف فله ثلاثة آداب :

الأول : أن يخرج مع الضيف إلى باب الدار ، وهو سنة . وذلك من اكرام الضيف وقد أمر باكرامه. قال عليه الصلاة والسلام «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» وقال عليه السلام «إِنَّ مِنْ سُنَّةِ الضَّيْفِ أَنْ يُشَيَّعَ إِلَى بَابِ الدَّارِ قال أبو قتادة قَدِمَ وَفْدُ النَّجَاشِيِّ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَامَ يَخْدِمُهُمْ بِنَفْسِهِ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ نَحْنُ نَكْفِيكَ يَارَسُولَ اللهِ فَقَالَ كَلاَّ إِنَّهُمْ كَانُوا لِأَصْحَابِي مُكْرِمِينَ وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أُكَافِئَهُمْ

وتمام الاكرام طلاقة الوجه ، وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة ، قيل للاوزاعى رضى الله عنه ، ما كرامة الضيف؟ قال طلاقة الوجه ، وطيب الحديث . وقال يزيد بن أبى زياد، مادخلت على عبد الرحمن بن أبى ليلى الا حدثنا حديثا حسنا وأطعمنا طعاما حسنا :

الثانى : أن ينصرف الضيف طيب النفس وان جرى فى حقه تقصير ، فذلك من حسن الخلق والتواضع، قال صلى الله عليه وسلم « إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ ودعى بعض السلف برسول ، فلم يصادفه الرسول، فلما سمع حضر ، وكانوا قد تفرقوا وفرغوا وخرجوا فخرج إليه صاحب المنزل، وقال قد خرج القوم ، فقال هل بقى بقية؟ قال لا، قال فكسرة إن بقيت ، قال لم تبق، قال فالقدر أمسحها، قال قد غسلتها فا، نصرف بحمد الله تعالى فقيل له فى ذلك ، فقال قد أحسن الرجل، دعانا بنية، وردنا بنية، فهذا هو معنى التواضع وحسن الخلق :

وحكى ان أستاذ أبى القاسم الجنيد ، دعاه صبى الى دعوة أبيه أربع مرات ، فرده الأب فى المرات الأربع ، وهو يرجع فى كل مرة تطييبا لقلب الصبى بالحضور، ولقلب الأب بالانصراف

فهذه نفوس قد ذللت بالتواضع لله تعالى ، واطمأنت بالتوحيد، وصارت تشاهد فى كل ورد وقبول عبرة فيما بينها وبين ربها، فلا تنكسر بما يجرى من العباد من الاذلال، كما لا تستبشر بما يجرى منهم من الاكرام ، بل يرون الكل من الواحد القهار . ولذلك قال بعضهم ، أنا لا أجيب الدعوة الا لأنى أتذكر بها طعام الجنة ، أى هو طعام طيب يحمل عناكده ومؤنته وحسابه :

الثالث : أن لايخرج الا برضا صاحب المنزل واذنه ، ويراعى قلبه فى قدر الاقامة . واذا نزل ضيفا فلا يزيد على ثلاثة أيام فربما يتبرم به ويحتاج الى اخراجه : قال صلى الله عليه وسلم[1] «الضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا زَادَ فَصَدَقَةٌ» نعم لو ألح رب البيت عليه عن خلوص قلب فله المقام اذا ذاك : ويستحب أن يكون عنده فراش للضيف النازل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] فِرَاشٌ لِلرَّجُلِ، وَفِرَاشٌ لِلْمَرْأَةِ ، وَفِرَاشٌ لِلضَّيْفِ ، وَالرَّابِعُ لِلشَّيْطَانِ»

فصل

يجمع آداباً ومناهى طبية وشرعية متفرقة

الأول: حكى عن ابراهيم النخعى أنه قال[3] «الْأَكْلُ فِي السُّوقِ دَنَاءَةٌ» وأسنده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسناده قريب : وقد نقل ضده عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال[4] «كُنَّا نَأْكُلُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ نَمْشِي، وَنَشْرَبُ وَنَحْنُ قِيَامٌ» ورؤى بعض المشايخ من المتصوفة المعروفين يأكل فى السوق ، فقيل له فى ذلك ، فقال ويحك أجوع فى السوق وآكل فى البيت : فقيل تدخل المسجد ، قال أستحى أو أدخل بيته للاكل فيه

ووجه الجمع أن الأكل فى السوق تواضع وترك تكلف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروءة من بعضهم فهو مكروه . وهو مختلف بعادات البلاد وأحوال الأشخاص فمن لايليق ذلك بسائر أعماله ، حمل ذلك على قلة المروءة وفرط الشره ويقدح ذلك فى الشهادة ومن يليق ذلك بجميع أحواله وأعماله فى ترك التكلف كان ذلك منه تواضعا

الثانى . قال على رضى الله عنه ، من ابتدأ غذاءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ، ومن أكل فى يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة فى بطنه ، ومن اكل كل يوم

---

(١) حديث الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فصدقة متفق عليه من حديث أبى شريح الخزاعى

(٢) حديث فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان م من حديث جابر

(٣) حديث الاكل فى السوق دناءة الطبرانى من حديث أبى أمامة وهو ضعيف ورواه ابن عدى فى الكامل من حديثه وحديث أبى هريرة

(٤) حديث ابن عمر كنا نأكل على عهد رسول الله عليه وسلم ونحن نمشى ونشرب ونحن قيام ت و . حب

احدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير فى جسده شيأ يكرهه واللحم ينبت اللحم، والثريد طعام العرب ، والبسقارجات تعظم البطن وترخى الاليتين ،ولحم البقر داء ، ولبنها شفاء ، وسمنها دواء ، والشحم يخرج مثله من الداء . ولن تستشفى النفساء بشيء أفضل من الرطب . والسمك يذيب الجسد.وقراءة القرءان والسواك يذهبان البلغم .ومن أراد البقاء ولابقاء فليباكر بالغداء وليقدر العشاء وليلبس الحذاء .ولن يتداوى الناس بشيء مثل السمن،وليقل غشيان النساء وليخف الرداء وهو الدين

الثالث : قال الحجاج لبعض الاطباء ، صف لى صفة آخذ بها ولا أعدوها ، قال لاتنكح من النساء إلافتاة ولاتأكل من اللحم إلا فتيا ، ولاتأكل المطبوخ حتى ينعم نضجه،ولاتشربن دواء الا من علة ، ولاتأكل من الفاكهة الا نضيجها ، ولاتأكلن طعاما الا أجدت مضغه وكل ماأحببت من الطعام ، ولاتشربن عليه ، فاذا شربت فلا تأكلن عليه شيئا ،ولاتحبس الغائط والبول ، واذا أكلت بالنهار فنم ، واذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولو مائة خطوة . وفى معناه قول العرب ، تغد تمد ، تعش تمش ، يعنى تمدد . كما قال الله تعالى(ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى [1])أى يتمطط ويقال ان حبس البول يفسد الجسد كما يفسد النهر ماحوله اذا سد مجراه

الرابع : فى الخبر [1] « قَطْعُ الْعُرُوقِ مَسْقَمَةٌ ، وَتَرْكُ الْعَشَاءِ مَهْرَمَةٌ »والعرب تقول ترك الغداء يذهب بشحم الكاذة . يعنى الالية ، وقال بعض الحكماء لابنه ، يابنى لاتخرج من منزلك حتى تأخذ حاملك . أى تتغذى ، اذ به يبقى الحلم ويزول الطيش ، وهو أيضا أقل لشهوته لما يرى فى السوق . وقال حكيم لسمين ، أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك فمم هى ؟قال من أكل لباب البر ، وصفاء المغز ، وأدهن بجام بنفسج وألبس الكتان

الخامس : الحمية تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمريض، هكذا قيل . وقال بعضهم من احتمى فهو على يقين من المكروه،وعلى شك من العوافى . وهذا حسن فى حال الصحة وَرَأَى رَسُولُ اللهِ

(١) حديث قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهرمة ابن عدي فى الكامل من حديث عبد الله ابن جراد بالشطر الأول و . ت من حديث أنس بالشطر الثاني وكلاهما ضعيف وروى ابن ماجه الشطر الثانى من حديث جابر

(١) القيامة : ٣٣

صلى الله عليه وسلم[1] «صُهَيْباً يَأْكُلُ تَمْراً وَإِحْدَى عَيْنَيْهِ رَمْدَاءُ فَقَالَ أَتَأْكُلُ التَّمْرَ وَأَنْتَ رَمِدٌ ! فَقَالَ يَارَسُولَ اللهِ إِنَّمَا آكُلُ بِالشِّقِّ الآخَرِ ، يعني جانب السليمة فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم

السادس: أنه يستحب أن يحمل طعام الى أهل الميت[2] « وَلَمَّا جَاءَ نَعْيُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ إِنَّ آلَ جَعْفَرٍ شُغِلُوا بِمَيِّتِهِمْ عَنْ صُنْعِ طَعَامِهِمْ فَاحْمِلُوا إِلَيْهِمْ مَا يَأْكُلُونَ ». فذلك سنة. واذا قدم ذلك الى الجمع حل الاكل منه ، الا ما يهيأ للنوائح والمعينات عليه بالبكاء والجزع ، فلا ينبغي أن يؤكل معهم

السابع : لا ينبغي أن يحضر طعام ظالم ، فان أكره فليقلل الأكل ولا يقصد الطعام الأطيب رد بعض المزكين شهادة من حضر طعام سلطان ، فقال كنت مكرها ، فقال رأيتك تقصد الأطيب ، وتكبر اللقمة ، وما كنت مكرها عليه . وأجبر السلطان هذا المزكى على الأكل ، فقال أما أن آكل وأخلي التزكية ، أو أزكى ولا آكل . فلم يجد وابدا من تزكيته فتركوه وحكى أن ذا النون المصرى حبس ولم يأكل أياما فى السجن ، فكانت له أخت فى الله فبعثت إليه طعاما من مغزلها على يد السجان . فامتنع فلم يأكل فعاتبته المرأة بعد ذلك ، فقال كان حلالا ولكن جاءنى على طبق ظالم . وأشار به الى يد السجان وهذا غاية الورع

الثامن : حكى عن فتح الموصلى رحمه الله ، أنه دخل على بشر الحافى زائرا ، فاخرج بشر درهما فدفعه لاحمد الجلاء خادمه ، وقال اشتر به طعاما جيدا ، وأدما طيبا . قال فاشتريت خبزا نظيفا وقلت : لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم[3] لشيء « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَزِدْنَا مِنْهُ » سوى اللبن فاشتريت اللبن واشتريت تمرا جيدا فقدمت اليه فأكل وأخذ الباقى . فقال بشر أتدرون لم قلت . اشتر طعاما طيبا ؟ لأن الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر . أتدرون لم لم يقل لى كل لانه ليس

---

(١) حديث رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيبا يأكل تمراً واحدى عينيه رمدة فقال له أتأكل التمر وأنت رمد فقال انما أمضغ بالشق الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم : هـ من حديث صهيب باسناد جيد

(٢) حديث لما جاء نعى جعفر بن أبى طالب قال صلى الله عليه وسلم ان آل جعفر شغلوا بميتهم عن طعامهم فاحملوا اليهم ما يأكلون : د . ت . ه من حديث عبدالله بن جعفر نحوه بسند حسن ولابن ماجه نحوه من حديث أسماء بنت عميس

(٣) حديث اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه قاله عند شرب اللبن : تقدم فى آخر الباب الأول من آداب الأكل

للضيف أن يقول لصاحب الدار كل : أتدرون لم حمل ما بقى؟ لأنه اذا صح التوكل لم يضر الحمل

وحكى أبو على الروذباذى رحمه الله عز رجل ، أنه اتخذ ضيافة ، فاوقد فيها ألف سراج فقال له رجل قد اسرفت ، فقال له ادخل، فكل ما أوقدته لغير الله فأطفئه . فدخل الرجل فلم يقدر على إطفاء واحد منها . فانقطع . واشترى أبو على الروذباذى احمالا من السكر ، وأمر الحلاويين حتى بنوا جدارا من السكر ، عليه شرف ومحاريب على أعمدة منقوشة كلها من سكر ، ثم دعا الصوفيه حتى هدموها وانتهبوها .

التاسع : قال الشافعى رضى الله عنه ، الأكل على أربعة انحاء : الأكل باصبع من المقت وباصبعين من الكبر ،[1] وبثلاث أصابع من السنة ، وبأربع وخمس من الشره . وأربعة أشياء تقوى البدن : أكل اللحم ، وشم الطيب ، وكثرة الغسل من غير جماع ، ولبس الكتان أربعة توهن البدن: كثرة الجماع وكثرة الهم، وكثرة شرب الماء على الريق ، وكثرة أكل الحموضة وأربعة تقوى البصر : الجلوس تجاه القبلة ، والكحل عند النوم ، والنظر إلى الخضرة، وتنظيف الملبس . وأربعة توهن البصر : النظر إلى القذر ، والنظر إلى المصلوب والنظر إلى فرج المرأة والقعود فى استدبار القبلة. وأربعة تزيد فى الجماع: أكل العصافير، وأكل الاطريفل الاكبر وأكل السنق وأكل الجرجير . والنوم على أربعة انحاء: فنوم على القفا، وهو نوم الأنبياء عليهم السلام يتفكرون فى خلق السموات والأرض . ونوم على اليمين ، وهو نوم العلماء والعباد . ونوم على الشمال ، وهو نوم الملوك ليهضم طعامهم . ونوم على الوجه ، وهو نوم الشياطين. وأربعة تزيد فى العقل : ترك الفضول من الكلام ، والسواك ، ومجالسة الصالحين ، والعلماء. وأربعة هن من العبادة : لايخطو خطوة الا على وضوء ، وكثرة السجود ، ولزوم المساجد ، وكثرة قراءة القرءان

وقال أيضا عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ، ثم يؤخر الأكل بعد أن يخرج كيف لايموت ؟ وعجبت لمن احتجم ، ثم يبادر الأكل ، كيف لايموت ! وقال لم أر شيئا أنفع فى الوباء من البنفسج ، يدهن به ويشرب ، والله أعلم بالصواب .

---

(١) حديث الأكل بثلاث أصابع من السنة من حديث كعب بن مالك كان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل بثلاث صابع . وروى ابن الجوزى فى العلل من حديث ابن عباس موقوفا كل بثلاث أصابع فانه من السنة .

کتاب آداب النکاح

كتاب آداب النكاح

وهو الكتاب الثانى من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى لا تصادف سهام الأوهام فى عجائب صنعه مجرى ، ولا ترجع العقول عن أوائل بدائعها إلا والهة حيرى ، ولا تزال لطائف نعمه على العالمين تترى ، فهى تتوالى عليهم اختيارا وقهرا . ومن بدائع ألطافه أن خلق من الماء بشرا ، فجعله نسبا وصهرا ، وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها إلى الحراثة جبرا ، واستبقى بها نسلهم إقهارا وقسرا ، ثم عظم أمر الأنساب وجعل لها قدرا ، فحرم بسببها السفاح وبالغ فى تقبيحه ردعا وزجرا ، وجعل اقتحامه جريمة فاحشة وأمرا إمرا ، وندب إلى النكاح وحث عليه استحبابا وأمرا ، فسبحان من كتب الموت على عباده فأذلهم به هدما وكسرا ، ثم بث بذور النطف فى أراضى الأرحام وأنشأ منها خلقا وجعله الكسر الموت جبرا ، تنبيها على أن بحار المقادير فياضة على العالمين نفعا وضرا ، وخيرا وشرا ، وعسرا ويسرا ، وطيا ونشرا ، والصلاة والسلام على محمد المبعوث بالأنذار والبشرى ، وعلى آله وأصحابه صلاة لا يستطيع لها الحساب عدا ولا حصرا ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد : فان النكاح معين على الدين ، ومهين للشياطين ، وحصن دون عدو الله حصين ، وسبب التكثير الذى به مباهاة سيد المرسلين لسائر النبيين ، فما أحراه بأن تتحرى أسبابه ، وتحفظ سننه وآدابه ، وتشرح مقاصده وآرابه ، وتفصل فصوله وأبوابه ، والقدر المهم من أحكامه ينكشف فى ثلاثة أبواب

الباب الأول : فى الترغيب فيه وعنه

الباب الثانى : فى الآداب المرعية فى العقد والعاقدين

الباب الثالث : فى آداب المعاشرة بعد العقد إلى الفراق

الباب الأول

فى الترغيب فى النكاح والترغيب عنه

اعلم أن العلماء قد اختلفوا فى فضل النكاح ، فبالغ بعضهم فيه حتى زعم أنه أفضل من التخلى لعبادة الله ، واعترف آخرون بفضله ، ولكن قدموا عليه التخلى لعبادة الله ، مهما لم تتق النفس إلى النكاح توقانا يشوش الحال ، ويدعو إلى الوقاع . وقال آخرون الأفضل تركه فى زماننا هذا ، وقد كان له فضيلة من قبل ، إذ لم تكن الأكساب محظورة ، وأخلاق النساء مذمومة ، ولا ينكشف الحق فيه إلا بأن يقدم أولا ماورد من الأخبار والآثار فى الترغيب فيه ، والترغيب عنه ، ثم نشرح فوائد النكاح وغوائله ، حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه فى حق كل من سلم من غوائله أو لم يسلم منها .

الترغيب فى النكاح

أما من الآيات : فقد قال الله تعالى : (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ)[1] وهذا أمر . وقال تعالى (فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ[2]) وهذا منع من العضل ، ونهى عنه . وقال تعالى فى وصف الرسل ومدحهم (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً[3]) فذكر ذلك فى معرض الامتنان وإظهار الفضل ، ومدح أولياءه بسؤال ذلك فى الدعاء فقال (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ[4]) الآية

ويقال إن الله تعالى لم يذكر فى كتابه من الأنبياء الا المتأهلين ، فقالوا ان يحيى صلى الله عليه وسلم قد تزوج ولم يجامع ، قيل انما فعل ذلك لنيل الفضل واقامة السنة ، وقيل لغض البصر . وأما عيسى عليه السلام ، فانه سينكح اذا نزل الأرض ويولد له

وأما الأخبار : فقوله صلى الله عليه وسلم « النِّكَاحُ سُنَّتِي فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَقَدْ رَغِبَ عَنِّي » وقال صلى الله عليه وسلم[1] « النِّكَاحُ سُنَّتِي فَمَنْ أَحَبَّ فِطْرَتِي فَلْيَسْتَنَّ بِسُنَّتِي »

---

(١) حديث : النكاح سنتي ، فمن أحب فطرتي فليستن بسنتي : أبو يعلى فى مسنده مع تقديم وتأخير ، من حديث ابن عباس بسند حسن

---

(١) النورى : ٢٣ (٢) البقرة : ٢٣٢ (٣) الرعد : ٣٨ (٤) الفرقان : ٧٤

وقال أيضا صلى الله عليه وسلم (١) « تَنَاكَحُوا تَكْثُرُوا فَإِنِّي أُبَاهِي بِكُمُ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى بِالسَّقْطِ » وقال أيضا عليه السلام (٢) « مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ، وَإِنَّ مِنْ سُنَّتِي النِّكَاحَ ، فَمَنْ أَحَبَّنِي فَلْيَسْتَنَّ بِسُنَّتِي » وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « مَنْ تَرَكَ التَّزْوِيجَ مَخَافَةَ الْعَيْلَةِ فَلَيْسَ مِنَّا » وهذا ذم لعلة الامتناع ، لا لأصل الترك . وقال صلى الله عليه وسلم (٤) « مَنْ كَانَ ذَا طَوْلٍ فَلْيَتَزَوَّجْ » وقال (٥) « مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، وَمَنْ لَا فَلْيَصُمْ ، فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وِجَاءٌ » وهذا يدل على أن سبب الترغيب فيه خوف الفساد فى العين والفرج . والوجاء هو عبارة عن رض الخصيتين للفحل حتى تزول فحولته ، فهو مستعار للضعف عن الوقاع فى الصوم . وقال صلى الله عليه وسلم (٦) « إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَأَمَانَتَهُ فَزَوِّجُوهُ . إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ » وهذا أيضا تعليل الترغيب لخوف الفساد . وقال صلى الله عليه وسلم (٧) « مَنْ نَكَحَ لِلَّهِ وَأَنْكَحَ لِلَّهِ اسْتَحَقَّ وِلَايَةَ اللَّهِ » وقال صلى الله عليه وسلم

---

(٢) حديث : تناكحوا تكثروا فانى أباهى بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط . أبو بكر بن مردويه فى تفسيره ، من حديث ابن عمر ، دون قوله حتى بالسقط . واسناده ضعيف ، وذكره بهذه الزيادة البيهقى فى المعرفة ، عن الشافعى أنه بلغه

(٣) حديث : من رغب عن سنتى فليس منى ، وإن من سنتى النكاح ، فمن أحبنى فليستن بسنتى . متفق على أوله ، من حديث أنس : من رغب عن سنتى فليس منى . وباقيه تقدم قبله بحديث

(٤) حديث : من ترك التزويج خوف العيلة فليس منا . رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس ، من حديث أبى سعيد بسند ضعيف ، وللدارمي فى مسنده ، والبغوى فى معجمه ، وأبى داود فى المراسيل ، من حديث أبى نجيح : من قدر على أن ينكح فلم ينكح فليس منا ، وأبو نجيح اختلف فى صحبته

(٥) حديث من كان ذا طول فليتزوج . هـ . من حديث عائشة ، بسند ضعيف

(٦) حديث : من استطاع منكم الباءة فليتزوج الحديث . متفق عليه ، من حديث ابن مسعود

(٧) حديث : إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير . ت . من حديث أبى هريرة ، ونقل عن خ انه لم يعده محفوظا ، وقال دانه خطأ ، ورواه ت أيضا من حديث أبى حاتم المزنى ، وحسنه ، ورواه د فى المراسيل ، وأعله ابن القطان بارساله ، وضعف رواته

(٨) حديث : من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله عز وجل . أحمد بسند ضعيف ، من حديث معاذ بن أنس : من أعطى لله ، وأحب لله ، وأبغض لله ، وأنكح لله ، فقد استكمل إيمانه

(١) « مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدْ أَحْرَزَ شَطْرَ دِينِهِ فَلْيَتَّقِ اللهَ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي » وهذا أيضا إشارة إلى أن فضيلته لأجل التحرز من المخالفة ، تحصنا من الفساد . فكان المفسد لدين المرء فى الأغلب فرجه وبطنه ، وقد كفي بالتزويج أحدهما . وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يَنْقَطِعُ إِلاَّ ثَلاَثٌ : وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ ـ الحديث» ولا يوصل إلى هذا إلا بالنكاح

وأما الآثار فقال عمر رضى الله عنه : لا يمنع من النكاح الا عجز أو فجور . فبين أن الدين غير مانع منه ، وحصر المانع فى أمرين مذمومين . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج : يحتمل أنه جعله من النسك ، وتتمة له ، ولكن الظاهر أنه أراد به أنه لا يسلم قلبه لغلبة الشهوة الا بالتزويج ، ولا يتم النسك إلا بفراغ القلب ، ولذلك كان يجمع غلماته لما أدركوا عكرمة وكريبا وغيرهما ويقول : إن أردتم النكاح أنكحتكم ، فان العبد إذا زنى نزع الأيمان من قلبه . وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول : لو لم يبق من عمرى الا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج لكيلا ألقى الله عزبا . ومات امرأتان لمعاذ بن جبل رضى الله عنه فى الطاعون ، وكان هو أيضا مطعونا فقال : زوجونى فانى أكره أن ألقى الله عزبا . وهذا منهما يدل على انهما رأيا فى النكاح فضلا ، لا من حيث التحرز عن غائلة الشهوة وكان عمر رضى الله عنه يكثر النكاح ويقول : ما أتزوج إلا لأجل الولد . وكان بعض الصحابة قد انقطع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) يخدمه ، ويبيت عنده لحاجة ان طرقته ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أَلاَ تَتَزَوَّجُ ؟ فقال يا رسول الله انى فقير لا شىء لى ، وأنقطع عن خدمتك ، فسكت ، ثم عاد ثانيا ، فأعاد الجواب ثم تفكر الصحابى وقال : والله لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما يصلحنى فى دنياى وآخرتى ، وما يقربنى إلى الله منى ،

---

(١) حديث : من تزوج فقد أحرز شطر دينه ، فليتق الله فى الشطر الآخر . ابن الجوزى فى العلل ، من حديث أنس ، بسند ضعيف . وهو عند الطبرانى فى الأوسط ، بلفظ فقد استكمل نصف الايمان . وفى المستدرك ، وصحح اسناده بلفظ من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه الحديث

(٢) حديث كل عمل ابن آدم ينقطع إلا ثلاثة ، فذكر فيه وولد صالح يدعو له . م . من حديث أبى هريرة بنحوه

(٣) حديث : كان بعض الصحابة قد انقطع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويبيت عنده لحاجة إن طرقته ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تتزوج الحديث . أحمد . من حديث ربيعة الأسلمى ، فى حديث طويل ، وهو صاحب القصة ، باسناد حسن

ولئن قال لى الثلاثة لأفعلن . فقال له الثالثة أَلاَ تَتَزَوَّجُ ؟ قال ففلت يارسول الله زوجنى ، قال أذهب إلى بنى فلان ، فقل ان رسول الله صلى عليه وسلم يأمركم أن تزوجوني فتاتكم قال فقلت يارسول الله لاشىء لى، فقال لأصحابه «اجْمَعُوا لِأَخِيكُمْ وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ» فجمعوا له فذهبوا به إلى القوم فانكحوه ، فقال له «أَوْلِمْ» وجمعوا له من الأصحاب شاة للوليمة وهذا التكرير يدل على فضل فى نفس النكاح ويحتمل أنه توسم فيه الحاجة إلى النكاح

وحكى ان بعض العباد فى الأمم السالفة فاق أهل زمانه فى العبادة ، فذكر لنبي زمانه حسن عبادته ، فقال نعم الرجل هو لولا أنه تارك لشىء من السنة ، فاغتم العابد لما سمع ذلك فسأل النبي عن ذلك فقال : أنت تارك للتزويج فقال لست أحرمه ولكنى فقير ، وأنا عيال على الناس ، قال أنا أزوجك ابنتى فزوجه النبي عليه السلام ابنته . وقال بشر ابن الحرث : فضل علىّ أحمد بن حنبل بثلاث . بطلب الحلال لنفسه ولغيره ، وأنا أطلبه لنفسى فقط . ولاتساعه فى النكاح وضيق عنه . ولأنه نصب اماما للعامة . ويقال ان أحمد رحمه الله تزوّج فى اليوم الثانى من وفاة أم ولده عبد الله ، وقال أكره أن أبيت عزبا . وأما بشر ، فانه لما قيل إن الناس يتكلمون فيك لتركك النكاح ، ويقولون هو تارك للسنة ، فقال : قولوا لهم هو مشغول بالفرض عن السنة . وعوتب مرة أخرى ، فقال : ما يمنعنى من التزويج إلا قوله تعالى (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ [1]) فذكر ذلك لأحمد فقال : وأين مثل بشر ؟ انه قعد على مثل حد السنان. ومع ذلك فقد روى أنه رؤى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك ؟ فقال رفعت منازلى فى الجنة ، وأشرف بى على مقامات الأنبياء ، ولم أبلغ منازل المتأهلين وفى رواية : قال لى ما كنت أحب أن تلقانى عزبا . قال فقلنا له مافعل أبو نصر التمار ؟ فقال رفع فوقى بسبعين درجة . قلنا بماذا ؟ فقد كنا نراك فوقه ، قال بصبره على بناته والعيال . وقال سفيان بن عيينه : كثرة النساء ليست من الدنيا ، لأن عليا رضى الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان له أربع نسوة ، وسبع عشرة سرية . فالنكاح سنة ماضية وخلق من أخلاق الانبياء . وقال رجل لابراهيم بن أدهم رحمه الله : طوبى لك فقد تفرغت للعبادة بالعزوبة . فقال : لروعة منك بسبب العيال ، أفضل من جميع ما أنا فيه

---

(١) البقرة ٢٢٨

قال فما الذى يمنعك من النكاح؟ فقال مالى حاجة فى امرأة، وما أريد أن أغرّ امرأة بنفسى وقد قيل فضل المتأهل على العزب، كفضل المجاهد على القاعد، وركعة من متأهل، أفضل من سبعين وكعة من عزب

الترهيب عن النكاح

وأما ماجاء فى الترهيب عن النكاح فقد قال صلى الله عليه وسلم[1] «خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ الْمِائَتَيْنِ الْخَفِيفُ الْحَاذُّ الَّذِى لَا أَهْلَ لَهُ وَلَا وَلَدَ» وقال صلى الله عليه وسلم[2] «يَأْتِى عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ هَلَاكُ الرَّجُلِ عَلَى يَدِ زَوْجَتِهِ وَأَبَوَيْهِ وَوَلَدِهِ، يُعَيِّرُونَهُ بِالْفَقْرِ وَيُكَلِّفُونَهُ مَا لَا يُطِيقُ فَيَدْخُلُ الْمَدَاخِلَ الَّتِى يَذْهَبُ فِيهَا دِينُهُ، فَيَهْلِكُ»

وفى الخبر[3] قلة العيال أحد اليسارين، وكثرتهم أحد الفقرين. وسئل أبو سليمان الدرانى عن النكاح، فقال: الصبر عنهن خير من الصبر عليهن، والصبر عليهن خير من الصبر على النار. وقال أيضا: الوحيد يجد من حلاوة العمل، وفراغ القلب، مالا يجد المتأهل. وقال مرة: مارأيت أحدا من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته الاولى. وقال أيضا: ثلاث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا: من طلب معاشا، أو تزوج امرأة، أو كتب الحديث. وقال الحسن رحمه الله: إذا أراد الله بعبد خيرا، لم يشغله بأهل ولامال. وقال ابن أبى الحوارى تناظر جماعة فى هذا الحديث، فاستقر رأيهم على أنه ليس معناه أن لا يكونا له، بل أن يكونا له ولايشغلانه، وهو اشارة إلى قول أبى سليمان الدارانى: ماشغلك عن الله من أهل ومال وولد، فهو عليك مشؤم. وبالجملة لم ينقل عن أحد الترغيب عن النكاح مطلقا، الا مقرونا بشرط. وأما الترغيب فى النكاح، فقد ورد مطلقا ومقرونا بشرط فلنكشف الغطاء عنه، بحصر آفات النكاح وفوائده

---

(١) حديث: خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذى لاأهل له ولا ولد. أبو يعلى. من حديث حذيفة ورواه الخطابى فى العزلة من حديثه وحديث أبى أمامة، وكلاهما ضعيف

(٢) حديث: يأتى على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده، يعيرونه بالفقر، ويكلفونه مالا يطيق، فيدخلا المداخل التى يذهب فيها دينه، فيهلك: الخطابى فى العزلة، من حديث ابن مسعود نحوه، وللبيهقى فى الزهد نحوه، من حديث أبى هريرة، وكلاهما ضعيف

(٣) حديث: قلة العيال أحد اليسارين، وكثرتهم أحد الفقرين. القضاعى فى مسند الشهاب، من حديث على وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس، من حديث عبد الله بن عمر، وابن هلال المزنى، كلاهما بالشطر الأول، بسندين ضعيفين.

فوائد النكاح

وفيه فوائد خمسة : الولد ، وكسر الشهوة ، وتدبير المنزل ، وكثرة العشيرة ، ومجاهدة النفس بالقيام بهن .

الفائدة الاولى : الولد : وهو الاصل ، وله وضع النكاح والمقصود ابقاء النسل ، وأن لايخلو العالم عن جنس الإنس ، وانما الشهوة خلقت باعثة مستحثة ، كالموكل بالفحل فى اخراج البذر ، وبالانثى فى التمكين من الحرث ، تلطفا بهما فى السياقة إلى اقتناص الولد بسبب الوقاع ، كالتلطف بالطير فى بث الحب الذى يشتهيه ليساق الى الشبكة . وكانت القدرة الازلية غير قاصرة عن اختراع الأشخاص ابتداء من غير حراثة وازدواج ، ولكن الحكمة اقتضت ترتيب المسببات على الأسباب ، مع الاستغناء عنها ، اظهارا للقدرة ، واتماما لعجائب الصنعة ، وتحقيقا لما سبقت به المشيئة ، وحقت به الكلمة ، وجرى به القلم . وفى التوصل الى الولد قربة من أربعة أوجه هى الأصل فى الترغيب فيه عند الامن من غوائل الشهوة ، حتى لم يحب أحدهم أن يلقى الله عزبا ، الأول . موافقة محبة الله بالسعى فى تحصيل الولد ، لابقاء جنس الانسان . والثانى . طلب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تكثير من به مباهاته . والثالث . طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده والرابع . طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله

أما الوجه الأول فهو أدق الوجوه ، وأبعدها عن افهام الجماهير ، وهو أحقها وأقواها عند ذوى البصائر النافذة فى عجائب صنع الله تعالى ومجاري حكمه : وبيانه أن السيد إذا سلم إلى عبده البذر وآلات الحرث ، وهيأله أرضا مهيأة للحراثة ، وكان العبد قادرا على الحراثة ووكل به من يتقاضاه عليها فان تكاسل وعطل آلة الحرث ، وترك البذر ضائعا حتى فسد ، ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة ، كان مستحقا للمقت والعتاب من سيده . والله تعالى خلق الزوجين ، وخلق الذكر والانثيين وخلق النطفة فى الفقار ، وهيأ لها فى الأنثيين عروقا ومجارى ، وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة ، وسلط متقاضى الشهوة على كل واحد من الذكر والانثى فهذه الأفعال والآلات ، تشهد بلسان ذلق فى الاعراب عن مراد خالقها ، وتنادى أرباب

الألباب بتعريف ما أعدت له ، هذا ان لم يصرح به الخالق تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بالمراد حيث قال (تَنَاكَحُوا تَنَاسَلُوا) فكيف وقد صرح بالأمر ، وباح بالسر . فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة ، مضيع للبذر ، معطل لما خلق الله من الآلات المعدة ، وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة ، المكتوبة على هذه الأعضاء بخط إلهي ، ليس برقم حروف وأصوات ، يقرؤه كل من له بصيرة ربانية نافذة في إدراك دقائق الحكمة الأزليه . ولذلك عظم الشرع الأمر في القتل للاولاد ، وفي الوأد ، لأنه منع التمام الوجود . وإليه أشار من قال العزل أحد الوأدين فالناكح ساع في اتمام ما أحب الله تعالى تمامه والمعرض معطل ومضيع لما كره الله ضياعه . ولاجل محبة الله تعالى لبقاء النفوس ، أمر بالاطعام وحث عليه ، وعبر عنه بعبارة القرض فقال (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا [1])

فان قلت : قولك ان بقاء النسل والنفس محبوب ، يوهم ان فناءها مكروه عند الله ، وهو فرق بين الموت والحياة ، بالاضافة إلى ارادة الله تعالى ، ومعلوم ان الكل بمشيئة الله وأن الله غني عن العالمين ، فمن أين يتميز عنده موتهم عن حياتهم ، أو بقاؤهم عن فنائهم ؟ ـ فاعلم ان هذه الكلمة حق أريد بها باطل . فان ماذكرناه لا ينافي اضافة الكائنات كلها إلى ارادة الله خيرها وشرها ، ونفعها وضرها ، ولكن المحبة والكراهة يتضادان وكلاهما لا يضادان الارادة ، فرب مراد مكروه ، ورب مراد محبوب ، فالمعاصي مكروهة ، وهي مع الكراهة مرادة ، والطاعات مرادة وهي مع كونها مرادة محبوبة ومرضية . أما الكفر والشر ، فلا نقول انه مرضي ومحبوب ، بل هو مراد . وقد قال الله تعالى (وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ [2]) فكيف يكون الفنا بالاضافة إلى محبة الله وكراهته كالبقاء ؟ فانه تعالى يقول [1] « مَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ كَتَرَدُّدِي فِي قَبْضِ رُوحِ عَبْدِي الْمُسْلِمِ ، هُوَ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْمَوْتِ » فقوله لا بد له من الموت ، إشارة إلى سبق الإرادة والتقدير المذكور في قوله تعالى (نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ [3]) وفي قوله تعالى (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ [4]) ولا مناقضة بين قوله تعالى

(١) حديث : انه تعالى يقول : ماترددت في شيء كترددي في قبض روح عبدي المسلم يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له منه . خ . من حديث أبي هريرة ، انفرد به خالد بن محمد القطواني ، وهو متكلم فيه

(١) البقرة ٢٤٥ (٢) الزمر ٧ (٣) الواقعة ٦٠ (٤) الملك ٢

(نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ) وبين قوله وأنا أكره مساءته ولكن إيضاح الحق فى هذا ، يستدعى تحقيق معنى الارادة والمحبة والكراهة ، وبيان حقائقها . فان السابق إلى الافهام منها أمور تناسب إرادة الخلق ومحبتهم وكراهتهم ، وهيهات فبين صفات الله تعالى وصفات الخلق من البعد ، ما بين ذاته العزيز وذاتهم . وكما أن ذوات الخلق جوهر وعرض ، وذات الله مقدس عنه ، ولا يناسب ما ليس بجوهر وعرض ، الجوهر والعرض ، فكذا صفاته لا تناسب صفات الخلق . وهذه الحقائق داخلة فى علم المكاشفة ، ووراءه سر القدر الذى منع من افشائه فلنقصر عن ذكره ، ولنقتصر على ما نبهنا عليه ، من الفرق بين الاقدام على النكاح والاحجام عنه . قال فان أحدهما مضيع نسلا أدام الله وجوده من آدم صلى الله عليه وسلم عقبا بعد عقب إلى أن انتهى اليه ، فالممتنع عن النكاح قد حسم الوجود المستدام من لدن وجود آدم عليه السلام على نفسه ، فمات أبتر لا عقب له . ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة ، لما قال معاذ فى الطاعون : زوّجونى لألقى الله عزبا

فان قلت : فما كان معاذ يتوقع ولدا فى ذلك الوقت ، فما وجه رغبته فيه ؟ فأقول الولد يحصل بالوقاع ، ويحصل الوقاع بباعث الشهوة ، وذلك أمر لا يدخل فى الاختيار . انما المعلق باختيار العبد ، احضار المحرك للشهوة ، وذلك متوقع فى كل حال ، فمن عقد فقد أدى ما عليه ، وفعل ما اليه ، والباقى خارج عن اختياره . ولذلك يستحب النكاح للعنين أيضا ، فان نهضات الشهوة خفية لا يطلع عليها ، حتى ان الممسوح الذى لا يتوقع له ولد ، لا ينقطع الاستحباب أيضا فى حقه على الوجه الذى يستحب للاصلع امرار الموسى على رأسه اقتداء بغيره ، وتشبها بالسلف الصالحين ، وكما يستحب الرمل والاضطباع فى الحج الآن ، وقد كان المراد منه أولا إظهار الجلد للكفار ، فصار الاقتداء والتشبه بالذين أظهروا الجلد ، سنة فى حق من بعدهم . ويضعف هذا الاستحباب بالاضافة إلى الاستحباب فى حق القادر على الحرث ، وربما يزداد ضعفا بما يقابله من كراهة تعطيل المرأة وتضييعها فيما يرجع إلى قضاء الوطر ، فان ذلك لا يخلو عن نوع من الخطر ، فهذا المعنى هو الذى ينبه على شدة انكارهم لترك النكاح ، مع فتور الشهوة

الوجه الثانى السعى فى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه ، بتكثير ما به مباهاته

إذ قد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . ويدل على مراعاة أمر الولد جملة بالوجوه كلها ، ماروى عن عمر رضى الله عنه أنه كان ينكح كثيرا ويقول : إنما أنكح للولد، وماروى من الأخبار فى مذمة المرأة العقيم ، اذ قال عليه السلام [1] « لَحَصِيرٌ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ ، خَيْرٌ مِنَ امْرَأَةٍ لاَ تَلِدُ » وقال [2] « خَيْرُ نِسَائِكُمُ الْوَلُودُ الْوَدُودُ » وقال [3] « سَوْدَاءُ وَلُودٌ خَيْرٌ مِنْ حَسْنَاءَ لاَ تَلِدُ » وهذا يدل على أنَّ طلب الولد أدخل فى اقتضاء فضل النكاح من طلب دفع غائلة الشهوة ، لان الحسناء أصلح للتحصين وغض البصر وقطع الشهوة

الوجه الثالث: أن يبقى بعده ولدا صالحا يدعو له ، كما ورد فى الخبر : أن جميع عمل ابن آدم منقطع إلا ثلاثا فذكر الولد الصالح. وفى الخبر [4] « إِنَّ الْأَدْعِيَةَ تُعْرَضُ عَلَى الْمَوْتَى عَلَى أَطْبَاقٍ مِنْ نُورٍ » وقول القائل : إن الولد ربما لم يكن صالحا ، لا يؤثر . فانه مؤمن ، والصلاح هو الغالب على أولاد ذوى الدين ، لاسيما إذا عزم على تربيته ، وحمله على الصلاح . وبالجملة دعاء المؤمن لأبويه مفيد ، برا كان أو فاجرا ، فهو مثاب على دعوته وحسناته فانه من كسبه ، وغيره مؤاخذ بسيئاته ، فانه لا تزر وازرة وزر أخرى . ولذلك قال تعالى (أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ)[1] أى ما نقصناهم من أعمالهم ، وجعلنا أولادهم مزيدا فى احسانهم

الوجه الرابع : أن يموت الولد قبله، فيكون له شفيعا. فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال

---

(١) حديث : لحصير فى ناحية البيت خير من أمرأة لاتلد . أبو عمر التوقانى فى كتاب معاشرة الأهلين ، موقوفا على عمر بن الخطاب ، ولم أجده مرفوعا

(٢) حديث: خير نسائكم الولود الودود . البيهقي . من حديث ابن أبى أدية الصدفى ، قال البيهقى ، وروى باسناد صحيح عن سعيد بن يسار مرسلا

(٣) حديث : سوداء ولود خير من حسناء لاتلد . ابن حبان فى الضعفاء ، من رواية بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، ولا يصح

(٤) حديث : إن الأدعية تعرض على الموتى على أطباق من نور . رويناه فى الأربعين المشهورة ، من رواية أبى هدبة عن أنس ، فى الصدقة عن الميت وأبو هدبة كذاب

---

(1) الطور : ٢١

(١) «إِنَّ الطِّفْلَ يَجُرُّ بِأَبَوَيْهِ إِلَى الْجَنَّةِ» وَفِي بعض الأخبار (٢) «يَأْخُذُ بِثَوْبِهِ كَمَا أَنَا الْآنَ آخِذٌ بِثَوْبِكَ» (٣) وقال أيضا صلى الله عليه وسلم «إِنَّ الْمَوْلُودَ يُقَالُ لَهُ ادْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَقِفُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَيَظَلُّ مُحْبَنْطِئًا أَيْ مُمْتَلِئًا غَيْظًا وَغَضَبًا ، وَيَقُولُ لَا أَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا وَأَبَوَايَ مَعِي ، فَيُقَالُ أَدْخِلُوا أَبَوَيْهِ مَعَهُ الْجَنَّةَ » وفي خبر آخر (٤) «إِنَّ الْأَطْفَالَ يَجْتَمِعُونَ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ ، عِنْدَ عَرْضِ الْخَلَائِقِ لِلْحِسَابِ فَيُقَالُ لِلْمَلَائِكَةِ اذْهَبُوا بِهَؤُلَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَيَقِفُونَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَيُقَالُ لَهُمْ مَرْحَبًا بِذَرَارِي الْمُسْلِمِينَ ، ادْخُلُوا لَا حِسَابَ عَلَيْكُمْ ؛ فَيَقُولُونَ : فَأَيْنَ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا ، فَيَقُولُ الْخَزَنَةُ إِنَّ آبَاءَكُمْ وَأُمَّهَاتِكُمْ لَيْسُوا مِثْلَكُمْ ، إِنَّهُ كَانَتْ لَهُمْ ذُنُوبٌ وَسَيِّئَاتٌ فَهُمْ يُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا وَيُطَالَبُونَ ، قَالَ فَيَتَضَاغَوْنَ وَيَضِجُّونَ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ضَجَّةً وَاحِدَةً ، فَيَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ ، مَا هَذِهِ الضَّجَّةُ ؟ فَيَقُولُونَ رَبَّنَا أَطْفَالُ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا لَا نَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَعَ آبَائِنَا ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى تَخَلَّوُا الْجَمْعَ فَخُذُوا بِأَيْدِي آبَائِهِمْ فَأَدْخِلُوهُمُ الْجَنَّةَ» وقال صلى الله عليه وسلم (٥) «مَنْ مَاتَ لَهُ اثْنَانِ مِنَ الْوَلَدِ فَقَدِ احْتَظَرَ بِحِظَارٍ مِنَ النَّارِ»

---

(١) حديث : إن الطفل يجر أبويه إلى الجنة . هـ . من حديث على ، وقال السقط بدل الطفل وله من حديث معاذ ، إن الطفل ليجر أمه بسرره إلى الجنة ، إذا هى احتبسته . وكلاهما ضعيف

(٢) حديث : أنه يأخذ بثوبه كما أنا الآن آخذ بثوبك . م . من حديث أبى هريرة

(٣) حديث : ان المولود يقال له ادخل الجنة ، فيقف على باب الجنة ، فيظل محبنطئا ، أى ممتلئا غيظا وغضبا ويقول لاأدخل إلا وأبواى معى ـ الحديث . حب . فى الضعفاء من رواية بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، ولا يصح و . ن . من حديث أبى هريرة ، يقال لهم ادخلوا الجنة ، فيقولون حتى يدخل أباؤنا ، فيقال ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم . واسناده جيد

(٤) حديث : إن الأطفال يجتمعون فى موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب ، فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء إلى الجنة ، فيقفون على باب الجنة ، فيقال لهم مرحبا بذرارى المسلمين ، ادخلوا لاحساب عليكم ، فيقولون أين أباؤنا وأمهاتنا ـ الحديث بطوله . لم أجد له أصلا يعتمد عليه

(٥) حديث : من مات له اثنان من الولد احتظر بحظار من نار . البزار ، والطبرانى ، من حديث زهير ابن أبى علقمة : جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ، انه مات لى ابنان سوى هذا ، فقال احتظرت من دون النار بحظار شديد . ولمسلم من حديث أبى هريرة ، فى المرأة التى قالت دفنت ثلاثة ، لقد احتظرت بحظار شديد من النار

وقال صلى الله عليه وسلم[1] «مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلاَثَةٌ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ قِيلَ يَارَسُولَ اللهِ وَاثْنَانِ قَالَ وَاثْنَانِ»

وحكى أن بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج فيأبى برهة من دهره ، قال فانتبه من نومه ذات يوم، وقال زوّجونى زوجونى فزوّجوه ، فسئل عن ذلك ، فقال لعل الله يرزقنى ولدا ويقبضه ، فيكون لى مقدمة فى الآخرة. ثم قال رأيت فى المنام كأن القيامة قد قامت وكأنى فى جملة الخلائق فى الموقف ، وبى من العطش ماكاد أن يقطع عنقى ، وكذا الخلائق فى شدة العطش والكرب ، فنحن كذلك اذ ولدان يتخللون الجمع ، عليهم مناديل من نور وبأيديهم أباريق من فضة ، وأكواب من ذهب، وهم يسقون الواحد بعد الواحد، يتخللون الجمع ، ويتجاوزون أكثر الناس ، فمددت يدى إلى أحدهم ، وقلت اسقنى فقد أجهدنى العطش فقال ليس لك فينا ولد انما نسقى آباءنا ، فقلت ومن أنتم ؟ فقالوا نحن من مات من أطفال المسلمين . وأحد المعانى المذكورة فى قوله تعالى (فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ [1]) تقديم الأطفال إلى الآخرة

فقد ظهر بهذه الوجوه الاربعه ، ان أكثر فضل النكاح لأجل كونه سببا للولد

الفائدة الثانية: التحصن عن الشيطان، وكسر التوقان، ودفع غوائل الشهوة، وغض البصر وحفظ الفرج ، وإليه الأشارة بقوله عليه السلام «مَنْ نَكَحَ فَقَدْ حَصَّنَ نِصْفَ دِينِهِ، فَلْيَتَّقِ اللهَ فِى الشَّطْرِ الآخَرِ» واليه الاشارة بقوله «عَلَيْكُمْ بِالْبَاءَةِ، فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وِجَاءٌ»

وأكثر مانقلناه من الآثار والاخبار اشارة الى هذا المعنى ، وهذا المعنى دون الأول ، لان الشهوة موكلة بتقاضى تحصيل الولد ، فالنكاح كاف لشغله ، دافع لجعله ، وصارف لشر سطوته . وليس من يجيب مولاه رغبة فى تحصيل رضاه ، كمن يجيب لطلب الخلاص عن غائلة التوكيل . فالشهوة والولد مقدران ، وبينهما ارتباط. وليس يجوز أن يقال المقصود اللذة والولد لازم منها ، كما يلزم مثلا قضاء الحاجة من الاكل ، وليس مقصودا فى ذاته . بل الولد هو المقصود بالفطرة والحكمة ، والشهوة باعثة عليه

---

(١) حديث من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث ، أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم ، قيل يارسول الله واثنان ، قال واثنان . خ . من حديث أنس ، دون ذكر الاثنين . وهو عند أحمد بهذه الزيادة ، من حديث معاذ ، وهو متفق عليه ، من حديث أبى سعيد بلفظ أيما امرأة بنحو منه

(١) البقرة : ٢٢٣

ولعمرى فى الشهوة حكمة أخرى سوى الارهاق الى الإيلاد ، وهو مافى قضائها من اللذة التي لاتوازيها لذة لو دامت ، فهى منبهة على اللذات الموعودة فى الجنان ، اذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذواقا لاينفع ، فلو رغب العنين فى لذة الجماع ، أو الصبى فى لذة الملك والسلطنة ، لم ينفع الترغيب . واحدى فوائد لذات الدنيا ، الرغبة فى دوامها فى الجنة ليكون باعثا على عبادة الله

فانظر الى الحكمة ، ثم الى الرحمة ، ثم الى التعبية الالهية كيف عبيت تحت شهوة واحدة حياتان ، حياة ظاهرة وحياة باطنة ، فالحياة الظاهرة حياة المرء ببقاء نسله ، فانه نوع من دوام الوجود ، والحياة الباطنة هى الحياة الاخروية ، فان هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام ، تحرك الرغبة فى اللذة الكاملة بلذة الدوام ، فيستحث على العبادة الموصلة اليها فيستفيد العبد بشدة الرغبة فيها ، تيسر المواظبة على مايوصله الى نعيم الجنان . وما من ذرة من ذرات بدن الانسان باطنا وظاهرا ، بل ذرات ملكوت السموات والارض ، الا وتحتها من لطائف الحكمة وعجائبها ماتحار العقول فيها ؛ ولكن انما ينكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها وبقدر رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها وغوائلها .

فالنكاح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم في الدين لكل من لايؤتى عن عجز وعنة ، وهم غالب الخلق ، فان الشهوة اذا غلبت ولم يقاومها قوة التقوى ، جرت الى اقتحام الفواحش واليه أشار بقوله عليه السلام عن الله تعالى «إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ» وان كان ملجما بلجام التقوى ، فغايته أن يكف الجوارح عن اجابة الشهوة ، فيغض البصر ، ويحفظ الفرج ، فاما حفظ القلب عن الوسواس والفكر ، فلا يدخل تحت اختياره ، بل لاتزال النفس تجاذبه وتحدثه بأمور الوقاع ، ولا يفتر عنه الشيطان الموسوس اليه فى أكثر الاوقات ، وقد يعرض له ذلك فى أثناء الصلاة ، حتى يجرى على خاطره من أمور الوقاع مالو صرح به بين يدى أخس الخلق لاستحيا منه ، والله مطلع على قلبه ، والقلب فى حق الله كاللسان فى حق الخلق ، ورأس الأمور للمريد في سلوك طريق الآخرة قلبه ، والمواظبة على الصوم لاتقطع مادة الوسوسة فى حق أكثر الخلق الا أن ينضاف إليه ضعف فى البدن ، وفساد فى المزاج ، ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما : لا يتم نسك الناسك إلا بالنكاح

وهذه محنة عامة قل من يتخلص منها . قال قتادة فى معنى قوله تعالى (وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ [1]) هو الغلمة وعن عكرمة ومجاهد أنهما قالا فى معنى قوله تعالى (وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا [2]) أنه لا يصبر عن النساء. وقال فياض بن نجيح : إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله ، وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه وفى نوادر التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما (وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ [3]) قال قيام الذكر . وهذه بلية غالبة ، إذا هاجت لا يقاومها عقل ولا دين ، وهى مع أنها صالحة لان تكون باعثة على الحياتين كما سبق ، فهى أقوى آلة الشيطان على بنى آدم ، وإليه أشار عليه السلام بقوله « مَا رَأَيْتُ [1] مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذَوِى الْأَلْبَابِ مِنْكُنَّ » وانما ذلك لهيجان الشهوة . وقال صلى الله عليه وسلم فى دعائه « اللَّهُمَّ [2] إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَبَصَرِى وَقَلْبِي وَشَرِّ مَنِيِّي » وقال « أَسْأَلُكَ [3] أَنْ تُطَهِّرَ قَلْبِي وَتَحْفَظَ فَرْجِي » فما يستعيذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يجوز التساهل فيه لغيره

وكان بعض الصالحين يكثر النكاح ، حتى لا يكاد يخلو من اثنتين وثلاث ، فأنكر عليه بعض الصوفية ، فقال هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدى الله تعالى جلسة ، أو وقف بين يديه موقفا فى معاملة ، فخطر على قلبه خاطر شهوة؟ فقالوا يصيبنا من ذلك كثير ، فقال لو رضيت فى عمرى كله بمثل حالكم فى وقت واحد ، لما تزوجت ، لكنى ما خطر على قلبى خاطر يشغلنى عن حالى الا نفذته ، فاستريح وارجع إلى شغلى ، ومنذ أربعين سنة ما خطر على قلبى معصية

وأنكر بعض الناس حال الصوفية ، فقال له بعض ذوى الدين : ما الذى تنكر منهم ؟ قال يأكلون كثيرا ، قال وأنت أيضا لو جعت كما يجوعون ، لأكلت كما يأكلون ، قال ينكحون كثيرا ، قال وأنت أيضا لو حفظت عينيك وفرجك كما يحفظون ، لنكحت كما ينكحون. وكان الجنيد يقول: أحتاج إلى الجماع كما أحتاج إلى القوت. فالزوجة على التحقيق قوت

---

(١) حديث : ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوى الألباب منكن . م . من حديث ابن عمر ، واتفقا عليه من حديث أبى سعيد ، ولم يسق م لفظه

(٢) حديث : اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى وبصرى وشر منى . تقدم فى الدعوات

(٣) حديث : أسألك أن تطهر قلبى ، وتحفظ فرجى . هق . فى الدعوات من حديث أم سلمة باسناد فيه لين

---

(١) البقرة : ٢٨٦ (٢) النساء : ٢٨ (٣) الفلق : ٣

وسبب لطهارة القلب « ولذلك أَمَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم »[١] كُلَّ مَنْ وَقَعَ نَظَرُهُ عَلَى امْرَأَةٍ فَتَاقَتْ إِلَيْهَا نَفْسُهُ أَنْ يُجَامِعَ أَهْلَهُ» لان ذلك يدفع الوسواس عن النفس

وروى جابر رضى الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم[٢] « رَأَى امْرَأَةً فَدَخَلَ عَلَى زَيْنَبَ فَقَضَى حَاجَتَهُ وَخَرَجَ» وَقَالَ صلى الله عليه وسلم «إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَتْ بِصُورَةِ شَيْطَانٍ فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ ، فَإِنَّ مَعَهَا مِثْلَ الَّذِي مَعَهَا» وقال عليه السلام[٣] لَا تَدْخُلُوا عَلَى الْمُغِيبَاتِ» وهى التى غاب زوجها عنها « فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ أَحَدِكُمْ مَجْرَى الدَّمِ» قُلْنَا وَمِنْكَ! قَالَ « وَمِنِّي وَلَكِنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ» قال سفيان بن عيينة : فاسلم معناه فاسلم أنا منه ، هذا معناه فان الشيطان لا يسلم . وكذلك يحكى عن ابن عمر رضى عنهما وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم ، أنه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الأكل ، وربما جامع قبل أن يصلى المغرب ، ثم يغتسل ويصلى ، وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله ، واخراج غدة الشيطان منه . وروى أنه جامع ثلاثا من جواريه فى شهر رمضان قبل العشاء الأخيرة وقال ابن عباس[٤] خير هذه الأمة أكثرها نساء

ولما كانت الشهوة أغلب على مزاج العرب ، كان استكثار الصالحين منهم للنكاح أشد ، ولاجل فراغ القلب أبيح نكاح الأمة عند خوف العنت ، مع أن فيه ارقاق الولد وهو نوع إهلاك ، وهو محرم على كل من قدر على حرة ، ولكن ارقاق الولد أهون من اهلاك الدين ، وليس فيه الا تنغيص الحياة على الولد مدة ، وفى اقتحام الفاحشة تفويت الحياة الأخرويه التى تستحقر الاعمار الطويلة بالاضافة الى يوم من أيامها

وروى أنه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس ، وبقى شاب لم يبرح ، فقال

---

(١) حديث : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره على امرأة فتاقت نفسه إليها أن يجامع أهله . أحمد . من حديث أبى كبشة الأغارى حين مرت به امرأة ، فوقع فى قلبه شهوة النساء ، فدخل فأتى بعض أزواجه ، وقال فكذلك فافعلوا ، فانه من أماثل أفعالكم اتيان الحلال وإسناده جيد

(٢) حديث جابر ، رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته الحديث مسلم ، والترمذى ، واللفظ له وقال حسن صحيح

(٣) حديث : لا تدخلوا على المغيبات فان الشيطان يجرى من احدكم مجرى الدم ـ الحديث . ت . من حديث جابر ، وقال غريب . ولمسلم من حديث عبد الله بن عمر ولا يدخلن بعد يومى هذا على مغيبة إلا ومعه رجل أو اثنان

(٤) حديث ابن عباس ، خير هذه الأمة أكثرها نساء يعنى النبى صلى الله عليه وسلم رواه . ع .

له ابن عباس هل لك من حاجة ؟ قال نعم أردت أن أسأل مسألة فاستحييت من الناس ، وأنا الآن أهابك وأجلك . فقال ابن عباس: ان العالم بمنزلة الوالد ، فما كنت أفضيت به الى أبيك فافض الىّ به ، فقال انى شاب لازوجة لى ، وربما خشيت العنت على نفسى ، فربما استمنيت بيدى ، فهل فى ذلك معصية ، فأعرض عنه ابن عباس ، ثم قال . أف وتف ، نكاح الامة خير منه ، وهو خير من الزنا . فهذا تنبيه على أن العزب المغتلم مردد بين ثلاثة شرور ، أدناها نكاح الامة ، وفيه إرقاق الولد ، وأشد منه الاستمناء باليد ، وأفحشه الزنا ، ولم يطلق ابن العباس الإباحة فى شىء منه ، لأنهما محذوران يفزع اليهما حذرا من الوقوع فى محذور أشد منه كما يفزع الى تناول الميتة حذرا من هلاك النفس ، فليس ترجيح أهون الشرين فى معنى الاباحة المطلقة ، ولا فى معنى الخير المطلق وليس قطع اليد المتأكلة من الخيرات ، وإن كان يؤذن فيه عند أشراف النفس على الهلاك

فإذاً فى النكاح فضل من هذا الوجه ، ولكن هذا لايعم الكل بل الأكثر ، فرب شخص فترت شهوته لكبر سن أو مرض أو غيره ، فينعدم هذا الباعث فى حقه ، ويبقى ماسبق من أمر الولد ، فان ذلك عام ، إلا للممسوح وهو نادر

ومن الطباع ماتغلب عليها الشهوة بحيث لاتحصنه المرأة الواحدة ، فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة إلى الأربع ، فان يسر الله له مودة ورحمة ، واطمأن قلبه بهن ، وإلا فيستحب له الاستبدال ، فقد نكح على رضى الله عنه بعد وفاة فاطمة عليها السلام بسبع ليال ، ويقال إن الحسن بن على كان منكاحا حتى نكح زيادة على مائتى امرأة ، وكان ربما عقد على أربع فى وقت واحد ، وربما طلق أربعا فى وقت واحد واستبدل بهن . وقد قال عليه الصلاة والسلام للحسن [1] « أَشْبَهْتَ خَلْقِي وخُلُقِي » وقال صلى الله عليه وسلم [2] « حَسَنٌ مِنِّي وَحُسَيْنٌ مِنْ عَلِيٍّ » فقيل إن كثرة نكاحه أخذ ماأشبه به خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث انه قال للحسن بن على اشبهت خلقى وخلقى . قلت المعروف انه قال هذا اللفظ لجعفر بن ابى طالب كما هو متفق عليه من حديث البراء ، ولكن الحسن ايضا كان يشبه النبى صلى الله عليه وسلم ، كما هو متفق عليه من حديث ابى جحيفة ، وللترمذى ، وصححه ، وابن حبان من حديث انس ، لم يكن احد اشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن

(١) حديث حسن منى وحسين من على . إحمد . من حديث المقداد بن معد يكرب ، بسند جيد

وتزوج المغيرة بن شعبة بثمانين امرأة ، وكان فى الصحابة من له الثلاث والأربع ، ومن كان له اثنتان لا يحصى، ومهما كان الباعث معلوما ، فينبغى أن يكون العلاج بقدر العلة، فالمراد تسكين النفس ، فلينظر اليه فى الكثرة والقلة

الفائدة الثالثة . ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة ، إراحة للقلب وتقوية له على العبادة ، فان النفس ملول ، وهى عن الحق نفور ، لأنه على خلاف طبعها ، فلو كلفت المداومة بالاكراه على مايخالفها جمحت وثابت ، وإذا روحت باللذات فى بعض الأوقات قويت ونشطت : وفى الاستئناس بالنساء من الاستراحة مايزيل الكرب ويروح القلب، وينبغى أن يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات، ولذلك قال الله تعالى (لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا[1]) وقال على رضى الله عنه ، روحوا القلوب ساعة ، فانها إذا أكرهت عميت، وفى الخبر[1] «عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ لَهُ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ سَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ ، وَسَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ ، وَسَاعَةٌ يَخْلُو فِيهَا بِمَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ » فان فى هذه الساعة عونا على تلك الساعات . ومثله بلفظ آخر[2] « لَا يَكُونُ الْعَاقِلُ ظَاعِنًا إِلَّا فِي ثَلَاثٍ، تَزَوُّدٍ لِمَعَادٍ، أَوْ مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ » وقال عليه الصلاة والسلام[3] « لِكُلِّ عَامِلٍ شِرَّةٌ وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدِ اهْتَدَى » والشرة الجد والمكابدة بحدة وقوة، وذلك فى ابتداء الارادة ، والفترة الوقوف للاستراحة . وكان أبو الدرداء يقول: إنى لأستجم نفسى بشىء من اللهو ، لأتقوى بذلك فيما بعد على الحق

---

(١) حديث : على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات : ساعة فيها يناجى ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه . حب . من حديث أبى ذر ، فى حديث طويل ، إن ذلك فى صحف ابراهيم

(٢) حديث لايكون العاقل ظاعنا إلا فى ثلاث : تزود لمعاد ، أو مرمة لمعاش ، أو لذة فى غير محرم . حب من حديث أبى ذر الطويل ، إن ذلك فى صحف ابراهيم

(٣) حديث : لكله عامل شرة ، ولكل شرة فترة ، فمن كانت فترته الى سنتى فقد اهتدى . أحمد ، والطبرانى ، من حديث عبد الله ابن عمر . وللترمذى نحو من هذا ، من حديث أبى هريرة وقال حسن صحيح

---

(١) الأعراف : ١٨٩

وفى بعض الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] « أَنَّهُ قَالَ شَكَوْتُ إِلَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ضَعْفِي عَنِ الْوِقَاعِ فَدَلَّنِي عَلَى الْهَرِيسَةِ » وهذا إن صح لا محمل له إلا الاستعداد للاستراحة، ولا يمكن تعليله بدفع الشهوة، فانه استثارة للشهوة، ومن عدم الشهوة عدم الأكثر من هذا الأنس. وقال عليه الصلاة والسلام [٢] « حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ الطِّيبُ، وَالنِّسَاءُ، وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ »

فهذه أيضا فائدة لا ينكرها من جرب اتعاب نفسه فى الأفكار والأذكار وصنوف الأعمال وهى خارجة عن الفائدتين السابقتين، حتى انها تطرد فى حق الممسوح ومن لا شهوة له، إلا أن هذه الفائدة تجعل للنكاح فضيلة بالاضافة إلى هذه النية، وقل من يقصد بالنكاح ذلك. وأما قصد الولد، وقصد دفع الشهوة وأمثالها فهو بما يكثر. ثم رب شخص يستأنس بالنظر إلى الماء الجارى والخضرة وأمثالها، ولا يحتاج إلى ترويح النفس بمحادثة النساء وملاعبتهن فيختلف هذا باختلاف الأحوال والأشخاص فليتنبه له

الفائدة الرابعة: تفريغ القلب عن تدبير المنزل، والتكفل بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الأوانى وتهيئة أسباب المعيشة. فان الانسان لو لم يكن له شهوة الوقاع لتعذر عليه العيش فى منزله وحده، إذ لو تكفل بجميع أشغال المنزل، لضاع أكثر أوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل. فالمرأة الصالحة المصلحة للمنزل عون على الدين بهذه الطريق، واختلال هذه الأسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنغصات للعيش. ولذلك قال أبو سليمان الدارانى رحمه الله: الزوجة الصالحة ليست من الدنيا، فانها تفرغك للآخرة. وإنما تفريغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعا

---

(١) حديث: شكوت الى جبريل ضعفي عن الوقاع فدلني على الهريسة. عد من حديث حذيفة وابن عباس والعقيلى من حديث معاذ وجابر ابن سمرة وابن حبان فى الضعفاء من حديث حذيفة والأزدى فى الضعفاء من حديث أبى هريرة، بطرق كلها ضعيفة قال ابن عدى موضوع. وقال العقيلى باطل

(٢) حديث: حبب الى من دنياكم الطيب والنساء، وقرة عينى فى الصلاة. ن ك. من حديث أنس باسناد جيد، وضعفه العقيلى

وقال محمد بن كعب القرظى ، فى معنى قوله تعالى (رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً [1]) قال المرأة الصالحة، وقال عليه الصلاة والسلام [1] « لِيَتَّخِذْ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شَاكِرًا ، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً صَالِحَةً تُعِينُهُ عَلَى آخِرَتِهِ » فانظر كيف جمع بينها وبين الذكر والشكر وفى بعض التفاسير فى قوله تعالى (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً [2]) قال الزوجة الصالحة، وكان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يقول ما أعطى العبد بعد الايمان بالله خيرا من امرأة صالحة ، وإن منهن غنما لايحذى منه ، ومنهن غلا لا يفدى منه . وقوله لايحذى أى لايعتاض عنه بعطاء وقال عليه الصلاة والسلام « [2] فَضَلْتُ عَلَى آدَمَ بِخَصْلَتَيْنِ : كَانَتْ زَوْجَتُهُ عَوْنًا لَهُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ ، وَأَزْوَاجِي أَعْوَانٌ لِي عَلَى الطَّاعَةِ ، وَكَانَ شَيْطَانُهُ كَافِرًا ، وَشَيْطَانِي مُسْلِمٌ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِخَيْرٍ » فعد معاونتها على الطاعة فضيلة

فهذه أيضا من الفوائد التى يقصدها الصالحون ، إلا أنها تخص بعض الأشخاص الذين لا كافل لهم ولا مدبر ، ولا تدعو إلى امرأتين ، بل الجمع ربما ينغص المعيشة ، وتضطرب به أمور المنزل . ويدخل فى هذه الفائدة قصد الإستكثار بعشيرتها ، وما يحصل من القوة بسبب تداخل العشائر ، فان ذلك مما يحتاج اليه فى دفع الشرور وطلب السلامة ، ولذلك قيل : ذل من لاناصر له ، ومن وجد من يدفع عنه الشرور سلم حاله ، وفرغ قلبه للعبادة ، فان الذل مشوش للقلب ، والعز بالكثرة دافع للذل .

الفائده الخامسه : مجاهده النفس ورياضتها بالرعاية والولاية ، والقيام بحقوق الأهل ، والصبر على أخلاقهن ، واحتمال الأذى منهن ، والسعى فى إصلاحهن، وارشادهن إلى طريق الدين ، والاجتهاد فى كسب الحلال لأجلهن ، والقيام بتربيته لأولاده . فكل هذه أعمال عظيمة الفضل، فانها رعايه وولاية، والأهل والولد رعية ، وفضل الرعاية عظيم، وإنما يحترز

---

(١) حديث : ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته . ت . وحسنه ، و . هـ. واللفظ له من حديث وفيه انقطاع

(٢) حديث : فضلت على آدم صلى الله عليه وسلم بخصلتين ، كانت زوجته عونا له على المعصية ، وأزواجى أعوان لى على الطاعة . وكان شيطانه كافرا ، وشيطانى مسلم لايأمر إلا بخير . رواه الخطيب فى التاريخ ، من حديث ابن عمر ، وفيه محمد بن وليد بن أبان بن القلانسى، قال ابن عدى كان يضع الحديث . ولمسلم من حديث ابن مسعود ، مامنكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا وإياك يارسول الله ؟ قال وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ولم يأمرني الا بخير

(١) البقرة : ٢٠١ (٢) النحل : ٩٧

منها من يحترز ، خيفة من القصور عن القيام بحقها وإلا فقد قال عليه الصلاة والسلام [١] « يَوْمٌ مِنْ وَالٍ عَادِلٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سَبْعِينَ سَنَةً » ثم قال [٢] « أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » وليس من اشتغل بإصلاح نفسه وغيره ، كمن اشتغل بإصلاح نفسه فقط ، ولا من صبر على الأذى ، كمن رفه نفسه وأراحها ، فمقاساة الأهل والولد بمنزلة الجهاد فى سبيل الله . ولذلك قال بشر . فضل علىّ أحمد بن حنبل بثلاث : إحداها أنه يطلب الحلال لنفسه ولغيره . وقد قال عليه الصلاة والسلام [٣] « مَا أَنْفَقَهُ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ فَهُوَ صَدَقَةٌ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُؤْجَرُ فِي اللُّقْمَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِهِ » وقال بعضهم لبعض العلماء : من كل عمل أعطانى الله نصيبا ، حتى ذكر الحج والجهاد وغيرهما ، فقال له أين أنت من عمل الابدال ؟ قال وما هو ؟ قال كسب الحلال ، والنفقة على العيال . وقال ابن المبارك وهو مع إخوانه فى الغزو : تعلمون عملا أفضل مما نحن فيه ؟ قالوا ما نعلم ذلك ، قال أنا أعلم ، قالوا فما هو ؟ قال رجل متعفف ذو عائلة ، قام من الليل فنظر إلى صبيانه نياما متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه ، فعمله أفضل مما نحن فيه وقال صلى الله عليه وسلم [٤] « مَنْ حَسُنَتْ صَلَاتُهُ ، وَكَثُرَ عِيَالُهُ ، وَقَلَّ مَالُهُ ، وَلَمْ يَغْتَبِ الْمُسْلِمِينَ ، كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ » وفى حديث آخر [٥] « إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْفَقِيرَ الْمُتَعَفِّفَ أَبَا الْعِيَالِ » وفى الحديث [٦] إِذَا كَثُرَتْ ذُنُوبُ

---

(١) حديث : يوم من وال عادل أفضل من عبادة تسعين سنة ، ثم قال ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . طب ، وهق ، من حديث ابن عباس ، وقد تقدم بلفظ ستين سنة ، دون مابعده فانه متفق عليه من حديث ابن عمر

(٢) حديث : ماأنفق الرجل على أهله فهو صدقة ، وان الرجل ليؤجر فى رفع اللقمة الى فى امرأته ، خ . م . من حديث ابن مسعود ، اذا أنفق الرجل على أهله نفقة وهو يحتسبها ، كانت له صدقة . ولهما من حديث سعد بن أبى وقاص ، ومهما أنفقت فهو لك صدقة ، حتى اللقمة ترفعها الى فى امرأتك

(٣) حديث : من حسنت صلاته ، وكثر عياله ، وقل ماله ، ولم يغتب المسلمين ، كان معى فى الجنة كهاتين . أبو يعلى من حديث أبى سعيد الخدرى ، بسند ضعيف

(٤) حديث : ان الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال . هـ . من حديث عمران بن حصين ، بسند ضعيف

(٥) حديث : إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم ليكفرها . أحمد من حديث عائشة ، إلا أنه قال بالحزن فيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه

الْعَبْدِ، ابْتَلَاهُ اللهُ بِهَمِّ الْعِيَالِ لِيُكَفِّرَهَا عَنْهُ» وقال بعض السلف : من الذنوب ذنوب لايكفرها إلا الغم بالعيال . وفيه أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] أنه قال « مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبٌ لَا يُكَفِّرُهَا إِلَّا الْهَمُّ بِطَلَبِ الْمَعِيشَةِ » وقال صلى الله عليه وسلم [2] « مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ فَأَنْفَقَ عَلَيْهِنَّ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ حَتَّى يُغْنِيَهُنَّ اللهُ عَنْهُ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ الْجَنَّةَ أَلْبَتَّةَ أَلْبَتَّةَ إِلَّا أَنْ يَعْمَلَ عَمَلًا لَا يُغْفَرُ لَهُ » كان ابن عباس إذا حدث بهذا قال: والله هو من غرائب الحديث وغرره

وروى أن بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته إلى أن ماتت ، فعرض عليه التزويج ، فامتنع وقال: الوحدة روح لقلبي ، وأجمع لهمي . ثم قال : رأيت فى المنام بعد جمعة من وفاتها ، كأن أبواب السماء فتحت ، وكأن رجالا ينزلون ويسيرون فى الهواء ، يتبع بعضهم بعضا ، فكلما نزل واحد نظر إلىّ وقال لمن وراءه ، هذا هو المشئوم ، فيقول الآخر نعم ، ويقول الثالث كذلك ، ويقول الرابع نعم ، فخفت أن أسألهم هيبة من ذلك ، إلى أن مر بى آخرهم ، وكان غلاما ، فقلت له ياهذا : من هذا المشئوم الذى تومئون اليه ؟ فقال أنت ، فقلت ولم ذاك ؟ قال كنا نرفع عملك فى أعمال المجاهدين فى سبيل الله ، فمنذ جمعة أمرنا أن نضع عملك مع المخالفين ، فماندرى ماأحدثت ، فقال لاخوانه : زوجونى زوجونى فلم يكن تفارقه زوجتان أو ثلاث . وفى أخبار الأنبياء عليهم السلام ، إن قوما دخلوا على يونس النبي عليه السلام فأضافهم ، فكان يدخل ويخرج إلى منزله ، فتؤذيه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت ، فتعجبوا من ذلك ، فقال لاتعجبوا ، فانى سألت الله تعالى وقلت : ماأنت معاقب لى به فى الآخرة ، فعجله لى فى الدنيا . فقال إن عقوبتك بنت فلان تتزوج بها ، فتزوجت بها ، وأنا صابر على ماترون منها . وفى الصبر على ذلك رياضة النفس

---

(١) حديث : من الذنوب ذنوب لايكفرها إلا الهم بطلب المعيشة . الطبرانى فى الأوسط ، وأبو نعيم فى الحلية والخطيب فى التلخيص المتشابه ، من حديث أبى هريرة ، باسناد ضعيف

(٢) حديث : من كان له ثلاث بنات فأنفق عليهن ، وأحسن اليهن حتى يغنيهن الله عنه ، أوجب الله له الجنة ألبتة ، الا أن يعمل عملا لايغفر له . الخرائطى فى مكارم الأخلاق ، من حديث ابن عباس ، بسند ضعيف وهو عنده بلفظ آخر . ولأبى داود واللفظ له ، والترمذى من حديث أبى سعيد من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن اليهن ، فله الجنة ، ورجاله ثقات ، وفى سنده اختلاف

وكسر الغضب ، وتحسين الخلق ، فان المنفرد بنفسه ، أو المشارك لمن حسن خلقه، لا تترشح منه خبائث النفس الباطنة ، ولا تنكشف بواطن عيوبه . فحق على سالك طريق الآخرة أن يجرب نفسه بالتعرض لأمثال هذه المحركات ، واعتياد الصبر عليها ، لتعتدل أخلاقه ، وترتاض نفسه ويصفو عن الصفات الذميمة باطنه. والصبر على العيال مع أنه رياضة ومجاهدة تكفل لهم ، وقيام بهم ، وعبادة فى نفسها

فهذه أيضا من الفوائد، ولكنه لا ينتفع بها إلا أحد رجلين، إما رجل قصد المجاهدة والرياضة وتهذيب الأخلاق ، لكونه فى بداية الطريق ، فلا يبعد أن يرى هذا طريقا فى المجاهدة وترتاض به نفسه ، وإما رجل من العابدين ليس له سير بالباطل ، وحركة بالفكر والقلب وانما عمله عمل الجوارح ، بصلاة أو حج أو غيره ، فعمله لأهله وأولاده بكسب الحلال لهم والقيام بتربيتهم أفضل له من العبادات اللازمة لبدنه ، التى لا يتعدى خيرها الى غيره ، فاما الرجل المهذب الأخلاق، إما بكفاية فى أصل الخلقة ، أو بمجاهدة سابقة اذا كان له سير فى الباطن وحركة بفكر القلب فى العلوم والمكاشفات فلا ينبغى أن يتزوج لهذا الغرض، فان الرياضة هو مكني فيها . وأما العبادة فى العمل بالكسب لهم ، فالعلم أفضل من ذلك لأنه أيضا عمل وفائدته أكثر من ذلك ، وأعم وأشمل لسائر الخلق من فائدة الكسب على العيال

فهذه فوائد النكاح فى الدين التى بها يحكم له بالفضيلة

آفات النكاح

أما آفات النكاح فثلاث

الأولى : وهى أقواها العجز عن طلب الحلال . فان ذلك لا يتيسر لكل أحد لاسيما فى هذه الأوقات مع اضطراب المعايش ، فيكون النكاح سببا فى التوسع للطلب والاطعام من الحرام ، وفيه هلاكه وهلاك أهله ، والمتعزب فى أمن من ذلك ، وأما المتزوج ففي الأكثر يدخل فى مداخل السوء فيتبع هوى زوجته ، ويبيع آخرته بدنياه ، وفى الخبر [1] «إنَّ العَبْدَ

(١) حديث : إن العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال ، فيسأل عن رعاية عياله والقيام بهم فيحبس ، لم أقف له على أصل

فَيُوقَفُ عِنْدَ الْمِيزَانِ وَلَهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ أَمْثَالُ الْجِبَالِ فَيُسْأَلُ عَنْ رِعَايَةِ عَائِلَتِهِ وَالْقِيَامِ بِهِمْ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ، حَتَّى يَسْتَغْرِقَ تِلْكَ الْمُطَالَبَاتِ كُلُّ أَعْمَالِهِ فَلَا تَبْقَى لَهُ حَسَنَةٌ ، فَتُنَادِي الْمَلَائِكَةُ : هَذَا الَّذِي أَكَلَ عِيَالُهُ حَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا ، وَارْتُهِنَ الْيَوْمَ بِأَعْمَالِهِ » ويقال إن أول مايتعلق بالرجل فى القيامة أهله وولده ، فيوقفونه بين يدى الله تعالى ، ويقولون يارينا خذ لنا بحقنا منه ، فانه ماعلمنا مانجهل ، وكان يطعمنا الحرام ونحن لانعلم . فيقتص لهم منه ، وقال بعض السلف : اذا أراد الله بعبد شرا ، سلط عليه فى الدنيا أنيابا تنهشه ، يعنى العيال . وقال عليه الصلاة والسلام[1] « لَا يَلْقَى اللَّهَ أَحَدٌ بِذَنْبٍ أَعْظَمَ مِنْ جَهَالَةِ أَهْلِهِ »

فهذه آفة عامة ، قل من يتخلص منها ، الا من له مال موروث او مكتسب من حلال يفى به وبأهله ، وكان له من القناعة مايمنعه من الزيادة ، فان ذاك يتخلص من هذه الآفة . أو من هو محترف ومقتدر على كسب حلال من المباحات ، باحتطاب أو اصطياد . أو كان فى صناعة لاتتعلق بالسلاطين ، ويقدر على أن يعامل به أهل الخير . ومن ظاهره السلامة ، وغالب ماله الحلال . وقال ابن سالم رحمه الله وقد سئل عن التزويج فقال : هو أفضل فى زماننا هذا لمن أدركه شبق غالب مثل الحمار يرى الأتان فلا ينتهى عنها بالضرب ، ولا يملك نفسه فان ملك نفسه فتركه أولى

الآفة الثانية : القصور عن القيام بحقهن ، والصبر على أخلاقهن ، واحتمال الأذى منهن وهذه دون الاولى فى العموم فان القدرة على هذا أيسر من القدرة على الاولى ، وتحسين الخلق مع النساء ، والقيام بحظوظهن أهون من طلب الحلال ، وفى هذا أيضا خطر ، لانه راع ومسؤل عن رعيته . وقال عليه الصلاة والسلام[2] « كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ » وروى أن الهارب من عياله بمنزلة العبد الهارب الآبق لاتقبل له صلاة ولاصيام حتى يرجع اليهم ، ومن يقصر عن القيام بحقهن ، وان كان حاضرا ، فهو بمنزله هارب ، فقد قال تعالى

---

(١) حديث : لايلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله . ذكره صاحب الفردوس ، من حديث أبى سعيد ولم يعده ولده أبو منصور فى مسنده .

(٢) حديث : كفى بالمرء اثما أن يضيع من يعول . د . ن . بلفظ من يقوت ، وهو عند . م . بلفظ آخر

« قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً » أمرنا أن نقيهم النار كما نقى أنفسنا ، والانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه ، واذا تزوج تضاعف عليه الحق ، وانضافت الى نفسه نفس أخرى ، والنفس أمارة بالسوء ، ان كثرت كثر الامر بالسوء ، غالبا ولذلك اعتذر بعضهم من التزويج ، وقال أنا مبتلى بنفسى وكيف أضيف اليها نفسا أخرى ، كما قيل

لن يسع الفأرة جحرها * علقت المكنس فى دبرها

وكذلك اعتذر ابراهيم بن أدهم رحمه الله وقال : لا أغر امرأة بنفسى ، ولا حاجة لى فيهن أى من القيام بحقهن وتحصينهن وامتاعهن وأنا عاجز عنه . وكذلك اعتذر بشر وقال يمنعنى من النكاح قوله تعالى « وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ » وكان يقول : لو كنت أعول دجاجة لخفت أن أصير جلادا على الجسر ، ورؤى سفيان بن عيينة رحمه الله على باب السلطان ، فقيل له ماهذا موقفك ؛ فقال : وهل رأيت ذا عيال أفلح ؟ وكان سفيان يقول

ياحبذا العزبة والمفتاح * ومسكن تخرقه الرياح * لاصخب فيه ولاصياح

فهذه آفة عامة أيضا ؛ وان كانت دون عموم الاولى ، لا يسلم منها الا حكيم عاقل ، حسن الأخلاق ، بصير بعادات النساء ، صبور على لسانهن ، وقاف عن اتباع شهواتهن ، حريص على الوفاء بحقهن ، يتغافل عن زللهن ؛ ويدارى بعقله أخلاقهن . والاغلب على الناس السفه والفظاظة والحدة والطيش ، وسوء الخلق وعدم الانصاف مع طلب تمام الانصاف . ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادا من هذا الوجه لامحالة ، فالوحدة أسلم له .

الآفة الثالثة : وهى دون الاولى والثانية ، أن يكون الأهل والولد شاغلا له عن الله تعالى وجاذبا له إلى طلب الدنيا ، وحسن تدبير المعيشة للاولاد ، بكثرة جمع المال وادخاره لهم ، وطلب التفاخر والتكاثر بهم . وكل ما شغل عن الله من أهل ومال وولد فهو مشؤم على صاحبه ، ولست أعنى بهذا أن يدعو إلى محظور ، فان ذلك مما اندرج تحت الآفة الأولى والثانية ، بل أن يدعوه إلى التنعم بالمباح ، بل الاغراق فى ملاعبة النساء ومؤانستهن ، والامعان فى التمتع بهن ، ويثور من النكاح أنواع من الشواغل من هذا الجنس ، تستغرق القلب ، فينقضى الليل والنهار ولا يتفرغ المرء فيهما للتفكر فى الآخرة والاستعداد لها . ولذلك قال

(١) التحريم : ٦

إبراهيم بن أدهم رحمه الله ، من تعود أفخاذ النساء لم يجيء منه شيء . وقال أبو سليمان رحمه الله ، من تزوّج فقد ركن إلى الدنيا . أي يدعوه ذلك إلى الركون إلى الدنيا

فهذه مجامع الآفات والفوائد

فالحكم على شخص واحد بأن الافضل له النكاح أو العزوبة مطلقا قصور عن الاحاطة بمجامع هذه الامور ، بل تتخذ هذه الفوائد والآفات معتبرا ومحكا، ويعرض المريد عليه نفسه فان انتفت فى حقه الآفات ، واجتمعت الفوائد بان كان له مال حلال ، وخلق حسن ، وجدّ فى الدين تام ، لا يشغله النكاح عن الله وهو مع ذلك شاب محتاج إلى تسكين الشهوة ومنفرد يحتاج إلى تدبير المنزل والتحصن بالعشيرة ،فلا يمارى فى أن النكاح أفضل له مع مافيه من السعى فى تحصيل الولد . فان انتفت الفوائد، واجتمعت الآفات ، فالعزوبه أفضل له . وان تقابل الامران وهو الغالب ، فينبغى أن يوزن بالميزان القسط حظ تلك الفائدة فى الزيادة من دينه وحظ تلك الآفات فى النقصان منه ، فاذا غلب على الظن رجحان أحدهما ، حكم به .وأظهر الفوائد الولد ، وتسكين الشهوة ، وأظهر الآفات الحاجة الى كسب الحرام والاشتغال عن الله ، فلنفرض تقابل هذه الامور فنقول

من لم يكن فى أذية من الشهوة ، وكانت فائدة نكاحه فى السعى لتحصيل الولد ، وكانت الآفة الحاجة الى كسب الحرام والاشتغال عن الله ،فالعزوبة له أولى . فلا خير فيما يشغل عن الله ، ولاخير فى كسب الحرام : ولا بقى بنقصان هذين الامرين أمر الولد، فان النكاح للولد سعى فى طلب حياة للولد موهومة ، وهذا نقصان فى الدين ناجز . فحفظه لحياة نفسه وصونها عن الهلاك أهم من السعى فى الولد ، وذلك ربح ، والدين رأس مال ، وفي فساد الدين بطلان الحياة الاخروية ، وذهاب رأس المال . ولا تقاوم هذه الفائدة احدى هاتين الآفتين . وأما اذا انضاف الى أمر الولد حاجة كسر الشهوة ، لتوقان النفس إلى النكاح ، نظر ،فان لم يقو لجام التقوى فى رأسه ، وخاف على نفسه الزنا ،فالنكاح له أولى . لأنه متردد بين أن يقتحم الزنا ، أو يأكل الحرام ، والكسب الحرام أهون الشرين . وان كان يثق بنفسه أنه لا يزنى ؛ ولكن لا يقدر مع ذلك على غض البصر عن الحرام ،فترك النكاح أولى لأن النظر حرام، والكسب من غير وجهه حرام، والكسب يقع دائما، وفيه عصيانه وعصيان أهله

والنظر يقع أحيانا ، وهو يخصه ، وينصرم على قرب . والنظر زنا العين ولكن اذا لم يصدقه الفرج فهو إلى العفو أقرب من أكل الحرام ، الا أن يخاف افضاء النظر الى معصية الفرج ؛ فيرجع ذلك الى خوف العنت . واذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهو أن يقوى على غض البصر ، ولكن لا يقوى على دفع الأفكار الشاغلة للقلب أولى بترك النكاح لأن عمل القلب الى العفو أقرب ، وانما يراد فراغ القلب للعبادة ولا تتم عبادة مع الكسب الحرام وأكله واطعامه

فهكذا ينبغى أن توزن هذه الآفات بالفوائد ، ويحكم بحسبها : ومن أحاط بهذا لم يشكل عليه شيء مما نقلنا عن السلف من ترغيب فى النكاح مرة ، ورغبة عنه أخرى ، اذ ذلك بحسب الأحوال صحيح .

فان قلت . فمن أمن الآفات فما الأفضل له التخلى لعبادة الله أو النكاح ؟

فأقول يجمع بينهما ، لان النكاح ليس مانعا من التخلى لعبادة الله من حيث إنه عقد ، ولكن من حيث الحاجة الى الكسب . فان قدر على الكسب الحلال ، فالنكاح أيضا أفضل ، لأن الليل وسائر أوقات النهار يمكن التخلى فيه للعبادة ، والمواظبة على العبادة من غير استراحة غير ممكن فان فرض كونه مستغرقا للاوقات بالكسب ، حتى لا يبقى له وقت سوى أوقات المكتوبة والنوم والأكل وقضاء الحاجة ، فان كان الرجل ممن لا يسلك سبيل الآخرة الا بالصلاة النافلة ، أو الحج ومايجرى مجراه من الأعمال البدنية ، فالنكاح له أفضل ، لان فى كسب الحلال والقيام بالأهل ، والسعى فى تحصيل الولد ، والصبر على أخلاق النساء ، أنواعا من العبادات لا يقصر فضلها عن نوافل العبادات . وان كان عبادته بالعلم والفكر وسير الباطن ، والكسب يشوش عليه ذلك ، فترك النكاح أفضل .

فان قلت . فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله ، وان كان الأفضل التخلى لعبادة الله فلم استكثر رسولنا صلى الله عليه وسلم من الأزواج ؟ فاعلم ان الافضل الجمع بينهما فى حق من قدر ، ومن قويت منته ، وعلت همته ، فلا يشغله عن الله شاغل . ورسولنا عليه

السلام أخذ بالقوة ، وجمع بين فضل العبادة والنكاح ، ولقد كان مع [1] تسع من النسوة متخليا لعبادة الله ، وكان قضاء الوطر بالنكاح فى حقه غير مانع ، كما لا يكون قضاء الحاجة فى حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم عن التدبير ، حتى يشتغلون فى الظاهر بقضاء الحاجة ، وقلوبهم مشغوفة بهمهم ، غير غافلة عن مهماتهم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلو درجته ، لا يمنعه أمر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى [2] فكان ينزل عليه الوحى وهو فى فراش امرأته ، ومتى سلم مثل هذا المنصب لغيره ، فلا يبعد أن يغير السواقى مالا يغير البحر الخضم ، فلا ينبغى أن يقاس عليه غيره .

وأما عيسى صلى الله عليه وسلم فانه أخذ بالحزم لا بالقوة ، واحتاط لنفسه ، ولعل حالته كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال بالأهل ، أو يتعذر معها طلب الحلال ، أو لا يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلى للعبادة فآثر التخلى للعبادة . وهم أعلم بأسرار أحوالهم ، وأحكام أعصارهم ، فى طيب المكاسب وأخلاق النساء ، وما على الناكح من غوائل النكاح ، وماله فيه ، ومهما كانت الأحوال منقسمة ، حتى يكون النكاح فى بعضها أفضل ، وتركه فى بعضها أفضل فحقنا أن ننزل أفعال الأنبياء على الأفضل فى كل حال ، والله أعلم .

الباب الثانى

فيما يراعى حالة العقد من أحوال المرأة وشروط العقد

العقد

أما العقد فأركانه وشروطه لينعقد ويفيد الحل أربعة :

الأول : إذن الولى ، فان لم يكن فالسلطان .

الثانى : رضا المرأة إن كانت ثيبا بالغا ، أو كانت بكرا بالغا ، ولكن يزوجها غير الأب والجد .

---

(١) حديث جمعه صلى الله عليه وسلم بين تسع نسوة . خ . من حديث أنس ، وله من حديثه أيضا ، وهن احدى عشرة

(٢) حديث : كان ينزل عليه الوحى وهو فى فراش امرأته . خ . من حديث أنس . يا أم سلمة لا تؤذينى فى عائشة ، فانه والله ما نزل على الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها .

الثالث: حضور شاهدين ظاهرى العدالة ، فان كانا مستورين حكمنا بالانعقاد للحاجة .

الرابع: إيجاب وقبول متصل به ، بلفظ الإنكاح أو التزويج أو معناهما الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة ، سواء كان هو الزوج أو الولى أو وكيلهما .

وأما آدابه ، فتقديم الخطبة مع الولى ، لا فى حال عدة المرأة ، بل بعد انقضائها إن كانت معتدة ، ولا فى حال سبق غيره بالخطبة ، إذ نهى عن الخطبة على الخطبة [1]

ومن آدابه الخطبة قبل النكاح ، ومزج التحميد بالإيجاب والقبول ، فيقول المزوج : الحمد لله ، والصلاة على رسول الله ، زوجتك ابنتى فلانة . ويقول الزوج : الحمد لله ، والصلاة على رسول الله ، قبلت نكاحها على هذا الصداق . وليكن الصداق معلوما خفيفا . والتحميد قبل الخطبة أيضا مستحب

ومن آدابه أن يلقى أمر الزوج إلى سمع الزوجة ، وإن كانت بكرا . فذلك أحرى وأولى بالألفة ، ولذلك يستحب النظر اليها قبل النكاح ، فانه أحرى أن يؤدم بينهما .

ومن الآداب إحضار جمع من أهل الصلاح ، زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنان للصحة

ومنها أن ينوى بالنكاح إقامة السنة ، وغض البصر ، وطلب الولد ، وسائر الفوائد التى ذكرناها . ولا يكون قصده مجرد الهوى والتمتع ، فيصير عمله من أعمال الدنيا . ولا يمنع ذلك هذه النيات ، فرب حق يوافق الهوى . قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : إذا وافق الحق الهوى فهو الزبد بالنرسيان . لا يستحيل أن يكون كل واحد من حظ النفس وحق الدين باعثا معا . ويستحب أن يعقد فى المسجد ، وفى شهر شوال . قالت عائشة رضى الله عنها [2] تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شوال ، وبنى بى فى شوال .

وأما المنكوحة فيعتبر فيها نوعان أحدهما للحل ، والثانى لطيب المعيشة وحصول المقاصد.

النوع الأول . ما يعتبر فيها للحل . وهو أن تكون خلية عن موانع النكاح . والموانع تسعة عشر

---

(١) حديث : النهى عن الخطبة على الخطبة ، متفق عليه ، من حديث ابن عمر : ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله ، أو يأذن له

(٢) حديث عائشة : تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شوال ، وبنى بى فى شوال ، رواه ، م ،

الأول :أن تكون منكوحة للغير.

الثانى : أن تكون معتدة للغير ، سواء كانت عدة وفاة أو طلاق أو وطء شبهة . أو كانت فى استبراء وطء عن ملك يمين.

الثالث : أن تكون مرتدة عن الدين ، لجريان كلمة على لسانها من كلمات الكفر .

الرابع : أن تكون مجوسية

الخامس : أن تكون وثنية أو زنديقة ، لاتنسب إلى نبي وكتاب . ومنهن المعتقدات لمذهب الاباحة ، فلا يحل نكاحهن . وكذلك كل معتقدة مذهبا فاسدا يحكم بكفر معتقده

السادس : أن تكون كتابية قد دانت بدينهم بعد التبديل ، أو بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك فليست من نسب بنى اسرائيل . فاذا عدمت كلتا الخصلتين، لم يحل نكاحها . وإن عدمت النسب فقط ، ففيه خلاف .

السابع : أن تكون رقيقة ، والناكح حرا قادرا على طول الحرة ،أوغير خائف من العنت

الثامن : أن تكون كلها أو بعضها مملوكا للناكح ملك يمين

التاسع : أن تكون قريبة للزوج ، بان تكون من أصوله ، أو فصوله، أوفصول أول أصوله ، أو من أول فصل من كل أصل بعده أصل . وأعنى بالأصول الامهات والجدات ، وبفصوله الأولاد والأحفاد ، وبفصول أول أصوله الإخوة وأولادهم ، وبأول فصل من كل أصل بعده أصل العمات والخالات دون أولادهن .

العاشر : أن تكون محرمة بالرضاع . ويحرم من الرضاع مايحرم من النسب من الأصول والفصول كما سبق ، ولكن المحرم خمس رضعات ، وما دون ذلك لايحرم

الحادي عشر : المحرم بالمصاهرة ، وهو أن يكون الناكح قد نكح ابنتها أو جدتها ، أو ملك بعقد أو شبهة عقد من قبل ، أو وطئهن بالشبهة فى عقد ، أو وطىء أمها أو إحدى جداتها بعقد أو شبهة عقد ، فمجرد العقد على المرأة يحرم أمهاتها ، ولا يحرم فروعها إلا بالوطء . أو يكون قد نكحها أبوه أو ابنه قبل

الثانى عشر : أن تكون المنكوحة خامسة ، أى يكون تحت الناكح أربع سواها ، إما فى نفس النكاح أو فى عدة بينونة لم تمنع الخامسة

الثالث عشر : أن يكون تحت الناكح أختها ، أو عمتها أو خالتها ، فيكون بالنكاح جامعا بينهما . وكل شخصين بينهما قرابة ، لو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى لم يجز بينهما النكاح ، فلا يجوز أن يجمع بينهما

الرابع عشر : أن يكون هذا الناكح قد طلقها ثلاثا ، فهى لاتحل له مالم يطأها زوج غيره فى نكاح صحيح

الخامس عشر : أن يكون الناكح قد لاعنها ، فانها تحرم عليه أبدا بعد اللعان

السادس عشر : أن تكون محرمة بحج أو عمرة ، أو كان الزوج كذلك ، فلا ينعقد النكاح إلا بعد تمام التحلل

السابع عشر أن تكون ثيبا صغيرة ، فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ

الثامن عشر : أن تكون يتيمة ، فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ

التاسع عشر : أن تكون من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ممن توفى عنها أو دخل بها ، فإنهن أمهات المؤمنين . وذلك لايوجد فى زماننا

فهذه هى الموانع المحرمة

أما الخصال المطيبة للعيش ، التى لابد من مراعاتها فى المرأة ليدوم العقد ، وتتوفر مقاصده ، ثمانية : الدين ، والخلق ، والحسن ، وخفة المهر ، والولادة ، والبكارة ، والنسب وأن لاتكون قرابة قريبة .

الأولى : أن تكون صالحة ذات دين ، فهذا هو الأصل ، وبه ينبغى أن يقع الاعتناء . فانها إن كانت ضعيفة الدين فى صيانة نفسها وفرجها ، أزرت بزوجها ، وسودت بين الناس وجهه ، وشوشت بالغيرة قلبه ، وتنغص بذلك عيشه . فان سلك سبيل الحمية والغيرة ، لم يزل فى بلاء ومحنة . وإن سلك سبيل التساهل ، كان متهاونا بدينه وعرضه ، ومنسوبا إلى قلة الحمية والانفة . وإذا كانت مع الفساد جميلة ، كان بلاؤها أشد ، إذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ، ولا يصبر عليها ، ويكون كالذى جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١)

(١) حديث : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان لى امرأة لاترد يد لامس قال طلقها الحديث د ن من حديث ابن عباس قال ن ليس بثابت والمرسل أولى بالصواب وقال أحمد حديث منكر وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات

وقال «يارسول الله إن لى امرأة لاترد يد لامس ، قال طلقها . فقال إنى أحبها قال أمسكها » وإنما أمره بامساكها ، خوفا عليه بانه إذا طلقها أتبعها نفسه ، وفسدهو أيضامعها فرأى مافى دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه أولى

وإن كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله ، أو بوجه آخر . لم يزل العيش مشوشا معه . فإن سكت ولم ينكره ، كان شريكا فى المعصية. مخالفا لقوله تعالى(قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا[1]) وان أنكر وخاصم ، تنغص العمر. ولهذابالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التحريض على ذات الدين،فقال[1] « تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِمَالِهَا وَجَمَالِهَا وحَسَبِهَاوَدِينِهَا ، فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ » وفى حديث آخر[2] « مَنْ نَكَحَ الْمَرْأَةَ لِمَالِهَا وَجَمَالِهَا حُرِمَ جَمَالَهَا ومَالَهَا وَمَنْ نَكَحَهَا لِدِينِهَا رَزَقَهُ اللهُ مَالَهَا وَجَمَالَهَا » وقال صلى الله عليه وسلم[3] لاَ تَنْكِحِ الْمَرْأَةَ لِجَمَالِهَا فَلَعَلَّ جَمَالَهَا يُرْدِيهَا وَلاَ لِمَالِهَا فَلَعَلَّ مَالَهَا يُطْغِيهَاوَانْكِحِ الْمَرْأَةَ لِدِينِهَا»

وانما بالغ فى الحث على الدين لأن مثل هذه المرأة تكون عونا على الدين . فأما إذا لم تكن متدينة كانت شاغلة عن الدين ومشوشة له .

الثانية : حسن الخلق . وذلك أصل مهم فى طلب الفراغة والاستعانة على الدين ، فانها اذا كانت سليطة بذية اللسان ، سيئة الخلق كافرة للنعم ، كان الضرر منها أكثر من النفع والصبر على لسان النساء مما يتجن به الأولياء ، قال بعض العرب ، لاتنكحوا من النساء ستة :لاأنانة ولامنانة ، ولاحنانة ، ولاتنكحوا حداقة ، ولابراقة ولاشداقة . أما الأنانة ، فهى التى تكثر الأنين والتشكى وتعصب رأسها كل ساعة. فنكاح المراضة أو نكاح المتمارضة لاخير فيه . والمنانة التى تمن على زوجها فتقول فعلت لأجلك كذاوكذا . والحنانة التى تحن إلى زوج آخر أو ولدها من زوج آخر ، وهذا أيضا مما يجب اجتنابه ، والحداقة التى ترمي

(١) حديث : تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين: متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث : من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ـ الحديث: الطبرانى فى الاوسط من حديث أنس من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله الا ذلا ومن تزوجها لمالها لم يزده الله الا فقراً ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله الا دناءة ومن تزوج امرأة لم يرد بها الا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه ورواه حب فى الضعفاء .

(٣) حديث : لاتنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يرديها:هـ من حديث عبد الله بن عمرو وبسند ضعيف .

(١) التحريم : ٦

إلى كل شيء بحدقتها فتشتهيه ، وتكلف الزوج شراءه . والبراقة تحتمل معنيين ، أحدهما أن تكون طول النهار فى تصقيل وجهها وتزيينه ، ليكون لوجهها بريق محصل بالصنع ، والثانى أن تغضب على الطعام فلا تأكل إلا وحدها ، وتستقل نصيبها من كل شيء ، وهذه لغة يمانية ، يقولون برقت المرأة ، وبرق الصبي الطعام ، إذا غضب عنده : والشداقة المتشدقة الكثيرة الكلام . ومنه قوله عليه السلام [1] « إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَبْغَضُ الثَّرْثَارِينَ الْمُتَشَدِّقِينَ »

وحكى ان السائح الأزدى لقى الياس عليه السلام فى سياحته فأمره بالتزويج ونهاه عن التبتل . ثم قال ، لاتنكح أربعا : المختلعة ، والمبارية ، والعاهرة ، والناشز . فأما المختلعة ، فهى التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب . والمبارية المباهية بغيرها ، المفاخرة بأسباب الدنيا . والعاهرة الفاسقة التى تعرف بخليل وخدن ؛ وهى التي قال الله تعالى « وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ [1] » والناشز التى تعلو على زوجها بالفعال والمقال . والنشز العالى من الأرض

وكان على رضى الله عنه يقول : شر خصال الرجال خير خصال النساء ، البخل ، والزهو ، والجبن . فان المرأة إذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها . وإذا كانت مزهوة استنكفت أن تكلم كل أحد بكلام لين مريب . وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهمة ، خيفة من زوجها

فهذه الحكايات ترشد إلى مجامع الاخلاق المطلوبة فى النكاح

الثالثة : حسن الوجه . فذلك أيضا مطلوب ، إذ به يحصل التحصن . والطبع لا يكتفى بالدميمة غالبا ؛ كيف والغالب أن حسن الخلق والخلق لا يفترقان . وما نقلناه من الحث على الدين وان المرأة لاتنكح لجمالها ، ليس زجرا عن رعاية الجمال . بل هو زجر عن النكاح لاجل الجمال المحض مع الفساد فى الدين . فان الجمال وحده فى غالب الامر يرغب فى النكاح ، ويهون أمر الدين . ويدل على الالتفات إلى معنى الجمال ، ان الالف والمودة تحصل به غالبا ، وقد ندب

---

(١) حديث : ان الله يبغض الثرثارين المتشدقين : ت وحسنه من حديث جابر وأن ابغضكم الى وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون ولأبى داود والترمذى وحسنه من حديث عبد الله بن عمر وان الله يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها

---

(١) النساء : ٢٥

الشرع إلى مراعاة أسباب الالفة ، ولذلك استحب النظر . فقال «[1] إِذَا أَوْقَعَ اللهُ فِي نَفْسِ أَحَدِكُمْ مِنَ امْرَأَةٍ فَلْيَنْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَهُمَا » أى يؤلف بينهما ، من وقوع الأدمة على الأدمة ، وهى الجلدة الباطنة والبشرة الجلدة الظاهرة . وانما ذكر ذلك للمبالغة فى الائتلاف

وقال عليه السلام [2] «إِنَّ فِي أَعْيُنِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنْهُنَّ فَلْيَنْظُرْ إِلَيْهِنَّ » قيل كان فى اعينهن عمش . وقيل صغر

وكان بعض الورعين لاينكحون كرائمهم الا بعد النظر ، احترازا من الغرور ، وقال الأعمش كل تزويج يقع على غير نظر فآخره همّ وغم : ومعلوم أن النظر لا يعرف الخلق والدين والمال وانما يعرف الجمال من القبح

وروى أن رجلا تزوج على عهد عمر رضى الله عنه ، وكان قد خضب ، فنصل خضابه ، فاستعدى عليه أهل المرأة إلى عمر ، وقالوا حسبناه شابا فأوجعه عمر ضربا . وقال غررت القوم وروى أن بلالا وصهيبا أتيا آهل بيت من العرب ، فخطبا اليهم ، فقيل لهما من أنتما ؟ فقال بلال أنا بلال ، وهذا أخى صهيب ، كنا ضالين فهدانا الله ، وكنا مملوكين فأعتقنا الله ، وكنا عائلين فأغنانا الله . فان تزوجونا فالحمد لله ، وإن تردونا فسبحان الله . فقالوا بل تزوجان ، والحمد لله . فقال صهيب لبلال ، لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال اسكت ، فقد صدقت فأنكحك الصدق

والغرور يقع فى الجمال والخلق جميعا ، فيستحب إزالة الغرور فى الجمال بالنظر ، وفى الخلق بالوصف والاستنصاف . فينبغى أن يقدم ذلك على النكاح ، ولا يستوصف فى أخلاقها وجمالها إلا من هو بصير صادق ، خبير بالظاهر والباطن ، ولا يميل إليها فيفرط فى الثناء ،

---

(١) حديث : اذا أوقع الله فى نفس أحدكم من امرأة فلينظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينهما : ابن ماجه بسند ضعيف من حديث محمد بن مسلمة دون قوله فانه أحرى وللترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه من حديث المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال النبى صلى الله عليه وسلم انظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما

(٢) حديث : إن فى أعين الانصار شيئا فاذا أراد احدكم أن يتزوج منهن فلينظر اليهن : مسلم من حديث أبى هريرة نحوه

ولا يحسدها فيقصر . فالطباع مائلة فى مبادى النكاح ، ووصف المنكوحات إلى الافراط والتفريط ، وقل من يصدق فيه ويقتصد ، بل الخداع والاغراء أغلب ، والاحتياط فيه منهم لمن يخشى على نفسه التشوف إلى غير زوجته

فأما من أراد من الزوجة مجرد السنة ، أو الولد ، أو تدبير المنزل ، فلو رغب عن الجمال فهو إلى الزهد أقرب . لأنه على الجملة باب من الدنيا . وإن كان قد يعين على الدين فى حق بعض الأشخاص . قال أبو سليمان الدارانى : الزهد فى كل شىء حتى فى المرأة ، يتزوج الرجلُ العجوزَ إيثارا للزهد فى الدنيا . وقد كان مالك بن دينار رحمه الله يقول ، يترك أحدكم أن يتزوّج يتيمة فيؤجر فيها ، إن أطعمها وكساها تكون خفيفة المؤنة ترضى باليسير ، ويتزوج بنت فلان وفلان ، يعنى أبناء الدنيا ، فتشتهى عليه الشهوات ، وتقول اكسنى كذا وكذا واختار أحمد بن حنبل عوراء على أختها ، وكانت أختها جميلة ، فسأل مَن أعقلُهما ؟ فقيل العوراء ، فقال زوجونى إياها . فهذا دأب من لم يقصد التمتع

فأما من لا يأمن على دينه مالم يكن له مستمتع ، فليطلب الجمال . فالتلذذ بالمباح حصن للدين . وقد قيل إذا كانت المرأة حسناء ، خيرة الأخلاق ، سوداء الحدقة والشعر ، كبيرة العين ، بيضاء اللون ، محبة لزوجها ، قاصرة الطرف عليه ، فهى على صورة الحور العين فان الله تعالى وصف نساء أهل الجنة بهذه الصفة فى قوله (خَيْرَاتٌ حِسَانٌ [1]) أراد بالخيرات حسنات الأخلاق ، وفى قوله (قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ [2]) وفى قوله (عُرُبًا أَتْرَابًا [3]) العروب هى العاشقة لزوجها ، المشتهية للوقاع ، وبه تتم اللذة والحَوَرُ البياض ، والحوراء شديدة بياض العين شديدة سوادها فى سواد الشعر . والعيناء الواسعة العين . وقال عليه السلام (1) « خَيْرُ نِسَائِكُمْ . مَنْ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا زَوْجُهَا سَرَّتْهُ ، وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ فِي نَفْسِهَا » وَمَالِهِ وإنما يسر بالنظر إليها إذا كانت محبة للزوج

الرابعة : أن تكون خفيفة المهر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (2) خَيْرُ النِّسَاءِ

---

(١) حديث : خير نسائكم التي اذا نظر اليها زوجها سرته وأن أمرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته فى نفسها وماله النسائى من حديث أبى هريرة نحوه بسند صحيح وقال ولا تخالفه فى نفسها ولا مالها وعند احمد فى نفسها وماله ولأبى داود نحوه من حديث ابن عباس بسند صحيح

(٢) حديث : خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهوراً ابن حبان من حديث ابن عباس خيرهن

---

(١) الرحمن : ٧٠ (٢) الرحمن : ٥٦ (٣) الواقعة : ٣٧

أَحْسَنُهُنَّ وُجُوهاً وَأَرْخَصُهُنَّ مُهُورًا » وقد نهى [١] عن المغالاة فى المهر؛ تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت ، وكان رحى يد ، وجرة ، ووسادة من أدم حشوها ليف . [٣] وأولم على بعض نسائه بمُدين من شعير . وعلى أخرى [٤] بمدين من تمر ، ومدين من سويق

وكان عمر رضى الله عنه ينهى عن المغالاة فى الصداق ، ويقول ماتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم [٥] ولازوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم

ولو كانت المغالاة بمهور النساء مكرُمة ، لسبق إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد تزوج بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [٦] على نواة من ذهب ، يقال قيمتها خمسة دراهم . وزوج سعيد بن المسيب ابنته من أبى هريرة رضى الله عنه على درهمين ، ثم

أيسرهن صداقا وله من حديث عائشة من يمن المرأة تسهيل أمرها وقلة صداقها وروى أبو عمر التوقانى فى كتاب معاشرة الاهلين أن اعظم النساء بركة اصبحهن وجوها واقلهن مهراً وصححه

(١) حديث : النهى عن المغالاة فى المهر اصحاب السنن الاربعة موقوفا على عمر وصححه الترمذى

(٢) حديث : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحى يدوجرة ووسادة من أدم حشوها ليف أبو داود الطيالسى والبزار من حديث أنس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة على متاع بيت قيمته عشرة دراهم قال البزار ورأيته فى موضع آخر تزوجها على متاع بيت ورحى قيمته أربعون درهما ورواه الطبرانى فى الاوسط من حديث أبى سعيد وكلاهما ضعيف ولأحمد من حديث على لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة أدم حشوها ليف ورحيين وسقاء وجرتين ورواه الحاكم وصحح اسناده وابن حبان مختصراً .

(٣) حديث : أولم على بعض نسائه بمدين من شعير البخاري من حديث عائشة

(٤) حديث : وأولم على أخرى بمدى تمر ومدى سويق الاربعة من حديث أنس أولم على صفية بسويق وتمر ولمسلم فجعل الرجل يجيء بفضل التمر وفضل السويق وفى الصحيحين التمر والأقط والسمن وليس فى شيء من الأصول تقييد التمر والسويق بمدين

(٥) حديث : كان عمر ينهى عن المغالاة ويقول ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم الاربعة من حديث عمر قال الترمذى حسن صحيح

(٦) حديث : تزوج بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على وزن نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم متفق عليه من حديث أنس أن عبد الرحمن بن عوف تزوج على ذلك وتقويمها بخمسة دراهم رواه البيهقى

حملها هو إليه ليلا ، فأدخلها هو من الباب ، ثم انصرف ، ثم جاءها بعد سبعة أيام ، فسلم عليها ولو تزوج على عشرة دراهم للخروج عن خلاف العلماء فلا بأس به. وفي الخبر[1] « مِنْ بَرَكَةِ الْمَرْأَةِ سُرْعَةُ تَزْوِيجِهَا وَسُرْعَةُ رَحِمِهَا ، أي الْوِلَادَةُ ، وَيُسْرُ مَهْرِهَا » وقال أيضاً[2] « أَبْرَكُهُنَّ أَقَلُّهُنَّ مَهْراً »

وكما تكره المغالاة في المهر من جهة المرأة ، فيكره السؤال عن مالها من جهة الرجل . ولا ينبغي أن ينكح طمعاً في المال . قال الثوري : إذا تزوج وقال أي شيء للمرأة فاعلم أنه لص وإذا أهدى اليهم فلا ينبغي أن يهدى ليضطرهم الى المقابلة بأكثر منه . وكذلك اذا أهدوا اليه ، ففيه طلب الزيادة نية فاسدة فأما التهادي فمستحب ، وهو سبب المودة. قال عليه السلام[3] « تَهَادَوْا تَحَابُّوا » وأما طلب الزيادة فداخل في قوله تعالى (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ[1]) أي تعطي لتطلب أكثر . وتحت قوله تعالى (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ[2]) فان الربا هو الزيادة . وهذا طلب زيادة على الجملة . وان لم يكن في الاموال الربوية . فكل ذلك مكروه وبدعة في النكاح ، يشبه التجارة والقمار ، ويفسد مقاصد النكاح

الخامسة: أن تكون المرأة ولودا فان عرفت بالعقر فليمتنع عن تزوجها. قال عليه السلام[4] « عَلَيْكُمْ بِالْوَلُودِ الْوَدُودِ » فان لم يكن لها زوج ، ولم يعرف حالها ، فيراعى صحتها وشبابها فانها تكون ولودا في الغالب مع هذين الوصفين

---

(١) حديث : من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها أي الولادة وتيسير مهرها أحمد والبيهقي من حديث عائشة من يمن المرأة أن تتيسر خطبتها وان يتيسر صداقها وان يتيسر رحمها قال عروة يعني الولادة واسناده جيد

(٢) حديث : أبركهن أقلهن مهراً أبو عمر التوقاني في معاشرة الأهلين من حديث عائشة ان أعظم النساء بركة صبحهن وجوها وأقلهن مهراً وقد تقدم ولأحمد والبيهقي أن اعظم النساء بركة أيسرهن صداقا واسناده جيد

(٣) حديث : تهادوا تحابوا البخاري في كتاب الأدب المفرد والبيهقي من حديث أبي هريرة بسند جيد

(٤) حديث : عليكم بالودود الولود أبو داود والنسائي من حديث معقل بن يسار تزوجوا الودود الولود واسناده صحيح

---

(١) المدثر : ٦ (٢) الروم : ٣٩

السادسة : أن تكون بكرا . قال عليه السلام لجابر وقد نكح ثيبا[1] « هَلاَّ بِكْراً تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ »

وفى البكارة ثلاث فوائد

احداها : أن تحب الزوج وتألفه ، فيؤثر فى معنى الود : وقد قال صلى الله عليه وسلم « عَلَيْكُمْ بِالْوَدُودِ » والطباع مجبولة على الانس بأول مألوف . وأما التى اختبرت الرجال وما رست الاحوال ، فربما لاترضى بعض الاوصاف التى تخالف ماألفته ، فتقلى الزوج

الثانية : أن ذلك أكمل فى مودته لها ، فان الطبع ينفر عن التى مسها غير الزوج نفرة ما وذلك يثقل على الطبع مهما يذكر . وبعض الطباع فى هذا أشد نفورا

الثالثة : انها لاتحن الى الزوج الاول ، وآكد الحب مايقع مع الحبيب الاول غالبا

السابعة : أن تكون نسيبة . أعنى أن تكون من أهل بيت الدين والصلاح . فانها ستربى بناتها وبنيها ، فاذا لم تكن مؤدبة ، لم تحسن التأديب والتربية . ولذلك قال عليه السلام[2] « إِيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ » فقيل ما خضراء الدمن قال « الْمَرْأَةُ الْحَسْنَاءُ فِي الْمَنْبَتِ السُّوءِ » وقال عليه السلام[3] « تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ فَإِنَّ الْعِرْقَ نَزَّاعٌ »

الثامنة : أن لاتكون من القرابة القريبة . فان ذلك يقلل الشهوة . قال صلى الله عليه وسلم[4] « لاَ تَنْكِحُوا الْقَرَابَةَ الْقَرِيبَةَ فَإِنَّ الْوَلَدَ يُخْلَقُ ضَاوِياً » أى نحيفا . وذلك لتأثيره فى تضعيف

---

(١) حديث : قال لجابر وقد نكح ثيبا هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك متفق عليه من حديث جابر

(٢) حديث : اياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء الدار قطنى فى الافراد والرامهرمزى فى الأمثال من حديث أبى سعيد الخدرى قال الدار قطنى تفرد به الواقدى وهو ضعيف

(٣) حديث : تخيروا لنطفكم فان العرق دساس ابن ماجه من حديث عائشة مختصرا دون قوله فان العرق وروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس تزوجوا فى الحجر الصالح فان العرق دساس وروى أبو موسى المدينى فى كتاب تضييع العمر والايام من حديث ابن عمر وانظر فى أى نصاب تضع ولدك فان العرق دساس وكلاهما ضعيف

(٤) حديث : لاتنكحوا القرابة فان الولد يخلق ضاويا قال ابن الصلاح لم أجد له أصلا معتمدا . قلت انما يعرف من قول عمر أنه قال لآل السائب قد أضويتم فانكحوا فى النوابغ رواه ابراهيم الحربى فى غريب الحديث وقال معناه تزوجوا الغرائب قال ويقال اغربوا ولا تضووا

الشهوة . فان الشهوة انما تنبعث بقوة الاحساس بالنظر واللمس ، وانما يقوى الاحساس بالامر الغريب الجديد. فأما المعهود الذى دام النظر اليه مدة ، فانه يضعف الحس عن تمام ادراكه والتأثر به ولا تنبعث به الشهوة

فهذه هى الخصال المرغبة فى النساء

ويجب على الولى أيضا أن يراعى خصال الزوج ، ولينظر لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خلقه أو خلقه أو ضعف دينه ، أو قصر عن القيام بحقها ، أو كان لا يكافئها فى نسبها . قال، عليه السلام (١) «النِّكَاحُ رِقٌّ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ أَيْنَ يَضَعُ كَرِيمَتَهُ »والاحتياط فى حقها أهم ، لأنها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها ، والزوج قادر على الطلاق بكل حال . ومهما زوج ابنته ظالما ، أو فاسقا ، أو مبتدعا ، أو شارب خمر ، فقد جنى على دينه ، وتعرض لسخط الله لما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار . وقال رجل للحسن قد خطب ابنتى جماعة ، فممن أزوجها ؟ قال ممن يتقى الله ، فان أحبها أكرمها ، وان أبغضها لم يظلمها . وقال عليه السلام (٢) مَنْ زَوَّجَ كَرِيمَتَهُ مِنْ فَاسِقٍ فَقَدْ قَطَعَ رَحِمَهَا »

الباب الثالث

فى آداب المعاشرة وما يجرى فى دوام النكاح

والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة

أما الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والأدب فى اثنى عشر أمرا: فى الوليمة، والمعاشرة، والدعابة والسياسة والغيرة، والنفقة، والتعليم والقسم، والتأديب فى النشوز ، والوقاع ، والولادة، والمفارقة بالطلاق.

الأدب الأول: الوليمة وهى مستحبة: قال أنس رضى الله عنه «رَأَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه

---

(١) حديث : النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته رواه أبو عمر التوقانى فى معاشرة الاهلين موقوفا على عائشة وأسماء ابنتى أبى بكر . قال البيهقي وروى ذلك مرفوعا والموقوف أصح

(٢) حديث : من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها ابن حبان فى الضعفاء من حديث أنس ورواه فى الثقات من قول الشعبى باسناد صحيح

وسلم [١] عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَثَرَ صُفْرَةٍ فَقَالَ مَا هَذَا ؟ فَقَالَ تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً عَلَى وَزْنِ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ بَارَكَ اللهُ لَكَ . أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ » وأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] على صفية بتمر وسويق ، وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « طَعَامُ أَوَّلِ يَوْمٍ حَقٌّ وَطَعَامُ الثَّانِي سُنَّةٌ ، وَطَعَامُ الثَّالِثِ سُمْعَةٌ وَمَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ » ولم يرفعه الازياد ابن عبد الله ، وهو غريب

وتستحب تهنئته ، فيقول من دخل على الزوج: بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير . وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه عليه السلام أمر بذلك [٤]

ويستحب اظهار النكاح ، قال عليه السلام [٥] فَصْلُ مَا بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ الدُّفُّ وَالصَّوْتُ » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٦] « أَعْلِنُوا هَذَا النِّكَاحَ وَاجْعَلُوهُ فِي الْمَسَاجِدِ وَاضْرِبُوا عَلَيْهِ بِالدُّفُوفِ » وعن الربيع بنت معوذ قالت ، جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم [٧] فدخل على غداة بنى بى ، فجلس على فراشى ، وجويرات لنا يضربن بدفهن ، ويندبن من قتل من آبائى الى أن قالت إحداهن * وفينا نبى يعلم ما فى غد * فقال لها « اسْكُتِي عَنْ هَذِهِ وَقُولِي الَّذِي كُنْتِ تَقُولِينَ قَبْلَهَا »

الأدب الثانى : حسن الخلق معهن ، واحتمال الأذى منهن ، ترحما عليهن لقصور عقلهن قال الله تعالى (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ [١]) وقال فى تعظيم حقهن (وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا [٢]) وقال (وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ [٣]) قيل هى المرأة. وآخر ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أنس : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن بن عوف أثر الصفرة فقال ما هذا قال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك أولم ولو بشاة متفق عليه

(٢) : حديث أولم على صفية بسويق وتمر الاربعة من حديث أنس ولمسلم نحوه وقد تقدم

(٣) حديث : طعام أول يوم حق وطعام الثانى سنة وطعام الثالث سمعة ومن سمع سمع الله به قال المصنف لم يرفعه الازياد بن عبد الله قلت هكذا قال الترمذى بعد ان اخرجه من حديث ابن مسعود وضعفه

(٤) حديث أبى هريرة فى تهنئة الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير أبو داود والترمذى وصححه ابن ماجه وتقدم فى الدعوات

(٥) حديث فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث محمد بن حاطب

(٦) حديث أعلنوا هذا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدف الترمذى من حديث عائشة وحسنه وضعفه البيهقى

(٧) حديث : الربيع بنت معوذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على غداة بنى بى فجلس على فراشى وجويريات لنا يضربن بدفوفهن الحديث رواه البخارى وقال يوم بدر وقع فى بعض نسخ الاحياء يوم بعاث وهو وهم

(١) النساء : ١٩ (٢) النساء : ٢١ (٣) النساء : ٣٦

(١) ثلاث ، كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه ، وخفى كلامه ، جعل يقول « الصَّلاةَ الصَّلاةَ ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ لاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَالاَ يُطِيقُونَ ، اللهَ اللهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّهُنَّ عَوَانٍ فِي أَيْدِيكُمْ يعنى أسراء ؛ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ » وقال عليه السلام (٢) « مَنْ صَبَرَ عَلَى سُوءِ خُلُقِ امْرَأَتِهِ أَعْطَاهُ اللهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ مَا أَعْطَى أَيُّوبَ عَلَى بَلاَئِهِ وَمَنْ صَبَرَتْ عَلَى سُوءِ خُلُقِ زَوْجِهَا أَعْطَاهَا اللهُ مِثْلَ ثَوَابِ آسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ »

واعلم أنه ليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها ، بل احتمال الاذى منها ، والحلم عند طيشها وغضبها ، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما الى الليل (٤) وراجعت امرأة عمر رضى الله عنه عمر فى الكلام فقال أتراجعينى يالكعاء ؟ فقالت ان أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك . فقال عمر : خابت حفصة وخسرت ان راجعته . ثم قال لحفصة لاتغترى بابنة ابن أبى قحافة فانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وخوّفها من المراجعة ، وروى أنه دفعت احداهن فى صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) فزبرتها أمها فقال عليه السلام « دَعِيهَا

---

(١) حديث : آخر ما أوصي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفى كلامه جعل يقول الصلاة وما ملكت أيمانكم لاتكلفوهم مالا يطيقون الله فى النساء فانهن عوان عندكم ـ الحديث النسائى فى الكبرى وابن ماجه من حديث أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى الموت جعل يقول الصلاة وما ملكت أيمانكم فمازال يقولها ومايقبض بها لسانه وأما الوصية بالنساء فالمعروف ان ذلك كان فى حجة الوداع رواه مسلم فى حديث جابر الطويل وفيه فاتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله ـ الحديث

(٢) حديث : من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ـ الحديث لم أقف له على أصل

(٣) حديث : كان أزواجه صلى الله عليه وسلم يراجعنه وتهجره الواحدة منهن يوما الى الليل ـ الحديث متفق عليه من حديث عمر فى الحديث الطويل فى قوله تعالى ـ فان تظاهرا عليه ـ

(٤) حديث : وراجعت امرأة عمر عمر فى الكلام فقال أتراجعينى يا لكعاء قالت أن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك ـ الحديث هو الحديث الذى قبله وليس فيه قوله يالكعاء ولاقولها هو خير منك

(٥) حديث : دفعت احداهن فى صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها أمها فقال صلى الله عليه وسلم دعيها فانهن يصنعن أكثر من ذلك لم أقف له على أصل

فَإِنَّهُنَّ يَصْنَعْنَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ » [١] وجرى بينه وبين عائشة كلام ، حتى أدخلا بينهما أبا بكر رضى الله عنه حكما ، واستشهده. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « تَكَلَّمِينَ أَوْ أَتَكَلَّمُ ؟ فقالت بل تكلم أنت ولا تقل الا حقا فلطمها أبو بكر حتى دمى فوها وقال ، ياعدية نفسها أو يقول غير الحق ، فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقعدت خلف ظهره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لَمْ نَدْعُكَ لِهَذَا وَلَا أَرَدْنَا مِنْكَ هَذَا » [٢] وقالت له مرة فى كلام غضبت عنده، أنت الذى تزعم انك نبى الله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حلما وكرما وكان يقول لها [٣] « إِنِّي لَأَعْرِفُ غَضَبَكِ مِنْ رِضَاكِ » قالت وكيف تعرفه ؟ « قال إِذَا رَضِيتِ قُلْتِ لَا وَإِلَهِ مُحَمَّدٍ ، وَإِذَا غَضِبْتِ قُلْتِ لَا وَإِلَهِ إِبْرَاهِيمَ » قالت صدقت انما أهجر اسمك » [٤] ويقال ان أول حب وقع فى الاسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها [٥] وكان يقول لها « كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ غَيْرَ أَنِّي لَا أُطَلِّقُكِ » وكان يقول لنسائه [٦] « لَا تُؤْذُونِي فِي عَائِشَةَ فَإِنَّهُ وَاللهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا » وقال أنس رضى الله عنه ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [٧] رحم الناس بالنساء والصبيان

---

(١) حديث جرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخل بينهما أبا بكر حكما ـ الحديث : الطبرانى فى الأوسط والخطيب فى التاريخ من حديث عائشة بسند ضعيف

(٢) حديث قالت له عائشة مرة غضبت عنده وأنت الذى تزعم انك نبى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو يعلى فى مسنده وأبو الشيخ فى كتاب الأمثال من حديث عائشة وفيه ابن اسحق وقد عنعنه

(٣) حديث كان يقول لعائشة انى لأعرف غضبك من رضاك ـ الحديث : متفق عليه فى حديثها

(٤) حديث : أول حب وقع فى الاسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم عائشة الشيخان من حديث عمرو بن العاص انه قال أى الناس أحب اليك يارسول الله قال عائشة ـ الحديث : وأما كونه أول فرواه ابن الجوزى فى الموضوعات من حديث أنس ولعله أراد بالمدينة كما فى الحديث الآخر ان ابن الزبير أول مولود ولد فى الاسلام يريد بالمدينة والا فمحبة النبي صلى الله عليه وسلم لخديجة أمر معروف يشهد له الأحاديث الصحيحة

(٥) حديث كان يقول لعائشة كنت لك كأبى زرع لأم زرع غير أنى لا أطلقك متفق عليه من حديث عائشة دون الاستثنا ورواه بهذه الزيادة الزبير بن بكار والخطيب

(٦) حديث لا تؤذونى فى عائشة فانه والله ما أنزل على الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها البخارى من حديث عائشة

(٧) حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان مسلم بلفظ ما رايت احدا كان ارحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد على بن عبد العزيز والبغوى والصبيان

الثالث: أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة ، والمزح والملاعبة . فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن ، وينزل الى درجات عقولهن في الاعمال والاخلاق ، حتى روى أنه صلى الله عليه وسلم [1] كان يسابق عائشة في العدو ، فسبقته يوما ، وسبقها في بعض الأيام ، فقال عليه السلام هذه بتلك . وفي الخبر أنه كان صلى الله عليه وسلم [2] من أفكه الناس مع نسائه . وقالت عائشة رضي الله عنها [3] سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم ، وهم يلعبون في يوم عاشوراء . فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَتُحِبِّينَ أَنْ تَرِي لَعِبَهُمْ » قالت قلت نعم . فأرسل اليهم فجاؤا وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين ، فوضع كفه على الباب ، ومد يده، ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وأنظر . وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « حَسْبُكِ » ، وأقول اسكت مرتين أو ثلاثا . ثم قال « يَاعَائِشَةُ حَسْبُكِ » . فقلت نعم . فأشار اليهم فانصرفوا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [4] « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ » وقال عليه السلام [5] « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِنِسَائِي » وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته : ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي ، فاذا التمسوا ما عنده وجد رجلا . وقال لقمان رحمه الله : ينبغي للعاقل أن يكون في أهله كالصبي ، واذا كان في القوم وجد رجلا

---

(١) حديث مسابقته صلى الله عليه وسلم لعائشة فسبقته ثم سبقها وقال هذه بتلك : ابو داود والنسائي من الكبري وابن ماجه في حديث عائشة بسند صحيح

(٢) حديث كان من افكه الناس مع نسائه : الحسن بن سفيان في مسنده من حديث انس دون قوله مع نسائه ورواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط فقالا مع صبي وفي اسناده ابن لهيعة

(٣) حديث عائشة سمعت اصوات اناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون يوم عاشوراء فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اتحبين ان ترى لعبهم ـ الحديث : متفق عليه مع اختلاف دون ذكر يوم عاشوراء وانما قال يوم عيد ودون قولها اسكت وفي رواية للنسائي في الكبرى قلت لاتعجل مرتين وفيه فقال ياحميراء وسنده صحيح

(٤) حديث : اكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله الترمذي والنسائي واللفظ له والحاكم وقال رواته ثقات على شرط الشيخين

(٥) حديث : خياركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي الترمذي وصححه من حديث أبي هريرة دون قوله وأنا خيركم لنسائي وله من حديث عائشة وصححه خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم

وفى تفسير الخبر المروى [١] « إِنَّ اللهَ يَبْغَضُ الْجَعْظَرِىَّ الْجَوَّاظَ » قيل هو الشديد على أهله ، المتكبر فى نفسه وهو أحد ما قيل فى معنى قوله تعالى (عُتُلٍّ [١]) قيل العتل هو الفظ اللسان الغليظ القلب على أهله. وقال عليه السلام لجابر [٢] « هَلاَّ بِكْراً تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ » ووصفت اعرابية زوجها وقدمات فقالت: والله لقد كان ضحوكا اذا ولج، سكيتا اذا خرج آكلا ما وجد، غير مسائل عما فقد

الرابع : أن لا يتبسط فى الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها ، الى حد يفسد خلقها ، ويسقط بالكلية هيبته عندها . بل يراعى الاعتدال فيه ، فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى منكراً ، ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات ألبتة . بل مهما رأى ما يخالف الشرع والمروءة تنمر وامتعض . قال الحسن : والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله فى النار . وقال عمر رضى الله عنه : خالفوا النساء فان فى خلافهن البركة . وقد قيل شاوروهن وخالفوهن . وقد قال عليه السلام [٣] « تَعِسَ عَبْدُ الزَّوْجَةِ » وإنما قال ذلك لأنه اذا أطاعها فى هواها فهو عبدها . وقد تعس فان الله ملكه المرأة فملكها نفسه ، فقد عكس الامر ، وقلب القضية ، وأطاع الشيطان لما قال (وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ [٢]) اذحق الرجل أن يكون متبوعا لا تابعا . وقد سمى الله الرجال قوامين على النساء ، وسمى الزوج سيدا ، فقال تعالى (وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ [٣]) فاذا انقلب السيد مسخراً فقد بدل نعمة الله كفراً

ونفس المرأة على مثال نفسك ، ان أرسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا، وان أرخيت عذارها فتراجذبتك ذراعا ، وان كبحتها وشددت يدك عليها فى محل الشدة ملكتها .

---

(١) حديث : ان الله يبغض الجعظرى الجواظ أبو بكر بن لال فى مكارم الاخلاق من حديث أبى هريرة بسند ضعيف وهو فى الصحيحين من حديث جارية ابن وهب الخزاعى بلفظ ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر ولأبى داود لا يدخل الجنة الجوظ ولا الجعظرى

(٢) حديث : قال لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك متفق عليه من حديثه وقد تقدم

(٣) حديث : تعس عبد الزوجة لم أقف له على أصل والمعروف تعس عبد الدينار وعبد الدرهم الحديث رواه البخارى من حديث أبى هريرة

---

(١) القلم : ١٣ (٢) النساء : ١١٩ (٣) يوسف : ٢٥

قال الشافعى رضى الله عنه : ثلاثة ان أكرمتهم أهانوك ، وان أهنتهم أكرموك : المرأة ، والخادم ، والنبطى . أراد به أن محضت الاكرام ولم تمزج غلظك بلينك ، وفظاظتك برفقك

وكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الازواج . وكانت المرأة تقول لابنتها ، اختبرى زوجك قبل الاقدام والجراءة عليه ، انزعى زج رمحه ، فان سكت فقطعى اللحم على ترسه ، فان سكت فكسرى العظام بسيفه ، فان سكت فاجعلى الاكاف على ظهره وامتطيه ، فانما هو حمارك

وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والارض . فكل ماجاوز حده انعكس على ضده . فينبغى أن تسلك سبيل الاقتصاد فى المخالفة والموافقة ، وتتبع الحق فى جميع ذلك لتسلم من شرهن ، فان كيدهن عظيم ، وشرهن فاش ، والغالب عليهن سوء الخلق ، وركاكة العقل ، ولا يعتدل ذلك منهن الا بنوع لطف ممزوج بسياسة . وقال عليه السلام (١) « مَثَلُ المَرْأَةِ الصَّالِحَةِ فِي النِّسَاءِ كَمَثَلِ الغُرَابِ الأَعْصَمِ بَيْنَ مِائَةِ غُرَابٍ » والاعصم يعنى الابيض البطن . وفى وصية لقمان لابنه : يابنى اتق المرأة السوء فانها تشيبك قبل الشيب ، واتق شرار النساء فانهن لايدعون الى خير . وكن من خيارهن على حذر . وقال عليه السلام (٢) « اسْتَعِيذُوا مِنَ الفَوَاقِرِ الثَّلَاثِ » وعدّ منهن المرأة السوء ، فانها المشيبة قبل الشيب . وفى لفظ آخر « إِنْ دَخَلْتَ عَلَيْهَا سَبَّتْكَ وَإِنْ غِبْتَ عَنْهَا خَانَتْكَ » وقد قال عليه السلام فى خيرات النساء (٣) « إِنَّكُنَّ صَوَاحِبَاتُ يُوسُفَ » يعنى ان صرفكن أبا بكر عن التقدم فى الصلاة ميل منكن عن الحق الى الهوى . قال الله تعالى حين أفشين سر رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث : مثل المرأة الصالحة فى النساء كمثل الغراب الاعصم من مائة غراب الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف ولأحمد من حديث عمرو بن العاص كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران فاذا بغربان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار فقال لايدخل الجنة من النساء الامثل هذا الغراب فى هذه الغربان واسناده صحيح وهو فى السنن الكبرى للنسائى

(٢) حديث : أستعيذوا من الفواقر الثلاث وعد منهن المرأة السوء فانها المشيبة قبل الشيب وفى لفظ آخر أن دخلت عليها لسنتك وان غبت عنها خانتك أبو منصور الديلمي فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة بسند ضعيف واللفظ الآخر رواه الطبرانى من حديث فضالة بن عبيد ثلاث من الفواقر وذكر منها وامرأة ان حضرت آذتك وإن غبت عنها خانتك وسنده حسن

(٣) حديث : انكن صواحبات يوسف متفق عليه من حديث عائشة

(١) (إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) أى مالت وقال ذلك فى خير أزواجه ، وقال عليه السلام (٢) « لَا يُفْلِحُ قَوْمٌ تَمْلِكُهُمُ امْرَأَةٌ » وقد زبر عمر رضى الله عنه امرأته لما راجعته ، وقال ما أنت الا لعبة فى جانب البيت ، ان كانت لنا اليك حاجة . والا جلست كما أنت .

فاذن فيهن شر ، وفيهن ضعف ، فالسياسة والخشونة علاج الشر ، والمطايبة والرحمة علاج الضعف . فالطبيب الحاذق هو الذى يقدر العلاج بقدر الداء ، فلينظر الرجل أولا الى أخلاقها بالتجربة ، ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها

الخامس : الاعتدال فى الغيرة . وهو أن لا يتغافل عن مبادىء الامور التى تخشى غوائلها ولا يبالغ فى إساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن . فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) « ان تتبع عَوْرَاتُ النِّسَاءِ » وفى لفظ آخر « أَنْ تُبْغَتَ النِّسَاءُ » ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره قال (٤) قبل دخول المدينة « لَا تَطْرُقُوا النِّسَاءَ لَيْلاً » فخالفه رجلان فسبقا ، فرأى كل واحد فى منزله ما يكره . وفى الخبر المشهور (٥) « الْمَرْأَةُ كَالضِّلْعِ إِنْ قَوَّمْتَهُ كَسَرْتَهُ فَدَعْهُ تَسْتَمْتِعْ بِهِ عَلَى عِوَجٍ » وهذا فى تهذيب أخلاقها وقال صلى الله عليه وسلم (٦) « إِنَّ مِنَ الْغِيرَةِ غِيرَةً يُبْغِضُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهِيَ غِيرَةُ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ مِنْ غَيْرِ رِيبَةٍ » لان ذلك من سوء الظن الذى نهينا عنه ، فان بعض الظن اثم

---

(١) حديث : نزول قوله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فى خير أزواجه متفق عليه من حديث عمر والمرأتان عائشة وحفصة

(٢) حديث لا يفلح قوم تملكهم امرأة البخارى من حديث أبى بكرة نحوه

(٣) حديث : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتبع عورات النساء الطبرانى فى الأوسط من حديث جابر نهى أن تتطلب عثرات النساء والحديث عند مسلم بلفظ نهى ان يطرق الرجل أهله ليلا يخونهم أو يطلب عثراتهم واقتصر البخارى منه على ذكر النهى عن الطروق ليلا

(٤) حديث انه قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا أهلكم ليلا فخالفه رجلان فسعيا الى منازلهما فرأى كل واحد فى بيته ما يكره أحمد من حديث ابن عمر بسند جيد

(٥) حديث : المرأة كالضلع ان أردت تقيمه كسرته الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٦) حديث : غيرة يبغضها الله وهى غيرة الرجل على أهله من غير ريبة أبو داود والنسائى وابن حبان من حديث جابر بن عتيك

---

(١) التحريم : ٤

وقال على رضى الله عنه : لا تكثر الغيرة على أهلك فترمى بالسوء من أجلك

وأما الغيرة فى محلها فلا بد منها ، وهى محمودة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَغَارُ وَالْمُؤْمِنُ يَغَارُ وَغِيرَةُ اللهِ تَعَالَى أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلُ مَا حُرِّمَ عَلَيْهِ » وقال عليه السلام (٢) « أَتَعْجَبُونَ مِنْ غِيرَةِ سَعْدٍ؟ أَنَا وَاللهِ أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي » ولأجل غيرة الله تعالى حرم الفواحش ماظهر وما بطن، ولا أحد أحب اليه العذر من الله ولذلك بعث المنذرين والمبشرين، ولا أحد أحب اليه المدح من الله ، ولأجل ذلك وعد الجنة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) « رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فِي الْجَنَّةِ قَصْراً وَبِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ فَقِيلَ لِعُمَرَ فَأَرَدْتُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا فَذَكَرْتُ غِيرَتَكَ يَا عُمَرُ » فبكى عمر وقال أعليك أغار يارسول الله . وكان الحسن يقول : أتدعون نساءكم يزاحمن العلوج فى الاسواق ؟ قبح الله من لا يغار . وقال عليه السلام (٤) إِنَّ مِنَ الْغِيرَةِ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُهُ اللهُ ، وَمِنَ الْخُيَلَاءِ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُهُ اللهُ ، فَأَمَّا الْغِيرَةُ الَّتِي يُحِبُّهَا اللهُ فَالْغِيرَةُ فِي الرِّيبَةِ ، وَالْغِيرَةُ الَّتِي يُبْغِضُهَا اللهُ فَالْغِيرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ ، وَالاخْتِيَالُ الَّذِي يُحِبُّهُ اللهُ اخْتِيَالُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الْقِتَالِ وَعِنْدَ الصَّدَقَةِ . وَالاخْتِيَالُ الَّذِي يُبْغِضُهُ اللهُ الاخْتِيَالُ فِي الْبَاطِلِ » وقال عليه السلام (٥) « إِنِّي لَغَيُورٌ وَمَا مِنَ امْرِئٍ لَا يَغَارُ إِلَّا مَنْكُوسُ الْقَلْبِ »

---

(١) حديث : الله يغار والمؤمن يغار وغيرة الله تعالى ان يأتى الرجل المؤمن ماحرم الله عليه متفق عليه من حديث أبى هريرة ولم يقل البخارى والمؤمن يغار

(٢) حديث : أتعجبون من غيرة سعد والله لأنا أغير منه والله اغير منى الحديث متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة

(٣) حديث : رأيت ليلة اسرى بى فى الجنة قصراً وبفنائه جارية فقلت لمن هذا القصر فقيل لعمر الحديث متفق عليه من حديث جابر دون ذكر ليلة أسرى بى ولم يذكر الجارية وذكر الجارية فى حديث آخر متفق عليه من حديث ابى هريرة بينا أنا نائم فى الجنة رأيتنى الحديث

(٤) حديث : ان من الغيرة مايحبه الله تعالى ومنها ما يبغضه الله تعالى الحديث ابو داود والنسائى وابن حبان من حديث جابر بن عتيك وهو الذى تقدم قبله بأربعة احاديث

(٥) حديث : انى لغيور وما من امرىء لايغار الا منكوس القلب تقدم اوله واما آخره فرواه أبو عمر التوقانى فى كتاب معاشرة الاهلين من رواية عبد الله بن محمد مرسلا والظاهر انه عبد الله بن الحنفية

والطريق المغنى عن الغيرة أن لايدخل عليها الرجال ، وهى لاتخرج الى الاسواق. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] لابنته فاطمة عليها السلام « أَيُّ شَيْءٍ خَيْرٌ لِلْمَرْأَةِ؟ قالت أن لاترى رجلا ولايراها رجل فضمها اليه وقال (ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ [١]) فاستحسن قولها وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسدون الكوى والثقب فى الحيطان ، لئلا تطلع النسوان الى الرجال . ورأى معاذ امرأته تطلع فى الكوة ، فضربها . ورأى امرأته قد دفعت الى غلامه تفاحة قد أكلت منها ، فضربها . وقال عمر رضى الله عنه . أعروا النساء يلزمن الحجال. وانما قال ذلك لانهن لايرغبن فى الخروج فى الهيئة الرثة وقال عوّدوا نساءكم لا

وكان قد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] للنساء فى حضور المسجد ، والصواب الآن المنع ، الا العجائز . بل استصوب ذلك فى زمان الصحابة . حتى قالت عائشة رضى الله عنها لو علم النبي صلى الله عليه وسلم [٣] ماأحدثت النساء بعده لمنعهن من الخروج . ولمّا قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤] « لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ » فقال بعض ولده ، بلى والله لنمنعهن ، فضربه وغضب عليه ، وقال تسمعنى أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتمنعوا فتقول بلى : وانما استجرأ على المخالفة لعلمه بتغير الزمان ، وانما غضب عليه لاطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهرا من غير اظهار العذر . وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [٥] قد أذن لهن فى الأعياد خاصة أن يخرجن ، ولكن لايخرجن الا برضا أزواجهن . والخروج الآن مباح للمرأة العفيفة برضا زوجها ، ولكن القعود أسلم . وينبغى أن لاتخرج الا لمهم فان الخروج للنظارات والامور التى ليست مهمة ، تقدح فى المروءة ، وربما تفضى الى الفساد فاذا خرجت فينبغى أن تغض بصرها عن الرجال ، ولسنا نقول ان وجه الرجل فى حقها عورة ،

---

(١) حديث : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة أى شىء خير للمرأة فقالت أن لا ترى رجلا الحديث البزار والدار قطنى فى الافراد من حديث على بسند ضعيف

(٢) حديث : الاذن للنساء فى حضور المساجد متفق عليه من حديث ابن عمر ائذنوا للنساء بالليل الى المساجد

(٣) حديث : قالت عائشة لو علم النبي صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء بعده لمنعهن من الخروج متفق عليه قال البخارى لمنعهن من المساجد

(٤) حديث ابن عمر : لاتمنعوا اماء الله مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله الحديث متفق عليه

(٥) حديث : الاذن لهن فى الخروج فى الاعياد متفق عليه من حديث أم عطية

---

(١) آل عمران : ٣٤

كوجه المرأة فى حقه ، بل هو كوجه الصبى الامرد فى حق الرجل ، فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط. فان لم تكن فتنة فلا ، اذ لم يزل الرجال على ممر الزمان مكشوفى الوجوه والنساء يخرجن منتقبات . ولو كان وجوه الرجال عورة فى حق النساء لأمروا بالتنقب أو منعن من الخروج إلا لضرورة

السادس : الاعتدال فى النفقة . فلا ينبغى أن يقتر عليهن فى الانفاق ، ولا ينبغى أن يسرف . بل يقتصد . قال تعالى (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا [1]) وقال تعالى (وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ [2]) وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم « دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ ، أَعْظَمُهَا أَجْراً الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ » وقيل كان لعلى رضى الله عنه أربع نسوة ، فكان يشترى لكل واحدة فى كل أربعة أيام لحما بدرهم . وقال الحسن رضى الله عنه : كانوا فى الرجال مخاصيب ، وفى الاثاث والثياب مجاديب. وقال ابن سيرين : يستحب للرجل أن يعمل لأهله فى كل جمعة فالوذجة . وكأن الحلاوة وان لم تكن من المهمات ، ولكن تركها بالكلية تقتير فى العادة.

وينبغى أن يأمرها بالتصدق ببقايا الطعام، وما يفسد لو ترك . فهذا أقل درجات الخير. وللمرأة أن تفعل ذلك بحكم الحال من غير صريح اذن من الزوج . ولا ينبغى ان يستأثر عن أهله بمأكول طيب، فلا يطعمهم منه. فان ذلك مما يوغر الصدور ويبعد عن المعاشرة بالمعروف فان كان مزمعا على ذلك فليأكله بخفية ، بحيث لا يعرف أهله . ولا ينبغى أن يصف عندهم طعاما ليس يريد اطعامهم اياه . واذا أكل فيقعد العيال كلهم على مائدته . فقد قال سفيان رضى الله عنه : بلغنا ان الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة

وأهم ما يجب عليه مراعاته في الانفاق أن يطعمها من الحلال ، ولا يدخل مداخل السوء

---

(١) حديث : خيركم خيركم لأهله الترمذى من حديث عائشة وصححه وقد تقدم

(٢) حديث : دينار أنفقته فى سبيل الله ودينار أنفقته فى رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها الدينار الذي أنفقته على أهلك مسلم من حديث أبي هريرة

---

(١) الاعراف : ٣١ (٢) الاسراء : ٢٩

لاجلها،فان ذلك جناية عليها الا مراعاة لهـا . وقـد أوردنا الاخبـار الواردة فى ذلك عنـد ذكـر آفات النكاح

السابع . أن يتعلم المتزوج من علم الحيض وأحكامه مايحترز به الاحتراز الواجب . ويعلم زوجته أحكام الصلاة ، وما يقضى منها فى الحيض ومالا يقضى ، فانه أمر بان يقيها النار بقوله تعالى (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً[1]) فعليه ان يلقنها اعتقاد أهل السنة ، ويزيل عن قلبها كل بدعة ان استمعت اليها ، ويخوفها فى الله ان تساهلت فى أمر الدين ، ويعلمها من أحكام الحيض والاستحاضة ماتحتاج اليـه

وعلم الاستحاضة يطول ، فاما الذى لابد من ارشاد النساء اليه فى أمر الحيض بيان الصلوات التى تقضيها،فانها مهما انقطع دمها قبيل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر . واذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة ، فعليها قضاء المغرب والعشاء ، وهذا أقل مايراعيه النساء

فان كان الرجل قائما بتعليمها ، فليس لهـا الخروج لسؤال العلماء ، وان قصر علم الرجل ، ولكن ناب عنها فى السؤال فاخبرها بجواب المفتى ، فليس لها الخروج ، فان لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال ، بل عليها ذلك ، ويعصى الرجل بمنعها ، ومهما تعلمت ماهو من الفرائض عليها ، فليس لها أن تخرج الى مجلس ذكر ولا الى تعلم فضل الا برضاه ، ومهما أهملت المرأة حكما من أحكام الحيض والاستحاضة،ولم يعلمها الرجل ،خرج الرجل معها وشاركها فى الاثم

الثامن : اذا كان له نسوة فينبغى أن يعدل بينهن، ولا يميل الى بعضهن ، فان خرج الى سفر وأراد استصحاب واحدة ، أقرع بينهن . كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] : فان ظلم امرأة بليلتها ، قضى لها ، فان القضاء واجب عليه ، وعند ذلك يحتاج الى معرفة أحكام القسم ، وذلك يطول ذكره ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] «مَنْ كَانَ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا دُونَ الأُخْرَى،وفى لفظ وَلَمْ يَعْدِلْ بَيْنَهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَحَدُ شِقَّيْهِ مَائِلٌ» وانما عليه العدل فى العطاء والمبيت ،واما فى الحب والوقاع فذلك لايدخل تحت الاختيار

---

(١) حديث : القرعة بين أزواجه اذا أراد سفرا متفق عليه من حديث عائشة

(٢) حديث : من كان له امرأتان فمال الى احداهما دون الأخرى وفى لفظ آخر لم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل أصحاب السنن وابن حبان من حديث أبى هريرة قال أبوداود وابن حبان فمال مع احداهما وقال الترمذى فلم يعدل بينهما

---

(١) التحريم : ٦

قال الله تعالى (وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ [٦]) أى لا تعدلوا فى شهوة القلب وميل النفس ، ويتبع ذلك التفاوت فى الوقاع

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] يعدل بينهن فى العطاء والبيوتة فى الليالى ، ويقول « اللَّهُمَّ هَذَا جُهْدِى فِيمَا أَمْلِكُ وَلاَ طَاقَةَ لِى فِيمَا تَمْلِكُ وَلاَ أَمْلِكُ » يعنى الحب . وقد كانت عائشة رضى الله عنها [٢] أحب نسائه اليه ، وسائر نسائه يعرفن ذلك [٣] وكان يطاف به محمولا فى مرضه فى كل يوم وكل ليلة ، فيبيت عند كل واحدة منهن ويقول « أَيْنَ أَنَا غَداً » ففطنت لذلك امرأة منهن . فقالت انما يسأل عن يوم عائشة . فقلنا يارسول الله قد أذنا لك أن تكون فى بيت عائشة ، فإنه يشق عليك أن تحمل فى كل ليلة . فقال « وَقَدْ رَضِيتُنَّ بِذَلِكَ » فقلن نعم . قال « فَحَوِّلُونِى إِلَى بَيْتِ عَائِشَةَ »

ومهما وهبت واحدة ليلتها لصاحبتها ، ورضى الزوج بذلك ، ثبت الحق لها ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤] يقسم بين نسائه ، فقصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت ،

---

(١) حديث : كان يعدل بينهن ويقول اللهم هذا جهدى فيما أملك ولا طاقة لي فيما تملك ولا أملك : أصحاب السنن وابن حبان من حديث عائشة نحوه

(٢) حديث كانت عائشة أحب نسائه اليه : متفق عليه من حديث عمرو بن العاص انه قال أى الناس أحب اليك يارسول الله قال عائشة وقد تقدم

(٣) حديث : كان يطاف به محمولا فى مرضه كل يوم وليلة فيبيت عند كل واحدة ويقول أين أنا غداً الحديث ابن سعد فى الطبقات من رواية محمد بن على بن الحسين ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يحمل فى ثوب يطاف به على نسائه وهو مريض يقسم بينهن وفى مرسل آخر له لما ثقل قال أين أنا غداً قالوا عند فلانة قال فأين أنا بعد غد قالوا عند فلانة فعرف أزواجه أنه يريد عائشة الحديث وللبخارى من حديث عائشة كان يسأل فى مرضه الذى مات فيه أين أنا غداً أين أنا غداً يريد يوم عائشة فأذن له أزواجه ان يكون حيث شاء وفى الصحيحين لما ثقل استأذن ازواجه ان يمرض فى بيتى فأذن له

(٤) حديث : كان يقسم بين نسائه فقصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعائشة الحديث ابو داود من حديث عائشة قالت سودة حين اسنت وفرقت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله يومى لعائشة الحديث وللطبرانى فأراد ان يفارقها وهو عند البخارى بلفظ لما كبرت سودة وهبت يومها لعائشة وكان يقسم لها بيوم سودة وللبيهقى مرسلا طلق سودة فقالت اريد ان احشر فى ازواجك الحديث

---

(١) النساء : ١٢٩

فوهبت ليلتها لعائشة ، وسألته أن يقرها على الزوجية حتى تحشر فى زمرة نسائه . فتركها ، وكان لايقسم لها ، ويقسم لعائشة ليلتين ، ولسائر أزواجه ليلة ليلة . ولكنه صلى الله عليه وسلم، لحسن عدله وقوته ، كان اذا تاقت نفسه الى واحدة من النساء فى غير نوبتها ، فجامعها طاف فى يومه أو ليلته على سائر نسائه . فمن ذلك ماروى عن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] طاف على نسائه فى ليلة واحدة . وعن أنس ، أنه عليه السلام [2] طاف على تسع نسوة فى ضحوة نهار

التاسع : فى النشوز . ومهما وقع بينهما خصام ، ولم يلتئم أمرهما . فان كان من جانبهما جميعا ، أو من الرجل ، فلا تسلط الزوجة على زوجها ، ولا يقدر على اصلاحها ، فلا بد من حكمين ، أحدهما من أهله ، والآخر من أهلها ، لينظرا بينهما . ويصلحا أمرهما إن يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما . وقد بعث عمر رضى الله عنه حكما الى زوجين، فعاد ولم يصلح أمرهما فعلاه بالدرة، وقال ان الله تعالى يقول (إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا [1]) فعاد الرجل وأحسن النية ، وتلطف بهما فأصلح بينهما

وأما اذا كان النشوز من المرأة خاصة ، فالرجال قوامون على النساء . فله ان يؤدبها ويحملها على الطاعة قهرا . وكذا اذا كانت تاركة للصلاة ، فله حملها على الصلاة قهرا . ولكن ينبغى ان يتدرج فى تأديبها . وهو ان يقدم أولا الوعظ والتحذير والتخويف ، فان لم ينجع ولاها ظهره فى المضجع ، أو انفرد عنها بالفراش ، وهجرها وهو فى البيت معها، من ليلة الى ثلاث ليال . فان لم ينجع ذلك فيها ، ضربها ضربا غير مبرح ، بحيث يؤلمها ولا يكسر لها عظما ، ولا يدمى لها جسما ، ولا يضرب وجهها فذلك منهى عنه، وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث : عائشة طاف علي نسائه فى ليلة واحدة : متفق عليه بلفظ كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيطوف على نسائه ثم يصبح محرما ينضح طيباً

(٢) حديث : أنس أنه طاف على تسع نسوة فى ضحوة نهار : ابن عدى فى الكامل وللبخارى كان يطوف على نسائه فى ليلة واحدة وله تسع نسوة

(١) النساء : ٣٥

(١) ماحق المرأة على الرجل ؟ قال « يُطْعِمُهَا إِذَا طَعِمَ ، وَيَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَى ، وَلاَ يُقَبِّحُ الْوَجْهَ وَلاَ يَضْرِبُ إِلاَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ وَلاَ يَهْجُرُهَا إِلاَّ فِي الْمَبِيتِ »

وله أن يغضب عليها ويهجرها فى أمر من أمور الدين، إلى عشر وإلى عشرين وإلى شهر (٢) فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أرسل الى زينب بهدية فردتها عليه ، فقالت له التى هو فى بيتها ، لقد أقمأتك اذ ردت عليك هديتك . أى أذلتك واستصغرتك. فقال صلى الله عليه وسلم « أَنْتُنَّ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ أَنْ تُقْمِئْنِي » ثم غضب عليهن كلهن شهراً إلى أن عاد اليهن

العاشر : فى آداب الجماع . ويستحب أن يبدأ باسم الله تعالى، ويقرأ قل هو الله أحد أولا، ويكبر ويهلل ، ويقول بسم الله العلىّ العظيم ، اللهم اجعلها ذرية طيبة ان كنت قدرت أن تخرج ذلك من صلبي . وقال عليه السلام (٣) « لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَارَزَقْتَنَا فَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ » وإذا قربت من الانزال ، فقل فى نفسك ولا تحرك شفتيك (الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً) الآية

وكان بعض أصحاب الحديث يكبر حتى يسمع أهل الدار صوته

ثم ينحرف عن القبلة، ولا يستقبل القبلة بالوقاع اكراما للقبلة وليغط نفسه وأهله بثوب. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) يغطى رأسه، ويغض صوته ، ويقول للمرأة عليك بالسكينة. وفى الخبر (٥) « إِذَا جَامَعَ أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ فَلاَ يَتَجَرَّدَانِ تَجَرُّدَ الْعِيرَيْنِ » أى الحمارين

---

(١) حديث : قيل له ماحق المرأة على الرجل فقال يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا اكتسى ولايقبح الوجه ولا يضرب إلا ضربا غير مبرح ولايهجرها إلا فى البيت: أبو داود والنسائى فى الكبرى وابن ماجه من رواية معاوية ابن حيدة بسند جيد وقال ولايضرب الوجه ولايقبح وفى رواية لأبى داود ولاتقبح الوجه ولاتضرب

(٢) حديث : هجره صلى الله عليه وسلم نساءه شهراً لما أرسل بهدية الى زينب فردتها فقالت له التى فى بيتها لقد أقمأتك الحديث ذكره ابن الجوزى فى الوفاء بغير اسناد وفى الصحيحين من حديث عمر كان أقسم ألا يدخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن وفى رواية من حديث جابر ثم اعتزلهن شهراً

(٣) حديث : لو أن أحدكم اذا أتى أهله قال اللهم جنبنا الشيطان: الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس

(٤) حديث كان يغطى رأسه ويغض صوته ويقول للمرأة عليك بالسكينة: الخطيب من حديث أم سلمة بسند ضعيف

(٥) حديث : إذا جامع أحدكم امرأته فلايتجردان تجرد العيرين: ابن ماجه من حديث عتبة ابن عبد بسند ضعيف

وليقدم التلطف بالكلام والتقبيل ، قال صلى الله عليه وسلم [١] « لَا يَقَعَنَّ أَحَدُكُمْ عَلَى امْرَأَتِهِ كَمَا تَقَعُ الْبَهِيمَةُ . وَلْيَكُنْ بَيْنَهُمَا رَسُولٌ ، قِيلَ وَمَا الرَّسُولُ ، يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ الْقُبْلَةُ وَالْكَلَامُ » وقال صلى الله عليه وسلم [٢] « ثَلَاثٌ مِنَ الْعَجْزِ فِي الرَّجُلِ ، أَنْ يَلْقَى مَنْ يُحِبُّ مَعْرِفَتَهُ فَيُفَارِقَهُ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ اسْمَهُ وَنَسَبَهُ ، وَالثَّانِي أَنْ يُكْرِمَهُ أَحَدٌ فَيَرُدَّ عَلَيْهِ كَرَامَتَهُ وَالثَّالِثُ أَنْ يُقَارِبَ الرَّجُلُ جَارِيَتَهُ أَوْ زَوْجَتَهُ فَيُصِيبَهَا قَبْلَ أَنْ يُحَدِّثَهَا وَيُؤَانِسَهَا وَيُضَاجِعَهَا فَيَقْضِيَ حَاجَتَهُ مِنْهَا قَبْلَ أَنْ تَقْضِيَ حَاجَتَهَا مِنْهُ »

ويكره له الجماع فى ثلاث ليال من الشهر : الأول ، والآخر ، والنصف . يقال أن الشيطان يحضر الجماع فى هذه الليالى . ويقال أن الشياطين يجامعون فيها . وروى كراهة ذلك عن على ومعاوية وأبى هريرة رضى الله عنهم

ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة وليلته ، تحقيقاً لأحد التأويلين من قوله صلى الله عليه وسلم [٣] « رَحِمَ اللهُ مَنْ غَسَّلَ وَاغْتَسَلَ » الحديث

ثم اذا قضى وطره فليتمهل على أهله ، حتى تقضى هى أيضاً نهمتها . فان انزالها ربما يتأخر فيهيج شهوتها ، ثم القعود عنها ايذاء لها . والاختلاف فى طبع الانزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقاً إلى الانزال . والتوافق فى وقت الانزال ألذ عندها ، ليشتغل الرجل بنفسه عنها ، فانها ربما تستحي . وينبغى أن يأتيها فى كل أربع ليال مرة ، فهو أعدل اذ عدد النساء أربعة ، فجاز التأخير الى هذا الحد . نعم ينبغى أن يزيد أو ينقص بحسب حاجتها فى التحصين فان تحصينها واجب عليه ، وان كان لا يثبت المطالبة بالوطء ، فذلك لعسر المطالبة والوفاء بها

ولا يأتيها فى المحيض ، ولا بعد انقضائه وقبل الغسل . فهو محرم بنص الكتاب . وقيل ان ذلك يورث الجذام فى الولد ، وله أن يستمتع بجميع بدن الحائض ، ولا يأتيها فى غير المأتى ،

---

(١) حديث : لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة بعض الحديث : أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس وهو منكر

(٢) حديث ثلاث من العجز فى الرجل أن يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعرف اسمه ـ الحديث أبو منصور الديلمى من حديث أخصر منه وهو ـ الحديث الذى قبله

(٣) حديث : رحم الله من غسل واغتسل تقدم فى الباب الخامس من الصلاة

إذ حرم غشيان الحائض لأجل الأذى ، والأذى فى غير المأتى دائم ، فهو أشد تحريماً من اتيان الحائض . وقوله تعالى(فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ)[1] أى أى وقت شئتم. وله أن يستمنى بيديها ، وأن يستمتع بما تحت الازار بما يشتهى ، سوى الوقاع ، وينبغى أن تتزر المرأة بازار من حقوها الى فوق الركبة فى حال الحيض ، فهذا من الأدب . وله أن يؤاكل الحائض ويخالطها فى المضاجعة وغيرها ، وليس عليه اجتنابها

وان أراد أن يجامع ثانياً بعد أخرى ، فليغسل فرجه أولا . وان احتلم فلا يجامع حتى يغسل فرجه أو يبول

ويكره الجماع فى أول الليل حتى لاينام على غير طهارة ، فان أراد النوم أو الأكل فليتوضأ أولا وضوء الصلاة فذلك سنة . قال ابن عمر قلت للنبي صلى الله عليه وسلم[1] أينام أحدنا وهو جنب ؟ قال « نَعَمْ إِذَا تَوَضَّأَ » ولكن قد وردت فيه رخصة ، قالت عائشة رضى الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم[2] ينام جنباً لم يمس ماء ، ومهما عاد الى فراشه فليمسح وجه فراشه ، أو لينفضه ، فانه لايدرى ماحدث عليه بعده

ولاينبغى أن يحلق ، أو يقلم ، أو يستحد ، أو يخرج الدم ، أو يبين من نفسه جزأ وهو جنب ، اذ ترد اليه سائر أجزائه فى الآخرة فيعود جنباً ويقال إن كل شعرة تطالبه بجنابتها

ومن الآداب أن لايعزل ، بل لايسرح إلا الى محل الحرث وهو الرحم[3] «فما من نسمة قدر الله كونها إلا وهى كائنة » هكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . فان عزل ، فقد اختلف العلماء فى اباحته وكراهته ، على أربع مذاهب : فمن مبيح مطلقاً بكل حال ، ومن محرم بكل حال ، ومن قائل يحل برضاها ولايحل دون رضاها ، وكأن هذا القائل يحرم الايذاء

---

(١) حديث ابن عمر قلت للنبي صلى الله عليه وسلم أينام أحدنا وهو جنب قال نعم إذا توضأ: متفق عليه من حديثه أن عمر سأل لا أن عبدالله هو السائل

(٢) حديثه عائشة كان ينام جنباً لم يمس ماء: ابوداود والترمذى وابن ماجه وقال يزيد بن هارون انه وهم ونقل البيهقى عن الحفاظ الطعن فيه قال وهو صحيح من جهة الرواية

(٣) حديث : مامن نسمة قدر الله كونها إلا وهي كائنة : متفق عليه من حديث أبى سعيد

---

(١) البقرة :٢٢٣

دون العزل ، ومن قائل يباح فى المملوكة دون الحرة

والصحيح عندنا أن ذلك مباح . وأما الكراهية فانها تطلق لنهى التحريم ، ولنهى التنزيه ، ولترك الفضيلة ، فهو مكروه بالمعنى الثالث . أى فيه ترك فضيلة . كما يقال يكره للقاعد فى المسجد أن يقعد فارغاً لايشتغل بذكر أو صلاة . ويكره للحاضر فى مكة مقيما بها الايحج كل سنة : والمراد بهذه الكراهية ترك الاولى والفضيلة فقط . وهذا ثابت لما بيناه من الفضيلة فى الولد ، ولما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم [1] « إِنَّ الرَّجُلَ لَيُجَامِعُ أَهْلَهُ فَيُكْتَبُ لَهُ بِجِمَاعِهِ أَجْرُ وَلَدٍ ذَكَرٍ قَاتَلَ فِى سَبِيلِ اللهِ فَقُتِلَ » وانما قال ذلك لأنه لو ولد له ولد مثل هذا الولد ، لكان له أجر التسبب اليه ، مع أن الله تعالى خالقه ومحييه ومقويه على الجهاد والذى اليه من التسبب فقد فعله ، وهو الوقاع ، وذلك عند الامناء فى الرحم

وانما قلنا لا كراهة بمعنى التحريم والتنزيه ، لأن اثبات النهى انما يمكن بنص ، أو قياس على منصوص . ولانص ، ولاأصل يقاس عليه ، بل ههنا أصل يقاس عليه ، وهو ترك النكاح أصلا ، أو ترك الجماع بعد النكاح ، أو ترك الانزال بعد الايلاج . فكل ذلك ترك للافضل وليس بارتكاب نهى . ولافرق اذ الولد يتكون بوقوع النطفة فى الرحم ، ولها أربعة أسباب : النكاح ثم الوقاع ، ثم الصبر الى الانزال بعد الجماع ، ثم الوقوف لينصب المنى فى الرحم . وبعض هذه الأسباب أقرب من بعض ، فالامتناع عن الرابع كالامتناع عن الثالث ، وكذا الثالث كالثانى ، والثانى كالأول ، . وليس هذا كالاجهاض والوأد ، لأن ذلك جناية على موجود حاصل ، وله أيضاً مراتب ، وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة فى الرحم ، وتختلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحياة . وافساد ذلك جناية . فان صارت مضغة وعلقة ، كانت الجناية أفحش وان نفخ فيه الروح واستوت الخلقة ، ازدادت الجناية تفاحشاً . ومنتهى التفاحش فى الجناية بعد الانفصال حياً

وانما قلنا مبدأ سبب الوجود من حيث وقوع المنى فى الرحم لامن حيث الخروج من الاحليل ، لأن الولد لايخلق من منى الرجل وحده ، بل من الزوجين جميعاً . اما من مائه ومائها ، أو من مائه ودم الحيض . قال بعض أهل التشريح ان المضغة تخلق بتقدير الله من دم الحيض

(١) حديث ان الرجل ليجامع أهله فيكتب له من جماعه أجر ولد ذكر يقاتل فى سبيل الله : لم اجد له أصلا

وان الدم منها كاللبن من الرائب ، وان النطفة من الرجل شرط فى خثور دم الحيض وانعقاده، كالأنفحة للبن ، إذ بها ينعقد الرائب . وكيفما كان فماء المرأة ركن فى الانعقاد، فيجري الماءان مجرى الايجاب والقبول فى الوجود الحكمى فى العقود فمن أوجب ثم رجع قبل القبول ، لايكون جانياً على العقد بالنقض والفسخ . ومهما اجتمع الايجاب والقبول، كان الرجوع بعده رفعاً وفسخاً وقطعاً . وكما أن النطفة فى الفقار لايتخلق منها الولد ، فكذا بعد الخروج من الاخليل مالم يمتزج بماء المرأة أو دمها ، فهذا هو القياس الجلى

فان قلت: فان لم يكن العزل مكروها من حيث انه دفع لوجود الولد، فلا يبعد أن يكره لأجل النية الباعثة عليه ، اذ لا يبعث عليه إلا نية فاسدة ، فيها شىء من شوائب الشرك الخفى، فأقول النيات الباعثة عل العزل خمس :

الأولى: فى السرارى ، وهو حفظ الملك عن الهلاك باستحقاق العتاق ، وقصد استبقاء الملك بترك الاعتاق ، ودفع أسبابه ليس بمنهى عنه

الثانية : استبقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع ، واستبقاء حياتها خوفا من خطر الطلق وهذا أيضاً ليس منهياً عنه

الثالثة: الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد ، والاحتراز من الحاجة الى التعب فى الكسب ودخول مداخل السوء ، وهذا أيضاً غير منهى عنه . فان قلة الحرج معين على الدين . نعم الكمال والفضل فى التوكل والثقة بضمان الله، حيث قال (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا[1]) ولا جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال وترك الأفضل، ولكن النظر الى العواقب وحفظ المال وادخاره ، مع كونه مناقضاً للتوكل ، لا نقول انه منهى عنه

الرابعة : الخوف من الأولاد الاناث ، لما يعتقد فى تزويجهن من المعرة ، كما كانت من عادة العرب فى قتلهم الاناث ، فهذه نية فاسدة ، لو ترك بسببها أصل النكاح أو أصل الوقاع أثم بها ، لا بترك النكاح والوطء : فكذا فى العزل. والفساد فى اعتقاد المعرفة فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد ، وينزل منزلة امرأة تركت النكاح استنكافا من أن يعلوها رجل ، فكانت تتشبه بالرجال . ولا ترجع الكراهة الى عين ترك النكاح

---

(٢) هود: ٦

الخامسة : أن تمتنع المرأة لتعززها ومبالغتها فى النظافة، والتحرز من الطلق والنفاس والرضاع . وكان ذلك عادة نساء الخوارج لمبالغتهن فى استعمال المياه ،حتى كن يقضين صلوات أيام الحيض ، ولا يدخلن الخلاء إلا عراة.فهذه بدعة تخالف السنة ،فهى نية فاسدة.واستأذنت واحدة منهن على عائشة رضى الله عنها لما قدمت البصرة ، فلم تأذن لها ، فيكون القصد هو الفاسد دون منع الولادة

فان قلت:فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم [1] « مَنْ تَرَكَ النِّكَاحَ مَخَافَةَ الْعِيَالِ فَلَيْسَ مِنَّا ثلاثا * قلتُ فالعزل كترك النكاح ، وقوله ليس منا أى ليس موافقا لنا على سنتنا وطريقتنا ، وسنتنا فعل الافضل

فان قلت: فقد قال صلى الله عليه وسلم [2] فى العزل « ذَاكَ الْوَأْدُ الْخَفِيُّ وَقَرَأَ (وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ [1])وهذا فى الصحيح، قلنا وفى الصحيح أيضا أخبار صحيحة [3] فى الاباحة وقوله الوأد الخفي ، كقوله الشرك الخفى ، وذلك يوجب كراهة لا تحريما

فان قلت:فقد قال ابن عباس ، العزل هو الوأد الاصغر ، فان الممنوع وجوده به هو المؤودة الصغرى ، قلنا هذا قياس منه لدفع الوجود على قطعه ، وهو قياس ضعيف ، ولذلك أنكره عليه على رضى الله عنه لما سمعه ، وقال لا تكون موءودة إلا بعد سبع ، أى بعد الاخرى سبعة أطوار ، وتلا الآية الواردة فى أطوار الخلقة ، وهى قوله تعالى(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ [2])الى قوله(ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ)أى نفخنا فيه الروح . ثم تلا قوله تعالى فى الآية (وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ) واذا نظرت الى ما قدمناه فى طريق القياس والاعتبار ، ظهر لك تفاوت منصب على وابن عباس رضى الله عنهما فى الغوص على المعانى ودرك العلوم

---

(١) حديث : من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا: تقدم فى أول النكاح

(٢) حديث : قال النبي صلى الله عليه وسلم فى العزل ذلك الوأد الخفى :مسلم من حديث جذامة بنت وهب

(٣) أحاديث : اباحة العزل مسلم من حديث أبى سعيد انهم سألوه عن العزل فقال لا عليكم أن لا تفعلوه ورواه النسائى من حديث أبى صرمة وللشيخين من حديث جابر كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد مسلم فبلغ ذلك نبى الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا وللنسائى من حديث أبى هريرة سئل عن العزل فقيل ان اليهود تزعم انها الموءوده الصغرى فقال كذبت يهود قال البيهقى رواة الاباحة أكثر وأحفظ

---

(١) التكوير : ٨ (٢) المؤمنون : ١٢-١٣-١٤

كيف وفى المتفق عليه فى الصحيحين عن جابر أنه [١] قال ، كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقرآن ينزل . وفى لفظ آخر كنا نعزل ، فبلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فلم ينهنا . وفيه أيضا عن جابر أنه قال ، إن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] . فقال ان لى جارية هى خادمتنا وساقيتنا فى النخل ، وأنا أطوف عليها ، وأكره أن تحمل . فقال عليه السلام « اعْزِلْ عَنْهَا إِنْ شِئْتَ فَإِنَّهُ سَيَأْتِيهَا مَا قُدِّرَ لَهَا » فلبث الرجل ماشاء الله ثم أتاه فقال ، ان الجارية قد حملت . فقال « قَدْ قُلْتُ سَيَأْتِيهَا مَا قُدِّرَ لَهَا » كل ذلك فى الصحيحين

الحادى عشر : فى آداب الولادة وهى خمسة :ـ

الأول أن لا يكثر فرحه بالذكر ، وحزنه بالأنثى . فانه لا يدرى الخيرة له فى أيهما . فكم من صاحب ابن يتمنى أن يكون بنتا . بل السلامة منهن أكثر ، والثواب فيهن أجزل . قال صلى الله عليه وسلم [٣] « مَنْ كَانَ لَهُ ابْنَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَادِيبَهَا وَغَذَّاهَا فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا وَأَسْبَغَ عَلَيْهَا مِنَ النِّعْمَةِ الَّتِي أَسْبَغَ اللهُ عَلَيْهِ كَانَتْ لَهُ مَيْمَنَةً وَمَيْسَرَةً مِنَ النَّارِ إِلَى الْجَنَّةِ » وقال ابن عباس رضى الله عنهما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤] « مَا مِنْ أَحَدٍ يُدْرِكُ ابْنَتَيْنِ فَيُحْسِنُ إِلَيْهِمَا مَا صَحِبَتَاهُ إِلاَّ أَدْخَلَتَاهُ الْجَنَّةَ » وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٥] « مَنْ كَانَتْ لَهُ ابْنَتَانِ أَوْ أُخْتَانِ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا مَا صَحِبَتَاهُ

---

(١) حديث جابر المتفق عليه فى الصحيحين كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا هو كما ذكر متفق عليه الا أن قوله فلم ينهنا انفرد بها مسلم

(٢) حديث جابر ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لى جارية وهي خادمنا وساقيتنا فى النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال اعزل عنها ان شئت ـ الحديث : ذكر المصنف أنه فى الصحيحين وليس كذلك وانما انفرد به مسلم

(٣) حديث : من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها وغذاها فأحسن غذاءها ـ الحديث : الطبرانى فى الكبير والخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف

(٤) حديث ابن عباس ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن اليهما ما صحبتاه الا أدخلتاه الجنة ابن ماجة والحاكم وقال صحيح الاسناد

(٥) حديث أنس من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن اليهما ما صحبتاه كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين الخرائطى فى مكارم الاخلاق بسند ضعيف ورواه الترمذى بلفظ من عال جاريتين وقال حسن غريب

كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ » وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « مَنْ خَرَجَ إِلَى سُوقٍ مِنْ أَسْوَاقِ الْمُسْلِمِينَ فَاشْتَرَى شَيْئاً فَحَمَلَهُ إِلَى بَيْتِهِ فَخَصَّ بِهِ الْإِنَاثَ دُونَ الذُّكُورِ نَظَرَ اللهُ إِلَيْهِ ، وَمَنْ نَظَرَ اللهُ إِلَيْهِ لَمْ يُعَذِّبْهُ » وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « مَنْ حَمَلَ طُرْفَةً مِنَ السُّوقِ إِلَى عِيَالِهِ فَكَأَنَّمَا حَمَلَ إِلَيْهِمْ صَدَقَةً حَتَّى يَضَعَهَا فِيهِمْ وَلْيَبْدَأْ بِالْإِنَاثِ قَبْلَ الذُّكُورِ فَإِنَّهُ مَنْ فَرَّحَ أُنْثَى فَكَأَنَّمَا بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَتِهِ حَرَّمَ اللهُ بَدَنَهُ عَلَى النَّارِ » وقال أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم (٣) « مَنْ كَانَتْ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ أَخَوَاتٍ فَصَبَرَ عَلَى لَأْوَائِهِنَّ وَضَرَّائِهِنَّ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُنَّ » فقال رجل وثنتان يارسول الله؟ قال « وَثِنْتَانِ » فقال رجل أو واحدة ؟ فقال « وَوَاحِدَةٌ »

الأدب الثاني : أن يؤذن في أذن الولد ، روى رافع عن أبيه قال ، رأيت النبي صلى الله عليه وسلم (٤) قد أذن في أذن الحسن حين ولدته فاطمة رضي الله عنها . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم (٥) أنه قال « مَنْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ الْيُمْنَى وَأَقَامَ فِي أُذُنِهِ الْيُسْرَى دُفِعَتْ عَنْهُ أُمُّ الصِّبْيَانِ » ويستحب أن يلقنوه أول انطلاق لسانه لا إله إلا الله ، ليكون ذلك أول حديثه . (٦) والختان في اليوم السابع ورد به خبر

---

(١) حديث أنس من خرج الى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئاً فحمله الى بيته فخص به الاناث دون الذكور نظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه : الخرائطي بسند ضعيف

(٢) حديث أنس من حمل طرفة من السوق الى عياله فكأنما حمل اليهم صدقة: الخرائطي بسند ضعيف جدا وابن عدي في الكامل وقال ابن الجوزي حديث موضوع

(٣) حديث أبي هريرة من كانت له ثلاث بنات أو اخوات فصبر على لأوائهن :الحديث الخرائطي واللفظ له والحاكم ولم يقل أو اخوات وقال صحيح الاسناد

(٤) حديث أبي رافع رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في أذن الحسين حين ولدته فاطمه: أحمد واللفظ له وأبو داود والترمذي وصححه الا أنهما قالا الحسن مكبرا وضعفه ابن القطاني

(٥) حديث : من ولد له مولود وأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى رفعت عنه أم الصبيان:أبو يعلى الموصلي وابن السني في اليوم والليلة والبيهقي في شعب الايمان من حديث الحسين بن علي بسند ضعيف

(٦) حديث: الختان في اليوم السابع: الطبراني في الصغير من حديث جابر بسند ضعيف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عق عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام واسناده ضعيف واختلف في اسناده فقيل عبد الملك بن ابراهيم بن زهير عن أبيه عن جده

الأدب الثالث: أن تسميه اسما حسنا فذلك من حق الولد وقال صلى الله عليه وسلم (١) « إِذَا سَمَّيْتُمْ فَعَبِّدُوا وقال عليه الصلاة والسلام (٢) « أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللهِ عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ » وقال (٣) «سَمُّوا بِاسْمِي وَلَا تُكَنُّوا بِكُنْيَتِي» قال العلماء، كان ذلك في عصره صلى الله عليه وسلم اذ كان ينادى يا أبا القاسم. والآن فلا بأس. نعم لا يجمع بين اسمه وكنيته، وقد قال صلى الله عليه وسلم (٤) « لَا تَجْمَعُوا بَيْنَ اسْمِي وَكُنْيَتِي » وقيل ان هذا أيضا كان في حياته. وتسمى رجل أبا عيسى، فقال عليه السلام (٥) «إِنَّ عِيسَى لَا أَبَ لَهُ» فيكره ذلك والسقط ينبغي أن يسمى. قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية، بلغني ان السقط يصرخ يوم القيامة وراء أبيه، فيقول أنت ضيعتني وتركتني لا اسم لي. فقال عمر بن عبد العزيز كيف وقد لا يدرى أنه غلام أو جارية؟ فقال عبد الرحمن من الاسماء ما يجمعهما، كحمزة وعمارة، وطلحة، وعتبة.

وقال صلى الله عليه وسلم (٦) « إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ » ومن كان له اسم يكره يستحب تبديله. أبدل رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) اسم العاص بعبد الله. وكان اسم زينب برة فقال عليه السلام (٨) « تُزَكِّي نَفْسَهَا »

---

(١) حديث: اذا سميتم فعبدوا: الطبراني من حديث عبد الملك بن أبي زهير عن أبيه معاذ وصحح اسناده والبيهقي من حديث عائشة

(٢) حديث: أحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن: مسلم من حديث ابن عمر

(٣) حديث: سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي: متفق عليه من حديث جابر وفي لفظ تسموا

(٤) حديث: لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي: أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة ولأبي داود والترمذي وحسنه وابن حبان من حديث جابر من سمى باسمي فلا يتكنى بكنيتي ومن تكنى بكنيتي فلا يتسمى باسمي

(٥) حديث: ان عيسى لا أب له: ابو عمر التوقاني في كتاب معاشرة الأهلين من حديث ابن عمر بسند ضعيف ولأبي داود أن عمر ضرب ابناله تكنى أبا عيسى وأنكر على المغيرة بن شعبة تكنيه بأبي عيسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كناني واسناده صحيح

(٦) حديث: انكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم واسماء آبائكم فأحسنوا اسماءكم: ابو داود من حديث ابي الدرداء قال النووي باسناد جيد وقال البيهقي انه مرسل

(٧) حديث: بدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص بعبد الله: رواه البيهقي من حديث عبد الله ابن الحرث بن جزء الزبيدي بسند صحيح

(٨) حديث: قال صلى الله عليه وسلم لزينب وكان اسمها برة تزكي نفسها فسماها زينب: متفق عليه من حديث أبي هريرة

فسماها زينب وكذلك ورد النهى فى تسمية[١] أفلح ويسار ونافع وبركة لانه يقال أثم بركة فيقال لا .

الرابع : العقيقة عن الذكر بشاتين ، وعن الانثى بشاة . ولا بأس بالشاة ذكرا كان أو أنثى . وروت عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢] أمر فى الغلام أن يعق بشاتين مكافئتين ، وفى الجارية بشاة . وروى[٣] أنه عق عن الحسن بشاة . وهذا رخصة فى الاقتصار على واحدة . وقال صلى الله عليه وسلم[٤] « مَعَ الْغُلَامِ عَقِيقَتُهُ فَأَهْرِيقُوا عَنْهُ دَمًا وَأَمِيطُوا عَنْهُ الْأَذَى »

ومن السنة أن يتصدق بوزن شعره ذهبا او فضة . فقد ورد فيه خبر إنه عليه السلام[٥] أمر فاطمة رضى الله عنها يوم سابع حسين ، أن تحلق شعره ، وتتصدق بزنة شعره فضة . قالت عائشة رضى الله عنها لا يكسر للعقيقة عظم

الخامس : أن يحنكه بتمرة أو حلاوة . وروى عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت ،[٦] ولدت عبد الله بن الزبير بقباء ، ثم أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوضعته فى حجره ، ثم دعا بتمرة فمضغها ، ثم تفل فى فيه . فكان أول شىء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم حنكه بتمرة ، ثم دعا له ، وبرك عليه ، وكان أول مولود ولد فى الاسلام ، ففرحوا به فرحا شديدا ، لأنهم قيل لهم إن اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم .

---

(١) حديث : النهي فى تسمية أفلح ويسار ونافع وبركة : مسلم من حديث سمرة بن جندب الا أنه جعل مكان بركة رباحا وله من حديث جابر أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن ينهى أن يسمى بيعلى وبركة الحديث

(٢) حديث : عائشة أمر فى الغلام بشاتين مكافئتين وفى الجارية بشاة : الترمذى وصححه

(٣) حديث : عق عن الحسن بشاة الترمذى من حديث على وقال ليس اسناده بمتصل ووصله الحاكم الا أنه قال حسين ورواه أبو داود من حديث ابن عباس إلا أنه قال كبشا

(٤) حديث : مع الغلام عقيقته فأهريقوا عنه دما وأميطوا عنه الأذى : البخارى من حديث سلمان بن عامر الضبي

(٥) حديث : أمر فاطمة يوم سابع حسين أن يحلق شعره ويتصدق بزنة شعره فضة : الحاكم وصححه من حديث على وهو عند الترمذى منقطع بلفظ حسن وقال ليس اسناده بمتصل ورواه احمد من حديث أبى رافع

(٦) حديث أسماء ولدت عبد الله بن الزبير بقباء ثم أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه فى حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل فى فيه الحديث متفق عليه

الثانى عشر : فى الطلاق . وليعلم أنه مباح ، ولكنه أبغض المباحات الى الله تعالى، وانما يكون مباحا اذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل . ومهما طلقها فقد آذاها . ولا يباح إيذاء الغير الا بجناية من جانبها ، أو بضرورة من جانبها .قال الله تعالى(فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً) أى لاتطلبوا حيلة للفراق . وان كرهها أبوه فليطلقها . قال ابن عمر رضى الله عنهما [1] كان تحتى امرأة أحبها ، وكان أبى يكرهها ويأمرنى بطلاقها . فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يَاابْنَ عُمَرَ طَلِّقِ امْرَأَتَكَ » فهذا يدل على أن حق الوالد مقدم، ولكن والد يكرهها لا لغرض فاسد مثل عمر . ومهما آذت زوجها وبذت على أهله فهى جانية . وكذلك مهما كانت سيئة الخلق ، أو فاسدة الدين . قال ابن مسعود فى قوله تعالى(وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) مهما بذت على أهله وآذت زوجها فهو فاحشة وهذا أريد به فى العدة ، ولكنه تنبيه على المقصود

وان كان الأذى من الزوج فلها أن تفتدى ببذل مال ، ويكره للرجل أن يأخذ منها أكثر مما أعطى ، فان ذلك إجحاف بها وتحامل عليها ، وتجارة على البضع . قال تعالى (فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ) فرد ما أخذته فما دونه لائق بالفداء . فان سألت الطلاق بغير ما بأس فهى آثمة . قال صلى الله عليه وسلم [2] «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلاَقَهَا مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ لَمْ تَرُحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ » وفى لفظ آخر « فَالْجَنَّةُ عَلَيْهَا حَرَامٌ » وفى لفظ آخر أنه عليه السلام [3] قال « الْمُخْتَلِعَاتُ هُنَّ الْمُنَافِقَاتُ »

ثم ليراع الزوج فى الطلاق أربعة أمور

الاول : أن يطلقها فى طهر لم يجامعها فيه ، فان الطلاق فى الحيض أو الطهر الذى جامع

---

(١) حديث : ابن عمر كانت تحتى امرأة احبها وكان أبى يكرهها فأمرنى بطلاقها ـ الحديث أصحاب السنن قال ت حسن صحيح

(٢) حديث : أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة وفى لفظ فالجنة عليها حرام أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث ثوبان

(٣) حديث : المختلعات هن المنافقات :النسائى من حديث ابى هريرة وقال لم يسمع الحسن من ابى هريرة قال ومع هذا لم أسمعه إلا من حديث أبى هريرة قلت رواه الطبرانى من حديث عقبة ابن عامر بسند ضعيف

فيه بدعى حرام ، وان كان واقعاً ، لما فيه من تطويل العدة عليها . فان فعل ذلك فليراجعها .
(١) طلق ابن عمر زوجته فى الحيض ، فقال صلى الله عليه وسلم لعمر « مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا حَتَّى تَطْهُرَ ثُمَّ تَحِيضَ ثُمَّ تَطْهُرَ ثُمَّ إِنْ شَاءَ طَلَّقَهَا وَإِنْ شَاءَ أَمْسَكَهَا » فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء . وانما أمره بالصبر بعد الرجعة طهرين ، لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط

الثانى : أن يقتصر على طلقة واحدة ، فلا يجمع بين الثلاث ، لأن الطلقة الواحدة بعد العدة تفيد المقصود ، ويستفيد بها الرجعة ان ندم فى العدة . وتجديد النكاح ان أراد بعد العدة واذا طلق ثلاثا ربما ندم ، فيحتاج الى أن يتزوجها محلل ، والى الصبر مدة . وعقد المحلل منهى عنه . ويكون هو الساعى فيه . ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير وتطليقه ، أعنى زوجة المحلل بعد ان زوج منه . ثم يورث ذلك تنفيرا من الزوجة . وكل ذلك ثمرة الجمع . وفى الواحدة كفاية فى المقصود من غير محذور . ولست أقول الجمع حرام ، ولكنه مكروه بهذه المعانى وأعنى بالكراهة تركه النظر لنفسه

الثالث : ان يتلطف فى التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف ، وتطييب قلبها بهدية على سبيل الإمتاع والجبر لما فجعها به من أذى الفراق. قال تعالى (وَمَتِّعُوهُنَّ (١)) وذلك واجب مهما لم يسم لها مهر فى أصل النكاح . كان الحسن بن على رضى الله عنهما مطلاقا ومنكاحا ووجه ذات يوم بعض أصحابه لطلاق امرأتين من نسائه ، وقال قل لهما اعتدا ، وأمره ان يدفع الى كل واحدة عشرة آلاف درهم . ففعل . فلما رجع اليه ، قال ماذا فعلتا ؟ قال أما احداهما فنكست رأسها وتنكست ، وأما الأخرى فبكت وانتحبت ، وسمعتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق . فأطرق الحسن وترحم لها ، وقال لو كنت مراجعا امرأة بعد ما فارقتها لراجعتها .

ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها . ولم يكن له بالمدينة نظير . وبه ضربت المثل عائشة رضى الله عنها حيث قالت، لو لم أسر مسيرى ذلك ، لكان أحب الىّ من أن يكون لى ستة عشر ذكراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) حديث : طلق ابن عمر زوجته فى الحيض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر

(١) البقرة : ٢٣٦

مثل عبد الرحمن بن الحرث بن هشام . فدخل عليه الحسن فى بيته ، فعظمه عبد الرحمن وأجلسه فى مجلسه ، وقال ، ألا أرسلت الىّ فكنت أجيئك ؟ فقال الحاجة لنا : قال وما هى ؟ قال جئتك خاطبا ابنتك . فأطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه وقال ، والله ما على وجه الأرض أحد يمشى عليها أعزّ علىّ منك ، ولكنك تعلم ان ابنتى بضعة منى ، يسوءنى ماساءها ، ويسرّنى ما سرّها وأنت مطلاق ، فأخاف ان تطلقها . وان فعلت خشيت أن يتغير قلبي فى محبتك ، وأكره ان يتغير قلبي عليك ، فأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان شرطت أن لا تطلقها زوجتك فسكت الحسن وقام وخرج . وقال بعض أهل بيته ، سمعته وهو يمشى ويقول ، ما أراد عبد الرحمن الا ان يجعل ابنته طوقا فى عنقى . وكان على رضى الله عنه يضجر من كثرة تطليقه ، فكان يعتذر منه على المنبر ويقول فى خطبته : ان حسنا مطلاقا فلا تنكحوه حتى قام رجل من همدان فقال : والله يا أمير المؤمنين لننكحنه ما شاء ، فان أحب أمسك ، وان شاء ترك . فسر ذلك عليا وقال :

لو كنت بوابا على باب جنة * لقلت لهمدان ادخلى بسلام

وهذا تنبيه على أن من طعن فى حبيبه من أهل وولد بنوع حياء ، فلا ينبغى أن يوافق عليه فهذه الموافقة قبيحة . بل الأدب المخالفة ما أمكن ، فان ذلك أسر لقلبه ، وأوفق لباطن دائه

والقصد من هذا بيان ان الطلاق مباح . وقد وعد الله الغنى فى الفراق والنكاح جميعاً فقال (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) وقال سبحانه وتعالى (وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ)

الرابع : ان لا يفشى سرها لا فى الطلاق ولا عند النكاح . فقد ورد [1] فى افشاء سر النساء فى الخبر الصحيح وعيد عظيم . ويروى عن بعض الصالحين أنه أراد طلاق امرأة ، فقيل له ما الذى يريبك فيها ؟ فقال العاقل لا يهتك ستر امرأته . فلما طلقها قيل له لم طلقتها ؟ فقال مالى ولامرأة غيرى ؟ فهذا بيان ما على الزوج

(١) حديث الوعيد فى افشاء سر المرأة : مسلم من حديث أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى الى امرأته وتفضى اليه ثم يفشي سرها

(١) النور : ٣٢ (٢) النساء : ١٣

القسم الثانى

من هذا الباب النظر فى حقوق الزوج عليها

والقول الشافي فيه ، ان النكاح نوع رق . فهى رقيقة له . فعليها طاعة الزوج مطلقا فى كل ماطلب منها فى نفسها ، مما لا معصية فيه . وقد ورد فى تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة . قال صلى الله عليه وسلم (١) « أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ » (٢) وكان رجل قد خرج الى سفر ، وعهد الى امرأته ان لاتنزل من العلو الى السفل . وكان أبوها فى الأسفل فمرض ، فأرسلت المرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن فى النزول الى أبيها . فقال صلى الله عليه وسلم « أَطِيعِي زَوْجَكِ » فمات . فاستأمرته ، فقال « أَطِيعِي زَوْجَكِ » فدفن أبوها . فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها يخبرها ان الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها .

وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا ، وَصَامَتْ شَهْرَهَا وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا ، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا ، دَخَلَتْ جَنَّةَ رَبِّهَا » وأضاف طاعة الزوج الى مبانى الاسلام . وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) النساء فقال « حَامِلَاتٌ وَالِدَاتٌ مُرْضِعَاتٌ رَحِيمَاتٌ بِأَوْلَادِهِنَّ لَوْلَا مَا يَأْتِينَ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ دَخَلَ مُصَلِّيَاتِهِنَّ الْجَنَّةَ » وقال صلى الله عليه وسلم (٥) « اطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ » فقلن لم يارسول الله ؟ قال « يُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَيَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ » يعنى الزوج المعاشر

---

(١) حديث أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة : الترمذى وقال حسن غريب وابن ماجه من حديث أم سلمة

(٢) حديث : كان رجل خرج الى سفر وعهد الى امرأته أن لا تنزل من العلو الى السفل وكان أبوها فى السفل فمرض : الحديث الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف الا أنه قال غفر لأبيها

(٣) حديث : اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها : الحديث ابن حبان من حديث أبى هريرة

(٤) حديث : ذكر النساء فقال حاملات والدات مرضعات : الحديث ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبى امامة دون قوله مرضعات وهى عند الطبرانى فى الصغير

(٥) حديث اطلعت فى النار فاذا أكثر اهلها النساء : الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس

وفي خبر آخر [١] « اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَإِذَا أَقَلُّ أَهْلِهَا النِّسَاءُ فَقُلْتُ أَيْنَ النِّسَاءُ؟ قَالَ شَغَلَهُنَّ الْأَحْمَرَانِ الذَّهَبُ وَالزَّعْفَرَانُ » يعني الحلي ومصبغات الثياب

وقالت عائشة رضي الله عنها أتت فتاة الى النبي صلى الله عليه وسلم [٢] فقالت يارسول الله، اني فتاة اخطب فاكره التزويج، فما حق الزوج على المرأة؟ قال « لَوْ كَانَ مِنْ فَرْقِهِ إِلَى قَدَمِهِ صَدِيدٌ فَلَحَسَتْهُ مَا أَدَّتْ شُكْرَهُ » قالت أفلا أتزوج؟ قال « بَلَى تَزَوَّجِي فَإِنَّهُ خَيْرٌ » قال ابن عباس أتت امرأة من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣] فقالت، اني امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج؟ قال « إِنَّ مِنْ حَقِّ الزَّوْجِ عَلَى الزَّوْجَةِ إِذَا أَرَادَهَا فَرَاوَدَهَا عَلَى نَفْسِهَا وَهِيَ عَلَى ظَهْرِ بَعِيرٍ لَا تَمْنَعُهُ، وَمِنْ حَقِّهِ أَنْ لَا تُعْطِيَ شَيْئًا مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَإِنْ فَعَلَتْ ذَلِكَ كَانَ الْوِزْرُ عَلَيْهَا وَالْأَجْرُ لَهُ، وَمِنْ حَقِّهِ أَنْ لَا تَصُومَ تَطَوُّعًا إِلَّا بِإِذْنِهِ فَإِنْ فَعَلَتْ جَاعَتْ وَعَطِشَتْ وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْهَا، وَإِنْ خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ أَوْ تَتُوبَ » وقال صلى الله عليه وسلم « [٤] لَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ

---

(١) حديث اطلعت في الجنة فاذا أقل أهلها النساء فقلت أين النساء قال شغلهن الأحمران الذهب والزعفران أحمد من حديث ابي امامة بسند ضعيف وقال الحرير بدل الزعفران ولمسلم من حديث عزة الأشجعية ويل للنساء من الأحمرين الذهب والزعفران وسنده ضعيف

(٢) حديث عائشة أتت فتاة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يانبي الله اني فتاة أخطب واني أكره التزويج فما حق الزوج على المرأة ـ الحديث الحاكم وصحح اسناده من حديث أبي هريرة دون قوله بلى فتزوجي فانه خير ولم أره من حديث عائشة

(٣) حديث ابن عمر أتت امرأة من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني امرأة أيم واريد أن اتزوج فما حق الزوج الحديث البيهقي مقتصراً على شطر الحديث ورواه بتمامه من حديث ابن عمر وفيه ضعف

(٤) حديث: لو امرت احدا ان يسجد لأحد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها والولد لأبيه من عظم حقهما عليهما الترمذي وابن حبان من حديث ابي هريرة دون قوله والولد لأبيه فلم ارها وكذلك رواه ابو داود من حديث قيس بن سعد وابن ماجه من حديث عائشة وابن حبان من حديث ابن ابي اوفى

لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا مِنْ عِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا» وقال صلى الله عليه وسلم «(١) أَقْرَبُ مَا تَكُونُ الْمَرْأَةُ مِنْ وَجْهِ رَبِّهَا إِذَا كَانَتْ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا وَإِنَّ صَلَاتَهَا فِي صَحْنِ دَارِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي الْمَسْجِدِ وَصَلَاتَهَا فِي بَيْتِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي صَحْنِ دَارِهَا وَصَلَاتَهَا فِي مَخْدَعِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي بَيْتِهَا» والمخدع بيت في بيت وذلك للستر ولذلك قال عليه السلام(٢) «الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ فَإِذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ» وقال أيضاً(٣) «لِلْمَرْأَةِ عَشْرُ عَوْرَاتٍ فَإِذَا تَزَوَّجَتْ سَتَرَ الزَّوْجُ عَوْرَةً وَاحِدَةً فَإِذَا مَاتَتْ سَتَرَ الْقَبْرُ الْعَشْرَ عَوْرَاتٍ»

فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة ، وأهمها أمران ، احدهما الصيانة والستر . والآخر ترك المطالبة مما وراء الحاجة ، والتعفف عن كسبه اذا كان حراما . وهكذا كانت عادة النساء في السلف . كان الرجل اذا خرج من منزله تقول له امرأته أو ابنته : اياك وكسب الحرام ، فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار . وهم رجل من السلف بالسفر ، فكره جيرانه سفره ، فقالوا لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة ؟ فقالت زوجي منذ عرفته عرفته أكالا وماعرفته رزاقا ، ولي رب رزاق ، يذهب الاكال ويبقى الرزاق

وخطبت رابعة بنت اسماعيل أحمد بن ابي الحواري ، فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها والله مالي همة في النساء لشغلي بحالي ، فقالت اني لأشغل بحالي منك ، ومالي شهوة ولكن ورثت مالا جزيلا من زوجي ، فاردت ان تنفقه على اخوانك ، وأعرف بك الصالحين ، فيكون لي طريقا الى الله عز وجل . فقال حتى استأذن أستاذي ، فرجع الى أبي سليمان الداراني ، قال وكان ينهاني عن التزويج ، ويقول ما تزوج أحد من أصحابنا الا تغير . فلما سمع كلامها قال تزوج بها ، فانها ولية لله ، هذا كلام الصديقين . قال فتزوجتها ، فكان

---

(١) حديث: اقرب ماتكون المرأة من ربها اذا كانت في قعر بيتها فان صلاتها في صحن دارها افضل من صلاتها في المسجد ـ الحديث ابن حبان من حديث ابن مسعود بأول الحديث دون آخره وآخره رواه ابو داود مختصرا من حديثه دون ذكر صحن الدار ورواه البيهقي من حديث عائشة بلفظ ولأن تصلي في الدار خير لها من ان تصلي في المسجد واسناده حسن ولابن حبان من حديث ام حميد نحوه

(٢) حديث: المرأة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان الترمذي وقال حسن صحيح وابن حبان من حديث ابن مسعود

(٣) حديث: للمرأة عشر عورات فاذا تزوجت ستر الزوج عورة ـ الحديث الحافظ ابو بكر محمد بن عمر الجعابي في تاريخ الطالبين من حديث علي بسند ضعيف وللطبراني في الصغير من حديث ابن عباس للمرأة ستران قيل وماهما قال الزوج والقبر

فى منزلنا كن من جص ، ففنى من غسل أيدى المستعجلين للخروج بعد الاكل ، فضلا عمن غسل بالاشنان . قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة ، فكانت تطعمنى الطيبات ، وتطيبنى وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى أزواجك . وكانت رابعة هذه تشبه فى أهل الشام برابعة العدوية بالبصرة .

ومن الواجبات عليها أن لاتفرط فى ماله ، بل تحفظه عليه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « لَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تُطْعِمَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِلَّا الرَّطْبَ مِنَ الطَّعَامِ الَّذِى يُخَافُ فَسَادُهُ فَإِنْ أَطْعَمَتْ عَنْ رِضَاهُ كَانَ لَهَا مِثْلُ أَجْرِهِ . وَإِنْ أَطْعَمَتْ بِغَيْرِ إِذْنِهِ كَانَ لَهُ الْأَجْرُ وَعَلَيْهَا الْوِزْرُ »

ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن المعاشرة وآداب العشرة مع الزوج . كما روى ان أسماء بنت خارجة الفزارى قالت لابنته عند التزوج : انك خرجت من العش الذى فيه درجت فصرت الى فراش لم تعرفيه ، وقرين لن تألفيه . فكونى له ارضا يكن لك سماء ، وكونى له مهادا يكن لك عمادا ، وكونى له أمة يكن لك عبدا . لا تلحفي به فيقلاك ، ولا تباعدى عنه فينساك ، ان دنا منك فاقربى منه ، وان نأى فابعدى عنه ، واحفظي أنفه وسمعه وعينه ، فلا يشمن منك الا طيبا ، ولا يسمع الا حسنا ، ولا ينظر إلا جميلا

وقال رجل لزوجته :

خذى العفو منى تستديمى مودتى * ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب
ولا تنقرينى نقرك الدف مرة * فانك لاتدرين كيف المغيب
ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالهوى * ويأباك قلبى والقلوب تقلب
فانى رأيت الحب فى القلب والأذى * اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

فالقول الجامع فى آداب المرأة من غير تطويل ، أن تكون قاعدة فى قعر بيتها ، لازمة

---

(١) حديث لايحل لها أن تطعم من بيته إلا باذنه إلا الرطب من الطعام ـ الحديث ابو داود الطيالسي والبيهقى من حديث ابن عمر فى حديث فيه ولاتعطى من بيته شيئا إلا باذنه فان فعلت ذلك كان له الأجر وعليها الوزر ولأبى داود من حديث سعد قالت امرأة يارسول الله انا كل على آبائنا وابنائنا وازواجنا فما يحل لنا من اموالهم قال الرطب تأكلنه وتهدينه وصحح الدار قطنى فى العلل ان سعداً هذا رجل من الأنصار ليس ابن ابى وقاص واختاره ابن القطان ويسلم من حديث عائشة اذا انفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما انفقت ولزوجها اجره بما كسب

لمغزلها ، لا يكثر صعودها واطلاعها ، قليلة الكلام لجيرانها ، لا تدخل عليهم الا فى حال يوجب الدخول ، تحفظ بعلها فى غيبته ، وتطلب مسرته فى جميع أمورها ، ولا تخونه فى نفسها وماله ولا تخرج من بيتها إلا باذنه ، فان خرجت باذنه فمختفية فى هيئة رثة ، تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق ، محترزة من ان يسمع غريب صوتها ، أو يعرفها بشخصها ، لا تتعرف الى صديق بعلها في حاجاتها ، بل تتنكر على من تظن أنه يعرفها أو تعرفه ، همها صلاح شأنها ، وتدبير بيتها ، مقبلة على صلاتها وصيامها . وإذا استأذن صديق لبعلها على الباب وليس البعل حاضرا لم تستفتهم ، ولم تعاوده فى الكلام ، غيرة على نفسها وبعلها ، وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله ، وتقدم حقه على حق نفسها ، وحق سائر أقاربها ، متنظفة فى نفسها ، مستعدة فى الأحوال كلها للتمتع بها ان شاء ، مشفقة على أولادها ، حافظة للستر عليهم ، قصيرة اللسان عن سب الأولاد ومراجعة الزوج . وقد قال صلى الله عليه وسلم (١) « أَنَا وَامْرَأَةٌ سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ ، امْرَأَةٌ آمَتْ مِنْ زَوْجِهَا وَحَبَسَتْ نَفْسَهَا عَلَى بَنَاتِهَا حَتَّى ثَابُوا أَوْ مَاتُوا » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « حَرَّمَ اللهُ عَلَى كُلِّ آدَمِيٍّ الْجَنَّةَ يَدْخُلُهَا قَبْلِي . غَيْرَ أَنِّي أَنْظُرُ عَنْ يَمِينِي فَإِذَا امْرَأَةٌ تُبَادِرُنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَأَقُولُ مَا لِهَذِهِ تُبَادِرُنِي ؟ فَيُقَالُ لِي يَا مُحَمَّدُ هَذِهِ امْرَأَةٌ كَانَتْ حَسْنَاءَ جَمِيلَةً وَكَانَ عِنْدَهَا يَتَامَى لَهَا فَصَبَرَتْ عَلَيْهِنَّ حَتَّى بَلَغَ أَمْرُهُنَّ الَّذِي بَلَغَ فَشَكَرَ اللهُ لَهَا ذَلِكَ »

ومن آدابها أن لا تتفاخر على الزوج بجمالها ، ولا تزدرى زوجها لقبحه . فقد روى ان الاصمعى قال ، دخلت البادية فاذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجها ، تحت رجل من أقبح الناس وجها . فقلت لها ياهذه ، أترضين لنفسك أن تكونى تحت مثله ، فقالت يا هذا اسكت ، فقد أسأت فى قولك . لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه فجعلنى ثوابه ، أو لعلى أسأت فيما بينى وبين خالقى فجعله عقوبتى . أفلا أرضى بما رضى الله لى ! فاسكتنى . وقال الاصمعى رأيت فى البادية امرأة عليها قميص أحمر وهى مختضبة ، وبيدها سبحة . فقلت ما أبعد هذا من هذا ! فقالت :

---

(١) حديث انا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين ـ الحديث ابو داود من حديث ابى مالك الأشجعى بسند ضعيف

(٢) حديث حرم الله على كل آدمى الجنة ان يدخل قبلى غير أنى انظر عن يمينى فاذا امرأة تبادرنى الى باب الجنة الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث ابى هريرة بسند ضعيف

ولله مني جانب لا أضيعه * وللهو مني والبطالة جانب

فعلمت انها امرأة صالحة لها زوج تتزين له

ومن آداب المرأة ملازمة الصلاح والانقباض فى غيبة زوجها ، والرجوع الى اللعب والانبساط وأسباب اللذة فى حضور زوجها ، ولا ينبغى أن تؤذى زوجها بحال . روى عن معاذ ابن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] « لَا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ لَا تُؤْذِيهِ قَاتَلَكِ اللهُ فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا »

ومما يجب عليها من حقوق النكاح اذا مات عنها زوجها ، أن لا تحد عليه أكثر من أربعة أشهر وعشر ، وتتجنب الطيب والزينة في هذه المدة . قالت زينب بنت أبي سلمة ، دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفى أبوها أبو سفيان بن حرب ، فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره ، فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ، ثم قالت : والله مالى بالطيب من حاجة ، غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] يقول « لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا » ويلزمها لزوم مسكن النكاح الى آخر العدة ، وليس لها الانتقال الى أهلها ولا الخروج الا لضرورة .

ومن آدابها أن تقوم بكل خدمة فى الدار تقدر عليها . فقد روى عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنهما أنها قالت : [3] تزوجنى الزبير ، وماله فى الارض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه ، فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه ، وأدق النوى لناضحه وأعلفه ، وأستقى الماء ، وأخرز غربه ، وأعجن . وكنت أنقل النوى على رأسى من

---

(١) حديث معاذ لا تؤذي امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه ـ الحديث الترمذى وقال حسن غريب وابن ماجه

(٢) حديث أم حبيبة لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد علي ميت أكثر من ثلاثة ايام إلا على زوج اربعة اشهر وعشرا متفق عليه

(٣) حديث اسماء تزوجنى الزبير وماله فى الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرس وناضح فكنت اعلف فرسه ـ الحديث متفق عليه

ثلثى فرسخ ، حتى أرسل الىّ أبو بكر بجارية ، فكفتنى سياسة الفرس . فكأنما أعتقنى . ولقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ومعه أصحابه ، والنوى على رأسى . فقال صلى الله عليه وسلم « اخ اخ لِيُنِيخ نَاقَتَهُ وَيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ » فاستحييت أن أسير مع الرجال ، وذكرت الزبير وغيرته ، وكان أغير الناس . فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم انى قد استحييت . فجئت الزبير ، فحكيت له ما جرى ، فقال والله لحملك النوى على رأسك أشد على من ركوبك معه .

تم كتاب آداب النكاح بحمد الله ومنه وصلى الله على كل عبد مصطفى

كتاب آداب الكسب والمعاش

كتاب آداب الكسب والمعاش

﴿ وهو الكتاب الثالث من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله حمد موحد انمحق فى توحيده ماسوى الواحد الحق وتلاشى ، ونمجده تمجيد من يصرح بان كل شيء ماسوى الله باطل ولا يتحاشى ، وان كل من فى السموات والارض لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ولا فراشا ، ونشكره اذ رفع السماء لعباده سقفا مبنيا ومهد الارض بساطا لهم وفراشا ، وكور الليل على النهار فجعل الليل لباسا وجعل النهار معاشا ، لينتشروا فى ابتغاء فضله وينتعشوا به عن ضراعة الحاجات انتعاشا . ونصلى على رسوله الذى يصدر المؤمنون عن حوضه رواء بعد ورودهم عليه عطاشا ، وعلى آله وأصحابه الذين لم يدعوا فى نصرة دينه تشمرا وانكماشا . وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد . فان رب الارباب ومسبب الأسباب ، جعل الآخرة دار الثواب والعقاب ، والدنيا دار التمحل والاضطراب والتشمر والاكتساب . وليس التشمر فى الدنيا مقصوراً على المعاد دون المعاش ، بل المعاش ذريعة الى المعاد ، ومعين عليه ، فالدنيا مزرعة الآخرة ، ومدرجة اليها

والناس ثلاثة : رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ، ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين ، والاقرب الى الاعتدال هو الثالث الذى شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين . ولن ينال رتبة الاقتصاد من لم يلازم فى طلب المعيشة منهج السداد ، ولن ينتهض من طلب الدنيا وسيلة الى الآخرة وذريعة ما لم يتأدب فى طلبها بآداب الشريعة وها نحن نورد آداب التجارات والصناعات وضروب الاكتسابات وسننها ، ونشرحها فى خمسة أبواب

(الباب الاول) : فى فضل الكسب والحث عليه

(الباب الثانى) : فى علم صحيح البيع والشراء والمعاملات

(الباب الثالث) : فى بيان العدل فى المعاملة

(الباب الرابع) : فى بيان الاحسان فيها

(الباب الخامس) : فى شفقة التاجر على نفسه ودينه

الباب الأول

﴿ فى فضل الكسب والحث عنه ﴾

أما من الكتاب فقوله تعالى (وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا[1]) فذكره فى معرض الامتنان. وقال تعالى (وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ[2]) فجعلها ربك نعمة، وطلب الشكر عليها، وقال تعالى (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ[3]) وقال تعالى (وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ[4]) وقال تعالى (فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ[5])

وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم[1] «مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبٌ لاَ يُكَفِّرُهَا إِلاَّ الْهَمُّ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ» وقال عليه السلام[2] «التَّاجِرُ الصَّدُوقُ يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ» وقال صلى الله عليه وسلم[3] «مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلالاً وَتَعَطُّفًا عَنِ الْمَسْأَلَةِ وَسَعْيًا عَلَى عِيَالِهِ وَتَعَطُّفًا عَلَى جَارِهِ لَقِيَ اللهَ وَوَجْهُهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ» وكان صلى الله عليه وسلم[4] جالسا مع أصحابه ذات يوم، فنظروا الى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر يسعى. فقالوا ويح هذا، لوكان شبابه وجلده فى سبيل الله. فقال صلى الله عليه وسلم «لاَ تَقُولُوا هَذَا فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ لِيَكُفَّهَا عَنِ الْمَسْأَلَةِ وَيُغْنِيَهَا عَنِ النَّاسِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ ضَعِيفَيْنِ أَوْ ذُرِّيَّةٍ ضِعَافٍ لِيُغْنِيَهُمْ وَيَكْفِيَهُمْ فَهُوَ

الباب الأول فى فضل الكسب والحث عليه

(١) حديث من الذنوب ذنوب لايكفرها إلا الهم فى طلب المعيشة : تقدم فى النكاح

(٢) حديث التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء: الترمذى والحاكم من حديث أبى سعيد قال الترمذى حسن وقال الحاكم انه من مراسيل الحسن ولابن ماجه والحاكم نحوه من حديث ابن عمر

(٣) حديث من طلب الدنيا حلالا تعففاً عن المسألة وسعياً على عياله ـ الحديث أبو الشيخ فى كتاب الثواب وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى شعب الايمان من حديث أبى هريرة بسند ضعيف

(٤) حديث كان النبى صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظر الى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لوكان جلده فى سبيل الله ـ الحديث الطبرانى فى معاجمه الثلاثة من حديث كعب ابن عجرة بسند ضعيف

---

(١) النبأ : ١١ (٢) الحجر : ٢٠ (٣) البقرة ١٩٨ (٤) المزمل : ٢٠ (٥) الجمعة ١٠

فِي سَبِيلِ اللهِ . وَإِنْ كَانَ يَسْعَى تَفَاخُراً وَتَكَاثُراً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ » وقال صلى الله عليه وسلم (١) « إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ يَتَّخِذُ الْمِهْنَةَ لِيَسْتَغْنِيَ بِهَا عَنِ النَّاسِ وَيَبْغُضُ الْعَبْدَ يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ يَتَّخِذُهُ مِهْنَةً » وفى الخبر (٢) إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ الْمُؤْمِنَ الْمُحْتَرِفَ » وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « أَحَلُّ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٌ » وفى خبر آخر (٤) « أَحَلُّ مَا أَكَلَ الْعَبْدُ كَسْبُ يَدِ الصَّانِعِ إِذَا نَصَحَ » وقال عليه السلام (٥) « عَلَيْكُمْ بِالتِّجَارَةِ فَإِنَّ فِيهَا تِسْعَةَ أَعْشَارِ الرِّزْقِ » وروى أن عيسى عليه السلام رأى رجلا فقال ماتصنع ؟ قال أتعبد . قال من يعولك ؟ قال أخى . قال أخوك أعبد منك . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم (٦) « إِنِّي لَا أَعْلَمُ شَيْئاً يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبْعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ . وَإِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْساً لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ

---

(١) حديث ان الله يحب العبد يتخذ المهنة يستغنى بها عن الناس ـ الحديث لم أجده هكذا وروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على ان الله يحب أن يرى عبده تعباً فى طلب الحلال وفيه محمد بن سهل العطار قال الدارقطنى يضع الحديث

(٢) حديث ان الله يحب المؤمن المحترف: الطبرانى وابن عدى وضعفه من حديث ابن عمر

(٣) حديث أحل ماأكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور: أحمد من حديث رافع بن خديج قيل يارسول الله أى الكسب أطيب قال عمل الرجل بيده وكل عمل مبرور ورواه البزار والحاكم من رواية سعيد بن عمير عن عمه قال الحاكم صحيح الاسناد قال وذكر يحيى بن معين ان عم سعيد البراء ابن عازب ورواه البيهقى من رواية سعيد بن عمير مرسلا وقال هذا هو المحفوظ وخطأ قول من قال عن عمه وحكاه عن البخارى ورواه احمد والحاكم من رواية جميع بن عمير عن خاله أبى بردة وجميع ضعيف والله أعلم

(٤) حديث أحل ماأكل العبد كسب الصانع اذا نصح: احمد من حديث ابى هريرة خير الكسب كسب العامل اذا نصح واسناده حسن

(٥) حديث عليكم بالتجارة فان فيها تسعة أعشار الرزق: ابراهيم الحربى فى غريب الحديث من حديث نعيم ابن عبد الرحمن تسعة أعشار الرزق فى التجارة ورجاله ثقات ونعيم هذا قال فيه ابن منده ذكر فى الصحابة ولايصح وقال أبو حاتم الرازى وابن حبان انه تابعى فالحديث مرسل

(٦) حديث انى لاأعلم شيئاً يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار الانهيتكم عنه فان الروح الأمين نفث فى روعى أن نفساً لن تموت حتى تستوفى رزقها ـ الحديث : ابن أبى الدنيا فى القناعة والحاكم من حديث ابن مسعود وذكره شاهدا لحديث ابى حميد وجابر وصححهما على شرط الشيخين وهما مختصران ورواه البيهقى فى شعب الايمان وقال انه منقطع

رِزْقَهَا وإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ » أمر بالاجمال فى الطلب ولم يقل اتركوا الطلب . ثم قال فى آخره « وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ شَيْءٍ مِنَ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَى فَإِنَّ اللهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ بِمَعْصِيَتِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم [1] « الْأَسْوَاقُ مَوَائِدُ اللهِ تَعَالَى فَمَنْ أَتَاهَا أَصَابَ مِنْهَا » وقال عليه السلام [2] « لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا أَعْطَاهُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ » وقال [3] « مَنْ فَتَحَ عَلَى نَفْسِهِ بَابًا مِنَ السُّؤَالِ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الْفَقْرِ »

وأما الآثار : فقد قال لقمان الحكيم لابنه : يابنى استغن بالكسب الحلال عن الفقر ، فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال : رقة فى دينه ، وضعف فى عقله ، وذهاب مروءته وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به

وقال عمر رضى الله عنه ، لايقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى ، فقد علمتم أن السماء لاتمطر ذهباً ولا فضة . وكان زيد بن مسلمة يغرس فى أرضه ، فقال له عمر رضى الله عنه أصبت . استغن عن الناس يكن أصون لدينك ، وأكرم لك عليهم ، كما قال صاحبكم أحيحة

فلن أزال على الزوراء أغمرها * ان الكريم على الاخوان ذو المال

وقال ابن مسعود رضى الله عنه انى لأكره أن أرى الرجل فارغا لا فى أمر دنياه ولا فى أمر آخرته . وسئل إبراهيم عن التاجر الصدوق أهو أحب اليك أم المتفرغ للعبادة ؟ قال التاجر الصدوق أحب الىّ ، لانه فى جهاد ، يأتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ، ومن قبل الأخذ والعطاء فيجاهده . وخالفه الحسن البصرى فى هذا . وقال عمر رضى الله عنه ، ما من موضع يأتينى الموت فيه أحب الى من موطن أتسوق فيه لأهلى ، أبيع واشترى ، وقال الهيثم ، ربما يبلغنى عن الرجل يقع فىّ فأذكر استغنائى عنه فيهون ذلك على وقال أيوب ، كسب فيه شىء أحب إلىّ من سؤال الناس ،

---

(١) حديث الأسواق موائد الله فمن أتاها أصاب منها : رويناه فى الطهوريات من قول الحسن البصرى ولم أجده مرفوعا

(٢) حديث لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتى رجلا ـ الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٣) حديث من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر : الترمذى من حديث أبى كبشة الأنمارى ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها وقال حسن صحيح

وجاءت ريح عاصفة فى البحر ، فقال أهل السفينة لابراهيم بن أدهم رحمه الله ، وكان معهم فيها ، أما ترى هذه الشدة ؟ فقال ما هذه الشدة ، انما الشدة الحاجة الى الناس . وقال أيوب قال لى أبو قلابة الزم السوق ، فان الغنى من العافية . يعنى الغنى عن الناس . وقيل لأحمد ، ما تقول فيمن جلس فى بيته أو مسجده وقال لا أعمل شيأ حتى يأتينى رزقى ؟ فقد أحمد ، هذا رجل جهل العلم ، أما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم (١) « إِنَّ اللهَ جَعَلَ رِزْقِى تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِى » وقوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال (٢) « تَغْدُو خِمَاصاً وَتَرُوحُ بِطَاناً » فذكر أنها تغدو فى طلب الرزق .

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر ، ويعملون فى نخيلهم والقدوة بهم . وقال أبو قلابة لرجل ، لأن أراك تطلب معاشك أحب الى من أن أراك فى زاوية المسجد . وروى ان الأوزاعى لقى ابراهيم بن أدهم رحمهم الله ، وعلى عنقه حزمة حطب ، فقال له ياأبا اسحق ، الى متى هذا ؟ اخوانك يكفونك . فقال دعنى عن هذا يا أبا عمرو ، فانه بلغنى أنه من وقف موقف مذلة فى طلب الحلال وجبت له الجنة . وقال أبو سليمان الدارانى ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يقوت لك ، ولكن ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد . وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ، ينادى مناد يوم القيامة أين بغضاء الله فى ارضه ؟ فيقوم سؤال المساجد فهذه مذمة الشرع للسؤال والاتكال على كفاية الاغيار ، ومن ليس له مال موروث فلا ينجيه من ذلك الا الكسب والتجارة

فان قلت : فقد قال صلى الله عليه وسلم (٣) « مَا أُوحِىَ إِلَىَّ أَنِ اجْمَعِ الْمَالَ وَكُنْ مِنَ التَّاجِرِينَ وَلَكِنْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنْ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ، وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ » وقيل لسلمان الفارسى أوصنا ، فقال من استطاع منكم أن يموت حاجا ، أو غازيا . أو عامرا لمسجد ربه ، فليفعل . ولا يموتن تاجرا ولا خائنا

---

(١) حديث ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحي . احمد من حديث ابن عمر جعل رزقى تحت ظل رمحى واسناده صحيح

(٢) حديث ذكر الطير فقال تغدو خماصا وتروح بطانا : الترمذى وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذى حسن صحيح

(٣) حديث ماأوحي الى أن أجمع المال وكن من التاجرين ولكن أوحى الى أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين : ابن مردويه فى التفسير من حديث ابن مسعود بسند فيه لين

فالجواب انوجه الجمع بين هذه الاخبار تفصيل الاحوال . فنقول لسنا نقول التجارة أفضل مطلقا من كل شيء ، ولكن التجارة اما أن تطلب بها الكفاية ، أو الثروة ، أو الزيادة على الكفاية . فان طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادخاره، لاليصرف الى الخيرات والصدقات ، فهي مذمومة . لأنه اقبال على الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة . فان كان مع ذلك ظالما خائنا ، فهو ظلم وفسق . وهذا ما أراده سلمان بقوله ، لاتمت تاجراً ولا خائنا . وأراد بالتاجر طالب الزيادة . فأما اذا طلب بها الكفاية لنفسه وأولاده ، وكان يقدر على كفايتهم بالسؤال ، فالتجارة تعففا عن السؤال أفضل . وان كان لايحتاج الى السؤال ، وكان يعطى من غير سؤال ، فالكسب أفضل . لأنه انما يعطى لأنه سائل بلسان حاله ، ومناد بين الناس بفقره . فالتعفف والتستر أولى من البطالة ، بل من الاشتغال بالعبادات البدنية . وترك الكسب أفضل لأربعة : عابد بالعبادات البدنية ، أو رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب فى علوم الأحوال والمكاشفات ، أو عالم مشتغل بتربية علم الظاهر مما ينتفع الناس به فى دينهم ، كالمفتى والمفسر والمحدث وأمثالهم ، أو رجل مشتغل بمصالح المسلمين وقد تكفل بأمورهم ، كالسلطان والقاضى والشاهد . فهؤلاء اذا كانوا يكفَون من الأموال المرصدة للمصالح ، أو الأوقاف المسبلة على الفقراء أو العلماء ، فإقبالهم على ماهم فيه أفضل من اشتغالهم بالكسب . ولهذا أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ، ولم يوح اليه أن كن من التاجرين ، لأنه كان جامعا لهذه المعانى الاربعة الى زيادات لايحيط بها الوصف . ولهذا أشار الصحابة على أبى بكر رضى الله عنهم بترك التجارة لما ولى الخلافة ، اذ كان ذلك يشغله عن المصالح . وكان يأخذ كفايته من مال المصالح . ورأى ذلك أولى . ثم لما توفى أوصى برده الى بيت المال ، ولكنه رآه فى الابتداء أولى

ولهؤلاء الأربعة حالتان أخريان ، احداهما أن تكون كفايتهم عند ترك المكسب من أيدى الناس ، وما يتصدق به عليهم من زكاة أو صدقة ، من غير حاجة الى سؤال . فترك الكسب والاشتغال بما هم فيه أولى ، اذ فيه إعانة الناس على الخيرات ، وقبول منهم لما هو حق عليهم وأفضل لهم .

الحالة الثانية الحاجة الى السؤال . وهذا فى محل النظر . والتشديدات التي رويناها

فى السؤال وذمه، تدل ظاهرا على أن التعفف عن السؤال أولى . واطلاق القول فيه من غير ملاحظة الأحوال والأشخاص عسير . بل هو موكول الى اجتهاد العبد ونظره لنفسه ، بأن يقابل مايلقى فى السؤال من المذلة وهتك المروءة، والحاجة الى التثقيل والالحاح، بما يحصل من اشتغاله بالعلم والعمل من الفائدة له ولغيره . فرب شخص تكثر فائدة الخلق وفائدته فى اشتغاله بالعلم أو العمل ، ويهون عليه بأدنى تعريض فى السؤال تحصيل الكفاية. وربما يكون بالعكس . وربما يتقابل المطلوب والمحذور . فينبغى أن يستفتى المريد فيه قلبه وان أفتاه المفتون فان الفتاوى لاتحيط بتفاصيل الصور ودقائق الأحوال

ولقد كان فى السلف من له ثلثمائة وستون صديقاً ، ينزل على كل واحد منهم ليلة . ومنهم من له ثلاثون . وكانوا يشتغلون بالعبادة ، لعلمهم أن المتكلفين بهم يتقلدون منة من قبولهم لمبراتهم . فكان قبولهم لمبراتهم خيرا مضافا لهم الى عباداتهم. فينبغى أن يدقق النظر فى هذه الأمور فان أجر الآخذ كأجر المعطى ، مهما كان الآخذ يستعين به على الدين . والمعطى يعطيه عن طيب قلب . ومن اطلع على هذه المعانى أمكنه أن يتعرف حال نفسه . ويستوضح من قلبه ماهو الأفضل له بالاضافة الى حاله ووقته

فهذه فضيلة الكسب . وليكن العقد الذى به الاكتساب جامعاً لأربعة أمور، الصحة والعدل ، والاحسان ، والشفقة على الدين . ونحن نعقد فى كل واحد بابا ، ونبتدىء بذكر أسباب الصحة فى الباب الثانى .

الباب الثانى

فى علم الكسب بطريق البيع والربا والسلم والإجارة والقراض والشركة
وبيان شروط الشرع فى صحة هذه التصرفات التى هى مدار المكاسب فى الشرع

اعلم أن تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مسلم مكتسب . لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ، وانما هو طلب العلم المحتاج اليه . والمكتسب يحتاج الى علم الكسب . ومهما حصل علم هذا الباب ، وقف على مفسدات المعاملة فيتقيها ، وما شذ عنه من الفروع المشكلة فيقع على

سبب اشكالها ، فيتوقف فيها الى أن يسأل . فانه اذا لم يعلم أسباب الفساد بعلم جملى ، فلايدرى متى يجب عليه التوقف والسؤال . ولو قال لاأقدم العلم ، ولكنى اصبر الى أن تقع لى الواقعة ، فعندها أتعلم واستفتى ، فيقال له وبم تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم جمل مفسدات العقود ؟ فانه يستمر فى التصرفات ويظنها صحيحة مباحة ، فلا بدله من هذا القدر من علم التجارة ، ليتميز له المباح عن المحظور ، وموضع الاشكال عن موضع الوضوح . ولذلك روى عن عمر رضى الله عنه ، أنه كان يطوف السوق ، ويضرب بعض التجار بالدرة ، ويقول لا يبيع فى سوقنا إلا من يفقه ، وإلا أكل الربا شاء أم أبى

وعلم العقود كثير ، ولكن هذه العقود الستة لاتنفك المكاسب عنها ، وهى البيع ، والربا ، والسلم ، والاجارة ، والشركة ، والقراض ، فلنشرح شروطها

العقد الأول

البيع

وقد أحله الله تعالى ، وله ثلاثة أركان : العاقد ، والمعقود عليه ، واللفظ .

الركن الاول : العاقد . ينبغى للتاجر أن لايعامل بالبيع أربعة : الصبى ، والمجنون ، والعبد والاعمى . لأن الصبى غير مكلف ، وكذا المجنون . وبيعهما باطل . فلا يصح بيع الصبى ، وان أذن له فيه الولىّ عند الشافعى . وما أخذه منهما مضمون عليه لهما ، وما سامه فى المعاملة اليهما فضاع فى أيديهما فهو المضيع له . وأما العبد العاقل ، فلا يصح بيعه وشراؤه إلا باذن سيده . فعلى البقال والخباز والقصاب وغيرهم ، أن لايعاملوا العبيد ، مالم تأذن لهم السادة فى معاملتهم ، وذلك بأن يسمعه صريحا ، أو ينتشر فى البلد أنه مأذون له فى الشراء لسيده ، وفى البيع له ، فيعوّل على الاستفاضة ، أو على قول عدل يخبره بذلك . فإن عامله بغير اذن السيد فعقده باطل ، وما أخذه منه مضمون عليه لسيده . وما تسامه ان ضاع فى يد العبد لايتعلق برقبته ، ولا يضمنه سيده . بل ليس له الا المطالبة اذا عتق . وأما الأعمى فانه يبيع ويشترى ما لايرى فلا يصح ذلك . فليأمره بان يوكل وكيلا بصيراً ليشترى له أو يبيع ، فيصح توكيله ، ويصح بيع وكيله . فان عامله التاجر بنفسه فالمعاملة فاسدة ، وما أخذه منه مضمون

عليه بقيمته ، وما سلمه اليه أيضاً مضمون له بقيمته . وأما الكافر فتجوز معاملته ، لكن لا يباع منه المصحف ، ولا العبد المسلم ، ولا يباع منه السلاح ان كان من أهل الحرب . فان فعل فهي معاملات مردودة ، وهو عاص بها ربه

وأما الجندية من الاتراك ، والتركمانية ، والعرب ، والاكراد ، والسراق ، والخونة ، وأكلة الربا ، والظلمة ، وكل من أكثر ماله حرام ، فلا ينبغي أن يتملك مما في أيديهم شيأ لأجل أنها حرام، الا اذا عرف شيئا بعينه أنه حلال. وسيأتي تفصيل ذلك في كتاب الحلال والحرام

الركن الثاني في المعقود عليه : وهو المال المقصود نقله من أحد العاقدين الى الآخر ، ثمنا كان أو مثمنا ، فيعتبر فيه ستة شروط :

الاول: أن لا يكون نجسا في عينه ، فلا يصح بيع كلب وخنزير ، ولا بيع زبل وعذرة ، ولا بيع العاج والأواني المتخذة منه ، فان العظم ينجس بالموت ، ولا يطهر الفيل بالذبح ، ولا يطهر عظمه بالتذكية . ولا يجوز بيع الخمر ، ولا بيع الودك النجس المستخرج من الحيوانات التي لا تؤكل ، وان يصلح للاستصباح أو طلاء السفن . ولا بأس ببيع الدهن الطاهر في عينه، الذي نجس بوقوع نجاسة أو موت فأرة فيه ، فانه يجوز الانتفاع به في غير الاكل ، وهو في عينه ليس بنجس . وكذلك لا أرى بأسا ببيع بزر القز ، فانه أصل حيوان ينتفع به ، وتشبيهه بالبيض وهو أصل حيوان ، أولى من تشبيهه بالروث . ويجوز بيع فارة المسك ، ويقضى بطهارتها اذا انفصلت من الظبية في حالة الحياة

الثاني: أن يكون منتفعاً به ، فلا يجوز بيع الحشرات ، ولا الفأرة ، ولا الحية . ولا التفات الى انتفاع المشعبذ بالحية ، وكذا لا التفات الى انتفاع أصحاب الحلق باخراجها من السلة وعرضها على الناس . ويجوز بيع الهرة والنحل ، وبيع الفهد والاسد ، ومايصلح لصيد أو ينتفع بجلده ويجوز بيع الفيل لأجل الحمل . ويجوز بيع الطوطي وهي الببغاء ، والطاوس والطيور المليحة الصور ، وان كانت لا تؤكل ، فان التفرج بأصواتها والنظر اليها غرض مقصود مباح ، وانما الكلب هو الذي لا يجوز أن يقتنى اعجابا بصورته ، لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه (١)

---

(١) حديث النهي عن اقتناء الكلب :متفق عليه من حديث ابن عمر من اقتنى كلباً إلا كلب ماشية أو ضاريا نقص من عمله كل يوم قيراطان

ولا يجوز بيع العود والصنج والمزامير والملاهي ، فانه لامنفعة لها شرعا . وكذا بيع الصور المصنوعة من الطين كالحيوانات التي تباع في الأعياد للعب الصبيان ، فان كسرها واجب شرعا . وصور الأشجار متسامح بها ، وأما الثياب والاطباق وعليها صور الحيوانات فيصح بيعها . وكذا الستور . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها (١) « اتَّخِذِي مِنْهَا نَمَارِقَ » ولا يجوز استعمالها منصوبة ، ويجوز موضوعة . واذا جاز الانتفاع من وجه ، صح البيع لذلك الوجه

الثالث أن يكون المتصرف فيه مملوكا للعاقد ، أو مأذونا من جهة المالك . ولا يجوز أن يشترى من غير المالك انتظارا للاذن من المالك . بل لو رضى بعد ذلك وجب استئناف العقد . ولا ينبغى أن يشترى من الزوجة مال الزوج ، ولا من الزوج مال الزوجة ، ولا من الوالد مال الولد ، ولا من الولد مال الوالد ، اعتمادا على أنه لو عرف لرضى به ، فانه اذا لم يكن الرضا متقدما لم يصح البيع . وأمثال ذلك مما يجرى فى الأسواق . فواجب على العبد المتدين أن يحترز منه .

الرابع أن يكون المعقود عليه مقدوراً على تسليمه شرعا وحسا ، فما لايقدر على تسليمه حسا لا يصح بيعه . كالآبق ، والسمك فى الماء ، والجنين فى البطن ، وعسب الفحل . وكذلك بيع الصوف على ظهر الحيوان ، واللبن فى الضرع لايجوز فانه يتعذر تسليمه ، لاختلاط غير المبيع بالمبيع . والمعجوز عن تسليمه شرعا ، كالمرهون والموقوف والمستولدة ، فلايصح بيعها أيضا . وكذا بيع الام دون الولد ، اذا كان الولد صغيرا . وكذا بيع الولد دون الأم ، لأن تسليمه تفريق بينهما وهو حرام . فلا يصح التفريق بينهما بالبيع

الخامس ان يكون المبيع معلوم العين والقدر والوصف ، أما العلم بالعين فبأن يشير اليه بعينه ، فلو قال بعتك شاة من هذا القطيع أى شاة أردت ، أو ثوبا من هذه الثياب التي بين يديك ، أوذراعا من هذا الكرباس وخذه من أى جانب شئت ، أو عشرة أذرع من

(١) حديث اتخذي منه نمارق بقوله لعائشة : متفق عليه من حديثها

هذه الأرض وخذه من أى طرف شئت ، فالبيع باطل . وكل ذلك مما يعتاده المتساهلون فى الدين ، إلا أن يبيع شائعا ، مثل ان يبيع نصف الشيء أو عشره ، فان ذلك جائز. وأما العلم بالقدر ، فانما يحصل بالكيل أو الوزن أو النظر اليه . فلو قال بعتك هذا الثوب بما باع به فلان ثوبه ، وهما لايدريان ذلك فهو باطل . ولو قال بعتك بزنة هذه الصنجة فهو باطل ، إذا لم تكن الصنجة معلومة . ولو قال بعتك هذه الصبرة من الحنطة فهو باطل . أو قال بعتك بهذه الصبرة من الدراهم، أو بهذه القطعة من الذهب ، وهو يراها ، صح البيع ، وكان تخمينه بالنظر كافيا فى معرفة المقدار . وأما العلم بالوصف فيحصل بالرؤية فى الأعيان . ولا يصح بيع الغائب إلا إذا سبقت رؤيته منذ مدة لايغلب التغير فيها ، والوصف لا يقوم مقام العيان . هذا أحد المذهبين . ولا يجوز بيع الثوب فى المنسج اعتمادا على الرقوم ، ولا بيع الحنطة فى سنبلها . ويجوز بيع الارز فى قشرته التى يدخر فيها . وكذا بيع الجوز واللوز فى القشرة السفلى ولا يجوز فى القشرتين . ويجوز بيع الباقلاء الرطب فى قشريه للحاجة. ويتسامح ببيع الفقاع لجريان عادة الاولين به، ولكن نجعله إباحة بعوض، فان اشتراه ليبيعه، فالقياس بطلانه لأنه ليس مستتر استر خلقة، ولا يبعد أن يتسامح به ، إذ فى إخراجه إفساده كالرمان ومايستر بستر خلق معه

السادس أن يكون المبيع مقبوضا ، ان كان قد استفاد ملكه بمعاوضة . وهذا شرط خاص وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] عن بيع مالم يقبض . ويستوى فيه العقار والمنقول فكل ما اشتراه أو باعه قبل القبض فبيعه باطل . وقبض المنقول بالنقل ، وقبض العقار بالتخلية وقبض ما ابتاعه بشرط الكيل لايتم الا بان يكتاله . وأما بيع الميراث والوصية والوديعة ، ومالم يكن الملك حاصلا فيه بمعاوضة ، فهو جائز قبل القبض

الركن الثالث لفظ العقد . فلا بد من جريان ايجاب وقبول متصل به ، بلفظ دال على المقصود مفهم اما صريح أو كناية . فلو قال أعطيتك هذا بداك ، بدل قوله بعتك ، فقال قبلته ، جاز مهما قصدا به البيع . لأنه قد يحتمل الاعارة إذا كان فى ثوبين أو دابتين . والنية تدفع الاحتمال . والصريح أقطع للخصومة . ولكن الكناية تفيد الملك والحل أيضا فيما يختاره . ولا ينبغى أن يقرن بالبيع شرطا على خلاف مقتضى العقد فلو شرط أن يزيد شيأ آخر ، أو أن يحمل المبيع إلى داره ، كل ذلك فسد ، إلا إذا أفرد استئجاره

(١) حديث النهى عن بيع مالم يقبض : متفق عليه من حديث ابن عباس

على النقل ، باجرة معلومة منفردة عن الشراء للمنقول . ومهما لم يجر بينهما إلا المعاطاة بالفعل دون التلفظ باللسان ، لم ينعقد البيع عند الشافعي أصلا ، وانعقد عند ابي حنيفة ان كان في المحقرات . ثم ضبط المحقرات عسير . فان رد الامر إلى العادات، فقد جاوز الناس المحقرات في المعاطاة . إذ يتقدم الدلال إلى البزاز ياخذ منه ثوبا ديباجا قيمته عشرة دنانير مثلا ويحمله إلى المشترى ، ويعود اليه بانه ارتضاه ، فيقول له خذ عشرة ، فيأخذ من صاحبه العشرة ، ويحملها ويسلمها إلى البزاز ، فيأخذها ويتصرف فيها ، ومشترى الثوب يقطعه ، ولم يجر بينهما ايجاب وقبول أصلا . وكذلك يجتمع المجهزون على حانوت البياع ، فيعرض متاعا قيمته مائة دينار مثلا فيمن يزيد . فيقول أحدهم هذا على بتسعين ، ويقول الآخر هذا على بخمسة وتسعين ، ويقول الأخر هذا بمائة ، فيقال له زن ، فيزن ويسلم ويأخذ المتاع من غير ايجاب وقبول . فقد استمرت به العادات

وهذه من المعضلات التي ليست تقبل العلاج ، إذ الاحتمالات ثلاثة :

إما فتح باب المعاطاة مطلقا في الحقير والنفيس وهو محال ، إذ فيه نقل الملك من غير لفظ دال عليه ، وقد أحل الله البيع ، والبيع اسم للايجاب والقبول ، ولم يجر ولم ينطلق اسم البيع على مجرد فعل بتسليم وتسلم . فبماذا يحكم بانتقال الملك من الجانبين ، لاسيما في الجواري والعبيد والعقارات والدواب النفيسة وما يكثر التنازع فيه ، إذ للمسلِّم أن يرجع ويقول قد ندمت وما بعته ، إذ لم يصدر مني إلا مجرد تسليم ، وذلك ليس ببيع

الاحتمال الثاني أن نسد الباب بالكلية ، كما قال الشافعي رحمه الله من بطلان العقد . وفيه اشكال من وجهين أحدهما أنه يشبه أن يكون ذلك في المحقرات معتادا في زمن الصحابة ، ولو كانوا يتكلفون الايجاب والقبول مع البقال والخباز والقصاب لثقل عليهم فعله ، ولنقل ذلك نقلا منتشرا ، ولكان يشتهر وقت الاعراض بالكلية عن تلك العادة . فان الاعصار في مثل هذا تتفاوت والثاني أن الناس الآن قد انهمكوا فيه ، فلا يشترى الانسان شيئاً من الأطعمة وغيرها إلا ويعلم أن البائع قد ملكه بالمعاطاة ، فأي فائدة في تلفظه بالعقد اذا كان الأمر كذلك

الاحتمال الثالث أن يفصل بين المحقرات وغيرها ، كما قاله أبو حنيفة رحمه الله ، وعند ذلك يتعسر الضبط في المحقرات ، ويشكل وجه نقل الملك من غير لفظ يدل عليه . وقد ذهب

ابن سريج إلى تخريج قول للشافعي رحمه الله على وفقه . وهو أقرب الاحتمالات إلى الاعتدال فلا بأس لو ملنا اليه لمسيس الحاجات . ولعموم ذلك بين الخلق ، ولما يغلب على الظن بان ذلك كان معتادا فى الأعصار الاول

فاما الجواب عن الاشكالين فهو أن نقول :

أما الضبط في الفصل بين المحقرات وغيرها فليس علينا تكلفه بالتقدير ، فان ذلك غير ممكن . بل له طرفان واضحان، إذ لا يخفى أن شراء البقل ، وقليل من الفواكه ، والخبز واللحم من المعدود من المحقرات التى لا يعتاد فيها الا المعاطاة ، وطالب الايجاب والقبول فيه يعد مستقصيا ، ويستبرد تكليفه لذلك ويستثقل ، وينسب إلى أنه يقيم الوزن لأمر حقير ، ولا وجه له . فهذا طرف الحقارة . والطرف الثانى الدواب والعبيد ، والعقارات والثياب النفيسة فذلك مما لا يستبعد تكلف الايجاب والقبول فيها . وبينهما أوساط متشابهة يشك فيها ، هى فى محل الشبهة . فحق ذى الدين أن يميل فيها إلى الاحتياط . وجميعُ ضوابط الشرع فيما يعلم بالعادة ، كذلك ينقسم إلى أطراف واضحة ، وأوساط مشكلة .

وأما الثانى وهو طلب سبب لنقل الملك . فهو أن يجعل الفعل باليد أخذا وتسليما سببا . إذ اللفظ لم يكن سببا لعينه ، بل لدلالته . وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع دلالة مستمرة فى العادة ، وانضم اليه مسيس الحاجة وعادة الاولين، واطراد جميع العادات بقبول الهدايا من غير إيجاب وقبول ، مع التصرف فيها ، وأى فرق بين أن يكون فيه عرض أو لا يكون ؟ إذ الملك لا بد من نقله فى الهبة أيضا ، إلا أن العادة السالفة لم تفرق فى الهدايا بين الحقير والنفيس، بل كان طلب الايجاب والقبول يستقبح فيه كيف كان ، وفى المبيع لم يستقبح فى غير المحقرات. هذا ما نراه أعدل الاحتمالات

وحق الورع المتدين أن لا يدع الايجاب والقبول ، للخروج عن شبهة الخلاف . فلا ينبغى أن يمتنع من ذلك لأجل أن البائع قد تملكه بغير إيجاب وقبول . فان ذلك لا يعرف تحقيقا ، فربما اشتراه بقبول وإيجاب . فان كان حاضرا عند شرائه ، أو أقر البائع به، فليمتنع منه ، وليشتر من غيره . فان كان الشيء محقرا ، وهو اليه محتاج ، فليتلفظ بالايجاب والقبول فانه يستفيد به قطع الخصومة فى المستقبل معه ، اذ الرجوع من اللفظ الصريح غير ممكن ، ومن الفعل ممكن ؛

فان قلت فان أمكن هذا فيما يشتريه ، فكيف يفعل إذا حضر فى ضيافة أو على مائدة ، وهو يعلم أن أصحابها يكتفون بالمعاطاة فى البيع والشراء ، أو سمع منهم ذلك أو رآه ، أيجب عليه الامتناع من الأكل ؟

فأقول يجب عليه الامتناع من الشراء إذا كان ذلك الشيء الذى اشتروه مقدارا نفيسا ، ولم يكن من المحقرات . وأما الأكل فلا يجب الامتناع منه . فانى أقول أن ترددنا فى جعل الفعل دلالة على نقل الملك ، فلا ينبغي أن لا نجعله دلالة على الاباحة . فان أمر الاباحة أوسع ، وأمر نقل الملك أضيق . فكل مطعوم جرى فيه بيع معاطاة ، فتسليم البائع إذن فى الأكل يعلم ذلك بقرينة الحال ، كاذن الحامى فى دخول الحمام . والإذن فى الاطعام لمن يريده المشترى فينزل منزلة مالو قال أبحت لك أن تأكل هذا الطعام ، أو تطعم من أردت ، فانه يحل له . ولو صرح وقال كل هذا الطعام ، ثم أغرم لى عوضه ، لحل الأكل ، ويلزمه الضمان بعد الأكل . هذا قياس الفقه عندى ، ولكنه بعد المعاطاة آكل ملكه ومتلف له ، فعليه الضمان وذلك فى ذمته . والثمن الذى سامه إن كان مثل قيمته ، فقد ظفر المستحق بمثل حقه ، فله أن يتملكه مهما عجز عن مطالبة من عليه . وإن كان قادرا على مطالبته ، فانه لا يتملك ماظفر به من ملكه ، لأنه ربما لا يرضى بتلك العين أن يصرفها إلى دينه ، فعليه المراجعة . وأما ههنا فقد عرف رضاه بقرينة الحال عند التسليم ، فلا يبعد أن يجعل الفعل دلالة على الرضا ، بأن يستوفى دينه مما يسلم اليه فيأخذه بحقه . لكن على كل الأحوال جانب البائع أغمض ، لأن ماأخذه قد يريد المالك ليتصرف فيه ، ولا يمكنه التملك إلا إذا أتلف عين طعامه فى يد المشترى ثم ربما يفتقر إلى استئناف قصد التملك ، ثم يكون قد تملك بمجرد رضا استفاده من الفعل دون القول . وأما جانب المشترى للطعام وهو لا يريد إلا الأكل فهين ، فان ذلك يباح بالاباحة المفهومة من قرينة الحال ، ولكن ربما يلزم من مشاورته أن الضيف يضمن ماأتلفه ، وانما يسقط الضمان عنه اذا تملك البائع ماأخذه من المشترى فيسقط . فيكون كالقاضى دينه والمتحمل عنه

فهذا مانراه فى قاعدة المعاطاة على غموضها ، والعلم عند الله . وهذه احتمالات وظنون رددناها ، ولا يمكن بناء الفتوى إلا على هذه الظنون . وأما الورع فانه ينبغى أن يستفتى قلبه ، ويتقى مواضع الشبه .

العقد الثانى

عقد الربا

وقد حرمه الله تعالى وشدد الأمر فيه . ويجب الاحتراز منه على الصيارفة المتعاملين على النقدين ، وعلى المتعاملين على الأطعمة . إذ لاربا إلا فى نقد أو فى طعام . وعلى الصير فى أن يحترز من النسيئة والفضل . أما النسيئة فان لايبيع شيئا من جواهر النقدين ، بشىء من جواهر النقدين إلا يداً بيد . وهو أن يجرى التقايض فى المجلس . وهذا احتراز من النسيئة وتسليم الصيارفة الذهب الى دار الضرب ، وشراء الدنانير المضروبة حرام من حيث النساء ومن حيث أن الغالب أن يجرى فيه تفاصل ، اذلايرد المضروب بمثل وزنه

وأما الفضل فيحترز منه فى ثلاثة أمور : فى بيع المكسر بالصحيح ، فلاتجوز المعاملة فيهما الا مع المماثلة . وفى بيع الجيد بالردىء ، فلا ينبغى أن يشترى رديئا بجيد دونه فى الوزن ، أو ببيع رديئا بجيد فوقه فى الوزن ، أعنى اذا باع الذهب بالذهب ،والفضة بالفضة . فان اختلف الجنسان فلا حرج فى الفضل . والثالث فى المركبات من الذهب والفضة ، كالدنانير المخلوطة من الذهب والفضة ، ان كان مقدار الذهب مجهولا لم تصح المعاملة عليها أصلا ، الا اذا كان ذلك نقدا جاريا فى البلد ، فانا نرخص فى المعاملة عليه ، اذا لم يقابل بالنقد . وكذا الدراهم المغشوشة بالنحاس ، ان لم تكن رائجة فى البلد لم تصح المعاملة عليها ، لأن المقصود منها النقرة وهى مجهولة . وان كان نقدا رائجا فى البلد رخصنا فى المعاملة لأجل الحاجة ، وخروج النقرة عن ان يقصد استخراجها . ولكن لايقابل بالنقرة أصلا . وكذلك كل حلى مركب من ذهب وفضة ، فلايجوز شراؤه لا بالذهب ولا بالفضة . بل ينبغى أن يشترى بمتاع آخر ان كان قدر الذهب منه معلوما ، الا اذا كان مموها بالذهب تمويها لايحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار ، فيجوز بيعها بمثلها من النقرة ، وبما أريد من غير النقرة . وكذلك لايجوز للصير فى أن يشترى قلادة فيها خرز وذهب ، بذهب ، ولا أن يبيعه ، بل بالفضة يدا بيد ان لم يكن فيها فضة . ولايجوز شراء ثوب منسوج بذهب ، يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار ، بذهب . ويجوز بالفضة وغيرها

وأما المتعاملون على الأطعمة فعليهم التقابض فى المجلس ، اختلف جنس الطعام المبيع والمشترى أو لم يختلف . فان اتحد الجنس فعليهم التقابض ومراعاة المماثلة . والمعتاد فى هذا معاملة القصاب ، بان يسلم اليه الغنم ويشترى بها اللحم ، نقدا أو نسيئة ، فهو حرام. ومعاملة الخباز ، بان يسلم اليه الحنطة ويشترى بها الخبز ، نسيئة أو نقدا ، فهو حرام. ومعاملة العصار بان يسلم اليه البزر والسمسم والزيتون ، ليأخذ منه الأدهان ، فهو حرام . وكذا اللبان ، يعطى اللبن ، ليؤخذ منه الجبن والسمن والزبد وسائر أجزاء اللبن ، فهو أيضا حرام . ولا يباع الطعام بغير جنسه من الطعام الا نقداً ، وبجنسه إلا نقدا ومتماثلا . وكل ما يتخذ من الشيء المطعوم فلا يجوز أن يباع به متماثلا ولا متفاضلا ، فلا يباع بالحنطة دقيق وخبز وسويق ولا بالعنب والتمر دبس وخل وعصير ، ولا باللبن سمن وزبد ومخيض ومصل وجبن . والمماثلة لا تفيد اذا لم يكن الطعام فى حال كمال الادخار ، فلا يباع الرطب بالرطب ، والعنب بالعنب ، متفاضلا ومتماثلا .

فهذه جمل مقنعة فى تعريف البيع ، والتنبيه على ما يشعر التاجر بمثارات الفساد ، حتى يستفتى فيها اذا تشكك والتبس عليه شيء منها . واذا لم يعرف هذا لم يتفطن لمواضع السؤال واقتحم الربا والحرام وهو لا يدرى .

العقد الثالث

السلم

وليراع التاجر فيه عشرة شروط :

الاول أن يكون رأس المال معلوما على مثله ، حتى لو تعذر تسليم المسلم فيه أمكن الرجوع الى قيمة رأس المال . فان أسلم كفا من الدراهم جزافا فى كر حنطة لم يصح فى أحد القولين

الثانى أن يسلم رأس المال فى مجلس العقد قبل التفرق ، فلو تفرقا قبل القبض انفسخ السلم

الثالث أن يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف أوصافه ، كالحبوب والحيوانات والمعادن ، والقطن والصوف والأبريسم ، والألبان واللحوم ، ومتاع العطارين واشباهها . ولا يجوز فى المعجونات والمركبات وما تختلف أجزاؤه ، كالقسى المصنوعة ، والنبل المعمول ، والخفاف

والنعال المختلفة أجزاؤها وصنعتها ، وجلود الحيوانات . ويجوز السلم فى الخبز .ومايتطرق اليه من اختلاف قدر الملح والماء بكثرة الطبخ وقلته ، يعفى عنه ويتسامح فيه

الرابع أن يستقصى وصف هذه الأمور القابلة للوصف ، حتى لايبقى وصف تتفاوت به القيمة تفاوتا لايتغابن بمثله الناس الا ذكره . فان ذلك الوصف هو القائم مقام الرؤية فى البيع

الخامس أن يجعل الأجل معلوما ان كان مؤجلا ، فلا يؤجل الى الحصاد ، ولا الى ادراك الثمار ، بل الى الاشهر والأيام . فان الادراك قد يتقدم وقد يتأخر

السادس أن يكون المسلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت المحل ، ويؤمن فيه وجوده غالبا فلا ينبغى أن يسلم فى العنب الى أجل لايدرك فيه ، وكذا سائر الفواكه . فان كان الغالب وجوده ، وجاء المحل ، وعجز عن التسليم بسبب آفة ، فله أن يمهله ان شاء ، أو يفسخ ويرجع فى رأس المال ان شاء

السابع أن يذكر مكان التسليم فيما يختلف الغرض به ، كي لا يثير ذلك نزاعا

الثامن أن لا يعلقه بعين فيقول من حنطة هذا الزرع ، أو ثمرة هذا البستان ، فان ذلك يبطل كونه دينا . نعم لو أضاف الى ثمرة بلد أو قرية كبيرة لم يضر ذلك

التاسع أن لايسلم فى شىء نفيس عزيز الوجود ، مثل درة موصوفة يعز وجود مثلها ، أو جارية حسناء معها ولدها أو غير ذلك مما لايقدر عليه غالبا

العاشر أن لايسلم فى طعام مهما كان رأس المال طعاما ، سواء كان من جنسه أولم يكن. ولايسلم فى نقد اذا كان رأس المال نقدا ، وقد ذكرنا هذا فى الربا

العقد الرابع

الإجارة

وله ركنان ، الأجرة والمنفعة . فأما العاقد واللفظ ، فيعتبر فيه ما ذكرناه فى البيع . والأجرة كالثمن ، فينبغى أن يكون معلوما وموصوفا بكل ما شرطناه فى المبيع ان كان عينا فان كان دينا فينبغى أن يكون معلوم الصفة والقدر

وليحترز فيه عن أمور جرت العادة بها وذلك مثل كراء الدار بعمارتها فذلك باطل.

اذ قدر العمارة مجهول. ولو قدر دراهم وشرط على المكترى أن يصرفها الى العمارة لم يجز، لأن عمله فى الصرف الى العمارة مجهول

ومنها استئجار السلاخ، على أن يأخذ الجلد بعد السلخ. واستئجار حمال الجيف بجلد الجيفة، واستئجار الطحان بالنخالة أو ببعض الدقيق فهو باطل. وكذلك كل مايتوقف حصوله وانفصاله على عمل الأجير، فلايجوز أن يجعل أجرة

ومنها أن يقدر فى اجارة الدور والحوانيت مبلغ الأجرة. فلو قال لكل شهر دينار، ولم يقدر أشهر الاجارة، كانت المدة مجهولة ولم تنعقد الاجارة.

الركن الثانى المنفعة المقصودة بالاجارة، وهى العمل وحده ان كان عمل مباح معلوم، يلحق العامل فيه كلفة، ويتطوع به الغير عن الغير، فيجوز الاستئجار عليه. وجملة فروع الباب تندرج تحت هذه الرابطة. ولكنا لانطول بشرحها، فقد طولنا القول فيها فى الفقهيات. وانما نشير الى ماتعم به البلوى، فليراع فى العمل المستأجر عليه خمسة أمور

الأول: أن يكون متقوما، بأن يكون فيه كلفة وتعب، فلو استأجر طعاما ليزين به الدكان، أو أشجارا ليجفف عليها الثياب، أو دراهم ليزين بها الدكان، لم يجز فان هذه المنافع تجرى مجرى حبة سمسم وحبة برمن الاعيان، وذلك لايجوز بيعه. وهى كالنظر فى مرآة الغير، والشرب من بئره، والاستظلال بجداره، والاقتباس من ناره. ولهذا لو استأجر بياعا على أن يتكلم بكلمة يروج بها سلعته، لم يجز. ومايأخذه البياعون عوضا عن حشمتهم وجاههم وقبول قولهم فى ترويج السلع، فهو حرام. اذ ليس يصدر منهم إلا كلمة لاتعب فيها، ولافيمة لها. وانما يحل لهم ذلك اذا تعبوا بكثرة التردد، أو بكثرة الكلام فى تأليف أمر المعاملة. ثم لايستحقون إلا أجرة المثل، فأما ماتوطأ عليه الباعة فهو ظلم، وليس مأخوذا بالحق

الثانى: أن لاتتضمن الاجارة استيفاء عين مقصودة، فلا يجوز اجارة الكرم لارتفاقه، ولا اجارة المواشى للبنها، ولا اجارة البساتين لثمارها. ويجوز استئجار المرضعة، ويكون اللبن تابعا. لأن افراده غير ممكن. وكذا يتسامح بحبر الوراق وخيط الخياط. لأنهما لايقصدان على حيالهما

الثالث: أن يكون العمل مقدوراً على تسليمه حساً وشرعا ، فلا يصح استئجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه ، ولا استئجار الأخرس على التعليم ونحوه . ومايحرم فعله فالشرع يمنع من تسليمه ، كالاستئجار على قلع سن سليمة ، أو قطع عضو لا يرخص الشرع فى قطعه ، أو استئجار الحائض على كنس المسجد ، أو المعلم على تعليم السحر أو الفحش ، أو استئجار زوجة الغير على الارضاع دون اذن زوجها ، أو استئجار المصور على تصوير الحيوانات أو استئجار الصائغ على صيغة الأوانى من الذهب والفضة ، فكل ذلك باطل

الرابع: أن لا يكون العمل واجبا على الاجير، أو لا يكون بحيث لا تجرى النيابة فيه عن المستأجر فلا يجوز أخذ الاجرة على الجهاد ، ولا على سائر العبادات التى لا نيابة فيها ، اذ لا يقع ذلك عن المستأجر . ويجوز عن الحج ، وغسل الميت ، وحفر القبور ، ودفن الموتى ، وحمل الجنائز . وفى أخذ الاجرة على امامة صلاة التراويح ، وعلى الاذان ، وعلى التصدى للتدريس ، واقراء القرءان خلاف. أما الاستئجار على تعليم مسألة بعينها، أو تعليم سورة بعينها لشخص معين، فصحيح

الخامس: أن يكون العمل والمنفعة معلوما . فالخياط يعرف عمله بالثوب ، والمعلم يعرف عمله بتعيين السورة ومقدارها ، وحمل الدواب يعرف بمقدار المحمول وبمقدار المسافة . وكل مايثير خصومة فى العادة فلا يجوز اهماله. وتفصيل ذلك يطول ، وانما ذكرنا هذا القدر ليعرف به جليات الاحكام ، ويتفطن به لمواقع الاشكال فيسأل ، فان الاستقصاء شأن المفتى لا شأن العوام

العقد الخامس

القراض

وليراع فيه ثلاثة أركان

الركن الاول: رأس المال وشرطه أن يكون نقدا معلوما مسلما إلى العامل . فلا يجوز القراض على الفلوس ولا على العروض ، فان التجارة تضيق فيه . ولا يجوز على صرة من الدراهم، لان قدر الربح لا يتبين فيه. ولو شرط المالك اليد لنفسه لم يجز، لان فيه تضييق طريق التجارة

الركن الثانى. الربح وليكن معلوما بالجزئية ، بان يشرط له الثلث ، أو النصف ، أو ماشاء

فلو قال على أن لك من الربح مائة والباقى لى ، لم يجز إذ ربما لا يكون الربح أكثر من مائة ، فلا يجوز تقديره بمقدار معين ، بل بمقدار شائع

الثالث: العمل الذى على العامل . وشرطه أن يكون تجارة غير مضيقة عليه بتعيين وتأقيت. فلو شرط أن يشترى بالمال ماشية ليطلب نسلها فيتقاسمان النسل ، أو حنطة فيخبزها ويتقاسمان الربح ، لم يصح ، لأن القراض مأذون فيه فى التجارة ، وهو البيع والشراء ومايقع من ضرورتهما فقط ، وهذه حرف ، أعنى الخبز ورعاية المواشى. ولو ضيق عليه وشرط أن لا يشترى إلا من فلان ، أو لا يتجر إلا فى الخز الاحمر ، أو شرط مايضيق باب التجارة ، فسد العقد . ثم مهما انعقد ، فالعامل وكيل . فيتصرف بالغبطة تصرف الوكلاء

ومهما أراد المالك الفسخ ، فله ذلك . فاذا فسخ فى حالة والمال كله فيها نقد ، لم يخف وجه القسمة ، وان كان عروضا ولا ربح فيه رد عليه ، ولم يكن للمالك تكليفه أن يرده الى النقد ، لأن العقد قد انفسخ ، وهو لم يلتزم شيئا . وان قال العامل أبيعه وأبى المالك ، فالمتبوع رأى المالك ، إلا إذا وجد العامل زبونا يظهر بسببه ربح على رأس المال . ومهما كان ربح فعلى العامل بيع مقدار رأس المال بجنس رأس المال ، لا بنقد آخر ، حتى يتميز الفاضل ربحا فيشتركان فيه ، وليس عليهم بيع الفاضل على رأس المال . ومهما كان رأس السنة ، فعليهم تعرف قيمة المال لأجل الزكاة ، فاذا كان قد ظهر من الربح شىء ، فالاقيس أن زكاة نصيب العامل على العامل ، وأنه يملك الربح بالظهور

وليس للعامل أن يسافر بمال القراض دون اذن المالك. فان فعل صحت تصرفاته . ولكنه اذا فعل ضمن الاعيان والأثمان جميعاً ، لأن عدوانه بالنقل يتعدى إلى ثمن المنقول. وإن سافر بالاذن جاز . ونفقة النقل وحفظ المال على مال القراض ، كما أن نفقة الوزن والكيل والحمل الذى لا يعتاد التاجر مثله على رأس المال . فاما نشر الثوب وطيه ، والعمل اليسير المعتاد ، فليس له أن يبذل عليه أجرة

وعلى العامل نفقته وسكناه فى البلد ، وليس عليه أجرة الحانوت . ومهما تجرد فى السفر لمال القراض ، فنفقته فى السفر على مال القراض . فاذا رجع ، فعليه أن يرد بقايا آلات السفر من المطهرة والسفرة وغيرهما

العقد السادس

الشركة

وهى أربعة أنواع : ثلاثة منها باطلة

الأول شركة المفاوضة ، وهو أن يقولا تفاوضنا لنشترك فى كل مالنا وما علينا ، ومالاهما ممتازان ، فهى باطلة

الثانى شركة الابدان ، وهو أن يتشارطا الاشتراك فى أجرة العمل ، فهى باطلة

الثالث شركة الوجوه ، وهو أن يكون لأحدهما حشمة وقول مقبول ، فيكون من جهته التنفيل ، ومن جهة غيره العمل ، فهذا أيضاً باطل

وانما الصحيح العقد الرابع المسمى شركة العنان ، وهو أن يختلط مالاهما بحيث يتعذر التمييز بينهما إلا بقسمه ، ويأذن كل واحد منهما لصاحبه فى التصرف . ثم حكمهما توزيع الربح والخسران على قدر المالين . ولا يجوز أن يغير ذلك بالشرط ، ثم بالعزل يمتنع التصرف عن المعزول . وبالقسمة ينفصل الملك عن الملك

والصحيح أنه يجوز عقد الشركة على العروض المشتراة ، ولا يشترط النقد ، بخلاف القراض

فهذا القدر من علم الفقه يجب تعلمه على كل مكتسب ، والا اقتحم الحرام من حيث لا يدرى

وأما معاملة القصاب والخباز والبقال ، فلا يستغنى عنها المكتسب وغير المكتسب والخلل فيها من ثلاثة وجوه : من اهمال شروط البيع ، أو اهمال شروط السلم ، أو الاقتصار على المعاطاة . اذ العادات جارية بكتبه الخطوط على هؤلاء بحاجات كل يوم ، ثم المحاسبة فى كل مدة ، ثم التقويم بحسب مايقع عليه التراضى . وذلك مما نرى القضاء باباحته للحاجة ، ويحمل تسليمهم على اباحة التناول مع انتظار العوض ، فيحل أكله . ولكن يجب الضمان بأكله وتلزم قيمته يوم الاتلاف ، فتجتمع فى الذمة تلك القيم . فاذا وقع التراضى على مقدار ما ، فينبغى أن يلتمس منهم الابراء المطلق ، حتى لا تبقى عليه عهدة ان تطرق اليه تفاوت فى التقويم

فهذا ماتجب القناعة به ، فان تكليف وزن الثمن لكل حاجة من الحوائج فى كل يوم وكل ساعة ، تكليف شطط . وكذا تكليف الايجاب والقبول ، وتقدير ثمن كل قدر يسير منه فيه عسر . وإذا كثر كل نوع سهل تقويمه ، والله الموفق .

الباب الثالث

فى بيان العدل واجتناب الظلم فى المعاملة

اعلم أن المعاملة قد تجرى على وجه يحكم المفتى بصحتها وانعقادها . ولكنها تشتمل على ظلم يتعرض به المعامل لسخط الله تعالى . إذ ليس كل نهى يقتضى فساد العقد وهذا الظلم يعنى به مااستضر به الغير . وهو منقسم الى مايعم ضرره ، والى مايخص المعامل

القسم الأول

فيما يعم ضرره وهو أنواع

النوع الأول : الاحتكار : فبائع الطعام يدخر الطعام ينتظر به غلاء الأسعار . وهو ظلم عام . وصاحبه مذموم فى الشرع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] « مَنِ احْتَكَرَ الطَّعَامَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهِ لَمْ تَكُنْ صَدَقَتُهُ كَفَّارَةً لِاحْتِكَارِهِ » وروى ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم [2] أنه قال « مَنِ احْتَكَرَ الطَّعَامَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللهِ وَبَرِئَ اللهُ مِنْهُ » وقيل « فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا » وعن على رضى الله عنه : من احتكر الطعام أربعين يوماً قسا قلبه . وعنه أيضاً انه أحرق طعام محتكر بالنار

وروى فى فضل ترك الاحتكار عنه صلى الله عليه وسلم [3] مَنْ جَلَبَ طَعَامًا فَبَاعَهُ بِسِعْرِ

(الباب الثالث فى بيان العدل)

(١) حديث من احتكر الطعام أربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره : أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على والخطيب فى التاريخ من حديث أنس . بسندين ضعيفين

(٢) حديث ابن عمر من احتكر الطعام أربعين فقد برىء من الله وبرىء الله منه أحمد والحاكم بسند جيد وقال ابن عدى ليس بمحفوظ من حديث ابن عمر

(٣) حديث من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به وفى لفظ آخر فكأنما أعتق رقبة : ابن مردويه فى التفسير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف مامن جالب يجلب طعاما الى بلد من بلدان المسلمين فيبيعه بسعر يومه إلا كانت منزلته عند الله منزلة الشهيد وللحاكم من حديث اليسع ابن المغيرة أن الجالب الى سوقنا كالمجاهد فى سبيل الله وهو مرسل

يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا تَصَدَّقَ بِهِ » وفى لفظ آخر « فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَ رَقَبَةً » وقيل فى قوله تعالى (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ [٦]) ان الاحتكار من الظلم. وداخل تحته فى الوعيد

وعن بعض السلف أنه كان بواسط فجهز سفينة حنطة الى البصرة ، وكتب الى وكيله ، بع هـذا الطعام يوم يدخل البصرة ، ، ولا تؤخره الى غد . فوافق سعة فى السعر . فقال له التجار ، لو أخرته جمعة ربحت فيه أضعافه . فأخره جمعة ، فربح فيه أمثاله، وكتب الى صاحبه بذلك . فكتب اليه صاحب الطعام ، ياهذا ، إنا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا، وانك قد خالفت ومانحب أن نربح أضعافه بذهاب شىء من الدين ، فقد جنيت علينا جناية . فاذا أتاك كتابى هذا فخذ المال كله فتصدق به على فقراء البصرة ، وليتنى أنجو من اثم الاحتكار كفافا ، لا علىّ ولا لى

واعلم ان النهى مطلق . ويتعلق النظر به فى الوقت والجنس

أما الجنس فيطرد النهى فى اجناس الأقوات أما ماليس بقوت، ولا هو معين على القوت كالأدوية والعقاقير والزعفران وأمثاله ، فلا يتعدى النهى اليه وإن كان مطعوما، وأما مايعين على القوت كاللحم والفواكه ، ومايسد مسدا يغنى عن القوت فى بعض الاحوال ، وان كان لايمكن المداومة عليه ، فهذا فى محل النظر . فمن العلماء من طرد التحريم فى السمن والعسل والشيرج والجبن والزيت ومايجرى مجراه

وأما الوقت ، فيحتمل أيضا طرد النهى فى جميع الاوقات . وعليه تدل الحكاية التى ذكرناها فى الطعام الذى صادف بالبصرة سعة فى السعر . ويحتمل ان يخصص بوقت قلة الاطعمة ، وحاجة الناس اليه ، حتى يكون فى تأخير بيعه ضرر مّا فاما إذا اتسعت الاطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ، ولم يرغبوا فيها الا بقيمة قليلة ، فانتظر صاحب الطعام ذلك ، ولم ينتظر قحطا ، فليس فى هذا اضرار . وإذا كان الزمان زمان قحط ، كان فى ادخار العسل والسمن والشيرج وأمثالها اضرار . فينبغى ان يقضى بتحريمه . ويعول فى نفى التحريم واثباته على الضرار ، فانه مفهوم قطعا من تخصيص الطعام . واذا لم يكن ضرار، فلا يخلو احتكار الاقوات عن كراهية ، فانه ينتظر مبادىء الضرار ، وهو ارتفاع الاسعار . وانتظار مبادىء الضرار محذور ، كانتظار عين الضرار ، ولكنه دونه . وانتظار عين الضرار أيضا هو دون الاضرار

(١) الحج : ٢٥

فبقدر درجات الاضرار تتفاوت درجات الكراهية والتحريم

وبالجملة التجارة فى الأقوات مما لا يستحب ، لأنه طلب ربح ، والاقوات أصول خلقت قواما، والربح من المزايا فينبغى أن يطلب الربح فيما خلق من جملة المزايا التى لاضرورة للخلق اليها . ولذلك أوصى بعض التابعين رجلا ، وقال لاتسلم ولدك فى بيعتين، ولا فى صنعتين بيع الطعام وبيع الاكفان فأنه يتمنى الغلاء وموت الناس. والصنعتان أن يكون جزارا، فانها صنعة تقسى القلب ، أوصواغا، فانه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة

النوع الثانى ترويج الزيف من الدراهم فى أثناء النقد ، فهو ظلم . إذ يستضر به المعامل ان لم يعرف ، وإن عرف فسيروّجه على غيره ، فكذلك الثالث والرابع ، ولا يزال يتردد فى الايدى ، ويعم الضرر ، ويتسع الفساد . ويكون وزر الكل ووباله راجعا اليه . فانه هو الذى فتح هذا الباب . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] « مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِهَا مَنْ بَعْدَهُ كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَمِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا » وقال بعضهم انفاق درهم زيف ، أشد من سرقة مائة درهم . لأن السرقة معصية واحدة ، وقد تمت وانقطعت وانفاق الزيف بدعة أظهرها فى الدين ، وسنة سيئة يعمل بها من بعده ، فيكون عليه وزرها بعد موته الى مائة سنة ، أو مائتى سنة ، إلى أن يفنى ذلك الدرهم . ويكون عليه ما فسد من أموال الناس بسنته . وطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه . والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتى سنة أو أكثر ، يعذب بها فى قبره ، ويسأل عنها الى آخر انقراضها قال تعالى (وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ [1]) أى نكتب ايضا ما أخروه من آثار أعمالهم ، كما نكتب ما قدموه . وفى مثله قوله تعالى (يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ [2]) وانما أخر آثار أعماله من سنة سيئة عمل بها غيره

وليعلم أن فى الزيف خمسة أمور

---

(١) حديث من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لاينقص من أوزارهم شىء : مسلم من حديث جرير بن عبدالله

---

(١) يس : ١٢ (٢) القيامة : ١٣

الاول: انه اذا رد عليه شيء منه ، فينبغي أن يطرحه في بئر ، بحيث لا تمتد اليه اليد . واياه أن يروجه في بيع آخر . وإن أفسده بحيث لا يمكن التعامل به جاز

الثاني : أنه يجب على التاجر تعلم النقد ، لا ليستقصي لنفسه ، ولكن لئلا يسلم إلى مسلم زيفا وهو لا يدري ، فيكون آثما بتقصيره في تعلم ذلك العلم . فلكل عمل علم به يتم نصح المسلمين، فيجب تحصيله . ولمثل هذا كان السلف يتعلمون علامات النقد ، نظرا لدينهم لا لدنياهم

الثالث: أنه ان سلّم وعرف المعامل أنه زيف، لم يخرج عن الاثم . لأنه ليس يأخذه الا ليروجه على غيره ولا يخبره . ولو لم يعزم على ذلك لكان لا يرغب في أخذه أصلا ، فانما يتخلص من اثم الضرر الذي يخص معامله فقط

الرابع: أن يأخذ الزيف ليعمل بقوله صلى الله عليه وسلم [1] « رَحِمَ اللهُ أَمْرَأً سَهْلَ الْبَيْعِ سَهْلَ الشِّرَاءِ سَهْلَ الْقَضَاءِ سَهْلَ الاقْتِضَاءِ » فهو داخل في بركة هذا الدعاء ان عزم على طرحه في بئر . وإن كان عازما على أن يروجه في معاملة فهذا شر روجه الشيطان عليه في معرض الخير، فلا يدخل تحت من تساهل في الاقتضاء

الخامس: أن الزيف نعني به ما لا نقرة فيه أصلا ، بل هو مموه ، أو ما لا ذهب فيه ، أعني في الدنانير . أما ما فيه نقرة ، فان كان مخلوطا بالنحاس وهو نقد البلد ، فقد اختلف العلماء في المعاملة عليه ، وجل رأينا الرخصة فيه إذا كان ذلك نقد البلد سواء علم مقدار النقرة أو لم يعلم . وان لم يكن هو نقد البلد لم يجز ، الا اذ علم قدر النقرة فان كان في ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد ، فعليه أن يخبر به معامله ، وأن لا يعامل به الا من لا يستحل الترويج في جملة النقد بطريق التلبيس . فأما من يستحل ذلك فتسليمه اليه تسليط له على الفساد، فهو كبيع العنب ممن يعلم أنه يتخذه خمراً . وذلك محظور واعانة على الشر ومشاركة فيه. وسلوك طريق الحق بمثال هذا في التجارة ، أشد من المواظبة على نوافل العبادات والتخلي لها . ولذلك قال بعضهم : التاجر الصدوق أفضل عند الله من المتعبد وقد كان السلف يحتاطون في مثل ذلك ، حتى روى عن بعض الغزاة في سبيل الله أنه قال : حملت على فرسي لأقتل علجا

---

(١) حديث رحم الله أمرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء : البخاري من حديث جابر

فقصر فرسى ، فرجعت . ثم حملت الثالثة ، فنفر منى فرسى ، وكنت لاأعتاد ذلك منه ، فرجعت حزينا ، وجلست منكس الرأس منكسر القلب ، لما فاتنى من العلج ، وما ظهر لى من خلق الفرس . فوضعت رأسى على عمود الفسطاط ، وفرسى قائم ، فرأيت فى النوم كأن الفرس يخاطبنى ويقول لى ،بالله عليك أردت أن تأخذ على العلج ثلاث مرات،وأنت بالأمس اشتريت لى علفا ودفعت فى ثمنه درهما زائفا ؟ لايكون هـذا أبدا . قال فانتبهت فزعا فذهبت إلى العلاف ، وأبدلت ذلك الدرهم

فهذا مثال مايعم ضرره وليقس عليه أمثاله

القسم الثانى

ما يخص ضرره المعامل

فكل مايستضر به المعامل فهو ظلم . وإنما العدل أن لايضر بأخيه المسلم . والضابط الكلى فيه أن لايحب لأخيه إلا مايحب لنفسه . فكل مالو عومل به شق عليه ، وثقل على قلبه ، فينبغى أن لايعامل غيره به . بل ينبغى أن يستوى عنده درهمه ودرهم غيره . قال بعضهم من باع أخاه شيئا بدرهم ، وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه إلا بخمسة دوانق ، فانه قد ترك النصح المأمور به فى المعاملة ، ولم يحب لأخيه مايحب لنفسه . هذه جملته

فأما تفصيله ففى أربعة أمور : أن لايثنى على السلعة بما ليس فيها، وأن لايكتم من عيوبها وخفايا صفاتها شيئاأصلا ، وأن لايكتم فى وزنها ومقدارها شيئا، وأن لايكتم من سعرها مالو عرفه المعامل لامتنع عنه

أما الأول:فهو ترك الثناء . فان وصفه للسلعة إن كان بما ليس فيها فهو كذب . فإن قبل المشترى ذلك فهو تلبيس وظلم مع كونه كذبا . وإن لم يقبل فهو كذب واسقاط مروءة ، إذ الكذب الذى يروج قد لايقدح فى ظاهر المروءة . وإن أثنى على السلعة بما فيها فهو هذيان ، وتكلم بكلام لايعنيه . وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه أنه لم تكلم بها .قال الله تعالى (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ[1]) إلاأن يثنى على السلعة بما فيها

ق:٨١

مما لا يعرفه المشترى مالم يذكره . كما يصفه من خفى أخلاق العبيد والجوارى والدواب . فلا بأس بذكر القدر الموجود منه ، من غير مبالغة واطناب ، وليكن قصده منه أن يعرفه أخوه المسلم فيرغب فيه وتنقضى بسببه حاجته

ولا ينبغى أن يحلف عليه ألبتة . فانه إن كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس ، وهى من الكبائر التى تذر الديار بلاقع . وإن كان صادقا فقد جعل الله تعالى عرضة لأيمانه ، وقد أساء فيه ، إذ الدنيا أخس من أن يقصد ترويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة . وفى الخبر (١) « وَيْلٌ لِلتَّاجِرِ مِنْ بَلَى وَاللهِ وَلاَ وَاللهِ ، وَوَيْلٌ لِلصَّانِعِ مِنْ غَدٍ وَبَعْدَ غَدٍ » وفى الخبر (٢) « الْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ مُنفِقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مُمْحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ » وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم (٣) أنه قال « ثَلاَثَةٌ لاَ يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، عُتُلٌّ مُسْتَكْبِرٌ ، وَمَنَّانٌ بِعَطِيَّتِهِ ، وَمُنْفِقٌ سِلْعَتَهُ بِيَمِينِهِ » فاذا كان الثناء على السلعة مع الصدق مكروها ، من حيث أنه فضول لا يزيد فى الرزق ، فلا يخفى التغليظ فى أمر اليمين

وقد روى عن يونس بن عبيد ، وكان خزازا ، انه طلب منه خز للشراء ، فأخرج غلامه سقط الخز ونشره ، ونظر اليه وقال ، اللهم ارزقنا الجنة . فقال لغلامه ، رده الى موضعه ولم يبعه ، وخاف أن يكون ذلك تعريضا بالثناء على السلعة . فمثل هؤلاء هم الذين اتجروا فى الدنيا ، ولم يضيعوا دينهم فى تجاراتهم ، بل علموا أن ربح الآخرة أولى بالطلب من ربح الدنيا

الثانى : أن يظهر جميع عيوب المبيع ، خفيها وجليها ، ولا يكتم منها شيأ . فذلك واجب . فان أخفاه كان ظالما غاشا ، والغش حرام ، وكان تاركا للنصح فى المعاملة ، والنصح واجب .

---

(١) حديث ويل لتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد لم أقف له على أصل وذكر صاحب مسند الفردوس من حديث أنس بغير اسناد نحوه

(٢) حديث اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للبركة : متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ الحلف وهو عند البيهقى بلفظ الصنف

(٣) حديث أبى هريرة ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة عائل مستكبر ومنان بعطيته ومنفق سلعته بيمينه مسلم من حديثه الا انه لم يذكر فيها الا عائل مستكبر ولهما ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم رجل حلف على سلعة لقد أعطى فيها أكثر مما أعطى وهو كاذب ولمسلم من حديث أبى ذر المنان والمسبل أزاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب

ومهما أظهر أحسن وجهى الثوب وأخفى الثانى ، كان غاشا . وكذلك اذا عرض الثياب فى المواضع المظلمة . وكذلك اذا عرض أحسن فردى الخف أو النعل وأمثاله

ويدل على تحريم الغش ماروى أنه مر عليه السلام [1] برجل يبيع طعاما ، فأعجبه ، فأدخل يده فيه ، فرأى بللا ، فقال « مَاهَذَا ؟ قال أصابته السماء . فقال ؟ فَهَلاَّ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ ؟ مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا »

ويدل على وجوب النصح باظهار العيوب ماروى أن النبي صلى الله عليه وسلم [2] لما بايع جريرا على الاسلام ، ذهب لينصرف . فجذب ثوبه ، واشترط عليه النصح لكل مسلم فكان جرير اذا قام الى السلعة يبيعها ، بصر عيوبها ، ثم خيره وقال ، ان شئت فخذ، وان شئت فاترك . فقيل له انك اذا فعلت مثل هذا لم ينفذ لك بيع . فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم . وكان وائلة بن الاسقع واقفا ، فباع رجل ناقة له بثلثمائة درهم ، فغفل وائلة وقد ذهب الرجل بالناقة ، فسعى وراءه وجعل يصيح به ، ياهذا اشتريتها للحم أو للظهر ، فقال بلَ للظهر . فقال ان بخفها نقبا قد رأيته ، وانها لاتتابع السير . فعاد فردها فنقصها البائع مائة درهم ، وقال لوائلة ، رحمك الله أفسدت عَلَىّ بيعى . فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم . وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [3] يقول « لاَيَحِلُّ لأَحَدٍ يَبِيعُ بَيْعاً إِلاَّ أَنْ يُبَيِّنَ آفَتَهُ ، ولاَيَحِلُّ لِمَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ إِلاَّ تَبْيِينُهُ » فقد فهموا من النصح أن لايرضى لأخيه إلا مايرضاه لنفسه ، ولم يعتقدوا أن ذلك من الفضائل وزيادة المقامات ، بل اعتقدوا أنه من شروط الاسلام الداخلة تحت بيعتهم . وهذا أمر يشق على أكثر الخلق ، فلذلك يختارون التخلى للعبادة والاعتزال عن الناس ، لان القيام بحقوق الله مع المخالطة والمعاملة ، مجاهدة لايقوم بها إلا الصدّيقون

ولن يتيسر ذلك على العبد إلا بان يعتقد أمرين

أحدهما : أن تلبيسه العيوب وترويجه السلع لايزيد فى رزقه ، بل يمحقه ويذهب ببركته .

---

(١) حديث مر برجل يبيع طعاما فأعجبه فأدخل يده فرأى بللا فقال ماهذا ـ الحديث : مسلم من حديث أبى هريرة

(٢) حديث جرير بن عبد الله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل : مسلم متفق عليه

(٣) حديث وائلة لايحل لأحد يبيع بيعا إلا بين مافيه ولا يحل لمن يعلم ذلك الا بينه : الحاكم وقال صحيح الأسناد والبيهقى

وما يجمعه من مفرقات التلبيسات يهلكه الله دفعة واحدة . فقد حكى أن واحدا كان له بقرة يحلبها ، ويخلط بلبنها الماء ويبيعه ، فجاء سيل فغرّق البقرة . فقال بعض أولاده ، ان تلك المياه المتفرقة التى صببناها فى اللبن ، اجتمعت دفعة واحدة وأخذت البقرة . كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم (١) «الْبَيِّعَانِ إِذَا صَدَقَا وَنَصَحَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا. وَإِذَا كَتَمَا وَكَذَبَا نُزِعَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا» وفى الحديث «(٢) يَدُ اللهِ عَلَى الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَتَخَاوَنَا فَإِذَا تَخَاوَنَا رَفَعَ يَدَهُ عَنْهُمَا» فاذا لايزيد مال من خيانة ، كما لاينقص من صدقة : ومن لايسرف الزيادة . وَالنقصان إلا بالميزان ، لم يصدق بهذا الحديث . ومن عرف أن الدرهم الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان فى الدنيا والدين ، والآلاف المؤلفة قد ينزع الله البركة منها حتى تكون سببا لهلاك مالكها ، بحيث يتمنى الافلاس منها ويراه أصلح له فى بعض أحواله ، فيعرف معنى قولنا: ان الخيانة لاتزيد فى المال ، والصدقة لا تنقص منه

والمعنى الثانى الذى لابد من اعتقاده ليتم له النصح ، ويتيسر عليه، أن يعلم أن ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا . وان فوائد أموال الدنيا تنقضى بانقضاء العمر ، وتبقى مظالمها وأوزارها . فكيف يستجيز العاقل أن يستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ، والخير كله فى سلامة الدين . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) « لَا تَزَالُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تَدْفَعُ عَنِ الْخَلْقِ سُخْطَ اللهِ مَا لَمْ يُؤْثِرُوا صَفْقَةَ دُنْيَاهُمْ عَلَى آخِرَتِهِمْ » وفى لفظ آخر « مَا لَمْ يُبَالُوا مَا نَقَصَ مِنْ دُنْيَاهُمْ بِسَلَامَةِ دِينِهِمْ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ وَقَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ قَالَ اللهُ تَعَالَى كَذَبْتُمْ لَسْتُمْ بِهَا صَادِقِينَ » وفى حديث آخر (٤) « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصاً دَخَلَ

---

(١) حديث البيعان اذا صدقا ونصحا بورك لهما فى بيعهما ـ الحديث: متفق عليه من حديث حكيم بن حزام

(٢) حديث يد الله على الشريكين مالم يتخاونا فاذا تخاونا رفع يده عنهما: أبو داود والحاكم من حديث أبى هريرة وقال صحيح الأسناد

(٣) حديث لا تزال لا اله الا الله تدفع عن الخلق سخط الله مالم يؤثروا صفقة دنياهم على اخراهم ـ الحديث أبو يعلى والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بسند ضعيف وفى رواية للترمذى الحكيم فى النوادر حتى اذا نزلوا بالمنزل الذى لايبالون ما نقص من دينهم اذا سلمت لهم دنياهم ـ الحديث وللطبرانى فى الأوسط نحوه من حديث عائشة وهو ضعيف أيضا

(٤) حديث من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال تحجزه عما حرم الله: الطبرانى من حديث زيد بن أرقم فى معجمه الكبير والأوسط باسناد حسن

الجَنَّةَ » قيل وما اخلاصه ؟ قال « أَنْ يُحْرِزَهُ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ » وقال أيضا « مَا آمَنَ بِالْقُرْآنِ مَنِ اسْتَحَلَّ مَحَارِمَهُ » ومن علم أن هذه الامور قادحة فى ايمانه ، وان ايمانه رأس ماله فى تجارته فى الآخرة ، لم يضيع رأس ماله المعد لعمر لا آخر له ، بسبب ربح ينتفع به أياما معدودة

وعن بعض التابعين أنه قال ، لو دخلت الجامع وهو غاص بأهله ، وقيل لى مَن خير هؤلاء ؟ لقلت مَن أنصحهم لهم ؟ فاذا قالوا هذا ، قلت هو خيرهم . ولو قيل لى من شرهم ؟ قلت مَن أغشهم لهم ؟ فاذا قيل هذا ، قلت هو شرهم

والغش حرام فى البيوع والصنائع جميعا . ولاينبغى أن يتهاون الصانع بعمله على وجه لو عامله به غيره لما ارتضاه لنفسه . بل ينبغى أن يحسن الصنعة ويحكمها ثم يبين عيبها ان كان فيها عيب . فبذلك يتخلص . وسأل رجل حذاء بن سالم فقال ، كيف لى أن أسلم فى بيع النعال ؟ فقال اجعل الوجهين سواء ، ولاتفضل اليمنى على الأخرى ، وجوّد الحشو ، وليكن شيئا واحدا تاما ، وقارب بين الخرز ، ولاتطبق احدى النعلين على الأخرى . ومن هذا الفن ما سئل عنه أحمد بن حنبل رحمه الله من الرفو بحيث لايتبين ، قال لايجوز لمن يبيعه أن يخفيه ، وانما يحل للرفاء اذا علم أنه يظهره ، أو أنه لايريده للبيع

فان قلت : فلا تتم المعاملة مهما وجب على الانسان أن يذكر عيوب المبيع

فأقول : ليس كذلك . اذ شرط التاجر أن لايشترى للبيع إلا الجيد الذى يرتضيه لنفسه لو أمسكه . ثم يقنع فى بيعه بربح يسير ، فيبارك الله له فيه ، ولايحتاج الى تلبيس . وانما تعذر هذا لأنهم لايقنعون بالربح اليسير ، وليس يسلم الكثير إلا بتلبس . فمن تعود هذا لم يستر المعيب ، فان وقع فى يده معيب نادرا فليذكره ، وليقنع بقيمته . باع ابن سيرين شاة ، فقال للمشترى ، أبرأ اليك من عيب فيها انها تقلب العلف برجلها . وباع الحسن بن صالح جارية ، فقال للمشترى ، انها تنخمت مرة عندنا دما .

فهكذا كانت سيرة أهل الدين ، فمن لايقدر عليه فليترك المعاملة ، أو ليوطن نفسه على عذاب الآخرة .

(الثالث) أن لايكتم فى المقدار شيئا ، وذلك بتعديل الميزان والاحتياط فيه . وفى الكيل

فينبغي أن يكيل كما يكتال . قال الله تعالى (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ [1]) ولا يخلص من هذا الابان يرجح اذا أعطى وينقص اذا أخذ . اذ العدل الحقيق قلما يتصور . فليستظهر بظهور الزيادة والنقصان ، فان من استقصى حقه بكماله يوشك أن يتعداه . وكان بعضهم يقول ، لا أشترى الويل من الله بحبة فكان اذا أخذ نقص نصف حبة ، واذا أعطى زاد حبة . وكان يقول ، ويل لمن باع بحبة جنةً عرضها السموات والارض . وما أخسر من باع طوبى بويل . وانما بالغوا فى الاحتراز من هذا وشبهه ، لأنها مظالم لا يمكن التوبة منها . اذ لا يعرف أصحاب الحبات حتى يجمعهم ويؤدى حقوقهم . ولذلك لما اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ [1] قال للوزان لما كان يزن ثمنه « زِنْ وَأَرْجِحْ »

ونظر فضيل الى ابنه وهو يغسل دينارا يريد أن يصرفه ، ويزيل تكحيله وبنقيه حتى لا يزيد وزنه بسبب ذلك . فقال يابنى فعلك هذا أفضل من حجتين وعشرين عمرة . وقال بعض السلف ، عجبت للتاجر والبائع كيف ينجو ، يزن ويحلف بالنهار ، وينام بالليل . وقال سليمان عليه السلام لابنه ، يابنى كما تدخل الحبة بين الحجرين ، كذلك تدخل الخطيئة بين المتبايعين . وصلى بعض الصالحين على مخنث ، فقيل له انه كان فاسقا ، فسكت ، فاعيد عليه ، فقال كأنك قلت لى كان صاحب ميزانين ، يعطى بأحدهما ويأخذ بالآخر . أشار به الى أن فسقه مظالمة بينه وبين الله تعالى ، وهذا من مظالم العباد . والمسامحة والعفو فيه أبعد . والتشديد فى أمر الميزان عظيم ، والخلاص منه يحصل بحبة ونصف حبة وفى قراءة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه (لَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِاللِّسَانِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ) أى لسان الميزان ، فان النقصان والرجحان يظهر بميله

وبالجملة كل من ينتصف لنفسه من غيره ولو فى كلمة ، ولا ينصف بمثل ما ينتصف ، فهو داخل تحت قوله تعالى (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ [1]) الآيات .

---

(١) حديث قال للوزان زن وأوجح اصحاب السنن والحاكم من حديث سويد بن قيس قال الترمذي حسن صحيح وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم

---

(١) المطففين : ١ - ٢ - ٣

فان تحريم ذلك فى المكيل ليس لكونه مكيلا ، بل لكونه أمرا مقصوداً ترك العدل والنصفة فيه . فهو جار فى جميع الاعمال . فصاحب الميزان فى خطر الويل ، وكل مكلف فهو صاحب موازين فى أفعاله وأقواله وخطراته ، فالويل له ان عدل عن العدل ، ومال عن الاستقامة . ولولا تعذر هذا واستحالته لما ورد قوله تعالى (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِياً [1])فلا ينفك عبد ليس معصوما عن الميل عن الاستقامة . الا أن درجات الميل تتفاوت تفاوتا عظيما . فلذلك تتفاوت مدة مقامهم فى النار الى أوان الخلاص، حتى لا يبقى بعضهم الا بقدر تحلة القسم ، ويبقى بعضهم ألفا وألوف سنين . فنسأل الله تعالى أن يقر بنا من الاستقامة والعدل ، فان الاشتداد على متن الصراط المستقيم من غير ميل عنه غير مطموع فيه ، فانه أدق من الشعرة وأحد من السيف . ولولاه لكان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط الممدود على متن النار ، الذى من صفته أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف . وبقدر الاستقامة على هذا الصراط المستقيم يخف العبد يوم القيامة على الصراط .

وكل من خلط بالطعام ترابا أو غيره ثم كاله فهو من المطففين فى الكيل . وكل قصاب وزن مع اللحم عظما لم تجر العادة بمثله فهو من المطففين فى الوزن. وقس على هذا سائر التقديرات حتى فى الذرع الذى يتعاطاه البزاز ، فانه اذا اشترى أرسل الثوب فى وقت الذرع ولم يمده مدا واذا باعه مده في الذرع ليظهر تفاوتا فى القدر. فكل ذلك من التطفيف المعرض صاحبه للويل

الرابع أن يصدق فى سعر الوقت ولا يخفى منه شيأ .فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] عن تلقى الركبان ونهى [2] عن النجش .

أما تلقى الركبان فهو أن يستقبل الرفقه ويتلقى المتاع ، و يكذب فى سعر البلد . فقد قال صلى الله عليه وسلم « لَا تَتَلَقَّوُا الرُّكْبَانَ» ومن تلقاها فصاحب السلعة بالخيار بعد أن يقدم السوق . وهذا الشراء منعقد ، ولكنه ان ظهر كذبه ثبت للبائع الخيار . وان كان صادقا فى الخيار خلاف ، لتعارض عموم الخبر مع زوال التلبيس . ونهى أيضا [3] أن يبيع حاضر لباد،

---

(١) حديث النهي عن تلقي الركبان متفق عليه من حديث ابن عباس وأبى هريرة

(٢) حديث النهى عن النجش متفق عليه من حديث ابن عمر وأبى هريرة

(٣) حديث النهى عن بيع الحاضر للبادى متفق عليه من حديث ابن عباس وأبى هريرة وأنس

---

[1] مريم ٧١

وهو أن يقدم البدوى البلد ومعه قوت يريد أن يتسارع الى بيعه ، فيقول له الحضرى اتركه عندى حتى أغالى فى ثمنه وأنتظر ارتفاع سعره . وهذا فى القوت محرم . وفى سائر السلع خلاف . والأظهر تحريمه لعموم النهى ، ولانه تأخير للتضييق على الناس على الجملة من غير فائدة للفضولى المضيق

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النجش ، وهو أن يتقدم الى البائع بين يدى الراغب المشترى ، ويطلب السلعة بزيادة ، وهو لا يريدها ، وانما يريد تحريك رغبة المشترى فيها . فهذا ان لم تجر مواطأة مع البائع فهو فعل حرام من صاحبه ، والبيع منعقد . وان جرى مواطأة ففي ثبوت الخيار خلاف والأولى اثبات الخيار ، لانه تغرير بفعل يضاهى التغرير فى المُصَرّاة وتلقى الركبان

فهذه المناهى تدل على أنه لا يجوز أن يلبّس على البائع والمشترى فى سعر الوقت ، ويكتم منه أمر الوعامه لما أقدم على العقد . ففعل هذا من الغش الحرام المضاد للنصح الواجب . فقد حكى عن رجل من التابعين أنه كان بالبصرة ، وله غلام بالسوس يجهز اليه السكر . فكتب اليه غلامه ان قصب السكر قد أصابته آفة فى هذه السنة ، فاشتر السكر . قال فاشترى سكرا كثيرا ، فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين ألفا . فأنصرف الى منزله فافكر ليلته ، وقال ربحت ثلاثين ألفا وخسرت نصح رجل من المسلمين . فلما أصبح غدا الى بائع السكر ، فدفع اليه ثلاثين ألفا ، وقال بارك الله لك فيها . فقال ومن أين صارت لى ؟ فقال انى كتمتك حقيقة الحال ، وكان السكر قد غلا فى ذلك الوقت ، فقال رحمك الله قد أعلمتنى الآن ، وقد طيبتها لك قال فرجع بها الى منزله ، وتفكر وبات ساهراً ، وقال ما نصحته ، فلعله استحيا منى فتركها لى . فبكر اليه من الغد ، وقال عافاك الله ، خذ مالك اليك ، فهو أطيب لقلبى . فأخذ منه ثلاثين الفا

فهذه الاخبار فى المناهى والحكايات تدل على أنه ليس له أن يغتنم فرصة ، وينتهز غفلة صاحب المتاع ، ويخفى من البائع غلاء السعر ، أو من المشترى تراجع الاسعار . فان فعل ذلك كان ظالما ، تاركا للعدل والنصح للمسلمين

ومهما باع مرابحة ، بان يقول بعت بما قام علىّ ، أو بما اشتريته ، فعليه أن يصدق . ثم يجب عليه أن يخبر بما حدث بعد العقد من عيب أو نقصان ، ولو اشترى الى أجل وجب ذكره . ولو اشترى مسامحة من صديقه أو ولده يجب ذكره . لأن المعامل يعوّل على عادته فى الاستقصاء لانه لا يترك النظر لنفسه ، فاذا تركه بسبب من الأسباب فيجب اخباره ، اذ الاعتماد فيه على أمانته

فهرست الجزء الرابع

الصفحة

كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل احياء الليل ٥٩٤

الباب الأول : فى فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها ٥٩٥

فضيلة الأوراد ٥٩٥

بيان أعداد الأوراد وترتيبها ٥٩٧

الورد الأول من أوراد النهار ٥٩٧

تسابق السلف الى المسجد قبل الفجر ٥٩٩

الاشتغال بالذكر بعد ركعتى الفجر ٥٩٩

أنواع العبادة بعد الصبح الى طلوع الشمس ٦٠٠

الأدعية ٦٠٠

الأذكار المكررة ٦٠١

القراءة ٦٠٣

المسبعات العشر ٦٠٤

سند المسبعات العشر ٦٠٥

الأفكار ٦٠٥

الورد الثانى من أوراد النهار ٦٠٧

الوظيفة الأولى ٦٠٨

الوظيفة الثانية ٦٠٨

الورد الثالث من أوراد النهار ٦٠٩

الوظيفة الرابعة ٦٠٩

الاشتغال بالكسب ٦٠٩

القيلولة ٦٠٩

الورد الرابع من أوراد النهار ٦١٠

الورد الخامس من أوراد النهار ٦١١

الورد السادس من أوراد النهار ٦١١

الورد السابع من أوراد النهار ٦١٢

بيان أوراد الليل ٦١٣

الورد الأول من أوراد الليل ٦١٣

الورد الثانى من أوراد الليل ٦١٤

الورد الثالث من أوراد الليل ٦١٦

آداب النوم ٦١٧

الطهارة والسواك ٦١٧

تحضير آلات الطهارة ٦١٧

كتابة وصيته ٦١٨

التوبة ٦١٨

الاقتصاد فى الفرش ٦١٨

عدم تكلف النوم ٦١٨

استقبال القبلة عند النوم وكيفيته ٦١٩

الدعاء ٦١٩

الصفحة

تذكر أن النوم نوع وفاة ٦٢٠

الدعاء عند الاستيقاظ ٦٢٠

الورد الرابع من أوراد الليل ٦٢١

ترتيب الورد الرابع ٦٢١

الورد الخامس من أوراد الليل ٦٢٣

سنة السلف فى أورادهم ٦٢٤

بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال ٦٢٥

أحوال المريد . ٦٢٥

العابد ٦٢٥

العالم ٦٢٦

تقسيم نهار العالم ٦٢٦

تقسيم ليل العالم ٦٢٧

المتعلم ٦٢٧

المحترف ٦٢٨

الوالى ٦٢٨

الموحد ٦٢٨

أساس قول الأوراد ٦٢٩

الباب الثانى : فى الأسباب الميسرة لقيام الليل وفى الليالى التى يستحب احياؤها وفى فضيلة احياء الليل وما بين العشاءين وكيفية قسمة الليل ٦٣٠

فضيلة احياء ما بين العشاءين ٦٣٠

فضيلة قيام الليل ٦٣٣

بيان الأسباب التى بها يتيسر قيام الليل ٦٣٨

بيان طرق القسمة لأجزاء الليل ٦٤٢

بيان الليالى والأيام الفاضلة ٦٤٥

ربع العادات

كتاب آداب الأكل ٦٤٨

الباب الأول : فيما لابد للمنفرد منه ٦٤٩

القسم الأول فى الآداب التى تتقدم على الأكل ٦٤٩

الطعام الحلال الطيب ٦٤٩

غسل اليد قبل الطعام ٦٤٩

السفر والمائدة ٦٥٠

كيفية الجلوس على السفرة ٦٥٠

نية التقوى على الطاعة بالأكل ٦٥١

الرضاء بالموجود من الطعام ٦٥١

تكثير الأيدى على الطعام ٦٥٢

	الصفحة
القسم الثانى فى آداب حالة الأكل	٦٥٢
آداب الشرب	٦٥٣
القسم الثالث ما يستحب بعد الطعام	٦٥٤
غسل اليدين بالأشنان	٦٥٥
الباب الثانى : فيمايزيدبسبب الاجتماع والمشاركة فى الأكل	٦٥٦
من يبتدىء الطعام	٦٥٦
الكلام على الطعام	٦٥٦
تنشيط الرفيق على الطعام	٦٥٦
ترك التصنع أثناء الأكل	٦٥٦
غسل اليد فى الطست وآدابه	٦٥٧
عدم مراقبة أكل غيره	٦٥٨
التنزه عما يستقذره غيره	٦٥٨
الباب الثالث : فى آداب تقديم الطعام الى الاخوان الزائرين	٦٥٨
آداب الدخول للطعام	٦٦٠
عدم التربص لوقت الطعام	٦٦٠
التورط فى الدعوة	٦٦٠
آداب تقديم الطعام	٦٦٢
ترك التكلف	٦٦٢
اقتراحات الضيف فى الطعام	٦٦٣
تشهية المضيف لضيفه	٦٦٤
هل أقدم لك طعاما ؟	٦٦٤
الباب الرابع : فى آداب الضيافة	٦٦٥
فضيلة الضيافة	٦٦٥
آداب الدعوة الى الطعام	٦٦٦
عدم تمييز الغنى بالاجابة عن الفقير	٦٦٧
عدم الامتناع عن الاجابة لبعد المسافة	٦٦٨
اجابة الدعوة وصوم التطوع	٦٦٩
الامتناع عن الاجابة عند الشبهة	٦٦٩
النية الصحيحة عند اجابة الدعوة	٦٦٩
آداب الحضور لمنزل الداعى والجلوس فيه	٦٧١
التقاليد الاسلامية فى الجلوس فى منزل الغير	٦٧١
من رأى منكرا فى منزل غيره	٦٧١
آداب احضار الطعام	٦٧٢
تعجيل الطعام	٦٧٢
تقديم الفاكهة أولا	٦٧٣
شرب الماء المثلج وغسل اليد بالماء الفاتر	٦٧٣
تقديم الطف الألوان أولا	٦٧٤
الكتابة قائمة بالألوان	٦٧٤
عدم رفع الألوان قبل الاستيفاء	٦٧٤
عدم قيام الداعى من الأكل قبل الضيوف	٦٧٥
تقديم الكفاية من الطعام	٦٧٥
أخذ الضيوف ما تبقى من الأكل	٦٧٥
آداب الانصراف	٦٧٦
طلاقة الوجه وطيب الحديث	٦٧٦
انصراف الضيف طيب النفس	٦٧٦
أدب خروج الضيف	٦٧٧
مدة الضيافة	٦٧٧
فصل يجمع آدابا ومناهى طبية	٦٧٧
الأكل فى السوق	٦٧٧
من نصائح على رضى الله عنه	٦٧٧
نصائح طبيب للحجاج	٦٧٨
ضرورة الغذاء قبل الخروج	٦٧٨
الحميـــة	٦٧٨
حمل الطعام الى أهل الميت	٦٧٩
الأكل عند الظلمة	٦٧٩
بعض آداب الضيافة	٦٧٩
من حكم الشافعى رضى الله عنه فى الأكل	٦٨٠
كتاب آداب النكاح	٦٨٢
الباب الأول : فى الترغيب فى النكاح وعنه	٦٨٣
الترغيب فى النكاح	٦٨٣
الترهيب عن النكاح	٦٨٧
فوائد النكاح	٦٨٨
التناسل	٦٨٨
تنفيذ سنن الله فى الوجود	٦٨٨
رجاء دعاء الولد الصالح	٦٩١
شفاعة الأطفال يوم القيامة	٦٩١
دفع غوائل الشهوة	٦٩٣
دلالة لذة الدنيا على لذة الآخرة	٦٩٤
القيام بشؤون المنزل	٦٩٩
القيـام بنصيب المرء من الواجبـات الاجتماعية	٧٠٠
آفات النكاح	٧٠٣
العجز عن طلب الحلال	٧٠٣
احتمال التقصير فى حقوق الزوجات	٧٠٤
الانشغال بالزوجة عن الله تعالى	٧٠٥
الباب الثانى : فى العقد وأحوال المرأة عند العقد	٧٠٨
العقد وأركان العقد	٧٠٨
آداب العقد	٧٠٩
ما يراعى فى الزوجة	٧٠٩
موانع الزواج الشرعية	٧١٠
ما يجب توفره فى الزوجة	٧١١
قوة دينها	٧١١
حسن خلقها	٧١٢
حسن وجهها	٧١٣
يسر مهرها	٧١٥
المرأة الولود	٧١٧

	الصفحة
فوائد البكارة	٧١٨
صبب العصر	٧١٨
القرابة القريبة وضعف النسل	٧١٨
اختيار الزوج	٧١٩
الباب الثالث : فى آداب المعاشرة وما يجرى فى دوام النكاح	٧١٩
وجباب الزوج ـ الوليمة	٧١٩
حسن المعاشرة	٧٢٠
المداعبة والمزاح	٧٢٣
مزج المداعبة بالحزم	٧٢٤
الاعتدال فى الغيرة	٧٢٦
كيف يتقى الرجل الغيرة	٧٢٨
بحث فى خروج المرأة الى الأسواق	٧٢٨
الاعتدال فى النفقة	٧٢٩
تعليم الزوجة علم الحيض	٧٣٠
العدل عند تعدد الزوجات	٧٣٠
خصام بين الزوجين	٧٣٢
آداب الجماع	٧٣٣
العـــزل	٧٣٥
أسباب العزل	٧٣٧
آداب الولادة	٧٣٩
عدم الفرح بالذكر والحزن بالأنثى	٧٣٩
الأذان فى أذن الولد	٧٤٠
اختيار الاسم الحسن	٧٤١
العقيقة	٧٤٢
التحنيك بتمرة او حلاوة	٧٤٢
الطلاق ودواعيه	٧٤٣
افتداء الزوجة	٧٤٣
وقت الطلاق	٧٤٣
عدم الجمع بين الطلقات الثلاث	٧٤٤
المتعـــة	٧٤٤
عدم افشاء الأسرار	٧٤٥
حقوق الزوج على الزوجة	٧٤٦
حق الابنة على والديها	٧٤٩
آداب الزوجة	٧٤٦
الحداد على الزوج	٧٥١

	الصفحة
كتاب آداب الكسب والمعاش	٧٥٤
الباب الأول : فى فضل الكسب والحث عليه	٧٥٥
المفاضلة بين العمل والسؤال	٧٥٩
الباب الثانى : فى علم الكسب وطرقه	٧٦٠
العقد الأول البيع	٧٦١
أركان البيع ـ العقد	٧٦١
المعقود عليه ـ طهارته	٧٦٢
الانتفاع به	٧٦٢
صحة تملك البائع له	٧٦٣
القدرة على تسليمه	٧٦٣
تحديد المبيع	٧٦٣
قبض المبيع قبل بيعه	٧٦٤
الايجاب والقبول فى البيع	٧٦٤
العقد الثانى الربا	٧٦٨
العقد الثالث السلم	٧٦٩
العقد الرابع الاجارة	٧٧٠
العقد الخامس القراض	٧٧٢
رأس المال	٧٧٢
الـــربح	٧٧٢
العمـــل	٧٧٣
العقد السادس الشركة	٧٧٤
شركة المفاوضة	٧٧٤
شركة الأبدان	٧٧٤
شركة الوجوه	٧٧٤
شركة العنان	٧٧٤
الباب الثالث : فى بيان العدل واجتناب الظلم فى المعاملة	٧٧٥
القسم الأول فيما يعم ضرره : الاحتكار	٧٧٥
تزييف النقود وترويج المزيف منها	٧٧٧
القسم الثانى ما يخص ضرره المعامل	٧٧٩
الثناء على السلعة	٧٧٩
النهى عن الغش	٧٨٠
الأمانة فى الكيل والميزان	٧٨٣
الصدق فى سعر الوقت	٧٨٥

كتاب الشعب

إحياء علوم الدين

للإمام أبي حامد الغزالي

الجزء الخامس

الشعب

الباب الرابع

فى الإحسان فى المعاملة

وقد أمر الله تعالى بالعدل والاحسان جميعاً . والعدل سبب النجاة فقط ، وهو يجرى من التجارة مجرى رأس المال . والاحسان سبب الفوز ونيل السعادة ، وهو يجرى من التجارة مجرى الربح . ولا يعد من العقلاء من قنع فى معاملات الدنيا برأس ماله ، فكذا فى معاملات الآخرة ، فلا ينبغى للمتدين أن يقتصر على العدل واجتناب الظلم ، ويدع أبواب الاحسان وقد قال الله (وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ[1]) وقال عز وجل (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ[2]) وقال سبحانه (إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ[3]) ونعنى بالاحسان فعل ما ينتفع به المعامل ، وهو غير واجب عليه ، ولكنه تفضل منه . فان الواجب يدخل فى باب العدل وترك الظلم ، وقد ذكرناه .

وتنال رتبة الاحسان بواحد من ستة أمور

الأول . فى المغابنة . فينبغى أن لا يغبن صاحبه بما لا يتغابن به فى العادة . فأما أصل المغابنة فمأذون فيه ، لان البيع للربح ، ولا يمكن ذلك الا بغبن ما . ولكن يراعى فيه التقريب : فان بذل المشترى زيادة على الربح المعتاد ، أما لشدة رغبته ، أو لشدة حاجته فى الحال اليه فينبغى أن يمتنع من قبوله . فذلك من الاحسان . ومهما لم يكن تلبيس لم يكن أخذ الزيادة ظلما : وقد ذهب بعض العلماء الى أن الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار . ولسنا نرى ذلك ولكن من الاحسان أن يحط ذلك الغبن

يروى انه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الأثمان ضرب قيمة كل حلة منها أربعمائة وضرب كل حلة قيمتها مائتان : فمر الى الصلاة وخلف ابن أخيه فى الدكان : فجاء أعرابى وطلب حلة بأربعمائة ، فعرض عليه من حلل المائتين ، فاستحسنها ورضيها فاشتراها ؟ فمضى بها وهى على يديه ، فاستقبله يونس فعرف حلته ، فقال للاعرابى ، بكم اشتريت ؟ فقال بأربعمائة فقال

﴿ الباب الرابع فى الاحسان فى المعاملة ﴾

(١) القصص : ٧٧ (٢) النحل : ٩٠ (٣) الأعراف : ٥٦

لاتساوى أكثر من مائتين ، فارجع حتى تردها . فقال هذه تساوى فى بلدنا خمسمائة ،وأنا أرتضيها . فقال له يونس انصرف ،فإن النصح فى الدين خير من الدنيا بما فيها . ثم رده الى الدكان ، ورد عليه مائتى درهم ، وخاصم ابن أخيه فى ذلك وقاتله ، وقال أما استحييت ؟ أما اتقيت الله ؟ تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين ؟ فقال والله ما أخذها إلا وهو راض بها . قال فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك ؟ وهذا ان كان فيه إخفاء سعر وتلبيس ، فهو من باب الظلم . وقد سبق

وفى الحديث (١) « غَبْنُ الْمُسْتَرْسِلِ حَرَامٌ »

وكان الزبير بن عدى يقول ، أدركت ثمانية عشر من الصحابة ، ما منهم أحد يحسن يشترى لحما بدرهم . فغبن مثل هؤلاء المسترسلين ظلم . وان كان من غير تلبيس ، فهو من ترك الإحسان . وقلما يتم هذا إلا بنوع تلبيس ، واخفاء سعر الوقت . وإنما الإحسان المحض ما نقل عن السرى السقطى ، انه اشترى كرّلوز بستين ديناراً ، وكتب فى روزنامجه ثلاثة دنانير ربحه . وكأنه رأى أن يربح على العشرة نصف دينار . فصار اللوز بتسعين ، فأتاه الدلال وطلب اللوز ، فقال خذه ، قال بكم ، فقال بثلاثة وستين . فقال الدلال ، وكان من الصالحين ، فقد صار اللوز بتسعين ! فقال السرى ، قد عقدت عقدا لا أحله ، لست أبيعه إلا بثلاثة وستين . فقال الدلال ، وأنا عقدت بينى وبين الله أن لا أغش مسلما ، لست آخذ منك إلا بتسعين . قال فلا الدلال اشترى منه ، ولا السرى باعه . فهذا محض الإحسان من الجانبين . فإنه مع العلم بحقيقة الحال

وروى عن محمد بن المنكدر ، انه كان له شقق بعضها بخمسة ، وبعضها بعشرة . فباع فى غيبته غلامه شقة من الخمسيات بعشرة . فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الأعرابي المشترى طول النهار ، حتى وجده . فقال له إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوى خمسة بعشرة . فقال ياهذا قد رضيت فقال . وإن رضيت فإنا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا . فاختر احدى ثلاث خصال ، إما أن تأخذ شقة من العشريات بدراهمك ، وإما أن نرد عليك خمسة ، وأما أن ترد شقتنا وتأخذ دراهمك . فقال أعطنى خمسة ، فرد عليه خمسة ، وانصرف الأعرابى يسأل ويقول

(١) حديث غبن المسترسل حرام . الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف والبيهقى من حديث جابر بسند جيد وقال ر بابدل حرام

مَنْ هَذَا الشيخ ؟ فقيل له هذا محمد بن المنكدر . فقال لا إله إلا الله ، هذا الذى نستسقى به فى البوادى إذا قحطنا . فهذا احسان فى أن لا يربح على العشرة الا نصفا أو واحدا ، على ما جرت به العادة فى مثل ذلك المتاع فى ذلك المكان

ومن قنع بربح قليل كثرت معاملاته ، واستفاد من تكررها ربحا كثيرا ، وبه تظهر البركة . كان على رضى الله عنه يدور فى سوق الكوفة بالدِّرة ويقول ، معاشر التجار ، خذوا الحق تساموا لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره . قيل لعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ما سبب يسارك ؟ قال ثلاث ، ما رددت ربحا قط ، ولا طلب منى حيوان فأخرت بيعه ، ولا بعت بنسيئة . ويقال إنه باع ألف ناقة فما ربح إلا عقلها ، باع كل عقال بدرهم ، فربح فيها ألفا ، وربح من نفقته عليها ليومه ألفا

الثانى : فى احتمال الغبن . والمشترى ان اشترى طعاما من ضعيف ، أو شيأ من فقير ، فلا بأس أن يحتمل الغبن ويتساهل ، ويكون محسنا ، وداخلا فى قوله عليه السلام « رَحِمَ اللهُ امْرَأً سَهْلَ الْبَيْعِ سَهْلَ الشِّرَاءِ » فأما إذا اشترى من غنى تاجر ، يطلب الربح زيادة على حاجته فاحتمال الغبن منه ليس محمودا . بل هو تضييع مال من غير أجر ولا حمد . فقد ورد فى حديث من طريق أهل البيت [1] « الْمَغْبُونُ فِى الشِّرَاءِ لَا مَحْمُودٌ وَلَا مَأْجُورٌ » وكان إياس بن معاوية ابن قرة قاضى البصرة ، وكان من عقلاء التابعين يقول ، لست بخب ، والخب لا يغبنى ، ولا يغبن ابن سيرين ، ولكن يغبن الحسن ويغبن أبى . يعنى معاوية بن قرة

والكمال فى أن لا يغبن ولا يغبن ، كما وصف بعضهم عمر رضى الله عنه فقال ، كان أكرم من أن يخدع ، وأعقل من أن يخدع . وكان الحسن والحسين وغيرهما من خيار السلف يستقصون فى الشراء ، ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال ، فقيل لبعضهم تستقصى فى شرائك على اليسير ثم تهب الكثير ولا تبالى ؟ فقال ان الواهب يعطى فضله ، وان المغبون يغبن عقله . وقال بعضهم انما أغبن عقلى وبصرى فلا أمكن الغابن منه . وإذا وهبت أعطى لله ولا أستكثر منه شيئا .

---

(١) حديث من طريق أهل البيت المغبون لا محمود ولا مأجور . الترمذى الحكيم فى النوادر من رواية عبيد الله بن الحسن عن أبيه عن جده ورواه أبو يعلى من حديث الحسين بن على برفعه قال الذهبى هو منكر

الثالث : فى استيفاء الثمن وسائر الديون . والإحسان فيه مرة بالمسامحة وحط البعض ، ومرة بالإمهال والتأخير ، ومرة بالمساهلة فى طلب جودة النقد . وكل ذلك مندوب اليه ومحثوث عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم (١) « رَحِمَ اللهُ امْرَأً سَهْلَ الْبَيْعِ سَهْلَ الشِّرَاءِ سَهْلَ الْقَضَاءِ سَهْلَ الاقْتِضَاءِ » فليغتنم دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم . وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « اسْمَحْ يُسْمَحْ لَكَ » وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَوْ تَرَكَ لَهُ حَاسَبَهُ اللهُ حِسَاباً يَسِيراً » وفى لفظ آخر « أَظَلَّهُ اللهُ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ »

وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) رجلا كان مسرفا على نفسه ، حوسب فلم يوجد له حسنة ، فقيل له هل عملت خيرا قط ؟ فقال لا ، إلا أنى كنت رجلا أداين الناس ، فأقول لفتيانى سامحوا الموسر وأنظروا المعسر . وفى لفظ آخر ، وتجاوزوا عن المعسر ، فقال الله تعالى (نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْكَ فَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ) وقال صلى الله عليه وسلم (٥) « مَنْ أَقْرَضَ دِينَاراً إِلَى أَجَلٍ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ إِلَى أَجَلِهِ ، فَإِذَا حَلَّ الْأَجَلُ فَأَنْظَرَهُ بَعْدَهُ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلُ ذَلِكَ الدَّيْنِ صَدَقَةٌ » وقد كان من السلف من لا يحب أن يقضى غريمه الدين لأجل هذا الخبر ، حتى يكون كالمتصدق بجميعه فى كل يوم . وقال صلى الله عليه وسلم (٦) « رَأَيْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ مَكْتُوباً الصَّدَقَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا وَالْقَرْضُ بِثَمَانِ عَشْرَةَ » فقيل

---

(١) حديث رحم الله سهل البيع سهل الشراء : تقدم فى الباب قبله

(٢) حديث اسمح يسمح لك : الطبرانى من حديث ابن عباس ورجاله ثقات

(٣) حديث من أنظر معسرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا وفى لفظ آخر أظله الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله : مسلم باللفظ الثانى من حديث أبى اليسر كعب بن عمرو

(٤) حديث ذكر رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا إلا أنى كنت رجلا أداين الناس فأقول لفتيانى سامحوا الموسر ـ الحديث مسلم من حديث أبى مسعود الأنصارى وهو متفق عليه بنحوه من حديث حذيفة

(٥) حديث من أقرض دينا الى أجل فله بكل يوم صدقة الى أجله فاذا حل الأجل فأنظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة : ابن ماجه من حديث بريدة من أنظر معسرا كان له مثله كل يوم صدقة ومن أنظره بعد أجله كان له مثله فى كل يوم صدقة وسنده ضعيف ورواه أحمد والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين

(٦) حديث رأيت على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانى عشرة : ابن ماجه من حديث أنس باسناد ضعيف

فى معناه إن الصدقة تقع فى يد المحتاج وغير المحتاج ، ولا يتحمل ذل الاستقراض إلا محتاج ونظر النبي صلى الله عليه وسلم الى رجل يلازم رجلا بدين [١] ، فأومأ إلى صاحب الدين بيده ان ضع الشطر ، ففعل . فقال للمديون « قُمْ فَأَعْطِهِ »

وكل من باع شيئا وترك ثمنه فى الحال ، ولم يرهق الى طلبه ، فهو فى معنى المقرض . وروى أن الحسن البصرى باع بغلة له بأربعمائة درهم ، فلما استوجب المال قال له المشترى ، اسمح يا أبا سعيد ، قال قد اسقطت عنك مائة . قال له فأحسن يا أبا سعيد ، فقال قد وهبت لك مائة أخرى . فقبض من حقه مائتى درهم . فقيل له يا أبا سعيد هذا نصف الثمن ! فقال هكذا يكون الاحسان والا فلا . وفى الخبر [٢] « خُذْ حَقَّكَ فِى كَفَافٍ وَعَفَافٍ وَافٍ أَوْ غَيْرَ وَافٍ يُحَاسِبْكَ اللهُ حِسَابًا يَسِيرًا »

الرابع : فى توفية الدين . ومن الاحسان فيه حسن القضاء ، وذلك بأن يمشى الى صاحب الحق ولا يكلفه أن يمشى اليه يتقاضاه . فقد قال صلى الله عليه وسلم [٣] « خَيْرُكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً » ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر اليه ، ولو قبل وقته . وليسلم أجود مما شرط عليه وأحسن . وإن عجز فليتو قضاءه مهما قدر : قال صلى الله عليه وسلم [٤] « مَنِ ادَّانَ دَيْنًا وَهُوَ يَنْوِى قَضَاءَهُ وَكَّلَ اللهُ بِهِ مَلَائِكَةً يَحْفَظُونَهُ وَيَدْعُونَ لَهُ حَتَّى يَقْضِيَهُ » وكان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر . ومهما كلمه صاحب الحق بكلام خشن فليحتمله ، وليقابله باللطف ، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ جاءه صاحب الدين عند حلول الأجل ، ولم يكن قد اتفق قضاؤه . فجعل الرجل يشدد الكلام على رسول الله صلى الله عليه

---

(١) حديث أومأ الى صاحب الدين بيده ضع الشطر ـ الحديث : متفق عليه من حديث كعب بن مالك

(٢) حديث خذ حقك فى عفاف ـ الحديث : ابن ماجه من حديث أبى هريرة باسناد حسن دون قوله يحاسبك الله حسابا يسيرا وله ولابن حبان والحاكم وصححه نحوه من حديث ابن عمر وعائشة .

(٣) حديث خيركم أحسنكم قضاء : متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٤) حديث من أدان دينا وهو ينوى قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه : أحمد من حديث عائشة مامن عبد كانت له نية فى أداء دينه الا كان معه من الله عون وحافظ وفى رواية له لم يزل معه من الله حارس وفى رواية للطبرانى فى الأوسط الا كان معه عون من الله عليه حتى يقضيه عنه .

وسلم ، فهمّ به أصحابه . فقال [١] « دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا »

ومهما دار الكلام بين المستقرض والمقرض، فالإحسان أن يكون الميل الاكثر للمتوسطين الى من عليه الدين . فان المقرض يقرض عن غنى . والمستقرض يستقرض عن حاجة . وكذلك ينبغى أن تكون الاعانة للمشترى أكثر . فان البائع راغب عن السلعة يبغى ترويجها والمشترى محتاج اليها . هذا هو الأحسن ، الا أن يتعدى من عليه الدين حده ، فعند ذلك نصرته فى منعه عن تعديه واعانة صاحبه ، اذ قال صلى الله عليه وسلم [٢] « انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا » فقيل كيف ننصره ظالما ؟ فقال « مَنْعُكَ إِيَّاهُ مِنَ الظُّلْمِ نُصْرَةٌ لَهُ »

الخامس: أن يقيل من يستقيله . فانه لا يستقيل إلا متندم مستنصر بالبيع . ولا ينبغى أن يرضى لنفسه أن يكون سبب استضرار أخيه . قال صلى الله عليه وسلم [٣] « مَنْ أَقَالَ نَادِمًا صَفْقَتَهُ أَقَالَهُ اللهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » أو كما قال

السادس: أن يقصد فى معاملته جماعة من الفقراء بالنسيئة . وهو فى الحال عازم على أن لا يطالبهم ان لم تظهر لهم ميسرة . فقد كان فى صالحى السلف من له دفتران للحساب، أحدهما ترجمته مجهولة ، فيه أسماء من لا يعرفه من الضعفاء والفقراء . وذلك ان الفقير كان يرى الطعام أو الفاكهة فيشتهيه ، فيقول أحتاج الى خمسة أرطال مثلا من هذا وليس معى ثمنه ، فكان يقول خذه واقض ثمنه عند الميسرة . ولم يكن يعد هذا من الخيار بل عد من الخيار من لم يكن يثبت اسمه فى الدفتر اصلا ولا يجعله دينا : لكن يقول خذ ما تريد، فان يسر لك فاقض، وإلا فأنت فى حل منه وسعة

فهذه طرق تجارات السلف وقد اندرست ، والقائم به محى لهذه السنة . وبالجملة التجارة محك الرجال ، وبها يمتحن دين الرجل وورعه ، ولذلك قيل .

لا يغرنك من المر * ء قميص رقعه أو ازار فوق كعب الساق منه رفعه
أو جبين لاح فيه * أثر قد قلعه ولدى الدرهم فانظر * غيه أو ورعه.

---

(١) حديث دعوه فان لصاحب الحق مقالا: متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما ـ الحديث متفق عليه من حديث أنس

(٣) حديث من أقال نادما صفقته أقاله الله عثرته يوم القيامة: أبو داود والحاكم من حديث أبى هريرة وقال صحيح على شرط مسلم

ولذلك قيل اذا أثنى على الرجل جيرانه فى الحضر، وأصحابه في السفر، ومعاملوه فى الأسواق فلا تشكّوا فى صلاحه . وشهد عند عمر رضى الله عنه شاهد ، فقال ائتنى بمن يعرفك فأتاه برجل فأثنى عليه خيرا . فقال له عمر أنت جاره الأدنى الذى يعرف مدخله ومخرجه ؟ قال لا. فقال كنت رفيقه فى السفر الذى يستدل به على مكارم الأخلاق ؟ فقال لا. قال فعاملته بالدينار والدرهم الذى يستبين به ورع الرجل ؟ قال لا. قال أظنك رأيته قائما فى المسجد يهمهم بالقرآن يخفض رأسه طورا ويرفعه أخرى ؟ قال نعم فقال اذهب فلست تعرفه وقال للرجل اذهب فائتنى بمن يعرفك

الباب الخامس

فى شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويعم آخرته

ولا ينبغى للتاجر أن يشغله معاشه عن معاده . فيكون عمره ضائعا وصفقته خاسرة ، وما يفوته من الربح فى الآخرة لا يفى به ما ينال فى الدنيا . فيكون ممن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة . بل العاقل ينبغى أن يشفق على نفسه . وشفقته على نفسه بحفظ رأس ماله. ورأس ماله دينه وتجارته فيه . قال بعض السلف ، أولى الأشياء بالعاقل أحوجه اليه فى العاجل ، وأحوج شىء اليه في العاجل أحمده عاقبة فى الآجل . وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه فى وصيته : انه لابد لك من نصيبك فى الدنيا ، وأنت الى نصيبك من الآخرة أحوج ، فابدأ بنصيبك من الآخرة فخذه ، فانك ستمر على نصيبك من الدنيا فتنظمه . قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا [1] ﴾ أى لا تنس فى الدنيا نصيبك منها للآخرة ، فانها مزرعة الآخرة ، وفيها تكتسب الحسنات . وانما تتم شفقة التاجر على دينه بمراعاة سبعة أمور :

الأول حسن النية والعقيدة فى ابتداء التجارة . فلينو بها الاستعفاف عن السؤال، وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال عنهم ، واستعانة بما يكسبه على الدين ، وقياما بكفاية العيال ، ليكون من جملة المجاهدين به

ولينو النصح للمسلمين ، وأن يحب لسائر الخلق ما يحب لنفسه

﴿ الباب الخامس فى شفقة التاجر على دينه ﴾

---

(١) القصص : ٧٧ .

ولينو اتباع طريق العدل والاحسان فى معاملته كما ذكرناه

ولينو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى كل مايراه فى السوق

فاذا أضمر هذه العقائد والنيات كان عاملا فى طريق الآخرة . فان استفاد مالا فهو مزيد ، وان خسر فى الدنيا ربح فى الآخرة

الثانى أن يقصد القيام فى صنعته أو تجارته بفرض من فروض الكفايات. فان الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعايش ، وهلك أكثر الخلق . فانتظام أمر الكل بتعاون الكل ، وتكفل كل فريق بعمل . ولو أقبل كلهم على صنعة واحدة لتعطلت البواقى وهلكوا وعلى هذا حمل بعض الناس قوله صلى الله عليه وسلم [1] « اخْتِلَافُ أُمَّتِى رَحْمَةٌ » أى اختلاف هممهم فى الصناعات والحرف .

ومن الصناعات ما هى مهمة ، ومنها مايستغنى عنها لرجوعها إلى طلب النعم والتزين فى الدنيا . فليشتغل بصناعة مهمة ، ليكون فى قيامه بها كافيا عن المسلمين ، مهما فى الدين . وليجتنب صناعة النقش والصياغة وتشييد البنيان بالجص ، وجميع ماتزخرف به الدنيا . فكل ذلك كرهه ذوو الدين فأما عمل الملاهى والآلات التى يحرم استعمالها ، فاجتناب ذلك من قبيل ترك الظلم . ومن جملة ذلك خياطة الخياط القباء من الابريسم للرجال ، وصياغة الصائغ مراكب الذهب أو خواتيم الذهب للرجال . فكل ذلك من المعاصى ، والاجرة المأخوذة عليه حرام . ولذلك أوجبنا الزكاة فيها ، وأن كنا لا نوجب الزكاة فى الحلى ؛ لانها إذا قصدت للرجال فهى محرمة ، وكونها مهيأة للنساء لا يلحقها بالحلى المباح مالم يقصد ذلك بها ، فيكتسب حكمها من القصد

وقد ذكرنا أن بيع الطعام وبيع الأكفان مكروه . لأنه يوجب انتظار موت الناس وحاجتهم بغلاء السعر . ويكره أن يكون جزارا لما فيه من قساوة القلب . وأن يكون حجاما أو كناسا لما فيه من مخامرة النجاسة . وكذا الدباغ ومافى معناه . وكره ابن سيرين الدلال . وكره قتادة أجرة الدلال . ولعل السبب فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب ، والافراط فى الثناء على السلعة لترويجها ، ولان العمل فيه لا يتقدر ، فقد يقل وقد يكثر ، ولا ينظر فى مقدار

---

(١) حديث اختلاف أمتى رحمة تقدم فى العلم

الاجرة إلى عمله، بل إلى قدر قيمة الثوب، هذا هو العادة، وهو ظلم . بل ينبغي أن ينظر الى قدر التعب

وكرهوا شراء الحيوان للتجارة ، لان المشترى يكره قضاء الله فيه ، وهو الموت الذى بصدده لامحالة وحلوله . وقيل بع الحيوان واشتر الموتان .

وكرهوا الصرف لان الاحتراز فيه عن دقائق الربا عسير ، ولانه طلب لدقائق الصفات فيما لايقصد أعيانها ، وانما يقصد رواجها . وقلما يتم للصيرفى ربح الا باعتماد جهالة معامله بدقائق النقد ، فقلما يسلم الصيرفى وان احتاط . ويكره للصيرفى وغيره كسر الصحيح والدنانير [1] الا عند الشك فى جودته ، أو عند ضرورة . قال أحمد بن حنبل رحمه الله، ورد نهى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه فى الصياغة من الصحاح وأنا أكره الكسر . وقال يشترى بالدنانير دراهم ، ثم يشترى بالدراهم ذهبا ويصوغه

واستحبوا تجارة البز . قال سعيد بن المسيب ، مامن تجارة أحب الىّ من البز مالم يكن فيها أيمان وقد روي [2] « خَيْرُ تِجَارَتِكُمُ الْبَزُّ وَخَيْرُ صِنَاعَتِكُمُ الْخَرْزُ » وفى حديث آخر [3] «لَوِ اتَّجَرَ أَهْلُ الْجَنَّةِ لَاتَّجَرُوا فِي الْبَزِّ . وَلَوِ اتَّجَرَ أَهْلُ النَّارِ لَاتَّجَرُوا فِي الصَّرْفِ »

وقد كان غالب أعمال الأخيار من السلف عشر صنائع : الخرز ، والتجارة ، والحمل ، والخياطة ، والحذو ، والقصارة ، وعمل الخفاف ، وعمل الحديد ، وعمل المغازل، ومعالجة صيد البر والبحر ، والوراقة . قال عبدالوهاب الوراق، قال لى أحمد بن حنبل ماصنعتك ؟ قلت الوراقة ، قال كسب طيب ، ولو كنت صانعا بيدى لصنعت صنعتك: ثم قال لى لاتكتب الا مواسطة واستبق الحواشى وظهور الأجزاء

---

(١) حديث النهى عن كسر الدينار والدرهم أبو داود والترمذى وابن ماجه والحاكم من رواية علقمة بن عبد الله عن أبيه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكسر سكة المسلمين الجائزة بينهم الامن بأس زاد الحاكم أن يكسر الدرهم فيجعل فضة ويكسر الدينار فيجعل ذهبا وضعفه ابن حبان

(٢) حديث خير تجارتكم البز وخير صنائعكم الخرز لم أقف له على اسناد وذكره صاحب الفردوس من حديث على ابن أبى طالب .

(٣) حديث لواتجر أهل الجنة لاتجروا فى البز ولو اتجر أهل النار لاتجروا فى الصرف أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى سعيد بسند ضعيف وروى أبو يعلى والعقيلى فى الضعفاء الشطر الاول من حديث أبى بكر الصديق

وأربعة من الصناع موسومون عند الناس بضعف الرأى : الحاكة، والقطانون، والمغازليون والمعلمون. ولعل ذلك لان أكثر مخالطتهم مع النساء والصبيان ، ومخالطة ضعفاء العقول تضعف العقل ، كما ان مخالطة العقلاء تزيد فى العقل ، وعن مجاهد أن مريم عليها السلام مرت فى طلبها لعيسى عليه السلام بحاكة ، فطلبت الطريق ، فأرشدوها غير الطريق ، فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وأمتهم فقراء ، وحقرهم فى أعين الناس . فاستجيب دعاؤها

وكره السلف أخذ الأجرة على كل ماهو من قبيل العبادات وفروض الكفايات ، كغسل الموتى ودفنهم ، وكذا الأذان وصلاة التراويح ، وان حكم بصحة الاستئجار عليه وكذا تعليم القرءان ، وتعليم علم الشرع ، فان هذه أعمال حقها أن يتجر فيها للآخرة وأخذ الاجرة عليها استبدال بالدنيا عن الآخرة ، ولا يستحب ذلك

الثالث أن لا تمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة . وأسواق الآخرة المساجد . قال الله تعالى (رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ[1]) وقال الله تعالى (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ[2]) فينبغى أن يجعل أول النهار الى وقت دخول السوق لآخرته ، فيلازم المسجد ، ويواظب على الأوراد . كان عمر رضى الله عنه يقول للتجار ، اجعلوا أول نهاركم لآخرتكم ، ومابعده لدنياكم . وكان صالحو السلف يجعلون أول النهار وآخره للآخرة ، والوسط للتجارة . ولم يكن يبيع الهريسة والرءوس من بكرة الا الصبيان وأهل الذمة ، لانهم كانوا فى المساجد بعد . وفى الخبر[1] « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ إِذَا صَعِدَتْ بِصَحِيفَةِ الْعَبْدِ وَفِيهَا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَفِي آخِرِهِ ذِكْرُ اللهِ وَخَيْرٌ كَفَّرَ اللهُ عَنْهُ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ سَيِّءِ الْأَعْمَالِ » وفى الخبر[2] « تَلْتَقِي مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ وَعِنْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي ؟

---

(١) حديث إن الملائكة إذا صعدت بصحيفة العبد وفى أول النهار وآخره ذكر وخير كفر الله مابينهما من سيء الأعمال أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف بمعناه

(٢) حديث يلتقى ملائكة الليل وملائكة النهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله وهو أعلم كيف تركتم عبادى الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الغداة وصلاة العصر الحديث

---

(١) لو ر : ٣٧ (٢) النور : ٣٦

فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَجِئْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ . فَيَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ »

ثم مهما سمع الاذان فى وسط النهار للاولى والعصر ، فينبغى أن لايعرج على شغل ، ويتزعج عن مكانه ويدع كل ما كان فيه . فما يفوته من فضيلة التكبيرة الاولى مع الامام فى أول الوقت لاتوازيها الدنيا بما فيها . ومهما لم يحضر الجماعة عصى عند بعض العلماء . وقد كان السلف يبتدرون عند الاذان ، ويخلون الاسواق للصبيان وأهل الذمة . وكانوا يستأجرون بالقراريط لحفظ الحوانيت فى أوقات الصلوات ، وكان ذلك معيشة لهم وقد جاء فى تفسير قوله تعالى (لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ[1]) انهم كانوا حدادين وخرازين ، فكان أحدهم اذا رفع المطرقة ، أو غرز الاشفى فسمع الاذان ، لم يخرج الاشفى من المغرز ، ولم يوقع المطرقة ورمى بها ، وقام الى الصلاة .

الرابعة أن لايقتصر على هذا بل يلازم ذكر الله سبحانه فى السوق ، ويشتغل بالتهليل والتسبيح . فذكر الله فى السوق بين الغافلين أفضل . قال صلى الله عليه وسلم « ذَاكِرُ اللهِ فِي الغَافِلِينَ كَالْمُقَاتِلِ خَلْفَ الفَارِّينَ وَكَالْحَيِّ بَيْنَ الْأَمْوَاتِ » وفى لفظ آخر « كَالشَّجَرَةِ الْخَضْرَاءِ بَيْنَ الْهَشِيمِ » وقال صلى الله عليه وسلم[1] « مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ » وكان ابن عمر ، وسالم بن عبد الله ، ومحمد بن واسع وغيرهم ، يدخلون السوق قاصدين لنيل فضيلة هذا الذكر . وقال الحسن : ذاكر الله فى السوق يجىء يوم القيامة له ضوء كضوء القمر ، وبرهان كبرهان الشمس . ومن استغفر الله فى السوق غفر الله له بعدد أهلها

وكان عمر رضى الله عنه اذا دخل السوق قال : اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفسوق ومن شر ما أحاطت به السوق . اللهم انى أعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة .

---

(١) حديث من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لاشريك له الحديث تقدم فى الأذكار

---

(١) النور : ٣٧

وقال أبو جعفر الفرغاني، كنا يوما عند الجنيد، فجرى ذكر ناس يجلسون في المساجد ويتشبهون بالصوفية، ويقصرون عما يجب عليهم من حق الجلوس، ويعيبون من يدخل السوق. فقال الجنيد، كم ممن هو في السوق حكمه أن يدخل المسجد ويأخذ باذن بعض من فيه فيخرجه ويجلس مكانه! واني لأعرف رجلا يدخل السوق ورده كل يوم ثلثمائة ركعة وثلاثون ألف تسبيحة. قال فسبق الى وهمي أنه يعني نفسه

فهكذا كانت تجارة من يتجر لطلب الكفاية لا للتنعم في الدنيا. فان من يطلب الدنيا للاستعانة بها على الآخرة، كيف يدع ربح الآخرة، والسوق والمسجد والبيت له حكم واحد وانما النجاة بالتقوى. قال صلى الله عليه وسلم[1] « اتَّقِ اللهَ حَيْثُ كُنْتَ » فوظيفة التقوى لا تنقطع عن المتجردين للدين كيفما تقلبت بهم الأحوال. وبه تكون حياتهم وعيشهم. إذ فيه يرون تجارتهم وربحهم. وقد قيل من أحب الآخرة عاش، ومن أحب الدنيا طاش، والأحمق يغدو ويروح في لاش، والعاقل عن عيوب نفسه فتاش.

الخامس: أن لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة، وذلك بأن يكون أول داخل، وآخر خارج، وبأن يركب البحر في التجارة، فهما مكروهان. يقال أن من ركب البحر فقد استقصى في طلب الرزق. وفي الخبر[2] « لاَ يَرْكَبُ الْبَحْرَ إِلاَّ بِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ أَوْ غَزْوٍ » وكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما يقول، لا تكن أول داخل في السوق، ولا آخر خارج منها، فان بها باضَ الشيطانُ وفرخ. روى عن معاذ بن جبل، وعبد الله بن عمر، أن ابليس يقول لولده زلنبور، سر بكتائبك فأت أصحاب الأسواق زين لهم الكذب والحلف، والخديعة والمكر والخيانة، وكن مع أول داخل وآخر خارج منها. وفي الخبر[3] « شَرُّ الْبِقَاعِ الْأَسْوَاقُ وَشَرُّ أَهْلِهَا أَوَّلُهُمْ دُخُولاً وَآخِرُهُمْ خُرُوجاً »

وتمام هذا الاحتراز أن يراقب وقت كفايته، فاذا حصل كفاية وقته انصرف، واشتغل

---

(١) حديث اتق الله حيثما كنت الترمذى من حديث أبي ذر وصححه

(٢) حديث لا تركب البحر إلا لحجة أو عمرة أو غزو أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو وقيل إنه منقطع

(٣) حديث شر البقاع الأسواق وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا تقدم صدر الحديث في الباب السادس من العلم وروي أبو نعيم في كتاب حرمة المساجد من حديث ابن عباس أبغض البقاع إلى الله الأسواق وأبغض أهلها إلى الله أولهم دخولا وآخرهم خروجا

بتجارة الاخرة . هكذا كان صالحو السلف . فقد كان منهم من إذا ربح دانقا انصرف قناعة به . وكان حماد بن سلمة يبيع الخز فى سفط بين يديه، فكان إذا ربح حبتين رفع سفطه وانصرف وقال ابراهيم بن بشار ، قلت لابراهيم بن أدهم رحمه الله ، أمر اليوم أعمل فى الطين ؟ فقال يا ابن بشار ، إنك طالب ومطلوب ، يطلبك من لا تفوته ، وتطلب ماقد كفيته . أمارأيت حريصا محروما ؟ وضعيفا مرزوقا ؟ فقلت إن لى دانقا عند البقال ، فقال عز على بك تملك دانقا وتطلب العمل ! وقد كان فيهم من ينصرف بعد الظهر . ومنهم بعد العصر ومنهم من لايعمل فى الأسبوع إلا يوما أو يومين . وكانو يكتفون به

السادس. أن لا يقتصر على اجتناب الحرام ، بل يتقى مواقع الشبهات ومظان الريب. ولا ينظر إلى الفتاوى ، بل يستفتى قلبه ، فاذا وجد فيه حزازة اجتنبه . وإذا حمل اليه سلعة رابه أمرها سأل عنها ، حتى يعرف ، وإلا أكل الشبهة . وقد حمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] لبن فقال « مِنْ أَيْنَ لَكُمْ هَذَا ؟ » فقالوا من الشاة. فقال « وَمِنْ أَيْنَ لَكُمْ هَذِهِ الشَّاةُ ؟ » فقيل من موضع كذا فشرب منه ثم قال « إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ لَا نَأْكُلَ إِلَّا طَيِّبًا وَلَا نَعْمَلَ إِلَّا صَالِحًا » وقال [2] « إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ [1]) فسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن أصل الشىء وأصل أصله ولم يزد لأن ماوراء ذلك يتعذر . وسنبين فى كتاب الحلال والحرام موضع وجوب هذا السؤال ، فانه كان عليه السلام [3] لايسأل عن كل مايحمل اليه . وانما الواجب أن ينظر التاجر إلى من يعامله ، فكل منسوب إلى

---

(١) حديث سؤاله عن اللبن والشاة وقوله إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن لانأكل إلا طيبا ولانعمل الاصالحا الطبرانى من حديث أم عبد الله أخت شداد بن أوس بسند ضعيف

(٢) حديث ان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين الحديث مسلم من حديث أبى هريرة

(٣) حديث كان لايسأل عن كل مايحمل اليه أحمد من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مروا بامرأة فذبحت لهم شاة الحديث فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمة فلم يستطع أن يسيغها فقال هذه شاة ذبحت بغير اذن أهلها الحديث وله من حديث أبى هريرة كان اذا أتى بطعام من غير أهله سأل عنه الحديث وأسنادها جيد وفى هذا أنه كان لايسأل عما أتى به من عند أهله والله أعلم

---

(١) البقرة : ١٧٢

ظلم أو خيانة أو سرقة أو ربا فلا يعامله . وكذا الأجناد والظلمة لايعاملهم البتة ، ولا يعامل أصحابهم وأعوانهم لأنه معين بذلك على الظلم

وحكى عن رجل أنه تولى عمارة سور لثغر من الثغور ، قال فوقع فى نفسى من ذلك شىء وإن كان ذلك العمل من الخيرات ، بل من فرائض الاسلام ، ولكن كان الأمير الذى تولى فى محله من الظلمة . قال فسألت سفيان رضى الله عنه ، فقال لاتكن عونا لهم على قليل ولا كثير . فقلت هذا سور فى سبيل الله للمسلمين . فقال نعم ، ولكن أقل مايدخل عليك أن تحب بقاءهم ليوفوك أجرك ، فتكون قد أحببت بقاء من يعصى الله . وقد جاء فى الخبر (١) «مَنْ دَعَا لِظَالِمٍ بِالْبَقَاءِ فَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يُعْصَى اللهُ فِى أَرْضِهِ» وفى الحديث (٢) « إِنَّ اللهَ لَيَغْضَبُ إِذَا مُدِحَ الْفَاسِقُ » فى حديث آخر (٣) « مَنْ أَكْرَمَ فَاسِقاً فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ »

ودخل سفيان على المهدى وبيده درج أبيض ، فقال ياسفيان أعطنى الدواة حتى أكتب فقال أخبرنى أى شىء تكتب ، فان كان حقا أعطيتك . وطلب بعض الامراء من بعض العلماء المحبوسين عنده أن يناوله طينا ليختم به الكتاب ، فقال ناولنى الكتاب أولا حتى أنظر مافيه. فهكذا كانو يحترزون عن معاونة الظلمة ، ومعاملتهم أشد أنواع الاعانة . فينبغى أن يجتنبها ذوو الدين ماوجدوا اليه سبيلا

وبالجملة فينبغى أن ينقسم الناس عنده الى من يعامل ومن لايعامل ، وليكن من يعامله أقل ممن لايعامله فى هذا الزمان . قال بعضهم أتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول ، من ترون لى أن أعامل من الناس ؟ فيقال له عامل من شئت . ثم أتى زمان آخر كانوا يقولون عامل من شئت إلا فلانا وفلانا . ثم أتى زمان آخر فكان يقال لاتعامل أحدا إلا فلانا وفلانا . وأخشى أن يأتى زمان يذهب هذا أيضا . وكأنه قد كان الذى كان يحذر أن يكون . انا لله وانا اليه راجعون

---

(١) حديث من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه لم أجده مرفوعا وانما رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت من قول الحسن وقد ذكره المصنف هكذا على الصواب فى آفات اللسان

(٢) حديث إن الله ليغضب اذا مدح الفاسق ابن أبى الدنيا فى الصمت وابن عدى فى الكامل وأبو يعلى والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بسند ضعيف

(٣) حديث من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الاسلام غريب بهذا اللفظ والمعروف من وقر صاحب بدعة الحديث رواه ابن عدى من حديث عائشة والطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الحلية من حديث عبد الله بن يسر بأسانيد ضعيفة قال ابن الجوزى كلها موضوعة

السابع: ينبغي أن يراقب جميع مجاري معاملته مع كل واحد من معامليه. فإنه مراقب ومحاسب، فليعد الجواب ليوم الحساب والعقاب، في كل فعلة وقولة انه لم أقدم عليها، ولأجل ماذا، فإنه يقال إنه يوقف التاجر يوم القيامة مع كل رجل كان باعه شيئا وقفة ويحاسب عن كل واحد محاسبة، على عدد من عامله. قال بعضهم رأيت بعض التجار في النوم فقلت ماذا فعل الله بك؟ فقال نشر على خمسين ألف صحيفة، فقلت هذه كلها ذنوب؟ فقال هذه معاملات الناس، بعدد كل انسان عاملته في الدنيا، لكل انسان صحيفة مفردة فيما بيني وبينه من أول معاملته الى آخرها

فهذا ماعلى المكتسب في عمله من العدل والإحسان والشفقة على الدين، فإن اقتصر على العدل كان من الصالحين. وإن أضاف اليه الإحسان كان من المقربين. وان راعى مع ذلك وظائف الدين كما ذكر في الباب الخامس، كان من الصديقين والله أعلم بالصواب

تم كتاب آداب الكسب والمعيشة بحمد الله ومنه

كتاب الحلال والحرام

كتاب الحلال والحرام

وهو الكتاب الرابع من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق الانسان من طين لازب وصلصال، ثم ركب صورته فى أحسن تقويم وأتم اعتدال، ثم غذاه فى أول نشوه بلبن استصفاه من بين فرث ودم سائغا كالماء الزلال ثم حماه بما آتاه من طيبات الرزق عن دواعى الضعف والانحلال، ثم قيد شهوته المعادية له عن السطوة والصيال، وقهرها بما افترضه عليه من طلب القوت الحلال، وهزم بكسرها جند الشيطان المتشمر للاضلال، ولقد كان يجرى من ابن آدم مجرى الدم السيال، فضيق عليه عزة الحلال المجرى والمجال، اذا كان لايبذرقه الى أعماق العروق الا الشهوة المائلة الى الغلبة والاسترسال، فبقى لما زمت بزمام الحلال خائبا خاسرا ماله من ناصر ولاوال. والصلاة على محمد الهادى من الضلال، وعلى آله خير آل، وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد: فقد قال صلى الله عليه وسلم (١) «طَلَبُ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» رواه ابن مسعود رضى الله عنه. وهذه الفريضة من بين سائر الفرائض أعصاها على العقول فهما، وأثقلها على الجوارح فعلا. ولذلك اندرس بالكلية علما وعملا، وصار غموض علمه سببا لاندراس عمله إذ ظن الجهال أن الحلال مفقود، وأن السبيل دون الوصول اليه مسدود، وأنه لم يبق من الطيبات الا الماء الفرات، والحشيش النابت فى الموات؛ وماعداه فقد أخبثته الأيدى العادية وأفسدته المعاملات الفاسدة. واذا تعذرت القناعة بالحشيش من النبات، لم يبق وجه سوى الاتساع فى المحرمات. فرفضوا هذا القطب من الدين أصلا، ولم يدركوا بين الأموال فرقا وفصلا. وهيهات هيهات، فالحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات. ولا تزال هذه الثلاثة مقترنات كيفما تقلبت الحالات. ولما كانت هذه بدعة عم فى الدين ضررها، واستطار

﴿ كتاب الحلال والحرام ﴾

(١) حديث ابن مسعود طلب الحلال فريضة على كل مسلم: تقدم فى الزكاة دون قوله على كل مسلم وللطبرانى فى الأوسط من حديث أنس واجب على كل مسلم وإسناده ضعيف

فى الخلق شررها ، وجب كشف الغطاء عن فسادها ، بالإرشاد إلى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة على وجه التحقيق والبيان ، ولا يخرجه التضييق عن حيز الامكان . ونحن نوضح ذلك فى سبعة أبواب

الباب الأول: فى فضيلة طلب الحلال ومذمة الحرام : ودرجات الحلال والحرام

الباب الثانى : فى مراتب الشبهات ومثاراتها ، وتمييزها عن الحلال والحرام

الباب الثالث : فى البحث والسؤال والهجوم والاهمال ، ومظانها فى الحلال والحرام

الباب الرابع : فى كيفية خروج التائب عن المظالم المالية

الباب الخامس : فى ادرارات السلاطين وصِلاتهم ومايحل منها ومايحرم

الباب السادس : فى الدخول على السلاطين ومخالطتهم

الباب السابع : فى مسائل متفرقة

الباب الأول

فى فضيلة الحلال ومذمة الحرام
وبيان أصناف الحلال ودرجاته وأصناف الحرام ودرجات الورع فيه

فضيلة الحلال ومذمة الحرام

قال الله تعالى (كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا[1]) أمر بالأكل من الطيبات قبل العمل ، وقيل ان المراد به الحلال . وقال تعالى (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ[2]) وقال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا[3]) الآية وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ[4]) ثم قال (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ[5]) ثم قال (وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ[6]) ثم قال (وَمَنْ عَادَ

﴿ الباب الأول فى فضيلة طلب الحلال ﴾

(١) المؤمنون : ٥١ (٢) البقرة : ١٨٨ (٣) النساء : ١٠ (٤) البقرة : ٢٧٨ (٥) البقرة : ٢٧٩
(٦) البقرة : ٢٧٩

فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ[1]) جعل آكل الربا أول الأمر مؤذنا بمحاربة الله ، وفى آخره متعرضا للنار . والآيات الواردة فى الحلال والحرام لا تحصى

وروى ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « طَلَبُ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ » ولما قال صلى الله عليه وسلم[1] « طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ » قال بعض العلماء ، أراد به طلب علم الحلال والحرام ، وجعل المراد بالحديثين واحدا وقال صلى الله عليه وسلم[2] « مَنْ سَعَى عَلَى عِيَالِهِ مِنْ حِلٍّ فَهُوَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلَالاً فِي عَفَافٍ كَانَ فِي دَرَجَةِ الشُّهَدَاءِ » وقال صلى الله عليه وسلم[3] « مَنْ أَكَلَ الْحَلَالَ أَرْبَعِينَ يَوْماً نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ وَأَجْرَى يَنَابِيعَ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ » وفى رواية « زَهَّدَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا » وروى ان سعدا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] أن يسأل الله تعالى أن يجعله مجاب الدعوة . فقال له « أَطِبْ طُعْمَتَكَ تُسْتَجَبْ دَعْوَتُكَ » ولما ذكر صلى الله عليه وسلم الحريص على الدنيا قال[5] « رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ مُشَرَّدٍ فِي الْأَسْفَارِ مَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فَيَقُولُ يَارَبِّ يَارَبِّ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ » وفى حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم[6] « إِنَّ لِلَّهِ مَلَكاً عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ يُنَادِي كُلَّ لَيْلَةٍ مَنْ أَكَلَ حَرَاماً لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ »

---

(١) حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم: تقدم فى العلم

(٢) حديث من سعي على عياله من حله فهو كالمجاهد فى سبيل الله ومن طلب الدنيا فى عفاف كان فى درجة الشهداء: الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة من سعي على عياله فى سبيل الله ولأبى منصور فى مسند الفردوس من طلب مكسبة من باب حلال يكف بها وجهه عن مسألة الناس وولده وعياله جاء يوم القيامة مع النبيين والصديقين واسنادهما ضعيف

(٣) حديث من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه: ابو نعيم فى الحلية من حديث أبى أيوب من أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ولابن عدى نحوه من حديث أبى موسى وقال حديث منكر

(٤) حديث ان سعدا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ان يسأل الله أن يجعله مجاب الدعوة فقال له أطب طعمتك تستجب دعوتك: الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس وفيه من لا أعرفه

(٥) حديث رب أشعث مشرد فى الأسفار مطعمه حرام وملبسه حرام: الحديث مسلم من حديث ابى هريرة بلفظ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر الحديث

(٦) حديث ابن عباس إن لله ملكا على بيت المقدس ينادى كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل: لم أقف له على أصل ولأبى منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن مسعود من أكل لقمة من حرام لم تقبل منه صلاة أربعين ليلة الحديث وهو منكر

---

(١) البقرة : ٢٧٥

فقيل الصرف النافلة ، والعدل الفريضة . وقال صلى الله عليه وسلم (١) « مَنِ اشْتَرَى ثَوْبًا بِعَشَرَةِ دَرَاهِمَ وَفِي ثَمَنِهِ دِرْهَمٌ حَرَامٌ لَمْ يَقْبَلِ اللهُ صَلَاتَهُ مَا دَامَ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « كُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ حَرَامٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « مَنْ لَمْ يُبَالِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَ الْمَالَ لَمْ يُبَالِ اللهُ مِنْ أَيْنَ أَدْخَلَهُ النَّارَ » وقال صلى الله عليه وسلم (٤) « الْعِبَادَةُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي طَلَبِ الْحَلَالِ » روى هذا مرفوعا وموقوفا على بعض الصحابة أيضا . وقال صلى الله عليه وسلم (٥) « مَنْ أَمْسَى وَانِيًا مِنْ طَلَبِ الْحَلَالِ بَاتَ مَغْفُورًا لَهُ وَأَصْبَحَ وَاللهُ عَنْهُ رَاضٍ » وقال صلى الله عليه وسلم (٦) « مَنْ أَصَابَ مَالًا مِنْ مَأْثَمٍ فَوَصَلَ بِهِ رَحِمًا أَوْ تَصَدَّقَ بِهِ أَوْ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ جَمَعَ اللهُ ذَلِكَ جَمِيعًا ثُمَّ قَذَفَهُ فِي النَّارِ » وقال عليه السلام (٧) « خَيْرُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ » وقال صلى الله عليه وسلم (٨) « مَنْ لَقِيَ اللهَ وَرِعًا أَعْطَاهُ اللهُ ثَوَابَ الْإِسْلَامِ كُلَّهُ » ويروى ان الله تعالى قال فى بعض كتبه ، وأما الورعون فأنا أستحي أن أحاسبهم، وقال صلى الله عليه وسلم (٩) « دِرْهَمٌ مِنْ رِبًا أَشَدُّ عِنْدَ اللهِ مِنْ ثَلَاثِينَ زَنْيَةً فِي الْإِسْلَامِ » وفى حديث أبى هريرة

---

(١) حديث من اشترى ثوبا بعشرة دراهم فى ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته وعليه منه شيء: أحمد من حديث ابن عمر بسند ضعيف

(٢) حديث كل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به: الترمذي من حديث كعب بن عجرة وحسنه وقد تقدم

(٣) حديث من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله عز وجل من أين أدخله النار: أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر قال ابن العربى فى عارضة الأحوذى شرح الترمذى أنه باطل لم يصح ولا يصح

(٤) حديث العبادة عشرة أجزاء فتسعة منها فى طلب الحلال: أبو منصور الديلمى من حديث أنس إلا أنه قال تسعة منها فى الصمت والعاشرة كسب اليد من الحلال وهو منكر

(٥) حديث من أمسي وانيا من طلب الحلال بات مغفورا له وأصبح والله عنه راض: الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس من أمسى كالا من عمل يديه أمسى مغفورا له وفيه ضعف

(٦) حديث من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحما أو تصدق به أو أنفقه فى سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم قذفه فى النار: أبو داود فى المراسيل من رواية القاسم بن مخيمرة مرسلا

(٧) حديث خير دينكم الورع: تقدم فى العلم

(٨) حديث من لقي الله ورعا أعطاه ثواب الاسلام كله: لم أقف له على أصل

(٩) حديث درهم من ربا أشد عند الله من ثلاثين زنية فى الاسلام: أحمد والدارقطنى من حديث عبد الله بن حنظلة وقال ستة وثلاثين ورجاله ثقات وقيل عن حنظلة الزاهد عن كعب مرفوعا وللطبرانى فى الصغير من حديث ابن عباس ثلاثة وثلاثين وسنده ضعيف

رضى الله عنه[١] « الْمَعِدَةُ حَوْضُ الْبَدَنِ وَالْعُرُوقُ إِلَيْهَا وَارِدَةٌ فَإِذَا صَحَّتِ الْمَعِدَةُ صَدَرَتِ الْعُرُوقُ بِالصِّحَّةِ وَإِذَا سَقِمَتْ صَدَرَتْ بِالسَّقَمِ » ومثل الطعمة من الدين مثل الأساس من البنيان فاذا ثبت الأساس وقوى استقام البنيان وارتفع واذا ضعف الأساس واعوج انهار البنيان ووقع

وقال الله عز وجل (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ[١])الآية وفى الحديث[٢] « مَنِ اكْتَسَبَ مَالاً مِنْ حَرَامٍ فَإِنْ تَصَدَّقَ بِهِ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ وَإِنْ تَرَكَهُ وَرَاءَهُ كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ »

وقد ذكرنا جملة من الأخبار فى كتاب آداب الكسب تكشف عن فضيلة الكسب الحلال

﴿ وأما الآثار ﴾ فقد ورد أن الصديق رضى الله عنه ،[٣] شرب لبنا من كسب عبده ، ثم سأل عبده ، فقال تكهنت لقوم فأعطونى . فأدخل أصابعه فى فيه وجعل يقىء . حتى ظننت أن نفسه ستخرج . ثم قال ، اللهم انى اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء وفى بعض الأخبار: أنه صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك ، فقال أو ماعلمتم أن الصديق لايدخل جوفه إلا طيبا ؟ وكذلك شرب عمر رضى الله عنه من لبن إبل الصدقة غلطا ،فأدخل أصبعه وتقيأ . وقالت عائشة رضى الله عنها ، انكم لتغفلون عن أفضل العبادة هو الورع . وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنه ، لوصليتم حتى تكونوا كالحنايا ، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار ، لم يقبل ذلك منكم إلا بورع حاجز

---

(١) حديث أبى هريرة المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة ـ الحديث: الطبرانى فى الأوسط والعقيلى فى الضعفاء وقال باطل لاأصل له

(٢) حديث من اكتسب مالا من حرام فان تصدق به لم يقبل منه وإن تركه وراءه كان زاده الى النار أحمد من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ولابن حبان من حديث أبى هريرة من جمع مالا من حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان اصره عليه

(٣) حديث ان أبا بكر شرب لبنا من كسب عبده ثم سأله فقال تكهنت لقوم فأعطونى فأدخل أصبعه فى فيه وجعل يقىء وفى بعض الأخبار أنه صلى الله عليه وسلم لما أخبر بذلك قال أو ماعلمتم أن الصديق لايدخل جوفه الا طيبا البخارى من حديث عائشة كان لأبى بكر غلام يخرج له الخراج وكان أبو بكر يأكل من خراجه فجاء يوما بشىء فأكل منه أبو بكر فقال له الغلام أتدرى ماهذا فقال وما هو قال كنت تكهنت لانسان فى الجاهلية فذكره دون المرفوع منه فلم أجده

---

(١) التوبة ١٠٩

وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله : ما أدرك من أدرك الا من كان يعقل ما يدخل جوفه . وقال الفضيل: من عرف ما يدخل جوفه كتبه الله صديقا ، فانظر عند من تفطر يامسكين . وقيل لابراهيم بن أدهم رحمه الله ، لم لاتشرب من ماء زمزم ؟ فقال لو كان لى دلو شربت منه . وقال سفيان الثورى رضى الله عنه ، من أنفق من الحرام فى طاعة الله كان كمن طهر الثوب النجس بالبول . والثوب النجس لايطهره إلا الماء ، والذنب لايكفره إلا الحلال . وقال يحيى بن معاذ ، الطاعة خزانة من خزائن الله ، إلا أن مفتاحها الدعاء ، وأسنانه لقم الحلال . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : لايقبل الله صلاة امرىء فى جوفه حرام . وقال سهل التسترى ، لايبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يكون فيه أربع خصال : أداء الفرائض بالسنة ، وأكل الحلال بالورع ، واجتناب النهى من الظاهر والباطن ، والصبر على ذلك إلى الموت . وقال : من أحب أن يكاشف بآيات الصديقين فلا يأكل إلا حلالا ، ولا يعمل إلا فى سنة أو ضرورة .

ويقال من أكل الشبهة أربعين يوما أظلم قلبه . وهو تأويل قوله تعالى (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [1]) وقال ابن المبارك: ردُّ درهم من شبهة أحب الىّ من أن أتصدق بمائة ألف درهم ، ومائة ألف ألف ، ومائة ألف حتى بلغ الى ستمائة ألف. وقال بعض السلف إن العبد يأكل أكلة فيتقلب قلبه ، فينغل كما ينغل الأديم ولايعود إلى حاله أبداً . وقال سهل رضى الله عنه . من أكل الحرام عصت جوارحه ، شاء أم أبى ، علم أو لم يعلم . ومن كانت طعمته حلالا أطاعته جوارحه ، ووفقت للخيرات . وقال بعض السلف ، إن أول لقمة يأكلها العبد من حلال ، يغفر له ما سلف من ذنوبه . ومن أقام نفسه مقام ذل فى طلب الحلال ، تساقطت عنه ذنوبه كتساقط ورق الشجر

وروى فى آثار السلف ان الواعظ كان اذا جلس للناس . قال العلماء ، تفقدوا منه ثلاثا ، فإن كان معتقدا لبدعة فلا تجالسوه ، فإنه عن لسان الشيطان ينطق . وإن كان سيىء الطعمة فعن الهوى ينطق . فان لم يكن مكين العقل فانه يفسد بكلامه أكثر مما يصلح ، فلا تجالسوه وفى الأخبار المشهورة عن على عليه السلام وغيره ، ان الدنيا حلالها حساب ، وحرامها عذاب ، وزاد آخرون ، وشبهتها عتاب .

(١) المطففين : ١٤

وروى أن بعض الصالحين دفع طعاما الى بعض الأبدال فلم يأكل ، فسأله عن ذلك ، فقال نحن لا نأكل إلا حلالا ، فلذلك تستقيم قلوبنا ، ويدوم حالنا ، ونكاشف الملكوت ونشاهد الآخرة . ولو أكلنا مما تأكلون ثلاثة أيام ، لما رجعنا الى شيء من علم اليقين ولذهب الخوف والمشاهدة من قلوبنا . فقال له الرجل ، فإني أصوم الدهر وأختم القرءان فى كل شهر ثلاثين مرة . فقال له البدل ، هذه الشربة التى رأيتنى شربتها من الليل ، أحب الىّ من ثلاثين ختمة فى ثلثمائة ركعة من أعمالك . وكانت شربته من لبن ظبية وحشية . وقد كان بين أحمد بن حنبل ويحيى بن معين صحبة طويلة ، فهجره أحمد إذ سمعه يقول : انى لا أسأل أحدا شيئا ولو اعطانى الشيطان شيئا لأكلته ، حتى اعتذر يحيى وقال ، كنت أمزح . فقال تمزح بالدين ! أما علمت أن الأكل من الدين ؟ قدمه الله تعالى على العمل الصالح ، فقال (كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا [1])

وفى الخبر أنه مكتوب في التوراة ، من لم يبال من أين مطعمه ، لم يبال الله من أى أبواب النيران أدخله . وعن علىّ رضي الله عنه ، أنه لم يأكل بعد قتل عثمان ونهب الدار طعاما إلا مختوما ، حذرا من الشبهة . واجتمع الفضيل بن عياض ، وابن عيينة ، وابن المبارك ، عند وهيب بن الورد بمكة . فذكروا الرطب . فقال وهيب ، هو من أحب الطعام الىّ ، إلا أنى لا آكله لاختلاط رطب مكة ببساتين زبيدة وغيرها . فقال له ابن المبارك ، ان نظرت فى مثل هذا ضاق عليك الخبز . قال وما سببه ؟ قال إن أصول الضياع قد اختلطت بالصوافى . فغشى على وهيب فقال سفيان قتلت الرجل . فقال ابن المبارك ، ما أردت إلا أن أهون عليه . فلما أفاق قال لله علىّ أن لا آكل خبزا أبداً حتى ألقاه . قال فكان يشرب اللبن . قال فأتته أمه بلبن فسألها ، فقالت هو من شاة بني فلان . فسأل عن ثمنها وأنه من أين كان لهم ، فذكرت فلما أدناه من فيه قال ، بقى أنها من أين كانت ترعى ، فسكتت . فلم يشرب ، لأنها كانت ترعى من موضع فيه حق للمسلمين . فقالت أمه اشرب ، فان الله يغفر لك . فقال ما أحب أن يغفر لى وقد شربته ، فأنال مغفرته بمعصيته . وكان بشر الحافى رحمه الله من الورعين ، فقيل له من أين تأكل ؟ فقال من حيث تأكلون ، ولكن ليس من يأكل وهو يبكى

(١) المؤمنون : ٥١

كمن يأكل وهو يضحك . وقال يد أقصر من يد ، ولقمة أصغر من لقمة . وهكذا كانوا يحترزون من الشبهات .

أصناف الحلال ومداخله

اعلم ان تفصيل الحلال والحرام انما يتولى بيانه كتب الفقه . ويستغنى المريد عن تطويله بأن يكون له طعمة معينة ، يعرف بالفتوى حلها ، لا يأكل من غيرها . فأما من يتوسع فى الأكل من وجوه متفرقة ، فيفتقر إلى علم الحلال والحرام كله كما فصلناه فى كتب الفقه . ونحن الآن نشير إلى مجامعه فى سياق تقسيم ، وهو أن المال انما يحرم إما لمعنى فى عينه ، أو لخلل فى جهة اكتسابه

القسم الأول : الحرام لصفة فى عينه كالخمر والخنزير وغيرهما

وتفصيله . ان الأعيان المأكولة على وجه الأرض لا تعدو ثلاثة أقسام ، فإنها إما أن تكون من المعادن كالملح والطين وغيرهما ، أو من النبات ، أو من الحيوانات

أما المعادن : فهى أجزاء الأرض وجميع مايخرج منها ، فلا يحرم أكله إلا من حيث انه يضر بالآكل ، وفى بعضها مايجرى مجرى السم . والخبز لو كان مضرا لحرم أكله . والطين الذى يعتاد أكله لا يحرم إلا من حيث الضرر . وفائدة قولنا انه لا يحرم مع انه لا يؤكل ، انه لو وقع شىء منها فى مرقة أو طعام مائع لم يصر به محرما

وأما النبات : فلا يحرم منه إلا مايزيل العقل ، أو يزيل الحياة أو الصحة . فمزيل العقل البنج والخمر وسائر المسكرات . ومزيل الحياة السموم ومزيل الصحة الأدوية فى غير وقتها : وكان مجموع هذا يرجع إلى الضرر ، إلا الخمر والمسكرات ، فإن الذى لا يسكر منها أيضا حرام مع قلته لعينه ولصفته وهى الشدة المطربة ، وأما السم : فاذا خرج عن كونه مضرا لقلته أو لعجنه بغيره فلا يحرم

وأما الحيوانات : فتنقسم إلى مايؤكل وإلى مالا يؤكل . وتفصيله فى كتاب الأطعمة . والنظر يطول فى تفصيله ، لاسيما فى الطيور الغريبة وحيوانات البر والبحر . ومايحل أكله منها فإنما يحل إذا ذبح ذبحا شرعيا ، روعى فيه شروط الذابح والآلة والمذبح . وذلك مذكور فى كتاب الصيد والذبائح ، ومالم يذبح ذبحا شرعيا أو مات فهو حرام . ولا يحل إلا ميتتان السمك والجراد .

وفى معناها ما يستحيل من الأطعمة كدود التفاح والخل والجبن ،فإن الاحتراز منهما غير ممكن .فأما إذا أفردت وأكلت ، فحكمها حكم الذباب والخنفساء والعقرب ، وكل ماليس له نفس سائلة ، لاسبب فى تحريمها إلا الاستقذار. ولو لم يكن لكان لايكره.فإن وُجد شخص لايستقذره لم يلتفت إلى خصوص طبعه ، فإنه التحق بالخبائث لعموم الاستقذار ، فيكره أكله. كما لو جمع المخاط وشربه كره ذلك . وليست الكراهة لنجاستها ،فإن الصحيح أنها لاتنجس بالموت ، إذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] بأن يمقل الذباب فى الطعام إذا وقع فيه. وربما يكون حارا ، ويكون ذلك سبب موته . ولو نهرت نملة أو ذبابة فى قدر لم يجب إراقتها . إذ المستقذر هو جرمه إذا بقى له جرم ، ولم ينجس حتى يحرم بالنجاسة.وهذا يدل على ان تحريمه للاستقذار . ولذلك نقول لو وقع جزء من آدمى ميت فى قدر ، ولو وزن دانق ، حرم الكل ، لا لنجاسته ، فإن الصحيح أن الآدمى لاينجس بالموت ، ولكن لأن أكله محرم احتراما لااستقذارا

وأما الحيوانات المأكولة إذا ذبحت بشرط الشرع فلا تحل جميع أجزائها ، بل يحرم منها الدم والفرث ، وكل مايقضى بنجاسته منها. بل تناول النجاسة مطلقا محرم . ولكن ليس في الأعيان شيء محرم نجس إلا من الحيوانات . وأما من النبات ، فالمسكرات فقط دون مايزيل العقل ولايسكر ، كالبنج ، فإن نجاسة المسكر تغليظ للزجر عنه ، لكونه فى مظنة التشوف. ومهما وقعت قطرة من النجاسة ، أو جزء من نجاسة جامدة فى مرقة أو طعام أو دهن ، حرم أكل جميعه ، ولايحرم الانتفاع به لغير الأكل ، فيجوز الاستصباح بالدهن النجس ، وكذا طلاء السفن والحيوانات وغيرها

فهذه مجامع مايحرم لصفة فى ذاته

القسم الثانى : مايحرم لخلل فى جهة إثبات اليد عليه . وفيه يتسع النظر فنقول

أخذ المال إما أن يكون باختيار المالك ، أو بغير اختياره . فالذى يكون بغير اختياره كالإرث . والذي يكون باختياره إما أن لايكون من مالك . كنيل المعادن ، أو يكون من مالك . والذى أخذ من مالك فإما أن يؤخذ قهرا ، أو يؤخذ تراضيا . والمأخوذ قهرا إما أن يكون لسقوط عصمة المالك ، كالغنائم ، أو لاستحقاق الأخذ كزكاة الممتنعين ، والنفقات

(١) حديث الأمر بان يمقل الذباب فى الطعام اذا وقع فيه: البخاري من حديث أبى هريرة

الواجبة عليهم . والمأخوذ تراضيا إما أن يؤخذ بعوض ، كالبيع والصداق،والأجرة ، وإما أن يؤخذ بغير عوض ، كالهبة والوصية . فيحصل من هذا السياق ستة أقسام

الأول: مايؤخذمن غير مالك ، كنيل المعادن ، وإحياء الموات،والاصطياد والاحتطاب والاستقاء من الأنهار ، والاحتشاش، فهذا حلال ، بشرط أن لايكون المأخوذمختصابذى حرمة من الآدميين . فإذا انفك من الاختصاصات ملكها آخذها وتفصيل ذلك فى كتاب إحياء الموات

الثانى : المأخوذ قهرا ممن لاحرمة له ، وهو الفىء والغنيمة، وسائر أموال الكفار والمحاربين . وذلك حلال للمسلمين إذا أخرجوا منها الخمس . وقسموها بين المستحقين بالعدل ولم يأخذوها من كافر له حرمة وأمان وعهد . وتفصيل هذه الشروط فى كتاب السير ، من كتاب الفىء والغنيمة ، وكتاب الجزية

الثالث:مايؤخذ قهرا باستحقاق عند امتناع من وجب عليه ، فيؤخذ دون رضاه.وذلك حلال إذا تم سبب الاستحقاق ، وتم وصف المستحق الذى به استحقاقه ، واقتصر على القدر المستحق ، ولستوفاه ممن يملك الاستيفاء ، من قاض أو سلطان أو مستحق . وتفصيل ذلك فى كتاب تفريق الصدقات ، وكتاب الوقف ، وكتاب النفقات ، إذ فيها النظر فى صفة المستحقين للزكاة والوقف والنفقة وغيرها من الحقوق . فإذا استوفيت شرائطها كان المأخوذ حلالا

الرابع:مايؤخذ تراضيا بمعاوضة . وذلك حلال،إذا روعى شرط العوضين،وشرط العاقدين وشرط اللفظين ، أعنى الإيجاب والقبول ، مع ماتعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة وبيان ذلك فى كتاب البيع والسلم والإجارة، والحوالة والضمان والقراض،والشركة والمساقاة والشفعة ، والصلح والخلع والكتابه . والصداق وسائر المعاوضات

الخامس: مايؤخذعن رضا من غيرعوض . وهو حلال ، إذا روعى فيه شرط المعقود عليه ، وشرط العاقدين ، وشرط العقد ، ولم يؤد الى ضرر بوارث أو غيره . وذلك مذكور فى كتاب الهبات والوصايا والصدقات

السادس: مايحصل بغير اختيار كالميراث . وهو حلال اذا كان المورث قد اكتسب المال

من بعض الجهات الخمس على وجه حلال ، ثم كان ذلك بعد قضاء الدين ، وتنفيذ الوصايا ، وتعديل القسمة بين الورثة ، وإخراج الزكاة ، والحج ، والكفارة ، إن كان واجبا . وذلك مذكور فى كتاب الوصايا والفرائض

فهذه مجامع مداخل الحلال والحرام ، أومأنا إلى جملتها ، ليعلم المريد أنه إن كانت طعمته متفرقة لا من جهة معينة فلا يستغنى عن علم هذه الأمور فكل ما يأكله من جهة من هذه الجهات ينبغى أن يستفتى فيه أهل العلم ، ولا يقدم عليه بالجهل . فإنه كما يقال للعالم لمَ خالفت علمك ، يقال للجاهل لمَ لازمت جهلك ولم تتعلم ، بعد أن قيل لك طلب العلم فريضة على كل مسلم

درجات الحلال والحرام

اعلم أن الحرام كله خبيث ، لكن بعضه أخبث من بعض ، والحلال كله طيب ، ولكن بعضه أطيب من بعض ، وأصفى من بعض ، وكما أن الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن يقول بعضها حار فى الدرجة الأولى كالسكر ، وبعضها حار فى الثانية كالفانيذ ، وبعضها حار فى الثالثة كالدبس ، وبعضها حار فى الرابعة كالعسل ، كذلك الحرام بعضه خبيث فى الدرجة الأولى ، وبعضه فى الثانية أو الثالثة أو الرابعة . وكذا الحلال تتفاوت درجات صفاته وطيبه ، فلنقتد بأهل الطب فى الاصطلاح على أربع درجات تقريبا ، وإن كان التحقيق لا يوجب هذا الحصر ، إذ يتطرق إلى كل درجة من الدرجات أيضا تفاوت لا ينحصر ، فإن من السكر ما هو أشد حرارة من سكر آخر ، وكذا غيره

فلذلك نقول الورع عن الحرام على أربع درجات :

ورع العدول . وهو الذى يجب الفسق باقتحامه وتسقط العدالة به ، ويثبت اسم العصيان والتعرض للنار بسببه . وهو الورع عن كل ما تحرمه فتاوى الفقهاء

الثانية : ورع الصالحين ، وهو الامتناع عما يتطرق اليه احتمال التحريم ولكن المفتى يرخص فى التناول بناء على الظاهر فهو من مواقع الشبهة على الجملة ، فلنسم التحرج عن ذلك ورع الصالحين ، وهو فى الدرجة الثانية

الثالثة : ما لا تحرمه الفتوى ولا شبهة فى حله ، ولكن يخاف منه أداؤه إلى محرم .

وهو ترك مالا بأس به مخافة مما به بأس . وهذا ورع المتقين . قال صلى الله عليه وسلم[1] «لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ دَرَجَةَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَالَا بَأْسَ بِهِ مَخَافَةَ مَا بِهِ بَأْسٌ»

الرابعة: مالا بأس به أصلا ، ولا يخاف منه أن يؤدى إلى مابه بأس ، ولكنه يتناول لغير الله ، وعلى غير نية التقوّى به على عبادة الله . أو تتطرق إلى أسبابه المسهلة له كراهية أو معصية. والامتناع منه ورع الصديقين

فهذه درجات الحلال جملة إلى أن نفصلها بالأمثلة والشواهد

وأما الحرام الذى ذكرناه فى الدرجة الأولى ، وهو الذى يشترط التورع عنه فى العدالة وإطراح سمة الفسق ، فهو أيضا على درجات فى الخبث . فالمأخوذ بعقد فاسد ، كالمعاطاة مثلا فيما لا يجوز فيه المعاطاة حرام ، ولكن ليس فى درجة المغصوب على سبيل القهر . بل المغصوب أغلظ ، إذ فيه ترك طريق الشرع فى الاكتساب ، وإيذاء الغير . وليس فى المعاطاة إيذاء ، وإنما فيه ترك طريق التعبد فقط ، ثم ترك طريق التعبد بالمعاطاة أهون من تركه بالربا وهذا التفاوت يدرك بتسديد الشرع ووعيده وتأكيده فى بعض المناهى ، على ماسيأتى فى كتاب التوبة ، عند ذكر الفرق بين الكبيرة والصغيرة بل المأخوذ ظلما من فقير أو صالح أو من يتيم ، أخبث وأعظم من المأخوذ من قوى أو غنى أو فاسق . لأن درجات الإيذاء تختلف باختلاف درجات المؤذى

فهذه دقائق فى تفاصيل الخبائث لا ينبغى أن يذهل عنها . فلولا اختلاف درجات العصاة لما اختلفت دركات النار . وإذا عرفت مثارات التغليظ فلا حاجة إلى حصره فى ثلاث درجات أو أربعة . فإن ذلك جار مجرى التحكم والتشهى ، وهو طلب حصر فيما لا حاصر له . ويدلك على اختلاف درجات الحرام فى الخبث ماسيأتى فى تعارض المحذورات ، وترجيح بعضها على بعض ، حتى إذا اضطر إلى أكل ميتة ، أو أكل طعام الغير ، أو أكل صيد الحرم فإنا نقدم بعض هذا على بعض

أمثلة

الدرجات الأربع فى الورع وشواهدها

أما الدرجة الأولى ، وهى ورع العدول ، فكل ما اقتضى الفتوى تحريمه ، مما يدخل

---

(١) حديث لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع مالا بأس به مخافة مابه بأس: ابن ماجه وقد تقدم

فى المداخل الستة التى ذكرناها من مداخل الحرام، لفقد شرط من الشروط، فهو الحرام المطلق الذى ينسب مقتحمه إلى الفسق والمعصية. وهو الذى نريده بالحرام المطلق. ولا يحتاج إلى أمثلة وشواهد

وأما الدرجة الثانية، فأمثلتها كل شبهة لا توجب اجتنابها، ولكن يستحب اجتنابها كما سيأتى فى باب الشبهات. إذ من الشبهات ما يجب اجتنابها فتلحق بالحرام، ومنها ما يكره اجتنابها، فالورع عنها ورع الموسوسين، كمن يمتنع من الاصطياد، خوفا من أن يكون الصيد قد أفلت من إنسان أخذه وملكه. وهذا وسواس. ومنها ما يستحب اجتنابها ولا يجب، وهو الذى ينزل عليه قوله صلى الله عليه وسلم (١) « دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ » ونحمله على نهى التنزيه. وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم (٢) « كُلْ مَا أَصْمَيْتَ وَدَعْ مَا أَنْمَيْتَ » والإنماء أن يجرح الصيد فيغيب عنه، ثم يدركه ميتا. إذ يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر. والذى نختاره كما سيأتى أن هذا ليس بحرام. ولكن تركه من ورع الصالحين. وقوله دع ما يريبك أمر تنزيه. إذ ورد فى بعض الروايات، كل منه وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثرا غير سهمك. ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم فى الكلب المعلم « وَإِنْ أَكَلَ فَلَا تَأْكُلْ » فإنى أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه على سبيل التنزيه لأجل الخوف: إذ قال لأبى ثعلبة الخشنى (٣) « كُلْ مِنْهُ » فقال وإن أكل منه؟ فقال « وَإِنْ أَكَلَ » وذلك لأن حالة أبى ثعلبة وهو فقير مكتسب، لا تحتمل هذا الورع. وحال عدى كان يحتمله

يحكى عن ابن سيرين أنه ترك لشريك له أربعة آلاف درهم، لأنه حاك فى قلبه شىء مع اتفاق العلماء على أنه لا بأس به فأمثلة هذه الدرجة نذكرها فى التعرض لدرجات الشبهة. فكل ما هو شبهة لا يجب اجتنابه فهو مثال هذه الدرجة

أما الدرجة الثالثة، وهى ورع المتقين، فيشهد لها قوله صلى الله عليه وسلم (٤) « لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ دَرَجَةَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ مَخَافَةَ مَا بِهِ بَأْسٌ » وقال عمر رضى الله عنه

---

(١) حديث دع ما يريبك إلى ما لا يريبك: النسائى والترمذى والحاكم وصححاه من حديث الحسن بن على

(٢) حديث كل ما أصميت ودع ما أنميت: الطبرانى فى الاوسط من حديث ابن عباس والبيهقى موقوفا عليه وقال ان المرفوع ضعيف

(٣) حديث قال لأبى ثعلبة كل منه فقال وان أكل قال وان أكل: أبو داود من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ومن حديث أبى ثعلبة أيضاً مختصراً وإسنادهما جيد والبيهقى وقوفا عليه وقال إن المرفوع ضعيف

(٤) حديث لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس: ابن ماجه وقد تقدم

كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع فى الحرام . وقيل إن هذا عن ابن عباس رضى الله عنهما . وقال أبو الدرداء ، إن من تمام التقوى أن يتقى العبد فى مثقال ذرة ، حتى يترك بعض مايرى أنه حلال خشية أن يكون حراما ، حتى يكون حجابا بينه وبين النار . ولهذا كان لبعضهم مائة درهم على إنسان ، فحملها إليه ، فأخذ تسعة وتسعين ، وتورع عن استيفاء الكل خيفة الزيادة . وكان بعضهم يتحرز ، فكل مايستوفيه يأخذه بنقصان حبة ، وما يعطيه يوفيه بزيادة حبة ، ليكون ذلك حاجزا من النار

ومن هذه الدرجة الاحتراز عما يتسامح به الناس ، فإن ذلك حلال فى الفتوى ، ولكن يخاف من فتح بابه أن ينجر إلى غيره ، وتألف النفس الاسترسال وتترك الورع . فمن ذلك ماروى عن على بن معبد أنه قال : كنت ساكنا فى بيت بكراء . فكتبت كتابا ، وأردت أن آخذ من تراب الحائط لأتربه وأجففه . ثم قلت الحائط ليس لى . فقالت لى نفسى ، وما قدر تراب من حائط ؟ فأخذت من التراب حاجتى . فلما نمت ، فإذا أنا بشخص واقف يقول : ياعلى بن معبد ، سيعلم غدا الذى يقول وما قدر تراب من حائط . ولعل معنى ذلك أنه يرى كيف يحط من منزلته . فإن للتقوى درجة تفوت بفوات ورع المتقين . وليس المراد به أن يستحق عقوبة على فعله

ومن ذلك ماروى أن عمر رضى الله عنه وصله مسك من البحرين . فقال وددت لو أن امرأة وزنت حتى أقسمه بين المسلمين . فقالت امرأته عاتكة ، أنا أجيد الوزن . فسكت عنها ، ثم أعاد القول ، فأعادت الجواب . فقال لا أحببت أن تضعيه بكفة ، ثم تقولين فيها أثر الغبار ، فتمسحين بها عنقك ، فأصيب بذلك فضلا على المسلمين . وكان يوزن بين يدى عمر بن عبد العزيز مسك للمسلمين ، فأخذ بأنفه حتى لاتصيبه الرائحة . وقال وهل ينتفع منه إلا بريحه ؟ لما استبعد ذلك منه . وأخذ الحسن رضى الله عنه [1] تمرة من تمر الصدقة وكان صغيرا ، فقال صلى الله عليه وسلم « كَخْ كَخْ » أى ألقها

---

(١) حديث أخذ الحسن بن على تمرة من الصدقة وكان صغيرا فقال النبى صلى الله عليه وسلم كخ كخ ألقها البخارى من حديث أبى هريرة

ومن ذلك ماروى بعضهم أنه كان عند محتضر ، فمات ليلا . فقال اطفئوا السراج، فقد حدث للورثة حق فى الدهن . وروى سليمان التيمى عن نعيمة العطارة قالت ، كان عمر رضى الله عنه يدفع إلى امرأته طيبا من طيب المسلمين لتبيعه ، فباعتنى طيبا ، فجعلت تقوم وتزيد وتنقص وتكسر بأسنانها ، فتعلق بأصبعها شىء منه ، فقالت به هكذا بأصبعها ، ثم مسحت به خمارها . فدخل عمر رضى الله عنه فقال ، ماهذه الرائحة ؟ فأخبرته ، فقال طيب المسلمين تأخذينه؟ فانتزع الخمار من رأسها ، وأخذ جرة من الماء ، فجعل يصب على الخمار ، ثم يدلكه فى التراب ، ثم يشمه ، ثم يصب الماء ، ثم يدلكه فى التراب ويشمه ، حتى لم يبق له ريح . قالت ثم أتيتها مرة أخرى ، فلما وزنت علق منه شىء بأصبعها . فأدخلت أصبعها فى فيها ثم مسحت به التراب . فهذا من عمر رضى الله عنه ورع التقوى ، لخوف أداء ذلك إلى غيره وإلا فغسل الخمار ماكان يعيد الطيب إلى المسلمين . ولكن أتلفه عليها زجرا وردعا، واتقاء من أن يتعدى الأمر إلى غيره

ومن ذلك ما سئل أحمد بن حنبل رحمه الله ، عن رجل يكون فى المسجد يحمل بجمرة لبعض السلاطين ، ويبخر المسجد بالعود ، فقال ينبغى أن يخرج من المسجد ، فإنه لا ينتفع من العود إلا برائحته . وهذا قد يقارب الحرام . فإن القدر الذى يعبق بثوبه من رائحة الطيب قد يقصد ، وقد يبخل به فلا يدرى أنه يتسامح به أم لا . وسئل أحمد بن حنبل عمن سقطت ورقة فيها أحاديث ، فهل لمن وجدها أن يكتب منها ثم يردها ؟ فقال لا، بل يستأذن ثم يكتب . وهذا أيضا قد يشك فى أن صاحبها هل يرضى به أم لا فما هو فى محل الشك والأصل تحريمه ، فهو حرام . وتركه من الدرجة الاولى

ومن ذلك التورع عن الزينة ؛ لأنه يخاف منها أن تدعو إلى غيرها ، وإن كانت الزينة مباحة فى نفسها . وقد سئل أحمد بن حنبل عن النعال السبتية ، فقال أما أنا فلا أستعملها ولكن إن كان للطين فأرجو ، وأما من أراد الزينة فلا

ومن ذلك أن عمر رضى الله عنه لما ولى الخلافة ، كانت له زوجة يحبها فطلقها خيفة أن تشير عليه بشفاعة فى باطل ، فيطيعها ويطلب رضاها . وهذا من ترك ما لا بأس به مخافة مما به البأس ، أى مخافة من أن يفضى إليه

وأكثر المباحات داعية إلى المحظورات . حتى استكثار الأكل ، واستعمال الطيب للمتعزب ، فإنه يحرك الشهوة ، ثم الشهوة تدعو إلى الفكر ، والفكر يدعو إلى النظر ، والنظر يدعو إلى غيره . وكذلك النظر إلى دور الأغنياء وتجملهم مباح فى نفسه ، ولكن يهيج الحرص ، ويدعو إلى طلب مثله ، ويلزم منه ارتكاب ما لا يحل فى تحصيله . وهكذا المباحات كلها ، إذا لم تؤخذ بقدر الحاجة فى وقت الحاجة ، مع التحرز من غوائلها بالمعرفة أولا ، ثم بالحذر ثانيا ، فقلما تخلو عاقبتها عن خطر . وكذا كل ما أخذ بالشهوة فقلما يخلو عن خطر . حتى كره أحمد بن حنبل تجصيص الحيطان ، وقال أما تجصيص الأرض فيمنع التراب ، وأما تجصيص الحيطان فزينة لا فائدة فيه . حتى أنكر تجصيص المساجد وتزيينها . واستدل بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل [1] أن يكحل المسجد ، فقال « لَا عَرِيشَ كَعَرِيشِ مُوسَى وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ مِثْلُ الْكُحْلِ يُطْلَى بِهِ » فلم يرخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، وكره السلف الثوب الرقيق وقالوا من رق ثوبه رق دينه . وكل ذلك خوفا من سريان اتباع الشهوات فى المباحات الى غيرها فإن المحظور والمباح تشتهيهما النفس بشهوة واحدة . وإذا تعودت الشهوة المسامحة استرسلت . فاقتضى خوف التقوى الورع عن هذا كله . فكل حلال انفك عن مثل هذه المخالفة ، فهو الحلال الطيب فى الدرجة الثالثة . وهو كل ما لا يخاف أداؤه الى معصية ألبتة .

أما الدرجة الرابعة ، وهو ورع الصديقين ، فالحلال عندهم كل ما لا تتقدم فى أسبابه معصية ، ولا يستعان به على معصية ، ولا يقصد منه فى الحال والمآل قضاء وطر ، بل يتناول لله تعالى فقط ، وللتقوى على عبادته ، واستبقاء الحياة لأجله . وهؤلاء هم الذين يرون كل ما ليس لله حراما ، امتثالا لقوله تعالى (قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ [1]) وهذه رتبة الموحدين المتجردين عن حظوظ أنفسهم ، المنفردين لله تعالى بالقصد . ولا شك فى أن من يتورع عما يوصل إليه أو يستعان عليه بمعصية ، ليتورع عما يقترن بسبب اكتسابه معصية أو كراهية .

---

(١) حديث أنه سئل أن يكحل المسجد فقال لا عريش كعريش موسى : الدار قطنى فى الافراد من حديث أبى الدرداء وقال غريب

(١) الانعام : ٩١ .

فمن ذلك ماروى عن يحيى بن كثير أنه شرب الدواء ، فقالت له امرأته لو تمشيت فى الدار قليلا حتى يعمل الدواء ؟ فقال هذه مشية لا أعرفها ، وأنا أحاسب نفسى منذ ثلاثين سنة ، فكأنه لم تحضره نية فى هذه المشية تتعلق بالدين ، فلم يجز الإقدام عليها . وعن سرى رحمه الله أنه قال : انتهيت إلى حشيش فى جبل ، وماء يخرج منه ، فتناولت من الحشيش ، وشربت من الماء ، وقلت فى نفسى ، إن كنت قد أكلت يوما حلالا طيبا فهو هذا اليوم فهتف بى هاتف ، إن القوة التي أوصلتك إلى هذا الموضع من أين هى ؟ فرجعت وندمت

ومن هذا ماروى عن ذى النون المصرى أنه كان جائعا محبوسا ، فبعثت إليه امرأة صالحة طعاما على يد السجان ، فلم يأكل ، ثم اعتذر وقال ، جاءنى على طبق ظالم . يعنى أن القوة التى أوصلت الطعام إلىّ لم تكن طيبة . وهذه الغاية القصوى فى الورع

ومن ذلك أن بشرا رحمه الله ، كان لا يشرب الماء من الأنهار التى حفرها الأمراء . فإن النهر سبب لجريان الماء ووصوله إليه ، وان كان الماء مباحا فى نفسه ، فيكون كالمنتفع بالنهر المحفور بأعمال الأجراء ، وقد أعطوا الأجرة من الحرام . ولذلك امتنع بعضهم من العنب الحلال ، من كرم حلال ، وقال لصاحبه أفسدته إذ سقيته من الماء الذى يجرى فى النهر الذى حفرته الظلمة . وهذا أبعد عن الظلم من شرب نفس الماء ، لأنه احتراز من استمداد العنب من ذلك الماء . وكان بعضهم إذا مر فى طريق الحج لم يشرب من المصانع التى عملتها الظلمة مع أن الماء مباح ، ولكنه بقى محفوظا بالمصنع الذى عمل به بمال حرام ، فكأنه انتفاع به .

وامتناع ذى النون من تناول الطعام من يد السجان أعظم من هذا كله ، لأن يد السجان لا توصف بأنها حرام ، بخلاف الطبق المغصوب إذا حمل عليه ولكنه وصل إليه بقوة اكتسبت بالغذاء الحرام . ولذلك تقيأ الصديق رضى الله عنه من اللبن ، خيفة من أن يحدث الحرام فيه قوة . مع أنه شربه عن جهل ، وكان لا يجب إخراجه . ولكن تخلية البطن عن الخبيث من ورع الصديقين

ومن ذلك التورع من كسب حلال اكتسبه خياط يخيط فى المسجد . فإن أحمد رحمه الله كره جلوس الخياط فى المسجد . وسئل عن الغازلى يجلس فى قبة فى المقابر ، فى وقت يخاف

من المطر ، فقال إنما هى من أمر الآخرة ، وكره جلوسه فيها . وأطفأ بعضهم سراجا أسرجه غلامه من قوم يكره مالهم . وامتنع من تسجير تنور للخبز وقد بقى فيه جمر من حطب مكروه . وامتنع بعضهم من أن يحكم شسع نعله فى مشعل السلطان . فهذه دقائق الورع عند سالكى طريق الآخرة

والتحقيق فيه أن الورع له أول ، وهو الامتناع عما حرمته الفتوى ، وهو ورع العدول وله غاية ، وهو ورع الصديقين ، وذلك هو الامتناع من كل ما ليس لله ، مما أخذ بشهوة ، أو توصل إليه بمكروه ، أو اتصل بسببه مكروه . وبينهما درجات فى الاحتياط . فكلما كان العبد أشد تشديدا على نفسه كان أخف ظهرا يوم القيامة ، وأسرع جوازا على الصراط ، وأبعد عن أن تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته . وتتفاوت المنازل فى الآخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات فى الورع . كما تتفاوت دركات النار فى حق الظلمة بحسب تفاوت درجات الحرام فى الخبث . وإذا علمت حقيقة الأمر فاليك الخيار ، فإن شئت فاستكثر من الاحتياط ، وإن شئت فرخص ، فلنفسك تحتاط ، وعلى نفسك ترخص والسلام

الباب الثانى

فى مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] «الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ . فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِعِرْضِهِ وَدِينِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِى الشُّبُهَاتِ وَاقَعَ الْحَرَامَ كَالرَّاعِى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ» فهذا الحديث نص فى إثبات الأقسام الثلاثة . والمشكل منها القسم المتوسط الذى لا يعرفه كثير من الناس ، وهو الشبهة ، فلا بد من بيانها ، وكشف الغطاء عنها ، فإن ما لا يعرفه الكثير فقد يعرفه القليل فنقول

الحلال المطلق . هو الذى خلا عن ذاته الصفات الموجبة للتحريم فى عينه ، وانحل عن أسبابه ما تطرق اليه تحريم أو كراهية . ومثاله الماء الذى يأخذه الإنسان من المطر ، قبل أن

﴿ الباب الثانى فى مراتب الشبهات ﴾

(١) حديث الحلال بين والحرام بين متفق عليه من حديث النعمان بن بشير

يقع على ملك أحد ، ويكون هو واقفا عند جمعه ، وأخذه من الهواء فى ملك نفسه ، أو فى أرض مباحة .

والحرام المحض هو ما فيه صفة محرمة لا يشك فيها ، كالشدة المطربة فى الخمر ، والنجاسة فى البول . أو حصل بسبب منهى عنه قطعا ، كالمحصل بالظلم والربا ونظائره . فهذان طرفان ظاهران .

ويلتحق بالطرفين ما تحقق أمره ولكنه احتمل تغيره ، ولم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه . فإن صيد البر والبحر حلال . ومن أخذ ظبية فيحتمل أن يكون قد ملكها صياد ، ثم أفلتت منه ، وكذلك السمك يحتمل أن يكون قد تزلق من الصياد ، بعد وقوعه فى يده وخريطته فمثل هذا الاحتمال لا يتطرق الى ماء المطر المختطف من الهواء ، ولكنه فى معنى ماء المطر ، والاحتراز منه وسواس ، ولنسم هذا الفن ورع الموسوسين ، حتى تلتحق به أمثاله . وذلك لأن هذا وهم مجرد لا دلالة عليه ، نعم لو دل عليه دليل ، فإن كان قاطعا ، كما لو وجد حلقة فى أذن السمكة ، أو كان محتملا ، كما لو وجد على الظبية جراحة يحتمل أن يكون كيّا لا يقدر عليه إلا بعد الضبط ، ويحتمل أن يكون جرحا ، فهذا موضع الورع . وإذا انتفت الدلالة من كل وجه ، فالاحتمال المعدوم دلالته كالاحتمال المعدوم فى نفسه ، ومن هذا الجنس من يستعير دارا ، فيغيب عنه المعير ، فيخرج ، ويقول لعله مات وصار الحق للوارث ، فهذا وسواس ، إذ لم يدل على موته سبب قاطع أو مشكك ، إذ الشبهة المحذورة ما تنشأ من الشك . والشك عبارة عن اعتقادين متقابلين نشأ عن سببين . فما لا سبب له لا يثبت عقده فى النفس ، حتى يساوى العقد المقابل له ، فيصير شكا . ولهذا نقول من شك أنه صلى ثلاثا أو أربعا أخذ بالثلاث . إذ الأصل عدم الزيادة . ولو سئل إنسان أن صلاة الظهر التى أداها قبل هذا بعشر سنين كانت ثلاثا أو أربعا ؟ لم يتحقق قطعا أنها أربعة ، وإذا لم يقطع جوز أن تكون ثلاثة ، وهذا التجويز لا يكون شكا إذ لم يحضره سبب أوجب اعتقاد كونها ثلاثا . فلتفهم حقيقة الشك ، حتى لا يشتبه الوهم والتجويز بغير سبب . فهذا يلتحق بالحلال المطلق

ويلتحق بالحرام المحض ماتحقق تحريمه ، وإن أمكن طريان محلل ، ولكن لم يدل عليه سبب كمن فى يده طعام لمورثه الذى لاوارث له سواه ، فغاب عنه ، فقال يحتمل أنه مات وقد انتقل الملك إلىّ فآكله . فإقدامه عليه إقدام على حرام محض ، لأنه احتمال لامستند له . فلا ينبغى أن يعد هذا النمط من أقسام الشبهات . وإنما الشبهة نعنى بها ماالشتبه علينا أمره ، بأن تعارض لنا فيه اعتقادان ، صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين

ومثارات الشبهة خمسة :

المثار الأول

الشك فى السبب المحلل والمحرم

وذلك لايخلو إما أن يكون متعادلا ، أو غلب أحد الاحتمالين. فإن تعادل الاحتمالان، كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب ، ولا يترك بالشك . وإن غلب أحد الاحتمالين عليه بأن صدر عن دلالة معتبرة ، كان الحكم للغالب . ولا يتبين هذا إلا بالأمثال والشواهد . فلنقسمه إلى أقسام أربعة

القسم الأول أن يكون التحريم معلوما من قبل ، ثم يقع الشك في المحال . فهذه شبهة يجب اجتنابها ، ويحرم الأقدام عليها

مثاله أن يرمى الى صيد فيجرحه ، ويقع فى الماء فيصادفه ميتا ، ولا يدرى أنه مات بالغرق أو بالجرح ، فهذا حرام . لأن الأصل التحريم ، إلا اذا مات بطريق معين ، وقد وقع الشك فى الطريق ، فلا يترك اليقين بالشك. كما فى الأحداث والنجاسات ، وركعات الصلاة وغيرها . وعلى هذا ينزل قوله صلى الله عليه وسلم [1] لعدي بن حاتم « لَا تَأْكُلْهُ فَلَعَلَّهُ قَتَلَهُ غَيْرُ كَلْبِكَ » فلذلك كان صلى الله عليه وسلم [2] اذا أتى بشىء اشتبه عليه انه صدقة أوهدية ، سأل عنه ، حتى يعلم أيهما هو . وروى أنه صلى الله عليه وسلم [3] أرق ليلة فقال له بعض نسائه أرقت يارسول الله فقال «أَجَلْ، وَجَدْتُ تَمْرَةً فَخَشِيتُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ »

---

(١) حديث لاتأكله فلعله قتله غير كلبك قاله لعدي بن حاتم متفق عليه من حديثه

(٢) حديث كان إذا أتى بشىء اشتبه عليه انه صدقة أوهبة يسأل عنه:البخارى من حديث أبي هريرة

(٣) حديث أنه أرق ليلة فقال له بعض نسائه أرقت يارسول الله فقال أجل وجدت تمرة فأكلتها فخشيت أن تكون من الصدقة أحمد من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده باسناد حسن

وفي رواية « فَأَكَلْتُهَا فَخَشِيتُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ »

ومن ذلك ماروى عن بعضهم أنه قال ، [1] كنا فى سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابنا الجوع ، فنزلنا منزلا كثيرا لضباب ، فبينا القدور تغلى بها . إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أُمَّةٌ مُسِخَتْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ » فأكفأنا القدور . ثم أعلمه الله بعد ذلك ، أنه [2] لم يمسخ الله خلقا فجعل له نسلا . وكان امتناعه أولا لأن الأصل عدم الحل ، وشك فى كون الذبح محللا

القسم الثانى : أن يعرف الحل ، ويشك فى المحرم فالأصل الحل ، وله الحكم ، كما إذا نكح امرأتين رجلان وطار طائر . فقال أحدهما ، ان كان هذا غرابا فامرأتى طالق ، وقال الآخر إن لم يكن غرابا فامرأتى طالق ، والتبس أمر الطائر فلا يقضى بالتحريم فى واحدة منهما ، ولا يلزمهما اجتنابهما . ولكن الورع اجتنابهما وتطليقهما ، حتى يحلا لسائر الأزواج ، وقد أمر مكحول بالاجتناب فى هذه المسأله . وأفتى الشعبي بالاجتناب ، فى رجلين كانا قد تنازعا ، فقال أحدهما للآخر ، أنت حسود . فقال الآخر ، أحسدنا زوجته طالق ثلاثا . فقال الآخر نعم وأشكل الأمر . وهذا إن أراد به اجتناب الورع فصحيح . وان أراد التحريم المحقق فلا وجه له . إذ ثبت فى المياه والنجاسات والاحداث والصلوات ، أن اليقين لا يجب تركه بالشك وهذا فى معناه

فإن قلت : وأى مناسبة بين هذا وبين ذلك ؟ فاعلم أنه لا يحتاج الى المناسبة فانه لازم من غير ذلك فى بعض الصور . فانه مهما تيقن طهارة الماء ثم شك فى نجاسته ، جاز له أن يتوضأ به فكيف لا يجوز له أن يشربه ! وإذا جوز الشرب ، فقد سُلم أن اليقين لا يزال بالشك إلا أن ههنا دقيقة ، وهو أن وزان الماء أن يشك فى أنه طلق زوجته أم لا ، فيقال الأصل أنه ما طلق

---

(١) حديث كنا فى سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابنا الجوع فنزلنا منزلا كثير الضباب فبينا القدور تغلى بها اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمة من بنى اسرائيل مسخت فأخاف أن تكون هذه فأكفأنا القدور : ابن حبان والبيهقى من حديث عبدالرحمن وحسنه وروى أبوداود والنسائى وابن ماجه من حديث ثابت بن زيد نحوه مع اختلاف قال البخارى وحديث ثابت أصح

(٢) حديث أنه لم يمسخ الله خلقا فجعل له نسلا : مسلم من حديث ابن مسعود ..

ووزان مسألة الطائر أن يتحقق نجاسة أحد الإناءين، ويشتبه عينه، فلا يجوز أن يستعمل أحدهما بغير اجتهاد، لأنه قابل يقين النجاسة بيقين الطهارة، فيبطل الاستصحاب. فكذلك ههنا قد وقع الطلاق على إحدى الزوجتين قطعا، والتبس عين المطلقة بغير المطلقة

فنقول: اختلف أصحاب الشافعي في الإناءين على ثلاثة أوجه، فقال قوم يستصحب بغير اجتهاد. وقال قوم بعد حصول يقين النجاسة في مقابلة يقين الطهارة يجب الاجتناب، ولا يغني الاجتهاد. وقال المقتصدون يجتهد. وهو الصحيح. ولكن وزانه أن تكون له زوجتان فيقول إن كان غرابا فزينب طالق، وإن لم يكن فعمرة طالق. فلا جرم لا يجوز له غشيانهما بالإستصحاب، ولا يجوز الاجتهاد، إذ لا علامة. ونحرمهما عليه، لأنه لو وطئهما، كان مقتحما للحرام قطعا، وإن وطىء إحداهما وقال أقتصر على هذه كان متحكما بتعيينها من غير ترجيح ففي هذا افترق حكم شخص واحد أو شخصين، لأن التحريم على شخص واحد متحقق بخلاف الشخصين، إذ كل واحد شك في التحريم في حق نفسه

فإن قيل: فلو كان الاناءان لشخصين، فينبغي أن يستغني عن الاجتهاد ويتوضأ كل واحد بإنائه، لأنه تيقن طهارته، وقد شك الآن فيه

فنقول: هذا محتمل في الفقه. والأرجح في ظني المنع. وأن تعدد الشخصين ههنا كاتحاده، لأن صحة الوضوء لا تستدعي ملكا. بل وضوء الانسان بماء غيره في رفع الحدث كوضوئه بماء نفسه فلا يتبين لاختلاف الملك واتحاده أثر، بخلاف الوطء لزوجة الغير فإنه لا يحل. ولأن للعلامات مدخلا في النجاسات، والاجتهاد فيه ممكن، بخلاف الطلاق فوجب تقوية الاستصحاب بعلامة، ليدفع بها قوة يقين النجاسة المقابلة ليقين الطهارة. وأبواب الاستصحاب والترجيحات من غوامض الفقه ودقائقه. وقد استقصيناه في كتب الفقه، ولسنا نقصد الآن إلا التنبيه على قواعدها

القسم الثالث: أن يكون الأصل التحريم، ولكن طرأ ما أوجب تحليله بظن غالب. فهو مشكوك فيه. والغالب حله. فهذا ينظر فيه، فإن استند غلبة الظن إلى سبب معتبر شرعا، فالذي نختار فيه أنه يحل، واجتنابه من الورع

مثاله: أن يرمي إلى صيد فيغيب، ثم يدركه ميتا، وليس عليه أثر سوى سهمه. ولكن يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر. فإن ظهر عليه أثر صدمة أو جراحة أخرى، التحق

بالقسم الأول . وقد اختلف قول الشافعي رحمه الله في هذا القسم . والمختار أنه حلال. لأن الجرح سبب ظاهر وقد تحقق . والأصل أنه لم يطرأ غيره عليه ، فطريانه مشكوك فيه ، فلا يدفع اليقين بالشك

فإن قيل: فقد قال ابن عباس: كل ما أصميت ودع ما أنميت ، وروت عائشة رضي الله عنها أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم [1] بأرنب ، فقال رميتي عرفت فيها سهمي ، فقال « أَصْمَيْتَ أَوْ أَنْمَيْتَ ؟ » فقال بل أنميت قال « إِنَّ اللَّيْلَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ لا يُقَدِّرُ قَدْرَهُ إِلاَّ الَّذِي خَلَقَهُ فَلَعَلَّهُ أَعَانَ عَلَى قَتْلِهِ شَيْءٌ » وكذلك قال صلى الله عليه وسلم [2] لعدي بن حاتم في كلبه المعلم « وَإِنْ أَكَلَ فَلاَ تَأْكُلْ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ إِنَّمَا أَمْسَكَ عَلَى نَفْسِهِ » والغالب أن الكلب المعلم لا يسيء خلقه ، ولا يمسك إلا على صاحبه ، ومع ذلك نهى عنه . وهذا التحقيق ، وهو أن الحل إنما يتحقق إذا تحقق تمام السبب ، وتمام السبب بأن يفضي إلى الموت سليما من طريان غيره عليه ، وقد شك فيه ، فهو شك في تمام السبب ، حتى اشتبه أن موته على الحل أو على الحرمة. فلا يكون هذا في معنى ما تحقق موته على الحل في ساعته ، ثم شك فيما يطرأ عليه

فالجواب: أن نهي ابن عباس ، ونهي رسول الله صلى الله عليه وسلم محمول على الورع والتنزيه . بدليل ما روي في بعض الروايات أنه قال [3] « كُلْ مِنْهُ وَإِنْ غَابَ عَنْكَ مَا لَمْ تَجِدْ فِيهِ أَثَراً غَيْرَ سَهْمِكَ » وهذا تنبيه على المعنى الذي ذكرناه ، وهو أنه إن وجد أثرا آخر فقد تعارض السببان بتعارض الظن . وإن لم يجد سوى جرحه حصل غلبة للظن ، فيحكم به على الاستصحاب ، كما يحكم على الاستصحاب بخبر الواحد ، والقياس المظنون والعمومات المظنونة ، وغيرها

---

(١) حديث عائشة ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأرنب فقال رميتي عرفت فيها سهمي فقال أصميت أو أنميت قال بل أنميت قال أن الليل خلق من خلق الله لا يقدر قدره الا الذي خلقه لعله أعان على قتله شيء: ليس هذا من حديث عائشة وانما رواه موسى بن أبي عائشة عن أبي رزين قال جاء رجل الي النبي صلى الله عليه وسلم بصيد فقال إني رميته من الليل فأعياني ووجدت سهمي فيه من الغد وعرفت سهمي فقال الليل خلق من خلق الله عظيم لعله أعانك عليها شيء رواه أبو داود في المراسيل والبيهقي وقال أبو رزين اسمه مسعود والحديث مرسل قاله البخاري

(٢) حديث قال لعدي في كلبه المعلم وان أكل فلا تأكل فاني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه متفق عليه من حديثه

(٣) حديث كل منه وان غاب عنك مالم تجد فيه أثر سهم غيرك: متفق عليه من حديث عدي بن حاتم

وأما قول القائل إنه لم يتحقق موته على الحل فى ساعة ، فيكون شكا فى السبب،فليس كذلك . بل السبب قد تحقق ، إذ الجرح سبب الموت ، فطريان الغير شك فيه . ويدل على صحة هذا الاجماعُ على أن من جرح وغاب ، فوجد ميتا ، فيجب القصاص على جارحه بل إن لم يغب يحتمل أن يكون موته بهيجان خلط فى باطنه ، كما يموت الإنسان فجأة . فينبغى أن لايجب القصاص إلا بحز الرقبة ، والجرح المذفف . لأن العلل القاتلة فى الباطن لاتؤمن ، ولأجلها يموت الصحيح فجأة ، ولا قائل بذلك ، مع أن القصاص مبناه على الشبهة وكذلك جنين المذكاة حلال . ولعله مات قبل ذبح الأصل ، لابسبب ذبحه ، أو لم ينفخ فيه الروح . وغرة الجنين تجب ، ولعل الروح لم ينفخ فيه ، أو كان قد مات قبل الجناية بسبب آخر . ولكن يبنى على الأسباب الظاهرة . فان الاحتمال الآخر ، إذا لم يستند إلى دلالة تدل عليه ، التحق بالوهم والوسواس كما ذكرناه . فكذلك هذا

وأما قوله صلى الله عليه وسلم « أَخَافُ أَنْ يَكُونَ إِنَّمَا أَمْسَكَ عَلَى نَفْسِهِ » فللشافعى رحمه الله فى هذه الصورة قولان ، والذى نختاره الحكم بالتحريم ، لأن السبب قد تعارض . إذ الكلب المعلم كالآلة والوكيل ، يمسك على صاحبه فيحل . ولو استرسل المعلم بنفسه فأخذ لم يحل . لأنه يتصور منه أن يصطاد لنفسه . ومهما انبعث بإشارته ، ثم أكل ، دل ابتداء انبعاثه على أنه نازل منزلة آلته ، وأنه يسعى فى وكالته ونيابته ، ودل أكله آخرا على أنه أمسك لنفسه لالصاحبه . فقد تعارض السبب الدال ، فيتعارض الاحتمال ، والأصل التحريم فيستصحب ، ولا يزال بالشك . وهو كما لو وكل رجلا بأن يشترى له جارية ، فاشترى جارية ، ومات قبل أن يبين أنه اشتراها لنفسه أو لموكله ، لم يحل للموكل وطؤها . لأن للوكيل قدرة على الشراء لنفسه ولموكله جميعا . ولا دليل مرجح ، والأصل التحريم ، فهذا يلتحق بالقسم الأول لابالقسم الثالث

القسم الرابع : أن يكون الحل معلوما ، ولكن يغلب على الظن طريان محرم ، بسبب معتبر فى غلبة الظن شرعا . فيرفع الاستصحاب ، ويقضى بالتحريم . إذ بان لنا أن الاستصحاب ضعيف ولا يبقى له حكم مع غالب الظن

ومثاله أن يؤدى اجتهاده إلى نجاسة أحد الإناءين ، بالاعتماد على علامة معينة توجب غلبة

الظن ، فتوجب تحريم شربه ، كما أوجبت منع الوضوء به ، وكذا إذا قال ، إن قتل زيد عمرا أو قتل زيد صيدا ، منفردا بقتله ، فامرأتى طالق : فخرجه وغاب عنه ، فوجد ميتا ، حرمت زوجته . لأن الظاهر أنه منفرد بقتله كما سبق . وقد نص الشافعى رحمه الله ، أن من وجد فى الغدران ماء متغيرا ، احتمل أن يكون تغيره بطول المكث أو بالنجاسة ، فيستعمله ولو رأى ظبية بالت فيه ، ثم وجده متغيرا ، واحتمل أن يكون بالبول أو بطول المكث لم يجز استعماله إذ صار البول المشاهد دلالة مغلبة لاحتمال النجاسة ، وهو مثال ماذكرناه وهذا فى غلبة ظن استند إلى علامة متعلقة بعين الشىء

فاما غلبة الظن لا من جهة علامة تتعلق بعين الشىء ، فقد اختلف قول الشافعى رضى الله عنه فى أن أصل الحل هل يزال به إذا اختلف قوله فى التوضؤ من أوانى المشركين ، ومد من الخمر ، والصلاة فى المقابر المنبوشة ، والصلاة مع طين الشوارع ، أعنى المقدار الزائد على مايتعذر الاحتراز عنه ، وعبر الأصحاب عنه بأنه إذا تعارض الأصل والغالب فأيهما يعتبر . وهذا جار فى حل الشرب من أوانى مدمن الخمر والمشركين ، لأن النجس لا يحل شربه فإذاً مأخذ النجاسة والحل واحد ، فالتردد فى أحدهما يوجب التردد فى الآخر ، والذى أختاره أن الاصل هو المعتبر ، وأن العلامة إذا لم تتعلق بعين المتناول لم توجب رفع الأصل وسيأتى بيان ذلك وبرهانه فى المثار الثانى للشبهة ، وهى شبهة الخلط

فقد اتضح من هذا حكم حلال شك فى طريان محرم عليه أو ظن ، وحكم حرام شك فى طريان محلل عليه أو ظن ، وبان الفرق بين ظن يستند إلى علامة فى عين الشىء ، وبين مالا يستند إليه ، وكل ماحكمنا فى هذه الاقسام الاربعة بحله فهو حلال فى الدرجة الاولى والاحتياط تركه فالمقدم عليه لا يكون من زمرة المتقين والصالحين بل من زمرة العدول الذين لا يقضى فى فتوى الشرع بفسقهم وعصيانهم واستحقاقهم العقوبة إلا ماألحقناه برتبة الوسواس ، فإن الاحتراز عنه ليس من الورع أصلا

المثار الثانى للشبهة

شك منشؤه الاختلاط

وذلك بأن يختلط الحرام بالحلال ، ويشتبه الأمر ولا يتميز . والخلط لا يخلو إما أن يقع بعدد

لايحصر من الجانبين أو من أحدهما ، أو بعدد محصور فإن اختلط بمحصور ، فلا يخلو إما أن يكون اختلاط امتزاج ، بحيث لا يتميز بالإشارة ، كاختلاط المائعات ، أو يكون اختلاط استبهام مع التميز للأعيان ، كاختلاط الأعبد والدور والأفراس . والذى يختلط بالاستبهام فلا يخلو إما أن يكون مما يقصد عينه كالعروض ، أو لا يقصد كالنقود . فيخرج من هذا التقسيم ثلاثة أقسام

القسم الأول : أن تستبهم العين بعدد محصور . كما لو اختلطت الميتة بمذكاة أو بعشر مذكيات أو اختلطت رضيعة بعشر نسوة ، أو يتزوج إحدى الأختين ثم تلتبس ، فهذه شبهة يجب اجتنابها بالإجماع : لانه لامجال للاجتهاد والعلامات فى هذا . وإذا اختلطت بعدد محصور صارت الجملة كالشىء الواحد ، فتقابل فيه يقين التحريم والتحليل . ولا فرق فى هذا بين أن يثبت حل فيطرأ اختلاط بمحرم كما لو أوقع الطلاق على إحدى زوجتين فى مسألة الطائر أو يختلط قبل الاستحلال ، كما لو اختلطت رضيعة بأجنبية ، فأراد استحلال واحدة . وهذا قد يشكل فى طريان التحريم ، كطلاق إحدى الزوجتين لما سبق من الاستصحاب . وقد نبهنا على وجه الجواب ، وهو أن يقين التحريم قابل يقين الحل ، فضعف الاستصحاب وجانب الخطر أغلب فى نظر الشرع ، فلذلك ترجح . وهذا إذا اختلط حلال محصور بحرام محصور . فان اختلط حلال محصور بحرام غير محصور ، فلا يخفى أن وجوب الاجتناب أولى

القسم الثانى : حرام محصور بحلال غير محصور . كما لو اختلطت رضيعة أو عشر رضائع بنسوة بلد كبير . فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح نساء أهل البلد ، بل له أن ينكح من شاء منهن . وهذا لايجوز أن يعلل بكثرة الحلال ، إذ يلزم عليه أن يجوز النكاح إذا اختلطت واحدة حرام بتسع حلال ، ولا قائل به . بل العلة الغلبة والحاجة جميعا . إذ كل من ضاع له رضيع أو قريب ، أو محرم بمصاهرة أو سبب من الأسباب ، فلا يمكن أن يسد عليه باب النكاح . وكذلك من علم أن مال الدنيا خالطه حرام قطعا ، لا يلزمه ترك الشراء والأكل فإن ذلك حرج ، وما فى الدين من حرج . ويعلم هذا بأنه لما سرق فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم مجن (١) ، وغل (٢) واحد فى الغنيمة عباءة ، لم يمتنع أحد من شراء المجان والعباء

---

(١) حديث سرقة المجن فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم : متفق عليه ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقا فى مجن قيمته ثلاثة دراهم

(٢) حديث غل واحد من الغنائم عباءة : البخارى من حديث عبد الله بن عمرو واسم الغال كركرة

فى الدنيا وكذلك كل ماسرق . وكذلك كان يعرف [١] أن فى الناس من يربى فى الدراهم والدنانير ، وما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس الدراهم والدنانير بالكلية. وبالجملة إنما تنفك الدنيا عن الحرام إذا عصم الخلق كلهم عن المعاصى ، وهو محال . وإذا لم يشترط هذا فى الدنيا لم يشترط أيضا فى بلد ، إلا إذا وقع بين جماعة محصورين . بل اجتناب هذا من ورع الموسوسين . إذ لم ينقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا عن أحد من الصحابة . ولا يتصور الوفاء به فى ملة من الملل ، ولا فى عصر من الأعصار

فإن قلت: فكل عدد محصور فى علم الله ، فما حد المحصور ؟ ولو أراد الإنسان أن يحصر أهل بلد لقدر عليه أيضا إن تمكن منه، فاعلم أن تحديد أمثال هذه الأمور غير ممكن ، وإنما يضبط بالتقريب

فنقول: كل عدد لو اجتمع على صعيد واحد لعسر على الناظر عددهم بمجرد النظر، كالألف والألفين ، فهو غير محصور . وما سهل ، كالعشرة والعشرين ، فهو محصور. وبين الطرفين أوساط متشابهة ، تلحق بأحد الطرفين بالظن . وما وقع الشك فيه استفتى فيه القلب ، فإن الإثم حزاز القلوب. وفى مثل هذا المقام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابصة [٢] «اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَوْكَ وَأَفْتَوْكَ وَأَفْتَوْكَ » وكذا الأقسام الأربعة التى ذكرناها فى المثال الأول يقع فيها أطراف متقابلة ، واضحة فى النفى والإثبات ، وأوساط متشابهة . فالمفتى يفتى بالظن وعلى المستفتى أن يستفتى قلبه ، فإن حاك فى صدره شىء فهو الآثم بينه وبين الله ، فلا ينجيه فى الآخرة فتوى المفتى ، فإنه يفتى بالظاهر ، والله يتولى السرائر

القسم الثالث: أن يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر . كحكم الأموال فى زماننا هذا . فالذى يأخذ الأحكام من الصور قد يظن أن نسبة غير المحصور إلى غير المحصور كنسبة المحصور إلى المحصور ، وقد حكمنا ثَمَّ بالتحريم ، فلنحكم هنا به . والذى نختاره خلاف ذلك . وهو أنه لا يحرم بهذا الاختلاط أن يتناول شىء بعينه ، احتمل أنه حرام وأنه حلال

---

(١) حديث إن فى الناس من كان يربى فى الدراهم والدنانير وماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس الدراهم بالكلية هذا معروف وسيأتى حديث جابر بعده بحديثين وهو يدل على ذلك

(٢) حديث استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك قاله لوابصة تقدم

إلا أن يقترن بتلك العين علامة تدل على أنه من الحرام . فإن لم يكن فى العين علامة تدل على أنه من الحرام ، فتركه ورع ، وأخذه حلال لا يفسق به آكله . ومن العلامات أن يأخذه من يد سلطان ظالم ، إلى غير ذلك من العلامات التي سيأتى ذكرها ، ويدل عليه الأثر والقياس .

فأما الأثر فما علم فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده. اذ كانت أثمان الخمور ودراهم الربا من أيدى أهل الذمة مختلطة بالأموال . وكذا غلول الأموال . وكذا غلول الغنيمة . ومن الوقت الذى نهي صلى الله عليه وسلم عن الربا إذ قال (١) « أَوَّلُ رِبًا أَضَعُهُ رِبَا الْعَبَّاسِ » ماترك الناس الربا بأجمعهم ، كما لم يتركوا شرب الخمور وسائر المعاصى . حتى روى أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باع الخمر ، فقال عمر رضى الله عنه : لعن الله فلانا هو أول من سن بيع الخمر . إذ لم يكن قد فهم أن تحريم الخمر تحريم لثمنها . وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « إِنَّ فُلَانًا يَجُرُّ فِي النَّارِ عَبَاءَةً قَدْ غَلَّهَا » (٣) وقتل رجل ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزات من خرز اليهود ، لا تساوى درهمين ، قد غلها . وكذلك أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراء الظلمة ، ولم يمتنع أحد منهم عن الشراء والبيع فى السوق بسبب نهب المدينة ، وقد نهبها أصحاب يزيد ثلاثة أيام . وكان من يمتنع من تلك الأموال مشارا إليه فى الورع . والأكثرون لم يمتنعوا ، مع الاختلاط وكثرة الأموال المنهوبة فى أيام الظلمة . ومن أوجب ما لم يوجبه السلف الصالح ، وزعم أنه تفطن من الشرع ما لم يتفطنوا له ، فهو موسوس مختل العقل . ولو جاز أن يزاد عليهم فى أمثال هذا ، لجاز مخالفتهم فى مسائل لا مستند فيها سوى اتفاقهم ، كقولهم إن الجدة كالأم فى التحريم ، وابن الابن كالابن ، وشعر الخنزير وشحمه كاللحم المذكور تحريمه فى القرءان ، والربا جار فيما عدا الأشياء الستة . وذلك محال ، فانهم أولى بفهم الشرع من غيرهم

وأما القياس : فهو أنه لو فتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات ، وخرب العالم .

---

(١) حديث أول ربا أضعه ربا العباس : مسلم من حديث جابر

(٢) حديث ان فلانا فى النار يجر عباءة قد غلها : البخارى من حديث عبد الله بن عمرو تقدم قبله بثلاثة احاديث

(٣) حديث قتل رجل ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزا من خرز اليهود لا يساوى درهمين قد غله أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث زيد ابن خالد الجهنى

إذ الفسق يغلب على الناس ، ويتساهلون بسببه فى شروط الشرع فى العقود ، ويؤدى ذلك لامحالة إلى الاختلاط . فإن قيل : فقد تقلم أنه صلى الله عليه وسلم امتنع من الضب وقال « أَخْشَى أَنْ يَكُونَ مِمَّا مَسَخَهُ اللهُ » وهو فى اختلاط غير المحصور ، قلنا يحمل ذلك على التنزه والورع ، أو نقول الضب شكل غريب ، ربما يدل على أنه من المسخ ، فهى دلالة فى عين المتناول . فإن قيل: هذا معلوم فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزمان الصحابة بسبب الربا والسرقة والنهب وغلول الغنيمة وغيرها ، ولكن كانت هى الأقل بالإضافة إلى الحلال . فماذا نقول فى زماننا ، وقد صار الحرام أكثر ما فى أيدى الناس، لفساد المعاملات وإهمال شروطها ، وكثرة الربا وأموال السلاطين الظلمة ، فمن أخذ مالاً لم يشهد عليه علامة معينة فى عينه للتحريم ، فهل هو حرام أم لا ؟ فأقول : ليس ذلك حراما . وانما الورع تركه ، وهذا الورع أهم من الورع إذا كان قليلا . ولكن الجواب عن هذا ، أن قول القائل أكثر الأموال حرام فى زماننا غلط محض . ومنشؤه الغفلة عن الفرق بين الكثير والأكثر . فأكثر الناس ، بل أكثر الفقهاء ، يظنون أن ما ليس بنادر فهو الأكثر ، ويتوهمون أنهما قسمان متقابلان ليس بينهما ثالث . وليس كذلك . بل الأقسام ثلاثة : قليل وهو النادر ، وكثير ، وأكثر . ومثاله : ان الخنثى فيما بين الخلق نادر ، وإذا أضيف اليه المريض وجد كثيرا . وكذا السفر ، حتى يقال المرض والسفر من الأعذار العامة ، والاستحاضة من الأعذار النادرة . ومعلوم أن المرض ليس بنادر ، وليس بالأكثر أيضا . بل هو كثير . والفقيه إذا تساهل وقال ، المرض والسفر غالب ، وهو عذر عام ، أراد به أنه ليس بنادر . فإن لم يرد هذا فهو غلط . والصحيح والمقيم هو الأكثر . والمسافر والمريض كثير . والمستحاضة والخنثى نادر .

فإذا فهم هذا فنقول : قول القائل الحرام أكثر باطل . لأن مستند هذا القائل إما أن يكون كثرة الظلمة والجندية ، أو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة ، أو كثرة الأيدى التى تكررت من أول الإسلام إلى زماننا هذا على أصول الأموال الموجودة اليوم

أما المستند الاول فباطل . فان الظالم كثير ، وليس هو بالأكثر . فانهم الجندية ، اذ لا يظلم الا ذو غلبة وشوكة ، وهم إذا أضيفوا إلى كل العالم لم يبلغوا عشر عشيرهم . فكل سلطان

يجتمع عليه من الجنود مائة ألف مثلا ، فيملك إقليما يجمع ألف ألف وزيادة . ولعل بلدة واحدة من بلاد مملكته يزيد عددها على جميع عسكره . ولو كان عدد السلاطين أكثر من عدد الرعايا لهلك الكل ، إذ كان يجب على كل واحد من الرعية أن يقوم بعشرة منهم مثلا ، مع تنعمهم فى المعيشة ، ولا يتصور ذلك . بل كفاية الواحد منهم تجمع من ألف من الرعية وزيادة . وكذا القول فى السراق ، فان البلدة الكبيرة تشتمل منهم على قدر قليل

وأما المستند الثانى ، وهو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة ، فهى أيضا كثيرة، وليست بالأكثر . إذ أكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع ، فعدد هؤلاء أكثر . والذى يعامل بالربا أو غيره ، فلو عددت معاملاته وحده ، لكان عدد الصحيح منها يزيد على الفاسد إلا أن يطلب الأنسان بوهمه فى البلد مخصوصا بالمجانة والخبث وقلة الدين ، حتى يتصور أن يقال معاملاته الفاسدة أكثر . ومثل ذلك المخصوص نادر. وإن كان كثيرا، فليس بالأكثر لو كان كل معاملاته فاسدة ، كيف ولا يخلو هو أيضا عن معاملات صحيحة تساوى الفاسدة أو تزيد عليها! وهذا مقطوع به لمن تأمله. وإنما غلب هذا على النفوس، لاستكثار النفوس الفساد، واستبعادها إياه ، واستعظامها له ، وإن كان نادرا. حتى ربما يظن أن الزنا وشرب الخمر قد شاع كما شاع الحرام، فيتخيل انهم الأكثرون وهو خطأ. فانهم الأقلون، وإن كانت فيهم كثرة .

وأما المستند الثالث ، وهو أخيلها ، أن يقال الأموال إنما تحصل من المعادن والنبات والحيوان ، والنبات والحيوان حاصلان بالتوالد . فاذا نظرنا إلى شاة مثلا ، وهى تلد فى كل سنة ، فيكون عدد أصولها إلى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من خمسمائة . ولا يخلو هذا أن يتطرق إلى أصل من تلك الأصول غصب أو معاملة فاسدة ، فكيف يقدر أن تسلم أصولها عن تصرف باطل إلى زماننا هذا ؟ وكذا بذور الحبوب والفواكه ، تحتاج إلى خمسمائة أصل ، أو ألف أصل مثلا ، إلى أول الشرع ، ولا يكون هذا حلالا ما لم يكن أصله وأصل أصله كذلك إلى أول زمان النبوة حلالا . وأما المعادن ، فهى التى يمكن نيلها على سبيل الابتداء . وهى أقل الأموال ، وأكثر ما يستعمل منها الدراهم والدنانير ،

ولا تخرج إلا من دار الضرب ، وهي فى أيدى الظلمة مثل المعادن فى أيديهم ، يمنعون الناس منها ، ويلزمون الفقراء استخراجها بالأعمال الشاقة ، ثم يأخذونها منهم غصباً . فإذا نظر إلى هذا علم أن بقاء دينار واحد بحيث لا يتطرق إليه عقد فاسد ، ولا ظلم وقت النيل ، ولا وقت الضرب فى دار الضرب ، ولا بعده فى معاملات الصرف والربا ، بعيدٌ نادر ، أو محال ، فلا يبقى إذاً حلال إلا الصيد ، والحشيش فى الصحارى الموات والمفاوز ، والحطب المباح . ثم من يحصله لا يقدر على أكله ، فيفتقر إلى أن يشترى به الحبوب والحيوانات التى لا تحصل إلا بالاستنبات والتوالد ، فيكون قد بذل حلالا فى مقابلة حرام . فهذا هو أشد الطرق تخيلا

والجواب: أن هذه الغلبة لم تنشأ من كثرة الحرام المخلوط بالحلال ، فخرج عن النمط الذى نحن فيه ، والتحق بما ذكرناه من قبل ، وهو تعارض الأصل والغالب . إذ الأصل فى هذه الأموال قبولها للتصرفات ، وجواز التراضى عليها . وقد عارضه سبب غالب يخرجه عن الصلاح له فيضاهى هذا محل القولين للشافعى رضى الله عنه فى حكم النجاسات . والصحيح عندنا ، أنه تجوز الصلاة فى الشوارع ، إذا لم يجد فيها نجاسة . فان طين الشوارع طاهر ، وأن الوضوء من أوانى المشركين جائز ، وأن الصلاة فى المقابر المنبوشة جائزة . فنثبت هذا أولا ، ثم نقيس ما نحن فيه عليه : ويدل على ذلك توضؤ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مزادة مشركة ، وتوضؤ عمر رضى الله عنه من جرة نصرانية ، مع أن مشربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ، ولا يحترزون عما نجسه شرعنا . فكيف تسلم أوانيهم من أيديهم . بل نقول نعلم قطعا أنهم كانوا يلبسون الفراء المدبوغة والثياب المصبوغة والمقصورة . ومن تأمل أحوال الدباغين والقصارين والصباغين علم أن الغالب عليهم النجاسة ، والطهارة فى تلك الثياب محال أو نادر . بل نقول: نعلم أنهم كانوا يأكلون خبز البر والشعير ولا يغسلونه ، مع أنه يداس بالبقر والحيوانات ، وهى تبول عليه وتروث ، وقلما يخلص منها . وكانوا يركبون الدواب وهى تعرق ، وما كانوا يغسلون ظهورها ، مع كثرة تمرغها فى النجاسات . بل كل دابة تخرج من بطن أمها وعليها رطوبات نجسة ، قد تزيلها الأمطار وقد لا تزيلها ، وما كان يحترز عنها . وكانوا يمشون حفاة فى الطرق وبالنعال ، ويصلون معها ، ويجلسون على التراب ، ويمشون

فى الطين من غير حاجة. وكانوا لا يمشون فى البول والعذرة، ولا يجلسون عليها، ويستنزهون منه. ومتى تسلم الشوارع عن النجاسات مع كثرة الكلاب وأبوالها، وكثرة الدواب وأرواثها ولا ينبغى أن نظن أن الأعصار او الأمصار تختلف فى مثل هذا، حتى يظن أن الشوارع كانت تغسل فى عصرهم، أو كانت تحرس من الدواب. هيهات فذلك معلوم استحالته بالعادة قطعا. فدل على أنهم لم يحترزوا إلا من نجاسة مشاهدة، أو علامة على النجاسة دالة على العين

فأما الظن الغالب الذى يستثار من رد الدراهم إلى مجارى الأحوال فلم يعتبروه. وهذا عند الشافعى رحمه الله. وهو يرى أن الماء القليل ينجس من غير تغير واقع. إذ لم يزل الصحابة يدخلون الحمامات، ويتوضأون من الحياض، وفيها المياه القليلة، والأيدى المختلفة تغمس فيها على الدوام. وهذا قاطع فى هذا الغرض. ومهما ثبت جواز التوضؤ من جرة نصرانية، ثبت جواز شربه. والتحق حكم الحل بحكم النجاسة

فإن قيل: لا يجوز قياس الحل على النجاسة، إذ كانوا يتوسعون فى أمور الطهارات ويحترزون من شبهات الحرام غاية التحرز، فكيف يقاس عليها؟

قلنا. إن أريد به أنهم صلوا مع النجاسة، والصلاة معها معصية، وهى عماد الدين، فبئس الظن. بل يجب أن نعتقد فيهم أنهم احترزوا عن كل نجاسة وجب اجتنابها. وإنما تسامحوا حيث لم يجب. وكان فى محل تسامحهم هذه الصورة التى تعارض فيها الأصل والغالب. فبان أن الغالب الذى لا يستند إلى علامة تتعلق بعين ما فيه النظر مطرح. وأما تورعهم فى الحلال فكان بطريق التقوى، وهو ترك مالا بأس به مخافة ما به بأس، لأن أمر الأموال مخوّف، والنفس تميل اليها ان لم تضبط عنها. وأمر الطهارة ليس كذلك. فقد امتنع طائفة منهم عن الحلال المحض خيفة أن يشغل قلبه. وقد حكى عن واحد منهم أنه احترز من الوضوء بماء البحر، وهو الطهور المحض. فالافتراق فى ذلك لا يقدح فى الغرض الذى أجمعنا فيه. على أنا نجرى فى هذا المستند على الجواب الذى قدمناه فى المستندين السابقين. ولا نسلم ما ذكروه من أن الأكثر هو الحرام. لأن المال وإن كثرت أصوله، فليس بواجب أن يكون فى أصوله حرام. بل الأموال الموجودة اليوم مما تطرق الظلم إلى أصول بعضها دون بعض. وكما أن

الذى يبتدأ غصبه اليوم هو الأقل بالإضافة إلى مالا يغصب ولا يسرق ، فهكذا كل مال فى كل عصر ، وفى كل أصل ، فالمغصوب من مال الدنيا والمتناول في كل زمان بالفساد بالإضافة إلى غيره أقل . ولسنا ندرى أن هذا الفرع بعينه من أى القسمين، فلا نسلم أن الغالب تحريمه فإنه كما يزيد المغصوب بالتوالد ، يزيد غير المغصوب بالتوالد ، فيكون فرع الأكثر لامحالة فى كل عصر وزمان أكثر . بل الغالب أن الحبوب المغصوبة تغصب للأكل لاللبذر . وكذا الحيوانات المغصوبة أكثرها يؤكل ولا يقتنى للتوالد. فكيف يقال إن فروع الحرام أكثر ولم تزل أصول الحلال أكثر من أصول الحرام . وليتفهم المسترشد من هذا طريق معرفة الأكثر فانه مزلة قدم : وأكثر العلماء يغلطون فيه فكيف العوام ؟ هذا فى المتولدات من الحيوانات والحبوب

فأما المعادن: فانها مخلاة مسبلة ، يأخذها فى بلاد الترك وغيرها من شاء . ولكن قد يأخذ السلاطين بعضها منهم ، أو يأخذون الأقل لامحالة لاالأكثر. ومن حاز من السلاطين معدنا فظلمه بمنع الناس منه . فأما ما يأخذه الآخذ منه، فيأخذه من السلطان بأجرة. والصحيح أنه يجوز الاستنابة فى إثبات اليد على المباحات والاستئجار عليها . فالمستأجر على الاستقاء إذا حاز الماء دخل فى ملك المستقى له ، واستحق الأجرة . فكذلك النيل . فاذا فرعنا على هذا لم تحرم عين الذهب إلا أن يقدر ظلمه بنقصان أجرة العمل . وذلك قليل بالاضافة . ثم لايوجب تحريم عين الذهب ، بل يكون ظالما ببقاء الأجرة فى ذمته . وأما دار الضرب فليس الذهب الخارج منها من أعيان ذهب السلطان الذى غصبه وظلم به الناس ، بل التجار يحملون إليهم الذهب المسبوك ، أو النقد الردىء ، ويستأجرونهم على السبك والضرب ويأخذون مثل وزن ماسلموه اليهم ، إلا شيئا قليلا يتركونه أجرة لهم على العمل. وذلك جائز. وإن فرض دنانير مضروبة من دنانير السلطان ، فهو بالاضافة إلى مال التجار أقل لامحالة . نعم: السلطان يظلم أجراء دار الضرب ، بأن يأخذ منهم ضريبة ، لأنه خصصهم بها من بين سائر الناس ، حتى توفر عليهم مال بحشمة السلطان ، فما يأخذه السلطان عوض من حشمته وذلك من باب الظلم . وهو قليل بالإضافة إلى مايخرج من دار الضرب . فلا يسلم لأهل دار الضرب والسلطان من جملة مايخرج منه من المائة واحد ، وهو عشر العشير فكيف يكون

هو الأكثر ؟ فهذه أغاليط سبقت إلى القلوب بالوهم ، وتشمر لتزيينها جماعة ممن رق دينهم حتى قبحوا الورع وسدوا بابه، واستقبحوا تمييز من يميز بين مال ومال، وذلك عين البدعة والضلال

فإن قيل: فلو قدر غلبة الحرام ، وقد اختلط غير محصور بغير محصور ، فماذا تقولون فيه إذا لم يكن فى العين المتناولة علامة خاصة ؟

فنقول: الذى نراه أن تركه ورع، وأن أخذه ليس بحرام . لأن الأصل الحل ، ولا يرفع إلا بعلامة معينة ، كما فى طين الشوارع ونظائرها بل أزيد

وأقول: لو طبق الحرام الدنيا ، حتى علم يقينا أنه لم يبق فى الدنيا ، لكنت أقول لنستأنف تمهيد الشروط من وقتنا ، ونعفو عما سلف . ونقول ما جاوز حده انعكس إلى ضده . فمهما حرم الكل حل الكل . وبرهانه أنه إذا وقعت هذه الواقعة ، فالاحتمالات خمسة :

أحدها: أن يقال يدع الناس الأكل حتى يموتوا من عند آخرهم .

الثانى : أن يقتصروا منها على قدر الضرورة وسد الرمق ، يزجون عليها أياما إلى الموت

الثالث: أن يقال يتناولون قدر الحاجة كيف شاءوا، سرقة وغصبا وتراضيا من غير تمييز بين مال ومال وجهة وجهة

الرابع : أن يتبعوا شروط الشرع ويستأنفوا قواعده من غير اقتصار على قدر الحاجة

الخامس: أن يقتصروا مع شروط الشرع على قدر الحاجة

أما الاول: فلا يخفى بطلانه

وأما الثانى: فباطل قطعا ، لإنه إذا اقتصر الناس على سد الرمق ، وزجوا أوقاتهم على الضعف ، فشا فيهم الموتان ، وبطلت الأعمال والصناعات ، وخربت الدنيا بالكلية . وفى خراب الدنيا خراب الدين ، لانها مزرعة الآخرة. وأحكام الخلافة والقضاء والسياسات، بل أكثر أحكام الفقه ، مقصودها حفظ مصالح الدنيا ، ليتم بها مصالح الدين .

وأما الثالث: وهو الاقتصار على قدر الحاجة ، من غير زيادة عليه ، مع التسوية بين مال ومال بالغصب والسرقة والتراضى وكيفما اتفق ، فهو رفع لسد الشرع بين المفسدين وبين أنواع الفساد ، فتمتد الأيدى بالغصب والسرقة وأنواع الظلم ، ولا يمكن زجرهم منه ، إذ يقولون ليس يتميز صاحب اليد باستحقاق عنا ، فإنه حرام عليه وعلينا ، وذو اليد له قدر الحاجة فقط ، فان كان هو محتاجا فانا أيضا محتاجون ، وإن كان الذى أخذته فى حق زائدا على الحاجة فقد سرقته

ممن هو زائد على حاجته يومه . وإذا لم يراع حاجة اليوم والسنة فما الذى نراعى ، وكيف يضبط ، وهذا يؤدى إلى بطلان سياسة الشرع . وإغراء أهل الفساد بالفساد

فلا يبقى إلا الاحتمال الرابع ، وهو أن يقال كل ذى يد على ما فى يده ، وهو أولى به ، لا يجوز أن يؤخذ منه سرقة وغصبا ، بل يؤخذ برضاه . والتراضى هو طريق الشرع ، وإذا لم يجز إلا بالتراضى فالتراضى أيضا منهاج فى الشرع ، تتعلق به المصالح . فان لم يعتبر ، فلم يتعين أصل التراضى وتعطل تفصيله

وأما الاحتمال الخامس ، وهو الاقتصار على قدر الحاجة ، مع الاكتساب بطريق الشرع من أصحاب الأيدى ، فهو الذى نراه لائقا بالورع لمن يريد سلوك طريق الآخرة . ولكن لا وجه لإيجابه على الكافة ، ولا لإدخاله فى فتوى العامة . لان أيدى الظلمة تمتد إلى الزيادة على قدر الحاجة فى أيدى الناس . وكذا أيدى السراق ، وكل من غلب سلب . وكل من وجد فرصة سرق . ويقول لا حق له إلا فى قدر الحاجة ، وأنا محتاج . ولا يبقى إلا أن يجب على السلطان أن يخرج كل زيادة على قدر الحاجة من أيدى الملاك ، ويستوعب بها أهل الحاجة ، ويدرّ على الكل الأموال يوما فيوما ، أو سنة فسنة ، وفيه تكليف شطط وتضييع أموال

أما تكليف الشطط : فهو أن السلطان لا يقدر على القيام بهذا مع كثرة الخلق . بل لا يتصور ذلك أصلا .

وأما التضييع : فهو أن ما فضل عن الحاجة من الفواكه واللحوم والحبوب ينبغى أن يلقى فى البحر ، أو يترك حتى يتعفن . فإن الذى خلقه الله من الفواكه والحبوب زائد على قدر توسع الخلق وترفههم ، فكيف على قدر حاجتهم

ثم يؤدى ذلك إلى سقوط الحج والزكاة والكفارات المالية ، وكل عبادة نيطت بالغنى عن الناس إذا أصبح الناس لا يملكون إلا قدر حاجتهم . وهو فى غاية القبح . بل أقول لو ورد نبى فى مثل هذا الزمان لوجب عليه أن يستأنف الأمر ، ويمهد تفصيل أسباب الاملاك بالتراضى وسائر الطرق ، ويفعل ما يفعله لو وجد جميع الأموال حلالا من غير فرق وأعنى بقولى يجب عليه ، إذا كان النبى ممن بعث لمصلحة الخلق فى دينهم ودنياهم . إذ لا يتم الصلاح برد الكافة إلى قدر الضرورة والحاجة إليه . فإن لم يبعث للصلاح لم يجب هذا .

ونحن نجوّز أن يقدر الله سببا يهلك به الخلق عن آخرهم ،فيفوت دنياهم ، ويضلون فى دينهم فإنه يضل من يشاء ، ويهدى من يشاء ، ويميت من يشاء ، ويحيي من يشاء . ولكنا نقدر الأمر جاريا على ما ألف من سنة الله تعالى فى بعثة الانبياء لصلاح الدين والدنيا

ومالى أقدر هذا وقد كان ما أقدره ، فلقد بعث الله نبينا صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل ، وكان شرع عيسى عليه السلام قد مضى عليه قريب من ستمائة سنة، والناس منقسمون إلى مكذبين له من اليهود وعبدة الأوثان ، وإلى مصدقين له قد شاع الفسق فيهم كما شاع فى زماننا الآن . والكفار مخاطبون بفروع الشريعة ، والاموال كانت في أيدى المكذبين له والمصدقين. أما المكذبون فكانوا يتعاملون بغير شرع عيسى عليه السلام . وأما المصدقون فكانوا يتساهلون مع أصل التصديق ، كما يتساهل الآن المسلمون ، مع أن العهد بالنبوة أقرب . فكانت الأموال كلها أو أكثرها أو كثير منها حراما . وعفا صلى الله عليه وسلم عما سلف ، ولم يتعرض له ، وخصص أصحاب الايدى بالاموال ، ومهد الشرع . وما ثبت تحريمه فى شرع لا ينقلب حلالا لبعثة رسول. ولا ينقلب حلالا بأن يسلم الذى فى يده الحرام فإنا لا نأخذ فى الجزية من أهل الذمة ما نعرفه بعينه أنه ثمن خمر أو مال ربا . فقد كانت أموالهم فى ذلك الزمان كأموالنا الآن . وأمر العرب كان أشد ، لعموم النهب والغارة فيهم .

فبان أن الاحتمال الرابع متعين فى الفتوى . والاحتمال الخامس هو طريق الورع . بل تمام الورع الاقتصار في المباح على قدر الحاجة ، وترك التوسع فى الدنيا بالكلية . وذلك طريق الآخرة . ونحن الآن نتكلم فى الفقه المنوط بمصالح الخلق . وفتوى الظاهر له حكم ومنهاج على حسب مقتضى المصالح . وطريق الدين لا يقدر على سلوكه إلا الآحاد ، ولو اشتغل الخلق كلهم به لبطل النظام ، وخرب العالم ، فإن ذلك طلب ملك كبير فى الآخرة . ولو اشتغل كل الخلق بطلب ملك الدنيا ، وتركوا الحرف الدنيئة، والصناعات الخسيسات، لبطل النظام . ثم يبطل ببطلانه الملك أيضا . فالمحترفون انما سخروا لينتظم الملك للملوك . وكذلك المقبلون على الدنيا سخروا ليسلم طريق الدين لذوى الدين ، وهو ملك الآخرة . ولولاه لما سلم لذوى الدين أيضا دينهم . فشرط سلامة الدين لهم أن يعرض الاكثرون

عن طريقهم، ويشتغلوا بأمور الدنيا . وذلك قسمة سبقت بها المشيئة الأزلية . واليه الاشارة بقوله تعالى (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً [1])

فإن قيل: لاحاجة إلى تقدير عموم التحريم حتى لايبقى حلال ، فإن ذلك غير واقع . وهو معلوم . ولا شك فى أن البعض حرام . وذلك البعض هو الاقل أو الاكثر فيه نظر . وما ذكرتموه من أنه الاقل بالإضافة إلى الكل جلى . ولكن لابد من دليل محصل على تجويزه ليس من المصالح المرسلة . وما ذكرتموه من التقسيمات كلها مصالح مرسلة ، فلا بد لها من شاهد معين تقاس عليه ، حتى يكون الدليل مقبولا بالاتفاق ، فإن بعض العلماء لايقبل المصالح المرسلة .

فأقول: إن سلم أن الحرام هو الاقل ، فيكفينا برهانا عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة ، مع وجود الربا والسرقة والغلول والنهب . وان قدر زمان يكون الاكثر هو الحرام ، فيحل التناول أيضا ، فبرهانه ثلاثة أمور

الأول : التقسيم الذى حصرناه ، وأبطلنا منه أربعة ، وأثبتنا القسم الخامس . فان ذلك إذا أجرى فيما إذا كان الكل حراما ، كان أحرى فيما إذا كان الحرام هو الأكثر أو الأقل وقول القائل هو مصلحة مرسلة هوس . فإن ذلك إنما تخيل من تخيله فى أمور مظنونة ، وهذا مقطوع به . فإنا لا نشك فى أن مصلحة الدين والدنيا مراد الشرع ، وهو معلوم بالضرورة ، وليس بمظنون . ولا شك فى أن رد كافة الناس إلى قدر الضرورة أو الحاجة ، أو الى الحشيش والصيد ، مخرب للدنيا أولا ، وللدين بواسطة الدنيا ثانيا . فما لا يشك فيه لايحتاج إلى أصل يشهد له ، وإنما يستشهد على الخيالات المظنونة المتعلقة بأحاد الأشخاص

البرهان الثانى : أن يعلل بقياس محرر ، مردود الى أصل يتفق الفقهاء الآنسون بالأقيسة الجزئية عليه . وإن كانت الجزئيات مستحقرة عند المحصلين ، بالاضافة إلى مثل ما ذكرناه من الأمر الكلى ، الذى هو ضرورة النبى لو بعث فى زمان عم التحريم فيه ، حتى لو حكم بغيره لخرب العالم

(١) الزخرف : ٣١

والقياس المحرر الجزئى : هو أنه قد تعارض أصل وغالب، فيما انقطعت فيه العلامات المعينة من الأمور التى ليست محصورة ، فيحكم بالأصل لا بالغالب ، قياسا على طين الشوارع وجرة النصرانيـة ، وأوانى المشركين . وذلك قد أثبتناه من قبل بفعـل الصحابة . وقولنا انقطعت العلامات المعينة ، احتراز عن الأوانى التى يتطرق الاجتهاد إليها، وقولنا ليست محصورة ، احتراز عن التباس الميتة والرضيعة بالذكية والأجنبية

فإن قيل: كون الماء طهورا مستيقن ، وهو الأصل . ومن يسلم أن الأصل فى الأموال الحل ؟ بل الأصل فيها التحريم

فنقول: الأمور التى لا تحرم لصفة فى عينها حرمة الخمر والخنزير ، خلقت على صفة تستعد لقبول المعاملات بالتراضى ، كما خلق الماء مستعدا للوضوء وقد وقع الشك فى بطلان هذا الاستعداد منهما ، فلا فرق بين الأمرين ،فإنها تخرج عن قبول المعاملة بالتراضى بدخول الظلم عليها ، كما يخرج الماء عن قبول الوضوء بدخول النجاسة عليه . ولا فرق بين الأمرين

والجواب الثانى: أن اليد دلالة ظاهرة دالة على الملك ، نازلة منزلة الاستصحاب وأقوى منه بدليل أن الشرع ألحقه به ، إذ من ادعى عليه دين فالقول قوله ، لأن الأصل براءة ذمته ، وهذا استصحاب ومن ادعى عليه ملك فى يده فالقول أيضا قوله ، اقامة لليد مقام الاستصحاب . فكل ما وجد فى يد إنسان فالأصل أنه ملكه ، ما لم يدل على خلافه علامة معينة

البرهان الثالث : هو أن كل ما دل على جنس لا يحصر ولا يدل على معين ، لم يعتبر وإن كان قطعاً . فبأن لا يعتبر إذا دل بطريق الظن أولى . وبيانه: أن ما علم أنه ملك زيد ، فحقه يمنع من التصرف فيه بغير إذنه . ولو علم أن له مالكا فى العالم ، ولكن وقع اليأس عن الوقوف عليه وعلى وارثه ، فهو مال مرصد لمصالح المسلمين ، يجوز التصرف فيه بحكم المصلحة . ولو دل على أن له مالكا محصوراً فى عشرة مثلا أو عشرين ، امتنع التصرف فيه بحكم المصلحة . فالذى يشك فى أن له مالكا سوى صاحب اليد أم لا ، لا يزيد على الذى يتيقن قطعا أن له مالكا ولكن لا يعرف عينه ، فليجز التصرف فيه بالمصلحة ، والمصلحة ما ذكرناه فى الأقسام الخمسة . فيكون هذا الأصل شاهدا له . وكيف لا: وكل مال ضائع فقد مالكه يصرفه السلطان إلى المصالح ، ومن المصالح الفقراء وغيرهم ، فلو صرف إلى فقير ملكه ، ونفذ فيه

تصرفه ، فلو سرقه منه سارق قطعت يده . فكيف نفذ تصرفه فى ملك الغير ، ليس ذلك إلا لحكمنا بأن المصلحة تقتضى أن ينتقل الملك اليه ، ويحل له ، فقضينا بموجب المصلحة

فإن قيل: ذلك يختص بالتصرف فيه السلطان ، فنقول: والسلطان لم يجوّز له التصرف فى ملك غيره بغير إذنه ، لاسبب له إلا المصلحة ، وهو أنه لو ترك لضاع ، فهو مردد بين تضييعه وصرفه إلى مهم . والصرف إلى مهم أصلح من التضييع ، فرجع عليه . والمصلحة فيما يشك فيه ، ولا يعلم تحريمه ، أن يحكم فيه بدلالة اليد ، ويترك على أرباب الأيدى . إذ انتزاعها بالشك وتكليفهم الاقتصار على الحاجة ، يؤدى إلى الضرر الذى ذكرناه . وجهات المصلحة تختلف ، فإن السلطان تارة يرى أن المصلحة أن يبنى بذلك المال قنطرة ، وتارة أن يصرفه إلى جند الاسلام ، وتارة الى الفقراء ، ويدور مع المصلحة كيفما دارت . وكذلك الفتوى فى مثل هذا تدور على المصلحة . وقد خرج من هذا أن الخلق غير مأخوذين فى أعيان الأموال بظنون لاتستند إلى خصوص دلالة فى ملك الأعيان ، كما لم يؤاخذ السلطان والفقراء الآخذون منه بعلمهم أن المال له مالك ، حيث لم يتعلق العلم بعين مالك مشار إليه ، ولا فرق بين عين المالك وبين عين الأملاك فى هذا المعنى

فهذا بيان شبهة الاختلاط . ولم يبق إلا النظر فى امتزاج المائعات والدراهم والعروض فى يد مالك واحد . وسيأتى بيانه فى باب تفصيل طريق الخروج من المظالم

المثار الثالث للشبهة

أن يتصل بالسبب المحلل معصية

إما فى قرائنه ، وإما فى لواحقه ، وإما فى سوابقه أو فى عوضه ، وكانت من المعاصى التى لاتوجب فساد العقد ، وابطال السبب المحلل

مثال المعصية فى القرائن: البيع فى وقت النداء يوم الجمعة ، والذبح بالسكين المغصوبة والاحتطاب بالقدوم المغصوب ، والبيع على بيع الغير ، والسوم على سومه . فكل نهى ورد فى العقود ولم يدل على فساد العقد ، فإن الامتناع من جميع ذلك ورع ، وإن لم يكن المستفاد بهذه الأسباب محكوما بتحريمه . وتسمية هذا النمط شبهة فيه تسامح . لأن الشبهة فى غالب الأمر

تطلق لإرادة الاشتباه والجهل ، ولا اشتباه ههنا ، بل العصيان بالذبح بسكين الغير معلوم ، وحل الذبيحة أيضا معلوم . ولكن قد تشتق الشبهة من المشابهة ، وتناول الحاصل من هذه الأمور مكروه ، والكراهة تشبه التحريم . فإن أريد بالشبهة هذا ، فتسمية هذا شبهة له وجه . وإلا فينبغي أن يسمى هذا كراهة لاشبهة . وإذا عرف المعنى فلا مشاحة في الأسامي فعادة الفقهاء التسامح في الإطلاقات.

ثم اعلم أن هذه الكراهة لها ثلاث درجات : الاولى منها تقرب من الحرام ، والورع عنه مهم . والأخيرة تنتهي إلى نوع من المبالغة ، تكاد تلتحق بورع الموسوسين . وبينهما أوساط نازعة إلى الطرفين . فالكراهة في صيد كلب مغصوب أشد منها في الذبيحة بسكين مغصوب ، أو المقتنص بسهم مغصوب . إذ الكلب له اختيار . وقد اختلف في أن الحاصل به لمالك الكلب أو للصياد . ويليه شبهة البذر المزروع في الأرض المغصوبة . فإن الزرع لمالك البذر ، ولكن فيه شبهة ، ولو أثبتنا حق الحبس لمالك الارض في الزرع لكان كالثمن الحرام ولكن الأقيس أن لا يثبت حق حبس ، كما لو طحن بطاحونة مغصوبة واقتنص بشبكة مغصوبة ، إذ لا يتعلق حق صاحب الشبكة في منفعتها بالصيد ، ويليه الاحتطاب بالقدوم المغصوب ، ثم ذبحه ملك نفسه بالسكين المغصوب ، إذ لم يذهب أحد إلى تحريم الذبيحة ، ويليه البيع في وقت النداء ، فإنه ضعيف التعلق بمقصود العقد ، وإن ذهب قوم إلى فساد العقد ، إذ ليس فيه إلا أنه اشتغل بالبيع عن واجب آخر كان عليه . ولو أفسد البيع بمثله ، لأفسد بيع كل من عليه درهم زكاة ، أو صلاة فائتة وجوبها على الفور ، أو في ذمته مظلمة دانق فإن الاشتغال بالبيع مانع له عن القيام بالواجبات فليس للجمعة إلا الوجوب بعد النداء ، وينجر ذلك إلى أن لا يصح نكاح أولاد الظلمة ، وكل من في ذمته درهم ، لأنه اشتغل بقوله عن الفعل الواجب عليه ، إلا أنه من حيث ورد في يوم الجمعة نهي على الخصوص ربما سبق إلى الأفهام خصوصية فيه فتكون الكراهة أشد ، ولا بأس بالحذر منه ولكن قد ينجر إلى الوسواس ، حتى يتحرج عن نكاح بنات أرباب المظالم ، وسائر معاملاتهم

وقد حكي عن بعضهم أنه اشترى شيئا من رجل ، فسمع أنه اشتراه يوم الجمعة ، فرده خيفة أن يكون ذلك مما اشتراه وقت النداء . وهذا غاية المبالغة ، لأنه رد بالشك . ومثل هذا

الوهم فى تقدير المناهى أو المفسدات ، لاينقطع عن يوم السبت وسائر الأيام . والورع حسن والمبالغة فيه أحسن ، ولكن إلى حد معلوم . فقد قال صلى الله عليه وسلم[1] «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» فليحذر من أمثال هذه المبالغات ، فإنها وإن كانت لاتضر صاحبها ، ربما أوهم عند الغير أن مثل ذلك مهم ، ثم يعجز عما هو أيسر منه ، فيترك أصل الورع ، وهو مستند أكثر الناس فى زماننا هذا ، إذ ضيق عليهم الطريق ، فأيسوا عن القيام به ، فأطرحوه . فكما أن الموسوس فى الطهارة قد يعجز عن الطهارة فيتركها ، فكذا بعض الموسوسين فى الحلال ، سبق إلى أوهامهم أن مال الدنيا كله حرام ، فتوسعوا ، فتركوا التمييز وهو عين الضلال

وأما مثال اللواحق : فهو كل تصرف يفضى فى سياقه إلى معصية . وأعلاه بيع العنب من الخمار ، وبيع الغلام من المعروف بالفجور بالغلمان ، وبيع السيف من قطاع الطريق وقد اختلف العلماء فى صحة ذلك ، وفى حل الثمن المأخوذ منه والأقيس أن ذلك صحيح . والمأخوذ حلال . والرجل عاص بعقده ، كما يعصى بالذبح بالسكين المغصوب ، والذبيحة حلال ولكنه يعصى عصيان الإعانة على المعصية إذ لا يتعلق ذلك بعين العقد . فالمأخوذ من هذا مكروه كراهية شديدة ، وتركه من الورع المهم ، وليس بحرام . ويليه فى الرتبة بيع العنب ممن يشرب الخمر ولم يكن خمارا وبيع السيف ممن يغزو ويظلم أيضا . لأن الاحتمال قد تعارض . وقد كره السلف بيع السيف فى وقت الفتنة ، خيفة أن يشتريه ظالم . فهذا ورع فوق الأول ، والكراهية فيه أخف . ويليه ماهو مبالغة ، ويكاد يلتحق بالوسواس ، وهو قول جماعة أنه لا تجوز معاملة الفلاحين بآلات الحرث ، لأنهم يستعينون بها على الحراثة ، ويبيعون الطعام من الظلمة ، ولا يباع منهم البقر والفدان وآلات الحرث ، وهذا ورع الوسوسة ، إذ ينجر إلى أن لا يباع من الفلاح طعام ، لأنه يتقوى به على الحراثة . ولا يسقى من الماء العام لذلك . وينتهى هذا إلى حد التنطع المنهى عنه وكل متوجه إلى شىء على قصد خير لابد وأن يسرف ، إن لم يذمه العلم المحقق . وربما يقدم على ما يكون بدعة فى الدين ، ليستضر الناس بعده بها ، وهو يظن أنه مشغول بالخير . ولهذا قال صلى الله عليه وسلم[2] «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِي» والمتنطعون

(١) حديث هلك المتنطعون : مسلم من حديث ابن مسعود وتقدم فى قواعد العقائد .

(٢) حديث فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى : تقدم فى العلم

هم الذين يخشى عليهم أن يكونوا ممن قيل فيهم (الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١))

وبالجملة لا ينبغي للإنسان أن يشتغل بدقائق الورع إلا بحضرة عالم متقن. فإنه إذا جاوز ما رسم له، وتصرف بذهنه من غير سماع، كان ما يفسده أكثر مما يصلحه. وقد روى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أنه أحرق كرمه خوفا من أن يباع العنب ممن يتخذه خمرا وهذا لا أعرف له وجها، إن لم يعرف هو سببا خاصا يوجب الإحراق، إذ ما أحرق كرمه ونخله من كان أرفع قدرا منه من الصحابة. ولو جاز هذا لجاز قطع الذكر خيفة من الزنا وقطع اللسان خيفة من الكذب، إلى غير ذلك من الإتلافات

وأما المقدمات. فلتطرق المعصية اليها ثلاث درجات:

الدرجة العليا التي تشتد الكراهة فيها، ما بقي أثره في المتناول كالأكل من شاة علفت بعلف مغصوب، أو رعت في مرعى حرام. فإن ذلك معصية، وقد كان سببا لبقائها، وربما يكون الباقي من دمها ولحمها وأجزائها من ذلك العلف. وهذا الورع مهم وإن لم يكن واجبا ونقل ذلك عن جماعة من السلف. وكان لأبي عبد الله الطوسي التروغندي شاة يحملها على رقبته كل يوم إلى الصحراء، ويرعاها وهو يصلي، وكان يأكل من لبنها، فغفل عنها ساعة فتناولت من ورق كرم على طرف بستان، فتركها في البستان ولم يستحل أخذها.

فإن قيل: فقد روى عن عبد الله بن عمر، وعبيد الله، أنهما اشتريا إبلا، فبعثاها إلى الحمى، فرعته إبلهما حتى سمنت، فقال عمر رضي الله عنه، أرعيتماها في الحمى؟ فقالا نعم. فشاطرهما فهذا يدل على أنه رأى اللحم الحاصل من العلف لصاحب العلف، فليوجب هذا تحريما؟ قلنا: ليس كذلك. فإن العلف يفسد بالأكل، واللحم خلق جديد، وليس عين العلف. فلا شركة لصاحب العلف شرعا. ولكن عمر غرمهما قيمة الكلأ، ورأى ذلك مثل شطر الابل فأخذ الشطر بالاجتهاد، كما شاطر سعد بن أبي وقاص ماله لما أن قدم من الكوفة وكذلك شاطر أبا هريرة رضي الله عنه، إذ رأى أن كل ذلك لا يستحقه العامل، ورأى شطر ذلك كافيا على حق عملهم، وقدره بالشطر اجتهادا

---

(١) الكهف: ١٠٤

الرتبة الوسطى : مانقل عن بشر بن الحارث، من امتناعه عن الماء المساق فى نهر احتفره الظلمة . لأن النهر موصل اليه ، وقد عصى الله بحفره . وامتنع آخر عن عنب كرم يسقى بماء يجرى فى نهر حفر ظلما ، وهو أرفع منه وأبلغ فى الورع . وامتنع آخر من الشرب من مصانع السلاطين فى الطرق . وأعلى من ذلك امتناع ذى النون من طعام حلال أوصل اليه على يد سجان ، وقوله أنه جاءنى على يد ظالم . ودرجات هذه الرتب لاتنحصر

الرتبة الثالثة : وهى قريب من الوسواس والمبالغة ، أن يمتنع من حلال وصل على يد رجل عصى الله بالزنا أو القذف ، وليس هو كما لو عصى بأكل الحرام ، فان الموصل قوته الحاصلة من الغذاء الحرام ، والزنا والقذف لايوجب قوة يستعان بها على الحمل . بل الامتناع من أخذ حلال وصل على يد كافر وسواس ، بخلاف أكل الحرام . إذ الكفر لايتعلق بحمل الطعام . وينجر هذا إلى أن لايؤخذ من يد من عصى الله ولو بغيبة أو كذبة ، وهو غاية التنطع والإسراف . فليضبط ماعرف من ورع ذى النون وبشر ، بالمعصية فى السبب الموصل ، كالنهر وقوة اليد المستفادة بالغذاء الحرام . ولو امتنع عن الشرب بالكوز ، لأن صانع الفخار الذى عمل الكوز كان قد عصى الله يوما بضرب إنسان أو شتمه ، لكان هذا وسواسا . ولو امتنع من لحم شاة ساقها آكل حرام ، فهذا أبعد من يد السجان ، لأن الطعام يسوقه قوة السجان ، والشاة تمشى بنفسها ، والسائق يمنعها عن العدول فى الطريق فقط . فهذا قريب من الوسواس . فانظر كيف تدرجنا فى بيان ماتتداعى إليه هذه الأمور

واعلم أن كل هذا خارج عن فتوى علماء الظاهر . فإن فتوى الفقيه تختص بالدرجة الأولى التى يمكن تكليف عامة الخلق بها ، ولو اجتمعوا عليه لم يخرب العالم ، دون ماعداه من ورع المتقين والصالحين . والفتوى فى هذا ماقاله صلى الله عليه وسلم لوابصة ، إذ قال « اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَوْكَ وَأَفْتَوْكَ وَأَفْتَوْكَ » وعرف إذ قال[1] « الْإِثْمُ حَزَّازُ الْقُلُوبِ » وكل ماحاك فى صدر المريد من هذه الأسباب ، فلو أقدم عليه مع حزازة القلب استضر به وأظلم قلبه بقدر الحزازة التى يجدها . بل لو أقدم على حرام فى علم الله ، وهو يظن أنه حلال ، لم يؤثر ذلك فى قساوة قلبه ولو أقدم على ماهو حلال فى فتوى علماء الظاهر ، ولكنه يجد حزازة فى قلبه ، فذلك يضره

---

(١) حديث الاثم حزاز القلوب : تقدم فى العلم .

وانما الذى ذكرناه فى النهي عن المبالغة ، أردنا به أن القلب الصافى المعتدل هو الذى لايجد حزازة فى مثل تلك الأمور . فإن مال قلب موسوس عن الاعتدال ، ووجد الحزازة فأقدم مع مايجد فى قلبه ، فذلك يضره . لأنه مأخوذ فى حق نفسه بينه وبين الله تعالى بفتوى قلبه . وكذلك يشدد على الموسوس فى الطهارة ونية الصلاة . فإنه إذا غلب على قلبه أن الماء لم يصل إلى جميع أجزائه بثلاث مرات ، لغلبة الوسوسة عليه : فيجب عليه أن يستعمل الرابعة وصار ذلك حكما فى حقه ، وإن كان مخطئا فى نفسه . أولئك قوم شددوا فشدد الله عليهم ولذلك شدد على قوم موسى عليه السلام ، لما استقصوا فى السؤال عن البقرة . ولو أخذوا أولا بعموم لفظ البقرة ، وكل ما ينطق عليه الاسم ، لأجزأهم ذلك . فلا تغفل عن هذه الدقائق التي رددناها نفيا وإثباتا ، فإن من لايطلع على كنه الكلام ولا يحيط بجامعه يوشك أن يزل فى درك مقاصده .

وأما المعصية فى العوض فله أيضا درجات :ــ

الدرجة العليا : التى تشتد الكراهة فيها ، أن يشترى شيئا فى الذمة ، ويقضى ثمنه من غصب أو مال حرام . فينظر ، فإن سلم إليه البائع الطعام قبل قبض الثمن بطيب قلبه ، فأكله قبل قضاء الثمن ، فهو حلال ، وتركه ليس بواجب بالإجماع ، أعنى قبل قضاء الثمن . ولا هو أيضا من الورع المؤكد . فإن قضى الثمن بعد الأكل من الحرام ، فكأنه لم يقض الثمن . ولو لم يقضه أصلا ، لكان متقلدا للمظلمة بترك ذمته مرتهنة بالدين ، ولا ينقلب ذلك حراما . فإن قضى الثمن من الحرام ، وأبرأه البائع مع العلم بأنه حرام ، فقد برئت ذمته . ولم يبق عليه إلا مظلمة تصرفه فى الدراهم الحرام بصرفها إلى البائع . وإن أبرأه على ظن أن الثمن حلال ، فلا تحصل البراءة ، لأنه يبرئه مما أخذه ابراء استيفاء ، ولا يصلح ذلك للايفاء . هذا حكم المشترى والأكل منه وحكم الذمة

وإن لم يسلم اليه بطيب قلب ، ولكن أخذه ، فأكله حرام ، سواء أكله قبل توفية الثمن من الحرام أو بعده . لأن الذى تومىء الفتوى به ثبوت حق الحبس للبائع ، حتى يتعين ملكه بإقباض النقد ، كما تعين ملك المشترى . وإنما يبطل حق حبسه ، اما بالإبراء أو الاستيفاء ، ولم يجر شىء منهما . ولكنه أكل ملك نفسه ، وهو عاص به عصيان الراهن

للطعام إذا أكله بغير إذن المرتهن . وبينه وبين أكل طعام الغير فرق : ولكن أصل التحريم شامل هذا كله ، إذا قبض قبل توفية الثمن، إما بطيبة قلب البائع أو من غير طيبة قلبه .

فأما اذا وفى الثمن الحرام أولا ثم قبض ، فإن كان البائع عالما بأن الثمن حرام ، ومع هذا أقبض المبيع ، بطل حق حبسه ، وبقى له الثمن فى ذمته ، اذ ما أخذه ليس بثمن ، ولا يصير أكل المبيع حراما بسبب بقاء الثمن . فأما إذا لم يعلم أنه حرام، وكان بحيث لو علم لما رضى به، ولا أقبض المبيع ، فحق حبسه لا يبطل بهذا التلبيس . فأكله حرام تحريم أكله المرهون، إلى أن يبرئه، أو يوفى من حلال، أو يرضى هو بالحرام ويبرىء، فيصح إبراؤه، ولا يصح رضاه بالحرام.

فهذا مقتضى الفقه وبيان الحكم فى الدرجة الأولى من الحل والحرمة ، فأما الامتناع عنه فمن الورع المهم ، لأن المعصية إذا تمكنت من السبب الموصل إلى الشىء تشتد الكراهة فيه كما سبق . وأقوى الأسباب الموصلة الثمن . ولولا الثمن الحرام لما رضى البائع بتسليمه اليه . فرضاه لا يخرجه عن كونه مكروها كراهية شديدة . ولكن العدالة لا تنخرم به . وتزول به درجة التقوى والورع . ولو اشترى سلطان مثلا ثوبا أو أرضا فى الذمة وقبضه برضا البائع قبل توفية الثمن ، وسلمه إلى فقيه أو غيره صلة أو خلعة . وهو شاك فى أنه سيقضى ثمنه من الحلال أو الحرام ، فهذا أخلف . إذ وقع الشك فى تطرق المعصية إلى الثمن ، وتفاوت خفته بتفاوت كثرة الحرام وقلته فى مال ذلك السلطان ، وما يغلب على الظن فيه ، وبعضه أشد من بعض ، والرجوع فيه إلى ما ينقدح فى القلب

الرتبة الوسطى: أن لا يكون العوض غصبا ولا حراما ، ولكن يتهيأ لمعصية . كما لو سلم عوضا عن الثمن عنبا ، والآخذ شارب الخمر . أو سيفا ، وهو قاطع طريق . فهذا لا يوجب تحريما في مبيع اشتراه فى الذمة ، ولكن يقتضى فيه كراهية دون الكراهية التى فى الغصب. وتفاوت درجات هذه الرتبة أيضا ، بتفاوت غلبة المعصية على قابض الثمن وندوره . ومهما كان العوض حراما ، فبذله حرام . وإن احتمل تحرعه ولكن أبيح بظن ، فبذله مكروه . وعليه ينزل عندى (١) النهى عن كسب الحجام وكراهته .

---

(١) حديث النهي عن كسب الحجام وكراهته: ابن ماجه من حديث أبى مسعود الأنصارى والنسائى من حديث أبى هريرة باسنادين صحيحين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كسب الحجام وللبخارى من حديث أبى جحيفة نهى عن ثمن الدم ولمسلم من حديث رافع بن خديج كسب الحجام خبيث

إذ نهى عنه عليه السلام[1] مرات ، ثم أمر بأن يعلف الناضح. وما سبق إلى الوهم من أن سببه مباشرة النجاسة والقذر فاسد . إذ يجب طرده فى الدباغ والكناس ، ولا قائل به. وإن قيل به، فلا يمكن طرده فى القصاب . إذ كيف يكون كسبه مكروها وهو بدل عن اللحم ، واللحم فى نفسه غير مكروه . ومخامرة القصاب النجاسة أكثر منه للحجام والفصاد . فإن الحجام يأخذ الدم بالمحجمة ، ويمسحه بالقطنة . ولكن السبب أن فى الحجامة والفصد تخريب بنية الحيوان وإخراجا لدمه وبه قوام حياته . والأصل فيه التحريم . وإنما يحل بضرورة ، وتعلم الحاجة والضرورة بحدس واجتهاد . وربما يظن نافعا ويكون ضارا ، فيكون حراما عند الله تعالى ولكن يحكم بحله بالظن والحدس . ولذلك لا يجوز للفصاد فصد صبي وعبد ومعتوه ، إلا بإذن وليه وقول طبيب . ولولا أنه حلال فى الظاهر لما أعطى عليه السلام[2] أجرة الحجام . ولولا أنه يحتمل التحريم لما نهي عنه ، فلا يمكن الجمع بين إعطائه ونهيه إلا باستنباط هذا المعنى وهذا كان ينبغى أن نذكره فى القرائن المقرونة بالسبب ، فإنه أقرب إليه

الرتبة السفلى: وهى درجة الموسوسين . وذلك أن يحلف إنسان على أن لا يلبس من غزل أمه ، فباع غزلها ، واشترى به ثوبا . فهذا لا كراهية فيه ، والورع عنه وسوسة . وروى عن المغيرة أنه قال فى هذه الواقعة لا يجوز . واستشهد بأن النبي صلى الله عليه وسلم[3] قال « لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الْخُمُورُ فَبَاعُوهَا وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا » وهذا غلط ، لأن بيع الخمور باطل . إذ لم يبق للخمر منفعة فى الشرع. وثمن البيع الباطل حرام. وليس هذا من ذلك

---

(١) حديث نهى عنه مرات ثم أمر بأن يعلف الناضح: أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث محيصة أنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم فى إجارة الحجام فنهاه عنها فلم يزل يسأل ويستأذن حتى قال أعلفه ناضحك وأطعمه رقيقك وفى رواية لأحمد أنه زجره عن كسبه فقال ألا أطعمه أيتاما لى قال لا قال أفلا أتصدق به قال لا فرخص له أن يعلفه ناضحه

(٢) حديث أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أجرة الحجام: متفق عليه من حديث ابن عباس

(٣) حديث المغيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن اليهود إذ حرمت عليهم الخمور فباعوها لم أجده هكذا والمعروف أن ذلك فى الشحوم ففي الصحيحين من حديث جابر قاتل الله اليهود إن الله لما حرم عليهم شحومها جملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه

بل مثال هـذا أن يملك الرجـل جارية هى أختـه من الرضاع ، فتباع بجارية أجنبيـة . فليس لأحـد أن يتورع منه . وتشبيه ذلك ببيع الخمر غاية السرف فى هذا الطرف . وقد عرفنا جميع الدرجات وكيفية التدريج فيها ، وإن كان تفاوت هذه الدرجات لا ينحصر فى ثلاث أو أربع ولا فى عدد ، ولـكن المقصود من التعديد التقريب والتفهيم

فإن قيل: فقد قال صلى الله عليه وسلم [1] « مَنِ اشْتَرَى ثَوْبًا بِعَشَرَةِ دَرَاهِمَ فِيهَا دِرْهَمٌ حَرَامٌ لَمْ يَقْبَلِ اللهُ لَهُ صَلَاةً مَا كَانَ عَلَيْهِ » ثم أدخل ابن عمر أصبعيه فى أذنيـه ، وقال صمتا إن لم أكن سمعته منه ، قلنا ذلك محمول على ما لو اشترى بعشرة بعينها لا فى الذمة . وإذا اشترى فى الذمة ، فقد حكمنا بالتحريم فى أكثر الصور فليحمل عليها ، ثم كم من ملك يتوعد عليه بمنع قبول الصلاة لمعصية تطرقت إلى سببه ، وإن لم يدل ذلك على فساد العقـد كالمشترى فى وقت النداء وغيره .

المثار الرابع

الاختلاف فى الأدلة

فان ذلك كالاختلاف فى السبب ، لأن السبب سبب لحكم الحل والحرمة ، والدليل سبب لمعرفة الحل والحرمة . فهو سبب فى حق المعرفة . وما لم يثبت فى معرفة الغير ، فلا فائدة لثبوته فى نفسه وإن جرى سببه فى علم الله

وهو إما أن يكون لتعارض أدلة الشرع ، أو لتعارض العلامات الدالة ، أو لتعارض التشابه

القسم الاول : أن تتعارض أدلة الشرع ، مثـل تعارض عمومين من القرءان أو السنة أو تعارض قياسين ، أو تعارض قياس وعموم . وكل ذلك يورث الشك ، ويرجع فيه إلى الاستصحاب ، أو الأصل المعلوم قبله إن لم يكن ترجيح . فان ظهر ترجيح فى جانب الحظر وجب الأخذ به . وإن ظهر فى جانب الحل جاز الأخذ به ، ولـكن الورع تركه ، واتقاء مواضع الخلاف مهم فى الورع فى حق المفتى والمقلد . وإن كان المقلد يجوز له أن يأخذ بما أفتى له مقلده ،

---

(١) حديث من اشترى ثوبا بعشرة دراهم : الحديث تقدم فى الباب قبله

الذى يظن أنه أفضل علماء بلده ، ويعرف ذلك بالتسامع ، كما يعرف أفضل أطباء البلد بالتسامع والقرائن ، وإن كان لا يحسن الطب . وليس للمستفتى أن ينتقد من المذاهب أوسعها عليه ، بل عليه أن يبحث حتى يغلب على ظنه الأفضل . ثم يتبعه فلا يخالفه أصلا . نعم : إن أفتى له إمامه بشىء ولإمامه فيه مخالف ، فالفرار من الخلاف إلى الاجماع من الورع المؤكد . وكذا المجتهد إذا تعارضت عنده الأدلة ، ورجح جانب الحل بحدس وتخمين وظن فالورع له الاجتناب فلقد كان المفتون يفتون بحل أشياء لا يقدمون عليها قط ، تورعا منها وحذرا من الشبهة فيها . فلنقسم هذا أيضا على ثلاث مراتب

الرتبة الأولى : ما يتأكد الاستحباب فى التورع عنه ، وهو ما يقوى فيه دليل المخالف ويدق وجه ترجيح المذهب الآخر عليه . فمن المهمات التورع عن فريسة الكلب المعلم إذا أكل منها وإن أفتى المفتى بأنه حلال . لأن الترجيح فيه غامض . وقد اخترنا أن ذلك حرام وهو أقيس قولى الشافعى رحمه الله . ومهما وجد للشافعى قول جديد موافق لمذهب أبى حنيفة رحمه الله ، أو غيره من الأئمة كان الورع فيه مهما ، وإن أفتى المفتى بالقول الآخر

ومن ذلك الورعُ عن متروك التسمية ، وإن لم يختلف فيه قول الشافعى رحمه الله ، لأن الآية ظاهرة فى إيجابها ، والأخبار متواترة فيه . فانه صلى الله عليه وسلم قال لكل من سأله عن الصيد [1] « إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ الْمُعَلَّمَ وَذَكَرْتَ عَلَيْهِ اسْمَ اللهِ فَكُلْ » ونقل ذلك على التكرر . وقد شهر الذبح [2] بالبسملة . وكل ذلك يقوى دليل الاشتراط . ولكن لما صح قوله صلى الله عليه وسلم [3] « الْمُؤْمِنُ يَذْبَحُ عَلَى اسْمِ اللهِ تَعَالَى سَمَّى أَوْلَمْ يُسَمِّ »

---

(١) حديث إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل : متفق عليه من حديث عدى بن حاتم ومن حديث أبى ثعلبة الخشنى

(٢) حديث التسمية على الذبح متفق عليه من حديث رافع بن خديج ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ليس السن والظفر

(٣) حديث المؤمن يذبح على اسم الله سمى أو لم يسم : قال المصنف إنه صح قلت لا يعرف بهذا اللفظ فضلا عن صحته ولأبى داود فى المراسيل من رواية الصلت مرفوعا ذبيحة المسلم حلال ذكر اسم الله أو لم يذكر وللطبرانى فى الأوسط والدارقطنى وابن عدى والبيهقى من حديث أبى هريرة قال رجل يارسول الله الرجل منا يذبح وينسى أن يسمى الله فقال اسم الله على كل مسلم قال ابن عدي منكر وللدارقطنى والبيهقى من حديث ابن عباس المسلم يكفيه اسمه فان نسى أن يسمى حين يذبح فليسم وليذكر اسم الله ثم ليأكل فيه محمد بن سنان ضعفه الجمهور

احتمل أن يكون هذا عاما ، موجباً لصرف الآية وسائر الأخبار عن ظواهرها ، ويحتمل أن يخصص هذا بالناسى ، ويترك الظواهر ولا تأويل ، وكان حمله على الناسى ممكنا تمهيدا لعذره فى ترك التسمية بالنسيان ، وكان تعميمه وتأويل الآية ممكنا إمكانا أقرب ، رجحنا ذلك ولا ننكر رفع الاحتمال المقابل له ، فالورع عن مثل هذا مهم واقع فى الدرجة الأولى

الثانية : وهى مزاحمة لدرجة الوسواس ، أن يتورع الإنسان عن أكل الجنين الذى يصادف فى بطن الحيوان المذبوح ، وعن الضب . وقد صح فى الصحاح من الأخبار حديث الجنين ان [1] ذكاته ذكاة أمه ، صحة لا يتطرق احتمال إلى متنه ، ولا ضعف إلى سنده وكذلك صح [2] أنه أكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد نقل ذلك فى الصحيحين . وأظن أن أبا حنيفة لم تبلغه هذه الأحاديث . ولو بلغته لقال بها إن أنصف . وإن لم ينصف منصف فيه كان خلافه غلطا لا يعتد به ، ولا يورث شبهة كما لو لم يخالف . وعلم الشىء بخبر الواحد ..

الرتبة الثالثة : أن لا يشتهر فى المسألة خلاف أصلا ، ولكن يكون الحل معلوما بخبر الواحد فيقول القائل قد اختلف الناس فى خبر الواحد ، فمنهم من لا يقبله ، فأنا أتورع . فان النقلة وان كانوا عدولا ، فالغلط جائز عليهم . والكذب لغرض خفى جائز عليهم . لأن العدل أيضا قد يكذب . والوهم جائز عليهم . فانه قد يسبق إلى سمعهم خلاف ما يقوله القائل . وكذا الى فهمهم . فهذا ورع لم ينقل مثله عن الصحابة فيما كانوا يسمعونه من عدل تسكن نفوسهم اليه . وأما إذا تطرقت شبهة بسبب خاص ، ودلالة معينة فى حق الراوى ، فللتوقف وجه ظاهر ، وإن كان عدلا . وخلاف من خالف فى أخبار الآحاد غير معتد به ، وهو كخلاف

---

(١) حديث ذكاة الجنين ذكاة أمه : قال المصنف انه صح لا يتطرق احتمال إلى متنه ولا ضعف الى سنده وأخذ هذا من امام الحرمين فانه كذا قال فى الأساليب والحديث رواه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى سعيد والحاكم من حديث أبى هريرة وقال صحيح الأسناد وليس كذلك وللطبرانى فى الصغير من حديث ابن عمر بسند جيد وقال عبد الحق لا يحتج باسانيدها كلها

(٢) حديث أكل الضب على مائدة رسول الله عليه وسلم : قال المصنف هو فى الصحيحين وهو كما ذكر من حديث ابن عمر وابن عباس وخالد بن الوليد

النظام فى أصل الإجماع ، وقوله إنه ليس بحجة . ولو جاز مثل هذا الورع ، لكان من الورع أن يمتنع الإنسان من أن يأخذ ميراث الجد أبى الاب ، ويقول ليس فى كتاب الله ذكر إلا للبنين . وإلحاق ابن الابن بالابن بإجماع الصحابة ، وهم غير معصومين ، والغلط عليهم جائز ، إذ خالف النظام فيه . وهذا هوس . ويتداعى إلى أن يترك ماعلم بعمومات القرءان إذ من المتكلمين من ذهب إلى أن العمومات لاصيغة لها ، وإنما يحتج بما فهمه الصحابة منها بالقرائن والدلالات . وكل ذلك وسواس

فإذاً لاطرف من أطراف الشبهات إلا وفيها غلو وإسراف ، فليفهم ذلك . ومهما أشكل أمر من هذه الأمور ، فليستفت فيه القلب ، وليدع الْوَرِعُ مايريبه الى مالايريبه وليترك حزاز القلوب ، وحكاكات الصدور . وذلك يختلف بالأشخاص والوقائع . ولكن ينبغى أن يحفظ قلبه عن دواعى الوسواس ، حتى لايحكم إلا بالحق ، فلا ينطوى على حزازة فى مظان الوسواس ، ولا يخلو عن الحزازة فى مظان الكراهة . وماأعز مثل هذا القلب ! ولذلك لم يرد عليه السلام [1] كل أحد الى فتوى القلب ، وإنما قال ذلك لوابصة لما كان قد عرف من حاله

القسم الثانى : تعارض العلامات الدالة على الحل والحرمة . فإنه قد ينهب نوع من المتاع فى وقت ، ويندر وقوع مثله من غير النهب فيرى مثلا فى يد رجل من أهل الصلاح فيدل صلاحه على أنه حلال ، ويدل نوع المتاع وندوره من غير المنهوب على أنه حرام ، فيتعارض الأمران . وكذلك يخبر عدل أنه حرام ، وآخر أنه حلال . أو تتعارض شهادة فاسقين أو قول صبى وبالغ . فإن ظهر ترجيح حُكِمَ به ، والورع الاجتناب . وإن لم يظهر ترجيح وجب التوقف . وسيأتى تفصيله فى باب التعرف والبحث والسؤال

القسم الثالث : تعارض الأشباه فى الصفات التى تناط بها الأحكام . مثاله أن يوصى بمال للفقهاء ، فيعلم أن الفاضل فى الفقه داخل فيه ، وأن الذى ابتدأ التعلم من يوم أو شهر لايدخل فيه . وبينهما درجات لاتحصى يقع الشك فيها . فالمفتى يفتى بحسب الظن ، والورع الاجتناب . وهذا أغمض مثارات الشبهة . فإن فيها صورا يتحير المفتى فيها تحيرا لازما لاحيلة

---

(١) حديث لم يرد كل أحد الى فتوى قلبه وانما قال ذاك لوابصة : وتقدم حديث وابصة وروى الطبرانى من حديث واثلة أنه قال ذلك لواثلة أيضا وفيه العلام بن ثعلبة مجهول

له فيه ، إذ يكون المتصف بصفة فى درجة متوسطة بين الدرجتين المتقابلتين لا يظهر له ميله إلى أحدهما . وكذلك الصدقات المصروفة إلى المحتاجين ، فإن من لا شيء له معلوم أنه محتاج ، ومن له مال كثير معلوم أنه غنى . ويتصدى بينهما مسائل غامضة ، كمن له دار وأثاث وثياب وكتب ، فإن قدر الحاجة منه لا يمنع من الصرف إليه ، والفاضل يمنع . والحاجة ليست محدودة ، وإنما تدرك بالتقريب . ويتعدى منه النظر فى مقدار سعة الدار وأبنيتها ، ومقدار قيمتها ، لكونها في وسط البلد ، ووقوع الاكتفاء بدار دونها ، وكذلك فى نوع أثاث البيت ، إذا كان من الصقر لا من الخزف ، وكذلك فى عددها ، وكذلك فى قيمتها ، وكذلك فيما يحتاج إليه كل يوم ، وما يحتاج إليه كل سنة من آلات الشتاء ، وما لا يحتاج إليه إلا فى سنين . وشيء من ذلك لا حد له ، والوجه فى هذا ما قاله عليه السلام (١) « دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ » وكل ذلك فى محل الريب . وإن توقف المفتى فلا وجه إلا التوقف . وإن أفتى المفتى بظن وتخمين فالورع التوقف . وهو أهم مواقع الورع . وكذلك ما يجب بقدر الكفاية من نفقة الأقارب وكسوة الزوجات ، وكفاية الفقهاء والعلماء على بيت المال ، إذ فيه طرفان ، يعلم أن أحدهما قاصر ، وأن الآخر زائد ، وبينهما أمور متشابهة تختلف باختلاف الشخص والحال . والمطلع على الحاجات هو الله تعالى ، وليس للبشر وقوف على حدودها . فما دون الرطل المكى في اليوم قاصرا عن كفاية الرجل الضخم ، وما فوق ثلاثة أرطال زائد على الكفاية ، وما بينهما لا يتحقق له حد فليدع الورع ما يريبه إلى ما لا يريبه

وهذا جار فى كل حكم نيط بسبب ، يعرف ذلك السبب بلفظ العرب ، إذ العرب وسائر أهل اللغات لم يقدروا متضمنات اللغات بحدود محدودة ، تنقطع أطرافها عن مقابلاتها كلفظ الستة ، فإنه لا يحتمل ما دونها وما فوقها من الأعداد ، وسائر ألفاظ الحساب والتقديرات . فليست الألفاظ اللغوية كذلك ، فلا لفظ فى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا ويتطرق الشك إلى أوساط فى مقتضياتها ، تدور بين أطراف متقابلة . فتعظم الحاجة إلى هذا الفن فى الوصايا والأوقاف فالوقف على الصوفية مثلا مما يصح . ومن الداخل تحت موجب هذا اللفظ ؟ هذا من الغوامض . فكذلك سائر الألفاظ

(١) حديث دع ما يريبك إلى ما لا يريبك : تقدم فى الباب قبله

وسنشير إلى مقتضى لفظ الصوفية على الخصوص ، ليعلم به طريق التصرف فى الألفاظ وإلا فلا مطمع فى استيفائها . فهذه اشتباهات تثور من علامات متعارضة ، تجذب إلى طرفين متقابلين : وكل ذلك من الشبهات يجب اجتنابها ، إذا لم يترجح جانب الحل، بدلالة تغلب على الظن أو باستصحاب ، بموجب قوله صلى الله عليه وسلم « دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ » وبموجب سائر الأدلة التى سبق ذكرها .

فهذه مثارات الشبهات : وبعضها أشد من بعض . ولو تظاهرت شبهات شتى على شىء واحد كان الأمر أغلظ . مثل أن يأخذ طعاما مختلفا فيه ، عوضا عن عنب باعه من خمار بعد النداء يوم الجمعة ، والبائع قد خالط ماله حرام ، وليس هو أكثر ماله ، ولكنه صار مشتبها به . فقد يؤدى ترادف الشبهات إلى أن يشتد الأمر فى اقتحامها

فهذه مراتب عرفنا طريق الوقوف عليها ، وليس فى قوة البشر حصرها . فما اتضح من هذا الشرح أخذ به ، وما التبس فليجتنب . فإن الإثم حزاز القلب . وحيث قضينا باستفتاء القلب أردنا به حيث أباح المفتى ، أما حيث حرمه فيجب الامتناع . ثم لا يعول على كل قلب ، فرب موسوس ينفر عن كل شىء ، ورب شره متساهل يطمئن إلى كل شىء . ولا اعتبار بهذين القلبين . وإنما الاعتبار بقلب العالم الموفق ، المراقب لدقائق الأحوال . وهو المحك الذى يمتحن به خفايا الأمور . وما أعز هذا القلب فى القلوب . فمن لم يثق بقلب نفسه فليلتمس النور من قلب بهذه الصفة ، وليعرض عليه واقعته ، وجاء فى الزبور ، أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام ، قل لبنى اسرائيل إنى لا أنظر إلى صلاتكم ولا صيامكم، ولكن أنظر إلى من شك فى شىء فتركه لأجلى، فذاك الذى أنظر اليه، وأؤيده بنصرى، وأباهى به ملائكتى.

الباب الثالث

فى البحث والسؤال والهجوم والإهمال ومظانهما

اعلم أن كل من قدم إليك طعاما أو هدية ، أو أردت أن تشترى منه أو تتهب ، فليس لك أن تفتش عنه وتسأل ، وتقول هذا مما لا أتحقق حله فلا آخذه بل أفتش عنه . وليس

لك أيضا أن تترك البحث ، فتأخذ كل مالاتتيقن تحريمه . بل السؤال واجب مرة، وحرام مرة ، ومندوب مرة ، ومكروه مرة ، فلا بد من تفصيله

والقول الشافى فيه ، هو أن مظنة السؤال مواقع الريبة . ومنشأ الريبة ومثارها إما أمر يتعلق بالمال ، أو يتعلق بصاحب المال .

المثار الأول

أحوال المالك

وله بالإضافة إلى معرفتك ثلاثة أحوال : إما أن يكون مجهولا ، أو مشكوكا فيه ، أو معلوما بنوع ظن يستند إلى دلالة .

الحالة الأولى: أن يكون مجهولا . والمجهول هو الذى ليس معه قرينة تدل على فساده وظلمه ، كزي الأجناد . ولامايدل على صلاحه ، كثياب أهل التصوف والتجارة والعلم وغيرها من العلامات . فإذا دخلت قرية لاتعرفها ، فرأيت رجلا لاتعرف من حاله شيئا، ولا عليه علامة تنسبه إلى أهل صلاح أو أهل فساد ، فهو مجهول . وإذا دخلت بلدة غريبا، ودخلت سوقا ، ووجدت رجلا خبازا أو قصابا أو غيره ، ولا علامة تدل على كونه مريبا أو خائنا ، ولا مايدل على نفيه ، فهو مجهول ولا يدرى حاله . ولا نقول إنه مشكوك فيه لأن الشك عبارة عن اعتقادين متقابين ، لهما سببان متقابلان ، وأكثر الفقهاء لايدركون الفرق بين مالا يدرى ، وبين مايشك فيه . وقد عرفت مما سبق أن الورع ترك مالا يدرى

قال يوسف بن أسباط ، منذ ثلاثين سنة ما حاك فى قلبي شيء إلا تركته . وتكلم جماعة فى أشق الأعمال ، فقالوا هو الورع ، فقال لهم حسان بن أبى سنان ، ما شيء عندى أسهل من الورع ، إذا حاك فى صدرى شيء تركته

فهذا شرط الورع ، وإنما نذكر الآن حكم الظاهر فنقول :

حكم هذه الحالة أن المجهول إن قدم اليك طعاما ، أو حمل إليك هدية ، أو أردت أن تشترى من دكانه شيئا، فلا يلزمك السؤال . بل يده وكونه مسلما دلالتان كافيتان فى الهجوم على أخذه . وليس لك أن تقول الفساد والظلم غالب على الناس، فهذه وسوسة وسوء ظن

بهذا المسلم بعينه ، وإن بعض الظن إثم . وهذا المسلم يستحق بإسلامه عليك أن لا تسيء الظن به . فإن أسأت الظن به فى عينه لأنك رأيت فسادا من غيره ، فقد جنيت عليه . وأثمت به فى الحال نقدا من غير شك . ولو أخذت المال لكان كونه حراما مشكوكا فيه

ويدل عليه أنا نعلم أن الصحابة رضى الله عنهم فى غزواتهم وأسفارهم ، كانوا ينزلون فى القرى ، ولا يردون القرى . ويدخلون البلاد ، ولا يحترزون من الأسواق . وكان الحرام أيضا موجودا فى زمانهم ، وما نقل عنهم سؤال إلا عن ريبة ، إذ كان صلى الله عليه وسلم لا يسأل عن كل ما يحمل إليه ، بل سأل فى أول قدومه إلى المدينة [1] عما يحمل إليه، أصدقة أم هدية ، لأن قرينة الحال تدل ، وهو دخول المهاجرين المدينة وهم فقراء ، فغلب على الظن أن ما يحمل إليهم بطريق الصدقة ، ثم إسلام المعطى ويده لا يدلان على أنه ليس بصدقة . [2] وكان يدعى إلى الضيافات فيجيب ، ولا يسأل أصدقة أم لا ، إذ العادة ما جرت بالتصدق بالضيافة . ولذلك [3] دعته أم سليم ، [4] ودعاه الخياط كما فى الحديث الذى رواه أنس بن مالك رضى الله عنه ، وقدم إليه طعاما فيه قرع . [5] ودعاه الرجل الفارسى ، فقال عليه السلام أَنَا وَعَائِشَةُ فقال لا ، فقال فلا ، ثم أجابه بعد ، فذهب هو وعائشة يتساوقان ، فقرب إليهما إهالة ، ولم ينقل السؤال فى شىء من ذلك

وسأل أبو بكر رضى الله عنه عبده عن كسبه لما رابه من أمره . وسأل عمر رضى الله عنه الذى سقاه من لبن إبل الصدقة إذ رابه ، وكان أعجبه طعمه ، ولم يكن على ما كان يألفه كل مرة

---

(١) حديث سؤاله فى أول قدومه الى المدينة عما يحمل اليه أصدقة أم هدية : أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد من حديث سلمان ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة أتاه سلمان بطعام فسأله عنه أصدقة أم هدية الحديث تقدم فى الباب قبله من حديث أبى هريرة

(٢) حديث كان يدعى الى الضيافات فيجيب ولا يسأل أصدقة أم لا هذا معروف مشهور من ذلك فى الصحيحين حديث أبى مسعود الانصارى فى صنيع أبى شعيب طعاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه خامس خمسة

(٣) حديث دعته أم سليم : متفق عليه من حديث أنس

(٤) حديث أنس أن خياطا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم اليه طعاما فيه قرع : متفق عليه

(٥) حديث دعاه الرجل الفارسى فقال أنا وعائشة ـ الحديث مسلم عن أنس

وهـذه أسباب الريبة . وكل من وجـد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن عاصيا بإجابته من غير تفتيش . بل لو رأى فى داره تجملا ومالا كثيرا ، فليس له أن يقول الحلال عزيز وهذا كثير ، فمن أين يجتمع هذا من الحلال . بل هذا الشخص بعينه يحتمل أن يكون ورث مالا أو اكتسبه ، فهو بعينه يستحق إحسان الظن به . وأزيد على هذا وأقول ليس له أن يسأله . بل إن كان يتورع فلا يدخـل جوفه إلا مايدرى من أين هو ، فهو حسن فليتلطف فى الترك . وإن كان لابد له من أكله فليأكل بغير سؤال . إذ السؤال إيذاء وهتك ستر وإيحاش ، وهو حرام بلا شك

فإن قلت: لعله لايتأذى . فأقول لعله يتأذى . فأنت تسأل حذرا من لعل . فإن قنعت بلعل ، فلعل ماله حلال . وليس الإثم المحذور فى إيذاء مسلم بأقل من الإثم فى أكل الشبهة والحرام. والغالب على الناس الاستيحاش بالتفتيش . ولا يجوز له أن يسأل من غيره من حيث يدري هو به ، لأن الإيذاء فى ذلك أكثر . وإن سأل من حيث لايدرى هو ، ففيه إساءة ظن وهتك ستر ، وفيه تجسس ، وفيه تشبث بالغيبة ، وإن لم يكن ذلك صريحا . وكل ذلك منهى عنه فى آية واحدة ، قال الله تعالى (اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً) وكم زاهـد جاهل يوحش القـلوب فى التفتيش ويتكلم بالكلام الخشن المؤذى . وإنما يحسن الشيطان ذلك عنده ، طلبا للشهرة بأكل الحلال ولو كان باعثه محض الدين لكان خوفه على قلب مسلم أن يتأذى أشد من خوفه على بطنه أن يدخله مالا يدرى ، وهو غير مؤاخذ بما لا يدرى ، إذ لم يكن ثَمَّ علامة توجب الاجتناب

فليعلم أن طريق الورع الترك دون التجسس . وإذا لم يكن بد من الأكل فالورع الأكل وإحسان الظن . هذا هو المألوف من الصحابة رضى الله عنهم . ومن زاد عليهم فى الورع فهو ضال مبتدع ، وليس بمتبع . فلن يبلغ أحد مد أحدهم ولا نصيفه ، ولو أنفق مافى الارض جميعا كيف وقد أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) طعام بريرة ، فقيل إنه صدقـة ، فقال (هُوَ لَهَا صَدَقَةٌ وَلَنَا هَدِيَّةٌ) ولم يسأل على المتصدق عليها ، فكان المتصدق مجهولا عنده ولم يمتنع

---

(١) حديث أكله طعام بريره فقيل إنها صدقة فقال هو لها صدقة ولنا هدية: متفق عليه من حديث أنس

الحالة الثانية : أن يكون مشكوكا فيه بسبب دلالة أورثت ريبة . فلنذكر صورة الريبة ثم حكمها

أما صورة الريبة ، فهو أن تدله على تحريم ما في يده دلالة إما من خلقته أو من زيه وثيابه أو من فعله وقوله ، أما الخلقة فبأن يكون على خلقة الأتراك والبوادي ، والمعروفين بالظلم وقطع الطريق وأن يكون طويل الشارب ، وأن يكون الشعر مفرقا على رأسه على دأب أهل الفساد . وأما الثياب فالقباء والقلنسوة وزي أهل الظلم والفساد من الأجناد وغيرهم . وأما الفعل والقول فهو أن يشاهد منه الإقدام على ما لا يحل ، فإن ذلك يدل على أنه يتساهل أيضا في المال ، ويأخذ ما لا يحل فهذه مواضع الريبة

فإذا أراد أن يشتري من مثل هذا شيئا أو يأخذ منه هدية أو يجيبه إلى ضيافة ، وهو غريب مجهول عنده ، لم يظهر له منه إلا هذه العلامات فيحتمل أن يقال اليد تدل على الملك ، وهذه الدلالات ضعيفة ، فالإقدام جائز ، والترك من الورع . ويحتمل أن يقال إن اليد دلالة ضعيفة وقد قابلها مثل هذه الدلالة فأورثت ريبة ، فالهجوم غير جائز . وهو الذي نختاره ونفتي به لقوله صلى الله عليه وسلم « (١) دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ » فظاهره أمر ، وإن كان يحتمل الاستحباب لقوله صلى الله عليه وسلم « (٢) الإِثْمُ حَزَّازُ الْقُلُوبِ » وهذا له وقع في القلب لا ينكر . ولأن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أصدقة هو أو هدية ، وسأل أبو بكر رضي الله عنه غلامه ، وسأل عمر رضي الله عنه ، وكل ذلك كان في موضع الريبة . وحمله على الورع وإن كان ممكنا ، ولكن لا يحمل عليه إلا بقياس حكمي . والقياس ليس يشهد بتحليل هذا . فإن دلالة اليد والإسلام ، وقد عارضتها هذه الدلالات : أورثت ريبة . فإذا تقابلا فالاستحلال لا مستند له . وإنما لا يترك حكم اليد والاستصحاب بشك لا يستند إلى علامة ، كما إذا وجدنا الماء متغيرا ، واحتمل أن يكون بطول المكث ، فإن رأينا ظبية بالت فيه ، ثم احتمل التغيير به ، تركنا الاستصحاب . وهذا قريب منه . ولكن بين هذه الدلالات تفاوت . فإن طول الشوارب ولبس القباء وهيأة الأجناد يدل على الظلم بالمال . أما القول والفعل المخالفان للشرع إن تعلقا بظلم المال ، فهو أيضا دليل ظاهر كما لو سمعه يأمر بالغصب والظلم ، أو يعقد عقد الربا

---

(١) حديث دع ما يريبك : تقدم في البابين قبله

(٢) حديث الاثم حزاز القلوب : تقدم في العلم

فأما إذا رآه قد شتم غيره فى غضبه ، أو أتبع نظره امرأة مرت به ، فهذه الدلالة ضعيفة . فكم من إنسان يتحرج فى طلب المال ، ولا يكتسب إلا الحلال ، ومع ذلك فلا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة . فليتنبه لهذا التفاوت . ولا يمكن أن يضبط هذا بحد فليستفت العبد فى مثل ذلك قلبه

وأقول: إن هذا إن رآه من مجهول فله حكم . وإن رآه ممن عرفه بالورع فى الطهارة والصلاة وقراءة القرءان، فله حكم آخر إذا تعارضت الدلالتان بالإضافة إلى المال وتساقطتا وعاد الرجل كالمجهول . إذ ليست إحدى الدلالتين تناسب المال على الخصوص . فكم من متحرج فى المال لا يتحرج فى غيره ، وكم من محسن للصلاة والوضوء والقراءة ويأكل من حيث يجد فالحكم فى هذه المواقع مايميل إليه القلب ، فإن هذا أمر بين العبد وبين الله فلا يبعد أن يناط بسبب خفى لا يطلع عليه إلا هو ورب الأرباب ، وهو حكم حزازة القلب

ثم ليتنبه لدقيقة أخرى ، وهو أن هذه الدلالة ينبغى أن تكون بحيث تدل على أن أكثر ماله حرام ، بأن يكون جنديا أو عامل سلطان أو نائحة أو مغنية . فإن دل على أن فى ماله حراما قليلا لم يكن السؤال واجبا ، بل كان السؤال من الورع

الحالة الثالثة: أن تكون الحالة معلومة بنوع خبرة وممارسة ، بحيث يوجب ذلك ظنا فى حل المال أو تحريمه . مثل أن يعرف صلاح الرجل وديانته وعدالته فى الظاهر ، وجوز أن يكون الباطن بخلافه . فهنا لا يجب السؤال ، ولا يجوز كما فى المجهول . فالأولى الإقدام والإقدام ههنا أبعد عن الشبهة من الإقدام على طعام المجهول . فإن ذلك بعيد عن الورع وإن لم يكن حراما . وأما أكل طعام أهل الصلاح فدأب الأنبياء والأولياء . قال صلى الله عليه وسلم [1] «لَا تَأْكُلْ إِلَّا طَعَامَ تَقِيٍّ وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ» فأما إذا علم بالخبرة أنه جندى أو مغن أو مرب ، واستغنى عن الاستدلال عليه بالهيئة والشكل والثياب ، فهنا السؤال واجب لا محالة كما فى موضع الريبة ، بل أولى

---

(١) حديث لا تأكل الا طعام تقى ولا يأكل طعامك الا تقي : تقدم فى الزكاة

المثار الثانى

ما يستند الشك فيه إلى سبب فى المال لا فى حال المالك

وذلك بأن يختلط الحلال بالحرام . كما إذا طرح فى سوق أحمال من طعام غصب، واشتراها أهل السوق ، فليس يجب على من يشترى فى تلك البلدة وذلك السوق أن يسأل عما يشتريه إلا أن يظهر أن أكثر ما فى أيديهم حرام ، فعند ذلك يجب السؤال . فإن لم يكن هو الأكثر ، فالتفتيش من الورع ، وليس بواجب . والسوق الكبير حكمه حكم بلد. والدليل على أنه لا يجب السؤال والتفتيش إذا لم يكن الأغلب الحرام ، أن الصحابة رضى الله عنهم لم يمتنعوا من الشراء من الأسواق ، وفيها دراهم الربا وغلول الغنيمة وغيرها. وكانوا لا يسألون فى كل عقد . وإنما السؤال نقل عن آحادهم نادرا فى بعض الأحوال ، وهى محال الريبة فى حق ذلك الشخص المعين . وكذلك كانوا يأخذون الغنائم من الكفار الذين كانوا قد قاتلوا المسلمين ، وربما أخذوا أموالهم ، واحتمل أن يكون فى تلك الغنائم شىء مما أخذوه من المسلمين . وذلك لا يحل أخذه مجانا بالاتفاق ، بل يرد على صاحبه عند الشافعى رحمه الله ، وصاحبه أولى به بالثمن عند أبى حنيفة رحمه الله . ولم ينقل قط التفتيش عن هذا

وكتب عمر رضى الله عنه إلى أذر بيجان ، أنكم فى بلاد تذبح فيها الميتة ، فانظروا ذكيه من ميته . أذن فى السؤال وأمر به ، ولم يأمر بالسؤال عن الدراهم التى هى أثمانها ، لأن أكثر دراهمهم لم تكن أثمان الجلود ، وإن كانت هي أيضا تباع . وأكثر الجلود كان كذلك وكذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه إنكم فى بلاد أكثر قصابيها المجوس . فانظروا الذكي من الميتة . فخص بالأكثر الأمر بالسؤال . ولا يتضح مقصود هذا الباب إلا بذكر صور، وفرض مسائل يكثر وقوعها فى العادات ، فلنفرضها

مسألة :

شخص معين خالط ماله الحرام ، مثل أن يباع على دكان طعام مغصوب أو مال منهوب ومثل أن يكون القاضى أو الرئيس أو العامل أو الفقيه، الذى له إدرار على سلطان ظالم ، له أيضا مال موروث ودهقنة أو تجارة . أو رجل تاجر يعامل بمعاملات صحيحة ويربى أيضا . فإن كان الأكثر من ماله حراما لا يجوز الأكل من ضيافته ، ولا قبول هديته ولا صدقته إلا بعد التفتيش

فإن ظهر أن المأخوذ من وجه حلال فذاك ، وإلا ترك . وإن كان الحرام أقل والمأخوذ مشتبه ، فهذا فى محل النظر . لأنه على رتبة بين الرتبتين إذ قضينا بأنه لو اشتبه ذكية بعشر ميتات مثلا ، وجب اجتناب الكل . وهذا يشبهه من وجه ،من حيث إن مال الرجل الواحد كالمحصور ، لاسيما إذا لم يكن كثير المال مثل السلطان . ويخالفه من وجه إذ الميتة يعلم وجودها فى الحال يقينا ، والحرام الذى خالط ماله يحتمل أن يكون قد خرج من يده وليس موجودا فى الحال . وإن كان المال قليلا ، وعلم قطعا أن الحرام موجود فى الحال، فهو ومسألة اختلاط الميتة واحد . وإن كثر المال ، واحتمل أن يكون الحرام غير موجود فى الحال ، فهذا أخف من ذلك ، ويشبه من وجه الاختلاط بغير محصور كما فى الأسواق والبلاد ، ولكنه أغلظ منه لاختصاصه بشخص واحد ، ولا يشك فى أن الهجوم عليه بعيد من الورع جدا . ولكن النظر فى كونه فسقا مناقضا للعدالة. وهذا من حيث النقل أيضا. غامض ، لتجاذب الأشباه، ومن حيث النقل أيضا غامض، لان ماينقل فيه عن الصحابة من الامتناع فى مثل هذا وكذا عن التابعين ، يمكن حمله على الورع ، ولا يصادف فيه نص على التحريم . وما ينقل من إقدام على الأكل ، كأكل أبى هريرة رضى الله عنه طعام معاوية مثلا ، إن قدر فى جملة مافى يده حرام ، فذلك أيضا يحتمل أن يكون إقدامه بعد التفتيش واستبانه أن عين مايأكله من وجه مباح

فالأفعال فى هذا ضعيفة الدلالة ، ومذاهب العلماء المتأخرين مختلفة ، حتى قال بعضهم لو أعطانى السلطان شيئا لأخذته ، وطرد الإباحة فيما إذا كان الأكثر أيضا حراما ، مهما لم يعرف عين المأخوذ ، واحتمل أن يكون حلالا . واستدل بأخذ بعض السلف جوائز السلاطين ، كما سيأتى فى باب بيان أموال السلاطين

فأما إذا كان الحرام هو الأقل ، واحتمل أن لا يكون موجودا فى الحال ، لم يكن الأكل حراما . وإن تحقق وجوده فى الحال ، كما فى مسألة اشتباه الذكية بالميتة ، فهذا مما لاأدرى ما أقول فيه ، وهو من المشابهات التى يتحير المفتى فيها ،لأنها مترددة بين مشابهة المحصور وغير المحصور . والرضيعة إذا اشتبهت بقرية فيها عشر نسوة وجب الاجتناب . وإن كان ببلدة فيها عشرة آلاف لم يجب . وبينهما أعداد ،ولو سئلت عنها لكنت لا أدرى ماأقول فيها

ولقد توقف العلماء في مسائل هي أوضح من هذه ، إذ سئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل رمى صيدا ، فوقع في ملك غيره ، أيكون الصيد للرامي أو لمالك الأرض ؟ فقال لاأدري . فروجع فيه مرات ، فقال لاأدري . وكثيرا من ذلك حكيناه عن السلف في كتاب العلم . فليقطع المفتي طمعه عن درك الحكم في جميع الصور .

وقد سأل ابن المبارك صاحبه من البصرة ، عن معاملته قوما يعاملون السلاطين ، فقال إن لم يعاملوا سوى السلطان فلا تعاملهم ، وإن عاملوا السلطان وغيره فعاملهم . وهذا يدل على المسامحة في الأقل ، ويحتمل المسامحة في الأكثر أيضا . وبالجملة فلم ينقل عن الصحابة أنهم كانوا يهجرون بالكلية معاملة القصاب والخباز والتاجر ، لتعاطيه عقداً واحداً فاسداً ، أو لمعاملة السلطان مرة . وتقدير ذلك فيه بعد . والمسألة مشكلة في نفسها

فإن قيل : فقد روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أنه رخص فيه ، وقال خذ ما يعطيك السلطان ، فإنما يعطيك من الحلال ، وما يأخذ من الحلال أكثر من الحرام . وسئل ابن مسعود رضي الله عنه في ذلك ، فقال له السائل ، إن لي جارا لا أعلمه إلا خبيثا ، يدعونا أو نحتاج فنستسلفه . فقال إذا دعاك فأجبه ، وإذا احتجت فاستسلفه ، فإن لك المهنأ وعليه المأثم . وأفتى سلمان بمثل ذلك . وقد علل علي بالكثرة ، وعلل ابن مسعود رضي الله عنه بطريق الأشارة ، بأن عليه المأثم لأنه يعرفه ، ولك المهنأ أي أنت لاتعرفه . وروى أنه قال رجل لابن مسعود رضي الله عنه ، إن لي جارا يأكل الربا فيدعونا إلى طعامه ، أفنأتيه ؟ فقال نعم . وروى في ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه روايات كثيرة مختلفة ، وأخذ الشافعي ومالك رضي الله عنهما جوائز الخلفاء والسلاطين ، مع العلم بأنه قد خالط مالهم الحرام

قلنا : أما ما روى عن علي رضي الله عنه ، فقد اشتهر من ورعه ما يدل على خلاف ذلك . فإنه كان يمتنع من مال بيت المال حتى يبيع سيفه ، ولا يكون له إلا قميص واحد في وقت الغسل لايجد غيره . ولست أنكر أن رخصته صريح في الجواز ، وفعله محتمل للورع . ولكنه لو صح فمال السلطان له حكم آخر . فإنه بحكم كثرته يكاد يلتحق بما لايحصر . وسيأتي بيان ذلك . وكذا فعل الشافعي ومالك رضي الله عنهما متعلق بمال السلطان ، وسيأتي حكمه . وإنما كلامنا في آحاد الخلق ، وأموالهم قريبة من الحصر

وأما قول ابن مسعود رضى الله عنه ، فقيل إنه إنما نقله خوات التيمى ، وإنه ضعيف الحفظ ، والمشهور عنه مايدل على توقي الشبهات ، إذ قال لايقولن أحدكم أخاف وأرجو فإن الحلال بين ، والحرام بين ، وبين ذلك أمور مشتبهات ، فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك وقال: إجتنبوا الحكاكات ففيها الإثم

فإن قيل: فلمَ قلتم إذا كان الأكثر حراما لم يجز الأخذ ، مع أن المأخوذ ليس فيه علامة تدل على تحريمه على الخصوص . واليد علامة على الملك ، حتى أن من سرق مال مثل هذا الرجل قطعت يده ، والكثرة توجب ظنا مرسلا لايتعلق بالعين ، فليكن كغالب الظن فى طين الشوارع ، وغالب الظن فى الاختلاط بغير محصور إذا كان الأكثر هو الحرام . ولايجوز أن يستدل على هذا بعموم قوله صلى الله عليه وسلم «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ» لأنه مخصوص ببعض المواضع بالاتفاق ، وهو أن لا يريبه بعلامة فى عين الملك ، بدليل اختلاط القليل بغير المحصور ، فإن ذلك توجب ريبة ، ومع ذلك قطعتم بأنه لايحرم

فالجواب: أن اليد دلالة ضعيفة كالاستصحاب ، وإنما يؤثر إذا سلمت عن معارض قوى ، فإذا تحققنا الاختلاط ، وتحققنا أن الحرام المخالط موجود فى الحال ، والمال غير خال عنه وتحققنا أن الأكثر هو الحرام ، وذلك فى حق شخص معين يقرب ماله من الحصر ، ظهر وجوب الإعراض عن مقتضى اليد ، وإن لم يحمل عليه قوله عليه السلام «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ» لا يبقى له محمل . إذ لا يمكن أن يحمل على اختلاط قليل بحلال غير محصور ، إذ كان ذلك موجودا فى زمانه ، وكان لايدعه . وعلى أى موضع حمل هذا كان هذا فى معناه ، وحمله على التنزيه صرف له عن ظاهره بغير قياس . فإن تحريم هذا غير بعيد عن قياس العلامات والاستصحاب ، وللكثرة تأثير فى تحقيق الظن ، وكذا للحصر ، وقد اجتمعا ، حتى قال أبو حنيفة رضى الله عنه ، لاتجتهد فى الأوانى إلا إذا كان الطاهر هو الأكثر . فاشترط اجتماع الاستصحاب والاجتهاد بالعلامة وقوة الكثرة . ومن قال يأخذ أى آنية أراد بلا اجتهاد ، بناء على مجرد الاستصحاب ، فيجوز الشرب أيضا ، فيلزمه التجويز ههنا بمجرد علامة اليد ، ولايجرى ذلك فى بول اشتبه بماء ، إذ لا استصحاب فيه . ولا نطرده أيضا فى ميتة اشتبهت بذكية ، إذ لا استصحاب فى الميتة ، واليد لاتدل على أنه غير ميتة

وتدل فى الطعام المباح على أنه مهلك . فهنا أربع متعلقات ، استصحاب ، وقلة فى المخلوط أو كثرة، وانحصار أو اتساع فى المخلوط ، وعلامة خاصة فى عين الشىء يتعلق بها الاجتهاد . فمن يغفل عن مجموع الأربعة ربما يغلط ، فيشبه بعض المسائل بما لا يشبه

فحصل مما ذكرناه أن المختلط فى ملك شخص واحد ، إما أن يكون الحرام أكثره أو أقله ، وكل واحد إما أن يعلم بيقين أو بظن عن علامة أو توهم ، فالسؤال يجب فى موضعين وهو أن يكون الحرام أكثر يقينا أو ظنا ، كما لو رأى تركيا مجهولا يحتمل أن يكون كل ماله من غنيمة . وإن كان الأقل معلوما باليقين ، فهو محل التوقف . وتكاد تسير سير أكثر السلف وضرورة الأحوال إلى الميل إلى الرخصة . وأما الأقسام الثلاثة الباقية فالسؤال غير واجب فيها أصلا .

مسألة :

إذا حضر طعام إنسان ، علم أنه دخل فى يده حرام من إدرار كان قد أخذه ، أو وجه آخر ، ولا يدرى أنه بقى إلى الآن أم لا فله الأكل ، ولا يلزمه التفتيش . وإنما التفتيش فيه من الورع . ولو علم أنه قد بقى منه شىء ، ولكن لم يدر أنه الأقل أو الأكثر ، فله أن يأخذ بأنه الأقل ، وقد سبق أن أمر الأقل مشكل ، وهذا يقرب منه

مسألة :

إذا كان فى يد المتولى للخيرات أو الأوقاف أو الوصايا مالان ، يستحق هو أحدهما ولا يستحق الثانى ، لأنه غير موصوف بتلك الصفة ، فهل له أن يأخذ ما يسلمه إليه صاحب الوقف ، نظر ، فإن كانت تلك الصفة ظاهرة يعرفها المتولى ، وكان المتولى ظاهر العدالة فله أن يأخذ بغير بحث . لأن الظن بالمتولى أنه لا يصرف إليه ما يصرفه إلا من المال الذى يستحقه . وإن كانت الصفة خفية وإن كان المتولى ممن عرف حاله أنه يخلط ولا يبالى كيف يفعل فعليه السؤال . إذ ليس ههنا يد ولا استصحاب يعول عليه . وهو وزان سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة والهدية عن تردده فيهما . لأن اليد لا تخصص الهدية عن الصدقة ولا الاستصحاب . فلا ينجى منه إلا السؤال ، فإن السؤال حيث أسقطناه فى المجهول

أسقطناه بعلامة اليد والإسلام ، حتى لو لم يعلم أنه مسلم وأراد أن يأخذ من يده لحما من ذبيحته ، واحتمل أن يكون مجوسيا ، لم يجز له ما لم يعرف أنه مسلم . إذ اليد لا تدل في الميتة ، ولا الصورة تدل على الإسلام ، إلا إذا كان أكثر أهل البلدة مسلمين ، فيجوز أن يظن بالذى ليس عليه علامة الكفر أنه مسلم ، وإن كان الخطأ ممكنا فيه . فلا ينبغى أن تلتبس المواضع التى تشهد فيها اليد والحال بالتى لا تشهد

مسألة :

له أن يشترى فى البلد دارا ، وإن علم أنها تشتمل على دور مغصوبة . لأن ذلك اختلاط بغير محصور . ولكن السؤال احتياط وورع . وإن كان فى سكة عشر دور مثلا ، إحداها مغصوب أو وقف ، لم يجز الشراء ما لم يتميز . ويجب البحث عنه . ومن دخل بلدة وفيها رباطات خصص بوقفها أرباب المذاهب ، وهو على مذهب واحد من جملة تلك المذاهب : فليس له أن يسكن أيها شاء ، ويأكل من وقفها بغير سؤال ، لأن ذلك من باب اختلاط المحصور ، فلا بد من التمييز ، ولا يجوز الهجوم مع الإبهام ، لأن الرباطات والمدارس فى البلد لا بد أن تكون محصورة .

مسألة :

حيث جعلنا السؤال من الورع ، فليس له أن يسأل صاحب الطعام والمال إذا لم يأمن غضبه . وإنما أوجبنا السؤال إذا تحقق أن أكثر ماله حرام ، وعند ذلك لا يبالى بغضب مثله ، إذ يجب إيذاء الظالم بأكثر من ذلك . والغالب أن مثل هذا لا يغضب من السؤال . نعم : إن كان يأخذ من يد وكيله أو غلامه أو تلميذه أو بعض أهله ممن هو تحت رعايته ، فله أن يسأل مهما استراب ، لأنهم لا يغضبون من سؤاله ، ولأن عليه أن يسأل ليعلمهم طريق الحلال . ولذلك سأل أبو بكر رضى الله عنه غلامه ، وسأل عمر من سقاه من إبل الصدقة ، وسأل أبا هريرة رضى الله عنه أيضا لما أن قدم عليه بمال كثير ، فقال ويحك ! أكل هذا طيب ! من حيث إنه تعجب من كثرته ، وكان هو من رعيته . لاسيما وقد رفق فى صيغة السؤال . وكذلك قال على رضى الله عنه ، ليس شىء أحب إلى الله تعالى من عدل إمام ورفقه ولا شىء أبغض إليه من جوره وخرقه .

مسألة:

قال الحارث المحاسبي رحمه الله ، لو كان له صديق أو أخ ، وهو يأمن غضبه لو سأله فلا ينبغي أن يسأله لأجل الورع . لأنه ربما يبدو له ما كان مستورا عنه ، فيكون قد حمله على هتك الستر . ثم يؤدى ذلك إلى البغضاء . وما ذكره حسن . لأن السؤال إذا كان من الورع لا من الوجوب ، فالورع فى مثل هذه الأمور الاحتراز عن هتك الستر ، وإثارة البغضاء أهم . وزاد على هذا فقال ، وإن رابه منه شيء أيضا لم يسأله ، ويظن به أنه يطعمه من الطيب ويجنبه الخبيث . فإن كان لا يطمئن قلبه إليه فيحترز متلطفا ، ولا يهتك ستره بالسؤال . قال لأنى لم أر أحدا من العلماء فعله . فهذا منه مع ما اشتهر به من الزهد ، يدل على مسامحة فيما إذا خالط المال الحرام القليل . ولكن ذلك عند التوهم لا عند التحقق . لأن لفظ الريبة يدل على التوهم بدلالة تدل عليه ، ولا يوجب اليقين . فليراع هذه الدقائق بالسؤال

مسألة:

ربما يقول القائل أى فائدة فى السؤال ممن بعض ماله حرام ، ومن يستحل المال الحرام ربما يكذب . فإن وثق بأمانته ، فليثق بديانته فى الحلال . فأقول مهما علم مخالطة الحرام لمال إنسان ، وكان له غرض فى حضورك ضيافته ، أو قبولك هديته ، فلا تحصل الثقة بقوله ، فلا فائدة للسؤال منه ، فينبغى أن يسأل من غيره . وكذا إن كان بياعا ، وهو يرغب فى البيع لطلب الربح ، فلا تحصل الثقة بقوله إنه حلال ، ولا فائدة فى السؤال منه ، وإنما يسأل من غيره . وإنما يسأل من صاحب اليد إذا لم يكن متهما . كما يسأل المتولى على المال الذى يسلمه أنه من أى جهة . وكما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهدية والصدقة . فإن ذلك لا يؤذى ، ولا يتهم القائل فيه . وكذلك إذا اتهمه بأنه ليس يدرى طريق كسب الحلال ، فلا يتهم فى قوله إذا أخبر عن طريق صحيح . وكذلك يسأل عبده وخادمه ليعرف طريق اكتسابه . فههنا يفيد السؤال . فإذا كان صاحب المال متهما ، فليسأل من غيره ، فإذا أخبره عدل واحد قبله . وإن أخبره فاسق يعلم من قرينة حاله أنه لا يكذب حيث لا غرض له فيه ، جاز قبوله . لأن هذا أمر بينه وبين الله تعالى . والمطلوب ثقة النفس . وقد يحصل من الثقة بقول فاسق ما لا يحصل بقول عدل فى بعض الأحوال . وليس كل من فسق يكذب

ولا كل من ترى العدالة فى ظاهره يصدق . وإنما نيطت الشهادة بالعدالة الظاهرة لضرورة الحكم . فإن البواطن لا يطلع عليها . وقد قبل أبو حنيفة رحمه الله شهادة الفاسق . وكم من شخص تعرفه ، وتعرف أنه قد يقتحم المعاصى ، ثم إذا أخبرك بشىء وثقت به . وكذلك إذا أخبر به صبى مميز ممن عرفته بالتثبت ، فقد تحصل الثقة بقوله ، فيحل الاعتماد عليه . فأما إذا أخبر به مجهول لا يدرى من حاله شىء أصلا ، فهذا ممن جوزنا الأكل من يده . لأن يده دلالة ظاهرة على ملكه . وربما يقال إسلامه دلالة ظاهرة على صدقه ، وهذا فيه نظر . ولا يخلو قوله عن أثر ما فى النفس . حتى لو اجتمع منهم جماعة تفيد ظنا قويا ، إلا أن أثر الواحد فيه فى غاية الضعف . فلينظر إلى حد تأثيره فى القلب . فإن المفتى هو القلب فى مثل هذا الموضع . وللقلب التفاتات إلى قرائن خفية يضيق عنها نطاق النطق . فليتأمل فيه

ويدل على وجوب الالتفات إليه ما روى عن عقبة بن الحارث ، أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] فقال ، إنى تزوجت امرأة فجاءت أمة سوداء ، فزعمت أنها قد أرضعتنا وهى كاذبة . فقال « دَعْهَا » فقال إنها سوداء يصغر من شأنها . فقال عليه السلام « فَكَيْفَ وَقَدْ زَعَمَتْ أَنَّهَا قَدْ أَرْضَعَتْكُمَا ؛ لَا خَيْرَ لَكَ فِيهَا ، دَعْهَا عَنْكَ » وفى لفظ آخر « كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ » ومهما لم يعلم كذب المجهول ، ولم تظهر أمارة غرض له فيه ، كان له وقع فى القلب لا محالة فلذلك يتأكد الأمر بالاحتراز : فإن اطمأن إليه القلب ، كان الاحتراز حتما واجبا

مسألة :

حيث يجب السؤال ، فلو تعارض قول عدلين تساقطا . وكذا قول فاسقين . ويجوز أن يترجح فى قلبه قول أحد العدلين أو أحد الفاسقين . ويجوز أن يرجح أحد الجانبين بالكثرة أو بالاختصاص بالخبرة والمعرفة . وذلك مما يتشعب تصويره

مسألة :

لو نهب متاع مخصوص ، فصادف من ذلك النوع متاعا فى يد إنسان وأراد أن يشتريه واحتمل أن لا يكون من المغصوب . فإن كان ذلك الشخص ممن عرفه بالصلاح ، جاز الشراء وكان تركه من الورع . وإن كان الرجل مجهولا لا يعرف منه شيئا ، فإن كان يكثر نوع ذلك

---

(١) حديث عقبة انى تزوجت امرأة فجاءتنا أمة سوداء فزعمت أنها قد أرضعتنا وهى كاذبة . البخارى من حديث عقبة بن الحارث

المتاع من غير المغصوب ، فله ان يشترى . وإن كان لايوجد ذلك المتاع فى تلك البقعة إلا نادرا ، وإنما كثر بسبب الغصب ، فليس يدل على الحل إلا اليد ، وقد عارضته علامة خاصة من شكل المتاع ونوعه ، فالامتناع عن شرائه من الورع المهم . ولكن الوجوب فيه نظر. فإن العلامة متعارضة ، ولست أقدر على أن أحكم فيه بحكم ، إلا أن أرده إلى قلب المستفتى لينظر ما الأقوى فى نفسه . فإن كان الأقوى أنه مغصوب لزمه تركه . وإلا حلّ له شراؤه . وأكثر هذه الوقائع يلتبس الأمر فيها ، فهى من المتشابهات التى لايعرفها كثير من الناس فمن توقاها فقد استبرأ لعرضه ودينه ، ومن اقتحمها فقد حام حول الحمى وخاطر بنفسه.

مسألة .

لو قال قائل قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] عن لبن قدم إليه ، فذُكِر أنه من شاة فسأل عن الشاة من أين هى فذُكِر له فسكت عن السؤال : أفيجب السؤال عن أصل المال أم لا ؟ وإن وجب ، فمن أصل واحد أو اثنين أو ثلاثة ؟ وما الضبط فيه

فأقول لاضبط فيه ولا تقدير . بل ينظر إلى الريبة المقتضية للسؤال إما وجوبا أو ورعا ولا غاية للسؤال إلا حيث تنقطع الريبة المقتضية له . وذلك يختلف باختلاف الأحوال . فإن كانت التهمة من حيث لايدرى صاحب اليد كيف طريق الكسب الحلال ، فإن قال اشتريت انقطع بسؤال واحد . وإن قال من شاتى وقع الشك فى الشاة ، فإذا قال اشتريت انقطع وإن كانت الريبة من الظلم ، وذلك مما فى أيدى العرب ، ويتوالد فى أيديهم المغصوب ، فلا تنقطع الريبة بقوله إنه من شاتى ولا بقوله : إن الشاة ولدتها شاتى فإن أسنده إلى الوراثة من أبيه ، وحالة أبيه مجهولة انقطع السؤال وإن كان يعلم أن جميع مال أبيه حرام ، فقد ظهر التحريم . وإن كان يعلم أن أكثره حرام فبكثرة التوالد وسوء الزمان وتطرق الإرث إليه لا يغير حكمه . فلينظر فى هذه المعانى

مسألة :

سئلت عن جماعة من سكان خانقاه الصوفية ، وفى يد خادمهم الذى يقدم إليهم الطعام وقف على ذلك المسكن ، ووقف آخر على جهة أخرى غير هؤلاء ، وهو يخلط الكل

---

(١) حديث سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبن قدم اليه ـ الحديث : تقدم فى الباب الخامس من آداب الكسب والمعاش

وينفق على هؤلاء وهؤلاء فأكل طعامه حلال أو حرام أو شبهة؟ فقلت إن هذا يلتفت إلى سبعة أصول

الأصل الأول : أن الطعام الذى يقدم إليهم فى الغالب يشتريه بالمعاطاة . والذى اخترناه صحة المعاطاة ، لاسيما فى الأطعمة والمستحقرات ، فليس فى هذا إلا شبهة الخلاف

الأصل الثانى : أن ينظر أن الخادم هل يشتريه بعين المال الحرام أو فى الذمة فإن اشتراه بعين المال الحرام فهو حرام . وإن لم يعرف فالغالب أنه يشترى فى الذمة . ويجوز الأخذ بالغالب ولا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال بعيد ، وهو شراؤه بعين مال حرام

الأصل الثالث : أنه من أين يشتريه ، فإن اشترى ممن أكثر ماله حرام لم يجز . وإن كان أقل ماله ففيه نظر قد سبق . وإذا لم يعرف جاز له الأخذ بأنه يشتريه ممن ماله حلال ، أو ممن لا يدرى المشترى حاله بيقين كالمجهول . وقد سبق جواز الشراء من المجهول ، لأن ذلك هو الغالب . فلا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال

الأصل الرابع : أن يشتريه لنفسه أو للقوم . فإن المتولى والخادم كالنائب . وله أن يشترى له ولنفسه . ولكن يكون ذلك بالنية أو صريح اللفظ وإذا كان الشراء يجرى بالمعاطاة فلا يجرى اللفظ . والغالب أنه لا ينوى عند المعاطاة . والقصاب والخباز ومن يعامله يعول عليه ، ويقصد البيع منه ، لا ممن لا يحضرون ، فيقع عن جهته ، ويدخل فى ملكه . وهذا الأصل ليس فيه تحريم ولا شبهة . ولكن يثبت أنهم يأكلون من ملك الخادم

الأصل الخامس : أن الخادم يقدم الطعام إليهم ، فلا يمكن أن يجعل ضيافة وهدية بغير عوض ، فإنه لا يرضى بذلك . وإنما يقدم اعتمادا على عوضه من الوقف . فهو معاوضة . ولكن ليس ببيع ولا إقراض . لأنه لو انتهض لمطالبتهم بالثمن استبعد ذلك . وقرينة الحال لا تدل عليه . فأشبه أصل ينزل عليه هذه الحالة الهبة بشرط الثواب . أعنى هدية لا لفظ فيها من شخص تقتضى قرينة حاله أنه يطمع فى ثواب . وذلك صحيح . والثواب لازم وههنا ما طمع الخادم في أن يأخذ ثوابا فيما قدمه إلا حقهم من الوقف ، ليقضي به دينه من الخباز والقصاب والبقال . فهذا ليس فيه شبهة . إذ لا يشترط لفظ فى الهدية ولا فى تقديم الطعام وإن كان مع انتظار الثواب . ولا مبالاة بقول من لا يصحح هدية فى انتظار ثواب

الأصل السادس: أن الثواب الذى يلزم فيه خلاف . فقيل إنه أقل متمول. وقيل قدر القيمة . وقيل مايرضى به الواهب . حتى له أن لا يرضى بأضعاف القيمة . والصحيح أنه يتبع رضاه فإذا لم يرض يرد عليه . وههنا الخادم قد رضى بما يأخذ من حق السكان على الوقف فإن كان لهم من الحق بقدر ما أكلوه فقد تم الأمر وإن كان ناقصا ورضى به الخادم صح أيضا وإن علم أن الخادم لا يرضى لولا أن فى يده الوقف الآخر الذى يأخذه بقوة هؤلاء السكان. فكأنه رضى فى الثواب بمقدار بعضه حلال وبعضه حرام، والحرام لم يدخل فى أيدى السكان فهذا كالخلل المتطرق إلى الثمن وقد ذكرنا حكمه من قبل وأنه متى يقتضى التحريم ومتى يقتضى الشبهة. وهذا لا يقتضى تحريما على مافصلناه . فلا تنقلب الهدية حراما بتوصل المهدى بسبب الهدية إلى حرام

الأصل السابع : أنه يقضى دين الخباز والقصاب والبقال من ريع الواقفين . فإن وفى ما أخذ من حقهم بقيمة ما أطعمهم فقد صح الأمر . وإن قصر عنه فرضى القصاب والخباز بأى ثمن كان حراما أو حلالا فهذا خلل تطرق إلى ثمن الطعام أيضا . فليلتفت إلى ماقدمناه من الشراء فى الذمة . ثم قضاء الثمن من الحرام . هذا إذا علم أنه قضاه من حرام . فإن احتمل ذلك واحتمل غيره ، فالشبهة أبعد .

وقد خرج من هذا ، أن أكل هذا ليس بحرام ، ولكنه أكل شبهة ، وهو بعيد من الورع ، لأن هذه الأصول إذا كثرت ، وتطرق إلى كل واحد احتمال ، صار احتمال الحرام بكثرته أقوى فى النفس . كما أن الخبر إذا طال إسناده صار احتمال الكذب والغلط فيه أقوى مما إذا قرب إسناده . فهذا حكم هذه الواقعة . وهى من الفتاوى . وإنما أوردناها ليعرف كيفية تخريج الوقائع الملتفة الملتبسة . وأنها كيف ترد إلى الأصول . فإن ذلك مما يعجز عنه أكثر المفتين .

الباب الرابع

فى كيفية خروج التائب عن المظالم المالية

اعلم أن من تاب وفى يده مال مختلط ، فعليه وظيفة فى تمييز الحرام وإخراجه ، ووظيفة أخرى فى مصرف المخرج فلينظر فيهما

النظر الاول

فى كيفية التمييز والإخراج

اعلم أن كل من تاب وفى يده ما هو حرام معلوم العين ، من غصب أو وديعة أوغيره فأمره سهل . فعليه تمييز الحرام . وإن كان ملتبسا مختلطا ، فلا يخلو إما أن يكون فى مال هو من ذوات الأمثال ، كالحبوب والنقود والأدهان ، وإما أن يكون فى أعيان متمايزة كالعبيد والدور والثياب . فإن كان فى المتماثلات ، أو كان شائعا فى المال كله ، كمن اكتسب المال بتجارة يعلم أنه قد كذب فى بعضها في المرابحة ، وصدق فى بعضها . أومن غصب دهنا وخلطه بدهن نفسه ، أو فعل ذلك فى الحبوب أو الدراهم والدنانير ، فلا يخلو ذلك إما أن يكون معلوم القدر أو مجهولا . فإن كان معلوم القدر ، مثل أن يعلم أن قدر النصف من جملة ماله حرام ، فعليه تمييز النصف . وإن أشكل ، فله طريقان : أحدهما الأخذ باليقين ، والآخر الأخذ بغالب الظن . وكلاهما قد قال به العلماء فى اشتباه ركعات الصلاة . ونحن لا نجوز فى الصلاة إلا الأخذ باليقين . فإن الأصل اشتغال الذمة فيستصحب ، ولا يغير إلا بعلامة قوية ، وليس فى أعداد الركعات علامات يوثق بها . وأما ههنا فلا يمكن أن يقال الأصل أن ما فى يده حرام . بل هو مشكل . فيجوز له الأخذ بغالب الظن اجتهادا . ولكن الورع فى الأخذ باليقين . فإن أراد الورع ، فطريق التحرى والاجتهاد أن لا يستبقى إلا القدر الذى يتيقن أنه حلال . وإن أراد الأخذ بالظن ، فطريقه مثلا أن يكون فى يده مال تجارة فسد بعضها ، فيتيقن أن النصف حلال ، وأن الثلث مثلا حرام ، ويبقى سدس يشك فيه ، فيحكم فيه بغالب الظن . وهكذا طريق التحرى فى كل مال . وهو أن يقتطع القدر المتيقن من الجانبين فى الحل والحرمة ، والقدر المتردد فيه إن غلب على ظنه التحريم أخرجه ، وإن غلب الحل جاز له الإمساك ، والورع إخراجه . وإن شك فيه جاز الإمساك ، والورع إخراجه . وهذا الورع آكد لأنه صار مشكوكا فيه . وجاز إمساكه اعتمادا على أنه فى يده فيكون الحل أغلب عليه . وقد صار ضعيفا بعد يقين اختلاط الحرام . ويحتمل أن يقال الأصل التحريم ، ولا يأخذ إلا ما يغلب على ظنه أنه حلال ، وليس أحد الجانبين بأولى من الآخر . وليس يتبين لى فى الحال ترجيح ، وهو من المشكلات

فان قيل: هب أنه أخذ باليقين ، لكن الذى يخرجه ليس يدرى أنه عين الحرام ، فلعل الحرام ما بقى فى يده ، فكيف يقدم عليه ؟ ولو جاز هذا ، لجاز أن يقال إذا اختلطت ميتة بتسع مذكاة فهى العشر ، فله أن يطرح واحدة أى واحدة كانت ، ويأخذ الباقى ويستحله ولكن يقال لعل الميتة فيما استبقاه . بل لو طرح التسع واستبقى واحدة لم تحل ، لاحتمال أنها الحرام

فنقول: هذه الموازنة كانت تصح لولا أن المال يحل بإخراج البدل لتطرق المعاوضة إليه . وأما الميتة فلا تتطرق المعاوضة إليها . فليكشف الغطاء عن هذا الإشكال بالفرض فى درهم معين اشتبه بدرهم آخر ، فيمن له درهمان أحدهما حرام قد اشتبه عينه . وقد سئل أحمد بن حنبل رضى الله عنه عن مثل هذا ، فقال يدع الكل حتى يتبين . وكان قد رهن آنية ، فلما قضى الدين حمل إليه المرتهن آنيتين ، وقال لا أدرى أيتهما آنيتك ، فتركهما فقال المرتهن هذا هو الذى لك ، وإنما كنت أختبرك . فقضى دينه ولم يأخذ الرهن . وهذا ورع . ولكنا نقول إنه غير واجب

فلنفرض المسألة فى درهم له مالك معين حاضر ، فنقول إذا رد أحد الدرهمين عليه ، ورضى به مع العلم بحقيقة الحال ، حل له الدرهم الآخر . لأنه لا يخلو إما أن يكون المردود فى علم الله هو المأخوذ ، فقد حصل المقصود . وإن كان غير ذلك ، فقد حصل لكل واحد درهم فى يد صاحبه . فالاحتياط أن يتبايعا باللفظ . فإن لم يفعلا وقع التقاص والتبادل بمجرد المعاطاة وإن كان المغصوب منه قد فات له درهم فى يد الغاصب ، وعسر الوصول إلى عينه ، واستحق ضمانه ، فلما أخذه وقع عن الضمان بمجرد القبض . وهذا فى جانبه واضح . فإن المضمون له يملك الضمان بمجرد القبض من غير لفظه . والإشكال فى الجانب الآخر أنه لم يدخل فى ملكه فنقول: لأنه أيضا إن كان قد تسلم درهم نفسه ، فقد فات له أيضا درهم فى يد الآخر ، فليس يمكن الوصول إليه ، فهو كالغائب ، فيقع هذا بدلا عنه فى علم الله إن كان الأمر كذلك . ويقع هذا التبادل فى علم الله كما يقع التقاص لو أتلف رجلان كل واحد منهما درهما على صاحبه . بل فى عين مسألتنا لو ألقى كل واحد منا فى يده فى البحر ، أو أحرقه ، كان قد أتلفه ولم يكن عليه عهدة للآخر بطريق التقاص فكذا إذا لم يتلف فإن القول بهذا أولى من المصير

إلى أن من يأخذ درهما حراما ، ويطرحه فى ألف ألف درهم لرجل آخر ، يصير كل المال محجورا عليه لا يجوز التصرف فيه . وهذا المذهب يؤدى اليه . فانظر ما فى هذا من البعد وليس فيما ذكرناه إلا ترك اللفظ . والمعاطاة بيع . ومن لا يجعلها بيعا فحيث يتطرق إليها احتمال . إذ الفعل يضعف دلالته ، وحيث يمكن التلفظ . وههنا هذا التسليم والتسلم للمبادلة قطعا والبيع غير ممكن ؛ لأن المبيع غير مشار إليه ولا معلوم فى عينه ، وقد يكون مما لا يقبل البيع كما لو خلط رطل دقيق بألف رطل دقيق لغيره . وكذا الدبس والرطب وكل ما لا يباع البعض منه بالبعض

فإن قيل: فأنتم جوزتم تسليم قدر حقه فى مثل هذه الصورة ، وجعلتموه بيعا

قلنا: لا نجعله بيعا . بل نقول هو بدل عما فات فى يده ، فيملكه كما يملك المتلف عليه من الرطب إذا أخذ مثله . هذا إذا ساعد صاحب المال ، فإن لم يساعده وأضرّ به ، وقال لا آخذ درهما أصلا إلا عين ملكى ، فإن استبهم فأتركه ولا أهبه وأعطل عليك مالك

فأقول: على القاضى أن ينوب عنه فى القبض ، حتى يطيب للرجل ماله ، فإن هذا محض التعنت والتضييق . والشرع لم يَرِد به فإن عجز عن القاضى ولم يجده ، فليحكم رجلا متدينا ليقض عنه . فإن عجز ، فيتولى هو بنفسه ، ويفرد على نية الصرف إليه درهما ، ويتعين ذلك له ، ويطيب له الباقى . وهذا فى خلط المائعات أظهر وألزم

فإن قيل: فينبغى أن يحل له الأخذ ، وينتقل الحق إلى ذمته ، فأى حاجة إلى الإخراج أولا ثم التصرف فى الباقى ؟

قلنا: قال قائلون يحل له أن يأخذ مادام يبقى قدر الحرام . ولا يجوز أن يأخذ الكل . ولو أخذ لم يجز له ذلك . وقال آخرون ليس له أن يأخذ ما لم يخرج قدر الحرام بالتوبة وقصد الإبدال . وقال آخرون يجوز للآخذ فى التصرف أن يأخذ منه ، وأما هو فلا يعطى ، فإن أعطى عصى هو دون الآخذ منه . وما جوز أحد أخذ الكل . وذلك لأن المالك لو ظهر فله أن يأخذ حقه من هذه الجملة ، إذ يقول لعل المصروف إلىّ يقع عين حقى . . وبالتعيين وإخراج حق الغير وتميزه يندفع هذا الاحتمال . فهذا المال يترجح بهذا الاحتمال على غيره وما هو أقرب إلى الحق مقدم . كما يقدم المثل على القيمة . والعين على المثل فكذلك ما يحتمل فيه رجوع المثل مقدم على ما يحتمل فيه رجوع القيمة . وما يحتمل فيه رجوع العين يقدم

على مايحتمل فيه رجوع المثل ولو جاز لهذا أن يقول ذلك ، لجاز لصاحب الدرهم الآخر أن يأخذ الدرهمين ويتصرف فيهما ، ويقول عَلَيَّ قضاء حقك من موضع آخر ، إذ الاختلاط من الجانبين ، وليس ملك أحدهما بأن يقدر فائتا بأولى من الآخر ، إلا أن ينظر إلى الأقل فيقدر أنه فائت فيه . أو ينظر إلى الذى خلط فيجعل بفعله ملتفا لحق غيره . وكلاهما بعيدان جدا . وهذا واضح فى ذوات الأمثال ، فإنها تقع عوضا فى الإتلافات من غير عقد

فأما إذا اشتبه دار بدور ، أو عبد بعبيد ، فلا سبيل إلى المصالحة والتراضى . فإن أبى أن يأخذ إلا عين حقه ولم يقدر عليه ، وأراد الآخر أن يعوق عليه جميع ملكه ، فإن كانت متماثلة القيم ، فالطريق أن يبيع القاضى جميع الدور ، ويوزع عليهم الثمن بقدر النسبة . وإن كانت متفاوتة ، أخذ من طلب البيع قيمة أنفس الدور ، وصرف إلى الممتنع منه مقدار قيمة الأقل . ويوقف قدر التفاوت إلى البيان أو الاصطلاح لأنه مشكل . وإن لم يوجد القاضى فللذى يريد الخلاص وفى يده الكل أن يتولى ذلك بنفسه . هذه هى المصلحة وماعداها من الاحتمالات ضعيفة لانختارها . وفيما سبق تنبيه على العلة ، وهذا فى الحنطة ظاهر ، وفى النقود دونه ، وفى العروض أغمض ، إذ لا يقع البعض بدلا عن البعض ، فلذلك احتيج إلى البيع . ولنرسم مسائل يتم بها بيان هذا الأصل

مسألة:

إذا ورث مع جماعة ، وكان السلطان قد غصب ضيعة لمورثهم ، فرد عليه قطعة معينة فهى لجميع الورثة . ولو رد من الضيعة نصفا ، وهو قدر حقه ، ساهمه الورثة . فإن النصف الذى له لا يتميز حتى يقال هو المردود ، والباقى هو المغصوب ، ولا يصير مميزا بنية السلطان وقصده حصر الغصب فى نصيب الآخرين

مسألة :

إذا وقع فى يده مال أخذه من سلطان ظالم ثم تاب ، والمال عقار ، وكان قد حصل منه ارتفاع ، فينبغى أن يحسب أجر مثله لطول تلك المدة . وكذلك كل مغصوب له منفعة أو حصل منه زيادة ، فلا تصح توبته مالم يخرج أجرة المغصوب ، وكذلك كل زيادة حصلت منه . وتقدير أجرة العبيد والثياب والأوانى ، وأمثال ذلك مما لا يعتاد إجارتها مما يعسر

ولا يدرك ذلك إلا باجتهاد وتخمين . وهكذا كل التقويمات تقع بالاجتهاد . وطريق الورع الأخذ بالأقصى . وما ربحه على المال المغصوب فى عقود عقدها على الذمة، وقضى الثمن منه ، فهو ملك له . ولكن فيه شبهة ، إذ كان ثمنه حراما كما سبق حكمه . وإن كان بأعيان تلك الأموال فالعقود كانت فاسدة . وقد قيل تنفذ بإجارة المغصوب منه للمصلحة فيكون المغصوب منه أولى به . والقياس أن تلك العقود تفسخ ، وتسترد الثمن ، وترد الأعواض فإن عجز عنه لكثرته ، فهى أموال حرام حصلت فى يده ، فللمغصوب منه قدر رأس ماله والفضل حرام يجب إخراجه ليتصدق به . ولا يحل للغاصب ولا للمغصوب منه بل حكمه حكم كل حرام يقع فى يده

مسألة :

من ورث مالا ولم يدر أن مورثه من أين اكتسبه، أمن حلال أم من حرام ولم يكن ثَمَّ علامة ، فهو حلال باتفاق العلماء . وإن علم أن فيه حراما ، وشك فى قدره ، أخرج مقدار الحرام بالتحرى فإن لم يعلم ذلك ، ولكن علم أن مورثه كان يتولى أعمالا للسلاطين واحتمل أنه لم يكن يأخذ فى عمله شيئا ، أو كان قد أخذ ولم يبق فى يده منه شىء لطول المدة ، فهذه شبهة يحسن التورع عنها ولا يجب . وإن علم أن بعض ماله كان من الظلم، فيلزمه إخراج ذلك القدر بالاجتهاد . وقال بعض العلماء لا يلزمه والإثم على المورث . واستدل بما روى أن رجلا ممن ولى عمل السلطان مات ، فقال صحابى الآن طاب ماله أى لوارثه ، وهذا ضعيف . لأنه لم يذكر اسم الصحابى . ولعله صدر من متساهل ، فقد كان فى الصحابة من يتساهل . ولكن لا نذكره لحرمة الصحبة . وكيف يكون موت الرجل مبيحا للحرام المتيقن المختلط؟ ومن أين يؤخذ هذا؟ نعم إذا لم يتيقن ، يجوز أن يقال هو غير مأخوذ بما لا يدرى، فيطيب لوارث لا يدرى أن فيه حراما يقينا

النظر الثانى

فى المصرف

فإذا أخرج الحرام فله ثلاثة أحوال

إما أن يكون له مالك معين ، فيجب الصرف إليه ، أو إلى وارثه وإن كان غائبا فينتظر

حضوره أو الإيصال إليه . وإن كانت له زيادة ومنفعة فلتجمع فوائده إلى وقت حضوره

وإما أن يكون لمالك غير معين ، وقع اليأس من الوقوف على عينه ، ولا يدرى أنه مات عن وارث أم لا ، فهذا لايمكن الرد فيه للمالك ، ويوقف حتى يتضح الأمر فيه . وربما لايمكن الرد لكثرة الملاك ، كغلول الغنيمة ، فإنها بعد تفرق الغزاة كيف يقدر على جمعهم وإن قدر فكيف يفرق دينارا واحدا مثلا على ألف أو ألفين ؟ فهذا ينبغى أن يتصدق به

وإما من مال الفىء والأموال المرصدة لمصالح المسلمين كافة ، فيصرف ذلك إلى القناطر والمساجد والرباطات ، ومصانع طريق مكة ، وأمثال هذه الأمور التى يشترك فى الانتفاع بها كل من يمر بها من المسلمين ، ليكون عاما للمسلمين

وحكم القسم الاول لاشبهة فيه . أما التصدق وبناء القناطر ، فينبغى أن يتولاه القاضى فيسلم إليه المال إن وجد قاضيا متدينا . وإن كان القاضى مستحلا ، فهو بالتسليم إليه ضامن لو ابتدأ به فيما لايضمنه ، فكيف يسقط عنه به ضمان قد استقر عليه ؟ بل يحكم من أهل البلد عالما متدينا ، فإن التحكيم أولى من الانفراد . فإن عجز ، فليتولى ذلك بنفسه . فان المقصود الصرف . وأما عين الصارف فإنما نطلبه لمصارف دقيقة فى المصالح . فلا يترك أصل الصرف بسبب العجز عن صارف هو أولى عند القدرة عليه

فإن قيل : ما دليل جواز التصدق بما هو حرام ؟ وكيف يتصدق بما لا يملك ؟ وقد ذهب جماعة إلى أن ذلك غير جائز لأنه حرام . وحكى عن الفضيل أنه وقع في يده درهمان ، فلما علم أنهما غير وجههما رماهما بين الحجارة ، وقال لا أتصدق إلا بالطيب ، ولا أرضى لغيرى مالا أرضاه لنفسى

فنقول : نعم ذلك له وجه واحتمال ، وإنما اخترنا خلافه للخبر والأثر والقياس

أما الخبر : فأمْرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] بالتصديق بالشاة المصلية التى قدمت اليه فكلمته بأنها حرام ، إذ قال صلى الله عليه وسلم « أَطْعِمُوهَا الأُسَارَى » ولما نزل قوله تعالى

---

(١) حديث أمر رسول صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالشاة المصلية التى قدمت بين يديه وكلمته بانها حرام اذ قال أطعموها الاسارى أحمد من حديث رجل من الانصار قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة فلما رجعنا لقينا راعى امرأة من قريش فقال ان فلانة تدعوك ومن معك الى طعام ـ الحديث : وفيه فقال أجد لحم شاة أخذت بغير اذن أهلها وفيه فقال . أطعموها الأسارى واسناده جيد

(الٓمٓ *غُلِبَتِ الرُّومُ* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ[1]) كذبه المشركون، وقالوا للصحابة ألا ترون ما يقول صاحبكم: يزعم أن الروم ستغلب! [1] فخاطرهم أبو بكر رضى الله عنه بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما حقق الله صدقه، وجاء أبو بكر رضى الله عنه بما قامرهم به، قال عليه السلام «هَذَا سُحْتٌ فَتَصَدَّقْ بِهِ» وفرح المؤمنون بنصر الله. وكان قد نزل تحريم القمار بعد إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له فى المخاطرة مع الكفار

وأما الأثر: فان ابن مسعود رضى الله عنه اشترى جارية، فلم يظفر بمالكها لينقده الثمن، فطلبه كثيرا فلم يجده. فتصدق بالثمن، وقال اللهم هذا عنه إن رضى، وإلا فالأجر لى. وسئل الحسن رضى الله عنه عن توبة الغال، وما يؤخذ منه بعد تفريق الجيش فقال يتصدق به. وروى أن رجلا سولت له نفسه، فغل مائة دينار من الغنيمة، ثم أتى أميره ليردها عليه، فأبى أن يقبضها، وقال له تفرق الناس. فأتى معاوية، فأبى أن يقبض فأتى بعض النساك، فقال ادفع خمسها إلى معاوية، وتصدق بما بقى. فبلغ معاوية قوله فتلهف إذ لم يخطر له ذلك. وقد ذهب أحمد بن حنبل، والحارس المحاسبى، وجماعة من الورعين إلى ذلك.

وأما القياس: فهو أن يقال إن هذا المال مردد بين أن يضيع وبين أن يصرف إلى خير، إذ قد وقع اليأس من مالكه. وبالضرورة يعلم أن صرفه إلى خير أولى من إلقائه فى البحر، فإنا إن رميناه فى البحر فقد فوتناه على أنفسنا وعلى المالك، ولم تحصل منه فائدة. وإذا رميناه فى يد فقير يدعو لمالكه، حصل للمالك بركة دعائه، وحصل للفقير سد حاجته وحصول الأجر للمالك بغير اختياره فى التصدق لا ينبغى أن ينكر. فان فى الخبر الصحيح [2] «إِنَّ لِلزَّارِعِ وَالْغَارِسِ أَجْرًا فِي كُلِّ مَا يُصِيبُهُ النَّاسُ وَالطُّيُورُ مِنْ ثَمَارِهِ وَزَرْعِهِ» وذلك بغير اختياره

---

(١) حديث مخاطرة أبى بكر المشركين باذنه صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى ـ ألم غلبت الروم ـ وفيه فقال صلى الله عليه وسلم هذا سحت فتصدق به البيهقى فى دلائل النبوة من حديث ابن عباس وليس فيه ان ذلك كان باذنه صلى الله عليه وسلم ـ والحديث عند الترمذى وحسنه والحاكم وصححه دون قوله أيضا هذا سحت فتصدق به

(٢) حديث أجر الزارع والغارس فى كل ما يصيب الناس والطيور: البخارى من حديث أنس مامن مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه انسان أو طير أو بهيمة إلا كان له صدقة

---

(١) الروم: ١، ٢، ٣

وأما قول القائل. لا نتصدق إلا بالطيب ، فذلك إذا طلبنا الأجر لأنفسنا ، ونحن الآن نطلب الخلاص من المظلمة لا الأجر . وترددنا بين التضييع وبين التصديق .ورجحنا جانب التصدق على جانب التضييع

وقول القائل:لانرضى لغيرنا مالا نرضاه لأنفسنا فهو كذلك . ولكنه علينا حرام لاستغنائنا عنه . وللفقير حلال إذ أحله دليل الشرع . وإذا اقتضت المصلحة التحليل وجب التحليل . وإذا حل فقد رضينا له الحلال

ونقول : إن له أن يتصدق على نفسه وعياله إذا كان فقيرا أما عياله وأهله فلا يخفى لأن الفقر لاينتفى عنهم بكونهم من عياله وأهله . بل هم أولى من يتصدق عليهم . وأما هو فله أن يأخذ منه قدر حاجته ،لأنه أيضا فقير . ولو تصدق به على فقير لجاز . وكذا إذا كان هو الفقير . ولنرسم فى بيان هذا الأصل أيضا مسائل

مسألة :

إذا وقع فى يده مال من يد سلطان . قال قوم يرد إلى السلطان ، فهو أعلم بما تولاه فيقلده ماتقلده . وهو خير من أن يتصدق به . واختار المحاسبي ذلك . وقال كيف يتصدق به ؟ فلعل له مالكا معينا . ولو جاز ذلك لجاز أن يسرق من السلطان ويتصدق به . وقال قوم يتصدق به إذا علم أن السلطان لايرده إلى المالك ، لأن ذلك إعانة للظالم ، وتكثير لأسباب ظلمه ، فالرد إليه تضييع لحق المالك

والمختار :أنه إذا علم من عادة السلطان أنه لايرده إلى مالكه ، فيتصدق به عن مالكه فهو خير للمالك ، إن كان له مالك معين ، من أن يرد على السلطان . لأنه ربما لايكون له مالك معين ، ويكون حق المسلمين . فرده على السلطان تضييع . فإن كان له مالك معين ، فالرد على السلطان تضييع وإعانة للسلطان الظالم ، وتفويت لبركة دعاء الفقير على المالك . وهذا ظاهر . فإذا وقع فى يده من ميراث ، ولم يتعد هو بالأخذ من السلطان ، فإنه شبيه باللقطة التى أيس عن معرفة صاحبها ، إذ لم يكن له أن يتصرف فيها بالتصدق عن المالك ولكن له أن يتملكها. ثم وإن كان غنيا.من حيث إنها كتسبه من وجه مباح،وهو الالتقاط وههنا لم يحصل المال من وجه مباح ، فيؤثر فى منعه من التملك ،ولا يؤثر فى المنع من التصدق

مسألة :

إذا حصل فى يده مال لامالك له ، وجوزنا له أن يأخذ قدر حاجته لفقره ، ففى قدر حاجته نظر ذكرناه فى كتاب أسرار الزكاة . فقد قال قوم يأخذ كفاية سنة لنفسه وعياله . وإن قدر على شراء ضيعة أو تجارة يكتسب بها للعائلة فعل . وهذا مااختاره المحاسبي ولكنه قال الأولى أن يتصدق بالكل إن وجد من نفسه قوة التوكل . وينتظر لطف الله تعالى فى الحلال . فإن لم يقدر فله أن يشترى ضيعة ، أو يتخذ رأس مال يتعيش بالمعروف منه وكل يوم وجد فيه حلالا أمسك ذلك اليوم عنه ،فإذا فنى عاد إليه ،فاذا وجد حلالا معينا تصدق بمثل ماأنفقه من قبل ، ويكون ذلك قرضا عنده . ثم إنه يأكل الخبز ويترك اللحم إن قوى عليه . وإلا أكل اللحم من غير تنعم وتوسع . وماذكره لامزيد عليه.ولكن جعل ماأنفقه قرضا عنده فيه نظر . ولا شك فى أن الورع أن يجعله قرضا . فإذاوجدحلالا تصدق بمثله . ولكن مهما لم يجب ذلك على الفقير الذى يتصدق به عليه ، فلا يبعد أن لايجب عليه أيضا إذا أخذه لفقره ، لاسيما إذا وقع فى يده من ميراث ، ولم يكن متعديا بغصبه وكسبه ، حتى يغلظ الأمر عليه فيه .

مسألة :

إذا كان فى يده حلال وحرام أو شبهة ، وليس يفضل الكل عن حاجته . فاذا كان له عيال فليخص نفسه بالحلال ، لأن الحجة عليه أوكد فى نفسه منه فى عبده وعياله وأولاده الصغار . والكبارُ من الأولاد يحرسهم من الحرام إن كان لايفضى بهم إلى ماهو أشد منه . فان أفضى فيطعمهم بقدر الحاجة . وبالجملة كل مايحذره فى غيره فهو محذور فى نفسه وزيادة . وهو أنه يتناول مع العلم ، والعيال ربما تعذر إذا لم تعلم . إذ لم تتول الأمر بنفسها فليبدأ بالحلال بنفسه ثم بمن يعول . وإذا تردد فى حق نفسه بين مايخص قوته وكسوته وبين غيره من المؤن، كأجرة الحجام والصباغ والقصار والحمال ، والإطلاء بالنورة والدهن وعمارة المنزل ، وتعهد الدابة ، وتسجير التنور ، وثمن الحطب ، ودهن السراج ، فليخص بالحلال قوته ولباسه ، فان ما يتعلق ببدنه ولا غنى به عنه هو أولى بأن يكون طيبا . وإذا دار الأمر بين القوت واللباس،فيحتمل أن يقال يخص القوت بالحلال،لأنه ممتزج بلحمه ودمه

وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به . وأما الكسوة ففائدتها ستر عورته ، ودفع الحر والبرد والإبصار عن بشرته ، وهذا هو الأظهر عندى . وقال الحارث المحاسبي ، يقدم اللباس لأنه يبقى عليه مدة ، والطعام لا يبقى عليه ، لما روى أنه [1] لا يقبل الله صلاة من عليه ثوب اشتراه بعشرة دراهم فيها درهم حرام . وهذا محتمل ، ولكن أمثال هذا قد ورد فيمن فى بطنه حرام ، ونبت لحمه من حرام [2] فمراعاة اللحم والعظم أن ينبته من الحلال أولى . ولذلك تقيأ الصديق رضى الله عنه ماشربه مع الجهل ، حتى لا ينبت منه لحم يثبت ويبقى

فإن قيل: فإذا كان الكل منصرفا إلى أغراضه ، فأى فرق بين نفسه وغيره ، وبين جهة وجهة ، وما مدرك هذا الفرق

قلنا: عرف ذلك بما روي [3] أن رافع بن خديج رحمه الله مات وخلف ناضحا وعبدا حجاما فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنهى عن كسب الحجام . فروجع مرات فمنع منه . فقيل إن له أيتاما فقال «اعْلِفُوهُ النَّاضِحَ» فهذا يدل على الفرق بين ما يأكله هو أو دابته . فاذا انفتح سبيل الفرق ، فقس عليه التفصيل الذى ذكرناه

مسألة :

الحرام الذى فى يده لو تصدق به على الفقراء فله أن يوسع عليهم . وإذا أنفق على نفسه فليضيق ماقدر . وما أنفق على عياله فليقتصد ، وليكن وسطا بين التوسيع والتضييق فيكون الأمر على ثلاث مراتب فإن انفق على ضيف قدم عليه وهو فقير ، فليوسع عليه وإن كان غنيا فلا يطعمه إلا إذا كان فى برية أو قدم ليلا ولم يجد شيئا . فإنه فى ذلك الوقت فقير . وإن كان الفقير الذى حضر ضيفا تقيا ، لو علم ذلك لتورع عنه فليعرض الطعام وليخبره

---

(١) حديث لا تقبل صلاة من عليه ثوب اشتراه بعشرة درهم وفيها درهم حرام: أحمد من حديث ابن عمرو وقد تقدم

(٢) حديث الجسد نبت من الحرام تقدم

(٣) حديث ان رافع بن خديج مات وخلف ناضحا وعبدا حجاما ـ الحديث: وفيه اعلفوه الناضح أحمد والطبرانى من رواية عباية بن رفاعة بن خديج أن جده حين مات ترك جارية وناضحا وغلاما حجاما ـ الحديث وليس المراد بجده رافع بن خديج فانه بقى الى سنة أربع وسبعين فيحتمل أن المراد جده الأعلى وهو خديج ولم أر له ذكرا فى الصحابة وفى رواية للطبرانى عن عباية بن رفاعة عن أبيه قال مات أبى وفى رواية له عن عباية قال مات رفاعة على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ـ الحديث ، وهو مضطرب

جمعا بين حق الضيافة وترك الخداع . فلا ينبغى أن يكرم أخاه بما يكره . ولا ينبغى أن يعول على أنه لايدرى فلا يضره . فإن الحرام إذا حصل فى المعدة أثّر فى قساوة القلب وإن لم يعرفه صاحبه . ولذلك تقيأ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وكانا قد شربا على جهل وهذا وإن أفتينا بأنه حلال للفقراء ، أحللناه بحكم الحاجة إليه . فهو كالخنزير والخمر ، إذا أحللناهما بالضرورة . فلا يلتحق بالطيبات

مسألة :

إذا كان الحرام أو الشبهة فى يد أبويه ، فليمتنع عن مؤاكلتهما . فإن كانا يسخطان فلا يوافقهما على الحرام المحض . بل ينهاهما فلا طاعة لمخلوق فى معصية الله تعالى : فإن كان شبهة وكان امتناعه للورع ، فهذا قد عارضه أن الورع طلب رضاهما ، بل هو واجب . فليتلطف فى الامتناع ، فإن لم يقدر ، فليوافق ، وليقلل الأكل ، بأن يصغر اللقمة ويطيل المضغ ، ولا يتوسع فإن ذلك عدوان . والأخ والأخت قريبان من ذلك ، لأن حقهما أيضا مؤكد وكذلك إذا ألبسته أمه ثوبا من شبهة ، وكانت تسخط برده ، فليقبل وليلبس بين يديها وليخلع فى غيبتها وليجتهد أن لايصلى فيه إلا عند حضورها ، فيصلى فيه صلاة المضطر . وعند تعارض أسباب الورع ينبغى أن يتفقد هذه الدقائق

وقد حكى عن بشر رحمه الله ، أنه سلمت إليه أمه رطبة ، وقالت بحق عليك أن تأكلها وكان يكرهه ، فأكل . ثم صعد غرفة ، فصعدت أمه وراءه ، فرأته يتقيأ . وإنما فعل ذلك لأنه أراد أن يجمع بين رضاها وبين صيانة المعدة . وقد قيل لأحمد بن حنبل ، سئل بشر هل للوالدين طاعة فى الشبهة ؟ فقال لا ، فقال أحمد هذا شديد . فقيل له سئل محمد بن مقاتل العبادانى عنها ، فقال برّ والديك ، فماذا تقول ؟ فقال للسائل ، أحب أن تعفينى ، فقد سمعت ماقالا . ثم قال ! ماأحسن أن تداريهما

مسألة :

من فى يده مال حرام محض ، فلا حج عليه ، ولا يلزمه كفارة مالية لأنه مفلس . ولا تجب عليه الزكاة ، إذ معنى الزكاة وجوب إخراج ربع العشر مثلا ، وهذا يجب عليه إخراج الكل إما ردا على المالك إن عرفه ، أو صرفا إلى الفقراء إن لم يعرف المالك

وأما إذا كان مال شبهة يحتمل أنه حلال ، فإذا لم يخرجه من يده لزمه الحج ، لأن كونه حلالا ممكن . ولا يسقط الحج إلا بالفقر ، ولم يتحقق فقره . وقد قال الله تعالى (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً[1]) وإذا وجب عليه التصدق بما يزيد على حاجته ، حيث يغلب على ظنه تحريمه ، فالزكاة أولى بالوجوب . وإن لزمته كفارة ، فليجمع بين الصوم والإعتاق ليتخلص بيقين . وقد قال قوم يلزمهم الصوم دون الإطعام . إذ ليس له يسار معلوم . وقال المحاسبي ، يكفيه الإطعام . والذى نختاره أن كل شبهة حكمنا بوجوب اجتنابها ، وألزمناه إخراجها من يده ، لكون احتمال الحرام أغلب على ماذكرناه ، فعليه الجمع بين الصوم والإطعام أما الصوم ، فلأنه مفلس حكما . وأما الإطعام ، فلأنه قد وجب عليه التصدق بالجميع ، ويحتمل أن يكون له ، فيكون اللزوم من جهة الكفارة

مسألة :

من فى يده مال حرام أمسكه للحاجة ، فأراد أن يتطوع بالحج ، فإن كان ماشيا ، فلا بأس به . لأنه سيأكل هذا المال فى غير عبادة ، فأكله فى عبادة أولى . وإن كان لا يقدر على أن يمشي ، ويحتاج إلى زيادة للمركوب ، فلا يجوز الأخذ لمثل هذه الحاجة فى الطريق كما لا يجوز شراء المركوب فى البلد . وإن كان يتوقع القدرة على حلال لو أقام ، بحيث يستغنى به عن بقية الحرام ، فالإقامة فى انتظاره أولى من الحج ماشيا بالمال الحرام

مسألة :

من خرج لحج واجب بمال فيه شبهة ، فليجتهد أن يكون قوته من الطيب . فإن لم يقدر ، فمن وقت الإحرام إلى التحلل . فإن لم يقدر ، فليجتهد يوم عرفة أن لا يكون قيامه بين يدى الله ودعاؤه فى وقت مطعمه حرام وملبسه حرام ، فليجتهد أن لا يكون فى بطنه حرام ، ولا على ظهره حرام . فإنا وإن جوزنا هذا بالحاجة ، فهو نوع ضرورة ، وما ألحقناه بالطيبات . فان لم يقدر ، فليلازم قلبه الخوف والغم لما هو مضطر إليه ، من تناول ما ليس بطيب ، فعساه ينظر إليه بعين الرحمة ، ويتجاوز عنه بسبب حزنه وخوفه وكراهته

مسألة :

سئل أحمد بن حنبل رحمه الله ، فقال له قائل ، مات أبي وترك مالا ، وكان يعامل من

(١) آل عمران : ٩٧

تكره معاملته ؟ فقال تدع من ماله بقدر ما ربح . فقال له دين وعليه دين ؟ فقال تقضى وتقتضى . فقال أفترى ذلك ؟ فقال أفتدعه محتبسا بدينه ؟ وما ذكره صحيح . وهو يدل على أنه رأى التحرى بإخراج مقدار الحرام ، إذ قال يخرج قدر الربح ، وأنه رأى أن أعيان أمواله ملك له ، بدلا عما بذله فى المعاوضات الفاسدة ، بطريق التقاص والتقابل ، مهما كثر التصرف وعسر الرد ، وعول فى قضاء دينه على أنه يقين ، فلا يترك بسبب الشبهة .

الباب الخامس

فى إدرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم

اعلم أن من أخذ مالا من سلطان فلا بد له من النظر فى ثلاثة أمور : فى مدخل ذلك إلى يد السلطان من أين هو ، وفى صفته التى بها يستحق الأخذ ، وفى المقدار الذى يأخذه هل يستحقه إذا أضيف إلى حاله وحال شركائه فى الاستحقاق .

النظر الأول

فى جهات الدخل للسلطان

وكل مايحل للسلطان سوى الأحياء ، وما يشترك فيه الرعية قسمان :

مأخوذ من الكفار ، وهو الغنيمة المأخوذة بالقهر ، والفىء وهو الذى حصل من مالهم فى يده من غير قتال ، والجزية وأموال المصالحة وهى التى تؤخذ بالشروط والمعاقدة

والقسم الثانى ، المأخوذ من المسلمين ، فلايحل منه إلا قسمان : المواريث وسائر الأمور الضائعة التى لايتعين لها مالك ، والأوقاف التى لامتولى لها . أما الصدقات ، فليست توجد فى هذا الزمان . وما عدا ذلك ، من الخراج المضروب على المسلمين ، والمصادرات وأنواع الرشوة ، كلها حرام .

فاذا كتب لفقيه أو غيره إدراراً أو صلة أو خلعة على جهة ، فلا يخلو من أحوال ثمانية فإنه إما أن يكتب له ذلك على الجزية ، أو على المواريث ، أو على الأوقاف أو على ملك

أحياه السلطان ، أو على ملك اشتراه ، أو على عامل خراج المسلمين ، أو على بياع من جملة التجار ، أو على الخزانة .

فالاول : هو الجزية . وأربعة أخماسها للمصالح ، وخمسها لجهات معينة . فما يكتب على الخمس من تلك الجهات ، أو على الأخماس الأربعة لما فيه مصلحة ، وروعى فيه الاحتياط فى القدر ، فهو حلال ، بشرط أن لاتكون الجزية إلا مضروبة على وجه شرعى ، ليس فيها زيادة على دينار ، أو على أربعة دنانير ، فإنه أيضا فى محل الاجتهاد . وللسلطان أن يفعل ماهو فى محل الاجتهاد . وبشرط أن يكون الذمي الذى تؤخذ الجزية منه ، مكتسبا من وجه لا يعلم تحريمه ، فلا يكون عامل سلطان ظالما ، ولا بياع خمر ، ولا صبيا ، ولا امرأة ، إذ لا جزية عليهما

فهذه أمور تراعى فى كيفية ضرب الجزية ، ومقدارها ، وصفة من تصرف إليه ، ومقدار مايصرف ، فيجب النظر فى جميع ذلك

الثانى : المواريث والأموال الضائعة . فهى للمصالح . والنظر أن الذى خلفه هل كان ماله كله حراما أو أكثره أو أقله ، وقد سبق حكمه . فإن لم يكن حراما بقى النظر فى صفة من يصرف إليه ، بأن يكون فى الصرف اليه مصلحة ، ثم فى المقدار المصروف

الثالث : الأوقاف . وكذا يجرى النظر فيها كما يجري فى الميراث ، مع زيادة أمر ، وهو شرط الواقف ، حتى يكون المأخوذ موافقا له فى جميع شرائطه

الرابع : ماأحياه السلطان . وهذا لايعتبر فيه شرط ، إذ له أن يعطى من ملكه ماشاء لمن شاء أى قدر شاء . وإنما النظر فى أن الغالب أنه أحياه بإكراه الأجراء ، أو بأداء أجرتهم من حرام ، فإن الإحياء يحصل بحفر القناة والأنهار ، وبناء الجدران ، وتسوية الأرض ولا يتولاه السلطان بنفسه . فإن كانوا مكرهين على الفعل ، لم يملكه السلطان ، وهو حرام وإن كانوا مستأجرين ، ثم قضيت أجورهم من الحرام ، فهذا يورث شبهة قد نبهنا عليها فى تعلق الكراهة بالأعواض

الخامس : مااشتراه السلطان فى الذمة ، من أرض أو ثياب خلعة أو فرس أو غيره . فهو ملكه . وله أن يتصرف فيه . ولكنه سيقضى ثمنه من حرام ، وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة أخرى . وقد سبق تفصيله

السادس : أن يكتب على عامل خراج المسلمين، أو من يجمع أموال القسمة والمصادرة وهو الحرام السحت الذى لاشبهة فيه . وهو أكثر الإدرارات فى هذا الزمان . إلا ما على أراضى العراق ، فإنها وقف عند الشافعى رحمه الله على مصالح المسلمين

السابع : مايكتب على بياع يعامل السلطان . فإن كان لا يعامل غيره ،فما له كمال خزانة السلطان . وإن كان يعامل غير السلاطين أكثر ، فما يعطيه قرض على السلطان ، وسيأخذ بدله من الخزانة فالخلل يتطرق إلى العوض . وقد سبق حكم الثمن الحرام

الثامن : مايكتب على الخزانة ، أو على عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام . فإن لم يعرف للسلطان دخل إلا من الحرام ، فهو سحت محض . وإن عرف يقينا أن الخزانة تشتمل على مال حلال ومال حرام ، واحتمل أن يكون مايسلم إليه بعينه من الحلال، احتمالا قريبا له وقع فى النفس ، واحتمل أن يكون من الحرام ، وهو الأغلب . لأن أغلب أموال السلاطين حرام فى هذه الأعصار ، والحلال فى أيديهم معدوم أو عزيز ، فقد اختلف الناس فى هذا . فقال قوم. كل مالا أتيقن أنه حرام فلى أن آخذه . وقال آخرون. لا يحل أن يؤخذ مالم يتحقق أنه حلال ،فلا تحل شبهة أصلا. وكلاهما إسراف. والاعتدال ماقدمنا ذكره. وهو الحكم بان الاغلب اذا كان حراما حرم وإن كان الأغلب حلالا وفيه يقين حرام فهو موضع توقفنا فيه كما سبق

ولقد احتج من جوز أخذ أموال السلاطين إذا كان فيها حرام وحلال ، مهما لم يتحقق أن عين المأخوذ حرام ، بما روى عن جماعة من الصحابه ، أنهم أدركوا أيام الأئمة الظلمة، وأخذوا الأموال . منهم أبو هريرة ، وأبو سعيد الخدرى ، وزيد بن ثابت ، وأبو أيوب الأنصارى ، وجرير بن عبد الله ، وجابر ، وأنس بن مالك ، والمسور بن مخرمة . فأخذ أبو سعيد وأبو هريرة ، من مروان ويزيد بن عبد الملك . وأخذ ابن عمر و ابن عباس من الحجاج، وأخذ كثير من التابعين منهم ، كالشعبي ، وابراهيم ، والحسن ، وابن أبى ليلى . وأخذ الشافعى من هرون الرشيد ألف دينار فى دفعة . وأخذ مالك من الخلفاء أموالا جمة وقال على رضى الله عنه ، خذ مايعطيك السلطان ، فإنما يعطيك من الحلال ، وما يأخذ من الحلال أكثر . وإنما ترك من ترك العطاء منهم تورعا ، مخافة على دينه أن يحمل على مالا يحل . ألا ترى قول أبى ذر للأحنف بن قيس ، خذ العطاء ما كان نجلة ، فإذا كان أثمان

دينكم فدعوه ؟ وقال أبو هريرة رضى الله عنه ، إذا أعطينا قبلنا ، وإذا منعنا لم نسأل . وعن سعيد بن المسيب ، أن أبا هريرة رضى الله عنه ، كان إذا أعطاه معاويه سكت ، وإن منعه وقع فيه . وعن الشعبي ، عن مسروق ، لايزال العطاء بأهل العطاء حتى يدخلهم النار أي يحمله ذلك على الحرام ، لاأنه فى نفسه حرام . وروى نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن المختار كان يبعث إليه المال فيقبله ، ثم يقول لاأسأل أحدا ولا أرد مارزقنى الله . وأهدى إليه ناقة فقبلها ، وكان يقال لها نافة المختار . ولكن هذا يعارضه ماروى أن ابن عمر رضى الله عنهما لم يرد هدية أحد إلا هدية المختار . والإسناد فى رده أثبت . وعن نافع أنه قال ، بعث ابن معمر إلى ابن عمر بستين ألفا ، فقسمها على الناس ، جاءه سائل ، فاستقرض له من بعض من أعطاه ، وأعطى السائل . ولما قدم الحسن بن على رضى الله عنهما على معاوية رضى الله عنه فقال لأجيزك بجائزة لم أجزها أحدا قبلك من العرب ، ولاأجيزها أحدا بعدك من العرب قال فأعطاه اربعمائة ألف درهم ، فأخذها . وعن حبيب بن أبى ثابت ، قال لقد رأيت جائزة المختار لابن عمر وابن عباس فقبلاها ، فقيل ماهى ؟ قال مال وكسوة . وعن الزبير بن عدى أنه قال ، قال سلمان ، إذا كان لك صديق عامل أو تاجر ، يقارف الربا ، فدعاك إلى طعام أو نحوه ، أو أعطاك شيئا فاقبل ، فإن المهنأ لك ، وعليه الوزر . فإن ثبت هذا فى المربى ، فالظالم فى معناه . وعن جعفر عن أبيه ، أن الحسن والحسين عليهما السلام ، كانا يقبلان جوائز معاوية وقال حكيم بن جبير ، مررنا على سعيد بن جبير ، وقد جعل عاملا على أسفل الفرات ، فأرسل إلى العشارين ، أطعمونا مما عندكم . فأرسلوا بطعام ، فأكل وأكلنا معه . وقال العلاء بن زهير الأزدى ، أتى إبراهيم أبى وهو عامل على حلوان ، فأجازه فقبل . وقال إبراهيم لابأس بجائزة العمال ، إن للعمال مؤنة ورزقا ، ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب ، فما أعطاك فهو من طيب ماله . فقد أخذ هؤلاء كلهم جوائز السلاطين الظلمة ، وكلهم طعنوا على من أطاعهم فى معصية الله تعالى

وزعمت هذه الفرقة أن ما ينقل من امتناع جماعة من السلف لايدل على التحريم ، بل على الورع ، كالخلفاء الراشدين وأبى ذر وغيرهم من الزهاد . فإنهم امتنعوا من الحلال المطلق زهدا ، ومن الحلال الذى يخاف افضاؤه إلى محذور ورعا وتقوى . فإقدام هؤلاء يدل على الجواز

وامتناع أولئك لايدل على التحريم . ومانقل عن سعيد بن المسيب أنه ترك عطاءه في بيت المال حتى اجتمع بضعة وثلاثين ألفا ، ومانقل عن الحسن من قوله لا أتوضأ من ماء صيرفي ولو ضاق وقت الصلاة ، لأني لا أدري أصل ماله ، كل ذلك ورع لاينكر . واتباعهم عليه أحسن من اتباعهم على الاتساع . ولكن لايحرم اتباعهم على الاتساع أيضا

فهذه هي شبهة من يجوز أخذ مال السلطان الظالم

والجواب أن ما نقل من أخذ هؤلاء محصور قليل، بالإضافة إلى مانقل من ردهم وإنكارهم وإن كان يتطرق إلى امتناعهم احتمال الورع ، فيتطرق إلى أخذ من أخذ ثلاثة احتمالات متفاوتة في الدرجة بتفاوتهم في الورع . فان للورع في حق السلاطين أربع درجات

الدرجة الأولى : أن لا يأخذ من أموالهم شيئا أصلا كما فعله الورعون منهم . وكما كان يفعله الخلفاء الراشدون ، حتى أن أبا بكر رضي الله عنه ، حسب جميع ما كان أخذه من بيت المال فبلغ ستة آلاف درهم ، فغرمها لبيت المال . وحتى أن عمر رضي الله عنه ، كان يقسم مال بيت المال يوما ، فدخلت ابنة له ، وأخذت درهما من المال ، فنهض عمر في طلبها حتى سقطت الملحفة عن أحد منكبيه . ودخلت الصبية إلى بيت أهلها تبكي ، وجعلت الدرهم في فيها ، فأدخل عمر أصبعه فأخرجه من فيها ، وطرحه على الخراج ، وقال أيها الناس ليس لعمر ولالآل عمر إلا ما للمسلمين قريبهم وبعيدهم . وكنس أبوموسى الأشعري بيت المال ، فوجد درهما فمرّ بَنِيٌّ لعمر رضي الله عنه ، فأعطاه إياه ، فرأى عمر ذلك في يد الغلام فسأله عنه ، فقال أعطانيه أبو موسى ، فقال يا أبا موسى ، ما كان في أهل المدينة بيت أهون عليك من آل عمر ؟ أردت أن لا يبقى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أحد إلا طلبنا بمظلمة ! ورد الدرهم إلى بيت المال . هذا مع أن المال كان حلالا . ولكن خاف أن لا يستحق هو ذلك القدر ، فكان يستبرىء لدينه ويقتصر على الأقل ، امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم (١) « دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ » ولقوله (٢) « وَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِعِرْضِهِ وَدِينِهِ » ولما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من التشديدات في الأموال السلطانية ،

---

(١) حديث دع مايريبك الى مالايريبك: تقدم في الباب الاول من الحلال والحرام

(٢) حديث من تركها فقد استبرأ لدينه وعرضه: متفق عليه من حديث النعمان بن بشير وقد تقدم أوله في أول الباب الثاني من الحلال والحرام

حتى قال صلى الله عليه وسلم[1] حين بعث عبادة بن الصامت إلى الصدقة « اتَّقِ اللهَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ لَا تَجِيءْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِبَعِيرٍ تَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِكَ لَهُ رُغَاءٌ أَو بَقَرَةٍ لَهَا خُوَارٌ أَوْشَاةٍ لَهَا ثُؤَاجٌ فقال يارسول الله أهكذا يكون ؟ قال « نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ » قال فوالذى بعثك بالحق لا أعمل على شيء أبدا . وقال صلى الله عليه وسلم[2] « إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي . إِنَّمَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا » وإنما خاف التنافس فى المال . ولذلك قال عمر رضى الله عنه، فى حديث طويل يذكر فيه مال بيت المال ، إنى لم أجد نفسى فيه إلا كالوالى مال اليتيم ، إن استغنيت استعففت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف . وروى أن ابنا لطاوس افتعل كتابا عن لسانه إلى عمر بن عبد العزيز ، فأعطاه ثلثمائة دينار ، فباع طاوس ضيعة له ، وبعث من ثمنها إلى عمر بثلثمائة دينار . هذا مع أن السلطان مثل عمر بن عبد العزيز فهذه هى الدرجة العليا فى الورع

الدرجة الثانية : هو أن يأخذ مال السلطان ، ولكن إنما يأخذ إذا علم أن ما يأخذه من جهة حلال . فاشتمال يد السلطان على حرام آخر لا يضره . وعلى هذا ينزل جميع ما نقل من الآثار أو أكثرها ، أو ما اختص منها بأكابر الصحابة والورعين منهم ، مثل ابن عمر فإنه كان من المبالغين فى الورع ، فكيف يتوسع فى مال السلطان ؟ وقد كان من أشدهم إنكاراً عليهم ، وأشدهم ذما لأموالهم ، وذلك أنهم اجتمعوا عند ابن عامر وهو فى مرضه وأشفق على نفسه من ولايته ، وكونه مأخوذا عند الله تعالى بها ، فقالوا له إنا لنرجو لك الخير ، حفرت الآبار ، وسقيت الحاج ، وصنعت وصنعت ، وابن عمر ساكت . فقال ماذا تقول يا ابن عمر ؟ فقال أقول ذلك إذا طاب المكسب ، وزكت النفقة ، وسترد فترى . وفى حديث آخر ، أنه قال إن الخبيث لا يكفر الخبيث ، وإنك ولو وليت البصرة ، ولا أحسبك

---

(١) حديث قال لعبادة بن الصامت حين بعثه الى الصدقة اتق الله ياأبا الوليد لاتجيء يوم القيامة ببعير تحمله على رقبتك : الحديث الشافعي فى المسند من حديث طاوس مرسلا ولأبى يعلى فى المعجم من حديث ابن عمر مختصراً أنه قاله لسعد بن عبادة واسناده صحيح

(٢) حديث إنى لاأخاف عليكم أن تشركوا بعدى أخاف عليكم أن تنافسوا : متفق عليه من حديث عقبة بن عامر

إلا قد أصبت منها شراً . فقال له ابن عامر ، ألا تدعولى ؟ فقال ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] يقول « لَا يَقْبَلُ اللهُ صَلَاةً بِغَيْرِ طُهُورٍ وَلَا صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ » وقد وليت البصرة . فهذا قوله فيما صرفه إلى الخيرات . وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال فى أيام الحجاج ، ماشبعت من الطعام مذ انتهبت الدار إلى يومى هذا . وروى عن على رضى الله عنه ، أنه كان له سويق فى إناء مختوم يشرب منه ، فقيل أتفعل هـذا بالعراق مع كثرة طعامه ؟ فقال أمَا إنى لاأختمه بُخْلاً به ، ولكن أكره أن يجعل فيه ما ليس منه ، وأكره أن يدخل بطنى غير طيب . فهذا هو المألوف منهم . وكان ابن عمر لايعجبه شىء إلا خرج عنه . فَطُلِبَ مِنْهُ نافعٌ بثلاثين ألفا ، فقال إنى أخاف أن تفتننى دراهم ابن عامر ، وكان هو الطالب ، اذهب فأنت حر . وقال أبو سعيد الخدرى ، ما منا أحد إلا وقد مالت به الدنيـــا ، إلا ابن عمر .

فهذا يتضح أنه لايظن به وبمن كان فى منصبه أنه أخذ مالايدرى أنه حلال

الدرجة الثالثة . أن يأخذ ما أخذه من السلطان ليتصدق به على الفقراء ، أو يفرقه على المستحقين ، فإن مالايتعين مالكه ، هذا حكم الشرع فيه . فإذا كان السلطان إن لم يأخذ منه لم يفرقه ، واستعان به على ظلم ، فقد نقول أخذه منه وتفرقته أولى من تركه فى يده . وهذا قد رآه بعض العلماء . وسيأتى وجهه . وعلى هذا ينزل ما أخذه أكثرهم . ولذلك قال ابن المبارك ، إن الذين يأخذون الجوائز اليوم ويحتجون بابن عمر وعائشة ، مايقتدون بهما ، لأن ابن عمر فرق ما أخذ ، حتى استقرض فى مجلسه ، بعد تفرقته ستين ألفا . وعائشة فعلت مثل ذلك . وجابر بن زيد جاءه مال فتصدق به ، وقال رأيت أن آخذه منهم وأتصدق ، أحب إلىّ من أن أدعها فى أيديهم . وهكذا فعل الشافعى رحمه الله بما قبله من هرون الرشيد فإنه فرقه على قرب ، حتى لم يمسك لنفسه حبة واحدة

الدرجة الرابعة : أن لايتحقق أنه حلال ، ولايفرق ، بل يستبقى . ولكن يأخذ من سلطان أكثر ماله حلال . وهكذا كان الخلفاء فى زمان الصحابة رضى الله عنهم والتابعين ، بعد الخلفاء الراشدين ، ولم يكن أكثر مالهم حراماً . ويدل عليه تعليل على رضى الله عنه ، حيث قال

(١) حديث لايقبل الله صلاة بغير طهور ولاصدقة من غلول : مسلم من حديث ابن عمر

فإن ما يأخذه من الحلال أكثر . فهذا مما قد جوزه جماعة من العلماء ، تعويلا على الأكثر . ونحن إنما توقفنا فيه فى حق آحاد الناس . ومال السلطان أشبه بالخروج عن الحصر فلا يبعد أن يؤدى اجتهاد مجتهد إلى جواز أخذ ما لم يعلم أنه حرام ، اعتمادا على الأغلب . وإنما منعنا إذا كان الأكثر حراما

فإذا فهمت هذه الدرجات ، تحققت أن إدرارات الظلمة فى زماننا لا تجرى مجرى ذلك وأنها تفارقه من وجهين قاطعين .

أحدهما: أن أموال السلاطين فى عصرنا حرام كلها أو أكثرها ، وكيف لا . والحلال هو الصدقات والفىء والغنيمة ، ولا وجود لها . وليس يدخل منها شىء فى يد السلطان . ولم يبق إلا الجزية ، وأنها تؤخذ بأنواع من الظلم لا يحل أخذها به ، فإنهم يجاوزون حدود الشرع فى المأخوذ والمأخوذ منه ، والوفاء له بالشرط ، ثم إذا نسبت ذلك إلى ما ينصب إليهم من الخراج المضروب على المسلمين ، ومن المصادرات ، والرشا ، وصنوف الظلم ، لم يبلغ عشر معشار عشيره

والوجه الثانى: أن الظلمة فى العصر الأول ، لقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين ، كانوا مستشعرين من ظلمهم ، ومتشوفين إلى استمالة قلوب الصحابة والتابعين ، وحريصين على قبولهم عطاياهم وجوائزهم ، وكانوا يبعثون إليهم من غير سؤال وإذلال ، بل كانوا يتقلدون المنة بقبولهم ويفرحون به . وكانوا يأخذون منهم ويفرقون ، ولا يطيعون السلاطين فى أغراضهم ، ولا يغشون مجالسهم ، ولا يكثرون جمعهم ، ولا يحبون بقاءهم ، بل يدعون عليهم ، ويطلقون اللسان فيهم ، وينكرون المنكرات منهم عليهم . فما كان يحذر أن يصيبوا من دينهم بقدر ما أصابوا من دنياهم ، ولم يكن يأخذهم بأس . فأما الآن ، فلا تسمح نفوس السلاطين بعطية إلا لمن طمعوا فى استخدامهم ، والتكثر بهم ، والاستعانة بهم على أغراضهم والتجمل بغشيان مجالسهم ، وتكليفهم المواظبة على الدعاء والثناء ، والتزكية والإطراء فى حضورهم ومغيبهم . فلو لم يذل الآخذ نفسه بالسؤال أولا ، وبالتردد فى الخدمة ثانيا ، وبالثناء والدعاء ثالثا ، وبالمساعدة له على أغراضه عند الاستعانة رابعا ، وبتكثير جمعه فى مجلسه وموكبه خامسا ، وبإظهار الحب والموالاة والمناصرة له على أعدائه سادسا ، وبالستر على ظلمه ومقابحه ومساوى أعماله سابعا ، لم ينعم عليه بدرهم واحد ، ولو كان فى فضل الشافعى رحمه الله مثلا

فإذاً لايجوز أن يؤخذ منهم فى هذا الزمان مايعلم أنه حلال ، لإفضائه إلى هذه المعانى . فكيف مايعلم أنه حرام أو يشك فيه ؟ فمن استجرأ على أموالهم ، وشبه نفسه بالصحابة والتابعين ، فقد قاس الملائكة بالحدادين . ففى أخذ الأموال منهم حاجة إلى مخالطتهم ومراعاتهم ، وخدمة عمالهم ، واحتمال الذل منهم ، والثناء عليهم ، والتردد إلى أبوابهم وكل ذلك معصية على ماسنبين فى الباب الذى يلى هذا . فإذاً قد تبين مما تقدم مداخل أموالهم ، وما يحل منها ومالا يحل . فلو تصور أن يأخذ الإنسان منها مايحل بقدر استحقاقه وهو جالس فى بيته يساق إليه ، لايحتاج فيه إلى تفقد عامل وخدمته ، ولا إلى الثناء عليهم وتزكيتهم ، ولا إلى مساعدتهم . فلا يحرم الأخذ ولكن يكره لمعان سنبه عليها فى الباب الذى يلى هذا

النظر الثانى

من هذا الباب فى قدر المأخوذ وصفة الآخذ

ولنفرض المال من أموال المصالح ، كأربعة أخماس الفىء ، والمواريث ، فإن ما عداه مما قد تعين مستحقه إن كان من وقف أو صدقة ، أو خمس فىء أو خمس غنيمة ، وما كان من ملك السلطان مما أحياه أو اشتراه ، فله أن يعطى ماشاء لمن شاء . وإنما النظر فى الأموال الضائعة ومال المصالح . فلا يجوز صرفه إلا إلى من فيه مصلحة عامة ، أو هو محتاج إليه عاجز عن الكسب . فأما الغنى الذى لامصلحة فيه ، فلا يجوز صرف مال بيت المال إليه . هذا هو الصحيح : وإن كان العلماء قد اختلفوا فيه . وفى كلام عمر رضى الله عنه مايدل على أن لكل مسلم حقا فى بيت المال ، لكونه مسلما مكثرا جمع الإسلام . ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة ، بل على مخصوصين بصفات فإذا ثبت هذا ، فكل من يتولى أمرا يقوم به ، تتعدى مصلحته إلى المسلمين ، ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ماهو فيه ، فله فى بيت المال حق الكفاية . ويدخل فيه العلماء كلهم ، أعنى العلوم التى تتعلق بمصالح الدين ، من علم الفقه والحديث ، والتفسير والقراءة ، حتى يدخل فيه المعلمون والمؤذنون وطلبة هذه العلوم أيضا يدخلون فيه ، فإنهم إن لم يُكفَوا لم يتمكنوا من الطلب . ويدخل فيه العمال ، وهم الذين ترتبط مصالح الدنيا بأعمالهم ، وهم الأجناد المرتزقة ، الذين يحرسون المملكة بالسيوف عن أهل العداوة وأهل البغى وأعداء الإسلام . ويدخل فيه الكتاب

والحساب والوكلاء ، وكل من يحتاج إليه فى ترتيب ديوان الخراج ، أعنى العمال على الأموال الحلال لا على الحرام ، فإن هذا المال للمصالح ، والمصلحة إما أن تتعلق بالدين أو بالدنيا . فبالعلماء حراسة الدين . وبالأجناد حراسة الدنيا . والدين والملك توأمان ، فلا يستغنى أحدهما عن الآخر . والطبيب وإن كان لا يرتبط بعلمه أمر دينى ، ولكن يرتبط به صحة الجسد ، والدين يتبعه ، فيجوز أن يكون له ولمن يجرى مجراه فى العلوم المحتاج إليها فى مصلحة الأبدان أو مصلحة البلاد ، إدرار من هذه الأموال ، ليتفرغوا لمعالجة المسلمين أعنى من يعالج منهم بغير أجرة . وليس يشترط فى هؤلاء الحاجة ، بل يجوز أن يعطوا مع الغنى . فإن الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والأنصار ولم يعرفوا بالحاجة . وليس يتقدر أيضا بمقدار ، بل هو إلى اجتهاد الإمام . وله أن يوسع ويغنى ، وله أن يقتصر على الكفاية على ما يقتضيه الحال وسعة المال . فقد أخذ الحسن عليه السلام من معاوية فى دفعة واحدة أربعمائة ألف درهم . وقد كان عمر رضى الله عنه يعطى لجماعة اثنى عشر ألف درهم نقرة فى السنة . وأثبتت عائشة رضى الله عنهما فى هذه الجريدة ، ولجماعة عشرة آلاف ولجماعة ستة آلاف ، وهكذا . فهذا مال هؤلاء ، فيوزع عليهم حتى لا يبقى منه شىء . فإن خص واحدا منهم بمال كثير فلا بأس . وكذلك للسلطان أن يخص من هذا المال ذوى الخصائص بالخلع والجوائز . فقد كان يفعل ذلك فى السلف . ولكن ينبغى أن يلتفت فيه إلى المصلحة ومهما خص عالما أو شجاعا بصلة ، كان فيه بعث للناس ، وتحريض على الاشتغال والتشبه به فهذه فائدة الخلع والصلات ، وضروب التخصيصات . وكل ذلك منوط باجتهاد السلطان وإنما النظر فى السلاطين الظلمة فى شيئين :

أحدهما : أن السلطان الظالم عليه أن يكف عن ولايته . وهو إما معزول أو واجب العزل فكيف يجوز أن يأخذه من يده وهو على التحقيق ليس بسلطان ؟

والثانى : أنه ليس يعم بماله جميع المستحقين . فكيف يجوز للآحاد أن يأخذوا ؟ أفيجوز لهم الأخذ بقدر حصصهم ؟ أم لا يجوز أصلا ؟ أم يجوز أن يأخذ كل واحد ما أعطى ؟

أما الأول ، فالذى نراه أنه لا يمنع أخذ الحق . لأن السلطان الظالم الجاهل ، مهما ساعدته الشوكة ، وعسر خلعه ، وكان فى الاستبدال به فتنة ثائرة لا تطاق ، وجب تركه ، ووجبت

الطاعة له ، كما تجب طاعة الأمراء . إذ قد ورد فى الأمر بطاعة الأمراء ، [١] والمنع من سل اليد [٢] عن مساعدتهم ، أوامر وزواجر . فالذى نراه أن الخلافة منعقدة للمتكفل بها من بنى العباس رضى الله عنه ، وأن الولاية نافذة للسلاطين فى أقطار البلاد ، والمبايعين للخليفة وقد ذكرنا فى كتاب المستظهرى ، المستنبط من كتاب كشف الأسرار وهتك الأستار تأليف القاضى أبى الطيب ، فى الرد على أصناف الروافض من الباطنية ، مايشير إلى وجه المصلحة فيه . والقول الوجيز أنا نراعى الصفات والشروط فى السلاطين ، تشوفا إلى مزايا المصالح . ولو قضينا ببطلان الولايات الآن ، لبطلت المصالح رأسا . فكيف يفوت رأس المال فى طلب الربح ! بل الولاية الآن لاتتبع إلا الشوكة . فمن بايعه صاحب الشوكة فهو الخليفة . ومن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة فى أصل الخطبة والسكة ، فهو سلطان نافذ الحكم والقضاء فى أقطار الأرض ولاية نافذة الأحكام . وتحقيق هذا قد ذكرناه فى أحكام الإمامة من كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد . فلسنا نطول الآن به

وأما الإشكال الآخر ، وهو أن السلطان إذا لم يعم بالعطاء كل مستحق ، فهل يجوز للواحد أن يأخذ منه ؟ فهذا مما اختلف العلماء فيه على أربع مراتب . فغلا بعضهم وقال ، كل مايأخذه فالمسلمون كلهم فيه شركاء ، ولا يدرى أن حصته منه دانق أو حبة ، فليترك الكل . وقال قوم : له أن يأخذه قدر قوت يومه فقط ، فإن هذا القدر يستحقه لحاجته على المسلمين . وقال قوم : له قوت سنة ، فإن أخذ الكفاية كل يوم عسير ، وهو ذو حق فى هذا المال ، فكيف يتركه ؟ وقال قوم : إنه يأخذ مايعطى ، والمظلوم هم الباقون . وهذا هو القياس . لأن المال ليس مشتركا بين المسلمين ، كالغنيمة بين الغانمين ، ولا كالميراث بين الورثة لأن ذلك صار ملكا لهم ، وهذا لو لم يتفق قسمه حتى مات هؤلاء ، لم يجب التوزيع على ورثتهم

---

(١) حديث الامر بطاعة الامراء : البخارى من حديث أنس اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة : ولمسلم من حديث أبى هريرة عليك بالطاعة فى منشطك ومكرهك الحديث : وله من حديث أبى ذر أوصانى النبى صلى الله عليه وسلم أن اسمع وأطيع ولو لعبد مجدع الاطراف

(٢) حديث المنع من سل اليد عن مساعدتهم : الشيخان من حديث ابن عباس ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت الامات ميتة جاهلية ولمسلم من حديث أبى هريرة من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية وله من حديث ابن عمر من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حجة له

بحكم الميراث . بل هـذا الحق غير متعين . وإنما يتعين بالقبض . بل هو كالصدقات ومهما أعطى الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكا لهم . ولم يمتنع بظلم المالك بقية الأصناف ، بمنع حقهم هذا إذا لم يصرف إليه كل المال ، بل صرف إليه من المال مالو صرف إليه بطريق الإيثار والتفضيل مع تعميم الآخرين لجاز له أن يأخـذه ، والتفضيل جائز فى العطاء . سوّى أبو بكر رضى الله عنه ، فراجعه عمر رضى الله عنه ، فقال إنما فضلهم عند الله ، وإنما الدنيا بلاغ . وفضل عمر رضى الله عنه فى زمانه ، فأعطى عائشة اثنى عشر ألفا وزينب عشرة آلاف ، وجويرية ستة آلاف ، وكذا صفية . وأقطع عمر لعلى خاصة رضى الله عنهما ، وأقطع عثمان أيضا من السواد خمس جنات ! وآثر عثمان عليا رضى الله عنهما بها ، فقبل ذلك منه ، ولم ينكر . وكل ذلك جائز فى محل الاجتهاد وهو من المجتهدات التى أقول فيها إن كل مجتهد مصيب . وهى كل مسألة لا نص على عينها ، ولا على مسألة تقرب منها ، فتكون فى معناها بقياس جلىّ ، كهذه المسألة ومسألة حد الشرب ، فإنهم جلدوا اربعين وثمانين ، والكل سنة وحق . وأن كل واحد من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما مصيب باتفاق الصحابة رضى الله عنهم . إذ المفضول ما ردّ فى زمان عمر شيئاً إلى الفاضل ، مما قد كان أخذهم فى زمان ابى بكر ، ولا الفاضل امتنع من قبول الفضل فى زمان عمر . واشترك فى ذلك كل الصحابة ، واعتقـدوا أن كل واحد من الرأيين حق . فليؤخذ هـذا الجنس دستورا للاختلافات التى يصوّب فيها كل مجتهد فأما كل مسألة شذ عن مجتهد فيها نص أو قياس جلىّ ، بغفلة أو سوء رأى ، وكان فى القوة بحيث ينقض به حكم المجتهد ، فلا نقول فيها إن كل واحد مصيب ، بل المصيب من أصاب النص أو ما فى معنى النص

وقد تحصل من مجموع هـذا أن من وجد من أهل الخصوص الموصوفين بصفة تتعلق بها مصالح الدين أو الدنيا ، وأخذ من السلطان خلعـة أو إدرارا على التركات أو الجزية لم يصر فاسقا بمجرد أخذه ، وإنما يفسق بخدمته لهم ومعاونته إياهم ، ودخوله عليهم وثنائه وإطرائه لهم ، إلى غير ذلك من لوازم لا يسلم المال غالبا إلا بها كما سنبينه .

الباب السادس

فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ويحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والإكرام لهم

اعلم أن لك مع الأمراء والعمال والظلمة ثلاثة أحوال، الحالة الأولى، وهى شرها أن تدخل عليهم، والثانية: وهى دونها أن يدخلوا عليك والثالثة وهى الأسلم أن تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك

أما الحالة الأولى: وهى الدخول عليهم فهو مذموم جداً فى الشرع وفيه تغليظات وتشديدات تواردت بها الأخبار والآثار فننقلها لتعرف ذم الشرع له ثم نتعرض لما يحرم منه، وما يباح، وما يكره، على ما تقتضيه الفتوى فى ظاهر العلم

أما الأخبار: فإنه لما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراء الظلمة قال[1] «فَمَنْ نَابَذَهُمْ نَجَا وَمَنِ اعْتَزَلَهُمْ سَلِمَ أَوْ كَادَ أَنْ يَسْلَمَ وَمَنْ وَقَعَ مَعَهُمْ فِى دُنْيَاهُمْ فَهُوَ مِنْهُمْ» وذلك لأن من اعتزلهم سلم من إثمهم ولكن لم يسلم من عذاب يعمه معهم إن نزل بهم لتركه المنابذة والمنازعة وقال صلى الله عليه وسلم[1] «سَيَكُونُ مِنْ بَعْدِى أُمَرَاءُ يَكْذِبُونَ وَيَظْلِمُونَ فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّى وَلَسْتُ مِنْهُ، وَلَمْ يَرِدْ عَلَى الْحَوْضِ» وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم[3] «أَبْغَضُ الْقُرَّاءِ إِلَى اللهِ تَعَالَى الَّذِينَ يَزُورُونَ الْأُمَرَاءَ» وفى الخبر «خَيْرُ الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ يَأْتُونَ الْعُلَمَاءَ وَشَرُّ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يَأْتُونَ الْأُمَرَاءَ» وفى الخبر[4] «الْعُلَمَاءُ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ عَلَى عِبَادِ اللهِ مَا لَمْ يُخَالِطُوا السُّلْطَانَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ خَانُوا الرُّسُلَ فَاحْذَرُوهُمْ وَاعْتَزِلُوهُمْ» رواه أنس رضى الله عنه

وأما الآثار. فقد قال حذيفة: إياكم ومواقف الفتن قيل وما هى؟ قال: أبواب الأمراء

(الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين)

(١) حديث فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم أو كاد يسلم ومن وقع معهم فى دنياهم فهو منهم: الطبرانى من حديث ابن عباس بسند ضعيف وقال ومن خالطهم هلك

(٢) حديث سيكون بعدى إمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ولم يرد على الحوض: النسائى والترمذى وصححه والحاكم من حديث كعب بن عجرة

(٣) حديث أبى هريرة أبغض القراء الى الله عز وجل الذين يأتون الامراء: تقدم فى العلم

(٤) حديث أنس العلماء امناء الرسل على عباد الله مالم يخالطوا السلطان ـ الحديث: العقيلى فى الضعفاء وفى ترجمة حفص الابري وقال حديثه غير محفوظ تقدم فى العلم

يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول ماليس فيه،وقال أبو ذر لسلمة:ياسلمة لاتغش أبواب السلاطين فإنك لاتصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينك أفضل منه وقال سفيان:فى جهنم واد لايسكنه إلا القراءالزّوارون للملوك،وقال الأوزاعى :مامن شىء أبغض عند الله من عالم يزور عاملا،وقال سمنون ماأسمج بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال عند الأمير،وكنت أسمع أنه يقال إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك، إذمادخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسى بعدالخروج فأرى عليها الدرك مع ماأواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم

وقال عبادة بن الصامت : حب القارىء الناسك الأمراء نفاق ، وحبه الأغنياء رياء . وقال أبوذر : من كثر سواد قوم فهو منهم . أى من كثر سواد الظلمة .وقال ابن مسعود رضى الله عنه : إن الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولادين له ، قيل له ولم ؟ قال لأنه يرضيه بسخط الله . واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلا ، فقيل كان عاملا للحجاج فعزله.فقال الرجل إنما عملت له على شىء يسير،فقال له عمر: حسبك بصحبته يوما أو بعض يوم شؤما وشرا.وقال الفضيل ماازداد رجل من ذى سلطان قربا إلاازداد من الله بعدا،وكان سعيد بن المسيب يتجر فى الزيت ويقول : إن فى هذا لغنى عن هؤلاء السلاطين وقال وهيب: هؤلاء الذين يدخلون على الملوك لهم أضر على الأمة من المقامرين،وقال محمد بن سلمة:الذباب على العذرة أحسن من قارىء على باب هؤلاء

ولما خالط الزهرى السلطان كتب أخ له فى الدين إليه،عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغى لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك،أصبحت شيخا كبيرا قد أثقلتك نعم الله، لما فهمك من كتابه ، وعلمك من سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم،وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء قال الله تعالى (لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ [1])واعلم أن أيسر ماارتكبت وأخف ماحتملت ، أنك آنست وحشة الظالم ، وسهلت سبيل البغى بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين أدناك . إتخذوك قطبا تدور عليك رحى ظلمهم

(١) آل عمران : ١٨٧

وجسرا يعبرون عليك إلى بلائهم ، وسلما يصعدون فيه إلى ضلالتهم . ويدخلون بك الشك على العلماء ، ويقتادون بك قلوب الجهلاء . فما أيسر ما عمروا لك فى جنب ما خربوا عليك ، وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك . فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ[٢]) الآية ، وأنك تعامل من لا يجهل ، ويحفظ عليك من لا يغفل ، فداو دينك فقد دخله سقم ، وهي عزادك فقد حضر سفر بعيد (وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ[١]) والسلام

فهذه الأخبار والآثار تدل على ما فى مخالطة السلاطين من الفتن وأنواع الفساد . ولكن نفصل ذلك تفصيلا فقهيا ، نميز فيه المحظور عن المكروه والمباح ، فنقول

الداخل على السلطان متعرض لأن يعصى الله تعالى ، إما بفعله أو بسكوته ، وإما بقوله وإما باعتقاده . فلا ينفك عن أحد هذه الأمور

أما الفعل فالدخول عليهم فى غالب الأحوال يكون إلى دور مغصوبة ، وتخطيها والدخول فيها بغير إذن الملاك حرام . ولا يغرنك قول القائل ، إن ذلك مما يتسامح به الناس كتمرة أو فتات خبز ، فإن ذلك صحيح فى غير المغصوب . أما المغصوب فلا ، لأنه إن قيل إن كل جلسة خفيفة لا تنقص الملك فهى فى محل التسامح ، وكذلك الاجتياز ، فيجرى هذا فى كل واحد ، فيجرى أيضا فى المجموع ، والغصب إنما تم بفعل الجميع . وإنما يتسامح به إذا انفرد . إذ لو علم المالك به ربما لم يكرهه . فأما إذا كان ذلك طريقا إلى الاستغراق بالاشتراك ، فحكم التحريم ينسحب على الكل . فلا يجوز أن يؤخذ ملك الرجل طريقا ، إعتمادا على أن كل واحد من المارين إنما يخطو خطوة لا تنقص الملك ، لأن المجموع مفوت للملك . وهو كضربة خفيفة فى التعليم تباح ، ولكن بشرط الانفراد ، فلو اجتمع جماعة بضربات توجب القتل ، وجب القصاص على الجميع . مع أن كل واحدة من الضربات لو انفردت لكانت لا توجب قصاصا . فإن فرض كون الظالم فى موضع غير مغصوب كالموات مثلا ، فإن كان تحت خيمة أو مظلة من ماله فهو حرام . والدخول إليه غير جائز . لأنه انتفاع بالحرام واستظلال به . فإن فرض كل ذلك حلالا ، فلا يعصى بالدخول من حيث إنه دخول

---

(١) مريم : ٥٩ (٢) إبراهيم : ٣٨

ولا بقوله السلام عليكم . ولكن إن سجد أو ركع أو مثل قائما فى سلامه وخدمته كان مكرما للظالم بسبب ولايته التى هى آلة ظلمه . والتواضع للظالم معصية . بل من تواضع لغنى ليس بظالم لأجل غناه لا لمعنى آخر اقتضى التواضع ، نقص ثلثا دينه . فكيف إذا تواضع للظالم ! فلا يباح إلا مجرد الإسلام فأما تقبيل اليد والانحناء فى الخدمة فهو معصية ، إلا عند الخوف ، أو لإمام عادل ، أو لعالم ، أو لمن يستحق ذلك بأمر دينى . قبّل أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه ، يد على كرم الله وجهه ، لما أن لقيه بالشام ، فلم ينكر عليه . وقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد جوابهم فى السلام ، والإعراض عنهم استحقارا لهم . وعد ذلك من محاسن القربات . فأما السكوت عن رد الجواب ففيه نظر ، لأن ذلك واجب ، فلا ينبغى أن يسقط بالظلم فإن ترك الداخل جميع ذلك ، واقتصر على السلام ، فلا يخلو من الجلوس على بساطهم . وإذا كان أغلب أموالهم حراما فلا يجوز الجلوس على فرشهم . هذا من حيث الفعل

فأما السكوت : فهو أنه سيرى فى مجالسهم من الفرش الحرير وأوانى الفضة ، والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ما هو حرام . وكل من رأى سيئة وسكت عليها فهو شريك فى تلك السيئة . بل يسمع من كلامهم ما هو فحش وكذب وشتم وإيذاء ، والسكوت على جميع ذلك حرام . بل براهم لابسين الثياب الحرام ، وآكلين الطعام الحرام ، وجميع ما فى أيديهم حرام ، والسكوت على ذلك غير جائز . فيجب عليه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بلسانه ، إن لم يقدر بفعله . فإن قلت : إنه يخاف على نفسه ، فهو معذور فى السكوت ، فهذا حق . ولكنه مستغن عن أن يعرض نفسه لارتكاب ما لا يباح إلا بعذر . فإنه لو لم يدخل ولم يشاهد ، لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة ، حتى يسقط عنه بالعذر . وعند هذا أقول من علم فسادا فى موضع ، وعلم أنه لا يقدر على إزالته ، فلا يجوز له أن يحضر ليجرى ذلك بين يديه وهو يشاهده ويسكت . بل ينبغى أن يحترز عن مشاهدته

وأما القول : فهو أن يدعو للظالم ، أو يثنى عليه ، أو يصدقه فيما يقول من باطل بصريح قوله أو بتحريك رأسه ، أو باستبشار فى وجهه ، أو يظهر له الحب والموالاة والاشتياق إلى لقائه . والحرص على طول عمره وبقائه ، فإنه فى الغالب لا يقتصر على السلام ، بل يتكلم ولا يعد وكلامه هذه الأقسام

أما الدعاء له فلا يحل ، إلا أن يقول أصلحك الله ، أو وفقك الله للخيرات ، أو طول الله عمرك في طاعته ، أو مايجرى هذا المجرى . فأما الدعاء بالحراسة وطول البقاء وإسباغ النعمة مع الخطاب بالمولى وما فى معناه فغير جائز . قال صلى الله عليه وسلم [1] مَنْ دَعَا لِظَالِمٍ بِالْبَقَاءِ فَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يُعْصَى اللهُ فِي أَرْضِهِ » فإن جاوز الدعاء الى الثناء ، فسيذكر ماليس فيه فيكون به كاذبا ومنافقا ومكرما لظالم . وهذه ثلاث معاص . وقد قال صلى الله عليه وسلم [2] « إِنَّ اللهَ لَيَغْضَبُ إِذَا مُدِحَ الْفَاسِقُ » وفى خبر آخر [3] « مَنْ أَكْرَمَ فَاسِقًا فَقَدْ أَعْلَنَ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ » فإن جاوز ذلك إلى التصديق له فيما يقول ، والتزكية والثناء على مايعمل ، كان عاصيا بالتصديق وبالإعانة . فإن التزكية والثناء إعانة على المعصية ، وتحريك للرغبة فيه . كما أن التكذيب والمذمة والتقبيح زجر عنه ، وتضعيف لدواعيه . والإعانة على المعصية معصية ، ولو بشطر كلمة . ولقد سئل سفيان رضى الله عنه عن ظالم أشرف على الهلاك في برية ، هل يسقى شربة ماء ؟ فقال : لا ، دعه حتى يموت ، فإن ذلك إعانة له . وقال غيره يسقى إلى أن تثوب إليه نفسه ، ثم يعرض عنه

فان جاوز ذلك إلى إظهار الحب والشوق إلى لقائه ، وطول بقائه ، فان كان كاذبا عصى معصية الكذب والنفاق . وإن كان صادقا عصى بحبه بقاء الظالم ، وحقه أن يبغضه فى الله ويمقته فالبغض فى الله واجب ، ومحب المعصية والراضى بها عاص . ومن أحب ظالما فان أحبه لظلمه فهو عاص لمحبته ، وإن أحبه لسبب آخر فهو عاص من حيث إنه لم يبغضه ، وكان الواجب عليه أن يبغضه . وإن اجتمع فى شخص خير وشر ، وجب أن يحب لأجل ذلك الخير ويبغض لأجل ذلك الشر . وسيأتى فى كتاب الأخوة والمتحابين فى الله وجه الجمع بين البغض والحب

فان سلم من ذلك كله ، وهيهات ، فلا يسلم من فساد يتطرق إلى قلبه فانه ينظر إلى توسعه فى النعمة ويزدرى نعم الله عليه ، ويكون مقتحما نهى رسول الله صلى عليه وسلم حيث قال [4] « يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ لَا تَدْخُلُوا عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا ، فَإِنَّهَا مَسْخَطَةٌ لِلرِّزْقِ » وهذا مع مافيه من اقتداء غيره به

---

(١) حديث من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصي الله فى أرضه : تقدم

(٢) حديث ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق : تقدم

(٣) حديث من أكرم فاسقا فقد اعان على هدم الاسلام : تقدم أيضا

(٤) حديث يامشعر المهاجرين لاتدخلوا على أهل الدنيا فانها مسخطة للرزق : الحاكم من حديث عبدالله ابن الشخير أقلوا الدخول على الأغنياء فانه أجدر أن لاتزدروا نعمة الله عز وجل وقال صحيح الاسناد

فى الدخول ، ومن تكثيره سواد الظلمة بنفسه ، وتجميله إياهم إن كان ممن يتجمل به. وكل ذلك إما مكروهات أو محظورات [1] دعى سعيد بن المسيب إلى البيعة للوليد وسليمان ابنى عبد الملك بن مروان ، فقال لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار، فإن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعتين . فقال ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر . فقال لا والله لا يقتدى بى أحد من الناس . فجلد مائة ، وألبس المسوح

ولا يجوز الدخول عليهم إلا بعذرين : أحدهما : أن يكون من جهتهم أمر إلزام لا أمر إكرام ، وعلم أنه لو امتنع أوذى أو فسد عليهم طاعة الرعية، واضطرب عليهم أمر السياسة فيجب عليه الإجابة ، لا طاعة لهم ، بل مراعاة لمصلحة الخلق حتى لا تضطرب الولاية

والثانى: أن يدخل عليهم فى دفع ظلم عن مسلم سواه ، أو عن نفسه ، إما بطريق الحسبة أو بطريق التظلم . فذلك رخصة ، بشرط أن لا يكذب ولا يثنى ، ولا يدع نصيحة يتوقع لها قبولا . فهذا حكم الدخول

الحالة الثانية : أن يدخل عليك السلطان الظالم زائرا فجواب السلام لابد منه . وأما القيام والإكرام له فلا يحرم مقابلة له على إكرامه . فإنه بإكرام العلم والدين مستحق للاحماد كما أنه بالظلم مستحق للابعاد ، فالاكرام بالاكرام ، والجواب بالسلام . ولكن الاولى أن لا يقوم إن كان معه فى خلوة ليظهر له بذلك عز الدين وحقارة الظلم ، ويظهر به غضبه للدين ، وإعراضه عمن أعرض عن الله فأعرض الله تعالى عنه . وإن كان الداخل عليه في جمع ، فمراعاة حشمة أرباب الولايات فيما بين الرعايا مهم ، فلا بأس بالقيام على هذه النية وإن علم أن ذلك لا يورث فسادا فى الرعية ، ولا يناله أذى من غضبه ، فترك الاكرام بالقيام أولى . ثم يجب عليه بعد أن وقع اللقاء أن ينصحه . فإن كان يقارف ما لا يعرف تحريمه . وهو يتوقع أن يتركه إذا عرف ، فليعرفه . فذلك واجب . وأما ذكر تحريم ما يعلم تحريمه من السرف والظلم فلا فائدة فيه . بل عليه أن يخوفه فيما يرتكبه من المعاصى ، مهما ظن أن التخويف يؤثر فيه . وعليه أن يرشده إلى طريق المصلحة إن كان يعرف طريقا على وفق الشرع

---

(١) حديث دعى ابن المسيب إلي البيعة للوليد وسليمان ابنى عبد الملك فقال لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعتين: أبو نعيم في الحلية باسناد صحيح من رواية يحى بن سعيد

بحيث يحصل بها غرض الظالم من غير معصية ، ليصده بذلك عن الوصول إلى غرضه بالظلم . فإذاً يجب عليه التعريف في محل جهله ، والتخويف فيما هو مستجرىء عليه، والارشاد إلى ماهو غافل عنه مما يغنيه عن الظلم . فهذه ثلاثة أمور تلزمه إذا توقع للكلام فيه أثرا وذلك أيضا لازم على كل من اتفق له دخول على السلطان بعذر أو بغير عذر

وعن محمد بن صالح قال : كنت عند حماد بن سلمة ، وإذا ليس فى البيت إلاحصير، وهو جالس عليه ، ومصحف يقرأ فيه ، وجراب فيه علمه ، ومطهرة يتوضأ منها ، فبينا أنا عنده إذ دق داق الباب ، فاذا هو محمد بن سليمان ، فأذن له ، فدخل وجلس بين يديه ، ثم قال له مالى إذا رأيتك امتلأت منك رعبا ؟ قال حماد، لأنه قال عليه السلام[1] « إِنَّ الْعَالِمَ إِذَا أَرَادَ بِعِلْمِهِ وَجْهَ اللهِ هَابَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَكْنِزَ بِهِ الْكُنُوزَ هَابَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ » ثم عرض عليه أربعين ألف درهم ، وقال : تأخذها وتستعين بها ، قال اردها على من ظلمته بها. قال والله ماأعطيتك إلا مما ورثته . قال لاحاجة لى بها . قال فتأخذها فتقسمها . قال: لعلى إن عدلت فى قسمتها أخاف أن يقول بعض من لم يرزق منها إنه لم يعدل فى قسمتها ، فيأثم ، فازوها عنى

الحالة الثالثة : أن يعتزلهم ، فلا يراهم ولا يرونه ، وهو الواجب . إذ لا سلامة إلا فيه فعليه أن يعتقد بغضهم على ظلمهم ، ولايحب بقاءهم ، ولا يثنى عليهم ، ولا يستخبر عن أحوالهم ، ولا يتقرب إلى المتصلين بهم ، ولا يتأسف على مايفوت بسبب مفارقتهم ، وذلك إذا خطر بباله أمرهم . وإن غفل عنهم فهو الأحسن . وإذا خطر بباله تنعمهم ، فليذكر ما قاله حاتم الأصم : إنما بينى وبين الملوك يوم واحد ، فأما أمسُ فلا يجدون لذته ، وإنى وإياهم فى غد لعلى وجل، وإنما هو اليوم ، وما عسى أن يكون فى اليوم . وما قاله أبو الدرداء إذ قال : أهل الأموال يأكلون ونأكل ، ويشربون ونشرب ، ويلبسون ونلبس ، ولهم فضول أموال ينظرون إليها وننظر معهم إليها ، وعليهم حسابها ونحن منها برآء .

---

(٢) حديث حماد بن سلمة مرفوعا ان العالم إذا اراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء واذا أراد أن يكنز به الكنوز هاب من كل شيء :هذا معضل وروى أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب من حديث وائلة بن الأسقع من خاف الله خوف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شيء وللعقيلى فى الضعفاء نحوه من حديث أبى هريرة وكلاهما منكر

وكل من أحاط علمه بظلم ظالم ومعصية عاص، فينبغي أن يحط ذلك من درجته في قلبه، فهذا واجب عليه، لأن من صدر منه ما يكره نقص ذلك من رتبته في القلب لا محالة. والمعصية ينبغي أن تكره، فإنه إما أن يغفل عنها، أو يرضى بها، أو يكره، ولا غفلة مع العلم، ولا وجه للرضا، فلا بد من الكراهة. فليكن جناية كل أحد على حق الله، كجنايته على حقك

فإن قلت: الكراهة لا تدخل تحت الاختيار، فكيف تجب؟

قلنا: ليس كذلك. فإن المحب يكره بضرورة الطبع ما هو مكروه عند محبوبه ومخالف له. فإن من لا يكره معصية الله لا يحب الله. وإنما لا يحب الله من لا يعرفه. والمعرفة واجبة. والمحبة لله واجبة وإذا أحبه كره ما كرهه، وأحب ما أحبه. وسيأتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة والرضا

فإن قلت: فقد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين،

فأقول نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل. كما حكي أن هشام بن عبد الملك قدم حاجا إلى مكة، فلما دخلها قال ائتوني برجل من الصحابة. فقيل يا أمير المؤمنين قد تفانوا. فقال من التابعين. فأتي بطاوس اليماني. فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه، ولم يسلم عليه بإمرة المؤمنين، ولكن قال، السلام عليك يا هشام، ولم يكنه، وجلس بإزائه. وقال كيف أنت يا هشام؟ فغضب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله. فقيل له أنت في حرم الله وحرم رسوله، ولا يمكن ذلك. فقال له يا طاوس، ما الذي حملك على ما صنعت؟ قال وما الذي صنعت؟ فازداد غضبا وغيظا. قال خلعت نعليك بحاشية بساطي. ولم تقبل يدي. ولم تسلم علي بإمرة المؤمنين. ولم تكنني. وجلست بإزائي بغير اذني وقلت كيف أنت يا هشام. قال أما ما فعلت من خلع نعلي بحاشية بساطك، فإني أخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبني، ولا يغضب علي. وأما قولك لم تقبل يدي فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: لا يحل لرجل أن يقبل يد أحد إلا امرأته من شهوة، أو ولده من رحمة. وأما قولك لم تسلم علي بإمرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بإمرتك، فكرهت أن أكذب. وأما قولك لم تكنني، فإن الله تعالى سمى أنبياءه وأولياءه، فقال يا داود، يا يحيى، يا عيسى، وكنى أعداءه، فقال تبت يدا أبي لهب. وأما قولك جلست بإزائي، فاني سمعت أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه يقول: إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار، فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام. فقال له هشام عظني.

فقال سمعت من أمير المؤمنين على رضى الله عنه يقول : إن في جهنم حيات كالقلال، وعقارب كالبغال، تلدغ كل أمير لا يعدل فى رعيته . ثم قام وهرب

وعن سفيان الثورى رضى الله عنه قال : أدخلت على أبى جعفر المنصور بمنى ، فقال لى ارفع إلينا حاجتك ، فقلت له اتق الله فقد ملأت الأرض ظلما وجورا . قال فطأطأ رأسه ثم رفعه ، فقال ارفع إلينا حاجتك ،فقلت إنما أنزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار وأبناؤهم يموتون جوعا ،فاتق الله وأوصل إليهم حقوقهم فطأطأ رأسه ثم رفعه ، فقال ارفع إلينا حاجتك ، فقلت حج عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال لخازنه كم أنفقت؟قال بضعة عشر درهما ، وأرى ههنا أموالا لا تطيق الجمال حملها . وخرج . فهكذا كانوا يدخلون على السلاطين إذا ألزموا ، وكانوا يغررون بأرواحهم للانتقام لله من ظلمهم

ودخل ابن أبى شميلة على عبد الملك بن مروان ، فقال له تكلم . فقال له إن الناس لا ينجون فى القيامة من غصصها ومراراتها ، ومعاينة الردى فيها ، إلا من أرضى الله بسخط نفسه . فبكى عبد الملك وقال : لأجعلنّ هذه الكلمة مثالا نصب عينى ما عشت

ولما استعمل عثمان بن عفان رضى الله عنه عبد الله بن عامر ، أتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبطأ عنه أبو ذر ، وكان له صديقا ، فعاتبه ، فقال أبو ذر، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] يقول « إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا وَلِيَ وِلَايَةً تَبَاعَدَ اللهُ عَنْهُ »

ودخل مالك بن دينار على أمير البصرة ، فقال أيها الأمير ، قرأت فى بعض الكتب أن الله تعالى يقول : ما أحمق من سلطان ، وما أجهل ممن عصانى ، ومن أعز ممن اعتز بى أيها الراعى السوء ، دفعت إليك غنما سمانا صحاحا ، فأكلت اللحم ، ولبست الصوف وتركتها عظاما تتقعقع . فقال له والى البصرة ، أتدرى ما الذى يجرئك علينا ويجنبنا عنك؟ قال لا ، قال قلة الطمع فينا ، وترك الإمساك لما فى أيدينا

وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك، فسمع سليمان صوت الرعد فجزع ووضع صدره على مقدمة الرجل. فقال له عمر ،هذا صوت رحمته، فكيف إذا سمعت صوت عذابه ؟

---

(١) حديث ابى ذر ان الرجل اذا ولى ولاية تباعد الله عز وجل منه : لم أقف له على أصل

ثم نظر سليمان إلى الناس ، فقال ما أكثر الناس ! فقال عمر : خصماؤك ياأمير المؤمنين . فقال له سليمان : ابتلاك الله بهم

وحكى أن سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة ، فأرسل إلى أبي حازم فدعاه فلما دخل عليه قال له سليمان : يا أبا حازم ، مالنا نكره الموت ؟ فقال: لأنكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم ، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب . فقال : يا أبا حازم ، كيف القدوم على الله ؟ قال : ياأمير المؤمنين ، أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله . وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه . فبكى سليمان وقال : ليت شعري مالي عند الله ؟ قال أبو حازم اعرض نفسك على كتاب الله تعالى حيث قال (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ »[1] قال سليمان : فأين رحمة الله؟ قال قريب من المحسنين . ثم قال سليمان : يا أبا حازم أي عباد الله أكرم ؟ قال أهل البر والتقوى . قال فأي الأعمال أفضل ؟ قال أداء الفرائض مع اجتناب المحارم. قال: فأي الكلام أسمع ؟ قال : قول الحق عند من تخاف وترجو . قال فأي المؤمنين أكيس ؟ قال: رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس إليها. قال: فأي المؤمنين أخسر؟ قال: رجل خطافي هوى أخيه وهو ظالم ، فباع آخرته بدنيا غيره . قال سليمان : ما تقول فيما نحن فيه ؟ قال أو تعفيني ؟ قال لابد فإنها نصيحة تلقيها الي . قال يا أمير المؤمنين ، إن آباءك قهروا الناس بالسيف ، وأخذوا هذا الملك عنوة ، من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم ، حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وقد ارتحلوا ، فلو شعرت بما قالوا وما قيل لهم ! فقال له رجل من جلسائه : بئسما قلت . قال أبو حازم : إن الله قد أخذ الميثاق على العلماء ليبينه للناس ولا يكتمونه . قال: وكيف لنا أن نصلح هذا الفساد ؟ قال أن تأخذه من حله فتضعه في حقه . فقال سليمان : ومن يقدر على ذلك ؟ فقال: من يطلب الجنة ويخاف من النار فقال سليمان: ادع لي ، فقال أبو حازم : اللهم إن كان سليمان وليك فيسره لخيري الدنيا والآخرة وإن كان عدوك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى . فقال سليمان : أوصني . فقال : أوصيك وأوجز ، عظم ربك ، ونزهه أن يراك حيث نهاك ، أو يفقدك حيث أمرك . وقال عمر بن عبد العزيز لأبي حازم : عظني ، فقال : اضطجع ، ثم اجعل الموت عند رأسك ، ثم انظر

(١) الانفطار : ١٣ ، ١٤

إلى ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة ، نخذبه الآن، وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن . فلعل تلك الساعة قريبة .

ودخل أعرابى على سليمان بن عبد الملك ، فقال تكلم يا أعرابى ، فقال يا أمير المؤمنين إنى مكلمك بكلام فاحتمله وإن كرهته ، فإن وراءه ما تحب إن قبلته . فقال يا أعرابى ، إنا لنجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ، ولا نأمن غشه ، فكيف بمن نأمن غشه ونرجو نصحه ؟ فقال الأعرابى: يا أمير المؤمنين ، إنه قد تكنفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم ، وابتاعوا دنياهم بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم . خافوك فى الله تعالى ولم يخافوا الله فيك . حرب الآخرة سلم الدنيا . فلا تأتمنهم على ما ائتمنك الله تعالى عليه ، فإنهم لم يألوا فى الأمانة تضييعا ، وفى الأمة خسفا وعسفا . وأنت مسؤول عما اجترحوا ، وليسوا بمسؤلين عما اجترحت . فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره . فقال له سليمان: يا اعرابى ، أما إنك قد سللت لسانك وهو أقطع سيفيك، قال: أجل يا أمير المؤمنين ، ولكن لك لا عليك

وحكي أن أبا بكرة دخل على معاوية ، فقال اتق الله يا معاوية ، واعلم أنك فى كل يوم يخرج عنك ، وفى كل ليلة تأتى عليك ، لا تزداد من الدنيا إلا بعدا ، ومن الآخرة إلا قربا وعلى أثرك طالب لا تفوته . وقد نصب لك علما لا تجوزه . فما أسرع ما تبلغ العلم ، وما أوشك ما يلحق بك الطالب . وإنا وما نحن فيه زائل . وفى الذى نحن إليه صائرون باق إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر .

فهكذى كان دخول أهل العلم على السلاطين ، أعنى علماء الآخرة . فأما علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا إلى قلوبهم ، فيدلونهم على الرخص ، ويستنبطون لهم بدقائق الحيل طرق السعة فيما يوافق أغراضهم . وإن تكلموا بمثل ما ذكرناه فى معرض الوعظ ، لم يكن قصدهم الإصلاح ، بل اكتساب الجاه والقبول عندهم . وفى هذا غروران يغتر بهما الحمقى

أحدهما: أن يظهر أن قصدى فى الدخول عليهم إصلاحهم بالوعظ ، وربما يلبسون على أنفسهم بذلك . وإنما الباعث لهم شهوة خفية للشهرة وتحصيل المعرفة عندهم . وعلامة الصدق فى طلب الإصلاح أنه لو تولى ذلك الوعظ غيره ، ممن هو من أقرانه فى العلم، ووقع

موقع القبول ، وظهر أثر الصلاح ، فينبغى أن يفرح به ، ويشكر الله تعالى على كفايته هذا المهم كمن وجب عليه أن يعالج مريضا ضائعا ، فقام بمعالجته غيره فإنه يعظم به فرحه فإن كان يصادف فى قلبه ترجيحا لكلامه على كلام غيره فهو مغرور

الثانى : أن يزعم أنى أقصد الشفاعة لمسلم فى دفع ظلامة . وهذا أيضا مظنة الغرور ومعياره ماتقدم ذكره

وإذ ظهر طريق الدخول عليهم ، فلنرسم فى الأحوال العارضة فى مخالطة السلاطين ومباشرة أموالهم مسائل

مسألة :

إذا بعث إليك السلطان مالا لتفرقه على الفقراء ، فإن كان له مالك معين فلا يحل أخذه وإن لم يكن ، بل كان حكمه أنه يجب التصدق به على المساكين كما سبق ، فلك أن تأخذه وتتولى التفرقة ، ولا تعصى بأخذه . ولكن من العلماء من امتنع عنه . فعند هذا ينظر فى الأولى فنقول: الأولى أن تأخذه ان أمنت ثلاث غوائل

الغائلة الأولى: أن يظن السلطان بسبب أخذك أن ماله طيب . ولولا أنه طيب لما كنت تمد يدك إليه ، ولا تدخله فى ضمانك . فإن كان كذلك فلا تأخذه ، فإن ذلك محذور . ولا يفى الخير فى مباشرتك التفرقة بما يحصل لك من الجراءة على كسب الحرام

الغائلة الثانية: أن ينظر إليك غيرك من العلماء والجهال ، فيعتقدون أنه حلال ، فيقتدون بك فى الأخذ ، ويستدلون به على جوازه ، ثم لا يفرقون . فهذا أعظم من الأول . فإن جماعة يستدلون بأخذ الشافعى رضى الله عنه على جواز الأخذ ، ويغفلون عن تفرقته وأخذه على نية التفرقة . فالمقتدى والمتشبه به ينبغى أن يحترز عن هذا غاية الاحتراز ، فإنه يكون فعله سبب ضلال خلق كثير

وقد حكى وهب بن منبه ، أن رجلا أتى به إلى ملك بمشهد من الناس ليكرهه على أكل لحم الخنزير ، فلم يأكل . فقدم إليه لحم غنم وأكره بالسيف ، فلم يأكل . فقيل له فى ذلك ، فقال إن الناس قد اعتقدوا أنى طولبت بأكل لحم الخنزير ، فإذا خرجت سالما وقد أكلت ، فلا يعلمون ماذا أكلت ، فيضلون

ودخل وهب بن منبه ، وطاوس ، على محمد بن يوسف أخى الحجاج ،وكان عاملا. وكان فى غداة باردة فى مجلس بارز . فقال لغلامه ، هلم ذلك الطيلسان وألقه على أبى عبد الرحمن أى طاوس ، وكان قد قعد على كرسى . فألقى عليه ، فلم يزل يحرك كتفيه حتى ألقى الطيلسان عنه . فغضب محمد بن يوسف . فقال وهب : كنت غنيا عن أن تغضبه لو أخذت الطيلسان وتصدقت به. قال نعم ،لولا أن يقول من بعدى إنه أخذه طاوس ولا يصنع به ما أصنع به إذن لفعلت

الغائلة الثالثة: أن يتحرك قلبك إلى حبه، لتخصيصه إياك وإيثاره لك بما أنفذه إليك . فإن كان كذلك فلا تقبل . فإن ذلك هو السم القاتل ، والداء الدفين ، أعنى ما يحبب الظامة إليك. فإن مَنْ أحببتَه لابد أن تحرص عليه ، وتداهن فيه . قالت عائشة رضى الله عنها جبلت النفوس على حب من أحسن إليها . وقال عليه السلام [1] « اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عِنْدِى يَدًا فَيُحِبُّهُ قَلْبِي » بيّن صلى الله عليه وسلم أن القلب لا يكاد يمتنع من ذلك

وروى أن بعض الأمراء أرسل إلى مالك بن دينار بعشرة آلاف درهم ، فأخرجها كلها فأتاه محمد بن واسع ، فقال ماصنعت بما أعطاك هذا المخلوق ؟ قال سل أصحابي . فقالوا أخرجه كله . فقال أنشدك الله، أقلبك أشد حباله الآن أم قبل أن أرسل إليك ؟ قال لا بل الآن . قال إنما كنت أخاف هذا . وقد صدق . فإنه إذا أحبه أحب بقاءه ، وكره عزله ونكبته وموته وأحب اتساع ولايته وكثرة ماله . وكل ذلك حب لأسباب الظلم ، وهو مذموم . قال سلمان وابن مسعود رضى الله عنهما ، من رضى بأمر ، وإن غاب عنه ، كان كمن شهده . قال تعالى (وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) قيل لا ترضوا بأعمالهم ، فان كنت فى القوة بحيث لا تزداد حبالهم بذلك ، فلا بأس بالأخذ

وقد حكى عن بعض عباد البصرة أنه كان يأخذ أموالا ويفرقها ، فقيل له ألا تخاف أن تحبهم ؟ فقال لو أخذ رجل بيدى وأدخلنى الجنة ، ثم عصى ربه ، ما أحبه قلبي ، لأن الذي سخره للأخذ بيدى ، هو الذى أبغضه لأجله شكرا له على تسخيره إياه

---

(١) حديث اللهم لا تجعل لفاجر عندى يدا فيحبه قلبي: ابن مردويه فى التفسير من رواية كثير بن عطية عن رجل لم يسم ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث معاذ وأبو موسى المديني فى كتاب تضييع العمر والأيام من طريق أهل البيت مرسلا وأسانيده كلها ضعيفة

(١) هود : ١١٣

وبهذا تبين أن أخذ المال الآن منهم ، وإن كان ذلك المال بعينه من وجه حلال محذور ومذموم ، لأنه لاينفك عن هذه الغوائل

مسألة :

إن قال قائل إذا جاز أخذ ماله وتفرقته ، فهل يجوز أن يسرق ماله ؟ أو تخفى وديعته وتنكر وتفرق على الناس ؟ فنقول ذلك غير جائز . لأنه ربما يكون له مالك معين ، وهو على عزم أن يرده عليه . وليس هذا كما لو بعثه إليك، فإن العاقل لايظن به أنه يتصدق بمال يعلم مالكه فيدل تسليمه على أنه لايعرف مالكه. فإن كان ممن يشكل عليه مثله، فلا يجوز أن يقبل منه المال لم يعرف ذلك. ثم كيف يسرق ويحتمل أن يكون ملكه قد حصل له بشراء فى ذمته؟ فإن اليد دلالة على الملك . فهذا لاسبيل إليه . بل لو وجد لقطة ، وظهر أن صاحبها جندى ، واحتمل أن تكون له بشراء فى الذمة أو غيره ، وجب الرد عليه . فإذاً لايجوز سرقة مالهم ، لامنهم ولا ممن أودع عنده . ولا يجوز إنكار وديعتهم . ويجب الحد على سارق مالهم ، إلا إذا ادعى السارق أنه ليس ملكا لهم ، فعند ذلك يسقط الحد بالدعوى

مسألة :

المعاملة معهم حرام ، لأن أكثر مالهم حرام . فما يؤخذ عوضا فهو حرام . فان أدى الثمن من موضع يعلم حله ، فيبقى النظر فيما سَلَّم إليهم ، فان علم أنهم يعصون الله به كبيع الديباج منهم ، وهو يعلم أنهم يلبسونه ، فذلك حرام ، كبيع العنب من الخمار. وإنما الخلاف فى الصحة . وإن أمكن ذلك ، وأمكن أن يُلْبِسَها نساؤه ، فهو شبهة مكروهة . هذا فيما يعصى فى عينه من الأموال . وفى معناه بيع الفرس منهم ، لاسيما فى وقت ركوبهم إلى قتال المسلمين ، أو جباية أموالهم . فان ذلك إعانة لهم بفرسه وهى محظورة . فأما بيع الدراهم والدنانير منهم ، وما يجرى مجراها مما لايعصى فى عينه ، بل يتوصل بها ، فهو مكروه لما فيه من إعانتهم على الظلم ، لأنهم يستعينون على ظلمهم بالأموال والدواب وسائر الأسباب وهذه الكراهة جارية فى الإهداء إليهم ، وفى العمل لهم من غير أجرة ، حتى فى تعليمهم وتعليم أولادهم الكتابة والترسل والحساب . وأما تعليم القرءان فلا يكره إلا من حيث أخذ الأجرة ، فان ذلك حرام إلا من وجه يعلم حله . ولو انتصب وكيلا له يشترى لهم

فى الأسواق من غير جعل أو أجرة ، فهو مكروه من حيث الإعانة . وإن اشترى لهم مايعلم أنهم يقصدون به المعصية ، كالغلام ، والديباج للفرش واللبس ، والفرس للركوب إلى الظلم والقتل ، فذلك حرام . فمهما ظهر قصد المعصية بالمبتاع حصل التحريم . ومهما لم يظهر ، واحتمل بحكم الحال ودلالتها عليه ، حصلت الكراهة

مسألة :

الأسواق التى بنوها بالمال الحرام تحرم التجارة فيها . ولاسكناها . فان سكنها تاجر واكتسب بطريق شرعى ، لم يحرم كسبه ، وكان عاصيا بسكناه. وللناس أن يشتروا منهم ولكن لو وجدوا سوقا أخرى فالأولى الشراء منها، فإن ذلك إعانة لسكناهم، وتكثير لكراء حوانيتهم . وكذلك معامله السوق التى لاخراج لهم عليها ، أحب من معاملة سوق لهم عليها خراج . وقد بالغ قوم حتى تحرزوا من معاملة الفلاحين وأصحاب الأراضى التى لهم عليها الخراج . فانهم ربما يصرفون مايأخذون إلى الخراج ، فيحصل به الإعانة ، وهذا غلوّ فى الدين ، وحرج على المسلمين. فان الخراج قد عم الأراضى، ولا غنى بالناس عن ارتفاق الأرض ولا معنى للمنع منه . ولو جاز هذا لحرم على المالك زراعة الأرض حتى لايطلب خراجها وذلك مما يطول ويتداعى إلى حسم باب المعاش

مسأله :

معاملة قضاتهم وعمالهم وخدمهم حرام كمعاملتهم بل أشد. أما القضاة فلأنهم يأخذون من أموالهم الحرام الصريح ، ويكثرون جمعهم ، ويغرون الخلق بزيهم ، فإنهم على زى العلماء ، ويختلطون بهم ، ويأخذون من أموالهم . والطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بذوى الجاه والحشمة . فهم سبب انقياد الخلق إليهم. وأما الخدم والحشم فأكثر أموالهم من الغصب الصريح . ولايقع فى أيديهم مال مصلحة وميراث وجزية ، ولا وجه حلال حتى تضعف الشبهة باختلاط الحلال بمالهم. قال طاوس : لاأشهد عندهم وإن تحققت لأنى أخاف تعديهم على من شهدت عليه

وبالجملة ، إنما فسدت الرعية بفساد الملوك ، وفساد الملوك بفساد العلماء . فلولا القضاة

السوء والعلماء السوء ، لقل فساد الملوك خوفا من انكارهم . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [١] «لَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ تَحْتَ يَدِ اللهِ وَكَنَفِهِ مَالَمْ تُمَالِئْ قُرَّاؤُهَا أُمَرَاءَهَا» وإنما ذكر القراء لأنهم كانوا هم العلماء ، وإنما كان علمهم بالقرءان ومعانيه المفهومة بالسنة . وما وراء ذلك من العلوم فهى محدثة بعدهم . وقد قال سفيان : لا تخالط السلطان ولا من يخالطه . وقال ، صاحب القلم ، وصاحب الدواة ، وصاحب القرطاس وصاحب الليطة ، بعضهم شركاء بعض . وقد صدق ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] لعن فى الخمر عشرة ، حتى العاصر والمعتصر وقال ابن مسعود رضى الله عنه : [٣] آكل الربا وموكله وشاهداه وكاتبه ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم [٤] وكذا رواه جابر وعمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال ابن سيرين لا تحمل للسلطان كتابا حتى تعلم مافيه . وامتنع سفيان رحمه الله من مناولة الخليفة فى زمانه دواة بين يديه ، وقال حتى أعلم ماتكتب بها . فكل من حواليهم من خدمهم وأتباعهم ظلمة مثلهم ، يجب بغضهم فى الله جميعا . روى عن عثمان بن زائدة ، أنه سأله رجل من الجند ، وقال أين الطريق ؟ فسكت وأظهر الصمم ، وخاف أن يكون متوجها إلى ظلم فيكون هو بارشاده إلى الطريق معينا . وهذه المبالغة لم تنقل عن السلف مع الفساق ، من التجار والحاكة والحجامين وأهل الحمامات والصاغة والصباغين وأرباب الحرف ، مع غلبة الكذب والفسق عليهم ، بل مع الكفار من أهل الذمة . وإنما هذا فى الظلمة خاصة الآكلين لأموال اليتامى والمساكين ، والمواظبين على إيذاء المسلمين ، الذين تعاونوا على طمس رسوم

---

(١) حديث لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكنفه مالم يمالىء قراؤها أمراءها : أبو عمرو الدانى فى كتاب الفتن من رواية الحسن مرسلا ورواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث علي وابن عمر بلفظ مالم يعظم أبرارها فجارها و يداهن خيارها شرارها واسنادهما ضعيف

(٢) حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن فى الخمر عشرة حتى العاصر والمعتصر : الترمذى وابن ماجه من حديث أنس قال الترمذى حديث غريب

(٣) حديث ابن مسعود آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وأصحاب السنن واللفظ للنسائى دون قوله وشاهده ولأبى داود لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه قال الترمذى وصححه وابن ماجه وشاهديه

(٤) حديث جابر لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه قال هم سواء مسلم من حديثه وأما حديث عمر فاشار اليه الترمذى بقوله وفى الباب ولابن ماجه من حديثه ان آخر ما أنزلت آية الربا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يفسرها فدعوا الربا والريبة وهو رواية ابن المسيب عنه والجمهور على أنه لم يسمع منه .

الشريعة وشعائرها ، وهذا لأن المعصية تنقسم إلى لازمة ومتعدية . والفسق لازم لا يتعدى وكذا الكفر . وهو جناية على حق الله تعالى ، وحسابه على الله وأما معصية الولاة بالظلم وهو متعد ، فانما يغلظ أمرهم لذلك . وبقدر عموم الظلم وعموم التعدى يزدادون عندالله مقتا . فيجب أن يزداد منهم اجتنابا ، ومن معاملتهم احترازا ، فقدقال صلى الله عليه وسلم (١) «يُقَالُ لِلشُّرَطِيِّ دَعْ سَوْطَكَ وَادْخُلِ النَّارَ» وقال صلى الله عليه وسلم (٢) «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ رِجَالٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ»

فهذا حكمهم . ومن عرف بذلك منهم فقد عرف . ومن لم يعرف فعلامته القباء وطول الشوارب ، وسائر الهيئات المشهورة . فمن رؤى على تلك الهيئة تعين اجتنابه . ولا يكون ذلك من سوء الظن ، لأنه الذى جنى على نفسه إذ تزيا بزيهم . ومساواة الزى تدل على مساواة القلب . ولا يتجانَسُ إلا مجنون ، ولا يتشبه بالفساق إلا فاسق . نعم الفاسق قد يلتبس فيتشبه بأهل الصلاح . فأما الصالح فليس له أن يتشبه بأهل الفساد ، لأن ذلك تكثير لسوادهم . وإنما نزل قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ (١)) فى قوم من المسلمين كانوا يكثرون جماعة المشركين بالمخالطة . وقد روى أن الله تعالى أوحى إلى يوشع بن نون أنى مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم ، وستين ألفا من شرارهم ، فقال مابال الأخيار قال إنهم لا يغضبون لغضبي ، فكانوا يؤاكلونهم ويشاربونهم . وبهذا يتبين أن بغض الظلمة والغضب لله عليهم واجب . وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم (٢) «أَنَّ اللهَ لَعَنَ عُلَمَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ خَالَطُوا الظَّالِمِينَ فِي مَعَاشِهِمْ»

---

(١) حديث يقال للشرطى دع سوطك وادخل النار: أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف

(٢) حديث من أشراط الساعة رجال معهم أسياط كاذناب البقر: أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد من حديث أبى أمامة يكون فى آخر الزمان رجال معهم سياط كأنها أذناب البقر ـ الحديث ولمسلم من حديث أبى هريرة يوشك ان طالت بك مدة أن ترى قوما فى أيديهم مثل أذناب البقر وفى رواية له صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر ـ الحديث

(٣) حديث ابن مسعود لعن الله علماء بنى اسرائيل اذ خالطوا فى معايشهم أبوداود والترمذى وابن ماجه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو اسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم فى مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم لفظ الترمذى وقال حسن غريب

(١) النساء : ٩٧

مسألة :

المواضع التى بناها الظلمة، كالقناطر والرباطات، والمساجد والسقايات، ينبغى أن يحتاط فيها وينظر أما القنطرة فيجوز العبور عليها للحاجة، والورع الاحتراز ما أمكن، وإن وجد عنه معدلا تأكد الورع. وإنما جوّزنا العبور، وإن وجد معدلا، لأنه إذا لم يعرف لتلك الأعيان مالكا، كان حكمها أن ترصد للخيرات. وهذا خير. فأما إذا عرف أن الآجر والحجر قد نقل من دار معلومة، أو مقبرة أو مسجد معين، فهذا لا يحل العبور عليه أصلا، إلا لضرورة يحل بها مثل ذلك من مال الغير. ثم يجب عليه الاستحلال من المالك الذى يعرفه

وأما المسجد، فإن بنى فى أرض مغصوبة أو بخشب مغصوب من مسجد آخر، أو ملك معين فلا يجوز دخوله أصلا، ولا للجمعة. بل لو وقف الإمام فيه فليصل هو خلف الإمام، وليقف خارج المسجد فإن الصلاة فى الأرض المغصوبة تسقط الفرض، وتنعقد فى حق الاقتداء فلذلك جوزنا للمقتدى الاقتداء بمن صلى فى الأرض المغصوبة، وإن عصى صاحبه بالوقوف فى الغصب. وإن كان من مال لا يعرف مالكه، فالورع العدول إلى مسجد آخر إن وجد. فإن لم يجد غيره، فلا يترك الجمعة والجماعة به، لأنه يحتمل أن يكون من الملك الذى بناه ولو على بعد. وإن لم يكن له مالك معين فهو لمصالح المسلمين. ومهما كان فى المسجد الكبير بناء لسلطان ظالم، فلا عذر لمن يصلى فيه مع اتساع المسجد، أعنى فى الورع. قيل لأحمد بن حنبل، ما حجتك فى ترك الخروج إلى الصلاة فى جماعة ونحن بالعسكر؟ فقال حجتى أن الحسن وإبراهيم التيمى خافا أن يفتنهما الحجاج، وأنا أخاف أن أفتن أيضا

وأما الخلوق والتجصيص فلا يمنع من الدخول، لأنه غير منتفع به فى الصلاة، وإنما هو زينة. والأولى أنه لا ينظر إليه

وأما البوارى التى فرشوها، فإن كان لها مالك معين فيحرم الجلوس عليها، وإلا فبعد أن أرصدت لمصلحة عامة جاز افتراشها، ولكن الورع العدول عنها، فإنها محل شبهة

وأما السقاية فحكمها ما ذكرناه، وليس من الورع الوضوء والشرب منها، والدخول إليها، إلا إذا كان يخاف فوات الصلاة فيتوضأ. وكذا مصانع طريق مكة

وأما الرباطات والمدارس ، فإن كانت رقبة الأرض مغصوبة، أو الآجر منقولا من موضع معين يمكن الرد إلى مستحقه ؛ فلا رخصة للدخول فيه . وإن التبس المالك ، فقد أرصد لجهة من الخير ، والورع اجتنابه . ولكن لا يلزم الفسق بدخوله

وهذه الأبنية إن أرصدت من خدم السلاطين فالأمر فيها أشد إذ ليس لهم صرف الأموال الضائعة إلى المصالح ، ولأن الحرام أغلب على أموالهم، إذ ليس لهم أخذ مال المصالح وإنما يجوز ذلك للولاة وأرباب الأمر

مسألة :

الأرض المغصوبة إذا جعلت شارعا لم يجز أن يتخطى فيه ألبتة . وإن لم يكن له مالك معين جاز ، والورع العدول إن أمكن . فإن كان الشارع مباحا ، وفوقه ساباط ، جاز العبور وجاز الجلوس تحت الساباط على وجه لا يحتاج فيه إلى السقف ، كما يقف فى الشارع لشغل فإذا انتفع بالسقف فى دفع حر الشمس أو المطر أو غيره فهو حرام . لأن السقف لا يراد إلا لذلك . وهكذا حكم من يدخل مسجدا أو أرضا مباحة سُقِّف أو حُوِّط بغصب ، فإنه بمجرد التخطى لا يكون منتفعا بالحيطان والسقف ، إلا إذا كان له فائدة فى الحيطان والسقف لحر أو برد أو تستر عن بصر أو غيره ، فذلك حرام . لأنه انتفاع بالحرام . إذ لم يحرم الجلوس على الغصب لما فيه من المماسة ، بل للانتفاع . والأرض تراد للاستقرار عليها ، والسقف للاستظلال به ، فلا فرق بينهما .

الباب السابع

فى مسائل متفرقة يكثر مسيس الحاجة إليها وقد سئل عنها فى الفتاوى

مسألة :

سئل عن خادم الصوفية يخرج إلى السوق ، ويجمع طعاما ، أو نقدا ويشترى به طعاما فمن الذى يحل له أن يأكل منه ؟ وهل يختص بالصوفية أم لا ؟

فقلت : أما الصوفية فلا شبهة فى حقهم إذا أكلوه . وأما غيرهم فيحل لهم إذا أكلوه برضا الخادم ، ولكن لا يخلو عن شبهة . أما الحل فلأن ما يعطى خادم الصوفية إنما يعطى

بسبب الصوفية ، ولكن هو المعطي لا الصوفية . فهو كالرجل المعيل يعطى بسبب عياله لأنه متكفل بهم . وما يأخذه يقع ملكا له لا للعيال . وله أن يطعم غير العيال ، إذ يبعد أن يقال لم يخرج عن ملك المعطى ، ولا يتسلط الخادم على الشراء به والتصرف فيه ، لأن ذلك مصير إلى أن المعاطاة لا تكفى ، وهو ضعيف . ثم لا صائر إليه فى الصدقات والهدايا ويبعد أن يقال زال الملك إلى الصوفية الحاضرين الذين هم وقت سؤاله فى الخانقاه . إذ لا خلاف أن له أن يطعم منه من يقدم بعدهم . ولو ماتوا كلهم أو واحد منهم ، لا يجب صرف نصيبه إلى وارثه . ولا يمكن أن يقال إنه وقع لجهة التصوف ولا يتعين له مستحق . لأن إزالة الملك إلى الجهة لا توجب تسليط الآحاد على التصرف . فإن الداخلين فيه لا ينحصرون بل يدخل فيه من يولد إلى يوم القيامة . وإنما يتصرف فيه الولاة . والخادم لا يجوز له أن ينتصب نائبا عن الجهة . فلا وجه إلا أن يقال هو ملكه . وإنما يطعم الصوفية بوفاء شرط التصوف والمروءة . فإن منعهم عنه ، منعوه عن أن يظهر نفسه فى معرض التكفل بهم حتى ينقطع رفقه كما ينقطع عمن مات عياله

مسألة :

سئل عن مال أوصى به للصوفية ، فمن الذى يجوز أن يصرف إليه ؟

فقلت: التصوف أمر باطن لا يطلع عليه ، ولا يمكن ضبط الحكم بحقيقته ، بل بأمور ظاهرة يعول عليها أهل العرف فى اطلاق اسم الصوفى . والضابط الكلى ، أن كل من هو بصفة إذا نزل فى خانقاه الصوفية لم يكن نزوله فيها واختلاطه بهم منكرا عندهم ، فهو داخل فى غمارهم . والتفصيل أن يلاحظ فيه خمس صفات ، الصلاح ، والفقر ، وزي الصوفية وأن لا يكون مشتغلا بحرفة ، وأن يكون مخالطا لهم بطريق المساكنة فى الخانقاه . ثم بعض هذه الصفات مما يوجب زوالها زوال الاسم ، وبعضها ينجبر بالبعض . فالفسق يمنع هذا الاستحقاق ، لأن الصوفي بالجملة عبارة عن رجل من أهل الصلاح بصفة مخصوصة . فالذى يظهر فسقه ، وإن كان على زيهم ، لا يستحق ما أوصي به للصوفية . ولسنا نعتبر فيه الصغائر

وأما الحرفة والاشتغال بالكسب يمنع هذا الاستحقاق ، فالدهقان ، والعامل ، والتاجر والصانع فى حانوته أو داره ، والأجير الذى يخدم بأجرة ، كل هؤلاء لا يستحقون ما أوصى

به للصوفية . ولا ينجبر هذا بالزي والمخالطة . فأما الوراقة والخياطة ومايقرب منهما ، مما يليق بالصوفية تعاطيها ، فإذا تعاطاها لا في حانوت ، ولا على جهة اكتساب وحرفة،فذلك لايمنع الاستحقاق ، وكان ذلك ينجبر بمساكنته إياهم مع بقية الصفات

وأما القدرة على الحرف من غير مباشرة : لاتمنع .

وأما الوعظ والتدريس:فلا ينافي اسم التصوف ، إذا وجدت بقية الخصال من الزي والمساكنة والفقر . إذ لايتناقض أن يقال صوفي مقرىء ، وصوفي واعظ ، وصوفي عالم أو مدرس . ويتناقض أن يقال صوفي دهقان ، وصوفي تاجر ، وصوفي عامل

وأما الفقر : فإن زال بغنى مفرط ينسب الرجل إلى الثروة الظاهرة ، فلا يجوز معه أخذ وصية الصوفية . وإن كان له مال ولا يفي دخله بخرجه، لم يبطل حقه.وكذا إذا كان له مال قاصر عن وجوب الزكاة ، وإن لم يكن له خرج . وهذه أمور لادليل لها إلا العادات

وأما المخالطة لهم ومساكنتهم :فلها أثر .ولكن من لا يخالطهم وهو فى داره ، أوفى مسجد على زيهم ، ومتخلق بأخلاقهم ، فهو شريك فى سهمهم . وكان ترك المخالطة يجبرها ملازمة الزي . فإن لم يكن على زيهم ، ووجد فيه بقية الصفات ، فلا يستحق إلا إذا كان مساكنا لهم فى الرباط ، فينسحب عليه حكمهم بالتبعية .فالمخالطةوالزي ينوب كل واحدمنهما عن الآخر . والفقيه الذى ليس على زيهم هذا حكمه ، فإن كان خارجا لم يعدصوفيا،وإن كان ساكنا معهم ، ووجدت بقية الصفات ، لم يبعد أن ينسحب بالتبعية عليه حكمهم

وأما لبس المرقعة من يد شيخ من مشايخهم : فلا يشترط ذلك فى الاستحقاق وعدمه لايضره مع وجود الشرائط المذكورة . وأما المتأهل المتردد بين الرباط والمسكن فلا يخرج بذلك عن جملتهم .

مسألة :

ما وقف على رباط الصوفية وسكانه ، فالأمر فيه أوسع مما أوصى لهم به لان معنى الوقف الصرف إلى مصالحهم ، فلغير الصوفي أن يأكل معهم برضاهم على مائدتهم مرة أو مرتين فإن أمر الأطعمة مبناه على التسامح ، حتى جاز الانفراد بها فى الغنائم المشتركة . وللقوال أن يأكل معهم فى دعوتهم من ذلك الوقف ، وكان ذلك من مصالح معايشهم . وما أوصى

به للصوفية لايجوز ان يصرف إلى قوال الصوفية ، بخلاف الوقف . وكذلك من أحضروه من العمال والتجار والقضاة والفقهاء ، ممن لهم غرض في استمالة قلوبهم ، يحل لهم الأكل برضاهم . فإن الواقف لا يقف إلا معتقدا فيه ما جرت به عادات الصوفية ،فينزل على العرف ولكن ليس هذا على الدوام . فلايجوز لمن ليس صوفيا أن يسكن معهم على الدوام ويأكل وإن رضوا به . إذ ليس لهم تغيير شرط الواقف بمشاركة غير جنسهم

وأما الفقيه:إذا كان على زيهم وأخلاقهم ، فله النزول عليهم . وكونه فقيها لاينافي كونه صوفيا . والجهل ليس بشرط فى التصوف عند من يعرف التصوف.ولايلتفت إلى خرافات بعض الحمقى بقولهم إن العلم حجاب ، فإن الجهل هو الحجاب . وقد ذكرنا تأويل هذه الكلمة فى كتاب العلم . وأن الحجاب هو العلم المذموم دون المحمود،وذكرنا المحمود والمذموم وشرحهما

وأما الفقيه إذا لم يكن على زيهم وأخلاقهم ، فلهم منعه من النزول عليهم . فإن رضوا بنزوله ، فيحل له الأكل معهم بطريق التبعية . فكان عدم الزي تجبره المساكنة ، ولكن برضا أهل الزي . وهذه أمور تشهد لها العادات ، وفيها أمور متقابلة لايخفى أطرافها فى النفي والإثبات ، ومتشابه أوساطها ، فمن احترز فى مواضع الاشتباه ، فقد استبرأ لدينه كما نبهنا عليه فى أبواب الشبهات

مسألة :

سئل عن الفرق بين الرشوة والهدية ، مع أن كل واحد منهما يصدر عن الرضا ، ولايخلو عن غرض ، وقد حرمت إحداهما دون الأخرى

فقلت:باذل المال لا يبذله قط إلا لغرض : ولكن الغرض إما آجل كالثواب ، وإما عاجل . والعاجل إما مال ، وإما فعل وإعانة على مقصود معين ، وإما تقرب إلى قلب المهدي إليه بطلب محبته ، إما للمحبة فى عينها ، وإما للتوصل بالمحبة إلى غرض وراءها فالأقسام الحاصلة من هذه خمسة :

الأول : ماغرضه الثواب فى الآخرة . وذلك إما أن يكون لكون المصروف إليه محتاجا أو عالما ، أو منتسبا بنسب ديني ، أو صالحا فى نفسه متدينا . فما علم الآخذ أنه يُعطاه لحاجته

لايحل له أخذة إن لم يكن محتاجا . وما علم أنه يُعطاه لشرف نسبه ، لايحل له إن علم أنه كاذب فى دعوى النسب . وما يُعطى لعلمه ، فلا يحل له أن يأخذه إلا أن يكون فى العلم كما يعتقده المعطى . فإن كان خيل إليه كما لا فى العلم ، حتى بعثه بذلك على التقرب ، ولم يكن كاملا ، لم يحل له . وما يُعطى لدينه وصلاحه ، لايحل له أن يأخذه إن كان فاسقا فى الباطن فسقا لو علمه المعطى ما أعطاه . وقلما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لبقيت القلوب مائلة اليه . وإنما ستر الله الجميل ، هو الذى يحبب الخلق إلى الخلق . وكان المتورعون يوكلون فى الشراء من لايعرف أنه وكيلهم ، حتى لايتسامحوا فى المبيع ، خيفة من أن يكون ذلك أكلا بالدين فإن ذلك مخطر ، والتقى خفى ، لا كالعلم والنسب والفقر ، فينبغى أن يجتنب الأخذ بالدين ما أمكن

القسم الثانى : ما يقصد به فى العاجل غرض معين ، كالفقير يهدى إلى الغنى طمعا فى خلعته ، فهذه هبة بشرط الثواب لايخفى حكمها . وإنما تحل عند الوفاء بالثواب المطموع فيه ، وعند وجود شروط العقود .

الثالث : أن يكون المراد إعانة بفعل معين ، كالمحتاج إلى السلطان يهدى إلى وكيل السلطان وخاصته ومن له مكانة عنده . فهذه هدية بشرط ثواب يعرف بقرينة الحال . فلينظر فى ذلك العمل الذى هو الثواب ، فإن كان حراما كالسعى فى تنجيز إدرار حرام ، أو ظلم إنسان أو غيره ، حرم الأخذ . وإن كان واجبا كدفع ظلم متعين على كل من يقدر عليه ، أو شهادة متعينة ، فيحرم عليه ما يأخذه . وهى الرشوة التى لايشك فى تحريمها . وإن كان مباحا لا واجبا ولا حراما ، وكان فيه تعب ، بحيث لو عرف لجاز الاستئجار عليه ، فما يأخذه حلال مهما وفى بالغرض . وهو جار مجرى الجعالة ، كقوله أوصل هذه القصة إلى يد فلان ، أو يد السلطان ، ولك دينار ، وكان بحيث يحتاج إلى تعب وعمل متقوم ، أو قال اقترح على فلان أن يعيننى فى غرض كذا ، أو ينعم علىّ بكذا ، وافتقر فى تنجيز غرضه إلى كلام طويل ، فذلك جعل ، كما يأخذه الوكيل بالخصومة بين يدي القاضى ، فليس بحرام إذا كان لا يسعى فى حرام وإن كان مقصوده يحصل بكلمة لاتعب فيها ، ولكن تلك الكلمة من ذى الجاه ، أو تلك الفعلة من ذى الجاه تفيد ، كقوله للبواب لاتغلق دونه باب السلطان ، أو كوضعه قصة بين يدى السلطان فقط ، فهذا حرام ، لأنه عوض من الجاه ، ولم يثبت فى الشرع جواز ذلك

بل ثبت مايدل على النهى عنه ، كما سيأتى فى هـدايا الملوك . وإذا كان لايجوز العوض عن أسقاط الشفعة ، والرد بالعيب ، ودخول الأغصان فى هواء الملك ، وجملة من الأغراض مع كونها مقصودة ، فكيف يؤخذ عن الجاه ؟ ويقرب من هذا أخذ الطبيب العوض على كلمة واحدة ، ينبه بها على دواء ينفرد بمعرفته ، كواحد ينفرد بالعلم بنبت يقلع البواسير أو غيره ، فلا يذكره إلا بعوض ، فإن عمله بالتلفظ به غير متقوم ، كحبة من سمسم ، فلا يجوز أخذ العوض عليه ، ولا على علمه ، إذ ليس ينتقل علمه إلى غيره ، وإنما يحصل لغيره مثل علمه ويبقى هو عالما به . ودون هذا الحاذق فى الصناعة كالصيقل مثلا ، الذى يزيل اعوجاج السيف أو المرآة بدقة واحدة ، لحسن معرفته بموضع الخلل ، ولحذقه بإصابته ، فقد يزيد بدقة واحدة مال كثير فى قيمة السيف والمرآة ، فهذا لا أرى بأسا بأخذ الأجرة عليه ، لأن مثل هذه الصناعات يتعب الرجل فى تعلمها ليكتسب بها ، ويخفف عن نفسه كثرة العمل

الرابع : مايقصد به المحبة وجلبها من قبل المهدى إليه ، لالغرض معين ، ولكن طلبا للاستئناس ، وتأكيدا للصحبة ، وتوددا إلى القلوب . فذلك مقصود للعقلاء ، ومندوب إليه فى الشرع . قال صلى الله عليه وسلم [1] «تَهَادَوْا تَحَابُّوا» وعلى الجملة فلا يقصد الإنسان فى الغالب أيضا محبة غيره لعين المحبة ، بل لفائدة فى محبته . ولكن إذا لم تتعين تلك الفائدة ولم يتمثل فى نفسه غرض معين يبعثه فى الحال أو المآل ، سمى ذلك هدية وحل أخذها

الخامس : أن يطلب التقرب إلى قلبه وتحصيل محبته ، لالمحبته ولا للأنس به من حيث إنه أنس فقط ، بل ليتوصل بجاهه إلى أغراض له ينحصر جنسها ، وإن لم ينحصر عينها وكان لولا جاهه وحشمته لكان لايهدى إليه . فإن كان جاهه لأجل علم أو نسب ، فالأمر فيه أخف ، وأخذه مكروه ، فإن فيه مشابهة الرشوة ، ولكنها هدية فى ظاهرها . فإن كان جاهه بولاية تولاها من قضاء أو عمل ، أو ولاية صدقة أو جباية مال أو غيره من الأعمال السلطانية ، حتى ولاية الأوقاف مثلا ، وكان لولا تلك الولاية لكان لايهدى إليه ، فهذه رشوة عرضت فى معرض الهدية : إذ القصد بها فى الحال طلب التقرب واكتساب المحبة ، ولكن لأمر ينحصر فى جنسه ، إذ ما يمكن التوصل إليه بالولايات لايخفى . وآية أنه لا يبغى المحبة أنه لو ولى

---

(١) حديث تهادوا تحابوا : البيهقى من حديث أبى هريرة وضعفه ابن عدى

فى الحال غيره لسلم المال إلى ذلك الغير ، فهذا مما اتفقوا على أن الكراهة فيه شديدة، واختلفوا فى كونه حراما ، والمعنى فيه متعارضا ، فإنه دائر بين الهدية المحضة ، وبين الرشوة المبذولة فى مقابلة جاه محض فى غرض معين. وإذا تعارضت المشابهة القياسية ، وعضدت الأخبار والآثار أحدهما ، تعين الميل إليه . وقد دلت الأخبار على تشديد الأمر فى ذلك .

قال صلى الله عليه وسلم [1] يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُسْتَحَلُّ فِيهِ السُّحْتُ بِالْهَدِيَّةِ وَالْقَتْلُ بِالْمَوْعِظَةِ يُقْتَلُ الْبَرِيءُ لِتُوعَظَ بِهِ الْعَامَّةُ »

وسئل ابن مسعود رضى الله عنه عن السحت ، فقال يقضى الرجل الحاجة ، فتهدى له الهدية ولعله أراد قضاء الحاجة بكلمة لا تعب فيها، أو تبرع بها لا على قصد أجرة ، فلا يجوز أن يأخذ بعده شيئا فى معرض العوض

شفع مسروق شفاعة ، فأهدى إليه المشفوع له جارية ، فغضب وردها، وقال لو علمت ما فى قلبك لما تكلمت فى حاجتك ولا أتكلم فيما بقى منها

وسئل طاوس عن هدايا السلطان فقال سحت. وأخذ عمر رضي الله عنه ربح مال القراض الذى أخذه ولداه من بيت المال ، وقال إنما أعطيتما لمكانكما منى ، إذ علم أنهما أعطيا لأجل جاه الولاية . وأهدت امرأة أبى عبيدة بن الجراح إلى خاتون ملكة الروم خلوقا ، فكافأتها بجوهر ، فأخذه عمر رضي الله عنه فباعه ، وأعطاها ثمن خلوقها ، ورد باقيه إلى بيت مال المسلمين . وقال جابر وأبو هريرة رضى الله عنهما. هدايا الملوك غلول. ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية ، قيل له كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] يقبل الهدية ! فقال كان ذلك له هدية، وهو لنا رشوة. أى كان يتقرب إليه لنبوته لا لولايته، ونحن إنما نعطى للولاية

وأعظم من ذلك كله ، ما روى أبو حميد الساعدى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [3] بعث واليا على صدقات الأزد ، فلما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك بعض ما معه

---

(١) حديث يأتى على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البرىء ليوعظ به العامة : لم أقف له على أصل

(٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية: البخارى من حديث عائشة

(٣) حديث أبى حميد الساعدى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث واليا الى صدقات الازد فلما جاء قال هذا مالكم وهذا هدية لى ـ الحديث متفق عليه

وقال هذا لكم ، وهذا لى هدية ، فقال عليه السلام « أَلاَ جَلَسْتَ فِى بَيْتِ أَبِيكَ وَبَيْتِ أُمِّكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا! » ثم قال « مَالِى أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ فَيَقُولُ هَذَا لَكُمْ وَهَذَا لِى هَدِيَّةٌ أَلاَ جَلَسَ فِى بَيْتِ أُمِّهِ لِيُهْدَى لَهُ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لاَ يَأْخُذُ مِنْكُمْ أَحَدٌ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلاَّ أَتَى اللهَ يَحْمِلُهُ فَلاَ يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِبَعِيرٍ لَهُ رُغَاءٌ أَوْ بَقَرَةٍ لَهَا خُوَارٌ أَوْ شَاةٍ تَيْعِرُ » ثم رفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه ، ثم قال « اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ »

وإذا ثبتت هذه التشديدات، فالقاضى والوالى ينبغى أن يقدر نفسه فى بيت أمه وأبيه فما كان يعطى بعد العزل وهو في بيت أمه ، يجوز له أن يأخذه فى ولايته . وما يعلم أنه إنما يعطاه لولايته ، فحرام أخذه . وما أشكل عليه فى هدايا أصدقائه ، أنهم هل كانوا يعطونه لو كان معزولا ، فهو شبهة فليجتنبه

تم كتاب الحلال والحرام بحمد الله ومنّه وحسن توفيقه ، والله أعلم .

كتاب آداب الألفة والأخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق

كتاب آداب الألفة والأخوة والصحبة
والمعاشرة مع أصناف الخلق

وهو الكتاب الخامس من ربع العادات الثانى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص طولا وامتنانا ، وألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانا، ونزع الغل من صدورهم فظلوا فى الدنيا أصدقاء وأخدانا ، وفى الآخرة رفقاء وخلانا ، والصلاة على محمد المصطفى ،وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولا وفعلا وعدلا وإحسانا

أما بعد: فإن التحاب فى الله تعالى، والأخوة فى دينه من أفضل القربات، وألطف ما يستفاد من الطاعات فى مجارى العادات . ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين فى الله تعالى، وفيها حقوق بمراعاتها تصفو الأخوة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان فبالقيام بحقوقها يتقرب إلى الله زلفى ، وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى . ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب فى ثلاثة أبواب :

الباب الأول : فى فضيلة الألفة والأخوة فى الله تعالى ، وشروطها ودرجاتها وفوائدها

الباب الثانى : فى حقوق الصحبة وآدابها وحقيقتها ولوازمها

الباب الثالث: فى حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من قد بلى بهذه الأسباب

الباب الأول

فى فضيلة الألفة والأخوة وفى شروطها ودرجاتها وفوائدها

فضيلة الألفة والأخوة

اعلم أن الألفة ثمرة حسن الخلق ، والتفرق ثمرة سوء الخلق . فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق ، وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر . ومهما كان المثمر

محمودا ، كانت الثمرة محمودة . وحسن الخلق لاتخفى فى الدين فضيلته ، وهو الذى مدح الله سبحانه به نبيه عليه السلام إذ قال (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ [١]) وقال النبي صلى الله عليه وسلم [١] « أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ » وقال أسامة بن شريك قلنا يارسول الله [٢] ما خير ما أعطي الإنسان ؟ فقال « خُلُقٌ حَسَنٌ » وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَحَاسِنَ الْأَخْلَاقِ » وقال صلى الله عليه وسلم [٤] « أَثْقَلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ خُلُقٌ حَسَنٌ » وقال صلى الله عليه وسلم [٥] « مَا حَسَّنَ اللهُ خَلْقَ امْرِىءٍ وَخُلُقَهُ فَيُطْعِمُهُ النَّارَ » وقال صلى الله عليه وسلم [٦] « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ » قال أبو هريرة رضي الله عنه : وما حسن الخلق يارسول الله ؟ قال « تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ »

ولايخفى أن ثمرة الخلق الحسن الألفة وانقطاع الوحشة ، ومهما طاب المثمر طابت الثمرة . كيف وقد ورد فى الثناء على نفس الألفة ، سيما إذا كانت الرابطة هى التقوى والدين وحب الله ؛ من الآيات والأخبار والآثار مافيه كفاية ومقنع

قال الله تعالى مظهرا عظيم منته على الخلق بنعمة الألفة (لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ [٢]) وقال (فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً [٣]) أى بالألفة . ثم ذم التفرقة وزجر عنها ، فقال عز من قائل (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا [٤]) إلى (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) وقال صلى الله عليه وسلم [٧] « إِنَّ أَقْرَبَكُمْ مِنِّي

---

(١) حديث أول مايدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق : الترمذى والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الاسناد وقد تقدم

(٢) حديث أسامة بن شريك يارسول الله ماخير ماأعطي الانسان قال خلق حسن : ابن ماجه باسناد صحيح

(٣) حديث بعثت لاتمم مكارم الاخلاق : أحمد والبيهقى والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة

(٤) حديث أثقل مايوضع فى الميزان خلق حسن : أبوداود والترمذى من حديث أبي الدرداء وقال حسن صحيح

(٥) حديث ما حسن الله خلق امرىء وخلقه فيطعمه النار : ابن عدى والطبرانى فى مكارم الأخلاق وفى الأوسط والبيهقى فى شعب الايمان من حديث أبي هريرة قال ابن عدى فى اسناده بعض النكرة

(٦) حديث ياأبي هريرة عليك بحسن الخلق قال وما حسن الخلق قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك : البيهقى فى الشعب من رواية الحسن عن أبي هريرة ولم يسمع منه

(٧) حديث إن أقربكم منى مجلسا أحاسنكم اخلاقا الموطؤن أكنافا الذين يألفون ويؤلفون : الطبرانى فى مكارم الاخلاق من حديث جابر بسند ضعيف

---

(١) القلم : ٤ (٢) الأنفال : ٦٣ (٣)، (٤) آل عمران : ١٠٣

مَجْلِساً أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقاً الْمُوَطَّؤُنَ أَكْنَافاً الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ » وقال صلى الله عليه وسلم (١) « الْمُؤْمِنُ إِلْفٌ مَأْلُوفٌ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) في الثناء على الأخوة في الدين « مَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْراً رَزَقَهُ خَلِيلاً صَالِحاً إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « مَثَلُ الْأَخَوَيْنِ إِذَا الْتَقَيَا مَثَلُ الْيَدَيْنِ تَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى . وَمَا الْتَقَى مُؤْمِنَانِ قَطُّ إِلَّا أَفَادَ اللهُ أَحَدَهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ خَيْراً » وقال عليه السلام في الترغيب في الأخوة في الله (٤) « مَنْ آخَى أَخاً فِي اللهِ رَفَعَهُ اللهُ دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ لَا يَنَالُهَا بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ »

وقال أبو إدريس الخولاني لمعاذ ، إني أحبك في الله ، فقال له أبشر ثم أبشر ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) يقول « يُنْصَبُ لِطَائِفَةٍ مِنَ النَّاسِ كَرَاسِيَّ حَوْلَ الْعَرْشِ

---

(١) حديث المؤمن إلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف: أحمد والطبراني من حديث سهل بن سعد والحاكم من حديث أبي هريرة وصححه

(٢) حديث من أراد الله به خيرا رزقه أخا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر أعانه: غريب بهذا اللفظ والمعروف ان ذلك في الامير ورواه أبو داود من حديث عائشة إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر اعانه ـ الحديث ضعفه ابن عدي ولأبي عبد الرحمن السلمي في آداب الصحبة من حديث علي من سعادة المرء ان يكون اخوانه صالحين

(٣) حديث مثل الاخوين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احداهما الأخرى الحديث : السلمي في آداب الصحبه وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وفيه أحمد بن محمد بن عالب الباهلي كذاب وهو من قول سلمان الفارسي في الاول من الحزبيات

(٤) حديث من آخى أخا في الله عز وجل رفعه الله درجة في الجنه لا ينالها بشيء من عمله: ابن أبي الدنيا في كتاب الاخوان من حديث أنس ما أحدث عبد أخا في الله عز وجل الا أحدث الله عز وجل له درجة في الجنة واسناد ضعيف

(٥) حديث قال أبو ادريس الخولاني لمعاذ إني أحبك في الله فقال أبشر ثم أبشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تنصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة ـ الحديث : أحمد والحاكم في حديث طويل ان أبا ادريس قال قلت والله اني لاحبك في الله قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المتحابين بجلال الله في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله قال الحاكم صحيح على شرط الشخين وهو عند الترمذي من رواية أبي مسلم الخولاني عن معاذ بلفظ المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء قال حديث حسن صحيح ولأحمد من حديث أبي مالك الاشعري ان لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء على منازلهم وقربهم من الله الحديث .وفيه تحابوا في الله وتصافوا به يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فتجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وفيه شهر بن حوشب مختلف فيه .

يَوْمَ الْقِيَامَةِ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ يَفْزَعُ النَّاسُ وَهُمْ لَا يَفْزَعُونَ وَيَخَافُ النَّاسُ وَهُمْ لَا يَخَافُونَ وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » فقيل من هؤلاء يارسول الله؟ فقال « هُمُ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ تَعَالَى » ورواه أبو هريرة رضى الله عنه وقال فيه[1] « إِنَّ حَوْلَ الْعَرْشِ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ عَلَيْهَا قَوْمٌ لِبَاسُهُمْ نُورٌ وَوُجُوهُهُمْ نُورٌ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ » فقالوا يارسول الله صفهم لنا فقال « هُمُ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ وَالْمُتَجَالِسُونَ فِي اللهِ وَالْمُتَزَاوِرُونَ فِي اللهِ » وقال صلى الله عليه وسلم[2] « مَا تَحَابَّ اثْنَانِ فِي اللهِ إِلَّا كَانَ أَحَبُّهُمَا إِلَى اللهِ أَشَدُّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ »

ويقال إن الأخوين فى الله إذا كان أحدهما أعلى مقاما من الآخر، رفع الآخر معه إلى مقامه وإنه يلتحق به كما تلتحق الذرية بالأبوين، والأهل بعضهم ببعض. لأن الإخوة إذا اكتسبت فى الله، لم تكن دون إخوة الولادة. قال عز وجل (أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ[1]) وقال صلى الله عليه وسلم[3] « إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَزَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِي. وحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَحَابُّونَ مِنْ أَجْلِي. وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَبَاذَلُونَ مِنْ أَجْلِي وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَنَاصَرُونَ مِنْ أَجْلِي » وقال صلى الله عليه وسلم[4] إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي » وقال صلى الله عليه وسلم[5] « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ

---

(١) حديث أبى هريرة ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بأنبياء ولاشهداء الحديث : النسائى فى سننه الكبرى ورجاله ثقات

(٢) حديث ما تحاب اثنان فى الله الا كان أحبهما الى الله أشدهما حبا لصاحبه: ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال صحيح الاسناد

(٣) حديث ان الله يقول حقت محبتى للذين يتزاورون من أجلى وحقت محبتى للذين يتحابون من أجلى الحديث أحمد من حديث عمرو بن عبسه وحديث عبادة بن الصامت ورواه الحاكم وصححه

(٤) حديث إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم فى ظلى يوم لاظل الا ظلى: مسلم

(٥) حديث أبى هريرة سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل الا ظله امام عادل ـ الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم

---

(١) الطور: ٢١

فِي عِبَادَةِ اللهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ ، اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ حَسَبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ تَعَالَى ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ »

وقال صلى الله عليه وسلم (١) « مَا زَارَ رَجُلٌ رَجُلاً فِي اللهِ شَوْقاً إِلَيْهِ وَرَغْبَةً فِي لِقَائِهِ إِلَّا نَادَاهُ مَلَكٌ مِنْ خَلْفِهِ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَطَابَتْ لَكَ الْجَنَّةُ » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « إِنَّ رَجُلاً زَارَ أَخاً لَهُ فِي اللهِ فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ مَلَكاً فَقَالَ أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ أُرِيدُ أَنْ أَزُورَ أَخِي فُلَانَاً . فَقَالَ لِحَاجَةٍ لَكَ عِنْدَهُ ؟ قَالَ لَا . قَالَ لِقَرَابَةٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ؟ قَالَ لَا . قَالَ فَبِنِعْمَةٍ لَهُ عِنْدَكَ ؟ قَالَ لَا . قَالَ فَبِمَ ؟ قَالَ أُحِبُّهُ فِي اللهِ . قَالَ فَإِنَّ اللهَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ يُخْبِرُكَ بِأَنَّهُ يُحِبُّكَ لِحُبِّكَ إِيَّاهُ وَقَدْ أَوْجَبَ لَكَ الْجَنَّةَ »

وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللهِ » فلهذا يجب أن يكون للرجل أعداء يبغضهم فى الله ، كما يكون له أصدقاء وإخوان يحبهم فى الله . ويروي أن الله تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء ، أما زهدك فى الدنيا فقد تعجلت الراحة ، وأما انقطاعك إليَّ فقد تعززت بى ، ولكن هل عاديت فيَّ عدواً؟ أو هل واليت فيَّ وليا ؟ وقال صلى الله عليه وسلم (٤) « اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيَّ مِنَّةً فَتَرْزُقَهُ مِنِّي مَحَبَّةً »

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام لو أنك عبدتنى بعبادة أهل السموات والأرض ، وحب فى الله ليس ، وبغض في الله ليس ، ما أغنى عنك ذلك شيئاً .

---

(١) حديث مازار رجل رجلا فى الله شوقا اليه ورغبة فى لقائه الا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة ابن عدي من حديث أنس دون قوله شوقا اليه ورغبة فى لقائه وللترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة من عاد مريضا أو زار أخا فى الله ناداه مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا قال الترمذى غريب

(٢) حديث ان رجلا زار أخاله فى الله فأرصد الله له ملكا فقال أين تريد.. الحديث: مسلم من حديث أبى هريرة

(٣) حديث أوثق عرى الايمان الحب فى الله والبغض فى الله: أحمد من حديث البراء بن عازب وفيه ليث ابن أبى سليم مختلف فيه والخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف

(٤) حديث اللهم لاتجعل لفاجر علي منة ـ الحديث : تقدم فى الكتاب الذى قبله

وقال عيسى عليه السلام، تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصى، وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم، والتمسوا رضا الله بسخطهم . قالوا ياروح الله ، فمن نجالس ؟ قال جالسوا من تذكركم الله رؤيته ، ومن يزيد فى عملكم كلامه ، ومن يرغبكم فى الآخرة عمله . وروى فى الأخبار السالفة أن الله عز وجل أوحى إلى موسى عليه السلام ، ياابن عمران ، كن يقظانا ، وارتد لنفسك إخوانا وكل خدن وصاحب لا يوازرك على مسرتى فهو لك عدو . وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام ، فقال ياداود ، مالى أراك منتبذا وحيدا ! قال إلهى قليت الخلق من أجلك . فقال ياداود ، كن يقظانا ، وارتد لنفسك أخدانا ، وكل خدن لا يوافقك على مسرتى فلا تصاحبه فإنه لك عدو يقسى قلبك ويباعدك منى . وفى أخبار داود عليه السلام أنه قال ، يارب كيف لى أن يحبنى الناس كلهم وأسلم فيما بينى وبينك ؟ قال خالق الناس بأخلاقهم، وأحسن فيما بينى وبينك . وفي بعضها ، خالق أهل الدنيا بأخلاق الدنيا ، وخالق أهل الآخرة بأخلاق الآخرة

وقال النبى صلى الله عليه وسلم (١) « إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَى اللهِ الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ الْمَشَّاؤُنَ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « إِنَّ لِلهِ مَلَكاً نِصْفُهُ مِنَ النَّارِ وَنِصْفُهُ مِنَ الثَّلْجِ يَقُولُ اللَّهُمَّ كَمَا أَلَّفْتَ بَيْنَ الثَّلْجِ وَالنَّارِ كَذَلِكَ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ » وقال أيضاً (٣) « مَا أَحْدَثَ عَبْدٌ أَخاً فِي اللهِ إِلَّا أَحْدَثَ اللهُ لَهُ دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ » وقال صلى الله عليه وسلم (٤) « الْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ عَلَى عَمُودٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ فِي رَأْسِ الْعَمُودِ سَبْعُونَ أَلْفَ غُرْفَةٍ يُشْرِفُونَ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يُضِيءُ حُسْنُهُمْ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ انْطَلِقُوا بِنَا نَنْظُرْ إِلَى الْمُتَحَابِّينَ فِي اللهِ فَيُضِيءُ حُسْنُهُمْ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ عَلَيْهِمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ مَكْتُوبٌ عَلَى جِبَاهِهِمْ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ »

---

(١) حديث ان أحبكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون ـ الحديث: الطبرانى فى الاوسط والصغير من حديث أبى هريرة بسند ضعيف

(٢) حديث ان لله ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول اللهم كما ألفت بين الثلج والنار كذلك ألف بين قلوب عبادك الصالحين أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب العظمة من حديث معاذ بن جبل والعرباض بن سارية بسند ضعيف

(٣) حديث ما أحدث عبد اخاء فى الله تعالى الا أحدث الله له درجة فى الجنة ابن أبى الدنيا فى كتاب الاخوان من حديث أنس وقد تقدم

(٤) حديث المتحابون فى الله على عمود من ياقوته حمراء فى رأس العمود سبعون ألف غرفة ـ الحديث الحكيم الترمذي في النوادر من حديث ابن مسعود بسند ضعيف

الآثار : قال علي رضى الله عنه : عليكم بالإخوان ، فإنهم عدة فى الدنيا والآخرة . ألا تسمع إلى قول أهل النار (فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ) وقال عبدالله بن عمر رضى الله عنهما والله لو صُمْتُ النهار لا أفطره ، وقمت الليل لا أنامه ، وأنفقت مالى غلقا غلقا فى سبيل الله ، أموت يوم أموت وليس فى قلبي حب لأهل طاعة الله ، وبغض لأهل معصية الله مانفعنى ذلك شيئا . وقال ابن السماك عند موته ، اللهم إنك تعلم أني إذا كنت أعصيك كنت أحب من يطيعك ، فاجعل ذلك قربة لى إليك . وقال الحسن على ضده ، ياابن آدم لايغرنك قول من يقول المرء مع من أحب ، فإنك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم ، فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم . وهذه اشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة فى بعض الأعمال أو كلها لاينفع . وقال الفضيل فى بعض كلامه ، هاه تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن فى داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بأى عمل عملته ؛ بأى شهوة تركتها ؟ بأى غيظ كظمته ؟ بأى رحم قاطع وصلتها ؟ بأى زلة لأخيك غفرتها ؟ بأى قريب باعدته فى الله ؟ بأى بعيد قاربته فى الله ؟

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام ، هل عملت لى عملا قط ؟ فقال إلهي إنى صليت لك ، وصمت ، وتصدقت وزكيت . فقال إن الصلاة لك برهان ، والصوم جنة والصدقة ظل ، والزكاة نور ، فأى عمل عملت لى ؟ قال موسى إلهى دلنى على عمل هو لك . قال ياموسى هل واليت لى وليا قط ؟ وهل عاديت نبيّ عدوا قط ؟ فعلم موسى أن أفضل الأعمال الحب فى الله والبغض فى الله

وقال ابن مسعود رضي الله عنه ، لو أن رجلا قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة لبعثه الله يوم القيامة مع من يحب . وقال الحسن رضي الله عنه ، مصارمة الفاسق قربان الله وقال رجل لمحمد بن واسع ، إنى لأحبك فى الله ، فقال أحبك الذى أحببتنى له ، ثم حول وجهه وقال ، اللهم إنى أعوذ بك أن أُحَبَّ فيك وأنت لى مبغض . ودخل رجل على داود الطائى فقال له ماحاجتك ؟ فقال زيارتك . فقال أما أنت فقد عملت خيرا حين زرت ، ولكن انظر ماذا ينزل بى إذا قيل لى من أنت فتزار ؟ أمن الزهاد أنت ؟ لا والله ، أمن العباد أنت فلا والله

(١) الشعراء ١٠٠ ، ١٠١

أمن الصالحين أنت ؟ لا والله. ثم أقبل يوبخ نفسه ويقول كنت فى الشبيبة فاسقا، فلما شخت صرت مرائيا والله للمرائى شر من الفاسق . وقال عمر رضى الله عنه ، إذا أصاب أحدكم ودّا من أخيه فليتمسك به ، فقلما يصيب ذلك . وقال مجاهد ، المتحابون فى الله إذا التقوا فكشر بعضهم إلى بعض ، تتحات عنهم الخطايا كما يتحات ورق الشجر فى الشتاء إذا يبس . وقال الفضيل نظر الرجل إلى وجه أخيه على المودة والرحمة عبادة

بيان

معنى الأخوة فى الله وتمييزها من الأخوة فى الدنيا

اعلم أن الحب فى الله والبغض فى الله غامض . وينكشف الغطاء عنه بما نذكره . وهو أن الصحبة تنقسم إلى مايقع بالاتفاق ، كالصحبة بسبب الجوار ، أو بسبب الاجتماع فى المكتب ، أو فى المدرسة ، أو فى السوق ، أو على باب السلطان ، أو فى الأسفار ، وإلى ماينشأ اختيارا ويقصد ، وهو الذي نريد بيانه ، إذ الأخوة فى الدين واقعة فى هذا القسم لامحالة إذ لاثواب إلا على الأفعال الاختيارية ، ولا ترغيب إلا فيها. والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة ، وهذه الأمور لايقصد الإنسان بها غيره إلا إذا أحبه ، فإن غير المحبوب يجتنب ويباعد ولا تقصد مخالطته والذى يحب فإما أن يحب لذاته، لا ليتوصل به إلى محبوب ومقصود وراءه ، وإما أن يحب للتوصل به إلى مقصود . وذلك المقصود إما أن يكون مقصورا على الدنيا وحظوظها، وإما أن يكون متعلقا بالآخرة ، وإما أن يكون متعلقا بالله تعالى . فهذه أربعة أقسام

أما القسم الأول : وهو حبك الإنسان لذاته ، فذلك ممكن . وهو أن يكون في ذاته محبوبا عندك ، على معنى أنك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة أخلاقه ، لاستحسانك له فإن كل جميل لذيذ في حق من أدرك جماله ، وكل لذيذ محبوب ، واللذة تتبع الاستحسان والاستحسان يتبع المناسبة والملاءمة والموافقة بين الطباع . ثم ذلك المستحسَن إما أن يكون هو الصورة الظاهرة ، أعنى حسن الخلقة ، وإما أن يكون هو الصورة الباطنة ، أعنى كمال العقل وحسن الأخلاق . ويتبع حسن الأخلاق حسن الأفعال لامحالة ، ويتبع كمال العقل غزارة العلم . وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم ، والعقل المستقيم ، وكل مستحسَن

فستلذ به ومحبوب ، بل فى ائتلاف القلوب أمر أغمض من هـذا ، فإنه قد تستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحة فى صورة ، ولا حسن فى خلق وخلق ، ولكن لمناسبة باطنة توجب الألفة والموافقة ، فإن شبه الشىء ينجذب إليه بالطبع ، والأشباه الباطنة خفية، ولها أسباب دقيقة ليس فى قوة البشر الاطلاع عليها

عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] عن ذلك حيث قال « الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ » فالتناكر نتيجة التباين، والائتلاف نتيجة التناسب الذى عبر عنه بالتعارف . وفى بعض الالفاظ [2] « الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ تَلْتَقِي فَتَتَشَامُّ فِي الْهَوَاءِ » وقد كنى بعض العلماء عن هذا بأن قال ، إن الله تعالى خلق الأرواح ففلق بعضها فلقا ، وأطافها حول العرش فأى روحين من فلقتين تعارفا هناك فالتقيا ، تواصلا فى الدنيا، وقال صلى الله عليه وسلم [3] « إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ لَيَلْتَقِيَانِ عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَمَا رَأَى أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ قَطُّ » وروى [4] أن امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة أخرى فنزلت المكية على المدنية ، فدخلت على عائشة رضي الله عنها فأضحكتها . فقالت أين نزلت؟ فذكرت لها صاحبتها . فقالت صدق الله ورسوله ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ » الحديث

والحق فى هذا أن المشاهـدة والتجربة تشهد للائتلاف عند التناسب ، والتناسب فى الطباع والأخلاق باطنا وظاهرا أمر مفهوم

وأما الأسباب التى أوجبت تلك المناسبة ، فليس فى قوة البشر الاطلاع عليها . وغاية هذيان المنجم أن يقول ، إذا كان طالعه على تسديس طالع غيره أو تثليثه ، فهذا نظر الموافقة

---

(١) حديث الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف : مسلم من حديث أبى هريرة والبخارى تعليقا من حديث عائشة

(٢) حديث الارواح تلتقى فتتشام فى الهواء الطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف من حديث على ان الارواح فى الهواء جند مجندة تلتقى فتتشام الحديث

(٣) حديث ان أرواح المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه قط : أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ تلتقى وقال أحدهم وفيه ابن لهيعة عن دراج

(٤) حديث إن امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة أخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عائشة فذكرت حديث الأرواح جنود مجندة الحسن بن سفيان فى مسنده بالقصة بسند حسن وحديث عائشة عند البخارى تعليقا مختصرا دونها كما تقدم

والمودة، فتقتضى التناسب والتواد . وإذا كان على مقابلته أو تربيعه ، اقتضى التباغض والعداوة . فهذا لو صدق بكونه كذلك فى مجارى سنة الله فى خلق السموات والأرض لكان الإشكال فيه أكثر من الإشكال فى أصل التناسب . فلا معنى للخوض فيما لم يكشف سره للبشر ، فما أوتينا من العلم إلا قليلا . ويكفينا فى التصديق بذلك التجربة والمشاهدة فقد ورد الخبر به ، قال صلى الله عليه وسلم [1] « لَوْ أَنَّ مُؤْمِناً دَخَلَ إِلَى مَجْلِسٍ فِيهِ مِائَةُ مُنَافِقٍ وَمُؤْمِنٌ وَاحِدٌ لَجَاءَ حَتَّى يَجْلِسَ إِلَيْهِ ، وَلَوْ أَنَّ مُنَافِقاً دَخَلَ إِلَى مَجْلِسٍ فِيهِ مِائَةُ مُؤْمِنٍ وَمُنَافِقٌ وَاحِدٌ لَجَاءَ حَتَّى يَجْلِسَ إِلَيْهِ » وهذا يدل على أن شبه الشىء منجذب إليه بالطبع ، وإن كان هو لا يشعر به . وكان مالك بن دينار يقول : لا يتفق اثنان فى عشرة إلا وفى أحدهما وصف من الآخر . وإن أجناس الناس كأجناس الطير ، ولا يتفق نوعان من الطير فى الطيران إلا وبينهما مناسبة . قال فرأى يوما غرابا مع حمامة ، فعجب من ذلك فقال اتفقا وليسا من شكل واحد ! ثم طارا ، فإذاهما أعرجان ، فقال من ههنا اتفقا. ولذلك قال بعض الحكماء . كل إنسان يأنس إلى شكله ، كما أن كل طير يطير مع جنسه . وإذا اصطحب اثنان برهة من زمان ، ولم يتشاكلا فى الحال ، فلا بد أن يفترقا . وهذا معنى خفي تفطن له الشعراء حتى قال قائلهم

وقائل كيف تفارقتما * فقلت قولا فيه إنصاف

لم يك من شكلى ففارقته * والناس أشكال وألاف

فقد ظهر من هذا أن الإنسان قد يحب لذاته ، لا لفائدة تنال منه فى حال أو مآل ، بل المجرد المجانسة والمناسبة فى الطباع الباطنة ، والأخلاق الخفية . ويدخل فى هذا القسم الحب للجمال ، إذا لم يكن المقصود قضاء الشهوة . فإن الصور الجميلة مستلذة فى عينها ، وإن قدّر فقدُ أصل الشهوة ، حتى يستلذ النظر إلى الفواكه والأنوار والأزهار، والتفاح المشرب بالحمرة ، وإلى الماء الجارى والخضرة ، من غير غرض سوي عينها . وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله ، بل هو حب بالطبع وشهوة النفس . ويتصور ذلك ممن لا يؤمن بالله . إلا أنه

---

(١) حديث لو أن مؤمنا دخل إلى مجلس وفيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس اليه الحديث : البيهقي فى شعب الايمان موقوفا على ابن مسعود وذكره صاحب الفردوس من حديث معاذ بن جبل ولم يخرجه ولده فى المسند

إن اتصل به غرض مذموم صار مذموما ، كحب الصورة الجميلة لقضاء الشهوة حيث لا يحل قضاؤها ، وإن لم يتصل به غرض مذموم ، فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم ، إذ الحب إما محمود وإما مذموم ، وإما مباح لا يحمد ولا يذم

القسم الثاني: أن يحبه لينال من ذاته غير ذاته ، فيكون وسيلة إلى محبوب غيره، والوسيلة إلى المحبوب محبوب ، وما يحب لغيره كان ذلك الغير هو المحبوب بالحقيقة ، ولكن الطريق إلى المحبوب محبوب .. ولذلك أحب الناس الذهب والفضة ، ولا غرض فيهما ، إذ لا يطعم ولا يلبس ، ولكنهما وسيلة إلى المحبوبات ، فمن الناس من يحب كما يحب الذهب والفضة من حيث إنه وسيلة إلى المقصود ، إذ يتوصل به إلى نيل جاه أو مال أو علم، كما يحب الرجل سلطانا لانتفاعه بماله أو جاهه ، ويحب خواصه لتحسينهم حاله عنده ، وتمهيدهم أمره في قلبه فالمتوسل إليه إن كان مقصور الفائدة على الدنيا ، لم يكن حبه من جملة الحب في الله . وإن لم يكن مقصور الفائدة على الدنيا ، ولكنه ليس يقصد به إلا الدنيا ؛ كحب التلميذ لأستاذه فهو أيضا خارج عن الحب لله . فإنه إنما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه ؛ فمحبوبه العلم . فإذا كان لا يقصد العلم للتقرب إلى الله ؛ بل لينال به الجاه والمال والقبول عند الخلق ؛ فمحبوبه الجاه والقبول ؛ والعلم وسيلة إليه ؛ والأستاذ وسيلة إلى العلم ؛ فليس في شيء من ذلك حب لله ، إذ يتصور كل ذلك ممن لا يؤمن بالله تعالى أصلا

ثم ينقسم هذا أيضا إلى مذموم ومباح ، فإن كان يقصد به التوصل إلى مقاصد مذمومة من قهر الأقران وحيازة أموال اليتامى وظلم الرعاة بولاية القضاء أو غيره، كان الحب مذموما وإن كان يقصد به التوصل إلى مباح ، فهو مباح ، وإنما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من المقصد المتوصل اليه ، فإنها تابعة له غير قائمة بنفسها.

القسم الثالث: أن يحبه لا لذاته ، بل لغيره. وذلك الغير ليس راجعا إلى حظوظه في الدنيا بل يرجع إلى حظوظه في الآخرة . فهذا أيضا ظاهر لا غموض فيه . وذلك كمن يحب أستاذه وشيخه ، لأنه يتوصل به إلى تحصيل العلم وتحسين العمل ، ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الآخرة . فهذا من جملة المحبين في الله . وكذلك من يحب تلميذه لأنه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ، ويرقى به إلى درجة التعظيم في ملكوت السماء . إذ قال

عيسى صلى الله عليه وسلم ، من عَلِمَ وعمل وعَلَّمَ فذلك يدعى عظيما فى ملكوت السماء. ولا يتم التعليم إلا بتعلم . فهو إذاً آلة فى تحصيل هذا الكمال . فإن أحبه لأنه آلة له ، إذ جعل صدره مزرعة لحرثه الذى هو سبب ترقيه إلى رتبة التعظيم فى ملكوت السماء ، فهو محب فى الله . بل الذى يتصدق بأمواله لله ، ويجمع الضيفان ؛ ويهيء لهم الأطعمة اللذيذة الغريبة تقربا إلى الله ، فأحب طباخا لحسن صنعته فى الطبيخ ، فهو من جملة المحبين فى الله . وكذا لو أحب من يتولى له ايصال الصدقة الى المستحقين ، فقد أحبه فى الله

بل نزيد على هذا ونقول ، إذا أحب من يخدمه بنفسه فى غسل ثيابه ، وكنس بيته وطبخ طعامه ، ويفرغه بذلك للعلم أو العمل ، ومقصوده من استخدامه فى هذه الاعمال الفراغ للعبادة ، فهو محب فى الله.

بل نزيد عليه ونقول ، إذا أحب من ينفق عليه من ماله ، ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه وجميع أغراضه التى يقصدها فى دنياه ، ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل المقرب إلى الله ، فهو محب فى الله . فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفايتهم جماعة من أولى الثروة ، وكان المواسى والمواسى جميعا من المتحابين فى الله

بل نزيد عليه ونقول من نكح امرأة صالحة ، ليتحصن بها عن وسواس الشيطان ويصون بها دينه ، أو ليولد منها له ولد صالح يدعو له وأحب زوجته لأنها آلة إلى هذه المقاصد الدينية فهو محب فى الله . ولذلك وردت الاخبار [1] بوفور الأجر والثواب على الإنفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل فى فى امرأته

بل نقول كل من اشتهر بحب الله وحب رضاه ، وحب لقائه فى الدار الآخرة فإذا أحب غيره كان محبا فى الله . لأنه لا يتصور أن يحب شيئا الا لمناسبته لما هو محبوب عنده وهو رضا الله عز وجل

بل أزيد على هذا وأقول ، إذا اجتمع فى قلبه محبتان محبة الله ومحبة الدنيا ؛ واجتمع فى شخص واحد المعنيان جميعا ؛ حتى صلح لأن يتوسل به إلى الله وإلى الدنيا ، فإذا أحبه لصلاحه للأمرين ، فهو من المحبين فى الله . كمن يحب أستاذه الذى يعلمه الدين ويكفيه مهمات الدنيا

---

(١) حديث الأجر فى الانفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل فى فى أمرأته تقدم

بالمواساة فى المال ، فأحبه من حيث إن فى طبعه طلب الراحة فى الدنيا والسعادة فى الآخرة فهو وسيلة إليهما ؛ فهو محب فى الله

وليس من شرط حب الله أن لا يحب فى العاجل حظا ألبتة ؛ إذ الدعاء أمر به الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، فيه جمع بين الدنيا والآخرة ومن ذلك قولهم ، ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة . وقال عيسى عليه السلام فى دعائه اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تسؤ بى صديقى ولا تجعل مصيبتى لدينى ولا تجعل الدنيا أكبر همى . فدفع شماتة الأعداء من حظوظ الدنيا . ولم يقل ولا تجعل الدنيا أصلا من همى بل قال لا تجعلها أكبر همى . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم فى دعائه (١) اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ رَحْمَةً أَنَالُ بِهَا شَرَفَ كَرَامَتِكَ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ » وَقال اللَّهُمَّ (٢) عَافِنِى مِنْ بَلاَءِ الدُّنْيَا وَبَلاءِ الآخِرَةِ

على الجملة فإذا لم يكن حب السعادة فى الآخرة مناقضا لحب الله تعالى ، فحب السلامة والصحة والكفاية والكرامة فى الدنيا ؛ كيف يكون مناقضا لحب الله ! والدنيا والآخرة عبارة عن حالتين ؛ إحداهما أقرب من الأخرى . فكيف يتصور أن يحب الإنسان حظوظ نفسه غدا ، ولا يحبها اليوم ! وإنما يحبها غدا ، لأن الغد سيصير حالا راهنة . فالحالة الراهنة لابد أن تكون مطلوبة أيضا . إلا أن الحظوظ العاجلة منقسمة إلى ما يضاد حظوظ الآخرة ويمنع منها ؛ وهى التى احترز عنها الأنبياء والأولياء ؛ وأمروا بالاحتراز عنها ، وإلى ما لا يضاد ، وهى التى لم يمتنعوا منها ، كالنكاح الصحيح ، وأكل الحلال ، وغير ذلك . فما يضاد حظوظ الآخرة فحق العاقل أن يكرهه ولا يحبه ، أعنى أن يكرهه بعقله لا بطبعه ، كما يكره التناول من طعام لذيذ لملك من الملوك يعلم أنه لو أقدم عليه لقطعت يده أو حزت رقبته ، لا بمعنى أن الطعام اللذيذ يصير بحيث لا يشتهيه بطبعه ، ولا يستلذه لو أكله ، فإن ذلك محال . ولكن على معنى أنه يزجره عقله عن الإقدام عليه ، وتحصل فيه كراهة الضرر المتعلق به

والمقصود من هذا أنه لو أحب أستاذه لأنه يواسيه ويعلمه ، أو تلميذه لأنه يتعلم منه ويخدمه وأحدهما حظ عاجل والآخر آجل ، لكان فى زمرة المتحابين فى الله . ولكن بشرط

---

(١) حديث اللهم أنى أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة الترمذى من حديث ابن عباس فى الحديث الطويل فى دعائه صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الليل وقد تقدم

(٢) حديث اللهم عافنى من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة أحمد من حديث بشر بن أبى أرطاة نحوه بسند جيد

واحد ، وهو أن يكون بحيث لو منعه العلم مثلا ، أو تعذر عليه تحصيله منه ؛ لنقص حبه بسببه فالقدر الذى ينقص بسبب فقده هو لله تعالى . وله على ذلك القدر ثواب الحب فى الله . وليس بمستنكر أن يشتد حبك لإنسان لجملة أغراض ترتبط لك به ، فإن امتنع بعضها نقص حبك وإن زاد زاد الحب . فليس حبك للذهب كحبك للفضة إذا تساوى مقدارهما ، لأن الذهب يوصل إلى اغراض هى أكثر مما توصل إليه الفضة . فإذاً يزيد الحب بزيادة الغرض ، ولا يستحيل اجتماع الاغراض الدنيوية والأخروية ، فهو داخل فى جملة الحب لله . وحده هو أن كل حب لولا الإيمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده ، فهو حب فى الله . وكذلك كل زيادة فى الحب ، لولا الإيمان بالله لم تكن تلك الزيادة ، فتلك الزيادة من الحب فى الله . فذلك وإن دق فهو عزيز . قال الجريرى : تعامل الناس فى القرن الأول بالدين حتى رق الدين وتعاملوا فى القرن الثانى بالوفاء حتى ذهب الوفاء ، وفى الثالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة ولم يبق إلا الرهبة والرغبة

القسم الرابع : أن يحب لله وفى الله ، لا لينال منه علما أو عملا ، أو يتوسل به إلى أمر وراء ذاته . وهذا أعلى الدرجات . وهو أدقها وأغمضها . وهذا القسم أيضا ممكن . فإن من آثار غلبة الحب ، أن يتعدى من المحبوب إلى كل من يتعلق بالمحبوب ويناسبه ولو من بعد فمن أحب إنسانا حبا شديدا أحب محب ذلك الإنسان ، وأحب محبوبه ، وأحب من يخدمه وأحب من يثنى عليه محبوبه ، وأحب من يتسارع إلى رضا محبوبه ، حتى قال بقية بن الوليد : إن المؤمن إذا أحب المؤمن ، أحب كلبه . وهو كما قال . ويشهد له التجربة فى أحوال العشاق ويدل عليه أشعار الشعراء . ولذلك يحفظ ثوب المحبوب ويخفيه ، تذكرة من جهته ، ويحب منزله ومحلته وجيرانه ، حتى قال مجنون بنى عامر

أمر على الديار ديار ليلى * أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديارا

فاذاً المشاهدة والتجربة تدل على أن الحب يتعدى من ذات المحبوب إلى ما يحيط به ويتعلق بأسبابه ، ويناسبه ولو من بعد . ولكن ذلك من خاصية فرط المحبة . فأصل المحبة لا يكفى فيه . ويكون اتساع الحب فى تعديه من المحبوب إلى ما يكتنفه ، ويحيط به ، ويتعلق

بأسبابه ، بحسب افراط المحبة وقوتها . وكذلك حب الله سبحانه وتعالى ، إذا قوى وغلب على القلب ، واستولى عليه ، حتى انتهى إلى حد الاستهتار ، فيتعدى إلى كل موجود سواه فإن كل موجود سواه أثر من آثار قدرته . ومن أحب إنسانا أحب صنعته وخطه وجميع أفعاله . ولذلك كان صلى الله عليه وسلم [1] إذا حمل إليه باكورة من الفواكه ، مسح بها عينيه وأكرمها ، وقال إنه قريب العهد بربنا

وحب الله تعالى تارة يكون لصدق الرجاء فى مواعيده ، وما يتوقع فى الآخرة من نعيمه ، وتارة لما سلف من أياديه وصنوف نعمته ، وتارة لذاته لا لأمر آخر ، وهو أدق ضروب المحبة وأعلاها . وسيأتى تحقيقها فى كتاب المحبة من ربع المنجيات إن شاء الله تعالى وكيفما اتفق حب الله ، فإذا قوى تعدى إلى كل متعلق به ضربا من التعلق ، حتى يتعدى إلى ما هو فى نفسه مؤلم مكروه ، ولكن فرط الحب يضعف الإحساس بالألم ، والفرح بفعل المحبوب وقصد إياه بالإيلام يغمر إدراك الألم ، وذلك كالفرح بضربة من المحبوب . أو قرصة فيها نوع معاتبة ، فإن قوة المحبة تثير فرحا يغمر إدراك الألم فيه . وقد انتهت محبة الله بقوم إلى ان قالوا لا نفرق بين البلاء والنعمة ، فإن الكل من الله ، ولا نفرح إلا بما فيه رضاه حتى قال بعضهم : لا أريد أن أنال مغفرة الله بمعصية الله . وقال سمنون :

وليس لى فى سواك حظ * فكيفما شئت فاختبرنى

وسيأتى تحقيق ذلك فى كتاب المحبة

والمقصود أن حب الله إذا قوى ، أثمر حب كل من يقوم بحق عبادة الله فى علم أو عمل وأثمر حب كل من فيه صفة مرضية عند الله من خلق حسن ، أو تأدب بآداب الشرع . وما من مؤمن محب للآخرة ، ومحب لله ، إلا إذا أخبر عن حال رجلين ، أحدهما عالم عابد والآخر جاهل فاسق ، إلا وجد فى نفسه ميلا إلى العالم العابد . ثم يضعف ذلك الميل ويقوى بحسب ضعف إيمانه وقوته . وبحسب ضعف حبه لله وقوته . وهذا الميل حاصل وإن كانا

---

(١) حديث كان إذا حمل اليه باكورة من الفواكه مسح بها عينيه وأكرمها وقال أنها قريب عهد بربها الطبرانى فى الصغير من حديث ابن عباس وأبى داود فى المراسيل والبيهقى فى الدعوات من حديث أبى هريرة دون قوله واكرمها الخ وقال أنه غير محفوظ وحديث أبى هريره فى الباكورة عند بقية أصحاب السنن دون مسح عينيه بها ومابعده وقال الترمذى حسن صحيح

غائبين عنه ، بحيث يعلم أنه لا يصيبه منهما خير ولا شر فى الدنيا ولا فى الآخرة . فذلك الميل هو حب فى الله ولله من غير حظ . فإنه إنما يحبه لأن الله يحبه ، ولأنه مرضي عند الله تعالى ولأنه يحب الله تعالى ؛ ولأنه مشغول بعبادة الله تعالى ؛ إلا أنه إذا ضعف لم يظهر أثره ؛ ولا يظهر به ثواب ولا أجر . فإذا قوى حمل على الموالاة والنصرة والذب بالنفس والمال واللسان وتتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم فى حب الله عز وجل

ولو كان الحب مقصوراً على حظ ينال من المحبوب فى الحال أو المآل ، لما تصور حب الموتى من العلماء والعباد ، ومن الصحابه والتابعين ، بل من الأنبياء المنقرضين صلوات الله عليهم وسلامه ، وحب جميعهم مكنون فى قلب كل مسلم متدين . ويتبين ذلك بغضبه عند طعن أعدائهم فى واحد منهم ، وبفرحه عند الثناء عليهم وذكر محاسنهم . وكل ذلك حب لله ، لأنهم خواص عباد الله ، ومن أحب ملكا أو شخصا جميلا أحب خواصه وخدمه وأحب من أحبه . إلا أنه يمتحن الحب بالمغالبة بحظوظ النفس ، وقد يغلب بحيث لا يبقى للنفس حظ إلا فيما هو حظ المحبوب . وعنه عبر قول من قال

أريد وصاله ويريد هجرى * فأترك ما أريد لما يريد

وقول من قال :

* وما لجرح إذا أرضاكم ألم *

وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الحظوظ دون بعض ، كمن تسمح نفسه بأن يشاطر محبوبه فى نصف ماله أو فى ثلثه أو فى عشره . فمقادير الأموال موازين المحبة ، إذ لا تعرف درجة المحبوب إلا بمحبوب يترك فى مقابلته . فمن استغرق الحب جميع قلبه ، لم يبق له محبوب سواه ، فلا يمسك لنفسه شيئا ، مثل أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فإنه لم يترك لنفسه أهلا ولا مالا ، فسلم ابنته التي هى قرة عينه ، وبذل جميع ماله ، قال ابن عمر رضى الله عنهما ، بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] جالس وعنده أبو بكر ، وعليه عباءة

---

(١) حديث ابن عمر بينما النبى صلى الله عليه وسلم جالس وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خللها على صدره بخلال فنزل جبريل فأقرأه من ربه السلام ـ الحديث : ابن حبان والعقيلى فى الضعفاء . قال الذهبي فى الميزان هو كذب

قد خللها على صدره بخلال ، إذ نزل جبريل عليه السلام ، فاقرأه عن الله السلام ، وقال يارسول الله مالى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال ؟ فقال « أَنْفَقَ مَالَهُ عَلَيَّ قَبْلَ الفَتْحِ » قال فأقره من الله السلام ، وقل له يقول لك ربك ، أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط قال فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبى بكر وقال « يَا أَبَا بَكْرٍ هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ مِنَ اللهِ وَيَقُولُ أَرَاضٍ أَنْتَ عَنِّي فِي فَقْرِكَ هَذَا أَمْ سَاخِطٌ ؟» قال فبكى أبو بكر رضى الله عنه وقال ، أعلى ربى أسخط ! أنا عن ربى راض ، أنا عن ربى راض

فحصل من هذا أن كل من أحب عالما أو عابدا ، أو أحب شخصا راغبا فى علم أو فى عبادة أو في خير ، فانما أحبه فى الله ولله ، وله فيه من الأجر والثواب بقدر قوة حبه . فهذا شرح الحب فى الله ودرجاته ، وبهذا يتضح البغض فى الله أيضا ، ولكن نزيده بيانا

بيان

البغض فى الله

اعلم أن كل من يحب فى الله لابد أن يبغض فى الله . فإنك إن أحببت إنسانا لأنه مطيع لله ، ومحبوب عند الله ، فإن عصاه فلا بد أن تبغضه لأنه عاص لله ، وممقوت عند الله . ومن أحب بسبب ، فبالضرورة يبغض لضده . وهذان متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر ، وهو مطرد فى الحب والبغض فى العادات ، ولكن كل واحد من الحب والبغض داء دفين فى القلب ، وإنما يترشح عند الغلبة ، ويترشح بظهور أفعال المحبين والمبغضين فى المقاربة والمباعدة ، وفى المخالفة والموافقة . فاذا ظهر فى الفعل سمى موالاة ومعاداة . ولذلك قال الله تعالى (هَلْ وَالَيْتَ فِيَّ وَلِيًّا وَهَلْ عَادَيْتَ فِيَّ عَدُوًّا) كما نقلناه

وهذا واضح فى حق من لم يظهر لك إلا طاعاته ، تقدر على أن تحبه ، أو لم يظهر لك الا فسقه وفجوره وأخلاقه السيئة ، فتقدر على أن تبغضه . وإنما المشكل إذا اختلطت الطاعات بالمعاصى . فإنك تقول كيف أجمع بين البغض والمحبة وهما متناقضان . وكذلك تتناقض ثمرتهما من الموافقة والمخالفة ، والموالاة والمعاداة . فأقول ذلك غير متناقض فى حق الله تعالى كما لا يتناقض فى الحظوظ البشرية . فإنه مهما اجتمع فى شخص واحد خصال يحب بعضها

ويكره بعضها ، فإنك تحبه من وجه ، وتبغضه من وجه . فمن له زوجة حسناء فاجرة ، أو ولد ذكى خدوم ولكنه فاسق ، فإنه يحبه من وجه ، ويبغضه من وجه ، ويكون معه على حالة بين حالتين . إذ لو فرض له ثلاثة أولاد ، أحدهم ذكى بار ، والآخر بليد عاق والآخر بليد بار ، أو ذكى عاق ، فإنه يصادف نفسه معهم على ثلاثة أحوال متفاوتة، بحسب تفاوت خصالهم . فكذلك ينبغى أن تكون حالك بالإضافة إلى من غلب عليه الفجور ، ومن غلبت عليه الطاعة ، ومن اجتمع فيه كلاهما ، متفاوتة على ثلاث مراتب . وذلك بأن تعطى كل صفة حظها من البغض والحب ، والاعراض والاقبال ، والصحبة والقطيعة ، وسائر الافعال الصادرة منه

فان قلت فكل مسلم فإسلامه طاعة منه ، فكيف أبغضه مع الاسلام ؟ فأقول تحبه لإسلامه ، وتبغضه لمعصيته . وتكون معه على حالة لوقستها بحال كافر أو فاجر أدركت تفرقة بينهما . وتلك التفرقة حب للاسلام ، وقضاء لحقه . وقدر الجناية على حق الله ، والطاعة لك كالجناية على حقك والطاعة لك فمن وافقك على غرض وخالفك فى آخر ، فكن معه على حالة متوسطة بين الانقباض والاسترسال ، وبين الاقبال والاعراض ، وبين التودد إليه والتوحش عنه . ولا تبالغ فى إكرامه مبالغتك فى إكرام من يوافقك على جميع اغراضك ، ولا تبالغ فى إهانته مبالغتك فى اهانة من خالفك فى جميع أغراضك . ثم ذلك التوسط تارة يكون ميله إلى طرف الاهانة عند غلبة الجناية ، وتارة إلى طرف المجاملة والاكرام عند غلبة الموافقة . فهكذا ينبغى أن يكون فيمن يطيع الله تعالى ويعصيه ، ويتعرض لرضاه مرة ولسخطه أخرى

فان قلت فبماذا يمكن إظهار البغض ؟ فأقول أما فى القول ، فيكف اللسان عن مكالمته ومحادثته مرة ، وبالاستخفاف والتغليظ فى القول أخرى . وأما فى الفعل ، فبقطع السعى فى إعانته مرة ، وبالسعى فى إساءته وإفساد مآربه أخرى . وبعض هذا أشد من بعض وهى بحسب درجات الفسق والمعصية الصادرة منه . أما مايجرى مجرى الهفوة التى يعلم أنه متندم عليها ، ولا يصر عليها ، فالأولى فيه الستر والإغماض . أما ماأصر عليه من صغيرة أو كبيرة ، فإن كان ممن تأكدت بينك وبينه مودة وصحبة وأخوة ، فله حكم آخر وسيأتى ، وفيه خلاف بين العلماء . وأما إذا لم تتأكد أخوة وصحبة ، فلا بد من إظهار أثر

البغض ، إما فى الإعراض والتباعد عنه ، وقلة الالتفات إليه ، وإما فى الاستخفاف وتغليظ القول عليه ، وهذا أشد من الإعراض ، وهو بحسب غلظ المعصية وخفتها . وكذلك فى الفعل أيضا رتبتان ، إحداهما قطع المعونة والرفق والنصرة عنه ، وهو أقل الدرجات . والأخرى السعى فى إفساد أغراضه عليه ، كفعل الأعداء المبغضين ، وهذا لابد منه ، ولكن فيما يفسد عليه طريق المعصية . أما مالا يؤثر فيه فلا . مثاله : رجل عصى الله بشرب الخمر ، وقد خطب امرأة لو تيسر له نكاحها لكان مغبوطا بها ، بالمال والجمال والجاه ، إلا أن ذلك لا يؤثر فى منعه من شرب الخمر ، ولا فى بعث وتحريض عليه . فإذا قدرت على إعانته ليتم له غرضه ومقصوده ، وقدرت على تشويشه ليفوته غرضه ، فليس لك السعى فى تشويشه . أما الإعانة فلو تركتها إظهارا للغضب عليه فى فسقه ، فلا بأس . وليس يجب تركها . إذ ربما يكون لك نية فى أن تتلطف باعانته ، وإظهار الشفقة عليه ، ليعتقد مودتك ويقبل نصحك ، فهذا حسن . وإن لم يظهر لك ، ولكن رأيت أن تعينه على غرضه قضاء لحق إسلامه ، فذلك ليس بممنوع ، بل هو الأحسن ، إن كانت معصيته بالجناية على حقك أو حق من يتعلق بك . وفيه نزل قوله تعالى (وَلاَ يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ) إلى قوله تعالى[1] (أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ) إذ تكلم مسطح بن أثاثة فى واقعة[1] الإفك ، فحلف أبو بكر أن يقطع عنه رفقه ، وقد كان يواسيه بالمال ، فنزلت الآية مع عظم معصية مسطح . وأية معصية تزيد على التعرض لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وإطالة اللسان فى مثل عائشة رضى الله عنها ! إلا أن الصديق رضى الله عنه ، كان كالمجنى عليه فى نفسه بتلك الواقعة والعفو عمن ظلم والإحسان إلى من أساء من أخلاق الصديقين . وإنما يحسن الإحسان إلى من ظلمك . فأما من ظلم غيرك ، وعصى الله به ، فلا يحسن الإحسان إليه . لأن فى الإحسان إلى الظالم إساءة إلى المظلوم ، وحق المظلوم أولى بالمراعاة ، وتقوية قلبه بالإعراض عن الظالم أحب إلى الله من تقوية قلب الظالم . فأما إذا كنت أنت المظلوم ، فالأحسن فى حقك العفو والصفح

---

(١) حديث كلام مسطح فى الافك وهجر أبى بكر له حتى نزلت ولا يأتل أولو الفضل منكم الآية . متفق عليه من حديث عائشة

---

(١) النور : ٢٢

وطرق السلف قد اختلفت فى إظهار البغض مع أهل المعاصى .وكلهم اتفقوا على إظهار البغض للظلمة والمبتدعة ، وكل من عصى الله بمعصية متعدية منه إلى غيره . فأما من عصى الله فى نفسه ، فمنهم من نظر بعين الرحمة إلى العصاة كلهم ، ومنهم من شدد الإنكار واختار المهاجرة . فقد كان أحمد بن حنبل يهجر الأكابر فى أدنى كلمة حتى هجر يحيى بن معين لقوله إنى لاأسأل أحدا شيئا ، ولو حمل السلطان إلىّ شيئا لأخذته . وهجر الحرث المحاسبي فى تصنيفه فى الرد على المعتزلة ، وقال إنك لابد تورد أولا شبهتهم ،وتحمل الناس على التفكر فيها ، ثم ترد عليهم . وهجر أبا ثور فى تأويله قوله صلى الله عليه وسلم [1] «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ »وهذا أمر يختلف باختلاف النية.وتختلف النية باختلاف الحال. فإن كان الغالب على القلب النظر إلى اضطرار الخلق وعجزهم.وأنهم مسخرون لما قدروا له أورث هذا تساهلا فى المعاداة والبغض ، وله وجه . ولكن قد تلتبس به المداهنة.فأكثر البواعث على الإغضاء عن المعاصى المداهنة ومراعاة القلوب ، والخوف من وحشتها ونفارها.وقد يلبس الشيطان ذلك على الغبي الاحمق بأنه ينظر بعين الرحمة . ومحك ذلك أن ينظر اليه بعين الرحمة إن جنى على خاص حقه ، ويقول انه قد سخر له ، والقدر لاينفع منه الحذر ، وكيف لايفعله وقد كتب عليه فمثل هذا قد تصح له نية في الاغماض عن الجناية على حق الله . وإن كان يغتاظ عند الجناية على حقه ، ويترحم عند الجناية على حق الله ، فهذا مداهن مغرور بمكيدة من مكايد الشيطان ، فليتنبه له

فإن قلت فأقل الدرجات فى إظهار البغض الهجر والاعراض ، وقطع الرفق والاعانة فهل يجب ذلك حتى يعصى العبد بتركه ؟فأقول لايدخل ذلك فى ظاهر العلم تحت التكليف والايجاب.فإنا نعلم أن الذين شربوا الخمر وتعاطوا الفواحش فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة ،ماكانوا يهجرون بالكلية بل كانوا منقسمين فيهم من يغلظ القول عليه ، ويظهر البغض له ، وإلى من يعرض عنه ، ولا يتعرض له ، وإلى من ينظر إليه بعين الرحمة ولا يؤثر المقاطعة والتباعد

فهذه دقائق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الآخرة ، ويكون عمل كل

---

(١) حديث ان الله خلق آدم على صورته:مسلم من حديث أبى هريرة

واحد على مايقتضيه حاله ووقته . ومقتضى الأحوال فى هذه الأمور إما مكروهة أو مندوبة فتكون فى رتبة الفضائل ، ولا تنتهى إلى التحريم والأيجاب ؛ فإن الداخل تحت التكليف أصل المعرفة لله تعالى، وأصل الحب ، وذلك قد لا يتعدى من المحبوب إلى غيره، وإنما المتعدى إفراط الحب واستيلاؤه ، وذلك لايدخل فى الفتوى وتحت ظاهر التكليف فى حق عوام الخلق أصلا

بيان

مراتب الذين يبغضون فى الله وكيفية معاملتهم

فإن قلت إظهار البغض والعداوة بالفعل ، إن لم يكن واجبا ، فلا شك أنه مندوب إليه والعصاة والفساق على مراتب مختلفة ، فكيف ينال الفضل بمعاملتهم ؟ وهل يسلك بجميعهم مسلكا واحدا أم لا ؟ فاعلم أن المخالف لأمر الله سبحانه لايخلوا إما أن يكون مخالفا فى عقده ، أو فى عمله . والمخالف فى العقد إما مبتدع أو كافر . والمبتدع إما داع الى بدعته أو ساكت . والساكت إما بعجزه أو باختياره . فأقسام الفساد فى الاعتقاد ثلاثة :

الأول الكفر . فالكافر إن كان محاربا فهو يستحق القتل والارقاق . وليس بعد هذين إهانة . وأما الذمى . فإنه لا يجوز إيذاؤه الا بالاعراض عنه، والتحقير له ، بالاضطرار الى أضيق الطرق ، وبترك المفاتحة بالسلام ، فاذا قال السلام عليك، قلت وعليك. والأولى الكف عن مخالطته ومعاملته ومواكلته: واما الانبساط معه، والاسترسال إليه ، كما يسترسل إلى الأصدقاء فهو مكروه كراهة شديدة يكاد ينتهى مايقوى منها الى حد التحريم . قال الله تعالى (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ [1]) الآية . وقال صلى الله عليه وسلم [1] «الْمُسْلِمُ وَالْمُشْرِكُ لَا تَتَرَاءَى نَارَاهُمَا» وقال عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ [2]) الآية

---

(١) حديث المؤمن والمشرك لاترا أى ناراهما: أبو داود والترمذى من حديث جرير أنا برىء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين قالوا يارسول الله ولم قال لاترا أى ناراهما ورواه النسائى مرسلا وقال البخارى الصحيح أنه مرسل

---

(١) المجادلة : ٢٢ (٢) الممتحنة : ١

الثانى المبتدع الذى يدعو إلى بدعته . فإن كانت البدعة بحيث يكفر بها ، فأمره أشد من الذمى ، لأنه لا يقر بجزية ، ولا يسامح بعقد ذمة . وإن كان ممن لا يكفر به ، فأمره بينه وبين الله أخف من أمر الكافر لا محالة . ولكن الأمر فى الإنكار عليه أشد منه على الكافر ، لأن شر الكافر غير متعد ، فإن المسلمين اعتقدوا كفره ، فلا يلتفتون إلى قوله إذ لا يدعي لنفسه الإسلام واعتقاد الحق . أما المبتدع الذى يدعو إلى البدعة ، ويزعم أن مايدعو إليه حق ، فهو سبب لغواية الخلق ، فشره متعد . فالاستحباب فى إظهار بغضه ومعاداته ، والانقطاع عنه وتحقيره ، والتشنيع عليه ببدعته . وتنفير الناس عنه أشد . وإن سلم فى خلوة فلا بأس برد جوابه . وإن علمت أن الإعراض عنه ، والسكوت عن جوابه ، يقبح فى نفسه بدعته ، ويؤثر فى زجره ، فترك الجواب أولى . لأن جواب السلام ، وإن كان واجبا ، فيسقط بأدنى غرض فيه مصلحة حتى يسقط بكون الإنسان في الحمام أو فى قضاء حاجته وغرض الزجر أهم من هذه الأغراض وإن كان فى ملأ فترك الجواب أولى وتنفير الناس عنه وتقبيح البدعته في أعينهم وكذلك الأولى كف الإحسان إليه ، والإعانة له ، لاسيما فيما يظهر للخلق قال عليه السلام (١) « مَنْ انْتَهَرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ أَمْنًا وَإِيمَانًا وَمَنْ أَهَانَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ أَمَّنَهُ اللهُ يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ وَمَنْ أَلَانَ لَهُ وَأَكْرَمَهُ أَوْ لَقِيَهُ بِبِشْرٍ فَقَدِ اسْتَخَفَّ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم »

الثالث : المبتدع العامى ، الذى لا يقدر على الدعوة ، ولا يخاف الاقتداء به ، فأمره أهون فالأولى أن لا يقابح بالتغليظ والإهانة ، بل يتلطف به فى النصح ، فإن قلوب العوام سريعة التقلب . فإن لم ينفع النصح ، وكان فى الإعراض عنه تقبيح لبدعته فى عينه ، تأكد الاستحباب فى الإعراض . وإن علم أن ذلك لا يؤثر فيه ، لجمود طبعه ، ورسوخ عقده فى قلبه ، فالإعراض أولى . لأن البدعة إذا لم يبالغ فى تقبيحها شاعت بين الخلق ، وعم فسادها

وأما العاصى بفعله وعمله لا باعتقاده ، فلا يخلو إما أن يكون بحيث يتأذى به غيره ، كالظلم والغصب . وشهادة الزور والغيبة ، والتضريب بين الناس ، والمشى بالنميمة وأمثالها أو كان مما لا يقتصر عليه ويؤذى غيره . وذلك ينقسم إلى مايدعو غيره إلى الفساد ، كصاحب

---

(١) حديث من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وايمانا ـ الحديث : أبو نعيم فى الحلية والهروى فى ذم الكلام من حديث ابن عمر بسند ضعيف

الماخور الذى يجمع بين الرجال والنساء ، ويهيىء أسباب الشرب والفساد لأهل الفساد . أو لايدعو غيره إلى فعله ، كالذى يشرب ويزنى . وهذا الذى لايدعو غيره ، إما أن يكون عصيانه بكبيرة أو بصغيرة . وكل واحد فإما أن يكون مصرا عليه أو غير مصر . فهذه التقسيمات يتحصل منها ثلاثة أقسام ، ولكل قسم منها رتبة ، وبعضها أشد من بعض ولا نسلك بالكل مسلكا واحدا

القسم الأول : وهو أشدها ، ما يتضرر به الناس كالظلم والغصب ، وشهادة الزور والغيبة والنميمة . فهؤلاء الأولى الإعراض عنهم ، وترك مخالطتهم ، والانقباض عن معاملتهم لأن المعصية شديدة فيما يرجع إلى إيذاء الخلق . ثم هؤلاء ينقسمون إلى من يظلم فى الدماء وإلى من يظلم فى الأموال ، وإلى من يظلم فى الأعراض . وبعضها أشد من بعض فالاستحباب فى إهانتهم والإعراض عنهم مؤكد جدا . ومهما كان يتوقع من الإهانه زجرا لهم أو لغيرهم كان الأمر فيه آكد وأشد

الثانى : صاحب الماخور الذى يهيىء أسباب الفساد ، ويسهل طرقه على الخلق ، فهذا لايؤذى الخلق فى دنياهم ، ولكن يختلس بفعله دينهم . وإن كان على وفق رضاهم فهو قريب من الأول ، ولكنه أخف منه . فإن المعصية بين العبد وبين الله تعالى إلى العفو أقرب ولكن من حيث أنه متعد على الجملة إلى غيره فهو شديد . وهذا أيضا يقتضى الإهانة والإعراض والمقاطعة ، وترك جواب السلام إذا ظن أن فيه نوعا من الزجر له أو لغيره

الثالث : الذى يفسق فى نفسه بشرب خمر ، أو ترك واجب ، أو مقارفة محظور يخصه فالأمر فيه أخف . ولكنه فى وقت مباشرته إن صودف يجب منعه بما يمتنع به منه . ولو بالضرب والاستخفاف . فإن النهى عن المنكر واجب . وإذا فرغ منه ، وعلم ان ذلك من عادته ، وهو مصر عليه ، فإن تحقق أن نصحه يمنعه عن العود إليه ، وجب النصح . وإن لم يتحقق ، ولكنه كان يرجو ، فالأفضل النصح والزجر ، بالتلطف أو بالتغليظ إن كان هو الأنفع . فأما الإعراض عن جواب سلامه ، والكف عن مخالطته حيث يعلم أنه يصر وأن النصح ليس ينفعه ، فهذا فيه نظر . وسير العلماء فيه مختلفة . والصحيح أن ذلك يختلف باختلاف نية الرجل . فعند هذا يقال الأعمال بالنيات ، إذ فى الرفق والنظر بعين الرحمة إلى الخلق نوع

من التواضع ، وفى العنف والإعراض نوع من الزجر . والمستفتى فيه القلب . فما يراه أميل إلى هواه ومقتضى طبعه ، فالأولى ضده . إذ قد يكون استخفافه وعنفه عن كبر وعجب والتذاذ بإظهار العلو والإدلال بالصلاح . وقد يكون رفقه عن مداهنة واستمالة قلب ، للوصول به إلى غرض ، أو لخوف من تأثير وحشته ونفرته فى جاه أو مال ، بظن قريب أو بعيد . وكل ذلك مردد على إشارات الشيطان ، وبعيد عن أعمال أهل الآخرة . فكل راغب فى أعمال الدين ، مجتهد مع نفسه فى التفتيش عن هذه الدقائق ، ومراقبة هذه الأحوال والقلب هو المفتى فيه . وقد يصيب الحق فى اجتهاده وقد يخطيء ، وقد يقدم على اتباع هواه وهو عالم به ، وقد يقدم وهو بحكم الغرور ظان أنه عامل لله ، وسالك طريق الآخرة وسيأتى بيان هذه الدقائق فى كتاب الغرور من ربع المهلكات . ويدل على تخفيف الأمر في الفسق القاصر ، الذي هو بين العبد وبين الله ، ماروى [1] أن شارب خمر ضرب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرات ، وهو يعود . فقال واحد من الصحابة ، لعنه الله ما أكثر مايشرب ! فقال صلى الله عليه وسلم « لَا تَكُنْ عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكَ » أو لفظا هذا معناه . وكان هذا إشارة إلى أن الرفق أولى من العنف والتغليظ

بيان الصفات

المشروطة فيمن تختار صحبته

اعلم أنه لا يصلح للصحبة كل إنسان . قال صلى الله عليه وسلم [2] « الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ » ولا بد أن يتميز بخصال وصفات يرغب بسببها فى صحبته . وتشترط تلك الخصال بحسب الفوائد المطلوبة من الصحبة ، إذ معنى الشرط مالا بد منه للوصول إلى المقصود ، فبالإضافة إلى المقصود تظهر الشروط ، ويطلب من الصحبة فوائد دينية ودنيوية . أما الدنيوية ، فكالانتفاع بالمال أو الجاه ، أو مجرد الاستئناس بالمشاهدة

---

(١) حديث ان شارب خمر ضرب بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم ـ الحديث : وفيه لاتكن عونا للشيطان على أخيك البخارى من حديث أبى هريرة

(٢) حديث المرء على دين خليله ـ الحديث : أبو داود والترمذى وحسنه والحاكم من حديث أبى هريرة وقال صحيح ان شاء الله

والمجاورة ، وليس ذلك من أغراضنا . وأما الدينية ، فيجتمع فيها أيضا أغراض مختلفة . إذ منها الاستفادة من العلم والعمل . ومنها الاستفادة من الجاه تحصنا به عن إيذاء من يشوش القلب ويصد عن العبادة . ومنها استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الأوقات فى طلب القوت . ومنها الاستعانة فى المهمات ، فيكون عدة فى المصائب وقوة فى الاحوال . ومنها التبرك بمجرد الدعاء . ومنها انتظار الشفاعة فى الآخرة ، فقد قال بعض السلف، استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة ، فلعلك تدخل فى شفاعة أخيك .

وروى فى غريب التفسير فى قوله تعالي (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ [1]) قال يشفعهم فى إخوانهم ، فيدخلهم الجنة معهم . ويقال إذا غفر الله للعبد شفع فى إخوانه . ولذلك حث جماعة من السلف علي الصحبة والألفة والمخالطة ، وكرهوا العزلة والانفراد .

فهذه فوائد تستدعى كل فائدة شروطا لاتحصل إلا بها ، ونحن نفصلها . أما على الجملة فينبغى أن يكون فيمن تؤثر صحبته خمس خصال . أن يكون عاقلا ، حسن الخلق ، غير فاسق ولا مبتدع ، ولاحريص على الدنيا

أما العقل فهو رأس المال ، وهو الأصل . فلا خير فى صحبة الأحمق ، فإلى الوحشة والقطيعة ترجع عاقبتها وان طالت . قال علي رضى الله عنه :

فلا تصحب أخا الجهل * و اياك و إياه فكم من جاهل أردى * حليما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء * إذا ما المرء ماشاه وللشيء من الشيء * مقاييس واشباه
وللقلب على القلب * دليل حين يلقاه

كيف والأحمق قد يضرك وهو يريد نفعك وإعانتك من حيث لايدرى . ولذلك قال الشاعر :

إنى لآمن من عدو عاقل * وأخاف خلا يعتريه جنون
فالعقل فن واحد وطريقه * أدرى فأرصد والجنون فنون

ولذلك قيل مقاطعة الأحمق قربان إلى الله . وقال الثورى ، النظر إلى وجه الاحمق خطيئة مكتوبة . ونعنى بالعاقل الذى يفهم الأمور على ما هى عليه ، إما بنفسه وإما إذا فهم

(١) الشورى : ٢٦

وأما حسن الخلق فلا بد منه . إذ رب عاقل يدرك الأشياء على ماهي عليه ، ولكن إذا غلبه غضب أو شهوة ، أو بخل أو جبن ، أطاع هواه ، وخالف ماهو المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته ، وتقويم أخلاقه . فلا خير فى صحبته

وأما الفاسق المصر على الفسق ، فلا فائدة فى صحبته ، لأن من يخاف الله لايصر على كبيرة ، ومن لايخاف الله لاتؤمن غائلته ، ولا يوثق بصداقته ، بل يتغير بتغير الأغراض وقال تعالى (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ[1]) وقال تعالى (فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ[2]) وقال تعالى (فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا[3]) وقال (وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ[4]) وفى مفهوم ذلك زجر عن الفاسق

وأما المبتدع ، ففى صحبته خطر سراية البدعة وتعدى شؤمها إليه . فالمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة ، فكيف تؤثر صحبته ! وقد قال عمر رضى الله عنه ، فى الحث على طلب التدين في الصديق ، فيما رواه سعيد بن المسيب قال: عليك بإخوان الصدق تعش فى أكنافهم فإنهم زينة فى الرخاء ، وعدة فى البلاء . وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك مايغلبك منه . واعتزل عدوك ، واحذر صديقك إلا الأمين من القوم ، ولا أمين إلا من خشي الله فلا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره . ولا تطلعه على سرك ، واستشر فى أمرك الذين يخشون الله تعالى

وأما حسن الخلق ، فقد جمعه علقمة المطاردى فى وصيته لابنه حين حضرته الوفاة . قال يابنى ، إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك ، وإن صحبته زانك وإن قعدت بك مؤنة مانك . إصحب من إذا مددت يدك بخير مدها ، وإن رأى منك حسنة عدها ، وان رأى سيئة سدها . اصحب من اذا سألته أعطاك ؛ وإن سكتّ ابتداك ، وإن نزلت بك نازلة واساك . إصحب من إذا قلت صدّق قولك ، وإن حاولتما أمرا أمّرك ، وإن تنازعتما آثرك . فكأنه جمع بهذا جميع حقوق الصحبة ، وشرط أن يكون قائما بجميعها . قال ابن أكثم ، قال المأمون فأين هذا ؟ فقيل له أتدرى لم أوصاه بذلك ؟ قال لا . قال لأنه أراد أن لا يصحب أحدا

وقال بعض الأدباء : لاتصحب من الناس إلا من يكتم سرك ، ويستر عيبك . فيكون

---

(١) الكهف : ٢٨ (٢) طه ١٦ (٣) النجم : ٢٩ (٤) لقمان : ١٥ .

معك فى النوائب، ويؤثرك بالرغائب ، وينشر حسنتك ، ويطوى سيئتك . فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك . وقال علي رضي الله عنه

إن أخاك الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب زمان صدعك * شتت فيه شمله ليجمعك

وقال بعض العلماء : لا تصحب إلا أحد رجلين ، رجل تتعلم منه شيئا فى أمر دينك فينفعك ، أو رجل تعلمه شيئا فى أمر دينه فيقبل منك، والثالث فاهرب منه. وقال بعضهم الناس أربعة : فواحد حلو كله فلا يشبع منه ، وآخر مر كله فلا يؤكل منه ، وآخر فيه حموضة نخذ من هذا قبل أن يأخذ منك ، وآخر فيه ملوحة نخذ منه وقت الحاجة فقط وقال جعفر الصادق رضى الله عنه : لا تصحب خمسة: الكذاب فإنك منه على غرور ، وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب . والاحمق فإنك لست منه على شيء يريد أن ينفعك فيضرك . والبخيل فإنه يقطع بك أحوج ماتكون اليه . والجبان فإنه يسلمك ويفر عند الشدة . والفاسق فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها . فقيل وما أقل منها؟ قال الطمع فيها ثم لا ينالها

وقال الجنيد لأن يصحبنى فاسق حسن الخلق، أحب الىّ من أن يصحبنى قارىء سيء الخلق وقال ابن أبى الحوارى : قال لى أستاذى أبو سليمان ، يا أحمد ، لا تصحب إلا أحد رجلين رجلا ترتفق به فى أمر دنياك ، أو رجلا تزيد معه وتنتفع به فى أمر آخرتك ، والاشتغال بغير هذين حمق كبير . وقال سهل بن عبد الله : اجتنب صحبة ثلاثة من أصناف الناس ، الجبابرة الغافلين ، والقراء المداهنين ، والمتصوفة الجاهلين

واعلم ان هذه الكلمات أكثرها غير محيط بجميع أغراض الصحبة . والمحيط ماذكرناه من ملاحظة المقاصد ، ومراعاة الشروط بالإضافة إليها. فليس ما يشترط للصحبة فى مقاصد الدنيا مشروطا للصحبة فى الآخرة والاخوة . كما قاله بشر : الإخوان ثلاثة : أخ لآخرتك وأخ لدنياك وأخ لتأنس به . وقلما تجتمع هذه المقاصد فى واحد ، بل تتفرق على جمع . فتتفرق الشروط فيهم لامحاله . وقد قال المأمون : الأخوان ثلاثة : أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه ، والآخر مثله مثل الدواء يحتاج اليه فى وقت دون وقت ، والثالث مثله مثل

الداء لا يحتاج اليه قط ، ولكن العبد قد يبتلى به ، وهو الذى لا أنس فيه ولا نفع ؛ وقد قيل مثل جملة الناس كمثل الشجر والنبات ، فمنها ماله ظل وليس له ثمر ، وهو مثل الذى ينتفع به فى الدنيا دون الأخرة ، فإن نفع الدنيا كالظل السريع الزوال . ومنها ماله ثمر وليس له ظل ، وهو مثل الذى يصلح للاخرة دون الدنيا . ومنها ماله ثمر وظل جميعا ومنها ماليس له واحد منهما ، كأم غيلان ، تمزق الثياب ولا طعم فيها ولا شراب . ومثله من الحيوانات الفأرة والعقرب كما قال تعالى (يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ[1]) وقال الشاعر

الناس شتى إذا ماأنت ذقتهم * لايستوون كما لايستوى الشجر
هـذا له ثمر حلو مذاقته * وذاك ليس له طعم ولا ثمر

فإذا لم يجد رفيقا يؤاخيه ويستفيد به أحد هذه المقاصد ، فالوحدة أولى به . قال أبوذر رضي الله عنه : الوحدة خير من الجليس السوء ، والجليس الصالح خير من الوحدة ويروي مرفوعا

وأما الديانة وعدم الفسق ، فقد قال الله تعالى (وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ[2]) ولأن مشاهدة لفسق والفساق تهون أمر المعصية على القلب ، وتبطل نفرة القلب عنها . قال سعيد بن المسيب : لاتنظروا إلى الظلمة فتحبط أعمالكم الصالحة . بل هؤلاء لاسلامة فى مخالطتهم وانما السلامة فى الانقطاع عنهم . قال الله تعالى (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا[3]) أى سلامة ، والالف بدل من الهاء . ومعناه إنا سلمنا من اثمكم ؛ وأنتم سلمتم من شرنا

فهذا ماأردنا أن نذكره من معانى الأخوة وشروطها وفوائدها . فلنرجع فى ذكر حقوقها ولوازمها ، وطرق القيام بحقها

وأما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل . لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لايدرى صاحبه . فمجالسة الحريص على الدنيا تحرك الحرص . ومجالسة الزاهد تزهد فى الدنيا . فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا ؛ ويستحب صحبة الراغبين فى الآخرة . قال علي عليه السلام . أحيوا الطاعات بمجالسة من يستحيا

---

(١) الحج : ١٣ (٢) لقمان : ١٥ (٣) الفرقان : ٧٢

منه . وقال أحمد بن حنبل رحمه الله : ماأوقعنى فى بلية إلا صحبة من لا أحتشمه . وقال لقمان يابني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن القلوب لتحيا بالحكمة كما تحيا الأرض الميتة بوابل القطر

الباب الثانى

فى حقوق الأخوة والصحبة

اعلم ان عقد الأخوة رابطة بين الشخصين ؛ كعقد النكاح بين الزوجين . وكما يقتضى النكاح حقوقا يجب الوفاء بها قياما بحق النكاح ، كما سبق ذكره فى كتاب آداب النكاح فكذا عقد الأخوة . فلأخيك عليك حق فى المال والنفس ، وفى اللسان والقلب بالعفو والدعاء، وبالاخلاص والوفاء، وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف: وذلك يجمعه ثمانية حقوق

الحق الأول

فى المال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] « مَثَلُ الْأَخَوَيْنِ مَثَلُ الْيَدَيْنِ تَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى » وإنما شبههما باليدين لا باليد والرجل ، لأنهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الإخوان إنما تتم إخوتهما إذا ترافقا فى مقصد واحد ، فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضى المساهمة فى السراء والضراء، والمشاركة فى المآل والحال، وارتفاع الاختصاص والاستئثار والمواساة بالمال مع الإخوة على ثلاث مراتب :

أدناها أن تنزله منزلة عبدك أو خادمك ، فتقوم بحاجته من فضلة مالك . فإذا سنحت له حاجة ، وكانت عندك فضلة عن حاجتك ، أعطيته ابتداء ، ولم تحوجه إلى السؤال . فإن أحوجته إلى السؤال فهو غاية التقصير فى حق الإخوة

الثانية أن تنزله منزلة نفسك ، وترضى بمشاركته إياك فى مالك ، ونزوله منزلتك ، حتى تسمح بمشاطرته فى المال . قال الحسن : كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه

الثالثة وهى العليا ، أن تؤثره على نفسك ، وتقدم حاجته على حاجتك . وهذه رتبة الصديقين ، ومنتهي درجات المتحابين . ومن ثمار هذه الرتبة الإيثار بالنفس أيضا ،

(الباب الثانى فى حقوق الاخوة والصحبة)

(١) حديث مثل الاخوين مثل اليدين ـ الحديث : تقدم فى الباب قبله

كما روي أنه سُعِيَ بجماعة من الصوفية إلى بعض الخلفاء ، فأمر بضرب رقابهم ، وفيهم أبو الحسين النوري ، فبادر إلى السياف ليكون هو أول مقتول ، فقيل له في ذلك ، فقال أحببت أن أوثر إخواني بالحياة في هذه اللحظة . فكان ذلك سبب نجاة جميعهم في حكاية طويلة

فإن لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع أخيك ، فاعلم أن عقد الأخوة لم ينعقد بعد في الباطن . وإنما الجاري بينكما مخالطة رسمية ، لا وقع لها في العقل والدين . فقد قال ميمون ابن مهران . من رضي من الإخوان بترك الأفضال فليؤاخ أهل القبور .

وأما الدرجة الدنيا فليست أيضا مرضية عند ذوي الدين . روي أن عتبة الغلام ، جاء إلى منزل رجل كان قد آخاه ، فقال أحتاج من مالك إلى أربعة آلاف ، فقال خذ ألفين فأعرض عنه وقال : آثرت الدنيا على الله ، أما استحييت أن تدعى الأخوة في الله وتقول هذا ! ومن كان في الدرجة الدنيا من الأخوة ينبغي أن لا تعامله في الدنيا . قال أبو حازم : إذا كان لك أخ في الله فلا تعامله في أمور دنياك . وإنما أراد به من كان في هذه الرتبة

وأما الرتبة العليا فهي التي وصف الله تعالى المؤمنين بها في قوله (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ [1]) أي كانوا خلطاء في الأموال ، لا يميز بعضهم رحله عن بعض . وكان منهم من لا يصحب من قال نعلي ، لأنه أضافه إلى نفسه . وجاء فتح الموصلي إلى منزل لأخ له ، وكان غائبا ، فأمر أهله فأخرجت صندوقه ، ففتحه وأخذ حاجته . فأخبرت الجارية مولاها ، فقال إن صدقتِ فأنتِ حرة لوجه الله ، سرورا بما فعل . وجاء رجل إلى أبي هريرة رضي الله عنه ، وقال إني أريد أن أواخيك في الله ، فقال أتدري ما حق الأخاء ؟ قال عرفني . قال : أن لا تكون أحق بدينارك ودرهمك مني . قال : لم أبلغ هذه المنزلة بعد . قال : فاذهب عني . وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما لرجل ، هل يدخل أحدكم يده في كم أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه ؟ قال : لا . قال : فلستم بإخوان . ودخل قوم على الحسن رضي الله عنه ، فقالوا يا أبا سعيد ، أصليت ؟ قال نعم . قالوا فإن أهل السوق لم يصلوا بعد . قال ومن يأخذ دينه من أهل السوق ؟ بلغني أن أحدهم يمنع أخاه الدرهم ! قاله كالمتعجب منه

---

(١) الشورى : ٣٨

وجاء رجل إلى ابراهيم بن أدهم رحمه الله ، وهو يريد بيت المقدس ، فقال : إني أريد أن أرافقك ، فقال له ابراهيم على أن أكون أَمْلَكَ لشيئك منك ؟ قال لا . قال أعجبني صدقك قال فكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله إذا رافقه رجل لم يخالفه . وكان لا يصحب إلا من يوافقه وصحبه رجل شراك ، فأهدى رجل إلى ابراهيم فى بعض المنازل قصعة من ثريد ، ففتح جراب رفيقه ، وأخذ حزمة من شراك ، وجعلها فى القصعة ، وردها إلى صاحب الهدية . فلما جاء رفيقه ، قال: أين الشراك ؟ قال ذلك الثريد الذى أكلته إيش كان، قال: كنت تعطيه شراكين أو ثلاثة . قال اسمح يسمح لك . وأعطى مرة حمارا كان لرفيقه بغير إذنه رجلا رآه راجلا . فلما جاء رفيقه سكت . ولم يكره ذلك

قال ابن عمر رضي الله عنهما ، أهدي لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة ، فقال أخى فلان أحوج منى إليه ، فبعث به إليه ، فبعثه ذلك الإنسان إلى آخر فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر ، حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة . وروى أن مسروقا ادَّانَ دينا ثقيلا ، وكان على أخيه خيثمة دين ، قال فذهب مسروق فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم ، وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم . ولما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، آثره بالمال والنفس، فقال عبدالرحمن ، بارك الله لك فيهما . فآثره بما آثره به ، وكأنه قبله ثم آثره به . وذلك مساواة والبداية إيثار ، والإيثار أفضل من المساواة . وقال أبو سليمان الدارانى : لو أن الدنيا كلها لى فجعلتها فى فم أخ من إخوانى ، لأستقللتها له . وقال أيضا إنى لألقم اللقمة أخا من اخوانى فأجد طعمها فى حلقى . ولما كان الإنفاق على الإخوان أفضل من الصدقات على الفقراء ، قال علي رضى الله عنه. لعشرون درهما أعطيها أخى فى الله، أحب إلىّ من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين وقال أيضا : لأن أصنع صاعا من طعام وأجمع عليه اخوانى فى الله، أحب إلىّ من أن أعتق رقبة . واقتداء الكل في الإيثار برسول الله صلى الله عليه وسلم [2] ، فإنه دخل غيضة مع بعض

---

(١) حديث لما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن بارك الله لك فيهما: رواه البخاري من حديث أنس

(٢) حديث انه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتنى منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم إلى صاحبه ـ الحديث : لم أقف له على أصل

أصحابه ، فاجتنى منها سواكين ، أحدهما معوج ، والآخر مستقيم . فدفع المستقيم إلى صاحبه فقال له يارسول الله : كنتَ والله أحق بالمستقيم منى . فقال « مَا مِنْ صَاحِبٍ يَصْحَبُ صَاحِباً وَلَوْ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ إِلَّا سُئِلَ عَنْ صُحْبَتِهِ هَلْ أَقَامَ فِيهَا حَقَّ اللهِ أَمْ أَضَاعَهُ » فأشار بهذا إلى أن الأيثار هو القيام بحق الله فى الصحبة . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر يغتسل عندها ، فأمسك حذيفة بن اليمان الثوب ، وقام يستر رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] حتى اغتسل . ثم جلس حذيفة ليغتسل ، فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الثوب ، وقام يستر حذيفة عن الناس . فأبى حذيفة وقال : بأبى أنت وأمى يارسول الله لاتفعل . فأبى عليه السلام إلا أن يستره بالثوب حتى اغتسل . وقال صلى الله وسلم [2] « مَا اصْطَحَبَ اثْنَانِ قَطُّ إِلَّا كَانَ أَحَبُّهُمَا إِلَى اللهِ أَرْفَقَهُمَا بِصَاحِبِهِ » وروي أن مالك بن دينار ومحمد بن واسع ، دخلا منزل الحسن ، وكان غائبا ، فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن ، فجعل يأكل . فقال له مالك : كف يدك حتى يجىء صاحب البيت فلم يلتفت محمد إلى قوله ، وأقبل على الأكل . وكان مالك أبسط منه وأحسن خلقا ، فدخل الحسن ، وقال يامويلك ، هكذا كنا ، لايحتشم بعضنا بعضا ، حتى ظهرت أنت وأصحابك وأشار بهذا إلى أن الانبساط فى بيوت الاخوان من الصفاء فى الأخوة : كيف وقد قال الله تعالى (أَوْ صَدِيقِكُمْ [1]) وقال (أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ) إذ كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ، ويفوّض التصرف كما يريد . وكان أخوه يتحرج عن الأكل بحكم التقوي ، حتى أنزل الله تعالى هذه الآية ، وأذن لهم فى الانبساط فى طعام الاخوان والأصدقاء

الحق الثانى

فى الاعانة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال ، وتقديمها على الحاجات الخاصة . وهذه أيضا لها درجات ، كما للمواساة بالمال . فأدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار ، وإظهار الفرح وقبول المنة قال بعضهم : إذا استقضيت

---

(١) حديث ستر حذيفة للنبى صلى الله عليه وسلم بثوب حتى اغتسل ثم ستره صلى الله عليه وسلم لحذيفة حتى اغتسل : لم أجده أيضا

(٢) حديث ما اصطحب اثنان قط الا كان أحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه : تقدم فى الباب قبله بلفظ أشدهما حبا لصاحبه

---

(١) النور : ٦١ .

أخاك حاجة فلم يقضها ، فذكره ثانية فلعله أن يكون قد نسى ، فإن لم يقضها فكبر عليه ، واقرأ هذه الآية (وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ) وقضى ابن شبرمة حاجة لبعض إخوانه كبيرة ، فجاء بهدية فقال ماهذا ؟ قال لما أسديته إلي . فقال خذ مالك عافاك الله ، إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه فى قضائها ، فتوضأ للصلاة ، وكبر عليه أربع تكبيرات ، وعده فى الموتى . قال جعفر ابن محمد . إنى لأتسارع إلى قضاء حوائج أعدائى ، مخافة أن أردهم فيستغنوا عنى . هـذا فى الأعداء ، فكيف فى الأصدقاء ؟ وكان فى السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة ، يقوم بحاجتهم ، ويتردد كل يوم إليهم ، ويعونهم من ماله ، فكانوا لايفقدون من أبيهم إلا عينه . بل كانوا يرون منه مالم يروا من أبيهم فى حياته . وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه ، ويسأل ويقول : هل لكم زيت ؟ هل لكم ملح ؟ هل لكم حاجة؟ وكان يقوم بها من حيث لايعرفه أخوه . وبهذا تظهر الشفقة والاخوة

فإذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه ، فلاخير فيها . قال ميمون ابن مهران : من لم تنتفع بصداقته ، لم تضرك عداوته ، وقال صلى الله عليه وسلم [1] « أَلَا وَإِنَّ لِلّٰهِ أَوَانِيَ فِي أَرْضِهِ وَهِيَ الْقُلُوبُ فَأَحَبُّ الْأَوَانِي إِلَى اللهِ تَعَالَى أَصْفَاهَا وَأَصْلَبُهَا وَأَرَقُّهَا » أصفاها من الذنوب ، وأصلبها فى الدين ، وأرقها على الاخوان

وبالجملة فينبغى أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك ، أو أهم من حاجتك ، وأن تكون متفقداً لأوقات الحاجة ، غير غافل عن أحواله ، كما لاتغفل عن أحوال نفسك . وتغنيه عن السؤال ، وإظهار الحاجة إلى الاستعانة . بل تقوم بحاجته كأنك لاتدرى أنك قمت بها ولا ترى لنفسك حقا بسبب قيامك بها ، بل تتقلد منة بقبوله سعيك فى حقه ، وقيامك بأمره

ولا ينبغى أن تقتصر على قضاء الحاجة ، بل تجتهد فى البداية بالإكرام فى الزيادة ، والإيثار والتقديم على الأقارب والولد . كان الحسن يقول : إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا وإخواننا يذكروننا بالآخرة . وقال الحسن : من شيع أخاه فى

---

(٤) حديث ان لله أوانى فى أرضه وهى القلوب فأحب الأوانى إلي الله أصفاها وأصلبها : الطبرانى من حديث أبى عتبة الخولانى الا أنه قال الينها وأرقها واسناده جيد

(٢) حديث ما زار رجل أخاف الله ـ الحديث : تقدم فى الباب قبله

---

(١) الأنعام : ٣٦

الله ، بعث الله ملائكة من تحت عرشه يوم القيامة يشيعونه إلى الجنة وفى الأثر[٢] «مَا زَارَ رَجُلٌ أَخًا فِي اللهِ شَوْقًا إِلَى لِقَائِهِ إِلَّا نَادَاهُ مَلَكٌ مِنْ خَلْفِهِ طِبْتَ وَطَابَتْ لَكَ الْجَنَّةُ » وقال عطاء : تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث ، فإن كانوا مرضى فعودوهم ، أو مشاغيل فأعينوهم أو كانوا نسوا فذكروهم. وروى أن ابن عمر كان يلتفت يمينا وشمالا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] فسأله عن ذلك ، فقال أحببت رجلا فأنا أطلبه ولا أراه . فقال « إِذَا أَحْبَبْتَ أَحَدًا فَسَلْهُ عَنِ اسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَعَنْ مَنْزِلِهِ فَإِنْ كَانَ مَرِيضًا عُدْتَهُ وَإِنْ كَانَ مَشْغُولاً أَعَنْتَهُ » وفى رواية « وَعَنِ اسْمِ جَدِّهِ وَعَشِيرَتِهِ » وقال الشعبي في الرجل يجالس الرجل ، فيقول أعرف وجهه ولا أعرف اسمه ، تلك معرفة النوكي .وقيل لابن عباس: من أحب الناس إليك ؟ قال جليسى . وقال : ما اختلف رجل إلى مجلسى ثلاثا من غير حاجة له إلي ، فعلمت ما مكافأته من الدنيا . وقال سعيد بن العاص : لجليسى علي ثلاث : إذا دنا رحبت به ، وإذا حدث أقبلت عليه ، وإذا جلس أوسعت له .وقد قال تعالى(رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ[١]) إشارة إلى الشفقة والإكرام . ومن تمام الشفقة أن لا ينفرد بطعام لذيذ ، أو بحضور فى مسرة دونه . بل يتنغص لفراقه ، ويستوحش بانفراده عن أخيه

الحق الثالث

فى اللسان بالسكوت مرة وبالنطق أخرى

أما السكوت . فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه فى غيبته وحضرته . بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به . ولا يماريه ولا يناقشه . وأن يسكت عن التجسس والسؤال عن أحواله . وإذا رآه فى طريق أو حاجة ، لم يفاتحه بذكر غرضه من مصدره ومورده ، ولا يسأله عنه ، فربما يثقل عليه ذكره ، أو يحتاج إلى أن يكذب فيه. وليسكت عن أسراره التى بثها إليه ، ولا يبثها إلى غيره البتة، ولا إلى أخص أصدقائه ، ولا يكشف

---

(١) حديث ابن عمر اذا أحببت أحدا فاسأله عن اسمه واسم أبيه ومنزله وعشيرته ـ الحديث: الخرائطي فى مكارم الأخلاق والبيهقى فى شعب الايمان بسند ضعيف ورواه الترمذى من حديث يزيد بن نعامة وقال غريب ولا يعرف ليزيد بن نعامة سماع من النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) الفتح : ٢٩

شيئا منها ولو بعد القطيعة والوحشة . فإن ذلك من لؤم الطبع ، وخبث الباطن . وأن يسكت عن القدح فى أحبابه وأهله وولده . وأن يسكت عن حكاية قدح غيره فيه ، فإن الذى سبّك من بلغك . وقال أنس : كان صلى الله عليه وسلم[1] لا يواجه أحدا بشىء يكرهه والتأذى يحصل أولا من المبلغ ، ثم من القائل . نعم لا ينبغى أن يخفى مايسمع من الثناء عليه فإن السرور به أولا يحصل من المبلغ للمدح ، ثم من القائل، وإخفاء ذلك من الحسد وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا ، إلا إذا وجب عليه النطق فى أمر بمعروف أو نهي عن منكر . ولم يجد رخصة فى السكوت. فإذ ذاك لا يبالى بكراهته فإن ذلك إحسان إليه فى التحقيق ، وإن كان يظن أنها إساءة فى الظاهر

أما ذكر مساويه وعيوبه ومساوى أهله ، فهو من الغيبة. وذلك حرام فى حق كل مسلم ويزجرك عنه أمران : أحدهما أن تطالع أحوال نفسك ، فإن وجدت فيها شيئا واحدا مذموما ، فهون على نفسك ماتراه من أخيك ، وقدر أنه عاجز عن قهر نفسه فى تلك الخصلة الواحدة ، كما أنك عاجز عما أنت مبتلى به، ولا تستثقله لخصلة واحدة مذمومة فأي الرجال المهذب ؟ وكل مالا تصادفه من نفسك فى حق الله ، فلا تنتظره من أخيك فى حق نفسك فليس حقك عليه بأكثر من حق الله عليك. والأمر الثانى أنك تعلم أنك لو طلبت منزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ، ولن تجد من تصاحبه أصلا . فما من أحد من الناس إلا وله محاسن ومساو ، فإذا غلبت المحاسن المساوى فهو الغاية والمنتهى . فالمؤمن الكريم أبدا يحضر فى نفسه محاسن أخيه ، لينبعث من قلبه التوقير والود والاحترام وأما المنافق اللئيم ، فإنه أبدا يلاحظ المساوى والعيوب . قال ابن المبارك : المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات . وقال الفضيل : الفتوة العفو عن زلات الاخوان . ولذلك قال[2] عليه السلام «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ جَارِ السُّوءِ الَّذِى إِنْ رَأَى خَيْراً سَتَرَهُ وَإِنْ رَأَى شَرًّا أَظْهَرَهُ»

---

(١) حديث أنس كان لا يواجه أحدا بشىء يكرهه : أبو داود والترمذى فى الشمائل والنسائى فى اليوم والليلة بسند ضعيف

(٢) حديث استعيذوا بالله من جار السوء الذي ان رأى خير ستره وان رأى شرا أظهره : البخارى فى التاريخ من حديث أبى هريرة بسند ضعيف وللنسائى من حديث أبى هريرة وأبى سعيد بسند صحيح تعوذوا بالله من جار السوء فى دار المقام

وما من شخص إلا ويمكن تحسين حاله بخصال فيه، ويمكن تقبيحه أيضا. روي [١] أن رجلا أثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلما كان من الغد ذمه؛ فقال عليه السلام «أَنْتَ بِالْأَمْسِ تُثْنِي عَلَيْهِ وَالْيَوْمَ تَذُمُّهُ!» فقال والله لقد صدقت عليه بالأمس، وما كذبت عليه اليوم. إنه أرضاني بالأمس فقلت أحسن ما علمت فيه وأغضبني اليوم فقلت أقبح ما علمت فيه فقال عليه السلام «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْراً» وكأنه كره ذلك فشبهه بالسحر. ولذلك قال في خبر آخر [٢] «الْبَذَاءُ وَالْبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ» وفي الحديث الآخر «إِنَّ اللهَ يَكْرَهُ لَكُمُ الْبَيَانَ كُلَّ الْبَيَانِ» وكذلك قال الشافعي رحمه الله: ما أحد من المسلمين يطيع الله ولا يعصيه ولا أحد يعصي الله ولا يطيعه، فمن كانت طاعته أغلب من معاصيه فهو عدل. وإذا جعل مثل هذا عدلا في حق الله، فبأن تراه عدلا في حق نفسك ومقتضى أخوتك أولى.

وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه، يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك اساءة الظن. فسوء الظن غيبة بالقلب، وهو منهي عنه أيضا. وحده أن لا تحمل فعله على وجه فاسد ما أمكن أن تحمله على وجه حسن. فأما ما انكشف بيقين ومشاهدة، فلا يمكنك أن لا تعلمه، وعليك أن تحمل ما تشاهد على سهو ونسيان إن أمكن. وهذا الظن ينقسم إلى ما يسمى تفرسا، وهو الذي يستند إلى علامة، فان ذلك يحرك الظن تحريكا ضروريا لا يقدر على دفعه، وإلى ما منشؤه سوء اعتقادك فيه، حتى يصدر منه فعل له وجهان فيحملك سوء الاعتقاد فيه على أن تنزله على الوجه الاردأ، من غير علامة تخصه به. وذلك جناية عليه بالباطن. وذلك حرام في حق كل مؤمن. إذ قال صلى الله عليه وسلم [٣] «إِنَّ

---

(١) حديث ان رجلا اثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد ذمه ـ الحديث: وفيه فقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا: الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك من حديث أبي بكرة الا أنه ذكر المدح والذم في مجلس واحد لا يومين ورواه الحاكم من حديث ابن عباس أطول منه بسند ضعيف أيضا

(٢) حديث البذاء والبيان شعبتان من النفاق: الترمذي وقال حسن غريب والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث أبي أمامة بسند ضعيف

(٣) حديث ان الله حرم من المؤمن دمه وماله وعرضه وان يظن به ظن السوء: الحاكم في التاريخ من حديث ابن عباس دون قوله وعرضه ورجاله ثقات الا ان أبا علي النيسابوري قال ليس هذا عندي من كلام النبي صلى الله عليه وسلم انما هو عندي من كلام ابن عباس ولابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر ولمسلم من حديث أبي هريرة كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه

اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الْمُؤْمِنِ مِنَ الْمُؤْمِنِ دَمَهُ وَمَالَهُ وَعِرْضَهُ وَأَنْ يَظُنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ » وقال صلى الله عليه وسلم [1] « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ » وسوء الظن يدعو إلى التجسس والتحسس . وقد قال صلى الله عليه وسلم [2] « لَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَقَاطَعُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا » . التجسس فى تطلع الأخبار، والتحسس بالمراقبة بالعين . فستر العيوب ، والتجاهل والتغافل عنها شيمة أهل الدين . ويكفيك تنبيها على كمال الرتبة فى ستر القبيح وإظهار الجميل ، أن الله تعالى وصف به فى الدعاء ، فقيل يامن أظهر الجميل وستر القبيح . والمرضى عند الله من تخلق بأخلاقه ، فإنه ستار العيوب، وغفار الذنوب ، ومتجاوز عن العبيد . فكيف لاتتجاوز أنت عمن هو مثلك أوفوقك ، وماهو بكل حال عبدك ولا مخلوقك ! وقد قال عيسى عليه السلام للحواريين ، كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائما وقد كشف الريح ثوبه عنه؟ قالوا نستره ونغطيه. قال بل تكشفون عورته. قالوا سبحان الله ! من يفعل هذا ؟ فقال أحدكم يسمع بالكلمة فى أخيه، فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها.

واعلم أنه لايتم إيمان المرء مالم يحب لأخيه مايحبه لنفسه . وأقل درجات الأخوة أن يعامل أخاه بمايحب أن يعامله به . ولاشك أنه ينتظر منه ستر العورة ، والسكوت على المساوىء والعيوب ، ولوظهر له منه نقيض ماينتظره ، اشتد عليه غيظه وغضبه . فما أبعده إذا كان ينتظر منه مالايضمره له ، ولايعزم عليه لأجله ، وويل له فى نص كتاب الله تعالى حيث قال (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ [1]) وكل من يلتمس من الإنصاف أكثر مما تسمح به نفسه ، فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية ومنشأ التقصير فى ستر العورة، أو السعى فى كشفها ، الداء الدفين فى الباطن ، وهو الحقد والحسد فإن الحقود الحسود يملأ باطنه بالخبث، ولكن يحبسه فى باطنه ، ويخفيه ولا يبديه مهما لم يجد له مجالا . وإذا وجد فرصة انحلت الرابطة ، وارتفع الحياء ، ويترشح الباطن بخبثه الدفين .

---

(١) حديث أياكم والظن فان الظن أكذب الحديث : متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدبروا وكونوا عباد الله اخوانا: متفق عليه من حديث أبى هريرة وهو بعض الحديث الذى قبله

---

(١) المطففين : ١ ، ٢ ، ٣

ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد، فالانقطاع أولى. قال بعض الحكماء: ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد. ولا يزيد لطف الحقود إلا وحشة منه. ومن فى قلبه سخيمة على مسلم، فإيمانه ضعيف، وأمره مخطر، وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله. وقد روى عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه انه قال: كنت باليمن، ولى جار يهودى يخبرنى عن التوراة. فقدم علىّ اليهودى من سفر، فقلت إن الله قد بعث فينا نبياً فدعانا إلى الإسلام فأسلمنا. وقد أنزل علينا كتابا مصدقا للتوراة. فقال اليهودى صدقت. ولكنكم لا تستطيعون أن تقوموا بما جاءكم به، إنا نجد نعته ونعت أمته فى التوراة، أنه لا يحل لامرىء أن يخرج من عتبة بابه وفى قلبه سخيمة على أخيه المسلم

ومن ذلك أن يسكت عن إفشاء سره الذى استودعه، وله أن ينكره وإن كان كاذبا فليس الصدق واجبا فى كل مقام. فإنه كما يجوز للرجل أن يخفي عيوب نفسه وأسراره وإن احتاج إلى الكذب، فله أن يفعل ذلك فى حق أخيه، فإن أخاه نازل منزلته، وهما كشخص واحد لا يختلفان إلا بالبدن. هذه حقيقة الأخوة. وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرائيا وخارجا عن أعمال السر إلى أعمال العلانية فإن معرفة أخيه بعمله كمعرفته بنفسه من غير فرق وقد قال عليه السلام (١) « مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ سَتَرَهُ اللهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ » وفى خبر آخر (٢) « فَكَأَنَّمَا أَحْيَا مَوْؤُدَةً » وقال عليه السلام (٣) « إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِحَدِيثٍ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهُوَ أَمَانَةٌ » وقال (٤) « الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ إِلَّا ثَلَاثَةَ مَجَالِسَ: مَجْلِسٍ يُسْفَكُ فِيهِ دَمٌ حَرَامٌ، وَمَجْلِسٍ يُسْتَحَلُّ فِيهِ فَرْجٌ حَرَامٌ، وَمَجْلِسٍ يُسْتَحَلُّ فِيهِ مَالٌ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ »

---

(١) حديث من ستر عورة أخيه ستره الله فى الدنيا والآخرة: ابن ماجه من حديث ابن عباس وقال يوم القيامة ولم يقل فى الدنيا ولمسلم من حديث أبى هريرة من ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة وللشيخين من حديث ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة

(٢) حديث فكأنما أحيا موؤدة من قبرها: أبو داود والنسائى والحاكم من حديث عقبة بن عامر من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موؤدة زاد الحاكم من قبرها وقال صحيح الاسناد

(٣) حديث اذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة: أبو داود والترمذي من حديث جابر وقال حسن

(٤) حديث المجالس بالامانة الا ثلاثة مجالس ـ الحديث: أبو داود من حديث جابر من رواية ابن أخيه غير مسمى عنه

وقال صلى الله عليه وسلم (١) « إِنَّمَا يَتَجَالَسُ الْمُتَجَالِسَانِ بِالْأَمَانَةِ وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدِهِمَا أَنْ يُفْشِيَ عَلَى صَاحِبِهِ مَا يَكْرَهُ » قيل لبعض الأدباء : كيف حفظك للسر ؟ قال أنا قبره . وقد قيل : صدور الأحرار قبور الأسرار . وقيل : إن قلب الأحمق فى فيه ، ولسان العاقل فى قلبه أى لا يستطيع الأحمق إخفاء ما فى نفسه فيبديه من حيث لا يدرى به . فمن هذا يجب مقاطعة الحمق ، والتوقى عن صحبتهم ، بل عن مشاهدتهم . وقد قيل لآخر كيف تحفظ السر ؟ قال أجحد المخبر ، وأحلف للمستخبر . وقال آخر : أستره وأستر أنى أستره . وعبر عنه ابن المعتز فقال

ومستودعى سراً تبوّأت كتمه * فأودعته صدرى فصار له قبراً

وقال آخر ، وأراد الزيادة عليه

وما السر فى صدرى كثاو بقبره * لأنى أرى المقبور ينتظر النشرا
ولكنى أنساه حتى كأننى * بما كان منه لم أحط ساعة خبرا
ولو جاز كتم السر بينى وبينه * عن السر والأحشاء لم تعلم السرا

وأفشى بعضهم سرا له إلى أخيه ، ثم قال له حفظت ؟ فقال بل نسيت . وكان أبو سعيد الثورى يقول : إذا أردت أن تواخى رجلا فأغضبه ، ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك ، فإن قال خيراً وكتم سرك فاصحبه . وقيل لأبى يزيد : من تصحب من الناس ؟ قال من يعلم منك ما يعلم الله ، ثم يستر عليك كما يستره الله . وقال ذو النون : لا خير فى صحبة من لا يحب أن يراك إلا معصوما . ومن أفشى السر عند الغضب فهو اللئيم ، لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها . وقد قال بعض الحكماء . لا تصحب من يتغير عليك عند أربع ، عند غضبه ورضاه ، وعند طمعه وهواه . بل ينبغى أن يكون صدق الأخوة ثابتا على اختلاف هذه الأحوال ، ولذلك قيل

وترى الكريم إذا تصرم وصله * يخفى القبيح ويظهر الإحسانا
وترى اللئيم إذا تقضى وصله * يخفى الجميل ويظهر البهتانا

. وقال العباس لابنه عبد الله ، إنى أرى هذا الرجل ، يعنى عمر رضي الله عنه ، يقدمك

---

(١) حديث انما يتجالس المتجالسان بالامانة لا يحل لأحدهما ان يفشى على صاحبه مايكره : أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود باسناد ضعيف ورواه ابن المبارك فى الزهد من رواية أبى بكر بن حزم مرسلا والحاكم وصححه من حديث ابن عباس انكم تجالسون بينكم بالامانة

على الأشياخ ، فاحفظ عنى خمساً : لاتفشين له سراً ، ولا تغتابن عنده أحداً ، ولا تجربن عليه كذبا ، ولا تعصين له أمراً ، ولا يطلعن منك على خيانة . فقال الشعبي . كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف .

ومن ذلك السكوت عن المماراة والمدافعة فى كل ما يتكلم به أخوك . قال ابن عباس : لاتمار سفيها فيؤذيك ، ولاحليما فيقليك . وقد قال صلى الله عليه وسلم [1] « مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ » هذا مع أن تركه مبطلا واجب . وقد جعل ثواب النفل أعظم ، لأن السكوت عن الحق أشد على النفس من السكوت على الباطل . وإنما الأجر على قدر النَّصَبِ : وأشد الأسباب لإثارة نار الحقد بين الإخوان المماراة والمناقصة ، فإنها عين التدابر والتقاطع . فإن التقاطع يقع أولا بالآراء ، ثم بالأقوال ، ثم بالأبدان . وقال عليه السلام [2] « لَاتَدَابَرُوا وَلَاتَبَاغَضُوا وَلَاتَحَاسَدُوا وَلَاتَقَاطَعُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَايَظْلِمُهُ وَلَايَحْرِمُهُ وَلَايَخْذُلُهُ بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ » وأشد الاحتقار المماراة فإن من رد على غيره كلامه فقد نسبه إلى الجهل والحمق ، أو إلى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه . وكل ذلك استحقار وإيغار للصدر وإيحاش . وفى حديث أبى أمامة الباهلى قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم [3] ونحن نتمارى ، فغضب وقال « ذَرُوا الْمِرَاءَ لِقِلَّةِ خَيْرِهِ وَذَرُوا الْمِرَاءَ فَإِنَّ نَفْعَهُ قَلِيلٌ وَإِنَّهُ يُهَيِّجُ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ » وقال بعض السلف : من لاحى الإخوان وماراهم قلت مروءته ، وذهبت كرامته . وقال عبدالله بن الحسن إياك ومماراة الرجال ، فإنك لن تعدم مكر حليم ، أو مفاجأة لئيم . وقال بعض السلف :

---

(١) حديث من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة ـ الحديث : تقدم فى العلم

(٢) حديث لاتدابر واولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم ـ الحديث مسلم من حديث أبى هريرة وأوله متفق عليه من حديثه وحديث أنس وقد تقدم بعضه قبل هذا بسبعة أحاديث

(٣) حديث أبى أمامة خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتمارى فغضب وقال ذروا المرء لقله خيره فان نفعه قليل فانه يهيج العداوة بين الاخوان: الطبرانى فى الكبير من حديث أبى أمامة وأبى الدرداء وواثلة وأنس دون ما بعد قوله لقلة خيره ومن هنا إلى آخر الحديث: رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى أمامة فقط واسنادهما ضعيف

أعجز الناس من قصر فى طلب الإخوان ، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم . وكثرة المماراة توجب التضييع والقطيعة ، وتورث العداوة . وقد قال الحسن : لاتشتر عداوة رجل بمودة ألف رجل .

وعلى الجملة ، فلا باعث على المماراة إلا إظهار التميز بمزيد العقل والفضل ، واحتقار المردود عليه بإظهار جهله ، وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار ، والايذاء والشتم بالحمق والجهل ، ولا معنى للعاداة إلا هذا . فكيف تضامه الأخوة والمصافاة . فقد روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (١) « لَا تُمَارِ أَخَاكَ وَلَا تُمَازِحْهُ وَلَا تَعِدْهُ مَوْعِداً فَتُخْلِفَهُ » وقد قال عليه السلام (٢) « إِنَّكُمْ لَا تَسَعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنَّ لِيَسَعْهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ وَجْهٍ وَحُسْنُ خُلُقٍ » والمماراة مضادة لحسن الخلق . وقد انتهى السلف فى الحذر عن المماراة ، والحض على المساعدة ، إلى حد لم يروا السؤال أصلا . وقالوا إذا قلت لأخيك قم ، فقال إلى أين ؟ فلا تصحبه . بل قالوا ينبغى أن يقوم ولا يسأل . وقال أبو سليمان الدارانى : كان لى أخ بالعراق ، فكنت أجيئه فى النوائب ، فأقول اعطنى من مالك شيئا . فكان يلقى إلي كيسه فآخذ منه ما أريد . فجئته ذات يوم ، فقلت أحتاج إلى شىء ، فقال كم تريد ؟ فخرجت حلاوة إخائه من قلبي . وقال آخر : إذا طلبت من أخيك مالا ، فقال ماذا تصنع به ؟ فقد ترك حق الأخاء . واعلم أن قوام الأخوة بالموافقة فى الكلام والفعل والشفقة . قال أبو عثمان الحيرى : موافقة الإخوان خير من الشفقة عليهم . وهو كما قال

الحق الرابع

على اللسان بالنطق فإن الأخوة كما تقتضى السكوت من المكاره ، تقتضى أيضا النطق بالمحاب . بل هو أخص بالأخوة . لأن من قنع بالسكوت صحب أهل القبور . وإنما تراد

---

(١) حديث ابن عباس لاتمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه : الترمذى وقال غريب لانعرفه الا من هذا الوجه يعنى من حديث ليث بن أبى سليم وضعفه الجمهور

(٢) حديث انكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق : أبو يعلى الموصلى والطبرانى فى مكارم الأخلاق وابن عدي فى الكامل وضعفه والحاكم وصححه والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة

الأخوان ليستفاد منهم ،لا ليتخلص عن أذاهم . والسكوت معناه كف الأذى . فعليه أن يتودد إليه بلسانه ، ويتفقده فى أحواله التى يحب أن يتفقد فيها ، كالسؤال عن عارض إن عرض ، وإظهار شغل القلب بسببه، واستبطاء العافية عنه ، وكذا جملة أحواله التى يكرهها ينبغى أن يظهر بلسانه وأفعاله كراهتها . وجملة أحواله التى يسربها ، ينبغى أن يظهر بلسانه مشاركته له فى السرور بها . فمعنى الأخوة المساهمة فى السراء والضراء . وقد قال عليه السلام (١) « إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُم أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ » وانما أمر بالإخبار لأن ذلك يوجب زيادة حب. فإن عرف أنك تحبه أحبك بالطبع لامحالة . فإذا عرفت أنه أيضا يحبك زاد حبك لامحالة . فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف . والتحاب بين المؤمنين مطلوب فى الشرع ومحبوب فى الدين. ولذلك علم فيه الطريق فقال (٢) « تَهَادَوْا تَحَابُّوا » ومن ذلك أن تدعوه بأحب أسمائه إليه فى غيبته وحضوره . قال عمر رضي الله عنه . ثلاث يصفين لك ود أخيك أن تسلم عليه إذا لقيته أولا، وتوسع له فى المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه

ومن ذلك أن تثنى عليه بما تعرف من محاسن أحواله ، عند من يؤثر هو الثناء عنده فإن ذلك من أعظم الأسباب فى جلب المحبة . وكذلك الثناء على أولاده وأهله وصنعته وفعله ، حتى على عقله وخلقه وهيئته وخطه وشعره وتصنيفه ، وجميع مايفرح به وذلك من غير كذب وإفراط ، ولكن تحسين مايقبل التحسين لابد منه . وآكد من ذلك أن تبلغه ثناء من أثنى عليه ، مع إظهار الفرح ، فإن إخفاء ذلك محض الحسد

ومن ذلك أن تشكره على صنيعه فى حقك، بل على نيته وإن لم يتم ذلك . قال علي رضي الله عنه : من لم يحمد أخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنيعة . وأعظم من ذلك تأثيرا فى جلب المحبة الذب عنه فى غيبته ،مهما قصد بسوء ، أو تُعُرِّضَ لعرضه بكلام صريح أو تعريض . فحق الأخوة التشمير فى الحماية والنصرة ، وتبكيت المتعنت ، وتغليظ القول عليه . والسكوت عن ذلك موغر للصدر ، ومنفر للقلب ، وتقصير فى حق الاخوة

---

(١) حديث إذ أحب أحدكم أخاه فليخبره : أبى داود والترمذى وقال حسن صحيح والحاكم من حديث المقدام ابن معدي كرب

(٢) حديث تهادوا تحابوا : البيهقى من حديث أبى هريرة وقد تقدم غير مرة)

وإنما شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] الأخوين باليدين، تغسل إحداهما الاخرى، لينصر أحدهما الآخر وينوب عنه. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَشْلِمُهُ» وهذا من الانثلام والخذلان. فإن إهماله لتمزيق عرضه كإهماله لتمزيق لحمه فأخسس بأخ براك والكلاب تفترسك، وتمزق لحومك وهو ساكت، لا تحركه الشفقة والحمية للدفع عنك وتمزيق الأعراض أشد على النفوس من تمزيق اللحوم. ولذلك شبهه الله تعالى بأكل لحوم الميتة فقال (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً [١]) والملك الذى يمثل فى المنام ما تطالعه الروح من اللوح المحفوظ بالأمثلة المحسوسة، يمثل الغيبة بأكل لحوم الميتة حتى أن من يرى أنه يأكل لحم ميتة فإنه يغتاب الناس، لأن ذلك الملك فى تمثيله يراعى المشاركة والمناسبة بين الشىء وبين مثاله، فى المعنى الذى يجرى فى المثال مجرى الروح لا فى ظاهر الصور. فإذن حماية الأخوة بدفع ذم الأعداء وتعنت المتعنتين واجب فى عقد الأخوة وقد قال مجاهد: لا تذكر أخاك فى غيبته إلا كما تحب أن يذكرك فى غيبتك. فإذن لك فيه معياران، أحدهما أن تقدر أن الذى قيل فيه؛ لو قيل فيك، وكان أخوك حاضرا، ما الذى كنت تحب أن يقوله أخوك فيك؟ فينبغى أن تعامل المتعرض لعرضه به. والثانى أن تقدر أنه حاضر من وراء جدار يسمع قولك، ويظن أنك لا تعرف حضوره، فما كان يتحرك فى قلبك من النصرة له بمسمع منه ومرأى؟ فينبغى أن يكون فى مغيبه كذلك. فقد قال بعضهم: ما ذكر أخ لى بغيب الا تصورته جالسا فقلت فيه ما يحب أن يسمعه لو حضر. وقال آخر: ما ذُكِرَ أخ لى إلا تصورت نفسى فى صورته، فقلت فيه مثل ما أحب أن يقال فيّ وهذا من صدق الأسلام، وهو أن لا يرى لأخيه إلا ما يراد لنفسه

وقد نظر أبو الدرداء الى ثورين يحرثان فى فدان، فوقف أحدهما يحك جسمه، فوقف الآخر فبكى وقال. هكذا الإخوان فى الله، يعملان لله، فإذا وقف أحدهما وافقه الآخر. وبالموافقة يتم الإخلاص. ومن لم يكن مخلصا فى إخائه فهو منافق. والإخلاص استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب، والسر والعلانية، والجماعة والخلوة، والاختلاف والتفاوت فى شىء من ذلك مما ذقة فى المودة

---

(١) حديث تشبيه الاخوين باليدين: تقدم فى الباب قبله

(٢) حديث المسلم أخو المسلم: تقدم فى أثناء حديث قبله بسبعة أحاديث

(١) الحجرات: ١٢

وهو دخل فى الدين ، ووليجة فى طريق المؤمنين . ومن لايقدر من نفسه على هذا فالانقطاع والعزلة أولى به من المؤاخاة والمصاحبة فإن حق الصحبة ثقيل لا يطيقه إلا محقق . فلا جرم أجره جزيل لايناله إلا موفق . ولذلك قال عليه السلام (١) أَبَاهِرَّ أَحْسِنْ مُجَاوَرَةَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِماً وَأَحْسِنْ مُصَاحَبَةَ مَنْ صَاحَبَكَ تَكُنْ مُؤْمِناً » فانظر كيف جعل الإيمان جزاء الصحبة ، والإسلام جزاء الجوار. فالفرق بين فضل الإيمان وفضل الإسلام ، على حد الفرق بين المشقة فى القيام بحق الجوار والقيام بحق الصحبة فإن الصحبة تقتضى حقوقا كثيرة، فى أحوال متقاربة مترادفة على الدوام، والجوار لا يقتضى إلا حقوقا قريبة ، فى أوقات متباعدة لاتدوم

ومن ذلك التعليم والنصيحة : فليس حاجة أخيك الى العلم بأقل من حاجته إلى المال فإن كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك ، وإرشاده إلى كل ماينفعه فى الدين والدنيا فإن علمته وأرشدته ، ولم يعمل بمقتضى العلم ، فعليك النصيحة وذلك بأن تذكر آفات ذلك الفعل ، وفوائد تركه ، وتخوفه بما يكرهه فى الدنيا والآخرة لينزجر عنه ، وتنبهه على عيوبه ، وتقبح القبيح فى عينه ، وتحسن الحسن : ولكن ينبغى أن يكون ذلك فى سر لا يطلع عليه أحد . فما كان على الملأ فهو توبيخ وفضيحة ، وما كان فى السر فهو شفقة ونصيحة إذ قال صلى الله عليه وسلم (٢) «الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ» أى يرى منه مالا يرى من نفسه فيستفيد المرء بأخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد . كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة. وقال الشافعي رضي الله عنه . من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه . وقيل لمسعر . أتحب من يخبرك بعيوبك ! فقال إن نصحني فيما بيني وبينه فنعم ، وان قرعني بين الملأ فلا وقد صدق فإن النصح على الملأ فضيحة والله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كفه فى ظل ستره ، فيوقفه على ذنوبه سرا .

---

(١) حديث أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا: الترمذى وابن ماجه واللفظ له من حديث أبى هريره بالشطر الاول فقط وقال الترمذى مؤمنا قال وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما وقال ابن ماجه مؤمنا قال الدار قطنى والحديث ثابت ورواه القضاعى فى مسند الشهاب بلفظ المصنف

(٢) حديث المؤمن مرآة المؤمن: أبو داود من حديث أبى هريرة باسناد حسن

وقد يدفع كتاب عمله مختوما إلى الملائكة الذين يحفون به إلى الجنة ، فإذا قاربوا باب الجنة أعطوه الكتاب مختوما ليقرأه . وأما أهل المقت فينادون على رؤس الاشهاد، وتستنطق جوارحهم بفضائحهم ، فيزدادون بذلك خزيا وافتضاحا ، ونعوذ بالله من الخزى يوم العرض الأكبر فالفرق بين التوبيخ والنصيحة بالإسرار والإعلان، كما ان الفرق بين المدارة والمداهنة بالغرض الباعث على الاغضاء . فإن أغضيت لسلامة دينك ، ولما ترى من اصلاح أخيك بالإغضاء فأنت مدار . وان أغضيت لحظ نفسك ، واجتلاب شهواتك ، وسلامة جاهك ، فأنت مداهن . وقال ذوالنون . لاتصحب مع الله إلا بالموافقة ، ولا مع الخلق إلا بالمناصحة ، ولا مع النفس إلا بالمخالفة ، ولا مع الشيطان إلا بالعداوة

فإن قلت فإذا كان فى النصح ذكر العيوب ففيه إيحاش القلب؛ فكيف يكون ذلك من حق الأخوة ؟ فاعلم أن الإيحاش إنما يحصل بذكر عيب يعلمه أخوك من نفسه فأما تنبيهه على مالا يعلمه فهو عين الشفقة ، وهو استمالة القلوب ، أعنى قلوب العقلاء : وأما الحمق فلا يلتفت إليهم . فإن من ينبهك على فعل مذموم تعاطيته ، أو صفة مذمومة اتصفت بها لتزكى نفسك عنها ، كان كمن ينبهك على حية أو عقرب تحت ذيلك ، وقد همت بإهلاكك فإن كنت تكره ذلك فما أشد حمقك . والصفات الذميمة عقارب وحيات، وهى فى الآخرة مهلكات فإنها تلدغ القلوب والأرواح ، وألمها أشد مما يلدغ الظواهر والأجساد ، وهى مخلوقة من نار الله الموقدة . ولذلك كان عمر رضي الله عنه يستهدى ذلك من أخوانه ويقول رحم الله امرأ أهدى إلى أخيه عيوبه . ولذلك قال عمر لسلمان وقد قدم عليه . ماالذى بلغك عنى مما تكره ؟ فاستعفى ، فألح عليه، فقال بلغنى أن لك حلتين تلبس احداهما بالنهار والأخرى بالليل ، وبلغنى أنك تجمع بين إدامين على مائدة واحدة ، فقال عمر رضي الله عنه : أما هذان فقد كفيتهما ، فهل بلغك غيرهما؟ فقال لا . وكتب حذيفة المرعشى، إلى يوسف بن أسباط بلغنى أنك بعت دينك بحبتين ، وقفت على صاحب لبن ، فقلت بكم هذا ؟ فقال بسدس فقلت له لا بثمن . فقال هو لك ، وكان يعرفك . إكشف عن رأسك قناع الغافلين وانتبه عن رقدة الموتى ، واعلم أن من قرأ القرءان ولم يستغن ، وآثر الدنيا ، لم آمن أن يكون بآيات الله من المستهزئين . وقد وصف الله تعالى الكاذبين ببغضهم للناصحين

إذ قال «وَلَـٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ[1]» وهذا فى عيب هو غافل عنه. فأما ما علمت انه يعلمه من نفسه فإنما هو مقهور عليه من طبعه ، فلا ينبغى أن يكشف فيه ستره إن كان يخفيه، وإن كان يظهره فلا بد من التلطف فى النصح ، بالتعريض مرة ، وبالتصريح أخرى ؛ إلى حد لا يؤدى إلى الأيحاش . فإن علمت أن النصح غير مؤثر فيه ، وأنه مضطر من طبعه إلى الإصرار عليه فالسكوت عنه أولى . وهذا كله فيما يتعلق بمصالح أخيك فى دينه أو دنياه

أما ما يتعلق بتقصيره فى حقك ، فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح ، والتغافل عنه . والتعرض لذلك ليس من النصح فى شىء . نعم إن كان بحيث يؤدى استمراره عليه إلى القطيعة ، فالعتاب فى السر خير من القطيعة . والتعريض به خير من التصريح . والمكاتبة خير من المشافهة . والاحتمال خير من الكل . إذ ينبغى أن يكون قصدك من أخيك اصلاح نفسك بمراعاتك إياه ، وقيامك بحقه، واحتمالك تقصيره ، لا الإستعانة به، والاسترفاق منه . قال أبو بكر الكتانى : صحبنى رجل وكان على قلبى ثقيلا ، فوهبت له يوما شيئا على أن يزول ما فى قلبى ، فلم يزل . فأخذت بيده يوما إلى البيت ، وقلت له ضع رجلك على خدى ، فأبى فقلت لابد ، ففعل . فزال ذلك من قلبى . وقال أبو علي الرباطى : صحبت عبد الله الرازى ، وكان يدخل البادية ، فقال علي أن تكون أنت الأمير أو أنا ، فقلت بل أنت . فقال وعليك الطاعة ؟ فقلت نعم فأخذ مخلاة ووضع فيها الزاد ، وحملها على ظهره ، فاذا قلت له أعطنى ، قال ألست قلت أنت الأمير ؟ فعليك الطاعة . فأخذنا المطر ليلة، فوقف على رأسى إلى الصباح وعليه كساء ، وأنا جالس يمنع عنى المطر . فكنت أقول مع نفسى ، ليتنى مت ولم أقل أنت الامير .

الحق الخامس

العفو عن الزلات والهفوات . وهفوة الصديق لا تخلو إمّا أن تكون فى دينه بارتكاب معصية ، أو فى حقك بتقصيره فى الأخوة أما ما يكون فى الدين من ارتكاب معصية . والإصرار عليها ، فعليك التلطف فى نصحه بما يقوم أوده ، ويجمع شمله ، ويعيد إلى الصلاح

(١) الاعراف : ٧٩

والورع حاله فإن لم تقدر ، وبقى مصرا ، فقد اختلفت طرق الصحابة والتابعين فى إدامة حق مودته ، أو مقاطعته . فذهب أبو ذر رضي الله عنه إلى الإنقطاع ، وقال : إذا انقلب أخوك عما كان عليه ، فأبغضه من حيث أحببته . ورأى ذلك من مقتضى الحب فى الله ، والبغض فى الله وأما أبو الدرداء وجماعة من الصحابة ، فذهبوا إلى خلافه . فقال أبو الدرداء : إذا تغير أخوك ، وحال عما كان عليه ، فلا تدعه لأجل ذلك. فإن أخاك يعوج مرة ، ويستقيم أخرى . وقال إبراهيم النخعي . لاتقطع أخاك ، ولا تهجره عند الذنب يذنبه ، فأنه يرتكبه اليوم ويتركه غدا . وقال أيضا : لا تحدثوا الناس بزلة العالم ، فإن العالم يزل الزلة ثم يتركها وفى الخبر [1] « اتَّقُوا زَلَّةَ الْعَالِمِ وَلاَ تَقْطَعُوهُ وَانْتَظِرُوا فَيْئَتَهُ » وفى حديث عمر ، وقد سأل عن أخ كان آخاه ، فخرجَ إلى الشام ، فسأل عنه بعض من قدم عليه ، وقال: مافعل أخى ؟ قال ذلك أخو الشيطان . قال: مه قال أنه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر : قال إذا اردت الخروج فآذنى فكتب عند خروجه اليه : بسم الله الرحمن الرحيم (حَمٓ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ [1]) الآية ثم عاتبه تحت ذلك وعذله. فلما قرأ الكتاب بكى ، وقال صدق الله ونصح لى عمر . فتاب ورجع

وحكي أن أخوين ابتلى احدهما بهوى ، فأظهر عليه أخاه ، وقال إنى قد اعتللت ، فإن شئت أن لا تعقد على صحبتى لله فافعل . فقال ما كنت لاحل عقد أخوتك لأجل خطيئتك أبدا . ثم عقد أخوة بينه وبين الله أن لا يأكل ولا يشرب حتى يعافى الله أخاه من هواه فطوى أربعين يوما فى كلها يسأله عن هواه فكان يقول. القلب مقيم على حاله ومازال هو يتحلل من الغم والجوع حتى زال الهوى عن قلب أخيه بعد الأربعين . فأخبره بذلك ، فأكل وشرب بعد أن كاد يتلف هزالا وضرا

وكذلك حكي عن أخوين من السلف ، انقلب أحدهما عن الاستقامة ، فقيل لأخيه ألا تقطعه وتهجره ؟ فقال أحوج ما كان إلي فى هذا الوقت لما وقع فى عثرته أن آخذ بيده ، وأتلطف له فى المعاتبة ، وادعو له بالعود إلى ما كان عليه

---

(١) حديث اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته: البغوى فى المعجم وابن عدى فى الكامل من حديث عمرو ابن عوف المزنى وضعفاه

---

(١) غافر : ١

وروى فى الاسرائيليات ، أن أخوين عابدين كانا فى جبل ، نزل أحدهما ليشترى من المصر لحما بدرهم ، فرأى بَغياً عند اللحام ، فرمقها وعشقها ، واجتذبها إلى خلوة وواقعها ثم أقام عندها ثلاثا ، واستحيا أن يرجع إلى أخيه حياء من جنايته. قال فافتقده أخوه واهتم بشأنه ، فنزل إلى المدينة ، فلم يزل يسأل عنه حتى دل عليه . فدخل إليه وهو جالس معها فاعتنقه وجعل يقبله ويلتزمه . وأنكر الآخر أنه يعرفه قط لفرط استحيائه منه فقال قم يا أخى فقد علمت شأنك وقصتك ، وما كنت قط أحب إلي ولا أعز من ساعتك هذه . فلما رأى أن ذلك لم يسقطه من عينه ، قام فانصرف معه ، فهذه طريقة قوم ، وهى ألطف وأفقه من طريقة أبى ذر رضي الله عنه ، وطريقته أحسن وأسلم

فإن قلت ، ولم قلت هذا ألطف وأفقه ؟ ومقارف هذه المعصية لا تجوز مؤاخاته ابتداء فتجب مقاطعته انتهاء ، لأن الحكم إذا ثبت بعلة ، فالقياس أن يزول بزوالها . وعلة عقد الأخوة التعاون فى الدين ، ولا يستمر ذلك مع مقارفة المعصية ، فأقول أما كونه ألطف فلما فيه من الرفق والاستمالة ، والتعطف المفضى إلى الرجوع والتوبة ، لاستمرار الحياء عند دوام الصحبة . ومهما قوطع وانقطع طمعه عن الصحبة ، أصر واستمر . وأما كونه أفقه فمن حيث أن الأخوة عقد ينزل منزلة القرابة ، فإذا انعقدت تأكد الحق ، ووجب الوفاء وعوجب العقد ، ومن الوفاء به أن لا يهمل أيام حاجته وفقره . وفقر الدين أشد من فقر المال . وقد أصابته جائحة ؛ وألمت به آفة افتقر بسببها فى دينه ، فينبغى أن يراقب ويراعى ولا يهمل بل لا يزال يتلطف به ليعان على الخلاص من تلك الوقعة التى ألمت به . فالأخوة عدة للنائبات وحوادث الزمان ، وهذا من أشد النوائب . والفاجر إذا صحب تقيا وهو ينظر إلى خوفه ومداومته ، فسيرجع على قرب ، ويستحي من الاصرار . بل الكسلان يصحب الحريص فى العمل ، فيحرص حياء منه . قال جعفر بن سليمان . مهما فترت فى العمل ، نظرت إلى محمد ابن واسع وإقباله على الطاعة ، فيرجع الىّ نشاطى فى العبادة ، وفارقنى الكسل ، وعملت عليه أسبوعا . وهذا التحقيق وهو أن الصداقة لحمة كلحمة النسب ، والقريب لا يجوز أن يهجر بالمعصية . ولذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فى عشيرته (فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ [1]) ولم يقل انى برىء منكم ، مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب . وإلى هذا أشار

(١) الشعراء : ٢١٦

أبو الدرداء لما قيل له : ألا تبغض أخاك وقد فعل كذا ؟ فقال إنما أبغض عمله ، وإلا فهو أخى وأخوة الدين أوكد من أخوة القرابة. ولذلك قيل لحكيم أيما أحب اليك ، أخوك أو صديقك فقال إنما أحب أخى إذا كان صديقا لى . وكان الحسن يقول كم من أخ لم تلده أمك . ولذلك قيل : القرابة تحتاج إلى مودة ، والمودة لا تحتاج الى قرابة . وقال جعفر الصادق رضي الله عنه مودة يوم صلة ، ومودة شهر قرابة ، ومودة سنة رحم مائية من قطعها قطعه الله . فإذاً الوفاء بعقد الأخوة إذا سبق انعقادها واجب . وهذا جوابنا عن ابتداء المؤاخاة مع الفاسق . فإنه لم يتقدم له حق فإن تقدمت له قرابة ، فلا جرم لا ينبغى أن يقاطع ، بل يجامل . والدليل عليه أن ترك المؤاخاة والصحبة ابتداء ليس مذموما ولا مكروها . بل قال قائلون الانفراد أولى فأما قطع الأخوة عن دوامها فمنهى عنه ، ومذموم فى نفسه ونسبته الى تركها ابتداء ، كنسبة الطلاق الى ترك النكاح ، والطلاق أبغض الى الله تعالى من ترك النكاح . قال صلى الله عليه وسلم[1] «شِرَارُ عِبَادِ اللهِ الْمَشَّاؤُنَ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ» وقال بعض السلف فى ستر زلات الإخوان : ودّ الشيطان أن يلقى على أخيكم مثل هذا حتى تهجروه وتقطعوه . فماذا انتقيتم من محبة عدوكم ؟ وهذا لأن التفريق بين الأحباب من محاب الشيطان ، كما أن مقارفة العصيان من محابه . فإذا حصل للشيطان أحد غرضيه ، فلا ينبغى أن يضاف اليه الثانى وإلى هذا أشار عليه السلام ، فى الذى شتم الرجل الذى أتى فاحشة اذ قال « مَهْ وزبره » وقال[2] «لَا تَكُونُوا عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ» فبهذا كله يتبين الفرق بين الدوام والابتداء لان مخالطة الفساق محذورة ومفارقة الأحباب والإخوان أيضا محذورة ، وليس من سَلِمَ عن معارضة غيره كالذى لم يسلم . وفى الابتداء قد سلم . فرأينا أن المهاجرة والتباعد هو الأولى . وفى الدوام تعارضا فكان الوفاء بحق الاخوة أولى ، هذا كله فى زلته فى دينه

أما زلته فى حقه بما يوجب إيحاشه ، فلا خلاف فى أن الأولى العفو والاحتمال . بل كل ما يحتمل تنزيله على وجه حسن ، ويتصور تمهيد عذر فيه قريب أو بعيد ، فهو واجب بحق الأخوة . فقد قيل : ينبغى أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذرا ، فان لم يقبله ، قلبك فرد

---

(١) حديث شرار عباد الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة : أحمد من حديث أسماء بنت يزيد بسند ضعيف

(٢) حديث لا تكونوا أعوانا للشيطان على أخيكم : البخارى من حديث أبى هريرة وتقدم فى الباب قبله

اللوم على نفسك ، فتقول لقلبك ماأقساك ! يعتذر إليك أخوك سبعين عذرا فلا تقبله ! فأنت المعيب لا أخوك . فإن ظهر بحيث لم يقبل التحسين ، فينبغي ألا تغضب إن قدرت . ولكن ذلك لا يمكن . وقد قال الشافعي رحمه الله : من استُغْضِبَ فلم يغضب فهو حمار ، ومن استُرْضِيَ فلم يرض فهو شيطان . فلا تكن حمارا ولا شيطانا ، واسترض قلبك بنفسك نيابة عن أخيك ، واحترز أن تكون شيطانا إن لم تقبل . قال الأحنف : حق الصديق أن تحتمل منه ثلاثا : ظلم الغضب ، وظلم الدالة ، وظلم الهفوة . وقال آخر : ماشتمت أحدا قط ، لأنه إن شتمني كريم فأنا أحق مَنْ غَفَرَهَا له ، أو لئيم فلا أجعل عرضي له غرضا . ثم تمثل وقال :

وأغفر عوراء الكريم إدخاره * وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

وقد قيل :

خذ من خليلك ماصفا * ودع الذي فيه الكدر
فالعمر أقصر من معا * تبة الخليل على الغير

ومهما اعتذر إليك أخوك كاذبا كان أو صادقا فاقبل عذره . قال عليه السلام [1] « مَنْ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ أَخُوهُ فَلَمْ يَقْبَلْ عُذْرَهُ فَعَلَيْهِ مِثْلُ إِثْمِ صَاحِبِ الْمَكْسِ » وقال عليه السلام [2] « الْمُؤْمِنُ سَرِيعُ الْغَضَبِ سَرِيعُ الرِّضَا » فلم يصفه بأنه لا يغضب . وكذلك قال الله تعالى (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ [1]) ولم يقل والفاقدين الغيظ . وهذا لأن العادة لا تنتهي إلى أن يجرح الانسان فلا يتألم ، بل تنتهي إلى أن يصبر عليه ويحتمل . وكما أن التألم بالجرح مقتضى طبع البدن ، فالتألم بأسباب الغضب طبع القلب . ولا يمكن قلعه ، ولكن يمكن ضبطه وكظمه ، والعمل بخلاف مقتضاه . فإنه يقتضي التشفي والانتقام والمكافأة ، وترك العمل بمقتضاه ممكن . وقد قال الشاعر

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أي الرجال المهذب

---

(١) حديث من اعتذر اليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل صاحب مكس : ابن ماجه وأبو داود في المراسيل من حديث جودان واختلف في صحبته وجهله أبو حاتم وباقي رجاله ثقات ورواه الطبراني في الأوسط من حديث جابر بسند ضعيف

(٢) حديث المؤمن سريع الغضب سريع الرضا : لم اجده هكذا وللترمذي وحسنه من حديث أبي سعيد الخدري الا ان بني آدم خلقوا على طبقات شتى ــ الحديث : وفيه ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك

---

(١) آل عمران : ١٣٤

قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الحواري : إذا واخيت أحدا في هذا الزمان فلا تعاتبه على ماتكرهه ، فإنك لاتأمن من أن ترى في جوابك ما هو شر من الأول قال فجربته فوجدته كذلك . وقال بعضهم : الصبر على مضض الأخ خير من معاتبته ، والمعاتبة خير من القطيعة ، والقطيعة خير من الوقيعة . وينبغي أن لا يبالغ في البغضة عند الوقيعة. قال تعالى (عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً[1]) وقال عليه السلام[1] « أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا » وقال عمر رضي الله عنه : لا يكن حبك كلفا ، ولا بغضك تلفا . وهو أن تحب تلف صاحبك مع هلاكك

الحق السادس

الدعاء للأخ في حياته وبعد مماته ، بكل ما يحبه لنفسه ولأهله وكل ما يتعلق به . فتدعو له كما تدعو لنفسك ، ولا تفرق بين نفسك وبينه . فإن دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق . فقد قال صلى الله عليه وسلم[2] « إِذَا دَعَا الرَّجُلُ لِأَخِيهِ فِي ظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ الْمَلَكُ وَلَكَ مِثْلُ ذَلِكَ » وفي لفظ آخر[3] « يَقُولُ اللهُ تَعَالَى بِكَ أَبْدَأُ يَا عَبْدِي » وفي الحديث[4] يُسْتَجَابُ لِلرَّجُلِ فِي أَخِيهِ مَا لَا يُسْتَجَابُ لَهُ فِي نَفْسِهِ » وفي الحديث[5] « دَعْوَةُ الرَّجُلِ لِأَخِيهِ فِي ظَهْرِ الْغَيْبِ لَا تُرَدُّ » وكان أبو الدرداء يقول : إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي ، أسميهم بأسمائهم . وكان محمد بن يوسف الاصفهاني يقول : وأين مثل الأخ الصالح ؟ أهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت ، وهو منفرد بحزنك مهتم بما

---

(١) حديث أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما ـ الحديث : الترمذي من حديث أبي هريرة وقال غريب قلت رجاله ثقات رجال مسلم لكن الراوي تردد في رفعه .

(٢) حديث إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب قال الملك ولك بمثل ذلك : مسلم من حديث أبي الدرداء

(٣) حديث الدعاء للأخ بظهر الغيب وفيه يقول الله بك أبدأ يا عبدي : لم أجد هذا اللفظ

(٤) حديث يستجاب للرجل في أخيه مالا يستجاب له في نفسه : لم أجده بهذا اللفظ ولأبي داود والترمذي وضعفه من حديث عبد الله بن عمر وان أسرع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب

(٥) حديث دعوة الأخ لأخيه في الغيب لا ترد : الدار قطني في العلل من حديث أبي الدرداء وهو عند مسلم الا انه قال مستجابة مكان لا ترد

---

(١) الممتحنة : ٧

قدمت وما صرت إليه ، يدعو لك فى ظلمة الليل ، وأنت تحت أطباق الثرى . وكأن الأخ الصالح يقتدى بالملائكة إذ جاء فى الخبر [١] « إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ قَالَ النَّاسُ مَا خَلَّفَ ؟ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ مَا قَدَّمَ ؟ » يفرحون له بما قدم ، ويسألون عنه ، ويشفقون عليه . ويقال من بلغه موت أخيه فترحم عليه ، واستغفر له ، كتب له كأنه شهد جنازته وصلى عليه

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] أنه قال « مَثَلُ الْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ مَثَلُ الْغَرِيقِ يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ شَيْءٍ يَنْتَظِرُ دَعْوَةً مِنْ وَلَدٍ أَوْ وَالِدٍ أَوْ أَخٍ أَوْ قَرِيبٍ وَإِنَّهُ لَيَدْخُلُ عَلَى قُبُورِ الْأَمْوَاتِ مِنْ دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ مِنَ الْأَنْوَارِ مِثْلُ الْجِبَالِ » وقال بعض السلف : الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء ، فيدخل الملك على الميت ومعه طبق من نور ، عليه منديل من نور فيقول هذه هدية لك من عند أخيك فلان ، من عند قريبك فلان ، قال فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهـــدية

الحق السابع

الوفاء والإخلاص . ومعنى الوفاء الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه ، وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه . فإن الحب إنما يراد للآخرة . فإن انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي . ولذلك قال عليه السلام [٣] ، فى السبعة الذين يظلهم الله فى ظله « وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ » وقال بعضهم : قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره فى حال الحياة . ولذلك روى أنه صلى الله عليه وسلم [٤] أكرم عجوز أدخلت عليه فقيل له فى ذلك ، فقال « إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ خَدِيجَةَ ، وَإِنَّ كَرَمَ الْعَهْدِ مِنَ الدِّينِ »

---

(١) حديث إذا مات العبد قال الناس ماخلف وقالت الملائكة ما قدم : البيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بسند ضعيف

(٢) حديث مثل الميت فى قبره مثل الغريق يتعلق بكل شىء ينتظر دعوة ولد أو والد ـ الحديث : أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة قال الذهبى فى الميزان انه خبر منكر جدا

(٣) حديث سبعة يظلهم الله فى ظله ـ الحديث : تقدم غير مرة

(٤) حديث اكرامه صلى الله عليه وسلم لعجوز دخلت عليه وقوله أنها كانت تأتينا أيام خديجة وان حسن العهد من الايمان : الحاكم من حديث عائشة وقال صحيح على شرط الشيخين وليس له علة

فمن الوفاء للأخ مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه والمتعلقين به ، ومراعاتهم أوقع فى قلب الصديق من مراعاة الأخ فى نفسه ، فإن فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر ، إذ لا يدل على قوة الشفقة والحب إلا تعديهما من المحبوب إلى كل من يتعلق به ، حتى الكلب الذى على باب داره ينبغى أن يميز فى القلب عن سائر الكلاب

ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة ، شمت به الشيطان ، فإنه لا يحسد متعاونين على بر ، كما يحسد متواخيين فى الله ومتحابين فيه . فإنه يجهد نفسه لإفساد ما بينهما . قال الله تعالى (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ [1]) وقال مخبرا عن يوسف (مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي [2]) ويقال : ما تواخى اثنان فى الله ، فتفرق بينهما ، إلا بذنب يرتكبه أحدهما . وكان بشر يقول : إذا قصر العبد فى طاعة الله ، سلبه الله من يؤنسه . وذلك لأن الإخوان مسلاة للهموم ، وعون على الدين . ولذلك قال ابن المبارك : ألذ الأشياء مجالسة الإخوان والانقلاب إلى كفاية . والمودة الدائمة هى التى تكون فى الله . وما يكون لغرض يزول بزوال ذلك الغرض . ومن ثمرات المودة فى الله أن لا تكون مع حسد فى دين ودنيا . وكيف يحسده وكل ما هو لأخيه فإليه ترجع فائدته! وبه وصف الله تعالى المحبين فى الله تعالى فقال (وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ [3]) ووجوه الحاجة هو الحسد

ومن الوفاء أن لا يتغير حاله فى التواضع مع أخيه ، وإن ارتفع شأنه ، واتسعت ولايته وعظم جاهه . فالترفع على الإخوان بما يتجدد من الأحوال لؤم . قال الشاعر

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن

وأوصى بعض السلف ابنه فقال : يا بني ، لا تصحب من الناس إلا من إذا افتقرت إليه قرب منك ، وإن استغنيت عنه لم يطمع فيك وإن علت مرتبته لم يرتفع عليك . وقال بعض الحكماء : إذا ولى أخوك ولاية فثبت على نصف مودته لك فهو كثير

---

(١) الاسراء : ٥٣ (٢) يوسف : ١٠٠ (٣) الحشر : ٩

وحكى الربيع أن الشافعي رحمه الله آخى رجلا ببغداد ، ثم إن أخاه ولّي السيبين ،فتغير له عما كان عليه . فكتب إليه الشافعي بهذه الأبيات

إذهب فودّك من فؤادى طالق * أبدا وليس طلاق ذات البين
فإن ارعويت فإنها تطليقة * ويدوم ودك لى على ثنتين
وإن امتعنت شفعتها بمثالها * فتكون تطليقين فى حيضين
وإذا الثلاث أتتك منى بتة * لم يغن عنك ولاية السيبين

واعلم أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الحق فى أمر يتعلق بالدين ، بل من الوفاء له المخالفة . فقد كان الشافعي رضي الله عنه آخى محمد بن عبد الحكم ، وكان يقربه ويقبل عليه ، ويقول : مايقيمنى بمصر غيره . فاعتل محمد ، فعاده الشافعي رحمه الله فقال :

مرض الحبيب فعدته * فمرضت من حذرى عليه
وأتى الحبيب يعودنى * فبرئت من نظرى إليه

وظن الناس لصدق مودتهما أنه يفوض أمر حلقته اليه بعد وفاته . فقيل للشافعي فى علته التى مات فيها رضي الله عنه ، إلى من نجلس بعدك ياأبا عبد الله ؟ فاستشرف له محمد ابن عبد الحكم وهو عند رأسه ليومىء اليه ، فقال الشافعي : سبحان الله ! أيشك فى هذا ؟ أبو يعقوب البويطى. فانكسر لها محمد . ومال أصحابه إلى البويطى ،مع أن محمدا كان قد حمل عنه مذهبه كله . لكن كان البويطى أفضل وأقرب الى الزهد والورع . فنصح الشافعي لله وللمسلمين ، وترك المداهنة ، ولم يؤثر رضا الخلق على رضا الله تعالى . فلما توفى انقلب محمد ابن عبدالحكم عن مذهبه ، ورجع إلى مذهب أبيه ، ودرس كتب مالك رحمه الله ، وهو من كبار أصحاب مالك رحمه الله. وآثر البويطى الزهد والخمول ، ولم يعجبه الجمع والجلوس فى الحلقة ، واشتغل بالعبادة ، وصنف كتاب الأم الذى ينسب الآن الى الربيع بن سليمان ويعرف به ، وإنما صنفه البويطى ، ولكن لم يذكر نفسه فيه ، ولم ينسبه إلى نفسه ، فزاد الربيع فيه وتصرف وأظهره . والمقصود أن الوفاء بالمحبة من تمامها النصح لله. قال الاحنف الإخاء جوهرة رقيقة ، إن لم تحرسها كانت معرضة للآفات. فاحرسها بالكظم حتى تعتذر

إلى من ظلمك ، وبالرضا حتى لاتستكثر من نفسك الفضل ، ولا من أخيك التقصير .

ومن آثار الصدق والإخلاص وتمام الوفاء ، أن تكون شديد الجزع من المفارقة ، نفور الطبع عن أسبابها ، كما قيل :

وجدت مصيبات الزمان جميعها * سوى فرقة الأحباب هينة الخطب

وأنشد ابن عيينة هذا البيت وقال: لقد عهدت أقواما فارقتهم منذ ثلاثين سنة ، مايخيل إليّ أن حسرتهم ذهبت من قلبي

ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه ، لاسيما من يظهر أوّلا أنه محب لصديقه كيلايتهم ، ثم يلقى الكلام عرضا ، وينقل عن الصديق مايوغر القلب، فذلك من دقائق الحيل فى التضريب . ومن لم يحترز منه لم تدم مودته أصلا . قال واحد لحكيم :قد جئت خاطبا لمودتك . قال ان جعلت مهرها ثلاثا فعلت . قال وما هى ؟ قال لاتسمع عليّ بلاغة ، ولا تخالفنى فى أمر ، ولا توطئنى عشوة

ومن الوفاء أن لايصادق عدوّ صديقه . قال الشافعي رحمه الله . إذا أطاع صديقك عدوّك فقد اشتركا فى عداوتك

الحق الثامن

التخفيف وترك التكلف والتكليف . وذلك بأن لايكلف أخاه مايشق عليه ، بل يروح سره من مهماته وحاجاته ، ويرفهه عن أن يحمله شيئا من أعبائه ، فلا يستمد منه من جاه ومال ، ولا يكلفه التواضع له ، والتفقد لأحواله ، والقيام بحقوقه . بل لايقصد بمحبته إلا الله تعالى ، تبركا بدعائه ،واستئناسا بلقائه ، واستعانة به على دينه ، وتقربا إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه،وتحمل مؤنته . قال بعضهم : من اقتضى من إخوانه مالا يقتضونه فقد ظلمهم ومن اقتضى منهم مثل مايقتضونه فقد أتعبهم . ومن لم يقتض فهو المتفضل عليهم . وقال بعض الحكما : من جعل نفسه عند الإخوان فوق قدره أثم وأثموا .ومن جعل نفسه في قدره تعب وأتعبهم . ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا

وتمام التخفيف ،بطيّ بساط التكليف ، حتى لايستحي منه فيما لايستحي من نفسه

وقال الجنيد : ماتواخى اثنان فى الله فاستوحش أحدهما من صاحبه أواحتشم ، إلا لعلة فى أحدهما . وقال علي عليه السلام : شر الأصدقاء من تكلف لك ، ومن أحوجك إلى مداراة ، وألجأك إلى اعتذار . وقال الفضيل : إنما تقاطع الناس بالتكليف ، يزور أحدهم أخاه فيتكلف له ، فيقطعه ذلك عنه . وقالت عائشة رضي الله عنها : المؤمن أخو المؤمن، لا يغتنمه ولا يحتشمه . وقال الجنيد : صحبت أربع طبقات من هذه الطائفة، كل طبقة ثلاثون رجلا حارثا المحاسبي وطبقته، وحسنا المسوحي وطبقته، وسريا السقطي وطبقته، وابن الكريبي وطبقته. فما تواخى اثنان في الله، واحتشم أحدهما من صاحبه أواستوحش، إلا لعلة في أحدهما . وقيل لبعضهم : من نصحب؟ قال من يرفع عنك ثقل التكلف، وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ. وكان جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما يقول: أثقل إخواني علي من يتكلف لي وأتحفظ منه، وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي. وقال بعض الصوفية: لا تعاشر من الناس إلا من لا تريد عنده بر، ولا تنقص عنده بإثم، يكون ذلك لك وعليك وأنت عنده سواء. وإنما قال هذا لأن به يتخلص عن التكلف والتحفظ . وإلا فالطبع يحمله على أن يتحفظ منه إذا علم أن ذلك ينقصه عنده وقال بعضهم : كن مع أبناء الدنيا بالأدب ، ومع أبناء الآخرة بالعلم ، ومع العارفين كيف شئت . وقال آخر : لا تصحب إلا من يتوب عنك إذا أذنبت ، ويعتذر إليك إذا أسأت ويحمل عنك مؤنة نفسك ، ويكفيك مؤنة نفسه . وقائل هذا قد ضيق طريق الأخوة على الناس ، وليس الأمر كذلك . بل ينبغي أن يواخي كل متدين عاقل ، ويعزم على أن يقوم بهذه الشرائط ، ولا يكلف غيره هذه الشروط ، حتى تكثر إخوانه . إذ به يكون مواخيا في الله ، وإلا كانت مواخاته لحظوظ نفسه فقط . ولذلك قال رجل للجنيد: قد عز الإخوان في هذا الزمان. أين أخ لي في الله ؟ فأعرض الجنيد حتى أعاده ثلاثا . فلما أكثر قال له الجنيد : إن أردت أخا يكفيك مؤنتك ، ويتحمل أذاك، فهذا لعمري قليل . وإن أردت أخا في الله ، تحمل أنت مؤنته، وتصبر على أذاه ، فعندي جماعة أعرفهم لك. فسكت الرجل

واعلم أن الناس ثلاثة : رجل تنتفع بصحبته ، ورجل تقدر على أن تنفعه ولا تتضرر به ولكن لا تنتفع به ، ورجل لا تقدر أيضا على أن تنفعه وتتضرر به ، وهو الأحمق أو السيء الخلق . فهذا الثالث ينبغي أن تتجنبه . فأما الثاني فلا تجتنبه ، لأنك تنتفع في الآخرة

بشفاعته وبدعائه ، وبثوابك على القيام به . وقد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إن أطعتني فما أكثر اخوانك . أى إن واسيتهم واحتملت منهم ولم تحسدهم .وقد قال بعضهم: صحبت الناس خمسين سنة ، فما وقع بيني وبينهم خلاف . فإني كنت معهم على نفسي.ومن كانت هذه شيمته كثر إخوانه .

ومن التخفيف وترك التكلف أن لا يعترض فى نوافل العبادات . كان طائفة من الصوفية يصطحبون على شرط المساواة بين أربع معان . إن أكل أحدهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم . وإن صام الدهر كله لم يقل له أفطر . وإن نام الليل كله لم يقل له قم . ولمن صلى الليل كله لم يقل له نم . وتستوى حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان . لأن ذلك إن تفاوت حرك الطبع إلى الرياء والتحفظ لا محالة . وقد قيل : من سقطت كلفته ، دامت ألفته .ومن خفت مؤنته ، دامت مودته . وقال بعض الصحابة : إن الله لعن المتكلفين . وقال صلى الله عليه وسلم [1] « أَنَا وَالْأَتْقِيَاءُ مِنْ أُمَّتِي بُرَآءُ مِنَ التَّكَلُّفِ » وقال بعضهم [2] : إذا عمل الرجل فى بيت أخيه أربع خصال ، فقد تم أنسه به . إذا أكل عنده ، ودخل الخلاء ، وصلى ، ونام فذكر ذلك لبعض المشايخ ، فقال بقيت خامسة ، وهو أن يحضر مع الأهل فى بيت أخيه ويجامعها . لأن البيت يتخذ للاستخفاء فى هذه الأمور الخمس . وإلا فالمساجد أروح لقلوب المتعبدين . فإذا فعل هذه الخمس فقد تم الأخاء ، وارتفعت الحشمة ، وتأكد الانبساط .وقول العرب فى تسليمهم يشير إلى ذلك . إذ يقول أحدهم لصاحبه : مرحبا وأهلا وسهلا . أى لك عندنا مرحب وهو السعة فى القلب والمكان ، ولك عندنا أهل تأنس بهم بلا وحشة لك منا ، ولك عندنا سهولة فى ذلك كله ، أى لا يشتد علينا شيء مما تريد

ولا يتم التخفيف وترك التكلف إلا بأن يرى نفسه دون إخوانه ، ويحسن الظن بهم ويسيء الظن بنفسه . فإذا رآهم خيرا من نفسه ، فعند ذلك يكون هو خيرا منهم . وقال أبو معاوية الأسود : إخوانى كلهم خير منى . قيل وكيف ذلك؟ قال كلهم يرى لي الفضل عليه

---

(١) حديث أنا وأمتى برآء من التكلف: الدار قطنى فى الافراد من حديث الزبير بن العوام ألا انى برىء من التكلف وصالحو أمتى واسناده ضعيف

(٢) حديث إذا صنع الرجل فى بيت أخيه أربع خصال فقد تم آنسه به ـ الحديث : لم أجد له أصلا

ومن فضّلنى على نفسه فهو خير منى . وقد قال صلى الله عليه وسلم [١] « المَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ وَلَا خَيْرَ فِي صُحْبَةِ مَنْ لَا يَرَى لَكَ مِثْلَ مَا تَرَى لَهُ » فهذه أقل الدرجات وهو النظر بعين المساواة والكمال فى رؤية الفضل للأخ. ولذلك قال سفيان . إذا قيل لك يا شر الناس فغضبت ، فأنت شر الناس . أى ينبغى أن تكون معتقدا ذلك فى نفسك أبدا وسيأتى وجه ذلك فى كتاب الكبر والعجب . وقد قيل فى معنى التواضع ورؤية الفضل للأخوان أبيات :

تذلل لمن إن تذللت له * يرى ذاك للفضل لا للبله
وجانب صداقة من لا يزال * على الأصدقاء يرى الفضل له

وقال آخر :

كم صديق عرفته بصديق * صار أحظى من الصديق العتيق
ورفيق رأيته فى طريق * صار عندى هو الصديق الحقيق

ومهما رأى الفضل لنفسه ، فقد احتقر أخاه . وهذا فى عموم المسلمين مذموم قال صلى الله عليه وسلم [٢] « بِحَسْبِ المُؤْمِنِ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ »

ومن تتمة الانبساط وترك التكلف أن يشاور إخوانه فى كل ما يقصده، ويقبل إشاراتهم فقد قال تعالى (وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ [١]) وينبغى أن لا يخفى عنهم شيئا من أسراره . كما روي أن يعقوب ابن أخى معروف قال : جاء أسود بن سالم إلى عمى معروف ، وكان مواخيا له فقال إن بشر بن الحارث يحب مؤاخاتك ، وهو يستحى أن يشافهك بذلك ، وقد أرسلنى إليك يسألك أن تعقد له فيما بينك وبينه أخوة يحتسبها ويعتذبها ، إلا أنه يشترط فيها شروطا ، لا يحب أن يشتهر بذلك ، ولا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقاة ، فإنه يكره كثرة الإلتقاء . فقال معروف : أما أنا لو آخيت أحدا لم أحب مفارقته ليلا ولا نهارا

---

(١) حديث المرء على دين خليله ولا خير فى صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له: تقدم الشطر الاول منه فى الباب قبله واما الشطر الثانى فرواه ابن عدى فى الكامل من حديث أنس بسند ضعيف.

(٢) حديث حسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم: مسلم من حديث أبى هريرة وتقدم فى أثناء حديث لا تدابروا فى هذا الباب

---

(١) آل عمران : ١٥٩

ولزرته فى كل وقت ، وآثرته على نفسى فى كل حال . ثم ذكر من فضل الأخوة والحب فى الله أحاديث كثيرة ، ثم قال فيها : وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا، فشاركه فى العلم ،[1] وقاسمه فى البدن ،[2] وأنكحه أفضل بناته[3] وأحبهن إليه ، وخصه بذلك لمؤاخاته . وأنا أشهدك أنى قد عقدت له أخوة بينى وبينه ، وعقدت أخاءه فى الله لرسالتك ولمسألته، على أن لا يزورنى إن كره ذلك ، ولكنى أزوره متى أحببت . ومره أن يلقانى فى مواضع نلتقى بها . ومره أن لا يخفى علىّ شيئا من شأنه ، وأن يطلعنى على جميع أحواله فأخبر ابن سالم بشرا بذلك ، فرضي وسرّ به

فهذا جامع حقوق الصحبة . وقد أجملناه مرة ، وفصلناه أخرى . ولا يتم ذلك إلا بأن تكون على نفسك للإخوان ، ولا تكون لنفسك عليهم . وأن تنزل نفسك منزلة الخادم لهم ، فتقيد بحقوقهم جميع جوارحك .

أما البصر ، فبأن تنظر إليهم نظر مودة يعرفونها منك ، وتنظر إلى محاسنهم ، وتتعامى عن عيوبهم ، ولا تصرف بصرك عنهم فى وقت إقبالهم عليك ، وكلامهم معك .

---

(١) حديث آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وشاركه فى العلم: النسائى فى الخصائص من سننه الكبرى من حديث على قال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب ـ الحديث :وفيه فأيكم يبايعنى على أن يكون أخى وصاحبي ووارثى فلم يقم اليه أحد فقمت اليه وفيه حتى إذا كان فى الثالثة ضرب بيده على يدى وله وللحاكم من حديث ابن عباس أن عليا كان يقول فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم والله أنى لأخوه ووليه ووارث علمه ـ الحديث:وكل ما ورد فى اخوته فضعيف لا يصح منه شيء وللترمذى من حديث ابن عمر وأنت أخى فى الدنيا والآخرة وللحاكم من حديث ابن عباس أنا مدينة العلم وعلى بابها وقال صحيح الاسناد وقال ابن حبان لا أصل له وقال ابن طاهر انه موضوع وللترمذى من حديث على أنا دار الحكمة و على بابها وقال غريب

(٢) حديث مقاسمته عليا للبدن: مسلم في حديث جابر الطويل ثم أعطى عليا فنحر ماغبر وأشركه فى هديه

(٣) حديث انه أنكح عليا أفضل بناته وأحبهن اليه: هذا معلوم مشهور ففى الصحيحين من حديث على لما أردت ان أبتنى بفاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم واعدت رجلا صواغا ـ الحديث: وللحاكم من حديث أم أيمن زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة عليا ـ الحديث : وقال صحيح الاسناد وفى الصحيحين من حديث عائشة عن فاطمة يافطمة أما ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين الحديث

روي أنه صلى الله عليه وسلم [1] كان يعطى كل من جلس إليه نصيبا من وجهه. وما استصغاه أحدا إلا ظن أنه أكرم الناس عليه . حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه، ولطيف مسألته، وتوجهه للجالس إليه . وكان مجلسه مجلس حياء وتواضع وأمانة . وكان عليه السلام أكثر الناس تبسما وضحكا فى وجوه أصحابه ، وتعجبا مما يحدثونه به . وكان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء منهم بفعله ، وتوقيرا له عليه السلام

وأما السمع ، فبأن تسمع كلامه متلذذا بسماعه ، ومصدقا به ،ومظهرا للاستبشار به ولا تقطع حديثهم عليهم بمرادّة ولا منازعة ومداخلة واعتراض، فإن أرهقك عارض اعتذرت إليهم ، وتحرس سمعك عن سماع مايكرهون

وأما اللسان ، فقد ذكرنا حقوقه فإن القول فيه يطول ، ومن ذلك أن لا يرفع صوته عليهم ولا يخاطبهم إلا بما يفقهون

وأما اليدان، فأن لا يقبضهما عن معاونتهم فى كل مايتعاطى باليد

وأما الرجلان ، فأن يمشي بهما وراءهم مشي الأتباع لامشي المتبوعين، ولا يتقدمهم إلا بقدر مايقدمونه، ولا يقرب منهم إلا بقدر مايقربونه . ويقوم لهم إذا أقبلوا ، ولا يقعد إلا بقعودهم ، ويقعد متواضعا حيث يقعد. ومهما تم الاتحاد خف حمله من هذه الحقوق، مثل القيام والاعتذار والثناء ، فإنها من حقوق الصحبة ، وفى ضمنها نوع من الأجنبية والتكلف . فإذا تم الاتحاد ، انطوى بساط التكلف بالكلية ، فلا يسلك به إلا مسلك نفسه، لأن هذه الآداب الظاهرة عنوان آداب الباطن وصفاء القلب : ومهما صفت القلوب استغني عن تكلف إظهار مافيها . ومن كان نظره إلى صحبة الخلق ، فتارة يعوج وتارة يستقيم . ومن كان نظره إلى الخالق لزم الإستقامة ظاهرا وباطنا ، وزين باطنه بالحب لله ولخلقه ، وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة لعباده ، فإنها أعلى أنواع الخدمة لله ، إذ لا وصول إليها إلا بحسن الخلق . ويدرك العبد بحسن خلقه درجة القائم الصائم وزيادة

---

(١) حديث كان يعطى كل من جلس اليه نصيبه من وجهه ـ الحديث : الترمذى فى الشمائل من حديث على فى أثناء حديث فيه يعطى كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه ممن جالسه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول ثم قال مجالسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة وفيه يضحك مما يضحكون ويتعجب مما يتعجبون منه وللترمذى من حديث عبد الله الحارث بن جزء مارأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غريب.

خاتمة

لهذا الباب

تذكر فيها جملة من آداب العشرة والمجالسة مع أصناف الخلق ، ملتقطة من كلام بعض الحكماء

إن أردت حسن العشرة ، فالق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة لهم ، ولا هيبة منهم . وتوقير من غير كبر ، وتواضع فى غير مذلة . وكن فى جميع أمورك فى أوسطها . فكلا طرفي قصد الأمور ذميم . ولا تنظر فى عطفيك ، ولا تكثر الإلتفات ، ولا تقف على الجماعات . وإذا جلست فلا تستوفز . وتحفظ من تشبيك أصابعك ، والعبث بلحيتك وخاتمك ، وتخليل أسنانك ، وإدخال أصبعك فى أنفك ، وكثرة بصاقك وتنخمك ، وطرد الذباب من وجهك ، وكثرة التمطى والتثاؤب فى وجوه الناس وفى الصلاة وغيرها . وليكن مجلسك هاديا ، وحديثك منظوما مرتبا . واصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك ، من غير إظهار تعجب مفرط . ولا تسأله إعادته . واسكت عن المضاحك والحكايات . ولا تحدث عن إعجابك بولدك ولا جاريتك ، ولا شعرك ولا تصنيفك وسائر ما يخصك . ولا تتصنع تصنع المرأة فى التزين ، ولا تتبذل تبذل العبد ، وتوق كثرة الكحل ، والإسراف فى الدهن ولا تلح فى الحاجات ، ولا تشجع أحدا على الظلم ، ولا تُعْلِمْ أهلك وولدك ، فضلا عن غيرهم مقدار مالك ، فإنهم إن رأوه قليلا هنت عندهم ، وإن كان كثيرا لم تبلغ قطر ضاهم . وخوّفهم من غير عنف ، ولِنْ لهم من غير ضعف . ولا تهازل أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك .

وإذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك ، وتجنب عجلتك ، وتفكر فى حجتك . ولا تكثر الإشارة بيديك ، ولا تكثر الإلتفات إلى من وراءك ، ولا تجث على ركبتيك وإذا هدأ غيظك فتكلم .

وإن قربك سلطان فكن منه على مثل حد السنان ، فإن استرسل إليك فلا تأمن انقلابه عليك ، وارفق به رفقك بالصبي ، وكله بما يشتهيه ما لم يكن معصية ، ولا يحملنك لطفه بك أن تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه ، وإن كنت لذلك مستحقا عنده ، فإن سقطة الداخل بين الملك وبين أهله سقطة لا تنعش ، وزلة لا تقال

وإياك وصديق العافية ، فإنه أعدى الأعداء : ولا تجعل مالك أكرم من عرضك

وإذا دخلت مجلسا فالأدب فيه البداية بالتسليم ، وترك التخطى لمن سبق ، والجلوس حيث اتسع ، وحيث يكون أقرب إلى التواضع . وأن تحيّ بالسلام من قرب منك عند الجلوس . ولا تجلس على الطريق ، فإن جلست فأدبه غض البصر ، ونصرة المظلوم ، وإغاثة الملهوف ، وعون الضعيف ، وإرشاد الضال ، ورد السلام ، وإعطاء السائل ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والارتياد لموضع البصاق . ولا تبصق فى جهة القبلة ، ولا عن يمينك ولكن عن يسارك ، وتحت قدمك اليسرى

ولا تجالس الملوك ، فإن فعلت فأدبه ترك الغيبة ، ومجانبة الكذب ، وصيانة السر ، وقلة الحوائج ، وتهذيب الألفاظ ، والاعراب فى الخطاب ، والمذاكرة بأخلاق الملوك ، وقلة المداعبة ، وكثرة الحذر منهم وإن ظهرت لك المودة . وأن لا تتجشأ بحضرتهم ولا تتخلل بعد الاكل عنده . وعلى الملك أن يحتمل كل شيء إلا إفشاء السر ، والقدح فى الملك والتعرض للحرم

ولا تجالس العامة فإن فعلت فأدبه ترك الخوض فى حديثهم ، وقلة الاصغاء إلى أراجيفهم والتغافل عما يجرى من سوء ألفاظهم ، وقلة اللقاء لهم مع الحاجة إليهم

وإياك أن تمازح لبيبا أو غير لبيب ، فإن اللبيب يحقد عليك ، والسفيه يجترىء عليك لأن المزاح يخرق الهيبة ، ويسقط ماء الوجه ، ويعقب الحقد ، ويذهب بحلاوة الود ويشين فقه الفقيه ، ويجرىء السفيه ، ويسقط المنزلة عند الحكيم ، ويمقته المتقون . وهو يميت القلب ، ويباعد عن الرب تعالى ، ويكسب الغفلة ، ويورث الذلة . وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر . وبه تكثر العيوب ، وتبين الذنوب . وقد قيل : لا يكون المزاح إلا من سخف أو بطر . ومن بلي فى مجلس بمزاح أو لغط ، فليذكر الله عند قيامه . قال النبي صلى الله عليه وسلم (١) « مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ »

---

(١) حديث من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك الحديث : الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه

فهرست الجزء الخامس

فهرست الجزء الخامس

	الصفحة
الباب الرابع فى الاحسان فى المعاملة	٧٨٧
مقدار الربح الحلال	٧٨٧
احتمال الغبن	٧٨٩
الاحسان فى استيفاء الحقوق	٧٩٠
حسن قضاء الدين	٧٩١
اقالة النادم صفقته	٧٩٢
الاحسان الى الفقير من طريق الدين	٧٩٢
الباب الخامس فى شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويعم آخرته	٧٩٣
نية التاجر عند مباشرة عمله	٧٩٣
اختيار المهنة	٧٩٤
عدم الانشغال بالعمل عن الصلاة	٧٩٦
ذكر الله فى السوق	٧٩٧
عدم الحرص على السوق والتجارة	٧٩٨
اتقاء مواقع الشبهات	٧٩٩
مراقبة نفسه فى جميع معاملاته	٧٩٩
كتاب الحلال والحرام	٨٠٤
الباب الأول فى فضيلة الحلال ومذمة الحرام الخ	٨٠٥
فضيلة الحلال ومذمة الحرام	٨٠٥
اصناف الحلال ومداخله	٨١١
الحرام لعينه	٨١١
أصناف الكسب الحلال	٨١٢
المأخوذ من غير مالك	٨١٣
الفيء والغنيمة وما فى حكمهما	٨١٣
الزكاة والوقف والنفقة وغيرها	٨١٣
البيع والأجارة وما فى حكمها	٨١٣
الهبات والوصايا والصدقات	٨١٣
الميراث	٨١٣
درجات الحلال والحرام	٨١٤
ورع العدول	٨١٤
ورع الصالحين	٨١٤
ورع المتقين	٨١٤
ورع الصديقين	٨١٥
درجات الحرام	٨١٥
أمثلة الدرجات الأربع فى الورع وشواهدها	٨١٥
أمثلة ورع الصالحين	٨١٦
أمثلة ورع المتقين	٨١٦
أمثلة ورع الصديقين	٨١٩
الباب الثانى فى مراقب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام	٨٢١

	الصفحة
الحلال المطلق	٨٢١
الحرام المحض	٨٢٢
ما يلتحق بالحلال المطلق	٨٢٣
ما يلتحق بالحرام المحض	٨٢٣
المثار الأول للشبهة	٨٢٣
الشك فى السبب المحلل ومثاله	٨٢٣
الشك فى السبب المحرم ومثاله	٨٢٤
ترجيح السبب المحلل ومثاله	٨٢٥
ترجيح السبب المحرم ومثاله	٨٢٧
المثار الثانى للشبهة ـ منشؤه الاختلاط	٨٢٨
استبهام العين بعدد محصور	٨٢٩
اختلاط الحرام المحصور بالحلال غير المحصور	٨٢٩
اختلاط الحرام بالحلال من غير حصر	٨٣٠
المثار الثالث للشبهة ـ أن يتصل بالسبب المحلل معصيته	٨٤٢
المعصية فى القرائن	٨٤٢
المعصية فى اللواحق	٨٤٤
المعصية فى المقدمات	٨٤٥
تشديد الموسوس على نفسه	٨٤٧
المعصية فى العوض	٨٤٧
المثار الرابع للشبهة ـ الاختلاف فى الأدلة	٨٥٠
تعارض الأدلة	٨٥٠
تعارض العلامات	٨٥٣
تعارض الأشباه	٨٥٣
الباب الثالث فى البحث والسؤال والهجوم والاهمال ومظانهما	٨٥٥
المثار الأول أحوال المالك	٨٥٦
جهالة المالك	٨٥٦
الشك فى حقيقة المالك لريبة	٨٥٩
معرفة حقيقة المالك بالممارسة	٨٦٠
المثار الثانى ما يستند الشك فيه الى سبب فى المال لا فى حال المالك	٨٦١
هدية من خالط ماله الحرام ومافى حكمها	٨٦١
طعام من خالط ماله حرام ولا يدرى بقاءه فى الحال	٨٦٥
الآخذ من الناظر على وقفين مختلفين فى جهات الاستحقاق	٨٦٥
شراء دار فى بلد بها دور مغصوبة	٨٦٦
متى لا يراعى غضب المسؤول	٨٦٦
سؤال من يأمن غضبه	٨٦٧
متى يسأل المالك ومتى يسأل غيره	٨٦٧
حيث يجب السؤال	٨٦٨

	الصفحة
شراء المتاع المغصوب مثله	٨٦٨
حدود السؤال	٨٦٩
ناظر على وقفين يخلط بين ايرادهما	٨٨٦
الباب الرابع فى كيفية خروج النائب عن المظالم المالية	٨٧١
النظر الأول فى كيفية التمييز والاخراج	٨٧٢
توزيع المغصوب على الورثة عند رده	٨٧٥
توقف قبول التوبة على رد المال الحرام لأهله	٨٧٥
هل انتقال المال يغير صفته	٨٧٦
النظر الثانى فى المصرف	٨٧٦
اذا كان للمال مالك غير معين	٨٧٧
اذا كان من الأموال المرصدة للمصالح العامة	٨٧٧
التصدق بما هو حرام	٨٧٧
صرف مال السلطان الواقع فى يده	٨٧٩
صرف المال الذى لا مالك له	٨٨٠
صرف الحلال الذى اختلط بحرام أو شبهة	٨٨٠
المال الحرام واوجه صرفه	٨٨١
الجمع بين رضا الله ورضا الوالدين	٨٨٢
لا حج ولا زكاة على من ماله حرام	
المال الحرام والذهاب الى الحج	٨٨٣
المال الحرام والوقوف فى عرفة	٨٨٣
رد المال الحرام	٨٨٣
الباب الخامس فى ادرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم	٨٨٤
النظر الأول فى جهات الدخل للسلطان	٨٨٤
أحكام الجزية	٨٨٥
المواريث وما فى حكمها	٨٨٥
الوقف	٨٨٥
ما أحياه السلطان	٨٨٥
الادرار مما اشتراه السلطان فى الذمة	٨٨٥
الادرار من خراج المسلمين وما فى حكمه	٨٨٦
الادرار من الخزانة	٨٨٦
درجات الورع فى حق السلاطين	٨٨٨
النظر الثانى فى قدر المأخوذ وصفة الآخذ	٨٩٢
الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ويحرم الخ	٨٩٦
الدخول على السلطان الظالم	٨٩٦
دخول السلطان الظالم زائرا	٩٠١
اعتزال السلاطين	٩٠٢
أخذ مال السلطان الظالم وتفريقه على الفقراء	٩٠٧
سرقة مال السلطان الظالم وتفريقه على الفقراء	٩٠٩
المعاملة مع السلاطين الظلمة	٩٠٩
التجارة فى الأسواق التى بناها السلطان الظالم	٩١٠
معاملة قضاة السلطان الظالم وعماله وخدمه	٩١٠
استعمال ما يبنيه السلطان الظالم	٩١٣
جعل الشارع فى الأرض المغصوبة	٩١٤
الباب السابع فى مسائل متفرقة	٩١٤
الأكل من المال المجموع للصرف على الصوفية	٩١٤
حكم المال الموصى به للصوفية	٩١٥
حكم المال الموقوف على الصوفية	٩١٦
الفرق بين الرشوة والهدية	٩١٧
كتاب آداب الألفة	٩٢٤
الباب الأول فى فضيلة الألفة والاخوة وفى شروطها ودرجاتها وفوائدها	٩٢٤
فضيلة الألفة والأخوة	
الأخوة فى الله والأخوة فى الدنيا	٩٣١
البغض فى الله	٩٤٠
مراتب الذين يبغضون فى الله وكيفية معاملتهم	٩٤٤
الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته	٩٤٧
الباب الثانى فى حقوق الأخوة والصحبة	٩٥٢
حق الأخوة فى المال	٩٥٢
حق الأخوة فى النفس	٩٥٥
حق الأخوة فى السكوت	٩٥٧
حق الأخوة فى النطق	٩٦٤
حق الأخوة فى العفو عن الزلات	٩٦٩
حق الأخوة فى الدعاء	٩٧٤
حق الأخوة فى الوفاء	٩٧٥
حق الأخوة فى ترك التكلف	٩٧٨
خاتمة الباب الثانى ـ جملة من آداب العشرة والمجالسة	٩٨٤
أدب الجلوس على الطريق	٩٨٥
أدب مجالسة الملوك	٩٨٥
أدب مجالسة العامة	٩٨٥
مضار المزاح	٩٨٥

دار الشعب
٩٨ شارع نجيب الريحاني القاهرة ت: ٣١٨١٠

تاب الشعب

إحياء علوم الدين

للإمام أبي حامد الغزالي

الجزء السادس

دار الشعب
٩٢ شارع نصر العبني - القاهرة ت: ٣١٨١٠

الباب الثالث

فى حق المسلم والرحم والجوار والمال وكيفية المعاشرة مع من يدلى بهذه الأسباب

اعلم أن الانسان إما أن يكون وحده، أو مع غيره. وإذا تعذر عيش الإنسان إلا بمخالطة من هو من جنسه، لم يكن له بد من تعلم آداب المخالطة. وكل مخالط فى مخالطته أدب والأدب على قدر حقه، وحقه على قدر رابطته التى بها وقعت المخالطة. والرابطة إما القرابة وهي أخصها، أو أخوة الإسلام، وهى أعمها، وينطوى فى معنى الأخوة الصداقة والصحبة وإما الجوار، وإما صحبة السفر والمكتب والدرس، وإما الصداقة أو الأخوة

ولكل واحد من هذه الروابط درجات، فالقرابة لها حق، ولكن حق الرحم المحرم آكد. وللمحرم حق. ولكن حق الوالدين آكد. وكذلك حق الجار، ولكن يختلف بحسب قربه من الدار وبعده، ويظهر التفاوت عند النسبة، حتى أن البلدى فى بلاد الغربة يجرى مجرى القريب فى الوطن، لاختصاصه بحق الجوار فى البلد. وكذلك حق المسلم يتأكد بتأكد المعرفة وللمعارف درجات، فليس حق الذى عرف بالمشاهدة كحق الذى عرف بالسماع، بل آكد منه. والمعرفة بعد وقوعها تتأكد بالاختلاط. وكذلك الصحبة تتفاوت درجاتها، فحق الصحبة فى الدرس والمكتب آكد من حق صحبة السفر وكذلك الصداقة تتفاوت، فإنها إذا قويت صارت أخوة، فإن ازدادت صارت محبة، فإن ازدادت صارت خلة، والخليل أقرب من الحبيب، فالمحبة ما تتمكن من حبة القلب، والخلة ما تتخلل سر القلب، فكل خليل حبيب، وليس كل حبيب خليلا. وتفاوت درجات الصداقة لا يخفى بحكم المشاهدة والتجربة. فأما كون الخلة فوق الأخوة، فمعناه أن لفظ الخلة عبارة عن حالة هي أتم من الأخوة. وتعرفه من قوله صلى الله عليه وسلم[1] «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللهِ» إذ الخليل هو الذى يتخلل الحب جميع أجزاء قلبه ظاهرا وباطنا، ويستوعبه. ولم يستوعب قلبه عليه السلام سوى حب الله

(الباب الثالث فى حقوق المسلم والرحم والجوار)

(١) حديث لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبو بكر خليلا ـ الحديث: متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدرى

وقد منعته الخلة عن الاشتراك فيه ، مع أنه اتخذ عليا رضي الله عنه أخا فقال [١] « عَلِيٌّ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَرُونَ مِنْ مُوسَى إِلاَّ النُّبُوَّة » فعدل بعلي عن النبوة ، كما عدل بأبي بكر عن الخلة فشارك أبو بكر عليا رضي الله عنهما في الأخوة ، وزاد عليه بمقاربة الخلة ، وأهليته لها لو كان للشركة في الخلة مجال ، فإنه نبه عليه بقوله « لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً » وكان صلى الله عليه وسلم حبيب الله وخليله وقد روي أنه صعد المنبر يوما مستبشرا فرحا ، فقال [٢] « إِنَّ اللهَ قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً فَأَنَا حَبِيبُ اللهِ وَأَنَا خَلِيلُ اللهِ تَعَالَى » فإذاً ليس قبل المعرفة رابطة ، ولا بعد الخلة درجة . وما سواهما من الدرجات بينهما . وقد ذكرنا حق الصحبة والأخوة ، ويدخل فيهما ماوراءهما من المحبة والخلة . وإنما تتفاوت الرتب في تلك الحقوق كما سبق بحسب تفاوت المحبة والأخوة ، حتى ينتهي أقصاها إلى أن توجب الإيثار بالنفس والمال ، كما آثر أبو بكر رضي الله عنه نبينا صلى الله عليه وسلم ، وكما آثره طلحة ببدنه ، إذ جعل نفسه وقاية لشخصه العزيز صلى الله عليه وسلم

فنحن الآن نريد أن نذكر حق أخوة الإسلام ، وحق الرحم ، وحق الوالدين ، وحق الجوار وحق الملك أعني ملك اليمين فإن ملك النكاح قد ذكرنا حقوقه في كتاب آداب النكاح

حقوق المسلم

[٣] هي أن تسلم عليه إذا لقيته ، وتجيبه إذا دعاك ، وتشمته إذا عطس ، وتعوده إذا مرض وتشهد جنازته إذا مات ، وتبر قسمه إذا أقسم عليك وتنصح له إذا استنصحك وتحفظه بظهر

---

(١) حديث علي مني بمنزلة هارون من موسى الا النبوة : متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص

(٢) حديث ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ـ الحديث : الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف دون قوله فأنا حبيب الله وانا خليل الله (الاخبار الواردة في حقوق المسلم على المسلم)

(٣) هو أن يسلم عليه اذا لقيه فذكر عشر خصال الشيخان من حديث أبي هريرة حق المسلم على المسلم خمس رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز واجابة الدعوة وتشميت العاطس وفي رواية لمسلم حق المسلم على المسلم ست إذا لقيته تسلم عليه وزاد وإذا استنصحك فانصح له وللترمذي وابن ماجه من حديث علي للمسلم على المسلم ست فذكر منها ويحب له ما يحب لنفسه وقال وينصح له اذا غاب أو شهد ولأحمد من حديث معاذ وأن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وفي الصحيحين من حديث البراء أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع فذكر منها وابرار القسم ونصر المظلوم

الغيب إذا غاب عنك ، وتحب له ماتحب لنفسك ، وتكره له ما تكره لنفسك ، ورد جميع ذلك فى أخبار و آثار. وقد روى أنس رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه[1] قال «أَرْبَعٌ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْكَ أَنْ تُعِينَ مُحْسِنَهُمْ وَأَنْ تَسْتَغْفِرَ لِمُذْنِبِهِمْ وَأَنْ تَدْعُوَ لِمُدْبِرِهِمْ وَأَنْ تُحِبَّ تَائِبَهُمْ» وقال ابن عباس رضي الله عنهما، فى معنى قوله تعالى (رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ[1]) قال يدعو صالحهم لطالحهم ، وطالحهم لصالحهم فإذا نظر الصالح إلى الصالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال : اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به وإذا نظر الصالح الى الطالح قال : اللهم اهده وتب عليه ، واغفر له عثرته

ومنها أن يحب للمؤمنين مايحب لنفسه ، ويكره لهم مايكره لنفسه . قال النعمان ابن بشير : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] يقول « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ مِنْهُ تَدَاعَى سَائِرُهُ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ » وروى أبو موسى عنه صلى الله عليه وسلم[3] أنه قال «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً»

ومنها أن لا يؤذى أحدا من المسلمين بفعل ولا قول . قال صلى الله عليه وسلم[4] «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل يأمر فيه بالفضائل[5] « فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ فَدَعِ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقْتَ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ» وقال أيضا[6] « أَفْضَلُ الْمُسْلِمِينَ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» وقال صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث أنس أربع من حقوق المسلمين عليك أن تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم وان تدعو لمدبرهم وأن تحب تائبهم: ذكره صاحب الفردوس ولم أجد له اسنادا

(٢) حديث النعمان بن بشير مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد ـ الحديث : متفق عليه

(٣) حديث أبى موسى المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا: متفق عليه

(٤) حديث المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده: متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو

(٥) حديث فان لم تقدر فدع الناس من الشر فانها صدقة تصدقت بها على نفسك: متفق عليه من حديث أبى ذر

(٦) حديث أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده: متفق عليه من حديث أبى موسى

---

(١) الفتح : ٢٩

(١) « أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُسْلِمُ ؟ » فقالوا الله ورسوله أعلم قال « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ » قالوا فمن المؤمن ؟ قال « مَنْ أَمِنَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ » قالوا فمن المهاجر ؟ قال « مَنْ هَجَرَ السُّوءَ وَاجْتَنَبَهُ » وقال رجل يارسول الله ماالإسلام ؟ قال « أَنْ يَسْلَمَ قَلْبُكَ لِلَّهِ وَيَسْلَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ » وقال مجاهد: يسلط على أهل النار الجرب ، فيحتكون حتى يبدو عظم أحدهم من جلده . فينادى يافلان هل يؤذيك هذا ؟ فيقول نعم . فيقول هذا بما كنت تؤذى المؤمنين . وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا عَنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ » وقال أبو هريرة رضي الله عنه يارسول الله (٣) عامنى شيئا أنتفع به. قال « اعْزِلِ الْأَذَى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ » وقال صلى الله عليه وسلم (٤) « مَنْ زَحْزَحَ عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا يُؤْذِيهِمْ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهِ حَسَنَةً وَمَنْ كَتَبَ اللهُ لَهُ حَسَنَةً أَوْجَبَ لَهُ بِهَا الْجَنَّةَ » وقال صلى الله عليه وسلم (٥) « لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُشِيرَ إِلَى أَخِيهِ بِنَظْرَةٍ تُؤْذِيهِ » وقال « لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا » وقال صلى الله عليه وسلم (٦) « إِنَّ اللهَ يَكْرَهُ أَذَى الْمُؤْمِنِينَ » وقال الربيع بن خثيم : الناس رجلان ، مؤمن فلا تؤذه ، وجاهل فلا تجاهله

---

(١) حديث أتدرون من المسلم قالوا الله ورسوله أعلم قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده: الطبرانى والحاكم وصححه من حديث فضالة بن عبيد ألا أخبركم بالمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب ورواه ابن ماجة مقتصرا على المؤمن والمهاجر وللحاكم من حديث أنس وقال على شرط مسلم والمهاجر من هجر السوء ولأحمد باسناد صحيح من حديث عمرو بن عبسة قال رجل يارسول الله ماالاسلام قال أن تسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك

(٢) حديث لقد رأيت رجلا فى الجنة يتقلب فى شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين: مسلم من حديث أبى هريرة

(٣) حديث أبى هريرة يارسول الله علمنى شيئا أنتفع به قال اعزل الأذى عن طريق المسلمين: مسلم من حديث أبى برزة قال قلت يانبي الله فذكره

(٤) حديث من زحزح عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له بها حسنة ومن كتب له بها حسنة أوجب له بها الجنة: أحمد من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف

(٥) حديث لا يحل لمسلم ان ينظر الى أخيه بنظر يؤذيه: ابن المبارك فى الزهد من رواية حمزة بن عبيد مرسلا بسند ضعيف وفى البر والصلة له من زيادات الحسين المروزى حمزة بن عبد الله بن أبى سمى وهو الصواب

(٦) حديث ان الله تعالى يكره أذى المؤمنين: ابن المبارك فى الزهد من رواية عكرمة بن خالد مرسلا باسناد جيد

ومنها أن يتواضع لكل مسلم ، ولا يتكبر عليه . فإن الله لايحب كل مختال فخور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] « إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَايَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ » ثم إن تفاخر عليه غيره فليحتمل . قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ [١]) وعن ابن أبي أوفى ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] يتواضع لكل مسلم ، ولا يأنف ولا يتكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي حاجته .

ومنها أن لايسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم مايسمع من بعض قال صلى الله عليه وسلم [٣] « لَايَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ » وقال الخليل بن أحمد : من نم لك نم عليك ، ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك

ومنها أن لايزيد في الهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام مهما غضب عليه . قال أبو أيوب الأنصاري ، قال صلى الله عليه وسلم [٤] « لَايَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ » وقد قال صلى الله عليه وسلم [٥] « مَنْ أَقَالَ مُسْلِماً عَثْرَتَهُ أَقَالَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » قال عكرمة : قال الله تعالى ليوسف ابن يعقوب : بعفوك عن إخوتك رفعت ذكرك في الدارين . قالت عائشة رضي الله عنها : ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم [٦] لنفسه قط ، إلا أن تنتهك حرمة الله ، فينتقم لله . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ماعفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله عزا

---

(١) حديث ان الله أوحى الي ان تواضعوا حتى لايفخر أحد على أحد : أبو داود وابن ماجه واللفظ له من حديث عياض بن حماز ورجاله رجال الصحيح

(٢) حديث ابن أبي أوفى كان لايأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي حاجته : النسائي باسناد صحيح والحاكم وقال على شرط الشيخين

(٣) حديث لايدخل الجنة قتات : متفق عليه من حديث حذيفة

(٤) حديث أبي أيوب لايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ـ الحديث : متفق عليه

(٥) حديث من أقال مسلما عثرته أقاله الله يوم القيامة : أبو داود والحاكم وقد تقدم

(٦) حديث عائشة ماانتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط الا ان تصاب حرمة الله فينتقم لله : متفق عليه بلفظ الا أن تنتهك

---

(١) الاعراف : ١٩٩

وقال صلى الله عليه وسلم (١) « مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ وَمَا زَادَ اللهُ رَجُلاً بِعَفْوٍ إِلَّا عِزّاً وَمَا مِنْ أَحَدٍ تَوَاضَعَ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ »

ومنها أن يحسن إلى كل من قدر عليه منهم مااستطاع ، لايميز بين الأهل وغير الأهل روى علي بن الحسين ، عن أبيه عن جده رضي الله عنهم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « اصْنَعِ الْمَعْرُوفَ فِي أَهْلِهِ وَفِي غَيْرِ أَهْلِهِ فَإِنْ أَصَبْتَ أَهْلَهُ فَهُوَ أَهْلُهُ وَإِنْ لَمْ تُصِبْ أَهْلَهُ فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ » وعنه باسناده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) « رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدَ الدِّينِ التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ وَاصْطِنَاعُ الْمَعْرُوفِ إِلَى كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ » قال أبو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) لايأخذ أحد بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذى يرسله . ولم تكن ترى ركبته عن ركبة جليسه . ولم يكن أحد يكلمه إلا أقبل عليه بوجهه ، ثم لم يصرفه عنه حتي يفرغ من كلامه .

ومنها أن لايدخل على أحد منهم إلا بإذنه ، بل يستأذن ثلاثا ، فإن لم يؤذن له انصرف قال أبو هريرة رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) « أَلْإِسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ فَالْأُولَى يَسْتَنْصِتُونَ وَالثَّانِيَةُ يَسْتَصْلِحُونَ وَالثَّالِثَةُ يَأْذَنُونَ أَوْ يَرُدُّونَ »

---

(١) حديث مانقص مال من صدقة وما زاد الله رجلا بعفو الاعزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله: مسلم من حديث أبي هريرة

(٢) حديث علي بن الحسين عن أبيه عن جده اصنع المعروف الى أهله فان لم تصب أهله فأنت أهله: ذكره الدارقطنى فى العلل وهو ضعيف ورواه القضاعى فى مسند الشهاب من رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرسلا بسند ضعيف

(٣) حديث علي بن الحسين عن أبيه عن جده رأس العقل بعد الايمان التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر: الطبرانى فى الارسط والخطابى فى تاريخ الطالبيين وعنه أبو نعيم فى الحلية دون قوله واصطناع الى آخره وقال الطبرانى التحبب

(٤) حديث أبى هريرة كان لايأخذ أحد بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذى يرسلها ـ الحديث: الطبرانى فى الاوسط باسناد حسن ولا بى داود والترمذى وابن ماجه نحوه من حديث أنس بسند ضعيف

(٥) حديث أبى هريرة الاستئذان ثلاث فالأولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أويردون الدار قطنى فى الافراد بسند ضعيف وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الاستئذان ثلاث فان أذن لك والا فارجع

ومنها: أن يخالق الجميع بخلق حسن، ويعاملهم بحسب طريقته. فإنه إن أراد لقاء الجاهل بالعلم، والأمي بالفقه، والعي بالبيان، آذى وتأذى.

ومنها: أن يوقر المشايخ، ويرحم الصبيان. قال جابر رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا وَلَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا» وقال صلى الله عليه وسلم (٢) «مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامُ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ» ومن تمام توقير المشايخ أن لا يتكلم بين أيديهم إلا بالإذن. وقال جابر (٣) قدم وفد جهينة على النبي صلى الله عليه وسلم، فقام غلام ليتكلم، فقال صلى الله عليه وسلم «مَهْ فَأَيْنَ الْكَبِيرُ؟» وفي الخبر (٤) «مَا وَقَّرَ شَابٌ شَيْخاً إِلَّا قَيَّضَ اللهُ لَهُ فِي سِنِّهِ مَنْ يُوَقِّرُهُ» وهذه بشارة بدوام الحياة، فليتنبه لها، فلا يوفق لتوقير المشايخ إلا من قضى الله له بطول العمر. وقال صلى الله عليه وسلم (٥) «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ الْوَلَدُ غَيْظاً، وَالْمَطَرُ قَيْظاً، وَتَفِيضُ اللِّئَامُ فَيْضاً، وَتَغِيضُ الْكِرَامُ غَيْضاً، وَيَجْتَرِئُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَاللَّئِيمُ عَلَى الْكَرِيمِ» (٦) والتلطف بالصبيان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم. كان صلى الله عليه وسلم (٧) يقدم من السفر، فيتلقاه الصبيان، فيقف عليهم

---

(١) حديث جابر ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا: الطبراني في الاوسط بسند ضعيف وهو عند أبي داود والبخاري في الادب من حديث عبد الله بن عمرو بسند حسن

(٢) حديث من اجلال الله اكرام ذي الشيبة المسلم: أبوداود من حديث أبي موسى الأشعري باسناد حسن

(٣) حديث جابر قدم وفد جهينة على النبي صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم فقال صلى الله عليه وسلم مه فأين الكبير: الحاكم وصححه

(٤) حديث ماوقر شاب شيخا لسنه الا قيض الله له في سنه من يوقره: الترمذي من حديث أنس بلفظ ماأكرم ومن يكرمه وقال حديث غريب وفي بعض النسخ حسن وفيه أبو الرحال وهو ضعيف

(٥) حديث لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا ـ الحديث: الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عائشة والطبراني من حديث ابن مسعود واسنادها ضعيف

(٦) حديث التلطف بالصبيان: البزار من حديث أنس كان من أفكه الناس مع صبي وقد تقدم في النكاح وفي الصحيحين ياأبا عمير مافعل النغير وغير ذلك

(٧) حديث كان يقدم من السفر فتتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يأمر بهم فيرفعون اليه ـ الحديث: مسلم من حديث عبد الله بن جعفر كان اذا قدم من سفر تلقي بنا قال فيلقى بي وبالحسن وقال فحمل أحدنا بين يديه والآخر خلفه وفي رواية تلقي بصبيان أهل بيته وانه قدم من سفر فسبق بي اليه فحملني بين يديه ثم جيء بأحد ابني فاطمة فأردفه خلفه وفي الصحيحين أن عبد الله بن جعفر قال لابن الزبير أتذكر اذ تلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأنت وابن عباس قال نعم فحملنا وتركك لفظ مسلم وقال البخاري ان ابن الزبير قال لابن جعفر فالله أعلم

ثم يأمر بهم فيرفعون إليه ، فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ، ويأمر أصحابه أن يحملوا بعضهم فربما تفاخر الصبيان بعد ذلك ، فيقول بعضهم لبعض : حملني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ، وحملك أنت وراءه . ويقول بعضهم : أمر أصحابه أن يحملوك وراءهم . وكان (١) يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة ، وليسميه ، فيأخذه فيضعه في حجره ، فربما بال الصبي ، فيصيح به بعض من يراه ، فيقول « لَا تُزْرِمُوا الصَّبِيَّ بَوْلَهُ » فيدعه حتى يقضي بوله ، ثم يفرغ من دعائه له وتسميته . ويبلغ سرور أهله فيه ، لئلا يروا أنه تأذى ببوله . فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعده

ومنها : أن يكون مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه رفيقا . قال صلى الله عليه وسلم (٢) « أَتَدْرُونَ عَلَى مَنْ حُرِّمَتِ النَّارُ ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم . قال « عَلَى اللَّيِّنِ الْهَيِّنِ السَّهْلِ الْقَرِيبِ » وقال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) « إِنَّ اللهَ يُحِبُّ السَّهْلَ الطَّلْقَ الْوَجْهِ » وقال بعضهم يارسول الله ، دلني على عمل يدخلني الجنة . فقال (٤) « إِنَّ مِنْ مُوجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ بَذْلَ السَّلَامِ وَحُسْنَ الْكَلَامِ » وقال عبد الله بن عمر

---

(١) حديث كان يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة ويسميه فيأخذه ويضعه في حجره فربما بال الصبي فيصيح به بعض من رآه ـ الحديث : مسلم من حديث عائشة كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم فأتي بصبي فبال عليه فدعا بماء فأتبعه بوله ولم يغسله وأصله متفق عليه وفي رواية لأحمد فيدعو لهم وفيه صبوا عليه الماء صبا وللدار قطني بال ابن الزبير على النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ به أخذا عنيفا ـ الحديث : وفيه الحجاج ابن ارطأة ضعيف ولأحمد ابن منيع من حديث حسن بن علي عن امرأة منهم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا على ظهره يلاعب صبيا إذ بال فقامت لتأخذه وتضربه فقال دعيه ائتوني بكوز من ماء ـ الحديث : واسناده صحيح

(٢) حديث أتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله أعلم قال الهين اللين السهل القريب : الترمذي من حديث ابن مسعود ولم يقل اللين وذكرها الخرائطي من رواية محمد بن أبي معيقب عن أمه قال الترمذي حسن غريب

(٣) حديث أبي هريرة ان الله يحب السهل الطلق : البيهقي في شعب الايمان بسند ضعيف ورواه من رواية مورق العجلي مرسلا

(٤) حديث ان من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام : ابن أبي شيبة في مصنفه والطبراني والخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ والبيهقي في شعب الايمان من حديث هانئ بن يزيد باسناد جيد

إن البر شيء هين ، وجه طليق وكلام لين . وقال صلى الله عليه وسلم [١] « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ » وقال صلى الله عليه وسلم [٢] « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَغُرَفًا يُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا » فقال أعرابي لمن هي يارسول الله ؟ قال « لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ » وقال معاذ بن جبل قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣] « أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ وَصِدْقِ الْحَدِيثِ وَوَفَاءِ الْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَتَرْكِ الْخِيَانَةِ وَحِفْظِ الْجَارِ وَرَحْمَةِ الْيَتِيمِ وَلِينِ الْكَلَامِ وَبَذْلِ السَّلَامِ وَخَفْضِ الْجَنَاحِ » وقال أنس رضي الله عنه : عرضت لنبي الله صلى الله عليه وسلم [٤] امرأة وقالت لي معك حاجة ، وكان معه ناس من أصحابه . فقال « اجْلِسِي فِي أَيِّ نَوَاحِي السِّكَكِ شِئْتِ أَجْلِسْ إِلَيْكِ » ففعلت فجلس إليها حتى قضت حاجتها . وقال وهب بن منبه إن رجلا من بني إسرائيل صام سبعين سنة ، يفطر في كل سبعة أيام ، فسأل الله تعالى أنه يريه كيف يغوي الشيطان الناس . فلما طال عليه ذلك ولم يجب ، قال : لو اطلعت على خطيئتي وذنبي بيني وبين ربي لكان خيرا لي من هذا الأمر الذي طلبته . فأرسل الله إليه ملكا فقال له : إن الله أرسلني إليك ، وهو يقول لك إن كلامك هذا الذي تكلمت به ، أحب إليّ مما مضى من عبادتك . وقد فتح الله بصرك فانظر . فنظر فإذا جنود إبليس قد أحاطت بالأرض ، وإذا ليس أحد من الناس إلا والشياطين حوله كالذئاب . فقال أي ربِّ من ينجو من هذا ؟ قال الورع اللين

ومنها : أن لا يعد مسلما بوعد إلا ويفي به . قال صلى الله عليه وسلم « الْعِدَةُ عَطِيَّةٌ » [٥]

---

(١) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة ـ الحديث : متفق عليه من حديث عدي بن حاتم وتقدم في الزكاة

(٢) حديث ان في الجنة غرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها ـ الحديث : الترمذي من حديث علي وقال حديث غريب * قلت وهو ضعيف

(٣) حديث معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث : الخرائطي في مكارم الأخلاق والبيهقي في كتاب الزهد وأبو نعيم في الحلية ولم يقل البيهقي وخفض الجناح واسناده ضعيف

(٤) حديث أنس عرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وقالت لي معك حاجة فقال اجلسي في أي نواحي السكك شئت أجلس اليك ـ الحديث : رواه مسلم

(٥) حديث العدة عطية : الطبراني في الاوسط من حديث قباث بن أشيم بسند ضعيف

وقال «الْعِدَةُ دَيْنٌ» (١) وقال (٢) «ثَلَاثٌ فِي الْمُنَافِقِ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ» وقال (٣) «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى» وذكر ذلك

ومنها: أن ينصف الناس من نفسه، ولا يأتى إليهم إلا بما يحب أن يؤتى إليه. قال صلى الله عليه وسلم (٤) «لَا يَسْتَكْمِلُ الْعَبْدُ الْإِيمَانَ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ الْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ، وَالْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِهِ، وَبَذْلُ السَّلَامِ» وقال عليه السلام (٥) «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ وَلْيُؤْتِ إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ» وقال صلى الله عليه وسلم (٦) «يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ أَحْسِنْ مُجَاوَرَةَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُؤْمِناً، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِماً» قال الحسن: أوحى الله تعالى إلى آدم صلى الله عليه وسلم بأربع خصال، وقال فيهن جماع الأمر لك ولولدك. واحدة لى، وواحدة لك، وواحدة بينى وبينك، وواحدة بينك وبين الخلق. فأما التى لى، تعبدنى ولا تشرك بى شيئا. وأما التى لك، فعملك أجزيك به أفقر ما تكون إليه. وأما التى بينى وبينك، فعليك الدعاء وعلىّ الإجابة. وأما التى بينك وبين الناس، فتصحبهم بالذى تحب أن يصحبوك به. وسأل موسى عليه السلام الله تعالى فقال: أى ربِّ. أىّ عبادك أعدل؟ قال من أنصف من نفسه.

---

(١) حديث العدة دين: الطبرانى فى معجميه الأوسط والأصغر من حديث على وابن مسعود بسند فيه جهالة ورواه أبو داود فى المراسيل

(٢) حديث ثلاث فى المنافق إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان: متفق عليه من حديث أبى هريرة نحوه

(٣) حديث ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى: البخارى من حديث أبى هريرة وأصله متفق عليه ولفظ مسلم وان صام وصلى وزعم انه مسلم وهذا ليس فى البخارى

(٤) حديث لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ثلاث خصال الانفاق من الاقتار والانصاف من نفسه وبذل السلام: الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث عمار بن ياسر ووقفه البخارى عليه

(٥) حديث من سره أن يزحزح عن النار فلتأته منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وليأت الى الناس مايحب أن يؤتى اليه: مسلم من حديث عبد الله بن عمر وبن العاص نحوه والخرائطى فى مكارم الأخلاق بلفظه

(٦) حديث ياأبا الدرداء أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا وأحب للناس ماتحب لنفسك تكن مسلما الخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف والمعروف انه قاله لأبى هريرة وقد تقدم

ومنها، أن يزيد فى توقير من تدل هيئته وثيابه على علو منزلته ، فينزل الناس منازلهم روي أن عائشة رضي الله عنها كانت فى سفر ، فنزلت منزلا ، فوضعت طعامها ، فجاء سائل فقالت عائشة . ناولوا هذا المسكين قرصا ، ثم مر رجل على دابة ، فقالت أدعوه إلى الطعام فقيل لها : تعطين المسكين وتدعين هذا الغني ! فقالت : إن الله تعالى أنزل الناس منازل لابد لنا من أن ننزلهم تلك المنازل . هذا المسكين يرضى بقرص ، وقبيح بنا أن نعطي هذا الغني على هذه الهيئة قرصا . وروي أنه صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوته ، فدخل عليه أصحابه حتى غص المجلس وامتلأ فجاء جرير بن عبد الله البجلي ، فلم يجد مكانا ، فقعد على الباب . فلف رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه ، فألقاه إليه ، وقال له «اجْلِسْ عَلَى هَذَا» فأخذه جرير ووضعه على وجهه ، وجعل يقبله ويبكى ، ثم لفه ورمى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : ما كنت لأجلس على ثوبك ، أكرمك الله كما أكرمتني . فنظر النبي صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا ثم قال[1] « إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ » وكذلك كل من له عليه حق قديم فليكرمه . روي أن ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] التى أرضعته جاءت إليه . فبسط لها رداءه ، ثم قال لها « مَرْحَبًا بِأُمِّي » ثم أجلسها على الرداء ثم قال لها « إِشْفَعِي تُشَفَّعِي وسَلِي تُعْطَى » فقالت قومى . فقال « أَمَّا حَقِّي وَحَقُّ بَنِي هَاشِمٍ فَهُوَ لَكِ » فقام الناس من كل ناحية وقالوا : وحقنا يا رسول الله ثم وصلها بعد ، وأخدمها ووهب لها سهمانه بحنين ، فبيع ذلك من عثمان بن عفان رضي الله عنه بمائة ألف درهم[3] ولربما آتاه من يأتيه وهو على وسادة جالس ، ولا يكون فيها سعة يجلس معه ، فينزعها ويضعها تحت الذى يجلس إليه . فإن أبى عزم عليه حتى يفعل

---

(١) حديث إذا اتاكم كريم قوم فأكرموه وفى أوله قصة فى قدوم جرير بن عبد الله : الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وتقدم فى الزكاة مختصرا

(٢) حديث ان ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أرضعته جاءت اليه فبسط لها رداءه ـ الحديث : ابو داود والحاكم وصححه من حديث أبى الطفيل مختصرا فى بسط ردائه لها دون ما بعده

(٣) حديث نزعه صلى الله عليه وسلم وسادته ووضعها تحت الذى يجلس اليه : احمد من حديث ابن عمرو أنه دخل عليه صلى الله عليه وسلم فألقى اليه وسادة من أدم حشوها ليف ـ الحديث : واسناده صحيح وللطبرانى من حديث سلمان دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكىء على وسادة فألقاها الي ـ الحديث وسنده ضعيف قال صاحب الميزان هذا خبر ساقط

ومنها: أن يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد إليه سبيلا . قال صلى الله عليه وسلم (١) « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ ؟ » قالوا بلى قال « إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ » وعن النبي صلى الله عليه وسلم ، فيما رواه أنس رضي الله عنه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه . فقال عمر رضي الله عنه ، يارسول الله ، بأبي أنت وأمي ما الذى أضحكك ؟ قال « رَجُلَانِ مِنْ أُمَّتِي جَثَيَا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْعِزَّةِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا يَارَبِّ خُذْ لِي مَظْلَمَتِي مِنْ هَذَا فَقَالَ اللهُ تَعَالَى رُدَّ عَلَى أَخِيكَ مَظْلَمَتَهُ فَقَالَ يَارَبِّ لَمْ يَبْقَ لِي مِنْ حَسَنَاتِي شَيْءٌ فَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِلطَّالِبِ كَيْفَ تَصْنَعُ بِأَخِيكَ وَلَمْ يَبْقَ لَهُ مِنْ حَسَنَاتِهِ شَيْءٌ ؟ فَقَالَ يَارَبِّ فَلْيَحْمِلْ عَنِّي مِنْ أَوْزَارِي » ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء فقال « إِنَّ ذَلِكَ لَيَوْمٌ عَظِيمٌ يَوْمٌ يَحْتَاجُ النَّاسُ فِيهِ إِلَى أَنْ يُحْمَلَ عَنْهُمْ مِنْ أَوْزَارِهِمْ قَالَ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى أَيْ لِلْمُتَظَلِّمِ ارْفَعْ بَصَرَكَ فَانْظُرْ فِي الْجِنَانِ فَقَالَ يَارَبِّ أَرَى مَدَائِنَ مِنْ فِضَّةٍ وَقُصُورًا مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةً بِاللُّؤْلُؤِ لِأَيِّ نَبِيٍّ هَذَا أَوْ لِأَيِّ صِدِّيقٍ أَوْ لِأَيِّ شَهِيدٍ ؟ قَالَ اللهُ تَعَالَى هَذَا لِمَنْ أَعْطَى الثَّمَنَ قَالَ يَارَبِّ وَمَنْ يَمْلِكُ ذَلِكَ ؟ قَالَ أَنْتَ تَمْلِكُهُ قَالَ بِمَاذَا يَارَبِّ ؟ قَالَ بِعَفْوِكَ عَنْ أَخِيكَ قَالَ يَارَبِّ قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى خُذْ بِيَدِ أَخِيكَ فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ » ثم قال صلى الله عليه وسلم « اتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُصْلِحُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »

---

(١) حديث ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال إصلاح ذات البين وفساد ذات البين الحالقة: أبو داود والترمذى وصححه من حديث أبى الدرداء

(٢) حديث أفضل الصدقة إصلاح ذات البين: الطبرانى فى الكبير والخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو وفيه عبد الرحمن بن زياد الافريقى ضعفه الجمهور

(٣) حديث أنس بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر يارسول الله بأبى وأمى ماالذى أضحكك قال رجلان من أمتى جثيا بين يدى الله عز وجل فقال أحدهما يارب خذلى مظلمتى من هذا الحديث: الخرائطى فى مكارم الأخلاق والحاكم وقال صحيح الأسناد وكذا أبو يعلى الموصلى خرجه بطول وضعفه البخاري وابن حبان

وقد قال صلى الله عليه وسلم[1] « لَيْسَ بِكَذَّابٍ مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَقَالَ خَيْراً » وهذا يدل على وجوب الإصلاح بين الناس ، لأن ترك الكذب واجب ، ولا يسقط الواجب إلا بواجب آكد منه . قال صلى الله عليه وسلم[2] « كُلُّ الْكَذِبِ مَكْتُوبٌ إِلَّا أَنْ يَكْذِبَ الرَّجُلُ فِي الْحَرْبِ فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ أَوْ يَكْذِبَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا أَوْ يَكْذِبَ لِامْرَأَتِهِ لِيُرْضِيَهَا »

ومنها : أن تستر عورات المسلمين كلهم . قال صلى الله عليه وسلم[3] « مَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ سَتَرَهُ اللهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ » وقال[4] « لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْداً إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقال أبو السعيد الخدري رضي الله عنه ، قال صلى الله عليه وسلم[5] « لَا يَرَى الْمُؤْمِنُ مِنْ أَخِيهِ عَوْرَةً فَيَسْتُرُهَا عَلَيْهِ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ » وقال صلى الله عليه وسلم[6] لما عز لما أخبره « لَوْ سَتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ كَانَ خَيْراً لَكَ » فإذاً على المسلم أن يستر عورة نفسه فحق اسلامه واجب عليه كحق اسلام غيره . قال أبو بكر رضي الله عنه : لو وجدت شاربا لأحببت أن يستره الله ، ولو وجدت سارقا لأحببت أن يستره الله . وروي أن عمر رضي الله عنه كان يعس بالمدينة ذات ليلة . فرأى رجلا وامرأة على فاحشة . فلما أصبح قال للناس : رأيتم لو أن إماما رأى رجلا وامرأة على فاحشة فأقام عليهما الحد ، ما كنتم فاعلين ؟ قالوا إنما أنت إمام . فقال عليّ رضي الله عنه : ليس ذلك لك إذاً يقام عليك الحد .

---

(١) حديث ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نمى خيرا : متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط

(٢) حديث كل الكذب مكتوب الا أن يكذب الرجل فى الحرب ـ الحديث : الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث النواس بن سمعان وفيه انقطاع وضعف ولمسلم نحوه من حديث أم كلثوم بنت عقبة

(٣) حديث من ستر على مسلم ستره الله فى الدنيا والآخرة : مسلم من حديث أبي هريرة وللشيخين من حديث ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة.

(٤) حديث لا يستر عبد عبدا الا ستره الله يوم القيامة : مسلم من حديث أبي هريرة أيضا

(٥) حديث أبي سعيد الخدرى لا يرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة : الطبرانى فى الاوسط والصغير والخرائطى فى مكارم الاخلاق واللفظ له بسند ضعيف

(٦) حديث لو سترته بثوبك كان خيرا لك : أبوداود والنسائى من حديث نعيم بن هزال والحاكم من حديث هزال نفسه وقال صحيح الاسناد ونعيم مختلف فى صحبته

إن الله لم يأمن على هـــــذا الأمر أقل من أربعة شهود . ثم تركهم ماشاء الله أن يتركهم ثم سألهم ،فقال القوم مثل مقالتهم الأولى،فقال علي رضي الله عنه مثل مقالته الأولى .وهذا يشير إلى أن عمر رضي الله عنه ، كان مترددا فى أن الوالى هل له أن يقضي بعلمه فى حدود الله ، فلذلك راجعهم فى معرض التقدير لا فى معرض الإخبار ، خيفة من أن لا يكون له ذلك ، فيكون قاذفا بإخباره . ومال رأي عليّ إلى أنه ليس له ذلك

وهذا من أعظم الأدلة على طلب الشرع لستر الفواحش ، فإن أفحشها الزنا ، وقد نيط بأربعة من العدول،يشاهدون ذلك منه فى ذلك منها كالمرود فى المكحلة،وهذا قط لا يتفق وإن عَلِمَه القاضى تحقيقا لم يكن له أن يكشف عنه.فانظر إلى الحكمة فى حسم باب الفاحشة بإيجاب الرجم الذى هو أعظم العقوبات ،ثم انظر إلى كثيف ستر الله كيف أسبله على العصاة من خلقه ، بتضييق الطريق فى كشفه . فترجوا أن لا تحرم هذا الكرم يوم تبلى السرائر ففى الحديث[1] «إِنَّ اللهَ إِذَا سَتَرَ عَلَى عَبْدٍ عَوْرَتَهُ فِى الدُّنْيَا فَهُوَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَكْشِفَهَا فِي الآخِرَةِ وَإِنْ كَشَفَهَا فِي الدُّنْيَا فَهُوَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَكْشِفَهَا مَرَّةً أُخْرَى» وعن عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه قال : خرجت مع عمر رضي الله عنه ليلة فى المدينة ، فبينما نحن نمشى إذ ظهر لنا سراج . فانطلقنا نؤمه . فلما دنونا منـه ، إذا باب مغلق على قوم لهم أصوات ولغط . فأخذ عمر بيدى ، وقال أتدرى بيت من هذا ؟ قلت لا فقال . هذا بيت ربيعة ابن أمية بن خلف ، وهم الآن شرب فما ترى؟ قلت أرى أنا قد أتينا مانهانا الله عنه،قال الله تعالى (وَلَا تَجَسَّسُوا[1]) فرجع عمر رضي الله عنه وتركهم.وهذا يدل على وجوب الستر وترك التتبع وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاوية[2] «إِنَّكَ إِنْ تَتَبَّعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كِدْتَ تُفْسِدُهُمْ»

(١) حديث ان الله اذا ستر على عبده عورة فى الدنيا فهو أكرم من أن يكشفه فى الآخرة: الحديث الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث على من أذنب ذنبا فى الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من أن يرجع فى شىء قد عفا عنه ومن أذنب ذنبا فى الدنيا فعوقب عليه فالله أعدل من أن يثنى العقوبة على عبده لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ولمسلم من حديث أبى هريرة لاستر الله على عبد فى الدنيا الا ستره يوم القيامة

(٢) حديث انك ان اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم : قاله لمعاوية أبو داود باسناد صحيح من حديث معاوية

(١) الحجرات : ١٢

وقال صلى الله عليه وسلم[١] «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ لاَ تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ كَانَ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ»

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لو رأيت أحدا على حد من حدود الله تعالى ما آخذته ولا دعوت له أحدا حتى يكون مع غيرى. وقال بعضهم: كنت قاعدا مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، إذ جاءه رجل بآخر، فقال: هذا نشوان. فقال عبد الله بن مسعود: استنكهوه فاستنكهوه فوجده نشوانا، فحبسه حتى ذهب سكره، ثم دعا بسوط فكسر ثمره، ثم قال للجلاد اجلد وارفع يدك، وأعط كل عضو حقه. فجلده وعليه قباء أو مرط. فلما فرغ قال للذى جاء به، ما أنت منه؟ قال عمه. قال عبد الله، ما أدبت فأحسنت الأدب، ولا سترت الحرمة إنه ينبغي للإمام إذا انتهى إليه حد أن يقيمه، وإن الله عفو يحب العفو. ثم قرأ[١] (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا) ثم قال. إنى لأذكر أول رجل قطعه النبي صلى الله عليه وسلم[٢] أتى بسارق فقطعه، فكأنما أسف وجهه، فقالوا يارسول الله كأنك كرهت قطعه! فقال «وَمَا يَمْنَعُنِي؟ لاَ تَكُونُوا عَوْنًا لِلشَّيَاطِينِ عَلَى أَخِيكُمْ» فقالوا ألا عفوت عنه؟ فقال «إِنَّهُ يَنْبَغِي لِلسُّلْطَانِ إِذَا انْتَهَى إِلَيْهِ حَدٌّ أَنْ يُقِيمَهُ إِنَّ اللهَ عَفُوٌّ يُحِبُّ الْعَفْوَ» وقرأ[٢] (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) وفى رواية، فكأنما سفى في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم رماد لشدة تغيره

وروي أن عمر رضي الله عنه كان يعس بالمدينة من الليل، فسمع صوت رجل فى بيت يتغنى. فتسور عليه، فوجد عنده امرأة وعنده خمر. فقال ياعدو الله، أظننت أن الله يسترك وأنت على معصيته؟ فقال وأنت ياأمير المؤمنين فلا تعجل، فإن كنت قد عصيت الله واحدة

---

(١) حديث يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لاتغتابوا المسلمين ولاتتبعوا عوراتهم ـ الحديث: أبو داود من حديث أبى برزة باسناد جيد وللترمذى نحوه من حديث ابن عمر وحسنه

(٢) حديث ابن مسعود انى لأذكر أول رجل قطعه النبي صلى الله عليه وسلم أتى بسارق فقطعه فكأنما أسف وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الحديث: رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد وللخرائطى فى مكارم الأخلاق فكأنما سفى فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم رماد الحديث

(١، ٢) النور: ٢٢

فقد عصيت الله فيّ ثلاثا . قال الله تعالى (وَلَا تَجَسَّسُوا [١]) وقد تجسست . وقال الله تعالى (وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا [٢]) وقد تسورت عليّ ؛ وقد قال الله تعالى (لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ [٣]) الآية وقد دخلت بيتي بغير إذن ولا سلام . فقال عمر رضي الله عنه . هل عندك من خير إن عفوت عنك ؟ قال نعم والله ياأمير المؤمنين لئن عفوت عني لاأعود إلى مثلها أبدا . فعفا عنه وخرج وتركه . وقال رجل لعبد الله بن عمر ياأبا عبد الرحمن ، كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى يوم القيامة قال سمعته يقول [١] « إِنَّ اللهَ لَيُدْنِي مِنْهُ الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ فَيَقُولُ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ يَارَبِّ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ فَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ قَالَ لَهُ يَاعَبْدِي إِنِّي لَمْ أَسْتُرْهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَغْفِرَهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُونَ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ » وقد قال صلى الله عليه وسلم [٢] « كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ السُّوءَ سِرًّا ثُمَّ يُخْبِرُ بِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « مَنِ اسْتَمَعَ خَبَرَ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ صُبَّ فِي أُذُنِهِ الْآنُكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »

ومنها: أن يتقي مواضع التهم ، صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ، ولألسنتهم عن الغيبة . فإنهم إذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه ، كان شريكا . قال الله تعالى (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ [٤]) وقال صلى الله عليه وسلم [٤] « كَيْفَ تَرَوْنَ مَنْ يَسُبُّ أَبَوَيْهِ ؟ فقالوا وهل من أحد يسب أبويه ؟ فقال

---

(١) حديث ابن عمر إن الله عز وجل ليدنى المؤمن فيضع عليه كنفه وستره من الناس فيقول أتعرف ذنب كذا ـ الحديث : متفق عليه

(٢) حديث كل أمتى معافى إلا المجاهرين ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٣) حديث من استمع من قوم هم له كارهون صب فى أذنيه الآنك يوم القيامة: البخارى من حديث ابن عباس مرفوعا وموقوفا عليه وعلى أبى هريرة أيضا

(٤) حديث كيف ترون من سب أبويه فقالوا وهل من أحد يسب أبويه ـ الحديث : متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر ونحوه

---

(١) الحجرات : ١٢ (٢) البقرة : ١٨٩ (٣) النور : ٢٧ (٤) الانعام : ١٠٨

نعم يسب أبوي غيره فيسبون أبويه » وقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ، كلم إحدى نسائه . فمر به رجل فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « يا فلان هذه زوجتي صفية » فقال يارسول الله ، من كنت أظن فيه فإني لم أكن أظن فيك ، فقال « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » وزاد في رواية (٢) إني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا » وكانا رجلين ، فقال « على رسلكما إنها صفية » الحديث ، وكانت قد زارته في العشر الأواخر من رمضان . وقال عمر رضي الله عنه من أقام نفسه مقام التهم فلا يلومن من أساء به الظن . ومر برجل يكلم امرأة على ظهر الطريق ، فعلاه بالدرة ، فقال يا أمير المؤمنين إنها امرأتي . فقال هلا حيث لا يراك أحد من الناس

ومنها : أن يشفع لكل من له حاجة من المسلمين ، إلى من له عنده منزلة ، ويسعى في قضاء حاجته بما يقدر عليه . قال صلى الله عليه وسلم « (٣) إني أوتى وأسأل وتطلب إلي الحاجة وأنتم عندي فاشفعوا لتؤجروا ويقضي الله على يدي نبيه ما أحب » ، وقال معاوية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) « اشفعوا إلي تؤجروا إني أريد الأمر وأؤخره كي تشفعوا إلي فتؤجروا » وقال صلى الله عليه وسلم (٥) « ما من صدقة أفضل من صدقة اللسان » . قيل وكيف ذلك ؟ « قال الشفاعة يحقن بها الدم ويجر بها المنفعة إلى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر » وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما (٦) أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كأني أنظر إليه خلفها وهو يبكي ودموعه تسيل على لحيته . فقال صلى الله عليه وسلم للعباس

---

(١) حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم إحدى نسائه فمر به رجل فدعاه فقال يافلان هذه زوجتي فلانة الحديث وفيه إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم : رواه مسلم

(٢) حديث إني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرا وقال على رسلكما انها صفية : متفق عليه من حديث صفية

(٣) حديث اني أوتى وأسأل وتطلب الى الحاجة وأنتم عندي فاشفعوا لتؤجروا ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبي موسى نحوه

(٤) هذا الحديث ساقط عند العراقي وهو من رواية أبي داود والنسائي وابن عساكر من طريق همام ابن منبه عن معاوية كما في الشارح اهـ مصححه

(٥) حديث ما من صدقة أفضل من صدقة اللسان الحديث الخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له والطبراني في الكبير من حديث سمرة بن جندب بسند ضعيف

(٦) حديث عكرمة عن ابن عباس ان زوج بريره كان عبدا يقال له مغيث كأني أنظر اليه خلفها يبكي الحديث : رواه البخاري

ألا تعجب من شدة حب مغيث لبريرة وشدة بغضها له؟فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لَوْ رَاجَعْتِيهِ فَإِنَّهُ أَبُو وَلَدِكِ ». فقالت يارسول الله أتأمرني فأفعل ؟ فقال «لاَ إِنَّمَا أَنَا شَافِعٌ

ومنها: أن يبدأ كل مسلم منهم بالسلام قبل الكلام ، ويصافحه عند السلام. قال صلى الله عليه وسلم [1] « مَنْ بَدَأَ بِالْكَلاَمِ قَبْلَ السَّلاَمِ فَلاَ تُجِيبُوهُ حَتَّى يَبْدَأَ بِالسَّلاَمِ » وقال بعضهم دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] ولم أسلم ، ولم أستأذن ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم «ارْجِعْ فَقُلِ السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَادْخُلْ » وروى جابر رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [3] «إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتَكُمْ فَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَلَّمَ أَحَدُكُمْ لَمْ يَدْخُلْ بَيْتَهُ » وقال أنس رضي الله عنه ، خدمت النبي صلى الله عليه وسلم [4] ثمان حجج ، فقال لي « يَا أَنَسُ أَسْبِغِ الْوُضُوءَ يُزَدْ فِي عُمْرِكَ وَسَلِّمْ عَلَى مَنْ لَقِيتَهُ مِنْ أُمَّتِي تَكْثُرْ حَسَنَاتُكَ، وَإِذَا دَخَلْتَ مَنْزِلَكَ فَسَلِّمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ يَكْثُرْ خَيْرُ بَيْتِكَ » وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِذَا الْتَقَى الْمُؤْمِنَانِ فَتَصَافَحَا قُسِمَتْ بَيْنَهُمَا سَبْعُونَ مَغْفِرَةً تِسْعٌ وَسِتُّونَ لِأَحْسَنِهِمَا بِشْرًا » وقال الله تعالى (وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا [1]) وقال عليه السلام [5] « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا

---

(١) حديث من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه الحديث : الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في اليوم والليلة واللفظ له من حديث ابن عمر بسند فيه لين

(٢) حديث دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم أستأذن فقال صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم أأدخل: أبو داود والترمذي وحسنه من حديث كلدة بن الحنبل وهو صاحب القصة

(٣) حديث جابر اذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فان الشيطان اذا سلم أحدكم لم يدخل بيته : الخرائطي في مكارم الاخلاق وفيه ضعف

(٤) حديث أنس خدمت النبي صلى الله عليه وسلم ثماني حجج فقال لي ياأنس أسبغ الوضوء يزدفي عمرك وسلم على من لقيته من أمتي تكثر حسناتك واذا دخلت بيتك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك : الخرائطي في مكارم الاخلاق واللفظ له والبيهقي في الشعب وإسناده ضعيف وللترمذي وصححه اذا دخلت على أهلك فسلم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك

(٥) حديث والذي نفسي بيده لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ـ الحديث : مسلم من حديث أبي هريرة

---

(١) النساء : ٨٦

وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ قالوا بلى يارسول الله . قال « أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ » وقال أيضا (١) « إِذَا سَلَّمَ الْمُسْلِمُ عَلَى الْمُسْلِمِ فَرَدَّ عَلَيْهِ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ سَبْعِينَ مَرَّةً » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَعْجَبُ مِنَ الْمُسْلِمِ يَمُرُّ عَلَى الْمُسْلِمِ وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِ » وقال عليه السلام (٣) « يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي وَإِذَا سَلَّمَ مِنَ الْقَوْمِ وَاحِدٌ أَجْزَأَ عَنْهُمْ » وقال قتادة : كانت تحية من كان قبلكم السجود فأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام ، وهي تحية أهل الجنة . وكان أبو مسلم الخولاني يمر على قوم فلا يسلم عليهم ، ويقول ما يمنعني إلا أني أخشى أن لا يردوا فتلعنهم الملائكة

والمصافحة أيضا سنة مع السلام . وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) فقال السلام عليكم فقال عليه السلام « عَشْرُ حَسَنَاتٍ » فجاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله فقال « عِشْرُونَ حَسَنَةً » فجاء آخر فقال . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فقال « ثَلَاثُونَ » وكان أنس رضي الله عنه (٥) يمر على الصبيان فيسلم عليهم ، ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فعل ذلك

وروى عبد الحميد بن بهرام أنه صلى الله عليه وسلم (٦) مر في المسجد يوما ، وعصبة من الناس

---

(١) حديث اذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة : ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي هريرة ولم يسنده ولده في المسند

(٢) حديث الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم فلا يسلم عليه : لم أقف له على أصل

(٣) حديث يسلم الراكب على الماشي واذا سلم من القوم أحد أجزأ عنهم ومالك في الموطأ عن زيد ابن أسلم مرسلا ولأبي داود من حديث علي يجزى عن الجماعة اذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزى عن الجلوس أن يرد أحدهم وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة يسلم الراكب على الماشي الحديث وسيأتي في بقية الباب

(٤) حديث جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال سلام عليك فقال صلى الله عليه وسلم عشر حسنات الحديث : أبو داود والترمذي من حديث عمران بن حصين قال الترمذي حسن غريب وقال البيهقي في الشعب إسناده حسن

(٥) حديث أنس كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم ورفعه متفق عليه

(٦) حديث عبد الحميد بن بهرام أنه صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من النساء قعود فألوى بيده بالتسليم وأشار عبد الحميد بيده الترمذي من رواية عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وقال حسن وابن ماجه من رواية ابن أبي حسين عن شهر ورواه أبو داود وقال أحمد لا بأس به

قعود فأومأ بيـــده بالسلام ، وأشار عبد الحميد بيده إلى الحكاية . فقال عليه السلام [١] « لَا تَبْدَؤُا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ وَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي الطَّرِيقِ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ » وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَا تُصَافِحُوا أَهْلَ الذِّمَّةِ وَلَا تَبْدَؤُهُمْ بِالسَّلَامِ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فِي الطَّرِيقِ فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِ الطُّرُقِ » قالت عائشة رضي الله عنها [٢] إن رهطا من اليهود دخلوا عَلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا السام عليك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « عَلَيْكُمْ » قالت عائشة رضي الله عنها ، فقلت بل عليكم السام واللعنة . فقال عليه السلام « يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي كُلِّ شَيْءٍ » قالت عائشة أَلَم تسمع ماقالوا ؟ فقال « فَقَدْ قُلْتُ عَلَيْكُمْ » وقال عليه السلام [٣] « يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ وَالصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ » وقال عليه السلام [٤] « لَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَإِنَّ تَسْلِيمَ الْيَهُودِ بِالْإِشَارَةِ بِالْأَصَابِعِ وَتَسْلِيمَ النَّصَارَى بِالْإِشَارَةِ بِالْأَكُفِّ » قال أبو عيسى إسناده ضعيف . وقال عليه السلام [٥] « إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى مَجْلِسٍ فَلْيُسَلِّمْ فَإِنْ بَدَا لَهُ أَنْ يَجْلِسَ فَلْيَجْلِسْ ثُمَّ إِذَا قَامَ فَلْيُسَلِّمْ فَلَيْسَتِ الْأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الْأَخِيرَةِ » وقال أنس رضي الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٦] « إِذَا الْتَقَى الْمُؤْمِنَانِ فَتَصَافَحَا قُسِمَتْ بَيْنَهُمَا سَبْعُونَ مَغْفِرَةً تِسْعَةٌ وَسِتُّونَ

---

(١) حديث لاتبدؤا اليهود والنصارى بالسلام ـ الحديث مسلم من حديث أبي هريرة

(٢) حديث عائشة أن رهطا من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك الحديث متفق عليه

(٣) حديث يسلم الراكب على الماشي والماشي علي القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير : متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يقل مسلم والصغير على الكبير

(٤) حديث لاتشبهوا باليهود والنصارى فان تسليم اليهود الاشارة بالاصابع وتسليم النصارى الاشارة بالاكف الترمذى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال إسناده ضعيف

(٥) اذا انتهي أحدكم إلى مجلس فليسلم فان بدا له أن يجلس فليجلس ثم إذا قام فليسلم فليست الأولي بأحق من الأخيرة أبو داود والترمذى وحسنه من حديث أبي هريرة

(٦) حديث أنس إذا التقي المسلمان فتصافحا قسمت بينهما سبعون رحمة ـ الحديث : الخرائطى بسند ضعيف وللطبرانى فى الاوسط من حديث أبي هريرة مائة رحمة تسعة وتسعون لأبشهما وأطلقهما وأبرهما وأحسنهما مسالمة لاخيه وفيه الحسن بن كثير بن يحى بن أبي كثير مجهول

لِأَحْسَنِهِمَا بِشْراً » وقال عمر رضي الله عنه ، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم [١] « إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ وَسَلَّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ وَتَصَافَحَا نَزَلَتْ بَيْنَهُمَا مِائَةُ رَحْمَةٍ لِلْبَادِئِ تِسْعُونَ وَلِلْمُصَافِحِ عَشْرَةٌ » وقال الحسن ، المصافحة تزيد في الود : وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] « تَمَامُ تَحِيَّاتِكُمْ بَيْنَكُمُ الْمُصَافَحَةُ »

وقال عليه السلام [٣] « قُبْلَةُ الْمُسْلِمِ أَخَاهُ الْمُصَافَحَةُ » ولا بأس بقبلة يد المعظم في الدين تبركا به ، وتوقيرا له ، وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال . قبلنا يد النبي صلى الله عليه وسلم [٤] وعن كعب بن مالك قال ، لما نزلت توبتي ، أتيت النبي صلى الله عليه وسلم [٥] فقبلت يده ، وروى ان أعرابيا قال يارسول الله [٦] ائذن لي فأقبل رأسك ويدك . قال فأذن له ففعل . ولقي ابو عبيدة عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنهما ، فصافحه وقبل يده ، وتنحيا يبكيان . وعن البراء بن عازب رضي الله عنه ، أنه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم [٧] وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه ، فرد عليه ، ومد يده إليه فصافحه . فقال يارسول الله ما كنت أرى هذا إلا من أخلاق الأعاجم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ الْمُسْلِمَيْنِ

---

(١) حديث عمر بن الخطاب اذا التقى المسلمان فسلم كل واحد على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة الحديث البزار في مسنده والخرائطي في مكارم الاخلاق واللفظ له والبيهقي في الشعب وفي أسناده نظر

(٢) حديث أبي هريرة تمام تحياتكم بينكم المصافحة : الخرائطي في مكارم الاخلاق وهو عند الترمذي من حديث أبي أمامة وضعفه

(٣) حديث قبلة المسلم أخاه المصافحة الخرائطي وابن عدي من حديث أنس وقال غير محفوظ

(٤) حديث عمر قبلنا يد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو داود بسند حسن

(٥) حديث كعب بن مالك لما نزلت توبتي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقبلت يده : أبو بكر بن المقرى في كتاب الرخصة في تقبيل اليد بسند ضعيف

(٦) حديث ان اعرابيا قال يارسول الله ائذن لي فأقبل رأسك ويدك فأذن له ففعل : الحاكم من حديث بريدة الا أنه قال رجليك موضع يدك وقال صحيح الاسناد

(٧) حديث البراء بن عازب أنه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه ومد ميه يده فصافحه الحديث : رواه الخرائطي بسند ضعيف وهو عند أبي داود والترمذي وابن ماجه مختصرا مامن مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل أن يتفرقا قال الترمذي حسن غريب من حديث أبي اسحق عن البراء

إِذَا الْتَقَيَا فَتَصَافَحَا تَحَاتَّتْ ذُنُوبُهُمَا » وعن النبي صلى الله عليه وسلم [١] قال « إِذَا مَرَّ الرَّجُلُ بِالْقَوْمِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ فَرَدُّوا عَلَيْهِ كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ فَضْلُ دَرَجَةٍ لِأَنَّهُ ذَكَّرَهُمُ السَّلَامَ وَإِنْ لَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ خَيْرٌ مِنْهُمْ وَأَطْيَبُ » أو قال « وَأَفْضَلُ »

والانحناء عند السلام منهي عنه . قال أنس رضي الله عنه ، قلنا يارسول الله [٢] أينحني بعضنا لبعض ؟ قال لا . قال فيقبل بعضنا بعضا؟ قال لا . قال فيصافح بعضنا بعضا ؟ قال نعم [٣]

والالتزام والتقبيل قد ورد به الخبر عند القدوم من السفر . وقال أبو ذر رضي الله عنه مالقيته صلى الله عليه وسلم [٤] إلا صافحني . وطلبني يوما فلم أكن في البيت ، فلما أخبرت جئت وهو على سرير ، فالتزمني . فكانت أجود وأجود

والأخذ بالركاب في توقير العلماء ورد به الأثر . فعل ابن عباس ذلك [٥] بركاب زيد بن ثابت وأخذ عمر بغرز زيد حتى رفعه ، وقال هكذا فافعلوا بزيد وأصحاب زيد .

والقيام مكروه على سبيل الإعظام لا على سبيل الإكرام . قال أنس : ما كان شخص أحب إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم [٦] ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا ، لما يعلمون من كراهيته لذلك . وروى أنه عليه السلام قال مرة [٧] « إِذَا رَأَيْتُمُونِي فَلَا تَقُومُوا كَمَا تَصْنَعُ الْأَعَاجِمُ »

---

(١) حديث اذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم السلام وان لم يردوا عليه رد عليه ملأ خير منهم وأطيب : الخرائطي والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود مرفوعا وضعف البيهقي المرفوع ورواه موقوفا عليه بسند صحيح

(٢) حديث أنس قلنا يارسول الله أينحني بعضنا لبعض قال لا ـ الحديث الترمذي وحسنه وابن ماجه وضعفه أحمد والبيهقي

(٣) حديث الالتزام والتقبيل عند القدوم من السفر : الترمذي من حديث عائشة قالت قدم زيد بن حارثة الحديث وفيه فاعتنقه وقبله وقال حسن غريب

(٤) حديث أبي ذر مالقيته صلى الله عليه وسلم الا صافحني ـ الحديث أبو داود وفيه رجل من عزة لم يسم وسماه البيهقي في الشعب عبد الله

(٥) حديث أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت تقدم في العلم

(٦) حديث أنس ما كان شخص أحب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك الترمذي وقال حسن صحيح

(٧) حديث اذا رأيتموني فلا تقوموا كما يصنع الأعاجم : أبو داود وابن ماجه من حديث أبي أمامة وقال كما يقوم الاعاجم وفيه أبو العديس مجهول

وقال عليه السلام [١] « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمْثُلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَاماً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ »
وقال عليه السلام [٢] « لَا يُقِيمِ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسْ فِيهِ وَلَكِنْ تَوَسَّعُوا وَتَفَسَّحُوا » وكانوا يحترزون عن ذلك لهذا النهي وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « إِذَا أَخَذَ الْقَوْمُ مَجَالِسَهُمْ فَإِنْ دَعَا أَحَدٌ أَخَاهُ فَأَوْسَعَ لَهُ فَلْيَأْتِهِ فَإِنَّمَا هِيَ كَرَامَةٌ أَكْرَمَهُ بِهَا أَخُوهُ فَإِنْ لَمْ يُوسِّعْ لَهُ فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَوْسَعِ مَكَانٍ يَجِدُهُ فَيَجْلِسْ فِيهِ »

وروي أنه سلم رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤] وهو يبول ، فلم يجب فيكره السلام عَلَى من يقضى حاجته

ويكره أن يقول ابتداء عليك السلام ، فإنه قاله رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام [٥] « إِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَوْتَى » قالها ثلاثا ، ثم قال « إِذَا لَقِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَقُلِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ »

ويستحب للداخل إذا سلم ولم يجد مجلسا أن لا ينصرف ، بل يقعد وراء الصف . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [٦] جالسا فى المسجد ، إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان إلى

---

(١) حديث من سره أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار : أبو داود والترمذى من حديث معاوية وقال حسن

(٢) حديث لا يقم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا : متفق عليه من حديث ابن عمر

(٣) حديث إذا أخذ القوم مجالسهم فان دعا رجل أخاه فأوسع يعنى له فليجلس فانه كرامة من الله عز وجل الحديث البغوى فى معجم الصحابة من حديث ابن شيبة ورجاله ثقات وابن شيبة هذا ذكره أبو موسى المدينى فى ذيله فى الصحابة وقد رواه الطبرانى فى الكبير من رواية مصعب ابن شيبة عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم أخصر منه وشيبة بن جبير والد منصور ليست له صحبة

(٤) حديث أن رجلا سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبول فلم يجب : مسلم من حديث ابن عمر بلفظ فلم يرد عليه

(٥) حديث قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليك السلام فقال إن عليك السلام تحية الميت الحديث : أبو داود والترمذى والنسائى فى اليوم والليلة من حديث ابن جرى الهجيمى وهو صاحب القصة قال الترمذى حسن صحيح

(٦) حديث كان صلى الله عليه وسلم جالسا فى المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فوجد فرجة فجلس فيها الحديث متفق عليه من حديث أبى واقد الليثى

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما أحدهما فوجد فرجة فجلس فيها . وأما الثاني فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهبا . فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللهِ فَآوَاهُ اللهُ وَأَمَّا الثَّانِي فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ » وقال صلى الله عليه وسلم (١) « مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَتَفَرَّقَا » (٢) وسلمت أم هانىء على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال « مَنْ هَذِهِ » ؟ فقيل له أم هانىء فقال عليه السلام « مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ » ومنها : أن يصون عرض أخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر ، ويرد عنه ويناضل دونه ، وينصره . فإن ذلك يجب عليه بمقتضى أخوة الإسلام . روى أبو الدرداء أن رجلا نال من رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرد عنه رجل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم (٣) « مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ كَانَ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ » وقال صلى الله عليه وسلم (٤) « مَا مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَرُدُّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَرُدَّ عَنْهُ نَارَ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وعن أنس رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم (٥) قال « مَنْ ذُكِرَ عِنْدَهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ وَهُوَ يَسْتَطِيعُ نَصْرَهُ فَلَمْ يَنْصُرْهُ أَدْرَكَهُ اللهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ ذُكِرَ عِنْدَهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ فَنَصَرَهُ نَصَرَهُ اللهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » وقال عليه السلام (٦) مَنْ حَمَى عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي الدُّنْيَا بَعَثَ اللهُ تَعَالَى لَهُ مَلَكًا يَحْمِيهِ

---

(١) حديث ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا : أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث البراء بن عازب

(٢) حديث سلمت أم هانىء عليه فقال مرحبا بأم هانىء : مسلم من حديث أم هانىء

(٣) حديث أبي الدرداء من رد عن عرض أخيه كان له حجابا من النار : الترمذي وحسنه

(٤) حديث ما من امرىء مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة أحمد من حديث أسماء بنت يزيد بنحوه والخرائطي في مكارم الأخلاق وهو عند الطبراني بهذا اللفظ من حديث أبي الدرداء وفيهما شهر بن حوشب

(٥) حديث أنس من ذكر عنده أخوه المسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره ولو بكلمة أذله الله عز وجل بها في الدنيا والآخرة ـ الحديث : ابن أبي الدنيا في الصمت مقتصرا على ما ذكر منه وإسناده ضعيف

(٦) حديث من حمى عرض أخيه المسلم في الدنيا بعث الله له ملكا يحميه يوم القيامة من النار : أبو داود من حديث معاذ بن أنس نحوه بسند ضعيف

يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ النَّارِ[١] » وقال جابر وأبو طلحة، سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم[١٠] يقول « مَا مِنِ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ يَنْصُرُ مُسْلِماً فِى مَوْضِعٍ يُنْتَهَكُ فِيهِ عِرْضُهُ وَيُسْتَحَلُّ حُرْمَتُهُ إِلاَّ نَصَرَهُ اللهُ فِى مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نَصْرَهُ وَمَا مِنِ امْرِىءٍ خَذَلَ مُسْلِماً فِى مَوْطِنٍ يُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ إِلاَّ خَذَلَهُ اللهُ فِى مَوْضِعٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ »

ومنها : تشميت العاطس . قال عليه السلام[٢] فى العاطس ، يقول الحمد لله على كل حال ويقول الذى يشمته يرحمكم الله . ويرد عليه العاطس فيقول يهديكم الله ويصلح بالكم، وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣] يعلمنا يقول « إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ فَلْيَقُلْ مَنْ عِنْدَهُ يَرْحَمُكَ اللهُ فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ فَلْيَقُلْ يَغْفِرُ اللهُ لِى وَلَكُمْ » وشمت رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤] عاطسا ولم يشمت آخر . فسأله عن ذلك ، فقال « إِنَّهُ حَمِدَ اللهَ وَأَنْتَ سَكَتَّ » وقال صلى الله عليه وسلم « [٥] يُشَمَّتُ الْعَاطِسُ الْمُسْلِمُ إِذَا عَطَسَ ثَلاَثاً فَإِنْ زَادَ فَهُوَ زُكَامٌ » وروى أنه [٦] شمت عاطسا ثلاثا ، فعطس أخرى ، فقال « إِنَّكَ مَزْكُومٌ » وقال أبو هريرة ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم[٧] إذا عطس غض صوته ، واستتر بثوبه أو يده، وروى خمر وجهه، وقال أبو موسى الأشعرى ، كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم[٨] رجاء

---

(١) حديث جابر وأبى طلحة مامن امرىء ينصر مسلما فى موضع ينتهك فيه من عرضه ويستحل حرمته الحديث : أبو داود مع تقديم وتأخير واختلف فى أسناده

(٢) حديث يقول العاطس الحمد لله على كل حال ويقول الذى يشمته يرحمك الله ويقول هو يهديكم الله ويصلح بالكم : البخارى وأبو داود من حديث أبى هريرة ولم يقل البخارى على كل حال

(٣) حديث ابن مسعود اذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين ـ الحديث : النسائى فى اليوم والليلة وقال حديث منكر ورواه أيضا أبو داود والترمذى من حديث سالم بن عبد الله واختلف فى سناده

(٤) حديث شمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاطسا ولم يشمت آخر فسأله عن ذلك فقال انه حمد الله وأنت سكت متفق عليه من حديث أنس

(٥) حديث شمتوا المسلم اذا عطس ثلاثا فان زاد فهو زكام : أبو داود من حديث أبى هريرة شمت أخاك ثلاثا ـ الحديث وأسناده جيد

(٦) حديث أنه شمت عاطسا فعطس أخرى فقال انك مزكوم : مسلم من حديث سلمة بن الأكوع

(٧) حديث أبى هريرة كان اذا عطس غض صوته وستر بثوبه أو يده : أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح وفى رواية لأبى نعيم فى اليوم والليلة خمر وجهه وفاه

(٨) حديث أبى موسى كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول يهديكم الله أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح

أن يقول يرحمكم الله، فكان يقول «يَهْدِيكُمُ الله». وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه أن رجلا عطس خلف النبي صلى الله عليه وسلم [١] في الصلاة ، فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضى ربنا وبعد ما يرضى ، والحمد لله على كل حال . فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال « مَنْ صَاحِبُ الْكَلِمَاتِ؟ » فقال أنا يارسول الله ماأردت بهن إلا خيرا . فقال رَأَيْتُ اثْنَيْ عَشَرَ مَلَكًا كُلُّهُمْ يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا» وقال صلى الله عليه وسلم [٢] مَنْ عَطَسَ عِنْدَهُ فَسَبَقَ إِلَى الْحَمْدِ لَمْ يَشْتَكِ خَاصِرَتَهُ » وقال عليه السلام [٣] « الْعِطَاسُ مِنَ اللهِ وَالتَّثَاؤُبُ مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى فِيهِ فَإِذَا قَالَ هَاهَا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَضْحَكُ مِنْ جَوْفِهِ » وقال ابراهيم النخعي : إذا عطس في قضاء الحاجة فلا بأس بأن يذكر الله . وقال الحسن : يحمد الله في نفسه . وقال كعب : قال موسى عليه السلام ، يارب أقريب أنت فأناجيك ؟ أم بعيد فأناديك ؟ فقال أنا جليس من ذكرني فقال فإنا نكون على حال نجلك أن نذكرك عليها ، كالجنابة والغائط . فقال اذكرني على كل حال

ومنها: أنه إذا بلي بذي شر فينبغي أن يتحمله ويتقيه . قال بعضهم: خالص المؤمن مخالصة وخالق الفاجر مخالقة ، فإن الفاجر يرضى بالخلق الحسن في الظاهر . وقال أبو الدرداء : إنا لنبش في وجوه أقوام ، وإن قلوبنا لتلعنهم . وهذا معنى المداراة وهي مع من يخاف شره قال الله تعالى (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ [١]) قال ابن عباس في معنى قوله (وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ [٢]) أي الفحش والأذى بالسلام والمداراة . وقال في قوله تعالى (وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ

---

(١) حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة أن رجلا عطس خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ـ الحديث : أبو داود من حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه وأسناده جيد

(٢) حديث من عطس عنده فسبق إلى الحمد لم يشتك خاصرته : الطبراني في الأوسط وفي الدعاء من حديث علي بسند ضعيف

(٣) حديث العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبي هريرة دون قوله العطاس من الله فرواه الترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وقال البخاري إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب ـ الحديث

---

(١) المؤمنون : ٩٦ (٢) الرعد : ٢٢

بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ[1]) قال بالرغبة والرهبة، والحياء والمداراة. وقالت عائشة رضي الله عنها : استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال[1] « ائْذَنُوا لَهُ فَبِئْسَ رَجُلُ الْعَشِيرَةِ هُوَ » فلما دخل ألان له القول ، حتى ظننت أن له عنده منزلة . فلما خرج قلت له: لما دخل قلت الذي قلت ثم ألنت له القول ! فقال « يَا عَائِشَةُ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ » وفي الخبر[2] « مَا وَقَى الرَّجُلُ بِهِ عِرْضَهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ » وفي الأثر: خالطوا الناس بأعمالكم وزايلوهم بالقلوب . وقال محمد بن الحنفية رضي الله عنه ، ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا ، حتى يجعل الله له منه فرجا .

ومنها: أن يجتنب مخالطة الأغنياء ، ويختلط بالمساكين ، ويحسن إلى الأيتام . كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول[3] « اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ » وقال كعب الأحبار ، كان سليمان عليه السلام في ملكه إذا دخل المسجد فرأى مسكينا جلس إليه ، وقال مسكين جالس مسكينا . وقيل ما كان كلمة تقال لعيسى عليه السلام أحب اليه من أن يقال له يا مسكين . وقال كعب الأحبار : ما في القرءان من يا أيها الذين آمنوا فهو في التوراة يا أيها المساكين . وقال عبادة بن الصامت : إن للنار سبعة أبواب ، ثلاثة للأغنياء ، وثلاثة للنساء ، وواحد للفقراء والمساكين . وقال الفضيل : بلغني أن نبيا من الأنبياء قال يارب كيف لي أن أعلم رضاك عني ؟ فقال انظر كيف رضا المساكين عنك. وقال عليه السلام[4] « إِيَّاكُمْ وَمُجَالَسَةَ الْمَوْتَى قِيلَ وَمَنِ الْمَوْتَى يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ الْأَغْنِيَاءُ » وقال موسى :

---

(١) حديث عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة الحديث : متفق عليه

(٢) حديث ماوقى المرء به عرضه فهو له صدقة: أبو يعلى وابن عدى من حديث جابر وضعفه

(٣) حديث اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين : ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد والترمذي من حديث عائشة وقال غريب

(٤) حديث إياكم ومجالسة الموتى قيل وما الموتى قال الأغنياء : الترمذي وضعفه والحاكم وصحح أسناده من حديث عائشة اياك ومجالسة الأغنياء

---

(١) البقرة : ٢٥١

إلهى أين أبغيك ؟ قال عند المنكسرة قلوبهم . وقال صلى الله عليه وسلم (١) « لَا تَغْبِطَنَّ فَاجِراً بِنِعْمَةٍ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي إِلَى مَا يَصِيرُ بَعْدَ الْمَوْتِ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ طَالِباً حَثِيثاً »

وأما اليتيم: فقال صلى الله عليه وسلم (٢) مَنْ ضَمَّ يَتِيماً مِنْ أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ حَتَّى يَسْتَغْنِيَ فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ أَلْبَتَّةَ » وقال عليه السلام (٣) « أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ » وهو يشير بأصبعيه وقال صلى الله عليه وسلم (٤) « مَنْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ يَتِيمٍ تَرَحُّماً كَانَتْ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ تَمُرُّ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَةٌ » وقال صلى الله عليه وسلم (٥) « خَيْرُ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ وَشَرُّ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ »

ومنها: النصيحة لكل مسلم، والجهد في إدخال السرور على قلبه . قال صلى الله عليه وسلم (٦) « الْمُؤْمِنُ يُحِبُّ لِلْمُؤْمِنِ كَمَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم (٧) « إِنَّ أَحَدَكُمْ مِرْآةُ أَخِيهِ فَإِذَا رَأَى فِيهِ شَيْئاً فَلْيُمِطْهُ عَنْهُ » وقال صلى الله عليه وسلم (٨) « مَنْ قَضَى حَاجَةً لِأَخِيهِ فَكَأَنَّمَا

---

(١) حديث لاتغبطن فاجرا بنعمة ـ الحديث : البخارى فى التاريخ والطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بسند ضعيف

(٢) حديث من ضم يتيما من أبوين مسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة ألبتة : أحمد والطبرانى من حديث مالك بن عمر وفيه على بن زيد بن جدعان متكلم فيه

(٣) حديث أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة : البخارى من حديث سهل بن سعد ومسلم من حديث أبى هريرة

(٤) حديث من وضع يده على رأس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة: أحمد والطبرانى باسناد ضعيف من حديث أبى أمامة دون قوله ترحما ولابن حبان فى الضعفاء من حديث ابن أبى أوفى من مسح يده على رأس يتيم رحمة له ـ الحديث

(٥) حديث خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ابن ماجه من حديث أبى هريرة وفيه ضعف.

(٦) حديث المؤمن يحب للمؤمن مايحب لنفسه تقدم بلفظ لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه ولم اره بهذا اللفظ

(٧) حديث إن أحدكم مرآة أخيه ـ الحديث : رواه أبو داود والترمذي وقد تقدم

(٨) حديث من قضى لأخيه حاجة فكأنما خدم الله عمره : البخارى فى التاريخ والطبرانى والخرائطى كلاهما فى مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف مرسلا

خَدَمَ اللهَ عُمْرَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم « مَنْ أَقَرَّ عَيْنَ مُؤْمِنٍ أَقَرَّ اللهُ عَيْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقال صلى الله عليه وسلم (١) « مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ سَاعَةً مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ قَضَاهَا أَوْ لَمْ يَقْضِهَا كَانَ خَيْراً لَهُ مِنِ اعْتِكَافِ شَهْرَيْنِ » و قال عليه السلام (٢) « مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُؤْمِنٍ مَغْمُومٍ أَوْ أَعَانَ مَظْلُوماً غَفَرَ اللهُ لَهُ ثَلاثاً وَسَبْعِينَ مَغْفِرَةً » وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً » فقيل كيف ينصره ظالما؟ قال « تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ » وقال عليه السلام (٤) « إِنَّ مِنْ أَحَبِّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ إِدْخَالَ السُّرُورِ عَلَى قَلْبِ الْمُؤْمِنِ أَوْ أَنْ يُفَرِّجَ عَنْهُ غَمّاً أَوْ يَقْضِيَ عَنْهُ دَيْناً أَوْ يُطْعِمَهُ مِنْ جُوعٍ » وقال صلى الله عليه وسلم مَنْ حَمَى مُؤْمِناً مِنْ مُنَافِقٍ يَغْتَبُهُ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِي لَحْمَهُ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ » وقال صلى الله عليه وسلم (٥) « خَصْلَتَانِ لَيْسَ فَوْقَهُمَا شَيْءٌ مِنَ الشَّرِّ الشِّرْكُ بِاللهِ وَالضُّرُّ لِعِبَادِ اللهِ . وَخَصْلَتَانِ لَيْسَ فَوْقَهُمَا شَيْءٌ مِنَ الْبِرِّ الإِيمَانُ بِاللهِ وَالنَّفْعُ لِعِبَادِ اللهِ » وقال صلى الله عليه وسلم (٦) « مَنْ لَمْ يَهْتَمَّ لِلْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ » وقال معروف الكرخي : من قال كل يوم اللهم ارحم أمة محمد ، كتبه الله من الأبدال وفي رواية أخرى اللهم أصلح أمة محمد ، اللهم فرج عن أمة محمد ، كل يوم ثلاث مرات، كتبه الله من الأبدال

---

(١) حديث من مشى فى حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاها أو لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين : الحاكم وصححه من حديث ابن عباس لأن يمشى أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته واشار بأصبعه أفضل من أن يعتكف فى مسجدى هذا شهرين وللطبرانى فى الأوسط من مشى فى حاجة أخيه كان خيرا له من اعتكافه عشر سنين وكلاهما ضعيف

(٢) حديث من فرج عن مغموم أو أعان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة : الخرائطى فى مكارم الأخلاق وابن حبان فى الضعفاء وابن عدى من حديث أنس بلفظ من أغاث ملهوفا

(٣) حديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما ـ الحديث : متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم

(٤) حديث ان من أحب الأعمال إلي الله إدخال السرور على المؤمن ـ الحديث : الطبرانى فى الصغير والأوسط من حديث ابن عمر بسند ضعيف

(٥) حديث خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضر بعباد الله ـ الحديث : ذكره صاحب الفردوس من حديث على ولم يسنده ولده فى مسنده

(٦) حديث من لم يهتم للمسلمين فليس منهم الحاكم من حديث حذيفة والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى ذر وكلاهما ضعيف

وبكى علي بن الفضيل يوماً فقيل له ما يبكيك ؟ قال أبكى على من ظلمنى إذا وقف غداً بين يدى الله تعالى ، وسئل عن ظلمه ، ولم تكن له حجة

ومنها أن يعود مرضاهم ،فالمعرفة والإسلام كافيان فى إثبات هذا الحق، و نيل فضله. وأدب العائد خفة الجلسة ، وقلة السؤال ، وإظهار الرقة ، والدعاء بالعافية،وغض البصر عن عورات الموضع . وعند الاستئذان لا يقابل الباب ، ويدق برفق ، ولا يقول أنا إذا قيل له مَن،ولا يقول ياغلام ، ولكن يحمد ويسبح . وقال صلى الله عليه وسلم « تَمَامُ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ أَنْ يَضَعَ أَحَدُكُمْ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ أَوْ عَلَى يَدِهِ وَيَسْأَلَهُ كَيْفَ هُوَ؟ وَتَمَامُ تَحِيَّاتِكُمُ الْمُصَافَحَةُ » وقال صلى الله عليه وسلم (١) «مَنْ عَادَ مَرِيضاً قَعَدَ فِي مَخَارِفِ الْجَنَّةِ حَتَّى إِذَا قَامَ وُكِّلَ بِهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى اللَّيْلِ » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) إِذَا عَادَ الرَّجُلُ الْمَرِيضَ خَاضَ فِي الرَّحْمَةِ فَإِذَا قَعَدَ عِنْدَهُ قَرَّتْ فِيهِ » وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « إِذَا عَادَ الْمُسْلِمُ أَخَاهُ أَوْ زَارَهُ قَالَ اللهُ تَعَالَى طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مَنْزِلاً فِي الْجَنَّةِ» وقال عليه السلام « إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ بَعَثَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْهِ مَلَكَيْنِ فَقَالَ انْظُرَا مَاذَا يَقُولُ لِعُوَّادِهِ فَإِنْ هُوَ إِذَا جَاؤُهُ حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ رَفَعَا ذَلِكَ إِلَى اللهِ وَهُوَ أَعْلَمُ فَيَقُولُ :

---

(١) حديث من عاد مريضا قعد فى الجنة ـ الحديث : أصحاب السنن والحاكم من حديث على من أتى أخاه المسلم عائدا مشى فى خرافة الجنة حتى يجلس فاذا جلس غمرته الرحمة فان كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى وان كان مساء ـ الحديث : لفظ ابن ماجه وصححه الحاكم وحسنه الترمذي ولمسلم من حديث ثوبان من عاد مريضا لم يزل فى خرفة الجنة

(٢) حديث اذا عاد الرجل المريض خاض فى الرحمة فاذا قعد عنده قرت: الحاكم والبيهقى من حديث جابر وقال انغمس فيها قال الحاكم صحيح على شرط مسلم وكذا صححه ابن عبد البر وذكره مالك فى الموطأ بلاغا بلفظ قرت فيه ورواه الواقدي بلفظ استقر فيها وللطبراني فى الصغير من حديث أنس فاذا قعد عنده غمرته الرحمة وله فى الأوسط من حديث كعب بن مالك وعمرو ابن حزم استنقع فيها

(٣) حديث إذا عاد المسلم أخاه أو زاره قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك وتبوأت منزلا فى الجنة: الترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة الا أنه قال ناداه مناد قال الترمذي غريب قلت فيه عيسى ابن سنان القسملى ، ضعفه الجمهور

(١) لِعَبْدِي عَلَيَّ إِنْ تَوَفَّيْتُهُ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَإِنْ أَنَا شَفَيْتُهُ أَنْ أُبْدِلَ لَهُ لَحْماً خَيْراً مِنْ لَحْمِهِ وَدَماً خَيْراً مِنْ دَمِهِ وَأَنْ أُكَفِّرَ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ » وقال عثمان رضي الله عنه ، مرضت فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) فقال « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أُعِيذُكَ بِاللهِ الْأَحَدِ الصَّمَدِ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ مِنْ شَرِّ مَا تَجِدُ » قالها مرارا

ودخل صلى الله عليه وسلم (٤) على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو مريض ، فقال له « قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ تَعْجِيلَ عَافِيَتِكَ أَوْ صَبْراً عَلَى بَلِيَّتِكَ أَوْ خُرُوجاً مِنَ الدُّنْيَا إِلَى رَحْمَتِكَ فَإِنَّكَ سَتُعْطَى إِحْدَاهُنَّ » ويستحب للعليل أيضا أن يقول : أعوذ بعزة الله وقدرته ، من شر ما أجد وأحاذر ، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إذا شكا أحدكم بطنه فليسأل امرأته شيئا من صداقها ، ويشتري به عسلا ، ويشربه بماء السماء ، فيجتمع له الهنيء والمريء والشفاء والمبارك . وقال صلى الله عليه وسلم (٥) « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَمْرٍ هُوَ حَقٌّ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ فِي أَوَّلِ مَضْجَعِهِ مِنْ مَرَضِهِ نَجَّاهُ اللهُ مِنَ النَّارِ ؟ قلت بلى يارسول الله :

---

(١) حديث اذا مرض العبد بعث الله تعالى ملكين فقال انظرا مايقوله لعواده ـ الحديث : مالك في الموطأ مرسلا من حديث عطاء بن يسار ووصله ابن عبد البر في التمهيد من روايته عن أبي سعيد الخدري وفيه عباد بن كثير الثقفي ضعيف ـ الحديث : وللبيهقي من حديث أبي هريرة قال الله تعالى اذا ابتليت عبدي المؤمن فلم يشكني الى عواده أطلقته من أساري ثم أبدله لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم يستأنف العمل وإسناده جيد

(٢) حديث من يرد الله به خيرا يصب منه : البخاري من حديث أبي هريرة

(٣) حديث عثمان مرضت فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم أعيذك بالله الأحد الصمد ـ الحديث : ابن السني في اليوم والليلة والطبراني والبيهقي في الأدعية من حديث عثمان بن عفان باسناد حسن

(٤) حديث دخل على علي وهو مريض فقال قل اللهم اني أسألك تعجيل عافيتك ـ الحديث : ابن أبي الدنيا في كتاب المرض من حديث أنس بسند ضعيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على رجل وهو يشتكي ولم يسم عليا وروى البيهقي في الدعوات من حديث عائشة أن جبريل علمها للنبي صلى الله عليه وسلم وقال ان الله يأمرك أن تدعو بهؤلاء الكلمات

(٥) حديث أبي هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار : ابن أبي الدنيا في الدعاء وفي المرض والكفارات

قال « يَقُولُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعِبَادِ وَالْبِلاَدِ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ حَمْداً كَثِيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ . اللهُ أَكْبَرُ كَبِيراً إِنَّ كِبْرِيَاءَ رَبِّنَا وَجَلاَلَهُ وَقُدْرَتَهُ بِكُلِّ مَكَانٍ ، اللَّهُمَّ إِنْ أَنْتَ أَمْرَضْتَنِي لِتَقْبِضَ رُوحِي فِي مَرَضِي هَذَا فَاجْعَلْ رُوحِي فِي أَرْوَاحِ مَنْ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْكَ الْحُسْنَى وَبَاعِدْنِي مِنَ النَّارِ كَمَا بَاعَدْتَ أَوْلِيَاءَكَ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْكَ الْحُسْنَى » وروي أنه قال عليه السلام [1] « عِيَادَةُ الْمَرِيضِ بَعْدَ ثَلاَثٍ فُوَاقُ نَاقَةٍ » وقال طاوس : أفضل العيادة أخفها . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : عيادة المريض مرة سُنة ، فما ازدادت فنافلة . وقال بعضهم : عيادة المريض بعد ثلاث وقال عليه السلام [2] « أَغِبُّوا فِي الْعِيَادَةِ وَأَرْبِعُوا فِيهَا »

وجملة أدب المريض حسن الصبر ، وقلة الشكوى والضجر ، والفزع إلى الدعاء ، والتوكل بعد الدواء على خالق الدواء .

ومنها أن يشيع جنائزهم . قال صلى الله عليه وسلم [3] « مَنْ شَيَّعَ جَنَازَةً فَلَهُ قِيرَاطٌ مِنَ الْأَجْرِ فَإِنْ وَقَفَ حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ » وفي الخبر [4] « الْقِيرَاطُ مِثْلُ أُحُدٍ » ولما روى أبو هريرة هذا الحديث ، وسمعه ابن عمر ، قال لقد فرطنا إلى الآن في قراريط كثيرة والقصد من التشييع قضاء حق المسلمين والاعتبار . وكان مكحول الدمشقي إذا رأى جنازة ، قال اغدوا فإنا رائحون ، موعظة بليغة ، وغفلة سريعة ، يذهب الأول ، والآخر لا عقل له . وخرج مالك بن دينار خلف جنازة أخيه وهو يبكي ويقول : والله لا تقر عيني حتى أعلم إلى ما صرت ، ولا والله لا أعلم مادمت حيا . وقال الأعمش . كنا نشهد الجنائز فلا ندري لمن نعزي لحزن القوم كلهم . ونظر إبراهيم الزيات إلى قوم يترحمون على ميت ، فقال لو ترحمون أنفسكم لكان أولى ، إنه نجا من أهوال ثلاث : وجه ملك الموت قد رأى ، ومرارة الموت قد ذاق

---

(١) حديث عيادة المريض فواق ناقة : ابن أبي الدنيا في كتاب المرض من حديث أنس باسناد فيه جهالة

(٢) حديث أغبوا في العيادة وأربعوا : ابن أبي الدنيا وفيه أبو يعلى من حديث جابر وزاد الا أن يكون مغلوبا وإسناده ضعيف

(٣) حديث من تبع جنازة فله قيراط من الأجر فان وقف حتى تدفن فله قيرطان : الشيخان من حديث أبي هريرة

(٤) حديث القيراط مثل جبل أحد : مسلم من حديث ثوبان وأبي هريرة وأصله متفق عليه

وخوف الخاتمة قد أمن . وقال صلى الله عليه وسلم [١] « يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثٌ فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ »

ومنها أن يزور قبورهم . والمقصود من ذلك الدعاء والاعتبار وترقيق القلب . قال صلى الله عليه وسلم [٢] « مَا رَأَيْتُ مَنْظَراً إِلاَّ وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ » وقال عمر رضي الله عنه: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣] فأتى المقابر ، فجلس إلى قبر ، وكنت أدنى القوم منه فبكى وبكينا. فقال ما يبكيكم؟ قلنا: بكينا لبكائك. قال « هَذَا قَبْرُ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي زِيَارَتِهَا فَأَذِنَ لِي ، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَدْرَكَنِي مَا يُدْرِكُ الْوَلَدَ مِنَ الرِّقَّةِ » وكان عمر رضي الله عنه ، إذا وقف على قبر بكى حتى تبل لحيته، ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤] يقول « إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ صَاحِبُهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ » وقال مجاهد : أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول أنا بيت الدود ، وبيت الوحدة ، وبيت الغربة ، وبيت الظلمة ، فهذا ما أعددت لك فما أعددت لي ؟ وقال أبو ذر : ألا أخبركم بيوم فقري ؟ يوم أوضع في قبري . وكان أبو الدرداء يقعد إلى القبور ، فقيل له في ذلك ، فقال أجلس إلى قوم يذكرونني معادي ، وإن قمت عنهم لم يغتابوني . وقال حاتم الأصم : من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ، ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم . وقال صلى الله عليه وسلم [٥] « مَا مِنْ لَيْلَةٍ إِلَّا وَيُنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ مَنْ تَغْبِطُونَ ؟ قَالُوا نَغْبِطُ أَهْلَ الْمَسَاجِدِ لِأَنَّهُمْ يَصُومُونَ وَلَا نَصُومُ وَيُصَلُّونَ وَلَا نُصَلِّي وَيَذْكُرُونَ اللهَ وَلَا نَذْكُرُهُ » وقال سفيان : من أكثر ذكر القبر وجده

---

(١) حديث يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد: مسلم من حديث أنس

(٢) حديث ما رأيت منظرا الا والقبر أفظع منه : الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث عثمان وقال صحيح الاسناد وقال الترمذي حسن غريب

(٣) حديث عمر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى المقابر فجلس الى قبر ـ الحديث: في زيارته قبر أمه. مسلم من حديث أبي هريرة مختصرا وأحمد من حديث بريدة وفيه فقام اليه عمر ففداه بالأب والأم يقول يارسول مالك الحديث

(٤) حديث عثمان بن عفان ان القبر أول منازل الآخرة ـ الحديث : الترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصحح اسناده

(٥) حديث ما من ليلة الا ينادي مناد يأهل القبور من تغبطون فيقولون نغبط أهل المساجد ـ الحديث لم أجد له أصلا

روضة من رياض الجنة ، ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار . وكان الربيع ابن خثيم قد حفر فى داره قبراً ، فكان إذا وجد فى قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع فيه ، ومكث ساعة ، ثم قال (رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ [1]) ، ثم يقول : يا ربيع قد أرجعت فاعمل الآن قبل أن لا ترجع . وقال ميمون بن مهران : خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة ، فلما نظر إلى القبور بكى ، وقال يا ميمون ، هذه قبور آبائى بنى أمية ، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذاتهم . أما تراهم صرعى قد خلت بهم المثلات ؟ وأصاب الهوام من أبدانهم ؟ ثم بكى ، وقال : والله ما أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور ، وقد أمن من عذاب الله

وآداب المعزى خفض الجناح ، وإظهار الحزن ، وقلة الحديث ، وترك التبسم .

وآداب تشييع الجنازة لزوم الخشوع ، وترك الحديث ، وملاحظة الميت ، والتفكر فى الموت ، والاستعداد له ، وأن يمشي أمام الجنازة بقربها [1] والإسراعُ بالجنازة سُنة

فهذه جمل آداب تنبه على آداب المعاشرة مع عموم الخلق ، والجملة الجامعة فيه ، أن لا تستصغر منهم أحداً حياً كان أو ميتاً فتهلك لأنك لا تدرى لعله خير منك ، فإنه وإن كان فاسقاً فلعله يختم لك بمثل حاله ويختم له بالصلاح . ولا تنظر إليهم بعين التعظيم لهم فى حال دنياهم ، فإن الدنيا صغيرة عند الله ، صغير ما فيها ، ومهما عظم أهل الدنيا ، فى نفسك فقد عظمت الدنيا ، فتسقط من عين الله . ولا تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم ، فتصغر فى أعينهم ، ثم تحرم دنياهم ، فإن لم تحرم كنت قد استبدلت الذى هو أدنى بالذى هو خير . ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة ، فيطول الأمر عليك فى المعاداة ، ويذهب دينك ودنياك فيهم ، ويذهب دينهم فيك ، إلا إذا رأيت منكراً فى الدين ، فتعادى أفعالهم القبيحة ، وتنظر إليهم بعين الرحمة لهم ، لتعرضهم لمقت الله وعقوبته بعصيانهم . فحسبهم جهنم يصلونها ، فمالك تحقد عليهم ! ولا تسكن إليهم فى مودتهم لك ، وثنائهم عليك فى وجهك ، وحسن بشرهم لك ، فإنك إن طلبت حقيقة ذلك لم تجد فى المائة إلا واحداً ، وربما لا تجده . ولا تشك إليهم أحوالك ، فيكلك الله إليهم . ولا تطمع أن يكونوا لك فى الغيب والسر كما فى العلانية ، فذلك طمع كاذب ، وأنّى تظفر به .

---

(١) حديث الاسراع بالجنازة : متفق عليه من حديث أبى هريرة اسرعوا بالجنازة ـ الحديث :

[1] المؤمنون : ٩٩ ، ١٠٠

ولا تطمع فيما فى أيديهم ، فتستعجل الذل ، ولا تنال الغرض . ولا تعل عليهم تكبرا لاستغنائك عنهم ، فإن الله يلجئك إليهم ، عقوبة على التكبر بإظهار الاستغناء . وإذا سألت أخا منهم حاجة فقضاها ، فهو أخ مستفاد . وإن لم يقض فلا تعاتبه ، فيصير عدوا تطول عليك مقاساته . ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول ، فلا يسمع منك ويعاديك وليكن وعظك عرضا واسترسالا ، من غير تنصيص على الشخص . ومهما رأيت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله الذى سخرهم لك ، واستعذ بالله أن يكلك إليهم . وإذا بلغك عنهم غيبة أو رأيت منهم شرا ، أو أصابك منهم مايسوءك ، فكل أمرهم إلى الله ، واستعذ بالله من شرهم ، ولا تشغل نفسك بالمكافأة ، فيزيد الضرر ، ويضيع العمر بشغله . ولا تقل لهم لم تعرفوا موضعى ، واعتقد أنك لو استحقيت ذلك لجعل الله لك موضعا فى قلوبهم ، فالله المحبب والمبغض إلى القلوب ، وكن فيهم سميعا لحقهم ، أصم عن باطلهم ، نطوقا بحقهم ، صموتا عن باطلهم

واحذر صحبة أكثر الناس ، فإنهم لا يقيلون عثرة ، ولا يغفرون زلة ، ولا يسترون عورة ، ويحاسبون على النقير والقطمير ، ويحسدون على القليل والكثير ، ينتصفون ولا ينصفون ، ويؤاخذون على الخطأ والنسيان ولا يعفون ، يغرون الإخوان على الإخوان بالنميمة والبهتان ، فصحبة أكثرهم خسران ، وقطيعتهم رجحان . إن رضوا فظاهرهم الملق ، وإن سخطوا فباطنهم الحنق ، لا يؤمنون فى حنقهم ، ولا يرجون فى ملقهم . ظاهرهم ثياب ، وباطنهم ذئاب . يقطعون بالظنون ، ويتغامزون وراءك بالعيون ، ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون . يحصون عليك العثرات فى صحبتهم ، ليواجهوك بها فى غضبهم ووحشتهم . ولا تعول على مودة من لم تخبره حق الخبرة ، بأن تصحبه مدة فى دار أو موضع واحد ، فتجربه فى عزله وولايته ، وغناه وفقره ، أو تسافر معه ، أو تعامله فى الدنيا والدرهم ، أو تقع فى شدة فتحتاج إليه ، فإن رضيته فى هذه الأحوال ، فاتخذه أبا لك إن كان كبيرا ، أو ابنا لك إن كان صغيرا ، أو أخاك إن كان مثلك . فهذه جملة آداب المعاشرة مع أصناف الخلق

حقوق الجوار

اعلم أن الجوار يقتضى حقا وراء ما تقتضيه أخوة الإسلام ، فيستحق الجار المسلم

ما يستحقه كل مسلم وزيادة . إذ قال النبي صلى الله عليه وسلم (١) « الْجِيرَانُ ثَلَاثَةٌ جَارٌ لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ وَجَارٌ لَهُ حَقَّانِ وَجَارٌ لَهُ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ ، فَالْجَارُ الَّذِى لَهُ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ الْجَارُ الْمُسْلِمُ ذُو الرَّحِمِ فَلَهُ حَقُّ الْجِوَارِ وَحَقُّ الْإِسْلَامِ وَحَقُّ الرَّحِمِ ، وَأَمَّا الَّذِى لَهُ حَقَّانِ فَالْجَارُ الْمُسْلِمُ لَهُ حَقُّ الْجِوَارِ وَحَقُّ الْإِسْلَامِ وَأَمَّا الَّذِى لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ فَالْجَارُ الْمُشْرِكُ » فانظر كيف أثبت للمشرك حقا بمجرد الجوار . وقد قال صلى الله عليه وسلم (٢) « أَحْسِنْ مُجَاوَرَةَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِماً » وقال النبي صلى الله عليه وسلم (٣) « مَازَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ » وقال صلى الله عليه وسلم (٤) « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم (٥) « لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم (٦) « أَوَّلُ خَصْمَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَارَانِ » وقال عليه السلام (٧) « إِذَا أَنْتَ رَمَيْتَ كَلْبَ جَارِكَ فَقَدْ آذَيْتَهُ » ويروى أن رجلا جاء إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له : إن لى جارا يؤذيني ويشتمني ويضيق علي ، فقال اذهب ، فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه . وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (٨) إن فلانة تصوم النهار ، وتقوم الليل وتؤذي جيرانها . فقال صلى الله عليه وسلم « هِيَ فِي النَّارِ » وجاء رجل إليه عليه السلام (٩) يشكو جاره ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « اصْبِرْ » ثم قال له في الثالثة أو الرابعة « اطْرَحْ

---

(١) حديث الجيران ثلاثة جار له حق وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق ـ الحديث : الحسن بن سفيان والبزار في مسنديهما وأبو الشيخ في كتاب الثواب وابو نعيم في الحلية من حديث جابر وابن عدى من حديث عبد الله بن عمر وكلاهما ضعيف

(٢) حديث احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما: تقدم

(٣) حديث مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه: متفق عليه من حديث عائشة وابن عمر

(٤) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره: متفق عليه من حديث أبي شريح

(٥) حديث لايؤمن عبد حتى يؤمن جاره بوائقه: البخارى من حديث أبي شريح أيضا

(٦) حديث أول خصمين يوم القيامة جاران: أحمد والطبرانى من حديث عقبة بن عامر بسند ضعيف

(٧) حديث اذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيته: لم أجده أصلا

(٨) حديث ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال هي في النار: أحمد والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الاسناد

(٩) حديث جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال اصبر ثم قال له في الثالثة أو الرابعة اطرح متاعك على الطريق ـ الحديث : أبو داود وابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط مسلم

متاعك في الطريق » قال فجعل الناس يمرون به ويقولون مالك ؟ فيقال آذاه جاره. قال فجعلوا يقولون لعنه الله . فجاءه جاره فقال له رد متاعك ، فوالله لا أعود .

وروى الزهري أن رجلا أتى النبي عليه السلام ، فجعل يشكو جاره . فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن ينادي على باب المسجد ،[1] ألا إن أربعين دارا جار . قال الزهري أربعون هكذا ، وأربعون هكذا ، وأربعون هكذا ، وأربعون هكذا . وأومأ إلى أربع جهات وقال عليه السلام [2] « الْيُمْنُ وَالشُّؤْمُ فِي الْمَرْأَةِ وَالْمَسْكَنِ وَالْفَرَسِ فَيُمْنُ الْمَرْأَةِ خِفَّةُ مَهْرِهَا وَيُسْرُ نِكَاحِهَا وَحُسْنُ خُلُقِهَا وَشُؤْمُهَا غَلَاءُ مَهْرِهَا وَعُسْرُ نِكَاحِهَا وَسُوءُ خُلُقِهَا وَيُمْنُ الْمَسْكَنِ سِعَتُهُ وَحُسْنُ جِوَارِ أَهْلِهِ وَشُؤْمُهُ ضِيقُهُ وَسُوءُ جِوَارِ أَهْلِهِ وَيُمْنُ الْفَرَسِ ذُلُّهُ وَحُسْنُ خُلُقِهِ وَشُؤْمُهُ صُعُوبَتُهُ وَسُوءُ خُلُقِهِ »

واعلم أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط ، بل احتمال الأذى . فإن الجار أيضا قد كف أذاه ، فليس في ذلك قضاء حق . ولا يكفي احتمال الأذى ، بل لابد من الرفق ، وإسداء الخير والمعروف ، إذ يقال إن الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة ، فيقول يارب سل هذا لِمَ منعني معروفه ، وسد بابه دوني ؟ وبلغ ابن المقفع أن جارا له يبيع داره في دين ركبه وكان يجلس في ظل داره ، فقال ماقمت إذاً بحرمة ظل داره إن باعها معدما ، فدفع إليه ثمن

---

(١) حديث الزهري الا ان أربعين داراجار: أبو داود في المراسيل ووصله الطبراني من رواية الزهري عن ابن كعب بن مالك عن أبيه ورواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة وقال أربعون ذراعا وكلاهما ضعيف

(٢) حديث اليمن والشؤم في المرأة والمسكن والفرس فيمن المرأة خفة مهرها ــ الحديث : مسلم من حديث ابن عمر الشؤم في الدار والمرأة والفرس وفي رواية له إن يك من الشؤم شيء حقا وله من حديث سهل بن سعد إن كان في الفرس والمرأة والمسكن وللترمذي من حديث حكيم بن معاوية لاشؤم وقد يكون اليمن في الدار والمرأة والفرس ورواه ابن ماجه فسماه محمد بن معاوية وللطبراني من حديث أسماء بنت عميس قالت يارسول الله ماسوء الدار قال ضيق ساحتها وخبث جيرانها قيل فماسوء الدابة قال منعها ظهرها وسوء خلقها قيل فما سوء المرأة قال عقم رحمها وسوء خلقها وكلاهما ضعيف ورويناه في كتاب الخيل للدمياطي من رواية سالم بن عبد الله مرسلا اذا كان الفرس ضروبا فهو مشؤم وإذا كانت المرأة قد عرفت زوجا قبل زوجها فحنت الى الزوج الاول فهي مشؤمة واذا كانت الدار بعيدة من المسجد لايسمع فيها الأذان والاقامة فهي مشؤمة واسناده ضعيف ووصله صاحب مسند الفردوس بذكر ابن عمر فيه

الدار ، وقال لا تبعها . وشكا بعضهم كثرة الفأر فى داره ، فقيل له لو اقتنيت هرا ، فقال أخشى أن يسمع الفأر صوت الهر فيهرب إلى دور الجيران ، فأكون قد أحببت لهم مالا أحب لنفسى

وجملة حق الجار أن يبدأه بالسلام ، ولا يطيل معه الكلام ، ولا يكثر عن حاله السؤال ويعوده فى المرض ، ويعزيه فى المصيبة ، ويقوم معه فى العزاء ، ويهنئه فى الفرح ، ويظهر الشركة فى السرور معه ، ويصفح عن زلاته ، ولا يتطلع من السطح إلى عوراته ، ولا يضايقه فى وضع الجذع على جداره ، ولا فى مصب الماء فى ميزابه ، ولا فى مطرح التراب فى فنائه ولا يضيق طريقه إلى الدار ، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره . ويستر ماينكشف له من عوراته ، وينعشه من صرعته إذا نابته نائبة ، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ، ولا يسمع عليه كلاما ، ويغض بصره عن حرمته ، ولا يديم النظر إلى خادمته ، ويتلطف بولده فى كلمته ، ويرشده إلى مايجهله من أمر دينه ودنياه . هذا إلى جملة الحقوق التى ذكرناها لعامة المسلمين

وقد قال صلى الله عليه وسلم [1] « أَتَدْرُونَ مَا حَقُّ الْجَارِ ؟ إِنِ اسْتَعَانَ بِكَ أَعَنْتَهُ وَإِنِ اسْتَنْصَرَكَ نَصَرْتَهُ وَإِنِ اسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ وَإِنِ افْتَقَرَ عُدْتَ عَلَيْهِ وَإِنْ مَرِضَ عُدْتَهُ وَإِنْ مَاتَ تَبِعْتَ جَنَازَتَهُ وَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ هَنَّأْتَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ عَزَّيْتَهُ وَلَا تَسْتَعْلِ عَلَيْهِ بِالْبِنَاءِ فَتَحْجُبَ عَنْهُ الرِّيحَ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَلَا تُؤْذِهِ وَإِذَا اشْتَرَيْتَ فَاكِهَةً فَأَهْدِ لَهُ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَأَدْخِلْهَا سِرًّا وَلَا يَخْرُجْ بِهَا وَلَدُكَ لِيَغِيظَ بِهَا وَلَدَهُ وَلَا تُؤْذِهِ بِقَتَارِ قِدْرِكَ إِلَّا أَنْ تَغْرِفَ لَهُ مِنْهَا » ثم قال « أَتَدْرُونَ مَا حَقُّ الْجَارِ ؟ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَا يَبْلُغُ حَقَّ الْجَارِ إِلَّا مَنْ رَحِمَهُ اللهُ » هكذا رواه عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلى الله عليه وسلم . [2] قال مجاهد : كنت عند عبد الله بن عمر ، وغلام له يسلخ شاة فقال ياغلام ، إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى ، حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه .

---

(١) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أتدرون ما حق الجار ان استعان بك أعنته وان استقرضك أقرضته ـ الحديث : الخرائطى فى مكارم الاخلاق وابن عدى فى الكامل وهو ضعيف

(٢) حديث مجاهد كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يسلخ شاة فقال ياغلام اذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى الحديث : ابو داود والترمذى وقال حسن غريب

وقال هشام : كان الحسن لا يرى بأسا أن تطعم الجار اليهودى والنصرانى من أضحيتك . وقال أبوذر رضي الله عنه . أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم [١] وقال « إِذَا طَبَخْتَ قِدْرًا فَأَكْثِرْ مَاءَهَا ثُمَّ انْظُرْ بَعْضَ أَهْلِ بَيْتٍ فِي جِيرَانِكَ فَاغْرِفْ لَهُمْ مِنْهَا » وقالت عائشة رضي الله عنها . قلت يارسول الله [٢] إن لى جارين ، أحدهما مقبل على بابه ، والآخر ناء بابه عنى وربما كان الذى عندى لا يسعهما ، فأيهما أعظم حقا ؟ فقال « الْمُقْبِلُ عَلَيْكِ بِبَابِهِ »

ورأى الصديق ولده عبد الرحمن وهو يناصى جارا له ، فقال لا تناص جارك ، فإن هذا يبقى والناس يذهبون . وقال الحسن بن عيسى النيسابورى : سألت عبد الله بن المبارك فقلت الرجل المجاور يأتينى فيشكو غلامى أنه أتى إليه أمرا ، والغلام ينكره ، فأكره أن أضربه ولعله برىء ، وأكره أن أدعه ، فيجد على جارى ، فكيف أصنع ؟ قال إن غلامك لعله ان يحدث حدثا يستوجب فيه الأدب ، فاحفظه عليه ، فإذا شكاه جارك فأدبه على ذلك الحدث فتكون قد أرضيت جارك ، وأدبته على ذلك الحدث . وهذا تلطف فى الجمع بين الحقين وقالت عائشة رضي الله عنها : خلال المكارم عشر ، تكون فى الرجل ولا تكون فى أبيه وتكون فى العبد ولا تكون فى سيده ، يقسمها الله تعالى لمن أحب . صدق الحديث ، وصدق الناس ، واعطاء السائل ، والمكافأة بالصنائع ، وصلة الرحم ، وحفظ الأمانة ، والتذمم للجار والتذمم للصاحب ؛ وقرى الضيف ، ورأسهن الحياء : وقال أبو هريرة رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣] « يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ » وقال صلى الله عليه وسلم [٤] « إِنَّ مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ الْمَسْكَنَ الْوَاسِعَ وَالْجَارَ الصَّالِحَ

---

(١) حديث ابى ذر اوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم اذا طبخت فأكثر المرق ثم انظر بعض اهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها : رواه مسلم

(٢) حديث عائشة قلت يارسول الله أن لى جارين ـ الحديث : رواه البخارى

(٣) حديث أبى هريرة يانساء المسلمين لاتحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة : رواه البخارى

(٤) حديث ان من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنىء : أحمد من حديث نافع ابن عبد الحارث وسعد بن أبى وقاص وحديث نافع أخرجه الحاكم وقال صحيح الاسناد

وَالْمَرْكَبَ الْهَنِيءَ » وقال عبد الله . قال رجل يارسول الله [١] كيف لى أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت ! قال « إِذَا سَمِعْتَ جِيرَانَكَ يَقُولُونَ قَدْ أَحْسَنْتَ فَقَدْ أَحْسَنْتَ وَإِذَا سَمِعْتَهُمْ يَقُولُونَ قَدْ أَسَأْتَ فَقَدْ أَسَأْتَ » وقال جابر رضي الله عنه . قال النبي صلى الله عليه وسلم [٢] مَنْ كَانَ لَهُ جَارٌ فِي حَائِطٍ أَوْ شَرِيكٌ فَلَا يَبِعْهُ حَتَّى يَعْرِضَهُ عَلَيْهِ » وقال أبو هريرة رضي الله عنه : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣] أن الجار يضع جذعه فى حائط جاره شاء أم أبى . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدُكُمْ جَارَهُ أَنْ يَضَعَ خَشَبَهُ فِي جِدَارِهِ » وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول ، مالى أراكم عنها معرضين ؟ والله لأرمينها بين أكتافكم . وقد ذهب بعض العلماء إلى وجوب ذلك . وقال صلى الله عليه وسلم [٤] « مَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا عَسَّلَهُ قِيلَ وَمَا عَسَّلَهُ ؟ قال « يُحَبِّبُهُ إِلَى جِيرَانِهِ »

حقوق الأقارب والرحم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٥] « يَقُولُ اللهُ تَعَالَى أَنَا الرَّحْمَنُ وَهَذِهِ الرَّحِمُ شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنِ اسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ » وقال صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث عبد الله قال رجل يارسول الله كيف لى أن أعلم اذا أحسنت أوأسأت قال اذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت: أحمد والطبرانى وعبد الله هوابن مسعود واسناده جيد

(٢) حديث جابر من كان له جار فى حائط أوشريك فلا يبعه حتى يعرضه عليه: ابن ماجه والحاكم دون ذكر الجار وقال صحيح الاسناد وهو عند الخرائطى فى مكارم الأخلاق بلفظ المصنف ولابن ماجه من حديث ابن عباس من كانت له أرض فأراد بيعها فليعرضها على جاره ورجاله رجال الصحيح

(٣) حديث أبى هريرة قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الجار يضع جذعه فى حائط جاره شاء أم أبى: الخرائطى فى مكارم الأخلاق هكذا وهو متفق عليه بلفظ لا يمنعن أحدكم جاره أن يغرز خشبه فى حائطه: رواه ابن ماجه باسناد ضعيف واتفق عليه الشيخان من حديث أبى هريرة

(٤) حديث من أراد الله به خيرا عسله: أحمد من حديث أبى عنبسة الخولانى ورواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق والبيهقي فى الزهد من حديث عمرو بن الحق زاد الخرائطى قيل وما عسله قال حببه الى جيرانه وقال البيهقى يفتح له عملا صالحا قبل موته حتى يرضى عنه من حوله: واسناده جيد

(٥) حديث يقول الله أنا الرحمن وهذه الرحم ـ الحديث : متفق عليه من حديث عائشة

(١) مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ وَيُوَسَّعَ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » وفي رواية أخرى « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ وَيُوَسَّعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ فَلْيَتَّقِ اللهَ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) أي الناس أفضل ؟ قال « أَتْقَاهُمْ لِلَّهِ وَأَوْصَلُهُمْ لِرَحِمِهِ وَآمَرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ » وقال أبو ذر رضي الله عنه : أوصاني خليلي عليه السلام (٣) بصلة الرحم وإن أدبرت ، وأمرني أن أقول الحق وإن كان مراً . وقال صلى الله عليه وسلم (٤) « إِنَّ الرَّحِمَ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ وَلَيْسَ الْوَاصِلُ الْمُكَافِئَ وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا انْقَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا » وقال عليه السلام (٥) « إِنَّ أَعْجَلَ الطَّاعَةِ ثَوَاباً صِلَةُ الرَّحِمِ حَتَّى أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ لَيَكُونُونَ فُجَّاراً فَتَنْمُو أَمْوَالُهُمْ وَيَكْثُرُ عَدَدُهُمْ إِذَا وَصَلُوا أَرْحَامَهُمْ » وقال زيد ابن أسلم : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦) إلى مكة ، عرض له رجل ، فقال إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم ، فعليك ببني مُدْلِجٍ . فقال عليه السلام « إِنَّ اللهَ قَدْ مَنَعَنِي مِنْ بَنِي مُدْلِجٍ بِصِلَتِهِمِ الرَّحِمَ » وقالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما (٧) : قدمت عليَّ أمي ، فقلت يارسول الله ، إن أمي قدمت عليّ وهي مشركة ، أفأصلها ؟ قال نعم.

---

(١) حديث من سره أن ينسأ له في أثره ويوسع له في رزقه فليتق الله وليصل رحمه : متفق عليه من حديث أنس دون قوله فليتق الله وهو بهذه الزيادة عند أحمد والحاكم من حديث علي باسناد جيد

(٢) حديث أي الناس أفضل فقال أتقاهم لله وأوصلهم للرحم : أحمد والطبراني من حديث درة بنت أبي لهب باسناد حسن

(٣) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصلة الرحم وإن أدبرت وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرا : أحمد وابن حبان وصححه

(٤) حديث ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل المكافىء ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها الطبراني والبيهقي من حديث عبد الله بن عمرو وهو عند البخاري دون قوله الرحم معلقة بالعرش فرواها مسلم من حديث عائشة

(٥) حديث أعجل الطاعات ثوابا صلة الرحم ـ الحديث : ابن حبان من حديث أبي بكرة والخرائطي في مكارم الأخلاق والبيهقي في الشعب من حديث عبد الرحمن بن عوف بسند ضعيف

(٦) حديث زيد بن أسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عرض له رجل فقال إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم فعليك ببني مدلج فقال إن الله منعني من بني مدلج بصلتهم الرحم : الخرائطي في مكارم الأخلاق وزاد وطعنهم في لبات الابل وهو مرسل صحيح الاسناد

(٧) حديث أسماء بنت أبي بكر قدمت علي أمي فقلت يا رسول الله قدمت علي أمي وهي مشركة أفأصلها قال نعم صليها : متفق عليه

وفى رواية أفأعطيها ؟ قال نعم صِلِيهَا . وقال عليه السلام[١] « الصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسَاكِينِ صَدَقَةٌ وَعَلَى ذِى الرَّحِمِ ثِنْتَانِ »[٢] ولما أراد أبو طلحة أن يتصدق بحائط كان له يعجبه ، عملا بقوله تعالى (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ[١])قال يارسول الله ،هو فى سبيل الله وللفقراء والمساكين . فقال عليه السلام « وَجَبَ أَجْرُكَ عَلَى اللهِ فَاقْسِمْهُ فِى أَقَارِبِكَ » وقال عليه السلام[٣] « أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ عَلَى ذِى الرَّحِمِ الْكَاشِحِ » وهو فى معنى قوله[٤] « أَفْضَلُ الْفَضَائِلِ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ وَتَصْفَحَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ » وروي أن عمر رضي الله عنه كتب إلى عماله مُرُوا الأقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا . وإنما قال ذلك لأن التجاور يورث التزاحم على الحقوق ، وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم

حقوق الوالدين والولد

لا يخفى أنه إذا تأكد حق القرابة والرحم ، فأخص الأرحام وأمسها الولادة ، فيتضاعف تأكد الحق فيها . وقد قال صلى الله عليه وسلم[٥] « لَنْ يَجْزِيَ وَلَدٌ وَالِدَهُ حَتَّى يَجِدَهُ مَمْلُوكاً فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ » وقد قال صلى الله عليه وسلم[٦] « بِرُّ الْوَالِدَيْنِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَالْجِهَادِ فِى سَبِيلِ اللهِ » وقد قال صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم صدقة وصلة :الترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه من حديث سلمان بن عامر الضبى

(٢) حديث لما أراد أبو طلحة أن يتصدق بحائط له كان يعجبه عملا بقوله تعالى حتى تنفقوا مما تحبون الحديث أخرجه البخارى وقد تقدم

(٣) حديث أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح : أحمد والطبرانى من حديث أبى أيوب وفيه الحجاج ابن أرطاة ورواه البيهقى من حديث أم كلثوم بنت عقبة

(٤) حديث أفضل الفضائل أن تصل من قطعك ـ الحديث : احمد من حديث معاذ بن انس بسند ضعيف وللطبرانى نحوه من حديث ابى امامة وقد تقدم

(٥) حديث لن يجزى ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه : مسلم من حديث ابى هريرة

(٦) حديث بر الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد :لم أجده هكذا وروي أبو يعلى والطبرانى فى الصغير والأوسط من حديث أنس أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنى أشتهى الجهاد ولا أقدر عليه قال هل بقى من والديك أحد قال أمى قال قابل الله فى برها فاذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد واسناده حسن

---

(١) آل عمران: ٩٢

(١) « مَنْ أَصْبَحَ مُرْضِياً لِأَبَوَيْهِ أَصْبَحَ لَهُ بَابَانِ مَفْتُوحَانِ إِلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ أَمْسَى فَمِثْلُ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ وَاحِداً فَوَاحِداً وَإِنْ ظَلَمَا وَإِنْ ظَلَمَا وَمَنْ أَصْبَحَ مُسْخِطاً لِأَبَوَيْهِ أَصْبَحَ لَهُ بَابَانِ مَفْتُوحَانِ إِلَى النَّارِ وَإِنْ أَمْسَى مِثْلُ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ وَاحِدٌ فَوَاحِدٌ وَإِنْ ظَلَمَا وَإِنْ ظَلَمَا وَإِنْ ظَلَمَا » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « إِنَّ الْجَنَّةَ يُوجَدُ رِيحُهَا مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ وَلَا يَجِدُ رِيحَهَا عَاقٌّ وَلَا قَاطِعُ رَحِمٍ » وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « بِرَّ أُمَّكَ وَأَبَاكَ وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ ثُمَّ أَدْنَاكَ فَأَدْنَاكَ » ويروى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام ياموسى ، إنه من برّ والديه وعقني كتبته بارا ، ومن برني وعق والديه كتبته عاقا . وقيل لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام ، لم يقم له ، فأوحى الله إليه ، أتتعاظم أن تقوم لأبيك ؟ وعزتي وجلالي لا أخرجت من صلبك نبيا ، وقال صلى الله عليه وسلم : (٤) « مَا عَلَى أَحَدٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ أَنْ يَجْعَلَهَا لِوَالِدَيْهِ إِذَا كَانَا مُسْلِمَيْنِ فَيَكُونُ لِوَالِدَيْهِ أَجْرُهَا وَيَكُونُ لَهُ مِثْلُ أُجُورِهِمَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمَا شَيْءٌ »

وقال مالك بن ربيعة : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) إذ جاءه رجل من بني سلمة ، فقال يارسول الله ، هل بقي عليّ من بر أبويّ شيء أبرهما به بعد وفاتهما ؟ قال « نَعَمْ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي

---

(١) حديث من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة ـ الحديث : البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس ولا يصح

(٢) حديث ان الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم : الطبراني في الصغير من حديث أبي هريرة دون ذكر القاطع وهي في الأوسط من حديث جابر إلا أنه قال من مسيرة ألف عام واسنادهما ضعيف

(٣) حديث بر أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك : النسائي من حديث طارق المحاربي وأحمد والحاكم من حديث أبي رمثة ولأبي داود نحوه من حديث كليب بن منفعة عن جده وله وللترمذي والحاكم وصححه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده من أبر قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة قال رجل من أحق الناس بحسن الصحبة قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك لفظ مسلم

(٤) حديث ماعلى أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه إذا كانا مسلمين ـ الحديث: الطبراني في الأوسط من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده بسند ضعيف دون قوله إذا كانا مسلمين

(٥) حديث مالك بن ربيعة بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال هل بقي علي من بر ابوي شيء ـ الحديث: ابو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد

لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا » وقال صلى الله عليه وسلم (١) « إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ الْأَبُ » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « بِرُّ الْوَالِدَةِ عَلَى الْوَلَدِ ضِعْفَانِ » وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « دَعْوَةُ الْوَالِدَةِ أَسْرَعُ إِجَابَةً » قيل يارسول الله ولِمَ ذاك ؟ قال « هِيَ أَرْحَمُ مِنَ الْأَبِ وَدَعْوَةُ الرَّحِمِ لَا تَسْقُطُ » وسأله رجل فقال يارسول الله من أبر ؟ فقال (٤) « بِرَّ وَالِدَيْكَ » فقال ليس لى والدان ، فقال « بِرَّ وَلَدَكَ كَمَا أَنَّ لِوَالِدَيْكَ عَلَيْكَ حَقاً كَذَلِكَ لِوَلَدِكَ عَلَيْكَ حَقٌّ » وقال صلى الله عليه وسلم (٥) « رَحِمَ اللهُ وَالِداً أَعَانَ وَلَدَهُ عَلَى بِرِّهِ » أى لم يحمله على العقوق بسوء عمله . وقال صلى الله عليه وسلم « سَاوُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ » وقد قيل : ولدك ريحانتك ، تشمها سبعا ، وخادمك سبعا ، ثم هو عدوك أو شريكك . وقال أنس رضى الله عنه . قال النبي صلى الله عليه وسلم (٦) « الْغُلَامُ يُعَقُّ عَنْهُ يَوْمَ السَّابِعِ وَيُسَمَّى وَيُمَاطُ عَنْهُ الْأَذَى فَإِذَا بَلَغَ سِتَّ سِنِينَ أُدِّبَ فَإِذَا بَلَغَ تِسْعَ سِنِينَ عُزِلَ فِرَاشُهُ فَإِذَا بَلَغَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً ضُرِبَ عَلَى الصَّلَاةِ فَإِذَا بَلَغَ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً زَوَّجَهُ أَبُوهُ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ قَدْ أَدَّبْتُكَ وَعَلَّمْتُكَ وَأَنْكَحْتُكَ أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَعَذَابِكَ فِي الْآخِرَةِ » وقال صلى الله عليه وسلم (٧) مِنْ حَقِّ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ

---

(١) حديث ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه : مسلم من حديث ابن عمر

(٢) حديث بر الوالدة على الولد ضعفان: غريب بهذا اللفظ وقد تقدم قبل هذا بثلاثة أحاديث من حديث بهز بن حكيم وحديث ابى هريرة وهو معنى هذا الحديث

(٣) حديث الوالدة اسرع اجابة ـ الحديث : لم اقف له على اصل

(٤) حديث قال رجل يارسول الله من أبر قال بر والديك فقال ليس لى والدان فقال ولدك فكما ان لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق: أبو عمر النوقانى فى كتاب معاشرة الأهلين من حديث عثمان بن عفان دون قوله فكما أن لوالديك الخ وهذه القطعة رواها الطبرانى من حديث ابن عمر قال الدارقطنى فى العلل إن الأصح وقفه على ابن عمر

(٥) حديث رحم الله والدا أعان ولده على بره: أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب من حديث على ابن أبى طالب وابن عمر بسند ضعيف ورواه النوقانى من رواية الشعبى مرسلا

(٦) حديث أنس الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمي ويماط عنه الأذى فاذا بلغ ست سنين أدب فاذا بلغ سبع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاثة عشر ضرب على الصلاة والصوم فاذا بلغ ستة عشر زوجه أبوه ثم اخذ بيده وقال قد أدبتك وعلمتك وانكحتك أعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الآخرة ابو الشيخ ابن حبان فى كتاب الضحايا والعقيقة إلا أنه قال وادبوه لسبع وزوجوه لسبع عشرة ولم يذكر الصوم وفى اسناده من لم يسم

(٧) حديث من حق الولد على الوالدان يحسن ادبه ويحسن اسمه : البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس وحديث عائشة وضعفهما

أَنْ يُحْسِنَ أَدَبَهُ وَيُحْسِنَ اسْمَهُ » وقال عليه السلام [١] « كُلُّ غُلَامٍ رَهِينٌ أَوْ رَهِينَةٌ بِعَقِيقَتِهِ تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ السَّابِعِ وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ » وقال قتادة : إذا ذبحت العقيقة أخذت صوفة منها فاستقبلت بها أوداجها ، ثم توضع على يافوخ الصبي ، حتى يسيل عنه مثل الخيط . ثم يغسل رأسه ، ويحلق بعد . وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك ، فشكا إليه بعض ولده . فقال هل دعوت عليه ، قال نعم . قال أنت أفسدته

ويستحب الرفق بالولد . رأى الأقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم [٢] وهو يقبل ولده الحسن . فقال إن لى عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم . فقال عليه السلام « إِنَّ مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ » وقالت عائشة رضي الله عنها : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣] يوما « اغْسِلِي وَجْهَ أُسَامَةَ » فجعلت أغسله وأنا أنفة ، فضرب يدي ، ثم أخذه فغسل وجهه ، ثم قبله ، ثم قال « قَدْ أَحْسَنَ بِنَا إِذْ لَمْ يَكُنْ جَارِيَةً » وتعثر الحسن ، والنبي صلى الله عليه وسلم [٤] على منبره ، فنزل فحمله ، وقرأ قوله تعالى (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ [١]) وقال عبد الله ابن شداد . بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم [٥] يصلى بالناس ، إذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد ، فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر ، فلما قضى صلاته

---

(١) حديث كل غلام رهين أو رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه : أصحاب السنن من حديث سمرة قال الترمذى حسن صحيح

(٢) حديث رأى الأقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال إن لى عشرة من الولد ماقبلت واحدا منهم فقال من لايرحم لايرحم : البخارى من حديث أبى هريرة

(٣) حديث عائشة قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اغسلى وجه أسامة فجعلت أغسله وأنا أنفة فضرب بيدى ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد أحسن بنا اذ لم يكن جارية : لم أجده هكذا ولأحمد من حديث عائشة أن أسامة عثر بعتبة الباب فدمى فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمصه ويقول لو كان أسامة جارية لحليتها ولكسوتها حتى أنفقها : واسناده صحيح

(٤) حديث عثر الحسين وهو على منبره صلى الله عليه وسلم فنزل فحمله وقرأ قوله تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة : أصحاب السنن من حديث بريدة فى الحسن والحسين معا يمشيان ويعثران قال الترمذى حسن غريب

(٥) حديث عبد الله بن شداد بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بالناس اذ جاء الحسن فركب عنقه النسائى من رواية عبد الله بن شداد عن ابيه وقال فيه الحسن او الحسين على الشك ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين

---

(١) التغابن : ١٥

قالوا قد أطلت السجود يا رسول الله ؛ حتى ظننا أنه قد حدث أمر ! فقال «إِنَّ ابْنِي قَدِ ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أَعْجِلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ» وفى ذلك فوائد : إحداها القرب من الله تعالى . فإن العبد أقرب ما يكون من الله تعالى إذا كان ساجدا ؛ وفيه الرفق بالولد، والبر وتعليم لأمته . وقال صلى الله عليه وسلم (١) «رِيحُ الْوَلَدِ مِنْ رِيحِ الْجَنَّةِ» وقال يزيد بن معاوية أرسل أبى إلى الأحنف بن قيس ، فلما وصل اليه قال له ياأبا بحر ، ماتقول فى الولد ؟ قال يا أمير المؤمنين ، ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة ، وسماء ظليلة ، وبهم نصول على كل جليلة ، فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ؛ يمنحوك ودهم ؛ ويحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقلا ثقيلا ، فيملوا حياتك ، ويودوا وفاتك ، ويكرهوا قربك . فقال له معاوية . لله أنت يا أحنف ! لقد دخلت علىّ وأنا مملوء غضبا وغيظا على يزيد . فلما خرج الأحنف من عنده رضي عن يزيد ، وبعث إليه بمائتى ألف درهم ، ومائتى ثوب . فأرسل يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ، ومائة ثوب ، فقاسمه إياها على الشطر .

فهذه هى الأخبار الدالة على تأكد حق الوالدين، وكيفية القيام بحقهما! تعرف مما ذكرناه فى حق الأخوة . فإن هذه الرابطة آكد من الأخوة ؛ بل يزيد ههنا أمران : أحدهما أن أكثر العلماء على أن طاعة الأبوين واجبة فى الشبهات ، وإن لم تجب فى الحرام المحض حتى إذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما بالطعام ؛ فعليك أن تأكل معهما ؛ لأن ترك الشبهة ورع ورضا الوالدين حتم . وكذلك ليس لك أن تسافر فى مباح أو نافلة إلا باذنهما . والمبادرة إلى الحج الذى هو فرض الإسلام نفل ، لأنه على التأخير . والخروج لطلب العلم نفل إلا إذا كنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم ، ولم يكن فى بلدك من يعلمك . وذلك كمن يسلم ابتداء فى بلد ليس فيها من يعلمه شرع الإسلام ، فعليه الهجرة ، ولا يتقيد بحق الوالدين

قال أبو سعيد الخدري . هاجر رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) من اليمن وأراد الجهاد ، فقال عليه السلام « هَلْ بِالْيَمَنِ أَبَوَاكَ ؟ » قال نعم قال « هَلْ أَذِنَا لَكَ ؟ »

---

(١) حديث ريح الولد من ريح الجنة : الطبرانى فى الصغير والأوسط وابن حبان فى الضعفاء من حديث ابن عباس وفيه مندل بن على ضعيف

(٢) حديث ابى سعيد الخدرى هاجر رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن واراد الجهاد فقال صلى الله عليه وسلم باليمن أبواك قال نعم ـ الحديث احمد وابن حبان دون قوله ما استطعت الخ

قال : لا. فقال عليه السلام « فَارْجِعْ إِلَى أَبَوَيْكَ فَاسْتَأْذِنْهُمَا فَإِنْ فَعَلاَ فَجَاهِدْ وَإِلَّا فَبِرَّهُمَا مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ مَا تَلْقَى اللهَ بِهِ بَعْدَ التَّوْحِيدِ » وجاء آخر إليه صلى الله عليه وسلم [1] ليستشيره فى الغزو ، فقال « أَلَكَ وَالِدَةٌ ؟» قال نعم قال « فَالْزَمْهَا فَإِنَّ الْجَنَّةَ عِنْدَ رِجْلَيْهَا » وجاء آخر يطلب البيعة على الهجرة ؛ وقال ماجئتك حتى [2] أبكيت والدي ، فقال « ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا » وقال صلى الله عليه وسلم [3] « حَقُّ كَبِيرِ الْإِخْوَةِ عَلَى صَغِيرِهِمْ كَحَقِّ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ » وقال عليه السلام [4] « إِذَا اسْتَصْعَبَتْ عَلَى أَحَدِكُمْ دَابَّتُهُ أَوْ سَاءَ خُلُقُ زَوْجَتِهِ أَوْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فَلْيُؤَذِّنْ فِي أُذُنِهِ »

حقوق المملوك

اعلم أن ملك النكاح قد سبقت حقوقه فى آداب النكاح ، فأما ملك اليمين فهو أيضا يقتضى حقوقا فى المعاشرة لابد من مراعاتها . فقد كان من آخر ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم [5] أن قال « اتَّقُوا اللهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ وَاكْسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا لَا يُطِيقُونَ فَمَا أَحْبَبْتُمْ فَأَمْسِكُوا

---

(١) حديث جاء آخر الى النبي صلى الله عليه وسلم يستشيره فى الغزو فقال ألك والدة فقال نعم قال فالزمها فان الجنة تحت قدمها: النسائى وابن ماجه والحاكم من حديث معاوية بن جاهمة ان جاهمة أتى النبي صلى الله عليه وسلم قال الحاكم صحيح الاسناد

(٢) حديث جاء آخر فقال ما جئتك حتى أبكيت والدى فقال ارجع اليهما فأضحكهما كما أبكيتهما: أبوداود والنسائى وابن ماجه والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح الاسناد

(٣) حديث حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده: أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب من حديث أبى هريرة ورواه أبوداود فى المراسيل من رواية سعيد بن عمرو بن العاص مرسلا ووصله صاحب مسند الفردوس فقال عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه عن جده سعيد بن العاص واسناده ضعيف

(٤) حديث اذا استصعب على أحدكم دابته أوساء خلق زوجته أو أحد من أهل بيته فليؤذن فى أذنه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث الحسين بن على بن ابى طالب بسند ضعيف نحوه

(٥) حديث كان من آخر ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون الحديث الخ وهو مفرق فى عدة أحاديث فروى أبوداود من حديث على كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم وفى الصحيحين من حديث انس كان آخر وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم ولهما من حديث أبى ذر أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم مايغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم لفظ رواية مسلم وفى رواية لأبى داود من لايمكم من مملوكيكم فأطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ومن لايلايمكم منهم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله تعالى واسناده صحيح

وَمَا كَرِهْتُمْ فَبِيعُوا وَلَا تُعَذِّبُوا خَلْقَ اللهِ فَإِنَّ اللهَ مَلَّكَكُمْ إِيَّاهُمْ وَلَوْ شَاءَ لَمَلَّكَهُمْ إِيَّاكُمْ » وقال صلى الله عليه وسلم [1] « لِلْمَمْلُوكِ طَعَامُهُ وَكِسْوَتُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يُكَلَّفُ مِنَ الْعَمَلِ مَا لَا يُطِيقُ » وقال عليه السلام [2] « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ خَبٌّ وَلَا مُتَكَبِّرٌ وَلَا خَائِنٌ وَلَا سَيِّئُ الْمَلَكَةِ » وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [3] فقال يارسول الله ، كم نعفو عن الخادم ؟ فصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « اعْفُ عَنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً » وكان عمر رضي الله عنه يذهب إلى العوالى فى كل يوم سبت ، فإذا وجد عبدا فى عمل لا يطيقه وضع عنه منه

ويروى عن أبى هريرة رضي الله عنه ، أنه رأى رجلا على دابته ، وغلامه يسعى خلفه فقال له ياعبدالله، احمله خلفك فإنما هو أخوك : روحه مثل روحك . فحمله ، ثم قال: لا يزال العبد يزداد من الله بعدا مامشى خلفه . وقالت جارية لأبى الدرداء : إنى سممتك منذ سنة ، فما عمل فيك شيئا ! فقال لم فعلت ذلك ؟ فقالت أردت الراحة منك . فقال اذهبى فأنت حرة لوجه الله . وقال الزهرى: متى قلت للمملوك أخزاك الله فهو حر . وقيل للأحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم. قيل فما بلغ من حلمه ؟ قال بينما هو جالس فى داره ، إذ أتته خادمة له بسفود عليه شواء ، فسقط السفود من يدها على ابن له ، فنقره فمات ، فدهشت الجارية فقال ليس يسكن روع هذه الجارية إلا العتق، فقال لها أنت حرة لا بأس عليك . وكان عون بن عبد الله إذا عصاه غلامه قال: ما أشبهك بمولاك، مولاك يعصى مولاه ، وأنت تعصى مولاك . فأغضبه يوما، فقال إنما تريد أن أضربك اذهب فأنت حر . وكان عند ميمون بن مهران ضيف ، فاستعجل على جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوءة ، فعثرت وأراقتها على رأس سيدها ميمون ، فقال ياجارية

---

(١) حديث للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق: مسلم من حديث أبى هريرة

(٢) حديث لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خائن ولا سيء الملكة: أحمد مجموعا والترمذى مفرقا وابن ماجه مقتصرا على سيء الملكة من حديث ابي بكر وليس عند احد منهم متكبر وزاد احمد والترمذى البخيل والمنان وهو ضعيف وحسن الترمذى احد طريقيه

(٣) حديث ابن عمر جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت ثم قال اعف عنه كل يوم سبعين مرة أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح غريب

أحرقتني، قالت يامعلم الخير، ومؤدب الناس، ارجع إلى ماقال الله تعالى؟ قال وماقال الله تعالى: قالت قال (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ[١]) قال قد كظمت غيظي. قالت (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ[٢]) قال قد عفوت عنك قالت زد فإن الله تعالى، يقول (والله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ[٣]) قال أنت حرة لوجه الله تعالى وقال ابن المنكدر. إن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] ضرب عبدا له فجعل العبد يقول أسألك بالله، أسألك بوجه الله، فلم يعفه. فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد، فانطلق إليه، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك يده، فقال رسول الله «سَأَلَكَ بِوَجْهِ اللهِ فَلَمْ تُعْفِهِ فَلَمَّا رَأَيْتَنِي أَمْسَكْتَ يَدَكَ» قال فإنه حر لوجه الله يارسول الله. فقال «لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَسَفَعَتْ وَجْهَكَ النَّارُ» وقال صلى الله عليه وسلم[٢] «الْعَبْدُ إِذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ اللهِ فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ» ولما أعتق أبو رافع بكى وقال: كان لي أجران فذهب أحدهما. وقال صلى الله عليه وسلم[٣] «عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَأَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ فَأَمَّا أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَالشَّهِيدُ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَنَصَحَ لِسَيِّدِهِ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، وَأَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ أَمِيرٌ مُسَلَّطٌ، وَذُو ثَرْوَةٍ لَا يُعْطِي حَقَّ اللهِ، وَفَقِيرٌ فَخُورٌ» وعن أبي مسعود الأنصاري قال[٤] بينا أنا أضرب غلاما لي، إذ سمعت صوتا من خلفي، اعلم يا أبا مسعود مرتين، فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فألقيت السوط من يدي، فقال «وَاللهِ

---

(١) حديث ابن المنكدر أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل العبد يقول أسألك بالله أسألك بوجه الله فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد ـ الحديث ابن المبارك في الزهد مرسلا وفي رواية لمسلم في حديث أبي مسعود الآتي ذكره فجعل يقول أعوذ بالله قال فجعل يضربه فقال أعوذ برسول الله فتركه وفي رواية له فقلت هو حر لوجه الله فقال أما إنك لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار

(٢) حديث إذا نصح العبد لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين: متفق عليه من حديث ابن عمر

(٣) حديث عرض علي أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار فأول ثلاثة يدخلون الجنة الشهيد وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده ـ الحديث: الترمذي وقال حسن وابن حبان من حديث أبي هريرة

(٤) حديث أبي مسعود الأنصاري بينا أنا أضرب غلاما لي سمعت صوتا من خلفي اعلم أبا مسعود مرتين الحديث: رواه مسلم

(١)، (٢)، (٣) آل عمران: ٤٣١

لَلّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا » وقال صلى الله عليه وسلم (١) « إِذَا ابْتَاعَ أَحَدُكُمُ الْخَادِمَ فَلْيَكُنْ أَوَّلُ شَيْءٍ يُطْعِمُهُ الْحُلْوَ فَإِنَّهُ أَطْيَبُ لِنَفْسِهِ » رواه معاذ . وقال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ فَلْيُجْلِسْهُ وَلْيَأْكُلْ مَعَهُ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلْيُنَاوِلْهُ لُقْمَةً » وفى رواية « إِذَا كَفَى أَحَدَكُمْ مَمْلُوكُهُ صَنْعَةَ طَعَامِهِ فَكَفَاهُ حَرَّهُ وَمُؤْنَتَهُ وَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ فَلْيُجْلِسْهُ وَلْيَأْكُلْ مَعَهُ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلْيُنَاوِلْهُ أَوْ لِيَأْخُذْ أَكْلَةً فَلْيُرَوِّغْهَا » وأشار بيده « وَلْيَضَعْهَا فِي يَدِهِ وَلْيَقُلْ كُلْ هَذِهِ »

ودخل على سلمان رجل وهو يعجن ، فقال ياأبا عبد الله ماهذا ؟ فقال بعثنا الخادم فى شغل ، فكرهنا أن نجمع عليه عملين . وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ جَارِيَةٌ فَصَانَهَا وَأَحْسَنَ إِلَيْهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَذَلِكَ لَهُ أَجْرَانِ » وقد قال صلى الله عليه وسلم (٤) « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ »

فجملة حق المملوك أن يشركه فى طعمته وكسوته ، ولا يكلفه فوق طاقته ، ولا ينظر إليه بعين الكبر والازدراء ، وأن يعفو عن زلته ، ويتفكر عند غضبه عليه بهفوته أو بجنايته فى معاصيه وجنايته على حق الله تعالى ، وتقصيره فى طاعته ، مع أن قدرة الله عليه فوق قدرته وروى فضالة بن عبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم (٥) قال « ثَلَاثَةٌ لَا يُسْأَلُ عَنْهُمْ رَجُلٌ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ ، وَرَجُلٌ عَصَى إِمَامَهُ فَمَاتَ عَاصِيًا ، فَلَا يُسْأَلُ عَنْهُمَا وَامْرَأَةٌ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا وَقَدْ كَفَاهَا مُؤْنَةَ الدُّنْيَا فَتَبَرَّجَتْ بَعْدَهُ فَلَا يُسْأَلُ عَنْهَا ، وَثَلَاثَةٌ لَا يُسْأَلُ عَنْهُمْ ، رَجُلٌ يُنَازِعُ اللهَ رِدَاءَهُ وَرِدَاؤُهُ الْكِبْرِيَاءُ وَإِزَارُهُ الْعِزُّ ، وَرَجُلٌ فِي شَكٍّ مِنَ اللهِ ، وَقُنُوطٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ »

تم كتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق

---

(١) حديث معاذ إذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شيء يطعمه الحلو فانه أطيب لنفسه : الطبرانى فى الأوسط والخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف

(٢) حديث أبى هريرة وليأكل معه فان أبى فليناوله وفى رواية إذا كفى أحدكم مملوكه صنعة طعامه الحديث متفق عليه مع اختلاف لفظ وهو فى مكارم الأخلاق للخرائطى باللفظين اللذين ذكرهما المصنف غير أنه لم يذكر علاجه وهذه اللفظة عند البخارى

(٣) حديث من كانت عنده جارية فعالها وأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها فذلك له أجران : متفق عليه من حديث أبى موسى

(٤) حديث كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم

(٥) حديث فضيلة بن عبيد ثلاثة لا يسأل عنهم رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصيا ـ الحديث الطبرانى والحاكم وصححه

كتاب آداب العزلة

كتاب آداب العزلة

وهو الكتاب السادس من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أعظم النعمة على خيرة خلقه وصفوته ، بأن صرف هممهم إلى مؤانسته وأجزل حظهم من التلذذ بمشاهدة آلائه وعظمته ، وروح أسرارهم بمناجاته وملاطفته وحقر فى قلوبهم النظر إلى متاع الدنيا وزهرتها ، حتى اغتبط بعزلته كل من طويت الحجب عن مجارى فكرته ، فاستأنس بمطالعة سبحات وجهه تعالى فى خلوته ، واستوحش بذلك عن الأنس بالأنس وإن كان من أخص خاصته . والصلاة على سيدنا محمد سيد أنبيائه وخيرته وعلى آله وصحابته سادة الحق وأئمته

أما بعد : فإن للناس اختلافاً كثيراً فى العزلة والمخالطة ، وتفضيل إحداهما على الأخرى مع أن كل واحدة منهما لا تنفك عن غوائل تنفر عنها ، وفوائد تدعو إليها ، وميل أكثر العبّاد والزهاد إلى اختيار العزلة ، وتفضيلها على المخالطة . وما ذكرناه فى كتاب الصحبة من فضيلة المخالطة والمؤاخاة والمؤالفة ، يكاد يناقض ما مال إليه الأكثرون ، من اختيار الاستيحاش والخلوة ؛ فكشفُ الغطاء عن الحق فى ذلك مهم ، ويحصل ذلك برسم بابين

الباب الأول : فى نقل المذاهب والحجج فيها

الباب الثانى : فى كشف الغطاء عن الحق بحصر الفوائد والغوائل

الباب الأول

فى نقل المذاهب والأقاويل وذكر حجج الفريقين فى ذلك

أما المذاهب : فقد اختلف الناس فيها ، وظهر هذا الاختلاف بين التابعين . فذهب إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة ، سفيان الثورى ، وإبراهيم بن أدهم ، وداود الطائى وفضيل بن عياض ، وسليمان الخواص ، ويوسف بن أسباط ، وحذيفة المرعشي ، وبشر الحافى

وقال أكثر التابعين باستحباب المخالطة، واستكثار المعارف والإخوان ، والتألف والتحبب إلى المؤمنين ؛ والاستعانة بهم فى الدين ، تعاوناً على البر والتقوى . ومال إلى هذا سعيد بن المسيب والشعبي ، وابن أبي ليلى ، وهشام بن عروة ، وابن شبرمة ، وشريح ، وشريك بن عبد الله وابن عيينة ، وابن المبارك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وجماعة

والمأثور عن العلماء من الكلمات ؛ ينقسم إلى كلمات مطلقة تدل على الميل إلى أحد الرأيين وإلى كلمات مقرونة بما يشير إلى علة الميل . فلننقل الآن مطلقات تلك الكلمات ، لنبين المذاهب فيها ، وما هو مقرون بذكر العلة نورده عند التعرض للفوائل والفوائد فنقول :

قد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال : خذوا بحظكم من العزلة . وقال ابن سيرين : العزلة عبادة . وقال الفضيل : كفى بالله محبا ، وبالقرءان مؤنساً ، وبالموت واعظاً . وقيل : اتخذ الله صاحباً ، ودع الناس جانباً . وقال أبو الربيع الزاهد ، لداود الطائى : عظنى. قال: صم عن الدنيا ، واجعل فطرك الآخرة ، وفر من الناس فرارك من الأسد . وقال الحسن رحمه الله كلمات أحفظهن من التوراة ، قنع ابن آدم فاستغنى ، اعتزل الناس فسلم ، ترك الشهوات فصار حراً ، ترك الحسد فظهرت مروءته ، صبر قليلا فتمتع طويلا . وقال وهيب بن الورد : بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء ، تسعة منها فى الصمت ، والعاشر فى عزلة الناس. وقال يوسف ابن مسلم ، لعلى بن بكار : ما أصبرك على الوحدة ؟ وقد كان لزم البيت ، فقال : كنت وأنا شاب أصبر على أكثر من هذا ، كنت أجالس الناس ولا أكلمهم . وقال سفيان الثورى : هذا وقت السكوت ، وملازمة البيوت . وقال بعضهم : كنت فى سفينة ، ومعنا شاب من العلوية ، فمكث معنا سبعاً لا نسمع له كلاماً ؛ فقلنا له ياهذا قد جمعنا الله وإياك منذ سبع ولا نراك تخالطنا ولا تكلمنا ؟ فأنشأ يقول :

قليل الهم لا ولد يموت * ولا أمر يحاذره يفوت
قضى وطر الصبا وأفاد علما * فغايته التفرد والسكوت

وقال إبراهيم النخعى لرجل : تفقه ثم اعتزل . وكذا قال الربيع بن خثيم . وقيل كان مالك بن أنس يشهد الجنائز ، ويعود المرضى ويعطى الإخوان حقوقهم. فترك ذلك واحداً واحداً

حتى تركها كلها ، وكان يقول : لا يتهيأ للمرء أن يخبر بكل عذر له . وقيل لعمر ابن عبد العزيز : لو تفرغت لنا ؟ فقال ذهب الفراغ ، فلا فراغ إلا عند الله تعالى . وقال الفضيل إني لأجد للرجل عندي يدا إذا لقيني أن لا يسلم عليّ وإذا مرضت أن لا يعودني . وقال أبو سليمان الداراني : بينما الربيع بن خثيم جالس على باب داره ، إذ جاءه حجر فصك جبهته فشجه ، فجعل يمسح الدم ويقول : لقد وعظت يا ربيع . فقام ودخل داره . فما جلس بعد ذلك على باب داره حتى أخرجت جنازته

وكان سعد بن أبي وقاص ؛ وسعيد بن زيد لزما بيوتهما بالعقيق ، فلم يكونا يأتيان المدينة لجمعة ولا غيرها ، حتى ماتا بالعقيق . وقال يوسف بن أسباط : سمعت سفيان الثوري يقول : والله الذي لا إله إلا هو ، لقد حلت العزلة . وقال بشر بن عبد الله : أقل من معرفة الناس فإنك لا تدري ما يكون يوم القيامة فإن تكن فضيحة كان من يعرفك قليلا . ودخل بعض الأمراء على حاتم الأصم ، فقال له ألك حاجة ؟ قال نعم . قال ما هي ؟ قال أن لا تراني ولا أراك ولا تعرفني . وقال رجل لسهل . أريد أن أصحبك ، فقال إذا مات أحدنا فمن يصحب الآخر ؟ قال الله ، قال فليصحبه الآن . وقيل للفضيل : إن عليا ابنك يقول ، لوددت أني في مكان أرى الناس ولا يروني . فبكى الفضيل وقال : يا ويح علي ، أفلا أتمها فقال لا أراهم ولا يروني وقال الفضيل أيضا : من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه . وقال ابن عباس رضي الله عنهما أفضل المجالس مجلس في قعر بيتك لا ترى ولا ترى . فهذه أقاويل المائلين إلى العزلة

ذكر حجج

المائلين إلى المخالطة ووجه ضعفها

احتج هؤلاء بقوله تعالى (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا[1]) الآية وبقوله تعالى (فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ[2]) امتن على الناس بالسبب المؤلف . وهذا ضعيف ، لأن المراد به تفرق الآراء ، واختلاف المذاهب في معاني كتاب الله ، وأصول الشريعة . والمراد بالألفة نزع الغوائل من الصدور ، وهي الأسباب المثيرة للفتن ، المحركة للخصومات . والعزلة لا تنافي ذلك

(١) آل عمران : ١٠٥ (٢) آل عمران : ١٠٣

واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم [١] « اَلْمُؤْمِنُ إِلْفٌ مَأْلُوفٌ وَلاَخَيْرَ فِيمَنْ لاَيَأْلَفُ وَلاَ يُؤْلَفُ » وهذا أيضا ضعيف ، لأنه إشارة إلى مذمة سوء الخلق ، التى تمتنع بسببه المؤالفة ولا يدخل تحته الحسن الخلق ، الذى إن خالط ألف وأُلف ، ولكنه ترك المخالطة اشتغالا بنفسه وطلبا للسلامة من غيره

واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم « مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْراً خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ » وقال [٢] « مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ فَمِيتَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ » وبقوله صلى الله عليه وسلم [٣] « مَنْ شَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمُونَ فِى إِسْلاَمٍ دَامِجٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ » وهذا ضعيف ، لأن المراد به الجماعة التي اتفقت آراؤهم على إمام بعقد البيعة ، فالخروج عليهم بغي وذلك مخالفة بالرأي وخروج عليهم ، وذلك محظور ، لاضطرار الخلق إلى إمام مطاع يجمع رأيهم ، ولا يكون ذلك إلا بالبيعة من الأكثر ، فالمخالفة فيها تشويش مثير للفتنة ، فليس فى هـــذا تعرض للعزلة

واحتجوا بنهيه صلى الله عليه وسلم عن الهجر فوق ثلاث ، إذ قال « [٤] مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ فَمَاتَ دَخَلَ النَّارَ » وقال عليه السلام [٥] « لاَ يَحِلُّ لِامْرِىءٍ مُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ وَالسَّابِقُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ » وقال « مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ [٦] سَنَةً فَهُوَ كَسَافِكِ دَمِهِ »

﴿ كتاب العزلة ﴾

(الباب الأول فى نقل المذاهب والحجج فيها)

(١) حديث المؤمن إلف مألوف ـ الحديث تقدم فى الباب الأول من آداب الصحبة

(٢) حديث من ترك الجماعة فمات فميتته جاهلية: مسلم من حديث أبى هريرة وقد تقدم فى الباب الخامس من كتاب الحلال والحرام

(٣) حديث من شق عصا المسلمين والمسلمون فى إسلام دامج فقد خلع ربقة الاسلام :الطبرانى والخطابى فى العزلة من حديث ابن عباس بسند جيد

(٤) حديث من هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار : أبو داود من حديث أبى هريرة باسناد صحيح

(٥) حديث لايحل لامرىء أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق بالصلح يدخل الجنة : متفق عليه من حديث أنس دون قوله والسابق بالصلح زاد فيه الطبرانى والذى يبدأ بالصلح يسبق الى الجنة

(٦) حديث من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه: أبوداود من حديث أبى خراش السلمى واسمه حدرد ابن أبى حدرد واسناده صحيح

قالوا والعزلة هجره بالكلية . وهذا ضعيف ، لأن المراد به الغضب على الناس ، واللجاج فيه بقطع الكلام والسلام والمخالطة المعتادة . فلا يدخل فيه ترك المخالطة أصلا من غير غضب مع أن الهجر فوق ثلاث جائز فى موضعين : أحدهما أن يرى فيه صلاحا للمهجور فى الزيادة والثانى أن يرى لنفسه سلامة فيه والنهي وإن كان عاما فهو محمول على ما وراء الموضعين المخصوصين ، بدليل ماروى عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم [1] هجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر . وروي عن عمر أنه صلى الله عليه وسلم [2] اعتزل نساءه وآلى منهن شهرا ، وصعد إلى غرفة له ، وهى خزانته ، فلبث تسعا وعشرين يوما ، فلما نزل ، قيل له إنك كنت فيها تسعا وعشرين ، فقال « الشَّهْرُ قَدْ يَكُونُ تِسْعاً وَعِشْرِينَ » وروت عائشة رضي الله عنها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال [3] « لاَيَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ لاَتُؤْمَنُ بَوَائِقُهُ » فهذا صريح فى التخصيص ، وعلى هذا ينزل قول الحسن رحمه الله حيث قال : هجران الأحمق قربة إلى الله . فإن ذلك يدوم إلى الموت ، إذ الحماقة لاينتظر علاجها . وذكر عند محمد بن عمر الواقدى رجل هجر رجلا حتى مات ، فقال : هذا شيء قد تقدم فيه قوم ، سعد بن أبى وقاص كان مهاجرا لعمار بن ياسر حتى مات ، وعثمان بن عفان كان مهاجرا لعبد الرحمن بن عوف ، وعائشة كانت مهاجرة لحفصة وكان طاوس مهاجرا لوهب بن منبه حتى ماتا . وكل ذلك يحمل على رؤيتهم سلامتهم فى المهاجرة واحتجوا بما روى [4] أن رجلا أتى الجبل ليتعبد فيه ، فجيء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « لاَتَفْعَلْ أَنْتَ وَلاَ أَحَدٌ مِنْكُمْ لَصَبْرُ أَحَدِكُمْ فِي بَعْضِ مَوَاطِنِ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ عِبَادَةِ أَحَدِكُمْ وَحْدَهُ أَرْبَعِينَ عَامًا » والظاهر أن هذا إنما كان لما فيه من ترك الجهاد

---

(١) حديث انه صلى الله عليه وسلم هجر عائشة ذا الحجة والمحرم وبعض صفر قلت انما هجر زينب هذه المدة كما رواه أبو داود من حديث عائشة وسكت عليه فهو عنده صالح

(٢) حديث عمر أنه صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وآلى منهن شهرا ـ الحديث : متفق عليه

(٣) حديث عائشة لايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث الا أن يكون ممن لايأمن بوائقه : ابن عدى وقال غريب المتن والاسناد وحديث عائشة عند أبى داود دون الاستثناء باسناد صحيح

(٤) حديث ان رجلا أتى الجبل ليتعبد فيه فجيء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاتفعل الحديث : البيهقى من حديث عيسى بن سلامة قال ابن عبد البر يقولون ان حديثه مرسل وكذا ذكره ابن حبان فى ثقات التابعين

مع شدة وجوبه فى ابتداء الإسلام ، بدليل ما روي عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال : غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [1] فمررنا بشعب فيه عيينة طيبة الماء فقال واحد من القوم : لو اعتزلت الناس فى هذا الشعب ، ولن أفعل ذلك حتى أذكره لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم « لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ مُقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِهِ فِي أَهْلِهِ سِتِّينَ عَامًا، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَتَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ؟ اغْزُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَإِنَّهُ مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ »

واحتجوا بما روى معاذ بن جبل ، أنه صلى الله عليه وسلم [2] قال « إِنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الْإِنْسَانِ كَذِئْبِ الْغَنَمِ يَأْخُذُ الْقَاصِيَةَ وَالنَّاحِيَةَ وَالشَّارِدَةَ وَإِيَّاكُمْ وَالشِّعَابَ وَعَلَيْكُمْ بِالْعَامَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَالْمَسَاجِدِ » وهذا إنما أراد به من اعتزل قبل تمام العلم ، وسيأتى بيان ذلك وأن ذلك ينهى عنه إلا لضرورة

ذكر حجج

المائلين إلى تفضيل العزلة

احتجوا بقوله تعالى ، حكاية عن إبراهيم عليه السلام (وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي [1]) الآية ثم قال تعالى (فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا [2]) إشارة إلى أن ذلك ببركة العزلة . وهذا ضعيف لأن مخالطة الكفار لا فائدة فيها إلا دعوتهم إلى الدين ، وعند اليأس من إجابتهم فلا وجه إلا هجرهم

---

(١) حديث أبى هريرة غزونا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررنا بشعب فيه عيينة طيبة الماء غزيرة فقال واحد من القوم لو اعتزلت الناس فى هذا الشعب ـ الحديث : الترمذى وقال حسن صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم الا أن الترمذى قال سبعين عاما

(٢) حديث معاذ بن جبل الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ القاصية : أحمد والطبرانى ورجاله ثقات الا أن فيه انقطاعا

---

(١) مريم : ٤٨ (٢) مريم : ٩٤

وإنما الكلام فى مخالطة المسلمين وما فيها من البركة ، لما روي أنه قيل يا رسول الله (١) الوضوء من جر مخمر أحب اليك أو من هذه المطاهر التى يتطهر منها الناس ؟ فقال « بَلْ مِنْ هَذِهِ الْمَطَاهِرِ الْتِمَاساً لِبَرَكَةِ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ » وروي أنه صلى الله عليه وسلم (٢) لما طاف بالبيت ، عدل إلى زمزم ليشرب منها ، فإذا التمر المنقع فى حياض الأدم وقد مغثه الناس بأيديهم ، وهم يتناولون منه ويشربون ، فاستسقى منه ، وقال اسقُونى . فقال العباس إن هذا النبيذ شراب قد مغث وخيض بالأيدى ، أفلا آتيك بشراب أنظف من هذا من جر مخمر فى البيت؟ فقال « اسْقُونِي مِنْ هَذَا الَّذِي يَشْرَبُ مِنْهُ النَّاسُ أَلْتَمِسُ بَرَكَةَ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ » فشرب منه . فإذاً كيف يستدل باعتزال الكفار والأصنام على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم

واحتجوا أيضا بقول موسى عليه السلام (وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ (١)) وإنه فزع إلى العزلة عند اليأس منهم . وقال تعالى فى أصحاب الكهف (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ (٢)) أمرهم بالعزلة . وقد اعتزل نبينا صلى الله عليه وسلم (٣) قريشا لما آذوه وجفوه ، ودخل الشعب ! وأمر أصحابه باعتزالهم والهجرة إلى أرض الحبشة ، ثم تلاحقوا به إلى المدينة ، بعد أن أعلى الله كلمته . وهذا أيضا

---

(١) حديث قيل له صلى الله عليه وسلم الوضوء من جر مخمر أحب اليك أو من هذه المطاهر التى يطهر منها الناس فقال بل من هذه المطاهر ـ الحديث : الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عمر وفيه ضعف

(٢) حديث لما طاف بالبيت عدل الى زمزم يشرب منها فاذا التمر منقع فى حياض الأدم قد مغثه الناس بأيديهم ـ الحديث : وفيه فقال اسقونى من هذا الذى يشرب منه الناس رواه الأزرقى فى تاريخ مكة من حديث ابن عباس بسند ضعيف ومن رواية طاوس مرسلا نحوه

(٣) حديث اعتزاله صلى الله عليه وسلم قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والهجرة الى الحبشة الحديث : رواه موسى بن عقبة فى المغازى ومن طريقه البيهقى فى الدلائل عن ابن شهاب مرسلا ورواه ابن سعد فى الطبقات من رواية ابن شهاب على بن أبى بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام مرسلا أيضا ووصله من رواية أبى سلمة الحضرمى عن ابن عباس الا أن ابن سعد ذكر أن المشركين حصروا بنى هاشم فى الشعب وذكر موسى بن عقبة ان اباطالب جمع بنى عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ومغازى موسى بن عقبة أصح المغازى وذكر موسى بن عقبة أيضا أنه أمر أصحابه حين دخل الشعب بالخروج إلى أرض الحبشة ولأبى داود من حديث أبى موسى أمرنا النبى صلى الله عليه وسلم أن ننطلق إلى أرض النجاشى قال البيهقى وإسناده صحيح ولأحمد من حديث ابن مسعود بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى وروى ابن إسحق باسناد جيد ومن طريقه البيهقى فى الدلائل من حديث أم سلمة أن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده فألحقوا ببلاده ـ الحديث

(١) الدخان : ٢١ (٢) الكهف : ١٦

اعتزال عن الكفار بعد اليأس منهم ، فإنه صلى الله عليه وسلم لم يعتزل المسلمين ، ولا من توقع إسلامه من الكفار . وأهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضا وهم مؤمنون ، وإنما اعتزلوا الكفار . وإنما النظر فى العزلة من المسلمين

واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم [١] لعبد الله بن عامر الجهنى ، لما قال يارسول الله، ماالنجاة؟ قال « لِيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ » وروي أنه قيل له صلى الله عليه وسلم [٢] أى الناس أفضل ؟ قال « مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِى سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى » قيل ثم من ؟ قال « رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِى شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ » وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ »

وفى الاحتجاج بهذه الأحاديث نظر . فأما قوله لعبد الله بن عامر ، فلا يمكن تنزيله إلا على ما عرفه صلى الله عليه وسلم بنور النبوة من حاله ، وأن لزوم البيت كان أليق به وأسلم له من المخالطة ، فإنه لم يأمر جميع الصحابة بذلك ، ورب شخص تكون سلامته فى العزلة لا فى المخالطة ، كما قد تكون سلامته فى القعود فى البيت ، وأن لا يخرج إلى الجهاد . وذلك لا يدل على أن ترك الجهاد أفضل . وفى مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [٤] « الَّذِى يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الَّذِى لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ » وعلى هذا ينزل قوله عليه السلام « رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ يَعْبُدُ رَبَّهُ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ » فهذا إشارة إلى شرير بطبعه ، تتأذى الناس بمخالطته . وقوله « إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّقِيَّ الْخَفِيَّ » إشارة إلى إيثار الخمول، وتوقى الشهرة ، وذلك لا يتعلق بالعزلة

---

(١) حديث سأله عقبة بن عامر يارسول الله ماالنجاة فقال ليسعك بيتك ـ الحديث : الترمذي من حديث عقبة وقال حسن

(٢) حديث أى الناس أفضل فقال مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله قيل ثم من قال رجل معتزل الحديث : متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدرى

(٣) حديث ان الله يحب العبد التقى النقى الخفى مسلم: من حديث سعد بن أبى وقاص

(٤) حديث الذي يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم : الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر ولم يسم الترمذي الصحابى قال شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والطريق واحد

فكم من راهب معتزل تعرفه كافة الناس . وكم من مخالط خامل لا ذكر له ولا شهرة فهذا تعرض لأمر لا يتعلق بالعزلة . واحتجوا بما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه[1] « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ ؟ » قالوا بلى يارسول الله . فأشار بيده نحو المغرب وقال « رَجُلٌ آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ يَنْتَظِرُ أَنْ يُغِيرَ أَوْ يُغَارَ عَلَيْهِ . أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ بَعْدَهُ ؟ » وأشار بيده نحو الحجاز وقال « رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ يُقِيمُ الصَّلَاةَ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ وَيَعْلَمُ حَقَّ اللهِ فِي مَالِهِ اعْتَزَلَ شُرُورَ النَّاسِ »

فإذا ظهر أن هذه الأدلة لاشفاء فيها من الجانبين ، فلا بد من كشف الغطاء بالتصريح بفوائد العزلة وغوائلها ، ومقايسة بعضها بالبعض ، ليتبين الحق فيها .

الباب الثاني

في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضلها

اعلم أن اختلاف الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة . وقد ذكرنا أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص ؛ بحسب ما فصلناه من آفات النكاح وفوائده . فكذلك القول فيما نحن فيه . فلنذكر أولا فوائد العزلة ، وهي تنقسم إلى فوائد دينية ودنيوية ، والدينية تنقسم إلى ما يمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة ، والمواظبة على العبادة ، والفكر وتربية العلم ، وإلى تخلص من ارتكاب المناهي التي يتعرض الإنسان لها بالمخالطة كالرياء والغيبة . والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة ، من جلساء السوء . وأما الدنيوية ، فتنقسم إلى ما يمكن من التحصيل بالخلوة ، كتمكن المحترف في خلوته إلى ما يخلص من محذورات يتعرض لها بالمخالطة ، كالنظر إلى زهرة الدنيا وإقبال الخلق عليها ، وطمعه في الناس ، وطمع الناس فيه ، وانكشاف ستر مروءته بالمخالطة ، والتأذي بسوء خلق الجليس في مرائه أو سوء ظنه ، أو نميمته أو محاسدته أو التأذي بثقله وتشويه خلقته ، وإلى هذا ترجع مجامع فوائد العزلة فلنحصرها في ست فوائد

---

(١) ألا أنبئكم بخير الناس قالوا بلى قال فأشار بيده نحو المغرب وقال رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه ـ الحديث : الطبراني من حديث أم مبشر الا أنه قال نحو المشرق بدل المغرب وفيه ابن اسحق رواه بالعنعنة وللترمذي والنسائي نحوه مختصرا من حديث ابن عباس قال الترمذي حديث حسن

الفائدة الأولى

التفرغ للعبادة والفكر ، والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق ، والاشتغال باستكشاف أسرار الله تعالى فى أمر الدنيا والآخرة ، وملكوت السموات والأرض ، فإن ذلك يستدعى فراغا ، ولا فراغ مع المخالطة . فالعزلة وسيلة إليه . ولهذا قال بعض الحكماء لا يتمكن أحد من الخلوة إلا بالتمسك بكتاب الله تعالى ، والمتمسكون بكتاب الله تعالى هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله ، الذاكرون الله بالله ، عاشوا بذكر الله ، وماتوا بذكر الله ولقوا الله بذكر الله . ولا شك فى أن هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر ، فالعزلة أولى بهم . ولذلك كان صلى الله عليه وسلم [1] فى ابتداء أمره يتبتل فى جبل حراء ، وينعزل إليه ، حتى قوى فيه نور النبوة ، فكان الخلق لا يحجبونه عن الله ، فكان ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله تعالى ، حتى كان الناس يظنون أن أبا بكر خليله ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن استغراق همه بالله فقال [2] « لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً وَلَكِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ » ولن يسع الجمع بين مخالطة الناس ظاهرا ، والإقبال على الله سرا ، إلا قوة النبوة . فلا ينبغى أن يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع فى ذلك ولا يبعد أن تنتهى درجة بعض الأولياء إليه . فقد نقل عن الجنيد أنه قال : أنا أكلم الله منذ ثلاثين سنة ، والناس يظنون أنى أكلمهم . وهذا إنما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقا لا يبقى لغيره فيه متسع . وذلك غير منكر . فنى المشتهرين بحب الخلق ، من يخالط الناس ببدنه ، وهو لا يدرى مايقول ، ولا مايقال له ، لفرط عشقه لمحبوبه ، بل الذى دهاه مسلم يشوش عليه أمراً من أمور دنياه ، فقد يستغرقه لهم بحيث يخالط الناس ولا يحس بهم

(الباب الثانى فى فوائد العزلة وغوائلها)

(١) حديث كان صلى الله عليه وسلم فى أول أمره يتبتل فى جبل حراء وينعزل اليه : متفق عليه من حديث عائشة نحوه فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه ـ الحديث :

(٢) حديث لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله : مسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

ولا يسمع أصواتهم ، لشدة استغراقه . وأمر الآخرة أعظم عند العقلاء ، فلا يستحيل ذلك فيه . ولكن الأولى بالأكثرين الاستعانة بالعزلة . ولذلك قيل لبعض الحكماء : ماالذى أرادوا بالخلوة واختيار العزلة ؟ فقال : يستدعون بذلك دوام الفكرة ، وتثبت العلوم فى قلوبهم ، ليحيوا حياة طيبة ، ويذوقوا حلاوة المعرفة . وقيل لبعض الرهبان : ماأصبرك على الوحدة ! فقال : ما أنا وحدى ، أنا جليس الله تعالى ، إذا شئت أن يناجينى قرأت كتابه وإذا شئت أن أناجيه صليت . وقيل لبعض الحكماء : إلى أي شيء أفضى بكم الزهد والخلوة؟ فقال إلى الأنس بالله . وقال سفيان بن عيينة : لقيت إبراهيم بن أدهم رحمه الله فى بلاد الشام فقلت له يا ابراهيم ، تركت خراسان ، فقال ما تهنأت بالعيش إلا ههنا ، أفر بدينى من شاهق إلى شاهق ، فمن يرانى يقول موسوس أو حمال أو ملاح . وقيل لغزوان الرقاشى : هبك لاتضحك ، فما يمنعك من مجالسة إخوانك ؟ قال إنى أصيب راحة قلبى فى مجالسة من عنده حاجتى . وقيل للحسن : يا أبا سعيد ، هٰهنا رجل لم نره قط جالسا إلا وحده خلف سارية فقال الحسن : إذا رأيتموه فأخبرونى به ، فنظروا إليه ذات يوم ، فقالوا للحسن هذا الرجل الذى أخبرناك به ، وأشاروا إليه . فمضى إليه الحسن وقال له : ياعبد الله ، أراك قد حببت إليك العزلة ، فما يمنعك من مجالسة الناس ؟ فقال أمر شغلنى عن الناس . قال فما يمنعك أن تأتى هذا الرجل الذى يقال له الحسن فتجلس إليه ؟ فقال أمر شغلنى عن الناس وعن الحسن فقال له الحسن : وما ذاك الشغل يرحمك الله؟ فقال إنى أصبح وأمسى بين نعمة وذنب فرأيت أن أشغل نفسى بشكر الله تعالى على النعمة ، والاستغفار من الذنب . فقال له الحسن: أنت ياعبد الله أفقه عندى من الحسن ، فالزم ما أنت عليه .

وقيل بينما أويس القرنى جالس، إذ أتاه هرم بن حيان، فقال له أويس: ماجاء بك ؟قال جئت لآنس بك. فقال أويس: ما كنت أرى أن أحداً يعرف ربه فيأنس بغيره. وقال الفضيل: إذا رأيت الليل مقبلا فرحت به ، وقلت أخلو بربى . وإذا رأيت الصبح أدركنى، استرحمت كراهية لقاء الناس ، وأن يجيئنى من يشغلنى عن ربى . وقال عبد الله بن زيد . طوبى لمن عاش فى الدنيا وعاش فى الآخرة . قيل له وكيف ذلك ؟ قال يناجي الله فى الدنيا ، ويجاوره فى الآخرة .

وقال ذو النون المصرى: سرور المؤمن ولذته فى الخلوة بمناجاة ربه. وقال مالك بن دينار من لم يأنس بمحادثة الله عز وجل عن محادثة المخلوقين، فقد قل علمه، وعمي قلبه، وضيع عمره. وقال ابن المبارك. ماأحسن حال من انقطع إلى الله تعالى.

ويروى عن بعض الصالحين أنه قال: بينما أنا أسير فى بعض بلاد الشام، إذا أنا بعابد خارج من بعض تلك الجبال. فلما نظر إلىّ، تنحى إلى أصل شجرة، وتستر بها. فقلت سبحان الله، تبخل علي بالنظر إليك! فقال يا هذا، إنى أقمت فى هذا الجبل دهرا طويلا أعالج قلبي فى الصبر عن الدنيا وأهلها، فطال فى ذلك تعبي، وفنى فيه عمرى، فسألت الله تعالى أن لايجعل حظى من أيامى فى مجاهدة قلبي. فسكنه الله عن الاضطراب، وألفه الوحدة والانفراد. فلما نظرت إليك، خفت أن أقع في الأمر الأول، فإليك عنى، فإنى أعوذ من شرك برب العارفين، وحبيب القانتين. ثم صاح وأغماه من طول المكث فى الدنيا ثم حول وجهه عنى، ثم نفض يديه وقال: إليك عنى يادنيا، لغيرى فتزيني، وأهلك فغرى. ثم قال: سبحان من أذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة، وحلاوة الانقطاع إليه، ماألهى قلوبهم عن ذكر الجنان، وعن الحور الحسان، وجمع همهم فى ذكره، فلا شيء ألذ عندهم من مناجاته. ثم مضى وهو يقول: قدوس قدوس

فإذاً فى الخلوة أنس بذكر الله، واستكثار من معرفة الله، وفى مثل ذلك قيل

وإنى لأستغشى وما بى غشوة ... لعل خيالا منك يلقى خياليا
وأخرج من بين الجلوس لعلنى ... أحدث عنك النفس بالسر خاليا

ولذلك قال بعض الحكماء: إنما يستوحش الإنسان من نفسه، لخلو ذاته عن الفضيلة فيكثر حينئذ ملاقاة الناس، ويطرد الوحشة عن نفسه بالكون معهم. فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة، ويستخرج العلم والحكمة، وقد قيل: الاستئناس بالناس من علامات الإفلاس

فإذاً هذه فائدة جزيلة، ولكن فى حق بعض الخواص. ومن يتيسر له بدوام الذكر الأنس بالله أو بدوام الفكر التحقق فى معرفة الله، فالتجرد له أفضل من كل ما يتعلق بالمخالطة، فإن غاية العبادات وثمرة المعاملات، أن يموت الإنسان محبا لله، عارفا بالله، ولا محبة إلا بالأنس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة إلا بدوام الفكر. وفراغ القلب شرط فى كل واحد منهما، ولا فراغ مع المخالطة

الفائدة الثانية

التخلص بالعزلة عن المعاصى التى يتعرض الإنسان لها غالبا بالمخالطة ، ويسلم منها فى الخلوة وهى أربعة : الغيبة ، والنميمة ، والرياء ، والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة ، التى يوجبها الحرص على الدنيا

أما الغيبة ، فإذا عرفت من كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات وجوهها ، عرفت أن التحرز عنها مع المخالطة عظيم ، لا ينجو منها إلا الصديقون . فإن عادة الناس كافة التمضمض بأعراض الناس ، والتفكه بها ، والتنقل بحلاوتها ، وهى طعمتهم ولذتهم ، وإليها يستروحون من وحشتهم فى الخلوة . فإن خالطتهم ووافقتهم أثمت وتعرضت لسخط الله تعالى ، وإن سكت كنت شريكا ، والمستمع أحد المغتابين ، وإن أنكرت أبغضوك ، وتركوا ذلك المغتاب واغتابوك ، فازدادوا غيبة إلى غيبة ، وربما زادوا على الغيبة وانتهوا إلى الاستخفاف والشتم

وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهو من أصول الدين ، وهو واجب كما سيأتى بيانه فى آخر هذا الربع ، ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات ، فإن سكت عصى الله به ، وإن أنكر تعرض لأنواع من الضرر . إذ ربما يجره طلب الخلاص منها إلى معاص هى أكبر مما نهى عنه ابتداء . وفى العزلة خلاص من هذا ، فإن الأمر فى إهماله شديد ، والقيام به شاق . وقد قام أبو بكر رضي الله عنه خطيبا وقال : أيها الناس [1] إنكم تقرءون هذه الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ [1]) وإنكم تضعونها فى غير موضعها ، وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إِذَا رَأَى النَّاسُ الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ » وقد قال صلى الله عليه وسلم « إِنَّ اللهَ لَيَسْأَلُ الْعَبْدَ حَتَّى يَقُولَ لَهُ مَا مَنَعَكَ إِذَا رَأَيْتَ الْمُنْكَرَ فِي الدُّنْيَا أَنْ تُنْكِرَهُ ؟ فَإِذَا لَقَّنَ اللهُ لِعَبْدٍ حُجَّتَهُ قَالَ يَارَبِّ رَجَوْتُكَ وَخِفْتُ النَّاسَ »

---

(١) حديث أبى بكر انكم تقرؤن هذه الأية ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وانكم لتضعونها فى غير موضعها ـ الحديث : أصحاب السنن قال الترمذى حسن صحيح

(٢) حديث ان الله يسأل العبد حتى يقول مامنعك اذا رأيت المنكر فى الدنيا أن تنكره ـ الحديث : ابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى باسناد جيد

---

(١) المائدة : ١٠٥

وهذا إذا خاف من ضرب أو أمر لا يطاق . ومعرفة حدود ذلك مشكلة وفيه خطر ، وفى العزلة خلاص ، وفى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إثارة للخصومات ، وتحريك لغوائل الصدور ، كما قيل :

وكم سقت فى آثاركم من نصيحة وقد يستفيد البغضة المتنصح

ومن جرب الأمر بالمعروف ندم عليه غالبا ، فإنه كجدار مائل يريد الإنسان أن يقيمه فيوشك أن يسقط عليه . فإذا سقط عليه ، يقول ياليتنى تركته مائلا . نعم لو وجد أعوانا أمسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة لاستقام . وأنت اليوم لا تجد الأعوان ، فدعهم وانج بنفسك

وأما الرياء ، فهو الداء العضال ، الذى يعسر على الأبدال والأوتاد الاحتراز عنه ، وكل من خالط الناس داراهم ، ومن داراهم راآهم ، ومن راآهم وقع فيما وقعوا فيه ، وهلك كما هلكوا وأقل مايلزم فيه النفاق ، فإنك إن خالطت متعاديين ، ولم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقه صرت بغيضا إليهما جميعا . وإن جاملتهما ، كنت من شرار الناس . وقال صلى الله عليه وسلم (١) «تَجِدُونَ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ» وقال عليه السلام (٢) «إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ» وأقل مايجب فى مخالطة الناس إظهار الشوق والمبالغة فيه ، ولا يخلو ذلك عن كذب ، إما فى الأصل ، وإما فى الزيادة . وإظهار الشفقة بالسؤال عن الأحوال ، بقولك كيف أنت ؟ وكيف أهلك ؟ وأنت فى الباطن فارغ القلب من همومه ، وهذا نفاق محض . قال سرى لو دخل علىّ أخ لى فسويت لحيتى بيدى لدخوله ، لخشيت أن أكتب فى جريدة المنافقين . وكان الفضيل جالسا وحده فى المسجد الحرام ، فجاء إليه أخ له ، فقال ماجاء بك ؟ قال المؤانسة يا أبا على . فقال هى والله بالمواحشة أشبه . هل تريد إلا أن تتزين لى وأتزين لك ؟ وتكذب لى وأكذب لك إما أن تقوم عنى ، أو أقوم عنك . وقال بعض العلماء : ماأحب الله عبدا إلا أحب أن لا يشعر به . ودخل طاوس على الخليفة هشام فقال : كيف أنت ياهشام ؟ فغضب عليه وقال . لِمَ لَمْ تخاطبنى بأمير المؤمنين ؟ فقال : لأن جميع المسلمين ما اتفقوا على خلافتك ، فخشيت أن أكون كاذبا

---

(١) حديث تجدون من شرار الناس ذا الوجهين : متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث ان من شر الناس ذا الوجهين : مسلم من حديث أبى هريرة وهو الذى قبله

فمن أمكنه أن يحترز هذا الاحتراز ، فليخالط الناس . وإلا فليرض بإثبات اسمه فى جريدة المنافقين ، فقد كان السلف يتلاقون ويحترزون فى قولهم كيف أصبحت ؟ وكيف أمسيت ؟ وكيف أنت ؟ وكيف حالك ؟ وفى الجواب عنه ، فكان سؤالهم عن أحوال الدين لاعن أحوال الدنيا : قال حاتم الأصم ، لحامد اللفاف : كيف أنت فى نفسك ؟ قال سالم معافى . فكره حاتم جوابه ، وقال ياحامد ، السلامة من وراء الصراط والعافية فى الجنة

وكان إذا قيل لعيسى صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت ؟ قال أصبحت لاأملك تقديم ماأرجو ، ولا أستطيع دفع ماأحاذر . وأصبحت مرتهنا بعملى ، والخير كله فى يدغيرى ولا فقير أفقر منى . وكان الربيع بن خثيم إذا قيل له كيف أصبحت؟ قال أصبحت من ضعفاء مذنبين ، نستوفى أرزاقنا ، وتنتظر آجالنا . وكان أبو الدرداء إذا قيل له كيف أصبحت ؟ قال أصبحت بخير إن نجوت من النار . وكان سفيان الثورى إذا قيل له كيف أصبحت؟ يقول أصبحت أشكر ذا إلى ذا ، وأذم ذا إلى ذا ، وأفر من ذا إلى ذا . وقيل لأويس القرنى كيف أصبحت ؟ قال كيف يصبح رجل إذا أمسى لايدرى أنه يصبح ؟ وإذا أصبح لايدرى أنه يمسى ؟ وقيل لمالك بن دينار كيف أصبحت ؟ قال أصبحت فى عمر ينقص ، وذنوب تزيد وقيل لبعض الحكماء كيف أصبحت ؟ قال أصبحت لاأرضى حياتى لمماتى ، ولا نفسى لربى وقيل لحكيم كيف أصبحت ؟ قال أصبحت آكل رزق ربى ، وأطيع عدوه ابليس . وقيل لمحمد بن واسع كيف أصبحت ؟ قال ماظنك برجل يرتحل كل يوم إلى الآخرة مرحلة ؟ وقيل لحامد اللفاف كيف أصبحت ؟ قال أصبحت أشتهى عافية يوم إلى الليل . فقيل له ألست فى عافية فى كل الأيام ؟ فقال العافية يوم لاأعصى الله تعالى فيه

وقيل لرجل وهو يجود بنفسه ماحالك ؟ فقال وما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد ؟ ويدخل قبرا موحشا بلامؤنس ، وينطلق إلى ملك عدل بلاحجة ، وقيل لحسان بن أبى سنان ماحالك قال ما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب ؛ وقال ابن سيرين لرجل كيف حالك فقال وما حال من عليه خمسمائة درهم دينا وهو معيل ؟ فدخل ابن سيرين منزله ، فأخرج له ألف درهم فدفعها اليه ، وقال خمسمائة اقض بها دينك ، وخمسمائة عد بها على نفسك وعيالك . ولم يكن عنده غيرها

ثم قال : والله لا أسأل أحدا حاله أبدا . وإنما فعل ذلك لأنه خشى أن يكون سؤاله من غير اهتمام بأمره ، فيكون بذلك مرائيا منافقا ، فقد كان سؤالهم عن أمور الدين، وأحوال القلب فى معاملة الله . وإن سألوا عن أمور الدنيا فعن اهتمام ، وعزم على القيام بما يظهر لهم من الحاجة

وقال بعضهم . إنى لأعرف أقواما كانوا لا يتلاقون ، ولو حكم أحدهم على صاحبه بجميع ما يملكه لم يمنعه ، وأرى الآن أقواما يتلاقون ويتساءلون ، حتى عن الدجاجة فى البيت ولو انبسط أحدهم لحبة من مال صاحبه لمنعه . فهل هذا إلا مجرد الرياء والنفاق ؟ وآية ذلك أنك ترى هذا يقول كيف أنت؟ ويقول الآخر كيف أنت؟ فالسائل لا ينتظر الجواب، والمسؤل يشتغل بالسؤال ولا يجيب. وذلك لمعرفتهم بأن ذلك عن رياء وتكلف . ولعل القلوب لا تخلو عن ضغائن وأحقاد ، والألسنة تنطق بالسؤال . قال الحسن: إنما كانوا يقولون السلام عليكم ، إذا سلمت والله القلوب . وأما الآن ، فكيف أصبحت عافاك الله ؟ كيف أنت أصلحك الله ؟ فإن أخذنا بقولهم كانت بدعة لا كرامة ، فإن شاؤا غضبوا علينا ، وإن شاؤا لا . وإنما قال ذلك لأن البداية بقولك كيف أصبحت بدعة . وقال رجل لأبى بكر بن عياش كيف أصبحت ؟ فما أجابه ، وقال دعونا من هذه البدعة . وقال إنما حدث هذا فى زمان الطاعون ، الذى كان يدعى طاعون عمواس بالشام ، من الموت الذريع كان الرجل يلقاه أخوه غدوة فيقول كيف أصبحت من الطاعون؟ ويلقاه عشية فيقول كيف أمسيت ؟

والمقصود أن الالتقاء فى غالب العادات ، ليس يخلو عن أنواع من التصنع والرياء والنفاق وكل ذلك مذموم ، بعضه محظور ، وبعضه مكروه . وفى العزلة الخلاص من ذلك ، فإن من لقي الخلق ولم يخالقهم بأخلاقهم مقتوه واستثقلوه ، واغتابوه وتشمروا لإيذائه، فيذهب دينهم فيه ، ويذهب دينه ودنياه فى الانتقام منهم

وأما مسارقة الطبع مما يشاهده من أخلاق الناس وأعمالهم ، فهو داء دفين ، قلما يتنبه له العقلاء فضلا عن الغافلين . فلا يجالس الإنسان فاسقا مدة ، مع كونه منكرا عليه فى باطنه ، إلا ولو قاس نفسه إلى ماقبل مجالسته ، لأدرك بينهما تفرقة فى النفرة عن الفساد واستثقاله ، إذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة هينا على الطبع ، فيسقط وقعه واستعظامه له

وإنما الوازع عنه شدة وقعه فى القلب ، فإذا صار مستصغرا بطول المشاهدة ، أو شك أن تحل القوة الوازعة ، ويذعن الطبع للميل إليه أو لما دونه. ومهما طالت مشاهدته للكبائر من غيره ، استحقر الصغائر من نفسه . ولذلك يزدرى الناظر إلى الأغنياء نعمة الله عليه فتؤثر مجالستهم فى أن يستصغر ماعنده ، وتؤثر مجالسة الفقراء فى استعظام ما أتيح له من النعم . وكذلك النظر إلى المطيعين والعصاة، هذا تأثيره فى الطبع ، فمن يقصر نظره على ملاحظة أحوال الصحابة والتابعين فى العبادة والتنزه عن الدنيا ، فلا يزال ينظر إلى نفسه بعين الاستصغار ، وإلى عبادته بعين الاستحقار . وما دام يرى نفسه مقصرا ، فلا يخلو عن داعية الاجتهاد ، رغبة فى الاستكمال ، واستتماما للاقتداء . ومن نظر إلى الأحوال الغالبة على أهل الزمان ، وإعراضهم عن الله ، وإقبالهم على الدنيا ، واعتيادهم المعاصى ، استعظم أمر نفسه بأدنى رغبة فى الخير يصادفها فى قلبه ، وذلك هو الهلاك . ويكفى فى تغيير الطبع مجرد سماع الخير والشر فضلا عن مشاهدته . وبهذه الدقيقة يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم [1] « عِنْدَ ذِكْرِ الصَّالِحِينَ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ » وإنما الرحمة دخول الجنة ولقاء الله . وليس ينزل عند الذكر عين ذلك ولكن سببه ، وهو انبعاث الرغبة من القلب ، وحركة الحرص على الاقتداء بهم ، والاستنكاف عما هو ملابس له من القصور والتقصير . ومبدأ الرحمة فعل الخير ، ومبدأ فعل الخير الرغبة ومبدأ الرغبة ذكر أحوال الصالحين ، فهذا معنى نزول الرحمة

والمفهوم من فحوى هذا الكلام عند الفطن ، كالمفهوم من عكسه ، وهو أن عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنة ، لأن كثرة ذكرهم تهون على الطبع أمر المعاصى ، واللعنة هى البعد ومبدأ البعد من الله هو المعاصى والإعراض عن الله ، بالإقبال على الحظوظ العاجلة ، والشهوات الحاضرة ، لا على الوجه المشروع . ومبدأ المعاصى سقوط ثقلها وتفاحشها عن القلب ، ومبدأ سقوط الثقل وقوع الأنس بها بكثرة السماع . وإذا كان هذا حال ذكر الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم ؟ بل قد صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال [2] « مَثَلُ الْجَلِيسِ السُّوءِ كَمَثَلِ الْكِيرِ إِنْ لَمْ يَحْرِقْكَ بِشَرَرِهِ عَلِقَ بِكَ مِنْ رِيحِهِ » فكما أن الريح

---

(١) حديث عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة: ليس له أصل فى الحديث المرفوع وانما هو قول سفيان ابن عيينة كذا رواه ابن الجوزى فى مقدمة صفوة الصفوة

(٢) حديث مثل الجليس السوء كمثل الكير ـ الحديث: متفق عليه من حديث أبى موسى

يعلق بالثوب ولا يشعر به ، فكذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر به . وقال «مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ مَثَلُ صَاحِبِ المِسْكِ إِنْ لَمْ يَهَبْ لَكَ مِنْهُ تَجِدْ رِيحَهُ » ولهذا أقول: من عرف من عالم زلة ، حرم عليه حكايتها لعلتين ، إحداهما أنها غيبة ، والثانية ، وهي أعظمهما أن حكايتها تهون على المستمعين أمر تلك الزلة ، ويسقط من قلوبهم استعظامهم الإقدام عليها ، فيكون ذلك سببا لتهوين تلك المعصية : فإنه مهما وقع فيها فاستنكر ذلك ، دفع الاستنكار وقال ، كيف يستبعد هذا منا وكلنا مضطرون إلى مثله ، حتى العلماء والعباد. ولو اعتقد أن مثل ذلك لا يقدم عليه عالم ، ولا يتعاطاه موفق معتبر ، لشق عليه الإقدام . فكم من شخص يتكالب على الدنيا ، ويحرص على جمعها ، ويتهالك على حب الرياسة وتزيينها ويهون على نفسه قبحها ، ويزعم أن الصحابة رضي الله عنهم لم ينزهوا أنفسهم عن حب الرياسة ، وربما يستشهد عليه بقتال علي ومعاوية ، ويخمن في نفسه أن ذلك لم يكن لطلب الحق ، بل لطلب الرياسة ، فهذا الاعتقاد خطأ يهون عليه أمر الرياسة، ولوازمها من المعاصي والطبع اللئيم يميل إلى اتباع الهفوات ، والإعراض عن الحسنات . بل إلى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه ، بالتنزيل على مقتضى الشهوة ، ليتعلل به . وهو من دقائق مكايد الشيطان ولذلك وصف الله المراغمين للشيطان فيها بقوله (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ [1]) وضرب صلى الله عليه وسلم لذلك مثلا [1] وقال « مَثَلُ الَّذِي يَجْلِسُ يَسْتَمِعُ الْحِكْمَةَ ثُمَّ لَا يَعْمَلُ إِلَّا بِشَرٍّ مَا يَسْتَمِعُ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى رَاعِيًا فَقَالَ لَهُ يَا رَاعِي اجْرُرْ لِي شَاةً مِنْ غَنَمِكَ فَقَالَ اذْهَبْ فَخُذْ خَيْرَ شَاةٍ فِيهَا فَذَهَبَ فَأَخَذَ بِأُذُنِ كَلْبِ الْغَنَمِ » وكل من ينقل هفوات الأئمة فهذا مثاله أيضا.

ومما يدل على سقوط وقع الشيء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته ، أن أكثر الناس إذا رأوا مسلما أفطر في نهار رمضان ، استبعدوا ذلك منه استبعادا يكاد يفضي إلى اعتقادهم كفره . وقد يشاهدون من يخرج الصلوات عن أوقاتها ، ولا تنفر عنه طباعهم ، كنفرتهم عن تأخير الصوم . مع أن صلاة واحدة ، يقتضي تركها الكفر عند قوم ، وحز الرقبة عند قوم

(١) حديث مثل الذي يسمع الحكمة ثم لا يحمل منها إلا شر ما يسمع كمثل رجل أتى راعيا فقال يا راعي . اجرر لي شاة من غنمك ـ الحديث : ابن ماجه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف

(١) الزمر : ١٨

وترك صوم رمضان كله لايقتضيه . ولا سبب له إلا أن الصلاة تتكرر ، والتساهل فيها مما يكثر ، فيسقط وقعها بالمشاهدة عن القلب . وذلك لو لبس الفقيه ثوبا من حرير أو خاتما من ذهب ، أو شرب من إناء فضة ، استبعدته النفوس ، واشتد إنكارها ، وقد يشاهد فى مجلس طويل ، لايتكلم إلا بما هو اغتياب للناس ، ولا يستبعد منه ذلك ، والغيبة أشد من الزنا ، فكيف لاتكون أشد من لبس الحرير ! ولكن كثرة سماع الغيبة، ومشاهدة المغتابين ، أسقط وقعها عن القلوب ، وهون على النفس أمرها

فتفطن لهذه الدقائق ، وفر من الناس فرارك من الأسد ، لأنك لاتشاهد منهم إلا مايزيد فى حرصك على الدنيا ، وغفلتك عن الآخرة ، ويهون عليك المعصية، ويضعف رغبتك فى الطاعة . فإن وجدت جليسا يذكرك الله رؤيته وسيرته ، فالزمه ولا تفارقه ، واغتنمه ولا تستحقره ، فإنها غنيمة العاقل، وضالة المؤمن . وتحقق أن الجليس الصالح خير من الوحدة وأن الوحدة خير من الجليس السوء . ومهما فهمتَ هذه المعانى ، ولاحظتَ طبعك ، والتفتَّ إلى حال من أردت مخالطته ، لم يخف عليك أن الأولى التباعد عنه بالعزلة ، أو التقرب إليه بالخلطة. وإياك أن تحكم مطلقا على العزلة ، أو على الخلطة . بأن إحداهما أولى . إذ كلٌّ مفصل فإطلاق القول فيه بلا أو نعم خلف من القول محض ، ولا حق فى المفصل إلا التفصيل .

الفائدة الثالثة

الخلاص من الفتن والخصومات، وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها، والتعرض لأخطارها فقلما تخلوا البلاد عن تعصبات ، وفتن وخصومات ، فالمعتزل عنهم فى سلامة منها . قال عبد الله ابن عمرو بن العاص : لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] الفتن ووصفها ، وقال « إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ وَكَانُوا هَكَذَا » وشبك بين أصابعه، قلت هكذا فما تأمرنى ؟ فقال « الْزَمْ بَيْتَكَ وَأَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَخُذْ مَا تَعْرِفُ وَدَعْ مَا تُنْكِرُ وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ الْخَاصَّةِ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ »

---

(١) حديث عبد الله بن عمرو بن العاص اذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم ـ الحديث : أبو داود والنسائي فى اليوم والليلة باسناد حسن

وروى أبو سعيد الخدرى ، أنه صلى الله عليه وسلم [١] قال « يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَماً يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ مِنْ شَاهِقٍ إِلَى شَاهِقٍ » وروى عبدالله بن مسعود ، أنه صلى الله عليه وسلم [٢] قال « سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَسْلَمُ لِذِي دِينٍ دِينُهُ إِلَّا مَنْ فَرَّ بِدِينِهِ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى قَرْيَةٍ وَمِنْ شَاهِقٍ إِلَى شَاهِقٍ وَمِنْ حَجَرٍ إِلَى حَجَرٍ كَالثَّعْلَبِ الَّذِي يَرُوغُ » قيل له ومتى ذلك يارسول الله ؟ قال « إِذَا لَمْ تُنَلِ الْمَعِيشَةُ إِلَّا بِمَعَاصِي اللهِ تَعَالَى فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ الزَّمَانُ حَلَّتِ الْعُزُوبَةُ » قالوا وكيف ذلك يارسول الله وقد أمرتنا بالتزويج ؟ قال « إِذَا كَانَ ذَلِكَ الزَّمَانُ كَانَ هَلَاكُ الرَّجُلِ عَلَى يَدِ أَبَوَيْهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبَوَانِ فَعَلَى يَدَيْ زَوْجَتِهِ وَوَلَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَعَلَى يَدَيْ قَرَابَتِهِ » قالوا وكيف ذلك يارسول الله ؟ قال « يُعَيِّرُونَهُ بِضِيقِ الْيَدِ فَيَتَكَلَّفُ مَا لَا يُطِيقُ حَتَّى يُورِدَهُ ذَلِكَ مَوَارِدَ الْهَلَكَةِ » وهذا الحديث وإن كان فى العزوبة فالعزلة مفهومة منه . إذ لا يستغنى المتأهل عن المعيشة والمخالطة . ثم لا ينال المعيشة إلا بمعصية الله تعالى . ولست أقول هذا أوان ذلك الزمان ، فلقد كان هذا بأعصار قبل هذا العصر . ولأجله قال سفيان : والله لقد حلت العزلة . وقال ابن مسعود رضي الله عنه : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣] أيام الفتنة وأيام الهرج ، قلتُ وما الهرج ؟ قال « حِينَ لَا يَأْمَنُ الرَّجُلُ جَلِيسَهُ » قلت: فبم تأمرنى إن أدركت ذلك الزمان ؟ قال « كُفَّ نَفْسَكَ وَيَدَكَ وَادْخُلْ دَارَكَ » قال قلت يارسول الله أرأيت إن دخل عليّ داري ؟ قال « فَادْخُلْ بَيْتَكَ »

---

(١) حديث أبى سعيد الخدرى يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعاف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن : رواه البخارى

(٢) حديث ابن مسعود سيأتى على الناس زمان لا يسلم لذى دين دينه الا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاهق الى شاهق: تقدم فى النكاح

(٣) حديث ابن مسعود ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتنة وأيام الهرج قلت وما الهرج قال حين لا يأمن الرجل جليسه ـ الحديث : أبو داود مختصرا والخطابى فى العزلة بتمامه وفى اسناده عند الخطابى انقطاع ووصله أبو داود بزيادة رجل اسمه سالم يحتاج الى معرفته

قلت فإن دخل على بيتي ؟ قال « فَادْخُلْ مَسْجِدَكَ وَاصْنَعْ هَكَذَا » وقبض على الكوع « وَقُلْ رَبِّيَ اللهُ حَتَّى تَمُوتَ » وقال سعد لما دعي إلى الخروج أيام معاوية : لا . إلا أن تعطوني سيفا له عينان بصيرتان ، ولسان ينطق بالكافر فأقتله ، وبالمؤمن فأكف عنه . وقال مثلنا ومثلكم ، كمثل قوم كانوا على محجة بيضاء ، فبينما هم كذلك يسيرون ، إذ هاجت ريح عجاجة ، فضلوا الطريق ، فالتبس عليهم . فقال بعضهم الطريق ذات اليمين ، فأخذوا فيها ، فتاهوا وضلوا . وقال بعضهم ذات الشمال ، فأخذوا فيها ، فتاهوا وضلوا . وأناخ آخرون ، وتوقفوا حتى ذهبت الريح ، وتبينت الطريق ، فسافروا . فاعتزل سعد وجماعة معه ، فارقوا الفتن ، ولم يخالطوا إلا بعد زوال الفتن

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، أنه لما بلغه [1] أن الحسين رضي الله عنه توجه إلى العراق تبعه فلحقه على مسيرة ثلاثة أيام . فقال له أين تريد ؟ فقال العراق فإذا معه طوامير وكتب فقال هذه كتبهم وبيعتهم ، فقال لا تنظر إلى كتبهم ، ولا تأتهم ، فأبى . فقال إني أحدثك حديثا ، إن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فخيره بين الدنيا والآخرة ، فاختار الآخرة على الدنيا ، وإنك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لا يليها أحد منكم أبدا وما صرفها عنكم إلا للذي هو خير لكم . فأبى أن يرجع ، فاعتنقه ابن عمر وبكى ، وقال أستودعك الله من قتيل أو أسير . وكان في الصحابة عشرة آلاف ، فما خف أيام الفتنة أكثر من أربعين رجلا : وجلس طاوس في بيته . فقيل له في ذلك ، فقال فساد الزمان ، وحيف الأئمة ولما بنى عروة قصره بالعقيق ولزمه ، قيل له لزمت القصر ، وتركت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال رأيت مساجدكم لاهية ، وأسواقكم لاغية ، والفاحشة في فجاجكم عالية وفيما هناك عما أنتم فيه عافية . فإذاً الحذر من الخصومات ومثارات الفتن إحدى فوائد العزلة

---

(١) حديث ابن عمر انه لما بلغه أن الحسين توجه الى العراق لحقه على مسيرة ثلاثة أيام ـ الحديث : وفيه أنه صلى الله عليه وسلم خير بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة الطبراني مقتصرا على المرفوع رواه في الأوسط بذكر قصة الحسين مختصرة ولم يقل على مسيرة ثلاثة أيام وكذا رواه البزار بنحوه واسنادهما حسن

الفائدة الرابعة

الخلاص من شر الناس ، فإنهم يؤذونك مرة بالغيبة ، ومرة بسوء الظن والتهمة ، ومرة بالاقتراحات والأطماع الكاذبة ، التي يعسر الوفاء بها ، وتارة بالنميمة أو الكذب ، فربما يرون منك من الأعمال أو الأقوال مالا تبلغ عقولهم كنهه ، فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم ، يدخرونها لوقت تظهر فيه فرصة للشر ، فإذا اعتزلتهم استغنيت من التحفظ عن جميع ذلك . ولذلك قال بعض الحكماء لغيره : أعلمك بيتين خير من عشرة آلاف درهم . قال ماهما ؟ قال

اخفض الصوت إن نطقت بليل والتفت بالنهار قبل المقال
ليس للقول رجعة حين يبدو بقبيح يكون أو بجمال

ولا شك أن من اختلط بالناس ، وشاركهم فى أعمالهم ، لا ينفك من حاسد وعدو يسيء الظن به ، ويتوهم أنه يستعد لمعاداته ، ونصب المكيدة عليه ، وتدسيس غائلة ورأءه . فالناس مهما اشتد حرصهم على أمر ، يحسبون كل صيحة عليهم ، هم العدو فاحذرهم . وقد اشتد حرصهم على الدنيا ، فلا يظنون بغيرهم إلا الحرص عليها . قال المتنبي

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عداته فأصبح فى ليل من الشك مظلم

وقد قيل : معاشرة الأشرار تورث سوء الظن بالأبرار . وأنواع الشر الذى يلقاه الإنسان من معارفه ، وممن يختلط به كثيرة . ولسنا نطول بتفصيلها . ففيما ذكرناه إشارة إلى مجامعها وفى العزلة خلاص من جميعها . وإلى هذا أشار الأكثر ممن اختار العزلة ، فقال أبو الدرداء أخبر تقله يروى مرفوعا . وقال الشاعر

من حمد الناس ولم يبلهم ثم بلاهم ذم من يحمد
وصار بالوحدة مستأنسا يوحشه الأقرب والأبعد

وقال عمر رضي الله عنه : فى العزلة راحة من القرين السوء . وقيل لعبد الله بن الزبير ألا تأتى المدينة فقال ما بقى فيها إلا حاسد نعمة ، أو فرح بنقمة . وقال ابن السماك

كتب صاحب لنا : أما بعد ، فإن الناس كانوا دواء يتداوى به ؛ فصاروا داء لا دواء له، ففر منهم فرارك من الأسد . وكان بعض الأعراب يلازم شجرا ويقول : هو نديم فيه ثلاث خصال إن سمع مني لم ينم علي ، وإن تفلت في وجهه احتمل مني ، وإن عربدت عليه لم يغضب . فسمع الرشيد ذلك فقال : زهدني في الندماء . وكان بعضهم قد لزم الدفاتر والمقابر ، فقيل له في ذلك فقال : لم أر أسلم من وحدة ، ولا أوعظ من قبر ، ولا جليسا أمتع من دفتر . وقال الحسن رضي الله عنه : أردت الحج ، فسمع ثابت البناني بذلك ، وكان أيضا من أولياء الله فقال : بلغني أنك تريد الحج فأحببت أن أصحبك . فقال له الحسن : ويحك ، دعنا نتعاشر بستر الله علينا إني أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما تتماقت عليه . وهذه إشارة إلى فائدة أخرى في العزلة ، وهو بقاء الستر على الدين ، والمروءة والأخلاق ، والفقر وسائر العورات . وقد مدح الله سبحانه المتسترين فقال (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ [1]) وقال الشاعر

ولا عار إن زالت عن الحر نعمة ولكن عارا أن يزول التجمل

ولا يخلو الإنسان في دينه ودنياه ، وأخلاقه وأفعاله عن عورات ، الأولى في الدين والدنيا سترها ، ولا تبقى السلامة مع انكشافها . وقال أبو الدرداء : كان الناس ورقا لا شوك فيه ؛ فالناس اليوم شوك لا ورق فيه . وإذا كان هذا حكم زمانه ، وهو في أواخر القرن الأول فلا ينبغي أن يشك في أن الأخير شر . وقال سفيان بن عيينة : قال لي سفيان الثوري في اليقظة في حياته ، وفي المنام بعد وفاته : أقلل من معرفة الناس ، فإن التخلص منهم شديد . ولا أحسب أني رأيت ما أكره إلا ممن عرفت . وقال بعضهم : جئت إلى مالك بن دينار وهو قاعد وحده ، وإذا كلب قد وضع حنكه على ركبته ؛ فذهبت أطرده ، فقال دعه يا هذا ، هذا لا يضر ولا يؤذي ؛ وهو خير من الجليس السوء . وقيل لبعضهم : ما حملك على أن تعتزل الناس ؟ قال : خشيت أن أسلب ديني ولا أشعر . وهذه إشارة إلى مسارقة الطبع من أخلاق القرين السوء وقال أبو الدرداء : اتقوا الله واحذروا الناس ، فإنهم ما ركبوا ظهر بعير إلا أدبروه ، ولا ظهر جواد إلا عقروه ، ولا قلب مؤمن إلا خربوه . وقال بعضهم : أقلل المعارف ، فإنه أسلم لدينك وقلبك ، وأخف لسقوط الحقوق عنك . لأنه كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع . وقال بعضهم : أنكر من تعرف ، ولا تتعرف إلى من لا تعرف

(١) البقرة : ٢٧٣

الفائدة الخامسة

أن ينقطع طمع الناس عنك ، وينقطع طمعك عن الناس . فأما انقطاع طمع الناس عنك ففيه فوائد . فإنّ رضا الناس غاية لاتدرك . فاشتغال المرء بإصلاح نفسه أولى . ومن أهون الحقوق وأيسرها حضور الجنازة ، وعيادة المريض ، وحضور الولائم والإملاكات وفيها تضييع الأوقات ، و تعرض للآفات . ثم قد تعوق عن بعضها العوائق ، وتستقبل فيها المعاذير ، ولا يمكن إظهار كل الأعذار ، فيقولون له قمت بحق فلان ، وقصرت فى حقنا . ويصير ذلك سبب عداوة ، فقد قيل : من لم يعد مريضا فى وقت العيادة ، اشتهى موته خيفة من تخجيله إذا صح على تقصيره . ومن عمم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم ولو خصص استوحشوا . وتعميمهم بجميع الحقوق لايقدر عليه المتجرد له طول الليل والنهار ، فكيف من له مهم يشغله فى دين أو دنيا ! قال عمرو بن العاص : كثرة الأصدقاء كثرة الغرماء . وقال ابن الرومى

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب
فإنّ الداء أكثر ماتراه يكون من الطعام أو الشراب

وقال الشافعي رحمه الله : أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام

وأما انقطاع طمعك عنهم فهو أيضا فائدة جزيلة ، فإن من نظر إلى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه ، وانبعث بقوّة الحرص طمعه ، ولا يرى إلا الخيبة فى أكثر الأحوال فيتأذى بذلك . ومهما اعتزل لم يشاهد . وإذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع . ولذلك قال الله تعالى (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ[1]) وقال صلى الله عليه وسلم[1] « انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ » وقال عون بن عبد الله : كنت أجالس الأغنياء ، فلم أزل مغموما . كنت أرى ثوبا أحسن من ثوبى ، ودابة أفره من دابتى ، فجالست الفقراء فاسترحت . وحكي أن المزنى رحمه الله

---

(١) جديث انظروا الى من هودونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فانه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم : مسلم من حديث أبى هريرة

[1] طه : ١٣١

خرج من باب جامع الفسطاط ، وقد أقبل ابن عبد الحكم فى موكبه ، فبهره مارأى من حسن حاله وحسن هيئته ، فتلا قوله تعالى (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً . أَتَصْبِرُونَ [1]) ثم قال : بلى أصبر وأرضى . وكان فقيرا مقلا . فالذى هو فى بيته لا يبتلى بمثل هذه الفتن فإن من شاهد زينة الدنيا ، فإما أن يقوى دينه ويقينه فيصبر ، فيحتاج إلى أن يتجرع مرارة الصبر ، وهو أمرّ من الصبر ، أو تنبعث رغبته ، فيحتال فى طلب الدنيا ، فيهلك هلاكا مؤبدا ، أما فى الدنيا فبالطمع الذى يخيب فى أكثر الأوقات ، فليس كل من يطلب الدنيا تتيسر له ، وأما فى الآخرة فبإيثاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتقرب إليه . ولذلك قال ابن الاعـــــرابى

إذا كان باب الذل من جانب الغنى سموت إلى العلياء من جانب الفقر
أشار إلى أن الطمع يوجب فى الحال ذلا

الفائدة السادسة

الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى ، ومقاساة حمقهم وأخلاقهم . فإن رؤية الثقيل هى العمى الأصغر . قيل للأعمش : مم عمشت عيناك ؟ قال من النظر إلى الثقلاء

ويحكى أنه دخل عليه أبو حنيفة فقال : فى الخبر أن [1] من سلب الله كريمتيه عوضه الله عنهما ماهو خير منهما ، فما الذى عوضك ؟ فقال فى معرض المطايبة : عوضنى الله منهما أنه كفانى رؤية الثقلاء وأنت منهم . وقال ابن سيرين : سمعت رجلا يقول : نظرت إلى ثقيل مرة فغشى علىّ . وقال جالينوس : لكل شىء حمى ، وحمى الروح النظر إلى الثقلاء . وقال الشافعي رحمه الله : ماجالست ثقيلا إلا وجدت الجانب الذى يليه من بدنى ، كأنه أثقل علىّ من الجانب الآخر

---

(١) حديث من سلب الله كريمتيه عوضه عنهما ماهو خير منها : الطبرانى باسناد ضعيف من حديث جرير من سلبت كريمتيه عوضته عنهما الجنة وله ولأحمد نحوه من حديث أبى أمامة بسند حسن وللبخارى من حديث أنس يقول الله تبارك وتعالى اذا ابتليت عبدى بحبيبتيه ثم صبر عوضته منهما الجنة يريد عينيه

(١) الفرقان : ٢٠

وهذه الفوائد ماسوى الأولين ، متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة . ولكنها أيضا تتعلق بالدين . فإن الإنسان مهما تأذى برؤية ثقيل ، لم يأمن أن يغتابه ، وأن يستنكر ماهو صنع الله . فإذا تأذى من غيره بغيبة أو سوء ظن ، أو محاسدة أو نميمة أو غيرذلك ،لم يصبر عن مكافأته . وكل ذلك يجر إلى فساد الدين . وفى العزلة سلامة عن جميع ذلك فليفهم .

آفات العزلة

إعلم أن من المقاصد الدينية والدنيوية مايستفاد بالاستعانة بالغير ، ولا يحصل ذلك إلا بالمخالطة . فكل مايستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة ، وفواته من آفات العزلة . فانظر إلى فوائد المخالطة ،والدواعى إليهاماهى،وهى التعليم والتعلم،والنفع والانتفاع، والتأديب والتأدب والاستئناس والإيناس ، ونيل الثواب وإنالته فى القيام بالحقوق،واعتيادالتواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الأحوال والاعتبار بها. فلنفصل ذلك،فإنهامن فوائد المخالطة وهى سبع

الفائدة الأولى

التعليم والتعلم . وقد ذكرنا فضلهما فى كتاب العلم . وهما أعظم العبادات فى الدنيا ، ولا يتصور ذلك إلا بالمخالطة . إلا أن العلوم كثيرة ، وعن بعضها مندوحة ،وبعضها ضرورى فى الدنيا . فالمحتاج إلى التعلم لما هو فرض عليه عاص بالعزلة . وإن تعلم الفرض،وكان لايتأتى منه الخوض فى العلوم ، ورأى الاشتغال بالعبادة فليعتزل . وإن كان يقدر على التبرز فى علوم الشرع والعقل ، فالعزلة فى حقه قبل التعلم غاية الخسران . ولهذا قال النخعي وغيره . تفقه ثم اعتزل . ومن اعتزل قبل التعلم فهو فى الأكثر مضيع أوقاته بنوم أو فكر فى هوس وغايته أن يستغرق الأوقات بأوراد يستوعبها، ولا ينفك فى أعماله بالبدن والقلب عن أنواع من الغرور يخيب سعيه ، ويبطل عمله بحيث لايدرى . ولا ينفك اعتقاده فى الله وصفاته عن أوهام يتوهمها ، ويأنس بها ، وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها ، فيكون فى أكثر أحواله ضحكة للشيطان ، وهو يرى نفسه من العبّاد . فالعلم هو أصل الدين ، فلا خير فى عزلة العوام والجهال ، أعنى من لا يحسن العبادة فى الخلوة ، ولا يعرف جميع ما يلزمه فيها

فمثال النفس مثال مريض يحتاج إلى طبيب متلطف يعالجه. فالمريض الجاهل إذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل أن يتعلم الطب، تضاعف لا محالة مرضه. فلا تليق العزلة إلا بالعالم

وأما التعليم ففيه ثواب عظيم، مهما صحت نية المعلم والمتعلم. ومهما كان القصد إقامة الجاه والاستكثار بالأصحاب والأتباع، فهو هلاك الدين. وقد ذكرنا وجه ذلك فى كتاب العلم

وحكم العالم فى هذا الزمان أن يعتزل إن أراد سلامة دينه فإنه لا يرى مستفيدا يطلب فائدة لدينه، بل لا طالب إلا لكلام مزخرف، يستميل به العوام فى معرض الوعظ أو لجدل معقد يتوصل به إلى إفحام الأقران، ويتقرب به إلى السلطان، ويستعمل فى معرض المنافسة والمباهاة. وأقرب علم مرغوب فيه المذهب، ولا يطلب غالبا إلا للتوصل إلى التقدم على الأمثال، وتولى الولايات، واجتلاب الأموال. فهؤلاء كلهم يقتضى الدين والحزم الاعتزال عنهم. فإن صودف طالب لله، ومتقرب بالعلم إلى الله، فأكبر الكبائر الاعتزال عنه، وكتمان العلم منه. وهذا لا يصادف فى بلدة كبيرة أكثر من واحد أو اثنين إن صودف

ولا ينبغى أن يغتر الإنسان بقول سفيان: تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله فإن الفقهاء يتعلمون لغير الله، ثم يرجعون إلى الله، وانظر إلى أواخر أعمار الأكثرين منهم واعتبرهم أنهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا، ومتكالبون عليها، أو راغبون عنها وزاهدون فيها، وليس الخبر كالمعاينة

واعلم أن العلم الذى أشار إليه سفيان، هو علم الحديث وتفسير القرءان، ومعرفة سير الأنبياء والصحابة. فإن فيها التخويف والتحذير، وهو سبب لإثارة الخوف من الله، فإن لم يؤثر فى الحال أثر فى المآل. وأما الكلام والفقه المجرد، الذى يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات المذهب منه والخلاف، لا يرد الراغب فيه للدنيا إلى الله. بل لا يزال متماديا فى حرصه إلى آخر عمره. ولعل ما أودعناه هذا الكتاب، إن تعلمه المتعلم رغبة فى الدنيا، فيجوز أن يرخص فيه، إذ يرجى أن ينزجر به فى آخر عمره، فإنه مشحون بالتخويف بالله، والترغيب فى الآخرة، والتحذير من الدنيا. وذلك مما يصادف فى الأحاديث وتفسير القرءان، ولا يصادف فى كلام، ولا فى خلاف، ولا فى مذهب. فلا ينبغى أن يخادع الإنسان نفسه، فإن المقصر العالم بتقصيره أسعد حالا من الجاهل المغرور، أو المتجاهل المغبون.

وكل عالم اشتد حرصه على التعليم ، يوشك أن يكون غرضه القبول والجاه ، وحظه تلذذ النفس فى الحال ، باستشعار الإدلال على الجهال والتكبر عليهم . (١) فآفة العلم الخيلاء ، كما قال صلى الله عليه وسلم . ولذلك حكي عن بشر ، أنه دفن سبعة عشر قمطرا من كتب الأحاديث التى سمعها ، وكان لا يحدث . ويقول : إنى أشتهى أن أحدث ، فلذلك لا أحدث ولو اشتهيت أن لا أحدث لحدثت . ولذلك قال : حدثنا باب من أبواب الدنيا . وإذا قال الرجل حدثنا ، فإنما يقول أوسعوا لى . وقالت رابعة العدوية لسفيان الثورى : نعم الرجل أنت لولا رغبتك فى الدنيا . قال وفيما ذا رغبت ؟ قالت فى الحديث . ولذلك قال أبو سليمان الدارانى : من تزوج أو طلب الحديث ، أو اشتغل بالسفر ، فقد ركن إلى الدنيا

فهذه آفات قد نبهنا عليها فى كتاب العلم ، والحزمُ الاحترازُ بالعزلة ، وترك الاستكثار من الأصحاب ما أمكن . بل الذى يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه ، فالصواب له إن كان عاقلا فى مثل هذا الزمان أن يتركه . فلقد صدق أبو سليمان الخطابى حيث قال : دع الراغبين فى صحبتك والتعلم منك ، فليس لك منهم مال ولا جمال ، إخوان العلانية أعداء السر ، إذا لقوك تملقوك ، وإذا غبت عنهم سلقوك ، من أتاك منهم كان عليك رقيبا ، وإذا خرج كان عليك خطيبا ، أهل نفاق ونميمة ، وغل وخديعة ، فلا تغتر باجتماعهم عليك ، فما غرضهم العلم بل الجاه والمال ، وأن يتخذوك سلما إلى أوطارهم وأغراضهم ، وحمارا فى حاجاتهم ، إن قصرت فى غرض من أغراضهم ، كانوا أشد أعدائك ، ثم يعدون ترددهم إليك دالة عليك ويرونه حقا واجبا لديك ، ويفرضون عليك أن تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم ، فتعادى عدوهم ، وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم ، وتنتهض لهم سفيها ، وقد كنت فقيها ، وتكون لهم تابعا خسيسا ، بعد أن كنت متبوعا رئيسا ، ولذلك قيل اعتزال العامة ، مروءة تامة : فهذا معنى كلامه ، وإن خالف بعض ألفاظه . وهو حق وصدق . فإنك ترى المدرسين فى رق دائم ، وتحت حق لازم ، ومنة ثقيلة ممن يتردد إليهم ، فكأنه يهدى تحفه إليهم ، ويرى حقه

---

(١) حديث آفة العلم الخيلاء المعروف ما رواه مطين فى مسنده من حديث على بن أبى طالب بسنده ضعيف آفة العلم النسيان وآفة الجمال الخيلاء

واجبا عليهم . وربما لايختلف إليه ما لم يتكفل برزق له على الإدرار ، ثم إن المدرس المسكين قد يعجز عن القيام بذلك من ماله ، فلا يزال متردداً إلى أبواب السلاطين ، ويقاسى الذل والشدائد مقاساة الذليل المهين ، حتى يكتب له على بعض وجوه السحت مال حرام ، ثم لايزال العامل يسترقه ويستخدمه ، ويمتهنه ويستذله ، إلى أن يسلم إليه ما يقدره نعمة مستأنفة من عنده عليه ، ثم يبقى في مقاساة القسمة على أصحابه ، إن سوّى بينهم مقته المميزون ونسبوه إلى الحمق وقلة التمييز ، والقصور عن درك مصارفات الفضل ، والقيام فى مقادير الحقوق بالعدل . وإن فاوت بينهم سلقه السفهاء بألسنة حدود ، وثاروا عليه ثوران الأساود والآساد . فلا يزال فى مقاساتهم فى الدنيا ، وفى مطالبة ما يأخذه ويفرقه عليهم فى العقبى والعجب أنه مع هذا البلاء كله ، يمنى نفسه بالأباطيل ، ويدليها بحبل الغرور . ويقول لها : لاتفترى عن صنيعك ، فإنما أنت بما تفعلينه مريدة وجه الله تعالى ، ومذيعة شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وناشرة علم دين الله ، وقائمة بكفاية طلاب العلم من عباد الله ، وأموال السلاطين لا مالك لها ، وهى مرصدة للمصالح ، وأى مصلحة أكبر من تكثير أهل العلم ؟ فبهم يظهر الدين ويتقوى أهله . ولو لم يكن ضحكة للشيطان لعلم بأدنى تأمل ، أن فساد الزمان لا سبب له إلا كثرة أمثال أولئك الفقهاء ، الذين يأكلون ما يجدون ، ولايميزون بين الحلال والحرام ، فتلحظهم أعين الجهال ، ويستجرؤن على المعاصى باستجرائهم ، اقتداء بهم ، واقتفاء لآثارهم . ولذلك قيل : مافسدت الرعية إلا بفساد الملوك ، وما فسدت الملوك إلا بفساد العلماء . فنعوذ بالله من الغرور والعمى ، فإنه الداء الذى ليس له دواء .

الفائدة الثانية

النفع والانتفاع . أما الانتفاع بالناس فبالكسب والمعاملة . وذلك لايتأتى إلا بالمخالطة والمحتاج إليه مضطر إلى ترك العزلة . فيقع فى جهاد من المخالطة إن طلب موافقة الشرع فيه كما ذكرناه فى كتاب الكسب ، فإن كان معه مال لو اكتفى به قانعا لأقنعه ، فالعزلة أفضل له إذا انسدت طرق المكاسب فى الأكثر إلا من المعاصى . إلا أن يكون غرضه الكسب للصدقة ، فإذا اكتسب من وجهه وتصدق به ، فهو أفضل من العزلة ، للاشتغال بالنافلة

وليس بأفضل من العزلة للاشتغال بالتحقق فى معرفة الله ، ومعرفة علوم الشرع ، ولا من الإقبال بكنه الهمة على الله تعالى ، والتجرد بها لذكر الله . أعنى من حصل له أنس بمناجاة الله عن كشف وبصيرة ، لا عن أوهام وخيالات فاسدة

وأما النفع ، فهو أن ينفع الناس، إما بماله أو ببدنه . فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسبة ففى النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب ، وذلك لا ينال إلا بالمخالطة . ومن قدر عليها مع القيام بحدود الشرع فهى أفضل له من العزلة ، إن كان لا يشتغل فى عزلته إلا بنوافل الصلوات والأعمال البدنية . وإن كان ممن انفتح له طريق العمل بالقلب ، بدوام ذكر أو فكر فذلك لا يعدل به غيره ألبتـــة

الفائدة الثالثة

التأديب والتأدب . ونعنى به الارتياض بمقاساة الناس ، والمجاهدة فى تحمل أذاهم كسرا للنفس ، وقهرا للشهوات . وهى من الفوائد التى تستفاد بالمخالطة ، وهى أفضل من العزلة فى حق من لم تتهذب أخلاقه، ولم تذعن لحدود الشرع شهواته. ولهذا انتدب خدام الصوفية فى الرباطات ، فيخالطون الناس بخدمتهم، وأهل السوق للسؤال منهم ، كسرا لرعونة النفس واستمدادا من بركة دعاء الصوفية ، المنصرفين بهممهم إلى الله سبحانه . وكان هذا هو المبدأ فى الأعصار الخالية . والآن قد خالطته الأغراض الفاسدة، ومال ذلك عن القانون ، كما مالت سائر شعائر الدين ، فصار يطلب من التواضع بالخدمة التكثير بالاستتباع ، والتذرع إلى جمع المال ، والاستظهار بكثرة الأتباع . فإن كانت النية هذه فالعزلة خير من ذلك ، ولو إلى القبر . وإن كانت النية رياضة النفس ، فهى خير من العزلة فى حق المحتاج إلى الرياضة وذلك مما يحتاج إليه فى بداية الإرادة . فبعد حصول الارتياض ، ينبغى أن يفهم أن الدابة لا يطلب من رياضتها عين رياضتها، بل المراد منها أن تتخذ مركبا ، يقطع به المراحل ويطوى على ظهره الطريق . والبدن مطية للقلب، يركبها ليسلك بها طريق الآخرة. وفيها شهوات إن لم يكسرها جمحت به فى الطريق . فمن اشتغل طول العمر بالرياضة . كان كمن اشتغل طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها . فلا يستفيد منها إلا الخلاص فى الحال من عضها ورفسها

ورمحها ، وهى لعمرى فائدة مقصودة ، ولكن مثلها حاصل من البهيمة الميتة ، وإنما تراد الدابة لفائدة تحصل من حياتها . فكذلك الخلاص من ألم الشهوات فى الحال ، يحصل بالنوم والموت ، ولا ينبغى أن يقنع به . كالراهب الذى قيل له ياراهب ، فقال ماأنا راهب ، إنما أنا كلب عقور ، حبست نفسى حتى لاأعقر الناس. وهذا حسن بالإضافة إلى من يعقر الناس ولكن لاينبغى أن يقتصر عليه ؛ فإن من قتل نفسه أيضا لم يعقر الناس، بل ينبغى أن يتشوف إلى الغاية المقصودة بها . ومن فهم ذلك واهتدى إلى الطريق وقدر على السلوك ، استبان له أن العزلة أعون له من المخالطة. فالأفضل لمثل هذا الشخص المخالطة أولا والعزلة آخرا

وأما التأديب فإنما نعنى به أن يروض غيره . وهو حال شيخ الصوفية معهم. فإنه لا يقدر على تهذيبهم إلا بمخالطتهم : وحاله حال المعلم ، وحكمه حكمه . ويتطرق إليه من دقائق الآفات والرياء ، مايتطرق إلى نشر العلم . إلا أن مخايل طلب الدنيا من المريدين الطالبين للارتياض ، أبعد منها من طلبة العلم . ولذلك يرى فيهم قلة ، وفى طلبة العلم كثرة . فينبغي أن يقيس ماتيسر له من الخلوة ، بما تيسر له من المخالطة وتهذيب القوم ، وليقابل أحدهما بالآخر ، وليؤثر الأفضل . وذلك يدرك بدقيق الاجتهاد ، ويختلف بالأحوال والأشخاص فلا يمكن الحكم عليه مطلقا بنفى ولا إثبات

الفائدة الرابعة

الاستئناس والإيناس . وهو غرض من يحضر الولائم والدعوات ، ومواضع المعاشرة والأنس . وهذا يرجع إلى حظ النفس فى الحال . وقد يكون ذلك على وجه حرام ، بمؤانسة من لاتجوز مؤانسته . أو على وجه مباح . وقد يستحب ذلك لأمر الدين ، وذلك فيمن يستأنس بمشاهدة أحواله وأقواله فى الدين ، كالأنس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى وقد يتعلق بحظ النفس ، ويستحب إذا كان الغرض منه ترويح القلب، لتهييج دواعى النشاط فى العبادة . فإن القلوب إذا أكرهت عميت . ومهما كان فى الوحدة وحشة ، وفى المجالسة أنس يروح القلب ، فهي أولى . إذ الرفق فى العبادة من حزم العبادة .

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [١] «إِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا» وهذا أمر لا يستغنى عنه . فإن النفس لا تألف الحق على الدوام ما لم تروح . وفي تكليفها الملازمة داعية للفترة . وهذا عنى بقوله عليه السلام « إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ » والإيغال فيه برفق دأب المستبصرين . ولذلك قال ابن عباس : لولا مخافة الوسواس لم أجالس الناس . وقال مرة : لدخلت بلادا لا أنيس بها . وهل يفسد الناس إلا الناس ؟ فلا يستغنى المعتزل إذاً عن رفيق ، يستأنس بمشاهدته ومحادثته فى اليوم والليلة ساعة . فليجتهد فى طلب من لا يفسد عليه فى ساعته تلك سائر ساعاته . فقد قال صلى الله عليه وسلم [٢] « الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ » وليحرص أن يكون حديثه عند اللقاء فى أمور الدين ، وحكاية أحوال القلب ، وشكواه وقصوره عن الثبات على الحق ، والاهتداء إلى الرشد . فى ذلك متنفس ومتروح للنفس . وفيه مجال رحب لكل مشغول بإصلاح نفسه . فإنه لا تنقطع شكواه ولو عمر أعمارا طويلة والراضى عن نفسه مغرور قطعا . فهذا النوع من الاستئناس فى بعض أوقات النهار ، ربما يكون أفضل من العزلة فى حق بعض الأشخاص . فليتفقد فيه أحوال القلب ، وأحوال الجليس أولا ، ثم ليجالس

الفائدة الخامسة

فى نيل الثواب وإنالته

أما النيل ، فبحضور الجنائز ، وعيادة المرضى ، وحضور العيدين . وأما حضور الجمعة فلا بد منه . وحضور الجماعة فى سائر الصلوات أيضا لا رخصة فى تركه ، إلا لخوف ضرر ظاهر ، يقاوم ما يفوت من فضيلة الجماعة ويزيد عليه . وذلك لا يتفق إلا نادرا . وكذلك فى حضور الإملاكات والدعوات ثواب ، من حيث إنه إدخال سرور على قلب مسلم

وأما إنالته ، فهو أن يفتح الباب لتعوده الناس ، أو ليعزوه فى المصائب ، أو يهنوه على النعم . فإنهم ينالون بذلك ثوابا . وكذلك إذا كان من العلماء ، وأذن لهم فى الزيارة ، نالوا ثواب الزيارة ، وكان هو بالتمكين سببا فيه

---

(١) حديث ان الله لا يمل حتى تملوا : تقدم

(٢) حديث المرء على دين خليله : تقدم فى آداب الصحبة

فينبغي أن يزن ثواب هذه المخالطات بآفاتها التي ذكرناها ، وعند ذلك قد ترجح العزلة وقد ترجح المخالطة، فقد حكي عن جماعة من السلف ، مثل مالك وغيره، ترك إجابة الدعوات وعيادة المرضى ، وحضور الجنائز . بل كانوا أحلاس بيوتهم ، لا يخرجون إلا إلى الجمعة أو زيارة القبور. وبعضهم فارق الأمصار، وانحاز إلى قلل الجبال، تفرغا للعبادة، وفرارا من الشواغل

الفائدة السادسة

من المخالطة التواضع . فإنه من أفضل المقامات ، ولا يقدر عليه في الوحدة . وقد يكون الكبر سببا في اختيار العزلة . فقد روي في الإسرائيليات ، أن حكيما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة ، حتى ظن أنه قد نال عند الله منزلة . فأوحى الله إلى نبيه قل لفلان إنك قد ملأت الأرض نفاقا ، وإني لا أقبل من نفاقك شيئاً. قال فتخلى وانفرد في سرب تحت الأرض ، وقال الآن قد بلغت رضا ربي . فأوحى الله إلى نبيه ، قل له إنك لن تبلغ رضاي حتى تخالط الناس وتصبر على أذاهم . فخرج فدخل الأسواق ، وخالط الناس وجالسهم وواكلهم ، وأكل الطعام بينهم ، ومشى في الأسواق معهم . فأوحى الله تعالى إلى نبيه ، الآن قد بلغ رضاي. فكم من معتزل في بيته وباعثه الكبر ، ومانعه عن المحافل أن لا يوقر أو لا يقدم ، أو يرى الترفع عن مخالطتهم أرفع لمحله، وأبقى لطراوة ذكره بين الناس

وقد يعتزل خيفة من أن تظهر مقابحه لو خالط ، فلا تعتقد فيه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ البيت سترا على مقابحه ، إبقاء على اعتقاد الناس في زهده وتعبده ، من غير استغراق وقت في الخلوة بذكر أو فكر . وعلامة هؤلاء أنهم يحبون أن يزاروا ولا يحبون أن يزوروا ويفرحون بتقرب العوام والسلاطين إليهم ، واجتماعهم على بابهم وطرقهم، وتقبيلهم أيديهم على سبيل التبرك . ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذي يبغض إليه المخالطة وزيارة الناس، لبغض إليه زياراتهم له ، كما حكيناه عن الفضيل حيث قال : وهل جئتني إلا لأتزين لك وتتزين لي وعن حاتم الأصم أنه قال للأمير الذي زاره : حاجتي أن لا أراك ولا تراني. فمن ليس مشغولا مع نفسه بذكر الله ، فاعتزاله عن الناس سببه شدة اشتغاله بالناس، لأن قلبه متجرد للالتفات إلى نظرهم إليه بعين الوقار والاحترام

والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه : أحدها: أن التواضع والمخالطة لاتنقص من منصب من هو متكبر بعلمه أو دينه . إذ كان علي رضي الله عنه يحمل التمر والملح فى ثوبه ويده ويقول :

لاينقص الكامل من كماله ما جر من نفع إلى عياله

وكان أبو هريرة وحذيفة وأبي وابن مسعود رضي الله عنهم ، يحملون حزم الحطب وجرب الدقيق على أكتافهم . وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول وهو والى المدينة والحطب على رأسه ، طرّقوا لأميركم . وكان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم [1] يشترى الشيء . فيحمله إلى بيته بنفسه ، فيقول له صاحبه أعطنى أحمله ، فيقول « صَاحِبُ الشَّيْءِ أَحَقُّ بِحَمْلِهِ » وكان الحسن بن على رضي الله عنهما يمر بالسؤال ، وبين أيديهم كسر، فيقولون هلم إلى الغذاء يا ابن رسول الله ، فكان ينزل ويجلس على الطريق ، ويأكل معهم ويركب ويقول : إن الله لايحب المستكبرين .

الوجه الثانى: أن الذى شغل نفسه بطلب رضا الناس عنه ، وتحسين اعتقادهم فيه مغرور لأنه لو عرف الله حق المعرفة ، علم أن الخلق لايغنون عنه من الله شيئا ، وأن ضرره ونفعه بيد الله ، ولا نافع ولا ضار سواه . وأن من طلب رضا الناس ومحبتهم بسخط الله ، سخط الله عليه ، وأسخط عليه الناس . بل رضا الناس غاية لاتنال ، فرضا الله أولى بالطلب . ولذلك قال الشافعي ليونس بن عبد الأعلى : والله ما أقول لك إلا نصحا ، إنه ليس إلى السلامة من الناس من سبيل ، فانظر ماذا يصلحك فافعله . ولذلك قيل :

من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور

ونظر سهل إلى رجل من أصحابه فقال له : اعمل كذا وكذا ، لشيء أمره به . فقال يا أستاذ ، لا أقدر عليه لأجل الناس . فالتفت إلى أصحابه وقال : لاينال عبد حقيقة من هذا الأمر حتى يكون بأحد وصفين : عبد تسقط الناس من عينه ، فلا يرى فى الدنيا إلا خالقه

---

(١) حديث كان يشترى الشيء ويحمله الى بيته بنفسه فيقول له صاحبه اعطنى أحمله فيقول صاحب المتاع أحق بحمله : أبو يعلى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف فى حمله السراويل الذى اشتراها

وأنّ أحدا لا يقدر على أن يضره ولا ينفعه ، وعبد سقطت نفسه عن قلبه ، فلا يبالى بأي حال يرونه . وقال الشافعي رحمه الله : ليس من أحد إلا وله محب ومبغض ، فإذا كان هكذا فكن مع أهل طاعة الله . وقيل للحسن يا أبا سعيد ، إن قوما يحضرون مجلسك ، ليس بغيتهم إلا تتبع سقطات كلامك ، وتعنيتك بالسؤال . فتبسم وقال للقائل : هون على نفسك فإني حدثت نفسي بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت ، وما حدثت نفسي بالسلامة من الناس ، لأني قد علمت أن خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم . وقال موسى صلى الله عليه وسلم : يارب احبس عني ألسنة الناس . فقال ياموسى هذا شيء لم اصطفه لنفسي فكيف أفعله بك ! وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى عزير : إن لم تطب نفسا بأني أجعلك علكا في أفواه الماضغين ، لم أكتبك عندي من المتواضعين . فإذاً من حبس نفسه في البيت ليحسن اعتقادات الناس وأقوالهم فيه ، فهو في عناء حاضر في الدنيا (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ[1]) فإذاً لا تستحب العزلة إلا لمستغرق الأوقات بربه ذكرا وفكرا ، وعبادة وعلما ، بحيث لو خالطه الناس لضاعت أوقاته ، وكثرت آفاته ، ولتشوشت عليه عباداته . فهذه غوائل خفية في اختيار العزلة ، ينبغي أن تتقى ، فإنها مهلكات في صور منجيات

الفائدة السابعة

التجارب . فإنها تستفاد من المخالطة للخلق ومجاري أحوالهم . والعقل الغريزي ليس كافيا في تفهم مصالح الدين والدنيا . وإنما تفيدها التجربة والممارسة . ولا خير في عزلة من لم تحنكه التجارب . فالصبي إذا اعتزل بقي غمرا جاهلا . بل ينبغي أن يشتغل بالتعلم ، ويحصل له في مدة التعلم مايحتاج إليه من التجارب ، ويكفيه ذلك ، ويحصل بقية التجارب بسماع الأحوال ، ولا يحتاج إلى المخالطة .

ومن أهم التجارب أن يجرب نفسه وأخلاقه وصفات باطنه . وذلك لا يقدر عليه في الخلوة فإن كل مجرب في الخلاء يسر ، وكل غضوب أو حقود أو حسود إذا خلا بنفسه لم يترشح منه خبثه

(١) الزمر : ٢٦

وهذه الصفات مهلكات فى أنفسها ، يجب إماطتها وقهرها ؛ ولا يكفى تسكينها بالتباعد عما يحركها . فمثال القلب المشحون بهذه الخبائث ، مثال دمل ممتلىء بالصديد والمدة وقد لا يحس صاحبه بألمه مالم يتحرك ، أو يمسه غيره ، فإن لم يكن له يد تمسه ، أو عين تبصر صورته ، ولم يكن معه من يحركه ، ربما ظن بنفسه السلامة ، ولم يشعر بالدمل فى نفسه واعتقد فقده . ولكن لو حركه محرك ، أو أصابه مشرط حجام ، لانفجر منه الصديد وفار فوران الشيء المختنق إذا حبس عن الاسترسال . فكذلك القلب المشحون بالحقد والبخل ، والحسد ، والغضب ، وسائر الأخلاق الذميمة ، إنما تنفجر منه خبائثه إذا حرك . وعن هذا كان السالكون لطريق الآخرة ، الطالبون لتزكية القلوب ، يجربون أنفسهم . فمن كان يستشعر فى نفسه كبراً سعى فى إماطته ، حتى كان بعضهم يحمل قربة ماء على ظهره بين الناس ، أو حزمة حطب على رأسه ويتردد فى الأسواق ، ليجرب نفسه بذلك . فإن غوائل النفس ومكايد الشيطان خفية ، قل من يتفطن لها . ولذلك حكي عن بعضهم أنه قال أعدت صلاة ثلاثين سنة ، مع أنى كنت أصليها فى الصف الأول ، ولكن تخلفت يوما بعذر ، فما وجدت موضعا فى الصف الأول ، فوقفت فى الصف الثانى ، فوجدت نفسى تستشعر خجلة من نظر الناس إلىّ ، وقد سُبِقْتُ إلى الصف الأول ، فعلمت أن جميع صلواتى التى كنت أصليها كانت مشوبة بالرياء ، ممزوجة بلذة نظر الناس إلىّ ، ورؤيتهم إياي فى زمرة السابقين إلى الخير ، فالمخالطة لها فائدة ظاهرة عظيمة فى استخراج الخبائث وإظهارها ولذلك قيل السفر يسفر عن الأخلاق ، فإنه نوع من المخالطة الدائمة . وستأتى غوائل هذه المعانى ودقائقها فى ربع المهلكات ، فإن بالجهل بها يحبط العمل الكثير ، وبالعلم بها يزكو العمل القليل . ولولا ذلك ما فضل العلم على العمل . إذ يستحيل أن يكون العلم بالصلاة ولا يراد إلا للصلاة ، أفضل من الصلاة . فإنا نعلم أن ما يراد لغيره ، فإما ذلك الغير أشرف منه . وقد قضى الشرع بتفضيل العالم على العابد ، حتى قال صلى الله عليه وسلم [1] « فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِي » فمعنى تفضيل العلم يرجع إلى ثلاثة أوجه .

---

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى : تقدم فى العلم

أحدها ماذكرناه . والثاني عموم النفع لتعدي فائدته ، والعمل لا تتعدى فائدته . والثالث أن يراد به العلم بالله وصفاته وأفعاله ، فذلك أفضل من كل عمل . بل مقصود الأعمال صرف القلوب عن الخلق إلى الخالق ، لتنبعث بعد الانصراف إليه لمعرفته ومحبته . فالعمل وعلم العمل مرادان لهذا العلم ، وهذا العلم غاية المريدين ، والعمل كالشرط له ، وإليه الإشارة بقوله تعالى (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ[1]) فالكلم الطيب هو هذا العلم ، والعمل كالحمال الرافع له إلى مقصده ، فيكون المرفوع أفضل من الرافع . وهذا كلام معترض لا يليق بهذا الكلام ، فلنرجع إلى المقصود فنقول

إذا عرفت فوائد العزلة وغوائلها ، تحققت أن الحكم عليها مطلقا بالتفضيل نفيا وإثباتا خطأ . بل ينبغي أن ينظر إلى الشخص وحاله ، وإلى الخليط وحاله ، وإلى الباعث على مخالطته وإلى الفائت بسبب مخالطته من هذه الفوائد المذكورة . ويقاس الفائت بالحاصل . فعند ذلك يتبين الحق ، ويتضح الأفضل . وكلام الشافعي رحمه الله هو فصل الخطاب ، إذ قال يا يونس ، الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة ، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط . فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة . ويختلف ذلك بالأحوال وبملاحظة الفوائد والآفات يتبين الأفضل . هذا هو الحق الصراح . وكل ماذكر سوى هذا فهو قاصر . وإنما هو إخبار كل واحد عن حالة خاصة هو فيها ، ولا يجوز أن يحكم بها على غيره المخالف له في الحال . والفرق بين العالم والصوفي في ظاهر العلم يرجع إلى هذا وهو أن الصوفي لا يتكلم إلا عن حاله ، فلا جرم تختلف أجوبتهم في المسائل ، والعالم هو الذي يدرك الحق على ماهو عليه ، ولا ينظر إلى حال نفسه ، فيكشف الحق فيه . وذلك مما لا يختلف فيه . فإن الحق واحد ابدا . والقاصر عن الحق كثير لا يحصى . ولذلك سئل الصوفية عن الفقر ، فما من واحد إلا وأجاب بجواب غير جواب الآخر . وكل ذلك حق بالإضافة إلى حاله ، وليس بحق في نفسه . إذ الحق لا يكون إلا واحداً . ولذلك قال أبو عبد الله الجلاء ، وقد سئل عن الفقر فقال : اضرب بكميك الحائط ، وقل ربي الله ، فهو الفقر . وقال الجنيد : الفقير هو الذي لا يسأل أحدا ولا يعارض ، وإن عورض سكت .

---

(١) فاطر : ٩

وقال سهل بن عبد الله : الفقير الذى لا يسأل ولا يدخر . وقال آخر : هو أن لا يكون لك فإن كان لك فلا يكون لك من حيث لم يكن لك . وقال إبراهيم الخواص: هو ترك الشكوى وإظهار أثر البلوى . والمقصود أنه لو سئل منهم مائة ، لسمع مائة جواب مختلفة ، قلما يتفق منها اثنان . وذلك كله حق من وجه ، فإنه خبر كل واحد عن حاله وما غلب على قلبه . ولذلك لا ترى اثنين منهم يثبت أحدهما لصاحبه قدما فى التصوف ، أو يثنى عليه ، بل كل واحد منهم يدعى أنه الواصل إلى الحق ، والواقف عليه ، لأن أكثر ترددهم على مقتضى الأحوال التى تعرض لقلوبهم ، فلا يشتغلون إلا بأنفسهم ، ولا يلتفتون إلى غيرهم . ونور العلم إذا أشرق أحاط بالكل ، وكشف الغطاء ، ورفع الاختلاف . ومثال نظر هؤلاء ما رأيت من نظر قوم فى أدلة الزوال بالنظر فى الظل ، فقال بعضهم هو فى الصيف قدمان ، وحكي عن آخر أنه نصف قدم ، وآخر يرد عليه وأنه فى الشتاء سبعة أقدام ، وحكي عن آخر أنه خمسة أقدام وآخر يرد عليه ، فهذا يشبه أجوبة الصوفية واختلافهم . فإن كل واحد من هؤلاء أخبر عن الظل الذى رآه ببلد نفسه ، فصدق فى قوله ، وأخطأ فى تخطئته صاحبه ، إذ ظن أن العالم كله بلده ، أو هو مثل بلده . كما أن الصوفى لا يحكم على العالم إلا بما هو حال نفسه . والعالم بالزوال هو الذى يعرف علة طول الظل وقصره ، وعلة اختلافه بالبلاد ، فيخبر بأحكام مختلفة فى بلاد مختلفة ، ويقول فى بعضها لا يبقى ظل ، وفى بعضها يطول ، وفى بعضها يقصر فهذا ما أردنا أن نذكره من فضيلة العزلة والمخالطة

فإن قلت: فمن آثر العزلة ورآها أفضل له وأسلم ، فما آدابه فى العزلة ؟ فنقول إنما يطول النظر فى آداب المخالطة ، وقد ذكرناها فى كتاب آداب الصحبة

وأما آداب العزلة فلا تطول . فينبغي للمعتزل أن ينوي بعزلته كف شر نفسه عن الناس أولا ، ثم طلب السلامة من شر الأشرار ثانيا ، ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا ، ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله رابعا ، فهذه آداب نيته . ثم ليكن فى خلوته مواظبا على العلم والعمل ، والذكر والفكر ، ليجتنى ثمرة العزلة ، وليمنع الناس عن أن يكثروا غشيانه وزيارته ، فيشوش أكثر وقته ، وليكف عن السؤال عن أخبارهم ، وعن الإصغاء إلى أراجيف البلد ، وما الناس مشغولون به ، فإن كل ذلك ينغرس فى القلب ، حتى ينبعث فى أثناء الصلاة أو الفكر من حيث لا يحتسب . فوقوع الأخبار فى السمع كوقوع البذر

فى الأرض ، فلا بد أن ينبت وتتفرع عروقه وأغصانه ، ويتداعى بعضها إلى بعض. وأحد مهمات المعتزل قطع الوساوس الصارفة عن ذكر الله . والأخبار ينابيع الوساوس وأصولها وليقنع باليسير من المعيشة ، وإلا اضطره التوسع إلى الناس ، واحتاج إلى مخالطتهم وليكن صبورا على مايلقاه من أذى الجيران . وليسد سمعه عن الإصغاء إلى مايقال فيه من ثناء عليه بالعزلة ، أو قدح فيه بترك الخلطة ، فإن كل ذلك يؤثر فى القلب ولو مدة يسيرة وحال اشتغال القلب به لابد أن يكون واقفاً عن سيره إلى طريق الآخرة فإن السير ، إما بالمواظبة على ورد وذكر مع حضور قلب ، وإما بالفكر فى جلال الله وصفاته وأفعاله وملكوت سمواته وأرضه ، وإما بالتأمل فى دقائق الأعمال ومفسدات القلوب، وطلب طرق التحصن منها . وكل ذلك يستدعي الفراغ ، والإصغاء إلى جميع ذلك مما يشوش القلب فى الحال . وقد يتجدد ذكره فى دوام الذكر من حيث لاينتظر . وليكن له أهل صالحة أو جليس صالح، لتستريح نفسه إليه فى اليوم ساعة من كدّ المواظبة، ففيه عون على بقية الساعات

ولا يتم له الصبر فى العزلة إلا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهمكون فيه . ولا ينقطع طمعه إلا بقصر الأمل ، بأن لايقدر لنفسه عمراً طويلا ، بل يصبح على أنه لا يمسى ويمسى على أنه لايصبح ، فيسهل عليه صبر يوم ، ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لوقدر تراخي الأجل . وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر، مهما ضاق قلبه من الوحدة وليتحقق أن من لم يحصل فى قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به، فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت وأن من أنس بذكر الله ومعرفته ، فلا يزيل الموت أنسه. إذ لا يهدم الموت محل الأنس والمعرفة بل يبقى حيا بمعرفته وأنسه، فرحا بفضل الله عليه ورحمته. كما قال الله تعالى فى الشهداء (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ[1]) وكل متجرد لله فى جهاد نفسه فهو شهيد ، مهما أدركه الموت مقبلا غير مدبر[1] فالمجاهد من جاهد نفسه وهواه، كما صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم. والجهاد الأكبر جهاد النفس ، كما قال بعض الصحابة رضي الله عنهم: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، يعنون جهاد النفس

تم كتاب العزلة ، ويتلوه كتاب آداب السفر ، والحمد لله وحده

---

(١) حديث المجاهد من جاهد بنفسه وهواه : الحاكم من حديث فضالة بن عبيد وصححه دون قوله وهواه وقد تقدم فى الباب الثالث من آداب الصحبة

(١) آل عمران : ١٦٩ ، ١٧٠

كتاب آداب السفر

كتاب آداب السفر

وهو الكتاب السابع من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى فتح بصائر أوليائه بالحكم والعبر ، واستخلص هممهم لمشاهدة عجائب صنعه فى الحضر والسفر ، فأصبحوا راضين بمجارى القدر ، منزهين قلوبهم عن التلفت إلى منتزهات البصر ، إلا على سبيل الاعتبار بما يسح فى مسارح النظر ، ومجارى الفكر ، فاستوى عندهم البر والبحر ، والسهل والوعر ، والبدو والحضر ، والصلاة على محمد سيد البشر ، وعلى آله وصحبه المقتفين لآثاره فى الأخلاق والسير ، وسلم كثيراً

أما بعد : فإن السفر وسيلة إلى الخلاص عن مهروب عنه ، أو الوصول إلى مطلوب ومرغوب فيه ، والسفر سفران : سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن إلى الصحارى والفلوات ، وسفر بسير القلب عن أسفل السافلين إلى ملكوت السموات ، وأشرف السفرين السفر الباطن ، فإن الواقف على الحالة التى نشأ عليها عقيب الولادة الجامد على ما تلقفه بالتقليد من الآباء والأجداد ، لازم درجة القصور ، وقانع بمرتبة النقص ، ومستبدل بمتسع فضاء جنة عرضها السموات والأرض ظلمة السجن ، وضيق الحبس ، ولقد صدق القائل

ولم أر فى عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام

إلا أن هذا السفر لما كان مقتحمه فى خطب خطير ، لم يستغن فيه عن دليل وخفير فاقتضى غموض السبيل ، وفقد الخفير والدليل ، وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب النازل القليل ، اندرس مسالكه فانقطع فيه الرفاق وخلا عن الطائفين ، منتزهات الأنفس والملكوت والآفاق ، وإليه دعا الله سبحانه بقوله : (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ[1])

(١) فصلت : ١٥٣

وبقوله تعالى (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ[١]) وعلى القعود عن هـذا السفر وقع الإنكار بقوله تعالى : (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ[٢]) وبقوله سبحانه : (وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ[٣]) فمن يسر له هـذا السفر لم يزل فى سيره متنزها فى جنة عرضها السموات والأرض ، وهو ساكن بالبدن ، مستقر فى الوطن ، وهو السفر الذى لا تضيق فيه المناهل والموارد ، ولا يضر فيـه التزاحم والتوارد ، بل تزيد بكثرة المسافرين غنائمـه وتتضاعف ثمراته وفوائده ، فغنائمه دائمة غير ممنوعة ، وثمراته متزايدة غير مقطوعة ، إلا إذا بدا للمسافر فترة فى سفره ، ووقفة فى حركته ، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا زاغوا أزاغ الله قلوبهم وما الله بظلام للعبيد ولكنهم يظلمون أنفسهم ومن لم يؤهل للجولان فى هـذا الميدان والتطواف فى متنزهات هـذا البستان ، ربما سافر بظاهر بدنه ، فى مدة مديدة فراسخ معدودة ، مغتنما بها تجارة للدنيا أو ذخيرة للآخرة فإن كان مطلبه العلم والدين ، أو الكفاية للاستعانة على الدين ، كان من سالكى سبيل الآخرة وكان له فى سفره شروط وآداب إن أهملها كان من عمال الدنيا وأتباع الشيطان ، وإن واظب عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقـه بعمال الآخرة ، ونحن نذكر آدابه وشروطه فى بابين إن شاء الله تعـالى

الباب الأول : فى الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع وفى نيـة السفر وفائدته ، وفيه فصلان :

الباب الثانى : فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات

---

(١) الذاريات : ٢٠ ، ٢١ (٢) الصافات : ١٣٧ ، ١٣٨ (٣) يوسف : ١٠٥

الباب الأول

فى الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع
وفى نية السفر وفائدته وفيه فصلان

الفصل الأول

فى فوائد السفر وفضله ونيته

اعلم أن السفر نوع حركة ومخالطة ، وفيه فوائد وله آفات كما ذكرناه فى كتاب الصحبة والعزلة ، والفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب أو طلب ، فإن المسافر إما أن يكون له مزعج عن مقامه ، ولولاه لما كان له مقصد يسافر إليه ، وإما أن يكون له مقصد ومطلب ، والمهروب عنه إما أمر له نكاية فى الأمور الدنيوية ، كالطاعون والوباء إذا ظهر ببلد ، أو خوف سببه فتنة ، أو خصومة ، أو غلاء سعر ، وهو إما عام كما ذكرناه أو خاص كمن يقصد بأذية فى بلدة فيهرب منها ، وإما أمر له نكاية فى الدين ، كمن ابتلى فى بلده بجاه ومال واتساع أسباب تصده عن التجرد لله ، فيؤثر الغربة والخمول ، ويجتنب السعة والجاه ، أو كمن يدعى إلى بدعة قهراً ، أو إلى ولاية عمل لا تحل مباشرته ، فيطلب الفرار منه ، وأما المطلوب فهو إما دنيوى كالمال والجاه ، أو دينى ، والدينى إما علم وإما عمل والعلم إما علم من العلوم الدينية ، وإما علم بأخلاق نفسه وصفاته على سبيل التجربة وإما علم بآيات الأرض وعجائبها ، كسفر ذى القرنين وطوافه فى نواحى الأرض ، والعمل إما عبادة ، وإما زيارة ، والعبادة هو الحج والعمرة والجهاد والزيارة أيضا من القربات ، وقد يقصد بها مكان كمكة والمدينة وبيت المقدس والثغور فإن الرباط بها قربة ، وقد يقصد بها الأولياء والعلماء ؛ وهم إما موتى فتزار قبورهم ، وإما أحياء فيتبرك بمشاهدتهم ، ويستفاد من النظر إلى أحوالهم قوة الرغبة فى الاقتداء بهم ، فهذه هى أقسام الأسفار ، ويخرج من هذه القسمة أقسام

القسم الأول : السفر فى طلب العلم ، وهو إما واجب ، وإما نفل ، وذلك بحسب كون العلم واجبا أو نفلا ، وذلك العلم إما علم بأمور دينه ، أو بأخلاقه فى نفسه ، أو بآيات الله فى أرضه ، وقد قال عليه السلام (١) « مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ » وفى خبر آخر (٢) « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ » وكان سعيد بن المسيب يسافر الأيام فى طلب الحديث الواحد ، وقال الشعبي : لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن فى كلمة تدله على هدى ، أو ترده عن ردى ، ما كان سفره ضائعا (٣) ورحل جابر بن عبدالله من المدينة إلى مصر مع عشرة من الصحابة ، فساروا شهرا فى حديث بلغهم عن عبد الله بن أنيس الأنصارى ، يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعوه وكل مذكور فى العلم محصل له من زمان الصحابة إلى زماننا هذا لم يحصل العلم إلا بالسفر وسافر لأجله

وأما علمه بنفسه وأخلاقه فذلك أيضا مهم ، فإن طريق الآخرة لا يمكن سلوكها إلا بتحسين الخلق وتهذيبه ، ومن لا يطلع على أسرار باطنه ، وخبائث صفاته ، لا يقدر على تطهير القلب منها ، وإنما السفر هو الذى يسفر عن أخلاق الرجال ، وبه يخرج الله الخبء فى السموات والأرض ، وإنما سمى السفر سفرا لأنه يسفر عن الأخلاق ، ولذلك قال عمر رضي الله عنه للذى زكى عنده بعض الشهود هل صحبته فى السفر الذى يستدل به على مكارم أخلاقه فقال : لا ، فقال : ما أراك تعرفه ، وكان بشر يقول : يامعشر القراء سيحوا تطيبوا فإن الماء إذا ساح طاب : وإذا طال مقامه فى موضع تغير

(كتاب آداب السفر)

(الباب الأول فى الآداب من أول النهوض الى آخر الرجوع)

(١) حديث من خرج من بيته فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتي يرجع : الترمذى من حديث أنس وقال حسن غريب

(٢) حديث من سلك طريقا يلتمس فيه علما ـ الحديث : رواه مسلم وتقدم فى العلم

(٣) حديث رحل جابر بن عبد الله من المدينة إلى مسيرة شهر فى حديث بلغه عن عبدالله بن أنيس الخطيب فى كتاب الرحلة باسناد حسن ولم يسم الصحابى وقال البخارى فى صحيحه رحل جابر ابن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس فى حديث واحد ورواه أحمد إلا أنه قال الى الشام واسناده حسن ولأحمد ان أبا أيوب ركب إلي عقبة بن عامر الى مصر فى حديث وله ان عقبة ابن عامر أتى سلمة ابن مخلد وهو أمير مصر فى حديث آخر وكلاهما منقطع

وبالجملة فإن النفس فى الوطن مع موانات الأسباب لاتظهر خبائث أخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المألوفات المعهودة ، فإذا حملت وعثاء السفر ، وصرفت عن مألوفاتها المعتادة ، وامتحنت بمشاق الغربة ، انكشفت غوائلها ، ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بعلاجها وقد ذكرنا فى كتاب العزلة فوائد المخالطة ، والسفرُ مخالطةٌ ، مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق

وأما آيات الله فى أرضه ، ففى مشاهدتها فوائد للمستبصر ، ففيها قطع متجاورات وفيها الجبال ، والبرارى ، والبحار ، وأنواع الحيوان ، والنبات ، وما من شيء منها إلا وهو شاهد لله بالوحدانية ، ومسبح له بلسان ذلق لايدركه إلا من ألقى السمع وهو شهيد، وأما الجاحدون والغافلون والمغترون بلامع السراب من زهرة الدنيا : فإنهم لا يبصرون ، ولا يسمعون لانهم عن السمع معزولون ، وعن آيات ربهم محجوبون (يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ[1]) وما أريد بالسمع السمع الظاهر، فإن الذين أريدوا به ما كانوا معزولين عنه ، وإنما أريد به السمع الباطن ، ولا يدرك بالسمع الظاهر إلا الأصوات ويشارك الإنسان فيه سائر الحيوانات ، فأما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال الذى هو نطق وراء نطق المقال ، يشبه قول القائل حكاية لكلام الوتد والحائط ، قال الجدار للوتد: لِم تشقنى ؟ فقال: سل من يدقنى ، ولم يتركنى ورائى الحجر الذى ورائى ، وما من ذرة فى السموات والأرض إلا ولها أنواع شاهدات لله تعالى بالوحدانية هى توحيدها ، وأنواع شاهدات لصانعها بالتقدس ، هى تسبيحها ، ولكن لا يفقهون تسبيحها ، لأنهم لم يسافروا من مضيق سمع الظاهر إلى فضاء سمع الباطن ، ومن ركاكة لسان المقال ، إلى فصاحة لسان الحال، ولو قدر كل عاجز على مثل هذا السير ، لما كان سليمان عليه السلام مختصا بفهم منطق الطير، ولما كان موسى عليه السلام مختصا بسماع كلام الله تعالى الذى يجب تقديسه عن مشابهة الحروف والأصوات ، ومن يسافر ليستقرىء هذه الشهادات من الأسطر المكتوبة بالخطوط الإلهية على صفحات الجمادات ، لم يطل سفره بالبدن ، بل يستقر فى موضع ، ويفرغ قلبه للتمتع

---

(١) الروم : ٧

بسماع نغمات التسبيحات من آحاد الذرات ، فماله وللتردد فى الفلوات،وله غنية في ملكوت السموات ، فالشمس والقمر والنجوم بأمره مسخرات ، وهي إلى أبصار ذوى البصائر مسافرات فى الشهر والسنة مرات ، بل هي دائبة فى الحركة على توالى الأوقات،فمن الغرائب أن يدأب فى الطواف بآحاد المساجد ، من أمرت الكعبة أن تطوف به ، ومن الغرائب أن يطوف فى أكناف الأرض ، من تطوف به أقطار السماء ، ثم مادام المسافر مفتقرا إلى أن يبصر عالم الملك والشهادة بالبصر الظاهر ، فهو يعد فى المنزل الأول من منازل السائرين إلى الله والمسافرين إلى حضرته ، وكأنه متعكف على باب الوطن لم يفض به المسير إلى متسع الفضاء ، ولا سبب لطول المقام فى هذا المنزل ، إلا الجبن والقصور ، ولذلك قال بعض أرباب القلوب : إن الناس ليقولون افتحوا أعينكم حتى تبصروا ، وأنا أقول : غمضوا أعينكم حتى تبصروا ، وكل واحد من القولين حق ، إلا أن الأول خبر عن المنزل الأول القريب من الوطن ، والثانى خبر عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التى لا يطؤها إلا مخاطر بنفسه والمجاوز إليها ربما يتيه فيها سنين ، وربما يأخذ التوفيق بيده فيرشده إلى سواء السبيل والهالكون فى التيه هم الأكثرون من ركاب هذه الطريق،ولكن السائحون بنور التوفيق فازوا بالنعيم والملك المقيم ، وهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى، واعتبر هذا الملك بملك الدنيا فإنه يقل بالإضافة إلى كثرة الخلق طلابه ، ومهما عظم المطلوب قل المساعد ، ثم الذى يهلك أكثر من الذى يملك ، ولا يتصدى لطلب الملك العاجز الجبان لعظيم الخطر وطول التعب

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسام

وما أودع الله العز والملك فى الدين والدنيا إلا فى حيز الخطر ، وقد يسمى الجبانُ الجبنَ والقصورَ ، باسم الحزم والحذر ، كما قيل

ترى الجبناء أن الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم

فهذا حكم السفر الظاهر إذا أريد به السفر الباطن بمطالعة آيات الله فى الأرض ،فلنرجع إلى الغرض الذى كنا نقصده ولنبين

القسم الثانى : وهو أن يسافر لأجل العبادة إما لحج أو جهاد وقد ذكرنا فضل ذلك

وآدابه وأعماله الظاهرة والباطنة فى كتاب أسرار الحج ،ويدخل فى جملته زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام ،وزيارة قبور الصحابة ، والتابعين ، وسائر العلماء ، والأولياء ، وكل من يتبرك بمشاهدته فى حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته ، ويجوز شد الرحال لهذا الغرض ، ولا يمنع من هذا قوله عليه السلام[1] «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِي هَذَا ، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى » لأن ذلك فى المساجد فإنها متماثلة بعد هذه المساجد، وإلا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء ، والأولياء ، والعلماء ، فى أصل الفضل ، وإن كان يتفاوت فى الدرجات تفاوتا عظيما ، بحسب اختلاف درجاتهم عند الله

وبالجملة زيارة الأحياء أولى من زيارة الأموات ، والفائدة من زيارة الأحياء طلب بركة الدعاء ، وبركة النظر إليهم ، فإن النظر إلى وجوه العلماء والصلحاء عبادة ، وفيه أيضا حركة للرغبة فى الاقتداء بهم ، والتخلق بأخلاقهم وآدابهم ، هذا سوى ماينتظر من الفوائد العلمية المستفادة من أنفاسهم وأفعالهم ، كيف ومجرد زيارة الإخوان فى الله فيه فضل كما ذكرناه فى كتاب الصحبة ، وفى التوراة : سر أربعة أميال زر أخا فى الله . وأما البقاع فلا معنى لزيارتها سوى المساجد الثلاثة ، وسوى الثغور للرباط بها ، فالحديث ظاهر ، فى أنه لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع إلا إلى المساجد الثلاثة، وقد ذكرنا فضائل الحرمين فى كتاب الحج . وبيت المقدس أيضا له فضل كبير . خرج ابن عمر من المدينة قاصداً بيت المقدس ، حتى صلى فيه الصلوات الخمس ، ثم كر راجعاً من الغد إلى المدينة ، وقد سأل سليمان عليه السلام ربه عز وجل أن من قصد هذا المسجد لا يعنيه إلا الصلاة فيه ، أن لا تصرف نظرك عنه ما دام مقيما فيه حتى يخرج منه ، وأن تخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه فأعطاه الله ذلك

القسم الثالث : أن يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين ، وذلك أيضا حسن فالفرار مما لا يطاق من سنن الأنبياء والمرسلين ، ومما يجب الهرب منه ، الولاية ، والجاه وكثرة العلائق والأسباب ، فإن كل ذلك يشوش فراغ القلب، والدين لا يتم إلا بقلب فارغ

(١) حديث لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ـ الحديث ـ تقدم فى الحج

عن غير الله ، فإن لم يتم فراغه فبقدر فراغه يتصور أن يشتغل بالدين ، ولا يتصور فراغ القلب فى الدنيا عن مهمات الدنيا والحاجات الضرورية ، ولكن يتصور تخفيفها وتثقيلها وقد نجا المخفون ، وهلك المثقلون ، والحمد لله الذى لم يعلق النجاة بالفراغ المطلق عن جميع الأوزار والأعباء ، بل قبل المخف بفضله ، وشمله بسعة رحمته ، والمخف هو الذى ليست الدنيا أكبر همه ، وذلك لا يتيسر فى الوطن ، لمن اتسع جاهه ، وكثرت علائقه ، فلا يتم مقصوده إلا بالغربة ، والخمول ، وقطع العلائق التى لا بد عنها ، حتى يروض نفسه مدة مديدة ، ثم ربما يمده الله بمعونته ، فينعم عليه بما يقوى به يقينه ، ويطمئن به قلبه ، فيستوى عنده الحضر والسفر ، ويتقارب عنده وجود الأسباب والعلائق وعدمها ، فلا يصده شىء منها عما هو بصدده من ذكر الله . وذلك مما يعز وجوده جداً ، بل الغالب على القلوب الضعف ، والقصور عن الاتساع للخلق والخالق ، وإنما يسعد بهذه القوة الأنبياء والأولياء والوصول إليها بالكسب شديد ، وإن كان للاجتهاد والكسب فيها مدخل أيضا ، ومثال تفاوت القوة الباطنة فيه كتفاوت القوة الظاهرة فى الأعضاء ، فرب رجل قوي ذى مرة سوى شديد الأعصاب ، محكم البنية ، يستقل بحمل ما وزنه ألف رطل مثلا ، فلو أراد الضعيف المريض أن ينال رتبته بممارسة الحمل ، والتدريج فيه ، قليلا قليلا ، لم يقدر عليه ، ولكن الممارسة والجهد يزيد فى قوته زيادة ما ، وإن كان ذلك لا يبلغه درجته ، فلا ينبغى أن يترك الجهد عند اليأس عن الرتبة العليا ، فإن ذلك غاية الجهل ، ونهاية الضلال

وقد كان من عادة السلف رضي الله عنهم مفارقة الوطن خيفة من الفتن وقال سفيان الثورى : هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخامل ، فكيف على المشتهرين ، هذا زمان رجل ينتقل من بلد إلى بلد ، كلما عرف فى موضع تحول إلى غيره ، وقال أبو نعيم : رأيت سفيان الثورى وقد علق قلته بيده ، ووضع جرابه على ظهره ، فقلت إلى أين يا أبا عبد الله قال بلغنى عن قرية فيها رخص أريد أن أقيم بها ، فقلت له وتفعل هذا ؟ قال : نعم . إذا بلغك أن قرية فيها رخص فأقم بها فإنه أسلم لدينك ، وأقل لهمك ، وهذا هرب من غلاء السعر ، وكان سرى السقطى يقول للصوفية إذا خرج الشتاء فقد خرج أذار ، وأورقت الأشجار ، وطاب

الانتشار فانتشروا، وقد كان الخوّاص لا يقيم ببلد أكثر من أربعين يوما، وكان من المتوكلين ويرى الإقامة اعتمادا على الأسباب قادحا فى التوكل، وسيأتى أسرار الاعتماد على الأسباب فى كتاب التوكل إن شاء الله تعالى

القسم الرابع: السفر هربا مما يقدح فى البدن، كالطاعون، أو فى المال، كغلاء السعر أو ما يجرى مجراه ولا حرج فى ذلك، بل ربما يجب الفرار فى بعض المواضع، وربما يستحب فى بعض، بحسب وجوب ما يترتب عليه من الفوائد واستحبابه. ولكن يستثنى منه الطاعون، فلا ينبغى أن يفر منه لورود النهي فيه، قال أسامة بن زيد: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « إِنَّ هَذَا الْوَجَعَ أَوِ السَّقَمَ رِجْزٌ عُذِّبَ بِهِ بَعْضُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ ثُمَّ بَقِيَ بَعْدُ فِي الْأَرْضِ فَيَذْهَبُ الْمَرَّةَ وَيَأْتِي الْأُخْرَى فَمَنْ سَمِعَ بِهِ فِي أَرْضٍ فَلَا يَقْدُمَنَّ عَلَيْهِ وَمَنْ وَقَعَ بِأَرْضٍ وَهُوَ بِهَا فَلَا يُخْرِجَنَّهُ الْفِرَارُ مِنْهُ » وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « إِنَّ فَنَاءَ أُمَّتِي بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ » فقلت: هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون؟ قال: « غُدَّةٌ كَغُدَّةِ الْبَعِيرِ تَأْخُذُهُمْ فِي مَرَاقِهِمْ. الْمُسْلِمُ الْمَيِّتُ مِنْهُ شَهِيدٌ، وَالْمُقِيمُ عَلَيْهِ الْمُحْتَسِبُ كَالْمُرَابِطِ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْفَارُّ مِنْهُ كَالْفَارِّ مِنَ الزَّحْفِ »

وعن مكحول عن أم أيمن قالت أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) بعض أصحابه « لَا تُشْرِكْ بِاللهِ شَيْئًا وَإِنْ عُذِّبْتَ أَوْ حُرِّقْتَ، وَأَطِعْ وَالِدَيْكَ وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ هُوَ لَكَ فَاخْرُجْ مِنْهُ وَلَا تَتْرُكِ الصَّلَاةَ عَمْدًا فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ عَمْدًا فَقَدْ بَرِئَتْ ذِمَّةُ اللهِ مِنْهُ، وَإِيَّاكَ وَالْخَمْرَ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ، وَإِيَّاكَ وَالْمَعْصِيَةَ فَإِنَّهَا تُسْخِطُ اللهَ، وَلَا تَفِرَّ مِنَ الزَّحْفِ وَإِنْ أَصَابَ النَّاسَ مَوْتَانٍ وَأَنْتَ فِيهِمْ فَاثْبُتْ فِيهِمْ، أَنْفِقْ مِنْ طَوْلِكَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ وَلَا تَرْفَعْ عَصَاكَ عَنْهُمْ، أَخِفْهُمْ بِاللهِ »

---

(١) حديث اسامة بن زيد ان هذا الوجع أو السقم رجز عذب به بعض الامم قبلكم ـ الحديث متفق عليه واللفظ لمسلم

(٢) حديث عائشة ان فناء أمتى بالطعن والطاعون ـ الحديث: رواه أحمد وابن عبد البر فى التمهيد باسناد جيد

(٣) حديث أم أيمن أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أهله لا تشرك بالله شيئا وان حرقت بالنار البيهقى وقال فيه ارسال

فهـذه الأحاديث تدل على أن الفرار من الطاعون منهي عنـه ، وكذلك القدوم عليـه، وسيأتى شرح ذلك فى كتاب التوكل

فهـذه أقسام الأسفار ، وقد خرج منـه أن السفر ينقسم إلى مذموم ، وإلى محمود وإلى مباح ، والمذموم ينقسم إلى حرام كإباق العبد ، وسفر العاق ، وإلى مكروه كالخروج من بلد الطاعون ، والمحمود ينقسم إلى واجب كالحج وطلب العلم الذى هو فريضة على كل مسلم ، وإلى مندوب إليه كزيارة العلماء وزيارة مشاهدهم

ومن هـذه الأسباب تتبين النية فى السفر فإن معنى النيـة والانبعاث للسبب الباعث والانتهاض لإجابة الداعية ، ولتكن نيته الآخرة فى جميع أسفاره وذلك ظاهر فى الواجب والمندوب ، ومحال فى المكروه ، والمحظور، وأما المباح فرجعه إلى النية فمهما كان قصده بطلب المـال مثلا التعفف عن السؤال ، ورعاية ستر المروءة على الأهل والعيال والتصـدق بما يفضل عن مبلغ الحاجة صار هذا المباح بهذه النية من أعمال الآخرة ، ولو خرج إلى الحج وباعثه الرياء والسمعة لخرج عن كونه من أعمال الآخرة ، لقوله صلى الله عليه وسـلم (١) « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » فقوله صلى الله عليه وسلم : الأعمال بالنيات عام فى الواجبات والمندوبات والمباحات ، دون المحظورات ، فإن النية لا تؤثر فى إخراجها عن كونها من المحظورات وقد قال بعض السلف : إن الله تعالى قد وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون إلى مقاصدهم. فيعطى كل واحد على قدر نيته ، فمن كانت نيته الدنيا أعطى منها ، ونقص من آخرته أضعافه وفرق عليه همه ، وكثر بالحرص والرغبة شغله، ومن كانت نيته الآخرة أعطى من البصيرة والحكمة والفطنة ، وفتح له من التذكرة والعبرة بقدر نيته. وجمع له همه ودعت له الملائكة واستغفرت له

وأما النظر فى أن السفر هو الأفضل أو الإقامة فذلك يضاهى النظر فى أن الأفضل هو العزلة أو المخالطة ، وقد ذكرنا منهاجه فى كتاب العزلة فليفهم هذا منه، فإن السفر نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة ، تفرق الهم ، وتشتت القلب فى حق الأكثرين، والأفضل فى هذا ماهو الأعون على الدين ، ونهاية ثمرة الدين فى الدنيا تحصيل معرفة الله تعالى ، وتحصيـل

---

(١) حديث الأعمال بالنيات متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم

الأنس بذكر الله تعالى ، والأنس يحصل بدوام الذكر ، والمعرفة تحصل بدوام الفكر ومن لم يتعلم طريق الفكر والذكر لم يتمكن منهما والسفر هو المعين على التعلم فى الابتداء ، والإقامة هى المعينة على العمل بالعلم فى الانتهاء ، وأما السياحة فى الأرض على الدوام فمن المشوشات للقلب إلا فى حق الأقوياء ، فإن المسافر وماله لعلى قلق إلا ما وقى الله ، فلا يزال المسافر مشغول القلب ، تارة بالخوف على نفسه وماله ، وتارة بمفارقة ما ألفه واعتاده فى إقامته ، وان لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يخلو عن الطمع والاستشراف إلى الخلق ، فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر ، وتارة يقوى باستحكام أسباب الطمع ثم الشغل بالحظ ، والترحال مشوش لجميع الأحوال فلا ينبغى أن يسافر المريد إلا فى طلب علم ، أو مشاهدة شيخ يقتدى به في سيرته وتستفاد الرغبة فى الخير من مشاهدته ، فإن اشتغل بنفسه واستبصر وانفتح له طريق الفكر أو العمل فالسكون أولى به ، إلا أن أكثر متصوفة هذه الأعصار ، لما خلت بواطنهم عن لطائف الأفكار ، ودقائق الأعمال ، ولم يحصل لهم أنس بالله تعالى ، وبذكره فى الخلوة وكانوا بطالين غير محترفين ولا مشغولين ، قد ألفوا البطالة ، واستثقلوا العمل ، واستوعروا طريق الكسب واستلانوا جانب السؤال والكدية ، واستطابوا الرباطات المبنية لهم فى البلاد ، واستسخروا الخدم المنتصبين للقيام بخدمة القوم ، واستخفوا عقولهم وأديانهم ، من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة إلا الرياء والسمعة ، وانتشار الصيت ، واقتناص الأموال بطريق السؤال تعللا بكثرة الأتباع ، فلم يكن لهم فى الخانقاهات حكم نافذ ، ولا تأديب للمريدين نافع ، ولا حجر عليهم قاهر ، فلبسوا المرقعات ، واتخذوا فى الخانقاهات منتزهات ، وربما تلقفوا ألفاظا من خرفة من أهل الطامات ، فينظرون إلى أنفسهم وقد تشبهوا بالقوم فى خرقتهم ، وفى سياحتهم وفى لفظهم وعبارتهم ، وفى آداب ظاهرة من سيرتهم ، فيظنون بأنفسهم خيرا ، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ويعتقدون أن كل سوداء تمرة ، ويتوهمون أن المشاركة فى الظواهر توجب المساهمة فى الحقائق ، وهيهات ، فما أغزر حماقة من لا يميز بين الشحم والورم ، فهؤلاء بغضاء الله ، فإن الله تعالى يبغض الشاب الفارغ ، ولم يحملهم على السياحة إلا الشباب والفراغ إلا من سافر لحج أو عمرة فى غير رياء ولا سمعة ، أو سافر لمشاهدة شيخ يقتدى به فى علمه وسيرته

وقد خلت البلاد عنه الآن ، والأمور الدينية كلها قد فسدت وضعفت ، إلا التصوف فإنه قد انمحق بالكلية وبطل ، لأن العلوم لم تندرس بعد ، والعالم وإن كان عالم سوء فإنما فساده في سيرته لا في علمه ، فيبقى عالما غير عامل بعلمه ، والعمل غير العلم

وأما التصوف فهو عبارة عن تجرد القلب لله تعالى ، واستحقار ماسوى الله ، وحاصله يرجع إلى عمل القلب والجوارح ، ومهما فسد العمل فات الأصل ، وفي أسفار هؤلاء نظر للفقهاء ، من حيث إنه إتعاب للنفس بلا فائدة ، وقد يقال إن ذلك ممنوع ، ولكن الصواب عندنا أن نحكم بالإباحة فإن حظوظهم التفرج عن كرب البطالة بمشاهدة البلاد المختلفة ، وهذه الحظوظ وإن كانت خسيسة فنفوس المتحركين لهذه الحظوظ أيضا خسيسة ، ولا بأس بإتعاب حيوان خسيس لحظ خسيس يليق به ويعود إليه ، فهو المتأذي والمتلذذ ، والفتوى تقتضي تشتيت العوام في المباحات التي لا نفع فيها ولا ضرر ، فالسابحون في غير مهم في الدين والدنيا ، بل لمحض التفرج في البلاد ، كالبهائم المترددة في الصحارى ، فلا بأس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم ، ولم يلبسوا على الخلق حالهم ، وإنما عصيانهم في التلبيس والسؤال على اسم التصوف ، والأكل من الأوقاف التي وقفت على الصوفية ، لأن الصوفي عبارة عن رجل صالح ، عدل في دينه ، مع صفات أخر ، وراء الصلاح ، ومن أقل صفات أحوال هؤلاء ، أكلهم أموال السلاطين ، وأكل الحرام من الكبائر ، فلا تبقى معه العدالة والصلاح ولو تصور صوفي فاسق ، لتصور صوفي كافر ، وفقيه يهودي ، ، وكما أن الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص ، فالصوفي عبارة عن عدل مخصوص لا يقتصر في دينه على القدر الذي يحصل به العدالة ، وكذلك من نظر إلى ظواهرهم ، ولم يعرف بواطنهم وأعطاهم من ماله على سبيل التقرب إلى الله تعالى ، حرم عليهم الأخذ وكان ما أكلوه سحتا ، وأعنى به إذا كان المعطى بحيث لو عرف بواطن أحوالهم ما أعطاهم ، فأخذ المال بإظهار التصوف من غير اتصاف بحقيقته كأخذه بإظهار نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الدعوى ومن زعم أنه علوي وهو كاذب ، وأعطاه مسلم مالا لحبه أهل البيت ، ولو علم أنه كاذب

لم يعطه شيئا فأخذه على ذلك حرام، وكذلك الصوفي ، ولهذا احترز المحتاطون عن الأكل بالدين ، فإن المبالغ فى الاحتياط لدينه لاينفك فى باطنه عن عورات لو انكشفت للراغب فى مواساته لفترت رغبته عن المواساة ، فلا جرم كانوا لايشترون شيئا بأنفسهم مخافة أن يسامحوا لأجل دينهم ، فيكونوا قد أكلوا بالدين ، وكانوا يوكلون من يشترى لهم ويشترطون على الوكيل أن لايظهر أنه لمن يشترى ، نعم : إنما يحل أخذ مايعطى لأجل الدين إذا كان الآخذ بحيث لو علم المعطى من باطنه مايعلمه الله تعالى لم يقتض ذلك فتورا فى رأيه فيه ، والعاقل المنصف يعلم من نفسه أن ذلك ممتنع أو عزيز ، والمغرور الجاهل بنفسه أحرى بأن يكون جاهلا بأمر دينه فإن أقرب الأشياء إلى قالبه قلبه ، فإذا التبس عليه أمر قلبه فكيف ينكشف له غيره ، ومن عرف هذه الحقيقة لزمه لامحالة أن لايأكل إلا من كسبه ليأمن من هذه الغائلة ، أو لايأكل إلا من مال من يعلم قطعا أنه لو انكشف له عورات باطنه لم يمنعه ذلك عن مواساته ، فإن اضطر طالب الحلال ومريد طريق الآخرة إلى أخذ مال غيره ، فليصرح له وليقل إنك إن كنت تعطينى لما تعتقده فى من الدين فلست مستحقا لذلك ، ولو كشف الله تعالى سترى لم ترنى بعين التوقير ، بل اعتقدت أنى شر الخلق أو من شرارهم ، فإن أعطاه مع ذلك فليأخذ فإنه ربما يرضى منه هذه الخصلة وهو اعترافه على نفسه بركاكة الدين ، وعدم استحقاقه لما يأخذه ، ولكن ههنا مكيدة للنفس بينة، ومخادعة فليتفطن لها ، وهو أنه قد يقول ذلك مظهرا أنه متشبه بالصالحين فى ذمهم نفوسهم واستحقارهم لها ، ونظرهم إليها بعين المقت والازدراء ، فتكون صورة الكلام صورة القدح والازدراء ، وباطنه وروحه هو عين المدح والإطراء ، فكم من ذام نفسه وهو لها مادح بعين ذمه ، فذم النفس فى الخلوة مع النفس هو المحمود ، وأما الذم فى الملأ فهو عين الرياء ، إلا إذا أورده إيرادا يحصل للمستمع يقينا بأنه مقترف للذنوب ، ومعترف بها ، وذلك مما يمكن تفهيمه بقرائن الأحوال ، ويمكن تلبيسه بقرائن الأحوال ، والصادق بينه وبين الله تعالى يعلم أن مخادعته لله عز وجل ، أو مخادعته لنفسه محال ، فلا يتعذر عليه الاحتراز عن أمثال ذلك ، فهذا هو القول فى أقسام السفر ، ونية المسافر ، وفضيلته .

الفصل الثانى

فى آداب المسافر من أول نهوضه إلى آخر رجوعه، وهي أحد عشر أدباً

الأول : أن يبدأ برد المظالم ، وقضاء الديون ، وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته ، ويرد الودائع إن كانت عنده ، ولا يأخذ لزاده إلا الحلال الطيب ، وليأخذ قدرا يوسع به على رفقائه ، قال ابن عمر رضي الله عنهما : من كرم الرجل طيب زاده فى سفره ، ولابد فى السفر من طيب الكلام ، وإطعام الطعام ، وإظهار مكارم الأخلاق فى السفر ، فإنه يخرج خبايا الباطن ، ومن صلح لصحبة السفر صلح لصحبة الحضر ، وقد يصلح فى الحضر من لا يصلح فى السفر . ولذلك قيل : إذا أثنى على الرجل معاملوه فى الحضر ، ورفقاؤه فى السفر ، فلا تشكوا فى صلاحه ، والسفر من أسباب الضجر ، ومن أحسن خلقه فى الضجر فهو الحسن الخلق ، وإلا فعند مساعدة الأمور على وفق الغرض قلما يظهر سوء الخلق ، وقد قيل : ثلاثة لا يلامون على الضجر ، الصائم ، والمريض ، والمسافر ، وتمام حسن خلق المسافر الإحسان إلى المكارى ، ومعاونة الرفقة بكل ممكن ، والرفق بكل منقطع بأن لا يجاوزه إلا بالإعانة بمركوب أو زاد أو توقف لأجله وتمام ذلك مع الرفقاء بمزاح ، ومطايبة فى بعض الأوقات من غير فحش ولا معصية ، ليكن ذلك شفاء لضجر السفر ومشاقه

الثانى : أن يختار رفيقا ، فلا يخرج وحده ، فالرفيق ثم الطريق ، وليكون رفيقه ممن يعينه على الدين ، فيذكره إذا نسي ، ويعينه ويساعده إذا ذكر ، فإن المرء على دين خليله ولا يعرف الرجل إلا برفيقه . وقد نهى صلى الله عليه وسلم [1] « عَنْ أَنْ يُسَافِرَ الرَّجُلُ وَحْدَهُ » وقال [2] « الثَّلاَثَةُ نَفَرٌ » وقال أيضا [3] « إِذَا كُنْتُمْ ثَلاَثَةً فِي السَّفَرِ فَأَمِّرُوا أَحَدَكُمْ »

---

(١) حديث النهى عن أن يسافر الرجل وحده : أحمد من حديث ابن عمر بسند صحيح وهو عند البخارى بلفظ لو يعلم الناس ما فى الوحدة ماسار راكب بليل وحده

(٢) حديث الثلاثة نفر : رويناه من حديث على فى وصيته المشهورة وهو حديث موضوع والمعروف الثلاثة ركب رواه أبو داود والترمذى وحسنه النسائي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده

(٣) حديث اذا كنتم ثلاثة فأمروا أحدكم : الطبرانى من حديث ابن مسعود باسناد حسن

(١) وكانوا يفعلون ذلك ، ويقولون : هذا أميرنا أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم وليؤمروا أحسنهم أخلاقا ، وأرفقهم بالأصحاب ، وأسرعهم إلى الإيثار ، وطلب الموافقة وإنما يحتاج إلى الأمير لأن الآراء تختلف فى تعيين المنازل ، والطرق ، ومصالح السفر ولا نظام إلا فى الوحدة ولا فساد إلا فى الكثرة ، وإنما انتظم أمر العالم لأن مدبر الكل واحد و(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا (١)) ومهما كان المدبر واحدا انتظم أمر التدبير وإذا كثر المدبرون فسدت الأمور فى الحضر والسفر ، إلا أن مواطن الإقامة لا تخلو عن أمير عام كأمير البلد ، وأمير خاص كرب الدار ، وأما السفر : فلا يتعين له أمير إلا بالتأمير فلهذا وجب التأمير ليجتمع شتات الآراء ، ثم على الأمير أن لا ينظر إلا لمصلحة القوم ، وأن يجعل نفسه وقاية لهم ، كما نقل عن عبد الله المروزى أنه صحبه أبو على الرباطى ، فقال على أن تكون أنت الأمير أو أنا ، فقال بل أنت ، فلم يزل يحمل الزاد لنفسه ولأبى على على ظهره فأمطرت السماء ذات ليلة ، فقام عبد الله طول الليل على رأس رفيقه ، وفى يده كساء يمنع عنه المطر ، فكلما قال له عبد الله لا تفعل ، يقول ألم تقل إن الإمارة مسلمة لى فلا تتحكم علي ولا ترجع عن قولك حتى قال أبو على : وددت أنى مت ولم أقل له أنت الأمير ، فهكذا ينبغى أن يكون الأمير ، وقد قال صلى الله عليه وسلم (٢) « خَيْرُ الأَصْحَابِ أَرْبَعَةٌ » وتخصيص الأربعة من بين سائر الأعداد لا بد أن يكون له فائدة ، والذى ينقدح فيه أن المسافر لا يخلو عن رجل يحتاج إلى حفظه ، وعن حاجة يحتاج إلى التردد فيها ، ولو كانوا ثلاثة لكان المتردد فى الحاجة واحدا ، فيتردد فى السفر بلا رفيق ، فلا يخلو عن خطر وعن ضيق قلب ، لفقد أنس الرفيق ، ولو تردد فى الحاجة اثنان لكان الحافظ للرجل واحداً

---

(١) حديث كانوا يفعلون ذلك ويقولون هو أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم : البزار والحاكم عن عمر أنه قال إذا كنتم ثلاثة فى سفر فأمروا عليكم أحدكم ذا أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين

(٢) حديث خير الأصحاب أربعة : أبو داود والترمذى والحاكم من حديث ابن عباس قال الترمذى حسن غريب وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين

---

(١) الأنبياء : ٢٢

فلا يخلو أيضا عن الخطر وعن ضيق الصدر ، فإذاً مادون الأربعة لا يفي بالمقصود ، ومافوق الأربعة يزيد ، فلا تجمعهم رابطة واحدة ، فلا ينعقد بينهم الترافق ، لأن الخامس زيادة بعد الحاجة ، ومن يستغنى عنه لاتنصرف الهمة إليه فلا تتم المرافقة معه ، نعم فى كثرة الرفقاء فائدة للأمن من المخاوف ، ولكن الأربعة خير للرفاقة الخاصة لا للرفاقة العامة ، وكم من رفيق فى الطريق عند كثرة الرفاق لا يكلم ، ولا يخالط إلى آخر الطريق للاستغناء عنه

الثالث : أن يودع رفقاء الحضر والأهل والأصدقاء، وليدع عند الوداع بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال بعضهم صحبت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من مكة إلى المدينة حرسها الله ، فلما أردت أن أفارقه شيعنى، وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] يقول « قَالَ لُقْمَانُ إِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا اسْتُودِعَ شَيْئاً حَفِظَهُ وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ » وروى زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] أنه قال « إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ سَفَراً فَلْيُوَدِّعْ إِخْوَانَهُ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى جَاعِلٌ لَهُ فِي دُعَائِهِمُ الْبَرَكَةَ » وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] كان إذا ودع رجلا قال « زَوَّدَكَ اللهُ التَّقْوَى وَغَفَرَ ذَنْبَكَ وَوَجَّهَكَ إِلَى الْخَيْرِ حَيْثُ تَوَجَّهْتَ » فهذا دعاء المقيم للمودع ، وقال موسى بن وردان أتيت أبا هريرة رضي الله عنه أودعه لسفر أردته ، فقال ألا أعلمك يا ابن أخى شيئا علمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الوداع ، فقلت بلى قال قل[4] « أَسْتَوْدِعُكَ اللهَ الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ » وعن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم[5] فقال إنى أريد سفرا فأوصنى فقال له « فِي حِفْظِ اللهِ وَفِي كَنَفِهِ زَوَّدَكَ اللهُ التَّقْوَى وَغَفَرَ ذَنْبَكَ وَوَجَّهَكَ لِلْخَيْرِ حَيْثُ كُنْتَ أَوْ أَيْنَمَا كُنْتَ » شك فيه الراوى

---

(١) حديث ابن عمر قال لقمان ان الله اذا استودع شيئا حفظه وانى أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك : النسائى فى اليوم والليلة ورواه أبوداود مختصرا واسناده جيد

(٢) حديث زيد بن أرقم اذا أراد أحدكم سفرا فليودع اخوانه فان الله جاعل له فى دعائهم البركة : الخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف

(٣) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده كان إذا ودع رجلا قال زودك الله التقوى : الخرائطى فى مكارم الأخلاق والمحاملى فى الدعاء وفيه ابن أبى لهيعة

(٤) حديث أبى هريرة أستودعك الله الذى لا تضيع ودائعه : ابن ماجه والنسائى فى اليوم والليلة باسناد حسن

(٥) حديث أنس فى حفظ الله وفى كنفه زودك الله التقوى ـ الحديث : تقدم فى الحج فى الباب الثانى

وينبغي إذا استودع الله تعالى مايخلفه أن يستودع الجمع ولا يخصص ، فقد روي أن عمر رضي الله عنه ، كان يعطي الناس عطاياهم إذ جاءه رجل معه ابن له، فقال له عمر: مارأيت أحدا أشبه بأحد من هذا بك ، فقال له الرجل،أحدثك عنه ياأمير المؤمنين بأمر: إني أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل به فقالت : تخرج وتدعني على هذه الحالة ، فقلت :أستودع الله مافي بطنك ، فخرجت ثم قدمت ، فإذا هي قد ماتت فجلسنا نتحدث ،فإذا نار على قبرها فقلت للقوم : ما هـذه النار ؟ فقالوا : هذه النار من قبر فلانة نراها كل ليـلة ، فقلت : والله إنها كانت لصوامة قوامة ؟ فأخذت المعول حتى انتهينا إلى القبر فحفرنا فإذا سراج وإذا هذ الغلام يدب ، فقيل لي إن هذه وديعتك ، ولو كنت استودعت أمه لوجدتها.فقال عمر رضي الله عنه ، لهو أشبه بك من الغراب بالغراب

الرابع . أن يصلي قبل سفره صلاة الاستخارة ، كما وصفناها في كتاب الصلاة ،ووقت الخروج يصلي لأجل السفر فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم (١) فقال إني نذرت سفرا وقد كتبت وصيتي فإلى أي الثلاثة أدفعها، إلى ابني، أم أخي ،أم أبي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « مَا اسْتَخْلَفَ عَبْدٌ فِي أَهْلِهِ مِنْ خَلِيفَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ يُصَلِّيهِنَّ فِي بَيْتِهِ إِذَا شَدَّ عَلَيْهِ ثِيَابَ سَفَرِهِ يَقْرَأُ فِيهِنَّ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ بِهِنَّ إِلَيْكَ فَاخْلُفْنِي بِهِنَّ فِي أَهْلِي وَمَالِي فَهِيَ خَلِيفَتُهُ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَحِرْزٌ حَوْلَ دَارِهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ »

الخامس : اذا حصل على باب الدار فليقل ، بسم الله توكلت على الله ، ولا حـول ولا قوة إلا بالله ، رب أعوذ بك أن أضل أو أضل ، أو أزل أو أزل ، أو أظلم أو أظلم،أو أجهل أو يجهل علي ؛ فإذا مشى قال: اللهم بك انتشرت،وعليك توكلت،وبك اعتصمت،وإليك توجهت اللهم أنت ثقتي، وأنت رجائي، فاكفني ما أهمني ومالا أهتم به ، وما أنت أعلم به مني،عز جارك وجل ثناؤك ، ولا إله غيرك ، اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ، ووجهني للخير أينما توجهت

---

(١) حديث أنس أن رجلا قال إني نذرت سفراً وقد كتبت وصيتي فالى أي الثلاثة أدفعها إلى أبي أم أخي أم امرأتي فقال ما استخلف عبد في أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات ـ الحديث : الخرائطي في مكارم الأخلاق وفيه من لا يعرف

وليدع بهذا الدعاء فى كل منزل يرحل عنه ، فإذا ركب الدابة فليقل . بسم الله وبالله والله أكبر ، توكلت على الله ، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ، ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن (سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ [1]) فإذا استوت الدابة تحته فليقل (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ [2]) اللهم أنت الحامل على الظهر ، وأنت المستعان على الأمور

السادس : أن يرحل عن المنزل بكرة ، روى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم [1] رحل يوم الخميس وهو يريد تبوك وبكر وقال « اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا » ويستحب أن يبتدىء بالخروج يوم الخميس فقد روى عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا يَوْمَ السَّبْتِ » وكان صلى الله عليه وسلم [3] إذا بعث سرية بعثها أول النهار ، وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم [4] قال اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا يَوْمَ خَمِيسِهَا » وقال عبد الله بن عباس إذا كان لك إلى رجل حاجة [5] فاطلبها منه نهارا ، ولا تطلبها ليلا واطلبها بكرة فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا »

ولا ينبغى أن يسافر بعد طلوع الفجر من يوم الجمعة فيكون عاصيا بترك الجمعة

---

(١) حديث جابر انه صلى الله عليه وسلم رحل يوم الخميس يريد تبوك وقال اللهم بارك لأمتى فى بكورها رواه الخرائطى وفى السنن الأربعة من حديث صخر العامرى اللهم بارك لأمتى فى بكورها قال الترمذى حديث حسن

(٢) حديث كعب بن مالك قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس والسبت البزار مقتصرا على يوم خميسها والخرائطى مقتصرا على يوم السبت وكلاهما ضعيف

(٣) حديث كان اذا بعث سرية بعثها أول النهار: الأربعة من حديث صخر العامرى وحسنه الترمذى

(٤) حديث أبى هريرة اللهم بارك لأمتى فى بكورها يوم خميسها: ابن ماجه والخرائطى فى مكارم الأخلاق واللفظ له وقال ابن ماجه يوم الخميس وكلا الاسنادين ضعيف

(٥) حديث ابن عباس إذا كانت لك إلى رجل حاجة فاطلبها إليه نهارا ـ الحديث : البزار والطبرانى فى الكبير والخرائطى فى مكارم الأخلاق واللفظ له وإسناده ضعيف

---

(١) الزخرف : ١٣، ١٤ (٢) الاعراف : ٤٣

واليوم منسوب إليها فكان أوله من أسباب وجوبها، والتشييع للوداع مستحب وهو سنة ، قال صلى الله عليه وسلم [١] « لَأَنْ أُشَيِّعَ مُجَاهِداً فِي سَبِيلِ اللهِ فَأَكْتَنِفَهُ عَلَى رَحْلِهِ غَدْوَةً أَوْ رَوْحَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا »

السابع: أن لا ينزل حتى يحمى النهار فهي السنة ويكون أكثر سيره بالليل ، قال صلى الله عليه وسلم [٢] « عَلَيْكُمْ بِالدُّلْجَةِ » فإن الأرض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار ، ومهما أشرف على المنزل فليقل : اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين، ورب البحار وماجرين، أسألك خير هذا المنزل وخير أهله ، وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر مافيه ، اصرف عنى شر شرارهم ، فإذا نزل المنزل فليصل فيه ركعتين ، ثم ليقل : اللهم إنى أعوذ بكلمات الله التامات التى لايجاوزهن بر ولا فاجر من شر ماخلق، فإذا جن عليه الليل فليقل : ياأرض ربى وربك الله، أعوذ بالله من شرك ، ومن شر مافيك ، وشر مادب عليك ، أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود وحية وعقرب، ومن شر ساكنى البلد ووالد وماولد (وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [١]) ومهما علا شرفا من الأرض فى وقت السير فينبغى أن يقول : اللهم لك الشرف على كل شرف ، ولك الحمد على كل حال ، ومهما هبط سبح، ومهما خاف الوحشة فى سفره قال: سبحان الملك القدوس، رب الملائكة والروح، جللت السموات بالعزة والجبروت

الثامن : أن يحتاط بالنهار ، فلا يمشى منفردا خارج القافلة ، لأنه ربما يغتال أو ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم ، كان صلى الله عليه وسلم [٣] إذا نام فى ابتداء الليل فى السفر افترش ذراعه ، وإن نام فى آخر الليل نصب ذراعه نصبا ، وجعل رأسه فى كفه والغرض من ذلك ، أن لايستثقل فى النوم فتطلع الشمس وهو نائم لايدرى ، فيكون مايفوته من الصلاة أفضل مما يطلبه بسفره

---

(١) حديث لأن أشيع مجاهدا فى سبيل الله فأكتنفه على رحله غدوة أو روحة أحب إلى من الدنيا ومافيها ابن ماجه بسند ضعيف من حديث معاذ بن أنس

(٢) حديث عليكم بالدلجة ـ الحديث : تقدم فى الباب الثانى من الحج

(٣) حديث كان اذا نام فى ابتداء الليل فى السفر افترش ذراعيه ـ الحديث : تقدم فى الحج

[١] الانعام : ١٣

والمستحب بالليل [١] أن يتناوب الرفقاء فى الحراسة ، فإذا نام واحد حرس آخر فهذه السنة ، ومهما قصده عدو أو سبع فى ليل أو نهار ، فليقرأ آية الكرسى ،وشهدالله،وسورة الإخلاص ، والمعوذتين ، وليقل بسم الله ماشاء الله لاقوة إلا بالله ، حسبي الله ، توكلت على الله ، ماشاء الله ، لا يأتى بالخيرات إلا الله ، ماشاء الله لا يصرف السوء إلا الله ، حسبي الله وكفى ، سمع الله لمن دعا ، ليس وراء الله منتهى ،ولادون الله ملجأ.(كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ [١]) تحصنت بالله العظيم ، واستعنت بالحي القيوم الذى لايموت ، اللهم احرسنا بعينك التى لاتنام ، واكنفنا بركنك الذى لايرام ، اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك ، وأنت ثقتنا ورجاؤنا ، اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة إنك أنت أرحم الراحمين

التاسع : أن يرفق بالدابة إن كان راكبا فلا يحملها مالا تطيق ، ولا يضربها فى وجهها فإنه منهي عنه ، ولا ينام عليها فإنه يثقل بالنوم ، وتتأذى به الدابة ، كان أهل الورع لاينامون على الدواب إلا غفوة ، وقال صلى الله عليه وسلم [٢] « لَا تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ كَرَاسِيَّ » ويستحب أن ينزل عن الدابة ، [٣] غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة ، وفيه آثار عن السلف ، وكان بعض السلف يكترى بشرط أن لاينزل ، ويوفى الأجرة ، ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا إلى الدابة ، فيوضع فى ميزان حسناته لافى ميزان حسنات المكارى. ومن آذى بهيمة بضرب أو حمل مالاتطيق طولب به يوم القيامة ، إذ فى كل كبد حراء أجر ، قال أبو الدرداء رضي الله عنه لبعير له عند الموت ، أيها البعير لاتخاصمنى إلى ربك فإنى لم أك أحملك فوق طاقتك ، وفى النزول ساعة صدقتان ، إحداهما ، ترويح الدابة ، والثانية إدخال السرور على قلب المكارى ، وفيه فائدة أخرى ،وهى رياضة البدن،وتحريك الرجلين

---

(١) حديث تناوب الرفقاء فى الحراسة : تقدم فى الحج فى الباب الثانى

(٢) حديث لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسى ، تقدم فى الباب الثالث من الحج

(٣) حديث النزول عن الدابة غدوة وعشية : تقدم فيه

---

[١] المجادلة : ٢١

والحذر من خدر الأعضاء بطول الركوب ، وينبغى أن يقرر مع المكارى مايحمله عليها شيئاً شيئاً ويعرضه عليه ، ويستأجر الدابة بعقد صحيح ، لئلا يثور بينهما نزاع يؤذى القلب ويحمل على الزيادة فى الكلام ، فما يلفظ العبد من قول إلا لديه رقيب عتيد ، فليحترز عن كثرة الكلام واللجاج مع المكارى ، فلاينبغى أن يحمل فوق المشروط شيئا وإن خف ، فإن القليل يجر الكثير ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، قال رجل لابن المبارك وهو على دابة أحمل لى هذه الرقعة إلى فلان فقال : حتى أستأذن المكارى ، فإنى لم أشارطه على هذه الرقعة ، فانظر كيف لم يلتفت إلى قول الفقهاء إن هذا مما يتسامح فيه ولكن سلك طريق الورع

العاشر : ينبغى أن يستصحب ستة أشياء ، قالت عائشة رضي الله عنها ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] إذا سافر حمل معه خمسة أشياء ، المرآة ، والمكحلة ، والمقراض والسواك ، والمشط ، وفى رواية أخرى عنها ستة أشياء المرآة ، والقارورة ، والمقراض والسواك ، والمكحلة ، والمشط ، وقالت أم سعد الأنصارية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] ، لايفارقه فى السفر المرآة والمكحلة ، وقال صهيب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [٣] « عَلَيْكُمْ بِالْإِثْمِدِ عِنْدَ مَضْجَعِكُمْ فَإِنَّهُ مِمَّا يَزِيدُ فِي الْبَصَرِ وَيُنْبِتُ الشَّعْرَ » وروي أنه كان يكتحل ثلاثا ثلاثا : وفى رواية أنه اكتحل [٤] لليمنى ثلاثا ، ولليسرى ثنتين وقد زاد الصوفية الركوة والحبل ، وقال بعض الصوفية إذا لم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل على نقصان دينه ، وإنما زادوا هذا لما رأوه من الاحتياط فى طهارة الماء وغسل الثياب فالركوة لحفظ الماء الطاهر ، والحبل لتجفيف الثوب المغسول ، ولنزع الماء من الآبار

---

(١) حديث عائشة كان إذا سافر حمل معه خمسة أشياء المرآة والمكحلة والمدرى والسواك والمشط وفى رواية ستة أشياء : الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى سننه والخرائطى فى مكارم الأخلاق واللفظ له وطرقه كلها ضعيفة

(٢) حديث أم سعد الأنصارية كان لايفارقه فى السفر المرآة والمكحلة : رواه الخرائطى وإسناده ضعيف

(٣) حديث صهيب عليكم بالأثمد عند مضجعكم فانه يزيد فى البصر وينبت الشعر : الخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف وهو عند الترمذى وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث ابن عباس وصححه ابن عبد البر وقال الخطابى صحيح الاسناد

(٤) حديث كان يكتحل لليمنى ثلاثا ولليسرى ثنتين : الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عمر بسند لين

وكان الأولون يكتفون بالتيمم ، ويغنون أنفسهم عن نقل الماء ، ولا يبالون بالوضوء من الغدران ومن المياه كلها ما لم يتيقنوا نجاستها ، حتى توضأ عمر رضي الله عنه من ماء في جرة نصرانية وكانوا يكتفون بالأرض والجبال عن الحبل ، فيفرشون الثياب المغسولة عليها ، فهذه بدعة إلا أنها بدعة حسنة ، وإنما البدعة المذمومة ما تضاد السنن الثابتة ، وأما ما يعين على الاحتياط في الدين فمستحسن ، وقد ذكرنا أحكام المبالغة في الطهارات في كتاب الطهارة ، وأن المتجرد لأمر الدين لا ينبغي أن يؤثر طريق الرخصة ، بل يحتاط في الطهارة ما لم يمنعه ذلك عن عمل أفضل منه ، وقيل : كان الخواص من المتوكلين ، وكان لا يفارقه أربعة أشياء في السفر والحضر ، الركوة ، والحبل ، والإبرة بخيوطها ، والمقراض ، وكان يقول هذه ليست من الدنيا .

الحادي عشر : في آداب الرجوع من السفر كان النبي صلى الله عليه وسلم [1] إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة أو غيره يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ، ويقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، وإذا أشرف على مدينته ، فليقل : اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ، ثم ليرسل إلى أهله من يبشرهم بقدومه ، كيلا يقدم عليهم بغتة فيرى ما يكرهه ، ولا ينبغي له [2] أن يطرقهم ليلا ، فقد ورد النهي عنه ، وكان صلى الله عليه وسلم [3] إذا قدم دخل المسجد أولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت ، وإذا دخل قال [4] « تَوْبًا تَوْبًا لِرَبِّنَا أَوْبًا أَوْبًا لَا يُغَادِرُ عَلَيْنَا حَوْبًا » وينبغي أن يحمل لأهل بيته وأقاربه تحفة من مطعوم أو غيره على قدر إمكانه فهو سنة

---

(١) حديث كان إذا قفل من حج أو غزو أو غيره يكبر ـ الحديث : تقدم في الحج

(٢) حديث النهي عن طروق الأهل ليلا : تقدم

(٣) حديث كان إذا قدم من سفر دخل المسجد أولا وصلى ركعتين : تقدم

(٤) حديث كان إذا دخل قال توبا توبا لربنا أوبا لا يغادر حوبا : ابن السني في اليوم والليلة والحاكم من حديث ابن عباس وقال صحيح على شرط الشيخين

فقد روي أنه إن لم يجد شيئا فليضع فى مخلاته [1] حجرا وكأن هذا مبالغة فى الاستحثاث على هذه المكرمة ، لأن الأعين تمتد إلى القادم من السفر ، والقلوب تفرح به فيتأكد الاستحباب فى تأكيد فرحهم ، وإظهار التفات القلب فى السفر إلى ذكرهم بما يستصحبه فى الطريق لهم ، فهذه جملة من الآداب الظاهرة

وأما الآداب الباطنة ففى الفصل الأول بيان جملة منها ، وجملته أن لا يسافر إلا إذا كان زيادة دينه في السفر ، ومهما وجد قلبه متغيرا إلى نقصان فليقف ولينصرف ، ولا ينبغى أن يجاوز همه منزله بل ينزل حيث ينزل قلبه ، وينوى فى دخول كل بلدة أن يرى شيوخها ، ويجتهد أن يستفيد من كل واحد منهم أدبا أو كلمة لينتفع بها لا ليحكي ذلك ، ويظهر أنه لقى المشايخ ولا يقيم ببلدة أكثر من أسبوع أو عشرة أيام ، إلا أن يأمره الشيخ المقصود بذلك ولا يجالس فى مدة الإقامة إلا الفقراء الصادقين ، وإن كان قصده زيارة أخ فلا يزيد على ثلاثة أيام فهو حد الضيافة ، إلا إذا شق على أخيه مفارقته ، وإذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده أكثر من يوم وليلة ، ولا يشغل نفسه بالعشرة ، فإن ذلك يقطع بركة سفره ، وكلما دخل بلدا لا يشتغل بشيء سوى زيارة الشيخ بزيارة منزله فإن كان فى بيته فلا يدق عليه بابه ، ولا يستأذن عليه إلى أن يخرج ، فإذا خرج تقدم إليه بأدب فسلم عليه ، ولا يتكلم بين يديه إلا أن يسأله فإن سأله أجاب بقدر السؤال ، ولا يسأله عن مسألة مالم يستأذن أولا ، وإذا كان فى السفر فلا يكثر ذكر أطعمة البلدان وأسخيائها ، ولا ذكر أصدقائه فيها ، وليذكر مشايخها وفقراءها ولا يهمل فى سفره زيارة قبور الصالحين ، بل يتفقدها فى كل قرية وبلدة ، ولا يظهر حاجته إلا بقدر الضرورة ، ومع من يقدر على إزالتها ، ويلازم فى الطريق الذكر وقراءة القرءان بحيث لا يسمع غيره ، وإذا كلمه إنسان فليترك الذكر وليجبه مادام يحدثه ، ثم ليرجع إلى ما كان عليه ، فإن تبرمت نفسه بالسفر أو بالإقامة فليخالفها ، فالبركة فى مخالفة النفس وإذا تيسرت له خدمة قوم صالحين فلا ينبغى له أن يسافر تبرما بالخدمة . فذلك كفران نعمة ومهما وجد نفسه فى نقصان عما كان عليه فى الحضر فليعلم أن سفره معلول وليرجع إذ لو كان لحق لظهر أثره . قال رجل لأبى عثمان المغربى خرج فلان مسافرا : فقال

---

(١) حديث إطراق أهله عند القدوم ولو بحجر : الدار قطنى من حديث عائشة بإسناد ضعيف

السفر غربة ، والغربة ذلة ، وليس للمؤمن أن يذل نفسه ، وأشار به إلى أن من ليس له فى السفر زيادة دين فقد أذل نفسه ، وإلا فعز الدين لا ينال إلا بذلة الغربة ، فليكن سفر المريد من وطن هواه ومراده وطبعه ، حتى يعز فى هذه الغربة ولا يذل ؛ فإن من اتبع هواه فى سفره ذل لا محالة إما عاجلا وإما آجلا

الباب الثانى

فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات

اعلم أن المسافر يحتاج فى أول سفره إلى أن يتزود لدنياه ولآخرته ، أما زاد الدنيا فالطعام والشراب ، وما يحتاج إليه من نفقة ، فإن خرج متوكلا من غير زاد فلا بأس به إذا كان سفره فى قافلة ، أو بين قرى متصلة ، وإن ركب البادية وحده أو مع قوم لا طعام معهم ولا شراب ، فإن كان ممن يصبر على الجوع أسبوعا أو عشرا مثلا أو يقدر على أن يكتفى بالحشيش فله ذلك ، وإن لم يكن له قوة الصبر على الجوع ولا القدرة على الاجتزاء بالحشيش فخروجه من غير زاد معصية ، فإنه ألقى نفسه بيده إلى التهلكة ، ولهذا سر سيأتى فى كتاب التوكل ، وليس معنى التوكل التباعد عن الأسباب بالكلية ، ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو ، والحبل ، ونزع الماء من البئر ، ولوجب أن يصبر حتى يسخر الله له ملكا أو شخصا آخر حتى يصب الماء فى فيه ، فإن كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح فى التوكل وهو آلة الوصول إلى المشروب فحمل عين المطعوم والمشروب حيث لا ينتظر له وجود أولى بأن لا يقدح فيه ، وستأتى حقيقة التوكل فى موضعها ، فإنه يلتبس إلا على المحققين من علماء الدين

وأما زاد الآخرة فهو العلم الذى يحتاج إليه فى طهارته وصومه وصلاته وعباداته ، فلا بد وأن يتزود منه إذ السفر تارة يخفف عنه أمورا فيحتاج إلى معرفة القدر الذى يخففه السفر كالقصر ، والجمع ، والفطر ، وتارة يشدد عليه أمورا كان مستغنيا عنها فى الحضر ، كالعلم بالقبلة ، وأوقات الصلوات ، فإنه فى البلد يكتفى بغيره من محاريب المساجد ، وأذان المؤذنين وفى السفر قد يحتاج إلى أن يتعرف بنفسه فإذن ما يفتقر إلى تعلمه ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول

العلم برخص السفر

والسفر يفيد فى الطهارة رخصتين ، مسح الخفين ،والتيمم ، وفى صلاة الفرض رخصتين القصر ، والجمع ، وفى النفل رخصتين ، أداؤه على الراحلة ، وأداؤه ماشيا ، وفى الصوم رخصة واحدة وهي الفطر ، فهذه سبع رخص

الرخصة الأولى : المسح على الخفين . قال صفوان بن عسال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] إذا كنا مسافرين أو سفرا ، أن لا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن ، فكل من لبس الخف على طهارة مبيحة للصلاة ثم أحدث ، فله أن يمسح على خفه من وقت حدثه ثلاثة أيام ولياليهن إن كان مسافرا ، أو يوما وليلة إن كان مقيما ، ولكن بخمسة شروط

الأول : أن يكون اللبس بعد كمال الطهارة ، فلو غسل الرجل اليمنى وأدخلها فى الخف ثم غسل اليسرى فأدخلها فى الخف ، لم يجز له المسح عند الشافعي رحمه الله حتى ينزع اليمنى ويعيد لبسه .

الثانى : أن يكون الخف قويا يمكن المشي فيه ، ويجوز المسح على الخف وإن لم يكن منعلا ، إذ العادة جارية بالترددفيه فى المنازل لأن فيه قوة على الجملة ، بخلاف جورب الصوفية فإنه لا يجوز المسح عليه وكذا الجرموق الضعيف

الثالث : أن لا يكون فى موضع فرض الغسل خرق ، فإن تخرق بحيث انكشف محل الفرض لم يجز المسح عليه ، وللشافعي قول قديم أنه يجوز مادام يستمسك على الرجل،وهو مذهب مالك رضي الله عنه ، ولا بأس به لمسيس الحاجة إليه ، وتعذر الخرز فى السفر فى كل وقت ، والمداس المنسوج يجوز المسح عليه مهما كان ساترا لا تبدو بشرة القدم من خلاله

(الباب الثانى فيما لابد للمسافر من تعلمه)

[1]) حديث صفوان بن عسال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا مسافرين أوسفرا أن لا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن: الترمذى وصححه وابن ماجه والنسائى فى الكبرى وابن خزيمة وابن حبان

وكذا المشقوق الذى يرد على محل الشق بشرج ، لأن الحاجة تمس إلى جميع ذلك، فلايعتبر إلا أن يكون ساترا إلى مافوق الكعبين كيفما كان ، فأما إذا ستر بعض ظهر القدم وستر الباقى باللفافة لم يجز المسح عليه

الرابع : أن لا ينزع الخف بعد المسح عليه ، فإن نزع فالأولى له استئناف الوضوء فإن اقتصر على غسل القدمين جاز

الخامس: أن يمسح على الموضع المحاذى لمحل فرض الغسل لاعلى الساق ، وأقله مايسمى مسحا على ظهر القدم من الخف ، وإذا مسح بثلاث أصابع أجزأه ، والأولى أن يخرج من شبهة الخلاف ، وأكمله أن يمسح أعلاه وأسفله دفعة واحدة من غير تكرار ، كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] ووصفه أن يبل اليدين ، ويضع رؤس أصابع اليمنى من يده على رؤس أصابع اليمنى من رجله ويمسحه ، بأن يجر أصابعه إلى جهة نفسه،ويضع رؤس أصابع يده اليسرى على عقبه من أسفل الخف ، ويمرها إلى رأس القدم، ومهما مسح مقيما ثم سافر،أو مسافرا ثم أقام غلب حكم الإقامة فليقتصر على يوم وليلة،وعدد الأيام الثلاثة محسوب من وقت حدثه بعد المسح على الخف ، فلو لبس الخف فى الحضر ومسح فى الحضر ، ثم خرج وأحدث فى السفر وقت الزوال مثلا مسح ثلاثة أيام ولياليهن من وقت الزوال إلى الزوال من اليوم الرابع ، فإذا زالت الشمس من اليوم الرابع لم يكن له أن يصلى إلا بعد غسل الرجلين فيغسل رجليه ، ويعيد لبس الخف ويراعى وقت الحدث ويستأنف الحساب من وقت الحدث ، ولو أحدث بعد لبس الخف فى الحضر ، ثم خرج بعد الحدث فله أن يمسح ثلاثة أيام ، لأن العادة قد تقتضى اللبس قبل الخروج ، ثم لايمكن الاحتراز من الحدث ، فأما إذا مسح فى الحضر ثم سافر اقتصر على مدة المقيمين ، ويستحب لكل من يريد لبس الخف فى حضر أو سفر ، أن ينكس الخف وينفض مافيه حذرا من حية أو عقرب ، أو شوكة ، فقد روي عن أبى أمامة أنه قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخفيه ، فلبس أحدهما فجاء غراب فاحتمل الآخر ثم رمى به فخرجت منه حية ، فقال

---

(١) حديث مسحه صلى الله عليه وسلم على الخف وأسفله : أبوداود والترمذى وضعفه وابن ماجه من حديث المغيرة وهكذا ضعفه البخارى وأبوزرعة

صلى الله عليه وسلم [١] « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَلْبَسُ خُفَّيْهِ حَتَّى يَنْفُضَهُمَا »

الرخصة الثانية التيمم بالتراب بدلا عن الماء عند العذر وإنما يتعذر الماء ، بأن يكون بعيدا عن المنزل بعدا لو مشي إليه لم يلحقه غوث القافلة ، إن صاح أو استغاث ، وهو البعد الذى لا يعتاد أهل المنزل فى ترددهم لقضاء الحاجة التردد إليه ، وكذا إن نزل على الماء عدو أو سبع فيجوز التيمم ، وإن كان الماء قريبا ، وكذا إن احتاج إليه لعطشه فى يومه أو بعد يومه لفقد الماء بين يديه فله التيمم ، وكذا إن احتاج إليه لعطش أحد رفقائه فلا يجوز الوضوء ويلزمه بذله إما بثمن أو بغير ثمن ، ولو كان يحتاج إليه لطبخ مرقة أو لحم أو لبل فتيت يجمعه به لم يجز له التيمم ، بل عليه أن يجتزى بالفتيت اليابس ويترك تناول المرقة ، ومهما وهب له الماء وجب قبوله ، وإن وهب له ثمنه لم يجب قبوله ، لما فيه من المنة وإن بيع بثمن المثل لزمه الشراء ، وإن بيع بغبن لم يلزمه ، فإذا لم يكن معه ماء وأراد أن يتيمم فأول ما يلزمه طلب الماء مهما جوز الوصول إليه بالطلب وذلك بالتردد حوالى المنزل ، وتفتيش الرحل ، وطلب البقايا من الأوانى والمطاهر ، فإن نسي الماء فى رحله ، أو نسي بئرا بالقرب منه لزمه إعادة الصلاة لتقصيره فى الطلب ، وإن علم أنه سيجد الماء فى آخر الوقت فالأولى أن يصلي بالتيمم فى أول الوقت فإن العمر لا يوثق به ، وأول الوقت رضوان الله

تيمم ابن عمر رضي الله عنهما فقيل له أتتيمم وجدران المدينة تنظر إليك ؟ فقال أو أبقى إلى أن أدخلها ، ومهما وجد الماء بعد الشروع فى الصلاة لم تبطل صلاته ، ولم يلزمه الوضوء وإذا وجده قبل الشروع فى الصلاة لزمه الوضوء ، ومهما طلب فلم يجد فليقصد صعيدا طيبا عليه تراب يثور منه غبار ، وليضرب عليه كفيه بعد ضم أصابعهما ضربة فيمسح بهما وجهه ويضرب ضربة أخري بعد نزع الخاتم ، ويفرج الأصابع ويمسح بها يديه إلى مرفقيه ، فإن لم يستوعب بضربة واحدة جميع يديه ضرب ضربة أخرى ، وكيفية التلطف فيه ماذكرناه فى كتاب الطهارة فلا نعيده ، ثم إذا صلى به فريضة واحدة فله أن يتنفل ماشاء بذلك التيمم وإن أراد الجمع بين فريضتين فعليه أن يعيد التيمم للصلاة الثانية فلا يصلى فريضتين إلا بتيممين

---

(١) حديث أبى أمامة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما : رواه الطبرانى وفيه من لا يعرف

ولا ينبغي أن يتيمم لصلاة قبل دخول وقتها ، فإن فعل وجب عليه إعادة التيمم ولينو عند مسح الوجه استباحة الصلاة ، ولو وجد من الماء ما يكفيه لبعض طهارته فليستعمله ثم ليتيمم بعده تيمما تاما

الرخصة الثالثة : في الصلاة المفروضة القصر ، وله أن يقتصر في كل واحدة من الظهر والعصر والعشاء على ركعتين ولكن بشروط ثلاثة

الأول : أن يؤديها في أوقاتها فلو صارت قضاء فالأظهر لزوم الإتمام

الثاني : أن ينوي القصر فلو نوى الإتمام لزمه الإتمام ، ولو شك في أنه نوى القصر أو الإتمام لزمه الإتمام

الثالث : أن لا يقتدي بمقيم ولا بمسافر متم ، فإن فعل لزمه الإتمام ، بل إن شك في أن إمامه مقيم أو مسافر لزمه الإتمام ، وإن تيقن بعده أنه مسافر ، لأن شعار المسافر لا تخفى ، فليكن متحققا عند النية ، وإن شك في أن إمامه هل نوى القصر أم لا بعد أن عرف أنه مسافر لم يضره ذلك ، لأن النيات لا يطلع عليها ، وهذا كله إذا كان في سفر طويل مباح ، وحد السفر من جهة البداية والنهاية فيه إشكال ، فلا بد من معرفته ، والسفر هو الانتقال من موضع الإقامة مع ربط القصد بمقصد معلوم ، فالهائم وراكب التعاسيف ليس له الترخص وهو الذي لا يقصد موضعا معينا ؛ ولا يصير مسافرا ما لم يفارق عمران البلد ، ولا يشترط أن يجاوز خراب البلدة وبساتينها التي يخرج أهل البلدة إليها للتنزه ، وأما القرية فالمسافر منها ينبغي أن يجاوز البساتين المحوطة دون التي ليست بمحوطة ، ولو رجع المسافر إلى البلد لأخذ شيء نسيه لم يترخص إن كان ذلك وطنه ما لم يجاوز العمران ، وإن لم يكن ذلك هو الوطن فله الترخص ، إذ صار مسافرا بالانزعاج والخروج منه

وأما نهاية السفر فبأحد أمور ثلاثة

الاول : الوصول إلى العمران من البلد الذي عزم على الإقامة به

الثاني : العزم على الإقامة ثلاثة أيام فصاعدا ، إما في بلد أو في صحراء

الثالث : صورة الإقامة وإن لم يعزم كما إذا أقام على موضع واحد ثلاثة أيام سوى يوم الدخول لم يكن له الترخص بعده وإن لم يعزم على الإقامة وكان له شغل وهو يتوقع كل يوم إنجازه ، ولكنه يتعوق عليه ويتأخر، فله أن يترخص وإن طالت المدة على أقيس القولين لأنه منزعج بقلبه ومسافر عن الوطن بصورته ، ولا مبالاة بصورة الثبوت على موضع واحد مع انزعاج القلب ، ولا فرق بين أن يكون هذا الشغل قتالا أو غيره ، ولا بين أن تطول المدة أو تقصر ، ولا بين أن يتأخر الخروج لمطر لا يعلم بقاؤه ثلاثة أيام أو لغيره ، إذ ترخص رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] فقصر في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد ، وظاهر الأمر أنه لو تمادى القتال لتمادى ترخصه، إذ لا معنى للتقدير بثمانية عشر يوما والظاهر أن قصره كان لكونه مسافرا لا لكونه غازيا مقاتلا هذا معنى القصر

وأما معنى التطويل فهو أن يكون مرحلتين، كل مرحلة ثمانية فراسخ، وكل فرسخ ثلاثة أميال، وكل ميل أربعة آلاف خطوة، وكل خطوة ثلاثة أقدام . ومعنى المباح أن لا يكون عاقا لوالديه هاربا منهما ، ولا هاربا من مالكه ، ولا تكون المرأة هاربة من زوجها ، ولا أن يكون من عليه الدين هاربا من المستحق مع اليسار ، ولا يكون متوجها في قطع طريق أو قتل إنسان أو طلب إدرار حرام من سلطان ظالم أو سعى بالفساد بين المسلمين

وبالجملة فلا يسافر الإنسان إلا في غرض ، والغرض هو المحرك فإن كان تحصيل ذلك الغرض حراما ولولا ذلك الغرض لكان لا ينبعث لسفره فسفره معصية، ولا يجوز فيه الترخص

وأما الفسق في السفر بشرب الخمر وغيره فلا يمنع الرخصة ، بل كل سفر ينهى الشرع عنه فلا يعين عليه بالرخصة، ولو كان له باعثان أحدهما مباح، والآخر محظور، وكان بحيث لو لم يكن الباعث له المحظور لكان المباح مستقلا بتحريكه، ولكان لا محالة يسافر لأجله فله الترخص

---

(١) حديث قصره صلى الله عليه وسلم في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضوع واحد : أبو داود من حديث عمران بن حصين في قصة الفتح فأقام بمكة ثمانية عشر ليلة لا يصلي إلا ركعتين وللبخاري من حديث ابن عباس أقام بمكة تسعة عشر يوما يقصر الصلاة ولأبي داود سبعة عشر بتقديم السين وفي رواية له خمسة عشر

والمتصوفة الطوافون فى البلاد من غير غرض صحيح سوى التفرج لمشاهدة البقاع المختلفة فى ترخصهم خلاف ، والمختار أن لهم الترخص

الرخصة الرابعة : الجمع بين الظهر والعصر في وقتيهما وبين المغرب والعشاء فى وقتيهما. فذلك أيضا جائز فى كل سفر طويل مباح ، وفى جوازه فى السفر القصير قولان ، ثم إن قدم العصر إلى الظهر فلينو الجمع بين الظهر والعصر فى وقتيهما قبل الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر وليقم ، وعند الفراغ يقيم للعصر ، ويجدد التيمم أولا إن كان فرضه التيمم ولا يفرق بينهما بأكثر من تيمم وإقامة ، فإن قدم العصر لم يجز ، وإن نوى الجمع عند التحرّم بصلاة العصر جاز عند المزنى ، وله وجه فى القياس ، إذ لا مستند لإيجاب تقديم النية، بل الشرع جوز الجمع ، وهذا جمع ، وإنما الرخصة فى العصر ، فتكفى النية فيها ، وأما الظهر فجار على القانون ، ثم إذا فرغ من الصلاتين ، فينبغى أن يجمع بين سنن الصلاتين، أما العصر فلا سنة بعدها، ولكن السنة التى بعد الظهر يصليها بعد الفراغ من العصر ، إما راكبا أو مقيما، لأنه لو صلى راتبة الظهر قبل العصر لانقطعت الموالاة وهى واجبة على وجه ، ولو أراد أن يقيم الأربع المسنونة قبل الظهر والأربع المسنونة قبل العصر فليجمع بينهن قبل الفريضتين فيصلى سنة الظهر أولا ، ثم سنة العصر ، ثم فريضة الظهر ، ثم فريضة العصر ، ثم سنة الظهر الركعتان اللتان هما بعد الفرض ، ولا ينبغى أن يهمل النوافل فى السفر ، فما يفوته من ثوابها أكثر مما يناله من الربح ، لاسيما وقد خفف الشرع عليه ، وجوز له أداءها على الراحلة كي لا يتعوّق عن الرفقة بسببها ، وإن أخر الظهر إلى العصر فيجرى على هذا الترتيب ولا يبالى بوقوع راتبة الظهر بعد العصر فى الوقت المكروه ، لأن ماله سبب لا يكره فى هذا الوقت ، وكذلك يفعل فى المغرب والعشاء والوتر ، وإذا قدم أو أخر فبعد الفراغ من الفرض يشتغل بجميع الرواتب ويختم الجميع بالوتر ، وإن خطر له ذكر الظهر قبل خروج وقته فليعزم على أدائه مع العصر جمعا ، فهو نية الجمع ، لأنه إنما يخلو عن هذه النية ، إما بنية الترك ، أو بنية التأخير عن وقت العصر وذلك حرام، والعزم عليه حرام، وإن لم يتذكر الظهر حتى خرج وقته إما لنوم أو لشغل فله أن يؤدي الظهر مع العصر ولا يكون عاصيا

لأن السفر كما يشغل عن فعل الصلاة فقد يشغل عن ذكرها ، ويحتمل أن يقال إن الظهر إنما تقع أداء إذا عزم على فعلها قبل خروج وقتها ، ولكن الأظهر أن وقت الظهر والعصر صار مشتركا فى السفر بين الصلاتين ، ولذلك يجب على الحائض قضاء الظهر إذا طهرت قبل الغروب ، ولذلك ينقدح أن لاتشترط الموالاة ولا الترتيب بين الظهر والعصر عند تأخير الظهر ، أما إذا قدم العصر على الظهر لم يجز ، لأن مابعد الفراغ من الظهر هو الذى جعل وقتا للعصر إذ يبعد أن يشتغل بالعصر من هو عازم على ترك الظهر أو على تأخيره وعذر المطر مجوز للجمع ، كعذر السفر ، وترك الجمعة أيضا من رخص السفر ، وهى متعلقة أيضا بفرائض الصلوات ، ولو نوى الإقامة بعد أن صلى العصر فأدرك وقت العصر فى الحضر فعليه أداء العصر ، وما مضى إنما كان مجزئا بشرط أن يبقى العذر إلى خروج وقت العصر .

الرخصة الخامسة : التنفل راكبا . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] يصلى على راحلته أينما توجهت به دابته ، وأوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الراحلة ، وليس على المتنفل الراكب فى الركوع والسجود إلا الإيماء ، وينبغى أن يجعل سجوده أخفض من ركوعه ولا يلزمه الانحناء إلى حد يتعرض به لخطر بسبب الدابة ، فإن كان فى مرقد فليتم الركوع والسجود فإنه قادر عليه

وأما استقبال القبلة فلا يجب لا فى ابتداء الصلاة ولا فى دوامها ، ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة ، فليكن فى جميع صلاته إما مستقبلا للقبلة أو متوجها فى صوب الطريق لتكون له جهة يثبت فيها ، فلو حرف دابته عن الطريق قصدا بطلت صلاته ، إلا إذا حرفها إلى القبلة ، ولو حرفها ناسيا وقصر الزمان لم تبطل صلاته ، وإن طال ففيه خلاف ، وإن جمحت به الدابة فانحرفت لم تبطل صلاته ، لأن ذلك مما يكثر وقوعه ، وليس عليه سجود سهو ، إذ الجماح غير منسوب إليه ، بخلاف مالو حرف ناسيا ، فإنه يسجد للسهو بالإيماء .

الرخصة السادسة : التنفل للماشى جائز فى السفر . ويومىء بالركوع والسجود ، ولا يقعد للتشهد ، لأن ذلك يبطل فائدة الرخصة ، وحكمه حكم الراكب ، لكن ينبغى أن يتحرّم

---

(١) حديث كان يصلى على راحلته أينما توجهت به دابته وأوتر على الراحلة : متفق عليه من حديث ابن عمر

بالصلاة مستقبلا للقبلة ، لأن الانحراف فى لحظة لاعسر عليه فيه ، بخلاف الراكب فإن فى تحريف الدابة وإن كان العنان بيده نوع عسر ، وربما تكثر الصلاة فيطول عليه ذلك ولا ينبغى أن يمشى فى نجاسة رطبة عمدا ، فإن فعل بطلت صلاته ، بخلاف مالو وطئت دابة الراكب نجاسة ، وليس عليه أن يشوش المشي على نفسه بالاحتراز من النجاسات التى لاتخلو الطريق عنها غالبا ، وكل هارب من عدو أو سيل أو سبع فله أن يصلي الفريضة راكبا أو ماشيا كما ذكرناه فى التنفل

الرخصة السابعة: الفطر وهو فى الصوم فالمسافر أن يفطر إلا إذا أصبح مقيما ثم سافر فعليه إتمام ذلك اليوم ، وإن أصبح مسافرا صائما ثم أقام فعليه الإتمام وإن أقام مفطرا فليس عليه الإمساك بقية النهار ، وإن أصبح مسافرا على عزم الصوم لم يلزمه ، بل له أن يفطر إذا أراد ، والصوم أفضل من الفطر ، والقصر أفضل من الإتمام ، للخروج عن شبهة الخلاف ولأنه ليس فى عهدة القضاء ، بخلاف المفطر فإنه فى عهدة القضاء ، وربما يتعذر عليه ذلك بعائق فيبقى فى ذمته إلا إذا كان الصوم يضرّ به فالإفطار أفضل

فهذه سبع رخص ، تتعلق ثلاث منها بالسفر الطويل ، وهى القصر ، والفطر ، والمسح ثلاثة أيام ، وتتعلق اثنتان منها بالسفر طويلا كان أو قصيرا وهما سقوط الجمعة ، وسقوط القضاء عند أداء الصلاة بالتيمم ، وأما صلاة النافلة ماشيا وراكبا ففيه خلاف والأصح جوازه فى القصير ، والجمع بين الصلاتين فيه خلاف ، والأظهر اختصاصه بالطويل ، وأما صلاة الفرض راكبا وماشيا للخوف فلا تتعلق بالسفر ، وكذا أكل الميتة ، وكذا أداء الصلاة فى الحال بالتيمم عند فقد الماء ، بل يشترك فيها الحضر والسفر مهما وجدت أسبابها

فإن قلت : فالعلم بهذه الرخص هل يجب على المسافر تعلمه قبل السفر أم يستحب له ذلك

فاعلم : أنه إن كان عازما على ترك المسح والقصر والجمع والفطر وترك التنفل راكبا وماشيا لم يلزمه علم شروط الترخص فى ذلك ، لأن الترخص ليس بواجب عليه ، وأما علم رخصة التيمم فيلزمه ، لأن فقد الماء ليس إليه إلا أن يسافر على شاطىء نهر يوثق ببقاء مائه أو يكون معه فى الطريق عالم يقدر على استفتائه عند الحاجة ، فله أن يؤخر إلى وقت الحاجة أما إذا كان يظن عدم الماء ولم يكن معه عالم فيلزمه التعلم لا محالة

فإن قلت : التيمم يحتاج إليه لصلاة لم يدخل بعد وقتها ، فكيف يجب علم الطهارة لصلاة بعد لم تجب وربما لا تجب

فأقول : من بينه وبين الكعبة مسافة لا تقطع إلا فى سنة فيلزمه قبل أشهر الحج ابتداء السفر ، ويلزمه تعلم المناسك لا محالة ، إذا كان يظن أنه لا يجد فى الطريق من يتعلم منه لأن الأصل الحياة واستمرارها ، وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب ، وكل ما يتوقع وجوبه توقعا ظاهرا غالبا على الظن ، وله شرط لا يتوصل إليه إلا بتقديم ذلك الشرط على وقت الوجوب فيجب تقديم تعلم الشرط لا محالة ، كعلم المناسك قبل وقت الحج وقبل مباشرته فلا يحل إذا للمسافر أن ينشىء السفر ما لم يتعلم هذا القدر من علم التيمم ، وإن كان عازما على سائر الرخص فعليه أن يتعلم أيضا القدر الذى ذكرناه من علم التيمم وسائر الرخص ، فإنه إذا لم يعلم القدر الجائز لرخصة السفر لم يمكنه الاقتصار عليه

فإن قلت : إنه إن لم يتعلم كيفية التنفل راكباً وماشياً ماذا يضره وغايته إن صلى أن تكون صلاته فاسدة وهى غير واجبة فكيف يكون علمها واجبا

فأقول : من الواجب أن لا يصلي النفل على نعت الفساد ، فالتنفل مع الحدث والنجاسة وإلى غير القبلة ومن غير إتمام شروط الصلاة وأركانها حرام ، فعليه أن يتعلم ما يحترز به عن النافلة الفاسدة حذرا عن الوقوع فى المحظور ، فهذا بيان علم ما خفف عن المسافر فى سفره

القسم الثانى

ما يتجدد من الوظيفة بسبب السفر

وهو علم القبلة والأوقات وذلك أيضا واجب فى الحضر ، ولكن فى الحضر من يكفيه من محراب متفق عليه ، يغنيه عن طلب القبلة ، ومؤذن يراعى الوقت فيغنيه عن طلب علم الوقت ، والمسافر قد تشتبه عليه القبلة ، وقد يلتبس عليه الوقت ، فلا بد له من العلم بأدلة القبلة والمواقيت

أما أدلة القبلة فهى ثلاثة أقسام ، أرضية ، كالاستدلال بالجبال ، والقرى ، والأنهار ، وهوائية

كالاستدلال بالرياح شمالها وجنوبها ، وصباها ودبورها ، وسماوية ، وهى النجوم

فأما الأرضية والهوائية فتختلف باختلاف البلاد ، فرب طريق فيه جبل مرتفع يعلم أنه على يمين المستقبل ، أو شماله أو ورائه ، أو قدّامه ، فليعلم ذلك وليفهمه ، وكذلك الرياح قد تدل فى بعض البلاد فليفهم ذلك ، ولسنا نقدر على استقصاء ذلك إذ لكل بلد وإقليم حكم آخر

وأما السماوية ، فأداتها تنقسم إلى نهارية وإلى ليلية. أما النهارية فالشمس، فلا بد أن يراعي قبل الخروج من البلد أن الشمس عند الزوال أين تقع منه ، أهي بين الحاجبين ، أو على العين اليمنى ، أو اليسرى ، أو تميل إلى الجبين ميلا أكثر من ذلك ، فإن الشمس لا تعدو فى البلاد الشمالية هذه المواقع، فإذا حفظ ذلك فمهما عرف الزوال بدليله الذى سنذكره عرف القبلة به ، وكذلك يراعى مواقع الشمس منه وقت العصر ، فإنه فى هذين الوقتين يحتاج إلى القبلة بالضرورة ، وهذا أيضا لما كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه، وأما القبلة وقت المغرب فإنها تدرك بموضع الغروب وذلك بأن يحفظ أن الشمس تغرب عن يمين المستقبل ، أو هي مائلة إلى وجهه ، أو قفاه ؟ وبالشفق أيضا تعرف القبلة للعشاء الأخيرة وبمشرق الشمس تعرف القبلة لصلاة الصبح ، فكأن الشمس تدل على القبلة فى الصلوات الخمس ولكن يختلف ذلك بالشتاء والصيف، فإن المشارق والمغارب كثيرة، وإن كانت محصورة فى جهتين فلا بد من تعلم ذلك أيضا ، ولكن قد يصلى المغرب والعشاء بعد غيبوبة الشفق فلا يمكنه أن يستدل على القبلة به ، فعليه أن يراعي موضع القطب وهو الكوكب الذى يقال له الجدي ، فإنه كوكب كالثابت لا تظهر حركته عن موضعه ، وذلك إما أن يكون على قفا المستقبل ، أو على منكبه الأيمن من ظهره ، أو منكبه الأيسر فى البلاد الشمالية من مكة ، وفى البلاد الجنوبية كاليمن وما والاها ، فيقع فى مقابلة المستقبل ، فيتعلم ذلك ، وما عرفه فى بلده فليعول عليه فى الطريق كله إلا إذا طال السفر ، فإن المسافة إذا بعدت اختلفت موقع الشمس ، وموقع القطب ، ، وموقع المشارق والمغارب ، إلا أن ينتهى فى أثناء سفره إلى بلاد فينبغى أن يسأل أهل البصيرة ، أو يراقب هذه الكواكب، وهو مستقبل محراب جامع البلد ، حتى يتضح له ذلك فمهما تعلم هذه الأدلة فله أن يعول عليها ، فإن بان له

أنه أخطأ من جهة القبلة إلى جهة أخرى من الجهات الأربع فينبغى أن يقضى، وإن انحرف عن حقيقة محاذاة القبلة ولكن لم يخرج عن جهتها لم يلزمه القضاء

وقد أورد الفقهاء خلافا فى أن المطلوب جهة الكعبة أو عينها ، وأشكل معنى ذلك على قوم ، إذ قالوا إن قلنا أن المطلوب العين ، فمتى يتصور هذا مع بعد الديار، وإن قلنا أن المطلوب الجهة ، فالواقف فى المسجد إن استقبل جهة الكعبة وهو خارج ببدنه عن موازاة الكعبة لاخلاف فى أنه لاتصح صلاته ، وقد طولوا فى تأويل معنى الخلاف فى الجهة والعين ، ولا بد أولا من فهم معنى مقابلة العين ومقابلة الجهة ، فمعنى مقابلة العين . أن يقف موقفا لو خرج خط مستقيم من بين عينيه إلى جدار الكعبة لاتصل به وحصل من جانبي الخط زاويتان متساويتان ، وهذه صورته ، والخارج من موقف المصلي يقدر أنه خارج من بين عينيه فهذه صورة مقابلة العين

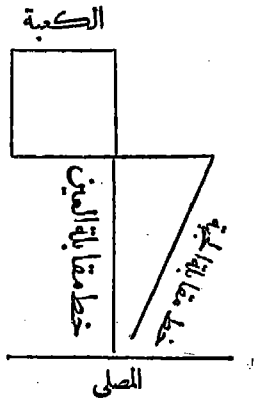

وأما مقابلة الجهة فيجوز فيها أن يتصل طرف الخط الخارجى من بين العينين إلى الكعبة من غير أن يتساوى الزاويتان عن جهتي الخط ، بل لايتساوى الزاويتان إلا إذا انتهى الخط إلى نقطة معينة هي واحدة ، فلو مد هذا الخط على الاستقامة إلى سائر النقط من يمينها أو شمالها كانت إحدى الزاويتين أضيق ، فيخرج عن مقابلة العين ولكن لا يخرج عن مقابلة الجهة ، كالخط الذى كتبنا عليه مقابلة الجهة فإنه لو قدر الكعبة على طرف ذلك الخط لكان الواقف مستقبلا لجهة الكعبة لالعينها ، وحد تلك الجهة مايقع بين خطين يتوهمهما الواقف مستقبلا لجهة خارجين من العينين فيلتقى طرفاهما فى داخل الرأس بين العينين على زاوية قائمة

فما يقع بين الخطين الخارجين من العينين فهو داخل فى الجهة، وسعة ما بين الخطين تتزايد بطول الخطين ، وبالبعد عن الكعبة ، وهذه صورته

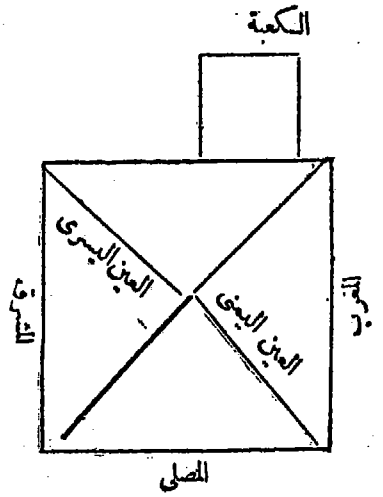

فإذا فهم معنى العين والجهة فأقول الذى يصح عندنا فى الفتوى أن المطلوب العين إذ كانت الكعبة مما يمكن رؤيتها ، وإن كان يحتاج إلى الاستدلال عليها لتعذر رؤيتها فيكفى استقبال الجهة

فأما طلب العين عند المشاهدة فمجمع عليه ، وأما الاكتفاء بالجهة عند تعذر المعاينة فيدل عليه الكتاب والسنة وفعل الصحابة رضي الله عنهم والقياس

أما الكتاب : فقوله تعالى (وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ [1]) أي نحوه ومن قابل جهة الكعبة يقال قد ولّى وجهه شطرها

وأما السنة ، فما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] أنه قال لأهل المدينة « مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ قِبْلَةٌ » والمغرب يقع على يمين أهل المدينة ، والمشرق على يسارهم ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع ما يقع بينهما قبلة ، ومساحة الكعبة لا تفى بما بين المشرق والمغرب ، وإنما يفى بذلك جهتها ، وروي هذا اللفظ أيضا عن عمر وابنه رضي الله عنهما

---

(١) حديث ما بين المشرق والمغرب قبلة: الترمذى وصححه والنسائى وقال منكر وابن ماجه من حديث أبى هريرة.

(1) البقرة : ١٥٠

وأما فعل الصحابة رضي الله عنهم : فما روي[1] أن أهل مسجد قباء كانوا فى صلاة الصبح بالمدينة مستقبلين لبيت المقدس ، مستدبرين الكعبة ، لأن المدينة بينهما ، فقيل لهم الآن قد حولت القبلة إلى الكعبة فاستداروا فى أثناء الصلاة من غير طلب دلالة، ولم ينكر عليهم وسمي مسجدهم ذا القبلتين ، ومقابلة العين من المدينة إلى مكة لا تعرف إلا بأدلة هندسية يطول النظر فيها ، فكيف أدركوا ذلك على البديهة فى أثناء الصلاة وفى ظلمة الليل ، ويدل أيضا من فعلهم أنهم بنوا المساجد حوالي مكة وفى سائر بلاد الإسلام ، ولم يحضروا قط مهندسا عند تسوية المحاريب ، ومقابلة العين لا تدرك إلا بدقيق النظر الهندسى

وأما القياس: فهو أن الحاجة تمس إلى الاستقبال و بناء المساجد فى جميع أقطار الأرض ولا يمكن مقابلة العين إلا بعلوم هندسية لم يرد الشرع بالنظر فيها، بل ربما يزجر عن التعمق فى علمها ، فكيف ينبنى أمر الشرع عليها فيجب الاكتفاء بالجهة للضرورة

وأما دليل صحة الصورة التى صورناها وهو حصر جهات العالم فى أربع جهات ، فقوله عليه السلام فى آداب قضاء الحاجة [2] « لَا تَسْتَقْبِلُوا بِهَا الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا وَلٰكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا » وقال هذا بالمدينة ، والمشرق على يسار المستقبل بها ، والمغرب على يمينه ، فنهى عن جهتين ورخص فى جهتين ، ومجموع ذلك أربع جهات ، ولم يخطر ببال أحد أن جهات العالم يمكن أن تفرض فى ست ، أو سبع ، أو عشر ، وكيفما كان فما حكم الباقى بل الجهات تثبت فى الاعتقادات بناء على خلقة الإنسان ، وليس له إلا أربع جهات ، قدام وخلف ويمين وشمال ، فكانت الجهات بالإضافة إلى الإنسان فى ظاهر النظر أربعا، والشرع لا يبنى إلا على مثل هذه الاعتقادات ، فظهر أن المطلوب الجهة ، وذلك يسهل أمر الاجتهاد فيها وتعلم به أدلة القبلة

فأما مقابلة العين : فإنها تعرف بمعرفة مقدار عرض مكة عن خط الاستواء ، ومقدار درجات طولها ، وهو بعدها عن أول عمارة فى المشرق، ثم يعرف ذلك أيضا فى موقف المصلى

---

(٢) حديث ان أهل قبا كانوا فى صلاة الصبح مستقبلين لبيت المقدس فقيل لهم إلا أن القبلة قد حولت إلى الكعبة فاستداروا ـ الحديث: مسلم من حديث أنس واتفقا عليه من حديث ابن عمر مع اختلاف

(٣) حديث لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا متفق عليه من حديث أبي أيوب

ثم يقابل أحدهما بالآخر ، ويحتاج فيه إلى آلات وأسباب طويلة ، والشرع غير مبني عليها قطعا ، فإذاً القدر الذى لابد من تعلمه من أدلة القبلة موقع المشرق والمغرب فى الزوال ، وموقع الشمس وقت العصر ، فبهذا يسقط الوجوب

فإن قلت : فلو خرج المسافر من غير تعلم ذلك هل يعصى

فأقول : إن كان طريقه على قرى متصلة فيها محاريب أو كان معه فى الطريق بصير بأدلة القبلة موثوق بعدالته وبصيرته ، ويقدر على تقليده فلا يعصى ، وإن لم يكن معه شيء من ذلك عصى ، لأنه سيتعرض لوجوب الاستقبال ولم يكن قد حصل علمه فصار ذلك كعلم التيمم وغيره ، فإن تعلم هذه الأدلة واستبهم عليه الأمر بغيم مظلم ، أو ترك التعلم ولم يجد فى الطريق من يقلده ، فعليه أن يصلي فى الوقت على حسب حاله ، ثم عليه القضاء سواء أصاب أم أخطأ ، والأعمى ليس له إلا التقليد ، فليقلد من يوثق بدينه وبصيرته إن كان مقلده مجتهدا فى القبلة ، وإن كانت القبلة ظاهرة فله اعتماد قول كل عدل يخبره بذلك فى حضر أو سفر ، وليس للأعمى ولا للجاهل أن يسافر فى قافلة ليس فيها من يعرف أدلة القبلة حيث يحتاج إلى الاستدلال ، كما ليس للعامي أن يقيم ببلدة ليس فيها فقيه عالم بتفصيل الشرع بل يلزمه الهجرة إلى حيث يجد من يعلمه دينه ، وكذا إن لم يكن فى البلد إلا فقيه فاسق ، فعليه الهجرة أيضا إذ لايجوز له اعتماد فتوى الفاسق ، بل العدالة شرط لجواز قبول الفتوى ، كما فى الرواية ، وإن كان معروفا بالفقه مستور الحال فى العدالة والفسق فله القبول مهما لم يجد مَن له عدالة ظاهرة ، لأن المسافر فى البلاد لا يقدر أن يبحث عن عدالة المفتين فإن رآه لابسا للحرير ، أو مايغلب عليه الإبريسم ، أو راكبا لفرس عليه مركب ذهب فقد ظهر فسقه وامتنع عليه قبول قوله ، فليطلب غيره ، وكذلك إذا رآه يأكل على مائدة سلطان أغلب ماله حرام ، أو يأخذ منه إدرارا ، أو صلة من غير أن يعلم أن الذى يأخذه من وجه حلال ، فكل ذلك فسق يقدح فى العدالة ويمنع من قبول الفتوى والرواية والشهادة .

وأما معرفة أوقات الصلوات الخمس فلا بد منها

فوقت الظهر يدخل بالزوال ، فإن كل شخص لابد أن يقع له فى ابتداء النهار ظل مستطيل فى جانب المغرب ، ثم لايزال ينقص إلى وقت الزوال ، ثم يأخذ فى الزيادة فى جهة المشرق ، ولايزال يزيد إلى الغروب ، فليقم المسافر فى موضع أو لينصب عودا مستقيما وليعلم على رأس الظل ، ثم لينظر بعد ساعة فإن رآه فى النقصان فلم يدخل بعد وقت الظهر وطريقه فى معرفة ذلك أن ينظر فى البلد وقت أذان المؤذن المعتمد ظل قامته ، فإن كان مثلا ثلاثة أقدام بقدمه فهما صار كذلك فى السفر وأخذ فى الزيادة صلى ، فإن زاد عليه ستة أقدام ونصفا بقدمه دخل وقت العصر ، إذ ظل كل شخص بقدمه ستة أقدام و نصف بالتقريب ثم ظل الزوال يزيد كل يوم إن كان سفره من أول الصيف ، وإن كان اول الشتاء فينقص كل يوم ، وأحسن ما يعرف به ظل الزوال الميزان ، فليستصحبه المسافر ، وليتعلم اختلاف الظل به فى كل وقت ، وإن عرف موقع الشمس من مستقبل القبلة وقت الزوال وكان فى السفر فى موضع ظهرت القبلة فيه بدليل آخر ، فيمكنه أن يعرف الوقت بالشمس بأن تصير بين عينيه مثلا إن كانت كذلك فى البلد

وأما وقت المغرب : فيدخل بالغروب ، ولكن قد تحجب الجبال المغرب عنه فينبغى أن ينظر إلى جانب المشرق فمهما ظهر سواد فى الأفق مرتفع من الأرض قدر رمح فقد دخل وقت المغرب .

وأما العشاء: فيعرف بغيبوبة الشفق وهو الحمرة فإن كانت محجوبة عنه بجبال فيعرفه بظهور الكواكب الصغار وكثرتها ، فإن ذلك يكون بعد غيبوبة الحمرة

وأما الصبح : فيبدو فى الأول مستطيلا كذنب السرحان فلا يحكم به إلى أن ينقضى زمان ، ثم يظهر بياض معترض لايعسر إدراكه بالعين لظهوره ، فهذا أول الوقت ، قال صلى الله عليه وسلم [1] « لَيْسَ الصُّبْحُ هَكَذَا » وجمع بين كفيه « وَإِنَّمَا الصُّبْحُ هَكَذَا »

---

(١) حديث ليس الصبح هكذا وجمع كفه إنما الصبح هكذا ووضع احدى سبابتيه على الأخرى وفتحهما وأشار به إلى أنه معترض: ابن ماجه من حديث ابن مسعود باسناد صحيح مختصر دون الاشارة بالكف والسبابتين ولأحمد من حديث طلق بن على ليس الفجر المستطيل في الأفق لكنه المعترض الأحمر واسناده حسن

ووضع إحدى سبابتيه على الأخرى وفتحهما ، وأشار به إلى أنه معترض ، وقد يستدل عليه بالمنازل، وذلك تقريب لا تحقيق فيه ، بل الاعتماد على مشاهدة انتشار البياض عرضا لأن قوما ظنوا أن الصبح يطلع قبل الشمس بأربع منازل ، وهذا خطأ لأن ذلك هو الفجر الكاذب،والذى ذكره المحققون أنه يتقدم على الشمس بمنزلتين، وهذا تقريب ولكن لا اعتماد عليه فإن بعض المنازل تطلع معترضة منحرفة فيقصر زمان طلوعها ،وبعضها منتصبة فيطول زمان طلوعها ، ويختلف ذلك فى البلاد اختلافا يطول ذكره ، نعم : تصلح المنازل لأن يعلم بها قرب وقت الصبح وبعده ، فأما حقيقة أول الصبح فلا يمكن ضبطه بمنزلتين أصلا وعلى الجملة فإذا بقيت أربع منازل إلى طلوع قرن الشمس بمقدار منزلة يتيقن أنه الصبح الكاذب ، وإذا بقى قريب من منزلتين ، يتحقق طلوع الصبح الصادق ، ويبقى بين الصبحين قدر ثلثى منزلة بالتقريب يشك فيه أنه من وقت الصبح الصادق أو الكاذب،وهو مبدأ ظهور البياض وانتشاره قبل اتساع عرضه ، فمن وقت الشك ينبغى أن يترك الصائم السحور ويقدم القائم الوتر عليه ، ولا يصلى صلاة الصبح حتى تنقضى مدة الشك ، فإذا تحقق صلى ، ولو أراد مريد أن يقدّر على التحقيق وقتا معينا يشرب فيه متسحرا ، ويقوم عقيبه ويصلى الصبح متصلا به ، لم يقدر على ذلك ، فليس معرفة ذلك فى قوة البشر أصلا بل لابد من مهلة للتوقف والشك ، ولا اعتماد إلا على العيان ولا اعتماد فى العيان إلا على أن يصير الضوء منتشرا فى العرض حتى تبدو مبادى الصفرة

وقد غلط فى هذا جمع من الناس كثير ، يصلون قبل الوقت ،ويدل عليه ماروى أبو عيسى الترمذى فى جامعه بإسناده عن طلق بن على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال[1] « كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا يَهِيبَنَّكُمُ السَّاطِعُ الْمُصَعِّدُ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَعْتَرِضَ لَكُمُ الْأَحْمَرُ »وهذا صريح فى رعاية الحمرة ، قال أبو عيسى وفى الباب عن عدي بن حاتم ، وأبى ذر ، وسمرة ابن جندب ، وهو حديث حسن غريب ، والعمل على هذا عند أهل العلم

---

(١) حديث طلق بن على كلوا واشربوا ولا يهيبنكم الساطع المصعد وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الأحمر قال المصنف رواه أبو عيسى الترمذى فى جامعه وقال حسن غريب وهو كما ذكر ورواه أبو داود أيضا

وقال ابن عباس رضي الله عنهما ، كلوا واشربوا مادام الضوء ساطعا ، قال صاحب الغريبين : أي مستطيلا. فإذاً لا ينبغي أن يعول إلا على ظهور الصفرة ، وكأنها مبادى الحمرة، وإنما يحتاج المسافر إلى معرفة الأوقات ، لأنه قد يبادر بالصلاة قبل الرحيل حتى لا يشق عليه النزول أو قبل النوم حتى يستريح ، فإن وطّن نفسه على تأخير الصلاة إلى أن يتيقن فتسمح نفسه بفوات فضيلة أول الوقت ، ويتجشم كلفة النزول ، وكلفة تأخير النوم إلى التيقن ، استغنى عن تعلم علم الأوقات ، فإن المشكل أوائل الأوقات لا أوساطها

تم كتاب آداب السفر ، ويليه كتاب آداب السماع والوجد

كتاب آداب السماع والوجد

كتاب آداب السماع والوجد

وهو الكتاب الثامن من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أحرق قلوب أوليائه بنار محبته ، واسترق هممهم وأرواحهم بالشوق إلى لقائه ومشاهدته ، ووقف أبصارهم وبصائرهم على ملاحظة جمال حضرته ، حتى أصبحوا من تنسم روح الوصال سكرى ، وأصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والهة حيرى فلم يروا فى الكونين شيئا سواه ، ولم يذكروا فى الدارين إلا إياه ، إن سنحت لأبصارهم صورة عبرت إلى المصور بصائرهم ، وإن قرعت أسماعهم نغمة سبقت إلى المحبوب سرائرهم وإن ورد عليهم صوت مزعج أو مقلق أو مطرب أو محزن أو مبهج أو مشوق أو مهيج لم يكن انزعاجهم إلا إليه ، ولا طربهم إلا به ، ولا قلقهم إلا عليه ، ولا حزنهم إلا فيه ، ولا شوقهم إلا إلى ما لديه ، ولا انبعاثهم إلا له ولا ترددهم إلا حواليه ، فمنه سماعهم ، وإليه استماعهم فقد أقفل عن غيره أبصارهم وأسماعهم ، أولئك الذين اصطفاهم الله لولايته ، واستخلصهم من بين أصفيائه وخاصته ، والصلاة على محمد المبعوث برسالته وعلى آله وصحبه أئمة الحق وقادته ، وسلم كثيراً .

أما بعد : فإن القلوب والسرائر ، خزائن الأسرار ومعادن الجواهر ، وقد طويت فيها جواهرها كما طويت النار فى الحديد والحجر ، وأخفيت كما أخفي الماء تحت التراب والمدر ولا سبيل إلى استثارة خفاياها إلا بقوادح السماع ، ولا منفذ إلى القلوب إلا من دهليز الأسماع فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج مافيها ، وتظهر محاسنها أو مساويها ، فلا يظهر من القلب عند التحريك إلا مايحويه ، كما لا يرشح الاناء إلا بما فيه ، فالسماع للقلب محك صادق ، ومعيار ناطق ، فلا يصل نفس السماع إليه ، إلا وقد تحرك فيه ماهو الغالب عليه ، وإذا كانت القلوب بالطباع مطيعة للإسماع حتى أبدت بوارداتها مكامنها ، وكشفت بها عن مساويها وأظهرت محاسنها

وجب شرح القول فى السماع والوجد وبيان ما فيهما من الفوائد والآفات ، وما يستحب فيهما من الآداب والهيئات ، وما يتطرق إليهما من خلاف العلماء فى أنهما من المحظورات أو المباحات ، ونحن نوضح ذلك فى بابين

الباب الأول : فى إباحة السماع

الباب الثانى : فى آداب السماع وآثاره فى القلب بالوجد وفى الجوارح بالرقص والزعق وتمزيق الثياب

الباب الأول

فى ذكر اختلاف العلماء فى إباحة السماع وكشف الحق فيه

بيان أقاويل العلماء والمتصوفة فى تحليله وتحريمه

اعلم أن السماع هو أول الأمر ، ويثمر السماع حالة فى القلب تسمى الوجد ، ويثمر الوجد تحريك الأطراف ، أما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب ، وأما موزونة فتسمى التصفيق والرقص ، فلنبدأ بحكم السماع وهو الأول وننقل فيه الأقاويل المعربة عن المذاهب فيه ، ثم نذكر الدليل على إباحته ، ثم نردفه بالجواب عما تمسك به القائلون بتحريمه ، فأما نقل المذاهب

فقد حكى القاضى أبو الطيب الطبرى عن الشافعي ، ومالك ، وأبى حنيفة ، وسفيان وجماعة من العلماء ألفاظا يستدل بها على أنهم رأوا تحريمه ، وقال الشافعي رحمه الله فى كتاب آداب القضاء ، إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ، ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال القاضى أبو الطيب : استماعه من المرأة التى ليست بمحرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعي رحمه الله بحال ، سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب ، وسواء كانت حرة أو مملوكة وقال قال الشافعي رضي الله عنه صاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وقال وحكي عن الشافعي أنه كان يكره الطقطقة بالقضيب • ويقول • وضعته الزنادقة

ليشتغلوا به عن القرءان ، وقال الشافعي رحمه الله ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد أكثر مما يكره اللعب بشيء من الملاهى ، ولا أحب اللعب بالشطرنج ، وأكره كل ما يلعب به الناس، لأن اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا المروءة ، وأما مالك رحمه الله فقد نهى عن الغناء ، وقال إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها، وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم بن سعد وحده، وأما أبو حنيفة رضي الله عنه فإنه كان يكره ذلك، ويجعل سماع الغناء من الذنوب، وكذلك سائر أهل الكوفة، سفيان الثورى وحماد، وإبراهيم، والشعبي، وغيرهم

فهذا كله نقله القاضى أبو الطيب الطبرى ، ونقل أبو طالب المكى إباحة السماع عن جماعة فقال : سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر ، وعبد الله بن الزبير ، والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم ، وقال قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابى وتابعى بإحسان، وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع فى أفضل أيام السنة ، وهي الأيام المعدودات التى أمر الله عباده فيها بذكره ، كأيام التشريق ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع إلى زماننا هـذا ، فأدركنا أبا مروان القاضى وله جوار يسمعن الناس التلحين قد أعدهن للصوفية ، قال وكان لعطاء جاريتان يلحنان فكان إخوانه يستمعون إليهما، قال وقيل لأبى الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسري السقطي وذو النون يستمعون ، فقال وكيف أنكر السماع وقد أجازه وسمعه من هو خير منى ، فقد كان عبد الله ابن جعفر الطيار يسمع ، وإنما أنكر اللهو اللعب فى السماع ، وروى عن يحيى بن معاذ أنه قال فقدنا ثلاثة أشياء فما نراها ولا أراها تزداد إلا قلة حسن الوجه مع الصيانة، وحسن القول مع الديانة ، وحسن الأخاء مع الوفاء ، ورأيت فى بعض الكتب هـذا محكيا بعينه عن الحارث المحاسبي وفيه مايدل على تجويزه السماع مع زهده ، وتصاونه وجده فى الدين وتشميره ، قال وكان ابن مجاهد لايجيب دعوة إلا أن يكون فيه سماع ، وحكى غير واحد أنه قال اجتمعنا فى دعوة ومعنا أبو القاسم ابن بنت منيع ، وأبو بكر بن داود ، وابن مجاهد فى نظرائهم فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن داود فى أن يسمع فقال ابن داود حدثنى أبى عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع ، وكان أبى يكرهه

وأنا على مذهب أبى، فقال أبو القاسم ابن بنت منيع أماجدى أحمد بن بنت منيع فحدثنى عن صالح ابن أحمد ، أن أباه كان يسمع قول ابن الخبازة ، فقال ابن مجاهد لابن داود دعنى أنت من أبيك وقال لابن بنت منيع دعنى أنت من جدك أى شيء تقول ياأبا بكر فيمن أنشد بيت شعر أهو حرام ، فقال ابن داود لا، قال : فإن كان حسن الصوت جرم عليه إنشاده ، قال لا ، قال فإن أنشده وطوله وقصر منه الممدود ومد منه المقصور أيحرم عليه ؟ قال أنا لم أقو لشيطان واحد فكيف أقوى لشيطانين ، قال وكان أبو الحسن العسقلانى الأسود من الأولياء يسمع ويوله عند السماع ، وصنف فيه كتابا ورّد فيه على منكريه ، وكذلك جماعة منهم صنفوا فى الرد على منكريه

وحكي عن بعض الشيوخ أنه قال: رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام ، فقلت له ماتقول فى هذا السماع الذى اختلف فيه أصحابنا ، فقال هو الصفو الزلال الذى لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء

وحكي عن ممشاد الدينورى أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم فقلت يارسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا؟ فقال ماأنكر منه شيئا، ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرءان ويختمون بعده بالقرءان

وحكي عن طاهر بن بلال الهمدانى الوراق وكان من أهل العلم أنه قال : كنت معتكفا فى جامع جدة على البحر ، فرأيت يوما طائفة يقولون فى جانب منه قولا ويستمعون، فأنكرت ذلك بقلبي ، وقلت فى بيت من بيوت الله ، يقولون الشعر، قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس فى تلك الناحية ، وإلى جنبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وإذا أبو بكر يقول شيئا من القول والنبي صلى الله عليه وسلم يستمع إليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك. فقلت فى نفسى . ما كان ينبغى لى أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع وأبو بكر يقول ، فالتفت إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : هذا حق بحق أو قال حق من حق أنا أشك فيه ، وقال الجنيد: تنزل الرحمة على هذه الطائفة فى ثلاثة مواضع ، عند الأكل ، لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة ، وعند المذاكرة ، لأنهم لا يتحاورون إلا فى مقامات الصديقين ، وعند السماع

لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقاً ، وعن ابن جريج أنه كان يرخص فى السماع فقيل له: أيؤتى يوم القيامة فى جملة حسناتك أو سيئاتك ؟ فقال : لا فى الحسنات ولا فى السيئات لأنه شبيه باللغو ، وقال الله تعالى(لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ [1])هذا ما نقل من الأقاويل ومن طلب الحق فى التقليد فمهما استقصى تعارضت عنده هذه الأقاويل ، فيبقى متحيرا أو مائلا إلى بعض الأقاويل بالتشهى ، وكل ذلك قصور بل ينبغى أن يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدارك الحظر والإباحة كما سنذكره

بيان الدليل على إباحة السماع

اعلم أن قول القائل : السماع حرام . معناه أن الله تعالى يعاقب عليه ،وهذا أمر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ، ومعرفة الشرعيات محصورة فى النص ، أو القياس على المنصوص وأعنى بالنص ما أظهره صلى الله عليه وسلم بقوله ، أو فعله ، وبالقياس ، المعنى المفهوم من ألفاظه وأفعاله ، فإن لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول بتحريمه وبقي فعلا لا حرج فيه كسائر المباحات ، ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس ويتضح ذلك فى جوابنا عن أدلة المائلين إلى التحريم ، ومهما تم الجواب عن أدلتهم كان ذلك مسلكا كافيا فى إثبات هذا الغرض ، لكن نستفتح ونقول قد دل النص والقياس جميعا على إباحته .

أما القياس : فهو أن الغناء اجتمعت فيه معان ينبغى أن يبحث عن أفرادها ، ثم عن مجموعها ، فإن فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى ، محرك للقلب ، فالوصف الأعم أنه صوت طيب ، ثم الطيب ينقسم إلى الموزون وغيره ، والموزون ينقسم إلى المفهوم كالأشعار وإلى غير المفهوم كأصوات الجمادات وسائر الحيوانات

أما سماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب فلا ينبغى أن يحرم، بل هو حلال بالنص والقياس

أما القياس. فهو أنه يرجع إلى تلذذ حاسة السمع ، بإدراك ما هو مخصوص به وللإنسان عقل وخمس حواس، ولكل حاسة إدراك ، وفى مدركات تلك الحاسة ما يستلذ، فلذة النظر فى المبصرات الجميلة كالخضرة والماء الجارى والوجه الحسن

[1] البقرة ٢٢٥

وبالجملة سائر الألوان الجميلة وهى فى مقابلة مايكره من الألوان الكدرة القبيحة، وللشم الروائح الطيبة، وهى فى مقابلة الأنتان المستكرهة، وللذوق الطعوم اللذيذة كالدسومة والحلاوة والحموضة ، وهي فى مقابلة المرارة المستبشعة ، وللّمس لذة اللين والنعومة والملاسة ، وهى فى مقابلة الخشونة والضراسة ، وللعقل لذة العلم والمعرفة ، وهى فى مقابلة الجهل والبلادة فكذلك الأصوات المدركة بالسمع تنقسم إلى مستلذة كصوت العنادل والمزامير، ومستكرهة كنهيق الحمير وغيرها ، فما أظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها

وأما النص : فيدل على إباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده به ، إذ قال (يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ [1]) فقيل هو الصوت الحسن ، وفى الحديث [1] « مَا بَعَثَ اللهُ نَبِياً إِلاَّ حَسَنَ الصَّوْتِ » وقال صلى الله عليه وسلم [2] « لَلّهُ أَشَدُّ أُذُناً لِلرَّجُلِ الْحَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ لِقَيْنَتِهِ » وفى الحديث فى معرض المدح لداود عليه السلام [3] أنه كان حسن الصوت فى النياحة على نفسه ، وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الإنس والجن والوحوش والطير لسماع صوته ، وكان يُحمل فى مجلسه أربعمائة جنازة وما يقرب منها فى الأوقات ، وقال صلى الله عليه وسلم فى مدح أبى موسى الأشعرى [4] « لَقَدْ أُعْطِيَ مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ » وقول الله تعالى (إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ [2]) يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ، ولو جاز أن يقال إنما أبيح ذلك بشرط أن يكون فى القرءان للزمه أن يحرم سماع صوت العندليب ، لأنه ليس من القرءان ، وإذا جاز سماع

---

(١) حديث ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت : الترمذى فى الشمائل عن قتادة وزاد قوله وكان نبيكم حسن الوجه حسن الصوت ورويناه متصلا فى الغيلانيات من رواية قيادة عن أنس والصواب الأول قاله الدار قطنى ورواه ابن مردويه فى التفسير من حديث على بن أبى طالب وطرقه كلها ضعيفة .

(٢) حديث لله أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرءان من صاحب القينة إلى قينته : تقدم فى كتاب تلاوة القرءان .

(٣) حديث كان داود حسن الصوت فى النياحة على نفسه وفى تلاوة الزبور ـ الحديث : لم أجد له أصلا

(٤) حديث لقد أوتى مزمارا من مزامير آل داود : قاله فى مدح أبى موسى تقدم فى تلاوة القرءان

---

(1) فاطر : ١ (2) لقمان : ١٩

صوت غفل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة ، والمعانى الصحيحة،وإن من الشعر لحكمة ، فهذا نظر فى الصوت من حيث إنه طيب حسن

الدرجة الثانية : النظر فى الصوت الطيب الموزون ، فإن الوزن وراء الحسن ، فكم من صوت حسن خارج عن الوزن ، وكم من صوت موزون غير مستطاب ، والأصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلاثة ، فإنها إما أن تخرج من جماد كصوت المزامير والأوتار وضرب القضيب والطبل وغيره ، وإما أن تخرج من حنجرة حيوان وذلك الحيوان إما إنسان أو غيره كصوت العنادل والقمارى وذات السجع من الطيور ، فهى مع طيبها موزونة متناسبة المطالع والمقاطع ، فلذلك يستلذ سماعها، والأصل فى الأصوات حناجر الحيوانات،وإنما وضعت المزامير على أصوات الحناجر ، وهو تشبيه للصنعة بالخلقة ، ومامن شىء توصل أهل الصناعات بصناعتهم إلى تصويره إلا وله مثال فى الخلقة التى استأثر الله تعالى باختراعها ، فمنه تعلم الصناع وبه قصدوا الاقتداء ، وشرح ذلك يطول ، فسماع هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة أو موزونة فلا ذاهب إلى تحريم صوت العندليب وسائر الطيور ،ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ، ولا بين جماد وحيوان ، فينبغى أن يقاس على صوت العندليب الأصوات الخارجة من سائر الأجسام باختيار الآدمي ، كالذى يخرج من حلقه أو من القضيب والطبل والدف وغيره ، ولا يستثنى من هذه [1] إلا الملاهى والأوتار والمزامير التى ورد الشرع بالمنع منها ، لا للذتها ، إذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يلتذ به الإنسان ، ولكن حرمت الخمور واقتضت ضراوة الناس بها المبالغة فى الفطام عنها حتى انتهى الأمر فى الابتداء

---

(١) حديث المنع من الملاهى والأوتار والمزامير : البخارى من حديث أبى عامر أو أبى مالك الأشعرى ليكونن فى أمتى أقوام يستحلون الخز والحرير والمعازف صورته عند البخارى صورة التعليق ولذلك ضعفه ابن حزم ووصله أبو داود والاسماعيلى والمعازف الملاهى. قاله الجوهري ولأحمد من حديث ابى أمامة ان الله أمرنى أن أمحق المزامير والكبارات يعنى البرابط والمعازف وله من حديث قيس بن سعد بن عبادة ان ربى حرم على الخمر والكوبة والقنين وله فى حديث لأبى أمامة باستحلالهم الخمور وضربهم بالدفوف وكلها ضعيفة ولأبى الشيخ من حديث مكحول مرسلا الاستماع الي الملاهى معصية ـ الحديث : ولابى داود من حديث ابن عمر سمع مزمارا فوضع أصبعيه على أذنيه قال أبو داود وهو منكر

إلى كسر الدنان ، فحرم معها ما هو شعار أهل الشرب وهى الأوتار والمزامير فقط ، وكان تحريمها من قبل الاتباع ، كما حرمت الخلوة بالأجنبية لأنها مقدمة الجماع ، وحرم النظر إلى الفخذ لاتصاله بالسوأتين ، وحرم قليل الخمر وإن كان لا يسكر لأنه يدعو إلى السكر ، وما من حرام إلا وله حريم يطيف به ، وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ، ليكون حمى للحرام ووقاية له ، وحظارا مانعا حوله ، كما قال صلى الله عليه وسلم [1] « إِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ » فهى محرمة تبعا لتحريم الخمر لثلاث علل

إحداها : أنها تدعو إلى شرب الخمر ، فإن اللذة الحاصلة بها إنما تتم بالخمر ، ولمثل هذه العلة حرم قليل الخمر .

الثانية : أنها فى حق قريب العهد بشرب الخمر تذكر مجالس الأنس بالشرب ، فهى سبب الذكر ، والذكر سبب انبعاث الشوق ، وانبعاث الشوق إذا قوي فهو سبب الإقدام ولهذه العلة نهى عن الانتباذ [2] فى المزفت ، والحنتم ، والنقير ، وهى الأوانى التى كانت مخصوصة بها ، فمعنى هذا أن مشاهدة صورتها تذكرها ، وهذه العلة تفارق الأولى ، إذ ليس فيها اعتبار لذة فى الذكر إذ لا لذة فى رؤية القنينة وأوانى الشرب ، لكن من حيث التذكر بها ، فإن كان السماع يذكر الشرب تذكيرا يشوق إلى الخمر عند من ألف ذلك مع الشرب فهو منهي عن السماع لخصوص هذه العلة فيه

الثالثة : الاجتماع عليها لما أن صار من عادة أهل الفسق ، فيمنع من التشبه بهم لأن من تشبه بقوم فهو منهم ، وبهذه العلة نقول بترك السنة مهما صارت شعار الأهل البدعة ، خوفا من التشبه بهم ، وبهذه العلة يحرم ضرب الكوبة ، وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين ، وضربها عادة المخنثين ، ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحجيج والغزو ، وبهذه العلة نقول لو اجتمع جماعة وزينوا مجلسا ، وأحضروا آلات الشرب وأقداحه وصبوا فيها السكنجبين ، ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسقيهم ، فيأخذون من الساقى ويشربون ، ويحيي بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم

---

(١) حديث إن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه : تقدم فى كتاب الحلال والحرام

(٢) حديث النهي عن الحنتم والمزفت والنقير : متفق عليه من حديث ابن عباس

وإن كان المشروب مباحا في نفسه لأن في هذا تشبها بأهل الفساد ، بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك الشعر على الرأس قزعا في بلاد صار القباء فيها من لباس أهل الفساد ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر ، لاعتياد أهل الصلاح ذلك فيهم

فبهذه المعاني حرم المزمار العراقي والأوتار كلها كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها وماعدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة ، والحجيج وشاهين الطبالين، وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى مايعتاده أهل الشرب ، لأن كل ذلك لا يتعلق بالخمر، ولا يذكر بها ولا يشوق إليها ولا يوجب التشبه بأربابها فلم يكن في معناها فبقي على أصل الإباحة ، قياسا على أصوات الطيور وغيرها، بل أقول سماع الأوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ حرام أيضا، وبهذا يتبين أنه ليست العلة في تحريمها مجرد اللذة الطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها ، إلا ما في تحليله فساد قال الله تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ [1]) فهذه الأصوات لا تحرم من حيث إنها أصوات موزونة ، وإنما تحرم بعارض آخر كما سيأتي في العوارض المحرمة

الدرجة الثالثة : الموزون والمفهوم وهو الشعر ، وذلك لا يخرج إلا من حنجرة الإنسان فيقطع بإباحة ذلك لأنه ما زاد إلا كونه مفهوما والكلام المفهوم غير حرام، والصوت الطيب الموزون غير حرام ، فإذا لم يحرم الآحاد فمن أين يحرم المجموع ، نعم ينظر فيما يفهم منه، فإن كان فيه أمر محظور حرم نثره ونظمه وحرم النطق به ، سواء كان بألحان أو لم يكن

والحق فيه ما قاله الشافعي رحمه الله ، إذ قال: الشعر كلام، فحسنه حسن، وقبيحه قبيح ، ومهما جاز إنشاد الشعر بغير صوت وألحان جاز إنشاده مع الألحان ، فإن أفراد المباحات إذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحا ، ومهما انضم مباح لم يحرم إلا إذا تضمن المجموع محظورا لا تتضمنه الآحاد ولا محظور ههنا، وكيف ينكر إنشاد الشعر وقد أنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم [1]

---

(١) حديث انشاد الشعر بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث أبى هريرة ان عمر مر بحسان وهو ينشد الشعر فى المسجد فلحظ اليه فقال قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك ـ الحديث : ولمسلم من حديث عائشة انشاد حسن

هجوت محمدا فأجبت عنه ... وعند الله فى ذاك الجزاء

---

(١) الأعراف : ٣٢

وقال عليه السلام [١] « إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً » وأنشدت عائشة رضي الله عنها

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم وبقيت فى خلف كجلد الأجرب

وروي فى الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] المدينة، وعك أبو بكر وبلال رضي الله عنهما، وكان بها وباء، فقلت يا أبت كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك؟ فكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أخذته الحمى يقول

كل امرىء مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بواد وحولى أذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

قالت عائشة رضي الله عنها فأخبرت بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد

القصيدة وإنشاد حسان أيضا

وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد

وللبخارى إنشاد ابن رواحة

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع

الأبيات .

(١) حديث ان من الشعر لحكمة: البخارى من حديث أبى بن كعب وتقدم فى العلم

(٢) حديث عائشة فى الصحيحين لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال الحديث : وفيه انشاد أبو بكر

كل امرىء مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

وانشاد بلال ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولى اذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شلة وطفيل

قلت هو فى الصحيحين كما ذكر المصنف لكن أصل الحديث والشعر عند البخاري فقط ليس عند مسلم

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] ينقل اللبن مع القوم فى بناء المسجد ، وهو يقول

هذا الحمال لا حمال خيبر هـذا أبرر بنا وأطهـر

وقال أيضا صلى الله عليه وسلم مرة أخرى

لَاهُمَّ إِنَّ ٱلْعَيْشَ عَيْشُ ٱلْآخِرَةِ فَٱرْحَمِ ٱلْأَنْصَارَ وَٱلْمُهَاجِرَةَ

وهذه فى الصحيحين وكان النبي صلى الله عليه وسلم [٢] يضع لحسان منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو ينافح ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ حَسَّانَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ مَا نَافَحَ أَوْ فَاخَرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » ولما أنشده النابغة شعره قال له صلى الله عليه وسلم [٣] « لَا يَفْضُضِ اللهُ فَاكَ »

---

(١) حديث كان صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم فى بناء المسجد وهو يقول

هـذا الحمـال لاحمال خيبر هـذا أبرر بنـا وأطـهر

وقال صلى الله عليه وسلم مرة أخرى

اللهم ان العيش عيش الآخرة فارحم الأنصـار والمهاجـرة

قال المصنف والبيتان فى الصحيحين قلت البيت الأول انفرد به البخارى فى قصة الهجرة من رواية عروة مرسلا وفيه البيت الثانى أيضا إلا أنه قال الأجر بدل العيش تمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لى قال ابن شهاب ولم يبلغنا فى الأحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت والبيت الثانى فى الصحيحين من حديث أنس يرتجزون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم يقولون

اللهم لاخير إلاخير الآخره فانصر الأنصار والمهاجره

وليس البيت الثانى موزونا وفى الصحيحين أيضا أنه قال فى حفر الخندق بلفظ فبارك فى الأنصار والمهاجرة وفى رواية فاغفر وفى رواية لمسلم فأكرم ولهما من حديث سهل بن سعد فاغفر للمهاجرين والأنصار

(٢) حديث كان يضع لحسان منبرا فى المسجد يقوم عليه قائمـا يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينافح ـ الحديث : البخارى تعليقا وأبو داود والترمذى والحاكم متصلا من حديث عائشة وقال الترمذى حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الاسناد وفى الصحيحين انها قالت انه كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٣) حديث انه قال للنابغة لما أنشده شعرا لايفضض الله فاك: البغوى فى معجم الصحابة وابن عبد البر فى الاستيعاب باسناد ضعيف من حديث النابغة واسمه قيس بن عبد الله قال أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم

بلغنا السماء مجدنا وجـدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

الأبيات ورواه البزار بلفظ علونا العباد عفة وتـكرما

وقالت عائشة رضي الله عنها : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] يتناشدون عنده الأشعار وهو يتبسم ، وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال : أنشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت ، كل ذلك يقول هيه هيه ، ثم قال إن كاد في شعره ليسلم ، وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم [٣] كان يحدى له وأن أنجشة كان يحدو بالنساء ، والبراء بن مالك كان يحدو بالرجال ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يَا أَنْجَشَةُ رُوَيْدَكَ سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ » ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزمان الصحابة رضي الله عنهم ، وما هو إلا أشعار تؤدى بأصوات طيبة ، وألحان موزونة ، ولم ينقل عن أحد من الصحابة إنكاره ، بل ربما كانوا يلتمسون ذلك تارة لتحريك الجمال ، وتارة للاستلذاذ ، فلا يجوز أن يحرم من حيث إنه كلام مفهوم مستلذ مؤدى بأصوات طيبة ، وألحان موزونة

الدرجة الرابعة : النظر فيه من حيث إنه محرك للقلب ، ومهيج لما هو الغالب عليه فأقول لله تعالى سر في مناسبة النغمات الموزونة للأرواح حتى إنها لتؤثر فيها تأثيراً عجيباً فمن الأصوات ما يفرح ، ومنها ما يحزن ومنها ما ينوم ، ومنها ما يضحك ويطرب ، ومنها ما يستخرج من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس ، ولا ينبغي أن يظن أن ذلك لفهم معاني الشعر ، بل هذا جار في الأوتار ، حتى قيل من لم يحركه الربيع وأزهاره ، والعود وأوتاره ، فهو فاسد المزاج ، ليس له علاج ، وكيف يكون ذلك لفهم المعنى ، وتأثيره مشاهد

الأبيات وفيه فقال أحسنت يا أبا ليلى لا يفضض الله فاك وللحاكم من حديث خزيم بن أوس سمعت العباس يقول يارسول الله اني أريد أن أمتدحك فقال قل لا يفضض الله فاك فقال العباس

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق

الأبيات

(١) حديث عائشة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون الأشعار وهو يتبسم الترمذي من حديث جابر بن سمرة وصححه ولم أقف عليه من حديث عائشة

(٢) حديث الشريد أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول أمية بن ابي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه ـ الحديث : رواه مسلم

(٣) حديث أنس كان يحدى له في السفر وأن أنجشة كان يحدو بالنساء وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال الحديث : أبو داود الطيالسي واتفق الشيخان منه على قصة أنجشة دون ذكر البراء بن مالك

فى الصبي فى مهده ، فإنه يسكته الصوت الطيب عن بكائه ، وتنصرف نفسه عما يبكيه إلى الإصغاء إليه ، والجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثرا يستخف معه الأحمال الثقيلة، ويستقصر لقوة نشاطه فى سماعه المسافات الطويلة ، وينبعث فيه من النشاط مايسكره ويولهه ،فتراها إذا طالت عليها البوادى ، واعتراها الأعياء والكلال ، تحت المحامل والأحمال ، إذا سمعت منادى الحداء تمد أعناقها ، وتصغى إلى الحادى ، ناصبة آذانها ، وتسرع فى سيرها حتى تتزعزع عليها أحمالها ومحاملها ، وربما تتلف أنفسها من شدة السير ، وثقل الحمل ، وهى لاتشعر به لنشاطها ، فقد حكى أبو بكر محمد بن داود الدينورى المعروف بالرقى رضي الله عنه ، قال : كنت بالبادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب ، فأضافنى رجل منهم وأدخلنى خباءه ، فرأيت فى الخباء عبداً أسود مقيدا بقيد ، ورأيت جمالا قد ماتت بين يدي البيت وقد بقى منها جمل وهو ناحل ذابل ، كأنه ينزع روحه ، فقال لى الغلام أنت ضيف ولك حق فتشفع في إلى مولاى ، فإنه مكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك فى هذا القدر ، فعساه يحل القيد عنى ، قال فلما أحضروا الطعام امتنعت ، وقلت لا آكل ما لم أشفع فى هذا العبد فقال إن هذا العبد قد أفقرنى وأهلك جميع مالى ، فقلت ماذا فعل ؟ فقال : إن له صوتا طيبا وإنى كنت أعيش من ظهور هذه الجمال فحملها أحمالا ثقالا ، وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام فى ليلة واحدة ، من طيب نغمته ، فلما حطت أحمالها ماتت كلها إلا هذا الجمل الواحد ، ولكن أنت ضيفى فلكرامتك قد وهبته لك ، قال فأحببت أن أسمع صوته فلما أصبحنا أمره أن يحدو على جمل يستقى الماء من بئر هناك ، فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ، ووقعت أنا على وجهى ، فما أظن أنى سمعت قط صوتا أطيب منه

فإذاً تأثير السماع فى القلب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية ، زائد فى غلظ الطبع ، وكثافته على الجمال والطيور بل على جميع البهائم فإن جميعها تتأثر بالنغمات الموزونة ، ولذلك كانت الطيور تقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته ، ومهما كان النظر فى السماع باعتبار تأثيره فى القلب لم يجز أن يحكم فيه مطلقا بإباحة ولا تحريم ، بل يختلف ذلك بالأحوال والأشخاص ، واختلاف طرق النغمات

فحكمه حكم مافي القلب ، قال أبو سليمان : السماع لايجعل فى القلب ماليس فيه ، ولكن يحرك ماهو فيه ، فالترنم بالكلمات المسجعة الموزونة معتاد فى مواضع ،لأغراض مخصوصة ترتبط بها آثار فى القلب ، وهى سبعة مواضع

الأول: غناء الحجيج: فإنهم أولا يدورون فى البلاد بالطبل ، والشاهين ، والغناء، وذلك مباح ، لأنها أشعار نظمت فى وصف الكعبة ، والمقام ، والحطيم ،وزمزم،وسائر المشاعر ووصف البادية وغيرها ، وأثر ذلك يهيج الشوق إلى حج بيت الله تعالى ، واشتعال نيرانه إن كان ثَمَّ شوق حاصل ، أو استثارة الشوق واجتلابه إن لم يكن حاصلا ، وإذا كان الحج قربة والشوق إليه محمودا كان التشويق إليه بكل مايشوق محمودا ، وكما يجوز للواعظ أن ينظم كلامه فى الوعظ ، ويزينه بالسجع ، ويشوق الناس إلى الحج،بوصف البيت والمشاعر ووصف الثواب عليه ، جاز لغيره ذلك على نظم الشعر ، فإن الوزن إذا انضاف إلى السجع صار الكلام أوقع فى القلب ، فإذا أضيف إليه صوت طيب ونغمات موزونة زادوقعه،فإن أضيف إليه الطبل والشاهين وحركات الإيقاع زاد التأثير ، وكل ذلك جائز مالم يدخل فيه المزامير والأوتار التى هى من شعار الأشرار ، نعم :إن قصد به تشويق من لايجوز له الخروج إلى الحج كالذى أسقط الفرض عن نفسه ولم يأذن له أبواه فى الخروج فهذا يحرم عليه الخروج فيحرم تشويقه إلى الحج بالسماع وبكل كلام يشوق إلى الخروج، فإن التشويق إلى الحرام حرام وكذلك إن كانت الطريق غير آمنة وكان الهلاك غالبا لم يجز تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق

الثانى: مايعتاده الغزاة لتحريض الناس على الغزو ، وذلك أيضا مباح، كما للحاج ولكن ينبغى أن تخالف أشعارهم وطرق ألحانهم أشعار الحاج وطرق ألحانهم ، لأن استثارة داعية الغزو بالتشجيع وتحريك الغيظ والغضب فيه على الكفار ، وتحسين الشجاعة،واستحقار النفس والمال بالإضافة إليه بالأشعار المشجعة مثل قول المتنبي

فإن لاتمت تحت السيوف مكرما تمت وتقاس الذل غير مكرم

وقوله أيضا

يرى الجبناء أن الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم

وأمثال ذلك ، وطرق الأوزان المشجعة تخالف الطرق المشوقة ، وهـذا أيضا مباح فى وقت يباح فيه الغزو ، ومندوب إليه فى وقت يستحب فيه الغزو ، ولـكن فى حق من يجوز له الخروج إلى الغزو

الثالث : الرجزيات التى يستعملها الشجعان فى وقت اللقاء، والغرض منها التشجيع للنفس وللأنصار ، وتحريك النشاط فيهم للقتال ، وفيه التمدح بالشجاعة والنجدة ، وذلك إذا كان بلفظ رشيق ، وصوت طيب ، كان أوقع فى النفس ، وذلك مباح فى كل قتال مباح، ومندوب فى كل قتال منـدوب ، ومحظور فى قتال المسلمين ، وأهل الذمة ، وكل قتال محظور ، لأن تحريك الدواعى إلى المحظور محظور ، وذلك منقول عن شجعان الصحابة رضي الله عنهم كعلى ، وخالد رضي الله عنهما ، وغـيرهما ولذلك نقول ينبغى أن يمنع من الضرب بالشاهين فى معسكر الغزاة ، فإن صوته مرقق محزن يحلل عقدة الشجاعة ، ويضعف ضرامة النفس ويشوق إلى الأهل والوطن ، ويورث الفتور فى القتال ، وكذا سائر الأصوات والألحان المرققة للقلب ، فالألحان المرققة المحزنة تباين الألحان المحـركة المشجعة ، فمن فعل ذلك على قصد تغيير القلوب وتفتير الآراء عن القتال الواجب فهو عاص ، ومن فعله على قصد التفتير عن القتال المحظور فهو بذلك مطيع

الرابع أصوات النياحة ونغماتها ، وتأثيرها فى تهييج الحزن والبكاء ، وملازمة الـكآبة والحزن قسمان : محمود ، ومـذموم ، فأما المذموم فـكالحزن على مافات ، قال الله تعالى : (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ[1]) والحزن على الأموات من هذا القبيل ، فإنه تسخط لقضاء الله تعالى، وتأسف على مالاتدارك له ، فهذا الحزن لما كان مذموما كان تحريكه بالنياحة مذموما ، فلذلك ورد النهى الصريح [1] عن النياحة ، وأما الحزن المحمود: فهو حزن الإنسان على تقصيره فى أمر دينه ، وبكاؤه على خطاياه ، والبكاء والتباكى والحزن والتحازن على ذلك محمود ، وعليه بكاء آدم عليه السلام ، وتحريك هـذا الحزن وتقويته محمود ، لأنه يبعث على

---

(١) حديث النهى عن النياحة متفق عليه من حديث أم عطية أخذ علينا النبي صلى الله عليه وسلم فى البيعة أن لانتوح

---

[1] الحديد : ٢٣

التشمير للتدارك ، ولذلك كانت نياحة داود عليه السلام محمودة ، إذ كان ذلك مع دوام الحزن وطول البكاء بسبب الخطايا والذنوب، فقد كان عليه السلام يبكي ويبكي، ويحزن ويحزن حتى كانت الجنائز ترفع من مجالس نياحته ، وكان يفعل ذلك بألفاظه وألحانه ، وذلك محمود ، لأن المفضى إلى المحمود محمود ، وعلى هذا لايحرم على الواعظ الطيب الصوت أن ينشد على المنبر بألحانه الأشعار المحزنة المرققة للقلب، ولا أن يبكي ويتباكى، ليتوصل به إلى تبكية غيره وإثارة حزنه

الخامس: السماع فى أوقات السرور تأكيدا للسرور وتهييجا له : وهو مباح إن كان ذلك السرور مباحا ، كالغناء فى أيام العيد ، وفى العرس ، وفى وقت قدوم الغائب ، وفى وقت الوليمة ، والعقيقة ، وعند ولادة المولود ، وعند ختانه ، وعند حفظه القرءان العزيز ، وكل ذلك مباح ، لأجل إظهار السرور به ، ووجه جوازه أن من الألحان مايثير الفرح والسرور والطرب ، فكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه ، ويدل على هذا من النقل إنشاد [1] النساء على السطوح بالدف والألحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم

طلع البـــدر علينا من ثنيـات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

فهذا إظهار السرور لقدومه صلى الله عليه وسلم وهو سرور محمود ، فإظهاره بالشعر والنغمات والرقص والحركات أيضا محمود ، فقد نقل عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم [2] حجلوا فى سرور أصابهم كما سيأتى فى أحكام الرقص ، وهو جائز فى قدوم كل قادم يجوز الفرح به ، وفى كل سبب مباح من أسباب السرور ، ويدل على هذا ماروي فى الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم [3] يسترنى بردائه ، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون فى المسجد حتى أكون أنا الذى أسأمه ، فاقدروا قدر

---

(١) حديث أنشاد النساء عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم
طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
البيهقى فى دلائل النبوة من حديث عائشة معضلا وليس فيه ذكر للدف والالحان

(٢) حديث حجل جماعة من الصحابة فى سرور أصابهم: أبو داود من حديث على وسيأتى فى الباب الثانى

(٣) حديث عائشة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم سترنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون فى المسجد ـ الحديث : هو كما ذكره المصنف أيضا فى الصحيحين لكن قوله انه فيهما من رواية

الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو إشارة إلى طول مدة وقوفها ، وروى البخاري ومسلم أيضا فى صحيحيهما حديث عقيل عن الزهرى ، عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها ، وعندها جاريتان فى أيام منى تدففان وتضربان ،والنبي صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه ، فانتهرهما أبو بكر رضي الله عنه ، فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه ، وقال « دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ » وقالت عائشة رضي الله عنها رأيت النبي صلى الله عليه وسلم [1] يسترنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون فى المسجد فزجرهم عمر رضي الله عنه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أَمِنًّا يَا بَنِي أَرْفِدَةَ » يعنى من الأمن [2] ومن حديث عمرو بن الحارث عن ابن شهاب نحوه ، وفيه تغنيان وتضربان ،وفى حديث أبى طاهر عن ابن وهب ، والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم [3] يقوم على باب حجرتى ، والحبشة يلعبون بحرابهم فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسترنى بثوبه أو بردائه ، لكي أنظر إلى لعبهم ثم يقوم من أجلى ، حتى أكون أنا الذى أنصرف .

وروي عن عائشة رضي الله عنها ، قالت كنت ألعب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم [4] قالت وكان يأتينى صواحب لى ، فكن يتقنعن من رسول الله صلى الله عليه وسلم

عقيل عن الزهرى ليس كما ذكر بل هو عند البخارى كما ذكر وعند مسلم من رواية عمرو بن الحارث عنه

(١) حديث عائشة رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترنى بثوبه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون فى المسجد فزجرهم عمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم أمنا يابنى أرفدة : تقدم قبله بحديث دون زجر عمر لهم الى آخره فرواه مسلم من حديث أبى هريرة دون قوله أمنا يابنى أرفدة بل قال دعهم ياعمر زاد النسائى فانهم بنو أرفدة ولهما من حديث عائشة دونكم يابنى أرفدة وقد ذكره المصنف بعد هذا

(٢) حديث عمرو بن الحارث عن ابن شهاب نحوه وفى يغنيان ويضربان : رواه مسلم وهو عند البخارى من رواية الأوزاعى عن ابن شهاب

(٣) حديث أبى طاهر عن ابن وهب والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتى والحبشة يلعبون بحرابهم ـ الحديث : رواه مسلم أيضا

(٤) حديث عائشة كنت ألعب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الحديث : وهو فى الصحيحين كما ذكر المصنف لكن مختصرا الى قولها فيلعبن معي وأما الرواية المطولة التى ذكرها المصنف بقوله وفى رواية فليست من الصحيحين انما رواها أبو داود باسناد صحيح

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرّ لجيئهن إلىّ ، فيلعبن معى ، وفى رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يوما «مَا هَذَا» قالت بناتى قال « فَمَا هَذَا الَّذِى أَرَى فِى وَسَطِهِنَّ» قالت فرس ، قال «مَاهَذَا الَّذِى عَلَيْهِ» قالت جناحان قال « فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ » قالت أوما سمعت أنه كان لسليمان بن داود عليه السلام خيل لها أجنحة، قالت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، والحديث محمول عندنا على عادن الصبيان فى اتخاذ الصورة من الخزف والرقاع من غير تكميل صورته ، بدليل ماروى فى بعض الروايات أن الفرس كان له جناحان من رقاع، وقالت عائشة رضي الله عنها دخل عَلَىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] وعندى جاريتان ، تغنيان بغناء بعاث ، فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه، فدخل أبو بكر رضي الله عنه فانتهرنى ، وقال مزمار الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « دَعْهُمَا » فلما غفل غمزتهما ، فخرجتا ، وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب ، فإما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم وإما قال تشتهين تنظرين ، فقلت نعم فأقامنى وراءه ، وخدى على خده ، ويقول « دُونَكُمْ يَا بَنِى أَرْفِدَةَ » حتى إذا مللت قال « حَسْبُكِ » قلت نعم قال « فَاذْهَبِي » وفى صحيح مسلم فوضعت رأسى على منكبه ، فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا الذى انصرفت

فهذه الأحاديث كلها فى الصحيحين ، وهو نص صريح فى أن الغناء واللعب ليس بحرام وفيها دلالة على أنواع من الرخص

الأول : اللعب ولا يخفى عادة الحبشة فى الرقص واللعب

والثانى : فعل ذلك فى المسجد

والثالث : قوله صلى الله عليه وسلم « دُونَكُمْ يَا بَنِى أَرْفِدَةَ » وهذا أمر باللعب والتماس له ، فكيف يقدر كونه حراما

---

(١) حديث عائشة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث ـ الحديث : هو فى الصحيحين كما ذكر المصنف والرواية التى عزاها بها مسلم كما ذكر

والرابع : منعه لأبى بكر وعمر رضي الله عنهما عن الإنكار والتغيير ، وتعليله بأنه يوم عيد أى هو وقت سرور ، وهذا من أسباب السرور

والخامس : وقوفه طويلا فى مشاهدة ذلك وسماعه لموافقة عائشة رضي الله عنها ، وفيه دليل عَلَى أن حسن الخلق فى تطييب قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب أحسن من خشونة الزهد والتقشف فى الامتناع والمنع منه

والسادس : قوله صلى الله عليه وسلم ابتداء لعائشة « أَتَشْتَهِينَ أَنْ تَنْظُرِى » ولم يكن ذلك عن اضطرار إلى مساعدة الأهل خوفا عن غضب أو وحشة، فإن الالتماس إذا سبق ربما كان الرد سبب وحشة وهو محذور، فيقدم محذور على محذور، فأما ابتداء السؤال فلا حاجة فيه

والسابع : الرخصة فى الغناء والضرب بالدف من الجاريتين مع أنه شبه ذلك بمزمار الشيطان وفيه بيان أن المزمار المحرم غير ذلك

والثامن : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرع سمعه صوت الجاريتين وهو مضطجع ولو كان يضرب بالأوتار فى موضع لما جوز الجلوس ثم لقرع صوت الأوتار سمعه فيدل هذا على أن صوت النساء غير محرم تحريم صوت المزامير ، بل إنما يحرم عند خوف الفتنة فهذه المقاييس والنصوص تدل على إباحة الغناء والرقص ، والضرب بالدف ، واللعب بالدرق والحراب والنظر إلى رقص الحبشة والزنوج فى أوقات السرور كلها قياسا على يوم العيد فإنه وقت سرور، وفى معناه يوم العرس ، والوليمة ، والعقيقة ، والختان ، ويوم القدوم من السفر وسائر أسباب الفرح، وهو كل ما يجوز به الفرح شرعا ، ويجوز الفرح بزيارة الإخوان ولقائهم واجتماعهم فى موضع واحد على طعام أو كلام ، فهو أيضا مظنة السماع

السادس : سماع العشاق تحريكا للشوق ، وتهييجا للعشق ، وتسلية للنفس ، فإن كان فى مشاهدة المعشوق فالغرض تأكيد اللذة ، وإن كان مع المفارقة فالغرض تهييج الشوق والشوق وإن كان ألما ففيه نوع لذة إذا انضاف إليه رجاء الوصال، فإن الرجاء لذيذ، واليأس مؤلم ، وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق ، والحب للشيء المرجو ، ففى هذا السماع تهييج العشق ، وتحريك الشوق ، وتحصيل لذة الرجاء المقدر فى الوصال مع الإطناب فى وصف

حسن المحبوب ، وهذا حلال إن كان المشتاق إليه ممن يباح وصاله ، كمن يعشق زوجته أو سريته فيصغى إلى غنائها لتضاعف لذته فى لقائها ، فيحظى بالمشاهدة البصر، وبالسماع الأذن ويفهم لطائف معانى الوصال والفراق القلب ، فتترادف أسباب اللذة ، فهذه أنواع تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها ، وما الحياة الدنيا إلا لهو ولعب ، وهذا منه، وكذلك إن غضبت منه جارية ، أو حيل بينه وبينها بسبب من الأسباب فله أن يحرك بالسماع شوقه ، وأن يستثير به لذة رجاء الوصال ، فإن باعها أو طلقها حرم عليه ذلك بعده ، إذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصال واللقاء ، وأما من يتمثل فى نفسه صورة صبي أو امرأة لا يحل له النظر إليها ، وكان ينزل مايسمع على ماتمثل فى نفسه ، فهذا حرام ، لأنه محرك للفكر فى الأفعال المحظورة ومهيج للداعية إلى مالا يباح الوصول إليه ، وأكثر العشاق والسفهاء من الشباب فى وقت هيجان الشهوة لا ينفكون عن إضمار شيء من ذلك ، وذلك ممنوع فى حقهم ، لما فيه من الداء الدفين ، لا لأمر يرجع إلى نفس السماع ، ولذلك سئل حكيم عن العشق ، فقال : دخان يصعد إلى دماغ الإنسان ، يزيله الجماع ويهيجه السماع

السابع: سماع من أحب الله وعشقه ، واشتاق إلى لقائه ، فلا ينظر إلى شيء إلا رآه فيه سبحانه ، ولا يقرع سمعه قارع إلا سمعه منه أو فيه، فالسماع فى حقه مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه وحبه ، ومور زناد قلبه ، ومستخرج منه أحوالا من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها ، يعرفها من ذاقها ، وينكرها من كل حسه عن ذوقها ، وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجدا مأخوذ من الوجود ، والمصادفة أى صادف من نفسه أحوالا لم يكن يصادفها قبل السماع ، ثم تكون تلك الأحوال أسبابا لروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتنقيه من الكدرات ، كما تنقى النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث ، ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات ، وهى غاية مطالب المحبين لله تعالى، ونهاية ثمرة القربات كلها ، فالمفضى إليها من جملة القربات ، لا من جملة المعاصى والمباحات ، وحصول هذه الأحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى فى مناسبة النغمات الموزونة للارواح ، وتسخير الأرواح لها وتأثرها بها شوقا ، وفرحا وحزنا ، وانبساطا وانقباضا، ومعرفة السبب فى تأثر الأرواح

بالأصوات من دقائق علوم المكاشفات ، والبليد الجامد القاسى القلب ، المحروم عن لذة السماع ، يتعجب من التذاذ المستمع ووجده ، واضطراب حاله ، وتغير لونه ، تعجب البهيمة من لذة اللوز ينج ، وتعجب العنين من لذة المباشرة ، وتعجب الصبي من لذة الرياسة واتساع أسباب الجاه ، وتعجب الجاهل من لذة معرفة الله تعالى ومعرفة جلاله وعظمته ، وعجائب صنعه ؛ ولكل ذلك سبب واحد ، وهو أن اللذة نوع إدراك ، والإدراك يستدعى مدركا ويستدعى قوة مدركة ، فمن لم تكمل قوة إدراكه لم يتصور منه التلذذ ، فكيف يدرك لذة الطعوم من فقد الذوق ، وكيف يدرك لذة الألحان من فقد السمع ، ولذة المعقولات من فقد العقل ، وكذلك ذوق السماع بالقلب بعد وصول الصوت إلى السمع يدرك بحاسة باطنة فى القلب فمن فقدها عدم لا محالة لذته ، ولعلك تقول كيف يتصور العشق فى حق الله تعالى حتى يكون السماع محركا له فاعلم أن من عرف الله أحبه لا محالة ، ومن تأكدت معرفته تأكدت محبته بقدر تأكد معرفته ، والمحبة إذا تأكدت سميت عشقا ، فلا معنى للعشق إلا محبة مؤكدة مفرطة ، ولذلك قالت العرب : إن محمدا قد عشق ربه لما رأوه يتخلى للعبادة فى جبل حراء

واعلم أن كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال ، والله تعالى جميل يحب الجمال ولكن الجمال إن كان بتناسب الخلقة ، وصفاء اللون ، أدرك بحاسة البصر ، وإن كان الجمال بالجلال والعظمة ، وعلو الرتبة ، وحسن الصفات والأخلاق وإرادة الخيرات لكافة الخلق ، وإفاضتها عليهم على الدوام ، إلى غير ذلك من الصفات الباطنة أدرك بحاسة القلب ، ولفظ الجمال قد يستعار أيضا لها ، فيقال إن فلانا حسن وجميل ، ولا تراد صورته ، وإنما يعنى به أنه جميل الأخلاق محمود الصفات ، حسن السيرة ، حتى قد يحب الرجل بهذه الصفات الباطنة استحسانا لها ، كما تحب الصورة الظاهرة ، وقد تتأكد هذه المحبة فتسمى عشقا ، وكم من الغلاة فى حب أرباب المذاهب ، كالشافعى ، ومالك ، وأبى حنيفة ، رضي الله عنهم حتى يبذلوا أموالهم وأرواحهم فى نصرتهم وموالاتهم ، ويزيدوا على كل عاشق فى الغلو والمبالغة ، ومن العجب أن يعقل عشق شخص لم تشاهد قط صورته ، أجميل هو أم قبيح وهو الآن ميت ولكن لجمال صورته الباطنة ، وسيرته المرضية ، والخيرات الحاصلة من عمله لأهل الدين

وغير ذلك من الخصال ، ثم لا يعقل عشق من ترى الخيرات منه ، بل على التحقيق من لا خير ولا جمال ولا محبوب فى العالم إلا وهو حسنة من حسناته ، وأثر من آثار كرمه وغرفة من بحر جوده ، بل كل حسن وجمال فى العالم أدرك بالعقول والأبصار والأسماع وسائر الحواس من مبتدإ العالم إلى منقرضة ، ومن ذروة الثريا إلى منتهى الثرى ، فهو ذرة من خزائن قدرته ، ولمعة من أنوار حضرته

فليت شعرى كيف لا يعقل حب من هذا وصفه ، وكيف لا يتأكد عند العارفين بأوصافه حبه ، حتى يجاوز حداً يكون إطلاق اسم العشق عليه ظلما فى حقه ، لقصوره عن الأنباء عن فرط محبته ، فسبحان من احتجب عن الظهور بشدة ظهوره ، واستتر عن الأبصار بإشراق نوره ، ولولا احتجابه بسبعين حجابا من نوره لأحرقت سبحات وجهه أبصار الملاحظين لجمال حضرته ولولا أن ظهوره سبب خفائه لبهتت العقول ، ودهشت القلوب وتخاذلت القوى ، وتنافرت الأعضاء ، ولو ركبت القلوب من الحجارة والحديد لأصبحت تحت مبادى أنوار تجليه دكا دكا ، فأنى تطيق كنه نور الشمس أبصار الخفافيش ، وسيأتى تحقيق هذه الإشارة فى كتاب المحبة ، ويتضح أن محبة غير الله تعالى قصور وجهل ، بل المتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله تعالى ، إذ ليس فى الوجود تحقيقاً إلا الله وأفعاله ، ومن عرف الأفعال من حيث إنها أفعال لم يجاوز معرفة الفاعل إلى غيره ، فمن عرف الشافعي مثلا رحمه الله وعلمه وتصنيفه من حيث إنه تصنيفه ، لا من حيث إنه بياض وجلد وحبر وورق وكلام منظوم ولغة عربية ، فلقد عرفه ولم يجاوز معرفة الشافعي إلى غيره ، ولا جاوزت محبته إلى غيره ، فكل موجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وفعله ، وبديع أفعاله فمن عرفها من حيث هى صنع الله تعالى فرأى من الصنع صفات الصانع كما يرى من حسن التصنيف فضل المصنف ، وجلالة قدره ، كانت معرفته ومحبته مقصورة على الله تعالى ، غير مجاوزة إلى سواه ، ومن حد هذا العشق أنه لا يقبل الشركة ، وكل ما سوى هذا العشق فهو قابل للشركة ، إذ كل محبوب سواه يتصور له نظير ، إما فى الوجود ، وإما فى الإمكان ، فأما هذا الجمال فلا يتصور له ثان ، لا فى الإمكان ولا فى الوجود ، فكان اسم العشق على حب غيره

مجازاً محضاً لا حقيقة ، نعم الناقص القريب فى نقصانه من البهيمة ، قد لا يدرك من لفظة العشق إلا طلب الوصال ، الذى هو عبارة عن تماس ظواهر الأجسام ، وقضاء شهوة الوقاع فمثل هذا الحمار ينبغى أن لا يستعمل معه لفظة العشق ، والشوق ، والوصال ، والأنس، بل يجنب هذه الألفاظ والمعانى ، كما تجنب البهيمة النرجس والريحان ، وتخصص بالقت والحشيش وأوراق القضبان ، فإن الألفاظ إنما يجوز إطلاقها فى حق الله تعالى ، إذا لم تكن موهمة معنى يجب تقديس الله تعالى عنه ، والأوهام تختلف باختلاف الأفهام فليتنبه لهذه الدقيقة فى أمثال هذه الألفاظ ، بل لا يبعد أن ينشأ من مجرد السماع لصفات الله تعالى وجد غالب ينقطع بسببه نياط القلب ، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] أنه ذكر غلاما كان فى بنى اسرائيل على جبل ، فقال لأمه . من خلق السماء ؟ قالت الله عز وجل ، قال : فمن خلق الأرض ؟ قالت الله عز وجل، قال : فمن خلق الجبال ؟ قالت الله عز وجل ، قال : فمن خلق الغيم ؟ قالت الله عز وجل ، قال : إنى لأسمع لله شأنا ثم رمى بنفسه من الجبل فتقطع ، وهذا كأنه سمع مادل على جلال الله تعالى وتمام قدرته فطرب لذلك ووجد ، فرمى بنفسه من الوجد . وما أنزلت الكتب إلا ليطربوا بذكر الله تعالى . قال بعضهم رأيت مكتوبا فى الإنجيل غنينا لكم فلم تطربوا ، وزمرنا لكم فلم ترقصوا ، أي شوقناكم بذكر الله تعالى فلم تشتاقوا ، فهذا ما أردنا أن نذكره من أقسام السماع ، وبواعثه ، ومقتضياته ، وقد ظهر على القطع إباحته فى بعض المواضع ، والندب إليه فى بعض المواضع .

فإن قلت : فهل له حالة يحرم فيها

فأقول : إنه يحرم بخمسة عوارض عارض فى المسمع ، وعارض فى آلة الإسماع ، وعارض فى نظم الصوت ، وعارض فى نفس المستمع أو فى مواظبته ، وعارض فى كون الشخص من عوام الخلق ، لأن أركان السماع هى المسمع ، والمستمع ، وآلة الإسماع

---

(١) حديث أبى هريرة ان غلاما كان فى بنى اسرائيل على جبل فقال لأمه من خلق السماء فقالت الله الحديث : وفيه ثم رمى نفسه من الجبل فتقطع رواه ابن حبان

العارض الأول : أن يكون المسمع امرأة لايحل النظر إليها ، وتخشى الفتنة من سماعها وفى معناها الصبي الأمرد الذى تخشى فتنته ، وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنه وليس ذلك لأجل الغناء بل لو كانت المرأة بحيث يفتن بصوتها فى المحاورة من غير ألحان فلا يجوز محاورتها ومحادثتها ، ولا سماع صوتها فى القرءان أيضا ، وكذلك الصبي الذى تخاف فتنته .

فإن قلت : فهل تقول إن ذلك حرام بكل حال حسما للباب ، أو لايحرم إلا حيث تخاف الفتنة فى حق من يخاف العنت

فأقول : هذه مسألة محتملة من حيث الفقه يتجاذبها أصلان :

أحدهما : أن الخلوة بالأجنبية والنظر إلى وجهها حرام ، سواء خيفت الفتنة أو لم تخف لأنها مظنة الفتنة على الجملة ، فقضى الشرع بحسم الباب من غير التفات إلى الصور .

والثانى : أن النظر إلى الصبيان مباح إلا عند خوف الفتنة ، فلا يلحق الصبيان بالنساء فى عموم الجسم ، بل يتبع فيه الحال وصوت المرأة دائر بين هذين الأصلين ، فإن قسناه على النظر إليها وجب حسم الباب ، وهو قياس قريب ، ولكن بينهما فرق ، إذ الشهوة تدعو إلى النظر في أول هيجانها ، ولا تدعو إلى سماع الصوت ، وليس تحريك النظر لشهوة المماسة ، كتحريك السماع بل هو أشد ، وصوت المرأة فى غير الغناء ليس بعورة فلم تزل النساء فى زمن الصحابة رضي الله عنهم يكلمن الرجال فى السلام ، والاستفتاء ، والسؤال والمشاورة ، وغير ذلك ، ولكن للغناء مزيد أثر فى تحريك الشهوة ، فقياس هذا على النظر إلى الصبيان أولى ، لأنهم لم يؤمروا بالاحتجاب ، كما لم تؤمر النساء بستر الأصوات ، فينبغى أن يتبع مثار الفتن ويقصر التحريم عليه ، هذا هو الأقيس عندى ، ويتأيد بحديث الجاريتين المغنيتين فى بيت عائشة رضى الله عنها إذ يعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يسمع أصواتهما ولم يحترز منه ، ولكن لم تكن الفتنة مخوفة عليه ، فلذلك لم يحترز ، فإذاً يختلف هذا بأحوال المرأة ، وأحوال الرجل فى كونه شابا وشيخا ، ولا يبعد أن يختلف الأمر فى مثل هذا بالأحوال ، فإنا نقول للشيخ أن يقبل زوجته وهو صائم ، وليس للشاب ذلك لأن القبلة تدعو إلى الوقاع فى الصوم ، وهو محظور ، والسماع يدعو إلى النظر والمقاربة وهو حرام فيختلف ذلك أيضا بالأشخاص

العارض الثانى: فى الآلة بأن تكون من شعار أهل الشرب ، أو المخنثين ، وهى المزامير والأوتار وطبل الكوبة ، فهذه ثلاثة أنواع ممنوعة وما عدا ذلك يبقى على أصل الإباحة كالدف ، وإن كان فيه الجلاجل ، وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات

العارض الثالث: فى نظم الصوت وهو الشعر ،فإن كان فيه شيء من الخنا والفحش والهجو أو ماهو كذب على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ،أو على الصحابة رضي الله عنهم كما رتبه الروافض فى هجاء الصحابة وغيرهم،فسماع ذلك حرام ، بألحان وغير ألحان والمستمع شريك للقائل ، وكذلك ما فيه وصف امرأة بعينها ، فإنه لايجوز وصف المرأة بين يدي الرجال ، وأما هجاء الكفار وأهل البدع فذلك جائز ، فقد كان حسان بن ثابت رضي الله عنه ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهاجى الكفار وأمره صلى الله عليه وسلم[1] بذلك ، فأما النسيب: وهو التشبيب بوصف الخدود والأصداغ وحسن القد والقامة وسائر أوصاف النساء ، فهذا فيه نظر ، والصحيح أنه لايحرم نظمه وإنشاده بلحن وغير لحن وعلى المستمع أن لاينزله على امرأة معينة ، فإن نزله فلينزله على من يحل له من زوجته وجاريته فإن نزله على أجنبية فهو العاصى بالتنزيل ، وإحالة الفكر فيه ، ومن هذا وصفه فينبغى أن يجتنب السماع رأسا فإن من غلب عليه عشق نزل كل ما يسمعه عليه سواء كان اللفظ مناسبا له أو لم يكن إذاما من لفظ إلا ويمكن تنزيله على معان بطريق الاستعارة ، فالذى يغلب على قلبه حب الله تعالى يتذكر بسوار الصدغ مثلا ظلمة الكفر ، وبنضارة الخد نور الإيمان وبذكر الوصال لقاء الله تعالى ، وبذكر الفراق الحجاب عن الله تعالى فى زمرة المردودين وبذكر الرقيب المشوش لروح الوصال عوائق الدنيا وآفاتها المشوشة لدوام الأنس بالله تعالى ، ولا يحتاج فى تنزيل ذلك عليه إلى استنباط وتفكر ومهلة ،بل تسبق المعانى الغالبة على القلب إلى فهمه مع اللفظ ، كما روى عن بعض الشيوخ أنه مر فى السوق فسمع واحدا يقول : الخيار عشرة بحبة ، فغلبه الوجد . فسئل عن ذلك ، فقال : إذا كان الخيار عشرة بحبة فما قيمة الأشرار واجتاز بعضهم فى السوق فسمع قائلا يقول : ياسعتر برى ، فغلبه الوجد

---

(١) حديث أمره صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت بهجاء المشركين: متفق عليه من حديث البراء انه صلى الله عليه وسلم قال لحسان اهجم أوهاجهم وجبريل معك

فقيل له على ماذا كان وجدك ؟ فقال سمعته كانه يقول ياستر برى ، حتى أن العجمى قد يغلب عليه الوجد على الأبيات المنظومة بلغة العرب ، فإن بعض حروفها يوازن الحروف العجمية فيفهم منها معان أخر. أنشد بعضهم :

وما زارنى فى الليل إلا خيـــاله

فتواجد عليه رجل أعجمي، فسئل عن سبب وجده ، فقال إنه يقول مازاريم ، وهو كما يقول ، فإن لفظ زار يدل فى العجمية على المشرف على الهلاك ، فتوهم أنه يقول كلنا مشرفون على الهلاك فاستشعر عند ذلك خطر هلاك الآخرة ، والمحترق فى حب الله تعالى وجده بحسب فهمه وفهمه بحسب تخيله ، وليس من شرط تخيله أن يوافق مراد الشاعر ولغته فهذا الوجد حق وصدق ، ومن استشعر خطر هلاك الآخرة فجدير بأن يتشوش عليه عقله وتضطرب عليه أعضاؤه ، فإذاً ليس فى تغيير أعيان الألفاظ كبير فائدة ، بل الذى غلب عليه عشق مخلوق ينبغى أن يحترز من السماع بأي لفظ كان ، والذى غلب عليه حب الله تعالى فلا تضره الألفاظ ، ولا تمنعه عن فهم المعانى اللطيفة المتعلقة بمجارى همته الشريفة

العارض الرابع فى المستمع ، وهو أن تكون الشهوة غالبة عليه ، وكان فى غرة الشباب وكانت هذه الصفة أغلب عليه من غيرها ، فالسماع حرام عليه سواء غلب على قلبه حب شخص معين أو لم يغلب، فإنه كيفما كان فلا يسمع وصف الصدغ، والخد ، والفراق والوصال إلا ويحرك ذلك شهوته ، وينزله على صورة معينة ، ينفخ الشيطان بها فى قلبه ، فتشتعل فيه نار الشهوة ، وتحتد بواعث الشر ، وذلك هو النصرة لحزب الشيطان ، والتخذيل للعقل المانع منه الذى هو حزب الله تعالى ، والقتال فى القلب دائم بين جنود الشيطان وهي الشهوات وبين حزب الله تعالى وهو نور العقل ، إلا فى قلب قد فتحه أحد الجندين ، واستولى عليه بالكلية ، وغالب القلوب الآن قد فتحها جند الشيطان ، وغلب عليها ، فتحتاج حينئذ إلى أن تستأنف أسباب القتال لإزعاجها ، فكيف يجوز تكثير أسلحتها وتشحيذ سيوفها وأسنتها، والسماع مشحذ لأسلحة جند الشيطان فى حق مثل هذا الشخص ، فليخرج مثل هذا عن مجمع السماع فإنه يستضر به

العارض الخامس : أن يكون الشخص من عوام الخلق ، ولم يغلب عليه حب الله تعالى فيكون السماع له محبوبا ، ولا غلبت عليه شهوة فيكون فى حقه محظورا ، ولكنه أبيح فى حقه كسائر أنواع اللذات المباحة ، إلا أنه إذا اتخذه ديدنه وهجيراه وقصر عليه أكثر أوقاته فهذا هو السفيه الذى ترد شهادته ، فإن المواظبة على اللهو جناية ، وكما أن الصغيرة بالإصرار والمداومة تصير كبيرة فكذلك بعض المباحات بالمداومة يصير صغيرة ، وهو كالمواظبة على متابعة الزنوج والحبشة والنظر إلى لعبهم على الدوام ، فإنه ممنوع وإن لم يكن أصله ممنوعا إذ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هذا القبيل اللعب بالشطرنج ، فإنه مباح ولكن المواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة ، ومهما كان الغرض اللعب والتلذذ باللهو فذلك إنما يباح لما فيه من ترويح القلب ، إذ راحة القلب معالجة له فى بعض الأوقات ، لتنبعث دواعيه فتشتغل فى سائر الأوقات بالجد فى الدنيا كالكسب والتجارة ، أو فى الدين كالصلاة والقراءة . واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان الخال على الخد ، ولو استوعبت الخيلان الوجه لشوهته ، فما أقبح ذلك ، فيعود الحسن قبحا بسبب الكثرة ، فما كل حسن يحسن كثيره ولا كل مباح يباح كثيره ، بل الخبز مباح والاستكثار منه حرام ، فهذا المباح كسائر المباحات

فإن قلت : فقد أدى مساق هذا الكلام إلى أنه مباح فى بعض الأحوال دون بعض فلم أطلقت القول أولا بالإباحة ، إذ إطلاق القول فى المفصل بلا أو بنعم خلف وخطأ

فاعلم أن هذا غلط ، لأن الإطلاق إنما يمتنع لتفصيل ينشأ من عين ما فيه النظر ، فأما ما ينشأ من الأحوال العارضة المتصلة به من خارج فلا يمنع الإطلاق ، ألا ترى أنا إذا سئلنا عن العسل أهو حلال أم لا ، قلنا : إنه حلال على الإطلاق مع أنه حرام على المحرور الذى يستضر به ، وإذا سئلنا عن الخمر قلنا : إنها حرام مع أنها تحل لمن غص بلقمة أن يشربها مهما لم يجد غيرها ، ولكن هى من حيث إنها خمر ، حرام ، وإنما أبيحت لعارض الحاجة والعسل من حيث إنه عسل حلال ، وإنما حرم لعارض الضرر ، وما يكون لعارض فلا يلتفت إليه ، فإن البيع حلال ويحرم بعارض الوقوع فى وقت النداء يوم الجمعة ، ونحوه من العوارض ، والسماع من جملة المباحات من حيث إنه سماع صوت طيب موزون مفهوم

وإنما تحريمه لعارض خارج عن حقيقة ذاته ، فإذا انكشف الغطاء عن دليل الإباحة فلا نبالى بمن يخالف بعد ظهور الدليل

وأما الشافعى رضي الله عنه فليس تحريم الغناء من مذهبه أصلا ، وقد نص الشافعي وقال فى الرجل يتخذه صناعة: لا تجوز شهادته ، وذلك لأنه من اللهو المكروه الذى يشبه الباطل ، ومن اتخذه صنعة كان منسوبا إلى السفاهة وسقوط المروءة ، وإن لم يكن محرما بين التحريم ، فإن كان لا ينسب نفسه إلى الغناء ، ولا يؤتى لذلك ، ولا يأتى لأجله ، وإنما يعرف بأنه قد يطرب فى الحال فيترنم بها لم يسقط هذا مروءته ، ولم يبطل شهادته ، واستدل بحديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان فى بيت عائشة رضي الله عنها . وقال يونس بن عبد الأعلى: سألت الشافعي رحمه الله عن إباحة أهل المدينة للسماع ، فقال الشافعى : لا أعلم أحدا من علماء الحجاز كره السماع إلا ما كان منه فى الأوصاف ، فأما الحداء ، وذكر الأطلال والمرابع ، وتحسين الصوت بألحان الأشعار فمباح ، وحيث قال إنه لهو مكروه يشبه الباطل ، فقوله لهو ، صحيح ، ولكن اللهو من حيث إنه لهو ليس بحرام ، فلعب الحبشة ورقصهم لهو ، وقد كان صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ولا يكرهه ، بل اللهو واللغو لا يؤاخذ الله تعالى به إن عنى به أنه فعل ما لا فائدة فيه ، فإن الإنسان لو وظف على نفسه أن يضع يده على رأسه فى اليوم مائة مرة فهذا عبث لا فائدة له ولا يحرم ، قال الله تعالى (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ[1]) فإذا كان ذكر اسم الله تعالى على الشيء على طريق القسم من غير عقد عليه ولا تصميم ، والمخالفة فيه مع أنه لا فائدة فيه لا يؤاخذ به ، فكيف يؤاخذ بالشعر والرقص ؟ وأما قوله يشبه الباطل ، فهذا لا يدل على اعتقاد تحريمه ، بل لو قال هو باطل صريحا لما دل على التحريم ، وإنما يدل على خلوه عن الفائدة ، فالباطل ما لا فائدة فيه ، فقول الرجل لامرأته مثلا بعت نفسى منك وقولها اشتريت ، عقد باطل مهما كان القصد اللعب والمطايبة ، وليس بحرام إلا إذا قصد به التمليك المحقق الذى منع الشرع منه ، وأما قوله مكروه فينزل على بعض المواضع التى ذكرتها لك ، أو ينزل على التنزيه ، فإنه نص على إباحة لعب الشطرنج ، وذكر أنى أكره

(١) البقرة : ٢٢٥

كل لعب،وتعليله يدل عليه ، فإنه قال ليس ذلك من عادة ذوى الدين والمروءة ، فهذا يدل على التنزيه ، ورده الشهادة بالمواظبة عليه لايدل على تحريمه أيضا، بل قد ترد الشهادة بالأكل فى السوق ، ومايخرم المروءة ، بل الحياكة مباحة ، وليست من صنائع ذوى المروءة ، وقد ترد شهادة المحترف بالحرفة الخسيسة ، فتعليله يدل على أنه أراد بالكراهة التنزيه ، وهذا هو الظن أيضا بغيره من كبار الأئمة ، وإن أرادوا التحريم فما ذكرناه حجة عليهم

بيان حجج القائلين

بتحريم السماع والجواب عنها

احتجوا بقوله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ[1])قال ابن مسعود والحسن البصرى ، والنخعى ، رضي الله عنهم: إن لهوَ الحديث هو الغناء ، وروت عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم[1] قال: « إِنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ الْقَيْنَةَ وَبَيْعَهَا وَثَمَنَهَا وَتَعْلِيمَهَا » فنقول أما القينة : فالمراد بها الجارية التى تغنى للرجال فى مجلس الشرب . وقد ذكرنا أن غناء الأجنبية للفساق ومن يخاف عليهم الفتنة حرام ، وهم لا يقصدون بالفتنة إلا ما هو محظور ، فأما غناء الجارية لمالكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث ، بل لغير مالكها سماعها عند عدم الفتنة ، بدليل ماروى فى الصحيحين من غناء الجاريتين فى بيت عائشة رضي الله عنها

وأما شراء لهو الحديث بالدين استبدالا به ليضل به عن سبيل الله فهو حرام مذموم وليس النزاع فيه ، وليس كل غناء بدلا عن الدين مشترى به ، ومضلا عن سبيل الله تعالى، وهو المراد فى الآية ، ولو قرأ القرءان ليضل به عن سبيل الله لكان حراما

حكي عن بعض المنافقين أنه كان يؤم الناس ولا يقرأ إلا سورة عبس لما فيها من العتاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم عمر بقتله ، ورأى فعله حراما لما فيه من الإضلال ، فالإضلال بالشعر والغناء أولى بالتحريم

---

(١) حديث عائشة ان الله حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها الطبرانى فى الأوسط باسناد ضعيف قال البيهقي ليس بمحفوظ

(١) لقمان : ٦

واحتجوا بقوله تعالى (أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ [1]) قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الغناء بلغة حمير ، يعني السمد ، فنقول ينبغي أن يحرم الضحك وعدم البكاء أيضا ، لأن الآية تشتمل عليه

فإن قيل : إن ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لإسلامهم ، فهذا أيضا مخصوص بأشعارهم وغنائهم في معرض الاستهزاء بالمسلمين ، كما قال تعالى (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ [2]) وأراد به شعراء الكفار ، ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر في نفسه

واحتجوا بما روى جابر رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم [1] قال « كَانَ إِبْلِيسُ أَوَّلَ مَنْ نَاحَ وَأَوَّلَ مَنْ تَغَنَّى » فقد جمع بين النياحة والغناء ، قلنا لا جرم كما استثنى منه نياحة داود عليه السلام ، ونياحة المذنبين على خطاياهم ، فكذلك يستثنى الغناء الذي يراد به تحريك السرور والحزن والشوق ، حيث يباح تحريكه ، بل كما استثنى غناء الجاريتين يوم العيد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغناؤهن عند قدومه عليه السلام بقولهن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

واحتجوا بما روى أبو أمامة عنه صلى الله عليه وسلم [2] أنه قال « مَا رَفَعَ أَحَدٌ صَوْتَهُ بِغِنَاءٍ إِلَّا بَعَثَ اللهُ لَهُ شَيْطَانَيْنِ عَلَى مَنْكِبَيْهِ يَضْرِبَانِ بِأَعْقَابِهِمَا عَلَى صَدْرِهِ حَتَّى يُمْسِكَ »

قلنا : هو منزل على بعض أنواع الغناء الذي قدمناه ، وهو الذي يحرك من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة ، وعشق المخلوقين ، فأما ما يحرك الشوق إلى الله والسرور بالعيد أو حدوث الولد ، أو قدوم الغائب ، فهذا كله يضاد مراد الشيطان ، بدليل قصة الجاريتين والحبشة ، والأخبار التي نقلناها من الصحاح ، فالتجويز في موضع واحد نص في الإباحة

---

(١) حديث جابر كان ابليس أول من ناح وأول من تغنى لم أجد له أصلا من حديث جابر وذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب ولم يخرجه ولده في مسنده

(٢) حديث أبي أمامة مارفع أحد عقيرته بغناء الا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على منكبية يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي والطبراني في الكبير وهو ضعيف

---

(١) النجم : ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ (٢) الشعراء : ٢٢٤

و المنع فى ألف موضع محتمل للتأويل ومحتمل للتنزيل ، أما الفعل فلا تأويل له، إذ ما حرم فعله إنما يحل بعارض الإكراه فقط ، وما أبيح فعله يحرم بعوارض كثيرة حتى النيات والقصود

واحتجوا بما روى عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم[1] قال « كُلُّ شَيْءٍ يَلْهُو بِهِ الرَّجُلُ فَهُوَ بَاطِلٌ إِلَّا تَأْدِيبَهُ فَرَسَهُ وَرَمْيَهُ بِقَوْسِهِ وَمُلَاعَبَتَهُ لِامْرَأَتِهِ »

قلنا: فقوله باطل لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة ، وقد يسلم ذلك على أن التلهى بالنظر إلى الحبشة خارج عن هذه الثلاثة وليس بحرام، بل يلحق بالمحصور غير المحصور قياسا كقوله صلى الله عليه وسلم[2] « لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ » فإنه يلحق به رابع وخامس، فكذلك ملاعبة امرأته لا فائدة له إلا التلذذ ، وفى هذا دليل على أن التفرج فى البساتين ، وسماع أصوات الطيور ، وأنواع المداعبات ، مما يلهو به الرجل لا يحرم عليه شىء منها وإن جاز وصفه بأنه باطل

واحتجوا بقول عثمان رضي الله عنه : ما تغنيت ، ولا تمنيت ، ولا مسست ذكرى بيمينى مذبايعت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم

قلنا : فليكن التمنى ، ومس الذكر باليمنى حراما ، إن كان هذا دليل تحريم الغناء ، فمن أين يثبت أن عثمان رضي الله عنه كان لا يترك إلا الحرام

واحتجوا بقول ابن مسعود رضى الله عنه[3] الغناء ينبت فى القلب النفاق ، وزاد بعضهم كما ينبت الماء البقل ، ورفعه بعضهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو غير صحيح

قالوا ومر على ابن عمر رضى الله عنهما قوم محرمون وفيهم رجل يتغنى، فقال: ألا لا أسمع الله لكم ألا لا أسمع الله لكم

---

(١) حديث عقبة بن عامر كل شىء يلهو به الرجل فهو باطل الا تأديبه فرسة ورمية بقوسه وملاعبته زوجته أصحاب السنن الاربعة وفيه اضطراب

(٢) حديث لا يحل دم امرىء إلا باحدى ثلاث متفق عليه من حديث ابن مسعود

(٣) حديث ابن مسعود الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل قال المصنف والمرفوع غير صحيح لان فى إسناده من لم يسم: رواه أبو داود وهو فى رواية ابن العبد ليس فى رواية اللؤلؤى ورواه البيهقى مرفوعا وموقوفا

وعن نافع أنه قال كنت مع ابن عمر رضى الله عنهما (١) فى طريق ، فسمع زمارة راع ، فوضع أصبعيه فى أذنيه ، ثم عدل عن الطريق ، فلم يزل يقول يانافع أتسمع ذلك حتى قلت لا فأخرج أصبعيه وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع ، وقال الفضيل ابن عياض رحمه الله: الغناء رقية الزنا ، وقال بعضهم الغناء رائد من رواد الفجور ، وقال يزيد ابن الوليد : إياكم والغناء ، فإنه ينقص الحياء ، ويزيد الشهوة ، ويهدم المروءة ، وإنه لينوب عن الخمر ، ويفعل مايفعله السكر ، فإن كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء ، فإن الغناء داعية الزنا ، فنقول قول ابن مسعود رضى الله عنه ينبت النفاق أراد به فى حق المغنى ، فإنه فى حقه ينبت النفاق إذ غرضه كله أن يعرض نفسه على غيره ، ويروج صوته عليه ولا يزال ينافق ويتودد إلى الناس ليرغبوا فى غنائه ، وذلك أيضا لايوجب تحريما ، فإن لبس الثياب الجميلة وركوب الخيل المهملجة ، وسائر أنواع الزينة والتفاخر بالحرث والأنعام والزرع ، وغير ذلك ينبت فى القلب النفاق والرياء ، ولا يطلق القول بتحريم ذلك كله ، فليس السبب فى ظهور النفاق فى القلب المعاصى فقط . بل المباحات التي هى مواقع نظر الخلق أكثر تأثيرا ، ولذلك نزل عمر رضى الله عنه عن فرس هملج تحته ، وقطع ذنبه ، لأنه استشعر فى نفسه الخيلاء لحسن مشيته ، فهذا النفاق من المباحات ، وأما قول ابن عمر رضى الله عنهما ألا لاأسمع الله لكم ، فلا يدل على التحريم من حيث إنه غناء بل كانوا محرمين ، ولا يليق بهم الرفث ، وظهر له من مخايلهم أن سماعهم لم يكن لوجد وشوق إلى زيارة بيت الله تعالى بل لمجرد اللهو فأنكر ذلك عليهم لكونه منكرا بالإضافة إلى حالهم وحال الإحرام ، وحكايات الأحوال تكثر فيها وجوه الاحتمال ، وأما وضعه أصبعيه فى أذنيه فيعارضه أنه لم يأمر نافعا بذلك ولا أنكر عليه سماعه ، وإنما فعل ذلك هو لأنه رأى أن ينزه سمعه فى الحال وقلبه عن صوت ربما يحرك اللهو ، ويمنعه عن فكر كان فيه أو ذكر هو أولى منه ، وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أنه لم يمنع ابن عمر ، لايدل أيضا على التحريم ، بل يدل على أن الأولى تركه

---

(١) حديث نافع كنت وابن عمر فى طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعه فى أذنيه ـ الحديث ، ورفعه أبو داود وقال هذا حديث منكر

ونحن نرى أن الأولى تركه فى أكثر الأحوال، بل أكثر مباحات الدنيا الأولى تركها إذا علم أن ذلك يؤثر فى القلب، فقد خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبى جهم، إذ كانت عليه أعلام شغلت قلبه، أفترى أن ذلك يدل على تحريم الأعلام على الثوب، فلعله صلى الله عليه وسلم كان فى حالة كان صوت زمارة الراعى يشغله على تلك الحالة، كما شغله العلم عن الصلاة، بل الحاجة إلى استثارة الأحوال الشريفة من القلب بحيلة السماع قصور بالإضافة إلى من هو دائم الشهود للحق، وإن كان كمالا بالإضافة إلى غيره، ولذلك قال الحصرى ماذا أعمل بسماع ينقطع إذا مات من يسمع منه إشارة إلى أن السماع من الله تعالى هو الدائم: فالأنبياء عليهم السلام على الدوام فى لذة السمع والشهود، فلا يحتاجون إلى التحريك بالحيلة، وأما قول الفضيل هو رقية الزنا وكذلك ماعداه من الأقاويل القريبة منه فهو منزل على سماع الفساق والمغتلمين من الشبان ولو كان ذلك عاما لما سمع من الجاريتين فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأما القياس: فغاية مايذكر فيه أن يقاس على الأوتار، وقد سبق الفرق، أو يقال هو لهو ولعب وهو كذلك، ولكن الدنيا كلها لهو ولعب، قال عمر رضي الله عنه لزوجته: إنما أنت لعبة فى زاوية البيت، وجميع الملاعبة مع النساء لهو إلا الحراثة التى هى سبب وجود الولد، وكذلك المزح الذى لا فحش فيه حلال، نقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] وعن الصحابة، كما سيأتى تفصيله فى كتاب آفات اللسان إن شاء الله، وأى لهو يزيد على لهو الحبشة والزنوج فى لعبهم، وقد ثبت بالنص إباحته؟ على أنى أقول: اللهو مروح للقلب، ومخفف عنه أعباء الفكر، والقلوب إذا أكرهت عميت، وترويحها إعانة لها على الجد؛ فالمواظب على التفقه مثلا، ينبغى أن يتعطل يوم الجمعة، لأن عطلة يوم تبعث على النشاط فى سائر الأيام، والمواظب على نوافل الصلوات فى سائر الأوقات، ينبغى أن يتعطل فى بعض الأوقات ولأجله كرهت الصلاة فى بعض الأوقات، فالعطلة معونة على العمل واللهو معين على الجد، ولا يصبر على الجد المحض، والحق المر الا نفوس الأنبياء عليهم السلام.

---

(١) حديث خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبى جهم اذ كان عليه أعلام شغلت قلبه تقدم فى الصلاة

(٢) حديث مزاحه صلى الله عليه وسلم يأتى فى آفات اللسان كما قال المصنف

فاللهو دواء القلب من داء الأعياء والملال ، فينبغى أن يكون مباحا ، ولكن لا ينبغى أن يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء ، فإذاً اللهو على هذه النية يصير قربة ، هذا فى حق من لا يحرك السماع من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها ، بل ليس له إلا اللذة والاستراحة المحضة فينبغى أن يستحب له ذلك ليتوصل به إلى المقصود الذى ذكرناه ، نعم : هذا يدل على نقصانٍ عن ذروة الكمال ، فإن الكامل هو الذى لا يحتاج أن يروح نفسه بغير الحق ، ولكن حسنات الأبرار سيئات المقربين ، ومن أحاط بعلم علاج القلوب ، ووجوه التلطف بها لسياقتها إلى الحق، علم قطعا أن ترويحها بأمثال هذه الأمور دواء نافع لا غنى عنه

الباب الثانى

فى آثار السماع وآدابه

اعلم أن أول درجة السماع فهم المسموع وتنزيله على معنى يقع للمستمع ، ثم يثمر الفهم الوجد ، ويثمر الوجد الحركة بالجوارح ، فلينظر فى هذه المقامات الثلاثة

المقام الأول فى الفهم

وهو يختلف باختلاف أحوال المستمع ، وللمستمع أربعة أحوال

إحداها : أن يكون سماع بمجرد الطبع ، أي لا حظ له فى السماع إلا استلذاذ الألحان والنغمات وهذا مباح ، وهو أخس رتب السماع ، إذ الإبل شريكة له فيه وكذا سائر البهائم ، بل لا يستدعى هذا الذوق إلا الحياة ، فلكل حيوان نوع تلذذ بالأصوات الطيبة

الحالة الثانية : أن يسمع بفهم ولكن ينزله على صورة مخلوق إما معينا ، وإما غير معين وهو سماع الشباب وأرباب الشهوات ، ويكون تنزيلهم للمسموع على حسب شهواتهم ومقتضى أحوالهم ، وهذه الحالة أخس من أن نتكلم فيها إلا ببيان خستها والنهي عنها

الحالة الثالثة : أن ينزل ما يسمعه على أحوال نفسه فى معاملته لله تعالى ، وتقلب أحواله فى التمكن مرة والتعذر أخرى ، وهذا سماع المريدين لا سيما المبتدئين ، فإن المريد لا محالة مرادا هو مقصده ، ومقصده معرفة الله سبحانه ، ولقاؤه والوصول إليه بطريق المشاهدة

بالسر وكشف الغطاء ، وله فى مقصده طريق هو سالكه ، ومعاملات هو مثابر عليها وحالات تستقبله فى معاملاته ، فإذا سمع ذكر عتاب أو خطاب ، أو قبول أو رد أو وصل أو هجر ، أو قرب أو بعد ، أو تلهف على فائت أو تعطش إلى منتظر ، أو شوق إلى وارد أو طمع أو يأس ، أو وحشة أو استئناس ، ووفاء بالوعد ، أو نقض للعهد ، أو خوف فراق ، أو فرح بوصال ، أو ذكر ملاحظة الحبيب ، ومدافعة الرقيب ، أو هموم العبرات أو ترادف الحسرات ، أو طول الفراق ، أو عدة الوصال ، أو غير ذلك مما يشتمل على وصفه الأشعار ، فلا بد أن يوافق بعضها حال المريد فى طلبه ، فيجرى ذلك مجرى القدح الذى يورى زناد قلبه ، فتشتعل به نيرانه ، ويقوى به انبعاث الشوق وهيجانه ، ويهجم عليه بسببه أحوال مخالفة لعادته ، ويكون له مجال رحب فى تنزيل الألفاظ على أحواله ، وليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه ، بل لكل كلام وجوه ، ولكل ذى فهم فى اقتباس المعنى منه حظوظ ، ولنضرب لهذه التنزيلات والفهوم أمثلة كي لا يظن الجاهل أن المستمع لأبيات فيها ذكر الفم والخد والصدغ إنما يفهم منها ظواهرها ، ولا حاجة بنا إلى ذكر كيفية فهم المعانى من الأبيات ، ففى حكايات أهل السماع ما يكشف عن ذلك

فقد حكي أن بعضهم سمع قائلا يقول :

قال الرسول غدا نزو ر فقلت تعقل ما تقول

فاستفزه اللحن والقول ، وتواجد وجعل يكرر ذلك ويجعل مكان التاء نونا ، فيقول قال الرسول غدا نزور ، حتى غشي عليه من شدة الفرح واللذة والسرور ، فلما أفاق سئل عن وجده ممَّ كان ، فقال ذكرت قول الرسول صلى الله عليه وسلم [1] إن أهل الجنة يزورون ربهم فى كل يوم جمعة مرة

• وحكى الرقى عن ابن الدراج أنه قال كنت أنا وابن الفوطى مارين على دجلة بين البصرة والأبلة ، فإذا بقصر حسن له منظرة ، وعليه رجل بين يديه جارية تغنى وتقول

كل يوم تتلون غير هذا بك أحسن

---

(١) حديث ان أهل الجنة يزورون ربهم فى كل جمعة : الترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة وفيه عبد الحميد بن حبيب بن أبى العشرين مختلف فيه وقال الترمذى لا نعرفه إلا من هذا الوجه قال وقد روى سويد بن عمرو عن الأوزاعى شيئاً من هذا

فإذا شاب حسن تحت المنظرة ، وبيده ركوة ، وعليه مرقعة يستمع، فقال ياجارية بالله وبحياة مولاك ألا أعدت عليّ هذا البيت . فأعادت فكان الشاب يقول هذا والله تلوّني مع الحق في حالي، فشهق شهقة ومات ، قال فقلنا قد استقبلنا فرض فوقفنا ، فقال صاحب القصر للجارية أنت حرة لوجه الله تعالى ، قال ثم إن أهل البصرة خرجوا فصلوا عليه فلما فرغوا من دفنه قال صاحب القصر: أشهدكم أن كل شيء لي في سبيل الله ، وكل جواري أحرار ، وهذا القصر للسبيل، قال ثم رمى بثيابه ، واتزر بإزار ، وارتدى بآخر ، ومر على وجهه والناس ينظرون إليه، حتى غاب عن أعينهم وهم يبكون فلم يسمع له بعد خبر

والمقصود أن هذا الشخص كان مستغرق الوقت بحاله مع الله تعالى، ومعرفة عجزه عن الثبوت على حسن الأدب في المعاملة ، وتأسفه على تقلب قلبه ، وميله عن سنن الحق ، فلما قرع سمعه مايوافق حاله سمعه من الله تعالى كأنه يخاطبه ، ويقول له :

كل يوم تتلون غير هذا بك أحسن

ومن كان سماعه من الله تعالى وعلى الله وفيه ، فينبغي أن يكون قد أحكم قانون العلم في معرفة الله تعالى ، ومعرفة صفاته، وإلا خطر له من السماع في حق الله تعالى ما يستحيل عليه ويكفر به ، ففي سماع المريد المبتدي خطر ، إلا إذا لم ينزل مايسمع إلا على حاله من حيث لا يتعلق بوصف الله تعالى ، ومثال الخطأ فيه هذا البيت بعينه، فلو سمعه في نفسه وهو يخاطب به ربه عز وجل، فيضيف التلون إلى الله تعالى فيكفر ، وهذا قد يقع عن جهل محض مطلق غير ممزوج بتحقيق ، وقد يكون عن جهل ساقه إليه نوع من التحقيق ، وهو أن يرى تقلب أحوال قلبه، بل تقلب أحوال سائر العالم من الله وهو حق ، فإنه تارة يبسط قلبه ، وتارة يقبضه ، وتارة ينوره ، وتارة يظلمه ، وتارة يقسيه ، وتارة يلينه ، وتارة يثبته على طاعته ويقويه عليها ، وتارة يسلط الشيطان عليه ليصرفه عن سنن الحق ، وهذا كله من الله تعالى ومن يصدر منه أحوال مختلفة في أوقات متقاربة فقد يقال له في العادة إنه ذو بداوات وأنه متلون ، ولعل الشاعر لم يرد به إلا نسبة محبوبه إلى التلون في قبوله ورده ، وتقريبه وإبعاده ، وهذا هو المعنى فسماع هذا كذلك في حق الله تعالى كفر محض ، بل ينبغي أن

يعلم أنه سبحانه وتعالى يلون ولا يتلون ، ويغير ولا يتغير ، بخلاف عباده وذلك العلم يحصل للمريد باعتقاد تقليدي إيماني ، ويحصل للعارف البصير بيقين كشفي حقيقي ، وذلك من أعاجيب أوصاف الربوبية وهو المغير من غير تغير ، ولا يتصور ذلك إلا في حق الله تعالى بل كل مغير سواه فلا يغيره مالم يتغير ، ومن أرباب الوجد من يغلب عليه حال مثل السكر المدهش، فيطلق لسانه بالعتاب مع الله تعالى ، ويستنكر اقتهاره للقلوب وقسمته للأحوال الشريفة على تفاوت ، فإنه المستصفي لقلوب الصديقين ، والمبعد لقلوب الجاحدين والمغرورين فلا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع ، ولم يقطع التوفيق عن الكفار لجناية متقدمة، ولا أمد الأنبياء عليهم السلام بتوفيقه ونور هدايته لوسيلة سابقة ، ولكنه قال (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ [1]) وقال عز وجل : (وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ [2]) وقال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ [3]) فإن خطر ببالك أنه لم اختلفت السابقة ، وهم في ربقة العبودية مشتركون نوديت من سرادقات الجلال لاتجاوز حد الأدب ، فإنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون

ولعمري تأدب اللسان والظاهر مما يقدر عليه الأكثرون ، فأما تأدب السر عن إضمار الاستبعاد ، بهذا الاختلاف الظاهر في التقريب والإبعاد ، والإشقاء والإسعاد مع بقاء السعادة والشقاوة أبد الآباد، فلا يقوى عليه إلا العلماء الراسخون في العلم، ولهذا قال الخضر عليه السلام لما سئل عن السماع في المنام أنه الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء ، لأنه محرك لأسرار القلوب ومكامنها ، ومشوش لها تشويش السكر المدهش الذي يكاد يحل عقدة الأدب عن السر، إلا ممن عصمه الله تعالى بنور هدايته ، ولطيف عصمته ولذلك قال بعضهم ليتنا نجونا من هذا السماع رأسا برأس ، ففي هذا الفن من السماع خطر يزيد على خطر السماع المحرك للشهوة ، فإن غاية ذلك معصية وغاية الخطأ هاهنا كفر

واعلم أن الفهم قد يختلف بأحوال المستمع ، فيغلب الوجد على مستمعين لبيت واحد وأحدهما مصيب في الفهم ، والآخر مخطىء ، أو كلاهما مصيبان، وقد فهما معنيين مختلفين متضادين

---

(١) الصفات : ١٧١ (٢) السجدة : ١٣ (٣) الأنبياء : ١٠١

ولكنه بالإضافة إلى اختلاف أحوالهما لا يتناقض، كما حكي عن عتبة الغلام أنه سمع رجلا يقول

سبحان جبار السما إن المحب لفي عنا

فقال : صدقت ، وسمعه رجل آخر فقال : كذبت ، فقال بعض ذوي البصائر أصابا جميعا وهو الحق ، فالتصديق كلام محب غير ممكّن من المراد ، بل مصدود متعب بالصد والهجر ، والتكذيب كلام مستأنس بالحب مستلذ لما يقاسيه بسبب فرط حبه غير متأثر به ، أو كلام محب غير مصدود عن مراده في الحال ، ولا مستشعر بخطر الصد في المآل وذلك لاستيلاء الرجاء وحسن الظن على قلبه ، فباختلاف هذه الأحوال يختلف الفهم

وحكى عن أبي القاسم بن مروان وكان قد أصحب أبا سعيد الخراز رحمه الله وترك حضور السماع سنين كثيرة ، فحضر دعوة وفيها إنسان يقول

واقف في الماء عطشا ن ولكن ليس يسقى

فقام القوم وتواجدوا ، فلما سكنوا سألهم عن معنى ما وقع لهم من معنى البيت، فأشاروا إلى التعطش إلى الأحوال الشريفة والحرمان منها مع حضور أسبابها فلم يقنعه ذلك ، فقالوا له فماذا عندك فيه ؟ فقال أن يكون في وسط الأحوال ، ويكرم بالكرامات ، ولا يعطى منها ذرة ، وهذه إشارة إلى إثبات حقيقة وراء الأحوال والكرامات ، والأحوال سوابقها والكرامات تسنح في مباديها ، والحقيقة بعد لم يقع الوصول إليها ، ولا فرق بين المعنى الذي فهمه وبين ما ذكروه ، إلا في تفاوت رتبة المتعطش إليه ، فإن المحروم عن الأحوال الشريفة أولا يتعطش إليها ، فإن مكن منها تعطش إلى ما وراءها، فليس بين المعنيين اختلاف في الفهم، بل الاختلاف بين الرتبتين

وكان الشبلي رحمه الله كثيرا ما يتواجد على هذا البيت :

ودادكم هجر وحبكم قلى ووصلكم صرم وسلمكم حرب

وهذا البيت يمكن سماعه على وجوه مختلفة ، بعضها حق وبعضها باطل ، وأظهرها أن يفهم هذا في الخلق ، بل في الدنيا بأسرارها ، بل في كل ما سوى الله تعالى، فإن الدنيا مكارة

خداعة ، قتالة لأربابها ، معادية لهم فى الباطن ، ومظهرة صورة الود ، [١] فما امتلأت منها دار حبرة إلا امتلأت عبرة ، كما ورد فى الخبر ، وكما قال الثعلبي في وصف الدنيا

تنح عن الدنيا فلا تخطبنها ... ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس بفى مرجوّها بمخوفها ... ومكروهها إما تأملت راجح
لقد قال فيها الواصفون فأكثروا ... وعندى لها وصف لعمري صالح
سلاف قصاراها زعاف ومركب ... شهي إذا استذللته فهو جامح
وشخص جميل يؤثر الناس حسنه ... ولكن له أسرار سوء قبائح

والمعنى الثانى : أن ينزله على نفسه فى حق الله تعالى ، فإنه إذا تفكر فمعرفته جهل ، إذ ماقدروا الله حق قدره ، وطاعته رياء ، إذ لا يتقى الله حق تقاته ، وحبه معلول إذ لا يدع شهوة من شهواته فى حبه ، ومن أراد الله به خيرا بصره بعيوب نفسه ، فيرى مصداق هذا البيت فى نفسه ، وإن كان على المرتبة بالإضافة إلى الغافلين ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [٢] « لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » وقال عليه الصلاه والسلام [٣] « إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ سَبْعِينَ مَرَّةً » وإنما كان استغفاره عن أحوال هى درجات بُعْدٍ بالإضافة إلى مابعدها ، وإن كانت قربا بالإضافة إلى ماقبلها ، فلا قرب إلا ويبقى وراءه قرب لانهاية له ، إذ سبيل السلوك إلى الله تعالى غير متناه ، والوصول إلى أقصى درجات القرب محال

والمعنى الثالث : أن ينظر فى مبادى أحواله فيرتضيها ، ثم ينظر فى عواقبها فيزدريها ، لاطلاعه على خفايا الغرور فيها ، فيرى ذلك من الله تعالى ، فيستمع البيت فى حق الله تعالى شكاية من القضاء والقدر ، وهذا كفر ، كما سبق بيانه ، وما من بيت إلا ويمكن تنزيله على معان ، ذلك بقدر غزارة علم المستمع وصفاء قلبه

الحالة الرابعة : سماع من جاوز الأحوال والمقامات ، فعزب عن فهم ماسوى الله تعالى حتى عزب عن نفسه وأحوالها ومعاملاتها ، وكان كالمدهوش الغائص فى بحر عين الشهود

---

(١) حديث ماامتلأت دار منها حبرة إلا امتلأت عبرة : ابن المبارك عن عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبى كثير مرسلا

(٢) حديث لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك : رواه مسلم وقد تقدم

(٣) حديث إنى لأستغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة : تقدم فى الباب الثانى من الأذكار

الذى يضاهى حاله حال النسوة اللاتى قطعن أيديهن فى مشاهدة جمال يوسف عليه السلام حتى دهشن وسقط إحساسهن ، وعن مثل هذه الحالة تعبر الصوفية بأنه قد فنى عن نفسه ومهما فنى عن نفسه فهو عن غيره أفنى ، فكأنه فنى عن كل شىء إلا عن الواحد المشهود، وفنى أيضا عن الشهود ،فإن القلب أيضا إذا التفت إلى الشهود وإلى نفسه بأنه مشاهد، فقد غفل عن المشهود ، فالمستهتر بالمرئى لا التفات له فى حال استغراقه إلى رؤيته ، ولا إلى عينه التى بها رؤيته ، ولا إلى قلبه الذى به لذته ، فالسكران لا خبر له من سكره، والمتلذذ لا خبر له من التذاذه ، وإنما خبره من المتلذذ به فقط ، ومثاله العلم بالشىء فإنه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشىء ، فالعالم بالشىء مهما ورد عليه العلم بالعلم بالشىء كان معرضا عن الشىء ، ومثل هذه الحاله قد تطرأ فى حق المخلوق ، وتطرأ أيضا فى حق الخالق ، ولكنها فى الغالب تكون كالبرق الخاطف الذى لا يثبت ولا يدوم ، وإن دام لم تطقه القوة البشرية ، فربما اضطرب تحت أعبائه اضطرابا تهلك به نفسه، كما روي عن أبى الحسن النورى أنه حضر مجلسا فسمع هذا البيت

مازلت أنزل من ودادك منزلا تتحير الألباب عند نزوله

فقام وتواجد وهام على وجهه ،فوقع فى أجمة قصب قد قطع، وبقيت أصوله مثل السيوف فصار يعدو فيها، ويعيد البيت إلى الغداة ، والدم يخرج من رجليه حتى ورمت قدماه وساقاه ، وعاش بعد ذلك أياما ومات رحمه الله

فهذه درجة الصديقين فى الفهم والوجد، فهى أعلى الدرجات، لأن السماع على الأحوال نازل من درجات الكمال، وهى ممتزجة بصفات البشرية وهو نوع قصور، وإنما الكمال أن يفنى بالكلية عن نفسه وأحواله، أعنى أنه ينساها فلا يبقى له التفات إليها كما لم يكن للنسوة التفات إلى الأيدى والسكاكين فيسمع لله، وبالله، وفى الله، ومن الله، وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق، وعبر ساحل الأحوال والأعمال واتحد بصفاء التوحيد ، وتحقق بمحض الإخلاص، فلم يبق فيه منه شىء أصلا بل خمدت بالكلية بشريته ، وفنى التفاته إلى صفات البشرية رأسا ، ولست أعنى بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه ، ولست أعنى بالقلب اللحم والدم بل سر لطيف له إلى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سر الروح الذى هو من أمر الله عز وجل ، عرفها من عرفها ، وجهلها من جهلها

ولذلك السر وجود ، وصورة ذلك الوجود مايحضر فيه ، فإذا حضر فيه غيره فكأنه لا وجود إلا للحاضر ، ومثاله المرآة المجاوة إذ ليس لها لون فى نفسها، بل لونها لون الحاضر فيها وكذلك الزجاجة ، فإنها تحكى لون قرارها ، ولونها لون الحاضر فيها ، وليس لها فى نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ، ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول الألوان، ويعرب عن هذه الحقيقة أعنى سر القلب بالإضافة إلى ما يحضر فيه ، قول الشاعر :

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وهذا مقام من مقامات علوم المكاشفة ، منه نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد، وقال أنا الحق وحوله يدندن كلام النصارى فى دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت ، أو تدرعها بها أو حلولها فيها ، على ما اختلفت فيهم عباراتهم ، وهو غلط محض ، يضاهى غلط من يحكم على المرآة بصورة الحمرة ، إذ ظهر فيها لون الحمرة من مقابلها ، وإذا كان هذا غير لائق بعلم المعاملة فلنرجع إلى الغرض فقد ذكرنا تفاوت الدرجات فى فهم المسموعات

المقام الثانى

بعد الفهم والتنزيل ... الوجد

وللناس كلام طويل فى حقيقة الوجد، أعنى الصوفية ، والحكماء الناظرين فى وجه مناسبة السماع للأرواح ، فلننقل من أقوالهم ألفاظا ، ثم لنكشف عن الحقيقة فيه

أما الصوفية : فقد قال ذو النون المصرى رحمه الله : فى السماع أنه وارد حق جاء يزعج القلوب إلى الحق ، فمن أصغى إليه بحق تحقق ، ومن أصغى إليه بنفس تزندق ، فكأنه عبّر عن الوجد بانزعاج القلوب إلى الحق ، وهو الذى يجده عند ورود وارد السماع ، إذ سمى السماع وارد حق ، وقال أبو الحسين الدراج مخبراً عما وجده فى السماع : الوجد عبارة عما يوجد عند السماع ، وقال جال بى السماع فى ميادين البهاء ، فأوجدنى وجود الحق عند العطاء فسقانى بكأس الصفاء ، فأدركت به منازل الرضاء ، وأخرجنى إلى رياض التنزه والفضاء

وقال الشبلي رحمه الله : السماع ظاهره فتنة ، وباطنه عبرة ، فمن عرف الإشارة حل له استماع العبارة ، وإلا فقد استدعى الفتنة ، وتعرض للبلية ، وقال بعضهم : السماع غذاء الأرواح لأهل المعرفة ، لأنه وصف يدق عن سائر الأعمال ، ويدرك برقة الطبع لرقته ، وبصفاء السر لصفائه ولطفه عند أهله ، وقال عمرو بن عثمان المكي : لا يقع على كيفية الوجد عبارة ، لأنه سر الله عند عباده المؤمنين الموقنين ، وقال بعضهم : الوجد مكاشفات من الحق وقال أبو سعيد بن الأعرابي: الوجد رفع الحجاب، ومشاهدة الرقيب ، وحضور الفهم، وملاحظة الغيب ، ومحادثة السر ، وإيناس المفقود ، وهو فناؤك من حيث أنت ، وقال أيضا : الوجد أول درجات الخصوص ، وهو ميراث التصديق بالغيب ، فلما ذاقوه وسطع في قلوبهم نوره زال عنهم كل شك وريب ، وقال أيضا : الذي يحجب عن الوجد رؤية آثار النفس والتعلق بالعلائق والأسباب ، لأن النفس محجوبة بأسبابها ، فإذا انقطعت الأسباب وخلص الذكر وصحا القلب ، ورق وصفا ، ونجعت الموعظة فيه ، وحل من المناجاة في محل قريب وخوطب وسمع الخطاب بأذن واعية ، وقلب شاهد ، وسر ظاهر ، فشاهد ما كان منه خاليا فذلك هو الوجد ، لأنه قد وجد ما كان معدوما عنده ، وقال أيضا : الوجد ما يكون عند ذكر مزعج ، أو خوف مقلق ، أو توبيخ على زلة ، أو محادثة بلطيفة ، أو إشارة إلى فائدة أو شوق إلى غائب ، أو أسف على فائت ، أو ندم على ماض ، أو استجلاب إلى حال ، أو داع إلى واجب ، أو مناجاة بسر ، وهو مقابلة الظاهر بالظاهر ، والباطن بالباطن، والغيب بالغيب ، والسر بالسر ، واستخراج مالك بما عليك ، مما سبق لك السعي فيه فيكتب ذلك لك بعد كونه منك ، فيثبت لك قدم بلا قدم ، وذكر بلا ذكر ، إذ كان هو المبتدىء بالنعم والمتولى وإليه يرجع الأمر كله ، فهذا ظاهر علم الوجد ، وأقوال الصوفية من هذا الجنس في الوجد كثيرة .

وأما الحكماء فقال بعضهم : في القلب فضيلة شريفة لم تقدر قوة النطق على إخراجها باللفظ فأخرجتها النفس بالألحان ، فلما ظهرت سرت وطربت إليها فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة الظواهر ، وقال بعضهم نتائج السماع استنهاض العاجز من الرأى

واستجلاب العازب من الأفكار ، وحدة الكلّ من الأفهام والآراء حتى يثوب ماعزب وينهض ماعجز ، ويصفو ما كدر ، ويمرح فى كل رأى ونية ، فيصيب ولا يخطىء ، ويأتى ولا يبطىء ، وقال آخر . كما أن الفكر يطرق العلم إلى المعلوم ، فالسماع يطرق القلب إلى العالم الروحانى ، وقال بعضهم : وقد سئل عن سبب حركة الأطراف بالطبع على وزن الألحان والإيقاعات ، فقال : ذلك عشق عقلى ، والعاشق العقلى لايحتاج إلى أن يناغى معشوقه بالمنطق الجرمى ، بل يناغيه ويناجيه بالتبسم ، واللحظ ، والحركة اللطيفة بالحاجب والجفن والإشارة ، وهذه نواطق أجمع إلا أنها روحانية ، وأما العاشق البهيمى ، فإنه يستعمل المنطق الجرمى ليعبر به عن ثمرة ظاهر شوقه الضعيف ، وعشقه الزائف ، وقال آخر من حزن فليسمع الألحان ، فإن النفس إذا دخلها الحزن خمد نورها ، وإذا فرحت اشتعل نورها ، وظهر فرحها فيظهر الحنين بقدر قبول القابل ، وذلك بقدر صفائه ونقائه من الغش والدنس

والأقاويل المقررة فى السماع والوجد كثيرة ، ولا معنى للاستكثار من إيرادها ، فلنشتغل بتفهيم المعنى الذى الوجد عبارة عنه فنقول : إنه عبارة عن حالة يثمرها السماع ، وهو وارد حق جديد عقيب السماع يجده المستمع من نفسه ، وتلك الحالة لاتخلو عن قسمين ، فإنها إما أن ترجع إلى مكاشفات ومشاهدات ، هى من قبيل العلوم والتنبيهات ، وإما أن ترجع إلى تغيرات وأحوال ليست من العلوم ، بل هى كالشوق والخوف ، والحزن والقلق ، والسرور والأسف ، والندم والبسط والقبض ، وهذه الأحوال يهيجها السماع ويقويها ، فإن ضعف بحيث لم يؤثر فى تحريك الظاهر ، أو تسكينه ، أو تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته ، أو يطرق أو يسكن عن النظر ، والنطق والحركة على خلاف عادته لم يسم وجدا وإن ظهر على الظاهر سمى وجدا ، إما ضعيفا ، وإما قويا ، بحسب ظهوره وتغييره للظاهر وتحريكه بحسب قوة وروده ، وحفظ الظاهر عن التغيير بحسب قوة الواجد وقدرته على ضبط جوارحه ، فقد يقوى الوجد فى الباطن ، ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه ، وقد لايظهر الضعف الوارد وقصوره عن التحريك ، وحل عقد التماسك ، وإلى معنى الأول أشار أبو سعيد بن الأعرابى حيث قال فى الوجد : إنه مشاهدة الرقيب ، وحضور الفهم

وملاحظة الغيب ، ولا يبعد أن يكون السماع سببا لكشف ما لم يكن مكشوفا قبله فإن الكشف يحصل بأسباب

منها التنبيه والسماع منبه

ومنها تغير الأحوال ومشاهدتها وإدراكها ، فإن إدراكها نوع علم يفيد إيضاح أمور لم تكن معلومة قبل الورود

ومنها صفاء القلب ، والسماع يؤثر فى تصفية القلب ، والصفاء يسبب الكشف

ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السماع ، فيقوى به على مشاهدة ما كان تقصر عنه قبل ذلك قوته ، كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله ، وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة أسرار الملكوت ، كما أن عمل البعير حمل الأثقال

فبواسطة هذه الأسباب يكون سببا للكشف بل القلب إذا صفا ، ربما يمثل له الحق فى صورة مشاهدة ، أو فى لفظ منظوم يقرع سمعه ، يعبر عنه بصوت الهاتف ، إذا كان فى اليقظة ، وبالرؤيا إذا كان فى المنام ، وذلك جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة

وعلمُ تحقيق ذلك خارج عن علم المعاملة ، وذلك كما روى عن محمد بن مسروق البغدادى أنه قال : خرجت ليلة فى أيام جهالتي وأنا نشوان ، وكنت أغنى هذا البيت :

بطور سيناء كرم مامررت به ألا تعجبت ممن يشرب الماء

فسمعت قائلا يقول :

وفى جهنم ماء ما تجرعه خلق فأبقى له فى الجوف إمعاء

قال فكان ذلك سبب توبتى ، واشتغالى بالعلم والعبادة ، فانظر كيف أثر الغناء فى تصفية قلبه ، حتى تمثل له حقيقة الحق فى صفة جهنم فى لفظ مفهوم موزون وقرع ذلك سمعه الظاهر

وروى عن مسلم العبادانى أنه قال : قدم علينا مرة صالح المرى ، وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد ، ومسلم الأسوارى ، فنزلوا على الساحل قال فهيأت لهم ذات ليلة طعاما فدعوتهم إليه فجاءوا ، فلما وضعت الطعام بين أيديهم إذا بقائل يقول رافعاً صوته هذا البيت :

وتلهيك عن دار الخلود مطاعم ولذة نفس غيها غير نافع

قال : فصاح عتبة الغلام صيحة ، وخرّ مغشيا عليه، وبقى القوم فرفعت الطعام، وما ذاقوا والله منه لقمة ؛ وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب فيشاهد أيضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام ، فإنه يتمثل لأرباب القلوب بصور مختلفة ، وفى مثل هذه الحالة تتمثل الملائكة للأنبياء عليهم السلام ، إما على حقيقة صورتها ، وأما على مثال يحاكى صورتها بعض المحاكاة وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] جبريل عليه السلام مرتين فى صورته ، وأخبر عنه بأنه سد الأفق وهو المراد بقوله تعالى (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى [1]) إلى آخر هذه الآيات .

وفى مثل هذه الأحوال من الصفاء يقع الاطلاع على ضمائر القلوب ، وقد يعبر عن ذلك الاطلاع بالتفرس، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [2] «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ »

وقد حكى أن رجلا من المجوس ، كان يدور على المسلمين ويقول : ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ » فكان يذكر له تفسيره فلا يقنعه ذلك ، حتى انتهى إلى بعض المشايخ من الصوفية ، فسأله فقال له معناه : أن تقطع الزنار الذى على وسطك تحت ثوبك ، فقال صدقت هذا معناه وأسلم ، وقال الآن عرفت أنك مؤمن، وأن إيمانك حق

وكما حكي عن إبراهيم الخواص ، قال كنت ببغداد فى جماعة من الفقراء فى الجامع، فأقبل شاب طيب الرائحة حسن الوجه ، فقلت لأصحابى يقع لى أنه يهودي ، فكلهم كرهوا ذلك ، فخرجت وخرج الشاب ثم رجع إليهم ، وقال أى شيء قال الشيخ فيّ ، فاحتشموه فألح عليهم ، فقالوا له : قال إنك يهودي ، قال فجاءنى وأكب على يدي ، وقبل رأسى وأسلم وقال نجد فى كتبنا أن الصدّيق لا تخطىء فراسته ، فقلت أمتحن المسلمين فتأملتهم، فقلت إن كان فيهم صديق ففى هذه الطائفة ، لأنهم يقولون حديثه سبحانه ، ويقرؤن كلامه فلبست عليكم ، فلما اطلع على الشيخ وتفرس فيّ علمت أنه صديق، قال وصار الشاب من كبار الصوفية

---

(١) حديث رأى جبريل عليه السلام مرتين فى صورته فأخبر أنه سد الأفق: متفق عليه من حديث عائشة

(٢) حديث اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى: الترمذى من حديث أبى سعيد وقال حديث غريب

(١) النجم : ٥ ، ٦ ، ٧

وإلى مثل هذا الكشف الإشارة بقوله عليه السلام [١] « لَوْلاَ أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحُومُونَ عَلَى قُلُوبِ بَنِي آدَمَ لَنَظَرُوا إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاءِ » وإنما تحوم الشياطين على القلوب إذا كانت مشحونة بالصفات المذمومة ، فإنها مرعى الشيطان وجنده ، ومن خلّص قلبه من تلك الصفات وصفّاه ، لم يطف الشيطان حول قلبه ، وإليه الإشارة بقوله تعالى (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ [١]) وبقوله تعالى (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ [٢]) والسماع سبب لصفاء القلب ، وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء ، وعلى هذا يدل ماروي أن ذا النون المصرى رحمه الله دخل بغداد ، فاجتمع إليه قوم من الصوفية ومعهم قوال ، فاستأذنوه فى أن يقول لهم شيئا فأذن لهم فى ذلك فأنشأ يقول :

صغير هواك عذبنى فكيف به إذا احتنكا
وأنت جمعت فى قلبي هوى قد كان مشتركا
أما ترثى لمكتئب إذا أضحك الخلي بكى

فقام ذو النون وسقط على وجهه ، ثم قام رجل آخر ، فقال ذو النون الذى يراك حين تقوم ، فجلس ذلك الرجل وكان ذلك اطلاعا من ذى النون على قلبه أنه متكلف متواجد فعرّفه أن الذى يراه حين يقوم هو الخصم فى قيامه لغير الله تعالى ، ولو كان الرجل صادقا لما جلس فإذا قد رجع حاصل الوجد إلى مكاشفات وإلى حالات

واعلم أن كل واحد منهما ينقسم إلى ما يمكن التعبير عنه عند الإفاقة منه ، وإلى ما لا تمكن العبارة عنه أصلا ، ولعلك تستبعد حالة أو علما لا تعلم حقيقته ، ولا يمكن التعبير عن حقيقته ، فلا تستبعد ذلك ، فإنك تجد فى أحوالك القريبة لذلك شواهد

أما العلم : فكم من فقيه تعرض عليه مسألتان متشابهتان فى الصورة ، ويدرك الفقيه بذوقه أن بينهما فرقا فى الحكم ، وإذا كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان على التعبير وإن كان من أفصح الناس فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه ، وإدراكه الفرق

---

(١) حديث لولا ان الشياطين يحومون على بنى آدم لنظروا إلي ملكوت السماء : تقدم فى الصوم

---

(١) الحجر : ٤٠ ، ٤٢

علم يصادفه فى قلبه بالذوق ، ولا يشك فى أن لوقوعه فى قلبه سببا ، وله عند الله تعالى حقيقة ، ولا يمكنه الإخبار عنه لالقصور فى لسانه ، بل لدقة المعنى فى نفسه عن أن تناله العبارة ، وهذا مما قد تفطن له المواظبون على النظر فى المشكلات

وأما الحال : فكم من إنسان يدرك فى قلبه فى الوقت الذى يصبح فيه قبضاً أو بسطاً ولا يعلم سببه ، وقد يتفكر إنسان فى شىء فيؤثر فى نفسه أثرا فينسى ذلك السبب ، ويبقى الأثر فى نفسه وهو يحس به ، وقد تكون الحالة التى يحسها سرورا ثبت فى نفسه، بتفكره فى سبب موجب للسرور ، أو حزنا فينسى المتفكر فيه ، ويحس بالأثر عقيبه ، وقد تكون تلك الحالة حالة غريبة لايعرب عنها لفظ السرور والحزن ؛ ولا يصادف لها عبارة مطابقة مفصحة عن المقصود ، بل ذوق الشعر الموزون، والفرق بينه وبين غير الموزون يختص به بعض الناس دون بعض ، وهى حالة يدركها صاحب الذوق ، بحيث لايشك فيها ، أعنى التفرقة بين الموزون والمنزحف ، فلا يمكنه التعبير عنها بما يتضح مقصوده به لمن لاذوق له ، وفى النفس أحوال غريبة هذا وصفها ، بل المعانى المشهورة من الخوف والحزن والسرور ، إنما تحصل فى السماع عن غناء مفهوم ، وأما الأوتار وسائر النغمات التى ليست مفهومة ، فإنها تؤثر فى النفس تأثيرا عجيبا ، ولا يمكن التعبير عن عجائب تلك الآثار، وقد يعبر عنها بالشوق ولكن شوقٌ لايعرف صاحبه المشتاقَ إليه فهو عجيب ، والذى اضطرب قلبه بسماع الأوتار أو الشاهين وما أشبهه ، ليس يدرى إلى ماذا يشتاق ويجد فى نفسه حالة كأنها تتقاضى أمرا ليس يدرى ما هو ، حتى يقع ذلك للعوام ، ومن لا يغلب على قلبه لا حب آدمي ولا حب الله تعالى ، وهذا له سر ، وهو أن كل شوق فله ركنان

أحدهما : صفة المشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق إليه

والثانى : معرفة المشتاق إليه، ومعرفة صورة الوصول إليه ، فإن وجدت الصفة التى بها الشوق ، ووجد العلم بصورة المشتاق إليه ، كان الأمر ظاهرا، وإن لم يوجد العلم بالمشتاق ووجدت الصفة المشوقة وحركت قلبك الصفة واشتعلت نارها ، أورث ذلك دهشة وحيرة لامحالة، ولو نشأ آدمي وحده بحيث لم ير صورة النساء ، ولا عرف صورة الوقاع، ثم راهق الحلم

وغلبت عليه الشهوة ، لكان يحس من نفسه بنار الشهوة ، ولكن لا يدرى أنه يشتاق إلى الوقاع ، لأنه ليس يدرى صورة الوقاع ، ولا يعرف صورة النساء ، فكذلك فى نفس الآدمى مناسبة مع العالم الأعلى ، واللذات التى وُعد بها فى سدرة المنتهى ، والفراديس العلا إلا أنه لم يتخيل من هذه الأمور إلا الصفات والأسماء ، كالذى سمع لفظ الوقاع واسم النساء ولم يشاهد صورة امرأة قط ، ولا صورة رجل ، ولا صورة نفسه فى المرآة ليعرف بالمقايسة فالسماع يحرك منه الشوق . والجهل المفرط ، والاشتغال بالدنيا قد أنساه نفسه، وأنساه ربه وأنساه مستقره الذى إليه حنينه واشتياقه بالطبع ، فيتقاضاه قلبه أمرا ليس يدرى ماهو فيدهش ويتحير ويضطرب ، ويكون كالمختنق الذى لا يعرف طريق الخلاص

فهذا وأمثاله من الأحوال التى لا يدرك تمام حقائقها . ولا يمكن المتصف بها أن يعبر عنها ، فقد ظهر انقسام الوجد إلى مايمكن إظهاره ، وإلى مالا يمكن إظهاره

واعلم أيضا أن الوجد ينقسم إلى هاجم ، وإلى متكلف ويسمى التواجد ، وهذا التواجد المتكلف ، فمنه مذموم ، وهو الذى يقصد به الرياء ، وإظهار الأحوال الشريفة مع الإفلاس منها ، ومنه ما هو محمود ، وهو التوصل إلى استدعاء الأحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها بالحيلة ، فإن للكسب مدخلا فى جلب الأحوال الشريفة

ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] من لم يحضره البكاء فى قراءة القرءان أن يتباكى ويتحازن ، فإن هذه الأحوال قد تتكلف مباديها ، ثم تتحقق أواخرها ، وكيف لا يكون التكلف سببا فى أن يصير المتكلف فى الآخرة طبعا ، وكل من يتعلم القرءان أولا يحفظه تكلفا ، ويقرؤه تكلفا مع تمام التأمل ، وإحضار الذهن ، ثم يصير ذلك ديدنا للسان مطرداً ، حتى يجرى به لسانه فى الصلاة وغيرها وهو غافل ، فيقرأ تمام السورة وتثوب نفسه إليه بعد انتهائه إلى آخرها ، ويعلم أنه قرأها فى حال غفلته ، وكذلك الكاتب يكتب فى الابتداء بجهد شديد ، ثم تتمرن على الكتابة يده ، فيصير الكتب له طبعا ، فيكتب أوراقا كثيرة ، وهو مستغرق القلب بفكر آخر ، فجميع ما تحتمله النفس والجوارح

---

(١) حديث البكاء عند قراءة القرءان فان لم تبكوا فتباكوا : تقدم فى تلاوة القرءان فى الباب الثانى .

من الصفات ، لا سبيل إلى اكتسابه إلا بالتكلف والتصنع أولا ، ثم يصير بالعادة طبعا وهو المراد بقول بعضهم . العادة طبيعة خامسة ، فكذلك الأحوال الشريفة لاينبغى أن يقع اليأس منها عند فقدها ، بل ينبغى أن يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره ، فلقد شوهد فى العادات من اشتهى أن يعشق شخصا ولم يكن يعشقه ، فلم يزل يردد ذكره على نفسه ويديم النظر إليه ، ويقرر على نفسه الأوصاف المحبوبة ، والأخلاق المحمودة فيه حتى عشقه ورسخ ذلك فى قلبه رسوخا خرج عن حد اختياره فاشتهى بعد ذلك الخلاص منه فلم يتخلص ، فكذلك حب الله تعالى والشوق إلى لقائه ، والخوف من سخطه ، وغير ذلك من الأحوال الشريفة ، إذا فقدها الإنسان فينبغى أن يتكلف اجتلابها بمجالسة الموصوفين بها ومشاهدة أحوالهم ، وتحسين صفاتهم فى النفس ، وبالجلوس معهم فى السماع ، وبالدعاء والتضرع إلى الله تعالى ، فى أن يرزقه تلك الحالة بأن ييسر له أسبابها ، ومن أسبابها السماع ، ومجالسة الصالحين ، والخائفين ، والمحسنين ، والمشتاقين ، والخاشعين ، فمن جالس شخصا سرت إليه صفاته من حيث لايدرى ، ويدل على إمكان تحصيل الحب وغيره من الأحوال بالأسباب ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] فى دعائه « اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ أَحَبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ » فقد فزع عليه السلام إلى الدعاء فى طلب الحب

فهذا بيان انقسام الوجد إلى مكاشفات ، وإلى أحوال ، وانقسامه إلى ما يمكن الإفصاح عنه ، وإلى ما لا يمكن ، وانقسامه إلى المتكلف ، وإلى المطبوع

فإن قلت : فما بال هؤلاء لا يظهر وجدهم عند سماع القرءان ، وهو كلام الله ، ويظهر عند الغناء ، وهو كلام الشعراء ، فلو كان ذلك حقا من لطف الله تعالى ، ولم يكن باطلا من غرور الشيطان ، لكان القرءان أولى به من الغناء

فنقول : الوجد الحق هو ما ينشأ من فرط حب الله تعالى : وصدق إرادته ، والشوق إلى لقائه وذلك يهيج بسماع القرءان أيضا وإنما الذى لايهيج بسماع القرءان حب الخلق وعشق المخلوق

---

(١) حديث اللهم ارزقنى حبك وحب من أحبك ـ الحديث : تقدم فى الدعوات

ويدل على ذلك قوله تعالى (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ [١]) وقوله تعالى (مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ [٢]) وكل مايوجد عقيب السماع بسبب السماع فى النفس فهو وجد ، فالطمأنينة والاقشعرار والخشية ولين القلب ، كل ذلك وجد ، وقد قال الله تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ [٣]) وقال تعالى : (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ [٤]) فالوجل والخشوع وجد من قبيل الأحوال ، وإن لم يكن من قبيل المكاشفات ، ولكن قد يصير سببا للمكاشفات والتنبيهات ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم [٢] « زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ » وقال لأبى موسى الأشعرى [٣] « لَقَدْ أُوتِيَ مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ »

وأما الحكايات الدالة على أن أرباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القرءان فكثيرة فقوله صلى الله عليه وسلم [٤] « شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا » خبر عن الوجد ، فإن الشيب يحصل من الحزن والخوف ، وذلك وجد ، وروى أن ابن مسعود رضي الله عنه ، قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم [٥] سورة النساء فلما انتهى إلى قوله تعالى (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً [٥]) قال : « حَسْبُكَ » وكانت عيناه تذرفان بالدموع وفى رواية أنه عليه السلام قرأ هذه الآية ، أو قرىء عنده [٦] (إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً وَجَحِيماً وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً [٦]) فصعق ، وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم [٧] قرأ (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ [٧]) فبكى

(٢) حديث زينوا القرآن بأصواتكم : تقدم فى تلاوة القرءان

(٣) حديث لقد أوتى مزمارا من مزامير آل داود : قاله لأبى موسى تقدم فيه

(٤) حديث شيبتنى هود وأخواتها : الترمذى من حديث أبى جحيفة وله وللحاكم من حديث ابن عباس نحوه قال الترمذى حسن وقال الحاكم صحيح على شرط البخارى

(٥) حديث ان ابن مسعود قرأ عليه فلما انتهى إلى قوله (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) قال حسبك ـ الحديث : متفق عليه من حديثه

(٦) حديث أنه قرىء عنده (إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما) فصعق : ابن عدى فى الكامل والبيهقى فى الشعب من طريقه من حديث أبى حرب بن أبى الاسود مرسلا

(٧) حديث انه قرأ (إن تعذبهم فانهم عبادك) فبكي : مسلم من حديث عبد الله بن عمرو

---

(١) الرعد : ٨٢ (٢) الزمر : ٢٣ (٣) الأنفال : ٢ (٤) الحشر : ٢١ (٥) النساء : ٤١ (٦) المزمل : ١٢، ١٣

(٧) المائدة : ١١٨

وكان عليه السلام [١] إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر، والاستبشار وجد، وقد أثنى الله تعالى على أهل الوجد بالقرءان، فقال تعالى (وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ [١]) وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] كان يصلى ولصدره أزيز كأزيز المرجل

وأما ما نقل من الوجد بالقرءان عن الصحابه رضي الله عنهم، والتابعين فكثير، فمنهم من صعق، ومنهم من بكى، ومنهم من غشى عليه، ومنهم من مات فى غشيته، وروى أن زرارة بن أبى أوفى، وكان من التابعين، كان يؤم الناس بالرقة، فقرأ (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ [٢]) فصعق ومات فى محرابه رحمه الله

وسمع عمر رضي الله عنه رجلا يقرأ (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ [٣]) فصاح صيحة وخر مغشيا عليه، فحمل إلى بيته فلم يزل مريضا فى بيته شهرا، وأبو جرير من التابعين قرأ عليه صالح المرى، فشهق ومات. وسمع الشافعي رحمه الله قارئا يقرأ (هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ [٤]) فغشى عليه، وسمع على بن الفضيل قارئا يقرأ (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ [٥]) فسقط مغشيا عليه، فقال الفضيل: شكر الله لك، ما قد علمه منك وكذلك نقل عن جماعة منهم وكذلك الصوفية، فقد كان الشبلى فى مسجده ليلة من رمضان وهو يصلى خلف إمام له فقرأ الإمام (وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ [٦]) فزعق الشبلى زعقة ظن الناس أنه قد طارت روحه، واحمر وجهه، وارتعدت فرائصه، وكان يقوم بمثل هذا يخاطب الأحباب يردد ذلك مرارا. وقال الجنيد: دخلت على سري السقطى، فرأيت بين يديه رجلا قد غشى عليه، فقال لى هذا رجل قد سمع آية من القرءان فغشى عليه فقلت اقرؤا عليه تلك الآية بعينها، فقرئت فأفاق، فقال: من أين قلت هذا؟ فقلت: رأيت يعقوب عليه السلام كان عماه من أجل مخلوق، فبمخلوق أبصر، ولو كان عماه من أجل الحق ما أبصر بمخلوق، فاستحسن ذلك ويشير إلى ما قاله الجنيد قول الشاعر:

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

---

(١) حديث كان إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر: تقام فى تلاوة القرءان دون قوله واستبشر

(٢) حديث انه كان يصلى ولصدره أزيز كأزيز المرجل: أبو داود والنسائى والترمذى فى الشمائل من حديث عبدالله بن الشخير وقد تقدم

---

[١] المائدة: ٨٣ [٢] المدثر: ٨ [٣] الطور: ٧ [٤] المرسلات: ٣٥، ٣٦ [٥] التطفيف: ٦ [٦] الاسراء: ٨٦

وقال بعض الصوفية : كنت أقرأ ليلة هذه الآية (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ [١]) فجعلت أرددها ، فإذا هاتف يهتف بى ، كم تردد هذه الآية ، فقد قتلت أربعة من الجن مارفعوا رءوسهم إلى السماء منذ خلقوا

وقال أبو على المغازلى للشبلى ، ربما تطرق سمعى آية من كتاب الله تعالى ، فتجذبنى إلى الإعراض عن الدنيا ، ثم أرجع إلى أحوالى ، وإلى الناس فلا أبقى على ذلك ، فقال ماطرق سمعك من القرءان فاجتذبك به إليه ، فذلك عطف منه عليك ، ولطف منه بك ، وإذاردك إلى نفسك ، فهو شفقة منه عليك ، فإنه لايصلح لك إلا التبرى من الحول والقوة فى التوجه إليه

وسمع رجل من أهل التصوف قارئا يقرأ (يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً [٢]) فاستعادها من القارىء ، وقال كم أقول لها ارجعى ، وليست ترجع وتواجد ، وزعق زعقة فخرجت روحه وسمع بكر بن معاذ قارئا يقرأ (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ [٣]) الآية فاضطرب ، ثم صاح ارحم من أنذرته ، ولم يقبل إليك بعد الإنذار بطاعتك ثم غشي عليه ، وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله ، إذا سمع أحدا يقرأ (إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ [٤]) اضطربت أوصاله حتى كان يرتعد ، وعن محمد بن صبيح ، قال كان رجل يغتسل فى الفرات فمر به رجل على الشاطىء يقرأ (وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ [٥]) فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات

وذكر أن سلمان الفارسى أبصر شابا يقرأ ، فأتى على آية فاقشعر جلده ، فأحبه سلمان وفقده فسأل عنه ، فقيل له إنه مريض ، فأتاه يعوده ، فإذا هو فى الموت ، فقال ياعبد الله أرأيت تلك القشعريرة التى كانت بى ، فإنها أتتنى فى أحسن صورة ، فأخبرتنى أن الله قد غفر لى بها كل ذنب

وبالجملة لايخلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرءان ، فإن كان القرءان لايؤثر فيه أصلا ، فمثله كمثل الذى ينعق بما لايسمع إلا دعاء ونداء ، صم بكم عمي فهم لايعقلون ، بل صاحب القلب تؤثر فيه الكلمة من الحكمة يسمعها ، قال جعفر الخلدى : دخل رجل من أهل خراسان على الجنيد وعنده جماعة ، فقال للجنيد متى يستوى عند العبد حامده وذامه فقال بعض الشيوخ : إذا دخل البيمارستان وقيد بقيدين ، فقال الجنيد : ليس هذا من شأنك ثم أقبل على الرجل ، وقال إذا تحقق أنه مخلوق فشهق الرجل شهقة ومات

---

(١) آل عمران : ١٨٥ (٢) الفجر : ٢٧ ، ٢٨ (٣) غافر : ١٨ (٤) الانشقاق : ١ (٥) يس : ٥٩

فإن قلت : فإن كان سماع القرءان مفيداً للوجد ، فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء من القوالين دون القارئين ، فكان ينبغى أن يكون اجتماعهم وتواجدهم فى حلق القراء لا حلق المغنين ، وكان ينبغى أن يطلب عند كل اجتماع فى كل دعوة قارىء لا قوّال ، فإن كلام الله تعالى أفضل من الغناء لا محالة .

فاعلم أن الغناء أشد تهييجا للوجد من القرءان من سبعة أوجه

الوجه الأول : أن جميع آيات القرءان لا تناسب حال المستمع ولا تصلح لفهمه وتنزيله على ما هو ملابس له ، فمن استولى عليه حزن أو شوق أو ندم ، فمن أين يناسب حاله قوله تعالى : (يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ [1]) وقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ [2]) وكذلك جميع الآيات التى فيها بيان أحكام الميراث ، والطلاق والحدود ، وغيرها ، وإنما المحرك لما فى القلب ما يناسبه ، والأبيات إنما يضعها الشعراء إعرابا بها عن أحوال القلب ، فلا يحتاج فى فهم الحال منها إلى تكلف ، نعم من يستولى عليه حالة غالبة قاهرة لم تبق فيه متسعا لغيرها ، ومعه تيقظ وذكاء ثاقب يتفطن به للمعانى البعيدة من الألفاظ ، فقد يخرج وجده على كل مسموع ، كمن يخطر له عند ذكر قوله تعالى (يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ) حالة الموت المحوج إلى الوصية ، وأن كل إنسان لا بد أن يخلف ماله وولده ، وهما محبوباه من الدنيا فيترك أحد المحبوبين للثانى ويهجرهما جميعا ، فيغلب عليه الخوف والجزع ، أو يسمع ذكر الله فى قوله (يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ) فيدهش بمجرد الاسم عما قبله وبعده ، أو يخطر له رحمة الله على عباده وشفقته ، بأن تولى قسم مواريثهم بنفسه نظرا لهم فى حياتهم وموتهم ، فيقول : إذا نظر لأولادنا بعد موتنا فلا نشك بأنه ينظر لنا ، فيهيج منه حال الرجاء ويورثه ذلك ، استبشاراً وسروراً ، أو يخطر له من قوله تعالى : (لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ) تفضيل الذكر بكونه رجلا على الأنثى ، وأن الفضل فى الآخرة لرجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وأن من ألهاه غير الله تعالى عن الله تعالى فهو من الإناث لا من الرجال تحقيقا ، فيخشى أن يحجب أو يؤخر فى نعيم الآخرة كما أخرت الأنثى فى أموال الدنيا ، فأمثال هذا قد يحرك الوجد ولكن لمن فيه وصفان :

(١) النساء : ١١ (٢) النور : ٤

أحدهما : حالة غالبة مستغرقة قاهرة ، والآخر : تفطن بليغ وتيقظ بالغ كامل ، للتنبيه بالأمور القريبة على المعانى البعيدة ، وذلك مما يعز فلأجل ذلك يفزع إلى الغناء الذى هو ألفاظ مناسبة للأحوال ، حتى يتسارع هيجانها ، وروى أن أبا الحسين النورى كان مع جماعة فى دعوى فجرى بينهم مسألة فى العلم ، وأبو الحسين ساكت ثم رفع رأسه ، وأنشدهم :

رب ورقاء هتوف فى الضحى ذات شجو صدحت فى فنن
ذكرت إلفاً ودهراً صالحا وبكت حزنا فهاجت حزنى
فبكائى ربما أرّقها وبكاها ربما أرقنى
ولقد أشكو فما أفهمها ولقد تشكو فما تفهمنى
غير أنى بالجوى أعرفها وهي أيضا بالجوى تعرفنى

قال فما بقى أحد من القوم إلا قام وتواجد ، ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذى خاضوا فيه ، وإن كان العلم جدّا وحقا

الوجه الثانى : أن القرءان محفوظ للأكثرين ، ومتكرر على الأسماع والقلوب ، وكلما سمع أولا عظم أثره فى القلوب وفى الكرة الثانية يضعف أثره ، وفى الثالثة يكاد يسقط أثره ، ولو كلف صاحب الوجد الغالب أن يحضر وجده على بيت واحد على الدوام ، فى مرات متقاربة فى الزمان ، فى يوم أو أسبوع لم يمكنه ذلك ، ولو أبدل ببيت آخر لتجدد له أثر فى قلبه ، وإن كان معربا عن عين ذلك المعنى ، ولكن كون النظم واللفظ غريبا بالإضافة إلى الأول يحرك النفس ، وإن كان المعنى واحداً وليس يقدر القارىء على أن يقرأ قرءانا غريبا فى كل وقت ، ودعوة ، فإن القرءان محصور لا يمكن الزيادة عليه ، وكله محفوظ متكرر

وإلى ماذكرناه أشار الصديق رضي الله عنه ، حيث رأى الأعراب يقدمون فيسمعون القرءان ويبكون ، فقال : كنا كما كنتم ، ولكن قست قلوبنا ، ولا تظنن أن قلب الصدّيق رضي الله عنه كان أقسى من قلوب الأجلاف من العرب ، وأنه كان أخلى عن حب الله تعالى وحب كلامه من قلوبهم ، ولكن التكرار على قلبه اقتضى المرون عليه ، وقلة التأثر به ، لما حصل له من الأنس بكثرة استماعه ، إذ محال فى العادات أن يسمع السامع آية لم يسمعها قبل فيبكى ، ثم يدوم على بكائه عليها عشرين سنة ثم يرددها ويبكى ولا يفارق الأول الآخر

إلا فى كونه غريبا جديدا ، ولكل جديد لذة ، ولكل طارىء صدمة ، ومع كل مألوف أنس يناقض الصدمة ، ولذا همّ عمر رضي الله عنه أن يمنع الناس من كثرة الطواف ، وقال قد خشيت أن يتهاون الناس بهذا البيت ، أى يأنسوا به ، ومن قدم حاجا فرأى البيت أوّلا بكى وزعق وزعاغشى عليه إذ وقع عليه بصره وقد يقيم بمكة شهرا ، ولا يحس من ذلك فى نفسه بأثر ، فإذاً المغنى يقدر على الأبيات الغريبة فى كل وقت ، ولا يقدر فى كل وقت على آية غريبة

الوجه الثالث : أن لوزن الكلام بذوق الشعر تأثيرا فى النفس ، فليس الصوت الموزون الطيب كالصوت الطيب الذى ليس بموزون ، وإنما يوجد الوزن فى الشعر دون الآيات ولو زحف المغنى البيت الذى ينشده ، أو لحن فيه ، أو مال عن حد تلك الطريقة فى اللحن لاضطرب قلب المستمع ، وبطل وجده وسماعه ، ونفر طبعه لعدم المناسبة ، وإذا نفر الطبع اضطرب القلب وتشوش ، فالوزن إذاً مؤثر ، فلذلك طاب الشعر

الوجه الرابع : أن الشعر الموزون يختلف تأثيره فى النفس بالألحان التى تسمى الطرق والدستانات . وإنما اختلاف تلك الطرق بمد المقصور وقصر الممدود ، والوقف فى أثناء الكلمات ، والقطع والوصل فى بعضها ، وهذا التصرف جائز فى الشعر ، ولا يجوز فى القرءان إلا التلاوة كما أنزل ، فقصره ومده والوقف والوصل والقطع فيه على خلاف ما تقتضيه التلاوة حرام أو مكروه ، وإذا رتل القرءان كما أنزل سقط عنه الأثر الذى سببه وزن الألحان وهو سبب مستقل بالتأثير ، وإن لم يكن مفهوما كما فى الأوتار والمزمار والشاهين وسائر الأصوات التى لا تفهم

الوجه الخامس : أن الألحان الموزونة تعضد وتؤكد بإيقاعات وأصوات أخر موزونة خارج الحلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره ، لأن الوجد الضعيف لا يستثار إلا بسبب قوي ، وإنما يقوى بمجموع هذه الأسباب ولكل واحد منها حظ فى التأثير ، وواجب أن يصان القرءان عن مثل هذه القرائن ، لأن صورتها عند عامة الخلق صورة اللهو واللعب والقرءانُ جد كله عند كافة الخلق ، فلا يجوز أن يُمزج بالحق المحض ما هو لهو عند العامة وصورته صورة اللهو عند الخاصة ، وإن كانوا لا ينظرون إليها من حيث إنها لهو ، بل ينبغى أن يوقر القرءان فلا يقرأ على شوارع الطرق ، بل فى مجلس ساكن ، ولا فى حال الجنابة ولا على غير طهارة ، ولا يقدر على الوفاء بحق حرمة القرءان فى كل حال ، إلا المراقبون لأحوالهم

فيعدل إلى الغناء الذى لا يستحق هذه المراقبة والمراعاة ، ولذلك لا يجوز الضرب بالدف مع قراءة القرءان ليلة العرس ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] بضرب الدف فى العرس ، فقال « أَظْهِرُوا النِّكَاحَ وَلَوْ بِضَرْبِ الْغِرْبَالِ » أو بلفظ هذا معناه وذلك جائز مع الشعر دون القرءان ، ولذلك لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] بيت الربيع بنت معوذ ، وعندها جوار يغنين ، فسمع إحداهن تقول : وفينا نبي يعلم ما فى غد ، على وجه الغناء ، فقال صلى الله عليه وسلم « دَعِي هَذَا وَقُولِي مَا كُنْتِ تَقُولِينَ » وهذه شهادة بالنبوة ، فزجرها عنها وردها إلى الغناء الذى هو لهو ، لأن هذا جد محض ، فلا يقرن بصورة اللهو ، فإذا يتعذر بسببه تقوية الأسباب التى بها يصير السماع محركا للقلب فواجب فى الاحترام العدول إلى الغناء عن القرءان ، كما وجب على تلك الجارية العدول عن شهادة النبوة إلى الغناء

الوجه السادس : أن المغنى قد يغنى ببيت لا يوافق حال السامع فيكرهه ، وينهاه عنه ويستدعى غيره ، فليس كل كلام موافقا لكل حال ، فلو اجتمعوا فى الدعوات على القارىء فربما يقرأ آية لا توافق حالهم ، إذ القرءان شفاء للناس كلهم على اختلاف الأحوال ، فآيات الرحمة شفاء الخائف ، وآيات العذاب شفاء المغرور الآمن ، وتفصيل ذلك مما يطول ، فإذا لا يؤمن أن لا يوافق المقروء الحال ، وتكرهه النفس ، فيتعرض به لخطر كراهة كلام الله تعالى من حيث لا يجد سبيلا إلى دفعه ، فالاحتراز عن خطر ذلك حزم بالغ وحتم واجب إذ لا يجد الخلاص عنه إلا بتنزيله على وفق حاله ، ولا يجوز تنزيل كلام الله تعالى إلا على ما أراد الله تعالى ، وأما قول الشاعر فيجوز تنزيله على غير مراده ، ففيه خطر الكراهة . أو خطر التأويل الخطأ ، لموافقة الحال فيجب توقير كلام الله وصيانته عن ذلك ، هذا ما ينقدح لى فى علل انصراف الشيوخ إلى سماع الغناء عن سماع القرءان

وههنا وجه سابع ذكره أبو نصر السراج الطوسى فى الاعتذار عن ذلك ، فقال : القرءان كلام الله وصفة من صفاته ، وهو حق لا تطيقه البشرية ، لأنه غير مخلوق . فلا تطيقه الصفات المخلوقة ، ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيبته لتصدعت ودهشت وتحيرت ، والألحان

---

(١) حديث الأمر بضرب الدف فى العرس : تقدم فى النكاح

(٢) حديث دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الربيع بنت معوذ وعندها جواريتين ـ الحديث البخارى من حديثها وقد تقدم فى النكاح

الطيبة مناسبة للطباع ، ونسبتها نسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق ، والشعر نسبته نسبة الحظوظ فإذا علقت الألحان والأصوات بما فى الأبيات من الإشارات واللطائف شاكل بعضها بعضا ، كان أقرب إلى الحظوظ وأخف على القلوب ، لمشاكلة المخلوق المخلوق ، فما دامت البشرية باقية ، ونحن بصفاتنا وحظوظنا نتنعم بالنغمات الشجية ، والأصوات الطيبة ، فانبساطنا لمشاهدة بقاء هذه الحظوظ إلى القصائد أولى من انبساطنا إلى كلام الله تعالى ، الذى هو صفته وكلامه ، الذى منه بدأ وإليه يعود ، هذا حاصل المقصود من كلامه واعتذاره

وقد حكي عن أبى الحسن الدرّاج أنه قال : قصدت يوسف بن الحسين الرازى من بغداد للزيارة والسلام عليه ، فلما دخلت الريّ كنت أسأل عنه ، فكل من سألته عنه قال أيش تعمل بذلك الزنديق ؟ فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف ، ثم قلت فى نفسى قد جبت هذا الطريق كله فلا أقل من أن أراه ، فلم أزل أسأل عنه حتى دخلت عليه فى مسجد وهو قاعد فى المحراب ، وبين يديه رجل وبيده مصحف وهو يقرأ ، فإذا هو شيخ بهىّ ، حسن الوجه واللحية ، فسلمت عليه ، فأقبل علىّ وقال : من أين أقبلت ؟ فقلت : من بغداد فقال : وما الذى جاء بك ؟ فقلت : قصدتك للسلام عليك ، فقال : لو أن فى بعض هذه البلدان قال لك إنسان أقم عندنا حتى نشترى لك دارا أو جارية أكان يقعدك ذلك عن المجىء ؟ فقلت : ما امتحننى الله بشىء من ذلك ، ولو امتحننى ما كنت أدرى كيف أكون ، ثم قال لى أتحسن أن تقول شيئا ؟ فقلت نعم . فقال : هات فانشأت أقول

رأيتك تبنى دائما فى قطيعتى ... ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبنى
كأنى بكم والليت أفضل قولكم ... ألا ليتنا كنا إذ الليت لا يغنى

قال : فأطبق المصحف ، ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته وابتل ثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه ، ثم قال يابنىّ تلوم أهل الريّ يقولون : يوسف زنديق ، هذا أنا من صلاة الغداة أقرأ فى المصحف لم تقطر من عينى قطرة ، وقد قامت القيامة علىّ لهذين البيتين ، فإذا القلوب وإن كانت محترقة فى حب الله تعالى ، فإن البيت الغريب يهيج منها ما لا تهيج تلاوة القرءان وذلك لوزن الشعر ومشاكلته للطباع ، ولكونه مشاكلا للطبع اقتدر البشر على نظم الشعر ، وأما القرءان فنظمه خارج عن أساليب الكلام ومناهجه ، وهو لذلك معجز لا يدخل فى قوة البشر ، لعدم مشاكلته لطبعه

وروي أن إسرافيل أستاذ ذى النون المصرى ، دخل عليه رجل فرآه وهو ينكت فى الأرض بأصبعه ويترنم ببيت ، فقال : هل تحسن أن تترنم بشىء ؟ فقال: لا، قال: فأنت بلا قلب ، إشارة إلى أن من له قلب ، وعرف طباعه ، علم أنه تحركه الأبيات والنغمات تحريكا لا يصادف فى غيرها ، فيتكلف طريق التحريك إما بصوت نفسه أو بغيره.

وقد ذكرنا حكم المقام الأول فى فهم المسموع وتنزيله ، وحكم المقام الثانى فى الوجد الذى يصادف فى القلب ، فلنذكر الآن أثر الوجد أعنى ما يترشح منه إلى الظاهر من صعقة وبكاء ، وحركة ، وتمزيق ثوب وغيره فنقول :

المقام الثالث من السماع

نذكر فيه آداب السماع ظاهرا وباطنا، وما يحمد من آثار الوجد وما يذم، فأما الآداب فهى خمس جمل

الأول : مراعاة الزمان والمكان والإخوان ، قال الجنيد السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء وإلا فلا تسمع ، الزمان ، والمكان، والإخوان، ومعناه أن الاشتغال به فى وقت حضور طعام أو خصام ، أو صلاة، أو صارف من الصوارف مع اضطراب القلب لا فائدة فيه ، فهذا معنى مراعاة الزمان ، فيراعى حالة فراغ القلب له ، وأما المكان : فقد يكون شارعا مطروقا ، أو موضعا كريه الصورة ، أو فيه سبب يشغل القلب فيجتنب ذلك ، وأما الإخوان: فسببه أنه إذا حضر غير الجنس من منكر السماع متزهد الظاهر مفلس من لطائف القلوب كان مستثقلا فى المجلس واشتغل القلب به ، وكذلك إذا حضر متكبر من أهل الدنيا يحتاج إلى مراقبته وإلى مراعاته أو متكلف متواجد من أهل التصوّف يرائى بالوجد والرقص وتمزيق الثياب ، فكل ذلك مشوّشات ، فترك السماع عند فقد هذه الشروط أولى ، ففى هذه الشروط نظر للمستمع

الأدب الثانى: هو نظر الحاضرين أن الشيخ إذا كان حوله مريدون يضرهم السماع فلا ينبغى أن يسمع فى حضورهم ، فإن سمع فليشغلهم بشغل آخر، والمريد الذى يستضر بالسماع أحد ثلاثة أقلهم درجة هو الذى لم يدرك من الطريق إلا الأعمال الظاهرة، ولم يكن له ذوق السماع فاشتغاله بالسماع اشتغال بما لا يعنيه ، فإنه ليس من أهل اللهو فيلهو ، ولا من أهل الذوق فيتنعم بذوق السماع ، فليشتغل بذكر أو خدمة ، وإلا فهو تضييع لزمانه

الثانى : هو الذى له ذوق السماع ، ولكن فيه بقية من الحظوظ والالتفات إلى الشهوات والصفات البشرية ، ولم ينكسر بعدُ انكسارا تؤمن غوائله ، فربما يهيج السماع منه داعية اللهو والشهوة ، فيقطع عليه طريقه ، ويصده عن الاستكمال

الثالث : أن يكون قد انكسرت شهوته ، وأمنت غائلته، وانفتحت بصيرته، واستولى على قلبه حب الله تعالى ، ولكنه لم يحكم ظاهر العلم ، ولم يعرف أسماء الله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل ، فإذا فتح له باب السماع نزّل المسموع فى حق الله تعالى على مايجوز وما لايجوز ، فيكون ضرره من تلك الخواطر التى هى كفر أعظم من نفع السماع

قال سهل رحمه الله : كل وجد لايشهد له الكتاب والسنة فهو باطل، فلايصلح السماع لمثل هذا ، ولا لمن قلبه بعد ملوث بحب الدنيا ، وحب المحمدة والثناء ، ولا لمن يسمع لأجل التلذذ والاستطابة بالطبع ، فيصير ذلك عادة له ، ويشغله ذلك عن عباداته، ومراعاة قلبه، وينقطع عليه طريقه ، فالسماع مزلة قدم يجب حفظ الضعفاء عنه

قال الجنيد : رأيت إبليس فى النوم ، فقلت له هل تظفر من أصحابنا بشىء ؟ قال : نعم فى وقتين ، وقت السماع ، ووقت النظر ، فإنى أدخل عليهم به ، فقال بعض الشيوخ لو رأيته أنا لقلت له ما أحمقك، من سمع منه إذا سمع، ونظر إليه إذا نظر ، كيف تظفر به؟ فقال الجنيد: صدقت

الأدب الثالث : أن يكون مصغيا إلى مايقول القائل ، حاضر القلب ، قليل الالتفات إلى الجوانب ، متحرزا عن النظر إلى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من أحوال الوجد مشتغلا بنفسه ومراعاة قلبه ، ومراقبة ما يفتح الله تعالى له من رحمته فى سره ، متحفظا عن حركة تشوش على أصحابه قلوبهم ، بل يكون ساكن الظاهر هادىء الأطراف ، متحفظا عن التنحنح والتثاؤب ، ويجلس مطرقا رأسه ، كجلوسه فى فكر مستغرق لقلبه ، متماسكا عن التصفيق والرقص ، وسائر الحركات على وجه التصنع والتكلف والمراآة ، ساكتا عن النطق فى أثناء القول بكل ما عنه بد ، فإن غلبه الوجد وحركه بغير اختيار فهو فيه معذور غير ملوم ، ومهما رجع إليه الاختيار فليعد إلى هدوئه وسكونه ، ولا ينبغى أن يستديمه حياء من أن يقال انقطع وجده على القرب ، ولا أن يتواجد خوفا من أن يقال هو قاسى القلب عديم الصفاء والرقة .

حكي أن شابا كان يصحب الجنيد، فكان إذا سمع شيئاً من الذكر يزعق، فقال له الجنيد يوما إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبني، فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر من كل شعرة منه قطرة ماء ولا يزعق، فحكي أنه اختنق يوما لشدة ضبطه لنفسه، فشهق شهقة فانشق قلبه وتلفت نفسه

وروي أن موسى عليه السلام قص في بني اسرائيل فمزق واحد منهم ثوبه أو قميصه فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام، قل له مزق لي قلبك ولا تمزق ثوبك، قال أبو القاسم النصراباذي لأبي عمرو بن عبيد، أنا أقول إذا اجتمع القوم فيكون معهم قوال يقول خير لهم من أن يغتابوا، فقال أبو عمرو الرياء في السماع، وهو أن ترى من نفسك حالا ليست فيك شر من أن تغتاب ثلاثين سنة، أو نحو ذلك

فإن قلت: الأفضل هو الذي لا يحركه السماع ولا يؤثر في ظاهره، أو الذي يظهر عليه

فاعلم: أن عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان، وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن، ولكن لا يظهر لكمال القوة على ضبط الجوارح، فهو كمال، وتارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا في الأحوال كلها، فلا يتبين للسماع مزيد تأثير وهو غاية الكمال، فإن صاحب الوجد في غالب الأحوال لا يدوم وجده، فمن هو في وجد دائم فهو المرابط للحق والملازم لعين الشهود، فهذا لا تغيره طوارق الأحوال، ولا يبعد أن تكون الإشارة بقول الصديق رضي الله عنه، كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا، معناه قويت قلوبنا واشتدت فصارت تطيق ملازمة الوجد في كل الأحوال، فنحن في سماع معاني القرءان على الدوام، فلا يكون القرءان جديدا في حقنا طارئا علينا حتى نتأثر به، فإذاً قوة الوجد تحرك، وقوة العقل والتماسك تضبط الظاهر، وقد يغلب أحدهما الآخر إما لشدة قوته، وإما لضعف ما يقابله، ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك، فلا تظنن أن الذي يضطرب بنفسه على الأرض أتم وجدا من الساكن باضطرابه، بل رب ساكن أتم وجدا من المضطرب، فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك، فقيل له في ذلك فقال (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ[1]) إشارة إلى أن القلب مضطرب جائل في الملكوت والجوارح متأدبة في الظاهر ساكنة

(١) النمل: ٨٨

وقال أبو الحسن محمد بن أحمد وكان بالبصرة ، صحبت سهل بن عبد الله ستين سنة ، فما رأيته تغير عند شيء كان يسمعه من الذكر أو القرءان ، فلما كان فى آخر عمره قرأ رجل بين يديه (فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ[1]) الآية ، فرأيته قد ارتعد وكاد يسقط ، فلما عاد إلى حاله سألته عن ذلك ، فقال نعم ياحبيبي قد ضعفنا ، وكذلك سمع مرة قوله تعالى (الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ[2]) فاضطرب فسأله ابن سالم وكان من أصحابه ، فقال قد ضعفت فقيل له ، فإن كان هذا من الضعف فما قوة الحال ، فقال : أن لا يرد عليه وارد إلا وهو يلتقيه بقوة حاله ، فلا تغيره الواردات وإن كانت قوية ، وسبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الأحوال بملازمة الشهود ، كما حكي عن سهل رحمه الله تعالى أنه قال : حالتى قبل الصلاة وبعدها واحدة ، لأنه كان مراعيا للقلب حاضر الذكر مع الله تعالى فى كل حال فكذلك يكون قبل السماع وبعده ، إذ يكون وجده دائما ، وعطشه متصلا ، وشربه مستمرا بحيث لا يؤثر السماع فى زيادته ، كما روي أن ممشاد الدينورى أشرف على جماعة فيهم قوال فسكتوا ، فقال ارجعوا إلى ما كنتم فيه ، فلو جمعت ملاهى الدنيا فى أذنى ما شغل همى ولا شفى بعض ما بى

وقال الجنيد رحمه الله تعالى لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم . وفضل العلم أتم من فضل الوجد

فإن قلت : فمثل هذا لم يحضر السماع

فاعلم : أن من هؤلاء من ترك السماع فى كبره ، وكان لا يحضر إلا نادرا لمساعدة أخ من الإخوان ، وإدخالا للسرور على قلبه وربما حضر ليعرف القوم كمال قوته ، فيعلمون أنه ليس الكمال بالوجد الظاهر ، فيتعلمون منه ضبط الظاهر عن التكلف ، وإن لم يقدروا على الاقتداء به فى صيرورته طبعا لهم ، وإن اتفق حضورهم مع غير أبناء جنسهم ، فيكونون معهم بأبدانهم نائين عنهم بقلوبهم وبواطنهم ، كما يجلسون من غير سماع مع غير جنسهم ، بأسباب عارضة تقتضى الجلوس معهم ، وبعضهم نقل عنه ترك السماع ، ويظن أنه كان سبب تركه استغناءه عن السماع بما ذكرناه ، وبعضهم كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحانى فى السماع ، ولا كان من أهل اللهو ، فتركه لئلا يكون مشغولا بما لا يعنيه ، وبعضهم تركه لفقد الإخوان قيل : لبعضهم لم لا تسمع ؟ فقال : ممن ومع من ؟

(١) الحديد : ١٥ (٢) الفرقان : ٢٦

الأدب الرابع : أن لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ، ولكن إن رقص أو تباكى فهو مباح إذا لم يقصد به المراآة ، لأن التباكى استجلاب للحزن، والرقص سبب فى تحريك السرور والنشاط ، فكل سرور مباح فيجوز تحريكه، ولو كان ذلك حراما لما نظرت عائشة رضي الله عنها إلى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] وهم يزفنون هذا لفظ عائشة رضي الله عنها فى بعض الروايات ، وقد روي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ، أنهم حجلوا لما ورد عليهم سرور أوجب ذلك ، وذلك فى قصة ابنة حمزة[2] لما اختصم فيها علىّ بن أبى طالب ، وأخوه جعفر ، وزيد بن حارثة رضي الله عنهم ، فتشاحوا فى تربيتها ، فقال صلى الله عليه وسلم لعلي « أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ » فحجل علي، وقال لجعفر « أَشْبَهْتَ خَلْقِي وخُلُقِي » فحجل وراء حجل علي، وقال لزيد « أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلَانَا » فحجل زيد وراء حجل جعفر ، ثم قال عليه السلام « هِيَ لِجَعْفَرَ » لأن خالتها تحته ، والخالة والدة وفى رواية أنه قال لعائشة رضي الله عنها « أَتُحِبِّينَ أَنْ تَنْظُرِي إِلَى زَفْنِ الْحَبَشَةِ » والزفن والحجل هو الرقص ، وذلك يكون لفرح أو شوق ، فحكمه حكم مهيجه إن كان فرحه محمودا، والرقص يزيده ويؤكده فهو محمود ، وإن كان مباحا فهو مباح ، وإن كان مذموما فهو مذموم

نعم لا يليق اعتياد ذلك بمناصب الأكابر وأهل القدوة ، لأنه فى الأكثر يكون عن لهو ولعب ، وماله صورة اللعب واللهو فى أعين الناس فينبغى أن يجتنبه المقتدى به، لئلا يصغر فى أعين الناس فيترك الاقتداء به ، وأما تمزيق الثياب فلا رخصة فيه إلا عند خروج الأمر عن الاختيار ، ولا يبعد أن يغلب الوجد بحيث يمزق ثوبه ، وهو لا يدرى لغلبة سكر الوجد عليه ، أو يدرى ولكن يكون كالمضطر الذى لا يقدر على ضبط نفسه ، وتكون صورته صورة المكره، إذ يكون له فى الحركة أو التمزيق متنفس ، فيضطر إليه اضطرار المريض إلى الأنين ، ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه ، مع أنه فعل اختيارى فليس كل فعل حصوله بالإرادة يقدر الإنسان على تركه ، فالتنفس فعل يحصل بالإرادة ، ولو كلف الإنسان أن يمسك النفس ساعة لاضطر من باطنه إلى أن يختار التنفس ، فكذلك الزعقة وتمزيق

---

(١) حديث نظر عائشة إلى رقص الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفنون : تقدم فى الباب قبله

(٢) حديث اختصم على وجعفر وزيد بن حارثه فى ابنة حمزة فقال لعلى أنت منى وأنا منك فحجل وقال لجعفر أشبهت خلقى وخلقى فحجل وقال لزيد أنت أخونا ومولانا فحجل ـ الحديث : أبوداود من حديث على باسناد حسن وهو عند البخارى دون فحجل

الثياب ، قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم ، فقد ذكر عند السري حديث الوجد الحادّ الغالب، فقال نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لا يدري، فروجع فيه، واستبعد أن ينتهي إلى هذا الحد فأصر عليه ولم يرجع، ومعناه أنه في بعض الأحوال قد ينتهي إلى هذا الحد في بعض الأشخاص

فإن قلت : فما تقول في تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع ، فإنهم يمزقونها قطعا صغارا ويفرقونها على القوم ، ويسمونها الخرقة

فاعلم أن ذلك مباح إذا قطع قطعا مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات ، فإن الكرباس يمزق حتى يخاط منه القميص ، ولا يكون ذلك تضييعا لأنه تمزيق لغرض ، وكذلك ترقيع الثياب لا يمكن إلا بالقطع الصغار ، وذلك مقصود ، والتفرقة على الجميع ليعم ذلك الخير مقصود مباح ، ولكل مالك أن يقطع كرباسه مائة قطعة ، ويعطيها لمائة مسكين ، ولكن ينبغي أن تكون القطع بحيث يمكن أن ينتفع بها في الرقاع ، وإنما منعنا في السماع التمزيق المفسد للثوب الذي يهلك بعضه ، بحيث لا يبقى منتفعا به فهو تضييع محض لا يجوز بالاختيار

الأدب الخامس: موافقة القوم في القيام إذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف، أو قام باختيار من غير إظهار وجد وقامت له الجماعة. فلا بد من الموافقة فذلك من آداب الصحبة، وكذلك إن جرت عادة طائفة بتنحيه العمامة على موافقة صاحب الوجد إذا سقطت عمامته، أو خلع الثياب إذا سقط عنه ثوبه بالتمزيق، فالموافقة في هذه الأمور من حسن الصحبة والعشرة، إذ المخالفة موحشة ولكل قوم رسم، ولا بد من[1] مخالفة الناس بأخلاقهم، كما ورد في الخبر، لا سيما إذا كانت أخلاقا فيها حسن العشرة والمجاملة وتطييب القلب بالمساعدة، وقول القائل إن ذلك بدعة لم يكن في الصحابة فليس كل ما يحكم بإباحته منقولا عن الصحابة رضي الله عنهم، وإنما المحذور ارتكاب بدعة تراغم سنة مأثورة ، ولم ينقل النهي عن شيء من هذا، والقيام عند الدخول للداخل لم يكن من عادة العرب بل كان الصحابة رضي الله عنهم لا يقومون لرسول الله صلى الله عليه وسلم[1] في بعض الأحوال كما رواه أنس رضي الله عنه، ولكن إذا لم يثبت فيه نهي عام فلا نرى به بأسا في البلاد التي جرت العادة فيها بإكرام الداخل بالقيام ، فإن المقصود منه الاحترام والإكرام ، وتطييب القلب به

---

(١) حديث مخالفة الناس بأخلاقهم : الحاكم من حديث أبي ذر خالقو الناس بأخلاقهم ـ الحديث : قال صحيح على شرط الشيخين

(٢) حديث كانوا لا يقومون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأحوال: كما رواه أنس تقدم في آداب الصحبة

وكذلك سائر أنواع المساعدات إذا قصد بها تطييب القلب واصطلح عليها جماعة فلا بأس بمساعدتهم عليها ، بل الأحسن المساعدة إلا فيما ورد فيه نهي لا يقبل التأويل ، ومن الأدب أن لا يقوم للرقص مع القوم إن كان يستثقل رقصه ، ولا يشوش عليهم أحوالهم ، إذ الرقص من غير إظهار التواجد مباح ، والمتواجد هو الذي يلوح للجمع منه أثر التكلف ، ومن يقوم عن صدق لا تستثقله الطباع ، فقلوب الحاضرين إذا كانوا من أرباب القلوب محك للصدق والتكلف ، سئل بعضهم عن الوجد الصحيح ، فقال ، صحته قبول قلوب الحاضرين له إذا كانوا أشكالا غير أضداد

فإن قلت : فما بال الطباع تنفر عن الرقص ، ويسبق إلى الأوهام أنه باطل ولهو ومخالف للدين ، فلا يراه ذو جد في الدين إلا وينكره

فاعلم : أن الجد لا يزيد على جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رأى الحبشة يزفنون في المسجد وما أنكره ، لما كان في وقت لائق به وهو العيد ومن شخص لائق به وهم الحبشة ، نعم : نفرة الطباع عنه لأنه يرى غالبا مقرونا باللهو واللعب ، واللهو واللعب مباح ، ولكن للعوام من الزنوج والحبشة ومن أشبههم ، وهو مكروه لذوي المناصب لأنه لا يليق بهم ، وما كره لكونه غير لائق بمنصب ذي المنصب ، فلا يجوز أن يوصف بالتحريم ، فمن سأل فقيرا شيئا فأعطاه رغيفا كان ذلك طاعة مستحسنة ، ولو سأل ملكا فأعطاه رغيفا أو رغيفين لكان ذلك منكرا عند الناس كافة ومكتوبا في تواريخ الأخبار من جملة مساويه ، ويعير به أعقابه وأشياعه ومع هذا فلا يجوز أن يقال ما فعله حرام ، لأنه من حيث إنه أعطى خبز الفقير حسن ، ومن حيث إنه بالإضافة إلى منصبه كالمنع بالإضافة إلى الفقير مستقبح ، فكذلك الرقص وما يجري مجراه من المباحات ، ومباحات العوام سيئات الأبرار ، وحسنات الأبرار سيئات المقربين ولكن هذا من حيث الالتفات إلى المناصب وأما إذا نظر إليه في نفسه وجب الحكم بأنه هو في نفسه لا تحريم فيه والله أعلم

فقد خرج من جملة التفصيل السابق : أن السماع قد يكون حراما محضا ، وقد يكون مباحا ، وقد يكون مكروها ، وقد يكون مستحبا ، أما الحرام . فهو لأكثر الناس من الشبان ، ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا ، فلا يحرك السماع منهم إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة

وأما المكروه . فهو لمن لا ينزله على صورة المخلوقين ، ولكنه يتخذه عادة له في أكثر الأوقات على سبيل اللهو وأما المباح فهو لمن لا حظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن ، وأما المستحب فهو لمن غلب عليه حب الله تعالى ولم يحرك السماع منه إلا الصفات المحموده والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله

فهرست الجزء السادس

	الصفحة
الباب الثالث : فى حق المسلم والرحم والجوار والمال وكيفية معاشرتهم	٩٨٧
حقوق المسلم	٩٨٨
حب الخير للمسلمين	٩٨٩
عدم ايذاء المسلمين	٩٨٩
صفات المسلم والمؤمن والمهاجر	٩٩٠
عقاب من يؤذى المسلم فى الآخرة	٩٩٠
ثواب اماطة الأذى عن طريق المسلمين	٩٩٠
التواضع للمسلمين	٩٩١
عدم سماع النميمة	٩٩١
عدم جواز هجر المسلم	٩٩١
العفو عن الاساءة	٩٩١
الاحسان الى المسلمين	٩٩٢
الاستئذان قبل الدخول	٩٩٢
مخاطبة الناس علي قدر عقولهم	٩٩٣
توقير الشيوخ ورحمة الأطفال	٩٩٣
طلاقة الوجه	٩٩٤
من وصاياه صلى الله عليه وسلم	٩٩٥
الوفاء بالوعد	٩٩٥
صفات المنافق	٩٩٦
الانصاف من النفس	٩٩٦
حسن الجوار	٩٩٦
انزال الناس منازلهم	٩٩٧
اصلاح ذات البين	٩٩٨
ستر العورات	٩٩٩
اتقاء مواضع التهم	١٠٠٢
الشفاعة للمسلمين والسعى فى قضاء حاجاتهم	١٠٠٣
ابتداء المسلمين بالسلام والمصافحة	١٠٠٤
تقبيل اليد	١٠٠٧
الانحناء عند السلام وغيره من العادات	١٠٠٨
صيانة أعراض المسلمين والدفاع عنها	١٠١٠
تشميت العاطس	١٠١١
تحمل الأشرار واتقاؤهم	١٠١٢
اجتناب الأغنياء والاختلاط بالمساكين	١٠١٣
الاحسان الى يتامى المسلمين	١٠١٤
النصح للمسلم وادخال السرور على قلبه	١٠١٤
عيادة مرضى المسلمين وآدابه	١٠١٦
تشييع الجنائز	١٠١٨
زيارة القبور	١٠١٩
آداب المعزى	١٠٢٠
آداب تشييع الجنازة	١٠٢٠
جملة آداب المعاشرة	١٠٢٠
حقوق الجوار	١٠٢١
مجمل حق الجار	١٠٢٤
حقوق الأقارب والرحم	١٠٢٦
حقوق الوالدين والولد	١٠٢٨
البر بالوالدين	١٠٣٣
حقوق المملوك	١٠٣٣
الرحمة بالمملوك	١٠٣٣
من وصاياه صلى الله عليه وسلم	١٠٣٣
معاملة السلف لمملوكهم	١٠٣٤
العفو عن المقدرة	١٠٣٥
أمثلة العفو عن المقدرة	١٠٣٥
طبقات أهل الجنة	١٠٣٥
رحمة الاسلام بالخادم	١٠٣٦
انسانيته صلى الله عليه وسلم	١٠٣٦
مجمل حق المملوك	١٠٣٦

كتاب آداب العزلة

	١٠٣٧
الباب الأول : فى المذاهب والأقاويل وحجج الفريقين	١٠٣٨
سماحة الاسلام فى ابداء الآراء	١٠٣٨
المرجحون للعزلة وأقاويلهم	١٠٣٩
حجج المائلين الى المخالطة ووجه ضعفها	١٠٤٠
المرجحون للمخالطة وآراؤهم	١٠٤١
الامام الغزالى واعتداله	١٠٤٢
استطراد	١٠٤٣
حجج المائلين الى تفضيل العزلة	١٠٤٣
عود الى مناقشة الآراء	١٠٤٣
استطراد	١٠٤٤
الباب الثانى : فى فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق فى فضلها	١٠٤٦
الفائدة الأولى :	١٠٤٧
التفرغ لعبادة الله ومناجاته	١٠٤٧
ما يراه المختلى	١٠٤٨
الفائدة الثانية :	١٠٥٠
البعد عن المعاصى	١٠٥٠
الغيبة	١٠٥٠
الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر	١٠٥٠
الرياء	١٠٥١
بعض أجوبة اليقظين	١٠٥٢

	الصفحة
تعاون المسلمين	١٠٥٢
مسارقة الطبع	١٠٥٣
رأى فى الزلات البسيطة	١٠٥٥
الفائدة الثالثة :	١٠٥٦
الخلاص من الفتن والخصومات	١٠٥٦
متى تصح العزوبة	١٠٥٧
الكف عن قتال المسلمين	١٠٥٨
الفائدة الرابعة :	١٠٥٩
الخلاص من شر الناس	١٠٥٩
محاسن العزلة	١٠٦٠
الفائدة الخامسة :	١٠٦١
بعد المعتزل عن طمع الناس فيه وطمعه فيهم	١٠٦١
الفائدة السادسة :	١٠٦٢
الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى	١٠٦٢
آفات العزلة وفوائد الخالطة	١٠٦٣
الفائدة الأولى :	١٠٦٣
التعليم والتعلم	١٠٦٣
الفائدة الثانية :	١٠٦٦
النفع والانتفاع	١٠٦٦
الفائدة الثالثة :	١٠٦٧
التأديب والتأدب	١٠٦٧
الفائدة الرابعة :	١٠٦٨
الاستئناس والايناس	١٠٦٨
الفائدة الخامسة :	١٠٦٩
نيل الثواب وانالته	١٠٦٩
الفائدة السادسة :	١٠٧٠
التواضع	١٠٧٠
الفائدة السابعة :	١٠٧٢
التجارب	١٠٧٢
التحذير من الكبر	١٠٧٣
رأى الشافعى رضى الله عنه فى العزلة	١٠٧٤
آداب العزلة	١٠٧٥

كتاب آداب السفر

الباب الأول : فى الآداب من أول النهوض الى آخر الرجوع وفى نية السفر وفائدته	١٠٧٧
الفصل الأول : فى فوائد السفر وفضله ونيته	١٠٨٠
السفر للتعلم	١٠٨٠
السفر ليعلم المسافر أخلاق نفسه	١٠٨١
السفر للمطالعة فى آيات الله	١٠٨١
السفر للعبادة	١٠٨٢
السفر لزيارة الأولياء	١٠٨٣
السفر هربا من الفتنة	١٠٨٤
أقوال السلف فى السفر خوف الفتنة	١٠٨٤
السفر هربا من العدوى أو الغلاء	١٠٨٥
أيهما أفضل السفر أم الاقامة	١٠٨٦
وصف حالة المسافر	١٠٨٧
متصوفة عصر الغزالى	١٠٨٨
سفر المتصوفة وما يعطى لهم	١٠٨٩
ورع المتصوفة	١٠٨٩
الفصل الثانى : فى آداب المسافر	١٠٩٠
من أول نهوضه الى آخر رجوعه	١٠٩١
اعطاء الحقوق لأهلها	١٠٩١
اختيار الرفيق	١٠٩١
تأمير أحد الرفاق	١٠٩١
توديع الأهل والأصدقاء	١٠٩٢
صلاة الاستخارة قبل السفر	١٠٩٣
الدعاء عند الخروج من الدار	١٠٩٤
التبكير عند الخروج من المنزل	١٠٩٤
الاستراحة عند اشتداد الحر	١٠٩٥
الاحتياط بالنهار والتحفظ بالليل عند النوم	١٠٩٦
الرفق بالدابة	١٠٩٦
اللوازم التى يستصحبها المسافر	١٠٩٧
آداب الرجوع من السفر	١٠٩٨
مجمل الآداب الباطنة	١٠٩٩
الباب الثانى : فيما لابد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات	١١٠٠
القسم الأول : العلم برخص السفر	١١٠١
رخص السفر	١١٠٢
المسح على الخفين	١١٠٢
شروط المسح على الخفين	١١٠٢
التيمم	١١٠٢
القصر فى الصلاة وشروطه	١١٠٤
بم ينتهى السفر	١١٠٥
مقدار التطويل	١١٠٥
الجمع بين الصلاتين	١١٠٦
التنقل راكبا	١١٠٧
التنقل ماشيا	١١٠٨
الفطر للصائم المسافر	١١٠٨
بعض فتاوى للامام الغزالى خاصة بالسفر	١١٠٩
القسم الثانى : ما يتجدد من الوظيفة لسبب السفر	١١٠٩
معرفة أدلة القبلة	١١١٠
	١١١٠

	الصفحة
فتوى الفقية الفاسق لا يعتمد عليها	١١١٥
معرفة أوقات الصلاة	١١١٥
الظهر والعصر	١١١٦
المغرب	١١١٦
العشـــاء	١١١٦
الصـــبح	١١١٦

كتاب آداب السماع والوجيد

الباب الأول : فى ذكر اختلاف العلماء فى اباحة السماع وكشف الحق فيه وبيان أقاويل العلماء والمتصوفة	١١١٩
فى تحليله وتحريمه	١١٢١
آراء العلماء فى السماع	١١٢١
بيان الدليل على اباحة السماع	١١٢٤
سماع الصوت الطيب	١١٢٤
سماع الصوت الطيب الموزون	١١٢٦
دواعى الحرام محرمة	١١٢٧
التشبه بالمبتدعة	١١٢٧
سماع الموزون والمفهوم	١١٢٨
الحداء للجمال	١١٣١
أثر الحداء فى الجمال	١١٣٢
دواعى الغناء	١١٣٣
غناء الحجيج	١١٣٣
غناء الغزاة	١١٣٣
رجزيات الشجعان	١١٣٤
أصوات النياحة	١١٣٤
السماع فى وقت السرور تأكيدا له	١١٣٥
سماع المحبين لله	١١٣٩
العوارض المحرمة للسماع	١١٤٢
السماع من المرأة	١١٤٣
تحريم النظر الى وجه المرأة سواء خيفت الفتنة أو لم تخف	١١٤٣
السماع من آلة الفسقة	١١٤٤
سماع الأشعار الفاحشة	١١٤٤
حرمة السماع لمن تغلبه الشهوة	١١٤٥
حكم السماع للعوام	١١٤٦
حكم الشطرنج	١١٤٦
رأى الشافعى فى الغناء	١١٤٧
بيان حجج القائلين بتحريم السماع والجواب عنها	١١٤٨
الباب الثانى : فى آثار السماع وآدابه	١١٥٣
المقام الأول : فى الفهم	١١٥٣
تطبيق ما يسمع على معاملته مع الله	١١٥٣
اختلاف الفهم باختلاف أحوال المستمع	١١٥٦
درجة الصديقين فى الوجد	١١٥٨
المقام الثانى : بعد الفهم والتنزيل والوجد	١١٦٠
أقوال الصوفية فى الوجد	١١٦٠
أقوال الحكماء فى الوجد	١١٦١
تحديد معنى الوجد	١١٦٢
أسباب الكشف	١١٦٣
أثر العلم فى الوجد	١١٦٥
أثر الحال فى الوجد	١١٦٦
أركان الشوق	١١٦٦
أقسام الوجد	١١٦٧
اكتساب الخير من مجالسة أهله	١١٦٨
تواجد الصوفية عند قراءة القرآن	١١٧١
تهييج الوجد بالقرآن وبالغناء	١١٧٢
المقام الثالث : السماع	١١٧٧
آداب السماع	١١٧٧
مراعاة الزمان والمكان والاخوان	١١٧٧
مراعاة راحة السماع	١١٧٧
حسن الاصغاء	١١٧٨
أثر السماع فى الأكابر	١١٨٠
رافع الصوت والبكاء	١١٨١
تحرز الرؤساء عن اللهو	١١٨١
الوجد الصادق معترف به	١١٨٢

كتاب الشعب

إحياء علوم الدين

للإمام أبي حامد الغزالي

الجزء السابع

دار الشعب
٩٢ شارع قصر العيني - القاهرة ت: ٣١٨١٠

كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهو الكتاب التاسع من ربع العادات الثانى من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى لا تستفتح الكتب إلا بحمده ، ولا تستمنح النعم إلا بواسطة كرمه ورفده والصلاة على سيد الأنبياء محمد رسوله وعبده ، وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين من بعده أما بعد: فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم فى الدين، وهو المهم الذى ابتعث الله له النبيين أجمعين ، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله ، لتعطلت النبوة ، واضمحلت الديانة ، وعمت الفترة ، وفشت الضلالة ، وشاعت الجهالة ، واستسرى الفساد ، واتسع الخرق وخربت البلاد ، وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد ، وقد كان الذى خفنا أن يكون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه ، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق ، وانمحت عنها مراقبة الخالق ، واسترسل الناس فى اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم ، وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه فى الله لومة لائم ، فمن سعى فى تلافى هذه الفترة ، وسد هذه الثلمة . إما متكفلا بعملها ، أو متقلداً لتنفيذها ، مجدداً لهذه السنة الدائرة ناهضا بأعبائها ومتشمراً فى إحيائها كان مستأثرا من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها، ومستبداً بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها ، وها نحن نشرح علمه فى أربعة أبواب :

الباب الأول : فى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته

الباب الثانى : فى أركانه وشروطه

الباب الثالث : فى مجاريه وبيان المنكرات المألوفة فى العادات

الباب الرابع : فى أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر

الباب الأول

فى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفضيلته والمذمة فى إهماله وإضاعته

ويدل على ذلك بعد إجماع الأمة عليه، وإشارات العقول السليمة إليه الآيات، والأخبار، والآثار

أما الآيات: فقوله تعالى (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[1]) فى الآية بيان الإيجاب ، فإن قوله تعالى (وَلْتَكُنْ) أمر وظاهر الأمر الإيجاب ، وفيها بيان أن الفلاح منوط به ، إذ حصر وقال (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) وفيها بيان أنه فرض كفاية لا فرض عين ، وأنه إذا قام به أمة سقط الفرض عن الآخرين، إذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف، بل قال: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ) فإذاً مهما قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين ، واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين ، وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لامحالة ، وقال تعالى (لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ. يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ[2]) فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر ، حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال تعالى (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ[3]) فقد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فالذى هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين فى هذه الآية وقال تعالى : (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ. كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ[4]) وهذا غاية التشديد إذ علل استحقاقهم للعنة بتركهم النهي عن المنكر ، وقال عز وجل (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ[5]) وهذا يدل على فضيلة الأمر بالمعروف

---

(١) آل عمران : ١٠٤ (٢) آل عمران: ١١٣ ، ١١٤ (٣) التوبة: ٧١ (٤) المائدة: ٧٨، ٧٩ (٥) آل عمران: ١١٠

والنهي عن المنكر ، إذ بين أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس ، وقال تعالى (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ [١]) فبين أنهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء ، ويدل ذلك على الوجوب أيضا وقال تعالى : (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ [٢]) فقرن ذلك بالصلاة والزكاة في نعت الصالحين والمؤمنين ، وقال تعالى (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ [٣]) وهو أمر جزم ، ومعنى التعاون الحث عليه ، وتسهيل طرق الخير ، وسد سبل الشر ، والعدوان بحسب الإمكان وقال تعالى : (لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ [٤]) فبين أنهم أثموا بترك النهي ، وقال تعالى (فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ [٥]) الآية فبين أنه أهلك جميعهم إلا قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد ، وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ [٦]) وذلك هو الأمر بالمعروف للوالدين والأقربين ، وقال تعالى (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا [٧]) وقال تعالى (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا [٨]) الآية ، والإصلاح نهي عن البغي ، وإعادة إلى الطاعة ، فإن لم يفعل فقد أمر الله تعالى بقتاله ، فقال (فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ [٩]) وذلك هو النهي عن المنكر

وأما الأخبار : فمنها ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال في خطبة خطبها [١] أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ [١٠])

---

(١) حديث أبي بكر أيها الناس انكم تقرءون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم الحديث : أصحاب السنن وتقدم في العزلة

---

(١) الأعراف : ١٦٥ (٢) الحج : ٤١ (٣) المائدة : ٢ (٤) المائدة : ٦٣ (٥) هود : ١١٦ (٦) النساء : ١٣٥
(٧) النساء : ١١٤ (٨) الحجرات : ٩ (١٠) المائدة : ١٠٥

وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَا مِنْ قَوْمٍ عَمِلُوا بِالْمَعَاصِي وَفِيهِمْ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يُنْكِرَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَفْعَلْ إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ »

وروي عن أبي ثعلبة الخشني أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] عن تفسير قوله تعالى (لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ [1]) فقال : « يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ مُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَإِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ لِلْمُتَمَسِّكِ فِيهَا بِمِثْلِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ » قيل . بل منهم يارسول الله ؟ قال : « لَا بَلْ مِنْكُمْ لِأَنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَعْوَانًا وَلَا يَجِدُونَ عَلَيْهِ أَعْوَانًا »

وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن تفسير هذه الآية فقال : إن هذا ليس زمانها، إنها اليوم مقبولة ، ولكن قد أوشك أن يأتي زمانها ، تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا وتقولون فلا يقبل منكم ، فحينئذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] « لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ ثُمَّ يَدْعُو خِيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ » معناه تسقط مهابتهم من أعين الأشرار فلا يخافونهم

وقال صلى الله عليه وسلم [3] « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ يَقُولُ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ »

---

(١) حديث أبي ثعلبة أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى (لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) ـ الحديث : أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه

(٢) حديث لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أوليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم : البزار من حديث عمر بن الخطاب والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف وللترمذي من حديث حذيفة نحوه الا أنه قال أوليوشكن الله يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم قال هذا حديث حسن

(٣) حديث يا أيها الناس ان الله سبحانه يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر قبل أن تدعو فلا يستجاب لكم : أحمد والبيهقي من حديث عائشة بلفظ مروا وانهوا وهو عند ابن ماجه دون عزوه إلى كلام الله تعالى وفي اسناده لين

---

(١) المائدة : ١٠٥

وقال صلى الله عليه وسلم (١) « مَا أَعْمَالُ الْبِرِّ عِنْدَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ ، وَمَا جَمِيعُ أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ » وقال عليه أفضل الصلاة والسلام (٢) « إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَيَسْأَلُ الْعَبْدَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَ الْمُنْكَرَ أَنْ تُنْكِرَهُ ، فَإِذَا لَقَّنَ اللهُ الْعَبْدَ حُجَّتَهُ قَالَ رَبِّ وَثِقْتُ بِكَ وَفَرِقْتُ مِنَ النَّاسِ

وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ قَالُوا مَا لَنَا بُدٌّ إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا قَالَ فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا ذَلِكَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا ، قَالُوا وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ ؟ قَالَ غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ »

وقال صلى الله عليه وسلم (٤) « كَلَامُ ابْنِ آدَمَ كُلُّهُ عَلَيْهِ لَا لَهُ إِلَّا أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ أَوْ ذِكْرَ اللهِ تَعَالَى » وقال صلى الله عليه وسلم (٥) « إِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ الْخَاصَّةَ بِذُنُوبِ الْعَامَّةِ حَتَّى يُرَى الْمُنْكَرُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ فَلَا يُنْكِرُونَهُ »

وروى أبو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم (٦) أنه قال : « كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا طَغَى نِسَاؤُكُمْ وَفَسَقَ شُبَّانُكُمْ وَتَرَكْتُمْ جِهَادَكُمْ » قالوا وإن ذلك لكائن يا رسول الله ؟ قال « نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ وَأَشَدُّ مِنْهُ سَيَكُونُ » قالوا وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال « كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَمْ تَأْمُرُوا بِمَعْرُوفٍ وَلَمْ تَنْهَوْا عَنْ مُنْكَرٍ » قالوا وكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال:

---

(١) حديث ما أعمال البر عند الجهاد فى سبيل الله إلا كنفثة فى بحر لجى : ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس مقتصرا على الشطر الاول من حديث جابر باسناد ضعيف وأما الشطر الاخير فرواه علي بن معبد فى كتاب الطاعة والمعصية من رواية يحيى بن عطاء مرسلا أو معضلا ولا ادرى من يحيى بن عطاء

(٢) حديث ان الله تعالي ليسأل العبد ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره ـ الحديث : ابن ماجه وقد تقدم

(٣) حديث إياكم والجلوس على الطرقات ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبى سعيد

(٤) حديث كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمرا بالمعروف ـ الحديث : تقدم فى العلم

(٥) حديث إن الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يروا المنكر ـ الحديث : أحمد من حديث عدى ابن عميرة وفيه من لم يسم والطبرانى من حديث أخيه العرس بن عميرة وفيه من لم أعرفه

(٦) حديث أبى أمامة كيف بكم إذا طغى نساؤكم وفسق شبابكم وتركتم جهادكم قالوا وان ذلك كائن يارسول الله قال نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون قالوا وما أشد منه ؟ قال كيف أنتم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر ـ الحديث : ابن أبى الدنيا باسناد ضعيف دون

« نَعَمْ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ وَأَشَدُّ مِنْهُ سَيَكُونُ » قالوا وما أشد منه ؟ قال « كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ مُنْكَراً وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفاً » قالوا وكائن ذلك يارسول الله ؟! قال « نَعَمْ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ وَأَشَدُّ مِنْهُ سَيَكُونُ » قالوا وما أشد منه ؟ قال « كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا أَمَرْتُمْ بِالْمُنْكَرِ وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمَعْرُوفِ » قالوا وكائن ذلك يارسول الله؟! قال « نَعَمْ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ وَأَشَدُّ مِنْهُ سَيَكُونُ. يَقُولُ اللهُ تَعَالَى بِى حَلَفْتُ لَأُتِيحَنَّ لَهُمْ فِتْنَةً يَصِيرُ الْحَلِيمُ فِيهَا حَيْرَانَ »

وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « لَا تَقِفَنَّ عِنْدَ رَجُلٍ يُقْتَلُ مَظْلُوماً فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ وَلَمْ يَدْفَعْ عَنْهُ ، وَلَا تَقِفَنَّ عِنْدَ رَجُلٍ يُضْرَبُ مَظْلُوماً فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ وَلَمْ يَدْفَعْ عَنْهُ » قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « لَا يَنْبَغِى لِامْرِىءٍ شَهِدَ مُقَاماً فِيهِ حَقٌّ إِلَّا تَكَلَّمَ بِهِ فَإِنَّهُ لَنْ يُقَدِّمَ أَجَلَهُ وَلَنْ يُحْرِمَهُ رِزْقاً هُوَ لَهُ . »

وهذا الحديث يدل على أنه لا يجوز دخول دور الظلمة والفسقة ، ولا حضور المواضع التي يشاهد المنكر فيها ، ولا يقدر على تغييره ، فإنه قال اللعنة تنزل على من حضر ، ولا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذار بأنه عاجز ، ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات في الأسواق ، والأعياد ، والمجامع ، وعجزهم عن التغيير ، وهذا يقتضي لزوم الهجر للخلق ، ولهذا قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : ماساح السواح وخلوا دورهم وأولادهم ، إلا بمثل مانزل بنا ، حين رأوا الشر قد ظهر ، والخير قد اندرس ، ورأوا أنه لا يقبل ممن تكلم ، ورأوا الفتن ولم يأمنوا أن تعتريهم : وأن ينزل العذاب بأولئك القوم فلا يسلمون منه

قوله كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ورواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة مقتصرا على الاسئلة الثلاثة الأول وأجوبتها دون الأخيرين وإسناده ضعيف.

(١) حديث عكرمة عن ابن عباس لاتقفن عند رجل يقتل مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه : الطبراني بسند ضعيف والبيهقي في شعب الايمان بسند حسن

(٢) حديث لاينبغي لامرىء شهد مقاما فيه حق إلا تكلم به فانه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقا هو له البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند الحديث الذي قبله وروى الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد لايمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول الحق إذا علمه

فرأوا أن مجاورة السباع وأكل البقول خير من مجاورة هؤلاء في نعيمهم ، ثم قرأ (فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ [١]) قال ففرّ قوم فلولا ما جعل الله جل ثناؤه في النبوّة من السر ، لقلنا ما هم بأفضل من هؤلاء ، فيما بلغنا أن الملائكة عليهم السلام تتلقاهم وتصافحهم ، والسحاب والسباع تمر بأحدهم فيناديها فتجيبه ، ويسألها أين أمرت فتخبره ، وليس بنبي

وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] « مَنْ حَضَرَ مَعْصِيَةً فَكَرِهَهَا فَكَأَنَّهُ غَابَ عَنْهَا وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَأَحَبَّهَا فَكَأَنَّهُ حَضَرَهَا » ومعنى الحديث أن يحضر لحاجة ، أو يتفق جريان ذلك بين يديه ، فأما الحضور قصدا فممنوع بدليل الحديث الأول

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] « مَا بَعَثَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيًّا إِلَّا وَلَهُ حَوَارِيٌّ فَيَمْكُثُ النَّبِيُّ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ مَا شَاءَ اللهُ تَعَالَى يَعْمَلُ فِيهِمْ بِكِتَابِ اللهِ وَبِأَمْرِهِ حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللهُ نَبِيَّهُ مَكَثَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْمَلُونَ بِكِتَابِ اللهِ وَبِأَمْرِهِ وَبِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ فَإِذَا انْقَرَضُوا كَانَ مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمٌ يَرْكَبُونَ رُءُوسَ الْمَنَابِرِ يَقُولُونَ مَا يَعْرِفُونَ وَيَعْمَلُونَ مَا يُنْكِرُونَ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَحَقٌّ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ جِهَادُهُمْ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ إِسْلَامٌ »

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : كان أهل قرية يعملون بالمعاصي ، وكان فيهم أربعة نفر ينكرون مايعملون ، فقام أحدهم فقال إنكم تعملون كذا وكذا ، فجعل ينهاهم ويخبرهم بقبيح مايصنعون ، فجعلوا يردون عليه ، ولا يرعوون عن أعمالهم ، فسبهم فسبوه ، وقاتلهم فغلبوه فاعتزل ، ثم قال : اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني ، وسببتهم فسبوني ، وقاتلتهم فغلبوني ثم ذهب ، ثم قام الآخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبهم فسبوه فاعتزل ، ثم قال اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني ، وسببتهم فسبوني ، ولو قاتلتهم لغلبوني ، ثم ذهب ، ثم قام الثالث فنهاهم فلم يطيعوه فاعتزل ، ثم قال اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني ، ولو سببتهم لسبوني

---

(١) حديث أبي هريرة من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكأنه حضرها رواه ابن عدي وفيه يحيى بن أبي سليمان قال البخاري منكر الحديث

(٢) حديث ابن مسعود مابعث الله عز وجل نبيا إلا وله حواري ـ الحديث : روى مسلم نحوه

---

[١] الذاريات : ٥٠ .

ولو قاتلتهم لغلبوني ثم ذهب، ثم قام الرابع فقال اللهم إني لو نهيتهم لعصوني، ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم لغلبوني، ثم ذهب، قال ابن مسعود رضي الله عنه كان الرابع أدناهم منزلة، وقليل فيكم مثله

وقال ابن عباس رضي الله عنهما قيل يا رسول (١) أتهلك القرية وفيها الصالحون قال: « نَعَمْ » قيل بم يارسول الله؟ قال « بِتَهَاوُنِهِمْ وَسُكُوتِهِمْ عَلَى مَعَاصِي اللهِ تَعَالَى » وقال جابر ابن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « أَوْحَى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى مَلَكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَنِ اقْلِبْ مَدِينَةَ كَذَا وَكَذَا عَلَى أَهْلِهَا » فقال يارب إن فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين قال اقلبها عليه وعليهم، فإن وجهه لم يتمعر في ساعة قط، وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) « عُذِّبَ أَهْلَ قَرْيَةٍ فِيهَا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفاً عَمَلُهُمْ عَمَلُ الْأَنْبِيَاءِ » قالوا يارسول الله كيف؟ قال « لَمْ يَكُونُوا يَغْضَبُونَ لِلَّهِ وَلَا يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ » وعن عروة عن أبيه قال قال موسى صلى الله عليه وسلم، يا رب أي عبادك أحب إليك قال الذي يتسرع إلى هواي كما يتسرع النسر إلى هواه، والذي يكلف بعبادي الصالحين كما يكلف الصبي بالثدي، والذي يغضب إذا أتيت محارمي كما يغضب النمر لنفسه، فإن النمر إذا غضب لنفسه لم يبال، قل الناس أم كثروا، وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدة الخوف

وقال أبو ذر الغفاري قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه، يارسول الله (٤) هل من جهاد غير قتال المشركين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم يا أبا بكر « إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مُجَاهِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَفْضَلُ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَحْيَاءٌ مَرْزُوقِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ يُبَاهِي اللهُ بِهِمْ مَلَائِكَةَ

---

(١) حديث ابن عباس قيل يارسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون؟ قال نعم قيل بم يارسول الله قال بتهاونهم وسكوتهم عن معاصي الله: البزار والطبراني بسند ضعيف

(٢) حديث جابر أوحى الله إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها قال فقال يارب إن فيهم عبدك فلانا ـ الحديث: الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب وضعفه وقال المحفوظ من قول مالك بن دينار

(٣) حديث عائشة عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الأنبياء لم أقف عليه مرفوعا وروى ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ عن ابراهيم بن عمر الصنعاني أوحى الله الى يوشع بن نون أني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم قال يارب هؤلاء الاشرار فما بال الأخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي فكانوا يؤاكلونهم ويشاربونهم

(٤) حديث أبي ذر قال أبو بكر يارسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين قال نعم يا أبا بكر ان لله تعالى مجاهدين في الأرض افضل من الشهداء فذكر الحديث: وفيه فقال هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ـ الحديث بطوله لم أقف له على أصل وهو منكر

السَّمَاءَ وَتُزَيِّنُ لَهُمُ الْجَنَّةَ كَمَا تَزَيَّنَتْ أُمُّ سَلَمَةَ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم . فقال أبو بكر رضي الله عنه يارسول الله ومن هُمْ قال « الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْمُحِبُّونَ فِي اللهِ وَالْمُبْغِضُونَ فِي اللهِ » ثم قال والذى نفسى بيده « إِنَّ الْعَبْدَ مِنْهُمْ لَيَكُونُ فِي الْغُرْفَةِ فَوْقَ الْغُرُفَاتِ فَوْقَ غُرَفِ الشُّهَدَاءِ لِلْغُرْفَةِ مِنْهَا ثَلَثُمِائَةِ أَلْفِ بَابٍ مِنْهَا الْيَاقُوتُ وَالزُّمُرُّدُ الأَخْضَرُ عَلَى كُلِّ بَابٍ نُورٌ وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ لَيُزَوَّجُ بِثَلَثِمِائَةِ أَلْفِ حورَاءَ قَاصِرَاتِ الطَّرْفِ عِينٍ كُلَّمَا الْتَفَتَ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَنَظَرَ إِلَيْهَا تَقُولُ لَهُ أَتَذْكُرُ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا أَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ كُلَّمَا نَظَرَ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ ذَكَرَتْ لَهُ مَقَامًا أَمَرَ فِيهِ بِمَعْرُوفٍ وَنَهَى فِيهِ عَنْ مُنْكَرٍ »

وقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: قلت يارسول الله[1] أي الشهداء أكرم على الله عز وجل قال « رَجُلٌ قَامَ إِلَى وَالٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ فَقَتَلَهُ فَإِنْ لَمْ يَقْتُلْهُ فَإِنَّ الْقَلَمَ لاَ يَجْرِي عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِنْ عَاشَ مَا عَاشَ » وقال الحسن البصرى رحمه الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] « أَفْضَلُ شُهَدَاءِ أُمَّتِي رَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ فَقَتَلَهُ عَلَى ذَلِكَ فَذَلِكَ الشَّهِيدُ مَنْزِلَتُهُ فِي الْجَنَّةِ بَيْنَ حَمْزَةَ وَجَعْفَرٍ »

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] يقول « بِئْسَ الْقَوْمُ قَوْمٌ لاَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَبِئْسَ الْقَوْمُ قَوْمٌ لاَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ »

---

(١) حديث أبي عبيدة قلت يارسول الله أى الشهداء أكرم على الله قال رجل قام الى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله ـ الحديث : البزار مقتصرا على هذا دون قوله فان لم يقتله إلى آخره وهذه الزيادة منكرة وفيه أبو الحسن غير مشهور لايعرف

(٢) حديث الحسن البصرى مرسلا أفضل شهداء أمتى رجل قام الى امام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته فى الجنة بين حمزة وجعفر: لم أره من حديث الحسن وللحاكم فى المستدرك وصحح اسناده من حديث جابر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام الى امام جائر فأمره ونهاه فقتله

(٣) حديث عمر بئس القوم قوم لايأمرون بالقسط وبئس القوم قوم لايأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر: رواه أبو الشيخ ابن حبان من حديث جابر بسند ضعيف وأما حديث عمر فأشار اليه أبو منصور الديلمي بقوله . وفى الباب ورواه على بن معبد فى كتاب الطاعة والمعصية من حديث الحسن مرسلا .

أما الآثار فقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه : لتأمرن بالمعروف، ولتنهن عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما، لا يجل كبيركم، ولا يرحم صغيركم، ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتنتصرون فلا تنصرون، وتستغفرون فلا يغفر لكم،

وسئل حذيفة رضي الله عنه عن ميت الأحياء فقال : الذى لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه، ولا بقلبه، وقال مالك بن دينار : كان حبر من أحبار بني اسرائيل يغشى الرجال والنساء منزله . يعظهم ويذكرهم بأيام الله عز وجل، فرأى بعض بنيه يوما وقد غمز بعض النساء، فقال مهلا يا بنى مهلا، وسقط من سريره فانقطع نخاعه، وأسقط امرأته، وقتل بنوه فى الجيش، فأوحى الله تعالى إلى نبي زمانه : أن أخبر فلانا الحبر، أنى لا أخرج من صلبك صديقا أبدا، أما كان من غضبك لى إلا أن قلت مهلا يابنى مهلا

وقال حذيفة : يأتى على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم، وأوحى الله تعالى إلى يوشع بن نون عليه السلام إنى مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم، وستين ألفا من شرارهم، فقال يارب هؤلاء الأشرار، فمابال الأخيار، قال إنهم لم يغضبوا لغضبي، وواكلوهم، وشاربوهم، وقال بلال بن سعد : إن المعصية إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها، فإذا أعلنت ولم تغير أضرت بالعامة

وقال كعب الأحبار، لأبى مسلم الخولانى كيف منزلتك من قومك؟ قال حسنة، قال كعب إن التوراة لتقول غير ذلك، قال وما تقول ؟ قال تقول إن الرجل إذا أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، ساءت منزلته عند قومه، فقال صدقت التوارة وكذب أبو مسلم، وكان عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما يأتى العمال، ثم قعد عنهم. فقيل له لو أتيتهم فلعلهم يجدون فى أنفسهم، فقال أرهب أن تكلمت أن يروا أن الذى بى غير الذى بى، وإن سكت رهبت أن آثم، وهذا يدل على أن من عجز عن الأمر بالمعروف فعليه أن يبعد عن ذلك الموضع، ويستتر عنه حتى لا يجرى بمشهد منه

وقال على بن أبى طالب رضي الله عنه أول ماتغلبون عليه من الجهاد، الجهاد بأيديكم، ثم الجهاد بألسنتكم، ثم الجهاد بقلوبكم، فإذا لم يعرف القلب المعروف، ولم ينكر المنكر، نكس فجعل أعلاه أسفله، وقال سهل بن عبد الله رحمه الله : أيما عبد عمل فى شيء من دينه بما أمر به

أو نهى عنه ، وتعلق به عند فساد الأمور وتنكرها ، وتشوش الزمان ، فهو ممن قد قام لله في زمانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، معناه أنه إذا لم يقدر إلا على نفسه فقام بها وأنكر أحوال الغير بقلبه ، فقد جاء بما هو الغاية في حقه ، وقيل للفضيل ألا تأمر وتنهى فقال إن قوما أمروا ونهوا ، فكفروا ، وذلك أنهم لم يصبروا على ما أصيبوا ، وقيل للثوري ألا تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ، فقال إذا انبثق البحر فمن يقدر أن يسكره

فقد ظهر بهذه الأدلة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب ، وأن فرضه لا يسقط مع القدرة إلا بقيام قائم به فلنذكر الآن شروطه وشروط وجوبه

الباب الثاني

في أركان الأمر بالمعروف وشروطه

اعلم أن الأركان في الحسبة التي هي عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أربعة ؛ المحتسب ؛ والمحتسب عليه ؛ والمحتسب فيه ، ونفس الاحتساب ، فهذه أربعة أركان ولكل واحد منها شروط

الركن الأول المحتسب

وله شروط ، وهو أن يكون مكلفا ، مسلما ، قادرا ، فيخرج منه المجنون ، والصبي والكافر ، والعاجز ، ويدخل فيه آحاد الرعايا ، وإن لم يكونوا مأذونين ، ويدخل فيه الفاسق ، والرقيق ، والمرأة ،

فلنذكر وجه اشتراط ما اشترطناه ، ووجه إطراح ما أطرحناه

أما الشرط الأول : وهو التكليف ، فلا يخفى وجه اشتراطه ، فإن غير المكلف لا يلزمه أمر ، وما ذكرناه أردنا به شرط الوجوب ، فأما إمكان الفعل وجوازه فلا يستدعي إلا العقل حتى أن الصبي المراهق للبلوغ المميز ، وإن لم يكن مكلفا فله إنكار المنكر ، وله أن يريق الخمر ، ويكسر الملاهي ، وإذا فعل ذلك نال به ثوابا ، ولم يكن لأحد منعه من حيث إنه ليس بمكلف ، فإن هذه قربة وهو من أهلها كالصلاة ، والإمامة ، وسائر القربات

وليس حكمه حكم الولايات ، حتى يشترط فيه التكليف ، ولذلك أثبتناه للعبد وآحاد الرعية

نعم : فى المنع بالفعل ، وإبطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ، ولكنها تستفاد بمجرد الإيمان ، كقتل المشرك وإبطال أسبابه ، وسلب أسلحته ، فإن للصبي أن يفعل ذلك حيث لا يستضر به ، فالمنع من الفسق كالمنع من الكفر

وأما الشرط الثانى : وهو الإيمان ، فلا يخفى وجه اشتراطه ، لأن هذا نصرة للدين . فكيف يكون من أهله من هو جاحد لأصل الدين وعدوّ له

وأما الشرط الثالث : وهو العدالة ، فقد اعتبرها قوم . وقالوا ليس للفاسق أن يحتسب وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد على من يأمر بما لا يفعله مثل قوله تعالى : (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ [1]) وقوله تعالى (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ [2]) وبما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] أنه قال « مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِقَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ فَقُلْتُ مَنْ أَنْتُمْ فَقَالُوا كُنَّا نَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَلَا نَأْتِيهِ وَنَنْهَى عَنِ الشَّرِّ وَنَأْتِيهِ » وبما روي أن الله تعالى أوحى إلى عيسى صلى الله عليه وسلم عظ نفسك ، فإن اتعظت فعظ الناس ، وإلا فاستحى منى

وربما استدلوا من طريق القياس بأن هداية الغير فرع للاهتداء ، وكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة . والإصلاح زكاة عن نصاب الصلاح ، فمن ليس بصالح فى نفسه ، فكيف يصلح غيره ، ومتى يستقيم الظل والعود أعوج ، وكل ماذكروه خيالات

وإنما الحق أن للفاسق أن يحتسب ، وبرهانه هو أن نقول : هل يشترط فى الاحتساب أن يكون متعاطيه معصوما عن المعاصى كلها ، فإن شرط ذلك فهو خرق للاجماع . ثم حسم لباب الاحتساب إذ لا عصمة للصحابة فضلا عمن دونهم ، والأنبياء عليهم السلام قد اختلف فى عصمتهم عن الخطايا . والقرءان العزيز دالّ على نسبة آدم عليه السلام إلى المعصية ، وكذا جماعة من الأنبياء ولهذا قال سعيد بن جبير : إن لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر إلا من لا يكون فيه شيء

---

(١) حديث مررت ليلة أسرى بى بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار ــ الحديث : تقدم فى العلم .

(١) البقرة : ٤٤ (٢) الصف : ٣

لم يأمر أحد بشيء ، فأعجب مالكا ذلك من سعيد بن جبير ، وإن زعموا أن ذلك لا يشترط عن الصغائر ، حتى يجوز للابس الحرير أن يمنع من الزنا وشرب الخمر ، فنقول : وهل لشارب الخمر أن يغزو الكفار ، ويحتسب عليهم بالمنع من الكفر فإن قالوا: لا، خرقوا الإجماع ، إذ جنود المسلمين لم تزل مشتملة على البر والفاجر ، وشارب الخمر ، وظالم الأيتام ولم يمنعوا من الغزو لا فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده، فإن قالوا نعم فنقول: شارب الخمر هل له المنع من القتل أم لا فإن قالوا: لا، قلنا . فما الفرق بينه وبين لابس الحرير؟ إذ جاز له المنع من الخمر ، والقتل كبيرة بالنسبة إلى الشرب ، كالشرب بالنسبة إلى لبس الحرير فلا فرق ، وإن قالوا نعم وفصلوا الأمر فيه ، بأن كل مقدم على شيء فلا يمنع عن مثله ولا عما دونه ، وإنما يمنع عما فوقه ، فهذا تحكم ، فإنه كما لا يبعد أن يمنع الشارب من الزنا والقتل فمن أين يبعد أن يمنع الزانى من الشرب ، بل من أين يبعد أن يشرب ويمنع غلمانه وخدمه من الشراب ، ويقول يجب علىّ الانتهاء ، والنهى ، فمن أين يلزمنى من العصيان بأحدهما أن أعصى الله تعالى بالثانى ، وإذا كان النهي واجبا علىّ فمن أين يسقط وجوبه بإقدامى ، إذ يستحيل أن يقال يجب النهى عن شرب الخمر عليه مالم يشرب ، فإذا شرب سقط عنه النهى

فإن قيل : فيلزم على هذا أن يقول القائل الواجب علىّ الوضوء ، والصلاة ، فأنا أتوضأ وإن لم أصل ، وأتسحر وإن لم أصم ، لأن المستحب لى السحور والصوم جميعا ، ولكن يقال أحدهما مرتب على الآخر ، فكذلك تقويم الغير مرتب على تقويمه نفسه ، فليبدأ بنفسه ثم بمن يعول

والجواب أن التسحر يراد للصوم ، ولولا الصوم لما كان التسحر مستحباً ، وما يراد لغيره لا ينفك عن ذلك الغير ، وإصلاح الغير لا يراد لاصلاح النفس ، ولا صلاح النفس لإصلاح الغير ، فالقول بترتب أحدهما على الآخر تحكم ، وأما الوضوء والصلاة فهو لازم فلا جرم أن من توضأ ولم يصل ، كان مؤديا أمر الوضوء ، وكان عقابه أقل من عقاب مَن ترك الوضوء والصلاة جميعا ، فليكن من ترك النهى والانتهاء أكثر عقابا ممن نهي ولم ينته كيف ، والوضوء شرط لا يراد لنفسه ، بل للصلاة فلا حكم له دون الصلاة ، وأما الحسبة فليست شرطا فى الانتهاء والائتمار فلا مشابهة بينهما

فإن قيل : فيلزم على هذا أن يقال إذا زنى الرجل بامرأة وهى مكرهة مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها ، فأخذ الرجل يحتسب فى أثناء الزنا ، ويقول أنت مكرهة فى الزنا، ومختارة فى كشف الوجه لغير محرم ، وها أنا غير محرم لك فاسترى وجهك ، فهذا احتساب شنيع يستنكره قلب كل عاقل ، ويستشنعه كل طبع سليم

فالجواب : أن الحق قد يكون شنيعا ، وأن الباطل قد يكون مستحسنا بالطباع، والمتبع الدليل دون نفرة الأوهام والخيالات، فإنا نقول : قوله لها فى تلك الحالة لا تكشفى وجهك واجب ، أو مباح ، أو حرام ، فإن قلتم إنه واجب فهو الغرض ، لأن الكشف معصية والنهي عن المعصية حق ، وإن قلتم إنه مباح ، فإذاً له أن يقول ما هو مباح ، فما معنى قولكم ليس للفاسق الحسبة ، وإن قلتم إنه حرام ، فنقول كان هذا واجبا فمن أين حرم بإقدامه على الزنا ، ومن الغريب أن يصير الواجب حراما بسبب ارتكاب حرام آخر

وأما نفرة الطباع عنه واستنكارها له فهو لسببين

أحدهما: أنه ترك الأهم واشتغل بما هو مهم ، وكما أن الطباع تنفر عن ترك المهم إلى مالا يعنى ، فتنفر عن ترك الأهم ، والاشتغال بالمهم ، كما تنفر عمن يتحرج عن تناول طعام مغصوب وهو مواظب على الربا ، وكما تنفر عمن يتصاون عن الغيبة ويشهد بالزور . لأن الشهادة بالزور أفحش ، وأشد من الغيبة التى هى إخبار عن كائن يصدق فيه المخبر ، وهذا الاستبعاد فى النفوس لا يدل على أن ترك الغيبة ليس بواجب ، وأنه لو اغتاب أو أكل لقمة من حرام لم تزد بذلك عقوبته ، فكذلك ضرره فى الآخرة من معصيته أكثر من ضرره من معصية غيره، فاشتغاله عن الأقل بالأكثر مستنكر فى الطبع ، من حيث إنه ترك الأكثر لا من حيث إنه أتى بالأقل ، فمن غصب فرسه ، ولجام فرسه ، فاشتغل بطلب اللجام ، وترك الفرس ، نفرت عنه الطباع ، ويرى مسيئا ، إذ قد صدر منه طلب اللجام ، وهو غير منكر ، ولكن المنكر تركه لطلب الفرس بطلب اللجام ، فاشتد الإنكار عليه لتركه الأهم بما دونه ، فكذلك حسبة الفاسق تستبعد من هذا الوجه ، وهذا لا يدل على أن حسبته من حيث إنها حسبة مستنكرة

الثانى: أن الحسبة تارة تكون بالنهي بالوعظ ، وتارة بالقهر، ولا ينجع وعظ من لا يتعظ أولا

ونحن نقول: من علم أن قوله لا يقبل في الحسبة لعلم الناس بفسقه ، فليس عليه الحسبة بالوعظ إذ لا فائدة في وعظه ، فالفسق يؤثر في إسقاط فائدة كلامه، ثم إذا سقط فائدة كلامه سقط وجوب الكلام، فأما إذا كانت الحسبة بالمنع، فالمراد منه القهر، وتمام القهر: أن يكون بالفعل والحجة جميعا وإذا كان فاسقا فإن قهر بالفعل فقد قهر بالحجة ، إذ يتوجه عليه أن يقال له فأنت لم تقدم عليه فتنفر الطباع عن قهره بالفعل مع كونه مقهورا بالحجة ، وذلك لا يخرج الفعل عن كونه حقا كما أن من يذب الظالم عن آحاد المسلمين ، ويهمل أباه وهو مظلوم معهم ، تنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقا ، فخرج من هذا أن الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه ، لأنه لا يتعظ ، وإذا لم يكن عليه ذلك وعلم أنه يفضى إلى تطويل اللسان في عرضه بالإنكار ، فنقول ليس له ذلك أيضا ، فرجع الكلام إلى أن أحد نوعى الاحتساب وهو الوعظ قد بطل بالفسق ، وصارت العدالة مشروطة فيه

وأما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك ، فلا حرج على الفاسق في إراقة الخمور وكسر الملاهى وغيرها إذا قدر ، وهذا غاية الإنصاف والكشف في المسألة

وأما الآيات التى استدلوا بها فهو إنكار عليهم ، من حيث تركهم المعروف لا من حيث أمرهم ، ولكن أمرهم دل على قوة علمهم ، وعقاب العالم أشد ، لأنه لا عذر له مع قوة علمه وقوله تعالى (لِمَ تَقُولُونَ مَالَا تَفْعَلُونَ [1]) المراد به الوعد الكاذب ، وقوله عز وجل (وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ [2]) إنكار من حيث إنهم نسوا أنفسهم ، لا من حيث إنهم أمروا غيرهم ولكن ذكر أمر الغير استدلالا به على علمهم وتأكيدا للحجة عليهم ، وقوله : يا ابن مريم عظ نفسك الحديث ، هو في الحسبة بالوعظ ، وقد سلمنا أن وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف فسقه ، ثم قوله فاستحى منى لا يدل على تحريم وعظ الغير ، بل معناه استحى منى فلا تترك الأهم وتشتغل بالمهم ، كما يقال احفظ أباك ثم جارك وإلا فاستحى

فإن قيل : فليجز للكافر الذمى أن يحتسب على المسلم إذا رآه يزنى ، لأن قوله لا تزن حق في نفسه ، فمحال أن يكون حراما عليه ، بل ينبغى أن يكون مباحا أو واجبا

(١) البقرة : ٤٤ (٢) الصف : ٣

قلنا: الكافر إن منع المسلم بفعله فهو تسلط عليه ، فيمنع من حيث إنه تسلط (وَمَا جَعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً) وأما مجرد قوله . لا تزن فليس بمحرم عليه من حيث إنه نهى عن الزنا . ولكن من حيث إنه إظهار دالة الاحتكام على المسلم ، وفيه إذلال للمحتكم عليه ، والفاسق يستحق الإذلال ، ولكن لا من الكافر الذى هو أولى بالذل منه ، فهذا وجه منعنا إياه من الحسبة ، وإلا فلسنا نقول إن الكافر يعاقب بسبب قوله لا تزن من حيث إنه نهى ، بل نقول إنه إذا لم يقل لا تزن يعاقب عليه ، إن رأينا خطاب الكافر بفروع الدين ، وفيه نظر استوفيناه في الفقهيات ولا يليق بغرضنا الآن

الشرط الرابع : كونه مأذونا من جهة الإمام والوالى ، فقد شرط قوم هـذا الشرط ولم يثبتوا للآحاد من الرعية الحسبة ، وهذا الاشتراط فاسد ، فإن الآيات والأخبار التى أوردناها تدل على أن كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى ، إذ يجب نهيه أينما رآه ، وكيفما رآه على العموم ، فالتخصيص بشرط التفويض من الإمام تحكم لا أصل له

والعجب أن الروافض زادوا على هذا فقالوا : لا يجوز الأمر بالمعروف ما لم يخرج الإمام المعصوم وهو الامام الحق عندهم ، وهؤلاء أخس رتبة من أن يكلموا ، بل جوابهم أن يقال لهم ، إذا جاؤا إلى القضاء طالبين لحقوقهم فى دمائهم وأموالهم ، إن نصرتكم أمر بالمعروف واستخراج حقوقكم من أيدى من ظلمكم نهى عن المنكر ، وطلبكم لحقكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهى عن الظلم ، وطلب الحقوق ، لأن الامام الحق بعدُ لم يخرج

فإن قيل فى الأمر بالمعروف إثبات سلطنة ، وولاية ، واحتكام على المحكوم عليه ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقاً ، فينبغى أن لا يثبت لآحاد الرعية إلا بتفويض من الولى وصاحب الأمر .

فنقول : أما الكافر فممنوع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام ، والكافر ذليل ، فلا يستحق أن ينال عز التحكم على المسلم ، وأما آحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة ، وما فيه من عز السلطنة ، والاحتكام لا يحوج إلى تفويض ، كعز التعليم والتعريف ، إذ لا خلاف فى أن تعريف التحريم والإيجاب لمن هو جاهل ومقدم على المنكر بجهله لا يحتاج إلى إذن الوالى وفيه عز الإرشاد وعلى المعرف ذل التجهيل ، وذلك يكفى فيه مجرد الدين وكذلك النهى .

وشرح القول فى هذا أن الحسبة لها خمس مراتب كما سيأتى ، أولها التعريف ، والثانى الوعظ بالكلام اللطيف ، والثالث : السب والتعنيف ، ولست أعنى بالسب الفحش ، بل أن يقول يا جاهل يا أحمق ألا تخاف الله ، وما يجرى هذا المجرى ، والرابع : المنع بالقهر بطريق المباشرة ، ككسر الملاهى ، وإراقة الخمر ، واختطاف الثوب الحرير من لابسه واستلاب الثوب المغصوب منه ورده على صاحبه ، والخامس : التخويف والتهديد بالضرب ومباشرة الضرب له ، حتى يمتنع عما هو عليه ، كالمواظب على الغيبة والقذف ، فإن سلب لسانه غير ممكن ، ولكن يحمل على اختيار السكوت بالضرب ، وهذا قد يحوج إلى استعانة وجمع أعوان من الجانبين ، ويجر ذلك إلى قتال ، وسائر المراتب لا يخفى وجه استغنائها عن إذن الإمام الا المرتبة الخامسة ، فإن فيها نظرا سيأتى

أما التعريف والوعظ فكيف يحتاج إلى إذن الامام ، وأما التجهيل ، والتحميق ، والنسبة إلى الفسق ، وقلة الخوف من الله ، وما يجرى مجراه ، فهو كلام صدق ، والصدق مستحق بل أفضل الدرجات كلمة حق عند إمام جائر ، كما ورد فى الحديث [1] فإذا جاز الحكم على الإمام على مراغمته فكيف يحتاج إلى إذنه ، وكذلك كسر الملاهى ، وإراقة الخمور ، فإنه تعاطى مايعرف كونه حقا من غير اجتهاد ، فلم يفتقر إلى الإمام ، وأما جمع الأعوان ، وشهر الأسلحة فذلك قد يجر إلى فتنة عامة ، ففيه نظر سيأتى ، واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاة قاطع بإجماعهم على الاستغناء عن التفويض ، بل كل من أمر بمعروف ، فإن كان الوالى راضيا به فذاك وإن كان ساخطا له فسخطه له منكر يجب الإنكار عليه ، فكيف يحتاج إلى إذنه فى الإنكار عليه

ويدل على ذلك عادة السلف فى الإنكار على الأئمة ، كما روى [2] أن مروان بن الحكم خطب قبل صلاة العيد ، فقال له رجل إنما الخطبة بعد الصلاة ، فقال له مروان ، ترك ذلك يا فلان ، فقال أبو سعيد : أما هذا فقد قضى ما عليه ، قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُنْكِرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ

---

(١) حديث أفضل الجهاد كلمة حق عند امام جائر : أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى

(٢) حديث ان مروان خطب قبل الصلاة فى العيد ـ الحديث : وفيه حديث أبى سعيد مرفوعا من راى منكر ـ الحديث : رواه مسلم

وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ » فلقد كانوا فهموا من هذه العمومات دخول السلاطين تحتها ، فكيف يحتاج إلى إذنهم .

وروى أن المهدى لما قدم مكة لبث بها ما شاء الله ، فلما أخذ فى الطواف نحى الناس عن البيت ، فوثب عبد الله بن مرزوق فلببه بردائه ثم هزه ، وقال له انظر ماتصنع ؟ من جعلك بهذا البيت أحق ممن أتاه من البُعد حتى إذا صار عنده حلت بينه وبينه ، وقد قال الله تعالى (سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ[1]) من جعل لك هذا ، فنظر فى وجهه وكان يعرفه لأنه من مواليهم ، فقال أعبد الله بن مرزوق ، قال : نعم ، فأخذ فجىء به إلى بغداد ، فكره أن يعاقبه عقوبة يشنع بها عليه فى العامة ، فجعله فى اصطبل الدواب ليسوس الدواب ، وضموا إليه فرسا عضوضا سيىء الخلق ، ليعقره الفرس ، فلين الله تعالى له الفرس ، قال ثم صيروه إلى بيت وأغلق عليه ، وأخذ المهدى المفتاح عنده ، فإذا هو قد خرج بعد ثلاث إلى البستان يأكل البقل فأوذن به المهدى ، فقال له من أخرجك ؟ فقال الذى حبسنى ، فضج المهدى وصاح ، وقال ماتخاف أن أقتلك ، فرفع عبد الله إليه رأسه يضحك وهو يقول : لو كنت تملك حياة أو موتا ، فمازال محبوسا حتى مات المهدى ، ثم خلوا عنه فرجع إلى مكة ، قال وكان قد جعل على نفسه نذرا ، إن خلصه الله من أيديهم أن ينحر مائة بدنة ، فكان يعمل فى ذلك حتى نحرها

وروى عن حبان بن عبد الله قال : تنزه هرون الرشيد بالدوين ، ومعه رجل من بنى هاشم ، وهو سليمان بن أبى جعفر ، فقال له هرون : قد كانت لك جارية تغنى فتحسن فجئنا بها ، قال فجاءت فغنت ، فلم يحمد غناءها ، فقال لها ماشأنك ؟ فقالت ليس هذا عودى فقال للخادم جئنا بعودها ، قال فجاء بالعود فوافق شيخا يلقط النوى ، فقال الطريق ياشيخ فرفع الشيخ رأسه ، فرأى العود فأخذه من الخادم فضرب به الأرض ، فأخذه الخادم وذهب به إلى صاحب الربع ، فقال احتفظ بهذا فإنه طلبة أمير المؤمنين ، فقال له صاحب الربع ليس ببغداد أعبد من هذا ، فكيف يكون طلبة أمير المؤمنين ، فقال له اسمع ماأقول لك ثم دخل على هرون فقال إنى مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له الطريق ، فرفع رأسه فرأى العود فأخذه فضرب به الأرض فكسره ، فاستشاط هرون وغضب واحمرت عيناه

---

[1] الحج : ٢٥

فقال له سليمان بن أبي جعفر : ماهـذا الغضب ياأمير المؤمنين ؟ إبعث إلى صاحب الربع يضرب عنقه ، ويرم به فى الدجلة ، فقال : لا ، ولـكن نبعث إليه ونناظره أولا ، فجاء الرسول فقال أجب أمير المؤمنين ، فقال : نعم ، قال اركب قال : لا ، فجاء يمشى حتى وقف على باب القصر ، فقيل لهرون قـد جاء الشيخ فقال للندماء : أى شيء ترون نرفع ماقدامنا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ ، أو نقوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر ، فقالوا له نقوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر أصلح ، فقاموا إلى مجلس ليس فيه منكر ، ثم أمر بالشيخ فأدخل وفى كمه الـكيس الذى فيه النوى ، فقال له الخادم أخرج هذا من كمك ، وادخل على أمير المؤمنين ، فقال من هذا عشائى الليلة ، قال نحن نعشيك ، قال لاحاجة لى فى عشائكم فقال هرون للخادم أى شيء تريد منه ، قال فى كمه نوى ، قلت له اطرحه وادخل على أمير المؤمنين ، فقال دعه لايطرحه قال فدخل وسلم وجلس ، فقال له هرون ياشيخ ماحملك على ماصنعت ، قال وأى شيء صنعت ؟ وجعل هرون يستحى أن يقول كسرت عودى ، فلما أكثر عليـه ، قال إنى سمعت أباك ، وأجدادك ، يقرءون هذه الآية على المنـبر (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ [1]) وأنا رأيت منكرا فغيرته ، فقال فغـيره فو الله ماقال إلا هـذا ، فلما خرج أعطى الخليفة رجلا بدرة ، وقال اتبع الشيخ فإن رأيتـه يقول ، قلت لأمير المؤمنين وقال لى فلا تعطه شيئا ، وإن رأيته لايكلم أحدا فاعطه البدرة ، فلما خرج من القصر إذا هو بنواة فى الأرض قد غاصت فجعل يعالجها ولم يكلم أحدا ، فقال له يقول لك أمير المؤمنين خذ هـذه البدرة فقال قل لأمير المؤمنين يردها من حيث أخـذها ، ويروى أنه أقبل بعد فراغه من كلامه على النواة التى يعالج قلعها من الأرض ، وهو يقول

أرى الدنيا لمن هى فى يديه ... هموما كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصغر ... وتكرم كل من هانت عليه
إذا استغنيت عن شيء فدعه ... وخذ ما أنت محتاج إليه

(١) النحل : ٩٠

وعن سفيان الثوري رحمه الله، قال حج المهدي في سنة ست وستين ومائة، فرأيته يرمي جمرة العقبة، والناس يخبطون يمينا وشمالا بالسياط، فوقفت فقلت ياحسن الوجه، حدثنا أيمن عن وائل، عن قدامة بن عبدالله الكلابي، قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) يرمي الجمرة يوم النحر، على جمل، لاضرب، ولا طرد، ولا جلد، ولا إليك إليك، وهاأنت تخبط الناس بين يديك يمينا وشمالا، فقال لرجل من هذا؟ قال سفيان الثوري، فقال ياسفيان لو كان المنصور ما احتملك على هذا، فقال لو أخبرك المنصور بما لقي، لقصرت عما أنت فيه قال فقيل له إنه قال لك يا حسن الوجه، ولم يقل لك يا أمير المؤمنين، فقال اطلبوه فطلب سفيان فاختفى

وقد روي عن المأمون أنه بلغه أن رجلا محتسبا يمشي في الناس يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ولم يكن مأمورا من عنده بذلك، فأمر بأن يدخل عليه، فلما صار بين يديه قال له إنه بلغني أنك رأيت نفسك أهلا للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر من غير أن نأمرك، وكان المأمون جالسا على كرسي ينظر في كتاب، أو قصة فأغفله، فوقع منه، فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر به، فقال له المحتسب ارفع قدمك عن أسماء الله تعالى، ثم قل ماشئت، فلم يفهم المأمون مراده، فقال ماذا تقول حتى أعاده ثلاثا فلم يفهم، فقال أما رفعت أو أذنت لي حتى أرفع: فنظر المأمون تحت قدمه، فرأى الكتاب فأخذه وقبله وخجل ثم عاد، وقال لم تأمر بالمعروف؟ وقد جعل الله ذلك إلينا أهل البيت، ونحن الذين قال الله تعالى فيهم (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ (١)) فقال صدقت ياأمير المؤمنين، أنت كما وصفت نفسك من الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ (٢)) الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا » وقد مكنت في الأرض، وهذا كتاب الله وسنة رسوله

---

(١) حديث قدامة بن عبد الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي الجمرة يوم النحر على جمل لاضرب ولا طرد ولا جلد ولا اليك ولا اليك: الترمذي وقال حسن صحيح والنسائي وابن ماجه وأما قوله في أوله ان الثوري قال حج المهدي سنة ست وستين فليس بصحيح فان الثوري توفي سنة احدى وستين

(٢) حديث المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا: متفق عليه من حديث أبي موسى وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة

(١) الحج: ٤١ (٢) التوبة: ٧١

فإن انقدت لهما شكرت لمن أعانك لحرمتهما ، وإن استكبرت عنهما ولم تنقد لما لزمك منهما فإن الذى إليه أمرك ، وبيده عزك وذلّك ، قد شرط أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا ، فقل الآن ما شئت ، فأعجب المأمون بكلامه ، وسر به ، وقال مثلك يجوز له أن يأمر بالمعروف فامض على ما كنت عليه بأمرنا ، وعن رأينا ، فاستمر الرجل على ذلك

فى سياق هذه الحكايات بيان الدليل على الاستغناء عن الإذن

فإن قيل : أفتثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد ، والعبد على المولى ، والزوجة على الزوج والتلميذ على الأستاذ ، والرعية على الوالى مطلقا ، كما يثبت للوالد على الولد ، والسيد على العبد والزوج على الزوجة ، والأستاذ على التلميذ ، والسلطان على الرعية ، أو بينهما فرق

فاعلم أن الذى نراه أنه يثبت أصل الولاية ، ولكن بينهما فرق فى التفصيل ، ولنفرض ذلك فى الولد مع الوالد ، فنقول قد رتبنا للحسبة خمس مراتب ، وللولد الحسبة بالرتبتين الأوليين ، وهما التعريف ، ثم الوعظ والنصح باللطف ، وليس له الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد ، ولا بمباشرة الضرب ، وهما الرتبتان الأخريان ، وهل له الحسبة بالرتبة الثالثة حيث تؤدى إلى أذى الوالد وسخطه ، هذا فيه نظر ، وهو بأن يكسر مثلا عوده ، ويريق خمره ويحل الخيوط عن ثيابه المنسوجة من الحرير ، ويرد إلى الملاك ما يجده فى بيته من المال الحرام ، الذى غصبه أو سرقه . أو أخذه إدرار رزق من ضريبة المسلمين ، إذا كان صاحبه معينا ويبطل الصور المنقوشة على حيطانه ، والمنقورة في خشب بيته ، ويكسر أوانى الذهب والفضة ، فإن فعله فى هذه الأمور ليس يتعلق بذات الأب بخلاف الضرب والسب ، ولكن الوالد يتأذى به ويسخط بسببه ، إلا أن فعل الولد حق ، وسخط الأب منشؤه حبه للباطل وللحرام ، والأظهر فى القياس أنه يثبت للولد ذلك بل يلزمه أن يفعل ذلك ، ولا يبعد أن ينظر فيه إلى قبح المنكر ، وإلى مقدار الأذى والسخط فإن كان المنكر فاحشا وسخطه عليه قريبا كإراقة خمر من لا يشتد غضبه ، فذلك ظاهر وإن كان المنكر قريبا ، والسخط شديدا كما لو كانت له آنية من بلور أو زجاج على صورة حيوان ، وفى كسرها خسران مال كثير ، فهذا مما يشتد فيه الغضب ، وليس تجرى هذه المعصية مجرى الخمر وغيره ، فهذا كله مجال النظر

فإن قيل : ومن أين قلتم ليس له الحسبة بالتعنيف والضرب والإرهاق إلى ترك الباطل ، والأمرُ بالمعروف فى الكتاب والسنة ورَد عاما من غير تخصيص ، وأما النهي عن التأفيف والإيذاء فقد ورد وهو خاص فيما لا يتعلق بارتكاب المنكرات

فنقول : قد ورد فى حق الأب على الخصوص ما يوجب الاستثناء من العموم ، إذ لا خلاف[1] فى أن الجلاد ليس له أن يقتل أباه فى الزنا حدا ، ولا له أن يباشر إقامة الحد عليه بل لا يباشر قتل أبيه الكافر ، بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص ، ولم يكن له أن يؤذيه فى مقابلته وقد ورد فى ذلك أخبار وثبت بعضها بالإجماع ، فإذا لم يجز له إيذاؤه بعقوبة هى حق على جناية سابقة ، فلا يجوز له إيذاؤه بعقوبة هى منع عن جناية مستقبلة متوقعة ، بل أولى وهذا الترتيب أيضا ينبغى أن يجرى فى العبد والزوجة ، مع السيد والزوج ، فهما قريبان من الولد فى لزوم الحق وإن كان ملك اليمين آكد من ملك النكاح ، ولكن فى الخبر[2] أنه لو جاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، وهذا يدل على تأكيد الحق أيضا وأما الرعية مع السلطان فالأمر فيها أشد من الولد فليس لها معه إلا التعريف والنصح

فأما الرتبة الثالثة : ففيها نظر من حيث إن الهجوم على أخذ الأموال من خزانته وردها إلى الملاك وعلى تحليل الخيوط من ثيابه الحرير ، وكسر آنية الخمور فى بيته يكاد يفضى إلى خرق هيبته ، وإسقاط حشمته ، وذلك محظور ، ورد النهي عنه[3] كما ورد النهي عن السكوت على المنكر ، فقد تعارض فيه أيضا محذوران ، والأمر فيه موكول إلى اجتهاد منشؤه النظر فى تفاحش المنكر ، ومقدار ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه ، وذلك مما لا يمكن ضبطه ، وأما التلميذ والأستاذ فالأمر فيما بينهما أخف لأن المحترم هو الأستاذ المفيد للعلم من حيث الدين ، ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه ، فله أن يعامله بموجب علمه الذى تعلمه منه

---

(١) الأخبار الواردة فى أن الجلاد ليس له أن يجلد أباه فى الزنا ولا أن يباشر اقامة الحد عليه ولا يباشر قتل أبيه الكافر وأنه لو قطع يده لم يلزمه القصاص ثم قال وثبت بعضها بالاجماع . قلت لم أجد فيه إلا حديث لا يقاد الوالد بالولد رواه الترمذى وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذى فيه اضطراب

(٢) حديث لو جاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها : تقدم فى النكاح

(٣) حديث النهى عن الانكار على السلطان جهرة بحيث يؤدى الى خرق هيبته : الحاكم فى المستدرك من حديث عياض بن غنم الأشعرى من كانت عنده نصيحة لذى سلطان فلا يكلمه بها علانية وليأخذه بيده فليخل به فان قبلها قبلها والا كان قد أدى الذى عليه والذى له : قال صحيح الاسناد وللترمذى وحسنه من حديث أبى بكرة من أهان سلطان الله فى الأرض أهانه الله فى الأرض

ورُوي أنه سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على والده ؟ فقال يعظه ما لم يغضب فإن غضب سكت عنه

الشرط الخامس : كونه قادرا : ولا يخفى أن العاجز ليس عليه حسبة إلا بقلبه ، إذ كل من أحب الله يكره معاصيه وينكرها ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه . جاهدوا الكفار بأيديكم ، فإن لم تستطيعوا إلا أن تكفهروا فى وجوههم فافعلوا

واعلم أنه لا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسى ، بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروها يناله ، فذلك فى معنى العجز ، وكذلك إذا لم يخف مكروهاً ولكن علم أن إنكاره لا ينفع فليلتفت إلى معنيين ، أحدهما : عدم إفادة الإنكار امتناعا ، والآخر : خوف مكروه ، ويحصل من اعتبار المعنيين أربعة أحوال

أحدها : أن يجتمع المعنيان ، بأن يعلم أنه لا ينفع كلامه ويضرب إن تكلم فلا تجب عليه الحسبة ، بل ربما تحرم فى بعض المواضع ، نعم يلزمه أن لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل فى بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج إلا لحاجة مهمة ، أو واجب ، ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة إلا إذا كان يرهق إلى الفساد ، أو يحمل على مساعدة السلاطين فى الظلم والمنكرات فتلزمه الهجرة إن قدر عليها . فإن الإكراه لا يكون عذرا فى حق من يقدر على الهرب من الإكراه

الحالة الثانية : أن ينتفى المعنيان جميعا ، بأن يعلم أن المنكر يزول بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه ، فيجب عليه الإنكار وهذه هى القدرة المطلقة

الحالة الثالثة : أن يعلم أنه لا يفيد إنكاره لكنه لا يخاف مكروها ، فلا تجب عليه الحسبة لعدم فائدتها ، ولكن تستحب لإظهار شعائر الإسلام ، وتذكير الناس بأمر الدين

الحالة الرابعة : عكس هذه ، وهو أن يعلم أنه يصاب بمكروه ولكن يبطل المنكر بفعله كما يقدر على أن يرمى زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها ، ويريق الخمر ، أو يضرب العود الذى فى يده ضربة مختطفة فيكسره فى الحال ، ويتعطل عليه هذا المنكر ، ولكن يعلم أنه يرجع إليه فيضرب رأسه ، فهذا ليس بواجب وليس بحرام ، بل هو مستحب ، ويدل عليه الخبر الذى أوردناه فى فضل كلمة حق عند إمام جائر ، ولا شك فى أن ذلك مظنة الخوف

ويدل عليه أيضا ما رُوي عن أبى سليمان الدارانى رحمه الله تعالى أنه قال : سمعت من بعض الخلفاء

كلاما فأردت أن أنكر عليه ، وعلمت أنى أقتل ولم يعنعنى القتل ، ولكن كان فى ملأ من الناس فخشيت أن يعترينى التزين للخلق ، فأقتل من غير إخلاص فى الفعل .

فإن قيل فما معنى قوله تعالى (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ [1])

قلنا: لاخلاف فى أن المسلم الواحد ، له أن يهجم على صف الكفار ويقاتل ، وإن علم أنه يقتل ، وهذا ربما يظن أنه مخالف لموجب الآية ، وليس كذلك ، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ، : ليس التهلكة ذلك ، بل ترك النفقة فى طاعة الله تعالى ، أى من لم يفعل ذلك فقد أهلك نفسه ، وقال البراء بن عازب : التهلكة هو أن يذنب الذنب ، ثم يقول لا يتاب علىّ ، وقال أبو عبيدة : هو أن يذنب ثم لا يعمل بعده خيرا حتى يهلك ، وإذا جاز أن يقاتل الكفار حتى يقتل ، جاز أيضا له ذلك فى الحسبة ، ولكن لو علم أنه لا نكاية لهجومه على الكفار ، كالأعمى يطرح نفسه على الصف ، أو العاجز ، فذلك حرام ، وداخل تحت عموم آية التهلكة ، وإنما جاز له الإقدام إذا علم أنه يقاتل إلى أن يقتل ، أو علم أنه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جراءته ، واعتقادهم فى سائر المسلمين قلة المبالاة ، وحبهم للشهادة فى سبيل الله ، فتنكسر بذلك شوكتهم ، فكذلك يجوز للمحتسب ، بل يستحب له أن يعرّض نفسه للضرب والقتل ، إذا كان لحسبته تأثير فى رفع المنكر ، أو فى كسر جاه الفاسق أو فى تقوية قلوب أهل الدين ، وأما إن رأى فاسقاً متغلباً ، وعنده سيف ، وبيده قدح ، وعلم أنه لو أنكر عليه لشرب القدح ، وضرب رقبته ، فهذا مما لا أرى للحسبة فيه وجها ، وهو عين الهلاك ، فإن المطلوب أن يؤثر فى الدين أثرا ، ويفديه بنفسه ، فأما تعريض النفس للهلاك من غير أثر فلا وجه له ، بل ينبغى أن يكون حراما ، وإنما يستحب له الإنكار إذا قدر على إبطال المنكر ، أو ظهر لفعله فائدة ، وذلك بشرط أن يقتصر المكروه عليه ، فإن علم أنه يضرب معه غيره من أصحابه أو أقاربه أو رفقائه ، فلا تجوز له الحسبة بل تحرم ، لأنه عجز عن دفع المنكر ، إلا بأن يفضى ذلك إلى منكر آخر ، وليس ذلك من القدرة فى شىء ، بل لو علم أنه لو احتسب لبطل ذلك المنكر ، ولكن كان ذلك سببا لمنكر آخر يتعاطاه غير المحتسب عليه ، فلا يحل له الإنكار على الأظهر ، لأن المقصود عدم مناكير الشرع مطلقا

---

(١) البقرة : ١٩٥

لا من زيد أو عمرو ، وذلك بأن يكون مثلا مع الإنسان شراب حلال ، نجس بسبب وقوع نجاسة فيه ، وعلم أنه لو أراقه لشرب صاحبه الخمر ، أو تشرب أولاده الخمر ، لإعوازهم الشراب الحلال ، فلا معنى لإراقة ذلك ، ويحتمل أن يقال إنه يريق ذلك فيكون هو مبطلا لمنكر ، وأما شرب الخمر فهو الملوم فيه ، والمحتسب غير قادر على منعه من ذلك المنكر

وقد ذهب إلى هذا ذاهبون ، وليس ببعيد ، فإن هذه مسائل فقهية لايمكن فيها الحكم إلا بظن ، ولا يبعد أن يفرق بين درجات المنكر المغير ، والمنكر الذى تفضى إليه الحسبة والتغيير ، فإنه إذا كان يذبح شاة لغيره ليأكلها ، وعلم أنه لو منعه من ذلك لذبح إنسانا وأكله فلا معنى لهذه الحسبة . نعم لو كان منعه عن ذبح إنسان ، أو قطع طرفه يحمله على أخذ ماله فذلك له وجه .

فهذه دقائق واقعة فى محل الاجتهاد ، وعلى المحتسب اتباع اجتهاده فى ذلك كله ، ولهذه الدقائق نقول : العامى ينبغى له أن لايحتسب إلا فى الجليات المعلومة ، كشرب الخمر ، والزنا وترك الصلاة ، فأما مايعلم كونه معصية بالإضافة إلى مايطيف به من الأفعال ، ويفتقر فيه إلى اجتهاد ، فالعامى إن خاض فيه كان مايفسده أكثر مما يصلحه ، وعن هذا يتأكد ظن من لا يثبت ولاية الحسبة إلا بتعيين الوالى ، إذ ربما ينتدب لها من ليس أهلا لها ، لقصور معرفته ، أو قصور ديانته ، فيؤدى ذلك إلى وجوه من الخلل ، وسيأتى كشف الغطاء عن ذلك إن شاء الله .

فإن قيل : وحيث أطلقتم العلم بأن يصيبه مكروه ، أو أنه لاتفيد حسبته ، فلو كان بدل العلم ظن ، فما حكمه ؟ .

قلنا : الظن الغالب فى هذه الأبواب فى معنى العلم ، وإنما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم ، إذ يرجح العلم اليقينى على الظن . ويفرق بين العلم والظن فى مواضع أخر ، وهو أنه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعا أنه لايفيد ، فإن كان غالب ظنه أنه لا يفيد ولكن يحتمل أن يفيد ، وهو مع ذلك لايتوقع مكروها ، فقد اختلفوا فى وجوبه والأظهر وجوبه ، إذ لاضرر فيه ، وجدواه متوقعة ، وعمومات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، تقتضى الوجوب بكل حال ، ونحن إنما نستثنى عنه بطريق التخصيص ما إذا علم

أنه لافائدة فيه ، أما بالإجماع ، أو بقياس ظاهر ، وهو أن الأمر ليس يراد لعينه بل للمأمور فإذا علم اليأس عنه فلافائدة فيه ، فأما إذا لم يكن يأس فينبغى أن لا يسقط الوجوب

فإن قيل : فالمكروه الذى تتوقع إصابته إن لم يكن متيقناً ولا معلوماً بغالب الظن ولكن كان مشكوكا فيه ، أو كان غالب ظنه أنه لايصاب بمكروه ، ولكن احتمل أن يصاب بمكروه فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لايجب إلا عند اليقين بأنه لا يصيبه مكروه ، أم يجب فى كل حال إلا إذا غلب على ظنه أنه يصاب بمكروه

قلنا : إن غلب على الظن أنه يصاب لم يجب ، وإن غلب أنه لايصاب وجب ، ومجرد التجويز لايسقط الوجوب ، فإن ذلك ممكن فى كل حسبة ، وإن شك فيه من غير رجحان فهذا محل النظر فيحتمل أن يقال : الأصل الوجوب بحكم العمومات ، وإنما يسقط بمكروه والمكروه هو الذى يظن أو يعلم حتى يكون متوقعا ، وهذا هو الأظهر ، ويحتمل أن يقال إنه إنما يجب عليه إذا علم أنه لاضرر فيه عليه ، أو ظن أنه لاضرر عليه ، والأول أصح نظراً إلى قضية العمومات الموجبة للأمر بالمعروف

فإن قيل : فالتوقع للمكروه يختلف بالجبن والجراءة ، فالجبان الضعيف القلب يرى البعيد قريبا ، حتى كأنه يشاهده ويرتاع منه ، والمتهور الشجاع يبعد وقوع المكروه به بحكم ماجبل عليه من حسن الأمل ، حتى إنه لا يصدق به إلا بعد وقوعه ، فعلى ماذا التعويل؟

قلنا : التعويل على اعتدال الطبع ، وسلامة العقل والمزاج ، فإن الجبن مرض ، وهو ضعف فى القلب ، سببه قصور فى القوّة وتفريط ، والتهور إفراط فى القوّة وخروج عن الاعتدال بالزيادة ، وكلاهما نقصان ، وإنما الكمال فى الاعتدال الذى يعبر عنه بالشجاعة وكل واحد من الجبن والتهور يصدر تارة عن نقصان العقل ، وتارة عن خلل فى المزاج بتفريط أو إفراط ، فإن من اعتدل مزاجه فى صفة الجبن والجراءة فقد لا يتفطن لمدارك الشر فيكون سبب جراءته جهله ؛ وقد لا يتفطن لمدارك دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله وقد يكون عالما بحكم التجربة والممارسة بمداخل الشر ودوافعه ، ولكن يعمل الشر البعيد فى تخذيله وتحليل قوته فى الإقدام بسبب ضعف قلبه مايفعله الشر القريب فى حق الشجاع

المعتدل الطبع ، فلا التفات إلى الطرفين ، وعلى الجبان أن يتكلف إزالة الجبن إزالة علته، وعلته جهل أو ضعف ، ويزول الجهل بالتجربة ، ويزول الضعف بممارسة الفعل المخوف منه تكلفا حتي يصير معتادا . إذ المبتدىء في المناظرة والوعظ مثلا قد يجبن عنه طبعه لضعفه ، فإذا مارس واعتاد فارقه الضعف ، فإن صار ذلك ضروريا غير قابل للزوال ، بحكم استيلاء الضعف على القلب ، فحكم ذلك الضعيف يتبع حاله فيعذر كما يعذر المريض فى التقاعد عن بعض الواجبات ولذلك قد نقول على رأى لا يجب ركوب البحر لأجل حجة الإسلام على من يغلب عليه الجبن فى ركوب البحر ، ويجب على من لا يعظم خوفه منه، فكذلك الأمر فى وجوب الحسبة

فإن قيل : فالمكروه المتوقع ماحده ؟ فإن الإنسان قد يكره كلمة ، وقد يكره ضربة وقد يكره طول لسان المحتسب عليه في حقه بالغيبة ، وما من شخص يؤمر بالمعروف إلا ويتوقع منه نوع من الأذى ، وقد يكون منه أن يسعى به إلى سلطان ، أو يقدح فيه فى مجلس يتضرر بقدحه فيه ، فما حد المكروه الذى يسقط الوجوب به

قلنا : هذا أيضا فيه نظر غامض ، وصورته منتشرة ، ومجاريه كثيرة ، ولكنا نجتهد فى ضم نشره وحصر أقسامه ، فنقول المكروه نقيض المطلوب ، ومطالب الخلق فى الدنيا ترجع إلى أربعة أمور

أما فى النفس : فالعلم

وأما فى البدن : فالصحة والسلامة

وأما فى المال : فالثروة

وأما فى قلوب الناس : فقيام الجاه

فإذاً المطلوب العلم ، والصحة ، والثروة ، والجاه ، ومعنى الجاه ملك قلوب الناس ، كما أن معنى الثروة ملك الدراهم ، لأن قلوب الناس وسيلة إلى الأغراض ، كما أن ملك الدراهم وسيلة إلي بلوغ الأغراض ، وسيأتى تحقيق معنى الجاه ، وسبب ميل الطبع إليه فى ربع المهلكات وكل واحدة من هذه الأربعة يطلبها الإنسان لنفسه ، ولأقاربه والمختصين به ، ويكره فى هذه الأربعة أمران أحدهما . زوال ماهو حاصل موجود ، والآخر : امتناع ماهو منتظر مفقود ، أعنى إندفاع مايتوقع وجوده ، فلا ضرر إلا فى فوات حاصل وزواله ، أو تعويق منتظر ، فإن المنتظر عبارة عن الممكن حصوله ، والممكن حصوله كأنه حاصل

وفوات إمكانه كأنه فوات حصوله ، فرجع المكروه إلى قسمين، أحدهما : خوف امتناع المنتظر وهذا لا ينبغي أن يكون مرخصا في ترك الأمر بالمعروف أصلا ولنذكر مثاله في المطالب الأربعة

أما العلم: فمثاله تركه الحسبة على من يختص بأستاذه، خوفاً من أن يقبح حاله عنده فيمتنع من تعليمه

وأما الصحة . فتركه الإنكار على الطبيب الذي يدخل عليه مثلا ، وهو لابس حريرا، خوفا من أن يتأخر عنه فتمتنع بسببه صحته المنتظرة

وأما المال . فتركه الحسبة على السلطان وأصحابه ، وعلى من يواسيه من ماله ، خيفة من أن يقطع إدراره في المستقبل ؛ ويترك مواساته

وأما الجاه : فتركه الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاها في المستقبل ، خيفة من أن لا يحصل له الجاه ، أو خيفة من أن يقبح حاله عند السلطان الذي يتوقع منه ولاية

وهذا كله لا يسقط وجوب الحسبة ، لأن هذه زيادات امتنعت، وتسمية امتناع حصول الزيادات ضررا مجاز ، وإنما الضرر الحقيقي فوات حاصل ، ولا يستثنى من هذا شيء إلا ما تدعو إليه الحاجة ، ويكون في فواته محذور يزيد على محذور السكوت على المنكر ، كما إذا كان محتاجا إلى الطبيب لمرض ناجز ، والصحة منتظرة من معالجة الطبيب ، ويعلم أن في تأخره شدة الضنا به وطول المرض ، وقد يفضي إلى الموت ، وأعني بالعلم الظن الذي يجوز بمثله ترك استعمال الماء ، والعدول إلى التيمم ، فإذا انتهى إلى هذا الحد لم يبعد أن يرخص في ترك الحسبة

وأما في العلم : فمثل أن يكون جاهلا بمهمات دينه ولم يجد إلا معلما واحدا ، ولا قدرة له على الرحلة إلى غيره ، وعلم أن المحتسب عليه قادر على أن يسد عليه طريق الوصول إليه لكون العالم مطيعا له ، أو مستمعا لقوله ، فإذاً الصبر على الجهل بمهمات الدين محذور والسكوت على المنكر محذور ، ولا يبعد أن يرجح أحدهما ، ويختلف ذلك بتفاحش المنكر وبشدة الحاجة إلى العلم لتعلقه بمهمات الدين

وأما في المال : فكمن يعجز عن الكسب والسؤال ، وليس هو قوي النفس في التوكل ولا منفق عليه سوى شخص واحد ، ولو احتسب عليه قطع رزقه ، وافتقر في تحصيله إلى طلب إدرار حرام ، أو مات جوعا ، فهذا أيضا إذا اشتد الأمر فيه لم يبعد أن يرخص له في السكوت

وأما الجاه : فهو أن يؤذيه شرير، ولا يجد سبيلا إلى دفع شره إلا بجاه يكتسبه من سلطان ولا يقدر على التوصل إليه إلا بواسطة شخص يلبس الحرير ، أو يشرب الخمر ولو احتسب عليه لم يكن واسطة ، ووسيلة له ، فيمتنع عليه حصول الجاه ، ويدوم بسببه أذى الشرير

فهذه الأمور كلها إذا ظهرت وقويت لم يبعد استثناؤها ، ولكن الأمر فيها منوط باجتهاد المحتسب ، حتى يستفتى فيها قلبه ، ويزن أحد المحذورين بالآخر ، ويرجح بنظر الدين لا بموجب الهوى والطبع ، فإن رجح بموجب الدين سمي سكوته مداراة ، وإن رجح بموجب الهوى سمى سكوته مداهنة ، وهذا أمر باطن لا يطلع عليه إلا بنظر دقيق، ولكن الناقد بصير ، فحق على كل متدين فيه أن يراقب قلبه ، ويعلم أن الله مطلع على باعثه وصارفه إنه الدين أو الهوى ، وستجد كل نفس ما عملت من سوء أو خير محضرا عند الله ولو فى فلتة خاطر ، أو فى فلتة ناظر من غير ظلم وجور ، فما الله بظلام للعبيد

وأما القسم الثانى : وهو فوات الحاصل فهو مكروه ومعتبر فى جواز السكوت فى الأمور الأربعة إلا العلم ، فإن فواته غير مخوف إلا بتقصير منه ، وإلا فلا يقدر أحد على سلب العلم من غيره وإن قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة والمال ، وهذا أحد أسباب شرف العلم ، فإنه يدوم فى الدنيا ، ويدوم ثوابه فى الآخرة ، فلا انقطاع له أبد الآباد

وأما الصحة والسلامة : ففواتهما بالضرب ، فكل من علم أنه يضرب ضربا مؤلما يتأذى به فى الحسبة لم تلزمه الحسبة ، وإن كان يستحب له ذلك كما سبق ، وإذا فهم هذا فى الإيلام بالضرب ، فهو فى الجرح والقطع والقتل أظهر

وأما الثروة : فهو بأن يعلم أنه تنهب داره ، ويخرب بيته ، وتسلب ثيابه ، فهذا أيضا يسقط عنه الوجوب، ويبقى الاستحباب إذ لا بأس بأن يفدي دينه بدنياه ، ولكل واحد من الضرب والنهب حد فى القلة لا يكترث به كالحبة فى المال ، واللطمة الخفيف ألمها فى الضرب ، وحد فى الكسرة يتعين اعتباره ، ووسط يقع فى محل الاشتباه والاجتهاد ، وعلى المتدين أن يجتهد فى ذلك ، ويرجح جانب الدين ما أمكن

وأما الجاه : ففواته بأن يضرب ضربا غير مؤلم ، أو يسب على ملا من الناس، أو يطرح

منديله فى رقبته ويدارُ به فى البلد ، أو يسود وجهه ويطاف به ، وكل ذلك من غير ضرب مؤلم للبدن ، وهو قادح فى الجاه ، ومؤلم للقلب ، وهذا له درجات فالصواب أن يقسم إلى ما يعبر عنه بسقوط المروءة ، كالطواف به فى البلد حاسرا حافيا فهذا يرخص له فى السكوت لأن المروءة مأمور بحفظها فى الشرع ، وهذا مؤلم للقلب ألما يزيد على ألم ضربات متعددة وعلى فوات دريهمات قليلة ، فهذه درجة

الثانية ما يعبر عنه بالجاه المحض وعلو الرتبة . فان الخروج فى ثياب فاخرة تجمل ، وكذلك الركوب للخيول ، فلو علم أنه لو احتسب لكلف المشي فى السوق فى ثياب لا يعتاد هو مثلها أو كلف المشي راجلا وعادته الركوب ، فهذا من جملة المزايا وليست المواظبة على حفظها محمودة ، وحفظ المروءة محمود ، فلا ينبغى أن يسقط وجوب الحسبة بمثل هذا القدر ، وفى معنى هذا مالو خاف أن يتعرض له باللسان ، أما فى حضرته بالتجهيل والتحميق ، والنسبة إلى الرياء والبهتان وأما فى غيبته بأنواع الغيبة فهذا لا يسقط الوجوب ، إذ ليس فيه إلا زوال فضلات الجاه التى ليس إليها كبير حاجة ولو تركت الحسبة بلوم لائم ، أو باغتياب فاسق ، أو شتمه وتعنيفه أو سقوط المنزلة عن قلبه وقلب أمثاله ، لم يكن للحسبة وجوب أصلا ، إذ لا تنفك الحسبة عنه إلا إذا كان المنكر هو الغيبة ، وعلم أنه لو أنكر لم يسكت عن المغتاب ، ولكن أضافه إليه وأدخله معه فى الغيبة ، فتحرم هذه الحسبة لأنها سبب زيادة المعصية ، وإن علم أنه يترك تلك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا تجب عليه الحسبة ، لأن غيبته أيضا معصية فى حق المغتاب ، ولكن يستحب له ذلك ليفدى عرض المذكور بعرض نفسه على سبيل الإيثار ، وقد دلت العمومات على تأكد وجوب الحسبة وعظم الخطر فى السكوت عنها ، فلا يقابله إلا ما عظم فى الدين خطره ، والمال و النفس والمروءة قد ظهر فى الشرع خطرها ، فأما مزايا الجاه والحشمة ودرجات التجمل ، وطلب ثناء الخلق ، فكل ذلك لا خطر له

وأما امتناعه لخوف شيء من هذه المكاره فى حق أولاده وأقاربه ، فهو فى حقه دونه ، لأن تأذيه بأمر نفسه أشد من تأذيه بأمر غيره ، ومن وجه الدين هو فوقه ، لأن له أن يسامح فى حقوق نفسه ، وليس له المسامحة فى حق غيره ، فإذاً ينبغي أن يمتنع ، فإنه إن

كان ما يفوت من حقوقهم يفوت على طريق المعصية ، كالضرب والنهب ، فليس له هذه الحسبة ، لأنه دفع منكر يفضى إلى منكر ، وإن كان يفوت لا بطريق المعصية فهو إيذاء للمسلم أيضا ، وليس له ذلك إلا برضاهم ، فإذا كان يؤدى ذلك إلى أذى قومه فليتركه ، وذلك كالزاهد الذى له أقارب أغنياء ، فإنه لا يخاف على ماله إن احتسب على السلطان ، ولكنه يقصد أقاربه انتقاما منه بواسطتهم ، فإذا كان يتعدى الأذى من حسبته إلى أقاربه وجيرانه فليتركها ، فإن إيذاء المسلمين محذور ، كما أن السكوت على المنكر محذور ، نعم إن كان لا ينالهم أذى فى مال أو نفس ، ولكن ينالهم الأذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ، ويختلف الأمر فيه بدرجات المنكرات فى تفاحشها ، ودرجات الكلام المحذور فى نكايته فى القلب ، وقدحه فى العرض

فإن قيل : فلو قصد الإنسان قطع طرف من نفسه ، وكان لا يمتنع عنه إلا بقتال ، ربما يؤدى إلى قتله ، فهل يقاتل عليه ؟ فإن قلتم يقاتل فهو محال ، لأنه إهلاك نفس خوفا من إهلاك طرف ، وفى إهلاك النفس إهلاك الطرف أيضا

قلنا : يمنعه عنه ، ويقاتله إذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه ، بل الغرض حسم سبيل المنكر والمعصية ، وقتله فى الحسبة ليس بمعصية ، وقطع طرف نفسه معصية ، وذلك كدفع الصائل على مال مسلم بما يأتى على قتله ، فإنه جائز لا على معنى أنا نفدى درهما من مال مسلم بروح مسلم ، فإن ذلك محال ، ولكن قصده لأخذ مال المسلمين معصية ، وقتله فى الدفع عن المعصية ليس بمعصية ، وإنما المقصود دفع المعاصى

فإن قيل : فلو علمنا أنه لو خلا بنفسه لقطع طرف نفسه ، فينبغى أن نقتله فى الحال حسما لباب المعصية

قلنا : ذلك لا يعلم يقينا ، ولا يجوز سفك دمه بتوهم معصية ، ولكنا إذا رأيناه فى حال مباشرة القطع دفعناه ، فإن قاتلنا قاتلناه ، ولم نبال بما يأتى على روحه ، فإذاً لمعصية لها ثلاثة أحوال

إحداها . أن تكون متصرمة ، فالعقوبة على ما تصرم منها حد أو تعزير ، وهو إلى الولاة لا إلى الآحاد

الثانية : أن تكون المعصية راهنة وصاحبها مباشر لها ، كلبسه الحرير ، وإمساكه العود

والخمر ، فإبطال هذه المعصية واجب بكل مايمكن ، مالم تؤد إلى معصية أفحش منها أو مثلها ، وذلك يثبت للآحاد والرعية

الثالثة أن يكون المنكر متوقعا ، كالذى يستعد بكنس المجلس وتزيينه ، وجمع الرياحين لشرب الخمر ، وبعد لم يحضر الخمر ، فهذا مشكوك فيه ، إذ ربما يعوق عنه عائق فلا يثبت للآحاد سلطنة على العازم على الشرب إلا بطريق الوعظ والنصح ، فأما بالتعنيف والضرب فلا يجوز للآحاد ، ولا للسلطان إلا إذا كانت تلك المعصية علمت منه بالعادة المستمرة ، وقد أقدم على السبب المؤدى إليها ولم يبق لحصول المعصية إلا ماليس له فيه إلا الانتظار ، وذلك كوقوف الأحداث على أبواب حمامات النساء للنظر إليهن عند الدخول والخروج ، فإنهم وإن لم يضيقوا الطريق لسعته ، فتجوز الحسبة عليهم بإقامتهم من الموضع ومنعهم عن الوقوف بالتعنيف والضرب ، وكان تحقيق هذا إذا بحث عنه يرجع إلى أن هذا الوقوف فى نفسه معصية ، وإن كان مقصد العاصى وراءه ، كما أن الخلوة بالأجنبية فى نفسها معصية لأنها مظنة وقوع المعصية ، وتحصيل مظنة المعصية معصية ، ونعنى بالمظنة مايتعرض الإنسان به لوقوع المعصية غالبا ، بحيث لايقدر على الانكفاف عنها ، فاذا هو على التحقيق حسبة على معصية راهنة لا على معصية منتظرة

الركن الثانى للحسبة

ما فيه الحسبة

وهو كل منكر موجود فى الحال ، ظاهر للمحتسب بغير تجسس ، معلوم كونه منكرا بغير اجتهاد ، فهذه أربعة شروط فلنبحث عنها

الأول : كونه منكرا :

ونعنى به أن يكون محذور الوقوع فى الشرع ، وعدلنا عن لفظ المعصية إلى هذا ، لأن المنكر أعم من المعصية ، إذ من رأى صبيا أو مجنونا يشرب الخمر فعليه أن يريق خمره ويمنعه وكذا إن رأى مجنونا يزنى بمجنونة أو بهيمة ، فعليه أن يمنعه منه ، وليس ذلك لتفاحش صورة الفعل ، وظهوره بين الناس ، بل لو صادف هذا المنكر فى خلوة لوجب المنع منه

وهذا لا يسمى معصية فى حق المجنون، إذ معصية لا عاصى بها محال ، فلفظ المنكر أدلّ عليه وأعم من لفظ المعصية ، وقد أدرجنا فى عموم هذا الصغيرة والكبيرة ، فلا تختص الحسبة بالكبائر ، بل كشف العورة فى الحمام ، والخلوة بالأجنبية ، واتباع النظر للنسوة الأجنبيات ، كل ذلك من الصغائر ، ويجب النهى عنها ، وفى الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظر سيأتى فى كتاب التوبة

الشرط الثانى : أن يكون موجودا فى الحال

وهو احتراز أيضا عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر ، فإن ذلك ليس إلى الآحاد وقد انقرض المنكر ، واحتراز عما سيوجد فى ثانى الحال ، كمن يعلم بقرينة حاله أنه عازم على الشرب فى ليلته ، فلا حسبة عليه إلا بالوعظ ، وإن أنكر عزمه عليه لم يجز وعظه أيضا فإن فيه إساءة ظن بالمسلم ، وربما صدق فى قوله ، وربما لا يقدم على ماعزم عليه لعائق وليتنبه للدقيقة التى ذكرناها ، وهو أن الخلوة بالأجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء ، وما يجرى مجراه

الشرط الثالث : أن يكون المنكر ظاهرا للمحتسب بغير تجسس

فكل من ستر معصية فى داره وأغلق بابه لا يجوز أن يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى عنه وقصة عمر وعبد الرحمن بن عوف فيه مشهورة وقد أوردناها فى كتاب آداب الصحبة وكذلك ماروى أن عمر رضى الله عنه ، تسلق دار رجل فرآه على حالة مكروهة فأنكر عليه فقال ياأمير المؤمنين : إن كنتُ أنا قد عصيتُ الله من وجه واحد ، فأنت قد عصيتَه من ثلاثة أوجه ، فقال وما هى ؟ فقال قد قال الله تعالى (وَلَا تَجَسَّسُوا [1]) وقد تجسست، وقال تعالى (وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا [2]) وقد تسورت من السطح ، وقال (لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا [3]) وما سلمت فتركه عمر ، وشرط عليه التوبة ولذلك شاور عمر الصحابة رضى الله عنهم، وهو على المنبر، وسألهم عن الأمام إذا شاهد بنفسه منكرا فهل له إقامة الحد فيه ، فأشار علىّ رضى الله عنه بأن ذلك منوط بعدلين ، فلا يكفى فيه واحد

(١) الحجرات : ١٢ (٢) : (٣) النور : ٢٧

وقد أوردنا هذه الأخبار فى بيان حق المسلمين من كتاب آداب الصحبة فلا نعيدها

فإن قلت : فما حد الظهور والاستتار

فاعلم أن من أغلق باب داره ، وتستر بحيطانه ، فلا يجوز الدخول عليه بغير إذنه لتعرف المعصية ، إلا أن يظهر فى الدار ظهورا يعرفه من هو خارج الدار؛ كأصوات المزامير والأوتار إذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان الدار ، فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهى

وكذا إذا ارتفعت أصوات السكارى بالكلمات المألوفة بينهم ، بحيث يسمعها أهل الشوارع ؛ فهذا إظهار موجب للحسبة ، فإذاً إنما يدرك مع تخلل الحيطان صوت أو رائحة فإذا فاحت روائح الخمر ، فإن احتمل أن يكون ذلك من الخمور المحترمة فلا يجوز قصدها بالإراقة وإن علم بقرينة الحال أنها فاحت لتعاطيهم الشرب، فهذا محتمل ، والظاهر جواز الحسبة وقد تستر قارورة الخمر فى الكم وتحت الذيل ، وكذلك الملاهى ، فإذا رؤى فاسق ، وتحت ذيله شىء لم يجز أن يكشف عنه مالم يظهر بعلامة خاصة ، فإن فسقه لا يدل على أن الذى معه خمر ، إذ الفاسق محتاج أيضا إلى الخل وغيره ، فلا يجوز أن يستدل بإخفائه وأنه لو كان حلالا لما أخفاه ، لأن الأغراض فى الإخفاء مما تكثر ، وإن كانت الرائحة فائحة فهذا محل النظر ، والظاهر أن له الاحتساب ، لأن هذه علامة تفيد الظن ، والظن كالعلم فى أمثال هذه الأمور ، وكذلك العود ربما يعرف بشكله ، إذا كان الثوب الساتر له رقيقا فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت، وماظهرت دلالته فهو غير مستور، بل هو مكشوف وقد أمرنا بأن نستر ماستر الله ، وننكر على من أبدى لنا صفحته ،والإبداء له درجات؛ فتارة يبدو لنا بحاسة السمع ، وتارة بحاسة الشم ، وتارة بحاسة البصر ، وتارة بحاسة اللمس، ولا يمكن أن نخصص ذلك بحاسة البصر ، بل المراد العلم ، وهذه الحواس أيضا تفيد العلم فإذاً إنما يجوز أن يكسر ما تحت الثوب إذ علم أنه خمر ، وليس له أن يقول أرنى لأعلم مافيه. فإن هذا تجسس ومعنى التجسس، طلب الأمارات المعرفة، فالأمارة المعرفة إن حصلت وأورثت المعرفة جاز العمل بمقتضاها ، فأما طلب الأمارة المعرفة فلا رخصة فيه أصلا

الشرط الرابع : أن يكون كونه منكراً معلوما بغير اجتهاد

فكل ما هو فى محل الاجتهاد فلا حسبة فيه ، فليس للحنفى أن ينكر على الشافعى أكله

الضب ، والضبع ، ومتروك التسمية ، ولا للشافعي أن ينكر على الحنفي شربه النبيذ الذى ليس بمسكر ، وتناوله ميراث ذوى الأرحام ، وجلوسه فى دار أخذها بشفعة الجوار ، إلى غير ذلك من مجارى الاجتهاد .

نعم : لو رأى الشافعي شافعيا يشرب النبيذ ، وينكح بلاولى ويطأ زوجته ، فهذا فى محل النظر ، والأظهر أن له الحسبة والإنكار ، إذ لم يذهب أحد من المحصلين ، إلى أن المجتهد يجوز له أن يعمل بموجب اجتهاد غيره ، ولا أن الذى أدى اجتهاده فى التقليد إلى شخص رآه أفضل العلماء ، أن له أن يأخذ بمذهب غيره ، فينتقد من المذاهب أطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده فى كل تفصيل ، فإذاً مخالفته للمقلد متفق على كونه منكراً بين المحصلين ، وهو عاص بالمخالفة ، إلا أنه يلزم من هذا أمر أغمض منه ، وهو أنه يجوز للحنفي أن يعترض على الشافعى إذا نكح بغير ولى ، بأن يقول له الفعل فى نفسه حق ، ولكن لا فى حقك ، فأنت مبطل بالإقدام عليه مع اعتقادك أن الصواب مذهب الشافعى ، ومخالفة ما هو صواب عندك معصية فى حقك ، وإن كانت صوابا عند الله ، وكذلك الشافعى يحتسب على الحنفى إذا شاركه فى أكل الضب ، ومتروك التسمية وغيره ، ويقول له إما أن تعتقد أن الشافعى أولى بالاتباع ، ثم تقدم عليه ، أو لا تعتقد ذلك ، فلا تقدم عليه ، لأنه على خلاف معتقدك ، ثم ينجر هذا إلى أمر آخر من المحسوسات ، وهو أن يجامع الأصم مثلا امرأة على قصد الزنا ، وعلم المحتسب أن هذه امرأته زوجه أبوه إياها فى صغره ، ولكنه ليس يدرى ، وعجز عن تعريفه ذلك لصممه ، أو لكونه غير عارف بلغته ، فهو فى الإقدام مع اعتقاده أنها أجنبية عاص ، ومعاقب عليه فى الدار الآخرة ، فينبغى أن يمنعها عنه مع أنها زوجته ، وهو بعيد من حيث إنه حلال فى علم الله ، قريب من حيث إنه حرام عليه بحكم غلطه وجهله ، ولا شك فى أنه لو علق طلاق زوجته على صفة فى قلب المحتسب مثلا ، من مشيئة أو غضب أو غيره ، وقد وجدت الصفة فى قلبه ، وعجز عن تعريف الزوجين ذلك ولكن علم وقوع الطلاق فى الباطن ، فإذا رآه يجامعها فعليه المنع ، أعنى باللسان لأن ذلك زنا ، إلا أن الزانى غير عالم به ، والمحتسب عالم بأنها طلقت منه ثلاثا ، وكونهما غير عاصيين

لجهلهما بوجود الصفة لا يخرج الفعل عن كونه منكرا، ولا يتقاعد ذلك عن زنا المجنون وقد بينا أنه يمنع منه ، فإذا كان يمنع مما هو منكر عند الله وإن لم يكن منكراً عند الفاعل ولا هو عاص به لعذر الجهل ، فيلزم من عكس هـذا أن يقال : ما ليس بمنكر عند الله وإنما هو منكر عند الفاعل لجهله ، لا يمنع منه ، وهذا هو الأظهر والعلم عند الله

فتحصل من هـذا أن الحنفي لا يعترض على الشافعي فى النكاح بلاولى ، وأن الشافعي يعترض على الشافعي فيه ، لـكون المعترض عليه منكرا ، باتفاق المحتسب والمحتسب عليه

وهذه مسائل فقهية دقيقة ، والاحتمالات فيها متعارضة ، وإنما أفتينا فيها بحسب ما رجح عندنا فى الحال ، ولسنا نقطع بخطأ ترجيح المخالف فيها ، إن رأى أنه لا يجرى الاحتساب إلا فى معلوم على القطع ، وقد ذهب إليه ذاهبون ، وقالوا لا حسبة إلا فى مثل الخمر والخنزير وما يقطع بكونه حراما ، ولـكن الأشبه عندنا أن الاجتهاد يؤثر فى حق المجتهد ، إذ يبعد غاية البعد ، أن يجتهد فى القبلة ويعترف بظهور القبلة عنـده فى جهة بالدلالات الظنية ، ثم يستدبرها ، ولا يمنع منه لأجل ظن غيره ، لأن الاستدبار هو الصواب

ورأى من يرى أنه يجوز لـكل مقلد أن يختار من المذاهب ما أراد غير معتد به ، ولعله لا يصح ذهاب ذاهب إليه أصلا ، فهذا مذهب لا يثبت ، وإن ثبت فلا يعتد به

فإن قلت : إذا كان لا يعترض على الحنفى فى النكاح بلاولى ، لأنه يرى أنه حق فينبغى أن لا يعترض على المعتزلى فى قوله : إن الله لا يُرى ، وقوله : وإن الخير من الله ، والشر ليس من الله ، وقوله : كلام الله مخلوق ، ولا على الحشوى فى قوله : إن الله تعالى جسم وله صورة وأنه مستقر على العرش ، بل لا ينبغى أن يعترض على الفلسفى فى قوله : الأجساد لا تبعث وإنما تبعث النفوس ، لأن هؤلاء أيضا أدى اجتهادهم إلى ما قالوه وهم يظنون أن ذلك هو الحق

فإن قلت : بطلان مذهب هؤلاء ظاهر ، فبطلان مذهب من يخالف نص الحديث الصحيح أيضا ظاهر ، وكما ثبت بظواهر النصوص أن الله تعالى يُرى ، والمعتزل ينكرها بالتأويل ، فكذلك ثبت بظواهر النصوص مسائل خالف فيها الحنفى ، كمسألة النكاح بلاولى ومسألة شفعة الجوار ونظائرهما

فاعلم أن المسائل تنقسم إلى ما يتصور أن يقال فيه كل مجتهد مصيب ، وهى أحكام الأفعال فى الحل والحرمة ، وذلك هو الذى لا يعترض على المجتهدين فيه . إذ لم يعلم خطؤهم قطعا بل ظنا ، وإلى مالا يتصور أن يكون المصيب فيه الا واحدا ، كمسألة الرؤية ، والقدر ، وقدم الكلام ، ونفى الصورة ، والجسمية ، والاستقرار عن الله تعالى ، فهذا مما يعلم خطأ المخطىء فيه قطعا ، ولا يبقى لخطئه الذى هو جهل محض وجه ، فإذاً البدع كلها ينبغى أن تحسم أبوابها ، وتنكر على المبتدعين بدعهم ، وإن اعتقدوا أنها الحق ، كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم ، وإن كانوا يعتقدون أن ذلك حق ، لأن خطأهم معلوم على القطع ، بخلاف الخطأ فى فى مظان الاجتهاد

فإن قلت : فهما اعترضت على القدرى ، فى قوله : الشر ليس من الله : إعترض عليك القدرى أيضا ، فى قولك : الشر من الله ، وكذلك قولك . إن الله يُرى ، وفى سائر المسائل إذ المبتدع محق عند نفسه ، والمحق مبتدع عند المبتدع ، وكل يدعى أنه محق ، وينكر كونه مبتدعا فكيف يتم الاحتساب

فاعلم أنا لأجل هذا التعارض نقول ، ينظر إلى البلدة التى فيها أظهرت تلك البدعة ، فإن كانت البدعة غريبة ، والناس كلهم على السنة ، فلهم الحسبة عليه بغير إذن السلطان ، وإن انقسم أهل البلد إلى أهل البدعة ، وأهل السنة ، وكان فى الاعتراض تحريك فتنة بالمقاتلة فليس للآحاد الحسبة فى المذاهب إلا بنصب السلطان ، فإذا رأى السلطان الرأى الحق ونصره ، وأذن لواحد أن يزجر المتبدعة عن إظهار البدعة ، كان له ذلك وليس لغيره ، فإن مايكون بإذن السلطان لا يتقابل ، وما يكون من جهة الآحاد فيتقابل الأمر فيه

وعلى الجملة فالحسبة فى البدعة أهم من الحسبة فى كل المنكرات ، ولكن ينبغى أن يراعى فيها هذا التفصيل الذى ذكرناه ، كيلا يتقابل الأمر فيها ، ولا ينجر إلى تحريك الفتنة ، بل لو أذن السلطان مطلقا فى منع كل من يصرح بأن القرءان مخلوق ، أو أن الله لا يُرى ، أو أنه مستقر على العرش مماس له ، أو غير ذلك من البدع لتسلط الآحاد على المنع منه ، ولم يتقابل الأمر فيه ، وإنما يتقابل عند عدم إذن السلطان فقط .

الركن الثالث

المحتسب عليه

وشرطه أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه فى حقه منكرا ، وأقل ما يكفى فى ذلك أن يكون إنسانا ، ولا يشترط كونه مكلفا ، إذ بينا أن الصبي لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه ، وإن كان قبل البلوغ ، ولا يشترط كونه مميزا ، إذ بينا أن المجنون لو كان يزنى بمجنونة أو يأتى بهيمة لوجب منعه منه

نعم من الأفعال ما لا يكون منكرا فى حق المجنون ، كترك الصلاة والصوم وغيره ولكنا لسنا نلتفت إلى اختلاف التفاصيل ، فإن ذلك أيضا مما يختلف فيه المقيم والمسافر والمريض والصحيح ، وغرضنا الإشارة إلى الصفة التى بها يتهيأ توجه أصل الإنكار عليه لا ما بها يتهيأ للتفاصيل

فإن قلت فاكتف بكونه حيوانا ، ولا تشترط كونه إنسانا ، فإن البهيمة لو كانت تفسد زرعا لإنسان ، لكنا نمنعها منه كما نمنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة

فاعلم : أن تسمية ذلك حسبة لا وجه لها ، إذ الحسبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر ، ومنع المجنون عن الزنا وإتيان البهيمة لحق الله ، وكذا منع الصبي عن شرب الخمر ، والإنسان إذا أتلف زرع غيره منع منه لحقين ، أحدهما : حق الله تعالى ، فإن فعله معصية ، والثانى : حق المتلف عليه ، فهما علتان تنفصل إحداهما عن الأخرى فلو قطع طرف غيره بإذنه فقد وجدت المعصية وسقط حق المجنى عليه بإذنه ، فتثبت الحسبة والمنع بإحدى العلتين ، والبهيمة إذا أتلفت فقد عدمت المعصية ، ولكن يثبت المنع بإحدى العلتين ، ولكن فيه دقيقة وهو أنا لسنا نقصد باخراج البهيمة منع البهيمة ، بل حفظ مال المسلم إذ البهيمة لو أكلت ميتة ، أو شربت من إناء فيه خمر ، أو ماء مشوب بخمر ، لم نمنعها منه ، بل يجوز إطعام كلاب الصيد الجيف والميتات ، ولكن مال المسلم إذا تعرض للضياع وقدرنا على حفظه بغير تعب ، وجب ذلك علينا حفظا للمال ، بل لو وقعت جرة لإنسان من علو ، وتحتها قارورة لغيره ، فتدفع الجرة لحفظ القارورة ، لا لمنع الجرة من السقوط

فإنا لا نقصد منع الجرة وحراستها من أن تصير كاسرة للقارورة ، ونمنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة ، وشرب الخمر ، وكذا الصبي لا صيانة للبهيمة المأتية ، أو الخمر المشروب ، بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر ، وتنزيها له من حيث إنه إنسان محترم

فهذه لطائف دقيقة لا يتفطن لها إلا المحققون فلا ينبغي أن يغفل عنها ، ثم فيما يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر ، إذ قد يتردد في منعهما من لبس الحرير وغير ذلك ، وسنتعرض لما نشير إليه في الباب الثالث

فإن قلت : فكل من رأى بهائم قد استرسلت في زرع إنسان فهل يجب عليه إخراجها وكل من رأى مالا لمسلم أشرف على الضياع ، هل يجب عليه حفظه ، فإن قلتم إن ذلك واجب ، فهذا تكليف شطط ، يؤدي إلى أن يصير الإنسان مسخرا لغيره طول عمره ، وإن قلتم لا يجب فلم يجب الاحتساب على من يغصب مال غيره وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير

فنقول : هذا بحث دقيق غامض ، والقول الوجيز فيه أن نقول : مهما قدر على حفظه من الضياع ، من غير أن يناله تعب في بدنه ، أو خسران في ماله ، أو نقصان في جاهه ، وجب عليه ذلك ، فذلك القدر واجب في حقوق المسلم ، بل هو أقل درجات الحقوق ، والأدلة الموجبة لحقوق المسلمين كثيرة ، وهذا أقل درجاتها ، وهو أولى بالإيجاب من رد السلام فإن الأذى في هذا أكثر من الأذى في ترك رد السلام ، بل لا خلاف في أن مال الإنسان إذا كان يضيع بظلم ظالم ، وكان عنده شهادة لو تكلم بها لرجع الحق إليه ، وجب عليه ذلك وعصى بكتمان الشهادة ، ففي معنى ترك الشهادة ترك كل دفع لا ضرر على الدافع فيه ، فأما إن كان عليه تعب أو ضرر في مال أو جاه لم يلزمه ذلك ، لأن حقه مرعي في منفعة بدنه ، وفي ماله وجاهه ، كحق غيره ، فلا يلزمه أن يفدي غيره بنفسه ، نعم الإيثار مستحب ، وتجشم المصاعب لأجل المسلمين قربة ، فأما إيجابها فلا ، فإذاً إن كان يتعب بإخراج البهائم عن الزرع لم يلزمه السعي في ذلك ، ولكن إذا كان لا يتعب بتنبيه صاحب الزرع من نومه أو بإعلامه يلزمه ذلك ، فإهمال تعريفه وتنبيهه كإهماله تعريف القاضي بالشهادة ، وذلك لا رخصة فيه ، ولا يمكن أن يراعى فيه الأقل والأكثر ، حتى يقال إن كان لا يضيع من منفعته في مدة اشتغاله بإخراج البهائم ، إلا قدر درهم مثلا . وصاحب الزرع يفوته مال كثير ، فيترجح جانبه

لأن الدرهم الذى له هو يستحق حفظه ، كما يستحق صاحب الألف حفظ الألف، ولا سبيل للمصير إلى ذلك ، فأما إذا كان فوات المال بطريق هو معصية كالغصب، أو قتل عبد مملوك للغير ، فهذا يجب المنع منه ، وإن كان فيه تعب ما، لأن المقصود حق الشرع، والغرض دفع المعصية ، وعلى الإنسان أن يتعب نفسه فى دفع المعاصى كما عليه أن يتعب نفسه فى ترك المعاصى والمعاصى كلها فى تركها تعب، وإنما الطاعة كلها ترجع إلى مخالفة النفس، وهي غاية التعب، ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر، بل التفصيل فيه كما ذكرناه من درجات المحذورات التى يخافها المحتسب

وقد اختلف الفقهاء في مسئلتين ، تقربان من غرضنا

إحداهما : أن الالتقاط هل هو واجب ، واللقطة ضائعة ، والملتقط مانع من الضياع وساع فى الحفظ ، والحق فيه عندنا أن يفصل ويقال ، إن كانت اللقطة فى مواضع لو تركها فيه لم تضع ، بل يلتقطها من يعرفها ، أو تترك كما لو كان فى مسجد ، أو رباط ، يتعين من يدخله وكلهم أمناء ، فلا يلزمه الالتقاط ، وإن كانت فى مضيعة نظر ، فإن كان عليه تعب فى حفظها ، كما لو كانت بهيمة وتحتاج إلى علف واصطبل ، فلا يلزمه ذلك ، لأنه إنما يجب الالتقاط لحق المالك ، وحقه بسبب كونه إنسانا محترما ، والملتقط أيضا إنسان ، وله حق فى أن لا يتعب لأجل غيره، كما لا يتعب غيره لأجله، فإن كانت ذهبا أو ثوبا أو شيئا لا ضرر عليه فيه إلا مجرد تعب التعريف ، فهذا ينبغى أن يكون فى محل الوجهين ، فقائل يقول : التعريف والقيام بشرطه فيه تعب ، فلا سبيل إلى إلزامه ذلك ، إلا أن يتبرع فيلتزم طلبا للثواب ، وقائل يقول : إن هذا القدر من التعب مستصغر بالإضافة إلى مراعاة حقوق المسلمين ، فينزل هذا منزلة تعب الشاهد فى حضور مجلس الحكم ، فإنه لا يلزمه السفر إلى بلدة أخرى ، إلا أن يتبرع به ، فإذا كان مجلس القاضى فى جواره لزمه الحضور ، وكان التعب بهذه الخطوات لا يعد تعبا فى غرض إقامة الشهادة ، وأداء الأمانة ، وإن كان فى الطرف الآخر من البلد ، وأحوج إلى الحضور فى الهاجرة وشدة الحر ، فهذا قد يقع فى محل الاجتهاد والنظر ، فإن الضرر الذى ينال الساعى فى حفظ حق الغير له طرف فى القلة لا يشك فى أنه لا يبالى به وطرف فى الكثرة، لا يشك فى أنه لا يلزم احتماله، ووسط يتجاذبه الطرفان

ويكون أبدا فى محل الشبهة والنظر ، وهي من الشبهات المزمنة التى ليس فى مقدور البشر إزالتها ، إذ لا علة تفرق بين أجزائها المتقاربة، ولكن المتقى ينظر فيها لنفسه ويدع ما يريبه إلى ما لا يريبه ، فهذا نهاية الكشف عن هذا الاصل ؟

الركن الرابع

نفس الاحتساب

وله درجات وآداب ، أما الدرجات ، فأولها التعرف ، ثم التعريف ، ثم النهى ، ثم الوعظ والنصح ، ثم السب والتعنيف ، ثم التغيير باليد ، ثم التهديد بالضرب ، ثم ايقاع الضرب وتحقيقه ، ثم شهر السلاح ، ثم الاستظهار فيه بالأعوان وجمع الجنود

أما الدرجة الأولى

وهى التعرف ، ونعنى به طلب المعرفة بجريان المنكر ، وذلك منهى عنه وهو التجسس الذى ذكرناه ، فلا ينبغى أن يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الأوتار ، ولا أن يستنشق ليدرك رائحة الخمر ، ولا أن يمس ما فى ثوبه ليعرف شكل المزمار ، ولا أن يستخبر من جيرانه ليخبروه عما يجرى فى داره

نعم : لو أخبره عدلان ابتداء من غير استخبار بأن فلانا يشرب الخمر فى داره ، وبأن فى داره خمرا أعده للشرب ، فله إذ ذاك . أن يدخل داره ، ولا يلزمه الاستئذان ، ويكون تخطى ملكه بالدخول للتوصل إلى دفع المنكر ، ككسر رأسه بالضرب للمنع مهما احتاج إليه ، وإن أخبره عدلان أو عدل واحد

وبالجملة كل من تقبل روايته لاشهادته ، ففى جواز الهجوم على داره بقولهم فيه نظر واحتمال ، والأولى أن يمتنع ، لأن له حقا فى أن لا يتخطى داره بغير إذنه ، ولا يسقط حق المسلم عما ثبت عليه حقه إلا بشاهدين ، فهذا أولى ما يجعل مرادا فيه ، وقد قيل إنه كان نقش خاتم لقمان ، الستر لما عاينت أحسن من إذاعة ما ظننت

الدرجة الثانية

التعريف

فإن المنكر قد يقدم عليه المقدم بجهله ، وإذا عرف أنه منكر تركه ، كالسوادى[1] يصلى ولا يحسن الركوع والسجود ، فيعلم أن ذلك لجهله ، بأن هذا ليست بصلاة ، ولو رضى بأن لا يكون مصليا لترك أصل الصلاة ، فيجب تعريفه باللطف من غير عنف ، وذلك لأن فى ضمن التعريف نسبة إلى الجهل والحمق ، والتجهيل إيذاء ، وقلما يرضى الانسان بأن ينسب إلى الجهل بالأمور ، لاسيما بالشرع ، ولذلك ترى الذى يغلب عليه الغضب ، كيف يغضب إذا نبه على الخطأ والجهل ، وكيف يجتهد فى مجاحدة الحق بعد معرفته ، خيفة من أن تنكشف عورة جهله ، والطباع أحرص على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية لأن الجهل قبح فى صورة النفس ، وسواد فى وجهه ، وصاحبه ملوم عليه ، وقبح السوأتين يرجع إلى صورة البدن ، والنفس أشرف من البدن ، وقبحها أشد من قبح البدن ، ثم هو غير ملوم عليه ، لأنه خلقة لم يدخل تحت اختياره حصوله ، ولا فى إختياره إزالته وتحسينه والجهل قبح يمكن إزالته وتبديله بحسن العلم ، فلذلك يعظم تألم الإنسان بظهور جهله ، ويعظم ابتهاجه فى نفسه بعلمه ، ثم لذته عند ظهور جمال علمه لغيره ، وإذا كان التعريف كشفا للعورة مؤذيا للقلب ، فلا بد وأن يعالج دفع أذاه بلطف الرفق

فنقول له : إن الإنسان لا يولد عالما ، ولقد كنا أيضا جاهلين بأمور الصلاة ، فعلمنا العلماء ولعل قريتك خالية عن أهل العلم ، أو عالمها مقصر فى شرح الصلاة ، وإيضاحها إنما شرط الصلاة الطمأنينة فى الركوع والسجود ، وهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير إيذاء فإن إيذاء المسلم حرام محذور ، كما أن تقريره على المنكر محذور ، وليس من العقلاء من يغسل الدم بالدم أو بالبول ، ومن اجتنب محذور السكوت على المنكر ، واستبدل عنه محذور الإيذاء للمسلم مع الاستغناء عنه ، فقد غسل الدم بالبول على التحقيق ، وأما إذا وقفت على خطأ فى غير أمر الدين ، فلا ينبغي أن ترده عليه فانه يستفيد منك علما ، ويصير لك عدوّا ، إلا إذا علمت أنه يغتنم العلم ، وذلك عزيز جدا

---

(١) السوادي : الجاهل من أهل الريف

الدرجة الثالثة

النهى بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى

وذلك فيمن يقدم على الأمر وهو عالم بكونه منكرا، أو فيمن أصرّ عليه بعد أن عرف كونه منكرا، كالذى يواظب على الشرب أو على الظلم. أو على اغتياب المسلمين، أو ما يجرى مجراه فينبغى أن يوعظ ويخوف بالله تعالى وتورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد فى ذلك، وتحكى له سيرة السلف، وعبادة المتقين وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب، بل ينظر إليه نظر المترحم عليه، ويرى إقدامه على المعصية مصيبة على نفسه، إذ المسلمون كنفس واحدة، وهاهنا آفة عظيمة ينبغى أن يتوقاها، فإنها مهلكة، وهى أن العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل، فربما يقصد بالتعريف الإذلال وإظهار التميز بشرف العلم، وإذلال صاحبه بالنسبة إلى خسة الجهل، فإن كان الباعث هذا فهذا المنكر أقبح فى نفسه من المنكر الذى يعترض عليه، ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره من النار بإحراق نفسه، وهو غاية الجهل، وهذه مذلة عظيمة، وغائلة هائلة، وغرور للشيطان يتدلى بحبله كل إنسان، إلا من عرّفه الله عيوب نفسه، وفتح بصيرته بنور هدايته فإن فى الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من وجهين، أحداهما: من جهة دالة العلم، والآخر من جهة دالة الاحتكام والسلطنة، وذلك يرجع إلى الرياء، وطلب الجاه، وهو الشهوة الخفية الداعية إلى الشرك الخفى، وله محك ومعيار ينبغي أن يمتحن المحتسب به نفسه، وهو أن يكون امتناع ذلك الانسان عن المنكر بنفسه، أو باحتساب غيره، أحب إليه من امتناعه باحتسابه، فإن كانت الحسبة شاقة عليه، ثقيلة على نفسه، وهو يود أن يكفى بغيره، فليحتسب فإن باعثه هو الدين، وإن كان اتعاظ ذلك العاصي بوعظه، وانزجاره بزجره، أحب إليه من اتعاظه بوعظ غيره، فما هو إلا متبع هوى نفسه، ومتوسل إلى إظهار جاه نفسه بواسطة حسبته، فليتق الله تعالى، وليحتسب أوّلا على نفسه، وعند هذا يقال ما قيل لعيسى عليه السلام، يا ابن مريم: عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس، وإلا فاستحى منى وقيل لداود الطائى رحمه الله، أرأيت رجلا دخل على هؤلاء الأمراء، فأمرهم بالمعروف

ونهاهم عن المنكر ، فقال : أخاف عليه السوط ، قال إنه يقوى عليه ، قال أخاف عليه السيف قال : إنه يقوى عليه ، قال : أخاف عليه الداء الدفين وهو العجب

الدرجة الرابعة

السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن

وذلك يعدل إليه عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادى الإصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح ، وذلك مثل قول ابراهيم عليه السلام (أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ [1]) ولسنا نعني بالسب الفحش بما فيه نسبة إلى الزنا ومقدماته ، ولا الكذب ، بل أن يخاطبه بما فيه ، مما لا يعد من جملة الفحش كقوله يافاسق يا أحمق يا جاهل ، ألا تخاف الله وكقوله ياسواد ياغبي ، وما يجرى هذا المجرى فإن كل فاسق فهو أحمق وجاهل ، ولولا حمقه لما عصى الله تعالى ، بل كل من ليس بكيِّس فهو أحمق ، والكيّس من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكياسة ، حيث قال [1] « الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ » ، ولهذه الرتبة أدبان

أحدهما : أن لا يقدم عليها إلا عند الضرورة ، والعجز عن اللطف ، والثانى : أن لا ينطق إلا بالصدق ولا يسترسل فيه ! فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج إليه ، بل يقتصر على قدر الحاجة ، فإن علم أن خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليست تزجره ، فلا ينبغي أن يطلقه بل يقتصر على إظهار الغضب والاستحقار له ، وإلا ازدراء بمحله ، لأجل معصيته وإن علم أنه لو تكلم ضرب ، ولو اكفهر وأظهر الكراهة بوجهه لم يضرب ، لزمه ولم يكفه الإنكار بالقلب ، بل يلزمه أن يقطب وجهه ، ويظهر الإنكار له

الدرجة الخامسة

التغيير باليد

وذلك كسر الملاهى ، وإراقة الخمر ؛ وخلع الحرير من رأسه وعن بدنه ومنعه من الجلوس عليه ودفعه عن الجلوس على مال الغير ، وإخراجه من الدار المغصوبة

---

(١) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ـ الحديث : الترمذى وقال حسن وابن ماجه (من حديث شداد بن أوس

(١) الأنبياء : ٦٧

بالجرّ برجله ، وإخراجه من المسجد إذا كان جالسا ، وهو جنب ، ومايجرى مجراه ، ويتصور ذلك فى بعض المعاصى دون بعض ، فأما معاصى اللسان والقلب فلا يقدر على مباشرة تغييرها وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصى وجوارحه الباطنة وفى هذه الدرجة أدبان

أحدهما : أن لا يباشر بيده التغيير ، مالم يعجز عن تكليف المحتسب عليه ذلك ، فاذا أمكنه أن يكلفه المشي فى الخروج عن الأرض المغصوبة والمسجد ، فلا ينبغى أن يدفعه أو يجره وإذا قدر على أن يكلفه إراقة الخمر وكسر الملاهى ، وحل دروز[1] ثوب الحرير ، فلا ينبغى أن يباشر ذلك بنفسه ، فان فى الوقوف على حد الكسر نوع عسر ؛ فاذا لم يتعاط بنفسه ذلك كفى الاجتهاد فيه ، وتولاه من لاحجر عليه فى فعله

الثانى : أن يقتصر فى طريق التغيير على القدر المحتاج إليه ، وهو أن لا يأخذ بلحيته فى الاخراج ولا برجله إذا قدر على جره بيده ، فان زيادة الأذى فيه مستغنى عنه ، وأن لا يمزق ثوب الحرير بل يحل دروزه فقط ، ولا يحرق الملاهى والصليب الذى أظهره النصارى بل يبطل صلاحيتها للفساد بالكسر ، وحد الكسر أن يصير إلى حالة تحتاج فى استئناف إصلاحه إلى تعب يساوى تعب الاستئناف من الخشب ابتداء ، وفى إراقة الخمور يتوقى كسر الأوانى إن وجد إليه سبيلا ، فان لم يقدر عليها إلا بأن يرمى ظروفها بحجر فله ذلك وسقطت قيمة الظرف ، وتقومه بسبب الخمر ، إذ صار حائلا بينه وبين الوصول الى إراقة الخمر ، ولو ستر الخمر ببدنه لكنا نقصد بدنه بالجرح والضرب ، لنتوصل إلى إراقة الخمر ، فاذا لا تزيد حرمة ملكه فى الظروف على حرمة نفسه ، ولو كان الخمر فى قوارير ضيقة الرؤس ولو اشتغل باراقتها طال الزمان وأدركه الفساقُ ومنعوه ، فله كسرها فهذا عذر ، وإن كان لا يحذر ظفر الفساق به ومنعهم ، ولكن كان يضيع فى زمانه وتتعطل عليه أشغاله ، فله أن يكسرها فليس عليه أن يضيع منفعة بدنه وغرضه من أشغاله ، لأجل ظروف الخمر وحيث كانت الاراقة متيسرة بلا كسر فكسره لزمه الضمان

فإن قلت : فهلا جاز الكسر لأجل الزجر ، وهلا جاز الجر بالرجل فى الإخراج عن الارض المغصوبة ، ليكون ذلك أبلغ فى الزجر

فاعلم : أن الزجر إنما يكون عن المستقبل ، والعقوبة تكون على الماضى ، والدفع على الحاضر الراهن

[1] دروز جمع درز وهو الارتفاع الذى يحصل فى الثوب إذا جمع طرفاه فى الخياطه وهو فارس معرب

وليس إلى آحاد الرعية إلا الدفع ، وهو إعدام المنكر ، فما زاد على قدر الإعدام فهو إما عقوبة على جريمة سابقة ، أو زجر عن لاحق ، وذلك إلى الولاة لا إلى الرعية، نعم : الوالى له أن يفعل ذلك إذا رأى المصلحة فيه

وأقول : له أن يأمر بكسر الظروف التى فيها الخمور زجرا ، [1] وقد فعل ذلك فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم تأكيدا للزجر ، ولم يثبت نسخه ، ولكن كانت الحاجة إلى الزجر والفطام شديدة ، فإذا رأى الوالى باجتهاده مثل تلك الحاجة جاز له مثل ذلك ، وإذا كان هذا منوطا بنوع اجتهاد دقيق ، لم يكن ذلك لآحاد الرعية

فإن قلت : فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصى ، بإتلاف أموالهم ، وتخريب دورهم التى فيها يشربون ويعصون ، وإحراق أموالهم التي بها يتوصلون إلى المعاصى

فاعلم ، أن ذلك لو ورد الشرع به ، لم يكن خارجا عن سنن المصالح ، ولكنا لا نبتدع المصالح بل نتبع فيها ، وكسر ظروف الخمر قد ثبت عند شدة الحاجة ، وتركه بعد ذلك لعدم شدة الحاجة لا يكون نسخا ، بل الحكم يزول بزوال العلة ، ويعود بعودها ، وإنما جوزنا ذلك للإمام بحكم الاتباع ، ومنعنا آحاد الرعية منه ، لخفاء وجه الاجتهاد فيه ، بل نقول لو أريقت الخمور أولا ، فلا يجوز كسر الأوانى بعدها ، وإنما جاز كسرها تبعا للخمر ، فإذا خلت عنها فهو إتلاف مال ، إلا أن تكون ضارية بالخمر لا تصلح إلا لها ، فكان الفعل المنقول عن العصر الأول كان مقرونا بمعنيين

أحدهما : شدة الحاجة إلى الزجر ، والآخر : تبعية الظروف للخمر التى هى مشغولة بها وهما معنيان مؤثران لا سبيل إلى حذفهما ، ومعنى ثالث . وهو صدوره عن رأى صاحب الأمر لعلمه بشدة الحاجة إلى الزجر ، وهو أيضا مؤثر ، فلا سبيل إلى إلغائه فهذه تصرفات دقيقة فقهية ، يحتاج المحتسب لا محالة إلى معرفتها

---

(١) حديث تكسير الظروف التى فيها الخمور فى زمنه صلى الله عليه وسلم : الترمذى من حديث أبى طلحة انه قال يانبى الله انى اشتريت خمرا لايتام فى حجرى قال اهرق الخمر واكسر الدنان وفيه ليث ابن أبى سليم والاصح رواية السدى عن يحى بن عباد عن أنس ان أباطلحة كان عندى قاله الترمذى

الدرجة السادسة

التهديد والتخويف كقوله دع عنك هذا ، أولأكسرن رأسك ، أولأضربن رقبتك أولآمرن بك وما أشبهه ، وهذا ينبغى أن يقدم على تحقيق الضرب إذ أمكن تقديمه ، والأدب فى هذه الرتبة أن لا يهدده بوعيد لايجوز له تحقيقه ، كقوله لأنهبن دارك أولأضربن ولدك ، أولأسبين زوجتك ، وما يجرى مجراه ، بل ذلك إن قاله عن عزم فهو حرام وإن قاله من غير عزم فهو كذب ، نعم : إذا تعرض لوعيده بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه إلى حد معلوم يقتضيه الحال ، وله أن يزيد فى الوعيد على ما هو فى عزمه الباطن إذا علم أن ذلك يقمعه ويردعه ، وليس ذلك من الكذب المحذور ، بل المبالغة فى مثل ذلك معتادة ، وهو معنى مبالغة الرجل فى إصلاحه بين شخصين ، وتأليفه بين الضرتين ، وذلك مما قد رخص فيه للحاجة ، وهذا فى معناه ، فإن القصد به إصلاح ذلك الشخص ، وإلى هذا المعنى أشار بعض الناس ، أنه لا يقبح من الله أن يتوعد بما لا يفعل ، لأن الخلف فى الوعيد كرم ، وإنما يقبح أن يعد بما لا يفعل ، وهذا غير مرضى عندنا ، فإن الكلام القديم لايتطرق إليه الخلف ، وعدا كان أو وعيدا ، وإنما يتصور هذا فى حق العباد ، وهو كذلك إذ الخلف فى الوعيد ليس بحرام

الدرجة السابعة

مباشرة الضرب باليد والرجل ، وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح ، وذلك جائز للآحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة فى الدفع ، فإذا اندفع المنكر فينبغى أن يكف ، والقاضى قد يرهق من ثبت عليه الحق إلى الأداء بالحبس ، فإن أصر المحبوس ، وعلم القاضى قدرته على أداء الحق ، وكونه معاندا فله أن يلزمه الأداء بالضرب على التدريج كما يحتاج إليه وكذلك المحتسب يراعى التدريج ، فإن احتاج إلى شهر سلاح وكان يقدر على دفع المنكر بشهر السلاح وبالجرح فله أن يتعاطى ذلك مالم تترفتنة ، كما لو قبض فاسق مثلا على امرأة أو كان يضرب بمزمار معه ، وبينه وبين المحتسب نهر حائل ، أو جدار مانع ، فيأخذ قوسه

ويقول له خل عنها أو لأرمينك ، فإن لم يخل عنها فله أن يرمى ، وينبغى أن لا يقصد المقتل بل الساق والفخذ وما أشبهه ، ويراعى فيه التدريج ، وكذلك يسل سيفه ، ويقول اترك هذا المنكر أو لأضربنك ، فكل ذلك دفع للمنكر ، ودفعه واجب بكل ممكن ، ولا فرق فى ذلك بين مايتعلق بخاص حق الله وما يتعلق بالآدميين ، وقالت المعتزلة : مالا يتعلق بالآدميين فلا حسبة فيه الا بالكلام أو بالضرب ، ولكن للإمام لا للآحاد

الدرجة الثامنة

أن لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه إلى أعوان يشهرون السلاح ، وربما يستمد الفاسق أيضا بأعوانه ، ويؤدى ذلك إلى أن يتقابل الصفان ويتقاتلا ، فهذا قد ظهر الاختلاف فى احتياجه إلى إذن الإمام

فقال قائلون : لا يستقل آحاد الرعية بذلك ، لأنه يؤدى إلى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد

وقال آخرون : لا يحتاج إلى الإذن وهو الأقيس ، لأنه إذا جاز للآحاد الأمر بالمعروف وأوائل درجاته تجر إلى ثوان ، والثوانى إلى ثوالث ، وقد ينتهى لا محالة إلى التضارب والتضارب يدعو إلى التعاون ، فلا ينبغى أن يبالى بلوازم الأمر بالمعروف ، ومنتهاه تجنيد الجنود فى رضا الله ودفع معاصيه ، ونحن نجوّز للآحاد من العزاة أن يجتمعوا ويقاتلوا من أرادوا من فرق الكفار ، قمعا لأهل الكفر ، فكذلك قمع أهل الفساد جائز ، لأن الكافر لا بأس بقتله ، والمسلم إن قتل فهو شهيد ، فكذلك الفاسق المناضل عن فسقه لا بأس بقتله والمحتسب المحق إن قتل مظلوما فهو شهيد

وعلى الجملة فانتهاء الأمر إلى هذا من النوادر فى الحسبة ، فلا يغير به قانون القياس ، بل يقال كل من قدر على دفع منكر ، فله أن يدفع ذلك بيده وبسلاحه وبنفسه وبأعوانه ، فالمسألة إذاً محتملة كما ذكرناه ، فهذه درجات الحسبة فلنذكر آدابها والله الموفق

بيان آداب المحتسب

قد ذكرنا تفاصيل الآداب فى آحاد الدرجات ، ونذكر الآن جملها ومصادرها ،فنقول : جميع آداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات فى المحتسب ، العلم ، والورع ، وحسن الخلق

أما العلم ، فليعلم مواقع الحسبة وحدودها، ومجاريها وموانعها ، ليقتصر على حد الشرع فيه

والورع : ليردعه عن مخالفة معلومه ، فما كل من علم عمل بعلمه ، بل ربما يعلم أنه مسرف فى الحسبة وزائد على الحد المأذون فيه شرعا ، ولكن يحمله عليه غرض من الأغراض وليكن كلامه ووعظه مقبولا ، فإن الفاسق يهزأ به إذا احتسب ، ويورث ذلك جراءة عليه

وأما حسن الخلق : فليتمكن به من اللطف والرفق ، وهو أصل الباب ، وأسبابه ، والعلم والورع لا يكفيان فيه ، فإن الغضب إذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع فى قمعه ، مالم يكن فى الطبع قبوله بحسن الخلق ، وعلى التحقيق فلا يتم الورع إلا مع حسن الخلق ، والقدرة على ضبط الشهوة ، والغضب ، وبه يصبر المحتسب على ما أصابه فى دين الله ، وإلا فإذا أصيب عرضه أو ماله أو نفسه بشتم ، أو ضرب ، نسى الحسبة ، وغفل عن دين الله ، واشتغل بنفسه ، بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم

فهذه الصفات الثلاث بها تصير الحسبة من القربات ، وبها تندفع المنكرات ، وإن فقدت لم يندفع المنكر ، بل ربما كانت الحسبة أيضا منكرة ، لمجاوزة حد الشرع فيها ، ودل على هذه الآداب قوله صلى الله عليه وسلم [1] «لَا يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا رَفِيقٌ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ رَفِيقٌ فِيمَا يَنْهَى عَنْهُ حَلِيمٌ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ حَلِيمٌ فِيمَا يَنْهَى عَنْهُ فَقِيهٌ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ فَقِيهٌ فِيمَا يَنْهَى عَنْهُ» ، وهذا يدل على أنه لا يشترط أن يكون فقيها مطلقا ، بل فيما يأمر به وينهى عنه ، وكذا الحلم

قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى : إذا كنت ممن يأمر بالمعروف ، فكن من آخذ الناس به ، وإلا هلكت ، وقد قيل

---

(١) حديث لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهي عنه ـ الحديث : لم أجده هكذا وللبيهقى فى الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده من أمر بمعرف فليكن أمره بمعروف

لا تلم المرء على فعله وأنت منسوب إلى مثله
من ذم شيئا وأتى مثله فإنما يزرى على عقله

ولسنا نعنى بهذا أن الأمر بالمعروف يصير ممنوعا بالفسق ، ولكن يسقط أثره عن القلوب بظهور فسقه للناس ، فقد روى عن أنس رضى الله عنه ، قال قلنا يارسول الله ، (١) لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ، ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله ، فقال صلى الله عليه وسلم « بَلْ مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَإِنْ لَمْ تَعْمَلُوا بِهِ كُلِّهِ ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَإِنْ لَمْ تَجْتَنِبُوهُ كُلَّهُ »

وأوصى بعض السلف بنيه فقال . إن أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر ، وليثق بالثواب من الله ، فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مس الأذى ، فإذاً من آداب الحسبة توطين النفس على الصبر ، ولذلك قرن الله تعالى الصبر بالأمر بالمعروف ، فقال حاكيا عن لقمان (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ (١))

ومن الآداب تقليل العلائق ، حتى لا يكثر خوفه ، وقطع الطمع عن الخلائق حتى تزول عنه المداهنة ، فقد روى عن بعض المشايخ ، أنه كان له سنور ، وكان يأخذ من قصاب فى جواره كل يوم شيئا من الغدد لسنوره ، فرأى على القصاب منكرا ، فدخل الدار أولا وأخرج السنور ، ثم جاء واحتسب على القصاب ، فقال له القصاب لا أعطينك بعد هذا شيئا لسنورك ، فقال ما احتسبت عليك إلا بعد إخراج السنور وقطع الطمع منك ، وهو كما قال ، فمن لم يقطع الطمع من الخلق لم يقدر على الحسبة ، ومن طمع فى أن تكون قلوب الناس عليه طيبة ، وألسنتهم بالثناء عليه مطلقة ، لم تتيسر له الحسبة

قال كعب الأحبار لأبى مسلم الخولانى ، كيف منزلتك بين قومك ؟ قال حسنة ، قال إن التوراة تقول إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال أبو مسلم : صدقت التوراة وكذب أبو مسلم

---

(١) حديث أنس قلنا يارسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله : الطبرانى فى المعجم الصغير والأوسط وفيه عبد القدوس بن حبيب أجمعوا على تركه

---

(١) لقمان : ١٧

ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المأمون إذ وعظه واعظ ، وعنف له فى القول فقال يارجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر منى ، وأمره بالرفق فقال تعالى (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى [1]) فليكن اقتداء المحتسب فى الرفق بالأنبياء صلوات الله عليهم ، فقد روى أبو أمامة أن غلاما شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم [1] فقال يانبي الله أتأذن لى فى الزنا ؟ فصاح الناس به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم قربوه أدن فدنا حتى جلس بين يديه ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام « أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ » فقال : لا ، جعلنى الله فداك قال « كَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ أَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ ؟ » قال : لا جعلنى الله فداك قال « كَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ أَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ » وزاد ابن عوف حتى ذكر العمة والخالة ، وهو يقول فى كل واحد لا ، جعلنى الله فداك ، وهو صلى الله عليه وسلم يقول كذلك الناس لا يحبونه ، وقالا جميعا فى حديثهما أعنى ابن عوف والراوى الآخر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال « اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبَهُ وَاغْفِرْ ذَنْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيْهِ مِنْهُ » يعنى من الزنا

وقيل للفضيل ابن عياض رحمه الله إن سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان ، فقال الفضيل ما أخذ منهم إلا دون حقه ، ثم خلا به وعذله ووبخه ، فقال سفيان : ياأبا علي إن لم نكن من الصالحين فإنا لنحب الصالحين ، وقال حماد بن سلمة : إن صلة بن أشيم ، مر عليه رجل قد أسبل إزاره ، فهم أصحابه أن يأخذوه بشدة ، فقال دعونى أنا أكفيكم ، فقال ياابن أخى إن لى إليك حاجة قال وما حاجتك ياعم ؟ قال أحب أن ترفع من إزارك ، فقال : نعم وكرامة فرفع إزاره فقال لأصحابه : لو أخذتموه بشدة لقال لا ولا كرامة وشتمكم ، وقال محمد بن زكريا الغلابى : شهدت عبد الله بن محمد بن عائشة ليلة ، وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله . وإذا فى طريقه غلام من قريش سكران ، وقد قبض على امرأة فجذبها فاستغاثت فاجتمع الناس يضربونه ، فنظر إليه ابن عائشة فعرفه ، فقال للناس : تنحوا عن ابن أخى

(١) حديث أبى أمامة ان شابا قال يارسول الله ائذن لى فى الزنا فصاح الناس به الحديث : رواه أحمد باسناد جيد رجاله رجال الصحيح

(١) طه : ٤٤

ثم قال... إلىّ يابن أخى : فاستحى الغلام فجاء إليه فضمه إلى نفسه : ثم قال له : امض معى فمضى معه حتى صار إلى منزله فأدخله الدار ، وقال لبعض غلمانه : بيته عندك ، فإذا أفاق من سكره فأعلمه بما كان منه ، ولا تدعه ينصرف حتى تأتينى به ، فلما أفاق ذكر له ماجرى فاستحيا منه وبكى، وهمّ بالانصراف ،فقال الغلام قد أمرأن تأتيه فأدخله عليه،فقال له أما استحييت لنفسك ؟أما استحييت لشرفك؟أما ترى من ولدك؟فاتق الله وانزع عما أنت فيه ، فبكي الغلام منكسا رأسه ثم رفع رأسه وقال :عاهدت الله تعالى عهداً يسألنى عنه يوم القيامة، أنى لاأعود لشرب النبيذ ، ولا لشيء مما كنت فيه وأنا تائب ، فقال إدن منى فقبل رأسه ، وقال: أحسنت يابنى ، فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب عنه الحديث ،وكان ذلك ببركة رفقه ثم قال : إن الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ،ويكون معروفهم منكرا ، فعليكم بالرفق فى جميع أموركم ، تنالون به ماتطلبون ، وعن الفتح بن شخرف قال :تعلق رجل بامرأة وتعرض لها ، وبيده سكين لايدنو منه أحد إلا عقره ، وكان الرجل شديد البدن فبينا الناس كذلك ، والمرأة تصيح فى يده ، إذ مر بشر بن الحارث فدنا منه ، وحك كتفه بكتف الرجل ، فوقع الرجل على الأرض ، ومشى بشر ، فدنوا من الرجل وهو يترشح عرقا كثيرا ، ومضت المرأة لحالها ، فسألوه ماحالك ؟فقال ماأدرى، ولكنى جاءنى شيخ وقال لى إن الله عز وجل ناظر إليك وإلى ماتعمل ، فضعفت لقوله قدماى ، وهبته هيبة شديدة ، ولا أدرى من ذلك الرجل ، فقالوا له هو بشر بن الحارث ، فقال واسوأتاه كيف ينظر إلى بعد اليوم ، وحم الرجل من يومه ، ومات يوم السابع

فهكذا كانت عادة أهل الدين فى الحسبة ، وقد نقلنا فيها آثارا وأخبارا فى باب البغض فى الله والحب فى الله ، من كتاب آداب الصحبة ، فلا نطول بالإعادة ، فهذا تمام النظر فى درجات الحسبة وآدابها ، والله الموفق بكرمه ، والحمد لله على جميع نعمه

الباب الثالث

فى المنكرات المألوفة فى العادات

فنشير إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها إذ لا مطمع فى حصرها واستقصائها فمن ذلك

منكرات المساجد

اعلم أن المنكرات تنقسم إلى مكروهة وإلى محظورة، فإذا قلنا . هذا منكر مكروه، فاعلم أن المنع منه مستحب، والسكوت عليه مكروه، وليس بحرام إلا إذا لم يعلم الفاعل أنه مكروه، فيجب ذكره له، لأن الكراهة حكم فى الشرع يجب تبليغه إلى من لا يعرفه، وإذا قلنا: منكر محظور، أو قلنا: منكر مطلقا فنريد به المحظور، ويكون السكوت عليه مع القدرة محظور

فمما يشاهد كثيرا فى المساجد، إساءة الصلاة بترك الطمأنينة فى الركوع والسجود، وهو منكر مبطل للصلاة بنص الحديث، فيجب النهى عنه، إلا عند الحنفى الذى يعتقد أن ذلك لا يمنع صحة الصلاة، إذ لا ينفع النهى معه، ومن رأى مسيئا فى صلاته فسكت عليه فهو شريكه، هكذا ورد به الأثر، وفى الخبر ما يدل عليه، إذ ورد فى الغيبة [1] أن المستمع شريك القائل، وكذلك كل ما يقدح فى صحة الصلاة من نجاسة على ثوبه لا يراها، أو انحراف عن القبلة بسبب ظلام أو عمى، فكل ذلك تجب الحسبة فيه

ومنها قراءة القرءان باللحن، يجب النهى عنه، ويجب تلقين الصحيح، فإن كان المعتكف فى المسجد يضيع أكثر أوقاته فى أمثال ذلك، ويشتغل به عن التطوع والذكر، فليشتغل به، فإن هذا أفضل له من ذكره وتطوعه، لأن هذا فرض، وهى قربة تتعدى فائدتها، فهى أفضل من نافلة تقتصر عليه فائدتها، وإن كان ذلك يمنعه عن الوراقة مثلا، أو عن الكسب الذى هو طعمته، فإن كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك، ولم يجز له ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا، وإن احتاج إلى الكسب لقوت يومه فهو عذر له، فيسقط الوجوب عنه لعجزه والذى يكثر اللحن فى القرءان، إن كان قادرا على التعلم فليمتنع من القراءة

﴿ الباب الثالث فى المنكرات المؤلفة ﴾

(١) حديث المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم: تقدم فى الصوم

قبل التعلم ، فإنه عاص به ، وإن كان لا يطاوعه اللسان ، فإن كان أكثر ما يقرؤه لحنا ، فليتركه وليجتهد فى تعلم الفاتحة وتصحيحها وإن كان الأكثر صحيحا وليس يقدر على التسوية ، فلا بأس له أن يقرأ ، ولكن ينبغى أن يخفض به الصوت ، حتى لا يسمع غيره ولمنعه سرا منه أيضا وجه ، ولكن إذا كان ذلك منتهى قدرته ، وكان له أنس بالقراءة وحرص عليها ، فلست أرى به بأسا ، والله اعلم

ومنها: تراسل المؤذنين فى الأذان ، وتطويلهم بمد كلماته ، وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر فى الحيعلتين ، أو انفراد كل واحد منهم بأذان ، ولكن من غير توقف إلى انقطاع أذان الآخر ، بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الأذان ، لتداخل الأصوات ، فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريفها ، فإن صدرت عن معرفة فيستحب المنع منها والحسبة فيها ، وكذلك إذا كان للمسجد مؤذن واحد ، وهو يؤذن قبل الصبح ، فينبغى أن يمنع من الأذان بعد الصبح ، فذلك مشوش للصوم والصلاة على الناس ، إلا إذا عرف أنه يؤذن قبل الصبح ، حتى لا يعول على أذانه فى صلاة ، وترك سحور ، أو كان معه مؤذن آخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح

ومن المكروهات أيضا تكثير الأذان مرة بعد أخرى بعد طلوع الفجر فى مسجد واحد فى أوقات متعاقبة متقاربة ، إما من واحد أو جماعة فإنه لا فائدة فيه ، إذ لم يبق فى المسجد نائم ، ولم يكن الصوت مما يخرج عن المسجد حتى ينبه غيره ، فكل ذلك من المكروهات المخالفة لسنة الصحابة والسلف

ومنها: أن يكون الخطيب لابسا الثوب أسود ، يغلب عليه الابريسم ، أو ممسكا السيف مذهب ، فهو فاسق والإنكار عليه واجب ، وأما مجرد السواد فليس بمكروه ، لكنه ليس بمحبوب ، إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البيض ، ومن قال إنه مكروه وبدعة ، أراد به أنه لم يكن معهودا فى العصر الأول ، ولكن إذا لم يرد فيه نهى ، فلا ينبغى أن يسمى بدعة ومكروها ولكنه ترك للأحب

ومنها: كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة ، فالقاص إن كان يكذب فى أخباره فهو فاسق ، والإنكار عليه واجب . وكذا الواعظ المبتدع يجب منعه : ولا يجوز حضور مجلسه . إلا على قصد إظهار الرد عليه . إما للكافة إن قدر عليه ، أو لبعض الحاضرين حواليه فإن لم يقدر فلا يجوز سماع البدعة ، قال الله تعالى لنبيه (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ [1]) ومهما كان كلامه مائلا إلى الأرجاء، وتجرئة الناس على المعاصى ، وكان الناس يزدادون بكلامه جراءة ، وبعفو الله وبرحمته وثوقا يزيد بسببه رجاؤهم على خوفهم فهو منكر : ويجب منعه عنه ، لأن فساد ذلك عظيم ، بل لو رجح خوفهم على رجائهم ، فذلك أليق وأقرب بطباع الخلق ، فإنهم إلى الخوف أحوج ؛ وإنما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال عمر رضى الله عنه ، لو نادى مناديوم القيامة ، ليدخل النار كل الناس إلا رجلا واحدا لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ، ولو نادى مناد ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلا واحدا لخفت أن أكون أنا ذلك الرجل ، ومهما كان الواعظ شابا متزينا للنساء فى ثيابه ، وهيئته كثير الأشعار والإشارات والحركات : وقد حضر مجلسه النساء : فهذا المنكر يجب المنع منه فإن الفساد فيه أكثر من الصلاح ، ويتبين ذلك منه بقرائن أحواله ، بل لا ينبغى أن يسلم الوعظ إلا لمن ظاهره الورع ، وهيئته السكينة والوقار ، وزيه زى الصالحين ، وإلا فلا يزداد الناس به إلا تماديا فى الضلال

ويجب أن يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر ، فإن ذلك أيضا مظنة الفساد ، والعادات تشهد لهذه المنكرات ؛ ويجب منع النساء من حضور المساجد للصلوات ومجالس الذكر إذا خيفت الفتنة بهن ، فقد منعتهن عائشة رضى الله عنها . فقيل لها إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعهن من الجماعات ، فقالت . لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] ما أحدثن بعده لمنعهن

وأما اجتياز المرأة فى المسجد مستترة فلا تمنع منه ، إلا أن الأولى أن لا تتخذ المسجد مجازا أصلا ، وقراءة القرآء بين يدى الوعاظ مع التمديد والألحان على وجه يغير نظم القرءان

(١) حديث عائشة لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدثن أى النساء من بعده لمنعهن المساجد متفق عليه

(١) الأنعام : ٦٨

ويجاوز حد التنزيل ؛ منكر مكروه ، شديد الكراهة ، أنكره جماعة من السلف

ومنها: الحلق يوم الجمعة لبيع الأدوية والأطعمة ، والتعويذات ، وكقيام السؤال ، وقراءتهم القرءان وإنشادهم الأشعار وما يجرى مجراه ، فهذه الأشياء منها ما هو محرم ، لكونه تلبيسا وكذبا ، كالكذابين من طرقية الأطباء وكأهل الشعبذة والتلبيسات ، وكذا أرباب التعويذات فى الأغلب ، يتوصلون إلى بيعها بتلبيسات على الصبيان والسوادية ، فهذا حرام فى المسجد وخارج المسجد ، ويجب المنع منه ، بل كل بيع فيه كذب وتلبيس وإخفاء عيب على المشترى فهو حرام

ومنها : ما هو مباح خارج المسجد ، كالخياطة وبيع الأدوية والكتب والأطعمة ، فهذا فى المسجد أيضا لا يحرم إلا بعارض ، وهو أن يضيق المحل على المصلين ، ويشوش عليهم صلاتهم : فإن لم يكن شىء من ذلك فليس بحرام ، والأولى تركه ، ولكن شرط إباحته أن يجرى فى أوقات نادرة وأيام معدودة ، فإن اتخذ المسجد دكانا على الدوام حرم ذلك ومنع منه ، فمن المباحات ما يباح بشرط القلة ، فإن كثر صار صغيرة ، كما أن من الذنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الإصرار ، فإن كان القليل من هذا لو فتح بابه لخيف منه أن ينجر إلى الكثير فليمنع منه ، وليكن هذا المنع إلى الوالى أو إلى القيم بمصالح المسجد من قبل الوالى ، لأنه لا يدرك ذلك بالاجتهاد ، وليس للآحاد المنع مما هو مباح فى نفسه لخوفه أن ذلك يكثر

ومنها: دخول المجانين والصبيان السكارى فى المسجد ، ولا بأس بدخول الصبى المسجد إذا لم يلعب ولا يحرم عليه اللعب فى المسجد ، ولا السكوت على لعبه ، إلا إذا اتخذ المسجد ملعبا ، وصار ذلك معتادا ، فيجب المنع منه ، فهذا مما يحل قليله دون كثيره

ودليل حل قليله ، ما روى فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف لأجل عائشة رضى الله عنها ، حتى نظرت إلى الحبشة يزفنون ، ويلعبون بالدرق والحراب يوم العيد فى المسجد ، ولا شك فى أن الحبشة لو اتخذوا المسجد ملعبا لمنعوا منه ، ولم يرد ذلك على الندرة والقلة منكرا ، حتى نظر إليه بل أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبصرهم عائشة تطييبا لقلبها ، إذ قال « دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفِدَةَ » كما نقلناه فى كتاب السماع

وأما المجانين : فلا بأس بدخولهم المسجد ، إلا أن يخشى تلويثهم له ، أو شتمهم أو تطقهم بما هو فحش ، أو تعاطيهم لما هو منكر فى صورته : ككشف العورة وغيره ، وأما المجنون

الهادىء الساكن الذى قد علم بالعادة سكونه وسكوته ، فلا يجب إخراجه من المسجد والسكران فى معنى المجنون ، فإن خيف منه القذف : أعنى القىء أو الإيذاء باللسان ، وجب إخراجه ، وكذا لو كان مضطرب العقل ، فإنه يخاف ذلك منه ، وإن كان قد شرب ولم يسكر والرائحة منه تفوح ، فهو منكر مكروه شديد الكراهة ، وكيف لا ، ومن أكل الثوم والبصل فقد نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حضور المساجد [1] ولكن يحمل ذلك على الكراهة ، والأمر فى الخمر أشد

فإن قال قائل . ينبغى أن يضرب السكران ويخرج من المسجد زجرا

قلنا : لا بل ينبغى أن يلزم القعود فى المسجد ويدعى إليه ، ويؤمر بترك الشرب مهما كان فى الحال عاقلا فأما ضربه للزجر فليس ذلك إلى الآحاد ، بل هو إلى الولاة وذلك عند إقراره أو شهادة شاهدين : فأما لمجرد الرائحة فلا : نعم : إذا كان يمشى بين الناس متمايلا بحيث يعرف سكره . فيجوز ضربه فى المسجد وغير المسجد ، منعا له عن إظهار أثر السكر ، فإن إظهار أثر الفاحشة فاحشة ، والمعاصى يجب تركها ، وبعد الفعل يجب سترها وستر آثارها ، فإن كان مستترا مخفيا لأثره فلا يجوز أن يتجسس عليه ، والرائحة قد تفوح من غير شرب ، بالجلوس فى موضع الخمر وبوصوله إلى الفم دون الابتلاع ، فلا ينبغى أن يعول عليه

منكرات الأسواق

من المنكرات المعتادة فى الأسواق الكذب فى المرابحة ، وإخفاء العيب ، فمن قال اشتريت هذه السلعة مثلا بعشرة وأربح فيها كذا ، وكان كاذبا ، فهو فاسق ، وعلى من عرف ذلك أن يخبر المشترى بكذبه ، فإن سكت مراعاة لقلب البائع كان شريكا له فى الخيانة وعصى بسكوته ، وكذا إذا علم به عيبا فيلزمه أن ينبه المشترى عليه ، وإلا كان راضيا بضياع مال أخيه المسلم وهو حرام ، وكذا التفاوت فى الذراع والمكيال والميزان ، يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه أو رفعه إلى الوالى حتى يغيره

ومنها : ترك الإيجاب والقبول ، والاكتفاء بالمعاطاة ، ولكن ذلك فى محل الاجتهاد فلا ينكر إلا على من اعتقد وجوبه ، وكذا فى الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس ، يجب

(١) هذا الحديث : لم يخرجه العراقى وقد خرجه الشارح عن البخارى ومسلم وغيرهما

الإنكار فيها، فإنها مفسدة للعقود، وكذا في الربويات كلها وهي غالبة وكذا سائر التصرفات الفاسدة

ومنها : بيع الملاهي ، وبيع أشكال الحيوانات المصورة في أيام العيد ، لأجل الصبيان فتلك يجب كسرها ، والمنع من بيعها كالملاهي ، وكذلك بيع الأواني المتخذة من الذهب والفضة وكذلك بيع ثياب الحرير وقلانس الذهب والحرير ، أعني التي لا تصلح إلا للرجال أو يعلم بعادة البلد أنه لا يلبسه إلا الرجال ، فكل ذلك منكر محظور ، وكذلك من يعتاد بيع الثياب المبتذلة المقصورة ، التي يلبس على الناس بقصارتها وابتذالها ويزعم أنها جديدة فهذا الفعل حرام والمنع منه واجب ، وكذلك تلبيس انخراق الثياب بالرفو ، وما يؤدي إلى الالتباس ، وكذلك جميع أنواع العقود المؤدية إلى التلبيسات ، وذلك يطول إحصاؤه فليقس بما ذكرناه مالم نذكره

منكرات الشوارع

فمن المنكرات المعتادة فيها وضع الاسطوانات ، وبناء الدكات متصلة بالأبنية المملوكة ، وغرس الأشجار ، وإخراج الرواشن والأجنحة ، ووضع الخشب ، وأحمال الحبوب والأطعمة على الطرق ، فكل ذلك منكر إن كان يؤدي إلى تضييق الطرق واستضرار المارة، وإن لم يؤد إلى ضرر أصلا ، لسعة الطريق فلا يمنع منه

نعم: يجوز وضع الحطب وأحمال الأطعمة في الطريق ، في القدر الذي ينقل إلى البيوت فإن ذلك يشترك في الحاجة إليه الكافة ، ولا يمكن المنع منه ، وكذلك ربط الدواب على الطريق ، بحيث يضيق الطريق وينجس المجتازين منكر يجب المنع منه ، إلا بقدر حاجة النزول والركوب ، وهذا لأن الشوارع مشتركة المنفعة ، وليس لأحد أن يختص بها إلا بقدر الحاجة ، والمرعي هو الحاجة التي تراد الشوارع لأجلها في العادة دون سائر الحاجات

ومنها: سوق الدواب وعليها الشوك ، بحيث يمزق ثياب الناس ، فذلك منكر إن أمكن شدها وضمها بحيث لا تمزق أو أمكن العدول بها إلى موضع واسع ، وإلا فلا منع إذ حاجة أهل البلد تمس إلى ذلك ، نعم . لا تترك ملقاة على الشوارع إلا بقدر مدة النقل ، وكذلك تحميل الدواب من الأحمال مالا تطيقه منكر يجب منع الملاك منه ، وكذلك ذبح القصاب إذا كان

يذبح فى الطريق حذاء باب الحانوت ويلوث الطريق بالدم ، فإنه منكر يمنع منه بل حقه أن يتخذ فى دكانه مذبحا ، فإن فى ذلك تضييقا بالطريق ، وإضرارا بالناس ، بسبب ترشيش النجاسة ، وبسبب استقذار الطباع للقاذورات ، وكذلك طرح القمامة على جواد الطرق وتبديد قشور البطيخ ، أورش الماء بحيث يخشى منه التزلق والتعثر ، كل ذلك من المنكرات وكذلك إرسال الماء من الميازيب المخرجة من الحائط فى الطريق الضيقة ، فإن ذلك ينجس الثياب ، أو يضيق الطريق ، فلا يمنع منه فى الطرق الواسعة إذا العدول عنه ممكن ، فأما ترك مياه المطر والأوحال والثلوج فى الطرق من غير كسح فذلك منكر ، ولكن ليس يختص به شخص معين إلا الثلج الذى يختص بطرحه على الطريق واحد ، والماء الذى يجتمع على الطريق من ميزاب معين ، فعلى صاحبه على الخصوص كسح الطريق ، وإن كان من المطر فذلك حسبة عامة ، فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها ، وليس للآحاد فيها إلا الوعظ فقط وكذلك إذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذى الناس فيجب منعه منه ، وإن كان لا يؤذى إلا بتنجيس الطريق ، وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه ، وإن كان يضيق الطريق ببسطه ذراعيه فيمنع منه ، بل يمنع صاحبه من أن ينام على الطريق أو يقعد قعودا يضيق الطريق ، فكلبه أولى بالمنع

منكرات الحمامات

منها : الصور التى تكون على باب الحمام أو داخل الحمام يجب إزالتها على كل من يدخلها إن قدر ، فإن كان الموضع مرتفعا لا تصل إليه يده ، فلا يجوز له الدخول إلا لضرورة فليعدل إلى حمام آخر ، فإن مشاهدة المنكر غير جائزة ، ويكفيه أن يشوه وجهها ، ويبطل به صورتها ، ولا يمنع من صور الأشجار وسائر النقوش سوى صورة الحيوان

ومنها : كشف العورات والنظر إليها ، ومن جملتها كشف الدلاك عن الفخذ ، وما تحت السرة ، لتنحية الوسخ ، بل من جملتها إدخال اليد تحت الإزار ، فإن مس عورة الغير حرام كالنظر إليها

ومنها : الانبطاح على الوجه بين يدى الدلاك ، لتغميز الأفخاذ والأعجاز ، فهذا مكروه

إن كان مع حائل ، ولكن لا يكون محظورا إذا لم يخش من حركة الشهوة، وكذلك كشف العورة للحجام الذمى من الفواحش،فإن المرأة لا يجوز لها أن تكشف بدنها للذمية فى الحمام فكيف يجوز لها كشف العورات للرجال

ومنها غمس اليد والأوانى النجسة فى المياه القليلة ، وغسل الإزار والطاس النجس فى الحوض وماؤه قليل ، فإنه منجس للماء إلا على مذهب مالك ، فلا يجوز الإنكار فيه على المالكية ،ويجوز على الحنفية والشافعية ، وإن اجتمع مالكى وشافعى فى الحمام فليس للشافعى منع المالكى من ذلك إلا بطريق الالتماس واللطف ، وهو أن يقول له إنا نحتاج أن نغسل اليد أولا ، ثم نغمسها فى الماء ، وأما أنت فمستغن عن إيذائى ، وتفويت الطهارة علىّ ، وما يجرى مجرى هذا ، فإن مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقهر

ومنها،أن يكون فى مداخل بيوت الحمام ومجارى مياهها حجارة ملساء مزلقة يزلق عليها الغافلون ، فهذا منكر ويجب قلعه وإزالته ،وينكر على الحمامى إهماله ،فانه يفضى إلى السقطة وقد تؤدّى السقطة إلى انكسار عضو أو انخلاعه ، وكذلك ترك السدر والصابون الزلق على أرض الحمام منكر ، ومن فعل ذلك وخرج وتركه فزلق به إنسان وانكسر عضو من أعضائه ، وكان ذلك فى موضع لا يظهر فيه بحيث يتعذر الاحتراز عنه ، فالضمان متردد بين الذى تركه ، وبين الحمامى ، إذ حقه تنظيف الحمام ، والوجه إيجاب الضمان على تاركه فى اليوم الأول ، وعلى الحمامى فى اليوم الثانى ، إذ عادة تنظيف الحمام كل يوم معتادة والرجوع فى مواقيت إعادة التنظيف إلى العادات فليعتبر بها وفى الحمام أمور أخر مكروهة ذكرناها فى كتاب الطهارة فلتنظر هناك

منكرات الضيافة

فمنها : فرش الحرير للرجال فهو حرام ، وكذلك تبخير البخور فى مجمرة فضة أو ذهب ، أو الشراب أو استعمال ماء الورد فى أوانى الفضة ، أو ماء وسها من فضة

ومنها: إسدال الستور وعليها الصور

ومنها: سماع الأوتار أو سماع القينات

ومنها اجتماع النساء على السطوح للنظر إلى الرجال مهما كان فى الرجال شباب يخاف الفتنة منهم ، فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره ، ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج ولم يجز له الجلوس ؛ فلا رخصة له فى الجلوس فى مشاهدة المنكرات ، وأما الصور التى على النمارق ، والزرابى المفروشة ، فليس منكرا ، وكذا على الأطباق والقصاع لا الأوانى المتخذة على شكل الصور ، فقد تكون رؤس بعض المجامر على شكل طير فذلك حرام ، يجب كسر مقدار الصورة منه ، وفى المكحلة الصغيرة من الفضة خلاف ، وقد خرج أحمد بن حنبل عن الضيافة بسببها ، ومهما كان الطعام حراما أو كان الموضع مغصوبا ، أو كانت الثياب المفروشة حراما فهو من أشد المنكرات ، فإن كان فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور إذ لا يحل حضور مجالس الشرب ، وإن كان مع ترك الشرب ، ولا يجوز مجالسة الفاسق فى حالة مباشرته للفسق ، وإنما النظر فى مجالسته بعد ذلك ، وأنه هل يجب بغضه فى الله ومقاطعته كما ذكرناه فى باب الحب والبغض فى الله ، وكذلك إن كان فيهم من يلبس الحرير أو خاتم الذهب ، فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة ، فان كان الثوب على صبى غير بالغ فهذا فى محل النظر ، والصحيح أن ذلك منكر ويجب نزعه عنه إن كان مميزا لعموم قوله عليه السلام (١) « هَذَانِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي » وكما يجب منع الصبى من شرب الخمر ، لا لكونه مكلفا ولكن لأنه يأنس به فإذا بلغ عسر عليه الصبر عنه فكذلك شهوة التزين بالحرير تغلب عليه إذا اعتاده ، فيكون ذلك بذرا للفساد يبذر فى صدره ، فتنبت منه شجرة من الشهوة راسخة يعسر قلعها بعد البلوغ ، أما الصبى الذى لا يميز فيضعف معنى التحريم فى حقه ، ولا يخلو عن احتمال ، والعلم عند الله فيه ، والمجنون فى معنى الصبى الذى لا يميز نعم : يحل التزين بالذهب والحرير للنساء من غير إسراف ، ولا أرى رخصة فى تثقيب أذن الصبية لأجل تعليق حلق الذهب فيها ، فإن هذا جرح مؤلم ومثله موجب للقصاص ، فلا يجوز إلا لحاجة مهمة ، كالفصد والحجامة والختان ، والتزين بالحلق غير مهم ، بل فى التقريط بتعليقه على الأذن ، وفى المخانق والاسورة كفاية عنه ، فهذا وإن كان معتادا فهو حرام ، والمنع منه واجب ، والاستئجار عليه غير صحيح ، والأجرة المأخوذة عليه حرام ، ألا أن يثبت

(١) حديث هذان حرامان على ذكور أمتى : أبوداود والنسائى وابن ماجه من حديث على وقد تقدم فى الباب الرابع من آداب الأكل

من جهة النقل فيه رخصة ولم يبلغنا إلى الآن فيه رخصة

ومنها : أن يكون فى الضيافة مبتدع يتكلم فى بدعته فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرد ، فإن كان لا يقدر عليه لم يجز ، فإن كان المبتدع لا يتكلم ببدعته فيجوز الحضور مع إظهار الكراهة عليه والإعراض عنه ، كما ذكرناه فى باب البغض فى الله ، وإن كان فيها مضحك بالحكايات وأنواع النوادر ، فإن كان يضحك بالفحش والكذب لم يجز الحضور وعند الحضور يجب الإنكار عليه ، وإن كان ذلك بمزح لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح أعنى ما يقل منه ، فأما اتخاذه صنعة وعادة فليس بمباح ، وكل كذب لا يخفى أنه كذب ولا يقصد به التلبيس فليس من جملة المنكرات ، كقول الإنسان مثلا طلبتك اليوم مائة مرة ، وأعدت عليك الكلام ألف مرة ، وما يجرى مجراه مما يعلم أنه ليس يقصد به التحقيق ، فذلك لا يقدح فى العدالة ، ولا ترد الشهادة به وسيأتى حد المزاح المباح ، والكذب المباح فى كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات

ومنها : الإسراف فى الطعام والبناء ، فهو منكر بل فى المال منكران ، أحدهما : الإضاعة والآخر : الإسراف ، فالإضاعة تفويت مال بلا فائدة يعتد بها ، كإحراق الثوب وتمزيقه وهدم البناء من غير غرض ، وإلقاء المال فى البحر ، وفى معناه صرف المال إلى النائحة والمطرب ، وفى أنواع الفساد ، لأنها فوائد محرمة شرعا ، فصارت كالمعدومة ، وأما الإسراف فقد يطلق لإرادة صرف المال إلى النائحة والمطرب والمنكرات ، وقد يطلق على الصرف إلى المباحات فى جنسها ولكن مع المبالغة ، والمبالغة تختلف بالإضافة إلى الأحوال ، فنقول : من لم يملك إلا مائة دينار مثلا ، ومعه عياله وأولاده ، ولا معيشة لهم سواه ، فأنفق الجميع فى وليمة فهو مسرف يجب منعه منه ، قال تعالى : (وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً [1]) نزل هذا فى رجل بالمدينة ، قسم جميع ماله ولم يبق شيئاً لعياله ، فطولب بالنفقة فلم يقدر على شىء ، وقال تعالى : (وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ [2]) وكذلك قال عز وجل : (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا [3]) فمن يسرف هذا

(١) الأسراء : ٢٩ ، ٢٦ ، ٢٧ (٢) الفرقان : ٦٧

الإسراف ينكر عليه ، ويجب على القاضى أن يحجر عليه ، إلا إذا كان الرجل وحده وكان له قوة فى التوكل صادقة : فله أن ينفق جميع ماله فى أبواب البر ، ومن له عيال أو كان عاجزا عن التوكل ، فليس له أن يتصدق بجميع ماله ، وكذلك لو صرف جميع ماله إلى نقوش حيطانه ، وتزيين بنيانه ، فهو أيضا إسراف محرم ، وفعل ذلك ممن له مال كثير ليس بحرام لأن التزيين من الأغراض الصحيحة : ولم تزل المساجد تزين ، وتنقش أبوابها وسقوفها ، مع أن نقش الباب والسقف لا فائدة فيه إلا مجرد الزينة ، فكذا الدور ، وكذلك القول في التجمل بالثياب ، والأطعمة ، فذلك مباح فى جنسه ، ويصير إسرافا باعتبار حال الرجل وثروته

وأمثال هذه المنكرات كثيرة لا يمكن حصرها ، فقس بهذه المنكرات المجامع ، ومجالس القضاة ، ودواوين السلاطين ، ومدارس الفقهاء ، ورباطات الصوفية ، وخانات الأسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه أو محذور ، واستقصاء جميع المنكرات يستدعى استيعاب جميع تفاصيل الشرع ، أصولها وفروعها ، فلنقتصر على هذا القدر منها

المنكرات العامة

اعلم أن كل قاعد فى بيته أينما كان ، فليس خاليا فى هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن إرشاد الناس وتعليمهم ، وحملهم على المعروف ، فأكثر الناس جاهلون بالشرع فى شروط الصلاة فى البلاد ، فكيف فى القرى والبوادى ، ومنهم الأعراب والأكراد ، والتركمانية وسائر أصناف الخلق ، وواجب أن يكون فى كل مسجد ومحلة من البلد فقيه ، يعلم الناس دينهم ، وكذا فى كل قرية ، وواجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه ، وتفرغ لفرض الكفاية ، أن يخرج إلى من يجاور بلده من أهل السواد ، ومن العرب والأكراد ، وغيرهم ويعلمهم دينهم ، وفرائض شرعهم ، ويستصحب مع نفسه زادا يأكله ولا يأكل من أطعمتهم فإن أكثرها مغصوب ، فإن قام بهذا الأمر واحد سقط الحرج عن الآخرين ، وإلا عم الحرج الكافة أجمعين ، أما العالم ، فلتقصيره فى الخروج ، وأما الجاهل ، فلتقصيره فى ترك التعلم ، وكل عامى عرف شروط الصلاة فعليه أن يعرف غيره ، وإلا فهو شريك فى الإثم

ومعلوم أن الانسان لا يولد عالما بالشرع ، وإنما يجب التبليغ على أهل العلم ، فكل من تعلم مسألة واحدة فهو من أهل العلم بها

ولعمرى الأثم على الفقهاء أشد لأن قدرتهم فيه أظهر ، وهو بصناعتهم أليق ، لأن المحترفين لو تركوا حرفتهم لبطلت المعايش ، فهم قد تقلدوا أمرا لابد منه فى صلاح الخلق ، وشأن الفقيه وحرفته تبليغ مابلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن العلماء هم ورثة الأنبياء وليس للإنسان أن يقعد فى بيته ولا يخرج إلى المسجد ، لأنه يرى الناس لا يحسنون الصلاة بل إذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهى ، وكذا كل من تيقن أن فى السوق منكرا يجرى على الدوام ، أو فى وقت بعينه ، وهو قادر على تغييره ، فلا يجوز له أن يسقط ذلك عن نفسه بالقعود فى البيت ، بل يلزمه الخروج ، فإن كان لا يقدر على تغيير الجميع وهو محترز عن مشاهدته ، ويقدر على البعض لزمه الخروج ، لأن خروجه إذا كان لأجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضره مشاهدة ما لا يقدر عليه ، وإنما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر من غير غرض صحيح

فحق على كل مسلم أن يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ، ثم يعلم ذلك أهل بيته ، ثم يتعدى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه ، ثم إلى أهل محلته ، ثم إلى أهل بلده ، ثم إلى أهل السواد المكتنف ببلده ، ثم إلى أهل البوادى من الأكراد والعرب وغيرهم وهكذا إلى أقصى العالم ، فإن قام به الأدنى سقط عن الأبعد وإلا حرج به على كل قادر عليه قريبا كان أو بعيدا ، ولا يسقط الحرج مادام يبقى على وجه الأرض جاهل بفرض من فروض دينه ، وهو قادر على أن يسعى إليه بنفسه ، أو بغيره ، فيعلمه فرضه ، وهذا شغل شاغل لمن يهمه أمر دينه ، يشغله عن تجزئة الأوقات فى التفريعات النادرة ، والتعمق فى دقائق العلوم التى هى من فروض الكفايات ، ولا يتقدم على هذا إلا فرض عين ، أو فرض كفاية هو أهم منه

الباب الرابع

فى أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر

قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف ، وأن أوّله التعريف ، وثانيه الوعظ ، وثالثه التخشين فى القول ، ورابعه المنع بالقهر فى الحمل على الحق بالضرب والعقوبة ، والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتان الأوليان ، وهما التعريف ، والوعظ ، وأما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعية مع السلطان ، فإن ذلك يحرك الفتنة ، ويهيج الشر ، ويكون مايتولد منه من المحذور أكثر ، وأما التخشين فى القول كقوله ياظالم يامن لايخاف الله وما يجرى مجراه ، فذلك إن كان يحرك فتنة يتعدى شرها إلى غيره لم يجز ، وإن كان لايخاف إلا على نفسه فهو جائز بل مندوب إليه ، فلقد كان من عادة السلف التعرض للأخطار والتصريح بالإنكار من غير مبالاة بهلاك المهجة ، والتعرض لأنواع العذاب ، لعلمهم بأن ذلك شهادة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :[1] « خَيْرُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، ثُمَّ رَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فِي ذَاتِ اللهِ تَعَالَى فَقَتَلَهُ عَلَى ذَلِكَ » وقال صلى الله عليه وسلم[2] « أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ » ووصف النبى صلى الله عليه وسلم[3] عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : « * قَرْنٌ مِنْ حَدِيدٍ لَا تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ » وتركه قوله الحق ماله من صديق

ولما علم المتصلبون فى الدين ، أن أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر ، وأن صاحب

(الباب الرابع فى أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر)

(١) حديث خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى رجل فأمره ونهاه فى ذات الله فقتله على ذلك : الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وتقدم فى الباب قبله

(٢) حديث أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر تقدم

(٣) حديث وصفه صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب بانه قرن من حديد لاتأخذه فى الله لومة لائم تركه الحق ماله من صديق : الترمذى بسند ضعيف مقتصرا على آخر ـ الحديث : من حديث على رحم الله عمر يقول الحق وان كان مرا تركه الحق وماله من صديق وأما أول الحديث : فرواه الطبرانى أن عمر قال لكعب الاحبار كيف تجد نعتى قال أجد نعتك قرنا من حديد قال وما قرن من حديد قال أمير شديد لا تأخذه فى الله لومة لائم

* القرن بفتح القاف الحصن

ذلك إذا قتل فهو شهيد كما وردت به الأخبار ، قدموا على ذلك موطنين أنفسهم على الهلاك ومحتملين أنواع العذاب، وصابرين عليه فى ذات الله تعالى ، ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله

وطريقُ وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف

وقد أوردنا جملة من ذلك فى باب الدخول على السلاطين فى كتاب الحلال والحرام ونقتصر الآن على حكايات تعرف وجه الوعظ ، وكيفية الإنكار عليهم

فمنها : ما روي من إنكار أبى بكر الصديق رضي الله عنه على أكابر قريش ، حين قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوء ، وذلك ما روى عن عروة رضي الله عنه ، قال: قلت لعبد الله بن عمرو : ما أكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) فيما كانت تظهر من عداوته ، فقال : حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما فى الحجر ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل ، سفه أحلامنا وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ، ولقد صبرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا ، فبينما هم فى ذلك إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول ، قال فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مضى ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك فى وجهه عليه السلام ، ثم مضى ، فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها حتى وقف ، ثم قال : « أَتَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَمَا وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ » قال فأطرق القوم حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدهم فيه وطأة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول انصرف يا أبا القاسم راشدا ، فوالله ما كنت جهولا ، قال فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان من الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه ، فبينما هم فى ذلك ، إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه

---

(١) حديث عروة قلت لعبد الله بن عمرو ما أكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته ـ الحديث: بطوله البخارى مقتصرا وابن حبان بتمامه

وثبة رجل واحد ، فأحاطوا به يقولون : أنت الذى تقول كذا ، أنت الذى تقول كذا ، لما كان قد بلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ، قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « نَعَمْ أَنَا الَّذِى أَقُولُ ذٰلِكَ » قال فلقد رأيت منهم رجلا أخذ بمجامع ردائه ، قال وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه دونه يقول وهو يبكى « وَيْلَكُمْ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّىَ اللهُ » قال ثم انصرفوا عنه ، وإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت منه

وفى رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] بفناء الكعبة ، إذ أقبل عقبة بن أبى معيط ، فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلف ثوبه فى عنقه ، فخنقه خنقا شديدا ، فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ، ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال « أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّىَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ »

وروي أن معاوية رضي الله عنه حبس العطاء ، فقام إليه أبو مسلم الخولانى ، فقال له يامعاوية إنه ليس من كدك ، ولا من كد أبيك ، ولا من كد أمك ، قال فغضب معاوية ونزل عن المنبر ، وقال لهم : مكانكم ، وغاب عن أعينهم ساعة ، ثم خرج عليهم وقد اغتسل فقال إن أبا مسلم كلمنى بكلام أغضبنى ، وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] يقول « اَلْغَضَبُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَالشَّيْطَانُ خُلِقَ مِنَ النَّارِ وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَغْتَسِلْ » وإنى دخلت فاغتسلت ، وصدق أبو مسلم ، إنه ليس من كدى ، ولا من كد أبى ، فهلموا إلى عطائكم

وروي عن ضبة بن محصن العنزى قال : [3] كان علينا أبو موسى الأشعرى أميرا بالبصرة فكان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنشأ يدعو لعمر

---

(١) حديث عبد الله بن عمرو بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الحديث : رواه البخارى

(٢) حديث معاوية الغضب من الشيطان ـ الحديث : وفى أوله قصة أبو نعيم فى الحلية وفيه من لا أعرفه

(٣) حديث ضبة بن محصن كان علينا أبو موسى الأشعرى أميرا بالبصرة وفيه عن عمر أنه قال والله لليلة من أبى بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بيومه وليلته فذكر ليلة الهجرة ويوم الردة بطوله رواه البيهقى فى دلائل النبوة باسناد ضعيف هكذا وقصة الهجرة رواها

رضى الله عنه ، قال فغاظنى ذلك منه ، فقمت إليه فقلت له : أين أنت من صاحبه ، تفضله عليه : فصنع ذلك جمعا ، ثم كتب إلى عمر يشكونى ، يقول إن ضبة بن محصن العنزى يتعرض لى فى خطبتى ، فكتب إليه عمر أن أشخصه إلىّ ، قال فأشخصنى إليه ، فقدمت فضربت عليه الباب فخرج إلىّ ، فقال من أنت ؟ فقلت أنا ضبة ، فقال لى لا مرحبا ولا أهلا قلت أما المرحب فمن الله ، وأما الأهل فلا أهل لى ولا مال ، فبماذا استحللت يا عمر إشخاصى من مصرى بلا ذنب أذنبته ولا شىء أتيته ، فقال ما الذى شجر بينك وبين عاملى ، قال قلت الآن أخبرك به إنه كان إذا خطبنا حمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم أنشأ يدعو لك ، فغاظنى ذلك منه فقمت إليه ، فقلت له أين أنت من صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعاً ، ثم كتب إليك يشكونى ، قال فاندفع عمر رضى الله عنه باكيا وهو يقول : أنت والله أوفق منه وأرشد ، فهل أنت غافر لى ذنبى يغفر الله لك ، قال قلت : غفر الله لك يا أمير المؤمنين ، قال ثم اندفع باكيا وهو يقول ، والله لليلة من أبى بكر ويوم خير من عمر وآل عمر ، فهل لك أن أحدثك بليلته ويومه ، قلت : نعم ، قال :

أما الليلة : فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا ، فتبعه أبو بكر ، فجعل يمشى مرة أمامه ، ومرة خلفه ، ومرة عن يمينه ، ومرة عن يساره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا يا أبا بكر ؟ ما أعرف هذا من أفعالك ، فقال يا رسول الله أذكر الرصد ، فأكون أمامك ، وأذكر الطلب ، فأكون خلفك ، ومرة عن يمينك ، ومرة عن يسارك ، لا آمن عليك ، قال فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت ، فلما رأى أبو بكر أنها قد حفيت حمله على عاتقه ، وجعل يشتد به حتى أتى فم الغار فأنزله ، ثم قال والذى بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله ، فإن كان فيه شيء نزل بى قبلك ، قال فدخل فلم ير فيه شيئاً فحمله ، فأدخله

البخارى من حديث عائشة بغير هذا السياق واتفق عليها الشيخان من حديث أبى بكر بلفظ آخر ولهما من حديثه قال قلت يارسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال ياأبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وأما قاله لأهل الردة ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر لأبى بكر كيف تقاتل الناس ـ الحديث

وكان فى الغار خرق فيه حيات وأفاع ، فألقمه أبو بكر قدمه مخافة أن يخرج منه شىء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه ، وجعلن يضربن أبا بكر فى قدمه ، وجعلت دموعه تنحدر على خديه من ألم مايجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له « يَا أَبَا بَكْرٍ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ، والطمأنينة لأبى بكر » فهذه ليلته

وأما يومه : فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ، فقال بعضهم نصلى ولا نزكى ، فأتيته لآلوه نصحا ، فقلت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تألف الناس وأرفق بهم ، فقال لى أجبار فى الجاهلية خوار فى الاسلام ؟ فبماذا أتألفهم ؟ قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحى ، فوالله لو منعونى عقالا كانوا يعطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه ، قال فقاتلنا عليه ، فكان والله رشيدا لأمر ، فهذا يومه

ثم كتب إلى أبى موسى يلومه

وعن الأصمعى ، قال : دخل عطاء بن أبى رباح على عبد الملك بن مروان ، وهو جالس على سريره ، وحواليه الأشراف من كل بطن ، وذلك بمكة فى قت حجه فى خلافته ، فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير ، وقعد بين يديه ، وقال له يا أبا محمد ما حاجتك ؟ فقال يا أمير المؤمنين : اتق الله فى حرم الله ، وحرم رسوله ، فتعاهده بالعمارة ، واتق الله فى أولاد المهاجرين والأنصار ، فإنك بهم جلست هذا المجلس ، واتق الله فى أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين ، وتفقد أمور المسلمين ، فإنك وحدك المسئول عنهم ، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ، ولا تغلق بابك دونهم ، فقال له أجل أفعل ، ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك ، فقال يا أبا محمد إنما سألتنا حاجة لغيرك ، وقد قضيناها ، فما حاجتك أنت ؟ فقال . مالى إلى مخلوق حاجة ، ثم خرج فقال عبد الملك هذا وأبيك الشرف

وقد روى أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما قف على الباب ، فإذا مر بك رجل فأدخله علىّ ليحدثنى ، فوقف الحاجب على الباب مدة ، فمر به عطاء بن أبى رباح وهو لا يعرفه فقال له يا شيخ ادخل إلى أمير المؤمنين ، فإنه أمر بذلك ، فدخل عطاء على الوليد ، وعنده عمر بن عبد العزيز ، فلما دنا عطاء من الوليد ، قال السلام عليك ياوليد ، قال فغضب الوليد

على حاجبه ، وقال له ويلك أمرتك أن تدخل إلىّ رجلا يحدثنى ويسامرنى ، فأدخلت إلىّ رجلا لم يرض أن يسمينى بالاسم الذى اختاره الله لى ، فقال له حاجبه ما مر بى أحد غيره ، ثم قال لعطاء اجلس ، ثم أقبل عليه يحدثه ، فكان فيما حدثه به عطاء أن قال له : بلغنا أن فى جهنم واديا يقال له هبهب ، أعده الله لكل إمام جائر فى حكمه ، فصعق الوليد من قوله وكان جالسا بين يدى عتبة باب المجلس ، فوقع على قفاه إلى جوف المجلس مغشيا عليه ، فقال عمر لعطاء قتلت أمير المؤمنين ، فقبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة ، وقال له يا عمر إن الأمر جد فجد ، ثم قام عطاء وانصرف ، فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه قال : مكثت سنة أجد ألم غمزته فى ذراعى

وكان ابن شميلة يوصف بالعقل والأدب ، فدخل على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك تكلم ، قال بم أتكلم ؟ وقد علمت أن كل كلام تكلم به المتكلم عليه وبال إلا ما كان لله ، فبكى عبد الملك ثم قال يرحمك الله ، لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون ، فقال الرجل يا أمير المؤمنين إن الناس فى القيامة لا ينجون من غصص مرارتها ، ومعاينة الردى فيها ، إلا من أرضى الله بسخط نفسه ، فبكى عبد الملك ، ثم قال لا جرم لأجعلن هذه الكلمات مثالا تصب عينى ما عشت .

ويروى عن ابن عائشة أن الحجاج دعا بفقهاء البصرة وفقهاء الكوفة ، فدخلنا عليه ودخل الحسن البصرى رحمه الله آخر من دخل ، فقال الحجاج مرحبا بأبى سعيد إلىّ إلىّ ثم دعا بكرسى ، فوضع إلى جنب سريره ، فقعد عليه ، فجعل الحجاج يذاكرنا ويسألنا ، إذ ذكر على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فنال منه ، ونلنا منه مقاربة له ، وفرقا من شره ، والحسن ساكت عاض على إبهامه ، فقال يا أبا سعيد مالى أراك ساكتا ، قال ما عسيت أن أقول ، قال أخبرنى برأيك فى أبى تراب ، قال سمعت الله جل ذكره يقول (وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ [1]) فعلىّ ممن

(١) البقرة : ١٤٣

هدى الله من أهل الايمان ، فأقول : ابن عم النبي عليه السلام ، وختنه على ابنته ، وأحب الناس إليه ، وصاحب سوابق مباركات ، سبقت له من الله ، لن تسطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه ، ولا يحول بينه وبينها ، وأقول إن كانت لعلي هناة فالله حسبه ، والله ما أجد فيه قولا أعدل من هذا ، فبسر وجه الحجاج وتغير ، وقام عن السرير مغضبا ، فدخل بيتا خلفه وخرجنا ، قال عامر الشعبي فأخذت بيد الحسن ، فقلت ياأبا سعيد . أغضبت الأمير وأوغرت صدره ، فقال إليك عني ياعامر ، يقول الناس عامر الشعبي عالم أهل الكوفة أتيت شيطانا من شياطين الأنس تكلمه بهواه ، وتقاربه في رأيه ، ويحك ياعامر ، هلا اتقيت إن سئلت فصدقت ، أو سكت فسلمت ، قال عامر ياأبا سعيد ، قد قلتها وأنا أعلم مافيها ، قال الحسن فذاك أعظم في الحجة عليك ، وأشد في التبعة ، قال وبعث الحجاج إلى الحسن فلما دخل عليه قال أنت الذي تقول : قاتلهم الله ، قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم ، قال : نعم قال : ما حملك على هذا ؟ قال ماأخذ الله على العلماء من المواثيق ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال ياحسن أمسك عليك لسانك ، وإياك أن يبلغني عنك ماأكره فأفرق بين رأسك وجسدك

وحكي أن حطيطا الزيات جيء به إلى الحجاج ، فلما دخل عليه ، قال أنت حطيط؟ قال نعم ، سل عما بدالك ، فإني عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال ، إن سئلت لأصدقن وإن ابتليت لأصبرن ، وإن عوفيت لأشكرن ، قال فما تقول في ؟ قال أقول إنك من أعداء الله في الأرض ، تنتهك المحارم ، وتقتل بالظنة ، قال فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك ابن مروان ، قال أقول إنه أعظم جرما منك ، وإنما أنت خطيئة من خطاياه ، قال فقال الحجاج ضعوا عليه العذاب ، قال فانتهى به العذاب إلى أن شقق له القصب ، ثم جعلوه على لحمه ، وشدوه بالحبال ، ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة ، حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئا ، قال فقيل للحجاج إنه في آخر رمق ، فقال أخرجوه فارموا به في السوق . قال جعفر فأتيته أنا وصاحب له فقلنا له حطيط ألك حاجة ؟ قال شربة ماء فأتوه بشربة ، ثم مات وكان ابن ثمان عشرة سنة رحمة الله عليه

وروي أن عمر بن هبيرة دعا بفقهاء أهل البصرة ، وأهل الكوفة ، وأهل المدينة ، وأهل

الشام ، وقرائها ، فجعل يسألهم وجعل يكلم عامرا الشعبي فجعل لايسأله عن شيء إلا وجد عنده منه علما ، ثم أقبل على الحسن البصرى فسأله ، ثم قال هما هذان ، هـذا رجل أهل الـكوفة يعنى الشعبي ، وهذا رجل أهل البصرة يعنى الحسن، فأمر الحاجب فأخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن ، فأقبل على الشعبي ، فقال ياأبا عمرو إنى أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ، ورجل مأمور على الطاعة ، ابتليت بالرعية، ولزمنى حقهم ،فأنا أحب حفظهم ، وتعهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم ، وقد يبلغنى عن العصابة من أهل الديار الأمر أجد عليهم فيه ، فأقبض طائفة من عطائهم فأضعه فى بيت المال ، ومن نيتى أن أرده عليهم فيبلغ أمير المؤمنين أنى قد قبضته على ذلك النحو ، فيكتب إلىّ أن لا ترده فلا أستطيع رد أمره ، ولا إنفاذ كتابه ، وإنما أنا رجل مأمور على الطاعة ، فهل علىّ فى هـذا تبعة ؟ وفى أشباهه من الأمور ، والنية فيها على ما ذكرت ، قال الشعبي فقلت : أصلح الله الأمير إنما السلطان والد يخطىء ويصيب ، قال فسر بقولى وأعجب به ، ورأيت البشر فى وجهه وقال فلله الحمد ، ثم أقبل على الحسن فقال ما تقول يا أبا سعيد ؟ قال قد سمعت قول الأمير يقول إنه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ، ورجل مأمور على الطاعة ، ابتليت بالرعية ، ولزمنى حقهم والنصيحة لهم ، والتعهد لما يصلهم ، وحق الرعيـة لازم لك ، وحق عليك أن تحوطهم بالنصيحة ، وإنى سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] « مَنِ اسْتُرْعِيَ رَعِيَّةً فَلَمْ يَحُطْهَا بِالنَّصِيحَةِ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ » ويقول إنى ربما قبضت من عطائهم إرادة صلاحهم واستصلاحهم ، وأن يرجعوا إلى طاعتهم فيبلغ أمير المؤمنـين أنى قبضتها على ذلك النحو فيكتب إلىّ أن لا ترده ، فلا أستطيع رد أمره ، ولا أستطيع إنفاذ كتابه ، وحق الله ألزم من حق أمير المؤمنين ، والله أحق أن يطاع ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، فأعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل ، فإن وجـدته موافقا لـكتاب الله نفذ به

---

(١) حديث الحسن عن عبد الرحمن بن سمرة من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة رواه البغوى فى معجم الصحابة باسناد لين وقد اتفق عليه الشيخان بنحوه من رواية الحسن عن معقل بن يسار

وإن وجدته مخالفا لكتاب الله فانبذه ، يا ابن هبيرة اتق الله فإنه يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين ، يزيلك عن سريرك ، ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك ، فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك ، وتقدم على ربك ، وتنزل على عملك ، يا ابن هبيرة : إن الله ليمنعك من يزيد ، وإن يزيد لا يمنعك من الله ، وإن أمر الله فوق كل أمر ، وإنه لا طاعة في معصية الله ، وإني أحذرك بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين ، فقال ابن هبيرة أربع على ظلعك أيها الشيخ ، وأعرض عن ذكر أمير المؤمنين ، فإن أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم ، وصاحب الفضل ، وإنما ولاه الله تعالى ما ولاه من أمر هذه الأمة ، لعلمه به ، وما يعلمه من فضله ونيته ، فقال الحسن يا ابن هبيرة الحساب من ورائك ، سوط بسوط وغضب بغضب ، والله بالمرصاد ، يا ابن هبيرة : إنك إن تلق من ينصح لك في دينك ، ويحملك على أمر آخرتك ، خير من أن تلقى رجلا يغرك ويمنيك ، فقام ابن هبيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه ، قال الشعبي : فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير ، وأوغرت صدره ، وحرمتنا معروفه وصلته ، فقال إليك عني يا عامر قال فخرجت إلى الحسن التحف والطرف ، وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا ، فكان أهلا لما أدى إليه ، وكنا أهلا أن يفعل ذلك بنا فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء إلا مثل الفرس العربي بين المقارف ، وما شهدنا مشهدا إلا برز علينا ، وقال لله عز وجل ، وقلنا مقاربة لهم قال عامر الشعبي وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطانا بعد هذا المجلس فأحابيه

ودخل محمد بن واسع على بلال بن أبي بردة ، فقال له ما تقول في القدر ؟ فقال جيرانك أهل القبور فتفكر فيهم فإن فيهم شغلا عن القدر

وعن الشافعي رضي الله عنه ، قال حدثني عمي محمد بن علي ، قال إني لحاضر مجلس أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور ، وفيه ابن أبي ذؤيب ، وكان والي المدينة الحسن بن زيد ، قال فأتى الغفاريون فشكوا إلى أبي جعفر شيئا من أمر الحسن بن زيد ، فقال الحسن يا أمير المؤمنين سل عنهم ابن أبي ذؤيب ، قال فسأله فقال : ما تقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب ؟ فقال أشهد أنهم أهل تحطم في أعراض الناس كثير والأذي لهم ، فقال أبو جعفر قد سمعتم

فقال الغفاريون يا أمير المؤمنين سله عن الحسن بن زيد ، فقال يا ابن أبي ذؤيب ماتقول في الحسن ابن زيد ، فقال أشهد عليه أنه يحكم بغير الحق ويتبع هواه ، فقال قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن أبي ذؤيب وهو الشيخ الصالح ، فقال يا أمير المؤمنين اسأله عن نفسك ، فقال ماتقول فيّ ؟ قال تعفيني ياأمير المؤمنين قال أسألك بالله إلا أخبرتني ، قال تسألني بالله كأنك لاتعرف نفسك ، قال والله لتخبرني ، قال أشهد أنك أخذت هذا المال من غير حقه، فجعلته في غير أهله ، وأشهد أن الظلم ببابك فاش ، قال فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن أبي ذؤيب فقبض عليه ، ثم قال له أما والله لولا أني جالس ههنا لأخذت فارس والروم ، والديلم ، والترك ، بهذا المكان منك قال : فقال ابن أبي ذؤيب ياأمير المؤمنين ، قد ولي أبو بكر وعمر ، فأخذا الحق ، وقسما بالسوية ، وأخذا بأقفاء فارس والروم ، وأصغرا آنافهم ، قال فخلى أبو جعفر قفاه وخلى سبيله ، وقال والله لو لا أني أعلم أنك صادق لقتلتك فقال ابن أبي ذؤيب والله ياأمير المؤمنين إني لأنصح لك من ابنك المهدي ، قال فبلغنا أن ابن أبي ذؤيب لما انصرف من مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري ، فقال له يا أبا الحارث لقد سرني ما خاطبت به هذا الجبار ، ولكن ساءني قولك له ابنك المهدي ، فقال يغفر الله لك يا أبا عبد الله ، كلنا مهدي كلنا كان في المهد

وعن الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو [1] قال بعث إليّ أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالساحل ، فأتيته ، فلما وصلت إليه وسلمت عليه بالخلافة رد عليّ واستجلسني ثم قال لي ماالذي أبطأ بك عنا ياأوزاعي ؟ قال قلت وما الذي تريد ياأمير المؤمنين ؟ قال أريد الأخذ عنكم ، والاقتباس منكم ، قال فقلت فانظر ياأمير المومنين أن لا تجهل شيئاً مما أقول لك. قال وكيف أجهله وأنا أسألك عنه ، وفيه وجهت إليك وأقدمتك له ، قال قلت أخاف أن

---

(١) حديث الأوزاعي مع المنصور وموعظته له وذكر فيها عشرة أحاديث مرفوعة والقصة بجملتها رواها ابن أبي الدنيا في كتاب مواعظ الخلفاء ورويناها في مشيخة يوسف ابن كامل الخفاف ومشيخة ابن طبرزد وفي اسنادها أحمد بن عبيد بن ناصح قال ابن عدي يحدث بمناكير وهو عندي من أهل الصدق وقد رأيت سرد الاحاديث المذكورة في الموعظة لنذكر هل لبعضها طريق غير هذا الطريق وليعرف صحابي كل حديث أو كونه مرسلا فأولها

تسمعه ثم لا تعمل به ، قال فصاح بى الربيع وأهوى بيده إلى السيف ، فانتهره المنصور وقال هـذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة ، فطابت نفسى وانبسطت فى الكلام ، فقلت يا أمير المؤمنين حدثنى مكحول عن عطية بن بشر ، قال[1] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَيُّمَا عَبْدٍ جَاءَتْهُ مَوْعِظَةٌ مِنَ اللهِ فِى دِينِهِ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ سِيقَتْ إِلَيْهِ فَإِنْ قَبِلَهَا بِشُكْرٍ وَإِلاَّ كَانَتْ حُجَّةً مِنَ اللهِ عَلَيْهِ لِيَزْدَادَ بِهَا إِثْماً وَيَزْدَادَ اللهُ بِهَا سُخْطاً عَلَيْهِ »

يا أمير المؤمنين حدثنى مكحول عن عطية بن ياسر ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَيُّمَا وَالٍ مَاتَ غَاشًّا لِرَعِيَّتِهِ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ »

يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله ، إن الله هو الحق المبين ، إن الذى ليّن قلوب أمتكم لكم حين ولاكم أمورهم ، لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان بهم رؤفا رحيما ، مواسيا لهم بنفسه فى ذات يده ، محمودا عند الله وعند الناس ، فحقيق بك أن تقوم له فيهم بالحق ، وأن تكون بالقسط له فيهم قائما ولعوراتهم ساترا ، لا تغلق عليك دونهم الأبواب ، ولا تقيم دونهم الحجاب ، تبتهج بالنعمة عندهم ، وتبتئس بما أصابهم من سوء

يا أمير المؤمنين قد كنت فى شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم ، أحمرهم وأسودهم ، مسلمهم وكافرهم ، وكل له عليك نصيب من العدل ، فكيف بك إذا انبعث منهم فئام وراء فئام ، وليس منهم أحد إلا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه أو ظلامة سقتها إليه

يا أمير المؤمنين حدثنى مكحول عن عروة بن رويم ، قال كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين ، فأتاه جبرائيل عليه السلام ، فقال له

---

(١) حديث عطية بن بشر أيما عبد جاءته موعظة من الله فى دينه فانها نعمة من الله ـ الحديث : ابن أبى الدنيا فى مواعظ الخلفاء

(٢) حديث عطية بن ياسر أيما وال بات غشا لرعيته حرم الله عليه الجنة : ابن أبى الدنيا فيه وابن عدى فى الكامل فى ترجمة أحمد بن عبيد

(٣) حديث عروة بن رويم كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين الحديث : ابن أبى الدنيا فيه وهو مرسل وعروة ذكره ابن حبان فى ثقات التابعين

يا محمد ، ماهذه الجريدة التي كسرت بهاقلوب أمتك ، وملأت قلوبهم رعبا ، فكيف بمن شقق أستارهم ، وسفك دماءهم ، وخرب ديارهم ، وأجلاهم عن بلادهم ، وغيبهم الخوف منه

ياأمير المؤمنين حدثني مكحول عن زياد ، عن حارثة عن حبيب بن مسلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابيا لم يتعمده فأتاه جبريل عليه السلام ، فقال : يا محمد إن الله لم يبعثك جبارا ولا متكبرا ، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الأعرابي فقال « اقْتَصَّ مِنِّي » فقال الأعرابي قد أحللتك ، بأبي أنت وأمي وما كنت لأفعل ذلك أبدا ، ولو أتيت على نفسي فدعا له بخير

ياأمير المؤمنين رض نفسك لنفسك ، وخذلها الأمان من ربك ، وارغب في جنة عرضها السموات والأرض التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] «لَقَيْدُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا »

ياأمير المؤمنين ، إن الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل إليك ، وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك

ياأمير المؤمنين أتدري ماجاء في تأويل هذه الآيه عن جدك (مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا [1]) قال الصغيرة التبسم ، والكبيرة الضحك ، فكيف بما عملته الأيدي وحصدته الألسن

يا أمير المؤمنين بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال لو ماتت سخلة على شاطىء الفرات ضيعة ، لخشيت أن أسأل عنها ، فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك

يا أمير المؤمنين أتدري ماجاء في تأويل هذه الآية عن جدك (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ [2])

---

(١) حديث حبيب بن مسلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابيا لم يتعمده ـ الحديث : ابن أبي الدنيا فيه وروى أبو داود والنسائي من حديث عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أقص من نفسه وللحاكم من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه طعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خاصرة أسيد بن حضير فقال أوجعتني قال اقتص ـ الحديث : قال صحيح الاسناد

(٢) حديث لقيد قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها : ابن أبي الدنيا من رواية الأوزاعي معضلا لم يذكر اسناده ورواه البخاري من حديث أنس بلفظ لقاب

(١) الكهف : ٤٩ (٢) ص : ٦٢

قال الله تعالى فى الزبور: ياداود إذا قعد الخصمان بين يديك، فكان لك فى أحدهما هوى، فلا تتمنين فى نفسك أن يكون الحق له فيفلح على صاحبه فأمحوك عن نبوتى، ثم لا تكون خليفتي ولا كرامة، ياداود إنما جعلت رسلى إلى عبادى رعاء كرعاء الإبل، لعلمهم بالرعاية، ورفقهم بالسياسة، ليجبروا الكسير ويدلوا الهزيل على الكلأ والماء

يا أمير المؤمنين إنك قد بليت بأمر. لو عرض على السموات والأرض والجبال لأبين أن يحملنه وأشفقن منه.

يا أمير المؤمنين حدثنى يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن عمرة الأنصارى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه [1] استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة، فرآه بعد أيام مقيما، فقال له ما منعك من الخروج إلى عملك، أما علمت أن لك مثل أجر المجاهد فى سبيل الله، قال: لا قال: وكيف ذلك؟ قال إنه بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «مَا مِنْ وَالٍ يَلِي شَيْئاً مِنْ أُمُورِ النَّاسِ إِلَّا أُوتِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولَةً يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ لَا يَفُكُّهَا إِلَّا عَدْلُهُ فَيُوقَفُ عَلَى جِسْرٍ مِنَ النَّارِ يَنْتَفِضُ بِهِ ذَلِكَ الْجِسْرُ انْتِفَاضَةً تُزِيلُ كُلَّ عِضْوٍ مِنْهُ عَنْ مَوْضِعِهِ ثُمَّ يُعَادُ فَيُحَاسَبُ فَإِنْ كَانَ مُحْسِناً نَجَا بِإِحْسَانِهِ وَإِنْ كَانَ مُسِيئاً انْخَرَقَ بِهِ ذَلِكَ الْجِسْرُ فَيَهْوِي بِهِ فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفاً» فقال له عمر رضي الله عنه ممن سمعت هذا، قال من أبى ذر وسلمان، فأرسل إليهما عمر فسألهما فقالا نعم، سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر واعمراه من يتولاها بما فيها، فقال أبو ذر رضى الله عنه: من سلمت الله أنفه، وألصق خده بالأرض، قال فأخذ المنديل فوضعه على وجهه، ثم بكى وانتحب حتى أبكانى، ثم قلت ياأمير المؤمنين قد سأل جدك العباس النبي صلى الله عليه وسلم، إمارة مكة

---

(١) حديث عبد الرحمن بن عمر أن عمر استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة.. الحديث: وفيه مرفوعا مامن وال يلى شيئا من أمور الناس الا أتى الله يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه ـ الحديث: ابن أبى الدنيا فيه من هذا الوجه ورواه الطبرانى من رواية سويد بن عبد العزيز عن يسار أبى الحكم عن أبى وائل أن عمر استعمل بشر بن عاصم فذكر أخصر منه وان بشرا سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم ولم يذكر فيه سلمان

أو الطائف ، أو اليمن ، فقال له النبي عليه السلام [١] « يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ النَّبِيِّ نَفْسٌ تُحْيِيهَا خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا » نصيحة منه لعمه ، وشفقة عليه ، وأخبره أنه لا يغني عنه من الله شيئاً إذ أوحى الله إليه (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ [١]) فقال [٢] « يَا عَبَّاسُ وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةِ النَّبِيِّ وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ إِنِّي لَسْتُ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً إِنَّ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ » .

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لا يقيم أمر الناس إلا حصيف العقل ، أريب العقد ، لا يطلع منه على عورة ، ولا يخاف منه على حرة ، ولا تأخذه في الله لومة لائم

وقال : الأمراء أربعة ، فأمير قوي ، ظلف نفسه وعماله ، فذلك كالمجاهد في سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة ، وأمير فيه ضعف ، ظلف نفسه وأرتع عماله لضعفه ، فهو على شفا هلاك إلا أن يرحمه الله ، وأمير ظلف عماله وأرتع نفسه ، فذلك الحطمة الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣] « شَرُّ الرُّعَاةِ الْحُطَمَةُ فَهُوَ الْهَالِكُ وَحْدَهُ » وأمير أرتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا

وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن جبرائيل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم [٤] فقال أتيتك حين أمر الله بمنافخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة ، فقال له « يَا جِبْرِيلُ صِفْ لِيَ النَّارَ » فقال إن الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف عام حتى أصفرت ، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت ، فهي سوداء مظلمة

---

(١) حديث يا عباس يا عم النبي نفس تنجيها خير من امارة لا تحصيها : ابن أبي الدنيا هكذا معضلا بغير اسناد ورواه البيهقي من حديث جابر متصلا ومن رواية ابن المنكدر مرسلا وقال هذا هو المحفوظ مرسلا

(٢) حديث يا عباس ويا صفية ويا فاطمة لا أغني عنكم من الله شيئا لي عملي ولكم عملكم : ابن أبي الدنيا هكذا معضلا دون اسناد ورواه البخاري من حديث أبي هريرة متصلا دون قوله لي عملي ولكم عملكم

(٣) حديث شر الرعاة الحطمة : رواه مسلم من حديث عائذ بن عمرو المزني متصلا وهو عند ابن أبي الدنيا عن الأوزاعي معضلا كما ذكره المصنف

(٤) حديث بلغني أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أتيتك حين أمر الله بمنافخ النار وضعت على النار تسعر ليوم القيامة ـ الحديث : بطوله ابن أبي الدنيا فيه هكذا معضلا بغير اسناد .

---

(١) الشعراء : ٢١٤

لايضيء جمرها ، ولا يطفأ لهبها ، والذى بعثك بالحق لو أن ثوبا من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعا ، ولو أن ذنوبا من شرابها صب فى مياه الأرض جميعا لقتل من ذاقه ، ولو أن ذراعا من السلسلة التى ذكرها الله وضع على جبال الأرض جميعا لذابت وما استقلت ، ولو أن رجلا أدخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه ، وتشويه خلقه وعظمه ، فبكى النبي صلى الله عليه وسلم ، وبكى جبريل عليه السلام لبكائه ، فقال أتبكى يامحمد وقد غفر لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال : « أَفَلَا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً ولِمَ بَكَيْتَ يَا جِبْرِيلُ وَأَنْتَ الرُّوحُ الْأَمِينُ أَمِينُ اللهِ عَلَى وَحْيِهِ » قال أخاف أن أبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت ، فهو الذى منعنى من اتكالى على منزلتى عند ربى ، فأكون قد أمنت مكره ، فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء ياجبريل ويامحمد ، إن الله قد آمنكما أن تعصياه فيعذبكما ، وفضل محمد على سائر الأنبياء ، كفضل جبريل على سائر الملائكة

وقد بلغنى ياأمير المؤمنين أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : قال اللهم إن كنت تعلم أنى أبالى إذا قعد الخصمان بين يدى على من مال الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلنى طرفة عين

ياأمير المؤمنين إن أشد الشدة القيام لله بحقه ، وإن أكرم الكرم عند الله التقوى وإنه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ، ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه فهذه نصيحتى إليك والسلام عليك ، ثم نهضت فقال لى إلى أين فقلت إلى الولد والوطن بإذن أمير المؤمنين إن شاء الله ، فقال قد أذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها ، والله الموفق للخير والمعين عليه ، وبه أستعين وعليه أتوكل ، وهو حسبى ونعم الوكيل ، فلا تخلنى من مطالعتك إياى بمثل هذا ، فإنك المقبول القول غير المتهم فى النصيحة قلت أفعل إن شاء الله قال محمد بن مصعب فأمر له بمال يستعين على خروجه فلم يقبله ، وقال أنا فى غنى عنه وما كنت لأبيع نصيحتى بعرض من الدنيا وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه فى ذلك

وعن ابن المهاجر قال قدم أمير المؤمنين المنصور مكة شرفها الله ، حاجا فكان يخرج من دار الندوة إلى الطواف فى آخر الليل ، يطوف ويصلى ولا يعلم به ، فإذا طلع الفجر رجع إلى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه ، وأقيمت الصلاة فيصلى بالناس ، فخرج ذات

ليلة حين أسحر ، فبينا هو يطوف إذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول : اللهم إنى أشكو إليك ظهور البغى والفساد فى الأرض، وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع،فأسرع المنصورفى مشيه حتى ملأ مسامعه من قوله ،ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل إليه فدعاه ، فأتاه الرسول وقال له أجب أمير المؤمنين ، فصلى ركعتين . واستلم الركن ، وأقبل مع الرسول فسلم عليه ، فقال له المنصور ماهذا الذى سمعتك تقوله من ظهور البغى والفساد فى الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع والظلم ، فوالله لقد حشوت مسامعى ماأمرضنى وأقلقنى ، فقال ياأمير المؤمنين ، إن أمنتنى على نفسى أنبأتك بالأمور من أصولها وإلا اقتصرت على نفسى ففيها لى شغل شاغل ، فقال له أنت آمن على نفسك ؛ فقال الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق وإصلاح ما ظهر من البغى والفساد فى الأرض أنت فقال ويحك وكيف يدخلنى الطمع ، والصفراء والبيضاء فى يدى ، والحلو والحامض فى قبضتى ، قال وهل دخل أحدا من الطمع مادخلك ياأمير المؤمنين ، إن الله تعالى استرعاك أمور المسلمين وأموالهم ، فأغفلت أمورهم ، واهتممت بجمع أموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجُر وأبوابا من الحديد ، وحجبة معهم السلاح ، ثم سجنت نفسك فيها منهم ، وبعثت عمالك فى جمع الأموال وجبايتها ، واتخذت وزراء وأعوانا ظلمة ، إن نسيت لم يذكروك ، وإن ذكرت لم يعينوك ، وقويتهم على ظلم الناس بالأموال والكراع والسلاح وأمرت بأن لايدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان نفر سميتهم ، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العارى ، ولا الضعيف ولا الفقير ، ولا أحد إلا وله فى هذا المال حق، فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك ، وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لا يحجبوا عنك ، تجبى الأموال ولا تقسمها ، قالوا هذا قد خان الله ، فمالنا لانخونه وقد سخر لنا فائتمروا على أن لا يصل إليك من علم أخبار الناس شىء إلا ماأرادوا ، وأن لايخرج لك عامل فيخالف لهم أمرا إلا أقصوه حتى تسقط منزلته ، ويصغر قدره ، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس وهابوهم ، وكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليتقووا بهم على ظلم رعيتك ، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم

من الرعية ، فامتلأت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا ، وصار هؤلاء القوم شركاءك فى سلطانك وأنت غافل ، فإن جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول إليك ، وإن أراد رفع صوته أو قصته إليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ، ووقفت للناس رجلا ينظر فى مظالمهم فإن جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته ، وإن كانت للمتظلم به حرمة وإجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم ، فلا يزال المظلوم يختلف إليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث ، وهو يدفعه ويعتل عليه ، فإذا جهدوا خرج وظهرت صرخ بين يديك ، فيضرب ضربا مبرحا ، ليكون نكالا لغيره ، وأنت تنظر ولا تنكر ولا تغير ، فما بقاء الإسلام وأهله على هذا ، ولقد كانت بنو أمية وكانت العرب لا ينتهى إليهم المظلوم إلا رفعت ظلامته إليهم فينصف ، ولقد كان الرجل يأتى من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم ، فينادى يا أهل الإسلام فيبتدرونه مالك مالك فيرفعون مظلمته إلى سلطانهم ، فينتصف ، ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى أرض الصين وبها ملك ، فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكى : فقال له وزراؤه مالك تبكى لا بكت عيناك ، فقال : أما إنى لست أبكى على المصيبة التى نزلت بى ، ولكن أبكى لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته ، ثم قال : أما إن كان قد ذهب سمعى فإن بصرى لم يذهب ، نادوا فى الناس ألا لا يلبس ثوبا أحمر إلا مظلوم فكان يركب الفيل ويطوف طرفى النهار هل يرى مظلوما فينصفه ، هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشركين ، ورقته على شح نفسه فى ملكه ، وأنت مؤمن بالله وابن عم نبى الله ، لا تغلبك رأفتك بالمسلمين ورقتك على شح نفسك ، فإنك لا تجمع الأموال إلا لواحد من ثلاثة

إن قلت أجمعها لولدى فقد أراك الله عبرا فى الطفل الصغير ، يسقط من بطن أمه ، وما له على الأرض مال ، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه ، فما يزال الله تعالى يلطف بذلك الطفل ، حتى تعظم رغبة الناس إليه ، ولست الذى تعطى ، بل الله يعطى من يشاء وإن قلت . أجمع المال لأشيد سلطانى ، فقد أراك الله عبرا فيمن كان قبلك ، ما أغنى عنهم ما جمعوه من الذهب والفضة ، وما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع ، وما ضرك وولد أبيك ما كنتم فيه من قلة الجدة والضعف ، حين أراد الله بكم ما أراد

وإن قلت : أجمع المال لطلب غاية هى أجسم من الغاية التى أنت فيها فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة لاتدرك إلا بالعمل الصالح

يا أمير المؤمنين هل تعاقب من عصاك من رعيتك بأشد من القتل ؟ قال : لا ، قال : فكيف تصنع بالملك الذى خولك الله وما أنت عليه من ملك الدنيا ، وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل ، ولكن يعاقب من عصاه بالخلود فى العذاب الأليم ، وهو الذى يرى منك ما عقد عليه قلبك ، وأضمرته جوارحك فماذا تقول إذا انتزع الملك الحق المبين ملك الدنيا من يدك ، ودعاك إلى الحساب ، هل يغنى عنك عنده شىء مما كنت فيه ، مماشححت عليه من ملك الدنيا ، فبكى المنصور بكاء شديداً حتى نحب وارتفع صوته ، ثم قال : يا ليتنى لم أخلق ولم أك شيئا ، ثم قال كيف احتيالى فيما خولت فيه ، ولم أر من الناس إلا خائنا ، قال يا أمير المؤمنين عليك بالأئمة الأعلام المرشدين ، قال ومن هم ؟ قال : العلماء قال: قدفروا منى ، قال هربوا منك مخافة أن تحملهم على ما ظهر من طريقتك من قبل عمالك ، ولكن افتح الأبواب ، وسهل الحجاب ، وانتصر للمظلوم من الظالم ، وامنع المظالم ، وخذ الشىء مما حل وطاب ، واقسمه بالحق والعدل ، وأنا ضامن على أن من هرب منك أن يأتيك فيعاونك على صلاح أمرك ورعيتك ، فقال المنصور : اللهم وفقنى أن أعمل بما قال هذا الرجل وجاء المؤذنون فسلموا عليه ، وأقيمت الصلاة ، فخرج فصلى بهم ثم قال للحرسى ، عليك بالرجل إن لم تأتنى به لأضربن عنقك ، واغتاظ عليه غيظا شديداً ، فخرج الحرسى يطلب الرجل فبينا هو يطوف ، فإذا هو بالرجل يصلى فى بعض الشعاب ، فقعد حتى صلى ، ثم قال: ياذا الرجل أما تتقى الله ، قال : بلى ، قال : أما تعرفه ، قال : بلى ، قال : فانطلق معى إلى الأمير ، فقد آلى أن يقتلنى إن لم آته بك ، قال ليس لى إلى ذلك من سبيل ، قال : يقتلنى قال : لا قال : كيف ، قال : تحسن تقرأ ؟ قال : لا ، فأخرج من مزود كان معه رقا مكتوبا فيه شيء ، فقال : خذه فاجعله فى جيبك ، فإن فيه دعاء الفرج ، قال : وما دعاء الفرج ؟ قال: لا يرزقه إلا الشهداء ، قلت : رحمك الله قد أحسنت إلىّ ، فإن رأيت أن تخبرنى ما هذا الدعاء وما فضله ، قال من دعا به مساءً وصباحا هدمت ذنوبه ، ودام سروره ، ومحيت خطاياه واستجيب دعاؤه ، وبسط له فى رزقه ، وأعطى أمله ، وأعين على عدوّه ، وكتب عند الله

صديقا ، ولا يموت إلا شهيداً ، تقول : اللهم كما لطفت فى عظمتك دون اللطفاء ، وعلوت بعظمتك على العظماء ، وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك ، وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك ، وعلانية القول كالسر فى علمك ، وانقاد كل شىء لعظمتك، وخضع كل ذى سلطان لسلطانك ، وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك ، اجعل لى من كل هم أمسيت فيه فرجا ومخرجا ، اللهم إن عفوك عن ذنوبى ، وتجاوزك عن خطيئتى ، وسترك على قبيح عملى ، أطمعنى أن أسألك مالا أستوجبه مما قصرت فيه، أدعوك آمنا ، وأسألك مستأنسا ، وإنك المحسن إلىّ وأنا المسىء إلى نفسى ، فيما بينى وبينك ، تتودد إلىّ بنعمك ، وأتبغض إليك بالمعاصى ، ولكن الثقة بك حملتنى على الجراءة عليك ، فعد بفضلك وإحسانك علىّ ، إنك أنت التواب الرحيم ، قال فأخذته فصيرته فى جيبى ، ثم لم يكن لى هم غير أمير المؤمنين فدخلت فسلمت عليه ، فرفع رأسه فنظر إلىّ وتبسم ، ثم قال ويلك وتحسن السحر ، فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ، ثم قصصت عليه أمرى مع الشيخ فقال هات الرق الذى أعطاك ، ثم جعل يبكى ، وقال قد نجوت وأمر بنسخه ، وأعطانى عشرة آلاف درهم ، ثم قال أتعرفه ؟ قلت : لا ، قال ذلك الخضر عليه السلام

وعن أبى عمران الجونى ، قال لما ولى هرون الرشيد الخلافة ، زاره العلماء فهنوه بما صار إليه من أمر الخلافة ، ففتح بيوت الأموال ، وأقبل يجيزهم بالجوائز السنية ، وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد ، وكان يظهر النسك والتقشف ، وكان مؤاخيا لسفيان ابن سعيد بن المنذر الثورى قديما ، فهجره سفيان ولم يزره ، فاشتاق هرون إلى زيارته ليخلو به ويحدثه ، فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ، ولا بما صار إليه ، فاشتد ذلك على هرون ، فكتب إليه كتابا يقول فيه

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله هرون الرشيد أمير المؤمنين إلى أخيه سفيان بن سعيد بن المنذر ، أما بعد : يا أخى قد علمت أن الله تبارك وتعالى واخى بين المؤمنين ، وجعل ذلك فيه وله ، واعلم أنى قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حبلك ، ولم أقطع منها ودك ، وإنى منطو لك على أفضل المحبة والإرادة ، ولولا هذه القلادة التى قلدنيها الله لأتيتك ولو حبوا ، لما أجد لك فى قلبى من المحبة ، واعلم يا أبا عبد الله أنه ما بقى

من إخوانى وإخوانك أحد إلا وقد زارنى وهنانى بما صرت إليه ، وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية مافرحت به نفسى ، وقرت به عينى ، وإنى استبطأتك فلم تأتنى ، وقد كتبت إليك كتابا شوقا منى إليك شديدا ، وقد علمت ياأبا عبد الله ماجاء فى فضل المؤمن وزيارته ومواصلته ، فإذا ورد عليك كتابى فالعجل العجل .

فلما كتب الكتاب التفت إلى من عنده ، فإذا كلهم يعرفون سفيان الثورى وخشونته فقال علي برجل من الباب ، فأدخل عليه رجل يقال له عباد الطالقانى ، فقال ياعباد خذ كتابى هذا فانطلق به إلى الكوفة ، فإذا دخلتها فسل عن قبيلة بنى ثور ، ثم سل عن سفيان الثورى ، فإذا رأيته فألق كتابى هذا إليه ، وع بسمعك وقلبك جميع مايقول ، فاحص عليه دقيق أمره وجليله لتخبرنى به ، فأخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة ، فسأل عن القبيلة فأرشد إليها ، ثم سأل عن سفيان ، فقيل له هو فى المسجد ، قال عباد فأقبلت إلى المسجد ، فلما رآنى قام قائما ، وقال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير ، قال عباد : فوقعت الكلمة فى قلبى فخرجت ، فلما رآنى نزلت بباب المسجد قام يصلى ، ولم يكن وقت صلاة ، فربطت فرسى بباب المسجد ودخلت ، فإذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤسهم ، كأنهم لصوص ، قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من عقوبته ، فسلمت ، فما رفع أحد إلىّ رأسه ، وردوا السلام علىّ برءوس الأصابع ، فبقيت واقفا فما منهم أحد يعرض علىّ الجلوس وقد علانى من هيبتهم الرعدة ، ومددت عينى إليهم فقلت : إن المصلى هو سفيان ، فرميت بالكتاب إليه ، فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه ، كأنه حية عرضت له فى محرابه ، فرجع وسجد وسلم وأدخل يده فى كمه ولفها بعباءته وأخذه فقلبه بيده ، ثم رماه إلى من كان خلفه ، وقال يأخذه بعضكم يقرؤه ، فإنى أستغفر الله أن أمس شيئا مسه ظالم بيده ، قال عباد فأخذه بعضهم فحله كأنه خائف من فم حية تنهشه ثم فضه وقرأه ، وأقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب ، فلما فرغ من قراءته قال اقلبوه واكتبوا إلى الظالم فى ظهر كتابه ، فقيل له ياأبا عبد الله إنه خليفة ، فلو كتبت إليه فى قرطاس نقى ، فقال اكتبوا إلى الظالم فى ظهر كتابه ، فإن كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به

وإن كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ، ولا يبقى شيء مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا ، فقيل له مانكتب ؟ فقال اكتبوا

بسم الله الرحمن الرحيم ، من العبد المذنب سفيان بن سعيد بن المنذر الثورى ، إلى العبد المغرور بالآمال ، هرون الرشيد ، الذى سلب حلاوة الإيمان ، أما بعد : فإنى قد كتبت إليك أعرفك أنى قد صرمت حبلك ، وقطعت ودك ، وقليت موضعك ، فإنك قد جعلتنى شاهدا عليك بإقرارك على نفسك فى كتابك ، بما هجمت به على بيت مال المسلمين فأنفقته فى غير حقه ، وأنفذته فى غير حكمه ، ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناء عنى حتى كتبت إلىّ تشهدنى على نفسك ، أما إنى قد شهدت عليك أنا وإخوانى الذين شهدوا قراءة كتابك وسنؤدى الشهادة عليك غدا بين يدى الله تعالى ، ياهرون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم ، هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم ، والعاملون عليها فى أرض الله تعالى ، والمجاهدون فى سبيل الله وابن السبيل ، أم رضي بذلك حملة القرءان ، وأهل العلم ، والأرامل والأيتام أم هل رضي بذلك خلق من رعيتك ، فشد ياهرون مئزرك ، وأعد للمسألة جوابا ، وللبلاء جلبابا ، واعلم أنك ستقف بين يدى الحكم العدل ، فقد رزئت فى نفسك ، إذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ القرءان ومجالسة الأخيار ، ورضيت لنفسك أن تكون ظالما ، وللظالمين إماما ، ياهرون قعدت على السرير ، ولبست الحرير ، وأسبلت سترا دون بابك ، وتشبهت بالحجبة برب العالمين ، ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك ، يظلمون الناس ولا ينصفون ، يشربون الخمور ، ويضربون من يشربها ، ويزنون ويحدون الزانى ، ويسرقون ويقطعون السارق ، أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم ، قبل أن تحكم بها على الناس ، فكيف بك ياهرون غدا ، إذا نادى المنادى من قبل الله تعالى ، احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ، أين الظلمة وأعوان الظلمة ، فقدمك بين يدى الله تعالى ، ويداك مغلولتان إلى عنقك ، لا يفكهما إلا عدلك وإنصافك ، والظالمون حولك وأنك لهم سابق وإمام إلى النار كأنى بك ياهرون وقد أخذت بضيق الخناق ، ووردت المساق ، وأنك ترى حسناتك فى ميزان غيرك ، وسيئات غيرك فى ميزانك ، زيادة عن سيئاتك ، بلاء على بلاء ، وظلمة فوق ظلمة ، فاحتفظ بوصيتى ، واتعظ بموعظتى التى وعظتك بها

واعلم أنى قد نصحتك ، وما أبقيت لك فى النصح غاية ، فاتق الله ياهرون فى رعيتك واحفظ محمداً صلى الله عليه وسلم فى أمته ، وأحسن الخلافة عليهم

واعلم أن هذا الأمر لو بقى لغيرك لم يصل إليك ، وهو صائر إلى غيرك ، وكذا الدنيا تنتقل بأهلها واحدا بعد واحد ، فمنهم من تزود زاداً نفعه ، ومنهم من خسر دنياه وآخرته وإنى أحسبك ياهرون ممن خسر دنياه وآخرته ، فإياك إياك أن تكتب لى كتابا بعد هذا فلا أجيبك عنه ، والسلام

قال عباد: فألقى إلىّ الكتاب منشورا غير مطوى ولا مختوم ، فأخذته وأقبلت إلى سوق الكوفة ، وقد وقعت الموعظة من قلبى ، فناديت ياأهل الكوفة فأجابونى ، فقلت لهم : ياقوم من يشترى رجلا هرب من الله إلى الله ، فأقبلوا إلىّ بالدنانير والدراهم ، فقلت لا حاجة لى فى المال ، ولكن جبة صوف خشنة ، وعباءة قطوانية ، قال فأتيت بذلك ، ونزعت ما كان علىّ من اللباس الذى كنت ألبسه مع أمير المؤمنين ، وأقبلت أقود البرذون[1] ، وعليه السلاح الذى كنت أحمله ، حتى أتيت باب أمير المؤمنين هرون حافيا راجلا ، فهزأ بى من كان على باب الخليفه ، ثم استؤذن لى ، فلما دخلت عليه وبصر بى على تلك الحالة قام وقعد ، ثم قام قائما ، وجعل يلطم رأسه ووجهه ، ويدعو بالويل والحزن ، ويقول : انتفع الرسول وخاب المرسل ، مالى وللدنيا ، مالى والملك يزول عنى سريعا ، ثم ألقيت الكتاب إليه منشورا كما دفع إلىّ فأقبل هرون يقرؤه ، ودموعه تتحدر من عينيه ، ويقرأ ويشهق ، فقال بعض جلسائه ياأمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان ، فلو وجهت إليه فأثقلته بالحديد ، وضيقت عليه السجن ، كنت تجعله عبرة لغيره ، فقال هرون : اتركونا ياعبيد الدنيا ، المغرور من غررتموه ، والشقى من أهلكتموه ، وإن سفيان أمة وحده ، فاتركوا سفيان وشأنه ، ثم لم يزل كتاب سفيان إلى جنب هرون يقرؤه عند كل صلاة ، حتى توفى رحمه الله ، فرحم الله عبداً نظر لنفسه ، واتقى الله فيما يقدم عليه غدا من عمله فإنه عليه يحاسب ، وبه يجازى والله ولى التوفيق

وعن عبد الله بن مهران ، قال حج الرشيد فوافى الكوفة فأقام بها أياما ، ثم ضرب بالرحيل

(١) البرذون : : الدابة التى كان يركبها

فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج بالكناسة ، والصبيان يؤذونه ويولعون به إذأقبلت هوادج هرون، فكف الصبيان عن الولوع به، فلما جاء هرون نادى بأعلى صوته ياأمير المؤمنين فكشف هرون السجاف بيده عن وجهه،فقال لبيك يابهلول.فقال :ياأمير المؤمنين حدثنا أيمن بن نائل ، عن قدامة بن عبد الله العامرى ، قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم (١) منصرفا من عرفة على ناقة له صهباء ، لاضرب ولاطرد ، ولا إليك إليك ، وتواضعك في سفرك هذا ياأمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك ، قال فبكى هرون حتى سقطت دموعه على الأرض ، ثم قال يابهلول زدنا رحمك الله ، قال: نعم ياأمير المؤمنين رجل آتاه الله مالا وجمالا فأنفق من ماله وعف فى جماله ، كتب فى خالص ديوان الله تعالى مع الأبرار ، قال أحسنت يابهلول ودفع له جائزة ، فقال اردد الجائزة إلى من أخذتها منه فلا حاجة لى فيها.قال يابهلول فإن كان عليك دين قضيناه ، قال ياأمير المؤمنين : هؤلاء أهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم أن قضاء الدين بالدين لايجوز ، قال يابهلول فنجرى عليك ما يقوتك أو يقيمك ، قال فرفع بهلول رأسه إلى السماء ، ثم قال ياأمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فمحال أن يذكرك وينسانى ، قال فأسبل هرون السجاف ومضى

وعن أبى العباس الهاشمى عن صالح بن المأمون ، قال دخلت على الحارث المحاسبي رحمه الله فقلت له ياأبا عبد الله ، هل حاسبت نفسك ؟ فقال كان هذا مرة قلت له فاليوم قال أكاتم حالى ، إنى لأقرأ آية من كتاب الله تعالى فأضن بها أن تسمعها نفسى ، ولولا أن يغلبنى فيها فرح ما أعلنت بها ، ولقد كنت ليلة قاعدا فى محرابى ، فإذا أنا بفتى حسن الوجه طيب الرائحة فسلم علىّ ثم قعد بين يدي ، فقلت له من أنت ؟ فقال أنا واحد من السياحين أقصد المتعبدين فى محاريبهم ، ولا أرى لك اجتهادا فأي شيء عملك ، قال قلت له: كتمان المصائب واستجلاب الفوائد ، قال فصاح وقال : ماعلمت أن أحدا بين جنبي المشرق والمغرب هذه صفته ، قال الحارث فأردت أن أزيد عليه فقلت له : أما علمت أن أهل القلوب يخفون أحوالهم، ويكتمون

---

(١) حديث قدامة بن عبد الله العامرى رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منصرفا من عرفة على ناقة له صهباء لاضرب ولا طرد ولا اليك اليك :الترمذى وصححه والنسائى وابن ماجه دون قوله منصرفا من عرفة وانما قالوا يرمى الجمرة وهو الصواب وقد تقدم فى الباب الثانى.

أسرارهم ، ويسألون الله كتمان ذلك عليهم ، فمن أين تعرفهم ؟ قال فصاح صيحة غشى عليه منها ، فمكث عندى يومين لا يعقل ، ثم أفاق وقد أحدث فى ثيابه ، فعلمت إزالة عقله فأخرجت له ثوبا جديدا ، وقلت له هذا كفنى قد آثرتك به ، فاغتسل وأعد صلاتك ، فقال هات الماء ، فاغتسل وصلى ، ثم التحف بالثوب وخرج ، فقلت له أين تريد؟ فقال لى قم معى فلم يزل يمشى ، حتى دخل على المأمون فسلم عليه ، وقال ياظالم، أنا ظالم إن لم أقل لك ياظالم ، استغفر الله من تقصيرى فيك ، أما تتقى الله تعالى فيما قد ملكك ، وتكلم بكلام كثير ثم أقبل يريد الخروج وأنا جالس بالباب فأقبل عليه المأمون ، وقال : من أنت ؟ قال: أنا رجل من السياحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلى ، فلم أجد لنفسى فيه حظا ، فتعلقت بموعظتك لعلى ألحقهم ، قال فأمر بضرب عنقه فأخرج وأنا قاعد على الباب ملفوفا فى ذلك الثوب ، ومنادينادى من ولىّ هذا ؟ فليأخذه ، قال الحارث: فاختبأت عنه ، فأخذه أقوام غرباء فدفنوه وكنت معهم لا أعلمهم بحاله ، فأقمت فى مسجد بالمقابر محزونا على الفتى ، فغلبتنى عيناى فأذا هو بين وصائف لم أر أحسن منهن ، وهو يقول ياحارث أنت والله من الكاتمين الذين يخفون أحوالهم ، ويطيعون ربهم ، قلت وما فعلوا قال الساعة يلقونك ، فنظرت إلى جماعة ركبان ، فقلت من أنتم ؟ قالوا الكاتمون أحوالهم ، حرّك هذا الفتى كلامك له فلم يكن فى قلبه مما وصفت شىء فخرج للأمر والنهى ، وإن الله تعالى أنزله معنا وغضب لعبده

وعن أحمد بن ابراهيم المقرى قال كان أبو الحسين النورى رجلا قليل الفضول، لا يسأل عما لا يعنيه ، ولا يفتش عما لا يحتاج إليه ، وكان إذا رأى منكرا غيره ولو كان فيه تلفه فنزل ذات يوم إلى مشرعة تعرف بمشرعة الفحامين ، يتطهر للصلاة ، إذ رأى زورقا فيه ثلاثون دنا [1] مكتوب عليها بالقار لطف ، فقرأه وأنكره ، لأنه لم يعرف فى التجارات ولا فى البيوع شيئا يعبر عنه بلطف ، فقال للملاح أيش فى هذه الدنان ، قال وأيش عليك امض فى شغلك ، فلما سمع النورى من الملاح هذا القول ازداد تعطشا إلى معرفته ، فقال أحب أن تخبرنى أيش فى هذه الدنان ، قال وأيش عليك ، أنت والله صوفى فضولى ، هذا خمر للمعتضد يريد أن يتمم به مجلسه ، فقال النورى وهذا خمر ، قال : نعم ، فقال : أحب

(١) الدن : الوعاء

أن تعطيني ذلك المدرى ، فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه أعطه حتى أنظر مايصنع ، فلما صارت المدرى فى يده صعد إلى الزورق ولم يزل يكسرها دِناً دِناً حتى أتى على آخرها إلا دناً واحدا ، والملاح يستغيث إلى أن ركب صاحب الجسر ، وهو يومئذ ابن بشر أفلح فقبض على النورى وأشخصه إلى حضرة المعتضد ، وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ، ولم يشك الناس فى أنه سيقتله ، قال أبو الحسين فأدخلت عليه ، وهو جالس على كرسى حديد وبيده عمود يقلبه ، فلما رآنى قال من أنت ؟ قلت محتسب ، قال ومن ولاك الحسبة ، قلت الذى ولاك الإمامة ولانى الحسبة ياأمير المؤمنين ، قال فأطرق إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إلىّ وقال : ما الذى حملك على ماصنعت ؟ فقلت شفقة منى عليك ، إذ بسطت يدى إلى صرف مكروه عنك فقصرت عنه ، قال فأطرق مفكرا فى كلامى ثم رفع رأسه إلىّ وقال : كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان ؟ فقلت فى تخلصه علة أخبر بها أمير المؤمنين إن أذن ، فقال هات خبرنى ، فقلت: ياأمير المؤمنين إنى أقدمت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه لى بذلك ، وغمر قلبى شاهد الإجلال للحق وخوف المطالبة ، فغابت هيبة الخلق عنى ، فأقدمت عليها بهذه الحال إلى أن صرت إلى هذا الدن ، فاستشعرت نفسى كبرا على أنى أقدمت على مثلك فمنعت ، ولو أقدمت عليه بالحال الأول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أبال ، فقال المعتضد : إذهب فقد أطلقنا يدك غيّر ما أحببت أن تغيره من المنكر ، قال أبو الحسين فقلت : ياأمير المؤمنين بغض إلىّ التغيير لأنى كنت أغيّر عن الله تعالى وأنا الآن أغيّر عن شرطى ، فقال المعتضد ماحاجتك ؟ فقلت ياأمير المؤمنين تأمر بإخراجى سالما ، فأمر له بذلك وخرج إلى البصرة ، فكان أكثر أيامه بها خوفا من أن يسأله أحد حاجة يسألها المعتضد ، فأقام بالبصرة إلى أن توفى المعتضد ، ثم رجع إلى بغداد

فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين ، لكنهم اتكلوا على فضل الله تعالى أن يحرسهم ،ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة ، فلما أخلصوا لله النية أثر كلامهم فى القلوب القاسية فلينها ، وأزال قساوتها ، وأما الآن فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا ، وإن تكلموا لم تساعد

أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا ، ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا، ففسادالرعايا بفساد الملوك ، وفساد الملوك بفساد العلماء ، وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه، ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل فكيف على الملوك والأكابر ، والله المستعان على كل حال

تم كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة

كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة

وهو الكتاب العاشر من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق كل شىء فأحسن خلقه وترتيبه ، وأدّب نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم فأحسن تأديبه ، وزكى أوصافه وأخلاقه ثم اتخذه صفيه وحبيبه ، ووفق للاقتداء به من أراد تهذيبه ، وحرم عن التخلق بأخلاقه من أراد تخييبه ، وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم كثيرا ، أما بعد

فإن آداب الظواهر عنوان آداب البواطن ، وحركات الجوارح ثمرات الخواطر ، والأعمال نتيجة الأخلاق ، والآداب رشح المعارف ، وسرائر القلوب هي مغارس الأفعال ومنابعها وأنوار السرائر هى التى تشرق على الظواهر فتزينها وتجليها ، وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساويها ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه ، ومن لم يكن صدره مشكاة الأنوار الألهية لم يفض على ظاهره جمال الآداب النبوية ، ولقد كنت عزمت على أن أختم ربع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة ، لئلا يشق على طالبها استخراجها من جميع هذه الكتب ، ثم رأيت كل كتاب من ربع العادات قد أتى على جملة من الآداب ، فاستثقلت تكريرها وإعادتها فإن طلب الإعادة ثقيل ، والنفوس مجبولة على معاداة المعادات ، فرأيت أن أقتصر فى هذا الكتاب على ذكر آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخلاقه المأثورة عنه بالإسناد فأسردها مجموعة فصلا فصلا ، محذوفة الأسانيد ، ليجتمع فيه مع جميع الآداب تجديد الإيمان وتأكيده بمشاهدة أخلاقه الكريمة التى شهد آحادها على القطع بأنه أكرم خلق الله تعالى وأعلاهم رتبة ، وأجلهم قدرا ، فكيف مجموعها ، ثم أضيف إلى ذكر أخلاقه ذكر خلقته ، ثم ذكر معجزاته التي صحت بها الأخبار ليكون ذلك معربا عن مكارم الأخلاق والشيم ، ومنتزعا عن آذان الجاحدين لنبوته صمام الصمم ، والله تعالى ولى التوفيق ، للاقتداء بسيد المرسلين فى الأخلاق ، والأحوال وسائر معالم الدين ، فإنه دليل المتحيرين ، ومجيب دعوة المضطرين

ولنذكر فيه أولا بيان تأديب الله تعالى إياه بالقرءان ، ثم بيان جوامع من محاسن أخلاقه ، ثم بيان جملة من آدابه وأخلاقه ، ثم بيان كلامه وضحكه ، ثم بيان أخلاقه وآدابه فى الطعام ، ثم بيان أخلاقه وآدابه في اللباس ، ثم بيان عفوه مع القدرة ، ثم بيان إغضائه عما كان يكره ، ثم بيان سخاوته وجوده ، ثم بيان شجاعته وبأسه ، ثم بيان تواضعه ، ثم بيان صورته وخلقته ، ثم بيان جوامع معجزاته وآياته صلى الله عليه وسلم

بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه

محمداً صلى الله عليه وسلم بالقرآن

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والابتهال ، دائم السؤال من الله تعالى أن يزينه بمحاسن الآداب ، ومكارم الأخلاق ، فكان يقول فى دعائه [1] « اللَّهُمَّ حَسِّنْ خَلْقِي وَخُلُقِي » ويقول « [2] اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ » فاستجاب الله تعالى دعاءه وفاء بقوله عز وجل (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ [1]) فأنزل عليه القرءان وأدبه به ، فكان خلقه القرءان

قال سعد بن هشام [3] دخلت على عائشة رضى الله عنها وعن أبيها ، فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : أما تقرأ القرءان ؟ قلت . بلى ، قالت : كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرءان ، وإنما أدبه القرءان بمثل قوله تعالى (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ [1]) وقوله : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ

(كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة)

(١) حديث كان يقول فى دعائه اللهم حسن خلق وخلق : أحمد من حديث ابن مسعود ومن حديث عائشة ولفظهما اللهم أحسنت خلقى فأحسن خلقى واسنادها جيد وحديث ابن مسعود رواه حب

(٢) حديث اللهم جنبنى منكرات الأخلاق : ت وحسنه وك وصححه واللفظ له من حديث قطبة بن مالك وقال ت اللهم أنى أعوذ بك

(٣) حديث سعد بن هشام دخلت على عائشة فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرءان رواه مسلم ووهم الحاكم فى قوله انهما لم يخرجاه

---

(١) غافر : ٦٠ (٢) الاعراف : ١٩٩

ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ [١]) وقوله (وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ [٢]) وقوله : (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ [٣]) وقوله : (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [٤]) وقوله : (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ [٥]) وقوله : (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ [٦]) وقوله (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [٧]) وقوله : (اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً [٨]) .

[١] ولما كسرت رباعيته وشج يوم أحد ، فجعل الدم يسيل على وجهه ، وهو يمسح الدم ويقول « كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَّبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالدَّمِ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ » فأنزل الله تعالى (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ [٩]) تأديبا له على ذلك ، وأمثال هذه التأديبات في القرءان لا تحصر ، وهو عليه السلام المقصود الأول بالتأديب والتهذيب ، ثم منه يشرق النور على كافة الخلق ، فإنه أدب بالقرءان وأدب الخلق به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « [٢] بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » ثم رغب الخلق في محاسن الأخلاق ، بما أوردناه في كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق فلا نعيده ، ثم لما أكمل الله تعالى خلقه أثنى عليه فقال تعالى : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ [١٠]) فسبحانه ما أعظم شأنه وأتم امتنانه ، ثم انظر إلى عميم لطفه ، وعظيم فضله كيف أعطى ثم أثنى ، فهو الذي زينه بالخلق الكريم ، ثم أضاف إليه ذلك فقال (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ [١١]) ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للخلق ، [٣] أن الله يحب مكارم الأخلاق ويبغض سفسافها .

---

(١) حديث كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم أحد ـ الحديث : في نزول ليس لك من الأمر شيء م من حديث أنس وذكره خ تعليقا

(٢) حديث بعثت لأتمم مكارم الأخلاق : أحمد و ك هق من حديث أبي هريرة قال الحاكم صحيح على شرط م وقد تقدم في آداب الصحبة

(٣) حديث ان الله يحب معالي الاخلاق ويبغض سفسافها : هق من حديث سهل بن سعد متصلا ومن رواية طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلا ورجالهما ثقات

---

(١) النحل : ٩٠ (٢) لقمان : ١٧ (٣) الشورى : ٤٣ (٤) المائدة : ١٣ (٥) النور : ٢٢ (٦) فصلت : ٣٤
(٧) آل عمران : ١٣٤ (٨) الحجرات : ١٢ (٩) آل عمران ١٢٨ (١٠ ، ١١) القلم : ٤

قال على رضى الله عنه [١] ياعجبا لرجل مسلم ! يجيئه أخوه المسلم فى حاجة ، فلا يرى نفسه للخير أهلا ، فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا ، لقد كان ينبغى له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق ، فإنها مما تدل على سبيل النجاة ، فقال له رجل أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : نعم ، وما هو خير منه لما أتى بسبايا طيء وقفت جارية فى السبي ، فقالت يا محمد إن رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب ، فإنى بنت سيد قومى ، وإن أبى كان يحمى الذمار ، ويفك العانى ، ويشبع الجائع ، ويطعم الطعام ، ويفشى السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا ابنة حاتم الطائى. فقال صلى الله عليه وسلم « يَا جَارِيَةُ هَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا ، لَوْ كَانَ أَبُوكِ مُسْلِمًا لَتَرَحَّمْنَا عَلَيْهِ ، خَلُّوا عَنْهَا فَإِنَّ أَبَاهَا كَانَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ، وَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » ، فقام أبو بردة بن نيار فقال : يارسول الله ، الله يحب مكارم الأخلاق فقال « وَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا حَسَنُ الْأَخْلَاقِ) وعن معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم [٢] قال « إِنَّ اللهَ حَفَّ الْإِسْلَامَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ »

ومن ذلك حسن المعاشرة ، وكرم الصنيعة ، ولين الجانب ، وبذل المعروف ، وإطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، وعيادة المريض المسلم ، برا كان أو فاجرا ، وتشييع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاورت ، مسلما كان أو كافرا ، وتوقير ذى الشيبة المسلم ، وإجابة الطعام والدعاء عليه ، والعفو ، والإصلاح بين الناس ، والجود ، والكرم ، والسماحة ، والابتداء بالسلام ، وكظم الغيظ ، والعفو عن الناس ، واجتناب ماحرمه الاسلام ، من اللهو والباطل والغناء والمعازف كلها ، وكل ذى وتر ، وكل ذى دخل ، والغيبة ، والكذب ، والبخل والشح ، والجفاء ، والمكر ، والخديعة ، والنميمة ، وسوء ذات البين ، وقطيعة الأرحام وسوء الخلق ، والتكبر ، والفخر ، والاختيال ، والاستطالة ، والبذخ ، والفحش ، والتفحش

---

(١) حديث على قوله واعجبا لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا ـ الحديث : وفيه مرفوعا لما أتى بسبايا طيء وقفت جارية فى السبي فقالت يا محمد ان رأيت أن تخلى عنى الحديث : ت الحكيم فى نوادر الاصول باسناد فيه ضعف

(٢) حديث معاذ حف الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ـ الحديث : بطوله لم أقف له على أصل ويغنى عنه حديث معاذ الآتي بعده بحديث

والحقد ، والحسد ، والطيرة ، والبغى ، والعدوان ، والظلم

قال أنس رضى الله عنه [١] فلم يدع نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها ، ولم يدع غشا ، أو قال عيبا ، أو قال شيئا ، إلا حذرناه ونهانا عنه ، ويكفى من ذلك كله هذه الآية (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ [١]) الآية

وقال معاذ أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [٢] فقال « يَامُعَاذُ أُوصِيكَ بِاتِّقَاءِ اللهِ وَصِدْقِ الْحَدِيثِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَتَرْكِ الْخِيَانَةِ وَحِفْظِ الْجَارِ وَرَحْمَةِ الْيَتِيمِ وَلِينِ الْكَلَامِ وَبَذْلِ السَّلَامِ وَحُسْنِ الْعَمَلِ وَقَصْرِ الْأَمَلِ وَلُزُومِ الْإِيمَانِ وَالتَّفَقُّهِ فِى الْقُرْآنِ وَحُبِّ الْآخِرَةِ وَالْجَزَعِ مِنَ الْحِسَابِ وَخَفْضِ الْجَنَاحِ وَأَنْهَاكَ أَنْ تَسُبَّ حَكِيماً أَوْ تُكَذِّبَ صَادِقاً أَوْ تُطِيعَ آثِماً أَوْ تَعْصِيَ إِمَاماً عَادِلاً أَوْ تُفْسِدَ أَرْضاً وَأُوصِيكَ بِاتِّقَاءِ اللهِ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وَشَجَرٍ وَمَدَرٍ وَأَنْ تُحْدِثَ لِكُلِّ ذَنْبٍ تَوْبَةً السِّرُّ بِالسِّرِّ وَالْعَلَانِيَةُ بِالْعَلَانِيَةِ »

فهكذا أدب عباد الله ، ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب

بيان جملة من محاسن أخلاقه

التى جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار

فقال كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس [٣] وأشجع الناس ، [٤] وأعدل

---

(١) حديث أنس لم يدع صلى الله عليه وسلم نصيحة جميلة الا وقد دعانا اليها وأمرنا بها: لم أقف له على اسناد وهو صحيح من حيث الواقع

(٢) حديث يامعاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث: أبو نعيم فى الحلية وهق فى الزهد وقد تقدم فى آداب الصحبة

(٣) حديث كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس أبو الشيخ فى كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عبد الرحمن بن أبزى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحلم الناس الحديث وهو مرسل وروى أبو حاتم بن حبان من حديث عبد الله بن سلام فى قصة اسلام زيد بن شعثة من أحبار اليهود وقول زيد لعمر بن الخطاب يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فقد اختبرتهما ـ الحديث :

(٤) الحديث : انه كان أشجع الناس متفق عليه من حديث أنس

---

(١) النحل : ٩٠

الناس ،[١] وأعف الناس ، [٢] لم تمس يده قط يدامرأة لايملك رقها ، أو عصمة نكاحها ، أو تكون ذات محرم منه

وكان أسخى الناس ، [٣] لايبيت عنده دينار ولا درهم ، [٤] وإن فضل شيء ولم يجد من يعطيه ، وفجأه الليل لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه ، [٥] لايخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط ، من أيسر مايجد من التمر والشعير ، ويضع سائر ذلك فى سبيل الله ،

---

(١) حديث كان أعدل الناس : ت فى الشمائل من حديث على بن أبى طالب فى الحديث الطويل فى صفته صلى الله عليه وسلم لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه وفيه قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده فى الحق سواء ـ الحديث : وفيه من لم يسم

(٢) حديث كان أعف الناس لم تمس يده قط يدامرأة لايملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم له الشيخان من حديث عائشة ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يدامرأة الا أمرأة يملكها

(٣) حديث كان صلى الله عليه وسلم أسخى الناس: الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس فضلت على الناس بأربع: بالسخاء والشجاعة ـ الحديث : ورجاله ثقات وقال صاحب الميزان انه منكر وفى الصحيحين من حديثه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس واتفقا عليه من حديث ابن عباس وتقدم فى الزكاة

(٤) حديث كان لايبيت عنده دينار ولا درهم قط وان فضل ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل لم يأو الى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج اليه: د من حديث بلال فى حديث طويل فيه أهدى صاحب فدك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركائب عليهن كسوة وطعام وبيع بلال لذلك ووفاء دينه ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد فى المسجد وحده وفيه قال فضل شيء فقلت نعم ديناران قال انظر أن تريحنى منهما فلست بداخل على أحد من أهلى حتى تريحنى منهما فلم يأتنا أحد فبات فى المسجد حتى أصبح وظل فى المسجد اليوم الثانى حتى إذا كان فى آخر النهار جاء راكبان فانطلقت بهما فكسوتهما وأطعمتهما حتى اذا صلى العتمة دعانى فقال مافعل الذى قبلك قلت قد أراحك الله منه فكبر وحمد الله شفقا من أن يدركه الموت وعنده ذلك ثم اتبعته حتى جاء أزواجه ـ الحديث :وللبخارى من حديث عقبة بن الحارث ذكرت وأنا فى الصلاة فكرهت أن يمسى ويبيت عندنا فأمرت بقسمته ولأبى عبيد فى غريبه من حديث الحسن بن محمد مرسلا كان لايقبل مالا عنده ولا يبيته

(٥) حديث كان لايأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر مايجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك فى سبيل الله : متفق عليه بنحوه من حديث عمر بن الخطاب وقد تقدم فى الزكاة

لايسأل شيئا إلا أعطاه ، (١) ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه ، حتى إنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء ، (٢)

وكان يخصف النعل ، ويرقع الثوب ، ويخدم فى مهنة أهله ، (٣) ويقطع اللحم معهن ، (٤)

وكان أشد الناس حياء ، لا يثبت بصره فى وجه أحد ، (٥) ويجيب دعوة العبد والحر ، (٦)

---

(١) حديث كان لايسأل شيئا إلا أعطاه. الطيالسى والدارمى من حديث سهل بن سعد وللبخارى من حديثه فى الرجل الذى سأله الشملة فقيل له سألته إياها وقد علمت أنه لايرد سائلا ـ الحديث : ولمسلم من حديث أنس ما سئل على الاسلام شيئا الا أعطاه وفى الصحيحين من حديث جابر ما سئل شيئا قط فقال لا

(٢) حديث انه كان يؤثر مما ادخر لعياله حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام : هذا معلوم ويدل عليه ما رواه ت ن ه من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم توفى ودرعه مرهونة بعشرين صاعا من طعام أخذه لأهله وقال ه بثلاثين صاعا من شعير وإسناده جيد وخ من حديث عائشة توفى ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين وفى رواية هق بثلاثين صاعا من شعير

(٣) حديث وكان صلى الله عليه وسلم يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم فى مهنة أهله : أحمد من حديث عائشة كان يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل فى بيته كما يعمل أحدكم فى بيته ورجاله رجال الصحيح ورواه أبو الشيخ بلفظ ويرقع الثوب وللبخارى من حديث عائشة كان يكون فى مهنة أهله

(٤) حديث إنه كان يقطع اللحم : أحمد من حديث عائشة أرسل إلينا آل أبى بكر بقائمة شاة ليلا فأمسكت وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قالت فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعت وفى الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن أبى بكر فى أثناء حديث وأيم الله مامن الثلاثين ومائة إلا حزله رسول الله صلى الله عليه وسلم من سواد بطنها

(٥) حديث كان من أشد الناس حياء لايثبت بصره فى وجه أحد : الشيخان من حديث أبى سعيد الخدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حيا من العذراء فى خدرها

(٦) حديث كان يجيب دعوة العبد والحر : ت ه ك من حديث أنس كان يجيب دعوة المملوك قال ك صحيح الاسناد قلت بل ضعيف وللدارقطنى فى غرائب مالك وضعفه والخطيب فى أسماء من روى عن مالك من حديث أبى هريرة كان يجيب دعوة العبد إلى أى طعام دعى ويقول لو دعيت إلى كراع لأجبت وهذا بعمومه دال على إجابة دعوة الحر وهذه القطعة الأخيرة عند خ من حديث أبى هريرة وقد تقدم وروى ابن سعد من رواية حمزة بن عبد الله بن عتبة كان لايدعوه أحمر ولا أسود من الناس إلا أجابه الحديث وهو مرسل

ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن ، أو فخذ ارنب ، ويكافىء عليها [١] ويأكلها ، ولا يأكل الصدقة ، [٢] ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين ، [٣] يغضب لربه ولا يغضب لنفسه [٤] وينفذ الحق وإن عاد ذلك عليه بالضرر ، أو على أصحابه

عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين ، وهو فى قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيده فى عدد من معه فأبى ، وقال « أَنَا لاَ أَنْتَصِرُ بِمُشْرِكٍ » [٥] ووجد من فضلاء أصحابه وخيارهم ، قتيلا بين اليهود ، فلم يحف عليهم ، ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة

---

(١) حديث كان يقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافىء عليها : خ من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها وأما ذكر جرعة اللبن وفخذ الأرنب فى الصحيحين من حديث أم الفضل أنها أرسلت بقدح لبن إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة فشربه ولأحمد من حديث عائشة أهدت أم سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا ـ الحديث : وفى الصحيحين من حديث أنس أن أبا طلحة بعث بورك أرنب أو فخذها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله

(٢) حديث كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة : متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم

(٣) حديث كان لا يستكبر أن يمشى مع المسكين : ن ك من حديث عبد الله بن أبى أوفى بسند صحيح وقد تقدم فى الباب الثانى من آداب الصحبة ورواه ك أيضا من حديث أبى سعيد الخدرى وقال صحيح على شرط الشيخين

(٤) حديث كان يغضب لربه ولا يغضب لنفسه : ت فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة وفيه وكان لا تغضبه الدنيا وما كان منها فاذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شىء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وفيه من لم يسم

(٥) حديث وينفذ الحق وإن عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو فى قلة وحاجة إلى انسان واحد يزيد فى عدد من معه فأبى وقال أنا لا أستنصر بمشرك م من حديث عائشة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ففرح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فلما أدركه قال جئت لأتبعك وأصيب معك فقال له أتؤمن بالله ورسوله قال لا قال فارجع فلن أستعين بمشرك ـ الحديث

وإن بأصحابه لحاجة إلى بعير واحد يتقوون به [١]

وكان يعصب الحجر على بطنه مرة من الجوع ومرة [٢] يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم حلال ، وإن وجد تمرا دون خبز أكله ، وإن وجد شواء أكله وإن وجد خبز بر أو شعير أكله ، وإن وجد حلوا أو عسلا أكله ، وإن وجد لبنا دون خبز اكتفى به وإن وجد بطيخا أو رطبا أكله ، [٣] لا يأكل متكئا ، [٤] ولا على خوان ، [٥] منديله باطن

---

(١) حديث وجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم فوداه بمائة ناقة : الحديث ـ متفق عليه من حديث سهل بن أبي حثمة ورافع بن خديج والرجل الذي وجد مقتولا هو عبد الله ابن سهل الانصاري

(٢) حديث كان يعصب الحجر على بطنه من الجوع : متفق عليه من حديث جابر في قصة حفر الخندق وفيه فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم شد على بطنه حجرا وأغرب حب فقال في صحيحه انما هو الحجز بضم الحاء وآخره زاي جمع حجزة وليس بمتابع على ذلك ويرد على ذلك ما رواه ت من حديث أبي طلحة شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين ورجاله كلهم ثقات

(٣) حديث كان يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع من مطعم حلال ان وجد تمرا دون خبز أكله وإن وجد خبز بر أو شعير أكله وإن وجد حلوا أو عسلا أكله وإن وجد لبنا دون خبز اكتفى به وإن وجد بطيخا أو رطبا أكله : انتهى ـ هذا كله معروف من أخلاقه ففي ت من حديث أم هانىء دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم فقال أعندك شيء قلت لا إلا خبز يابس وخل فقال هات ـ الحديث : وقال حسن غريب وفي كتاب الشمائل لأبي الحسن بن الضحاك بن المقرى من رواية الأوزاعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبالي ما رددت به الجوع وهذا معضل ولمسلم من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أهله الأدم فقالوا ما عندنا إلا خل فدعا به ـ الحديث : وله من حديث أنس رأيته مقعيا يأكل تمرات و ت وصححه من حديث أم سلمة أنها قربت إليه جنبا مشويا فأكل منه ـ الحديث : وللشيخين من حديث عائشة ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا خبز بر حتى مضى لسبيله لفظ م وفي رواية له ما شبع من خبز شعير يومين متتابعين و ت وصححه و ه من حديث ابن عباس كان أكثر خبزهم الشعير وللشيخين من حديث عائشة كان يحب الحلواء والعسل ولهما من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم شرب لبنا فدعا بماء فمضمض و ن من حديث عائشة كان يأكل الرطب بالبطيخ واسناده صحيح

(٤) حديث انه كان لا يأكل متكئا : تقدم في آداب الأكل في الباب الأول

(٥) حديث أنه كان لا يأكل على خوان : تقدم في الباب المذكور

قدميه ، [١] لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية ، حتى لقي الله تعالى إيثارا على نفسه ، لا فقرا ولا بخلا ، [٢] يجيب الوليمة ، [٣] ويعود المرضى ، ويشهد الجنائز [٤] ، ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس ، [٥] أشد الناس تواضعا ، وأسكنهم في غير كبر ، [٦] وأبلغهم في غير تطويل [٧]

---

(١) حديث كان منديله باطن قدمه : لا أعرفه من فعله وإنما المعروف فيه مارواه هـ من حديث جابر كنا زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قليلا مانجد الطعام فاذا وجدناه لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا : وقد تقدم في الطهارة

(٢) حديث لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله : تقدم في جملة الأحاديث التي قبله بثلاثة أحاديث

(٣) حديث كان يجيب الوليمة : هذا معروف وتقدم قوله لو دعيت إلى كراع لأجبت وفي الأوسط للطبراني من حديث ابن عباس أنه كان الرجل من أهل العوالي ليدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصف الليل على خبز الشعير فيجيب وإسناده ضعيف

(٤) حديث كان يعود المريض ويشهد الجنازة : ت وضعفه و هـ ك وصححه من حديث أنس ورواه ك من حديث سهل بن حنيف وقال صحيح الاسناد وفي الصحيحين عدة أحاديث من عيادته للمرضى وشهوده للجنائز

(٥) حديث كان يمشي وحده بين أعدائه بلا حارس : ت ك من حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس فأخرج رأسه من القبة فقال انصرفوا فقد عصمني الله قال ت غريب وقال ك صحيح الاسناد

(٦) حديث كان أشد الناس تواضعا وأسكنهم من غير كبر : أبو الحسن بن الضحاك في الشمائل من حديث أبي سعيد الخدري في صفته صلى الله عليه وسلم هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه إلى أن قال متواضع في غير ذلة وفيه دائب إلاطراق وإسناده ضعيف وفي الأحاديث الصحيحة الدالة على شدة تواضعه غنية عنه منها عند ن من حديث ابن أبي أوفى كان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين ـ الحديث : وقد تقدم وعند أبي داود من حديث البراء فجلس وجلسنا كأن على رءوسنا الطير ـ الحديث : ولأصحاب السنن من حديث أسامة ابن شريك أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كأنما على رءوسهم الطير

(٧) حديث كان أبلغ الناس من غير تطويل : خ م من حديث عائشة كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه ولها من حديثها لم يكن يسرد الحديث كسردكم : علقه خ ووصله م زادت ولكنه كان يتكلم بكلام يبينه فصل يحفظه من جلس إليه وله في الشمائل من حديث ابن أبي هالة يتكلم بجوامع الكلم فصل لا فضول ولا تقصير

(١) وأحسنهم بشرا ، (٢) لايهوله شيء من أمور الدنيا ، ويلبس ماوجد فمرة (٣) شملة، ومرة برد حبرة يمانيا ، ومرة جبة صوف ، ماوجد من المباح لبس ، (٤) وخاتمه فضة (٥) يلبسه فى خنصره الأيمن (٦) والأيسر ، (٧) يردف خلفه عبده أو غيره

---

(١) حديث كان أحسنهم بشرا : ت فى الشمائل من حديث على بن أبى طالب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق ـ الحديث : وله فى الجامع من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء مارأيت أحدا كان أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غريب قلت وفيه ابن لهيعة

(٢) حديث كان لايهوله شيء من أمور الدنيا : أحمد من حديث عائشة ماأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا وما أعجبه أحد قط إلا ذوتق وفى لفظ له ماأعجب النبي صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا إلا أن يكون فيها ذوتق وفيه ابن لهيعة

(٣) حديث كان يلبس ماوجد فمرة شملة ومرة حبرة ومرة جبة صوف ماوجد من المباح لبس : خ من حديث سهل بن سعد جاءت امرأة ببردة قال سهل هل تدرون ما البردة هى الشملة منسوج فى حاشيتها وفيه فخرج إلينا وإنها لإزاره ـ الحديث : ولابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى شملة قد عقد عليها فيه الأحوص بن حكيم مختلف فيه وللشيخين من حديث أنس كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلبسها الحبرة ولهما من حديث المغيرة بن شعبة وعليه جبة من صوف

(٤) حديث خاتمه فضة : متفق عليه من حديث أنس اتخذ خاتما من فضة

(٥) حديث لبسه الخاتم فى خنصره الأيمن : م من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة فى يمينه وللبخارى من حديثه فانى لأرى بريقه فى خنصره

(٦) حديث تختمه فى الأيسر : م من حديث أنس كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم فى هذه وأشار إلى الخنصر من يده اليسرى

(٧) حديث إردافه خلفه عبده أو غيره أردف صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد من عرفة كما ثبت فى الصحيحين من حديث ابن عباس ومن حديث أسامة وأردفه مرة أخرى على حمار وهو فى الصحيحين أيضا من حديث أسامة وهو مولاه وابن مولاه وأردف الفضل بن عباس من المزدلفة وهو فى الصحيحين أيضا من حديث أسامة ومن حديث ابن عباس والفضل بن عباس وأردف معاذ بن جبل وابن عمر وغيرهم من الصحابة

يركب ماامكنه مرة فرسا ،[١] ومرة بعيرا ، ومرة بغلة شهباء ، ومرة حمارا ، ومرة يمشي راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة ، يعود المرضى في أقصى المدينة[٢] يحب الطيب ، ويكره الرائحة الرديئة ،[٣] ويجالس الفقراء ،[٤] ويؤاكل المساكين

---

(١) حديث كان يركب ما أمكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة راجلا ومرة حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى في أقصى المدينة ففي الصحيحين من حديث أنس ركوبه صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة ولمسلم من حديث جابر بن سمرة ركوبه الفرس عريا حين انصرف من جنازة بن الدحداح ولمسلم من حديث سهل بن سعد كان للنبي صلى الله عليه وسلم فرس يقال له اللحيف ولهما من حديث ابن عباس طاف النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على بعير ولهما من حديث البراء رأيت النبي صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء يوم حنين ولهما من حديث أسامة أنه صلى الله عليه وسلم ركب على حمار على أكاف ـ الحديث : ولهما من حديث ابن عمر كان يأتي قبا راكبا وماشيا ولمسلم من حديثه في عيادته صلى الله عليه وسلم لسعد بن عبادة فقام وقمنا معه ونحن بضعة عشر ما علينا نعال ولا خفاف ولا قلانيس ولاقمص نمشي في السباخ : الحديث

(٢) حديث كان يحب الطيب والرائحة الطيبة ويكره الروائح الرديئة : ن من حديث أنس حبب إلي النساء والطيب ودك من حديث عائشة أنها صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من صوف فلبسها فلما عرق وجد ريح الصوف فخلعها وكان يعجبه الريح الطيبة لفظ ك وقال صحيح على شرط الشيخين ولابن عدي من حديث عائشة كان يكره أن يوجد منه إلا ريح طيبة

(٣) حديث كان يجالس الفقراء : د من حديث أبي سعيد جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين وأن بعضهم ليستر بعضا من العري ـ الحديث : وفيه فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطنا ليعدل بنفسه فينا ـ الحديث : و هم من حديث خباب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا ـ الحديث : في نزول قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم اسنادهما حسن

(٤) حديث مؤاكلته للمساكين : خ من حديث أبي هريرة قال وأهل الصفة أضياف الاسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها

(١) ويكرم أهل الفضل فى أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم ، (٢) يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم ، (٣) لا يجفو على أحد ، (٤) يقبل معذرة المعتذر إليه ، (٥) يمزح ولا يقول إلا حقا ، يضحك (٦) من غير قهقهة ، (٧) يرى اللعب المباح فلا ينكره

---

(١) حديث كان يكرم أهل الفضل فى أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم : ت فى الشمائل من حديث على الطويل فى صفته صلى الله عليه وسلم وكان من سيرته إيثار أهل الفضل باذنه وقسمه على قدر فضلهم فى الدين وفيه ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ـ الحديث : وللطبرانى من حديث جرير فى قصة إسلامه فألقى إلي كساءه ثم أقبل على أصحابه ثم قال إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه وإسناده جيد ورواه ك من حديث معبد بن خالد الانصارى عن أبيه نحوه وقال صحيح الاسناد

(٢) حديث كان يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم : ك من حديث ابن عباس كان يجل العباس اجلال الوالد والوالدة وله من حديث سعد بن أبى وقاص أنه أخرج عمه العباس وغيره من المسجد فقال له العباس تخرجنا ونحن عصبتك وعمومتك وتسكن عليا فقال ما أنا أخرجكم وأسكنه ولكن الله أخرجكم وأسكنه قال فى الأول صحيح الأسناد وسكت عن الثانى وفيه مسلم اللائى ضعيف فآثر عليا لفضله بتقدم إسلامه وشهوده بدرا والله أعلم وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد لا يبقين فى المسجد باب إلا سد إلا باب أبى بكر

(٣) حديث كان لا يجفو على أحد : د ت فى الشمائل و ن فى اليوم والليلة من حديث أنس كان قلما يواجه رجلا بشىء يكرهه وفيه ضعف وللشيخين من حديث أبى هريرة أن رجلا استأذن عليه صلى الله عليه وسلم فقال بئس أخو العشيرة فلما دخل ألان له القول ـ الحديث

(٤) حديث يقبل معذرة المعتذر إليه : متفق عليه من حديث كعب بن مالك فى قصة الثلاثة الذين خلفوا وفيه طفق المخلفون يعتذرون إليه فقبل منهم علانيتهم ـ الحديث

(٥) حديث يمزح ولا يقول إلا حقا : أحمد من حديث أبى هريرة وهو عند ت بلفظ قالوا إنك تداعبنا قال إى ولا أقول إلا حقا وقال حسن

(٦) حديث ضحكه من غير قهقهة : الشيخان من حديث عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا حتى أرى لهواته إنما كان يتبسم و ت من حديث عبد الله بن الحارث ابن جزء ما كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبسما قال صحيح غريب وله فى الشمائل فى حديث هند بن أبى هالة جل ضحكه التبسم

(٧) حديث يرى اللعب المباح ولا يكرهه : الشيخان من حديث عائشة فى لعب الحبشة بين يديه فى المسجد وقال لهم دونكم يا بنى أرفدة وقد تقدم فى كتاب السماع

(١) يسابق أهله ، (٢) وترفع الأصوات عليه فيصبر ، (٣) وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها ، وكان له (٤) عبيد وإماء لا يرتفع عليهم فى مأكل ولا ملبس (٥) ولا يمضى له وقت

---

(١) حديث مسابقته صلى الله عليه وسلم أهله : د ن فى الكبرى و ه من حديث عائشة فى مسابقته لها وتقدم فى الباب الثالث من النكاح

(٢) حديث ترفع الأصوات عنده فيصبر : خ من حديث عبد الله بن الزبير قدم ركب من بنى تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد وقال عمر بل أمر الأقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت إلا خلافى وقال عمر ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله

(٣) حديث وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها : محمد بن سعد فى الطبقات من حديث أم سلمة كان عيشنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن أو قالت أكثر عيشنا كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاح بالغابة ـ الحديث : وفى رواية له كانت لنا أعنز سبع فكان الراعى يبلغ بهن مرة الحمى ومرة أحدا ويروح بهن علينا وكانت لقاح بذى الجبل فيؤب إلينا ألبانها بالليل ـ الحديث : وفي إسنادها محمد بن عمر الواقدى ضعيف فى الحديث وفى الصحيحين من حديث سلمة بن الأكوع كانت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ترعى بذى قرد الحديث : ولأبى داود من حديث لقيط بن صبره لنا غنم مائة لا نريد أن تزيد فاذا ولد الراعى بهمة ذبحنا مكانها شاة ـ الحديث

(٤) حديث كان له عبيد وإما فلا يرتفع عليهم فى مأكل ولا ملبس : محمد بن سعد فى الطبقات من حديث سلمى قالت كان خدم النبي صلى الله عليه وسلم أنا وخضرة ورضوى وميمونة بنت سعد أعتقهن كلهن وإسناده ضعيف وروى أيضا أن أبا بكر بن حزم كتب إلى عمر بن عبد العزيز بأسماء خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر بركة أم أيمن وزيد بن حارثة وأبا كبشة وأنسة وشقران وسفينة وثوبان ورباحا ويسارا وأبا رافع وأبا مويهبة ورافعا أعتقهم كلهم وفضالة ومدعما وكركرة وروى أبو بكر بن الضحاك فى الشمائل من حديث أبى سعيد الخدرى باسناد ضعيف كان صلى الله عليه وسلم يأكل مع خادمه و م من حديث أبي اليسر أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون ـ الحديث

(٥) حديث لا يمضى له وقت فى غير عمل لله تعالى أو فيما لا بد منه من صلاح نفسه : ت فى الشمائل من حديث علي بن أبي طالب كان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزأ لله وجزأ لأهله وجزأ لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فرد ذلك بالخاصة على العامة ـ الحديث

فى غير عمل لله تعالى ، أو فيما لابد له منه من صلاح نفسه ، [١] يخرج إلى بساتين أصحابه [٢] لايحتقر مسكيناً لفقره وزمانته، ولايهاب ملكاً لملكه ، يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء مستويا [٣] قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة ، والسياسة التامة ، وهو أمى لايقرأ ولايكتب ،

---

(١) حديث يخرج إلى بساتين أصحابه :تقدم فى الباب الثالث من آداب الأكل خروجه صلى الله عليه وسلم الى بستان أبى الهيثم بن التيهان وأبى أيوب الأنصارى وغيرهما

(٢) حديث لايحتقر مسكينا لفقره وزمانته ولايهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء واحدا: خ من حديث سهل بن سعد مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقولون فى هذا قالوا حرى أن خطب أن ينكح ـ الحديث: وفيه فمر رجل من فقراء المسلمين فقال ما تقولون فى هذا قالوا حرى ان خطب أن لاينكح ـ الحديث: وفيه هذا خير من ملء الارض مثل هذا و م من حديث أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقيصر والنجاشى والى كل جبار يدعوهم الى الله عز وجل

(٣) حديث قد جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمى لايقرأ ولايكتب نشأ فى بلاد الجهل والصحارى وفى فقر وفى رعاية الغنم لا أب له ولا أم فعلمه الله جمع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين ومافيه النجاة والفوز فى الآخرة والغبطة والخلاص فى الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول :هذا كله معروف معلوم فروى ت فى الشمائل من حديث على بن أبى طالب فى حديثه الطويل فى صفته وكان من سيرته فى جزء الأمة ايثار أهل الفضل باذنه وقسمه الحديث وفيه فسألته عن سيرته فى جلسائه فقال كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ـ الحديث :وفيه كان يخزن لسانه الافيما يعنيه وفيه قد ترك نفسه من ثلاث من المراء والاكثار ومالايعنيه ـ الحديث :وقد تقدم بعضه وروى ابن مردويه من حديث ابن عباس فى قوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك قال كان النبى صلى الله عليه وسلم أمياً لايقرأ ولايكتب وقد تقدم فى العلم وللبخاري من حديث ابن عباس قال إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة فى سورة الأنعام قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرم وحب من حديث أم سلمة فى قصة هجرة الحبشة أن جعفرا قال للنجاشى أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ـ الحديث : ولأحمد من حديث أبى ابن كعب انى لفى صحراء ابن عشر سنين واشهر فاذا كلام فوق راسى ـ الحديث : و خ من حديث ابى هريرة كنت ارعاها اى الغنم على قراريط لأهل مكة ولأبى يعلى و حب من حديث حليمة إنما نرجو كرامة الرضاعة من والد المولود وكان يتيما ـ الحديث : وتقدم حديث بعثت بمكارم الأخلاق

نشأ في بلاد الجهل والصحارى، في فقر، وفي رعاية الغنم، يتيما لا أب له ولا أم، فعلمه الله تعالى جميع محاسن الأخلاق، والطرق الحميدة، وأخبار الأولين والآخرين، وما فيه النجاة والفوز في الآخرة، والغبطة والخلاص في الدنيا، ولزوم الواجب وترك الفضول، وفقنا الله لطاعته في أمره، والتأسي به في فعله، آمين يارب العالمين

بيان جملة أخرى من آدابه وأخلاقه

مما رواه أبو البختري، قالوا [١] ما شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من المؤمنين بشتيمة إلا جعل لها كفارة ورحمة، [٢] وما لعن امرأة قط ولا خادما بلعنة، وقيل له وهو في القتال لو لعنتهم يارسول الله، فقال [٣] « إِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً وَلَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا » وكان [٤] إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر، عام أو خاص، عدل عن الدعاء عليه إلى الدعاء له [٥] وما ضرب بيده أحدا قط إلا أن يضرب بها في سبيل الله تعالى، وما انتقم من شيء صنع اليه قط، إلا أن تنتهك حرمة الله، وما خير بين أمرين قط الا اختار أيسرهما، إلا أن يكون فيه إثم

---

(١) حديث ما شتم أحدا من المؤمنين الا جعلها الله كفارة ورحمة: متفق عليه من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فيه فأي المؤمنين لعنته شتمته جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة وفي رواية فاجعلها زكاة ورحمة وفي رواية فاجعلها له كفارة وقربة وفي رواية فاجعل ذلك كفارة له يوم القيامة

(٢) حديث ما لعن امرأة ولا خادما قط المعروف ما ضرب مكان لعن كما هو متفق عليه من حديث عائشة وللبخاري من حديث أنس لم يكن فحاشا ولا لعانا وسيأتي الحديث الذي بعده فيه هذا المعنى

(٣) حديث انما بعثت رحمة ولم أبعث لعانا: م من حديث أبي هريرة

(٤) حديث كان اذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه ودعا له الشيخان من حديث أبي هريرة قالوا يارسول الله إن دوسا قد كفرت وأبت فادع عليهم فقيل هلكت دوس فقال اللهم اهد دوسا وائت بهم

(٥) حديث ما ضرب بيده أحدا قط الا أن يضرب في سبيل الله وما انتقم في شيء صنع اليه الا أن تنتهك حرمة الله ـ الحديث: متفق عليه من حديث عائشة مع اختلاف وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة

أو قطيعة رحم ، فيكون أبعد الناس من ذلك ، وما كان[١] يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلا قام معه فى حاجته ، وقال أنس رضى الله عنه[٢] والذى بعثه بالحق ما قال لى فى شىء قط كرهه لِمَ فعلته ، ولا لامنى نساؤه إلا وقال دعوه إنما كان هذا بكتاب وقدر ، قالوا وما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣] مضجعا ، إن فرشوا له اضطجع ، وإن لم يفرش له اضطجع على الأرض

وقد وصفه الله تعالى فى التوراة قبل أن يبعثه فى السطر الأول ، فقال محمد رسول الله ، عبدى المختار ، لا فظ ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، مولده بمكة ، وهجرته بطابة ، وملكه بالشام ، يأتزر على وسطه هو ومن معه ، دعاه للقرءان والعلم ، يتوضأ على أطرافه ، وكذلك لغته فى الأنجيل ،

---

(١) حديث ما كان يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلا قام معه فى حاجته : خ تعليقا من حديث أنس ان كانت الأمة من اماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت ووصله ه وقال فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت من المدينة فى حاجتها وقد تقدم وتقدم أيضا من حديث ابن أبى أوفى ولا يأنف ولا يستكبر أن يمشى مع الأرملة والمسكين حتى يقضى لهما حاجتهما

(٢) حديث أنس والذى بعثه بالحق ماقال فى شىء قط كرهه لم فعلته ولا لأمنى أحد من أهله إلا قال دعوه إنما كان هذا بكتاب وقدر : الشيخان من حديث أنس ماقال لشىء صنعته لم صنعته ولا لشىء تركته لم تركته وروى أبو الشيخ فى كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث له قال فيه ولا أمرنى بأمر فتوانيت فيه فعاتبنى عليه فان عاتبنى أحد من أهله قال دعوه فلو قدر شىء كان وفى رواية له كذا قضى

(٣) حديث ماعاب مضجعا أن فرشوا له اضطجع وان لم يفرشوا له اضطجع على الارض : لم أجده بهذا اللفظ والمعروف ماعاب طعاما ويؤخذ من عموم حديث على بن أبى طالب ليس بفظ إلى أن قال ولا عياب رواه فى الشمائل والطبرانى وابو نعيم فى دلائل النبوة وروى ابن ابى عاصم فى كتاب السنة من حديث انس ما اعلمه عاب شيئا قط وفى الصحيحين من حديث عمر اضطجاعه على حصير و ت وصححه من حديث ابن مسعود نام على حصير فقام وقد اثر فى جنبه : الحديث

(١) وكان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام . (٢) ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف ، (٣) وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ ،

(٤) وكان إذا لقى أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ، ثم أخذ بيده فشابكه ، ثم شد قبضته عليها ،

(٥) وكان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله

(٦) وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلى إلا خفف صلاته وأقبل عليه ، فقال ألك حاجة فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته

(٧) وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ، ويمسك بيديه عليهما ، شبه الحبوة

---

(١) حديث كان من خلقه ان يبدأ من لقيه بالسلام : ت فى الشمائل من حديث هند بن ابى هالة

(٢) حديث ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف : الطبرانى ومن طريقه ابو نعيم فى دلائل النبوة من حديث على بن ابى طالب و ه من حديث انس كان اذا لقى الرجل يكلمه لم يصرف وجهه حتى يكون هو المنصرف ورواه ت نحوه وقال غريب

(٣) حديث وما اخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر : ت ه من حديث انس الذي قبله كان اذا استقبل الرجل فصافحه لاينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع لفظ ت وقال غريب

(٤) حديث كان اذا لقي أحدا من اصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته : د من حديث ابى ذر وسأله رجل من عنزة هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصافحكم اذا لقيتموه قال مالقيته قط الا صافحنى ـ الحديث : وفيه الرجل الذى من عنزة ولم يسم وسماه البيهقى فى الأدب عبد الله وروينا فى علوم الحديث للحاكم من حديث أبى هريرة قال شبك بيدى أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وهو عند م بلفظ اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى

(٥) حديث كان لايقوم ولا يجلس الا على ذكر الله عز وجل : ت فى الشمائل من حديث على فى حديثه الطويل في صفته وقال على ذكر بالتنوين

(٦) حديث كان لايجلس اليه احد وهو يصلى إلا خفف صلاته واقبل عليه فقال ألك حاجة فاذا فرغ من حاجته عاد الى صلاته لم اجد له أصلا

(٧) حديث كان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليها شبه الحبوة : د ت فى الشمائل من حديث أبى سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس فى المجلس احتبى بيديه واسناده ضعيف وللبخارى من حديث ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة محتبيا بيديه

(١) ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه لأنه (٢) كان حيث انتهى به المجلس جلس ، (٣) وما رؤى قط مادًّا رجليه بين أصحابه ، حتى لا يضيق بهما على أحد ، إلا أن يكون المكان واسعا لا ضيق فيه ، وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة

(٤) وكان يكرم من يدخل عليه ، حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه

(٥) وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التى تحته ، فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل

(٦) وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى يعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه ، حتى كان مجلسه وسمعه ، وحديثه ، ولطيف محاسنه ، وتوجهه للجالس إليه ، ومجلسه مع ذلك مجلس حياء ، وتواضع ، وأمانة ، قال الله تعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ (١)) .

---

(١) حديث انه لم يكن يعرف مجلسه من مجالس اصحابه : د ن من حديث ابى هريرة وابى ذر قالا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس بين ظهرانى اصحابه فيجىء الغريب فلا يدرى ايهم هو حتى يسأل ـ الحديث

(٢) حديث انه حيثما انتهى به المجلس جلس : ت فى الشمائل فى حديث على الطويل

(٣) حديث ما رؤى قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بها على احد الا ان يكون المكان واسعا لاضيق فيه: الدار قطنى فى غرائب مالك من حديث انس وقال باطل وت وه لم يرمقدمار كبتيه بين يدى جليس له زاد ابن ماجه قط وسنده ضعيف

(٤) حديث كان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولارضاع يجلسه عليه: ك وصحح اسناده من حديث انس دخل جرير بن عبد الله على النبي صلى الله عليه وسلم وفيه فأخذ بردته فألقاها عليه فقال اجلس عليها ياجرير ـ الحديث : وفيه فاذا اتاكم كريم قوم فأكرموه وقد تقدم فى الباب الثالث من آداب الصحبة وللطبرانى فى الكبير من حديث جرير فألقى الى كساء ولأبى نعيم فى الحلية فبسط الى رداءه

(٥) حديث كان يؤثر الداخل بالوسادة التى تكون تحته ـ الحديث : تقدم فى الباب الثالث من آداب الصحبة

(٦) حديث ما استصفاه احد الاظن انه اكرم الناس عليه حتى يعطى كل من جلس اليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه وتوجهه للجالس اليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وامانة :ت فى الشمائل من حديث على الطويل وفيه ويعطى كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه ان أحدا اكرم عليه منه وفيه مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة

---

(١) : آل عمران ١٥٩

(١) ولقد كان يدعو أصحابه بكناهم إكراما لهم واستمالة لقلوبهم ، (٢) ويكنى من لم تكن له كنية ، فكان يدعى بما كناه به (٣) ويكنى أيضا النساء اللاتى لهن الأولاد ، واللاتى لم يلدن يبتدىء لهن الكنى ، (٤) ويكني الصبيان فيستلين به قلوبهم ، (٥) وكان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا .

---

(١) حديث كان يدعو أصحابه بكناهم إكراما لهم واستمالة لقلوبهم : فى الصحيحين فى قصة الغار من حديث أبى بكر يا أبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما وللحاكم من حديث ابن عباس أنه قال لعمر يا أباحفص أبصرت وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر أنه لأول يوم كنانى فيه بأبى حفص وقال صحيح على شرط م وفى الصحيحين أنه قال لعلى قم ياأبا تراب وللحاكم من حديث رفاعة بن مالك ان ابا حسن وجد مغضبا فى بطنه فتخلفت عليه يريد عليا ولأبى يعلى الموصلى من حديث سعد ابن ابى وقاص فقال من هذا ابو إسحق فقلت نعم وللحاكم من حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم كناه ابا عبد الرحمن ولم يولد له

(٢) حديث كان يكنى من لم يكن له كنية وكان يدعى بما كناه به : ت من حديث انس قال كنانى النبي صلي الله عليه وسلم بيقلة كنت اختليها يعنى ابا حمزة قال حديث غريب و هان عمر قال لصهيب ابن مالك تكتنى وليس لك ولد قال كنانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بابى يحيى وللطبرانى من حديث ابى بكرة تدليت ببكرة من الطائف فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم فأنت ابوبكرة

(٣) حديث كان يكنى النساء اللاتى لهن الأولاد واللاتى لم يلدن يبتدىء لهن الكنى: ك من حديث ام ايمن فى قصة شربها بول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ياأم ايمن قومى الى تلك الفخارة ـ الحديث وهمن حديث عائشة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم كل ازواجك كنيته غيرى قال فأنت ام عبد الله وخ من حديث ام خالد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها ياام خالد هذا سناه وكانت صغيرة وفيه مولى للزبير لم يسم ولأبى داود باسناد صحيح انها قالت يارسول الله كل صواحبى لهن كنى قال فاكتنى بابنك عبد الله بن الزبير

(٤) حديث كان يكنى الصبيان: في الصحيحين من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاخ له صغير ياأبا عمير مافعل النغير

(٥) حديث كان أبعد الناس غضبا واسرعهم رضا هذا من المعلوم ويدل عليه اخباره صلى عليه وسلم أن بنى آدم خيرهم بطىء الغضب سريع الفيء : رواه ت من حديث أبى سعيد الخدرى وقال حديث حسن وهو صلى الله عليه وسلم خير بنى آدم وسيدهم وكان صلى الله عليه وسلم لا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها رواه ت فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة

(١) وكان أرأف الناس بالناس ، وخير الناس للناس ، وأنفع الناس للناس (٢) ولم تكن ترفع في مجلسه الأصوات .

(٣) وكان إذا قام من مجلسه قال « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ » ثم يقول علمنيهن جبريل عليه السلام

بيان كلامه وضحكه صلى الله عليه وسلم

(٤) كان صلى الله عليه وسلم أفصح الناس منطقاً وأحلاهم كلاما، ويقول (٥) « أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ » (٦) وإن أهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) حديث كان أرأف الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس هذا من المعلوم وروينا في الجزء الأول من فوائد أبي الدحداح من حديث علي في صفة النبي صلى الله عليه وسلم كان أرحم الناس بالناس ـ الحديث بطوله

(٢) حديث لم تكن ترفع في مجلسه الأصوات : ت في الشمائل من حديث علي الطويل

(٣) حديث كان إذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك ـ الحديث : أخرجه النسائي في اليوم والليلة و ك في المستدرك من حديث رافع بن خديج وتقدم في الأذكار والدعوات

(٤) حديث كان أفصح الناس منطقا وأحلاهم كلاما: أبو الحسن بن الضحاك في كتاب الشمائل وابن الجوزي في الوفاء بإسناد ضعيف من حديث بريدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفصح العرب وكان يتكلم بالكلام لا يدرون ماهو حتى يخبرهم

(٥) حديث أنا أفصح العرب : الطبراني في الكبير من حديث أبي سعيد الخدري أنا أعرب العرب وإسناده ضعيف و ك من حديث عمر قال قلت يارسول الله مابالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا ـ الحديث : وفي كتاب الرعد والمطر لابن أبي الدنيا في حديث مرسل أن أعرابيا قال للنبي صلى الله عليه وسلم مارأيت أفصح منك

(٦) حديث أن أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم ك من حديث ابن عباس وصححه كلام أهل الجنة عربي

(١) وكان نزر الكلام ، سمح المقالة ، إذا نطق ليس بهذار : وكان كلامه كخرزات نظمن قالت عائشة رضى الله عنها (٢) كان لا يسرد الكلام كسردكم هذا : كان كلامه نزرا ، وأنتم تنثرون الكلام نثرا ، قالوا (٣) وكان أوجز الناس كلاما ، وبذلك جاءه جبريل ، وكان مع الإيجاز يجمع كل ماأراد ، (٤) وكان يتكلم بجوامع الكلم ، لا فضول ولا تقصير ، كأنه يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف ، يحفظه سامعه ويعيه .

---

(١) حديث كان نزر الكلام سمح المقالة إذا نطق ليس بهذار وكان كلامه خرزات النظم : الطبرانى من حديث أم معبد وكان منطقه خرزات نظم ينحدرن حلو المنطق لانزر ولاهذر وقدتقدم وسيأتى فى حديث عائشة بعده كان إذا تكلم تكلم نزرا وفى الصحيحين من حديث عائشة كان يحدثنا حديثا لوعده العاد لأحصاه .

(٢) حديث عائشة كان لايسرد كسردكم هذا كان كلامه نزرا وأنتم تنثرونه نثرا: اتفق الشيخان على أول الحديث وأما الجملتان الأخيرتان فرواه الخلعى فى فوائده باسناد منقطع

(٣) حديث كان أوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل وكان مع الايجاز يجمع كل ماأراد: عبد بن حميد من حديث عمر بسند منقطع ولدارقطنى من حديث ابن عباس باسناد جيد أعطيت جوامع الكلم واختصر لى الحديث اختصارا وشطره الأول متفق عليه كما سيأتى قال خ بلغنى فى جوامع الكلم أن الله جمع له الأمور الكثيرة فى الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك وللحاكم من حديث عمر المتقدم كانت لغة إسماعيل قد درست فجاء بها جبريل فحفظنيها

(٤) حديث كان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كلام يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه : ت فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة بعثت بجوامع الكلم ولأبى داود من حديث جابر كان فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم ترتيل أو ترسيل وفيه شيخ لم يسم وله وللترمذى من حديث عائشة كان كلام النبى صلى الله عليه وسلم كلاما فصلا يفهمه كل من سمعه وقال ت يحفظه من جلس إليه وقال ت فى اليوم والليلة يحفظه من سمعه وإسناده حسن

(١) وكان جهير الصوت أحسن الناس نغمة

(٢) وكان طويل السكوت لا يتكلم فى غير حاجة (٣) ولا يقول المنكر، ولا يقول فى الرضا والغضب إلا الحق (٤) ويعرض عمن تكلم بغير جميل (٥) ويكنى عما اضطره الكلام إليه مما يكره (٦) وكان إذا سكت تكلم جلساؤه، ولا يتنازع عنده فى الحديث، (٧) ويعظ بالجد والنصيحه

---

(١) حديث كان جهير الصوت أحسن الناس نغمة: ت ن فى الكبرى من حديث صفوان بن عسال قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى سفر بينا نحن عنده إذ ناداه اعرابى بصوت له جهورى يامحمد فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم على نحو من صوته هاؤم ـ الحديث: وقال احمد فى مسنده وأجابه نحوا مما تكلم به ـ الحديث: وقد يؤخذ من هذا أنه صلى الله عليه وسلم كان جهورى الصوت ولم يكن يرفعه دائما وقد يقال لم يكن جهوري الصوت وإنما رفع صوته رفقا بالاعرابى حتي لا يكون صوته أرفع من صوته وهو الظاهر وللشيخين من حديث البراء ماسمعت أحدا أحسن صوتاً منه

(٢) حديث كان طويل السكوت لا يتكلم فى غير حاجة: ت فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة

(٣) حديث لايقول المنكر ولا يقول فى الرضى والغضب إلا الحق: د من حديث عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتنى قريش وقالوا تكتب كل شيء ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم فى الغضب والرضا فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأومأ بأصبعه إلى فيه وقال اكتب فوالذى نفسى بيده مايخرج منه إلا حق: رواه ك وصححه

(٤) حديث يعرض عمن تكلم بغير جميل: ت فى الشمائل من حديث على الطويل يتغافل عما لايشتهى الحديث

(٥) حديث يكنى عما اضطره الكلام مما يكره فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لامرأة رفاعة حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك رواه خ من حديث عائشة ومن ذلك ماتفقا عليه من حديثها فى المرأة التى سألته عن الاغتسال من الحيض خذى فرصة ممسكة فتطهرى بها ـ الحديث:

(٦) حديث كان إذا سكت تكلم جلساؤه ولايتنازع عنده فى الحديث: ت فى الشمائل فى حديث على الطويل

(٧) حديث يعظ بالجد والنصيحة م من حديث جابر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ـ الحديث:

ويقول[١] «لاَ تَضْرِبُوا الْقُرْءانَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ فَإِنَّهُ أُنْزِلَ عَلَى وُجُوهٍ»[٢] وكان أكثر الناس تبسما وضحكا فى وجوه أصحابه ، وتعجبا مما تحدثوا به ، وخلطا لنفسه بهم.[٣] ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه ،[٤] وكان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء به ، وتوقيرا له

قالوا[٥] ولقد جاءه أعرابى يوما ، وهو عليه السلام متغير اللون ينكره أصحابه ، فأراد أن يسأله فقالوا لا تفعل يا أعرابى ، فإنا ننكر لونه ، فقال دعونى فوالذى بعثه بالحق نبيا لا أدعه حتى يتبسم ، فقال يارسول الله بلغنا أن المسيح يعنى الدجال يأتى الناس بالثريد وقد هلكوا

---

(١) حديث لا تضربوا القرءان بعضه ببعض وانه أنزل على وجوه : الطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو باسناد حسن أن القرءان يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض وفى رواية للهروى فى ذم الكلام أن القرءان لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض وفى رواية له أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض وفى الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب ان هذا القرءان أنزل على سبعة أحرف

(٢) حديث كان أكثر الناس تبسما وضحكا فى وجوه أصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخلطا لنفسه بهم : ت من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء مارأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الصحيحين من حديث جرير ولا رآنى الا تبسم و ت فى الشمائل من حديث على يضحك مما تضحكون منه ويتعجب مما تعجبون منه وم من حديث جابر بن سمرة كانوا يتحدثون فى أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم

(٣) حديث ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه : متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود فى قصة آخر من يخرج من النار وفى قصة الحبر الذى قال إن الله يضع السموات على أصبع ومن حديث أبى هريرة فى قصة المجامع فى رمضان وغير ذلك

(٤) حديث كان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا له ت فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة فى أثناء حديثه الطويل جل ضحكه التبسم

(٥) حديث جاءه اعرابى يوما وهو متغير ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا لا تفعل يا أعرابى فانا ننكر لونه فقال دعونى والذى بعثه بالحق نبيا لا أدعه حتى يتبسم فقال يارسول الله بلغنا ان المسيح الدجال يأتى الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا ـ الحديث : وهو حديث منكر لم أقف له على أصل ويرده قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث المغيرة بن شعبة المتفق عليه حين سأله انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك وفى رواية لمسلم انهم يقولون ان معه جبالا من خبز ولحم ـ الحديث : نعم فى حديث حذيفة وأبى مسعود المتفق عليهما ان معه ماء ونارا ـ الحديث :

جوعا ، أفترى لى بابى أنت وأمى أن أكف عن ثريده ، تعففا وتنزها ، حتى أهلك هزالا أم أضرب فى ثريده حتى إذا تضلعت شبعا آمنت بالله وكفرت به ، قالوا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، ثم قال لا بل يغنيك الله بما يغنى به المؤمنين

قالوا [١] وكان من أكثر الناس تبسما ،وأطيبهم نفسا ،مالم ينزل عليه قرءان ، أو يذكر الساعة ، أو يخطب بخطبة عظة ،

[٢] وكان إذا سر ورضى فهو أحسن الناس رضا ، فإن وعظ وعظ بجد، وإن غضب وليس يغضب إلا لله لم يقم لغضبه شيء ، وكذلك كان فى أموره كلها

وكان إذا نزل به الأمر فوض الأمر إلى الله ، وتبرأ من الحول والقوة :واستنزل الهدى فيقول «اللَّهُمَّ [٣] أَرِنِي الْحَقَّ حَقًّا فَأَتَّبِعَهُ وَأَرِنِي الْمُنْكَرَ مُنْكَرًا وَارْزُقْنِي اجْتِنَابَهُ وَأَعِذْنِي

---

(١) حديث كان من أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا ما لم يتزل عليه القرءان أو يذكر الساعة أو يخطب بخطبة عظة تقدم حديث عبد الله بن الحارث ما رأيت أحدا أكثر تبسما منه وللطبرانى فى مكارم الأخلاق من حديث جابر كان إذا نزل عليه الوحى قلت نزير قوم فاذا سرى عنه فأكثر الناس ضحكا ـ الحديث : ولأحمد من حديث على أو الزبير كان يخطب فيذكر بأيام الله حتى يعرف ذلك فى وجهه وكأنه نذير قوم يصبحهم الأمر غدوة وكان إذا كان جديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه ورواه أبو يعلى من حديث الزبير من غير شك وللحاكم من حديث جابر كان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه وهو عند مسلم بلفظ كان إذا خطب

(٢) حديث كان إذا سر ورضى فهو أحسن الناس رضا وإن وعظ وعظ بجد وان غضب ولا يغضب إلا الله لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان فى أموره كلها أبو الشيخ ابن حيان فى كتاب أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف غضبه ورضاه بوجهه كان إذا رضى فكأنما ملاحك الجدر وجهه واسناده ضعيف والمراد به المرآة توضع فى الشمس فيرى ضوءها على الجدار وللشيخين من حديث كعب بن مالك قال وهو يبرق وجهه من السرور وفيه وكان إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه الحديث : وم كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه ـ الحديث : وقد تقدم وت فى الشمائل فى حديث هند بن أبى هالة لا تغضبه الدنيا وما كان منها فاذى تعدى الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وقد تقدم

(٣) حديث كان يقول اللهم أرنى الحق حقا فاتبعه وأرنى المنكر منكرا وارزقنى اجتنابه وأعذنى من أن يشتبه على فاتبع هواى بغير هدى منك واجعل هواى تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسى فى عافية واهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم لم أقف لأوله على أصل وروى المستغفرى فى الدعوات من حديث أبى هريرة كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول اللهم إنك سألتنا من أنفسنا مالا نملكه إلا بك فأعطنا ما يرضيك عنا وم من حديث عائشة فيما كان يفتتح به صلاته من الليل اهدنى لما اختلف فيه إلى آخر الحديث

مِنْ أَنْ يَشْتَبِهَ عَلَيَّ فَأَتَّبِعَ هَوَايَ بِغَيْرِ هُدًى مِنْكَ وَاجْعَلْ هَوَايَ تَبَعًا لِطَاعَتِكَ وَخُذْ رِضَا نَفْسِكَ مِنْ نَفْسِي فِي عَافِيَةٍ وَاهْدِنِي لِمَا أَخْتَلِفُ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »

بيان أخلاقه وآدابه في الطعام

(١) وكان صلى الله عليه وسلم يأكل ما وجد

(٢) وكان أحب الطعام اليه ما كان على ضفف ، والضفف ما كثرت عليه الأيدى

(٣) وكان إذا وضعت المائدة قال « بِسْمِ اللهِ اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا نِعْمَةً مَشْكُورَةً تَصِلُ بِهَا نِعْمَةَ الْجَنَّةِ »

(٤) وكان كثيرا إذا جلس يأكل ، يجمع بين ركبتيه وبين قدميه ، كما يجلس المصلى

﴿ بيان أخلاقه وآدابه فى الطعام ﴾

(١) حديث كان يأكل ماوجد : تقدم

(٢) حديث كان أحب الطعام إليه ما كان على ضفف أى كثرت عليه الأيدى : أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط وابن عدى فى الكامل من حديث جابر بسند حسن أحب الطعام الى الله ما كثرت عليه الأيدى ولأبى يعلى من حديث أنس لم يجتمع له غداء وعشاء خبز ولحم الا على ضفف واسناده ضعيف

(٣) حديث كان اذا وضعت المائدة قال بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة * أما التسمية فرواها ن من رواية من خدم النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرب اليه طعا ما يقول بسم الله ـ الحديث : واسناده صحيح وأما بقية الحديث فلم أجده

(٤) حديث كان كثيرا إذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وقدميه كما يفعل المصلى الا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد * عبد الرزاق فى المصنف من رواية أيوب معضلا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أكل أحفز وقال آكل كما يأكل العبد ـ الحديث : وروى ابن الضحاك فى الشمائل من حديث أنس بسند ضعيف كان اذا قعد على الطعام استفوز على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأفعل كما يفعل العبد وروى أبو الشيخ فى أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم بسند حسن من حديث أبى بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجثو على ركبتيه وكان لا يتكيء أورده فى صفة أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وللبزار من حديث ابن عمر انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ولأبى يعلى من حديث عائشة آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وسندهما ضعيف

إلا أن الركبة تكون فوق الركبة ، والقدم فوق القدم ويقول « إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ » (١) وكان لا يأكل الحار ويقول « إِنَّهُ غَيْرُ ذِي بَرَكَةٍ وَإِنَّ اللهَ لَمْ يُطْعِمْنَا نَارًا فَأَبْرِدُوهُ » (٢) وكان يأكل مما يليه (٣) ويأكل بأصابعه الثلاث (٤) وربما استعان بالرابعة ، (٥) ولم يأكل بأصبعين ويقول « إِنَّ ذَلِكَ أَكْلَةُ الشَّيْطَانِ »

---

(١) حديث كان لا يأكل الحار ويقول إنه غير ذى بركة وإن الله لم يطعمنا نارا : البيهقى من حديث أبى هريرة باسناد صحيح أتى النبى صلى الله عليه وسلم يوما بطعام سخن فقال مادخل بطنى طعام سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم ولأحمد باسناد جيد والطبرانى والبيهقي فى الشعب من حديث خولة بنت قيس وقدمت له حريرة فوضع يده فيها فوجدحرها فقبضها لفظ الطبرانى والبيهقى وقال أحمد فأحرقت أصابعه فقال حسن وللطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة ابردوا الطعام فان الطعام الحار غير ذى بركة وله فيه وفى الصغير من حديثه أتى بصحفة تفور فرفع يده منها وقال إن الله لم يطعمنا نارا وكلاهما ضعيف

(٢) حديث كان يأكل مما يليه : أبو الشيخ ابن حبان من حديث عائشة وفى اسناده رجل لم يسم وسماه فى رواية له وكذلك البيهقى فى روايته فى الشعب عبيد بن القاسم نسيب سفيان الثورى وقال البيهقى تفرد به عبيد هذا وقد رماه ابن معين بالكذب ولأبى الشيخ من حديث عبد الله ابن جعفر نحوه

(٣) حديث أكله بأصابعه الثلاث : م من حديث كعب بن مالك

(٤) حديث استعانته بالرابعة: رويناه فى الغيلانيات من حديث عامر بن ربيعة وفيه القاسم بن عبد الله العمرى هالك وفى مصنف ابن أبى شيبة من رواية الزهرى مرسلا كان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل بالخمس

(٥) حديث لم يأكل بأصبعين ويقول إن ذلك أكلة الشيطان : الدارقطنى فى الأفراد من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف لا تأكل بإصبع فانه أكل الملوك ولا تأكل بأصبعين فانه أكل الشياطين ـ الحديث

(١) وجاءه عثمان بن عفان رضى الله عنه بفالوذج ، فأكل منه ، وقال ماهذا ياأباعبد الله؟ قال : بأبى أنت وأمى ، نجعل السمن والعسل فى البرمة ، ونضعها عن النار ، ثم نغليه ، ثم نأخذ مخ الحنطة إذا طحنت : فنقليه على السمن ، والعسل فى البرمة ، ثم نسوطه حتى ينضج فيأتى كما ترى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ هَذَا الطَّعَامَ طَيِّبٌ »

(٢) وكان يأكل خبز الشعير غير منخول

(٣) وكان يأكل القثاء بالرطب (٤) وبالملح

(٥) وكان أحب الفواكه الرطبة إليه البطيخ والعنب

---

(١) حديث جاء عثمان بن عفان بفالوذج ـ الحديث : قلت المعروف ان الذى صنعه عثمان الخبيص رواه البيهقى فى الشعب من حديث ليث بن أبى سليم قال إن أول من خبص الخبيص عثمان بن عفان قدمت عليه عير تحمل النقى والعسل ـ الحديث : وقال هذا منقطع وروى الطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث عبد الله بن سلام أقبل عثمان ومعه راحلة عليها غرارتان وفيه فاذا دقيق وسمن وعسل وفيه ثم قال لأصحابه كلوا هذا الذى تسميه فارس الخبيص وأما خبر الفالوذج فرواه ه باسناد ضعيف من حديث ابن عباس قال أول ماسمعنا بالفالوذج أن جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال إن أمتك تفتح عليهم الأرض ويفاض عليهم من لدنيا حتى أنهم ليأكلون الفالوذج قال النبى صلى الله عليه وسلم وما الفالوذج قال يخلطون السمن والعسل جميعا قال ابن الجوزى فى الموضوعات هذا حديث باطل لاأصل له

(٢) حديث كان يأكل خبز الشعير غير منخول : البخارى من حديث سهل بن سعد

(٣) حديث كان يأكل القثاء بالرطب : متفق عليه من حديث عبد الله بن جعفر

(٤) حديث كان يأكل القثاء بالملح : أبو الشيخ من حديث عائشة وفيه يحيى بن هاشم كذبه ابن معين وغيره ورواه ابن عدى وفيه عباد بن كثير متروك

(٥) حديث كان أحب الفاكهة الرطبة إليه البطيخ والعنب : أبو نعيم فى الطب النبوى من رواية أمية بن زيد العبسى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحب من الفاكهة العنب والبطيخ وروى أبو الشيخ وابن عدى فى الكامل والطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب من حديث أنس كان يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره ويأكل الرطب بالبطيخ وكان أحب الفاكهة إليه فيه يوسف ابن عطية الصفار مجمع على ضعفه وروى ابن عدى من حديث عائشة كان أحب الفاكهة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرطب والبطيخ وله من حديث آخر لها فان خير الفاكهة العنب وكلاهما ضعيف

(١) وكان يأكل البطيخ بالخبز وبالسكر ، (٢) وربما أكله بالرطب (٣) ويستعين باليدين جميعا، وأكل يوما الرطب فى يمينه وكان يحفظ النوى فى يساره ، فمرت شاة فأشار إليها بالنوى ، فجعلت تأكل من كفه اليسرى ، وهو يأكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة (٤) وكان ربما أكل العنب خرطا ، يرى زؤانه على لحيته كحرز اللؤلؤ ، (٥) وكان أكثر طعامه الماء والتمر ، (٦) وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الأطيبين

---

(١) حديث كان يأكل البطيخ بالخبز والسكر: أما أكل البطيخ بالخبز فلم أره وإنما وجدت أكل العنب بالخبز فيما رواه ابن عدى من حديث عائشة مرفوعا عليكم بالمرازمة قيل يارسول الله وما المرازمة قال أكل الخبز مع العنب فان خير الفاكهة العنب وخير الطعام الخبز وإسناده ضعيف واما أكل البطيخ بالسكر فان أريد بالسكر نوع من التمر والرطب مشهور فهو الحديث الآتى بعده وإن أريد به السكر الذى هو الطبرزذ فلم أر له أصلا إلا فى حديث منكر معضل رواه أبو عمر النوقانى فى كتاب البطيخ من رواية محمد بن على بن الحسين أن النبي صلى الله عليه وسلم أكل بطيخا بسكر وفيه موسى ابن ابراهيم المروزى كذبه يحيى بن معين

(٢) حديث أكل البطيخ بالرطب : ت ن من حديث عائشة وحسنه ت و هـ من حديث سهل بن سعد كان يأكل الرطب بالبطيخ وهو عند الدارمى بلفظ البطيخ بالرطب

(٣) حديث استعانته باليدين جميعا فأكل يوما الرطب فى يمينه وكان يحفظ النوى فى يساره فمرت شاة فأشار اليها بالنوى فجعلت تأكل من كفه اليسرى وهو يأكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة أما استعانته بيديه جميعا فرواه أحمد من حديث عبد الله بن جعفر قال آخر ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى احدى يديه رطبات وفى الأخرى قثاء يأكل من هذه وبعض من هذه وتقدم حديث أنس فى أكله بيديه قبل هذا بثلاثة أحاديث وأما قصته مع الشاة: فرويناها فى فوائد أبى بكر الشافعى من حديث أنس باسناد ضعيف

(٤) حديث ربما أكل العنب خرطا ـ الحديث: ابن عدى فى الكامل من حديث العباس والعقيلى فى الضعفاء من حديث ابن عباس هكذا مختصرا وكلاهما ضعيف

(٥) حديث كان أكثر طعامه الماء والتمر: خ من حديث عائشة توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شبعنا من الأسودين التمر والماء .

(٦) حديث كان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الأطيبين :أحمد من رواية اسماعيل بن أبى خالد عن أبيه قال دخلت على رجل وهو يجمع لبنا بتمر وقال اذن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها الأطيبين ورجاله ثقات وابهامه لا يضر

(١) وكان أحب الطعام إليه اللحم ويقول « هُوَ يَزِيدُ فِي السَّمْعِ وَهُوَ سَيِّدُ الطَّعَامِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَوْ سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُطْعِمَنِيهِ كُلَّ يَوْمٍ لَفَعَلَ » (٢) وكان يأكل الثريد باللحم والقرع (٣) وكان يحب القرع ويقول « إِنَّهَا شَجَرَةُ أَخِي يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ » قالت عائشة رضى الله عنها (٤) وكان يقول « يَا عَائِشَةُ إِذَا طَبَخْتُمْ قِدْراً فَأَكْثِرُوا فِيهَا مِنَ الدُّبَّاءِ فَإِنَّهُ يَشُدُّ قَلْبَ الْحَزِينِ » (٥) وكان يأكل لحم الطير الذى يصاد (٦) وكان لا يتبعه ولا يصيده ، ويحب أن يصاد له ويؤتى به فيأكله

---

(١) حديث كان أحب الطعام إليه اللحم ويقول هو يزيد فى السمع وهو سيد الطعام فى الدنيا والآخرة ولو سألت ربى أن يطعمنيه كل يوم لفعل : أبو الشيخ من رواية ابن سمعان قال سمعت من علمائنا يقولون كان أحب الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم : الحديث و ت فى الشمائل من حديث جابر أتانا النبي صلى الله عليه وسلم فى منزلنا فذبحنا له شاة فقال كلهم علموا أنا نحب اللحم وإسناده صحيح و ه من حديث أبى الدرداء باسناد ضعيف سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم

(٢) حديث كان يأكل الثريد باللحم والقرع : م من حديث أنس

(٣) حديث كان يحب القرع ويقول أنها شجرة أخى يونس : ن ه من حديث أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب القرع وقال ن الدبا وهو عند م بلفظ تعجبه وروى ابن مردويه فى تفسيره من حديث أبى هريرة فى قصة يونس فلفظته فى أصل شجرة وهى الدباء

(٤) حديث ياعائشة إذا طبختم قدرا فأكثروا فيها من لدباء فانها تشد قلب الحزين . رويناه فى فوائد أبى بكر الشافعى

(٥) حديث كان يأكل لحم الطير الذى يصاد : ت من حديث أنس قال كان عند النبي صلى الله عليه وسلم طير فقال اللهم ائتنى بأحب الخلق إليك يأكل معى هذا الطير فجاء علي فأكل معه قال حديث غريب قلت وله طرق كلها ضعيفة وروى د ت واستغربه من حديث سفينة قال أكلت مع النبي صلى الله عليه وسلم لحم حبارى

(٦) حديث كان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له فيؤتى به فيأكله : قلت هذا هو الظاهر من أحواله فقد قال من تبع الصيد غفل رواه د ن ت من حديث ابن عباس وقال حسن غريب وأما حديث صفوان بن أمية عند الطبرانى قد كانت فيلى لله رسل كلهم يصطاد ويطلب الصيد فهو ضعيف جدا

(١) وكان إذا أكل اللحم لم يطأطىء رأسه إليه ويرفعه إلى فيه رفعا ثم ينتهشه انتهاشا (٢) وكان يأكل الخبز والسمن (٣) وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ، ومن القدر الدباء ، ومن الصباغ الخل ، ومن التمر العجوة (٤) ودعا فى العجوة بالبركة ، وقال هى من الجنة ، وشفاء من السم والسحر

---

(١) حديث كان إذا أكل اللحم لم يطاطىء رأسه إليه ورفعه إلى فيه رفعا ثم نهشه: د من حديث صفوان ابن أمية قال كنت آكل مع النبي صلى الله عليه وسلم فآخذ اللحم من العظم فقال ادن اللحم من فيك فانه أهنى وامرأ و ت من حديثه انهش اللحم نهشا فانه أهنى وأمرأ وهو منقطع والذى قبله منقطع أيضا وللشيخين من حديث أبى هريرة فتناول الذراع فنهش منها نهشة ـ الحديث

(٢) حديث كان يأكل الخبز والسمن: متفق عليه من حديث أنس فى قصة طويلة فيها فاتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت أم سليم عكة فآدمته ـ الحديث : وفيه ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم وفى رواية هـ فصنعت فيها شيئا من سمن ولا يصح و د هـ من حديث ابن عمر وددت أن عندى خبزة بيضاء من بر سمراء ملبقة بسمن ـ الحديث : قال د منكر

(٣) حديث كان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن القدر الدباء ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة : وروى الشيخان من حديث أبى هريرة قال وضعت بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم قصعة من ثريد ولحم فتناول الذراع وكانت أحب الشاة إليه ـ الحديث : وروى أبو الشيخ من حديث ابن عباس كان أحب اللحم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتف وإسناده ضعيف ومن حديث أبى هريرة ولم يكن يعجبه من الشاة إلا الكتف وتقدم حديث أنس كان يحب الدباء قبل هذا بستة أحاديث ولأبى الشيخ من حديث أنس كان أحب الطعام إليه الدباء وله من حديث ابن عباس باسناد ضعيف كان أحب الصباغ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخل وله بالأسناد المذكور كان أحب التمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العجوة

(٤) حديث دعا فى العجوة بالبركة وقال هى من الجنة وشفاء من السم والسحر: البزار والطبرانى فى الكبير من حديث عبد الله بن الاسود قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد سدوس فاهدينا له تمراً وفيه حتى ذكرنا تمر أهلنا هذا الجذامى فقال بارك الله فى الجذامى وفى حديقه خرج هذا منها ـ الحديث : قال أبو موسى المدينى قيل هو تمر أحمر وت ن هـ من حديث أبى هريرة العجوة من الجنة وهى شفاء من السم وفى الصحيحين من حديث سعد بن أبى وقاص من تصبح سبع تمرات من عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر

(١) وكان يحب من البقول الهندباء ، والبذاروج والبقلة الحمقاء التي يقال لها الرجلة

(٢) وكان يكره الكليتين لمكانهما من البول

(٣) وكان لا يأكل من الشاة سبعا ، الذكر ، والانثيين ، والمثانة والمرارة ، والغدد والحيا والدم ، ويكره ذلك

(٤) وكان لا يأكل الثوم ، ولا البصل ، ولا الكراث (٥) وما ذم طعاما قط لكن إن أعجبه أكله ، وإن كرهه تركه ، وإن عافه لم يبغضه إلى غيره

---

(١) حديث يحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء التي يقال لها الرجلة : أبو نعيم في الطب النبوي من حديث ابن عباس عليكم بالهندباء فانه ما يوم الا ويقطر عليه قطرة من قطر الجنة وله من حديث الحسن بن علي وأنس بن مالك نحوه وكلها ضعيفة وأما الباذروج فلم أجد فيه حديثا وأما الرجلة فروى أبو نعيم من رواية ثور قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بالرجلة وفي رجله قرحة فداواها بها فبرئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله فيك أنبتي حيث شئت فأنت شفاء من سبعين داء أدناه الصداع وهذا مرسل ضعيف

(٢) حديث كان يكره الكليتين لمكانهما من البول: رويناه في جزء من حديث أبي بكر بن محمد بن عبيدالله بن الشخير من حديث ابن عباس بأسناد ضعيف فيه أبو سعيد الحسن بن علي العدوي أحد الكذابين

(٣) حديث كان لا يأكل من الشاة الذكر والانثيين والمثانه والمرارة والغدة والحيا والدم : ابن عدي ومن طريقه البيهقي من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ورواه البيهقي من رواية مجاهد مرسلا

(٤) حديث كان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث :مالك في الموطأ عن الزهري عن سليمان بن يسار مرسلا ووصله الدار قطني في غرائب مالك عن الزهري عن أنس وفي الصحيحين من حديث جابر أتي بقدر فيه خضرات من بقول فوجد لها ريحا ــ الحديث:وفيه قال فاني أناجي من لا تناجي ولمسلم من حديث أبي أيوب في قصة بعثه إليه بطعام فيه ثوم فلم يأكل منه وقال إني أكرهه من أجل ريحه

(٥) حديث ماذم طعاما قط لكن ان أعجبه أكله وان كرهه تركه وان عافه لم يبغضه إلى غيره : تقدم أول الحديث : وفي الصحيحين من حديث ابن عمر في قصة الضب فقال كلوا فانه ليس بحرام ولا بأس به ولكنه ليس من طعام قومي

(١) وكان يعاف الضب ، والطحال ولا يحرمها

(٢) وكان يلعق بأصابعه الصحفة ويقول « آخِرُ الطَّعَامِ أَكْثَرُ بَرَكَةً »

(٣) وكان يلعق أصابعه من الطعام حتى تحمر

(٤) وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه واحدة واحدة ، ويقول إنه لايدرى فى أى الطعام البركة (٥) وإذا فرغ قال « الْحَمْدُ لِلّٰهِ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَطْعَمْتَ فَأَشْبَعْتَ وَسَقَيْتَ فَأَرْوَيْتَ لَكَ الْحَمْدُ غَيْرَ مَكْفُورٍ وَلاَ مُوَدَّعٍ وَلاَ مُسْتَغْنًى عَنْهُ » (٦) وكان إذا أكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلاً جيداً ، ثم يمسح بفضل الماء على وجهه

---

(١) حديث كان يعاف الضب والطحال ولا يحرمها : أما الضب فى الصحيحين عن ابن عباس لم يكن بأرض قومى فاجدنى أعافه ولهما من حديث ابن عمر أحلت لنا ميتتان ودمان وفيه أما الدمان فالكبد والطحال وللبيهقى موقوفا على زيد بن ثابت انى لآكل الطحال وما بى إليه حاجة الا ليعلم أهلى انه لا باس به

(٢) حديث كان يلعق الصحفة ويقول آخر الطعام أكثر بركة : البيهقى فى شعب الايمان من حديث جابر فى حديث قال فيه ولا ترفع القصعة حتى تلعقها أو تلعقها فان آخر الطعام فيه البركة و م من حديث أنس أمرنا أن نسلت الصحفة وقال ان أحدكم لايدرى أى طعامه يبارك له فيه

(٣) حديث كان يلعق أصابعه من الطعام حتى تحمر م من حديث كعب بن مالك دون قوله حتى تحمر فلم أقف له على أصل

(٤) حديث كان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه واحدة واحدة ويقول انه لايدرى فى أى أصابعه البركة : م من حديث كعب بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان لايمسح يده حتى يلعقها وله من حديث جابر فاذا فرغ فليلعق أصابعه فانه لايدري فى أى طعامه تكون البركة وللبيهقى فى الشعب من حديثه لا يمسح أحدكم يده بالمنديل حتى يلعق يده فان الرجل لايدرى فى أى طعامه يبارك له فيه

(٥) حديث وإذا فرغ قال اللهم لك الحمد أطعمت وأشبعت وسقيت وأرويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه : الطبرانى من حديث الحرث بن الحارث بسند ضعيف وللبخارى من حديث أبى أمامة كان إذا فرغ من طعامه قال الحمد لله الذى كفانا وآوانا غير مكفى ولا مكفور وقال مرة الحمد لله ربنا غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا

(٦) حديث كان إذا أكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلا جيدا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه أبو يعلى من حديث ابن عمر باسناد ضعيف من أكل من هذه اللحوم شيئا فليغسل يده من ريح وضره لايؤذى من حذاءه

(١) وكان يشرب فى ثلاث دفعات ، وله فيها ثلاث تسميات، وفى أواخرها ثلاث تحميدات

(٢) وكان يمص الماء مصا ، ولا يعب عبا

(٣) وكان يدفع فضل سؤره إلى من على يمينه (٤) فإن كان من على يساره أجل رتبة قال للذى على يمينه ، السنة أن تعطى فإن أحببت آثرتهم (٥) وربما كان يشرب بنفس واحد حتى يفرغ (٦) وكان لا يتنفس فى الإناء بل ينحرف عنه (٧) وأتى بإناء فيه عسل ولبن فأبى أن يشربه ، وقال شربتان فى شربة ، وإدامان فى إناء واحد ، ثم قال صلى الله عليه وسلم «لاَ أُحَرِّمُهُ وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْفَخْرَ وَالْحِسَابَ بِفُضُولِ الدُّنْيَا غَداً وَأُحِبُّ التَّوَاضُعَ فَإِنَّ مَنْ تَوَاضَعَ لِلّهِ رَفَعَهُ اللّهُ»

---

(١) حديث كان يشرب فى ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات وفى آخرها ثلاث تحميدات : الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة ورجاله ثقات وم من حديث أنس كان إذا شرب تنفس ثلاثا

(٢) حديث كان يمص الماء مصا ولا يعبه عبا: البغوى والطبرانى وابن عدى وابن قانع وابن منده وأبو نعيم فى الصحابة من حديث بهز كان يستاك عرضا ويشرب مصا وللطبرانى من حديث أم سلمة كان لا يعب ولأبى الشيخ من حديث ميمونة لا يعب ولا يلهث وكلها ضعيفة

(٣) حديث كان يدفع فضل سؤره إلى من عن يمينه : متفق عليه من حديث أنس

(٤) حديث استئذانه من على يمنه إذا كان على يساره أجل رتبة : متفق عليه من حديث سهل بن سعد

(٥) حديث شربه بنفس واحد: أبو الشيخ من حديث زيد بن أرقم باسناد ضعيف وللحاكم من حديث أبى قتادة وصححه إذا شرب أحدكم فليشرب بنفس واحد ولعل تأويل هذين الحديثين على ترك التنفس فى الاناء والله أعلم

(٦) حديث كان لا يتنفس فى الاناء حتى ينحرف عنه : ك من حديث أبى هريره ولا يتنفس أحدكم فى الاناء إذا شرب منه ولكن اذا أراد أن يتنفس فليؤخره عنه ثم ليتنفس وقال حديث صحيح الاسناد

(٧) حديث أتى باناء فيه عسل وماء فأبى أن يشربه وقال شربتان فى شربة وادامان فى اناء واحد الحديث: البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله شربتان فى شربة إلى آخره وسنده ضعيف

(١) وكان في بيته أشد حياء من العاتق ، لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه عليهم ، إن أطعموه أكل ، وما أعطوه قبل ، وما سقوه شرب ، (٢) وكان ربما قام فأخذ ما يأكل بنفسه أو يشرب

بيان آدابه وأخلاقه في اللباس

(٣) كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ماوجد من إزار ، او رداء ، أو قميص أوجبة

---

(١) حديث كان في بيته أشد حياء من العاتق لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه عليهم إن أطعموه أكل وماأطعموه قبل وما سقوه شرب :الشيخان من حديث أبي سعيد كان أشد حياء من العذراء في خدرها ـ الحديث: وقد تقدم وأما كونه كان لا يسألهم طعاما فانه أراد أي طعام بعينه من حديث عائشة انه قال ذات يوم ياعائشة هل عندكم شيء قالت فقلت ماعندنا شيء ـ الحديث : وفيه فلما رجع قلت أهديت لنا هدية قال ماهو قلت حيس قال هاتيه وفي رواية قريبة وفي رواية للنسائي أصبح عندكم شيء تطعميه ولابي داود هل عندكم طعام و ت أعندك غداء وفي الصحيحين من حديث عائشة فدعا بطعام فأتي بخبز وأدم من أدم البيت فقال ألم أر برمة على النار فيها لحم ـ الحديث وفي رواية لمسلم لو صنعتم لنا من هذا اللحم ـ الحديث : فليس في قصة بريرة الا الاستفهام والرضا والحكمة فيه بيان الحكم لا التشهي والله اعلم وللشيخين من حديث ام الفضل انها ارسلت اليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره فشربه ولأبي داود من حديث ام هانيء فجاءت الوليدة باناء فيه شراب فتناوله فشرب منه واسناده حسن

(٢) حديث وكان ربما قام فأخذ مايأكل أو يشرب بنفسه : د من حديث أم المنذر بنت قيس دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب ومعه علي وعلى ناقه ولنا دوال معلقة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكل منها ـ الحديث : وإسناده حسن وللترمذي وصححه وابن ماجه من حديث كبشة دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب من في قربة معلقة قائما ـ الحديث

﴿ بيان أخلاقه وآدابه في اللباس ﴾

(٣) حديث كان يلبس من الثياب ماوجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك : الشيخان من حديث عائشة انها اخرجت ازارا مما يصنع باليمن وكساء من هذه الملبدة فقالت في هذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية إزارا غليظا ولهما من حديث انس كنت امشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية ـ الحديث : لفظ مسلم وقال خ برد نجراني و ه بسند ضعيف من حديث ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قميصا قصير اليدين والطول و د ت وحسنه و ن من حديث ام سلمة كان احب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص ولأبي داود من حديث اسماء بنت يزيد كانت يد قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرسغ وفيه شهر بن حوشب مختلف فيه وتقدم قبل هذا حديث الجبة والشملة والحبرة

أو غير ذلك ، وكان يعجبه الثياب الخضر [١] وكان أكثر لباسه البياض ، ويقول « أَلْبِسُوهَا أَحْيَاءَكُمْ وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ [٢] » وكان يلبس القباء المحشو للحرب وغير الحرب [٣] وكان له قباء سندس فيلبسه ، فتحسن خضرته على بياض لونه [٤] وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ، ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق

---

(١) حديث كان اكثر لباسه البياض ويقول البسوها احياءكم وكفنوا فيها موتاكم : هك من حديث ابن عباس خير ثيابكم البياض فالبسوها احياءكم وكفنوا فيها موتاكم قال ك صحيح الاسناد وله ولأصحاب السنن من حديث سمرة عليكم بهذه الثياب البياض فليلبسها احياؤكم وكفنوا فيها موتاكم لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وقال ت حسن صحيح

(٢) حديث كان يلبس القباء المحشو للحرب وغير المحشو : الشيخان من حديث المسور بن مخرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه اقبية من ديباج مزرر بالذهب ـ الحديث : وليس في طرق الحديث لبسها إلا في طريق علقها خ قال فخرج وعليه قباء من ديباج مزرر بالذهب ـ الحديث : وم من حديث جابر لبس النبي صلى الله عليه وسلم يوما قباء من ديباج اهدي له ثم نزعه ـ الحديث

(٣) حديث كان له قباء سندس فيلبسه ـ الحديث : احمد من حديث انس ان أكيدر دومة أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم جبة سندس او ديباج قبل ان ينهى عن الحرير فلبسها والحديث في الصحيحين وليس فيه انه لبسها وقال فيه وكان ينهى عن الحرير وعند ت وصححه ن انه لبسها ولكنه قال بجبة ديباج منسوجة فيها الذهب

(٤) حديث كان ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الأزار فوق ذلك إلى نصف الساق : ابو الفضل محمد بن طاهر في كتاب صفوة التصوف من حديث عبد الله بن بسر كانت ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم ازارة فوق الكعبين وقميصه فوق ذلك ورداؤه فوق ذلك واسناده ضعيف و ك وصححه من حديث ابن عباس كان يلبس قميصا فوق الكعبين ـ الحديث : وهو عنده بلفظ قميصا قصير اليدين والطول وعندهما و ت في الشمائل من رواية الأشعث قال سمعت عمتي تحدث عن عمها فذكر النبي صلى الله عليه وسلم وفيه فاذا ازاره الى نصف ساقه ورواه ن وسمى الصحابي عبيد بن خالد واسم عمه الأشعث وهم بيت الأسود ولا يعرف

(١) وكان قميصه مشدود الأزرار ، وربما حل الأزرار فى الصلاة وغيرها

(٢) وكانت له ملحفة مصبوغة بالزعفران ، وربما صلى بالناس فيها وحدها (٣) وربما لبس الكساء وحده ما عليه غيره

(٤) وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول « إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ أَلْبَسُ كَمَا يَلْبَسُ الْعَبْدُ »

(٥) وكان له ثوبان لجمعته خاصة ، سوى ثيابه فى غير الجمعة

---

(١) حديث كان قميصه مشدود الازرار وربما حل الازرار فى الصلاة وغيرها: د هـ ت فى الشمائل من رواية معاوية بن قرة بن اياس عن ابيه قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم فى رهط من مزينة وبايعناه وان قميصه لمطلق الأزرار وللبيهقى من رواية زيد بن اسلم قال رايت ابن عمر يصلى محلولة ازراره فسالته عن ذلك فقال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وفى العلل للترمذى انه سال خ عن هذا الحديث فقال انا القى هذا الشيخ كان حديثه موضوع يعنى زهير بن محمد راويه عن زيد بن اسلم قلت تابعه عليه الوليد ابن مسلم عن زيد رواه ابن خزيمة فى صحيحه وللطبرانى من حديث ابن عباس باسناد ضعيف دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى محتبيا محلل الازرار

(٢) حديث كان له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها : د ت من حديث قيلة بنت مخرمة قالت رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وعليه اسمال ملاءتين كانتا بزعفران قال ت لانعرفه إلا من عبد الله بن حسان قلت ورواته موثقون و د من حديث قيس بن سعد فاغتسل ثم ناوله أبى سعد ملحفة مصبوغة بزعفران أو ورس فاشتمل بها الحديث ورجاله ثقات

(٣) حديث ربما لبس الكساء وحده ليس عليه غيره : هـ وابن خزيمة من حديث ثابت بن الصامت أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى بنى عبد الأشهل وعليه كساء متلفف به الحديث وفى رواية البزار فى كساء

(٤) حديث كان له كساء ملبد يلبسه ويقول أنا عبد ألبس كما يلبس العبد: الشيخان من رواية أبى بردة قال أخرجت الينا عائشة كساء ملبدا وإزارا غليظا فقالت فى هذين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وللبخارى من حديث عمر انما أنا عبد ولعبد الرزاق فى المصنف من رواية أيوب السختيانى مرفوعا معضلا انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وتقدم من حديث أنس وابن عمر وعائشة متصلا

(٥) حديث كان له ثوبان لجمعته خاصة ـ الحديث: الطبرانى فى الصغير والأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف زاد فاذا انصرف طويناهما إلى مثله ويرده حديث عائشة عند ابن ماجه ما رأيته يسب أحدا ولا يطوى له ثوب

(١) وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره ، ويعقد طرفيه بين كتفيه ، (٢) وربما أمّ به الناس على الجنائز (٣) ، وربما صلى فى بيته فى الإزار الواحد ملتحفا به ، مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الإزار الذى جامع فيه يومئذ ، (٤) وكان ربما صلى بالليل فى الازار ، ويرتدى ببعض الثوب مما يلى هدبه ، ويلقى البقية على بعض نسائه ، فيصلى كذلك

(٥) ولقد كان له كساء أسود فوهبه ، فقالت له أم سلمة بأبى أنت وأمى ، مافعل ذلك الكساء الأسود ؟ فقال كسوته ؟ مارأيت شيئا قط كان أحسن من بياضك على سواده

---

(١) حديث ربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره فعقد طرفيه بين كتفيه: الشيخان من حديث عمر فى حديث اعتزاله أهله فاذا عليه ازاره وليس عليه غيره وللبخارى من رواية محمد بن المنكدر صلى بنا جابر فى ازار قد عقده من قبل قفاه وثيابه موضوعة على المشجب وفى رواية له وهو يصلى فى ثوب ملتحفا به ورداؤه موضوع وفيه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلى هكذا

(٢) حديث ربما أم به الناس على الجنائز: لم أقف عليه

(٣) حديث ربما صلى فى بيته فى الازار الواحد ملتحفا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الازار الذى جامع فيه يومئذ : أبو يعلى باسناد حسن من حديث معاوية قال دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى ثوب واحد فقلت ياأم حبيبة أيصلى النبي صلى الله عليه وسلم فى الثوب الواحد قالت نعم وهو الذى كان فيه ما كان تعنى الجماع ورواه الطبرانى فى الأوسط

(٤) حديث ربما كان يصلى بالليل ويرتدى ببعض الثوب مما يلى هدبه ويلقى البقية على بعض نسائه : د من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فى ثوب بعضه على ولمسلم كان يصلى من الليل وأنا إلى جنبه وأنا حائض وعلى مرط بعضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وللطبرانى فى الأوسط من حديث أبى عبد الرحمن حاضن عائشة رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة يصليان فى ثوب واحد نصفه على النبي صلى الله عليه وسلم ونصفه على عائشة وسنده ضعيف

(٥) حديث كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمة بأبى أنت وأمى مافعل ذلك الكساء ـ الحديث : لم أقف عليه من حديث أم سلمة ولمسلم من حديث عائشة خرج النبي صلى الله عليه وسلم وعليه مرط مرجل أسود ولأبى داود و ن صنعت للنبي صلى الله عليه وسلم بردة سوداء من صوف فلبسها ـ الحديث : وزاد فيه ابن سعد فى الطبقات فذكرت بياض النبي صلى الله عليه وسلم وسوادها ورواه ك بلفظ جبة وقال صحيح على شرط الشيخين

وقال أنس [١] وربما رأيته يصلي بنا الظهر في شملة عاقدا بين طرفيه ، [٢] وكان يتختم [٣] وربما خرج وفي خاتمه الخيط المربوط يتذكر به الشيء [٤] وكان يختم به على الكتب ويقول « اَلْخَاتَمُ عَلَى الْكِتَابِ خَيْرٌ مِنَ التُّهْمَةِ » [٥] وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة ، وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ، ثم يصلي إليها ، [٦] وربما لم تكن العمامة فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته

---

(١) حديث أنس وربما رأيته يصلي بنا الظهر في شملة عاقدا بين طرفيها : البزار وأبو يعلى بلفظ صلى بثوب واحد وقد خالف بين طرفيه وللبزار خرج في مرضه الذي مات فيه مرتديا بثوب قطن فصلى بالناس وإسناده صحيح و هـ من حديث عبادة بن الصامت صلى في شملة قد عقد عليها وفي كامل بن عدي قد عقد عليها هكذا وأشار سفيان إلى قفاه وفي جزء الغطريف فعقدها في عنقه ماعليه غيرها وإسناده ضعيف

(٢) حديث كان يتختم : الشيخان من حديث ابن عمر وأنس

(٣) حديث ربما خرج وفي خاتمه خيط مربوط يتذكر به الشيء : عد من حديث وائلة بسند ضعيف كان إذا أراد الحاجة أوثق في خاتمه خيط وزاد الحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث ابن عمر ليذكره به وسنده ضعيف

(٤) حديث كان يختم به على الكتب ويقول الخاتم على الكتاب خير من التهمة : الشيخان من حديث أنس لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى الروم قالوا إنهم لايقرءون إلا كتابا مختوما فاتخذ خاتما من فضة ـ الحديث : و ن ت في الشمائل من حديث ابن عمر اتخذ خاتما من فضة كان يختم به ولا يلبسه وسنده صحيح وأما قوله الخاتم على الكتاب خير من التهمة فلم أقف له على أصل

(٥) حديث كان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي إليها : الطبراني وأبو الشيخ والبيهقي في شعب الايمان من حديث عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قلنسوة بيضاء ولأبي الشيخ من حديث ابن عباس كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث قلانس قلنسوة بيضاء مضربة وقلنسوة برد حبرة وقلنسوة ذات آذان يلبسها في السفر فربما وضعها بين يديه إذا صلى وإسنادها ضعيف ولأبي داود و ت من حديث ركانة فرق مابيننا وبين المشركين العمائم على القلانس قال ت غريب وليس إسناده بالقائم

(٦) حديث ربما لم تكن العمامة فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته : خ من حديث ابن عباس صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر وقد عصب رأسه بعصابة دسماء الحديث

(١) وكانت له عمامة تسمي السحاب فوهبها من علي ، فربما طلع علي فيها ، فيقول صلى الله عليه وسلم « أَتَاكُمْ عَلِيٌّ فِي السَّحَابِ »

(٢) وكان إذا لبس ثوبا لبسه من قبل ميامنه ، ويقول (٣) « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي مَاأُوَارِي بِهِ عَوْرَتِي وَأَتَجَمَّلُ بِهِ فِي النَّاسِ » (٤) وإذا نزع ثوبه أخرجه من مياسره (٥) وكان إذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ، ثم يقول « مَامِنْ مُسْلِمٍ يَكْسُو مُسْلِماً مِنْ سَمَلِ ثِيَابِهِ لَايَكْسُوهُ إِلاَّ لِلَّهِ إِلاَّ كَانَ فِي ضَمَانِ اللهِ وحِرْزِهِ وَخَيْرِهِ مَاوَارَاهُ حَيًّا وَمَيِّتًا » (٦) وكان له فراش من أدم ، حشوه ليف ، طوله ذراعان أو نحوه

---

(١) حديث كانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من علي فربما طلع علي فيها فيقول صلى الله عليه وسلم أتاكم علي في السحاب ابن عدي وأبو الشيخ من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده وهو مرسل ضعيف جدا ولابن نعيم في دلائل النبوة من حديث عمر في أثناء حديث عمامته السحاب ـ الحديث

(٢) حديث كان اذا لبس ثوبا يلبسه من قبل ميامنه : ت من حديث أبي هريرة ورجاله رجال الصحيح وقد اختلف في رفعه

(٣) حديث الحمد لله الذي كساني ماأواري به عورتي وأتجمل به في الناس : ت وقال غريب و ه ك وصححه من حديث عمر بن الخطاب

(٤) حديث كان اذا نزع ثوبه خرج من مياسره : أبو الشيخ من حديث ابن عمر كان اذا لبس شيئا من الثياب بدأ بالأيمن واذا نزع بدأ بالأيسر وله من حديث أنس كان اذا ارتدى أو ترجل أو انتعل بدأ بيمينه واذا خلع بدأ بيساره وسندهما ضعيف وهو في الانتعال في الصحيحين من حديث أبي هريرة قوله لا من فعله حديث كان له ثوب لجمعته خاصة ـ الحديث تقدم قريبا بلفظ ثوبين

(٥) حديث كان اذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما ـ الحديث : ك في المستدرك والبيهقي في الشعب من حديث عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بثيابه فلبسها فلما بلغ تراقيه قال الحمد لله الذي كساني ما أتجمل به في حياتي وأواري به عورتي ثم قال ما من مسلم يلبس ثوبا جديدا الحديث دون ذكر تصدقه صلى الله عليه وسلم بثيابه وهو عند ت ه دون ذكر النبي لبس صلى الله عليه وسلم لثيابه وهو أصح وقد تقدم قال البيهقي وهو غير قوي

(٦) حديث كان له فراش من أدم حشوه ليف ـ الحديث متفق عليه من حديث عائشة مقتصرا على هذا دون ذكر عرضه وطوله ولابي الشيخ من حديث أم سلمة كان فراش النبي صلى الله عليه وسلم نحو ما يوضع الانسان في قبره وفيه من لم يسم

وعرضه ذراع وشبر ، أو نحوه [١] وكانت له عباءة تفرش له ، حيثما تنقل تثنى طاقين تحته [٢] وكان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره [٣] وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه ، وكان اسم رايته العقاب ، واسم سيفه الذى يشهد به الحروب ذو الفقار ،

---

(١) حديث كانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تفرش طاقين تحته : ابن سعد فى الطبقات وأبو الشيخ من حديث عائشة دخلت على امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة مثنية ـ الحديث : ولأبى سعيد عنها انها كانت تفرش للنبي صلى الله عليه وسلم عباءة باثنين الحديث : وكلاهما لا يصح و ت فى الشمائل من حديث حفصة وسئلت ما كان فراشه قالت مسح تثنيه ثنتين فينام عليه ـ الحديث : وهو منقطع

(٢) حديث كان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره : متفق عليه من حديث عمر فى قصة اعتزال النبي صلى الله عليه وسلم نساءه

(٣) حديث كان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذى يشهد به الحروب ذو الفقار وكان له سيف يقال له المخذم وآخر يقال له القضيب وكان قبضة سيفه محلاة بالفضة : الطبرانى من حديث ابن عباس كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم سيف قائمته من فضة وقبيعته من فضه وكان يسمى ذا الفقار وكانت له قوس تسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجمع وكانت له درع موشحة بنحاس تسمى ذات الفضول وكانت له حربة تسمى النبعة وكانت له مجن تسمى الدفن وكان له ترس أبيض يسمى موجزا وكان له فرس أدهم يسمى السكب وكان له سرج يسمى الداج المؤخر وكان له بغلة شهباء يقال لها الدلدل وكانت له ناقة تسمى القصواء وكان له حمار يسمى يعفور وكان له بساط يسمى الكر وكانت له عنزة تسمى النمر وكانت له ركوة تسمى الصادر وكانت له مرآة تسمى المرآة وكان له مقراض يسمى الجامع وكان له قصب شوحط يسمى المشوق وفيه على بن غررة الدمشقى نسب إلى وضع الحديث ورواه ابن عدى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء تسمى العقاب ورواه أبو الشيخ من حديث الحسن مرسلا وله من حديث على بن أبى طالب كان اسم سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا الفقار ت هـ من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم تنفل سيفه ذا الفقار يوم بدر وك من حديث على فى أثناء حديث وسفيه ذو الفقار وهو ضعيف ولابن سعد فى الطبقات من رواية مروان بن أبى سعيد بن المعلى مرسلا قال أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بنى قينقاع ثلاثة أسياف سيف قلعى وسيف يدعى بتارا وسيف يدعى الحتف وكان عنده بعد ذلك المخذم ورسوب أصابهما من القلس وفى سنده الواقدى وذكر ابن أبى خيثمة فى تاريخه انه يقال انه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ومعه سيفان يقال لأحدهما العضب شهد به بدرا ولأبى داود وت وقال حسن ون وقال منكر من حديث أنس كانت قبيعة سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فضة

وكان له سيف يقال له المخذم ، وآخر يقال له الرسوب ، وآخر يقال له القضيب ، وكانت قبضة سفيه محلاة بالفضة ، [1] وكان يلبس المنطقة من الأدم ، فيها ثلاث حلق من فضة ، [2] وكان اسم قوسه الكتوم ، وجعبته الكافور ، [3] وكان اسم ناقته القصواء ، وهي التي يقال لها العضباء ، واسم بغلته الدلدل ، وكان اسم حماره يعفور ، واسم شاته التي يشرب لبنها عينة ، [4] وكان له مطهرة من فخار يتوضأ فيها ، ويشرب منها ، فيرسل الناس أولادهم الصغار الذين قد عقلوا ، فيدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يدفعون عنه ، فإذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم ، وأجسادهم ، ويبتغون بذلك البركة .

---

(١) حديث كان يلبس المنطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة : لم أقف له على أصل ولابن سعد في الطبقات وأبي الشيخ من رواية محمد بن علي بن الحسين مرسلا كان في درع النبي صلى الله عليه وسلم حلقتان من فضة .

(٢) حديث كان اسم قوسه الكتوم وجعبته الكافور : لم أجد له أصلا وقد تقدم في حديث ابن عباس أنه كانت له قوس تسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجمع وقال ابن أبي خيثمة في تاريخه أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أخذ من سلاح بني قينقاع ثلاثة قسي قوس اسمها الروحاء وقوس شوحط تدعى البيضاء وقوس صفراء تدعى الصفراء من سبع

(٣) حديث كان اسم ناقته القصواء وهي التي يقال لها العضباء واسم بغلته الدلدل واسم حماره يعفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينة : تقدم بعضه من حديث ابن عباس عند الطبراني وللبخاري من حديث أنس كان للنبي صلى الله عليه وسلم ناقة يقال لها العضباء ولمسلم من حديث جابر في حجة الوداع ثم ركب القصواء وله من حديث علي ناقته القصواء وبغلته دلدل وحماره عفير ـ الحديث : وروينا في فوائد ابن الدحداح فقال حماره يعفور وفيه شاته بركة وخ من حديث معاذ كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير ولابن سعد في الطبقات من رواية ابراهيم بن عبد الله من ولد عتبة بن غزوان كانت منائح رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنم سبعا عجوة وزمزم وسقيا وبركة ورشة وهلال وأطراف وفي سنده الواقدي وله من رواية مكحول مرسلا كانت له شاة تسمى قمر

(٤) حديث كانت له مطهرة من فخار يتوضأ منها ويشرب فيها ـ الحديث : لم أقف له على أصل

بيان عفوه صلى الله عليه وسلم مع المقدرة

(١) كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس وأرغبهم فى العفو مع القدرة حتى (٢) أتى بقلائد من ذهب وفضة فقسمها بين أصحابه ، فقام رجل من أهل البادية ، فقال يا محمد والله لئن أمرك الله أن تعدل فما أراك تعدل ، فقال « وَيْحَكَ فَمَنْ يَعْدِلُ عَلَيْكَ بَعْدِى » فلما ولى ، قال: « رُدُّوهُ عَلَيَّ رُوَيْدًا »

وروى جابر أنه صلى الله عليه وسلم (٣) كان يقبض للناس يوم خيبر من فضة ، فى ثوب بلال ، فقال له رجل يارسول الله اعدل ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « وَيْحَكَ فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ فَقَدْ خِبْتُ إِذًا وَخَسِرْتُ إِنْ كُنْتُ لاَ أَعْدِلُ » فقام عمر فقال ألا أضرب عنقه فإنه منافق ، فقال «مَعَاذَ اللهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّى أَقْتُلُ أَصْحَابِى »

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) فى حرب ، فرأوا من المسلمين غرة ، فجاء رجل حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف ، فقال من يمنعك منى؟ فقال: «الله » قال فسقط السيف من يده ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقال «مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّى» فقال: كن خير آخذ ، قال « قُلْ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّى رَسُولُ اللهِ » فقال : لا غير أنى لا أقاتلك ، ولا أكون معك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، فخلى سبيله ، فجاء أصحابه فقال : جئتكم من عند خير الناس

﴿ بيان عفوه مع القدرة ﴾

(١) حديث كان أحلم الناس : تقدم

(٢) حديث أتى بقلائد من ذهب وفضة فقسمه بين أصحابه ـ الحديث : أبو الشيخ من حديث ابن عمر باسناد جيد

(٣) حديث جابر أنه كان يقبض للناس يوم حنين من فضة فى ثوب بلال فقال له رجل يانبى الله أعدل ـ الحديث : رواه م

(٤) حديث كان فى حرب فرؤى فى المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف ـ الحديث : متفق عليه من حديث جابر بنحوه وهو فى مسند أحمد أقرب إلى لفظ المصنف وسمى الرجل غورث بن الحارث

وروى أنس [١] أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة ، ليأكل منها فجيء بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك ، فقالت أردت قتلك ، فقال « مَا كَانَ اللهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَى ذَلِكَ » قالوا أفلا نقتلها فقال « لاَ »

[٢] وسحره رجل من اليهود ، فأخبره جبريل عليه أفضل الصلاة والسلام بذلك حتى استخرجه وحل العقد ، فوجد لذلك خفة ، وما ذكر ذلك لليهودي ولا أظهره عليه قط

وقال علي رضي الله عنه [٣] بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا» فانطلقنا حتى أتينا روضة خاخ فقلنا أخرجي الكتاب ، فقالت ما معي من كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب ، أو لتنزعن الثياب فأخرجته من عقاصها ، فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا فيه من حاطب بن أبي لمتعة ، إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم أمرا من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا حاطب «مَا هَذَا» ؟ قال يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقا في قومي ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهلهم ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب منهم ، أن اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي ولم أفعل ذلك كفرا ، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ولا ارتداداً عن ديني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إِنَّهُ صَدَقَكُمْ» فقال عمر رضي الله عنه : دعني أضرب هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم «إِنَّهُ شَهِدَ بَدْراً وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ »

[٤] وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة ، فقال رجل من الأنصار هذه قسمة ما أريد

---

(١) حديث أنس أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة ـ الحديث : رواه م وهو عند خ من حديث أبي هريرة

(٢) حديث سحره رجل من اليهود فأخبره جبريل بذلك حتى استخرجه ـ الحديث : ن باسناد صحيح من حديث زيد بن أرقم وقصة سحره في الصحيحين من حديث عائشة بلفظ آخر

(٣) حديث علي بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ـ الحديث متفق عليه

(٤) حديث قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة فقال رجل من الانصار هذه قسمة ما أريد بها وجه الله : الحديث ـ متفق عليه من حديث ابن مسعود

بها وجه الله ، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه ، وقال « رَحِمَ اللهُ أَخِي مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ »

وكان صلى الله عليه وسلم يقول [٣] « لاَ يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئاً فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ »

بيان إغضائه صلى الله عليه وسلم عما كان يكرهه

[٢] كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيق البشرة ، لطيف الظاهر والباطن ، يعرف في وجهه غضبه ورضاه ، [٢] وكان إذا اشتد وجده أكثر من مس لحيته الكريمة [٣] ، وكان لا يشافه أحدا بما يكرهه ، دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها ، فلم يقل له شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا أن يدع هذه ، يعني الصفرة ، [٤] وبال أعرابي في المسجد بحضرته ، فهم به الصحابة ، فقال صلى الله عليه وسلم « لاَ تُزْرِمُوهُ » أي لا تقطعوا عليه البول ، ثم قال له « إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنَ الْقَذَرِ ، وَالْبَوْلِ ، وَالْخَلاَءِ » وفي رواية « قَرِّبُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا . »

---

(١) حديث لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فاني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر : دت من حديث ابن مسعود وقال غريب من هذا الوجه

﴿ بيان اغضائه صلى الله عليه وسلم عما يكرهه ﴾

(٢) حديث كان رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه : أبو الشيخ من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف رضاه وغضبه بوجهه : الحديث ـ وقد تقدم

(٣) حديث كان إذا اشتد وجده أكثر من مس لحيته الكريمة : الحديث ـ وقد تقدم أبو الشيخ من حديث عائشة باسناد حسن

(٤) حديث كان لا يشافه أحدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهه فلم يقل شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا أن يدع هذه يعني الصفرة : دت في الشمائل و ن في اليوم والليلة من حديث أنس واسناده ضعيف

(٥) حديث بال اعرابي في المسجد بحضرته فقال صلى الله عليه وسلم لا تزرموه ـ الحديث : متفق عليه من حديث أنس

(١) وجاءه أعرابي يوما يطلب منه شيئا فأعطاه صلى الله عليه وسلم، ثم قال له « أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ؟ » قال الأعرابي لا ولا اجملت ، قال ، فغضب المسلمون وقاموا إليه، فأشار إليهم « أَنْ كُفُّوا » ثم قام ودخل منزله ، وأرسل إلى الأعرابي وزاده شيئا، ثم قال: « أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ؟ » قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « إِنَّكَ قُلْتَ مَا قُلْتَ وَفِي نَفْسِ أَصْحَابِي شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَقُلْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مَا قُلْتَ بَيْنَ يَدَيَّ حَتَّى يَذْهَبَ مِنْ صُدُورِهِمْ مَا فِيهَا عَلَيْكَ » ، قال : نعم ، فلما كان الغد أو العشي جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم « إِنَّ هَذَا الْأَعْرَابِيَّ قَالَ مَا قَالَ فَزِدْنَاهُ ، فَزَعَمَ أَنَّهُ رَضِيَ أَكَذَلِكَ؟ » فقال الأعرابي نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا ، فقال صلى الله عليه وسلم « إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ هَذَا الْأَعْرَابِيِّ كَمَثَلِ رَجُلٍ كَانَتْ لَهُ نَاقَةٌ شَرَدَتْ عَلَيْهِ ، فَأَتْبَعَهَا النَّاسُ فَلَمْ يَزِيدُوهَا إِلَّا نُفُورًا فَنَادَاهُمْ صَاحِبُ النَّاقَةِ خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ نَاقَتِي فَإِنِّي أَرْفَقُ بِهَا وَأَعْلَمُ فَتَوَجَّهَ لَهَا صَاحِبُ النَّاقَةِ بَيْنَ يَدَيْهَا فَأَخَذَ لَهَا مِنْ قُمَامِ الْأَرْضِ فَرَدَّهَا هَوْنًا هَوْنًا حَتَّى جَاءَتْ وَاسْتَنَاخَتْ وَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا وَاسْتَوَى عَلَيْهَا وَإِنِّي لَوْ تَرَكْتُكُمْ حَيْثُ قَالَ الرَّجُلُ مَا قَالَ فَقَتَلْتُمُوهُ دَخَلَ النَّارَ »

بيان سخاوته وجوده صلى الله عليه وسلم

(٢) كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأسخاهم ، وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة

---

(١) حديث جاء اعرابي يوما يطلب منه شيئا فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أحسنت اليك فقال الاعرابي لا ولا أجملت : الحديث بطوله البزار وأبو الشيخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف

﴿ بيان سخاوته وجوده صلى الله عليه وسلم ﴾

(٢) حديث كان أجود الناس وأسخاهم وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة : الشيخان من حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس ولهما من حديث ابن عباس كان أجود الناس بالخير وكان أجود مايكون في شهر رمضان وفيه فاذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة

لا يمسك شيئا [١] وكان على رضى الله عنه إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال : كان أجود الناس كفا ، وأوسع الناس صدرا ، ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفاهم ذمة ، وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله [٢] وما سئل عن شيء قط على الإسلام إلا أعطاه ، وإن رجلا أتاه فسأله فأعطاه غنما سدت ما بين جبلين ، فرجع إلى قومه وقال أسلموا فإن محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة [٣] وما سئل شيئاً قط فقال لا [٤] وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام إليها فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها ، [٥] وجاء رجل فسأله فقال ما عندى شيء ولكن ابتع عليّ ، فإذا جاءنا شيء قضيناه ، فقال عمر يارسول الله ما كلفك الله مالا تقدر عليه ، فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، فقال الرجل أنفق ولا تخش من ذى العرش إقلالا ، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وعرف السرور فى وجهه ،

[٦] ولما قفل من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة ، فخطفت رداءه

---

(١) حديث كان على إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس كفا وأجرأ الناس صدرا الحديث رواه ت وقال ليس اسناده بمتصل

(٢) حديث ما سئل شيئا قط على الاسلام إلا أعطاه : الحديث ـ متفق عليه من حديث أنس

(٣) حديث ما سئل شيئا قط فقال لا : متفق عليه من حديث جابر

(٤) حديث حمل اليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها أبو الحسن بن الضحاك فى الشمائل من حديث الحسن مرسلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم عليه مال من البحرين ثمانون ألفا لم يقدم عليه مال أكثر منه لم يسأله يومئذ أحد إلا أعطاه ولم يمنع سائلا ولم يعط ساكتا فقال له العباس ـ الحديث : وللبخارى تعليقا من حديث أنس أتى النبي صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين وكان أكثر مال أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الحديث : وفيه فما كان يرى أحدا إلا أعطاه إذ جاءه العباس ـ الحديث : ووصله عمر بن محمد البحرى فى صحيحه

(٥) حديث جاءه رجل فسأله فقال ما عندى شيء ولكن ابتع على فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال عمر يارسول الله ما كلفك الله ـ الحديث : ت فى الشمائل من حديث عمر وفيه موسى بن علقمة القروى لم يروه غير ابنه هرون

(٦) حديث لما قفل من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه ـ الحديث : خ من حديث جبير بن مطعم

فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال «أَعْطُونِي رِدَائِي لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهَا بَيْنَكُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَذَّابًا وَلَا جَبَانًا».

بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم

(١) كان صلى الله عليه وسلم أنجد الناس وأشجعهم، قال علي رضي الله عنه (٢) لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا، وقال أيضا (٣) كنا إذا احمر البأس، ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه

(٤) قيل: وكان صلى الله عليه وسلم قليل الكلام، قليل الحديث، فإذا أمر الناس بالقتال تشمر، وكان من أشد الناس بأسا (٥) وكان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدو وقال عمران بن حصين (٦) ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب

﴿ بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم ﴾

(١) حديث كان أنجد الناس وأشجعهم: الدارمي من حديث ابن عمر بسند صحيح ما رأيت أنجد ولا أجود ولا أشجع ولا أرمى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وللشيخين من حديث أنس كان أشجع الناس وأحسن الناس ـ الحديث

(٢) حديث علي لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم ـ الحديث: أبو الشيخ في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم باسناد جيد

(٣) حديث علي أيضا كنا إذا حمي البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الحديث ن باسناد صحيح ولمسلم نحوه من حديث البراء

(٤) حديث كان قليل الكلام قليل الحديث فاذا أمر بالقتال تشمر ـ الحديث: أبو الشيخ من حديث سعد بن عياض الثمالي مرسلا

(٥) حديث كان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب ـ الحديث: م من حديث البراء والله إذا حمي الوطيس نتقي به وإن الشجاع منا الذي يحاذي به

(٦) حديث عمران بن حصين ما لقي كتيبة إلا كان أول من يضرب: أبو الشيخ أيضا وفيه من لم أعرفه

وقالوا [١] كان قوي البطش [٢] ولما غشيه المشركون نزل عن بغلته ، فجعل يقول « أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ » فما رؤى يومئذ أحد كان أشدّ منه

بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم

[٣] كان صلى الله عليه وسلم أشدّ الناس تواضعا فى علو منصبه ، قال ابن عامر [٤] رأيته يرمى الجمرة على ناقة شهباء ، لا ضرب ولا طرد ، ولا إليك إليك [٥] وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة ، وكان مع ذلك يستردف [٦] وكان يعود المريض ، ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك [٧] ويخصف النعل ، ويرقع الثوب ، وكان يصنع فى بيته مع أهله فى حاجتهم [٨] وكان أصحابه لا يقومون له ، لما عرفوا من كراهته لذلك

---

(١) حديث كان قوى البطش: أبو الشيخ أيضا من رواية أبى جعفر معضلا وللطبرانى فى الأوسط من حديث عبد الله بن عمر وأعطيت قوة أربعين فى البطش والجماع وسنده ضعيف

(٢) حديث لما غشيه المشركون نزل فجعل يقول أنا النبي لا كذب ـ الحديث : متفق عليه من حديث البراء دون قوله فما رؤى أحد يومئذ أشد منه وهذه الزيادة لأبى الشيخ وله من حديث على فى قصة بدر وكان من أشد الناس يومئذ بأسا

﴿ بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم ﴾

(٣) حديث كان أشد الناس تواضعا فى علو منصبه : أبو الحسن بن الضحاك فى الشمائل من حديث أبى سعيد الخدرى فى حديث طويل فى صفته قال فيه متواضع فى غير مذلة واسناده ضعيف

(٤) حديث قال ابن عامر رأيته يرمى الجمرة على ناقة صهباء لاضرب ولا طرد ولا إليك إليك : ت ن ه من حديث قدامة بن عبد الله بن عمار قال ت حسن صحيح وفى كتاب أبى الشيخ قدامة ابن عبد الله بن عامر كما ذكره المصنف

(٥) حديث كان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف : متفق عليه من حديث أسامة بن زيد .

(٦) حديث كان يعود المريض ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك : ت وضعفه و ك وصحح إسناده من حديث أنس وتقدم منقطعا

(٧) حديث كان يخصف النعل ويرقع الثوب ويصنع فى بيته مع أهله فى حاجته : هو فى المسند من حديث عائشة وقد تقدم فى أوائل آداب المعيشة

(٨) حديث كان أصحابه لا يقومون له لما يعلمون من كراهته لذلك: هو عند ت من حديث أنس وصححه وتقدم فى آداب الصحبة

(١) وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم (٢) وأتى صلى الله عليه وسلم برجل فأرعد من هيبته فقال له « هَوِّنْ عَلَيْكَ فَلَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ » (٣) وكان يجلس بين أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم ، فيأتى الغريب فلا يدرى أيهم هو حتى يسأل عنه ، حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلسا يعرفه الغريب ، فبنوا له دكانا من طين ، فكان يجلس عليه

وقالت له عائشة رضى الله عنها (٤) كل جعلنى الله فداك متكئا ، فإنه أهون عليك ، قال فأصغى رأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الأرض ، ثم قال « بَلْ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ » (٥) وكان لا يأكل على *خوان ، ولا فى *سُكُرُّجَة ، حتى لحق بالله تعالى (٦) وكان لا يدعوه أحد من أصحابه وغيرهم إلا قال لبيك (٧) وكان إذا جلس

---

(١) حديث كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم : متفق عليه من حديث أنس وتقدم فى آداب الصحبة

(٢) حديث أتى برجل فأرعد من هيبته فقال هون الله عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد : ك من حديث جرير وقال صحيح على شرط الشيخين

(٣) حديث كان يجلس مع أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم فيأتى الغريب فلا يدرى أيهم هو ـ الحديث د ن من حديث أبى هريرة وأبى ذر وقد تقدم

(٤) حديث قالت عائشة كل جعلنى الله فداك متكئا فانه أهون عليك ـ الحديث : أبو الشيخ من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عنها بسند ضعيف

(٥) حديث كان صلى الله عليه وسلم لا يأكل على خوان ولا فى سكرجة حتى لقى الله : خ من حديث أنس وتقدم فى آداب الأكل

(٦) حديث وكان صلى الله عليه وسلم لا يدعوه أحد من أصحابه ولا من غيرهم إلا قال لبيك : أبو نعيم فى دلائل النبوة من حديث عائشة وفيه حسين بن علوان متهم بالكذب وللطبرانى فى الكبير باسناد جيد من حديث محمد بن حاطب فى أثناء حديث أن أمه قالت يارسول الله فقال لبيك وسعديك ـ الحديث :

(٧) حديث كان صلى الله عليه وسلم إذا جلس مع الناس إن تكلموا فى معنى أمر الآخرة أخذ معهم وإن تحدثوا فى طعام أو شراب تحدث معهم ـ الحديث : ت فى الشمائل من حديث زيد بن ثابت دون ذكر الشراب وفيه سليمان بن خارجة تفرد عنه الوليد بن أبى الوليد وذكره بن حبان فى الثقات

(*) الخوان هو مايوضع عليه الطعام عند الأكل

(*) سكرجه بضم السين والكاف والراء والتشديد إناء صغير توكل فيه الشىء القليل من الأدام

مع الناس إن تكلموا فى معنى الآخرة أخذ معهم ، وإن تحدثوا فى طعام أو شراب تحدث معهم ، وإن تكلموا فى الدنيا تحدث معهم ، رفقا بهم وتواضعا لهم ، [١] وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحيانا ، ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ، ويضحكون فيتبسم هو إذا ضحكوا ، ولا يزجرهم إلا عن حرام

بيان صورته وخلقته صلى الله عليه وسلم

[٢] كان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن بالطويل البائن ، ولا بالقصير المتردد ، بل كان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده ، ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان ، فيطولهما ، فإذا فارقاه نسبا إلى الطول ، ونسب هو عليه السلام إلى الربعة ويقول صلى الله عليه وسلم « جُعِلَ الْخَيْرُ كُلُّهُ فِي الرِّبْعَةِ »

---

(١) حديث كانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحيانا ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ـ الحديث : م من حديث جابر بن سمرة دون قوله ولا يزجرهم الا عن حرام

﴿ بيان صورته صلى الله عليه وسلم ﴾

(٢) حديث كان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد ـ الحديث : بطوله أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عائشه بزيادة ونقصان دون شعر أبي طالب الآتى ودون قوله وربما جعل شعره على أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ ودون قوله وربما كان واسع الجبهة الى قوله وكان سهل الخدين وفيه صبيح بن عبد الله الفرغانى منكر الحديث قاله الخطيب وفى الصحيحين من حديث البراء له شعر يبلغ شحمة أذنيه و د ت وحسنه و ه من حديث أم هانىء قدم الى مكة وله أربع غدائر و ت من حديث على فى صفته صلى الله عليه وسلم أدعج العينين أهدب الأشفار ـ الحديث : وقال ليس اسناده بمتصل وله فى الشمائل من حديث ابن أبى هالة أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ فى غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم كث اللحية سهل الخدين ضليع الفم مفلج الاسنان ـ الحديث ؛

وأما لونه : فقد كان أزهر اللون ، ولم يكن بالآدم ، ولا بالشديد البياض ، والأزهر هو الابيض الناصع الذى لا تشوبه صفرة ولا حمرة ، ولاشيء من الألوان

(١) ونعته عمه أبو طالب فقال

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ونعته بعضهم ، بأنه مشرب بحمرة ، فقالوا إنما كان المشرب منه بالحمرة ماظهر للشمس والرياح ، كالوجه والرقبة ، والأزهر الصافى عن الحمرة ماتحت الثياب منه

وكان عرقه صلى الله عليه وسلم فى وجهه كاللؤلؤ ، أطيب من المسك الأذفر

وأما شعره : فقد كان رجل الشعر حسنه ، ليس بالسبط ، ولا الجعد القطط ، وكان إذا مشطه بالمشط يأتى كأنه حبك الرمل ، وقيل كان شعره يضرب منكبيه ، وأكثر الرواية أنه كان إلى شحمة أذنيه ، وربما جعله غدائر أربعا تخرج كل أذن من بين غديرتين ، وربما جعل شعره على أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ ، وكان شيبه فى الرأس واللحية سبع عشرة شعرة ، مازاد على ذلك

وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها ، وأنورهم ، لم يصفه واصف إلا شبهه بالقمر ليلة البدر ، وكان يرى رضاه وغضبه فى وجهه لصفاء بشرته ، وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه حيث يقول :

أمين مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام

وكان صلى الله عليه وسلم واسع الجبهة ، أزج الحاجبين سابغهما ، وكان أبلج ما بين الحاجبين ، كأن مابينهما الفضة المخلصة ، وكانت عيناه نجلاوين أدعجهما ، وكان فى عينيه

(١) حديث نعته عمه أبو طالب فقال

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

ذكره ابن اسحاق فى السيرة وفى المسند عن عائشة أنها تمثلت بهذا البيت وأبو بكر يقضى فقال أبو بكر ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه على بن زيد بن جدعان مختلف فيه و خ تعليقا من حديث بن عمر ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستسقى فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب فانشده وقد وصله باسناد صحيح

تمزج من حمرة ، وكان أهدب الأشفار ، حتى تكاد تلتبس من كثرتها ، وكان أقنى العرنين أي مستوى الأنف ، وكا مفلج الأسنان أى متفرقها ، وكان إذا افترضاحكا افتر عن مثل سنا البرق إذا تلألأ ، وكان من أحسن عباد الله شفتين ، وألطفهم ختم فم ، وكان سهل الخدين صلبها ، ليس بالطويل الوجه ، ولا المكلثم ، كث اللحية ، وكان يعفى لحيته ويأخذ من شاربه ، وكان أحسن عباد الله عنقا ، لا ينسب إلى الطول ولا إلى القصر ، ماظهر من عنقه للشمس والرياح . فكأنه ابريق فضة مشرب ذهبا ، يتلألأ فى بياض الفضة وفى حمرة الذهب ،

وكان صلى الله عليه وسلم عريض الصدر ، لايعدو لحم بعض بدنه بعضا ، كالمرآة فى استوائها ، وكالقمر فى بياضه ، موصول ما بين لبته وسرته بشعر منقاد كالقضيب ، لم يكن فى صدره ولا بطنه شعر غيره ، وكانت له عكن ثلاث يغطى الأزار منها واحدة ويظهر اثنتان ، وكان عظيم المنكبين أشعرهما ، ضخم الكراديس ، أى رؤس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين ، وكان واسع الظهر ، ما بين كتفيه خاتم النبوة ، وهو مما يلى منكبه الايمن ، فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة ، حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس ،

وكان عبل العضدين والذراعين ، طويل الزندين ، رحب الراحتين ، سائل الاطراف كأن أصابعه قضبان الفضة ، كفه ألين من الخز ، كأن كفه كف عطار طيبا ، مسها بطيب أولم يمسها ، يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ، ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على رأسه ،

وكان عبل ماتحت الإزار من الفخذين والساق ، وكان معتدل الخلق فى السمن ، بدن فى آخر زمانه ، وكان لحمه متماسكا ، يكاد يكون على الخلق الاول لم يضره السمن

وأما مشيه صلى الله عليه وسلم ، فكان يمشى كأنما ينقلع من صخر ، وينحدر من صبب يخطو تكفيا ، ويمشي الهوينى ، بغير تبختر ، والهوينى تقارب الخطا ، وكان عليه الصلاة والسلام يقول « أنا أشبه الناس بآدم صلى الله عليه وسلم وكان أبي إبراهيم صلى الله عليه وسلم أشبه الناس بي خلقا وخلقا »

(١) وكان يقول: «إِنَّ لِي عِنْدَ رَبِّي عَشْرَةَ أَسْمَاءٍ أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الْكُفْرَ وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ وَأَنَا الْحَاشِرُ يَحْشُرُ اللهُ الْعِبَادَ عَلَى قَدَمِي وَأَنَا رَسُولُ الرَّحْمَةِ وَرَسُولُ التَّوْبَةِ وَرَسُولُ الْمَلَاحِمِ وَالْمُقَفَّى قَفَّيْتُ النَّاسَ جَمِيعاً وَأَنَا قُثَمٌ» قال أبو البختري والقُثَم الكامل الجامع والله أعلم

بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه

اعلم أن من شاهد أحواله صلى الله عليه وسلم ، وأصغى إلى سماع أخباره المشتملة على أخلاقه وأفعاله وأحواله ، وعاداته وسجاياه ، وسياسته لأصناف الخلق ، وهدايته إلى ضبطهم ، وتألفه أصناف الخلق ، وقوده إياهم إلى طاعته ، مع ما يحكى من عجائب أجوبته في مضايق الأسئلة ، وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق ، ومحاسن إشاراته في تفصيل ظاهر الشرع ، الذي يعجز الفقهاء والعقلاء عن إدراك أوائل دقائقها ، في طويل أعمارهم ، لم يبق له ريب ولا شك في أن ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها القوة البشرية ، بل لا يتصور ذلك إلا بالاستمداد من تأييد سماوي وقوة الهية ، وأن ذلك كله لا يتصور لكذاب ، ولا ملبس ، بل كانت شمائله وأحواله شواهد قاطعة بصدقه ، حتى إن العربي القح كان يراه فيقول: والله ما هذا وجه كذاب ، فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائله ، فكيف من شاهد أخلاقه ، ومارس أحواله في جميع مصادره وموارده ، وإنما أوردنا بعض أخلاقه لتعرف محاسن الأخلاق ، وليتنبه لصدقه عليه الصلاة والسلام ، وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله ،

---

(١) حديث إن لي عند ربي عشرة أسماء ـ الحديث: ابن عدي من حديث علي وجابر وأسامة بن زيد وابن عباس وعائشة باسناد ضعيف وله ولأبي نعيم في الدلائل من حديث أبي الطفيل لي عند ربي عشرة أسماء قال أبو الطفيل حفظت منها ثمانية فذكرها بزيادة ونقص وذكر سيف ابن وهب أن أبا جعفر قال إن الاسمين طه ويس واسناده ضعيف وفي الصحيحين من حديث جبير بن مطعم لي أسماء أنا أحمد وأنا محمد وأنا الحاشر وأنا الماحي وأنا العاقب ولمسلم من حديث أبي موسى والمقفى ونبي التوبة ونبي الرحمة ولأحمد من حديث حذيفة ونبي الملاحم وسنده صحيح

إذ آتاه الله جميع ذلك ، وهو رجل أمي لم يمارس العلم ، ولم يطالع الكتب ، ولم يسافر قط في طلب علم ، ولم يزل بين أظهر الجبال من الأعراب يتيما ضعيفا مستضعفا ، فمن أين حصل له محاسن الأخلاق والآداب ، ومعرفة مصالح الفقه مثلا فقط ، دون غيره من العلوم ، فضلا عن معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه ، وغير ذلك من خواص النبوة ، لولا صريح الوحي ، ومن أين لقوة البشر الاستقلال بذلك ، فلو لم يكن له إلا هذه الأمور الظاهرة لكان فيه كفاية ، وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصل ، فلنذكر من جملتها ما استفاضت به الأخبار ، واشتملت عليه الكتب الصحيحة ، إشارة إلى مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل ، فقد خرق الله العادة على يده غير مرة ، (١) إذ شق له القمر بمكة لما سألته قريش آية ، (٢) وأطعم النفر الكثير في منزل جابر ، (٣) وفي منزل أبي طلحة ، ويوم الخندق ، ومرة (٤) أطعم ثمانين من أربعة أمداد شعير وعناق ، وهو من أولاد المعز ، فوق العتود ، ومرة (٥) أكثر من ثمانين رجلا من أقراص شعير حملها أنس في يده ، ومرة (٦) أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير في يدها ، فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم

﴿ بيان معجزاته ﴾

(١) حديث انشقاق القمر : متفق عليه من حديث ابن مسعود وابن عباس وأنس

(٢) حديث إطعام النفر الكثير في منزل جابر : متفق عليه من حديثه

(٣) حديث إطعامه النفر الكثير في منزل أبي طلحة : متفق عليه من حديث أنس

(٤) حديث إطعامه ثمانين من أربعة أمداد شعير وعناق : الاسماعيلي في صحيحه ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة من حديث جابر وفيه أنهم كانوا ثمانمائة أو ثلاثمائة وهو عند خ دون ذكر العدد وفي رواية أبي نعيم في دلائل النبوة وهم ألف

(٥) حديث اطعامه أكثر من ثمانين رجلا من أقراص شعير حملها أنس في يده : م من حديث أنس وفيه حتى فعل ذلك بثمانين رجلا ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وأهل البيت وتركوا سؤرا وفي رواية لأبي نعيم في الدلائل حتى أكل منه بضع وثمانون رجلا وهو متفق عليه بلفظ والقوم سبعون أو ثمانون رجلا

(٦) حديث اطعامه أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير في يدها : الحديث : البيهقي في دلائل النبوة من طريق ابن اسحق حدثنا ضعيف بن مينا عن ابنة بشير بن سعد وإسناده جيد

(١) ونبع الماء من بين أصابعه عليه السلام ، فشرب أهل العسكر كلهم وهم عطاش ، وتوضؤا من قدح صغير ضاق عن أن يبسط عليه السلام يده فيه ، (٢) وأهراق عليه السلام وضوءه في عين تبوك ، ولا ماء فيها ومرة أخرى في بئر الحديبية فجاشتا بالماء ، فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف حتى رووا ، وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء

وأمر عليه السلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، (٣) أن يزود أربعمائة راكب من تمر كان في اجتماعه ، كربضة البعير وهو موضع بروكه فزودهم كلهم منه ، وبقي منه قبضة (٤) ورمى الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم ، ونزل بذلك القرءان في قوله تعالى (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى (١)) (٥) وأبطل الله تعالى الكهانة بمبعثه صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث نبع الماء من بين أصابعه فشرب أهل العسكر وهم عطاش وتوضؤا ـ الحديث : متفق عليه من حديث أنس في ذكر الوضوء فقط ولأبي نعيم من حديثه خرج إلى قبا فأتى من بعض بيوتهم بقدح صغير وفيه ثم قال هلم إلى الشرب قال أنس بصر عيني نبع الماء من بين أصابعه ولم يرد القدح حتى رووا منه واسناده جيد وللبزار واللفظ له والطبراني في الكبير من حديث ابن عباس كان في سفر فشكا أصحابه العطش فقال ائتوني بماء فأتوه باناء فيه ماء فوضع يده في الماء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه ـ الحديث

(١) حديث اهراقه وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها ومرة أخرى في بئر الحديبية فجاشتا بالماء ـ الحديث م من حديث معاذ بقصة عين تبوك ومن حديث سلمة بن الاكوع بقصة عين الحديبية وفيه فاما دعا وأما بصق فيها فجاشا ـ الحديث : وللبخاري من حديث البراء انه توضأ وصبه فيها وفي الحديثين معا انهم كانوا أربعة عشر مائة وكذا عند خ من حديث البراء وكذلك عندهما من حديث جابر وقال البيهقي انه الاصح ولهما من حديثه أيضا ألف وخمسمائة ولمسلم من حديث ابن أبي أو في ألف وثلثمائة

(٢) حديث أمر عمر أن يزود أربعمائة راكب من تمر كان كربضة البعير ـ الحديث : أحمد من حديث النعمان بن مقرن وحديث دكين بن سعيد باسنادين صحيحين وأصل حديث دكين عند أبي داود مختصرا من غير بيان لعددهم

(٣) حديث رميه الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم ـ الحديث : م من حديث سلمة بن الاكوع دون ذكر نزول الآية فرواه ابن مردويه في تفسيره من حديث جابر وابن عباس

(٤) حديث إبطال الكهانة بمبعثه : الخرائطي من حديث مرداس بن قيس الدوسي قال حضرت النبي صلى الله عليه وسلم وذكرت عنده الكهانة وما كان من تغييرها عند مخرجه الحديث ولأبي نعيم في الدلائل من حديث ابن عباس في استراق الجن السمع فيلقونه على أوليائهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم دحروا بالنجوم وأصله عند خ بغير هذا السياق

---

(١) الانفال : ١٧

فعدمت ، وكانت ظاهرة موجودة ، [١] وحن الجذع الذى كان يخطب إليه لما عمل له المنبر حتى سمع منه جميع أصحابه مثل صوت الإبل فضمه إليه فسكن ، [٢] ودعا اليهود إلى تمنى الموت وأخبرهم بأنهم لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك ، وعجزوا عنه ، وهذا مذكور فى سورة يقرأ بها فى جميع جوامع الاسلام ، من شرق الأرض إلى غربها يوم الجمعة جهرا تعظيما للآية التى فيها

وأخبر عليه السلام بالغيوب ، [٣] وأنذر عثمان بأن تصيبه بلوى بعدها الجنة ، [٤] وبأن عمارا تقتله الفئة الباغية ، [٥] وأن الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين

[٦] وأخبر عليه السلام عن رجل قاتل فى سبيل الله أنه من أهل النار ، فظهر ذلك بأن ذلك الرجل قتل نفسه ، وهذه كلها أشياء إلهية لا تعرف البتة بشىء من وجوه تقدمت المعرفة بها ، لا بنجوم ولا بكشف ، ولا بخط ولا بزجر ، لكن بإعلام الله تعالى له ووحيه إليه

[٧] واتبعه سراقة بن مالك فساخت قدما فرسه فى الأرض ، واتبعه دخان حتى استغاثه فدعا له فانطلق الفرس ، وأنذره بأن سيوضع فى ذراعيه سوارا كسرى فكان كذلك

---

(١) حديث حنين الجذع : خ من حديث جابر وسهل بن سعد

(٢) حديث دعا اليهود الى تمنى الموت واخبرهم بانهم لا يتمنونه ـ الحديث : خ من حديث ابن عباس لو أن اليهود تمنوا الموت لما توا ـ الحديث : وللبيهقى فى الدلائل من حديث ابن عباس لا يقولها رجل منكم الا غص بريقه فمات مكانه فأبوا أن يفعلوا ـ الحديث واسناده ضعيف

(٣) اخباره بأن عثمان تصيبه بلوى بعدها الجنة : متفق عليه من حديث أبى موسى الاشعرى

(٤) حديث اخباره بأن عمارا تقتله الفئة الباغية : م من حديث أبى قتادة وأم سلمة وخ من حديث أبى سعيد

(٥) حديث اخباره أن الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين : خ من حديث أبى بكرة

(٦) حديث اخباره عن رجل قاتل فى سبيل الله أنه من أهل النار : متفق عليه من حديث أبى هريرة وسهل بن سعد

(٧) حديث اتباع سراقة بن مالك له فى قصة الهجرة فساخت قدما فرسه فى الأرض ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبى بكر الصديق

(١) وأخبر بمقتل الأسود العنسى الكذاب ليلة قتله ، وهو بصنعاء اليمن وأخبر عن قتله (٢) وخرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رءوسهم ولم يروه ، (٣) وشكا إليه البعير بحضرة أصحابه وتذلل له (٤) وقال لنفر من أصحابه مجتمعين ، أحدكم فى النار ضرسه مثل أحد ، فماتوا كلهم على استقامة ، وارتد منهم واحد فقتل مرتدا (٥) وقال لآخرين منهم آخركم موتا فى النار ، فسقط آخرهم موتا فى النار فاحترق فيها فمات

(٦) ودعا شجرتين فأتتاه واجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا

وكان عليه السلام نحو الربعة فإذا مشى مع الطوال طالهم

---

(١) حديث اخباره بمقتل الاسود العنسى ليلة قتل وهو بصنعاء اليمن ومن قتله وهو مذكور فى السير والذى قتله فيروز الديلمى وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة بينا أنا نائم رأيت فى يدى سوارين من ذهب فأهمنى شأنهما فأوحى إلى فى المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان بعدى فكان أحدهما العنسى صاحب صنعاء ـ الحديث

(٢) حديث خرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رءوسهم ولم يروه ابن مردويه بسند ضعيف من حديث ابن عباس وليس فيه أنهم كانوا مائة وكذلك رواه ابن اسحاق من حديث محمد بن كعب القرظى مرسلا

(٣) حديث شكا اليه البعير وتذلل له: د من حديث عبد الله بن جعفر فى أثناء حديث وفيه فانه شكا إلى انك تجيعه وتدئبه وأول الحديث عند م دون ذكر قصة البعير

(٤) حديث قال لنفر من أصحابه أحدكم ضرسه فى النار مثل أحد ـ الحديث : ذكره الدارقطنى فى المؤتلف والمختلف من حديث أبى هريرة بغير اسناد فى ترجمة الرجال بن عنفرة وهو الذى ارتد وهو بالجيم وذكره عبد الغنى بالمهملة وسبقه إلى ذلك الواقدى والمدائنى والأول اصح وأكثر كما ذكره الدار قطنى وابن ماكولا ووصله الطبرانى من حديث رافع بن خديج بلفظ أحد هؤلاء النفر فى النار وفيه الواقدى عن عبد الله بن نوح متروك

(٥) حديث قال لآخرين منهم آخركم موتا فى النار فسقط آخرهم موتا فى نار فاحترق فيها فمات: الطبرانى والبيهقى فى الدلائل من حديث ابن محذورة وفى رواية البيهقى أن آخرهم موتا سمرة بن جندب لم يذكر انه احترق ورواه البيهقى من حديث أبى هريرة نحوه ورواته ثقات وقال ابن عبد البر انه سقط فى قدر مملوءة ماء حارا فمات وروى ذلك باسناد متصل الا أن فيه داود بن المحبر وقد ضعفه الجمهور

(٦) حديث دعا شجرتين فأتتاه فاجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا : أحمد من حديث على بن مرة بسند صحيح

(١) ودعا عليه السلام النصارى إلى المباهلة فامتنعوا فعرفهم صلى الله عليه وسلم أنهم إن فعلوا ذلك هلكوا ، فعلموا صحة قوله فامتنعوا

(٢) وأتاه عامر بن الطفيل بن مالك ، وأربد بن قيس ، وهما فارسا العرب ، وفاتكاهم عازمين على قتله عليه السلام ، فحيل بينهما وبين ذلك ، ودعا عليهما ، فهلك عامر بغدة ، وهلك أربد بصاعقة أحرقته (٣) وأخبر عليه السلام أنه يقتل أبي بن خلف الجمحي ، فخدشه يوم أحد خدشا لطيفا فكانت منيته فيه ، (٤) وأطعم عليه الصلاة والسلام السم فمات الذى أكله معه ، وعاش هو صلى الله عليه وسلم بعده أربع سنين ، وكلمه الذراع المسموم (٥) وأخبر عليه السلام يوم بدر بمصارع صناديد قريش ، ووقفهم على مصارعهم رجلا رجلا فلم يتعدوا واحد منهم ذلك الموضع ، (٦) وأنذر عليه السلام بأن طوائف من أمته يغزون فى البحر فكان كذلك ، (٧) وزويت له الأرض فأرى مشارقها ومغاربها ، وأخبر بأن ملك أمته سيبلغ ما زوى له منها فكان كذلك ، فقد بلغ ملكهم من أول المشرق . من بلاد

---

(١) حديث دعا النصارى إلي المباهلة وأخبر ان فعلوا ذلك هلكوا فامتنعوا : خ من حديث ابن عباس فى أثناء حديث ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا

(٢) حديث أتاه عامر بن الطفيل بن مالك وأربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتكاهم عازمين على قتله فحيل بينهما وبين ذلك ـ الحديث : طب فى الأوسط والأكبر من حديث ابن عباس بطوله بسند لين

(٣) حديث اخباره انه يقتل أبي بن خلف الجمحى فخدشه يوم أحد خدشا لطيفا فكانت منيته : البيهقى فى دلائل النبوة من رواية سعيد بن المسيب ومن رواية عروة بن الزبير مرسلا

(٤) حديث انه أطعم السم فمات الذى أكله معه وعاش هو بعده أربع سنين وكلمه الذراع المسموم : د من حديث جابر فى رواية له مرسلة ان الذى مات بشر بن البراء وفى الصحيحين من حديث أنس أن يهودية أتت النبى صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها ـ الحديث : وفيه فما زلت أعرفها فى لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٥) حديث اخباره صلى الله عليه وسلم يوم بدر بمصارع صناديد قريش ـ الحديث م من حديث عمر بن الخطاب

(٦) حديث أخباره بأن طوائف من أمته يغزون فى البحر فكان كذلك : متفق عليه من حديث أم حرام

(٧) حديث زويت له الأرض مشارقها ومغاربها وأخبر بأن ملك أمته سيبلغ مازوى له منها ـ الحديث : م من حديث عائشة وفاطمة أيضا

الترك إلى اخر المغرب ، من بحر الأندلس وبلاد البربر ، ولم يتسعوا فى الجنوب ولا فى الشمال ، كما أخبر صلى الله عليه وسلم سواء بسواء

(١) وأخبر فاطمة ابنته رضى الله عنها بأنها أول أهله لحاقا به ، فكان كذلك ، (٢) وأخبر نساءه بأن أطولهن يدا أسرعهن لحاقا به ، فكانت زينب بنت جحش الأسدية أطولهن يدا بالصدقة أولهن لحوقا به رضى الله عنها ، (٣) ومسح ضرع شاة حائل لا لبن لها فدرت ، وكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود رضى الله عنه ، وفعل ذلك مرة أخرى فى خيمة أم معبد الخزاعية (٤) وندرت عين بعض أصحابه فسقطت ، فردها عليه السلام بيده ، فكانت أصح عينيه وأحسنهما ، (٥) وتفل فى عين على رضى الله عنه وهو أرمد يوم خيبر ، فصح من وقته وبعثه بالراية ، (٦) وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم ، (٧) وأصيبت رجل بعض أصحابه صلى الله عليه وسلم فمسحها بيده فبرأت من حينها ، (٨) وقل زاد جيش كان معه عليه السلام فدعا بجميع ما بقى ، فاجتمع شىء يسير جدا فدعا فيه بالبركة ، ثم أمرهم فأخذوا فلم يبق وعاء فى العسكر إلا ملىء من ذلك ،

---

(١) حديث اخباره فاطمة أنها أول أهله لحاقا به : متفق عليه من حديث عائشة وفاطمة أيضا

(٢) حديث أخبر نساءه ان أطولهن يدا أسرعهن لحاقا به فكانت زينب ـ الحديث : م من حديث عائشة وفى الصحيحين أن سودة كانت أولهن لحوقا به قال ابن الجوزى وهذا غلط من بعض الرواة بلا شك

(٣) حديث مسح ضرع شاة حائل لا لبن لها فدرت فكان ذلك سبب اسلام ابن مسعود : أحمد من حديث ابن مسعود باسناد جيد

(٤) حديث ندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها فكانت أصح عينيه وأحسنهما : أبو نعيم والبيهقى كلاهما فى دلائل النبوة من حديث قتادة بن النعمان وهو الذى سقطت عينه فى رواية للبيهقى انه كان ببدر وفى رواية أبى نعيم انه كان باحد وفى اسناده اضطراب وكذا رواه البيهقى فيه من حديث أبى سعيد الخدرى

(٥) حديث تفل فى عين على وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته وبعثه بالراية : متفق عليه من حديث على ومن حديث سهل بن سعد أيضا

(٦) حديث كانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه : خ من حديث ابن مسعود

(٧) حديث أصيبت رجل بعض أصحابه فمسحها بيده فبرأت من حينها : خ فى قصة قتل أبى رافع

(٨) حديث قل زاد جيش كان معه فدعا بما بقى فاجتمع شىء يسير فدعا فيه بالبركة ـ الحديث : متفق عليه من حديث سلمة بن الأكوع

(١) وحكى الحكم بن العاص بن وائل مشيته عليه السلام مستهزئا فقال صلى الله عليه وسلم كذلك فكن ، فلم يزل يرتعش حتى مات ،

(٢) وخطب عليه السلام امرأة فقال له أبوها إن بها برصا امتناعا من خطبته واعتذارا ، ولم يكن بها برص ، فقال عليه السلام فلتكن كذلك فبرصت ، وهى أم شبيب بن البرصاء الشاعر ، إلى غير ذلك من آياته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم

وإنما اقتصرنا على المستفيض ومن يستريب فى انخراق العادة على يده ، ويزعم أن آحاد هذه الوقائع لم تنقل تواترا ، بل المتواتر هو القرءان فقط ، كمن يستريب فى شجاعة على رضي الله عنه ، وسخاوة حاتم الطائى ، ومعلوم أن آحاد وقائعهم غير متواترة ، ولكن مجموع الوقائع يورث علما ضروريا ، ثم لا يتمارى فى تواتر القرءان ، وهى المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق ، وليس لنبي معجزة باقية سواه صلى الله عليه وسلم ، إذ تحدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغاء الخلق ، وفصحاء العرب ، وجزيرة العرب حينئذ مملوءة بآلاف منهم ، والفصاحة صنعتهم ، وبها منافستهم ومباهاتهم ، وكان ينادى بين أظهرهم أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور مثله ، أو بسورة من مثله ، إن شكوا فيه ، وقال لهم (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (١)) وقال ذلك تعجيزا لهم ، فعجزوا عن ذلك ، وصرفوا عنه حتى عرضوا أنفسهم للقتل ، ونساءهم وذراريهم للسبي ، وما استطاعوا أن يعارضوا ، ولا أن يقدحوا فى جزالته وحسنه ، ثم انتشر ذلك

---

(١) حديث حكي الحكم بن العاص مشيته مستهزئا به فقال فكذلك كن الحديث البيهقي فى الدلائل من حديث هند بن خديج صحيحة باسناد جيد وللحاكم فى المستدرك من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر نحوه ولم يسم الحكم وقال صحيح الاسناد

(٢) حديث خطب امراة فقال ابوها ان بها برصا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال فلتكن كذلك فبرصت المرأة : ذكرها ابن الجوزي فى التلقيح وسماها جمرة بنت الحرث بن عوف المزنى وتبعه على ذلك الدمياطي فى جزء له فى نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصح ذلك

(١) الاسراء : ٨٨

بعده فى أقطار العالم شرقا وغربا ، قرنا بعد قرن ، وعصرا بعد عصر ، وقد انقرض اليوم قريب من خمسمائة سنة ، فلم يقدر أحد على معارضته ، فأعظم بغباوة من ينظر فى أحواله ثم فى أقواله ، ثم فى أفعاله ، ثم فى أخلاقه ، ثم فى معجزاته ، ثم فى استمرار شرعه إلى الآن ثم فى انتشاره فى أقطار العالم ، ثم فى إذعان ملوك الأرض له فى عصره وبعد عصره ، مع ضعفه ويتمه ، يتمارى بعد ذلك فى صدقه ، وما أعظم توفيق من آمن به ، وصدقه ، واتبعه فى كل ما ورد وصدر.

فنسأل الله تعالى أن يوفقنا للاقتداء به فى الأخلاق ، والأفعال ، والأحوال ، والأقوال بمنه وسعة جوده :

تم كتاب آداب المعيشة ، وأخلاق النبوة ، بحمد الله وعونه ، ومنه وكرمه ، ويتلوه كتاب شرح عجائب القلب ، من ربع المهلكات ، ان شاء الله تعالى ؟

فهرست الجزء السابع

الصفحة

كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ١١٨٦

الباب الأول : فى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفضيلته فى اهماله واضاعته ١١٨٧
درجة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بين الأعمال ١١٩٠
حق الطريق ١١٩٠
الاستعداد عند زمن الفتنة لدفعها ١١٩٠
وجوب مقاومة الظلم ١١٩١
محاربة من يأمر بما لا يفعل ١١٩٢
هلال الصالحين المتقاعسين عن محاربة المنكر ١١٩٣
مقاومة المنكر افضل من الاستشهاد فى الحرب ١١٩٣
جزاء الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ١١٩٤
أكرم الشهداء على الله مجاهر بالحق عند الرؤساء الظلمة ١١٩٤
بعض الآثار فى الأمر بالمعروف ١١٩٥
منزلة الناصح بين قومه ١١٩٥
الباب الثانى : فى أركان الأمر بالمعروف وشروطه ١١٩٦
أركان الأمر بالمعروف ١١٩٦
الركن الأول ـ المحتسب ١١٩٦
المحتسب وشروطه ـ التكليف ١١٩٦
الايمان ـ العدالة ـ احتساب الفاسق ١١٩٧
ارتباط المسبب بسببه ١١٩٨
ارتكاب الكبيرة واستنكار الصغيرة ١١٩٩
ترك الأهم والاشتغال بالمهم ١١٩٩
عدم قبول وعظ من لم يبدأ بنفسه ١١٩٩
احتساب الكافر على المسلم ١٢٠٠
الأذن ـ تزييف رأى الروافض ١٢٠١
مراتب الحسبة ١٢٠٢
شجاعة السلف فى الانكار على الأئمة ١٢٠٢
الاسلام دين المساواة ١٢٠٣
مسلم يقاوم منكرا لأمير المؤمنين ١٢٠٣
زهد الرجل ـ استحياء الخليفة من ذكر المنكر ١٢٠٤
انتصار الرجل ـ عفة الرجل ١٢٠٤

الصفحة

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حق عام للمؤمنين جميعا ١٢٠٥
بحوث فقهية ١٢٠٦
المسلم مع والده ١٢٠٧
المسلم مع السلطان ـ المسلم مع أستاذه ١٢٠٧
القدرة وحدودها ١٢٠٨
ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ١٢٠٩
بحوث فقهية ـ العامى وحدود حسبته ١٢١٠
تحليلات فلسفية ١٢١١
استطراد ـ ظروف لا تسقط الحسبة ١٢١٢
مبررات ترك الحسبة ١٢١٣
استفتاء القلب وترجيح وجهة الدين ١٢١٤
مراقبة الله فى تحديد الموقف ١٢١٤
عدم الانكار خوفا من نقص الجاه ١٢١٥
عدم الانكار خوفا من الاضرار بالولد والاقارب ١٢١٥
أحوال مواجهة المعاصى ١٢١٦
الركن الثانى للحسبة ـ ما فيه الحسبة ١٢١٧
تعريف المنكر ١٢١٧
التلبس بفعل المنكر ـ علنية المنكر ١٢١٨
الاجماع على أن العمل منكرا ١٢١٩
الركن الثالث ـ المحتسب عليه ـ معنى الحسبة ١٢٢٣
تحليلات منطقية ١٢٢٤
بحوث فقهية ١٢٢٥
الركن الرابع ـ نفس الاحتساب ١٢٢٦
درجات الاحتساب ١٢٢٦
الدرجة الأولى : تعرف المنكر ١٢٢٦
الدرجة الثانية : تعريف المنكر ١٢٢٧
التلطف فى تعريف المنكر ١٢٢٧
الدرجة الثالثة : النهى بالوعظ والنصح ١٢٢٨
والتخويف بالله تعالى ١٢٢٨
التلطف فى الوعظ ١٢٢٨
الدرجة الرابعة : السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن ١٢٢٩
مراتب التعنيف فى الخشن ١٢٢٩
الدرجة الخامسة : التغير باليد ١٢٢٩
وسائل تغيير المنكر فى مختلف الظروف ١٢٣٠
بحوث فقهية ١٢٣٠
للامام كسر أوانى الخمر ١٢٣١

الصفحة

الدرجة السادسة : التهديد والتخويف ١٢٣٢
الدرجة السابعة : مباشرة الضرب بالجوارح ١٢٣٢
الدرجة الثامنة : المعاونة لدفع المنكر ١٢٣٣
بيان آداب المحتسب ١٢٣٤
العلم ـ الورع ـ حسن الخلق ١٢٣٤
توطين النفس على الصبر ١٢٣٥
تقليل العلائق ١٢٣٥
حلمه صلى الله عليه وسلم فى الأمر بالمعروف ١٢٣٦
الباب الثالث : فى المنكرات المألوفة فى العادات ١٢٣٨
منكرات المساجد ١٢٣٨
اساءة الصلاة ١٢٣٨
التحريف فى قراءة القرآن ١٢٣٨
الخروج فى الأذان عن حده الشرعى ١٢٣٩
لبس الخطيب أسود ١٢٣٩
وجوب الحيلولة بين الرجال والنساء ١٢٤٠
فى مجالس التعليم ١٢٤٠
الاجتماع للبيع والشراء ١٢٤١
دخول المجانين والصبيان السكارى فى المسجد ١٢٤١
منكرات الأسواق ١٢٤٢
الكذب فى المرابحة ١٢٤٢
الاكتفاء بالمعاطاة فى البيع ١٢٤٢
بيع الملاهى ١٢٤٣
منكرات الشوارع ١٢٤٣
وضع ما يضيق الطريق على المارة ١٢٤٣
حمل الدواب ما يؤذى الناس ١٢٤٣
الذبح فى الطريق ـ ارسال الماء من الميازيب ١٢٤٤
الكلب العقور أمام المنزل ١٢٤٤
منكرات الحمامات ١٢٤٤
الصور على باب الحمام أو داخله ـ كشف العورة ١٢٤٤
الانبطاح على الوجه للدلاك ١٢٤٤
غمس اليد والأوانى النجسة فى قليل من الماء ١٢٤٥
وجود حجارة ملساء يخشى من الانزلاق عليها ١٢٤٥
منكرات الضيافة ١٢٤٥
استعمال ما يحرم ١٢٤٥
نظر النساء للرجال حرام ١٢٤٦
لا رخصة فى مشاهدة المنكرات ١٢٤٦
تحريم مجالسة الفاسق ـ تحريم الذهب والحرير ١٢٤٦
تحريم خرق أذن الطفل لوضع الحلق ١٢٤٦

الصفحة

حضور المبتدعين ـ الاسراف فى الطعام والبناء ١٢٤٧
المنكرات العامة ١٢٤٨
التباطؤ عن ارشاد الناس ١٢٤٨
اثم الفقهاء المتخلفين عن الارشاد ١٢٤٩
على المسلم ان يبدأ باصلاح نفسه ثم غيره ما استطاع ١٢٤٩
الباب الرابع : فى أمر الأمراء والسلاطين ١٢٥٠
بالمعروف ونهيهم عن المنكر ١٢٥٠
طريقة ارشاد السلاطين ١٢٥٠
المأثور عن السلف فى وعظ السلاطين ١٢٥١
انكار الصديق رضى الله عنه على أكابر قريش ١٢٥١
انكار أبو مسلم الخولانى على معاوية ١٢٥٢
انكار ضبة على أبى موسى أمير البصرة ١٢٥٢
انتصار عمر رضى الله عنه لضبة ١٢٥٣
عظة عطاء بن أبى رباح لعبد الملك بن مروان ١٢٥٤
عظة ابن شميلة لعبد الملك بن مروان ١٢٥٥
عظة الحسن البصرى للحجاج ١٢٥٥
عظة حطيط للحجاج ١٢٥٦
أمر الحجاج بتعذيب حطيط حتى قتل ١٢٥٦
استفتاء ابن هبيرة للشعبى والحسن البصرى ١٢٥٧
جواب الشعبى عن سؤال ابن هبيرة ١٢٥٧
جواب الحسن البصرى عن سؤال ابن هبيرة ١٢٥٧
شهادة الشعبى للحسن البصرى بالشجاعة والعلم ١٢٥٨
شهادة ابن أبى ذؤيب فى الفقارين ١٢٥٨
شهادة ابن أبى ذؤيب فى الحسن ابن زيد ١٢٥٩
شهادة ابن أبى ذؤيب فى أبى جعفر المنصور ١٢٥٩
استدعاء أبى جعفر المنصور للأوزاعى ١٢٥٩
الموعظة نعمة لمن يتعظ ١٢٦٠
غش الرعية ١٢٦٠
كراهة الحق ١٢٦٠
الترغيب فى العمل الصالح ١٢٦١
مراقبة النفس ومرعاة العدل ١٢٦١
التخويف من الظلم ١٢٦٢
عفة الأمير ١٢٦٣
تفاوت الأمراء ١٢٦٣
قبول المنصور لموعظة الأوزاعى ١٢٦٤
اهتمام المنصور بأمور رعيته ١٢٦٥
قبوله موعظة الناصح ١٢٦٥

الصفحة

عدل ملك مشرك ـ أسباب جمع المال ١٢٦٦
دعاء الفرج للخضر عليه السلام ١٢٦٨
خطاب الرشيد لسفيان الثورى ١٢٦٨
صفة جلساء الثورى ورع الثورى ١٢٦٩
خطاب الثورى للرشيد ١٢٧٠
اتباع رسول الرشيد للثورى ١٢٧١
الرشيد عند قراءة خطاب الثورى ١٢٧١
بكاء الرشيد من عظة بهلول ١٢٧٢
المأمون يقتل الصائح الواعظ له ١٢٧٣
حب استطلاع الثورى لما يجهله ١٢٧٣
الثورى يكسر أوانى خمر المعتضد ١٢٧٤
مجاوبة الثورى للمعتضد ١٢٧٤
نجاة الثورى من المعتضد ١٢٧٤
مقارنة بين علماء السلف وعلمائنا ١٢٧٤

كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة ١٢٧٧

بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه
آدابه صلى الله عليه وسلم بالقرآن ١٢٧٩
بعثه بمكارم الأخلاق ١٢٨٠
عفوه عن ابنة حاتم الطائى ١٢٨١
اجمال عن مكارم الاخلاق ١٢٨١
وصيته صلى الله عليه وسلم لمعاذ ١٢٨٢
بيان جملة من محاسن اخلاقه التى جمعها بعض العلماء والتقتها من الاحبار ١٢٨٢
سخاؤه صلى الله عليه وسلم ١٢٨٣
خدمته صلى الله عليه وسلم لأهله ١٢٨٤
اباؤه عن الاستعانة بالمشركين ١٢٨٥
أكله ما وجد ١٢٨٦
أيثاره صلى الله عليه وسلم ـ اجابته للوليمة ١٢٨٧
عيادته للمرضى وشهوده للجنازة ١٢٨٧
مشيه من غير حارس ـ تواضعه صلى الله علية وسلم ١٢٨٧
بلاغته صلى الله عليه وسلم ١٢٨٧
بشاشته صلى الله عليه وسلم ١٢٨٨
عدم اكتراثه بالدنيا ١٢٨٨
لباسه صلى الله عليه وسلم ١٢٨٨
تختمه صلى الله عليه وسلم ـ اردافه غيره خلفه ١٢٨٨
ما كان يركبه صلى الله عليه وسلم حبه للطيب ١٢٨٩
مجالسته للفقراء ـ مؤاكلته للمساكين ١٢٨٩
اكرامه لأهل الفضل ـ صلته للرحم ١٢٩٠

الصفحة

لينه صلى الله عليه وسلم ـ قبوله للعذر ١٢٩٠
مزاحه صلى الله عليه وسلم ١٢٩٠
ضحكه صلى الله عليه وسلم ١٢٩٠
اقراره اللعب المباح ١٢٩٠
مسابقته أهله ـ صبره على رفع الأصوات ١٢٩١
تقوته من غنمه ـ أكله مع خدمه ١٢٩١
حرصه على وقته ١٢٩١
خروجه الى بساتين أصحابه ١٢٩٢
احترامه للمساكين ـ اجتماع المكارم فيه ١٢٩٢
بيان جملة أخرى من آدابه واخلاقه ١٢٩٣
أكرامه لخدمه ـ دعاؤه لغيره ١٢٩٣
تساهله فى أمر نفسه ١٢٩٤
وصفه فى التوراه والانجيل ١٢٩٤
بدؤه السلام مصافحة غيره ـ كيفية جلوسه ١٢٩٥
جلوسه بين اصحابه ـ اكرام الداخل عليه ١٢٩٦
دعاؤه أصحابه بكناهم ١٢٩٧
ما كان يقوله عند القيام من مجلسه ١٢٩٨
بيان كلامه وضحكه صلى الله عليه وسلم ١٢٩٨
لغة أهل الجنة ١٢٩٨
كلامه صلى الله عليه وسلم ١٢٩٩
سكوته صلى الله عليه وسلم ١٣٠٠
تبسمه فى وجوه اصحابه ١٣٠١
سروره وغضبه لله تعالى ١٣٠٢
بيان أخلاقه وآدابه فى الطعام ١٣٠٢
أحب طعامه صلى الله عليه وسلم ما كثرت عليه الأيدى ١٣٠٤
أدبه عليه الصلاة والسلام فى الأكل ١٣٠٥
بعض أنواع طعامه صلى الله عليه وسلم ١٣٠٥
شفقته صلى الله عليه وسلم بالحيوان ١٣٠٦
كان اللحم أحب الطعام اليه صلى الله عليه وسلم ١٣٠٧
بعض ما كان يحبه وما كان يكرهه من الطعام ١٣٠٩
لعق أصابعه ١٣١٠
ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم بعد الطعام ١٣١٠
كيفية شربه صلى الله عليه وسلم ١٣١١
حياؤه فى بيته صلى الله عليه وسلم ١٣١٢

الصفحة

بيان آدابه وأخلاقه فى اللباس ١٣١٢
ما يحبه من اللباس صلى الله عليه وسلم ١٣١٣
ثوبه فى يوم الجمعة ١٣١٤
صلاته فى ازار واحد ١٣١٥
فائدة الخاتم ١٣١٦
هبة عمامته لعلى رضى الله عنه ١٣١٧
كيفية لبس ونزع ثوبه ١٣١٧
تسميته دوابه وسلاحه ١٣١٨
تبرك الأطفال بفضل مائه صلى الله عليه وسلم ١٣١٩
بيان عفوه صلى الله عليه وسلم مع القدرة ١٣٢٠
عفوه عن الذى رماه بالظلم ١٣٢٠
عفوه عن الذى أراد قتله ١٣٢٠
عفوه عن التى ارادت قتله سما ١٣٢١
عفوه عمن سحره ١٣٢١
عفوه عن ابن بلتعة ١٣٢١
بيان اغضائه صلى الله عليه وسلم عما كان يكرهه ١٣٢٢
بيان سخاوته وجوده صلى الله عليه وسلم ١٣٢٣
وصف على رضى الله عنه له صلى الله عليه وسلم ١٣٢٤
بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم ١٣٢٥
بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم ١٣٢٦
تواضعه عليه الصلاة والسلام ١٣٢٧
تجاوزه صلى الله عليه وسلم مع اصحابه الا عن ما حرم ١٢٣٨

الصفحة

بيان صورته وخلقه صلى الله عليه وسلم ١٣٢٨
ربعته صلى الله عليه وسلم وتجاوزه أطوال غيره ١٣٢٨
لونه عليه الصلاة والسلام ١٣٢٩
شعره عليه الصلاة والسلام ١٣٢٩
حسنه ونور وجهه عليه الصلاة والسلام وحاجباه وعيناه صلى الله عليه وسلم ١٣٢٩
جمال خلقه صلى الله عليه وسلم ١٣٣٠
طيب رائحته صلى الله عليه وسلم ١٣٣٠
مشيه صلى الله عليه وسلم ١٣٣٠
بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه ١٣٣١
أقواله وأفعاله صلى الله عليه وسلم شاهدة بصدقه ١٣٣١
علو منصبه ومكانته عند الله تعالى ١٣٣١
امداد الله تعالى له صلى الله عليه وسلم ١٣٣٢
بعض معجزاته صلى الله عليه وسلم ١٣٣٢
أخباره صلى الله عليه وسلم بمقتل العنسى ١٣٣٥
اخباره صلى الله عليه وسلم بمقتل أبى ابن خلف ١٣٣٦
اخباره صلى الله عليه وسلم بمصارع صناديد قريش ١٣٣٦
اخباره صلى الله عليه وسلم بأول أهله لحاقا به ١٣٣٧
القرآن معجزته الكبرى صلى الله عليه وسلم ١٣٣٨
تحديه بلغاء قريش بالقرآن ١٣٣٨

كتاب الشعب

إحياء علوم الدين

للإمام أبي حامد الغزالي

الجزء الثامن

دار الشعب
٩٢ شارع قصر العيني القاهرة ت: ٣١٨١٠

كتاب شرح عجائب القلب

كتاب شرح عجائب القلب

وهو الأول من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تتحير دون إدراك جلاله القلوب والخواطر ، وتدهش فى مبادى أشراق أنواره الأحداق والنواظر . المطلع على خفيات السرائر ، العالم بمكنونات الضمائر ، المستغنى فى تدبير مملكته عن المشاور والموازر . مقلب القلوب ، وغفار الذنوب ، وستار العيوب ومفرج الكروب . والصلاة على سيد المرسلين ، وجامع شمل الدين ، وقاطع دابر الملحدين وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وسلم كثيرا

أما بعد ، فشرف الإنسان وفضيلته التى فاق بها جملة من أصناف الخلق ، باستعداده لمعرفة الله سبحانه ، التى هي فى الدنيا جماله وكماله وفخره ، وفى الآخرة عدته وذخره . وإنما استعد للمعرفة بقلبه ، لا بجارحة من جوارحه . فالقلب هو العالم بالله ، وهو المتقرب إلى الله وهو العامل لله ، وهو الساعى إلى الله ، وهو المكاشف بما عند الله . ولديه . وإنما الجوارح أتباع وخدم ، وآلات يستخدمها القلب ، ويستعملها استعمال المالك للعبد ، واستخدام الراعى للرعية ، والصانع للآلة . فالقلب هو المقبول عند الله ، إذا سلم من غير الله . وهو المحجوب عن الله ، إذا صار مستغرقا بغير الله . وهو المطالب ، وهو المخاطب ، وهو المعاتب ، وهو الذى يسعد بالقرب من الله فيفلح إذا زكاه ، وهو الذى يخيب ويشقى إذا دنسه ودساه . وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى ، وإنما الذى ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره . وهو العاصى المتمرد على الله تعالى ، وإنما السارى إلى الأعضاء من الفواحش آثاره . وبإظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه ، إذ كل إناء ينضح بما فيه . وهو الذى إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه ، وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه . وهو الذى إذا جهله الإنسان فقد جهل نفسه ، وإذا جهل نفسه فقد جهل ربه . ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل ، إذ أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم ، وقد حيل بينهم وبين أنفسهم ، فإن الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بأن يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته ، وكيفية تقلبه بين أصبعين

من أصابع الرحمن، وأنه كيف يهوى مرة إلى أسفل السافلين ، وينخفض إلى أفق الشياطين وكيف يرتفع أخرى إلى أعلى عليين ، ويرتقى إلى عالم الملائكة المقربين

ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ، ويترصد لما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه (نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ [1]) فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين ، وأساس طريق السالكين

وإذ فرغنا من الشطر الأول من هذا الكتاب من النظر فيما يجرى على الجوارح من العبادات والعادات ، وهو العلم الظاهر ، ووعدنا أن نشرح فى الشطر الثانى مايجرى على القلب من الصفات المهلكات والمنجيات ، وهو العلم الباطن ، فلا بد أن نقدم عليه كتابين كتابا فى شرح عجائب صفات القلب وأخلاقه ، وكتابا فى كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه . ثم نندفع بعد ذلك فى تفصيل المهلكات والمنجيات. فلنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الأمثال مايقرب من الأفهام ، فإن التصريح بعجائبه وأسراره الداخلة فى جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه أكثر الأفهام .

بيان

معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الأسامى

اعلم أن هذه الأسماء الأربعة تستعمل فى هذه الأبواب ، ويقل فى فحول العلماء من يحيط بهذه الأسامى ، واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها . وأكثر الأغاليط منشؤها الجهل بمعنى هذه الأسامى ، واشتراكها بين مسميات مختلفة . ونحن نشرح فى معنى هذه الأسامى مايتعلق بغرضنا

اللفظ الأول : لفظ القلب ، وهو يطلق لمعنيين . أحدهما اللحم الصنوبرى الشكل المودع فى الجانب الأيسر من الصدر ، وهو لحم مخصوص ، وفى باطنه تجويف ، وفى ذلك التجويف دم أسود ، هو منبع الروح ومعدنه . ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته ، إذ يتعلق به غرض الأطباء ، ولا يتعلق به الأغراض الدينية . وهذا القلب موجود للبهائم

(1) الحشر : ١٩

بل هو موجود للميت . ونحن إذا أطلقنا لفظ القلب فى هـذا الـكتاب لم نعن به ذلك ، فإنه قطعة لحم لاقدر له، وهو من عالم الملك والشهادة، إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين

والمعنى الثانى: هو لطيفة ربانية روحانية ، لها بهذا القلب الجسمانى تعلق . وتلك اللطيفة هى حقيقة الإنسان ، وهو المـدرك العالم العارف من الإنسان ، وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب ، ولها علاقة مع القلب الجسمانى ، وقـد تحيرت عقول أكثر الخلق فى إدراك وجه علاقته ، فإن تعلقه به يضاهى تعلق الأعراض بالأجسام ، والأوصاف بالموصوفات أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة ، أو تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما تتوقاه لمعنيين أحدهما: أنه متعلق بعلوم المكاشفة ، وليس غرضنا من هذا الـكتاب إلا علوم المعاملة والثانى: أن تحقيقه يستدعى إفشاء سر الروح ، وذلك مما [1] لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فليس لغيره أن يتكلم فيه

والمقصود أنا إذا أطلقنا لفظ القلب فى هذا الـكتاب ، أردنا به هذه اللطيفة . وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها ، لا ذكر حقيقتها فى ذاتها . وعلم المعاملة يفتقر إلى معرفة صفاتها وأحوالها ، ولا يفتقر إلى ذكر حقيقتها

اللفظ الثانى : الروح ، وهو أيضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين . أحدهما: جسم لطيف ، منبعه تجويف القلب الجسمانى ، فينشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن . وجريانه فى البـدن ، وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها ، يضاهى فيضان النور من السراج الذى يدار فى زوايا البيت ، فإنه لا ينتهى إلى جزء من البيت إلا ويستنير به ، والحياة مثالها النور الحاصل فى الحيطان ، والروح مثالها السراج ، وسريان الروح وحركته فى الباطن مثال حركة السراج فى جوانب البيت بتحريك محركه . والأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى ، وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب ، وليس شرحه من غرضنا ، إذ المتعلق به غرض الأطباء الذين يعالجون الأبدان . فأما غرض أطباء الدين ، المعالجين للقلب حتى ينساق إلى جوار رب العالمين

---

(١) حديث انه صلى الله عليه وسلم لم يتكلم فى الروح: متفق عليه من حديث ابن مسعود فى سؤال اليهود عن الروح وفيه فأمسك النبى صلى الله عليه فلم يرد عليهم فعلمت أنه يوحى اليه ـ الحديث : وقد تقدم

فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلا .

المعنى الثاني :هو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان ، وهو الذي شرحناه فى أحد معانى القلب ، وهو الذى أراده الله تعالى بقوله (قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى [1]) وهو أمر عجيب ربانى ، تعجز أكثر العقول والأفهام عن درك حقيقته .

اللفظ الثالث : النفس ، وهو أيضا مشترك بين معان ، ويتعلق بغرضنا منه معنيان أحدهما : أنه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة فى الإنسان ، على ماسيأتى شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوف ،لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان ، فيقولون لابد من مجاهدة النفس وكسرها ، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام [1] « أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِى بَيْنَ جَنْبَيْكَ »

المعنى الثانى: هى اللطيفة التى ذكرناها ، التى هى الإنسان بالحقيقة ، وهى نفس الإنسان وذاته ، ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها . فإذا سكنت تحت الأمر ، وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات ، سميت النفس المطمئنة .قال الله تعالى فى مثلها (يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِى إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً [2]) والنفس بالمعنى الأول لايتصور رجوعها إلى الله تعالى ، فإنها مبعدة عن الله ، وهى من حزب الشيطان وإذا لم يتم سكونها ، ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ، ومعترضة عليها ، سميت النفس اللوامة ، لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره فى عبادة مولاه . قال الله تعالى (وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ [3]) وإن تركت الاعتراض ، وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعى الشيطان ، سميت النفس الأمارة بالسوء . قال الله تعالى إخبارا عن يوسف عليه السلام أو امرأة العزيز (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِى إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ [4]) وقد يجوز أن يقال المراد بالأمارة بالسوء هى النفس بالمعنى الأول . فإذاً النفس بالمعنى الأول مذمومة غاية الذم وبالمعنى الثانى محمودة، لأنها نفس الإنسان، أى ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات

---

(١) حديث أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك :البيهقى فى كتاب الزهد من حديث ابن عباس وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضاعين

---

(١) الاسراء : ٨٥ (٢) الفجر : ٢٧ (٣) القيامة : ٢ (٤) يوسف : ٥٢

اللفظ الرابع : العقل ، وهو أيضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها فى كتاب العلم. والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان : أحدهما أنه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور، فيكون عبارة عن صفة العلم الذى محله القلب، والثانى أنه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم ، فيكون هو القلب ، أعنى تلك اللطيفة . ونحن نعلم أن كل عالم فله فى نفسه وجود هو أصل قائم بنفسه ، والعلم صفة حالة فيه ، والصفة غير الموصوف . والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم ، وقد يطلق ويراد به محل الإدراك أعنى المدرك . وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم (٢) « أَوَّلُ مَاخَلَقَ اللهُ الْعَقْلُ » فإن العلم عرض لايتصور أن يكون أول مخلوق ، بل لابد وان يكون المحل مخلوقا قبله أو معه ولأنه لايمكن الخطاب معه . وفى الخبر أنه قال له تعالى أقبل ، فأقبل . ثم قال له أدبر ، فأدبر الحديث

فإذاً قد انكشف لك أن معانى هذه الأسماء موجودة ، وهى القلب الجسمانى ، والروح الجسمانى ، والنفس الشهوانية ، والعلوم . فهذه أربعة معان يطلق عليها الألفاظ الأربعة ومعنى خامس وهي اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان ، والألفاظ الأربعة بجملتها تتوارد عليها . فالمعانى خمسة ، والألفاظ أربعة . وكل لفظ أطلق لمعنيين . وأكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الألفاظ وتواردها ، فتراهم يتكلمون فى الخواطر ، ويقولون هذا خاطر العقل ، وهذا خاطر الروح ، وهذا خاطر القلب ، وهذا خاطر النفس . وليس يدرى الناظر اختلاف معانى هذه الاسماء ولأجل كشف الغطاء عن ذلك ، قدمنا شرح هذه الأسامى وحيث ورد فى القرءان والسنة لفظ القلب ، فالمراد به المعنى الذى يفقه من الإنسان ويعرف حقيقة الأشياء وقد يكنى عنه بالقلب الذى فى الصدر ، لأن بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة ، فإنها وإن كانت متعلقة بسائر البدن ، ومستعملة له ، ولكنها تتعلق به بواسطة القلب . فتعلقها الأول بالقلب ، وكأنه محلها ومملكتها ، وعالمها ومطيتها ، ولذلك شبه سهل التسترى القلب بالعرش ، والصدر بالكرسى ، فقال القلب هو العرش ، والصدر هو الكرسى . ولايظن به أنه يرى أنه عرش الله وكرسيه ، فإن ذلك محال ، بل أراد به أنه مملكته ، والمجرى الأول لتدبيره وتصرفه ، فهما بالنسبة إليه كالعرش والكرسي بالنسبة إلى الله تعالى . ولا يستقيم هذا التشبيه أيضا إلا من بعض الوجوه وشرح ذلك أيضا لا يليق بغرضنا فلنجاوزه

(٢) حديث أول ماخلق الله العقل : وفى الخبر أنه قال له أقبل فأقبل وقال أدبر فأدبر الحديث تقدم فى العلم

بيان جنود القلب

قال الله تعالى (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ [١]) فلله سبحانه فى القلوب والأرواح وغيرها من العوالم جنود مجندة ، لايعرف حقيقتها وتفصيل عددها إلاهو . ونحن الآن نشير إلى بعض جنود القلب ، فهو الذى يتعلق بغرضنا . وله جندان : جند يرى بالأبصار ، وجند لايرى إلابالبصائر . وهو فى حكم الملك ، والجنود فى حكم الخدم والأعوان : فهذا معنى الجند

فأما جنده المشاهد بالعين ، فهو اليد والرجل ، والعين والأذن واللسان ، وسائر الأعضاء الظاهرة والباطنة ، فإن جميعها خادمة للقلب ، ومسخرة له ، فهو المتصرف فيها ، والمردد لها وقد خلقت مجبولة على طاعته ، لا تستطيع له خلافا ، ولا عليه تمردا فإذا أمر العين بالانفتاح انفتحت ، وإذا أمر الرجل بالحركة تحركت ، وإذا أمر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم . وكذا سائر الأعضاء . وتسخير الأعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة لله تعالى ، فإنهم مجبولون على الطاعة ، لا يستطيعون له خلافا ، بل لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون . وإنما يفترقان فى شىء ، وهو أن الملائكة عليهم السلام عالمة بطاعتها وامتثالها ، والأجفان تطيع القلب فى الانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب

وإنما افتقر القلب إلى هذه الجنود ، من حيث أفتقاره إلى المركب والزاد لسفره الذى لأجله خلق ، وهو السفر إلى الله سبحانه ، وقطع المنازل إلى لقائه . فلأجله خلقت القلوب قال الله تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ [٢]) وإنما مركبه البدن ، وزاده العلم وإنما الأسباب التى توصله إلى الزاد ، وتمكنه من التزود منه ، هو العمل الصالح . وليس يمكن العبد أن يصل إلى الله سبحانه ، مالم يسكن البدن ، ولم يجاوز الدنيا ، فإن المنزل الأدنى لابد من قطعه للوصول إلى المنزل الأقصى . فالدنيا مزرعة الآخرة ، وهى منزل من منازل الهدى ، وإنما سميت دنيا لأنها أدنى المنزلتين . فاضطر إلى أن يتزود من هذا العالم ، فالبدن مركبه الذى يصل به إلى هذا العالم . فافتقر إلى تعهد البدن وحفظه . وإنما يحفظ البدن

(١) المدثر : ١٣ (٢) الذاريات : ٥٦

بأن يجلب إليه ما يوافقه من الغذاء وغيره ، وأن يدفع عنه ما ينافيه من أسباب الهلاك. فافتقر لأجل جلب الغذاء إلى جندين : باطن وهو الشهوة ، وظاهر وهو اليد والأعضاء الجالبة للغذاء . فخلق فى القلب من الشهوات ما احتاج إليه ، وخلقت الأعضاء التى هى آلات الشهوات فافتقر لأجل دفع المهلكات إلى جندين : باطن وهو الغضب الذى به يدفع المهلكات، وينتقم من الأعداء ، وظاهر وهو اليد والرجل الذى بهما يعمل بمقتضى الغضب . وكل ذلك بأمور خارجة . فالجوارح من البدن كالأسلحة وغيرها . ثم المحتاج إلى الغذاء ، مالم يعرف الغذاء لم تنفعه شهوة الغذاء والفه . فافتقر للمعرفة إلى جندين : باطن وهو إدراك السمع والبصر والشم واللمس والذوق ، وظاهر وهو العين والأذن والأنف وغيرها . وتفصيل وجه الحاجة إليها ووجه الحكمة فيها يطول ، ولا تحويه مجلدات كثيرة ، وقد أشرنا إلى طرف يسير منها فى كتاب الشكر ، فليقتنع به .

فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة أصناف : صنف باعث ومستحث ، إما إلى جلب النافع الموافق كالشهوة ، وإما إلى دفع الضار المنافى كالغضب . وقد يعبر عن هذا الباعث بالإرادة والثانى هو المحرك للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد ، ويعبر عن هذا الثانى بالقدرة ، وهى جنود مبثوثة فى سائر الأعضاء ، لاسيما العضلات منها والأوتار . والثالث هو المدرك المتعرف للأشياء كالجواسيس ، وهى قوة البصر والسمع ، والشم والذوق واللمس . وهى مبثوثة فى أعضاء معينة ، ويعبر عن هذا بالعلم والإدراك . ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة ، وهى الأعضاء المركبة من الشحم واللحم والعصب ، والدم والعظم ، التى أعدت آلات لهذه الجنود . فإن قوة البطش إنما هى بالأصابع ، وقوة البصر إنما هى بالعين وكذا سائر القوى . ولسنا نتكلم فى الجنود الظاهرة ، أعنى الأعضاء ، فإنها من عالم الملك والشهادة . وإنما نتكلم الآن فيما أيدت به من جنود لم تروها

وهذا الصنف الثالث ، وهو المدرك من هذه الجملة ، ينقسم إلى ما قد أسكن المنازل الظاهرة ، وهى الحواس الخمس، أعنى السمع والبصر ، والشم والذوق واللمس ، وإلى ما أسكن منازل باطنة ، وهى تجاويف الدماغ ، وهى أيضا خمسة . فإن الإنسان بعد رؤية الشىء يغمض عينيه ، فيدرك صورته فى نفسه وهو الخيال ، ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شىء يحفظه

وهو الجند الحافظ ، ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك إلى البعض ، ثم يتذكر ماقد نسيه ويعود إليه ثم يجمع جملة معانى المحسوسات فى خياله بالحس المشترك بين المحسوسات ففى الباطن حس مشترك ، وتخيل وتفكر ، وتذكر وحفظ . ولولا خلق الله قوة الحفظ والفكر ، والذكر والتخيل ، لكان الدماغ يخلو عنه ، كما تخلو اليد والرجل عنه . فتلك القوى أيضا جنود باطنة ، وأماكنها أيضا باطنة

فهذه هى أقسام جنود القلب . وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء بضرب الأمثلة يطول . ومقصود مثل هذا الكتاب أن ينتفع به الأقوياء ، والفحول من العلماء ، ولكنا نجتهد فى تفهيم الضعفاء بضرب الأمثلة ، ليقرب ذلك من أفهامهم

بيان

أمثلة القلب مع جنوده الباطنة

اعلم أن جندى الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما ، فيعينه ذلك على طريقه الذى يسلكه ، وتحسن مرافقتهما فى السفر الذى هو بصدده : وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد ، حتي يملكاه ويستعبداه ، وفيه هلاكه ، وانقطاعه عن سفره الذى به وصوله إلى سعادة الأبد . وللقلب جند آخر ، وهو العلم والحكمة والتفكر كما سيأتى شرحه ، وحقه أن يستعين بهذا الجند ، فإنه حزب الله تعالى على الجندين الآخرين ، فإنهما قد يلتحقان بحزب الشيطان . فإن تَرَكَ الاستعانة ، وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة ، هلك يقينا ، وخسر خسرانا مبينا . وذلك حالة أكثر الخلق ، فإن عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم فى استنباط الحيل لقضاء الشهوة ، وكان ينبغى أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم ، فيما يفتقر العقل إليه . ونحن نقرب ذلك إلى فهمك بثلاثة أمثلة

المثال الأول : أن نقول ، مثل نفس الأنسان فى بدنه ، أعنى بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل ملك فى مدينته ومملكته . فإن البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها ، وجوارحها وقواها بمنزلة الصناع والعملة ، والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح ، والوزير العاقل . والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة إلى المدينة ، والغضب والحمية له كصاحب

الشرطة ، والعبد الجالب للعيرة كذاب مكار ، خداع خبيث ، يتمثل بصورة الناصح ، وتحت نصحه الشر الهائل ، والسم القاتل ، وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح فى آرائه وتدبيراته ، حتى أنه لا يخلو من منازعته ومعارضته ساعة . كما أن الوالى فى مملكته إذا كان مستغنيا فى تدبيراته بوزيره ، ومستشيراله ، ومعرضا عن إشارة هذا العبد الخبيث ، مستدلا بإشارته فى أن الصواب فى نقيض رأيه ، أدَّبَهُ صاحب شرطته ، وساسه لوزيره ، وجعله مؤتمرا له ، مسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث وأتباعه وأنصاره ، حتى يكون العبد مسوسا لا سائسا ، ومأمورا مدبرًا لا أميرا مدبرا ، استقام أمر بلده ، وانتظم العدل بسببه فكذا النفس ، متى استعانت بالعقل ، وأدبت بحمية الغضب ، وسلَّطتها على الشهوة واستعانت باحداهما على الأخرى ، تارة بأن تقلل مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدارجها وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها ، اعتدلت قواها وحسنت أخلاقها ، ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ [1]) وقال تعالى (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث [2]) وقال عز وجل فيمن نهى النفس عن الهوى (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ [3]) وسيأتى كيفية مجاهدة هذه الجنود ، وتسليط بعضها على بعض ، فى كتاب رياضة النفس إن شاء الله تعالى

المثال الثانى : اعلم أن البدن كالمدينة ، والعقل أعنى المدرك من الإنسان كملك مدبر لها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده وأعوانه ، وأعضاؤه كرعيته ، والنفس الأمارة بالسوء التى هى الشهوة والغضب كعدو ينازعه فى مملكته ، ويسعى فى إهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط . فإن هو جاهد عدوه وهزمه ، وقهره على ما يحب ، حمد أثره إذا عاد إلى الحضرة ، كما قال تعالى (وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً [4]) وإن ضيع ثغره ، وأهمل رعيته ، ذم أثره ، فانتقم منه عند الله تعالى [1] فيقال له يوم القيامة ، يا راعى السوء

---

(١) حديث يقال يوم القيامة يا راعى السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة : الخبر لم أجد له أصلا

---

(١) الجاثية : ٢٣ (٢) الاعراف : ١٧٦ (٢) النازعات : ٤٠ ، ٤١ (٤) النساء : ٩٥

أكلت اللحم ، وشربت اللبن ، ولم تأو الضالة ، ولم تجبر الكسير ، اليوم أنتقم منك : كما ورد فى الخبر . وإلى هذه المجاهدة الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم [1] « رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ »

المثال الثالث : مثل العقل مثال فارس متصيد ، وشهوته كفرسه ، وغضبه ككلبه . فمتى كان الفارس حاذقا ، وفرسه مروضا ، وكلبه مؤدبا معلما ، كان جديرا بالنجاح . ومتى كان هو فى نفسه أخرق ، وكان الفرس جموحا ، والكلب عقورا ، فلا فرسه ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل بإشارته مطيعا ، فهو خليق بأن يعطب ، فضلا عن أن ينال ما طلب . وإنما خرق الفارس مثل جهل الإنسان ، وقلة حكمته ، وكلال بصيرته وجماح الفرس مثل غلبة الشهوة ، خصوصا شهوة البطن والفرج . وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه نسأل الله حسن التوفيق بلطفه

بيان

خاصية قلب الإنسان

اعلم أن جملة ما ذكرناه قد أنعم الله به على سائر الحيوانات سوى الآدمى . إذ للحيوان الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة أيضا ، حتى أن الشاة ترى الذئب بعينها ، فتعلم عداوته بقلبها ، فتهرب منه . فذلك هو الإدراك الباطن فلنذكر ما يختص به قلب الإنسان ؛ ولأجله عظم شرفه ، واستأهل القرب من الله تعالى . وهو راجع إلى علم وإرادة

أما العلم ، فهو العلم بالأمور الدنيوية والأخروية ، والحقائق العقلية . فإن هذه أمور وراء المحسوسات ، ولا يشاركه فيها الحيوانات . بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل إذ يحكم الإنسان بأن الشخص الواحد لا يتصور أن يكون فى مكانين فى حالة واحدة . وهذا حكم منه على كل شخص . ومعلوم أنه لم يدرك بالحس إلا بعض الأشخاص ، فحكمه على جميع الأشخاص زائد على ما أدركه الحس . وإذا فهمت هذا فى العلم الظاهر الضرورى فهو فى سائر النظريات أظهر

---

(١) حديث رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الاكبر : البيهقى فى الزهد من حديث جابر وقال هذا اسناد فيه ضعف

وأما الإرادة ، فإنه إذا أدرك بالعقل عاقبة الأمر ، وطريق الصلاح فيه ، انبعث من ذاته شوق إلى جهة المصلحة ، وإلى تعاطى أسبابها ، والإرادة لها. وذلك غير إرادة الشهوة ، وإرادة الحيوانات ، بل يكون على ضد الشهوة ، فإن الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة ، والعقل يريدها ويطلبها ويبذل المال فيها والشهوة تميل إلى لذائذ الأطعمة فى حين المرض ، والعاقل يجد فى نفسه زاجرا عنها . وليس ذلك زاجر الشهوة . ولو خلق الله العقل المعرّف بعواقب الأمور ، ولم يخلق هذا الباعث المحرك للأعضاء على مقتضى حكم العقل ، لكان حكم العقل ضائعا على التحقيق .

فإذاً قلب الإنسان اختص بعلم وإرادة ، ينفك عنها سائر الحيوان ، بل ينفك عنها الصبى فى أول الفطرة . وإنما يحدث ذلك فيه بعد البلوغ . وأما الشهوة والغضب ، والحواس الظاهرة والباطنة ، فإنها موجودة فى حق الصبى . ثم الصبى فى حصول هذه العلوم فيه له درجتان . إحداهما أن يشتمل قلبه على سائر العلوم الضرورية الأولية ، كالعلم باستحالة المستحيلات ، وجواز الجائزات الظاهرة ، فتكون العلوم النظرية فيها غير حاصلة إلا أنها صارت ممكنة قريبة الإمكان والحصول ، ويكون حاله بالإضافة إلى العلوم ، كحال الكاتب الذى لا يعرف من الكتابة إلا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة ، فإنه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد

الثانية أن يتحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر ، فتكون كالمخزونة عنده ، فإذا شاء رجع إليها . وحاله حال الحاذق بالكتابة ، إذ يقال له كاتب ، وإن لم يكن مباشرا للكتابة ، بقدرته عليها . وهذه هى غاية درجة الإنسانية . ولكن فى هذه الدرجة مراتب لا تحصى ، يتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها ، وبشرف المعلومات وخستها ، وبطريق تحصيلها ، إذ تحصل لبعض القلوب بإلهام إلهى على سبيل المبادأة والمكاشفة ، ولبعضهم بتعلم واكتساب . وقد يكون سريع الحصول ، وقد يكون بطيء الحصول . وفى هذا المقام تتباين منازل العلماء والحكماء ، والأنبياء والأولياء ، فدرجات الترقى فيه غير محصورة إذ معلومات الله سبحانه لا نهاية لها وأقصى الرتب رتبة النبى ، الذى تنكشف له كل الحقائق

أو أكثرها ، من غير اكتساب وتكلف ، بل بكشف إلهى فى أسرع وقت . وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة والصفة ، لا بالمكان والمسافة . ومراقى هذه الدرجات هى منازل السائرين إلى الله تعالى ، ولا حصر لتلك المنازل ، وإنما يعرف كل سالك منزله الذى بلغه فى سلوكه ، فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل . فأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما ، لكن قد يصدق به إيمانا بالغيب ، كما أنا نؤمن بالنبوة والنبي ، ونصدق بوجوده ، ولكن لا يعرف حقيقة النبوة إلا النبي . وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ، ولا الطفل حال المميز وما يفتح له من العلوم الضرورية ، ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية ، فكذلك لا يعرف العاقل ما افتتح الله على أوليائه وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته . ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها . وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى ، غير مضنون بها على أحد ، ولكن إنما تظهر فى القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى ، كما قال صلى الله عليه وسلم [1] « إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ لَنَفَحَاتٍ أَلَا فَتَعَرَّضُوا لها » والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته من الخبث والكدورة الحاصلة من الأخلاق المذمومة كما سيأتى بيانه

وإلى هذا الجود الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « يَنْزِلُ اللهُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ » وبقوله عليه الصلاة والسلام ، حكاية عن ربه [2] عز وجل « لَقَدْ طَالَ شَوْقُ الْأَبْرَارِ إِلَى لِقَائِي وَأَنَا إِلَى لِقَائِهِمْ أَشَدُّ شَوْقًا » وبقوله تعالى [3] « مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا » كل ذلك إشارة إلى أن أنوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوا كبيرا ، ولكن حجبت لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فإن القلوب كالأوانى ، فما دامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بجلال الله تعالى . وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث ان لربكم فى ايام دهركم نفحات ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد وقد تقدم

(٢) حديث يقول الله عز وجل لقد طال شوق الأبرار الى لقائى الحديث : لم أجد له أصلا إلا أن صاحب الفردوس خرجه من حديث أبى الدرداء ، ولم يذكر له ولده فى مسند الفردوس اسنادا

(٣) حديث يقول الله من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا : متفق عليه من حديث أبى هريرة

(١) « لَوْلاَ أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحُومُونَ عَلَى قُلُوبِ بَنِي آدَمَ لَنَظَرُوا إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاءِ »

ومن هذه الجملة يتبين أن خاصية الإنسان العلم والحكمة . وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله . فبه كمال الإنسان ، وفى كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الجلال والكمال . فالبدن مركب للنفس ، والنفس محل للعلم ، والعلم هو مقصود الإنسان وخاصيته التى لأجله خلق ، وكما أن الفرس يشارك الحمار فى قوة الحمل ، ويختص عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة ، فيكون الفرس مخلوقا لأجل تلك الخاصية . فإن تعطلت منه نزل إلى حضيض رتبة الحمار . وكذلك الإنسان . يشارك الحمار والفرس فى أمور ، ويفارقهما فى أمور هى خاصيته . وتلك الخاصية من صفات الملائكة المقربين من رب العالمين ، والإنسان على رتبة بين البهائم والملائكة ، فإن الإنسان من حيث يتغذى وينسل فنبات ، ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان ، ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على الحائط . وإنما خاصيته معرفة حقائق الأشياء . فمن استعمل جميع أعضائه وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل ، فقد تشبه بالملائكة ، فحقيق بأن يلحق بهم ، وجدير بأن يسمى ملكا وربانيا ، كما أخبر الله تعالى عن صواحبات يوسف عليه السلام (مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (١)) ومن صرف همته إلى اتباع اللذات البدنية ؛ يأكل كما تأكل الأنعام ، فقد انحط إلى حضيض أفق البهائم ، فيصير إما غمرا كثور ، وإما شرها كخنزير ، وإما ضريا ككلب أوسنور ، أو حقودا كجمل ، أو متكبرا كنمر ، أوذاروغان كثعلب ، أو يجمع ذلك كله كشيطان مريد . وما من عضو من الأعضاء ولا حاسة من الحواس ، إلا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول إلى الله تعالى ، كما سيأتى بيان طرف منه فى كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ، ومن عدل عنه فقد خسر وخاب

وجملة السعادة فى ذلك أن يجعل لقاء الله تعالى مقصده ، والدار الآخرة مستقره ، والدنيا منزله ، والبدن مركبه ، والأعضاء خدمه ، فيستقر هو ، أعنى المدرك من الإنسان ، فى القلب الذى هو وسط مملكته كالملك ، ويجرى القوة الخيالية المودعة فى مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده ، إذ تجتمع أخبار المحسوسات عنده ، ويجرى القوة الحافظة التى مسكنها مؤخر الدماغ

(١) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم ـ الحديث : أحمد من حديث أبى هريرة بنحوه وقد تقدم فى الصيام

(١) يوسف : ٣١

مجرى خازنه ، ويجرى اللسان مجرى ترجمانه ، ويجرى الأعضاء المتحركة مجرى كتابه ، ويجرى الحواس الخمس مجرى جواسيسه ، فيوكل كل واحد منها بأخبار صقع من الأصقاع ، فيوكل العين بعالم الألوان ، والسمع بعالم الأصوات ، والشم بعالم الروائح ، وكذلك سائرها ، فإنها أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه العوالم ، ويؤدونها إلى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد ويسلمها صاحب البريد إلى الخازن وهي الحافظة ، ويعرضها الخازن على الملك . فيقتبس الملك منها مايحتاج إليه في تدبير مملكته ، وإتمام سفره الذي هو بصدده ، وقمع عدوه الذي هو مبتلى به ، ودفع قواطع الطريق عليه . فإذا فعل ذلك كان موفقا سعيدا ، شاكرا نعمة الله . وإذا عطل هذه الجملة . أو استعملها لكن في مراعاة أعدائه ، وهي الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة ، أو في عمارة طريقه دون منزله ، إذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ، ووطنه ومستقره الآخرة ، كان مخذولا شقيا ، كافرا بنعمة الله تعالى ، مضيعا لجنود الله تعالى ، ناصرا لأعداء الله ، مخذلا لحزب الله . فيستحق المقت ، والإبعاد في المنقلب والمعاد ، نعوذ بالله من ذلك

وإلى المثال الذي ضربناه أشار كعب الأحبار حيث قال : دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت [1] الإنسان عيناه هاد ، وأذناه قمع ، ولسانه ترجمان ، ويداه جناحان ، ورجلاه بريد والقلب منه ملك ، فإذا طاب الملك طابت جنوده . فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . وقال علي رضي الله عنه في تمثيل القلوب : إن لله تعالى في أرضه آنية وهي القلوب ، فأحبها إليه تعالى أرقها وأصفاها وأصلبها . ثم فسره فقال : أصلبها في الدين ، وأصفاها في اليقين ، وأرقها على الإخوان وهو إشارة إلى قوله تعالى (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ [2]) وقوله تعالى (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ [2]) قال أبي بن كعب رضي الله عنه : معناه مثل نور المؤمن وقلبه . وقوله تعالى (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ [3]) مثل قلب المنافق . وقال زيد بن أسلم في قوله تعالى (فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ [4]) وهو قلب المؤمن . وقال سهل : مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي . فهذه أمثلة القلب

---

(١) حديث عائشة الانسان عيناه هاد واذناه قمع ولسانه ترجمان ـ الحديث : أبو نعيم في الطب النبوي والطبراني في مسند الشاميين والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة نحوه وله ولأحمد من حديث أبي ذر اما الأذن فقمع وأما العين فمقرة لما يوعى القلب ولا يصح منها شيء

---

(١) الفتح : ٢٩ (٢) النور : ٣٥ (٣) النور : ٤٠ (٤) البروج : ٢١

بيان

مجامع أوصاف القلب وأمثلته

اعلم أن الإنسان قد اصطحب فى خلقته وتركيبه أربع شوائب ، فلذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من الأوصاف ، وهى الصفات السبعية ، والبهيمية ، والشيطانية ، والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى أفعال السباع ،من العداوة والبغضاء ،والتهجم على الناس بالضرب والشتم . ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى أفعال البهائم،من الشره والحرص والشبق وغيره. ومن حيث إنه فى نفسه أمر ربانى، كما قال الله تعالى (قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى [1]) فإنه يدعى لنفسه الربوبية ، ويحب الاستيلاء والاستعلاء ، والتخصص والاستبداد بالأمور كلها ، والتفرد بالرياسة ، والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ، ويشتهى الاطلاع على العلوم كلها ، بل يدعى لنفسه العلم والمعرفة والإحاطة بحقائق الأمور ، ويفرح إذا نسب إلى العلم ، ويحزن إذا نسب إلى الجهل . والإحاطة بجميع الحقائق ، والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من أوصاف الربوبية . وفى الإنسان حرص على ذلك . ومن حيث يختص من البهائم بالتميز ، مع مشاركته لها فى الغضب والشهوة ، حصلت فيه شيطانية ، فصار شريرا ، يستعمل التميز فى استنباط وجوه الشر ، ويتوصل إلى الأغراض بالمكر والحيلة والخداع ، ويظهر الشر فى معرض الخير ، وهذه أخلاق الشياطين. وكل إنسان فيه شوب من هذه الأصول الأربعة ، أعنى الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية . وكل ذلك مجموع فى القلب ، فكأن المجموع فى إهاب الإنسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم . فالخنزير هو الشهوة ، فإنه لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته ، بل لجشعه وكلبه وحرصه . والكلب هو الغضب،فإن السبع الضارى والكلب العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل، بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر ، وفى باطن الإنسان ضراوة السبع وغضبه، وحرص الخنزير وشبقه .فالخنزير يدعو بالشره إلى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب إلى الظلم والإيذاء، والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع

(١) الاسراء : ٨٥

ويغرى أحدهما بالآخر ،ويحسن لهما ماهما مجبولان عليه . والحكيم الذى هومثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ومكره ، بأن يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة . ونوره المشرق الواضح ، وأن يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه ، إذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ، ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ؛ ويجعل الكلب مقهورا تحت سياسته . فإن فعل ذلك وقدر عليه . اعتدل الأمر ، وظهر العدل فى مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم . وإن عجز عن قهرها ، قهروه واستخدموه ، فلايزال فى استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ، ويرضى الكلب ، فيكون دائما فى عبادة كلب وخنزير ،وهذا حال أكثر الناس مهما كان أكثر همتهم البطن والفرج ومنافسة الأعداء

والعجب منه أنه ينكر على عبدة الأصنام عبادتهم للحجارة ، ولو كشف الغطاء عنه ، وكوشف بحقيقة حاله ، ومثل له حقيقة حاله ، كما يمثل للمكاشفين إما فى النوم أو فى اليقظة ، لرأى نفسه ماثلا بين يدى خنزير ، ساجداله مرة ، وراكعا أخرى ، ومنتظراً لإشارته وأمره ، فمهما هاج الخنزير لطلب شىء من شهواته ، انبعث على الفور فى خدمته ، وإحضار شهوته. أو رأى نفسه ماثلا بين يدى كلب عقور ، عابداله ، مطيعاساعيالمايقتضيه ويلتمسه، مدققا بالفكر فى حيل الوصول إلى طاعته . وهو بذلك ساع فى مسرة شيطانه ، فإنه الذى يهيج الخنزير ويثير الكلب ، ويبعثهما على استخدامه ، فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما

فليراقب كل عبد حركاته وسكناته : وسكوته ونطقه ، وقيامه وقعوده ، ولينظر بعين البصيرة فلا يرى إن أنصف نفسه إلا ساعيا طول النهار فى عبادة هؤلاء ، وهذا غاية الظلم، إذ جعل المالك مملوكا ، والرب مربوبا ، والسيد عبدا ، والقاهر مقهورا . إذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء ، وقد سخره لخدمة هؤلاء الثلاثة ، فلاجرم ينتشر إلى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات تتراكم عليه ، حتى يصير طابعا ، ورينا مهلكا للقلب ومميتا له

أما طاعة خنزير الشهوة ، فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث ، والتبذير والتقتير ، والرياء والهتكة ، والمجانة والعبث ، والحرص والجشع ، والملق والحسد ، والحقد والشماتة وغيرها

وأما طاعة كلب الغضب ، فتنتشر منها إلى القلب صفة التهور ، والبذالة والبذخ ، والصلف والاستشاطة ، والتكبر والعجب ، والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق ، وإرادة الشر ، وشهوة الظلم وغيرها

وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب ، فيحصل منها صفة المكر والخداع ، والحيلة والدهاء ، والجراءة ، والتلبيس والتضريب والغش ، والخب والخنا وأمثالها

ولو عكس الأمر ، وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية ، لاستقر فى القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين ، والإحاطة بحقائق الأشياء ، ومعرفة الأمور على ماهى عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة ، واستحقاق التقدم على الخلق لكمال العلم وجلاله ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ، ولانتشر إليه من ضبط خنزير الشهوة ورده إلى حد الاعتدال صفات شريفة ، مثل العفة ، والقناعة والهدو ، والزهد والورع والتقوى ، والانبساط وحسن الهيئة ، والحياء والظرف ، والمساعدة وأمثالها . ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها ، وردها إلى حد الواجب ، صفة الشجاعة والكرم والنجدة ، وضبط النفس والصبر ، والحلم والاحتمال والعفو ، والثبات والنبل ، والشهامة والوقار وغيرها

فالقلب فى حكم مرآة قد اكتنفته هذه الأمور المؤثرة فيه ، وهذه الآثار على التواصل واصلة إلى القلب . أما الآثار المحمودة التى ذكرناها ، فإنها تزيد مرآة القلب جلاء وإشراقا ونورا وضياء ، حتى يتلألأ فيه جلية الحق ، وينكشف فيه حقيقة الأمر المطلوب فى الدين وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم[1] « إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْراً جَعَلَ لَهُ وَاعِظاً مِنْ قَلْبِهِ » وبقوله صلى الله عليه وسلم[2] « مَنْ كَانَ لَهُ مِنْ قَلْبِهِ وَاعِظٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ » وهذا القلب هو الذى يستقر فيه الذكر . قال الله تعالى (أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ[1] .)

---

(١) حديث اذا أراد الله بعبده خيرا جعل له واعظا من قلبه : أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أم سلمة واسناده جيد

(٢) حديث من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ : لم أجد له أصلا

---

(١) الرعد : ٢٨

وأما الآثار المذمومة ، فإنها مثل دخان مظلم يتصاعد إلى مرآة القلب . ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى ، إلى أن يسود ويظلم ، ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى ، وهو الطبع وهو الرين . قال الله تعالى (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ[1]) وقال عز وجل (أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ[2]) فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب، كما ربط السماع بالتقوى . فقال تعالى (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا[3]) (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ[4])

ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلوب ، وعند ذلك يعمى القلب عن إدراك الحق وصلاح الدين ، ويستهين بأمر الآخرة ، ويستعظم أمر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها. فإذا قرع سمعه أمر الآخرة ومافيها من الأخطار، دخل من أذن وخرج من أذن، ولم يستقر فى القلب ولم يحركه إلى التوبة والتدارك، أولئك الذين يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور

وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب : كما نطق به القرءان والسنة. قال ميمون بن مهران إذا أذنب العبد ذنبا نكت فى قلبه نكتة سوداء ، فإذا هو نزع وتاب ، صقل ، وإن عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه ، فهو الران . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم[1] « قَلْبُ الْمُؤْمِنِ أَجْرَدُ فِيهِ سِرَاجٌ يُزْهِرُ ، وَقَلْبُ الْكَافِرِ أَسْوَدُ مَنْكُوسٌ » فطاعة الله سبحانه بمخالفة الشهوات مصقلة للقلب ، ومعاصيه مسوّدات له . فمن أقبل على المعاصى اسودّ قلبه ، ومن أتبع السيئة الحسنة ومحا أثرها لم يظلم قلبه ، ولكن ينقص نوره ، كالمرآة التى يتنفس فيها ثم تمسح ، ويتنفس ثم تمسح ، فإنها لا تخلو عن كدورة .

وقد قال صلى الله عليه وسلم[2] « الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ قَلْبٌ أَجْرَدُ فِيهِ سِرَاجٌ يُزْهِرُ فَذَلِكَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ وَقَلْبٌ أَسْوَدُ مَنْكُوسٌ فَذَلِكَ قَلْبُ الْكَافِرِ وَقَلْبٌ أَغْلَفُ مَرْبُوطٌ عَلَى غِلَافِهِ فَذَلِكَ قَلْبُ الْمُنَافِقِ وَقَلْبٌ مُصْفَحٌ فِيهِ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ فَمَثَلُ الْإِيمَانِ فِيهِ كَمَثَلِ الْبَقْلَةِ

---

(١) حديث قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر ـ الحديث: أحمد والطبرانى فى الصغير من حديث أبى سعيد وهو بعض الحديث الذى يليه

(٢) حديث القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر ـ الحديث: أحمد والطبرانى فى الصغير من حديث أبى سعيد الخدرى وقد تقدم

---

(١) المطففين : ١٤ (٢) الاعراف : ١٠٠ (٣) المائدة : ١٠٨ (٤) البقرة : ٢٨٢

يَمُدُّهَا الْمَاءُ الطَّيِّبُ وَمَثَلُ النِّفَاقِ فِيهِ كَمَثَلِ الْقَرْحَةِ يَمُدُّهَا الْقَيْحُ وَالصَّدِيدُ فَأَيُّ الْمَادَّتَيْنِ غَلَبَتْ عَلَيْهِ حُكِمَ لَهُ بِهَا » وفى رواية « ذَهَبَتْ بِهِ » قال الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ [1]) فأخبر أن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر ، وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا . فالتقوى باب الذكر ، والذكر باب الكشف ، والكشف باب الفوز الأكبر ، وهو الفوز بلقاء الله تعالى

بيان

مثل القلب بالإضافة إلى العلوم خاصة

اعلم أن محل العلم هو القلب ، أعنى اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح ، وهى المطاعة المخدومة من جميع الأعضاء ، وهى بالإضافة إلى حقائق المعلومات كالمرآة بالإضافة إلى صور المتلونات. فكما أن للمتلون صورة ، ومثال تلك الصورة ينطبع فى المرآة ويحصل بها ، كذلك لكل معلوم حقيقة ، ولتلك الحقيقة صورة تنطبع فى مرآة القلب وتتضح فيها . وكما أن المرآة غيرٌ ، وصور الأشخاص غير ، وحصول مثالها فى المرآة غير ، فهى ثلاثة أمور ، فكذلك ههنا ثلاثة أمور ، القلب ، وحقائق الأشياء ، وحصول نفس الحقائق فى القلب وحضورها فيه . فالعالم عبارة عن القلب الذى فيه يحل مثال حقائق الأشياء ، والمعلوم عبارة عن حقائق الأشياء ، والعلم عبارة عن حصول المثال فى المرآة

وكما أن القبض مثلا يستدعى قابضا كاليد ، ومقبوضا كالسيف ، ووصولا بين السيف واليد بحصول السيف فى اليد ويسمى قبضا ، فكذلك وصول مثال المعلوم إلى القلب يسمى علما . وقد كانت الحقيقة موجودة ، والقلب موجودا ، ولم يكن العلم حاصلا ، لأن العلم عبارة عن وصول الحقيقة إلى القلب. كما أن السيف موجود ، واليد موجودة ، ولم يكن اسم القبض والأخذ حاصلا ، لعدم وقوع السيف فى اليد

نعم القبض عبارة عن وصول السيف بعينه فى اليد ، والمعلوم بعينه لا يحصل فى القلب ، فمن علم النار لم تحصل عين النار فى قلبه ، ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها ، فتمثيله بالمرآة أولى ، لأن عين الإنسان لا تحصل فى المرآة ، وإنما يحصل مثال مطابق له .

---

(١) الأعراف : ٢٠١

وكذا حصول مثل مطابق لحقيقة العلوم فى القلب يسمى علما . وكما أن المرآة لا تنكشف فيها الصورة لخمسة أمور .

أحدها : نقصان صورتها ، كجوهر الحديد قبل أن يدور ويشكل ويصقل

والثانى : لخبثه وصدئه وكدورته ، وإن كان تام الشكل

والثالث . لكونه معدولا به عن جهة الصورة إلى غيرها ، كما إذا كانت الصورة وراء المرآة

والرابع . لحجاب مرسل بين المرآة والصورة

والخامس : للجهل بالجهة التى فيها الصورة المطلوبة ، حتى يتعذر بسببه أن يحاذى بها شطر الصورة وجهتها

فكذلك القلب مرآة مستعدة لأن ينجلى فيها حقيقة الحق فى الأمور كلها . وإنما خلت القلوب عن العلوم التى خلت عنها لهذه الأسباب الخمسة

أولها : نقصان فى ذاته ، كقلب الصبى ، فإنه لا ينجلى له المعلومات لنقصانه .

والثانى : لكدورة المعاصى والخبث الذى يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات ، فإن ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكمه . وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم [1] « مَنْ قَارَفَ ذَنْباً فَارَقَهُ عَقْلٌ لاَ يَعُودُ إِلَيْهِ أَبَداً » أى حصل فى قلبه كدورة لا يزول أثرها . إذ غايته أن يتبعه بحسنة يمحوه بها ، فلو جاء بالحسنة ولم تتقدم السيئة ، لازداد لا محالة إشراق القلب . فلما تقدمت السيئة ، سقطت فائدة الحسنة ، لكن عاد القلب بها إلى ما كان قبل السيئة ، ولم يزدد بها نورا . فهذا خسران مبين ، ونقصان لا حيلة له . فليست المرآة التى تتدنس ثم تمسح بالمصقلة ، كالتى تمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق . فالإقبال على طاعة الله ، والإعراض عن مقتضى الشهوات ، هو الذى يجلو القلب ويصفيه . ولذلك قال الله تعالى (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا [1]) وقال صلى الله عليه وسلم [2] « مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ »

---

(١) حديث من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه أبدا : لم أر له أصلا

(٢) حديث من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم : أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس وقد تقدم فى العلم

---

[1] العنكبوت : ٦٩

الثالث . أن يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة . فإن قلب للطبع الصالح، وإن كان صافيا ، فإنه ليس يتضح فيه جلية الحق ، لأنه ليس يطلب الحق ، وليس محاذيا بمرآته شطر المطلوب ،بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية ، أو بتهيئة أسباب المعيشة ، ولا يصرف فكره إلى التأمل فى حضرة الربوبية ، والحقائق الخفية الإلهية فلاينكشف له إلاماهو متفكر فيه من دقائق آفات الأعمال ، وخفايا عيوب النفس ، إن كان متفكرا فيها ، أو مصالح المعيشة إن كان متفكرا فيها. وإذا كان تقييدا لهم بالأعمال وتفصيل الطاعات مانعا عن انكشاف جلية الحق ، فما ظنك فيمن صرف الهم إلى الشهوات الدنيوية ولذاتها وعلائقها ؟ فكيف لايمنع عن الكشف الحقيق !

الرابع: الحجاب . فإن المطيع القاهر لشهواته ، المتجرد الفكر فى حقيقة من الحقائق قد لاينكشف له ذلك ، لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق إليه منذ الصبا ، على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن ، فإن ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ، ويمنع من أن ينكشف فى قلبه خلاف ماتلقفه من ظاهر التقليد . وهذا أيضا حجاب عظيم ، به حجب أكثر المتكلمين والمتعصبين المذاهب ، بل أكثر الصالحين المتفكرين فى ملكوت السموات والأرض ، لأنهم محجوبون باعتقادات تقليدية ، جمدت فى نفوسهم ، ورسخت فى قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقائق

الخامس الجهل بالجهة التى يقع منها العثور على المطلوب . فإن طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول ، إلا بالتذكر للعلوم التى تناسب مطلوبه ، حتى إذا تذكرها ،ورتبها فى نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطرق الاعتبار ، فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب ، فتنجلى حقيقة المطلوب لقلبه . فإن العلوم المطلوبة التى ليست فطرية ، لاتقتنص إلا بشبكة العلوم الحاصلة . بل كل علم لايحصل إلا عن علمين سابقين ، يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص ، فيحصل من ازدواجهما علم ثالث ،على مثال مايحصل النتاج من ازدواج الفحل والأنثى . ثم كما أن من أراد أن يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار وبعير وإنسان بل من أصل مخصوص من الخيل الذكر والأنثى، وذلك إذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله أصلان مخصوصان، وبينهما طريق فى الازدواج، يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب

فالجهل بتلك الأصول، وبكيفية الازدواج، هو المانع من العلم. ومثاله ماذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها. بل مثاله أن يريد الانسان أن يرى قفاه مثلا بالمرآة. فإنه إذا رفع المرآة بازاء وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا، فلا يظهر فيها القفا. وإن رفعها وراء القفا وحاذاه، كان قد عدل بالمرآة عن عينه، فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيها، فيحتاج الى مرآة أخرى ينصبها وراء القفا، وهذه في مقابلتها بحيث يبصرها، ويرعى مناسبة بين وضع المرآتين، حتى تنطبع صورة القفا في المرآة المحاذية للقفا، ثم تنطبع صورة هذه المرآة في المرآة الأخرى التي في مقابلة العين، ثم تدرك العين صورة القفا فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة، فيها ازورارات وتحريفات أعجب مما ذكرناه في المرآة، يعز على بسيط الارض من يهتدى إلى كيفية الحيلة في تلك الازورارات

فهذه هي الاسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الأمور. وإلا فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق، لأنه أمر رباني شريف، فارق سائر جواهر العلم بهذه الخاصية والشرف. وإليه الاشارة بقوله عز وجل (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ [1]) اشارة الى أن له خاصية تميز بها عن السموات والارض والجبال، بها صار مطيقا لحمل أمانة الله تعالى وتلك الأمانة هي المعرفة والتوحيد، وقلب كل آدمي مستعد لحمل الأمانة ومطيق لها في الاصل، ولكن يثبطه عن النهوض بأعبائها والوصول الى تحقيقها، الأسباب التي ذكرناها. ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [1] «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَإِنَّمَا أَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ» وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] «لَوْلَا أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحُومُونَ عَلَى قُلُوبِ بَنِي آدَمَ لَنَظَرُوا إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاءِ» إشارة إلى بعض هذه الاسباب التي هي الحجاب بين القلب وبين الملكوت. وإليه الاشارة بما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قيل لرسول الله يارسول الله [3] اين الله؟ في الارض أو في السماء؟ قال «فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ» وفي الخبر قال الله تعالى

---

(١) حديث كل مولود يولد على الفطرة ـ الحديث: متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٢) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم ـ الحديث: تقدم

(٣) حديث ابن عمر أين الله قال في قلوب عباده المؤمنين: لم أجده بهذا اللفظ وللطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله آنية من اهل الارض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين الحديث فيه بقية بن الوليد وهو مدلس لكنه صرح فيه بالتحديث

---

(١) الاحزاب: ٧٢

(١) « لَمْ يَسَعْنِي أَرْضِي وَلاَ سَمَائِي وَوَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ اللَّيِّنِ الْوَادِعِ » وفى الخبر أنه (٢) قيل يارسول الله ، من خير الناس؟ فقال « كُلُّ مُؤْمِنٍ مَخْمُومِ الْقَلْبِ » فقيل وما مخموم القلب؟ فقال « هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ الَّذِي لاَغِشَّ فِيهِ وَلاَ بَغْيَ وَلاَ غَدْرَ وَلاَ غِلَّ وَلاَ حَسَدَ » ولذلك قال عمر رضى الله عنه : رأى قلبي ربى. إذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ، ومن ارتفع الحجاب بينه وبين الله تجلى صورة الملك والملكوت فى قلبه ، فيرى جنة عرض بعضها السموات والارض ، أما جملتها فأكثر سعة من السموات والأرض ، لأن السموات والأرض عبارة عن عالم الملك والشهادة ، وهو وإن كان واسع الأطراف ، متباعد الأكناف ، فهو متناه على الجملة ، وأما عالم الملكوت ، وهى الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار ، المخصوصة بإدراك البصائر ، فلانهاية له . نعم الذى يلوح للقلب منه مقدار متناه ، ولكنه فى نفسه وبالإضافة إلى علم الله ، لانهاية له . وجملة عالم الملك والملكوت إذا أخذت دفعة واحدة ، تسمى الحضرة الربوبية ، لأن الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات ، إذ ليس فى الوجود شىء سوى الله تعالى وأفعاله ، ومملكته وعبيده من أفعاله . فما يتجلى من ذلك للقلب هى الجنة بعينها عنه قوم : وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق ، ويكون سعة ملكه فى الجنة بحسب سعة معرفته ، وبمقدار ما تجلى له من الله وصفاته وأفعاله . وإنما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه ، قد أفلح من زكاها ، ومراد تزكيته حصول أنوار الإيمان فيه ، أعنى اشراق نور المعرفة ، وهو المراد بقوله تعالى (فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ (١)) وبقوله (أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ (٢))

نعم هذا التجلى وهذا الإيمان له ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى : إيمان العوام ، وهو إيمان التقليد المحض

والثانية : إيمان المتكلمين ، وهو ممزوج بنوع استدلال ، ودرجته قريبة من درجة إيمان العوام

---

(١) حديث قال الله ماوسعنى أرضى ولاسمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن اللين الوادع : لم أر له أصلا وفى حديث أبى عتبة قبله عند الطبرانى بعد قوله وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها اليه ألينها وأرقها

(٢) حديث قيل من خير الناس قال كل مؤمن مخموم القلب ـ الحديث : هـ من حديث عبد الله بن عمر باسناد صحيح

---

(١) الأنعام : ١٢٥ (٢) الزمر : ٢٢

والثالثة : إيمان العارفين ، وهو المشاهد بنور اليقين

ونبين لك هذه المراتب بمثال ، وهو أن تصديقك بكون زيد مثلا فى الدار له ثلاث درجات :

الأولى : أن يخبرك من جربته بالصدق ، ولم تعرفه بالكذب ، ولا اتهمته فى القول ، فإن قلبك يسكن إليه ، ويطمئن بخبره بمجرد السماع ، وهذا هو الإيمان بمجرد التقليد وهو مثل إيمان العوام . فإنهم لما بلغوا سن التمييز ، سمعوا من آبائهم وأمهاتهم وجود الله تعالى ، وعلمه وإرادته وقدرته وسائر صفاته ، وبعثة الرسل وصدقهم وما جاءوا به ، وكما سمعوا به قبلوه ، وثبتوا عليه ، واطمأنوا إليه ، ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لهم ، لحسن ظنهم بآبائهم وأمهاتهم ومعلميهم . وهذا الإيمان سبب النجاة فى الآخرة ، وأهله من أوائل رتب أصحاب اليمين ، وليسوا من المقربين . لأنه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين ، إذ الخطأ ممكن فيما سمع من الآحاد ، بل من الاعداد ، فيما يتعلق بالاعتقادات فقلوب اليهود والنصارى أيضا مطمئنة بما يسمعونه من آبائهم وأمهاتهم ، إلا أنهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ ، لأنهم ألقى إليهم الخطأ . والمسلمون اعتقدوا الحق ، لا لإطلاعهم عليه ، ولكن ألقى إليهم كلمة الحق .

الرتبة الثانية : أن تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ، ولكن من وراء جدار ، فتستدل به على كونه فى الدار . فيكون إيمانك وتصديقك ويقينك بكونه فى الدار أقوى من تصديقك بمجرد السماع . فإنك إذا قيل لك إنه فى الدار ، ثم سمعت صوته ، ازددت به يقينا ، لأن الأصوات تدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت فى حال مشاهدة الصورة ، فيحكم قلبه بأن هذا صوت ذلك الشخص . وهذا إيمان ممزوج بدليل . والخطأ أيضا ممكن أن يتطرق إليه ، إذ الصوت قد يشبه الصوت ، وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة ، إلا أن ذلك قد لا يخطر ببال السامع ، لأنه ليس يجعل للتهمة موضعا ، ولا يقدر فى هذا التلبيس والمحاكاة غرضا

الرتبة الثالثة : أن تدخل الدار فتنظر إليه بعينك وتشاهده . وهذه هى المعرفة الحقيقية ، والمشاهدة اليقينية ، وهى تشبه معرفة المقربين والصديقين ، لانهم يؤمنون عن مشاهدة ،

فينطوى فى إيمانهم إيمان العوام والمتكلمين ، ويتميزون بمزية بينة يستحيل معها إمكان الخطأ . نعم وهم أيضا يتفاوتون بمقادير العلوم ، وبدرجات الكشف . أما درجات العلوم فمثاله أن يبصر زيدا فى الدار عن قرب ، وفى صحن الدار ، فى وقت إشراق الشمس ، فيكمل له إدراكه . والآخر يدركه فى بيت ، أو من بعد ، أو فى وقت عشية ، فيتمثل له فى صورته ما يستيقن معه أنه هو ، ولكن لا يتمثل فى نفسه الدقائق والخفايا من صورته . ومثل هذا متصور فى تفاوت المشاهدة للأمور الإلهية . وأما مقادير العلوم ، فهو بأن يرى فى الدار زايدا وعمرا وبكرا وغير ذلك ، وآخر لا يرى إلا زيدا ، فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذا حال القلب بالإضافة إلى العلوم والله تعالى أعلم بالصواب

بيان

حال القلب بالإضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والأخروية

اعلم أن القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ، ولكن العلوم التى تحل فيه تنقسم إلى عقلية ، وإلى شرعية ، والعقلية تنقسم إلى ضرورية ، ومكتسبة ، والمكتسبة إلى دنيوية ، وأخروية ، أما العقلية ، فنعنى بها ما تقضى بها غريزة العقل ، ولا توجد بالتقليد والسماع . وهى تنقسم إلى ضرورية ، لا يدرى من أين حصلت ، وكيف حصلت ، كعلم الإنسان بأن الشخص الواحد لا يكون فى مكانين ، والشىء الواحد لا يكون حادثا قديما ، موجودا معدوما معا ، فإن هذه علوم يجد الإنسان نفسه منذ الصبا مفطورا عليها ، ولا يدرى متى حصل له هذا العلم ، ولا من أين حصل له . أعنى أنه لا يدرى له سببا قريبا . وإلا فليس يخفى عليه أن الله هو الذى خلقه وهداه . وإلى علوم مكتسبة ، وهى المستفادة بالتعلم والاستدلال . وكلا القسمين قد يسمى عقلا . قال علي رضى الله عنه

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

والأول :هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلي [١] « مَا خَلَقَ اللهُ خَلْقاً أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَقْلِ » والثانى: هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلى رضي الله عنه [٢] « إِذَا تَقَرَّبَ النَّاسُ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِأَنْوَاعِ الْبِرِّ فَتَقَرَّبْ أَنْتَ بِعَقْلِكَ » إذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية، ولا بالعلوم الضرورية ، بل بالمكتسبة . ولكن مثل علي رضى الله عنه ، هو الذى يقدر على التقرب باستعمال العقل فى اقتناص العلوم التى بها ينال القرب من رب العالمين . فالقلب جار مجرى العين ، وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر فى العين . وقوة الابصار لطيفة تفقد فى العمى ، وتوجد فى البصر وإن كان قد غمض عينيه أو جن عليه الليل. والعلم الحاصل منه فى القلب جار مجرى قوّة إدراك البصر فى العين ، ورؤيته لأعيان الأشياء. وتأخر العلوم عن عين العقل فى مدة الصبا إلى أوان التمييز أو البلوغ ، يضاهى تأخر الرؤية عن البصر إلى أوان إشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات . والقلم الذى سطر الله به العلوم على صفحات القلوب ، يجرى مجرى قرص الشمس. وإنما لم يحصل العلم فى قلب الصبي قبل التمييز ، لأن لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نفس العلم . والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى، جعله سببا لحصول نقش العلوم فى قلوب البشر . قال الله تعالى (الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ [١]) وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه ، كما لا يشبه وصفه وصف خلقه فليس قلمه من قصب ولا خشب ، كما أنه تعالى ليس من جوهر ولا عرض .فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه ،إلا أنه لا مناسبة بينهما فى الشرف فإن البصيرة الباطنة هى عين النفس التي هى اللطيفة المدركة ، وهى كالفارس، والبدن كالفرس ، وعمى الفارس أضر على الفارس من عمى الفرس ، بل لا نسبة لأحد الضررين الى الآخر

ولموازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر ، سماه الله تعالى باسمه فقال (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى [٢]) سمى إدراك الفؤاد رؤية. وكذلك قوله تعالى (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ [٣]) وما أراد به الرؤية الظاهرة ،فإن ذلك غير مخصوص بابراهيم عليه السلام

---

(١) حديث ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل: ت الحكيم فى نوادر الاصول باسناد ضعيف وقد تقدم فى العلم

(٢) حديث إذا تقرب الناس إلى الله بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك: أبو نعيم من حديث علي باسناد ضعيف

(١) العلق : ٤ (٢) النجم : ١١ (٣) الانعام : ٧٥

حتى يعرض فى معرض الامتان . ولذلك سمى ضد إدراكه عمى ، فقال تعالى (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَـٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ [1]) وقال تعالى (وَمَن كَانَ فِي هَـٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا [2]) فهذا بيان العلم العقلى

أما العلوم الدينية ، فهى المأخوذة بطريق التقليد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وفهم معانيهما بعد السماع . وبه كمال صفة القلب ، وسلامته عن الادواء والأمراض ؛ فالعلوم العقلية غير كافية فى سلامة القلب ، وإن كان محتاجا اليها . كما أن العقل غير كاف فى استدامة صحة أسباب البدن ، بل يحتاج إلى معرفة خواص الأدوية والعقاقير بطريق التعلم من الأطباء . إذ مجرد العقل لا يهتدى إليه ، ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه إلا بالعقل ، فلا غنى بالعقل عن السماع ، ولا غنى بالسماع عن العقل . فالداعى إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل ، والمكتفى بمجرد العقل عن أنوار القرءان والسنة مغرور . فإياك أن تكون من أحد الفريقين ، وكن جامعا بين الأصلين ، فإن العلوم العقلية كالأغذية ، والعلوم الشرعية كالأدوية . والشخص المريض يستضر بالغذاء متى فاته الدواء . فكذلك أمراض القلوب لا يمكن علاجها إلا بالأدوية المستفادة من الشريعة ، وهى وظائف العبادات والأعمال التى ركبها الأنبياء صلوات الله عليهم لإصلاح القلوب . فمن لا يداوى قلبه المريض بمعالجات العبادة الشرعية ، واكتفى بالعلوم العقلية ، استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء

وظن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية ، وأن الجمع بينهما غير ممكن ، هو ظن صادر عن عمى فى عين البصيرة ، نعوذ بالله منه . بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض ، فيعجز عن الجمع بينهما ، فيظن أنه تناقض فى الدين ، فيتحير به ، فينسل من الدين انسلال الشعرة من العجين . وانما ذلك لأن عجزه فى نفسه خيل إليه نقضا فى الدين ، وهيهات . وإنما مثاله مثال الأعمى الذى دخل دار قوم ، فتعثر فيها بأوانى الدار ، فقال لهم ما بال هذه الأوانى تركت على الطريق ؟ لم لا ترد إلى موضعها ؟ فقالوا له تلك الأوانى

---

(١) الحج : ٤٦ (٢) الاسراء : ٧٢

فى مواضعها ، وإنما أنت لست تهتدى للطريق لعماك ، فالعجب منك أنك لاتحيل عثرتك على عماك ، وانما تحيلها على تقصير غيرك.

فهذه نسبة العلوم الدينية إلى العلوم العقلية

والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية وأخروية . فالدنيوية كعلم الطب ، والحساب والهندسة والنجوم ، وسائر الحرف والصناعات . والأخروية كعلم أحوال القلب ، وآفات الأعمال والعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله ، كما فصلناه فى كتاب العلم . وهما علمان متنافيان : أعنى أن من صرف عنايته إلى أحدهما حتى تعمق فيه ،قصرت بصيرته عن الآخر على الأكثر . ولذلك ضرب علي رضى الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة أمثلة فقال : هما ككفتى الميزان ، وكالمشرق والمغرب ، وكالضرتين ، إذا أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى . ولذلك ترى الأكياس فى أمور الدنيا وفى علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة ، جهالا فى أمور الآخرة . والأكياس فى دقائق علوم الآخرة ، جهالا فى أكثر علوم الدنيا . لأن قوة العقل لاتفى بالأمرين جميعا فى الغالب ، فيكون أحدهما مانعا من الكمال فى الثانى . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [1] « إِنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبُلْهُ » أى البله فى أمور الدنيا . وقال الحسن فى بعض مواعظه : لقد أدركنا أقواما لو رأيتموهم لقلتم مجانين ، ولو أدركوكم لقالوا شياطين . فمهما سمعت أمرا غريبا من أمور الدين حجده أهل الكياسة فى سائر العلوم ، فلا يغرنك جحودهم عن قبوله ، إذ من المحال أن يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد فى المغرب . فذلك يجرى أمر الدنيا والآخرة . ولذلك قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا [1]) الآية وقال تعالى (يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ [2]) وقال عز وجل (فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ [3]) فالجمع بين كمال الاستبصار فى مصالح الدنيا والدين ، لايكاد يتيسر إلا لمن رسخه الله لتدبير عباده فى معاشهم ومعادهم ، وهم الأنبياء

---

(١) حديث أكثر أهل الجنة البله : البزار من حديث أنس وضعفه وصححه القرطبي فى التذكرة وليس كذلك فقد قال ابن عدى أنه منكر

---

(١) يونس : ٧ (٢) الروم : ٧ (٣) النجم : ١٩ و ٣٠

المؤيدون بروح القدس ، المستمدون من القوة الالهية ، التى تتسع لجميع الأمور ولا تضيق عنها . فأما قلوب سائر الخلق فإنها إذا استقلت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة ، وقصرت عن الإستكمال فيها

بيان

الفرق بين الإسهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية فى استكشاف الحق وطريق النظار

اعلم أن العلوم التى ليست ضرورية ، وإنما تحصل فى القلب فى بعض الأحوال ، تختلف الحال فى حصولها : فتارة تهجم على القلب كأنه ألقى فيه من حيث لايدرى ، وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم . فالذى يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى إلهاما والذى يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا . ثم الواقع فى القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ، ينقسم إلى مالايدرى العبد أنه كيف حصل له ، ومن أين حصل ، وإلى مايطلع معه على السبب الذى منه استفاد ذلك العلم ، وهو مشاهدة الملك الملقى فى القلب والأول يسمى إلهاما ونفثا فى الروع ، والثانى يسمى وحيا وتختص به الأنبياء ، والأول يختص به الأولياء والأصفياء ، والذى قبله . وهو المكتسب بطريق الاستدلال ، يختص به العلماء

وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لان تنجلى فيه حقيقة الحق فى الأشياء كلها . وإنما حيل بينه وبينها بالأسباب الخمسة التى سبق ذكرها . فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ ، الذى هو منقوش بجميع ماقضى الله به إلى يوم القيامة وتجلى حقائق العلوم من مرآة اللوح فى مرآة القلب ، يضاهى انطباع صورة من مرآة فى مرآة تقابلها ، والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد ، وأخرى يزول بهبوب الرياح تحركه . وكذلك قد تهب رياح الألطاف ، وتنكشف الحجب عن أعين القلوب ، فينجلى فيها بعض ماهو مسطور فى اللوح المحفوظ . ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به مايكون فى المستقبل ، وتمام ارتفاع الحجاب بالموت ، فيه ينكشف الغطاء . وينكشف أيضا فى اليقظة

حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى ، فيلمع فى القلوب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم ، تارة كالبرق الخاطف ، وأخرى على التوالى إلى حد ما ، ودوامه فى غاية الندور . فلم يفارق الإلهام الاكتساب فى نفس العلم ، ولا فى محله ، ولا فى سببه ، ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب . فإن ذلك ليس باختيار العبد . ولم يفارق الوحى الإلهام فى شيء من ذلك ، بل فى مشاهدة الملك المفيد للعلم ، فإن العلم إنما يحصل فى قلوبنا بواسطة الملائكة ، وإليه الإشارة بقوله تعالى (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ [1])

فإذا عرفت هذا ، فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية ، فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم ، وتحصيل ما صنفه المصنفون ، والبحث عن الأقاويل والأدلة المذكورة ، بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ، ومحو الصفات المذمومة ، وقطع العلائق كلها ، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى . ومهما حصل ذلك ، كان الله هو المتولى لقلب عبده ، والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم . وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة ، وأشرق النور فى القلب ، وانشرح الصدر ، وانكشف له سر الملكوت ، وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة ، وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية . فليس على العبد إلا الاستعداد بالتصفية المجردة ، وإحضار الهمة ، مع الإرادة الصادقة ، والتعطش التام ، والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة . فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر ، وفاض على صدورهم النور ، لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب ، بل بالزهد فى الدنيا والتبرى من علائقها ، وتفريغ القلب من شواغلها ، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى . فمن كان لله كان الله له .

وزعموا أن الطريق فى ذلك أولا بانقطاع علائق الدنيا بالكلية ، وتفريغ القلب منها ، وبقطع الهمة عن الأهل والمال والولد والوطن ، وعن العلم والولاية والجاه ، بل يصير قلبه إلى حالة يستوى فيها وجود كل شيء وعدمه ، ثم يخلو بنفسه فى زاوية ، مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب ، مجموع الهم ، ولا يفرق فكره بقراءة قرءان ، ولا بالتأمل فى تفسير ،

---

(١) الشورى : ٥١

ولا بكتب حديث ولا غيره ، بل يجتهد أن لا يخطر بباله شئ سوى الله تعالى . فلا يزال بعد جلوسه فى الخلوة قائلا بلسانه الله الله على الدوام ، مع حضور القلب ، حتى ينتهى إلى حالة يترك تحريك اللسان ، ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه . ثم يصبر عليه إلى أن يمحى أثره عن اللسان ، ويصادف قلبه مواظبا على الذكر . ثم يواظب عليه إلى أن يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ، ويبقى معنى الكلمة مجردا فى قلبه ، حاضرا فيه ، كأنه لازم له لا يفارقه . وله اختيار إلى أن ينتهى إلى هذا الحد ، واختيار فى استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس ، وليس له اختيار فى استجلاب رحمة الله تعالى . بل هو بما فعله صار متعرضا لنفحات رحمة الله . فلا يبقى إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة ، كما فتحها على الأنبياء والأولياء بهذه الطريق . وعند ذلك إذا صدقت إرادته ، وصفت همته ، وحسنت مواظبته ، فلم تجاذبه شهواته ، ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا ، تلمع لوامع الحق فى قلبه ، ويكون فى ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود ، وقد يتأخر ، وإن عاد فقد يثبت ، وقد يكون مختطفا وإن ثبت قد يطول ثباته ؛ وقد لا يطول ، وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق ، وقد يقتصر على دفعة واحدة . ومنازل أولياء الله تعالى فيه لا تحصر ، كما لا يحصى تفاوت خلقهم وأخلاقهم . وقد رجع هذا الطريق إلى تطهير محض من جانبك ، وتصفية وجلاء ، ثم استعداد وانتظار فقط

وأما النظار وذوو الاعتبار ، فلم ينكروا وجود هذا الطريق وإمكانه ، وإفضاءه إلى هذا المقصد على الندور ، فإنه أكثر أحوال الأنبياء . والأولياء . ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطؤا ثمرته ، واستبعدوا استجماع شروطه ، وزعموا أن محو العلائق إلى ذلك الحد كالمتعذر ، وإن حصل فى حال فثباته أبعد منه ، إذ أدنى وسواس وخاطر يشوش القلب . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « قَلْبُ الْمُؤْمِنِ أَشَدُّ تَقَلُّبًا مِنَ الْقِدْرِ فِي غَلَيَانِهَا » وقال عليه أفضل الصلاة والسلام (٢) « قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ »

---

(١) حديث قلب المؤمن أشد تقلبا من القدر فى غليانها: أحمد و ك وصححه من حديث المقداد بن الأسود

(٢) حديث قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن: م من حديث عبدالله بن عمرو

وفى أثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ، ويختلط العقل ، ويمرض البدن ، وإذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم ، نشبت بالقلب خيالات فاسدة ، تطمئن النفس إليها مدة طويلة ، إلى أن يزول وينقضى العمر قبل النجاح فيها

فكم من صوفى سلك هذا الطريق ، ثم بقى فى خيال واحد عشرين سنة ، ولو كان قد أتقن العلم من قبل ، لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال فى الحال . فالاشتغال بطريق التعلم أوثق وأقرب إلى الغرض

وزعموا أن ذلك يضاهى مالو ترك الإنسان تعلم الفقه ، وزعم أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ذلك : وصار فقيها بالوحى والإلهام ، من غير تكرير وتعليق ، فأنا أيضا ربما انتهت بى الرياضة والمواظبة إليه . ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه ، وضيع عمره ، بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة ، رجاء العثور على كنز من الكنوز ، فإن ذلك ممكن ، ولكنه بعيد جدا . فكذلك هذا . وقالوا لا بد أولا من تحصيل ما حصله العلماء ، وفهم ما قالوه ، ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء ، فعساه ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة

بيان

الفرق بين المقامين بمثال محسوس

اعلم أن عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس ، لأن القلب أيضا خارج عن إدراك الحس . وما ليس مدركا بالحواس تضعف الأفهام عن دركه إلا بمثال محسوس . ونحن نقرب ذلك إلى الأفهام الضعيفة بمثالين :

أحدهما : أنه لو فرضنا حوضا محفورا فى الأرض ، أحتمل أن يساق إليه الماء من فوقه بأنهار تفتح فيه ، ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ، ويرفع منه التراب ، إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافى ، فينفجر الماء من أسفل الحوض ، ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم ، وقد يكون أغزر وأكثر . فذلك القلب مثل الحوض ، والعلم مثل الماء ، وتكون الحواس الخمس

مثال الانهار . وقد يمكن أن تساق العلوم إلى القلب بواسطة أنهار الحواس ، والاعتبار بالمشاهدات ، حتى يمتلىء علما ، ويمكن أن تسد هـذه الأنهار بالخلوة والعزلة و غض البصر ويعمد إلى عمق القلب بتطهيره ، ورفع طبقات الحجب عنه ، حتى تتفجر ينابيع العلم من داخله

فإن قلت : فكيف يتفجر العلم من ذات القلب ، وهو خال عنه ؟

فاعلم أن هذا من عجائب أسرار القلب ، ولا يسمح بذكره فى علم المعاملة ، بل القـدر الذى يمكن ذكره أن حقائق الأشياء مسطورة فى اللوح المحفوظ ، بل فى قلوب الملائكة المقربين ، فكما أن المهندس يصور أبنية الدار فى بياض ، ثم يخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة ، فكذلك فاطر السموات والأرض ، كتب نسخة العالم من أوله إلى آخره فى اللوح المحفوظ ، ثم أخرجـه إلى الوجود على وفق تلك النسخة . والعالم الذى خرج إلى الوجود بصورته ، تتأدى منه صورة أخرى إلى الحس والخيال ، فإن من ينظر إلى السماء والأرض ثم يغض بصره ، يرى صورة السماء والأرض فى خياله ، حتى كأنه ينظر إليها ، ولو انعدمت السماء والأرض ، وبقى هو فى نفسه ، لوجد صورة السماء والأرض فى نفسه ، كأنه يشاهدهما وينظر إليهما ، ثم يتأدى من خياله أثر إلى القلب ، فيحصل فيه حقائق الأشياء التى دخلت فى الحس والخيال ، والحاصل فى القلب موافق للعالم الحاصل فى الخيال والحاصل فى الخيال موافق للعالم الموجود فى نفسه خارجا من خيال الإنسان وقلبه ، والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة فى اللوح المحفوظ . فكأن للعالم أربع درجات فى الوجود . وجود فى اللوح المحفوظ ، وهو سابق على وجوده الجسماني ، ويتبعه وجوده الحقيقى ، ويتبع وجوده الحقيقى وجوده الخيالى ، أعنى وجود صورته فى الخيال ، ويتبع وجوده الخيـالى وجوده العقلى ، أعنى وجود صورته فى القلب . وبعض هذه الموجودات روحانية وبعضها جسمانية ، والروحانية بعضها أشد روحانية من البعض . وهذا اللطف من الحكمة الإلهية ، إذ جعل حدقتك على صغر حجمها . بحيث تنطبع صورة العالم والسموات والأرض على اتساع أكنافها فيها ، ثم يسرى من وجودها فى الحس وجود إلى الخيال ، ثم منه وجود فى القلب ، فإنك أبدا لا تدرك إلا ما هو واصل إليك ، فلو لم يجعل للعالم كله مثالا فى ذاتك ، لما كان لك خبر مما يباين ذاتك .

فسبحان من دبر هـذه العجائب فى القلوب والأبصار ، ثم أعمى عن دركها القلوب والأبصار ، حتى صارت قلوب أكثر الخلق جاهلة بأنفسها وبعجائبها

ولنرجع إلى الغرض المقصود فنقول

القلب قـد يتصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته : تارة من الجواس ، وتارة من اللوح المحفوظ . كما أن العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس ، تارة من النظر إليها وتارة من النظر إلى الماء الذى يقابل الشمس ويحكى صورتها . فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ ، رأى الأشياء فيه ، وتفجر إليه العلم منه ، فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس ، فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الأرض . ومهما أقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات ، كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ ، كما أن الماء إذا اجتمع فى الأنهار منع ذلك من التفجر فى الأرض ، وكما أن من نظر إلى الماء الذى يحكى صورة الشمس لايكون ناظرا إلى نفس الشمس

فإذاً للقلب بابان ، باب مفتوح إلى عالم الملكوت ، وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة ، وباب مفتوح إلى الحواس الخمس ، المتمسكة بعالم الملك والشهادة . وعالم الشهادة والملك أيضا يحاكى عالم الملكوت نوعا من المحاكاة . فأما انفتاح باب القلب إلى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك . وأما انفتاح بابه الداخل إلى عالم الملكوت ، ومطالعة اللوح المحفوظ ، فتعلمه علما يقينيا بالتأمل فى عجائب الرؤيا ، واطلاع القلب فى النوم على ما سيكون فى المستقبل ، أو كان فى الماضى ، من غير اقتباس من جهة الحواس . وإنما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم [1] « سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ » قيل ومن هم المفردون يارسول الله ؟ قال « الْمُتَنَزِّهُونَ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى وَضَعَ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَوْزَارَهُمْ فَوَرَدُوا

---

(١) حديث سبق المفردون قيل ومن هم قال المستهترون بذكر الله ـ الحديث : م من حديث أبى هريرة مقتصرا على أول الحديث : وقال فيه وما المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات ورواه بلفظ قال الذين يستهترون بذكر الله وقال صحيح على شرط الشيخين وزاد فيه البيهقى فى الشعب يضع الذكر عنهم أثقالهم ويأتون يوم القيامة خفافا ورواه هكذا الطبرانى فى المعجم الكبير من حديث أبى الدرداء دون الزيادة التى ذكرها المصنف فى آخره وكلاهما ضعيف

الْقِيَامَةَ خِفَافًا » ثم قال فى وصفهم إخبارا عن الله تعالى « ثُمَّ أُقْبِلُ بِوَجْهِى عَلَيْهِمْ أَتَرَى مَنْ وَاجَهْتُهُ بِوَجْهِى يَعْلَمُ أَحَدٌ أَىَّ شَىْءٍ أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيَهُ » ثم قال تعالى « أَوَّلُ مَا أُعْطِيهِمْ أَنْ أَقْذِفَ النُّورَ فِى قُلُوبِهِمْ فَيُخْبِرُونَ عَنِّى كَمَا أُخْبِرُ عَنْهُمْ » ومدخل هذه الأخبار هو الباب الباطن

فإذا الفرق بين علوم الأولياء والأنبياء ، وبين علوم العلماء والحكماء هذا ، وهو أن علومهم تأتى من داخل القلب ، من الباب المنفتح إلى عالم الملكوت ، وعلم الحكمة يأتى من أبواب الحواس ، المفتوحة إلى عالم الملك . وعجائب عالم القلب ، وتردده بين عالمى الشهادة والغيب ، لا يمكن أن يستقصى فى علم المعاملة ، فهذا مثال يعلمك الفرق بين مدخل العالمين

المثال الثانى يعرفك الفرق بين العملين ، أعنى عمل العلماء ، وعمل الأولياء : فإن العلماء يعملون فى اكتساب نفس العلوم ، واجتلابها إلى القلب ، وأولياء الصوفية يعملون فى جلاء القلوب ، وتطهيرها وتصفيتها وتصقيلها فقط

فقد حكي أن أهل الصين وأهل الروم ، تباهوا بين يدى بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور ، فاستقر رأى الملك على أن يسلم إليهم صفة ، لينقش أهل الصين منها جانبا وأهل الروم جانبا ، ويرخى بينهما حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر . ففعل ذلك . فجمع أهل الروم من الأصباغ الغريبة مالا ينحصر ، ودخل أهل الصين من غير صبغ ، وأقبلوا يجلون جانبهم ويصقلونه . فلما فرغ أهل الروم ، ادعى أهل الصين أنهم قد فرغوا أيضا ، فعجب الملك من قولهم ، وأنهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ . فقيل وكيف فرغتم من غير صبغ ؟ فقالوا ماعليكم ، ارفعوا الحجاب ، فرفعوا ، وإذا بجانبهم يتلألأ منه عجائب الصنائع الرومية ، مع زيادة إشراق وبريق ، إذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد التصقيل . فكذلك عناية الأولياء بتطهير القلب وجلائه ، وتزكيته وصفائه ، حتى يتلألأ فيه جلية الحق بنهاية الإشراق ، كفعل أهل الصين . وعناية الحكماء والعلماء بالاكتساب ، ونقش العلوم ، وتحصيل نقشها فى القلب ، كفعل أهل الروم

فكيفما كان الأمر فقلب المؤمن لا يموت ، وعلمه عند الموت لا يمحى ، وصفاؤه لا يتكدر . وإليه أشار الحسن رحمة الله عليه بقوله : التراب لا يأكل محل الإيمان . بل يكون

وسيلة وقربة إلى الله تعالى . وأما ما حصله من نفس العلم ، وما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نفس العلم ، فلا غنى به عنه ، ولا سعادة لأحد إلا بالعلم والمعرفة ، وبعض السعادات أشرف من بعض ، كما أنه لا غنى إلا بالمال ، فصاحب الدرهم غنى ، وصاحب الخزائن المترعة غنى ، وتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة والإيمان ، كما تتفاوت درجات الأغنياء بحسب قلة المال وكثرته . فالمعارف أنوار ، ولا يسعى المؤمنون إلى لقاء الله تعالى إلا بأنوارهم قال الله تعالى (يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ [٢])

وقد روى فى الخبر [١] « إِنَّ بَعْضَهُمْ يُعْطَى نُوراً مِثْلَ الْجَبَلِ وَبَعْضَهُمْ أَصْغَرَ حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ رَجُلاً يُعْطَى نُوراً عَلَى إِبْهَامِ قَدَمَيْهِ فَيُضِيءُ مَرَّةً وَيَنْطَفِيءُ أُخْرَى فَإِذَا أَضَاءَ قَدَّمَ قَدَمَيْهِ فَمَشَى وَإِذَا طُفِيءَ قَامَ وَمُرُورُهُمْ عَلَى الصِّرَاطِ عَلَى قَدْرِ نُورِهِمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالسَّحَابِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَانْقِضَاضِ الْكَوَاكِبِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ إِذَا اشْتَدَّ فِى مَيْدَانِهِ وَالَّذِى أُعْطِىَ نُوراً عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ يَحْبُو حَبْواً عَلَى وَجْهِهِ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ يَجُرُّ يَداً وَيُعَلِّقُ أُخْرَى وَيُصِيبُ جَوَانِبَهُ النَّارُ فَلاَ يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَخْلُصَ » الحديث .

فبهذا يظهر تفاوت الناس فى الإيمان ولو وزن إيمان أبى بكر بإيمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح . فهذا أيضا يضاهى قول القائل : لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها لرجح ، فإيمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج ، وبعضهم نوره كنور الشمع ، وإيمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم ، وإيمان الأنبياء كالشمس . وكما ينكشف فى نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع أقطارها ، ولا ينكشف فى نور السراج إلا زاوية ضيقة من البيت

فكذلك تفاوت انشراح الصدر بالمعارف ، وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين . ولذلك جاء فى الخبر [٢] « أَنَّهُ يُقَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ

---

(١) حديث إن بعضهم يعطى نورا مثل الجبل حتى يكون أصغرهم رجل يعطى نوره على إبهام قدمه الحديث : الطبرانى وله من حديث ابن مسعود قال له صحيح على شرط الشيخين

(٢) حديث يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من فى قلبه ربع مثقال من إيمان ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبى سعيد وليس فيه قوله ربع مثقال

---

(١) الحديد : ١٢

ذَرَّةٍ مِن إِيمَانٍ وَنِصفُ مِثقَالٍ وَرُبعُ مِثقَالٍ وَشَعِيرَةٌ وَذَرَّةٌ » كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الإيمان ، وإن هذه المقادير من الإيمان لا تمنع دخول النار . وفى مفهومه أن من إيمانه يزيد على مثقال فإنه لا يدخل النار ، إذ لو دخل لأمر بإخراجه أولا وأن من فى قلبه ذرة لا يستحق الخلود فى النار وإن دخلها . وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم [٢] « لَيسَ شَيءٌ خَيراً مِنْ أَلفٍ مِثلِهِ إِلاَّ الإِنسَانُ المُؤمِنُ » إشارة إلى تفضيل قلب العارف بالله تعالى الموقن . فإنه خير من ألف قلب من العوام

وقد قال تعالى (وَأَنتُمُ الأَعلَونَ إِن كُنتُم مُؤمِنِينَ [١]) تفضيلا للمؤمنين على المسلمين والمراد به المؤمن العارف دون المقلد . وقال عز وجل (يَرفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُم وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ دَرَجَاتٍ [٢]) فأراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم ، وميزهم عن الذين أوتوا العلم . ويدل ذلك على أن اسم المؤمن يقع على المقلد ، وإن لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف . وفسر ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى (وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ دَرَجَاتٍ [٣]) فقال يرفع الله العالم فوق المؤمن بسبعمائة درجة ، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض

وقال صلى الله عليه وسلم [٢] « أَكثَرُ أَهلِ الجَنَّةِ البُلهُ وَعِلِّيُّونَ لِذَوِى الأَلبَابِ » وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « فَضلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضلِى عَلَى أَدنَى رَجُلٍ مِن أَصحَابِى » وفى رواية « كَفَضلِ القَمَرِ لَيلَةَ البَدرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ »

فبهذه الشواهد يتضح لك تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم . ولهذا كان يوم القيامة يوم التغابن ، إذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران ، والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة ، فيكون نظره إليها كنظر الغنى الذى يملك عشرة دراهم ،

---

(١) حديث ليس شىء خير من ألف مثله إلا الانسان المؤمن : الطبرانى من حديث سلمان بلفظ الانسان ولأحمد من حديث ابن عمر لا علم شيئا خيرا من مائة مثله إلا الرجل المؤمن وإسنادهما حسن

(٢) حديث أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوى الالباب : تقدم دون هذه الزيادة ولم أجد لهذه الزيادة أصلا

(٣) حديث فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى : ت من حديث أبى أمامة وصححه وقد تقدم فى العلم وكذلك الرواية الثانية

---

(١) آل عمران : ١٣٩ (٢) و (٢) المجادلة : ١١

إلى الغنى الذى يملك الأرض من المشرق إلى المغرب ، وكل واحد منهما غنى ، ولكن ما أعظم الفرق بينهما ! وما أعظم الغبن على من يخسر حظه من ذلك ! وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا .

بيان

شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف فى اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد

اعلم أن من انكشف له شيء ، ولو الشيء اليسير ، بطريق الإلهام والوقوع فى القلب من حيث لا يدرى ، فقد صار عارفا بصحة الطريق . ومن لم يدرك نفسه قط ، فينبغى أن يؤمن به ، فإن درجة المعرفة فيه عزيزة جدا . ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات

أما الشواهد فقوله تعالى (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا [1]) فكل حكمة تظهر من القلب ، بالمواظبة على العبادة من غير تعلم ، فهو بطريق الكشف والإلهام . وقال صلى الله عليه وسلم [1] « مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ وَوَفَّقَهُ فِيمَا يَعْمَلُ حَتَّى يَسْتَوْجِبَ الْجَنَّةَ وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِمَا يَعْلَمْ تَاهَ فِيمَا يَعْلَمُ وَلَمْ يُوَفَّقْ فِيمَا يَعْمَلُ حَتَّى يَسْتَوْجِبَ النَّارَ »

وقال الله تعالى (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا [2]) من الإشكالات والشبه (وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ [3]) يعلمه علما من غير تعلم ، ويفطنه من غير تجربة . وقال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا [4]) قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل ، ويخرج به من الشبهات . ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يكثر فى دعائه من سؤال النور . فقال عليه الصلاة والسلام [2] « اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نُورًا وَزِدْنِي نُورًا وَاجْعَلْ لِي فِي قَلْبِي نُورًا

---

(١) حديث من عمل بما علم ـ الحديث : تقدم فى العلم دون قوله ووفقه فيما يعمل فلم أرها

(٢) حديث اللهم أعطنى نورا وزدنى نورا ـ الحديث : متفق عليه من حديث ابن عباس

---

(١) العنكبوت : ٦٩ (٢) و (٣) الطلاق : ٢ (٤) الانفال : ٢٩

وَفِي قَبْرِي نُوراً وَفِي سَمْعِي نُوراً وَفِي بَصَرِي نُوراً » حتى قال « فِي شَعْرِي وَفِي بَشَرِي وَفِي لَحْمِي وَدَمِي وَعِظَامِي » وسئل صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى [1] (أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ [1]) ماهذا الشرح ؟ فقال « هُوَ التَّوْسِعَةُ إِنَّ النُّورَ إِذَا قُذِفَ بِهِ فِي الْقَلْبِ اتَّسَعَ لَهُ الصَّدْرُ وَانْشَرَحَ »

وقال صلى الله عليه وسلم [2] لابن عباس « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ » وقال علي رضي الله عنه [3] ماعندنا شيء أسره النبي صلى الله عليه وسلم إلينا إلا أن يؤتى الله تعالى عبدا فهما فى كتابه . وليس هذا بالتعلم . وقيل فى تفسير قوله تعالى (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ [2]) انه الفهم فى كتاب الله تعالى . وقال تعالى (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ [3]) خص ما انكشف باسم الفهم . وكان أبو الدرداء يقول : المؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق . والله إنه للحق يقذفه الله فى قلوبهم ويجريه على ألسنتهم . وقال بعض السلف : ظن المؤمن كهانة . وقال صلى الله عليه وسلم [4] « اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ تَعَالَى » وإليه يشير قوله تعالى (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ [4]) وقوله تعالى (قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ [5]) وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال [5] « الْعِلْمُ عِلْمَانِ فَعِلْمٌ بَاطِنٌ فِي الْقَلْبِ فَذَلِكَ هُوَ الْعِلْمُ النَّافِعُ » وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ماهو فقال : هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه الله تعالى فى قلوب أحبابه ، لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا

---

(١) حديث سئل عن قوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام ـ الحديث : وفى المستدرك من حديث ابن مسعود وقد تقدم فى العلم

(٢) حديث اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل : قاله لابن عباس متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله وعلمه التأويل فاخرجه بهذه الزيادة أحمد وحب وك وصححه وقد تقدم فى العلم

(٣) حديث علي ماعندنا شيء أسره الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن يؤتى الله عبدا فهما فى كتابه تقدم فى آداب تلاوة القرءان

(٤) حديث اتقوا فراسة المؤمن ـ الحديث : ت من حديث أبى سعيد وقد تقدم

(٥) حديث العلم علمان ـ الحديث : تقدم فى العلم

---

(١) الزمر : ٢٢ (٢) البقرة : ٢٢٩ (٣) الانبياء : ٧٩ (٤) الحجر : ٧٥ (٥) البقرة : ١١٨

وقد قال صلى الله عليه وسلم [١] « إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مُحَدَّثِينَ وَمُعَلَّمِينَ وَمُكَلَّمِينَ وَإِنَّ عُمَرَ مِنْهُمْ » وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعنى الصديقين ، والمحدث هو الملهم ، والملهم هو الذى انكشف له فى باطن قلبه من جهة الداخل ، لا من جهة المحسوسات الخارجة . والقرءان مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف . وذلك علم من غير تعلم

وقال الله تعالى (وَمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ [١]) خصصها بهم . وقال تعالى (هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ [٢]) وكان أبو يزيد وغيره يقول : ليس العالم الذى يحفظ من كتاب . فإذا نسى ماحفظه صار جاهلا إنما العالم الذى يأخذ علمهُ من ربه أى وقت شاء ، بلا حفظ ولا درس . وهذا هو العلم الربانى وإليه الإشارة بقوله تعالى (وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً [٣]) مع أن كل علم من لدنه ، ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق ، فلا يسمى ذلك علما لدنيا ، بل اللدنى الذى ينفتح فى سر القلب من غير سبب مألوف من خارج . فهذه شواهد النقل . ولو جمع كل ماورد فيه من الآيات والأخبار والآثار لخرج عن الحصر

وأما مشاهدة ذلك بالتجارب ، فذلك أيضا خارج عن الحصر . وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم . وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لعائشة رضى الله عنها عند موته ، إنما هما أخواك وأختاك ، وكانت زوجته حاملا ، فولدت بنتا . فكان قد عرف قبل الولادة أنها بنت . وقال عمر رضى الله عنه فى أثناء خطبته ، ياسارية الجبل الجبل . إذ انكشف له أن العدو قد أشرف عليه ، فحذره لمعرفته ذلك ، ثم بلوغ صوته إليه من جملة الكرامات العظيمة

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : دخلت على عثمان رضى الله عنه ، وكنت قد لقيت امرأة فى طريق ، فنظرت إليها شزرا ، وتأملت محاسنها ، فقال عثمان رضى الله عنه ، لما دخلت يدخل علي أحدكم وأثر الزنا ظاهر على عينيه ! أما علمت أن زنا العينين النظر ؟ لتتوبن أو لأعزرنك

---

(١) حديث إن من أمتى محدثين ومكلمين وان عمر منهم : خ من حديث أبى هريرة لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فان يك فى أمتى أحد فانه عمر ورواه م من حديث عائشة

---

(١) يونس : ٦ (٢) آل عمران : ١٣٨ (١) الكهف : ٦٥

فقلت أوحى بعد النبي ؟ فقال لا ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة .

وعن أبي سعيد الخراز قال : دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيرا عليه خرقتان ، فقلت في نفسي هذا وأشباهه كَلٌّ على الناس . فنادانى وقال ، والله يعلم مافى أنفسكم فاحذروه . فاستغفرت الله فى سرى ، فنادانى وقال ، وهو الذى يقبل التوبة عن عباده . ثم غاب عنى ولم أره . وقال زكريابن داود ، دخل أبو العباس بن مسروق على أبى الفضل الهاشمى وهو عليل ، وكان ذا عيال ، ولم يعرف له سبب يعيش به ، قال فلما قمت قلت فى نفسى ، من أين يأكل هذا الرجل ؟ قال فصاح بى ، ياأباالعباس ، ردهذه الهمة الدنية ، فإن لله تعالى ألطافا خفية

وقال أحمد النقيب ، دخلت على الشبلى ، فقال مفتو نايا أحمد . فقلت ما الخبر ؟ قال كنت جالسا فجرى بخاطرى أنك بخيل . فقلت ما أنا بخيل . فعاد منى خاطرى وقال بل أنت بخيل فقلت ما فتح اليوم علي بشيء إلا دفعته إلى أول فقير يلقانى . قال فما استتم الخاطر حتى دخل علي صاحب المؤنس الخادم ، ومعه خمسون دينارا ، فقال اجعلها فى مصالحك . قال وقمت فأخذتها وخرجت . وإذا بفقير مكفوف بين يدى مزين يحلق رأسه ، فتقدمت إليه ، وناولته الدنانير ، فقال أعطها المزين ، فقلت إن جملتها كذا وكذا ، قال أوليس قد قلنا لك إنك بخيل؟ قال فناولتها المزين، فقال المزين ، قد عقدنا لما جلس هذا الفقير بين أيدينا أن لا نأخذ عليه أجرا قال فرميت بها فى دجلة ، وقلت ما أعزك أحد إلا أذله الله عز وجل

وقال حمزة بن عبد الله العلوى ، دخلت على أبى الخير التينانى ، واعتقدت فى نفسى أن أسلم عليه ولا آكل فى داره طعاما ، فلما خرجت من عنده ، إذا به قد لحقنى وقد حمل طبقا فيه طعام وقال ، يافتى كل فقد خرجت الساعة من اعتقادك . وكان أبو الخير التينانى هذا مشهورا بالكرامات ، وقال ابراهيم الرقى ، قصدته مسلما عليه ، فحضرت صلاة المغرب ، فلم يكد يقرأ الفاتحة مستويا ، فقلت فى نفسى ضاعت سفرتى ، فلما سلم خرجت إلى الطهارة فقصدنى سبع ، فعدت إلى أبى الخير ، وقلت قصدنى سبع ، فخرج وصاح به وقال ، ألم أقل لك لا تتعرض لضيفانى ! فتنحى الأسد ، فتطهرت ، فلما رجعت ، قال لى أشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الأسد ، واشتغلنا بتقويم البواطن فخافنا الأسد

وماحكى من تفرس المشايخ ، وإخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر . بل ماحكي عنهم من مشاهدة الخضر عليه السلام والسؤال منه سماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر . والحكاية لاتنفع الجاحد مالم يشاهد ذلك من نفسه ، ومن أنكر الأصل أنكر التفصيل

والدليل القاطع الذى لايقدر أحد على جحده أمران :

أحدهما : عجائب الرؤيا الصادقة ، فإنه ينكشف بها الغيب . وإذا جاز ذلك فى النوم فلا يستحيل أيضا فى اليقظة . فلم يفارق النوم اليقظة إلا فى ركود الحواس ، وعدم اشتغالها بالمحسوسات ، فكم من مستيقظ غائص لايسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه .

الثانى : إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيب وأمور فى المستقبل ، كما اشتمل عليه القرءان . وإذا جاز ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم جاز لغيره إذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الأمور ، وشغل بإصلاح الخلق ، فلايستحيل أن يكون فى الوجود شخص مكاشف بالحقائق ، ولايشتغل بإصلاح الخلق . وهذا لايسمى نبيا ، بل يسمى وليا ، فمن آمن بالأنبياء ، وصدق بالرؤيا الصحيحة ، لزمه لامحالة أن يقر بأن القلب له بابان ، باب إلى خارج وهو الحواس ، وباب إلى الملكوت من داخل القلب ، وهو باب الإلهام والنفث فى الروع والوحى فإذا أقر بهما جميعا لم يمكنه أن يحصر العلوم فى التعلم ومباشرة الأسباب المألوفة ، بل يجوز أن تكون المجاهدة سبيلا إليه . فهذا ماينبه على حقيقة ماذكرناه ، من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت . وأما السبب فى انكشاف الأمر فى المنام بالمثال المحوج إلى التعبير ، وكذلك تمثل الملائكة للأنبياء والأولياء بصور مختلفة ، فذلك أيضا من أسرار عجائب القلب ، ولا يليق ذلك إلا بعلم المكاشفة . فلنقتصر على ماذكرناه فإنه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها ، فقد قال بعض المكاشفين ، ظهر لى الملك ، فسألنى أن أملى عليه شيئا من ذكرى الخفى عن مشاهدتى من التوحيد ، وقال مانكتب لك عملا ، ونحن نحب أن نصعد لك بعمل تتقرب به إلى الله عز وجل ، فقلت ألستما تكتبان الفرائض ؟ قالا بلى قلت فيكفيكما ذلك . وهذه إشارة إلى أن الكرام الكاتبين لايطلعون على أسرار القلب ، وإنما يطلعون على الأعمال الظاهرة . وقال بعض العارفين ، سألت بعض الأبدال عن مسألة

من مشاهدة اليقين ، فالتفت إلى شماله فقال ، ما تقول رحمك الله ؟ ثم التفت إلى يمينه فقال، ما تقول رحمك الله ؟ ثم أطرق إلى صدره وقال ، ما تقول رحمك الله ؟ ثم أجاب بأغرب جواب سمعته ، فسألته عن التفاته فقال ، لم يكن عندى فى المسألة جواب عتيد ، فسألت صاحب الشمال فقال لا أدرى ، فسألت صاحب اليمين وهو أعلم منه فقال لا أدرى ، فنظرت إلى قلبي وسألته فحدثنى بما أجبتك ، فإذا هو أعلم منهما . وكأن هذا هو معنى قوله عليه السلام « إِنَّ فِي أُمَّتِي مُحَدَّثِينَ ، وَإِنَّ عُمَرَ مِنْهُمْ » وفى الأثر أن الله تعالى يقول ، أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى ، توليت سياسته وكنت جليسه ، ومحادثه وأنيسه . وقال أبو سليمان الدارانى رحمة الله عليه ، القلب بمنزلة القبة المضروبة ، حولها أبواب مغلقة ، فأى باب فتح له عمل فيه . فقد ظهر انفتاح باب من أبواب القلب إلى جهة الملكوت والملأ الأعلى . وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع ، والإعراض عن شهوات الدنيا . ولذلك كتب عمر رضى الله عنه إلى أمراء الأجناد ، احفظوا ما تسمعون من المطيعين ، فإنهم ينجلى لهم أمور صادقة . وقال بعض العلماء ، يد الله على أفواه الحكماء ، لا ينطقون إلا بما هيأ الله لهم من الحق . وقال آخر ، لو شئت لقلت إن الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره .

بيان

تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها

اعلم أن القلب كما ذكرناه مثال قبة مضروبة ، لها أبواب ، تنصب إليه الأحوال من كل باب . ومثاله أيضا مثال هدف ، تنصب إليه السهام من الجوانب . أو هو مثال مرآة منصوبة تجتاز عليها أصناف الصور المختلفة ، فتتراءى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها . أو مثال حوض ، تنصب فيه مياه مختلفة ، من أنهار مفتوحة إليه . وإنما مداخل هذه الآثار المتجددة فى القلب فى كل حال ، أما من الظاهر فالحواس الخمس ، وأما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب ، والأخلاق المركبة من مزاج الإنسان ، فإنه إذا أدرك بالحواس شيئا حصل

منه أثر فى القلب ، وكذلك إذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الأكل ، وبسبب قوة فى المزاج ، حصل منها فى القلب أثر ، وإن كف عن الإحساس . فالخيالات الحاصلة فى النفس تبقى ، وينتقل الخيال من شىء إلى شىء ، وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال آخر . والمقصود أن القلب فى التغير والتأثر دائما من هذه الأسباب

وأخص الآثار الحاصلة فى القلب هو الخواطر ، وأعنى بالخواطر ما يحصل فيه من الأفكار والأذكار ، وأعنى به إدراكاته علوما إما على سبيل التجدد ، وإما على سبيل التذكر ، فإنها تسمى خواطر ، من حيث إنها تخطر بعد أن كان القلب غافلا عنها . والخواطر هى المحركات للإرادات . فإن النية والعزم والإرادة ، إنما تكون بعد خطور المنوى بالبال لامحالة ، فمبدأ الأفعال الخواطر ، ثم الخاطر يحرك الرغبة ، والرغبة تحرك العزم ، والعزم يحرك النية ، والنية تحرك الأعضاء

والخواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر ، أعنى إلى مايضر فى العاقبة ، وإلى ما يدعو إلى الخير ، أعنى إلى ما ينفع فى الدار الآخرة . فهما خاطران مختلفان ، فافتقرا إلى اسمين مختلفين . فالخطر المحمود يسمى الهاما ، والخطر المذموم ، أعنى الداعى إلى الشر ، يسمى وسواسا . ثم إنك تعلم أن هذه الخواطر حادثة ، ثم أن كل حادث فلا بد له من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الأسباب

هذا ماعرف من سنة الله تعالى فى ترتيب المسببات على الأسباب . فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار ، وأظلم سقفه واسود بالدخان ، علمت أن سبب السواد غير سبب الاستنارة . وكذلك لأنوار القلب وظلمته سببان مختلفان ، فسبب الخاطر الداعى إلى الخير يسمى ملكا ، وسبب الخاطر الداعى إلى الشر يسمى شيطانا . واللطف الذى يتهيأ به القلب لقبول إلهام الخير يسمى توفيقا ، والذى به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى أغواء وخذلانا . فإن المعانى المختلفة تفتقر إلى أسامى مختلفة . والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه إفاضة الخير ، وإفادة العلم ، وكشف الحق ، والوعد بالخير ، والأمر بالمعروف ، وقد خلقه وسخره لذلك . والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك ، وهو الوعد بالشر ، والأمر بالفحشاء ، والتخويف عند الهم بالخير بالفقر . فالوسوسة فى مقابلة الإلهام ، والشيطان

فى مقابلة الملك ، والتوفيق فى مقابلة الخذلان . وإليه الاشارة بقوله تعالى (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ [1]) فإن الموجودات كلها متقابلة مزدوجة ، إلا الله تعالى فإنه فرد لا مقابل له ، بل هو الواحد الحق ، الخالق للأزواج كلها . فالقلب متجاذب بين الشيطان والملك . وقد قال صلى الله عليه وسلم [1] « فِى الْقَلْبِ لَمَّتَانِ لَمَّةٌ مِنَ الْمَلَكِ إِيعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَلْيَحْمَدِ اللهَ وَلَمَّةٌ مِنَ الْعَدُوِّ إِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ وَنَهْىٌ عَنِ الْخَيْرِ فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » ثم تلا قوله تعالى (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ [2]) الآية وقال الحسن إنما هما همان يجولان فى القلب ، هم من الله تعالى ، وهم من العدو ، فرحم الله عبداً وقف عند همه ، فما كان من الله تعالى أمضاه ، وما كان من عدوه جاهده . ولتجاذب القلب بين هذين المسلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] « قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ أِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمٰنِ » فالله يتعالى عن أن يكون له أصبع مركبة من لحم وعظم ، ودم وعصب ، منقسمة بالأنامل . ولكن روح الأصبع سرعة التقلب ، والقدرة على التحريك والتغيير ، فإنك لا تريد أصبعك لشخصه ، بل لفعله فى التقليب والترديد ، كما أنك تتعاطى الأفعال بأصابعك والله تعالى يفعل ما يفعل باستسخار الملك والشيطان ، وهما مسخران بقدرته فى تقليب القلوب كما أن أصابعك مسخرة لك فى تقليب الأجسام مثلا

والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملك ، ولقبول آثار الشيطان ، صلاحا متساويا ليس يترجح أحدهما على الآخر ، وإنما يترجح أحد الجانبين باتباع الهوى ، والإكباب على الشهوات ، أو الإعراض عنها ومخالفتها . فإن اتبع الإنسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى ، وصار القلب عش الشيطان ومعدنه ، لأن الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه . وإن جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه ، وتشبه بأخلاق

---

(١) حديث فى القلب لمتان لمة من الملك إيعاد بالخير ـ الحديث : ت وحسنه و ن فى الكبرى من حديث ابن مسعود

(٢) حديث قلب المؤمن بين أصبعين ـ الحديث : تقدم

---

(١) الذاريات : ٤٩ (٢) البقرة : ٢٦٨

الملائكة عليهم السلام ، صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم . ولما كان لايخلو قلب عن شهوة وغضب ، وحرص وطمع وطول أمل ، إلى غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة عن الهوى ، لاجرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [1] « مَامِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَلَهُ شَيْطَانٌ » قالوا وأنت يارسول الله ! قال « وَأَنَا إِلاَّ أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلاَ يَأْمُرُ إِلاَّ بِخَيْرٍ » وإنما كان هذا لأن الشيطان لايتصرف إلا بواسطة الشهوة ، فمن أعانه الله على شهوته ، حتى صارت لاتنبسط إلا حيث ينبغي وإلى الحد الذي ينبغي ، فشهوته لاتدعو إلى الشر ، فالشيطان المتدرع بها لا يأمر إلا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى ، وجد الشيطان مجالا فوسوس ، ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله تعالى ، ارتحل الشيطان وضاق مجاله ، وأقبل الملك وألهم . والتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم ، إلى أن ينفتح القلب لأحدهما فيستوطن ويستمكن ويكون اجتياز الثاني اختلاسا

وأكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وتملكتها ، فامتلأت بالوساوس الداعية إلى إيثار العاجلة ، وإطراح الآخرة . ومبدأ استيلائها اتباع الشهوات والهوى ، ولا يمكن فتحها بعد ذلك إلا بتخلية القلب عن قوت الشيطان ، وهو الهوى والشهوات ، وعمارته بذكر الله تعالى ، الذي هو مطرح أثر الملائكة . وقال جابر بن عبيدة العدوي : شكوت إلى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة ، فقال إنما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص ، فإن كان فيه شيء عالجوه ، وإلا مضوا وتركوه . يعني أن القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان . ولذلك قال الله تعالى (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ [1]) فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لاعبد الله . ولذلك سلط الله عليه الشيطان وقال تعالى (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ [2]) وهو إشارة إلى أن من الهوى إلهه ومعبوده ، فهو عبد الهوى لا عبد الله . ولذلك قال عمرو بن العاص للنبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله ، [2] حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي ، فقال « ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ فَإِذَا

---

(١) حديث مامنكم من أحد الاوله شيطان ــ الحديث : م من حديث ابن مسعود

(٢) حديث ابن أبي العاص ان الشيطان حال بيني وبين صلاتي ــ الحديث : م من حديث ابن أبي العاص

---

(١) الاسرا : ٦٥ (٢) الجاثية : ٢٣

أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْهُ وَاتْفُلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا » قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عنى . وفى الخبر[1] « إِنَّ لِلْوُضُوءِ شَيْطَانًا يُقَالُ لَهُ الْوَلْهَانُ فَاسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْهُ » ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب إلا ذكر ما سوى ما يوسوس به لأنه إذا خطر فى القلب ذكر شىء انعدم منه ما كان فيه من قبل ، ولكن كل شىء سوى الله تعالى ، وسوى ما يتعلق به ، فيجوز أيضا أن يكون مجالا للشيطان . وذكر الله هو الذى يؤمن جانبه ، ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال . ولا يعالج الشىء إلا بضده : وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة ، والتبرى عن الحول والقوة ، وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . وذلك لا يقدر عليه إلا المتقون ، الغالب عليهم ذكر الله تعالى ، وأما الشيطان يطوف عليهم فى أوقات الفلتات على سبيل الخلسة . وقال الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ [1]) وقال مجاهد فى معنى قول الله تعالى (مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ [2]) قال هو منبسط على القلب ، فإذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض ، وإذا غفل انبسط على قلبه . فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان ، كالتطارد بين النور والظلام ، وبين الليل والنهار . ولتضادهما قال الله تعالى (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ [3]) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] « إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خُرْطُومَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ فَإِنْ هُوَ ذَكَرَ اللهَ تَعَالَى خَنَسَ وَإِنْ نَسِيَ اللهَ تَعَالَى الْتَقَمَ قَلْبَهُ » وقال ابن وضاح [3] فى حديث ذكره ، إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب ، مسح الشيطان وجهه بيده : وقال بأبى وجه من لا يفلح . وكما أن الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه ، فسلطنة الشيطان أيضا سارية فى لحمه ودمه ، ومحيطة بالقلب

---

(١) حديث ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان ـ الحديث : ه ت من حديث أبى بن كعب وقال غريب وليس اسناده بالقوى عند أهل الحديث

(٢) حديث أنس ان الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم ـ الحديث : ابن أبى الدنيا فى كتاب مكايد الشيطان وأبو يعلى الموصلى وابن عدى فى الكامل وضعفه

(٣) حديث ابن وضاح إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال بأبى وجه لا يفلح لم أجد له أصلا

---

(١) الاعراف : ٢٠١ (٢) الناس : ٤ (٣) المجادله : ١٩

من جوانبه ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [١] « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ فَضَيِّقُوا مَجَارِيَهُ بِالْجُوعِ » وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ، ومجرى الشيطان الشهوات. ولأجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى ، إخباراً عن إبليس (لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ [١]) وقال صلى الله عليه وسلم [٢] « إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِطُرُقٍ فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ أَتُسْلِمُ وَتَتْرُكُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ ! فَعَصَاهُ وَأَسْلَمَ ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ فَقَالَ أَتُهَاجِرُ أَتَدَعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ ! فَعَصَاهُ وَهَاجَرَ ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ فَقَالَ أَتُجَاهِدُ وَهُوَ تَلَفُ النَّفْسِ وَالْمَالِ فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ فَتُنْكَحُ نِسَاؤُكَ وَيُقْسَمُ مَالُكَ ! فَعَصَاهُ وَجَاهَدَ » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَمَاتَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ »

فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة ، وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد أنه يقتل وتنكح نساؤه ، وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد . وهذه الخواطر معلومة ، فإذاً الوسواس معلوم بالمشاهدة ، وكل خاطر فله سبب ، ويفتقر إلى اسم يعرفه ، فاسم سببه الشيطان ، ولا يتصور أن ينفك عنه آدمي ، وإنما يختلفون بعصيانه ومتابعته . ولذلك قال عليه السلام [٣] « مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ شَيْطَانٌ » فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والإلهام ، والملك والشيطان ، والتوفيق والخذلان .

فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان ، أنه جسم لطيف ، أو ليس بجسم . وإن كان جسما فكيف يدخل بدن الإنسان ما هو جسم . فهذا الآن غير محتاج إليه في علم المعاملة ، بل مثال الباحث عن هذا مثال من دخلت في ثيابه حية ، وهو محتاج إلى إزالتها ودفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وشكلها ، وطولها وعرضها ، وذلك عين الجهل . فمصادمة الخواطر

---

(١) حديث ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم : تقدم

(٢) حديث ان الشيطان قعد لابن آدم بطرقه ـ الحديث : ن من حديث سبرة بن أبي فاكه باسناد صحيح

(٣) حديث ما من أحد الا له شيطان ـ الحديث : تقدم

---

(١) الاعراف : ١٦ و ١٧

الباعثة على الشر قد علمت ، ودل ذلك على أنه عن سبب لامحالة ، وعلم أن الداعى إلى الشر المحذور فى المستقبل عدو ، فقد عرف العدو لامحالة ، فينبغى أن يشتغل بمجاهدته . وقد عرّف الله سبحانه عداوته فى مواضع كثيرة من كتابه ، ليؤمن به ويحترز عنه ، فقال تعالى (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ [1]) وقال تعالى (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ [2]) فينبغى للعبد أن يشتغل بدفع العدو عن نفسه ، لا بالسؤال عن أصله ونسبه ومسكنه

نعم ينبغى أن يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه ، وسلاح الشيطان الهوى والشهوات ، وذلك كاف للعالمين . فأما معرفة ذاته وصفاته وحقيقته ، نعوذ بالله منه ، وحقيقة الملائكة ، فذلك ميدان العارفين المتغلغلين فى علوم المكاشفات ، فلا يحتاج فى علم المعاملة إلى معرفته

نعم ينبغى أن يعلم أن الخواطر تنقسم إلى ما يعلم قطعا أنه داع إلى الشر ، فلا يخفى كونه وسوسة ، وإلى ما يعلم أنه داع إلى الخير ، فلا يشك فى كونه إلهاما . وإلى ما يتردد فيه ، فلا يدرى أنه من لمّة الملك ، أو من لمة الشيطان ، فإن من مكايد الشيطان أن يعرض الشر فى معرض الخير ، والتمييز فى ذلك غامض ، وأكثر العباد به يهلكون ، فإن الشيطان لا يقدر على دعائهم إلى الشر الصريح ، فيصور الشر بصورة الخير ، كما يقول للعالم بطريق الوعظ ، أما تنظر إلى الخلق وهم موتى من الجهل ، هلكى من الغفلة ، قد أشرفوا على النار ، أما لك رحمة على عباد الله ، تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك ، وقد أنعم الله عليك بقلب بصير ، ولسان ذلق ، ولهجة مقبولة ، فكيف تكفر نعمة الله تعالى ، وتتعرض لسخطه ، وتسكت عن إشاعة العلم ، ودعوة الخلق إلى الصراط المستقيم . ولا يزال يقرر ذلك فى نفسه ، ويستجره بلطيف الحيل ، إلى أن يشتغل بوعظ الناس . ثم يدعوه بعد ذلك إلى أن يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ ، وإظهار الخير ، ويقول له إن لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ، ولم يهتدوا إلى الحق ، ولا يزال يقرر ذلك عنده ، وهو فى أثنائه يؤكد فيه شوائب الرياء ، وقبول الخلق ، ولذة الجاه ، والتعزز بكثرة الأتباع والعلم ، والنظر إلى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح إلى الهلاك ، فيتكلم وهو يظن أن قصده الخير ، وإنما قصده

(١) فاطر : ٦ (٢) يس : ٦٠

الجاه والقبول . فيهلك بسببه ، وهو يظن أنه عند الله بمكان ، وهو من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] « إِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِقَوْمٍ لاَخَلاَقَ لَهُمْ » [٢] « وَإِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ » ولذلك روى أن إبليس لعنه الله ، تمثل لعيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم ، فقال له قل لا إله إلا الله ، فقال كلمة حق ولا أقولها بقولك . لأن له أيضا تحت الخير تلبيسات ، وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبها يهلك العلماء ، والعباد والزهاد ، والفقراء والأغنياء ، وأصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ، ولا يرضون لأنفسهم الخوض فى المعاصى المكشوفة . وسنذكر جملة من مكايد الشيطان فى كتاب الغرور ، فى آخر هذا الربع . ولعلنا إن أمهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص ، نسميه تلبيس إبليس . فإنه قد انتشر الآن تلبيسه فى البلاد والعباد لاسيما فى المذاهب والاعتقادات ، حتى لم يبق من الخيرات إلا رسمها ، كل ذلك إذعانا لتلبيسات الشيطان ومكايده

فحق على العبد أن يقف عند كل هم يخطر له ، ليعلم أنه من لمة الملك أو لمة الشيطان. وأن يمعن النظر فيه بعين البصيرة ، لا بهوى من الطبع ، ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم . كما قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا [١]) أى رجعوا إلى نور العلم (فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ [٢]) أى ينكشف لهم الإشكال . فأما من لم يرض نفسه بالتقوى ، فيميل طبعه إلى الإذعان بتلبيسه بمتابعة الهوى ، فيكثر فيه غلطه ، ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر . وفى مثلهم قال سبحانه وتعالى (وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ [٣]) قيل هي أعمال ظنوها حسنات ، فإذا هي سيئات .

وأغمض أنواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس، ومكايد الشيطان، وذلك فرض عين على كل عبد، وقد أهمله الخلق، واشتغلوا بعلوم تستجر إليهم الوسواس ، وتسلط عليهم الشيطان ، وتنسيهم عداوته ، وطريق الاحتراز عنه . ولا ينجى من كثرة الوسواس إلا سدّ أبواب الخواطر ،

---

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم : ن من حديث أنس باسناد جيد

(٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر : متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم فى العلم

---

(١) و (٢) الاعراف : ٢٠١ (٣) الزمر: ٤٧

وأبوابها الحواس الخمس ، وأبوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا . والخلوة فى بيت مظلم تسد باب الحواس ، والتجرد عن الأهل والمال يقلل مداخل الوسواس من الباطن ، ويبقى مع ذلك مداخل باطنه فى التخيلات الجارية فى القلب ، وذلك لا يدفع إلا بشغل القلب بذكر الله تعالى . ثم إنه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ، ويلهيه عن ذكر الله تعالى ، فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها إلا الموت ، إذ لا يتخلص أحد من الشيطان مادام حياً

نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ، ويدفع عن نفسه شره بالجهاد ، ولكن لا يستغنى قط عن الجهاد والمدافعة مادام الدم يجرى فى بدنه ، فإنه مادام حيا فأبواب الشيطان مفتوحة إلى قلبه لا تنغلق ، وهى الشهوة والغضب ، والحسد والطمع ، والشره وغيرها ، كما سيأتى شرحها ومهما كان الباب مفتوحا ، والعدوّ غير غافل ، لم يدافع إلا بالحراسة والمجاهدة . قال رجل للحسن : يا أبا سعيد . أينام الشيطان ؟ فتبسم وقال ، لو نام لاسترحنا . فإذاً لا خلاص للمؤمن منه . نعم له سبيل إلى دفعه وتضعيف قوّته . قال صلى الله عليه وسلم [1] «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُنْضِى شَيْطَانَهُ كَمَا يُنْضِى أَحَدُكُمْ بَعِيرَهُ فِى سَفَرِهِ» وقال ابن مسعود ، شيطان المؤمن مهزول ، وقال قيس بن الحجاج ، قال لى شيطانى ، دخلت فيك وأنا مثل الجزور ، وأنا الآن مثل العصفور . قلت ولم ذاك ؟ قال تذيبنى بذكر الله تعالى .

فأهل التقوى لا يتعذر عليهم سد أبواب الشيطان ، وحفظها بالحراسة ، أعنى الأبواب الظاهرة ، والطرق الجلية التى تفضى إلى المعاصى الظاهرة . وإنما يتعثرون فى طرقه الغامضة فإنهم لا يهتدون إليها فيحرسونها ، كما أشرنا إليه فى غرور العلماء والوعاظ . والمشكل أن الأبواب المفتوحة إلى القلب للشيطان كثيرة ، وباب الملائكة باب واحد . وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الأبواب الكثيرة . فالعبد فيها كالمسافر الذى يبقى فى بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك ، فى ليلة مظلمة . فلا يكاد يعلم الطريق إلا بعين بصيرة ، وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هى القلب المصفى بالتقوى ، والشمس المشرقة هو العلم الغزير ، المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، مما يهدى إلى غوامض طرقه ، وإلا فطرقه كثيرة وغامضة

---

(١) حديث إن المؤمن ينضى شيطانه ـ الحديث : أحمد من حديث أبى هريرة وفيه ابن لهيعة

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه [١] خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال « هَذَا سَبِيلُ اللهِ » ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ، ثم قال « هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ » ثم تلا (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ [١]) لتلك الخطوط فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه

وقد ذكر نامثالا للطريق الغامض من طرقه ، وهو الذى يخدع به العلماء ، والعباد المالكين لشهواتهم ، الكافين عن المعاصى الظاهرة . فلنذكر مثالا لطريقه الواضح الذى لايخفى إلا أن يضطر الآدمي إلى سلوكه . وذلك ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال [٢] « كَانَ رَاهِبٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَعَمَدَ الشَّيْطَانُ إِلَى جَارِيَةٍ فَخَنَقَهَا وَأَلْقَى فِي قُلُوبِ أَهْلِهَا أَنَّ دَوَاءَهَا عِنْدَ الرَّاهِبِ فَأَتَوْا بِهَا إِلَيْهِ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى قَبِلَهَا فَلَمَّا كَانَتْ عِنْدَهُ لِيُعَالِجَهَا أَتَاهُ الشَّيْطَانُ فَزَيَّنَ لَهُ مُقَارَبَتَهَا وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى وَاقَعَهَا فَحَمَلَتْ مِنْهُ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ وَقَالَ الْآنَ تَفْتَضِحُ يَأْتِيكَ أَهْلُهَا فَاقْتُلْهَا فَإِنْ سَأَلُوكَ فَقُلْ مَاتَتْ فَقَتَلَهَا وَدَفَنَهَا فَأَتَى الشَّيْطَانُ أَهْلَهَا فَوَسْوَسَ إِلَيْهِمْ وَأَلْقَى فِي قُلُوبِهِمْ أَنَّهُ أَحْبَلَهَا ثُمَّ قَتَلَهَا وَدَفَنَهَا فَأَتَاهُ أَهْلُهَا فَسَأَلُوهُ عَنْهَا فَقَالَ مَاتَتْ فَأَخَذُوهُ لِيَقْتُلُوهُ بِهَا فَأَتَاهُ الشَّيْطَانُ فَقَالَ أَنَا الَّذِي خَنَقْتُهَا وَأَنَا الَّذِي أَلْقَيْتُ فِي قُلُوبِ أَهْلِهَا فَأَطِعْنِي تَنْجُ وَأُخَلِّصْكَ مِنْهُمْ قَالَ بِمَاذَا قَالَ اسْجُدْ لِي سَجْدَتَيْنِ فَسَجَدَ لَهُ سَجْدَتَيْنِ فَقَالَ لَهُ الشَّيْطَانُ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ فَهُوَ الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ » (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ [٢])

فانظر الآن إلى حيله واضطراره الراهب إلى هذه الكبائر . وكل ذلك لطاعته له فى قبول الجارية للمعالجة ، وهو أمر هين ، وربما يظن صاحبه أنه خير وحسنة ، فيحسن ذلك فى قلبه بخفى الهوى ، فيقدم عليه كالراغب فى الخير ، فيخرج الأمر بعد ذلك عن اختياره ،

---

(١) حديث ابن مسعود خط لنارسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الله ـ الحديث : ن فى الكبرى وك وقال صحيح الاسناد

(٢) حديث كان راهب فى بنى اسرائيل فأخذ الشيطان جارية فخنقها وألقى فى قلوب أهلها ان دواءها عند الراهب ـ الحديث : بطوله فى تأويل قوله تعالى كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر . ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان وابن مردويه فى تفسيره فى حديث عبيد بن أبى رفاعة مرسلا وللحاكم نحوه موقوفا على علي بن أبى طالب وقال صحيح الأسناد ووصله بطين فى مسنده من حديث علي

---

(١) الانعام : ١٥٣ (٢) الحشر : ١٦

ويجره البعض إلى البعض ، بحيث لا يجد محيصا . فنعوذ بالله من تضييع أوائل الأمور . وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم[1] « مَنْ حَامَ حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ »

بيان

تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب

اعلم أن مثال القلب مثال حصن ، والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن ، فيملكه ويستولى عليه . ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه . ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدرى أبوابه . فحماية القلب من وسواس الشيطان واجبة ، وهو فرض عين على كل عبد مكلف . وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضا واجب . ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله . فصارت معرفة مداخله واجبة . ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد ، وهى كثيرة ، ولكنا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية مجرى الدروب ، التى لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان

فمن أبوابه العظيمة الغضب والشهوة . فإن الغضب هو غول العقل ، وإذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان . ومهما غضب الإنسان لعب الشيطان به ، كما يلعب الصبى بالكرة . فقد روى أن موسى عليه السلام ، لقيه ابليس ، فقال له ياموسى أنت الذى اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما ، وأنا خلق من خلق الله أذنبت ، وأريد أن أتوب ، فاشفع لى إلى ربى أن يتوب علىّ ، فقال موسى نعم . فلما صعد موسى الجبل ، وكلم ربه عز وجل ، وأراد النزول ، قال له ربه أدِّ الأمانة . فقال موسى يارب ، عبدك أبليس يريد أن تتوب عليه ، فأوحى الله تعالى إلى موسى ، ياموسى قد قضيت حاجتك ، مره أن يسجد لقبر آدم حتى يتاب عليه . فلقى موسى أبليس ، فقال له قد قضيت حاجتك ، أمرت أن تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليك . فغضب واستكبر ، وقال لم أسجد له حيا أأسجد له ميتا ! ثم قال ياموسى إن لك علىّ حقا بما شفعت لى إلى ربك . فاذكرنى عند ثلاث لا أهلكك فيهن ، أذكرنى حين تغضب فإن روحى فى قلبك ، وعينى فى عينك ، وأجرى منك مجرى الدم أذكرنى

---

(١) حديث من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه : متفق عليه من حديث النعمان بن بشير من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه لفظ خ

إذا غضبت ، فإنه إذا غضب الإنسان نفخت فى أنفه ، فما يدرى مايصنع . واذكرنى حين تلقى الزحف ، فإنى آتى ابن آدم حين يلقى الزحف ، فأذكره زوجته وولده وأهله حتى يولى وإياك أن تجلس إلى امرأة ليست بذات محرم ، فإنى رسولها إليك ورسولك إليها ، فلا أزال حتى أفتنك بها وأفتنها بك

فقد أشار بهذا إلى الشهوة والغضب والحرص ، فإن الفرار من الزحف حرص على الدنيا ، وامتناعه من السجود لآدم ميتا هو الحسد ، وهو أعظم مداخله

وقد ذكر أن بعض الأولياء قال لإبليس ، أرنى كيف تغلب ابن آدم ، فنال آخذه عند الغضب وعند الهوى . فقد حكى أن ابليس ظهر لراهب ، فقال له الراهب ، أى أخلاق بنى آدم أعون لك ؟ قال الحدّة . فإن العبد إذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة . وقيل إن الشيطان يقول كيف يغلبنى ابن آدم وإذا رضى جئت حتى أكون فى قلبه ، وإذا غضب طرت حتى أكون فى رأسه !

ومن أبوابه العظيمة الحسد والحرص . فهما كان العبد حريصا على كل شىء ، أعماه حرصه وأصمه . إذ قال صلى الله عليه وسلم [1] « حُبُّكَ لِلشَّىْءِ يُعْمِى وَيُصِمُّ » ونور البصيرة هو الذى يعرف مداخل الشيطان . فإذا غطاه الحسد والحرص لم يبصر . فحينئذ يجد الشيطان فرصة ، فيحسن عند الحريص كل ما يوصله إلى شهوته ، وإن كان منكرا وفاحشا

فقد روى أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة ، حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى . فرأى فى السفينة شيخا لم يعرفه ، فقال له نوح ، ما أدخلك ؟ فقال دخلت لأصيب قلوب أصحابك ، فتكون قلوبهم معى وأبدانهم معك . فقال له نوح أخرج منها ياعدو الله فإنك لعين . فقال له ابليس ، خمس أهلك بهن الناس ، وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين . فأوحى الله تعالى إلى نوح أنه لا حاجة لك بالثلاث ، فليحدثك بالاثنتين فقال له نوح ما الاثنتان ؟ فقال هما اللتان لا تكذبانى ، هما اللتان لا تخلفانى ، بهما أهلك الناس الحرص والحسد . فبالحسد لعنت ، وجعلت شيطانا رجيما . وأما الحرص ، فإنه أبيح لآدم الجنة كلها إلا الشجرة فأصبت حاجتى منه بالحرص

---

(١) حديث حبك الشىء يعمى ويصم : أبو داود من حديث أبى الدرداء باسناد ضعيف

ومن أبوابه العظيمة الشبع من الطعام ، وإن كان حلالا صافيا . فإن الشبع يقوى الشهوات ، والشهوات أسلحة الشيطان . فقد روى أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام ، فرأى عليه معاليق من كل شيء ، فقال له يا إبليس ، ماهذه المعاليق ؟ قال هذه الشهوات التي أصبت بها ابن آدم . فقال فهل لى فيها من شيء ؟ قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر . قال فهل غير ذلك ؟ قال لا . قال لله علىّ أن لا أملأ بطنى من الطعام أبدا ، فقال له إبليس ، ولله علىّ أن لا أنصح مسلما أبدا

ويقال فى كثرة الأكل ست خصال مذمومة

أولها : أن يذهب خوف الله من قلبه الثانى : أن يذهب رحمة الخلق من قلبه ، لأنه يظن أنهم كلهم شباع والثالث : أنه يثقل عن الطاعة والرابع : أنه إذا سمع كلام الحكمة لا يجد له رقة والخامس : أنه إذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع فى قلوب الناس والسادس : أن يهيج فيه الأمراض

ومن أبوابه حب التزين من الأثاث والثياب والدار . فإن الشيطان إذا رأى ذلك غالبا على قلب الإنسان ، باض فيه وفرخ ، فلا يزال يدعوه إلى عمارة الدار ، وتزيين سقوفها وحيطانها ، وتوسيع أبنيتها ، ويدعوه إلى التزين بالثياب والدواب ، ويستسخره فيها طول عمره ، وإذا أوقعه فى ذلك فقد استغنى أن يعود إليه ثانية ، فإن بعض ذلك يجره إلى البعض فلا يزال يؤديه من شيء إلى شيء إلى أن يساق إليه أجله فيموت ، وهو فى سبيل الشيطان واتباع الهوى ، ويخشى من ذلك سوء العاقبة بالكفر . نعوذ بالله منه

ومن أبوابه العظيمة الطمع فى الناس ، لأنه إذا غلب الطمع على القلب ، لم يزل الشيطان يحبب إليه التصنع والتزين لمن طمع فيه ، بأنواع الرياء والتلبيس ، حتى يصير المطموع فيه كأنه معبوده . فلا يزال يتفكر فى حيلة التودد والتحبب إليه ، ويدخل كل مدخل للوصول إلى ذلك ، وأقل أحواله الثناء عليه بما ليس فيه ، والمداهنة له بترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

فقد روى صفوان بن سليم ، أن إبليس تمثل لعبد الله بن حنظلة ، فقال له يا ابن حنظلة إحفظ عنى شيئا أعلمك به . فقال لا حاجة لى به ، قال انظر فإن كان خيرا أخذت ، وإن كان

شرا رددت . يا ابن حنظلة ، لا تسأل أحدا غير الله سؤال رغبة ، وانظر كيف تكون إذا غضبت : فإني أملكك إذا غضبت

ومن أبوابه العظيمة العجلة وترك التثبت فى الأمور. وقال صلى الله عليه وسلم [1] « الْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَالتَّأَنِّي مِنَ اللهِ تَعَالَى » وقال عز وجل (خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ [1]) وقال تعالى (وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً [2]) وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ [3]) وهذا لأن الأعمال ينبغى أن تكون بعد التبصرة والمعرفة والتبصرة تحتاج إلى تأمل وتمهل ، والعجلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الإنسان من حيث لا يدرى

فقد روى أنه لما ولد عيسى بن مريم عليه السلام، أتت الشياطين إبليس ، فقالوا أصبحت الأصنام قد نكست رءوسها ، فقال هذا حادث قد حدث ، مكانكم ، فطار حتى أتى خافقى الأرض ، فلم يجد شيئا ، ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد ، وإذا الملائكة حافين به ، فرجع إليهم فقال إن نبيا قد ولد البارحة ، ما حملت أنثى قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها إلا هذا فأيسوا من أن تعبد الأصنام بعد هذه الليلة ، ولكن ائتوا بنى آدم من قبل العجلة والخفة

ومن أبوابه العظيمة الدراهم والدنانير ، وسائر أصناف الأموال من العروض والدواب والعقار ، فإن كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان . فإن من معه قوته فهو فارغ القلب. فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق ، انبعث من قلبه عشر شهوات ، تحتاج كل شهوة منها إلى مائة دينار أخرى ، فلا يكفيه ما وجد ، بل يحتاج إلى تسعمائة أخرى، وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا . فالآن لما وجد مائة ، ظن أنه صار بها غنيا ، وقد صار محتاجا إلى تسعمائة ، ليشترى دارا يعمرها ، وليشترى جارية ، وليشترى أثاث البيت، ويشترى الثياب الفاخرة ، وكل شىء من ذلك يستدعى شيئا آخر يليق به ، وذلك لا آخر له ، فيقع فى هاوية آخرها عمق جهنم ، فلا آخر لها سواه

---

(١) حديث العجلة من الشيطان والتأنى من الله : ت من حديث سهل بن سعد بلفظ الاناة وقال حسن

---

(1) الانبياء: ٣٧ (1) الاسراء : ١١ (2) طه : ١١٤

قال ثابت البنانى ، [1] لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ابليس لشياطينه ، لقد حدث أمر ، فانظروا ما هو . فانطلقوا حتى أعيوا ، ثم جاؤا وقالوا ما ندرى ، قال أنا آتيكم بالخبر . فذهب ثم جاء وقال ، قد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، قال فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فينصرفون خائبين ، ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء ، نصيب منهم ، ثم يقومون إلى صلاتهم فيمحى ذلك . فقال ابليس، رويدا بهم ، عسى الله أن يفتح لهم الدنيا ، فنصيب منهم حاجتنا

وروى أن عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا ، فمر به ابليس ، فقال ياعيسى رغبت فى الدنيا ! فأخذه عيسى صلى الله عليه وسلم ، فرمى به من تحت رأسه ، وقال هذا لك مع الدنيا . وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسد به عند النوم ، فقد ملك من الدنيا ما يمكن أن يكون عدة للشيطان عليه . فإن القائم بالليل مثلا للصلاة ، مهما كان بالقرب منه حجر يمكن أن يتوسده ، فلا يزال يدعوه إلى النوم وإلى أن يتوسده ، ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك ببال ، ولا تتحرك رغبته إلى النوم . هذا فى حجر . فكيف بمن يملك المهاد المثيرة ، والفرش الوطيئة ، والمتنزهات الطيبة ، فمتى ينشط لعبادة الله تعالى

ومن أبوابه العظيمة البخل وخوف الفقر ، فإن ذلك هو الذى يمنع من الإنفاق والتصدق ويدعو إلى الادخار والكنز والعذاب الأليم ، وهو الموعود للمكاثرين كما نطق به القرءان العزيز ، قال خيثمة بن عبد الرحمن ، إن الشيطان يقول ، ما غلبنى ابن آدم غلبة فلن يغلبنى على ثلاث : أن آمره أن يأخذ المال من غير حقه ، وإنفاقه فى غير حقه ، ومنعه من حقه . وقال سفيان ، ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر ، فإذا قبل ذلك منه أخذ فى الباطل ومنع من الحق ، وتكلم بالهوى ، وظن بربه ظن السوء

ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الأسواق لجمع المال ، والأسواق هى معشش

---

(١) حديث ثابت لما بعث صلى الله عليه وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث أمر ـ الحديث : ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان هكذا مرسلا

الشياطين. وقال أبو أمامة ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (١) « إِنَّ إِبْلِيسَ لَمَّا نُزِلَ إِلَى الْأَرْضِ قَالَ يَارَبِّ أَنْزَلْتَنِي إِلَى الْأَرْضِ وَجَعَلْتَنِي رَجِيماً فَاجْعَلْ لِي بَيْتاً قَالَ الْحَمَّامُ قَالَ اجْعَلْ لِي مَجْلِساً قَالَ الْأَسْوَاقُ وَمَجَامِعُ الطُّرُقِ قَالَ اجْعَلْ لِي طَعَاماً قَالَ طَعَامُكَ مَا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ قَالَ اجْعَلْ لِي شَرَاباً قَالَ كُلُّ مُسْكِرٍ قَالَ اجْعَلْ لِي مُؤَذِّناً قَالَ الْمَزَامِيرُ قَالَ اجْعَلْ لِي قُرْآناً قَالَ الشِّعْرُ قَالَ اجْعَلْ لِي كِتَاباً قَالَ الْوَشْمُ قَالَ اجْعَلْ لِي حَدِيثاً قَالَ الْكَذِبُ قَالَ اجْعَلْ لِي مَصَايِدَ قَالَ النِّسَاءُ »

ومن أبوابه العظيمة التعصب للمذاهب والأهواء ، والحقد على الخصوم ، والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار . وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا . فإن الطعن فى الناس ؛ والاشتغال بذكر نقصهم ، صفة مجبولة فى الطبع من الصفات السبعية . فإذا خيل إليه الشيطان أن ذلك هو الحق ، وكان موافقا لطبعه ، غلبت حلاوته على قلبه ، فاشتغل به بكل همته ، وهو بذلك فرحان مسرور ، يظن أنه يسعى فى الدين ، وهو ساع فى اتباع الشياطين فترى الواحد منهم يتعصب لأبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وهو آكل الحرام ، ومطلق اللسان بالفضول والكذب ، ومتعاط لأنواع الفساد ، ولو رآه أبو بكر لكان أول عدو له ، إذ موالى أبى بكر من أخذ سبيله ، وسار بسيرته ، وحفظ ما بين لحييه . وكان من سيرته رضي الله عنه ، أن يضع حصاة فى فمه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه ، فأنى لهذا الفضولى أن يدعى ولاءه وحبه ؛ ولا يسير بسيرته

ونرى فضوليا آخر يتعصب لعلي رضي الله عنه ، وكان من زهد علي وسيرته ، أنه لبس فى خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم ، وقطع رأس الكمين إلى الرسغ ، ونرى الفاسق لابسا لثياب الحرير ، ومتجملا بأموال اكتسبها من حرام ، وهو يتعاطى حب علي رضى الله عنه ويدعيه ، وهو أول خصمائه يوم القيامة

---

(١) حديث أبى أمامة ان إبليس لما نزل إلى الارض قال يارب أنزلتنى الى الارض وجعلتنى رجيما فاجعل لى بيتا قال الحمام ـ الحديث : الطبرانى فى الكبير واسناده ضعيف جدا ورواه بنحوه من حديث ابن عباس باسناد ضعيف أيضا

وليت شعرى من أخذ ولدا عزيزا الإنسان هو قرة عينه ، وحياة قلبه ، فأخذ يضربه ويمزقه ، وينتف شعره ويقطعه بالمقراض ، وهو مع ذلك يدعى حب أبيه وولاءه ، فكيف يكون حاله عنده ؟ ومعلوم أن الدين والشرع كانا أحب إلى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضي الله عنهم ، من الأهل والولد ، بل من أنفسهم . والمقتصون لمعاصى الشرع هم الذين يمزقون الشرع ، ويقطعونه بمقاريض الشهوات ، ويتوددون به إلى عدو الله إبليس وعدو أوليائه . فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصحابة ، وعند أولياء الله تعالى ! لا بل لو كشف الغطاء ، وعرف هؤلاء ما تحبه الصحابة فى أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لاستحيوا أن يجروا على اللسان ذكرهم مع قبح أفعالهم ، ثم إن الشيطان يخيل إليهم أن من مات محبا لأبى بكر وعمر ، فالنار لا تحوم حوله ، ويخيل إلى الآخر أنه إذا مات محبا لعلي ، لم يكن عليه خوف ، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (٢) لفاطمة رضي الله عنها ، وهى بضعة منه (٢) « إِعْمَلِي فَإِنِّي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا » وهذا مثال أوردناه من جملة الأهواء

وهكذا حكم المتعصبين للشافعى وأبى حنيفة ومالك وأحمد ، وغيرهم من الأئمة . فكل من ادعى مذهب إمام ، وهو ليس يسير بسيرته ، فذلك الإمام هو خصمه يوم القيامة ، إذ يقول له : كان مذهبى العمل دون الحديث باللسان ، وكان الحديث باللسان لأجل العمل لا لأجل الهذيان ، فما بالك خالفتنى فى العمل والسيرة ، التى هى مذهبى ومسلكى الذى سلكته وذهبت فيه إلى الله تعالى ، ثم ادعيت مذهبى كاذبا ، وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر العالم ، وقد سلمت المدارس لأقوام قل من الله خوفهم ، وضعفت فى الدين بصيرتهم ، وقويت فى الدنيا رغبتهم ، واشتد على الاستتباع حرصهم ، ولم يتمكنوا من الاستتباع وإقامة الجاه إلا بالتعصب ، فحبسوا ذلك فى صدورهم ، ولم ينبهوهم على مكايد الشيطان فيه ، بل نابوا عن الشيطان فى تنفيذ مكيدته ، فاستمر الناس عليه ، ونسوا أمهات دينهم ، فقد هلكوا وأهلكوا ، فالله تعالى يتوب علينا وعليهم

---

(١) حديث فاطمة بضعة منى : متفق عليه من حديث المسور بن مخرمة

(٢) حديث إنى لا أغنى عنك من الله شيئا . قاله لفاطمة متفق عليه من حديث أبى هريرة

وقال الحسن : بلغنا أن إبليس قال : سوّلت لأمة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصى، فقصموا ظهرى بالاستغفار . فسوّلت لهم ذنوبا لايستغفرون الله تعالى منها ، وهى الأهواء . وقد صدق الملعون ، فإنهم لايعلمون أن ذلك من الأسباب التى تجر إلى المعاصى ، فكيف يستغفرون منها .

ومن عظيم حيل الشيطان ، أن يشغل الأنسان عن نفسه ،بالاختلافات الواقعة بين الناس فى المذاهب والخصومات . قال عبد الله بن مسعود : جلس قوم يذكرون الله تعالى ، فأتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم ، ويفرق بينهم ، فلم يستطع . فأتى رفقة أخرى يتحدثون بحديث الدنيا ، فأفسد بينهم ، فقاموا يقتتلون ، وليس إياهم يريد ، فقام الذين يذكرون الله تعالى ، فاشتغلوا بهم ، يفصلون بينهم ، فتفرقوا عن مجلسهم ، وذلك مراد الشيطان منهم

ومن أبوابه حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتجروا فيه ، على التفكر فى ذات الله تعالى وصفاته ، وفى أمور لا يبلغها حد عقولهم ، حتى يشككهم فى أصل الدين ، أو يخيل إليهم فى الله تعالى خيالات يتعالى الله عنها ، يصير بها كافرا أو مبتدعا ، وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع فى صدره ، يظن ذلك هو المعرفة والبصيرة ، وانه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله . فأشد الناس حماقة أقواهم اعتقادا فى عقل نفسه ، وأثبت الناس عقلا أشدهم اتهاما لنفسه ، وأكثرهم سؤالا من العلماء . قالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِى أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَكَ ؟ فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَيَقُولُ فَمَنْ خَلَقَ اللهَ ؟ فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ ذَلِكَ فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُذْهِبُ عَنْهُ » والنبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بالبحث فى علاج هذا الوسواس ،فإن هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء . وإنما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ،ويشتغلوا بعبادتهم ومعايشهم ، ويتركوا العلم للعلماء . فالعامى لو يزنى ويسرق كان خير له من أن يتكلم فى العلم . فإنه من تكلم فى الله وفى دينه من غير إتقان العلم ، وقع فى الكفر من حيث لايدرى . كمن يركب لجة البحر وهو لايعرف السباحة . ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد

---

(١) حديث عائشة ان الشيطان يأتى أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله ـ الحديث : أحمد والبزار وأبو يعلى فى مسانيدهم ورجاله ثقات وهو متفق عليه من حديث أبى هريرة

والمذاهب لاتحصر ، وإنما أردنا بما أوردناه المثال

ومن أبوابه سوء الظن بالمسلمين .. قال الله تعالى (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ [٢]) فمن يحكم بشر على غيره بالظن ، بعثه الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك ، أو يقصر فى القيام بحقوقه ، أو يتوانى فى إكرامه ، وينظر إليه بعين الاحتقار ، ويرى نفسه خيرا منه . وكل ذلك من المهلكات . ولأجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم . فقال صلى الله عليه وسلم [١] « اتَّقُوا مَوَاضِعَ التُّهَمِ » حتى احترز هو صلى الله عليه وسلم من ذلك .

روى عن علي بن حسين [٢] ، أن صفية بنت حيي بن أخطب ، أخبرته أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فى المسجد ، قالت فأتيته فتحدثت عنده ، فلما أمسيت انصرفت فقام يمشى معى ، فمر به رجلان من الأنصار ، فسلما ثم انصرفا . فناداهما وقال « إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ » فقالا يارسول الله مانظن بك إلا خيرا . فقال « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِى مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ مِنَ الْجَسَدِ وَإِنِّى خَشِيتُ أَنْ يُدْخِلَ عَلَيْكُمَا » فانظر كيف أشفق صلى الله عليه وسلم على دينهما فحرسهما ، وكيف أشفق على أمته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لايتساهل العالم الورع المعروف بالدين فى أحواله ، فيقول مثلى لايظن به إلا الخير إعجابا منه بنفسه . فإن أورع الناس وأتقاهم وأعلمهم لاينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم ، وبعين السخط بعضهم . ولذلك قال الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

فيجب الاحتراز عن ظن السوء ، وعن تهمة الأشرار ، فإن الأشرار لايظنون بالناس كلهم إلا الشر . فمهما رأيت إنسانا يسيء الظن بالناس طالبا للعيوب ، فاعلم أنه خبيث فى الباطن وأن ذلك خبثه يترشح منه ، وإنما رأى غيره من حيث هو . فإن المؤمن يطلب المعاذير ، والمنافق يطلب العيوب . والمؤمن سليم الصدر فى حق كافة الخلق

---

(١) حديث اتقوا مواضع التهم لم أجده أصلا

(٢) حديث صفية بنت حيي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فأتيته فتحدثت عنده ـ الحديث : وفيه ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم متفق عليه

---

(٢) الحجرات : ١٢

فهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب . ولو أردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه . وفى هذا القدر ماينبه على غيره ، فليس فى الآدمى صفة مذمومة إلا وهى سلاح الشيطان ومدخل من مداخله

فإن قلت: فما العلاج فى دفع الشيطان؟ وهل يكفى فى ذلك ذكر الله تعالى. وقول الإنسان لاحول ولا قوة إلا بالله ؟

فاعلم أن علاج القلب فى ذلك سد هذه المداخل ، بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة ، وذلك مما يطول ذكره . وغرضنا فى هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات ، وتحتاج كل صفة إلى كتاب منفرد على ماسيأتى شرحه . نعم إذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات ، كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ، ولم يكن له استقرار ، ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى ، لأن حقيقة الذكر لاتتمكن من القلب إلا بعد عمارة القلب بالتقوى ، وتطهيره من الصفات المذمومة ، وإلا فيكون الذكر حديث نفس ، لاسلطان له على القلب ، فلا يدفع سلطان الشيطان . ولذلك قال الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ[1]) خصص بذلك المتقى : فمثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك ، فإن لم يكن بين يديك خبز أو لحم ، فإنه ينزجر بأن تقول له اخسأ ، فمجرد الصوت يدفعه . فإن كان بين يديك لحم وهو جائع ، فإنه يهجم على اللحم ولا يندفع بمجرد الكلام . فالقلب الخالى عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر . فأما الشهوة إذا غلبت على القلب ، دفعت حقيقة الذكر إلى حواشى القلب ، فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان فى سويداء القلب . وأما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة ، فإنه يطرقها الشيطان لا للشهوات ، بل لخلوها بالغفلة عن الذكر ، فإذا عاد إلى الذكر خنس الشيطان . ودليل ذلك قوله تعالى (فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ[2]) وسائر الأخبار والآيات الواردة فى الذكر

قال أبو هريرة ، التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر . فإذا شيطان الكافر دهين سمين كاسن ، وشيطان المؤمن مهزول أشعث أغبر عار . فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن

(١) الاعراف : ٢٠١ (٢) النحل : ٩٨

مالك مهزول ؟ قال أنا مع رجل إذا أكل سمى الله ، فأظل جائعا . وإذا شرب سمى الله، فأظل عطشانا . وإذا لبس سمى الله ، فأظل عريانا . وإذا ادهن سمى الله ، فأظل شعثا . فقال لكنى مع رجل لا يفعل شيئا من ذلك ، فأنا أشاركه فى طعامه وشرابه ولباسه

وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح ، اللهم إنك سلطت علينا عدوا بصيرا يعيوبنا ، يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم . اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك ، وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك ، إنك على كل شىء قدير . قال فتمثل له ابليس يوما فى طريق المسجد ، فقال له يا ابن واسع، هل تعرفنى؟ قال ومن أنت ؟ قال أنا إبليس . فقال وما تريد ؟ قال أريد أن لا تعلم أحدا هذه الاستعاذة ، ولا أتعرض لك ، قال والله لا أمنعها ممن أرادها ، فاصنع ما شئت

وعن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال [1] : كان شيطان يأتى النبى صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار ، فيقوم بين يديه وهو يصلى ، فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب . فأتاه جبرائيل عليه السلام ، فقال له « قُلْ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ الَّتِى لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ ، مِنْ شَرِّ مَا يَلِجُ فِى الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ، وَمِنْ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمِنْ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ » فقال ذلك فطفئت شعلته وخر على وجهه

وقال الحسن [2] نبئت أن جبرائيل عليه السلام ، أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن عفريتا من الجن يكيدك ، فإذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى . وقال صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث عبد الرحمن بن أبى ليلى كان الشيطان يأتى النبى صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار ـ الحديث : ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان هكذا مرسلا ولمالك فى الموطأ نحوه عن يحيى بن سعيد مرسلا ووصله ابن عبد البر فى التمهيد من رواية يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن عياش الشامى عن ابن مسعود ورواه أحمد والبزار من حديث عبد الرحمن بن حبيش وقيل له كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة كادته الشياطين فذكر نحوه

(٢) حديث الحسن نبئت أن جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان عفريتا من الجن يكيدك ـ الحديث : ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان هكذا مرسلا

(١) « لَقَدْ أَتَانِي الشَّيْطَانُ فَنَازَعَنِي ثُمَّ نَازَعَنِي فَأَخَذْتُ بِحَلْقِهِ فَوَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَاأَرْسَلْتُهُ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ مَاءِ لِسَانِهِ عَلَى يَدِي وَلَوْلَا دَعْوَةُ أَخِي سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَأَصْبَحَ طَرِيحًا فِي الْمَسْجِدِ » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « مَا سَلَكَ عُمَرُ فَجًّا إِلَّا سَلَكَ الشَّيْطَانُ فَجًّا غَيْرَ الَّذِي سَلَكَهُ عُمَرُ » وهذا لأن القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته ، وهى الشهوات

فهما طمعت فى أن يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر ، كما اندفع عن عمر رضى الله عنه كان محالا ، وكنت كمن يطمع أن يشرب دواء قبل الاحتماء ، والمعدة مشغولة بغليظ الأطعمة ويطمع أن ينفعه ، كما نفع الذى شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة . والذكر الدواء ، والتقوى احتماء ، وهى تخلى القلب عن الشهوات . فإذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر ، اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء فى المعدة الخالية عن الأطعمة . قال الله تعالى (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ (١)) وقال تعالى (كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (٢)) ومن ساعد الشيطان بعمله فهو موالية ، وإن ذكر الله بلسانه

وإن كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بأن الذكر يطرد الشيطان ، (٣) ولم تفهم أن أكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط نقلها علماء الدين ، فانظر إلى نفسك ، فليس الخبر كالعيان ، وتأمل أن منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة ، فراقب قلبك إذا كنت فى صلاتك ، كيف يجاذبه الشيطان إلى الأسواق ، وحساب العالمين ، وجواب المعاندين ، وكيف يمر بك فى أودية الدنيا ومهالكها ، حتى أنك لا تذكر ما قد نسيته من فضول الدنيا إلا فى صلاتك ،

---

(١) حديث أتانى شيطان فنازعنى ثم نازعنى فأخذت بحلقه ـ الحديث ابن أبى الدنيا من رواية الشعبى مرسلا هكذا وللبخارى من حديث أبى هريرة ان عفريتا من الجن تفلت على البارحة أو كلمة نحوها ليقطع على صلاتى فأمكننى الله منه ـ الحديث و ن فى الكبرى من حديث عائشة كان يصلى فأتاه الشيطان فأخذه فصرعه فخنقه قال حتى وجدت برد لسانه على يدى ـ الحديث : واسناده جيد

(٢) حديث ماسلك عمر فجا إلا سلك الشيطان فجا غير فجه : متفق عليه من حديث سعد بن أبى وقاص بلفظ يا ابن الخطاب مالقيك الشيطان سالكا فجا

(٣) الحديث الوارد بأن الذكر يا عمر يطرد الشيطان : تقدم

---

(١) ق : ٣٧ (٢) الحج : ٤

ولا يزدحم الشيطان على قلبك إلا إذا صليت . فالصلاة محك القلوب ، فيها يظهر محاسنها ومساويها . فالصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا ، فلاجرم لا ينطرد عنك الشيطان ، بل ربما يزيد عليك الوسواس ، كما أن الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر . فإن أردت الخلاص من الشيطان ، فقدم الاحتماء بالتقوى ، ثم أردفه بدواء الذكر ، يفر الشيطان منك ، كما فر من عمر رضى الله عنه . ولذلك قال وهب بن منبه اتق الله ولا تسب الشيطان فى العلانية ، وأنت صديقه فى السر . أى أنت مطيع له . وقال بعضهم ياعجبا لمن يعصى المحسن بعد معرفته بإحسانه ، ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه . وكما أن الله تعالى قال (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ [1]) وأنت تدعوه ولا يستجيب لك ، فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعاء

قيل لإبراهيم بن أدهم : ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟ وقد قال تعالى (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ [2]) قال لأن قلوبكم ميتة . قيل وما الذى أماتها ؟ قال ثمان خصال : عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه ، وقرأتم القرءان ولم تعملوا بحدوده ، وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعملوا بسنته ، وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له ، وقال تعالى (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا [3]) فواطأتموه على المعاصى ، وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها ، وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها ، وإذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس أمامكم ، فأسخطتم ربكم ، فكيف يستجيب لكم

فإن قلت : فالداعى إلى المعاصى المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفون ؟

فاعلم أنه لا حاجة لك إلى معرفة ذلك فى المعاملة . فاشتغل بدفع العدو ، ولا تسأل عن صفته . كل البقل من حيث يؤتى ، ولا تسأل عن المبقلة . ولكن الذى يتضح بنور الاستبصار فى شواهد الأخبار أنهم جنود مجندة ، وأن لكل نوع من المعاصى شيطانا يخصه ويدعو إليه . فأما طريق الاستبصار فذكره يطول ، ويكفيك القدر الذى ذكرناه ، وهو أن اختلاف المسببات يدل على اختلاف الأسباب ، كما ذكرناه فى نور النار وسواد الدخان

(١) و (٢) غافر : ٦٠ (٣) فاطر : ٦

وأما الأخبار فقد قال مجاهد : لأبليس خمسة من الأولاد ، قد جعل كل واحد منهم على شيء من أمره ، ثبر ، والأعور ، ومبسوط ، وداسم ، وزلنبور . فأما ثبر ، فهو صاحب المصائب ، الذي يأمر بالثبور ، وشق الجيوب ، ولطم الخدود ، ودعوى الجاهلية . وأما الأعور فإنه صاحب الزنا ، يأمر به ويزينه . وأما مبسوط ، فهو صاحب الكذب . وأما داسم ، فإنه يدخل مع الرجل إلى أهله ، يرميهم بالعيب عنده ، ويغضبه عليهم . وأما زلنبور ، فهو صاحب السوق ، فبسببه لا يزالون متظالمين ، [1] وشيطان الصلاة يسمى خنزب ، [2] وشيطان الوضوء يسمى الولهان . وقد ورد في ذلك أخبار كثيرة

وكما أن الشياطين فيهم كثرة ، فكذلك في الملائكة كثرة . وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة الملائكة ، واختصاص كل واحد منهم بعمل منفرد به . وقد قال أبو أمامة الباهلي ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [3] « وُكِّلَ بِالْمُؤْمِنِ مِائَةٌ وَسِتُّونَ مَلَكاً يَذُبُّونَ عَنْهُ مَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، مِنْ ذَلِكَ لِلْبَصَرِ سَبْعَةُ أَمْلَاكٍ يَذُبُّونَ عَنْهُ كَمَا يُذَبُّ الذُّبَابُ عَنْ قَصْعَةِ الْعَسَلِ فِي الْيَوْمِ الصَّائِفِ وَمَا لَوْ بَدَا لَكُمْ لَرَأَيْتُمُوهُ عَلَى كُلِّ سَهْلٍ وَجَبَلٍ كُلٌّ بَاسِطٌ يَدَهُ فَاغِرٌ فَاهُ وَلَوْ وُكِلَ الْعَبْدُ إِلَى نَفْسِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ لَاخْتَطَفَتْهُ الشَّيَاطِينُ »

وقال أيوب بن يونس بن يزيد ، بلغنا أنه يولد مع أبناء الإنس من أبناء الجن ، ثم ينشأون معهم . وروى جابر بن عبد الله ، أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض قال يارب ، هذا الذي جعلت بيني وبينه عداوة ، إن لم تعني عليه لا أقوى عليه . قال لا يولد لك ولد إلا وكل به ملك . قال يارب زدني . قال أجزي بالسيئة سيئة ، وبالحسنة عشرا إلى ما أريد . قال رب زدني . قال باب التوبة مفتوح ، مادام في الجسد الروح . قال إبليس ، يارب هذا العبد الذي كرمته علي ، أن لا تعني عليه لا أقوى عليه . قال لا يولد له ولد إلا ولد لك ولد . قال يارب زدني ، قال تجري منهم مجرى الدم ، وتتخذون صدورهم بيوتا . قال رب زدني ، قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك ، إلى قوله غرورا .

---

(١) حديث ان شيطان الصلاة يسمى خنزب : م من حديث عثمان بن أبي العاص وقد تقدم أول الحديث

(٢) حديث ان شيطان الوضوء يسمى الولهان : تقدم وهو عند ت من حديث أبي

(٣) حديث أبي أمامة وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ـ الحديث : ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان وطب في المعجم الكبير باسناد ضعيف

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] « خَلَقَ اللهُ الْجِنَّ ثَلاثَةَ أَصْنَافٍ ، صِنْفٌ حَيَّاتٌ وَعَقَارِبُ وَخَشَاشُ الْأَرْضِ وَصِنْفٌ كَالرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ وَصِنْفٌ عَلَيْهِمُ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ . وَخَلَقَ اللهُ تَعَالَى الْإِنْسَ ثَلاثَةَ أَصْنَافٍ ، صِنْفٌ كَالْبَهَائِمِ كَمَا قَالَ تَعَالَى (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ[١]) وَصِنْفٌ أَجْسَامُهُمْ أَجْسَامُ بَنِي آدَمَ وَأَرْوَاحُهُمْ أَرْوَاحُ الشَّيَاطِينِ وَصِنْفٌ فِي ظِلِّ اللهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ »

وقال وهيب بن الورد بلغنا أن إبليس تمثل ليحيي بن زكريا عليهما السلام ، وقال إني أريد أن أنصحك قال لا حاجة لي في نصحك ، ولكن أخبرني عن بني آدم . قال هم عندنا ثلاثة أصناف ، أما صنف منهم ، وهم أشد الأصناف علينا ، نقبل على أحدهم حتى نفتنه ونتمكن منه ، فيفزع إلى الاستغفار والتوبة ، فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه . ثم نعود عليه ، فيعود ، فلا نحن نيأس منه ، ولا نحن ندرك منه حاجتنا . فنحن منه في عناء . وأما الصنف الآخر ، فهم في أيدينا بمنزلة الكرة في أيدي صبيانكم ، نقلبهم كيف شئنا . قد كفونا أنفسهم . وأما الصنف الثالث ، فهم مثلك معصومون ، لا نقدر منهم على شيء

فإن قلت : فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض ؟ وإذا رأى صورة فهل هي صورته الحقيقية أو هو مثال يمثل له به ؟ فإن كان على صورته الحقيقية فكيف يرى بصورة مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين ؟ حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين

فاعلم أن الملك والشيطان لهما صورتان ، هي حقيقة صورتهما . ولا تدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة إلا بأنوار النبوة .[٢] فما رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبرائيل عليه أفضل الصلاة والسلام في صورته إلا مرتين ، وذلك أنه سأله أن يريه نفسه على صورته ، فواعده بالبقيع

---

(١) حديث أبي الدرداء خلق الله الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب ـ الحديث : ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان وحب في الضعفاء في ترجمة يزيد بن سنان وضعفه وله نحوه مختصرا في الجن فقط ثلاثة أصناف من حديث أبي ثعلبة الخشني وقال صحيح الاسناد

(٢) حديث انه صلى الله عليه وسلم ما رأى جبريل في صورته إلا مرتين : الشيخان من حديث عائشة وسئلت هل رأى محمد ربه وفيه ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين

---

(١) الاعراف . ١٧٩

وظهر له بحراء ، فسد الأفق من المشرق إلى المغرب . ورآه مرة أخرى على صورته ليلة المعراج ، عند سدرة المنتهى . وإنما كان يراه فى صورة الآدمى غالبا .[1] فكان يراه فى صورة دحية الكلبى ،[2] وكان رجلا حسن الوجه . والأكثر أنه يكاشف أهل المكاشفة من أرباب القلوب بمثال صورته ، فيتمثل الشيطان له فى اليقظة ، فيراه بعينه ، ويسمع كلامه بأذنه ، فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته . كما ينكشف فى المنام لأكثر الصالحين . وإنما المكاشف فى اليقظة ، هو الذى انتهى إلى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التى تكون فى المنام ، فيرى فى اليقظة ما يراه غيره فى المنام ، كما روى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم ، فرأى فى النوم جسد رجل شبه البلور ، يرى داخله من خارجه ، ورأى الشيطان فى صورة ضفدع قاعد على منكبه الأيسر ، بين منكبه وأذنه ، له خرطوم دقيق ، قد أدخله من منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه . فإذا ذكر الله تعالى خنس .

ومثل هذا قد يشاهد بعينه فى اليقظة . فقد رآه بعض المكاشفين فى صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس إليها ، وكانت الجيفة مثال الدنيا . وهذا يجرى مجرى مشاهدة صورته الحقيقية ، فإن القلب لا بد وأن تظهر فيه حقيقة من الوجه الذى يقابل عالم الملكوت وعند ذلك يشرق أثره على وجهه الذى يقابل عالم الملك والشهادة ، لأن أحدهما متصل بالآخر وقد بينا أن القلب له وجهان ، وجه إلى عالم الغيب ، وهو مدخل الإلهام والوحى ، ووجه إلى عالم الشهادة . فالذى يظهر منه فى الوجه الذى يلى جانب عالم الشهادة ، لا يكون إلا صورة متخيلة ، لأن عالم الشهادة كله متخيلات ، إلا أن الخيال تارة يحصل من النظر إلى ظاهر عالم الشهادة بالحس ، فيجوز أن لا تكون الصورة على وفق المعنى ، حتى يرى شخصا جميل الصورة وهو خبيث الباطن ، قبيح السر ، لأن عالم الشهادة عالم كثير التلبيس . أما الصورة

---

(١) حديث انه كان يرى جبريل فى صورة الآدمى غالبا : الشيخان من حديث عائشة وسئلت فأين قوله فدنا فتدلى قالت ذاك جبريل كان يأتيه فى صورة الرجل ـ الحديث

(٢) حديث انه كان يرى جبريل فى صورة دحية الكلبى : الشيخان من حديث اسامة بن زيدان جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم وعنده أم سلمة فجعل يحدث ثم قام قال النبى صلى الله عليه وسلم لأم سلمة من هذا قالت دحية ـ الحديث .

التي تحصل في الخيال من إشراق عالم الملكوت على باطن سر القلوب ، فلا تكون إلا محاكية للصفة وموافقة لها ، لأن الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة وموافقة لها . فلا جرم لا يرى المعنى القبيح إلا بصورة قبيحة . فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيرها ، ويرى الملك في صورة جميلة ، فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ، ومحاكية لها بالصدق . ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على إنسان خبيث ، وتدل الشاة على إنسان سليم الصدر وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير . وهذه أسرار عجيبة ، وهي من أسرار عجائب القلب ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة ، وإنما المقصود أن تصدق بأن الشيطان ينكشف لأرباب القلوب ، ، وكذلك الملك ، تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما يكون ذلك في النوم ، وتارة بطريق الحقيقة . والأكثر هو التمثيل بصورة محاكية للمعنى ، هو مثال المعنى ، لا عين المعنى إلا أنه يشاهد بالعين مشاهدة محققة ، وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حوله كالنائم

بيان

ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به

اعلم أن هذا أمر غامض . وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة ، يلتبس طريق الجمع بينها ، إلا على سماسرة العلماء بالشرع . فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (١) « عُفِيَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ نُفُوسَهَا مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ أَوْ تَعْمَلْ بِهِ » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْحَفَظَةِ إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ فَلَا تَكْتُبُوهَا فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا سَيِّئَةً وَإِذَا هَمَّ بِحَسَنَةٍ لَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا عَشْرًا » وقد خرجه البخاري ومسلم في الصحيحين . وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة . وفي لفظ آخر ، « مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ »

---

(١) حديث عفي لأمتي عما حدثت به نفوسها : متفق عليه من حديث أبي هريرة ان الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ـ الحديث

(٢) حديث أبي هريرة يقول الله إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه ـ الحديث : قال المصنف أخرجه م خ في الصحيحين قلت هو كما قال واللفظ لمسلم فلهذا والله أعلم قدمه في الذكر

وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ . وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ » وفى لفظ آخر ، « وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا » وكل ذلك يدل على العفو

فأما ما يدل على المؤاخذة ، فقوله سبحانه (وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ [1]) وقوله تعالى (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا [2]) فدل على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه . وقوله تعالى (وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ [3]) وقوله تعالى (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ [4])

والحق عندنا فى هذه المسألة لا يوقف عليه ، مالم تقع الإحاطة بتفصيل أعمال القلوب ، من مبدأ ظهورها ، إلى أن يظهر العمل على الجوارح فنقول.

أول ما يرد على القلب الخاطر . كما لو خطر له مثلا صورة امرأة ، وأنها وراء ظهره فى الطريق ، لو التفت إليها لرآها

والثانى : هيجان الرغبة إلى النظر . وهو حركة الشهوة التى فى الطبع . وهذا يتولد من الخاطر الأول . ونسميه ميل الطبع ، ويسمى الأول حديث النفس

والثالث : حكم القلب بأن هذا ينبغى أن يفعل . أى ينبغى أن ينظر إليها فإن الطبع إذا مال ، لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف . فإنه قد يمنعه حياء أو خوف من الالتفات . وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل . وهو على كل حال حكم من جهة العقل . ويسمى هذا اعتقادا ، وهو يتبع الخاطر والميل

الرابع : تصميم العزم على الالتفات ، وجزم النية فيه . وهذا نسميه هما بالفعل ، نيه وقصدا . وهذا الهم قد يكون له مبدأ ضعيف . ولكن إذا أصغى القلب إلى الخاطر الأول حتى طالت مجاذبته للنفس ، تأكد هذا الهم ، وصار إرادة مجزومة . فإذا انجزمت الإرادة

(١) البقرة : ٢٨٤ (١) الاسراء : ٣٦ (٢) البقرة : ٢٨٣ (٤) المائدة : ٨٩

فربما يندم بعد الجزم ، فيترك العمل . وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت إليه . وربما يعوقه عائق ، فيتعذر عليه العمل

فههنا أربع أحوال للقلب قبل العمل بالجارحة . الخاطر ، وهو حديث النفس . ثم الميل ثم الاعتقاد ، ثم الهم ، فنقول

أما الخاطر فلا يؤاخذ به ، لأنه لا يدخل تحت الاختيار . وكذلك الميل وهيجان الشهوة لأنهما لا يدخلان أيضا تحت الاختيار ، وهما المرادان بقوله صلى الله عليه وسلم « عُفِيَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ نُفُوسَهَا » فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ، ولا يتبعها عزم على الفعل . فأما الهم والعزم ، فلا يسمى حديث النفس . بل حديث النفس كما روى عن عثمان بن مظعون ، حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم [1] يارسول الله ، نفسي تحدثني أن أطلق خولة . قال « مَهْلاً إِنَّ مِنْ سُنَّتِي النِّكَاحَ » قال نفسي تحدثني أن أجب نفسي قال « مَهْلاً خِصَاءُ أُمَّتِي دُءُوبُ الصِّيَامِ » قال نفسي تحدثني أن أترهب . قال « مَهْلاً وَهْبَانِيَّةُ أُمَّتِي الْجِهَادُ وَالْحَجُّ » وقال نفسي تحدثني أن أترك اللحم . قال « مَهْلاً فَإِنِّي أُحِبُّهُ

---

(١) حديث ان عثمان بن مظعون قال يارسول الله نفسي تحدثني أن أطلق خولة قال مهلا أن من سنتي النكاح ـ الحديث : ت الحكيم في نوادر الأصول من رواية علي بن زيد عن سعيد بن المسيب مرسلا نحوه وفيه القاسم بن عبيد الله العمري كذبه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين والدارمي من حديث سعد بن أبي وقاص لما كان من أمر عثمان بن مظعون الذي كان من ترك النساء بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياعثمان أني لم أومر بالرهبانية ـ الحديث : وفيه من رغب عن سنتي فليس مني وهو عند م بلفظ رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان ابن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا وللبغوي والطبراني في معجمي الصحابة باسناد حسن من حديث عثمان بن مظعون أنه قال يارسول الله اني رجل تشق علي هذه العزوبة في المغازي فتأذن لي يارسول الله في الخصاء فأختصي قال لا ولكن عليك يابن مظعون بالصيام فانه جفرة ولأحمد والطبراني باسناد جيد من حديث عبد الله بن عمرو خصاء أمتي الصيام والقيام وله من حديث سعيد بن العاص باسناد فيه ضعف ان عثمان بن مظعون قال يارسول الله ائذن لي في الاختصاء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة والتكبير على كل شرف ـ الحديث : وه بسند ضعيف من حديث عائشة النكاح من سنتي ولأحمد وأبي يعلى من حديث أنس لكل نبي وقال أبو يعلى لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله وفيه زيد العمي وهو ضعيف ولأبي داود من حديث أبي أمامة ان سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله وإسناده جيد

وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُهُ وَلَوْ سَأَلْتُ اللهَ لَأَطْعَمَنِيهِ » فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل ، هي حديث النفس . ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل .

وأما الثالث وهو الاعتقاد ، وحكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل ، فهذا تردد بين أن يكون اضطرارا أو اختيارا . والأحوال تختلف فيه . فالاختياري منه يؤاخذ به ، والاضطراري لا يؤاخذ به

وأما الرابع ، وهو الهم بالفعل ، فإنه مؤاخذ به . إلا أنه إن لم يفعل نظر ، فإن كان قد تركه خوفا من الله تعالى ، وندما على همه ، كتبت له حسنة . لأن همه سيئة ، وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة . والهم على وفق الطبع ، مما يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى ، والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع ، يحتاج إلى قوة عظيمة . فجده في مخالفة الطبع هو العمل لله تعالى والعملُ لله تعالى أشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع . فكتب له حسنة ، لأنه رجح جده في الامتناع وهمه به ، على همه بالفعل . وإن تعوق الفعل بعائق ، أو تركه بعذر لا خوفا من الله تعالى ، كتبت عليه سيئة . فإن همه فعل من القلب اختياري . والدليل على هذا التفصيل ، ما روي في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ رَبِّ ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً ، وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ ، فَقَالَ ارْقُبُوهُ فَإِنْ هُوَ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّائِي » وحيث قال فإن لم يعملها ، أراد به تركها لله . فأما إذا عزم على فاحشة ، فتعذرت عليه بسبب أو غفلة ، فكيف تكتب له حسنة ! وقد قال صلى الله عليه وسلم (٢) « إِنَّمَا يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ » ونحن نعلم أن من عزم ليلا على أن يصبح ليقتل مسلما أو يزني بامرأة ، فمات تلك الليلة ، مات مصرا ، ويحشر على نيته ، وقد هم بسيئة ولم يعملها

---

(١) حديث قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر ـ الحديث قال المصنف انه في الصحيح وهو كما قال في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة

(٢) حديث انما يحشر الناس على نياتهم : هـ من حديث جابر دون قوله إنما وله من حديث أبي هريرة إنما يبعث الناس على نياتهم واسنادهما حسن و م من حديث عائشة يبعثهم الله على نياتهم وله من حديث أم سلمة يبعثون على نياتهم

والدليل القاطع فيه ، ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال [١] « إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ » فقيل يارسول الله ، هذا القاتل ، فمابال المقتول ؟ قال « لِأَنَّهُ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ » وهـذا نص فى أنه صار بمجرد الإرادة من أهل النار ، مع أنه قتل مظلوما . فكيف يظن أن الله لايؤاخذ بالنية والهم ! بل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به ، إلا أن يكفره بحسنة . ونقضُ العزم بالندم حسنة . فلذلك كتبت له حسنة فأما فوت المراد بعائق ، فليس بحسنة

وأما الخواطر وحـديث النفس وهيجان الرغبة ، فـكل ذلك لايدخل تحت اختيار فالمؤاخذة به تكليف مالايطاق . ولذلك لما نزل قوله تعالى (وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ [١]) جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا [٢] ، كلفنا مالانطيق ، إن أحدنا ليحدث نفسه بما لايحب أن يثبت فى قلبه ، ثم يحاسب بذلك . فقال صلى الله عليه وسلم « لَعَلَّكُمْ تَقُولُونَ كَمَا قَالَتِ الْيَهُودُ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا » فقالوا سمعنا وأطعنا . فأنزل الله الفرج بعد سنة بقوله (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا [٢]) فظهر به أن كل مالايدخل تحت الوسع من أعمال القلب : هو الذى لايؤاخذ به . فهذا هو كشف الغطاء عن هـذا الالتباس . وكل من يظن أن كل مايجرى على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الأقسام الثلاثة ، فلا بد وأن يغلط . وكيف لايؤخذ أعمال القلب من الـكبر والعجب ، والرياء ، النفاق والحسد ، وجملة الخبائث من أعمـال القلب ! بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا أى مايدخل تحت الاختيار . فلو وقع البصر بغير اختيار على غـير ذى محرم ، لم يؤاخذ به . فإن أتبعها نظرة ثانية ، كان مؤاخذا به . لأنه مختار . فكذا خواطر القلب تجرى هذا المجرى : بل القلب

---

(١) حديث إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبى بكر

(٢) حديث لما نزل قوله تعالى وإن تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كلفنا ما لانطيق ـــ الحديث : م.س حديث أبى هريرة وابن عتبة

---

(١) البقرة : ٢٨٤ (٢) البقرة : ٢٨٦

أولى بمؤاخذته لأنه الأصل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] « التَّقْوَى هَهُنَا » وأشار إلى القلب. وقال الله تعالى (لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ[١]) وقال صلى الله عليه وسلم[٢] « الْإِثْمُ حَوَّازُ الْقُلُوبِ » وقال[٣] « الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَإِنْ أَفْتَوْكَ وَأَفْتَوْكَ » حتى انا نقول ، إذا حكم القلب المفتى بإيجاب شيء ، وكان مخطئا فيه ، صار مثابا عليه . بل من قد ظن أنه تطهر ، فعليه أن يصلى ، فإن صلى ثم تذكر أنه لم يتوضأ ، كان له ثواب بفعله . فإن تذكر ثم تركه ، كان معاقبا عليه . ومن وجد على فراشه امرأة ، فظن أنها زوجته ، لم يعص بوطئها ، وإن كانت أجنبية . فإن ظن أنها أجنبية . ثم وطئها ، عصى بوطئها ، وإن كانت زوجته . وكل ذلك نظر إلى القلب دون الجوارح

بيان

أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا

اعلم أن العلماء المراقبين للقلوب ، الناظرين فى صفاتها وعجائبها ، اختلفوا فى هذه المسألة على خمس فرق

فقالت فرقة : الوسوسة تنقطع بذكر الله عز وجل ، لأنه عليه السلام قال[٤] « فَإِذَا ذُكِرَ اللهُ خَنَسَ » والخنس هو السكوت ، فكأنه يسكت

وقالت فرقة : لا ينعدم أصله ، ولكن يجرى فى القلب ولا يكون له أثر ، لأن القلب إذا صار مستوعبا بالذكر ، كان محجوبا عن التأثر بالوسوسة ، كالمشغول بهمه ، فإنه قد يكلم ولا يفهم ، وإن كان الصوت يمر على سمعه .

---

(١) حديث التقوى ههنا وأشار الى القلب: م من حديث أبي هريرة وقال الى صدره

(٢) حديث الاثم حواز القلوب : تقدم فى العلم

(٣) حديث البر ما اطمأن اليه القلب وان أفتوك وأفتوك : الطبرانى من حديث أبى ثعلبة ولأحمد نحوه من حديث وابصة وفيه وان أفتاك الناس وأفتوك وقد تقدما

(٤) حديث وإذا ذكر الله خنس: ابن أبى الدنيا وابن عدى من حديث أنس فى أثناء حديث ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم ـ الحديث : وقد تقدم قريبا

---

(١) الحج : ٣٧

وقالت فرقة: لا تسقط الوسوسة ولا أثرها أيضا ، ولكن تسقط غلبتها للقلب ، فكأنه يوسوس من بعد وعلى ضعف .

وقالت فرقة: ينعدم عند الذكر فى لحظة ، وينعدم الذكر فى لحظة ، ويتعاقبان فى أزمنة متقاربة ، يظن لتقاربها أنها متساوقة . وهى كالكرة التى عليها نقط متفرقة ، فإنك إذا أدرتها بسرعة ، رأيت النقط دوائر ، بسرعة تواصلها بالحركة . واستدل هؤلاء بأن الخنس قد ورد ، ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ، ولا وجه له إلا هذا

وقالت فرقة: الوسوسة والذكر يتساوقان فى الدوام على القلب تساوقا لا ينقطع . وكما أن الإنسان قد يرى بعينيه شيئين فى حالة واحدة ، فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين فقد قال صلى الله عليه وسلم [1] « مَا مِنْ عَبْدٍ إِلاَّ وَلَهُ أَرْبَعَةُ أَعْيُنٍ عَيْنَانِ فِي رَأْسِهِ يُبْصِرُ بِهِمَا أَمْرَ دُنْيَاهُ وَعَيْنَانِ فِي قَلْبِهِ يُبْصِرُ بِهِمَا أَمْرَ دِينِهِ » وإلى هذا ذهب المحاسبي .

والصحيح عندنا أن كل هذه المذاهب صحيحة ، ولكن كلها قاصرة عن الإحاطة بأصناف الوسواس . وإنما نظر كل واحد منهم . إلى صنف واحد من الوسواس فأخبر عنه ، والوسواس أصناف

الاول: أن يكون من جهة التلبيس بالحق . فإن الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للإنسان تترك التنعم باللذات ، فإن العمر طويل ؛ والصبر عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم . فعند هذا إذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى ، وعظيم ثوابه وعقابه ، وقال لنفسه الصبر عن الشهوات شديد ، ولكن الصبر على النار أشد منه ، ولا بد من أحدهما . فإذا ذكر العبد وعد الله تعالى ووعيده ، وجدد إيمانه ويقينه ، خنس الشيطان وهرب . إذ لا يستطيع أن يقول له النار أيسر من الصبر على المعاصى . ولا يمكنه أن يقول المعصية لا تفضى إلى النار فإن إيمانه بكتاب الله عز وجل يدفعه عن ذلك ، فينقطع وسواسه . وكذلك يوسوس اليه بالعجب بعمله ، فيقول أى عبد يعرف الله كما تعرفه ؟ ويعبده كما تعبده ؟ فما أعظم مكانك عند الله تعالى ! فيتذكر العبد حينئذ أن معرفته وقلبه وأعضاءه التى بها عمله وعلمه ،

---

(١) حديث ما من عبد إلا وله أربعة أعين عينان فى رأسه يبصر بهما أمر دنياه وعينان فى قلبه يبصر بهما أمر دينه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث معاذ بلفظ الآخرة مكان دينه وفيه الحسين ابن أحمد بن محمد الهروى السماخى الحافظ كذبه ك والآفة منه

كل ذلك من خلق الله تعالى . فمن أين يعجب به ! فيخنس الشيطان . إذ لا يمكنه أن يقول ليس هذا من الله . فإن المعرفة والإيمان يدفعه . فهذا نوع من الوسواس ، ينقطع بالكلية عن العارفين المستبصرين بنور الإيمان والمعرفة

الصنف الثانى: أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وهيجانها . وهذا ينقسم إلى ما يعلم العبد يقينا أنه معصية ، وإلى ما يظنه بغالب الظن . فإن عَلِمَهُ يقينا ، خنس الشيطان عن تهييج يؤثر فى تحريك الشهوة ، ولم يخنس عن التهييج . وإن كان مظنونا ، فربما يبقى مؤثرا ، بحيث يحتاج إلى مجاهدة فى دفعه ، فتكون الوسوسة موجودة ، ولكنها مدفوعة غير غالبة

الصنف الثالث: أن تكون وسوسة بمجرد الخواطر ، وتذكر الأحوال الغالبة ، والتفكر فى غير الصلاة مثلا . فإذا أقبل على الذكر ، تصور أن يندفع ساعة ويعود ، ويندفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة ، ويتصور أن يتساوقا جميعا ، حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراءة ، وعلى تلك الخواطر ، كأنهما فى موضعين من القلب . وبعيد جدا أن يندفع هذا الخنس بالكلية بحيث لا يخطر . ولكنه ليس محالا . إذ قال عليه السلام [1] « مَنْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَمْ يُحَدِّثْ فِيهِمَا نَفْسَهُ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » فلولا أنه متصور لما ذكره . إلا أنه لا يتصور ذلك إلا فى قلب استولى عليه الحب ، حتى صار كالمستهتر . فإنا قد نرى المستوعب القلب بعدو تأذى به ، قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات فى مجادلة عدوه ، بحيث لا يخطر بباله غير حديث عدوه . كذلك المستغرق فى الحب ، قد يتفكر فى محادثة محبوبه بقلبه ، ويغوص فى فكره ، بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه . ولو كلمه غيره لم يسمع . ولو اجتاز بين يديه أحد لكان كأنه لا يراه . وإذا تصور هذا فى خوف من عدو ، وعند الحرص على مال وجاه ، فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ! ولكن ذلك عزيز لضعف الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر

وإذا تأملت جملة هذه الأقسام وأصناف الوسواس ، علمت أن لكل مذهب من المذاهب وجها ، ولكن فى محل مخصوص

---

(١) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا: تقدم فى الصلاة

وبالجملة فالخلاص من الشيطان فى لحظة أو ساعة غير بعيد . ولكن الخلاص منه عمراً طويلا بعيد جداً ، ومحال فى الوجود . ولو تخلص أحد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة ، لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد روى (١) أنه نظر إلى علم ثوبه فى الصلاة ، فلما سلم رمى بذلك الثوب ، وقال « شَغَلَنِي عَنِ الصَّلَاةِ » وقال « اذْهَبُوا بِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ وَائْتُونِي بِأَنْبِجَانِيَّتِهِ » (٢) وكان فى يده خاتم من ذهب ، فنظر إليه وهو على المنبر ، ثم رمى به وقال « نَظْرَةٌ إِلَيْهِ وَنَظْرَةٌ إِلَيْكُمْ » وكان ذلك لوسوسة الشيطان ، بتحريك لذة النظر إلى خاتم الذهب وعلم الثوب . وكان ذلك قبل تحريم الذهب . فلذلك لبسه ثم رمى به . فلا تنقطع وسوسة عروض الدنيا ونقدها إلا بالرمي والمفارقة . فما دام علك شيئا وراء حاجته ، ولو ديناراً واحداً ، لا يدعه الشيطان فى صلاته من الوسوسة فى الفكر فى ديناره ، وأنه كيف يحفظه ، وفيماذا ينفقه ، وكيف يخفيه حتى لايعلم به أحد ، أو كيف يظهره حتى يتباهى به ، إلى غير ذلك من الوساوس . فمن أنشب مخالبه فى الدنيا وطمع فى أن يتخلص من الشيطان ، كان كمن انغمس فى العسل ، وظن أن الذباب لايقع عليه ، فهو محال . فالدنيا باب عظيم لوسوسة الشيطان . وليس له باب واحد ، بل أبواب كثيرة .

قال حكيم من الحكماء : الشيطان يأتى ابن آدم من قبل المعاصى ، فإن امتنع أتاه من وجه النصيحة ، حتى يلقيه فى بدعة . فإن أبى أمره بالتحرج والشدة ، حتى يحرم ماليس بحرام . فإن أبى شككه فى وضوئه وصلاته ، حتى يخرجه عن العلم . فإن أبى خفف عليه أعمال البر ، حتى يراه الناس صابراً عفيفا ، فتميل قلوبهم إليه ، فيعجب بنفسه ، وبه يهلكه وعند ذلك تشتد الحاجة ، فإنها آخر درجة ، ويعلم أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنة .

---

(١) حديث انه صلى الله عليه وسلم نظر إلى علم فى ثوبه فى الصلاة ـ الحديث : تقدم فيه

(٢) حديث كان فى يده خاتم من ذهب فنظر إليه على المنبر فرماه فقال نظرة إليه ونظرة اليكم : من حديث ابن عباس وتقدم فى الصلاة

بيان

سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب فى التغير والثبات

اعلم أن القلب كما ذكرناه ، تكتنفه الصفات التى ذكرناها ، وتنصب إليه الآثار والأحوال من الأبواب التى وصفناها ، فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب ، فإذا أصابه شىء يتأثر به ، أصابه من جانب آخر ما يضاده ، فتتغير صفته . فإن نزل به الشيطان فدعاه إلى الهوى ، نزل به الملك وصرفه عنه . وإن جذبه شيطان إلى شر ، جذبه شيطان آخر إلى غيره . وإن جذبه ملك إلى خير ، جذبه آخر إلى غيره . فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين ، وتارة بين ملك وشيطان . لا يكون قط مهملا . وإليه الإشارة بقوله تعالى (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ [1]) ولاطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عجيب صنع الله تعالى ، فى عجائب القلب وتقلبه ، كان يحلف به فيقول [1] « لاَ وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ » وكان كثيرا ما يقول [2] « يَامُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ » وقالوا أو تخاف يارسول الله! قال « وَمَا يُؤَمِّنُنِي وَالْقَلْبُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهُ كَيْفَ يَشَاءُ » وفى لفظ آخر « إِنْ شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ » وضرب له صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثلة فقال [3] « مَثَلُ الْقَلْبِ مَثَلُ الْعُصْفُورِ يَتَقَلَّبُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ » وقال عليه السلام

---

(١) حديث لاومقلب القلوب : خ من حديث ابن عمر

(٢) حديث يامثبت القلوب ثبت قلبي على دينك ـ الحديث : ت من حديث أنس وحسنه وك من حديث جابر وقال ابن أبى الدنيا صحيح على شرط م ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك ون فى الكبرى هـ ك وصححه على شرط خ م من حديث النواس ابن سمعان مامن قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن ان شاء أقامه وان شاء أزاغه ون فى الكبرى باسناد جيد نحوه من حديث عائشة

(٣) حديث مثل القلب مثل العصفور يتقلب فى كل ساعة : ك فى المستدرك وقال صحيح على شرط م والبيهقى فى الشعب من حديث أبى عبيدة بن الجراح . قلت رواه البغوى فى معجمه من حديث أبى عبيد غير منسوب وقال لاأدرى له صحبة أم لا

---

(١) الانعام : ١١٠

(١) « مَثَلُ الْقَلْبِ فِي تَقَلُّبِهِ كَالْقِدْرِ إِذَا اسْتَجْمَعَتْ غَلَيَانًا » وقال (٢) « مَثَلُ الْقَلْبِ كَمَثَلِ رِيشَةٍ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ تَقْلِبُهَا الرِّيَاحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ » وهذه التقلبات ، وعجائب صنع الله تعالى في تقلبها من حيث لا تهتدى إليه المعرفة، لا يعرفها إلا المراقبون والمراعون لأحوالهم مع الله تعالى والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة

قلب عمر بالتقوى ، وزكا بالرياضة ، وطهر عن خبائث الأخلاق ، تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت ، فينصرف العقل إلى التفكر فيما خطر له ، ليعرف دقائق الخير فيه ، ويطلع على أسرار فوائده ، فينكشف له بنور البصيرة وجهه، فيحكم بأنه لا بد من فعله ، فيستحثه عليه ، ويدعوه إلى العمل به . وينظر الملك إلى القلب فيجده طيبا في جوهره ، طاهرا بتقواه ، مستنيرا بضياء العقل ، معمورا بأنوار المعرفة ، فيراه صالحا لأن يكون له مستقرا ومهبطا ، فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ، ويهديه إلى خيرات أخرى ، حتى ينجر الخير إلى الخير ، وكذلك على الدوام . ولا يتناهى إمداده بالترغيب بالخير ، وتيسير الأمر عليه . وإليه الإشارة بقوله تعالى (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (١)) وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية ، حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي ، الذي هو أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء فلا يخفى على هذا النور خافية ، ولا يروج عليه شيء من مكايد الشيطان . بل يقف الشيطان ويوحي زخرف القول غرورا ، فلا يلتفت إليه . وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات ، يصير على القرب معمورا بالمنجيات التي سنذكرها ، من الشكر ، والصبر ، والخوف، والرجاء ، والفقر ، والزهد ، والمحبة ، والرضا ، والشوق ، والتوكل ، والتفكر ، والمحاسبة ، وغير ذلك . وهو القلب الذي أقبل الله عز وجل بوجهه عليه ، وهو القلب المطمئن ، المراد بقوله تعالى (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢)) وبقوله عز وجل (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٣))

---

(١) حديث مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا: أحمد وك وقال صحيح على شرط خ من حديث المقداد بن الأسود

(٢) حديث مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة ـ الحديث : الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من حديث أبي موسى الأشعري باسناد حسن وللبزار نحوه من حديث أنس باسناد ضعيف

---

(١) الليل : ٥ (٢) الرعد : ٢٨ (٣) الفجر : ٢٧

القلب الثانى : القلب المخذول المشحون بالهوى ، المدنس بالأخلاق المذمومة والخبائث المفتوح فيه أبواب الشياطين ، المسدود عنه أبواب الملائكة . ومبدأ الشرفية ، أن ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه ، فينظر القلب إلى حاكم العقل ليستفتى منه ، ويستكشف وجه الصواب فيه ، فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى وأنس به ، واستمر على استنباط الحيل له ، وعلى مساعدة الهوى ، فتستولى النفس وتساعد عليه ، فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه ظلماته ، لانحباس جند العقل عن مدافعته ، فيقوى سلطان الشيطان ، لإتباع مكانه بسبب انتشار الهوى ، فيقبل عليه بالتزين والغرور والأمانى ، ويوحى بذلك زخرفا من القول غرورا . فيضعف سلطان الإيمان بالوعد والوعيد ، ويخبو نور اليقين لخوف الآخرة ، إذ يتصاعد عن الهوى دخان مظلم إلى القلب يملأ جوانبه ، حتى تنطفىء أنواره فيصير العقل كالعين التى ملأ الدخان أجفانها ، فلا يقدر على أن ينظر . وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب ، حتى لا يبقى للقلب إمكان التوقف والاستبصار ، ولو بصره واعظ وأسمعه ماهو الحق فيه ، عمى عن الفهم ، وصم عن السمع ، وهاجت الشهوة فيه ، وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى ، فظهرت المعصية إلى عالم الشهادة من عالم الغيب ، بقضاء من الله تعالى وقدره ، وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله تعالى (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً [1]) وبقوله عز وجل (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ [2]) وبقوله تعالى (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ [3]) .

ورب قلب هذا حاله بالإضافة إلى بعض الشهوات . كالذى يتورع عن بعض الأشياء ولكنه إذا رأى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه ، وطاش عقله ، وسقط مسك قلبه . أو كالذى لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ، ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور أسبابه أو كالذى لا يملك نفسه عند الغضب ، مهما استحقر وذكر عيب من عيوبه . أو كالذى لا يملك نفسه عند القدرة على أخذ درهم أو دينار ، بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر

(١) الفرقان : ٤٣ و ٤٤ (٢) يس : ٧ (٣) البقره : ٦

فينسى فيه المروءة والتقوى . فكل ذلك لتصاعد دخان الهوى إلى القلب، حتى يظلم وتنطفىء منه أنواره ، فينطفىء نور الحياء والمروءة والإيمان ،ويسعى فى تحصيل مراد الشيطان

القلب الثالث : قلب تبدو فيه خواطر الهوى فتدعوه إلى الشر ، فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه إلى الخير ، فتنبعث النفس بشهوتها إلى نصرة خاطر الشر ، فتقوى الشهوة وتحسّن التمتع والتنعم ، فينبعث العقل إلى خاطر الخير ، ويدفع فى وجه الشهوة ، ويقبح فعلها ، وينسبها إلى الجهل : ويشبهها بالبهيمة والسبع فى تهجمها على الشر ،وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النفس إلى نصح العقل .فيحمل الشيطان حملة على العقل ،فيقوى داعى الهوى ،ويقول ماهذا التحرج البارد ؟ ولم تمتنع عن هواك فتؤذى نفسك ؟وهل ترى أحدا من أهل عصرك يخالف هواه ، أو يترك غرضه ؟ أفتترك لهم ملاذ الدنيا يتمتعون بها ؟ وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا متعوبا ، يضحك عليك أهل الزمان ؟ أفتريد أن يزيد منصبك على فلان وفلان ؟ وقد فعلوا مثل مااشتهيت ، ولم يمتنعوا ؟ أما ترى العالم الفلانى ليس يحترز من مثل ذلك ؟ ولو كان ذلك شرا لامتنع منه ؟ فتميل النفس إلى الشيطان ، وتنقلب إليه فيحمل الملك حملة على الشيطان ، ويقول : هل هلك إلا من اتبع لذة الحال : ونسى العاقبة؟ أفتقنع بلذة يسيرة ؟ وتترك لذة الجنة ونعيمها أبد الآباد ؟ أم تستثقل ألم الصبر عن شهوتك؟ ولا تستثقل ألم النار ؟ أتغتر بغفلة الناس عن أنفسهم ؟ واتباعهم هواهم ؟ومساعدتهم الشيطان؟ مع أن عذاب النار لايخففه عنك معصية غيرك . أرأيت لو كنت فى يوم صائف شديد الحر ووقف الناس كلهم فى الشمس ، وكان لك بيت بارد ، أكنت تساعد الناس ؟ أو تطلب لنفسك الخلاص ؟ فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ، ولا تخالفهم خوفا من حر النار ؟ فعند ذلك تمتثل النفس إلى قول الملك . فلا يزال يتردد بين الجندين ، متجاذبا بين الحزبين . إلى أن يغلب على القلب ماهو أولى به

فإن كانت الصفات التى فى القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التى ذكرناها، غلب الشيطان ، ومال القلب إلى جنسه من أحزاب الشيطان ،معرضا عن حزب الله تعالى وأوليائه ومساعدا لحزب الشيطان وأعدائه ، وجرى على جوارحه بسابق القدر ماهو سبب بعده

عن الله تعالى. وإن كان الأغلب على القلب الصفات الملكية ، لم يصغ القلب إلى إغواء الشيطان وتحريضه إياه على العاجلة ، وتهوينه أمر الآخرة ، بل مال إلى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ماسبق من القضاء على جوارحه ، فقلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن ، أى بين تجاذب هذين الجندين ، وهو الغالب ، أعنى التقلب ، والانتقال من حزب إلى حزب ، أما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة ، أو مع حزب الشيطان ، فنادر من الجانبين ، وهذه الطاعات والمعاصى ، تظهر من خزائن الغيب ، إلى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب ، فإنه من خزائن الملكوت ، وهى أيضا إذا ظهرت كانت علامات ، تعرف أرباب القلوب ، سابق القضاء ، فمن خلق للجنة يسرت له أسباب الطاعات ، ومن خلق للنار يسرت له أسباب المعاصى ، وسلط عليه أقران السوء ، وألقى فى قلبه حكم الشيطان ، فإنه بأنواع الحكم يغر الحمق ، بقوله إن الله رحيم ، فلا تبال ، وإن الناس كلهم مايخافون الله فلا تخالفهم ، وإن العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا ، يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا يعدهم التوبة ، ويمنيهم المغفرة ، فيهلكهم بإذن الله تعالى بهذه الحيل ، وما يجرى مجراها ، فيوسع قلبه لقبول الغرور ، ويضيقه عن قبول الحق ، وكل ذلك بقضاء من الله وقدر (فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى السَّمَاءِ [1]) (إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِى يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ [2]) فهو الهادى والمضل يفعل مايشاء ، ويحكم مايريد ، لاراد لحكمه ، ولا معقب لقضائه ، خلق الجنة ، وخلق لها أهلا ، فاستعملهم بالطاعة ، وخلق النار ، وخلق لها أهلا ، فاستعملهم بالمعاصى عرف الخلق علامة أهل الجنة وأهل النار ، فقال (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ [3]) ثم قال تعالى ، فيما روى عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، [1] « هَؤُلَاءِ فِى الْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِى وَهَؤُلَاءِ فِى النَّارِ وَلَا أُبَالِى » فتعالى الله الملك الحق لا يسأل عما يفعل وهم يسألون

---

(١) حديث قال الله عزوجل هؤلاء إلى الجنة ولاأبالى وهؤلاء إلى النار ولاأبالى : أحمد وابن حبان من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمى وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب إنه مضطرب الاسناد

---

(١) الانعام : ١٢٥ (٢) آل عمران : ١٦٠ (٣) الانفطار : ١٣

ولنقتصر على هذا القدر اليسير، من ذكر عجائب القلب، فإن استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة، وإنما ذكرنا منه ما يحتاج إليه، لمعرفة أغوار علوم المعاملة، وأسرارها، لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر، ولا يجتزى بالقشر عن اللباب، بل يتشوق إلى معرفة دقائق حقائق الأسباب، وفيما ذكرناه كفاية له ومقنع إن شاء الله تعالى، والله ولى التوفيق

تم كتاب عجائب القلب ولله الحمد والمنة، ويتلوه كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق والحمد لله وحده، وصلى الله على كل عبد مصطفى ؟

كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق
ومعالجة أمراض القلب

كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق
ومعالجة أمراض القلب

وهو الكتاب الثانى من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى صرّف الأمور بتدبيره ، وعدّل تركيب الخلق فاحسن فى تصويره ، وزيّن صورة الإنسان بحسن تقويمه وتقديره ، وحرسه من الزيادة والنقصان فى شكله ومقاديره وفوّض تحسين الأخلاق إلى اجتهاد العبد وتشميره ، واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص عباده تهذيب الأخلاق بتوفيقه وتيسيره ، وامتنّ عليهم بتسهيل صعبه وعسيره ، والصلاة والسلام على محمد عبد الله ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره ، الذى كان يلوح أنوار النبوة من بين أساريره ، ويستشرف حقيقة الحق من مخايله وتباشيره ، وعلى آله وأصحابه الذين طهّروا وجه الإسلام من ظلمة الكفر ودياجيره ، وحسموا مادة الباطل فلم يتدنّسوا بقليله ولا بكثيره ،

أما بعد : فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين ، وافضل أعمال الصديقين ، وهو على التحقيق شطر الدين ، وثمرة مجاهدة المتقين ، ورياضة المتعبدين ، والأخلاق السيئة هى السموم القاتلة ، والمهلكات ، الدامغة ، والمخازى الفاضحة ، والرذائل الواضحة ، والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين ، المنخرطة بصاحبها فى سلك الشياطين ، وهى الأبواب المفتوحة إلى نار الله الموقدة ، التى تطلع على الأفئدة ، كما أن الأخلاق الجميلة ، هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان ، وجوار الرحمن ، والأخلاق الخبيثة أمراض القلوب ، وأسقام النفوس ، إلا أنه مرض يفوت حياة الأبد ، وأين منه المرض الذى لا يفوت إلا حياة الجسد

ومهما اشتدت عناية الأطباء ، بضبط قوانين العلاج للأبدان . وليس فى مرضها إلا فوت الحياة الفانية ، فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب ، وفى مرضها فوت حياة باقية أولى . وهذا النوع من الطب ، واجب تعلمه على كل ذى لب ، إذ لا يخلو قلب

من القلوب عن أسقام ، لو أهملت تراكمت ، وترادفت العلل ، وتظاهرت ، فيحتاج العبد إلى تأنق فى معرفة عللها وأسبابها ، ثم إلى تشمير فى علاجها وإصلاحها ، فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا [1]) وإهمالها هو المراد بقوله (وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [2])

ونحن نشير فى هذا الكتاب ، إلى جمل من أمراض القلوب ، وكيفية القول فى معالجتها على الجملة . من غير تفصيل لعلاج خصوص الأمراض ، فإن ذلك يأتى فى بقية الكتب من هذا الربع ، وغرضنا الآن النظر الكلى فى تهذيب الأخلاق ، وتمهيد منهاجها ، ونحن نذكر ذلك ، ونجعل علاج البدن مثالا له ، ليقرب من الأفهام دركه ، ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ، ثم بيان حقيقة حسن الخلق ، ثم بيان قبول الأخلاق للتغير بالرياضة ، ثم بيان السبب الذى به ينال حسن الخلق ، ثم بيان الطرق التى بها يعرف تفصيل الطرق إلى تهذيب الأخلاق ، ورياضة النفوس ، ثم بيان العلامات التى بها يعرف مرض القلب ، ثم بيان الطرق التى بها يعرف الإنسان عيوب نفسه ، ثم بيان شواهد النقل ، على أن طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير . ثم بيان علامات حسن الخلق . ثم بيان الطريق فى رياضة الصبيان فى أول النشو . ثم بيان شروط الإرادة ومقدمات المجاهدة . فهى أحد عشر فصلا . يجمع مقاصدها هذا الكتاب . إن شاء الله تعالى

بيان

فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق

قال الله تعالى لنبيه وحبيبه ، مثنيا عليه ومظهراً نعمته لديه (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ [3]) وقالت عائشة رضى الله عنها ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] خلقه القرءان . وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق ، فتلا قوله تعالى (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ

(١) حديث عائشة كان خلقه القرءان : تقدم وهو عندهم

(١) و (٢) الشمس : ٩ (٣) القلم : ٤

بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ [١]) ثم قال صلى الله عليه وسلم [١] « هُوَ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ » وقال صلى الله عليه وسلم [٢] « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « أَثْقَلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ » [٤] وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه ، فقال يارسول الله ، ماالدين ؟ قال « حُسْنُ الْخُلُقِ » فأتاه من قبل يمينه ، فقال يارسول الله ، ماالدين ؟ قال « حُسْنُ الْخُلُقِ » ثم أتاه من قبل شماله ، فقال ماالدين ؟ فقال « حُسْنُ الْخُلُقِ » ثم أتاه من ورائه ، فقال يارسول الله ، ماالدين ؟ فالتفت إليه وقال « أَمَا تَفْقَهُ ! هُوَ أَنْ لَا تَغْضَبَ » وقيل يارسول الله ، [٥] ماالشؤم ؟ قال « سُوءُ الْخُلُقِ »

وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم [٦] أوصنى ، فقال « اتَّقِ اللهَ حَيْثُ كُنْتَ » قال زدنى ، قال « أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا » قال زدنى ، قال « خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ » وسئل عليه السلام ، أى الأعمال أفضل ؟ قال « خُلُقٌ حَسَنٌ » وقال صلى الله عليه وسلم [٧] « مَا حَسَّنَ اللهُ خَلْقَ عَبْدٍ وَخُلُقَهُ فَيُطْعِمُهُ النَّارَ » وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل ، وهى سيئة الخلق ، تؤذى جيرانها بلسانها . قال « لَا خَيْرَ فِيهَا هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ » وقال أبو الدرداء ، سمعت رسول الله

---

(١) حديث تأويل قوله تعالى خذ العفو الآية هو أن تصل من قطعك ـ الحديث : ابن مردويه من حديث جابر وقيس بن سعد بن عبادة وأنس بأسانيد حسان

(٢) حديث بعثت لأتمم مكارم الأخلاق : أحمد وك والبيهقى من حديث أبى هريرة وتقدم فى آداب الصحبة

(٣) حديث أثقل ما يوضع فى الميزان خلق حسن : دت وصححه من حديث أبى الدرداء

(٤) حديث جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال ماالدين قال حسن الخلق ـ الحديث محمد بن نصر المروزى فى كتاب تعظيم قدر الصلاة من رواية أبى العلاء بن الشخير مرسلا

(٥) حديث ما الشؤم قال سوء الخلق : أحمد من حديث عائشة الشؤم سوء الخلق ولأبى داود من حديث رافع بن مكيث سوء الخلق شؤم وكلاهما لا يصح

(٦) حديث قال رجل أوصنى قال اتق الله حيثما كنت ـ الحديث : ت من حديث أبى ذر وقال حسن صحيح

(٧) حديث ما حسن الله خلق امرىء وخلقه فتطعمه النار : تقدم فى آداب الصحبة

---

(١) الأعراف : ١٩٩

صلى الله عليه وسلم يقول.[١] « أَوَّلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالسَّخَاءُ » ولما خلق الله الإيمان ، قال اللهم قوني ، فقواه بحسن الخلق والسخاء . ولما خلق الله الكفر ، قال اللهم قوني ، فقواه بالبخل وسوء الخلق

وقال صلى الله عليه وسلم [٢] « إِنَّ اللهَ اسْتَخْلَصَ هذَا الدِّينَ لِنَفْسِهِ وَلاَ يَصْلُحُ لِدِينِكُمْ إِلاَّ السَّخَاءُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ أَلاَ فَزَيِّنُوا دِينَكُمْ بِهِمَا » وقال عليه السلام [٣] « حُسْنُ الْخُلُقِ خَلْقُ اللهِ الأَعْظَمُ »[٤] وقيل يارسول الله، أي المؤمنين أفضل إيمانا ؟ قال « أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا » وقال صلى الله عليه وسلم [٥] « إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَسَعُوهُمْ بِبَسْطِ الْوَجْهِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم [٦] « سُوءُ الْخُلُقِ يُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ » وعن جرير بن عبد الله قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٧] « إِنَّكَ امْرُؤٌ قَدْ حَسَّنَ اللهُ خَلْقَكَ فَحَسِّنْ خُلُقَكَ » وعن البراء بن عازب قال [٨] « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها ، وأحسنهم خلقا . وعن أبي مسعود

---

(١) حديث أبي الدرداء أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق ـ الحديث لم أقف له على أصل هكذا ولأبي داود وت من حديث أبي الدرداء ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق وقال غريب وقال في بعض طرقه حسن صحيح

(٢) حديث ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ـ الحديث : الدارقطني في كتاب المستجاد والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي سعيد الخدري باسناد فيه لين

(٣) حديث حسن الخلق خلق الله الاعظم : الطبراني في الاوسط من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف

(٤) حديث قيل يارسول الله أي المؤمنين أفضلهم ايمانا قال أحسنهم خلقا : دت ن له من حديث أبي هريرة وتقدم في النكاح بلفظ أكمل المؤمنين وللطبراني من حديث أبي أمامة أفضلكم إيمانا أحسنكم خلقا

(٥) حديث انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق : البزار وأبو يعلى والطبراني في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة بعض طرق البزار رجاله ثقات

(٦) حديث سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل : ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هريرة والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وأبي هريرة أيضا وضعفها ابن جرير

(٧) حديث إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فأحسن خلقك : الخرائطي في مكارم الأخلاق وأبو العباس الدغولي في كتاب الآداب وفيه ضعف

(٨) حديث البراء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا : الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند حسن

البدرى قال ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه [١] « اللَّهُمَّ حَسَّنْتَ خَلْقِى فَحَسِّنْ خُلُقِى »

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما [٢] قال ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء فيقول « اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ الصِّحَّةَ وَالْعَافِيَةَ وَحُسْنَ الْخُلُقِ » وعن أبى هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم [٣] قال « كَرَمُ الْمُؤْمِنِ دِينُهُ وَحَسَبُهُ حُسْنُ خُلُقِهِ وَمُرُوءَتُهُ عَقْلُهُ » وعن أسامة بن شريك قال ، [٤] شهدت الأعاريب يسألون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ، ماخير ماأعطى العبد ؟ قال « خُلُقٌ حَسَنٌ » وقال صلى الله عليه وسلم [٥] « إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَىَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّى مَجْلِساً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقاً »

وعن ابن عباس رضي الله عنهما [٦] قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثَلَاثٌ مَنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ أَوْ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ فَلَا تَعْتَدُّوا بِشَىْءٍ مِنْ عَمَلِهِ ، تَقْوَى تَحْجِزُهُ عَنْ مَعَاصِى اللهِ. أَوْ حِلْمٌ يَكُفُّ بِهِ السَّفِيهَ أَوْ خُلُقٌ يَعِيشُ بِهِ بَيْنَ النَّاسِ » وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم فى افتتاح

---

(١) حديث أبى مسعود البدرى اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى : الخرايطى فى مكارم الأخلاق هكذا من رواية عبد الله بن أبى الهذيل عن أبى مسعود البدرى وإنما هو ابن مسعود أى عبد الله هكذا رواه ابن حبان فى صحيحه ورواه أحمد من حديث عائشة

(٢) حديث عبد الله بن عمرو اللهم إنى أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق: الخرايطى فى مكارم الأخلاق باسناد فيه لين

(٣) حديث أبى هريرة كرم المرء دينه ومروءته وعقله وحسن خلقه: حب وك وصححه على شرط م والبيهقي قلت فيه مسلم بن خالد الزنجى وقد تكلم فيه قال البيهقى وروى من وجهين آخرين ضعيفين ثم رواه موقوفا على عمر وقال اسناد صحيح

(٤) حديث أسامة بن شريك شهدت الأعاريب يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ماخير ماأعطى العبد قال خلق حسن: هـ وتقدم فى آداب الصحبة

(٥) حديث إن أحبكم إلى الله وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا : طص طس من حديث أبى هريرة ان أحبكم إلى الله أحاسنكم أخلاقا وللطبرانى فى مكارم الأخلاق من حديث جابر أن أقربكم منى مجلسا أحاسنكم أخلاقا وقد تقدم الحديثان فى آداب الصحبة

(٦) حديث ابن عباس ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يعتد بشىء من عمله ـ الحديث : الخرايطى فى مكارم الأخلاق باسناد ضعيف ورواه الطبرانى فى الكبير وفى مكارم الأخلاق من حديث أم سلمة

الصلاة [١] « اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ » وقال أنس [٢] ، بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما إذ قال « إِنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ لَيُذِيبُ الْخَطِيئَةَ كَمَا تُذِيبُ الشَّمْسُ الْجَلِيدَ » وقال عليه السلام [٣] « مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ حُسْنُ الْخُلُقِ » وقال صلى الله عليه وسلم [٤] « الْيُمْنُ حُسْنُ الْخُلُقِ »

وقال عليه السلام لأبي ذر [٥] « يَا أَبَا ذَرٍّ لَا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ وَلَا حَسَبَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ » وعن أنس [٦] قال ، قالت أم حبيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أرأيت المرأة يكون لها زوجان في الدنيا ، فتموت ويموتان ، ويدخلون الجنة ، لأيهما هي تكون ؟ قال « لِأَحْسَنِهِمَا خُلُقًا كَانَ عِنْدَهَا فِي الدُّنْيَا يَا أُمَّ حَبِيبَةَ ذَهَبَ حُسْنُ الْخُلُقِ بِخَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ »

وقال صلى الله عليه وسلم [٧] « إِنَّ الْمُسْلِمَ الْمُسَدَّدَ لَيُدْرِكُ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ بِحُسْنِ خُلُقِهِ وَكَرَمِ مَرْتَبَتِهِ » وفي رواية « دَرَجَةَ الظَّمْآنِ فِي الْهَوَاجِرِ » وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال [٨] « إِنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ عَجَبًا رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي جَاثِيًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ فَجَاءَ حُسْنُ خُلُقِهِ فَأَدْخَلَهُ عَلَى اللهِ تَعَالَى »

---

(١) حديث اللهم اهدني لأحسن الأخلاق ـ الحديث : م من حديث علي

(٢) حديث أنس ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما يذيب الشمس الجليد : الخرايطي في مكارم الاخلاق بسند ضعيف ورواه طب وطس والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وضعفه وكذا رواه من حديث أبي هريرة وضعفه أيضا

(٣) حديث من سعادة المرء حسن الخلق : الخرايطي في مكارم الاخلاق والبيهقي في الشعب من حديث جابر بسند ضعيف

(٤) حديث اليمن حسن الخلق : الخرايطي في مكارم الاخلاق من حديث علي باسناد ضعيف

(٥) حديث يا أبا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق : هـ حب من حديث أبي ذر

(٦) حديث أنس قالت أم حبيبة يارسول الله أرأيت المرأة يكون لها زوجان : البزار والطبراني في الكبير والخرايطي في مكارم الأخلاق باسناد ضعيف

(٧) حديث أن المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه ـ الحديث : أحمد من حديث عبد الله ابن عمر وبالرواية الاولى ومن حديث أبي هريرة بالرواية الثانية وفيها ابن لهيعة

(٨) حديث عبد الرحمن بن سمرة اني رأيت البارحة عجبا ـ الحديث : الخرايطي في مكارم الاخلاق بسند ضعيف

وقال أنس ، قال النبي صلى الله عليه وسلم [١] «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ عَظِيمَ دَرَجَاتِ الْآخِرَةِ وَشَرَفَ الْمَنَازِلِ وَإِنَّهُ لَضَعِيفٌ فِي الْعِبَادَةِ »

وروى أن عمر رضى الله عنه ، [٢] استأذن على النبى صلى الله عليه وسلم ، وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه ، عالية أصواتهن على صوته . فلما استأذن عمر رضى الله عنه تبادرن الحجاب . فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ، فقال عمر رضى الله عنه م تضحك بأبى أنت وأمى يارسول الله ؟ فقال « عَجِبْتُ لِهَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي لَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ تَبَادَرْنَ الْحِجَابَ » فقال عمر ، أنت كنت أحق أن يهبنك يارسول الله . ثم أقبل عليهن عمر فقال ، ياعدوات أنفسهن ، أتهبننى ولاتهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قلن نعم ، أنت أغلظ وأفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال صلى الله عليه وسلم « إِيهاً يَاابْنَ الْخَطَّابِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكاً فَجّاً إِلَّا سَلَكَ فَجّاً غَيْرَ فَجِّكَ » وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « سُوءُ الْخُلُقِ ذَنْبٌ لَا يُغْفَرُ وَسُوءُ الظَّنِّ خَطِيئَةٌ تَفُوحُ » وقال عليه السلام [٤] « إِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ مِنْ سُوءِ خُلُقِهِ أَسْفَلَ دَرْكِ جَهَنَّمَ »

الآثار قال ابن لقمان الحكيم لأبيه : يا أبت أى الخصال من الإنسان خير ؟ قال الدين . قال : فإذا كانت اثنتين ؟ قال : الدين والمال . قال : فإذا كانت ثلاثا ؟ قال : الدين والمال والحياء . قال : فإذا كانت أربعا ؟ قال : الدين والمال والحياء وحسن الخلق . قال : فإذا كانت خمسا ؟ قال : الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء . قال : فإذا كانت ستا ؟

---

(١) حديث ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة ـ الحديث : طب والخرايطى فى مكارم الأخلاق وأبو الشيخ فى كتاب مكارم الأخلاق وأبو الشيخ فى كتاب طبقات الاصبهانيين من حديث أنس باسناد جيد

(٢) حديث ان عمر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه الحديث : متفق عليه

(٣) حديث سوء الخلق ذنب لا يغفر ـ الحديث : طص من حديث عائشة ما من شىء الا له توبة الا صاحب سوء الخلق فانه لا يتوب من ذنب الا عاد فى شر منه واسناده ضعيف

(٤) حديث ان العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل من درك جهنم الطبرانى : والخرايطى فى مكارم الأخلاق وأبو الشيخ فى طبقات الاصبهانيين من حديث أنس بأسناد جيد وهو بعض ـ الحديث : الذى قبله بحديثين

قال : يابنى إذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو نقي تقي ، ولله ولى ، ومن الشيطان برى. وقال الحسن : من ساء خلقه عذب نفسه . وقال أنس بن مالك ، إن العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة فى الجنه ، وهو غير عابد ، ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك فى جهنم ، وهو عابد . وقال يحيى بن معاذ فى سعة الأخلاق كنوز الأرزاق . وقال وهب بن منبه ، مثل السيىء الخلق كمثل الفخارة المكسورة ، لا ترقع ولا تعاد طينا . وقال الفضيل لأن يصحبنى فاجر حسن الخلق ، أحب إلى من أن يصحبنى عابد سيىء الخلق

وصحب ابن المبارك رجلا سيىء الخلق فى سفر ، فكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكى . فقيل له فى ذلك ، فقال بكيته رحمة له فارقته وخلقه معه لم يفارقه . وقال الجنيد ، أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات ، وإن قل عمله ، وعلمه ، الحلم ، والتواضع ، والسخاء ، وحسن الخلق ، وهو كمال الإيمان

وقال الكنانى ، التصوف خلق ، فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى التصوف . وقال عمر رضى الله عنه ، خالطوا الناس بالأخلاق ، وزايلوهم بالأعمال . وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات . وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات . وسئل ابن عباس ، ما الكرم ؟ فقال هو ما بين الله فى كتابه العزيز : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ[1]) قيل فما الحسب ؟ قال أحسنكم خلقا أفضلكم حسبا وقال لكل بنيان أساس ، وأساس الإسلام حسن الخلق . وقال عطاء ، ما ارتفع من ارتفع إلا بالخلق الحسن ، ولم ينل أحد كماله إلا المصطفى صلى الله عليه وسلم . فأقرب الخلق إلى الله عز وجل السالكون آثاره بحسن الخلق .

بيان

حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق

اعلم أن الناس قد تكلموا فى حقيقة حسن الخلق ، وأنه ماهو . وما تعرضوا لحقيقته ، وإنما تعرضوا لثمرته . ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته ، بل ذكر كل واحد من ثمراته ماخطر له وما كان حاضرا فى ذهنه . ولم يصرفوا العناية إلى ذكر حده ، وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته

(١) الحجرات : ١٣

على التفصيل والاستيعاب . وذلك كقول الحسن ، حسن الخلق بسط الوجه ، وبذل الندى وكف الأذى . وقال الواسطى ، هو أن لا يخاصم ولا يخاصم ، من شدة معرفته بالله تعالى وقال شاه الكرمانى ، هو كف الأذى ، واحتمال المؤن . وقال بعضهم ، هو أن يكون من الناس قريبا ، وفيما بينهم غريبا . وقال الواسطى مرة ، هو إرضاء الخلق فى السراء والضراء . وقال أبو عثمان ، هو الرضا عن الله تعالى . وسئل سهل التسترى عن حسن الخلق فقال أدناه الاحتمال ، وترك المكافأة ، والرحمة للظالم ، والاستغفار له ، والشفقة عليه . وقال مرة ، أن لا يتهم الحق فى الرزق ، ويثق به ، ويسكن إلى الوفاء بما ضمن ، فيطيعه ولا يعصيه فى جميع الأمور فيما بينه وبينه ، وفيما بينه وبين الناس . وقال على رضى الله عنه ، حسن الخلق فى ثلاث خصال : اجتناب المحارم ، وطلب الحلال ، والتوسعة على العيال . وقال الحسين ابن منصور ، هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق ، بعد مطالعتك للحق . وقال أبو سعيد الخراز ، هو أن لا يكون لك هم غير الله تعالى .

فهذا وأمثاله كثير ، وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه . ثم ليس هو محيطا بجميع الثمرات أيضا . وكشف الغطاء عن الحقيقة أولى ، من نقل الأقاويل المختلفة

فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا ، يقال فلان حسن الخلق والخلق ، أى حسن الباطن والظاهر . فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ، ويراد بالخُلق الصورة الباطنة . وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر ، ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة . ولكل واحد منهما هيئة وصورة ، إما قبيحة ، وإما جميلة . فالنفس المدركة بالبصيرة ، أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر . ولذلك عظم الله أمره بإضافته إليه ، إذ قال تعالى (إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ [1]) فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين ، والروح إلى رب العالمين . والمراد بالروح والنفس فى هذا المقام واحد

فالخلق عبارة عن هيئة فى النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر ، من غير حاجة إلى فكر وروية . فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة ، المحمودة عقلا وشرعا ، سميت تلك الهيئة خلقا حسنا . وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة ، سميت الهيئة

(١) من : ٧١ و ٧٢ .

التى هى المصدر خلقا سيئا . وإنما قلنا إنها هيئة راسخة ، لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة ، لا يقال خلقه السخاء ، مالم يثبت ذلك فى نفسه ثبوت رسوخ . وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية ، لأن من تكلف بذل المال، أو السكوت عند الغضب بجهد وروية ، لا يقال خلقه السخاء والحلم

فههنا أربعة أمور

أحدها : فعل الجميل والقبيح . والثانى : القدرة عليهما . والثالث: المعرفة بهما والرابع : هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ، ويتيسر عليها أحد الأمرين، إما الحسن وإما القبيح .

وليس الخلق عبارة عن الفعل ، فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل ، أما لفقد المال أو لمانع . وربما يكون خلقه البخل ، وهو يبذل، إما لباعث ، أو لرياء

وليس هو عبارة عن القوة ، لأن نسبة القوة إلى الإمساك والإعطاء ، بل إلى الضدين واحد . وكل إنسان خلق بالفطرة قادر على الإعطاء والإمساك . وذلك لا يوجب خلق البخل ، ولا خلق السخاء .

وليس هو عبارة عن المعرفة ، فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا ، على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع ، وهو الهيئة التى بها تستعد النفس لأن يصدر منها الإمساك أو البذل . فالخلق إذاً عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة

وكما أن حسن الصورة الظاهرة مطلقا ، لا يتم بحسن العينين دون الأنف ، والفم ، والخد بل لابد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر ، فكذلك فى الباطن أربعة أركان ، لا بد من الحسن فى جميعها حتى يتم حسن الخلق . فإذا استوت الأركان الأربعة ، واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق . وهو قوة العلم ، وقوة الغضب ، وقوة الشهوة ، وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث

أما قوة العلم ، فحسنها وصلاحها فى أن تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب فى الأقوال ، وبين الحق والباطل فى الاعتقادات ، وبين الجميل والقبيح فى الأفعال

فإذا صلحت هذه القوة ، حصل منها ثمرة الحكمة . والحكمة رأس الأخلاق الحسنة . وهى التى قال الله فيها (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً [1])

وأما قوة الغضب ، فحسنها فى أن يصير انقباضها وانبساطها على حد ماتقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها فى أن تكون تحت إشارة الحكمة . أعنى إشارة العقل والشرع

وأما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة العقل والشرع . فالعقل مثاله مثال الناصح المشير . وقوة العدل هى القدرة ، ومثالها مثال المنفذ الممضى لإشارة العقل . والغضب هو الذى تنفذ فيه الإشارة ، ومثاله مثال كلب الصيد ، فإنه يحتاج إلى أن يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الإشارة ، لا بحسب هيجان شهوة النفس . والشهوة مثالها مثال الفرس الذى يركب فى طلب الصيد ، فإنه تارة يكون مروضا مؤدبا ، وتارة يكون جموحا .

فمن استوت فيه هذه الخصال واعتدلت ، فهو حسن الخلق مطلقا . ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض ، فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصة . كالذى يحسن بعض أجزاء وجهه دون بعض . وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة . وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة . فإن مالت قوة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة تسمى تهورا . وإن مالت إلى الضعف والنقصان تسمى جبنا وخورا . وإن مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة تسمى شرها . وإن مالت إلى النقصان تسمى جمودا . والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة . والطرفان رذيلتان مذمومتان . والعدل إذا فات فليس له طرفا زيادة ونقصان بل له ضد واحد ومقابل : وهو الجور . وأما الحكمة ، فيسمى إفراطها عند الاستعمال فى الأغراض الفاسدة خبثا وجربزة . ويسمى تفريطها بلها . والوسط هو الذى يختص باسم الحكمة

فإذاً أمهات الأخلاق وأصولها أربعة ، الحكمة ، والشجاعة ، والعفة ، والعدل . ونعنى بالحكمة : حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ فى جميع الأفعال الاختيارية . ونعنى بالعدل : حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة ، وتحملهما على مقتضى الحكمة

(1) البقرة : ٢٣٩

وبضبطها فى الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها . ونعنى بالشجاعة : كون قوة الغضب منقادة للعقل فى إقدامها وإحجامها . ونعنى بالعفة : تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع.

فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها . إذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير ، وجودة الذهن ، وثقابة الرأى ، وإصابة الظن ، والتفطن لدقائق الأعمال ، وخفايا آفات النفوس . ومن إفراطها تصدر الجربزة ، والمكر ، والخداع ، والدهاء ومن تفريطها يصدر البله ، والغمارة ، والحمق ، والجنون . وأعنى بالغمارة قلة التجربة فى الأمور مع سلامة التخيل . فقد يكون الإنسان غمرا فى شىء دون شىء . والفرق بين الحمق والجنون أن الأحمق مقصوده صحيح ، ولكن سلوكه الطريق فاسد ، فلا تكون له روية صحيحة فى سلوك الطريق الموصل إلى الغرض . وأما المجنون فإنه يختار مالا ينبغى أن يختار ، فيكون أصل اختياره وإيثاره فاسداً

وأما خلق الشجاعة ، فيصدر منه الكرم ، والنجدة ، والشهامة ، وكسر النفس ، والاحتمال ، والحلم ، والثبات ، وكظم الغيظ ، والوقار ، والتودد ، وأمثالها . وهى أخلاق محمودة . وأما إفراطها وهو التهور ، فيصدر منه الصلف ، والبذخ ، والاستشاطة ، والتكبر والعجب . وأما تفريطها ، فيصدر منه المهانة ، والذلة ، والجزع ، والخساسة ، وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب

وأما خلق العفة ، فيصدر منه السخاء ، والحياء ، والصبر ، والمسامحة ، والقناعة ، والورع واللطافة ، والمساعدة ، والظرف ، وقلة الطمع . وأما ميلها إلى الإفراط أو التفريط ، فيحصل منه الحرص ، والشره ، والوقاحة ، والخبث ، والتبذير ، والتقصير ، والرياء ، والهتكة ، والمجانة والعبث ، والملق ، والحسد ، والشماتة ، والتذلل للأغنياء ، واستحقار الفقراء ، وغير ذلك

فأمهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربعة ، وهى الحكمة ، والشجاعة ، والعفة والعدل . والباقى فروعها . ولم يبلغ كمال الاعتدال فى هذه الأربع إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم . والناس بعده متفاوتون فى القرب والبعد منه . فكل من قرب منه فى هذه الأخلاق فهو قريب من الله تعالى ، بقدر قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكل من جمع كمال هذه الأخلاق ، استحق أن يكون بين الخلق ملكا مطاعا، يرجع الخلق كلهم إليه ، ويقتدون به فى جميع الأفعال . ومن انفك عن هذه الأخلاق كلها ، واتصف بأضدادها ، استحق أن يخرج من بين البلاد والعباد ، فإنه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد ، فينبغى أن يبعد ، كما أن الأول قريب من الملك المقرب ، فينبغى أن يقتدى به ، ويتقرب إليه : فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] لم يبعث إلا ليتمم مكارم الأخلاق كما قال.

وقد أشار القرءان إلى هذه الأخلاق فى أوصاف المؤمنين ، فقال تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ [1]) فالإيمان بالله وبرسوله من غير ارتياب ، هو قوة اليقين ، وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة. والمجاهدة بالمال ، هو السخاء، الذى يرجع إلى ضبط قوة الشهوة . والمجاهدة بالنفس ، هى الشجاعة ، التى ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل ، وحد الاعتدال فقد وصف الله تعالى الصحابة فقال (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ [2]) إشارة إلى أن للشدة موضعا ، وللرحمة موضعا . فليس الكمال فى الشدة بكل حال ،ولا فى الرحمة بكل حال . فهذا بيان معنى الخلق ، وحسنه وقبحه ، وبيان أركانه وثمراته وفروعه

بيان

قبول الأخلاق للتغيير بطريق الرياضة

اعلم أن بعض من غلبت البطالة عليه ، استثقل المجاهدة والرياضة ، والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق . فلم تسمح نفسه بأن يكون ذلك ، لقصوره ونقصه وخبث دخلته ، فزعم أن الأخلاق لا يتصور تغييرها ، فإن الطباع لا تتغير . واستدل فيه بأمرين

أحدهما : أن الخلق هو صورة الباطن، كما أن الخلق هو صورة الظاهر . فالخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها. فالقصير لا يقدر أن يجعل نفسه طويلا ، ولا الطويل يقدر أن يجعل نفسه قصيرا ، ولا القبيح يقدر على تحسين صورته . فكذلك القبح الباطن يجرى هذا المجرى

---

(١) حديث بعثت لأتمم مكارم الأخلاق :تقدم فى آداب الصحبة

---

(١) الحجرات : ١٥ (٢) الفتح : ٢٩

والثانى: أنهم قالوا حسن الخلق بقمع الشهوة والغضب ، وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى المزاج والطبع ، فإنه قط لا ينقطع عن الآدمى . فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة . فإن المطلوب هو قطع التفات القلب إلى الحظوظ العاجلة ، وذلك محال وجوده

فنقول لو كانت الأخلاق لاتقبل التغيير ، لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ، ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] « حَسِّنُوا أَخْلَاقَكُمْ » وكيف ينكر هذا فى حق الآدمى ، وتغيير خلق البهيمة ممكن . إذ ينقل البازى من الاستيحاش إلى الأنس ، والكلب من شره الأكل إلى التأدب والإمساك والتخلية ، والفرس من الجماح إلى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغيير للأخلاق

والقول الكاشف للغطاء عن ذلك أن نقول

الموجودات منقسمة إلى مالا مدخل للآدمى واختياره فى أصله وتفصيله ، كالسماء والكواكب ، بل أعضاء البدن داخلا وخارجا ، وسائر أجزاء الحيوانات ، وبالجملة كل ماهو حاصل كامل ، وقع الفراغ من وجوده وكماله . وإلى ماوجد وجودا ناقصا ، وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد أن وجد شرطه . وشرطه قد يرتبط باختيار العبد ، بأن النواة ليست بتفاح ولا نخل ، إلا أنها خلقت خلقة يمكن أن تصير نخلة إذا انضاف التربية إليها . ولا تصير تفاحا أصلا ، ولا بالتربية . فإذا صارت النواة متأثرة بالاختيار ، حتى تقبل بعض الأحوال دون بعض ، فكذلك الغضب والشهوة ، لو أردنا قمعها وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر ، لم نقدر عليه أصلا . ولو أردنا سلاستها وقودها بالرياضة والمجاهدة ، قدرنا عليه . وقد أمرنا بذلك . وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا إلى الله تعالى . نعم الجبلات مختلفة ، بعضها سريعة القبول ، وبعضها بطيئة القبول . ولاختلافها سببان

أحدهما: قوة الغريزة فى أصل الجبلة ، وامتداده مدة الوجود ، فإن قوة الشهوة ، والغضب والتكبر ، موجودة فى الإنسان . ولكن أصعبها أمراً ، وأعصاها على التغيير ، قوة الشهوة

---

(١) حديث حسنوا أخلاقكم : أبو بكر ابن لال فى مكارم الأخلاق من حديث معاذ يامعاذ حسن خلقك للناس منقطع ورجاله ثقات

فإنها أقدم وجوداً . إذا الصبي فى مبدأ الفطرة تخلق له الشهوة . ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب . وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز

والسبب الثانى: أن الخلق قد يتأكد بكثرة العمل بمقتضاه ، والطاعة له ، وباعتقاد كونه حسناً ومرضيا ، والناس فيه على أربع مراتب

الأولى : وهو الأنسان الغفل ، الذى لا يميز بين الحق والباطل ، والجميل والقبيح ، بل بقى كما فطر عليه ، خالياً عن جميع الاعتقادات ، ولم تستتم شهوته أيضاً باتباع اللذات . فهذا سريع القبول للعلاج جدا ، فلا يحتاج إلا إلى معلم ومرشد ، وإلى باعث من نفسه ، يحمله على المجاهدة ، فيحسن خلقه فى أقرب زمان

والثانية : أن يكون قد عرف قبح القبيح ، ولكنه لم يتعود العمل الصالح ، بل زين له سوء عمله فتعاطاه ، انقيادا لشهواته ، وإعراضا عن صواب رأيه ، لاستيلاء الشهوة عليه . ولكن علم تقصيره فى عمله . فأمره أصعب من الأول ، إذ قد تضاعفت الوظيفة عليه ، إذ عليه قلع ما رسخ فى نفسه أولا ، من كثرة الاعتياد للفساد ، والآخر أن يغرس فى نفسه صفة الاعتياد للصلاح . ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة ، إن انتهض لها بجد وتشمير وحزم

والثالثة : أن يعتقد فى الأخلاق القبيحة أنها الواجبة المستحسنة ، وأنها حق وجميل ، وتربى عليها . فهذا يكاد تمتنع معالجته ، ولا يرجى صلاحه إلا على الندور ، وذلك لتضاعف أسباب الضلال

والرابعة : أن يكون مع نشئه على الرأى الفاسد ، وتربيته على العمل به ، يرى الفضيلة فى كثرة الشر ، واستهلاك النفوس ، ويباهى به ، ويظن أن ذلك يرفع قدره . وهذا هو أصعب المراتب . وفى مثله قيل : ومن العناء رياضة الهرم ، ومن التعذيب تهذيب الذيب

والأول من هؤلاء جاهل فقط : والثانى جاهل وضال ، والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير

وأما الخيال الآخر ، الذى استدلوا به ، وهو قولهم إن الآدمى مادام حيا فلا ينقطع عنه الشهوة والغضب ، وحب الدنيا ، وسائر هذه الأخلاق ، فهذا غلط وقع لطائفة . ظنوا أن المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها . وهيهات . فإن الشهوة خلقت لفائدة ،

وهى ضرورية فى الجبلة . فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان ، ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل ؛ ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الإنسان عن نفسه مايهلكه ولهلك . ومهما بقى أصل الشهوة ، فيبقى لامحالة حب المال الذى يوصله إلى الشهوة ، حتى يحمله ذلك على إمساك المال . وليس المطلوب إماطة ذلك بالكلية . بل المطلوب ردها إلى الاعتدال ، الذى هو وسط بين الإفراط والتفريط . والمطلوب فى صفة الغضب حسن الحمية وذلك بأن يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا . وبالجملة أن يكون فى نفسه قويا ، ومع قوته منقادا للعقل . ولذلك قال الله تعالى (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ [1]) وصفهم بالشدة وإنما تصدر الشدة عن الغضب : ولو بطل الغضب لبطل الجهاد . وكيف يقصد قلع الشهوة والغضب بالكلية ، والأنبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك . إذ قال صلى الله عليه وسلم [1] « إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ » [2] وكان إذا تكلم بين يديه بما يكرهه يغضب ، حتى تحمر وجنتاه . ولكن لا يقول إلا حقا . فكان عليه السلام لا يخرجه غضبه عن الحق . وقال تعالى (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ [2]) ولم يقل والفاقدين الغيظ .

فرد الغضب والشهوة إلى حد الاعتدال ، بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ، ولا يغلبه ، بل يكون العقل هو الضابط لهما ؛ والغالب عليهما ، ممكن . وهو المراد بتغيير الخلق . فإنه ربما تستولى الشهوة على الإنسان ، بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة تعود إلى حد الاعتدال . فدل أن ذلك ممكن . والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لاشك فيها

---

(١) حديث إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر : م من حديث أنس وله من حديث أبى هريرة إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر

(٢) حديث أنه كان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لايقول إلا حقا فكان الغضب لايخرجه عن الحق : الشيخان من حديث عبد الله بن الزبير فى قصة شراج الحرة فقال لأن كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهما من حديث أبى سعيد الخدرى وكان إذا كره شيئا عرفناه فى وجهه ولهما من حديث عائشة وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله ولمسلم ماينال منه شىء قط فينتقم من صاحبه ـ الحديث

---

(١) الفتح : ٢٩ (٢) آل عمران : ١٣٤

والذى يدل على أن المطلوب هو الوسط فى الأخلاق دون الطرفين ، أن السخاء خلق محمود شرعا ، وهو وسط بين طرفى التبذير والتقتير . وقد أثنى الله تعالى عليه فقال (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً [١]) وقال تعالى (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ [٢]) وكذلك المطلوب فى شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجمود. قال الله تعالى (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ [٣]) وقال فى الغضب (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ [٤]) وقال صلى الله عليه وسلم [١] «خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا» وهذا له سر وتحقيق ، وهو أن السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم . قال الله تعالى (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ [٥]) والبخل من عوارض الدنيا . والتبذير أيضا من عوارض الدنيا. وشرط القلب أن يكون سليما منهما ، أى لا يكون ملتفتا إلى المال ، ولا يكون حريصا على إنفاقه ولا على إمساكه . فإن الحريص على الإنفاق مصروف القلب إلى الإنفاق ، كما أن الحريص على الإمساك مصروف القلب إلى الإمساك فكان كمال القلب أن يصفو عن الوصفين جميعا . وإذا لم يكن ذلك فى الدنيا طلبنا ما هو الأشبه لعدم الوصفين ، وأبعد عن الطرفين ، وهو الوسط . فإن الفاتر لا حار ولا بارد ، بل هو وسط بينهما ، فكأنه خال عن الوصفين : فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير . والشجاعة بين الجبن والتهور . والعفة بين الشره والجمود . وكذلك سائر الأخلاق. فكلا طرفى الأمور ذميم . هذا هو المطلوب . وهو ممكن . نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد أن يقبح عنده الغضب رأسا ، ويذم إمساك المال رأسا ، ولا يرخص له فى شىء منه ، لأنه لو رخص له فى أدنى شىء اتخذ ذلك عذرا فى استبقاء بخله وغضبه ، وظن أنه القدر المرخص فيه . فإذا قصد قطع الأصل ، وبالغ فيه ، ولم يتيسر له إلا كسر سورته ، بحيث يعود إلى الاعتدال ، فالصواب له أن يقصد قلع الأصل ، حتى يتيسر له القدر المقصود ، فلا يكشف هذا السر للمريد ، فإنه موضع غرور الحمق ، إذ يظن بنفسه أن غضبه بحق ، وأن إمساكه بحق.

---

(١) حديث خير الأمور أوساطها : البيهقى فى شعب الايمان من رواية مطرف بن عبد الله معضلا

---

(١) الفرقان : ٦٧ (٢) الاسراء : ٢٩ (٣) الأعراف : ٣١ (٤) الفتح : ٢٩ (٥) الشعراء : ٨٩

بيان

السبب الذى به ينال حسن الخلق على الجملة

قد عرفت أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوة العقل ، وكمال الحكمة ، وإلى اعتدال قوة الغضب والشهوة ، وكونها للعقل مطيعة ، وللشرع أيضا . وهذا الإعتدال يحصل على وجهين أحدهما بجود إلهى ، وكمال فطرى ، بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل ، حسن الخلق ، قد كفى سلطان الشهوة والغضب ، بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير عالما بغير تعليم ، ومؤدبا بغير تأديب ، كعيسى بن مريم ، ويحيى بن زكريا عليهما السلام ، وكذا سائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين . ولا يبعد أن يكون فى الطبع والفطرة ماقد ينال بالاكتساب . فرب صبى خلق صادق اللهجة ، سخيا جريا ، وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتياد ومخالطة المتخلقين بهذه الأخلاق . وربما يحصل بالتعلم

والوجه الثانى اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة ، وأعنى به حمل النفس على الأعمال التى يقتضيها الخلق المطلوب . فمن أراد مثلا أن يحصل لنفسه خلق الجود ، فطريقه أن يتكلف تعاطى فعل الجواد ، وهو بذل المال . فلا يزال يطالب نفسه ، ويواظب عليه تكلفا ، مجاهدا نفسه فيه ، حتى يصير ذلك طبعا له ، ويتيسر عليه ، فيصير به جوادا . وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع ، وقد غلب عليه الكبر ، فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة ، وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف ، إلى أن يصير ذلك خلقا له وطبعا ، فيتيسر عليه . وجميع الأخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق . وغايته أن يصير الفعل الصادر منه لذيذا . فالسخى هو الذى يستلذ بذل المال الذى يبذله ، دون الذى يبذله عن كراهة . والمتواضع هو الذى يستلذ التواضع . ولن ترسخ الأخلاق الدينية فى النفس ، مالم تتعود النفس جميع العادات الحسنة ، ومالم تترك جميع الأفعال السيئة . ومالم تواظب عليها مواظبة من يشتاق إلى الأفعال الجميلة ، ويتنعم بها ، ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها . كما قال صلى الله عليه وسلم [1] « وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ » ومهما كانت

(١) حديث وجعلت قرة عينى فى الصلاة : ن من حديث أنس وقد تقدم

العبادات ، وترك المحظورات ، مع كراهة واستثقال ، فهو النقصان . ولا ينال كمال السعادة به . نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير ، ولكن بالإضافة إلى تركها ، لا بالإضافة إلى فعلها عن طوع . ولذلك قال الله تعالى (وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ [1]) وقال صلى الله عليه وسلم [1] « أُعْبُدِ اللهَ فِي الرِّضَا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَفِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ »

ثم لا يكفى فى نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق ، استلذاذ الطاعة ، واستكراه المعصية ، فى زمان دون زمان ، بل ينبغى أن يكون ذلك على الدوام ، وفى جملة العمر . وكلما كان العمر أطول ، كانت الفضيلة أرسخ وأكمل . ولذلك لما سئل صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال [2] « طُولُ الْعُمْرِ فِي طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى » ولذلك كره الأنبياء والأولياء الموت فإن الدنيا مزرعة الآخرة . وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر ، كان الثواب أجزل والنفس أزكى وأطهر ، والأخلاق أقوى وأرسخ . وإنما مقصود العبادات تأثيرها فى القلب وإنما يتأكد تأثيرها بكثرة المواظبة على العبادات . وغاية هذه الأخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا ، ويرسخ فيها حب الله تعالى . فلا يكون شيء أحب إليه من لقاء الله تعالى عز وجل . فلا يستعمل جميع ماله إلا على الوجه الذى يوصله إليه . وغضبه وشهوته من المسخرات له ، فلا يستعملها إلا على الوجه الذى يوصله إلى الله تعالى . وذلك بأن يكون موزونا بميزان الشرع والعقل ثم يكون بعد ذلك فرحا به ، مستلذا له .

ولا ينبغى أن يستبعد مصير الصلاة إلى حد تصير هي قرة العين ، ومصير العبادات لذيذة فإن العادة تقتضى فى النفس عجائب أغرب من ذلك . فإنا قد نرى الملوك والمنعمين فى أحزان دائمة ، ونرى المقامر المفلس قد يغلب عليه من الفرح واللذة بقماره وما هو فيه ، ما يستثقل معه فرح الناس بغير قمار . مع أن القمار ربما سلبه ماله ، وخرب بيته ، وتركه مفلسا ،

---

(١) حديث اعبد الله فى الرضا فان لم تستطع ففى الصبر على ماتكره خير كثير : طب

(٢) حديث سئل عن السعادة فقال طول العمر فى عبادة الله : رواه القطاعى فى مسند الشهاب وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر باسناد ضعيف وللترمذى من حديث أبى بكرة وصححه أى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله

---

(١) البقره : ٤٥

ومع ذلك فهو يحبه ، ويلتذ به . وذلك لطول ألفه له وصرف نفسه إليه مدة

وكذلك اللاعب بالحمام ، قد يقف طول النهار فى حر الشمس ، قائما رجليه . وهو لا يحس بألمها ، لفرحه بالطيور وحركاتها ، وطيرانها وتحليقها فى جو السماء

بل نرى الفاجر العيار ، يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع ، والصبر على السياط ، وعلى أن يتقدم به للصلب ، وهو مع ذلك متبجح بنفسه ، وبقوته فى الصبر على ذلك ، حتى يرى ذلك فخرا لنفسه . ويقطع الواحد منهم إربا إربا ، على أن يقر بما تعاطاه أو تعاطاه غيره فيصر على الإنكار ، ولا يبالى بالعقوبات ، فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية . فقد صارت أحواله مع ما فيها من النكال ، قرة عينه ، وسبب افتخاره

بل لا حالة أخس وأقبح من حال المخنث فى تشبهه بالإناث ، فى نتف الشعر ، ووشم الوجه ، ومخالطة النساء . فترى المخنث فى فرح بحاله ، وافتخار بكماله فى تخنثه ، يتباهى به مع المخنثين . حتى يجرى بين الحجامين والكناسين التفاخر والمباهاة ، كما يجرى بين الملوك والعلماء

فكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام ، مدة مديدة ومشاهدة ذلك فى المخالطين والمعارف . فإذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل ، وتميل إليه وإلى القبائح ، فكيف لا تستلذ الحق لو ردت إليه مدة ، والتزمت المواظبة عليه ! بل ميل النفس إلى هذه الأمور الشنيعة خارج عن الطبع ، يضاهى الميل إلى أكل الطين . فقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة . فأما ميله إلى الحكمة ، وحب الله تعالى ، ومعرفته ، وعبادته ، فهو كالميل إلى الطعام والشراب ، فإنه مقتضى طبع القلب . فإنه أمر ربانى . وميله إلى مقتضيات الشهوة غريب من ذاته ، وعارض على طبعه . وإنما غذاء القلب الحكمة والمعرفة ، وحب الله عز وجل . ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد حل به ، كما قد يحل المرض بالمعدة ، فلا تشتهى الطعام والشراب ، وهما سببان لحياتها . فكل قلب مال إلى حب شىء سوى الله تعالى ، فلا ينفك عن مرض بقدر ميله ، إلا إذا كان أحب ذلك الشىء لكونه معينا له على حب الله تعالى ، وعلى دينه ، فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض

فإذاً قد عرفت بهذا قطعا ، أن هذه الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة ، وهى تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء ، لتصير طبعا انتهاء . وهذا من عجيب العلاقة بين

القلب والجوارح ، أعنى النفس والبدن . فإن كل صفة تظهر فى القلب ، يفيض أثرها على الجوارح ، حتى لاتتحرك إلا على وفقها لا محالة . وكل فعل يجرى على الجوارح فإنه قد يرتفع منه أثر إلى القلب . والأمر فيه دور ، ويعرف ذلك بمثال ، وهو أن من أراد أن يصير الحذق فى الكتابة له صفة نفسية ، حتى يصير كاتبا بالطبع ، فلا طريق له إلا أن يتعاطى بجارحة اليد ، مايتعاطاه الكاتب الحاذق ، ويواظب عليه مدة طويلة ، يحاكى الخط الحسن فإن فعل الكاتب هو الخط الحسن . فيتشبه بالكاتب تكلفا ، ثم لايزال يواظب عليه ، حتى يصير صفة راسخة فى نفسه ، فيصدر منه فى الآخر الخط الحسن طبعا ، كما كان يصدر منه فى الابتداء تكلفا . فكان الخط الحسن ، هو الذى جعل خطه حسنا . ولكن الأول بتكلف ، إلا أنه ارتفع منه أثر إلى القلب ، ثم انخفض من القلب إلى الجارحة ، فصار يكتب الخط الحسن بالطبع .

وكذلك من أراد أن يصير فقيه النفس ، فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال الفقهاء وهو التكرار للفقه ، حتى تنعطف منه على قلبه صفة الفقه ، فيصير فقيه النفس .

وكذلك من أراد أن يصير سخيا عفيف النفس ، حليما متواضعا ، فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفا ، حتى يصير ذلك طبعا له ، فلا علاج له إلا ذلك . وكما أن طالب فقه النفس ، لا ييأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل ليلة ، ولا ينالها بتكرار ليلة ، فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها ، وتحليتها بالأعمال الحسنة ، لاينالها بعبادة يوم ، ولا يحرم عنها بعصيان يوم . وهو معنى قولنا ، إن الكبيرة الواحدة لاتوجب الشقاء المؤبد ، ولكن العطلة فى يوم واحد تدعو إلى مثلها ، ثم تتداعى قليلا قليلا ، حتى تأنس النفس بالكسل ، وتهجر التحصيل رأسا ، فيفوتها فضيلة الفقه . وكذلك صغائر المعاصى ، يجر بعضها إلى بعض ، حتى يفوت أصل السعادة ، بهدم أصل الإيمان عند الخاتمة . وكما أن تكرار ليلة لايحس تأثيره فى فقه النفس ، بل يظهر فقه النفس شيئاً فشيئاً على التدريج ، مثل نمو البدن ، وارتفاع القامة ، فكذلك الطاعة الواحدة لايحس تأثيرها فى تزكية النفس وتطهيرها فى الحال ولكن لاينبغى أن يستهان بقليل الطاعة ، فإن الجملة الكثيرة منها مؤثرة ، وإنما اجتمعت الجملة من الآحاد ، فلكل واحد منها تأثير . فما من طاعة إلا ولها أثر وإن خفى ، فله ثواب

لامحالة ، فإن الثواب بأزاء الأثر ، وكذلك المعصية

وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة ، وهكذا على التوالى ، يسوف نفسه يوما فيوما إلى أن يخرج طبعه عن قبول الفقه . فكذا من يستهين صغائر المعاصى ، ويسوف نفسه بالتوبة على التوالى ، إلى أن يختطفه الموت بغتة ، أو تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتتعذر عليه التوبة ، إذ القليل يدعو إلى الكثير ، فيصير القلب مقيدا بسلاسل شهوات لايمكن تخليصه من مخالبها . وهو المعنى بانسداد باب التوبة . وهو المراد بقوله تعالى (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا [1]) الآية . ولذلك قال علي رضي الله عنه، إن الإيمان ليبدو فى القلب نكتة بيضاء ، كلما ازداد الإيمان ازداد ذلك البياض ، فإذا استكمل العبد الإيمان ابيض القلب كله . وإن النفاق ليبدو فى القلب نكتة سوداء ، كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد ، فإذا استكمل النفاق اسود القلب كله

فإذا عرفت أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة ، وتارة تكون باعتياد الأفعال الجميلة ، وتارة بمشاهدة أرباب الفعال الجميلة ومصاحبتهم ، وهم قرناء الخير ، وإخوان الصلاح إذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا . فمن تظاهرت فى حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما ، فهو فى غاية الفضيلة . ومن كان رذلا بالطبع ، واتفق له قرناء السوء ، فتعلم منهم ، وتيسرت له أسباب الشر حتى اعتادها ، فهو فى غاية البعد من الله عز وجل . وبين الرتبتين من اختلفت فيه هذه الجهات ، ولكل درجة فى القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ [2]) (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ ، وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [3])

بيان

تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق .

قد عرفت من قبل أن الاعتدال فى الأخلاق هو صحة النفس ، والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها ، كما أن الاعتدال فى مزاج البدن هو صحة له ، والميل عن الاعتدال مرض فيه . فلنتخذ البدن مثالا فنقول .

---

(١) يس : ٩ (٢) الزلزال : ٧ و ٨ (٣) النحل : ٣٣

مثال النفس فى علاجها، بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها، وجلب الفضائل والأخلاق الجميلة إليها، مثال البدن فى علاجه، بمحو العلل عنه، وكسب الصحة له وجلبها إليه. وكما أن الغالب على أصل المزاج الاعتدال، وإنما تعترى المعدة المضرة بعوارض الأغذية والأهوية والأحوال، فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيح الفطرة، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، أى بالاعتياد والتعليم تكتسب الرذائل. وكما أن البدن فى الابتداء لا يخلق كاملا، وإنما يكمل ويقوى بالنشو والتربية بالغذاء، فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال، وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق، والتغذية بالعلم

وكما أن البدن إن كان صحيحا، فشأن الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة، وإن كان مريضا فشأنه جلب الصحة إليه. فكذلك النفس منك إن كانت زكية طاهرة مهذبة، فينبغى أن تسعى لحفظها، وجلب مزيد قوة إليها واكتساب زيادة صفائها وإن كانت عديمة الكمال والصفاء، فينبغى أن تسعى لجلب ذلك إليها

وكما أن العلة المغيرة لاعتدال البدن، الموجبة للمرض، لا تعالج إلا بضدها، فإن كانت من حرارة فبالبرودة، وإن كانت من برودة فبالحرارة، فكذلك الرذيلة التى هى مرض القلب علاجها بضدها، فيعالج مرض الجهل بالتعلم، ومرض البخل بالتسخى، ومرض الكبر بالتواضع، ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا

وكما أنه لابد من الاحتمال لمرارة الدواء، وشدة الصبر عن المشتهيات، لعلاج الأبدان المريضة فكذلك لابد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر، لمداواة مرض القلب، بل أولى. فإن مرض البدن يخلص منه بالموت، ومرض القلب والعياذ بالله تعالى، مرض يدوم بعد الموت أبد الآباد

وكما أن كل مبرد لا يصلح لعلة سببها الحرارة، إلا إذا كان على حد مخصوص، ويختلف ذلك بالشدة والضعف، والدوام وعدمه، وبالكثرة والقلة: ولابد له من معيار يعرف به مقدار النافع منه، فإنه إن لم يحفظ معياره زاد الفساد، فكذلك النقائض التى تعالج بها الأخلاق لابد لها من معيار

وكما أن معيار الدواء مأخوذ من عيار العلة حتى أن الطبيب لا يعالج مالم يعرف أن العلة من حرارة أو برودة، فإن كانت من حرارة فيعرف درجتها، أهى ضعيفة أم قوية، فإذا عرف ذلك

التفت إلى أحوال البدن ، وأحوال الزمان ، وصناعة المريض ، وسنه وسائر أحواله ، ثم يعالج بحسبها ، فكذلك الشيخ المتبوع الذى يطبب نفوس المريدين ، ويعالج قلوب المسترشدين ينبغى أن لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف فى فن مخصوص ، وفى طريق مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم وأمراضهم

وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد ، قتل أكثرهم ، فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم ، وأمات قلوبهم . بل ينبغى أن ينظر فى مرض المريد ، وفى حاله . وسنه ، ومزاجه ، وما تحتمله بنيته من الرياضة ، ويبنى على ذلك رياضته . فإن كان المريد مبتدئا ، جاهلا بحدود الشرع ، فيعلمه أولا الطهارة ، والصلاة ، وظواهر العبادات . وإن كان مشغولا بمال حرام ، أو مقارفا لمعصية ، فيأمره أولا بتركها فإذا تزين ظاهره بالعبادات ، وطهر عن المعاصى الظاهرة جوارحه ، نظر بقرائن الأحوال إلى باطنه ، ليتفطن لأخلاقه ، وأمراض قلبه . فإن رأى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته أخذه منه ، وصرفه إلى الخيرات وفرغ قلبه منه ، حتى لا يلتفت إليه . وإن رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه ، فيأمره أن يخرج إلى الأسواق للكدية والسؤال ، فإن عزة النفس والرياسة لا تنكسر إلا بالذل ، ولا ذل أعظم من ذل السؤال . فيكلفه المواظبة على ذلك مدة ، حتى ينكسر كبره وعز نفسه . فإن الكبر من الأمراض المهلكة ، وكذلك الرعونة . وإن رأى الغالب عليه النظافة فى البدن والثياب ، ورأى قلبه مائلا إلى ذلك ، فرحا به ، ملتفتا إليه استخدمه فى تعهد بيت الماء وتنظيفه ، وكنس المواضع القذرة ، وملازمة المطبخ ومواضع الدخان ، حتى تتشوش عليه رعونته فى النظافة . فإن الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ، ويطلبون المرقعات النظيفة ، والسجادات الملونة ، لا فرق بينهم وبين العروس التى تزين نفسها طول النهار . فلا فرق بين أن يعبد الإنسان نفسه ، أو يعبد صنما . فهما عبد غير الله تعالى . فقد حجب عن الله . ومن راعى فى ثوبه شيئا سوى كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت إليها قلبه ، فهو مشغول بنفسه .

ومن لطائف الرياضة إذا كان المريد لا يسخو بترك الرعونة رأسا ، أو بترك صفة أخرى ولم يسمح بضدها دفعة ، فينبغى أن ينقله من الخلق المذموم إلى خلق مذموم آخر أخف منه ،

كالذى يغسل الدم بالبول ، ثم يغسل البول بالماء ، إذا كان الماء لايزيل الدم . كما يرغب الصبي فى المكتب ، باللعب بالكرة والصولجان وما أشبهه ، ثم ينقل من اللعب إلى الزينة وفاخر الثياب ، ثم ينقل من ذلك بالترغيب فى الرياسة وطلب الجاه ، ثم ينقل من الجاه بالترغيب فى الآخرة . فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة ، فلينقل إلى جاه أخف منه . وكذلك سائر الصفات . وكذلك إذا رأى شره الطعام غالبا عليه . ألزمه الصوم وتقليل الطعام ، ثم يكلفه أن يهيء الأطعمة اللذيذة ، ويقدمها إلى غيره ، وهو لا يأكل منها ، حتى يقوى بذلك نفسه ، فيتعود الصبر وينكسر شرهه . وكذلك إذا رآه شابا متشوقا إلى النكاح ، وهو عاجز عن الطول ، فيأمره بالصوم . وربما لا تسكن شهوته بذلك ، فيأمره أن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ، ويمنعه اللحم والأدم رأسا ، حتى تذل نفسه ، وتنكسر شهوته . فلا علاج فى مبدإ الإرادة أنفع من الجوع . وإن رأى الغضب غالبا عليه ، ألزمه الحلم والسكوت ، وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق ، ويلزمه خدمة من ساء خلقه ، حتى يمرن نفسه على الاحتمال معه . كما حكى عن بعضهم أنه كان يعود نفسه الحلم ، ويزيل عن نفسه شدة الغضب ، فكان يستأجر من يشتمه على ملأ من الناس ، ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه ، حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل . وبعضهم كان يستشعر فى نفسه الجبن وضعف القلب ، فأراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة ، فكان يركب البحر فى الشتاء عند اضطراب الأمواج . وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على نصبة واحدة . وبعض الشيوخ فى ابتداء إرادته كان يكسل عن القيام ، فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسمح بالقيام على الرجل عن طوع . وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورمى به فى البحر ، إذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود ، والرياء بالبذل

فهذه الأمثلة تعرفك طريق معالجة القلوب . وليس غرضنا ذكر دواء كل مرض ، فإن ذلك سيأتى فى بقية الكتب . وإنما غرضنا الآن التنبيه على أن الطريق الكلى فيه سلوك مسلك المضادة لكل ماتهواه النفس ، وتميل إليه . وقد جمع الله ذلك كله فى كتابه العزيز

فى كلمة واحدة ، فقال تعالى (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى [1])

والأصل المهم فى المجاهدة الوفاء بالعزم . فإذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت أسبابها ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى واختبارا ، فينبغى أن يصبر ويستمر . فإنه إن عود نفسه ترك العزم ألفت ذلك ، ففسدت . وإذا اتفق منه نقض عزم ، فينبغى أن يلزم نفسه عقوبة عليه ، كما ذكرناه فى معاقبة النفس ، فى كتاب المحاسبة والمراقبة . وإذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته ، وحسنت عنده تناول الشهوة ، فتفسد بها الرياضة بالكلية .

بيان

علامات أمراض القلوب وعلامات عودها إلى الصحة

اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به . وإنما مرضه أن يتعذر عليه فعله الذى خلق له ، حتى لا يصدر منه أصلا ، أو يصدر منه مع نوع من الاضطراب . فمرض اليد أن يتعذر عليها البطش . ومرض العين أن يتعذر عليها الإبصار . وكذلك مرض القلب أن يتعذر عليه فعله الخاص به ، الذى خلق لأجله ، وهو العلم والحكمة والمعرفة ، وحب الله تعالى وعبادته ، والتلذذ بذكره ، وإيثاره ذلك على كل شهوة سواه ، والاستعانة بجميع الشهوات والأعضاء عليه . قال الله تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [2]) ففى كل عضو فائدة . وفائدة القلب الحكمة والمعرفة ، وخاصية النفس التى للآدمى ما يتميز بها عن البهائم ، فإنه لم يتميز عنها بالقوة على الأكل والوقاع والإبصار أو غيرها ، بل بمعرفة الأشياء على ما هى عليه

وأصل الأشياء وموجدها ومخترعها هو الله عز وجل ، الذى جعلها أشياء . فلو عرف كل شىء ، ولم يعرف الله عز وجل ، فكأنه لم يعرف شيئا . وعلامة المعرفة المحبة . فمن عرف الله تعالى أحبه . وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات ، كما قال الله تعالى (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ [3]) إلى قوله (أَحَبَّ إِلَيْكُمْ

(١) النازعات : ٤٠ (٢) الذاريات : ٥٦ (٣) التوبة : ٢٤

مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ[1]) فمن عنده شيء أحب إليه من الله فقلبه مريض . كما أن كل معدة صار الطين أحب إليها من الخبز والماء، أو سقطت شهوتها عن الخبز والماء ، فهي مريضة فهذه علامات المرض

وبهذا يعرف أن القلوب كلها مريضة ، إلا ماشاء الله . إلا أن من الأمراض مالا يعرفها صاحبها . ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه . فلذلك يغفل عنه . وإن عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه . فإن دواءه مخالفة الشهوات . وهو نزع الروح . فإن وجد من نفسه قوة الصبر عليه ، لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه . فإن الأطباء هم العلماء ، وقد استولى عليهم المرض فالطبيب المريض قلما يلتفت إلى علاجه . فلهذا صار الداء عضالا ، والمرض مزمنا ، واندرس هذا العلم ، وأنكر بالكلية طب القلوب ، وأنكر مرضها ، وأقبل الخلق على حب الدنيا وعلى أعمال ظاهرها عبادات ، وباطنها عادات ومرآآت . فهذه علامات أصول الأمراض

وأما علامات عودها إلى الصحة بعد المعالجة ، فهو أن ينظر فى العلة التى يعالجها فإن كان يعالج داء البخل ، فهو المهلك المبعد عن الله عز وجل ، وإنما علاجه ببذل المال وإنفاقه ولكنه قد يبذل المال إلى حد يصير به مبذرا ، فيكون التبذير أيضا داء . فكان كمن يعالج البرودة بالحرارة ، حتى تغلب الحرارة ، فهو أيضا داء . بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة . وكذلك المطلوب الاعتدال بين التبذير والتقتير ، حتى يكون على الوسط ، وفى غاية البعد عن الطرفين

فإن أردت أن تعرف الوسط ، فانظر إلى الفعل الذى يوجبه الخلق المحذور . فإن كان أسهل عليك وألذ من الذى يضاده ، فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له ، مثل أن يكون إمساك المال وجمعه ، ألذ عندك وأيسر عليك من بذله لمستحقه . فاعلم أن الغالب عليك خلق البخل ، فزد فى المواظبة على البذل . فإن صار البذل على غير المستحق ألذ عندك وأخف عليك من الإمساك بالحق ، فقد غلب عليك التبذير ، فارجع إلى المواظبة على الإمساك . فلا تزال تراقب نفسك ، وتستدل على خلقك بتسيير الأفعال وتعسيرها ، حتى تنقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى المال ، فلا تميل إلى بذله ، ولا إلى إمساكه ، بل يصير عندك كالماء ،

---

(١) التوبة : ٢٤

فلا تطلب فيه إلا إمساكه لحاجة محتاج أو بذله لحاجة محتاج ، ولا يترجح عندك البذل على الإمساك . فكل قلب صار كذلك ، فقد أتى الله سليما عن هذا المقام خاصة. ويجب أن يكون سليما عن سائر الأخلاق ، حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق بالدنيا ، حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق منها ، غير ملتفتة إليها ، ولا متشوقة إلى أسبابها . فعند ذلك ترجع إلى ربها رجوع النفس المطمئنة ، راضية مرضية ، داخلة فى زمرة عباد الله المقربين ، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا

ولما كان الوسط الحقيق بين الطرفين فى غاية الغموض ، بل هو أدق من الشعر ، وأحد من السيف ، فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم فى الدنيا ، . جاز على مثل هذا الصراط فى الآخرة . وقلما ينفك العبد من ميلٍ عن الصراط المستقيم . أعنى الوسط ، حتى لا يميل إلى أحد الجانبين ، فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذى مال إليه . ولذلك لا ينفك عن عذاب ما ، واجتياز على النار ، وإن كان مثل البرق . قال الله تعالى (وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا [1]) أى الذين كان قربهم إلى الصراط المستقيم أكثر من بعدهم عنه . ولأجل عسر الاستقامة ، وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى فى كل يوم سبع عشرة مرة ، فى قوله إهدنا الصراط المستقيم ، إذ وجب قراءة الفاتحة فى كل ركعة

فقد روى أن بعضهم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقال قد قلت يا رسول الله شيبتنى هود ، فلم قلت ذلك ؟ فقال عليه السلام لقوله تعالى (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ [2]) فالاستقامة على سواء السبيل فى غاية الغموض .. ولكن ينبغى أن يجتهد الإنسان فى القرب من الاستقامة إن لم يقدر على حقيقتها . فكل من أراد النجاة فلا نجاة له إلا بالعمل الصالح ولا تصدر الأعمال الصالحة إلا عن الأخلاق الحسنة . فليتفقد كل عبد صفاته وأخلاقه ، وليعددها ، وليشتغل بعلاج واحد واحد فيها على الترتيب ، فنسأل الله الكريم أن يجعلنا من المتقين

بيان

الطريق الذى يعرف به الإنسان عيوب نفسه

اعلم أن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيرا ، بصره بعيوب نفسه . فمن كانت بصيرته نافذة

---

(١) مريم : ٧١ (٢) هود : ١١٢

لم تخف عليه عيوبه . فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج . ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم ، يرى أحدهم القذى فى عين أخيه ، ولا يرى الجذع فى عين نفسه . فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق

الأول: أن يجلس بين يدى شيخ بصير بعيوب النفس ، مطلع على خفايا الآفات ، ويحكمه فى نفسه ، ويتبع إشارته فى مجاهدته . وهذا شأن المريد مع شيخه ، والتلميذ مع أستاذه فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه . وهذا قد عز فى هذا الزمان وجوده

الثانى : أن يطلب صديقا صدوقا ، بصيرا متدينا ، فينصبه رقيبا على نفسه ، ليلاحظ أحواله وأفعاله . فما كره من أخلاقه وأفعاله ، وعيوبه الباطنة والظاهرة ، ينبهه عليه. فهكذا كان يفعل الأكياس والأكابر من أئمة الدين . كان عمر رضى الله عنه يقول ، رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبى . وكان يسأل سلمان عن عيوبه . فلما قدم عليه ، قال له ما الذى بلغك عنى مما تكرهه ؟ فاستعفى . فألح عليه ، فقال بلغنى أنك جمعت بين أدامين على مائدة ، وإن لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل . قال وهل بلغك غير هذا ؟ قال لا . فقال أما هذان فقد كفيتهما . وكان يسأل حذيفة ويقول له ، أنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنافقين ، فهل ترى علي شيئا من آثار النفاق ؟ فهو على جلالة قدره ، وعلو منصبه ، هكذا كانت تهمته لنفسه رضى الله عنه . فكل من كان أوفر عقلا ، وأعلى منصبا ، كان أقل إعجابا ، وأعظم اتهاما لنفسه

إلا أن هذا أيضا قد عز ، فقل فى الأصدقاء من يترك المداهنة ، فيخبر بالعيب ، أو يترك الحسد ، فلا يزيد على قدر الواجب . فلا تخلو فى أصدقائك عن حسود ، أو صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا . أو عن مداهن ، يخفى عنك بعض عيوبك . ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل الناس ، فقيل له لم لا تخالط الناس ؟ فقال وماذا أصنع بأقوام يخفون عنى عيوبى . فكانت شهوة ذوى الدين أن يتنبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم . وقد آل الأمر فى أمثالنا إلى أن أبغض الخلق إلينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا . ويكاد هذا أن يكون مفصحا عن ضعف الإيمان . فإن الأخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة . فلو نبهنا منبه على أن تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة ، وفرحنا به ، واشتغلنا بإزالة العقرب ، وإبعادها وقتلها . وإنما

نكايتها على البدن . ويدوم ألمها يوما فما دونه. ونكاية الأخلاق الرديئة على صميم القلب، أخشى أن تدوم بعد الموت أبدا ، أو آلافا من السنين ؛ ثم أنا لا نفرح بمن ينبهنا عليها، ولا نشتغل بإزالتها ، بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثل مقالته ، فنقول له وأنت أيضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه . ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب ، التي أثمرتها كثرة الذنوب ؛ وأصل كل ذلك ضعف الإيمان . فنسأل الله عز وجل ، أن يلهمنا رشدنا ، ويبصرنا بعيوبنا ، ويشغلنا بمداواتها ، ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله

الطريق الثالث : أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه . فإن عين السخط تبدى المساويا . ولعل انتفاع الإنسان بعدو مشاحن . يذكره عيوبه . أكثر من انتفاعه بصديق مداهن ، يثني عليه ويمدحه ، ويخفي عنه عيوبه . إلا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو ، وحمل مايقوله على الحسد . ولكن البصير لايخلو عن الانتفاع بقول أعدائه ،فإن مساويه لابد وأن تنتشر على ألسنتهم

الطريق الرابع : أن يخالط الناس . فكل مارآه مذموما فيما بين الخلق ، فليطالب نفسه به ، وينسبها إليه . فإن المؤمن مرآة المؤمن . فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه . ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى . فما يتصف به واحد من الأقران، لاينفك القرن الآخر عن أصله ، أو عن أعظم منه ، أو عن شيء منه . فليتفقد نفسه . ويطهرها من كل مايذمه من غيره. وناهيك بهذا تأديبا .فلو ترك الناس كلهم مايكرهونه من غيرهم،لاستغنوا عن المؤدب . قيل لعيسى عليه السلام ، مَن أدبك ؟ قال. ماأدبني أحد . رأيت جهل الجاهل شينا فاجتنبته .

وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا زكيا ، بصيرا بعيوب النفس،مشفقا ناصحا في الدين فارغا من تهذيب نفسه ، مشتغلا بتهذيب عباد الله تعالى ، ناصحا لهم . فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب ، فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه ، وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده

بيان

شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق فى معالجة أمراض القلوب ترك الشهوات وإن مادة أمراضها هي اتباع الشهوات

اعلم أن ماذكرناه إن تأملته بعين الاعتبار ، إنفتحت بصيرتك ، وانكشفت لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين . فإن عجزت عن ذلك، فلاينبغى أن يفوتك التصديق والإيمان على سبيل التلقى والتقليد لمن يستحق التقليد . فإن للإيمان درجة ، كما أن للعلم درجة . والعلم يحصل بعد الإيمان . وهو وراءه . قال الله تعالى (يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ [1]) فمن صدق بأن مخالفة الشهوات هى الطريق إلى الله عز وجل ، ولم يطلع على سببه وسره ،فهو من الذين آمنوا . وإذا اطلع على ماذكرناه من أعوان الشهوات ، فهو من الذين أوتوا العلم . وكلا وعدالله الحسنى .والذى يقتضى الإيمان بهذا الأمر فى القرءان والسنة وأقاويل العلماء ، أكثر من أن يحصر

قال الله تعالى (وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى [2]) وقال تعالى (أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى [3]) قيل نزع منها محبة الشهوات

وقال صلى الله عليه وسلم [1] « الْمُؤْمِنُ بَيْنَ خَمْسِ شَدَائِدَ مُؤْمِنٍ يَحْسُدُهُ وَمُنَافِقٍ يُبْغِضُهُ وَكَافِرٍ يُقَاتِلُهُ وَشَيْطَانٍ يُضِلُّهُ وَنَفْسٍ تُنَازِعُهُ » فبين أن النفس عدو منازع ، يجب عليه مجاهدتها . ويروى أن الله تعالى ، أوحى إلى داود عليه السلام ،ياداود ، حذروأنذر أصحابك أكل الشهوات ، فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عنى محجوبة . وقال عيسى عليه السلام ، طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره .

وقال نبينا صلى الله عليه وسلم ، لقوم قدموا من الجهاد [2] «مَرْحَبًا بِكُمْ قَدِمْتُمْ مِنَ الْجِهَادِ

---

(١) حديث المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه ـ الحديث : أبو بكر بن بلال فى مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف

(٢) حديث مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر : البيهقى فى الزهد وقد تقدم فى شرح عجائب القلب

---

(١) المجادلة : ١١ (٢) النازعات ٤٠ و ٤١ (٣) الحجرات : ٣

الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ » قيل يارسول الله ، وما الجهاد الأكبر ؟ قال « جِهَادُ النَّفْسِ » وقال صلى الله عليه وسلم [1] « الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ » وقال صلى الله عليه وسلم [2] « كُفَّ أَذَاكَ عَنْ نَفْسِكَ وَلَا تُتَابِعْ هَوَاهَا فِي مَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَى إِذَا تُخَاصِمُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَلْعَنُ بَعْضُكَ بَعْضًا إِلَّا أَنْ يَغْفِرَ اللهُ تَعَالَى وَيَسْتُرَ »

وقال سفيان الثورى ، ما عالجت شيئا أشد علىّ من نفسى ، مرة لى ، ومرة علىّ . وكان أبو العباس الموصلى يقول لنفسه ، يانفس ، لا فى الدنيا مع أبناء الملوك تتنعمين ، ولا فى طلب الآخرة مع العباد تجتهدين . كأنى بك بين الجنة والنار تحبسين . يانفس ، ألا تستحين ! وقال الحسن : ما الدابة الجموح بأحوج إلى اللجام الشديد من نفسك.

وقال يحيى بن معاذ الرازى ، جاهد نفسك بأسياف الرياضة ، والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام ، والغمض من المنام ، والحاجة من الكلام ، وحمل الأذى من جميع الأنام . فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ، ومن قلة المنام صفو الإرادات ، ومن قلة الكلام السلامة من الآفات . ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات . وليس على العبد شيء أشد من الحلم عند الجفا ، والصبر على الأذى ، وإذا تحركت من النفس إرادة الشهوات والآثام ، وهاجت منها حلاوة فضول الكلام ، جردت عليها سيوف قلة الطعام ، من غمد التهجد وقلة المنام ، وضربتها بأيدى الخمول وقلة الكلام ، حتى تنقطع عن الظلم والانتقام ، فتأمن من بوائقها من بين سائر الأنام ، وتصفيها من ظلمة شهواتها ، فتنجو من غوائل آفاتها ، فتصير عند ذلك نظيفة ونورية ، خفيفة روحانية ، فتجول فى ميدان الخيرات ، وتسير فى مسالك الطاعات ، كالفرس الفاره فى الميدان ، وكالملك المتنزه فى البستان وقال أيضا أعداء الإنسان ثلاثة ، دنياه ، وشيطانه ونفسه . فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ، ومن الشيطان بمخالفته ، ومن النفس بترك الشهوات . وقال بعض الحكماء ، من استولت عليه النفس صار أسيرا فى جب شهواتها ، محصورا فى سجن هواها ، مقهورا مغلولا زمامه فى يدها.

---

(١) حديث المجاهد من جاهد نفسه : ت فى أثناء حديث وصححه و هـ من حديث فضالة بن عبيد

(٢) حديث كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها فى معصية الله ـ الحديث : لم أجده بهذا السياق

تجره حيث شاءت ، فتمنع قلبه من الفوائد : وقال جعفر بن حميد ، أجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم لايدرك إلا بترك النعيم . وقال أبو يحيى الوراق. من أرضى الجوارح بالشهوات ، فقد غرس فى قلبه شجر الندامات . وقال وهيب بن الورد ، مازاد على الخبز فهو شهوة . وقال أيضا ، من أحب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل

ويروى أن امرأة العزيز ، قالت ليوسف عليه السلام ، بعد أن ملك خزائن الأرض ، وقعدت له على رابية الطريق فى يوم موكبه ، وكان يركب فى زهاء اثنى عشر ألفا من عظماء مملكته ، سبحان من جعل الملوك عبيداً بالمعصية ، وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم له . إن الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا ، وذلك جزاء المفسدين . وإن الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا . فقال يوسف ، كما أخبر الله تعالى عنه (إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لَايُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ [1])

وقال الجنيد . أرقت ليلة ، فقمت إلى وردى ، فلم أجد الحلاوة التى كنت أجدها . فأردت أن أنام ، فلم أقدر . فجلست ، فلم أطق الجلوس . فخرجت . فإذا رجل ملتف فى عباءة ، مطروح على الطريق . فلما أحس بى قال ، ياأباالقاسم ، إلىّ الساعة . فقلت ياسيدى من غير موعد ! فقال بلى ، سألت الله عز وجل أن يحرك لى قلبك . فقلت قد فعل ، فما حاجتك ؟ قال فمتى يصير داء النفس دواءها ؟ فقلت إذا خالفت النفس هواها . فأقبل على نفسه فقال ، اسمعى ، فقد أجبتك بهذا سبع مرات ، فأبيت أن تسمعيه إلا من الجنيد . ها قد سمعتيه ، ثم انصرف وما عرفته

وقال يزيد الرقاشى ، إليكم عنى الماء البارد فى الدنيا ، لعلى لاأحرمه فى الآخرة ، وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ، متى أتكلم ؟ قال إذا اشتهيت الصمت . قال متى أصمت قال إذا اشتهيت الكلام . وقال على رضى الله عنه ، من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات فى الدنيا وكان مالك بن دينار يطوف فى السوق ، فإذا رأى الشىء يشتهيه ، قال لنفسه اصبرى ، فو الله ما أمنعك إلا من كرامتك علىّ

---

(١) يوسف : ٩٠

فإذا قد اتفق العلماء والحكماء ، على أن لا طريق إلى سعادة الآخرة ، إلا بنهي النفس عن الهوى ، ومخالفة الشهوات . فالإيمان بهذا واجب . وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك ، لا يدرك إلا بما قدمناه

وحاصل الرياضة وسرها ، أن لا تتمتع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر ، إلا بقدر الضرورة . فيكون مقتصرا من الأكل ، والنكاح ، واللباس ، والمسكن ، وكل ما هو مضطر إليه ، على قدر الحاجة والضرورة . فإنه لو تمتع بشيء منه ، أنس به وألفه . فإذا مات تمنى الرجوع إلى الدنيا بسببه . ولا يتمنى الرجوع إلى الدنيا إلا من لا حظ له في الآخرة بحال . ولا خلاص منه إلا بأن يكون القلب مشغولا بمعرفة الله وحبه ، والتفكر فيه والانقطاع إليه ، ولا قوة على ذلك إلا بالله . ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الذكر والفكر فقط . فمن لم يقدر على حقيقة ذلك ، فليقرب منه والناس فيه أربعة

رجل مستغرق قلبه بذكر الله ، فلا يتلفت إلى الدنيا إلا في ضرورات المعيشة فهو من الصديقين . ولا ينتهي إلى هذه الرتبة إلا بالرياضة الطويلة ، والصبر عن الشهوات مدة مديدة

الثاني : رجل استغرقت الدنيا قلبه ، ولم يبق لله تعالى ذكر في قلبه ، إلا من حيث حديث النفس ، حيث يذكره باللسان لا بالقلب ، فهذا من الهالكين

والثالث : رجل اشتغل بالدنيا والدين ، ولكن الغالب على قلبه هو الدين ، فهذا لا بد له من ورود النار ، إلا أنه ينجو منها سريعا ، بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه

والرابع : رجل اشتغل بهما جميعا ، لكن الدنيا أغلب على قلبه ، فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لا محالة ، لقوة ذكر الله تعالى في قلبه ، وتمكنه من صميم فؤاده ، وإن كان ذكر الدنيا أغلب على قلبه . اللهم إنا نعوذ بك من خزيك ، فإنك أنت المعاذ

وربما يقول القائل ، إن التنعم بالمباح مباح ، فكيف يكون التنعم سبب البعد من الله عز وجل ؟ وهذا خيال ضعيف . بل حب الدنيا رأس كل خطيئة ، وسبب إحباط كل حسنة والمباح الخارج عن قدر الحاجة أيضا من الدنيا ، وهو سبب البعد . وسيأتي ذلك في كتاب ذم الدنيا

وقد قال ابراهيم الخواص ، كنت مرة فى جبل اللكام ، فرأيت رمانا ، فاشتهيته ، فأخذت منه واحدة ، فشققتها ، فوجدتها حامضة . فمضيت وتركتها . فرأيت رجلا مطروحا وقد اجتمعت عليه الزنابير . فقلت السلام عليك : فقال وعليك السلام يا ابراهيم . فقلت كيف عرفتنى ؟ فقال من عرف الله عز وجل لم يخف عليه شىء . فقلت أرى لك خالا مع الله عز وجل ، فلو سألته أن يحميك من هذه الزنابير ؟ فقال وأرى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته أن يحميك من شهوة الرمان ؟ فإن لدغ الرمان يجد الإنسان ألمه فى الآخرة ، ولدغ الزنابير يجد ألمه فى الدنيا . فتركته ومضيت

وقال السرى ، أنا منذ أربعين سنة ، تطالبنى نفسى أن أغمس خبزة فى دِبْس * ، فما أطعمتها

فإذاً لا يمكن إصلاح القلب لسلوك طريق الآخرة ، مالم يمنع نفسه عن التنعم بالمباح فإن النفس إذا لم تمنع بعض المباحات ، طمعت فى المحظورات . فمن أراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول ، فحقه أن يلزمه السكوت إلا عن ذكر الله وإلا عن المهمات فى الدين ، حتى تموت منه شهوة الكلام . فلا يتكلم إلا بحق . فيكون سكوته عبادة ، وكلامه عبادة

ومهما اعتادت العين رمي البصر إلى كل شىء جميل ، لم تتحفظ عن النظر إلى مالا يحل وكذلك سائر الشهوات . لأن الذى يشتهى به الحلال ، هو بعينه الذى يشتهى الحرام . فالشهوة واحدة . وقد وجب على العبد منعها من الحرام . فإن لم يعودها الاقتصار على قدر الضرورة من الشهوات غلبته . فهذه إحدى آفات المباحات ، ووراءها آفات عظيمة أعظم من هذه ، وهو أن النفس تفرح بالتنعم فى الدنيا وتركن إليها ، وتطمئن إليها أشرا وبطرا حتى تصير ثملة ، كالسكران الذى لا يفيق من سكره ، وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل ، يسرى فى العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن ، وذكر الموت ، وأهوال يوم القيامة ، وهذا هو موت القلب ، قال الله تعالى : (وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا [1]) وقال تعالى : (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ [2]) وقال تعالى : (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ [3]) الآية وكل ذلك ذم لها فنسأل الله السلامة ، فأولوا الحزم من أرباب القلوب ، جربوا قلوبهم فى حال الفرح بمؤاتاة

(١) يونس : ٧ (٢) الرعد : ٢٦ (٣) الحديد : ٢٠

* الدبس : عسل التمر وعسل النحل

الدنيا فوجدوها قاسية نفرة ، بعيدة التأثر عن ذكر الله واليوم الآخر ، وجربوها فى حالة الحزن ، فوجدوها لينة رقيقة صافية ، قابلة لأثر الذكر ، فعلموا أن النجاة فى الحزن الدائم والتباعد من أسباب الفرح والبطر ، ففطموها عن ملاذها ، وعودوها الصبر عن شهواتها خلالها وحرامها ، وعلموا أن حلالها حساب ، وحرامها عقاب ، ومتشابهها عتاب ، وهو نوع عذاب ، فمن نوقش الحساب فى عرصات القيامة فقد عذب ، فخلصوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا إلى الحرية والملك الدائم فى الدنيا والآخرة ، بالخلاص من أسر الشهوات ورقها والأنس بذكر الله عز وجل ، والاشتغال بطاعته ، وفعلوا بها ما يفعل بالبازى إذا قصد تأديبه ، ونقله من التوثب والاستيحاش ، إلى الانقياد والتأديب ، فإنه يحبس أولا فى بيت مظلم ، وتخاط عيناه ، حتى يحصل به الفطام عن الطيران فى جو الهواء وينسى ما قد كان ألفه من طبع الاسترسال . ثم يرفق به باللحم ، حتى يأنس بصاحبه ويألفه إلفا إذا دعاه أجابه ومهما سمع صوته رجع إليه

فكذلك النفس لا تألف ربها ولا تأنس بذكره ، إلا إذا فطمت عن عادتها بالخلوة والعزلة أولا ، ليحفظ السمع والبصر عن المألوفات ، ثم عودت الثناء والذكر والدعاء ثانيا فى الخلوة ، حتى يغلب عليها الأنس بذكر الله عز وجل ، عوضا عن الأنس بالدنيا وسائر الشهوات . وذلك يثقل على المريد فى البداية ، ثم يتنعم به فى النهاية ، كالصبي يفطم عن الثدي وهو شديد عليه ، إذ كان لا يصبر عنه ساعة ، فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه عند الفطام ويشتد نفوره عن الطعام الذى يقدم إليه بدلا عن اللبن . ولكنه إذا منع اللبن رأسا يوما فيوما ، وعظم تعبه فى الصبر عليه ، وغلبه الجوع ، تناول الطعام تكلفا . ثم يصير له طبعا . فلو رد بعد ذلك إلى الثدى لم يرجع إليه . فيهجر الثدى ، ويعاف اللبن ، ويألف الطعام .

وكذلك الدابة ، فى الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب ، فتحمل على ذلك قهرا وتمنع عن السرج الذى ألفته بالسلاسل والقيود أولا ، ثم تأنس به ، بحيث تترك فى موضعها فتقف فيه من غير قيد

فكذلك تؤدب النفس كما يؤدب الطير والدواب . وتأديبها بأن تمنع من النظر ، والأنس والفرح بنعيم الدنيا . بل بكل ما يزايلها بالموت : إذ قيل له أحبب ما أحببت فإنك مفارقه

فإذا علم أنه من أحب شيئا يلزمه فراقه ، ويشق لامحالة لفراقه ، شغل قلبه بحب مالا يفارقه وهو ذكر الله تعالى ، فإن ذلك يصحبه فى القبر ولا يفارقه . وكل ذلك يتم بالصبر أولا أياما قلائل ؛ فإن العمر قليل بالإضافة إلى مدة حياة الآخرة . وما من عاقل إلا وهو راض باحتمال المشقة فى سفر وتعلم صناعة وغيرها شهرا ، ليتنعم به سنة أو دهرا . وكل العمر بالإضافة إلى الأبد أقل من الشهر بالإضافة إلى عمر الدنيا . فلا بد من الصبر والمجاهدة ؛ فعند الصباح يحمد القوم السرى ، وتذهب عنهم عمايات الكرى ؛ كما قاله علي رضي الله عنه

وطريق المجاهدة والرياضة لكل إنسان تختلف بحسب اختلاف أحواله . والأصل فيه أن يترك كل واحد ما به فرحه من أسباب الدنيا . فالذي يفرح بالمال ، أو بالجاه ، أو بالقبول فى الوعظ ، أو بالعز فى القضاء والولاية ، أو بكثرة الأتباع فى التدريس والإفادة فينبغى أن يترك أولا ما به فرحه . فإنه إن منع عن شيء من ذلك ، وقيل له ثوابك فى الآخرة لم ينقص بالمنع ، فكره ذلك ، وتألم به ، فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها . وذلك مهلك فى حقه . ثم إذا ترك أسباب الفرح ، فليعتزل الناس ، ولينفرد بنفسه ، وليراقب قلبه ، حتى لا يشتغل إلا بذكر الله تعالى ، والفكر فيه . وليترصد لما يبدو فى نفسه من شهوة ووسواس ، حتى يقمع مادته مهما ظهر ، فإن لكل وسوسة سببا ، ولا تزول إلا بقطع ذلك السبب والعلاقة ، وليلازم ذلك بقية العمر ، فليس للجهاد آخر إلا الموت

بيان

علامات حسن الخلق

اعلم أن كل إنسان جاهل بعيوب نفسه . فإذا جاهد نفسه أدنى مجاهدة ، حتى ترك فواحش المعاصى ، ربما يظن بنفسه أنه قد هذب نفسه ، وحسن خلقه ، واستغنى عن المجاهدة فلا بد من إيضاح علامة حسن الخلق . فإن حسن الخلق هو الإيمان ؛ وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين فى كتابه . وهى بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فلنورد جملة من ذلك ، لتعلم آية حسن الخلق

قال الله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ [١]) إلى قوله (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ [٢]) وقال عز وجل: (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ [٣]) الى قوله (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ [٤]) وقال عز وجل: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ [٥]) إلى قوله (أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا [٦]) وقال تعالى (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا [٧]) إلى آخر السورة.

فمن أشكل عليه حاله، فليعرض نفسه على هذه الآيات. فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق، وفقد جميعها علامة سوء الخلق، ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض. فليشتغل بتحصيل مافقده، وحفظ ماوجده

وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بصفات كثيرة، وأشار بجميعها إلى محاسن الأخلاق فقال [١] « الْمُؤْمِنُ يُحِبُّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » وقال عليه السلام [٢] « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ » وقال [٤] « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ »

وذكر أن صفات المؤمنين هي حسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم [٥] « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا » وقال صلى الله عليه وسلم [٦] « إِذَا رَأَيْتُمُ الْمُؤْمِنَ صَمُوتًا وَقُورًا

---

(١) حديث المؤمن يحب لأخيه مايحب لنفسه : الشيخان من حديث أنس لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه

(٢) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه : متفق عليه من حديث أبي شريح الخزاعي ومن حديث أبي هريرة

(٣) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره : متفق عليه من حديثهما وهو بعض الحديث الذي قبله

(٤) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت : متفق عليه أيضا من حديثهما وهو بعض الذي قبله

(٥) حديث أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا : تقدم غير مرة

(٦) حديث إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة هـ من حديث أبي خلا بلفظ إذا رأيتم الرجل قد أعطي زهدا في الدنيا وقلة منطق فاقربوا منه فانه يلقن الحكمة

---

(١) المؤمنون : ١ و ٢ و ٣ (٢) المؤمنون : ١٠ (٣) و (٤) التوبة : ١١٢ (٥) الانفال : ٢ (٦) الانفال : ٤ (٧) الفرقان : ٦٣

فَادْنُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلَقَّنُ الْحِكْمَةَ » وقال [١] « مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ » وقال [٢] « لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يُشِيرَ إِلَى أَخِيهِ بِنَظْرَةٍ تُؤْذِيهِ » وقال عليه السلام [٣] « لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا » وقال صلى الله عليه وسلم [٤] « إِنَّمَا يَتَجَالَسُ الْمُتَجَالِسَانِ بِأَمَانَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدِهِمَا أَنْ يُفْشِيَ عَلَى أَخِيهِ مَا يَكْرَهُهُ »

وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال ، هو أن يكون كثير الحياء ، قليل الأذى ، كثير الصلاح ، صدوق اللسان ، قليل الكلام ، كثير العمل ، قليل الزلل ، قليل الفضول ، برا ، وصولا ، وقورا ، صبورا ، شكورا ، رضيا ، حليما ، رفيقا ، عفيفا ، شفيقا ، لا لعانا ، ولا سبابا ، ولا نماما ، ولا مغتابا ، ولا عجولا ، ولا حقودا ، ولا بخيلا ، ولا حسودا ، بشاشا ، هشاشا ، يحب في الله ، ويبغض في الله ، ويرضى في الله ، ويغضب في الله ، فهذا هو حسن الخلق .

[٥] وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق ، فقال « إِنَّ الْمُؤْمِنَ هِمَّتُهُ فِي الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْعِبَادَةِ وَالْمُنَافِقَ هِمَّتُهُ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ كَالْبَهِيمَةِ »

وقال حاتم الأصم ، المؤمن مشغول بالفكر والعبر ، والمنافق مشغول بالحرص والأمل والمؤمن آيس من كل أحد إلا من الله ، والمنافق راج كل أحد إلا الله . والمؤمن آمن من كل أحد إلا من الله والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله . والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله . والمؤمن يحسن ويبكي ، والمنافق يسيء ويضحك . والمؤمن يحب الخلوة والوحدة ، والمنافق يحب الخلطة والملأ . والمؤمن يزرع ويخشى الفساد ، والمنافق يقلع ويرجو الحصاد . والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح ، والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد

وأولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الأذى ، واحتمال الجفاء . ومن شكا من سوء

---

(١) حديث من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن : أحمد والطبراني وك وصححه على شرطهما من حديث أبي موسى ورواه طب ك وصححه على شرط الشيخين من حديث أبي أمامة

(٢) حديث لا يحل لمسلم أن يشير إلى أخيه بنظر يؤذيه : ابن المبارك في الزهد والرقائق وفي البر والصلة مرسلا وقد تقدم

(٣) حديث لا يحل لمسلم أن يروع مسلما : طب طس من حديث النعمان بن بشير والبزار من حديث ابن عمر وإسناده ضعيف

(٤) حديث إنما يتجالس المتجالسان بأمانة الله ـ الحديث : تقدم في آداب الصحبة

(٥) حديث سئل عن علامة المؤمن والمنافق فقال إن المؤمن همه في الصلاة والصيام ـ الحديث : لم أجد له أصلا

خلق غيره ، دل ذلك على سوء خلقه . فإن حسن الخلق احتمال الأذى . فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] ، كان يوما يمشي ومعه أنس . فأدركه أعرابي ، فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية . قال أنس رضي الله عنه ، حتى نظرت إلى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه . فقال يا محمد ، هب لي من مال الله الذي عندك . فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك ، ثم أمر بإعطائه ولما أكثرت قريش إيذاءه وضربه ، قال ، [٢] « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ » قيل إن هذا يوم أحد . فلذلك أنزل الله تعالى فيه (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ [١])

ويحكى أن ابراهيم بن أدهم ، خرج يوما إلى بعض البراري ، فاستقبله رجل جندي ، فقال أنت عبد ؟ قال نعم . فقال له أين العمران ؟ فأشار إلى المقبرة . فقال الجندي ، إنما أردت العمران ، فقال هو المقبرة . فغاظه ذلك ، فضرب رأسه بالسوط فشجه ، ورده إلى البلد ، فاستقبله أصحابه ، فقالوا ما الخبر ؟ فأخبرهم الجندي ما قال له . فقالوا هذا ابراهيم بن أدهم . فنزل الجندي عن فرسه ، وقبل يديه ورجليه ، وجعل يعتذر إليه . فقيل بعد ذلك له ، لم قلت له أنا عبد ؟ فقال إنه لم يسألني عبد من أنت ؟ بل قال أنت عبد ؟ فقلت نعم ، لأني عبد الله فلما ضرب رأسي سألت الله له الجنة . قيل كيف وقد ظلمك ؟ فقال علمت أنني أوجر على ما نالني منه ، فلم أرد أن يكون نصيبي منه الخير ، ونصيبه مني الشر

ودعي أبو عثمان الحيري إلى دعوة ، وكان الداعي قد أراد تجربته . فلما بلغ منزله ، قال له ليس لي وجه . فرجع أبو عثمان . فلما ذهب غير بعيد ، دعاه ثانيا ، فقال له يا أستاذ ارجع ، فرجع أبو عثمان ، ثم دعاه الثالثة ، وقال ارجع على ما يوجب الوقت ، فرجع . فلما بلغ الباب ، قال له مثل مقالته الأولى ، فرجع أبو عثمان ثم جاءه الرابعة ، فرده . حتى عامله بذلك مرات ، وأبو عثمان لا يتغير من ذلك . فأكب على

---

(١) حديث كان يمشي فادركه أعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية ـ الحديث : متفق عليه من حديث أنس

(٢) حديث اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون : حب والبيهقي في دلائل النبوة من حديث سهل بن سعد وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود أنه حكاء صلى الله عليه وسلم عن نبي من الأنبياء ضربه قومه

---

[١] ن : ٤

رجليه وقال ، ياأستاذ ، إنما أردت أن أختبرك ، فما أحسن خلقك ! فقال إن الذى رأيت منى هو خلق الكلب . إن الكلب إذا دعي أجاب ، وإذا زجر انزجر

وروي عنه أيضا أنه اجتاز يوما فى سكة ،فطرحت عليه إجّانة * رماد . فنزل عن دابته فسجد سجدة الشكر ،ثم جعل ينفض الرماد عن ثيابه ، ولم يقل شيئا . فقيل ألا زبرتهم؟ فقال إن من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز له أن يغضب.

وروي أن علي بن موسى الرضا رحمة الله عليه ، كان لونه يميل إلى السواد ، إذ كانت أمه سوداء . وكان بنيسابور حمام على باب داره . وكان إذا أراد دخول الحمام ، فرّغه له الحمامى فدخل ذات يوم ، فأغلق الحمامى الباب ، ومضى فى بعض حوائجه . فتقدم رجل رستاق * إلى باب الحمام ، ففتحه ، ودخل ، فنزع ثيابه ودخل ، فرأى على بن موسى الرضا . فظن أنه بعض خدام الحمام . فقال له قم واحمل إلىّ الماء . فقام على بن موسى ،وامتثل جميع ما كان يأمره به . فرجع الحمامى ، فرأى ثياب الرستاق ،وسمع كلامه مع على بن موسى الرضا ،فخاف وهرب ، وخلاهما . فلما خرج على بن موسى ، سأل عن الحمامى .فقيل له إنه خاف مما جرى فهرب . قال لاينبغى له أن يهرب . إنما الذنب لمن وضع ماءه عند أمة سوداء .

وروي أن أبا عبد الله الخياط ، كان يجلس على دكانه . وكان له حريف مجوسى ،يستعمله فى الخياطة . فكان إذا خاط له شيئا ، حمل إليه دراهم زائفة . فكان أبو عبد الله يأخذها منه ولا يخبره بذلك ، ولا يردها عليه . فاتفق يوما أن أبا عبدالله قام لبعض حاجته. فأتى المجوسى فلم يجده . فدفع إلى تلميذه الأجرة ، واسترجع ماقد خاطه . فكان درهما زائفا . فلما نظر إليه التلميذ ، عرف أنه زائف ، فرده عليه . فلما عاد أبو عبد الله ، أخبره بذلك . فقال بئس ماعملت . هذا المجوسى يعاملنى بهذه المعاملة منذ سنة ، وأنا أصبر عليه ، وآخذ الدراهم منه ، وألقيها فى البئر ، لئلا يغر بها مسلما

وقال يوسف بن أسباط ، علامة حسن الخلق عشر خصال: قلة الخلاف ، وحسن الإنصاف ، وترك طلب العثرات، وتحسين ما يبدو من السيئات ،والتماس المعذرة ،واحتمال الأذى ، والرجوع بالملامة على النفس ، والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره ، وطلاقة الوجه للصغير والكبير ، ولطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه

* الاجانة بالتشديد : الوعاء الذى يغسل فيه الثياب * الرستاق : الساكن طرف الاقليم

وسئل سهل عن حسن الخلق فقال ، أدناه احتمال الأذى ، وترك المكافأة ، والرحمة للظالم ، والاستغفار له ، والشفقة عليه

وقيل للأحنف بن قيس ، ممن تعلمت الحلم ؟ فقال من قيس بن عاصم . قيل وما بلغ من حلمه ؟ قال بينما هو جالس فى داره ، إذ أتته جارية له بسفود عليه شواء . فسقط من يدها ، فوقع على ابن له صغير ، فمات . فدهشت الجارية . فقال لها لاروع عليك ، أنت حرة لوجه الله تعالى

وقيل إن أويسا القرنى ، كان إذا رآه الصبيان ، يرمونه بالحجارة . فكان يقول لهم ، ياإخوتاه ، إن كان ولا بد فارموني بالصغار ، حتى لاتدموا ساقى ، فتمنعونى عن الصلاة

وشتم رجل الأحنف بن قيس ، وهو لايجيبه . وكان يتبعه . فلما قرب من الحى وقف وقال ، إن كان قد بقى فى نفسك شىء فقله ، كى لايسمعك بعض سفهاء الحى فيؤذرك

وروى أن عليا كرم الله وجهه ، دعا غلاما فلم يجبه . فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه . فقام إليه ، فرآه مضطجعا . فقال أما تسمع ياغلام ؟ قال بلى . قال فما حملك على ترك إجابتى ؟ قال أمنت عقوبتك فتكاسلت . فقال امض فأنت حر لوجه الله تعالى

وقالت امرأة لمالك بن دينار رحمه الله ، يامرائى ، فقال ياهذه ، وجدت اسمى الذى أضله أهل البصرة

وكان ليحيى بن زياد الحارثى غلام سوء . فقيل له لم تمسكه ؟ فقال لأتعلم الحلم عليه

فهذه نفوس قد ذللت بالرياضة ، فاعتدلت أخلاقها ، ونقيت من الغش والغل والحقد بواطنها ، فأثمرت الرضا بكل ماقدره الله تعالى ، وهو منتهى حسن الخلق . فإن من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى به ، فهو غاية سوء خلقه . فهؤلاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرناه . فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات ، فلا ينبغى أن يغتر بنفسه ، فيظن بها حسن الخلق . بل ينبغى أن يشتغل بالرياضة والمجاهدة ، إلى أن يبلغ درجة حسن الخلق ، فإنها درجة رفيعة ، لاينالها إلا المقربون والصديقون .

بيـــان

الطريق فى رياضة الصبيان فى أول نشوهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم

اعلم أن الطريق فى رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها . والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة، خالية عن كل نقش وصورة. وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه . فإن عود الخير وعلمه ، نشأ عليه ، وسعد فى الدنيا والآخرة وشاركه فى ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب . وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم ، شقى وهلك ، وكان الوزر فى رقبة القيم عليه ، والوالى له . وقد قال الله عز وجل : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً[1]) ومهما كان الأدب يصونه عن نار الدنيا، فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى . وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ، ويعلمه محاسن الأخلاق ، ويحفظه من القرناء السوء ، ولا يعوده التنعم ، ولا يحبب إليه الزينة وأسباب الرفاهية ، فيضيع عمره فى طلبها إذا كبر ، فيهلك هلاك الأبد . بل ينبغى أن يراقبه من أول أمره ، فلا يستعمل فى حضانته وإرضاعه إلا امرأة صالحة متدينة ، تأكل الحلال ، فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه ، فإذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت طينته من الخبث ، فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث .

ومهما رأى فيه مخايل التميز ، فينبغى أن يحسن مراقبته . وأول ذلك ظهور أوائل الحياء فإنه إذا كان يحتشم ويستحى ، ويترك بعض الأفعال ، فليس ذلك إلا لإشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الأشياء قبيحا ومخالفا للبعض . فصار يستحى من شيء دون شيء . وهذه هدية من الله تعالى إليه ، وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب ، وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ . فالصبي المستحى لا ينبغى أن يهمل ، بل يستعان على تأديبه بحيائه أو تميزه

وأول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام . فينبغى أن يؤدب فيه ، مثل أن لا يأخذ الطعام إلا بيمينه ، وأن يقول عليه بسم الله عند أخذه ، وأن يأكل مما يليه ، وأن لا يبادر إلى الطعام قبل غيره ، وأن لا يحدق النظر إليه ولا إلى من يأكل ، وأن لا يسرع فى الأكل

---

(١) التحريم : ٦

وأن يجيد المضغ ، وأن لا يوالى بين اللقم ، ولا يلطخ يده ولا ثوبه ، وأن يعود الخبز القفار في بعض الأوقات ، حتى لا يصير بحيث يرى الأدم حتما ، ويقبح عنده كثرة الأكل ، بأن يشبه كل من يكثر الأكل بالبهائم ، وبأن يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ، ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل الأكل ، وأن يحبب إليه الإيثار بالطعام، وقلة المبالاة به ،والقناعة بالطعام الخشن أي طعام كان

وأن يحبب إليه من الثياب البيض دون الملون والابريسم ، ويقرر عنده أن ذلك شأن النساء والمخنثين ، وأن الرجال يستنكفون منه ، ويكرر ذلك عليه . ومهما رأى على صبي ثوبا من ابريسم أو ملون ، فينبغي أن يستنكره ويذمه . ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهية ، ولبس الثياب الفاخرة ، وعن مخالطة كل من يسمعه مايرغبه فيه فإن الصبي مهما أهمل في ابتداء نشوه ، خرج في الأغلب رديء الأخلاق ، كذابا ، حسودا سروقا ، نماما ، لحوجا ، ذافضول وضحك ، وكياد ومجانة . وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب

ثم يشغل في المكتب ، فيتعلم القرءان ، وأحاديث الأخبار ، وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ من الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله ، ويحفظ من مخالطة الأدباء الذين يزعمون أن ذلك من الظرف ورقة الطبع ، فإن ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد

ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل ، وفعل محمود ، فينبغي أن يكرم عليه ، ويجازى عليه بما يفرح به ، ويمدح بين أظهر الناس . فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة ، فينبغي أن يتغافل عنه ، ولا يهتك ستره ، ولا يكاشفه ، ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله ، ولاسيما إذا ستره الصبي ، واجتهد في إخفائه . فإن إظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة ، حتى لا يبالى بالمكاشفة . فعند ذلك إن عاد ثانيا ، فينبغي أن يعاتب سرا ، ويعظم الأمر فيه ، ويقال له إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا ، وأن يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس . ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين ، فإنه يهون عليه سماع الملامة ، وركوب القبائح ، ويسقط وقع الكلام من قلبه

وليكن الأب حافظا هيبة الكلام معه ، فلا يوبخه إلا أحيانا ، والأم تخوفه

بالأب ، وتزجره عن القبائح

وينبغى أن يمنع عن النوم نهارا ، فإنه يورث الكسل . ولا يمنع منه ليلا . ولكن يمنع الفرش الوطيئة ، حتى تتصلب أعضاؤه ، ولا يسمن بدنه ، فلا يصبر عن التنعم . بل يعود الخشونة فى المفرش والملبس والمطعم

وينبغى أن يمنع من كل ما يفعله فى خفية ؛ فإنه لا يخفيه إلا وهو يعتقد أنه قبيح . فإذا تعود ترك فعل القبيح

ويعود فى بعض النهار المشى والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل . ويعود أن لا يكشف أطرافه ، ولا يسرع المشى ، ولا يرخى يديه ، بل يضمهما إلى صدره

ويمنع من أن يفتخر على أقرانه بشىء مما يملكه والداه ، أو بشىء من مطاعمه وملابسه أولوحه ودواته بل يعود التواضع والإكرام لكل من عاشره ، والتلطف فى الكلام معهم

ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيئا بداله حشمة إن كان من أولاد المحتشمين . بل يعلم أن الرفعة فى الإعطاء لا فى الأخذ ، وأن الأخذ لؤم وخسة ودناءة ، وإن كان من أولاد الفقراء ، فيعلم أن الطمع والأخذ مهانة وذلة ، وأن ذلك من دأب الكلب و فإنه يبصبص فى انتظار لقمة والطمع فيها

وبالجملة يقبح إلى الصبيان حب الذهب والفضة ، والطمع فيهما ؛ ويحذرمنهما أكثر مما يحذر من الحيات والعقارب ، فإن آفة حب الذهب والفضة ، والطمع فيهما أضر من آفة السموم على الصبيان . بل على الأكابر أيضا

وينبغى أن يعود أن لا يبصق فى مجلسه ، ولا يتمخط ، ولا يتثاءب بحضرة غيره ، ولا يستدبر غيره ، ولا يضع رجلا على رجل ، ولا يضع كفه تحت ذقنه ، ولا يعمد رأسه بساعده ، فإن ذلك دليل الكسل . ويعلم كيفية الجلوس ، ويمنع كثرة الكلام ، ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة ، وأنه فعل أبناء اللئام . ويمنع اليمين رأسا ، صادقا كان أو كاذبا ، حتى لا يعتاد ذلك فى الصغر . ويمنع أن يبتدىء بالكلام ، ويعود أن لا يتكلم إلا جوابا وبقدر السؤال . وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ، ممن هو أكبر منه سنا ، وأن يقوم لمن فوقه ، ويوسع له المكان ، ويجلس بين يديه .

ويمنع من لغو الكلام وفحشه ، ومن اللعن والسب ، ومن مخالطة من يجرى على لسانه شيء من ذلك . فإن ذلك يسرى لا محالة من القرناء السوء ، وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء.

وينبغى إذا ضربه المعلم أن لا يكثر الصراخ والشغب ، ولا يستشفع بأحد ، بل يصبر ، ويذكر له أن ذلك دأب الشجعان والرجال ، وأن كثرة الصراخ دأب المماليك والنسوان

وينبغى أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب ، أن يلعب لعبا جميلا ، يستريح إليه من تعب المكتب ، بحيث لا يتعب فى اللعب . فإن منع الصبى من اللعب ، وارهاقه إلى التعلم دائما ، يميت قلبه ، ويبطل ذكاءه ، وينغص عليه العيش ، حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه رأسا

وينبغى أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه ، وكل من هو أكبر منه سنا ، من قريب وأجنبى : وأن ينظر إليهم بين الجلالة والتعظيم ، وأن يترك اللعب بين أيديهم

ومهما بلغ سن التمييز ، فينبغى أن لا يسامح فى ترك الطهارة والصلاة ، ويؤمر بالصوم فى بعض أيام رمضان ، ويجنب لبس الديباج والحرير والذهب ، ويعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع ، ويخوف من السرقة وأكل الحرام ، ومن الخيانة والكذب والفحش وكل ما يغلب على الصبيان

فإذا وقع نشوه كذلك فى الصبا ، فهما قارب البلوغ ، أمكن أن يعرف أسرار هذه الأمور . فيذكر له أن الأطعمة أدوية ، وإنما المقصود منها أن يقوى الإنسان بها على طاعة الله عز وجل ، وأن الدنيا كلها لا أصل لها ، إذ لا بقاء لها ، وأن الموت يقطع نعيمها ، وأنها دار ممر ، لا دار مقر . وأن الآخرة دار مقر لا دار ممر وأن الموت منتظر فى كل ساعة . وأن الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة ، حتى تعظم درجته عند الله تعالى ، ويتسع نعيمه فى الجنان

فإذا كان النشو صالحا ، كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا ، يثبت فى قلبه كما يثبت النقش فى الحجر . وإن وقع النشو بخلاف ذلك ، حتى ألف الصبى اللعب ، والفحش والوقاحة ، وشره الطعام ، واللباس ، والتزين ، والتفاخر ، نبا قلبه عن قبول الحق ، نبوة الحائط عن التراب اليابس

فأوائل الأمور هى التى ينبغى أن تراعى ، فإن الصبى بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا . وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين . قال صلى الله عليه وسلم [1] « كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَإِنَّمَا أَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ »

قال سهل بن عبد الله التسترى ، كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل ، فأنظر إلى صلاة خالى محمد بن سوار . فقال لى يوما ، ألا تذكر الله الذى خلقك ؟ فقلت كيف أذكره قال قل بقلبك عند تقلبك فى ثيابك ثلاث مرات ، من غير أن تحرك به لسانك ، الله معى الله ناظر إلىّ ، الله شاهد . فقلت ذلك ليالى ، ثم أعلمته ، فقال قل فى كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ، ثم أعلمته . فقال قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة ، فقلته . فوقع فى قلبى حلاوته . فلما كان بعد سنة ، قال لى خالى ، احفظ ماعلمتك ، ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك فى الدنيا والآخرة . فلم أزل على ذلك سنين ، فوجدت لذلك حلاوة فى سرى ثم قال لى خالى يوما ، ياسهل ، من كان الله معه ، وناظر إليه ، وشاهده ، أيعصيه ؟ إياك والمعصية ، فكنت أخلو بنفسى . فبعثوا بى إلى المكتب ، فقلت إنى لأخشى أن يتفرق على همى ، ولكن شارطوا المعلم أنى أذهب إليه ساعة فأتعلم . ثم أرجع . فمضيت إلى الكتاب ، فتعلمت القرءان وحفظته وأنا ابن ست سنين ، أو سبع سنين ، وكنت أصوم الدهر ، وقوتى من خبز الشعير اثنتى عشرة سنة ، فوقعت لى مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة ، فسألت أهلى أن يبعثونى إلى أهل البصرة لأسأل عنها ، فأتيت البصرة ، فسألت علماءها ، فلم يشف أحد عنى شيئا . فخرجت إلى عبادان إلى رجل يعرف بأبى حبيب حمزة ابن أبى عبد الله العبادانى فسألته عنها ، فأجابنى . فأقمت عنده مدة ، أنتفع بكلامه ، وأتأدب بآدابه . ثم رجعت إلى تستر ، فجعلت قوتى اقتصادا على أن يشترى لى بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لى ، فأفطر عند السحر على أوقية كل ليلة ، بحتا بغير ملح ولا أدم ، فكان يكفينى ذلك الدرهم سنة . ثم عزمت على أن أطوى ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ، ثم خمسا ، ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة . فكنت على ذلك عشرين سنة . ثم خرجت أسيح فى الأرض سنين ، ثم رجعت إلى تستر ، وكنت أقوم الليل كله ماشاء الله تعالى . قال أحمد ، فما رأيته أكل الملح حتى لقى الله تعالى .

---

(١) حديث كل مولود يولد على الفطرة ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبى هريرة

بيان

شروط الإرادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد فى سلوك سبيل الرياضة

واعلم أن من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين ، أصبح بالضرورة مريدا حرث الآخرة مشتاقا إليها ، سالكا سبلها ، مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها . فإن من كانت عنده خرزة ، فرأى جوهرة نفيسة ، لم يبق له رغبة فى الخرزة ، وقويت إرادته فى بيعها بالجوهرة ومن ليس مريدا حرث الآخرة ، ولا طالبا للقاء الله تعالى ، فهو لعدم إيمانه بالله واليوم الآخر . ولست أعنى بالإيمان حديث النفس ، وحركة اللسان بكلمتى الشهادة ، من غير صدق وإخلاص ، فإن ذلك يضاهى قول من صدق بأن الجوهرة خير من الخرز ، إلا أنه لا يدرى من الجوهرة إلا لفظها ، وأما حقيقتها فلا . ومثل هذا المصدق ، إذا ألف الخرزة قد لا يتركها ، ولا يعظم اشتياقه إلى الجوهرة . فإذاً : المانع من الوصول عدم السلوك ، والمانع من السلوك عدم الإرادة ، والمانع من الإرادة عدم الإيمان ، وسبب عدم الإيمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله تعالى ، الهادين إلى طريقه ، والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها ، وعظم أمر الآخرة وداومها . فالخلق غافلون ، قد انهمكوا فى شهواتهم ، وغاصوا فى رقدتهم . وليس فى علماء الدين من ينبههم . فإن تنبه منهم متنبه ، عجز عن سلوك الطريق لجهله . فإن طلب الطريق من العلماء ، وجدهم مائلين إلى الهوى ، عادلين عن نهج الطريق . فصار ضعف الإرادة ، والجهل بالطريق ، ونطق العلماء بالهوى ، سببا لخلو طريق الله تعالى عن السالكين فيه . ومهما كان المطلوب محجوبا . والدليل مفقودا ، والهوى غالبا ، والطالب غافلا ، امتنع الوصول ، وتعطلت الطرق لا محالة . فإن تنبه متنبه من نفسه ، أو من تنبيه غيره ، وانبعث له إرادة فى حرث الآخرة وتجارتها ، فينبغى أن يعلم أن له شروطا لا بد من تقديمها فى بداية الإرادة ، وله معتصم لا بد من التمسك به ، وله حصن لا بد من التحصن به ، ليأمن من الأعداء القطاع لطريقه ، وعليه وظائف لا بد من ملازمتها فى وقت سلوك الطريق

أما الشروط التى لابد من تقديمها فى الإرادة، فهى رفع السد والحجاب الذى بينه وبين الحق . فإن حرمان الخلق عن الحق، سببه تراكم الحجب، ووقوع السد على الطريق . قال الله تعالى(وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ [1])

والسد بين المريد وبين الحق أربعة، المال، والجاه، والتقليد، والمعصية

وإنما يرفع حجاب المال بخروجه عن ملكه، حتى لا يبقى له إلا قدر الضرورة . فما دام يبقى له درهم يلتفت إليه قلبه، فهو مقيد به، محجوب عن الله عز وجل

وإنما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه، بالتواضع وإيثار الخمول، والهرب من أسباب الذكر، وتعاطى أعمال تنفر قلوب الخلق عنه

وإنما يرتفع حجاب التقليد بأن يترك التعصب للمذاهب، وأن يصدق بمعنى قوله لا إله إلا الله، محمد رسول الله، تصديق إيمان، ويحرص فى تحقيق صدقه بأن يرفع كل معبود له سوى الله تعالى . وأعظم معبود له الهوى، حتى إذا فعل ذلك، انكشف له حقيقة الأمر فى معنى اعتقاده الذى تلقفه تقليدا . فينبغى أن يطلب كشف ذلك من المجاهدة، لا من المجادلة . فإن غلب عليه التعصب لمعتقده، ولم يبق فى نفسه متسع لغيره، صار ذلك قيدا له وحجابا . إذ ليس من شرط المريد الانتماء إلى مذهب معين أصلا

وأما المعصية فهى حجاب، ولا يرفعها إلا التوبة والخروج من المظالم، وتصميم العزم على ترك العود، وتحقيق الندم على مامضى، ورد المظالم، وإرضاء الخصوم . فإن من لم يصحح التوبة، ولم يهجر المعاصى الظاهرة، وأراد أن يقف على أسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد أن يقف على أسرار القرءان وتفسيره، وهو بعد لم يتعلم لغة العرب . فإن ترجمة عربية القرءان لابد من تقديمها أولا، ثم الترقى منها إلى أسرار معانيه . فكذلك لابد من تصحيح ظاهر الشريعة أولا وآخرا، ثم الترقى إلى أغوارها وأسرارها

فإذا قدم هذه الشروط الأربعة، وتجرد عن المال والجاه، كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث، وصار صالحا للصلاة . فيحتاج إلى إمام يقتدى به . فكذلك المريد، يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدى به لامحالة، ليهديه إلى سواء السبيل . فإن سبيل الدين غامض،

---

(١) يس : ٩

وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة. فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لامحالة. فمن سلك سبل البوادى المهلكة بغير خفير ، فقد خاطر بنفسه وأهلكها . ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التى تنبت بنفسها ، فإنها تجف على القرب . وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر ، فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه ، فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطىء النهر بالقائد ، بحيث يفوض أمره إليه بالكلية ، ولا يخالفه فى ورده ولا صدره ولا يبقى فى متابعته شيئا ولا يذر . وليعلم أن نفعه فى خطأ شيخه لو أخطأ ، أكثر من نفعه فى صواب نفسه لو أصاب

فإذا وجد مثل هذا المعتصم ، وجب على معتصمه أن يحميه ويعصمه بحصن حصين ، يدفع عنه قواطع الطريق ، وهو أربعة أمور . الخلوة ، والصمت ، والجوع ، والسهر . وهذا تحصن من القواطع . فإن مقصود المريد إصلاح قلبه ، ليشاهد به ربه ، ويصلح لقربه

أما الجوع ، فإنه ينقص دم القلب ويبيضه ، وفى بياضه نوره . ويذيب شحم الفؤاد ، وفى ذوبانه رقته ، ورقته مفتاح المكاشفة ، كما أن قساوته سبب الحجاب . ومهما نقص دم القلب ، ضاق مسلك العدو فإن مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات . وقال عيسى عليه السلام يامعشر الحواريين جوعوا بطونكم ، لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل بن عبد الله التسترى ماصار الأبدال أبدالا إلا بأربع خصال . بإخماص البطون ، والسهر ، والصمت ، والاعتزال عن الناس

ففائدة الجوع فى تنوير القلب أمر ظاهر ، يشهد له التجربة . وسيأتى بيان وجه التسريج فيه فى كتاب كسر الشهوتين

وأما السهر ، فإنه يجلو القلب ، ويصفيه وينوره ، فيضاف ذلك إلى الصفاء الذى حصل من الجوع ، فيصير القلب كالكوكب الدرى ، والمرآة المجلوة ، فيلوح فيه جمال الحق ، ويشاهد فيه رفيع الدرجات فى الآخرة ، وحقارة الدنيا وآفاتها . فتتم بذلك رغبته عن الدنيا وإقباله على الآخرة .

والسهر أيضا نتيجة الجوع ، فإن السهر مع الشبع غير ممكن . والنوم يقسى القلب ويميته

الا إذا كان بقدر الضرورة ، فيكون سبب المكاشفة لأسرار الغيب . فقد قيل فى صفة الأبدال ، إن أكلهم فاقة ، ونومهم غلبة ، وكلامهم ضرورة . وقال ابراهيم الخواص رحمه الله ، أجمع رأى سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء

وأما الصمت ، فإنه تسهله العزلة ، ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرابه وتدبير أمره ، فينبغى أن لا يتكلم إلا بقدر الضرورة . فإن الكلام يشغل القلب ، وشره القلوب إلى الكلام عظيم ، فإنه يستروح إليه ، ويستثقل التجرد للذكر والفكر ، فيستريح إليه . فالصمت يلقح العقل ، ويجلب الورع ، ويعلم التقوى

وأما الخلوة ، ففائدتها دفع الشواغل ، وضبط السمع والبصر ، فإنهما دهليز القلب ، والقلب فى حكم حوض تنصب إليه مياه كريهة كدرة قذرة ، من أنهار الحواس . ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ، ومن الطين الحاصل منها ، ليتفجر أصل الحوض ، فيخرج منه الماء النظيف الطاهر . وكيف يصح له أن ينزح الماء من الحوض ، والأنهار مفتوحة إليه ، فيتجدد فى كل حال أكثر مما ينقص . فلابد من ضبط الحواس إلا عن قدر الضرورة ، وليس يتم ذلك إلا بالخلوة فى بيت مظلم . وإن لم يكن له مكان مظلم ، فليلف رأسه فى جيبه ، أو يتدثر بكساء أو إزار ، ففى مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ، ويشاهد جلال الحضرة الربوبية . أما ترى أن نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على مثل هذه الصفة ، [1] فقيل له (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ [1]) (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ [2])

فهذه الأربعة جنة وحصن ، بها تدفع عنه القواطع ، وتمنع العوارض القاطعة للطريق فإذا فعل ذلك ، اشتغل بعده بسلوك الطريق . وإنما سلوكه بقطع العقبات ، ولا عقبة على طريق الله تعالى إلا صفات القلب ، التى سببها الالتفات إلى الدنيا . وبعض تلك العقبات أعظم من بعض . والترتيب فى قطعها ، أن يشتغل بالأسهل فالأسهل ، وهى تلك الصفات

---

(١) حديث بدء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مدثر فقيل له يا أيها المزمل يا أيها المدثر : متفق عليه من حديث جابر جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يمينى ـ الحديث : وفيه فأتيت خديجة فقلت دثرونى وصبوا على الماء باردا فدثرونى وصبوا على ماء باردا قال فنزلت يا أيها المدثر وفى رواية فقلت زملونى زملونى ولهما من حديث عائشة فقال زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع

---

[1] المزمل : ١ [2] المدثر : ١

أعنى أسرار العلائق ، التى قطعها فى أول الإرادة وآثارها ، أعنى المال ، والجاه ، وحب الدنيا والالتفات إلى الخلق ، والتشوف إلى المعاصى . فلا بد أن يخلى الباطن عن آثارها ، كما أخلى الظاهر عن أسبابها الظاهرة . وفيه تطول المجاهـدة . ويختلف ذلك باختلاف الأحوال . فرب شخص قد كفى أكثر الصفات ، فلا تطول عليه المجاهدة . وقد ذكرنا أن طريق المجاهدة مضادة الشهوات ، ومخالفة الهوى ، فى كل صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره

فإذا كفى ذلك ، أو ضعف بالمجاهدة ، ولم يبق فى قلبه علاقة ، شغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير الأوراد الظاهرة ، بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده ورداً واحداً ، وهو لباب الأوراد وثمرتها ، أعنى ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلو من ذكر غيره . ولا يشغله به مادام قلبه ملتفتا إلى علائقه . قال الشبلى للحصرى إن كان يخطر بقلبك من الجمعة التى تأتينى فيها ، إلى الجمعة الأخرى ، شىء غـير الله تعالى فحرام عليك أن تأتينى

وهـذا التجرد لا يحصل إلا مع صدق الإرادة ، واستيلاء حب الله تعالى على القلب ، حتى يكون فى صورة العاشق المستهتر ، الذى ليس له إلا هم واحد . فإذا كان كذلك ، ألزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ، ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال . فإن أصل طريق الدين القوت الحلال . وعند ذلك يلقنه ذكرا من الأذكار ، حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا ، الله الله ، أو سبحان الله سبحان الله ، أو مايراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه ، حتى تسقط حركة اللسان ، وتكون الكلمة كأنها جارية على اللسان من غير تحريك . ثم لا يزال يواظب عليه ، حتى يسقط الأثر عن اللسان ، وتبقى صورة اللفظ فى القلب . ثم لا يزال كذلك ، حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته ، وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب ، حاضرة معه ، غالبة عليه ، قـد فرغ عن كل ماسواه . لأن القلب إذا شغل بشىء ، خلا عن غيره أى شىء كان . فإذا اشتغل بذكر الله تعالى ، وهو المقصود ، خلا لامحالة عن غيره

وعند ذلك يلزمه أن يراقب وساوس القلب ، والخواطر التى تتعلق بالدنيا ، ومايتذكر فيه مما قد مضى من أحواله وأحوال غيره . فإنه مهما اشتغل بشىء منه ولو فى لحظة ،

خلا قلبه عن الذكر فى تلك اللحظة . وكان أيضا نقصانا . فليجتهد فى دفع ذلك

ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس إلى هـذه الكلمة ، جاءته الوساوس من هـذه الكلمة . وأنها ماهى ، وما معنى قولنا الله ، ولأى معنى كان إلها وكان معبودا . ويعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر . وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ماهو كفر وبدعة . ومهما كان كارها لذلك ، ومتشمرا لإماطته عن القلب ، لم يضره ذلك. وهي منقسمة إلى مايعلم قطعا أن الله تعالى منزه عنه ، ولكن الشيطان يلقى ذلك فى قلبه ، ويجريه على خاطره ، فشرطه أن لايبالى به ، ويفزع إلى ذكر الله تعالى ، ويبتهل إليه ليدفعه عنه ، كما قال تعالى : (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)) وقال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (٢)) وإلى مايشك فيه ، فينبغى أن يعرض ذلك على شيخه . بل كل مايجد فى قلبه من الأحوال ، من فترة أو نشاط ، أو التفات إلى علقة ، أو صدق فى إرادة ، فينبغى أن يظهر ذلك لشيخه ، وأن يستره عن غيره ، فلا يطلع عليه أحدا

ثم إن شيخه ينظر فى حاله ، ويتأمل فى ذكائه وكياسته ، فلو علم أنه لو تركه وأمره بالفكر تنبه من نفسه على حقيقة الحق ، فينبغى أن يحيله على الفكر ، ويأمره بملازمته ، حتى يقذف فى قلبه من النور مايكشف له حقيقته . وإن علم أن ذلك مما لايقوى عليه مثله ، رده إلى الاعتقاد القاطع ، بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه . وينبغى أن يتأنق الشيخ ويتلطف به ، فإن هـذه مهالك الطريق ومواضع أخطارها . فكم من مريد اشتغل بالرياضة ، فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه . فانقطع عليه طريقه ، فاشتغل بالبطالة ، وسلك طريق الإباحة ، وذلك هو الهلاك العظيم . ومن تجرد للذكر ، ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه ، لم يخل عن أمثال هذه الأفكار . فإنه قد ركب سفينة الخطر . فإن سلم كان من ملوك الدين ، وإن أخطأ كان من الهالكين . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم

---

(١) الاعراف : ٢٠٠ (٢) الاعراف : ٢٠١

(١) «عَلَيْكُمْ بِدِينِ الْعَجَائِزِ» وهو تلقى أصل الإيمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد، والاشتغال بأعمال الخير. فإن الخطر فى العدول عن ذلك كثير. ولذلك قيل يجب على الشيخ أن يتفرس فى المريد فإن لم يكن ذكيا فطنا، متمكنا من اعتقاد الظاهر، لم يشغله بالذكر والفكر، بل يرده إلى الأعمال الظاهرة، والأوراد المتواترة. أو يشغله بخدمة المتجردين للفكر، لتشمله بركتهم. فإن العاجز عن الجهاد فى صف القتال ينبغى أن يسقى القوم، ويتعهد دوابهم، ليحشر يوم القيامة فى زمرتهم وتعمه بركتهم، وإن كان لا يبلغ درجتهم

ثم المريد المتجرد للذكر والفكر، قد يقطعه قواطع كثيرة، من العجب والرياء والفرح بما ينكشف له من الأحوال، وما يبدو من أوائل الكرامات. ومهما التفت إلى شىء من ذلك، وشغلت به نفسه، كان ذلك فتورا فى طريقه ووقوفا. بل ينبغى أن يلازم حاله جملة عمره، ملازمة العطشان الذى لا ترويه البحار ولو أفيضت عليه. ويدوم على ذلك، ورأس ماله الانقطاع عن الخلق إلى الحق والخلوة. قال بعض السياحين، قلت لبعض الأبدال المنقطعين عن الخلق، كيف الطريق إلى التحقيق؟ فقال أن تكون فى الدنيا كأنك عابر طريق. وقال مرة، قلت له دلنى على عمل أجد قلبى فيه مع الله تعالى على الدوام. فقال لى لا تنظر إلى الخلق، فإن النظر إليهم ظلمة. قلت لابد لى من ذلك، قال فلا تسمع كلامهم فإن كلامهم قسوة. قلت لابد لى من ذلك. قال فلا تعاملهم، فإن معاملتهم وحشة، قلت أنا بين أظهرهم لابد لى من معاملتهم. قال فلا تسكن إليهم، فإن السكون إليهم هلكة. قلت هذا لعلة. قال ياهذا، أتنظر إلى الغافلين، وتسمع كلام الجاهلين، وتعامل البطالين وتريد أن تجد قلبك مع الله تعالى على الدوام! هذا مالا يكون أبدا

فإذاً: منتهى الرياضة أن يجد قلبه مع الله تعالى على الدوام. ولا يمكن ذلك إلا بأن يخلو عن غيره. ولا يخلو عن غيره إلا بطول المجاهدة. فإذا حصل قلبه مع الله تعالى، انكشف

---

(١) حديث عليكم بدين العجائز: قال ابن طاهر فى كتاب التذكرة هذا اللفظ تداوله العامة ولم أقف له على أصل يرجع إليه من رواية صحيحة ولا سقيمة حتى رأيت حديث محمد بن عبد الرحمن بن السلمانى عن بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم إذا كان فى آخر الزمان واختلفت الأهواء فعليكم بدين أهل البادية والنساء وابن السلمانى له عن أبيه عن ابن عمر نسخة كان يتهم بوضعها انتهى وهذا اللفظ من هذا الوجه رواه حب فى الضعفاء فى ترجمة بن السلمانى والله أعلم

له جلال الحضرة الربوبية ، وتجلى له الحق ، وظهر له من لطائف الله تعالى ما لا يجوز أن يوصف ، بل لا يحيط به الوصف أصلا . وإذا انكشف للمريد شيء من ذلك؟ فأعظم القواطع عليه أن يتكلم به وعظا ونصحا ، ويتصدى للتذكير ، فتجد النفس فيه لذة ليس وراءها لذة فتدعوه تلك اللذة إلى أن يتفكر فى كيفية إيراد تلك المعانى ، وتحسين الألفاظ المعبرة عنها ، وترتيب ذكرها ، وتزيينها بالحكايات وشواهد القرءان والأخبار ، وتحسين صنعة الكلام ، لتميل إليه القلوب والأسماع . فربما يخيل إليه الشيطان أن هذا إحياء منك لقلوب الموتى الغافلين عن الله تعالى ، وإنما أنت واسطة بين الله تعالى وبين الخلق ، تدعو عباده إليه ، ومالك فيه نصيب ، ولا لنفسك فيه لذة . ويتضح كيد الشيطان بأن يظهر فى أقرانه من يكون أحسن كلاما منه ، وأجزل لفظا ، وأقدر على استجلاب قلوب العوام . فإنه يتحرك فى باطنه عقرب الحسد لا محالة ، إن كان محركه كيد القبول . وإن كان محركه هو الحق حرصا على دعوة عباد الله تعالى إلى صراطه المستقيم ، فيعظم به فرحه ، ويقول الحمد لله الذى عضدنى وأيدنى بمن وازرنى على إصلاح عباده . كالذى وجب عليه مثلا أن يحمل ميتا ليدفنه إذ وجده ضائعا ، وتتعين عليه ذلك شرعا . فجاء من أعانه عليه ، فإنه يفرح به ، ولا يحسد من يعينه . والغافلون موتى القلوب ، والوعاظ هم المنبهون والمحيون لهم ، ففى كثرتهم استرواح وتناصر ، فينبغى أن يعظم الفرح بذلك ، وهذا عزيز الوجود جدا . فينبغى أن يكون المريد على حذر منه ، فإنه أعظم حبائل الشيطان فى قطع الطريق على من انفتحت له أوائل الطريق . فإن إيثار الحياة الدنيا طبع غالب على الإنسان ، ولذلك قال الله تعالى (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا[1]) ثم بين ان الشر قديم فى الطباع ، وأن ذلك مذكور فى الكتب السالفة فقال (إِنَّ هَـٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ[2])

فهذا منهاج رياضة المريد وتربيته فى التدريج إلى لقاء الله تعالى

فأما تفصيل الرياضة فى كل صفة ، فسيأتى . فإن أغلب الصفات على الإنسان بطنه وفرجه ولسانه ، أعنى به الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذى هو كالجند لحماية الشهوات . ثم مهما أحب الإنسان شهوة البطن والفرج . وأنس بهما ، أحب الدنيا ، ولم يتمكن منها الا بالمال

(١) الأعلى : ١٦ (٢) الأعلى : ١٨

والجاه . وإذا طلب المال والجاه ، حدث فيه الكبر والعجب والرياسة . وإذا ظهر ذلك ، لم تسمح نفسه بترك الدنيا رأسا ، وتمسك من الدين بما فيه الرياسة ، وغلب عليه الغرور

فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين ، أن نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب إن شاء الله تعالى . كتاب فى كسر شهوة البطن والفرج ، وكتاب فى آفات اللسان وكتاب فى كسر الغضب والحقد والحسد ، وكتاب فى ذم الدنيا وتفصيل خدعها ، وكتاب فى كسر حب المال وذم البخل ، وكتاب فى ذم الرياء وحب الجاه ، وكتاب فى ذم الكبر والعجب . وكتاب فى مواقع الغرور . وبذكر هذه المهلكات ، وتعليم طرق المعالجة فيها ، يتم غرضنا من ربع المهلكات إن شاء الله تعالى ، فإن ماذكرناه فى الكتاب الأول هو شرح لصفات القلب ، الذى هو معدن المهلكات والمنجيات . وماذكرناه فى الكتاب الثانى ، هو إشارة كلية إلى طريق تهذيب الأخلاق ، ومعالجة أمراض القلوب . أما تفصيلها فإنه يأتى فى هذه الكتب إن شاء الله تعالى

تم كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ، بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوتين ، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ؟

كتاب كسر الشهوتين

كتاب كسر الشهوتين

وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالجلال فى كبريائه وتعاليه، المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيل القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه ، المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه ، المتكفل بحفظ عبده فى جميع موارده ومجاريه ، المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما بنى بأماليه فهو الذي يرشده ويهديه ، وهو الذى يميته ويحييه ، وإذا مرض فهو يشفيه ، وإذا ضعف فهو يقويه ، وهو الذى يوفقه للطاعة ويرتضيه ، وهو الذى يطعمه ويسقيه ، ويحفظه من الهلاك ويحميه ، ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ، ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقربه حتى تضيق به مجارى الشيطان الذى يناويه ، ويكسر به شهوة النفس التى تعاديه ، فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه ، هذا بعد أن يوسع عليه ما يلتذ به ويشتهيه ، ويكثر عليه ما يهيج بواعثه ويؤكد دواعيه ، كل ذلك يمتحنه به ويبتليه ، فينظر كيف يؤثره على ما يهواه وينتحيه ، وكيف يحفظ أوامره وينتهى عن نواهيه ، ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه . والصلاة على محمد عبده النبيه ، ورسوله الوجيه ، صلاة تزلفه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه ، وعلى الأبرار من عترته وأقربيه ، والأخيار من صحابته وتابعيه

أما بعد : فأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن ، فبها أخرج آدم عليه السلام وحواء من دار القرار ، إلى دار الذل والافتقار إذ نهيا عن الشجرة، فغلبتهما شهواتهما حتى أكلا منها فبدت لهما سوآتهما . والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ، ومنبت الأدواء والآفات إذ يتبعها شهوة الفرج ، وشدة الشبق إلى المنكوحات . ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة فى الجاه والمال ، اللذين هما وسيلة إلى التوسع فى المنكوحات والمطعومات . ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات ، وضروب المنافسات والمحاسدات . ثم يتولد بينهما

آفة الرياء ، وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء . ثم يتداعى ذلك إلى الحقد والحسد ، والعداوة والبغضاء . ثم يفضى ذلك بصاحبه إلى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء . وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة ، وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء . ولو ذلل العبد نفسه بالجوع ، وضيق مجارى الشيطان ، لأذعنت لطاعة الله عز وجل ، ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ، ولم ينجر به ذلك إلى الانهماك فى الدنيا ، وإيثار العاجلة على العقبى ، ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا

وإذا عظمت آفة شهوة البطن إلى هذا الحد ، وجب شرح غوائلها وآفاتها ، تحذيراً منها ، ووجب إيضاح طريق المجاهدة لها ، والتنبيه على فضلها ، ترغيبا فيها . وكذلك شرح شهوة الفرج ، فإنها تابعة لها

ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى فى فصول يجمعها بيان فضيلة الجوع ، ثم فوائده ، ثم طريق الرياضة فى كسر شهوة البطن ، بالتقليل من الطعام والتأخير ، ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته ، باختلاف أحوال الناس ، ثم بيان الرياضة فى ترك الشهوة ، ثم القول فى شهوة الفرج ، ثم بيان ما على المريد فى ترك التزويج وفعله ، ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة البطن والفرج والعين

بيان

فضيلة الجوع وذم الشبع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] « جَاهِدُوا أَنْفُسَكُمْ بِالْجُوعِ وَالْعَطَشِ فَإِنَّ الْأَجْرَ فِي ذَلِكَ كَأَجْرِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَمَلٍ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ جُوعٍ وَعَطَشٍ » وقال ابن عباس ، قال النبى صلى الله عليه وسلم [2] « لَا يَدْخُلُ مَلَكُوتَ

﴿ كتاب كسر الشهوتين ﴾

(١) حديث جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش : لم أجد له أصلا

(٢) حديث ابن عباس لايدخل ملكوت السموات من ملأ بطنه : لم أجده أيضا

السَّمَاءِ مَنْ مَلأَ بَطْنَهُ » وقيل يارسول الله ، (١) أى الناس أفضل ؟قال « مَنْ قَلَّ مَطْعَمُهُ وَضَحِكُهُ وَرَضِيَ بِمَا يَسْتُرُ بِهِ عَوْرَتَهُ » وقال النبي صلى الله عليه وسلم (٢) « سَيِّدُ الأَعْمَالِ الْجُوعُ وَذُلُّ النَّفْسِ لِبَاسُ الصُّوفِ » وقال أبو سعيد الخدرى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) « الْبَسُوا وَكُلُوا وَاشْرَبُوا فِي أَنْصَافِ الْبُطُونِ فَإِنَّهُ جُزْءٌ مِنَ النُّبُوَّةِ »

وقال الحسن ، قال النبي صلى الله عليه وسلم (٤) « الْفِكْرُ نِصْفُ الْعِبَادَةِ وَقِلَّةُ الطَّعَامِ هِيَ الْعِبَادَةُ » وقال الحسن أيضا ، (٥) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَفْضَلُكُمْ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَطْوَلُكُمْ جُوعاً وَتَفَكُّراً فِي اللهِ سُبْحَانَهُ وَأَبْغَضُكُمْ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُلُّ نَؤُمٍ أَكُولٍ شَرُوبٍ »

وفى الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم (٦) كان يجوع من غير عور ، أى مختارا لذلك وقال صلى الله عليه وسلم (٧) « إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُبَاهِي الْمَلائِكَةَ بِمَنْ قَلَّ مَطْعَمُهُ وَمَشْرَبُهُ فِي الدُّنْيَا يَقُولُ اللهُ تَعَالَى انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي ابْتَلَيْتُهُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فِي الدُّنْيَا فَصَبَرَ وَتَرَكَهُمَا أُشْهِدُوا يَامَلائِكَتِي مَا مِنْ أَكْلَةٍ يَدَعُهَا إِلاَّ أَبْدَلْتُهُ بِهَا دَرَجَاتٍ فِي الْجَنَّةِ » وقال صلى الله عليه وسلم (٨) « لاَ تُمِيتُوا الْقُلُوبَ بِكَثْرَةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَإِنَّ الْقَلْبَ كَالزَّرْعِ يَمُوتُ إِذَا كَثُرَ عَلَيْهِ الْمَاءُ » وقال صلى الله عليه وسلم (٩) « مَامَلأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ حَسْبُ

---

(١) حديث أى الناس أفضل قال من قل طعمه وضحكه ورضى بما يستر عورته : يأتى الكلام عليه وعلى ما بعده من الأحاديث

(٢) حديث سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف

(٣) حديث أبى سعيد الخدرى البسوا واشربوا وكلوا فى أنصاف البطون

(٤) حديث الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هى العبادة

(٥) حديث الحسن أفضلكم عند الله أطولكم جوعا وتفكرا ـ الحديث : لم أجد لهذه الأحاديث المتقدمة أصلا

(٦) حديث كان يجوع من غير عوز أى مختارا لذلك : البيهقي فى شعب الايمان من حديث عائشة قالت لو شئنا أن نشبع لشبعنا ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم كان يؤثر على نفسه وأسناده معضل

(٧) حديث إن الله يباهى الملائكة بمن قل طعمه فى الدنيا ـ الحديث : ابن عدى فى الكامل وقد تقدم فى الصيام

(٨) حديث لاتميتوا القلب بكثرة الطعام والشراب ـ الحديث : لم أقف له على أصل

(٩) حديث ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ـ الحديث : ت من حديث المقدام وقد تقدم ،

ابْنَ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ وَإِنْ كَانَ لَابُدَّ فَاعِلاً فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ ».

وفى حديث أسامة بن زيد ، وحديث أبى هريرة [1] الطويل ، ذكر فضيلة الجوع إذ قال فيه « إِنَّ أَقْرَبَ النَّاسِ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ طَالَ جُوعُهُ وَعَطَشُهُ وَحُزْنُهُ فِى الدُّنْيَا الْأَخْفِيَاءُ الْأَتْقِيَاءُ الَّذِينَ إِنْ شَهِدُوا لَمْ يُعْرَفُوا وَإِنْ غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا تَعْرِفُهُمْ بِقَاعُ الْأَرْضِ وَتَحُفُّ بِهِمْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ نَعِمَ النَّاسُ بِالدُّنْيَا وَنَعِمُوا بِطَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَشَ النَّاسُ الْفُرُشَ الْوَثِيرَةَ وَافْتَرَشُوا الْجِبَاهَ وَالرُّكَبَ ضَيَّعَ النَّاسُ فِعْلَ النَّبِيِّينَ وَأَخْلَاقَهُمْ وَحَفِظُوهَا هُمْ تَبْكِى الْأَرْضُ إِذَا فَقَدَتْهُمْ وَيَسْخَطُ الْجَبَّارُ عَلَى كُلِّ بَلْدَةٍ لَيْسَ فِيهَا مِنْهُمْ أَحَدٌ . لَمْ يَتَكَالَبُوا عَلَى الدُّنْيَا تَكَالُبَ الْكِلَابِ عَلَى الْجِيَفِ أَكَلُوا الْعَلَقَ وَلَبِسُوا الْخِرَقَ شُعْثاً غُبْراً يَرَاهُمُ النَّاسُ فَيَظُنُّونَ أَنَّ بِهِمْ دَاءً وَمَا بِهِمْ دَاءٌ وَيُقَالُ قَدْ خُولِطُوا فَذَهَبَتْ عُقُولُهُمْ وَمَا ذَهَبَتْ عُقُولُهُمْ وَلَكِنْ نَظَرَ الْقَوْمُ بِقُلُوبِهِمْ إِلَى أَمْرِ اللهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنْهُمُ الدُّنْيَا فَهُمْ عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا يَمْشُونَ بِلَا عُقُولٍ عَقَلُوا حِينَ ذَهَبَتْ عُقُولُ النَّاسِ لَهُمُ الشَّرَفُ فِى الْآخِرَةِ يَا أُسَامَةُ إِذَا رَأَيْتَهُمْ فِى بَلْدَةٍ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ أَمَانٌ لِأَهْلِ تِلْكَ الْبَلْدَةِ وَلَا يُعَذِّبُ اللهُ قَوْماً هُمْ فِيهِمْ الْأَرْضُ بِهِمْ فَرِحَةٌ وَالْجَبَّارُ عَنْهُمْ رَاضٍ اتَّخِذْهُمْ لِنَفْسِكَ إِخْوَاناً عَسَى أَنْ تَنْجُوَ بِهِمْ وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَأْتِيَكَ الْمَوْتُ وَبَطْنُكَ جَائِعٌ وَكَبِدُكَ ظَمْآنُ فَافْعَلْ فَإِنَّكَ تُدْرِكُ بِذَلِكَ شَرَفَ الْمَنَازِلِ وَتَحُلُّ مَعَ النَّبِيِّينَ وَتَفْرَحُ بِقُدُومِ رُوحِكَ الْمَلَائِكَةُ وَيُصَلِّى عَلَيْكَ الْجَبَّارُ »

روى الحسن عن أبى هريرة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال [2] « الْبَسُوا الصُّوفَ وَشَمِّرُوا وَكُلُوا فِى أَنْصَافِ الْبُطُونِ تَدْخُلُوا فِى مَلَكُوتِ السَّمَاءِ » وقال عيسى عليه السلام يامعشر الحواريين ، أجيعوا أكبادكم ، وأعروا أجسادكم ، لعل قلوبكم ترى الله عز وجل .

---

(١) حديث أسامة بن زيد وأبى هريرة أقرب الناس من الله يوم القيامة من طال جوعه وعطشه ـ الحديث بطوله الخطيب فى الزهد من حديث سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل على أسامة بن زيد فذكره مع تقديم وتأخير ومن طريقه : رواه ابن الجوزى فى الموضوعات وفيه حباب بن عبد الله بن جبلة أحد الكذابين وفيه من لا يعرف وهو منقطع أيضا ورواه الحارث بن أبى أسامة من هذا الوجه

(٢) حديث الحسن عن أبى هريرة البسوا الصوف وشمروا وكلوا فى أصناف البطون تدخلوا فى ملكوت السماء : أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس بسند ضعيف

وروي ذلك أيضا عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، رواه طاوس

(١) وقيل مكتوب فى التوراة ، إن الله ليبغض الحبر السمين ، لأن السمن يدل على الغفلة وكثرة الأكل ، وذلك قبيح . خصوصا بالحبر . ولأجل ذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه إن الله تعالى يبغض القارىء السمين . وفى خبر مرسل ، (٢) « إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَجْرِى مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ فَضَيِّقُوا مَجَارِيَهُ بِالْجُوعِ وَالْعَطَشِ » وفى الخبر (٣) « إِنَّ الْأَكْلَ عَلَى الشِّبَعِ يُورِثُ الْبَرَصَ » وقال صلى الله عليه وسلم (٤) « الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِى مِعًى وَاحِدٍ وَالْمُنَافِقُ يَأْكُلُ فِى سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ » أى يأكل سبعة أضعاف ما يأكل المؤمن ، أو تكون شهوته سبعة أضعاف شهوته . وذكر المعى كناية عن الشهوة ، لأن الشهوة هى التى تقبل الطعام وتأخذه كما يأخذه المعى ، وليس المعنى زيادة عدد معى المنافق على معى المؤمن

وروى الحسن عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت ، (٥) سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أَدِيمُوا قَرْعَ بَابِ الْجَنَّةِ يُفْتَحْ لَكُمْ » فقلت كيف نديم قرع باب الجنة؟ قال « بِالْجُوعِ وَالظَّمَأِ » . وروي (٦) أن أبا جحيفة تجشأ فى مجلس رسول صلى الله عليه وسلم فقال له « أَقْصِرْ مِنْ جُشَائِكَ فَإِنَّ أَطْوَلَ النَّاسِ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ شِبَعًا فِى الدُّنْيَا » وكانت عائشة رضي الله عنها ، تقول (٧) إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلىء قط شبعا وربما بكيت رحمة مما أرى به من الجوع ، فأمسح بطنه بيدى ، وأقول نفسى لك الفداء

---

(١) حديث طاوس مرسلا أجيعوا أكبادكم ـ الحديث : لم أجده أيضا

(٢) حديث ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم ـ الحديث : تقدم فى الصيام دون الزيادة التى فى آخره وذكر المصنف هنا انه مرسل والمرسل رواه ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان من حديث على بن الحسين دون الزيادة أيضا

(٣) حديث ان الأكل على الشبع يورث البرص : لم أجد له أصلا

(٤) حديث المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء : متفق عليه من حديث عمر وحديث أبى هريره

(٥) حديث الحسن عن عائشة أديموا قرع باب الجنة ـ الحديث : لم أجده أيضا

(٦) حديث ان جحيفة تجشأ فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقصر من جشائك فان أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعا فى الدنيا : البيهقى فى الشعب من حديث أبى جحيفة وأصله عند ت وحسنه و هـ من حديث ابن عمر تجشأ رجل ـ الحديث : لم يذكر أبا جحيفة

(٧) حديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم لم يمتلىء شبعا قط وربما بكيت رحمة له لما أرى به من الجوع ـ الحديث : لم أجده أيضا

لو تبلغت من الدنيا بقدر مايقويك ويمنعك من الجوع ؟ فيقول « يَاعَائِشَةُ إِخْوَانِى مِنْ أُولِى الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ قَدْ صَبَرُوا عَلَى مَاهُوَ أَشَدُّ مِنْ هذَا فَمَضَوْا عَلَى حَالِهِمْ فَقَدِمُوا عَلَى رَبِّهِمْ فَأَكْرَمَ مَآبَهُمْ وَأَجْزَلَ ثَوَابَهُمْ فَأَجِدُنِى أَسْتَحِى إِنْ تَرَفَّهْتُ فِى مَعِيشَتِى أَنْ يَقْصُرَ بِى غَدًا دُونَهُمْ فَالصَّبْرُ أَيَّامًا يَسِيرَةً أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ أَنْ يَنْقُصَ حَظِّى غَدًا فِى الْآخِرَةِ وَمَامِنْ شَىْءٍ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنَ اللُّحُوقِ بِأَصْحَابِى وَإِخْوَانِى » قالت عائشة: فوالله مااستكمن بعد ذلك جمعة ، حتى قبضه الله إليه .

وعن أنس قال ، [1] جاءت فاطمة رضوان الله عليها بكسرة خبز إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال « مَاهَذِهِ الْكِسْرَةُ ؟ » قالت قرص خبزته ، ولم تطب نفسى حتى أتيتك منه بهذه الكسرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَمَا إِنَّهُ أَوَّلُ طَعَامٍ دَخَلَ فَمَ أَبِيكِ مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ » وقال أبو هريرة [2] ما أشبع النبي صلى الله عليه وسلم أهله ثلاثة أيام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم [3] « إِنَّ أَهْلَ الْجُوعِ فِى الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الشِّبَعِ فِى الْآخِرَةِ وَإِنَّ أَبْغَضَ النَّاسِ إِلَى اللهِ الْمُتْخَمُونَ الْمُلَاَى وَمَا تَرَكَ عَبْدٌ أَكْلَةً يَشْتَهِيهَا إِلَّا كَانَتْ لَهُ دَرَجَةً فِى الْجَنَّةِ »

وأما الآثار ، فقد قال عمر رضي الله عنه ، إياكم والبطنة ، فإنها ثقل فى الحياة ، نتن فى الممات . وقال شقيق البلخى ، العبادة حرفة ، حانوتها الخلوة ، وآلتها المجاعة . وقال لقمان لابنه ، يابنى ، إذا امتلأت المعدة ، نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة

وكان الفضيل بن عياض يقول لنفسه ، أى شىء تخافين ؟ أتخافين أن تجوعى ؟ لاتخافى ذلك ؟ أنت أهون على الله من ذلك ، إنما يجوع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

---

(١) حديث أنس جاءت فاطمة بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ــ الحديث : الحارث بن أبى أسامة فى مسنده بسند ضعيف

(٢) حديث أبى هريرة ماشبع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا أخرجه م وقد تقدم

(٣) حديث إن أهل الجوع فى الدنيا هم أهل الشبع فى الآخرة : طب وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عباس باسناد ضعيف

وكان كهمس يقول، الهى أجعتنى وأعريتنى ، وفى ظلم الليالى بلامصباح أجلستنى ، فبأى وسيلة بلغتنى ما بلغتنى ! وكان فتح الموصلى إذا اشتد مرضه وجوعه يقول ، إلهى ابتليتنى بالمرض والجوع ، وكذلك تفعل بأوليائك ، فبأى عمل أؤدّى شكر ما أنعمت به علىّ ؟ وقال مالك ابن دينار ، قلت لمحمد بن واسع ، ياأبا عبد الله ، طوبى لمن كانت له غليلة تقوته وتغنيه عن الناس . فقال لى ، ياأبا يحيى ، طوبى لمن أمسى وأصبح جائعا وهو عن الله راض

وكان الفضيل بن عياض يقول ، إلهى أجعتنى وأجعت عيالى ، وتركتنى فى ظلم الليالى بلا مصباح ، وإنما تفعل ذلك بأوليائك ، فبأى منزلة نلت هذا منك ؟ وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة ، وجوع التائبين تجربة ، وجوع المجتهدين كرامة ، وجوع الصابرين سياسة ، وجوع الزاهدين حكمة

وفى التوراة ، اتق الله ، وإذا شبعت فاذكر الجياع . وقال أبو سليمان ، لأن أترك لقمة من عشائى ، أحب إلى من قيام ليلة إلى الصبح . وقال أيضا ، الجوع عند الله فى خزائنه ، لا يعطيه إلا من أحبه

وكان سهل بن عبد الله التسترى يطوى نيفا وعشرين يوما لا يأكل . وكان يكفيه لطعامه فى السنة درهم . وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه ، حتى قال لايوافى القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام ، إقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم فى أكله . وقال لم ير الأكياس شيئا أنفع من الجوع للدين والدنيا . وقال لا أعلم شيئا أضر على طلاب الآخرة من الأكل . وقال وضعت الحكمة والعلم فى الجوع ووضعت المعصية والجهل فى الشبع . وقال ما عبد الله بشىء أفضل من مخالفة الهوى فى ترك الحلال . وقد جاء فى الحديث [1] ثلث للطعام ، فمن زاد عليه فإنما يأكل من حسناته . وسئل عن الزيادة فقال ، لا يجد الزيادة حتى يكون الترك أحب إليه من الأكل ، ويكون إذا جاع ليلة سأل الله أن يجعلها ليلتين . فإذا كان ذلك وجد الزيادة . وقال : ما صار الأبدال أبدالا إلا بإخماص البطون والسهر والصمت والخلوة . وقال : رأس كل برنزل من السماء إلى الأرض الجوع . ورأس كل فجور بينهما الشبع . وقال: من جوع نفسه إنقطعت عنه الوساوس . وقال : إقبال الله عز وجل

---

(١) حديث : ثلث للطعام : تقدم

على العبد بالجوع والسقم والبلاء إلا من شاء الله . وقال : اعلموا أن هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة إلا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والسهر والجهد . وقال : مامر على وجه الأرض أحد شرب من هذا الماء حتى روى فسلم من المعصية وإن شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام

وسئل حكيم ، بأى قيد أقيد نفسى ؟ قال قيدها بالجوع والعطش ، وذللها بإخمال الذكر وترك العز ، وصغرها بوضعها تحت أرجل أبناء الآخرة ، وأكسرها بترك زيّ القراء عن ظاهرها ، وانج من آفاتها بدوام سوء الظن بها ، وأصحبها بخلاف هواها. وكان عبد الواحد ابن زيد يقسم بالله تعالى ، أن الله تعالى ماصافى أحدا إلا بالجوع ، ولا مشوا على الماء إلا به ولا طويت لهم الأرض إلا بالجوع ، ولا تولاهم الله تعالى إلا بالجوع

وقال أبو طالب المكى ، مثل البطن مثل المزهر ، وهو العود المجوف ذوالأوتار ، إنما حسن صوته لخفته ورقته ، ولأنه أجوف غير ممتلىء . وكذلك الجوف إذا خلا كان أعذب للتلاوة ، وأدوم للقيام ، وأقل للمنام . وقال أبو بكر بن عبد الله المزنى ، ثلاثة يحبهم الله تعالى رجل قليل النوم ، قليل الأكل ، قليل الراحة .

وروى أن عيسى عليه السلام ، مكث يناجى ربه ستين صباحا لم يأكل ، فخطر بباله الخبز ، فانقطع عن المناجاة ، فإذا رغيف موضوع بين يديه . فجلس يبكى على فقد المناجاة وإذا شيخ قد أظله ، فقال له عيسى بارك الله فيك ياولى الله ، ادع الله تعالى لى ، فإنى كنت فى حالة . فخطر ببالى الخبز ، فانقطعت عنى . فقال الشيخ ، اللهم إن كنت تعلم أن الخبز خطر ببالى منذ عرفتك فلا تغفر لى . بل كان إذا حضر لى شىء أكلته من غير فكر وخاطر وروى أن موسى عليه السلام ، لما قربه الله عز وجل نجيا ، كان قد ترك الأكل أربعين يوما ، ثلاثين ثم عشرا ، على ماورد به القرءان ، لأنه أمسك بغير تبييت يوما ، فزيد عشرة لأجل ذلك

بيان

فوائد الجوع وآفات الشبع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] « جَاهِدُوا أَنْفُسَكُمْ بِالْجُوعِ وَالْعَطَشِ فَإِنَّ الْأَجْرَ فِي ذَلِكَ » ولعلك تقول ، هذا الفضل العظيم للجوع من أين هو ؟ وما سببه ؟ وليس فيه إلا إيلام المعدة ، ومقاساة الأذى . فإن كان كذلك فينبغي أن يعظم الأجر في كل ما يتأذى به الإنسان ، من ضربه لنفسه ، وقطعه للحمه ، وتناوله الأشياء المكروهة ، وما يجري مجراه . فاعلم أن هذا يضاهي قول من شرب دواء فانتفع به ، وظن أن منفعته لكراهة الدواء ومرارته ، فأخذ يتناول كل ما يكرهه من المذاق ، وهو غلط . بل نفعه في خاصية في الدواء ، وليس لكونه مرا . وإنما يقف على تلك الخاصية الأطباء . فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع إلا سماسرة العلماء . ومن جوع نفسه مصدقا لما جاء في الشرع من مدح الجوع ، وانتفع به ، وإن لم يعرف علة المنفعة . كما أن من شرب الدواء انتفع به ، وإن لم يعلم وجه كونه نافعا . ولكنا نشرح لك ذلك إن أردت أن ترتقي من درجة الإيمان إلى درجة العلم قال الله تعالى (يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ [١]) فنقول في الجوع عشر فوائد

الفائدة الأولى : صفاء القلب ، وإيقاد القريحة ، وإنفاذ البصيرة . فإن الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ، ويكثر البخار في الدماغ ، شبه السكر ، حتى يحتوي على معادن الفكر ، فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الأفكار ، وعن سرعة الإدراك . بل الصبي إذا أكثر الأكل بطل حفظه . وفسد ذهنه ، وصار بطيء الفهم والإدراك . وقال أبو سليمان الداراني ، عليك بالجوع ، فإنه مذلة للنفس ، ورقة للقلب ، وهو يورث العلم السماوي

وقال صلى الله عليه وسلم [٢] « أَحْيُوا قُلُوبَكُمْ بِقِلَّةِ الضَّحِكِ وَقِلَّةِ الشِّبَعِ وَطَهِّرُوهَا بِالْجُوعِ تَصْفُو وَتَرِقُّ » ويقال ، مثل الجوع مثل الرعد ، ومثل القناعة مثل السحاب ، والحكمة

---

(١) حديث جاهدوا أنفسكم : لم يخرجه العراقي

(٢) حديث أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفو وترق : لم أجده أصلا

---

(١) المجادلة : ١١ .

كالمطر . وقال النبي صلى الله عليه وسلم [١] « مَنْ أَجَاعَ بَطْنَهُ عَظُمَتْ فِكْرَتُهُ وَفَطَنَ قَلْبُهُ » وقال ابن عباس ، قال النبي صلى الله عليه وسلم [٢] « مَنْ شَبِعَ وَنَامَ قَسَا قَلْبُهُ » ثم قال « لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ وَزَكَاةُ الْبَدَنِ الْجُوعُ » وقال الشبلي ، ماجعت لله يوما إلا رأيت في قلبي بابا مفتوحا من الحكمة والعبرة مارأيته قط

وليس يخفى أن غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل إلى المعرفة ، والاستبصار بحقائق الحق ، والشبع يمنع منه ، والجوع يفتح بابه . والمعرفة باب من أبواب الجنة. فبالحرى أن تكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة . ولهذا قال لقمان لابنه ، يابني، إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة . وقال أبو زيد البسطامي الجوع سحاب ، فإذا جاع العبد أمطر القلب الحكمة . وقال النبي صلى الله عليه وسلم [٣] « نُورُ الْحِكْمَةِ الْجُوعُ وَالتَّبَاعُدُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الشِّبَعُ وَالْقُرْبَةُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حُبُّ الْمَسَاكِينِ وَالدُّنُوُّ مِنْهُمْ لَا تَشْبَعُوا فَتُطْفِئُوا نُورَ الْحِكْمَةِ مِنْ قُلُوبِكُمْ وَمَنْ بَاتَ فِي خِفَّةٍ مِنَ الطَّعَامِ بَاتَ الْحُورُ حَوْلَهُ حَتَّى يُصْبِحَ »

الفائدة الثانية : رقة القلب وصفاؤه الذي به يتهيأ لإدراك لذة المثابرة ، والتأثر بالذكر فكم من ذكر يجرى على اللسان مع حضور القلب ، ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر ، حتى كأن بينه وبينه حجابا من قسوة القلب . وقد يرق في بعض الأحوال ، فيعظم تأثره بالذكر ، وتلذذه بالمناجاة . وخلو المعدة هو السبب الأظهر فيه . وقال أبو سليمان الداراني أحلى ما تكون إليّ العبادة إذا التصق ظهري ببطني . وقال الجنيد ، يجعل أحدهم بينه وبين صدره مخلاة من الطعام ، ويريد أن يجد حلاوة المناجاة . وقال أبو سليمان ، إذا جاع القلب وعطش ، صبا ورق . وإذا شبع عمي وغلظ . فإذا تأثر القلب بلذة المناجاة ، أمر وراء تيسير الفكر ، واقتناص المعرفة ، فهي فائدة ثانية

---

(١) حديث من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه : كذلك لم أجده أصلا

(٢) حديث من شبع ونام قساقلبه ثم قال ان لكل شيء زكاة وان زكاة الجسد الجوع ؛ هـ من حديث أبي هريرة لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم واسناده ضعيف

(٣) حديث نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عزوجل الشبع ـ الحديث : ذكره أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وكتب عليه انه مسند وهي علامة مارواه باسناده

الفائدة الثالثة : الانكسار والذل ، وزوال البطر والفرح والأشر ، الذى هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى . فلا تنكسر النفس ولاتذل بشىء كما تذل بالجوع . فعنده تسكن لربها ، وتخشع له ، وتقف على عجزها وذلها ، إذ ضعفت منتها ، وضاقت حيلتها ، بلقيمة طعام فاتتها ، وأظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تأخرت عنها . وما لم يشاهد الإنسان ذل نفسه وعجزه ، لايرى عزة مولاه ولاقهره . وإنما سعادته فى أن يكون دائما مشاهداً نفسه بعين الذل والعجز ، ومولاه بعين العز والقدرة والقهر . فليكن دائما جائعا ، مضطرا إلى مولاه ، مشاهداً للاضطرار بالذوق . ولأجل ذلك لما عرضت الدنيا وخزائنها على النبى صلى الله عليه وسلم[1] قال « لَا بَلْ أَجُوعُ يَوْماً وَأَشْبَعُ يَوْماً فَإِذَا جُعْتُ صَبَرْتُ وتَضَرَّعْتُ وَإِذَا شَبِعْتُ شَكَرْتُ » أو كما قال

فالبطن والفرج باب من أبواب النار ، وأصله الشبع . والذل والانكسار باب من أبواب الجنة ، وأصله الجوع . ومن أغلق بابا من أبواب النار ، فقد فتح بابا من أبواب الجنة بالضرورة لأنهما متقابلان ، كالمشرق والمغرب ، فالقرب من أحدهما بعد من الآخر

الفائدة الرابعة : أن لاينسى بلاء الله وعذابه ، ولاينسى أهل البلاء . فإن الشبعان ينسى الجائع ، وينسى الجوع والعبد الفطن لايشاهد بلاء من غيره الا ويتذكر بلاء الآخرة ، فيذكر من عطشه عطش الخلق فى عرصات القيامة ، ومن جوعه جوع أهل النار ، حتى أنهم ليجوعون فيطعمون الضريع والزقوم ، ويسقون الغساق والمهل . فلاينبغى أن يغيب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها ، فإنه هو الذى يهيج الخوف . فمن لم يكن فى ذلة ، ولاعلة ، ولاغفلة ، ولا بلاء نسى عذاب الآخرة ، ولم يتمثل فى نفسه ، ولم يغلب على قلبه . فينبغى أن يكون العبد فى مقاساة بلاء ، أو مشاهدة بلاء . وأولى مايقاسيه من البلاء الجوع . فإن فيه فوائد جمة ، سوى تذكر عذاب الآخرة . وهذا أحد الأسباب الذى اقتضى اختصاص البلاء بالأنبياء والأولياء والأمثل فالأمثل . ولذلك قيل ليوسف عليه السلام : لم تجوع وفى يديك خزائن الأرض ؟ فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع . فذكر الجائعين والمحتاجين إحدى فوائد الجوع

---

(١) حديث أجوع يوما وأشبع يوما ـ الحديث : تقدم وهو عند ت

فإن ذلك يدعو إلى الرحمة والإطعام ، والشفقة على خلق الله عز وجل . والشبعان في غفلة عن ألم الجائع .

الفائدة الخامسة : وهي من أكبر الفوائد ، كسر شهوات المعاصي كلها ، والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء . فإن منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى . ومادة القوى والشهوات لامحالة الأطعمة . فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة . وإنما السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه ، والشقاوة في أن تملكه نفسه . وكما أنك لاتملك الدابة الجموح إلا بضعف الجوع ، فإذا شبعت قويت وشردت وجمحت ، فكذلك النفس . كما قيل لبعضهم ، ماباك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انهد ؟ فقال لأنه سريع المرح ، فاحش الأشر ، فأخاف أن يجمح بي فيورطني ، فلأن أحمله على الشدائد أحب إلي من أن يحملني على الفواحش وقال ذو النون ، ما شبعت قط إلا عصيت أو هممت بمعصية . وقالت عائشة رضي الله عنها ، أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع . إن القوم لما شبعت بطونهم ، جمحت بهم نفوسهم إلى هذه الدنيا

وهذه ليست فائدة واحدة ، بل هي خزائن الفوائد . ولذلك قيل ، الجوع خزانة من خزائن الله تعالى . وأقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام . فإن الجائع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان ، كالغيبة والفحش ، والكذب والنميمة وغيرها ، فيمنعه الجوع من كل ذلك . وإذا شبع ، افتقر إلى فاكهة فيتفكه لامحالة بأعراض الناس ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم

وأما شهوة الفرج ، فلا تخفى غائلتها . والجوع يكفي شرها . وإذا شبع الرجل لم يملك فرجه . وإن منعته التقوى فلا يملك عينه . فالعين تزني ، كما أن الفرج يزني . فإن ملك عينه بغض الطرف ، فلا يملك فكره . فيخطر له من الأفكار الرديئة ، وحديث النفس بأسباب الشهوة ، وما يتشوش به مناجاته . وربما عرض له ذلك في أثناء الصلاة

وإنما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالا . وإلا فجميع معاصي الأعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم ، كل مريد صبر على السياسة ، فصبر على الخبز البحت سنة ، لا يخلط به شيئا من الشهوات ، ويأكل في نصف بطنه ، رفع الله عنه مؤنة النساء

الفائدة السادسة : دفع النوم ، ودوام السهر . فإن من شبع شرب كثيرا ، ومن كثر شربه كثر نومه . ولأجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام ، معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا ، فتشربوا كثيرا ، فترقدوا كثيرا ، فتخسروا كثيرا . وأجمع رأى سبعين صديقا ، على أن كثرة النوم من كثرة الشرب . وفى كثرة النوم ضياع العمر ، وفوت التهجد ، وبلادة الطبع ، وقساوة القلب ، والعمر أنفس الجواهر ، وهو رأس مال العبد فيه يتجر . والنوم موت ، فتكثيره ينقص العمر . ثم فضيلة التهجد لا تخفى . وفى النوم فواتها ومهما غلب النوم ، فإن تهجد لم يجد حلاوة العبادة . ثم المتعزب إذا نام على الشبع احتلم . ويمنعه ذلك أيضا من التهجد ، ويحوجه إلى الغسل ، إما بالماء البارد فيتأذى به ، أو يحتاج إلى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل ، فيفوته الوتر إن كان قد أخره إلى التهجد . ثم يحتاج إلى مؤنة الحمام ، وربما تقع عينه على عورة فى دخول الحمام ، فإن فيه أخطارا ذكرناها فى كتاب الطهارة . وكل ذلك أثر الشبع . وقد قال أبو سليمان الدارانى : الاحتلام عقوبة . وإنما قال ذلك لأنه يمنع من عبادات كثيرة ، لتعذر الغسل فى كل حال . فالنوم منبع الآفات والشبع مجلبة له ، والجوع مقطعة له

الفائدة السابعة : تيسير المواظبة على العبادة . فإن الأكل يمنع من كثرة العبادات ، لأنه يحتاج إلى زمان يشتغل فيه بالأكل . وربما يحتاج إلى زمان فى شراء الطعام وطبخه ، ثم يحتاج إلى غسل اليد والخلال ، ثم يكثر تردداده إلى بيت الماء لكثرة شربه . والأوقات المصروفة إلى هذا لو صرفها إلى الذكر والمناجاة وسائر العبادات ، لكثر ربحه . قال السرىّ : رأيت مع على الجرجانى سويقا يستف منه ، فقلت ما حملك على هذا ؟ قال إنى حسبت ما بين المضغ إلى الاستفاف سبعين تسبيحة ، فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة . فانظر كيف أشفق على وقته ولم يضيعه فى المضغ ! وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لا قيمة لها ، فينبغى أن يستوفى منه خزانة باقية فى الآخرة لا آخر لها ، وذلك بصرفه إلى ذكر الله وطاعته

ومن جملة ما يتعذر بكثرة الأكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد . فإنه يحتاج إلى الخروج لكثرة شرب الماء وإراقته

ومن جملته الصوم ، فإنه يتيسر لمن تعود الجوع . فالصوم ، ودوام الاعتكاف ، ودوام الطهارة ، وصرف أوقات شغله بالأكل وأسبابه إلى العبادة أرباح كثيرة . وإنما يستحقرها الغافلون ، الذين لم يعرفوا قدر الدين ، لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها (يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ[1])

وقد أشار أبو سليمان الداراني إلى ست آفات من الشبع فقال : من شبع دخل عليه ست آفات ، فقد حلاوة المناجاة ، وتعذر حفظ الحكمة ، وحرمان الشفقة على الخلق ؛ لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع ، وثقل العبادة ، وزيادة الشهوات ، وأن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل

الفائدة الثامنة . يستفيد من قلة الأكل صحة البدن ، ودفع الأمراض . فإن سببها كثرة الأكل ، وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق . ثم المرض يمنع من العبادات ، ويشوش القلب ، ويمنع من الذكر والفكر ، وينغص العيش ، ويحوج إلى الفصد والحجامة والدواء والطبيب . وكل ذلك يحتاج إلى مؤن ونفقات ، لا يخلو الإنسان منها بعد التعب من أنواع من المعاصي واقتحام الشهوات . وفي الجوع ما يمنع ذلك كله

حكي أن الرشيد جمع أربعة أطباء ، هندي ، وروي ، وعراقي ، وسوادي ، وقال . ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه . فقال الهندي ، الدواء الذي لا داء فيه عندي ، هو الأهليلج الأسود* . وقال العراقي ، هو حب الرشاد الأبيض . وقال الروي ، هو عندي الماء الحار . وقال السوادي ، وكان أعلمهم ، الأهليلج يفصل المعدة ، وهذا داء . وحب الرشاد يزلق المعدة ، وهذا داء . والماء الحار يرخي المعدة ، وهذا داء . قالوا فما عندك ؟ فقال الدواء الذي لا داء معه عندي ، أن لا تأكل الطعام حتى تشتهيه ، وأن ترفع يدك عنه وأنت تشتهيه . فقالوا صدقت .

وذكر لبعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم[1] « ثُلُثٌ لِلطَّعَامِ وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ » فتعجب منه وقال ، ما سمعت كلاما في قلة الطعام

---

(١) حديث ثلث للطعام : تقدم أيضا

(١) الروم : ٧ * الاهليلج ثمر منه أصفر ومنه اسود وهو البالغ النضيج

أحكم من هذا ، وإنه لكلام حكيم . وقال صلى الله عليه وسلم « (١) اَلْبِطْنَةُ أَصْلُ الدَّاءِ وَالْحِمْيَةُ أَصْلُ الدَّوَاءِ وَعَوِّدُوا كُلَّ جِسْمٍ مَا اعْتَادَ » وأظن تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لا من ذاك

وقال ابن سالم ، من أكل خبز الحنطة بحتا بأدب ، لم يعتل إلا علة الموت قيل وما الأدب قال تأكل بعد الجوع ، وترفع قبل الشبع وقال بعض أفاضل الأطباء ، فى ذم الاستكثار ، إن أنفع ما أدخل الرجل بطنه الرمان ، وأضر ما أدخل معدته المالح ولأن يقلل من المالح خير له من أن يستكثر من الرمان . وفى الحديث (٢) « صُومُوا تَصِحُّوا » ففى الصوم والجوع وتقليل الطعام صحة الأجسام من الأسقام ، وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما

الفائدة التاسعة : خفة المؤنة . فإن من تعود قلة الأكل كفاه من المال قدر يسير . والذى تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له ، آخذا بحنقه فى كل يوم ، فيقول ماذا تأكل اليوم؟ فيحتاج إلى أن يدخل المداخل ، فيكتسب من الحرام فيعصى ، أو من الحلال فيذل . وربما يحتاج إلى أن يمد أعين الطمع إلى الناس ، وهو غاية الذل والقماءة . والمؤمن خفيف المؤنة وقال بعض الحكماء ، إنى لأقضى عامة حوائجى بالترك ، فيكون ذلك أروح لقلبى . وقال آخر ، إذا أردت أن أستقرض من غيرى لشهوة أو زيادة ، استقرضت من نفسى ، فتركت الشهوة ، فهى خير غريم لى .

وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله ، يسأل أصحابه عن سعر المأكولات : فيقال إنها غالية فيقول أرخصوها بالترك . وقال سهل رحمه الله ، الأكول مذموم فى ثلاثة أحوال ، إن كان من أهل العبادة فيكسل . وإن كان مكتسبا فلا يسلم من الآفات . وإن كان ممن يدخل عليه شىء فلا ينصف الله تعالى من نفسه

وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا . وسبب حرصهم على الدنيا البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن . وفى تقليل الأكل ما يحسم هذه الأحوال كلها ، وهى أبواب النار . وفى حسمها فتح أبواب الجنة ، كما قال صلى الله عليه وسلم « أَدِيمُوا قَرْعَ بَابِ الْجَنَّةِ بِالْجُوعِ » فمن قنع برغيف فى كل يوم ، قنع فى سائر الشهوات أيضا ، وصار حرا ،

---

(١) حديث البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل بدن بما اعتاد : لم أجد له أصلا

(٢) حديث صوموا تصحوا : الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الطب النبوى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف

واستغنى عن الناس ، واستراح من التعب ، وتخلى لعبادة الله عز وجل ، وتجارة الآخرة فيكون من الذين لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وإنما لاتلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة وأما المحتاج فتلهيه لامحالة

الفائدة العاشرة : أن يتمكن من الإيثار ، والتصدق بما فضل من الأطعمة على اليتامى والمساكين ، فيكون يوم القيامة فى ظل صدقته ، [٢] كما ورد به الخبر . فما يأكله كان خزانته الكنيف ، وما يتصدق به كان خزانته فضل الله تعالى . فليس للعبد من ماله إلا ما تصدق فأبقى ، أو أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى . فالتصدق بفضلات الطعام أولى من التخمة والشبع

وكان الحسن رحمة الله عليه ، إذا تلا قوله تعالى (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا [١]) قال عرضها على السموات السبع الطباق ، والطرائق التى زينها بالنجوم ، وحملة العرش العظيم ، فقال لها سبحانه وتعالى ، هل تحملين الأمانة بما فيها ؟ قالت وما فيها ؟ قال إن أحسنت جوزيت . وإن أسأت عوقبت . فقالت لا . ثم عرضها كذلك على الأرض ، فأبت ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ الصلاب الصعاب ، فقال لها هل تحملين الأمانة بما فيها ؟ قالت وما فيها ؟ فذكر الجزاء والعقوبة ، فقالت لا . ثم عرضها على الإنسان فحملها إنه كان ظلوما لنفسه ، جهولا بأمر ربه . فقد رأيناهم والله اشتروا الأمانة بأموالهم ، فأصابوا آلافا ، فماذا صنعوا فيها ؟ وسعوا بها دورهم ، وضيقوا بها قبورهم ، وأسمنوا براذينهم ، وأهزلوا دينهم ، واتعبوا أنفسهم بالغدو والرواح إلى باب السلطان ، يتعرضون للبلاء وهم من الله فى عافية ، يقول أحدهم تبيعنى أرض كذا وكذا وأزيدك كذا وكذا ، يتكىء على شماله ، ويأكل من غير ماله ، حديثه سخرة ، وماله حرام ، حتى إذا أخذته الكظة ، ونزلت به البطنة ، قال ياغلام ائتنى بشىء أهضم به طعامى . يالكع ، أطعامك تهضم ؟ إنما دينك تهضم . أين الفقير ؟ أين الأرملة ؟ أين المسكين ؟ أين اليتيم الذى أمرك الله تعالى بهم ؟

فهذه إشارة إلى هذه الفائدة ، وهو صرف فاضل الطعام إلى الفقير ليدخر به الأجر .

---

(١) حديث كل امرىء فى ظل صدقته : ك من حديث عقبة بن عامر وقد تقدم

---

(١) الاحزاب : ٧٢

فذلك خيرله من أن يأكله حتى يتضاعف الوزر عليه . [١] ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل سمين البطن ، فأومأ إلى بطنه بأصبعه وقال «لَوْ كَانَ هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا لَكَانَ خَيْراً لَكَ» أى لو قدمته لآخرتك ، وآثرت به غيرك ، وعن الحسن قال : والله لقد أدركت أقواما كان الرجل منهم يمسى وعنده من الطعام ما يكفيه ، ولو شاء لأكله ، فيقول والله لا أجعل هذا كله لبطنى ، حتى أجعل بعضه لله

فهذه عشرة فوائد للجوع ، يتشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ، ولا تتناهى فوائدها . فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة . ولأجل هذا قال بعض السلف : الجوع مفتاح الآخرة ، وباب الزهد . والشبع مفتاح الدنيا ، وباب الرغبة . بل ذلك صريح فى الأخبار التى رويناها . وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد تدرك معانى تلك الأخبار إدراك علم وبصيرة . فإذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع ، كانت لك رتبة المقلدين فى الإيمان ، والله أعلم بالصواب

بيان

طريق الرياضة فى كسر شهوات البطن

اعلم أن على المريد فى بطنه ومأكوله أربع وظائف :

الأولى : أن لا يأكل إلا حلالا ، فإن العبادة مع أكل الحرام كالبناء على أمواج البحار . وقد ذكرنا ما يجب مراعاته من درجات الورع فى كتاب الحلال والحرام . وتبقى ثلاث وظائف خاصة بالأكل ، وهو تقدير قدر الطعام فى القلة والكثرة ، وتقدير وقته فى الإبطاء والسرعة ، وتعيين الجنس المأكول فى تناول المشتهيات وتركها

أما الوظيفة الأولى فى تقليل الطعام . فسبيل الرياضة فيه التدريج . فمن اعتاد الأكل الكثير ، وانتقل دفعة واحدة إلى القليل ، لم يحتمله مزاجه وضعف ، وعظمت مشقته .

---

(١) حديث نظر الى رجل سمين البطن فأومأ الى بطنه بأصبعه وقال لو كان هذا فى غير هذا لكان خيرا لك : أحمد والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى الشعب من حديث جعدة الجشمى واسناده جيد

فينبغى أن يتدرج إليه قليلا قليلا . وذلك بأن ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد . فإن كان يأكل رغيفين مثلا ، وأراد أن يرد نفسه إلى رغيف واحد ، فينقص كل يوم ربع سبع رغيف . وهو أن ينقص جزأ من ثمانية وعشرين جزأ ، أوجزأ من ثلاثين جزأ . فيرجع إلى رغيف فى شهر ، ولا يستضر به ، ولا يظهر أثره : فإن شاء فعل فى ذلك بالوزن، وإن شاء بالمشاهدة . فيترك كل يوم مقدار لقمة ، وينقصه عما أكله بالأمس

ثم هذا فيه أربع درجات ، أقصاها أن يرد نفسه إلى قدر القوام الذي لا يبقى دونه، وهو عادة الصديقين ، وهو اختيار سهل التسترى رحمة الله عليه ، إذ قال : إن الله استعبد الخلق بثلاث ؛ بالحياة ، والعقل ، والقوة . فإن خاف العبد على اثنين منها ، وهي الحياة والعقل ، أكل ، وأفطر إن كان صائما ، وتكلف الطلب إن كان فقيرا . وإن لم يخف عليهما بل على القوة ، قال فينبغى أن لا يبالى ، ولو ضعف حتى صلى قاعدا ، ورأى أن صلاته قاعدا مع ضعف الجوع ، أفضل من صلاته قائما مع كثرة الأكل .

وسئل سهل عن بدايته وما كان يقتات به ، فقال كان قوتى فى كل سنة ثلاثة دراهم ، كنت آخذ بدرهم دبسا ، وبدرهم دقيق الأرز ، وبدرهم سمنا ، وأخلط الجميع ، وأسوى منه ثلثمائة وستين أكرة ، آخذ فى كل ليلة أكرة أفطر عليها . فقيل له فالساعة كيف تأكل ؟ قال بغير حد ولا توقيت . ويحكى عن الرهابين أنهم قد يردون أنفسهم إلى مقدار درهم من الطعام

الدرجة الثانية : أن يرد نفسه بالرياضة فى اليوم والليلة إلى نصف مد ، وهو رغيف ، وشىء مما يكون الأربعة منه منا . ويشبه أن يكون هذا مقدار ثلث البطن فى حق الأكثرين كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم . وهو فوق اللقيمات ، لأن هذه الصيغة فى الجمع للقلة فهو لما دون العشرة . وقد كان ذلك عادة عمر رضي الله عنه ، إذ كان يأكل سبع لقم ، أو تسع لقم

الدرجة الثالثة : أن يردها إلى مقدار المد ، وهو رغيفان ونصف . وهذا يزيد على ثلث البطن فى حق الأكثرين ، ويكاد ينتهى إلى ثلثى البطن ، ويبقى ثلث للشراب ، ولا يبقى شيء للذكر . وفى بعض الألفاظ ، ثلث للذكر بدل قوله للنفس

الدرجة الرابعة : أن يزيد على المد إلى المن . ويشبه أن يكون ماوراء المن إسرافا، مخالفا

لقوله تعالى (وَلاَ تُسْرِفُوا[1]) أعنى فى حق الأكثرين . فإن مقدار الحاجة إلى الطعام يختلف بالسن ، والشخص ، والعمل الذى يشتغل به

وههنا طريق خامس لا تقدير فيه ، ولكنه موضع غلط . وهو أن يأكل إذا صدق جوعه ، ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد . ولكن الأغلب أن من لم يقدر لنفسه رغيفا أو رغيفين ، فلا يتبين له حد الجوع الصادق . ويشتبه عليه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات .

إحداها : أن لا تطلب النفس الأدم ، بل تأكل الخبز وحده بشهوة ، أى خبز كان . فمهما طلبت نفسه خبزا بعينه ، أو طلبت أدما ، فليس ذلك بالجوع الصادق

وقد قيل من علامته أن يبصق فلا يقع الذباب عليه . أى لم يبق فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة . ومعرفة ذلك غامض . فالصواب للمريد أن يقدر مع نفسه القدر الذى لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها . فإذا انتهى إليه وقف وإن بقيت شهوته

وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن ، لانه يختلف بالأحوال والأشخاص . نعم قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة فى كل جمعة ، فإذا أكلوا التمر اقتاتوا منه صاعا ونصفا وصاع الحنطة أربعة أمداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مد . وهو ما ذكرناه أنه قدر ثلث البطن . واحتيج فى التمر إلى زيادة لسقوط النوى منه . وقد كان أبو ذر رضي الله عنه يقول : طعامى فى كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لا أزيد عليه شيئا حتى ألقاه ، فإنى سمعته يقول [1] « أَقْرَبُكُمْ مِنِّى مَجْلِساً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَحَبُّكُمْ إِلَىَّ مَنْ مَاتَ عَلَى مَاهُوَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ » وكان يقول فى إنكاره على بعض الصحابة ، قد غيرتم ، ينخل لكم الشعير ، ولم يكن ينخل . وخبزتم المرقق ، وجمعتم بين إدامين ، واختلف عليكم بألوان الطعام ، وغدا أحدكم فى ثوب وراح فى آخر . ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] وكان قوت أهل الصفة مدا من تمر بين اثنين فى كل يوم . والمد رطل وثلث .

---

(١) حديث أبى ذر أقربكم منى مجلسا يوم القيامة وأحبكم الى من مات على ماهو عليه اليوم : أحمد فى كتاب الزهد ومن طريقه أبو نعيم فى الحلية دون قوله وأحبكم الى وهو منقطع

(٢) حديث كان قوت أهل الصفة مدا من تمر بين اثنين فى كل يوم : ك وصحح اسناده من حديث طلحة البصرى

---

(١) الاعراف : ٣١

ويسقط منه النوى . وكان الحسن رحمة الله عليه يقول ، المؤمن مثل العنيزة ، يكفيه الكف من الحشف ، والقبضة من السويق ، والجرعة من الماء . والمنافق مثل السبع الضارى ، بلعا بلعا وسرطا سرطا ، لايطوى بطنه لجاره ، ولا يؤثر أخاه بفضله . وجهوا هذه الفضول أمامكم وقال سهل : لو كانت الدنيا دما عبيطا ، لكان قوت المؤمن منها حلالا . لأن أكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط

الوظيفة الثانية : فى وقت الأكل ومقدار تأخيره . وفيه أيضا أربع درجات

الدرجة العليا: أن يطوى ثلاثة أيام فما فوقها . وفى المريدين من رد الرياضة إلى الطي لا إلى المقدار ، حتى انتهى بعضهم إلى ثلاثين يوما ، وأربعين يوما . وانتهى إليه جماعة من العلماء يكثر عددهم ، منهم محمد بن عمرو القرنى ، وعبد الرحمن بن ابراهيم ، ورحيم ، وابراهيم التيمى ، وحجاج بن فرافصة ، وحفص العابد المصيصى ، والمسلم بن سعيد ، وزهير ، وسليمان الخوّاص ، وسهل بن عبد الله التسترى ، وابراهيم بن أحمد الخوّاص

وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يطوى ستة أيام . وكان عبد الله بن الزبير يطوى سبعة أيام . وكان أبو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوى سبعا . وروي أن الثورى وإبراهيم بن أدهم كانا يطويان ثلاثا ثلاثا . كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة قال بعض العلماء : من طوى لله أربعين يوما ، ظهرت له قدرة من الملكوت . أى كوشف ببعض الأسرار الإلهية .

وقد حكي أن بعض أهل هذه الطائفة مر براهب ، فذاكره بحاله ، وطمع فى إسلامه وترك ماهو عليه من الغرور . فكلمه فى ذلك كلاما كثيرا ، إلى أن قال له الراهب ، إن المسيح كان يطوى أربعين يوما ، وإن ذلك معجزة لاتكون إلا لنبي أو صديق . فقال له الصوفى ، فإن طويت خمسين يوما تترك ماأنت عليه ؟ وتدخل فى دين الإسلام ؟ وتعلم أنه حق وأنك على باطل ؟ قال نعم . فجلس لايبرح إلا حيث يراه ، حتى طوى خمسين يوما ، ثم قال وأزيدك أيضا . فطوى إلى تمام الستين فتعجب الراهب منه ، وقال ما كنت أظن أن أحدا يجاوز المسيح . فكان ذلك سبب إسلامه

وهذه درجة عظيمة ، قل من يبلغها إلا مكاشف مخمول ، شغل بمشاهدة ماقطعه عن طبعه وعادته

واستوفى نفسه فى لذته ، وأنساه جوعته وحاجته

الدرجة الثانية: أن يطوى يومين إلى ثلاثة: وليس ذلك خارجا عن العادة ، بل هو قريب يمكن الوصول إليه بالجد والمجاهدة

الدرجة الثالثة : وهى أدناها ، أن يقتصر فى اليوم والليلة على أكلة واحدة . وهذا هو الأقل . وما جاوز ذلك إسراف ومداومة للشبع ، حتى لا يكون له حالة جوع . وذلك فعل المترفين ، وهو بعيد من السنة . (١) فقد روى أبو سعيد الخدرى رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان إذا تغذى لم يتعش ، وإذا تعشى لم يتغد . وكان السلف يأكلون فى كل يوم أكلة . (٢) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة « إِيَّاكِ وَالسَّرَفَ فَإِنَّ أَكْلَتَيْنِ فِي يَوْمٍ مِنَ السَّرَفِ وَأَكْلَةً وَاحِدَةً فِي كُلِّ يَوْمَيْنِ إِقْتَارٌ وَأَكْلَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ قَوَامٌ بَيْنَ ذَلِكَ وَهُوَ الْمَحْمُودُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ »

ومن اقتصر فى اليوم على أكلة واحدة فيستحب له أن يأكلها سحرا ، قبل طلوع الفجر فيكون أكله بعد التهجد وقبل الصبح ، فيحصل له جوع النهار للصيام ، وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ، ورقة الفكر ، واجتماع الهم ، وسكون النفس إلى المعلوم ، فلا تنازعه قبل وقته . (٣) وفى حديث عاصم بن كليب ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، قال ، ماقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط ، وإن كان ليقوم حتى تورم قدماه . وما واصل وصالكم هذا قط ، غير أنه قد أخر الفطر إلى السحر . وفى حديث عائشة رضي الله عنها قالت (٤) كان النبي صلى الله عليه وسلم يواصل إلى السحر

فإن كان يلتفت قلب الصائم بعد المغرب إلى الطعام ، وكان ذلك يشغله عن حضور القلب

---

(١) حديث أبى سعيد الخدرى كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد : لم أجد له أصلا

(٢) حديث قال لعائشة إياك والاسراف فان أكلتين فى يوم من السرف : البيهقى فى الشعب من حديث عائشة وقال فى اسناده ضعف

(٣) حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبى هريرة ماقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وان كان ليقوم حتى تزلع قدماه : رواه ن مختصرا كان يصلى حتى تزلع قدماه واسناده جيد

(٤) حديث عائشة كان يواصل الى السحر : لم أجده من فعله وانما هو من قوله فأيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر رواه خ من حديث أبى سعيد وأما هو فكان يواصل وهو من خصائصه

فى التهجد ، فالأولى أن يقسم طعامه نصفين . فإن كان رغيفين مثلا ، أكل رغيفا عند الفطر ورغيفا عند السحر ، لتسكن نفسه ، ويخف بدنه عند التهجد . ولا يشتد بالنهار جوعه لأجل التسحر ، فيستعين بالرغيف الأول على التهجد ، وبالثانى على الصوم . ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما ، فلا بأس أن يأكل كل يوم فطره وقت الظهر ، ويوم صومه وقت السحر فهذه الطرق فى مواقيت الأكل وتباعده وتقاربه

الوظيفة الثالثة : فى نوع الطعام ، وترك الأدام . وأعلى الطعام مخ البر . فإن نخل فهو غاية الترفه . وأوسطه شعير منخول . وأدناه شعير لم ينخل وأعلى الأدم اللحم والحلاوة . وأدناه الملح والخل . وأوسطه المزورات بالأدهان من غير لحم

وعادة سالكى طريق الآخرة الامتناع من الأدام على الدوام ، بل الامتناع عن الشهوات فإن كل لذيذ يشتهيه الإنسان فأكله ، اقتضى ذلك بطرا فى نفسه ، وقسوة فى قلبه ، وأنسا له بلذات الدنيا ، حتى يألفها ويكره الموت ولقاء الله تعالى . وتصير الدنيا جنة فى حقه ويكون الموت سجنا له . وإذا منع نفسه عن شهواتها ، وضيق عليها ، وحرمها لذاتها ، صارت الدنيا سجنا عليه ، ومضيقا له ، فاشتهت نفسه الإفلات منها ، فيكون الموت إطلاقها وإليه الإشارة بقول يحيى بن معاذ حيث قال : معاشر الصديقين ، جوّعوا أنفسكم لوليمة الفردوس ، فإن شهوة الطعام على قدر تجويع النفس

فكل ماذكرناه من آفات الشبع فإنه يجرى فى كل الشهوات ، وتناول اللذات . فلا نطول بإعادته . فلذلك يعظم الثواب فى ترك الشهوات من المباحات ، ويعظم الخطر فى تناولها ، حتى قال صلى الله عليه وسلم (١) « شِرَارُ أُمَّتِي الَّذِينَ يَأْكُلُونَ مُخَّ الْحِنْطَةِ » وهذا ليس بتحريم ، بل هو مباح على معنى أن من أكله مرة أو مرتين لم يعص ، ومن داوم عليه أيضا فلا يعصى بتناوله ، ولكن تتربى نفسه بالنعيم ، فتأنس بالدنيا ، وتألف اللذات ، وتسعى فى طلبها ، فيجرها ذلك إلى المعاصى . فهم شرار الأمة ، لأن مخ الحنطة يقودهم إلى اقتحام أمور ، تلك الأمور معاص .

---

(١) حديث شرار أمتي الذين يأكلون مخ الحنطة : لم أجده أصلا

وقال صلى الله عليه وسلم [١] « شِرَارُ أُمَّتِي الَّذِينَ غُذُوا بِالنَّعِيمِ ونَبَتَتْ عَلَيْهِ أَجْسَامُهُمْ وَإِنَّمَا هِمَّتُهُمْ أَلْوَانُ الطَّعَامِ وَأَنْوَاعُ اللِّبَاسِ وَيَتَشَدَّقُونَ فِي الْكَلَامِ » وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام ، اذكر أنك ساكن القبر ، فإن ذلك يمنعك من كثير الشهوات

وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيذ الأطعمة ، وتمرين النفس عليها ، ورأوا أن ذلك علامة الشقاوة ، ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة ، حتى روي أن وهب بن منبه قال التقى ملكان فى السماء الرابعة ، فقال أحدهما للآخر ، من أين ؟ قال أمرت بسوق حوت من البحر إشتهاه فلان اليهودى لعنه الله . وقال الآخر ، أمرت بإهراق زيت إشتهاه فلان العابد . فهذا تنبيه على أن تيسير أسباب الشهوات ليس من علامات الخير . ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه عن شربة ماء بارد بعسل ، وقال ، اعزلوا عنى حسابها . فلا عبادة لله تعالى أعظم من مخالفة النفس فى الشهوات وترك اللذات ، كما أوردناه فى كتاب رياضة النفس .

[٣] وقد روى نافع ، أن ابن عمر رضي الله عنهما كان مريضا ، فاشتهى سمكة طرية ، فالتمست له بالمدينة فلم توجد . ثم وجدت بعد كذا وكذا ، فاشتريت له بدرهم ونصف ، فشويت وحملت إليه على رغيف ، فقام سائل على الباب ، فقال للغلام لفها برغيفها وادفعها إليه . فقال له الغلام ، أصلحك الله ، قد اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها ، فلما وجدتها اشتريتها بدرهم ونصف ، فنحن نعطيه ثمنها فقال لفها وادفعها إليه . ثم قال الغلام للسائل ، هل لك أن تأخذ درهما وتتركها ؟ قال نعم . فأعطاه درهما ، وأخذها وأتى بها ، فوضعها بين يديه وقال ، قد أعطيته درهما وأخذتها منه . فقال لفها وادفعها إليه ، ولا تأخذ منه الدرهم ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أَيُّمَا امْرِئٍ اشْتَهَى شَهْوَةً فَرَدَّ شَهْوَتَهُ وَآثَرَ بِهَا عَلَى نَفْسِهِ غَفَرَ اللهُ لَهُ »

---

(١) حديث شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم ـ الحديث : ابن عدى فى الكامل ومن طريقه البيهقى فى شعب الايمان من حديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى من حديث فاطمة بنت الحسين مرسلا قال الدار قطنى فى العلل انه أشبه بالصواب ورواه أبو نعيم فى الحلية من حديث عائشة باسناد لا بأس به

(٢) حديث نافع ان ابن عمر كان مريضا فاشتهى سمكة ـ الحديث : وفيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما امرىء اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له : ابو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب باسناد ضعيف جدا ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات

وقال صلى الله عليه وسلم [1] « إِذَا سَدَدْتُ كَلْبَ الْجُوعِ بِرَغِيفٍ وَكُوزٍ مِنَ الْمَاءِ الْقَرَاحِ فَعَلَى الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا الدَّمَارُ » أشار إلى أن المقصود ردّ ألم الجوع والعطش ودفع ضررهما ، دون التنعم بلذات الدنيا

وبلغ عمر رضي الله عنه أن يزيد بن أبي سفيان يأكل أنواع الطعام فقال عمر لمولى له ، إذا علمت أنه قد حضر عشاؤه فأعلمني . فأعلمه فدخل عليه ، فقرب عشاؤه ، فأتوه بثريد لحم ، فأكل معه عمر . ثم قرب الشواء ، وبسط يزيد يده ، وكف عمر يده وقال الله الله يا يزيد بن أبي سفيان ، أطعام بعد طعام ! والذي نفس عمر بيده ، لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم . وعن يسار بن عمير قال ، ما نخلت لعمر دقيقا قط إلا وأنا له عاص

وروي أن عتبة الغلام كان يعجن دقيقه ، ويجففه في الشمس ، ثم يأكله ويقول ، كسرة وملح ، حتى يتهيأ في الآخرة الشواء والطعام الطيب . وكان يأخذ الكوز فيغرف به من حب كان في الشمس نهاره ، فتقول مولاة له يا عتبة ، لو أعطيتني دقيقك فخبزته لك ، وبردت لك الماء ؟ فيقول لها يا أم فلان ، قد شردت عني كلب الجوع

قال شقيق بن ابراهيم ، لقيت ابراهيم بن أدهم بمكة في سوق الليل ، عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، يبكي وهو جالس بناحية من الطريق . فعدلت إليه ، وقعدت عنده ، وقلت إيش هذا البكاء يا أبا أسحق ؟ فقال خير . فعاودته مرة واثنتين وثلاثا ، فقال يا شقيق أستر عليّ فقلت يا أخي قل ما شئت . فقال لي ، اشتهت نفسي منذ ثلاثين سنة سكباجا ، فمنعتها جهدي ، حتى إذا كان البارحة ، كنت جالسا وقد غلبني النعاس ، إذ أنا بفتى شاب بيده قدح أخضر يعلو منه بخار ، ورائحة سكباج . قال فاجتمعت بهمتي عنه ، فقربه . وقال يا إبراهيم كل ، فقلت ما آكل ، قد تركته لله عز وجل . فقال لي قد أطعمك الله كل . فما كان لي جواب إلا أني بكيت . فقال لي كل رحمك الله . فقلت قد أمرنا أن لا نطرح في وعائنا إلا من حيث نعلم . فقال كل عافاك الله فإنما أعطيته ، فقيل لي يا خضر

---

(١) حديث اذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا وأهلها الدمار : أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف

إذهب بهذا وأطعمه نفس إبراهيم بن أدهم ، فقد رحمها الله من طول صبرها على مايحملها من منعها ، إعلم ياإبراهيم أنى سمعت الملائكة يقولون، من أعطى فلم يأخذ ، طلب فلم يعط ،فقلت. إن كان كذلك فها أنا بين يديك لأجل العقد مع الله تعالى . ثم التفت فإذا أنا بفتى آخر ، ناوله شيئا وقال ، ياخضر لقمه أنت . فلم يزل يلقمنى حتى نعست. فانتبهت وحلاوته فى فمى قال شقيق فقلت أرنى كفك ، فأخذت بكفه فقبلتها . وقلت يامن يطعم الجياع الشهوات إذا صححوا المنع ، يامن يقدح فى الضمير اليقين ، يامن يشفى قلوبهم من محبته ،أترى لشقيق عندك حالا ؟ ثم رفعت يد إبراهيم إلى السماء وقلت ، بقدر هـذا الكف عندك ، وبقدر صاحبه ، وبالجود الذى وجد منك ، جـد على عبدك الفقير إلى فضلك وإحسانك ورحمتك وإن لم يستحق ذلك . قال فقام إبراهيم ومشى حتى أدركنا البيت

وروي عن مالك بن دينار ، أنه بقى أربعين سنة يشتهى لبنا ، فلم يأكله ، وأهدى إليه يوما رطب فقال لأصحابه كلوا ، فما ذقته منذ أربعين سنة . وقال أحمد بن أبى الحوارى اشتهى أبو سليمان الدارانى رغيفا حارا بملح، فجئت به إليه ،فعض منه عضة ثم طرحه،وأقبل يبكى وقال ، عجلت إلى شهوتى بعد إطالة جهدى واشقوتى . قـد عزمت على التوبة فأقلنى قال أحمـد فما رأيته أكل الملح حتى لقى الله تعالى . وقال مالك بن ضيغم ، مررت بالبصرة فى السوق ، فنظرت إلى البقل ، فقالت لى نفسى لو أطعمتنى الليلة من هذا ؟ فأقسمت أن لاأطعمها إياه أربعين ليلة .

ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة، ماأكل رطبة لأهل البصرة ولا بسرة قط وقال ياأهل البصرة ، عشت فيكم خمسين سنة ماأكلت لكم رطبة ولا بسرة ، فما زاد فيكم مانقص منى ، ولا نقص منى مازاد فيكم ،وقال: طلقت الدنيا منذ خمسين سنة ، اشتهت نفسى لبنا منذ أربعين سنة ، فو الله لاأطعمها حتى ألحق بالله تعالى

وقال حمـاد بن أبى حنيفة ، أتيت داود الطائى ، والباب مغلق عليه ، فسمعته يقول ، نفسى اشتهيت جزرا فأطعمتك جزرا . ثم اشتهيت تمرا فآليت أن لاتأكليه أبدا . فسلمتُ ودخلت ، فإذا هو وحده . ومر أبو حازم يوما فى السوق ، فرأى الفاكهة فاشتهاها .فقال لابنه ، اشتر لنامن هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة ، لعلنا نذهب إلى الفاكهة التى لامقطوعة

ولا ممنوعة . فلما اشتراها وأتى بها إليه ، قال لنفسه قد خدعتيني حتي نظرت واشتهيت ، وغلبتيني حتى اشتريت . والله لاذقتيه . فبعث بها إلى يتامى من الفقراء

وعن موسى الأشج أنه قال ، نفسى تشتهى ملحا جريشا منذ عشرين سنة . وعن أحمد ابن خليفة قال ، نفسي تشتهى منذ عشرين سنة ، ما طلبت منى إلا الماء حتى تروى ، فما أرويتها . وروى أن عتبة الغلام اشتهى لحما سبع سنين . فلما كان بعد ذلك قال ، استحييت من نفسي أن أدافعها منذ سبع سنين سنة بعد سنة ، فاشتريت قطعة لحم على خبز ، وشويتها وتركتها على رغيف . فلقيت صبيا ، فقلت ألست أنت ابن فلان وقدمات أبوك ؟ قال بلى فناولته إياها . قالوا وأقبل يبكى ، يقرأ (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا[1]) ثم لم يذقه بعد ذلك . ومكث يشتهى تمرا سنين ، فلما كان ذات يوم اشترى تمرا بقيراط ورفعه إلى الليل ليفطر عليه . قال فهبت ريح شديدة ، حتى أظلمت الدنيا . ففزع الناس. فأقبل عتبة على نفسه يقول ، هذا لجراءتى عليك وشرائى التمر بالقيراط . ثم قال لنفسه ، ما أظن أخذ الناس إلا بذنبك ، عَلَيَّ أن لا تذوقيه

واشترى داود الطائى بنصف فلس بقلا ، وبفلس خلا . وأقبل ليلته كلها يقول لنفسه ويلك ياداود ، ما أطول حسابك يوم القيامة . ثم لم يأكل بعده إلا قفارا . وقال عتبة الغلام يوما لعبد الواحد بن زيد إن فلانا يصف من نفسه منزلة ما أعرفها من نفسى . فقال لأنك تأكل مع خبزك تمرا ، وهو لا يزيد على الخبز شيئا . قال فإن أنا تركت أكل التمر عرفت تلك المنزلة ؟ قال نعم وغيرها . فأخذ يبكى . فقال له بعض أصحابه لا أبكى الله عينك ، أعلى التمر تبكى ؟ فقال عبد الواحد دعه ، فإن نفسه قد عرفت صدق عزمه فى الترك ، وهو إذا ترك شيئا لم يعاوده . وقال جعفر بن نصر ، أمرنى الجنيد أن أشترى له التين الوزيرى ، فلما اشتريته ، أخذ واحدة عند الفطور فوضعها فى فمه ، ثم ألقاها وجعل يبكى ثم قال ، احمله فقلت له فى ذلك . فقال هتف بى هاتف أما تستحى ، تركته من أجلى ثم تعود إليه

وقال صالح المرى ، قلت لعطاء السلمى ، إنى متكلف لك شيئا ، فلا ترد علىّ كرامتى. فقال افعل ما تريد . قال فبعثت إليه مع ابني شربة من سويق ، قد لتته بسمن وعسل

---

(١) الدهر : ٨

فقلت لا تبرح حتى بشربها . فلما كان من الغد ، جعلت له نحوها ، فردها ولم يشربها . فعاقبته ولمته على ذلك ، وقلت سبحان الله رددت علىّ كرامتى ، فلما رأى وجدى لذلك ، قال لا يسوؤك هذا . إنى قد شربتها أول مرة ، وقد راودت نفسى فى المرة الثانية على شربها فلم أقدر على ذلك ، كلما أردت ذلك ذكرت قوله تعالى (يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ [1]) الآية . قال صالح ، فبكيت وقلت فى نفسى ، أنا فى واد وأنت فى واد آخر .

وقال السرى السقطى ، نفسى منذ ثلاثين سنة تطالبنى أن أغمس جزرة فى دبس ، فما أطعمتها . وقال أبو بكر الجلاء ، أعرف رجلا تقول له نفسه ، أنا أصبر لك على طى عشرة أيام ، واطعمنى بعد ذلك شهوة أشتهيها ، فيقول لها ، لا أريد أن تطوى عشرة أيام ولكن اتركى هذه الشهوة . وروى أن عابدا دعا بعض إخوانه فقرب إليه رغفانا . فجعل أخوه يقلب الأرغفة ليختار أجودها . فقال له العابد ، مه أى شىء تصنع ؟ أما علمت أن فى الرغيف الذى رغبت عنه كذا وكذا حكمة ؟ وعمل فيه كذا وكذا صانعا حتى استدار . من السحاب الذى يحمل الماء ، والماء الذى يسقى الأرض ، والرياح ، والأرض ، والبهائم ، وبنى آدم ، حتى صار إليك ، ثم أنت بعد هذا تقلبه ولا ترضى به !

وفى الخبر [1] لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك ، حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعا . أولهم ميكائيل عليه السلام ، الذى يكيل الماء من خزائن الرحمة ، ثم الملائكة التى تزجى السحاب ، والشمس والقمر ، والأفلاك ، وملائكة الهواء ودواب الأرض ، وآخرهم الخباز (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا [2])

وقال بعضهم أتيت قاسما الجرعى ، فسألته عن الزهد أى شىء هو ؟ فقال أى شىء سمعت فيه ؟ فعددت أقوالا ، فسكت . فقلت وأى شىء تقول أنت ؟ فقال اعلم أن البطن دنيا العبد . فبقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد . وبقدر ما يملكه بطنه ، تملكه الدنيا

وكان بشر بن الحارث قد اعتل مرة ، فأتى عبد الرحمن الطبيب يسأله عن شىء يوافقه من المأكولات . فقال تسألنى فإذا وصفت لك لم تقبل منى ؟ قال صف لى حتى أسمع .

---

(١) حديث لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعا أولهم ميكائيل ـ الحديث : لم أجد له أصلا

---

[1] ابراهيم : ١٧ [2] ابراهيم : ٣٤ والنحل ١٣

قال تشرب سكنجبينا ، وتمص سفرجلا ، وتأكل بعد ذلك اسفيذباجا . فقال له بشر ، هل تعلم شيئا أقل من السكنجبين يقوم مقامه ؟ قال لا . قال أنا أعرف . قال ماهو ؟ قال الهندبا بالخل . ثم قال ، أتعرف شيئا أقل من السفرجل يقوم مقامه ؟ قال لا . قال أنا أعرف . قال ماهو ؟ قال الخرنوب الشامى . قال فتعرف شيئا أقل من الاسفيذباج يقوم مقامه ؟ قال لا . قال أنا أعرف . ماء الحمص بسمن البقر فى معناه . فقال له عبد الرحمن ، أنت أعلم منى بالطب ، فلمَ تسألنى؟

فقد عرفت بهذا أن هؤلاء امتنعوا من الشهوات ، ومن الشبع من الأقوات . وكان امتناعهم للفوائد التى ذكرناها . وفى بعض الأوقات لأنهم كانوا لايصفو لهم الحلال ، فلم يرخصوا لأنفسهم إلّا فى قدر الضرورة . والشهوات ليست من الضرورات ، حتى قال أبو سليمان: الملح شهوة ، لأنه زيادة على الخبز ، وما وراء الخبز شهوة . وهذا هو النهاية . فمن لم يقدر على ذلك فينبغى أن لايغفل عن نفسه ، ولا ينهمك فى الشهوات . فكفى بالمرء إسرافا أن يأكل كل مايشتهيه ، ويفعل كل مايهواه . فينبغى أن لايواظب على أكل اللحم . قال على كرم الله وجهه ، من ترك اللحم أربعين يوما ساء خلقه ، ومن داوم عليه أربعين يوما قسا قلبه . وقيل إن للمداومة على اللحم ضراوة كضراوة الخمر

ومهما كان جائعا ، وتاقت نفسه إلى الجماع ، فلا ينبغى أن يأكل ويجامع ، فيعطى نفسه شهوتين ، فتقوى عليه . وربما طلبت النفس الأكل لينشط فى الجماع

ويستحب أن لاينام على الشبع ، فيجمع بين غفلتين ، فيعتاد الفتور ، ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل ، أو ليجلس فيذكر الله تعالى ، فإنه أقرب إلى الشكر . وفى الحديث (١) « أَذِيبُوا طَعَامَكُمْ بِالذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ وَلَا تَنَامُوا عَلَيْهِ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ » وأقل ذلك أن يصلى أربع ركعات ، أو يسبح مائة تسبيحة ، أو يقرأ جزأ من القرءان عقيب أكله . فقد كان سفيان الثورى إذا شبع ليلة أحياها . وإذا شبع فى يوم واصله بالصلاة والذكر . وكان يقول ، أشبع الزنجى وكِدّه ، ومرة يقول ، أشبع الحمار وكده

---

(١) حديث أذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر ولاتناموا عليه فتقسو قلوبكم : طس وابن السنى فى اليوم والليلة من حديث عائشة بسند ضعيف

ومهما اشتهى شيئا من الطعام وطيبات الفواكه ، فينبغى أن يترك الخبز ويأكلها بدلا منه ، لتكون قوتا ، ولا تكون تفكها ، لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة ، نظر سهل إلى ابن سالم وفى يده خبز وتمر ، فقال له ابدأ بالتمر ، فإن قامت كفايتك به ، وإلا أخذت من الخبز بعده بقدر حاجتك

ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا ، فليقدم اللطيف ، فإنه لا يشتهى الغليظ بعده . ولو قدم الغليظ لأكل اللطيف أيضا للطافته . وكان بعضهم يقول لأصحابه ، لا تأكلوا الشهوات ، فإن أكلتموها فلا تطلبوها ، فإن طلبتموها فلا تحبوها . وطلبُ بعض أنواع الخبز شهوة . قال عبد الله بن عمر رحمة الله عليهما ، ما تأتينا من العراق فاكهة أحب إلينا من الخبز . فرأى ذلك الخبز فاكهة

وعلى الجملة ، لا سبيل إلى إهمال النفس فى الشهوات المباحات ، واتباعها بكل حال . فبقدر ما يستوفى العبد من شهوته ، يخشى أن يقال له يوم القيامة أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها . وبقدر ما يجاهد نفسه ، ويترك شهوته ، يتمتع فى الدار الآخرة بشهواته . قال بعض أهل البصرة ، نازعتنى نفسى خبز أرز وسمكا فمنعتها ، فقويت مطالبتها ، واشتدت مجاهدتى لها عشرين سنة . فلما مات قال بعضهم رأيته فى المنام ، فقلت ماذا فعل الله بك ؟ قال لا أحسن أن أصف ما تلقانى به ربى من النعم والكرامات . وكان أول شىء استقبلنى به خبز أرز وسمكا وقال كل اليوم شهوتك هنيأً بغير حساب . وقد قال تعالى (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ [1]) وكانوا قد أسلفوا ترك الشهوات . ولذلك قال أبو سليمان ، ترك شهوة من الشهوات أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها . وفقنا الله لما يرضيه

بيان

اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه

اعلم أن المطلوب الأقصى فى جميع الأمور والأخلاق الوسط . إذ خير الأمور أوساطها . وكلا طرفى قصد الأمور ذميم . وما أوردناه فى فضائل الجوع ربما يومىء إلى أن الإفراط

(١) الحاقة : ٢٤

فيه مطلوب . وهيهات ، ولكن من أسرار حكمة الشريعة ، أن كل مايطلب الطبع فيه الطرف الأقصى ، وكان فيه فساد ، جاء الشرع بالمبالغة فى المنع منه ، على وجه يومىء عند الجاهل إلى أن المطلوب مضادة مايقتضيه الطبع بغاية الإمكان، والعالم يدرك أن المقصود الوسط ، لأن الطبع إذا طلب غاية الشبع ، فالشرع ينبغى أن يمدح غاية الجوع، حتى يكون الطبع باعثا ، والشرع مانعا ، فيتقاومان ، ويحصل الاعتدال . فإن من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد ، فيعلم أنه لا ينتهى إلى الغاية ، فإنه إن أسرف مسرف فى مضادّه الطبع ، كان فى الشرع أيضا مايدل على إساءته . كما أن الشرع بالغ فى الثناء على قيام الليل ، وصيام النهار ، ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم أنه يصوم الدهر كله ، ويقوم الليل كله نهى عنه(١)

فإذا عرفت هذا ، فاعلم أن الأفضل بالإضافة إلى الطبع المعتدل ، أن يأكل بحيث لايحس بثقل المعدة ، ولايحس بألم الجوع . بل ينسى بطنه ، فلايؤثر فيه الجوع أصلا . فإن مقصود الأكل بقاء الحياة ، وقوة العبادة . وثقلُ المعدة يمنع من العبادة . وألم الجوع أيضا يشغل القلب ويمنع منها . فالمقصود أن يأكل أكلا لايبقى للمأكول فيه أثر ، ليكون متشبها بالملائكة ، فإنهم مقدسون عن ثقل الطعام وألم الجوع ، وغايةُ الإنسان الاقتداء بهم . وإذا لم يكن للإنسان خلاص من الشبع والجوع ، فأبعد الأحوال عن الطرفين الوسط ، وهو الاعتدال .

ومثال طلب الآدمى البعد عن هذه الأطراف المتقابلة ، بالرجوع إلى الوسط ، مثال نملة ألقيت فى وسط حلقة محمية على النار ، مطروحة على الأرض . فإن النملة تهرب من حرارة الحلقة ، وهى محيطة بها لاتقدر على الخروج منها ، فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذى هو الوسط . فلو ماتت ماتت على الوسط . لأن الوسط هو أبعد المواضع عن الحرارة التى فى الحلقة المحيطة . فكذلك الشهوات محيطة بالإنسان إحاطة تلك الحلقة بالنملة ، والملائكة خارجون عن تلك الحلقة ، ولا مطمع للإنسان فى الخروج ، وهو يريد أن يتشبه بالملائكة

(١) حديث النهى عن صوم الدهر كله وقيام الليل كله تقدم

فى الخلاص . فأشبه أحواله بهم البعد ، وأبعد المواضع عن الأطراف الوسط . فصار الوسط مطلوبا فى جميع هذه الأحوال المتقابلة . وعنه عبر بقوله صلى الله عليه وسلم (٣) «خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا» وإليه الإشارة بقوله تعالى (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا (١))

ومهما لم يحس الإنسان بجوع ولا شبع ، تيسرت له العبادة والفكر ، وخف فى نفسه وقوى على العمل مع خفته . ولكن هذا بعد اعتدال الطبع . أما فى بداية الأمر ، إذا كانت النفس جموحا ، متشوقة إلى الشهوات ، مائلة إلى الإفراط ، فالاعتدال لا ينفعها بل لابد من المبالغة فى إيلامها بالجوع ، كما يبالغ فى إيلام الدابة التى ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره ، إلى أن تعتدل . فإذا ارتاضت واستوت ورجعت إلى الاعتدال ، ترك تعذيبها وإيلامها . ولأجل هذا السر ، يأمر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه هو فى نفسه . فيأمره بالجوع وهو لا يجوع . ويمنعه الفواكه والشهوات وقد لا يمتنع هو منها . لأنه قد فرغ من تأديب نفسه ، فاستغنى عن التعذيب . ولما كان أغلب أحوال النفس الشره والشهوة والجماح ، والامتناع عن العبادة ، كان الأصلح لها الجوع ، الذى تحس بألمه فى أكثر الأحوال لتنكسر نفسه . والمقصود أن تنكسر حتى تعتدل ، فترد بعد ذلك فى الغذاء أيضا إلى الاعتدال وإنما يمتنع من ملازمة الجوع من سالكى طريق الآخرة ، إما صديق ، وإما مغرور أحمق

أما الصديق ، فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم ، واستغنائه عن أن يساق بسياط الجوع إلى الحق

وأما المغرور ، فلظنه بنفسه أنه الصديق المستغنى عن تأديب نفسه ، الظان بها خيرا ، وهذا غرور عظيم ، وهو الأغلب . فإن النفس قلما تتأدب تأدبا كاملا ، وكثيرا ما تفتر فتنظر إلى الصديق ومسامحته نفسه فى ذلك ، فيسامح نفسه . كالمريض ينظر إلى من قد صح من مرضه ، فيتناول ما يتناوله ، ويظن بنفسه الصحة فيهلك

والذى يدل على أن تقدير الطعام بمقدار يسير ، فى وقت مخصوص ، ونوع مخصوص ، ليس مقصودا فى نفسه ، وإنما هو مجاهدة نفس متنائمة عن الحق ، غير بالغة رتبة الكمال ،

---

(٣) حديث خير الامور أوساطها : البيهقى فى الشعب مرسلا وقد تقدم

---

(١) الاعراف : ٣١

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه . قالت عائشة رضى الله عنها [١] ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لايفطر ، ويفطر حتى نقول لايصوم . [٢] وكان يدخل على أهله فيقول « هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ شَيْءٍ » فإن قالوا نعم أكل ، وإن قالوا لا قال « إِنِّي إِذاً صَائِمٌ » [٣] وكان يقدم إليه الشيء فيقول « أَمَا إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَرَدْتُ الصَّوْمَ » ثم يأكل . [٤] وخرج صلى الله عليه وسلم يوما وقال « إِنِّي صَائِمٌ » فقالت له عائشة رضى الله عنها ، قد أهدى إلينا حيس ، فقال « كُنْتُ أَرَدْتُ الصَّوْمَ وَلَكِنْ قَرِّبِيهِ »

ولذلك حكى عن سهل أنه قيل له ، كيف كنت فى بدايتك ؟ فأخبر بضروب من الرياضات منها أنه كان يقتات ورق النبق مدة . ومنها أنه أكل دقاق التين مدة ثلاث سنين . ثم ذكر أنه اقتات بثلاثة دراهم فى ثلاث سنين . فقيل له فكيف أنت فى وقتك هذا ؟ فقال آكل بلا حد ولا توقيت . وليس المراد بقوله بلا حد ولا توقيت أنى آكل كثيرا ، بل أنى لاأقدر بمقدار واحد ما آكله

وقد كان معروف الكرخى يهدى إليه طيبات الطعام فيأكل . فقيل له إن أخاك بشرا لايأكل مثل هذا . فقال إن أخى بشرا قبضه الورع ، وأنا بسطتنى المعرفة . ثم قال ، إنما أنا ضيف فى دار مولاى ، فإذا أطعمنى أكلت ، وإذا جوعنى صبرت . مالى والاعتراض والتمييز . ودفع إبراهيم بن أدهم إلى بعض إخوانه دراهم وقال ، خذ لنا بهذه الدراهم زبدا وعسلا وخبزا حواريا . فقيل ياأبا إسحق ، بهذا كله ؟ قال ويحك ، إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال . وإذا عدمنا صبرنا صبر الرجال . وأصلح ذات يوم طعاما كثيرا ، ودعا إليه نفرا

---

(١) حديث عائشة كان يصوم حتى نقول لايفطر ويفطر حتى نقول لايصوم: متفق عليه

(٢) حديث كان يدخل على أهله فيقول هل عندكم من شيء فان قالوا نعم أكل وان قالوا لا قال انى صائم : د ت وحسنه و ن من حديث عائشة وهو عند م بنحوه كما سيأتى

(٣) حديث كان يقدم اليه الشيء فيقول اما انى كنت أريد الصوم : البيهقى من حديث عائشة بلفظ وان كنت قد فرضت الصوم وقال اسناده صحيح وعند م قد كنت أصبحت صائما

(٤) حديث خرج وقال انى صائم فقالت عائشة يارسول الله قد اهدى الينا حيس فقال كنت أردت الصوم ولكن قربيه م بلفظ قد كنت أصبحت صائما وفى رواية له أدنيه فلقد أصبحت صائما فأكل وفى لفظ للبيهقى انى كنت أريد الصوم ولكن قربيه

يسيرا ، فيهم الأوزاعى ، والثورى . فقال له الثورى ، ياأبا إسحق ، أماتخاف أن يكون هذا إسرافا ، فقال ليس فى الطعام إسرافِ ، إنما الإسراف فى اللباس والأثاث

فالذى أخذ العلم من السماع والنقل تقليدا ، يرى هـذا من إبراهيم بن أدهم ، ويسمع عن مالك بن دينار أنه قال مادخل بيتى الملح منذ عشرين سنة ، وعن سرى السقطى أنه منذ أربعين سنة يشتهى أن يغمس حزرة فى دبس فافعل ، فيراه متناقضا ، فيتحير ، أو يقطع بأن أحدهما مخطىء . والبصير بأسرار القول ، يعلم أن كل ذلك حق ، ولكن بالإضافة إلى اختلاف الأحوال .

ثم هذه الأحوال المختلفة ، يسمعها فطن محتاط ، أو غبي مغرور . فيقول المحتاط ، ماأنا من جملة العارفين حتى أسامح نفسي . فليس نفسى أطوع من نفس سرى السقطى ، ومالك ابن دينار ، وهؤلاء من الممتنعين عن الشهوات ، فيقتدى بهم : والمغرور يقول ، مانفسى بأعصى علىّ من نفس معروف الكرخى ، وإبراهيم بن أدهم ، فأقتدى بهم ، وأرفع التقدير فى مأكولى . فأنا أيضا ضيف فى دار مولاى ، فمالى وللاعتراض . ثم إنه لو قصر أحد فى حقه وتوقيره ، أو فى ماله وجاهه بطريقة واحدة ، قامت القيامة عليه ، واشتغل بالاعتراض . وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمق . بل رفع التقدير فى الطعام ، والصيام ، وأكل الشهوات ، لايسلم إلا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنبوة . فيكون بينه وبين الله علامة فى استرساله وانقباضه . ولا يكون ذلك إلا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكلية ، حتى يكون أكله إذا أكل على نية ، كما يكون إمساكه بنية ، فيكون عاملا لله فى أكله وإفطاره

فينبغى أن يتعلم الجزم من عمر رضى الله عنه ، فإنه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] يحب العسل ويأكله ، ثم لم يقس نفسه عليه ، بل لما عرضت عليه شربة باردة ممزوجة بعسل ، جعل يدير الإناء فى يده ويقول ، أشربها وتذهب حلاوتها وتبقى تبعتها ، اعزلوا عنى حسابها وتركها

وهذه الأسرار لا يجوز لشيخ أن يكاشف بها مريده . بل يقتصر على مدح الجوع فقط ، ولا يدعوه إلى الاعتدال ، فإنه يقصر لا محالة عما يدعوه إليه . فينبغى أن يدعوه

---

(١) حديث كان يحب العسل ويأكله : متفق عليه من حديث عائشة كان يحب الحلواء والعسل ـ الحديث : وفيه قصة شربه العسل عند بعض نسائه

إلى غاية الجوع ، حتى يتيسر له الاعتدال . ولا يذكر له أن العارف الكامل يستغنى عن الرياضة . فإن الشيطان يجد متعلقا من قلبه ، فيلقى إليه كل ساعة إنك عارف كامل ، وما الذى فاتك من المعرفة والكمال ؟ بل كان من عادة ابراهيم الخواص ، أن يخوض مع المريد فى كل رياضة كان يأمره بها ، كيلا يخطر بباله أن الشيخ لم يأمره بما لم يفعل ، فينفره ذلك من رياضته . والقوى إذا اشتغل بالرياضة وإصلاح الغير ، لزمه النزول إلى حد الضعفاء تشبها بهم وتلطفا فى سياقتهم إلى السعادة . وهذا ابتلاء عظيم للأنبياء والأولياء . وإذا كان حد الاعتدال خفيا فى حق كل شخص ، فالحزم والاحتياط ينبغى أن لا يترك فى كل حال

ولذلك أدب عمر رضى الله عنه ولده عبد الله ، إذ دخل عليه فوجده يأكل لحما مأدوما بسمن ، فعلاه بالدِّرة وقال ، لا أم لك ، كُلْ يوما خبزا ولحما ، ويوما خبزا ولبنا ، ويوما خبزا وسمنا ، ويوما خبزا وزيتا ، ويوما خبزا وملحا ، ويوما خبزا قفارا . وهذا هو الاعتدال فأما المواظبة على اللحم والشهوات فإفراط وإسراف . ومهاجرة اللحم بالكلية إقتار . وهذا قوام بين ذلك . والله تعالى أعلم

بيان

آفة الرياء المتطرق إلى من ترك أكل الشهوات وقلل الطعام

اعلم أنه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان ، هما أعظم من أكل الشهوات

إحداهما : أن لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها ، ولكن لا يريد أن يُعْرَفَ بأنه يشتهيها ، فيخفى الشهوة ، ويأكل فى الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة . وهذا هو الشرك الخفى — سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد ، فسكت عنه . فقيل له هل تعلم به بأسا؟ قال يأكل فى الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة . وهذه آفة عظيمة : بل حق العبد إذا ابتلى بالشهوات وحبها أن يظهرها . فإن هذا صدق الحال ، وهو يدل عن فوات المجاهدات بالأعمال . فإن إخفاء النقص ، وإظهار ضده من الكمال ، هو نقصان متضاعفان . والكذب مع الإخفاء كذبان . فيكون مستحقا لمقتين ، ولا يرضى منه إلا بتوبتين صادقتين ولذلك

شدد أمر المنافقين ، فقال تعالى (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ [١]) لأن الكافر كفر وأظهر . وهذا كفر وستر . فكان ستره لكفره كفرا آخر . لأنه استخف بنظر الله سبحانه وتعالى إلى قلبه ، وعظم نظر المخلوقين . فمحا الكفر عن ظاهره . والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ، ولا يبتلون بالرياء والغش والإخفاء . بل كمال العارف أن يترك الشهوات لله تعالى ، ويظهر من نفسه الشهوة ، إسقاطا لمنزلته من قلوب الخلق . وكان بعضهم يشترى الشهوات ويعلقها فى البيت ، وهو فيها من الزاهدين ، وإنما يقصد به تلبيس حاله ، ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين ، حتى لا يشوشون عليه حاله

فنهاية الزهد ، الزهد فى الزهد بإظهار ضده . وهذا عمل الصديقين . فإنه جمع بين صدقين . كما أن الأول جمع بين كذبين . وهذا قد حمل على النفس ثقلين ، وجرعها كأس الصبر مرتين . مرة يشر به ، ومرة برميه . فلا جرم أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا . وهذا يضاهى طريق من يُعطَى جهرا فيأخذ ، ويَرُدُّ سرا ، ليكسر نفسه بالذل جهرا ، وبالفقر سرا . فمن فاته هذا فلا ينبغى أن يفوته إظهار شهوته ونقصانه ، والصدق فيه : ولا ينبغى أن يغره قول الشيطان ، إنك إذا أظهرت اقتدى بك غيرك ، فاستره إصلاحا لغيرك . فإنه لو قصد إصلاح غيره لكان إصلاح نفسه أهم عليه من غيره . فهذا إنما يقصد الرياء المجرد ، ويروجه الشيطان عليه فى معرض إصلاح غيره . فلذلك ثقل عليه ظهور ذلك منه ، وإن علم أن من اطلع عليه ليس يقتدى به فى الفعل ، أولا ينزجر باعتقاده أنه تارك للشهوات

الآفة الثانية : أن يقدر على ترك الشهوات ، لكنه يفرح أن يعرف به : فيشتهر بالتعفف عن الشهوات . فقد خالف شهوة ضعيفة ، وهى شهوة الأكل . وأطاع شهوة هى شر منها وهى شهوة الجاه . وتلك هي الشهوة الخفية . فمهما أحس بذلك من نفسه ، فكسر هذه الشهوة آكد من كسر شهوة الطعام . فليأكل . فهو أولى له

قال أبو سليمان ، إذا قدمت إليك شهوة ، وقد كنت تاركا لها ، فأصب منها شيئا يسيرا ولا تمط نفسك مناها ، فتكون قد أسقطت عن نفسك الشهوة ، وتكون قد نغصت عليها إذ لم تعطها شهوتها — وقال جعفر بن محمد الصادق ، إذا قدمت إلىّ شهوة ، نظرت

(١) النساء : ١٤٥

إلى نفسى ، فإن هى أظهرت شهوتها ، أطعمتها منها . وكان ذلك أفضل من منعها . وإن أخفت شهوتها ، وأظهرت العزوب عنها ، عاقبتها بالترك ، ولم أنلها منها شيئا . وهذا طريق فى عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية .

وبالجملة من ترك شهوة الطعام ، ووقع فى شهوة الرياء . كان كمن هرب من عقرب ، وفزع إلى حية . لأن شهوة الرياء أضر كثيرا من شهوة الطعام . والله ولى التوفيق

القول فى شهوة الفرج

اعلم أن شهوة الوقاع سلطت على الإنسان لفائدتين . إحداهما : أن يدرك لذته ، فيقيس به لذات الآخرة ، فإن لذة الوقاع لو دامت لكانت أقوى لذات الأجساد ، كما أن النار وآلامها أعظم آلام الجسد : والترغيب والترهيب يسوق الناس إلى سعادتهم . وليس ذلك إلا بألم محسوس ، ولذة محسوسة مدركة . فإن مالا يدرك بالذوق لا يعظم إليه الشوق

الفائدة الثانية : بقاء النسل ، ودوام الوجود . فهذه فائدتها . ولكن فيها من الآفات مايهلك الدين والدنيا ، إن لم تضبط ولم تقهر ، ولم ترد إلى حد الاعتدال . وقد قيل فى تأويل قوله تعالى (رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ [1]) معناه شدة الغلمة . وعن ابن عباس [1] فى قوله تعالى (وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ [2]) قال هو قيام الذكر . وقد أسنده بعض الرواة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أنه قال فى تفسيره الذكر إذا دخل . وقد قيل إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله . [2] وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه « أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَبَصَرِي وَقَلْبِي وَهَنِي وَمَنِيِّي » وقال عليه السلام [3] « النِّسَاءُ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ » ولولا هذه الشهوة ، لما كان للنساء سلطنة على الرجال

---

(١) حديث ابن عباس موقوفا ومسندا فى قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب قال هو قيام الذكر وقال الذى أسنده الذكر اذا دخل هذا حديث لا أصل له

(٢) حديث اللهم انى أعوذ بك من شر سمعى وبصرى وقلبى ودينى تقدم فى الدعوات

(٣) حديث النساء حبائل الشيطان : الاصفهانى فى الترغيب والترهيب من حديث خالد بن زيد الجهنى باسناد فيه جهالة

---

(١) البقرة : ٢٨٦ (٢) الفلق : ١

روى أن موسى عليه السلام ، كان جالسا فى بعض مجالسه ، إذ أقبل إليه إبليس وعليه برنس يتلون فيه ألوانا . فلما دنا منه ، خلع البرنس فوضعه ، ثم أتاه ، فقال السلام عليك ياموسى . فقال له موسى مَن أنت ؟ فقال أنا إبليس . فقال لاحياك الله . ماجاء بك ؟ قال جئت لأسلم عليك لمنزلتك من الله ، ومكانتك منه . قال فما الذى رأيت عليك؟ قال برنس أختطف به قلوب بنى آدم . قال فما الذى إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه ؟ قال إذا أعجبته نفسه ، واستكثر عمله ، ونسى ذنوبه . وأحذرك ثلاثا ، لاتخل بامرأة لاتحل لك، فإنه ماخلا رجل بامرأة لاتحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابى ،حتي أفتنه بها ، وأفتنها به . ولاتعاهد الله عهدا إلا وفيت به . ولا تخرجن صدقة إلا أمضيتها . فإنه ماأخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابى ،حتى أحول بينه وبين الوفاء بها . ثم ولى وهو يقول ،ياويلتاه علم موسى مايحذر به بنى آدم

وعن سعيد بن المسيب قال : ما بعث الله نبيا فيما خلا إلا لم ييأس إبليس أن يهلكه بالنساء . ولا شيء أخوف عندى منهن . ومابالمدينة بيت أدخله إلا بيتى وبيت ابنتى، أغتسل فيه يوم الجمعة ، ثم أروح . وقال بعضهم ، إن الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جندى ، وأنت سهمى الذى أرمى به فلا أخطىء ، وأنت موضع سرى ، وأنت رسولى فى حاجتى . فنصف جنده الشهوة . ونصف جنده الغضب . وأعظم الشهوات شهوة النساء

وهذه الشهوة أيضا لها إفراط وتفريط واعتدال . فالإفراط ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجال إلى الاستمتاع بالنساء والجوارى ، فيحرم عن سلوك طريق الآخرة ، أو يقهر الدين حتى يجر إلى اقتحام الفواحش . وقد ينتهى إفراطها بطائفة إلى أمرين شنيعين

أحدهما: أن يتناولوا ما يقوى شهواتهم على الاستكثار من الوقاع ، كما قد يتناول بعض الناس أدوية تقوى المعدة ، لتعظم شهوة الطعام . وما مثال ذلك إلا كمن ابتلى بسباع ضارية وحياة عادية ، فتنام عنه فى بعض الأوقات ، فيحتال لإثارتها وتهييجها ، ثم يشتغل بإصلاحها وعلاجها . فإن شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الإنسان الخلاص منها ، فيدرك لذة بسبب الخلاص.

فإن قلت: فقد روى فى غريب الحديث ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] قال شكوت إلى جبرائيل ضعف الوقاع ، فأمرنى بأكل الهريسة

فاعلم: أنه صلى الله عليه وسلم كان تحته تسع نسوة ، ووجب عليه تحصينهن بالإمتاع ، وحرم على غيره نكاحهن وإن طلقهن . فكان طلبه القوة لهذا لا للتمتع

والأمر الثانى : أنه قد تنتهى هذه الشهوة ببعض الضلال إلى العشق ، وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع ، وهو مجاوزة فى البهيمية لحد البهائم . لأن المتعشق ليس يقنع بإراقة شهوة الوقاع ، وهى أقبح الشهوات ، وأجدرها أن يستحيا منه ، حتى اعتقد أن الشهوة لا تنقضى إلا من محل واحد . والبهيمة تقضى الشهوة أين اتفق ، فتكتفى به ، وهذا لا يكتفى إلا بشخص واحد معين ، حتى يزداد به ذلا إلى ذل ، وعبودية إلى عبودية . وحتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة . وقد خلق ليكون مطاعا ، لا ليكون خادما للشهوة ، ومحتالا لأجلها وما العشق إلا سعة إفراط الشهوة . وهو مرض قلب فارغ لا هم له . وإنما يجب الاحتراز من أوائله ، بترك معاودة النظر والفكر ، وإلا فإذا استحكم عسر دفعه . فكذلك عشق المال ، والجاه ، والعقار ، والأولاد ، حتى حب اللعب بالطيور ، والنرد ، والشطرنج ، فإن هذه الأمور قد تستولى على طائفة بحيث تنغص عليهم الدين والدنيا ، ولا يصبرون عنها ألبتة

ومثال من يكسر سورة العشق فى أول انبعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها إلى باب لتدخله . وما أهون منعها بصرف عنانها . ومثال من يعالجها بعد استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ، ثم يأخذ بذنبها ويجرها إلى ورائها . وما أعظم التفاوت بين الأمرين فى اليسر والعسر . فليكن الاحتياط فى بدايات الأمور فأما فى أواخرها ، فلا تقبل العلاج إلا بجهد جهيد ، يكاد يؤدى إلى نزع الروح . فإن إفراط الشهوة أن يغلب العقل إلى هذا الحد ، وهو مذموم جدا

وتفريطها بالعنة ، أو بالضعف عن إمتاع المنكوحة ، وهو أيضا مذموم . وإنما المحمود

---

(١) حديث شكوت الى جبريل ضعف الوقاع فأمرنى بأكل الهريسة : العقيلى فى الضعفاء طس من حديث حذيفة وقد تقدم وهو موضوع.

أن تكون معتدلة .ومطيعة للعقل والشرع فى انقباضها وانبساطها .ومهما أفرطت ، فكسرها بالجوع والنكاح .قال صلى الله عليه وسلم[1] « مَعَاشِرَ الشَّبَابِ عَلَيْكُمْ بِالْبَاءَةِ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَالصَّوْمُ لَهُ وِجَاءٌ »

بيان

ما على المريد فى ترك التزويج وفعله

اعلم أن المريد فى ابتداء أمره ، ينبغى أن لايشغل نفسه بالتزويج . فإن ذلك شغل شاغل يمنعه من السلوك ، ويستجره إلى الأنس بالزوجة . ومن أنس بغير الله تعالى شغل عن الله . ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ،[2] فإنه كان لايشغل قلبه جميع مافى الدنيا عن الله تعالى ، فلا تقاس الملائكة بالحدادين . ولذلك قال أبو سليمان الدارانى من تزوج فقد ركن إلى الدنيا ، وقال ، مارأيت مريدا تزوج فثبت على حاله الأول ، وقيل له مرة ، ماأحوجك إلى امرأة تأنس بها ، فقال لا آنسنى الله بها ، أى أن الأنس بها يمنع الأنس بالله تعالى ، وقال أيضا ، كل ماشغلك عن الله من أهل ، ومال ، وولد ، فهو عليك مشؤم فكيف يقاس غير رسول الله صلى الله عليه وسلم به ، وقد كان استغراقه بحب الله تعالى ، بحيث كان يجد احترافه فيه إلى حد كان يخشى منه فى بعض الأحوال أن يسرى ذلك إلى قالبه فيهدمه ، فلذلك[3] كان يضرب بيده على فخذ عائشة أحيانا ويقول « كَلِّمِينِي يَاعَائِشَةُ » لتشغله بكلامها عن عظيم ماهو فيه ، لقصور طاقة قالبه عنه ، فقد كان طبعه الأنس بالله عز وجل ، وكان أنسه بالخلق عارضا ، رفقا ببدنه ، ثم أنه كان لايطيق الصبر مع الخلق إذا جالسهم . فإذا ضاق صدره قال[4] « أَرِحْنَا بِهَا يَا بِلَالُ » حتى يعود إلى ماهو قرة عينه[5] فالضعيف إذا لاحظ أحواله فى مثل هذه الأمور فهو مغرور ، لأن الأفهام تقصر عن الوقوف على أسرار أفعاله صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث معاشر الشباب من استطاع منكم النكاح فليتزوج ـ الحديث : تقدم فى النكاح

(٢) حديث كان لايشغل قلبه عن الله تعالى جميع ما فى الدنيا : تقدم

(٣) حديث كان يضرب يده على فخذ عائشة أحيانا ويقول كلمينى ياعائشة : لم أجد له أصلا

(٤) حديث أرحنا بها يابلال : تقدم فى الصلاة

(٥) حديث أن الصلاة كانت قرة عينه تقدم أيضا

فشرط المريد العزبة فى الابتداء إلى أن يقوى فى المعرفة. هذا إذا لم تغلبه الشهوة. فإن غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل، والصوم الدائم. فإن لم تنقمع الشهوة بذلك، وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا، وإن قدر على حفظ الفرج، فالنكاح له أولى، لتسكن الشهوة. وإلا فمهما لم يحفظ عينه، لم يحفظ عليه فكره، ويتفرق عليه همه، وربما وقع فى بلية لا يطيقها، وزنا العين من كبار الصغائر، وهو يؤدى على القرب إلى الكبيرة الفاحشة وهى زنا الفرج. ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ فرجه

قال عيسى عليه السلام، إياكم والنظرة، فإنها تزرع فى القلب شهوة، وكفى بها فتنة وقال سعيد بن جبير، إنما جاءت الفتنة لداود عليه السلام من قبل النظرة، ولذلك قال لابنه عليه السلام، يابنى، امش خلف الأسد والأسود، ولا تمش خلف المرأة. وقيل ليحيى عليه السلام، مابدء الزنا؟ قال النظر والتمنى. وقال الفضيل، يقول إبليس هو قوسى القديمة وسهمى الذى لا أخطىء به. يعنى النظر

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] « النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ فَمَنْ تَرَكَهَا خَوْفاً مِنَ اللهِ تَعَالَى أَعْطَاهُ اللهُ تَعَالَى إِيمَاناً يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِى قَلْبِهِ »، وقال صلى الله عليه وسلم[2] « مَا تَرَكْتُ بَعْدِى فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ »، وقال صلى الله عليه وسلم[3] « اتَّقُوا فِتْنَةَ الدُّنْيَا وَفِتْنَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ مِنْ قِبَلِ النِّسَاءِ »

وقال تعالى (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ[1]) الآية. وقال عليه السلام[4] « لِكُلِّ ابْنِ آدَمَ حَظٌّ مِنَ الزِّنَا فَالْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ وَزِنَاهُمَا النَّظَرُ وَالْيَدَانِ تَزْنِيَانِ وَزِنَاهُمَا الْبَطْشُ وَالرِّجْلَانِ تَزْنِيَانِ وَزِنَاهُمَا الْمَشْىُ وَالْفَمُ يَزْنِى وَزِنَاهُ الْقُبْلَةُ وَالْقَلْبُ يَهْوَى أَوْ يَتَمَنَّى وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ يُكَذِّبُهُ »

---

(١) حديث النظرة سهم مسموم من سهام ابليس ــ الحديث : تقدم ايضا

(٢) حديث ماتركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء : متفق عليه من حديث أسامة بن زيد

(٣) حديث اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أول فتنة بنى اسرائيل كانت فى النساء : م من حديث أبى سعيد الخدرى

(٤) حديث لكل ابن آدم حظه من الزنا فالعينان تزنيان ــ الحديث : م هو واللفظ له من حديث أبى هريرة واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس نحوه

---

(١) النور : ٣٠

(١) وقالت أم سلمة ، استأذن ابن أم مكتوم الأعمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وميمونة جالستان . فقال عليه السلام « احْتَجِبَا » فقلنا أوليس بأعمى لا يبصرنا ؟ فقال « وأَنْتُمَا لَا تُبْصِرَانِهِ » ؟ وهـذا يدل على أنه لا يجوز للنساء مجالسة العميان ، كما جرت به العادة فى المآتم والولائم ، فيحرم على الأعمى الخلوة بالنساء ، ويحرم على المرأة مجالسة الأعمى وتحديق النظر إليه لغير حاجة. وإنما جوز للنساء محادثة الرجال والنظر إليهم، لأجل عموم الحاجة

وإن قدر على حفظ عينه عن النساء ، ولم يقدر على حفظها عن الصبيان ،فالنكاح أولى به . فإن الشر فى الصبيان أكثر . فإنه لو مال قلبه إلى امرأة ، أمكنه الوصول إلى استباحتها بالنكاح . والنظر إلى وجه الصبي بالشهوة حرام. بل كل من يتأثر قلبه بجمال صورة الأمرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحى ، لم يحل له النظر إليه

فإن قلت : كل ذى حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة، ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة

فأقول: لست أعنى تفرقة العين فقط . بل ينبغى أن يكون إدراكه التفرقة كإدراكه التفرقة بين شجرة خضراء وأخرى يابسة ، وبين ماء صاف وماء كدر . وبين شجرة عليها أزهارها وأنوارها وشجرة تساقطت أوراقها . فإنه يميل إلى إحداهما بعينه وطبعه، ولكن ميلا خاليا عن الشهوة . ولأجل ذلك لا يشتهى ملامسة الأزهار والأنوار وتقبيلها ، ولا تقبيل الماء الصافى . وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين إليها ، وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ، ولكنها تفرقة لا شهوة فيها. ويعرف ذلك بميل النفس إلى القرب والملامسة فهما وجد ذلك الميل فى قلبه، وأدرك تفرقة بين الوجه الجميل ،وبين النبات الحسن ، والأثواب المنقشة ، والسقوف المذهبة ، فنظره نظر شهوة ، فهو حرام . وهـذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك إلى المعاطب وهم لا يشعرون

قال بعض التابعين : ما أنا بأخوف من السبع الضارى على الشاب الناسك ، من غلام أمرد يجلس إليه . وقال سفيان ، لو أن رجلا عبث بغلام بين أصبعين من أصابع رجله، يريد الشهوة ، لكان لواطا . وعن بعض السلف قال :سيكون فى هذه الأمة ثلاثة أصناف لوطيون

---

(١) حديث أم سلمة استأذن ابن أم مكتوم الاعمى وانا وميمونة جالستان فقال احتجبا ـ الحديث : د ن ت وقال حسن صحيح .

صنف ينظرون ، وصنف يصافحون ، وصنف يعملون

فإذاً آفة النظر إلى الأحداث عظيمة فمهما عجز المريد عن غض بصره ، وضبط فكره فالصواب له أن يكسر شهوته بالنكاح ، فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع

وقال بعضهم : غلبت عليّ شهوتي في بدء إرادتي عالم أطق : فأكثرت الضجيج إلى الله تعالى . فرأيت شخصا في المنام ، فقال مالك ؟ فشكوت إليه ، فقال تقدم إلي ، فتقدمت إليه . فوضع يده على صدري ، فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي . فأصبحت وقد زال مابي . فبقيت مُعافى سنة . ثم عاودني ذلك ، فأكثرت الاستغاثة ، فأتاني شخص في المنام فقال لي أتحب أن يذهب ما تجده وأضرب عنقك ؟ قلت نعم . فقال مد رقبتك ، فمددتها فجرد سيفا من نور ، فضرب به عنقي ، فأصبحت وقد زال مابي ، فبقيت مُعافى سنة . ثم عاودني ذلك أو أشد منه ، فرأيت كأن شخصا فيما بين جنبي وصدري يخاطبني ويقول ، ويحك كم تسأل الله تعالى رفع مالا يحب رفعه ! قال فتزوجت ، فانقطع ذلك عني ، وولدلي

ومهما احتاج المريد إلى النكاح ، فلا ينبغي أن يترك شرط الإرادة في ابتداء النكاح ودوامه . أما في ابتدائه ، فبالنية الحسنة . وفي دوامه بحسن الخلق ، وسداد السيرة ، والقيام بالحقوق الواجبة ، كما فصلنا جميع ذلك في كتاب آداب النكاح ، فلا نطول بإعادته . وعلامة صدق إرادته ، أن ينكح فقيرة متدينة ، ولا يطلب الغنية .

قال بعضهم . من تزوج غنية كان له منها خمس خصال ، مغالاة الصداق ، وتسويف الزفاف ، وفوت الخدمة ، وكثرة النفقة ، وإذا أراد طلاقها لم يقدر خوفا على ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك . وقال بعضهم ، ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل بأربع ، وإلا استحقرته ، بالسن ، والطول ، والمال ، والحسب ، وأن تكون فوقه بأربع ، بالجمال ، والأدب ، والورع ، والخلق . وعلامة صدق الإرادة في دوام النكاح الخلق

تزوج بعض المريدين بامرأة ، فلم يزل يخدمها حتى استحيت المرأة ، وشكت ذلك إلى أبيها ، وقالت قد تحيرت في هذا الرجل . أنا في منزله منذ سنين ، ما ذهبت إلى الخلاء قط ، إلا وحمل الماء قبلي إليه

وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال . فلما قرب زفافها ، أصابها الجدري . فاشتد حزن

أهلها لذلك ، خوفا من أن يستقبحها . فأراهم الرجل أنه قد أصابه رمد ، ثم أراهم أن بصره قد ذهب ، حتى زفت إليه ، فزال عنهم الحزن . فبقيت عنده عشرين سنة ثم توفيت . ففتح عينيه حين ذلك . فقيل له في ذلك ، فقال تعمدته لأجل أهلها حتى لا يحزنوا . فقيل له قد سبقت إخوانك بهذا الخلق

وتزوج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق . فكان يصبر عليها . فقيل له لمَ لا تطلقها ؟ فقال أخشى أن يتزوجها من لا يصبر عليها ، فيتأذى بها

فإن تزوج المريد فهكذا ينبغي أن يكون . وإن قدر على الترك فهو أولى له، إذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق ، وعلم أن ذلك يشغله عن حاله

كما روى أن محمدا بن سليمان الهاشمي ، كان يملك من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم . فكتب إلى أهل البصرة وعلمائها في امرأة يتزوجها . فأجمعوا كلهم على رابعة العدوية رحمها الله تعالى . فكتب إليها ، بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد . فإن الله تعالى قد ملكني من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم ، وليس تمضي الأيام والليالي حتى أتمها مائة ألف وأنا أصير لك مثلها ومثلها . فأجيبيني . فكتبت إليه ، بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن ، والرغبة فيها تورث الهم والحزن . فإذا أتاك كتابي هذا ، فهيء زادك ، وقدم لمعادك ، وكن وصي نفسك ، ولا تجعل الرجال أوصياءك ، فيقتسموا تراثك . فصم الدهر ، وليكن فطرك الموت . وأما أنا ، فلو أن الله تعالى خولني أمثال الذي خولك وأضعافه ، ما سرني أن أشتغل عن الله طرفة عين . وهذه إشارة إلى أن كل ما يشغل عن الله تعالى فهو نقصان

فلينظر المريد إلى حاله وقلبه . فإن وجده في العزوبة ، فهو الأقرب . وإن عجز عن ذلك فالنكاح أولى به . ودواء هذه العلة ثلاثة أمور ، الجوع ، وغض البصر ، والاشتغال بشغل يستولي على القلب . فإن لم تنفع هذه الثلاثة ، فالنكاح هو الذي يستأصل مادتها فقط . ولهذا كان السلف يبادرون إلى النكاح ، وإلى تزويج البنات . قال سعيد بن المسيب، ما أيس إبليس من أحد إلا وأتاه من قبل النساء ، وقال سعيد أيضا ، وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه ، وهو يعشو بالأخرى ، ما شيء أخوف عندي من النساء

وعن عبد الله بن أبي وداعة ، قال كنت أجالس سعيد بن المسيب ، فتفقدني أياما ، فلما أتيته ، قال ، أين كنت ؟ قلت توفيت أهلي فاشتغلت بها . فقال هلا أخبرتنا فشهدناها قال ثم أردت أن أقوم ، فقال هل استحدثت امرأة ؟ فقلت يرحمك الله تعالى ، ومَن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة ؟ فقال أنا ، فقلت وتفعل ؟ قال نعم . فحمد الله تعالى ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وزوجني على درهمين أو قال ثلاثة . قال فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح . فصرت إلى منزلي ، وجعلت أفكر ممن آخذ ، وممن أستدين ، فصليت المغرب ، وانصرفت إلى منزلي ، فأسرجت ، وكنت صائما ، فقدمت عشائي لأفطر وكان خبزا وزيتا ، وإذا بَابي يقرع . فقلت . مَن هذا؟ قال سعيد . قال فأفكرت في كل إنسان اسمه سعيد ، إلا سعيد بن المسيب . وذلك أنه لم ير أربعين سنة إلا بين داره والمسجد قال فخرجت إليه ، فإذا به سعيد بن المسيب . فظننت أنه قد بداله . فقلت . ياأبا محمد ، لو أرسلت إليّ لأتيتك . فقال . لا ، أنت أحق أن تؤتى . قلت فما تأمر ؟ قال إنك كنت رجلا عزبا فتزوجت ، فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك ، وهذه امرأتك . وإذا هي قائمة خلفه في طوله . ثم أخذ بيدها ، فدفعها في الباب ورده . فسقطت المرأة من الحياء . فاستوثقت من الباب ، ثم تقدمت إلى القصعة التي فيها الخبز والزيت ، فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه . ثم صعدت السطح ، فرميت الجيران ، فجاؤني . وقالوا ما شأنك ؟ قلت ويحكم ! زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم ، وقد جاء بها الليلة على غفلة . فقالوا أو سعيد زوجك ؟ قلت نعم . قالوا وهي في الدار ؟ قلت نعم . فنزلوا إليها . وبلغ ذلك أمي فجاءت وقالت ، وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام . قال فأقمت ثلاثا ؟ ثم دخلت بها ، فإذا هي من أجمل النساء . وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعرفهم بحق الزوج . قال فمكثت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتيه . فلما كان بعد الشهر أتيته وهو في حلقته ، فسلمت عليه ، فرد عليّ السلام ، ولم يكلمني حتى تفرق الناس من المجلس . فقال : ما حال ذلك الإنسان . فقلت : بخير ياأبا محمد ، على ما يحب الصديق ويكره العدو ، وقال إن رابك منه أمر فدونك والعصا . فانصرفت إلى منزلي ، فوجه إليّ بعشرين ألف درهم

قال عبد الله بن سليمان ، وكانت بنت سعيد بن المسيب هذه قد خطبها منه عبد الملك ابن مروان ، لابنه الوليد ، حين ولاه العهد . فأبى سعيد أن يزوجه . فلم يزل عبدالملك يحتال على سعيد ، حتى ضربه مائة سوط فى يوم بارد ، وصب عليه جرة ماء ، وألبسه جبة صوف فاستعجال سعيد فى الزفاف تلك الليلة ، يعرفك غائلة الشهوة ، ووجوب المبادرة فى الدين إلى تطفئة نارها بالنكاح ، رضى الله تعالى عنه ورحمه

بيان

فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

اعلم أن هـذه الشهوة هى أغلب الشهوات على الإنسان ، وأعصاها عند الهيجان على العقل ، إلا أن مقتضاها قبيح يستحيا منه ، ويخشى من اقتحامه . وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها إما لعجز ، أو لخوف ، أو لحياء ، أو لمحافظة على جسمه ، وليس فى شىء من ذلك ثواب ، فإنه إيثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخر . نعم من العصمة أن لا يقدر ، ففى هـذه العوائق فائدة ، وهى دفع الإثم ، فإن من ترك الزنا اندفع عنه إثمه بأى سبب كان تركه . وإنما الفضل والثواب الجزيل ، فى تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الأسباب ، لاسيما عند صدق الشهوة . وهـذه درجة الصديقين . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (١) « مَنْ عَشِقَ فَعَفَّ فَكَتَمَ فَمَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ » وقال عليه السلام (٢) « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ » وعد منهم رجل دعته امرأة ذات جمال وحسب إلى نفسها ، فقال إنى أخاف الله رب العالمين .

وقصة يوسف عليه السلام ، وامتناعه من زليخا ، مع القدرة ، ومع رغبتها ، معروفة . وقد أثنى الله تعالى عليه بذلك فى كتابه العزيز ، وهو إمام لكل من وفق لمجاهدة الشيطان فى هذه الشهوة العظيمة

---

(١) حديث من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد : ك فى التاريخ من حديث ابن عباس وقال أنكر على سويد ابن سعيد ثم قال يقال إن يحيى لما ذكر له هذا الحديث قال لو كان لى فرس ورمح غزوت سويدا رواه الخرائطى من غير طريق سويد بسند فيه نظر

(٢) حديث سبعة يظلهم الله فى ظله ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم

وروى أن سليمان بن يسار، كان من أحسن الناس وجها . فدخلت عليه امرأة، فسألته نفسه، فامتنع عليها، وخرج هاربا من منزله وتركها فيه، قال سليمان، فرأيت تلك الليلة فى المنام يوسف عليه السلام، وكأنى أقول له أنت يوسف؟ قال نعم، أنا يوسف الذى هممت، وأنت سليمان الذى لم تهم . أشار إلى قوله تعالى (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ [1]) وعنه أيضا ماهو أعجب من هذا، وذلك أنه خرج من المدينة حاجا، ومعه رفيق له، حتى نزلا بالإيواء، فقام رفيقه وأخذ السفرة، وانطلق إلى السوق ليبتاع شيئا . وجلس سليمان فى الخيمة، وكان من أجمل الناس وجها، وأورعهم . فبصرت به أعرابية من قلة الجبل، وانحدرت إليه، حتى وقفت بين يديه، وعليها البرقع والقفازان . فأسفرت عن وجه لها كأنه فلقة قمر . وقالت أهنئنى . فظن أنها تريد طعاما . فقالت لست أريد هذا إنما أريد مايكون من الرجل إلى أهله . فقال جهزك إلىّ إبليس . ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأخذ فى النحيب . فلم يزل يبكى . فلما رأت منه ذلك، سدلت البرقع على وجهها، وانصرفت راجعة حتى بلغت أهلها . وجاء رفيقه فرآه وقد انتفخت عيناه من البكاء، وانقطع حلقه . فقال مايبكيك؟ قال خير، ذكرت صبيتى قال لا والله، إلا أن لك قصة . إنما عهدك بصبيتك منذ ثلاث أو نحوها . فلم يزل به حتى أخبره خبر الأعرابية . فوضع رفيقه السفرة، وجعل يبكى بكاء شديدا . فقال سليمان، وأنت مايبكيك؟ قال أنا أحق بالبكاء منك، لأنى أخشى أن لو كنت مكانك لما صبرت عنها، فلم يزالا يبكيان، فلما انتهى سليمان إلى مكة، فسعى وطاف ثم أتى الحجر . فاحتبى بثوبه، فأخذته عينه فنام، وإذا رجل وسيم طوال له إشارة حسنة، ورائحة طيبة، فقال له سليمان رحمك الله، مَن أنت؟ قال له أنا يوسف الصديق؟ قال نعم، قال ان فى شأنك وشأن امرأة العزيز لعجبا، فقال له يوسف شأنك وشأن صاحبة الإيواء أعجب

وروى عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] يقول « انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آوَاهُمُ الْمَبِيتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوا فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ فَقَالُوا إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ

---

(١) حديث ابن عمر انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت الى غار فذكر الحديث بطوله: رواه خ

---

[1] يوسف: ٢٤

تَدْعُوا اللهَ تَعَالَى بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَكُنْتُ لاَ أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلاَ مَالاً فَنَأَى بِي طَلَبُ الشَّجَرِ يَوْماً فَلَمْ أَرُحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ فَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَمَالاً فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ فِي يَدِي أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ حَوْلَ قَدَمِي فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ فَانْفَرَجَتْ شَيْئاً لاَ يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهُ

وَقَالَ الآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ فَرَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا مِائَةً وَعِشْرِينَ دِينَاراً عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلاَّ بِحَقِّهِ . فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا . اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ عَنْهُمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا

وَقَالَ الثَّالِثُ : اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ وَأَعْطَيْتُهُمْ أُجُورَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَإِنَّهُ تَرَكَ الأَجْرَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ فَنَمَّيْتُ لَهُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللهِ أَعْطِنِي أَجْرِي فَقُلْتُ كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللهِ أَتَهْزَأُ بِي ؟ فَقُلْتُ لاَ أَسْتَهْزِئُ بِكَ فَخُذْهُ فَاسْتَاقَهُ وَأَخَذَهُ كُلَّهُ وَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئاً اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ . فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ »

فهذا فضل من تمكن من قضاء هذه الشهوات فعف . وقريب منه من تمكن من قضاء شهوة العين . فإن العين مبدأ الزنا . فحفظها مهم : وهو عسر ، من حيث إنه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه . والآفات كلها منه تنشأ . والنظرة الأولى إذا لم تقصد لا يؤاخذ بها ، والمعاودة يؤاخذ بها . قال صلى الله عليه وسلم [1] « لَكَ الأُولَى وَعَلَيْكَ الثَّانِيَةُ » أي النظرة .

---

(١) حديث لك الاولى وليست لك الثانية : أي النظرة د ت من حديث بريدة قاله لعلي قال ت حديث غريب

وقال العلاء بن زياد : لا تتبع بصرك رداء المرأة فإن النظر يزرع فى القلب شهوة .

وقلما يخلو الإنسان فى ترداده عن وقوع البصر على النساء والصبيان . فمهما تخايل إليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة . وعنده ينبغى أن يقرر فى نفسه أن هذه المعاودة عين الجهل فإنه إن حقق النظر فاستحسن ، ثارت الشهوة ، وعجز عن الوصول ، فلا يحصل له إلا التحسر وإن استقبح ، لم يلتذ وتألم لأنه قصد الالتذاذ ، فقد فعل ما آلمه . فلا يخلو فى كلتا حالتيه عن معصية ، وعن تألم ، وعن تحسر . ومهما حفظ العين بهذا الطريق ، اندفع عن قلبه كثير من الآفات . فإن أخطأت عينه ، وحفظ الفرج مع التمكن ، فذلك يستدعى غاية القوة ، ونهاية التوفيق

فقد يروى عن أبى بكر بن عبد الله المزنى ، أن قصابا أولع بجارية لبعض جيرانه ، فأرسلها أهلها فى حاجة لهم إلى قرية أخرى ، فتبعها ، وراودها عن نفسها ، فقالت له : لا تفعل لأنا أشد حبا لك منك لى ، ولكنى أخاف الله . قال فأنت تخافينه وأنا لا أخافه ! فرجع تائبا . فأصابه العطش حتى كاد يهلك . فإذا هو برسول لبعض أنبياء بنى اسرائيل ، فسأله ، فقال مالك ؟ قال العطش . قال تعال حتى ندعو الله بأن تظلنا سحابة حتى ندخل القرية . قال مالى من عمل صالح فأدعو : فادع أنت . قال أنا أدعو وأمّنْ أنت على دعائى . فدعا الرسول ، وأمّنَ هو ، فأظلتهما سحابة حتى انتهيا إلى القرية . فأخذ القصاب إلى مكانه ، فمالت السحابة معه . فقال له الرسول ، زعمت أن ليس لك عمل صالح ، وأنا الذى دعوت وأنت الذى أمنت ، فأظلتنا سحابة ، ثم تبعتك . لتخبرنى بأمرك . فأخبره فقال الرسول إن التائب عند الله تعالى بمكان ليس أحد من الناس بمكانه

وعن أحمد بن سعيد العابد ، عن أبيه ، قال . كان عندنا بالكوفة شاب متعبد ، لازم المسجد الجامع ، لا يكاد يفارقه . وكان حسن الوجه ، حسن القامة ، حسن السمت . فنظرت إليه امرأة ذات جمال وعقل ، فشغفت به ، وطال عليها ذلك . فلما كان ذات يوم ، وقفت له على الطريق ، وهو يريد المسجد . فقالت له يافتى ، اسمع منى كلمات أكلمك بها ، ثم اعمل ماشئت . فمضى ولم يكلمها . ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه ، وهو يريد منزله . فقالت له يافتى ، اسمع منى كلمات أكلمك بها . فأطرق مليا وقال لها ، هذا موقف تهمة ، وأنا أكره

أن أكون للتهمة موضعا. فقالت له: والله ماوقفت موقفى هذا جهالة منى بأمرك ؛ ولكن معاذ الله أن يتشوف العباد إلى مثل هذا منى . والذى حملنى على أن لقيتك فى مثل هذا الأمر بنفسى ، لمعرفتى أن القليل من هذا عند الناس كثير ، وأنتم معاشر العباد على مثال القوارير أدنى شىء يعيبها . وجملة ماأقول لك : أن جوارحى كلها مشغولة بك . فالله الله فى أمرى وأمرك . قال فمضى الشاب إلى منزله ، وأراد أن يصلى ، فلم يعقل كيف يصلى . فأخذ قرطاسا وكتب كتابا ، ثم خرج من منزله ، وإذا بالمرأة واقفة فى موضعها . فألقى الكتاب إليها ورجع إلى منزله ، وكان فيه ، بسم الله الرحمن الرحيم ، إعلمى أيتها المرأة ، أن الله عز وجل إذا عصاه العبد حلم ، فإذا عاد إلى المعصية مرة أخرى ستره ، فإذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه ، غضبة تضيق منها السموات والأرض والجبال والشجر والدواب . فمن ذا يطيق غضبه ؟ فإن كان ماذكرت باطلا ، فإنى أذكرك يوما تكون السماء فيه كالمهل ، وتصير الجبال كالعهن ، وتجثو الأمم لصولة الجبار العظيم . وإنى والله قد ضعفت عن إصلاح نفسى فكيف بإصلاح غيرى . وإن كان ماذكرت حقا ، فإنى أدلك على طبيب هدى ، يداوى الكلوم الممرضة ، والأوجاع المرمضة . ذلك الله رب العالمين . فاقصديه بصدق المسألة ، فإنى مشغول عنك بقوله تعالى (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ [1]) فأين المهرب من هذه الآية ، ثم جاءت بعد ذلك بأيام ، فوقفت له على الطريق ، فلما رآها من بعيد ، أراد الرجوع إلى منزله كيلا يراها . فقالت يافتى لا ترجع ، فلا كان الملتقى بعد هذا اليوم أبدا إلا غدا بين يدى الله تعالى . ثم بكت بكاء شديدا ، وقالت أسأل الله الذى بيده مفاتيح قلبك ، أن يسهل ما قد عسر من أمرك . ثم إنها تبعته ، وقالت امنن علىّ بموعظة أحملها عنك ، وأوصنى بوصية أعمل عليها . فقال لها أوصيك بحفظ نفسك ، من نفسك ، وأذكرك قوله تعالى (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ [2]) قال فأطرقت وبكت بكاء شديدا أشد من بكائها الأول ، ثم أنها أفاقت ، ولزمت بيتها ، وأخذت

---

(١) غافر : ١٨ (٢) الانعام : ٥٩

فى العبادة ، فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا . فكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكى ، فيقال له مم بكاؤك وأنت قد أيأستها من نفسك ؟ فيقول ، إنى قد ذبحت طمعها فى أول أمرها ، وجعلت قطيعتها ذخيرة لى عند الله تعالى ، فأنا أستحيي منه أن أسترد ذخيرة ادخرتها عنده تعالى .

تم كتاب كسر الشهوتين بحمد الله تعالى وكرمه

يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب آفات اللسان ، والحمد لله أولا وآخرا ، وظاهرا وباطنا ، وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه ، وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء ، وسلم تسليما كثيرا ؟

کتاب آفات اللسان

كتاب آفات اللسان

وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات

من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أحسن خلق الإنسان وعدّله ، وألهمه نور الإيمان فزينه به وجمله ، وعلمه البيان فقدمه به وفضله ، وأفاض على قلبه خزائن العلوم فأكمله ، ثم أرسل عليه سترا من رحمته وأسبله ، ثم أمده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ، ويكشف عنه ستره الذى أرسله ، وأطلق بالحق مقوله ، وأفصح بالشكر عما أولاه وخوله ، من علم حصله ، ونطق سهله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله الذى أكرمه وبجله ، ونبيه الذى أرسله بكتاب أنزله ، وأسمى فضله ، وبين سبله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن قبله ، ما كبر الله عبد وهلله

أما بعد: فإن اللسان من نعم الله العظيمة ، ولطائف صنعه الغريبة . فإنه صغير جرمه ، عظيم طاعته وجرمه . إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان ، وهما غاية الطاعة والعصيان . ثم إنه ما من موجود أو معدوم ، خالق أو مخلوق ، متخيل أو معلوم ، مظنون أو موهوم ، إلا واللسان يتناوله ، ويتعرض له بإثبات أو نفى . فإن كل ما يتناوله العلم ، يعرب عنه اللسان ، إما بحق أو باطل . ولا شىء إلا والعلم متناول له . وهذه خاصية لا توجد فى سائر الأعضاء ، فإن العين لا تصل إلى غير الألوان والصور ، والآذان لا تصل إلى غير الأصوات واليد لا تصل إلى غير الأجسام ، وكذا سائر الأعضاء . واللسان رحب الميدان ، ليس له مرد ، ولا لمجاله منتهى وحد ، له فى الخير مجال رحب ، وله فى الشر ذيل سحب . فمن أطلق عذبة اللسان ، وأهمله مرخى العنان ، سلك به الشيطان فى كل ميدان ، وساقه إلى شفا جرف هار ، إلى أن يضطره إلى البوار . ولا يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع ، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه فى الدنيا والآخرة

ويكفه عن كل مايخشى غائلته فى عاجله وآجله

وعلم مايحمد فيه إطلاق اللسان أو يذم ،غامض عزيز ،والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير . وأعصى الأعضاء على الإنسان اللسان ، فإنه لاتعب فى إطلاقه ، ولا مؤنة فى تحريكه وقد تساهل الخلق فى الاحتراز عن آفاته وغوائله ، والحذر من مصائده وحبائله. وأنه أعظم آلة الشيطان فى استغواء الإنسان . ونحن بتوفيق الله وحسن تدبيره ، نفصل مجامع آفات اللسان ، ونذكرها واحدة واحدة ، بحدودها وأسبابها وغوائلها ، ونعرف طريق الاحتراز عنها ، ونورد ما ورد من الأخبار والآثار فى ذمها ، فنذكر أولا فضل الصمت . ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يعنى ، ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض فى الباطل ، ثم آفة المراء والجدال ثم آفة الخصومة ثم آفة التقعر فى الكلام ، بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة ، والتصنع فيه ، وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة ، ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان ، ثم آفة اللعن ، إما لحيوان أو جماد أو إنسان ، ثم آفة الغناء بالشعر ، وقد ذكرنا فى كتاب السماع مايحرم من الغناء ومايحل فلا نعيده ، ثم آفة المزاح ، ثم آفة السخرية والاستهزاء ، ثم آفة إفشاء السر ، ثم آفة الوعد الكاذب ، ثم آفة الكذب فى القول واليمين ، ثم بيان التعاريض فى الكذب ، ثم آفة الغيبة ، ثم آفة النميمة ، ثم آفة ذى اللسانين ، الذى يتردد بين المتعاديين فيكلم كل واحد بكلام يوافقه ، ثم آفة المدح ، ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطأ فى فحوى الكلام لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بأصول الدين ، ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله عز وجل ، وعن كلامه ، وعن الحروف أهى قديمة أو محدثة ، وهى آخر الآفات ، ومايتعلق بذلك ، وجملتها عشرون آفة ، ونسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه

بيان

عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت

اعلم أن خطر اللسان عظيم . ولا نجاة من خطره إلا بالصمت . فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه ، فقال صلى الله عليه وسلم [1] « مَنْ صَمَتَ نَجَا » وقال عليه السلام

(١) حديث من صمت نجا : ت من حديث عبد الله بن عمرو بسند فيه ضعف وقال غريب وهو عند الطبرانى بسند جيد

(١) « الصَّمْتُ حُكْمٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ » أى حكمة وحزم . (٢) وروى عبد الله بن سفيان ، عن أبيه قال : قلت يارسول الله ، أخبرنى عن الإسلام بأمر لا أسأل عنه أحدا بعدك قال « قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ » قال قلت فما أتقى ؟ فأوما بيده إلى لسانه . (٣) وقال عقبة بن عامر ، قلت يارسول الله ما النجاة ؟ قال « أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ » (٤) وقال سهل بن سعد الساعدى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ يَتَكَفَّلُ لِي بِمَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَرِجْلَيْهِ أَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ »

وقال صلى الله عليه وسلم (٥) « مَنْ وُقِيَ شَرَّ قَبْقَبِهِ وَذَبْذَبِهِ وَلَقْلَقِهِ فَقَدْ وُقِيَ الشَّرَّ كُلَّهُ » القبقب هو البطن ، والذبذب الفرج ؟ واللقلق اللسان . فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق ، ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان ، لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج (٦) وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكبر مايدخل الناس الجنة ، فقال « تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ » وسئل عن أكبر مايدخل النار فقال « الْأَجْوَفَانِ الْفَمُ وَالْفَرْجُ » فيحتمل أن يكون المراد بالفم آفات اللسان لأنه محله ، ويحتمل أن يكون المراد به البطن لأنه منفذه ، فقد قال (٧) معاذ بن جبل ، قلت يارسول الله ، أنؤاخذ بما نقول ؟ فقال « ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا ابْنَ جَبَلٍ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ »

---

(١) حديث الصمت حكمة وقليل فاعله : أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بلفظ حكم بدل حكمة وقال غلط فيه عثمان بن سعد والصحيح رواية ثابت قال والصحيح عن أنس ان لقمان قال ورواه كذلك هو وابن حبان فى كتاب روضة العقلاء بسند صحيح الى أنس

(٢) حديث سفيان الثقفى اخبرنى عن الاسلام بامر لا أسأل عنه أحدا بعدك ـ الحديث : ت وصححه و ن ه وهو عند م دون آخر الحديث الذى فيه ذكر اللسان

(٣) حديث عقبة بن عامر قلت يارسول الله ما النجاة قال أملك عليك لسانك ـ الحديث : ت وقال حسن

(٤) حديث سهل بن سعد من يتوكل لى بما بين لحييه ورجليه أتوكل له بالجنة رواه خ

(٥) حديث من وقى شر قبقبه وذبذبه ولقلقه ـ الحديث : أبو منصور الديلمى من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ فقد وجبت له الجنة

(٦) حديث سئل عن أكثر مايدخل الجنة ـ الحديث : ت وصححه و ه من حديث أبى هريرة

(٧) حديث معاذ قلت يارسول الله انؤخذ بما نقول فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم : وصححه و هك وقال صحيح على شرط الشيخين

(١) وقال عبد الله الثقفي : قلت يارسول الله ، حدثني بأمر أعتصم به ، فقال « قُلْ رَبِّيَ اللهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ » قلت يارسول الله ، ماأخوف ماتخاف عليّ؟ فأخذ بلسانه وقال « هَذَا »

(٢) وروى أن معاذا قال يارسول الله ، أي الأعمال أفضل ؟فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانه ، ثم وضع عليه أصبعه . (٣) وقال أنس بن مالك ، قال صلى الله عليه وسلم « لاَ يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ الْعَبْدِ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ وَلاَ يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ وَلاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم (٤) « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْلَمَ فَلْيَلْزَمِ الصَّمْتَ » وعن سعيد بن جبير مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (٥) « إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ أَصْبَحَتِ الْأَعْضَاءُ كُلُّهَا تُذَكِّرُ اللِّسَانَ أَيْ تَقُولُ اتَّقِ اللهَ فِينَا فَإِنَّكَ إِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا

(٦) وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، رأى أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو يمد لسانه بيده ، فقال له ماتصنع ياخليفة رسول الله ؟ قال هذا أوردني الموارد . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْجَسَدِ إِلاَّ يَشْكُو إِلَى اللهِ اللِّسَانَ عَلَى حِدَّتِهِ »

---

(١) حديث عبد الله الثقفي قلت يارسول الله حدثني بامر اعتصم به ـ الحديث : رواه ن قال ابن عساكر وهو خطأ والصواب سفيان بن عبد الله الثقفي كما رواه ت وصححه ه وقد تقدم قبل هذا بخمسة أحاديث

(٢) حديث ان معاذا قال يارسول الله أي الاعمال أفضل فاخرج لسانه ثم وضع يده عليه: الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت وقال أصبعه مكان يده

(٣) حديث أنس لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ـ الحديث : ابن أبي الدنيا في الصمت والخرائطي في مكارم الاخلاق بسند فيه ضعف

(٤) حديث من سره أن يسلم فليلزم الصمت : ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو الشيخ في فضائل الاعمال والبيهقي في الشعب من حديث أنس باسناد ضعيف

(٥) حديث إذا أصبح ابن آدم أصبحت الاعضاء كلها تذكر اللسان ـ الحديث : ت من حديث أبي سعيد الخدري رفعه ووقع في الاحياء عن سعيد بن جبير مرفوعا وانما هو عن سعيد بن جبير عن أبي سعيد رفعه ورواه ت موقوفا على عمار بن زيد وقال هذا أصح

(٦) حديث ان عمر اطلع على أبي بكر وهو يمد لسانه فقال ما تصنع ياخليفة رسول الله قال ان هذا أوردني الموارد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء من الجسد الا يشكو إلى الله عز وجل اللسان على حدته ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو يعلى في مسنده والدارقطني في العلل والبيهقي في الشعب من رواية أسلم مولى عمر وقال الدارقطني ان المرفوع وهم على الدار وردي قال وروى هذا الحديث عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر ولا علة له

(١) وعن ابن مسعود أنه كان على الصفا يلبي ويقول ، ياللسان قل خيرا تغنم ، واسكت عن شر تسلم ، من قبل أن تندم . فقيل له ياأبا عبد الرحمن ، أهذا شيء تقوله أو شيء سمعته؟ فقال لا ، بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إِنَّ أَكْثَرَ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ » (٢) وقال ابن عمر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ كَفَّ لِسَانَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ مَلَكَ غَضَبَهُ وَقَاهُ اللهُ عَذَابَهُ وَمَنِ اعْتَذَرَ إِلَى اللهِ قَبِلَ اللهُ عُذْرَهُ »

(٣) وروى أن معاذ بن جبل قال يارسول الله أوصني. قال « اعْبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَى وَإِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِمَا هُوَ أَمْلَكُ لَكَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ » وأشار بيده إلى لسانه (٤) وعن صفوان بن سليم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَيْسَرِ الْعِبَادَةِ وَأَهْوَنِهَا عَلَى الْبَدَنِ الصَّمْتُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ » (٥) وقال أبو هريرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ » (٦) وقال الحسن ، ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « رَحِمَ اللهُ عَبْدًا تَكَلَّمَ فَغَنِمَ أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ »

وقيل لعيسى عليه السلام ، دلنا على عمل ندخل به الجنة . قال لاتنطقوا أبدا . قالوا لانستطيع ذلك ، فقال فلا تنطقوا إلا بخير . وقال سليمان بن داود عليهما السلام ، إن كان الكلام من فضة ، فالسكوت من ذهب

---

(١) حديث ابن مسعود انه كان على الصفا يلبي ويقول ياللسان قل خيرا تغنم وفيه مرفوعا ان أكثر خطايا ابن آدم في لسانه : الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب بسند حسن

(٢) حديث ابن عمر من كف لسانه ستر الله عورته ـ الحديث : ابن أبي الدنيا في الصمت بسند حسن

(٣) حديث ان معاذا قال أوصني قال اعبدالله كانك تراه ـ الحديث : ابن ابي الدنيا في الصمت وطب ورجاله ثقات وفيه انقطاع

(٤) حديث صفوان بن سليم مرفوعا ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق ابن أبي الدنيا هكذا مرسلا ورجاله ثقات ورواه أبو الشيخ في طبقات المحدثين من حديث أبي ذر وأبي الدرداء أيضا مرفوعا

(٥) حديث أبي هريره من كان يؤمن بالله واليوم الآخرة فليقل خيرا أو ليسكت متفق عليه

(٦) حديث الحسن ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدا تكلم فغنم أوسكت فسلم : ابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند فيه ضعف فانه من رواية اسماعيل بن عياش عن الحجازيين

(١) وعن البراء بن عازب قال ، جاء أعرابى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ، دلنى على عمل يدخلنى الجنة . قال « أَطْعِمِ الْجَائِعَ وَاسْقِ الظَّمْآنَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَإِنْ لَمْ تُطِقْ فَكُفَّ لِسَانَكَ إِلاَّ مِنْ خَيْرٍ » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « أُخْزُنْ لِسَانَكَ إِلاَّ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّكَ بِذَلِكَ تَغْلِبُ الشَّيْطَانَ » وقال صلى الله عليه وسلم « إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ لِسَانِ كُلِّ قَائِلٍ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ امْرُؤٌ عَلِمَ مَا يَقُولُ » وقال عليه السلام (٣) « إِذَا رَأَيْتُمُ الْمُؤْمِنَ صَمُوتًا وَقُورًا فَادْنُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلَقَّنُ الْحِكْمَةَ » (٤) وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النَّاسُ ثَلاثَةٌ غَانِمٌ وَسَالِمٌ وَشَاجِبٌ فَالْغَانِمُ الَّذِى يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى وَالسَّالِمُ السَّاكِتُ وَالشَّاجِبُ الَّذِى يَخُوضُ فِى الْبَاطِلِ » وقال عليه السلام (٥) « إِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ وَرَاءَ قَلْبِهِ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ تَدَبَّرَهُ بِقَلْبِهِ ثُمَّ أَمْضَاهُ بِلِسَانِهِ وَإِنَّ لِسَانَ الْمُنَافِقِ أَمَامَ قَلْبِهِ فَإِذَا هَمَّ بِشَيْءٍ أَمْضَاهُ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَتَدَبَّرْهُ بِقَلْبِهِ »

وقال عيسى عليه السلام ، العبادة عشرة أجزاء ، تسعة منها فى الصمت ، وجزء فى الفرار من الناس

وقال نبينا صلى الله عليه وسلم (٦) « مَنْ كَثُرَ كَلاَمُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ »

الآثار : كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، يضع حصاة فى فيه ، يمنع بها نفسه عن الكلام

---

(١) حديث البراء جاء اعرابى فقال دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال أطعم الجائع ـ الحديث : ابن ابى الدنيا باسناد جيد

(٢) حديث اخزن لسانك الا من خير ـ الحديث : طص من حديث أبى سعيد وله فى المعجم الكبير ولابن حبان فى صحيحه نحوه من حديث أبى ذر

(٣) حديث إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقى الحكمة : ه من حديث أبى خلاد بلفظ إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا فى الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقد تقدم

(٤) حديث ابن مسعود الناس ثلاثة غانم وسالم وشاجب ـ الحديث : الطبرانى وأبو يعلى من حديث أبى سعيد الخدرى بلفظ المجالس وضعفه ابن عدى ولم أجده ثلاثة من حديث ابن مسعود

(٥) حديث ان لسان المؤمن وراء قلبه فاذا أراد أن يتكلم بشىء تدبره بقلبه ـ الحديث : لم أجده مرفوعا وانما رواه الخرائطى فى مكارم الاخلاق من رواية الحسن البصرى قال كانوا يقولون

(٦) حديث من كثر كلامه كثر سقطه ـ الحديث : أبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد رواه أبو حاتم بن حبان فى روضة العقلاء والبيهقى فى الشعب موقوفا على عمر بن الخطاب

وكان يشير إلى لسانه ويقول ، هذا الذى أوردنى الموارد . وقال عبد الله بن مسعود والله الذى لا إله إلا هو ، ماشىء أحوج إلى طول سجن من لسان . وقال طاوس ، لسانى سبع ، إن أرسلته أكلنى . وقال وهب بن منبه فى حكمة آل داود ، حق على العاقل أن يكون عارفا بزمانه ، حافظا للسانه ، مقبلا على شانه . وقال الحسن : ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه

وقال الأوزاعى ، كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، أما بعد ، فإن من أكثر ذكر الموت ، رضى من الدنيا باليسير ، ومن عد كلامه من عمله ، قل كلامه إلا فيما يعنيه . وقال بعضهم ، الصمت يجمع للرجل فضيلتين ، السلامة فى دينه ، والفهم عن صاحبه . وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار ، ياأبا يحيى ، حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم . وقال يونس بن عبيد ، ما من الناس أحد يكون منه لسانه على بال ، إلا رأيت صلاح ذلك فى سائر عمله

وقال الحسن : تكلم قوم عند معاوية رحمه الله ، والأحنف بن قيس ساكت . فقال له مالك يا أبا بحر لا تتكلم ؟ فقال له ، أخشى الله إن كذبت وأخشاك إن صدقت

وقال أبو بكر بن عياش ، اجتمع أربعة ملوك ، ملك الهند ، وملك الصين ، وكسرى ، وقيصر . فقال أحدهم ، أنا أندم على ما قلت ، ولا أندم على مالم أقل . وقال الآخر ، إنى إذا تكلمت بكلمة ملكتنى ولم أملكها ، وإذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكنى . وقال الثالث ، عجبت للمتكلم إن رجعت عليه كلمته ضرته ، وإن لم ترجع لم تنفعه . وقال الرابع ، أنا على رد مالم أقل أقدر منى على رد ما قلت

وقيل أقام المنصور بن المعتز لم يتكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة أربعين سنة . وقيل ماتكلم الربيع بن خيثم بكلام الدنيا عشرين سنة . وكان إذا أصبح وضع دواة وقرطاسا وقلما . فكل ما تكلم به كتبه ، ثم يحاسب نفسه عند المساء

فإن قلت : فهذا الفضل الكبير للصمت ماسببه ؟

فاعلم أن سببه كثرة آفات اللسان ، من الخطأ ، والكذب ، والغيبة ، والنميمة ، والرياء والنفاق ، والفحش ، والمراء ، وتزكية النفس ، والخوض فى الباطل ، والخصومة ، والفضول والتجريح ، والزيادة ، والنقصان ، وإيذاء الخلق ، وهتك العورات

فهذه آفات كثيرة ، وهى سياقة إلى اللسان ، لا تثقل عليه ، ولها حلاوة فى القلب ، وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان ، والخائض فيها قلما يقدر أن يمسك اللسان، فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب ، فإن ذلك من غوامض العلم كما سيأتى تفصيله ففى الخوض خطر ، وفى الصمت سلامة . فلذلك عظمت فضيلته . هذا مع ما فيه من جمع الهم ، ودوام الوقار ، والفراغ للفكر والذكر والعبادة ، والسلامة من تبعات القول فى الدنيا ، ومن حسابه فى الآخرة، فقد قال تعالى (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ [1])

ويدلك على فضل لزوم الصمت أمر ، وهو أن الكلام أربعة أقسام ، قسم هو ضرر محض ، وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر ومنفعة ، وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة

أما الذى هو ضرر محض ، فلا بد من السكوت عنه، وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفى بالضرر

وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر ، فهو فضول ، والاشتغال به تضييع زمان، وهو عين الخسران

فلا يبقى إلا القسم الرابع . فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام ، وبقى ربع . وهذا الربع فيه خطر ، إذ يمتزج بما فيه إثم من دقائق الرياء ، والتصنع ، والغيبة ، وتزكية النفس ، وفضول الكلام ، امتزاجا يخفى دركه ، فيكون الإنسان به مخاطرا

وعن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنذكره ، علم قطعا أن ما ذكره صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب ، حيث قال [1] «مَنْ صَمَتَ نَجَا» [2] فلقد أوتى والله جواهر الحكم قطعا ، وجوامع الكلم ، ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعانى إلا خواص العلماء ، وفيما سنذكره من الآفات ، وعسر الاحتراز عنها ، ما يعرفك حقيقة ذلك إن شاء الله تعالى . ونحن الآن نعد آفات اللسان ، ونبتدىء بأخفها ، ونترقى إلى الأغلظ قليلا ونأخر الكلام فى الغيبة والنميمة والكذب . فإن النظر فيها أطول ، وهى عشرون آفة ، فاعلم ذلك ترشد بعون الله تعالى

---

(١) حديث من صمت نجا : تقدم

(٢) حديث انه صلى الله عليه وسلم أوتى جوامع الكلم : م من حديث أبى هريرة وقد تقدم

---

[1] ق : ١٨

الآفة الأولى

الكلام فيما لا يعنيك

اعلم أن أحسن أحوالك أن تحفظ ألفاظك من جميع الآفات التي ذكرناها ، من الغيبة والنميمة ، والكذب ، والمراء ، والجدال ، وغيرها ، وتتكلم فيما هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم أصلا ، إلا أنك تتكلم بما أنت مستغن عنه ، ولا حاجة بك إليه ، فإنك مضيع به زمانك ، ومحاسب على عمل لسانك ، وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير . لأنك لو صرفت زمان الكلام إلى الفكر ، ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكر ما يعظم جدواه ، ولو هللت الله سبحانه ، وذكرته ، وسبحته ، لكان خيرا لك . فكم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة ومن قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز ، فأخذ مكانه مدرة لا ينتفع بها ، كان خاسرا خسرانا مبينا . وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى ، واشتغل بمباح لا يعنيه فإنه وإن لم يأثم ، فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى [1] فإن المؤمن لا يكون صمته إلا فكرا ، ونظره إلا عبرة ، ونطقه إلا ذكرا . هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم

بل رأس مال العبد أوقاته . ومهما صرفها إلى ما لا يعنيه ، ولم يدخر بها ثوابا في الآخرة ، فقد ضيع رأس ماله . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم [2] « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ » بل ورد ما هو أشد من هذا . قال أنس [3] استشهد غلام منا يوم أحد ، فوجدنا على بطنه حجرا مربوطا من الجوع . فمسحت أمه عن وجهه التراب ، وقالت : هنيئا لك الجنة يا بني

﴿ الآفة الأولى الكلام فيما لا يعنيك ﴾

(١) حديث المؤمن لا يكون صمته إلا فكرا ونظره إلا عبرة ونطقه إلا ذكرا : لم أجد له أصلا وروى محمد بن زكريا العلائي أحد الضعفاء عن ابن عائشة عن أبيه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله أمرني أن يكون نطقي ذكرا وصمتي فكرا ونظري عبرة

(٢) حديث من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه : ت وقال غريب وهو من حديث أبي هريرة

(٣) حديث استشهد منا غلام يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع ـ الحديث : وفيه لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويمنع مالا يضره : ت من حديث أنس مختصرا وقال غريب ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت بلفظ المصنف بسند ضعيف

فقال صلى الله عليه وسلم « وَمَا يُدْرِيكَ ؟ لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ وَيَمْنَعُ مَالَا يَضُرُّهُ » وفى حديث آخر ، (١) أن النبي صلى الله عليه وسلم فقد كعبا ، فسأل عنه ، فقالوا مريض . فخرج يمشى حتى أتاه ، فلما دخل عليه قال « أَبْشِرْ يَا كَعْبُ » فقالت أمه ، هنيئا لك الجنة يا كعب . فقال صلى الله عليه وسلم « مَنْ هَذِهِ الْمُتَأَلِّيَةُ عَلَى اللهِ ؟ » قال هى أمى يارسول الله . قال « وَمَا يُدْرِيكِ يَا أُمَّ كَعْبٍ لَعَلَّ كَعْبًا قَالَ مَالَا يَعْنِيهِ أَوْ مَنَعَ مَالَا يُغْنِيهِ » ومعناه أنه إنما تتهيأ الجنة لمن لا يحاسَب ، ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه ، وإن كان كلامه فى مباح ، فلا تتهيأ الجنة مع المناقشة فى الحساب ، فإنه نوع من العذاب

وعن محمد بن كعب (٢) ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ هَذَا الْبَابِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » فدخل عبد الله بن سلام ، فقام إليه ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبروه بذلك ، وقالوا أخبرنا بأوثق عمل فى نفسك ترجو به ، فقال إنى لضعيف وإن أوثق ما أرجو به الله سلامة الصدر ، وترك مالا يعنينى . وقال أبو ذر ، (٣) قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَلَا أُعَلِّمُكَ بِعَمَلٍ خَفِيفٍ عَلَى الْبَدَنِ ثَقِيلٍ فِى الْمِيزَانِ ، قلت بلى يارسول الله ، قال « هُوَ الصَّمْتُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَتَرْكُ مَالَا يَعْنِيكَ »

وقال مجاهد ، سمعت ابن عباس يقول ، خمس لهن أحب إلى من الدهم* الموقوفة ، لا تتكلم فيما لا يعنيك ، فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر . ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا ، فإنه رب متكلم فى أمر يعنيه ، قد وضعه فى غير موضعه ، فعنت ، ولا تمار حليما ولا سفيها فإن الحليم يقليك ، والسفيه يؤذيك . واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به

---

(١) حديث إن النبي صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض ـ الحديث : وفيه لعل كعبا قال مالا يعنيه أومنع مالا يغنيه : ابن أبى الدنيا من حديث كعب بن عجرة باسناد جيد إلا أن الظاهر انقطاعه بين الصحابى وبين الراوى عنه

(٢) حديث محمد بن كعب ان أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام الحديث : وفيه ان أوثق ما أرجوه سلامة الصدر وترك مالا يعنينى : ابن ابى الدنيا هكذا مرسلا وفيه أبو نجيح اختلف فيه

(٣) حديث أبى ذر ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ـ الحديث : وفيه هو الصمت وحسن الخلق وترك مالا يعنيك : ابن أبى الدنيا بسند منقطع

* الدهم : العدد الكثير من الابل أو الخيل *

واعفه مما تحب أن يعفيك منه، وعامل أخاك بما تحب أن يعاملك به، واعمل عمل رجل يعلم أنه مجازى بالإحسان مأخوذ بالاجترام . وقيل للقمان الحكيم ، ما حكمتك ؟ قال لا أسأل عما كفيت، ولا أتكلف ما لا يعنيني . وقال مورق العجلي ، أمر أنا في طلبه منذ عشرين سنة ، لم أقدر عليه، ولست بتارك طلبه . قالوا وما هو ؟ قال السكوت عما لا يعنيني . وقال عمر رضي الله عنه لا تتعرض لما لا يعنيك ، واعتزل عدوك ، واحذر صديقك من القوم إلا الأمين ، ولا أمين إلا من خشي الله تعالى . ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ، ولا تطلعه على سرك ، واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى

وحد الكلام فيما لا يعنيك ، أن تتكلم بكلام لو سكت عنه لم تأثم ، ولم تستضر به في حال ، ولا مال . مثاله أن تجلس مع قوم ، فتذكر لهم أسفارك . وما رأيت فيها من جبال وأنهار ، وما وقع لك من الوقائع ، وما استحسنته من الأطعمة والثياب ، وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم . فهذه أمور لو سكت عنها لم تأثم ولم تستضر . وإذا بالغت في الجهاد ، حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان ، ولا تزكية نفس ، من حيث التفاخر بمشاهدة الأحوال العظيمة ، ولا اغتياب لشخص ، ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى ، فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك . وأنى تسلم من الآفات التي ذكرناها !

ومن جملتها أن تسأل غيرك عما لا يعنيك . فأنت بالسؤال مضيع وقتك ، وقد ألجأت صاحبك أيضا بالجواب إلى التضييع . هذا إذا كان الشيء مما لا يتطرق إلى السؤال عنه آفة وأكثر الأسئلة فيها آفات ، فإنك تسأل غيرك عن عبادته مثلا فتقول له ، هل أنت صائم؟ فإن قال نعم ، كان مظهرا لعبادته ، فيدخل عليه الرياء ، وإن لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر ، وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات . وإن قال لا ، كان كاذبا . وإن سكت ، كان مستحقرا لك ، وتأذيت به . وإن اجتال لمدافعة الجواب ، افتقر إلى جهد ، وتعب فيه . فقد عرضته بالسؤال إما للرياء ، أو للكذب ، أو للاستحقار ، أو للتعب في حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن سائر عباداته ، وكذلك سؤالك عن المعاصي ، وعن كل ما يخفيه ويستحي منه ، وسؤالك عما حدث به غيرك . فتقول له ماذا تقول ؟ وفيم أنت ؟ وكذلك ترى إنسانا في الطريق ، فتقول من أين؟ فربما يمنعه مانع من ذكره ، فإن ذكره تأذى به واستحيى

وإن لم يصدق وقع فى الكذب ، وكنت السبب فيه . وكذلك تسأل عن مسألة لاحاجة بك إليها ، والمسئول ربما لم تسمح نفسه بأن يقول لاأدرى ، فيجيب عن غير بصيرة

ولست أعنى بالتكلم فيما لا يعنى هذه الأجناس ، فإن هذا يتطرق إليه إثم أو ضرر . وإنما مثال مالا يعنى ماروى أن لقمان الحكيم ، دخل على داود عليه السلام ، وهو يسرد درعا ، ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم . فجعل يتعجب مما رأى . فأراد أن يسأله عن ذلك ، فمنعته حكمته ، فأمسك نفسه ولم يسأله . فلما فرغ ، قام داود ولبسه ، ثم قال نعم الدرع للحرب . فقال لقمان ، الصمت حكم وقليل فاعله . أى حصل العلم به من غير سؤال ، فاستغنى عن السؤال . وقيل إنه كان يتردد إليه سنة ، وهو يريد أن يعلم ذلك من غير سؤال

فهذا وأمثاله من الأسئلة ، إذا لم يكن فيه ضرر ، وهتك ستر ، وتوريط فى رياء وكذب وهو مما لا يعنى ، وتركه من حسن الإسلام ، فهذا حده

وأما سببه الباعث عليه ، فالحرص على معرفة مالا حاجة به إليه ، أو المباسطة بالكلام على سبيل التودد ، أو تزجية الأوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها . وعلاج ذلك كله أن يعلم أن الموت بين يديه ، وأنه مسئول عن كل كلمة ، وأن أنفاسه رأس ماله ، وأن لسانه شبكة يقدر على أن يقتنص بها الحور العين ، فإهماله ذلك وتضييعه خسران مبين . هذا علاجه من حيث العلم ، وأما من حيث العمل ، فالعزلة ، أو أن يضع حصاة فى فيه ، وأن يلزم نفسه السكوت بها عن بعض ما يعنيه ، حتى يعتاد اللسان ترك مالا يعنيه ، وضبط اللسان فى هذا على غير المعتزل شديد جدا

الآفة الثانية

فضول الكلام

وهو أيضا مذموم . وهذا يتناول الخوض فيما لا يعني ، والزيادة فيما يعنى على قدر الحاجة فإن من يعنيه أمر ، يمكنه أن يذكره بكلام مختصر ، ويمكنه أن يجسمه ، ويقرره ، ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة ، فذكر كلمتين ، فالثانية فضول . أى فضل عن الحاجة

وهو أيضا مذموم لما سبق . وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر . قال عطاء بن أبي رباح : إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام ، وكانوا يعدّون فضول الكلام ماعدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو أمرا بمعروف ، أو نهيا عن منكر ، أو أن تنطق بحاجتك فى معيشتك التى لا بد لك منها . أتنكرون أن عليكم حافظين ، كراما كاتبين ، عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد! أما يستحى أحدكم إذا نشرت صحيفته التى أملاها صدر نهاره ، كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه

وعن بعض الصحابة قال إن الرجل ليكلمنى بالكلام، لَجَوَابُهُ أشهى إلىّ من الماء البارد إلى الظمآن ، فأترك جوابه ، خيفة أن يكون فضولا . وقال مطرف ، ليعظم جلال الله فى قلوبكم ، فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب والحمار ، اللهم أخزه ، وما أشبه ذلك

واعلم أن فضول الكلام لا ينحصر . بل المهم محصور فى كتاب الله تعالى . قال الله عز وجل (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ [1]) وقال صلى الله عليه وسلم [1] « طُوبَى لِمَنْ أَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ » فانظر كيف قلب الناس الأمر فى ذلك ، فأمسكوا فضل المال ، وأطلقوا فضل اللسان ! وعن مطرف بن عبد الله ، عن أبيه ، قال [2] قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رهط من بنى عامر ، فقالوا أنت والدنا ، وأنت سيدنا؟ وأنت أفضلنا علينا فضلا وأنت أطولنا علينا طولا ، وأنت الجفنة الغراء ، وأنت وأنت ، فقال « قُولُوا قَوْلَكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ » إشارة إلى أن اللسان إذا اطلق بالثناء ، ولو بالصدق ، فيخشى أن يستهويه الشيطان إلى الزيادة المستغنى عنها وقال ابن مسعود ، أنذركم فضول كلامكم.

﴿ الآفة الثانية فضول الكلام ﴾

(١) حديث طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله: البغوى وابن قانع فى معجمى الصحابة والبيهقى من حديث ركب المصرى وقال ابن عبد البر انه حديث حسن وقال البغوى لا أدرى سمع من النبى صلى الله عليه وسلم أم لا وقال ابن منده مجهول لا نعرف له صحبة ورواه البزار من حديث أنس بسند ضعيف

(٢) حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رهط من بنى عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا ـ الحديث: دن فى اليوم والليلة بلفظ آخر ورواه ابن أبى الدنيا بلفظ المصنف

(١) النساء : ١١٤

حسب امرىء من الكلام ما بلغ به حاجته. وقال مجاهد: إن الكلام ليكتب، حتى أن الرجل ليُسكتُ ابنه فيقول، أبتاع لك كذا وكذا، فيكتب كذابا. وقال الحسن: يا ابن آدم، بسطت لك صحيفة ووكل بها ملكان كريمان يكتبان أعمالك، فاعمل ما شئت، وأكثر أو أقل.

وروى أن سليمان عليه السلام، بعث بعض عفاريته، وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه. فأخبروه بأنه مرّ فى السوق، فرفع رأسه إلى السماء، ثم نظر إلى الناس وهزّ رأسه. فسأله سليمان عن ذلك. فقال عجبت من الملائكة على رءوس الناس، ما أسرع ما يكتبون! ومن الذين أسفل منهم، ما أسرع ما يعلون

وقال إبراهيم التيمى: إذا أراد المؤمن أن يتكلم نظر، فإن كان له تكلم، وإلا أمسك والفاجر إنما لسانه رسلا رسلا. وقال الحسن: من كثر كلامه كثر كذبه، ومن كثر ماله كثرت ذنوبه، ومن ساء خلقه عذب نفسه

وقال عمرو بن دينار [1] تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم، فأكثر فقال له صلى الله عليه وسلم «كَمْ دُونَ لِسَانِكَ مِنْ حِجَابٍ؟» فقال شفتاى وأسنانى، قال «أَفَمَا كَانَ لَكَ فِى ذَلِكَ مَا يَرُدُّ كَلَامَكَ؟» وفى رواية، أنه قال ذلك فى رجل أثنى عليه، فاستهتر فى الكلام، ثم قال «مَا أُوتِىَ رَجُلٌ شَرًّا مِنْ فَضْلٍ فِى لِسَانِهِ»

وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه، إنه ليمنعنى من كثير من الكلام خوف المباهاة وقال بعض الحكماء، إذا كان الرجل فى مجلس، فأعجبه الحديث، فليسكت. وإن كان ساكتا، فأعجبه السكوت، فليتكلم. وقال يزيد بن أبى حبيب: من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع فإن وجد من يكفيه، فإن فى الاستماع سلامة، وفى الكلام تزيين، وزيادة ونقصان. وقال ابن عمر: إن أحق ما طهر الرجل لسانه. ورأى أبو الدرداء امرأة سليطة، فقال لو كانت هذه خرساء كان خيرا لها. وقال إبراهيم يهلك الناس خلتان، فضول المال، وفضول الكلام

فهذه مذمة فضول الكلام وكثرته وسببه الباعث عليه، وعلاجه ما سبق فى الكلام فيما لا يعنى؟

---

(١) حديث عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال كم دون لسانك من باب ـ الحديث: ابن أبى الدنيا هكذ مرسلا ورجاله ثمات

فهرست الجزء الثامن

صفحة

كتاب شرح عجائب القلب ١٣٤٢

بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل ١٣٤٣

معنى القلب

معنى الروح ١٣٤٤

معنى النفس ١٣٤٥

معنى العقل ١٣٤٦

بيان جنود القلب ١٣٤٧

أصناف جنود القلب ١٣٤٨

بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة ١٣٤٩

المثل الأول

المثل الثانى ١٣٥٠

المثل الثالث ١٣٥١

بيان خاصية قلب الانسان

سبب تفضيل القلب

العلم

الارادة ١٣٥٢

بيان مجامع أوصاف القلب وأمثلته ١٣٥٦

الشوائب المحيطة بالانسان وأثرها فيه

اجتماع الشوائب فى القلب

الصفات المتولدة من طاعة الشهوة ١٣٥٧

الصفات المتولدة من طاعة الغضب ١٣٥٨

الصفات المتولدة من طاعة الشيطان

الصفات المتولدة من قهر الشهوة والغضب

تأثر القلب بالطاعات

تأثر القلب بالمعاصى ١٣٥٩

بيان مثل القلب بالاضافة الى العلوم خاصة ١٣٦٠

تمثيل القلب بالمرآة

تمثيله بقبض السيف

أسباب عدم وصول العلم الى القلب ١٣٦١

نقصان القلب فى ذاته

تراكم المعاصى على القلب

ضلال القلب ١٣٦٢

حجاب القلب

جهل طرق التحصيل

مراتب الايمان وأمثلتها ١٣٦٤

ايمان العوام ١٣٦٥

ايمان المتكلمين

ايمان العارفين

صفحة

بيان حال القلب بالاضافة الى اقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والاخروية ١٣٦٦

ضرورة الجمع بين العلوم العقلية والشرعية ١٣٦٨

لا تناقض بين العقل والشرع

أقسام العلوم العقلية ١٣٦٩

بيان الفرق بين الالهام والتعليم والفرق بين طريق الصوفية فى استكشاف الحق وطريق النظار ١٣٧٠

طريق الصوفية فى استكشاف الحق ١٣٧١

طريق النظار فى استكشاف الحق ١٣٧٢

وجوب تعلم الفقه للمتصوف ١٣٧٣

بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس

المثال الأول تمثيل القلب بالحوض

شرح كيفية تفجر العلم من القلب ١٣٧٤

كيف يحصل العلم فى القلب ١٣٧٥

بم تفتح أبواب القلب

الفرق بين عمل الأولياء وعمل العلماء ١٣٧٦

عدم موت قلب المؤمن

تفاوت درجات الايمان بتفاوت القلوب ١٣٧٨

بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف فى اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد ١٣٧٩

شواهد الشرع

شواهد التجارب ١٣٨١

الدليل القاطع على وجود الكشف ١٣٨٣

بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها ١٣٨٤

معنى الخاطر ـ معنى الالهام والوسواس ١٣٨٥

معنى الملك والشيطان والتوفيق والخذلان

كيف يتسلط الخير أو الشر على القلب ١٣٨٦

كيف ينجو الانسان من الشيطان ١٣٨٧

البحث عن ماهية الشيطان من الجن ١٣٨٨

	صفحة
بعض مداخل الشيطان الخفية	١٣٩٠
النساء مصيدة الشيطان العظمى	١٣٩٣
بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب	١٣٩٤
أبواب مداخل الشيطان ــ الغضب والشهوة	
الحسد والحرص	١٣٩٥
الشبع وآفاته ــ مضار كثرة الأكل	١٣٩٦
حب التزين ــ الطمع فى الناس	
العجلة من الشيطان ــ المال	١٣٩٧
البخل وآفاته	١٣٩٨
التعصب الأعمى	١٣٩٩
غرور العوام	١٤٠١
سوء الظن بالمسلمين	١٤٠٢
القاعدة العامة فى كيفية اتقاء الشيطان	١٤٠٣
دعاء ابن واسع لاتقاء الشيطان	١٤٠٤
التقوى أساس النجاة من الشيطان	١٤٠٥
موانع اجابة الدعاء	١٤٠٦
أولادابليس ــ الملائكةوحراسة البشر	١٤٠٧
أصناف الجن والانس ، صور الملائكة والشياطين	١٤٠٨
بيان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصورها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به	١٤١٠
أدلة العفو عن وساوس القلب	١٤١٠
أدلة المؤخذة بوساوس القلب	١٤١١
تحليل العوامل التى تسبق الفعل	
حكم الخاطر والميل	١٤١٢
حكم الاعتقاد ــ حكم الهم والفعل	١٤١٣
بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا	
آراء العلماء فى انقطاع الوسوسة بذكر الله تعالى	
أنواع وسوسة الشيطان وتأثر كل نوع بذكر الله	١٤١٦
بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب فى التغير والثبات	١٤١٩
أمثلة الرسول صلى الله عليه وسلم	
القلب الطاهر المطمئن	١٤٢٠
القلب المشحون بالهوى	١٤٢١
بعض نقط الضعف فى الانسان	
القلب المتردد بين الخير والشر	١٤٢٢
العالم الفاسق حجة الشيطان	

	صفحة
كتاب رياضة النفس	١٤٢٦
وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب	
بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق	١٤٢٧
بعض الأحاديث الواردة فى حسن الخلق	
جماع الدين حسن الخلق	١٤٢٨
احباط الأعمال الصالحة بسوء الخلق	
منزلة حسن الخلق بين الأعمال	١٤٣٠
تأثير حسن الخلق فى السيئات	١٤٣١
بعض الآثار الواردة فى حسن الخلق	١٤٣٢
بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق	١٤٣٣
بعض تعريفات لحسن الخلق	
الفرق بين الخلق والخلق	١٤٣٦
معنى الخلق للامام الغزالى	
أمهات الأخلاق ومعانيها	١٤٣٨
العدل وطرفاه	١٤٣٩
الشجاعة وطرفاها ــ العفة وطرفاها	١٤٣٧
بيان قبول الأخلاق للتغير بطريق الرياضة	١٤٣٨
أدلة عدم قبول الأخلاق للتغيير	١٤٣٨
الأخلاق قابلة للتغيير	١٤٣٩
سبب اختلاف الناس فى قبول أخلاقهم للتغيير	
مراتب الناس بالنسبة لقبول الاصلاح المراد بتغيير الأخلاق	١٤٤٠
بيان السبب الذى ينال حسن الخلق على الجملة	١٤٤٣
الكمال الفطرى	
كيفية اكتساب الخلق الحسن	
تأثير العادة فى غريزة الانسان	١٤٤٥
ميل القلب الى العلم طبعى	
كيف يصير التطبع طبعا	
التهاون فى الصغيرة يجلب الوقوع فى الكبيرة	١٤٤٧
بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق	
كيفية علاج أمراض النفس	١٤٤٨
التخلى عن الذنوب مقدم على التحلى بالمحاسن	١٤٤٩
التدرج فى التطهر من الذنوب	

صفحة

بيان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها الى الصحة ١٤٥١
علامات مرض القلوب
علامات عودة القلب الى الصحة ١٤٥٢
كيفية معرفة الوسط فى الامور
غموض الوسط الحقيقى للامور ١٤٥٣
بيان الطريق الذى يعرف به الانسان عيوب نفسه
كيف يعرف الشخص عيوب نفسه ١٤٥٤
الصداقة فى هذه الأيام
ألسنة الأعداء ـ مخالطة الناس ١٤٥٥
بيان شواهد النقل من أرباب البصائر البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق فى معالجة أمراض القلوب
ترك الشهوات وأن مادة أمراضها هى اتباع الشهوات ١٤٥٦
طرق الرياضة لمجاهدة النفس ١٤٥٧
الجنيد ومخالفته لهوى نفسه ١٤٥٨
أصناف الخلق بالنسبة لذكر الله تعالى ١٤٥٩
التكالب على الدنيا محبط للحسنات آفة المباح ١٤٦٠
بيان علامات حسن الخلق ١٤٦٢
علامات حسن الخلق فى القرآن ١٤٦٣
علامات حسن الخلق فى السنة
بعض صفات ذى الخلق الحسن ١٤٦٤
بعض الآثار فى احتمال الأذى
بيان الطريق فى رياضة الصبيان فى أول نشوهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم ١٤٦٨
مسئولية الوالد فى تربية ولده
المرأة الصالحة تجعل الطفل صالحا
استقلال والد الطفل فى تربيته
تعليم الطفل آداب الطعام
تعليم الطفل آداب اللبس ١٤٦٩
ما يجوز أن يتعلمه الصبى وما لا يجوز
سياسة الطفل ـ علاقة الطفل بأبيه وأمه
تعويده الخشونة ـ تعويده الصراحة ١٤٧٠

صفحة

الرياضة البدنية ـ التواضع
التعفف عما فى أيدى الغير
تعليم الطفل آداب المجالس
منع الطفل من السب ـ تعويده الشجاعة ١٤٧١
الرياضة للدرس ـ طاعة الوالدين وتوقير الكبير
حثه على الصلاة وتعليمه الحدود
تدريج الصبى رياضة النفس
أثر الارشاد فى الصغر ١٤٧٢
بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة ١٤٧٣
وتدريج المريد فى سلوك سبيل الرياضة
شروط الارادة ـ التجرد عن المال ١٤٧٤
التجرد عن الجاه
التجرد عن التقليد الأعمى والتعصب
التجرد عن المعصية ـ الحاجة الى مرشد وطاعته
الاعتصام بالجوع ـ الاعتصام بالهمة ١٤٧٥
الاعتصام بالصمت ـ الاعتصام بالخلوة ١٤٧٦
تصفية القلب لذكر الله
كيفية التدرج فى سلوك الطريق ١٤٧٧
قواطع الطريق تذكرنا ما مضى ١٤٧٧
الوسواس عن طريق كلمة الذكر ١٤٧٨
العجب والرياء والفرح بما ينكشف له ١٤٧٩
كتاب كسر الشهوتين ١٤٨٤
بيان فضيلة الجوع وذم الشبع
فضيلة الجوع ١٤٨٥
ثواب كسر شهوة البطن ١٤٨٧
كراهية السمن ـ الجوع طريق الى الجنة ١٤٨٨
الآثار الواردة فى فضل الجوع وذم الشبع ١٤٨٩
أقاويل التسترى فى فضل الجوع ١٤٨٩٠
بيان فوائد الجوع وآفات الشبع ١٤٩٢
صفاء القلب وايقاد القريحة
رقة القلب حتى يجد لذة المناجاة ١٤٩٣

	صفحة
الانكسار وزوال البطر	١٤٩٤
تذكر عذاب الآخرة وجوع الفقير	
كسر شهوات المعاصى	١٤٩٥
دفع النوم عن العابد ــ تيسير المواظبة	١٤٩٦
على العبادة	١٤٩٦
صحة البدن	١٤٩٧
خفة المؤنة	١٤٩٨
الايثار والتصدق بفضل الطعام	١٤٩٩
بيان طريق الرياضة فى كسر شهوة البطن	١٥٠٠
الأكل الحلال ــ طريقة تقليل الطعام	
الدرجة القصوى فى الزهد	١٥٠١
الدرجة الثانية فى الزهد	
الدرجة الثالثة فى الزهد ــ الدرجة الرابعة	
علامات الجوع الصادق ــ طعام أهل الصفة	١٥٠٢
الدرجة العليا فى تأخير الأكل	١٥٠٣
الدرجة الثانية ــ الدرجة الثالثة	١٥٠٤
الزهد فى نوع الطعام	١٥٠٥
ايثار ابن عمر رضى الله عنه وزهده	١٥٠٦
بعض حكايات الصالحين فى الزهد	١٥٠٧
طريقة هضم الطعام	١٥١١
بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه ــ خير الأمور الوسط	١٥١٢
تحديد مقدار الأكل	١٥١٣
احسن الطعام الأكل عند الجوع	١٥١٤
زهد عمر رضى الله عنه فى الأكل	١٥١٦
تأديب عمر رضى الله عنه ولده فى الأكل	١٥١٧
بيان آفة الرياء المتطرق الى من ترك اكل الشهوات وقلل الطعام ــ النفاق	
الرياء	١٥١٨
القول فى شهوة الفرج	١٥١٩
تذكر التمتع فى الآخرة ــ بقاء النسل	
ملازمة الفتنة للخلوة بالأجنبية	١٥٢٠
المرأة سلاح ابليس اللعين	
تحريم النظر الى الأجنبية	١٥٢١
بيان ما على المريد فى ترك التزويج وفعله	١٥٢٢
الاحتجاب عن الاعمى	
وجوب الزواج خوفا من اللواط ــ تحريم النظر الى وجه الأمرد	١٥٢٤
مضار التزوج بالغنية	١٥٢٥
مكارم أخلاق المريدين مع أزواجهم	
زهد رابعة العدوية وورعها	١٥٢٦
كيف زوج سعيد بن المسيب ابنته	
تجلى مكارم بن المسيب فى زواج ابنته	١٥٢٧
بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين	١٥٢٨
أمثلة من عفة السلف ــ محافظة ابن [illegible] على عفته ــ مكان العفة بين مختلف الطاعات	١٥٢٩
النظر الى الوجه الحسن بريد الشر	١٥٣١
كتاب آفات اللسان	١٥٣٦
بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت	١٥٣٧
بعض الأحاديث الواردة فى خطر اللسان	
مكان اللسان بين الأعضاء	١٥٣٨
أصول الشر	١٥٣٩
بعض الآثار الواردة فى خطر اللسان	١٥٤١
بحث تحليلى فى سبب فضل الصمت	١٥٤٢
الآفة الأولى ــ الكلام فيما لا يعنيك	١٥٤٤
الوقت رأس مال الانسان	
حد الكلام فيما لا يعنيك وأمثلته	١٥٤٦
الباحث عن الكلام فيما لا يعنيك وعلاجه	١٥٤٧
الآفة الثانية ــ فضول الكلام	
مواضع فضول الكلام	١٥٤٨

إحياء علوم الدين

للإمام أبي حامد الغزالي

وبهامشه كتاب

[illegible]

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

[illegible]

[illegible]

إحياء علوم الدين

للإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد

الغزالي

(المتوفى سنة ٥٠٥ هـ)

ويذيله كتاب

المغني عن الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار

للعلامة

زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي

(المتوفى سنة ٨٠٦ هـ)

ضبط نصه وخرج أحاديثه

د/ محمد محمد تامر

كلية دار العلوم - قسم الشريعة الإسلامية

الجزء الثاني

دار الآفاق العربية

دار الآفاق العربية
نشر - توزيع - طباعة
٥٥ ش محمود طلعت - من ش الطيران
مدينة نصر - القاهرة
تليفون: ٢٦١٧٣٣٩ - تليفاكس: ٢٦١٠١٦٤
e-mail: daralafk@hotmail.com

اسم الكتاب : إحياء علوم الدين
اسم المؤلف : الإمام الغزالى
اسم المحقق : د. محمد محمد تامر

رقم الإيداع : ١٥٨٤ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولى : 4 - 083 - 344 - 977

الطبعة الأولى
٢٠٠٤م

جميع الحقوق محفوظة للناشر

كتاب آداب الأكل

وهو الكتاب الأول من ربع العادات من كتاب: إحياء العلوم

الحمد لله الذي أحسن تدبير الكائنات، فخلق الأرض والسموات. وأنزل الماء الفرات من المعصرات، فأخرج به الحب والنبات. وقدّر الأرزاق والأقوات. وحفظ بالمأكولات قوى الحيوانات، وأعان على الطاعات والأعمال الصالحات بأكل الطيبات، والصلاة على محمد ذي المعجزات الباهرات، وعلى آله وأصحابه صلاة تتوالى على ممرّ الأوقات وتتضاعف بتعاقب الساعات، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد، فإن مقصد ذوي الألباب لقاء الله تعالى في دار الثواب، ولا طريق إلى الوصول للقاء الله إلاّ بالعلم والعمل، ولا تمكن المواظبة عليهما إلا بسلامة البدن، ولا تصفو سلامة البدن إلا بالأطعمة والأقوات. والتناول منها بقدر الحاجة على تكرر الأوقات، فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين: إن الأكل من الدين، وعليه نبه رب العالمين بقوله وهو أصدق القائلين: ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١] فمن يقدم على الأكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى فلا ينبغي أن يترك نفسه مهملًا سدى، يسترسل في الأكل استرسال البهائم في المرعى، فإن ما هو ذريعة إى الدين ووسيلة إليه ينبغي أن تظهر أنوار الدين عليه. وإنما أنوار الدين آدابه وسننه التي يزم العبد بزمامها ويلجم المتقي بلجامها، حتى يتزن بميزان الشرع شهوة الطعام في إقدامها وإحجامها، فيصير بسببها مدفعة للوزر ومجلبة للأجر وإن كان فيها أوفى حظّ للنفس. قال ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُؤْجَرُ حَتَّى فِي اللُّقْمَةِ يَرْفَعُها إلى فِيهِ وَإلى في امْرَأَتِهِ»(١) وإنما ذلك إذا رفعها بالدين وللدين مراعيًا فيه آدابه ووظائفه.

وها نحن نرشد إلى وظائف الدين في الأكل فرائضها وسننها وآدابها ومروءاتها وهيئاتها في أربعة أبواب، وفصل في آخرها.

الباب الأول: فيما لا بد للآكل من مراعاته وإن انفرد بالأكل.

الباب الثاني: فيما يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الأكل.

الباب الثالث: فيما يخص تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين.

الباب الرابع: فيما يخص الدعوة والضيافة وأشباهها.

* * *

(١) صحيح: حديث «إن الرجل ليؤجر في اللقمة يرفعها إلى فيه وإلى في امرأته». أخرجه البخاري من حديث لسعد بن أبي وقاص «وإنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك»، [البخاري: ٢٧٤٢].

الباب الأول فيما لا بد للمنفرد منه

وهو ثلاثة أقسام: قسم قبل الأكل، وقسم مع الأكل، وقسم بعد الفراغ منه

القسم الأول: في الآداب التي تتقدم على الأكل وهي سبعة:

الأول: أن يكون الطعام بعد كونه حلالًا في نفسه طيبًا في جهة مكسبه موافقًا للسنّة والورع لم يكتسب بسبب مكروه في الشرع ولا بحكم هوى ومداهنة في دين ـ على ما سيأتي في معنى الطيب المطلق في كتاب الحلال والحرام ـ وقد أمر الله تعالى بأكل الطيب وهو الحلال وقدم النهي عن الأكل بالباطل على القتل تفخيمًا لأمر الحرام وتعظيمًا لبركة الحلال فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النساء: ٢٩] إلى قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] ، فالأصل في الطعام كونه طيبًا وهو من الفرائض وأصول الدين.

الثاني: غسل اليد، قال ﷺ: «الوُضُوءُ قَبْلَ الطَّعَامِ يَنْفِي الفَقْرَ وَبَعْدَهُ يَنْفِي اللَّمَمَ» (١) وفي رواية: «يَنْفِي الفَقْرَ قَبْلَ الطَّعَامِ وَبَعْدَهُ» ولأن اليد لا تخلو عن لوث في تعاطي الأعمال فغسلها أقرب إلى النظافة والنزاهة. ولأن الأكل لقصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بأن يقدم عليه ما يجري منه مجرى الطهارة من الصلاة.

الثالث: أن يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الأرض فهو أقرب إلى فعل رسول الله ﷺ من رفعه على المائدة كان رسول الله ﷺ إذا أتي بطعام وضعه على الأرض (٢) فهذا أقرب إلى التواضع. فإن لم يكن فعلى السفرة فإنها تذكر السفر ويتذكر من السفر سفر الآخرة وحاجته إلى زاد التقوى. وقال أنس بن مالك رحمه الله: «مَا أَكَلَ رَسُولُ الله عَلَى خِوانٍ وَلاَ فِي سكرجَةٍ» (٣) . قيل: فعلى ماذا كنتم تأكلون؟ قال: على السفرة. وقيل: أربع أحدّثت بعد رسول الله ﷺ: الموائد والمناخل والأشنان والشبع. واعلم أنا وإن قلنا الأكل على السفرة

---

(١) ضعيف: حديث «الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم» وفي رواية «ينفي الفقر قبل الطعام وبعده». أخرجه القضاعي في مسند الشهاب من رواية موسى الرضا عن آبائه متصلا باللفظ الأول، وللطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس «الوضوء قبل الطعام وبعده مما ينفي الفقر» ولأبي داود والترمذي من حديث سلمان «بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده» وكلها ضعيفة، [أبو داود: ٣٧٦١، الترمذي: ١٨٤٦، وانظر ضعيف الجامع: ٢٣٣١].

(٢) إسناده مرسل صحيح: حديث «كان إذا أتي بطعام وضعه على الأرض». أخرجه أحمد في كتاب الزهد من رواية الحسن مرسلا ورواه البزار من حديث أبي هريرة نحوه وفيه جماعة وثقه أحمد وضعفه الدارقطني، [انظر الصحيحة: ٥٤٤].

(٣) صحيح: حديث أنس «ما أكل رسول الله ﷺ على خوان ولا في سكرجة». الحديث رواه البخاري، [البخاري: ٥٣٨٦].

أولى فلسنا نقول الأكل على المائدة منهي عنه نهي كراهة أو تحريم إذ لم يثبت فيه نهي. وما يقال إنه أبدع بعد رسول الله فليس كل ما أبدع منهيًا، بل المنهي بدعة تضاد سنَّة ثابتة وترفع أمرًا من الشرع مع بقاء علته، بل الإبداع قد يجب في بعض الأحوال إذا تغيرت الأسباب وليس في المائدة إلا رفع الطعام عن الأرض لتيسير الأكل وأمثال ذلك مما لا كراهة فيه.

والأربع التي جمعت في أنها مبدعة ليست متساوية بل الأشنان حسن لما فيه من النظافة، فإن الغسل مستحب للنظافة والأشنان أتم في التنظيف، وكانوا لا يستعملونه لأنه ربما كان لا يعتاد عندهم أو لا يتيسر، أو كانوا مشغولين بأمور أهم من المبالغة في النظافة، فقد كانوا لا يغسلون اليد أيضًا، وكانت مناديلهم أخمص أقدامهم وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبًا. وأما المنخل فالمقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح ما لم ينته إلى التنعم المفرط. وأما المائدة فتيسير للأكل وهو أيضًا مباح ما لم ينته إلى الكبر والتعاظم. وأما الشبع فهو أشد هذه الأربعة فإنه يدعو إلى تهييج الشهوات وتحريك الأدواء في البدن فلتدرك التفرقة بين هذه المبدعات.

الرابع: أن يحسن الجلسة على السفرة في أوّل جلوسه ويستديمها. كذلك كان رسول الله ﷺ ربما جثا للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه، وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى[(١)] وكان يقول: «لاَ آكُلُ مُتَّكِئًا[(٢)] إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ العَبْدُ وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ العَبْدُ»[(٣)] والشرب متكئًا مكروه للمعدة أيضًا ويكره الأكل نائمًا ومتكئًا إلا ما يتنقل به من الحبوب. روي عن علي كرم الله وجهه أنه أكل كعكًا على ترس وهو مضطجع ويقال منبطح على بطنه والعرب قد تفعله.

الخامس: أن ينوي بأكله أن يتقوى به على طاعة الله تعالى ليكون مطيعًا بالأكل ولا يقصد التلذذ والتنعم بالأكل. قال إبراهيم بن شيبان: منذ ثمانين سنة ما أكلت شيئًا لشهوتي. ويعزم مع ذلك على تقليل الأكل، فإنه إذا أكل لأجل قوة العبادة لم تصدق نيته إلا بأكل ما دون الشبع فإن الشبع يمنع من العبادة ولا يقوى عليها فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة

---

(١) حديث «ربما جثا للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى». أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن بُسْر في أثناء حديث «أتوا تلك القصعة فالتفوا عليها فلما كثروا جثا رسول الله ﷺ ... الحديث» وله وللنسائي من حديث أنس «رأيته يأكل وهو مقنع من الجوع» وروى أبو الحسن بن المقري في الشمائل من حديثه «كان إذا قعد على الطعام استوفز على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأفعل كما يفعل العبد» وإسناده ضعيف، [أبو داود: ٣٧٧٣، وحديث عبد الله بن بسر صحيح، انظر صحيح أبي داود: ٣/ ٣٤٨، وحديث أنس ضعيف، انظر ضعيف الجامع: ٢٠٥٣].

(٢) صحيح: حديث «كان يقول لا آكل متكئا». أخرجه البخاري من حديث أبي جحيفة،[البخاري: ٥٣٩٨].

(٣) صحيح من حديث عائشة: حديث «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد» تقدم قبله من حديث أنس بلفظ «وأفعل» بدل «وأجلس». رواه البزار من حديث ابن عمر دون قوله «وأجلس»، [صححه الألباني في صحيح الجامع: ٧، من حديث عائشة رضى الله عنها].

وإيثار القناعة على الاتساع. قال رسول الله ﷺ: «مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ. حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَات يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَثُلْثٌ طَعَامٌ وَثُلْثٌ شَرَابٌ وَثُلْثٌ لِلنَّفسِ»(١) . ومن ضرورة هذه النية أن لا يمد اليد إلى الطعام إلا وهو جائع فيكون الجوع أحد ما لا بد من تقديمه على الأكل. ثم ينبغي أن يرفع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب وسيأتي فائدة قلة الأكل وكيفية التدريج في التقليل منه في كتاب كسر شهوة الطعام من ربع المهلكات.

السادس: أن يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد في التنعم وطلب الزيادة وانتظار الأدم، بل من كرامة الخبز أن لا ينتظر به الأدم وقد ورد الأمر بإكرام الخبز(٢)، فكل ما يديم الرمق ويقوي على العبادة فهو خير كثير لا ينبغي أن يستحقر، بل لا ينتظر بالخبز الصلاة إن حضر وقتها إذا كان في الوقت متسع. قال ﷺ: «إِذَا حَضَرَ العِشَاءُ وَالعَشَاءُ فَابْدَؤُوا بِالعَشَاءِ»(٣) . وكان ابن عمر رضي الله عنهما ربما سمع قراءة الإمام ولا يقوم من عشائه. ومهما كانت النفس لا تتوق إلى الطعام ولم يكن في تأخير الطعام ضرر فالأولى تقديم الصلاة. فأما إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة وكان في التأخير ما يبرد الطعام أو يشوش أمره فتقديمه أحب عند اتساع الوقت، تاقت النفس أو لم تتق، لعموم الخبر ولأن القلب لا يخلو عن الالتفات إلى الطعام الموضوع وإن لم يكن الجوع غالبًا.

السابع: أن يجتهد في تكثير الأيدي على الطعام ولو من أهله وولده. قال ﷺ: «اجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ»(٤) . وقال أنس رضي الله عنه: «كان رسول الله لا يأكل وحده»(٥) . وقال ﷺ: «خَيْرُ الطَّعَامِ مَا كَثُرَتْ عَلَيْهِ الأَيْدِي».

---

(١) صحيح: حديث «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن لم يفعل فثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس». أخرجه الترمذي وقال حسن والنسائي وابن ماجه من حديث المقداد بن معديكرب،[الترمذي: ٢٣٨٠، وابن ماجه: ٣٣٤٩، وانظر صحيح الجامع: ٥٦٧٤].

(٢) حسن من حديث عائشة: حديث «أكرموا الخبز». أخرجه البزار والطبراني وابن قانع من حديث عبد الله بن أم حرام بإسناد ضعيف جدا وذكره ابن الجوزي في الموضوعات، [حسنه الألباني في صحيح الجامع: ١٢١٩، مقتصرا على هذا اللفظ بدون زيادة، وانظر ضعيف الجامع: ١١٢٥، والضعيفة: ٢٨٨٤].

(٣) صحيح: حديث «إذا حضر العشاء والعشاء فابدؤوا بالعشاء» تقدم في الصلاة والمعروف «وأقيمت الصلاة».

(٤) حسن: حديث «اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه». أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث وحشي بن حرب بإسناد حسن، [أبو داود: ٣٧٦٤، وابن ماجه: ٣٢٨٦، وحسنه الألباني، انظر صحيح الجامع: ١٤٢].

(٥) إسناده ضعيف: حديث أنس «كان رسول الله ﷺ لا يأكل وحده». رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف، [حديث: «خير الطعام ما كثرت عليه الأيدي»، لم يذكره العراقي، وأورده الألباني في الصحيح: ٨٩٩، بلفظ: «أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي»، والحديث رواه أبو يعلى وابن حبان والبيهقي عن جابر مرفوعًا].

القسم الثاني: في آداب حالة الأكل

وهو أن يبدأ بـ «بسم الله» في أوّله وبـ «الحمد لله» في آخره. ولو قال مع كل لقمة «بسم الله» فهو حسن حتى لا يشغله الشره عن ذكر الله تعالى، ويقول مع اللقمة الأولى «بسم الله» ومع الثانية «بسم الله الرحمن» ومع الثالثة «بسم الله الرحمن الرحيم» ويجهر به ليذكر غيره. ويأكل باليمنى ويبدأ بالملح ويختم به ويصغِّر اللقمة ويجوّد مضغها وما لم يبتلعها لم يمدّ اليد إلى الأخرى فإن ذلك عجلة في الأكل وأن لا يذم مأكولًا. «كَانَ ﷺ لاَ يَعِيبُ مَأْكُولًا كَانَ إِذَا أَعْجَبَهُ أَكَلَهُ وَإِلاَّ تَرَكَهُ»(١) وأن يأكل مما يليه إلا الفاكهة فإن له أن يجيل يده فيها. قال ﷺ: «كُلْ مِمَّا يَلِيكَ»(٢). ثم كان ﷺ يدور على الفاكهة، فقيل له في ذلك فقال: «لَيْسَ هُوَ نَوْعًا وَاحِدًا»(٣). وأن لا يأكل من دورة القصعة ولا من وسط الطعام، بل يأكل من استدارة الرغيف إلا إذا قلَّ الخبز فيكسر الخبز ولا يقطع بالسكين(٤)، ولا يقطع اللحم أيضًا فقد نهى عنه وقال: «انْهَشُوهُ نَهْشًا»(٥). ولا يوضع على الخبز قصعة ولا غيرها إلا ما يؤكل به. قال ﷺ: «أَكْرِمُوا الخُبْزَ فَإِنَّ الله تَعَالَى أَنْزَلَهُ مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ» ولا يمسح يده بالخبز. وقال ﷺ: «إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا وَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذَى وَلاَ يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ وَلاَ يَمْسَحْ يَدَهُ بِالمِنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ البَرَكَةَ»(٦)، ولا ينفخ في الطعام الحار(٧). فهو منهي عنه، بل يصبر إلى أن يسهل أكله ويأكل من التمر وترًا سبعًا أو إحدى عشرة أو إحدى وعشرين أو ما اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا يجمع في كفه، بل يضع النواة من

---

(١) صحيح: حديث أنس «كان لا يعيب مأكولا إن أعجبه أكله وإلا تركه». متفق عليه من حديث أبي هريرة، [البخاري: ٣٥٦٣، بلفظ: «ما عاب النبي ﷺ طعاما قط، إن اشتهاه أكله؛ وإلا تركه»].

(٢) صحيح: حديث «كل مما يليك». متفق عليه من حديث عمر بن أبي سلمة، [البخاري: ٥٣٧٦، مسلم: ٢٠٢٢].

(٣) ضعيف: حديث «كان يدور على الفاكهة وقال: ليس هو نوعا واحدا». أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث عِكْراش بن دويب وفيه «وجالت يد رسول الله ﷺ في الطبق فقال: يا عِكْراش، كُلْ من حيث شئت فإنه غير لون واحد» قال الترمذي غريب ورواه ابن حبان في الضعفاء، [الترمذي: ١٨٤٨، وانظر الضعيفة: ٥٠٩٩].

(٤) حديث «النهي عن قطع الخبز بالسكين». رواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هريرة وفيه نوح ابن أبي مريم وهو كذاب ورواه البيهقي في الشعب من حديث أم سلمة بسند ضعيف.

(٥) حديث «النهي عن قطع اللحم بالسكين». أخرجه أبو داود من حديث عائشة وقال «فانهشوا نهشا» قال النسائي منكر. وأخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث صفوان بن أمية «وانهشوا اللحم نهشا» وسنده ضعيف.

(٦) صحيح: حديث «إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها وليمط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه البركة». أخرجه مسلم من حديث أنس وجابر، [مسلم: ٢٠٣٣، ٢٠٣٤].

(٧) ضعيف: حديث «النهي عن النفخ في الطعام والشراب». أخرجه أحمد في مسنده من حديث ابن عباس وهو عند أبي داود والترمذي وصححه ابن ماجه إلا أنهم قالوا «في الإناء» وأخرجه الترمذي وصححه من حديث أبي سعيد «نهى عن النفخ في الشراب»، [أحمد: ٢٨١٣،

فيه على ظهر كفه ثم يلقيها، وكذا كل ما له عجم وثفل. وأن لا يترك ما استرذله من الطعام ويطرحه في القصعة بل يتركه مع الثفل حتى لا يلتبس على غيره فيأكله. وأن لا يكثر الشرب في أثناء الطعام إلا إذا غصَّ بلقمة أو صدق عطشه فقد قيل إن ذلك مستحب في الطب وإنه دباغ المعدة.

وأما الشرب، فأدبه أن يأخذ الكوز بيمينه ويقول: «بسم الله» ويشربه مصًّا لا عبًّا. قال ﷺ: «مُصُّوا المَاءَ مَصًّا وَلاَ تَعُبُّوهُ عَبًّا فَإِنَّ الكُبَادَ مِنَ العَبِّ»(١) ولا يشرب قائمًا ولا مضطجعًا فإنه نهى عن الشرب قائمًا(٢) . وروي أنه ﷺ شرب قائمًا(٣) ولعله كان لعذر. ويراعى أسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر في الكوز قبل الشرب ولا يتجشأ ولا يتنفس في الكوز، بل ينحيه عن فمه بالحمد ويرده بالتسمية. وقد قال ﷺ بعد الشرب: «الحَمْدُ لله الَّذِي جَعَلَهُ عَذْبًا فُرَاتًا بِرَحْمَتِهِ وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِلْحًا أُجَاجًا بِذُنُوبِنَا»(٤) . والكوز وكل ما يدار على القوم يدار يمنة، وقد شرب رسول الله ﷺ لبنًا وأبو بكر رضي الله عنه عن شماله وأعرابي عن يمينه وعمر ناحيته فقال عمر رضي الله عنه: أعط أبا بكر فناول الأعرابي وقال: الأيمن فالأيمن، ويشرب في ثلاثة أنفاس يحمد الله في أواخرها ويسمي الله في أوائلها ويقول في آخر النفس الأول «الحمد لله» وفي الثاني يزيد «رب العالمين» وفي الثالث يزيد «الرحمن الرحيم» فهذا قريب من عشرين أدبًا في حالة الأكل والشرب دلت عليها الأخبار والآثار.

القسم الثالث: ما يستحب بعد الطعام

وهو أن يمسك قبل الشبع ويلعق أصابعه ثم يمسح بالمنديل ثم يغسلها ويلتقط فتات الطعام. قال ﷺ: «مَنْ أَكَلَ مَا يَسْقُطُ مِنَ المَائِدَةِ عَاشَ فِي سِعَةٍ وَعُوفِيَ فِي وَلَدِهِ»(٥) . ويتخلل ولا يبتلع كل ما يخرج من بين أسنانه بالخلال إلا ما يجمع من أصول أسنانه بلسانه، أما

---

(١) ضعيف: حديث «مصوا الماء مصا ولا تعبوا عبا». أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بالشطر الأول ولأبي داود في المراسيل من رواية عطاء بن أبي رباح «إذا شربتم فاشربوا مصا»، [انظر ضعيف الجامع: ٥٢٦١].

(٢) صحيح: حديث «النهي عن الشراب قائما». أخرجه مسلم من حديث أنس وأبي سعيد وأبي هريرة، [مسلم: ٢٠٥٢].

(٣) صحيح: حديث «أنه ﷺ شرب قائما». متفق عليه من حديث ابن عباس، وذلك من زمزم، [البخاري: ٥٦١٧، ومسلم: ٢٠٢٧].

(٤) ضعيف: حديث «كان يقول بعد الشرب الحمد لله الذي جعل الماء عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا». أخرجه الطبراني في الدعاء مرسلا من رواية أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين،[انظر السلسلة الضعيفة: ٤٢٠٢].

(٥)حديث «من أكل ما سقط من المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده». أخرجه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث جابر بلفظ «أمن من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده الحمق» وله من حديث الحجاج بن علاط «أعطي سعة من الرزق ووقي في ولده» وكلاهما منكر جدا.

المخرج بالخلال فيرميه وليتمضمض بعد الخلال ففيه أثر عن أهل البيت عليهم السلام. وأن يلعق القصعة ويشرب ماءها. ويقال: من لعق القصعة وغسلها وشرب ماءها كان له عتق رقبة. وأن التقاط الفتات مهور الحور العين وأن يشكر الله تعالى بقلبه على ما أطعمه فيرى الطعام نعمة منه. قال الله تعالى: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٧٢] ومهما أكل حلالًا قال: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات. اللهم أطعمنا طيبًا واستعملنا صالحًا. وإن أكل شبهة فليقل: الحمد لله على كل حال اللهم لا تجعله قوّة لنا على معصيتك، ويقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ولإيلاف قريش. ولا يقوم عن المائدة حتى ترفع أوّلًا فإن أكل طعام الغير فليدع له وليقل: اللهم أكثر خيره وبارك له فيما رزقته ويسر له أن يفعل فيه خيرًا وقنعه بما أعطيته واجعلنا وإياه من الشاكرين. وإن أفطر عند قوم فليقل: أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة. وليكثر الاستغفار والحزن على ما أكل من شبهة ليطفئ بدموعه وحزنه حرّ النار التي تعرض لها لقوله ﷺ: «كُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ حَرَامٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ»(١) وليس من يأكل ويبكي كمن يأكل ويلهو. وليقل إذا أكل لبنًا: اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه(٢) ، فإن أكل غيره قال: اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيرًا منه، فذلك الدعاء مما خص به رسول الله ﷺ اللبن لعموم نفعه. ويستحب عقيب الطعام أن يقول: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافي من كل شيء ولا يكفي منه شيء أطعمت من جوع وآمنت من خوف فلك الحمد. آويت من يتم وهديت من ضلالة وأغنيت من عيلة فلك الحمد حمدًا كثيرًا دائمًا طيبًا نافعًا مباركًا فيه كما أنت أهله ومستحقه. اللهم أطعمتنا طيبًا فاستعملنا صالحًا واجعله عونًا لنا على طاعتك ونعوذ بك أن نستعين به على معصيتك، وأما غسل اليدين بالأشنان فكيفيته أن يجعل الأشنان في كفه اليسرى ويغسل الأصابع الثلاث من اليد اليمنى أوّلًا، ويضرب أصابعه على الأشنان اليابس فيمسح به شفتيه، ثم ينعم غسل الفم بأصبعه ويدلك ظاهر أسنانه وباطنها والحنك واللسان، ثم يغسل أصابعه من ذلك بالماء ثم يدلك ببقية الأشنان اليابس أصابعه ظهرًا وبطنًا ويستغني بذلك عن إعادة الأشنان إلى الفم وإعادة غسله.

---

(١) حديث «كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به». هو في شعب الإيمان من حديث كعب بن عجرة بلفظ «سحت» وهو عند الترمذي وحسنه بلفظ «لا يربوا لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به»، [حديث كعب بن عجرة عند البيهقي، قال عنه الألباني في صحيح الترغيب: ١٧٢٩، : صحيح لغيره، أما حديث الترمذي فهو عنده برقم: ٦١٤، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي].

(٢) حسن: حديث «القول عند أكل اللبن اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه». أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث ابن عباس «إذا أكل أحدكم طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه، ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه»،[أبو داود: ٣٧٣٠، وحسنه الألباني، انظر صحيح الترمذي].

الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة في الأكل وهي سبعة

الأول: أن لا يبتدئ بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر سن أو زيادة فضل إلا أن يكون هو المتبوع والمقتدى به، فحينئذ ينبغي أن لا يطول عليهم الانتظار إذا اشرأبوا للأكل واجتمعوا له.

الثاني: أن لا يسكتوا على الطعام فإن ذلك من سيرة العجم، ولكن يتكلمون بالمعروف ويتحدّثون بحكايات الصالحين في الأطعمة وغيرها.

الثالث: أن يرفق برفيقه في القصعة فلا يقصد أن يأكل زيادة على ما يأكله، فإن ذلك حرام إن لم يكن موافقًا لرضا رفيقه مهما كان الطعام مشتركًا. بل ينبغي أن يقصد الإيثار ولا يأكل تمرتين في دفعة إلا إذا فعلوا ذلك أو استأذنهم. فإن قلل رفيقه نشطه ورغبه في الأكل وقال له: «كُلْ» ولا يزيد في قوله: «كُلْ» على ثلاث مرات فإن ذلك إلحاح وإفراط. كان رسول الله ﷺ إذا خوطب في شيء ثلاثًا لم يراجع بعد ثلاث[١] . وكان ﷺ يكرّر الكلام ثلاثًا[٢] . فليس من الأدب الزيادة عليه. فأما الحلف عليه بالأكل فممنوع. قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: الطعام أهون من أن يحلف عليه.

الرابع: أن لا يحوج رفيقه إلى أن يقول له: كُلْ. قال بعض الأدباء: أحسن الآكلين أكلًا من لا يحوج صاحبه إلى أن يتفقده في الأكل وحمل عن أخيه مؤنة القول: ولا ينبغي أن يدع شيئًا مما يشتهيه لأجل نظر الغير إليه، فإن ذلك تصنع بل يجري على المعتاد ولا ينقص من عادته شيئًا في الوحدة، ولكن يعوّد نفسه حسن الأدب في الوحدة حتى لا يحتاج إلى التصنع عند الاجتماع. نعم لو قلل من أكله إيثارًا لإخوانه ونظرًا لهم عند الحاجة إلى ذلك فهو حسن، وإن زاد في الأكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم في الأكل فلا بأس به بل هو حسن. وكان ابن المبارك يقدّم فاخر الرطب إلى إخوانه ويقول: من أكل أكثر أعطيته بكل نواة درهمًا. وكان يعد النوى ويعطي كل من له فضل نوى بعدده دراهم وذلك لدفع الحياء وزيادة النشاط في الانبساط، وقال جعفر بن محمد رضي الله عنهما: أحب إخواني إليَّ أكثرهم أكلًا وأعظمهم لقمة وأثقلهم عليَّ من يحوجني إلى تعهده في الأكل. وكل هذا إشارة إلى الجري على المعتاد وترك التصنع. وقال جعفر رحمه الله أيضًا: تتبين جودة محبة الرجل لأخيه بجودة

---

(١) صحيح: حديث «كان إذا خوطب في شيء ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث». أخرجه أحمد من حديث جابر في حديث طويل ومن حديث أبي حدرد أيضا وإسنادهما حسن،[أحمد: ١٥٠٦٣، وانظر السلسلة الصحيحة: ١٤٢].

(٢) صحيح: حديث «كان يكرر الكلمة ثلاثا». أخرجه البخاري من حديث أنس «كان يعيد الكلمة ثلاثا»،[البخاري: ٩٤].

أكله في منزله.

الخامس: أن غسل اليد في الطست لا بأس به وله أن يتنخم فيه إن أكل وحده وإن أكل مع غيره فلا ينبغي أن يفعل ذلك.

فإذا قدّم الطست إليه غيره إكرامًا له فليقبله. اجتمع أنس بن مالك وثابت البناني رضي الله عنهما على طعام فقدّم أنس الطست إليه فامتنع ثابت فقال أنس: إذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا تردها فإنما يكرم الله عز وجل. وروي أن هارون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير فصب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال: يا أبا معاوية تدري من صب على يديك؟ فقال: لا، قال: صبه أمير المؤمنين، فقال: يا أمير المؤمنين إنما أكرمت العلم وأجللته فأجلك الله وأكرمك كما أجللت العلم وأهله. ولا بأس أن يجتمعوا على غسل اليد في الطست في حالة واحدة فهو أقرب إلى التواضع وأبعد عن طول الانتظار. فإن لم يفعلوه فلا ينبغي أن يصب ماء كل واحد بل يجمع الماء في الطست. قال ﷺ: «اجْمَعُوا وَضُوءَكُمْ جَمَعَ الله شَمْلَكُمْ»(١) قيل إن المراد به هذا. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار: لا يرفع الطست من بين يدي قوم إلا مملوءة ولا تشبهوا بالعجم. وقال ابن مسعود: اجتمعوا على غسل اليد في طست واحد ولا تستنوا بسنة الأعاجم. والخادم الذي يصب الماء على اليد كره بعضهم أن يكون قائمًا وأحب أن يكون جالسًا لأنه أقرب إلى التواضع، وكره بعضهم جلوسه فروي أنه صب الماء على يد واحد خادم جالسًا فقام المصبوب عليه فقيل له: لم قمت؟ فقال: أحدنا لا بدّ وأن يكون قائمًا. وهذا أولى لأنه أيسر للصب وللغسل وأقرب إلى تواضع الذي يصب وإذا كان له نية فيه فتمكينه من الخدمة ليس فيه تكبر فإن العادة جارية بذلك: ففي الطست إذًا سبعة آداب: أن لا يبزق فيه، وأن يقدم به المتبوع، وأن يقبل الإكرام بالتقديم؛ وأن يدار يمنة، وأن يجتمع فيه جماعة، وأن يجمع الماء فيه، وأن يكون الخادم قائمًا، وأن يمج الماء من فيه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على الفراش وعلى أصحابه، وليصب صاحب المنزل بنفسه الماء على يد ضيفه، هكذا فعل مالك بالشافعي رضي الله عنهما في أوّل نزوله عليه وقال: لا يروعك ما رأيت مني فخدمة الضيف فرض.

السادس: أن لا ينظر إلى أصحابه ولا يراقب أكلهم فيستحون، بل يغض بصره عنهم ويشتغل بنفسه ولا يمسك قبل إخوانه إذا كانوا يحتشمون الأكل بعده، بل يمدّ اليد ويقبضها ويتناول قليلًا قليلًا إلى أن يستوفوا فإن كان قليل الأكل توقف في الابتداء وقلّل الأكل حتى إذا توسعوا في الطعام أكل معهم أخيرًا، فقد فعل ذلك كثير من الصحابة رضي الله عنهم، فإن

---

(١) ضعيف: حديث «اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم». رواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث أبي هريرة بإسناد لا بأس به وجعل ابن طاهر مكان أبي هريرة إبراهيم وقال إنه معضل وفيه نظر،[انظر السلسلة الضعيفة: ١٥٥٣].

امتنع لسبب فليعتذر إليهم دفعًا للخجلة عنهم.

السابع: أن لا يفعل ما يستقذره غيره فلا ينفض يده في القصعة ولا يقدّم إليها رأسه عند وضع اللقمة في فيه، وإذا أخرج شيئًا من فيه صرف وجهه عن الطعام وأخذه بيساره، ولا يغمس اللقمة الدسمة في الخل ولا الخل في الدسومة فقد يكرهه غيره، واللقمة التي قطعها بسنه لا يغمس بقيتها في المرقة والخل، ولا يتكلم بما يذكر المستقذرات.

الباب الثالث في آداب تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين

تقديم الطعام إلى الإخوان فيه فضل كثير. قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما: إذا قعدتم مع الإخوان على المائدة فأطيلوا الجلوس فإنها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم. وقال الحسن رحمه الله: كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يحاسب عليها البتة إلا نفقة الرجل على إخوانه في الطعام فإن الله يستحيي أن يسأله عن ذلك. هذا مع ما ورد من الأخبار في الإطعام. قال ﷺ: «لاَ تَزَالُ المَلاَئِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَتْ مَائِدَتُهُ مَوْضُوعَةً بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى تُرْفَعَ»(١) وروي عن بعض علماء خراسان: أنه كان يقدّم إلى إخوانه طعامًا كثيرًا لا يقدرون على أكل جميعه، وكان يقول بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الإخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من أكل فضل ذلك»(٢) فأنا أحب أن أستكثر مما أقدّمه إليكم لنأكل فضل ذلك. وفي الخبر: «لا يحاسب العبد على ما يأكله مع إخوانه»(٣) وكان بعضهم يكثر الأكل مع الجماعة لذلك ويقلل إذا أكل وحده. وفي الخبر: «ثلاثة لا يحاسب عليها العبد: أكلة السحور، وما أفطر عليه، وما أكل مع الإخوان»(٤) وقال علي رضي الله عنه: لأن أجمع إخواني على صاع من طعام أحبّ إليّ من أن أعتق رقبة. وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: من كرم المرء طيب زاده في سفره وبذله لأصحابه. وكان الصحابة رضي الله عنهم يقولون: الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق، وكانوا رضي الله عنهم يجتمعون

الباب الثالث، في آداب تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين

(١) ضعيف: حديث «لا تزال الملائكة تصلي على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى يرفع». أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف،[ضعيف الترغيب: ١٥٣٨].

(٢) حديث «إن الإخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لا يحاسب من أكل من فضل ذلك الطعام». لم أقف له على أصل.

(٣) حديث «لا يحاسب العبد بما يأكله مع الإخوان». هو في الحديث الذي بعده بمعناه

(٤) حديث «ثلاثة لا يحاسب عليها العبد: أكلة السحور وما أفطر عليه وما أكل مع الإخوان». أخرجه الأزدي في الضعفاء من حديث جابر «ثلاثة لا يسألون عن النعيم: الصائم والمتسحر والرجل يأكل مع ضيفه» أورده في ترجمة سليمان بن داود الجزري وقال فيه: منكر الحديث، ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس نحوه من حديث أبي هريرة.

على قراءة القرآن ولا يتفرّقون إلا عن ذواق. وقيل: اجتماع الإخوان على الكفاية مع الأنس والألفة ليس هو من الدنيا. وفي الخبر: «يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة يا ابن آدم جعت فلم تطعمني فيقول كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ فيقول: جاع أخوك المسلم فلم تطعمه ولو أطعمته كنت أطعمتني»(١) . وقال ﷺ: «إِذَا جَاءَكُم الزَّائِرُ فَأَكْرِمُوهُ»(٢) وقال ﷺ: «إِنَّ فِي الجَنَّةَ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا هِيَ لِمَنْ أَلَانَ الكَلَامَ وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»(٣) .

وقال ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ»(٤) . وقال ﷺ: «مَنْ أَطْعَمَ أَخَاهُ حَتَّى يُشْبِعَهُ وَسَقَاهُ حَتَّى يُرْوِيَهُ بَعَّدَهُ الله مِنَ النَّارِ بِسَبْعِ خَنَادِقَ مَا بَيْنَ كُلِّ خَنْدَقَيْنِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ»(٥) .

وأما آدابه: فبعضها في الدخول وبعضها في تقديم الطعام. أما الدخول فليس من السنة أن يقصد قومًا متربصًا لوقت طعامهم فيدخل عليهم وقت الأكل، فإن ذلك من المفاجأة، وقد نهي عنه. قال الله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾[الأحزاب:٥٣] يعني منتظرين حينه ونضجه. وفي الخبر: «مَنْ مَشَى إِلَى طَعَامٍ لَمْ يُدْعَ إِلَيْهِ مَشَى فَاسِقًا وَأَكَلَ حَرَامًا»(٦) ولكن حق الداخل إذا لم يتربص واتفق أن صادفهم على طعام أن لا يأكل ما لم يؤذن له، فإذا قيل له: كُلْ. نظر فإن علم أنهم يقولونه على محبة لمساعدته فليساعد، وإن كانوا يقولونه حياء منه فلا ينبغي أن يأكل، بل ينبغي أن يتعلل، أما إذا كان جائعًا فقصد بعض إخوانه ليطعمه ولم يتربص به وقت أكله فلا بأس به. «قصد رسول الله وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الأنصاري لأجل طعام يأكلونه

---

(١) صحيح: حديث «يقول الله للعبد يوم القيامة يا بن آدم جعت فلم تطعمني فيقول كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ فيقول: جاع أخوك المسلم فلم تطعمه ولو أطعمته كنت أطعمتني». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ «استطعمتك فلم تطعمني»،[مسلم:٢٥٦٨].

(٢) ضعيف جدًا: حديث «إذا جاءكم الزائر فأكرموه». أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أنس وهو حديث منكر قاله ابن أبي حاتم في العلل عن أبيه،[ضعيف الجامع الصغير:٤٤٨].

(٣) حسن: حديث «إن في الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها هي لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام». أخرجه الترمذي من حديث علي وقال لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق وقد تكلم فيه من قبل حفظه،[الترمذي:١٩٨٤، وانظر صحيح الترمذي].

(٤) حسن: حديث «خيركم من أطعم الطعام». أخرجه أحمد والحاكم من حديث صهيب وقال صحيح الإسناد،[أحمد:٢٣٤١١، انظر صحيح الجامع:٣٣١٨].

(٥) موضوع: حديث «من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام». أخرجه الطبراني من حديث عبد الله بن عمر وقال ابن حبان ليس من حديث رسول الله ﷺ وقال الذهبي غريب منكر،[السلسلة الضعيفة:٧٠].

(٦) حديث «من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقا وأكل حراما». أخرجه البيهقي من حديث عائشة نحوه وضعفه ولأبي داود من حديث ابن عمر «من دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغيرا» إسناده ضعيف.

وكانوا جياعًا»[١] والدخول على مثل هذه الحالة إعانة لذلك المسلم على حيازة ثواب الإطعام وهي عادة السلف. وكان عون بن عبد الله المسعودي له ثلاثمائة وستون صديقًا يدور عليهم في السنة. ولآخر ثلاثون يدور عليهم في الشهر. ولآخر سبعة يدور عليهم في الجمعة. فكان إخوانهم معلومهم بدلًا عن كسبهم وكان قيام أولئك بهم على قصد التبرك عبادة لهم، فإن دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقًا بصداقته عالمًا بفرحه إذا أكل من طعامه فله أن يأكل بغير إذنه، إذ المراد من الإذن الرضا لا سيما في الأطعمة وأمرها على السعة. فرب رجل يصرح بالإذن ويحلف وهو غير راض فأكل طعامه مكروه. وربّ غائب لم يأذن وأكل طعامه محبوب. وقد قال تعالى: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [النور:٦١] ودخل رسول الله ﷺ دار بريرة وأكل طعامها وهي غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال: «بَلَغَتِ الصَّدَقَةُ مَحَلَّهَا»[٢] وذلك لعلمه بسرورها بذلك. لذلك يجوز أن يدخل الدار بغير استئذان اكتفاء بعلمه بالإذن، فإن لم يعلم فلا بد من الاستئذان أوّلًا ثم الدخول. وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون بغير إذن. وكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسر به ويقول: هكذا كنا. وروي عن الحسن رضي الله عنه أنه كان قائمًا يأكل من متاع بقال في السوق يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه قسبة، فقال له هشام: ما بدا لك يا أبا سعيد في الورع تأكل متاع الرجل بغير إذنه؟ فقال: يا لكع اتل عليّ آية الأكل فتلا إلى قوله تعالى: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [النور:٦١] فقال: فمن الصديق يا أبا سعيد؟ قال: من استروحت إليه النفس واطمأن إليه القلب. ومشى قوم إلى منزل سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وجعلوا يأكلون، فدخل الثوري وجعل يقول: ذكرتموني أخلاق السلف هكذا كانوا. وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه إليهم، فذهب إلى منزل بعض إخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل فنظر إلى قدر قد طبخها وإلى خبز قد خبزه وغير ذلك فحمله كله فقدمه إلى أصحابه وقال: كلوا فجاء رب المنزل فلم ير شيئًا فقيل له: قد أخذه فلان، فقال: قد أحسن، فلما لقيه قال: يا أخي إن عادوا فعد. فهذه

---

(١) صحيح: حديث «قصد رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الأنصاري لأجل طعام يأكلونه». أما قصة أبي الهيثم فرواها الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن غريب صحيح والقصة عند مسلم لكن ليس فيها ذكر لأبي الهيثم وإنما قال «رجل من الأنصار» وأما حديث قصدهم منزل أبي أيوب فرواها الطبراني في المعجم الصغير من حديث ابن عباس بسند ضعيف،[الترمذي: ٢٣٦٩، انظر صحيح الترمذي، مسلم: ٢٠٣٨].

(٢) صحيح: حديث «دخل رسول الله ﷺ دار بريرة وأكثر طعامها وهي غائبة وكان من الصدقة فقال بلغت الصدقة مكانها.

متفق عليه من حديث عائشة «أهدي لبريرة لحم فقال النبي ﷺ: هو لها صدقة ولنا هدية»،[البخاري: ١٤٩٣، مسلم: ١٠٧٥] وأما قوله «بلغت محلها» فقاله في الشاة التي أعطيتها نسيبة من الصدقة وهو متفق عليه أيضا من حديث أم عطية،[البخاري: ١٤٤٦، مسلم: ١٠٧٦].

آداب الدخول.

وأما آداب التقديم: فترك التكلف أوّلًا وتقديم ما حضر فإن لم يحضره شيء ولم يملك فلا يستقرض لأجل ذلك فيشوش على نفسه. وإن حضره ما هو محتاج إليه لقوته ولم تسمح نفسه بالتقديم فلا ينبغي أن يقدم. دخل بعضهم على زاهد وهو يأكل فقال: لولا أني أخذته بدين لأطعمتك منه، وقال بعض السلف في تفسير التكلف: أن تطعم أخاك ما لا تأكله أنت بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة. وكان الفضيل يقول: إنما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع إليه. وقال بعضهم: ما أبالي بمن أتاني من إخواني فإني لا أتكلف له إنما أقرب ما عندي ولو تكلفت له لكرهت مجيئه ومللته وقال بعضهم: كنت أدخل على أخ لي فيتكلف لي فقلت له: إنك لا تأكل وحدك هذا ولا أنا فما بالنا إذا اجتمعنا أكلناه؟ فإما أن تقطع هذا التكلف أو أقطع المجيء، فقطع التكلف ودام اجتماعنا بسببه، ومن التكلف أن يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله ويؤذي قلوبهم. روي أن رجلًا دعا عليًا رضي الله عنه فقال علي: أجيبك على ثلاث شرائط: لا تدخل من السوق شيئًا، ولا تدخر ما في البيت، ولا تجحف بعيالك. وكان بعضهم يقدم من كل ما في البيت فلا يترك نوعًا إلا ويحضر شيئًا منه. وقال بعضهم: دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم إلينا خبزًا وخلًا وقال: لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم[(١)] . وقال بعضهم: إذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر وإن استزرت فلا تبق ولا تذر. وقال سلمان: أمرنا رسول الله ﷺ أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم إليه ما حضرنا[(٢)] . وفي حديث يونس النبي ﷺ : أنه زاره إخوانه فقدم إليهم كسرًا وجزّ لهم بقلًا كان يزرعه ثم قال لهم: كلوا لولا أن الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه وغيره من الصحابة: أنهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون: لا ندري أيهما أعظم وزرًا الذي يحتقر ما يقدم إليه أو الذي يحتقر ما عنده أن يقدمه؟.

الأدب الثاني : وهو للزائر أن لا يقترح ولا يتحكم بشيء بعينه فربما يشق على المزور إحضاره فإن خيّره أخوه بين طعامين فليتخير أيسرهما عليه، كذلك السنّة. ففي الخبر أنه ما

---

(١) حديث «دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم إلينا خبزا وخلا وقال لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم». رواه أحمد دون قوله «لولا أنا نهينا»،[أحمد: ١٤٥٦٧ ، انظر ضعيف الترغيب: ١٥٤٤]، وهو من حديث سلمان الفارسي وسيأتي بعده وكلاهما ضعيف، [أحمد: ٢٣٢٢١ ،وصححه الألباني في إرواء الغليل: ١٩٥٧] وللبخاري عن عمر بن الخطاب «نهينا عن التكلف»،[البخاري: ٧٢٩٣].

(٢) حديث سلمان «أمرنا رسول الله ﷺ أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم إليه ما حضرنا». أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق، ولأحمد «لولا أن رسول الله ﷺ نهانا - أو لولا أنا نهينا - أن يتكلف أحدنا لصاحبه لتكلفنا لك»،[أحمد: ٢٣٢٢١ ، وصححه الألباني في الإرواء: ١٩٧٥] وللطبراني «نهانا رسول الله ﷺ أن نتكلف للضيف ما ليس عندنا».

خير رسول الله بين شيئين إلا اختار أيسرهما[١] وروى الأعمش عن أبي وائل أنه قال: مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم إلينا خبز شعير وملحًا جريشًا، فقال صاحبي: لو كان في هذا الملح سعتر كان أطيب، فخرج سلمان فرهن مطهرته وأخذ سعترًا، فلما أكلنا قال صاحبي: الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا. فقال سلمان: لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة. هذا إذا توهم تعذر ذلك على أخيه أو كراهته له، فإن علم أنه يسر باقتراحه ويتيسر عليه ذلك فلا يكره له الاقتراح، فعل الشافعي رضي الله عنه ذلك مع الزعفراني إذ كان نازلًا عنده ببغداد وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ويسلمها إلى الجارية، فأخذ الشافعي الرقعة في بعض الأيام وألحق بها لونًا آخر بخطه، فلما رأى الزعفراني ذلك اللون أنكر وقال: ما أمرت بهذا؟ فعرضت عليه الرقعة ملحقًا فيها خط الشافعي فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك وأعتق الجارية سرورًا باقتراح الشافعي عليه. وقال أبو بكر الكتاني: دخلت على السري فجاء بفتيت وأخذ يجعل نصفه في القدح فقلت له: أي شيء تعمل وأنا أشربه كله في مرة واحدة؟ فضحك وقال: هذا أفضل لك من حجة. وقال بعضهم: الأكل على ثلاثة أنواع، مع الفقراء بالإيثار ومع الإخوان بالانبساط، ومع أبناء الدنيا بالأدب.

الأدب الثالث: أن يشتهي المزور أخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح، فذلك حسن وفيه أجر وفضل جزيل. قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَادَفَ مِنْ أَخِيهِ شَهْوَةً غُفِرَ لَهُ وَمَنْ سَرَّ أَخَاهُ المُؤْمِنَ فَقَدْ سَرَّ الله تَعَالَى»[٢] وقال ﷺ فيما رواه جابر: «مَنْ لَذَّذَ أَخَاهُ بِمَا يَشْتَهِي كَتَبَ الله لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ وَأَطْعَمَهُ مِنْ ثَلاَثِ جَنَّاتٍ: جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ وَجَنَّةُ عَدَنٍ وَجَنَّةُ الخُلْدِ»[٣].

الأدب الرابع: أن لا يقول له: هل أقدّم لك طعامًا؟ بل ينبغي أن يقدّم إن كان. قال الثوري: إذا زارك أخوك فلا تقل له: أتأكل؟ أو أقدّم إليك؟ ولكن قدّم فإن أكل وإلا فارفع. وإن كان يريد أن يطعمهم طعامًا فلا ينبغي أن يظهرهم عليه أو يصفه لهم. قال الثوري: إذا أردت أن

---

(١) [صحيح:] حديث «ما خير رسول الله ﷺ بين شيئين إلا اختار أيسرهما». متفق عليه من حديث عائشة وزاد «ما لم يكن إثما» ولم يذكرها مسلم في بعض طرقه،[البخاري: ٣٥٦٠، مسلم: ٢٣٢٧].

(٢) حديث «من صادف من أخيه شهوة غفر الله له ومن سر أخاه المؤمن فقد سر الله عز وجل». أخرجه البزار، والطبراني من حديث أبي الدرداء «من وافق من أخيه شهوة غفر له» قال ابن الجوزي حديث موضوع،[انظر السلسلة الضعيفة: ١٠٥]، وروى ابن حبان والعقيلي في الضعفاء من حديث أبي بكر الصديق «من سر مؤمنا فإنما سر الله... الحديث» قال العقيلي باطل لا أصل له،[ضعفه الألباني في المشكاة: ٤٩٩٦].

(٣) موضوع: حديث جابر «من لذذ أخاه بما يشتهي كتب الله له ألف ألف حسنة ومحى عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وأطعمه الله من ثلاث جنات جنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد». ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من رواية محمد بن نعيم عن ابن الزبير عن جابر وقال أحمد ابن حنبل هذا باطل كذب،[السلسلة الضعيفة: ١٠٧].

لا تطعم عيالك مما تأكله فلا تحدّثهم به ولا يرونه معك. وقال بعض الصوفية: إذا دخل عليكم الفقراء فقدموا إليهم طعامًا، وإذا دخل الفقهاء فسلوهم عن مسألة، فإذا دخل القراء فدلوهم على المحراب.

الباب الرابع في آداب الضيافة

ومظان الآداب فيها ستة: الدعوة أوّلًا، ثم الإجابة، ثم الحضور، ثم تقديم الطعام، ثم الأكل، ثم الانصراف. ولنقدم على شرحها إن شاء الله تعالى.

فضيلة الضيافة: قال ﷺ: «لاَ تَكَلَّفُوا لِلضَّيْفِ فَتُبْغِضُوهُ فَإِنَّهُ مَنْ أَبْغَضَ الضَّيْفَ فَقَدْ أَبْغَضَ الله وَمَنْ أَبْغَضَ الله أَبْغَضَهُ الله»(١) . وقال ﷺ: «لاَ خَيْرَ فِيمَنْ لاَ يُضِيفُ»(٢) . ومرَّ رسول الله ﷺ برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضيفه ومرَّ بامرأة لها شويهات فذبحت له. فقال ﷺ: «انْظُرُوا إِلَيْهِمَا إِنَّمَا هذِهِ الأَخْلاَقُ بِيَدِ الله فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَمْنَحَهُ خُلُقًا حَسَنًا فَعَلَ»(٣) وقال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ «إنه نزل به ﷺ ضيف فقال: «قُلْ لِفُلاَنِ اليَهُودِيِّ نَزَلَ بِي ضَيْفٌ فَأَسْلَفَنِي شَيْئًا مِنَ الدَّقِيقِ إِلَى رَجَبٍ» ، فقال اليهودي: والله ما أسلفه إلا بِرَهْنٍ فأخبرته فقال: «وَالله إِنِّي لأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ أَمِينٌ فِي الأَرْضِ وَلَوْ أَسْلَفَنِي لأَدَّيْتُهُ فَاذْهَبْ بِدِرْعِي وَارْهِنْهُ عِنْدَهُ»(٤) ، وكان إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا أراد أن يأكل خرج ميلًا أو ميلين يلتمس من يتغدّى معه وكان يكنى أبا الضيفان، ولصدق نيته فيه دامت ضيافته في مشهده إلى يومنا هذا، فلا تنقضي ليلة إلا ويأكل عنده جماعة من بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة. وقال قوّام الموضع إنه لم يخل إلى الآن ليلة عن ضيف. وسئل رسول الله ﷺ: ما الإيمان؟ فقال: «إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَبَذْلُ

---

*٢*كتاب آداب الأكل: الباب الرابع، في آداب الضيافة

(١) حديث «لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه فإنه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله». أخرجه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث سلمان «لا يتكلفن أحد لضيفه ما لا يقدر عليه» وفيه محمد بن الفرج الأزرق متكلم فيه،[السلسلة الصحيحة: ٢٤٤٠].

(٢) صحيح: حديث «لا خير فيمن لا يضيف». أخرجه أحمد من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة، [أحمد: ١٦٩٦٦ ، السلسلة الصحيحة: ٢٤٣٤].

(٣) حديث «مر رسول الله ﷺ برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له. فقال ﷺ: انظروا إليهما إنما هذه الأخلاق بيد الله فمن شاء أن يمنحه خلقا حسنا فعل». أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق من رواية أبي المنهال مرسلا،[ضعيف الترغيب من حديث أبي هريرة بدون ذكر القصة، ومختصرا على قوله ﷺ: «هذه الأخلاق....»: ١٦٠٧].

(٤) حديث أبي رافع «أنه نزل برسول الله ﷺ ضيف فقال قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فأسلفني شيئا من الدقيق إلى رجب، فقال اليهودي: والله ما أسلفه إلا برهن فأخبرته فقال: والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض ولو أتسلفني لأديته فاذهب بدرعي وارهنه عنده». رواه إسحاق بن راهويه في مسنده والخرائطي في مكارم الأخلاق وابن مردويه في التفسير بإسناد ضعيف.

السَّلاَمَ»[١] . وقال ﷺ: «فِي الكَفَّارَاتِ وَالدَّرَجَاتِ إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَالصَّلاَةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيامٌ»[٢] وسئل عن الحج المبرور فقال: «إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَطِيبُ الكَلاَمِ»[٣] وقال أنس رضي الله عنه: كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة. والأخبار الواردة في فضل الضيافة والإطعام لا تحصى فلنذكر آدابها.

أما الدعوة: فينبغي للداعي أن يعمد بدعوته الأتقياء دون الفساق. قال ﷺ: «أَكَلَ طَعَامَكَ الأَبْرَارُ»[٤] في دعائه لبعض من دعا له.

وقال ﷺ: «لاَ تَأْكُلْ إِلاَّ طَعَامَ تَقِيٍ وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌ»[٥] . ويقصد الفقراء دون الأغنياء على الخصوص. قال ﷺ: «شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الوَلِيمَةِ يُدْعَى إِلَيْهَا الأَغْنِيَاءُ دُونَ الفُقَرَاءِ»[٦] ، وينبغي أن لا يهمل أقاربه في ضيافته فإن إهمالهم إيحاش وقطع رحم، وكذلك يراعى الترتيب في أصدقائه ومعارفه فإن في تخصيص البعض إيحاشًا لقلوب الباقين. وينبغي أن لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الإخوان والتسنن بسنة رسول الله ﷺ في إطعام الطعام وإدخال السرور على قلوب المؤمنين. وينبغي أن لا يدعو من يعلم أنه يشق عليه الإجابة وإذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الأسباب. وينبغي أن لا يدعو إلا من يحب إجابته. قال سفيان: من دعا أحدًا إلى طعام وهو يكره الإجابة فعليه خطيئة فإن أجاب المدعو فعليه خطيئتان. لأنه حمله على الأكل مع كراهة ولو علم ذلك لما كان يأكله. وإطعام التقي إعانة على الطاعة وإطعام الفاسق تقوية على الفسق. قال رجل خياط لابن المبارك: أنا أخيط ثياب السلاطين فهل تخاف أن أكون من أعوان الظلمة؟ قال: لا إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والإبرة أما أنت فمن الظلمة أنفسهم. وأما الإجابة فهي سنة مؤكدة وقد قيل بوجوبها في بعض المواضع. قال ﷺ: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى كراعٍ لأَجَبْتُ وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ

---

(١) صحيح: حديث «سئل رسول الله ﷺ ما الإيمان؟ قال: إطعام الطعام وبذل السلام». متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ «أي الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام وتقرئ السلام على من تعرف ومن لم تعرف»،[البخاري: ١٢، مسلم: ٣٩].

(٢) صحيح: حديث «قال ﷺ في الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام». أخرجه الترمذي وصححه والحاكم من حديث معاذ وقد تقدم بعضه في الباب الرابع من الأذكار وهو حديث «اللهم إني أسألك فعل الخيرات»،[الترمذي: ٣٢٣٥، انظر صحيح الترمذي].

(٣) صحيح لغيره: حديث «سئل عن الحج المبرور فقال إطعام الطعام وطيب الكلام». تقدم في الحج،[صحيح الترغيب: ١١٠٤].

(٤) صحيح: حديث «أكل طعامكم الأبرار». أخرجه أبو داود من حديث أنس بإسناد صحيح،[أبو داود: ٣٨٥٤، انظر صحيح الجامع: ٤٦٧٧].

(٥) حديث «لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي». تقدم في الزكاة.

(٦) صحيح: حديث «شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء دون الفقراء». متفق عليه من حديث أبي هريرة،[البخاري: ٥١٧٧، مسلم: ١٤٣٢].

لَقَبِلْتُ» [١]. وللإجابة خمسة آداب: الأول: أن لا يميز الغني بالإجابة عن الفقير، فذلك هو التكبر المنهي عنه ولأجل ذلك امتنع بعضهم عن أصل الإجابة وقال: انتظار المرقة ذل، وقال آخر: إذا وضعت يدي في قصعة غيري فقد ذلت له رقبتي، ومن المتكبرين ممن يجيب الأغنياء دون الفقراء وهو خلاف السنّة. كان رسول الله يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين [٢] ومر الحسن بن علي رضي الله عنهما بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على قارعة الطريق وقد نشروا كسرًا على الأرض في الرمل وهم يأكلون وهو على بغلته فسلم عليهم فقالوا له: هلم إلى الغداء يا ابن بنت رسول الله فقال: نعم إن الله لا يحب المستكبرين فنزل وقعد معهم على الأرض وأكل ثم سلم عليهم وركب وقال: قد أجبتكم فأجيبوني، قالوا: نعم، فوعدهم وقتًا معلومًا فحضروا فقدّم إليهم فاخر الطعام وجلس يأكل معهم. وأما قول القائل إن من وضعت يدي في قصعته فقد ذلت له رقبتي، فقد قال بعضهم هذا خلاف السنّة وليس كذلك فإن ذلك إذا كان الداعي لا يفرح بالإجابة ولا يتقلد بها منة وكان يرى ذلك يدًا له على المدعو. ورسول الله ﷺ كان يحضر لعلمه أن الداعي له يتقلد بها منة ويرى ذلك شرفًا وذخرًا لنفسه في الدنيا والآخرة فهذا يختلف باختلاف الحال، فمن ظن به أنه يستثقل الإطعام وإنما يفعل ذلك مباهاة أو تكلفًا فليس من السنة إجابته [٣] بل الأولى التعلل، ولذلك قال بعض الصوفية: لا تجب إلا دعوة من يرى أنك أكلت رزقك وأنه سلم إليك وديعة كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه في قبول تلك الوديعة منه. وقال سري السقطي رحمه الله: آه على لقمة ليس على الله فيها تبعة ولا لمخلوق فيها منة. فإذا علم المدعوّ أنه لا منة في ذلك فلا ينبغي أن يرد. وقال أبو تراب النخشبي رحمة الله عليه: عرض عليّ طعام فامتنعت فابتليت بالجوع أربعة عشر يومًا فعلمت أنه عقوبته. وقيل لمعروف الكرخي رضي الله عنه كُل من دعاك تمر إليه فقال: أنا ضيف أنزل حيث أنزلوني.

الثاني: أنه لا ينبغي أن يمتنع عن الإجابة لبعد المسافة كما لا يمتنع لفقر الداعي وعدم جاهه، بل كل مسافة يمكن احتمالها في العادة لا ينبغي أن يمتنع لأجل ذلك. يقال في التوراة

---

(١) صحيح: حديث «لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدي إلي ذراع لقبلت». أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة،[البخاري: ٢٥٦٨].

(٢) ضعيف: حديث «كان يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين». أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أنس دون ذكر المسكين ضعفه الترمذي وصححه الحاكم،[الترمذي: ١٠١٧، ابن ماجه: ٢٢٩٦، انظر ضعيف الترمذي]،

(٣) صحيح: حديث «ليس من السنة إجابة من يطعم مباهاة أو تكلفا». أخرجه أبو داود من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ «نهى عن طعام المتبارين» قال أبو داود من رواه عن جرير لم يذكر فيه ابن عباس وللعقيلي في الضعفاء «نهى النبي ﷺ عن طعام المتباهيين» والمتباريان المتعارضان بفعلهما للمباهاة والرياء قاله أبو موسى المديني،[حديث: «نهى عن طعام المتباريين....» عند أبي داود: ٣٧٥٤، انظر صحيح الترغيب: ٢١٥٨].

أو بعض الكتب سر ميلًا عد مريضًا سر ميلين شيع جنازة سر ثلاثة أميال أجب دعوة سر أربعة أميال زر أخًا في الله. وإنما قدم إجابة الدعوة والزيارة لأن فيه قضاء حق الحي فهو أولى من الميت وقال ﷺ: «لَوْ دُعِيت إلَى كراعٍ بِالغَمِيمِ لأَجَبْتُ»(١) وهو موضع على أميال من المدينة أفطر فيه رسول الله في رمضان(٢) لما بلغه وقصر عنده في سفره(٣).

الثالث: أن لا يمتنع لكونه صائمًا بل يحضر فإن كان يسر أخاه إفطاره فليفطر وليحتسب في إفطاره بنية إدخال السرور على قلب أخيه ما يحتسب في الصوم وأفضل وذلك في صوم التطوّع، وإن لم يتحقق سرور قلبه فليصدّقه بالظاهر وليفطر وإن تحقق أنه متكلف فليتعلل. وقد قال ﷺ لمن امتنع بعذر الصوم: «تَكَلَّفَ لَكَ أَخُوكَ وَتَقُولُ إِنِّي صَائِمٌ»(٤). وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: من أفضل الحسنات إكرام الجلساء بالإفطار، فالإفطار عبادة بهذه النية وحسن خلق، فثوابه فوق ثواب الصوم. ومهما لم يفطر فضيافته الطيب والمجمرة والحديث الطيب. وقد قيل الكحل والدهن أحد القرائين.

الرابع: أن يمتنع من الإجابة إن كان الطعام طعام شبهة أو الموضع أو البساط المفروش من غير حلال، أو كان يقام في الموضع منكر من فرش ديباج أو إناء فضة أو تصوير حيوان على سقف أو حائط أو سماع شيء من المزامير والملاهي أو التشاغل بنوع من اللهو والعزف والهزل واللعب واستماع الغيبة والنميمة والزور والبهتان والكذب وشبه ذلك فكل ذلك مما يمنع الإجابة واستحبابها ويوجب تحريمها أو كراهيتها، وكذلك إذا كان الداعي ظالمًا أو مبتدعًا أو فاسقًا أو شريرًا أو متكلفًا طلبًا للمباهاة والفخر.

الخامس: أن لا يقصد بالإجابة قضاء شهوة البطن فيكون عاملًا في أبواب الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالإجابة عاملًا للآخرة، وذلك بأن تكون نيته الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ في قوله: «لَوْ دُعِيتُ إلَى كراعٍ لأَجَبْتُ» وينوي الحذر من معصية الله تعالى لقوله ﷺ: «مَنْ لَمْ

---

(١) حديث «لو دعيت إلى كراع بالغميم لأجبت». ذكر الغميم فيه ليعرف والمعروف «لو دعيت إلى كراع» كما تقدم قبله بثلاثة أحاديث ويرد هذه الزيادة ما رواه الترمذي من حديث أنس «لو أهدي إلي كراع لقبلت».

(٢) صحيح: حديث «إفطاره ﷺ في رمضان لما بلغ كراع الغميم». رواه مسلم من حديث جابر في عام الفتح،[مسلم: ١١١٤].

(٣) حديث «قصره ﷺ في سفره عند كراع الغميم». لم أقف له على أصل وللطبراني في الصغير من حديث ابن عمر «كان يقصر الصلاة بالعقيق» يريد إذا بلغه وهذا يرد الأول لأن بين العقيق وبين المدينة ثلاثة أميال أو أكثر وكراع الغميم بين مكة وعسفان والله أعلم.

(٤) حسن: حديث «وقال لمن امتنع بعذر الصوم تكلف لك أخوك وتقول إني صائم». أخرجه البيهقي من حديث أبي سعيد الخدري «صنعت لرسول الله ﷺ طعاما وأتاني هو وأصحابه فلما وضع الطعام قال رجل من القوم: إني صائم؛ فقال رسول الله ﷺ: دعاكم أخوكم وتكلف لكم... الحديث» وللدارقطني نحوه من حديث جابر، [الإرواء: ١٩٥٢].

يُجِبْ الدَّاعِيَ فَقَدْ عَصَى الله وَرَسُولَهُ»[١] وينوي إكرام أخيه المؤمن اتباعًا لقوله ﷺ: «مَنْ أَكْرَمَ أَخَاهُ المُؤْمِنَ فَكَأَنَّمَا أَكْرَمَ الله»[٢] وينوي إدخال السرور على قلبه امتثالاً لقوله ﷺ: «مَنْ سَرَّ مُؤْمِنًا فَقَدْ سَرَّ الله»[٣] . وينوي مع ذلك زيارته ليكون من المتحابين في الله إذ شرط رسول الله ﷺ فيه التزاور والتباذل لله[٤] . وقد حصل البذل من أحد الجانبين فتحصل الزيارة من جانبه أيضًا، وينوي صيانة نفسه عن أن يساء به الظنّ في امتناعه ويطلق اللسان فيه بأن يحمل على تكبر أو سوء خلق أو استحقار أخ مسلم أو ما يجري مجراه. فهذه ست نيات تلحق إجابته بالقربات آحادها فكيف مجموعها؟ وكان بعض السلف يقول: أنا أحب أن يكون لي في كل عمل نية حتى في الطعام والشراب وفي مثل هذا قال ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[٥] . والنية إنما تؤثر في المباحات والطاعات أما المنهيات فلا. فإنه لو نوى أن يسر إخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر أو حرام آخر لم تنفع النية ولم يجز أن يقال الأعمال بالنيات. بل لو قصد بالغزو الذي هو طاعة المباهاة وطلب المال انصرف عن جهة الطاعة. وكذلك المباح المردد بين وجوه الخيرات وغيرها يلتحق بوجوه الخيرات بالنية فتؤثر النية في هذين القسمين لا في القسم الثالث.

وأما الحضور: فأدبه أن يدخل الدار ولا يتصدّر فيأخذ أحسن الأماكن بل يتواضع ولا يطوّل الانتظار عليهم ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد، ولا يضيق المكان على الحاضرين بالزحمة، بل إن أشار إليه صاحب المكان بموضع لا يخالفه البتة فإنه قد يكون رتب في نفسه موضع كل واحد فمخالفته تشوّش عليه، وإن أشار إليه بعض الضيفان بالارتفاع إكرامًا فليتواضع. قال ﷺ: «إِنَّ مِنَ التَّوَاضُعِ لله الرِّضَا بِالدُّونِ مِنَ المَجْلِسِ»[٦] . ولا ينبغي أن يجلس في مقابلة باب الحجرة التي للنساء وسترهم. ولا يكثر النظر إلى الموضع الذي يخرج

---

(١) صحيح: حديث «من لم يجب الداعي فقد عصى الله ورسوله». متفق عليه من حديث أبي هريرة، [البخاري: ٥١٧٧، مسلم: ١٩٥٢].

(٢) ضعيف: حديث «من أكرم أخاه المؤمن فإنما يكرم الله تعالى». ذكره الأصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث جابر والعقيلي في الضعفاء من حديث أبي بكر وإسنادهما ضعيف، [السلسلة الضعيفة: ٤٥٥٩].

(٣) حديث «من سر مؤمنا فقد سر الله». تقدم في الباب قبله.

(٤) صحيح: حديث «وجبت محبتي للمتزاورين في والمتباذلين في». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ولم يذكر المصنف هذا الحديث وإنما أشار إليه، [لم أقف عليه عند مسلم كما أشار المصنف-رحمه الله-، وهو عند أحمد: ٢١٥٢٥، من حديث معاذ بن جبل، انظر صحيح الترغيب: ٢٥٨١].

(٥) صحيح: حديث «الأعمال بالنيات». متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب، [البخاري: ١، مسلم: ١٩٠٧].

(٦) ضعيف: حديث «إن من التواضع لله، الرضا بالدون من المجلس». أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث طلحة بن عبيد بسند جيد، [ضعيف الجامع: ١٩٢٢].

منه الطعام فإنه دليل على الشره. ويخص بالتحية والسؤال من يقرب منه إذا جلس. وإذا دخل ضيف للمبيت فليعرفه صاحب المنزل عند الدخول القبلة وبيت الماء وموضع الوضوء، كذلك فعل مالك بالشافعي رضي الله عنهما. وغسل مالك يده قبل الطعام قبل القوم وقال: الغسل قبل الطعام لرب البيت أولى، لأنه يدعو الناس إلى كرمه فحكمه أن يتقدّم بالغسل وفي آخر الطعام يتأخر بالغسل لينتظر أن يدخل من يأكل فيأكل معه. وإذا دخل فرأى منكرًا غيّره إن قدر وإلا أنكر بلسانه وانصرف. والمنكر فرش الديباج واستعمال أواني الفضة والذهب والتصوير على الحيطان وسماع الملاهي والمزامير وحضور النسوة المتكشفات الوجوه وغير ذلك من المحرّمات حتى قال أحمد رحمه الله: إذا رأى مكحلة رأسها مفضض ينبغي أن يخرج، ولم يأذن في الجلوس إلا في ضبة وقال: إذا رأى كلة فينبغي أن يخرج فإن ذلك تكلف لا فائدة فيه ولا تدفع حرًّا ولا بردًا ولا تستر شيئًا، وكذلك قال: يخرج إذا رأى حيطان البيت مستورة بالديباج كما تستر الكعبة. وقال: إذا اكترى بيتًا فيه صورة أو دخل الحمام ورأى صورة فينبغي أن يحكها فإن لم يقدر خرج. وكل ما ذكره صحيح وإنما النظر في الكلة وتزيين الحيطان بالديباج فإن ذلك لا ينتهي إلى التحريم إذ الحرير يحرم على الرجال. قال رسول الله ﷺ: «هذَانِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي حِلٌّ لإِنَاثِهَا»(١) وما على الحائط ليس منسوبًا إلى الذكور ولو حرّم هذا لحرم تزيين الكعبة بل الأولى إباحته لموجب قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:٣٢] ولا سيما في وقت الزينة إذا لم يتخذ عادة للتفاخر. وإن تخيل أن الرجال ينتفعون بالنظر إليه ولا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر إلى الديباج مهما لبسه الجواري والنساء.

والحيطان في معنى النساء إذ لسن موصوفات بالذكورة.

وأما احضار الطعام، فله آداب خمسة:

الأول: تعجيل الطعام فذلك من إكرام الضيف، وقد قال ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»(٢) ومهما حضر الأكثرون وغاب واحد أو اثنان وتأخروا عن الوقت الموعود فحق الحاضرين في التعجيل أولى من حق أولئك في التأخير، إلا أن يكون المتأخر فقيرًا أو ينكسر قلبه بذلك فلا بأس في التأخير وأحد المعنيين في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ

(١) صحيح: حديث «هذان حرامان على ذكور أمتي حل لإناثها». أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث علي وفيه أبو أفلح الهمذاني جهله ابن القصان والنسائي والترمذي وصححه من حديث أبي موسى بنحوه. قلت الظاهر انقطاعه بين سعيد بن أبي هند وأبي موسى فأدخل أحمد بينهما رجلا لم يسم، [أبو داود: ٤٠٥٧، ابن ماجه: ٣٥٩٥، النسائي: ٥١٤٤، من حديث علي، والترمذي: ١٧٢٠، عن أبي موسى، ولم أقف عليه عند النسائي عن أبي موسى، انظر صحيح أبي داود].

(٢) صحيح: حديث «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه». متفق عليه من حديث أبي شريح، [البخاري: ٦٠١٩، مسلم: ٤٨].

ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾[الذاريات:٢٤] أنهم أكرموا بتعجيل الطعام إليهم دل عليه قوله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾[هود:٦٩] وقوله: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾[الذاريات:٢٦] والروغان: الذهاب بسرعة وقيل في خفية. وقيل: جاء بفخذ من لحم وإنما سمى عجلًا لأنه عجله ولم يلبث. قال حاتم الأصم: العجلة من الشيطان إلا في خمسة. فإنها من سنّة رسول اللهﷺ: إطعام الضيف، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب(١) ويستحب التعجيل في الوليمة. قيل الوليمة في أول يوم سنة وفي الثاني معروف وفي الثالث رياء.

الثاني: ترتيب الأطعمة بتقديم الفاكهة أولًا إن كانت فذلك أوفق في الطب فإنها أسرع استحالة فينبغي أن تقع في أسفل المعدة. وفي القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة في قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾[الواقعة:٢٠] ثم قال: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾[الواقعة:٢١] ثم أفضل ما يقدّم بعد الفاكهة اللحم والثريد فقد قال عليه السلام: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ» ، فإن جمع إليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات. ودل على حصول الإكرام باللحم قوله تعالى في ضيف إبراهيم إذ أحضر العجل الحنيذ ـ أي المحنوذ وهو الذي أجيد نضجه ـ وهو أحد معاني الإكرام أعني تقديم اللحم. وقال تعالى في وصف الطيبات: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾[البقرة:٥٧] المن: العسل، والسلوى: اللحم، سمي سلوى لأنه يتسلى به عن جميع الإدام ولا يقوم غيره مقامه ولذلك قالﷺ: «سَيِّدُ الإِدَامِ اللَّحْمُ» ثم قال بعد ذكر المنّ والسلوى ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[البقرة:٥٧] فاللحم والحلاوة من الطيبات.

قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه: أكل الطيبات يورث الرضا عن الله. وتتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند الغسل. قال المأمون: شرب الماء بثلج يخلص الشكر. وقال بعض الأدباء: إذا دعوت إخوانك فأطعمتهم حصرمية وبورانية وسقيتهم ماء باردًا فقد أكملت الضيافة. وأنفق بعضهم دراهم في ضيافة، فقال بعض الحكماء: لم نكن نحتاج إلى هذا إذا كان خبزك جيدًا وماؤك باردًا وخلك حامضًا فهو كفاية. وقال بعضهم: الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الألوان، والتمكن على المائدة خير من زيادة

---

(١) حديث حاتم الأصم «العجلة من الشيطان إلا في خمسة فإنها من سنة رسول اللهﷺ إطعام الطعام وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب». أخرجه الترمذي من حديث سهل بن سعد «الأناة من الله والعجلة من الشيطان» وسنده ضعيف، [الترمذي: ٢٠١٢، انظر ضعيف الترمذي]، وأما الاستثناء فروى أبو داود من حديث سعد بن أبي وقاص «التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة» قال الأعمش لا أعلم إلا أنه رفعه، [أبو داود: ٤٨١٠، انظر صحيح أبي داود]، وروى المزي في التهذيب في ترجمة محمد بن موسى بن نفيع عن مشيخة من قومه «أن النبيﷺ قال: الأناة في كل شيء إلا في ثلاث إذا صيح في خيل الله وإذا نودي بالصلاة وإذا كانت الجنازة... الحديث» مرسل والترمذي من حديث علي «ثلاثة لا تؤخرها: الصلاة إذا أتت والجنازة إذا حضرت والأيم إذا وجدت كفؤا» وسنده حسن، [الترمذي: ١٠٧٥، انظر ضعيف الترمذي].

لونين. ويقال إن الملائكة تحضر المائدة إذا كان عليها بقل فذلك أيضًا مستحب ولما فيه من التزين بالخضرة. وفي الخبر: إن المائدة التي أنزلت على بني إسرائيل كان عليها من كل البقول إلا الكرّاث. وكان عليها سمكة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح، وسبعة أرغفة على كل رغيب زيتون وحب رمان، فهذا إذا اجتمع حسن للموافقة.

الثالث: أن يقدم من الألوان ألطفها حتى يستوفي منها من يريد ولا يكثر الأكل بعده، وعادة المترفين تقديم الغليظ ليستأنف حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده، وهو خلاف السنة فإنه حيلة في استكثار الأكل. وكان من سنة المتقدمين أن يقدموا جملة الألوان دفعة واحدة ويصففون القصاع من الطعام على المائدة ليأكل كل واحد مما يشتهي. وإن لم يكن عنده إلا لون واحد ذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا أطيب منه. ويحكى عن بعض أصحاب المروءات أنه كان يكتب نسخة بما يستحضر من الألوان ويعرض على الضيفان. وقال بعض الشيوخ: قدّم إليّ بعض المشايخ لونًا بالشام، فقلت عندنا بالعراق إنما يقدم هذا آخرًا، فقال: وكذا عندنا بالشام، ولم يكن له لون غيره فخجلت منه. وقال آخر: كنا جماعة في ضيافة فقدم إلينا ألوان من الرؤوس المشوية طبيخًا وقديدًا فكنا لا نأكل ننتظر بعدها لونًا أو حملًا، فجاءنا بالطست ولم يقدم غيرها، فنظر بعضنا إلى بعض فقال بعض الشيوخ وكان مزاحًا: إن الله تعالى يقدر أن يخلق رؤوسًا بلا أبدان، قال: وبتنا تلك الليلة جياعًا نطلب فتيتًا إلى السحور. فلهذا يستحب أن يقدم الجميع أو يخبر بما عنده.

الرابع: أن لا يبادر إلى رفع الألوان قبل تمكنهم من الاستيفاء حتى يرفعوا الأيدي عنها فلعل منهم من يكون بقية ذلك اللون أشهى عنده مما استحضروه أو بقيت فيه حاجة إلى الآكل فيتنغص عليه بالمبادرة، وهي من التمكن على المائدة التي يقال إنها خير من لونين فيحتمل أن يكون المراد به قطع الاستعجال ويحتمل أن يكون أراد به سعة المكان.

حكي عن الستوري وكان صوفيًا مزاحًا فحضر عند واحد من أبناء الدنيا على مائدة فقدّم إليهم حمل - وكان في صاحب المائدة بخل - فلما رأى القوم مزقوا الحمل كل ممزق ضاق صدره وقال: يا غلام ارفع إلى الصبيان، فرفع الحمل إلى داخل الدار فقام الستوري يعدو خلف الحمل فقيل له: إلى أين؟ فقال: آكل مع الصبيان فاستحيا الرجل وأمر برد الحمل. ومن هذا الفن أن لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم فإنهم يستحيون بل ينبغي أن يكون آخرهم أكلًا. كان بعض الكرام يخبر القوم بجميع الألوان ويتركهم يستوفون فإذا قاربوا الفراغ جثا على ركبتيه ومد يده إلى الطعام وأكل وقال: بسم الله ساعدوني بارك الله فيكم وعليكم، وكان السلف يستحسنون ذلك منه.

الخامس: أن يقدم من الطعام قدر الكفاية فإن التقليل عن الكفاية نقص في المروءة، والزيادة عليه تصنع ومراءاة ولا سيما إذا كانت نفسه لا تسمح بأن يأكلوا الكل، إلا أن يقدم

الكثير وهو طيب النفس لو أخذوا الجميع ونوى أن يتبرك بفضلة طعامهم، إذ في الحديث لا يحاسب عليه. أحضر إبراهيم بن أدهم رحمه الله طعامًا كثيرًا على مائدته فقال له سفيان: يا أبا إسحاق أما تخاف أن يكون هذا سرفًا؟ فقال إبراهيم ليس في الطعام سرف. فإن لم تكن هذه النية فالتكثير تكلف. قال ابن مسعود رضي الله عنه: نهينا أن نجيب دعوة من يباهي بطعامه وكره جماعة من الصحابة أكل طعام المباهاة. ومن ذلك كان لا يرفع من بين يدي رسول الله ﷺ فضلة طعام قط لأنهم كانوا لا يقدمون إلا قدر الحاجة ولا يأكلون تمام الشبع. وينبغي أن يعزل أولًا نصيب أهل البيت حتى لا تكون أعينهم طامحة إلى رجوع شيء منه فلعله لا يرجع فتضيق صدورهم وتنطلق في الضيفان ألسنتهم ويكون قد أطعم الضيفان ما يتبعه كراهية قوم وذلك خيانة في حقهم. وما بقي من الأطعمة فليس للضيفان أخذه وهو الذي تسميه الصوفية الزلة إلا إذا صرح صاحب الطعام بالإذن فيه عن قلب راض أو علم ذلك بقرينة حاله وأنه يفرح به، فإن كان يظن كراهيته فلا ينبغي أن يؤخذ وإذا علم رضاه فينبغي مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء، فلا ينبغي أن يأخذ الواحد إلا ما يخصه أو ما يرضى به رفيقه عن طوع لا عن حياء.

فأما الانصراف، فله ثلاثة آداب:

الأول: أن يخرج مع الضيف إلى باب الدار وهو سنَّة وذلك من إكرام الضيف وقد أمر بإكرامه. قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِم ضَيْفَهُ».

وقال عليه السلام: «إِنَّ مِنْ سُنَّةِ الضَّيْفِ أَنْ يُشَيَّعَ إِلَى بَابِ الدَّارِ». قال أبو قتادة: قدم وفد النجاشي على رسول الله ﷺ فقام يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله: فقال: «كَلاّ إِنَّهُمْ كَانُوا لأَصْحابِي مُكْرِمِينَ وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أُكَافِئَهُمْ». وتمام الإكرام طلاقة الوجه وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة. قيل للأوزاعي رضي الله عنه: ما كرامة الضيف؟ قال: طلاقة الوجه وطيب الحديث. وقال يزيد بن أبي زياد: ما دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى إلا حدثنا حديثًا حسنًا وأطعمنا طعامًا حسنًا.

الثاني: أن ينصرف الضيف طيب النفس وإن جرى في حقه تقصير، فذلك من حسن الخلق والتواضع. قال ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ» . ودعي بعض السلف برسول فلم يصادفه الرسول فلما سمع حضر وكانوا قد تفرقوا وفرغوا وخرجوا فخرج إليه صاحب المنزل وقال: قد خرج القوم، فقال: هل بقي بقية؟ قال: لا، قال فكسرة إن بقيت؟ قال: لم تبق، قال: فالقدر أمسحها؟ قال: قد غسلتها؟ فانصرف يحمد الله تعالى فقيل له في ذلك فقال: قد أحسن الرجل دعانا بنية وردنا بنية، فهذا هو معنى التواضع وحسن الخلق. وحكي أن أستاذ أبي القاسم الجنيد دعاه صبي إلى دعوة أبيه أربع مرات فرده الأب في المرات الأربع وهو يرجع في كل مرة تطييبًا لقلب الصبي بالحضور ولقلب الأب

بالانصراف، فهذه نفوس قد ذللت بالتواضع لله تعالى واطمأنت بالتوحيد وصارت تشاهد في كل رد وقبول عبرة فيما بينها وبين ربها، فلا تنكسر بما يجري من العباد من الإذلال كما لا تستبشر بما يجري منهم من الإكرام بل يرون الكل من الواحد القهار. ولذلك قال بعضهم: أنا لا أجيب الدعوة إلا لأني أتذكر بها طعام الجنة أي هو طعام طيب يحمل عنا كدّه ومؤنته وحسابه.

الثالث: أن لا يخرج إلا برضا صاحب المنزل وإذنه ويراعى قلبه في قدر الإقامة، وإذا نزل ضيفًا فلا يزيد على ثلاثة أيام فربما يتبرم به ويحتاج إلى إخراجه. قال ﷺ «الضِّيَافَةُ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا زَادَ فَصَدَقَةٌ»[(١)]. نعم لو ألح رب البيت عليه عن خلوص قلب فله المقام إذ ذاك ويستحب أن يكون عنده فراش للضيف النازل. قال رسول الله ﷺ «فِرَاشٌ لِلرَّجُلِ وَفِرَاشٌ لِلْمَرْأَةِ وَفِرَاشٌ لِلضَّيْفِ وَالرَّابِعُ لِلشَّيْطَانِ»[(٢)].

فصل يجمع آدابًا ومناهي طبية وشرعية متفرقة

الأول: حكي عن إبراهيم النخعي أنه قال: الأكل في السوق دناءة[(٣)]، وأسنده إلى رسول الله ﷺ وإسناده قريب. وقد نقل ضده عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام[(٤)]. ورئي بعض المشايخ من المتصوّفة المعروفين يأكل في السوق فقيل له في ذلك فقال: ويحك أجوع في السوق وآكل في البيت، فقيل تدخل المسجد؟ قال: أستحيي أن أدخل بيته للأكل فيه. ووجه الجمع أن الأكل في السوق تواضع وترك تكلف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروءة من بعضهم فهو مكروه، وهو مختلف بعادات البلاد وأحوال الأشخاص فمن لا يليق ذلك بسائر أعماله حمل ذلك على قلة المروءة وفرط الشره ويقدح ذلك في الشهادة، ومن يليق ذلك بجميع أحواله وأعماله في ترك التكلف كان ذلك منه تواضعًا.

الثاني: قال علي رضي الله عنه: من ابتدأ غذاءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعًا من البلاء، ومن أكل في يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه، ومن أكل كل يوم إحدى

---

(١) صحيح: حديث «الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فصدقة». متفق عليه من حديث أبي شريح الخزاعي، [البخاري: ٦١٣٥، مسلم: ٤٨].

(٢) صحيح: حديث «فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان». أخرجه مسلم من حديث جابر، [مسلم: ٢٠٨٤].

(٣) ضعيف: حديث «الأكل في السوق دناءة». أخرجه الطبراني من حديث أبي أمامة وهو ضعيف ورواه ابن عدي في الكامل من حديثه وحديث أبي هريرة، [ضعيف الجامع الصغير: ٢٩٩٠].

(٤) صحيح: حديث ابن عمر «كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام». أخرجه الترمذي وصححه وابن ماجه وابن حبان، [الترمذي: ١٨٨٠، ابن ماجه: ٣٣٠١، انظر صحيح الترمذي].

وعشرين زبيبة حمراء لم ير في جسده شيئًا يكرهه واللحم ينبت اللحم، والثريد طعام العرب، والبسقارجات تعظم البطن وترخي الأليتين، ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء، ولن تستشفي النفساء بشيء أفضل من الرطب، والسمك يذيب الجسد، وقراءة القرآن والسواك يذهبان البلغم، ومن أراد البقاء ولا بقاء فليباكر بالغداء وليكرر العشاء وليلبس الحذاء، ولن يتداوى الناس بشيء مثل السمن وليقل غشيان النساء وليخفف الرداء وهو الدين.

الثالث: قال الحجاج لبعض الأطباء: صف لي صفة آخذ بها ولا أعدوها قال: لا تنكح من النساء إلا فتاة، ولا تأكل من اللحم إلا فتيا، ولا تأكل المطبوخ حتى يتم نضجه، ولا تشربن دواء إلا من علة، ولا تأكل من الفاكهة إلا نضيجها، ولا تأكلن طعامًا إلا أجدت مضغه، وكُلْ ما أحببت من الطعام ولا تشربن عليه فإذا شربت فلا تأكلن عليه شيئًا، ولا تحبس الغائط والبول، وإذا أكلت بالنهار فنم وإذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولو مائة خطوة. وفي معناه قول العرب: تغد تمد تعش تمش يعني تمدد كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ [القيامة :٣٣] أي يتمطط. ويقال إن حبس البول يفسد الجسد كما يفسد النهر ما حوله إذا سد مجراه.

الرابع: في الخبر: «قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهرمة»[(١)] ، والعرب تقول ترك الغداء يذهب بشحم الكاذة ـ يعني الألية ـ وقال بعض الحكماء لابنه: يا بني لا تخرج من منزلك حتى تأخذ حلمك أي تتغذى، إذ به يبقى الحلم ويزول الطيش وهو أيضًا أقل لشهوته لما يرى في السوق. وقال حكيم لسمين: أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك فمم هي؟ قال: هي أكل لباب البر وصغار المعز وأدهن بجام بنفسج وألبس الكتان.

الخامس: الحمية تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمريض، هكذا قيل. وقال بعضهم: من احتمى فهو على يقين من المكروه وعلى شك من العوافي، وهذا حسن في حال الصحة. ورأى رسول الله ﷺ صهيبًا يأكل تمرًا وإحدى عينيه رمداء فقال: «أَتَأْكُلُ التَّمْرَ وَأَنْتَ رَمِدٌ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّمَا آكُلُ بِالشِّقِّ الآخَرِ»[(٢)] يعني جانب السليمة فضحك رسول الله ﷺ.

السادس: أنه يستحب أن يحمل طعام إلى أهل الميت، ولما جاء نعي جعفر بن أبي طالب

---

(١) موضوع: حديث «قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهرمة». أخرجه ابن عدي في الكامل من حديث عبد الله بن جراد بالشطر الأول، [قال الألباني: موضوع، انظر السلسة الضعيفة: ٤٠٥٨] والترمذي من حديث أنس بالشطر الثاني وكلاهما ضعيف وروى ابن ماجه الشطر الثاني من حديث جابر، [الترمذي: ١٨٥٦، ابن ماجه عن جابر: ٣٣٥٥، انظر ضعيف الترمذي وابن ماجه، والمهرمة: يضعف ويأذن بالشيخوخة]

(٢) حسن: حديث «رأى رسول الله ﷺ صهيبا يأكل تمرا وإحدى عينيه رمدة فقال له أتأكل التمر وأنت رمد فقال إنما أمضغ بالشق الآخر فضحك ﷺ». أخرجه ابن ماجه من حديث صهيب بإسناد جيد، [ابن ماجه: ٣٤٤٣، انظر صحيح ابن ماجه].

قال عليه السلام: «إِنَّ آلَ جَعْفَرٍ شُغِلُوا بِمَيِّتِهِمْ عَنْ صُنْعِ طَعَامِهِمْ فَاحْمِلُوا إِلَيْهِمْ مَا يَأْكُلُونَ»(١) فذلك سنّة. وإذا قدم ذلك إلى الجمع حل الأكل منه إلا ما يهيأ للنوائح والمعينات عليه بالبكاء والجزع فلا ينبغي أن يؤكل معهم.

السابع: لا ينبغي أن يحضر طعام ظالم فإن أكره فليقلل الأكل ولا يقصد الطعام الأطيب. رد بعض المزكين شهادة من حضر طعام سلطان فقال: كنت مكرهًا، فقال: رأيتك تقصد الأطيب وتكبر اللقمة وما كنت مكرهًا عليه؟ وأجبر السلطان هذا المزكي على الأكل فقال: إما أن آكل وأخلي التزكية أو أزكي ولا آكل فلم يجدوا بدًا من تزكيته فتركوه. وحكي أن ذا النون المصري حبس ولم يأكل أيامًا في السجن فكانت له أخت في الله فبعثت إليه طعامًا من مغزلها على يد السجان فامتنع فلم يأكل، فعاتبته المرأة بعد ذلك فقال: كان حلالًا ولكن جاءني على طبق ظالم وأشار به إلى يد السجان وهذا غاية الورع.

الثامن: حكي عن فتح الموصلي رحمه الله أنه دخل على بشر الحافي زائرًا فأخرج بشر درهمًا فدفعه لأحمد الجلاء خادمه وقال: اشتر به طعامًا جيدًا وأدمًا طيبًا، قال: فاشتريت خبزًا نظيفًا وقلت: لم يقل رسول الله ﷺ لشيء اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه(٢) سوى اللبن فاشتريت اللبن واشتريت تمرًا جيدًا، فقدمت إليه فأكل وأخذ الباقي. فقال بشر: أتدرون لِمَ قلت اشتر طعامًا طيبًا؟ لأن الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر، أتدرون لم لم يقل لي كُلْ؟ لأنه ليس للضيف أن يقول لصاحب الدار كُلْ، أتدرون لم حمل ما بقي؟ لأنه إذا صح التوكل لم يضر الحمل. وحكى أبو علي الروذباري رحمه الله تعالى أنه اتخذ ضيافة فأوقد فيها ألف سراج فقال له رجل: قد أسرفت، فقال له: ادخل فكل ما أوقدته لغير الله فأطفئه فدخل الرجل فلم يقدر على إطفاء واحد منها فانقطع. واشترى أبو علي الروذباري أحمالًا من السكر وأمر الحلاويين حتى بنوا جدارًا من السكر عليه شرف ومحاريب على أعمدة منقوشة كلها من سكر ثم دعا الصوفية حتى هدموها وانتهبوها.

التاسع: قال الشافعي رضي الله عنه: «الأكل على أربعة أنحاء: الأكل بأصبع من المقت، وبأصبعين من الكبر، وبثلاث أصابع من السنّة(٣) وبأربع وخمس من الشره».

---

(١) حسن: حديث «لما جاء نعي جعفر بن أبي طالب قال ﷺ إن آل جعفر شغلوا بميتهم عن طعامهم فاحملوا إليهم ما يأكلون». أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن جعفر نحوه بسند حسن، [أبو داود: ٣١٣٢، والترمذي: ٩٩٨، وابن ماجه: ١٦١٠] ولابن ماجه نحوه من حديث أسماء بنت عميس، [ابن ماجه: ١٦١١، انظر صحيح أبي داود].

(٢) حسن: حديث «اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه». قاله عند شرب اللبن تقدم في آخر الباب الأول من كتاب الأكل، [أبو داود: ٣٧٣٠، الترمذي: ٣٤٥٥، انظر صحيح أبي داود].

(٣) صحيح: حديث «الأكل بثلاث أصابع من السنة». أخرجه مسلم من حديث كعب بن مالك «كان النبي ﷺ يأكل بثلاث أصابع»، [مسلم: ٢٠٣٢]، وروى ابن الجوزي في العلل من حديث ابن عباس موقوفا «كل بثلاث أصابع فإنه من السنة».

وأربعة أشياء تقوي البدن: أكل اللحم، وشم الطيب، وكثرة الغسل من غير جماع، ولبس الكتان.

وأربعة توهن البدن: كثرة الجماع، وكثرة الهم، وكثرة شرب الماء على الريق، وكثرة أكل الحموضة.

وأربعة تقوي البصر: الجلوس تجاه القبلة، والكحل عند النوم والنظر إلى الخضرة، وتنظيف الملبس.

وأربعة توهن البصر: النظر إلى القذر، والنظر إلى المصلوب، والنظر إلى فرج المرأة، والقعود في استدبار القبلة.

وأربعة تزيد في الجماع: أكل العصافير، وأكل الإطريفل الأكبر، وأكل الفستق، وأكل الجرجير.

والنوم على أربعة أنحاء: فنوم على القفا وهو نوم الأنبياء عليهم السلام يتفكرون في خلق السموات والأرض، ونوم على اليمين وهو نوم العلماء والعباد، ونوم على الشمال وهو نوم الملوك لهضمهم طعامهم، ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين.

وأربعة تزيد في العقل: ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة الصالحين والعلماء.

وأربعة هن من العبادة: لا يخطو خطوة إلا على وضوء وكثرة السجود ولزوم المساجد وكثرة قراءة القرآن.

وقال أيضًا: عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الأكل بعد أن يخرج كيف لا يموت؟ وعجبت لمن احتجم ثم يبادر الأكل كيف لا يموت؟ وقال: لم أر شيئًا أنفع في الوباء من البنفسج يدهن به ويشرب. والله أعلم بالصواب.

* * *

كتاب آداب النكاح

وهو الكتاب الثاني من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تصادف سهام الأهوام في عجائب صنعه مجرى، ولا ترجع العقول عن أوائل بدائعها إلا والهة حيرى، ولا تزال لطائف نعمه على العالمين تترى فهي تتوالى عليهم اختيارًا وقهرًا. ومن بدائع ألطافه أن خلق من الماء بشرًا فجعله نسبًا وصهرًا، وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها إلى الحراثة جبرًا واستبقى بها نسلهم إقهارًا وقسرًا. ثم عظم أمر الأنساب وجعل لها قدرًا فحرم بسببها السفاح وبالغ في تقبيحه ردعًا وزجرًا وجعل اقتحامه جريمة فاحشة وأمر إمرًا، وندب إلى النكاح وحث عليه استحبابًا وأمرًا. فسبحان من كتب الموت على عباده فأذلهم به هدمًا وكسرًا ثم بث بذور النطف في أراضي الأرحام وأنشأ منها خلقًا وجعله لكسر الموت جبرًا. تنبيهًا على أن بحار المقادير فياضة على العالمين نفعًا وضرًا وخيرًا وشرًا وعسرًا ويسرًا وطيًا ونشرًا والصلاة والسلام على محمد المبعوث بالإنذار والبشرى وعلى آله وأصحابه صلاة لا يستطيع لها الحساب عدًّا ولا حصرًا وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد: فإن النكاح معين على الدين، ومهين للشياطين، وحصن دون عدو الله حصين، وسبب للتكثير الذي به مباهاة سيد المرسلين لسائر النبيين فما أحراه بأن تتحرى أسبابه وتحفظ سننه وآدابه وتشرح مقاصده وآرابه وتفصل فصوله وأبوابه. والقدر المهم من أحكامه ينكشف في ثلاثة أبواب:

الباب الأول: في الترغيب فيه وعنه.

الباب الثاني: في الآداب المرعية في العقد والعاقدين.

الباب الثالث: في آداب المعاشرة بعد العقد إلى الفراق.

الباب الأول في الترغيب في النكاح والترغيب عنه

اعلم أن العلماء قد اختلفوا في فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم أنه أفضل من التخلي لعبادة الله واعترف آخرون بفضله ولكن قدموا عليه التخلي لعبادة الله، مهما تتق النفس إلى النكاح توقانًا يشوش الحال ويدعو إلى الوقاع. وقال آخرون: الأفضل تركه في زماننا هذا وقد كان له فضيلة من قبل إذ لم تكن الأكساب محظورة وأخلاق النساء مذمومة. ولا ينكشف الحق فيه إلا بأن نقدم أوّلًا ما ورد من الأخبار والآثار في الترغيب فيه والترغيب عنه،

ثم نشرح فوائد النكاح وغوائله حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه في حق كل من سلم من غوائله أو لم يسلم منها.

الترغيب في النكاح:

أما من الآيات: فقد قال الله تعالى ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور:٣٢]وهذا أمر وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ [البقرة:٢٣٢]وهذا منع من العضل ونهي عنه. وقال تعالى في وصف الرسل ومدحهم ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد:٣٨]فذكر ذلك في معرض الامتنان وإظهار الفضل. ومدح أولياءه بسؤال ذلك في الدعاء فقال ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان:٧٤]الآية، ويقال إن الله تعالى لم يذكر في كتابه من الأنبياء إلا المتأهلين، فقالوا: إن يحيى ﷺقد تزوج ولم يجامع. قيل: إنما فعل ذلك لنيل الفضل وإقامة السنة، وقيل: لغض البصر، وأما عيسى عليه السلام فإنه سينكح إذا نزل الأرض ويولد له.

وأما الأخبار: فقوله ﷺ «النِّكَاحُ سُنَّتِي فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَقَدْ رَغِبَ عَنِّي» . وقال ﷺ «النِّكَاحُ سُنَّتِي فَمَنْ أَحَبَّ فِطْرَتِي فَلْيَسْتَنَّ بِسُنَّتِي» (١) وقال أيضًا ﷺ «تَنَاكَحُوا تَكْثُرُوا فَإِنِّي أُبَاهِي بِكُمُ الأُمَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى بِالسَّقْطِ» (٢). وقال أيضًا عليه السلام: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي وَإِنَّ مِنْ سُنَّتِي النِّكَاحَ فَمَنْ أَحَبَّنِي فَلْيَسْتَنَّ بِسُنَّتِي» (٣). وقال النبي ﷺ «مَنْ تَرَكَ التَّزْوِيجَ مَخَافَةَ العِيلَةِ فَلَيْسَ مِنَّا» (٤).

وهذا ذم لعلة الامتناع لا لأصل الترك، وقال ﷺ «مَنْ كَانَ ذَا طَوْلٍ فَلْيَتَزَوَّجْ» (٥). وقال: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لاَ فَلْيَصُمْ فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ

---

٢ كتاب آداب النكاح: الباب الأول، في الترغيب في النكاح

(١) ضعيف: حديث «النكاح سنتي فمن أحب فطرتي فليستن بسنتي». أخرجه أبو يعلى في مسنده مع تقديم وتأخير من حديث ابن عباس بسند حسن،[السلسلة الضعيفة: ٢٥٠٩].

(٢) ضعيف: حديث «تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط». أخرجه أبو بكر بن مردوية في تفسيره من حديث ابن عمر دون قوله «حتى بالسقط» وإسناده ضعيف وذكره بهذه الزيادة البيهقي في المعرفة عن الشافعي أنه بلغه، [ضعيف الجامع الصغير: ٢٤٨٤].

(٣)حديث «من رغب عن سنتي فليس مني وإن من سنتي النكاح فمن أحبني فليستن بسنتي». متفق على أوله من حديث أنس «من رغب عن سنتي فليس مني» وباقيه تقدم قبله بحديث.

(٤) ضعيف: حديث «من ترك التزويج خوف العيلة فليس منا». رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف وللدارمي في مسنده والبغوي في معجمه وأبي داود في المراسيل من حديث أبي نجيح «من قدر على أن ينكح فلم ينكح فليس منا» وأبو نجيح اختلف في صحبته، [السلسلة الضعيفة: ١٩٣٤].

(٥) حسن: حديث «من كان ذا طول فليتزوج». أخرجه ابن ماجه من حديث عائشة بسند ضعيف، [ابن ماجه: ١٨٤٦، بلفظ: «فلينكح...»، انظر صحيح ابن ماجه].

وِجَاءٌ»[١] . وهذا يدل على أن سبب الترغيب فيه خوف الفساد في العين والفرج. والوجاء هو عبارة عن رض الخصيتين للفحل حتى تزول فحولته، فهو مستعار للضعف عن الوقاع في الصوم. وقال ﷺ : «إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَأَمَانَتَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ»[٢] . وهذا أيضًا تعليل الترغيب لخوف الفساد. وقال ﷺ : «مَنْ نَكَحَ لله وَأَنْكَحَ لله اسْتَحَقَّ وِلاَيَةَ الله»[٣] وقال ﷺ : «مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدْ أَحْرَزَ شَطْرَ دِينِهِ فَلْيَتَّقِ الله فِي الشَّطْرِ الثَّانِي»[٤] وهذا أيضًا إشارة إلى أن فضيلته لأجل التحرز من المخالفة تحصنًا من الفساد فكأن المفسد لدين المرء في الأغلب فرجه وبطنه وقد كفى بالتزويج أحدهما. وقال ﷺ : «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يَنْقَطِعُ إِلاَّ ثَلاَثٌ: وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ...»[٥] . الحديث. ولا يوصل إلى هذا إلا بالنكاح.

وأما الآثار: فقال عمر رضي الله عنه: لا يمنع من النكاح إلا عجز أو فجور. فبين أن الدين غير مانع منه وحصر المانع في أمرين مذمومين. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج. يحتمل أن جعله من النسك وتتمة له. ولكن الظاهر أنه أراد به أنه لا يسلم قلبه لغلبة الشهوة إلا بالتزويج ولا يتم النسك إلا بفراغ القلب، ولذلك كان يجمع غلمانه لما أدركوا عكرمة وكريبًا وغيرهما ويقول: إن أردتم النكاح أنكحتكم فإن العبد إذا زنى نزع الإيمان من قلبه. وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: لو لم يبق من عمري إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج لكيلا ألقى الله عزبًا. وماتت امرأتان لمعاذ بن جبل رضي الله عنه في الطاعون وكان هو أيضًا مطعونًا فقال: زوجوني فإني أكره أن ألقى الله عزبًا. وهذا منهما يدل

---

(١) صحيح: حديث «من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لا فليصم فإن الصوم له وجاء». متفق عليه من حديث ابن مسعود، [البخاري: ١٩٠٥، مسلم: ١٤٠٠].

(٢) حسن: حديث «إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير». أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة ونقل عن البخاري أنه لم يعده محفوظا وقال أبو داود إنه خطأ ورواه الترمذي أيضا من حديث أبي حاتم المزني وحسنه ورواه أبو داود في المراسيل وأعله ابن القطان بإرساله وضعف رواته، [الترمذي: ١٠٨٤، انظر الإرواء: ١٨٦٨.

(٣) حسن: حديث «من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله عز وجل». أخرجه أحمد بسند ضعيف من حديث معاذ بن أنس «من أعطى لله وأحب لله وأبغض لله وأنكح لله فقد استكمل إيمانه»، [أحمد: ١٥١٩٠، انظر صحيح الترغيب: ٣٠٢٨].

(٤) حسن: حديث «من تزوج فقد أحرز شطر دينه فليتق الله في الشطر الآخر». أخرجه ابن الجوزي في العلل من حديث أنس بسند ضعيف، [صحيح الجامع: ٤٣٠]، وهو عند الطبراني في الأوسط بلفظ «فقد استكمل نصف الإيمان»، [صحيح الجامع: ٦١٤٨] وفي المستدرك وصحح إسناده بلفظ «من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه... الحديث»، [صحيح الترغيب: ١٩١٦].

(٥) حديث «كل عمل ابن آدم ينقطع إلا ثلاثة» فذكر فيه: «وولد صالح يدعو له». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة بنحوه، [مسلم: ١٦٣١].

على أنهما رأيا في النكاح فضلًا لا من حيث التحرز عن غائلة الشهوة. وكان عمر رضي الله عنه يكثر النكاح ويقول: مـا أتزوج إلا لأجل الولد. وكان بعض الصحابة قـد انقطع إلى رسول الله ﷺ يخدمه ويبيت عنده لحاجة إن طرقته، فقال له رسول الله ﷺ: «أَلاَ تَتَزَوَّجُ؟» فقال: يا رسول الله إني فقير لا شيء لي وأنقطع عن خدمتك فسكت. ثم عاد ثانيًا فأعاد الجواب. ثم تفكر الصحابي وقال: والله لرسول الله أعلم بما يصلحني في دنياي وآخرتي وما يقرّبني إلى الله مني ولئن قال لي الثالثة لأفعلن. فقال له الثالثة: «أَلاَ تَتَزَوَّجُ؟» قال: فقلت يا رسول الله زوجني، قال: «اذْهَبْ إِلَى بَنِي فُلاَنٍ فَقُلْ: إِنَّ رَسُولَ الله يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُزَوِّجُونِي فَتَاتَكُمْ» قال: فقلت يا رسول الله لا شيء لي، فقال لأصحابه: «اجْمَعُوا لأَخِيكُمْ وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ» فجمعوا له فذهبوا به إلى القوم فأنكحوه فقال له: أَوْلِمْ وجمعوا له من الأصحاب شاة للوليمة[1] . وهذا التكرير يدل على فضل في نفس النكاح ويحتمل أنه توسم فيه الحاجة إلى النكاح. وحكي أن بعض العباد في الأمم السالفة فاق أهل زمانه في العبادة فذكر لنبي زمانه حسن عبادته فقال: نعم الرجل هو لولا أنه تارك لشيء من السنة فاغتم العابد لما سمع ذلك فسأل النبي عن ذلك فقال: أنت تارك للتزويج، فقال: لست أحرّمه ولكني فقير وأنا عيال على الناس، قال: أنا أزوجك ابنتي فزوجه النبي عليه السلام ابنته. وقال بشر بن الحارث: فضل عليَّ أحمد بن حنبل بثلاث: بطلب الحلال لنفسه ولغيره وأنا أطلبه لنفسي فقط، ولاتساعه في النكاح وضيقي عنه، ولأنه نصب إمامًا للعامة. ويقال إن أحمد رحمه الله تزوج في اليوم الثاني لوفاة أم ولده عبد الله وقال: أكره أن أبيت عزبًا. وأما بشر فإنه لما قيل له: إن الناس يتكلمون فيك لتركك النكاح ويقولون هو تارك للسنّة، فقال: قولوا لهم هو مشغول بالفرض عن السنة. وعوتب مرة أخرى فقال: ما يمنعني من التزويج إلا قوله تعالى ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:٢٢٨] فذكر ذلك لأحمد فقال: وأين مثل بشر؟ إنه قعد على مثل حد السنان. ومع ذلك فقد روي أنه رئي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: رفعت منازلي في الجنة وأشرف بي على مقامات الأنبياء ولم أبلغ منازل المتأهلين. وفي رواية قال لي: ما كنت أحب أن تلقاني عزبًا قال: فقلنا له: ما فعل أبو نصر التمار؟ فقال رفع فوقي بسبعين درجة، قلنا: بماذا

---

(١) حديث «كان بعض الصحابة قد انقطع إلى رسول الله ﷺ يخدمه ويبيت عنده لحاجة إن طرقته فقال له رسول الله ﷺ: ألا تتزوج؟ فقال يا رسول الله إني فقير لاشيء لي وانقطع عن خدمتك فسكت. ثم عاد ثانيا فأعاد الجواب. ثم تفكر الصحابي وقال: والله لرسول الله ﷺ أعلم بما يصلحني في دنياي وآخرتي وما يقربني إلى الله مني ولئن قال لي الثالثة لأفعلن. فقال له الثالثة: ألا تتزوج؟ قال فقلت يا رسول الله زوجني، قال: اذهب إلى بني فلان فقل إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تزوجوني فتاتكم قال: فقلت يا رسول الله لا شيء لي، فقال لأصحابه: اجمعوا لأخيكم وزن نواة من ذهب فجمعوا له فذهبوا به إلى القوم فأنكحوه فقال له أولم وجمعوا له من الأصحاب شاة للوليمة». أخرجه أحمد من حديث ربيعة الأسلمي في حديث طويل - وهو صاحب القصة - بإسناد حسن، [أحمد: ١٦١٤١].

فقد كنا نراك فوقه؟ قال: بصبره على بنياته والعيال. وقال سفيان بن عيينة: كثرة النساء ليست من الدنيا؛ لأن عليًا رضي الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله ﷺ وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية فالنكاح سنَّة ماضية وخُلُق من أخلاق الأنبياء. وقال رجل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله: طوبى لك فقد تفرغت للعبادة بالعزوبة فقال: لروعة منك بسبب العيال: أفضل من جميع ما أنا فيه، قال: فما الذي يمنعك من النكاح، فقال: ما لي حاجة في امرأة وما أريد أن أغر امرأة بنفسي. وقد قيل: فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد. وركعة من متأهل أفضل من سبعين ركعة من عزب.

وأما ما جاء في الترهيب عن النكاح: فقد قال ﷺ «خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ المِائَتَيْنِ الخَفِيفُ الحَاذِ الَّذِي لاَ أَهْلَ لَهُ وَلاَ وَلَدَ» (١) وقال ﷺ «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ هَلاَكُ الرَّجُلِ عَلَى يَدِ زَوْجَتِهِ وَأَبَوَيْهِ وَوَلَدِهِ يُعَيِّرُونَهُ بِالفَقْرِ وَيُكَلِّفُونَهُ مَا لاَ يُطِيقُ، فَيَدْخُلُ المَدَاخِلَ الَّتِي يَذْهَبُ فِيهَا دِينُهُ فَيَهْلِكُ» (٢) وفي الخبر: «قلة العيال أحد اليسارين وكثرتهم أحد الفقرين» (٣) وسئل أبو سليمان الداراني عن النكاح فقال: الصبر عنهن خير من الصبر عليهن، والصبر عليهن خير من الصبر على النار. وقال أيضًا: الوحيد يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد المتأهل. وقال مرة: ما رأيت أحدًا من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته الأولى. وقال أيضًا: ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا. من طلب معاشًا أو تزوج امرأة أو كتب الحديث. وقال الحسن رحمه الله: إذا أراد الله بعبد خيرًا لم يشغله بأهل ولا مال. وقال ابن أبي الحواري: تناظر جماعة في هذا الحديث فاستقر رأيهم على أنه ليس معناه أن لا يكونا له بل أن يكونا له ولا يشغلانه وهو إشارة إلى قول أبي سليمان الداراني: ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤوم وبالجملة لم ينقل عن أحد الترغيب عن النكاح مطلقًا إلا مقرونًا بشرط. وأما الترغيب في النكاح فقد ورد مطلقًا ومقرونًا بشرط فلنكشف الغطاء عنه بحصر آفات النكاح وفوائده.

آفات النكاح وفوائده:

وفيه فوائد خمسة: الولد، وكسر الشهوة، وتدبير المنزل، وكثرة العشيرة، ومجاهدة النفس بالقيام بهن.

---

(١) باطل: حديث «خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذي لا أهل له ولا ولد». أخرجه أبو يعلى من حديث حذيفة ورواه الخطابي في العزلة من حديثه وحديث أبي أمامة وكلاهما ضعيف، [السلسلة الضعيفة: ٣٥٨٠].

(٢) ضعيف: حديث «يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك». أخرجه الخطابي في العزلة من حديث ابن مسعود نحوه وللبيهقي قي الزهد نحوه في حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف، [ضعيف الترغيب: ١٦٣٧].

(٣) ضعيف: حديث «قلة العيال أحد اليسارين وكثرتهم أحد الفقرين». أخرجه القضاعي في مسند الشهاب من حديث علي وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عبد الله بن عمر وابن هلال المزني كلاهما بالشطر الأول بسندين ضعيفين، [السلسلة الضعيفة: ١٥٦٠].

الفائدة الأولى: الولد، وهو الأصل وله وضع النكاح. والمقصود إبقاء النسل وأن لا يخلو العالم عن جنس الإنس. وإنما الشهوة خلقت باعثة مستحثة كالموكل بالفحل في إخراج البذر، وبالأنثى في التمكين من الحرث تلطفًا بهما في السياقة إلى اقتناص الولد بسبب الوقاع، كالتلطف بالطير في بث الحب الذي يشتهيه ليساق إلى الشبكة. وكانت القدرة الأزلية غير قاصرة عن اختراع الأشخاص ابتداء من غير حراثة وازدواج، ولكن الحكمة اقتضت ترتيب المسببات على الأسباب مع الاستغناء عنها إظهارًا للقدرة وإتمامًا لعجائب الصنعة وتحقيقًا لما سبقت به المشيئة وحقت به الكلمة وجرى به القلم. وفي التوصل إلى الولد قربة من أربعة أوجه هي الأصل في الترغيب فيه عند الأمن من غوائل الشهوة حتى لم يحب أحدهم أن يلقى الله عزبًا.

الأول: موافقة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد لإبقاء جنس الإنسان.

والثاني: طلب محبة رسول الله ﷺ في تكثير من به مباهاته.

والثالث: طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده.

والرابع: طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله.

أما الوجه الأول: فهو أدق الوجوه وأبعدها عن أفهام الجماهير وهو أحقها وأقواها عند ذوي البصائر النافذة في عجائب صنع الله تعالى ومجاري حكمه. وبيانه أن السيد إذا سلم إلى عبده البذر وآلات الحرث وهيأ له أرضًا مهيأة للحراثة، وكان العبد قادرًا على الحراثة ووكل به من يتقاضاه عليها، فإن تكاسل وعطل آلة الحرث وترك البذر ضائعًا حتى فسد ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة كان مستحقًا للمقت والعتاب من سيده. والله تعالى خلق الزوجين، وخلق الذكر والأنثيين، وخلق النطفة في الفقار وهيأ لها في الأنثيين عروقًا ومجاري، وخلق الرحم قرارًا ومستودعًا للنطفة، وسلط متقاضي الشهوة على كل واحد من الذكر والأنثى، فهذه الأفعال والآلات تشهد بلسان ذلق في الإعراب عن مراد خالقها وتنادي أرباب الألباب بتعريف ما أعدت له. هذا إن لم يصرح به الخالق تعالى على لسان رسوله ﷺ بالمراد حيث قال: «تَنَاكَحُوا تَنَاسَلُوا» . فكيف وقد صرح بالأمر وباح بالسر؟ فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر معطل لما خلق الله من الآلات المعدة وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الأعضاء بخط إلهي ليس برقم حروف وأصوات يقرؤه كل من له بصيرة ربانية نافذة في إدراك دقائق الحكمة الأزلية، ولذلك عظم الشرع الأمر في القتل للأولاد وفي الوأد لأنه منع لتمام الوجود، وإليه أشار من قال: العزل أحد الوأدين، فالناكح ساع في إتمام ما أحب الله تعالى تمامه والمعرض معطل ومضيع لما كره الله ضياعه، ولأجل محبة الله تعالى لبقاء النفوس أمر بالإطعام وحث عليه وعبر عنه بعبادة

القرض فقال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة:٢٤٥].

فإن قلت: قولك: إن بقاء النسل والنفس محبوب يوهم أن فناءها مكروه عند الله، وهو فرق بين الموت والحياة بالإضافة إلى إرادة الله تعالى، ومعلوم أن الكل بمشيئة الله، وأن الله غني عن العالمين فمن أين يتميز عنده موتهم عن حياتهم أو بقاؤهم عن فنائهم؟ فاعلم أن هذه الكلمة حق أريد بها باطل فإن ما ذكرناه لا ينافي إضافة الكائنات كلها إلى إرادة الله خيرها وشرها ونفعها وضرها، ولكن المحبة والكراهية يتضادان وكلاهما لا يضادان الإرادة، فرب مراد مكروه، ورب مراد محبوب، فالمعاصي مكروهة وهي مع الكراهة مرادة، والطاعات مرادة وهي مع كونها مرادة محبوبة ومرضية. أما الكفر والشر فلا نقول إنه مرضي ومحبوب بل هو مراد. وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧]. فكيف يكون الفناء بالإضافة إلى محبة الله وكراهته كالبقاء؟ فإنه تعالى يقول: «ما ترددت في شيء كترددي في قبض روح عبدي المسلم هو يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له من الموت»[1] فقوله: «لا بد له من الموت» إشارة إلى سبق الإرادة والتقدير المذكور في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ [الواقعة:٦٠] وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك:٢] ولا مناقضة بين قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ [الواقعة:٦٠] وبين قوله «وأنا أكره مساءته»، ولكن إيضاح الحق في هذا يستدعي تحقيق معنى الإرادة والمحبة والكراهة وبيان حقائقها، فإن السابق إلى الأفهام منها أمور تناسب إرادة الخلق ومحبتهم وكراهتهم، وهيهات فبين صفات الله تعالى وصفات الخلق من البعد ما بين ذاته العزيز وذاتهم، وكما أنّ ذوات الخلق جوهر وعرض وذات الله مقدّس عنه، ولا يناسب ما ليس بجوهر وعرض الجوهر والعرض، فكذا صفاته لا تناسب صفات الخلق، وهذه الحقائق داخلة في علم المكاشفة، ووراءه سر القدر الذي منع من إفشائه، فلنقصر عن ذكره، ولنقتصر على ما نبهنا عليه من الفرق بين الإقدام على النكاح والإحجام عنه، فإنّ أحدهما مضيع نسلاً أدام الله وجوده من آدم ﷺ عقبًا بعد عقب إلى أن انتهى إليه، فالممتنع عن النكاح قد حسم الوجود المستدام من لدن وجود آدم عليه السلام على نفسه فمات أبتر لا عقب له، ولو كان الباعث على النكاح مجرّد دفع الشهوة لما قال معاذ في الطاعون: زوجوني لا ألقى الله عزبًا.

فإن قلت: فما كان معاذ يتوقع ولدًا في ذلك الوقت فما وجه رغبته فيه؟ فأقول: الولد يحصل بالوقاع بباعث الشهوة، وذلك أمر لا يدخل في الاختيار، إنما المعلق باختيار العبد إحضار المحرّك للشهوة، وذلك متوقع في كل حال، فمن عقد فقد أدى ما عليه وفعل ما إليه،

---

(١) صحيح: حديث أنه تعالى يقول «ما ترددت في شيء كترددي في قبض روح عبدي المسلم يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له من الموت». أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة، انفرد به مخلد القطواني وهو متكلم فيه، [البخاري: ٦٥٢٠].

والباقي خارج عن اختياره، ولذلك يستحب النكاح للعنين أيضًا، فإن نهضات الشهوة خفية لا يطلع عليها حتى إن الممسوح الذي لا يتوقع ولدًا لا ينقطع الاستحباب أيضًا في حقه على الوجه الذي يستحب للأصلع إمرار الموسى على رأسه اقتداء بغيره وتشبهًا بالسلف الصالحين، وكما يستحب الرمل والاضطباع في الحج الآن وقد كان المراد منه أوّلًا إظهار الجلد للكفار. فصار الاقتداء والتشبه بالذين أظهروا الجلد سنة في حق من بعدهم، ويضعف هذا الاستحباب بالإضافة إلى الاستحباب في حق القادر على الحرث، وربما يزداد ضعفًا بما يقابله من كراهة تعطيل المرأة وتضييعها فيما يرجع إلى قضاء الوطر، فإنّ ذلك لا يخلو عن نوع من الخطر، فهذا المعنى هو الذي ينبه على شدّة إنكارهم لترك النكاح مع فتور الشهوة.

الوجه الثاني: السعي في محبة رسول الله ﷺ ورضاه بتكثير ما به مباهاته، إذ قد صرح رسول الله ﷺ بذلك، ويدل على مراعاة أمر الولد جملة بالوجوه كلها ما روي عن عمر رضي الله عنه أنه كان ينكح كثيرًا ويقول: إنما أنكح للولد. وما روي من الأخبار في مذمة المرأة العقيم، إذ قال عليه السلام: «لَحَصِيرٌ فِي نَاحِيَةِ البَيْتِ خَيْرٌ مِن امْرَأَةٍ لاَ تَلِدُ»(١) وقال: «خَيْرُ نِسَائِكُمْ الوَلُودُ الوَدُودُ»(٢) وقال: «سَوْدَاءُ وَلُودٌ، خَيْرٌ مِنْ حَسْنَاءَ لاَ تَلِدُ»(٣)، وهذا يدل على أن طلب الولد أدخل في اقتضاء فضل النكاح من طلب دفع غائلة الشهوة، لأن الحسناء أصلح للتحصين وغض البصر وقطع الشهوة.

الوجه الثالث: أن يبقى بعده ولدًا صالحًا يدعو له، كما ورد في الخبر أن جميع عمل ابن آدم منقطع إلا ثلاثًا فذكر الولد الصالح. وفي الخبر: «إن الأدعية تعرض على الموتى على أطباق من نور»(٤)، وقول القائل: إنّ الولد ربما لم يكن صالحًا لا يؤثر فإنه مؤمن، والصلاح هو الغالب على أولاد ذوي الدين لا سيما إذا عزم على تربيته وحمله على الصلاح، وبالجملة دعاء المؤمن لأبويه مفيد برًّا كان أو فاجرًا، فهو مثاب على دعواته وحسناته فإنه من كسبه وغير مؤاخذ بسيئاته، فإنه لا تزر وازرة وزر أخرى، ولذلك قال تعالى: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١] أي ما نقصناهم من أعمالهم، وجعلنا أولادهم مزيدًا في إحسانهم.

---

(١) شاذ: حديث «لحصير في ناحية البيت خير من امرأة لا تلد». أخرجه أبو عمر النوقاني [؟؟] في كتاب معاشرة الأهلين موقوفا على عمر بن الخطاب، ولم أجده مرفوعا، [أبو داود: ٣٩٢٢، انظر ضعيف أبي داود].

(٢) صحيح: حديث «خير نسائكم الولود الودود». أخرجه البيهقي من حديث ابن أبي أدية الصدفي، وقال البيهقي: وروى بإسناد صحيح عن سعيد بن يسار مرسلا،[السلسلة الصحيحة: ١٨٤٩].

(٣) ضعيف: حديث «سوداء ولود خير من حسناء لا تلد». أخرجه ابن حبان في الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن جده ولا يصح، [السلسلة الضعيفة: ٣٢٦٧].

(٤) حديث «إن الأدعية تعرض على الموتى على أطباق من نور». رويناه في الأربعين المشهورة من رواية أبي هدية عن أنس في الصدقة عن الميت، وأبو هدية كذاب.

الوجه الرابع: أن يموت الولد قبله فيكون له شفيعًا، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ الطِّفْلَ يَجُرُّ بِأَبَوَيْهِ إِلَى الجَنَّةِ»(١). وفي بعض الأخبار: «يَأْخُذُ بِثَوْبِهِ كَمَا أَنَا الآنَ آخِذٌ بِثَوْبِكَ»(٢)، وقال أيضًا ﷺ: «إِنَّ المَوْلُودَ يُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ فَيَقِفُ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ فَيَظَلُّ مُحْبَنْطِئًا» أي ممتلئًا غيظًا وغضبًا ويقول: «لاَ أَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلاَّ وَأَبَوَايَ مَعِي، فَيُقَالُ: أَدْخِلُوا أَبَوَيْهِ مَعَهُ الجَنَّةَ»(٣)، وفي خبر آخر: «إِنَّ الأَطْفَالَ يَجْتَمِعُونَ فِي مَوْقِفِ القِيَامَةِ عِنْدَ عَرْضِ الخَلاَئِقِ لِلْحِسَابِ فَيُقَالُ لِلْمَلاَئِكَةِ: اذْهَبُوا بِهؤُلاَءِ إِلَى الجَنَّةِ فَيَقِفُونَ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُمْ: مَرْحَبًا بِذَرَارِي المُسْلِمِينَ ادْخُلُوا لاَ حِسَابَ عَلَيْكُمْ، فَيَقُولُونَ: فَأَيْنَ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا؟ فَيَقُولُ الخَزَنَةُ: إِنَّ آبَاءَكُمْ وَأُمَّهَاتِكُمْ لَيْسُوا مِثْلَكُمْ، إِنَّهُ كَانَتْ لَهُمْ ذُنُوبٌ وَسَيِّئَاتٌ فَهُمْ يُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا وَيُطَالَبُونَ. قَالَ: فَيَتَضَاغَوْنَ وَيَضِجُّونَ عَلَى أَبْوَابِ الجَنَّةِ ضَجَّةً وَاحِدَةً، فَيَقُولُ الله سُبْحَانَهُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مَا هذِهِ الضَّجَّةُ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَطْفَالُ المُسْلِمِينَ قَالُوا: لاَ نَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلاَّ مَعَ آبَائِنَا، فَيَقُولُ الله تَعَالَى: تَخَلَّلُوا الجَمْعَ فَخُذُوا بِأَيْدِي آبَائِهِمْ فَأَدْخِلُوهُمُ الجَنَّةَ»(٤). وقال ﷺ: «مَنْ مَاتَ لَهُ اثْنَانِ مِنَ الوَلَدِ فَقَدِ احْتَظَرَ بِحِظَارٍ مِنَ النَّارِ»(٥).

وقال ﷺ: «مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلاَثَةٌ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ أَدْخَلَهُ الله الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ». قيل: يا رسول الله واثنان؟ قال: «وَاثْنَانِ»(٦). وحكي أن بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج

---

(١) ضعيف: حديث «إن الطفل يجر أبويه إلى الجنة». أخرجه ابن ماجه من حديث علي وقال: «السقط» بدل «الطفل»،[ابن ماجه: ١٦٠٨، وضعفه الألباني] وله من حديث معاذ «إن الطفل ليجر أمه بسرره إلى الجنة إذا هي احتسبته» وكلاهما ضعيف، [ابن ماجه: ١٦٠٩، وصححه الألباني].

(٢) صحيح: حديث «إنه يأخذ بثوبه كما أنا الآن آخذ بثوبك». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، [مسلم: ٢٦٣٥].

(٣) حديث «إن المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محبنطئا - أي ممتلئا غيظا وغضبا - ويقول لا أدخل الجنة إلا وأبواي معي، فيقال: أدخلوا أبويه معه الجنة». أخرجه ابن حبان في الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ولا يصح، والنسائي من حديث أبي هريرة «يقال لهم ادخلوا الجنة فيقولون حتى يدخل آباؤنا فيقال ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم» وإسناده جيد.

(٤) حديث «إن الأطفال يجتمعون في موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء إلى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بذراري المسلمين ادخلوا لا حساب عليكم فيقولون أين آباؤنا وأمهاتنا؟ فيقول الخزنة: إن آباءكم وأمهاتكم ليسوا مثلكم، إنه كانت لهم ذنوب وسيئات فهم يحاسبون عليها ويطالبون. قال: فيتضاغون ويضجون على أبواب الجنة ضجة واحدة، فيقول الله سبحانه وهو أعلم بهم: ما هذه الضجة؟ فيقولون: ربنا أطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة إلا مع آبائنا؛ فيقول الله تعالى: تخللوا الجمع فخذوا بأيدي آبائهم فأدخلوا الجنة». الحديث بطوله لم أجد له أصلا يعتمد عليه.

(٥) صحيح لغيره: حديث «من مات له اثنان من الولد احتظر بحظار من النار». أخرجه البزار والطبراني من حديث زهير بن أبي علقمة «جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إنه مات لي ابنان سوى هذا فقال: لقد احتظرت من دون النار بحظار شديد»، [صحيح الترغيب: ٢٠٠٤]، ولمسلم من حديث أبي هريرة في المرأة التي قالت: دفنت ثلاثة» لقد احتظرت بحظار شديد من النار»، [مسلم: ٢٦٣٦].

(٦) صحيح: حديث «من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم، قيل: يا رسول

فيأبى برهة من دهره، قال فانتبه من نومه ذات يوم وقال: زوّجوني زوجوني، فزوّجوه، فسئل عن ذلك فقال: لعل الله يرزقني ولدًا ويقبضه فيكون لي مقدمة في الآخرة، ثم قال: رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأني في جملة الخلائق في الموقف، وبي من العطش ما كاد أن يقطع عنقي، وكذا الخلائق في شدة العطش والكرب، فنحن كذلك إذ ولدان يتخللون الجمع، عليهم مناديل من نور، وبأيديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب، وهم يسقون الواحد بعد الواحد، يتخللون الجمع ويتجاوزون أكثر الناس، فمددت يدي إلى أحدهم وقلت: اسقني فقد أجهدني العطش، فقال: ليس لك فينا ولد، إنما نسقي آباءنا، فقلت: ومن أنتم؟ فقالوا: نحن من مات من أطفال المسلمين. وأحد المعاني المذكورة في قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٣] تقديم الأطفال إلى الآخرة؛ فقد ظهر بهذه الوجوه الأربعة أن أكثر فضل النكاح لأجل كونه سببًا للولد.

الفائدة الثانية: التحصن عن الشيطان، وكسر التوقان، ودفع غوائل الشهوة، وغض البصر، وحفظ الفرج، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «مَنْ نَكَحَ فَقَدْ حَصَّنَ نِصْفَ دِينِهِ فَلْيَتَّقِ الله فِي الشَّطْرِ الآخَرِ» ، وإليه الإشارة بقوله: «عَلَيْكُمْ بِالبَاءَةِ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وِجَاءٌ» ، وأكثر ما نقلناه من الآثار والأخبار إشارة إلى هذا المعنى، وهذا المعنى دون الأول، لأن الشهوة موكلة بتقاضي تحصيل الولد، فالنكاح كاف لشغله دافع لجعله وصارف لشر سطوته، وليس من يجيب مولاه رغبة في تحصيل رضاه، كمن يجيب لطلب الخلاص عن غائلة التوكيل، فالشهوة والولد مقدّران وبينهما ارتباط، وليس يجوز أن يقال: المقصود اللذة، والولد لازم منها كما يلزم مثلًا قضاء الحاجة من الأكل وليس مقصودًا في ذاته، بل الولد هو المقصود بالفطرة والحكمة، والشهوة باعثة عليه، ولعمري في الشهوة حكمة أخرى سوى الإرهاق إلى الإيلاء، وهو ما في قضائها من اللذة التي لا توازيها لذة لو دامت، فهي منبهة على اللذات الموعودة في الجنان، إذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذواقًا لا ينفع، فلو رغب العنين في لذة الجماع أو الصبي في لذة الملك والسلطنة لم ينفع الترغيب، وإحدى فوائد لذات الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة، ليكون باعثًا على عبادة الله. فانظر إلى الحكمة، ثم إلى الرحمة، ثم إلى التعبئة الإلهية كيف عبيت تحت شهوة واحدة حياتان حياة ظاهرة وحياة باطنة، فالحياة الظاهرة حياة المرء ببقاء نسله فإنه نوع من دوام الوجود، والحياة الباطنة هي الحياة الأخروية، فإن هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام تحرّك الرغبة في اللذة الكاملة بلذة الدوام، فيستحث على العبادة الموصلة إليها، فيستفيد العبد بشدّة الرغبة فيها تيسر المواظبة على ما يوصله إلى

الله واثنان، قال: واثنان». أخرجه البخاري من حديث أنس دون ذكر الاثنين،[البخاري:١٢٤٨]، وهو عند أحمد بهذه الزيادة من حديث معاذ،[أحمد: ٢١٥٨٥]، وهو متفق عليه من حديث أبي سعيد بلفظ »أيما امرأة« بنحو منه،[البخاري: ١٢٥٠، ومسلم: ٢٦٣٤].

نعيم الجنان، وما من ذرّة من ذرّات بدن الإنسان باطنًا وظاهرًا، بل ذرات ملكوت السموات والأرض، إلا وتحتها من لطائف الحكمة وعجائبها ما تحار العقول فيها، ولكن إنما ينكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها وبقدر رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها وغوائلها، فالنكاح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم في الدين لكل من لا يؤتى عن عجز وعنة وهم غالب الخلق، فإن الشهوة إذا غلبت ولم يقاومها قوّة التقوى جرّت إلى اقتحام الفواحش، وإليه أشار بقوله عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال :٧٣] وإن كان ملجمًا بلجام التقوى فغايته أن يكف الجوارح عن إجابة الشهوة، فيغض البصر ويحفظ الفرج، فأما حفظ القلب عن الوسواس والفكر فلا يدخل تحت اختياره، بل لا تزال النفس تجاذبه وتحدثه بأمور الوقاع ولا يفتر عنه الشيطان الموسوس إليه في أكثر الأوقات، وقد يعرض له ذلك في أثناء الصلاة حتى يجري على خاطره من أمور الوقاع ما لو صرح به بين يدي أخس الخلق لاستحيى منه، والله مطلع على قلبه، والقلب في حق الله كاللسان في حق الخلق، ورأس الأمور للمريد في سلوك طريق الآخرة قلبه، والمواظبة على الصوم لا تقطع مادة الوسوسة في حق أكثر الخلق إلا أن ينضاف إليه ضعف في البدن وفساد في المزاج، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يتم نسك الناسك إلا بالنكاح. وهذه محنة عامة قلَّ من يتخلص منها. قال قتادة في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة :٢٨٦] هو الغلمة. وعن عكرمة ومجاهد أنهما قالا في معنى قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء :٢٨] أنه لا يصبر عن النساء.

وقال فياض بن نجيح: إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله. وبعضهم يقول: ذهب ثلث دينه. وفي نوادر التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق :٣] قال قيام الذكر، وهذه بلية غالبة إذا هاجت لا يقاومها عقل ولا دين، وهي مع أنها صالحة لأن تكون باعثة على الحياتين كما سبق فهي أقوى آلة الشيطان على بني آدم، وإليه أشار عليه السلام بقوله: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذَوِي الأَلْبَابِ مِنْكُنَّ»(١) وإنما ذلك لهيجان الشهوة. وقال ﷺ في دعائه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَبَصَرِي وَقَلْبِي وَشَرِّ مَنِيِّي»(٢) . وقال: «أَسْأَلُكَ أَنْ تُطَهِّرَ قَلْبِي وَتَحْفَظَ فَرْجِي»(٣) . فما يستعيذ منه رسول الله ﷺ كيف يجوز التساهل فيه لغيره، وكان بعض الصالحين يكثر النكاح حتى لا يكاد يخلو من

(١) صحيح: حديث «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوي الألباب منكن». أخرجه مسلم من حديث ابن عمر،[مسلم: ٨٠] واتفقا عليه عن حديث أبي سعيد ولم يسق مسلم لفظه، [البخاري: ٣٠٤، مسلم: ٨٠].

(٢) حديث «اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وبصري وشر مني». تقدم في الدعوات.

(٣) حديث «أسألك أن تطهر قلبي وتحفظ فرجي». أخرجه البيهقي في الدعوات من حديث أم سلمة بإسناد في لبس.

اثنين وثلاث، فأنكر عليه بعض الصوفية فقال: هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدي الله تعالى جلسة أو وقف بين يديه موقفًا في معاملة فخطر على قلبه خاطر شهوة، فقالوا: يصيبنا من ذلك كثيرًا، فقال: لو رضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد لما تزوجت، لكني ما خطر على قلبي خاطر يشغلني عن حالي إلا نفذته فأستريح وأرجع إلى شغلي، ومنذ أربعين سنة ما خطر على قلبي معصية. وأنكر بعض الناس حال الصوفية فقال له بعض ذوي الدين: ما الذي تنكر منهم؟ قال: يأكلون كثيرًا. قال: وأنت أيضًا لو جعت كما يجوعون لأكلت كما يأكلون، قال: ينكحون كثيرًا. قال: وأنت أيضًا لو حفظت عينيك وفرجك كما يحفظون لنكحت كما ينكحون. وكان الجنيد يقول: أحتاج إلى الجماع كما أحتاج إلى القوت، فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب، ولذلك أمر رسول الله ﷺ كل من وقع نظره على امرأة فتاقت إليها نفسه أن يجامع أهله[1] لأن ذلك يدفع الوسواس عن النفس.

وروى جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج. وقال ﷺ: «إِنَّ المَرْأَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَتْ بِصُورَةِ شَيْطَانٍ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ فإن مَعَهَا مِثْلَ الَّذِي مَعَهَا»[2] وقال عليه السلام: «لاَ تَدْخُلُوا عَلَى المُغِيبَاتِ ـ وهي التي غاب زوجها عنها ـ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ أَحَدِكُمْ مَجْرَى الدَّمِ» .

قلنا : ومنك؟ قال: «وَمِنِّي، وَلَكِنْ الله أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ»[4] . قال سفيان بن عيينة: فأسلم معناه فأسلم أنا منه، هذا معناه، فإن الشيطان لا يسلم، وكذلك يحكى عن ابن عمر رضي الله عنهما وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم أنه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الأكل، وربما جامع قبل أن يصلي المغرب ثم يغتسل ويصلي وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله وإخراج غدة الشيطان منه. وروي أنه جامع ثلاثًا من جواريه في شهر رمضان قبل العشاء الأخيرة. وقال ابن عباس: خير هذه الأمة أكثرها نساء[4] . ولما كانت الشهوة أغلب على مزاج العرب كان

---

(١) صحيح: حديث «أمر رسول الله ﷺ كل من وقع بصره على امرأة فتاقت نفسه إليها أن يجامع أهله».أخرجه أحمد من حديث أبي كبشة الأنماري، حين مرت به امرأة فوقع في قلبه شهوة النساء فدخل فأتى بعض أزواجه وقال: فكذلك فافعلوا، فانه من أماثل أفعالكم إتيان الحلال، وإسناده جيد، [أحمد: ١٧٥٦٧، انظر السلسلة الصحيحة: ٤٧٠].

(٢) صحيح: حديث جابر «رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته». الحديث رواه مسلم والترمذي واللفظ له وقال: حسن صحيح، [مسلم: ١٤٠٣، الترمذي: ١١٥٨].

(٣) صحيح: حديث «لا تدخلوا على المغيبات فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم، قلنا: ومنك؟ قال: ومني، ولكن الله أعانني عليه فأسلم». أخرجه الترمذي من حديث جابر وقال غريب،[الترمذي: ١١٢٧]، ولمسلم من حديث عبد الله بن عمر «ولا يدخل بعد يومي هذا على مغيبة إلا ومعه رجل أو اثنان»، [مسلم: ٢١٧٣].

(٤) صحيح: حديث ابن عباس «خير هذه الأمة أكثرها نساء». يعني النبي ﷺ رواه البخاري، [البخاري: ٥٠٦٩].

استكثار الصالحين منهم للنكاح أشدّ ولأجل فراغ القلب أبيح نكاح الأمة عند خوف العنت مع أن فيه إرقاق الولد وهو نوع إهلاك، وهو محرّم على كل من قدر على حرة، ولكن إرقاق الولد أهون من إهلاك الدين، وليس فيه إلا تنغيص الحياة على الولد مدّة، وفي اقتحام الفاحشة تفويت الحياة الأخروية التي تستحقر الأعمار الطويلة بالإضافة إلى يوم من أيامها. وروي أنه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس وبقي شاب لم يبرح، فقال له ابن عباس: هل لك من حاجة؟ قال: نعم أردت أن أسأل مسألة فاستحييت من الناس، وأنا الآن أهابك وأجلك. فقال ابن عباس: إن العالم بمنزلة الوالد، فما كنت أفضيت به إلى أبيك فأفض إليَّ به، فقال: إني شاب لا زوجة لي، وربما خشيت العنت على نفسي، فربما استمنيت بيدي، فهل في ذلك معصية؟ فأعرض عنه ابن عباس ثم قال: أف وتف نكاح الأمة خير منه، وهو خير من الزنى، فهذا تنبيه على أن العزب المغتلم مردد بين ثلاثة شرور أدناها نكاح الأمة، وفيه إرقاق الولد، وأشدّ منه الاستمناء باليد، وأفحشه الزنى، ولم يطلق ابن عباس الإباحة في شيء منه لأنهما محذوران يفزع إليهما حذرًا من الوقوع في محذور أشدّ منه، كما يفزع إلى تناول الميتة حذرًا من هلاك النفس، فليس ترجيح أهون الشرين في معنى الإباحة المطلقة ولا في معنى الخير المطلق، وليس قطع اليد المتآكلة من الخيرات وإن كان يؤذن فيه عند إشراف النفس على الهلاك، فإذًا في النكاح فضل من هذا الوجه، ولكن هذا لا يعم الكل بل الأكثر، فرب شخص فترت شهوته لكبر سن أو مرض أو غيره فينعدم هذا الباعث في حقه، ويبقى ما سبق من أمر الولد. فإن ذلك عام إلا للممسوح وهو نادر، ومن الطباع ما تغلب عليها الشهوة بحيث لا تحصنه المرأة الواحدة فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة إلى الأربع، فإن يسر الله له مودة ورحمة واطمأن قلبه بهن وإلا فيستحب له الاستبدال، فقد نكح علي رضي الله عنه بعد وفاة فاطمة عليها السلام بسبع ليال، ويقال: إن الحسن بن علي كان منكاحًا حتى نكح زيادة على مائتي امرأة، وكان ربما عقد على أربع في وقت واحد، وربما طلق أربعًا في وقت واحد واستبدل بهن، وقد قال عليه الصلاة والسلام للحسن: «أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي»(١). وقال ﷺ: «حَسَنٌ مِنِّي وَحُسَيْنٌ مِنْ عَلِيَ»(٢)، فقيل إن كثرة نكاحه أحد ما أشبه به خلق رسول الله ﷺ، وتزوج المغيرة بن شعبة بثمانين امرأة، وكان في الصحابة من له الثلاث والأربع، ومن

---

(١) صحيح: حديث أنه قال للحسن بن علي «أشبهت خلقي وخلقي». قلت المعروف أنه قال هذا اللفظ لجعفر بن أبي طالب، كما هو متفق عليه من حديث البراء، [عند البخاري: ٢٧٠٠، ولم أقف عليه عند مسلم]، ولكن الحسن أيضا كان يشبه النبي ﷺ، كما هو متفق عليه من حديث أبي جحيفة، وللترمذي وصححه وابن حيان من حديث أنس «لم يكن أحد أشبه برسول الله ﷺ من الحسن»، [البخاري: ٣٥٤٤، مسلم: ٢٣٤٣، الترمذي: ٣٧٧٦].

(٢) صحيح: حديث «حسن مني وحسين من علي». رواه أحمد من حديث المقداد بن معديكرب بسند جيد، [أحمد: ١٦٧٣٨، وانظر صحيح الجامع: ٦٩٩٩].

كان له اثنتان لا يحصى، ومهما كان الباعث معلومًا فينبغي أن يكون العلاج بقدر العلة فالمراد تسكين النفس فلينظر إليه في الكثرة والقلة.

الفائدة الثالثة: ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة إراحة للقلب وتقوية له على العبادة، فإن النفس ملول وهي عن الحق نفور لأنه على خلاف طبعها، فلو كلفت المداومة بالإكراه على ما يخالفها جمحت وثابت، وإذا روّحت باللذات في بعض الأوقات قويت ونشطت، وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروّح القلب، وينبغي أن يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات، ولذلك قال الله تعالى ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩] وقال علي رضي الله عنه: روّحوا القلوب ساعة فإنها إذا أكرهت عميت. وفي الخبر: «على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه. فإن في هذه الساعة عونًا على تلك الساعات»(١). ومثله بلفظ آخر: «لا يكون العاقل ظاعنًا إلا في ثلاث: تزوّد لمعاد، أو مرمة لمعاش، أو لذة في غير محرم»(٢). وقال عليه الصلاة والسلام: «لِكُلِّ عَامِلٍ شِرَّةٌ وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدِ اهْتَدَى»(٣). والشرة الجدّ والمكابدة بحدّة وقوة، وذلك في ابتداء الإرادة، والفترة: الوقوف للاستراحة، وكان أبو الدرداء يقول إني لأستجم نفسي بشيء من اللهو لأتقوى بذلك فيما بعد على الحق. وفي بعض الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «شَكَوْتُ إِلَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ضَعْفِي عَنِ الوِقَاعِ فَدَلَّنِي عَلَى الهَرِيسَةِ»(٤)، هذا إن صح لا محمل له إلا الاستعداد للاستراحة، ولا يمكن تعليله بدفع الشهوة فإنه استثارة للشهوة، ومن عدم الشهوة عدم الأكثر من هذا الأنس. وقال عليه الصلاة والسلام: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ: الطِّيبُ وَالنِّسَاءُ وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»(٥). فهذه أيضًا فائدة لا ينكرها من جرب إتعاب نفسه في

---

(١) ضعيف جدًا: حديث «على العاقل أن يكون له ثلاثة ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو بمطعمه ومشربه فإن في هذه الساعة عونا على تلك الساعات». رواه ابن حبان من حديث أبي ذر في حديث طويل: أن ذلك في صحف إبراهيم، [ضعيف الترغيب: ١٣٥٢].

(٢) ضعيف جدًا: حديث «لا يكون العاقل ظاعنا إلا في ثلاث: تزود لمعاد، أو مرمة لمعاش، أو لذة في غير محرم». رواه ابن حيان من حديث أبي ذر الطويل: أن ذلك في صحف إبراهيم، [ضعيف الترغيب: ١٣٥٢].

(٣) صحيح: حديث «لكل عامل شِرَّة، ولكل شِرَّة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى». رواه أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن عمرو، وللترمذي نحو من هذا من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح، [أحمد: ٦٤٤١، الترمذي: ٢٤٥٣، وانظر صحيح الترغيب: ٥٦].

(٤) موضوع: حديث «شكوت إلى جبريل ضعفي عن الوقاع فدلني على الهريسة». أخرجه ابن عدي من حديث حذيفة، وابن عباس، والعقيلي من حديث معاذ وجابر بن سمرة، وابن حبان في الضعفاء من حديث حذيفة، والأزدي في الضعفاء من حديث أبي هريرة بطرق كلها ضعيفة. قال ابن عدي: موضوع، وقال العقيلي: باطل، [السلسلة الضعيفة: ٦٩٠].

(٥) حسن: حديث «حبب إلى من دنياكم الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة». رواه النسائي والحاكم من

الأفكار والأذكار وصنوف الأعمال، وهي خارجة عن الفائدتين السابقتين، حتى أنها تطرد في حق الممسوح ومن لا شهوة له، إلا أن هذه الفائدة تجعل للنكاح فضيلة بالإضافة إلى هذه النية، وقل من يقصد بالنكاح ذلك. وأما قصد الولد وقصد دفع الشهوة وأمثالها فهو مما يكثر. ثم رب شخص يستأنس بالنظر إلى الماء الجاري والخضرة وأمثالها ولا يحتاج إلى ترويح النفس بمحادثة النساء وملاعبتهن. فيختلف هذا باختلاف الأحوال والأشخاص فليتنبه له.

الفائدة الرابعة: تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الأواني وتهيئة أسباب المعيشة، فإن الإنسان لو لم يكن له شهوة الوقاع لتعذر عليه العيش في منزله وحده، إذ لو تكفل بجميع أشغال المنزل لضاع أكثر أوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل، فالمرأة الصالحة المصلحة للمنزل عون على الدين بهذه الطريق، واختلال هذه الأسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنغصات للعيش، ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فإنها تفرغك للآخرة، وإنما تفريغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعًا. وقال محمد بن كعب القرظي في معنى قوله تعالى ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [البقرة:٢٠١] قال: المرأة الصالحة. وقال عليه الصلاة والسلام: «لِيَتَّخِذْ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شَاكِرًا وَلِسانًا ذَاكِرًا وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً صَالِحَةً تُعِينُهُ عَلَى آخِرَتِهِ»(١)، فانظر كيف جمع بينها وبين الذكر والشكر. وفي بعض التفاسير في قوله تعالى ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧] قال الزوجة الصالحة، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ما أعطي العبد بعد الإيمان بالله خيرًا من امرأة صالحة، وإن منهن غنمًا لا يحذى منه، ومنهن غلالًا يفدى منه. وقوله: لا يحذى أي لا يعتاض عنه بعطاء. وقال عليه الصلاة والسلام: «فُضِّلْتُ عَلَى آدَمَ بِخِصْلَتَيْنِ: كَانَتْ زَوْجَتُهُ عَوْنًا لَهُ عَلَى المَعْصِيَةِ، وَأَزْوَاجِي أَعْوَانٌ لِي عَلَى الطَّاعَةِ، وَكَانَ شَيْطَانُهُ كَافِرًا وَشَيْطَانِي مُسْلِمٌ لاَ يَأْمُرُ إِلاَّ بِخَيْرٍ»(٢)، فعد معاونتها على الطاعة فضيلة: فهذه أيضًا من الفوائد التي يقصدها الصالحون إلا أنها تخص بعض الأشخاص الذين لا كافل لهم ولا مدبر، ولا تدعو إلى امرأتين بل الجمع ربما ينغص المعيشة ويضطرب به أمور المنزل، ويدخل في هذه

حديث أنس بإسناد جيد، وضعفه العقيلي، [النسائي: ٣٩٣٩، والحاكم: ٢٦٧٦، وانظر المشكاة: ٥٢٦١].

(١) صحيح: حديث «ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته». أخرجه الترمذي وحسنه، وابن ماجه واللفظ له من حديث، وفيه انقطاع، [الترمذي: ٣٠٩٤، ابن ماجه: ١٨٥٦، وانظر صحيح الترغيب: ١٤٩٩].

(٢) موضوع: حديث «فضلت على آدم ﷺ بخصلتين: كانت زوجته عونا له على المعصية وأزواجي أعوان لي على الطاعة، وكان شيطانه كافرا وشيطاني مسلم لا يأمر إلا بخير». رواه الخطيب في التاريخ من حديث ابن عمر، وفيه محمد بن وليد بن أبان بن القلالسي قال ابن عدي كان يضع الحديث، [السلسلة الضعيفة: ١١٠٠، قال الألباني: موضوع]. ولمسلم من حديث ابن مسعود «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن» قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وأنا، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ولا يأمرني إلا بخير»، [مسلم: ٢٨١٤].

الفائدة قصد الاستكثار بعشيرتها وما يحصل من القوة بسبب تداخل العشائر، فإن ذلك مما يحتاج إليه في دفع الشرور وطلب السلامة ولذلك قيل: ذل من لا ناصر له، ومن وجد من يدفع عنه الشرور سلم حاله وفرغ قلبه للعبادة، فإن الذل مشوش للقلب والعز بالكثرة دافع للذل.

الفائدة الخامسة: مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الأهل والصبر على أخلاقهن واحتمال الأذى منهن والسعي في إصلاحهن وإرشادهن إلى طريق الدين والاجتهاد في كسب الحلال لأجلهن والقيام بتربيته لأولاده، فكل هذه أعمال عظيمة الفضل، فإنها رعاية وولاية، والأهل والولد رعية، وفضل الرعاية عظيم، وإنما يحترز منها من يحترز خيفة من القصور عن القيام بحقها، وإلا فقد قال عليه الصلاة والسلام: «يَوْمٌ مِنْ وَالٍ عَادِلٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سَبْعِينَ سَنَةً» ، ثم قال: «أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»(١) ، وليس من اشتغل بإصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل بإصلاح نفسه فقط، ولا من صبر على الأذى كمن رفه نفسه وأراحها، فمقاساة الأهل والولد بمنزلة الجهاد في سبيل الله ولذلك قال بشر: فضل عليَّ أحمد بن حنبل بثلاث: إحداها أنه يطلب الحلال لنفسه ولغيره، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «مَا أَنْفَقَهُ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُؤْجَرُ فِي اللُّقْمَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِهِ»(٢) وقال بعضهم لبعض العلماء: من كل عمل أعطاني الله نصيبًا حتى ذكر الحج والجهاد وغيرهما فقال له: أين أنت من عمل الأبدان؟ فقال: وما هو قال: كسب الحلال، والنفقة على العيال. وقال ابن المبارك وهو مع إخوانه في الغزو: تعلمون عملًا أفضل مما نحن فيه؟ قالوا: ما نعلم ذلك. قال: أنا أعلم. قالوا: فما هو؟ قال رجل متعفف ذو عائلة قام من الليل فنظر إلى صبيانه نيامًا متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه، فعمله أفضل مما نحن فيه.

وقال ﷺ: «مَنْ حَسُنَتْ صَلاَتُهُ وَكَثُرَ عِيَالُهُ وَقَلَّ مَالُهُ وَلَمْ يَغْتَبِ الْمُسْلِمِينَ كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ»(٣) وفي حديث آخر: «إِنَّ الله يُحِبُّ الْفَقِيرَ الْمُتَعَفِّفَ أَبَا الْعِيَالِ»(٤) . وفي

---

(١) حديث «يوم من والٍ عادل أفضل من عبادة سبعين سنة» ثم قال «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته». رواه الطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس، وقد تقدم بلفظ «ستين سنة» دون ما بعده فانه متفق عليه من حديث ابن عمر.

(٢) صحيح: حديث «ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة وإن الرجل ليؤجر في رفع اللقمة إلى في امرأته». متفق عليه من حديث ابن مسعود «إذا أنفق الرجل على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة»، [البخاري: ٥٣٥١، مسلم: ١٠٠٢]، ولهما من حديث سعد بن أبي وقاص «ومهما أنفقت فهو لك صدقة حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك»، [البخاري: ٢٧٤٢، مسلم: ١٦٢٨].

(٣) موضوع: حديث «من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين». أخرجه أبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري بسند ضعيف، [ضعيف الترغيب: ١٨٦٢].

(٤) ضعيف: حديث «إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال». أخرجه ابن ماجه من حديث عمران بن حصين بسند ضعيف، [ابن ماجه: ٤١٢١، وانظر المشكاة: ٥٢٦٥].

الحديث: «إِذَا كَثُرَتْ ذُنُوبُ العَبْدِ ابْتَلاَهُ الله بِهَمِّ العِيَالِ لِيُكَفِّرَهَا عَنْهُ»(١) ، وقال بعض السلف: من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الغم بالعيال، وفيه أثر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبٌ لاَ يُكَفِّرُهَا إِلاَّ الهَمُّ بِطَلَبِ المَعِيشَةِ»(٢) ، وقال : ﷺ «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلاَثُ بَنَاتٍ فَأَنْفَقَ عَلَيْهِنَّ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ حَتَّى يُغْنِيَهُنَّ الله عَنْهُ أَوْجَبَ الله لَهُ الجَنَّةَ البَتَّةَ الْبَتَّةَ، إِلاَّ أَنْ يَعْمَلَ عَمَلاً لاَ يُغْفَرُ لَهُ»(٣) . وكان ابن عباس إذا حدث بهذا قال: والله هو من غرائب الحديث وغرره.

وروي أن بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته إلى أن ماتت. فعرض عليه التزويج فامتنع وقال: الوحدة أروح لقلبي وأجمع لهمي، ثم قال: رأيت في المنام بعد جمعة من وفاتها كأن أبواب السماء فتحت وكأن رجالا ينزلون ويسيرون في الهواء يتبع بعضهم بعضًا، فكلما نزل واحد نظر إليَّ وقال لمن وراءه: هذا هو المشؤوم فيقول الآخر: نعم، ويقول الثالث كذلك، ويقول الرابع نعم، فخفت أن أسألهم هيبة من ذلك إلى أن مرَّ بي آخرهم وكان غلامًا فقلت له: يا هذا من هذا المشؤوم الذي تومئون إليه؟ فقال: أنت. فقلت: ولم ذاك؟ قال: كنا نرفع عملك في أعمال المجاهدين في سبيل الله، فمنذ جمعة أمرنا أن نضع عملك مع الخالفين، فما ندري ما أحدثت؟ فقال لإخوانه: زوجوني زوجوني فلم يكن تفارقه زوجتان أو ثلاث. وفي أخبار الأنبياء عليهم السلام أن قومًا دخلوا على يونس النبي عليه السلام فأضافهم، فكان يدخل ويخرج إلى منزله فتؤذيه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت، فتعجبوا من ذلك فقال: لا تعجبوا فإني سألت الله تعالى وقلت: ما أنت معاقب لي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا، فقال: إن عقوبتك بنت فلان، تتزوج بها، فتزوجت بها وأنا صابر على ما ترون منها، وفي الصبر على ذلك رياضة النفس وكسر الغضب وتحسين الخلق؛ فإن المفرد بنفسه أو المشارك لمن حسن خلقه لا تترشح منه خبائث النفس الباطنة ولا تنكشف بواطن عيوبه، فحق على سالك طريق الآخرة أن يجرّب نفسه بالتعرض لأمثال هذه المحرّكات واعتياد الصبر عليها، لتعتدل أخلاقه وترتاض نفسه ويصفو عن الصفات الذميمة باطنه، والصبر على العيال

---

(١) حديث «إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم العيال ليكفرها». رواه أحمد عن حديث عائشة إلا أنه قال «بالحزن» وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه. [أحمد : ٢٤٧٠٨ ، وانظر ضعيف الترغيب : ١٩٩٤].

(٢) موضوع : حديث «من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهم بطلب المعيشة». أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية والخطيب في التلخيص المتشابه من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف. [السلسلة الضعيفة : ٩٢٤].

(٣) حديث «من كان له ثلاث بنات فأنفق عليهن وأحسن إليهن حتى يغنيهن الله عنه أوجب الله له الجنة البتّة إلا أن يعمل عملا لا يغفر له». رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن عباس بسند ضعيف، وهو عنده بلفظ آخر. ولأبي داود واللفظ له والترمذي من حديث أبي سعيد «من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة» ورجاله ثقات، وفي سنده اختلاف. [حديث «من كان» السلسلة الصحيحة : ٢٦٧٩ بنحوه ، وحديث «من عال . . .» عند أبي داود : ٥١٤٧ ، و الترمذي : ١٩١٢ ، وانظر ضعيف أبي داود].

مع أنه رياضة ومجاهدة تكفل لهم وقيام بهم وعبادة في نفسها، فهذه أيضًا من الفوائد، ولكنه لا ينتفع بها إلا أحد رجلين: إما رجل قصد المجاهدة والرياضة وتهذيب الأخلاق لكونه في بداية الطريق، فلا يبعد أن يرى هذا طريقًا في المجاهدة وترتاض به نفسه، وإما رجل من العابدين ليس له سير بالباطن وحركة بالفكر والقلب، وإنما عمله عمل الجوارح بصلاة أو حج أو غيره، فعمله لأهله وأولاده بكسب الحلال لهم والقيام بتربيتهم أفضل له من العبادات اللازمه لبدنه التي لا يتعدّى خيرها إلى غيره، فأما الرجل المهذب الأخلاق إما بكفاية في أصل الخلقة أو بمجاهدة سابقة إذا كان له سير في الباطن وحركة بفكر القلب في العلوم والمكاشفات، فلا ينبغي أن يتزوج لهذا الغرض، فإن الرياضة هو مكفي فيها. وأما العبادة في العمل بالكسب لهم فالعلم أفضل من ذلك، لأنه أيضًا عمل، وفائدته أكثر من ذلك وأعم وأشمل لسائر الخلق من فائدة الكسب على العيال، فهذه فوائد النكاح في الدين التي بها يحكم له بالفضيلة.

أما آفات النكاح فثلاث: الأولى: وهي أقواها العجز عن طلب الحلال، فإنّ ذلك لا يتيسر لكل أحد، ولا سيما في هذه الأوقات مع اضطراب المعايش فيكون النكاح سببًا في التوسع للطلب والإطعام من الحرام، وفيه هلاكه وهلاك أهله والمتعزب في أمن من ذلك، وأما المتزوج ففي الأكثر يدخل في مداخل السوء فيتبع هوى زوجته ويبيع آخرته بدنياه. وفي الخبر: «إن العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال فيسأل عن رعاية عائلته والقيام بهم، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، حتى يستغرق بتلك المطالبات كل أعماله، فلا تبقى له حسنة، فتنادي الملائكة: هذا الذي أكل عياله حسناته في الدنيا وارتهن اليوم بأعماله»[1] ويقال: إنّ أول ما يتعلق بالرجل في القيامة أهله وولده فيوقفونه بين يدي الله تعالى ويقولون: يا ربنا خذ لنا بحقنا منه فإنه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم، فيقتص لهم منه. وقال بعض السلف: إذا أراد الله بعبد شرًا سلّط عليه في الدنيا أنيابًا تنهشه يعني العيال. وقال عليه الصلاة والسلام: «لاَ يَلْقَى الله أَحَدٌ بِذَنْبٍ أَعْظَمَ مِنْ جَهَالَةِ أَهْلِهِ»[2] فهذه آفة عامة قلَّ من يتخلص منها إلا من له مال موروث أو مكتسب من حلال يفي به وبأهله وكان له من القناعة ما يمنعه من الزيادة، فإنّ ذاك يتخلص من هذه الآفة، أو من هو محترف ومقتدر على كسب حلال من المباحات باحتطاب أو اصطياد، أو كان في صناعة لا تتعلق

---

(١) حديث «إن العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال فيسأل عن رعاية عائلته والقيام بهم، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، حتى يستغرق بتلك المطالبات كل أعماله، فلا تبقي له حسنة، فتنادي الملائكة: هذا الذي أكل عياله حسناته في الدنيا وارتهن اليوم بأعماله».لم أقف له على أصل.

(٢) حديث «لا يلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله». ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي سعيد، ولم يجده ولده أبو منصور في مسنده.

بالسلاطين ويقدر على أن يعامل به أهل الخير، ومن ظاهره السلامة وغالب ماله الحلال وقال ابن سالم رحمه الله ـ وقد سئل عن التزويج ـ فقال: هو أفضل في زماننا هذا لمن أدركه شبق غالب، مثل الحمار يرى الأتان فلا ينتهي عنها بالضرب ولا يملك نفسه، فإن ملك نفسه فتركه أولى.

الآفة الثانية: القصور عن القيام بحقهن والصبر على أخلاقهن واحتمال الأذى منهن وهذه دون الأولى في العموم، فإنّ القدرة على هذا أيسر من القدرة على الأولى، وتحسين الخلق مع النساء والقيام بحظوظهن أهون من طلب الحلال وفي هذا أيضًا خطر، لأنه راع ومسؤول عن رعيته. وقال عليه الصلاة والسلام: «كَفَى بِالمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضِيعَ مَنْ يَعُولُ»(١). وروي أن الهارب من عياله بمنزلة العبد الهارب الآبق لا تقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع إليهم، ومن يقصر عن القيام بحقهن وإن كان حاضرًا فهو بمنزلة هارب، فقد قال تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم:٦] أمرنا أن نقيهم النار كما نقي أنفسنا، والإنسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه، وإذا تزوّج تضاعف عليه الحق وانضافت إلى نفسه نفس أخرى والنفس أمارة بالسوء، إن كثرت عليها الحقوق كثر الأمر بالسوء غالبًا، ولذاك اعتذر بعضهم من التزويج وقال: أنا مبتلى بنفسي وكيف أضيف إليها نفسًا أخرى؟ كما قيل:

لن يَسَعِ الفأرة جحرها علّقت المكنس في دبرها.

وكذلك اعتذر إبراهيم بن أدهم رحمه الله وقال: لا أغر امرأة بنفسي ولا حاجة لي فيهن: أي من القيام بحقهن وتحصينهن وإمتاعهن وأنا عاجز عنه، وكذلك اعتذر بشر وقال: يمنعني من النكاح قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ﴾ [البقرة:٢٢٨] وكان يقول: لو كنت أعول دجاجة لخفت أن أصير جلادًا على الجسر. ورئي سفيان بن عيينة رحمه الله على باب السلطان فقيل له: ما هذا موقفك فقال: وهل رأيت ذا عيال أفلح؟ وكان سفيان يقول:

يا حبذا العزبة والمفتاح * ومسكن تخرقه الرياح * لا صخب فيه ولا صياح

فهذه آفة عامة أيضا وإن كانت دون عموم الأولى، لا يسلم منها إلا حكيم عاقل، حسن الأخلاق، بصير بعادات النساء، صبور على لسانهن، وقاف عن اتباع شهواتهن، حريص على الوفاء بحقهن يتغافل عن زللهن، ويداري بعقله أخلاقهن، والأغلب على الناس السفه والفظاظة والحدة والطيش وسوء الخلق وعدم الإنصاف مع طلب تمام الإنصاف ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادا من هذا الوجه لا محالة، فالوحدة أسلم له.

الآفة الثالثة: وهي دون الأولى والثانية: أن يكون الأهل والولد شاغلًا له عن الله تعالى

---

(١) حسن: حديث «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول». رواه أبو داود والنسائي بلفظ «من يقوت» وهو عند مسلم بلفظ آخر. [أبو داود: ١٦٩٢، وهو عند مسلم: ٩٩٦ بنحوه].

وجاذبًا له إلى طلب الدنيا وحسن تدبير المعيشة للأولاد بكثرة جمع المال وادخاره لهم وطلب التفاخر والتكاثر بهم وكل ما شغل عن الله من أهل ومال وولد فهو مشؤوم على صاحبه، ولست أعني بهذا أن يدعو إلى محظور، فإن ذلك مما اندرج تحت الآفة الأولى والثانية، بل أن يدعوه إلى التنعم بالمباح بل إلى الإغراق في ملاعبة النساء ومؤانستهن والإمعان في التمتع بهن، ويثور من النكاح أنواع من الشواغل من هذا الجنس تستغرق القلب، فينقضي الليل والنهار ولا يتفرغ المرء فيهما للتفكر في الآخرة والاستعداد لها، ولذلك قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: من تعوَّد أفخاذ النساء لم يجئ منه شيء. وقال أبو سليمان رحمه الله: من تزوّج فقد ركن إلى الدنيا: أي يدعوه ذلك إلى الركون إلى الدنيا، فهذه مجامع الآفات والفوائد، فالحكم على شخص واحد بأن الأفضل له النكاح أو العزوبة مطلقًا قصور عن الإحاطة بمجامع هذه الأمور بل تتخذ هذه الفوائد والآفات معتبرًا ومحكمًا يعرض المريد عليه نفسه، فإن انتفت في حقه الآفات واجتمعت الفوائد بأن كان له مال حلال وخلق حسن وجدّ في الدين تام لا يشغله النكاح عن الله، وهو مع ذلك شاب محتاج إلى تسكين الشهوة ومنفرد يحتاج إلى تدبير المنزل والتحصن بالعشيرة، فلا يماري في أن النكاح أفضل له مع ما فيه من السعي في تحصيل الولد، فإن انتفت الفوائد واجتمعت الآفات فالعزوبة أفضل له، وإن تقابل الأمران وهو الغالب فينبغي أن يوزن بالميزان القسط حظ تلك الفائدة في الزيادة من دينه وحظ تلك الآفات في النقصان منه، فإذا غلب على الظن رجحان أحدهما حكم به، وأظهر الفوائد الولد وتسكين الشهوة، وأظهر الآفات الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله، فلنفرض تقابل هذه الأمور فنقول: من لم يكن في أذية من الشهوة وكانت فائدة نكاحه في السعي لتحصيل الولد وكانت الآفة الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله فالعزوبة له أولى، فلا خير فيما يشغل عن الله، ولا خير في كسب الحرام، ولا يفي بنقصان هذين الأمرين أمر الولد، فإن النكاح للولد سعي في طلب حياة للولد موهومة، وهذا نقصان في الدين ناجز، فحفظه لحياة نفسه وصونها عن الهلاك أهم من السعي في الولد وذلك ربح والدين رأس مال. وفي فساد الدين بطلان الحياة الأخروية وذهاب رأس المال، ولا تقاوم هذه الفائدة إحدى هاتين الآفتين. وأما إذا انضاف إلى أمر الولد حاجة كسر الشهوة لتوقان النفس إلى النكاح نظر: فإن لم يقو لجام التقوى في رأسه وخاف على نفسه الزنا فالنكاح له أولى، لأنه متردد بين أن يقتحم الزنا أو يأكل الحرام، والكسب الحرام أهون الشرين، وإن كان يثق بنفسه أنه لا يزني ولكن لا يقدر مع ذلك على غض البصر عن الحرام فترك النكاح أولى، لأن النظر حرام والكسب من غير وجهه حرام، والكسب يقع دائمًا وفيه عصيانه وعصيان أهله، والنظر يقع أحيانًا وهو يخصه وينصرم على قرب، والنظر زنا العين ولكن إذا لم يصدّقه الفرج فهو إلى العفو أقرب من أكل الحرام، إلا أن يخاف إفضاء النظر إلى معصية الفرج فيرجع ذلك إلى خوف العنت فهو إلى

العفو أقرب من أكل الحرام، إلا أن يخاف إفضاء النظر إلى معصية الفرج فيرجع ذلك إلى خوف العنت، وإذا ثبت هذا فالحالة الثالثة: وهو أن يقوى على غض البصر ولكن لا يقوى على دفع الأفكار الشاغلة للقلب فذلك أولى بترك النكاح، لأن عمل القلب إلى العفو أقرب، وإنما يراد فراغ القلب للعبادة ولا تتم عبادة مع الكسب الحرام وأكله وإطعامه، فهكذا ينبغي أن توزن هذه الآفات بالفوائد ويحكم بحسبها، ومن أحاط بهذا لم يشكل عليه شيء مما نقلنا عن السلف من ترغيب في النكاح مرة ورغبة عنه أخرى، إذ ذلك بحسب الأحوال صحيح.

فإن قلت: فمن أمن الآفات فما الأفضل له: التخلي لعبادة الله، أم النكاح؟

فأقول: يجمع بينهما، لأن النكاح ليس مانعًا من التخلي لعبادة الله من حيث إنه عقد، ولكن من حيث الحاجة إلى الكسب، فإن قدر على الكسب الحلال فالنكاح أيضًا أفضل، لأنّ الليل وسائر أوقات النهار يمكن التخلي فيها للعبادة، والمواظبة على العبادة من غير استراحة غير ممكن، فإن فرض كونه مستغرقًا للأوقات بالكسب حتى لا يبقى له وقت سوى أوقات المكتوبة والنوم والأكل وقضاء الحاجة، فإن كان الرجل ممن لا يسلك سبيل الآخرة إلا بالصلاة النافلة أو الحج وما يجري مجراه من الأعمال البدنية فالنكاح له أفضل، لأن في كسب الحلال والقيام بالأهل والسعي في تحصيل الولد والصبر على أخلاق النساء أنواعًا من العبادات لا يقصر فضلها عن نوافل العبادة وإن كان عبادته بالعلم والفكر وسير الباطن، والكسب يشوّش عليه ذلك، فترك النكاح أفضل.

فإن قلت: فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله؟ وإن كان الأفضل التخلي لعبادة الله فلم استكثر رسولنا ﷺ من الأزواج؟ فاعلم أنّ الأفضل الجمع بينهما في حق من قدر ومن قويت منته وعلت همته فلا يشغله عن الله شاغل، ورسولنا عليه السلام أخذ بالقوّة، وجمع بين فضل العبادة والنكاح، ولقد كان مع تسع من النسوة[1] متخليًا لعبادة الله، وكان قضاء الوطر بالنكاح في حقه غير مانع، كما لا يكون قضاء الحاجة في حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعًا لهم عن التدبير، حتى يشتغلون في الظاهر بقضاء الحاجة وقلوبهم مشغوفة بهممهم غير غافلة عن مهماتهم، وكان رسول الله ﷺ لعلوّ درجته لا يمنعه أمر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى، فكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته[2]، ومتى سلم مثل هذا المنصب لغيره فلا يبعد أن يغير السواقي ما لا يغير البحر الخضم، فلا ينبغي أن يقاس عليه غيره. وأما عيسى ﷺ: فإنه أخذ بالحزم لا بالقوّة، واحتاط لنفسه، ولعل حالته كانت حالة يؤثر فيها

---

(١) صحيح: حديث «جمعه ﷺ بين تسعة نسوة». أخرجه البخاري من حديث أنس، وله من حديثه أيضا «وهن إحدى عشرة». [البخاري: ٢٦٨، ٢٨٤].

(٢) صحيح: حديث «كان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته». أخرجه البخاري من حديث أنس «يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها».[البخاري: ٣٧٧٥].

الاشتغال بالأهل، أو يتعذر معها طلب الحلال، أو لا يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلي للعبادة فآثر التخلي للعبادة، وهم أعلم بأسرار أحوالهم وأحكام أعصارهم في طيب المكاسب وأخلاق النساء، وما على الناكح من غوائل النكاح وما له فيه، ومهما كانت الأحوال منقسمة حتى يكون النكاح في بعضها أفضل وتركه في بعضها أفضل، فحقنا أن ننزل أفعال الأنبياء على الأفضل في كل حال، والله أعلم.

الباب الثاني فيما يراعى حالة العقد من أحوال المرأة وشروط العقد

أما العقد، فأركانه وشروطه لينعقد ويفيد الحل أربعة:

الأول: إذن الولي، فإن لم يكن فالسلطان.

الثاني: رضا المرأة إن كانت ثيبًا بالغًا أو كانت بكرًا بالغًا، ولكن يزوّجها غير الأب والجدّ.

الثالث: حضور شاهدين ظاهري العدالة، فإن كانا مستورين حكمنا بالانعقاد للحاجة.

الرابع: إيجاب وقبول متصل به بلفظ الإنكاح أو التزويج أو معناهما الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة، سواء كان هو الزوج أو الولي أو وكيلهما.

وأما آدابه، فتقديم الخطبة مع الولي لا في حال عدة المرأة، بل بعد انقضائها إن كانت معتدة، ولا في حال سبق غيره بالخطبة، إذ نهى عن الخطبة على الخطبة[1]. ومن آدابه، الخطبة قبل النكاح، ومزج التحميد بالإيجاب والقبول فيقول المزوج: الحمد لله والصلاة على رسول الله زوجتك ابنتي فلانة، ويقول الزوج: الحمد لله والصلاة على رسول الله قبلت نكاحها على هذا الصداق. وليكن الصداق معلومًا خفيفًا، والتحميد قبل الخطبة أيضًا مستحب. ومن آدابه: أن يلقي أمر الزوج إلى سمع الزوجة وإن كانت بكرًا فذلك أحرى وأولى بالألفة، ولذلك يستحب النظر إليها قبل النكاح فإنه أحرى أن يؤدم بينهما. ومن الآداب: إحضار جمع من أهل الصلاح زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنان للصحة، ومنها: أن ينوي بالنكاح إقامة السنّة وغض البصر وطلب الولد وسائر الفوائد التي ذكرناها، ولا يكون قصده مجرّد الهوى والتمتع، فيصير عمله من أعمال الدنيا، ولا يمنع ذلك هذه النيات، فرب حق يوافق الهوى. قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: إذا وافق الحق الهوى فهو الزبد بالنرسيان، ولا يستحيل أن يكون كل واحد من حظ النفس وحق الدين باعثًا معًا، ويستحب أن يعقد في المسجد وفي شهر شوّال. قالت عائشة رضي الله عنها: تزوجني رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح: حديث «النهي عن الخطبة على الخطبة». متفق عليه من حديث ابن عمر، ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله ويأذن له. [البخاري: ٥١٤٢، مسلم: ١٤١٢].

في شوال، وبنى بي في شوّال[١] .

وأما المنكوحة فيعتبر فيها نوعان: أحدهما للحل. والثاني لطيب المعيشة وحصول المقاصد.

النوع الأوّل ما يعتبر فيها للحل: وهو أن تكون خلية عن موانع النكاح والموانع تسعة عشر:

الأول: أن تكون منكوحة للغير.

الثاني: أن تكون معتدة للغير سواء كانت عدّة وفاة أو طلاق أو وطء شبهة أو كانت في استبراء وطء عن ملك يمين.

الثالث: أن تكون مرتدّة عن الدين لجريان كلمة على لسانها من كلمات الكفر.

الرابع: أن تكون مجوسية.

الخامسة: أن تكون وثنية أو زنديقة لا تنسب إلى نبي وكتاب ومنهنّ المعتقدات لمذهب الإباحة فلا يحل نكاحهنّ وكذلك كل معتقدة مذهبًا فاسدًا يحكم بكفر معتقده.

السادس: أن تكون كتابية قد دانت بدينهم بعد التبديل أو بعد مبعث رسول الله ﷺ ومع ذلك، فليست من نسب بني إسرائيل، فإذا عدمت كلتا الخصلتين لم يحل نكاحها، وإن عدمت النسب فقط ففيه خلاف.

السابع: أن تكون رقيقة والناكح حرًا قادرًا على طول الحرّة أو غير خائف من العنت.

الثامن: أن تكون كلها أو بعضها مملوكًا للناكح ملك يمين.

التاسع: أن تكون قريبة للزوج بأن تكون من أصوله أو فصوله، أو فصول أوّل أصوله، أو من أوّل فصل من كل أصل بعده أصل، وأعني بالأصول: الأمهات والجدّات، وبفصوله: الأولاد والأحفاد، وبفصول أول أصوله: الإخوة وأولادهم، وبأوّل فصل من كل أصل بعده أصل: العمات والخالات دون أولادهن.

العاشر: أن تكون محرّمة بالرضاع ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب من الأصول والفصول كما سبق، ولكن المحرّم خمس رضعات وما دون ذلك لا يحرم.

الحادي عشر: المحرم بالمصاهرة: وهو أن يكون الناكح قد نكح ابنتها أو جدتها أو ملك بعقد أو شبهة عقد من قبل، أو وطئهن بالشبهة في عقد أو وطئ أمها أو إحدى جداتها بعقد أو شبهة عقد، فمجرد العقد على المرأة يحرم أمهاتها، ولا يحرم فروعها إلا بالوطء، أو يكون قد نكحها أبوه أو ابنه قبل.

---

(١) صحيح: حديث عائشة «تزوجني رسول الله ﷺ في شوال وبنى بي في شوال». رواه مسلم. [مسلم: ١٤٢٣].

الثاني عشر: أن تكون المنكوحة خامسة أي يكون تحت الناكح أربع سواها إما في نفس النكاح أو في عدة الرجعة، فإن كانت في عدة بينونة لم تمنع الخامسة.

الثالث عشر: أن يكون تحت الناكح أختها أو عمتها أو خالتها، فيكون بالنكاح جامعًا بينهما، وكل شخصين بينهما قرابة لو كان أحدهما ذكرًا والآخر أنثى لم يجز بينهما النكاح، فلا يجوز أن يجمع بينهما.

الرابع عشر: أن يكون هذا الناكح قد طلقها ثلاثًا فهي لا تحل له ما لم يطأها زوج غيره في نكاح صحيح.

الخامس عشر: أن يكون الناكح قد لاعنها فإنها تحرم عليه أبدًا بعد اللعان.

السادس عشر: أن تكون محرمة بحج أو عمرة أو كان الزوج كذلك فلا ينعقد النكاح إلا بعد تمام التحلل.

السابع عشر: أن تكون ثيبًا صغيرة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ.

الثامن عشر: أن تكون يتيمة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ.

التاسع عشر: أن تكون من أزواج رسول الله ﷺ ممن توفي عنها أو دخل بها فإنهنّ أمهات المؤمنين وذلك لا يوجد في زماننا، فهذه هي الموانع المحرمة.

أما الخصال المطيبة للعيش التي لا بد من مراعاتها في المرأة ليدوم العقد وتتوفر مقاصده فثمانية: الدين، والخلق، والحسن، وخفة المهر، والولادة، والبكارة، والنسب، وأن لا تكون قرابة قريبة.

الأولى: أن تكون صالحة ذات دين، فهذا هو الأصل وبه ينبغي أن يقع الاعتناء، فإنها إن كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وفرجها أزرت بزوجها وسوّدت بين الناس وجهه وشوّشت بالغيرة قلبه وتنغص بذلك عيشه، فإن سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل في بلاء ومحنة، وإن سلك سبيل التساهل كان متهاونًا بدينه وعرضه ومنسوبًا إلى قلة الحمية والأنفة، وإذا كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها أشدّ، إذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها، ويكون كالذي جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله إنّ لي امرأة لا ترد يد لامس. قال: «طَلِّقْهَا» ، فقال: إني أحبها. قال: «أَمْسِكْهَا»[1] وإنما أمره بإمساكها خوفًا عليه بأنه إذا طلقها أتبعها نفسه وفسد هو أيضًا معها، فرأى ما في دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه أولى، وإن كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله أو بوجه آخر لم يزل العيش مشوّشًا

---

(١) صحيح: حديث «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن لي امرأة لا ترد يد لامس، قال: طلقها، فقال: إني أحبها. قال: أمسكها». رواه أبو داود والنسائي من حديث ابن عباس، قال النسائي: ليس بثابت، والمرسل أولى بالصواب. وقال أحمد: حديث منكر، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات. [أبو داود : ٢٠٤٩ ، والنسائي : ٣٤٦٥ ، وانظر صحيح أبي داود].

معه. فإن سكت ولم ينكره كان شريكًا في المعصية مخالفًا لقوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم :٦] وإن أنكر وخاصم تنغص العمر، ولهذا بالغ رسول الله ﷺ في التحريض على ذات الدين فقال: «تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِمَالِهَا وَجَمَالِهَا وَحَسَبِهَا وَدِينِهَا فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّين تربَتْ يَدَاكَ»(١) . وفي حديث آخر: «مَنْ نَكَحَ المَرْأَةَ لِمَالِهَا وَجَمَالِهَا حُرِمَ جَمَالَهَا وَمَالَهَا، وَمَنْ نَكَحَهَا لِدِينِهَا رَزَقَهُ الله مَالَهَا وَجَمَالَهَا»(٢) ، وقال ﷺ: «لاَ تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِجَمَالِهَا فَلَعَلَّ جَمَالَهَا يُرْدِيهَا، وَلاَ لِمَالِهَا فَلَعَلَّ مَالَهَا يُطْغِيهَا، وَانْكَح المَرْأَةَ لِدِينِهَا»(٣) ، وإنما بالغ في الحث على الدين لأن مثل هذه المرأة تكون عونًا على الدين، فأما إذا لم تكن متدينة كانت شاغلة عن الدين ومشوشة له.

الثانية : حسن الخلق، وذلك أصل مهم في طلب الفراغ والاستعانة على الدين: فإنها إذا كانت سليطة بذيئة اللسان سيئة الخلق كافرة للنعم، كان الضرر منها أكثر من النفع، والصبر على لسان النساء مما يمتحن به الأولياء. قال بعض العرب: لا تنكحوا من النساء ستة: لا أنانة، ولا منانة، ولا حنانة، ولا تنكحوا حدّاقة ولا براقة، ولا شدّاقة. أما الأنانة فهي التي تكثر الأنين والتشكي وتعصب رأسها كل ساعة، فنكاح الممراضة أو نكاح المتمارضة لا خير فيه، والمنانة: التي تمن على زوجها فتقول: فعلت لأجلك كذا وكذا، والحنانة: التي تحن إلى زوج آخر أو ولدها من زوج آخر، وهذا أيضًا مما يجب اجتنابه، والحداقة: التي ترمي إلى كل شيء بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج شراءه، والبراقة تحتمل معنيين: أحدهما أن تكون طول النهار في تصقيل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق محصل بالصنع، والثاني أن تغضب على الطعام فلا تأكل إلا وحدها وتستقل نصيبها من كل شيء، وهذه لغة يمانية يقولون: برقت المرأة وبرق الصبي الطعام إذا غضب عنده، والشداقة: المتشدقة الكثيرة الكلام، ومنه قوله عليه السلام: «إِنَّ الله تَعَالَى يَبْغُضُ الثَّرْثَارِينَ المُتَشَدِّقِينَ»(٤) . وحكي أن السائح الأزدي لقي إلياس

---

(١) صحيح : حديث «تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها، فعليك بذات الدين». متفق عليه من حديث أبي هريرة. [البخاري: ٥٠٩٠ ، مسلم : ١٤٦٦].

(٢) موضوع : حديث «من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم جمالها ومالها، ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها». رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس «من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقرا، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه». رواه ابن حبان في الضعفاء. [ضعيف الترغيب : ١٢٠٨].

(٣) ضعيف جداً : حديث «لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يرديها». أخرجه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف. [ابن ماجه : ١٨٥٩ ، وانظر ضعيف الترغيب والترهيب : ١٢٠٩].

(٤) صحيح : حديث «إن الله يبغض الثرثارين المتشدقين». رواه الترمذي وحسنه من حديث جابر «وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتفيهقون» ولأبي داود والترمذي وحسنه من حديث عبد الله

عليه السلام في سياحته فأمره بالتزوج ونهاه عن التبتل، ثم قال: لا تنكح أربعًا، المختلعة، والمبارية، والعاهرة، والناشز، فأما المختلعة: فهي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب، والمبارية: المباهية بغيرها المفاخرة بأسباب الدنيا، والعاهرة: الفاسقة التي تعرف بخليل وخدن وهي التي قال الله تعالى ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾[النساء:٢٥] والناشز: التي تعلو على زوجها بالفعال والمقال. والنشز: العالي من الأرض، وكان علي رضي الله عنه يقول: شر خصال الرجال خير خصال النساء. البخل، والزهو، والجبن، فإنّ المرأة إذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها، وإذا كانت مزهوّة استنكفت أن تكلم كل أحد بكلام لين مريب وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهمة خيفة من زوجها، فهذه الحكايات ترشد إلى مجامع الأخلاق المطلوبة في النكاح.

الثالثة: حسن الوجه، فذلك أيضًا مطلوب، إذ به يحصل التحصن والطبع لا يكتفي بالدميمة غالبًا، كيف والغالب أن حسن الخلق والخلق لا يفترقان. وما نقلناه من الحث على الدين وأن المرأة لا تنكح لجمالها ليس زاجرًا عن رعاية الجمال، بل هو زجر عن النكاح لأجل الجمال المحض مع الفساد في الدين، فإن الجمال وحده في غالب الأمر يرغب في النكاح ويهوّن أمر الدين ويدل على الالتفات إلى معنى الجمال. أن الألفة والمودة تحصل به غالبًا وقد ندب الشرع إلى مراعاة أسباب الألفة ولذلك استحب النظر فقال: «إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فلينظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما»(١) أي يؤلف بينهما، من وقوع الأدمة على الأدمة: وهي الجلدة الباطنة. والبشرة، الجلدة الظاهرة، وإنما ذكر ذلك للمبالغة في الائتلاف. وقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ فِي أَعْيُنِ الأَنْصَارِ شَيْئًا فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنْهُنَّ فَلْيَنْظُرْ إِلَيْهِنَّ»(٢) قيل: كان في أعينهن عمش. وقيل: صغر، وكان بعض الورعين لا ينكحون كرائمهم إلا بعد النظر احترازًا من الغرور. قال الأعمش: كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم. ومعلوم أن النظر لا يعرف الخلق والدين والمال، وإنما يعرف الجمال من

ابن عمرو «إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخال بلسانه تخلل الباقرة بلسانها». [حديث: «وإن أبغضكم . . . » عند الترمذي: ٢٠١٨، وحديث: «إن الله يبغض . . .» عند أبي داود: ٥٠٠٥، والترمذي: ٢٨٥٣، وانظر صحيح أبي داود وصحيح الترمذي].

(١) صحيح: حديث «إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فلينظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما». أخرجه ابن ماجه بسند ضعيف من حديث أحمد بن مسلمة دون قوله «فإنه أحرى» وللترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه من حديث المغيرة بن شعبة: أنه خطب امرأة فقال النبي ﷺ «انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما». [حديث: «إذا أوقع . . .» عند ابن ماجه: ١٨٦٤ وصححه الألباني، وحديث: «انظر إليها . . .» عند الترمذي: ١٠٨٧، والنسائي: ٣٢٣٥، وابن ماجه: ١٨٦٥ وصححه الألباني].

(٢) صحيح: حديث «إن في أعين الأنصار شينا فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر إليهن». رواه مسلم من حديث أبي هريرة نحوه. [مسلم: ١٤٢٤].

القبح. وروي أن رجلًا تزوج على عهد عمر رضي الله عنه وكان قد خضب فنصل خضابه، فاستعدى عليه أهل المرأة إلى عمر وقالوا: حسبناه شابًا: فأوجعه عمر ضربًا وقال: غررت القوم. وروي أن بلالًا وصهيبًا أتيا أهل بيت من العرب فخطبا إليهم فقيل لهما: من أنتما؟ فقال بلال: أنا بلال وهذا أخي صهيب، كنا ضالين فهدانا الله وكنا مملوكين فأعتقنا الله، وكنا عائلين فأغنانا الله، فإن تزوجونا فالحمد لله، وإن تردونا فسبحان الله، فقالوا: بل تزوجان والحمد لله. فقال صهيب: لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول اللهﷺ ، فقال: اسكت فقد صدقت فأنكحك الصدق. والغرور يقع في الجمال والخلق جميعًا فيستحب إزالة الغرور في الجمال بالنظر، وفي الخلق بالوصف والاستيصاف فينبغي أن يقدم ذلك على النكاح، ولا يستوصف في أخلاقها وجمالها إلا من هو بصير صادق خبير بالظاهر والباطن ولا يميل إليها فيفرط في الثناء، ولا يحسدها فيقصر، فالطباع مائلة في مبادئ النكاح ووصف المنكوحات إلى الإفراط والتفريط، وقل من يصدق فيه ويقتصد، بل الخداع والإغراء أغلب، والاحتياط فيه مهم لمن يخشى على نفسه التشوّف إلى غير زوجته. فأما من أراد من الزوجة مجرد السنة أو الولد أو تدبير المنزل، فلو رغب عن الجمال فهو إلى الزهد أقرب لأنه على الجملة باب من الدنيا، وإن كان قد يعين على الدين في حق بعض الأشخاص. قال أبو سليمان الداراني: الزهد في كل شيء حتى في المرأة يتزوج الرجل العجوز إيثارًا للزهد في الدنيا. وقد كان مالك بن دينار رحمه الله يقول: يترك أحدكم أن يتزوج يتيمة فيؤجر فيها إن أطعمها وكساها تكون خفيفة المؤنة ترضى باليسير، ويتزوّج بنت فلان وفلان يعني أبناء الدنيا فتشتهي عليه الشهوات وتقول: اكسني كذا وكذا واختار أحمد بن حنبل عوراء على أختها وكانت جميلة، فسأل: من أعقلهما؟ فقيل: العوراء، فقال: زوّجوني إياها، فهذا دأب من لم يقصد التمتع، فأما من لا يأمن على دينه ما لم يكن له مستمتع فليطلب الجمال، فالتلذذ بالمباح حصن للدين. وقد قيل: إذا كانت المرأة حسناء خيرة الأخلاق سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهي على صورة الحور العين، فإن الله تعالى وصف نساء أهل الجنة بهذه الصفة في قوله: ﴿خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمٰن:٧٠] أراد بالخيرات حسنات الأخلاق، وفيه قوله ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الصافات:٤٨] وفي قوله: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة:٣٧] العروب: هي العاشقة لزوجها المشتهية للوقاع وبه تتم اللذة. والحور: البياض. والحوراء: شديدة بياض العين شديدة سوادها في سواد الشعر، والعيناء الواسعة العين. وقال عليه الصلاة والسلام: «خَيْرُ نِسَائِكُمْ مَنْ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا زَوْجُهَا سَرَّتْهُ وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ» (١). وإنما يسر بالنظر إليها إذا كانت محبة للزوج.

---

(١) حسن: حديث «خير نسائكم التي إذا نظر إليها زوجها سرته، وإن أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته في

الرابعة: أن تكون خفيفة المهر. قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ النِّسَاءِ أَحْسَنُهُنَّ وُجُوهًا وَأَرْخَصُهُنَّ مُهُورًا»(١) وقد نهى عن المغالاة في المهر(٢) تزوج رسول الله ﷺ بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحى يد وجرّة ووسادة من أدم حشوها ليف(٣) وأولم على بعض نسائه بمدين من شعير(٤) وعلى أخرى بمدّين من تمر ومدّين من سويق(٥)، وكان عمر رضي الله عنه ينهى عن المغالاة في الصداق ويقول: ما تزوّج رسول الله ﷺ ولا زوَّج بناته بأكثر من أربعمائة درهم(٦)، ولو كانت المغالاة بمهور النساء مكرمة لسبق إليها رسول الله ﷺ، وقد تزوج بعض أصحاب رسول الله ﷺ على نواة من ذهب قيمتها خمسة دراهم(٧)،

نفسها وماله». أخرج النسائي من حديث أبي هريرة نحوه بسند صحيح وقال «ولا تخالفه في نفسها ولا مالها» وعند أحمد «في نفسها وماله» ولأبي داود نحوه من حديث ابن عباس بسند صحيح.

(١) حديث «خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا». أخرجه ابن حبان من حديث ابن عباس «خيرهن أيسرهن صداقا»،[السلسلة الضعيفة: ٣٥٨٤] وله من حديث عائشة «من يمن المرأة تسهيل أمرها وقلة صداقها»، [حسنه الألباني في صحيح الجامع: ٢٢٣٥] وروى أبو عمر التوقاني في كتاب معاشرة الأهلين «إن أعظم النساء بركة أصبحهن وجوها وأقلهن مهرا» وصححه، [قال الألباني: موضوع، انظر السلسلة الضعيفة: ١١٩٧].

(٢) حسن صحيح: حديث «النهي عن المغالاة في المهر». رواه أصحاب السنن الأربعة موقوفا على عمر وصححه الترمذي[أبو داود: ٢١٠٦، النسائي: ٣٣٤٩، ابن ماجه: ١٨٨٧، الترمذي: ١١١٤، وقال الألباني: حسن صحيح، انظر صحيح أبي داود].

(٣) حديث «تزوج رسول الله ﷺ بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحى يد وجرة ووسادة من أدم حشوها ليف». رواه أبو داود الطيالسي والبزار من حديث أنس: تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة على متاع بيت قيمته عشرة دراهم. قال البزار: ورأيته في موضع آخر تزوجها على متاع بيت ورحى قيمته أربعون درهما. ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد وكلاهما ضعيف. ولأحمد من حديث علي لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة أدم حشوها ليف ورحيين وسقاء وجرتين» ورواه الحاكم وصحح إسناده، وابن حبان مختصر، [حديث «تزوج رسول الله ﷺ...» عند ابن ماجه: ١٨٩٠، عن أبي سعيد، وفيه «تزوج عائشة على متاع بيت...»، وضعفه الألباني، وحديث على لما زوجه فاطمة عند أحمد: ٨٢١، انظر صحيح الترغيب: ٣٣٠١].

(٤) صحيح: حديث «أولم على بعض نسائه بمدين من شعير». أخرجه البخاري من حديث عائشة، [البخاري: ٥١٧٢، من حديث صفية بنت شيبة ولم أقف عليه من حديث عائشة].

(٥) صحيح: حديث «وأولم على أخرى بمدي تمر ومدي سويق». رواه الأربعة من حديث أنس «أولم على صفية بسويق وتمر»،[أبو داود: ٣٧٤٤، الترمذي: ١٠٩٥، وصححه الألباني، انظر صحيح أبي داود]. ولمسلم: فجعل الرجل يجئ بفضل التمر وفضل السويق، [مسلم: ١٣٦٥]. وفي الصحيحين: التمر والأقط والسمن، وليس في شيء من الأصول تقييد التمر والسويق بمدين، [البخاري: ٤٢١٣، مسلم: ١٣٦٥].

(٦) حسن صحيح: حديث: كان عمر ينهى عن المغالاة ويقول: ما تزوج رسول الله ﷺ ولا زوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم.

رواه الأربعة من حديث عمر. قال الترمذي: حسن صحيح، [أبو داود: ٢١٠٦، الترمذي: ١١١٤، وقال الألباني: حسن صحيح، انظر صحيح الجامع].

(٧) صحيح: حديث: تزوج بعض أصحاب النبي ﷺ على وزن نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم. متفق عليه من حديث أنس أن عبد الرحمن بن عوف تزوج على ذلك وتقويمها بخمسة دراهم. رواه البيهقي، [البخاري: ٢٠٤٨، مسلم: ١٤٢٧].

وزوّج سعيد بن المسيب ابنته من أبي هريرة رضي الله عنه على درهمين، ثم حملها هو إليه ليلًا فأدخلها هو من الباب ثم انصرف، ثم جاءها بعد سبعة أيام فسلم عليها ولو تزوج على عشرة دراهم للخروج عن خلاف العلماء فلا بأس به. وفي الخبر: «مِنْ بَرَكَةِ المَرْأَةِ سُرْعَةُ تَزْوِيجِهَا وَسُرْعَةُ رَحِمِهَا» أي الولادة، و «يُسْرُ مَهْرِهَا» (١). وقال أيضًا: «أَبْرَكُهُنَّ أَقَلُّهُنَّ مَهْرًا» (٢)، وكما تكره المغالاة في المهر من جهة المرأة فيكره السؤال عن مالها من جهة الرجل. ولا ينبغي أن ينكح طمعًا في المال. قال الثوري: إذا تزوج وقال: أي شيء للمرأة؟ فاعلم أنه لص، وإذا أهدى إليهم فلا ينبغي أن يهدي ليضطرهم إلى المقابلة بأكثر منه، وكذلك إذا أهدوا إليه فنية طلب الزيادة نية فاسدة، فأما التهادي فمستحب وهو سبب المودة. قال عليه السلام: «تَهَادُوا تَحَابُّوا» (٣) وأما طلب الزيادة فداخل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر :٦] أي تعطي لتطلب أكثر، وتحت قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ [الروم :٣٩] فإنّ الربا هو الزيادة، وهذا طلب زيادة على الجملة، وإن لم يكن في الأموال الربوية فكل ذلك مكروه وبدعة في النكاح يشبه التجارة والقمار ويفسد مقاصد النكاح.

الخامسة: أن تكون المرأة ولودًا، فإن عرفت بالعقر فليمتنع عن تزوجها. قال عليه السلام: «عَلَيْكُمْ بَالوَلُودِ الوَدُودِ» (٤). فإن لم يكن لها زوج ولم يعرف حالها فيراعي صحتها وشبابها، فإنها تكون ولودًا في الغالب مع هذين الوصفين.

السادسة: أن تكون بكرًا. قال عليه السلام لجابر: وقد نكح ثيبًا: «هَلَّا بِكْرًا تُلاعِبُها وَتُلاعِبُكَ» (٥) في البكارة ثلاث فوائد، إحداها: أن تحب الزوج وتألفه فيؤثر في معنى الود، وقد قال ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالوَدُودِ». والطباع مجبولة على الأنس بأوّل مألوف. وأما التي اختبرت الرجال ومارست الأحوال فربما لا ترضى بعض الأوصاف التي تخالف ما ألفته فتقلي الزوج. الثانية: أن ذلك أكمل في مودته لها فإن الطبع ينفر عن التي مسها غير الزوج نفرة ما، وذلك

---

(١) حسن: حديث «من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها» أي الولادة وتيسير مهرها.
رواه أحمد والبيهقي من حديث عائشة «من يمن المرأة أن تتيسر خطبتها وأن يتيسر صداقها وأن يتيسر رحمها» قال عروة: يعني الولادة، وإسناده جيد، [أحمد: ٢٣٩٥٧، انظر صحيح الجامع: ٢٢٣٥].

(٢) حديث «أبركهن أقلهن مهرا». رواه أبو عمر التوقاني في معاشرة الأهلين من حديث عائشة «إن أعظم النساء بركة أصبحهن وجوها وأقلهن مهرا» وقد تقدم، ولأحمد والبيهقي «إن أعظم النساء بركة أيسرهن صداقا» وإسناده جيد، [ضعفه الألباني، انظر ضعيف الجامع: ٢٩٣١].

(٣) حسن: حديث «تهادوا تحابوا». أخرجه البخاري في كتاب الأدب المفرد، والبيهقي من حديث أبي هريرة بسند جيد، [صحيح الأدب المفرد: ٢٠٨].

(٤) حسن صحيح: حديث «عليكم بالودود الولود». أخرجه أبو داود والنسائي من حديث معقل بن يسار «تزوجوا الودود الولود» وإسناده صحيح، [أبو داود: ٢٠٥٠، النسائي: ٣٢٢٧، انظر صحيح أبي داود].

(٥) صحيح: حديث قال لجابر وقد نكح ثيبا «هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك». متفق عليه من حديث جابر، [البخاري: ٥٢٤٧، مسلم: ٧١٥].

يثقل على الطبع مهما يذكر وبعض الطباع في هذا أشد نفورًا. الثالثة: أنها لا تحن إلى الزوج الأوّل وآكد الحب ما يقع مع الحبيب الأول غالبًا.

السابعة: أن تكون نسيبة أعني أن تكون من أهل بيت الدين والصلاح فإنها ستربي بناتها وبنيها.

فإذا لم تكن مؤدبة لم تحسن التأديب والتربية، ولذلك قال عليه السلام: «إِيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ» ، فقيل: ما خضراء الدمن؟ قال: «المَرْأَةُ الحَسْنَاءُ فِي المَنْبِتِ السُّوءِ»(١) وقال عليه السلام: «تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ فَإِنَّ العِرْقَ نَزَّاعٌ»(٢) .

الثامنة: أن لا تكون من القرابة القريبة فإنّ ذلك يقلل الشهوة: قال ﷺ: «لاَ تَنْكِحُوا القَرَابَةَ القَرِيبَةَ فَإِنَّ الوَلَدَ يُخْلَقُ ضَاوِيًا»(٣) . أي نحيفًا، وذلك لتأثيره في تضعيف الشهوة، فإن الشهوة إنما تنبعث بقوة الإحساس بالنظر واللمس وإنما يقوى الإحساس بالأمر الغريب الجديد، فأما المعهود الذي دام النظر إليه مدّة فإنه يضعف الحس عن تمام إدراكه والتأثر به ولا تنبعث به الشهوة، فهذه هي الخصال المرغبة في النساء.

ويجب على الولي أيضًا أن يراعي خصال الزوج ولينظر لكريمته فلا يزوّجها ممن ساء خلقه أو خلقه، أو ضعف دينه، أو قصر عن القيام بحقها أو كان لا يكافئها في نسبها، قال عليه السلام: «النِّكَاحُ رِقٌّ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ أَيْنَ يَضَعُ كَرِيمَتَهُ»(٤) . والاحتياط في حقها أهم لأنها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها، والزوج قادر على الطلاق بكل حال، ومهما زوّج ابنته ظالمًا أو فاسقًا أو مبتدعًا أو شارب خمر فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله لما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار. وقال رجل للحسن: قد خطب ابنتي جماعة فمن أزوجها؟ قال ممن يتقي الله،

---

(١) ضعيف جدًا حديث «إياكم وخضراء الدمن، فقيل: وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء». رواه الدارقطني في الأفراد، والرامهرمزي في الأمثال من حديث أبي سعيد الخدري، قال الدارقطني: تفرد به الواقدي وهو ضعيف، [السلسلة الضعيفة: ١٤].

(٢) حسن: حديث «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس». رواه ابن ماجه من حديث عائشة مختصرا دون قوله «فإن العرق»، [ابن ماجه: ١٩٦٨، وحسنه الألباني] وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس «تزوجوا في الحجر الصالح فإن العرق دساس»، [قال الألباني: موضوع، انظر السلسلة الضعيفة: ٣٤٠٠]، وروى أبو موسى المديني في كتاب تضييع العمر والأيام من حديث ابن عمر «وانظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس» وكلاهما ضعيف، [قال الألباني: ضعيف جدا، انظر السلسلة الضعيفة: ٢٠٣٢].

(٣) لا أصل له: حديث «لا تنكحوا القرابة فإن الولد يخلق ضاويا». قال ابن الصلاح: لم أجد له أصلا معتمدا. قلت: إنما يعرف من قول عمر أنه قال لآل السائب «قد أضويتم فانكحوا في النوابغ» رواه إبراهيم الحربي في غريب الحديث، وقال معناه تزوجوا الغرائب قال: ويقال: اغربوا لا تضووا، [قال الألباني: لا أصل له، انظر السلسلة الضعيفة: ٥٣٦٥].

(٤) حديث «النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته». رواه أبو عمر التوقاني في معاشرة الأهلين موقوفا على عائشة وأسماء ابنتي أبي بكر. قال البيهقي. وروى ذلك مرفوعا والموقوف أصح.

فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها. وقال عليه السلام: «مَنْ زَوَّجَ كَرِيمَتَهُ مِنْ فَاسِقٍ فَقَدْ قَطَعَ رَحِمَهَا»(١) .

الباب الثالث في آداب المعاشرة

وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة

أما الزوج: فعليه مراعاة الاعتدال والأدب في اثني عشر أمرًا: في الوليمة، والمعاشرة، والدعابة، والسياسة، والغيرة، والنفقة، والقسم، والتأديب في النشوز، والوقاع، والولادة، والمفارقة بالطلاق.

الأدب الأول: الوليمة، وهي مستحبة، قال أنس رضي الله عنه: رأى رسول الله ﷺ على عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أثر صفرة فقال: «مَا هذَا» ؟ فقال: تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب. فقال ﷺ «بَارَكَ الله لَكَ أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ»(٢) وأولم رسول الله ﷺ على صفية بتمر وسويق(٣) . وقال ﷺ: «طَعَامُ أَوَّلِ يَوْمٍ حَقٌّ، وَطَعَامُ الثَّانِي سُنَّةٌ، وَطَعَامُ الثَّالِثِ سُمْعَةٌ، وَمَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ الله بِهِ»(٤) ، ولم يرفعه إلا زياد بن عبد الله وهو غريب. وتستحب تهنئته فيقول من دخل على الزوج: بارك الله لك وبارك عليك، وجمع بينكما في خير(٥) . وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه عليه السلام أمر بذلك، ويستحب إظهار النكاح. قال عليه السلام: «فَصْلُ مَا بَيْنَ الحَلاَلِ وَالحَرَامِ الدُّفُّ وَالصَّوْتُ»(٦) ، قال رسول الله ﷺ: «أَعْلِنُوا هذَا النِّكَاحَ وَاجْعَلُوهُ فِي المَسَاجِدِ وَاضْرِبُوا عَلَيْهِ بِالدُّفُوفِ»(٧) . وعن الربيع بنت معوذ قالت: «جاء رسول الله ﷺ

---

(١) موضوع حديث «من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها». رواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أنس، ورواه في الثقات من قول الشعبي بإسناد صحيح، [السلسلة الضعيفة: ٢٠٦٢].

(٢) صحيح: حديث أنس «رأى رسول الله ﷺ على عبد الرحمن بن عوف أثر الصفرة فقال: ما هذا؟ قال: تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب، فقال: بارك الله لك، أولم ولو بشاة»، متفق عليه، [البخاري: ٢٠٤٨، مسلم: ١٤٢٧].

(٣) حديث «أولم على صفيه بسويق وتمر». رواه الأربعة من حديث أنس، ولمسلم نحوه وقد تقدم.

(٤) ضعيف: حديث «طعام أول يوم حق، وطعام الثاني سنة، وطعام الثالث سمعة، ومن سمع، سمع الله به». قال المصنف: لم يرفعه إلا زياد بن عبد الله. قلت: هكذا قال الترمذي بعد أن أخرجه من حديث ابن مسعود وضعفه، [الترمذي: ١٠٩٧، انظر ضعيف الترمذي].

(٥) صحيح: حديث أبي هريرة في تهنئة الزوج «بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير». رواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه وتقدم في الدعوات، [أبو داود: ٢١٣٠، الترمذي: ١٠٩١، انظر صحيح أبي داود].

(٦) حسن: حديث «فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت». رواه الترمذي وحسنة وابن ماجه من حديث محمد بن حاطب، [الترمذي: ١٠٨٨، ماجه: ١٨٩٦، انظر صحيح الترمذي].

(٧) ضعيف: حديث «أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدف». رواه الترمذي من حديث عائشة وحسنه وضعفه البيهقي، [الترمذي: ١٠٨٩، انظر السلسلة الضعيفة: ٩٧٨].

فدخل علي غداة بنى بي فجلس على فراشي وجويريات لنا يضربن بدفهن ويندبن من قتل من آبائي إلى أن قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال لها: «اسْكُتِي عَنْ هذِهِ وَقُولِي الَّذِي كُنْتِ تَقُولِينَ قَبْلَهَا»(١).

الأدب الثاني: حسن الخلق معهن واحتمال الأذى منهن ترحمًا عليهن لقصور عقلهن. وقال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:١٩] وقال في تعظيم حقهن: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء:٢١] وقال: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء:٣٦] قيل: هي المرأة. وآخر ما وصى به رسول الله ﷺ ثلاث كان يتكلم بهم حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه: جعل يقول: «الصَّلاةَ الصَّلاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ لاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا لاَ يُطِيقُونَ. الله الله فِي النِّسَاءِ فَإِنَّهُنَّ عَوَان فِي أَيْدِيكُمْ - يعني أسراء - أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ الله وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ الله»(٢). وقال عليه السلام: «مَنْ صَبَرَ عَلَى سُوءِ خُلُقِ امْرَأَتِهِ أَعْطَاهُ الله مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ مَا أُعْطِيَ أَيُّوبُ عَلَى بَلاَئِهِ، وَمَنْ صَبَرَتْ عَلَى سُوءِ خُلُقِ زَوْجِهَا أَعْطَاهَا الله مِثْلَ ثَوَابِ آسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَونَ»(٣). واعلم أنه ليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها، بل احتمال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها، اقتداء برسول الله ﷺ، فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام، وتهجره الواحدة منهن يومًا إلى الليل(٤). وراجعت امرأة عمر رضي الله عنه عمر في الكلام فقال: أتراجعيني يا لكعاء، فقالت: إنّ أزواج رسول الله ﷺ يراجعنه وهو خير منك(٥)، فقال

---

(١) صحيح: حديث الربيع بنت معوذ قالت «جاء رسول الله ﷺ فدخل على غداة بنى بي فجلس على فراشي وجويريات لنا يضربن بدفهن ويندبن من قتل من آبائي إلى أن قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال لها: اسكتي عن هذه وقولي الذي كنت تقولين قبلها». رواه البخاري وقال: يوم بدر وقع في بعض نسخ الإحياء: يوم بعاث، وهو وهم، [البخاري: ٤٠٠١].

(٢) صحيح: حديث «آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ ثلاث: كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه، جعل يقول: الصلاة وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون، الله الله في النساء فإنهن عوان في أيديكم - يعني أسراء - أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله». أخرجه النسائي في الكبرى، وابن ماجه من حديث أم سلمة أن النبي ﷺ وهو في الموت جعل يقول «الصلاة! وما ملكت أيمانكم!» فما زال يقولها وما يقبض بها لسانه، [ابن ماجه: ١٦٢٥] وأما الوصية بالنساء فالمعروف أن ذلك كان في حجة الوداع. رواه مسلم من حديث جابر الطويل، وفيه: «فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله... » الحديث، [مسلم: ١٢١٨].

(٣) لا أصل له: حديث «من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون». لم أقف له على أصل، [السلسلة الضعيفة: ٦٢٧].

(٤) صحيح: حديث «كان أزواجه ﷺ يراجعنه الحديث وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل». متفق عليه من حديث عمر في الحديث الطويل في قوله تعالى ﴿فإن تظاهرا عليه﴾، [البخاري: ٢٤٦٨، مسلم: ١٤٧٩].

(٥) حديث «وراجعت امرأة عمر عمر في الكلام فقال: أتراجعيني يا لكعاء؟ قالت: إن أزواج الرسول ﷺ يراجعنه وهو خير منك، فقال عمر: خابت حفصة وخسرت إن راجعته، ثم قال لحفصة: لا تغتري بابنة ابن أبي

عمر: خابت حفصة وخسرت إن راجعته، ثم قال لحفصة: لا تغتري بابنة ابن أبي قحافة فإنها حِبُّ رسول الله ﷺ وخوّفها من المراجعة. وروي أنه دفعت إحداهن في صدر رسول الله ﷺ فزبرتها أمها، فقال عليه السلام: «دَعِيهَا فَإِنَّهُنَّ يَصْنَعْنَ أَكْثَرَ مِنْ ذلِكَ»(١) . وجرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخلا بينهما أبا بكر رضي الله عنه حكمًا واستشهده، فقال لها رسول الله ﷺ : «تَكَلَّمِينَ أَوْ أَتَكَلَّمُ» ؟ فقالت: بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقًّا، فلطمها أبو بكر حتى دمى فوها وقال: يا عدية نفسها، أو يقول غير الحق فاستجارت برسول الله ﷺ وقعدت خلف ظهره، فقال له النبي ﷺ : «لَمْ نَدْعُكَ لِهذَا وَلاَ أَرَدْنَا مِنْكَ هذَا»(٢) وقالت له مرة في كلام غضبت عنده: أنت الذي تزعم أنك نبي الله، فتبسم رسول الله ﷺ واحتمل ذلك حلمًا وكرمًا(٣) . وكان يقول لها «إِنِّي لأَعْرِفُ غَضَبَكِ مِنْ رِضَاكِ» . قالت: وكيف تعرفه؟ قال: «إِذَا رَضِيتِ قُلْتِ: لاَ وَإِلهِ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا غَضِبْتِ قُلْتِ: لاَ وَإِلهِ إِبْرَاهِيمَ» قالت: «صدقت إنما أهجر اسمك»(٤) ويقال: إنّ أول حب وقع في الإسلام حب النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها(٥) . وكان يقول لها: «كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لأُمِّ زَرْعٍ، غَيْرَ أَنِّي لاَ أُطَلِّقُكِ»(٦) ، وكان يقول لنسائه:

قحافة فإنها حب رسول الله ﷺ وخوفها من المراجعة». هو الحديث الذي قبله وليس فيه قوله: يا لكعاء، ولا قولها: هو خير منك.

(١) حديث: دفعت إحداهن في صدر رسول الله ﷺ فزبرتها أمها، فقال ﷺ «دعيها فإنهن يصنعن أكثر من ذلك». لم أقف له على أصل.

(٢) حديث: جرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخلا بينهما أبا بكر رضي الله عنه حكما واستشهده، فقال لها رسول الله ﷺ تكلمين أو أتكلم فقالت بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقا، فلطمها أبو بكر حتى دمى فوها وقال: يا عدية نفسها، أو يقول غير الحق! فاستجارت برسول الله ﷺ وقعدت خلف ظهره، فقال النبي ﷺ لم ندعك لهذا ولا أردنا منك هذا». أخرجه الطبراني في الأوسط والخطيب في التاريخ من حديث عائشة بسند ضعيف.

(٣) رجاله ثقات : حديث «قالت له عائشة مرة في كلام غضبت عنده: أنت الذي تزعم أنك نبي الله، فتبسم رسول الله ﷺ واحتمل ذلك حلما وكرما». أخرجه أبو يعلى في مسنده وأبو الشيخ في كتاب الأمثال من حديث عائشة، وفيه ابن اسحق وقد عنعنه، [أبو يعلى: ٤٦٧٠، ورجاله ثقات].

(٤) صحيح : حديث: كان يقول لعائشة «إني لأعرف غضبك من رضاك قالت: وكيف تعرفه؟ قال: إذا رضيت قلت لا وإله محمد، وإذا غضبت قلت لا وإله إبراهيم قالت: صدقت إنما أهجر اسمك». متفق عليه من حديثها، [البخاري: ٥٢٢٨، مسلم: ٢٤٣٩].

(٥) حديث «أول حب وقع في الإسلام حب النبي ﷺ عائشة». رواه الشيخان من حديث عمر بن العاص أنه قال: أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال: «عائشة... الحديث»، [البخاري٣٦٦٢، مسلم: ٢٣٨٤]، وأما كونه أول فرواه ابن الجوزي في الموضوعات من حديث أنس، ولعله أراد بالمدينة كما في الحديث الآخر أن ابن الزبير أول مولود في الإسلام يريد بالمدينة، وإلا فمحبة النبي ﷺ لخديجة أمر معروف تشهد له الأحاديث الصحيحة.

(٦) صحيح : حديث: كان يقول لعائشة «كنت لكي كأبي زرع لأم زرع غير أني لا أطلقك». متفق عليه من حديث عائشة دون الاستثناء، ورواه بهذه الزيادة الزبير بن بكار والخطيب، [البخاري: ٥١٨٩، مسلم: ٢٤٤٨].

«لاَ تُؤْذُونِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَالله مَا نَزَلَ عَلَيَّ الوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرَهَا» (١) وقال أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالنساء والصبيان (٢).

الثالث: أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزح والملاعبة، فهي التي تطيب قلوب النساء، وقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهن وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق، حتى روي أنه ﷺ كان يسابق عائشة في العدو فسبقته يومًا، وسبقها في بعض الأيام، فقال عليه السلام: «هذِهِ بِتِلْكَ» (٣). وفي الخبر: أنه ﷺ كان من أفكه الناس مع نسائه (٤). وقالت عائشة رضي الله عنها: «سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشوراء، فقال لي رسول الله ﷺ «أَتُحِبِّينَ أَنْ تَرِيْ لُعَبَهُمْ؟» قالت: قلت نعم، فأرسل إليهم فجاؤوا، وقام رسول الله ﷺ بين البابين، فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وأنظر، وجعل رسول الله ﷺ يقول: «حَسْبُكِ» وأقول اسكت مرتين أو ثلاثًا، ثم قال: «يَا عَائِشَةَ حَسْبُكِ» فقلت: نعم، فأشار إليهم فانصرفوا» (٥). فقال رسول الله ﷺ «أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ» (٦) وقال عليه السلام: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِنِسَائِي» (٧) وقال عمر رضي الله عنه مع

---

(١) صحيح: حديث «لا تؤذني في عائشة فإنه والله ما أنزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها». رواه البخاري من حديث عائشة، [البخاري: ٣٧٧٥]

(٢) صحيح: حديث أنس «كان رسول اله ﷺ أرحم الناس بالنساء والصبيان». رواه مسلم بلفظ «ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ زاد علي بن عبد العزيز والبغوي «والصبيان»، [مسلم: ٢٣١٦].

(٣) صحيح: حديث مسابقته ﷺ لعائشة فسبقته ثم سبقها وقال «هذه بتلك». رواه أبو داود والنسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث عائشة بسند صحيح، [أبو داود: ٢٥٧٨، وابن ماجه: ١٩٧٩، انظر صحيح أبي داود].

(٤) ضعيف: حديث «كان من أفكه الناس مع نسائه». رواه الحسن بن سفيان في مسنده من حديث أنس دون قوله «مع نسائه». ورواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط فقالا «مع صبي». وفي إسناده ابن لهيعة، [ضعيف الجامع: ٤٤٨٨].

(٥) صحيح: حديث عائشة: سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون يوم عاشور، فقال لي رسول الله ﷺ «أتحبين أن تري لعبهم قالت قلت نعم، فأرسل إليهم فجاؤوا، وقام رسول الله ﷺ بين البابين، فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وأنظر، وجعل رسول الله ﷺ يقول «حسبك» وأقول اسكت مرتين أو ثلاث، ثم قال «يا عائشة حسبك« فقلت نعم، فأشار إليهم فانصرفوا». متفق عليه، [البخاري: ٩٥٠، مسلم: ٨٩٢]، مع اختلاف دون ذكر يوم عاشوراء، وإنما قال: يوم عيد، ودون قولها: اسكت وفي رواية النسائي في الكبرى: قلت: لا تجعل، مرتين. وفيه قال: يا حميراء، وسنده صحيح، [انظر السلسة الصحيحة: ٣٢٧٧].

(٦) ضعيف: حديث «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله». رواه الترمذي والنسائي واللفظ له، والحاكم وقال: رواته ثقات على شرط الشيخين، [الترمذي: ٢٦١٢، انظر ضعيف الجامع: ١٩٩٠].

(٧) حديث «خياركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي». أخرجه الترمذي وصححه من حديث أبي هريرة دون قوله »وأنا خيركم لنسائي»، [انظر ضعيف الجامع: ٢٩١٨]وله من حديث عائشة وصححه «خيركم

خشونته: ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي، فإذا التمسوا ما عنده وجد رجلًا. وقال لقمان رحمه الله: ينبغي للعاقل أن يكون في أهله كالصبي، وإذا كان في القوم وجد رجلًا. وفي تفسير الخبر المروي: «إن الله يبغض الجعظري الجوّاظ»(١) قيل: هو الشديد على أهله المتكبر في نفسه، وهو أحد ما قيل في معنى قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ﴾ [القلم:١٣] قيل: العتل: هو الفظّ اللسان الغليظ القلب على أهله. وقال عليه السلام لجابر: «هَلاَّ بِكْرًا تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ»(٢) . ووصفت أعرابية زوجها وقد مات فقالت: والله لقد كان ضحوكًا إذا ولج، سكيتًا إذا خرج، آكلًا ما وجد، غير مسائل عما فقد.

الرابع: أن لا يتبسط في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها إلى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته عندها، بل يراعي الاعتدال فيه فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى منكرًا، ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة، بل مهما رأى ما يخالف الشرع والمروءة تنمر وامتعض. قال الحسن: والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبّه الله في النار. وقال عمر رضي الله عنه: خالفوا النساء فإن في خلافهن البركة. وقد قيل: شاوروهن وخالفوهن. وقد قال عليه السلام: «تَعِسَ عَبْدُ الزَّوْجَةِ»(٣) ، وإنما قال ذلك لأنه إذا أطاعها في هواها فهو عبدها وقد تعس فإن الله ملكه المرأة فمن ملكها نفسه فقد عكس الأمر وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قال: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء:١١٩] إذ حق الرجل أن يكون متبوعًا لا تابعًا، وقد سمى الله الرجال قوّامين على النساء وسمى الزوج سيدًا، فقال تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾ [يوسف:٢٥] فإذا انقلب السيد مسخرًا فقد بدل نعمة الله كفرًا، ونفس المرأة على مثال نفسك: إن أرسلت عنانها قليلًا جمحت بك طويلًا، وإن أرخيت عذارها فترًا جذبتك ذراعًا، وإن كبحتها وشدّدت يدك عليها في محل الشدّة ملكتها. قال الشافعي رضي الله عنه: ثلاثة إن أكرمتهم أهانوك وإن أهنتهم أكرموك: المرأة والخادم. والنبطي أراد به إن محضت الإكرام ولم تمزج غلظك بلينك وفظاظتك برفقك. وكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الأزواج، وكانت المرأة تقول لابنتها: اختبري زوجك قبل الإقدام

خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»، [الترمذي: ٣٨٩٥، انظر صحيح الترمذي].

(١) حديث «إن الله يبغض الجعظري الجواظ». رواه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة بسند ضعيف، وهو في الصحيحين من حديث جارية بن وهب الخزاعي بلفظ «ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر»، [البخاري: ٦٠٧٢، مسلم: ٢٨٥٣]ولأبي داود «لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظري»، [أبو داود: ٣٨٠١، انظر صحيح الترغيب: ٢٩٠٢، والجعظري: الغليظ المتكبر، الجواظ: الجموع المنوع].

(٢) صحيح: حديث قال لجابر «هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك». متفق عليه من حديثه، وقد تقدم، [البخاري: ٢٤٦٨، مسلم: ٧١٥].

(٣) حديث «تعس عبد الزوجة». لم أقف له على أصل، والمعروف «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم... الحديث» ورواه البخاري من حديث أبي هريرة، [البخاري: ٢٨٨٧].

والجرأة عليه انزعي زج رمحه، فإن سكت فقطعي اللحم على ترسه، فإن سكت فكسّري العظام بسيفه، فإن سكت فاجعلي الإكاف على ظهره وامتطيه فإنما هو حمارك. وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والأرض، فكل ما جاوز حدّه انعكس على ضدّه، فينبغي أن تسلك سبيل الاقتصاد في المخالفة والموافقة وتتبع الحق في جميع ذلك لتسلم من شرهن، فإن كيدهنّ عظيم وشرهن فاش، والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل، ولا يعتدل ذلك منهن إلا بنوع لطف ممزوج بسياسة. وقال عليه السلام: «مَثَلُ المَرْأَةِ الصَّالِحَةِ فِي النِّسَاءِ كَمَثَلِ الغُرَابِ الأَعْصَمِ بَيْنَ مائَةِ غُرَابٍ»(١)، والأعصم: يعني الأبيض البطن. وفي وصية لقمان لابنه: يا بني اتق المرأة السوء فإنها تشيبك قبل الشيب، واتق شرار النساء فإنهن لا يدعون إلى خير، وكن من خيارهن على حذر.

وقال عليه السلام: «اسْتَعِيذُوا مِنَ الفَوَاقِرِ الثَّلاَثِ»(٢). وعدّ منهن المرأة السوء فإنها المشيبة قبل الشيب. وفي لفظ آخر: «إِنْ دَخَلْتَ عَلَيْهَا سَبَّتْكَ، وَإِنْ غِبْتَ عَنْهَا خَانَتْكَ». وقد قال عليه السلام في خيرات النساء: «إِنَّكُنَّ صَوَاحِبَاتُ يُوسُفَ»(٣). يعني إن صرفكن أبا بكر عن التقدّم في الصلاة ميل منكن عن الحق إلى الهوى. قال الله تعالى حين أفشين سر رسول الله ﷺ: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤](٤) أي مالت. وقال ذلك في خير أزواجه وقال عليه السلام: «لاَ يُفْلِحُ قَوْمٌ تَمْلِكُهُمْ امْرَأَةٌ»(٥). وقد زبر عمر رضي الله عنه امرأته لما راجعته وقال: ما أنت إلا لعبة في جانب البيت إن كانت لنا إليك حاجة وإلا جلست كما أنت، فإذن فيهن شر وفيهن ضعف، فالسياسة والخشونة علاج الشر، والمطايبة والرحمة علاج

---

(١) حديث «مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم بين مائة غراب». رواه الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف، [ضعيف الجامع: ٥٢٤٦] ولأحمد من حديث عمرو بن العاص: كنا مع رسول الله ﷺ بمر الظهران، فإذا بغربان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار فقال «لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب في هذه الغربان» وإسناده صحيح، وهو في السنن الكبرى للنسائي، [أحمد: ١٧٢١٦، انظر السلسلة الصحيحة: ١٨٥٠].

(٢) ضعيف: حديث «استعيذوا من الفواقر الثلاث وعد منهن المرأة السوء فإنها المشيبة قبل الشيب»، [قال الألباني ضعيف، انظر ضعيف الجامع: ٢٤٥٩] وفي لفظ آخر «إن دخلت عليها لسنتك، وإن غبت عنها خانتك». رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف. واللفظ الآخر رواه الطبراني من حديث فضالة بن عبيد» ثلاث من الفواقر» وذكر منها »وامرأة إن حضرت آذتك وإن غبت عنها خانتك« وسنده حسن، [قال الألباني: ضعيف، انظر ضعيف الجامع: ٢٥٣٦].

(٣) صحيح: حديث «إنكن صواحبات يوسف». متفق عليه من حديث عائشة، [البخاري: ٦٦٤، مسلم: ٤١٨].

(٤) صحيح: حديث نزول قوله تعالى «إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما» في خير أزواجه، متفق عليه من حديث عمر، والمرأتان عائشة وحفصة، [البخاري: ٢٤٦٨، مسلم: ١٤٧٩].

(٥) صحيح: حديث «لا يفلح قوم تملكهم امرأة». رواه البخاري من حديث أبي بكرة نحوه، [البخاري: ٤٤٢٥، بنحوه].

الضعف، فالطبيب الحاذق هو الذي يقدر العلاج بقدر الداء، فلينظر الرجل أولًا إلى أخلاقها بالتجربة ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيها حالها.

الخامس: الاعتدال في الغيرة، وهو أن لا يتغافل عن مبادئ الأمور التي تخشى غوائلها، ولا يبالغ في إساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن، فقد نهى رسول الله ﷺ أن تتبع عورات النساء[١] وفي لفظ آخر: أن تبغت النساء. ولما قدم رسول الله ﷺ من سفره قال قبل دخول المدينة: «لاَ تَطْرُقُوا النِّسَاءَ لَيْلًا» فخالفه رجلان فسبقا، فرأى كل واحد في منزله ما يكره[٢]. وفي الخبر المشهور: «المَرْأَةُ كَالضِّلْعِ إِنْ قَوَّمْتَهُ كَسَرْتَهُ، فَدَعْهُ تَسْتَمْتِعْ بِهِ عَلَى عِوَجٍ»[٣] وهذا في تهذيب أخلاقها. وقال ﷺ: «إِنَّ مِنَ الغَيْرَةِ غَيْرَةً يَبْغِضُهَا الله عَزَّ وَجَلَّ وَهِيَ غَيْرَةُ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ مِنْ غَيْرِ رِيبَةٍ»[٤] لأن ذلك من سوء الظن الذي نهينا عنه، فإنّ بعض الظن إثم. وقال علي رضي الله عنه: لا تكثر الغيرة على أهلك فترمى بالسوء من أجلك. وأما الغيرة في محلها فلا بدّ منها وهي محمودة. وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الله تَعَالَى يَغَارُ وَالمُؤْمِنُ يَغَارُ وَغَيْرَةُ الله تَعَالَى أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلُ المُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ الله عَلَيْهِ»[٥].

وقال عليه السلام: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ أَنَا وَالله أَغْيَرُ مِنْهُ وَالله أَغْيَرُ مِنِّي»[٦]. ولأجل غيرة الله تعالى حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ولذلك بعث المنذرين والمبشرين. ولا أحد أحب إليه المدح من الله ولأجل ذلك وعد الجنة. وقال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ لَيلة أُسْرِيَ بِي فِي الجَنَّةِ قَصْرًا وَبِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هذَا القَصرُ؟ فَقِيلَ: لِعُمَرَ، فَأَرَدْت أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ يَا عُمَرُ» فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا

---

(١) حديث «نهى رسول الله ﷺ أن تتبع عورات النساء». رواه الطبراني في الأوسط من حديث جابر «نهى أن تتطلب عثرات النساء»، والحديث عند مسلم بلفظ «نهى أن يطرق الرجل أهله ليلا يخونهم أو يطلب عثراتهم» واقتصر البخاري منه على ذكر النهي عن الطروق ليلا. [البخاري: ٥٢٤٦، ومسلم: ٧١٥، وحديث «نهي أن تطلب عثرات» الطبراني في الأوسط: ١٨٥٤].

(٢) صحيح: حديث أنه قال قبل دخول المدينة «لا تطرقوا أهلكم ليلا» فخالفه رجلان فسعيا إلى منازلهما فرأى كل واحد في بيته ما يكره.

رواه أحمد من حديث ابن عمر بسند جيد. [الدارمي: ٤٤٤، والترمذي: ٢٧١٢ عن ابن عباس، ولم أقف عليه عند أحمد، وانظر صحيح الترمذي].

(٣) صحيح: حديث «المرأة كالضلع إن قومته كسرته، فدعه تستمتع به على عوج». متفق عليه من حديث أبي هريرة. [البخاري: ٥١٨٤، مسلم: ١٤٦٨].

(٤) حسن: حديث «غيرة يبغضها الله وهي غيرة الرجل على أهله من غير ريبة». رواه أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث جابر بن عتيك. [أبو داود: ٢٦٥٩، والنسائي: ٢٥٥٨، وانظر صحيح أبي داود].

(٥) صحيح: حديث «الله يغار والمؤمن يغار، وغيرة الله تعالى أن يأتي الرجل المؤمن ما حرم الله عليه». متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يقل البخاري: والمؤمن يغار. [البخاري: ٥٢٢٣، مسلم: ٢٧٦١].

(٦) صحيح: حديث «أتعجبون من غيرة سعد، أنا والله أغير منه والله أغير مني». متفق عليه من حديث المغيرة ابن شعبة. [البخاري: ٦٨٤٦، مسلم: ١٤٩٩].

رسول الله[١]. وكان الحسن يقول: أتدعون نساءكم ليزاحمن العلوج في الأسواق قبح الله من لا يغار، وقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ مِنَ الغَيْرَةِ مَا يُحِبُّهُ الله وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُهُ الله، وَمِنَ الخُيَلاَءِ مَا يُحِبُّهُ الله وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُهُ الله، فَأَمَّا الغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّهَا الله فَالغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ، وَالغَيْرَةُ الَّتِي يُبْغِضُهَا الله فَالغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ، وَالاخْتِيَالُ الَّذِي يُحِبُّهُ الله اخْتِيَالُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ عِنْدَ القِتَالِ وَعِنْدَ الصَّدْمَةِ، وَالاخْتِيَالُ الَّذِي يُبْغِضُهُ الله الاخْتِيَالُ فِي البَاطِلِ»[٢]. وقال عليه الصلاة والسلام: «إِنِّي لَغَيُورٌ، وَمَا مِنِ امْرِئٍ لاَ يَغَارُ إِلاَّ مَنْكُوسُ القَلْبِ»[٣]. والطريق المغني عن الغيرة أن لا يدخل عليها الرجال وهي لا تخرج إلى الأسواق. وقال رسول الله ﷺ لابنته فاطمة عليها السلام: «أَيُّ شَيْءٍ خَيْرٌ لِلْمَرْأَةِ» ؟ قالت: أن لا ترى رجلًا ولا يراها رجل، فضمها إليه وقال: «ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ»[٤]. فاستحسن قولها. وكان أصحاب رسول الله ﷺ يسدّون الكوى والثقب في الحيطان لئلا تطلع النسوان إلى الرجال. ورأى معاذ امرأته تطلع في الكوة فضربها، ورأى امرأته قد دفعت إلى غلامه تفاحة قد أكلت منها فضربها. وقال عمر رضي الله عنه: أعروا النساء يلزمن الحجال، وإنما قال ذلك لأنهن لا يرغبن في الخروج في الهيئة الرثة. وقال عوّدوا نساءكم «لا» وكان قد أذن رسول الله ﷺ للنساء في حضور المسجد[٥] والصواب الآن المنع إلا العجائز، بل استصوب ذلك في زمان الصحابة حتى قالت عائشة رضي الله عنها: لو علم النبي ﷺ ما أحدثت النساء بعده لمنعهن من الخروج[٦]. ولما قال ابن عمر قال

---

(١) حديث «رأيت ليلة أسرى بي في الجنة قصرا وبفنائه جارية، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقيل لعمر، فأردت أن أنظر إليها فذكرت غيرتك يا عمر: فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله». متفق عليه من حديث جابر دون ذكر ليلة أسرى بي ولم يذكر الجارية، وذكر الجارية في آخر متفق عليه من حديث أبي هريرة «بينما أنا نائم رأيتني في الجنة... الحديث». [البخاري: ٣٦٧٩ ، مسلم : ٢٣٩٤ من حديث جابر، والبخاري : ٣٦٨٠ ، ومسلم: ٢٣٩٥ من حديث أبي هريرة].

(٢) حسن: حديث «إن من الغيرة ما يحبه الله تعالى ومنها ما يبغضه الله ومن الخيلاء ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله فأما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الريبة، والغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة، والاختيال الذي يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدمة والاختيال الذي يبغضه الله الاختيال في الباطل». رواه أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث جابر بن عتيك، وهو الذي تقدم قبله بأربعة أحاديث. [أبو داود : ٢٦٥٩ ، والنسائي : ٢٥٥٨ ، وانظر صحيح أبي داود].

(٣) حديث «إني لغيور وما من امرئ لا يغار إلا منكوس القلب». تقدم أوله، وأما آخره فرواه أبو عمر التوقاني في كتاب معاشرة الأهلين من رواية عبد الله بن محمد مرسلا. والظاهر أنه عبد الله بن الحنفية.

(٤) حديث قال رسول الله ﷺ لابنته فاطمة «أي شيء خير للمرأة؟ ». فقالت: أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل، فضمها إليه وقال «ذرية بعضها من بعض». رواه البزار والدارقطني في الأفراد من حديث علي بسند ضعيف.

(٥) صحيح : حديث «الإذن للنساء في حضور المساجد». متفق عليه من حديث ابن عمر «ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد». [البخاري : ٨٩٩ ، مسلم : ٤٤٢].

(٦) صحيح : حديث قالت عائشة «لو علم النبي ﷺ ما أحدث النساء بعده لمنعهن من الخروج». متفق عليه. قال البخاري «لمنعهن من المساجد». [البخاري : ٨٦٩ ، مسلم : ٤٤٥].

رسول الله ﷺ: «لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ الله مَسَاجِدَ الله» فقال بعض ولده: بلى والله لنمنعهن، فضربه وغضب عليه وقال: تسمعني أقول قال رسول الله ﷺ: «لاَ تَمْنَعُوا» فتقول بلى[1] وإنما استجرأ على المخالفة لعلمه بتغير الزمان، وإنما غضب عليه لإطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهرًا من غير إظهار العذر، وكذلك كان رسول الله قد أذن لهن في الأعياد خاصة أن يخرجن ولكن لا يخرجن[2] إلا برضا أزواجهن، والخروج الآن مباح للمرأة العفيفة برضا زوجها ولكن القعود أسلم وينبغي أن لا تخرج إلا لمهم، فإن الخروج للنظارات والأمور التي ليست مهمة تقدح في المروءة وربما تفضي إلى الفساد، فإذا خرجت فينبغي أن تغض بصرها عن الرجال، ولسنا نقول إن وجه الرجل في حقها عورة كوجه المرأة في حقه، بل هو كوجه الصبي الأمرد في حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط، فإن لم تكن فتنة فلا: إذ لم يزل الرجال على ممر الزمان مكشوفي الوجوه والنساء يخرجن منتقبات، ولو كان وجوه الرجال عورة في حق النساء لأمروا بالتنقب أو منعن من الخروج إلا لضرورة.

السادس: الاعتدال في النفقة فلا ينبغي أن يقتر عليهن في الإنفاق، ولا ينبغي أن يسرف، بل يقتصد. قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف:٣١] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء:٢٩] وقد قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ»[3]. وقال ﷺ: «دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ الله، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ: أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ»[4] وقيل: كان لعلي رضي الله عنه أربع نسوة، فكان يشتري لكل واحدة في كل أربعة أيام لحمًا بدرهم، وقال الحسن رضي الله عنه: كانوا في الرجال مخاصيب، وفي الأثاث والثياب مجاديب. وقال ابن سيرين: يستحب للرجل أن يعمل لأهله في كل جمعة فالوذجة، وكأن الحلاوة وإن لم تكن من المهمات ولكن تركها بالكلية تقتير في العادة، وينبغي أن يأمرها بالتصدق ببقايا الطعام وما يفسد لو ترك فهذا أقل درجات الخير، وللمرأة أن تفعل ذلك بحكم الحال من غير صريح إذن من الزوج، ولا ينبغي أن يستأثر عن أهله بمأكول طيب فلا يطعمهم

---

(١) صحيح: حديث ابن عمر «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله». فقال بعض ولده: بلى والله... الحديث متفق عليه. [البخاري: ٩٠٠، مسلم: ٤٤٢].

(٢) صحيح: حديث «الإذن لهن في الخروج في الأعياد». متفق عليه من حديث أم عطية. [البخاري: ٩٨١، مسلم: ٨٩٠].

(٣) صحيح: حديث «خيركم خيركم لأهله». أخرجه الترمذي من حديث عائشة وصححه، وقد تقدم. [الترمذي: ٣٨٩٥، انظر صحيح الترمذي].

(٤) صحيح: حديث «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرا الدينار الذي أنفقته على أهلك». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة. [مسلم: ٩٩٥].

منه، فإن ذلك مما يوغر الصدور ويبعد عن المعاشرة بالمعروف، فإن كان مزمعًا على ذلك فليأكله بخفية بحيث لا يعرف أهله ولا ينبغي أن يصف عندهم طعامًا ليس يريد إطعامهم إياه، وإذا أكل فيقعد العيال كلهم على مائدته، فقد قال سفيان رضي الله عنه: بلغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة، وأهم ما يجب عليه مراعاته في الإنفاق أن يطعمها من الحلال ولا يدخل مداخل السوء لأجلها، فإن ذلك جناية عليها لا مراعاة لها وقد أوردنا الأخبار الواردة في ذلك عند ذكر آفات النكاح.

السابع: أن يتعلم المتزوج من علم الحيض وأحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب، ويعلم زوجته أحكام الصلاة وما يقضى منها في الحيض وما لا يقضي، فإنه أمر بأن يقيها النار بقوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[التحريم :٦] فعليه أن يلقنها اعتقاد أهل السنة ويزيل عن قلبها كل بدعة إن استمعت إليها، ويخوفها في الله إن تساهلت في أمر الدين، ويعلمها من أحكام الحيض والاستحاضة ما تحتاج إليه وعلم الاستحاضة يطول، فأما الذي لا بد من إرشاد النساء إليه في أمر الحيض بيان الصلوات التي تقضيها، فإنها مهما انقطع دمها قبيل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر، وإذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشاء، وهذا أقل ما يراعيه النساء، فإن كان الرجل قائمًا بتعليمها فليس لها الخروج لسؤال العلماء وإن قصر علم الرجل ولكن ناب عنها في السؤال فأخبرها بجواب المفتي فليس لها خروج، فإن لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال بل عليها ذلك ويعصى الرجل بمنعها ومهما تعلمت ما هو من الفرائض عليها فليس لها أن تخرج إلى مجلس ذكر ولا إلى تعلم فضل إلا برضاه، ومهما أهملت المرأة حكمًا من أحكام الحيض والاستحاضة ولم يعلمها الرجل حرج الرجل معها وشاركها في الإثم.

الثامن: إذا كان له نسوة فينبغي أن يعدل بينهن ولا يميل إلى بعضهن، فإن خرج إلى سفر وأراد استصحاب واحدة أقرع بينهن(١) ، كذلك كان يفعل رسول الله ﷺ، فإن ظلم امرأة بليلتها قضى لها، فإن القضاء واجب عليه، وعند ذلك يحتاج إلى معرفة أحكام القسم وذلك يطول ذكره، وقد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا دُونَ الأُخْرَى وفي لفظ وَلَمْ يَعْدِلْ بَيْنَهُمَا، جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَحَدُ شِقَّيْهِ مَائِلٌ»(٢) وإنما عليه العدل في العطاء

---

(١) صحيح: حديث «القرعة بين أزواجه إذا أراد سفرا». متفق عليه من حديث عائشة. [البخاري : ٢٥٩٤ ، مسلم : ٢٤٤٥].

(٢) صحيح: حديث «من كان له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى» وفي لفظ آخر «لم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل». أخرجه أصحاب السنن وابن حبان من حديث أبي هريرة: قال أبو داود وابن حبان «فمال مع إحداهما» وقال الترمذي «فلم يعدل بينهما». [أبو داود : ٢١٣٣ ، والترمذي : ١١٤١ ، والنسائي : ٣٩٤٢ ، وابن ماجه : ١٩٦٩ ، وانظر صحيح أبي داود].

والمبيت، وأما في الحب والوقاع فذلك لا يدخل تحت الاختيار. قال الله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩] أي أن تعدلوا في شهوة القلب وميل النفس، ويتبع ذلك التفاوت في الوقاع. وكان رسول الله ﷺ يعدل بينهن في العطاء والبيتوتة في الليالي ويقول: «اللَّهُمَّ هذَا جَهْدِي فِيمَا أَمْلِكُ وَلاَ طَاقَةَ لِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلاَ أَمْلِكُ» (١) يعني الحب. وقد كانت عائشة رضي الله عنها أحب نسائه إليه (٢)، وسائر نسائه يعرفن ذلك. وكان يطاف به محمولاً في مرضه في كل يوم وكل ليلة، فيبيت عند كل واحدة منهن ويقول: «أَيْنَ أَنَا غَدًا؟» ففطنت لذلك امرأة منهن فقالت: إنما يسأل عن يوم عائشة، فقلن: يا رسول الله قد أذنّا لك أن تكون في بيت عائشة فإنه يشق عليك أن تحمل في كل ليلة، فقال: «وَقَدْ رَضِيتُنَّ بِذلِكَ؟» فقلن: نعم. قال: «فَحَوِّلُونِي إِلَى بَيْتِ عَائِشَةَ» (٣)، ومهما وهبت واحدة ليلتها لصاحبتها ورضي الزوج بذلك ثبت الحق لها. كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه، فقصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعائشة وسألته أن يقرها على الزوجية حتى تحشر في زمرة نسائه، فتركها وكان لا يقسم لها ويقسم لعائشة ليلتين ولسائر أزواجه ليلة ليلة (٤)، ولكنه ﷺ لحسن عدله وقوته كان إذا تاقت نفسه إلى واحدة من النساء في غير نوبتها

---

(١) ضعيف: حديث: كان يعدل بينهن ويقول «اللهم هذا جهدي فيما أملك ولا طاقة لي فيما تملك ولا أملك». أخرجه أصحاب السنن وابن حبان من حديث عائشة نحوه. [أبو داود: ٢١٣٤، والترمذي: ١١٤٠، والنسائي: ٣٩٤٣، وابن ماجه: ١٩٧١، وانظر ضعيف أبي داود].

(٢) صحيح: حديث «كانت عائشة أحب نسائه إليه». متفق عليه من حديث عمرو بن العاص أنه قال: أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال «عائشة» وقد تقدم. [البخاري: ٣٦٦٢، مسلم: ٢٣٨٤].

(٣) حديث: كان يطاف به محمولا في مرضه كل يوم وليلة فيبيت عند كل واحدة ويقول «أين أنا غدا»، ففطنت لذلك امرأة منهن فقالت: إنما يسأل عن يوم عائشة. فقلن يا رسول الله قد أذنا لك أن تكون في بيت عائشة فإنه يشق عليك أن تحمل في كل ليلة، فقال: وقد رضيتن بذلك؟ فقلن: نعم. قال: فحولوني إلى بيت عائشة.

رواه ابن سعد في الطبقات من رواية محمد بن علي بن الحسين أن النبي ﷺ كان يحمل في ثوب يطاف به على نسائه وهو مريض يقسم بينهن. وفي مرسل آخر له: لما ثقل قال «أين أنا غدا؟» قالوا: عند فلانة، قال «فأين أنا بعد غد.» قالوا عند فلانة، فعرف أزواجه أنه يريد عائشة... الحديث. وللبخاري من حديث عائشة: كان يسأل في مرضه الذي مات فيه «أين أنا غدا.» يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء وفي الصحيحين: لما ثقل استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذن له. [حديث «كان يحمل....»، وحديث «لما ثقل قال....»، وحديث «كان يسأل....» عند البخاري: ٤٤٥٠، وحديث «لما ثقل استأذن...» عند البخاري: ١٩٨، مسلم: ٤١٨].

(٤) حديث «كان يقسم بين نسائه، فقصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت، فوهبت ليلتها لعائشة وسألته أن يقرها على الزوجية حتى تحشر في زمرة نسائه، فتركها وكان لا يقسم لها ويقسم لعائشة ليلتين ولسائر أزواجه ليلة ليلة». رواه أبو داود من حديث عائشة: قالت سودة حين أسنت وفرقت أن يفارقها رسول الله ﷺ يا رسول الله يومي لعائشة... الحديث، وللطبراني: فأراد أن يفارقها. وهو عند البخاري بلفظ: لما كبرت سودة وهبت يومها لعائشة وكان يقسم لها بيوم سودة، وللبيهقي مرسلا: طلق سودة فقالت: أريد أن أحشر في أزواجك... الحديث. [حديث «قالت سودة....» عند أبي داود: ٢١٣٥، وقال الألباني: حسن صحيح، وحديث لما كبرت سودة....» عند البخاري: ١٩٨، مسلم: ٤١٨].

فجامعها طاف في يومه أو ليلته على سائر نسائه فمن ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ طاف على نسائه في ليلة واحدة[١] . وعن أنس أنه عليه السلام طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار[٢] .

التاسع : في النشوز ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم أمرهما: فإن كان من جانبهما جميعًا أو من الرجل فلا تسلط الزوجة على زوجها ولا يقدر على إصلاحها فلا بد من حكمين: أحدهما من أهله والآخر من أهلها لينظرا بينهما ويصلحا أمرهما ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾[النساء :٣٥] وقد بعث عمر رضي الله عنه حكمًا إلى زوجين، فعاد ولم يصلح أمرهما فعلاه بالدرة وقال: إن الله تعالى يقول: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾[النساء :٣٥] فعاد الرجل وأحسن النية وتلطف بهما فأصلح بينهما.

وأما إذا كان النشوز من المرأة خاصة فالرجال قوامون على النساء، فله أن يؤدبها ويحملها على الطاعة قهرًا، وكذا إذا كانت تاركة للصلاة فله حملها على الصلاة قهرًا، ولكن ينبغي أن يتدرج في تأديبها: وهو أن يقدم أولًا الوعظ والتحذير والتخويف، فإن لم ينجع ولاها ظهره في المضجع أو انفرد عنها بالفراش وهجرها وهو في البيت معها من ليلة إلى ثلاث ليال. فإن لم ينجع ذلك فيها ضربها ضربًا غير مبرح بحيث يؤلمها ولا يكسر لها عظمًا ولا يدمى لها جسم. ولا يضرب وجهها فذلك منهي عنه. وقد قيل لرسول الله ﷺ : ما حق المرأة على الرجل؟ قال: «يُطْعِمُهَا إِذَا طَعِمَ. وَيَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَى. وَلاَ يُقَبِّحُ الوَجْهَ. وَلاَ يَضْرِبُ إِلاَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ. وَلاَ يَهْجُرُهَا إِلاَّ فِي المَبِيتِ»[٣] وله أن يغضب عليها ويهجرها في أمر من أمور الدين إلى عشر وإلى عشرين وإلى شهر. فعل ذلك رسول الله ﷺ إذ أرسل إلى زينب بهدية فردتها عليه. فقالت له التي هو في بيتها: لقد أقمأتك إذ ردت عليك هديتك[٤] . أي أذلتك واستصغرتك.

---

(١) صحيح : حديث عائشة «طاف على نسائه في ليلة واحدة». متفق عليه بلفظ «كنت أطيب رسول الله ﷺ فيطوف على نسائه ثم يصبح محرما ينضح طيبا». [البخاري : ٣٦٧ ، مسلم : ١١٩٢].

(٢) حديث أنس «أنه طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار». رواه ابن عدي في الكامل، وللبخاري: كان يطوف على نسائه في ليلة واحدة وله تسع نسوة. [حديث «أنه طاف . . . .» ، وحديث «كان يطوف . . . . .» عند البخاري : ٥٢١٥].

(٣) صحيح : حديث: قيل له: ما حق المرأة على الرجل؟ فقال «يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى، ولا يقبح الوجه، ولا يضرب إلا ضربا غير مبرح، ولا يهجرها إلا في البيت». رواه أبو داود والنسائي في الكبرى، وابن ماجه من رواية معاوية بن حيدة بسند جيد، وقال «ولا يضرب الوجه ولا يقبح». وفي رواية لأبي داود «ولا تقبح الوجه ولا تضرب». [أبود داود : ٢١٤٢ ، وابن ماجه : ١٨٥٠ ، انظر صحيح أبي داود].

(٤) حديث هجرة ﷺ نسائه شهر لما أرسل بهدية إلى زينب فردتها فقالت له التي في بيتها: لقد أقمأتك إذ ردت عليك هديتك.

ذكره ابن الجوزي في الوفاء بغير إسناده. وفي الصحيحين من حديث عمر «كان أقسم أن لا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن». وفي رواية من حديث جابر «ثم اعتزلهن شهرا». [حديث «هجرة النبي ﷺ .....» عند ابن ماجه

فقال ﷺ «أَنْتُنَّ أَهْوَنُ عَلَى الله أَنْ تُقْمِئْنَنِي» ثم غضب عليهن كلهن شهرًا إلى أن عاد إليهن.

العاشر: في آداب الجماع. ويستحب أن يبدأ؛ باسم الله تعالى ويقرأ قل هو الله أحد أولًا ويكبّر ويهلل ويقول: بسم الله العلي العظيم. اللهم اجعلها ذرية طيبة إن كنت قدرت أن تخرج ذلك من صلبي. وقال عليه الصلاة والسلام: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ»(١) وإذا قربت من الإنزال فقل في نفسك ولا تحرك شفتيك: الحمد لله الذي خلق من الماء بشرًا فجعله نسبًا وصهرًا وكان ربك قديرًا. وكان بعض أصحاب الحديث يكبر حتى يسمع أهل الدار صوته، ثم ينحرف عن القبلة ولا يستقبل القبلة بالوقاع إكرامًا للقبلة، وليغط نفسه وأهله بثوب: كان رسول الله ﷺ يغطي رأسه ويغض صوته ويقول للمرأة: «عَلَيْكِ بَالسَّكِينَةِ»(٢). وفي الخبر: «إِذَا جَامَعَ أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ فَلاَ يَتَجَرَّدَانِ تَجَرُّدَ العَيْرَيْنِ»(٣) أي الحمارين، وليقدم التلطف بالكلام والتقبيل. قال ﷺ «لاَ يَقَعَنَّ أَحَدُكُمْ عَلَى امْرَأَتِهِ كَمَا تَقَعُ البَهِيمَةُ، وَلْيَكُنْ بَيْنَهُمَا رَسُولٌ». قيل: وما الرسول يا رسول الله؟ قال «القُبْلَةُ وَالكَلاَمُ»(٤). وقال ﷺ: «ثَلاَثٌ مِنَ العَجْزِ فِي الرَّجُلِ: أَنْ يَلْقَى مَنْ يُحِبُّ مَعْرِفَتَهُ فَيُفَارِقَهُ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ اسْمَهُ وَنَسَبَهُ، وَالثَّانِي: أَنْ يُكْرِمَهُ أَحَدٌ فَيَرُدَّ عَلَيْهِ كَرَامَتَهُ، وَالثَّالِثُ: أَنْ يُقَارِبَ الرَّجُلُ جَارِيَتَهُ أَوْ زَوْجَتَهُ فَيُصِيبَهَا قَبْلَ أَنْ يُحَدِّثَهَا وَيُؤَانِسَهَا، وَيُضَاجِعَهَا فَيَقْضِي حَاجَتَهُ مِنْهَا قَبْلَ أَنْ تَقْضِي حَاجَتَهَا مِنْهُ»(٥) ويكره له الجماع في ثلاث ليال من الشهر: الأول، والآخر، والنصف. يقال: إن الشيطان يحضر الجماع في هذه الليالي، ويقال: إن الشياطين يجامعون فيها، وروي كراهة ذلك عن علي ومعاوية وأبي هريرة رضي الله عنهم، ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة وليلته تحقيقًا لأحد التأويلين

: ٢٠٦٠ ، وانظر ضعيف ابن ماجه، وحديث « كان أقسم.....» عند البخاري : ٢٤٦٨ ، ومسلم : ١٤٧٩ ، وحديث «ثم اعتزلهن ....» عند مسلم : ١٠٨٤].

(١) صحيح : حديث «لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا. فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان». متفق عليه من حديث ابن عباس. [البخاري : ١٤١ ، مسلم : ١٤٣٤].

(٢) حديث: كان يغطي رأسه ويغض صوته ويقول للمرأة «عليك بالسكينة». رواه الخطيب من حديث أم سلمة بسند ضعيف.

(٣) ضعيف : حديث «إذا جامع أحدكم امرأته فلا يتجردان تجرد العيرين». أخرجه ابن ماجه من حديث عتبة بن عبد بسند ضعيف. [ابن ماجه : ١٩٢١ ، وانظر ضعيف الجامع : ٢٧٩].

(٤) حديث «لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة، وليكن بينهما رسول» قيل وما الرسول يا رسول الله؟ قال «القبلة والكلام». رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وهو منكر.

(٥) حديث «ثلاث من العجز في الرجل: أن يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعلم اسمه ونسبه، والثاني: أن يكرمه أحد فيرد عليه كرامته، والثالث: أن يقارب الرجل جاريته أو زوجته فيصيبها قبل أن يحدثها ويؤانسها، ويضاجعها فيقضي حاجته منها قبل أن تقضي حاجتها منه». رواه أبو منصور الديلمي من حديث أخصر منه وهو بعض الحديث الذي قبله.

من قوله ﷺ: «رَحِمَ الله مَنْ غَسَلَ وَاغْتَسَلَ»[١] الحديث. ثم إذا قضى وطره فليتمهل على أهله حتى تقضي هي أيضًا نهمتها، فإن إنزالها ربما يتأخر فيهيج شهوتها، ثم القعود عنها إيذاء لها، والاختلاف في طبع الإنزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقًا إلى الإنزال، والتوافق في وقت الإنزال ألذ عندها ليشتغل الرجل بنفسه عنها، فإنها ربما تستحيي. وينبغي أن يأتيها في كل أربع ليال مرة فهو أعدل، إذ عدد النساء أربعة فجاز التأخير إلى هذا الحد، نعم ينبغي أن يزيد أو ينقص بحسب حاجتها في التحصين، فإن تحصينها واجب عليه، وإن كان لا يثبت المطالبة بالوطء فذلك لعسر المطالبة والوفاء بها، ولا يأتيها في المحيض، ولا بعد انقضائه وقبل الغسل، فهو محرم بنص الكتاب، وقيل: إن ذلك يورث الجذام في الولد، وله أن يستمتع بجميع بدن الحائض ولا يأتيها في غير المأتي، إذ حرم غشيان الحائض لأجل الأذى، والأذى غير المأتي دائم فهو أشد تحريمًا من إتيان الحائض. وقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة:٢٢٣] أي أي وقت شئتم، وله أن يستمني بيديها، وأن يستمتع بما تحت الإزار بما يشتهي سوى الوقاع. وينبغي أن تتزر المرأة بإزار من حقوها إلى فوق الركبة في حال الحيض، فهذا من الأدب، وله أن يؤاكل الحائض، ويخالطها في المضاجعة وغيرها، وليس عليه اجتنابها، وإن أراد أن يجامع ثانيًا بعد أخرى فليغسل فرجه أولًا، وإن احتلم فلا يجامع حتى يغسل فرجه أو يبول، ويكره الجماع في أول الليل حتى لا ينام على غير طهارة، فإن أراد النوم أو الأكل فليتوضأ أولًا وضوء الصلاة فذلك سنة. قال ابن عمر: قلت للنبي ﷺ: أينام أحدنا وهو جنب؟ قال: «نَعَمْ إِذَا تَوَضَّأَ»[٢] . ولكن قد وردت فيه رخصة. قالت عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ ينام جنبًا لم يمس ماء»[٣] ومهما عاد إلى فراشه فليمسح وجه فراشه أو لينفضه، فإنه لا يدري ما حدث عليه بعده، ولا ينبغي أن يحلق أو يقلم أو يستحد أو يخرج الدم أو يبين من نفسه جزءًا وهو جنب، إذ ترد إليه سائر أجزائه في الآخرة فيعود جنبًا، ويقال: إن كل شعرة تطالبه بجنابتها ومن الآداب أن لا يعزل، بل لا يسرح إلا إلى محل الحرث وهو الرحم، فما من نسمة قدر الله كونها إلا وهي كائنة[٤] . هكذا قال رسول الله ﷺ ، فإن عزل

---

(١) صحيح: حديث «رحم الله من غسل واغتسل». تقدم في الباب الخامس من الصلاة. [النسائي : ١٣٨١ بنحوه عن أوس بن أوس، انظر صحيح الترغيب : ٦٩١].

(٢) صحيح: حديث ابن عمر: قلت للنبي ﷺ: أينام أحدنا وهو جنب؟ قال «نعم إذا توضأ». متفق عليه من حديثه أن عمر سأل، لا أن عبد الله هو السائل. [البخاري : ٢٨٩ ، مسلم : ٣٠٦].

(٣) صحيح: حديث عائشة «كان ينام جنبا لم يمس ماء». رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه. وقال يزيد بن هارون: إنه وهم، ونقل البيهقي عن الحافظ الطعن فيه، قال: وهو صحيح من جهة الرواية. [أبو داود : ٢٢٨ ، والترمذي : ١١٨ ، وابن ماجه : ٥٨٣ ، وانظر صحيح أبي داود].

(٤) صحيح: حديث «ما من نسمة قدر الله كونها إلا وهي كائنة». متفق عليه من حديث أبي سعيد. [البخاري : ٢٢٢٩ ، مسلم : ١٤٣٨].

فقد اختلف العلماء في إباحته وكراهته على أربعة مذاهب، فمن مبيح مطلقًا بكل حال، ومن محرم بكل حال، ومن قائل يحل برضاها ولا يحل دون رضاها، وكأن هذا القائل يحرم الإيذاء دون العزل، ومن قائل يباح في المملوكة دون الحرة. والصحيح عندنا أن ذلك مباح، وأما الكراهية فإنها تطلق لنهي التحريم ولنهي التنزيه ولترك الفضيلة، فهو مكروه بالمعنى الثالث أي فيه ترك فضيلة، كما يقال: يكره للقاعد في المسجد أن يقعد فارغًا لا يشتغل بذكر أو صلاة، ويكره للحاضر في مكة مقيمًا بها أن لا يحج كل سنة، والمراد بهذه الكراهية ترك الأولى والفضيلة فقط، وهذا ثابت لما بيناه من الفضيلة في الولد، ولما روي عن النبي ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُجَامِعُ أَهْلَهُ فَيُكْتَبُ لَهُ بِجِمَاعِهِ أَجْرُ وَلَدٍ ذَكَرٍ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ الله فَقُتِلَ»(١) وإنما قال ذلك لأنه لو ولد له مثل هذا الولد لكان له أجر التسبب إليه، مع أن الله تعالى خالقه ومحييه ومقويه على الجهاد، والذي إليه من التسبب فقد فعله وهو الوقاع، وذلك عند الإمناء في الرحم. وإنما قلنا لا كراهة بمعنى التحريم والتنزيه، لأن إثبات النهي إنما يمكن بنص أو قياس على منصوص ولا نص ولا أصل يقاس عليه، بل ههنا أصل يقاس عليه وهو ترك النكاح أصلًا أو ترك الجماع بعد النكاح أو ترك الإنزال بعد الإيلاج، فكل ذلك ترك للأفضل وليس بارتكاب نهي ولا فرق، إذ الولد يتكون بوقوع النطفة في الرحم، ولها أربعة أسباب: النكاح، ثم الوقاع، ثم الصبر إلى الإنزال بعد الجماع، ثم الوقوف لينصب المني في الرحم، وبعض هذه الأسباب أقرب من بعض فالامتناع عن الرابع كالامتناع عن الثالث، وكذا الثالث كالثاني، والثاني كالأول، وليس هذا كالإجهاض والوأد، لأن ذلك جناية على موجود حاصل، وله أيضًا مراتب. وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحياة وإفساد ذلك جناية، فإن صارت مضغة وعلقة كانت الجناية أفحش، وإن نفخ فيه الروح واستوت الخلقة ازدادت الجناية تفاحشًا، ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الانفصال حيًا. وإنما قلنا مبدأ سبب الوجود من حيث وقوع المني في الرحم لا من حيث الخروج من الإحليل، لأن الولد لا يخلق من مني الرجل وحده بل من الزوجين جميعًا إما من مائه ومائها أو من مائه ودم الحيض، قال بعض أهل التشريح: إن المضغة تخلق بتقدير الله من دم الحيض، وإن الدم منها كاللبن من الرائب، وإن النطفة من الرجل شرط في خثور دم الحيض وانعقاده كالإنفحة للبن، إذ بها ينعقد الرائب، وكيفما كان فماء المرأة ركن في الانعقاد فيجري الماءان مجرى الإيجاب والقبول في الوجود الحكمي في العقود، فمن أوجب ثم رجع قبل القبول لا يكون جانيًا على العقد بالنقض والفسخ، ومهما اجتمع الإيجاب والقبول كان الرجوع بعده رفعًا وفسخًا وقطعًا، وكما أن النطفة في الفقار لا يتخلق منها الولد فكذا بعد الخروج من الإحليل ما

(١)حديث «إن الرجل ليجامع أهله فيكتب له من جماعه أجر ولد ذكر يقاتل في سبيل الله». لم أجد له أصلا.

لم يمتزج بماء المرأة ودمها، فهذا هو القياس الجلي.

فإن قلت: فإن لم يكن العزل مكروهًا من حيث إنه دفع لوجود الولد فلا يبعد أن يكره لأجل النية الباعثة عليه، إذ لا يبعث عليه إلا نية فاسدة فيها شيء من شوائب الشرك الخفي.

فأقول: النيات الباعثة على العزل خمس: الأولى: في السراري وهو حفظ الملك عن الهلاك باستحقاق العتاق وقصد استبقاء الملك بترك الإعتاق ودفع أسبابه ليس بمنهي عنه. الثانية: استبقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع واستبقاء حياتها خوفًا من خطر الطلق، وهذا أيضًا ليس منهيًا عنه. الثالثة: الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد والاحتراز من الحاجة إلى التعب في الكسب ودخول مداخل السوء وهذا أيضًا غير منهي عنه، فإن قلة الحرج معين على الدين، نعم الكمال والفضل في التوكل والثقة بضمان الله حيث قال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود :٦] ولا جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال وترك الأفضل، ولكن النظر إلى العواقب وحفظ المال وادخاره مع كونه مناقضًا للتوكل لا نقول إنه منهي عنه. الرابعة: الخوف من الأولاد الإناث لما يعتقد في تزويجهن من المعرة كما كانت من عادة العرب في قتلهم الإناث، فهذه نية فاسدة لو ترك بسببها أصل النكاح أو أصل الوقاع أثم بها لا بترك النكاح والوطء، فكذا في العزل، والفساد في اعتقاد المعرة في سنة رسول الله ﷺ أشد، وينزل منزلة امرأة تركت النكاح استنكافًا من أن يعلوها رجل فكانت تتشبه بالرجال، ولا ترجع الكراهة إلى عين ترك النكاح. الخامسة: أن تمتنع المرأة لتعززها ومبالغتها في النظافة والتحرز من الطلق والنفاس والرضاع، وكان ذلك عادة نساء الخوارج لمبالغتهن في استعمال المياه، حتى كن يقضين صلوات أيام الحيض ولا يدخلن الخلاء إلا عراة، فهذه بدعة تخالف السنَّة، فهي نية فاسدة، واستأذنت واحدة منهن على عائشة رضي الله عنها لما قدمت البصرة فلم تأذن لها، فيكون القصد هو الفاسد دون منع الولادة.

فإن قلت: فقد قال النبي ﷺ: «مَنْ تَرَكَ النِّكَاحَ مَخَافَةَ العِيالِ فَلَيْسَ مِنَّا» ثَلاثًا[1].

قلت: فالعزل كترك النكاح. وقوله: «لَيْسَ مِنَّا» أي ليس موافقًا لنا على سنتنا وطريقتنا وسنتنا فعل الأفضل.

فإن قلت: فقد قال ﷺ في العزل: «ذَاكَ الوَأْدُ الخَفِيُّ»، وقرأ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير :٨] »[2] وهذا في الصحيح. قلنا: وفي الصحيح أيضًا أخبار صحيحة[3] في الإباحة،

---

(١) حديث «من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا». تقدم في أوائل النكاح.

(٢) صحيح: حديث قال رسول الله ﷺ في الغزل «ذلك الوأد الخفي». أخرجه مسلم من حديث جذامة بنت وهب. [مسلم: ١٤٤٢].

(٣) صحيح: أحاديث إباحة الغزل، رواها مسلم من حديث أبي سعيد: أنهم سألوه عن الغزل فقال «لا عليكم أن لا تفعلوه». ورواه النسائي من حديث أبي صرمة، وللشيخين من حديث جابر: كنا على عهد رسول الله

وقوله: «الوَأْدُ الخَفِيُّ» كقوله: «الشِّرْكُ الخَفِيُّ» وذلك يوجب كراهة لا تحريمًا.

فإن قلت: فقد قال ابن عباس: العزل هو الوأد الأصغر، فإنّ الممنوع وجوده به هو الموءودة الصغرى.

قلنا: هذا قياس منه لدفع الوجود على قطعه وهو قياس ضعيف، ولذلك أنكره عليه علي رضي الله عنه، لما سمعه قال: ولا تكون موءودة إلا بعد سبع، أي بعد الأخرى سبعة أطوار، وتلا الآية الواردة في أطوار الخلقة وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٣] إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤] أي نفخنا فيه الروح، ثم تلا قوله تعالى في الآية ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير: ٨] وإذا نظرت إلى ما قدّمناه في طريق القياس والاعتبار، ظهر لك تفاوت منصب علي وابن عباس رضي الله عنهما في الغوص على المعاني ودرك العلوم، كيف وفي المتفق عليه في الصحيحين عن جابر أنه قال «كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل» وفي لفظ آخر: «كنا نعزل فبلغ ذلك نبي ﷺ الله فلم ينهنا»(١) وفيه أيضًا عن جابر أنه قال: «إن رجلًا أتى رسول الله ﷺ فقال: إن لي جارية خادمتنا وساقيتنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل، فقال عليه الصلاة والسلام «اعْزِلْ عَنْهَا إِنْ شِئْتَ فَإِنَّهُ سَيَأْتِيهَا مَا قُدِرَ لَهَا» فلبث الرجل ما شاء الله ثم أتاه فقال: إن الجارية قد حملت، فقال: «قَدْ قُلْتُ سَيَأْتِيهَا مَا قُدِرَ لَهَا»(٢) كل ذلك في الصحيحين.

الحادي عشر: في آداب الولادة وهي خمسة:

الأول: أن لا يكثر فرحه بالذكر وحزنه بالأنثى، فإنه لا يدري الخيرة له في أيهما، فكم من صاحب ابن يتمنى أن لا يكون له، أو يتمنى أن يكون بنتًا، بل السلامة منهن أكثر والثواب فيهن أجزل قال ﷺ «مَنْ كَانَ لَهُ ابْنَةٌ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا وَغَذَّاهَا فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا وَأَسْبَغَ عَلَيْهَا مِنَ النِّعْمَةِ الَّتِي أَسْبَغَ الله عَلَيْهِ كَانَتْ لَهُ مَيْمَنَةً وَمَيْسَرَةً مِنَ النَّارِ إِلَى الجَنَّةِ»(٣). وقال ابن عباس رضي الله

ﷺ زاد مسلم: فبلغ ذلك نبي الله ﷺ فلم ينهنا. وللنسائي من حديث أبي هريرة سئل عن الغزل فقيل: اليهود تزعم أنها الموؤودة الصغرى، فقال: كذبت اليهود. قال البيهقي: رواة الإباحة أكثر وأحفظ. [حديث «لا عليكم ....» مسلم: ١٤٣٨، والنسائي: ٣٣٢٧، وحديث «كنا على عهد...» البخاري: ٥٢٠٩، مسلم: ١٤٤٠، وحديث «اليهود تزعم....» أحمد: ١١٠٨٥، انظر «ظلال الجنة»: صحيح].

(١) صحيح: حديث جابر المتفق عليه في الصحيحين «كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ فلم ينهنا». هو كما ذكر متفق عليه، إلا أن قوله «فلم ينهنا» انفرد بها مسلم. [البخاري: ٥٢٠٩، مسلم: ١٤٤٠].

(٢) صحيح: حديث جابر «أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: إن لي جارية وهي خادمتنا وساقيتنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل، فقال: اعزل عنها إن شئت فإنه سيأتيها ما قدر لها. فلبث الرجل ما شاء الله، ثم أتاه فقال: إن الجارية قد حملت. فقال قد قلت سيأتيها ما قدر لها». ذكر المصنف أنه في الصحيحين وليس كذلك، وإنما انفرد به مسلم. [مسلم: ١٤٣٩].

(٣) موضوع: حديث «من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها وغذاها فأحسن غذاءها وأسبغ عليها من النعمة

عنهما: قال رسول الله ﷺ «مَا مِنْ أَحَدٍ يُدْرِكُ ابْنَتَيْنِ فَيُحْسِنُ إِلَيْهِمَا مَا صَحِبَتَاهُ إِلاَّ أَدْخَلَتَاهُ الجَنَّةَ»(١) . وقال أنس قال رسول الله ﷺ «مَنْ كَانَتْ لَهُ ابْنَتَانِ أَوْ أُخْتَانِ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا مَا صَحِبَتَاهُ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الجَنَّةِ كَهاتَيْنِ»(٢) وقال أنس: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ خَرَجَ إِلَى سُوقٍ مِنْ أَسْوَاقِ المُسْلِمِينَ فَاشْتَرَى شَيْئًا فَحَمَلَهُ إِلَى بَيْتِهِ فَخَصَّ بِهِ الإِنَاثَ دُونَ الذُّكُورِ نَظَرَ الله إِلَيْهِ، وَمَنْ نَظَرَ الله إِلَيْهِ لَمْ يُعَذِّبْهُ»(٣) . وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَمَلَ طُرْفَةً مِنَ السُّوقِ إِلَى عِيَالِهِ فَكَأَنَّمَا حَمَلَ إِلَيْهِمْ صَدَقَةً حَتَّى يَضَعَهَا فِيهِمْ وَلْيَبْدَأْ بِالإِنَاثِ قَبْلَ الذُّكُورِ فَإِنَّهُ مَنْ فَرَّحَ أُنْثَى فَكَأَنَّمَا بَكَى مِنْ خشْيَةِ الله وَمَنْ بَكَى مِنْ خشْيَتِهِ حَرَّمَ الله بَدَنَهُ عَلَى النَّارِ»(٤) .

وقال أبو هريرة: قال ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ ثَلاَثُ بَنَاتٍ أَوْ أَخَوَاتٍ فَصَبَرَ عَلَى لأْوَائِهِنَّ وَضَرَّائِهِنَّ أَدْخَلَهُ الله الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُنَّ» ، فقال رجل: وثنتان يا رسول الله؟ قال: «وَثِنْتَانِ» . فقال رجل: أو واحدة؟ فقال: «وَوَاحِدَةٌ»(٥) .

الأدب الثاني: أن يؤذِّن في أذن الولد روى رافع عن أبيه قال: «رأيت النبي ﷺ قد أذَّن في أذن الحسين حين ولدته فاطمة رضي الله عنها»(٦) . وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ اليُمْنَى وَأَقَامَ فِي أُذُنِهِ اليُسْرَى دُفِعَتْ عَنْهُ أُمُّ الصِّبْيَانِ»(٧) . ويستحب أن

التي أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار إلى الجنة». أخرجه الطبراني في الكبير، والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف. [الطبراني في الكبير : ١٠٤٤٧ ، وذكره الهيثمي المجمع : ١٣٤٩٧ ، وقال : فيه طلحة بن زيد وهو وضاع].

(١) حسن: حديث ابن عباس «ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما صحبتاه إلا أدخلناه الجنة». أخرجه ابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد. [ابن ماجه : ٣٦٧٠ ، انظر صحيح الترغيب : ١٩٧١].

(٢) صحيح: حديث أنس «من كانت له ابنتان أو أختان فاحسن إليهما ما صحبتاه كنت أنا وهو في الجنة كهاتين». رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف. ورواه الترمذي بلفظ «من عال جارتين» وقال حسن غريب. [حديث «من كانت . . .» في السلسلة الصحيحة : ١٠٢٦ ، حديث «من عال . . . .» عند الترمذي : ١٩١٤ ، وانظر صحيح الترغيب : ١٩٧٠].

(٣) حديث أنس «من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئا فحمله إلى بيته فخص به الإناث دون الذكور نظر الله إليه، ومن نظر الله إليه لم يعذبه». أخرجه الخرائطي بسند ضعيف.

(٤) حديث أنس «من حمل طرفة من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة». أخرجه الخرائطي بسند ضعيف جدا، وأخرجه ابن عدي في الكامل. وقال ابن الجوزي: حديث موضوع.

(٥) منكر جدًا: حديث أبي هريرة «من كانت له ثلاث بنات أو أخوات فصبر على لأوائهن وضرائهن أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن، فقال رجل: يا رسول الله؟ واثنتان قال: واثنتان. فقال رجل: أو واحدة؟ فقال وواحدة». رواه الخرائطي واللفظ له والحاكم لم يقل: أو أخوات وقال: صحيح الإسناد. [انظر ضعيف الترغيب : ١٢٢٦].

(٦) حسن: حديث أبي رافع «رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسين حين ولدته فاطمة». أخرجه أحمد واللفظ له وأبو داود والترمذي وصححه، إلا أنهما قالا «الحسن مكبرا» وضعفه ابن القطان. [أبو داود : ٥١٠٥ والترمذي : ١٥١٤ ، واحمد : ٢٦٦٤٥ ، انظر صحيح أبي داود].

(٧) موضوع: حديث «من ولد له مولود وأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى دفعت عنه أم الصبيان». أبو

يلقنوه أوّل انطلاق لسانه لا إله إلا الله، ليكون أوّل حديثه، والختان في اليوم السابع ورد به خبر[١] .

الأدب الثالث : أن تسميه اسمًا حسنًا، فذلك من حق الولد. وقالﷺ : «إِذَا سَمَّيْتُمْ فَعَبِّدُوا»[٢] . وقال عليه الصلاة والسلام: «أَحَبُّ الأَسْمَاءِ إِلَى الله عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمنِ»[٣] ، وقال: «سَمُّوا بِاسْمِي وَلاَ تُكَنُّوا بِكنْيَتِي»[٤] قال العلماء: كان ذلك في عصرهﷺ إذ كان ينادى يا أبا القاسم والآن فلا بأس، نعم لا يجمع بين اسمه وكنيته، وقد قالﷺ : «لاَ تَجْمَعُوا بَيْنَ اسْمِي وَكنْيَتِي»[٥] . وقيل: إن هذا أيضًا كان في حياته، وتسمى رجل أبا عيسى فقال عليه السلام: «إِنَّ عِيسَى لاَ أَبَ لَهُ»[٦] فيكره ذلك، والسقط ينبغي أن يسمى. قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية: بلغني أنّ السقط يصرخ يوم القيامة وراء أبيه فيقول: أنت ضيعتني وتركتني لا اسم لي، فقال عمر بن عبد العزيز: كيف وقد لا يدري أنه غلام أو جارية فقال عبد الرحمن: من الأسماء ما يجمعهما كحمزة وعمارة وطلحة وعتبة[٧] ، وقالﷺ : «إِنَّكُمْ تُدْعَونَ يَوْمَ

يعلى الموصلي وابن السني في اليوم والليلة، والبيهقي في شعب الإيمان من حديث الحسين بن علي بسند ضعيف. [انظر السلسلة الضعيفة : ٣٢١].

(١) حديث «الختان في اليوم السابع».رواه الطبراني في الصغير من حديث جابر بسند ضعيف «أن رسول الله ﷺ عق عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام» وإسناده ضعيف. واختلف في إسناده فقيل: عبد الملك بن إبراهيم بن زهير عن أبيه عن جده. [ذكره الألباني في تمام المنة صفحة ٦٧ ، وقال : رواه الطبراني في الصغير صفحة ١٨٥ بسند رجاله ثقات لكن محمد بن أبي السري العسقلاني فيه كلام من قبل حفظه].

(٢) ضعيف جدًا: حديث «إذا سميتم فعبدوا». رواه الطبراني من حديث عبد الملك بن أبي زهير عن أبيه معاذ، وصحح إسناده والبيهقي من حديث عائشة. [انظر ضعيف الجامع : ٥٥٨].

(٣) صحيح: حديث «أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن». أخرجه مسلم من حديث ابن عمر. [مسلم : ٢١٣٢].

(٤) حديث «سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي». متفق عليه من حديث جابر. وفي لفظ «تسموا». [حديث «سموا باسمي . . . .» عند البخاري : ٣١١٤ ، مسلم : ٢١٣٣ ، ولفظ «تسموا» عند البخاري : ٣٥٣٨ ، مسلم : ٢١٣٣].

(٥) حديث «لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي». رواه أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة، ولأبي داود والترمذي وحسنه وابن حبان من حديث جابر «من سمى باسمي فلا يتكنى بكنيتي، ومن تكنى بكنيتي فلا يتسمى باسمي». [حديث «لا تجمعوا . . . . .» عند أحمد : ٩٣١٥ وابن حبان : ٥٨١٤ ، وحسنه الشيخ الأرناؤوط، وحديث«من سمى . . . .» عند أبي داود : ٤٩٦٦ ، وقال الألباني : منكر ، انظر ضعيف أبي داود].

(٦) حسن صحيح: حديث «أن عيسى لا أب له». أخرجه أبو عمر التوقاني في كتاب معاشرة الأهلين من حديث ابن عمر بسند ضعيف، ولأبي داود أن عمر ضرب ابنا له تكنى أبا عيسى، وأنكر على المغيرة بن شعبة تكنيه بأبي عيسى، فقال: رسول الله عليه وسلم كناني، وإسناده صحيح. [أبو داود : ٤٩٦٣ ، انظر صحيح أبي داود].

(٧) ضعيف: حديث «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسمائكم». أخرجه أبو داود من حديث أبي الدرداء. قال النووي: بإسناد جيد، وقال البيهقي إنه مرسل. [أبو داود : ٤٩٤٨ ، انظر ضعيف أبي داود].

الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ» . ومن كان له اسم يكره يستحب تبديله، أبدل رسول الله ﷺ اسم العاص بعبد الله[(١)] . وكان اسم زينب برة، فقال عليه السلام: «تُزَكِّي نَفْسَهَا» فسماها زينب[(٢)] ، وكذلك ورد النهي في تسمية أفلح ويسار ونافع وبركة[(٣)] لأنه يقال: أثم بركة؟ فيقال: لا.

الرابع : العقيقة عن الذكر بشاتين، وعن الأنثى بشاة ذكرًا كان أو أنثى. وروت عائشة رضي الله عنها: أنّ رسول الله ﷺ أمر في الغلام أن يعق بشاتين مكافئتين، وفي الجارية بشاة[(٤)] . وروي: أنه عق عن الحسن بشاة[(٥)] ، وهذا رخصة في الاقتصار على واحدة. وقال ﷺ: «مَعَ الغُلاَمِ عَقِيقَتُهُ فَأَهْرِيقُوا عَنْهُ دَمًا وَأَمِيطُوا عَنْهُ الأَذَى»[(٦)] ، ومن السنة أن يتصدق بوزن شعره ذهبًا أو فضة[(٧)] ، فقد ورد فيه خبر: «أنه عليه السلام أمر فاطمة رضي الله عنها يوم سابع حسين أن تحلق شعره وتتصدّق بزنة شعره فضة» . قالت عائشة رضي الله عنها: لا يكسر للعقيقة عظم.

الخامس : أن يحنكه بتمرة أو حلاوة. وروي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: «ولدت عبد الله بن الزبير بقباء، ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعته في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه»[(٨)] فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ، ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرك عليه، وكان أوّل مولود ولد في الإسلام، ففرحوا به فرحًا شديدًا لأنهم

---

(١) حديث «بدل رسول الله ﷺ اسم العاص بعبد الله». رواه البيهقي من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي بسند صحيح. [ذكره أبو داود بدون تخريج عقب حديث : ٤٩٥٦].

(٢) صحيح : حديث «قال ﷺ لزينب، وكان اسمها برة فقيل تزكي نفسها. فسماها زينب». متفق عليه من حديث أبي هريرة. [البخاري : ٦١٩٢ ، مسلم : ٢١٤١].

(٣) صحيح : حديث «النهي في تسمية أفلح ويسار ونافع وبركة». أخرجه مسلم من حديث سمرة بن جندب إلا أنه جعل مكان بركة رباحا، وله من حديث جابر «أراد النبي ﷺ أن ينهى أن يسمى بيعلى وبركة... الحديث». [حديث سمرة بن جندب عند مسلم : ٢١٣٦ ، وحديث جابر عند مسلم : ٢١٣٨].

(٤) صحيح : حديث عائشة «أمر في الغلام بشاتين مكافئتين، وفي الجارية بشاة». أخرجه الترمذي وصححه. [الترمذي : ١٥١٣ ، انظر صحيح الترمذي].

(٥) حديث «عق عن الحسن بشاة». أخرجه الترمذي من حديث علي وقال: ليس إسناده بمتصل، ووصله الحاكم، إلا أنه قال «حسين». ورواه أبو داود من حديث ابن عباس إلا أنه قال «كبشا». [الترمذي : ١٥١٤ ، وحسنه الألباني ، وأبو داود : ٢٨٤١ ، وصححه الألباني].

(٦) صحيح : حديث «مع الغلام عقيقته فأهريقوا عنه دما وأميطوا عنه الأذى». أخرجه البخاري من حديث سلمان بن عامر الضبي. [البخاري : ٥٤٧١].

(٧) حسن : حديث «أمر فاطمة يوم سابع حسين أن يحلق شعره ويتصدق بزنة شعره فضة». أخرجه الحاكم وصححه من حديث علي، وهو عند الترمذي منقطع بلفظ «حسن» وقال: ليس إسناده بمتصل، ورواه أحمد من حديث أبي رافع. [الترمذي: ١٥١٩ ، واحمد : ٢٦٦٤٢، انظر صحيح الترمذي ، ولم أقف على لفظ «يوم سابع»].

(٨) صحيح : حديث أسماء «ولدت عبد الله بن الزبير بقباء، ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه». متفق عليه. [البخاري : ٥٤٦٩ ، مسلم : ٢١٤٦].

قيل لهم: إن اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم.

الثاني عشر: في الطلاق، وليعلم أنه مباح، ولكنه أبغض المباحات إلى الله تعالى، وإنما يكون مباحًا إذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل، ومهما طلقها فقد آذاها، ولا يباح إيذاء الغير إلا بجناية من جانبها أو بضرورة من جانبه، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤] أي لا تطلبوا حيلة للفراق وإن كرهها أبوه فليطلقها. قال ابن عمر رضي الله عنهما: كان تحتي امرأة أحبها وكان أبي يكرهها ويأمرني بطلاقها، فراجعت رسول الله ﷺ فقال: «يَا ابْنَ عُمَرَ طَلِّقِ امْرَأَتَكَ»(١) ، فهذا يدل على أن حق الوالد مقدّم، ولكن والد يكرهها ـ لا لغرض فاسد ـ مثل عمر، ومهما آذت زوجها وبذت على أهله فهي جانية، وكذلك مهما كانت سيئة الخلق أو فاسدة الدين. قال ابن مسعود في قول تعالى ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [الطلاق: ١] مهما بذت على أهله وآذت زوجها فهو فاحشة، وهذا أريد به في العدة ولكنه تنبيه على المقصود. وإن كان الأذى من الزوج فلها أن تفتدي ببذل مال، يكره للرجل أن يأخذ منها أكثر مما أعطى فإن ذلك إجحاف بها وتحامل عليها وتجارة على البضع.

قال تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩] فرد ما أخذته فما دونه لائق بالفداء. فإن سألت الطلاق بغير ما بأس فهي آثمة، قال ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلَاقَهَا مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ لَمْ تَرَحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ»(٢) . وفي لفظ آخر: «فالجنة عليها حرام» وفي لفظ آخر: أنه عليه السلام قال: «المُخْتَلِعَاتُ هُنَّ المُنَافِقَاتُ»(٣) ، ثم ليراع الزوج في الطلاق أربعة أمور:

الأول: أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه، فإن الطلاق في الحيض أو الطهر الذي جامع فيه بدعي حرام وإن كان واقعًا، لما فيه من تطويل العدة عليها، فإن فعل ذلك فليراجعها. طلق ابن عمر زوجته في الحيض فقال ﷺ لعمر: «مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا حَتَّى تَطْهُرَ ثُمَّ تَحِيضَ ثُمَّ تَطْهُرَ، ثُمَّ إِنْ شَاءَ طَلَّقَهَا وَإِنْ شَاءَ أَمْسَكَهَا، فَتِلْكَ العِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ الله أَنْ يُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ»(٤) . وإنما أمره

---

(١) حسن: حديث ابن عمر «كان تحتي امرأة أحبها وكان أبي يكرهها ويأمرني بطلاقها، فراجعت رسول الله ﷺ فقال «يا ابن عمر طلق امرأتك». رواه أصحاب السنن، وقال الترمذي: حسن صحيح. [أبو داود: ٥١٣٨، والترمذي: ١١٨٩، وابن ماجه: ٢٠٨٨، وانظر صحيح الترمذي].

(٢) صحيح: حديث «أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة» وفي لفظ «فالجنة عليها حرام». رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث ثوبان. [أبو داود: ٢٢٢٦، والترمذي: ١١٨٧، وابن ماجه: ٢٠٥٥، انظر صحيح أبي داود].

(٣) صحيح: حديث «المختلعات هن المنافقات». رواه النسائي من حديث أبي هريرة وقال: لم يسمع الحسن من أبي هريرة. قال: ومع هذا لم أسمعه إلا من حديث أبي هريرة. قلت: رواه الطبراني من حديث عقبة بن عامر بسند ضعيف. [انظر السلسلة الصحيحة: ٦٣٢].

(٤) صحيح: حديث «طلق ابن عمر زوجته في الحيض فقال رسول الله ﷺ لعمر «مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء طلقها ثم إن شاء أمسكها، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء». متفق عليه من حديث ابن عمر. [البخاري: ٤٩٠٨، مسلم: ١٤٧١].

بالصبر بعد الرجعة طهرين لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط.

الثاني: أن يقتصر على طلقة واحدة فلا يجمع بين الثلاث، لأن الطلقة الواحدة بعد العدّة تفيد المقصود ويستفيد بها الرجعة إن ندم في العدة وتجديد النكاح إن أراد بعد العدة، وإذا طلق ثلاثًا ربما ندم فيحتاج إلى أن يتزوجها محلل وإلى الصبر مدّة، وعقد المحلل منهي عنه، ويكون هو الساعي فيه ثم يكون قلبه معلقًا بزوجة الغير وتطليقه ـ أعني زوجة المحلل بعد أن زوج منه ـ ثم يورث ذلك تنفيرًا من الزوجة، وكل ذلك ثمرة الجمع، وفي الواحدة كفاية في المقصود من غير محذور، ولست أقول الجمع حرام، لكنه مكروه بهذه المعاني، وأعني بالكراهة تركه النظر لنفسه.

الثالث: أن يتلطف في التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف، وتطييب قلبها بهدية على سبيل الإمتاع والجبر لما فجعها به من أذى الفراق. قال تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ [البقرة:٢٣٦] وذلك واجب مهما لم يسم لها مهر في أصل النكاح. كان الحسن بن علي رضي الله عنهما مطلاقًا ومنكاحًا، ووجه ذات يوم بعض أصحابه لطلاق امرأتين من نسائه وقال: قل لهما اعتدا، وأمره أن يدفع إلى كل واحدة عشرة آلاف درهم، ففعل، فلما رجع إليه قال: ماذا فعلتا؟ قال أما إحداهما فنكست رأسها وتنكست، وأما الأخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول: متاع قليل من حبيب مفارق فأطرق الحسن وترحم لها وقال: لو كنت مراجعًا امرأة بعد ما فارقتها لراجعتها، ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه ضربت المثل عائشة رضي الله عنها حيث قالت: لو لم أسر مسيري ذلك لكان أحب إلي من أن يكون لي ستة عشر ذكرًا من رسول الله ﷺ مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فدخل عليه الحسن في بيته، فعظمه عبد الرحمن وأجلسه في مجلسه وقال: ألا أرسلت إليّ فكنت أجيئك، فقال: الحاجة لنا. قال: وما هي؟ قال: جئتك خاطبًا ابنتك، فأطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه وقال: والله ما على وجه الأرض أحد يمشي عليها أعز عليّ منك، ولكنك تعلم أن ابنتي بضعة مني يسوءني ما ساءها ويسرني ما سرها، وأنت مطلاق، فأخاف أن تطلقها، وإن فعلت خشيت أن يتغير قلبي في محبتك وأكره أن يتغير قلبي عليك، فأنت بضعة من رسول الله ﷺ، فإن شرطت أن لا تطلقها زوجتك، فسكت الحسن وقام وخرج وقال بعض أهل بيته: سمعته وهو يمشي ويقول: ما أراد عبد الرحمن إلا أن يجعل ابنته طوقًا في عنقي. وكان علي رضي الله عنه يضجر من كثرة تطليقه، فكان يعتذر منه على المنبر ويقول في خطبته: إن حسنًا مطلاق فلا تنكحوه، حتى قام رجل من همدان فقال: والله يا أمير المؤمنين لننكحنه ما شاء فإن أحب أمسك وإن شاء ترك، فسرَّ ذلك عليًّا وقال:

لو كنت بوابًا على باب جنةٍ ... لقلتُ لهمدانَ: ادخلي بسلامِ.

وهذا تنبيه على أن من طعن في حبيبه من أهل وولد بنوع حياء فلا ينبغي أن يوافق عليه، فهذه الموافقة قبيحة، بل الأدب المخالفة ما أمكن، فإنّ ذلك أسر لقلبه وأوفق لباطن ذاته، والقصد من هذا بيان أن الطلاق مباح، وقد وعد الله الغنى في الفراق والنكاح جميعًا فقال: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور :٣٢] وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء :١٣٠] .

الرابع : أن لا يفشي سرها لا في الطلاق ولا عند النكاح، فقد ورد في إفشاء سر النساء في الخبر الصحيح وعيد عظيم[١] . ويروى عن بعض الصالحين أنه أراد طلاق امرأة، فقيل له: ما الذي يريبك فيها؟ فقال: العاقل لا يهتك ستر امرأته، فلما طلقها قيل له. لم طلقتها؟ فقال: ما لي ولامرأة غيري، فهذا بيان ما على الزوج.

القسم الثاني من هذا الباب: النظر في حقوق الزوج عليها:

والقول الشافي فيه أن النكاح نوع رق، فهي رقيقة له، فعليها طاعة الزوج مطلقًا في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه، وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة. قال ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الجَنَّةَ»[٢] وكان رجل قد خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل من العلو إلى السفل وكان أبوها في الأسفل، فمرض فأرسلت المرأة إلى رسول الله ﷺ تستأذن في النزول إلى أبيها، فقال ﷺ: «أَطِيعِي زَوْجَكِ» فمات فاستأمرته فقال: «أطيعي زوجك» فدفن أبوها فأرسل رسول الله ﷺ إليها يخبرها أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها[٣] .

وقال ﷺ: «إِذَا صَلَّتِ المَرْأَةُ خَمْسَهَا وَصَامَتْ شَهْرَهَا وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا دَخَلَتْ جَنَّةَ رَبِّهَا»[٤] ، وأضاف طاعة الزوج إلى مباني الإسلام؟ وذكر رسول الله ﷺ النساء فقال: «حَامِلاَتٌ وَالِدَاتٌ مُرْضِعَاتٌ رَحِيمَاتٌ بِأَوْلاَدِهِنَّ لَوْلاَ مَا يَأْتِينَ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ دَخَلَ

---

(١) صحيح : حديث «الوعيد في إفشاء سر المرأة». رواه مسلم من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ «إن أعظم الخيانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم يفشي سرها». [مسلم : ١٤٣٧].

(٢) ضعيف : حديث «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة». أخرجه الترمذي وقال حسن غريب، وابن ماجه من حديث أم سلمة. [الترمذي : ١١٦١ ، وابن ماجه : ١٨٥٤ ، وانظر ضعيف الجامع : ٢٢٢٧].

(٣) حديث: كان رجل قد خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل من العلو إلى السفل وكان أبوها في الأسفل فمرض فأرسلت المرأة إلى رسول الله ﷺ تستأذن في النزول إلى أبيها، فقال ﷺ «أطيعي زوجك» فمات فاستأمرته فقال «أطيعي زوجك» فدفن أبوها فأرسل رسول الله ﷺ إليها يخبرها أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها

أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف إلا أنه قال «غفر لأبيها».

(٤) حسن : حديث «إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها». أخرجه ابن حبان من أبي هريرة. [انظر صحيح الترغيب : ١٩٣٢].

مصلياتهن الجنة»[١] ، وقال ﷺ : «اطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ» ، فَقُلْنَ: لِمَ يَا رَسُولَ الله؟ قال: «يُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَيَكْفُرْنَ العَشِيرَ»[٢] يعني الزوج المعاشر. وفي خبر آخر: «اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ فَإِذَا أَقَلُّ أَهْلِهَا النِّسَاءُ» ، فقلت: أين النساء؟ قال: «شَغَلَهُنَّ الأَحْمَرَانِ الذَّهَبُ وَالزَّعْفَرَانِ»[٣] يعني الحلي ومصبغات الثياب. وقالت عائشة رضي الله عنها: أتت فتاة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إني فتاة أخطب فأكره التزويج، فما حق الزوج على المرأة؟ قال: «لَوْ كَانَ مِنْ فَرْقِهِ إِلَى قَدَمِهِ صَدِيد فَلَحَسَتْهُ مَا أَدَّتْ شُكْرَهُ» قالت: أفلا أتزوّج؟ قال: «بَلَى تَزَوَّجِي فَإِنَّهُ خَيْرٌ»[٤] . قال ابن عباس «أتت امرأة من خثعم إلى رسول الله ﷺ فقالت: إني امرأة أيِّم وأريد أن أتزوج، فما حق الزوج؟ قال: «إِنَّ مِنْ حَقِّ الزَّوْجِ عَلَى الزَّوْجَةِ إِذَا أَرَادَهَا فَرَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا وَهِيَ عَلَى ظَهْرِ بَعِيرٍ أَلاَّ تَمْنَعَهُ، وَمِنْ حَقِّهِ أَنْ لاَ تُعْطِي شَيْئًا مِنْ بَيْتِهِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ، فَإِنْ فَعَلَتْ ذلِكَ كَانَ الوِزْرُ عَلَيْهَا وَالأَجْرُ لَهُ، وَمِنْ حَقِّهِ أَنْ لاَ تَصُومَ تَطَوُّعًا إِلاَّ بِإِذْنِهِ، فَإِنْ فَعَلَتْ جَاعَتْ وَعَطِشَتْ وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْهَا، وَإِنْ خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا بِغَيْرِ إِذْنِهِ لَعَنَتْهَا المَلاَئِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ أَوْ تَتُوبَ»[٥] وقال ﷺ : «لَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا مِنْ عِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا»[٦] . وقال ﷺ : «أَقْرَبُ مَا تَكُونُ المَرْأَةُ مِنْ وَجْهِ رَبِّهَا إِذَا كَانَتْ

---

(١) ضعيف : حديث: ذكر النساء فقال «حاملات والدات مرضعات رحيمات بأولادهن لولا ما يأتين إلى أزواجهن دخل مصلياتهن الجنة». أخرجه ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي أمامة دون قوله «مرضعات» وهي عند الطبراني في الصغير. [ابن ماجه : ٢٠١٣ ، وانظر ضعيف ابن ماجه].

(٢) صحيح : حديث «اطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء، فقلن: لم يا رسول الله؟ قال يكثرن اللعنة ويكفرن العشير». متفق عليه من حديث ابن عباس. [البخاري : ٢٩، مسلم : ٩٠٧].

(٣) ضعيف جداً : حديث «اطلعت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء، فقلت أين النساء؟ قال شغلهن الأحمران الذهب والزعفران». أخرجه أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف، وقال «الحرير» بدل «الزعفران» ولمسلم من حديث عزة الأشجعية «ويل للنساء من الأحمرين: الذهب والزعفران» وسنده ضعيف. [حديث « اطلعت في . . . . » أحمد : ٢١٧٢٩ ، وانظر ضعيف الترغيب : ١٢٥٥ وضعفه الألباني، وحديث «ويل للنساء . . . . . » انظر صحيح الترغيب : ٢٠٦٦ وحسنه الألباني، ولم أقف عليه عند مسلم كما ذكر المصنف - رحمه الله-].

(٤) صحيح : حديث عائشة: أتت فتاة إلى النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله، إني فتاة أخطب فأكره التزويج فما حق الزوج على المرأة؟ قال «لو كان من فرقه إلى قدمه صديد فلحسته ما أدت شكره، قالت: أفلا أتزوج؟ قال «بلى تزوجي فإنه خير».أخرجه الحاكم وصحح إسناده من حديث أبي هريرة دون قوله «بلى تزوجي فإنه خير» ولم أره من حديث عائشة. [انظر صحيح الترغيب : ١٩٣٥ عن أبي هريرة].

(٥) حديث ابن عباس: أتت امرأة من خثعم إلى رسول الله ﷺ فقالت: إني امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج؟ قال «إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها عن نفسها وهي على ظهر بعير لا تمنعه، ومن حقه أن لا تعطي شيئا من بيته إلا بإذنه، فإن فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له، ومن حقه أن لا تصوم تطوعا إلا بإذنه، فإن فعلت جاعت وعطشت ولم يتقبل منها، وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع إلى بيته أو تتوب». أخرجه البيهقي مقتصرا على شطر الحديث، ورواه بتمامه من حديث ابن عمر وفيه ضعف.

(٦) حسن صحيح : حديث «لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والولد لأبيه من عظم حقهما عليهما». أخرجه الترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة دون قوله «والولد لأبيه» فلم أرها

فِي قَعْرِ بَيْتِهَا، وَإِنَّ صَلاتَهَا فِي صَحْنِ دَارِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلاتِهَا فِي المَسْجِدِ، وَصَلاتُهَا فِي بَيْتِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلاتِهَا فِي صَحْنِ دَارِهَا، وَصَلاتُهَا فِي مَخْدَعِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلاتِهَا فِي بَيْتِهَا»(١) والمخدع: بيت في بيت، وذلك للستر، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «المَرْأَةُ عَوْرَةٌ فَإِذَا خَرَجَت اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ»(٢) وقال أيضًا: «لِلْمَرْأَةِ عَشْرُ عَوْرَاتٍ، فَإِذَا تَزَوَّجَتْ سَتَرَ الزَّوْجُ عَوْرَةً وَاحِدَةً، فَإِذَا مَاتَتْ سَتَرَ القَبْرُ العَشْرَ عَوْرَاتٍ»(٣) فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة، وأهمها أمران، أحدهما: الصيانة والستر. والآخر: ترك المطالبة بما وراء الحاجة، والتعفف عن كسبه إذا كان حرامًا، وهكذا كانت عادة النساء في السلف: كان الرجل إذا خرج من منزله تقول له امرأته أو ابنته: إياك وكسب الحرام فإنا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار. وهمَّ رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره، فقالوا لزوجته: لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة؟ فقالت: زوجي منذ عرفته عرفته أكّالًا وما عرفته رزاقًا، ولي رب رزاق. يذهب الأكال ويبقى الرزاق. وخطبت رابعة بنت إسماعيل أحمد بن أبي الحواري، فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها: والله ما لي همة في النساء لشغلي بحالي، فقالت: إني لأشغل بحالي منك وما لي شهوة، ولكن ورثت مالًا جزيلًا من زوجي فأردت أن تنفقه على إخوانك، وأعرف بك الصالحين فيكون لي طريقًا إلى الله عز وجل، فقال: حتى أستأذن أستاذي، فرجع إلى أبي سليمان الداراني، قال: وكان ينهاني عن التزويج ويقول: ما تزوج أحد من أصحابنا إلا تغير، فلما سمع كلامها قال: تزوج بها فإنها ولية لله، هذا كلام الصدّيقين، قال: فتزوجتها فكان في منزلنا كِنٌّ من جص ففني من غسل أيدي المستعجلين للخروج بعد الأكل فضلًا عمن غسل

وكذلك رواه أبو داود من حديث قيس بن سعد، وابن ماجه من حديث عائشة، وابن حبان من حديث ابن أبي أوفى. [الترمذي : ١١٥٩ ، وابن ماجه : ١٨٥٣ ، وانظر صحيح الترمذي، ولم أقف عليه عند أبي داود].

(١) حديث «أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت في قعر بيتها وإن صلاتها في صحن دارها أفضل من صلاتها في المسجد، وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في صحن دارها، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها». أخرجه ابن حبان من حديث ابن مسعود بأول الحديث دون آخره، وآخره رواه أبو داود مختصرا من حديثه دون ذكر صحن الدار. ورواه البيهقي من حديث عائشة بلفظ «ولأن تصلي في الدار خير لها من أن تصلي في المسجد» وإسناده حسن، ولابن حبان من حديث أم حميد نحوه. [الشطر الأول من الحديث انظر صحيح الترغيب : ٣٤٤، وآخر الحديث عند أبي داود : ٥٧٠، وصححه الألباني ، وحديث «ولأن تصلي . . . .» انظر السلسلة الصحيحة : ٢١٤٢ ، وصححه الألباني].

(٢) صحيح : حديث «المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان». رواه الترمذي وقال حسن صحيح وابن حبان من حديث ابن مسعود. [الترمذي : ١١٧٣ ، وانظر صحيح الترغيب : ٣٤٤].

(٣) حديث «للمرأة عشر عورات فإذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة، فإذا ماتت ستر القبر العشر عورات». أخرجه الحافظ أبو بكر محمد بن عمر الجعابي في تاريخ الطالبين من حديث علي بسند ضعيف وللطبراني في الصغير من حديث ابن عباس «للمرأة ستران، قيل: وما هما؟ قال: الزوج والقبر». [حديث «للمرأة عشر . . . .» انظر السلسلة الضعيفة : ١٣٩٧ ، وقال الألباني : منكر ، وحديث «للمرأة ستران . . . .» انظر السلسلة الضعيفة : ١٣٩٦ ، وقال الألباني : موضوع].

بالأشنان. قال: وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطيبني وتقول: اذهب بنشاطك وقوّتك إلى أزواجك، وكانت رابعة هذه تشبه في أهل الشام برابعة العدوية بالبصرة. ومن الواجبات عليها: أن لا تفرط في ماله بل تحفظه عليه. قال رسول الله ﷺ: «لاَ يَحِلُّ لَهَا أَنْ تُطْعِمَ مِنْ بَيْتِهِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ إِلاَّ الرَّطْبَ مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي يُخَافُ فَسَادُهُ، فَإِنْ أَطْعَمَتْ عَنْ رِضَاهُ كَانَ لَهَا مِثْلُ أَجْرِهِ، وَإِنْ أَطْعَمَتْ بِغَيْرِ إِذْنِهِ كَانَ لَهُ الأَجْرُ وَعَلَيْهَا الوِزْرُ»(١) . ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن المعاشرة، وآداب العشرة مع الزوج كما روي أنّ أسماء بنت خارجة الفزاري قالت لابنتها عند التزوّج إنك خرجت من العش الذي فيه درجت فصرت إلى فراش لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكوني له أرضًا يكن لك سماء وكوني له مهادًا يكن لك عمادًا وكوني له أمة يكون لك عبدًا، لا تلحفي به فيقلاك ولا تباعدي عنه فينساك إن دنا منك فاقربي منه، وإن نأى فأبعدي عنه، واحفظي أنفه وسمعه وعينه، فلا يشمن منك إلا طيبًا، ولا يسمع إلا حسنًا، ولا ينظر إلا جميلًا. وقال رجل لزوجته:

خذي العفو مني تستديمي مودَّتي ... ولا تنطقي في سورتي حين أغضبُ
ولا تنقريني نقرك الدفَّ مرة ... فإنك لا تدرين كيف المغيَّبُ
ولا تكثري الشكوى فتذهب بالهوى ... ويأباك قلبي والقلوب تقلَّبُ
فإني رأيت الحب في القلب والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبثِ الحبّ يذهبُ

فالقول الجامع في آداب المرأة من غير تطويل: أن تكون قاعدة في قعر بيتها لازمة لمغزلها، لا يكثر صعودها واطلاعها، قليلة الكلام لجيرانها، لا تدخل عليهم إلا في حال يوجب الدخول، تحفظ بعلها في غيبته، وتطلب مسرته في جميع أمورها، ولا تخونه في نفسها وماله، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، فإن خرجت بإذنه فمختفية في هيئة رثة، تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق، محترزة من أن يسمع غريب صوتها أو يعرفها بشخصها لا تتعرّف إلى صديق بعلها في حاجاتها، بل تتنكر على من تظن أنه يعرفها أو تعرفه، همها صلاح شأنها وتدبير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها، وإذا استأذن صديق لبعلها على الباب وليس البعل

---

(١) حديث «لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام الذي يخاف فساده، فإن أطعمت عن رضاه كان لها مثل أجره، وإن أطعمت بغير إذنه كان له الأجر وعليها الوزر». أخرجه أبو داود الطيالسي والبيهقي من حديث ابن عمر في حديث فيه «ولا تعطي من بيته شيئا إلا بإذنه، فإن فعلت ذلك كان له الأجر وعليها الوزر» ولأبي داود من حديث سعد: قالت امرأة يا رسول الله، إنا كلٌ على آبائنا وأبنائنا وأزواجنا، فما يحل لنا من أموالهم؟ قال «الرطب تأكلنه وتهدينه» وصحح الدارقطني في العلل أن سعدا هذا رجل من الأنصار ليس ابن أبي وقاص، واختاره ابن القطان، ولمسلم من حديث عائشة «إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت، ولزوجها أجره بما كسب». [حديث «ولا تعطي . . . .» انظر السلسلة الضعيفة : ٣٥١٥ ، وحديث «الرطب تاكلنه» عند أبي داود : ١٦٨٦ ، انظر ضعيف أبي داود ، وحديث «إذا أنفقت . . . . . .» عند البخاري : ١٤٢٥ ، ومسلم : ١٠٢٤].

حاضرًا لم تستفهم ولم تعاوده في الكلام غيرة على نفسها وبعلها، وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله، وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائر أقاربها، متنظفة في نفسها مستعدّة في الأحوال كلها للتمتع بها إن شاء، مشفقة على أولادها، حافظة للستر عليهم، قصيرة اللسان عن سب الأولاد ومراجعة الزوج. وقد قال ﷺ: «أَنَا وَامْرَأَةٌ سَفْعَاءُ الخَدَّيْنِ كَهاتَيْنِ فِي الجَنَّةِ: امْرَأَةٌ آمَتْ مِنْ زَوجِهَا وَحَبَسَتْ نَفْسَهَا عَلَى بَنَاتِهَا حَتَّى ثَابُوا أَوْ مَاتُوا»(١) . وقال ﷺ: «حَرَّمَ الله عَلَى كُلِّ آدَمِي الجَنَّةَ يَدْخُلُهَا قَبْلِي، غَيْرَ أَنِّي أَنْظُرُ عَنْ يَمِينِي فَإِذَا امْرَأَةٌ تُبَادِرُنِي إِلَى بَابِ الجَنَّةِ فَأَقُولُ: مَا لِهذِهِ تُبَادِرُنِي؟ فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، هذِهِ امْرَأَةٌ كَانَتْ حَسْنَاءَ جَمِيلَةً وَكَانَ عِنْدَهَا يَتَامَى لَهَا، فَصَبَرَتْ عَلَيْهِنَّ حَتَّى بَلَغَ أَمْرُهُنَّ الَّذِي بَلَغَ فَشَكَرَ الله لَهَا ذلِكَ»(٢) .

ومن آدابها: أن لا تتفاخر على الزوج بجمالها ولا تزدري زوجها لقبحه، فقد روي أن الأصمعي قال: دخلت البادية فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجهًا تحت رجل من أقبح الناس وجهًا، فقلت لها: يا هذه أترضين لنفسك أن تكوني تحت مثله؟ فقالت: يا هذا اسكت فقد أسأت في قولك، لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه، أو لعلي أسأت فيما بيني وبين خالقي فجعله عقوبتي، أفلا أرضى بما رضي الله لي فأسكتتني. وقال الأصمعي: رأيت في البادية امرأة عليها قميص أحمر وهي مختضبة وبيدها سبحة، فقلت: ما أبعد هذا من هذا؟ فقالت:

ولله مني جانب لا أضيعه ... وللهو مني والبطالة جانب

فعلمت أنها امرأة صالحة لها زوج تتزين له.

ومن آداب المرأة، ملازمة الصلاح والانقباض في غيبة زوجها والرجوع إلى اللعب والانبساط وأسباب اللذة في حضور زوجها، ولا ينبغي أن تؤذي زوجها بحال. روي عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الحُورِ العِينِ: لاَ تُؤْذِيهِ قَاتَلَكِ الله، فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا»(٣) ، ومما يجب

---

(١) ضعيف: حديث «أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين في الجنة: امرأة آمت من زوجها وحبست نفسها على بناتها حتى ثابوا أو ماتوا». رواه أبو داود من حديث أبي مالك الأشجعي بسند ضعيف. [أبو داود : ٥١٤٩ ، وانظر ضعيف الترغيب : ١٥١١].

(٢) ضعيف: حديث «حرم الله على كل آدمي الجنة يدخلها قبلي غير أني أنظر عن يميني فإذا امرأة تبادرني إلى باب الجنة فأقول: ما لهذه تبادرني؟ فيقال لي: يا محمد، هذه امرأة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها، فصبرت عليهن حتى بلغ أمرهن الذي بلغ فشكر الله لها ذلك». رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة بسند ضعيف. [انظر السلسلة الضعيفة : ٥٣٧٤].

(٣) صحيح: حديث معاذ «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا». رواه الترمذي وقال حسن غريب، وابن ماجه. [الترمذي : ١١٧٤، وابن ماجه : ٢٠١٤ ، وانظر صحيح الترغيب : ١٩٤٥].

عليها من حقوق النكاح إذا مات عنها زوجها أن لا تحد عليه أكثر من أربعة أشهر وعشرًا وتتجنب الطيب والزينة في هذه المدة، قالت زينب بنت أبي سلمة: دخلت على أم حبيبة زوج النبي ﷺ حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب، فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره، فدهنت به جارية، ثم مسّت بعارضيها، ثم قالت: والله ما لي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لاَ يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ أَكْثَرَ مِنْ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ إِلاَّ عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا» (١)، ويلزمها لزوم مسكن النكاح إلى آخر العدّة، وليس لها الانتقال إلى أهلها ولا الخروج إلا لضرورة.

ومن آدابها: أن تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها، فقد روي عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أنها قالت: تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه وأدق النوى لناضحه وأعلفه وأستقي الماء وأخرز غربه وأعجن، وكنت أنقل النوى على رأسي من ثلثي فرسخ حتى أرسل إليَّ أبو بكر بجارية فكفتني سياسة الفرس فكأنما أعتقني (٢). ولقيني رسول الله ﷺ يومًا ومعه أصحابه والنوى على رأسي فقال ﷺ «أخ أخ» لينيخ ناقته ويحملني خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس، فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت، فجئت الزبير فحكيت له ما جرى، فقال: والله لحملك النوى على رأسك أشدّ عليَّ من ركوبك معه.

تم كتاب آداب النكاح بحمد الله ومنه وصلى الله على كل عبد مصطفى

* * *

(١) صحيح: حديث أم حبيبة «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا». متفق عليه. [البخاري: ١٢٨٠، مسلم: ١٤٨٦].

(٢) صحيح: حديث أسماء «تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرس وناضحه فكنت أعلف فرسه واكفيه مؤونته وأسوسه وأدق النوى لناضحه وأعلفه وأستقي الماء وأخرز غربه وأعجن، وكنت أنقل النوى على رأسي من ثلثي فرسخ حتى أرسل إلي أبو بكر بجارية فكفتني سياسة الفرس فكأنما أعتقني». متفق عليه. [البخاري: ٥٢٢٤، مسلم: ٢١٨٢].

كتاب آداب الكسب والمعاش

وهو الكتاب الثالث من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله حمد موحد انمحق في توحيده ما سوى الواحد الحق وتلاشى. ونمجده تمجيد من يصرح بأن كل شيء ما سوى الله باطل ولا يتحاشى. وأن كل من في السموات والأرض لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له ولا فراشًا. ونشكره إذ رفع السماء لعباده سقفًا مبنيًا، ومهَّد الأرض بساطًا لهم وفراشًا. وكوَّر الليل على النهار فجعل الليل لباسًا والنهار معاشًا. لينتشروا في ابتغاء فضله وينتعشوا به عن ضراعة الحاجات انتعاشًا. ونصلي على رسوله الذي يصدر المؤمنون عن حوضه رواء بعد ورودهم عليه عطاشًا. وعلى آله وأصحابه الذين لم يدعوا في نصرة دينه تشمرًا وانكماشًا. وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فإن رب الأرباب ومسبب الأسباب. جعل الآخرة دار الثواب والعقاب، والدنيا دار التحمل والاضطراب. والتشمر والاكتساب. وليس التشمر في الدنيا مقصورًا على المعاد دون المعاش، بل المعاش ذريعة إلى المعاد ومعين عليه، فالدنيا مزرعة الآخرة ومدرجة إليها. والناس ثلاثة: رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين، ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين، والأقرب إلى الاعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين. ولن ينال رتبة الاقتصاد من لم يلازم في طلب المعيشة منهج السداد، ولن ينتهض من طلب الدنيا وسيلة إلى الآخرة وذريعة، ما لم يتأدب في طلبها بآداب الشريعة، وها نحن نورد آداب التجارات والصناعات وضروب الاكتسابات وسننها ونشرحها في خمسة أبواب:

الباب الأول: فضل الكسب والحث عليه.

الباب الثاني: في علم صحيح البيع والشراء والمعاملات.

الباب الثالث: في بيان العدل في المعاملة.

الباب الرابع: في بيان الإحسان فيها.

الباب الخامس: في شفقة التاجر على نفسه ودينه.

الباب الأول في فضل الكسب والحث عليه

أما من الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ:١١] فذكره في معرض الامتنان. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف:١٠] فجعلها ربك نعمة وطلب الشكر عليها. وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾

[البقرة:١٩٨] وقال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل:٢٠] وقال تعالى: ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة:١٠] .

وأما الأخبار، فقد قال ﷺ «مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبٌ لاَ يُكَفِّرُهَا إِلاَّ الهَمُّ فِي طَلَبِ المَعِيشَةِ»(١) وقال عليه الصلاة والسلام: «التَّاجِرُ الصَّدُوقُ يُحْشَرُ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ»(٢) . وقال ﷺ: «مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلاَلًا وَتَعَفُّفًا عَنِ المَسْأَلَةِ وَسَعْيًا عَلَى عِيَالِهِ وَتَعَطُّفًا عَلَى جَارِهِ لَقِيَ اللهَ وَوَجْهُهُ كَالقَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ»(٣) وكان ﷺ جالسًا مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكّر يسعى، فقالوا: ويح هذا، لو كان شبابه وجلده في سبيل الله، فقال ﷺ: «لاَ تَقُولُوا هذَا، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ لِيَكُفَّهَا عَنِ المَسْأَلَةِ وَيُغْنِيهَا عَنِ النَّاسِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ ضَعِيفَيْنِ أَوْ ذُرِّيَّةٍ ضِعَافٍ لِيُغْنِيَهُمْ وَيَكْفِيَهُمْ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى تَفَاخُرًا وَتَكَاثُرًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ»(٤) . وقال ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ العَبْدَ يَتَّخِذُ المِهْنَةَ لِيَسْتَغْنِيَ بِهَا عَنِ النَّاسِ، وَيُبْغِضُ العَبْدَ يَتَعَلَّمُ العِلْمَ يَتَّخِذُهُ مِهْنَةً»(٥) . وفي الخبر: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ المُؤْمِنَ المُحْتَرِفَ»(٦) وقال ﷺ: «أَحَلُّ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ»(٧) .

---

*٢*كتاب آداب الكسب: الباب الأول في فضل الكسب والحث عليه

(١) موضوع: حديث «من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهم في طلب المعيشة». تقدم في النكاح. [انظر السلسلة الضعيفة : ٩٢٤].

(٢) ضعيف: حديث «التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء». أخرجه الترمذي والحاكم من حديث أبي سعيد. قال الترمذي: حسن، وقال الحاكم: إنه من مراسيل الحسن، ولابن ماجه والحاكم نحوه من حديث ابن عمر. [الترمذي : ١٢٠٩ ، وابن ماجه : ٢١٣٩ ، انظر ضعيف الجامع : ٢٥٠١].

(٣) ضعيف: حديث «من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر». أخرجه أبو الشيخ في كتاب الثواب، وأبو نعيم في الحلية. والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بسند ضعيف. [انظر السلسلة الضعيفة : ١٠٣٢].

(٤) صحيح: حديث: كان ﷺ جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظر إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى، فقالوا: ويح هذا، لو كان شبابه وجلده في سبيل الله فقال ﷺ «لا تقولوا هذا، فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله! وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان». أخرجه الطبراني في معاجمه الثلاثة من حديث كعب بن عجرة بسند ضعيف. [انظر صحيح الترغيب : ١٩٥٩].

(٥) موضوع: حديث «إن الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغني بها عن الناس، ويبغض العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة». لم أجده هكذا، وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي «إن الله يحب أن يرى عبده تعبا في طلب الحلال» وفيه محمد بن سهل العطار قال الدارقطني: يضع الحديث. [حديث «إن الله يحب أن يرى . . . .» انظر السلسلة الضعيفة : ١٠].

(٦) ضعيف: حديث «إن الله يحب المؤمن المحترف». أخرجه الطبراني وابن عدي وضعفه من حديث ابن عمر. [انظر ضعيف الترغيب : ١٠٤٣].

(٧) صحيح: حديث «أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور». أخرجه أحمد من حديث رافع بن

وفي خبر آخر «أَحَلُّ مَا أَكَلَ العَبْدُ كَسْبُ يَدِ الصَّانِعِ إِذَا نَصَحَ»(١) . وقال عليه الصلاة والسلام: «عَلَيْكُمْ بالتِّجَارَةِ فَإِنَّ فِيهَا تِسْعَةَ أَعْشَارِ الرِّزْقِ»(٢) . وروي أنّ عيسى عليه السلام رأى رجلًا فقال: ما تصنع؟ قال: أتعبد. قال: من يعولك؟ قال أخي. قال: أخوك أعبد منك. وقال نبينا ﷺ: «إِنِّي لاَ أَعْلَمُ شَيْئًا يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الجَنَّةِ وَيُبْعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلاَّ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَإِنِّي لاَ أَعْلَمُ شَيْئًا يُبْعِدُكُمْ مِنَ الجَنَّةِ وَيُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلاَّ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، وَإِنَّ الرُّوحَ الأَمِينَ نَفَثَ فِي رَوْعِي: إِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا الله وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ». أمر بالإجمال في الطلب ولم يقل اتركوا الطلب، ثم قال في آخره: «ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله تعالى، فإنّ الله لا ينال ما عنده بمعصيته»(٣) . وقال ﷺ: «الأَسْوَاقُ مَوَائِدُ الله تَعَالَى، فَمَنْ أَتَاهَا أَصَابَ مِنْهَا»(٤) . وقال عليه السلام: «لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَأْتِي رَجُلًا أَعْطَاهُ الله مِنْ فَضْلِهِ فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ»(٥) . وقال «مَنْ فَتَحَ عَلَى نَفْسِهِ بَابًا مِنَ السُّؤَالِ فَتَحَ الله عَلَيْهِ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الفَقْرِ»(٦) .

خديج، قيل: يا رسول الله أي الكسب أطيب؟ قال: عمل الرجل بيده وكل عمل مبرور. ورواه البزار والحاكم من رواية سعيد بن عمير عن عمه. قال الحاكم: صحيح الإسناد، قال: وذكر يحيى بن معين أن عم سعيد: البراء بن عازب. ورواه البيهقي من رواية سعيد بن عمير مرسلا، وقال: هذا هو المحفوظ، وخطأ قول من قال عن عمه، وحكاه عن البخاري، ورواه أحمد والحاكم من رواية جميع ابن عمير عن خاله أبي بردة، وجميع ضعيف والله أعلم. [حديث : «عمل الرجل . . . .» عند احمد : ١٦٨١٤ ، وانظر صحيح الجامع : ١٠٣٣].

(١) حسن: حديث «أحل ما أكل العبد كسب الصانع إذا نصح». رواه أحمد من حديث أبي هريرة «خير الكسب كسب العامل إذا نصح» وإسناده حسن. [أحمد : ٨٢٠٧ ، وانظر صحيح الجامع : ٣٢٨٣].

(٢) ضعيف: حديث «عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزقة». رواه إبراهيم الحربي في غريب الحديث من حديث نعيم بن عبد الرحمن «تسعة أعشار الرزق في التجارة» ورجاله ثقات، ونعيم هذا قال فيه ابن منده: ذكر في الصحابة ولا يصح. وقال أبو حاتم الرازي وابن حبان: إنه تابعي فالحديث مرسل. [انظر ضعيف الجامع : ٢٤٣٤].

(٣) صحيح: حديث «إني لا أعلم شيئا يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار إلا نهيتكم عنه وإن الروح الأمين نفث في روعي : أن نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب». رواه بن أبي الدنيا في القناعة، والحاكم من حديث ابن مسعود وذكره شاهدا لحديث أبي حميد وجابر وصححهما على شرط الشيخين، وهما مختصران، ورواه البيهقي في شعب الإيمان وقال: إنه منقطع. [انظر صحيح الترغيب : ١٦٩٨].

(٤) حديث «الأسواق موائد الله فمن أتاها أصاب منها». رويناه في الطيوريات من قول الحسن البصري، ولم أجده مرفوعا.

(٥) صحيح: حديث «لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه». متفق عليه من حديث أبي هريرة. [البخاري : ١٤٧٠ ، مسلم : ١٠٤٢].

(٦) حديث «من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر». رواه الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري «ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر» أو كلمة نحوها، وقال: حسن صحيح. [حديث «من فتح على . . .» انظر السلسلة الضعيفة : ١٣٨٣ ، وقال الألباني لا أصل له، وحديث «ولا فتح عبد . . . .» عند الترمذي : ٢٣٢٥، وانظر صحيح الترغيب : ١٦، وقال الألباني : صحيح].

وأما الآثار، فقد قال لقمان الحكيم لابنه: يا بني، استغن بالكسب الحلال عن الفقر، فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال: رقة في دينه، وضعف في عقله، وذهاب مروءته، وأعظم من هذه الثلاث: استخفاف الناس به. وقال عمر رضي الله عنه: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق يقول اللهم ارزقني، فقد علمتم أنّ السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة. وكان زيد بن مسلمة يغرس في أرضه فقال له عمر رضي الله عنه: أصبت، استغن عن الناس يكن أصون لدينك وأكرم لك عليهم، كما قال صاحبكم أحيحة:

فلن أزال على الزوراء أغمرها ... إنَّ الكريم على الإخوان ذو المالِ

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إني لأكره أن أرى الرجل فارغًا لا في أمر دنياه ولا في أمر آخرته. وسئل إبراهيم عن التاجر الصدوق، أهو أحب إليك أم المتفرغ للعبادة؟ قال: التاجر الصدوق أحب إليَّ لأنه في جهاد يأتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل الأخذ والعطاء فيجاهده، وخالفه الحسن البصري في هذا. وقال عمر رضي الله عنه: ما من موضع يأتيني الموت فيه أحب إليَّ من موطن أتسوّق فيه لأهلي أبيع وأشتري. وقال الهيثم: ربما يبلغني عن الرجل يقع فيَّ فأذكر استغنائي عنه فيهون ذلك عليَّ. وقال أيوب: كسب فيه شيء أحب إليَّ من سؤال الناس. وجاءت ريح عاصفة في البحر، فقال أهل السفينة لإبراهيم بن أدهم رحمه الله وكان معهم فيها: أما ترى هذه الشدّة؟ فقال: ما هذه الشدّة، وإنما الشدّة الحاجة إلى الناس. وقال أيوب قال لي أبو قلابة: الزم السوق فإنّ الغنى من العافية، يعني الغنى عن الناس. وقيل لأحمد: ما تقول فيمن جلس في بيته أو مسجده وقال لا أعمل شيئًا حتى يأتيني رزقي؟ فقال أحمد: هذا رجل جهل العلم، أما سمع قول النبي ﷺ «إِنَّ الله جَعَلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي» (١) وقوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال: «تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا» (٢). فذكر أنها تغدو في طلب الرزق، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم والقدوة بهم. وقال أبو قلابة لرجل: لأن أراك تطلب معاشك أحب إليَّ من أن أراك في زاوية المسجد. وروي أن الأوزاعي لقي إبراهيم بن أدهم رحمه الله وعلى عنقه حزمة حطب، فقال له: يا أبا إسحاق إلى متى هذا؟ إخوانك يكفونك، فقال: دعني عن هذا يا أبا عمرو، فإنه بلغني أنه من وقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة. وقال أبو سليمان الداراني: ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يقوت لك؟ ولكن ابدأ برغيفيك

---

(١) صحيح: حديث «إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي». رواه أحمد من حديث ابن عمر «جعل رزقي تحت ظل رمحي» وإسناده صحيح. [أحمد: ٥٠٩٣، وانظر صحيح الجامع: ٢٨٣١].

(٢) صحيح: حديث: ذكر الطير فقال «تغدو خماصا وتروح بطانا». أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذي: حسن صحيح. [الترمذي: ٢٣٤٤، وابن ماجه: ٤١٦٤، وانظر السلسلة الضعيفة: ٣١٠].

فأحرزهما ثم تعبد. وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: ينادي مناد يوم القيامة: أين بغضاء الله في أرضه، فيقوم سؤال المساجد، فهذه مذمة الشرع للسؤال والاتكال على كفاية الأغيار. ومن ليس له مال موروث فلا ينجيه من ذلك إلا الكسب والتجارة.

فإن قلت: فقد قال ﷺ: «مَا أُوحِيَ إِلَيَّ أَن اجْمَعِ المَالَ وَكُنْ مِنَ التَّاجِرِينَ، وَلَكِنْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ، وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيكَ اليَقِينُ»(١)، وقيل لسلمان الفارسي: أوصنا؛ فقال: من استطاع منكم أن يموت حاجًّا أو غازيًا أو عامرًا لمسجد ربه فليفعل، ولا يموتن تاجرًا ولا خائنًا.

فالجواب: أن وجه الجمع بين هذه الأخبار تفصيل الأحوال؛ فنقول: لسنا نقول التجارة أفضل مطلقًا من كل شيء، ولكن التجارة إما أن تطلب بها الكفاية أو الثروة أو الزيادة على الكفاية؛ فإن طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادخاره لا ليصرف إلى الخيرات والصدقات فهي مذمومة، لأنه إقبال على الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة، فإن كان مع ذلك ظالمًا خائنًا فهو ظلم وفسق، وهذا ما أراده سلمان بقوله: لا تمت تاجرًا ولا خائنًا، وأراد بالتاجر: طالب الزيادة، فأما إذا طلب بها الكفاية لنفسه وأولاده وكان يقدر على كفايتهم بالسؤال فالتجارة تعففًا عن السؤال أفضل، وإن كان لا يحتاج إلى السؤال وكان يعطى عن غير سؤال فالكسب أفضل، لأنه إنما يعطى لأنه سائل بلسان حاله ومناد بين الناس بفقره، فالتعفف والتستر أوفى من البطالة، بل من الاشتغال بالعبادات البدنية وترك الكسب أفضل لأربعة: عابد بالعبادات البدنية؛ أو رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الأحوال والمكاشفات، أو عالم مشتغل بتربية علم الظاهر مما ينتفع الناس به في دينهم كالمفتي والمفسر والمحدّث وأمثالهم، أو رجل مشتغل بمصالح المسلمين وقد تكفل بأمورهم كالسلطان والقاضي والشاهد، فهؤلاء إذا كانوا يكفون من الأموال المرصدة للمصالح أو الأوقاف المسبلة على الفقراء أو العلماء. فإقبالهم على ما هم فيه أفضل من اشتغالهم بالكسب، ولهذا أوحي إلى رسول الله ﷺ أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح إليه أن كن من التاجرين لأنه كان جامعًا لهذه المعاني الأربعة إلى زيادات لا يحيط بها الوصف، ولهذا أشار الصحابة على أبي بكر رضي الله عنهم بترك التجارة لما ولي الخلافة إذ كان ذلك يشغله عن المصالح، وكان يأخذ كفايته من مال المصالح. ورأى ذلك أولى ثم لما توفي أوصى برده إلى بيت المال، ولكنه رآه في الابتداء أولى، ولهؤلاء الأربعة حالتان أخريان:

إحداهما: أن تكون كفايتهم عند ترك المكسب من أيدي الناس وما يتصدق به عليهم من

---

(١) حديث «ما أوحي إلى أن أجمع المال وكن من التاجرين، ولكن أوحي إلى أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين». رواه ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند فيه لين. [انظر مشكاة المصابيح: ٥٢٠٦، وقال الألباني: رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي مسلم، ولم تتم دراسته بعد].

زكاة أو صدقة من غير حاجة إلى سؤال، فترك الكسب والاشتغال بما هم فيه أولى، إذ فيه إعانة الناس على الخيرات وقبول منهم لما هو حق عليهم وأفضل لهم.

الحالة الثانية: الحاجة إلى السؤال، وهذا في محل النظر، والتشديدات التي رويناها في السؤال وذمه تدل ظاهرًا على أن التعفف عن السؤال أولى وإطلاق القول فيه من غير ملاحظة الأحوال والأشخاص عسير، بل هو موكول إلى اجتهاد العبد ونظره لنفسه بأن يقابل ما يلقى في السؤال من المذلة وهتك المروءة والحاجة إلى التثقيل والإلحاح بما يحصل من اشتغاله بالعلم والعمل من الفائدة له ولغيره، فرب شخص تكثر فائدة الخلق وفائدته في اشتغاله بالعلم أو العمل، ويهون عليه بأدنى تعريض في السؤال تحصيل الكفاية، وربما يكون بالعكس، وربما يتقابل المطلوب والمحذور، فينبغي أن يستفتي المريد فيه قلبه وإن أفتاه المفتون، فإن الفتاوى لا تحيط بتفاصيل الصور ودقائق الأحوال ولقد كان في السلف من له ثلاثمائة وستون صديقًا ينزل على كل واحد منهم ليلة ومنهم من له ثلاثون، وكانوا يشتغلون بالعبادة لعلمهم بأن المتكلفين بهم يتقلدون منة من قبولهم لمبراتهم، فكان قبولهم لمبراتهم خيرًا مضافًا لهم إلى عباداتهم، فينبغي أن يدقق النظر في هذه الأمور فإن أجر الآخذ كأجر المعطي مهما كان الآخذ يستعين به على الدين والمعطي يعطيه عن طيب قلب. ومن اطلع على هذه المعاني أمكنه أن يتعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه ما هو الأفضل له بالإضافة إلى حاله ووقته، فهذه فضيلة الكسب، وليكن العقد الذي به الاكتساب جامعًا لأربعة أمور: الصحة، والعدل، والإحسان، والشفقة على الدين. ونحن نعقد في كل واحد بابًا، ونبتدئ بذكر أسباب الصحة في الباب الثاني.

الباب الثاني في علم الكسب بطريق البيع والربا والسلم والإجارة والقراض والشركة وبيان شروط الشرع في صحة هذه التصرفات التي هي مدار المكاسب في الشرع

اعلم أن تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مسلم مكتسب، لأنّ طلب العلم فريضة على كل مسلم، وإنما هو طلب العلم المحتاج إليه، والمكتسب يحتاج إلى علم الكسب، ومهما حصل علم هذا الباب وقف على مفسدات المعاملة فيتقيها، وما شذ عنه من الفروع المشكلة فيقع على سبب إشكالها فيتوقف فيها إلى أن يسأل، فإنه إذا لم يعلم أسباب الفساد بعلم جملي فلا يدري متى يجب عليه التوقف والسؤال، ولو قال: لا أقدّم العلم ولكني أصبر إلى أن تقع لي الواقعة فعندها أتعلم وأستفتي. فيقال له: وبم تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم جمل مفسدات العقود، فإنه يستمرّ في التصرفات ويظنها صحيحة مباحة، فلا بدّ له من هذا القدر من علم التجارة ليتميز له المباح عن المحظور، وموضع الإشكال عن موضع الوضوح، ولذلك روي عن عمر رضي الله عنه أنه كان يطوف السوق ويضرب بعض التجار بالدرة

ويقول: لا يبيع في سوقنا إلا من يفقه، وإلا أكل الربا شاء أم أبى، وعلم العقود كثير، ولكن هذه العقود الستة لا تنفك المكاسب عنها: وهي البيع والربا والسلم والإجارة والشركة والقراض، فلنشرح شروطها:

العقد الأول: البيع:

وقد أحله الله تعالى وله ثلاثة أركان: العاقد، والمعقود عليه، واللفظ.

الركن الأول: العاقد: ينبغي للتاجر أن لا يعامل بالبيع أربعة: الصبي، والمجنون، والعبد، والأعمى، لأن الصبي غير مكلف، وكذا المجنون، وبيعهما باطل، فلا يصح بيع الصبي وإن أذن له فيه الولي عند الشافعي، وما أخذه منهما مضمون عليه لهما وما سلمه في المعاملة إليهما فضاع في أيديهما فهو المضيع له. وأما العبد العاقل فلا يصح بيعه وشراؤه إلا بإذن سيده فعلى البقال والخباز والقصاب وغيرهم أن لا يعاملوا العبيد ما لم تأذن لهم السادة في معاملتهم، وذلك بأن يسمعه صريحًا أو ينتشر في البلد أنه مأذون له في الشراء لسيده وفي البيع له، فيعوّل على الاستفاضة أو على قول عدل يخبره بذلك، فإن عامله بغير إذن السيد فعقده باطل، وما أخذه منه مضمون عليه لسيده، وما تسلمه إن ضاع في يد العبد لا يتعلق برقبته ولا يضمنه سيده، بل ليس له إلا المطالبة إذا عتق. وأما الأعمى فإنّه يبيع ويشتري ما لا يرى فلا يصح ذلك، فليأمره بأن يوكل وكيلًا بصيرًا ليشتري له أو يبيع، فيصح توكيله ويصح بيع وكيله، فإن عامله التاجر بنفسه فالمعاملة فاسدة، وما أخذه منه مضمون عليه بقيمته. وما سلمه إليه أيضًا مضمون له بقيمته. وأما الكافر فتجوز معاملته لكن لا يباع منه المصحف ولا العبد المسلم، ولا يباع منه السلاح إن كان من أهل الحرب، فإن فعل فهي معاملات مردودة وهو عاص بها ربه. وأما الجندية من الأتراك والتركمانية والعرب والأكراد والسراق والخونة وأكلة الربا والظلمة وكل من أكثر ماله حرام، فلا ينبغي أن يتملك مما في أيديهم شيئًا لأجل أنها حرام إلا إذا عرف شيئًا بعينه أنه حلال، وسيأتي تفصيل ذلك في كتاب الحلال والحرام.

الركن الثاني: في المعقود عليه: وهو المال المقصود نقله من أحد العاقدين إلى الآخر ثمنًا كان أو مثمنًا فيعتبر فيه ستة شروط: الأول: أن لا يكون نجسًا في عينه فلا يصح بيع كلب وخنزير، ولا بيع زبل وعذرة، ولا بيع العاج والأواني المتخذة منه، فإنَّ العظم ينجس بالموت، ولا يطهر الفيل بالذبح، ولا يطهر عظمه بالتذكية، ولا يجوز بيع الخمر ولا بيع الودك النجس المستخرج من الحيوانات التي لا تؤكل وإن كان يصلح للاستصباح أو طلاء السفن، ولا بأس ببيع الدهن الطاهر في عينه الذي نجس بوقوع نجاسة أو موت فأرة فيه، فإنه يجوز الانتفاع به في غير الأكل، وهو في عينه ليس بنجس، وكذلك لا أرى بأسًا ببيع بزر القز، فإنه أصل حيوان ينتفع به، وتشبيهه بالبيض وهو أصل حيوان أولى من تشبيهه بالروث. ويجوز بيع فأرة المسك ويقضى بطهارتها إذا انفصلت من الظبية في حالة الحياة.

الثاني: أن يكون منتفعًا به فلا يجوز بيع الحشرات ولا الفأرة ولا الحية، ولا التفات إلى انتفاع المشعبذ بالحية، وكذا لا الفتات إلى انتفاع أصحاب الحلق بإخراجها من السلة وعرضها على الناس، ويجوز بيع الهرّة والنحل وبيع الفهد والأسد وما يصلح لصيد أو ينتفع بجلده، ويجوز بيع الفيل لأجل الحمل، ويجوز بيع الطوطي وهي الببغاء والطاووس والطيور المليحة الصور وإن كانت لا تؤكل، فإن التفرّج بأصواتها والنظر إليها غرض مقصود مباح، وإنما الكلب هو الذي لا يجوز أن يقتنى إعجابًا بصورته لنهي رسول الله ﷺ عنه[1]. ولا يجوز بيع العود والصنج والمزامير والملاهي فإنه لا منفعة لها شرعًا، وكذا بيع الصور المصنوعة من الطين كالحيوانات التي تباع في الأعياد للعب الصبيان فإن كسرها واجب شرعًا، وصور الأشجار متسامح بها، وأما الثياب والأطباق وعليها صور الحيوانات فيصح بيعها وكذا الستور، وقد قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «اتخذي منها نمارق»[2] ولا يجوز استعمالها منصوبة، ويجوز موضوعة، وإذا جاز الانتفاع من وجه صح البيع لذلك الوجه.

الثالث: أن يكون المتصرف فيه مملوكًا للعاقد أو مأذونًا من جهة المالك، ولا يجوز أن يشتري من غير المالك انتظارًا للإذن من المالك، بل لو رضي بعد ذلك وجب استئناف العقد، ولا ينبغي أن يشتري من الزوجة مال الزوج ولا من الزوج مال الزوجة، ولا من الوالد مال الولد ولا من الولد مال الوالد. اعتمادًا على أنه لو عرف لرضي، فإنه إذا لم يكن الرضا متقدمًا لم يصح البيع، وأمثال ذلك مما يجري في الأسواق؛ فواجب على العبد المتدين أن يحترز منه.

الرابع: أن يكون المعقود عليه مقدورًا على تسليمه شرعًا وحسًّا؛ فما لا يقدر على تسليمه حسًّا لا يصح بيعه كالآبق، والسمك في الماء، والجنين في البطن، وعسب الفحل، وكذلك بيع الصوف على ظهر الحيوان، واللبن في الضرع لا يجوز، فإنه يتعذر تسليمه لاختلاط غير المبيع بالمبيع، والمعجوز عن تسليمه شرعًا كالمرهون والموقوف، والمستولدة فلا يصح بيعها أيضًا، وكذا بيع الأم دون الولد إذا كان الولد صغيرًا، وكذا بيع الولد دون الأم؛ لأن تسليمه تفريق بينهما وهو حرام، فلا يصح التفريق بينهما بالبيع.

الخامس: أن يكون المبيع معلوم العين والقدر والوصف، أما العلم بالعين فبأن يشير إليه بعينه، فلو قال: بعتك شاة من هذا القطيع أي شاة أردت، أو ثوبًا من هذه الثياب التي بين يديك، أو ذراعًا من هذا الكرباس، وخذه من أي جانب شئت، أو عشرة أذرع من هذه الأرض،

---

*٢*الباب الثاني: في علم الكسب

(١) صحيح: حديث «النهي عن اقتناء الكلب». متفق عليه من حديث ابن عمر «من اقتنى كلبا إلا كلب ماشية أو ضارية نقص من عمله كل يوم قيراطان». [البخاري: ٥٤٨٢، مسلم: ١٥٧٤].

(٢) صحيح: حديث «اتخذي منها نمارق». يقول لعائشة: متفق عليه من حديثها. [البخاري: ٥٩٦١، مسلم: ٢١٠٧].

وخذه من أي طرف شئت، فالبيع باطل، وكل ذلك مما يعتاده المتساهلون في الدين إلا أن يبيع شائعًا، مثل أن يبيع نصف الشيء أو عشره، فإنّ ذلك جائز، وأما العلم بالقدر فإنما يحصل بالكيل أو الوزن أو النظر إليه، فلو قال: بعتك هذا الثوب بما باع به فلان ثوبه وهما لا يدريان ذلك فهو باطل، ولو قال: بعتك بزنة هذه الصنجة فهو باطل، إذا لم تكن الصنجة معلومة، ولو قال: بعتك هذه الصبرة من الحنطة فهو باطل. أو قال: بعتك بهذه الصبرة من الدراهم أو بهذه القطعة من الذهب وهو يراها، صح البيع وكان تخمينه بالنظر كافيًا في معرفة المقدار. وأما العلم بالوصف فيحصل بالرؤية في الأعيان، ولا يصح بيع الغائب إلا إذا سبقت رؤيته منذ مدّة لا يغلب التغير فيها، والوصف لا يقوم مقام العيان، هذا أحد المذهبين، ولا يجوز بيع الثوب في المنسج اعتمادًا على الرقوم، ولا بيع الحنطة في سنبلها، ويجوز بيع الأرز في قشرته التي يدخر فيها، وكذا بيع الجوز واللوز في القشرة السفلى، ولا يجوز في القشرتين، ويجوز بيع الباقلاء الرطب في قشرته للحاجة؛ ويتسامح ببيع الفقاع لجريان عادة الأولين به ولكن نجعله إباحة بعوض، فإن اشتراه ليبيعه فالقياس بطلانه لأنه ليس مستترًا ستر خلقة، ولا يبعد أن يتسامح به، إذ في إخراجه إفساده كالرمان وما يستر بستر خلق معه.

السادس: أن يكون المبيع مقبوضًا إن كان قد استفاد ملكه بمعاوضة، وهذا شرط خاص، وقد نهى رسول الله ﷺ عن بيع ما لم يقبض[1]. ويستوي فيه العقار والمنقول، فكل ما اشتراه أو باعه قبل القبض فبيعه باطل، وقبض المنقول بالنقل، وقبض العقار بالتخلية، وقبض ما ابتاعه بشرط الكيل لا يتم إلا بأن يكتاله، وأما بيع الميراث والوصية والوديعة وما لم يكن الملك حاصلاً فيه بمعاوضة، فهو جائز قبل القبض.

الركن الثالث: لفظ العقد، فلا بد من جريان إيجاب وقبول متصل به بلفظ دال على المقصود، مفهم إما صريح أو كناية، فلو قال: أعطيتك هذا بذاك، بدل قوله: بعتك، فقال: قبلته، جاز مهما قصدا به البيع، لأنه قد يحتمل الإعارة إذا كان في ثوبين أو دابتين، والنية تدفع الاحتمال، والصريح أقطع للخصومة، ولكن الكناية تفيد الملك والحل أيضًا فيما يختاره، ولا ينبغي أن يقرر بالبيع شرطًا على خلاف مقتضى العقد، فلو شرط أن يزيد شيئًا آخر، وأن يحمل المبيع إلى داره، أو اشترى الحطب بشرط النقل إلى داره، كل ذلك فاسد إلا إذا أفرد استئجاره على النقل بأجرة معلومة منفردة عن الشراء للمنقول، ومهما لم يجر بينهما إلا المعاطاة بالفعل دون التلطف باللسان لم ينعقد البيع عند الشافعي أصلاً، وانعقد عند أبي حنيفة إن كان في المحقرات ثم ضبط المحقرات عسير؛ فإن رد الأمر إلى العادات فقد جاوز

---

(١) صحيح: حديث «النهي عن بيع ما لم يقبض». متفق عليه من حديث ابن عباس. [البخاري: ٢١٣٢، مسلم: ١٥٢٥].

الناس المحقرات في المعاطاة، إذ يتقدم الدلال إلى البزاز يأخذ منه ثوبًا ديباجًا قيمته عشرة دنانير مثلًا ويحملة إلى المشتري ويعود إليه بأنه ارتضاه، فيقول له: خذ عشرة، فيأخذ من صاحبه العشرة ويحملها ويسلمها إلى البزاز، فيأخذها ويتصرف فيها، ومشتري الثوب يقطعه ولم يجر بينهما إيجاب وقبول أصلًا، وكذلك يجتمع المجهزون على حانوت البياع، فيعرض متاعًا قيمته مائة دينار مثلًا فيمن يزيد، فيقول أحدهم: هذا عليَّ بتسعين، ويقول الآخر: هذا عليَّ بخمسة وتسعين، ويقول الآخر: هذا بمائة، فيقال له: زن، فيزن ويسلم ويأخذ المتاع من غير إيجاب وقبول؛ فقد استمرّت به العادات، وهذه من المعضلات التي ليست تقبل العلاج، إذ الاحتمالات ثلاثة: إما فتح باب المعاطاة مطلقًا في الحقير والنفيس ـ وهو محال، إذ فيه نقل الملك من غير لفظ دال عليه، وقد أحل الله البيع، والبيع اسم للإيجاب والقبول، ولم يجر ولم ينطلق اسم البيع على مجرّد فعل بتسليم وتسلم، فبماذا يحكم بانتقال الملك من الجانبين، لا سيما في الجواري والعبيد والعقارات والدواب النفيسة وما يكثر التنازع فيه؛ إذ للمسلم أن يرجع ويقول: قد ندمت وما بعته، إذ لم يصدر مني إلا مجرّد تسليم، وذلك ليس ببيع.

الاحتمال الثاني: أن نسدّ الباب بالكلية كما قال الشافعي رحمه الله من بطلان العقد. وفيه إشكال من وجهين: أحدهما: أنه يشبه أن يكون ذلك في المحقرات معتادًا في زمن الصحابة، ولو كانوا يتكلفون الإيجاب والقبول من البقال والخباز والقصاب لثقل عليهم فعله، ولنقل ذلك نقلًا منتشرًا، ولكان يشتهر وقت الإعراض بالكلية عن تلك العادة؛ فإن الأعصار في مثل هذا تتفاوت. والثاني: أن الناس الآن قد انهمكوا فيه فلا يشتري الإنسان شيئًا من الأطعمة وغيرها إلا ويعلم أن البائع قد ملكه بالمعاطاة، فأي فائدة في تلفظه بالعقد إذا كان الأمر كذلك.

الاحتمال الثالث: أن يفصل بين المحقرات وغيرها كما قال أبو حنيفة رحمه الله، وعند ذلك يتعسر الضبط في المحقرات، ويشكل وجه نقل الملك من غير لفظ يدل عليه، وقد ذهب ابن سريج إلى تخريج قول للشافعي رحمه الله على وفقه وهو أقرب الاحتمالات إلى الاعتدال، فلا بأس لو ملنا إليه لمسيس الحاجات، ولعموم ذلك بين الخلق، ولما يغلب على الظن بأن ذلك كان معتادًا في الأعصار الأولى. فأما الجواب عن الإشكالين، فهو أن نقول: أما الضبط في الفصل بين المحقرات وغيرها فليس علينا تكلفه بالتقدير، فإنّ ذلك غير ممكن، بل له طرفان واضحان إذ لا يخفى أن شراء البقل وقليل من الفواكه والخبز واللحم من المعدود من المحقرات التي لا يعتاد فيها إلا المعاطاة، وطالب الإيجاب والقبول فيه يعد مستقصيًا ويستبرد تكليفه لذلك ويستثقل وينسب إلى أنه يقيم الوزن لأمر حقيرٍ ولا وجه له فهذا طرف الحقارة، والطرف الثاني الدواب والعبيد والعقارات والثياب النفيسة فذلك مما لا يستبعد تكلف الإيجاب والقبول فيها؟ وبينهما أوساط متشابهة يشك فيها هي في محل الشبهة؛ فحق ذي

الدين أن يميل فيها إلى الاحتياط وجميع ضوابط الشرع فيما يعلم بالعادة كذلك ينقسم إلى أطراف واضحة وأوساط مشكلة، وأما الثاني، وهو طلب سبب لنقل الملك، فهو أن يجعل الفعل باليد أخذًا وتسليمًا سببًا إذ اللفظ لم يكن سببًا لعينه بل لدلالته، وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع دلالة مستمرة في العادة، وانضم إليه مسيس الحاجة وعادة الأوّلين واطراد جميع العادات بقبول الهدايا من غير إيجاب وقبول مع التصرف فيها، وأي فرق بين أن يكون فيه عوض أو لا يكون، إذ الملك لا بد من نقله في الهبة أيضًا، إلا أن العادة السالفة لم تفرق في الهدايا بين الحقير والنفيس، بل كان طلب الإيجاب والقبول يستقبح فيه كيف كان، وفي المبيع لم يستقبح في غير المحقرات هذا ما نراه أعدل الاحتمالات وحق الورع المتدين أن لا يدع الإيجاب والقبول للخروج عن شبهة الخلاف، فلا ينبغي أن يمتنع من ذلك لأجل أن البائع قد تملكه بغير إيجاب وقبول؛ فإنَّ ذلك لا يعرف تحقيقًا؛ فربما اشتراه بقبول وإيجاب، فإن كان حاضرًا عند شرائه أو أقرّ البائع به فيمتنع منه وليشتر من غيره، فإن كان الشيء محقرًا وهو إليه محتاج فليتلفظ بالإيجاب والقبول فإنه يستفيد به قطع الخصومة في المستقبل معه، إذ الرجوع من اللفظ الصريح غير ممكن، ومن الفعل ممكن.

فإن قلت: فإن أمكن هذا فيما يشتريه، فكيف يفعل إذا حضر في ضيافة أو على مائدة وهو يعلم أن أصحابها يكتفون بالمعاطاة في البيع والشراء أو سمع منهم ذلك أو رآه؟ أيجب عليه الامتناع من الأكل فأقول: يجب عليه الامتناع من الشراء إذا كان ذلك الشيء الذي اشتروه مقدارًا نفيسًا ولم يكن من المحقرات. وأما الأكل، فلا يجب الامتناع منه، فإني أقول: إن ترددنا في جعل الفعل دلالة على نقل الملك، فلا ينبغي أن لا نجعله دلالة على الإباحة، فإن أمر الإباحة أوسع، وأمر نقل الملك أضيق، فكل مطعوم جرى فيه بيع معاطاة فتسليم البائع إذن في الأكل يعلم ذلك بقرينة الحال، كإذن الحمامي في دخول الحمام، والإذن في الإطعام لمن يريده المشتري فينزل منزلة ما لو قال: أبحت لك أن تأكل هذا الطعام، أو تطعم من أردت؛ فإنه يحل له ولو صرح وقال: كُلْ هذا الطعام ثم اغرم لي عوضه، لحل الأكل ويلزمه الضمان بعد الأكل، هذا قياس الفقه عندي، ولكنه بعد المعاطاة آكل ملكه ومتلف له فعليه الضمان وذلك في ذمته، والثمن الذي سلمه إن كان مثل قيمته فقد ظفر المستحق بمثل حقه، فله أن يتملكه مهما عجز عن مطالبة من عليه، وإن كان قادرًا على مطالبته فإنه لا يتملك ما ظفر به من ملكه، لإنه ربما لا يرضى بتلك العين أن يصرفها إلى دينه فعليه المراجعة. وأما ههنا فقد عرف رضاه بقرينة الحال عند التسليم، فلا يبعد أن يجعل الفعل دلالة على الرضا بأن يستوفي دينه مما يسلم إليه فيأخذه بحقه، لكن على كل الأحوال جانب البائع أغمض لأن ما أخذه قد يريد المالك ليتصرف فيه ولا يمكنه التملك إلا إذا أتلف عين طعامه في يد المشتري، ثم ربما يفتقر إلى استئناف قصد التملك، ثم يكون قد تملك بمجرّد رضا استفاده من الفعل دون القول. وأما

جانب المشتري للطعام وهو لا يريد إلا الأكل فهين، فإنّ ذلك يباح بالإباحة المفهومة من قرينة الحال، ولكن ربما يلزم من مشاورته أن الضيف يضمن ما أتلفه، وإنما يسقط الضمان عنه إذا تملك البائع ما أخذه من المشتري فيسقط، فيكون كالقاضي دينه والمتحمل عنه، فهذا ما نراه في قاعدة المعاطاة على غموضها، والعلم عند الله وهذه احتمالات وظنون رددناها، ولا يمكن بناء الفتوى إلا على هذه الظنون، وأما الورع فإنه ينبغي أن يستفتي قلبه ويتقي مواضع الشبه.

العقد الثاني: عقد الربا:

وقد حرّمه الله تعالى وشدّد الأمر فيه، ويجب الاحتراز منه على الصيارفة المتعاملين على النقدين، وعلى المتعاملين على الأطعمة، إذ لا ربا إلا في نقد أو في طعام. وعلى الصيرفي أن يحترز من النسيئة والفضل. أما النسيئة فألا يبيع شيئًا من جواهر النقدين بشيء من جواهر النقدين إلا يدًا بيد، وهو أن يجري التقابض في المجلس، وهذا احتراز من النسيئة، وتسليم الصيارفة الذهب إلى دار الضرب وشراء الدنانير المضروبة حرام من حيث النساء، ومن حيث إن الغالب أن يجري فيه تفاضل، إذ لا يرد المضروب بمثل وزنه. وأما الفضل، فيحترز منه في ثلاثة أمور: في بيع المكسر بالصحيح، فلا تجوز المعاملة فيهما إلا مع المماثلة. وفي بيع الجيد بالرديء، فلا ينبغي أن يشتري رديئًا بجيد دونه في الوزن، أو يبيع رديئًا بجيد فوقه في الوزن، أعني إذا باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة، فإن اختلف الجنسان فلا حرج في الفضل. والثالث في المركبات من الذهب والفضة كالدنانير المخلوطة من الذهب والفضة، إن كان مقدار الذهب مجهولًا لم تصح المعاملة عليها أصلًا إلا إذا كان ذلك نقدًا جاريًا في البلد فإنا نرخص في المعاملة عليه إذا لم يقابل بالنقد. وكذا الدراهم المغشوشة بالنحاس إن لم تكن رائجة في البلد لم تصح المعاملة عليها، لأن المقصود منها النقرة وهي مجهولة، وإن كان نقدًا رائجًا في البلد رخصنا في المعاملة لأجل الحاجة وخروج النقرة عن أن يقصد استخراجها، ولكن لا يقابل بالنقرة أصلًا، وكذلك كل حلي مركب من ذهب وفضة فلا يجوز شراؤه لا بالذهب ولا بالفضة، بل ينبغي أن يشتري بمتاع آخر إن كان قدر الذهب منه معلومًا، إلا إذا كان مموّهًا بالذهب تمويهًا لا يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار، فيجوز بيعها بمثلها من النقرة بما أريد من غير النقرة، وكذلك لا يجوز للصيرفي أن يشتري قلادة فيها خرز وذهب بذهب، ولا أن يبيعه، بل بالفضة يدًا بيد إن لم يكن فيها فضة، ولا يجوز شراء ثوب منسوج بذهب يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار بذهب، ويجوز بالفضة غيرها وأما المتعاملون على الأطعمة فعليهم التقابض في المجلس، اختلف جنس الطعام المبيع والمشترى أو لم يختلف؛ فإن اتحد الجنس فعليهم التقابض ومراعاة المماثلة، والمعتاد في هذا معاملة القصّاب بأن يسلم إليه الغنم ويشتري بها اللحم نقدًا أو نسيئة فهو حرام، ومعاملة الخباز بأن يسلم إليه الحنطة ويشتري بها الخبز نسيئة أو نقدًا فهو حرام، ومعاملة العصار بأن يسلم إليه

البزر والسمسم والزيتون ليأخذ منه الأدهان فهو حرام، وكذا اللبان يعطي اللبن ليأخذ منه الجبن والسمن والزبد وسائر أجزاء اللبن، فهو أيضًا حرام، ولا يباع الطعام بغير جنسه من الطعام إلا نقدًا، وبجنسه إلا نقدًا ومتماثلًا، وكل ما يتخذ من الشيء المطعوم فلا يجوز أن يباع به متماثلًا ولا متفاضلًا، فلا يباع بالحنطة دقيق وخبز وسويق، ولا بالعنب والتمر دبس وخل وعصير، ولا باللبن سمن وزبد ومخيض ومصل وجبن، والمماثلة لا تقيد إذا لم يكن الطعام في حال كمال الادخار، فلا يباع الرطب بالرطب والعنب بالعنب متفاضلًا ومتماثلًا، فهذه جمل مقنعة في تعريف البيع والتنبيه على ما يشعر التاجر بمثارات الفساد حتى يستفتي فيها إذا تشكك والتبس عليه شيء منها، وإذا لم يعرف هذا لم يتفطن لمواضع السؤال، واقتحم الربا والحرام وهو لا يدري.

العقد الثالث: السلم.

وليراع التاجر فيه عشرة شروط:

الأول: أن يكون رأس المال معلومًا على مثله حتى لو تعذر تسليم المسلم فيه أمكن الرجوع إلى قيمة رأس المال؛ فإن أسلم كفًّا من الدراهم جزافًا في كرّ حنطة لم يصح في أحد القولين.

الثاني: أن يسلم رأس المال في مجلس العقد قبل التفرّق فلو تفرّقا قبل القبض انفسخ السلم.

الثالث: أن يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف أوصافه كالحبوب والحيوانات والمعادن والقطن والصوف والإبريسم والألبان واللحوم ومتاع العطارين وأشباهها، ولا يجوز في المعجونات والمركبات وما تختلف أجزاؤه كالقسي المنوعة والنبل المعمول والخفاف والنعال المختلفة أجزاؤها وصنعتها وجلود الحيوانات. ويجوز السلم في الخبز. وما يتطرق إليه من اختلاف قدر الملح والماء بكثرة الطبخ وقلته يعفى عنه ويتسامح فيه.

الرابع: أن يستقصي وصف هذه الأمور القابلة للوصف. حتى لا يبقى وصف تتفاوت به القيمة تفاوتًا لا يتغابن بمثله الناس إلا ذكره. فإن ذلك الوصف هو القائم مقام الرؤية في البيع.

الخامس: أن يجعل الأجل معلومًا إن كان مؤجلًا فلا يؤجل إلى الحصاد ولا إلى إدراك الثمار بل إلى الأشهر والأيام فإنّ الإدراك قد يتقدم وقد يتأخر.

السادس: أن يكون المسلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت المحل ويؤمن فيه وجوده غالبًا. فلا ينبغي أن يسلم في العنب إلى أجل لا يدرك فيه. وكذا سائر الفواكه، فإن كان الغالب وجوده وجاء المحل وعجز عن التسليم بسبب آفة. فله أن يمهله إن شاء أو يفسخ ويرجع في رأس المال إن شاء.

السابع: أن يذكر مكان التسليم فيما يختلف الغرض به كي لا يثير ذلك نزاعًا.

الثامن: أن لا يعلقه بمعين فيقول: من حنطة هذا الزرع، أو ثمرة هذا البستان، فإن ذلك يبطل كونه دينًا. نعم لو أضاف إلى ثمرة بلد أو قرية كبيرة، لم يضر ذلك.

التاسع: أن لا يسلم في شيء نفيس عزيز الوجود مثل درة موصوفة يعز وجود مثلها، أو جارية حسناء معها ولدها، أو غير ذلك مما لا يقدر عليه غالبًا.

العاشر: أن لا يسلم في طعام مهما كان رأس المال طعامًا سواء كان من جنسه أو لم يكن، ولا يسلم في نقد إذا كان رأس المال نقدًا، وقد ذكرنا هذا في الربا.

العقد الرابع: *الإجارة*.

وله ركنان: الأجرة والمنفعة. فأما العاقد واللفظ فيعتبر فيه ما ذكرناه في البيع والأجرة كالثمن، فينبغي أن يكون معلومًا وموصوفًا بكل ما شرطناه في المبيع إن كان عينًا، فإن كان دينًا فينبغي أن يكون معلوم الصفة والقدر، وليحترز فيه عن أمور جرت العادة بها، وذلك مثل كراء الدار بعمارتها فذلك باطل، إذ قدر العمارة مجهول. ولو قدر دراهم وشرط على المكتري أن يصرفها إلى العمارة لم يجز، لأن عمله في الصرف إلى العمارة مجهول. ومنها استئجار السلاخ على أن يأخذ الجلد بعد السلخ، واستئجار حمال الجيف بجلد الجيفة، واستئجار الطحان بالنخالة أو ببعض الدقيق فهو باطل، وكذلك كل ما يتوقف حصوله وانفصاله على عمل الأجير، فلا يجوز أن يجعل أجرة. ومنها: أن يقدر في إجارة الدور والحوانيت مبلغ الأجر، فلو قال: لكل شهر دينار ولم يقدر أشهر الإجارة كانت المدة مجهولة ولم تنعقد الإجارة.

الركن الثاني: المنفعة المقصودة بالإجارة وهي العمل وحده إن كان عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع به الغير عن الغير، فيجوز الاستئجار عليه؛ وجملة فروع الباب تندرج تحت هذه الرابطة، ولكنا لا نطوّل بشرحها فقد طوّلنا القول فيها في الفقهيات، وإنما نشير إلى ما تعم به البلوى، فليراع في العمل المستأجر عليه خمسة أمور:

الأول: أن يكون متقومًا، بأن يكون فيه كلفة وتعب. فلو استأجر طعامًا ليزين به الدكان. أو أشجارًا ليجفف عليها الثياب؛ أو دراهم ليزين بها الدكان. لم يجز، فإن هذه المنافع تجري مجرى حبة سمسم وحبة بر من الأعيان وذلك لا يجوز بيعه، وهي كالنظر في مرآة الغير، والشرب من بئره، والاستظلال بجداره، والاقتباس من ناره ولهذا لو استأجر بياعًا على أن يتكلم بكلمة يروج بها سلعته لم يجز. وما يأخذه البياعون عوضًا عن حشمتهم وجاههم وقبول قولهم في ترويج السلع فهو حرام، إذ ليس يصدر منهم إلا كلمة لا تعب فيها ولا قيمة لها، وإنما يحل لهم ذلك إذا تعبوا بكثرة التردد أو بكثرة الكلام في تأليف أمر المعاملة. ثم لا يستحقون إلا أجرة المثل، فأما ما تواطأ عليه الباعة فهو ظلم وليس مأخوذًا بالحق.

الثاني: أن لا تتضمن الإجارة استيفاء عين مقصودة فلا يجوز إجارة الكرم لارتفاقه. ولا إجارة المواشي للبنها. ولا إجارة البساتين لثمارها. ويجوز استئجار المرضعة ويكون اللبن تابعًا، لأن إفراده غير ممكن. وكذا يتسامح بحبر الورق وخيط الخياط لأنهما لا يقصدان على حيالهما.

الثالث: أن يكون العمل مقدورًا على تسليمه حسًّا وشرعًا. فلا يصح استئجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه. ولا استئجار الأخرس على التعليم ونحوه وما يحرم فعله فالشرع يمنع من تسليمه. كالاستئجار على قلع سن سليمة أو قطع عضو لا يرخص الشرع في قطعه؛ أو استئجار الحائض على كنس المسجد. أو المعلم على تعليم السحر أو الفحش. أو استئجار زوجة الغير على الإرضاع دون إذن زوجها. أو استئجار المصور على تصوير الحيوانات. أو استئجار الصائغ على صيغة الأواني من الذهب والفضة فكل ذلك باطل.

الرابع: أن لا يكون العمل واجبًا على الأجير: أو لا يكون بحيث لا تجري النيابة فيه عن المستأجر. فلا يجوز أخذ الأجرة على الجهاد ولا سائر العبادات التي لا نيابة فيها. إذ لا يقع ذلك عن المستأجر. ويجوز عن الحج وغسل الميت وحفر القبور ودفن الموتى وحمل الجنائز. وفي أخذ الأجرة على إمامة صلاة التراويح وعلى الأذان وعلى التصدي للتدريس وإقراء القرآن خلاف. أما الاستئجار على تعليم مسألة بعينها أو تعليم سورة بعينها لشخص معين فصحيح.

الخامس: أن يكون العمل والمنفعة معلومًا. فالخياط يعرف عمله بالثوب. والمعلم يعرف عمله بتعيين السورة ومقدارها. وحمل الدواب يعرف بمقدار المحمول وبمقدار المسافة. وكل ما يثير خصومة في العادة فلا يجوز إهماله. وتفصيل ذلك يطول. وإنما ذكرنا هذا القدر ليعرف به جليات الأحكام ويتفطن به لمواقع الإشكال. فيسأل. فإن الاستقصاء شأن المفتي لا شأن العوام.

العقد الخامس: القراض:

وليراع فيه ثلاثة أركان:

الركن الأول: رأس المال، وشرطه أن يكون نقدًا معلومًا مسلمًا إلى العامل؛ فلا يجوز القراض على الفلوس ولا على العروض؛ فإنّ التجارة تضيق فيه. ولا يجوز على صرة من الدراهم، لأن قدر الربح لا يتبين فيه، ولو شرط مالك اليد لنفسه لم يجز، لأنّ فيه تضييق طريق التجارة.

الركن الثاني: الربح، وليكن معلومًا بالجزئية بأن يشرط له الثلث أو النصف أو ما شاء، فلو قال: عليّ أن لك من الربح مائة والباقي لي، لم يجز إذ ربما لا يكون الربح أكثر من مائة فلا يجوز تقديره بمقدار معين بل بمقدار شائع.

الثالث: العمل الذي على العامل، وشرطه أن يكون تجارة غير مضيقة عليه بتعيين وتأقيت، فلو شرط أن يشتري بالمال ماشية ليطلب نسلها فيتقاسمان النسل، أو حنطة فيخبزها ويتقاسمان الربح، لم يصح، لأنّ القراض مأذون فيه في التجارة وهو البيع والشراء وما يقع من ضرورتهما فقط، وهذا حرف ـ أعني الخبز ورعاية المواشي ـ ولو ضيق عليه وشرط أن لا يشتري إلا من فلان أو لا يتجر إلا في الخز الأحمر، أو شرط ما يضيق باب التجارة فسد العقد، ثم مهما انعقد فالعامل وكيل فيتصرف بالغبطة تصرف الوكلاء، ومهما أراد المالك الفسخ فله ذلك، فإن فسخ في حالة والمال كله فيها نقد لم يخف وجه القسمة وإن كان عروضًا ولا ربح فيه رد عليه ولم يكن للمالك تكليفه أن يرده إلى النقد، لأن العقد قد انفسخ وهو لم يلتزم شيئًا، وإن قال العامل: أبيعه، وأبى المالك، فالمتبوع رأي المالك، إلا إذا وجد العامل زبونًا يظهر بسببه ربح على رأس المال، ومهما كان ربح فعلى العامل بيع مقدار رأس المال بجنس رأس المال لا بنقد آخر، حتى يتميز الفاضل ربحًا فيشتركان فيه، وليس عليهم بيع الفاضل على رأس المال، ومهما كان رأس السنة فعليهم تعرف قيمة المال لأجل الزكاة، فإذا كان قد ظهر من الربح شيء فالأقيس أن زكاة نصيب العامل على العامل وأنه يملك الربح بالظهور، وليس للعامل أن يسافر بمال القراض دون إذن المالك، فإن فعل صحت تصرفاته، ولكنه إذا فعل ضمن الأعيان والأثمان جميعًا، لأن عدوانه بالنقل يتعدّى إلى ثمن المنقول، وإن سافر بالإذن جاز ونفقة النقل وحفظ المال على مال القراض، كما أن نفقة الوزن والكيل والحمل الذي لا يعتاد التاجر مثله على رأس المال، فأما نشر الثوب وطيه والعمل اليسير المعتاد فليس له أن يبذل عليه أجرة. وعلى العامل نفقته وسكناه في البلد، وليس عليه أجرة الحانوت. ومهما تجرد في السفر لمال القراض فنفقته في السفر على مال القراض، فإذا رجع فعليه أن يرد بقايا آلات السفر من المطهرة والسفرة وغيرهما...

العقد السادس: الشركة.

وهي أربعة أنواع: ثلاثة منها باطلة.

الأول: شركة المفاوضة: وهو أن يقولا: تفاوضنا لنشترك في كل ما لنا وعلينا ومالاهما ممتازان، فهي باطلة.

الثاني: شركة الأبدان، وهو أن يتشارطا الاشتراك في أجرة العمل فهي باطلة.

الثالث: شركة الوجوه؛ وهو أن يكون لأحدهما حشمة وقول مقبول فيكون من جهته التنفيل ومن جهة غيره العمل، فهذا أيضًا باطل، وإنما الصحيح العقد الرابع المسمى شركة العنان؛ وهو أن يختلط مالاهما بحيث يتعذر التمييز بينهما إلا بقسمه، ويأذن كل واحد منهما لصاحبه في التصرف، ثم حكمهما توزيع الربح والخسران على قدر المالين، ولا يجوز أن يغير

ذلك بالشرط، ثم بالعزل يمتنع التصرف عن المعزول، وبالقسمة ينفصل الملك عن الملك، والصحيح أنه يجوز عقد الشركة على العروض المشتراة، ولا يشترط النقد، بخلاف القراض.

فهذا القدر من علم الفقه يجب تعلمه على كل مكتسب، وإلا اقتحم الحرام من حيث لا يدري. وأما معاملة القصّاب والخبّاز والبقّال فلا يستغني عنها المكتسب وغير المكتسب، والخلل فيها من ثلاثة وجوه: من إهمال شروط البيع، أو إهمال شروط السلم، أو الاقتصار على المعاطاة، إذ العادات جارية بكتبه الخطوط على هؤلاء بحاجات كل يوم، ثم المحاسبة في كل مدّة. ثم التقويم بحسب ما يقع عليه التراضي، وذلك مما نرى القضاء بإباحته للحاجة، ويحمل تسليمهم على إباحة التناول مع انتظار العوض فيحل أكله، ولكن يجب الضمان بأكله وتلزم قيمته يوم الإتلاف، فتجتمع في الذمة تلك القيم، فإذا وقع التراضي على مقدار ما فينبغي أن يلتمس منهم الإبراء المطلق حتى لا تبقى عليه عهدة إن تطرّق إليه تفاوت في التقويم، فهذا ما تجب القناعة به، فإنّ تكليف وزن الثمن لكل حاجة من الحوائج في كل يوم وكل ساعة تكليف شطط، وكذا تكليف الإيجاب والقبول وتقدير ثمن كل قدر يسير منه فيه عسر، وإذا كثر كل نوع سهل تقويمه، والله الموفق.

الباب الثالث في بيان العدل واجتناب الظلم في المعاملة

اعلم أنّ المعاملة قد تجري على وجه يحكم المفتي بصحتها وانعقادها ولكنها تشتمل على ظلم يتعرّض به المعامل لسخط الله تعالى، إذ ليس كل نهي يقتضي فساد العقد، وهذا الظلم يعني به ما استضر به الغير، وهو منقسم إلى ما يعم ضرره وإلى ما يخص المعامل.

القسم الأول: فيما يعم ضرره. وهو أنواع:

النوع الأول: الاحتكار، فبائع الطعام يدّخر الطعام ينتظر به غلاء الأسعار، وهو ظلم عام، وصاحبه مذموم في الشرع. قال رسول الله ﷺ: «مَنِ احْتَكَرَ الطَّعَامَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهِ لَمْ تَكُنْ صَدَقَتُهُ كَفَّارَةً لاحْتِكَارِهِ»(١) . وروى ابن عمر عنه أنه قال: «مَنِ احْتَكَرَ الطَّعَامَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الله وَبَرِئَ الله مِنْهُ»(٢) وقيل: «فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا» ، وعن علي رضي الله عنه: من احتكر الطعام أربعين يومًا قسا قلبه. وعنه أيضًا أنه أحرق طعام محتكر بالنار.

---

*٢*الباب الثالث: في بيان العدل

(١) موضوع: حديث «من احتكر الطعام أربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره». رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي، والخطيب في التاريخ من حديث أنس بسندين ضعيفين. [انظر السلسلة الضعيفة : ٨٥٩].

(٢) منكر: حديث ابن عمر «من احتكر الطعام أربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ الله منه». رواه أحمد والحاكم بسند جيد، وقال ابن عدي: ليس بمحفوظ من حديث ابن عمر. [أحمد : ٤٨٦٥ ، وانظر ضعيف الترغيب : ١١٠٠].

وروي في فضل ترك الإحتكار عنه ﷺ: «مَنْ جَلَبَ طَعَامًا فَبَاعَهُ بِسِعْرِ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا تَصَدَّقَ بِهِ». وفي لفظ آخر: «فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَ رَقَبَةً»(١). وقيل في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الحج:٢٥] إنّ الاحتكار من الظلم وداخل تحته في الوعيد.

وعن بعض السلف أنه كان بواسط فجهز سفينة حنطة إلى البصرة وكتب إلى وكيله: بع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ولا تؤخره إلى غد؛ فوافق سعة في السعر فقال له التجار: لو أخرته جمعة ربحت فيه أضعافه، فأخره جمعة فربح فيه أمثاله، وكتب إلى صاحبه بذلك؛ فكتب إليه صاحب الطعام: يا هذا، إنا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا، وإنك قد خالفت وما نحب أن نربح أضعافه بذهاب شيء من الدين فقد جنيت علينا جناية؛ فإذا أتاك كتابي هذا فخذ المال كله فتصدّق به على فقراء البصرة، وليتني أنجو من إثم الاحتكار كفافا لا عليَّ ولا لي. واعلم أن النهي مطلق ويتعلق النظر به في الوقت والجنس. أما الجنس فيطرد النهي في أجناس الأقوات، أما ما ليس بقوت ولا هو معين على القوت كالأدوية والعقاقير والزعفران وأمثاله، فلا يتعدى النهي إليه وإن كان مطعومًا. وأما ما يعين على القوت كاللحم والفواكه وما يسدّ مسدًّا يغني عن القوت في بعض الأحوال وإن كان لا يمكن المداومة عليه، فهذا في محل النظر، فمن العلماء من طرد التحريم في السمن والعسل والشيرج والجبن والزيت وما يجري مجراه؛ وأما الوقت فيحتمل أيضًا طرد النهي في جميع الأوقات، وعليه تدل الحكاية التي ذكرناها في الطعام الذي صادف بالبصرة سعة في السعر، ويحتمل أن يخصص بوقت قلة الأطعمة وحاجة الناس إليه حتى يكون في تأخير بيعه ضر ما؛ فأما إذا اتسعت الأطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها إلا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر قحطًا؛ فليس في هذا إضرار. وإذا كان الزمان زمان قحط كان في ادخار العسل والسمن والشيرج وأمثالها إضرار؛ فينبغي أن يقضي بتحريمه ويعوّل في نفي التحريم وإثباته على الضرار فإنه مفهوم قطعًا من تخصيص الطعام، وإذا لم يكن ضرار فلا يخلو احتكار الأقوات عن كراهية، فإنه ينتظر مبادئ الضرار وهو ارتفاع الأسعار، وانتظار مبادئ الضرار محذور كانتظار عين الضرار ولكنه دونه، وانتظار عين الضرار أيضًا هو دون الإضرار، فبقدر درجات الإضرار تتفاوت درجات الكراهية والتحريم. وبالجملة؛ التجارة في الأقوات مما لا يستحب لأنه طلب ربح، والأقوات أصول خلقت قوامًا، والربح من المزايا، فينبغي أن يطلب الربح فيما خلق من جملة المزايا التي لا

---

(١) حديث «من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به» وفي لفظ آخر «فكأنما أعتق رقبة». أخرجه ابن مردوية في التفسير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف: «ما من جالب يجلب طعاما إلى بلد من بلاد المسلمين فيبيعه بسعر يومه إلا كانت منزلته عند الله منزلة الشهيد» وللحاكم من حديث اليسع بن المغيرة «إن الجالب إلى سوق كالمجاهد في سبيل الله» وهو مرسل. [حديث «من جلب . . .»، وحديث «ما من جالب. . .» انظر السلسلة الضعيفة : ٥٤١٦ ضعفه الألباني، وحديث « إن الجالب . . .»].

ضرورة للخلق إليها ولذلك أوصى بعض التابعين رجلًا وقال: لا تسلم ولدك في بيعتين ولا في صنعتين: بيع الطعام، وبيع الأكفان فإنه يتمنى الغلاء وموت الناس. والصنعتان. أن يكون جزارًا فإنها صنعة تقسي القلب، أو صوّاغًا فإنه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة.

النوع الثاني: ترويج الزيف من الدراهم في أثناء النقد فهو ظلم، إذ يستضر به المعامل إن لم يعرف، وإن عرف فسيروّجه على غيره، فكذلك الثالث والرابع، ولا يزال يتردد في الأيدي ويعم الضرر ويتسع الفساد ويكون وزر الكل ووباله راجعًا عليه، فإنه هو الذي فتح هذا الباب، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِهَا مَنْ بَعْدَهُ كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَمِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لاَ يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا»(١) . وقال بعضهم: إنفاق درهم زيف أشد من سرقة مائة درهم، لأنّ السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقضت، وإنفاق الزيف بدعة أظهرها في الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته إلى مائة سنة، أو مائتي سنة.. إلى أن يفنى ذلك الدرهم، ويكون عليه ما فسد من أموال الناس بسنته، وطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه، والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتي سنة أو أكثر يعذب بها في قبره ويُسأل عنها إلى آخر انقراضها، قال تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾ [يس :١٢] أي نكتب أيضًا ما أخروه من آثار أعمالهم كما نكتب ما قدّموه، وفي مثله قوله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة :١٣] وإنما أخر آثار أعماله من سنة سيئة عمل بها غيره. وليعلم أن في الزيف خمسة أمور:

الأول: أنه إذا رد عليه شيء منه فينبغي أن يطرحه في بئر بحيث لا تمتد إليه اليد، وإياه أن يروّجه في بيع آخر. وإن أفسده بحيث لا يمكن التعامل به جاز.

الثاني: أنه يجب على التاجر تعلم النقد لا ليستقصي لنفسه ولكن لئلا يسلم إلى مسلم زيفًا وهو لا يدري فيكون آثمًا بتقصيره في تعلم ذلك العلم. فلكل عمل علم به يتم نصح المسلمين. فيجب تحصيله ولمثل هذا كان السلف يتعلمون علامات النقد نظرًا لدينهم لا لدنياهم.

الثالث: أنه إن سلم وعرف المعامل أنه زيف لم يخرج عن الإثم. لأنه ليس يأخذه إلا ليروجه على غيره ولا يخبره، ولو لم يعزم على ذلك لكان لا يرغب في أخذه أصلًا. فإنما يتخلص من إثم الضرر الذي يخص معامله فقط.

الرابع: أن يأخذ الزيف ليعمل بقوله ﷺ: «رَحِمَ الله امْرًا سَهْلَ البَيْعِ سَهْلَ الشِّرَاءِ سَهْلَ القَضَاءِ سَهْلَ الاقْتِضَاءِ»(٢) فهو داخل في بركة هذا الدعاء إن عزم على طرحه في بئر. وإن كان

---

(١) صحيح: حديث «من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيء». أخرجه مسلم من حديث جرير بن عبد الله. [مسلم : ١٠١٧].

(٢) صحيح: حديث «رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء». أخرجه البخاري من حديث جابر. [البخاري : ٢٠٧٦ بنحوه].

عازمًا على أن يروّجه في معاملة فهذا شر روجه الشيطان عليه في معرض الخير فلا يدخل تحت من تساهل في الاقتضاء.

الخامس: أن الزيف نعني به ما لا نقرة فيه أصلًا بل هو مموّه. أو ما لا ذهب فيه أعني في الدنانير. أما ما فيه نقرة فإن كان مخلوطًا بالنحاس وهو نقد البلد فقد اختلف العلماء في المعاملة عليه، وجل رأينا الرخصة فيه إذا كان ذلك نقد البلد، سواء علم مقدار النقرة أو لم يعلم. وإن لم يكن هو نقد البلد لم يجز إلا إذا علم قدر النقرة، فإن كان في ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه أن يخبر به معامله، وأن لا يعامل به إلا من لا يستحل الترويج في جملة النقد بطريق التلبيس، فأما من يستحل ذلك فتسليمه إليه تسليط له على الفساد، فهو كبيع العنب ممن يعلم أنه يتخذه خمرًا، وذلك محظور وإعانة على الشر ومشاركة فيه، وسلوك طريق الحق بمثال هذا في التجارة أشد من المواظبة على نوافل العبادات والتخلي لها، ولذلك قال بعضهم: التاجر الصدوق أفضل عند الله من المتعبد. وقد كان السلف يحتاطون في مثل ذلك حتى روي عن بعض الغزاة في سبيل الله أنه قال: حملت على فرسي لأقتل علجًا، فقصَّر بي فرسي فرجعت ثم دنا مني العلج فحملت ثانية فقصر فرسي فرجعت، ثم حملت الثالثة فنفر مني فرسي وكنت لا أعتاد ذلك منه، فرجعت حزينًا وجلست منكس الرأس منكسر القلب لما فاتني من العلج وما ظهر لي من خلق الفرس، فوضعت رأسي على عمود الفسطاط وفرسي قائم فرأيت في النوم كأن الفرس يخاطبني ويقول لي: بالله عليك أردت أن تأخذ على العلج ثلاث مرات وأنت بالأمس اشتريت لي علفًا ودفعت في ثمنه درهمًا زائفًا لا يكون هذا أبدًا، قال: فانتبهت فزعًا فذهبت إلى العلاف وأبدلت ذلك الدرهم، فهذا مثال ما يعم ضرره وليقس عليه أمثاله.

القسم الثاني: ما يخص ضرره المعامل:

فكل ما يستضر به المعامل فهو ظلم، وإنما العدل لا يضر بأخيه المسلم، والضابط الكلي فيه: أن لا يحب لأخيه إلا ما يحب لنفسه؛ فكل ما لو عومل به شقّ عليه وثقل على قلبه فينبغي أن لا يعامل غيره به؛ بل ينبغي أن يستوي عنده درهمه ودرهم غيره، قال بعضهم: من باع أخاه شيئًا بدرهم وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه إلا بخمسة دوانق فإنه قد ترك النصح المأمور به في المعاملة ولم يحب لأخيه ما يحب لنفسه، هذه جملته.

فأما تفصيله ففي أربعة أمور: أن لا يثني على السلعة بما ليس فيها، وأن لا يكتم من عيوبها وخفايا صفاتها شيئًا أصلًا، وأن لا يكتم في وزنها ومقدارها شيئًا، وأن لا يكتم من سعرها ما لو عرفه المعامل لامتنع عنه.

أما الأوّل: فهو ترك الثناء؛ فإن وصفه للسلعة إن كان بما ليس فيها فهو كذب، فإن قبل المشتري ذلك فهو تلبيس وظلم مع كونه كذبًا، وإن لم يقبل فهو كذب وإسقاط مروءة، إذ

الكذب الذي يروّج قد لا يقدح في ظاهر المروءة، وإن أثنى على السلعة بما فيها فهو هذيان وتكلم بكلام لا يعنيه، وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه أنه لم تكلم بها. قال الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق :١٨] إلا أن يثني على السلعة بما فيها مما لا يعرفه المشتري ما لم يذكره، كما يصفه من خفي أخلاق العبيد والجواري والدواب؛ فلا بأس بذكر القدر الموجود منه من غير مبالغة وإطناب، وليكن قصده منه أن يعرفه أخوه المسلم فيرغب فيه وتنقضي بسببه حاجته، ولا ينبغي أن يحلف عليه البتة؛ فإنه إن كان كاذبًا فقد جاء باليمين الغموس وهي من الكبائر التي تذر الديار بلاقع، وإن كان صادقًا فقد جعل الله تعالى عرضة لأيمانه، وقد أساء فيه، إذ الدنيا أخس من أن يقصد ترويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة، وفي الخبر: «وَيْلٌ لِلتَّاجِرِ مِنْ بَلَى وَالله وَلاَ وَالله، وَوَيْلٌ لِلصَّانِعِ مِنْ غَدٍ وَبَعْد غَدٍ»(١) وفي الخبر: «اليَمِينُ الكَاذِبَةُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ»(٢) . وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ثَلاَثَةٌ لاَ يَنْظُرُ الله إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: عُتُلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَمَنَّانٌ بِعَطِيَّتِهِ، وَمُنْفِقٌ سِلْعَتَهُ بِيَمِينِهِ»(٣) ، فإذا كان الثناء على السلعة مع الصدق مكروهًا من حيث إنه فضول لا يزيد في الرزق فلا يخفى التغليظ في أمر اليمين؛ وقد روي عن يونس بن عبيد وكان خزازًا: أنه طلب منه خز للشراء، فأخرج غلامه سقط الخز ونشره ونظر إليه وقال: اللهم ارزقنا الجنة، فقال لغلامه: رده إلى موضعه ولم يبعه، وخاف أن يكون ذلك تعريضًا بالثناء على السلعة، فمثل هؤلاء هم الذين اتجروا في الدنيا ولم يضيعوا دينهم في تجاراتهم، بل علموا أن ربح الآخرة أولى بالطلب من ربح الدنيا.

الثاني : أن يظهر جميع عيوب المبيع خفيها وجليها ولا يكتم منها شيئًا، فذلك واجب، فإن أخفاه كان ظالمًا غاشًا والغش حرام، وكان تاركًا للنصح في المعاملة والنصح واجب، ومهما أظهر أحسن وجهي الثوب وأخفى الثاني كان غاشًا، وكذلك إذا عرض الثياب في المواضع المظلمة، وكذلك إذا عرض أحسن فردي الخف أو النعل وأمثاله ويدل على تحريم

---

(١) حديث «ويل للتاجر من بلى والله ولا والله، وويل للصانع من غد وبعد غد». لم أقف له على أصل، وذكر صاحب مسند الفردوس من حديث أنس بغير إسناد نحوه.

(٢) صحيح: حديث «اليمين الكاذبة منفقة للسلع ممحقة للبركة». متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ «الحلف» وهو عند البيهقي بلفظ المصنف. [البخاري : ٢٠٨٧ ، ومسلم : ١٦٠٦].

(٣) صحيح: حديث أبي هريرة «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: عائل مستكبر، ومنان بعطيته، ومنفق سلعته بيمينه». أخرجه مسلم من حديثه إلا أنه لم يذكر فيها إلا: عائل مستكبر، ولهما «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعة لقد أعطي فيها أكثر مما أعطي وهو كاذب... الحديث» ولمسلم من حديث أبي ذر «المنان، والمسبل إزاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب». [حديث «ثلاثة لا يكلمهم ...» عند مسلم : ١٠٧، وحديث «ثلاثة لا يكلمهم .....» عند البخاري : ٢٣٥٨ ، ومسلم : ١٠٨ ، وحديث «المنان ....» عند مسلم : ١٠٦].

الغش ما روي: أنه مرَّ عليه الصلاة والسلام برجل يبيع طعامًا فأعجبه، فأدخل يده فيه فرأى بللًا، فقال: «مَا هذَا؟» قال: أصابته السماء، فقال: «فَهَلاَّ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»(١) ويدل على وجوب النصح بإظهار العيوب ما روي أن النبي ﷺ لما بايع جريرًا على الإسلام ذهب لينصرف فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم(٢)، فكان جرير إذا قام إلى السلعة يبيعها بصر عيوبها ثم خيره وقال: إن شئت فخذ وإن شئت فاترك، فقيل له: إنك إذا فعلت مثل هذا لم ينفذ لك بيع، فقال: إنا بايعنا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم. وكان واثلة بن الأسقع واقفًا فباع رجل ناقة له بثلاثمائة درهم، فغفل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة، فسعى وراءه وجعل يصيح به: يا هذا، أشتريتها للحم أم للظهر؟ فقال: بل للظهر، فقال: إن بخفها نقبًا قد رأيته، وإنها لا تتابع السير، فعاد فردها فنقصها البائع مائة درهم وقال لواثلة: رحمك الله أفسدت عليَّ بيعي، فقال: إنا بايعنا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لاَ يَحِلُّ لأَحَدٍ يَبِيعُ بَيْعًا إِلاَّ أَنْ يُبَيِّنَ آفَتَهُ، وَلاَ يَحِلُّ لِمَنْ يَعْلَمُ ذلِكَ إِلاَّ تَبْيِينَهُ»(٣) فقد فهموا من النصح أن لا يرضى لأخيه إلا ما يرضاه لنفسه، ولم يعتقدوا أن ذلك من الفضائل وزيادة المقامات، بل اعتقدوا أنه من شروط الإسلام الداخلة تحت بيعتهم، وهذا أمر يشق على أكثر الخلق، فلذلك يختارون التخلي للعبادة والاعتزال عن الناس، لأن القيام بحقوق الله مع المخالطة والمعاملة لا يقوم بها إلا الصدّيقون، ولن يتيسر ذلك على العبد إلا بأن يعتقد أمرين:

أحدهما: أن تلبيسه العيوب وترويجه السلع لا يزيد في رزقه، بل يمحقه ويذهب ببركته، وما يجمعه من مفرّقات التلبيسات يهلكه الله دفعة واحدة، فقد حكي أن واحدًا كان له بقرة يحلبها ويخلط بلبنها الماء ويبيعه، فجاء سيل فغرّق البقرة، فقال بعض أولاده: إن تلك المياه المتفرقة التي صببناها في اللبن اجتمعت دفعة واحدة وأخذت البقرة. كيف وقد قال ﷺ: «البَيِّعَانِ إِذَا صَدَقَا وَنَصَحَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِذَا كَتَمَا وَكَذَبَا نُزِعَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا»(٤) وفي الحديث: «يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا، فإذا تخاونا رفع يده عنهما»(٥) فإذًا لا

---

(١) صحيح: حديث: أنه مر عليه الصلاة والسلام برجل يبيع طعاما فأعجبه فأدخل يده فيه فرأى بللا فقال: ما هذا؟» قال: أصابته السماء، فقال «فهلا جعلته فوق الطعام فيراه الناس، من غشنا فليس منا». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة. [صحيح: ١٠٢].

(٢) صحيح: حديث جرير بن عبد الله «بايعنا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم». متفق عليه. [البخاري: ٥٧، مسلم: ٥٦].

(٣) صحيح: حديث واثلة «لا يحل لأحد يبيع بيعا إلا بين ما فيه، ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا بينه». أخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد، والبيهقي. [انظر عناية المرام: ٣٣٩].

(٤) صحيح: حديث «البيّعان إذا صدقا ونصحا، بورك لهما في بيعهما؛ وإذا كتما وكذبا، نزعت بركة بيعهما». متفق عليه من حديث حكيم بن حزام. [البخاري: ٢٠٧٩، مسلم: ١٥٣٢].

(٥) ضعيف: حديث «يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا، فإذا تخاونا رفع يده عنهما». رواه أبو داود والحاكم

يزيد مال من خيانة، كما لا ينقص من صدقة، ومن لا يعرف الزيادة والنقصان إلا بالميزان لم يصدق بهذا الحديث. ومن عرف أن الدرهم الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سببًا لسعادة الإنسان في الدنيا والدين، والآلاف المؤلفة قد ينزع الله البركة منها حتى تكون سببًا لهلاك مالكها بحيث يتمنى الإفلاس منها ويراه أصلح له في بعض أحواله، فيعرف معنى قولنا: إن الخيانة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص منه.

والمعنى الثاني: الذي لا بد من اعتقاده ليتم له النصح ويتيسر عليه: أن يعلم أن ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا، وأن فوائد أموال الدنيا تنقضي بانقضاء العمر وتبقى مظالمها وأوزارها فكيف يستجيز العاقل أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، والخير كله في سلامة الدين، قال رسول الله ﷺ: «لاَ تَزَالُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله تَدْفَعُ عَنِ الخَلْقِ سَخَطَ الله مَا لَمْ يُؤْثِرُوا صَفْقَةَ دُنْيَاهُمْ عَلَى آخِرَتِهِمْ»(١) . وفي لفظ آخر: «مَا لَمْ يُبَالُوا مَا نَقَصَ مِنْ دُنْيَاهُمْ بِسَلاَمَةِ دِينِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا ذلِكَ وَقَالُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، قَالَ الله تَعَالَى: كَذَبْتُمْ لَسْتُمْ بِهَا صَادِقِينَ» وفي حديث آخر «مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله مُخْلِصًا دَخَلَ الجَنَّةَ» . قيل: وما إخلاصه؟ قال: «أَنْ يُحْرِزَهُ عَمَّا حَرَّمَ الله»(٢) وقال أيضًا: «مَا آمَنَ بِالقُرْآنِ مَنْ اسْتَحَلَّ مَحَارِمَهُ» ، ومن علم أن هذه الأمور قادحة في إيمانه، وأن إيمانه رأس ماله في الآخرة لم يضيع رأس ماله المعد لعمر لا آخر له بسبب ربح ينتفع به أيامًا معدودة. وعن بعض التابعين أنه قال: لو دخلت الجامع وهو غاص بأهله وقيل لي: من خير هؤلاء؟ لقلت: من أنصحهم لهم؟ فإذا قيل: هذا، قلت: هو خيرهم. ولو قيل لي: من شرهم؟ قلت: من أغشهم لهم؟ فإذا قيل: هذا، قلت: هو شرهم. والغش حرام في البيوع والصنائع جميعًا، ولا ينبغي أن يتهاون الصانع بعمله على وجه لو عامله به غيره لما ارتضاه لنفسه، بل ينبغي أن يحسن الصنعة ويحكمها، ثم يبين عيبها إن كان فيها عيب، فبذلك يتخلص. وسأل رجل حذاء بن سالم فقال: كيف لي أن أسلم في بيع النعال؟ فقال: اجعل الوجهين سواء، ولا تفضل اليمنى على الأخرى، وجوِّد الحشو، وليكن شيئًا واحدًا تامًّا، وقارب بين الخرز، ولا تطبق إحدى النعلين على الأخرى. ومن هذا الفن ما سئل عنه أحمد بن

من حديث أبي هريرة وقال صحيح الإسناد. [أبو داود : ٣٣٨٣ بنحوه، وانظر عناية المرام : ٣٥٦ واللفظ له، وقال الألباني : ضعيف].

(١) حديث «لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن الخلق سخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم». رواه أبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف. وفي رواية للترمذي الحكيم في النوادر «حتى إذا نزلوا بالمنزل الذي لا يبالون ما نقص من دينهم إذا سلمت لهم دنياهم... الحديث» وللطبراني في الأوسط نحوه من حديث عائشة، وهو ضعيف أيضا.

(٢) موضوع: حديث «من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة» قيل: وما إخلاصها؟ قال «تحجزه عما حرم الله». أخرجه الطبراني من حديث زيد بن أرقم في معجمه الكبير والأوسط بإسناد حسن. [انظر ضعيف الترغيب : ٩٢٢].

حنبل رحمه الله من الرفو بحيث لا يتبين، قال: لا يجوز لمن يبيعه أن يخفيه، وإنما يحل للرفاء إذا علم أنه يظهره أو أنه لا يريده للبيع.

فإن قلت: فلا تتم المعاملة مهما وجب على الإنسان أن يذكر عيوب المبيع، فأقول: ليس كذلك، إذ شرط التاجر أن لا يشتري للبيع إلا الجيد الذي يرتضيه لنفسه لو أمسكه ثم يقنع في بيعه بربح يسير، فيبارك الله له فيه، ولا يحتاج إلى تلبيس، وإنما تعذر هذا لأنهم لا يقنعون بالربح اليسير، وليس يسلم الكثير إلا بتلبيس، فمن تعود هذا لم يشتر المعيب، فإن وقع في يده معيب نادرًا فليذكره وليقنع بقيمته. باع ابن سيرين شاة فقال للمشتري: أبرأ إليك من عيب فيها إنها تقلب العلف برجلها. وباع الحسن بن صالح جارية فقال للمشتري: إنها تنخمت مرة عندنا دمًا، فهكذا كانت سيرة أهل الدين، فمن لا يقدر عليه فليترك المعاملة أو ليوطن نفسه على عذاب الآخرة.

الثالث: أن لا يكتم في المقدار شيئًا وذلك بتعديل الميزان والاحتياط فيه وفي الكيل، فينبغي أن يكيل كما يكتال قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ [المطففين: ١-٣] ولا يخلص من هذا إلا بأن يرجح إذا أعطى، وينقص إذا أخذ، إذ العدل الحقيقي قلما يتصور، فليستظهر بظهور الزيادة والنقصان، فإن من استقصى حقه بكماله يوشك أن يتعداه. وكان بعضهم يقول: لا أشتري الويل من الله بحبة. فكان إذا أخذ نقص نصف حبة، وإذا أعطى زاد حبة، وكان يقول: ويل لمن باع بحبة جنة عرضها السموات والأرض؛ وما أخسر من باع طوبى بويل. وإنما بالغوا في الاحتراز من هذا وشبهه لأنها مظالم لا يمكن التوبة منها، إذ لا يعرف أصحاب الحبات حتى يجمعهم ويؤدي حقوقهم، ولذلك لما اشترى رسول الله ﷺ شيئًا قال للوزان لما كان يزن ثمنه: «زِنْ وَأَرْجِحْ»[1]، ونظر فضيل إلى ابنه وهو يغسل دينارًا يريد أن يصرفه ويزيل تكحيله وينقيه حتى لا يزيد وزنه بسبب ذلك فقال: يا بني فعلك هذا أفضل من حجتين وعشرين عمرة. وقال بعض السلف: عجبت للتاجر والبائع كيف ينجو، يزن ويحلف بالنهار، وينام بالليل. وقال سليمان عليه السلام لابنه: يا بني كما تدخل الحبة بين الحجرين، كذلك تدخل الخطيئة بين المتبايعين. وصلى بعض الصالحين على مخنث؛ فقيل له: إنه كان فاسقًا، فسكت، فأعيد عليه فقال: كأنك قلت لي: كان صاحب ميزانين يعطي بأحدهما ويأخذ بالآخر، أشار به إلى أن فسقه مظلمة بينه وبين الله تعالى، وهذا من مظالم العباد، والمسامحة والعفو فيه أبعد، والتشديد في أمر الميزان عظيم، والخلاص منه يحصل

---

(١) صحيح: حديث: قال للوزان «زن وأرجح». رواه أصحاب السنن والحاكم من حديث سويد بن قيس. قال الترمذي: حسن صحيح وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. [أبو داود: ٣٣٣٦، والترمذي: ١٣٠٥، والنسائي: ٤٥٩٢، وابن ماجه: ٢٢٢٠، وانظر صحيح أبي داود].

بحبة ونصف حبة. وفي قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٨-٩] أي لسان الميزان، فإن النقصان والرجحان يظهر بميله، وبالجملة، كل من ينتصف لنفسه من غيره ولو في كلمة ولا ينصف بمثل ما ينتصف، فهو داخل تحت قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ١-٢] الآيات، فإن تحريم ذلك في المكيل ليس لكونه مكيلًا، بل لكونه أمرًا مقصودًا ترك العدل والنصفة فيه، فهو جار في جميع الأعمال، فصاحب الميزان في خطر الويل، وكل مكلف فهو صاحب موازين في أفعاله وأقواله وخطراته، فالويل له إن عدل عن العدل ومال عن الاستقامة، ولولا تعذر هذا واستحالته لما ورد قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١] فلا ينفك عبد ليس معصومًا عن الميل عن الاستقامة، إلا أن درجات الميل تتفاوت تفاوتًا عظيمًا، فلذلك تتفاوت مدة مقامهم في النار إلى أوان الخلاص، حتى لا يبقى بعضهم إلا بقدر تحلة القسم، ويبقى بعضهم ألفًا وألوف سنين، فنسأل الله تعالى أن يقربنا من الاستقامة والعدل، فإن الاشتداد على متن الصراط المستقيم من غير ميل عنه، غير مطموع فيه، فإنه أدق من الشعرة وأحد من السيف، ولولاه لكان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط الممدود على متن النار الذي من صفته أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف، وبقدر الاستقامة على هذا الصراط المستقيم يخف العبد يوم القيامة على الصراط، وكل من خلط بالطعام ترابًا أو غيره ثم كاله فهو من المطففين في الكيل، وكل قصاب وزن مع اللحم عظمًا لم تجر العادة بمثله، فهو من المطففين في الوزن، وقس على هذا سائر التقديرات، حتى في الذرع الذي يتعاطاه البزاز، فإنه إذا اشترى أرسل الثوب في وقت الذرع ولم يمده مدًّا، وإذا باعه مده في الذرع ليظهر تفاوتًا في القدر، فكل ذلك من التطفيف المعرض صاحبه للويل.

الرابع: أن يصدق في سعر الوقت ولا يخفي منه شيئًا، فقد نهى رسول الله ﷺ عن تلقي الركبان[1] ونهى عن النجش[2]، أما تلقي الركبان، فهو أن يستقبل الرفقة ويتلقى المتاع ويكذب في سعر البلد، فقد قال ﷺ: «لَا تَتَلَقَّوا الرُّكْبَانَ» ومن تلقاها فصاحب السلعة بالخيار بعد أن يقدم السوق، وهذا الشراء منعقد، ولكنه إن ظهر كذبه ثبت للبائع الخيار، وإن كان

---

(١) صحيح: حديث «النهي عن تلقي الركبان». متفق عليه من حديث ابن عباس وأبي هريرة. [البخاري: ٢٢٧٤، ومسلم: ١٥٢١ عن ابن عباس، والبخاري: ٢١٥٠، ومسلم: ١٥١٥ عن أبي هريرة، وتلقي الركبان: أصحاب الإبل في السفر].

(٢) صحيح: حديث «النهي عن النجش». متفق عليه من حديث ابن عمر وأبي هريرة. [البخاري: ٢١٤٢، ومسلم: ١٥١٦ عن ابن عمر، والبخاري: ٢٧٢٧، ومسلم: ١٥١٥ عن أبي هريرة، والنجش: الزيادة في ثمن السلعة للخداع].

صادقًا ففي الخيار خلاف لتعارض عموم الخبر مع زوال التلبيس، ونهى أيضًا أن يبيع حاضر لباد[١]؛ وهو أن يقدم البدوي البلد ومعه قوت يريد أن يتسارع إلى بيعه، فيقول له الحضري اتركه عندي حتى أغالي في ثمنه وأنتظر ارتفاع سعره، وهذا في القوت محرم، وفي سائر السلع خلاف، والأظهر تحريمه لعموم النهي، ولأنه تأخير للتضييق على الناس على الجملة من غير فائدة للفضولي المضيق، ونهى رسول الله ﷺ عن النجش. وهو أن يتقدم إلى البائع بين يدي الراغب المشتري ويطلب السلعة بزيادة وهو لا يريدها، وإنما يريد تحريك رغبة المشتري فيها، فهذا إن لم تجر مواطأة مع البائع فهو فعل حرام من صاحبه والبيع منعقد، وإن جرى مواطأة ففي ثبوت الخيار خلاف، والأولى إثبات الخيار لأنه تغرير بفعل يضاهي التغرير في المصراة وتلقي الركبان، فهذه المناهي تدل على أنه لا يجوز أن يلبس على البائع والمشتري في سعر الوقت ويكتم منه أمرًا لو علمه لما أقدم على العقد، ففعل هذا من الغش الحرام المضاد للنصح الواجب، فقد حكي عن رجل من التابعين أنه كان بالبصرة وله غلام بالسوس يجهز إليه السكر، فكتب إليه غلامه: إن قصب السكر قد أصابته آفة في هذه السنة، فاشتر السكر، قال: فاشترى سكرًا كثيرًا، فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين ألفًا، فانصرف إلى منزله ففكر ليلته وقال: ربحت ثلاثين ألفًا وخسرت نصح رجل من المسلمين، فلما أصبح غدا إلى بائع السكر فدفع إليه ثلاثين ألفًا وقال: بارك الله لك فيها، فقال: ومن أين صارت لي؟ فقال: إني كتمتك حقيقة الحال وكان السكر قد غلا في ذلك الوقت، فقال: رحمك الله قد أعلمتني الآن وقد طيبتها لك، قال: فرجع بها إلى منزله وتفكر وبات ساهرًا وقال: ما نصحته، فلعله استحيا مني فتركها لي فبكر إليه من الغد وقال: عافاك الله، خذ مالك إليك فهو أطيب لقلبي، فأخذ منه ثلاثين ألفًا. فهذه الأخبار في المناهي والحكايات تدل على أنه ليس له أن يغتنم فرصة وينتهز غفلة صاحب المتاع ويخفي من البائع غلاء السعر أو من المشتري تراجع الأسعار، فإن فعل ذلك كان ظالمًا تاركًا للعدل والنصح للمسلمين، ومهما باع مرابحة بأن يقول: بعت بما قام علي أو بما اشتريته، فعليه أن يصدق، ثم يجب عليه أن يخبر بما حدث بعد العقد من عيب أو نقصان، ولو اشترى إلى أجل وجب ذكره، ولو اشترى مسامحة من صديقه أو ولده يجب ذكره. لأن المعامل يعوّل على عادته في الاستقصاء أنه لا يترك النظر لنفسه، فإذا تركه بسبب من الأسباب فيجب إخباره، إذ الاعتماد فيه على أمانته.

* * *

(١) صحيح: حديث «النهي عن بيع الحاضر للبادي». متفق عليه من حديث ابن عباس وأبي هريرة وأنس. [البخاري: ٢١٤٠، ومسلم: ١٤١٣ عن أبي هريرة، والبخاري: ٢١٥٨، ومسلم: ١٥٢١ عن ابن عباس، والبخاري: ٢١٦١، ومسلم: ١٥٢٣ عن أنس].

الباب الرابع في الإحسان في المعاملة

وقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعًا، والعدل سبب النجاة فقط، وهو يجري من التجارة مجرى رأس المال. والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة، وهو يجري من التجارة مجرى الربح، ولا يعد من العقلاء من قنع في معاملات الدنيا برأس ماله، فكذا في معاملات الآخرة، فلا ينبغي للمتدين أن يقتصر على العدل واجتناب الظلم ويدع أبواب الإحسان، وقد قال الله: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص:٧٧] وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل:٩٠] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦] ونعني بالإحسان: فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه، ولكنه تفضل منه، فإن الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم وقد ذكرناه، وتنال رتبة الإحسان بواحد من ستة أمور:

الأول: في المغابنة، فينبغي أن لا يغبن صاحبه بما لا يتغابن به في العادة، فأما أصل المغابنة فمأذون فيه؛ لأن البيع للربح، ولا يمكن ذلك إلا بغبن ما، ولكن يراعي فيه التقريب، فإن بذل المشتري زيادة على الربح المعتاد إما لشدّة رغبته أو لشدّة حاجته في الحال إليه، فينبغي أن يمتنع من قبوله، فذلك من الإحسان. ومهما لم يكن تلبيس لم يكن أخذ الزيادة ظلمًا وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار، ولسنا نرى ذلك، ولكن من الإحسان أن يحط ذلك الغبن. يروى أنه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الأثمان: ضرب قيمة كل حلة منها أربعمائة، وضرب كل حلة قيمتها مائتان، فمر إلى الصلاة وخلف ابن أخيه في الدكان، فجاء أعرابي وطلب حلة بأربعمائة فعرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها، فاشتراها فمضى بها وهي على يديه، فاستقبله يونس فعرف حلته، فقال للأعرابي: بكم اشتريت؟ فقال: بأربعمائة، فقال: لا تساوي أكثر من مائتين فارجع حتى تردها، فقال: هذه تساوي في بلدنا خمسمائة وأنا أرتضيها، فقال له يونس: انصرف فإن النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها، ثم رده إلى الدكان ورد عليه مائتي درهم، وخاصم ابن أخيه في ذلك وقاتله وقال: أما استحييت، أما اتقيت الله، تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين، فقال: والله ما أخذها إلا وهو راض بها، قال: فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك، وهذا إن كان فيه إخفاء سعر وتلبيس، فهو من باب الظلم وقد سبق، وفي الحديث: «غُبْنُ المُسْتَرْسِلِ حَرَامٌ»(١) وكان الزبير بن عدي يقول: أدركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم

٢ الباب الرابع: الإحسان في المعاملة

(١) حديث «غبن المسترسل حرام». أخرجه الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف. والبيهقي من حديث

أحد يحسن يشتري لحمًا بدرهم، فغبن مثل هؤلاء المسترسلين ظلم، إن كان من غير تلبيس فهو من ترك الإحسان، وقلّما يتم هذا إلا بنوع تلبيس وإخفاء سعر الوقت.

وإنما الإحسان المحض ما نقل عن السري السقطي أنه اشترى كرّ لوز بستين دينارًا وكتب في روزنامجة ثلاثة دنانير ربحه، وكان رأى أن يربح على العشرة نصف دينار، فصار اللوز بتسعين، فأتاه الدلال وطلب اللوز فقال: خذه. قال: بكم؟ فقال: بثلاثة وستين، فقال الدلال وكان من الصالحين: فقد صار اللوز بتسعين، فقال السري: قد عقدت عقدًا لا أحله، لست أبيعه إلا بثلاثة وستين، فقال الدلال: وأنا عقدت بيني وبين الله أن لا أغش مسلمًا، لست آخذ منك إلا بتسعين، قال: فلا الدلال اشترى منه، ولا السري باعه، فهذا محض الإحسان من الجانبين، فإنه مع العلم بحقيقة الحال.

وروي عن محمد بن المنكدر أنه كان له شقق بعضها بخمسة وبعضها بعشرة، فباع غلامه في غيبته شقة من الخمسيات بعشرة، فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الأعرابي المشتري طول النهار حتى وجده، فقال له: إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة، فقال: يا هذا قد رضيت، فقال: وإن رضيت فإنا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا، فاختر إحدى ثلاث خصال: إما أن تأخذ شقة من العشريات بدراهمك، وإما أن نرد عليك خمسة، وإما أن ترد شقتنا وتأخذ دراهمك، فقال: أعطني خمسة، فرد عليه خمسة وانصرف الأعرابي يسأل ويقول: من هذا الشيخ؟ فقيل له: هذا محمد بن المنكدر، فقال لا إله إلا الله، هذا الذي نستسقي به في البوادي إذا قحطنا. فهذا إحسان في أن لا يربح على العشرة إلا نصفًا أو واحدًا على ما جرت به العادة في مثل ذلك المتاع في ذلك المكان، ومن قنع بربح قليل كثرت معاملاته واستفاد من تكررها ربحًا كثيرًا، وبه تظهر البركة.

كان علي رضي الله عنه يدور في سوق الكوفة بالدرة ويقول: معاشر التجار، خذوا الحق تسلموا، لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره.

قيل لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: ما سبب يسارك؟ قال: ثلاث، ما رددت ربحًا قط، ولا طلب مني حيوان فأخرت بيعه، ولا بعت بنسيئة، ويقال: إنه باع ألف ناقة فما ربح إلا عقلها: باع كل عقال بدرهم فربح فيها ألفًا وربح من نفقته عليها ليومه ألفًا.

الثاني: في احتمال الغبن، والمشتري إن اشترى طعامًا من ضعيف أو شيئًا من فقير فلا بأس أن يحتمل الغبن ويتساهل، ويكون به محسنًا وداخلًا في قوله عليه السلام: «رَحِمَ الله امْرًا سَهْلَ البَيْعِ سَهْلَ الشِّرَاءِ» ، فأما إذا اشترى من غني تاجر يطلب الربح زيادة على حاجته،

جابر بسند جيد، وقال «ربا» بدل «حرام». [لفظ «حرام» انظر السلسلة الضعيفة : ٦٦٧ ، وقال الألباني : ضعيف جداً ، ولفظ «ربا» انظر السلسلة الضعيفة : ٦٦٨، وقال الألباني: باطل].

فاحتمال الغبن منه ليس محمودًا، بل هو تضييع مال من غير أجر ولا حمد، فقد ورد في حديث من طريق أهل البيت: «المَغْبُونُ فِي الشِّرَاءِ لاَ مَحْمُودٌ وَلاَ مَأْجُورٌ»(١) ، وكان إياس بن معاوية بن قرة قاضي البصرة وكان من عقلاء التابعين يقول: لست بخب والخب لا يغبنني ولا يغبن ابن سيرين ولكن يغبن الحسن ويغبن أبي - يعني معاوية بن قرة - والكمال في أن لا يغبن ولا يغبن، كما وصف بعضهم عمر رضي الله عنه فقال: كان أكرم من أن يخدع، وأعقل من أن يخدع. وكان الحسن والحسين وغيرهما من خيار السلف يستقصون في الشراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال، فقيل لبعضهم: تستقصي في شرائك على اليسير ثم تهب الكثير ولا تبالي فقال: إن الواهب يعطي فضله وإن المغبون يغبن عقله. وقال بعضهم: إنما أغبن عقلي وبصري فلا أمكن الغابن منه، وإذا وهبت أعطي لله ولا أستكثر منه شيئًا.

الثالث: في استيفاء الثمن وسائر الديون والإحسان فيه: مرة بالمسامحة وحط البعض، ومرة بالإمهال والتأخير، ومرة بالمساهلة في طلب جودة النقد، وكل ذلك مندوب إليه ومحثوث عليه: قال النبي ﷺ: «رَحِمَ الله امْرًا سَهْلَ البَيْعِ، سَهْلَ الشِّرَاءِ، سَهْلَ الاقْتِضَاءِ»(٢) فليغتنم دعاء الرسول . وقال ﷺ: «اسْمَحْ يُسْمَحُ لَكَ»(٣) وقال ﷺ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ تَرَكَ لَهُ حَاسَبَهُ الله حِسَابًا يَسِيرًا» . وفي لفظ آخر: «أَظَلَّهُ الله تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ»(٤) . وذكر رسول الله ﷺ رجلًا كان مسرفًا على نفسه: حوسب فلم يوجد له حسنة، فقيل له: هل عملت خيرًا قط؟ فقال: لا إلا أني كنت رجلًا أداين الناس فأقول لفتياني: سامحوا الموسر وأنظروا المعسر(٥) . وفي لفظ آخر: وتجاوزوا عن المعسر، فقال الله تعالى: نحن أحق بذلك منه، فتجاوز الله عنه وغفر له» وقال ﷺ: «مَنْ أَقْرَضَ دِينَارًا إِلَى أَجَلٍ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ إِلَى

---

(١) ضعيف: حديث «المغبون في الشراء لا محمود ولا مأجور». أخرجه الترمذي الحكيم في النوادر من رواية عبيد الله بن الحسن عن أبيه عن جده، رواه أبو يعلى من حديث الحسين بن علي يرفعه. قال الذهبي: هو منكر. [انظر ضعيف الجامع : ٥٩٤٣].

(٢) صحيح: حديث «رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء». تقدم في الباب قبله. [البخاري : ٢٠٧٦ بنحوه].

(٣) صحيح: حديث «اسمح يسمح لك». أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس ورجاله ثقات. [أحمد : ٢٧٢٠٤ ، وانظر صحيح الترغيب : ١٧٤٩].

(٤) صحيح: حديث «من أنظر معسرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا» وفي لفظ آخر «أظله الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله». رواه مسلم باللفظ الثاني من حديث أبي اليسر كعب بن عمرو. [اللفظ الثاني عند مسلم : ٣٠١٤].

(٥) صحيح: حديث «ذكر رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة، فقيل له: هل عملت خيرا قط، فقال: لا، إلا أني كنت رجلا أداين الناس فأقول لفتياني: سامحوا الموسر وأنظروا المعسر». رواه مسلم من حديث أبي مسعود الأنصاري، وهو متفق عليه بنحوه من حديث حذيفة. [مسلم : ١٥٦١ عن أبي مسعود، البخاري : ٢٠٧٧، ومسلم : ١٥٦٠ عن حذيفة].

أَجَلِهِ، فَإِذَا حَلَّ الأَجَلُ فَأَنْظَرَهُ بَعْدَهُ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلُ ذلِكَ الدَّيْنِ صَدَقَةٌ»(١) وقد كان من السلف من لا يحب أن يقضي غريمه الدين لأجل هذا الخبر، حتى يكون كالمتصدق بجميعه في كل يوم، وقال ﷺ: «رَأَيْتُ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ مَكْتُوبًا: الصَّدَقَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا وَالقَرْضُ بِثَمَانِ عَشَرَةَ»(٢) فقيل في معناه: إن الصدقة تقع في يد المحتاج وغير المحتاج، ولا يحتمل ذل الاستقراض إلا محتاج. ونظر النبي ﷺ: إلى رجل يلازم رجلًا بدين، فأومأ إلى صاحب الدين بيده أن ضع الشطر ففعل، فقال للمديون: «قُمْ فَأَعْطِهِ»(٣) وكل من باع شيئًا وترك ثمنه في الحال ولم يرهق إلى طلبه فهو في معنى المقرض.

وروي أن الحسن البصري باع بغلة له بأربعمائة درهم، فلما استوجب المال قال له المشتري: اسمح يا أبا سعيد. قال: قد أسقطت عنك مائة، قال له: فأحسن يا أبا سعيد، فقال: قد وهبت لك مائة أخرى، فقبض من حقه مائتي درهم. فقيل له: يا أبا سعيد، هذا نصف الثمن، فقال: هكذا يكون الإحسان وإلا فلا.

وفي الخبر: «خذ حقك في كفاف وعفاف وافٍ أو غير وافٍ، يحاسبك الله حسابًا يسيرًا»(٤).

الرابع: في توفية الدين، ومن الإحسان فيه حسن القضاء، وذلك بأن يمشي إلى صاحب الحق ولا يكلفه أن يمشي إليه يتقاضاه، فقد قال ﷺ: «خَيْرُكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً»(٥)، ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر إليه ولو قبل وقته، وليسلم أجود مما شرط عليه وأحسن، وإن عجز فلينو قضاءه مهما قدر. قال ﷺ: «مَن ادَّانَ دَيْنًا وَهُوَ يَنْوِي قَضَاءَهُ وَكَّلَ الله بِهِ مَلَائِكَةً يَحْفَظُونَهُ وَيَدْعُونَ لَهُ حَتَّى يَقْضِيهِ»(٦) وكان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر،

---

(١) صحيح: حديث «من أقرض دينارا إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله. فإذا حل الأجل فأنظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة». أخرجه ابن ماجه من حديث بريدة «من أنظر معسرا كان له كل يوم صدقة، ومن أنظره بعد أجله كان له مثله في كل يوم صدقة» وسنده ضعيف، ورواه أحمد والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين. [ابن ماجه: ٢٤١٨، واحمد: ٢٢٤٦١، وانظر صحيح ابن ماجه].

(٢) ضعيف جداً: حديث «رأيت على باب الجنة مكتوبا: الصدقة بعشرة أمثالها، والقرض بثمان عشرة». أخرجه ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف. [ابن ماجه: ٢٤٣١، وانظر ضعيف الترغيب: ٥٣٥].

(٣) صحيح: حديث «فأومأ إلى صاحب الدين بيده «ضع الشطر»، ففعل، فقال للمديون «قم»، فأعطه». متفق عليه من حديث كعب بن مالك. [البخاري: ٤٥٧، مسلم: ١٥٥٨].

(٤) حسن صحيح: حديث «خذ حقك في كفاف وعفاف واف أو غير واف، يحاسبك الله حسابا يسيرا». أخرجه ابن ماجه من أبي هريرة بإسناد حسن دون قوله «يحاسبك الله حسابا يسيرا» وله ولابن حبان والحاكم وصححه نحوه من حديث ابن عمر وعائشة. [ابن ماجه: ٢٤٢٢، وانظر صحيح ابن ماجه].

(٥) صحيح: حديث «خيركم أحسنكم قضاء». متفق عليه من حديث أبي هريرة. [البخاري: ٢٣٠٥، مسلم: ١٦٠١].

(٦) حديث «من أدان دينا وهو ينوي قضائه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه». أخرجه أحمد

ومهما كلمه صاحب الحق بكلام خشن فليحتمله وليقابله باللطف، اقتداء برسول الله ﷺ: إذ جاءه صاحب الدين عند حلول الأجل ولم يكن قد اتفق قضاؤه، فجعل الرجل يشدّد الكلام على رسول الله ﷺ، فهم به أصحابه فقال: «دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالًا»(١) ومهما دار الكلام بين المستقرض والمقرض، فالإحسان أن يكون الميل الأكثر للمتوسطين إلى من عليه الدين، فإنَّ المقرض يقرض عن غنى والمستقرض يستقرض عن حاجة، وكذلك ينبغي أن تكون الإعانة للمشتري أكثر؛ فإن البائع راغب عن السلعة يبغي ترويجها، والمشتري محتاج إليها هذا هو الأحسن، إلا أن يتعدّى من عليه الدين حده، فعند ذلك نصرته في منعه عن تعدّيه وإعانة صاحبه، إذ قال ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» ، فقيل: كيف ننصره ظالمًا؟ فقال: «مَنْعُكَ إِيَّاهُ مِنَ الظُّلْمِ نُصْرَةٌ لَهُ»(٢) .

الخامس : أن يقيل من يستقيله، فإنه لا يستقيل إلا متندم مستضر بالبيع، ولا ينبغي أن يرضى لنفسه أن يكون سبب استضرار أخيه، قال ﷺ: «مَنْ أَقَالَ نَادِمًا صَفْقَتَهُ أَقَالَ الله عَثْرَتَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»(٣) أو كما قال.

السادس : أن يقصد في معاملته جماعة من الفقراء بالنسيئة وهو في الحال عازم على أن لا يطالبهم إن لم تظهر لهم ميسرة، فقد كان في صالحي السلف من له دفتران للحساب: أحدهما ترجمته مجهولة، فيه أسماء من لا يعرفه من الضعفاء والفقراء، وذلك أن الفقير كان يرى الطعام أو الفاكهة فيشتهيه فيقول: أحتاج إلى خمسة أرطال مثلًا من هذا وليس معي ثمنه، فكان يقول: خذه واقض ثمنه عند الميسرة ولم يكن يعدّ هذا من الخيار، بل عدّ من الخيار من لم يكن يثبت اسمه في الدفتر أصلًا ولا يجعله دينًا، لكن يقول: خذ ما تريد، فإن يسر لك فاقض، وإلا فأنت في حل منه وسعة، فهذه طرق تجارات السلف وقد اندرست، والقائم به محي لهذه السنة، وبالجملة؛ التجارة محك الرجال، وبها يمتحن دين الرجل وورعه، ولذلك قيل:

من حديث عائشة «ما من عبد كانت له نية في أداء دينة إلا كان معه من الله عون وحافظ» وفي رواية له «لم يزل معه من الله حارس» وفي رواية للطبراني في الأوسط «إلا كان معه عون من الله عليه حتى يقضيه عنه». [حديث «ما من عبد . . . .» عند احمد : ٢٥٥٩٦، ولفظ «لم يزل معه من الله . . .» عند أحمد : ٢٥٦٥٥ ، وانظر ضعيف الترغيب : ١١٢٥، وحديث «إلا كان معه . . . .»].

(١) صحيح: حديث «دعوه فإن لصاحب الحق مقالا». متفق عليه من حديث أبي هريرة. [البخاري : ٢٣٠٦، ومسلم : ١٦٠١].

(٢) صحيح: حديث «أنصر أخاك ظالما أو مظلوما. فقيل: كيف ننصره ظالما؟ فقال: منعك إياه من الظلم نصرة له». متفق عليه من حديث أنس. [البخاري : ٢٤٤٤، ومسلم : ٢٥٨٤].

(٣) صحيح: حديث «من أقال نادما صفقته أقال الله عثرته يوم القيامة». أخرجه أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة وقال: صحيح على شرط مسلم. [أبو داود: ٣٤٦٠، وانظر صحيح أبي داود].

لا يغرنك من المرء قميص رقعه
أو إزار فوق كعب الساق منه رفعه
أو جبين لاح فيه أثر قد قلعه
ولدى الدرهم فانظر غيه أو ورعه

ولذلك قيل: إذا أثنى على الرجل جيرانه في الحضر وأصحابه في السفر ومعاملوه في الأسواق فلا تشكوا في صلاحه.

وشهد عند عمر رضي الله عنه شاهد فقال: ائتني بمن يعرفك، فأتاه برجل فأثنى عليه خيرًا، فقال عمر: أنت جاره الأدنى الذي يعرف مدخله ومخرجه؟ قال: لا؛ فقال كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق؟ فقال: لا، قال: فعاملته بالدينار والدرهم الذي يستبين به ورع الرجل؟ قال: لا، قال: أظنك رأيته قائمًا في المسجد يهمهم بالقرآن يخفض رأسه طورًا ويرفعه أخرى قال: نعم، فقال: اذهب فلست تعرفه. وقال للرجل: اذهب فائتني بمن يعرفك.

الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويعم آخرته

ولا ينبغي للتاجر أن يشغله معاشه عن معاده، فيكون عمره ضائعًا وصفقته خاسرة، وما يفوته من الربح في الآخرة لا يفي به، ما ينال في الدنيا، فيكون ممن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة، بل العاقل ينبغي أن يشفق على نفسه، وشفقته على نفسه بحفظ رأس ماله، ورأس ماله دينه وتجارته فيه. قال بعض السلف: أولى الأشياء بالعاقل أحوجه إليه في العاجل. وأحوج شيء إليه في العاجل أحمده عاقبة في الآجل. وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه في وصيته: إنه لا بدّ لك من نصيبك في الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج فابدأ بنصيبك من الآخرة، فخذه فإنك ستمرّ على نصيبك من الدنيا فتنظمه. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص:٧٧] أي لا تنس في الدنيا نصيبك منها للآخرة، فإنها مزرعة الآخرة، وفيها تكتسب الحسنات.

وإنما تتم شفقة التاجر على دينه بمراعاة سبعة أمور:

الأول: حسن النية والعقيدة في ابتداء التجارة، فلينو بها الاستعفاف عن السؤال، وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال عنهم، واستعانة بما يكسبه على الدين، وقيامًا، بكفاية العيال ليكون من جملة المجاهدين به، ولينو النصح للمسلمين، وأن يحب لسائر الخلق ما يحب لنفسه، ولينو اتباع طريق العدل والإحسان في معاملته كما ذكرناه، ولينو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل ما يراه في السوق، فإذا أضمر هذه العقائد والنيات كان عاملًا في طريق الآخرة، فإن استفاد مالًا فهو مزيد، وإن خسر في الدنيا ربح في الآخرة.

الثاني: أن يقصد القيام في صنعته أو تجارته بفرض من فروض الكفايات، فإن الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعايش وهلك أكثر الخلق. فانتظام أمر الكل بتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمل، ولو أقبل كلهم على صنعة واحدة لتعطلت البواقي وهلكوا، وعلى هذا حمل بعض الناس قوله ﷺ: «اخْتِلاَفُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ»(١) أي اختلاف همهم في الصناعات والحرف. ومن الصناعات ما هي مهمة، ومنها ما يستغنى عنها لرجوعها إلى طلب النعم والتزين في الدنيا، فليشتغل بصناعة مهمة ليكون في قيامه بها كافيًا عن المسلمين مهمًا في الدين، وليجتنب صناعة النقش والصياغة وتشييد البنيان بالجص وجميع ما تزخرف به الدنيا، فكل ذلك كرهه ذوو الدين، فأما عمل الملاهي والآلات التي يحرم استعمالها فاجتناب ذلك من قبيل ترك الظلم، ومن جملة ذلك خياطة الخياط القباء من الإبريسم للرجال، وصياغة الصائغ مراكب الذهب أو خواتيم الذهب للرجال فكل ذلك من المعاصي والأجرة المأخوذة عليه حرام، ولذلك أوجبنا الزكاة فيها وإن كنا لا نوجب الزكاة في الحلي، لأنها إذا قصدت للرجال فهي محرّمة، وكونها مهيأة للنساء لا يلحقها بالحلي المباح، ما لم يقصد ذلك بها فيكتسب حكمها من القصد. وقد ذكرنا أن بيع الطعام وبيع الأكفان مكروه لأنه يوجب انتظار موت الناس وحاجتهم بغلاء السعر، ويكره أن يكون جزارًا، لما فيه من قساوة القلب، وأن يكون حجامًا أو كناسًا لما فيه من مخامرة النجاسة، وكذا الدباغ وما في معناه، وكره ابن سيرين الدلالة، وكره قتادة أجرة الدلال، ولعل السبب فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب والإفراط في الثناء على السلعة لترويجها، ولأن العمل فيه لا يتقدر فقد يقل وقد يكثر، ولا ينظر في مقدار الأجرة إلى عمله بل إلى قدر قيمة الثوب، هذا هو العادة، وهو ظلم، بل ينبغي أن ينظر إلى قدر التعب، وكرهوا شراء الحيوان للتجارة، لأنّ المشتري يكره قضاء الله فيه وهو الموت الذي بصدده لا محالة وحلوله. وقيل: بع الحيوان واشتر الموتان، وكرهوا الصرف، لأن الاحتراز فيه عن دقائق الربا عسير، ولأنه طلب لدقائق الصفات فيما لا يقصد أعيانها وإنما يقصد رواجها، وقلما يتم للصيرفي ربح إلا باعتماد جهالة معامله بدقائق النقد، فقلما يسلم الصيرفي وإن احتاط، ويكره للصيرفي وغيره كسر الصحيح والدنانير إلا عند الشك في جودته أو عند ضرورة. قال أحمد بن حنبل رحمه الله: ورد نهي عن رسول الله ﷺ(٢)، وعن أصحابه

---

٢ الباب الخامس: في شفقة التاجر على دينه

(١) منكر: حديث «اختلاف أمتي رحمة». تقدم في العلم. [انظر السلسلة الضعيفة: ١٩٨١].

(٢) ضعيف: حديث «النهي عن كسر الدينار والدرهم». رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم من رواية علقمة بن عبد الله عن أبيه قال: نهى رسول الله ﷺ أن تكسر سكة المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس. زاد الحاكم: أن يكسر الدرهم فيجعل فضة، ويكسر الدينار فيجعل ذهبا. وضعفه ابن حبان. [أبو داود: ٣٤٤٩، وابن ماجه: ٢٢٦٣، وانظر ضعيف أبي داود].

في الصياغة من الصحاح، وأنا أكره الكسر، وقال: يشتري بالدنانير دراهم ثم يشتري بالدراهم ذهبًا ويصوغه، واستحبوا تجارة البز. قال سعيد بن المسيب: ما من تجارة أحب إليَّ من البز، ما لم يكن فيها أيمان. وقد روي: «خَيْرُ تِجَارَتِكُمْ البَزُّ وَخَيْرُ صِنَاعَتِكُمُ الخَرْزُ»(١) وفي حديث آخر: «لو اتجر أهل الجنة لاتجروا في البز، ولو اتجر أهل النار لاتجروا في الصرف»(٢) وقد كان غالب أعمال الأخيار من السلف عشر صنائع: الخرز، والتجارة، والحمل، والخياطة، والحذو، والقصارة، وعمل الخفاف وعمل الحديد، وعمل المغازل، ومعالجة صيد البر والبحر، والوراقة قال عبد الوهاب الوراق: قال لي أحمد بن حنبل: ما صنعتك؟ قلت: الوراقة. قال: كسب طيب، ولو كنت صانعًا بيدي لصنعت صنعتك، ثم قال لي: لا تكتب إلا مواسطة، واستبق الحواشي وظهور الأجزاء. وأربعة من الصناع موسومون عند الناس بضعف الرأي: الحاكة، والقطانون، والمغازليون، والمعلمون. ولعل ذلك لأن أكثر مخالطتهم مع النساء والصبيان، ومخالطة ضعفاء العقول تضعف العقل، كما أن مخالطة العقلاء تزيد في العقل. وعن مجاهد: أن مريم عليها السلام مرَّت في طلبها لعيسى عليه السلام بحاكة، فطلبت الطريق فأرشدوها غير الطريق، فقالت: اللهم انزع البركة من كسبهم، وأمتهم فقراء، وحقرهم في أعين الناس، فاستجيب دعاؤها. وكره السلف أخذ الأجرة على كل ما هو من قبيل العبادات وفروض الكفايات كغسل الموتى ودفنهم، وكذا الأذان وصلاة التراويح، وإن حكم بصحة الاستئجار عليه، وكذا تعليم القرآن وتعليم علم الشرع، فإنّ هذه أعمال حقها أن يتجر فيها للآخرة، وأخذ الأجرة عليها استبدال بالدنيا عن الآخرة ولا يستحب ذلك.

الثالث: أن لا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة، وأسواق الآخرة المساجد، قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [النور:٣٧] وقال الله تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [النور:٣٦] فينبغي أن يجعل أوّل النهار إلى وقت دخول السوق لآخرته فيلازم المسجد ويواظب على الأوراد. كان عمر رضي الله عنه يقول للتجار: اجعلوا أوّل نهاركم لآخرتكم وما بعده لدنياكم. وكان صالحو السلف يجعلون أوّل النهار وآخره للآخرة والوسط للتجارة، ولم يكن يبيع الهريسة والرؤوس بكرة إلا الصبيان وأهل الذمة، لأنهم كانوا في المساجد بعد. وفي الخبر: «إن الملائكة إذا صعدت بصحيفة العبد وفيها في أوّل النهار وفي آخره ذكر الله وخير: كفر الله عنهما ما بينهما من سيئ

---

(١) حديث «خير تجارتكم البز وخير صناعتكم الخرز». لم أقف له على إسناد، وذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب.

(٢) ضعيف: حديث «لو اتجر أهل الجنة لا تاجروا في البز، ولو اتجر أهل النار لا تجروا في الصرف». رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف. وروى أبو يعلى والعقيلي في الضعفاء الشطر الأول من حديث أبي بكر الصديق. [**الشطر الأول انظر ضعيف الجامع : ٤٧٩١**].

الأعمال»[١] وفي الخبر: «تلتقي ملائكة الليل والنهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر، فيقول الله تعالى وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وجئناهم وهم يصلون؛ فيقول الله سبحانه وتعالى: أشهدكم أني قد غفرت لهم»[٢]، ثم مهما سمع الأذان في وسط النهار للأولى والعصر، فينبغي أن لا يعرج على شغل، وينزعج عن مكانه، ويدع كل ما كان فيه، فما يفوته من فضيلة التكبيرة الأولى مع الإمام في أوّل الوقت لا توازيها الدنيا بما فيها، ومهما لم يحضر الجماعة عصى عند بعض العلماء.

وقد كان السلف يبتدرون عند الأذان ويخلون الأسواق للصبيان وأهل الذمة، وكانوا يستأجرون بالقراريط لحفظ الحوانيت في أوقات الصلوات، وكان ذلك معيشة لهم، وقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور :٣٧] أنهم كانوا حدادين وخرازين؛ فكان أحدهم إذا رفع المطرقة أو غرز الإشفى فسمع الأذان لم يخرج الإشفى من المغرز ولم يوقع المطرقة ورمى بها وقام إلى الصلاة.

الرابع : أن لا يقتصر على هذا بل يلازم ذكر الله سبحانه في السوق ويشتغل بالتهليل والتسبيح، فذكر الله في السوق بين الغافلين أفضل. قال ﷺ: «ذَاكِرُ الله فِي الغَافِلِينَ كَالمُقَاتِلِ خَلْفَ الفَارِّينَ، وَكَالْحَيِّ بَيْنَ الأَمْوَاتِ» . وفي لفظ آخر: «كَالشَّجَرَةِ الخَضْرَاء بَيْنَ الهَشِيمِ» وقال : «مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ الله لَه أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةً»[٣] وكان ابن عمر وسالم بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم يدخلون السوق قاصدين لنيل فضيلة هذا الذكر. وقال الحسن: ذاكر الله في السوق يجيء يوم القيامة له ضوء كضوء القمر، وبرهان كبرهان الشمس. ومن استغفر الله في السوق غفر الله له بعدد أهلها. وكان عمر رضي الله عنه إذا دخل السوق قال: اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفسوق، ومن شر ما أحاطت به السوق، اللهم إني أعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة. وقال أبو جعفر الفرغاني: كنا يومًا عند الجنيد، فجرى ذكر ناس يجلسون في المساجد ويتشبهون بالصوفية

---

(١)حديث «إن الملائكة إذا صعدت بصحيفة العبد وفي أول النهار وآخره ذكر وخير كفر الله ما بينهما من سيئ الأعمال». أخرجه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف بمعناه.

(٢) صحيح : حديث «تلتقي ملائكة الليل وملائكة النهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر، فيقول الله وهو أعلم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وجئناهم وهم يصلون، فيقول الله سبحانه وتعالى: أشهدكم أني قد غفرت لهم». متفق عليه من حديث أبي هريرة «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الغداة وصلاة العصر... الحديث». [البخاري : ٥٥٥، ومسلم : ٦٣٢].

(٣) حسن : حديث» من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة» تقدم في الأذكار. [الترمذي : ٣٤٢٨ ، وانظر صحيح الترغيب : ١٦٩٤].

ويقصرون عما يجب عليهم من حق الجلوس ويعيبون من يدخل السوق؛ فقال الجنيد: كم ممن هو في السوق حكمه أن يدخل المسجد؟ ويأخذ بإذن بعض من فيه فيخرجه ويجلس مكانه، وإني لأعرف رجلًا يدخل السوق ورده كل يوم ثلاثمائة ركعة وثلاثون ألف تسبيحة. قال: فسبق إلى وهمي أنه يعني نفسه، فهكذا كانت تجارة من يتجر لطلب الكفاية لا للتنعم في الدنيا، فإنّ من يطلب الدنيا للاستعانة بها على الآخرة كيف يدع ربح الآخرة، والسوق والمسجد والبيت له حكم واحد، وإنما النجاة بالتقوى. قال : «اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ» (١) فوظيفة التقوى لا تنقطع عن المتجرّدين للدّين كيفما تقلبت بهم الأحوال، وبه تكون حياتهم وعيشتهم، إذ فيه يرون تجارتهم وربحهم. وقد قيل: من أحب الآخرة عاش، ومن أحب الدنيا طاش، والأحمق يغدو ويروح في لاش، والعاقل عن عيوب نفسه فتاش.

الخامس :أن لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة، وذلك بأن يكون أول داخل وآخر خارج، وبأن يركب البحر في التجارة، فهما مكروهان، يقال إنّ من ركب البحر فقد استقصى في طلب الرزق. وفي الخبر: «لاَ يُرْكَبُ البَحْرُ إلاَّ لَحَجَ أَوْ عُمْرَةٍ أَوْ غَزْوٍ» (٢) وكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول: لا تكن أوّل داخل في السوق ولا آخر خارج منها، فإنّ بها باض الشيطان وفرّخ. روي عن معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر: أن إبليس يقول لولده زلنبور: سر بكتائبك فأت أصحاب الأسواق، زين لهم الكذب والحلف والخديعة والمكر والخيانة، وكن مع أوّل داخل وآخر خارج منها. وفي الخبر: «شَرُّ البِقَاعِ الأَسْوَاقُ، وَشَرُّ أَهْلِهَا أَوَّلُهُمْ دُخُولاً وَآخِرُهُمْ خُرُوجًا» (٣) وتمام هذا الاحتراز أن يراقب وقت كفايته، فإذا حصل كفاية وقته انصرف واشتغل بتجارة الآخرة هكذا كان صالحو السلف، فقد كان منهم من إذا ربح دانقًا انصرف قناعة به. وكان حماد بن سلمة يبيع الخز في سفط بين يديه، فكان إذا ربح حبتين رفع سفطه وانصرف. وقال إبراهيم بن بشار: قلت لإبراهيم بن أدهم رحمه الله: أمر اليوم أعمل في الطين فقال: يا ابن بشار، إنك طالب ومطلوب، يطلبك من لا تفوته وتطلب ما قد كفيته أما رأيت حريصًا محرومًا وضعيفًا مرزوقًا؟ فقلت: إن لي دانقًا عند البقال؛ فقال عز عليَّ بك، تملك دانقًا وتطلب العمل؟! وقد كان فيهم من ينصرف بعد الظهر، ومنهم بعد العصر، ومنهم من لا يعمل في الأسبوع إلا يومًا أو يومين وكانوا يكتفون به.

---

(١) حسن: حديث» اتق الله حيثما كنت». أخرجه الترمذي من حديث أبي ذر وصححه. [الترمذي : ١٩٨٧، وانظر صحيح الترغيب : ٢٦٥٥].

(٢) ضعيف :حديث» لا تركب البحر إلا لحجة أو عمرة أو غزو». أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو، وقيل إنه منقطع. [أبو داود : ٢٤٨٩ ، وانظر ضعيف الجامع : ٦٣٤٣].

(٣)حديث «شر البقاع الأسواق، وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا». تقدم صدر الحديث في الباب السادس من العلم. وروى أبو نعيم في كتاب حرمة المساجد من حديث ابن عباس «أبغض البقاع إلى الله الأسواق وأبغض أهلها إلى الله أولهم دخولا وآخرهم خروجا».

السادس: أن لا يقتصر على اجتناب الحرام، بل يتقي مواقع الشبهات ومظان الريب ولا ينظر إلى الفتاوى بل يستفتي قلبه، فإذا وجد فيه حزازة اجتنبه، وإذا حمل إليه سلعة رابه أمرها سأل عنها حتى يعرف وإلا أكل الشبهة، وقد حمل إلى رسول الله ﷺ لبن، فقال: «مِنْ أَيْنَ لَكُمْ هذَا؟» فقالوا: من الشاة، فقال: «وَمِنْ أَيْنَ لَكُمْ هذِهِ الشَّاةُ؟» فقيل: من موضع كذا، فشرب منه ثم قال: «إِنَّا مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ لاَ نَأْكُلَ إِلاَّ طَيِّبًا وَلاَ نَعْمَلَ إِلاَّ صَالِحًا»[(١)] وقال: «إِنَّ الله تَعَالَى أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة:١٧٢]»[(٢)] فسأل النبي ﷺ عن أصل الشيء وأصل أصله ولم يزد، لأن ما وراء ذلك يتعذر. وسنبين في كتاب الحلال والحرام موضع وجوب هذا السؤال «فإنه كان عليه الصلاة والسلام لا يسأل عن كل ما يحمل إليه»[(٣)]، وإنما الواجب أن ينظر التاجر إلى من يعامله فكل منسوب إلى ظلم أو خيانة أو سرقة أو ربا فلا يعامله، وكذا الأجناد والظلمة لا يعاملهم البتة ولا يعامل أصحابهم وأعوانهم، لأنه معين بذلك على الظلم. وحكي عن رجل أنه تولى عمارة سور لثغر من الثغور. قال: فوقع في نفسي من ذلك شيء، وإن كان ذلك العمل من الخيرات بل من فرائض الإسلام، ولكن كان الأمير الذي تولى في محلته من الظلمة. قال: فسألت سفيان رضي الله عنه فقال: لا تكن عونًا لهم على قليل ولا كثير؛ فقلت: هذا سور في سبيل الله للمسلمين فقال: نعم، ولكن أقل ما يدخل عليك أن تحب بقاءهم ليوفوك أجرك؛ فتكون قد أحببت بقاء من يعصي الله. وقد جاء في الخبر: «مَنْ دَعَا لِظَالِمٍ بِالبَقَاءِ فَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يُعْصى الله فِي أَرْضِهِ»[(٤)] وفي الحديث: «إِنَّ الله لَيَغْضَبُ إِذَا مُدِحَ الفَاسِقُ»[(٥)] وفي حديث آخر: «مَنْ أَكْرَمَ فَاسِقًا فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الإِسْلاَمِ»[(٦)]، ودخل سفيان على المهدي وبيده

---

(١) حديث سؤاله عن اللبن والشاة، وقوله «إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن لا نأكل إلا طيبا ولا نعمل إلا صالحا». رواه الطبراني من حديث أم عبد الله أخت شداد بن أوس بسند ضعيف.

(٢) صحيح: حديث «إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة. [مسلم: ١٠١٥].

(٣) صحيح: حديث «كان لا يسأل عن كل ما يحمل إليه». رواه أحمد من حديث جابر «أن رسول الله ﷺ وأصحابه مروا بامرأة فذبحت لهم شاة... الحديث»، «فأخذ رسول الله ﷺ لقمة فلم يستطع أن يسيغها، فقال: هذا شاة ذبحت بغير إذن أهلها... الحديث»، وله من حديث أبي هريرة: «كان إذا أتي بطعام من غير أهله سأل عنه... الحديث»، وإسنادهما جيد. وفي هذا أنه كان لا يسأل عما أتي به من عند أهله، والله أعلم. [حديث «أن رسول الله .....» عند أحمد: ١٤٣٧١، وانظر السلسلة الصحيحة: ٧٥٤، وحديث «كان إذا ....» عند احمد: ٧٩٥٤، والترمذي: ٦٥٦ بنحوه، وانظر صحيح الترمذي].

(٤) حديث «من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصي الله في أرضه». لم أجده مرفوعا، وإنما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت من قول الحسن، وقد ذكره المصنف هكذا على الصواب في آفات اللسان.

(٥) ضعيف: حديث «إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق». أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت، وابن عدي في الكامل، وأبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف. [انظر ضعيف الجامع: ١٧٤٦].

(٦) ضعيف: حديث «من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الإسلام». غريب بهذا اللفظ، والمعروف «من وقر

درج أبيض، فقال: يا سفيان أعطني الدواة حتى أكتب، فقال: أخبرني أي شيء تكتب، فإن كان حقًا أعطيتك. وطلب بعض الأمراء من بعض العلماء المحبوسين عنده أن يناوله طينًا ليختم به الكتاب، فقال: ناولني الكتاب أولًا حتى أنظر ما فيه، فهكذا كانوا يحترزون عن معاونة الظلمة ومعاملتهم أشدّ أنواع الإعانة، فينبغي أن يجتنبها ذوو الدين ما وجدوا إليه سبيلًا. وبالجملة؛ فينبغي أن ينقسم الناس عنده إلى من يعامل ومن لا يعامل، وليكن من يعامله أقل ممن لا يعامله في هذا الزمان. قال بعضهم: أتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول: من ترون لي أن أعامل من الناس فيقال له: عامل من شئت. ثم أتى زمان آخر كانوا يقولون: عامل من شئت إلا فلانًا وفلانًا، ثم أتى زمان آخر فكان يقال: لا تعامل أحدًا إلا فلانًا وفلانًا، وأخشى أن يأتي زمان يذهب هذا أيضًا. وكأنه قد كان الذي كان يحذر أن يكون، إنا لله وإنا إليه راجعون.

السابع: ينبغي أن يراقب جميع مجاري معاملته مع واحد من معامليه، فإنه مراقب ومحاسب، فليعدّ الجواب ليوم الحساب والعقاب في كل فعلة وقولة إنه لم أقدم عليها؟ ولأجل ماذا؟ فإنه يقال: إنه يوقف التاجر يوم القيامة مع كل رجل كان باعه شيئًا وقفة، ويحاسب عن كل واحد فهو محاسب على عدد من عامله. قال بعضهم: رأيت بعض التجار في النوم، فقلت: ماذا فعل الله بك؟ فقال: نشر عليَّ خمسين ألف صحيفة، فقلت: هذه كلها ذنوب، فقال: هذه معاملات الناس بعدد كل إنسان عاملته في الدنيا، لكل إنسان صحيفة مفردة فيما بيني وبينه من أول معاملته إلى آخرها، فهذا ما على المكتسب في عمله من العدل والإحسان والشفقة على الدين، فإن اقتصر على العدل كان من الصالحين، وإن أضاف إليه الإحسان كان من المقرّبين، وإن راعى مع ذلك وظائف الدين كما ذكر في الباب الخامس كان من الصّديقين، والله أعلم بالصواب.

تم كتاب الكسب والمعيشة بحمد الله ومنّه

* * *

صاحب بدعة... الحديث» رواه ابن عدي من حديث عائشة، والطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن يسر بأسانيد ضعيفة قال ابن الجوزي: كلها موضوعة. [حديث «من أكرم . . . . .» [انظر السلسلة الضعيفة : ١٨٦٢ بلفظ «من وقر صاحب بدعة . . . .»].

كتاب الحلال والحرام

وهو الكتاب الرابع من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق الإنسان من طين لازب وصلصال، ثم ركب صورته في أحسن تقويم وأتم اعتدال، ثم غذاه في أوّل نشوئه بلبن استصفاه من بين فرث ودم سائغًا كالماء الزلال، ثم حماه بما آتاه من طيبات الرزق عن دواعي الضعف والانحلال، ثم قيد شهوته المعادية له عن السطوة والصيال وقهرها بما افترضه عليه من طلب القوت الحلال، وهزم بكسرها جند الشيطان المتشمر للإضلال، ولقد كان يجري من ابن آدم مجرى الدم السيال، فضيق عليه عزة الحلال المجرى والمجال، إذ كان لا يبذرقه إلى أعماق العروق إلا الشهوة المائلة إلى الغلبة والاسترسال؛ فبقي لما زمت بزمام الحلال خائبًا خاسرًا ما له من ناصر ولا وال. والصلاة على محمد الهادي من الضلال وعلى آله خير آل، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد، فقال قال : «طَلَبُ الحَلاَلِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» (١)، رواه ابن مسعود رضي الله عنه، وهذه الفريضة من بين سائر الفرائض: أعصاها على العقول فهمًا، وأثقلها على الجوارح فعلًا، ولذلك اندرس بالكلية علمًا وعملًا، وصار غموض علمه سببًا لاندراس عمله، إذ ظن الجهال أن الحلال مفقود، وأن السبيل دون الوصال إليه مسدود، وأنه لم يبق من الطيبات إلا الماء الفرات، والحشيش النابت في الموات، وما عداه فقد أخبثته الأيدي العادية، وأفسدته المعاملات الفاسدة، وإذا تعذرت القناعة بالحشيش من النبات لم يبق وجه سوى الاتساع في المحرمات؛ فرفضوا هذا القطب من الدين أصلًا، ولم يدركوا بين الأموال فرقًا وفصلًا، وهيهات هيهات، فالحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما أمور مشتبهات ولا تزال هذه الثلاثة مقترنات كيفما تقلبت الحالات. ولما كانت هذه بدعة عم في الدين ضررها، واستطار في الخلق شررها، وجب كشف الغطاء عن فسادها بالإرشاد إلى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة على وجه التحقيق والبيان، ولا يخرجه التضييق عن حيز الإمكان.

ونحن نوضح ذلك في سبعة أبواب:

الباب الأول : في فضيلة طلب الحلال ومذمة الحرام ودرجات الحلال والحرام.

الباب الثاني : في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام.

---

(١) حديث ابن مسعود «طلب الحلال فريضة على كل مسلم». تقدم في الزكاة دون قوله «على كل مسلم» وللطبراني في الأوسط من حديث أنس «واجب على كل مسلم» وإسناده ضعيف.

الباب الثالث : في البحث والسؤال والهجوم والإهمال ومظانها في الحلال والحرام.
الباب الرابع : في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية.
الباب الخامس : في إدرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم.
الباب السادس : في الدخول على السلاطين ومخالطتهم.
الباب السابع : في مسائل متفرّقة.

الباب الأول في فضيلة الحلال ومذمة الحرام

وبيان أصناف الحلال ودرجاته وأصناف الحرام ودرجات الورع فيه

فضيلة الحلال ومذمة الحرام:

قال الله تعالى: ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون:٥١] أمر بالأكل من الطيبات قبل العمل. وقيل: إن المراد به الحلال. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة:١٨٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء:١٠] الآية. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [البقرة:٢٧٨] ثم قال: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة:٢٧٩] ثم قال: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ [البقرة:٢٧٩] ثم قال: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٧٥] جعل أكل الربا أول الأمر مؤذنًا بمحاربة الله، وفي آخره متعرضًا للنار، والآيات الواردة في الحلال والحرام لا تحصى. وروى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «طَلَبُ الحَلالِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» ولما قال : «طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»(١).
قال بعض العلماء: أراد به طلب علم الحلال والحرام، وجعل المراد بالحديثين واحدًا.

وقال ﷺ: «مَنْ سَعَى عَلَى عِيَالِهِ مِنْ حِلٍّ فَهُوَ كَالمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله، وَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلالًا فِي عَفَافٍ كَانَ فِي دَرَجَةِ الشُّهَدَاءِ»(٢) وقال ﷺ: «مَنْ أَكَلَ الحَلالَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نَوَّرَ الله قَلْبَهُ وَأَجْرَى يَنَابِيعَ الحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ»(٣). وفي رواية: «زَهَّدَهُ الله فِي الدُّنْيَا» وروي

---

(١) حديث «طلب العلم فريضة على كل مسلم». تقدم في العلم.
(٢) حديث «من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله، ومن طلب الدنيا في عفاف كان في درجة الشهداء». أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة «من سعى على عياله ففي سبيل الله» ولأبي منصور في مسند الفردوس «من طلب مكسبه من باب حلال يكف بها وجهه عن مسألة الناس وولده وعياله جاء يوم القيامة مع النبيين والصديقين» وإسنادهما ضعيف.
(٣) حديث «من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه». أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي أيوب «من أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» ولابن عدي نحوه من حديث أبو موسى، وقال: حديث منكر. [حديث «من أخلص . . .» انظر ضعيف الترغيب : ٦ عن ابن عباس].

أن سعدًا سأل رسول الله ﷺ أن يسأل الله تعالى أن يجعله مجاب الدعوة، فقال له: «أَطِبْ مطعمَكَ تُسْتَجَبْ دَعْوَتَكَ»(١) . ولما ذكر ﷺ الحريص على الدنيا قال: «رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ مُشَرَّدٍ فِي الأَسْفَارِ مَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِّيَ بِالحَرَامِ، يَرْفَعُ يَدَيْهِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذلِكَ»(٢) . وفي حديث ابن عباس عن النبي ﷺ: «إِنَّ لله مَلَكًا عَلَى بَيْتِ المَقْدِسِ يُنَادِي كُلَّ لَيْلَةٍ: مَنْ أَكَلَ حَرَامًا لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ»(٣) . فقيل: الصرف النافلة، والعدل الفريضة. وقال ﷺ: «مَن اشْتَرَى ثَوْبًا بِعَشَرَةِ دَرَاهِمَ وَفِي ثَمَنِهِ دِرْهَمٌ حَرَامٌ لَمْ يَقْبَلِ الله صَلاَتَهُ مَا دَامَ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ»(٤) . وقال ﷺ: «كُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ حَرَامٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ»(٥) . وقال ﷺ: «مَنْ لَمْ يُبَالِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَ المَالَ لَمْ يُبَالِ الله مِنْ أَيْنَ أَدْخَلَهُ النَّارَ»(٦) . وقال ﷺ: «العِبَادَةُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ: تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي طَلَبِ الحَلاَلِ»(٧) روي هذا مرفوعًا وموقوفًا على بعض الصحابة أيضًا. وقال ﷺ: «مَنْ أَمْسَى وَانِيًا مِنْ طَلَبِ الحَلاَلِ بَاتَ مَغْفُورًا لَهُ وَأَصْبَحَ وَالله عَنْهُ رَاضٍ»(٨) . وقال ﷺ: «مَنْ أَصَابَ مَالاً مِنْ مَأْثَمٍ فَوَصَلَ بِهِ رَحِمًا أَوْ تَصَدَّقَ بِهِ أَوْ أَنْفَقَهُ

---

(١) ضعيف جداً: حديث: أن سعدا سأل النبي ﷺ أن يسأل الله أن يجعله مجاب الدعوة، فقال له «أطب طعمتك تستجب دعوتك». أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس وفيه من لا أعرفه. [انظر ضعيف الترغيب : ١٠٧١].

(٢) صحيح: حديث «رب أشعث أغبر مشرد في الأسفار مطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام، يرفع يده فيقول: يا رب يا رب، فأنى يستجاب لذلك». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ «ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر... الحديث». [مسلم : ١٠١٥].

(٣) حديث ابن عباس» إن لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة: من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل». لم أقف له على أصل، ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود «من أكل لقمة من حرام لم تقبل منه صلاة أربعين ليلة... الحديث» وهو منكر. [حديث «إن الله ملكًا . . . . .» ، وحديث «من أكل لقمة . . . .].

(٤) ضعيف: حديث «من اشترى ثوبا بعشرة دراهم في ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته وعليه منه شيء». رواه أحمد من حديث ابن عمر بسند ضعيف. [أحمد : ٥٦٩٨ ، وانظر ضعيف الجامع : ٥٤٢٠].

(٥) صحيح: حديث «كل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به». أخرجه الترمذي من حديث كعب بن عجرة وحسنه، وقد تقدم. [الترمذي : ٦١٤ ، وانظر صحيح الترغيب : ١٧٢٩].

(٦) حديث «من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله عز وجل من أين أدخله النار». أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر. قال ابن العربي في عارضة الأحوذي شرح الترمذي: إنه باطل لم يصح ولا يصح.

(٧) حديث «العبادة عشرة أجزاء، فتسعة منها في طلب الحلال». رواه أبو منصور الديلمي من حديث أنس، إلا أنه قال «تسعة منها في الصمت والعاشرة كسب اليد من الحلال» وهو منكر.

(٨) ضعيف: حديث «من أمسى وانيا من طلب الحلال بات مغفورا له وأصبح والله عنه راض». أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس «من أمسى كالا من عمل يديه أمسى مغفورا له» وفيه ضعف. [انظر السلسلة الضعيفة: ٢٦٢٦].

فِي سَبِيلِ الله جَمَعَ الله ذلِكَ جَمِيعًا ثُمَّ قَذَفَهُ فِي النَّارِ»(١) وقال عليه الصلاة والسلام: «خَيْرُ دِينِكُمُ الوَرَعُ»(٢) . وقال ﷺ: «مَنْ لَقِيَ الله وَرِعًا أَعْطَاهُ الله ثَوَابَ الإِسْلاَمِ كُلَّهِ»(٣) . ويروى أن الله تعالى قال في بعض كتبه: وأما الورعون فأنا أستحي أن أحاسبهم. وقال ﷺ: «دِرْهِمٌ مِنْ رِبًا أَشَدُّ عِنْدَ الله مِنْ ثَلاَثِينَ زِنْيَةً فِي الإِسْلاَمِ»(٤) . وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «المعدة حوض البدن والعروق إليها واردة، فإذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة، وإذا سقمت صدرت بالسقم»(٥) . ومثل الطعمة من الدين مثل الأساس من البنيان، فإذا ثبت الأساس وقوي استقام البنيان وارتفع، وإذا ضعف الأساس واعوج انهار البنيان ووقع. وقال الله عز وجل: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة :١٠٩] الآية، وفي الحديث: «مَنِ اكْتَسَبَ مَالاً مِنْ حَرَامٍ فَإِنْ تَصَدَّقَ بِهِ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ، وَإِنْ تَرَكَهُ وَرَاءَهُ كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ»(٦) . وقد ذكرنا جملة من الأخبار في كتاب آداب الكسب تكشف عن فضيلة الكسب الحلال.

وأما الآثار: فقد ورد أن الصديق رضي الله عنه شرب لبنًا من كسب عبده ثم سأل عبده فقال: تكهنت لقوم فأعطوني، فأدخل أصابعه في فيه وجعل يقيء حتى ظننت أن نفسه ستخرج، ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء(٧) . وفي بعض

---

(١) حسن: حديث «من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحما أو تصدق به أو أنفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم قذفه في النار». رواه أبو داود في المراسيل من رواية القاسم بن مخيمرة مرسلا. [انظر صحيح الترغيب: ١٧٢١].

(٢) صحيح: حديث «خير دينكم الورع». تقدم في العلم. [انظر صحيح الجامع: ٣٣٠٨].

(٣) حديث «من لقي الله ورعا أعطاه ثواب الإسلام كله». لم أقف له على أصل.

(٤) حديث «درهم من ربا أشد عند الله من ثلاثين زنية في الإسلام». رواه أحمد والدار قطني من حديث عبد الله بن حنظلة وقال «ستة وثلاثين» ورجاله ثقات، وقيل: عن حنظلة الزاهد عن كعب مرفوعا، وللطبراني في الصغير من حديث ابن عباس «ثلاثة وثلاثين» وسنده ضعيف. [لفظ «ستة وثلاثين» عند احمد : ٢١٤٥٠، وصححه الألباني في المشكاة : ٢٨٢٥، ولفظ«ثلاث وثلاثين» انظر ضعيف الترغيب : ١١٦١].

(٥) منكر: حديث أبي هريرة «المعدة حوض البدن، والعروق إليها واردة، فإذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة، وإذا سقمت صدرت بالسقم». أخرجه الطبراني في الأوسط، والعقيلي في الضعفاء وقال: باطل لا أصل له. [انظر السلسلة الضعيفة : ١٦٩٢].

(٦) حديث «من اكتسب مالا من حرام فإن تصدق به لم يقبل منه، وإن تركه ورائه كان زاده إلى النار». رواه أحمد من حديث ابن مسعود بسند ضعيف، ولابن حبان من حديث أبي هريرة «من جمع مالا من حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان إصره عليه». [حديث «من اكتسب . . .» عند أحمد : ٣٦٦٣، وانظر ضعيف الجامع : ١٦٢٥، وحديث «من جمع . . . .» حسنه الألباني انظر صحيح الترغيب : ٧٥٢].

(٧) صحيح: حديث «إن أبا بكر شرب لبنا من كسب عبده ثم سأله فقال: تكهنت لقوم فأعطوني فأدخل إصبعه في فيه وجعل يقيء وفي بعض الأخبار أنهﷺ لما أخبر بذلك قال: أو ما علمتم أن الصديق لا يدخل جوفه إلا طيبا». رواه البخاري من حديث عائشة «كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوما بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية». فذكره، دون المرفوع منه، فلم أجده. [البخاري : ٣٨٤٢].

الأخبار أنه ﷺ أخبر بذلك فقال: «أَوَ مَا عَلِمْتُمْ أَنَّ الصِّدِّيقَ لاَ يَدْخُلُ جَوْفَهُ إِلاَّ طَيِّبًا» . وكذلك شرب عمر رضي الله عنه من لبن إبل الصدقة غلطًا، فأدخل أصبعه وتقيأ. وقالت عائشة رضي الله عنها: إنكم لتغفلون عن أفضل العبادة، هو الورع. وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار، لم يقبل ذلك منكم إلا بورع حاجز. وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: ما أدرك من أدرك إلا من كان يعقل ما يدخل جوفه. وقال الفضيل: من عرف ما يدخل جوفه كتبه الله صديقًا، فانظر عند من تفطر يا مسكين. وقيل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله: لم لا تشرب من ماء زمزم؟ فقال: لو كان لي دلو شربت منه. وقال سفيان الثوري رضي الله عنه: من أنفق من الحرام في طاعة الله كان كمن طهر الثوب النجس بالبول والثوب النجس لا يطهره إلا الماء، والذنب لا يكفره إلا الحلال. وقال يحيى بن معاذ: الطاعة خزانة من خزائن الله إلا أن مفتاحها الدعاء، وأسنانه لقم الحلال. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يقبل الله صلاة امرىء في جوفه حرام، وقال سهل التستري: لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يكون فيه أربع خصال: أداء الفرائض بالسنة، وأكل الحلال بالورع، واجتناب النهي من الظاهر والباطن، والصبر على ذلك إلى الموت. وقال: من أحب أن يكاشف بآيات الصديقين فلا يأكل إلا حلالاً ولا يعمل إلا في سنة أو ضرورة. ويقال: من أكل الشبهة أربعين يومًا أظلم قلبه، وهو تأويل قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] وقال ابن المبارك: رد ردهم من شبهة أحب إليَّ من أن أتصدق بمائة ألف درهم ومائة ألف ومائة ألف، حتى بلغ إلى ستمائة ألف. وقال بعض السلف: إن العبد يأكل أكلة فيتقلب قلبه، فينغل كما ينغل الأديم ولا يعود إلى حاله أبدًا. وقال سهل رضي الله عنه: من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى، علم أو لم يعلم. ومن كانت طعمته حلالاً أطاعته جوارحه ووفقت للخيرات وقال بعض السلف: إن أوّل لقمة يأكلها العبد من حلال يغفر له ما سلف من ذنوبه، ومن أقام نفسه مقام ذل في طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كتساقط ورق الشجر.

وروي في آثار السلف أن الواعظ كان إذا جلس للناس قال العلماء: تفقدوا منه ثلاثًا، فإن كان معتقدًا لبدعة فلا تجالسوه فإنه عن لسان الشيطان ينطق، وإن كان سيىء الطعمة فعن الهوى ينطق، فإن لم يكن مكين العقل فإنه يفسد بكلامه أكثر مما يصلح فلا تجالسوه. وفي الأخبار المشهورة عن علي رضى الله عنه وغيره: إن الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب. وزاد آخرون: وشبهتها عتاب. وروي أنّ بعض الصالحين دفع طعامًا إلى بعض الأبدال فلم يأكل، فسأله عن ذلك فقال: نحن لا نأكل إلا حلالاً، فلذلك تستقيم قلوبنا ويدوم حالنا ونكاشف الملكوت ونشاهد الآخرة، ولو أكلنا مما تأكلون ثلاثة أيام لما رجعنا إلى شيء من علم اليقين ولذهب الخوف والمشاهدة من قلوبنا، فقال له الرجل: فإني أصوم الدهر وأختم

القرآن في كل شهر ثلاثين مرة، فقال له البدال: هذه الشربة التي رأيتني شربتها من الليل أحب إليَّ من ثلاثين ختمة في ثلاثمائة ركعة من أعمالك، وكانت شربته من لبن ظبية وحشية. وقد كان بين أحمد بن حنبل ويحيى بن معين صحبة طويلة، فهجره أحمد إذ سمعه يقول: إني لا أسأل أحدًا شيئًا، ولو أعطاني الشيطان شيئًا لأكلته، حتى اعتذر يحيى وقال: كنت أمزح، فقال: تمزح بالدين، أما علمت أن الأكل من الدين قدمه الله تعالى على العمل الصالح فقال: ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون:٥١] وفي الخبر: أنه مكتوب في التوراة: «من لم يبال من أين مطعمه لم يبال الله من أي أبواب النيران أدخله» وعن علي رضي الله عنه أنه لم يأكل بعد قتل عثمان ونهب الدار طعامًا إلا مختومًا حذرًا من الشبهة، واجتمع الفضيل بن عياض وابن عيينة وابن المبارك عند وهيب بن الورد بمكة، فذكروا الرطب، فقال وهيب، هو من أحب الطعام إليَّ، إلا أني لا آكله لاختلاط رطب مكة ببساتين زبيدة وغيرها، فقال له ابن المبارك: إن نظرت في مثل هذا ضاق عليك الخبز. قال: وما سببه؟ قال: إن أصول الضياع قد اختلط بالصوافي، فغشي على وهيب، فقال سفيان: قتلت الرجل، فقال ابن المبارك: ما أردت إلا أن أهوّن عليه، فلما أفاق قال: لله عليَّ أن لا آكل خبزًا أبدًا حتى ألقاه. قال: فكان يشرب اللبن، فأتته أمه بلبن فسألها فقالت: هو من شاة بني فلان، فسأل عن ثمنها وأنه من أين كان لهم فذكرت، فلما أدناه من فيه قال: بقي أنها من أين كانت ترعى؟ فسكتت، فلم يشرب لأنها كانت ترعى من موضع فيه حق للمسلمين، فقالت أمه: اشرب فإن الله يغفر لك، فقال: ما أحب أن يغفر لي وقد شربته فأنال مغفرته بمعصيته. وكان بشر الحافي رحمه الله من الورعين، فقيل له: من أين تأكل، فقال: من حيث تأكلون، ولكن ليس من يأكل وهو يبكي كمن يأكل وهو يضحك. وقال: يد أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة وهكذا كانوا يحترزون من الشبهات.

أصناف الحلال ومداخله

اعلم أنّ تفصيل الحلال والحرام إنما يتولى بيانه كتب الفقه، ويستغني المريد عن تطويله بأن يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى حلها لا يأكل من غيرها، فأما من يتوسع في الأكل من وجوه متفرّقة فيفتقر إلى علم الحلال والحرام كله كما فصلناه في كتاب الفقه.

ونحن الآن نشير إلى مجامعه في سياق تقسيم: وهو أنّ المال إنما يحرم إما لمعنى في عينه أو لخلل في جهة اكتسابه.

القسم الأول: الحرام لصفة في عينه كالخمر والخنزير وغيرهما

وتفصيله أنّ الأعيان المأكولة على وجه الأرض لا تعدو ثلاثة أقسام، فإنها إما أن تكون من المعادن كالملح والطين وغيرهما، أو من النبات، أو من الحيوانات.

أما المعادن: فهي أجزاء الأرض وجميع ما يخرج منها، فلا يحرم أكله إلا من حيث إنه يضر بالآكل. وفي بعضها ما يجري مجرى السم، والخبز لو كان مضرًا لحرم أكله، والطين الذي يعتاد أكله لا يحرم إلا من حيث الضرر. وفائدة قولنا: إنه لا يحرم مع أنه لا يؤكل، أنه لو وقع شيء منها في مرقة أو طعام مائع لم يصر به محرّمًا.

وأما النبات: فلا يحرم منه إلاما يزيل العقل أو يزيل الحياة أو الصحة، فمزيل العقل: البنج والخمر وسائر المسكرات، ومزيل الحياة، السموم، ومزيل الصحة: الأدوية في غير وقتها، وكأن مجموع هذا يرجع إلى الضرر إلا الخمر والمسكرات، فإن الذي لا يسكر منها أيضًا حرام مع قلته لعينه ولصفته، وهي الشدّة المطربة، وأما السم فإذا خرج عن كونه مضرًا لقلته أو لعجنه بغيره فلا يحرم.

وأما الحيوانات: فتنقسم إلى ما يؤكل وإلى ما لا يؤكل، وتفصيله في كتاب الأطعمة، والنظر يطول في تفصيله، لا سيما في الطيور الغريبة وحيوانات البر والبحر، وما يحل أكله منها فإنما يحل إذا ذبح ذبحًا شرعيًا روعي فيه شروط الذابح والآلة والذبح، وذلك مذكور في كتاب الصيد والذبائح، وما لم يذبح ذبحًا شرعيًا أو مات فهو حرام، ولا يحل إلا ميتتان: السمك والجراد، وفي معناهما ما يستحيل من الأطعمة كدود التفاح والخل والجبن، فإنّ الاحتراز منهما غير ممكن، فأما إذا أفردت وأكلت فحكمها حكم الذباب والخنفساء والعقرب وكل ما ليس له نفس سائلة، لا سبب في تحريمها إلا الاستقذار، ولو لم يكن لكان لا يكره، فإن وجد شخص لا يستقذره لم يلتفت إلى خصوص طبعه فإنه التحق بالخبائث لعموم الاستقذار، فيكره أكله، كما لو جمع المخاط وشربه كره ذلك، وليست الكراهة لنجاستها فإنّ الصحيح أنها لا تنجس بالموت، إذ أمر رسول الله ﷺ بأن يمقل الذباب في الطعام إذا وقع فيه»[(١)]، وربما يكون حارًا ويكون ذلك سبب موته، ولو تهرت نملة أو ذبابة في قدر لم يجب إراقتها، إذ المستقذر هو جرمه إذا بقي له جرم، ولم ينجس حتى يحرم بالنجاسة، وهذا يدل على أن تحريمه للاستقذار، ولذلك نقول: لو وقع جزء من آدمي ميت في قدر ولو وزن دانق حرم الكل لا لنجاسته، فإن الصحيح أن الآدمي لا ينجس بالموت، ولكن لأن أكله محرّم احترامًا لا استقذارًا. وأما الحيوانات المأكولة إذا ذبحت بشرط الشرع فلا تحل جميع أجزائها بل يحرم منها الدم والفرث وكل ما يقضى بنجاسته منها، بل تناول النجاسة مطلقًا محرّم، ولكن ليس في الأعيان شيء محرّم نجس إلا من الحيوانات. وأما من النبات فالمسكرات فقط دون ما يزيل العقل ولا يسكر كالبنج، فإنّ نجاسة المسكر تغليظ للزجر عنه لكونه في مظنة

(١) صحيح: حديث الأمر بأن يمقل الذباب في الطعام إذا وقع فيه. [البخاري: ٣٣٢٠].
رواه البخاري من حديث أبي هريرة.

التشوّف، ومهما وقعت قطرة من النجاسة أو جزء من نجاسة جامدة في مرقة أو طعام أو دهن حرم أكل جميعه، ولا يحرم الانتفاع به لغير الأكل، فيجوز الاستصباح بالدهن النجس، وكذا طلاء السفن والحيوانات وغيرها، فهذه مجامع ما يحرم لصفة في ذاته.

القسم الثاني: ما يحرم لخلل في جهة إثبات اليد عليه

وفيه يتسع النظر فنقول: أخذ المال إما أن يكون باختيار المالك أو بغير اختياره فالذي يكون بغير اختياره كالإرث، والذي يكون باختياره إما أن لا يكون من مالك كنيل المعادن، أو يكون من مالك، والذي أخذ من مالك فإما أن يؤخذ قهرًا أو يؤخذ تراضيًا، والمأخوذ قهرًا إما أن يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم، أو لاستحقاق الأخذ كزكاة الممتنعين والنفقات الواجبة عليهم، والمأخوذ تراضيًا إما أن يؤخذ بعوض كالبيع والصداق والأجرة، وإما أن يؤخذ بغير عوض كالهبة والوصية، فيحصل من هذا السياق ستة أقسام:

الأول: ما يؤخذ من غير مالك: كنيل المعادن، وإحياء الموات، والاصطياد، والاحتطاب، والاستقاء من الأنهار، والاحتشاش، فهذا حلال بشرط أن لا يكون المأخوذ مختصًا بذي حرمة من الآدميين، فإذا انفك من الاختصاصات ملكها آخذها. وتفصيل ذلك في كتاب إحياء الموات.

الثاني: المأخوذة قهرًا ممن لا حرمة له وهو الفيء والغنيمة وسائر أموال الكفار والمحاربين، وذلك حلال المسلمين إذا أخرجوا منها الخمس وقسموها بين المستحقين بالعدل ولم يأخذوها من كافر له حرمة وأمان وعهد. وتفصيل هذه الشروط في كتاب السير من كتاب الفيء والغنيمة وكتاب الجزية.

الثالث: ما يؤخذ قهرًا باستحقاق عند امتناع من وجب عليه، فيؤخذ دون رضاه، وذلك حلال إذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق الذي به استحقاقه واقتصر على القدر المستحق، واستوفاه ممن يملك الاستيفاء من قاض أو سلطان أو مستحق، وتفصيل ذلك في كتاب تفريق الصدقات وكتاب الوقف وكتاب النفقات، إذ فيها النظر في صفة المستحقين للزكاة والوقف والنفقة وغيرها من الحقوق، فإذا استوفيت شرائطها كان المأخوذ حلالًا.

الرابع: ما يؤخذ تراضيًا بمعاوضة، وذلك حلال إذا روعي شرط العوضين وشرط العاقدين وشرط اللفظين. أعني الإيجاب والقبول، مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة. وبيان ذلك في كتاب البيع والسلم والإجارة والحوالة والضمان والقراض والشركة والمساقاة والشفعة والصلح والخلع والكتابة والصداق وسائر المعاوضات.

الخامس: ما يؤخذ عن رضا من غير عوض، وهو حلال إذا روعي فيه شرط المعقود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يؤد إلى ضرر بوارث أو غيره وذلك مذكور في كتاب الهبات

والوصايا والصدقات.

السادس: ما يحصل بغير اختيار كالميراث، وهو حلال إذا كان الموروث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمس على وجه حلال، ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة وإخراج الزكاة والحج والكفارة إن كان واجبًا، وذلك مذكور في كتاب الوصايا والفرائض، فهذه مجامع مداخل الحلال والحرام أومأنا إلى جملتها ليعلم المريد أنه إن كانت طعمته متفرّقة لا من جهة معينة فلا يستغني عن علم هذه الأمور، فكل ما يأكله من جهة من هذه الجهات ينبغي أن يستفتي فيه أهل العلم ولا يقدم عليه بالجهل، فإنه كما يقال للعالم: لم خالفت علمك؟ يقال للجاهل: لم لازمت جهلك ولم تتعلم بعد أن قيل لك طلب العلم فريضة على كل مسلم؟.

درجات الحلال والحرام

اعلم أن الحرام كله خبيث، لكن بعضه أخبث من بعض، والحلال كله طيب، ولكن بعضه أطيب من بعض وأصفى من بعض، وكما أن الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن يقول: بعضها حار في الدرجة الأولى كالسكر، وبعضها حار في الثانية كالفانيذ، وبعضها حار في الثالثة كالدبس، وبعضها حار في الرابعة كالعسل. كذلك الحرام بعضه خبيث في الدرجة الأولى، وبعضه في الثانية أو الثالثة أو الرابعة، وكذا الحلال تتفاوت درجات صفاته وطيبه، فلنقتد بأهل الطب في الاصطلاح على أربع درجات تقريبًا. وإن كان التحقيق لا يوجب هذا الحصر، إذ يتطرّق إلى كل درجة من الدرجات أيضًا تفاوت لا ينحصر، فإنّ من السكر ما هو أشد حرارة من سكر آخر، وكذا غيره، فلذلك نقول: الورع عن الحرام على أربع درجات:

الأولى: ورع العدول، وهو الذي يجب الفسق باقتحامه وتسقط العدالة به ويثبت اسم العصيان والتعرض للنار بسببه، وهو الورع عن كل ما تحرمه فتاوى الفقهاء.

الثانية: ورع الصالحين، وهو الامتناع عما يتطرق إليه احتمال التحريم، ولكن المفتي يرخص في التناول بناء على الظاهر، فهو من مواقع الشبهة على الجملة، فلنسم التحرج عن ذلك ورع الصالحين وهو في الدرجة الثانية.

الثالثة: ما لا تحرّمه الفتوى ولا شبهة في حله، ولكن يخاف منه أداؤه إلى محرّم، وهو ترك ما لا بأس به مخافة مما به بأس، وهذا ورع المتقين. قال ﷺ: «لاَ يَبْلُغُ العَبْدُ دَرَجَةَ المُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لاَ بَأْسَ بِهِ مَخَافَةَ مَا بِهِ بَأْسٌ»(١).

(١) ضعيف: حديث «لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس». رواه ابن ماجه، وقد تقدم. [ابن ماجه: ٤٢١٥، وانظر ضعيف الترغيب: ١٠٨١].

الرابعة: ما لا بأس به أصلًا ولا يخاف منه أن يؤدي إلى ما به بأس، ولكنه يتناول لغير الله وعلى غير نية التّقوى به على عبادة الله، أو تتطرّق إلى أسبابه المسهلة له كراهية أو معصية، والامتناع منه ورع الصدّيقين، فهذه درجات الحلال جملة إلى أن نفصلها بالأمثلة والشواهد.

وأما الحرام الذي ذكرناه في الدرجة الأولى وهو الذي يشترط التورع عنه في العدالة واطراح سمة الفسق، فهو أيضًا على درجات في الخبث، فالمأخوذ بعقد فاسد كالمعاطاة مثلًا فيما لا يجوز فيه المعاطاة حرام، ولكن ليس في درجة المغصوب على سبيل القهر، بل المغصوب أغلظ، إذ فيه ترك طريق الشرع في الاكتساب وإيذاء الغير، وليس في المعاطاة إيذاء، وإنما فيه ترك طريق التعبد فقط، ثم ترك طريق التعبد بالمعاطاة أهون من تركه بالربا، وهذا التفاوت يدرك بتشديد الشرع ووعيده وتأكيده في بعض المناهي، على ما سيأتي في كتاب التوبة عند ذكر الفرق بين الكبيرة والصغيرة، بل المأخوذ ظلمًا من فقير أو صالح أو من يتيم أخبث وأعظم من المأخوذ من قوي أو غني أو فاسق، لأن درجات الإيذاء تختلف باختلاف درجات المؤذى، فهذه دقائق في تفاصيل الخبائث لا ينبغي أن يذهب عنها، فلولا اختلاف درجات العصاة لما اختلفت درجات النار وإذا عرفت مثارات التغليظ فلا حاجة إلى حصره في ثلاث درجات أو أربع، فإن ذلك جار مجرى التحكم والتشهي، وهو طلب حصر فيما لا حاصر له، ويدلك على اختلاف درجات الحرام في الخبث ما سيأتي في تعارض المحذورات وترجيح بعضها على بعض، حتى إذا اضطر إلى أكل الميتة أو أكل طعام الغير أو أكل صيد الحرم فإنا نقدّم بعض هذا على بعض.

أمثلة الدرجات الأربع في الورع وشواهدها:

أما الدرجة الأولى: وهي ورع العدول، فكل ما اقتضى الفتوى تحريمه مما يدخل في المداخل الستة التي ذكرناها في مداخل الحرام لفقد شرط من الشروط، فهو الحرام المطلق الذي ينسب مقتحمه إلى الفسق والمعصية، وهو الذي نريده بالحرام المطلق ولا يحتاج إلى أمثلة وشواهد.

وأما الدرجة الثانية: فأمثلتها: كل شبهة لا نوجب اجتنابها ولكن يستحب اجتنابها كما سيأتي في باب الشبهات إذ من الشبهات ما يجب اجتنابها فتلحق بالحرام. ومنها ما يكره اجتنابها فالورع عنها ورع الموسوسين، كمن يمتنع من الاصطياد خوفًا من أن يكون الصيد قد أفلت من إنسان أخذه وملكه، وهذا وسواس. ومنها: ما يستحب اجتنابها ولا يجب وهو الذي ينزل عليه قوله ﷺ «دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يُرِيبُكَ»[1] ونحمله على نهي التنزيه، وكذلك قوله

---

(١) صحيح: حديث «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك». أخرجه النسائي والترمذي والحاكم وصححاه من حديث الحسن بن علي. [النسائي: ٥٧١١، والترمذي: ٢٥١٨، وانظر صحيح الترغيب: ١٧٣٧].

ﷺ: «كُلْ مَا أَصْمَيْتَ وَدَعْ مَا أَنْمَيْتَ»(١) والإنماء: أن يجري الصيد فيغيب عنه ثم يدركه ميتًا، إذ يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر، والذي نختاره كما سيأتي: أن هذا ليس بحرام ولكن تركه من ورع الصالحين. وقوله: «دَعْ مَا يُرِيبُكَ» أمر تنزيه، إذ ورد في بعض الروايات: «كُلْ مِنْهُ وَإِنْ غَابَ عَنْكَ مَا لَمْ تَجِدْ فِيهِ أَثَرًا غَيْرَ سَهْمِكَ» ، ولذلك قال ﷺ لعدي بن حاتم في الكلب المعلم: «وَإِنْ أَكَلَ فَلاَ تَأْكُلْ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ إِنَّمَا أَمْسَكَ عَلَى نَفْسِهِ» على سبيل التنزيه لأجل الخوف.

إذ قال لأبي ثعلبة الخشني «كُلْ مِنْهُ» فقال: وإن أكل منه؟ فقال: «وَإِنْ أَكَلَ»(٢) ، وذلك لأن حالة أبي ثعلبة وهو فقير مكتسب لا تحتمل هذا الورع، وحال عدي كان يحتمله. يحكى عن ابن سيرين أنه ترك لشريك له أربعة آلاف درهم لأنه حاك في قلبه شيء، مع اتفاق العلماء على أنه لا بأس به، فأمثله هذه الدرجة نذكرها في التعرّض لدرجات الشبهة فكل ما هو شبهة لا يجب اجتنابه فهو مثال هذه الدرجة.

أما الدرجة الثالثة : وهي ورع المتقين، فيشهد لها قوله ﷺ : «لاَ يَبْلُغُ العَبْدُ دَرَجَةَ المُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لاَ بَأْسَ بِهِ مَخَافَةَ مَا بِهِ بَأْسٌ» . وقال عمر رضي الله عنه: كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام وقيل: إن هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال أبو الدرداء: إن من تمام التقوى أن يتقي العبد في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حرامًا حتى يكون حجابًا بينه وبين النار، ولهذا كان لبعضهم مائة درهم على إنسان، فحملها إليه، فأخذ تسعة وتسعين وتورّع عن استيفاء الكل خيفة الزيادة. وكان بعضهم يتحرّز، فكل ما يستوفيه يأخذه بنقصان حبة وما يعطيه يوفيه بزيادة حبة، ليكون ذلك حاجزًا من النار، ومن هذه الدرجة الاحتراز عما يتسامح به الناس، فإنّ ذلك حلال في الفتوى ولكن يخاف من فتح بابه أن ينجرّ إلى غيره وتألف النفس الاسترسال وتترك الورع.

فمن ذلك ما روي عن علي بن معبد أنه قال: كنت ساكنًا في بيت بكراء، فكتبت كتابًا وأردت أن آخذ من تراب الحائط لأتربه وأجففه، ثم قلت: الحائط ليس لي، فقالت لي نفسي: وما قدر تراب من حائط؛ فأخذت من التراب حاجتي، فلما نمت فإذا أنا بشخص واقف يقول: يا علي بن معبد، سيعلم غدًا الذي يقول: وما قدر تراب من حائط، ولعل معنى ذلك أن يرى كيف يحط من منزلته، فإن للتقوى درجة تفوت بفوات ورع المتقين، وليس المراد به أن

---

(١) ضعيف جداً: حديث «كل ما أصميت ودع ما أنميت». أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس والبيهقي موقوفا عليه وقال: إن المرفوع ضعيف. [انظر السلسلة الضعيفة : ٤١٠١].

(٢) منكر: حديث قال لأبي ثعلبة «كل منه»، فقال: وإن أكل؟ قال: «وإن أكل». رواه أبو داود من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. ومن حديث أبي ثعلبة أيضا مختصرا وإسنادهما جيد، والبيهقي موقوفا عليه وقال: إن المرفوع ضعيف. [أبو داود : ٢٨٥٢، انظر ضعيف أبي داود].

يستحق عقوبة على فعله.

ومن ذلك ما روي أن عمر رضي الله عنه وصله مسك من البحرين فقال: وددت لو أنّ امرأة وزنته حتى أقسمه بين المسلمين، فقالت امرأته عاتكة: أنا أجيد الوزن فسكت عنها، ثم أعاد القول فأعادت الجواب، فقال: لا أحببت أن تضعيه بكفة ثم تقولين فيها أثر الغبار فتمسحين بها عنقك فأصيب بذلك فضلًا على المسلمين.

وكان يوزن بين يدي عمر بن عبد العزيز مسك للمسلمين فأخذ بأنفه حتى لا تصيبه الرائحة وقال: وهل ينتفع منه إلا بريحه لما استبعد ذلك منه. وأخذ الحسن رضي الله عنه تمرة من تمر الصدقة وكان صغيرًا فقال النبي ﷺ: «كخ كخ»[1] أي ألقها.

ومن ذلك ما روى بعضهم أنه كان عند محتضر، فمات ليلًا فقال: أطفئوا السراج فقد حدث للورثة حق في الدهن. وروى سليمان التيمي عن نعيمة العطارة قالت: كان عمر رضي الله عنه يدفع إلى امرأته طيبًا من طيب المسلمين لتبيعه، فباعتني طيبًا فجعلت تقوّم وتزيد وتنقص وتكسر بأسنانها، فتعلق بأصبعها شيء منه فقالت به هكذا بأصبعها، ثم مسحت به خمارها فدخل عمر رضي الله عنه فقال: ما هذه الرائحة؟ فأخبرته فقال: طيب المسلمين تأخذينه، فانتزع الخمار من رأسها وأخذ جرّة من الماء فجعل يصب على الخمار ثم يدلكه في التراب ثم يشمه، ثم يصب الماء ثم يدلكه في التراب ويشمه، حتى لم يبق له ريح، قالت: ثم أتيتها مرة أخرى فلما وزنت علق منه شيء بأصبعها، فأدخلت أصبعها في فيها ثم مسحت به التراب، فهذا من عمر رضي الله عنه ورع التقوى، لخوف أداء ذلك إلى غيره، وإلا فغسل الخمار ما كان يعيد الطيب إلى المسلمين، ولكن أتلفه عليها زجرًا وردعًا واتقاء من أن يتعدّى الأمر إلى غيره.

ومن ذلك ما سئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل يكون في المسجد يحمل مجمرة لبعض السلاطين ويبخر المسجد بالعود فقال: ينبغي أن يخرج من المسجد، فإنه لا ينتفع من العود إلا برائحته، وهذا قد يقارب الحرام، فإنّ القدر الذي يعبق بثوبه من رائحة الطيب قد يقصد وقد يبخل به، فلا يدري أنه يتسامح به أم لا. وسئل أحمد بن حنبل عمن سقطت منه ورقة فيها أحاديث، فهل لمن وجدها أن يكتب منها ثم يردها؟ فقال: لا بل يستأذن ثم يكتب، وهذا أيضًا قد يشك في أن صاحبها هل يرضى به أم لا، فما هو في محل الشك والأصل تحريمه فهو حرام، وتركه من الدرجة الأولى.

ومن ذلك التورع عن الزينة لأنه يخاف منها أن تدعو إلى غيرها، وإن كانت الزينة مباحة في

---

(١) صحيح: حديث «أخذ الحسن بن علي تمرة من الصدقة وكان صغيرا فقال النبي ﷺ «كخ كخ، ألقها». أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة. [البخاري: ٣٠٧٢].

نفسها. وقد سئل أحمد بن حنبل عن النعال السبتية فقال: أما أنا فلا أستعملها ولكن إن كان للطين فأرجو، وأما من أراد الزينة فلا، ومن ذلك أن عمر رضي الله عنه لما ولي الخلافة كانت له زوجة يحبها، فطلقها خيفة أن تشير عليه بشفاعة في باطل فيطيعها ويطلب رضاها، وهذا من ترك ما لا بأس به مخافة مما به البأس. أي مخافة من أن يفضي إليه، وأكثر المباحات داعية إلى المحظورات، حتى استكثار الأكل واستعمال الطيب للمتعزب فإنه يحرّك الشهوة، ثم الشهوة تدعو إلى الفكر، والفكر يدعو إلى النظر، والنظر يدعو إلى غيره، وكذلك النظر إلى دور الأغنياء وتجملهم مباح في نفسه ولكن يهيج الحرص ويدعو إلى طلب مثله، ويلزم منه ارتكاب ما لا يحل في تحصيله، وهكذا المباحات كلها إذا لم تؤخذ بقدر الحاجة في وقت الحاجة مع التحرّز من غوائلها بالمعرفة أولًا ثم بالحذر ثانيًا، فقلما تخلو عاقبتها عن خطر، وكذا كل ما أخذ بالشهوة فقلما يخلو عن خطر، حتى كره أحمد بن حنبل تجصيص الحيطان وقال: أما تجصيص الأرض فيمنع التراب، وأما تجصيص الحيطان فزينة لا فائدة فيه، حتى أنكر تجصيص المساجد وتزيينها، واستدل بما روي عن النبي ﷺ: أنه سئل أن يكحل المسجد، فقال: «لاَ، عَرِيش كَعَرِيشِ مُوسَى»(١) وإنما هو شيء مثل الكحل يطلى به، فلم يرخص رسول الله ﷺ فيه، وكره السلف الثوب الرقيق وقالوا: من رق ثوبه رق دينه، وكل ذلك خوفًا من سريان اتباع الشهوات في المباحات إلى غيرها، فإن المحظور والمباح تشتهيهما النفس بشهوة واحدة، وإذا تعوّدت الشهوة المسامحة استرسلت، فاقتضى خوف التقوى الورع عن هذا كله، فكل حلال انفك عن مثل هذه المخافة فهو الحلال الطيب في الدرجة الثالثة، وهو كل ما لا يخاف أداؤه إلى معصية البتة.

أما الدرجة الرابعة: وهو ورع الصديقين، فالحلال عندهم كل ما لا تتقدم في أسبابه معصية ولا يستعان به على معصية ولا يقصد منه في الحال والمآل قضاء وطر، بل يتناول لله تعالى فقط وللتقوي على عبادته واستبقاء الحياة لأجله، وهؤلاء هم الذين يرون كل ما ليس لله حرامًا، امتثالًا لقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾[الأنعام:٩١] وهذه رتبة الموحدين المتجردين عن حظوظ أنفسهم، المنفردين لله تعالى بالقصد، ولا شك في أن من يتورّع عما يوصل إليه أو يستعان عليه بمعصية لَيتورّع عما يقترن بسبب اكتسابه معصية أو كراهية، فمن ذلك ما روي عن يحيى بن كثير أنه شرب الدواء، فقالت له امرأته: لو تمشيت في الدار قليلًا حتى يعمل الدواء، فقال: هذه مشية لا أعرفها، وأنا أحاسب نفسي منذ ثلاثين سنة، فكأنه لم تحضره نية في هذه المشية تتعلق بالدين، فلم يجز الإقدام عليها. وعن سري

---

(١) حسن: حديث: أنه سئل أن يكحل المسجد فقال «لا، عريش كعريش موسى». أخرجه الدارقطني في الأفراد من حديث أبي الدرداء وقال: غريب. [انظر صحيح الجامع : ٤٠٠٧].

رحمه الله أنه قال: انتهيت إلى حشيش في جبل وماء يخرج منه، فتناولت من الحشيش وشربت من الماء، وقلت في نفسي: إن كنت قد أكلت يومًا حلالًا طيبًا فهو هذا اليوم، فهتف بي هاتف: إنّ القوّة التي أوصلتك إلى هذا الموضع من أين هي؟ فرجعت وندمت. ومن هذا ما روي عن ذي النون المصري أنه كان جائعًا محبوسًا، فبعثت إليه امرأة صالحة طعامًا على يد السجان، فلم يأكل، ثم اعتذر وقال: جاءني على طبق ظالم، يعني أن القوّة التي أوصلت الطعام إليّ لم تكن طيبة، وهذه الغاية القصوى في الورع. ومن ذلك أن بشرًا رحمه الله كان لا يشرب الماء من الأنهار التي حفرها الأمراء، فإن النهر سبب لجريان الماء ووصوله إليه وإن كان الماء مباحًا في نفسه فيكون كالمنتفع بالنهر المحفور بأعمال الأجراء وقد أعطوا الأجرة من الحرام، ولذلك امتنع بعضهم من العنب الحلال من كرم حلال، وقال لصاحبه: أفسدته إذ سقيته من الماء الذي يجري في النهر الذي حفره الظلمة، وهذا أبعد عن الظلم من شرب نفس الماء، لأنه احتراز من استمداد العنب من ذلك الماء. وكان بعضهم إذا مرَّ في طريق الحج لم يشرب من المصانع التي عملها الظلمة، مع أن الماء مباح، ولكنه بقي محفوظًا بالمصنع الذي عمل به بمال حرام، فكأنه انتفاع به. وامتناع ذي النون من تناول الطعام من يد السجان أعظم من هذا كله، لأن يد السجان لا توصف بأنها حرام، بخلاف الطبق المغصوب إذا حمل عليه، ولكنه وصل إليه بقوّة اكتسبت بالغذاء الحرام، ولذلك تقيأ الصديق رضي الله عنه من اللبن خيفة من أن يحدث الحرام فيه قوّة مع أنه شربه عن جهل، وكان لا يجب إخراجه ولكن تخلية البطن عن الخبيث من ورع الصِّدّيقين، ومن ذلك، التورع من كسب حلال اكتسبه خياط يخيط في المسجد، فإن أحمد رحمه الله كره جلوس الخياط في المسجد. وسئل عن المغازلي يجلس في قبة في المقابر في وقت يخاف من المطر، فقال: إنما هي من أمر الآخرة وكره جلوسه فيها. وأطفأ بعضهم سراجًا أسرجه غلامه من قوم يكره مالهم. وامتنع من تسجير تنور للخبز وقد بقي فيه جمر من حطب مكروه. وامتنع بعضهم من أن يحكم شسع نعله في مشعل السلطان، فهذه دقائق الورع عند سالكي طريق الآخرة.

والتحقيق فيه أن الورع له أول وهو الامتناع عما حرمته الفتوى وهو ورع العدول وله غاية وهو ورع الصديقين، وذلك هو الامتناع من كل ما ليس لله مما أخذ بشهوة أو توصل إليه بمكروه، أو اتصل بسببه مكروه وبينهما درجات في الاحتياط، فكلما كان العبد أشدّ تشديدًا على نفسه كان أخف ظهرًا يوم القيامة وأسرع جوازًا على الصراط، وأبعد عن أن تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته، وتتفاوت المنازل في الآخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات في الورع، كما تتفاوت درجات النار في حق الظلمة بحسب تفاوت درجات الحرام في الخبث، وإذا علمت حقيقة الأمر فإليك الخيار، فإن شئت فاستكثر من الاحتياط، وإن شئت فرخص فلنفسك تحتاط وعلى نفسك ترخص، والسلام.

الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام

قال رسول الله ﷺ: «الحَلاَلُ بَيِّنٌ وَالحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِعِرْضِهِ وَدِينِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَاقَعَ الحَرَامَ، كَالرَّاعِي حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ»(١)، فهذا الحديث نص في إثبات الأقسام الثلاثة، والمشكل منها القسم المتوسط الذي لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة، فلا بد من بيانها وكشف الغطاء عنها، فإن ما لا يعرفه الكثير فقد يعرفه القليل، فنقول:

الحلال المطلق: هو الذي خلا عن ذاته الصفات الموجبة للتحريم في عينه، وانحل عن أسبابه ما تطرّق إليه تحريم أو كراهية، ومثاله الماء الذي يأخذه الإنسان من المطر قبل أن يقع على ملك أحد يكون هو واقفًا عند جمعه وأخذه من الهواء في ملك نفسه أو في أرض مباحة.

والحرام المحض: هو ما فيه صفة محرّمة لا يشك فيها، كالشدّة المطربة في الخمر، والنجاسة في البول، أو حصل بسبب منهيّ عنه قطعًا كالمحصل بالظلم والربا ونظائره، فهذان طرفان ظاهران، ويلتحق بالطرفين ما تحقق أمره ولكنه احتمل تغيره، ولم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه، فإنّ صيد البر والبحر حلال، ومن أخذ ظبية فيحتمل أن يكون قد ملكها صياد ثم أفلتت منه، وكذلك السمك يحتمل أن يكون قد تزلق من الصياد بعد وقوعه في يده وخريطته، فمثل هذا الاحتمال لا يتطرّق إلى ماء المطر المختطف من الهواء، ولكنه في معنى ماء المطر، والاحتراز منه وسواس، ولنسم هذا الفن ورع الموسوسين، حتى تلتحق به أمثاله وذلك لأن هذا وهم مجرّد لا دلالة عليه، نعم لو دل عليه دليل. فإن كان قاطعًا كما لو وجد حلقة في أذن السمكة، أو كان محتملاً كما لو وجد على الظبية جراحة يحتمل أن يكون كيًّا لا يقدر عليه إلا بعد الضبط. ويحتمل أن يكون جرحًا، فهذا موضع الورع، وإذا انتفت الدلالة من كل وجه فالاحتمال المعدوم دلالته كالاحتمال المعدوم في نفسه، ومن هذا الجنس من يستعير دارًا فيغيب عنه المعير فيخرج ويقول: لعله مات وصار الحق للوارث، فهذا وسواس إذ لم يدل على موته سبب قاطع أو مشكك إذ الشبهة المحذورة ما تنشأ من الشك، والشك عبارة عن اعتقادين متقابلين نشآ عن سببين، فما لا سبب له لا يثبت عقده في النفس حتى يساوي العقد المقابل له فيصير شكًّا، ولهذا نقول: من شك أنه صلى ثلاثًا أو أربعًا أخذ بالثلاث إذ الأصل عدم الزيادة. ولو سئل إنسان أن صلاة الظهر التي أداها قبل هذا بعشر سنين كانت ثلاثًا

---

٢ الباب الثاني: في مراتب الشبهات

(١) صحيح: حديث «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه، ومن وقع في الشبهات واقع الحرام، كالراعي حول الحمى يوشك أن يقع فيه». متفق عليه من حديث النعمان بن بشير. [البخاري : ٥٢، ومسلم : ١٥٩٩].

أو أربعًا لم يتحقق قطعًا أنها أربعة، وإذا لم يقطع جوّز أن تكون ثلاثة، وهذا التجويز لا يكون شكًا، إذ لم يحضره سبب أوجب اعتقاد كونها ثلاثًا، فلتفهم حقيقة الشك حتى لا يشتبه الوهم والتجويز بغير سبب فهذا يلتحق بالحلال المطلق. ويلتحق بالحرام المحض ما تحقق تحريمه وإن أمكن طريان محلل ولكن لم يدل عليه سبب، كمن في يده طعام لمورثه الذي لا وارث له سواه، فغاب عنه فقال: يحتمل أنه مات وقد انتقل الملك إلي فآكله، فإقدامه عليه إقدام على حرام محض لأنه احتمال لا مستند له، فلا ينبغي أن يعدّ هذا النمط من أقسام الشبهات، وإنما الشبهة نعني بها ما اشتبه علينا أمره بأن تعارض لنا فيه اعتقادان صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين. ومثارات الشبهة خمسة:

المثار الأول: الشك في السبب المحلل والمحرم:

وذلك لا يخلو إما أن يكون متعادلًا، أو غلب أحد الاحتمالين، فإن تعادل الاحتمالان كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب ولا يترك بالشك، وإن غلب أحد الاحتمالين عليه بأنه صدر عن دلالة معتبرة كان الحكم للغالب، ولا يتبين هذا إلا بالأمثال والشواهد، فلنقسمه إلى أقسام أربعة:

القسم الأول: أن يكون التحريم معلومًا من قبل ثم يقع الشك في المحلل، فهذه شبهة يجب اجتنابها ويحرم الإقدام عليها. مثاله أن يرمي إلى صيد فيجرحه ويقع في الماء فيصادفه ميتًا ولا يدري أنه مات بالغرق أو بالجرح، فهذا حرام لأن الأصل التحريم، إلا إذا مات بطريق معين وقد وقع الشك في الطريق فلا يترك اليقين بالشك، كما في الأحداث والنجاسات وركعات الصلاة وغيرها، وعلى هذا ينزل قوله ﷺ لعدي بن حاتم: «لاَ تَأْكُلْهُ فَلَعَلَّهُ قَتَلَهُ غَيْرُ كَلْبِكَ»(١) فلذلك كان ﷺ إذا أُتي بشيء اشتبه عليه أنه صدقة أو هدية سأل عنه حتى يعلم أيهما هو(٢) . وروي: «أنه ﷺ أرق ليلة فقالت له بعض نسائه: أرقت يا رسول الله، فقال: «أَجَلْ، وَجَدْتُ تَمْرَةً فَخَشِيتُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ»(٣) وفي رواية: «فَأَكَلْتُهَا فَخَشِيتُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ» ومن ذلك ما روي عن بعضهم أنه قال: «كنا في سفر مع رسول الله ﷺ فأصابنا الجوع، فنزلنا منزلًا كثير الضباب فبينا القدور تغلي بها إذ قال رسول الله ﷺ: «أُمَّةٌ

---

(١) صحيح: حديث «لا تأكله فلعله قتله غير كلبك». قاله لعدي بن حاتم متفق عليه من حديثه. [البخاري: ١٧٥، ومسلم: ١٩٢٩].

(٢) صحيح: حديث «كان إذا أتى بشيء اشتبه عليه أنه صدقة أو هبة يسأل عنه». أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة. [البخاري: ٢٥٧٦].

(٣) حديث: أنه أرق ليلة فقال له بعض نسائه: أرقت يا رسول الله! فقال: «أجل، وجدت تمرة فأكلتها، فخشيت أن تكون من الصدقة». أخرجه أحمد من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بإسناد حسن. [أحمد: ٦٦٨١].

مُسِخَتْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ هذِهِ» فأكفأنا القدور [١]، ثم أعلمه الله بعد ذلك أنه لم يمسخ الله خلقًا فجعل له نسلًا [٢]. وكان امتناعه أولًا لأن الأصل عدم الحل وشك في كون الذبح محللًا.

القسم الثاني: أن يعرف الحل ويشك في المحرم، فالأصل الحل وله الحكم. كما إذا نكح امرأتين رجلان وطار طائر، فقال أحدهما: إن كان هذا غرابًا فامرأتي طالق، وقال الآخر: إن لم يكن غرابًا فامرأتي طالق. والتبس أمر الطائر فلا يقضى بالتحريم في واحدة منهما ولا يلزمهما اجتنابهما، ولكن الورع اجتنابهما وتطليقهما حتى يحلا لسائر الأزواج، وقد أمر مكحول بالاجتناب في هذه المسألة، وأفتى الشعبي بالاجتناب في رجلين كانا قد تنازعا، فقال أحدهما للآخر: أنت حسود، فقال الآخر: أحسدنا زوجته طالق ثلاثًا، فقال الآخر: نعم، وأشكل الأمر، وهذا إن أراد به اجتناب الورع فصحيح، وإن أراد التحريم المحقق فلا وجه له، إذ ثبت في المياه والنجاسات والأحداث والصلوات أن اليقين لا يجب تركه بالشك، وهذا في معناه.

فإن قلت: وأي مناسبة بين هذا وبين ذلك؟ فاعلم أنه لا يحتاج إلى المناسبة، فإنه لازم من غير ذلك في بعض الصور، فإنه مهما تيقن طهارة الماء ثم شك في نجاسته جاز له أن يتوضأ به، فكيف لا يجوز أن يشربه؟ وإذا جوز الشرب فقد سلم أن اليقين لا يزال بالشك، إلا أن ههنا دقيقة: وهو أن وزان الماء أن يشك في أنه طلق زوجته أم لا؟ فيقال: الأصل أنه ما طلق ووزان مسألة الطائر أن يتحقق نجاسة أحد الإناءين ويشتبه عينه، فلا يجوز أن يستعمل أحدهما بغير اجتهاد، لأنه قابل يقين النجاسة بيقين الطهارة فيبطل الاستصحاب، فكذلك ههنا قد وقع الطلاق على إحدى الزوجتين قطعًا، والتبس عين المطلقة بغير المطلقة، فنقول: اختلف أصحاب الشافعي في الإناءين على ثلاثة أوجه، فقال قوم: يستصحب بغير اجتهاد، وقال قوم: بعد حصول يقين النجاسة في مقابلة يقين الطهارة يجب الاجتناب ولا يغني الاجتهاد، وقال المقتصدون: يجتهد وهو الصحيح، ولكن وزانه أن تكون له زوجتان فيقول إن كان غرابًا فزينب طالق، وإن لم يكن فعمرة طالق، فلا جرم أنه لا يجوز له غشيانهما بالاستصحاب ولا

---

(١) صحيح: حديث: كنا في سفر مع رسول الله ﷺ، فأصابنا الجوع، فنزلنا منزلا كثير الضباب فبينا القدور تغلي بها إذ قال رسول الله ﷺ «أمة من بني إسرائيل مسخت فأخاف أن تكون هذه» فأكفأنا القدور
أخرجه ابن حبان والبيهقي من حديث عبد الرحمن وحسنه. وروى أبو داود والنسائي وابن ماجه حديث ثابت بن زيد نحوه مع اختلاف قال البخاري: وحديث ثابت أصح. [انظر السلسلة الصحيحة : ٢٩٧٠ ولم يذكر فأكفانا القدور، وأبو داود : ٣٧٩٥، والنسائي: ٤٣٢٠، وابن ماجه : ٣٢٣٨ ، وفيه «فلم يأكل ولم ينه»، وانظر صحيح أبي داود، والضباب : مفردها : الضب وهو نوع من الحيوانات].

(٢) صحيح: حديث «أنه لم يمسخ الله خلقا فجعل له نسلا». أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود. [مسلم : ٢٦٦٣].

يجوز الاجتهاد، إذ لا علامة، ونحرّمهما عليه لأنه لو وطئهما كانُ مقتحمًا للحرام قطعًا، وإن وطئ إحداهما وقال: أقتصر على هذه، كان متحكمًا بتعيينها من غير ترجيح. ففي هذا افترق حكم شخص واحد أو شخصين، لأنّ التحريم على شخص واحد متحقق، بخلاف الشخصين، إذ كل واحد شك في التحريم في حق نفسه.

فإن قيل: فلو كان الإناءان لشخصين فينبغي أن يستغني عن الاجتهاد ويتوضأ كل واحد بإنائه لأنه تيقن طهارته وقد شك الآن فيه، فنقول: هذا محتمل في الفقه والأرجح في ظني المنع، وأن تعدد الشخصين ههنا كاتحاده، لأنّ صحة الوضوء لا تستدعي ملكًا، بل وضوء الإنسان بماء غيره في رفع الحدث كوضوئه بماء نفسه، فلا يتبين لاختلاف الملك واتحاده أثر، بخلاف الوطء لزوجة الغير فإنه لا يحل، ولأن للعلامات مدخلًا في النجاسات، والاجتهاد فيه ممكن بخلاف الطلاق، فوجب تقوية الاستصحاب بعلامة ليدفع بها قوة يقين النجاسة المقابلة ليقين الطهارة، وأبواب الاستصحاب والترجيحات من غوامض الفقه ودقائقه، وقد استقصيناه في كتاب الفقه، ولسنا نقصد الآن إلا التنبيه على قواعدها.

القسم الثالث: أن يكون الأصل التحريم، ولكن طرأ ما أوجب تحليله بظنّ غالب، فهو مشكوك فيه، والغالب حله، فهذا ينظر فيه؛ فإن استند غلبة الظنّ إلى سبب معتبر شرعًا فالذي نختار فيه أنه يحل، واجتنابه من الورع. مثاله: أن يرمي إلى صيد فيغيب ثم يدركه ميتًا وليس عليه أثر سوى سهمه، ولكن يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر، فإن ظهر عليه أثر صدمة أو جراحة أخرى التحق بالقسم الأوّل. وقد اختلف الشافعي رحمه الله في هذا القسم، والمختار أنه حلال، لأن الجرح سبب ظاهر وقد تحقق، والأصل أنه لم يطرأ غيره عليه، فطريانه مشكوك فيه، فلا يدع اليقين بالشك.

فإن قيل: فقد قال ابن عباس: كُلْ ما أصميت ودع ما أنميت. وروت عائشة رضي الله عنها: أن رجلًا أتى النبي ﷺ بأرنب فقال: رميتي عرفت فيها سهمي، فقال: «أَصْمَيْتَ أَوْ أَنْمَيْتَ؟» فقال: بل أنميت، قال: «إِنَّ اللَّيْلَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ الله لاَ يُقَدِّرُ قَدْرَهُ إِلاَّ الَّذِي خَلَقَهُ، فَلَعَلَّهُ أَعَانَ عَلَى قَتْلِهِ شَيْءٌ»(١) وكذلك قال ﷺ لعدي بن حاتم في كلبه المعلم: «وَإِنْ أَكَلَ فَلاَ

---

(١) منكر: حديث عائشة أن رجلا أتى إلى النبي ﷺ بأرنب فقال: رميتي عرفت فيها سهمي، فقال «أصميت أو أنميت؟» فقال: بل أنميت، قال «إن الليل خلق من خلق الله لا يقدر قدره إلا الذي خلقه، فلعله أعان على قتله شيء». ليس هذا من حديث عائشة وإنما رواه موسى بن أبي عائشة عن أبي رزين قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ بصيد فقال: إني رميته من الليل فأعياني، ووجدت سهمي فيه من الغد وعرفت سهمي، فقال «الليل خلق من خلق الله عظيم، لعله أعانك عليها شيء» رواه أبو داود في المراسيل، والبيهقي وقال: أبو رزين اسمه مسعود. والحديث مرسل، قاله البخاري. [انظر السلسلة الضعيفة : ٥٢١٠].

تَأْكُلْ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ إِنَّمَا أَمْسَكَ عَلَى نَفْسِهِ» (١) والغالب أن الكلب المعلم لا يسيء خلقه ولا يمسك إلا على صاحبه، ومع ذلك نهى عنه، وهذا التحقيق: وهو أن الحل إنما يتحقق إذا تحقق تمام السبب، وتمام السبب بأن يفضي إلى الموت سليمًا من طريان غيره عليه، وقد شك فيه فهو شك في تمام السبب حتى اشتبه أنّ موته على الحل أو على الحرمة، فلا يكون هذا في معنى ما تحقق موته على الحل في ساعته ثم شك فيما يطرأ عليه.

فالجواب: أنّ نهي ابن عباس ونهي رسول الله ﷺ محمول على الورع والتنزيه، بدليل ما روي في بعض الروايات أنه قال: «كُلْ مِنْهُ وَإِنْ غَابَ عَنْكَ مَا لَمْ تَجِدْ فِيهِ أَثَرًا غَيْرَ سَهْمِكَ» (٢) وهذا تنبيه على المعنى الذي ذكرناه؛ وهو أنه إن وجد أثرًا آخر فقد تعارض السببان بتعارض الظن، وإن لم يجد سوى جرحه حصل غلبة للظن فيحكم به على الاستصحاب، كما يحكم على الاستصحاب بخبر الواحد والقياس المظنون والعمومات المظنونة وغيرها. وأما قول القائل: إنه لم يتحقق موته على الحل في ساعة فيكون شكًا في السبب فليس كذلك، بل السبب قد تحقق، إذ الجرح سبب الموت، فطريان الغير شك فيه، ويدل على صحة هذا: الإجماع على أن من جرح وغاب فوجد ميتًا فيجب القصاص على جارحه، بل إن لم يغب يحتمل أن يكون موته بهيجان خلط في باطنه، كما يموت الإنسان فجأة، فينبغي أن لا يجب القصاص إلا بحز الرقبة والجرح المذفف، لأن العلل القاتلة في الباطن لا تؤمن، ولأجلها يموت الصحيح فجأة، ولا قائل بذلك، مع أن القصاص مبناه على الشبهة، وكذلك جنين المذكاة حلال، ولعله مات قبل ذبح الأصل لا بسبب ذبحه أو لم ينفخ فيه الروح، وغرة الجنين تجب، ولعل الروح لم ينفخ فيه، أو كان قد مات قبل الجناية بسبب آخر، ولكن يبني على الأسباب الظاهرة، فإن الاحتمال الآخر إذا لم يستند إلى دلالة تدل عليه التحق بالوهم والوسواس كما ذكرناه، فكذلك هذا. وأما قوله ﷺ «أَخَافُ أَنْ يَكُونَ إِنَّمَا أَمْسَكَ عَلَى نَفْسِهِ» فللشافعي رحمه الله في هذه الصورة قولان، والذي نختاره الحكم بالتحريم، لأن السبب قد تعارض، إذ الكلب المعلم كالآلة والوكيل يمسك على صاحبه فيحل، ولو استرسل المعلم بنفسه فأخذ، لم يحل؛ لأنه يتصوّر منه أن يصطاد لنفسه، ومهما انبعث بإشارته ثم أكل دل ابتداء انبعاثه على أنه نازل منزلة آلته وأنه يسعى في وكالته ونيابته، ودل أكله آخرًا على أنه أمسك لنفسه لا لصاحبه، فقد تعارض السبب الدال فيتعارض الاحتمال، والأصل التحريم فيستصحب، ولا يزال بالشك، وهو كما لو وكل رجلًا بأن يشتري له جارية فاشترى جارية ومات قبل أن يبين

---

(١) صحيح: حديث: قال لعدي في كلبه المعلم «وإن أكل فلا تأكل فإني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه». متفق عليه من حديثه. [البخاري: ٥٤٧٦، ومسلم: ١٩٢٩].

(٢) صحيح: حديث «كل منه وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثر سهم غيرك». متفق عليه من حديث عدي بن حاتم. [البخاري: ٥٤٨٥، ومسلم: ١٩٢٩].

أنه اشتراها لنفسه أو لموكله يحل للموكل وطؤها، لأن للوكيل قدرة على الشراء لنفسه ولموكله جميعًا، ولا دليل مرجح والأصل التحريم؛ فهذا يلتحق بالقسم الأوّل لا بالقسم الثالث.

القسم الرابع :أن يكون الحل معلومًا ولكن يغلب على الظن طريان محرم بسبب معتبر في غلبة الظن شرعًا، فيرفع الاستصحاب ويقضي بالتحريم، إذا بان لنا أن الاستصحاب ضعيف ولا يبقى له حكم مع غالب الظن، ومثاله أن يؤدي اجتهاده إلى نجاسة أحد الإناءين بالاعتماد على علامة معينة توجب غلبة الظن فتوجب تحريم شربه كما أوجبت منع الوضوء به، وكذا إذا قال: إن قتل زيد عمرًا أو قتل زيد صيدًا منفردًا بقتله فامرأتي طالق فجرحه وغاب عنه فوجد ميتًا حرمت زوجته، لأن الظاهر أنه منفرد بقتله كما سبق، وقد نص الشافعي رحمه الله أن من وجد في الغدران ماء متغيرًا احتمل أن يكون تغيره بطول المكث أو بالنجاسة فيستعمله، ولو رأى ظبية بالت فيه ثم وجده متغيرًا واحتمل أن يكون بالبول أو بطول المكث لم يجز استعماله، إذ صار البول المشاهد دلالة مغلبة لاحتمال النجاسة وهو مثال ما ذكرناه وهذا في غلبة ظن استند إلى علامة متعلقة بعين الشيء، فأما غلبة الظن لا من جهة علامة تتعلق بعين الشيء فقد اختلف قول الشافعي رضي الله عنه في أن أصل الحل هل يزال به إذا اختلف قوله في التوضؤ من أواني المشركين، ومدمني الخمر والصلاة في المقابر المنبوشة والصلاة مع طين الشوارع، أعني المقدار الزائد على ما يتعذر الاحتراز عنه، وعبر الأصحاب عنه بأنه إذا تعارض الأصل والغالب فأيهما يعتبر، وهذا جار في حل الشرب من أواني مدمني الخمر والمشركين، لأن النجس لا يحل شربه، فإذًا مأخذ النجاسة والحل واحد، فالتردد في أحدهما يوجب التردد في الآخر، والذي اختاره أن الأصل هو المعتبر، وأن العلامة إذا لم تتعلق بعين المتناول لم توجب رفع الأصل، وسيأتي بيان ذلك وبرهانه في المثار الثاني للشبهة وهي شبهة الخلط، فقد اتضح من هذا حكم حلال شك في طريان محرّم عليه أو ظن، وحكم حرام شك في طريان محلل عليه أو ظن، وبان الفرق بين ظن يستند إلى علامة في عين الشيء وبين ما لا يستند إليه، وكل ما حكمنا في هذه الأقسام الأربعة بحله فهو حلال في الدرجة الأولى والاحتياط تركه، فالمقدم عليه لا يكون من زمرة المتقين والصالحين بل من زمرة العدول الذين لا يقضى في فتوى الشرع بفسقهم وعصيانهم واستحقاقهم العقوبة، إلا ما ألحقناه برتبة الوسواس فإنّ الاحتراز عنه ليس من الورع أصلًا.

المثار الثاني للشبهة: شك منشؤه الاختلاط:

وذلك بأن يختلط الحرام بالحلال ويشتبه الأمر ولا يتميز، والخلط لا يخلو: إما أن يقع بعدد لا يحصر من الجانبين أو من أحدهما، أو بعدد محصور، فإن اختلط بمحصور فلا يخلو: إما أن يكون اختلاط امتزاج بحيث لا يتميز بالإشارة كاختلاط المائعات. أو يكون اختلاط

استبهام مع التميز للأعيان كاختلاط الأعبد والدور والأفراس، والذي يختلط بالاستبهام فلا يخلو: إما أن يكون مما يقصد عينه كالعروض، أو لا يقصد كالنقود، فيخرج من هذا التقسيم ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن تستبهم العين بعدد محصور، كما لو اختلطت الميتة بمذكاة أو بعشر مذكيات، أو اختلطت رضيعة بعشر نسوة، أو يتزوّج إحدى الأختين ثم تلتبس، فهذه شبهة يجب اجتنابها بالإجماع، لأنه لا مجال للاجتهاد والعلامات في هذا، وإذا اختلطت بعدد محصور صارت الجملة كالشيء الواحد، فتقابل فيه يقين التحريم والتحليل، ولا فرق في هذا بين أن يثبت حل فيطرأ اختلاط بمحرّم، كما لو أوقع الطلاق على إحدى زوجتين في مسألة الطائر، أو يختلط قبل الاستحلال كما لو اختلطت رضيعة بأجنبية فأراد استحلال واحدة، وهذا قد يشكل في طريان التحريم كطلاق إحدى الزوجتين لما سبق من الاستصحاب. وقد نبهنا على وجه الجواب: وهو أن يقين التحريم قابل يقين الحل فضعف الاستصحاب وجانب الحظر أغلب في نظر الشرع، فلذلك ترجح، وهذا إذا اختلط حلال محصور بحرام محصور. فإن اختلط حلال محصور بحرام غير محصور، فلا يخفى أن وجوب الاجتناب أولى.

القسم الثاني: حرام محصور بحلال غير محصور، كما لو اختلطت رضيعة أو عشر رضائع بنسوة بلد كبير، فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح نساء أهل البلد، بل له أن ينكح من شاء منهن، وهذا لا يجوز أن يعلل بكثرة الحلال، إذ يلزم عليه أن يجوّز النكاح إذا اختلطت واحدة حرام بتسع حلال ولا قائل به، بل العلة الغلبة والحاجة جميعًا، إذ كل من ضاع له رضيع أو قريب أو محرم بمصاهرة أو سبب من الأسباب فلا يمكن أن يسدّ عليه باب النكاح، وكذلك من علم أن مال الدنيا خالطه حرام قطعًا لا يلزمه ترك الشراء والأكل، فإن كل ذلك حرج، وما في الدين من حرج. ويعلم هذا بأنه لما سرق في زمان رسول الله ﷺ مجنّ[1]، وغلّ واحد في الغنيمة عباءة[2]، لم يمتنع أحد من شراء المجان والعباء في الدنيا، وكذلك كل ما سرق، وكذلك كان يعرف أن في الناس من يربي في الدراهم والدنانير، وما ترك رسول الله ﷺ ولا الناس الدراهم والدنانير بالكلية[3].

وبالجملة إنما تنفك الدنيا عن الحرام إذا عصم الخلق كلهم عن المعاصي، وهو محال.

---

(١) صحيح: حديث «سرقة المجن في زمان رسول الله ﷺ». متفق عليه من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قطع سارقا في مجن قيمته ثلاثة دراهم. [البخاري: ٦٧٩٥، ومسلم: ١٦٨٦].

(٢) صحيح: حديث «غل واحد من الغنائم عباءة». رواه البخاري من حديث عبد الله بن عمر، واسم الغال: كركرة. [البخاري: ٣٠٧٤، وغل: أي أخذها من الغنيمة خفية قبل قسمتها].

(٣) حديث «إن في الناس من كان يربي في الدراهم والدنانير، وما ترك رسول الله ﷺ ولا الناس الدراهم بالكلية». هذا معروف، وسيأتي حديث جابر بعده بحديث. وهو يدل على ذلك:

وإذا لم يشترط هذا في الدنيا لم يشترط أيضًا في بلد إلا إذا وقع بين جماعة محصورين، بل اجتناب هذا من ورع الموسوسين، إذ لم ينقل ذلك عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من الصحابة، ولا يتصوّر الوفاء به في ملة من الملل ولا في عصر من الأعصار.

فإن قلت: فكل عدد محصور في علم الله، فما حدّ المحصور؟ ولو أراد الإنسان أن يحصر أهل بلد لقدر عليه أيضًا إن تمكن منه، فاعلم أن تحديد أمثال هذه الأمور غير ممكن، وإنما يضبط بالتقريب. فنقول: كل عدد لو اجتمع على صعيد واحد لعسر على الناظر عدهم بمجرد النظر، كالألف والألفين فهو غير محصور، وما سهل كالعشرة والعشرين فهو محصور، وبين الطرفين أوساط متشابهة تلحق بأحد الطرفين بالظن، وما وقع الشك فيه استفتى فيه القلب، فإن الإثم حزاز القلوب. وفي مثل هذا المقام قال رسول الله ﷺ لوابصة: «اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَوْكَ وَأَفْتَوْكَ وَأَفْتَوْكَ»[1] وكذا الأقسام الأربعة التي ذكرناها في المثار الأوّل يقع فيها أطراف متقابلة واضحة في النفي والإثبات وأوساط متشابهة، فالمفتي يفتي بالظن، وعلى المستفتي أن يستفتي قلبه، فإن حاك في صدره شيء فهو الآثم بينه وبين الله، فلا ينجيه في الآخرة فتوى المفتي، فإنه يفتي بالظاهر والله يتولى السرائر.

القسم الثالث: أن يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر، كحكم الأموال في زماننا هذا، فالذي يأخذ الأحكام من الصور قد يظن أن نسبة غير المحصور إلى غير المحصور كنسبة المحصور إلى المحصور، وقد حكمنا ثم بالتحريم، فلنحكم هنا به، والذي نختاره خلاف ذلك: وهو أنه لا يحرم بهذا الاختلاط أن يتناول شيء بعينه احتمل أنه حرام وأنه حلال، إلا أن يقترن بتلك العين علامة تدل على أنه من الحرام، فإن لم يكن في العين علامة تدل على أنه من الحرام فتركه ورع وأخذه حلال لا يفسق به آكله. ومن العلامات: أن يأخذه من يد سلطان ظالم، إلى غير ذلك من العلامات التي سيأتي ذكرها، ويدل عليه الأثر والقياس، فأما الأثر: فما علم في زمن رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين بعده، إذ كانت أثمان الخمور ودراهم الربا من أيدي أهل الذمة مختلطة بالأموال، وكذا غلول الأموال، وكذا غلول الغنيمة، ومن الوقت الذي نهى ﷺ عن الربا إذ قال: «أَوَّلُ رِبا أَضَعُهُ رِبَا العَبَّاسِ»[2] ما ترك الناس الربا بأجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمور وسائر المعاصي، حتى روي أن بعض أصحاب النبي ﷺ باع الخمر، فقال عمر رضي الله عنه: لعن الله فلانًا هو أوّل من سن بيع الخمر، إذ لم يكن قد فهم أن تحريم الخمر تحريم لثمنها. وقال ﷺ: «إِنَّ فُلانًا يَجُرُّ فِي النَّارِ عَبَاءَةً قَدْ غَلَّهَا»[3]

---

(١) حسن: حديث «استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك». قاله لوابصة تقدم. [أحمد: ١٧٥٤٥، وانظر صحيح الترغيب: ١٧٣٤].

(٢) صحيح: حديث «أول ربا أضعه ربا العباس». أخرجه مسلم من حديث جابر. [مسلم: ١٢١٨].

(٣) صحيح: حديث «إن فلانا في النار يجر عباءة قد غلها». رواه البخاري من حديث عبد الله بن عمر، وتقدم

وقتل رجل ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزات من خرز اليهود لا تساوي درهمين قد غلها[١]، وكذلك أدرك أصحاب رسول اللهﷺ الأمراء الظلمة ولم يمتنع أحد منهم عن الشراء والبيع في السوق بسبب نهب المدينة وقد نهبها أصحاب يزيد ثلاثة أيام، وكان من يمتنع من تلك الأموال مشارًا إليه في الورع، والأكثرون لم يمتنعوا مع الاختلاط وكثرة الأموال المنهوبة في أيام الظلمة. ومن أوجب ما لم يوجبه السلف الصالح وزعم أنه تفطن من الشرع ما لم يتفطنوا له فهو موسوس مختل العقل، ولو جاز أن يزاد عليهم في أمثال هذا لجاز مخالفتهم في مسائل لا مستند فيها سوى اتفاقهم كقولهم: «إن الجدة كالأم في التحريم وابن الابن كالابن وشعر الخنزير وشحمه كاللحم المذكور تحريمه في القرآن، والربا جار فيما عدا الأشياء الستة. وذلك محال فإنهم أولى بفهم الشرع من غيرهم. وأما القياس: فهو أنه لو فتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات وخرب العالم إذ الفسق يغلب على الناس ويتساهلون بسببه في شروط الشرع في العقود ويؤدي ذلك لا محالة إلى الاختلاط.

«فإن قيل: فقد نقلتم أنهﷺ امتنع من الضب وقال: «أَخْشَى أَنْ يَكُونَ مِمَّا مَسَخَهُ الله» وهو في اختلاط غير المحصور؟ قلنا يحمل ذلك على التنزه والورع أو نقول الضب شكل غريب ربما يدل على أنه من المسخ فهي دلالة في عين المتناول.

فإن قيل: هذا معلوم في زمان رسول اللهﷺ وزمان الصحابة بسبب الربا والسرقة والنهب وغلول الغنيمة وغيرها، ولكن كانت هي الأقل بالإضافة إلى الحلال. فماذا تقول في زماننا وقد صار الحرام أكثر ما في أيدي الناس لفساد المعاملات وإهمال شروطها وكثرة الربا وأموال السلاطين الظلمة، فمن أخذ مالًا لم تشهد عليه علامة معينة في عينه للتحريم فهل هو حرام أم لا؟ فأقول ليس ذلك حرامًا وإنما الورع تركه وهذا الورع أهم من الورع إذا كان قليلًا.

ولكن الجواب عن هذا أن قول القائل أكثر الأموال حرام في زماننا غلط محض ومنشؤه الغفلة عن الفرق بين الكثير والأكثر فأكثر الناس بل أكثر الفقهاء يظنون أن ما ليس بنادر فهو الأكثر ويتوهمون أنهما قسمان متقابلان ليس بينهما ثالث، وليس كذلك بل الأقسام ثلاثة: قليل وهو النادر وكثير وأكثر. ومثاله أنّ الخنثى فيما بين الخلق نادر وإذا أضيف إليه المريض وجدت كثيرًا وكذا السفر حتى يقال المرض والسفر من الأعذار العامة والاستحاضة من الأعذار النادرة، ومعلوم أنّ المرض ليس بنادر وليس بالأكثر أيضًا بل هو كثير. والفقيه إذا تساهل وقال المرض والسفر غالب وهو عذر عام أراد به أنه ليس بنادر فإن لم يرد هذا فهو غلط

قبله ثلاثة أحاديث. [البخاري : ٣٠٧٤].

(١) ضعيف: حديث «قتل رجل ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزا من خرز اليهود لا يساوي درهمين قد غله». رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث زيد بن خالد الجهني. [أبو داود : ٢٧١٠، والنسائي : ١٩٥٩، وابن ماجه : ٢٨٤٨، وانظر ضعيف الترغيب: ٨٤٢].

والصحيح والمقيم هو الأكثر والمسافر والمريض كثير والمستحاضة والخنثى نادر. فإذا فهم هذا فنقول: قول القائل الحرام أكثر باطل لأن مستند هذا القائل إما أن يكون كثرة الظلمة والجندية أو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة أو كثرة الأيدي التي تكرّرت من أوّل الإسلام إلى زماننا هذا على أصول الأموال الموجودة اليوم.

أما المستند الأوّل، فباطل فإن الظالم كثير وليس هو بالأكثر فإنهم الجندية إذ لا يظلم إلا ذو غلبة وشوكة وهم إذا أضيفوا إلى كل العالم لم يبلغوا عشر عشيرهم، فكل سلطان يجتمع عليه من الجنود مائة ألف مثلًا فيملك إقليمًا يجمع ألف ألف وزيادة ولعل بلدة واحدة من بلاد مملكته يزيد عددها على جميع عسكره، ولو كان عدد السلاطين أكثر من عدد الرعايا لهلك الكل إذ كان يجب على كل واحد من الرعية أن يقوم بعشرة منهم مثلًا مع تنعمهم في المعيشة ولا يتصور ذلك بل كفاية الواحد منهم تجمع من ألف من الرعية وزيادة، وكذا القول في السراق فإن البلدة الكبيرة تشتمل منهم على قدر قليل.

وأما المستند الثاني: وهو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة فهي أيضًا كثيرة وليست بالأكثر إذ أكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع فعدد هؤلاء أكثر والذي يعامل بالربا أو غيره فلو عددت معاملاته وحده لكان عدد الصحيح منها يزيد على الفاسد إلا أن يطلب الإنسان بوهمه في البلد مخصوصًا بالمجانة والخبث وقلة الدين حتى يتصوّر أن يقال معاملاته الفاسدة أكثر، ومثل ذلك المخصوص نادر وإن كان كثيرًا فليس بالأكثر لو كان كل معاملاته فاسدة كيف ولا يخلو هو أيضًا عن معاملات صحيحة تساوي الفاسدة أو تزيد عليها وهذا مقطوع به لمن تأمله وإنما غلب هذا على النفوس لاستكثار النفوس الفساد واستبعادها إياه واستعظامها له وإن كان نادرًا حتى ربما يظن أن الربا وشرب الخمر قد شاع كما شاع الحرام فيتخيل أنهم الأكثرون وهو خطأ فإنهم الأقلون وإن كان فيهم كثرة.

وأما المستند الثالث: وهو أخيلها أن يقال الأموال إنما تحصل من المعادن والنبات والحيوان، والنبات والحيوان حاصلان بالتوالد، فإذا نظرنا إلى شاة مثلًا وهي تلد في كل سنة فيكون عدد أصولها إلى زمان رسول الله ﷺ قريبًا من خمسمائة، ولا يخلو هذا أن يتطرق إلى أصل من تلك الأصول غصب أو معاملة فاسدة، فكيف يقدر أن تسلم أصولها عن تصرف باطل إلى زماننا هذا؟ وكذا بذور الحبوب والفواكه تحتاج إلى خمسمائة أصل أو ألف أصل مثلًا إلى أول زمان الشرع ولا يكون هذا حلالًا ما لم يكن أصله وأصل أصله كذلك إلى أول زمان النبوة حلالًا، وأما المعادن فهي التي يمكن نيلها على سبيل الابتداء وهي أقل الأموال وأكثر ما يستعمل منها الدراهم والدنانير ولا تخرج إلا من دار الضرب وهي في أيدي الظلمة مثل المعادن في أيديهم يمنعون الناس منها ويلزمون الفقراء استخراجها بالأعمال الشاقة، ثم يأخذونها منهم غصبًا فإذا نظر إلى هذا علم أن بقاء دينار واحد بحيث لا يتطرق إليه عقد فاسد

ولا ظلم وقت النيل ولا وقت الضرب في دار الضرب ولا بعده في معاملات الصرف، والربا بعيد نادر أو محال فلا يبقى إذًا حلال إلا الصيد والحشيش في الصحارى الموات والمفاوز والحطب المباح، ثم من يحصله لا يقدر على أكله فيفتقر إلى أن يشتري به الحبوب والحيوانات التي لا تحصل إلا بالاستنبات والتوالد، فيكون قد بذل حلالًا في مقابلة حرام فهذا هو أشد الطرق تخيلًا.

والجواب أن هذه الغلبة لم تنشأ من كثرة الحرام المخلوط بالحلال فخرج عن النمط الذي نحن فيه والتحق بما ذكرناه من قبل وهو تعارض الأصل والغالب. إذ الأصل في هذه الأموال قبولها للتصرفات وجواز التراضي عليها وقد عارضه سبب غالب يخرجه عن الصلاح له فيضاهي هذا محل القولين للشافعي رضي الله عنه في حكم النجاسات، والصحيح عندنا أنه تجوز الصلاة في الشوارع إذا لم يجد فيها نجاسة فإن طين الشوارع طاهر، وأن الوضوء من أواني المشركين جائز، وأن الصلاة في المقابر المنبوشة جائزة، فنثبت هذا أوّلًا ثم نقيس ما نحن فيه عليه، ويدل على ذلك توضؤ رسول الله ﷺ من مزادة مشركة، وتوضؤ عمر رضي الله عنه من جرّة نصرانية مع أن مشربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولا يحترزون عما نجسه شرعنا، فكيف تسلم أوانيهم من أيديهم؟ بل نقول: نعلم قطعًا أنهم كانوا يلبسون الفراء المدبوغة والثياب المصبوغة والمقصورة، ومن تأمل أحوال الدباغين والقصارين والصباغين علم أن الغالب عليهم النجاسة، وأنّ الطهارة في تلك الثياب محال أو نادر، بل نقول نعلم أنهم كانوا يأكلون خبز البر والشعير ولا يغسلونه مع أنه يداس بالبقر والحيوانات وهي تبول عليه وتروث وقلما يخلص منها، وكانوا يركبون الدواب وهي تعرق وما كانوا يغسلون ظهورها مع كثرة تمرّغها في النجاسات بل كل دابة تخرج من بطن أمها وعليها رطوبات نجسة قد تزيلها الأمطار وقد لا تزيلها وما كان يحترز عنها، وكانوا يمشون حفاة في الطرق وبالنعال ويصلون بها ويجلسون على التراب ويمشون في الطين من غير حاجة، وكانوا لا يمشون في البول والعذرة ولا يجلسون عليهما ويستنزهون منه، ومتى تسلم الشوارع عن النجاسات مع كثرة الكلاب وأبوالها وكثرة الدواب وأروائها؟ ولا ينبغي أن نظن أن الأعصار أو الأمصار تختلف في مثل هذا حتى يظن أن الشوارع كانت تغسل في عصرهم أو كانت تحرس من الدواب هيهات، فذلك معلوم استحالته بالعادة قطعًا فدل على أنهم لم يحترزوا إلا من نجاسة مشاهدة أو علامة على النجاسة دالة على العين. فأما الظن الغالب الذي يستثار من رد الدراهم إلى مجاري الأحوال فلم يعتبروه وهذا عند الشافعي رحمه الله وهو يرى أن الماء القليل ينجس من غير تغير واقع إذ لم يزل الصحابة يدخلون الحمامات ويتوضؤون من الحياض وفيها المياه القليلة والأيدي المختلفة تغمس فيها على الدوام، وهذا قاطع في هذا الغرض - ومهما ثبت جواز التوضؤ من جرة نصرانية ثبت جواز شربه والتحق حكم الحل بحكم النجاسة.

فإن قيل: لا يجوز قياس الحل على النجاسة إذ كانوا يتوسعون في أمور الطهارات ويحترزون من شبهات الحرام غاية التحرّز فكيف يقاس عليها؟ قلنا إن أريد به أنهم صلوا معها مع النجاسة والصلاة معها معصية وهي عماد الدين فبئس الظن، بل يجب أن نعتقد فيهم أنهم احترزوا عن كل نجاسة وجب اجتنابها وإنما تسامحوا حيث لم يجب وكان في محل تسامحهم هذه الصورة التي تعارض فيها الأصل والغالب، فبان أنّ الغالب الذي لا يستند إلى علامة تتعلق بعين ما فيه النظر مطرح، وأما تورعهم في الحلال فكان بطريق التقوى وهو ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس لأنّ أمر الأموال مخوف والنفس تميل إليها إن لم تضبط عنها، وأمر الطهارة ليس كذلك فقد امتنع طائفة منهم عن الحلال المحض خيفة أن يشغل قلبه. وقد حكي عن واحد منهم أنه احترز من الوضوء بماء البحر وهو الطهور المحض، فالافتراق في ذلك لا يقدح في الغرض الذي أجمعنا فيه، على أنا نجري في هذا المستند على الجواب الذي قدّمنا في المستندين السابقين، ولا نسلم ما ذكروه من أنّ الأكثر هو الحرام لأنّ المال وإن كثرت أصوله فليس بواجب أن يكون في أصوله حرام بل الأموال الموجودة اليوم مما تطرق الظلم إلى أصول بعضها دون بعض، وكما أن الذي يبتدأ غصبه اليوم هو الأقل بالإضافة إلى ما لا يغصب ولا يسرق، فهكذا كل مال في كل عصر وفي كل أصل فالمغصوب من مال الدنيا والمتناول في كل زمان بالفساد بالإضافة إلى غيره أقل. ولسنا ندري أنّ هذا الفرع بعينه من أي القسمين؟ فلا نسلم أن الغالب تحريمه فإنه كما يزيد المغصوب بالتوالد يزيد غير المغصوب بالتوالد فيكون فرع الأكثر لا محالة في كل عصر وزمان أكثر، بل الغالب أن الحبوب المغصوبة تغصب للأكل لا للبذر، وكذا الحيوانات المغصوبة أكثرها يؤكل ولا يقتنى للتوالد فكيف يقال إن فروع الحرام أكثر ولم تزل أصول الحلال أكثر من أصول الحرام؟ وليتفهم المسترشد من هذا طريق معرفة الأكثر فإنه مزلة قدم وأكثر العلماء يغلطون فيه فكيف العوام؟ هذا في المتولدات من الحيوانات والحبوب فأما المعادن فإنها مخلاة مسبلة يأخذها في بلاد الترك وغيرها من شاء ولكن قد يأخذ السلاطين بعضها منهم أو يأخذون الأقل لا محالة لا الأكثر، ومن حاز من السلاطين معدنًا فظلمه يمنع الناس منه فأما ما يأخذه الآخذ منه فيأخذه من السلطان بأجرة، والصحيح أنه يجوز الاستنابة في إثبات اليد على المباحات والاستئجار عليها، فالمستأجر على الاستقاء إذا حاز الماء دخل في ملك المستقي له واستحق الأجرة، فكذلك النيل، فإذا فرغنا على هذا لم تحرم عين الذهب إلا أن يقدر ظلمه بنقصان أجرة العمل وذلك قليل بالإضافة ثم لا يوجب تحريم عين الذهب بل يكون ظالمًا ببقاء الأجرة في ذمته، وأما دار الضرب فليس الذهب الخارج منها من أعيان ذهب السلطان الذي غصبه وظلم به الناس بل التجار يحملون إليهم الذهب المسبوك أو النقد الرديء ويستأجرونهم على السبك والضرب ويأخذون مثل وزن ما سلموه إليهم إلا شيئًا قليلًا يتركونه أجرة لهم على العمل وذلك

جائز، وإن فرض دنانير مضروبة من دنانير السلطان فهو بالإضافة إلى مال التجار أقل لا محالة، نعم السلطان يظلم أجراء دار الضرب بأن يأخذ منهم ضريبة لأنه خصصهم بها من بين سائر الناس حتى توفر عليهم مال بحشمة السلطان فما يأخذه السلطان عوض عن حشمته وذلك من باب الظلم وهو قليل بالإضافة إلى ما يخرج من دار الضرب فلا يسلم لأهل دار الضرب والسلطان من جملة ما يخرج منه من المائة واحد وهو عشر العشير فكيف يكون هو الأكثر؟ فهذه أغاليط سبقت إلى القلوب بالوهم وتشمر لتزيينها جماعة ممن رق دينهم حتى قبحوا الورع وسدّوا بابه واستقبحوا تمييز من يميز بين مال ومال وذلك عين البدعة والضلال.

فإن قيل: فلو قدر غلبة الحرام وقد اختلط غير محصور بغير محصور فماذا تقولون فيه إذا لم يكن في العين المتناولة علامة خاصة؟ فنقول الذي نراه أن تركه ورع وأن أخذه ليس بحرام، لأن الأصل الحل ولا يرفع إلا بعلامة معينة كما في طين الشوارع ونظائرها. بل أزيد وأقول: لو طبق الحرام الدنيا حتى علم يقينًا أنه لم يبق في الدنيا حلال لكنت أقول نستأنف تمهيد الشروط من وقتنا ونعفو عما سلف ونقول ما جاوز حدّه انعكس إلى ضدّه فمهما حرم الكل حل الكل. وبرهانه أنه إذا وقعت هذه الواقعة فالاحتمالات خمسة:

أحدها: أن يقال يدع الناس الأكل حتى يموتوا عن آخرهم.

الثاني: أن يقتصروا منها على قدر الضرورة وسدّ الرمق يزجون عليها أيامًا إلى الموت.

الثالث: أن يقال يتناولون قدر الحاجة كيف شاؤوا سرقة وغصبًا وتراضيًا من غير تمييز بين مال ومال وجهة وجهة.

الرابع: أن يتبعوا شروط الشرع ويستأنفوا قواعده من غير اقتصار على قدر الحاجة.

الخامس: أن يقتصروا مع شروط الشرع على قدر الحاجة.

أما الأول؛ فلا يخفى بطلانه. وأما الثاني؛ فباطل قطعًا لأنه إذا اقتصر الناس على سدّ الرمق وزجوا أوقاتهم على الضعف فشا فيهم الموتان وبطلت الأعمال والصناعات وخربت الدنيا بالكلية ـ وفي خراب الدنيا خراب الدين لأنها مزرعة الآخرة ـ وأحكام الخلافة والقضاء والسياسات بل أكثر أحكام الفقه مقصودها حفظ مصالح الدنيا ليتم بها مصالح الدين. وأما الثالث وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير زيادة عليه مع التسوية بين مال ومال بالغصب والسرقة والتراضي وكيفما اتفق فهو رفع لسد الشرع بين المفسدين وبين أنواع الفساد فتمتد الأيدي بالغصب والسرقة وأنواع الظلم ولا يمكن زجرهم منه إذ يقولون ليس يتميز صاحب اليد باستحقاق عنا فإنه حرام عليه وعلينا، وذو اليد له قدر الحاجة فقط فإن كان هو محتاجًا فإنّا أيضًا محتاجون وإن كان الذي أخذته في حقي زائدًا على الحاجة فقد سرقته ممن هو زائد على حاجت يومه، وإذا لم يراع حاجة اليوم والسنة فما الذي يراعي وكيف يضبط؟ وهذا يؤدي إلى بطلان سياسة الشرع وإغراء أهل الفساد بالفساد، فلا يبقى إلا الاحتمال الرابع وهو

أن يقال كل ذي يد على ما في يده وهو أولى به لا يجوز أن يؤخذ منه سرقة وغصبًا بل يؤخذ برضاه والتراضي هو طريق الشرع، وإذ لم يجز إلا بالتراضي فللتراضي أيضًا منهاج في الشرع تتعلق به المصالح، فإن لم يعتبر فلم يتعين أصل التراضي وتعطل تفصيله؟ وأما الاحتمال الخامس وهو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من أصحاب الأيدي فهو الذي نراه لائقًا بالورع لمن يريد سلوك طريق الآخرة ولكن لا وجه لإيجابه على الكافة ولا لإدخاله في فتوى العامة لأن أيدي الظلمة تمتد إلى الزيادة على قدر الحاجة في أيدي الناس وكذا أيدي السراق، وكل من غلب سلب وكل من وجد فرصة سرق ويقول لا حق له إلا في قدر الحاجة وأنا محتاج ولا يبقى إلا أن يجب على السلطان أن يخرج كل زيادة على قدر الحاجة من أيدي الملاك، ويستوعب بها أهل الحاجة ويدر على الكل الأموال ـ يومًا فيومًا أو سنة فسنة ـ وفيه تكليف شطط وتضييع أموال، أما تكليف الشطط فهو أنّ السلطان لا يقدر على القيام بهذا مع كثرة الخلق بل لا يتصوّر ذلك أصلًا، وأما التضييع فهو أن ما فضل عن الحاجة من الفواكه واللحوم والحبوب ينبغي أن يلقى في البحر أو يترك حتى يتعفن فإن الذي خلقه الله من الفواكه والحبوب زائد عن قدر توسع الخلق وترفههم فكيف على قدر حاجتهم؟ ثم يؤدي ذلك إلى سقوط الحج والزكاة والكفارات المالية وكل عبادة نيطت بالغنى عن الناس إذ أصبح الناس لا يملكون إلا قدر حاجتهم وهو في غاية القبح، بل أقول لو ورد نبي في مثل هذا الزمان لوجب عليه أن يستأنف الأمر ويمهد تفصيل أسباب الأملاك بالتراضي وسائر الطرق ويفعل ما يفعله لو وجد جميع الأموال حلالًا من غير فرق. وأعني بقولي: يجب عليه، إذا كان النبي ممن بعث لمصلحة الخلق في دينهم ودنياهم إذ لا يتم الصلاح برد الكافة إلى قدر الضرورة والحاجة إليه فإن لم يبعث للصلاح لم يجب هذا. ونحن نجوّز أن يقدّر الله سببًا يهلك به الخلق عن آخرهم فيفوت دنياهم ويضلون في دينهم فإنه يضل من يشاء من ويهدي من يشاء ويميت من يشاء ويحيي من يشاء ولكنا نقدّر الأمر جاريًا على ما ألف من سنة الله تعالى في بعثة الأنبياء لصلاح الدين والدنيا. وما لي أقدّر هذا وقد كان ما أقدّره، فلقد بعث الله نبينا ﷺ على فترة من الرسل وكان شرع عيسى عليه السلام قد مضى عليه قريب من ستمائة سنة والناس منقسمون إلى مكذبين له من اليهود وعبدة الأوثان وإلى مصدّقين له قد شاع الفسق فيهم كما شاع في زماننا الآن والكفار مخاطبون بفروع الشريعة. والأموال كانت في أيدي المكذبين له والمصدقين، أما المكذبون فكانوا يتعاملون بغير شرع عيسى عليه السلام وأما المصدّقون فكانوا يتساهلون مع أصل التصديق كما يتساهل الآن المسلمون مع أن العهد بالنبوة أقرب فكانت الأموال كلها أو أكثرها أو كثير منها حرامًا.

وعفا ﷺ عما سلف ولم يتعرض له وخصص أصحاب الأيدي بالأموال ومهد الشرع وما ثبت تحريمه في شرع لا ينقلب حلالًا لبعثة رسول ولا ينقلب حلالًا بأن يسلم الذي في يده

الحرام، فإنا لا نأخذ في الجزية من أهل الذمة ما نعرفه بعينه أنه ثمن خمر أو مال ربا فقد كانت أموالهم في ذلك الزمان كأموالنا الآن، وأمر العرب كان أشدّ لعموم النهب والغارة فيهم. فبان أن الاحتمال الرابع متعين في الفتوى، والاحتمال الخامس هو طريق الورع، بل تمام الورع الاقتصار في المباح على قدر الحاجة وترك التوسع في الدنيا بالكلية وذلك طريق الآخرة. ونحن الآن نتكلم في الفقه المنوط بمصالح الخلق وفتوى الظاهر له حكم ومنهاج على حسب مقتضى المصالح وطريق الدين الذي لا يقدر على سلوكه إلا الآحاد ولو اشتغل الخلق كلهم به لبطل النظام وخرب العالم فإن ذلك طلب ملك كبير في الآخرة ولو اشتغل كل الخلق بطلب ملك الدنيا وتركوا الحرف الدنيئة والصناعات الخسيسة لبطل النظام ثم يبطل ببطلانه الملك أيضًا. فالمحترفون إنما سخروا لينتظم الملك للملوك وكذلك المقبلون على الدنيا سخروا ليسلم طريق الدين لذوي الدين وهو ملك الآخرة ولولاه لما سلم لذوي الدين أيضًا دينهم فشرط سلامة الدين لهم أن يعرض الأكثرون عن طريقهم ويشتغلوا بأمور الدنيا وذلك قسمة سبقت بها المشيئة الأزلية وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ﴾ [الزخرف:٣٢].

فإن قيل: لا حاجة إلى تقدير عموم التحريم حتى لا يبقى حلال فإن ذلك غير واقع وهو معلوم ولا شك في أن البعض حرام وذلك البعض هو الأقل أو الأكثر فيه نظر، وما ذكرتموه من أنه الأقل بالإضافة إلى الكل جلي ولكن لا بدّ من دليل محصل على تجويزه ليس من المصالح المرسلة وما ذكرتموه من التقسيمات كلها مصالح مرسلة فلا بدّ لها من شاهد معين تقاس عليه حتى يكون الدليل مقبولًا بالاتفاق فإن بعض العلماء لا يقبل المصالح المرسلة؟.

فأقول: إن سلم أن الحرام هو الأقل فيكفينا برهانًا عصر رسول الله ﷺ والصحابة مع وجود الربا والسرقة والغلول والنهب وإن قدر زمان يكون الأكثر هو الحرام فيحل التناول أيضًا فبرهانه ثلاثة أمور:

الأوّل: التقسيم الذي حصرناه وأبطلنا منه أربعة وأثبتنا القسم الخامس فإن ذلك إذا أجرى فيما إذا كان الكل حرامًا كان أحرى فيما إذا كان الحرام هو الأكثر أو الأقل، وقول القائل: هو مصلحة مرسلة ـ هوس، فإن ذلك إنما تخيل من تخيله في أمور مظنونة وهذا مقطوع به فإنا لا نشك في أن مصلحة الدين والدنيا مراد الشرع وهو معلوم بالضرورة، وليس بمظنون ولا شك في أن رد كافة الناس إلى قدر الضرورة أو الحاجة أو إلى الحشيش والصيد مخرب للدنيا أوّلًا وللدين بواسطة الدنيا ثانيًا، فما لا يشك فيه لا يحتاج إلى أصل يشهد له وإنما يستشهد على الخيالات المظنونة المتعلقة بآحاد الأشخاص.

البرهان الثاني: أن يعلل بقياس محرّر مردود إلى أصل يتفق الفقهاء الآنسون بالأقيسة الجزئية عليه وإن كانت الجزئيات مستحقرة عند المحصلين بالإضافة إلى مثل ما ذكرناه من

الأمر الكلي الذي هو ضرورة النبي لو بعث في زمان عم التحريم فيه حتى لو حكم بغيره لخرب العالم، والقياس المحرّر الجزئي هو أنه قد تعارض أصل وغالب فيما انقطعت فيه العلامات المعينة من الأمور التي ليست محصورة فيحكم بالأصل لا بالغالب قياسًا على طين الشوارع وجرّة النصرانية وأواني المشركين، وذلك قد أثبتناه من قبل بفعل الصحابة، وقولنا: انقطعت العلامات المعينة، احتراز عن الأواني التي يتطرّق الاجتهاد إليها. وقولنا: ليست محصورة، احتراز عن التباس الميتة والرضيعة بالذكية والأجنبية.

فإن قيل: كون الماء طهورًا مستيقن وهو الأصل، ومن يسلم أن الأصل في الأموال الحل بل الأصل فيها التحريم.

فنقول: الأمور التي لا تحرم لصفة في عينها حرمة الخمر والخنزير خلقت على صفة تستعد لقبول المعاملات بالتراضي كما خلق الماء مستعدًا للوضوء وقد وقع الشك في بطلان هذا الاستعداد منهما فلا فرق بين الأمرين فإنها تخرج عن قبول المعاملة بالتراضي بدخول الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول الوضوء بدخول النجاسة عليه ولا فرق بين الأمرين. والجواب الثاني: أن اليد دلالة ظاهرة دالة على الملك نازلة منزلة الاستصحاب وأقوى منه بدليل أن الشرع ألحقه به إذ من ادعى عليه دين فالقول قوله لأن الأصل براءة ذمته وهذا استصحاب. ومن ادعى عليه ملك في يده فالقول أيضًا قوله إقامة لليد مقام الاستصحاب فكل ما وجد في يد إنسان فالأصل أنه ملكه ما لم يدل على خلافه علامة معينة.

البرهان الثالث: هو أن كل ما دل على جنس لا يحصر ولا يدل على معين لم يعتبر وإن كان قطعًا فبأن لا يعتبر إذا دل بطريق الظن أولى وبيانه أن ما علم أنه ملك زيد فحقه يمنع من التصرف فيه بغير إذنه، ولو علم أن له مالكًا في العالم ولكن وقع اليأس عن الوقوف عليه وعلى وارثه فهو مال مرصد لمصالح المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم المصلحة، ولو دل على أن له مالكًا محصورًا في عشرة مثلًا أو عشرين امتنع التصرف فيه بحكم المصلحة، فالذي يشك في أن له مالكًا سوى صاحب اليد أم لا ـ لا يزيد على الذي يتيقن قطعًا أن له مالكًا ولكن لا يعرف عينه فليجز التصرف فيه بالمصلحة والمصلحة ما ذكرناه في الأقسام الخمسة، فيكون هذا الأصل شاهدًا له وكيف لا وكل مال ضائع فقد مالكه يصرفه السلطان إلى المصالح ومن المصالح الفقراء وغيرهم، فلو صرف إلى فقير ملكه ونفذ فيه تصرفه، فلو سرقه منه سارق قطعت يده فكيف نفذ تصرفه في ملك الغير؟ ليس ذلك إلا لحكمنا بأن المصلحة تقتضي أن ينتقل الملك إليه ويحل له فقضينا بموجب المصلحة.

فإن قيل: ذلك يختص بالتصرف فيه السلطان؟ فنقول: والسلطان لم يجوز له التصرف في ملك غيره بغير إذنه لا سبب له إلا المصلحة، وهو أنه لو ترك لضاع فهو مردد بين تضييعه وصرفه إلى مهم، والصرف إلى مهم أصلح من التضييع فرجع عليه، والمصلحة فيما يشك فيه

ولا يعلم تحريمه أن يحكم فيه بدلالة اليد ويترك على أرباب الأيدي إذ انتزاعها بالشك وتكليفهم الاقتصار على الحاجة يؤدي إلى الضرر الذي ذكرناه، وجهات المصلحة تختلف فإن السلطان تارة يرى أن المصلحة أن يبني بذلك المال قنطرة وتارة أن يصرفه إلى جند الإسلام وتارة إلى الفقراء ويدور مع المصلحة كيفما دارت، وكذلك الفتوى في مثل هذا تدور على المصلحة وقد خرج من هذا أن الخلق غير مأخوذين في أعيان الأموال بظنون لا تستند إلى خصوص دلالة في ملك الأعيان كما لم يؤاخذ السلطان والفقراء الآخذون منه بعلمهم أن المال له مالك حيث لم يتعلق العلم بعين مالك مشار إليه، ولا فرق بين عين المالك وبين عين الأملاك في هذا المعنى، فهذا بيان شبهة الاختلاط ولم يبق إلا النظر في امتزاج المائعات والدراهم والعروض في يد مالك واحد وسيأتي بيانه في باب تفصيل طريق الخروج من المظالم.

المثار الثالث للشبهة: أن يتصل بالسبب المحلل معصية:

إما في قرائنه وإما في لواحقه وإما في سوابقه أو في عوضه وكانت من المعاصي التي لا توجب فساد العقد وإبطال السبب المحلل.

مثال المعصية في القرائن: البيع في وقت النداء يوم الجمعة، والذبح بالسكين المغصوبة، والاحتطاب بالقدوم المغصوب، والبيع على بيع الغير، والسوم على سومه فكل نهي ورد في العقود ولم يدل على فساد العقد فإن الامتناع من جميع ذلك ورع، وإن لم يكن المستفاد بهذه الأساليب محكومًا بتحريمه. وتسمية هذا النمط شبهة فيه تسامح لأن الشبهة في غالب الأمر تطلق لإرادة الاشتباه والجهل ولا اشتباه ههنا، بل العصيان بالذبح بسكين الغير معلوم وحل الذبيحة أيضًا معلوم ولكن قد تشتق الشبهة من المشابهة، وتناول الحاصل من هذه الأمور مكروه والكراهة تشبه التحريم فإن أريد بالشبهة هذا فتسمية هذا شبهة له وجه، وإلا فينبغي أن يسمى هذا كراهة لا شبهة، وإذا عرف المعنى فلا مشاحة في الأسامي فعادة الفقهاء التسامح في الإطلاقات. ثم اعلم أن هذه الكراهة لها ثلاث درجات: الأولى منها تقرب من الحرام والورع عنه مهم والأخيرة تنتهي إلى نوع من المبالغة تكاد تلتحق بورع الموسوسين وبينهما أوساط نازعة إلى الطرفين، فالكراهة في صيد كلب مغصوب أشد منها في الذبيحة بسكين مغصوب أو المقتنص بسهم مغصوب إذ الكلب له اختيار، وقد اختلف في أن الحاصل به لمالك الكلب أو للصياد، ويليه شبهة البذر المزروع في الأرض المغصوبة فإنَّ الزرع لمالك البذر ولكن فيه شبهة، ولو أثبتنا حق الحبس لمالك الأرض في الزرع لكان كالثمن الحرام، ولكن الأقيس أن لا يثبت حق حبس كما لو طحن بطاحونة مغصوبة واقتنص بشبكة مغصوبة إذ لا يتعلق حق صاحب الشبكة في منفعتها بالصيد، ويليه الاحتطاب بالقدوم المغصوب ثم ذبحه ملك نفسه بالسكين المغصوب إذ لم يذهب أحد إلى تحريم الذبيحة، ويليه البيع في

وقت النداء فإنه ضعيف التعلق بمقصود العقد وإن ذهب قوم إلى فساد العقد إذ ليس فيه إلا أنه اشتغل بالبيع عن واجب آخر كان عليه، ولو أفسد البيع بمثله لأفسد بيع كل من عليه درهم زكاة أو صلاة فائتة وجوبها على الفور أو في ذمته مظلمة دانق فإن الاشتغال بالبيع مانع له عن القيام بالواجبات فليس للجمعة إلا الوجوب بعد النداء، وينجرّ ذلك إلى أن لا يصح نكاح أولاد الظلمة وكل من في ذمته درهم لأنه اشتغل بقوله عن الفعل الواجب عليه، إلا من حيث ورد في يوم الجمعة نهي على الخصوص ربما سبق إلى الأفهام خصوصية فيه فتكون الكراهة أشد ولا بأس بالحذر منه، ولكن قد ينجر إلى الوسواس حتى يتحرج عن نكاح بنات أرباب المظالم وسائر معاملاتهم.

وقد حكي عن بعضهم أنه اشترى شيئًا من رجل فسمع أنه اشتراه يوم الجمعة، فرده خيفة أن يكون ذلك مما اشتراه وقت النداء وهذا غاية المبالغة أنه رد بالشك. ومثل هذا الوهم في تقدير المناهي أو المفسدات لا ينقطع عن يوم السبت وسائر الأيام والورع حسن والمبالغة فيه أحسن ولكن إلى حد معلوم، فقد قال ﷺ «هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ»[(١)] فليحذر من أمثال هذه المبالغات فإنها وإن كانت لا تضر صاحبها ربما أوهم عند الغير أن مثل ذلك مهم ثم يعجز عما هو أيسر منه فيترك أصل الورع وهو مستند أكثر الناس في زماننا هذا إذ ضيق عليهم الطريق فأيسوا عن القيام به فاطرحوه، فكما أن الموسوس في الطهارة قد يعجز عن الطهارة فيتركها فكذا بعض الموسوسين في الحلال سبق إلى أوهامهم أن مال الدنيا كله حرام فتوسعوا فتركوا التمييز وهو عين الضلال.

وأما مثال اللواحق: فهو كل تصرف يفضي في سياقه إلى معصية وأعلاه بيع العنب من الخمار وبيع الغلام من المعروف بالفجور بالغلمان وبيع السيف من قطاع الطريق. وقد اختلف العلماء في صحة ذلك وفي حل الثمن المأخوذ منه. والأقيس أن ذلك صحيح والمأخوذ حلال والرجل عاص بعقده كما يعصى بالذبح بالسكين المغصوب والذبيحة حلال، ولكنه يعصى عصيان الإعانة على المعصية إذ لا يتعلق ذلك بعين العقد فالمأخوذ من هذا مكروه كراهية شديدة وتركه من الورع المهم وليس بحرام، ويليه في الرتبة بيع العنب ممن يشرب الخمر ولم يكن خمارًا وبيع السيف ممن يغزو ويظلم أيضًا لأن الاحتمال قد تعارض، وقد كره السلف بيع السيف في وقت الفتنة خيفة أن يشتريه ظالم فهذا ورع فوق الأوّل والكراهية فيه أخف، ويليه ما هو مبالغة ويكاد يلتحق بالوسواس وهو قول جماعة أنه لا تجوز معاملة الفلاحين بآلات الحرث لأنهم يستعينون بها على الحراثة ويبيعون الطعام من

---

(١) صحيح: حديث «هلك المتنطعون». أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود، وتقدم في قواعد العقائد. [مسلم: ٢٦٧٠].

الظلمة ولا يباع منهم البقر والفدان وآلات الحرث، وهذا ورع الوسوسة إذ ينجرّ إلى أن لا يباع من الفلاح طعام لأنه يتقوى به على الحراثة ولا يسقى من الماء العام لذلك، وينتهي هذا إلى حد التنطع المنهي عنه. وكل متوجه إلى شيء على قصد خير لا بد وأن يسرف إن لم يذمه العلم المحقق، وربما يقدم على ما يكون بدعة في الدين ليستضر الناس بعده بها وهو يظن أنه مشغول بالخير، ولهذا قال ﷺ: «فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِي»(١) والمتنطعون هم الذين يخشى عليهم أن يكونوا ممن قيل فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤] .

وبالجملة، لا ينبغي للإنسان أن يشتغل بدقائق الورع إلا بحضرة عالم متقن فإنه إذا جاوز ما رسم له وتصرف بذهنه من غير سماع كان ما يفسده أكثر مما يصلحه. وقد روي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه أحرق كرمه خوفًا من أن يباع العنب ممن يتخذه خمرًا. وهذا لا أعرف له وجهًا إن لم يعرف هو سببًا خاصًا يوجب الإحراق؟ إذ ما أحرق كرمه ونخله من كان أرفع قدرًا منه من الصحابة ولو جاز هذا قطع الذكر خيفة من الزنى وقطع اللسان خيفة من الكذب إلى غير ذلك من الإتلافات.

وأما المقدمات: فلتطرق المعصية إليها ثلاث درجات:

الدرجة العليا: التي تشتد الكراهة فيها: ما بقي أثره في المتناول كالأكل من شاة علفت بعلف مغصوب أو رعت في مرعى حرام، فإن ذلك معصية وقد كان سببًا لبقائها وربما يكون الباقي من دمها ولحمها وأجزائها من ذلك العلف، وهذا الورع مهم وإن لم يكن واجبًا، ونقل ذلك عن جماعة من السلف. وكان لأبي عبد الله الطوسي التروغندي شاة يحملها على رقبته كل يوم إلى الصحراء ويرعاها وهو يصلي وكان يأكل من لبنها فغفل عنها ساعة فتناولت من ورق كرم على طرف بستان فتركها في البستان ولم يستحل أخذها.

فإن قيل: فقد روي عن عبد الله بن عمر وعبيد الله أنهما اشتريا إبلًا فبعثاها إلى الحمى فرعته إبلهما حتى سمنت، فقال عمر رضي الله عنه: أرعيتماها في الحمى؟ فقالا: نعم، فشاطرهما. فهذا يدل على أنه رأى اللحم الحاصل من العلف لصاحب العلف فليوجب هذا تحريمًا.

قلنا: ليس كذلك فإن العلف يفسد بالأكل واللحم خلق جديد وليس عين العلف فلا شركة لصاحب العلف شرعًا، ولكن عمر غرّمهما قيمة الكلأ ورأى ذلك مثل شطر الإبل فأخذ الشطر بالاجتهاد، كما شاطر سعد بن أبي وقاص ماله لما أن قدم من الكوفة، وكذلك شاطر

---

(١) صحيح: حديث «فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي». تقدم في العلم. [الترمذي: ٢٦٨٥، وانظر صحيح الترمذي].

أبا هريرة رضي الله عنه إذ رأى أن كل ذلك لا يستحقه العامل ورأى شطر ذلك كافيًا على حق عملهم وقدره بالشطر اجتهادًا.

الرتبة الوسطى: ما نقل عن بشر بن الحارث من امتناعه عن الماء المساق في نهر احتفره الظلمة لأن النهر موصل إليه وقد عصى الله بحفره. وامتنع آخر عن عنب كرم يسقى بماء يجري في نهر حفر ظلمًا وهو أرفع منه وأبلغ في الورع. وامتنع آخر من الشرب من مصانع السلاطين في الطرق. وأعلى من ذلك امتناع ذي النون من طعام حلال أوصل إليه على يد سجان، وقوله: إنه جاءني على يد ظالم، ودرجات هذه الرتب لا تنحصر.

الرتبة الثالثة: وهي قريب من الوسواس والمبالغة: أن يمتنع من حلال وصل على يد رجل عصى الله بالزنى أو القذف وليس هو كما لو عصى بأكل الحرام، فإن الموصل قوته الحاصلة من الغذاء الحرام والزنى والقذف لا يوجب قوة يستعان بها على الحمل بل الامتناع من أخذ حلال وصل على يد كافر وسواس، بخلاف أكل الحرام إذ الكفر لا يتعلق بحمل الطعام وينجر هذا إلى أن لا يؤخذ من يد من عصى الله ولو بغيبة أو كذبة وهو غاية التنطع والإسراف فليضبط ما عرف من ورع ذي النون وبشر بالمعصية في السبب الموصل كالنهر وقوة اليد المستفادة بالغذاء الحرام.

ولو امتنع عن الشرب بالكوز لأن صانع الفخار الذي عمل الكوز كان قد عصى الله يومًا بضرب إنسان أو شتمه لكان هذا وسواسًا. ولو امتنع من لحم شاة ساقها آكل حرام فهذا أبعد من يد السجان لأن الطعام تسوقه قوة السجان والشاة تمشي بنفسها والسائق يمنعها عن العدول في الطريق فقط فهذا قريب من الوسواس. فانظر كيف تدرّجنا في بيان ما تتداعى إليه هذه الأمور. واعلم أن كل هذا خارج عن فتوى علماء الظاهر فإن فتوى الفقيه تختص بالدرجة الأولى التي يمكن تكليف عامة الخلق بها ولو اجتمعوا عليه لم يخرب العالم دون ما عداه من ورع المتقين والصالحين. والفتوى في هذا ما قاله ﷺ لوابصة إذ قال: «اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَوْكَ وَأَفْتَوْكَ وَأَفْتَوْكَ» ، وعرف ذلك إذ قال: «الإِثْمُ حَزَّازُ القُلُوبِ»[1] وكل ما حاك في صدر المريد من هذه الأسباب فلو أقدم عليه مع حزازة القلب استضر به وأظلم قلبه بقدر الحزازة التي يجدها بل لو أقدم على حرام في علم الله وهو يظن أنه حلال لم يؤثر ذلك في قساوة قلبه، ولو أقدم على ما هو حلال في فتوى علماء الظاهر ولكنه يجد حزازة في قلبه فذلك يضره. وإنما الذي ذكرناه في النهي عن المبالغة أردنا به أن القلب الصافي المعتدل هو الذي لا يجد حزازة في مثل تلك الأمور فإن مال قلب موسوس عن الاعتدال ووجد الحزازة فأقدم مع ما يجد في قلبه فذلك يضره لأنه مأخوذ في حق نفسه بينه وبين الله تعالى بفتوى قلبه. وكذلك يشدد

(١) حديث «الإثم حزاز القلوب». تقدم في العلم.

على الموسوس في الطهارة ونية الصلاة فإنه إذا غلب على قلبه أن الماء لم يصل إلى جميع أجزائه بثلاث مرات لغلبة الوسوسة فيجب عليه أن يستعمل الرابعة وصار ذلك حكمًا في حقه وإن كان مخطئًا في نفسه، أولئك قوم شدّدوا فشدّد الله عليهم، ولذلك شدّد على قوم موسى عليه السلام لما استقصوا في السؤال عن البقرة ولو أخذوا أوّلًا بعموم لفظ البقرة وكل ما ينطلق عليه الاسم لأجزأهم ذلك. فلا تغفل عن هذه الدقائق التي رددناها نفيًا وإثباتًا فإن من لا يطلع على كنه الكلام ولا يحيط بمجامعه يوشك أن يزل في درك مقاصده.

وأما المعصية في العوض فله أيضًا درجات.

الدرجة العليا التي تشتد الكراهة فيها: أن يشتري شيئًا في الذمة ويقضي ثمنه من غصب أو مال حرام فينظر فإن سلم إليه البائع الطعام قبل قبض الثمن بطيب قلبه فأكله قبل قضاء الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالإجماع أعني قبل قضاء الثمن ولا هو أيضًا من الورع المؤكد فإن قضى الثمن بعد الأكل من الحرام فكأنه لم يقض الثمن، ولو لم يقضه أصلًا لكان متقلدًا للمظلمة بترك ذمته مرتهنة بالدين ولا ينقلب ذلك حرامًا. فإن قضى الثمن من الحرام وأبرأه البائع مع العلم بأنه حرام فقد برئت ذمته ولم يبق عليه إلا مظلمة تصرفه في الدراهم الحرام بصرفها إلى البائع وإن أبرأه على ظن أنّ الثمن حلال فلا تحصل البراءة لأنه يبرئه مما أخذه إبراء استيفاء ولا يصلح ذلك للإيفاء. هذا حكم المشتري والأكل منه وحكم الذمة وإن لم يسلم إليه بطيب قلب ولكن أخذه فأكله حرام سواء أكله قبل توفية الثمن من الحرام أو بعده لأن الذي تومئ الفتوى به ثبوت حق الحبس للبائع حتى يتعين ملكه بإقباض النقد كما تعين ملك المشتري، وإنما يبطل حق حبسه إما بالإبراء أو الاستيفاء ولم يجر شيء منهما ولكنه أكل ملك نفسه وهو عاص به عصيان الراهن للطعام إذا أكله بغير إذن المرتهن، وبينه وبين أكل طعام الغير فرق ولكن أصل التحريم شامل، هذا كله إذا قبض قبل توفية الثمن إما بطيبة قلب البائع أو من غير طيبة قلبه. فأما إذا وفى الثمن الحرام أولًا ثم قبض فإن كان البائع عالمًا بأن الثمن حرام ومع هذا أقبض المبيع بطل حق حبسه وبقي له الثمن في ذمته إذ ما أخذه ليس بثمن ولا يصير أكل المبيع حرامًا بسبب بقاء الثمن فأما إذا لم يعلم أنه حرام وكان بحيث لو علم لما رضي به ولا أقبض المبيع فحق حبسه لا يبطل بهذا التلبيس فأكله حرام تحريم أكله المرهون إلى أن يبرئه أو يوفى من حلال أو يرضى هو بالحرام ويبرئ فيصح إبراؤه ولا يصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه وبيان الحكم في الدرجة الأولى من الحل والحرمة، فأما الامتناع عنه فمن الورع المهم لأن المعصية إذا تمكنت من السبب الموصل إلى الشيء تشتد الكراهية فيه ـ كما سبق ـ وأقوى الأسباب الموصلة الثمن ولولا الثمن الحرام لما رضي البائع بتسليمه إليه فرضاه لا يخرجه عن كونه مكروهًا كراهية شديدة ولكن العدالة لا تنخرم به وتزول به درجة التقوى والورع. ولو اشترى سلطان مثلًا ثوبًا أو أرضًا في الذمة وقبضه برضا

البائع قبل توفية الثمن وسلمه إلى فقيه أو غيره صلة أو خلعة وهو شاك في أنه سيقضي ثمنه من الحلال أو الحرام فهذا أخف إذ وقع الشك في تطرق المعصية إلى الثمن وتفاوت خفته بتفاوت كثرة الحرام وقلته في مال ذلك السلطان وما يغلب على الظن فيه وبعضه أشد من بعض والرجوع فيه إلى ما ينقدح في القلب.

الرتبة الوسطى: أن لا يكون العوض غصبًا ولا حرامًا ولكن يتهيأ لمعصية، كما لو سلم عوضًا عن الثمن عنبًا والآخذ شارب الخمر أو سيفًا وهو قاطع طريق فهذا لا يوجب تحريمًا في مبيع اشتراه في الذمة ولكن يقتضي فيه كراهية دون الكراهية التي في الغصب. وتتفاوت درجات هذه الرتبة أيضًا بتفاوت غلبة المعصية على قابض الثمن وندوره ومهما كان العوض حرامًا فبذله حرام وإن احتمل تحريمه ولكن أبيح بظن فبذله مكروه وعليه ينزل عندي النهي عن كسب الحجام وكراهته[1]. إذ نهى عنه عليه الصلاة والسلام مرات ثم أمر بأن يعلف الناضح[2]، وما سبق إلى الوهم من أن سببه مباشرة النجاسة والقذر فاسد إذ يجب طرده في الدباغ والكناس ولا قائل به، وإن قيل به فلا يمكن طرده في القصاب إذ كيف يكون كسبه مكروهًا وهو بدل عن اللحم واللحم في نفسه غير مكروه ومخامرة القصاب النجاسة أكثر منه للحجام والفصاد فإن الحجام يأخذ الدم بالمحجمة ويمسحه بالقطنة، ولكن السبب أن في الحجامة والفصد تخريب بنية الحيوان وإخراجها لدمه وبه قوام حياته والأصل فيه التحريم، وإنما يحل بضرورة وتعلم الحاجة والضرورة بحدس واجتهاد وربما يظن نافعًا ويكون ضارًا فيكون حرامًا عند الله تعالى ولكن يحكم بحله بالظن والحدس. ولذلك لا يجوز للفصاد فصد صبي وعبد ومعتوه إلا بإذن وليه وقول طبيب ولولا أنه حلال في الظاهر لما أعطي عليه السلام أجرة الحجام[3] ولولا أنه يحتمل التحريم لما نهى عنه فلا يمكن الجمع بين إعطائه ونهيه إلا باستنباط هذا المعنى. وهذا كان ينبغي أن نذكره في القرائن المقرونة بالسبب فإنه أقرب إليه.

---

(١) حديث «النهي عن كسب الحجام وكراهته». رواه ابن ماجه من حديث أبي مسعود الأنصاري، والنسائي من حديث أبي هريرة بإسنادين صحيحين: نهى رسول اللهﷺ عن كسب الحجام، وللبخاري من حديث أبي جحيفة: نهى عن ثمن الدم، ولمسلم من حديث رافع بن خديج «كسب الحجام خبيث». [حديث «نهى رسول الله . . . . .» عند ابن ماجه : ٢١٦٥، والنسائي : ٤٦٧٣ ، وحديث «نهى عن ثمن . . . . .» عند البخاري : ٢٢٣٨ ، وحديث «كسب الحجام . . . .» عند مسلم : ١٥٦٨].

(٢) حديث» نهى عنه مرات ثم أمر بأن يعلف الناضح«، رواه أبو داود والترمذي وحسنه، وابن ماجه من حديث محيصة أنه أستأذن النبيﷺ في إجارة الحجام، فنهاه عنها، فلم يزل يسأل ويستأذن حتى قال: أعلفه ناضحك وأطعمه رقيقك. وفي رواية لأحمد أنه زجره عن كسبه فقال: ألا أطعمه أيتاما لي، قال: لا، قال: أفلا أتصدق به؟ قال: لا، فرخص له أن يعلفه ناضحه. [حديث «أعلفه ناضحك . . . .» عند أبي داود : ٣٤٢٢، والترمذي : ١٢٧٧ ، وابن ماجه : ٢١٦٦، وانظر صحيح أبي داود ، وحديث «فرفض له . . . .» عند أحمد : ٢٣١٨٠].

(٣) صحيح: حديث «أعطى رسول اللهﷺ أجرة الحجام». متفق عليه من حديث ابن عباس. [البخاري : ٢٢٧٩، ومسلم : ١٢٠٢].

الرتبة السفلى: وهي درجة الموسوسين، وذلك أن يحلف إنسان على أن لا يلبس من غزل أمه فباع غزلها واشترى به ثوبًا فهذا لا كراهية فيه والورع عنه وسوسة. وروي عن المغيرة أنه قال في هذه الواقعة: لا يجوز، واستشهد بأن النبي ﷺ قال: «لَعَنَ الله اليَهُودَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِم الخُمُورُ فَبَاعُوهَا وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا»(١) وهذا غلط لأن بيع الخمور باطل إذ لم يبق للخمر منفعة في الشرع وثمن البيع الباطل حرام، وليس هذا من ذلك بل مثال هذا أن يملك الرجل جارية هي أخته من الرضاع فتباع بجارية أجنبية فليس لأحد أن يتورع منه وتشبيه ذلك ببيع الخمر غاية السرف في هذا الطرف. وقد عرفنا جميع الدرجات وكيفية التدريج فيها وإن كان تفاوت هذه الدرجات لا ينحصر في ثلاث أو أربع ولا في عدد ولكن المقصود من التعديد التقريب والتفهيم.

فإن قيل: فقد قال ﷺ: «مَنِ اشْتَرَى ثَوْبًا بِعَشَرَةِ دَرَاهِمَ فِيهَا دِرْهَمٌ حَرَامٌ لَمْ يَقْبَلِ الله لَهُ صَلاَةً مَا كَانَ عَلَيْهِ»(٢) ثم أدخل ابن عمر أصبعيه في أذنيه وقال: صمتا إن لم أكن سمعته منه. قلنا: ذلك محمول على ما لو اشترى بعشرة بعينها لا في الذمة وإذا اشترى في الذمة فقد حكمنا بالتحريم في أكثر الصور فليحمل عليها، ثم كم من ملك يتوعد عليه بمنع قبول الصلاة لمعصية تطرقت إلى سببه وإن لم يدل ذلك على فساد العقد كالمشتري في وقت النداء وغيره.

المثار الرابع: الاختلاف في الأدلة:

فإن ذلك كالاختلاف في السبب لأن السبب سبب لحكم الحل والحرمة. والدليل سبب لمعرفة الحل والحرمة فهو سبب في حق المعرفة ولم يثبت في معرفة الغير فلا فائدة لثبوته في نفسه وإن جرى سببه في علم الله، وهو إما أن يكون لتعارض أدلة الشرع أو لتعارض العلامات الدالة أو لتعارض التشابه.

القسم الأول: أن تتعارض أدلة الشرع مثل تعارض عمومين من القرآن أو السنّة أو تعارض قياسين أو تعارض قياس وعموم. وكل ـلك يورث الشك ويرجع فيه إلى الاستصحاب أو الأصل المعلوم قبله إن لم يكن ترجيح، فإن ظهر ترجيح في جانب الحذر وجب الأخذ به، وإن ظهر في جانب الحل جاز الأخذ به ولكن الورع تركه. واتقاء مواضع الخلاف مهم في الورع في حق المفتي والمقلد. وإن كان المقلد يجوز له أن يأخذ بما أفتى له مقلده الذي يظن أنه أفضل علماء بلده ويعرف ذلك بالتسامع كما يعرف أفضل أطباء البلد بالتسامع والقرائن وإن

---

(١) حديث المغيرة «أن النبي ﷺ لعن اليهود إذ حرمت عليهم الخمور فباعوها». لم أجده هكذا، والمعروف أن ذلك في الشحوم، ففي الصحيحين من حديث جابر «قاتل الله اليهود إن الله لما حرم عليهم شحومها حملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه». [البخاري: ٢٢٣٦، ومسلم: ١٥٨١، وأجمل: أي أذاب].

(٢) ضعيف: حديث «من اشترى ثوبا بعشرة دراهم فيها درهم حرام لم يقبل الله له صلاة ما كان عليه». تقدم في الباب قبله. [أحمد: ٥٦٩٨، وانظر ضعيف الجامع: ٥٤٢٠].

كان لا يحسن الطب. وليس للمستفتي أن ينتقد من المذاهب أوسعها عليه، بل عليه أن يبحث حتى يغلب على ظنه الأفضل ثم يتبعه فلا يخالفه أصلًا، نعم، إن أفتى له إمامه بشيء ولإمامه فيه مخالف فالفرار من الخلاف إلى الإجماع من الورع المؤكد، وكذا المجتهد إذا تعارضت عنده الأدلة ورجح جانب الحل بحدس وتخمين وظن فالورع له الاجتناب. فلقد كان المفتون يفتون بحل أشياء لا يقدمون عليها قط تورعًا منها وحذرًا من الشبهة فيها فلنقسم هذا أيضًا على ثلاث مراتب:

الرتبة الأولى: ما يتأكد الاستحباب في التورّع عنه وهو ما يقوى فيه دليل المخالف ويدق وجه ترجيح المذهب الآخر عليه. فمن المهمات التورّع عن فريسة الكلب المعلم إذا أكل منها وإن أفتى المفتي بأنه حلال لأنّ الترجيح فيه غامض، وقد اخترنا أنّ ذلك حرام وهو أقيس قولي الشافعي رحمه الله. ومهما وجد للشافعي قول جديد موافق لمذهب أبي حنيفة رحمه الله أو غيره من الأئمة كان الورع فيه مهمًا وإن أفتى المفتي بالقول الآخر. ومن ذلك الورع عن متروك التسمية وإن لم يختلف فيه قول الشافعي رحمه الله لأن الآية ظاهرة في إيجابها والأخبار متواترة فيه فإنهﷺ قال لكل من سأل عن الصيد: «إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ الْمُعَلَّمَ وَذَكَرْتَ عَلَيْهِ اسْمَ الله فَكُلْ»(١) . ونقل ذلك على التكرّر وقد شهر الذبح بالبسملة(٢) وكل ذلك يقوّي دليل الاشتراط ولكن لما صح قولهﷺ: «الْمُؤْمِنُ يَذْبَحُ عَلَى اسْمِ الله تَعَالَى سَمَّى أَوْ لَمْ يُسَمِّ»(٣) واحتمل أن يكون هذا عامًّا موجبًا لصرف الآية وسائر الأخبار عن ظواهرها، ويحتمل أن يخصص هذا بالناسي ويترك الظواهر ولا تأويل، وكان حمله على الناسي ممكنًا تمهيدًا لعذره في ترك التسمية بالنسيان وكان تعميمه وتأويل الآية ممكنًا إمكانًا أقرب رجحنا ذلك ولا ننكر رفع الاحتمال المقابل له فالورع عن مثل هذا مهم واقع في الدرجة الأولى.

الرتبة الثانية: وهي مزاحمة لدرجة الوسواس أن يتورع الإنسان عن أكل الجنين الذي

---

(١) صحيح: حديث «إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل». متفق عليه من حديث عدي بن حاتم، ومن حديث أبي ثعلبة الخشني. [البخاري: ١٧٥، ومسلم: ١٩٢٩ عن عدي بن حاتم، البخاري: ٥٤٧٨، ومسلم: ١٩٣٠ عن أبي ثعلبة].

(٢) صحيح: حديث «التسمية على الذبح». متفق عليه من حديث رافع بن خديج «ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا، ليس السن والظفر». [البخاري: ٢٤٨٨، ومسلم: ١٩٦٨].

(٣) حديث «المؤمن يذبح على اسم الله سمى أو لم يسم». قال المصنف إنه صح. قلت: لا يعرف بهذا اللفظ فضلا عن صحته، ولأبي داود في المراسيل من رواية الصلت مرفوعا «ذبيحة المسلم حلال ذكر اسم الله أو لم يذكر» وللطبراني في الأوسط، والدارقطني، وابن عدي، والبيهقي من حديث أبي هريرة. وقال رجل: يا رسول الله، الرجل منا يذبح وينسى أن يسمي الله. فقال «اسم الله على كل مسلم» قال ابن عدي: منكر، والدارقطني والبيهقي من حديث ابن عباس «المسلم يكفيه اسمه، فإن نسي أن يسمي حين يذبح فليسم وليذكر اسم الله ثم ليأكل». فيه محمد بن سنان، ضعفه الجمهور. [حديث «ذبيحة المسلم.....» انظر ضعيف الجامع: ٣٠٣٩، وحديث «اسم الله على ....» قال الألباني: موضوع انظر ضعيف الجامع: ٨٥٥].

يصادف في بطن الحيوان المذبوح وعن الضب. وقد صح في الصحاح من الأخبار حديث الجنين، إنّ ذكاته ذكاة أمه[١] ، صحة لا يتطرق احتمال إلى متنه ولا ضعف إلى سنده، وكذلك صح أنه أكل الضب على مائدة رسول الله ﷺ[٢] ، وقد نقل ذلك في الصحيحين. وأظن أنّ أبا حنيفة لم تبلغه هذه الأحاديث ولو بلغته لقال بها إن أنصف وإن لم ينصف منصف فيه كان خلافه غلطًا لا يعتد به ولا يورث شبهة كما لو لم يخالف علم الشيء بخبر الواحد.

الرتبة الثالثة : أن لا يشتهر في المسألة خلاف أصلًا ولكن يكون الحل معلومًا بخبر الواحد فيقول القائل قد اختلف الناس في خبر الواحد فمنهم من لا يقبله فأنا أتورع. فإن النقلة وإن كانوا عدولًا فالغلط جائز عليهم والكذب لغرض خفي جائز عليهم، لأن العدل أيضًا قد يكذب والوهم جائز عليه فإنه قد يسبق إلى سمعهم خلاف ما يقوله القائل وكذا إلى فهمهم، فهذا ورع لم ينقل مثله عن الصحابة فيما كانوا يسمعونه من عدل تسكن نفوسهم إليه. وأما إذا تطرقت شبهة بسبب خاص ودلالة معينة في حق الراوي فللتوقف وجه ظاهر وإن كان عدلًا. وخلاف من خالف في أخبار الآحاد غير معتدّ به وهو كخلاف النظام في أصل الإجماع. وقوله: إنه ليس بحجة ولو جاز مثل هذا الورع لكان من الورع أن يمتنع الإنسان من أن يأخذ ميراث الجد أبي الأب ويقول ليس في كتاب الله ذكر إلا للبنين وإلحاق ابن الابن بالابن بإجماع الصحابة وهم غير معصومين والغلط عليهم جائز إذ خالف النظام فيه، وهذا هوس ويتداعى إلى أن يترك ما علم بعمومات القرآن إذ من المتكلمين من ذهب إلى أن العمومات لا صيغة لها وإنما يحتج بما فهمه الصحابة منها بالقرائن والدلالات وكل ذلك وسواس، فإذًا لا طرف من أطراف الشبهات إلا وفيها غلو وإسراف فليفهم ذلك. ومهما أشكل أمر من هذه الأمور فليستفت فيه القلب وليدع الورع ما يريبه إلى ما لا يريبه، وليترك حزاز القلوب وحكاكات الصدور وذلك يختلف بالأشخاص والوقائع، ولكن ينبغي أن يحفظ قلبه عن دواعي الوسواس حتى لا يحكم إلا بالحق فلا ينطوي على حزازة في مظان الوسواس ولا يخلو عن الحزازة في مظان الكراهة، وما أعز مثل هذا القلب ولذلك لم يرد عليه الصلاة والسلام كل

---

(١) صحيح : حديث «ذكاة الجنين ذكاة أمه». قال المصنف: إنه صح صحة لا يتطرق احتمال إلى متنه ولا ضعف إلى سنده، وأخذ هذا من إمام الحرمين، فإنه كذا قال في الأساليب، والحديث رواه أبو داود والترمذي حسنه، وابن ماجه، وابن حبان من حديث أبي سعيد، والحاكم من حديث أبي هريرة وقال: صحيح الإسناد، وليس كذلك. وللطبراني في الصغير من حديث ابن عمر بسند جيد. وقال عبد الحق: لا يحتج بأسانيدها كلها. [أبو داود : ٢٨٢٧، والترمذي : ١٤٧٦ ، وابن ماجه : ٣١٩٩، وانظر صحيح الجامع : ٣٤٣١].

(٢) حديث «أكل الضب على مائدة رسول الله ﷺ». قال المصنف: هو في الصحيحين، وهو كما ذكره من حديث ابن عمر وابن عباس وخالد بن الوليد. [البخاري : ٢٥٧٥، ومسلم : ١٩٤٧عن ابن عباس، البخاري : ٥٤٠٠ ، ومسلم : ١٩٤٦ عن خالد بن الوليد، والبخاري : ٧٢٦٧ ، ومسلم : ١٩٤٣ عن ابن عمر واللفظ لحديث ابن عباس].

أحد إلى فتوى القلب وإنما قال ذلك لوابصة لما كان قد عرف من حاله[١] .

القسم الثاني : تعارض العلامات الدالة على الحل والحرمة فإنه قد ينهب نوع من المتاع في وقت ويندر وقوع مثله في غير النهب فيرى مثلًا في يد رجل من أهل الصلاح، فيدل صلاحه على أنه حلال ويدل نوع المتاع وندوره من غير المنهوب على أنه حرام فيتعارض الأمران. وكذلك يخبر عدل أنه حرام وآخر أنه حلال أو تتعارض شهادة فاسقين أو قول صبي وبالغ، فإن ظهر ترجيح حكم به والورع الاجتناب، وإن لم يظهر ترجيح وجب التوقف وسيأتي تفصيله في باب التعرّف والبحث والسؤال.

القسم الثالث : تعارض الأشباه في الصفات التي تناط بها الأحكام. مثاله أن يوصي بمال للفقهاء فيعلم أنّ الفاضل في الفقه داخل فيه وأنّ الذي ابتدأ التعلم من يوم أو شهر لا يدخل فيه وبينهما درجات لا تحصى يقع الشك فيها، فالمفتي يفتي بحسب الظن والورع الاجتناب، وهذا أغمض مثارات الشبهة فإنّ فيها صورًا يتحير المفتي فيها تحيرًا لازمًا لا حيلة له فيه إذ يكون المتصف بصفة في درجة متوسطة بين الدرجتين المتقابلتين لا يظهر له ميله إلى أحدهما. وكذلك الصدقات المصروفة إلى المحتاجين فإنّ من لا شيء له معلوم أنه محتاج ومن له مال كثير معلوم أنه غني ويتصدّى بينهما مسائل غامضة كمن له دار وأثاث وثياب وكتب فإنّ قدر الحاجة منه لا يمنع من الصرف إليه والفاضل يمنع والحاجة ليست محدودة وإنما تدرك بالتقريب، ويتعدّى منه النظر في مقدار سعة الدار وأبنيتها ومقدار قيمتها لكونها في وسط البلد ووقوع الاكتفاء بدار دونها، وكذلك في نوع أثاث البيت إذا كان من الصفر لا من الخزف وكذلك في عددها وكذلك في قيمتها وكذلك فيما لا يحتاج إليه كل يوم وما يحتاج إليه كل سنة من آلات الشتاء وما لا يحتاج إليه إلا في سنين، وشيء من ذلك لا حدّ له. والوجه في هذا ما قاله عليه الصلاة والسلام: «دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يُرِيبُكَ»[٢] .

وكل ذلك في محل الريب إن توقف المفتي فلا وجه إلا التوقف وإن أفتى المفتي بظن وتخمين فالورع التوقف وهو أهم مواقع الورع. وكذلك ما يجب بقدر الكفاية من نفقة الأقارب وكسوة الزوجات وكفاية الفقهاء والعلماء على بيت المال إذ فيه طرفان يعلم أن أحدهما قاصر وأن الآخر زائد وبينهما أمور متشابهة تختلف باختلاف الشخص والحال. والمطلع على الحاجات هو الله تعالى وليس للبشر وقوف على حدودها، فما دون الرطل

---

(١) حديث «لم يرد كل أحد إلى فتوى قلبه». وإنما قال ذاك لوابصة، وتقدم حديث وابصة، وروى الطبراني من حديث واثلة أنه قال ذلك لواثلة أيضا، وفيه العلاء بن ثعلبة مجهول. [حديث وابصة عند احمد : ١٧٥٤٥، وحسنه الألباني انظر صحيح الترغيب : ١٧٣٤، وحديث واثلة عند].

(٢) صحيح : حديث «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك». تقدم في الباب قبله. [الترمذي : ٢٥١٨، والنسائي : ٥٧١١، وانظر صحيح الترمذي].

المكي في اليوم قاصر عن كفاية الرجل الضخم وما فوق ثلاثة أرطال زائد على الكفاية وما بينهما لا يتحقق له حدّ. فليدع الورع ما يريبه إلى ما لا يريبه وهذا جار في كل حكم نيط بسبب يعرف ذلك السبب بلفظ العرب، إذ العرب وسائر أهل اللغات لم يقدروا متضمنات اللغات بحدود محدودة تنقطع أطرافها عن مقابلاتها كلفظ الستة فإنه لا يحتمل ما دونها وما فوقها من الأعداد وسائر ألفاظ الحساب والتقديرات، فليست الألفاظ اللغوية كذلك فلا لفظ في كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ إلا ويتطرّق الشك إلى أوساط في مقتضياتها تدور بين أطراف متقابلة فتعظم الحاجة إلى هذا الفن في الوصايا والأوقاف فالوقف على الصوفية مثلاً مما يصح ومن الداخل تحت موجب هذا اللفظ هذا من الغوامض، فكذلك سائر الألفاظ. وسنشير إلى مقتضى لفظ الصوفية على الخصوص ليعلم به طريق التصرف في الألفاظ وإلا فلا مطمع في استيفائها، فهذه اشتباهات تثور من علامات متعارضة تجذب إلى طرفين متقابلين، وكل ذلك من الشبهات يجب اجتنابها إذا لم يترجح جانب الحل بدلالة تغلب على الظن أو باستصحاب بموجب قوله ﷺ: «دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يُرِيبُكَ» وبموجب سائر الأدلة التي سبق ذكرها. فهذه مثارات الشبهات وبعضها أشدّ من بعض ولو تظاهرت شبهات شتى على شيء واحد كان الأمر أغلظ، مثل أن يأخذ طعامًا مختلفًا فيه عوضًا عن عنب باعه من خمار بعد النداء يوم الجمعة والبائع قد خالط ماله حرام وليس هو أكثر ماله، ولكنه صار مشتبهًا به فقد يؤدي ترادف الشبهات إلى أن يشتدّ الأمر في اقتحامها، فهذه مراتب عرفنا طريق الوقوف عليها وليس في قوّة البشر حصرها فما اتضح من هذا الشرح أخذ به وما التبس فليجتنب فإن الإثم حزاز القلب. وحيث قضينا باستفتاء القلب أردنا به حيث أباح المفتي أما حيث حرّمه فيجب الامتناع. ثم لا يعوّل على كل قلب فرب موسوس ينفر عن كل شيء ورب شره متساهل يطمئن إلى كل شيء ولا اعتبار بهذين القلبين، وإنما الاعتبار بقلب العالم الموفق المراقب لدقائق الأحوال وهو المحك الذي يمتحن به خفايا الأمور، وما أعز هذا القلب في القلوب فمن لم يثق بقلب نفسه فليلتمس النور من قلب بهذه الصفة وليعرض عليه واقعته، وجاء في الزبور: «إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: قل لبني إسرائيل إني لا أنظر إلى صلاتكم ولا صيامكم ولكن أنظر إلى من شك في شيء فتركه لأجلي فذاك الذي أنظر إليه وأؤيده بنصري وأباهي به ملائكتي».

الباب الثالث في البحث، والسؤال، والهجوم، والإهمال ومظانها

اعلم أن كل من قدم إليك طعامًا أو هدية أو أردت أن تشتري منه أو تتهب فليس لك أن تفتش عنه وتسأل وتقول: هذا مما لا أتحقق حله فلا آخذه بل أفتش عنه، وليس لك أيضًا أن تترك البحث فتأخذ كل ما لا تتيقن تحريمه بل السؤال واجب مرة وحرام مرة ومندوب مرة

ومكروه مرة فلا بد من تفصيله، والقول الشافي فيه هو أن مظنة السؤال مواقع الريبة. ومنشأ الريبة ومثارها إما أمر يتعلق بالمال أو يتعلق بصاحب المال.

المثار الأول: أحوال المالك:

وله بالإضافة إلى معرفتك ثلاثة أحوال: إما أن يكون مجهولًا، أو مشكوكًا فيه، أو معلومًا بنوع ظن يستند إلى دلالة:

الحالة الأولى: أن يكون مجهولًا. والمجهول هو الذي ليس معه قرينة تدل على فساده وظلمه كَزِيّ الأجناد، ولا ما يدل على صلاحه كثياب أهل التصوّف والتجارة والعلم وغيرها من العلامات. فإذا دخلت قرية لا تعرفها فرأيت رجلًا لا تعرف من حاله شيئًا ولا عليه علامة تنسبه إلى أهل صلاح أو أهل فساد فهو مجهول، وإذا دخلت بلدة غريبًا ودخلت سوقًا ووجدت رجلًا خبازًا أو قصابًا أو غيره ولا علامة تدل على كونه مريبًا أو خائنًا ولا ما يدل على نفيه فهو مجهول ولا يدرى حاله، ولا نقول إنه مشكوك فيه لأن الشك عبارة عن اعتقادين متقابلين لهما سببان متقابلان، وأكثر الفقهاء لا يدركون الفرق بين ما لا يدرى وبين ما يشك فيه، وقد عرفت مما سبق أن الورع ترك ما لا يدرى. قال يوسف بن أسباط: منذ ثلاثين سنة ما حاك في قلبي شيء إلا تركته. وتكلم جماعة في أشق الأعمال فقالوا: هو الورع، فقال لهم حسان بن أبي سنان: ما شيء عندي أسهل من الورع، إذا حاك في صدري شيء تركته. فهذا شرط الورع، وإنما نذكر الآن حكم الظاهر، فنقول: حكم هذه الحالة أن المجهول إن قدّم إليك طعامًا أو حمل إليك هدية أو أردت أن تشتري من دكانه شيئًا فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلمًا دلالتان كافيتان في الهجوم على أخذه. وليس لك أن تقول الفساد والظلم غالب على الناس فهذه وسوسة وسوء ظن بهذا المسلم بعينه وإن بعض الظم إثم. وهذا المسلم يستحق بإسلامه عليك ألاّ تسيء الظن به فإن أسأت الظن به في عينه لأنك رأيت فسادًا من غيره فقد جنيت عليه وأثمت به في الحال نقدًا من غير شك، ولو أخذت المال لكان كونه حرامًا مشكوكًا فيه.

ويدل عليه أنا نعلم أن الصحابة رضي الله عنهم في غزواتهم وأسفارهم كانوا ينزلون في القرى ولا يردون القرى ويدخلون البلاد ولا يحترزون من الأسواق، وكان الحرام أيضًا موجودًا في زمانهم وما نقل عنهم سؤال إلا عن ريبة إذ كان ﷺ لا يسأل عن كل ما يحمل إليه بل سأل في أوّل قدومه إلى المدينة عما يحمل إليه: أصدقة أم هدية ؟[1] لأن قرينة الحال تدل وهو

(١) صحيح: حديث «سؤاله في أول قدومه إلى المدينة عما يحمل إليه أصدقة أم هدية». رواه أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث سلمان «أن النبي ﷺ لما قدم المدينة أتاه سلمان بطعام، فسأله عنه أصدقة أم

دخول المهاجرين المدينة وهم فقراء فغلب على الظن أن ما يحمل إليهم بطريق الصدقة، ثم إسلام المعطي ويده لا يدلان على أنه ليس بصدقة. وكان يدعى إلى الضيافات فيجيب ولا يسأل: أصدقة أم لا ؟ [١]إذ العادة ما جرت بالتصدّق بالضيافة. ولذلك دعته أم سليم [٢]، ودعاه الخياط [٣]، كما في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه وقدّم إليه طعامًا فيه قرع، ودعاه الرجل الفارسي فقال عليه الصلاة والسلام: «أَنَا وَعَائِشَةُ؟» فقال: لا، فقال: «فَلاَ» . ثم أجابه بعد فذهب هو وعائشة يتساوقان فقرب إليهما إهالة [٤]ولم ينقل السؤال في شيء من ذلك، وسأل أبو بكر رضي الله عنه عبده عن كسبه لما رابه من أمره، وسأل عمر رضي الله عنه الذي سقاه من لبن إبل الصدقة إذ رابه وكان أعجبه طعمه ولم يكن على ما كان يألفه كل مرة. وهذه أسباب الريبة وكل من وجد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن عاصيًا بإجابته من غير تفتيش، بل لو رأى في داره تجملاً ومالاً كثيرًا فليس له أن يقول الحلال عزيز وهذا كثير فمن أين يجتمع هذا من الحلال؟ بل هذا الشخص بعينه يحتمل أن يكون ورث مالاً أو اكتسبه فهو بعينه يستحق إحسان الظن به، وأزيد على هذا وأقول: ليس له أن يسأله بل إن كان يتورع فلا يدخل جوفه إلا ما يدري من أين هو فهو حسن فليتلطف في الترك، وإن كان لا بدّ له من أكله فليأكل بغير سؤال إذ السؤال إيذاء وهتك ستر وإيحاش وهو حرام بلا شك.

فإن قلت: لعله لا يتأذى؟ فأقول: لعله يتأذى فأنت تسأل حذرًا من «لعل» فإن قنعت فلعل ماله حلال وليس الإثم المحذور في إيذاء مسلم بأقل من الإثم في أكل الشبهة والحرام، والغالب على الناس الاستيحاش بالتفتيش ولا يجوز له أن يسأل من غيره من حيث يدري هو به لأن الإيذاء في ذلك أكثر. وإن سأل من حيث لا يدري هو ففيه إساءة ظن وهتك ستر وفيه تجسس وفيه تشبث بالغيبة وإن لم يكن ذلك صريحًا. وكل ذلك منهي عنه في آية واحدة قال الله تعالى: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ﴾ [الحجرات :١٢] وكم زاهد جاهل يوحش القلوب في التفتيش ويتكلم الكلام الخشن المؤذي

هدية... الحديث»، [أحمد : ٢٣٢١٠، وذكره الألباني في صحيح السيرة صفحة ٦٨].

تقدم في الباب قبله من حديث أبي هريرة.

(١) صحيح : حديث «كان يدعى إلى الضيافات فيجيب ولا يسأل أصدقة أم لا». هذا معروف مشهور، من ذلك الصحيحين من حديث أبي مسعود الأنصاري في صنيع أبي شعيب طعاما لرسول الله ﷺ، ودعاه خامس خمسة. [البخاري : ٢٠٨١، ومسلم : ٢٠٣٦].

(٢) صحيح : حديث «دعته أم سليم». متفق عليه من حديث أنس. [البخاري :٣٥٧٨ ، ومسلم : ٢٠٤٠].

(٣) صحيح : حديث أنس «أن خياطا دعا رسول الله ﷺ فقدم إليه طعاما فيه قرع». متفق عليه. [البخاري : ٢٠٩٢، ومسلم : ٢٠٤١].

(٤) صحيح : حديث دعاه الرجل الفارسي فقال «أنا وعائشة»؟ فقال: لا، فقال: «فلا». ثم أجابه بعد فذهب هو وعائشة يتساوقان فقرب إليهما إهالة.

رواه مسلم عن أنس. [مسلم : ٢٠٣٧].

وإنما يحسن الشيطان ذلك عنده طلبًا للشهرة بأكل الحلال، ولو كان باعثه محض الدين لكان خوفه على قلب مسلم أن يتأذى أشدّ من خوفه على بطنه أن يدخله ما لا يدري وهو غير مؤاخذ بما لا يدري إذ لم يكن ثمَّ علامة توجب الاجتناب فليعلم أن طريق الورع الترك دون التجسس، وإذا لم يكن بدّ من الأكل فالورع الأكل وإحسان الظن، هذا هو المألوف من الصحابة رضي الله عنهم ومن زاد عليهم في الورع فهو ضال مبتدع وليس بمتبع فلن يبلغ أحد مدّ أحدهم ولا نصيفه ولو أنفق ما في الأرض جميعًا كيف وقد أكل رسول الله ﷺ طعام بريرة فقيل: إنه صدقة، فقال: «هُوَ لَهَا صَدَقَةٌ وَلَنَا هَدِيَّةٌ»(١) ولم يسأل على المتصدق عليها فكان مجهولًا عنده ولم يمتنع.

الحالة الثانية: أن يكون مشكوكًا فيه بسبب دلالة أورثت ريبة فلنذكر صورة ريبة ثم حكمها.

أما الخلقة: فبأن يكون على خلقة الأتراك والبوادي والمعروفين بالظلم وقطع الطريق، وأن يكون طويل الشارب، وأن يكون الشعر مفرقًا على رأسه على دأب أهل الفساد.

وأما الثياب: فالقباء والقلنسوة وزي أهل الظلم والفساد من الأجناد وغيرهم.

وأما الفعل والقول: فهو أن يشاهد منه الإقدام على ما لا يحل، فإن ذلك يدل على أنه يتساهل أيضًا في المال ويأخذ ما لا يحل، فهذه مواضع الريبة. فإذا أراد أن يشتري من مثل هذا شيئًا ويأخذ منه هدية أو يجيبه إلى ضيافة وهو غريب مجهول عنده لم يظهر له منه إلا هذه العلامات، فيحتمل أن يقال إن اليد تدل على الملك وهذه الدلالات ضعيفة فالإقدام جائز والترك من الورع. ويحتمل أن يقال: إن اليد دلالة ضعيفة وقد قابلها مثل هذه الدلالة فأورثت ريبة فالهجوم غير جائز، وهو الذي نختاره ونفتي به لقوله ﷺ: «دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يُرِيبُكَ»(٢) فظاهره أمر وإن كان يحتمل الاستحباب لقوله ﷺ: «الإِثْمُ حَزَّازُ القُلُوبِ»(٣) وهذا له وقع في القلب لا ينكر ولأن النبي ﷺ سأل: أصدقة هو أو هدية؟ وسأل أبو بكر رضي الله عنه غلامه. وسأل عمر رضي الله عنه. وكل ذلك كان في موضع الريبة وحمله على الورع، وإن كان ممكنًا ولكن لا يحمل عليه إلا بقياس حكمي، والقياس ليس يشهد بتحليل هذا فإن دلالة اليد والإسلام وقد عارضتها هذه الدلالات أورثت ريبة فإذا تقابلا فالاستحلال لا مستند له. وإنما لا يترك حكم اليد والاستصحاب بشك لا يستند إلى علامة كما إذا وجدنا الماء

---

(١) صحيح: حديث أكله طعام بريرة فقيل أنها صدقة فقال «هو لها صدقة ولنا هدية». متفق عليه من حديث أنس. [البخاري: ١٤٩٥، ومسلم: ١٠٧٥].

(٢) صحيح: حديث «دع ما يريبك». تقدم في البابين قبله. [الترمذي: ٢٥٨، والنسائي: ٥٣٩٨، وانظر صحيح الترمذي].

(٣) حديث «الإثم حزاز القلوب». تقدم في العلم.

متغيرًا واحتمل أن يكون بطول المكث، فإن رأينا ظبية بالت فيه ثم احتمل التغيير به تركنا الاستصحاب وهذا قريب منه. ولكن بين هذه الدلالات تفاوت فإن طول الشوارب ولبس القباء وهيئة الأجناد يدل على الظلم بالمال. أما القول والفعل المخالفان للشرع إن تعلقا بظلم المال فهو أيضًا دليل ظاهر كما لو سمعه يأمر بالغصب والظلم أو يعقد عقد الربا. فأما إذا رآه قد شتم غيره في غضبه أو أتبع نظره امرأة مرت به فهذه الدلالة ضعيفة فكم من إنسان يتحرّج في طلب المال ولا يكتسب إلا الحلال ومع ذلك فلا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة! فليتنبه لهذا التفاوت ولا يمكن أن يضبط هذا بحد فليستفت العبد في مثل ذلك قلبه. وأقول إنّ هذا إن رآه من مجهول فله حكم، وإن رآه ممن عرفه بالورع في الطهارة والصلاة وقراءة القرآن فله حكم آخر إذا تعارضت الدلالتان بالإضافة إلى المال وتساقطتا وعاد الرجل كالمجهول إذ ليست إحدى الدلالتين تناسب المال على الخصوص، فكم من متحرج في المال لا يتحرج في غيره وكم من محسن للصلاة والوضوء والقراءة ويأكل من حيث يجد فالحكم في هذه المواقع ما يميل إليه القلب فإن هذا أمر بين العبد وبين الله فلا يبعد أن يناط بسبب خفي لا يطلع عليه إلا هو ورب الأرباب وهو حكم حزازة القلب. ثم ليتنبه لدقيقة أخرى وهو أن هذه الدلالة ينبغي أن تكون بحيث تدل على أن أكثر ماله حرام بأن يكون جنديًّا أو عامل سلطان أو نائحة أو مغنية، فإن دل على أن في ماله حرامًا قليلًا لم يكن السؤال واجبًا بل كان السؤال من الورع.

الحالة الثالثة: أن تكون الحالة معلومة بنوع خبرة وممارسة بحيث يوجب ذلك ظنًّا في حل المال أو تحريمه. مثل أن يعرف صلاح الرجل وديانته وعدالته في الظاهر وجوز أن يكون الباطن بخلافه فههنا لا يجب السؤال ولا يجوز كما في المجهول، فالأولى الإقدام. والإقدام ههنا أبعد عن الشبهة من الإقدام على طعام المجهول فإن ذلك بعيد عن الورع وإن لم يكن حرامًا. وأما أكل طعام أهل الصلاح فدأب الأنبياء والأولياء قال ﷺ: «لاَ تَأْكُلْ إِلاَّ طَعَامَ تَقِيٍّ وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ»[1]، فأما إذا علم بالخبرة أنه جندي أو مغن أو مرب واستغنى عن الاستدلال عليه بالهيئة والشكل والثياب، فههنا السؤال واجب لا محالة كما في موضع الريبة بل أولى.

المثار الثاني: ما يستند الشك فيه إلى سبب المال لا في حال المالك:

وذلك بأن يختلط الحلال بالحرام كما إذا طرح في سوق أحمال من طعام غصب واشتراها أهل السوق فليس يجب على من يشتري في تلك البلدة وذلك السوق أن يسأل عما يشتريه إلا أن يظهر أنّ أكثر ما في أيديهم حرام فعند ذلك يجب السؤال فإن لم يكن هو الأكثر فالتفتيش

(١) حديث «لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي». تقدم في الزكاة.

من الورع وليس بواجب.

والسوق الكبير حكمه حكم بلد.

والدليل على أنه لا يجب السؤال والتفتيش إذا لم يكن الأغلب الحرام أن الصحابة رضي الله عنهم لم يمتنعوا من الشراء من الأسواق وفيها دراهم الربا وغلول الغنيمة وغيرها، وكانوا لا يسألون في كل عقد، وإنما السؤال نقل عن آحادهم نادرًا في بعض الأحوال وهي محال الريبة في حق ذلك الشخص المعين، وكذلك كانوا يأخذون الغنائم من الكفار الذين كانوا قد قاتلوا المسلمين، وربما أخذوا أموالهم واحتمل أن يكون في تلك الغنائم شيء مما أخذوه من المسلمين وذلك لا يحل أخذه مجانًا بالاتفاق بل يرد على صاحبه عند الشافعي رحمه الله، وصاحبه أولى به بالثمن عند أبي حنيفة رحمه الله، ولم ينقل قط التفتيش عن هذا. وكتب عمر رضي الله عنه إلى أذربيجان: إنكم في بلاد تذبح فيها الميتة فانظروا ذكيه من ميته. أذن في السؤال وأمر به ولم يأمر بالسؤال عن الدراهم التي هي أثمانها لأن أكثر دراهمهم لم تكن أثمان الجلود وإن كانت هي أيضًا تباع وأكثر الجلود كان كذلك. وكذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه: إنكم في بلاد أكثر قصابيها المجوس فانظروا الذكي من الميتة فخص بالأكثر الأمر بالسؤال، ولا يتضح مقصود هذا الباب إلا بذكر صور وفرض مسائل يكثر وقوعها في العادات فلنفرضها:

مسألة: شخص معين خالط ماله الحرام مثل أن يباع على دكان طعام مغصوب أو مال منهوب، ومثل أن يكون القاضي أو الرئيس أو العامل أو الفقيه الذي له إدرار على سلطان ظالم له أيضًا مال موروث ودهقنة أو تجارة أو رجل تاجر يعامل بمعاملات صحيحة ويربي أيضًا، فإن كان الأكثر من ماله حرامًا لا يجوز الأكل من ضيافته ولا قبول هديته ولا صدقته إلا بعد التفتيش، فإن ظهر أن المأخوذ من وجه حلال فذاك وإلا ترك، وإن كان الحرام أقل والمأخوذ مشتبه فهذا في محل النظر لأنه على رتبة بين الرتبتين، إذ قضينا بأنه لو اشتبه ذكية بعشر ميتات مثلًا وجب اجتناب الكل وهذا يشبهه من وجه من حيث إن مال الرجل الواحد كالمحصور لا سيما إذا لم يكن كثير المال مثل السلطان، ويخالفه من وجه إذ الميتة يعلم وجودها في الحال يقينًا والحرام الذي خالط ماله يحتمل أن يكون قد خرج من يده وليس موجودًا في الحال وإن كان المال قليلًا، وعلم قطعًا أن الحرام موجود في الحال فهو ومسألة اختلاط الميتة واحد. وإن كثر المال واحتمل أن يكون الحرام غير موجود في الحال فهذا أخف من ذلك ويشبه من وجه الاختلاط بغير محصور كما في الأسواق والبلاد ولكنه أغلظ منه لاختصاصه بشخص واحد، ولا يشك في أن الهجوم عليه بعيد من الورع جدًّا ولكن النظر في كونه فسقًا مناقض للعدالة، وهذا من حيث النقل أيضًا غامض لتجاذب الأشياء، ومن حيث النقل أيضًا غامض لأن ما ينقل فيه عن الصحابة من الامتناع في مثل هذا، وكذا عن التابعين يمكن حمله على الورع

ولا يصادف فيه نص على التحريم. وما ينقل من إقدام على الأكل كأكل أبي هريرة رضي الله عنه طعام معاوية مثلًا إن قدر في جملة ما في يده حرام فذلك أيضًا يحتمل أن يكون إقدامه بعد التفتيش واستبانة أن عين ما يأكله من وجه مباح. فالأفعال في هذا ضعيفة الدلالة ومذاهب العلماء المتأخرين مختلفة حتى قال بعضهم: لو أعطاني السلطان شيئًا لأخذته وطرد الإباحة فيما إذا كان الأكثر أيضًا حرامًا مهمًا لم يعرف عين المأخوذ واحتمل أن يكون حلالًا، واستدل بأخذ بعض السلف جوائز السلاطين ـ كما سيأتي في باب بيان أموال السلاطين ـ فأما إن كان الحرام هو الأقل واحتمل أن لا يكون موجودًا في الحال لم يكن الأكل حرامًا، وإن تحقق وجوده في الحال ـ كما في مسألة اشتباه الذكية بالميتة ـ فهذا مما لا أدري ما أقول فيه وهو من المتشابهات التي يتحير المفتي فيها لأنها مترددة بين مشابهة المحصور وغير المحصور. والرضيعة إذا اشتبهت بقرية فيها عشر نسوة وجب الاجتناب وإن كانت ببلدة فيها عشرة آلاف لم يجب. وبينهما أعداد، ولو سئلت عنها لكنت لا أدري ما أقول فيها، ولقد توقف العلماء في مسائل هي أوضح من هذه إذ سئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل رمى صيدًا فوقع في ملك غيره أيكون الصيد للرامي أو لمالك الأرض؟ فقال: لا أدري، فروجع فيه مرات فقال: لا أدري. وكثيرًا من ذلك حكيناه عن السلف في كتاب العلم فليقطع المفتي طمعه عن درك الحكم في جميع الصور. وقد سأل ابن المبارك صاحبه من البصرة عن معاملته قومًا يعاملون السلاطين، فقال: إن لم يعاملوا سوى السلطان فلا تعاملهم وإن عاملوا السلطان وغيره فعاملهم. وهذا يدل على المسامحة في الأقل ويحتمل المسامحة في الأكثر أيضًا. وبالجملة: فلم ينقل عن الصحابة أنهم كانوا يهجرون بالكلية معاملة القصاب والخباز والتاجر لتعاطيه عقدًا واحدًا فاسدًا أو لمعاملة السلطان مرة، وتقدير ذلك فيه بعد والمسألة مشكلة في نفسها.

فإن قيل فقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه رخص فيه وقال: خذ ما يعطيك السلطان فإنما يعطيك من الحلال وما يأخذ من الحلال أكثر من الحرام. وسئل ابن مسعود رضي الله عنه في ذلك فقال له السائل: إن لي جارًا لا أعلمه إلا خبيثًا يدعونا أو نحتاج فنستسلفه فقال: إذا دعاك فأجبه وإذا احتجت فاستسلفه فإن لك المهنأ وعليه المأثم. وأفتى سلمان بمثل ذلك. وقد علل عليّ بالكثرة وعلل ابن مسعود رضي الله عنه بطريق الإشارة بأن عليه المأثم لأنه يعرفه ولك المهنأ أي أنت لا تعرفه. وروي أنه قال رجل لابن مسعود رضي الله عنه: إن لي جارًا يأكل الربا فيدعونا إلى طعامه أفنأتيه؟ فقال: نعم. وروي في ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه روايات كثيرة مختلفة، وأخذ الشافعي ومالك رضي الله عنهما جوائز الخلفاء والسلاطين مع العلم بأنه قد خالط مالهم الحرام؟ قلنا: أما ما روي عن علي رضي الله عنه فقد اشتهر من ورعه ما يدل على خلاف ذلك فإنه كان يمتنع من مال بيت المال حتى

يبيع سيفه ولا يكون له إلا قميص واحد في وقت الغسل لا يجد غيره، ولست أنكر أن رخصته صريحة في الجواز وفعله محتمل للورع، ولكنه لو صح فمال السلطان له حكم آخر فإنه بحكم كثرته يكاد يلتحق بما لا يحصر - وسيأتي بيان ذلك - وكذا فعل الشافعي ومالك رضي الله عنهما بمال السلطان - وسيأتي حكمه - وإنما كلامنا في آحاد الخلق وأموالهم قريبة من الحصر. وأما قول ابن مسعود رضي الله عنه: فقيل إنه إنما نقله خوات التيمي وإنه ضعيف الحفظ، والمشهور عنه ما يدل على توقي الشبهات إذ قال: لا يقولن أحدكم أخاف وأرجو فإن الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبين ذلك أمور مشتبهات فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك. وقال: اجتنبوا الحكاكات ففيها الإثم.

فإن قيل: فلم قلتم إذا كان الأكثر حرامًا لم يجز الأخذ مع أن المأخوذ ليس فيه علامة تدل على تحريمه على الخصوص، واليد علامة على الملك حتى إن من سرق مال مثل هذا الرجل قطعت يده والكثرة توجب ظنًا مرسلًا لا يتعلق بالعين فليكن كغالب الظن في طين الشوارع وغالب الظن في الاختلاط بغير محصور إذا كان الأكثر هو الحرام، ولا يجوز أن يستدل على هذا بعموم قوله ﷺ: «دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يُرِيبُكَ»، لأنه مخصوص ببعض المواضع بالاتفاق وهو أن يريبه بعلامة في عين الملك بدليل اختلاط القليل بغير المحصور فإن ذلك يوجب ريبة ومع ذلك قطعتم بأنه لا يحرم؟.

فالجواب: أن اليد دلالة ضعيفة كالاستصحاب وإنما تؤثر إذا سلمت عن معارض قوي. فإذا تحققنا الاختلاط وتحققنا أن الحرام المخالط موجود في الحال، والمال غير خال عنه، وتحققنا أن الأكثر هو الحرام وذلك في حق شخص معين يقرب ماله من الحصر ظهر وجوب الإعراض عن مقتضى اليد وإن لم يحمل عليه قوله عليه الصلاة والسلام: «دع ما يريبك إلى لا يريبك» لا يبقى له محمل إذ لا يمكن أن يحمل على اختلاط قليل بحلال غير محصور إذ كان ذلك موجودًا في زمانه وكان لا يدعه. وعلى أي موضع حمل هذا كان هذا في معناه. وحمله على التنزيه صرف له عن ظاهره بغير قياس فإن تحريم هذا غير بعيد عن قياس العلامات والاستصحاب. وللكثرة تأثير في تحقيق الظن وكذا للحصر، وقد اجتمعا حتى قال أبو حنيفة رضي الله عنه: لا تجتهد في الأواني إلا إذا كان الطاهر هو الأكثر. فاشترط اجتماع الاستصحاب والاجتهاد بالعلامة وقوّة الكثرة: ومن قال يأخذ أي آنية أراد بلا اجتهاد بناء على مجرد الاستصحاب فيجوز الشرب أيضًا فيلزمه التجويز ههنا بمجرد علامة اليد. ولا يجري ذلك في بول اشتبه بماء إذ لا استصحاب فيه ولا نطرده أيضًا في ميتة اشتبهت بذكية إذ لا استصحاب في الميتة، واليد لا تدل على أنه غير ميتة وتدل في الطعام المباح على أنه ملك. فههنا أربع متعلقات: استصحاب، وقلة في المخلوط أو كثرة، وانحصار أو اتساع في المخلوط، وعلامة خاصة في عين الشيء يتعلق بها الاجتهاد فمن يغفل عن مجموع الأربعة

ربما يغلط فيشبه بعض المسائل بما لا يشبهه. فحصل مما ذكرناه أن المختلط في ملك شخص واحد إما أن يكون الحرام أكثره أو أقله وكل واحد إما أن يعلم بيقين أو بظن عن علامة أو توهم. فالسؤال يجب في موضعين: وهو أن يكون الحرام أكثر يقينًا أو ظنًّا كما لو رأى تركيًّا مجهولًا يحتمل أن يكون كل ماله من غنيمة وإن كان الأقل معلومًا باليقين فهو محل التوقف وتكاد تسير سير أكثر السلف وضرورة الأحوال إلى الميل إلى الرخصة. وأما الأقسام الثلاثة الباقية فالسؤال واجب فيها أصلًا.

مسألة: إذا حضر طعام إنسان علم أنه دخل في يده حرام من إدرار كان قد أخذه أو وجه آخر ولا يدري أنه بقي إلى الآن أم لا، فله الأكل ولا يلزمه التفتيش وإنما التفتيش فيه من الورع، ولو علم أنه قد بقي منه شيء ولكن لم يدر أنه الأقل أو الأكثر فله أن يأخذ بأنه الأقل. وقد سبق أن الأمر مشكل وهذا يقرب منه.

مسألة: إذا كان في يد المتولي للخيرات أو الأوقاف أو الوصايا مالان يستحق هو أحدهما ولا يستحق الثاني لأنه غير موصوف بتلك الصفة، فهل له أن يأخذ ما يسلمه إليه صاحب الوقف؟ نظر، فإن كانت تلك الصفة ظاهرة يعرفها المتولي وكان المتولي ظاهر العدالة فله أن يأخذ بغير بحث، لأن الظن بالمتولي أنه لا يصرف إليه ما يصرفه إلا من المال الذي يستحقه، وإن كانت الصفة خفية وإن كان المتولي ممن عرف حاله أنه يخلط ولا يبالي كيف يفعل فعليه السؤال، إذ ليس ههنا يد ولا استصحاب يعوّل عليه، وهو وزان سؤال رسول الله ﷺ عن الصدقة والهدية عند تردده فيهما، لأن اليد لا تخصص الهدية عن الصدقة ولا الاستصحاب فلا ينجي منه إلا السؤال، فإن السؤال حيث أسقطناه في المجهول أسقطناه بعلامة اليد والإسلام، حتى لو لم يعلم أنه مسلم وأراد أن يأخذ من يده لحمًا من ذبيحته واحتمل أن يكون مجوسيًّا لم يجز له ما لم يعرف أنه مسلم إذ اليد لا تدل في الميتة ولا الصورة تدل على الإسلام إلا إذا كان أكثر أهل البلدة مسلمين، فيجوز أن يظن بالذي ليس عليه علامة الكفر أنه مسلم وإن كان الخطأ ممكنًا فيه فلا ينبغي أن تلتبس المواضع التي تشهد فيها اليد والحال بالتي لا تشهد.

مسألة: له أن يشتري في البلد دارًا وإن علم أنها تشتمل على دور مغصوبة لأن ذلك اختلاط بغير محصور ولكن السؤال احتياط وورع. وإن كان في سكة عشر دور مثلًا إحداها مغصوبة أو وقف لم يجز الشراء ما لم يتميز ويجب البحث عنه. ومن دخل بلدة وفيها رباطات خصص بوقفها أرباب المذاهب وهو على مذهب واحد من جملة تلك المذاهب فليس له أن يسكن أيها شاء ويأكل من وقفها بغير سؤال، لأن ذلك من باب اختلاط المحصور فلا بد من التمييز، ولا يجوز الهجوم مع الإبهام لأن الرباطات والمدارس في البلد لا بد أن تكون محصورة.

مسألة : حيث جعلنا السؤال من الورع فليس له أن يسأل صاحب الطعام والمال إذا لم يأمن غضبه وإنما أوجبنا السؤال إذا تحقق أن أكثر ماله حرام وعند ذلك لا يبالي بغضب مثله، إذ يجب إيذاء الظالم بأكثر من ذلك، والغالب أن مثل هذا لا يغضب من السؤال. نعم إن كان يأخذ من يد وكيله أو غلامه أو تلميذه أو بعض أهله ممن هو تحت رعايته فله أن يسأل مهما استراب لأنهم لا يغضبون من سؤاله، ولأن عليه أن يسأل ليعلمهم طريق الحلال، ولذلك سأل أبو بكر رضي الله عنه غلامه، وسأل عمر من سقاه من إبل الصدقة، وسأل أبا هريرة رضي الله عنه أيضًا لما أن قدم عليه بمال كثير فقال: ويحك أكل هذا طيب؟ من حيث إنه تعجب من كثرته وكان هو من رعيته لا سيما وقد رفق في صيغة السؤال، وكذلك قال علي رضي الله عنه: ليس شيء أحب إلى الله تعالى من عدل إمام ورفقه ولا شيء أبغض إليه من جوره وخرقه.

مسألة : قال الحارث المحاسبي رحمه الله: لو كان له صديق أو أخ وهو يأمن غضبه لو سأله فلا ينبغي أن يسأله لأجل الورع، لأنه ربما يبدو له ما كان مستورًا عنه فيكون قد حمله على هتك الستر ثم يؤدي ذلك إلى البغضاء، وما ذكره حسن لأن السؤال إذا كان من الورع لا من الوجوب فالورع في مثل هذه الأمور الاحتراز عن هتك الستر، وإثارة البغضاء أهم. وزاد على هذا فقال: وإن رابه منه شيء أيضًا لم يسأله ويظن به أنه يطعمه من الطيب ويجنبه الخبيث فإن كان لا يطمئن قلبه إليه فيحترز متلطفًا ولا يهتك ستره بالسؤال، قال: لأني لم أر أحدًا من العلماء فعله، فهذا منه مع ما اشتهر به من الزهد يدل على مسامحة فيما إذا خالط المال الحرام القليل ولكن ذلك عند التوهم لا عند التحقيق لأن لفظ الريبة يدل على التوهم بدلالة تدل عليه ولا يوجب اليقين فليراع هذه الدقائق بالسؤال.

مسألة : ربما يقول القائل: أي فائدة في السؤال ممن بعض ماله حرام ومن يستحل المال الحرام ربما يكذب فإن وثق بأمانته فليثق بديانته في الحلال؟ فأقول: مهما علم مخالطة الحرام لمال إنسان وكان له غرض في حضورك ضيافته أو قبولك هديته فلا تحصل الثقة بقوله فلا فائدة للسؤال منه، فينبغي أن يسأل من غيره، وكذا إن كان بائعًا وهو يرغب في البيع لطلب الربح فلا تحصل الثقة بقوله إنه حلال ولا فائدة في السؤال منه وإنما يسأل من غيره. وإنما يسأل من صاحب اليد إذا لم يكن متهمًا كما يسأل المتولي على المال الذي يسلمه أنه من أي جهة، وكما سأل رسول الله ﷺ عن الهدية والصدقة فإن ذلك لا يؤذي ولا يتهم القائل فيه، وكذلك إذا اتهمه بأنه ليس يدري طريق كسب الحلال؛ فلا يتهم في قوله إذا أخبر عن طريق صحيح، وكذلك يسأل عبده وخادمه ليعرف طريق اكتسابه. فههنا يفيد السؤال فإذا كان صاحب المال متهمًا فليسأل من غيره فإذا أخبره عدل واحد قبله وإن أخبره فاسق يعلم من قرينة حاله أنه لا يكذب حيث لا غرض له فيه جاز قبوله لأن هذا أمر بينه وبين الله تعالى والمطلوب ثقة النفس، وقد يحصل من الثقة بقول فاسق ما لا يحصل بقول عدل في بعض

الأحوال، وليس كل من فسق يكذب ولا كل من ترى العدالة في ظاهره يصدق. وإنما نيطت الشهادة بالعدالة الظاهرة لضرورة الحكم فإن البواطن لا يطلع عليها، وقد قبل أبو حنيفة رحمه الله شهادة الفاسق، وكم من شخص تعرفه وتعرف أنه قد يقتحم المعاصي ثم إذا أخبرك بشيء وثقت به. وكذلك إذا أخبر به صبي مميز ممن عرفته بالتثبت فقد تحصل الثقة بقوله فيحل الاعتماد عليه. فأما إذا أخبر به مجهول لا يدري من حاله شيء أصلًا فهذا ممن جوّزنا الأكل من يده لأن يده دلالة ظاهرة على ملكه.

وربما يقال إسلامه دلالة ظاهرة على صدقه؛ وهذا فيه نظر، ولا يخلو قوله عن أثر ما في النفس حتى لو اجتمع منهم جماعة تفيد ظنًّا قويًّا إلا أن أثر الواحد فيه في غاية الضعف فلينظر إلى حدّ تأثيره في القلب فإن المفتي هو القلب في مثل هذا الموضع وللقلب التفاتات إلى قرائن خفية يضيق عنها نطاق النطق فليتأمل فيه. ويدل على وجوب الالتفات إليه ما روي عن عقبة بن الحارث «أنه جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إني تزوّجت امرأة فجاءت أمة سوداء فزعمت أنها قد أرضعتنا وهي كاذبة، فقال: «دَعْهَا» ، فقال: إنها سوداء ـ يصغر من شأنها ـ فقال عليه السلام: «فَكَيْفَ وَقَدْ زَعَمَتْ أَنَّهَا قَدْ أَرْضَعَتْكُمَا؟ لاَ خَيْرَ لَكَ فِيهَا دَعْهَا عَنْكَ»[1] ، وفي لفظ آخر ـ «كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ؟» ومهما لم يعلم كذب المجهول ولم تظهر أمارة غرضٍ له فيه كان له وقع في القلب لا محالة؛ فلذلك يتأكد الأمر بالاحتراز فإن اطمأن إليه القلب كان الاحتراز حتمًا واجبًا.

مسألة : حيث يجب السؤال فلو تعارض قول عدلين تساقطا وكذا قول فاسقين، ويجوز أن يترجح في قلبه قول أحد العدلين أو أحد الفاسقين، ويجوز أن يرجح أحد الجانبين بالكثرة أو بالاختصاص بالخبرة والمعرفة وذلك مما يتشعب تصويره.

مسألة : لو نهب متاع مخصوص فصادف من ذلك النوع متاعًا في يد إنسان وأراد أن يشتريه واحتمل أن لا يكون من المغصوب فإن كان ذلك الشخص ممن عرفه بالصلاح جاز الشراء وكان تركه من الورع. وإن كان الرجل مجهولًا لا يعرف منه شيئًا فإن كان يكثر نوع ذلك المتاع من غير المغصوب فله أن يشتري. وإن كان لا يوجد ذلك المتاع في تلك البقعة إلا نادرًا وإنما كثر بسبب الغصب فليس يدل على الحل إلا اليد وقد عارضته علامة خاصة من شكل المتاع ونوعه، فالامتناع عن شرائه من الورع المهم، ولكن الوجوب فيه نظر فإن العلامة متعارضة. ولست أقدر على أن أحكم فيه بحكم إلا أن أرده إلى قلب المستفتي لينظر ما

---

(١) صحيح : حديث عقبة بن الحارث «أنه جاء إلى الرسول ﷺ فقال: إني تزوجت امرأة فجاءت أمة سوداء فزعمت أنها قد أرضعتنا وهي كاذبة، فقال: دعها، فقال : إنها سوداء – يصغر من شأنها – فقال عليه السلام: فكيف وقد زعمت أنها قد أرضعتكما؟ لا خير لك فيها دعها عنك». رواه البخاري من حديث عقبة بن الحارث. [البخاري : ٥١٠٥].

الأقوى في نفسه فإن كان الأقوى أنه مغصوب لزمه تركه وإلاَّ حلَّ له شراؤه، وأكثر هذه الوقائع يلتبس الأمر فيها فهي من المتشابهات التي لا يعرفها كثير من الناس فمن توقاها فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن اقتحمها فقد حام حول الحمى وخاطر بنفسه.

مسألة : لو قال قائل: قد سأل رسول الله ﷺ عن لبن قدم إليه فذكر أنه من شاة فسأل عن الشاة من أين هي فذكر له فسكت عن السؤال[1] ، فيجب السؤال عن أصل المال أم لا، وإن وجب فعن أصل واحد أو اثنين أو ثلاثة وما الضبط فيه؟ فأقول: لا ضبط فيه ولا تقدير، بل ينظر إلى الريبة المقتضية للسؤال إما وجوبًا أو ورعًا. ولا غاية للسؤال إلا حيث تنقطع الريبة المقتضية له وذلك يختلف باختلاف الأحوال، فإن كانت التهمة من حيث لا يدري صاحب اليد كيف طريق الكسب الحلال فإن قال: اشتريت، انقطع بسؤال واحد، وإن قال: من شاتي، وقع الشك في الشاة. فإذا قال: اشتريت، انقطع وإن كانت الريبة من الظلم وذلك مما في أيدي العرب ويتوالد في أيديهم المغصوب فلا تنقطع الريبة بقوله: إنه من شاتي، ولا بقوله: إن الشاة ولدتها شاتي، فإن أسنده إلى الوراثة من أبيه وحالة أبيه مجهولة انقطع السؤال، وإن كان يعلم أن جميع مال أبيه حرام فقد ظهر التحريم وإن كان يعلم أن أكثره حرام فبكثرة التوالد وطول الزمان وتطرق الإرث إليه لا يغير حكمه فلينظر في هذه المعاني.

مسألة : سئلت عن جماعة من سكان خانقاه الصوفية وفي يد خادمهم الذي يقدم إليهم الطعام وقف على ذلك المسكن ووقف آخر على جهة أخرى غير هؤلاء، وهو يخلط الكل وينفق على هؤلاء وهؤلاء فأكل طعامه حلال أو حرام أو شبهة؟ فقلت: إن هذا يلتفت إلى سبعة أصول:

الأصل الأوّل : أن الطعام الذي يقدم إليهم في الغالب يشتريه بالمعاطاة والذي اخترناه صحة المعاطاة لا سيما في الأطعمة والمستحقرات فليس في هذا إلا شبهة الخلاف.

الأصل الثاني : أن ينظر الخادم هل يشتريه بعين المال الحرام أو في الذمة؟ فإن اشتراه بعين المال الحرام فهو حرام، وإن لم يعرف فالغالب أنه يشتري في الذمة ويجوز الأخذ بالغالب، ولا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال بعيد وهو شراؤه بعين مال حرام.

الأصل الثالث : أنه من أين يشتريه فإن اشترى ممن أكثر ماله حرام لم يجز وإن كان أقل ماله ففيه نظر قد سبق؛ وإذا لم يعرف جاز له الأخذ بأنه يشتريه ممن ماله حلال أو ممن لا يدري المشتري حاله بيقين كالمجهول، وقد سبق جواز الشراء من المجهول لأن ذلك هو الغالب فلا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال.

---

(١) صحيح : حديث «سأل رسول الله ﷺ عن لبن قدم إليه فذكر أنه من شاة فسأل عن الشاة من أين هي فذكر له فسكت عن السؤال». تقدم في الباب الخامس من آداب الكسب والمعيشة. [البخاري : ١٤٩٤، ومسلم : ١٠٧٦].

الأصل الرابع : أن يشتريه لنفسه أو للقوم فإن المتولي والخادم كالنائب وله أن يشتري له ولنفسه ولكن يكون ذلك بالنية أو صريح اللفظ، وإذا كان الشّراء يجري بالمعاطاة فلا يجري اللفظ، والغالب أنه لا ينوي عند المعاطاة والقصاب والخباز ومن يعامله يعول عليه ويقصد البيع منه لا ممن لا يحضرون فيقع عن جبهته ويدخل في ملكه، وهذا الأصل ليس فيه تحريم ولا شبهة ولكن يثبت أنهم يأكلون من ملك الخادم.

الأصل الخامس : أن الخادم يقدم الطعام إليهم فلا يمكن أن يجعل ضيافة وهدية بغير عوض فإنه لا يرضى بذلك وإنما يقدم اعتمادًا على عوضه من الوقف، فهو معاوضة ولكن ليس ببيع ولا إقراض لأنه لو انتهض لمطالبتهم بالثمن استبعد ذلك وقرينة الحال لا تدل عليه. فأشبه أصل ينزل عليه هذه الحالة الهبة بشرط الثواب ـ أعني هدية لا لفظ فيها من شخص تقتضي قرينة حاله أنه يطمع في ثواب ـ وذلك صحيح والثواب لازم وههنا ما طمع الخادم في أن يأخذ ثوابًا فيما قدمه إلا حقهم من الوقف ليقضي به دينه من الخباز والقصاب والبقال، فهذا ليس فيه شبهة إذ لا يشترط لفظ في الهدية ولا في تقديم الطعام وإن كان مع انتظار الثواب، ولا مبالاة بقول من لا يصحح هدية في انتظار ثواب.

الأصل السادس : أن الثواب الذي يلزم فيه خلاف، فقيل إنه أقل متمول وقيل قدر القيمة وقيل ما يرضى به الواهب حتى له أن لا يرضى بأضعاف القيمة، والصحيح أنه يتبع رضاه فإذا لم يرض يرد عليه وههنا الخادم قد رضي بما يأخذ من حق السكان على الوقف، فإن كان لهم من الحق بقدر ما أكلوه فقد تم الأمر وإن كان ناقصًا ورضي به الخادم صح أيضًا، وإن علم أن الخادم لا يرضى لولا أن في يده الوقف الآخر الذي يأخذه بقوة هؤلاء السكان فكأنه رضي في الثواب بمقدار بعضه حلال وبعضه حرام، والحرام لم يدخل في أيدي السكان، فهذا كالخلل المتطرق إلى الثمن ـ وقد ذكرنا حكمه من قبل ـ وأنه متى يقتضي التحريم ومتى يقتضي الشبهة؟ وهذا لا يقتضي تحريمًا على ما فصلناه فلا تنقلب الهدية حرامًا يتوصل المهدي بسبب الهدية إلى حرام.

الأصل السابع : أنه يقضي دين الخباز والقصّاب والبقال من ريع الواقفين فإن وفى ما أخذ من حقهم بقيمة ما أطعمهم فقد صح الأمر، وإن قصر عنه فرضي القصاب والخباز بأي ثمن كان حرامًا أو حلالًا، فهذا خلل تطرق إلى ثمن الطعام أيضًا فليلتفت إلى ما قدمناه من الشراء في الذمة ثم قضاء الثمن من الحرام، هذا إذا علم أنه قضاه من حرام، فإن احتمل ذلك واحتمل غيره فالشبهة أبعد، وقد خرج من هذا أن أكل هذا ليس بحرام ولكنه أكل شبهة وهو بعيد من الورع، لأن هذه الأصول إذا كثرت وتطرق إلى كل واحد احتمال صار احتمال الحرام بكثرته أقوى في النفس، كما أن الخبر إذا طال إسناده صار احتمال الكذب والغلط فيه أقوى مما إذا قرب إسناده فهذا حكم هذه الواقعة وهي من الفتاوى وإنما أوردناها ليعرف كيفية تخريج الوقائع الملتفة الملتبسة وأنها كيف ترد إلى الأصول فإن ذلك مما يعجز عنه أكثر المفتين.

الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية

اعلم أن من تاب وفي يده مختلط فعليه وظيفة في تمييز الحرام وإخراجه ووظيفة أخرى في مصرف المخرج فلينظر فيهما.

النظر الأول: في كيفية التمييز والإخراج:

اعلم أن كل من تاب وفي يده ما هو حرام معلوم العين من غصب أو وديعة أو غيره فأمره سهل؛ فعليه تمييز الحرام. وإن كان ملتبسًا مختلطًا فلا يخلو إما أن يكون في مال هو من ذوات الأمثال كالحبوب والنقود والأدهان، وإما أن يكون في أعيان متمايزة كالعبيد والدور والثياب. فإن كان في المتماثلات أو كان شائعًا في المال كله كمن اكتسب المال بتجارة يعلم أنه قد كذب في بعضها في المرابحة وصدق في بعضها، أو من غصب دهنًا وخلطه بدهن نفسه، أو فعل ذلك في الحبوب، أو الدراهم والدنانير فلا يخلو ذلك إما أن يكون معلوم القدر أو مجهولًا. فإن كان معلوم القدر مثل أن يعلم أن قدر النصف من جملة ماله حرام فعليه تمييز النصف. وإن كان أشكل فله طريقان أحدهما: الأخذ باليقين والآخر: الأخذ بغالب الظن، وكلاهما قد قال به العلماء في اشتباه ركعات الصلاة. ونحن لا نجوّز في الصلاة إلا الأخذ باليقين فإن الأصل اشتغال الذمة فيستصحب ولا يغير إلا بعلامة قوية وليس في أعداد الركعات علامات يوثق بها، وأما ههنا فلا يمكن أن يقال: الأصل أن ما في يده حرام، بل هو مشكل فيجوز له الأخذ بغالب الظن اجتهادًا، ولكن الورع في الأخذ باليقين، فإن أراد الورع فطريق التحري والاجتهاد أن لا يستبقي إلا القدر الذي يتيقن أنه حلال. وإن أراد الأخذ بالظن فطريقه مثلًا أن يكون في يده مال تجارة فسد بعضها فيتيقن أن النصف حلال وأن الثلث مثلًا حرام ويبقى سدس يشك فيه فيحكم فيه بغالب الظن. وهكذا طريق التحري في كل مال وهو أن يقتطع القدر المتيقن من الجانبين في الحل والحرمة. والقدر المتردد فيه إن غلب على ظنه التحريم أخرجه وإن غلب الحل جاز له الإمساك والورع إخراجه. وإن شك فيه جاز الإمساك والورع إخراجه، وهذا الورع آكد لأنه صار مشكوكًا فيه، وجاز إمساكه اعتمادًا على أنه في يده فيكون الحل أغلب عليه وقد صار ضعيفًا بعد يقين اختلاط الحرام. ويحتمل أن يقال الأصل التحريم ولا يأخذ إلا ما يغلب على ظنه أنه حلال وليس أحد الجانبين بأولى من الآخر وليس يتبين لي في الحال ترجيح وهو من المشكلات.

فإن قيل: هب أنه أخذ باليقين لكن الذي يخرجه ليس يدري أنه عين الحرام فلعل الحرام ما بقي في يده فكيف يقدم عليه؟ ولو جاز هذا لجاز أن يقال: إذا اختلطت ميتة بتسع مذكاة فهي العشر فله أن يطرح واحدة ـ أي واحدة كانت ـ ويأخذ الباقي ويستحله ولكن يقال: لعل الميتة فيما استبقاه بل لو طرح التسع واستبقى واحدة لم تحل لاحتمال أنها الحرام؟ فنقول:

هذه الموازنة كانت تصح لولا أن المال يحل بإخراج البدل لتطرق المعاوضة إليه، وأما الميتة فلا تتطرق المعاوضة إليها فليكشف الغطاء عن هذا الإشكال بالفرض في درهم معين اشتبه بدرهم آخر فيمن له درهمان أحدهما حرام قد اشتبه عينه، وقد سئل أحمد بن حنبل رضي الله عنه عن مثل هذا فقال: يدع الكل حتى يتبين، وكان قد رهن آنية فلما قضى الدين حمل إليه المرتهن آنيتين وقال: لا أدري أيتهما آنيتك؟ فتركهما فقال المرتهن: هذا هو الذي لك وإنما كنت أختبرك؟ فقضى دينه ولم يأخذ الرهن وهذا ورع ولكنا نقول إنه غير واجب. فلنفرض المسألة في درهم له مالك معين حاضر فنقول: إذا رد أحد الدرهمين عليه ورضي به مع العلم بحقيقة الحال حل له الدرهم الآخر، لأنه لا يخلو إما أن يكون المردود في علم الله هو المأخوذ فقد حصل المقصود وإن كان غير ذلك فقد حصل لكل واحد درهم في يد صاحبه، فالاحتياط أن يتبايعا باللفظ فإن لم يفعلا وقع التقاص والتبادل بمجرد المعاطاة، وإن كان المغصوب منه قد فات له درهم في يد الغاصب وعسر الوصول إلى عينه واستحق ضمانه فلما أخذ وقع عن الضمان بمجرد القبض وهذا في جانبه واضح، فإن المضمون له يملك الضمان بمجرد القبض من غير لفظ والإشكال في الجانب الآخر أنه لم يدخل في ملكه. فنقول: لأنه أيضًا إن كان قد تسلم درهم نفسه فقد فات له أيضًا درهم في يد الآخر فليس يمكن الوصول إليه فهو كالغائب فيقع هذا بدلًا عنه في علم الله إن كان الأمر كذلك، ويقع هذا التبادل في علم الله كما يقع التقاص لو أتلف رجلان كل واحد منهما درهمًا على صاحبه، بل في عين مسألتنا لو ألقى كل واحد ما في يده في البحر أو أحرقه كان قد أتلفه ولم يكن عليه عهدة للآخر بطريق التقاص، فكذا إذا لم يتلف فإن القول بهذا أولى من المصير إلى أن من يأخذ درهمًا حرامًا ويطرحه في ألف ألف درهم لرجل آخر يصير كل المال محجورًا عليه لا يجوز التصرف فيه وهذا المذهب يؤدي إليه، فانظر ما في هذا من البعد وليس فيما ذكرناه إلا ترك اللفظ. والمعاطاة بيع ومن لا يجعلها بيعًا فحيث يتطرق إليها احتمال إذ الفعل يضعف دلالته وحيث يمكن التلفظ، وههنا هذا التسليم والتسلم للمبادلة قطعًا والبيع غير ممكن لأن المبيع غير مشار إليه ولا معلوم في عينه وقد يكون مما لا يقبل البيع كما لو خلط رطل دقيق بألف رطل دقيق لغيره وكذا الدبس والرطب وكل ما لا يباع البعض منه بالبعض.

فإن قيل: فأنتم جوزتم تسليم قدر حقه في مثل هذه الصورة وجعلتموه بيعًا؟ قلنا: لا نجعله بيعًا بل نقول هو بدل عما فات في يده فيملكه كما يملك المتلف عليه من الرطب إذا أخذ مثله؛ هذا إذا ساعده صاحب المال فإن لم يساعده وأضر به وقال: لا آخذ درهمًا أصلًا إلا عين ملكي فإن استبهم فأتركه ولا أهبه وأعطل عليك مالك. فأقول على القاضي أن ينوب عنه في القبض حتى يطيب للرجل ماله فإن هذا محض التعنت والتضييق والشرع لم يرد به، فإن عجز عن القاضي ولم يجده فليحكم رجلًا متدينًا ليقبض عنه فإن عجز فيتولى هو بنفسه ويفرد

على نية الصرف إليه درهمًا ويتعين ذلك له ويطيب له الباقي، وهذا في خلط المائعات أظهر وألزم.

فإن قيل: فينبغي أن يحل له الأخذ وينتقل الحق إلى ذمته فأي حاجة إلى الإخراج أولًا ثم التصرف في الباقي؟ قلنا: قال قائلون يحل له أن يأخذ ما دام يبقى قدر الحرام ولا يجوز أن يأخذ الكل ولو أخذ لم يجز له ذلك. وقال آخرون: ليس له أن يأخذ ما لم يخرج قدر الحرام بالتوبة وقصد الإبدال، وقال آخرون يجوز للآخذ في التصرف أن يأخذ منه وأما هو فلا يعطي فإن أعطى عصى هو دون الآخذ منه، وما جوز أحد أخذ الكل وذلك لأن المالك لو ظهر فله أن يأخذ حقه من هذه الجملة إذ يقول لعل المصروف إليّ يقع عين حقي. وبالتعيين وإخراج حق الغير وتمييزه يندفع هذا الاحتمال فهذا المال يترجح بهذا الاحتمال على غيره وما هو أقرب إلى الحق مقدم كما يقدم المثل على القيمة والعين على المثل فكذلك ما يحتمل فيه رجوع المثل مقدم على ما يحتمل فيه رجوع القيمة وما يحتمل فيه رجوع العين يقدم على ما يحتمل فيه رجوع المثل، ولو جاز لهذا أن يقول ذلك لجاز لصاحب الدرهم الآخر أن يأخذ الدرهمين ويتصرف فيهما ويقول على قضاء حقك من موضع آخر؛ إذ الاختلاط من الجانبين وليس ملك أحدهما بأن يقدر فائتًا بأولى من الآخر إلا أن ينظر إلى الأقل فيقدر أنه فائت فيه أو ينظر إلى الذي خلط فيجعل بفعله متلفًا لحق غيره وكلاهما بعيدان جدًا. وهذا واضح في ذوات الأمثال فإنها تقع عوضًا في الإتلافات من غير عقد فأما إذا اشتبه دار بدور أو عبد بعبيد فلا سبيل إلى المصالحة والتراضي، فإن أبى أن يأخذ إلا عين حقه ولم يقدر عليه وأراد الآخر أن يعوق عليه جميع ملكه، فإن كانت متماثلة القيم فالطريق أن يبيع القاضي جميع الدور ويوزع عليهم الثمن بقدر النسبة وإن كانت متفاوتة أخذ من طالب البيع قيمة أنفس الدور وصرف إلى الممتنع منه مقدار قيمة الأقل، ويوقف قدر التفاوت إلى البيان أو الاصطلاح لأنه مشكل، وإن لم يوجد القاضي فللذي يريد الخلاص وفي يده الكل أن يتولى ذلك بنفسه، هذه هي المصلحة وما عداها من الاحتمالات ضعيفة لا نختارها وفيما سبق تنبيه على العلة، وهذا في الحنطة ظاهر، وفي النقود دونه، وفي العروض أغمض، إذ لا يقع البعض بدلًا عن البعض، فلذلك احتيج إلى البيع، ولنرسم مسائل يتم بها بيان هذا الأصل.

مسألة: إذا ورث مع جماعة وكان السلطان قد غصب ضيعة لمورثهم فرد عليه قطعة معينة فهي لجميع الورثة. ولو رد من الضيعة نصفًا وهو قدر حقه ساهمه الورثة، فإن النصف الذي لا يتميز حتى يقال: هو المردود، والباقي هو المغصوب، ولا يصير مميزًا بنية السلطان، وقصده حصر الغصب في نصيب الآخرين.

مسألة: إذا وقع في يده مال أخذه من سلطان ظالم ثم تاب والمال عقار وكان قد حصل منه انتفاع؛ فينبغي أن يحسب أجر مثله لطول تلك المدة، وكذلك كل مغصوب له منفعة أو

حصل منه زيادة، فلا تصح توبته ما لم يخرج أجرة المغصوب، وكذلك كل زيادة حصلت منه وتقدير أجرة العبيد والثياب والأواني وأمثال ذلك مما لا يعتاد إجارتها مما يعسر ولا يدرك ذلك إلا باجتهاد وتخمين، وهكذا كل التقويمات تقع بالاجتهاد وطريق الورع الأخذ بالأقصى، وما ربحه على المال المغصوب في عقود عقدها على الذمة وقضى الثمن منه، فهو ملك له ولكن فيه شبهة، إذ كان ثمنه حرامًا كما سبق حكمه، وإن كان بأعيان تلك الأموال فالعقود كانت فاسدة، وقد قيل: تنفذ بإجارة المغصوب منه للمصلحة فيكون المغصوب منه أولى به، والقياس أن تلك العقود تفسخ وتسترد الثمن وترد الأعواض فإن عجز عنه لكثرته فهي أموال حرام حصلت في يده فللمغصوب منه قدر رأس ماله، والفضل حرام يجب إخراجه لتتصدّق به، ولا يحل للغاصب ولا للمغصوب منه، بل حكمه حكم كل حرام يقع في يده.

مسألة: من ورث مالًا ولم يدر أن مورثه من أين اكتسبه أمن حلال أم من حرام ولم يكن ثمَّ علامة، فهو حلال باتفاق العلماء، وإن علم أن فيه حرامًا وشك في قدره أخرج مقدار الحرام بالتحري، فإن لم يعلم ذلك ولكن علم أن مورثه كان يتولى أعمالًا للسلاطين واحتمل أنه لم يكن يأخذ في عمله شيئًا، أو كان قد أخذ ولم يبق في يده منه شيء لطول المدّة، فهذه شبهة يحسن التورّع عنها ولا يجب، وإن علم أن بعض ماله كان من الظلم فيلزمه إخراج ذلك القدر بالاجتهاد. وقال بعض العلماء: لا يلزمه والإثم على المورّث، واستدل بما روي أن رجلًا ممن ولي عمل السلطان مات، فقال صحابي: الآن طاب ماله: أي لوارثه، وهذا ضعيف، لأنه لم يذكر اسم الصحابي ولعله صدر من متساهل، فقد كان في الصحابة من يتساهل، ولكن لا نذكره لحرمة الصحبة، وكيف يكون موت الرجل مبيحًا للحرام المتيقن المختلط ومن أين يؤخذ هذا؟ نعم. إذا لم يتيقن يجوز أن يقال: هو غير مأخوذ بما لا يدري، فيطيب لوارث لا يدري أنّ فيه حرامًا يقينًا.

النظر الثاني: في المصرف

فإذا أخرج الحرام فله ثلاثة أحوال:

إما أن يكون له مالك معين فيجب الصرف إليه أو إلى وارثه، وإن كان غائبًا فينتظر حضوره أو الإيصال إليه، وإن كانت له زيادة ومنفعة فلتجمع فوائده إلى وقت حضوره.

وإما أن يكون لمالك غير معين وقع اليأس من الوقوف على عيبه ولا يدري أنه مات عن وارث أم لا، فهذا لا يمكن الرد فيه للمالك ويوقف حتى يتضح الأمر فيه، وربما لا يمكن الرد لكثرة الملاك، كغلول الغنيمة فإنها بعد تفرق الغزاة، كيف يقدر على جمعهم، وإن قدر فكيف يفرق دينارًا واحدًا مثلًا على ألف أو ألفين، فهذا ينبغي أن يتصدق به.

وإما من مال الفيء والأموال المرصدة لمصالح المسلمين كافة، فيصرف ذلك إلى القناطر

والمساجد والرباطات ومصانع طريق مكة، وأمثال هذه الأمور التي يشترك في الانتفاع بها كل من يمر بها من المسلمين، ليكون عامًا للمسلمين، وحكم القسم الأول لا شبهة فيه. أما التصدّق وبناء القناطر فينبغي أن يتولاه القاضي فيسلم إليه المال إن وجد قاضيًا متدينًا، وإن كان القاضي مستحلًا فهو بالتسليم إليه ضامن لو ابتدأ به فيما لا يضمنه، فكيف يسقط عنه به ضمان قد استقرّ عليه، بل يحكم من أهل البلد عالمًا متدينًا، فإنّ التحكيم أولى من الانفراد، فإن عجز فليتول ذلك بنفسه، فإن المقصود الصرف. وأما عين الصارف فإنما نطلبه لمصارف دقيقة في المصالح، فلا يترك أصل الصرف بسبب العجز عن صارف هو أولى عند القدرة عليه.

فإن قيل: ما دليل جواز التصدق بما هو حرام؟ وكيف يتصدّق بما لا يملك؟ وقد ذهب جماعة إلى أن ذلك غير جائز لأنه حرام. وحكي عن الفضيل أنه وقع في يده درهمان فلما علم أنهما غير وجههما رماهما بين الحجارة وقال: لا أتصدّق إلا بالطيب ولا أرضى لغيري ما لا أرضاه لنفسي.

فنقول: نعم، ذلك له وجه واحتمال، وإنما اخترنا خلافه للخبر والأثر والقياس. أما الخبر فأمر رسول الله ﷺ بالتصدّق بالشاة المصلية التي قدمت إليه فكلمته بأنها حرام، إذ قال ﷺ: «أَطْعِمُوهَا الأُسَارَى»[1]. ولما نزل قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝﴾ [الروم: ١-٣] كذبه المشركون وقالوا للصحابة: ألا ترون ما يقول صاحبكم، يزعم أن الروم ستغلب. فخاطرهم أبو بكر رضي الله عنه بإذن رسول الله ﷺ، فلما حقق الله صدقه وجاء أبو بكر رضي الله عنه بما قامرهم به قال عليه الصلاة والسلام: «هذَا سُحْتٌ»، فتصدق به وفرح المؤمنون بنصر الله، وكان قد نزل تحريم القمار بعد إذن رسول الله ﷺ له في المخاطرة مع الكفار[2].

وأما الأثر؛ فإن ابن مسعود رضي الله عنه اشترى جارية فلم يظفر بمالكها لينقده الثمن، فطلبه كثيرًا فلم يجده، فتصدّق بالثمن وقال: اللهم هذا عنه إن رضي وإلاّ فالأجر لي. وسئل

---

٢ الباب الرابع: في كيفية خروج التائب عن المظالم

(١) حديث «أمر رسول الله ﷺ بالتصدق بالشاة المصلية التي قدمت بين يديه وكلمته بأنها حرام، إذ قال «أطعموها الأسارى». رواه أحمد من حديث رجل من الأنصار قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فلما رجعنا لقينا راعي امرأة من قريش فقال: إن فلانة تدعوك ومن معك إلى طعام... الحديث، وفيه: «فقال أحد: لحم شاة أخذت بغير إذن أهلها» وفيه: «فقال «أطعموها الأسارى» وإسناده جيد. [أبو داود: ٣٣٣٢، وأحمد: ٢٢٠٠٣، وانظر صحيح أبي داود].

(٢) صحيح: حديث مخاطرة أبي بكر المشركين بإذنه ﷺ لما نزل قوله تعالى ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝﴾ [الروم: ١-٢] وفيه فقال ﷺ «هذا سحت» فتصدق به.

أخرجه البيهقي في دلائل النبوة من حديث ابن عباس، وليس فيه أن ذلك كان بإذنه ﷺ، والحديث عند الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه دون قوله أيضا «هذا سحت» فتصدق به. [الترمذي: ٣١٩٣، وانظر صحيح الترمذي].

الحسن رضي الله عنه عن توبة الغال وما يؤخذ منه بعد تفرّق الجيش، فقال: يتصدق به. وروي أن رجلًا سوّلت له نفسه فغلّ مائة دينار من الغنيمة، ثم أتى أميره ليردها عليه فأبى أن يقبضها وقال له: تفرّق الناس، فأتى معاوية فأبى أن يقبض؛ فأتى بعض النساك فقال: ادفع خمسها إلى معاوية، وتصدّق بما يبقى، فبلغ معاوية قوله، فتلهف إذ لم يخطر له ذلك، وقد ذهب أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وجماعة من الورعين إلى ذلك.

وأما القياس فهو أن يقال: إن هذا المال مردد بين أن يضيع وبين أن يصرف إلى خير، إذ قد وقع اليأس من مالكه، وبالضرورة يعلم أن صرفه إلى خير أولى من إلقائه في البحر، فإنا إن رميناه في البحر فقد فوّتناه على أنفسنا وعلى المالك ولم تحصل منه فائدة. وإذا رميناه في يد فقير يدعو لمالكه حصل للمالك بركة دعائه وحصل للفقير سدّ حاجته، وحصول الأجر للمالك بغير اختياره في التصدّق لا ينبغي أن ينكر. فإن في الخبر الصحيح: «إن للزارع والغارس أجرًا في كل ما يصيبه الناس والطيور من ثماره وزرعه»[1] وذلك بغير اختياره، وأما قول القائل: لا نتصدق إلا بالطيب، فذلك إذا طلبنا الأجر لأنفسنا ونحن الآن نطلب الخلاص من المظلمة لا الأجر وترددنا بين التضييع وبين التصدّق ورجحنا جانب التصدّق على جانب التضييع.

وقول القائل: لا نرضى لغيرنا ما لا نرضاه لأنفسنا، فهو كذلك ولكنه علينا حرام لاستغنائنا عنه وللفقير حلال إذ أحله دليل الشرع، وإذا اقتضت المصلحة التحليل وجب التحليل وإذا حل فقد رضينا له الحلال ونقول إن له أن يتصدّق على نفسه وعياله إذا كان فقيرًا. أما عياله وأهله فلا يخفى لأن الفقر لا ينتفي عنهم بكونهم من عياله وأهله بل هم أولى من يتصدّق عليهم، وأما هو فله أن يأخذ منه قدر حاجته لأنه أيضًا فقير ولو تصدّق به على فقير لجاز وكذا إذا كان هو الفقير، ولنرسم في بيان هذا الأصل أيضًا مسائل:

مسألة: إذا وقع في يده مال من يد سلطان قال قوم: يرد إلى السلطان فهو أعلم بما تولاه فيقلده ما تقلده وهو خير من أن يتصدّق به، واختار المحاسبي ذلك وقال: كيف يتصدّق به فلعل له مالكًا معينًا؟ ولو جاز ذلك لجاز أن يسرق من السلطان ويتصدّق به، وقال قوم: يتصدق به إذا علم أن السلطان لا يرده إلى المالك لأن ذلك إعانة للظالم وتكثير لأسباب ظلمه فالرد إليه تضييع لحق المالك، والمختار أنه إذا علم من عادة السلطان أنه لا يرده إلى مالكه فيتصدق به عن مالكه فهو خير للمالك إن كان له مالك معين من أن يرد على السلطان، لأنه ربما لا يكون له مالك معين ويكون حق المسلمين، فرده على السلطان تضييع، فإن كان له

(١) صحيح: حديث «أجر الزارع والغارس في كل ما يصيب الناس والطيور». أخرجه البخاري من حديث أنس «ما مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كان له صدقة». [البخاري: ٢٣٢٠].

مالك معين فالرد على السلطان تضييع وإعانة للسلطان الظالم وتفويت لبركة دعاء الفقير على المالك وهذا ظاهر، فإذا وقع في يده من ميراث ولم يتعدّ هو بالأخذ من السلطان فإنه شبيه باللقطة التي أيس عن معرفة صاحبها إذ لم يكن له أن يتصرف فيها بالتصدّق عن المالك ولكن له أن يتملكها، ثم وإن كان غنيًا من حيث إنه اكتسبه من وجه مباح وهو الالتقاط وههنا لم يحصل المال من وجه مباح فيؤثر في منعه من التملك ولا يؤثر في المنع من التصدّق.

مسألة : إذا حصل في يده مال لا مالك له وجوزنا له أن يأخذ قدر حاجته لفقره ففي قدر حاجته نظر ذكرناه في كتاب أسرار الزكاة، فقد قال قوم: يأخذ كفاية سنة لنفسه وعياله وإن قدر على شراء ضيعة أو تجارة يكتسب بها للعائلة فعل، وهذا ما اختاره المحاسبي ولكنه قال: الأولى أن يتصدّق بالكل إن وجد من نفسه قوّة التوكل وينتظر لطف الله تعالى في الحلال، فإن لم يقدر فله أن يشتري ضيعة أو يتخذ رأس مال يتعيش بالمعروف منه وكل يوم وجد فيه حلالًا أمسك ذلك اليوم عنه، فإذا فني عاد إليه، فإذا وجد حلالًا معينًا تصدق بمثل ما أنفقه من قبل ويكون ذلك قرضًا عنده، ثم إنه يأكل الخبز ويترك اللحم إن قوي عليه وإلا أكل اللحم من غير تنعم وتوسع، وما ذكره لا مزيد عليه ولكن جعل ما أنفقه قرضًا عنده فيه نظر ولا شك في أن الورع أن يجعله قرضًا، فإذا وجد حلالًا تصدّق بمثله. ولكن مهما لم يجب ذلك على الفقير الذي يتصدّق به عليه فلا يبعد أن لا يجب عليه أيضًا إذا أخذه لفقره لا سيما إذا وقع في يده من ميراث ولم يكن متعديًا بغصبه وكسبه حتى يغلظ الأمر عليه فيه.

مسألة : إذا كان في يده حلال وحرام أو شبهة وليس يفضل الكل عن حاجته، فإذا كان له عيال فليخص نفسه بالحلال لأن الحجة عليه أوكد في نفسه منه في عبده وعياله وأولاده الصغار والكبار من الأولاد يحرسهم من الحرام إن كان لا يفضي بهم إلى ما هو أشد منه فإن أفضى فيطعمهم بقدر الحاجة. وبالجملة؛ كل ما يحذره في غيره فهو محذور في نفسه وزيادة، وهو أنه يتناول مع العلم والعيال ربما تعذر إذا لم تعلم إذ لم تتول الأمر بنفسها فليبدأ بالحلال بنفسه ثم بمن يعول، وإذا تردد في حق نفسه بين ما يخص قوته وكسوته وبين غيره من المؤن كأجرة الحجام والصباغ والقصار والحمال والاطلاء بالنورة والدهن وعمارة المنزل وتعهد الدابة وتسجير التنور وثمن الحطب ودهن السراج فليخص بالحلال قوته ولباسه، فإن ما يتعلق ببدنه ولا غنى به عنه ـ هو أولى بأن يكون طيبًا، وإذا دار الأمر بين القوت واللباس فيحتمل أن يقال يخص القوت بالحلال لأنه ممتزج بلحمه ودمه، وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به.

وأما الكسوة ففائدتها ستر عورته ودفع الحرّ والبرد والأبصار عن بشرته وهذا هو الأظهر عندي. وقال الحارث المحاسبي: يقدم اللباس لأنه يبقى عليه مدة والطعام لا يبقى عليه لما

روي أنه: «لا يقبل الله صلاة من عليه ثوب اشتراه بعشرة دراهم فيها درهم حرام»[(١)] ، وهذا محتمل ولكن أمثال هذا قد ورد فيمن في «بطنه حرام ونبت لحمه من حرام»[(٢)] فمراعاة اللحم والعظم أن ينبته من الحلال أولى، ولذلك تقيأ الصّديق رضي الله عنه ما شربه مع الجهل حتى لا ينبت منه لحم يثبت ويبقى.

فإن قيل: فإذا كان الكل منصرفًا إلى أغراضه فأي فرق بين نفسه وغيره وبين جهة وجهة وما مدرك هذا الفرق؟ قلنا: عرف ذلك بما روي أنّ رافع بن خديج رحمه الله مات وخلف ناضحًا وعبدًا حجامًا فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك فنهى عن كسب الحجام فروجع مرات فمنع منه فقيل: إنّ له أيتامًا فقال: «أعلفوه الناضح»[(٣)] ، فهذا يدل على الفرق بين ما يأكله هو أو دابته فإذا انفتح سبيل الفرق فقس عليه التفصيل الذي ذكرناه..

مسألة: الحرام الذي في يده لو تصدّق به على الفقراء فله أن يوسع عليهم وإذا أنفق على نفسه فليضيق ما قدر وما أنفق على عياله فليقتصد، وليكن وسطًا بين التوسيع والتضييق فيكون الأمر على ثلاث مراتب. فإن أنفق على ضيف قدم عليه وهو فقير فليوسع عليه، وإن كان غنيًا فلا يطعمه إلا إذا كان في برية أو قدم ليلًا ولم يجد شيئًا فإنه في ذلك الوقت فقير، وإن كان الفقير الذي حضر ضيفًا تقيًا لو علم ذلك لتورّع عنه فليعرض الطعام وليخبره جمعًا بين حق الضيافة وترك الخداع فلا ينبغي أن يكرم أخاه بما يكره، ولا ينبغي أن يعوّل على أنه لا يدري فلا يضره فإنّ الحرام إذا حصل في المعدة أثر في قساوة القلب وإن لم يعرفه صاحبه، ولذلك تقيأ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وكانا قد شربا على جهل، وهذا وإن أفتينا بأنه حلال للفقراء أحللناه بحكم الحاجة إليه فهو كالخنزير والخمر إذا أحللناهما بالضرورة فلا يلتحق بالطيبات.

مسألة: إذا كان الحرام أو الشبهة في يد أبويه فليمتنع عن مؤاكلتهما فإن كانا يسخطان فلا يوافقهما على الحرام المحض بل ينهاهما فلا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى، فإن

---

(١) حديث «لا تقبل صلاة من عليه ثوب اشتراه بعشرة دراهم وفيها درهم حرام». أخرجه أحمد من حديث ابن عمر وقد تقدم. [سبق تخريجه قريباً].

(٢) حديث «الجسد نبت من الحرام». تقدم. [سبق تخريجه قريباً].

(٣) صحيح: حديث «أن رافع بن خديج مات وخلف ناضحا وعبدا حجاما فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك فنهى عن كسب الحجام فروجع مرات فمنع منه فقيل: إن له أيتاما فقال: أعلفوه الناضح. وفيه «أعتقوه الناضح». أخرجه أحمد والطبراني من رواية عباية بن رفاعة بن خديج: أن جده حين مات ترك جارية وناضحا وغلاما حجاما... الحديث. وليس المراد بجده رافع بن خديج فإنه بقي إلى سنة أربع وسبعين فيحتمل أن المراد جده الأعلى وهو خديج ولم أر له ذكرا في الصحابة وفي رواية للطبراني عن عباية بن رفاعة عن أبيه قال «مات أبي» وفي رواية له عن عباية قال «مات رفاعة على عهد النبي ﷺ.. الحديث» وهو مضطرب. [أحمد: ١٦٨١٧ ، وانظر السلسلة الصحيحة: ١٤٠٠].

كان شبهة وكان امتناعه للورع، فهذا قد عارضه أن الورع طلب رضاهما بل هو واجب فليتلطف في الامتناع، فإن لم يقدر فليوافق وليقلل الأكل بأن يصغر اللقمة ويطيل المضغ ولا يتوسع فإن ذلك عدوان والأخ والأخت قريبان من ذلك لأنّ حقهما أيضًا مؤكد، وكذلك إذا ألبسته أمه ثوبًا من شبهة وكانت تسخط برده فليقبل وليلبس بين يديها ولينزع في غيبتها وليجتهد أن لا يصلي فيه إلا عند حضورها فيصلي فيه صلاة المضطرّ، وعند تعارض أسباب الورع ينبغي أن يتفقد هذه الدقائق. وقد حكي عن بشر رحمه الله أنه سلمت إليه أمه رطبة وقالت: بحقي عليك أن تأكلها وكان يكرهه فأكل ثم صعد غرفة فصعدت أمه وراءه فرأته يتقيأ، وإنما فعل ذلك لأنه أراد أن يجمع بين رضاها وبين صيانة المعدة. وقد قيل لأحمد بن حنبل: سئل بشر هل للوالدين طاعة في الشبهة؟ فقال: لا. فقال أحمد: هذا شديد. فقيل له: سئل محمد بن مقاتل العباداني عنها فقال: برّ والديك؛ فماذا تقول؟ فقال للسائل: أحب أن تعفيني فقد سمعت ما قالا ثم قال: ما أحسن أن تداريهما.

مسألة : من في يده مال حرام محض فلا حج عليه ولا يلزمه كفارة مالية لأنه مفلس ولا تجب عليه الزكاة إذ معنى الزكاة وجوب إخراج ربع العشر مثلًا، وهذا يجب عليه إخراج الكل إما ردًا على المالك إن عرفه أو صرفًا إلى الفقراء إن لم يعرف المالك، وأما إذا كان مال شبهة يحتمل أنه حلال فإذا لم يخرجه من يده لزمه الحج لأنّ كونه حلالًا ممكن ولا يسقط الحج إلا بالفقر ولم يتحقق فقره، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران :٩٧] وإذا وجب عليه التصدّق بما يزيد على حاجته حيث يغلب على ظنه تحريمه فالزكاة أولى بالوجوب، وإن لزمته كفارة فليجمع بين الصوم والإعتاق ليتخلص بيقين. وقد قال قوم: يلزمه الصوم دون الإطعام إذ ليس له يسار معلوم. وقال المحاسبي: يكفيه الإطعام. والذي نختاره: أن كل شبهة حكمنا بوجوب اجتنابها وألزمناه إخراجها من يده لكون احتمال الحرام أغلب على ما ذكرناه فعليه الجمع بين الصوم والإطعام، أما الصوم فلأنه مفلس حكمًا، وأما الإطعام فلأنه قد وجب عليه التصدّق بالجميع ويحتمل أن يكون له فيكون اللزوم من جهة الكفارة.

مسألة : من في يده مال حرام أمسكه للحاجة فأراد أن يتطوّع بالحج فإن كان ماشيًا فلا بأس به لأنه سيأكل هذا المال في غير عبادة فأكله في عبادة أولى. وإن كان لا يقدر على أن يمشي ويحتاج إلى زيادة للمركوب فلا يجوز الأخذ لمثل هذه الحاجة في الطريق كما لا يجوز شراء المركوب في البلد. وإن كان يتوقع القدرة على حلال لو أقام بحيث يستغني به عن بقية الحرام فالإقامة في انتظاره أولى من الحج ماشيًا بالمال الحرام.

مسألة : من خرج لحج واجب بمال فيه شبهة فليجتهد أن يكون قوته من الطيب، فإن لم يقدر فمن وقت الإحرام إلى التحلل، فإن لم يقدر فليجتهد يوم عرفة أن لا يكون قيامه بين

يدي الله ودعاؤه في وقت مطعمه حرام وملبسه حرام؛ فليجتهد أن لا يكون في بطنه حرام ولا على ظهره حرام فإنا وإن جوّزنا هذا بالحاجة فهو نوع ضرورة، وما ألحقناه بالطيبات، فإن لم يقدر فليلازم قلبه الخوف والغم لما هو مضطّر إليه من تناول ما ليس بطيب فعساه ينظر إليه بعين الرحمة ويتجاوز عنه بسبب حزنه وخوفه وكراهته.

مسألة: سئل أحمد بن حنبل رحمه الله فقال له قائل: مات أبي وترك مالاً وكان يعامل من تكره معاملته، فقال: تدع من ماله بقدر ما ربح، فقال: له دين وعليه دين، فقال: تقضي وتقتضي، فقال أفترى ذلك؟ فقال: أفتدعه محتبسًا بدينه؟ وما ذكره صحيح وهو يدل على أنه رأى التحرّي بإخراج مقدار الحرام إذ قال: يخرج قدر الربح، وأنه رأى أن أعيان أمواله ملك له بدلاً عما بذله في المعاوضات الفاسدة بطريق التقاص والتقابل مهما كثر التصرف وعسر الرد، وعوّل في قضاء دينه على أنه يقين فلا يترك بسبب الشبهة.

الباب الخامس في إدرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم

اعلم أن من أخذ مالاً من سلطان فلا بد له من النظر في ثلاثة أمور: في مدخل ذلك إلى يد السلطان من أين هو؟ وفي صفته التي بها يستحق الأخذ. وفي المقدار الذي يأخذه هل يستحقه إذا أضيف إلى حاله وحال شركائه في الاستحقاق؟.

النظر الأول: في جهات الدخل للسلطان:

وكل ما يحل للسلطان سوى الإحياء وما يشترك فيه الرعية قسمان:

مأخوذ من الكفار - وهو الغنيمة المأخوذة بالقهر - والفيء، وهو الذي حصل من مالهم في يده من غير قتال، والجزية وأموال المصالحة، وهي التي تؤخذ بالشروط والمعاقدة.

والقسم الثاني: المأخوذ من المسلمين فلا يحل منه إلا قسمان: المواريث وسائر الأموال الضائعة التي لا يتعين لها مالك، والأوقاف التي لا متولي لها. أما الصدقات فليست توجد في هذا الزمان. وما عدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين والمصادرات وأنواع الرشوة كلها حرام.

فإذا كتب لفقيه أو غيره إدرار أو صلة أو خلعة على جهة فلا يخلو من أحوال ثمانية: فإنه إما أن يكتب له ذلك على الجزية، أو على المواريث، أو على الأوقاف، أو على ملك أحياه السلطان، أو على ملك اشتراه، أو على عامل خراج المسلمين، أو على بياع من جملة التجار، أو على الخزانة.

فالأول: هو الجزية وأربعة أخماسها للمصالح وخمسها لجهات معينة. فما يكتب على الخمس من تلك الجهات أو على الأخماس الأربعة لما فيه مصلحة وروعي فيه الاحتياط في القدر فهو حلال، بشرط أن لاتكون الجزية إلا مضروبة على وجه شرعي ليس فيها زيادة على

دينار أو على أربعة دنانير، فإنه أيضًا محل الاجتهاد وللسلطان أن يفعل ما هو في محل الاجتهاد، وبشرط أن يكون الذمي الذي تؤخذ الجزية منه مكتسبًا من وجه لا يعلم تحريمه فلا يكون عامل سلطان ظالمًا ولا بائع خمر ولا صبيًا ولا امرأة، إذ لا جزية عليهما. فهذه أمور تراعى في كيفية ضرب الجزية ومقدارها وصفة من تصرف إليه ومقدار ما يصرف فيجب النظر في جميع ذلك.

الثاني: المواريث والأموال الضائعة فهي للمصالح والنظر أن الذي خلفه هل كان ماله كله حرامًا أو أكثره أو أقله وقد سبق حكمه، فإن لم يكن حرامًا بقي النظر في صفة من يصرف إليه بأن يكون في الصرف إليه مصلحة ثم في المقدار المصروف.

الثالث: الأوقاف، وكذا يجري النظر فيها كما يجري في الميراث مع زيادة أمر وهو شرط الواقف حتى يكون المأخوذ موافقًا له في جميع شرائطه.

الرابع: ما أحياه السلطان، وهذا لا يعتبر فيه شرط إذ له أن يعطي من ملكه ما شاء لمن شاء أي قدر شاء. وإنما النظر في أن الغالب أنه أحياه بإكراه الأجراء أو بأداء أجرتهم من حرام. فإن الإحياء يحصل بحفر القناة والأنهار وبناء الجدران وتسوية الأرض ولا يتولاه السلطان بنفسه. فإن كانوا مكرهين على الفعل لم يملكه السلطان وهو حرام وإن كانوا مستأجرين ثم قضيت أجورهم من الحرام، فهذا يورث شبهة قد نبهنا عليها في تعلق الكراهة بالأعواض.

الخامس: ما اشتراه السلطان في الذمة من أرض أو ثياب خلعة أو فرس أو غيره فهو ملكه وله أن يتصرف فيه، ولكنه سيقضي ثمنه من حرام وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة أخرى. وقد سبق تفصيله.

السادس: أن يكتب على عامل خراج المسلمين أو من يجمع أموال القسمة والمصادرة وهو الحرام السحت الذي لا شبهة فيه، وهو أكثر الإدرارات في هذا الزمان إلا ما على أراضي العراق فإنها وقف عند الشافعي رحمه الله على مصالح المسلمين.

السابع: ما يكتب على بياع يعامل السلطان فإن كان لا يعامل غيره فماله كمال خزانة السلطان. وإن كان يعامل غير السلاطين أكثر فما يعطيه قرض على السلطان وسيأخذ بدله من الخزانة فالخلل يتطرق إلى العوض. وقد سبق حكم الثمن الحرام.

الثامن: ما يكتب على الخزانة أو على عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام فإن لم يعرف للسلطان دخل إلا من الحرام فهو سحت محض. وإن عرف يقينًا أن الخزانة تشتمل على مال حلال ومال حرام واحتمل أن يكون ما يسلم إليه بعينه من الحلال احتمالًا قريبًا له وقع في النفس، واحتمل أن يكون من الحرام وهو الأغلب لأن أغلب أموال السلاطين حرام في هذه الأعصار والحلال في أيديهم معدوم أو عزيز فقد اختلف الناس في هذا فقال قوم: كل ما لا أتيقن أنه حرام فلي أن آخذه، وقال آخرون: لا يحل أن يأخذ ما لم يتحقق أنه حلال فلا تحل

شبهة أصلًا. وكلاهما إسراف، والاعتدال ما قدّمنا ذكره وهو الحكم بأن الأغلب إذا كان حرامًا حرم وإن كان الأغلب حلالًا وفيه يقين حرام فهو موضع توقفنا فيه كما سبق.

ولقد احتج من جوّز أخذ أموال السلاطين إذا كان فيها حرام وحلال ـ مهما لم يتحقق أن عين المأخوذ حرام ـ بما روي عن جماعة من الصحابة أنهم أدركوا أيام الأئمة الظلمة وأخذوا الأموال: منهم أبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وزيد بن ثابت، وأبو أيوب الأنصاري، وجرير بن عبد الله، وجابر، وأنس بن مالك، والمسور بن مخرمة. فأخذ أبو سعيد وأبو هريرة من مروان ويزيد بن عبد الملك. وأخذ ابن عمر وابن عباس من الحجاج. وأخذ كثير من التابعين منهم كالشعبي وإبراهيم والحسن وابن أبي ليلى. وأخذ الشافعي من هارون الرشيد ألف دينار في دفعة. وأخذ مالك من الخلفاء أموالًا جمة، وقال علي رضي الله عنه: خذ ما يعطيك السلطان فإنما يعطيك من الحلال وما يأخذ من الحلال أكثر. وإنما ترك من ترك العطاء منهم تورعًا مخافة على دينه أن يحمل على ما لا يحل. ألا ترى قول أبي ذر للأحنف بن قيس: خذ العطاء ما كان نحلة فإذا كان أثمان دينكم فدعوه؟ وقال أبو هريرة رضي الله عنه: إذا أعطينا قبلنا وإذا منعنا لم نسأل. وعن سعيد بن المسيب: أن أبا هريرة رضي الله عنه كان إذا أعطاه معاوية سكت وإن منعه وقع فيه. وعن الشعبي عن مسروق: لا يزال العطاء بأهل العطاء حتى يدخلهم النار ـ أي يحمله ذلك على الحرام لا أنه في نفسه حرام ـ وروى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن المختار كان يبعث إليه المال فيقبله ثم يقول: لا أسأل أحدًا ولا أرد ما رزقني الله. وأهدى إليه ناقة فقبلها وكان يقال لها ناقة المختار، ولكن هذا يعارضه ما روي أن ابن عمر رضي الله عنهما لم يرد هدية أحد إلا هدية المختار، والإسناد في رده أثبت. وعن نافع أنه قال: بعث ابن معمر إلى ابن عمر بستين ألفًا فقسمها على الناس، ثم جاءه سائل فاستقرض له من بعض من أعطاه وأعطى السائل. ولما قدم الحسن بن علي رضي الله عنهما على معاوية رضي الله عنه فقال: لأجيزك بجائزة لم أجزها أحدًا قبلك من العرب ولا أجيزها أحدًا بعدك من العرب، قال: فأعطاه أربعمائة ألف درهم فأخذها. وعن حبيب بن أبي ثابت قال: لقد رأيت جائزة المختار لابن عمر وابن عباس فقبلاها فقيل ما هي؟ قال: مال وكسوة. وعن الزبير بن عدي أنه قال: قال سليمان: إذا كان لك صديق عامل أو تاجر يقارف الربا فدعاك إلى طعام أو نحوه أو أعطاك شيئًا فاقبل فإن المهنأ لك وعليه الوزر. فإن ثبت هذا في المربي فالظالم في معناه. وعن جعفر عن أبيه أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا يقبلان جوائز معاوية.

وقال حكيم بن جبير: مررنا على سعيد بن جبير وقد جعل عاملًا على أسفل الفرات فأرسل إلى العشارين أطعمونا مما عندكم فأرسلوا بطعام فأكل وأكلنا معه. وقال العلاء بن زهير الأزدي: أتى إبراهيم أبي ـ وهو عامل على حلوان ـ فأجازه فقبل وقال إبراهيم: لا بأس بجائزة

العمال إن للعمال مؤنة ورزقًا. ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب فما أعطاك فهو من طيب ماله. فقد أخذ هؤلاء كلهم جوائز السلاطين الظلمة وكلهم طعنوا على من أطاعهم في معصية الله تعالى. وزعمت هذه الفرقة أن ما ينقل من امتناع جماعة من السلف لا يدل على التحريم بل على الورع كالخلفاء الراشدين وأبي ذرّ وغيرهم من الزهاد فإنهم امتنعوا من الحلال المطلق زهدًا ومن الحلال الذي يخاف إفضاؤه إلى محذور ورعًا وتقوى. فإقدام هؤلاء يدل على الجواز وامتناع أولئك لا يدل على التحريم. وما نقل عن سعيد بن المسيب أنه ترك عطاءه في بيت المال حتى اجتمع بضعة وثلاثين ألفًا، وما نقل عن الحسن من قوله لا أتوضأ من ماء صيرفي ولو ضاق وقت الصلاة لأني لا أدري أصل ماله، كل ذلك ورع لا ينكر، واتباعهم عليه أحسن من اتباعهم على الاتساع ولكن لا يحرم اتباعهم على الاتساع أيضًا. فهذه هي شبهة من يجوز أخذ مال السلطان الظالم.

والجواب، أن ما نقل من أخذ هؤلاء محصور قليل بالإضافة إلى ما نقل من ردهم وإنكارهم، وإن كان يتطرق إلى امتناعهم احتمال الورع فيتطرق إلى أخذ من أخذ ثلاثة احتمالات متفاوتة في الدرجة بتفاوتهم في الورع فإن للورع في حق السلاطين أربع درجات:

الدرجة الأولى: أن لا يأخذ من أموالهم شيئًا أصلًا كما فعله الورعون منهم، وكما كان يفعله الخلفاء الراشدون حتى أن أبا بكر رضي الله عنه حسب جميع ما كان أخذه من بيت المال فبلغ ستة آلاف درهم فغرمها لبيت المال، وحتى أن عمر رضي الله عنه كان يقسم مال بيت المال يومًا فدخلت ابنة له وأخذت درهمًا من المال فنهض عمر في طلبها حتى سقطت الملحفة من أحد منكبيه ودخلت الصبية إلى بيت أهلها تبكي وجعلت الدرهم في فيها فأدخل عمر أصبعه فأخرجه من فيها وطرحه على الخراج وقال: أيها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر إلا ما للمسلمين قريبهم وبعيدهم. وكسح أبو موسى الأشعري بيت المال فوجد درهمًا فمر بني لعمر رضي الله عنه فأعطاه إياه فرأى عمر ذلك في يد الغلام فسأله عنه فقال أعطانيه أبو موسى فقال: يا أبا موسى ما كان في أهل المدينة بيت أهون عليك من آل عمر أردت أن لا يبقى من أمة محمد ﷺ أحد إلا طلبنا بمظلمة، ورد الدرهم إلى بيت المال. هذا مع أن المال كان حلالًا ولكن خاف أن لا يستحق هو ذلك القدر فكان يستبرىء لدينه ويقتصر على الأقل امتثالًا لقوله ﷺ: «دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يُرِيبُكَ»[1] ولقوله: «وَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِعِرْضِهِ وَدِينِهِ»[2]، ولما سمعه من رسول الله من التشديدات في الأموال السلطانية حتى قال ﷺ حين

٢٠ الباب الخامس: في إدرارات السلاطين

(١) صحيح: حديث «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك». تقدم في الباب الأول من الحلال والحرام. [الترمذي: ٢٥١٨، والنسائي: ٥٣٩٨، وانظر صحيح الترمذي].

(٢) صحيح: حديث «من تركها فقد استبرأ لدينه وعرضه». متفق عليه من حديث النعمان بن بشير وقد تقدم

بعث عبادة بن الصامت إلى الصدقة: «اتَّقِ الله يَا أَبا الوَلِيدِ لاَ تَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ بِبَعِيرٍ تَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِكَ لَهُ رُغَاءٌ أَوْ بَقَرَةٍ لَهَا خُوَارٌ أَوْ شَاةٍ لَهَا ثُؤَاجٌ» فقال: يا رسول الله أهكذا يكون؟ قال: «نَعَمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ الله» . قال: فوالذي بعثك بالحق لا أعمل على شيء أبدًا»[١] وقال ﷺ: «إِنِّي لاَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي إِنَّمَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا»[٢] وإنما خاف التنافس في المال. ولذلك قال عمر رضي الله عنه في حديث طويل يذكر فيه مال بيت المال: إني لم أجد نفسي فيه إلا مال اليتيم؛ إن استغنيت استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف. وروي أن ابنًا لطاوس افتعل كتابًا عن لسانه إلى عمر بن عبد العزيز فأعطاه ثلاثمائة دينار؛ فباع طاوس ضيعة له وبعث من ثمنها إلى عمر بثلاثمائة دينار، هذا مع أن السلطان ليس مثل عمر بن عبد العزيز. فهذه الدرجة العليا في الورع.

الدرجة الثانية : هو أن يأخذ مال السلطان ولكن إنما يأخذ إذا علم أن ما يأخذه من جهة حلال فاشتمال يد السلطان على حرام آخر لا يضره وعلى هذا ينزل جميع ما نقل من الآثار أو أكثرها أو ما اختص منها بأكابر الصحابة والورعين منهم مثل ابن عمر فإنه كان من المبالغين في الورع فكيف يتوسع في مال السلطان، وقد كان من أشدهم إنكارًا عليهم وأشدهم ذمًا لأموالهم؟ وذلك أنهم اجتمعوا عند ابن عامر ـ وهو في مرضه وأشفق على نفسه من ولايته وكونه مأخوذًا عند الله تعالى بها ـ فقالوا له: إنا لنرجو لك الخير، حفرت الآبار وسقيت الحاج وصنعت... وصنعت... وابن عمر ساكت، فقال: ماذا تقول يا ابن عمر؟ فقال: أقول ذلك إذا طاب المكسب وزكت النفقة وسترد فترى. وفي حديث آخر أنه قال: إن الخبيث لا يكفر الخبيث وإنك قد وليت البصرة ولا أحسبك إلا قد أصبت منها شرًا. فقال له ابن عامر: ألا تدعو لي، فقال ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لاَ يَقْبَلُ الله صَلاَةً بِغَيْرِ طُهُورٍ وَلاَ صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ»[٣] وقد وليت البصرة فهذا قوله فيما صرفه إلى الخيرات. وعن ابن عمر رضي

أوله في أول الباب الثاني من الحلال والحرام. [البخاري : ٥٢، ومسلم : ١٥٩٩].

(١) حديث «قال لعبادة بن الصامت حين بعثه إلى الصدقة اتق الله يا أبا الوليد لا تجئ يوم القيامة ببعير تحمله على رقبتك له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة لها تؤاج [ثواج؟؟] فقال يا رسول الله أهكذا يكون؟ قال نعم والذي نفسي بيده إلا من رحم الله. قال فوالذي بعثك بالحق لا أعمل على شيء أبدا». أخرجه الشافعي في المسند من حديث طاووس مرسلا ولأبي يعلى في المعجم من حديث ابن عمر مختصرا أنه قال لسعد بن عبادة وإسناده صحيح.

(٢) صحيح : حديث «إني لا أخاف عليكم أن تشركوا بعدي إنما أخاف عليكم أن تنافسوا». متفق عليه من حديث عقبة بن عامر. [البخاري: ٤٠١٥ ، ومسلم: ٢٩٦١، عن عمرو بن عوف ولم أقف عليه من حديث عقبة بن عامر].

(٣) صحيح : حديث «لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول». أخرجه مسلم من حديث ابن عمر. [مسلم: ٢٢٤].

الله عنهما أنه قال في أيام الحجاج: ما شبعت من الطعام، منذ انتهبت الدار إلى يومي هذا وروي عن علي رضي الله عنه أنه كان له سويق في إناء مختوم يشرب منه فقيل: أتفعل هذا بالعراق مع كثرة طعامه؟ فقال: أما إني لا أختمه بخلابه ولكن أكره أن يجعل فيه ما ليس منه وأكره أن يدخل بطني غير طيب، فهذا هو المألوف منهم وكان ابن عمر لا يعجبه شيء إلا خرج عنه فطلب منه نافع بثلاثين ألفًا فقال: إني أخاف أن تفتنني دراهم ابن عامر وكان هو الطالب اذهب فأنت حر. وقال أبو سعيد الخدري: ما منا أحد إلا وقد مالت به الدنيا إلا ابن عمر؟ فبهذا يتضح أنه لا يظن به وبمن كان في منصبه أنه أخذ مالاً يدري أنه حلال.

الدرجة الثالثة: أن يأخذ ما أخذه من السلطان ليتصدق به على الفقراء أو يفرقه على المستحقين، فإن ما لا يتعين مالكه هذا حكم الشرع فيه. فإذا كان السلطان إن لم يأخذ منه لم يفرقه واستعان به على ظلم فقد نقول أخذه منه وتفرقته أولى من تركه في يده، وهذا قد رآه بعض العلماء وسيأتي وجهه. وعلى هذا ينزل ما أخذه أكثرهم ولذلك قال ابن المبارك: إن الذين يأخذون الجوائز اليوم ويحتجون بابن عمر وعائشة ما يقتدون بهما؟ لأن ابن عمر فرق ما أخذ حتى استقرض في مجلسه بعد تفرقته ستين ألفًا، وعائشة فعلت مثل ذلك، وجابر بن زيد جاءه مال فتصدق به وقال: رأيت أن آخذه منهم وأتصدق أحب إليَّ من أن أدعها في أيديهم، وهكذا فعل الشافعي رحمه الله بما قبله من هارون الرشيد فإنه فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه حبة واحدة.

الدرجة الرابعة: أن لا يتحقق أنه حلال ولا يفرق بل يستبقي ولكن يأخذ من سلطان أكثر ماله حلال، وهكذا كان الخلفاء في زمان الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين بعد الخلفاء الراشدين ولم يكن أكثر مالهم حرامًا. ويدل عليه تعليل علي رضي الله عنه حيث قال: فإن ما يأخذه من الحلال أكثر. فهذا مما قد جوزه جماعة من العلماء تعويلًا على الأكثر. ونحن إنما توقفنا فيه في حق آحاد الناس، ومال السلطان أشبه بالخروج عن الحصر فلا يبعد أن يؤدي اجتهاد مجتهد إلى جواز أخذ ما لم يعلم أنه حرام اعتمادًا على الأغلب، وإنما منعناه إذا كان الأكثر حرامًا فإذا فهمت هذه الدرجات تحققت أن ادرارات الظلمة في زماننا لا تجري مجرى ذلك وأنها تفارقه من وجهين قاطعين.

أحدهما: أن أموال السلاطين في عصرنا حرام كلها أو أكثرها، وكيف لا والحلال هو الصدقات والفيء والغنيمة لا وجود لها وليس يدخل منها شيء في يد السلطان؟ ولم يبق إلا الجزية وأنها تؤخذ بأنواع من الظلم لا يحل أخذها به فإنهم يجاوزون حدود الشرع في المأخوذ والمأخوذ منه والوفاء له بالشرط، ثم إذا نسبت ذلك إلى ما ينصب إليهم من الخراج المضروب على المسلمين ومن المصادرات والرشا وصنوف الظلم لم يبلغ عشر معشار عشيره.

والوجه الثاني: أن الظلمة في العصر الأول لقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين كانوا مستشعرين من ظلمهم ومتشوفين إلى استمالة قلوب الصحابة والتابعين وحريصين على قبولهم عطاياهم وجوائزهم، وكانوا يبعثون إليهم من غير سؤال وإذلال بل كانوا يتقلدون المنة بقبولهم ويفرحون به، وكانوا يأخذون منهم ويفرقون ولا يطيعون السلاطين في أغراضهم ولا يغشون مجالسهم ولا يكثرون جمعهم ولا يحبون بقاءهم بل يدعون عليهم ويطلقون اللسان فيهم وينكرون المنكرات منهم عليهم، فما كان يحذر أن يصيبوا من دينهم بقدر ما أصابوا من دنياهم ولم يكن يأخذهم بأس، فأما الآن فلا تسمح نفوس السلاطين بعطية إلا لمن طمعوا في استخدامهم والتكثر بهم والاستعانة بهم على أغراضهم والتجمل بغشيان مجالسهم وتكليفهم المواظبة على الدعاء والثناء والتزكية والإطراء في حضورهم ومغيبهم. فلو لم يذل الآخذ نفسه بالسؤال أولًا، وبالتردد في الخدمة ثانيًا، وبالثناء والدعاء ثالثًا، وبالمساعدة له على أغراضه عند الاستعانة رابعًا، وبتكثير جمعه في مجلسه وموكبه خامسًا، وبإظهار الحب والموالاة والمناصرة له على أعدائه سادسًا، وبالستر على ظلمه ومقابحه ومساوىء أعماله سابعًا، لم ينعم عليه بدرهم واحد ولو كان في فضل الشافعي رحمه الله مثلًا؛ فإذًا لا يجوز أن يؤخذ منهم في هذا الزمان ما يعلم أنه حلال لإفضائه إلى هذه المعاني فكيف ما يعلم أنه حرام أو يشك فيه؟ فمن استجرأ على أموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين فقد قاس الملائكة بالحدادين. ففي أخذ الأموال منهم حاجة إلى مخالطتهم ومراعاتهم وخدمة عمالهم واحتمال الذل منهم والثناء عليهم والتردد إلى أبوابهم وكل ذلك معصية - على ما سنبين في الباب الذي يلي هذا - فإذا قد تبين مما تقدّم مداخل أموالهم وما يحل منها وما لا يحل. فلو تصوّر أن يأخذ الإنسان منها ما يحل بقدر استحقاقه وهو جالس في بيته يساق إليه ذلك - لا يحتاج فيه إلى تفقد عامل وخدمته ولا إلى الثناء عليهم وتزكيتهم ولا إلى مساعدتهم - فلا يحرم الأخذ ولكن يكره لمعان سننبه عليها في الباب الذي يلي هذا.

النظر الثاني من هذا الباب: في قدر المأخوذ وصفة الآخذ.

ولنفرض المال من أموال المصالح كأربعة أخماس الفيء والمواريث فإن ما عداه مما قد تعين مستحقه إن كان من وقف أو صدقة أو خمس فيء أو خمس غنيمة، وما كان من ملك السلطان مما أحياه أو اشتراه فله أن يعطي ما شاء لمن شاء. وإنما النظر في الأموال الضائعة ومال المصالح فلا يجوز صرفه إلا إلى من فيه مصلحة عامة أو هو محتاج إليه عاجز عن الكسب، فأما الغني الذي لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال إليه، هذا هو الصحيح وإن كان العلماء قد اختلفوا فيه. وفي كلام عمر رضي الله عنه ما يدل على أن لكل مسلم حقًا في بيت المال لكونه مسلمًا مكثرًا جمع الإسلام، ولكنه مع هذا ما كان يقسم

المال على المسلمين كافة بل على مخصوصين بصفات. فإذا ثبت هذا فكل من يتولى أمرًا يقوم به تتعدّى مصلحته إلى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه، فله في بيت المال حق الكفاية. ويدخل فيه العلماء كلهم؛ أعني العلوم التي تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى يدخل فيه المعلمون والمؤذنون. وطلبة هذه العلوم أيضًا يدخلون فيه، فإنهم إن لم يكفوا لم يتمكنوا من الطلب. ويدخل فيه العمال، وهم الذين ترتبط مصالح الدنيا بأعمالهم وهم الأجناد المرتزقة الذين يحرسون المملكة بالسيوف عن أهل العداوة وأهل البغي وأعداء الإسلام. ويدخل فيه الكتاب والحساب والوكلاء وكل من يحتاج إليه في ترتيب ديوان الخراج، أعني العمال على الأموال الحلال لا على الحرام، فإنّ هذا المال للمصالح. والمصلحة إما أن تتعلق بالدين أو بالدنيا فبالعلماء حراسة الدين وبالأجناد حراسة الدنيا. والدين والملك توأمان فلا يستغني أحدهما عن الآخر. والطبيب وإن كان لا يرتبط بعلمه أمر ديني ولكن يرتبط به صحة الجسد والدين يتبعه؛ فيجوز أن يكون له ولمن يجري مجراه في العلوم المحتاج إليها في مصلحة الأبدان أو مصلحة البلاد إدرار من هذه الأموال ليتفرغوا لمعالجة المسلمين، أعني من يعالج منهم بغير أجرة، وليس يشترط في هؤلاء الحاجة بل يجوز أن يعطوا مع الغنى. فإن الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والأنصار ولم يعرفوا بالحاجة. وليس يتقدّر أيضًا بمقدار بل هو إلى اجتهاد الإمام وله أن يوسع ويغني وله أن يقتصر على الكفاية على ما يقتضيه الحال وسعة المال. فقد أخذ الحسن عليه السلام من معاوية في دفعة واحدة أربعمائة ألف درهم.

وقد كان عمر رضي الله عنه يعطي لجماعة اثني عشر ألف درهم نقرة في السنة. وأثبتت عائشة رضي الله عنها في هذه الجريدة ولجماعة عشرة آلاف ولجماعة ستة آلاف وهكذا. فهذا مال هؤلاء فيوزع عليهم حتى لا يبقى منه شيء. فإن خص واحدًا منهم بمال كثير فلا بأس. وكذلك للسلطان أن يخص من هذا المال ذوي الخصائص بالخلع والجوائز فقد كان يفعل ذلك في السلف ولكن ينبغي أن يلتفت فيه إلى المصلحة. ومهما خص عالم أو شجاع بصلة كان فيه بعث للناس وتحريض على الاشتغال والتشبه به، فهذه فائدة الخلع والصلات وضروب التخصيصات وكل ذلك منوط باجتهاد السلطان. وإنما النظر في السلاطين الظلمة في شيئين:

أحدهما: أن السلطان الظالم عليه أن يكف عن ولايته، وهو إما معزول أو واجب العزل فكيف يجوز أن يأخذ من يده وهو على التحقيق ليس بسلطان؟.

والثاني: أنه ليس يعمم بماله جميع المستحقين فكيف يجوز للآحاد أن يأخذوا؟ أفيجوز لهم الأخذ بقدر حصصهم أم لا يجوز أصلًا؟ أم يجوز أن يأخذ كل واحد ما أعطى؟.

أما الأول: فالذي نراه أنه لا يمنع أخذ الحق، لأن السلطان الظالم الجاهل مهما ساعدته

الشوكة وعسر خلعه وكان في الاستبدال به فتنة ثائرة لا تطاق وجب تركه ووجبت الطاعة له كما تجب طاعة الأمراء، إذ قد ورد في الأمر بطاعة الأمراء[١] ، والمنع من سل اليد عن مساعدتهم[٢] ، أوامر وزواجر، فالذي نراه: أن الخلافة منعقدة للمتكفل بها من بني العباس رضي الله عنه، وأن الولاية نافذة للسلاطين في أقطار البلاد والمبايعين للخليفة ـ وقد ذكرنا في كتاب المستظهري المستنبط من كتاب كشف الأسرار وهتك الأستار تأليف القاضي أبي الطيب في الرد على أصناف الروافض من الباطنية ما يشير إلى وجه المصلحة فيه ـ والقول الوجيز أنا نراعي الصفات والشروط في السلاطين تشوفًا إلى مزايا المصالح. ولو قضينا ببطلان الولايات الآن لبطلت المصالح رأسًا فكيف يفوت رأس المال في طلب الربح؟ بل الولاية الآن لا تتبع إلا الشوكة. فمن بايعه صاحب الشوكة فهو الخليفة. ومن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة في أصل الخطبة والسكة فهو سلطان نافذ الحكم والقضاء في أقطار الأرض ولاية نافذة الأحكام. وتحقيق هذا قد ذكرناه في أحكام الإمامة من كتاب الاقتصاد في الاعتقاد فلسنا نطول الآن به.

وأما الإشكال الآخر وهو أن السلطان إذا لم يعمم بالعطاء كل مستحق فهل يجوز للواحد أن يأخذ منه؟ فهذا مما اختلف العلماء فيه على أربع مراتب فغلا بعضهم وقال: كل ما يأخذه فالمسلمون كلهم فيه شركاء ولا يدري أن حصته منه دانق أو حبة فليترك الكل ـ وقال قوم: له أن يأخذ قدر قوت يومه فقط، فإن هذا القدر يستحقه لحاجته على المسلمين. وقال قوم: له قوت سنة، فإنّ أخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذو حق في هذا المال فكيف يتركه؟ وقال قوم: إنه يأخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقون. وهذا هو القياس لأن المال ليس مشتركًا بين المسلمين كالغنيمة بين الغانمين ولا كالميراث بين الورثة لأن ذلك صار ملكًا لهم. وهذا لو لم يتفق قسمه حتى مات هؤلاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث. بل هذا الحق غير متعين وإنما يتعين بالقبض. بل هو كالصدقات ومهما أعطى الفقراء حصتهم من الصدقات

---

(١) صحيح: حديث «الأمر بطاعة الأمراء». أخرجه البخاري من حديث أنس «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة» ولمسلم من حديث أبي هريرة «عليك بالطاعة في منشطك ومكرهك... الحديث» وله من حديث أبي ذر «أوصاني النبي ﷺ أن أسمع وأطيع ولو لعبد مجدع الأطراف».[حديث «اسمعوا وأطيعوا . . . .» عند البخاري : ٦٩٣، وحديث «عليك بالطاعة . . .» عند مسلم : ١٨٣٦ ، وحديث «أوصاني النبي . . .» عند مسلم : ٦٤٨، ومجدع الأطراف : أي مقطع الأطراف].

(٢) صحيح: حديث «المنع من سل اليد عن مساعدتهم». أخرجه الشيخان من حديث ابن عباس «ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت إلا مات ميتة الجاهلية» ولمسلم من حديث أبي هريرة «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية» وله من حديث ابن عمر «من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حجة له».[حديث «ليس احد . . . .» عند البخاري : ٧١٤٣، ومسلم : ١٨٤٩ ، وحديث «من خرج من . . . .» عند مسلم : ١٨٤٨ ، وحديث«من خلع . . .» عند مسلم : ١٨٥١].

وقع ذلك ملكًا لهم ولم يمتنع بظلم المالك بقية الأصناف بمنع حقهم، هذا إذا لم يصرف إليه كل المال بل صرف إليه من المال ما لو صرف إليه بطريق الإيثار والتفضيل مع تعميم الآخرين لجاز له أن يأخذه والتفضيل جائز في العطاء. سوى أبو بكر رضي الله عنه فراجعه عمر رضي الله عنه فقال: إنما فضلهم عند الله وإنما الدنيا بلاغ. وفضل عمر رضي الله عنه في زمانه فأعطى عائشة اثني عشر ألفًا وزينب عشرة آلاف وجويرية ستة آلاف وكذا صفية. وأقطع عمر لعلي خاصة رضي الله عنهما. وأقطع عثمان أيضًا من السواد خمس جنات، وآثر عثمان عليًا رضي الله عنهما بها فقبل ذلك منه ولم ينكر. وكل ذلك جائز في محل الاجتهاد وهو من المجتهدات التي أقول فيها: إن كل مجتهد مصيب، وهي كل مسألة لا نص على عينها ولا على مسألة تقرب منها فتكون في معناها بقياس جلي كهذه المسألة ومسألة حدّ الشرب، فإنهم جلدوا أربعين وثمانين والكل سنّة وحق، وأن كل واحد من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مصيب باتفاق الصحابة رضي الله عنهم، إذ المفضول ما ردّ في زمان عمر شيئًا إلى الفاضل مما قد كان أخذه في زمان أبي بكر، ولا الفاضل امتنع من قبول الفضل في زمان عمر، واشترك في ذلك كل الصحابة واعتقدوا أن كل واحد من الرأيين حق. فليؤخذ هذا الجنس دستورًا للخلافات التي يصوب فيها كل مجتهد. فأما كل مسألة شذ عن مجتهد فيها نص أو قياس جلي - بغفلة أو سوء رأي وكان في القوة بحيث ينقض حكم المجتهد - فلا نقول فيها إن كل واحد مصيب بل المصيب من أصاب النص أو ما في معنى النص. وقد تحصل من مجموع هذا أن من وجد من أهل الخصوص الموصوفين بصفة تتعلق بها مصالح الدين أو الدنيا وأخذ من السلطان خلعة أو إدرارًا على التركات أو الجزية لم يصر فاسقًا بمجرد أخذه، وإنما يفسق بخدمته لهم ومعاونته إياهم ودخوله عليهم وثنائه وإطرائه لهم إلى غير ذلك من لوازم لا يسلم المال غالبًا إلا بها كما سنبينه.

الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة وما يحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والإكرام لهم

اعلم أن لك مع الأمراء والعمال الظلمة ثلاثة أحوال:

الحالة الأولى: وهي شرها أن تدخل عليهم.

والثانية: وهي دونها أن يدخلوا عليك.

والثالثة: وهي الأسلم أن تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك.

أما الحالة الأولى: وهي الدخول عليهم فهو مذموم جدًا في الشرع وفيه تغليظات وتشديدات تواردت بها الأخبار والآثار، فننقلها لتعرف ذم الشرع له، ثم نتعرض لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما تقتضيه الفتوى في ظاهر العلم.

أما الأخبار: فإنه لما وصف رسول الله ﷺ الأمراء الظلمة قال: «فَمَنْ نَابَذَهُمْ نَجَا وَمَنِ اعْتَزَلَهُمْ سَلِمَ أَوْ كَادَ أَنْ يَسْلَمَ وَمَنْ وَقَعَ مَعَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ فَهُوَ مِنْهُمْ»(١)، وذلك لأن من اعتزلهم سلم من إثمهم ولكن لم يسلم من عذاب يعمه معهم إن نزل بهم لتركه المنابذة والمنازعة. وقال ﷺ: «سَيَكُونُ مِنْ بَعْدِي أُمَرَاءُ يَكْذِبُونَ وَيَظْلِمُونَ فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ وَلَمْ يَرِدْ عَلَيَّ الحَوْضَ»(٢) وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال ﷺ: «أَبْغَضُ القُرَّاءِ إِلَى الله تَعَالَى الَّذِينَ يَزُورُونَ الأُمَرَاءَ»(٣) وفي الخبر: «خَيْرُ الأُمَرَاءِ الَّذِينَ يَأْتُونَ العُلَمَاءَ وَشَرُّ العُلَمَاءِ الَّذِينَ يَأْتُونَ الأُمَرَاءَ» وفي الخبر: «العُلَمَاءُ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ عَلَى عِبَادِ الله مَا لَمْ يُخَالِطُوا السُّلْطَانَ فَإِذَا فَعَلُوا ذلِكَ فَقَدْ خَانُوا الرُّسُلَ فَاحْذَرُوهُمْ وَاعْتَزِلُوهُمْ»(٤) رواه أنس رضي الله عنه.

وأما الآثار: فقد قال حذيفة: إياكم ومواقف الفتن قيل: وما هي؟ قال: أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه. وقال أبو ذرّ لسلمة: يا سلمة. لا تغشَ أبواب السلاطين فإنك لا تصيب من دنياهم شيئًا إلا أصابوا من دينك أفضل منه، وقال سفيان: في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزوارون للملوك وقال الأوزاعي: ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملًا.

وقال سمنون: ما أسمج بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال عند الأمير. وكنت أسمع أنه يقال: إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك، إذ ما دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسي بعد الخروج فأرى عليها الدرك مع ما أواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم. وقال عبادة بن الصامت: حب القارىء الناسك الأمراء نفاق وحبه الأغنياء رياء. وقال أبو ذرّ: من كثر سواد قوم فهو منهم أي من كثر سواد الظلمة. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إن الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا

---

٢ الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين

(١) صحيح: حديث «فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم أو كاد يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم». أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس بسند ضعيف وقال «ومن خالطهم هلك».[انظر صحيح الجامع: ٣٦٦١].

(٢) حسن صحيح: حديث «سيكون بعدي أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد على الحوض». أخرجه النسائي والترمذي وصححه والحاكم من حديث كعب بن عجرة. [الترمذي: ٦١٤، والنسائي: ٤٢٠٧، وانظر صحيح الترغيب: ٢٢٤٣].

(٣) ضعيف: حديث أبي هريرة «أبغض القراء إلى الله عز وجل اللذين يأتون الأمراء». تقدم في العلماء. [ابن ماجه: ٢٥٦، وانظر ضعيف الترغيب: ١٦].

(٤) ضعيف: حديث أنس «العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم». أخرجه العقيلي في الضعفاء في ترجمة حفص الأبري وقال حديثه غير محفوظ تقدم في العلم. [انظر السلسلة الضعيفة: ٢٦٧٠].

دين له، قيل له: ولم؟ قال لأنه يرضيه بسخط الله. واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلًا فقيل: كان عاملًا للحجاج، فعزله، فقال الرجل: إنما عملت له على شيء يسير، فقال له عمر: حسبك بصحبته يومًا أو بعض يوم شؤمًا وشرًا. وقال الفضيل: ما ازداد رجل من ذي سلطان قربًا إلا ازداد من الله بُعدًا. وكان سعيد بن المسيب يتجر في الزيت ويقول: إن في هذا لغنى عن هؤلاء السلاطين. وقال وهيب: هؤلاء الذين يدخلون على الملوك لهم أضر على الأمّة من المقامرين. وقال محمد بن سلمة: الذباب على العذرة، أحسن من قارىء على باب هؤلاء. ولما خالط الزهري السلطان كتب أخ له في الدين إليه: عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله يرحمك، أصبحت شيخًا كبيرًا قد أثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه محمد ﷺ وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء قال الله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[آل عمران :١٨٧] ، واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل البغي بدنوّك ممن لم يؤد حقًا ولم يترك باطلًا حين أدناك، اتخذوك قطبًا تدور عليك رحى ظلمهم وجسرًا يعبرون عليك إلى بلائهم وسلمًا يصعدون فيه إلى ضلالهم ويدخلون بك الشك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهلاء، فما أيسر ما عمروا في جنب ما خربوا عليك، وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك، فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[مريم :٥٩] الآية. وإنك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيىء زادك فقد حضر سفر بعيد ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[إبراهيم :٣٨] والسلام.

فهذه الأخبار والآثار تدل على ما في مخالطة السلاطين من الفتن وأنواع الفساد، ولكن نفصل ذلك تفصيلًا فقهيًا نميز فيه المحظور عن المكروه والمباح. فنقول: الداخل على السلطان متعرض لأن يعصي الله تعالى إما بفعله أو بسكوته، وإما بقوله وإما باعتقاده فلا ينفك عن أحد هذه الأمور.

أما الفعل: فالدخول عليهم في غالب الأحوال يكون إلى دور مغصوبة وتخطيها والدخول فيها بغير إذن الملاك حرام؛ ولا يغرّنك قول القائل: إنّ ذلك مما يتسامح به الناس كتمرة أو فتات خبز فإن ذلك صحيح في غير المغصوب، أما المغصوب فلا. لأنه إن قيل: إن كل جلسة خفيفة لا تنقص الملك فهي في محل التسامح؟ وكذلك الاجتياز فيجري هذا في كل واحد فيجري أيضًا في المجموع والغصب إنما تم بفعل الجميع، وإنما يتسامح به إذا انفرد إذ لو علم المالك به ربما لم يكرهه، فأما إذا كان ذلك طريقًا إلى الاستغراق بالاشتراك فحكم التحريم ينسحب على الكل، فلا يجوز أن يؤخذ ملك الرجل طريقًا اعتمادًا على أن كل واحد من المارّين إنما يخطو خطوة لا تنقص الملك، لأن المجموع مفوت للملك وهو كضربة خفيفة

في التعليم تباح ولكن بشرط الانفراد، فلو اجتمع جماعة بضربات توجب القتل وجب القصاص على الجميع مع أنّ كل واحدة من الضربات لو انفردت لكانت لا توجب قصاصًا. فإن فرض كون الظالم في موضع غير مغصوب كالموات مثلًا فإن كانت تحت خيمة أو مظلة من ماله فهو حرام، والدخول إليه غير جائز لأنه انتفاع بالحرام واستظلال به، فإن فرض كل ذلك حلالًا فلا يعصى بالدخول من حيث إنه دخول ولا بقوله: السلام عليكم، ولكن إن سجد أو ركع أو مثل قائمًا في سلامه وخدمته كان مكرمًا للظالم بسبب ولايته التي هي آلة ظلمه والتواضع للظالم معصية. بل من تواضع لغني ليس يظالم لأجل غناه ـ لا لمعنى آخر اقتضى التواضع ـ نقص ثلثا دينه فكيف إذا تواضع للظالم؟ فلا يباح إلا مجرّد السلام. فأما تقبيل اليد والانحناء في الخدمة فهو معصية إلا عند الخوف، أو لإمام عادل أو لعالم أو لمن يستحق ذلك بأمر ديني.

قبّل أبو عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنه يد علي كرّم الله وجهه لما أن لقيه بالشام فلم ينكر عليه. وقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد جوابهم في السلام والإعراض عنهم استحقارًا لهم وعدّ ذلك من محاسن القربات. فأما السكوت عن رد الجواب ففيه نظر، لأنّ ذلك واجب فلا ينبغي أن يسقط بالظلم. فإن ترك الداخل جميع ذلك واقتصر على السلام فلا يخلو من الجلوس على بساطهم وإذا كان أغلب أموالهم حرامًا فلا يجوز الجلوس على فرشهم؛ هذا من حيث الفعل.

فأما السكوت: فهو أنه سيرى في مجلسهم من الفرش الحرير وأواني الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ما هو حرام. وكل من رأى سيئة وسكت عليها فهو شريك في تلك السيئة. بل يسمع من كلامهم ما هو فحش وكذب وشتم وإيذاء والسكوت على جميع ذلك حرام. بل يراهم لابسين الثياب الحرام وآكلين الطعام الحرام وجميع ما في أيديهم حرام والسكوت على ذلك غير جائز. فيجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه إن لم يقدر بفعله.

فإن قلت: إنه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت؟ فهذا حق ولكنه مستغن عن أن يعرض نفسه لارتكاب ما لا يباح إلا بعذر، فإنه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر. وعند هذا أقول من علم فسادًا في موضع وعلم أنه لا يقدر على إزالته فلا يجوز له أن يحضر ليجري ذلك بين يديه وهو يشاهده ويسكت، بل ينبغي أن يحترز عن مشاهدته.

وأما القول: فهو أن يدعو للظالم أو يثني عليه أو يصدّقه فيما يقول من باطل بصريح قوله أو بتحريك رأسه أو باستبشار في وجهه، أو يظهر له الحب والموالاة والاشتياق إلى لقائه والحرص على طول عمره وبقائه، فإنه في الغالب لا يقتصر على السلام بل يتكلم ولا يعدو

كلامه هذه الأقسام.

أما الدعاء له: فلا يحل إلا أن يقول: أصلحك الله أو وفقك الله للخيرات أو طوّل الله عمرك في طاعته أو ما يجري هذا المجرى. فأما الدعاء بالحراسة وطول البقاء وإسباغ النعمة مع الخطاب بالمولى وما في معناه فغير جائز. قال ﷺ: «مَنْ دَعَا لِظَالِمٍ بِالبَقَاءِ فَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يُعْصَى الله فِي أَرْضِهِ»(١)، فإن جاوز الدعاء إلى الثناء فسيذكر ما ليس فيه فيكون به كاذبًا ومنافقًا ومكرمًا لظالم، وهذه ثلاث معاص. وقد قال ﷺ: «إِنَّ الله لَيَغْضَبُ إِذَا مُدِحَ الفَاسِقُ»(٢) وفي خبر آخر: «مَنْ أَكْرَمَ فَاسِقًا فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الإِسْلاَمِ»(٣) فإن جاوز ذلك إلى التصديق له فيما يقول، والتزكية والثناء على ما يعمل: كان عاصيًا بالتصديق وبالإعانة؛ فإن التزكية والثناء إعانة على المعصية وتحريك للرغبة فيه كما أن التكذيب والمذمة والتقبيح زجر عنه وتضعيف لدواعيه. والإعانة على المعصية معصية ولو بشطر كلمة. ولقد سئل سفيان الثوري رضي الله عنه عن ظالم أشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء؟ فقال: لا، دعه حتى يموت فإن ذلك إعانة له.

وقال غيره: يسقى إلى أن تثوب إليه نفسه ثم يعرض عنه. فإن جاوز ذلك إلى إظهار الحب والشوق إلى لقائه وطول بقائه: فإن كان كاذبًا عصى معصية الكذب والنفاق، وإن كان صادقًا عصى بحبه بقاء الظالم وحقه أن يبغضه في الله ويمقته. فالبغض في الله واجب، ومحب المعصية والراضي بها عاص. ومن أحب ظالمًا فإن أحبه لظلمه فهو عاص لمحبته وإن أحبه لسبب آخر فهو عاص من حيث إنه لم يبغضه وكان الواجب عليه أن يبغضه. وإن اجتمع في شخص خير وشر وجب أن يحب لأجل ذلك الخير ويبغض لأجل ذلك الشر. وسيأتي في كتاب الإخوة والمتحابين في الله وجه الجمع بين البغض والحب. فإن سلم من ذلك كله وهيهات! فلا يسلم من فساد يتطرق إلى قلبه فإنه ينظر إلى توسعه في النعمة ويزدري نعم الله عليه ويكون مقتحمًا نهي رسول الله ﷺ حيث قال: «يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ لاَ تَدْخُلُوا عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَسْخَطَةٌ لِلرِّزْقِ»(٤) وهذا مع ما فيه من اقتداء غيره به في الدخول ومن تكثيره سواد الظلمة بنفسه وتجميله إياهم إن كان ممن يتجمل به، وكل ذلك إما مكروهات أو محظورات. دعي سعيد بن المسيب إلى البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان فقال: لا أبايع

---

(١) حديث «من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصي الله في أرضه». تقدم.

(٢) حديث «إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق». تقدم. [سبق تخريجه تقريباً].

(٣) حديث «من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الإسلام». تقدم أيضا. [سبق تخريجه تقريباً].

(٤) ضعيف جداً: حديث «يا معشر المهاجرين لا تدخلوا على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق». أخرجه الحاكم من حديث عبد الله بن الشخير «أقلوا الدخول على الأغنياء فإنه أجدر أن لا تزدروا نعم الله عز وجل» وقال صحيح الإسناد. [انظر ضعيف الترغيب : ١٨٩٧].

اثنين ما اختلف الليل والنهار فإن النبي ﷺ نهى عن بيعتين[١] ، فقال: ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر، فقال: لا والله لا يقتدي بي أحد من الناس، فجلد مائة وألبس المسوح.

ولا يجوز الدخول عليهم إلا بعذرين:

أحدهما: أن يكون من جهتهم أمر إلزام لا أمر إكرام وعلم أنه لو امتنع أوذي أو فسد عليهم طاعة الرعية واضطرب عليهم أمر السياسة فيجب عليه الإجابة لا طاعة لهم بل مراعاة لمصلحة الخلق حتى لا تضطرب الولاية.

والثاني: أن يدخل عليهم في دفع ظلم عن مسلم سواه أو عن نفسه إما بطريق الحسبة أو بطريق التظلم، فذلك رخصة بشرط أن لا يكذب ولا يثني ولا يدع نصيحة يتوقع لها قبولاً فهذا حكم الدخول.

الحالة الثانية: أن يدخل عليك السلطان زائر فجواب السلام لا بد منه. وأما القيام والإكرام له فلا يحرم مقابلة له على إكرامه. فإنه بإكرام العلم والدين مستحق للإحماد كما أنه بالظلم مستحق للإبعاد. فالإكرام بالإكرام والجواب بالسلام. ولكن الأولى أن لا يقوم إن كان معه في خلوة ليظهر له بذلك عز الدين وحقارة الظلم، ويظهر غضبه للدين وإعراضه عمن أعرض عن الله فأعرض الله تعالى عنه.

وإن كان الداخل عليه في جمع فمراعاة حشمة أرباب الولايات فيما بين الرعايا مهم فلا بأس بالقيام على هذه النية. وإن علم أن ذلك لا يورث فسادًا في الرعية ولا يناله أذى من غضبه فترك الإكرام بالقيام أولى. ثم يجب عليه بعد أن وقع اللقاء أن ينصحه فإن كان يقارف ما لا يعرف تحريمه وهو يتوقع أن يتركه إذا عرف فليعرفه فذلك واجب. وأما ذكر تحريم ما يعلم تحريمه من السرف والظلم فلا فائدة فيه بل عليه أن يخوفه فيما يرتكبه من المعاصي مهما ظن أن التخويف يؤثر فيه. وعليه أن يرشده إلى طريق المصلحة إن كان يعرف طريقًا على وفق الشرع بحيث يحصل بها غرض الظالم من غير معصية ليصده بذلك عن الوصول إلى غرضه بالظلم. فإذًا يجب عليه التعريف في محل جهله والتخويف فيما هو مستجرىء عليه والإرشاد إلى ما هو غافل عنه مما يغنيه عن الظلم، فهذه ثلاثة أمور تلزمه إذا توقع للكلام فيه أثرًا، وذلك أيضًا لازم على كل من اتفق له دخول على السلطان بعذر أو بغير عذر. وعن محمد بن صالح قال: كنت عند حماد بن سلمة وإذا ليس في البيت إلا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ منها؟ فبينا أنا عنده إذ دق داق الباب فإذا هو محمد بن

---

(١) حديث «دعي ابن المسيب إلى البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك فقال: لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فإن رسول الله ﷺ نهى عن بيعتين». أخرجه أبو نعيم في الحلية بإسناد صحيح من رواية يحيى بن سعيد.

سليمان فأذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال له: ما لي إذا رأيتك امتلأت منك رعبًا؟ قال حماد: لأنه قال عليه السلام «إِنَّ العَالِمَ إِذَا أَرَادَ بِعِلْمِهِ وَجْهَ الله هَابَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَكْنِزَ بِهِ الكُنُوزَ هَابَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»(١) ثم عرض عليه أربعين ألف درهم وقال: تأخذها وتستعين بها قال: اردها على من ظلمته بها، قال: والله ما أعطيتك إلا مما ورثته، قال: لا حاجة لي بها قال: فتأخذها فتقسمها، قال: لعلي إن عدلت في قسمتها أخاف أن يقول بعض من لم يرزق منها إنه لم يعدل في قسمتها فيأثم فازوها عني.

الحالة الثالثة: أن يعتزلهم فلا يراهم ولا يرونه وهو الواجب إذ لا سلامة إلا فيه؛ فعليه أن يعتقد بغضهم على ظلمهم ولا يحب بقاءهم ولا يثني عليهم ولا يستخبر عن أحوالهم ولا يتقرب إلى المتصلين بهم ولا يتأسف على ما يفوت بسبب مفارقتهم؛ وذلك إذا خطر بباله أمرهم، وإن غفل عنهم فهو الأحسن. وإذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قاله حاتم الأصم: إنما بيني وبين الملوك يوم واحد فأما أمس فلا يجدون لذته وإني وإياهم في غد لعلى وجل وإنما هو اليوم وما عسى أن يكون في اليوم، وما قاله أبو الدرداء إذ قال: أهل الأموال يأكلون ونأكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس ولهم فضول أموال ينظرون إليها وننظر معهم إليها وعليهم حسابها ونحن منها براء. وكل من أحاط علمه بظلم ظالم ومعصية عاص فينبغي أن يحط ذلك من درجته في قلبه. فهذا واجب عليه لأن من صدر منه ما يكره نقص ذلك من رتبته في القلب لا محالة والمعصية ينبغي أن تكره فإنه إما أن يغفل عنها أو يرضى بها أو يكره ولا غفلة مع العلم ولا وجه للرضا فلا بدّ من الكراهة، فليكن جناية كل أحد على حق الله كجنايته على حقك.

فإن قلت: الكراهة لا تدخل تحت الاختيار فكيف تجب؟ قلنا: ليس كذلك فإن المحب يكره بضرورة الطبع ما هو مكروه عند محبوبه ومخالف له، فإن من لا يكره معصية الله لا يحب الله وإنما لا يحب الله من لا يعرفه والمعرفة واجبة والمحبة لله واجبة. وإذا أحبه كره ما كرهه وأحب ما أحبه. وسيأتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة والرضا.

فإن قلت: فقد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين؟ فأقول: نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل؛ كما حكي أن هشام بن عبد الملك قدم حاجًا إلى مكة فلما دخلها قال ائتوني برجل من الصحابة فقيل: يا أمير المؤمنين قد تفانوا فقال: من التابعين، فأتي بطاوس اليماني

---

(١) حديث حماد بن سلمة مرفوعا «إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء وإذا أراد أن يكنز به الكنوز هاب من كل شيء». هذا معضل وروى أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من حديث واثلة بن الأسقع «من خاف الله خوف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شيء» وللعقيلي في الضعفاء نحوه من حديث أبي هريرة وكلاهما منكر. [حديث «إذا أراد بعلمه . . .» انظر السلسلة الضعيفة: ٣٩٢٨ ، وحديث «من خاف الله . . .» قال الألباني : منكر انظر ضعيف الترغيب : ١٩٧٢].

فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم عليه بإمرة المؤمنين ولكن قال: السلام عليك يا هشام، ولم يكنه وجلس بإزائه وقال: كيف أنت يا هشام؟ فغضب هشام غضبًا شديدًا حتى همَّ بقتله؛ فقيل له: أنت في حرم الله وحرم رسوله ولا يمكن ذلك، فقال له: يا طاوس ما الذي حملك على ما صنعت؟ قال: وما الذي صنعت؟ فازداد غضبًا وغيظًا؛ قال: خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تقبِّل يدي ولم تسلِّم عليَّ بإمرة المؤمنين ولم تكنني وجلست بإزائي بغير إذني وقلت: كيف أنت يا هشام؟ قال: أما ما فعلت من خلع نعلي بحاشية بساطك فإني أخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبني ولا يغضب عليَّ، وأما قولك لم تقبل يدي فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: لا يحل لرجل أن يقبل يد أحد إلا امرأته من شهوة أو ولده من رحمة، وأما قولك لم تسلم عليَّ بإمرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بإمرتك فكرهت أن أكذب، وأما قولك لم تكنني فإن الله تعالى سمى أنبياءه وأولياءه فقال: يا يحيى يا عيسى، وكنى أعداءه فقال: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد:١] . وأما قولك جلست بإزائي فإني سمعت أمير المؤمنين عليًا رضي الله عنه يقول: إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام. فقال له هشام: عظني، فقال: سمعت من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول: إن في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته. ثم قام وهرب.

وعن سفيان الثوري رضي الله عنه قال: أدخلت على أبي جعفر المنصور بمنى فقال لي: ارفع إلينا حاجتك، فقلت له: اتق الله فقد ملأت الأرض ظلمًا وجورًا. قال: فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال: ارفع إلينا حاجتك، فقلت: إنما أنزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار وأبناؤهم يموتون جوعًا فاتق الله وأوصل إليهم حقوقهم، فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال: ارفع إلينا حاجتك، فقلت: حجَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لخازنه: كم أنفقت؟ قال: بضعة عشر درهمًا، وأرى ههنا أموالًا لا تطيق الجمال حملها، وخرج فهكذا كانوا يدخلون على السلاطين إذا ألزموا وكانوا يغرّرون بأرواحهم للانتقام لله من ظلمهم. ودخل ابن أبي شميلة على عبد الملك بن مروان فقال له: تكلم، فقال له: إنّ الناس لا ينجون في القيامة من غصصها ومراراتها ومعاينة الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه، فبكى عبد الملك وقال: لأجعلن هذه الكلمة مثالًا نصب عيني ما عشت. ولما استعمل عثمان بن عفان رضي الله عنه عبد الله بن عامر أتاه أصحاب رسول الله ﷺ وأبطأ عنه أبو ذر ـ وكان له صديقًا ـ فعاتبه؛ فقال أبو ذرّ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا وَلِيَ وِلاَيَةً تَبَاعَدَ الله عَنْهُ»(١) ودخل مالك بن

(١) لا أصل له: حديث أبي ذر «إن الرجل إذا ولي ولاية تباعد الله عز وجل منه». لم أقف له على أصل. [انظر السلسلة الضعيفة : ٧٠١].

دينار على أمير البصرة فقال: أيها الأمير قرأت في بعض الكتب أن الله تعالى يقول ما أحمق من سلطان وما أجهل ممن عصاني! ومن أعز ممن اعتز بي؟ أيها الراعي السوء دفعت إليك غنمًا سمانًا صحاحًا فأكلت اللحم ولبست الصوف وتركتها عظامًا تتقعقع، فقال له والي البصرة: أتدري ما الذي يجرئك علينا ويجنبنا عنك؟ قال: لا، قال: قلة الطمع فينا وترك الإمساك لما في أيدينا. وكان عمر بن عبد العزيز واقفًا مع سليمان بن عبد الملك، فسمع سليمان صوت الرعد فجزع ووضع صدره على مقدمة الرحل، فقال له عمر: هذا صوت رحمته فكيف إذا سمعت صوت عذابه؟ ثم نظر سليمان إلى الناس فقال: ما أكثر الناس، فقال عمر: خصماؤك يا أمير المؤمنين فقال له سليمان: ابتلاك الله بهم.

وحكي أن سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فأرسل إلى أبي حازم فدعاه، فلما دخل عليه قال له سليمان: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب فقال: يا أبا حازم كيف القدوم على الله؟ قال يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه، فبكى سليمان وقال: ليت شعري ما لي عند الله؟ قال أبو حازم: اعرض نفسك على كتاب الله تعالى حيث قال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار :١٣-١٤] قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال: قريب من المحسنين، ثم قال سليمان: يا أبا حازم أي عباد الله أكرم؟ قال: أهل البر والتقوى قال: فأي الأعمال أفضل؟ قال: أداء الفرائض مع اجتناب المحارم. قال: فأي الكلام أسمع؟ قال: قول الحق عند من تخاف وترجو قال: فأي المؤمنين أكيس؟ قال: رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس إليها، قال: فأي المؤمنين أخسر؟ قال: رجل خطا في هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره، قال سليمان: ما تقول فيما نحن فيه؟ قال: أو تعفيني؟ قال: لا بد فإنها نصيحة تلقيها إليَّ، قال: يا أمير المؤمنين إن آباءك قهروا الناس بالسيف وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا، فلو شعرت بما قالوا وما قيل لهم؟ فقال له رجل من جلسائه: بئسما قلت: قال أبو حازم: إن الله قد أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه. قال: وكيف لنا أن نصلح هذا الفساد؟ قال: أن تأخذه من حله فتضعه في حقه، فقال سليمان: ومن يقدر على ذلك؟ فقال: من يطلب الجنة ويخاف من النار. فقال سليمان: ادع لي. فقال أبو حازم: اللهم إن كان سليمان وليك فيسره لخيري الدنيا والآخرة وإن كان عدوّك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى، فقال سليمان: أوصني، فقال: أوصيك وأوجز، عظم ربك ونزهه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك. وقال عمر بن عبد العزيز لأبي حازم: عظني، فقال: اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك ثم انظر إلى ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة فخذ به الآن، وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن، فلعل تلك الساعة قريبة.

ودخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك، فقال: تكلم يا أعرابي، فقال: يا أمير المؤمنين إني مكلمك بكلام فاحتمله وإن كرهته فإن وراءه ما تحب إن قبلته، فقال: يا أعرابي إنا لنجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا نأمن غشه فكيف بمن نأمن غشه ونرجو نصحه؟ فقال الأعرابي: يا أمير المؤمنين إنه قد تكنفك رجال أساؤوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله تعالى ولم يخافوا الله فيك، حرب الآخرة سلم الدنيا فلا تأتمنهم على ما ائتمنك الله تعالى عليه فإنهم لم يألوا في الأمانة تضييعًا وفي الأمة خسفًا وعسفًا وأنت مسؤول عما اجترحوا وليسوا بمسؤولين عما اجترحت، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غبنًا من باع آخرته بدنيا غيره، فقال له سليمان: يا أعرابي أما إنك قد سللت لسانك وهو أقطع سيفيك. قال: أجل يا أمير المؤمنين ولكن لك لا عليك.

وحكي أن أبا بكرة دخل على معاوية فقال: اتق الله يا معاوية واعلم أنك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تأتي عليك لا تزداد من الدنيا إلا بعدًا ومن الآخرة إلا قربًا، وعلى أثرك طالب لا تفوته وقد نصب لك علمًا لا تجوزه فما أسرع ما تبلغ العلم وما أوشك ما يلحق بك الطالب، وإنا وما نحن فيه زائل وفي الذي نحن إليه صائرون باق إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر. فهكذا كان دخول أهل العلم على السلاطين أعني علماء الآخرة، فأما علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا إلى قلوبهم فيدلونهم على الرخص ويستنبطون لهم بدقائق الحيل طرق السعة فيما يوافق أغراضهم. وإن تكلموا بمثل ما ذكرناه في معرض الوعظ لم يكن قصدهم الإصلاح بل اكتساب الجاه والقبول عندهم. وفي هذا غروران يغتر بهما الحمقى:

أحدهما: أن يظهر أن قصدي في الدخول عليهم إصلاحهم بالوعظ. وربما يلبسون على أنفسهم بذلك وإنما الباعث لهم شهوة خفيفة للشهرة وتحصيل المعرفة عندهم، وعلامة الصدق في طلب الإصلاح أنه لو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو من أقرانه في العلم ووقع موقع القبول وظهر به أثر الصلاح فينبغي أن يفرح به ويشكر الله تعالى كفايته هذا المهم، كمن وجب عليه أن يعالج مريضًا ضائعًا فقام بمعالجته غيره فإنه يعظم به فرحه. فإن كان يصادف في قلبه ترجيحًا لكلامه على كلام غيره فهو مغرور.

الثاني: أن يزعم أني أقصد الشفاعة لمسلم في دفع ظلامة. وهذا أيضًا مظنة الغرور. ومعياره ما تقدم ذكره.

وإذا ظهر طريق الدخول عليهم فلنرسم في الأحوال العارضة في مخالطة السلاطين ومباشرة أموالهم مسائل:

مسألة: إذا بعث إليك السلطان مالًا لتفرّقه على الفقراء فإن كان له مالك معين فلا يحل أخذه، وإن لم يكن بل كان حكمه أنه يجب التصدّق به على المساكين - كما سبق - فلك أن تأخذه وتتولى التفرقة ولا تعصى بأخذه، ولكن من العلماء من امتنع عنه فعند هذا ينظر في

الأولى فنقول:

الأولى أن تأخذه إن أمنت ثلاث غوائل:

الغائلة الأولى: أن يظن السلطان بسبب أخذك أن ماله طيب ولولا أنه طيب لما كنت تمدّ يدك إليه ولا تدخله في ضمانك، فإن كان كذلك فلا تأخذه، فإنّ ذلك محذور ولا يفي الخير في مباشرتك التفرقة بما يحصل لك من الجرأة على كسب الحرام.

الغائلة الثانية: أن ينظر إليك غيرك من العلماء والجهال فيعتقدون أنه حلال فيقتدون بك في الأخذ ويستدلون به على جوازه ثم لا يفرقون، فهذا أعظم من الأوّل. فإن جماعة يستدلون بأخذ الشافعي رضي الله عنه على جواز الأخذ ويغفلون عن تفرقته وأخذه على نية التفرقة، فالمقتدي والمتشبه به ينبغي أن يحترز عن هذا غاية الاحتراز فإنه يكون فعله سبب ضلال خلق كثير. وقد حكى وهب بن منبه أن رجلًا أتي به إلى ملك بمشهد من الناس ليكرهه على أكل لحم الخنزير فلم يأكل، فقدم إليه لحم غنم وأكره بالسيف فلم يأكل، فقيل له في ذلك فقال: إن الناس قد اعتقدوا أني طولبت بأكل لحم الخنزير، فإذا خرجت سالمًا وقد أكلت فلا يعلمون ماذا أكلت فيضلون. ودخل وهب بن منبه وطاوس على محمد بن يوسف ـ أخي الحجاج ـ وكان عاملًا وكان في غداة باردة في مجلس بارز فقال لغلامه: هلم ذلك الطيلسان وألقه على أبي عبد الرحمن ـ أي طاوس ـ وكان قد قعد على كرسي فألقي عليه فلم يزل يحرّك كتفيه حتى ألقى الطيلسان عنه، فغضب مُحمد بن يوسف فقال وهب: كنت غنيًا عن أن تغضبه لو أخذت الطيلسان وتصدّقت به قال: نعم لولا أن يقول من بعدي إنه أخذه طاوس ـ ولا يصنع به ما أصنع به ـ إذن لفعلت.

الغائلة الثالثة: أن يتحرّك قلبك إلى حبه لتخصيصه إياك وإيثاره لك بما أنفذه إليك، فإن كان كذلك فلا تقبل ذلك هو السم القاتل والداء الدّفين أعني ما يحبب الظلمة إليك، فإن من أحببته لا بدّ أن تحرص عليه وتداهن فيه. قالت عائشة رضي الله عنها: جبلت النفوس على حب من أحسن إليها. وقال عليه السلام: «اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عِنْدِي يَدًا فَيُحِبَّهُ قَلْبِي»[1] بيّن ﷺ أن القلب لا يكاد يمتنع من ذلك. وروي أن بعض الأمراء أرسل إلى مالك بن دينار بعشرة آلاف درهم فأخرجها كلها فأتاه محمد بن واسع فقال: ما صنعت بما أعطاك هذا المخلوق؟ قال: سل أصحابي؟ فقالوا: أخرجه كله، فقال: أنشدك الله أقلبك أشدّ حبًا له الآن أم قبل أن أرسل إليك؟ قال: لا بل الآن، قال: إنما كنت أخاف هذا. وقد صدق فإنه إذا أحبه

---

(١) حديث «اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدا فيحبه قلبي». أخرجه ابن مردويه في التفسير من رواية كثير بن عطية عن رجل لم يسم، ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ وأبو موسى المديني في كتاب: تضييع العمر والأيام مرسلا وأسانيده كلها ضعيفة.

أحب بقاءه وكره عزله ونكبته وموته وأحب اتساع ولايته وكثرة ماله، وكل ذلك حب لأسباب الظلم وهو مذموم. قال سلمان وابن مسعود رضي الله عنهما: من رضي بأمر وإن غاب عنه كان كمن شهده قال تعالى ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [هود:١١٣]قيل لا ترضوا بأعمالهم فإن كنت في القوّة بحيث لا تزداد حبًا لهم بذلك فلا بأس بالأخذ. وقد حكي عن بعض عباد البصرة أنه كان يأخذ أموالًا ويفرّقها فقيل له: ألا تخاف أن تحبهم؟ فقال: لو أخذ رجل بيدي وأدخلني الجنة ثم عصى ربه ما أحبه قلبي، لأن الذي سخره للأخذ بيدي هو الذي أبغضه لأجله شكرًا له على تسخيره إياه. وبهذا تبين أخذ المال الآن منهم وإن كان ذلك المال بعينه من وجه حلال محذور ومذموم لأنه لا ينفك عن هذه الغوائل.

مسألة : إن قال قائل: إذا جاز أخذ ماله وتفرقته فهل يجوز أن يسرق ماله أو تخفى وديعته وتنكر وتفرّق على الناس؟ فنقول: ذلك غير جائز لأنه ربما يكون له مالك معين وهو على عزم أن يرده عليه، وليس هذا كما لو بعثه إليك، فإن العاقل لا يظن به أنه يتصدق بمال يعلم مالكه فيدل تسليمه على أنه لا يعرف مالكه فإن كان ممن يشكل عليه مثله فلا يجوز أن يقبل منه المال ما لم يعرف ذلك ثم كيف يسرق ويحتمل أن يكون ملكه قد حصل له بشراء في ذمته؟ فإن اليد دلالة على الملك. فهذا لا سبيل إليه بل لو وجد لقطة وظهر أن صاحبها جندي واحتمل أن تكون له بشراء في الذمة أو غيره وجب الرد عليه. فإذًا لا يجوز سرقة مالهم لا منهم ولا ممن أودع عنده. ولا يجوز إنكار وديعتهم ويجب الحدّ على سارق مالهم إلا إذا ادعى السارق أنه ليس ملكًا لهم فعند ذلك يسقط الحد بالدعوى.

مسألة : المعاملة معهم حرام لأن أكثر مالهم حرام فما يؤخذ عوضًا فهو حرام، فإن أدى الثمن من موضع يعلم حله فيبقى النظر فيما سلم إليهم، فإن علم أنهم يعصون الله به كبيع الديباج منهم وهو يعلم أنهم يلبسونه فذلك حرام كبيع العنب من الخمار، وإنما الخلاف في الصحة وإن أمكن ذلك وأمكن أن يلبسها نساءه فهو شبهة مكروهة، هذا فيما يعصى في عينه من الأموال. وفي معناه بيع الفرس منهم، لا سيما في وقت ركوبهم إلى قتال المسلمين أو جباية أموالهم فإن ذلك إعانة لهم بفرسه وهي محظورة. فأما بيع الدراهم والدنانير منهم وما يجري مجراها مما لا يعصى في عينه بل يتوصل بها فهو مكروه لما فيه من إعانتهم على الظلم لأنهم يستعينون على ظلمهم بالأموال والدواب وسائر الأسباب وهذه الكراهة جارية في الإهداء إليهم وفي العمل لهم من غير أجرة حتى في تعليمهم وتعليم أولادهم الكتابة والترسل والحساب، وأما تعليم القرآن فلا يكره إلا من حيث أخذ الأجرة فإن ذلك حرام إلا من وجه يعلم حله، ولو انتصب وكيلًا لهم يشتري لهم في الأسواق من غير جعل أو أجرة فهو مكروه من حيث الإعانة، وإن اشترى لهم ما يعلم أنهم يقصدون به المعصية كالغلام والديباج للفرش واللبس والفرس للركوب إلى الظلم والقتل فذلك حرام. فمهما ظهر قصد المعصية بالمبتاع

حصل التحريم ومهما لم يظهر واحتمل بحكم الحال ودلالتها عليه حصلت الكراهة.

مسألة: الأسواق التي بنوها بالمال الحرام تحرم التجارة فيها ولا يجوز سكناها، فإن سكنها تاجر واكتسب بطريق شرعي لم يحرم كسبه وكان عاصيًا بسكناه، وللناس أن يشتروا منهم، ولكن لو وجدوا سوقًا أخرى فالأولى الشراء منها فإن ذلك إعانة لسكناهم وتكثير لكراء حوانيتهم، وكذلك معاملة السوق التي لا خراج لهم عليها أحب من معاملة سوق لهم عليها خراج، وقد بالغ قوم حتى تحرزوا من معاملة الفلاحين وأصحاب الأراضي التي لهم عليها الخراج فإنهم ربما يصرفون ما يأخذون إلى الخراج فيحصل به الإعانة، وهذا غلوّ في الدين وحرج على المسلمين فإن الخراج قد عمَّ الأراضي ولا غنى بالناس عن ارتفاق الأرض ولا معنى للمنع منه، ولو جاز هذا لحرم على المالك زراعة الأرض حتى لا يطلب خراجها. وذلك مما يطول ويتداعى إلى حسم باب المعاش.

مسألة: معاملة قضاتهم وعمالهم وخدمهم حرام كمعاملتهم بل أشد. أما القضاة، فلأنهم يأخذون من أموالهم الحرام الصريح ويكثرون جمعهم ويغرون الخلق بزيهم فإنهم على زي العلماء ويختلطون بهم ويأخذون من أموالهم والطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بذوي الجاه والحشمة. فهم سبب انقياد الخلق إليهم. وأما الخدم والحشم فأكثر أموالهم من الغصب الصريح ولا يقع في أيديهم مال مصلحة وميراث وجزية ولا وجه حلال حتى تضعف الشبهة باختلاط الحلال بمالهم. قال طاوس: لا أشهد عندهم وإن تحققت لأني أخاف تعديهم على من شهدت عليه. وبالجملة، إنما فسدت الرعية بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد الملوك خوفًا من إنكارهم. ولذلك قال ﷺ: «لاَ تَزَالُ هذِهِ الأُمَّةُ تَحْتَ يَدِي الله وَكَنَفِهِ مَا لَمْ يُمَالِىءْ قُرَّاؤُهَا أُمَرَاءَهَا»(١). وإنما ذكر القرّاء لأنهم كانوا هم العلماء وإنما كان علمهم بالقرآن ومعانيه المفهومة بالسنة. وما وراء ذلك من العلوم فهي محدثة بعدهم. وقد قال سفيان:

لا تخالط السلطان ولا من يخالطه. وقال صاحب القلم وصاحب الدواة وصاحب القرطاس وصاحب الليطة بعضهم شركاء بعض. وقد صدق فإنّ رسول الله ﷺ لعن في الخمر عشرة حتى العاصر والمعتصر(٢) وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «آكِلُ الرِّبَا وَمُوكِلُهُ وَشَاهِدَاهُ وَكَاتِبُهُ

---

(١) حديث «لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكنفه ما لم يمالئ قراؤها أمراءها». أخرجه أبو عمرو الداني في كتاب الفتن من رواية الحسن مرسلا ورواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي وابن عمر بلفظ «ما لم يعظم أبرارها فجارها ويداهن خيارها شرارها» وإسنادهما ضعيف.

(٢) حسن صحيح: حديث «أن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم لعن في الخمر عشرة حتى العاصر والمعتصر». أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أنس قال الترمذي حديث غريب. [الترمذي: ١٢٩٥، وابن ماجه: ٣٣٨١، وانظر صحيح الترغيب: ٢٣٥٧].

مَلْعُونُونَ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ »[١] . وكذا رواه جابر وعمر عن رسول الله ﷺ[٢] وقال ابن سيرين: لا تحمل للسلطان كتابًا حتى تعلم ما فيه، وامتنع سفيان رحمه الله من مناولة الخليفة في زمانه دواة بين يديه وقال: حتى أعلم ما تكتب بها فكل من حواليهم من خدمهم وأتباعهم ظلمة مثلهم يجب بغضهم في الله جميعًا.

وروي عن عثمان بن زائدة أنه سأله رجل من الجند وقال: أين الطريق؟ فسكت وأظهر الصمم وخاف أن يكون متوجهًا إلى ظلم فيكون هو بإرشاده إلى الطريق معينًا. وهذه المبالغة لم تنقل عن السلف مع الفساق من التجار والحاكة والحجامين وأهل الحمامات والصاغة والصباغين وأرباب الحرف مع غلبة الكذب والفسق عليهم، بل مع الكفار من أهل الذمة، وإنما هذا في الظلمة خاصة الآكلين لأموال اليتامى والمساكين والمواظبين على إيذاء المسلمين الذين تعاونوا على طمس رسوم الشريعة وشعائرها. وهذا لأن المعصية تنقسم إلى لازمة ومتعدّية، والفسق لازم لا يتعدّى، وكذا الكفر وهو جناية على حق الله تعالى وحسابه على الله وأما معصية الولاة بالظلم وهو متعدّ فإنما يغلظ أمرهم لذلك وبقدر عموم الظلم وعموم التعدّي يزدادون عند الله مقتًا فيجب أن يزداد منهم اجتنابًا ومن معاملتهم احترازًا فقد قال ﷺ: «يُقَالُ لِلشُّرْطِيِّ دَعْ سَوْطَكَ وَادْخُلِ النَّارَ»[٣] . وقال ﷺ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ رِجَالٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ البَقَرِ»[٤] ، فهذا حكمهم ومن عرف بذلك منهم فقد عرف ومن لم يعرف فعلامته القباء وطول الشوارب وسائر الهيئات المشهورة. فمن رئي على تلك الهيئة تعين اجتنابه ولا يكون ذلك من سوء الظن لأنه الذي جنى على نفسه إذ تزيا بزيهم، ومساواة الزي

---

(١) صحيح: حديث ابن مسعود «آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه ملعونون على لسان محمد ﷺ». رواه مسلم وأصحاب السنن واللفظ للنسائي دون قوله «وشاهده» ولأبي داود «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه» قاله الترمذي وصححه وابن ماجه «وشاهديه».[مسلم : ١٥٩٧، وأبو داود : ٣٣٣٣، والترمذي : ١٢٠٦، والنسائي : ٣٤١٦، وابن ماجه: ٢٢٧٧].

(٢) صحيح: حديث جابر «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه قال هم سواء». أخرجه مسلم من حديثه، وأما حديث عمر فأشار إليه الترمذي بقوله وفي الباب ولابن ماجه من حديثه «إن آخر ما أنزلت آية الربا أن رسول اله ﷺ مات ولم يفسرها فدعوا الربا والريبة». وهو من رواية ابن المسيب عنه والجمهور أنه لم يسمع منه. [حديث «لعن رسول الله ﷺ آكل ....» عند مسلم : ١٥٩٨ عن جابر، والترمذي : ١٢٠٦ عن عمر، وحديث «إن آخر...» عند ابن ماجه : ٢٢٧٦، وانظر صحيح ابن ماجه].

(٣) حديث «يقال للشرطي دع سوطك وادخل النار». أخرجه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف.

(٤) صحيح: حديث «من أشراط الساعة رجال معهم أسياط كأذناب البقر». أخرجه أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث أبي أمامة «يكون في آخر الزمان رجال معهم سياط كأنها أذناب البقر... الحديث» ولمسلم من حديث أبي هريرة «يوشك إن طالت بك مدة أن ترى قوما في أيديهم مثل أذناب البقر» وفي رواية له صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر... الحديث».[حديث «يكون في آخر . . . .» عند أحمد : ٢١٦٤٦ وانظر السلسلة الصحيحة : ١٨٩٣، وحديث «يوشك إن. . . .» عند مسلم : ٢٨٥٧، وحديث «صنفان من . . . .» عند مسلم : ٢١٢٨].

تدل على مساواة القلب ولا يتجانن إلا مجنون ولا يتشبه بالفساق إلا فاسق، نعم الفاسق قد يلتبس فيتشبه بأهل الصلاح فأما الصالح فليس له أن يتشبه بأهل الفساد لأن ذلك تكثير لسوادهم، وإنما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء:٩٧] في قوم من المسلمين كانوا يكثرون جماعة المشركين بالمخالطة، وقد روي أن الله تعالى أوحى إلى يوشع بن نون إني مهلك من قومك أربعين ألفًا من خيارهم وستين ألفًا من شرارهم، فقال: ما بال الأخيار؟ قال: إنهم لا يغضبون لغضبي فكانوا يؤاكلونهم ويشاربونهم. وبهذا يتبين أن بعض الظلمة والغضب لله عليهم واجب، وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ «إِنَّ الله لَعَنَ عُلَمَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ خَالَطُوا الظَّالِمِينَ فِي مَعَاشِهِمْ» (١).

مسألة: المواضع التي بناها الظلمة كالقناطر والرباطات والمساجد والسقايات ينبغي أن يحتاط فيها وينظر. أما القنطرة فيجوز العبور عليها للحاجة، والورع الاحتراز ما أمكن وإن وجد عنه معدلًا تأكد الورع. وإنما جوّزنا العبور وإن وجد معدلًا لأنه إذا لم يعرف لتلك الأعيان مالكًا كان حكمها أن ترصد للخيرات وهذا خير، فأما إذا عرف أن الآجر والحجر قد نقل من دار معلومة أو مقبرة أو مسجد معين فهذا لا يحل العبور عليه أصلًا إلا لضرورة يحل بها مثل ذلك من مال الغير، ثم يجب عليه الاستحلال من المالك الذي يعرفه. وأما المسجد فإن بني في أرض مغصوبة أو بخشب مغصوب من مسجد آخر أو ملك معين فلا يجوز دخوله أصلًا ولا للجمعة بل لو وقف الإمام فيه فليصل هو خلف الإمام وليقف خارج المسجد فإن الصلاة في الأرض المغصوبة تسقط الفرض وتنعقد في حق الاقتداء، فلذلك جوّزنا للمقتدي الاقتداء بمن صلى في الأرض المغصوبة وإن عصى صاحبه بالوقوف في الغصب. وإن كان من مال لا يعرف مالكه فالورع العدول إلى مسجد آخر إن وجد فإن لم يجد غيره فلا يترك الجمعة والجماعة به لأنه يحتمل أن يكون من الملك الذي بناه ولو على بعد وإن لم يكن له مالك معين فهو لمصالح المسلمين. ومهما كان في المسجد الكبير بناء لسلطان ظالم فلا عذر لمن يصلي فيه مع اتساع المسجد، أعني في الورع، قيل لأحمد بن حنبل: ما حجتك في ترك الخروج إلى الصلاة في جماعة ونحن بالعسكر؟ فقال: حجتي أن الحسن وإبراهيم التيمي خافا أن يفتنهما الحجاج وأنا أخاف أن أفتن أيضًا. وأما الخلوق والتجصيص فلا يمنع من الدخول لأنه غير منتفع به في الصلاة وإنما هو زينة والأولى أنه لا ينظر إليه، وأما البواري التي فرشوها

---

(١) ضعيف: حديث ابن مسعود «لعن الله علماء بني إسرائيل إذ خالطوا الظالمين في معايشهم». أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه «قال رسول الله ﷺ وقعت بنو إسرائيل في المعاصي: نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم» لفظ الترمذي وقال حسن غريب. [الترمذي: ٣٠٤٧، وأبو داود: ٤٣٣٦، وابن ماجه: ٤٠٠٦، وانظر ضعيف الترغيب: ١٣٨٨].

فإن كان لها مالك معين فيحرم الجلوس عليها وإلا فبعد أن أرصدت لمصلحة عامة جاز افتراشها، ولكن الورع العدول عنها فإنها محل شبهة. وأما السقاية فحكمها ما ذكرناه وليس من الورع الوضوء والشرب منها والدخول إليها إلا إذا كان يخاف فوات الصلاة فيتوضأ وكذا مصانع طريق مكة.

وأما الرباطات والمدارس فإن كانت رقبة الأرض مغصوبة أو الآجر منقولًا من موضع معين يمكن الرد إلى مستحقه فلا رخصة للدخول فيه وإن التبس المالك فقد أرصد لجهة من الخير، والورع اجتنابه ولكن لا يلزم الفسق بدخوله. وهذه الأبنية إن أرصدت من خدم السلاطين فالأمر فيها أشدّ إذ ليس لهم صرف الأموال الضائعة إلى المصالح ولأن الحرام أغلب على أموالهم إذ ليس لهم أخذ مال المصالح وإنما يجوز ذلك للولاة وأرباب الأمر.

مسألة: الأرض المغصوبة إذا جعلت شارعًا لم يجز أن يتخطى فيه البتة وإن لم يكن له مالك معين جاز، والورع العدول إن أمكن، فإن كان الشارع مباحًا وفوقه ساباط جاز العبور وجاز الجلوس تحت الساباط على وجه لا يحتاج فيه إلى السقف كما يقف في الشارع لشغل، فإذا انتفع بالسقف في دفع حر الشمس أو المطر أو غيره فهو حرام لأن السقف لا يراد إلا لذلك، وهكذا حكم من يدخل مسجدًا أو أرضًا مباحة سقف أو حوط بغصب فإنه بمجرد التخطي لا يكون منتفعًا بالحيطان والسقف إلا إذا كان له فائدة في الحيطان والسقف لحر أو برد تستر عن بصر أو غيره، فذلك حرام لأنه انتفاع بالحرام إذ لم يحرم الجلوس على الغصب لما فيه من المماسة بل للانتفاع، والأرض تراد للاستقرار عليها والسقف للاستظلال به فلا فرق بينهما.

الباب السابع في مسائل متفرقة يكثر مسيس الحاجة إليها وقد سئل عنها في الفتاوى

مسألة: سئل عن خادم الصوفية يخرج إلى السوق ويجمع طعامًا أو نقدًا ويشتري به طعامًا فمن الذي يحل له أن يأكل منه؟ وهل يختص بالصوفية أم لا؟ فقلت: أما الصوفية فلا شبهة في حقهم إذا أكلوه وأما غيرهم فيحل لهم إذا أكلوه برضا الخادم ولكن لا يخلو عن شبهة، أما الحل فلأن ما يعطى خادم الصوفية إنما يعطى بسبب الصوفية وله أن يطعم غير العيال إذ يبعد أن يقال لم يخرج عن ملك المعطي ولا يتسلط الخادم على الشراء به والتصرف فيه؟ لأن ذلك مصير إلى أن المعاطاة لا تكفي وهو ضعيف، ثم لا صائر إليه في الصدقات والهدايا، ويبعد أن يقال زال الملك إلى الصوفية الحاضرين الذين هم وقت سؤاله في الخانقاه إذ لا خلاف أن له أن يطعم منه من يقدم بعدهم ولو ماتوا كلهم أو واحد منهم لا يجب صرف نصيبه إلى وارثه، ولا يمكن أن يقال إنه وقع لجهة التصوّف ولا يتعين له مستحق لأن إزالة الملك إلى الجهة لا توجب تسليط الآحاد على التصرف فإن الداخلين فيه لا ينحصرون بل يدخل فيه من يولد إلى

يوم القيامة، وإنما يتصرف فيه الولاة، والخادم لا يجوز له أن ينتصب نائبًا عن الجهة فلا وجه إلا أن يقال هو ملكه وإنما يطعم الصوفية بوفاء شرط التصوّف والمروءة فإن منعهم عنه منعوه عن أن يظهر نفسه في معرض التكفل بهم حتى ينقطع وقفه كما ينقطع عمن مات عياله.

مسألة: سئل عن مال أوصى به للصوفية فمن الذي يجوز أن يصرف إليه؟ فقلت: التصوّف أمر باطن لا يطلع عليه ولا يمكن ضبط الحكم بحقيقته بل بأمور ظاهرة يعول عليها أهل العرف في إطلاق اسم الصوفي، والضابط الكلي أن كل من هو بصفة إذا نزل في خانقاه الصوفية لم يكن نزوله فيها واختلاطه بهم منكرًا عندهم فهو داخل في غمارهم. والتفصيل أن يلاحظ فيه خمس صفات الصلاح والفقر وزي الصوفية وأن لا يكون مشتغلًا بحرفة وأن يكون مخالطًا لهم بطريق المساكنة في الخانقاه. ثم بعض هذه الصفات مما يوجب زوالها زوال الاسم وبعضها ينجبر بالبعض فالفسق يمنع هذا الاستحقاق لأن الصوفي بالجملة عبارة عن رجل من أهل الصلاح بصفة مخصوصة، فالذي يظهر فسقه وإن كان على زيهم لا يستحق ما أوصى به للصوفية ولسنا نعتبر فيه الصغائر.

وأما الحرفة والاشتغال بالكسب فإنه يمنع هذا الاستحقاق فالدهقان والعامل والتاجر والصانع في حانوته أو داره والأجير الذي يخدم بأجرة كل هؤلاء لا يستحقون ما أوصى به للصوفية ولا ينجبر هذا بالزي والمخالطة، فأما الوراقة والخياطة وما يقرب منهما مما يليق بالصوفية تعاطيها، فإذا تعاطاها لا في حانوت ولا على جهة اكتساب وحرفة فذلك لا يمنع الاستحقاق وكان ذلك ينجبر بمساكنته إياهم مع بقية الصفات، وأما القدرة على الحرف من غير مباشرة لا تمنع، وأما الوعظ والتدريس فلا ينافي اسم التصوف إذا وجدت بقية الخصال من الزي والمساكنة والفقر إذ لا يتناقض أن يقال صوفي مقرىء وصوفي واعظ وصوفي عالم أو مدرس، ويتناقض أن يقال صوفي دهقان وصوفي تاجر وصوفي عامل، وأما الفقر فإن زال بغنى مفرط ينسب الرجل إلى الثروة الظاهرة فلا يجوز معه أخذ وصية الصوفية، وإن كان له مال ولا يفي دخله بخرجه لم يبطل حقه، وكذا إذا كان له مال قاصر عن وجوب الزكاة وإن لم يكن له خرج وهذه أمور لا دليل لها إلا العادات. وأما المخالطة لهم ومساكنتهم فلها أثر ولكن من لا يخالطهم وهو في داره أو في مسجد على زيهم ومتخلق بأخلاقهم فهو شريك في سهمهم وكأن ترك المخالطة يجبرها ملازمة الزي فإن لم يكن على زيهم ووجد فيه بقية الصفات فلا يستحق إلا إذا كان مساكنًا لهم في الرباط فينسحب عليه حكمهم بالتبعية. فالمخالطة والزي ينوب كل واحد منهما عن الآخر. والفقيه الذي ليس على زيهم هذا حكمه فإن كان خارجًا لم يعدّ صوفيًا وإن كان ساكنًا معهم ووجدت بقية الصفات لم يبعد أن ينسحب بالتبعية عليه حكمهم. وأما لبس المرقعة من يد شيخ من مشايخهم فلا يشترط ذلك في الاستحقاق، وعدمه لا يضره مع وجود الشرائط المذكورة. وأما المتأهل المتردد بين الرباط والمسكن فلا يخرج

بذلك عن جملتهم.

مسألة : ما وقف على رباط الصوفية وسكانه فالأمر فيه أوسع مما أوصى لهم به لأن معنى الوقف الصرف إلى مصالحهم، فلغير الصوفي أن يأكل معهم برضاهم على مائدتهم مرة أو مرتين فإن أمر الأطعمة مبناه على التسامح حتى جاز الانفراد بها في الغنائم المشتركة وللقوال أن يأكل معهم في دعوتهم من ذلك الوقف وكان ذلك من مصالح معايشهم، وما أوصى به للصوفية لا يجوز أن يصرف إلى قوال الصوفية بخلاف الوقف، وكذلك من أحضروه من العمال والتجار والقضاة والفقهاء ممن لهم غرض في استمالة قلوبهم يحل لهم الأكل برضاهم، فإن الواقف لا يقف إلا معتقدًا فيه ما جرت به عادات الصوفية فينزل على العرف ولكن ليس هذا على الدوام، فلا يجوز لمن ليس صوفيًا أن يسكن معهم على الدوام ويأكل وإن رضوا به إذ ليس لهم تغيير شرط الواقف بمشاركة غير جنسهم. وأما الفقيه إذا كان على زيهم وأخلاقهم فله النزول عليهم، وكونه فقيهًا لا ينافي كونه صوفيًا، والجهل ليس بشرط في التصوف عند من يعرف التصوف، ولا يلتفت إلى خرافات بعض الحمقى بقولهم: إن العلم حجاب فإن الجهل هو الحجاب. وقد ذكرنا تأويل هذه الكلمة في كتاب العلم، وأن الحجاب هو العلم المذموم دون المحمود، وذكرنا المحمود والمذموم وشرحهما. وأما الفقيه إذا لم يكن على زيهم وأخلاقهم فلهم منعه من النزول عليهم فإن رضوا بنزوله فيحل له الأكل معهم بطريق التبعية فكان عدم الزي تجبره المساكنة ولكن برضا أهل الزي، وهذه أمور تشهد لها العادات ومنها أمور متقابلة لا يخفى أطرافها في النفي والإثبات ومتشابه أوساطها فمن احترز في مواضع الاشتباه فقد استبرأ لدينه كما نبهنا عليه في أبواب الشبهات.

مسألة : سئل عن الفرق بين الرشوة والهدية مع أن كل واحد منهما يصدر عن الرضا ولا يخلو عن غرض وقد حرمت إحداهما دون الأخرى. فقلت: باذل المال لا يبذله قط إلا لغرض، ولكن الغرض إما آجل كالثواب وإما عاجل، والعاجل إما مال وإما فعل وإعانة على مقصود معين وإما تقرب إلى قلب المهدي إليه بطلب محبته إما للمحبة في عينها وإما للتوصل بالمحبة إلى غرض وراءها فالأقسام الحاصلة من هذه خمسة:

الأول : ما غرضه الثواب في الآخرة وذلك إما أن يكون لكون المصروف إليه محتاجًا أو عالمًا أو منتسبًا بنسب ديني أو صالحًا في نفسه متدينًا. فما علم الآخذ أنه يعطاه لحاجته لا يحل له أخذه إن لم يكن محتاجًا، وما علم أنه يعطاه لشرف نسبه لا يحل له إن علم أنه كاذب في دعوى النسب، وما يعطى لعلمه فلا يحل له أن يأخذه إلا أن يكون في العلم كما يعتقده المعطي، فإن كان خيل إليه كمالًا في العلم حتى بعثه بذلك على التقرب ولم يكن كاملًا لم يحل له، وما يعطى لدينه وصلاحه لا يحل له أن يأخذه إن كان فاسقًا في الباطن فسقًا لو علمه المعطي ما أعطاه. وقلما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لبقيت القلوب مائلة إليه وإنما

ستر الله الجميل هو الذي يحبب الخلق إلى الخلق. وكان المتورعون يوكلون في الشراء من لا يعرف أنه وكيلهم حتى لا يتسامحوا في المبيع خيفة من أن يكون ذلك أكلًا بالدين فإن ذلك مخطر والتقي خفي لا كالعلم والنسب والفقر فينبغي أن يجتنب الأخذ بالدين ما أمكن.

القسم الثاني: ما يقصد به في العاجل غرض معين كالفقير يهدي إلى الغني طمعًا في خلعته فهذه هبة بشرط الثواب لا يخفى حكمها وإنما تحل عند الوفاء بالثواب المطموع فيه وعند وجود شروط العقود.

الثالث: أن يكون المراد إعانة بفعل معين كالمحتاج إلى السلطان يهدي إلى وكيل السلطان وخاصته ومن له مكانة عنده فهذه هدية بشرط ثواب يعرف بقرينة الحال، فلينظر في ذلك العمل الذي هو الثواب فإن كان حرامًا كالسعي في تنجيز إدرار حرام أو ظلم إنسان أو غيره حرم الأخذ، وإن كان واجبًا كدفع ظلم متعين على كل من يقدر عليه أو شهادة متعينة فيحرم عليه ما يأخذه وهي الرشوة التي لا يشك في تحريمها، وإن كان مباحًا لا واجبًا ولا حرامًا وكان فيه تعب بحيث لو عرف لجاز الاستئجار عليه فما يأخذه حلال مهما وفى بالغرض، وهو جار مجرى الجعالة كقوله: أوصل هذه القصة إلى يد فلان أو يد السلطان ولك دينار وكان بحيث يحتاج إلى تعب وعمل متقوّم، أو قال اقترح على فلان أن يعينني في غرض كذا أو ينعم عليّ بكذا وافتقر في تنجيز غرضه إلى كلام طويل، فذلك جعل كما يأخذه الوكيل بالخصومة بين يدي القاضي فليس بحرام إذا كان لا يسعى في حرام، وإن كان مقصوده يحصل بكلمة لا تعب فيها ولكن تلك الكلمة من ذي الجاه أو تلك الفعلة من ذي الجاه تفيد كقوله للبواب لا تغلق دونه باب السلطان أو كوضعه قصة بين يدي السلطان فقط، فهذا حرام لأنه عوض من الجاه، ولم يثبت في الشرع جواز ذلك بل ثبت ما يدل على النهي عنه ـ كما سيأتي في هدايا الملوك ـ وإذا كان لا يجوز العوض عن إسقاط الشفعة والرد بالعيب ودخول الأغصان في هواء الملك وجملة من الأغراض مع كونها مقصودة فكيف يؤخذ عن الجاه؟ ويقرب من هذا أخذ الطبيب العوض على كلمة واحدة ينبه بها على دواء ينفرد بمعرفته كواحد ينفرد بالعلم بنبت يقلع البواسير أو غيره فلا يذكره إلا بعوض فإن عمله بالتلفظ به غير متقوم كحبة من سمسم فلا يجوز أخذ العوض عليه ولا على علمه، إذ ليس ينتقل علمه إلى غيره وإنما يحصل لغيره مثل علمه ويبقى هو عالمًا به، ودون هذا: الحاذق في الصناعة كالصيقلي مثلًا الذي يزيل اعوجاج السيف أو المرآة بدقة واحدة لحسن معرفته بموضع الخلل، ولحذقه بإصابته فقد يزيد بدقة واحدة مال كثير في قيمة السيف والمرآة فهذا لا أرى بأسًا بأخذ الأجرة عليه، لأن مثل هذه الصناعات يتعب الرجل في تعلمها ليكتسب بها ويخفف عن نفسه كثرة العمل.

الرابع: ما يقصد به المحبة وجلبها من قبل المهدي إليه لا لغرض معين ولكن طلبًا

للاستئناس وتأكيدًا للصحبة وتوددًا إلى القلوب فذلك مقصود للعقلاء ومندوب إليه في الشرع. قال ﷺ: «تَهَادُوا تَحَابُّوا»(١) ، وعلى الجملة فلا يقصد الإنسان في الغالب أيضًا محبة غيره لعين المحبة بل لفائدة في محبته ولكن إذا لم تتعين تلك الفائدة ولم يتمثل في نفسه غرض معين يبعثه في الحال أو المآل سمي ذلك هدية وحل أخذها.

الخامس: أن يطلب التقرب إلى قلبه وتحصيل محبته لا لمحبته ولا للأنس به من حيث إنه أنس فقط بل ليتوصل بجاهه إلى أغراض له ينحصر جنسها وإن لم ينحصر عينها وكان لولا جاهه وحشمته لكان لا يهدي إليه، فإن كان جاهه لأجل علم أو نسب فالأمر فيه أخف وأخذه مكروه فإن فيه مشابهة الرشوة ولكنها هدية في ظاهرها، فإن كان جاهه بولاية تولاها من قضاء أو عمل أو ولاية صدقة أو جباية مال أو غيره من الأعمال السلطانية حتى ولاية الأوقاف مثلًا، وكان لولا تلك الولاية لكان لا يهدي إليه فهذه رشوة عرضت في معرض الهدية إذ القصد بها في الحال طلب التقرّب واكتساب المحبة ولكن الأمر ينحصر في جنسه إذ ما يمكن التوصل إليه بالآيات لا يخفى وآية أنه لا يبغي المحبة أنه لو ولى في الحال غيره لسلم المال إلى ذلك الغير، فهذا مما اتفقوا على أن الكراهة فيه شديدة واختلفوا في كونه حرامًا، والمعنى فيه متعارض فإنه دائر بين الهدية المحضة وبين الرشوة المبذولة في مقابلة جاه في غرض معين، وإذا تعارضت المشابهة القياسية وعضدت الأخبار والآثار أحمدهما تعين الميل إليه، وقد دلت الأخبار على تشديد الأمر في ذلك قال ﷺ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُسْتَحَلُّ فِيهِ السُّحْتُ بِالهَدِيَّةِ وَالقَتْلِ بِالمَوْعِظَةِ يُقْتَلُ البَرِيءُ لِتُوعَظَ بِهِ العَامَّةُ»(٢) ، وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن السحت فقال: يقضي الرجل الحاجة فتهدى له الهدية ولعله أراد قضاء الحاجة بكلمة لا تعب فيها أو تبرع بها لا على قصد أجرة، فلا يجوز أن يأخذ بعده شيئًا في معرض العوض، شفع مسروق شفاعة فأهدى إليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال: لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا أتكلم فيما بقي منها. وسئل طاوس عن هدايا السلطان فقال: سحت. وأخذ عمر رضي الله عنه ربح مال القراض الذي أخذه ولداه من بيت المال وقال: إنما أعطيتما لمكانكما مني إذ علم أنهما أعطيا لأجل جاه الولاية.

وأهدت امرأة أبي عبيدة بن الجراح إلى خاتون ملكة الروم خلوقًا فكافأتها بجوهر فأخذه عمر رضي الله عنه فباعه وأعطاها ثمن خلوقها ورد باقيه إلى بيت مال المسلمين. وقال جابر

---

٢ الباب السابع: في مسائل متفرقة

(١) حسن: حديث «تهادوا تحابوا». أخرجه البيهقي من حديث أبي هريرة، وضعفه ابن عدي. [انظر إرواء الغليل : ١٦٠١].

(٢) حديث «يأتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة، يقتل البريء ليوعظ به العامة». لم أقف له على أصل.

وأبو هريرة رضي الله عنهما: هدايا الملوك غلول. ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية قيل له: «كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية[١] فقال: كان ذلك له هدية وهو لنا رشوة» . ـ أي كان يتقرّب إليه لنبوته لا لولايته ونحن إنما نعطى للولاية. وأعظم من ذلك كله ما روى أبو حميد الساعدي «أن رسول الله ﷺ بعث واليًا على صدقات الأزد فلما جاء إلى رسول الله ﷺ أمسك بعض ما معه وقال: هذا لكم وهذا لي هدية، فقال عليه السلام: «أَلاَ جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَبَيْتِ أُمِّكَ حَتَّى تَأْتِيكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا» ، ثم قال: «مَا لِي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ فَيَقُولُ: هذَا لَكُمْ وَهذَا لِي هَدِيَّةٌ أَلا جَلَسَ فِي بَيْتِ أُمِّهِ لِيُهْدَى لَهُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَأْخُذُ مِنْكُمْ أَحَدٌ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلاَّ أَتَى الله يَحْمِلُهُ فَلاَ يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ بِبَعِيرٍ لَهُ رُغَاءٌ أَوْ بَقَرَةٍ لَهَا خُوَارٌ أَوْ شَاةٍ تَيْعَرُ» ، ثم رفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ»[٢] .

وإذا ثبتت هذه التشديدات فالقاضي والولي ينبغي أن يقدر نفسه في بيت أمه وأبيه فما كان يعطى بعد العزل وهو في بيت أمه يجوز له أن يأخذه في ولايته، وما يعلم أنه، إنما يعطاه لولايته فحرام أخذه، وما أشكل عليه في هدايا أصدقائه أنهم هل كانوا يعطونه لو كان معزولاً؟ فهو شبهة فليجتنبه.

تم كتاب الحلال والحرام بحمد الله ومنه وحسن توفيقه والله أعلم

* * *

(١) صحيح: حديث «كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية». أخرجه البخاري من حديث عائشة. [البخاري : ٢٥٨٥].

(٢) صحيح: حديث أبي حميد الساعدي «أن رسول الله ﷺ بعث واليا إلى صدقات الأزد فلما جاء إلى رسول الله ﷺ أمسك بعض ما معه وقال: هذا لكم وهذا لي هدية، فقال عليه السلام: ألا جلست في بيت أبيك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا ثم قال: ما لي أستعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم وهذا لي هدية ألا جلس في بيت أمه ليهدى له والذي نفسي بيده لا يأخذ منكم أحد شيئا بغير حقه إلا أتى الله يحمله فلا يأتين أحدكم يوم القيامة ببعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر، ثم رفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال: اللهم هل بلغت». متفق عليه. [البخاري : ٢٥٩٧، ومسلم : ١٨٣٢].

كتاب آداب الألفة والأخوة

والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق

وهو الكتاب الخامس من ربع العادات الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص طولًا وامتنانًا. وألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانًا. ونزع الغل من صدورهم فظلوا في الدنيا أصدقاء وأخدانًا. وفي الآخرة رفقاء وخلانًا.

والصلاة والسلام على محمد المصطفى وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولًا وفعلًا وعدلًا وإحسانًا.

أما بعد: فإنّ التحاب في الله تعالى والأخوة في دينه من أفضل القربات، وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات. ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين في الله تعالى وفيها حقوق بمراعاتها تصفو الأخوة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان، فبالقيام بحقوقها يتقرّب إلى الله زلفى وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى، ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب في ثلاثة أبواب:

الباب الأول: في فضيلة الألفة والأخوة في الله تعالى وشروطها ودرجاتها وفوائدها.

الباب الثاني: في حقوق الصحبة وآدابها وحقيقتها ولوازمها.

الباب الثالث: في حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من قد بلي بهذه الأسباب.

الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها

فضيلة الألفة والأخوة:

اعلم أن الألفة ثمرة حسن الخلق، والتفرّق ثمرة سوء الخلق. فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر، ومهما كان المثمر محمودًا كانت الثمرة محمودة. وحسن الخلق لا تخفى في الدين فضيلته وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيه عليه السلام إذ قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وقال النبي ﷺ: «أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ تَقْوَى الله وَحُسْنُ الخُلُقِ»(١)، وقال أسامة بن شريك: قلنا يا رسول الله ما خير ما

٢ الباب الأول: في فضيلة الألفة والأخوة

(١) حسن: حديث «أول ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق». أخرجه الترمذي والحاكم من حديث أبي

أعطي الإنسان؟ فقال: «خُلُقٌ حَسَنٌ»(١) وقال ﷺ: «بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَحَاسِنَ الأَخْلاَقِ»(٢) ، وقال ﷺ: «أَثْقَلُ مَا يُوضَعُ فِي المِيزَانِ خُلُقٌ حَسَنٌ»(٣) وقال ﷺ: «مَا حَسَّنَ الله خُلُقَ امْرِىءٍ وَخَلْقَهُ فَيُطْعِمهُ النَّار»(٤) وقال ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ عَلَيْكَ بِحُسْنِ الخُلُقِ» ، قال أبو هريرة رضي الله عنه: وما حسن الخلق يا رسول الله؟ قال: «تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ»(٥) ، ولا يخفى أن ثمرة الخلق الحسن الألفة وانقطاع الوحشة ومهما طاب المثمر طابت الثمرة، وكيف وقد ورد في الثناء على نفس الألفة سيما إذا كانت الرابطة هي التقوى والدين وحب الله من الآيات والأخبار والآثار ما فيه كفاية ومقنع، قال الله تعالى مظهرًا عظيم منته على الخلق بنعمة الألفة: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال :٦٣] وقال: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران :١٠٣] أي بالألفة، ثم ذم التفرقة وزجر عنها فقال عز من قائل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران :١٠٣] إلى ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ وقال ﷺ: «إِنَّ أَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقًا المُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ»(٦) وقال ﷺ: «المُؤْمِنُ إِلْفٌ مَأْلُوفٌ وَلاَ خَيْرَ فِيمَنْ لاَ يَأْلَفُ وَلاَ يُؤْلَفُ»(٧) وقال ﷺ في الثناء على الأخوة في الدين: «مَنْ أَرَادَ الله بِهِ خَيْرًا رَزَقَهُ خَلِيلًا صَالِحًا إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ»(٨) ، وقال ﷺ: «مَثَلُ الأَخَوَيْنِ إِذَا الْتَقَيَا مَثَلُ اليَدَيْنِ تَغْسِلُ

هريرة وقال: صحيح الإسناد وقد تقدم. [الترمذي : ٢٠٠٤، وانظر صحيح الترغيب : ١٧٢٣].

(١) صحيح: حديث أسامة بن شريك: يا رسول الله، ما خير ما أعطي الإنسان؟ قال «خلق حسن». أخرجه ابن ماجه بإسناد صحيح. [ابن ماجه : ٣٤٣٦، وانظر صحيح الترغيب ٢٦٥٢].

(٢) حديث «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». رواه أحمد والبيهقي والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة. [أحمد : ٨٧٢٩، وانظر السلسلة الصحيحة: ٤٥].

(٣) صحيح: حديث «أثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن». أخرجه أبو داود والترمذي من حديث أبي الدرداء وقال: حسن صحيح. [أبو داود : ٤٧٩٩، والترمذي : ٢٠٠٢، وانظر صحيح الترغيب : ٢٦٤١].

(٤) ضعيف: حديث «ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار». أخرجه ابن عدي والطبراني في مكارم الأخلاق وفي الأوسط، والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة. قال ابن عدي: في إسناده بعض النكرة. [انظر ضعيف الترغيب : ١٦٠٠].

(٥) ضعيف جداً: حديث «يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق» قال: وما حسن الخلق؟ قال «تصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك». رواه البيهقي في الشعب من رواية الحسن عن أبي هريرة ولم يسمع منه. [انظر ضعيف الترغيب : ١٤٩٥ بنحوه].

(٦) حسن: حديث «إن أقربكم مني مجلسا أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون». رواه الطبراني في مكارم الأخلاق من حديث جابر بسند ضعيف. [انظر صحيح الترغيب : ٢٦٥٨].

(٧) صحيح: حديث «المؤمن إلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف». رواه أحمد والطبراني من حديث سهل بن سعد، والحاكم من حديث أبي هريرة وصححه. [أحمد : ٢٢٣٣٣، وانظر صحيح الجامع : ٦٦٦١].

(٨) حديث «من أراد الله به خيرا رزقه أخا صالحا إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه». غريب بهذا اللفظ، والمعروف أن ذلك في الأمير، ورواه أبو داود من حديث عائشة «إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه... الحديث» ضعفه ابن عدي، ولأبي عبد الرحمن السلمي في آداب الصحبة من حديث علي

إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَمَا الْتَقَى مُؤْمِنَانِ قَطُّ إِلاَّ أَفَادَ الله أَحَدَهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ خَيْرًا»(١) وقال عليه السلام في الترغيب في الأخوّة في الله: «مَنْ آخَى أَخًا فِي الله رَفَعَهُ الله دَرَجَةً فِي الجَنَّةِ لاَ يَنَالُهَا بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ»(٢) ، وقال أبو إدريس الخولاني لمعاذ: إني أحبك في الله، فقال له: أبشر ثم أبشر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُنْصَبُ لِطَائِفَةٍ مِنَ النَّاسِ كَرَاسِيُّ حَوْلَ العَرْشِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وُجُوهُهُمْ كَالقَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، يَفْزَعُ النَّاسُ وَهُمْ لاَ يَفْزَعُونَ وَيَخَافُ النَّاسُ وَهُمْ لاَ يَخَافُونَ وَهُمْ أَوْلِيَاءُ الله الَّذِينَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ» ، فقيل: من هؤلاء يا رسول الله؟ فقال: «هُمُ المُتَحَابُّونَ فِي الله تَعَالَى»(٣) ، ورواه أبو هريرة رضي الله عنه وقال فيه: «إِنَّ حَوْلَ العَرْشِ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ عَلَيْهَا قَوْمٌ لِبَاسُهُمْ نُورٌ وَوُجُوهُهُمْ نُورٌ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ» ، فقالوا: يا رسول الله صفهم لنا، فقال: «هُمُ المُتَحَابُّونَ فِي الله وَالمُتَجَالِسُونَ فِي الله وَالمُتَزَاوِرُونَ فِي الله»(٤) ، وقال ﷺ: «مَا تَحَابَّ اثْنَانِ فِي الله إِلاَّ كَانَ

«من سعادة المرء أن يكون إخوانه صالحين».[وحديث «إذا أراد . . . . . .» عند أبي داود : ٢٩٣٢، وانظر صحيح الترغيب: ٢٢٩٦، وحديث «من سعادة . . .» انظر ضعيف الجامع: ٧٥٩، وقال الألباني: ضعيف جداً].

(١) ضعيف: حديث «مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى وما التقى مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرا». رواه السلمي في آداب الصحبة، وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس، وفيه أحمد بن محمد بن غالب الباهلي كذاب، وهو من قول سلمان الفارسي في الأول من الحزبيات. [انظر ضعيف الترغيب : ١٦٢٥ بنحوه].

(٢) ضعيف جداً: حديث «من آخى أخا في الله عز وجل رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله». أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الأخوان من حديث أنس «ما أحدث عبد أخا في الله إلا أحدث الله له درجة في الجنة» وإسناده ضعيف. [انظر السلسلة الضعيفة: ٤٤١٢].

(٣) حديث قال أبو إدريس الخولاني لمعاذ: إني أحبك في الله فقال: أبشر ثم أبشر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول «تنصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر، يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فقيل: من هؤلاء يا رسول الله؟ فقال هم المتحابون في الله تعالى». أخرجه أحمد والحاكم في حديث طويل: أن أبا إدريس قال: قلت والله إني لأحبك في الله قال فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن المتحابين بجلال الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله» قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين، وهو عند الترمذي من رواية أبي مسلم الخولاني عن معاذ بلفظ «المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء» قال حديث حسن صحيح، ولأحمد من حديث أبي مالك الأشعري «إن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء على منازلهم وقربهم من الله... الحديث» وفيه «تحابوا في الله وتصافوا به يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فتجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون وهم أولياء الله الذي لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» وفيه شهر بن حوشب مختلف فيه. [حديث«إن المتحابين . . . .» عند احمد: ٢١٤٩٧، وانظر صحيح الترغيب : ٣٠١٩، وحديث «المتحابون. . .» عند الترمذي : ٢٣٩٠، وانظر صحيح الترمذي، وحديث « إن لله عباداً. . . .» عند احمد: ٢٢٣٩٩، وانظر صحيح التغيب : ٣٠٢٧].

(٤) صحيح: حديث أبي هريرة «إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء، فقالوا، يا رسول الله صفهم لنا، فقال: هم المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله». أخرجه النسائي في سننه الكبرى ورجاله ثقات. [انظر صحيح الترغيب : ٣٠٢٣].

أَحَبُّهُمَا إِلَى الله أَشَدُّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ»(١) ، ويقال: إن الأخوين في الله إذا كان أحدهما أعلى مقامًا من الآخر رفع الآخر معه إلى مقامه وإنه يلتحق به كما تلتحق الذرية بالأبوين، والأهل بعضهم ببعض لأن الأخوة إذا اكتسبت في الله لم تكن دون أخوة الولادة. قال عز وجل: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الطور:٢١] وقال ﷺ: «إِنَّ الله تَعَالَى يَقُولُ: حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَزَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِي وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَحَابُّونَ مِنْ أَجْلِي وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَبَاذَلُونَ مِنْ أَجْلِي وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَنَاصَرُونَ مِنْ أَجْلِي»(٢) وقال ﷺ: «إِنَّ الله تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ: أَيْنَ المُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِي اليَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي»(٣) . وقال ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ الله، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِالمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ يَعُودُ إِلَيْهِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَى ذلِكَ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ حَسَبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ الله تَعَالَى، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ»(٤) ، وقال ﷺ: «مَا زَارَ رَجُلٌ رَجُلاً فِي الله شَوْقًا إِلَيْهِ وَرَغْبَةً فِي لِقَائِهِ إِلاَّ نَادَاهُ مَلَكٌ مِنْ خَلْفِهِ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَطَابَتْ لَكَ الجَنَّةُ»(٥) . وقال ﷺ: «إِنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي الله، فَأَرْصَدَ الله لَهُ مَلَكًا فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَزُورَ أَخِي فُلاَنًا، فَقَالَ: لِحَاجَةٍ لَكَ عِنْدَهُ؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: لِقَرَابَةٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: فَبِنِعْمَةٍ لَهُ عِنْدَكَ؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: فَبِمَ؟

---

(١) صحيح : حديث «ما تحاب اثنان في الله إلا كان أحبهم إلى الله أشدهما حبا لصاحبه». أخرجه ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال: صحيح الإسناد. [انظر صحيح الجامع : ٥٥٩٤].

(٢) صحيح : حديث «إن الله يقول: حقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي، وحقت محبتي للذين يتحابون من أجلي وحقت محبتي للذين يتباذلون من أجلي وحقت محبتي للذين يتناصرون من أجلي». أخرجه أحمد من حديث عمرو بن عبسة وحديث عبادة بن الصامت، ورواه الحاكم وصححه. [أحمد : ١٨٩٤٥ عن عمرو بن عبسة، ٢١٤٩٧ عن عبادة بن الصامت، وانظر صحيح الترغيب : ٣٠٢٠، ٣٠٢١].

(٣) صحيح : حديث «إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي». أخرجه مسلم. [مسلم : ٢٥٦٦ عن أبي هريرة].

(٤) صحيح : حديث أبي هريرة «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال إني أخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه». متفق عليه من حديث أبي هريرة فقد تقدم. [البخاري : ٦٦٠، ومسلم : ١٠٣١].

(٥) حديث «ما زار رجل رجلا في الله شوقا إليه ورغبة في لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة». أخرجه ابن عدي من حديث أنس دون قوله «شوقا إليه ورغبة في لقائه» وللترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة «من عاد مريضا أو زار أخا في الله ناداه مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا» قال الترمذي: غريب. [حديث «مازار . . .» انظر صحيح الترغيب : ٢٥٧٩، وحديث «من عاد . . . .» عند الترمذي : ٢٠٠٨، وابن ماجه : ١٤٤٣، وحسنه الألباني انظر صحيح الترمذي].

قَالَ: أُحِبُّهُ فِي الله، قَالَ: فَإِنَّ الله أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ يُخْبِرُكَ بِأَنَّهُ يُحِبُّكَ لِحُبِّكَ إِيَّاهُ وَقَدْ أَوْجَبَ لَكَ الجَنَّةَ»[١] ، وقال ﷺ: «أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ الحُبُّ فِي الله وَالبُغْضُ فِي الله»[٢] ، فلهذا يجب أن يكون للرجل أعداء يبغضهم في الله كما يكون له أصدقاء وإخوان يحبهم في الله. ويروى أن الله تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء: أما زهدك في الدنيا فقد تعجلت الراحة وأما انقطاعك إليَّ فقد تعززت بي ولكن هل عاديت فيَّ عدوًّا أو هل واليت فيَّ وليًا؟ وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيَّ مِنَّةً فَتَرْزُقَهُ مِنِّي مَحَبَّةً»[٣] ويروى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام: «لَوْ أَنَّكَ عَبَدْتَنِي بِعِبَادَةِ أَهْلِ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ وَحُبَ فِي الله لَيْسَ وَبُغْضٍ فِي الله لَيْسَ مَا أَغْنَى عَنْكَ ذلِكَ شَيْئًا» ، وقال عيسى عليه السلام: «تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم والتمسوا رضا الله بسخطهم» قالوا: يا روح الله فمن نجالس؟ قال: جالسوا من تذكركم الله رؤيته ومن يزيد في عملكم كلامه ومن يرغبكم في الآخرة عمله. وروي في الأخبار السالفة أن الله عز وجل أوحى إلى موسى عليه السلام: يا ابن عمران كن يقظانًا وارتد لنفسك إخوانًا وكل خدن وصاحب لا يؤازرك على مسرتي فهو لك عدوّ، وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام فقال: يا داود ما لي أراك منتبذًا وحيدًا؟ قال: إلهي قليت الخلق من أجلك، فقال: يا داود كن يقظانًا وارتد لنفسك أخدانًا وكل خدن لا يوافقك على مسرتي فلا تصاحبه فإنه لك عدوّ يقسي قلبك ويباعدك مني. وفي أخبار داود عليه السلام أنه قال: يا رب كيف لي أن يحبني الناس كلهم وأسلم فيما بيني وبينك؟ قال: خالق الناس بأخلاقهم وأحسن فيما بيني وبينك. وفي بعضها: خالق أهل الدنيا بأخلاق الدنيا وخالق أهل الآخرة بأخلاق الآخرة. وقال النبي ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَى الله الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَى الله المَشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ المُفَرِّقُونَ بَيْنَ الإِخْوَانِ»[٤] . وقال ﷺ: «إِنَّ لله مَلَكًا نِصْفُهُ مِنَ النَّارِ وَنِصْفُهُ مِنَ الثَّلْجِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ كَمَا أَلَّفْتَ بَيْنَ الثَّلْجِ وَالنَّارِ كَذلِكَ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ»[٥]

---

(١) صحيح: حديث «إن رجلا زار أخا له في الله فأرصد الله له ملكا فقال: أين تريد؟ قال: أريد أن أزور أخي فلانا، فقال: لحاجة لك عنده؟ قال: لا، قال: لقرابة بينك وبينه؟ قال: لا، قال: فبنعمة له عندك؟ قال: لا، قال: فبم؟ قال: أحبه في الله قال: فإن الله أرسلني إليك يخبرك بأنه يحبك لحبك إياه وقد أوجب لك الجنة». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة. [مسلم: ٢٥٦٧، ولم أقف على جملة «وقد أوجب . . . .»].

(٢) حسن: حديث «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله». رواه أحمد من حديث البراء بن عازب، وفيه ليث بن أبي سليم ضعف فيه. والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف. [أحمد: ١٨٠٥٣، وانظر صحيح الترغيب: ٣٠٣٠].

(٣) حديث «اللهم لا تجعل لفاجر علي منة فترزقه مني محبة». تقدم في الكتاب الذي قبله.

(٤) حسن: حديث «إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويألفون وإن أبغضكم إلى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الإخوان». أخرجه الطبراني في الأوسط والصغير من حديث أبي هريرة بسند ضعيف. [انظر صحيح الترغيب: ٢٦٥٨].

(٥) حديث «إن لله ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول: اللهم كما ألفت بين الثلج والنار كذلك ألف بين

وقال ﷺ أيضًا: «مَا أَحْدَثَ عَبْدٌ أَخًا فِي الله إِلاَّ أَحْدَثَ الله لَهُ دَرَجَةً فِي الجَنَّةِ»(١)، وقال ﷺ: «المُتَحَابُّونَ فِي الله عَلَى عَمُودٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ فِي رَأْسِ العَمُودِ سَبْعُونَ أَلْفَ غُرْفَةٍ يُشْرِفُونَ عَلَى أَهْلِ الجَنَّةِ يُضِيءُ حُسْنُهُمْ لأَهْلِ الجَنَّةِ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ لأَهْلِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ أَهْلُ الجَنَّةِ: انْطَلِقُوا بِنَا نَنْظُرْ إِلَى المُتَحَابِّينَ فِي الله فَيُضِيءُ حُسْنُهُمْ لأَهْلِ الجَنَّةِ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ، عَلَيْهِمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٍ مَكْتُوبٌ عَلَى جِبَاهِهِمْ: المُتَحَابُّونَ فِي الله»(٢).

الآثار: قال علي رضي الله عنه: عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة ألا تسمع إلى قول أهل النار ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠١] وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: والله لو صمت النهار لا أفطره، وقمت الليل لا أنامه، وأنفقت مالي غلقًا غلقًا في سبيل الله أموت يوم أموت وليس في قلبي حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله ما نفعني ذلك شيئًا. وقال ابن السماك عند موته: اللهم إنك تعلم أني إذا كنت أعصيك كنت أحب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لي إليك. وقال الحسن ـ على ضده ـ يا ابن آدم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من أحب فإنك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم. وهذه إشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الأعمال أو كلها لا ينفع، وقال الفضيل في بعض كلامه: هاه تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؟ بأي عمل عملته؟ بأي شهوة تركتها؟ بأي غيظ كظمته؟ بأي رحم قاطع وصلتها؟ بأي زلة لأخيك غفرتها؟ بأي قريب باعدته في الله؟ بأي بعيد قاربته في الله؟ ويروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: هل عملت لي عملاً قط؟ فقال: إلهي إني صليت لك وصمت وتصدقت وزكيت، فقال: إن الصلاة لك برهان، والصوم جنة، والصدقة ظل، والزكاة نور، فأي عمل عملت لي؟ قال موسى: إلهي دلني على عمل هو لك؟ قال: يا موسى هل واليت لي وليًا قط؟ وهل عاديت فيَّ عدوًّا قط؟ فعلم موسى أن أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: لو أن رجلاً قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة لبعثه الله يوم القيامة مع من يحب. وقال الحسن رضي الله عنه: مصارمة الفاسق قربان إلى الله، وقال رجل لمحمد بن

قلوب عبادك الصالحين». رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة من حديث معاذ بن جبل والعرباض بن سارية بسند ضعيف.

(١) ضعيف جداً: حديث «ما أحدث عبد أخا في الله تعالى إلا أحدث الله له درجة في الجنة». أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان من حديث أنس وقد تقدم. [انظر السلسلة الضعيفة : ٤٤١٢].

(٢) حديث «المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة يشرفون على أهل الجنة يضيء حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا فيقول أهل الجنة: انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله فيضيء حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم المتحابون في الله». رواه الحكيم الترمذي في النوادر من حديث ابن مسعود بسند ضعيف.

واسع: إني لأحبك في الله، فقال: أحبك الذي أحببتني له. ثم حوّل وجهه وقال: اللهم إني أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لي مبغض. ودخل رجل على داود الطائي فقال له: ما حاجتك؟ فقال: زيارتك، فقال: أما أنت فقد عملت خيرًا حين زرت، ولكن انظر ماذا ينزل بي أنا إذا قيل لي: من أنت فتزار؟ أمن الزهاد أنت؟ لا والله، أمن العباد أنت؟ لا والله، أمن الصالحين أنت؟ لا والله، ثم أقبل يوبخ نفسه ويقول: كنت في الشبيبة فاسقًا فلما شخت صرت مرائيًا والله للمرائي شر من الفاسق، وقال عمر رضي الله عنه: إذا أصاب أحدكم ودًا من أخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك. وقال مجاهد: المتحابون في الله إذا التقوا فكشر بعضهم إلى بعض تتحات عنهم الخطايا كما يتحات ورق الشجر في الشتاء إذا يبس. وقال الفضيل: نظر الرجل إلى وجه أخيه على المودة والرحمة عبادة.

بيان معنى الأخوة في الله وتمييزها من الأخوة في الدنيا:

اعلم أن الحب في الله والبغض في الله غامض وينكشف الغطاء عنه. بما نذكره: وهو أن الصحبة تنقسم إلى ما يقع بالاتفاق، كالصحبة بسبب الجوار أو بسبب الاجتماع في المكتب أو في المدرسة أو في السوق أو على باب السلطان أو في الأسفار، وإلى ما ينشأ اختيارًا ويقصد، وهو الذي نريد بيانه إذ الأخوة في الدين واقعة في هذا القسم لا محالة إذ لا ثواب إلا على الأفعال الاختيارية ولا ترغيب إلا فيها. والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة. وهذه الأمور لا يقصد الإنسان بها غيره إلا إذا أحبه فإن غير المحبوب يجتنب ويباعد ولا تقصد مخالطته، والذي يحب فإما أن يحب لذاته لا ليتوصل به إلى محبوب ومقصود وراءه وإما أن يحب للتوصل به إلى مقصود، وذلك المقصود إما أن يكون مقصورًا على الدنيا وحظوظها، وإما أن يكون متعلقًا بالآخرة، وإما أن يكون متعلقًا بالله تعالى فهذه أربعة أقسام:

أما القسم الأول: وهو حبك الإنسان لذاته فذلك ممكن وهو أن يكون في ذاته محبوبًا عندك على معنى أنك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة أخلاقه لاستحسانك له، فإن كل جميل لذيذ في حق من أدرك جماله وكل لذيذ محبوب. واللذة تتبع الاستحسان والاستحسان يتبع المناسبة والملاءمة والموافقة بين الطباع، ثم ذلك المستحسن إما أن يكون هو الصورة الظاهرة أعني حسن الخلقة، وإما أن يكون هو الصورة الباطنة أعني كمال العقل وحسن الأخلاق، ويتبع حسن الأخلاق حسن الأفعال لا محالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم، وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل المستقيم، وكل مستحسن فمستلذ به ومحبوب، بل في ائتلاف القلوب أمر أغمض من هذا فإنه قد تستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحة في صورة ولا حسن في خلق وخلق، ولكن لمناسبة توجب الألفة والموافقة فإن شبه الشيء ينجذب إليه بالطبع، والأشياء الباطنة خفية ولها أسباب دقيقة ليس في قوّة البشر الاطلاع

عليها، عبر رسول الله ﷺ عن ذلك حيث قال: «الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»[(١)]، فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف نتيجة التناسب الذي عبر عنه بالتعارف. وفي بعض الألفاظ: «الأرواح جنود مجندة تلتقي فتتشامّ في الهواء»[(٢)]، وقد كنى بعض العلماء عن هذا بأن قال: إن الله تعالى خلق الأرواح ففلق بعضها فلقًا وأطافها حول العرش فأي روحين من فلقتين تعارفا هناك فالتقيا تواصلا في الدنيا. وقال ﷺ: «إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنَيْنِ لَيَلْتَقِيَانِ عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَمَا رَأَى أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ قَطُّ»[(٣)]، وروي: «أن امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة أخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عائشة رضي الله عنها فأضحكتها»، فقالت: أين نزلت؟ فذكرت لها صاحبتها، فقالت: صدق الله ورسوله[(٤)] سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ...» الحديث. والحق في هذا أن المشاهدة والتجربة تشهد للائتلاف عند التناسب والتناسب في الطباع والأخلاق باطنًا وظاهرًا أمر مفهوم. وأما الأسباب التي أوجبت تلك المناسبة فليس في قوّة البشر الاطلاع عليها، وغاية هذيان المنجم أن يقول: إذا كان طالعه على تسديس طالع غيره أو تثليثه فهذا نظر الموافقة والمودة فتقتضي التناسب والتواد، وإذا كان على مقابلته أو تربيعه اقتضى التباغض والعداوة. فهذا لو صدق بكونه كذلك في مجاري سنة الله في خلق السموات والأرض لكان الإشكال فيه أكثر من الإشكال في أصل التناسب، فلا معنى للخوض فيما لم يكشف سره للبشر فما أوتينا من العلم إلا قليلًا، ويكفينا في التصديق بذلك التجربة والمشاهدة فقد ورد الخبر به. قال ﷺ: «لَوْ أَنَّ مُؤْمِنًا دَخَلَ إِلَى مَجْلِسٍ فِيهِ مِائَةُ مُنَافِقٍ وَمُؤْمِنٍ وَاحِدٌ لَجَاءَ حَتَّى يَجْلِسَ إِلَيْهِ، وَلَوْ أَنَّ مُنَافِقًا دَخَلَ إِلَى مَجْلِسٍ فِيهِ مِائَةُ مُؤْمِنٍ وَمُنَافِقٌ وَاحِدٌ لَجَاءَ حَتَّى يَجْلِسَ إِلَيْهِ»، وهذا يدل على أن شبه الشيء منجذب إليه بالطبع وإن كان هو لا يشعر به، وكان مالك ابن دينار يقول: لا يتفق اثنان في عشرة إلا وفي أحدهما وصف من الآخر، وإن أجناس الناس

---

(١) صحيح: حديث «الأرواح جند مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة والبخاري تعليقا من حديث عائشة. [البخاري تعليقاً عقب: ٣٣٣٦، ومسلم: ٢٦٣٨].

(٢) ضعيف: حديث «الأرواح تلتقي فتتشام في الهواء». أخرجه الطبراني في الأوسط بسند ضعيف من حديث علي «إن الأرواح في الهواء جند مجندة تلتقي فتتشام... الحديث».[انظر ضعيف الجامع: ١٤١١].

(٣) ضعيف: حديث «إن أرواح المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه قط». أخرجه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ «تلتقي» وقال «أحدهم» وفيه ابن لهيعة عن دراج. [أحمد: ٦٥٩٨، وانظر ضعيف الجامع: ١٨٦٠].

(٤) حديث: أن امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة أخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عائشة فذكرت حديث «الأرواح جند مجندة». أخرجه الحسن بن سفيان في مسنده بالقصة بسند حسن، وحديث عائشة عند البخاري تعليقا مختصرا أخرجه البيهقي في شعب الإيمان موقوفا على ابن مسعود، وذكره صاحب الفردوس من حديث معاذ بن جبل، ولم يخرجه ولده في المسند. [أخرجه البخاري تعليقاً عقب: ٣٣٣٦ مختصراً].

كأجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران إلا وبينهما مناسبة، قال فرأى يومًا غرابًا مع حمامة فعجب من ذلك فقال: اتفقا وليسا من شكل واحد، ثم طارا فإذا هما أعرجان فقال: من ههنا اتفقا، ولذلك قال بعض الحكماء: كل إنسان يأنس إلى شكله كما أن كل طير يطير مع جنسه، وإذا اصطحب اثنان برهة من زمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بدّ أن يفترقا، وهذا معنى خفي تفطن له الشعراء حتى قال قائلهم:

وقائلٍ كيف تفارقتما ... فقلت قولًا فيه إنصافُ
لم يكُ من شكلي ففارقته ... والنَّاسُ أشكال وأُلّافُ

فقد ظهر من هذا أن الإنسان قد يحب لذاته لا لفائدة تنال منه في حال أو مآل، بل لمجرد المجانسة والمناسبة في الطباع الباطنة والأخلاق الخفية. ويدخل في هذا القسم الحب للجمال إذا لم يكن المقصود قضاء الشهوة فإن الصور الجميلة مستلذة في عينها وإن قدّر فقد أصل الشهوة حتى يستلذ النظر إلى الفواكه والأنوار والأزهار والتفاح المشرب بالحمرة وإلى الماء الجاري والخضرة من غير غرض سوى عينها. وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله بل هو حب بالطبع وشهوة النفس، ويتصور ذلك ممن لا يؤمن بالله إلا أنه إن اتصل به غرض مذموم صار مذمومًا كحب الصورة الجميلة لقضاء الشهوة حيث لا يحل قضاؤها. وإن لم يتصل به غرض مذموم فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم «إذ الحب إما محمود وإما مذموم وإما مباح لا يحمد ولا يذم».

القسم الثاني: أن يحبه لينال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة إلى محبوب غيره والوسيلة إلى المحبوب محبوب، وما يحب لغيره كان ذلك الغير هو المحبوب بالحقيقة. ولكن الطريق إلى المحبوب محبوب ولذلك أحب الناس الذهب والفضة ولا غرض فيهما إذ لا يطعم ولا يلبس ولكنهما وسيلة إلى المحبوبات فمن الناس من يحب كما يحب الذهب والفضة من حيث إنه وسيلة إلى المقصود إذ يتوصل به إلى نيل جاه أو مال أو علم كما يحب الرجل سلطانًا لانتفاعه بماله أو جاهه ويحب خواصه لتحسينهم حاله عنده وتمهيدهم أمره في قلبه، فالمتوسل إليه إن كان مقصور الفائدة على الدنيا لم يكن حبه من جملة الحب في الله، وإن لم يكن مقصور الفائدة على الدنيا ولكنه ليس يقصد به إلا الدنيا كحب التلميذ لأستاذه فهو أيضًا خارج عن الحب لله فإنه إنما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه فمحبوبه العلم، فإذا كان لا يقصد العلم للتقرّب إلى الله، بل لينال به الجاه والمال والقبول عند الخلق فمحبوبه الجاه والقبول، والعلم وسيلة إليه والأستاذ وسيلة إلى العلم، فليس في شيء من ذلك حب لله إذ لا يتصوّر كل ذلك ممن لا يؤمن بالله تعالى أصلًا.

ثم ينقسم هذا أيضًا إلى مذموم ومباح فإن كان يقصد به التوصل إلى مقاصد مذمومة من قهر الأقران وحيازة أموال اليتامى وظلم الرعاة بولاية القضاء أو غيره كان الحب مذمومًا، وإن

كان يقصد به التوصل إلى مباح فهو مباح وإنما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من المقصد المتوصل إليه فإنها تابعة له غير قائمة بنفسها.

القسم الثالث: أن يحبه لا لذاته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعًا إلى حظوظه في الدنيا بل يرجع إلى حظوظه في الآخرة فهذا أيضًا ظاهر لا غموض فيه، وذلك كمن يحب أستاذه وشيخه لأنه يتوصل به إلى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الآخرة، فهذا من جملة المحبين في الله، وكذلك من يحب تلميذه لأنه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويرقى به إلى درجة التعظيم في ملكوت السماء، إذ قال عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيمًا في ملكوت السماء. ولا يتم التعليم إلا بمتعلم فهو إذن آلة في تحصيل هذا الكمال، فإن أحبه لأنه آلة له إذ جعل صدره مزرعة لحرثه الذي هو سبب ترقيه إلى رتبة التعظيم في ملكوت السماء فهو محب في الله، بل الذي يتصدّق بأمواله لله ويجمع الضيفان ويهيىء لهم الأطعمة اللذيذة الغريبة تقرّبًا إلى الله فأحب طباخًا لحسن صنعته في الطبخ فهو من جملة المحبين في الله، وكذا لو أحب من يتولى له إيصال الصدقة إلى المستحقين فقد أحبه في الله، بل نزيد على هذا ونقول: إذا أحب من يخدمه بنفسه في غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه ويفرغه بذلك للعلم أو العمل ومقصوده من استخدامه في هذه الأعمال الفراغ للعبادة فهو محب في الله، بل نزيد عليه ونقول: إذا أحب من ينفق عليه من ماله ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه وجميع أغراضه التي يقصدها في دنياه ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل المقرّب إلى الله فهو محب في الله. فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفايتهم جماعة من أولي الثروة وكان المواسي والمواسي جميعًا من المتحابين في الله، بل نزيد عليه ونقول: من نكح امرأة صالحة ليتحصن بها عن وسواس الشيطان ويصون بها دينه أو ليولد منها له ولد صالح يدعو له وأحب زوجته لأنها آلة إلى هذه المقاصد الدينية فهو محب في الله. ولذلك وردت الأخبار بوفور الأجر والثواب على الإنفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل في في امرأته[1] بل نقول: كل من استهتر بحب الله وحب رضاه وحب لقائه في الدار الآخرة فإذا أحب غيره كان محبًا في الله لأنه لا يتصوّر أن يحب شيئًا إلا لمناسبته لما هو محبوب عنده وهو رضا الله عز وجل، بل أزيد على هذا وأقول: إذا اجتمع في قلبه محبتان محبة الله ومحبة الدنيا واجتمع في شخص واحد المعنيان جميعًا حتى صلح لأن يتوسل به إلى الله وإلى الدنيا فإذا أحبه لصلاحه للأمرين فهو من المحبين في الله، كمن يحب أستاذه الذي يعلمه الدين ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة في المال فأحبه من حيث إنّ في طبعه طلب الراحة في الدنيا والسعادة في الآخرة فهو وسيلة إليهما فهو محب في الله، وليس

(١) حديث «الأجر في الإنفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل في في امرأته». تقدم.

من شرط حب الله أن لا يحب في العاجل حظًا البتة إذ الدعاء الذي أمر به الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه فيه جمع بين الدنيا والآخرة ومن ذلك قولهم: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة:٢٠١]وقال عيسى عليه السلام في دعائه: اللهم لا تشمت بي عدوّي ولا تسؤ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي لديني ولا تجعل الدنيا أكبر همي فدفع شماتة الأعداء من حظوظ الدنيا، ولم يقل: ولا تجعل الدنيا أصلًا من همي، بل قال: لا تجعلها أكبر همي. وقال نبينا ﷺ في دعائه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً أَنَالُ بِهَا شَرَفَ كَرَامَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ» (١)، وقال ﷺ «اللَّهُمَّ عَافِنِي مِنْ بَلاَءِ الدُّنْيَا وَبَلاَءِ الآخِرَةِ» (٢) وعلى الجملة فإذا لم يكن حب السعادة في الآخرة مناقضًا لحب الله تعالى فحب السلامة والصحة والكفاية والكرامة في الدنيا كيف يكون مناقضًا لحب الله؟ والدنيا والآخرة عبارة عن حالتين إحداهما أقرب من الأخرى، فكيف يتصوّر أن يحب الإنسان حظوظ نفسه غدًا ولا يحبها اليوم؟ وإنما يحبها غدًا لأنّ الغد سيصير حالًا راهنة فالحالة الراهنة لا بدّ أن تكون مطلوبة أيضًا، إلا أنّ الحظوظ العاجلة منقسمة إلى ما يضاد حظوظ الآخرة ويمنع منها وهي التي احترز عنها الأنبياء والأولياء وأمروا بالاحتراز عنها وإلى ما لا يضاد وهي التي لم يمتنعوا منها كالنكاح الصحيح وأكل الحلال وغير ذلك، فما يضاد حظوظ الآخرة فحق العاقل. أن يكرهه ولا يحبه أعني أن يكرهه بعقله لا بطبعه، كما يكره التناول من طعام لذيذ لملك من الملوك يعلم أنه لو أقدم عليه لقطعت يده أو حزت رقبته لا بمعنى أنّ الطعام اللذيذ يصير بحيث لا يشتهيه بطبعه ولا يستلذه لو أكله فإنّ ذلك محال، ولكن على معنى أنه يزجره عقله عن الإقدام عليه وتحصل فيه كراهة الضرر المتعلق به. والمقصود من هذا أنه لو أحب أستاذه لأنه يواسيه ويعلمه أو تلميذه لأنه يتعلم منه ويخدمه وأحدهما حظ عاجل والآخر آجل لكان في زمرة المتحابين في الله، ولكن بشرط واحد وهو أن يكون بحيث لو منعه العلم مثلًا أو تعذر عليه تحصيله منه لنقص حبه بسببه فالقدر الذي ينقص بسبب فقده هو لله تعالى، وله على ذلك القدر ثواب الحب في الله وليس بمستنكر أن يشتد حبك لإنسان لجملة أغراض ترتبط لك به، فإن امتنع بعضها نقص حبك وإن زاد زاد الحب، فليس حبك للذهب كحبك للفضة إذا تساوى مقدارهما لأنّ الذهب يوصل إلى أغراض هي أكثر مما توصل إليه الفضة، فإذن يزيد الحب بزيادة الغرض ولا يستحيل اجتماع الأغراض الدنيوية والأخروية فهو داخل في جملة الحب لله. وحده هو أن

---

(١) ضعيف: حديث «اللهم أني أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة». أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس في الحديث الطويل في دعائه ﷺ بعد صلاة الليل وقد تقدم. [الترمذي: ٣٤١٩، وانظر ضعيف الجامع: ١١٩٤].

(٢) ضعيف: حديث «اللهم عافني من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة». أخرجه أحمد من حديث بشر بن أبي أرطأة نحوه بسند جيد. [أحمد: ١٧١٧٦، وانظر ضعيف الجامع: ١١٦٩].

كل حب لولا الإيمان بالله واليوم الآخر لم يتصوّر وجوده فهو حب في الله، وكذلك كل زيادة في الحب لولا الإيمان بالله لم تكن تلك الزيادة فتلك الزيادة من الحب في الله فذلك وإن دق فهو عزيز. قال الجريري: تعامل الناس في القرن الأوّل بالدين حتى رق الدين وتعاملوا في القرن الثاني بالوفاء حتى ذهب الوفاء وفي الثالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة ولم يبق إلا الرهبة والرغبة.

القسم الرابع: أن يحب لله وفي الله لا لينال منه علمًا أو عملًا أو يتوسل به إلى أمر وراء ذاته وهذا أعلى الدرجات وهو أدقها وأغمضها، وهذا القسم أيضًا ممكن فإن من آثار غلبة الحب أن يتعدّى من المحبوب إلى كل من يتعلق بالمحبوب ويناسبه ولو من بعد، فمن أحب إنسانًا حبًا شديدًا أحب محب ذلك الإنسان وأحب محبوبه وأحب من يخدمه وأحب من يثني عليه محبوبه وأحب من يتسارع إلى رضا محبوبه، حتى قال بقية بن الوليد: إنّ المؤمن إذا أحب المؤمن أحب كلبه، وهو كما قال: ويشهد له التجربة في أحوال العشاق ويدل عليه أشعار الشعراء ولذلك يحفظ ثوب المحبوب ويخفيه تذكرة من جهته ويحب منزله ومحلته وجيرانه حتى قال مجنون بني عامر:

أمرّ على الديار ديار ليلى ... أُقَبِّلُ ذا الجدار وذا الجدارا
وما حُبّ الديار شغفن قلبي ... ولكن حبَّ من سَكَنَ الدِّيارا

فإذن المشاهدة والتجربة تدل على أن الحب يتعدّى من ذات المحبوب إلى ما يحيط به ويتعلق بأسبابه ويناسبه ولو من بعد؛ ولكن ذلك من خاصية فرط المحبة فأصل المحبة لا يكفي فيه ويكون اتساع الحب في تعديه من المحبوب إلى ما يكتنفه ويحيط به ويتعلق بأسبابه بحسب إفراط المحبة وقوتها، وكذلك حب الله سبحانه وتعالى إذا قوي وغلب على القلب واستولى عليه حتى انتهى إلى حد الاستهتار فيتعدى إلى كل موجود سواه، فإن كل موجود سواه أثر من آثار قدرته ومن أحب إنسانًا أحب صنعته وخطه وجميع أفعاله، ولذلك كان ﷺ إذا حمل إليه باكورة من الفواكه مسح بها عينيه وأكرمها وقال: إنه قريب العهد بربنا[(١)]، وحب الله تعالى تارة يكون لصدق الرجاء في مواعيده وما يتوقع في الآخرة من نعيمه، وتارة لما سلف من أياديه وصنوف نعمته، وتارة لذاته لا لأمر آخر وهو أدق ضروب المحبة وأعلاها ـ وسيأتي تحقيقها في كتاب المحبة من ربع المنجيات إن شاء الله تعالى ـ وكيفما اتفق حب

---

(١) صحيح: حديث «كان إذا حمل إليه باكورة من الفواكه مسح بها عينيه وأكرمها وقال إنها قريب عهد بربها». أخرجه الطبراني في الصغير من حديث ابن عباس، وأبو داود في المراسيل، والبيهقي في الدعوات من حديث أبي هريرة دون قوله «وأكرمها... إلخ» وقال: إنه غير محفوظ، وحديث أبي هريرة في الباكورة عند بقية أصحاب السنن دون «مسح عينيه بها وما بعده»، وقال الترمذي حسن صحيح. [الترمذي: ٣٤٥٤، وابن ماجه: ٣٣٢٩، وانظر صحيح الترمذي، والباكورة: أول الثمر].

الله فإذا قوي تعدى إلى كل متعلق به ضربًا من التعلق حتى يتعدى إلى ما هو في نفسه مؤلم مكروه ولكن فرط الحب يضعف الإحساس بالألم والفرح بفعل المحبوب وقصده إياه بالإيلام يغمر إدراك الألم، وذلك كالفرح بضربة من المحبوب أو قرصة فيها نوع معاتبة فإن قوة المحبة تثير فرحًا يغمر إدراك الألم فيه وقد انتهت محبة الله بقوم إلى أن قالوا لا نفرق بين البلاء والنعمة فإن الكل من الله ولا نفرح إلا بما فيه رضاه حتى قال بعضهم لا أريد أن أنال مغفرة الله بمعصية الله. وقال سمنون:

وليس لي في سواك حظٌّ فكيفما شئت فاختبرني

وسيأتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة. والمقصود أن حب الله إذا قوي أثمر حب كل من يقوم بحق عبادة الله في علم أو عمل وأثمر حب كل من فيه صفة مرضية عند الله من خلق حسن أو تأدب بآداب الشرع. وما من مؤمن محب للآخرة ومحب لله إلا إذا أخبر عن حال رجلين أحدهما عالم عابد والآخر جاهل فاسق إلا وجد في نفسه ميلًا إلى العالم العابد، ثم يضعف ذلك الميل ويقوى بحسب ضعف إيمانه وقوته وبحسب ضعف حبه لله وقوّته وهذا الميل حاصل وإن كانا غائبين عنه بحيث يعلم أنه لا يصيبه منهما خير ولا شر في الدنيا ولا في الآخرة، فذلك الميل هو حب في الله ولله من غير حظ فإنه إنما يحبه لأن الله يحبه ولأنه مرضي عند الله تعالى ولأنه يحب الله تعالى ولأنه مشغول بعبادة الله تعالى إلا أنه إذا ضعف لم يظهر أثره ولا يظهر به ثواب ولا أجر، فإذا قوي حمل على الموالاة والنصرة والذب بالنفس والمال واللسان وتتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم في حب الله عز وجل، ولو كان الحب مقصورًا على حظ ينال من المحبوب في الحال أو المآل لما تصور حب الموتى من العلماء والعباد ومن الصحابة والتابعين، بل من الأنبياء المنقرضين صلوات الله عليهم وسلامه، وحب جميعهم مكنون في قلب كل مسلم متدين، ويتبين ذلك بغضبه عند طعن أعدائهم في واحد منهم وبفرحه عند الثناء عليهم وذكر محاسنهم وكل ذلك حب لله لأنهم خواص عباد الله ومن أحب ملكًا أو شخصًا جميلًا أحب خواصه وخدمه وأحب من أحبه إلا أنه يمتحن الحب بالمقابلة بحظوظ النفس وقد يغلب بحيث لا يبقى للنفس حظ إلا فيما هو حظ المحبوب، وعنه عبر قول من قال:

أريد وصاله ويريد هجري فأترك ما أريد لما يريدُ

وقول من قال: وما لجرح إذا أرضاكم ألم. وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الحظوظ دون بعض كمن تسمح نفسه بأن يشاطر محبوبه في نصف ماله أو في ثلثه أو في عشره فمقادير الأموال موازين المحبة إذ لا تعرف درجة المحبوب إلا بمحبوب يترك في مقابلته، فمن استغرق الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب سواه فلا يمسك لنفسه شيئا مثل أبي بكر الصديق رضى الله عنه فإنه لم يترك لنفسه أهلا ولا مالا فسلم ابنته التي هي قرة عينه وبذل جميع ماله.

قال ابن عمر رضى الله عنهما: «بينما رسول الله ﷺ جالس وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خللها على صدره بخلال إذ نزل جبريل عليه السلام فأقرأه عن الله السلام وقال له: يا رسول الله ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال؟ فقال: «أَنْفَقَ مَالَهُ عَلَيَّ قَبْلَ الفَتْحِ» ، قال: فأقره من الله السلام وقل له: يقول لك ربك: أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ قال: فالتفت النبي إلى أبي بكر وقال: «يَا أَبَا بَكْرٍ هذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكَ السَّلاَمَ مِنَ الله وَيَقُولُ: أَرَاضٍ أَنْتَ عَنِّي فِي فَقْرِكَ هذَا أَمْ سَاخِطٌ؟» قال: فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: أعلى ربي أسخط أنا عن ربي راضٍ أنا عن ربي راضٍ»[1] ، فحصل من هذا أن كل من أحب عالمًا أو عابدًا أو أحب شخصًا راغبًا في علم أو في عبادة أو في خير فإنما أحبه في الله ولله وله فيه من الأجر والثواب بقدر قوة حبه، فهذا شرح الحب في الله ودرجاته وبهذا يتضح البغض في الله أيضًا ولكن نزيده بيانًا.

بيان البغض في الله:

اعلم أن كل من يحب في الله لا بد أن يبغض في الله فإنك إن أحببت إنسانًا لأنه مطيع لله ومحبوب عند الله فإن عصاه فلا بد أن تبغضه لأنه عاص لله وممقوت عند الله، ومن أحب بسبب فبالضرورة يبغض لضده وهذان متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر وهو مطرد في الحب والبغض في العادات ولكن كل واحد من الحب والبغض داء دفين في القلب، وإنما يترشح عند الغلبة ويترشح بظهور أفعال المحبين والمبغضين في المقاربة والمباعدة وفي المخالطة والموافقة فإذا ظهر في الفعل سمي موالاة ومعاداة، ولذلك قال الله تعالى: هل واليت فيَّ وليًا وهل عاديت فيَّ عدوًّا؟ كما نقلناه، وهذا واضح في حق من لم يظهر لك إلا طاعاته تقدر على أن تحبه أو لم يظهر لك إلا فسقه وفجوره وأخلاقه السيئة فتقدر على أن تبغضه، وإنما المشكل إذا اختلطت الطاعات بالمعاصي فإنك تقول كيف أجمع بين البغض والمحبة وهما متناقضان؟ وكذلك تتناقض ثمرتهما من الموافقة والمخالفة والموالاة والمعاداة فأقول: ذلك غير متناقض في حق الله تعالى كما لا يتناقض في الحظوظ البشرية، فإنه مهما اجتمع في شخص واحد خصال يحب بعضها ويكره بعضها فإنك تحبه من وجه وتبغضه من وجه، فمن

---

(١) حديث ابن عمر «بينما رسول الله ﷺ جالس وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خللها على صدره بخلال إذ نزل جبريل عليه السلام فأقرأه عن الله السلام وقال له: يا رسول الله ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال؟ فقال: أنفق ماله علي قبل الفتح، قال: فأقرئه من الله السلام وقل له يقول لك ربك أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ قال: فالتفت النبي ﷺ إلى أبي بكر وقال: يا أبا بكر هذا جبريل يقرئك السلام من الله ويقول أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ قال: فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: أعلى ربي أسخط أنا عن ربي راض». أخرجه ابن حبان والعقيلي في الضعفاء، قال الذهبي في الميزان: هو كذب.

له زوجة حسناء فاجرة أو ولد ذكي خدوم ولكنه فاسق فإنه يحبه من وجه ويبغضه من وجه ويكون معه على حالة بين حالتين، إذ لو فرض له ثلاثة أولاد أحدهم ذكي بار والآخر بليد عاق والآخر بليد بار أو ذكي عاق فإنه يصادف نفسه معهم على ثلاثة أحوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم، فكذلك ينبغي أن تكون حالك بالإضافة إلى من غلب عليه الفجور ومن غلبت عليه الطاعة ومن اجتمع فيه كلاهما متفاوتة على ثلاث مراتب، وذلك بأن تعطى كل صفة حظها من البغض والحب والإعراض والإقبال والصحبة والقطيعة وسائر الأفعال الصادرة منه.

فإن قلت: فكل مسلم فإسلامه طاعة منه فكيف أبغضه مع الإسلام؟ فأقول: تحبه لإسلامه وتبغضه لمعصيته وتكون معه على حالة لو قستها بحال كافر أو فاجر أدركت تفرقة بينهما وتلك التفرقة حب للإسلام وقضاء لحقه وقدر الجناية على حق الله والطاعة له كالجناية على حقك والطاعة لك. فمن وافقك على غرض وخالفك في آخر فكن معه على حالة متوسطة بين الانقباض والاسترسال وبين الإقبال والإعراض وبين التودد إليه والتوحش عنه، ولا تبالغ في إكرامه مبالغتك في إكرام من يوافقك على جميع أغراضك، ولا تبالغ في إهانته مبالغتك في إهانة من خالفك في جميع أغراضك. ثم ذلك التوسط تارة يكون ميله إلى طرف الإهانة عند غلبة الجناية وتارة إلى طرف المجاملة والإكرام عند غلبة الموافقة، فهكذا ينبغي أن يكون فيمن يطيع الله تعالى ويعصيه ويتعرض لرضاه مرة ولسخطه أخرى.

فإن قلت: فبماذا يمكن إظهار البغض؟ فأقول أما في القول فبكف اللسان عن مكالمته ومحادثته مرة وبالاستخفاف والتغليظ في القول أخرى. وأما في الفعل فبقطع السعي في إعانته مرة وبالسعي في إساءته وإفساد مآربه أخرى. وبعض هذا أشد من بعض وهي بحسب درجات الفسق والمعصية الصادرة منه. أما ما يجري مجرى الهفوة التي يعلم أنه متندم عليها ولا يصر عليها فالأولى فيه الستر والإغماض.

أما ما أصر عليه من صغيرة أو كبيرة فإن كان ممن تأكدت بينك وبينه مودة وصحبة وأخوة فله حكم آخر - وسيأتي وفيه خلاف بين العلماء - وأما إذا لم تتأكد أخوة وصحبة فلا بد من إظهار أثر البغض إما في الإعراض والتباعد عنه وقلة الالتفات إليه وإما في الاستخفاف وتغليظ القول عليه. وهذا أشد من الإعراض وهو بحسب غلظ المعصية وخفتها، وكذلك في الفعل أيضًا رتبتان، إحداهما: قطع المعونة والرفق والنصرة عنه وهو أقل الدرجات، والأخرى: السعي في إفساد أغراضه عليه كفعل الأعداء المبغضين، وهذا لا بد منه ولكن فيما يفسد عليه طريق المعصية. أما ما لا يؤثر فيه فلا، مثاله رجل عصى الله بشرب الخمر وقد خطب امرأة لو تيسر له نكاحها لكان مغبوطًا بها بالمال والجمال والجاه إلا أن ذلك لا يؤثر في منعه من شرب الخمر ولا في بعث وتحريض عليه، فإذا قدرت على إعانته ليتم له غرضه ومقصوده وقدرت

على تشويشه ليفوته غرضه فليس لك السعي في تشويشه. أما الإعانة فلو تركتها إظهارًا للغضب عليه في فسقه فلا بأس، وليس يجب تركها إذ ربما يكون لك نية في أن تتلطف بإعانته وإظهار الشفقة عليه ليعتقد مودتك ويقبل نصحك فهذا حسن، وإن لم يظهر لك ولكن رأيت أن تعينه على غرضه قضاء لحق إسلامه فذلك ليس بممنوع بل هو الأحسن إن كانت معصيته بالجناية على حقك أو حق من يتعلق بك. وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾[النور:٢٢] إلى قوله تعالى ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[النور:٢٢] إذ تكلم مسطح بن أثاثة في واقعة الإفك[1] فحلف أبو بكر أن يقطع عنه رفقه ـ وقد كان يواسيه بالمال ـ فنزلت الآية مع عظم معصية مسطح، وأية معصية تزيد على التعرض لحرم رسول الله ﷺ وإطالة اللسان في مثل عائشة رضي الله عنها، إلا أن الصديق رضي الله عنه كان كالمجني عليه في نفسه بتلك الواقعة والعفو عمن ظلم والإحسان إلى من أساء من أخلاق الصديقين. وإنما يحسن الإحسان إلى من أساء من ظلمك، فأما من ظلم غيرك وعصى الله به فلا يحسن الإحسان إليه لأن في الإحسان إلى الظالم إساءة إلى المظلوم وحق المظلوم أولى بالمراعاة وتقوية قلبه بالإعراض عن الظالم أحب إلى الله من تقوية قلب الظالم فأما إذا كنت أنت المظلوم فالأحسن في حقك العفو والصفح، وطرق السلف قد اختلفت في إظهار البغض مع أهل المعاصي وكلهم اتفقوا على إظهار البغض للظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله بمعصية متعدية منه إلى غيره، فأما من عصى الله في نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة إلى العصاة كلهم، ومنهم من شدد الإنكار واختار المهاجرة. فقد كان أحمد بن حنبل يهجر الأكابر في أدنى كلمة، حتى هجر يحيى بن معين لقوله: إني لا أسأل أحدًا شيئًا ولو حمل السلطان إليَّ شيئًا لأخذته. وهجر الحارث المحاسبي في تصنيفه في الرد على المعتزلة وقال: إنك لا بد تورد أولًا شبهتهم وتحمل الناس على التفكر فيها ثم ترد عليهم، وهجر أبو ثور في تأويله قوله ﷺ: «إِنَّ الله خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»[2]، وهذا أمر يختلف باختلاف النية وتختلف النية باختلاف الحال، فإن كان الغالب على القلب النظر إلى اضطرار الخلق وعجزهم وأنهم مسخرون لما قدروا له أورث هذا تساهلًا في المعاداة والبغض وله وجه ولكن قد تلتبس به المداهنة فأكثر البواعث على الإغضاء عن المعاصي المداهنة ومراعاة القلوب والخوف من وحشتها ونفارها، وقد يلبس الشيطان ذلك على الغبي الأحمق بأنه ينظر بعين الرحمة ومحك

---

(١) صحيح: حديث: كلام مسطح في الإفك وهجر أبي بكر له حتى نزلت الآية ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾[النور: ٢٢] الآية

متفق عليه من حديث عائشة. [البخاري: ٢٦٦١، ومسلم: ٢٧٧٠].

(٢) صحيح: حديث «أن الله خلق آدم صورته». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة. [مسلم: ٢٨٤١، وهو عند البخاري: ٦٢٢٧].

ذلك أن ينظر إليه بعين الرحمة إن جنى على خاص حقه ويقول إنه قد سخر له والقدر لا ينفع منه الحذر، وكيف لا يفعله وقد كتب عليه فمثل هذا قد تصح له نية في الإغماض عن الجناية على حق الله وإن كان يغتاظ عند الجناية على حقه ويترحم عند الجناية على حق الله فهذا مداهن مغرور بمكيدة من مكايد الشيطان فليتنبه له.

فإن قلت: فأقل الدرجات في إظهار البغض الهجر والإعراض وقطع الرفق والإعانة فهل يجب ذلك حتى يعصى العبد بتركه؟ فأقول: لا يدخل ذلك في ظاهر العلم تحت التكليف والإيجاب فإنا نعلم أن الذين شربوا الخمر وتعاطوا الفواحش في زمان رسول الله ﷺ والصحابة ما كانوا يهجرون بالكلية بل كانوا منقسمين فيهم إلى من يغلظ القول عليه ويظهر البغض له، وإلى من يعرض عنه ولا يتعرض له، وإلى من ينظر إليه بعين الرحمة ولا يؤثر المقاطعة والتباعد، فهذه دقائق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الآخرة ويكون عمل كل واحد على ما يقتضيه حاله ووقته، ومقتضى الأحوال في هذه الأمور إما مكروهة أو مندوبة فتكون في رتبة الفضائل ولا تنتهي إلى التحريم والإيجاب فإن الداخل تحت التكليف أصل المعرفة لله تعالى وأصل الحب وذلك قد لا يتعدى من المحبوب إلى غيره وإنما المتعدي إفراط الحب واستيلاؤه، وذلك لا يدخل في الفتوى وتحت ظاهر التكليف في حق عوام الخلق أصلًا.

بيان مراتب الذين يبغضون في الله وكيفية معاملتهم:

فإن قلت: إظهار البغض والعداوة بالفعل إن لم يكن واجبًا فلا شك أنه مندوب إليه والعصاة والفساق على مراتب مختلفة فكيف ينال الفضل بمعاملتهم وهل يسلك بجميعهم مسلكًا واحدًا أم لا؟ فاعلم أن المخالف لأمر الله سبحانه لا يخلو إما أن يكون مخالفًا في عقده أو في عمله، والمخالف في العقد إما مبتدع أو كافر والمبتدع إما داع إلى بدعته أو ساكت والساكت إما بعجزه أو باختياره: فأقسام الفساد في الاعتقاد ثلاثة:

الأوّل: الكفر، فالكافر إن كان محاربًا فهو يستحق القتل والإرقاق وليس بعد هذين إهانة، وأما الذمي فإنه لا يجوز إيذاؤه إلا بالإعراض عنه والتحقير له بالاضطرار إلى أضيق الطرق وبترك المفاتحة بالسلام، فإذا قال: السلام عليك، قلت: وعليك. والأولى الكف عن مخالطته ومعاملته ومؤاكلته، وأما الانبساط معه والاسترسال إليه كما يسترسل إلى الأصدقاء فهو مكروه كراهة شديدة يكاد ينتهي ما يقوى منها إلى حد التحريم، قال الله تعالى ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] الآية، وقال ﷺ: «المُسْلِمُ وَالمُشْرِكُ لاَ تَتَرَاءَى نَارَاهُمَا»(١) وقال عز

(١) صحيح: حديث «المؤمن والمشرك لا تراءى نارهما». رواه أبو داود والترمذي من حديث جرير «أنا بريء

وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة :١] الآية.

الثاني: المبتدع الذي يدعو إلى بدعته. فإن كانت البدعة بحيث يكفر بها فأمره أشد من الذمي لأنه لا يقرّ بجزية ويسامح بعقد ذمة وإن كان ممن لا يكفر به فأمره بينه وبين الله أخف من أمر الكافر لا محالة، ولكن الأمر في الإنكار عليه أشد منه على الكافر لأن شر الكافر غير متعد، فإن المسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون إلى قوله إذ لا يدعي لنفسه الإسلام واعتقاد الحق. أما المبتدع الذي يدعو إلى البدعة ويزعم أن ما يدعو إليه حق فهو سبب لغواية الخلق فشره متعدّ، فالاستحباب في إظهار بغضه ومعاداته والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه أشد، وإن سلم في خلوة فلا بأس برد جوابه، وإن علمت أن الإعراض عنه والسكوت عن جوابه يقبح في نفسه بدعته ويؤثر في زجره فترك الجواب أولى لأن جواب السلام وإن كان واجبًا فيسقط بأدنى غرض فيه مصلحة حتى يسقط بكون الإنسان في الحمام أو في قضاء حاجته وغرض الزجر أهم من هذه الأغراض، وإن كان في ملأ فترك الجواب أولى تنفيرًا للناس عنه وتقبيحًا لبدعته في أعينهم وكذلك الأولى كف الإحسان إليه والإعانة له لا سيما فيما يظهر للخلق قال عليه السلام: «مَنِ انْتَهَرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ مَلأَ الله قَلْبَهُ أَمْنًا وَإِيمَانًا، وَمَنْ أَهَانَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ أَمَّنَهُ الله يَوْمَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَمَنْ أَلاَنَ لَهُ وَأَكْرَمَهُ أَوْ لَقِيَهُ بِبِشْرٍ فَقَدِ اسْتَخَفَّ بِمَا أَنْزَلَ الله عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ »(١).

الثالث: المبتدع العامي الذي لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتداء به فأمره أهون، فالأولى أن لا يقابح بالتغليظ والإهانة بل يتلطف به في النصح، فإن قلوب العوام سريعة التقلب، فإن لم ينفع النصح وكان في الإعراض عنه تقبيح لبدعته في عينه تأكد الاستحباب في الإعراض، وإن علم أن ذلك لا يؤثر فيه لجمود طبعه ورسوخ عقده في قلبه فالإعراض أولى لأن البدعة إذا لم يبالغ في تقبيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها. وأما العاصي بفعله وعمله لا باعتقاده فلا يخلو إما أن يكون بحيث يتأذى به غيره كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والتضريب بين الناس والمشي بالنميمة وأمثالها. أو كان مما لا يقتصر عليه ويؤذي غيره وذلك ينقسم إلى ما يدعو غيره إلى الفساد كصاحب الماخور الذي يجمع بين الرجال والنساء ويهيىء أسباب الشرب والفساد لأهل الفساد أو لا يدعو غيره إلى فعله كالذي يشرب ويزني،

من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين» قالوا: يا رسول الله ولم؟ قال «لا تراءى نارهما» ورواه النسائي مرسلا وقال البخاري: الصحيح أنه مرسل. [أبو داود: ٢٦٤٥، والترمذي : ١٦٠٤، والنسائي: ٤٧٨٠، وانظر صحيح أبي داود].

(١) حديث «من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا ومن أهان صاحب بدعة أمنه الله يوم الفزع الأكبر ومن ألان له وأكرمه أو لقيه ببشر فقد استخف بما أنزل الله على محمد ﷺ». أخرجه أبو نعيم في الحلية والهروي في ذم الكلام من حديث ابن عمر بسند ضعيف.

وهذا الذي لا يدعو غيره إما أن يكون عصيانه بكبيرة أو بصغيرة، وكل واحد فإما أن يكون مصرًا عليه أو غير مصر، فهذه التقسيمات يتحصل منها ثلاثة أقسام ولكل قسم منها رتبة وبعضها أشد من بعض ولا نسلك بالكل مسلكًا واحدًا.

القسم الأول: وهو أشدّها: ما يتضرر به الناس كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والنميمة، فهؤلاء الأولى الإعراض عنهم وترك مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم لأن المعصية شديدة فيما يرجع إلى إيذاء الخلق. ثم هؤلاء ينقسمون إلى من يظلم في الدماء وإلى من يظلم في الأموال وإلى من يظلم في الأعراض، وبعضها أشد من بعض فالاستحباب في إهانتهم والإعراض عنهم مؤكد جدًا، ومهما كان يتوقع من الإهانة زجرًا لهم أو لغيرهم كان الأمر فيه آكد وأشد.

الثاني: صاحب الماخور الذي يهيىء أسباب الفساد ويسهل طرقه على الخلق، فهذا لا يؤذي الخلق في دنياهم ولكن يختلس بفعله دينهم، وإن كان على وفق رضاهم فهو قريب من الأول ولكنه أخف منه، فإن المعصية بين العبد وبين الله تعالى إلى العفو أقرب ولكن من حيث إنه متعدّ على الجملة إلى غيره فهو شديد، وهذا أيضًا يقتضي الإهانة والإعراض والمقاطعة وترك جواب السلام إذا ظن أن فيه نوعًا من الزجر له أو لغيره.

الثالث: الذي يفسق في نفسه بشرب خمر أو ترك واجب أو مقارفة محظور يخصه فالأمر فيه أخف ولكنه في وقت مباشرته إن صودف يجب منعه بما يمتنع به منه ولو بالضرب والاستخفاف فإن النهي عن المنكر واجب، وإذا فرغ منه وعلم أن ذلك من عادته وهو مصر عليه فإن تحقق أن نصحه يمنعه عن العود إليه وجب النصح وإن لم يتحقق ولكنه كان يرجو فالأفضل النصح والزجر بالتلطف أو بالتغليظ إن كان هو الأنفع، فأما الإعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته حيث يعلم أنه يصر وأن النصح ليس ينفعه، فهذا فيه نظر وسير العلماء فيه مختلفة، والصحيح أن ذلك يختلف باختلاف نية الرجل فعند هذا يقال: الأعمال بالنيات إذ في الرفق والنظر بعين الرحمة إلى الخلق نوع من التواضع وفي العنف والإعراض نوع من الزجر والمستفتى فيه القلب، فما يراه أميل إلى هواه ومقتضى طبعه فالأولى ضدّه إذ قد يكون استخفافه وعنفه عن كبر وعجب والتذاذ بإظهار العلو والإدلال بالصلاح، وقد يكون رفقه عن مداهنة واستمالة قلب للوصول به إلى غرض أو الخوف من تأثير وحشته ونفرته في جاه أو مال بظن قريب أو بعيد وكل ذلك مردد على إشارات الشيطان وبعيد عن أعمال أهل الآخرة، فكل راغب في أعمال الدين مجتهد مع نفسه في التفتيش عن هذه الدقائق ومراقبة هذه الأحوال، والقلب هو المفتي فيه وقد يصيب الحق في اجتهاده وقد يخطىء وقد يقدم على اتباع هواه وهو عالم به وقد يقدم وهو بحكم الغرور ظانّ أنه عامل لله وسالك طريق الآخرة. وسيأتي بيان هذه الدقائق في كتاب الغرور من ربع المهلكات. ويدل على تخفيف

الأمر في الفسق القاصر الذي هو بين العبد وبين الله ما روي أن شارب خمر ضرب بين يدي رسول الله ﷺ وهو يعود، فقال واحد من الصحابة: لعنه الله ما أكثر ما يشرب، فقال ﷺ: «لاَ تَكُنْ عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكَ»(١)، أو لفظًا هذا معناه وكأن هذا إشارة إلى أن الرفق أولى من العنف والتغليظ.

بيان الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته:

اعلم أنه لا يصلح للصحبة كل إنسان. قال ﷺ: «المَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»(٢)، ولا بد أن يتميز بخصال وصفات يرغب بسببها في صحبته وتشترط تلك الخصال بحسب الفوائد المطلوبة من الصحبة إذ معنى الشرط ما لا بد منه للوصول إلى المقصود فبالإضافة إلى المقصود تظهر الشروط. ويطلب من الصحبة فوائد دينية ودنيوية: أما الدنيوية، فكالانتفاع بالمال أو الجاه أو مجرد الاستئناس بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من أغراضنا. وأما الدينية، فيجتمع فيها أيضًا أغراض مختلفة إذ منها الاستفادة من العلم والعمل، ومنها الاستفادة من الجاه تحصنًا به عن إيذاء من يشوّش القلب ويصدّ عن العبادة، ومنها استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الأوقات في طلب القوت، ومنها الاستعانة في المهمات فيكون عدة في المصائب وقوة في الأحوال، ومنها التبرك بمجرد الدعاء، ومنها انتظار الشفاعة في الآخرة فقد قال بعض السلف: استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة أخيك. وروي في غريب التفسير في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [الشورى:٢٦] قال: يشفعهم في إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم. ويقال: إذا غفر الله للعبد شفع في إخوانه، ولذلك حث جماعة من السلف على الصحبة والألفة والمخالطة وكرهوا العزلة والانفراد، فهذه فوائد تستدعي كل فائدة شروطًا لا تحصل إلا بها، ونحن نفصلها: أما على الجملة فينبغي أن يكون فيمن تؤثر صحبته خمس خصال: أن يكون عاقلًا حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا. أما العقل فهو رأس المال وهو الأصل فلا خير في صحبة الأحمق فإلى الوحشة والقطيعة ترجع عاقبتها وإن طالت. قال علي رضي الله عنه:

فَلاَ تَصْحَبْ أخا الجَهْلِ ... وإيَّاك وإيَّاهُ

---

(١) صحيح: حديث «أن شارب خمر ضرب بين يدي النبي ﷺ وهو يعود، فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يشرب، فقال ﷺ: لا تكن عونا للشيطان على أخيك». أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة. [البخاري: ٦٧٨١].

(٢) حسن: حديث «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل». أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح إن شاء الله. [أبو داود: ٤٨٣٣، والترمذي: ٢٣٧٨، وانظر السلسلة الصحيحة: ٩٢٧].

فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَرْدَى حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ
يُقَاسُ المَرْءُ بِالمَرْءِ إِذَا مَا المَرْءُ مَاشَاهُ
وَلِلشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ مَقَايِيسٌ وَأَشْبَاهُ
وَلِلْقَلْبِ عَلَى القَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ

كيف والأحمق قد يضرك وهو يريد نفعك وإعانتك من حيث لا يدري ولذلك قال الشاعر:

إِنِّي لَآمَنُ مِنْ عَدُوٍّ عَاقِلٍ وَأَخَافُ خِلًّا يَعْتَرِيهِ جُنُونُ
فَالعَقْلُ فَنٌّ وَاحِدٌ وَطَرِيقُهُ أَذْرَى فَأَرْصِدْ وَالجُنُونُ فُنُونُ

ولذلك قيل: مقاطعة الأحمق قربان إلى الله. وقال الثوري: النظر إلى وجه الأحمق خطيئة مكتوبة، ونعني بالعاقل الذي يفهم الأمور على ما هي عليه إما بنفسه وإما إذا فهم. وأما حسن الخلق فلا بد منه إذ رب عاقل يدرك الأشياء على ما هي عليه ولكن إذا غلبه غضب أو شهوة أو بخل أو جبن أطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته وتقويم أخلاقه فلا خير في صحبته.

وأما الفاسق المصر على الفسق فلا فائدة في صحبته لأن من يخاف الله لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته ولا يوثق بصداقته بل يتغير بتغير الأغراض. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الكهف :٢٨] وقال تعالى: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾[طه :١٦] وقال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[النجم :٢٩] وقال: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾[لقمان :١٥] وفي مفهوم ذلك زجر عن الفاسق. وأما المبتدع ففي صحبته خطر سراية البدعة وتعدّي شؤمها إليه فالمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة فكيف تؤثر صحبته؟ وقد قال عمر رضي الله عنه في الحث على طلب التدين في الصديق فيما رواه سعيد بن المسيب قال: عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم فإنهم زينة في الرخاء وعدّة في البلاء وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه واعتزل عدوّك واحذر صديقك إلا الأمين من القوم ولا أمين إلا من خشي الله فلا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى. وأما حسن الخلق فقد جمعه علقمة العطاردي في وصيته لابنه حين حضرته الوفاة قال: يا بني إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك وإن صحبته زانك وإن قعدت بك مؤنة مانك، اصحب من إذا مددت يدك بخير مدّها وإن رأى منك حسنة عدّها وإن رأى سيئة سدّها، اصحب من إذا سألته أعطاك وإن سكت ابتداك وإن نزلت بك نازلة واساك، اصحب من إذا قلت صدّق قولك وإن حاولتما أمرًا أمرك وإن تنازعتما آثرك، فكأنه جمع بهذا جميع حقوق الصحبة وشرط أن يكون قائمًا بجميعها. قال ابن أكثم: قال المأمون فأين هذا؟ فقيل له: أتدري لم أوصاه بذلك؟ قال لا. قال: لأنه أراد أن لا يصحب أحدًا. وقال بعض الأدباء: لا

تصحب من الناس إلا من يكتم سرك ويستر عيبك فيكون معك في النوائب ويؤثرك بالرغائب وينشر حسنتك ويطوي سيئتك فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك.

وقال علي رضي الله عنه:

إن أخاك الحق من كان معكْ ومَنْ يضرّ نفسه لينفعكْ
ومَنْ إذا رَيب زمانٍ صَدَعكْ شتّت فيه شمله ليجمعكْ

وقال بعض العلماء: لا تصحب إلا أحد رجلين: رجل تتعلم منه شيئًا من أمر دينك فينفعك، أو رجل تعلمه شيئًا في أمر دينه فيقبل منك، والثالث فاهرب منه. وقال بعضهم: الناس أربعة: فواحد حلو كله فلا يشبع منه. وآخر مر كله فلا يؤكل منه، وآخر فيه حموضة فخذ من هذا قبل أن يأخذ منك، وآخر فيه ملوحة فخذ منه وقت الحاجة فقط. وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: لا تصحب خمسة: الكذاب فإنك منه على غرور وهو مثل السراب يقرّب منك البعيد ويبعد منك القريب، والأحمق فإنك لست منه على شيء يريد أن ينفعك فيضرك. والبخيل فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه، والجبان فإنه يسلمك ويفر عند الشدّة، والفاسق فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها، فقيل: وما أقل منها؟ قال: الطمع فيها ثم لا ينالها. وقال الجنيد: لأن يصحبني فاسق حسن الخلق أحب إليَّ من أن يصحبني قارىء سيىء الخلق. وقال ابن أبي الحواري: قال لي أستاذي أبو سليمان: يا أحمد لا تصحب إلا أحد رجلين: رجلًا ترتفق به في أمر دنياك، أو رجلًا تزيد معه وتنتفع به في أمر آخرتك، والاشتغال بغير هذين حمق كبير. وقال سهل بن عبد الله: اجتنب صحبة ثلاثة من أصناف الناس: الجبابرة الغافلين، والقرّاء المداهنين، والمتصوّفة الجاهلين. واعلم أن هذه الكلمات أكثرها غير محيط بجميع أغراض الصحبة، والمحيط ما ذكرناه من ملاحظة المقاصد ومراعاة الشروط بالإضافة إليها فليس ما يشترط للصحبة في مقاصد الدنيا مشروطًا للصحبة في الآخرة والأخوّة كما قاله بشر. الإخوان ثلاثة: أخ لآخرتك وأخ لدنياك وأخ لتأنس به. وقلما تجتمع هذه المقاصد في واحد بل تتفرّق على جمع فتتفرّق الشروط فيهم لا محالة. وقد قال المأمون: الإخوان ثلاثة: أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه، والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت، والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط: ولكن العبد قد يبتلي به وهو الذي لا أنس فيه ولا نفع. وقد قيل: مثل جملة الناس كمثل الشجر والنبات، فمنها ما له ظل وليس له ثمر وهو مثل الذي ينتفع به في الدنيا دون الآخرة فإن نفع الدنيا كالظل السريع الزوال، ومنها ما له ثمر وليس له ظل وهو مثل الذي يصلح للآخرة دون الدنيا، ومنها ما له ثمر وظل جميعًا، ومنها ما ليس له واحد منهما كأم غيلان تمزق الثياب ولا طعم فيها ولا شراب، ومثله من الحيوانات الفأرة والعقرب، كما قال تعالى: ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ [الحج:١٣] وقال الشاعر:

النَّاسُ شتَّى إذا ما أنت ذُقْتَهُم لا يستوون كما لا يستوي الشَّجرُ
هـذا لـه ثـمـرٌ حـلـوٌ مَـذَاقَـتُـه وذاكَ ليس له طَعْمٌ ولا ثَمَرُ

فإذا لم يجد رفيقًا يؤاخيه ويستفيد به أحد هذه المقاصد فالواحدة أولى به.

قال أبو ذرّ رضي الله عنه: الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة، ويروى مرفوعًا. وأما الديانة وعدم الفسق فقد قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان:١٥] ولأن مشاهدة الفسق والفساق تهوّن أمر المعصية على القلب وتبطل نفرة القلب عنها. قال سعيد بن المسيب: لا تنظروا إلى الظلمة فتحبط أعمالكم الصالحة بل هؤلاء لا سلامة في مخالطتهم، وإنما السلامة في الانقطاع عنهم. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣] أي سلامة والألف بدل من الهاء، ومعناه إنا سلمنا من إثمكم وأنتم سلمتم من شرنا، فهذا ما أردنا أن نذكره من معاني الأخوة وشروطها وفوائدها فلنرجع في ذكر حقوقها ولوازمها وطرق القيام بحقها. وأما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه، فمجالسة الحريص على الدنيا تحرك الحرص ومجالسة الزاهد تزهد في الدنيا فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا ويستحب صحبة الراغبين في الآخرة. قال علي عليه السلام: أحيوا الطاعات بمجالسة من يستحيا منه. وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: ما أوقعني في بلية إلا صحبة من لا أحتشمه. وقال لقمان: يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن القلوب لتحيا بالحكمة كما تحيا الأرض الميتة بوابل القطر.

الباب الثاني في حقوق الأخوة والصحبة

اعلم أن عقد الأخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين، وكما يقتضي النكاح حقوقًا يجب الوفاء بها قيامًا بحق النكاح - كما سبق ذكره في كتاب آداب النكاح - فكذا عقد الأخوة، فلأخيك عليك حق في المال والنفس وفي اللسان والقلب بالعفو والدعاء وبالإخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك يجمعه ثمانية حقوق:

الحق الأول: في المال:

قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الأَخَوَيْنِ مَثَلُ اليَدَيْنِ تَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى»(١)، وإنما شبههما باليدين لا باليد والرجل لأنهما يتعاونان على غرض واحد، فكذا الأخوان إنما تتم أخوّتهما إذا ترافقا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد، وهذا يقتضي المساهمة في السراء والضراء والمشاركة في المآل والحال وارتفاع الاختصاص والاستئثار. والمواساة بالمال مع

٢ الباب الثاني: في حقوق الأخوة والصحبة

(١) حديث «مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى». تقدم في الباب قبله. [سبق تخريجه تقريباً].

الأخوة على ثلاث مراتب:

أدناها: أن تنزله منزلة عبدك أو خادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك، فإذا سنحت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء ولم تحوجه إلى السؤال فإن أحوجته إلى السؤال فهو غاية التقصير في حق الأخوة.

الثانية: أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك في مالك ونزوله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته في المال قال الحسن: كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه.

الثالثة: وهي العليا أن تؤثره على نفسك وتقدّم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصدّيقين ومنتهى درجات المتحابين ومن ثمار هذه الرتبة الإيثار بالنفس أيضًا، كما روي أنه سعى بجماعة من الصوفية إلى بعض الخلفاء فأمر بضرب رقابهم وفيهم أبو الحسين النوري فبادر إلى السياف ليكون هو أوّل مقتول فقيل له في ذلك فقال: أحببت أن أؤثر إخواني بالحياة في هذه اللحظة، فكان ذلك سبب نجاة جميعهم في حكاية طويلة، فإن لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع أخيك فاعلم أن عقد الأخوة لم ينعقد بعد في الباطن وإنما الجاري بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها في العقل والدين، فقد قال ميمون بن مهران: من رضي من الإخوان بترك الإفضال فليؤاخ أهل القبور.

وأما الدرجة الدنيا فليست أيضًا مرضية عند ذوي الدين، روي أن عتبة الغلام جاء إلى منزل رجل كان قد آخاه فقال أحتاج من مالك إلى أربعة آلاف، فقال: خذ ألفين فأعرض عنه وقال آثرت الدنيا على الله أما استحييت أن تدعي الأخوة في الله وتقول هذا، ومن كان في الدرجة الدنيا من الأخوة ينبغي أن لا تعامله في الدنيا. قال أبو حازم: إذا كان لك أخ في الله فلا تعامله في أمور دنياك وإنما أراد به من كان في هذه الرتبة.

وأما الرتبة العليا: فهي التي وصف الله تعالى المؤمنين بها في قوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى :٣٨] أي كانوا خلطاء في الأموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض، وكان منهم من لا يصحب من قال: نعلي، لأنه أضافه إلى نفسه. وجاء فتح الموصلي إلى منزل لأخ له وكان غائبًا، فأمر أهله فأخرجت صندوقه ففتحه وأخذ حاجته فأخبرت الجارية مولاها فقال: إن صدقت فأنت حرة لوجه الله سرورًا بما فعل. وجاء رجل إلى أبي هريرة رضي الله عنه وقال: إني أريد أن أؤاخيك في الله فقال: أتدري ما حق الإخاء؟ قال: عرفني، قال: أن لا تكون أحق بدينارك ودرهمك مني، قال: لم أبلغ هذه المنزلة بعد؟ قال: فاذهب عني. وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما لرجل: هل يدخل أحدكم يده في كم أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه؟ قال: لا. قال: فلستم بإخوان. ودخل قوم على الحسن رضي الله عنه فقالوا: يا أبا سعيد أصليت؟ قال: نعم، قالوا: فإن أهل السوق لم يصلوا بعد، قال: ومن يأخذ دينه من أهل السوق؟ بلغني أن أحدهم يمنع أخاه الدرهم قاله كالمتعجب منه. وجاء رجل إلى إبراهيم

ابن أدهم رحمه الله وهو يريد بيت المقدس فقال: إني أريد أن أرافقك، فقال له إبراهيم: على أن أكون أملك لشيئك منك: قال: لا، قال: أعجبني صدقك، قال: فكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله إذا رافقه رجل لم يخالفه وكان لا يصحب إلا من يوافقه، وصحبه رجل شراك فأهدى رجل إلى إبراهيم في بعض المنازل قصعة من ثريد ففتح جراب رفيقه وأخذ حزمة من شراك وجعلها في القصعة وردها إلى صاحب الهدية، فلما جاء رفيقه قال: أين الشراك؟ قال: ذلك الثريد الذي أكلته إيش كان؟ قال: كنت تعطيه شراكين أو ثلاثة. قال: اسمح يسمح لك. وأعطى مرة حمارًا كان لرفيقه ، بغير إذنه ، رجلًا رآه راجلًا فلما جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك. قال ابن عمر رضي الله عنهما: أهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة، فقال: أخي فلان أحوج مني إليه فبعث به إليه فبعثه ذلك الإنسان إلى آخر فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة. وروي أن مسروقًا أدان دينًا ثقيلًا وكان على أخيه خيثمة دين قال: فذهب مسروق فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم، ولما آخى رسول الله بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن: بارك الله لك فيهما[1] فآثره بما آثره به، وكأنه قبله ثم آثره به وذلك مساواة والبداية إيثار والإيثار أفضل من المساواة. وقال أبو سليمان الداراني: لو أن الدنيا كلها لي فجعلتها في فم أخ من إخواني لاستقللتها له. وقال أيضًا: إني لألقم اللقمة أخًا من إخواني فأجد طعمها في حلقي.

ولما كان الإنفاق على الإخوان أفضل من الصدقات على الفقراء قال علي رضي الله تعالى عنه: لعشرون درهمًا أعطيها أخي في الله أحب إليَّ من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين. وقال أيضًا: لأن أصنع صاعًا من طعام وأجمع عليه إخواني في الله أحب إليَّ من أن أعتق رقبة. واقتداء الكل في الإيثار برسول الله ﷺ فإنه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتنى منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم إلى صاحبه، فقال له: يا رسول الله كنت والله أحق بالمستقيم مني فقال: «مَا مِنْ صَاحِبٍ يَصْحَبُ صَاحِبًا وَلَوْ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ إِلاَّ سُئِلَ عَنْ صُحْبَتِهِ هَلْ أَقَامَ فِيهَا حقَّ الله أَمْ أَضَاعَهُ؟»[2] . فأشار بهذا إلى أن الإيثار هو القيام بحق الله في الصحبة. وخرج رسول الله ﷺ إلى بئر يغتسل عندها فأمسك حذيفة بن اليمان

---

(١) صحيح: حديث «لما آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن بارك الله لك فيهما». رواه البخاري من حديث أنس. [البخاري : ٢٠٤٩].

(٢) موضوع: حديث «أنه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتنى منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم إلى صاحبه، فقال له: يا رسول الله كنت والله أحق بالمستقيم مني فقال: ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من النهار إلا سئل عن صحبته هل أقام فيها حق الله أم أضاعه». لم أقف له على أصل. [انظر السلسلة الضعيفة: ١٢٤].

الثوب وقام يستر رسول الله حتى اغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل، فتناول رسول الله ﷺ الثوب وقام يستر حذيفة عن الناس فأبى حذيفة وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا تفعل فأبى عليه السلام إلا أن يستره بالثوب حتى اغتسل[1] وقال ﷺ: «مَا اصْطَحَبَ اثْنَانِ قَطُّ إِلاَّ كَانَ أَحَبُّهُمَا إِلَى الله أَرْفَقُهُمَا بِصَاحِبِهِ»[2]، وروي أن مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائبًا فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل فقال له مالك: كف يدك حتى يجيء صاحب البيت، فلم يلتفت محمد إلى قوله وأقبل على الأكل، وكان مالك أبسط منه وأحسن خلقًا فدخل الحسن وقال: يا مويلك هكذا كنا لا يحتشم بعضنا بعضًا حتى ظهرت أنت وأصحابك. وأشار بهذا إلى أن الانبساط في بيوت الإخوان من الصفاء في الأخوة كيف وقد قال الله تعالى: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [النور :٦١] وقال: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ [النور :٦١] إذ كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويفوّض له التصرف كما يريد، وكان أخوه يتحرج عن الأكل بحكم التقوى حتى أنزل الله تعالى هذه الآية وأذن لهم في الانبساط في طعام الإخوان والأصدقاء.

الحق الثاني : في الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات

والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة:

وهذه أيضًا لها درجات كما للمواساة بالمال فأدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح وقبول المنة. وقال بعضهم: إذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله أن يكون قد نسي فإن لم يقضها فكبر عليه واقرأ هذه الآية: ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ﴾ [الأنعام :٣٦] وقضى ابن شبرمة حاجة لبعض إخوانه كبيرة فجاء بهدية، فقال: ما هذا؟ قال: لما أسديته إلي، فقال: خذ مالك عافاك الله، إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعده في الموتى. قال جعفر بن محمد: إني لأتسارع إلى قضاء حوائج أعدائي مخافة أن أردهم فيستغنوا عني: هذا في الأعداء فكيف في الأصدقاء؟ وكان في السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم إليهم ويمونهم من ماله فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا عينه بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أبيهم في حياته، وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه ويسأل ويقول: هل لكم زيت، هل لكم ملح، هل لكم حاجة؟ وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه أخوه. وبهذا تظهر الشفقة والأخوة فإذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على

---

(١) حديث «ستر حذيفة النبي ﷺ بثوب حتى اغتسل ثم ستره ﷺ لحذيفة حتى اغتسل». لم أجده له أيضا.

(٢) صحيح: حديث «ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه». تقدم في الباب قبله بلفظ «أخدهما حبا لصاحبه».[انظر صحيح الترغيب: ٣٠١٦].

نفسه فلا خير فيها. قال ميمون بن مهران: من لم تنتفع بصداقته لم تضرك عداوته. وقال ﷺ: «أَلاَ وَإِنَّ لله أَوَانِيَ فِي أَرْضِهِ وَهِيَ القُلُوبُ فَأَحَبُّ الأَوَانِي إِلَى الله تَعَالَى أَصْفَاهَا وَأَصْلَبُهَا وَأَرَقُّهَا، أَصْفَاهَا مِنَ الذُّنُوبِ وَأَصْلَبُهَا فِي الدِّينِ وَأَرَقُّهَا عَلَى الإِخْوَانِ»(١) وبالجملة، فينبغي أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك أو أهم من حاجتك، وأن تكون متفقدًا لأوقات الحاجة غير غافل عن أحواله كما لا تغفل عن أحوال نفسك، وتغنيه عن السؤال وإظهار الحاجة إلى الاستعانة، بل تقوم بحاجته كأنك لا تدري أنك قمت بها، ولا ترى لنفسك حقًا بسبب قيامك بها، بل تتقلد منة بقبوله سعيك في حقه وقيامك بأمره. ولا ينبغي أن تقتصر على قضاء الحاجة بل تجتهد في البداية بالإكرام في الزيادة والإيثار والتقديم على الأقارب والولد.

كان الحسن يقول: إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا، لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا وإخواننا يذكروننا بالآخرة. وقال الحسن: من شيّع أخاه في الله بعث الله ملائكة من تحت عرشه يوم القيامة يشيعونه إلى الجنة. وفي الأثر: «ما زار رجل أخًا في الله شوقًا إلى لقائه إلاّ ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة»(٢). وقال عطاء: تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث فإن كانوا مرضى فعودوهم أو مشاغيل فأعينوهم أو كانوا نسوا فذكروهم. وروي: «أنّ ابن عمر كان يلتفت يمينًا وشمالًا بين يدي رسول الله ﷺ فسأله عن ذلك فقال: أحببت رجلًا فأنا أطلبه ولا أراه فقال: إذا أحببت أحدًا فسله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فإن كان مريضًا عدته وإن كان مشغولًا أعنته»(٣). وفي رواية: وعن اسم جدّه وعشيرته. وقال الشعبي في الرجل يجالس الرجل فيقول أعرف وجهه ولا أعرف اسمه: تلك معرفة النوكي. وقيل لابن عباس: من أحب الناس إليك؟ قال: جليسي، وقال: ما اختلف رجل إلى مجلسي ثلاثًا من غير حاجة له إليّ فعلمت ما مكافأته من الدنيا. وقال سعيد بن العاص: لجليسي عليّ ثلاث: إذا دنا رحبت به، وإذا حدّث أقبلت عليه، وإذا جلس أوسعت له. وقد قال تعالى: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح :٢٩]إشارة إلى الشفقة والإكرام. ومن تمام الشفقة أن لا ينفرد بطعام لذيذ أو بحضور في مسرة دونه بل يتنغص لفراقه ويستوحش بانفراده عن أخيه.

---

(١) صحيح: حديث «إن لله أواني في أرضه وهي القلوب فأحب الأواني إلى الله أصفاها وأصلبها». أخرجه الطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني إلا أنه قال «ألينها وأرقها» وإسناده جيد. [انظر السلسلة الصحيحة : ١٦٩١].

(٢) حسن صحيح: حديث «ما زار رجل أخا في الله شوقا إلى لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة». تقدم في الباب قبله. [انظر صحيح الترغيب : ٢٥٧٩].

(٣) ضعيف جداً: حديث ابن عمر «إذا أحببت أحدا فسله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فإن كان مريضا عدته وإن كان مشغولا أعنته». أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق والبيهقي في شعب الإيمان بسند ضعيف ورواه الترمذي من حديث يزيد بن نعامة وقال غريب، ولا يعرف ليزيد بن نعامة سماع من النبي ﷺ [الترمذي : ٢٣٩٢، وانظر السلسلة الضعيفة: ١٧٢٥].

الحق الثالث: في اللسان بالسكوت مرة وبالنطق أخرى:

أما السكوت، فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه في غيبته وحضرته، بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به ولا يماريه ولا يناقشه وأن يسكت عن التجسس والسؤال عن أحواله، وإذا رآه في طريق أو حاجة لم يفاتحه بذكر غرضه من مصدره ومورده ولا يسأله عنه فربما يثقل عليه ذكره أو يحتاج إلى أن يكذب فيه، وليسكت عن أسراره التي بثها إليه ولا يبثها إلى غيره البتة ولا إلى أخص أصدقائه ولا يكشف شيئًا منها ولو بعد القطيعة والوحشة، فإن ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن، وأن يسكت عن القدح في أحبابه وأهله وولده، وأن يسكت عن حكاية قدح غيره فيه، فإنّ الذي سبّك من بلّغك. وقال أنس: «كان ﷺ لا يواجه أحدًا بشيء يكرهه»(١)، والتأذي يحصل أولًا من المبلّغ ثم من القائل، نعم لا ينبغي أن يخفي ما يسمع من الثناء عليه فإنّ السرور به أولًا يحصل من المبلغ للمدح ثم من القائل، وإخفاء ذلك من الحسد. وبالجملة، فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلًا إلا إذا وجب عليه النطق في أمر بمعروف أو نهي عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فإذ ذاك لا يبالي بكراهته فإن ذلك إحسان إليه في التحقيق وإن كان يظن أنها إساءة في الظاهر.

أما ذكر مساوئه وعيوبه ومساوىء أهله فهو من الغيبة وذلك حرام في حق كل مسلم ويزجرك عنه أمران:

أحدهما: أن تطالع أحوال نفسك فإن وجدت فيها شيئًا واحدًا مذمومًا فهون على نفسك ما تراه من أخيك وقدر أنه عاجز عن قهر نفسه في تلك الخصلة الواحدة كما أنك عاجز عما أنت مبتلى به ولا تستثقله بخصلة واحدة مذمومة فأي الرجال المهذب؟ وكل ما لا تصادفه من نفسك في حق الله فلا تنتظره من أخيك في حق نفسك فليس حقك عليه بأكثر من حق الله عليك.

والأمر الثاني: أنك تعلم أنك لو طلبت منزهًا عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولن تجد من تصاحبه أصلًا فما من أحد من الناس إلا وله محاسن ومساوىء فإذا غلبت المحاسن المساوىء فهو الغاية والمنتهى، فالمؤمن الكريم أبدًا يحضر في نفسه محاسن أخيه لينبعث من قلبه التوقير والود والاحترام، وأما المنافق اللئيم فإنه أبدًا يلاحظ المساوىء والعيوب. قال ابن المبارك: المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات. وقال الفضيل: الفتوة العفو عن زلات الإخوان ولذلك قال عليه السلام: «اسْتَعِيذُوا بِالله مِنْ جَارِ السُّوءِ الَّذِي إِنْ رَأَى خَيْرًا سَتَرَهُ وَإِنْ رَأَى شَرًّا أَظْهَرَهُ»(٢)، وما من شخص إلا ويمكن تحسين حاله بخصال فيه ويمكن

---

(١) ضعيف: حديث أنس «كان لا يواجه أحدا بشيء يكرهه». أخرجه أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي في اليوم والليلة بسند ضعيف. [أبو داود: ٤١٨٢، وانظر ضعيف أبي داود].

(٢) حديث «استعيذوا بالله من جار السوء الذي إن رأى خيرا ستره وإن رأى شرا أظهره». أخرجه البخاري في

تقبيحه أيضًا. روي أن رجلًا أثنى على رجل عند رسول الله ﷺ فلما كان من الغد ذمه فقال عليه السلام: «أَنْتَ بِالأَمْسِ تثْنِي عَلَيْهِ وَاليَوْمَ تَذُمُّهُ؟» فقال: والله لقد صدقت عليه بالأمس وما كذبت عليه اليوم إنه أرضاني بالأمس فقلت أحسن ما علمت فيه وأغضبني اليوم فقلت أقبح ما علمت فيه فقال عليه السلام: «إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا»(١) ، وكأنه كره ذلك فشبهه بالسحر، ولذلك قال في خبر آخر: «البَذَاءُ وَالبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ»(٢) ، وفي الحديث الآخر: «إِنَّ الله يَكْرَهُ لَكُمُ البَيَانَ كُلَّ البَيَانِ» وكذلك قال الشافعي رحمه الله: ما أحد من المسلمين يطيع الله ولا يعصيه ولا أحد يعصي الله ولا يطيعه.

فمن كانت طاعته أغلب من معاصيه فهو عدل وإذا جعل مثل هذا عدلًا في حق الله فبأن تراه عدلًا في حق نفسك ومقتضى أخوّتك أولى. وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساوئه يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك إساءة الظن فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهي عنه أيضًا، وحدّه أن لا تحمل فعله على وجه فاسد ما أمكن أن تحمله على وجه حسن. فأما ما انكشف بيقين ومشاهدة فلا يمكنك أن لا تعلمه وعليك أن تحمل ما تشاهد على سهو ونسيان إن أمكن، وهذا الظن ينقسم إلى ما يسمى تفرسًا وهو الذي يستند إلى علامة فإن ذلك يحرك الظن تحريكًا ضروريًا لا يقدر على دفعه، وإلى ما منشؤه سوء اعتقادك فيه حتى يصدر منه فعل له وجهان، فيحملك سوء الاعتقاد فيه على أن تنزله على الوجه الأردإ من غير علامة تخصه به، وذلك جناية عليه بالباطن وذلك حرام في حق كل مؤمن. إذ قال ﷺ: «إِنَّ الله قَدْ حَرَّمَ عَلَى المُؤْمِنِ مِنَ المُؤْمِنِ دَمَهُ وَمَالَهُ وَعِرْضَهُ وَأَنْ يَظُنَّ بِهِ ظَنَّ السُّوءِ»(٣) ، وقال ﷺ: «إِيَّاكُمْ

التاريخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وللنسائي من حديث أبي هريرة وأبي سعيد بسند صحيح «تعوذوا بالله من جار السوء في دار المقام».[حديث «استعيذوا بالله . . .» انظر السلسلة الضعيفة : ١٣٠٧ ، وقال الألباني : ضعيف جداً، وحديث«تعوذ بالله . . . .» عند النسائي : ٥٥٠٢ ، وانظر صحيح الجامع : ٢٩٦٧].

(١) حديث «أن رجلا أثنى على رجل عند رسول الله ﷺ فلما كان من الغد ذمه فقال عليه السلام: أنت بالأمس تثني عليه واليوم تذمه؟ فقال: والله لقد صدقت عليه بالأمس وما كذبت عليه اليوم إنه أرضاني بالأمس فقلت أحسن ما علمت فيه وأغضبني اليوم فقلت أقبح ما علمت فيه فقال عليه السلام: إن من البيان لسحرا». أخرجه الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك من حديث أبي بكرة إلا أنه ذكر المدح والذم في مجلس واحد لا يومين ورواه الحاكم من حديث ابن عباس أطول منه بسند ضعيف أيضا.

(٢) صحيح : حديث «البذاء والبيان شعبتان من النفاق». أخرجه الترمذي وقال حسن غريب والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث أبي أمامة بسند ضعيف. [الترمذي : ٢٠٢٧ ، وانظر صحيح الترغيب : ٢٦٢٩].

(٣) صحيح : حديث «إن الله حرم من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء». أخرجه الحاكم في التاريخ من حديث ابن عباس دون قوله «وعرضه» ورجاله ثقات إلا أن أبا علي النيسابوري قال: ليس هذا عندي من كلام النبي ﷺ إنما هو عندي من كلام ابن عباس. ولابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر، ولمسلم من حديث أبي هريرة «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه».[حديث «إن الله حرم . . . .» عند ابن ماجه : ٣٩٣٢، وانظر السلسلة الصحيحة : ٣٤٢٠، وحديث «كل المسلم . . .» عند مسلم : ٢٥٦٤].

وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ»[١] ، وسوء الظن يدعو إلى التجسس والتحسس، وقد قال ﷺ: «لاَ تَحَسَّسُوا وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ تَقَاطَعُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَكُونُوا عَبَادَ اللهِ إِخْوَانًا»[٢] ، والتجسس في تطلع الأخبار والتحسس بالمراقبة بالعين. فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة أهل الدين. ويكفيك تنبيهًا على كمال الرتبة في ستر القبيح وإظهار الجميل أن الله تعالى وصف به في الدعاء فقيل: يا من أظهر الجميل وستر القبيح. والمرضي عند الله من تخلق بأخلاقه فإنه ستار العيوب وغفار الذنوب ومتجاوز عن العبيد، فكيف لا تتجاوز أنت عمن هو مثلك أو فوقك وما هو بكل حال عبدك ولا مخلوقك؟ وقد قال عيسى عليه السلام للحواريين: كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائمًا وقد كشف الريح ثوبه عنه؟ قالوا: نستره ونغطيه، قال: بل تكشفون عورته قالوا: سبحان الله من يفعل هذا؟ فقال: أحدكم يسمع بالكلمة في أخيه فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها. واعلم أنه لا يتم إيمان المرء ما لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه. وأقل درجات الأخوة أن يعامل أخاه بما يحب أن يعامله به ولا شك أنه ينتظر منه ستر العورة والسكوت على المساوىء والعيوب، ولو ظهر له منه نقيض ما ينتظره اشتد عليه غيظه وغضبه فما أبعده إذا كان ينتظر منه ما لا يضمره له ولا يعزم عليه لأجله، وويل له في نص كتاب الله تعالى حيث قال: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝﴾ [المطففين :١-٣] وكل من يلتمس من الإنصاف أكثر مما تسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية. ومنشأ التقصير في ستر العورة أو السعي في كشفها الداء الدفين في الباطن وهو الحقد والحسد، فإن الحقود الحسود يملأ باطنه بالخبث ولكن يحبسه في باطنه ويخفيه ولا يبديه مهما لم يجد له مجالاً وإذا وجد فرصة انحلت الرابطة وارتفع الحياء ويترشح الباطن بخبثه الدفين. ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فالانقطاع أولى، قال بعض الحكماء: ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد، ولا يزيد لطف الحقود إلا وحشة منه، ومن في قلبه سخيمة على مسلم فإيمانه ضعيف وأمره مخطر وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله.

وقد روى عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه أنه قال: كنت باليمن ولي جار يهودي يخبرني عن التوراة فقدم عليَّ اليهودي من سفر فقلت: إن الله قد بعث فينا نبيًا فدعانا إلى الإسلام فأسلمنا وقد أنزل علينا كتابًا مصدقًا للتوراة، فقال اليهودي: صدقت ولكنكم لا تستطيعون أن تقوموا بما جاءكم به، إنا نجد نعته ونعت أمته في التوراة: إنه لا يحل لامرىء أن

---

(١) صحيح: حديث «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث». متفق عليه من حديث أبي هريرة. [البخاري: ٥١٤٤، ومسلم: ٢٥٦٣].

(٢) صحيح: حديث «لا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا». متفق عليه من حديث أبي هريرة وهو بعض الحديث الذي قبله. [سبق تخريجه بنحو الحديث السابق].

يخرج من عتبة بابه وفي قلبه سخيمة على أخيه المسلم. ومن ذلك أن يسكت عن إفشاء سره الذي استودعه، وله أن ينكره وإن كان كاذبًا فليس الصدق واجبًا في كل مقام، فإنه كما يجوز للرجل أن يخفي عيوب نفسه وأسراره وإن احتاج إلى الكذب فله أن يفعل ذلك في حق أخيه، فإن أخاه نازل منزلته وهما كشخص واحد لا يختلفان إلا بالبدن. هذه حقيقة الأخوة وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرائيًا وخارجًا عن أعمال السر إلى أعمال العلانية فإن معرفة أخيه بعمله كمعرفته بنفسه من غير فرق، وقد قال عليه السلام: «مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ سَتَرَهُ الله تَعَالَى فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»(١) ، وفي خبر آخر: «فَكَأَنَّمَا أَحْيَا مَوْءُودَةً»(٢) ، وقال عليه السلام: «إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِحَدِيثٍ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهُوَ أَمَانَةٌ»(٣) ، وقال ﷺ : «المَجَالِسُ بَالأَمَانَةِ إِلاَّ ثَلاَثَةُ مَجَالِسَ: مَجْلِسٌ يُسْفَكُ فِيهِ دَمٌ حَرَامٌ، وَمَجْلِسٌ يُسْتَحَلُّ فِيهِ فَرْجٌ حَرَامٌ، وَمَجْلِسٌ يُسْتَحَلُّ فِيهِ مَالٌ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ»(٤) ، وقال ﷺ : «إِنَّمَا يَتَجَالَسُ المُتَجَالِسَانِ بَالأَمَانَةِ وَلاَ يَحِلُّ لأَحَدِهِمَا أَنْ يُفْشِيَ عَلَى صَاحِبِهِ مَا يَكْرَهُ»(٥) .

قيل لبعض الأدباء: كيف حفظك للسر؟ قال: أنا قبره. وقد قيل: صدور الأحرار قبور الأسرار. وقيل: إن قلب الأحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه، أي لا يستطيع الأحمق إخفاء ما في نفسه فيبديه من حيث لا يدري به. فمن هذا يجب مقاطعة الحمقى والتوقي عن صحبتهم بل عن مشاهدتهم. وقد قيل لآخر: كيف تحفظ السر؟ قال: أجحد المخبر وأحلف للمستخبر. وقال آخر: أستره وأستر أني أستره وعبر عنه ابن المعتز فقال:

---

(١) صحيح: حديث «من ستر عورة أخيه ستره الله في الدنيا والآخرة». أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عباس وقال «يوم القيامة» ولم يقل «في الدنيا» ولمسلم من حديث أبي هريرة «من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة» وللشيخين من حديث ابن عمر «من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة».[حديث «من ستر عورة . . .» عند ابن ماجه : ٢٥٤٦، وانظر صحيح الترغيب: ٢٣٣٨، وحديث أبي هريرة عند مسلم : ٢٦٩٩، وحديث ابن عمر عند البخاري : ٢٤٤٢، ومسلم : ٢٥٨٠].

(٢) ضعيف: حديث «فكأنما أحيا موؤودة من قبرها». أخرجه أبو داود والنسائي والحاكم من حديث عقبة بن عامر «من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موؤودة» زاد الحاكم «من قبرها» وقال صحيح الإسناد. [أبو داود : ٤٨٩١، وانظر السلسلة الضعيفة : ١٢٦٥].

(٣) حسن: حديث «إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة». أخرجه أبو داود والترمذي من حديث جابر وقال حسن. [أبو داود: ٤٨٦٨، والترمذي: ١٩٥٩، وانظر صحيح أبي داود].

(٤) ضعيف: حديث «المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس: مجلس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال من غير حله». أخرجه أبو داود من حديث جابر من رواية ابن أخيه غير مسمى عنه. [أبو داود: ٤٨٦٩، وانظر ضعيف الترغيب: ١٢٤٢].

(٥) ضعيف: حديث «إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة لا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يكره». أخرجه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بإسناد ضعيف ورواه ابن المبارك في الزهد من رواية أبي بكر بن حزم مرسلا والحاكم وصححه من حديث ابن عباس «إنكم تجالسون بينكم بالأمانة».[انظر السلسلة الضعيفة : ٣٨٥٤].

ومستودعي سِرًّا تبوأتُ كَتْمه فأودَعْته صدري فصارَ له قَبْرا

وقال آخر وأراد الزيادة عليه:

وما السرُّ في صدري كثاوٍ بقبره لأني أرى المقبور ينتظر النّشرا
ولكنني أنساهُ حتّى كأنني بما كان منه لم أحط ساعة خبرا
ولو جاز كتم السرِّ بيني وبينه عن السرِّ والأحشاء لم تعلم السرّا

وأفشى بعضهم سرًا له إلى أخيه ثم قال له: حفظت؟ فقال: بل نسيت. وكان أبو سعيد الثوري يقول: إذا أردت أن تؤاخي رجلًا فأغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك، فإن قال خيرًا وكتم سرك فاصحبه. وقيل لأبي يزيد: من تصحب من الناس؟ قال: من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر عليك كما يستره الله. وقال ذو النون: لا خير في صحبة من لا يحب أن يراك إلا معصومًا ومن أفشى السر عند الغضب فهو اللئيم لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها. وقد قال بعض الحكماء: لا تصحب من يتغير عليك عند أربع: عند غضبه ورضاه، وعند طمعه وهواه. بل ينبغي أن يكون صدق الأخوة ثابتًا على اختلاف هذه الأحوال ولذلك قيل:

وترى الكريم إذا تصرّم وصْلُه يخفي القبيحَ ويُظْهِرُ الإحْسانا
وترى اللئيم إذا تقضّى وصْله يخفي الجميلَ ويُظَهِر البُهْتَانا

وقال العباس لابنه عبد الله: إني أرى هذا الرجل - يعني عمر رضي الله عنه - يقدّمك على الأشياخ فاحفظ عني خمسًا: لا تفشين له سرًا، ولا تغتابن عنده أحدًا، ولا تجرين عليه كذبًا، ولا تعصين له أمرًا، ولا يطلعن منك على خيانة، فقال الشعبي: كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف. ومن ذلك السكوت عن المماراة والمدافعة في كل ما يتكلم به أخوك. قال ابن عباس: لا تمار سفيهًا فيؤذيك ولا حليمًا فيقليك.

وقد قال ﷺ: «مَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ، وَمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي أَعْلَى الجَنَّةِ»(١) هذا مع أن تركه مبطلًا واجب، وقد جعل ثواب النفل أعظم لأن السكوت عن الحق أشد على النفس من السكوت على الباطل، وإنما الأجر على قدر النصب. وأشد الأسباب لإثارة نار الحقد بين الإخوان المماراة والمنافسة فإنها عين التدابر والتقاطع، فإن التقاطع يقع أوّلًا بالآراء ثم بالأقوال ثم بالأبدان. وقال عليه السلام: «لاَ تَدَابَرُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَقَاطَعُوا وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَحْرِمُهُ وَلاَ يَخْذِلُهُ بِحَسْبِ المَرْءِ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ»(٢)، وأشد

(١) حسن لغيره: حديث «من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة». تقدم في العلم. [انظر صحيح الترغيب: ١٣٨].
(٢) صحيح: حديث «لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا؛ المسلم أخو

الاحتقار المماراة فإن من رد على غيره كلامه فقد نسبه إلى الجهل والحمق أو إلى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه، وكل ذلك استحقار وإيغار للصدر وإيحاش. وفي حديث أبي أمامة الباهلي قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتمارى فغضب وقال: «ذَرُوا المِرَاءَ لِقَلَّةِ خَيْرِهِ وَذَرُوا المِرَاءَ فَإِنَّ نَفْعَهُ قَلِيلٌ وَإِنَّهُ يُهَيِّجُ العَدَاوَةَ بَيْنَ الإِخْوَانِ»(١)، وقال بعض السلف: من لاحى الإخوان وماراهم قلّت مروءته وذهبت كرامته. وقال عبد الله بن الحسن: إياك ومماراة الرجال فإنك لن تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم. وقال بعض السلف: أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم، وكثرة المماراة توجب التضييع والقطيعة وتورث العداوة. وقد قال الحسن: لا تشتر عداوة رجل بمودة ألف رجل. وعلى الجملة؛ فلا باعث على المماراة إلا إظهار التمييز بمزيد العقل والفضل واحتقار المردود عليه بإظهار جهله، وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والإيذاء والشتم بالحمق والجهل، ولا معنى للمعاداة إلا هذا فكيف تضامنه الأخوة والمصافاة؟ فقد روى ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لاَ تُمَارِ أَخَاكَ وَلاَ تُمَازِحْهُ وَلاَ تَعِدْهُ مَوْعِدًا فَتُخْلِفَهُ»(٢)، وقد قال عليه السلام: «إِنَّكُمْ لاَ تَسَعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ وَلكِنْ لِيَسَعْهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ وَجْهٍ وَحُسْنُ خُلُقٍ»(٣)، والمماراة مضادة لحسن الخلق. وقد انتهى السلف في الحذر عن المماراة والحض على المساعدة إلى حدّ لم يروا السؤال أصلًا. وقالوا: إذا قلت لأخيك قم فقال إلى أين؟ فلا تصحبه بل قالوا ينبغي أن يقوم ولا يسأل. وقال أبو سليمان الداراني: كان لي أخ بالعراق فكنت أجيئه في النوائب فأقول: أعطني من مالك شيئًا، فكان يلقي إليّ كيسه فآخذ منه ما أريد، فجئته ذات يوم فقلت: أحتاج إلى شيء. فقال: كم تريد؟ فخرجت حلاوة إخائه من قلبي. وقال آخر: إذا طلبت من

المسلم لا يظلمه ولا يحرمه ولا يخذله؛ بحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وأوله متفق عليه من حديثه وحديث أنس وقد تقدم بعضه قبل هذا بسبعة أحاديث. [الحديث عند مسلم: ٢٥٦٤، وأما شطره الأول فعند البخاري : ٦٠٦٤، ومسلم : ٢٥٦٣ عن أبي هريرة، والبخاري : ٦٠٦٥، ومسلم : ١٩٣٥ عن أنس].

(١) موضوع: حديث أبي أمامة «خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتمارى فغضب وقال ذروا المراء لقلة خيره فإن نفعه قليل وإنه يهيج العداوة بين الإخوان». أخرجه الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة وأبي الدرداء وواثلة وأنس دون ما بعد قوله «لقلة خيره» ومن هنا إلى آخر الحديث رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة فقط وإسنادهما ضعيف. [انظر ضعيف الترغيب: ١١٤].

(٢) ضعيف: حديث ابن عباس «لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه». أخرجه الترمذي وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه يعني من حديث ليث بن أبي سليم وضعفه الجمهور، [الترمذي: ١٩٩٥، وانظر ضعيف الجامع: ١١٤].

(٣) ضعيف: حديث «إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق». أخرجه أبو يعلى الموصلي والطبراني في مكارم الأخلاق وابن عدي في الكامل وضعفه والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة، [انظر ضعيف الجامع: ٦٢٧٤].

أخيك مالًا فقال: ماذا تصنع به؟ فقد ترك حق الإخاء... واعلم أن قوام الأخوة بالموافقة في الكلام والفعل والشفقة. قال أبو عثمان الحيري: موافقة الإخوان خير من الشفقة عليهم، وهو كما قال.

الحق الرابع : على اللسان بالنطق:

فإن الأخوة كما تقتضي السكوت عن المكاره تقتضي أيضًا النطق بالمحاب، بل هو أخص بالأخوة لأن من قنع بالسكوت صحب أهل القبور، وإنما تراد الإخوان ليستفاد منهم لا ليتخلص عن أذاهم، والسكوت، معناه كف الأذى فعليه أن يتودد إليه بلسانه ويتفقده في أحواله التي يجب أن يتفقد فيها كالسؤال عن عارض إن عرض وإظهار شغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه، وكذا جملة أحواله التي يكرهها ينبغي أن يظهر بلسانه وأفعاله كراهتها، وجملة أحواله التي يسر بها ينبغي أن يظهر بلسانه مشاركته له في السرور بها. فمعنى الأخوة المساهمة في السراء والضراء، وقد قال عليه السلام: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ» (١)، وإنما أمر بالإخبار لأن ذلك يوجب زيادة حب، فإن عرف أنك تحبه أحبك بالطبع لا محالة، فإذا عرفت أنه أيضًا يحبك زاد حبك لا محالة فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف. والتحاب بين المؤمنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين، ولذلك علم فيه الطريق فقال: «تَهَادُوا تَحَابُّوا» (٢)، ومن ذلك أن تدعوه بأحب أسمائه إليه في غيبته وحضوره. قال عمر رضي الله عنه: ثلاث يصفين لك ود أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته أوّلًا، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه. ومن ذلك أن تثني عليه بما تعرف من محاسن أحواله عند من يؤثر هو الثناء عنده فإن ذلك من أعظم الأسباب في جلب المحبة، وكذلك الثناء على أولاده وأهله وصنعته وفعله حتى على عقله وخلقه وهيئته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع ما يفرح به وذلك من غير كذب وإفراط، ولكن تحسين ما يقبل التحسين لا بد منه وآكد من ذلك أن تبلغه ثناء من أثنى عليه مع إظهار الفرح فإن إخفاء ذلك محض الحسد، ومن ذلك أن تشكره على صنيعه في حقك بل على نيته وإن لم يتم ذلك.

قال علي رضي الله عنه: من لم يحمد أخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنيعة. وأعظم من ذلك تأثيرًا في جلب المحبة الذب عنه في غيبته مهما قصد بسوء أو تعرض لعرضه بكلام صريح أو تعريض فحق الأخوة التشمير في الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه، والسكوت عن ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب وتقصير في حق الأخوة. وإنما شبه

---

(١) حسن : حديث «إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره». أخرجه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح والحاكم من حديث المقدام بن معديكرب، [أبو داود: ٥١٢٥، والترمذي: ٢٣٩٢، انظر صحيح أبي داود].

(٢) حسن: حديث «تهادوا تحابوا». أخرجه البيهقي من حديث أبي هريرة وقد تقدم غير مرة، [إرواء الغليل: ١٦٠١].

رسول الله ﷺ الأخوين باليدين تغسل إحداهما الأخرى لينصر أحدهما الآخر وينوب عنه[(١)] وقد قال رسول الله ﷺ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذِلُهُ وَلاَ يَثْلِمُهُ»[(٢)] ، وهذا من الانثلام والخذلان فإن إهماله لتمزيق عرضه كإهماله لتمزيق لحمه. فأخسس بأخ يراك والكلاب تفترسك وتمزق لحومك وهو ساكت لا تحركه الشفقة والحمية للدفع عنك وتمزيق الأعراض أشد على النفوس من تمزيق اللحوم ولذلك شبهه الله تعالى بأكل لحوم الميتة فقال: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات:١٢] والملك الذي يمثله في المنام ما تطالعه الروح من اللوح المحفوظ بالأمثلة المحسوسة يمثل الغيبة بأكل لحوم الميتة، حتى أن من يرى أنه يأكل لحم ميته فإنه يغتاب الناس لأن ذلك الملك في تمثيله يراعي المشاركة والمناسبة بين الشيء وبين مثاله في المعنى الذي يجري من المثال مجرى الروح؛ لا في ظاهر الصور. فإذن حماية الأخوة بدفع ذم الأعداء وتعنت المتعنتين واجب في عقد الأخوة. وقد قال مجاهد: لا تذكر أخاك في غيبته إلا كما تحب أن يذكرك في غيبتك، فإذن لك فيه معياران:

أحدهما: أن تقدر أن الذي قيل فيه لو قيل فيك وكان أخوك حاضرًا ما الذي كنت تحب أن يقوله أخوك فيك؟ فينبغي أن تعامل المتعرض لعرضه به.

والثاني: أن تقدر أنه حاضر من وراء جدار يسمع قولك ويظن أنك لا تعرف حضوره؛ فما كان يتحرك في قلبك من النصرة له بمسمع منه ومرأى؟ فينبغي أن يكون في مغيبه كذلك فقد قال بعضهم: ما ذكر أخ لي بغيب إلا تصورته جالسًا فقلت فيه ما يحب أن يسمعه لو حضر: وقال آخر: ما ذكر أخ لي إلا تصورت نفسي في صورته فقلت فيه مثل ما أحب أن يقال فيَّ. وهذا من صدق الإسلام وهو أن لا يرى لأخيه إلا ما يراه لنفسه. وقد نظر أبو الدرداء إلى ثورين يحرثان في فدان فوقف أحدهما يحك جسمه فوقف الآخر؛ فبكى وقال: هكذا الإخوان في الله يعملان لله فإذا وقف أحدهما وافقه الآخر.

وبالموافقة يتم الإخلاص ومن لم يكن مخلصًا في إخائه فهو منافق. والإخلاص استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والخلوة والاختلاف، والتفاوت في شيء من ذلك مماذقة في المودة وهو دخل في الدين ووليجة في طريق المؤمنين، ومن لا يقدر من نفسه على هذا فالانقطاع والعزلة أولى به من المؤاخاة والمصاحبة، فإن حق الصحبة ثقيل لا يطيقه إلا محقق فلا جرم أجره جزيل لا يناله إلا موفق. ولذلك قال عليه السلام: «أَبَا هِرَ أَحْسِنْ مُجَاوَرَةَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا وَأَحْسِنْ مُصَاحَبَةَ صَاحِبِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا»[(٣)] ، فانظر

---

(١) حديث «تشبيه الأخوين باليدين». تقدم في الباب قبله.

(٢) صحيح: حديث «المسلم أخو المسلم». تقدم في أثناء حديث قبله بسبعة أحاديث، [البخاري: ٢٤٤٢، مسلم: ٢٥٨٠، عن ابن عمر].

(٣) حسن: حديث «أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا».

كيف جعل الإيمان جزاء الصحبة والإسلام جزاء الجوار؟ فالفرق بين فضل الإيمان وفضل الإسلام على حد الفرق بين المشقة في القيام بحق الجوار والقيام بحق الصحبة. فإن الصحبة تقتضي حقوقًا كثيرة في أحوال متقاربة مترادفة على الدوام والجوار لا يقتضي إلا حقوقًا قريبة في أوقات متباعدة لا تدوم. ومن ذلك التعليم والنصيحة فليس حاجة أخيك إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال، فإن كنت غنيًا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وإرشاده إلى كل ما ينفعه في الدين والدنيا، فإن علمته وأرشدته ولم يعمل بمقتضى العلم فعليك النصيحة وذلك بأن تذكر آفات ذلك الفعل وفوائد تركه وتخوّفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة لينزجر عنه وتنبهه على عيوبه وتقبح القبيح في عينه وتحسن الحسن، ولكن ينبغي أن يكون ذلك في سر لا يطلع عليه أحد فما كان على الملأ فهو توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة إذ قال ﷺ: «المُؤْمِنُ مِرْآةُ المُؤْمِنِ»(١) . أي يرى منه ما لا يرى من نفسه فيستفيد المرء بأخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة. وقال الشافعي رضي الله عنه: من وعظ أخاه سرًا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه. وقيل لمسعر: أتحب من يخبرك بعيوبك؟ فقال: إن نصحني فيما بيني وبينه فنعم وإن قرّعني بين الملأ فلا. وقد صدق، فإن النصح على الملأ فضيحة والله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه في ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سرًا، وقد يدفع كتاب عمله مختومًا إلى الملائكة الذين يحفون به إلى الجنة، فإذا قاربوا باب الجنة أعطوه الكتاب مختومًا ليقرأه، وأما أهل المقت فينادون على رؤوس الأشهاد وتستنطق جوارحهم بفضائحهم فيزدادون بذلك خزيًا وافتضاحًا ونعوذ بالله من الخزي يوم العرض الأكبر.

فالفرق بين التوبيخ والنصيحة بالإسرار والإعلان كما أن الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الإغضاء. فإن أغضيت لسلامة دينك ولما ترى من إصلاح أخيك بالإغضاء فأنت مدار وإن أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداهن. وقال ذو النون: لا تصحب مع الله إلا بالموافقة، ولا مع الخلق إلا بالمناصحة، ولا مع النفس إلا بالمخالفة، ولا مع الشيطان إلا بالعداوة.

فإن قلت: فإذا كان في النصح ذكر العيوب ففيه إيحاش القلب فكيف يكون ذلك من حق الأخوة؟ فاعلم أن الإيحاش: إنما يحصل بذكر عيب يعلمه أخوك من نفسه فأما تنبيهه على ما

أخرجه الترمذي وابن ماجه واللفظ له من حديث أبي هريرة بالشطر الأول فقط وقال الترمذي «مؤمنا» قال «وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما» وقال ابن ماجه «مؤمنا» قال الدارقطني والحديث ثابت ورواه القضاعي في مسند الشهاب بلفظ المصنف، [الترمذي: ٢٣٠٥، وابن ماجه: ٤٢١٧، وانظر الصحيحة: ٩٣٠].

(١) حسن: حديث «المؤمن مرآة المؤمن». أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة بإسناد حسن، [أبو داود: ٤٩١٨، وانظر السلسلة الصحيحة: ٩٢٦].

لا يعلمه فهو عين الشفقة وهو استمالة القلوب، أعني قلوب العقلاء، وأما الحمقى فلا يلتفت إليهم فإن من ينبهك على فعل مذموم تعاطيته أو صفة مذمومة اتصفت بها لتزكي نفسك عنها كان كمن ينبهك على حية أو عقرب تحت ذيلك وقد همت بإهلاكك، فإن كنت تكره ذلك فما أشد حمقك والصفات الذميمة عقارب وحيات وهي في الآخرة مهلكات فإنها تلدغ القلوب والأرواح وألمها أشد مما يلدغ الظواهر والأجساد وهي مخلوقة من نار الله الموقدة، ولذلك كان عمر رضي الله عنه يستهدي ذلك من إخوانه ويقول: رحم الله امرأ أهدى إلى أخيه عيوبه، ولذلك قال عمر لسلمان وقد قدم عليه: ما الذي بلغك عني مما تكره؟ فاستعفى، فألح عليه فقال: بلغني أن لك حلتين تلبس إحداهما بالنهار والأخرى بالليل، وبلغني أنك تجمع بين إدامين على مائدة واحدة، فقال عمر رضي الله عنه: أما هذان فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما؟ فقال: لا. وكتب حذيفة المرعشي إلى يوسف بن أسباط: بلغني أنك بعت دينك بحبتين: وقفت على صاحب لبن فقلت: بكم هذا؟ فقال: بسدس، فقلت له: لا... بثمن فقال: هو لك، وكان يعرفك. اكشف عن رأسك قناع الغافلين وانتبه عن رقدة الموتى، واعلم أن من قرأ القرآن ولم يستغن وآثر الدنيا لم آمن أن يكون بآيات الله من المستهزئين، وقد وصف الله تعالى الكاذبين ببغضهم للناصحين إذ قال: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف:٧٩] وهذا في عيب هو غافل عنه، فأما ما علمت أنه يعلمه من نفسه فإنما هو مقهور عليه من طبعه فلا ينبغي أن يكشف فيه ستره وإن كان يخفيه، وإن كان يظهره فلا بد من التلطف في النصح بالتعريض مرة وبالتصريح أخرى إلى حد لا يؤدي إلى الإيحاش، فإن علمت أن النصح غير مؤثر فيه وأنه مضطر من طبعه إلى الإصرار عليه فالسكوت عنه أولى وهذا كله فيما يتعلق بمصالح أخيك في دينه أو دنياه، أما ما يتعلق بتقصيره في حقك فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعامي عنه، والتعرض لذلك ليس من النصح في شيء، نعم إن كان بحيث يؤدي استمراره عليه إلى القطيعة فالعتاب في السر خير من القطيعة، والتعريض به خير من التصريح، والمكاتبة خير من المشافهة، والاحتمال خير من الكل، إذ ينبغي أن يكون قصدك من أخيك إصلاح نفسك بمراعاتك إياه وقيامك بحقه واحتمالك تقصيره لا الاستعانة به والاسترفاق منه.

قال أبو بكر الكتاني: صحبني رجل وكان على قلبي ثقيلًا فوهبت له يومًا شيئًا على أن يزول ما في قلبي فلم يزل، فأخذت بيده يومًا إلى البيت وقلت له: ضع رجلك على خدي، فأبى، فقلت، لا بد، ففعل، فزال ذلك من قلبي. وقال أبو علي الرباطي: صحبت عبد الله الرازي وكان يدخل البادية فقال: على أن تكون أنت الأمير أو أنا؟ فقلت: بل أنت فقال: وعليك الطاعة فقلت: نعم فأخذ مخلاة ووضع فيها الزاد وحملها على ظهره فإذا قلت له أعطني. قال: ألست قلت أنت الأمير؟ فعليك الطاعة فأخذنا المطر ليلة فوقف على رأسي إلى الصباح وعليه كساء وأنا جالس يمنع عني المطر فكنت أقول مع نفسي ليتني مت ولم أقل أنت الأمير.

الحق الخامس: العفو عن الزلات والهفوات:

وهفوة الصديق لا تخلو إما أن تكون في دينه بارتكاب معصية أو في حقك بتقصيره في الأخوة. أما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية والإصرار عليها فعليك التلطف في نصحه بما يقوم أوده ويجمع شمله ويعيد إلى الصلاح والورع حاله. فإن لم تقدر وبقي مصرًا فقد اختلفت طرق الصحابة والتابعين في إدامة حق مودّته أو مقاطعته. فذهب أبو ذرّ رضي الله عنه إلى الانقطاع وقال: إذا انقلب أخوك عما كان عليه فأبغضه من حيث أحببته، ورأى ذلك من مقتضى الحب في الله والبغض في الله. وأما أبو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا إلى خلافه؛ فقال أبو الدرداء: إذا تغير أخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك فإن أخاك يعوج مرة ويستقيم أخرى. وقال إبراهيم النخعي: لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب بذنبه فإن يرتكبه اليوم ويتركه غدًا. وقال أيضًا: لا تحدّثوا الناس بزلة العالم فإن العالم يزل الزلة ثم يتركها. وفي الخبر: «اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته»[(١)] . وفي حديث عمر وقد سأل عن أخ كان آخاه فخرج إلى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه وقال: ما فعل أخي؟ قال: ذلك أخو الشيطان قال: مه، قال: إنه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر.

قال: إذا أردت الخروج فآذني فكتب عند خروجه إليه «بسم الله الرحمن الرحيم»: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر: ١-٣] الآية، ثم عاتبه تحت ذلك وعذله. فلما قرأ الكتاب بكى وقال: صدق الله ونصح لي عمر فتاب ورجع.

وحكي أن أخوين ابتلى أحدهما بهوى فأظهر عليه أخاه وقال: إني قد اعتللت فإن شئت أن لا تعقد على صحبتي لله فافعل، فقال: ما كنت لأحل عقد أخوتك لأجل خطيئتك أبدًا، ثم عقد أخوه بينه وبين الله أن لا يأكل ولا يشرب حتى يعافي الله أخاه من هواه، فطوى أربعين يومًا في كلها يسأله عن هواه فكان يقول: القلب مقيم على حاله. وما زال هو يتحلل من الغم والجوع حتى زال الهوى عن قلب أخيه بعد الأربعين فأخبره بذلك فأكل وشرب بعد أن كاد يتلف هزالًا وضرًا.

وكذلك حكي عن أخوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة فقيل لأخيه: ألا تقطعه وتهجره، فقال: أحوج ما كان إليّ في هذا الوقت لما وقع في عثرته أن آخذ بيده وأتلطف له في المعاتبة وأدعو له بالعود إلى ما كان عليه.

وروي في الإسرائيليات أن أخوين عابدين كانا في جبل نزل أحدهما ليشتري من المصر

---

(١) ضعيف: حديث «اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته». رواه البغوي في المعجم وابن عدي في الكامل من حديث عمرو بن عوف المزني وضعفاه، [انظر ضعيف الجامع: ١٢٥].

لحمًا بدرهم فرأى بغيًا عند اللحام فرمقها وعشقها واجتذبها إلى خلوة وواقعها، ثم أقام عندها ثلاثًا واستحيا أن يرجع إلى أخيه حياء من جنايته. قال: فافتقده أخوه واهتم بشأنه فنزل إلى المدينة فلم يزل يسأل عنه حتى دل عليه فدخل إليه وهو جالس معها فاعتنقه وجعل يقبله ويلتزمه وأنكر الآخر أنه يعرفه قط لفرط استحيائه منه فقال: قم يا أخي فقد علمت شأنك وقصتك وما كنت قط أحب إليَّ ولا أعز من ساعتك هذه، فلما رأى أن ذلك لم يسقطه من عينه قام فانصرف معه. فهذه طريقة قوم وهي ألطف وأفقه من طريقة أبي ذر رضي الله عنه، وطريقته أحسن وأسلم.

فإن قلت: ولِمَ قلت هذا ألطف وأفقه ومقارف هذه المعصية لا تجوز مؤاخاته ابتداء فتجب مقاطعته انتهاء لأن الحكم إذا ثبت بعلة فالقياس أن يزول بزوالها، وعلة عقد الأخوة التعاون في الدين ولا يستمر ذلك مع مقارفة المعصية؟ فأقول: أما كونه ألطف فلما فيه من الرفق والاستمالة والتعطف المفضي إلى الرجوع والتوبة لاستمرار الحياء عند دوام الصحبة، ومهما قوطع وانقطع طمعه عن الصحبة أصر واستمر. وأما كونه أفقه فمن حيث إن الأخوة عقد ينزل منزلة القرابة فإذا انعقدت تأكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد، ومن الوفاء به أن لا يهمل أيام حاجته وفقره وفقر الدين أشدّ من فقر المال، وقد أصابته جائحة وألمت به آفة افتقر بسببها في دينه فينبغي أن يراقب ويراعي ولا يهمل، بل لا يزال يتلطف به ليعان على الخلاص من تلك الوقعة التي ألمت به. فالأخوة عدة للنائبات وحوادث الزمان وهذا من اشدّ النوائب، والفاجر إذا صحب تقيًا وهو ينظر إلى خوفه ومداومته فسيرجع على قرب ويستحي من الإصرار بل الكسلان يصحب الحريص في العمل فيحرص حياء منه. قال جعفر بن سليمان: مهما فترت في العمل نظرت إلى محمد بن واسع وإقباله على الطاعة فيرجع إليَّ نشاطي في العبادة وفارقني الكسل وعملت عليه أسبوعًا وهذا التحقيق وهو أن الصداقة لحمة كلحمة النسب والقريب لا يجوز أن يهجر بالمعصية، ولذلك قال الله تعالى لنبيه ﷺ في عشيرته: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٦] ولم يقل إني بريء منكم مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب. وإلى هذا أشار أبو الدرداء لما قيل له: ألا تبغض أخاك وقد فعل كذا؟ فقال: إنما أبغض عمله وإلا فهو أخي وأخوة الدين أوكد من أخوة القرابة. ولذلك قيل لحكيم: أيما أحب إليك أخوك أو صديقك؟ فقال: إنما أحب أخي إذا كان صديقًا لي. وكان الحسن يقول: كم من أخ لم تلده أمك؟ ولذلك قيل: القرابة تحتاج إلى مودة والمودة لا تحتاج إلى قرابة، وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم مائية من قطعها قطعه الله. فإذن الوفاء بعقد الأخوة إذا سبق انعقادها واجب. وهذا جوابنا عن ابتداء المؤاخاة مع الفاسق فإنه لم يتقدم له حق، فإن تقدمت له قرابة فلا جرم لا ينبغي أن يقاطع بل يجامل. والدليل عليه أن ترك المؤاخاة والصحبة ابتداء ليس مذمومًا ولا مكروهًا بل

قال قائلون: الانفراد أولى؛ فأما قطع الأخوة عن دوامها فمنهي عنه ومذموم في نفسه ونسبته إلى تركها ابتداء كنسبة الطلاق إلى ترك النكاح، والطلاق أبغض إلى الله تعالى من ترك النكاح، قال ﷺ: «شِرَارُ عِبَادِ الله المَشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ المُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ»(١) ، وقال بعض السلف في ستر زلات الإخوان: ودَّ الشيطان أن يلقى على أخيكم مثل هذا حتى تهجروه وتقطعوه، فماذا اتقيتم من محبة عدوّكم. وهذا لأن التفريق بين الأحباب من محاب الشيطان كما أن مقارفة العصيان من محابه؛ فإذا حصل للشيطان أحد غرضيه فلا ينبغي أن يضاف إليه الثاني، وإلى هذا أشار عليه السلام في الذي شتم الرجل الذي أتى فاحشة إذ قال: «مَهْ» وزبره وقال: «لاَ تَكُونُوا عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ»(٢) ، فبهذا كله يتبين الفرق بين الدوام والابتداء لأن مخالطة الفساق محذورة، ومفارقة الأحباب والإخوان أيضًا محذورة، وليس من سلم عن معارضة غيره كالذي لم يسلم وفي الابتداء قد سلم فرأينا أن المهاجرة والتباعد هو الأولى وفي الدوام تعارضًا فكان الوفاء بحق الأخوة أولى، هذا كله في زلته في دينه.

أما زلته في حقه بما يوجب إيحاشه فلا خلاف في أن الأولى العفو والاحتمال، بل كل ما يحتمل تنزيله على وجه حسن ويتصوّر تمهيد عذر فيه قريب أو بعيد فهو واجب بحق الأخوة، فقد قيل: ينبغي أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذرًا، فإن لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك، فتقول لقلبك: ما أقساك يعتذر إليك أخوك سبعين عذرًا فلا تقبله، فأنت المعيب لا أخوك، فإن ظهر بحيث لم يقبل التحسين فينبغي أن لا تغضب إن قدرت، ولكن ذلك لا يمكن، وقد قال الشافعي رحمه الله: من استغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان. فلا تكن حمارًا ولا شيطانًا، واسترض قلبك بنفسك نيابة عن أخيك، واحترز أن تكون شيطانًا إن لم تقبل. قال الأحنف: حق الصديق أن تحتمل منه ثلاثًا: ظلم الغضب، وظلم الدالة، وظلم الهفوة. وقال آخر: ما شتمت أحدًا قط، لأنه إن شتمني كريم فأنا أحق من غفرها له أو لئيم فلا أجعل عرضي له غرضًا ثم تمثل وقال:

وأغفر عوراء الكريم ادخاره ... وأعرض عن شتم اللئيم تكرُّما

وقد قيل:

خُذْ مِن خليلك ما صفَا ... ودع الَّذي فيه الكدرْ
فالعمرُ أقصرُ من معا ... تبة الخليلِ على الغِيَرْ

ومهما اعتذر إليك أخوك كاذبًا كان أو صادقًا فاقبل عذره. قال عليه السلام: «مَنِ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ

---

(١) حسن: حديث «شرار عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة». رواه أحمد من حديث أسماء بنت يزيد بسند ضعيف، [أحمد: ٢٧٠٥٢، وانظر صحيح الأدب المفرد: ٣٢٣].

(٢) [حديث «لا تكونوا أعوانا للشيطان على أخيكم». رواه البخاري من حديث أبي هريرة وتقدم في الباب قبله.

أَخُوهُ فَلَمْ يَقْبَلْ عُذْرَهُ فَعَلَيْهِ مِثْلُ إِثْمِ صَاحِبِ المَكْسِ» (١)، وقال عليه السلام: «المُؤْمِنُ سَرِيعُ الغَضَبِ سَرِيعُ الرِّضَا» (٢)، فلم يصفه بأنه لا يغضب. وكذلك قال الله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]ولم يقل والفاقدين الغيظ، وهذا لأن العادة لا تنتهي إلى أن يجرح الإنسان فلا يتألم، بل تنتهي إلى أن يصبر عليه ويحتمل، وكما أن التألم بالجرح مقتضى طبع البدن فالتألم بأسباب الغضب طبع القلب، ولا يمكن قلعه ولكن يمكن ضبطه وكظمه والعمل بخلاف مقتضاه، فإنه يقتضي التشفي والانتقام والمكافأة، وترك العمل بمقتضاه ممكن، وقد قال الشاعر:

ولستَ بمستبقٍ أخًا لا تلمُّه على شَعَثٍ أيُّ الرجالِ المهذّبُ؟

قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الحواري: إذا واخيت أحدًا في هذا الزمان فلا تعاتبه على ما تكرهه، فإنك لا تأمن من أن ترى في جوابك ما هو شر من الأول، قال: فجربته فوجدته كذلك. وقال بعضهم: الصبر على مضض الأخ خير من معاتبته، والمعاتبة خير من القطيعة، والقطيعة خير من الوقيعة. وينبغي أن لا يبالغ في البغضة عند الوقيعة. قال تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ [الصف: ٧]وقال عليه السلام: «أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا» (٣)، وقال عمر رضي الله عنه: لا يكن حبك كلفًا ولا بغضك تلفًا، وهو أن تحب تلف صاحبك مع هلاكك.

الحق السادس: الدعاء للأخ في حياته وبعد مماته:

الدعاء للأخ في حياته وبعد مماته بكل ما يحبه لنفسه ولأهله وكل متعلق به، فتدعو له كما تدعو لنفسك ولا تفرق بين نفسك وبينه، فإن دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق؛ فقد قال ﷺ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ لأَخِيهِ فِي ظَهْرِ الغَيْبِ قَالَ المَلَكُ: وَلَكَ مِثْلُ ذلِكَ» (٤)، وفي لفظ آخر:

---

(١) ضعيف: حديث «من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل إثم صاحب مكسو». أخرجه ابن ماجه وأبو داود في المراسيل من حديث جودان واختلف في صحبته وجهله أبو حاتم وباقي رجاله ثقات ورواه الطبراني في الأوسط من حديث جابر بسند ضعيف، [ابن ماجه: ٣٧١٨، وانظر ضعيف ابن ماجه].

(٢) ضعيف: حديث «المؤمن سريع الغضب سريع الرضى». لم أجده هكذا وللترمذي وحسنه من حديث أبي سعيد الخدري «ألا أن بني آدم خلقوا على طبقات شتى... الحديث» وفيه «ومنهم سريع الفيء فتلك بتلك»، [الترمذي: ٢١٩١، وانظر ضعيف الترغيب: ١٦٤١].

(٣) صحيح: حديث «أحبب حبيبك هونا ما، عسى أن [يكون؟؟] بغيضك يوما ما، وأبغض بغيضك هونا ما، عسى أن يكون حبيبك يوما ما». أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال غريب قلت رجاله ثقات رجال مسلم لكن الراوي تردد في رفعه، [الترمذي: ١٩٩٧، وانظر صحيح الترمذي].

(٤) حديث «إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب قال الملك ولك بمثل ذلك». أخرجه مسلم من حديث أبي الدرداء.

«يَقُولُ الله تَعَالَى: بِكَ أَبْدَأُ يَا عَبْدِي»[(١)] ، وفي الحديث: «يُسْتَجَابُ لِلرَّجُلِ فِي أَخِيهِ مَا لاَ يُسْتَجَابُ لَهُ فِي نَفْسِهِ»[(٢)] ، وفي الحديث: «دَعْوَةُ الرَّجُلِ لأَخِيهِ فِي ظَهْرِ الغَيْبِ لاَ تُرَدُّ»[(٣)] ، وكان أبو الدرداء يقول: إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسمائهم. وكان محمد بن يوسف الأصفهاني يقول: وأين مثل الأخ الصالح؟ أهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت، وهو منفرد بحزنك مهتم بما قدّمت وما صرت إليه، يدعو لك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى، وكأن الأخ الصالح يقتدي بالملائكة، إذ جاء في الخبر: «إِذَا مَاتَ العَبْدُ قَالَ النَّاسُ: مَا خَلَّفَ؟ وَقَالَتِ المَلاَئِكَةُ: مَا قَدَّمَ؟»[(٤)] ، يفرحون له بما قدّم ويسألون عنه ويشفقون عليه، ويقال: من بلغه موت أخيه فترحم عليه واستغفر له كتب له كأنه شهد جنازته وصلى عليه. وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَثَلُ المَيِّتِ فِي قَبْرِهِ مَثَلُ الغَرِيقِ يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ شَيْءٍ يَنْتَظِرُ دَعْوَةً مِنْ وَلَدٍ أَوْ وَالِدٍ أَوْ أَخٍ أَوْ قَرِيبٍ»[(٥)] ، وإنه ليدخل على قبور الأموات من دعاء الأحياء من الأنوار مثل الجبال. وقال بعض السلف: الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء، فيدخل الملك على الميت ومعه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول: هذه هدية لك من عند أخيك فلان، من عند قريبك فلان، قال: فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية.

الحق السابع : الوفاء والإخلاص:

ومعنى الوفاء: الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه، فإن الحب إنما يراد للآخرة، فإن انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي، ولذلك قال عليه السلام في السبعة الذين يظلهم الله في ظله: «وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَى ذلِكَ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ»[(٦)] ، وقال بعضهم: قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره في حال الحياة، ولذلك روي أنه ﷺ أكرم عجوزًا دخلت عليه، فقيل له في ذلك، فقال: «إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ

---

(١) حديث «الدعاء للأخ بظهر الغيب». وفيه «يقول الله بك أبدأ يا عبدي» لم أجد هذا اللفظ، [].

(٢) ضعيف: حديث «يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه». لم أجده بهذا اللفظ ولأبي داود والترمذي وضعفه من حديث عبد الله بن عمرو «إن أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب» ، [أبو داود: ١٥٣٥ ، والترمذي: ١٩٨٠ ، وانظر ضعيف أبي داود].

(٣) صحيح: حديث «دعوة الأخ لأخيه في الغيب لا ترد». أخرجه الدارقطني في العلل من حديث أبي الدرداء وهو عند مسلم إلا أنه قال: «مستجابة» مكان «لا ترد»، [مسلم: ٢٧٣٣].

(٤) ضعيف: حديث «إذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم». أخرجه البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف، [انظر ضعيف الجامع: ٦٩٢].

(٥) منكر: حديث «مثل الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة من ولد أو والد أو أخ أو قريب». أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة قال الذهبي في الميزان إنه خبر منكر جدا، [انظر السلسلة الضعيفة: ٧٩٩].

(٦) حديث «سبعة يظلهم الله في ظله رجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه». تقدم غير مرة.

خَدِيجَةَ، وَإِنَّ كَرَمَ العَهْدِ مِنَ الدِّينِ»(١)، فمن الوفاء للأخ مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه والمتعلقين به، ومراعاتهم أوقع في قلب الصديق من مراعاة الأخ في نفسه، فإن فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر، إذ لا يدل على قوة الشفقة والحب إلا تعديهما من المحبوب إلى كل من يتعلق به، حتى الكلب الذي على باب داره ينبغي أن يميز في القلب عن سائر الكلاب، ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان، فإنه لا يحسد متعاونين على بر كما يحسد متواخيين في الله ومتحابين فيه فإنه يجهد نفسه لإفساد ما بينهما، قال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [الإسراء:٥٣] وقال مخبرًا عن يوسف: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ﴾ [يوسف:١٠٠] ويقال: ما تواخى اثنان في الله فتفرق بينهما إلا بذنب يرتكبه أحدهما. وكان بشر يقول: إذا قصر العبد في طاعة الله سلبه الله من يؤنسه.

وذلك لأن الإخوان مسلاة للهموم وعون على الدين. ولذلك قال ابن المبارك: ألذ الأشياء مجالسة الإخوان والانقلاب إلى كفاية، والمودة الدائمة هي التي تكون في الله، وما يكون لغرض يزول بزوال ذلك الغرض. ومن ثمرات المودة في الله أن لا تكون مع حسد في دين ودنيا وكيف يحسده وكل ما هو لأخيه فإليه ترجع فائدته؟ وبه وصف الله تعالى المحبين في الله تعالى فقال: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الحشر:٩] ووجود الحاجة هو الحسد. ومن الوفاء أن لا يتغير حاله في التواضع مع أخيه وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه، فالترفع على الإخوان بما يتجدد من الأحوال لؤم. قال الشاعر:

إنَّ الكرامَ إذا ما أيسروا ذكروا ... من كان يألفهم في المنزل الخَشِنِ

وأوصى بعض السلف ابنه فقال: يا بني لا تصحب من الناس إلا من إذا افتقرت إليه قربَ منك، وإن استغنيت عنه لم يطمع فيك، وإنْ علت مرتبته لم يرتفع عليك. وقال بعض الحكماء: إذا ولي أخوك ولاية فثبت على نصف مودته لك فهو كثير. وحكى الربيع: أن الشافعي رحمه الله آخى رجلًا ببغداد ثم إن أخاه ولى السيبين فتغير له عما كان عليه، فكتب إليه الشافعي بهذه الأبيات:

اذهب فَوُدُّكَ من فؤادي طالقُ ... أبدًا وليس طَلاَقُ ذاتِ البَيْنِ
فإن ارعويت فإنها تطليقةٌ ... ويدوم ودّك لي على ثنتينِ
وإن امتنعتَ شفعتها بمثالها ... فتكون تطليقين في حيضيْنِ
وإذا الثلاث أتتك مني بتّة ... لم تغنِ عنك ولاية السيبينِ

واعلم أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الحق في أمر يتعلق بالدين بل من الوفاء له

(١) صحيح: حديث «إكرامه ﷺ لعجوز دخلت عليه وقوله إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان». أخرجه الحاكم من حديث عائشة وقال صحيح على شرط الشيخين وليس له علة، [انظر السلسلة الصحيحة: ٢١٦].

المخالفة، فقد كان الشافعي رضي الله عنه آخى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول ما يقيمني بمصر غيره؛ فاعتل محمد فعاده الشافعي رحمه الله تعالى فقال:

مَرِضَ الحبيبُ فَعُدتُهُ فمَرَضْتُ مِنْ حَذري عليهِ
وأتى الحبيبُ يعودني فبَرِئْتُ مِنْ نَظَري إليهِ

وظن الناس لصدق مودتهما أنه يفوض أمر حلقته إليه بعد وفاته، فقيل للشافعي في علته التي مات فيها رضي الله تعالى عنه: إلى من نجلس بعدك يا أبا عبد الله؟ فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند رأسه ليومىء إليه؛ فقال الشافعي: سبحان الله أيشك في هذا أبو يعقوب البويطي؟ فانكسر لها محمد ومال أصحابه إلى البويطي مع أن محمدًا كان قد حمل عنه مذهبه كله، لكن كان البويطي أفضل وأقرب إلى الزهد والورع. فنصح الشافعي لله وللمسلمين وترك المداهنة ولم يؤثر رضا الخلق على رضا الله تعالى. فلما توفي انقلب محمد بن عبد الحكم عن مذهبه ورجع إلى مذهب أبيه ودرس كتب مالك رحمه الله، وهو من كبار أصحاب مالك رحمه الله. وآثر البويطي الزهد والخمول ولم يعجبه الجمع والجلوس في الحلقة واشتغل بالعبادة وصنف «كتاب الأم» الذي ينسب الآن إلى الربيع بن سليمان ويعرف به، وإنما صنفه البويطي ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه إلى نفسه، فزاد الربيع فيه وتصرف وأظهره. والمقصود أن الوفاء بالمحبة من تمامها النصح لله. قال الأحنف: الإخاء جوهرة رقيقة إن لم تحرسها كانت معرضة للآفات فاحرسها بالكظم حتى تعتذر إلى من ظلمك وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من أخيك التقصير. ومن آثار الصدق والإخلاص وتمام الوفاء أن تكون شديد الجزع من المفارقة، نفور الطبع عن أسبابها كما قيل:

وجدتُ مُصِيبات الزّمان جميعها سِوَى فرقةِ الأحبابِ هينة الخَطْبِ

وأنشد ابن عيينة هذا البيت وقال: لقد عهدت أقوامًا فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما يخيل إليَّ أن حسرتهم ذهبت من قلبي. ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه لا سيما من يظهر أولًا أنه محب لصديقه ـ كيلا يتهم ـ ثم يلقي الكلام عرضًا وينقل عن الصديق ما يوغر القلب، فذلك من دقائق الحيل في التضريب ومن لم يحترز منه لم تدم مودته أصلًا. قال واحد لحكيم: قد جئت خاطبًا لمودتك، قال: إن جعلت مهرها ثلاثًا فعلت، قال: وما هي؟ قال: لا تسمع عليّ بلاغة ولا تخالفني في أمر ولا توطئني عشوة. ومن الوفاء أن لا يصادق عدو صديقه. قال الشافعي رحمه الله: إذا أطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك.

الحق الثامن: التخفيف وترك التكلف والتكليف:

وذلك بأن لا يكلف أخاه ما يشق عليه بل يروح سره من مهماته وحاجاته ويرفهه عن أن يحمله شيئًا من أعبائه، فلا يستمد منه من جاه ومال ولا يكلفه التواضع له والتفقد لأحواله والقيام بحقوقه، بل لا يقصد بمحبته إلا الله تعالى تبركًا بدعائه واستئناسًا بلقائه واستعانة به

على دينه وتقربًا إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه وتحمل مؤنته. قال بعضهم: من اقتضى من إخوانه ما لا يقضونه فقد ظلمهم، ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه فقد أتعبهم، ومن لم يقتض فهو المتفضل عليهم. وقال بعض الحكماء: من جعل نفسه عند الإخوان فوق قدره أثم وأثموا، ومن جعل نفسه في قدره تعب وأتعبهم، ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا وتمام التخفيف بطي بساط التكليف حتى لا يستحي منه فيما لا يستحي من نفسه. وقال الجنيد: ما تواخى اثنان في الله فاستوحش أحدهما من صاحبه أو احتشم إلاّ لعلة في أحدهما. وقال علي عليه السلام: شر الأصدقاء من تكلف لك ومن أحوجك إلى مداراة وألجأك إلى اعتذار. وقال الفضيل: إنّما تقاطع الناس بالتكلف يزور أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه. وقالت عائشة رضي الله عنها: المؤمن أخو المؤمن لا يغتنمه ولا يحتشمه. وقال الجنيد: صحبت أربع طبقات من هذه الطائفة ـ كل طبقة ثلاثون رجلًا ـ حارثًا المحاسبي وطبقته، وحسنًا المسوحي وطبقته، وسريًا السقطي وطبقته، وابن الكريبي وطبقته، فما تواخى اثنان في الله واحتشم أحدهما من صاحبه أو استوحش إلا لعلة في أحدهما. وقيل لبعضهم: من نصحب؟ قال: من يرفع عنك ثقل التكلف وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ. وكان جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما يقول: أثقل أخواني عليَّ من يتكلف لي وأتحفظ منه، وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي. وقال بعض الصوفية: لا تعاشر من الناس إلا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص عنده بإثم يكون ذلك لك وعليك وأنت عنده سواء، وإنما قال هذا لأنّ به يتخلص عن التكلف والتحفظ. وإلا فالطبع يحمله على أن يتحفظ منه إذا علم أنّ ذلك ينقصه عنده. وقال بعضهم: كن مع أبناء الدنيا بالأدب ومع أبناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت وقال آخر: لا تصحب إلا من يتوب عنك إذا أذنبت ويعتذر إليك إذا أسأت ويحمل عنك مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه. وقائل هذا قد ضيق طريق الأخوة على الناس وليس الأمر كذلك بل ينبغي أن يؤاخي كل متدين عاقل ويعزم على أن يقوم بهذه الشرائط ولا يكلف غيره هذه الشروط حتى تكثر إخوانه، إذ به يكون مؤاخيًا في الله وإلا كانت مؤاخاته لحظوظ نفسه فقط. ولذلك قال رجل للجنيد: قد عز الإخوان في هذا الزمان أين أخ لي في الله؟ فأعرض الجنيد حتى أعاده ثلاثًا، فلما أكثر قال له الجنيد: إن أردت أخًا يكفيك مؤنتك ويتحمل أذاك فهذا لعمري قليل، وإن أردت أخًا في الله تحمل أنت مؤنته وتصبر على أذاه فعندي جماعة أعرفهم لك. فسكت الرجل.

واعلم أن الناس ثلاثة : رجل تنتفع بصحبته، ورجل تقدر على أن تنفعه ولا تتضرر به ولكن لا تنتفع به. ورجل لا تقدر أيضًا على أن تنفعه وتتضرر به وهو الأحمق أو السيىء الخلق فهذا الثالث ينبغي أن تتجنبه، فأما الثاني فلا تجتنبه لأنك تنتفع في الآخرة بشفاعته وبدعائه وبثوابك على القيام به، وقد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: إن أطعتني فما أكثر

إخوانك أي إن واسيتهم واحتملت منهم ولم تحسدهم. وقد قال بعضهم: صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف فإني كنت معهم على نفسي ومن كانت هذه شيمته كثر إخوانه. ومن التخفيف وترك التكلف أن لا يعترض في نوافل العبادات. كان طائفة من الصوفية يصطحبون على شرط المساواة بين أربع معان: إن أكل أحدهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم، وإن صام الدهر كله لم يقل له أفطر، وإن نام الليل كله لم يقل له قم؟ وإن صلى الليل كله لم يقل له: نم، وتستوي حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان لأنّ ذلك إن تفاوت حرّك الطبع إلى الرياء والتحفظ لا محالة. وقد قيل: من سقطت كلفته دامت ألفته، من خفت مؤنته دامت مودته. وقال بعض الصحابة: إنّ الله لعن المتكلفين وقال ﷺ: «أَنَا وَالأَتْقِيَاءُ مِنْ أُمَّتِي بُرَآءُ مِنَ التَّكَلُّفِ»(١) ، وقال بعضهم: إذا عمل الرجل في بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به(٢) إذا أكل عنده، ودخل الخلاء، وصلى. ونام. فذكر ذلك لبعض المشايخ فقال: بقيت خامسة وهو أن يحضر مع الأهل في بيت أخيه ويجامعها، لأن البيت يتخذ للاستخفاء في الأمور الخمس، وإلا فالمساجد أروح لقلوب المتعبدين، فإذا فعل هذه الخمس فقد تم الإخاء وارتفعت الحشمة وتأكد الانبساط. وقول العرب في تسليمهم يشير إلى ذلك، إذ يقول أحدهم لصاحبه: مرحبًا وأهلًا وسهلًا، أي لك عندنا مرحب وهو السعة في القلب والمكان، ولك عندنا أهل تأنس بهم بلا وحشة لك منا، ولك عندنا سهولة في ذلك كله، أي لا يشتدّ علينا شيء مما تريد. ولا يتم التخفيف وترك التكلف إلا بأن يرى نفسه دون إخوانه ويحسن الظن بهم ويسيء الظن بنفسه فإذا رآهم خيرًا من نفسه فعند ذلك يكون هو خيرًا منهم، وقال أبو معاوية الأسود: إخواني كلهم خير مني، قيل وكيف ذلك؟ قال: كلهم يرى لي الفضل عليه ومن فضلني على نفسه فهو خير مني، وقد قال ﷺ: «المَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ وَلاَ خَيْرَ فِي صُحْبَةِ مَنْ لاَ يَرَى لَكَ مِثْلَ مَا تَرَى لَهُ»(٣) ، فهذه أقل الدرجات وهو النظر بعين المساواة والكمال في رؤية الفضل للأخ. ولذلك قال سفيان: إذا قيل لك يا شر الناس فغضبت فأنت شر الناس أي ينبغي أن تكون معتقدًا ذلك في نفسك أبدًا. وسيأتي وجه ذلك في كتاب الكبر والعجب.

وقد قيل في معنى التواضع ورؤية الفضل للإخوان أبيات:

---

(١) حديث «أنا والأتقياء من أمتي برآء من التكلف». أخرجه الدارقطني في الأفراد من حديث الزبير بن العوام «ألا إني بريء من التكلف وصالحو أمتي» وإسناده ضعيف.

(٢) حديث «إذا عمل الرجل في بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به إذا أكل عنده، ودخل الخلاء وصلى، ونام». لم أجد له أصلا.

(٣) حديث «المرء على دين خليله ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له». تقدم الشطر الأول منه في الباب قبله، [أبي داود: ٤٨٣٣ ، والترمذي: ٢٣٧٨ ، وحسنه الألباني]، وأما الشطر الثاني منه فرواه ابن عدي في الكامل من حديث أنس بسند ضعيف، [انظر السلسلة الضعيفة: ٥٩٦].

تذلّل لمن إنْ تذللتَ له ... يرى ذاكَ للفضل لا للبَلَهْ
وجانب صداقةَ مَنْ لا يزال ... على الأصدقاء يرى الفضل لَهْ

وقال آخر:

كم صديقٍ عرفته بصديقٍ ... صار أحظَى من الصديق العتيقِ
ورفيقٍ رأيته في طريقٍ ... صار عندي هو الصديق الحقيقي

ومهما رأى الفضل لنفسه فقد احتقر أخاه وهذا في عموم المسلمين مذموم. قال ﷺ: «بِحَسْبِ المُؤْمِنِ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ»(١)، ومن تتمة الانبساط وترك التكلف أن يشاور إخوانه في كل ما يقصده، ويقبل إشاراتهم، فقد قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩] وينبغي أن لا يخفي عنهم شيئًا من أسراره كما روي أنّ يعقوب ابن أخي معروف قال: جاء أسود بن سالم إلى عمي معروف وكان مؤاخيًا له فقال: إنّ بشر بن الحارث يحب مؤاخاتك وهو يستحي أن يشافهك بذلك، وقد أرسلني إليك يسألك أن تعقد له فيما بينك وبينه أخوّة يحتسبها ويعتدّ بها إلا أنه يشترط فيها شروطًا: لا يحب أن يشتهر بذلك ولا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقاة فإنه يكره كثرة الالتقاء، فقال معروف: أما أنا لو آخيت أحدًا لم أحب مفارقته ليلًا ولا نهارًا ولزرته في كل وقت وآثرته على نفسي في كل حال، ثم ذكر من فضل الأخوة والحب في الله أحاديث كثيرة، ثم قال فيها. وقد آخى رسول الله ﷺ عليًا فشاركه في العلم(٢) وقاسمه في البدن(٣) وأنكحه أفضل بناته وأحبهن إليه وخصه بذلك لمؤاخاته(٤) وأنا أشهدك أني قد عقدت له أخوّة بيني وبينه وعقدت إخاءه في الله لرسالتك

---

(١) صحيح: حديث «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وتقدم في أثناء حديث «لا تدابروا» في هذا الباب، [مسلم: ٢٥٦٤].

(٢) حديث «آخى رسول الله ﷺ عليا وشاركه في العلم». أخرجه النسائي في الخصائص من سننه الكبرى من حديث علي قال: «جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب... الحديث»، [ذكره الألباني في صحيح السيرة] وفيه «فأيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي فلم يقم إليه أحد فقمت إليه» وفيه «حتى إذا كان في الثالثة ضرب بيده على يدي» وله وللحاكم من حديث ابن عباس «أن عليا كان يقول في حياة رسول الله ﷺ والله إني لأخوه ووليه ووارث علمه... الحديث» وكل ما ورد في أخوته فضعيف لا يصح منه شيء، [أنظر السلسلة الضعيفة: ٤٩٤٨، وقال الألباني: منكر] وللترمذي من حديث ابن عمر «وأنت أخي في الدنيا والآخرة»، [الترمذي: ٣٧٢٠، وضعفه الألباني]، وللحاكم من حديث ابن عباس «أنا مدينة العلم وعلي بابها» وقال صحيح الإسناد وقال ابن حبان لا أصل له وقال ابن طاهر إنه موضوع، [انظر السلسلة الضعيفة: ٢٩٥٥، وقال الألباني: موضوع] وللترمذي من حديث علي «أنا دار الحكمة وعلي بابها» وقال غريب، [الترمذي: ٣٧٢٣، وضعفه الألباني].

(٣) صحيح: حديث «مقاسمته عليا للبدن». أخرجه مسلم في حديث جابر الطويل «ثم أعطى عليا فنحر ما غبر؟؟ وأشركه في هديه»، [مسلم: ١٢١٨].

(٤) حديث «أنه أنكح عليا أفضل بناته وأحبهم إليه». هذا معلوم مشهور ففي الصحيحين من حديث علي «لما أردت أن ابتني بفاطمة بنت النبي ﷺ واعدت رجلا صواغا... الحديث»، [البخاري: ٤٠٠٣،

ولمسألته على أن لا يزورني إن كره ذلك، ولكني أزوره متى أحببت، ومره أن يلقاني في مواضع نلتقي بها، ومره أن لا يخفي عليَّ شيئًا من شأنه وأن يطلعني على جميع أحواله، فأخبر ابن سالم بشرًا بذلك فرضي وسرّ به. فهذا جامع حقوق الصحبة وقد أجملناه مرّة وفصلناه أخرى، ولا يتم ذلك إلا بأن تكون على نفسك للإخوان ولا تكون لنفسك عليهم وأن تنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتقيد بحقوقهم جميع جوارحك.

أما البصر؛ فبأن تنظر إليهم نظر مودة يعرفونها منك، وتنظر إلى محاسنهم وتتعامى عن عيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم في وقت إقبالهم عليك وكلامهم معك. روي أنه ﷺ كان يعطي كل من جلس إليه نصيبًا من وجهه وما استصغاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مسألته وتوجهه للجالس إليه[1] وكان مجلسه مجلس حياء وتواضع وأمانة، وكان عليه السلام أكثر الناس تبسمًا وضحكًا في وجوه أصحابه وتعجبًا مما يحدثونه به، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء منهم بفعله وتوقيرًا له عليه السلام.

وأما السمع، فبأن تسمع كلامه متلذذًا بسماعه ومصدقًا به ومظهرًا للاستبشار به ولا تقطع حديثهم عليهم بمرادّة ولا منازعة ومداخلة واعتراض فإن أرهقك عارض اعتذرت إليهم وتحرس سمعك عن سماع ما يكرهون.

وأما اللسان فقد ذكرنا حقوقه فإنّ القول فيه يطول ومن ذلك أن لا يرفع صوته عليهم ولا يخاطبهم إلا بما يفقهون.

وأما اليدان؛ فأن لا يقبضهما عن معاونتهم في كل ما يتعاطى باليد.

وأما الرجلان، فأن يمشي بهما وراءهم مشي الأتباع لا مشي المتبوعين ولا يتقدمهم إلا بقدر ما يقدّمونه ولا يقرب منهم إلا بقدر ما يقربونه، ويقوم لهم إذا أقبلوا ولا يقعد إلا بقعودهم ويقعد متواضعًا حيث يقعد. ومهما تم الاتحاد خف حمله من هذه الحقوق مثل القيام والاعتذار والثناء فإنها من حقوق الصحبة، وفي ضمنها نوع من الأجنبية والتكلف، فإذا تم

ومسلم: ١٩٧٩]، وللحاكم من حديث أم أيمن «زوج النبي ﷺ ابنته فاطمة عليا... الحديث» وقال صحيح الإسناد وفي الصحيحين من حديث عائشة عن فاطمة «يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين... الحديث»، [البخاري: ٦٢٨٥، ومسلم: ٢٤٥٠، عن عائشة].

(١) حديث «كان يعطي كل من جلس إليه نصيبه من وجهه وما استصغاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مسألته وتوجهه للجالس إليه». أخرجه الترمذي في الشمائل من حديث علي في أثناء حديث فيه «يعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه ممن جالسه ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول» ثم قال «مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة» وفيه «يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه»، [ذكره الألباني في مختصر الشمائل، ص: ٢٣]، وللترمذي من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء «ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله ﷺ» وقال غريب، [الترمذي: ٣٦٤١، وانظر صحيح الترمذي].

الاتحاد انطوى بساط التكلف بالكلية فلا يسلك به إلا مسلك نفسه لأن هذه الآداب الظاهرة عنوان آداب الباطن وصفاء القلب. ومهما صفت القلوب استغنى عن تكلف إظهار ما فيها، ومن كان نظره إلى صحبة الخلق فتارة يعوج وتارة يستقيم، ومن كان نظره إلى الخالق لزم الاستقامة ظاهرًا وباطنًا وزين باطنه بالحب لله ولخلقه وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة لعباده فإنها أعلى أنواع الخدمة لله إذ لا وصول إليها إلا بحسن الخلق، ويدرك العبد بحسن خلقه درجة القائم الصائم وزيادة.

خاتمة لهذا الباب نذكر فيها جملة آداب العشرة والمجالسة مع أصناف الخلق ملتقطة من كلام بعض الحكماء

إن أردت حسن العشرة فالق صديقك وعدوّك بوجه الرضا من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم، وتوقير من غير كبر، وتواضع في غير مذلة. وكن في جميع أمورك في أوسطها فكلا طرفي قصد الأمور ذميم. ولا تنظر في عطفيك، ولا تكثر الالتفات، ولا تقف على الجماعات، وإذا جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك أصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وتخليل أسنانك وإدخال أصبعك في أنفك وكثرة بصاقك وتنخمك وطرد الذباب من وجهك وكثرة التّمطي والتثاؤب في وجوه الناس وفي الصلاة وغيرها، وليكن مجلسك هادئًا وحديثك منظومًا مرتبًا واصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك من غير إظهار تعجب مفرط ولا تسأله إعادته، واسكت عن المضاحك والحكايات ولا تحدث عن إعجابك بولدك ولا جاريتك ولا شعرك ولا تصنيفك وسائر ما يخصك، ولا تتصنع تصنع المرأة في التزين ولا تتبذل تبذل العبد وتوق كثرة الكحل والإسراف في الدهن، ولا تلح في الحاجات ولا تشجع أحدًا على الظلم ولا تعلم أهلك وولدك فضلًا عن غيرهم مقدار مالك فإنهم إن رأوه قليلًا هنت عندهم وإن كان كثيرًا لم تبلغ قط رضاهم، وخوفهم من غير عنف ولنْ لهم من غير ضعف ولا تهازل أمتك ولا عبدك فيُسقط وقارك، وإذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر في حجتك ولا تكثر الإشارة بيديك ولا تكثر الالتفات إلى من وراءك ولا تجث على ركبتيك، وإذا هدأ غيظك فتكلم وإن قربك سلطان فكن منه على مثل حد السنان فإن استرسل إليك فلا تأمن انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبي وكلمه بما يشتهيه ما لم يكن معصية، ولا يحملنك لطفه بك أن تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه وإن كنت لذلك مستحقًا عنده فإن سقطة الداخل بين الملك وبين أهله سقطة لا تنعش وزلة لا تقال، وإياك وصديق العافية فإنه أعدى الأعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرضك، وإذا دخلت مجلسًا فالأدب فيه البداية بالتسليم وترك التخطي لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث يكون أقرب إلى التواضع، وأن تحيي بالسلام من قرب منك عند الجلوس.

ولا تجلس على الطريق، فإن جلست فأدبه غض البصر ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف

وعون الضعيف وإرشاد الضال ورد السلام وإعطاء السائل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والارتياد لموضع البصاق، ولا تبصق في جهة القبلة ولا عن يمينك ولكن عن يسارك وتحت قدمك اليسرى.

ولا تجالس الملوك، فإن فعلت فأدبه ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الألفاظ والإعراب في الخطاب، والمذاكرة بأخلاق الملوك وقلة المداعبة وكثرة الحذر منهم - وإن ظهرت لك المودة - وأن لا تتجشأ بحضرتهم، ولا تتخلل بعد الأكل عنده، وعلى الملك أن يحتمل كل شيء إلا إفشاء السر والقدح في الملك والتعرض للحرم.

ولا تجالس العامة، فإن فعلت فأدبه ترك الخوض في حديثهم وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء ألفاظهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة إليهم. وإياك أن تمازح لبيبًا أو غير لبيب فإنّ اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترىء عليك لأن المزاح يخرق الهيبة ويسقط ماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الود ويشين فقه الفقيه ويجرّىء السفيه ويسقط المنزلة عند الحكيم ويمقته المتقون، وهو يميت القلب ويباعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة ويورث الذلة وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر وبه تكثر العيوب وتبين الذنوب. وقد قيل: لا يكون المزاح إلا من سخف أو بطر. ومن بلي في مجلس بمزاح أو لغط فليذكر الله عند قيامه. قال النبيّ ﷺ: «مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ. إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذلِكَ»(١).

الباب الثالث في حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من يدلي بهذه الأسباب

اعلم أن الإنسان إما أن يكون وحده أو مع غيره، وإذا تعذر عيش الإنسان إلا بمخالطة من هو من جنسه لم يكن له بد من تعلم آداب المخالطة. وكل مخالط ففي مخالطته أدب والأدب على قدر حقه وحقه على قدر رابطته التي بها وقعت المخالطة. والرابطة إما القرابة وهي أخصها أو أخوة الإسلام وهي أعمها، وينطوي في معنى الأخوة الصداقة والصحبة، وإما الجوار، وإما صحبة السفر والمكتب والدرس، وإما الصداقة أو الأخوة.

ولكل واحد من هذه الروابط درجات. فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم المحرم آكد، وللمحرم حق ولكن حق الوالدين آكد. وكذلك حق الجار ولكن يختلف بحسب قربه من

---

(١) صحيح: حديث «من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك». أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه، [الترمذي: ٣٤٣٣، وانظر صحيحي الترغيب: ١٥١٦].

الدار وبعده، ويظهر التفاوت عند النسبة حتى أن البلدي في بلاد الغربة يجري مجرى القريب في الوطن لاختصاصه بحق الجوار في البلد. وكذلك حق المسلم يتأكد بتأكد المعرفة. وللمعارف درجات فليس حق الذي عرف بالمشاهدة كحق الذي عرف بالسماع بل آكد منه والمعرفة بعد وقوعها تتأكد بالاختلاط. وكذلك الصحبة تتفاوت درجاتها فحق الصحبة في الدرس والمكتب آكد من حق صحبة السفر. وكذلك الصداقة تتفاوت فإنها إذا قويت صارت أخوة فإن ازدادت صارت محبة فإن ازدادت صارت خلة، والخليل أقرب من الحبيب؛ فالمحبة، ما تتمكن من حبة القلب والخلة ما تتخلل سر القلب؛ فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلًا، وتفاوت درجات الصداقة لا يخفى بحكم المشاهدة والتجربة، فأما كون الخلة فوق الأخوة فمعناه أن لفظ الخلة عبارة عن حالة هي أتم من الأخوة وتعرفه من قوله ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا وَلكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ الله»(١)، إذ الخليل هو الذي يتخلل الحب جميع أجزاء قلبه ظاهرًا وباطنًا ويستوعبه ولم يستوعب قلبه عليه السلام سوى حب الله، وقد منعته الخلة عن الاشتراك فيه مع أنه اتخذ عليًا رضي الله عنه أخًا فقال ﷺ: «عَلِيٌّ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلاَّ النُّبُوَّةَ»(٢)، فعدل بعلي عن النبوّة كما عدل بأبي بكر عن الخلة، فشارك أبو بكر عليًا رضي الله عنهما في الأخوة وزاد عليه بمقاربة الخلة وأهليته لها لو كان للشركة في الخلة مجال، فإنه نبه عليه بقوله: «لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا»، وكان ﷺ حبيب الله وخليله، وقد روي أنه صعد المنبر يومًا مستبشرًا فرحًا فقال: «إِنَّ الله قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، فَأَنَا حَبِيبُ الله وَأَنَا خَلِيلُ الله تَعَالَى»(٣)، فإذن ليس قبل المعرفة رابطة ولا بعد الخلة درجة، وما سواهما من الدرجات بينهما، وقد ذكرنا حق الصحبة والأخوة ويدخل فيهما ما وراءهما من المحبة والخلة، وإنما تتفاوت الرتب في تلك الحقوق كما سبق بحسب تفاوت المحبة والأخوة، حتى ينتهي أقصاها إلى أن يوجب الإيثار بالنفس والمال، كما آثر أبو بكر رضي الله عنه نبينا ﷺ، وكما آثره طلحة ببدنه إذ جعل نفسه وقاية

---

٢ الباب الثالث: في حقوق المسلم والرحم والجوار

(١) صحيح: حديث «لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله». متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري، [البخاري: ٤٦٦، ومسلم: ٢٣٨٢، من حديث أبي سعيد، ورواه مسلم: ٢٣٨٣، من حديث ابن مسعود واللفظ له].

(٢) صحيح: حديث «علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة». متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص، [البخاري: ٤٤١٦، ومسلم: ٢٤٠٤].

(٣) حديث «إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، فأنا حبيب الله وأنا خليل الله تعالى». أخرجه الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف. دون قوله «فأنا حبيب الله وأنا خليل الله»، [رواية جندب صححها الألباني في صحيح الجامع: ٢٤٤٥، ورواية أبي أمامة قال عنها الألباني: موضوع، وانظر ضعيف الجامع: ١٥٣١].

لشخصه العزيزﷺ ، فنحن الآن نريد أن نذكر حق أخوّة الإسلام وحق الرحم وحق الوالدين، وحق الجوار، وحق الملك ـ أعني ملك اليمين ـ فإن ملك النكاح قد ذكرنا حقوقه في كتاب آداب النكاح.

حقوق المسلم:

هي: أن تسلم عليه إذا لقيته، وتجيبه إذا دعاك، وتشمته إذا عطس، وتعوذه إذا مرض، وتشهد جنازته إذا مات، وتبر قسمه إذا أقسم عليك، وتنصح له إذا استنصحك، وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنك، وتحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك[(١)] ورد جميع ذلك في أخبار وآثار. وقد روى أنس رضي الله عنه عن رسول اللهﷺ أنه قال: «أَرْبَعٌ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْكَ: أَنْ تُعِينَ مُحْسِنَهُمْ، وَأَنْ تَسْتَغْفِرَ لِمُذْنِبِهِمْ، وَأَنْ تَدْعُو لِمُدْبِرِهِمْ، وَأَنْ تُحِبَّ تَائِبَهِمْ»[(٢)] ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح:٢٩] قال: يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم، فإذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد ﷺ قال: اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به، وإذا نظر الصالح إلى الطالح قال: اللهم اهده وتب عليه واغفر له عثرته.

ومنها أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه قال النعمان بن بشير: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ مِنْهُ تَدَاعَى سَائِرُهُ بِالحُمَّى وَالسَّهَرِ»[(٣)] ، وروى أبو موسى عنهﷺ أنه قال: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»[(٤)] .

---

٢ الأخبار الواردة في حقوق المسلم على المسلم

(١) – هو أن يسلم عليه إذا لقيه فذكر عشر خصال.

أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة «حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض. واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس»، [البخاي: ١٢٤٠ ، ومسلم: ٢١٦٢]، وفي رواية لمسلم «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته تسلم عليه» وزاد «وإذا استنصحك فانصح له»، [مسلم: ٢١٦٢]، وللترمذي وابن ماجه من حديث علي «للمسلم على المسلم ست» فذكر منها «ويحب له ما يحب لنفسه» وقال: «وينصح إذا غاب أو شهد» ، [الترمذي: ٢٧٣٧ ، وابن ماجه: ١٤٣٣ ، وانظر صحيح الترمذي]، ولأحمد من حديث معاذ «وأن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك»، [أحمد: ٢١٦٢٥ ، وانظر ضعيف الترغيب: ١٧٨٤]، وفي الصحيحين من حديث البراء: أمرنا رسول الله ﷺ بسبع فذكر منها «وإبرار القسم ونصر المظلوم» ، [البخاري: ٦٢٣٥ ، ومسلم: ٢٠٦٦].

(٢) حديث أنس «أربع من حقوق المسلمين عليك: أن تعين محسنهم، وأن تستغفر لمذنبهم، وأن تدعوا لمدبرهم وأن تحب تائبهم». ذكره صاحب الفردوس ولم أجد له إسنادا.

(٣) صحيح: حديث النعمان بن بشير «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالحمى والسهر». متفق عليه، [البخاري: ٦٠١١، ومسلم: ٢٥٨٦].

(٤) صحيح: حديث أبي موسى «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا». متفق عليه، [البخاري: ٤٨١ ، ومسلم: ٢٥٨٥].

ومنها أن لا يؤذي أحدًا من المسلمين بفعل ولا قول، قال ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»(١)، وقال في حديث طويل يأمر فيه بالفضائل: «فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ فَدَعِ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقْتَ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ»(٢)، وقال أيضًا: «أَفْضَلُ الْمُسْلِمِينَ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»(٣)، وقال ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُسْلِمُ؟» فقالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»، قالوا: فمن المؤمن؟ قال: «مَنْ أَمِنَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ»، قالوا: فمن المهاجر؟ قال: «مَنْ هَجَرَ السُّوءَ وَاجْتَنَبَهُ»(٤)، وقال رجل: يا رسول الله: ما الإسلام؟ قال: «أَنْ يُسْلِمَ قَلْبُكَ لله وَيَسْلَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ» وقال مجاهد: يسلط على أهل النار الجرب فيحتكون حتى يبدو عظم أحدهم من جلده، فينادي: يا فلان: هل يؤذيك هذا؟ فيقول: نعم، فيقول: هذا بما كنت تؤذي المؤمنين. وقال ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا عَنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ»(٥)، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: يا رسول الله، علمني شيئًا أنتفع به. قال: «اعْزِلِ الأَذَى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ»(٦) وقال ﷺ: «مَنْ زَحْزَحَ عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا يُؤْذِيهِمْ كَتَبَ الله لَهُ بِهِ حَسَنَةً، وَمَنْ كَتَبَ الله لَهُ حَسَنَةً أَوْجَبَ لَهُ بِهَا الْجَنَّةَ»(٧)، وقال ﷺ: «لاَ يَحِلُّ

---

(١) صحيح: حديث «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده». متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو، [البخاري: ١٠، ومسلم: ٤٠].

(٢) صحيح: حديث «فإن لم تقدر فدع الناس من الشر فإنها صدقة تصدق بها على نفسك». متفق عليه من حديث أبي ذر، [البخاري: ٢٥١٨، ومسلم: ٨٤].

(٣) صحيح: حديث «أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده». متفق عليه من حديث أبي موسى، [البخاري: ١٠، ومسلم: ٤٢].

(٤) حديث «أتدرون من المسلم. » قالوا: الله ورسوله أعلم قال «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده». أخرجه الطبراني والحاكم وصححه من حديث فضالة بن عبيد «ألا أخبركم بالمؤمن؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب»، [ابن ماجه: ٣٩٣٤مختصرا، وانظر السلسلة الصحيحة: ٥٤٩]، ورواه ابن ماجه مقتصرا على «المؤمن والمهاجر» وللحاكم من حديث أنس وقال: على شرط مسلم، «والمهاجر من هجر السوء»، [انظر صحيح الترغيب: ٢٥٥٥]، ولأحمد بإسناد صحيح من حديث عمر بن عبسة: قال رجل يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: «أن تسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك»، [أحمد: ١٦٥٧٩، وانظر الأيمان لابن تيمية، وقال الألباني: صحيح بشواهده].

(٥) صحيح: حديث «لقد رأيت رجلا في الجنة يتقلب في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، [مسلم: ١٩١٤].

(٦) صحيح: حديث أبي هريرة: يا رسول الله، علمني شيئا أنتفع به، قال «اعزل الأذى عن طريق المسلمين». أخرجه مسلم من حديث أبي برزة قال: قلت يا نبي الله... فذكره، [مسلم: ٣٦١٨].

(٧) حسن: حديث «من زحزح عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له بها حسنة ومن كتب له بها حسنة أوجب له بها الجنة». رواه أحمد من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف، [أحمد: ٢٦٩٣٣، وانظر صحيح الجامع: ٥٩٨٥].

لِمُسْلِمٍ أَنْ يُشِيرَ إِلَى أَخِيهِ بِنَظْرَةٍ تُؤْذِيهِ»(١) ، وقال: «لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا» ، وقال ﷺ: «إِنَّ الله يَكْرَهُ أَذَى الْمُؤْمِنِينَ»(٢) ، وقال الربيع بن خثيم: الناس رجلان، مؤمن فلا تؤذه، وجاهل فلا تجاهله.

ومنها أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه، فإن الله لا يحب كل مختال فخور. قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الله تَعَالَى أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»(٣) ، ثم إن تفاخر عليه غيره فليحتمل، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف :١٩٩] وعن ابن أبي أوفى: «كان رسول الله ﷺ يتواضع لكل مسلم ولا يأنف ولا يتكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي حاجته»(٤) .

ومنها : أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض، قال ﷺ: «لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ»(٥) ، وقال الخليل بن أحمد: من نم لك نم عليك ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك.

ومنها أن لا يزيد في الهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام مهما غضب عليه. قال أبو أيوب الأنصاري: قال ﷺ: «لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هذَا وَيُعْرِضُ هذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ»(٦) ، وقد قال ﷺ: «مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا عَثْرَتَهُ أَقَالَهُ الله يَوْمَ القِيَامَةِ»(٧) ، قال عكرمة: قال الله تعالى ليوسف بن يعقوب: بعفوك عن إخواتك رفعت ذكرك

---

(١) حديث «لا يحل لمسلم أن ينظر إلى أخيه بنظر يؤذيه». أخرجه بن المبارك في الزهد من رواية حمزة بن عبيد مرسلا بسند ضعيف، وفي البر والصلة له من زيادات الحسين المروزي حمزة بن عبد الله بن أبي سمي وهو الصواب.

(٢) حديث «إن الله تعالى يكره أذى المؤمنين». أخرجه ابن المبارك في الزهد من رواية عكرمة بن خالد مرسلا بإسناد جيد، [ذكره الترمذي عقب حديث : ٢٨٢٥ ، لفظ : وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يتناجى .....والله لا يحب أذى المؤمن].

(٣) صحيح : حديث «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد». أخرجه أبو داود وابن ماجه واللفظ له من حديث عياض بن جماز ورجاله رجال الصحيح، [أبو داود : ٤٨٩٥ ، وابن ماجه : ٤١٧٩ ، وانظر السلسلة الصحيحة : ٥٧٠].

(٤) صحيح : حديث ابن أبي أوفى «كان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي حاجته». أخرجه النسائي بإسناد صحيح، والحاكم وقال: على شرط الشيخين، [النسائي: ١٤١٤ ، وانظر صحيح النسائي].

(٥) صحيح : حديث «لا يدخل الجنة قتات». متفق عليه من حديث أبي أيوب، [البخاري: ٦٠٥٦ ، ومسلم: ١٠٥].

(٦) صحيح : حديث «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام». متفق عليه، [البخاري: ٦٠٧٧ ، ومسلم: ٢٥٦٠ ، عن أبي أيوب الأنصاري].

(٧) صحيح : حديث «من أقال مسلما عثرته أقاله الله يوم القيامة». أخرجه أبو داود والحاكم، وقد تقدم، [أبو داود: ٣٤٦٠ ، عن أبي هريرة ، وانظر صحيح أبي داود].

في الدارين. قالت عائشة رضي الله عنها: «ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله»(١)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزًا. وقال ﷺ «مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ وَمَا زَادَ الله رَجُلًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا وَمَا مِنْ أَحَدٍ تَوَاضَعَ لله إِلاَّ رَفَعَهُ الله»(٢).

ومنها: أن يحسن إلى كل من قدر عليه منهم ما استطاع لا يميز بين الأهل وغير الأهل. وروى علي بن الحسين عن أبيه عن جدّه رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «اصْنَعِ المَعْرُوفَ فِي أَهْلِهِ وَفِي غَيْرِ أَهْلِهِ فَإِنْ أَصَبْتَ أَهْلَهُ فَهُوَ أَهْلُهُ وَإِنْ لَمْ تُصِبْ أَهْلَهُ فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ»(٣)، وعنه بإسناده قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأْسُ العَقْلِ بَعْدَ الدِّينِ التَّوَدُّدَ إِلَى النَّاسِ وَاصْطِنَاعَ المَعْرُوفَ إِلَى كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ»(٤)، قال أبو هريرة: «كان رسول الله ﷺ لا يأخذ أحد بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسلها ولم تكن ترى ركبته خارجة عن ركبة جليسه ولم يكن أحد يكلمه إلا أقبل عليه بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه»(٥).

ومنها: أن لا يدخل على أحد منهم إلا بإذنه بل يستأذن ثلاثًا فإن لم يؤذن له انصرف. قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «الاسْتِئْذَانُ ثَلاَثٌ، فَالأُولَى: يَسْتَنْصِتُونَ، وَالثَّانِيَةُ: يَسْتَصْلِحُونَ، وَالثَّالِثَةُ: يَأْذَنُونَ أَوْ يَرُدُّونَ»(٦).

---

(١) صحيح: حديث عائشة «ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط، إلا أن تصاب حرمة الله فينتقم لله». متفق عليه بلفظ «إلا أن تنتهك»، [البخاري: ٣٥٦٠، ومسلم: ٢٣٢٧].

(٢) صحيح: حديث «ما نقص مال من صدقة، وما زاد الله رجلا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، [مسلم: ٢٥٨٨].

(٣) ضعيف: حديث علي بن الحسين عن أبيه عن جده «اصنع المعروف إلى أهله، فإن لم تصب أهله فأنت أهله». ذكره الدارقطني في العلل وهو ضعيف، رواه القضاعي في مسند الشهاب من رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرسلا بسند ضعيف، [انظر ضعيف الجامع: ٨٩٤].

(٤) حديث علي بن الحسين عن أبيه عن جده «رأس العقل بعد الإيمان التودد إلى الناس واصطناع المعروف إلى كل بر وفاجر». أخرجه الطبراني في الأوسط، والخطابي في تاريخ الطالبين، وعند أبو نعيم في الحلية دون قوله «واصطناع... إلى آخره» وقال الطبراني «التحبب»، [الحديث قال الألباني: موضوع، انظر ضعيف الجامع: ٣٠٧٦، وبدون قوله «واصطناع.....»، قال الألباني: ضعيف، وانظر ضعيف الجامع: ٣٠٧٠، ٣٠٧١].

(٥) ضعيف: حديث أبي هريرة «كان رسول الله ﷺ لا يأخذ أحد بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسلها ولم تكن ترى ركبته خارجة عن ركبة جليسه ولم يكن أحد يكلمه إلا أقبل عليه بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه». أخرجه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن. ولأبي داود والترمذي وابن ماجه نحوه من حديث أنس بسند ضعيف، [أبو داود: ٤٨١٨، والترمذي: ٢٤٩٠، وابن ماجة: ٣٧١٦، واللفظ لهما، وانظر ضعيف الترمذي].

(٦) حديث أبي هريرة «الاستئذان ثلاث، فالأولى يستنصتون، والثانية يستصلحون، والثالثة يأذنون أو يردون». أخرجه الدارقطني في الأفراد بسند ضعيف، [انظر السلسلة الضعيفة: ٢٤٦٨، وقال الألباني: ضعيف جدًا].

ومنها: أن يخالق الجميع بخلق حسن ويعاملهم بحسب طريقته فإنه إن أراد لقاء الجاهل بالعلم والأمي بالفقه والعي بالبيان آذى وتأذى.

ومنها: أن يوقر المشايخ ويرحم الصبيان. قال جابر رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا وَلَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا»(١)، وقال ﷺ: «مِنْ إِجْلاَلِ الله إِكْرَامُ ذِي الشَّيْبَةِ المُسْلِمِ»(٢)، ومن تمام توقير المشايخ أن لا يتكلم بين أيديهم إلا بالإذن، وقال جابر: قدم وفد جهينة على النبي ﷺ فقام غلام ليتكلم، فقال ﷺ: «مهْ فَأَيْنَ الكَبِيرِ؟»(٣)، وفي الخبر: «مَا وَقَّرَ شَابٌّ شَيْخًا إِلاَّ قَيَّضَ الله لَهُ فِي سِنِّهِ مَنْ يُوَقِّرُهُ»(٤)، وهذه بشارة بدوام الحياة فليتنبه لها فلا يوفق لتوقير المشايخ إلا من قضى الله له بطول العمر، وقال ﷺ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ الوَلَدُ غَيْظًا وَالمَطَرُ قَيْظًا وَتَفِيضُ اللِّئَامُ فَيْضًا وَتَغِيضُ الكِرَامُ غَيْضًا وَيَجْتَرِىءُ الصَّغِيرُ عَلَى الكَبِيرِ وَاللَّئِيمُ عَلَى الكَرِيمِ»(٥)، «والتلطف بالصبيان من عادة رسول الله ﷺ»(٦). «كان ﷺ يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يأمر بهم فيرفعون إليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ويأمر أصحابه أن يحملوا بعضهم»(٧)، فربما تفاخر الصبيان بعد ذلك

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى «الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك وإلا فارجع»، [البخاري: ٦٢٤٥، ومسلم: ٢١٥٣].

(١) صحيح: حديث جابر «ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا». رواه الطبراني في الأوسط بسند ضعيف، وهو عند أبي داود والبخاري في الأدب من حديث عبد الله بن عمرو بسند حسن، [أبو داود: ٤٩٤٣، والبخاري في الأدب المفرد: ٣٥٤، وانظر السلسلة الصحيحة: ٢١٩٦].

(٢) حسن: حديث «من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم». أخرجه أبو داود من حديث أبي موسى الأشعري بسند حسن، [أبو داود: ٤٨٤٣، وانظر ضعيف الجامع: ٩٨].

(٣) حديث جابر: قدم وفد جهينة على النبي ﷺ، فقام غلام ليتكلم، فقال ﷺ «مه فأين الكبير؟». أخرجه الحاكم وصححه.

(٤) ضعيف: حديث «ما وقر شاب شيخا لسنه إلا قيد الله له في سنه من يوقره». أخرجه الترمذي من حديث أنس بلفظ «ما أكرم، ومن يكرمه» وقال حديث غريب وفي بعض النسخ حسن، وفيه أبو الرجال وهو ضعيف، [الترمذي: ٢٠٢٢، وانظر ضعيف الجامع: ٥٠١٢].

(٥) ضعيف: حديث «لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا وتفيض اللئام فيضا وتغيض الكرام غيضا ويجترئ الصغير على الكبير واللئيم على الكريم». رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عائشة والطبراني من حديث ابن مسعود. وإسنادهما ضعيف، [انظر السلسلة الضعيفة: ١١٧١].

(٦) حديث «التلطف بالصبيان». أخرجه البزار من حديث أنس: كان من أفكه الناس مع صبي، وقد تقدم في النكاح، [انظر ضعيف الجامع: ٤٤٨٨]. وفي الصحيحين «يا أبا عُمَيْر، ما فعل النُّغَيْر؟» وغير ذلك، [البخاري: ٦١٢٩، ومسلم: ٢١٥٠، من حديث أنس بن مالك].

(٧) حديث «كان ﷺ يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يأمر بهم فيرفعون إليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ويأمر أصحابه أن يحملوا بعضهم». رواه مسلم من حديث عبد الله بن جعفر: كان إذا قدم من سفر تلقى بنا. قال: فيلقي بي وبالحسن، وقال: فحمل أحدنا بين يديه والآخر خلفه وفي رواية: تلقى بصبيان أهل بيته وأنه قدم من سفر فسبق بي إليه فحملني بين يديه ثم جيء بأحد ابني فاطمة فأردفه خلفه، [مسلم: ٢٤٢٨].

فيقول بعضهم لبعض: حملني رسول الله ﷺ بين يديه وحملك أنت وراءه، ويقول بعضهم: أمر أصحابه أن يحملوك وراءهم، «وكان يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة وليسميه فيأخذه فيضعه في حجره فربما بال الصبي فيصيح به بعض من يراه فيقول: لا تزرموا الصبي بوله فيدعه حتى يقضي بوله ثم يفرغ من دعائه له وتسميته ويبلغ سرور أهله فيه لئلا يروا أنه تأذى ببوله فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعده»(١) .

ومنها : أن يكون مع كافة الخلق مستبشرًا طلق الوجه رفيقًا. قال ﷺ: «أَتَدْرُونَ عَلَى مَنْ حُرِّمَتِ النَّارُ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «عَلَى اللَّيِّنِ الهَيِّنِ السَّهْلِ القَرِيبِ»(٢) ، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الله يُحِبُّ السَّهْلَ الطَّلْقَ الوَجْهِ»(٣) ، وقال بعضهم: «يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة، فقال: إِنَّ مِنْ مُوجِبَاتِ المَغْفِرَةِ بَذْلَ السَّلاَمِ وَحُسْنَ الكَلاَمِ»(٤) ، وقال عبد الله بن عمر: إن البر شيء هين؛ وجه طليق وكلام لين، وقال ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تِمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»(٥) ، وقال ﷺ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَغُرَفًا يُرَى ظُهُورِهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا» ؛ فقال أعرابي: لمن هي يا رسول الله؟

وفي الصحيحين أن عبد الله بن جعفر قال لابن الزبير: أتذكر إذ تلقينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وابن عباس؟ قال: نعم فحملنا وتركك، لفظ مسلم. وقال البخاري: إن ابن الزبير قال لابن جعفر: فالله أعلم، [البخاري : ٣٠٨٢، ومسلم: ٢٤٢٧].

(١) حديث كان يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة وليسميه فيأخذه فيضعه في حجره فربما بال الصبي فيصيح به بعض من يراه فيقول: لا تزرموا الصبي بوله فيدعه حتى يقضي بوله ثم يفرغ من دعائه له وتسميته ويبلغ سرور أهله فيه لئلا يروا أنه تأذى ببوله فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعده». رواه مسلم من حديث عائشة »كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم فأتي بصبي فبال في عليه فدعا بماء فأتبعه بوله ولم يغسله« وأصله متفق عليه، [مسلم: ٢٨٦]. وفي رواية لأحمد »فيدعو لهم» وفيه «صبوا عليه الماء صبا» ، [أحمد: ٢٣٦٧٢]، وللدارقطني «بال ابن الزبير على النبي ﷺ فأخذ به أخذا عنيفا... الحديث« وفيه الحجاج ابن أرطأة ضعيف. ولأحمد بن منيع من حديث حسن بن علي عن امرأة منهم: بينا رسول الله ﷺ مستلقيا على ظهره يلاعب صبيا إذ بال، فقمت لتأخذه وتضربه فقال: »دعيه، ائتوني بكوز من ماء... الحديث»وإسناده صحيح.

(٢) حديث «أتدرون على من حرمت النار؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال: على الهين اللين السهل القريب». أخرجه الترمذي من حديث ابن مسعود ولم يقل »اللين« وذكرها الخرائطي من رواية محمد بن أبي معيقيب عن أمه قال الترمذي حسن غريب، [الترمذي: ٢٤٨٨، وانظر صحيح الترغيب: ١٧٤٧، واللفظ عنده، وقال الألباني: غير صحيح].

(٣) ضعيف جدًا: حديث أبي هريرة «إن الله يحب السهل الطلق».أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بسند ضعيف ورواه من رواية مورق العجلي مرسلا، [انظر السلسلة الضعيفة: ٣١٢٤].

(٤) صحيح: حديث «إن من واجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام». أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه والطبراني والخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له والبيهقي في شعب الإيمان من حديث هانئ بن يزيد بإسناد جيد، [انظر السلسلة الصحيحة: ١٠٣٥].

(٥) صحيح: حديث «اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة». متفق عليه من حديث عدي بن حاتم وتقدم في الزكاة، [البخاري: ٦٠٢٣، ومسلم: ١٠١٦].

قال: «لِمَنْ أَطَابَ الكَلاَمَ وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»(١)، وقال معاذ بن جبل: قال لي رسول الله ﷺ: «أُوصِيكَ بِتَقْوَى الله وَصِدْقِ الحَدِيثِ وَوَفَاءِ العَهْدِ وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ وَتَرْكِ الخِيَانَةِ وَحِفْظِ الجَارِ وَرَحْمَةِ اليَتِيمِ وَلِينِ الكَلاَمِ وَبَذْلِ السَّلاَمِ وَخَفْضِ الجَنَاحِ»(٢)، وقال أنس رضي الله عنه: «عرضت لنبيّ الله ﷺ امرأة وقالت: لي معك حاجة؛ وكان معه ناس من أصحابه، فقال: اجْلِسِي فِي أَيِّ نَوَاحِي السِّكَكِ شِئْتِ أَجْلِسْ إِلَيْكِ، ففعلت فجلس إليها حتى قضت حاجتها»(٣)، وقال وهب بن منبه: إن رجلًا من بني إسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل سبعة أيام، فسأل الله تعالى أن يريه كيف يغوي الشيطان الناس؟ فلما طال عليه ذلك ولم يجب قال: لو اطلعت على خطيئتي وذنبي بيني وبين ربي لكان خيرًا لي من هذا الأمر الذي طلبته، فأرسل الله إليه ملكًا فقال له: إن الله أرسلني إليك وهو يقول لك: إن كلامك هذا الذي تكلمت به أحب إليَّ مما مضى من عبادتك، وقد فتح الله بصرك فانظر، فنظر فإذا جنود إبليس قد أحاطت بالأرض وإذا ليس أحد من الناس إلا والشياطين حوله كالذئاب فقال: أي رب من ينجو من هذا؟ قال: الورع اللين.

ومنها: أن لا يعد مسلمًا بوعد إلا ويفي به. قال ﷺ: «العِدَةُ عَطِيَّةٌ»(٤)، وقال: «العِدَةُ دَيْنٌ»(٥)، وقال: «ثَلاَثٌ فِي المُنَافِقِ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ»(٦)، وقال: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى»(٧)، وذكر ذلك.

---

(١) حسن: حديث «إن في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها، فقال أعرابي: لمن هي يا رسول الله؟ قال: لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام». أخرجه الترمذي من حديث علي وقال حديث غريب. قلت وهو ضعيف، [الترمذي: ١٥٠٧، وانظر صحيح الرمذي].

(٢) ضعيف: حديث معاذ «أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح». أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق والبيهقي في كتاب الزهد وأبو نعيم في الحلية ولم يقل البيهقي «وخفض الجناح» وإسناده ضعيف، [انظر ضعيف الترغيب: ١٨٤١].

(٣) صحيح: حديث أنس «عرضت لنبي الله ﷺ امرأة وقالت لي معك حاجة؛ وكان معه ناس من أصحابه. قال اجلسي في أي نواحي السكك شئت أجلس إليك، قلت فجلس إليها حتى قضت حاجتها». رواه مسلم، [مسلم: ٢٣٢٦].

(٤) ضعيف: حديث «العدة عطية». أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث قباث بن أشيم بسند ضعيف، [انظر السلسلة الضعيفة: ١٥٥٤].

(٥) ضعيف: حديث «العدة دين». رواه الطبراني في معجميه الأوسط والأصغر من حديث علي وابن مسعود بسند فيه جهالة ورواه أبو داود في المراسيل، [انظر ضعيف الجامع: ٣٨٥٣].

(٦) صحيح: حديث «ثلاث في المنافق: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان». متفق عليه من حديث أبي هريرة نحوه، [البخاري: ٣٣، ومسلم: ٥٩].

(٧) صحيح: حديث «ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى». رواه البخاري من حديث أبي هريرة وأصله متفق عليه ولفظ مسلم «وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم» وهذا ليس في البخاري، [مسلم: ٥٩، وأصله بنحو الحديث السابق].

ومنها: أن ينصف الناس من نفسه ولا يأتي إليهم إلا بما يحب أن يؤتى إليه، قال ﷺ: «لاَ يَسْتَكْمِلُ العَبْدُ الإِيمَانَ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ ثَلاَثُ خِصَالٍ: الإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ، وَالإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِهِ، وَبَذْلُ السَّلاَمِ»(١)، وقال عليه السلام: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله وَلْيُؤْتِ إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»(٢)، وقال ﷺ: «يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ أَحْسِنْ مُجَاوَرَةَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا»(٣)، قال الحسن: أوحى الله تعالى إلى آدم عليه السلام بأربع خصال وقال: فيهن جماع الأمر لك ولولدك، واحدة لي وواحدة لك، وواحدة بيني وبينك، وواحدة بينك وبين الخلق، فأما التي لي: تعبدني ولا تشرك بي شيئًا، وأما التي لك: فعملك أجزيك به أفقر ما تكون إليه، وأما التي بيني وبينك: فعليك الدعاء وعليَّ الإجابة، وأما التي بينك وبين الناس فتصحبهم بالذي تحب أن يصحبوك به. وسأل موسى عليه السلام الله تعالى فقال: أي رب أي عبادك أعدل؟ قال: من أنصف من نفسه.

ومنها: أن يزيد في توقير من تدل هيئته وثيابه على علو منزلته فينزل الناس منازلهم. روي أن عائشة رضي الله عنها كانت في سفر فنزلت منزلاً فوضعت طعامها، فجاء سائل فقالت عائشة: ناولوا هذا المسكين قرصًا، ثم مرَّ رجل على دابة فقالت: ادعوه إلى الطعام. فقيل لها: تعطين المسكين وتدعين هذا الغني؟ فقالت: إن الله تعالى أنزل الناس منازل لا بدّ لنا من أن ننزلهم تلك المنازل، هذا المسكين يرضى بقرص، وقبيح بنا أن نعطي هذا الغني على هذه الهيئة قرصًا. وروي أنه ﷺ دخل بعض بيوته فدخل عليه أصحابه حتى غص المجلس وامتلأ؛ فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد مكانًا فقعد على الباب فلف رسول الله ﷺ رداءه فألقاه إليه وقال: «اجْلِسْ عَلَى هذَا» فأخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكي، ثم لفه ورمى به إلى النبي ﷺ وقال: ما كنت لأجلس على ثوبك؛ أكرمك الله كما أكرمتني، فنظر النبي يمينًا وشمالاً ثم قال: «إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ»(٤)، وكذلك كل من له عليه حق

---

(١) ضعيف: حديث «لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال: الإنفاق من الإقتار والإنصاف من نفسه وبذل السلام». أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عمار بن ياسر ووقفه البخاري عليه، [أخرجه البخاري معلقا عقب حديث: ٢٧، وانظر ضعيف الجامع: ٢٥٣٣].

(٢) صحيح: حديث «من سره أن يزحزح عن النار فلتأته منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه». أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص نحوه والخرائطي في مكارم الأخلاق بلفظه، [مسلم: ١٨٤٤].

(٣) صحيح: حديث «يا أبا الدرداء أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما». أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف والمعروف أنه قاله لأبي هريرة وقد تقدم، [انظر السلسلة الصحيحة: ٩٣٠].

(٤) حسن: حديث «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه». وفي أوله قصة في قدوم جرير بن عبد الله. أخرجه الحاكم

قديم فليكرمه. روي أن ظئر رسول الله ﷺ التي أرضعته جاءت إليه فبسط لها رداءه، ثم قال لها: مرحبًا بأمي ثم أجلسها على الرداء، ثم قال لها: «اشْفَعِي تُشَفَّعِي وَسَلِي تُعْطَيْ فقالت: قومي. فقال: «أَمَّا حَقِّي وَحَقُّ بَنِي هَاشِمٍ فَهُوَ لَكِ» ؛ فقام الناس من كل ناحية وقالوا: وحقنا يا رسول الله. ثم وصلها بعد وأخدمها ووهب لها سهمانه بحنين[(١)] فبيع ذلك من عثمان بن عفان رضي الله عنه بمائة ألف درهم، ولربما أتاه من يأتيه وهو على وسادة جالس ولا يكون فيها سعة يجلس معه فينزعها ويضعها تحت الذي يجلس إليه فإن أبى عزم عليه حتى يفعل»[(٢)]

ومنها: أن يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد إليه سبيلًا. قال ﷺ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصَّلاَةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ؟» قالوا: بلى، قال: «إِصْلاَحُ ذَاتِ البَيْنِ وَفَسَادُ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ»[(٣)] ، وقال ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ إِصْلاَحُ ذَاتِ البَيْنِ»[(٤)] ، وعن النبي ﷺ فيما رواه أنس رضي الله عنه قال: «بينما رسول الله ﷺ جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما الذي أضحكك؟ قال: «رَجُلاَنِ مِنْ أُمَّتِي جَثَيَا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ العِزَّةِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا رَبِّ خُذْ لِي مَظْلَمَتِي مِنْ هذَا، فَقَالَ الله تَعَالَى: رُدَّ عَلَى أَخِيكَ مَظْلَمَتَهُ. فَقَالَ: يَا رَبِّ لَمْ يَبْقَ لِي مِنْ حَسَنَاتِي شَيْءٌ، فَقَالَ الله تَعَالَى لِلطَّالِبِ: كَيْفَ تَصْنَعُ بِأَخِيكَ وَلَمْ يَبْقَ لَهُ مِنْ حَسَنَاتِهِ شَيْءٌ؟ فَقَالَ: يَا رَبِّ فَلْيَحْمِلْ عَنِّي مِنْ أَوْزَارِي» . ثم فاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء فقال: «إِنَّ ذلِكَ لَيَوْمٌ عَظِيمٌ يَوْمٌ يَحْتَاجُ النَّاسُ فِيهِ إِلَى أَنْ

من حديث جابر وقال صحيح الإسناد وتقدم في الزكاة مختصرا، [ابن ماجه: ٣٧١٢، من حديث ابن عمر، وانظر صحيح الجامع: ٢٦٩].

(١) ضعيف: حديث «إن ظئر رسول الله ﷺ التي أرضعته جاءت إليه فبسط لها رداءه ثم قال لها مرحبا بأمي ثم أجلسها على الرداء ثم قال لها اشفعي تشفعي وسلي تعطي فقالت: قومي فقال: أما حقي وحق بني هاشم فهو ذلك، فقام الناس من كل ناحية وقالوا: وحقنا يا رسول الله. ثم وصلها بعد وأخدمها ووهب لها سهماه بحنين». أخرجه أبو داود والحاكم وصححه من حديث الطفيل مختصرا في بسط ردائه لها دون ما بعده، [أبو داوود: ٥١٤٤، مختصرا، وانظر المشكاة].

(٢) حديث «نزعه ﷺ وسادته ووضعها تحت الذي يجلس إليه». أخرجه أحمد من حديث ابن عمرو، [حديث ابن عمرو ليس عند أحمد ولكنه عند البخاري، والذي عند أحمد من حديث ابن عمر: ٥٦٧٧] »أنه دخل عليه ﷺ فألقى إليه وسادة من أدم حشوها ليف... الحديث« وإسناده صحيح وللطبراني من حديث سلمان »دخلت على رسول الله ﷺ وهو متكئ على وسادة فألقاه إلي... الحديث« وسنده ضعيف قال صاحب الميزان هذا خبر ساقط، [قال الألباني: ضعيف جدًا، انظر السلسلة الضعيفة: ٥٤٣٢].

(٣) صحيح: حديث «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين هي الحالقة». رواه أبو داود والترمذي وصححه من حديث أبي الدرداء، [أبو داود: ٤٩١٩، والترمذي: ٢٥٠٩، وانظر صحيح الجامع: ٢٦٣٩].

(٤) صحيح: حديث «أفضل الصدقة إصلاح ذات البين». أخرجه الطبراني في الكبير والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو وفيه عبد الرحمن بن زياد الإفريقي ضعفه الجمهور، [انظر السلسلة الصحيحة: ٢٦٣٩].

يُحْمَلَ عَنْهُمْ مِنْ أَوْزَارِهِمْ قال: فيقول الله تعالى ـ أي للمتظلم ـ : ارْفَعْ بَصَرَكَ فَانْظُرْ فِي الجِنَانِ فَقَالَ: يَا رَبِّ أَرَى مَدَائِنَ مِنْ فِضَّةٍ وَقُصُورًا مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةً بَاللُّؤْلُؤِ لأَيِّ نَبِيٍّ هذَا أَوْ لأَيِّ صِدِّيقٍ أَوْ لأَيِّ شَهِيدٍ؟ قَالَ الله تَعَالَى: هذَا لِمَنْ أَعْطَى الثَّمَنَ، قَالَ: يَا رَبِّ وَمَنْ يَمْلِكُ ذلِكَ؟ قَالَ: أَنْتَ تَمْلِكُهُ، قَالَ: بِمَاذَا يَا رَبِّ؟ قَالَ: بِعَفْوِكَ عَنْ أَخِيكَ، قَالَ: يَا رَبِّ قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ الله تَعَالَى: خُذْ بِيَدِ أَخِيكَ فَأَدْخِلْهُ الجَنَّةَ. ثم قال ﷺ: اتَّقُوا الله وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ فَإِنَّ الله تَعَالَى يُصْلِحُ بَيْنَ المُؤْمِنِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ»[١] ، وقد قال ﷺ: «لَيْسَ بِكَذَّابٍ مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَقَالَ خَيْرًا»[٢] ، وهذا يدل على وجوب الإصلاح بين الناس لأن ترك الكذب واجب ولا يسقط الواجب إلا بواجب آكد منه، قال ﷺ: «كُلُّ الكَذِبِ مَكْتُوبٌ إِلاَّ أَنْ يَكْذِبَ الرَّجُلُ فِي الحَرْبِ[٣]، فَإِنَّ الحَرْبَ خِدْعَةٌ، أَوْ يَكْذِبَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا، أَوْ يَكْذِبَ لامْرَأَتِهِ لِيُرْضِيَهَا» .

ومنها: أن يستر عورات المسلمين كلهم. قال ﷺ: «مَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ سَتَرَهُ الله تَعَالَى فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»[٤] ، وقال: «لاَ يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا إِلاَّ سَتَرَهُ الله يَوْمَ القِيَامَةِ»[٥] ، وقال أبو سعيد

---

(١) ضعيف جدًا: حديث أنس «بينما رسول الله ﷺ جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما الذي أضحكك؟ قال رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما يا رب خذ لي مظلمتي من هذا، فقال الله تعالى: رد على أخيك مظلمته. فقال: يا رب لم يبق لي من حسناتي شيء، فقال الله تعالى للطالب: كيف تصنع بأخيك ولم يبق له من حسناته شيء؟ فقال: يا رب فليحمل عني من أوزاري. ثم فاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء فقال: إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس فيه إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال: فيقول الله تعالى – أي للمتظلم – ارفع بصرك فانظر في الجنان فقال: يا رب أرى مدائن من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا أو لأي صديق أو لأي شهيد؟ قال الله تعالى: هذا لمن أعطى الثمن قال: يا رب ومن يملك ذلك؟ قال: أنت تملكه، قال: بماذا يا رب؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: يا رب قد عفوت عنه، فيقول الله تعالى: خذ بيد أخيك فأدخله الجنة. أخيك. ثم قال ﷺ اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة». أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق والحاكم وقال صحيح الإسناد وكذا أبو يعلى الموصلي خرجه بطول وضعفه البخاري وابن حبان، [انظر ضعيف الترغيب: ١٤٦٩].

(٢) صحيح: حديث «ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نمى خيرا». متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، [البخاري: ٢٦٩٢، ومسلم: ٢٦٠٥].

(٣) حديث «كل الكذب مكتوب إلا أن يكذب الرجل في الحرب فإن الحرب خدعة أو يكذب بين اثنين فيصلح بينهما أو يكذب لامرأته ليرضيها». أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث النواس بن سمعان وفيه انقطاع وضعف، [انظر السلسلة الضعيفة: ٤١٠٣، وقال الألباني: ضعيف بهذا اللفظ]، ولمسلم نحوه من حديث أم كلثوم بنت عقبة، [مسلم: ٢٥٨٠].

(٤) حديث «من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، [مسلم: ٢٦٩٩] وللشيخين من حديث ابن عمر «من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة»، [البخاري: ٢٤٤٢، ومسلم: ٢٥٨٠].

(٥) صحيح: حديث «لا يستر عبد عبدا إلا ستره الله يوم القيامة». رواه مسلم من حديث أبي هريرة أيضا، [مسلم: ٢٥٩٠].

الخدري رضي الله عنه، قال ﷺ: «لاَ يَرَى الْمُؤْمِنُ مِنْ أَخِيهِ عَوْرَةً فَيَسْتُرُهَا عَلَيْهِ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ»(١)، وقال ﷺ لماعز لما أخبره: «لَوْ سَتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ كَانَ خَيْرًا لَكَ»(٢)، فإذن على المسلم أن يستر عورة نفسه فحق إسلامه واجب عليه كحق إسلام غيره. قال أبو بكر رضي الله عنه: لو وجدت شاربًا لأحببت أن يستره الله، ولو وجدت سارقًا لأحببت أن يستره الله.

وروي أن عمر رضي الله عنه كان يعس بالمدينة ذات ليلة فرأى رجلًا وامرأة على فاحشة فلما أصبح قال للناس: أرأيتم لو أن إمامًا رأى رجلًا وامرأة على فاحشة فأقام عليهما الحدّ ما كنتم فاعلين؟ قالوا: إنما أنت إمام، فقال علي رضي الله عنه: ليس ذلك لك، إذًا يقام عليك الحدّ إن الله لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهود، ثم تركهم ما شاء الله أن يتركهم ثم سألهم، فقال القوم مقالتهم الأولى، فقال علي رضي الله عنه: مثل مقالته الأولى. وهذا يشير إلى أن عمر رضي الله عنه كان مترددًا في أن الوالي هل له أن يقضي بعلمه في حدود الله؟ فلذلك راجعهم في معرض التقدير لا في معرض الإخبار خيفة من أن لا يكون له ذلك فيكون قاذفًا بإخباره، ومال رأي علي إلى أنه ليس له ذلك. وهذا من أعظم الأدلة على طلب الشرع لستر الفواحش فإن أفحشها الزّنى، وقد نيط بأربعة من العدول ـ يشاهدون ذلك منه في ذلك منها كالمرود في المكحلة ـ وهذا قط لا يتفق. وإن علمه القاضي تحقيقًا لم يكن له أن يكشف عنه. فانظر إلى الحكمة في حسم باب الفاحشة بإيجاب الرجم الذي هو أعظم العقوبات. ثم انظر إلى كثيف ستر الله كيف أسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه؟ فنرجو أن لا نحرم هذا الكرم يوم تبلى السرائر: ففي الحديث: «إِنَّ اللهَ إِذَا سَتَرَ عَلَى عَبْدٍ عَوْرَتَهُ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَكْشِفَهَا فِي الآخِرَةِ وَإِنْ كَشَفَهَا فِي الدُّنْيَا فَهُوَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَكْشِفَهَا مَرَّةً أُخْرَى»(٣)، وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: خرجت مع عمر رضي الله عنه ليلة في المدينة فبينما نحن نمشي إذ ظهر لنا سراج فانطلقنا نؤمه فلما دنونا منه إذا باب مغلق

---

(١) ضعيف: حديث أبي سعيد الخدري «لا يرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة». رواه الطبراني في الأوسط والصغير والخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له بسند ضعيف، [انظر ضعيف الترغيب: ١٤٠٠].

(٢) صحيح لغيره: حديث «لو سترته بثوبك كان خيرا لك». رواه أبو داود والنسائي من حديث نعيم بن الهزال والحاكم من حديث هزال نفسه وقال صحيح الإسناد ونعيم مختلف في صحبته، [أبو داود: ٤٣٧٧، وانظر صحيح الترغيب: ٢٣٣٥].

(٣) حديث «إن الله إذا ستر على عبد عورته في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها في الآخرة وإن كشفها في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها مرة أخرى». أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث علي «من أذنب ذنبا في الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من أن يرجع في شيء قد عفا عنه ومن أذنب ذنبا في الدنيا فعوقب عليه فالله أعدل من أن يثني العقوبة على عبده»، [الترمذي: ٢٦٢٦، وابن ماجه: ٢٦٠٤، وانظر ضعيف ابن ماجه]، لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ولمسلم من حديث أبي هريرة «لا ستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره يوم القيامة»، [مسلم: ٢٥٩٠].

على قوم لهم أصوات ولغط فأخذ عمر بيدي وقال: أتدري بيت من هذا؟ قلت: لا، فقال: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شرب فما ترى؟ قلت: أرى أنا قد أتينا ما نهانا الله عنه. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات:١٢] فرجع عمر رضي الله عنه وتركهم، وهذا يدل على وجوب الستر وترك التتبع، وقد قال رسول الله ﷺ لمعاوية: «إِنَّكَ إِنْ تَتَبَّعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كِدْتَ تُفْسِدُهُمْ»(١)، وقال ﷺ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ لاَ تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ يَتَّبِعِ الله عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ الله عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ كَانَ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ»(٢)، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لو رأيت أحدًا على حد من حدود الله تعالى ما أخذته ولا دعوت له أحدًا حتى يكون معي غيري. وقال بعضهم: كنت قاعدًا مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذ جاءه رجل بآخر، فقال: هذا نشوان، فقال عبد الله بن مسعود: استنكهوه فاستنكهوه فوجده نشوانًا فحبسه حتى ذهب سكره، ثم دعا بسوط فكسر ثمره ثم قال للجلاد: اجلد وارفع يدك وأعط كل عضو حقه فجلده وعليه قباء أو مرط: فلما فرغ قال للذي جاء به: ما أنت منه؟ قال: عمه، قال عبد الله: ما أدبت فأحسنت الأدب ولا سترت الحرمة إنه ينبغي للإمام إذا انتهى إليه حدّ أن يقيمه وإن الله عفوّ يحب العفو ثم قرأ: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ [النور:٢٢] ثم قال: «إني لأذكر أوّل رجل قطعه النبيّ ﷺ أتي بسارق فقطعه فكأنما أسف وجهه، فقالوا: يا رسول الله كأنك كرهت قطعه، فقال: «وَمَا يَمْنَعُنِي لاَ تَكُونُوا عَوْنًا لِلشَّيَاطِينِ عَلَى أَخِيكُمْ؟» فقالوا: ألا عفوت عنه؟ فقال: «إِنَّهُ يَنْبَغِي لِلسُّلْطَانِ إِذَا انْتَهَى إِلَيْهِ حَدٌّ أَنْ يُقِيمَهُ إِنَّ الله عَفُوٌّ يُحِبُّ الْعَفْوَ وقرأ: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٢] »(٣) وفي رواية فكأنما سفي في وجه رسول الله ﷺ رماد لشدّة تغيره. وروى أنّ عمر رضي الله عنه كان يعس بالمدينة من الليل فسمع صوت رجل في بيت يتغنى فتسوّر عليه فوجد عنده امرأة وعنده

---

(١) صحيح: حديث «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم». قاله لمعاوية أخرجه أبو داود بإسناد صحيح من حديث معاوية، [أبو داود: ٤٨٨٨، وانظر صحيح الجامع: ٢٢٩٥].

(٢) حسن صحيح: حديث «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو كان في جوف بيته». أخرجه أبو داود من حديث أبي برزة بإسناد جيد وللترمذي من حديث ابن عمر وحسنه، [أبو داود: ٤٨٨٠، والترمذي: ٢٠٣٢، وانظر صحيح الترغيب: ٢٣٤٠].

(٣) حسن حديث ابن مسعود «إني لأذكر أول رجل قطعه النبي ﷺ أتى بسارق فقطعه فكأنما أسف وجهه، فقالوا: يا رسول الله كأنك كرهت قطعه، فقال: وما يمنعني! لا تكونوا عونا للشيطان على أخيكم؟ فقالوا: ألا عفوت عنه؟ فقال: إنه ينبغي للسلطان إذا انتهى إليه حد أن يقيمه إن الله عفو يحب العفو وقرأ ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[النور:٢٢] ». رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد وللخرائطي في مكارم الأخلاق: فكأنما سفي في وجه رسول الله ﷺ رماد... الحديث»، [انظر السلسلة الصحيحة: ١٦٣٨].

خمر، فقال: يا عدوّ الله أظننت أن الله يسترك وأنت على معصيته؟ فقال: وأنت يا أمير المؤمنين فلا تعجل، فإن كنت قد عصيت الله واحدة فقد عصيت الله في ثلاثة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾[الحجرات: ١٢] وقد تجسست، وقال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾[البقرة:١٨٩] وقد تسوّرت عليّ، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾[النور:٢٧] الآية، وقد دخلت بيتي بغير إذن ولا سلام، فقال عمر رضي الله عنه: هل عندك من خير إن عفوت عنك؟ قال: نعم والله يا أمير المؤمنين لئن عفوت عني لا أعود إلى مثلها أبدًا فعفا عنه وخرج وتركه.

وقال رجل لعبد الله بن عمر: يا أبا عبد الرحمن كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة؟ قال: سمعته يقول: «إِنَّ الله لَيُدْنِي مِنْهُ الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ فَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ قَالَ لَهُ: يَا عَبْدِي لَمْ أَسْتُرْهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا إِلاَّ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَغْفِرَهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُونَ وَالمُنَافِقُونَ فتقول الأشهاد: ﴿هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[هود:١٨] »[(١)] وقال ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلاَّ المُجَاهِرِينَ»[(٢)] ، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل السوء سرًا ثم يخبر به، وقال ﷺ: «مَنِ اسْتَمَعَ خَبَرَ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ صُبَّ فِي أُذُنِهِ الآنُكُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[(٣)] .

ومنها: أن يتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولألسنتهم عن العيبة، فإنهم إذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكًا، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[الأنعام:١٠٨] وقال ﷺ: «كَيْفَ تَرَوْنَ مَنْ يَسُبُّ أَبَوَيْهِ؟ فقالوا: وهل من أحد يسب أبويه؟ فقال: نَعَمْ يَسُبُّ أَبَوَيْ غَيْرِهِ فَيَسُبُّونَ أَبَوَيْهِ»[(٤)] ، وقد روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه «أنّ رسول الله ﷺ كلم إحدى نسائه

---

(١) صحيح: حديث ابن عمر «إن الله ليدني منه المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول: نعم يا رب، حتى إذا قرره بذنوبه فرأى في نفسه أنه قد هلك قال له: يا عبدي إني لم أسترها عليك في الدنيا إلا وأنا أريد أن أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته. وأما الكافرون والمنافقون ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود: ١٨] ». متفق عليه، [البخاري: ٢٤٤١، ومسلم: ٢٧٦٨].

(٢) صحيح: حديث «كل أمتي معافى إلا المجاهرين». متفق عليه من حديث أبي هريرة، [البخاري: ٦٠٦٩، ومسلم: ٢٩٩٠].

(٣) صحيح: حديث «من استمع من قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآن يوم القيامة». رواه البخاري من حديث ابن عباس مرفوعا وموقوفا عليه وعلى أبي هريرة أيضا، [البخاري: ٧٠٤٢].

(٤) صحيح: حديث «كيف ترون من يسب أبويه فقالوا وهل من أحد يسب أبويه؟ فقال: نعم يسب أبوي غيره فيسبون أبويه». متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو نحوه، [البخاري: ٥٩٧٣، ومسلم: ٩٠].

فمرّ به رجل فدعاه رسول الله ﷺ وقال: «يَا فُلاَنُ هذِهِ زَوْجَتِي صَفِيَّةُ» ، فقال: يا رسول الله من كنت أظن فيه فإني لم أكن أظن فيك، فقال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ آبْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ»(١)، وزاد في رواية: «إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا» وكانا رجلين فقال: «عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ»(٢) .... الحديث»، وكانت قد زارته في العشر الأواخر من رمضان: وقال عمر رضي الله عنه: من أقام نفسه مقام التهم فلا يلومن من أساء به الظن. ومرّ برجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فعلاه بالدرة فقال: يا أمير المؤمنين، إنها امرأتي فقال: هلا حيث لا يراك أحد من الناس؟.

ومنها : أن يشفع لكل من له حاجة من المسلمين إلى من له عنده منزلة ويسعى في قضاء حاجته بما يقدر عليه، قال ﷺ: «إِنِّي أُوتَى وَأُسْأَلُ وَتُطْلَبُ إِلَيَّ الحَاجَةُ وَأَنْتُمْ عِنْدِي فَاشْفَعُوا لِتُؤْجَرُوا وَيَقْضِي الله عَلَى يَدَيْ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ»(٣)، وقال معاوية: قال رسول الله ﷺ: «اشْفَعُوا إِلَيَّ لِتُؤْجَرُوا إِنِّي أُرِيدُ الأَمْرَ وَأُؤَخِّرُهُ كَيْ تَشْفَعُوا إِلَيَّ فَتُؤْجَرُوا» ، وقال ﷺ: «مَا مِنْ صَدَقَةٍ أَفْضَلُ مِنْ صَدَقَةِ اللِّسَانِ» قيل: وكيف ذلك؟ قال: «الشَّفَاعَةُ يُحْقَنُ بِهَا الدَّمُ وَتُجَرُّ بِهَا المَنْفَعَةُ إِلَى آخَرَ وَيُدْفَعُ بِهَا المَكْرُوهُ عَنْ آخَرَ»(٤) .

وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن زوج بريرة كان عبدًا يقال له مغيث كأني أنظر إليه خلفها وهو يبكي ودموعه تسيل على لحيته، فقال ﷺ للعباس: «أَلاَّ تَعْجَبُ مِنْ شِدَّةِ حُبِّ مُغِيثٍ لِبَرِيرَةَ وَشِدَّةِ بُغْضِهَا لَهُ؟ فقال النبي : لَوْ رَاجَعْتِهِ فَإِنَّهُ أَبُو وَلَدِكِ ، فقالت: يا رسول الله أتأمرني فأفعل؟ فقال: لاَ إِنَّمَا أَنَا شَافِعٌ»(٥) .

ومنها : أن يبدأ كل مسلم منهم بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند السلام. قال ﷺ: «مَنْ

---

(١) صحيح: حديث أنس »أن رسول الله ﷺ كلم إحدى نسائه فمر به رجل فدعاه رسول الله ﷺ وقال يا فلان هذه زوجتي صفية» فقال: يا رسول الله من كنت أظن فيه فإني لم أكن أظن فيك، فقال: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم». رواه مسلم، [مسلم: ٢١٧٤، بلفظ: زوجتي فلانة].

(٢) صحيح: حديث «إني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرا وقال على رسلكما إنها صفية». متفق عليه من حديث صفية، [البخاري: ٦٢١٩، ومسلم: ٢١٧٥].

(٣) صحيح: حديث «إني أوتى وأسأل وتطلب إلي الحاجة وأنتم عندي فاشفعوا لتؤجروا ويقضي الله على يدي نبيه ما أحب». متفق عليه من حديث أبو موسى نحوه، [ابخاري: ١٤٣٢، ومسلم: ٢٦٢٧].

(٤) ضعيف: حديث «ما من صدقة أفضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك؟ قال: الشفاعة يحقن بها الدم وتجر بها المنفعة إلى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر». أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له في الكبير من حديث سمرة بن جندب ضعيف، [انظر السلسلة الضعيفة: ١٤٤٢].

(٥) صحيح: حديث عكرمة عن ابن عباس: أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كأني أنظر إليه خلفها وهو يبكي ودموعه تسيل على لحيته، فقال ﷺ للعباس ألا تعجب من شدة حب مغيث لبريرة وشدة بغضها له! فقال النبي ﷺ لو راجعته فإنه أبو ولدك، فقالت: يا رسول الله أتأمرني فأفعل؟ فقال: لا إنما أنا شافع». رواه البخاري، [البخاري: ٥٢٨٣].

بَدَأَ بِالكَلاَمِ قَبْلَ السَّلاَمِ فَلاَ تُجِيبُوهُ حَتَّى يَبْدَأَ بِالسَّلاَمِ»[١] ، وقال بعضهم: دخلت على رسول الله ﷺ ولم أسلم ولم أستأذن، فقال النبي ﷺ: «ارْجِعْ فَقُلْ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ أَأَدْخُلُ؟»[٢] . وروى جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتَكُمْ فَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَلَّمَ أَحَدُكُمْ لَمْ يَدْخُلْ بَيْتَهُ»[٣] ، وقال أنس رضي الله عنه خدمت النبي ﷺ ثمان حجج فقال لي: «يَا أَنَسُ أَسْبِغْ الوُضُوءَ يَزِدْ فِي عُمُرِكَ وَسَلِّمْ عَلَى مَنْ لَقِيتَهُ مِنْ أُمَّتِي تَكْثُرْ حَسَنَاتُكَ، وَإِذَا دَخَلْتَ مَنْزِلَكَ فَسَلِّمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ يَكْثُرْ خَيْرُ بَيْتِكَ»[٤] ، وقال أنس: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا الْتَقَى المُؤْمِنَانِ فَتَصَافَحَا قُسِمَتْ بَيْنَهُمَا سَبْعُونَ مَغْفِرَةً تِسْعٌ وَسِتُّونَ لأَحْسَنِهِمَا بِشْرًا» وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦] وقال عليه السلام: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَفَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ»[٥] ، وقال أيضًا: «إِذَا سَلَّمَ المُسْلِمُ عَلَى المُسْلِمِ فَرَدَّ عَلَيْهِ صَلَّتْ عَلَيْهِ المَلاَئِكَةُ سَبْعِينَ مَرَّةً»[٦] وقال ﷺ: «إِنَّ المَلاَئِكَةَ تَعْجَبُ مِنَ المُسْلِمِ يَمُرُّ عَلَى المُسْلِمِ وَلاَ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ»[٧] ، وقال عليه السلام: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي وَإِذَا سَلَّمَ مِنَ القَوْمِ وَاحِدٌ أَجْزَأَ عَنْهُمْ»[٨] وقال قتادة: كانت تحية من كان قبلكم السجود فأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام

---

(١) حسن: حديث «من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه حتى يبدأ بالسلام». أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في اليوم والليلة واللفظ له من حديث ابن عمر بسند فيه لين، [انظر صحيح الجامع: ٦١٢٢].

(٢) صحيح: حديث: دخلت على رسول الله ﷺ ولم أسلم ولم أستأذن فقال ﷺ «ارجع فقل: السلام عليكم، أأدخل؟ ». أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه من حديث كلدة بن الحنبل وهو صاحب القصة، [أبو داود: ٥١٧٧، والترمذي: ٢٧١٠، وانظر السلسلة الصحيحة: ٨١٨].

(٣) حديث جابر «إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فإن الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته». أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق وفيه ضعف.

(٤) حديث أنس: خدمت النبي ﷺ ثماني حجج فقال لي «يا أنس أسبغ الوضوء يزد في عمرك وسلم على من لقيته من أمتي تكثر حسناتك وإذا دخلت بيتك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك». أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له وللبيهقي في الشعب وإسناده ضعيف وللترمذي وصححه «إذا دخلت على أهلك فسلم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك»، [الترمذي: ٢٦٩٨، وانظر ضعيف الجامع: ٦٣٨٩].

(٥) صحيح: حديث «والذي نفسي بيده لا تدخل الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على عمل إذا عملتموه تحاببتم؟ قالوا: بلا يا رسول الله، قال: أفشوا السلام بينكم». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، [مسلم: ٥٤].

(٦) حديث «إذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة». ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي هريرة ولم يسنده ولده في المسند.

(٧) حديث «الملائكة تعجب من المسلم يمر عليه المسلم فلا يسلم عليه». لم أقف له على أصل.

(٨) حديث «يسلم الراكب على الماشي وإذا سلم من القوم أحد أجزأ عنهم». رواه مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم مرسلا ولأبي داود من حديث علي «يجزئ عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزى عن الجلوس أن

وهي تحية أهل الجنة. وكان أبو مسلم الخولاني يمرّ على قوم فلا يسلم عليهم ويقول: ما يمنعني إلا أني أخشى أن لا يردوا فتلعنهم الملائكة. والمصافحة أيضًا سنّة مع السلام، «وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فقال عليه السلام: عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، فجاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله فقال: عِشْرُونَ حَسَنَةً ، فجاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال: ثَلاَثُونَ»(١) ، وكان أنس رضي الله عنه يمرّ على الصبيان فيسلم عليهم(٢) ، ويروى عن رسول الله ﷺ أنه فعل ذلك. وروى عبد الحميد بن بهرام: أنه ﷺ مرَّ في المسجد يومًا وعصبة من الناس قعود فأومأ بيده بالسلام، وأشار عبد الحميد بيده إلى الحكاية(٣) . فقال عليه السلام: «لاَ تَبْدَؤُوا اليَهُودَ وَلاَ النَّصَارَى بِالسَّلاَمِ وَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي الطَّرِيقِ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ»(٤) ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ تُصَافِحُوا أَهْلَ الذِّمَّةِ وَلاَ تَبْدَؤُوهُمْ بِالسَّلاَمِ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فِي الطَّرِيقِ فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِ الطُّرُقِ» .

قالت عائشة رضي الله عنها: إنّ رهطًا من اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليك، فقال النبي ﷺ: «عَلَيْكُمْ» قالت عائشة رضي الله عنها: فقلت بل عليكم السام واللعنة فقال عليه السلام: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ الله يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي كُلِّ شَيْءٍ» قالت عائشة: ألم تسمع ما قالوا؟ قال «فَقَدْ قُلْتُ عَلَيْكُمْ»(٥) وقال عليه السلام: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي وَالمَاشِي عَلَى

يرد أحدهم»، [أبي داود: وانظر صحيح أبي داود]، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة «يسلم الراكب على الماشي... الحديث»، [البخاري: ٦٢٣٢، ومسلم، ٢١٦٠]، وسيأتي في بقية الباب.

(١) صحيح: حديث «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال سلام عليك فقال ﷺ عشر حسنات، فجاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله فقال: عشرون حسنة، فجاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال: ثلاثون». أخرجه أبو داود والترمذي من حديث عمران بن حصين قال الترمذي حسن غريب وقال البيهقي في الشعب إسناده حسن، [أبو داود: ٥١٩٥، والترمذي: ٢٦٨٩، وانظر صحيح الترغيب: ٢٧١٠].

(٢) صحيح: حديث أنس «كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم». ورفعه متفق عليه، [البخاري: ٦٢٤٧، ومسلم: ٢١٦٨].

(٣) ضعيف: حديث عبد الحميد بن بهرام «أنه ﷺ مر في المسجد يوما وعصبة من الناس قعود فألوى بيده بالتسليم وأشار عبد الحميد بيده». أخرجه الترمذي من رواية عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وقال حسن وابن ماجه من رواية ابن أبي حسين عن شهر ورواه أبو داود وقال أحمد لا بأس به، [أبو داود: ٥٢٠٤ والترمذي: ٢٦٩٧، وابن ماجه: ٣٧٠١، وانظر ضعيف الترمذي].

(٤) صحيح: حديث «لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه». رواه مسلم من حديث أبي هريرة، [مسلم: ٢١٦٧].

(٥) صحيح: حديث عائشة: إن رهطا من اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليك فقال النبي ﷺ «عليكم» قالت عائشة رضي الله عنها: فقلت بل عليكم السام واللعنة فقال عليه السلام «يا عائشة إن الله يحب الرفق في كل شيء» قالت عائشة: ألم تسمع ما قالوا؟ قال «فقد قلت عليكم». متفق عليه، [البخاري: ٩٢٣٥، ومسلم: ٢١٦٥].

القَاعِدِ وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ وَالصَّغِيرُ عَلَى الكَبِيرِ»(١)، وقال عليه السلام: «لاَ تَشَبَّهُوا بِاليَهُودِ وَالنَّصَارَى فَإِنَّ تَسْلِيمَ اليَهُودِ بِالإِشَارَةِ بَالأَصَابِعِ وَتَسْلِيمَ النَّصَارَى بِالإِشَارَةِ بِالأَكُفِّ»(٢)، قال أبو عيسى: إسناده ضعيف.

وقال عليه السلام: «إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى مَجْلِسٍ فَلْيُسَلِّمْ فَإِنْ بَدَا لَهُ أَنْ يَجْلِسَ فَلْيَجْلِسْ، ثُمَّ إِذَا قَامَ فَلْيُسَلِّمْ فَلَيْسَتِ الأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الأَخِيرَةِ»(٣)، وقال أنس رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ «إِذَا الْتَقَى المُؤْمِنَانِ فَتَصَافَحَا قُسِمَتْ بَيْنَهُمَا سَبْعُونَ مَغْفِرَةً تِسْعَةٌ وَسِتُّونَ لأَحْسَنِهِمَا بِشْرًا»(٤)، وقال عمر رضي الله عنه: سمعت النبي ﷺ يقول: «إِذَا الْتَقَى المُسْلِمَانِ وَسَلَّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ وَتَصَافَحَا نَزَلَتْ بَيْنَهُمَا مِائَةُ رَحْمَةٍ لِلْبَادِىءِ تِسْعُونَ وَلِلْمُصَافِحِ عَشَرَةٌ»(٥)، وقال الحسن: المصافحة تزيد في الود. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «تَمَامُ تَحِيَّاتِكُم المُصَافَحَةُ»(٦)، وقال عليه السلام: «قُبْلَةُ المُسْلِمِ أَخَاهُ المُصَافَحَةُ»(٧)، ولا بأس بقبلة يد المعظم في الدين تبركًا به وتوقيرًا له. وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قبلنا يد النبي ﷺ(٨)، وعن كعب بن مالك قال: لما نزلت توبتي أتيت

---

(١) صحيح: حديث «يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير». متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يقل مسلم «والصغير على الكبير»، [البخاري: ٦٢٣٢، ومسلم: ٢١٦٠].

(٢) حسن: حديث «لا تشبهوا باليهود والنصارى فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع وتسليم النصارى الإشارة بالأكف». أخرجه الترمذي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال إسناده ضعيف، [الترمذي: ٢٦٩٥، وانظر صحيح الجامع: ٥٤٣٤].

(٣) حسن: حديث «إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فإن بدا له أن يجلس فليجلس، ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الأخيرة». أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة، [أبو داود: ٥٢٠٨، والترمذي: ٢٧٠٦، وانظر المشكاة: ٤٦٦٠].

(٤) منكر: حديث أنس «إذا التقى المؤمنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسعة وستون لأحسنهما بشرا». أخرجه الخرائطي بسند ضعيف وللطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة «مائة رحمة تسعة وتسعون لأبشهما وأطلقهما وأبرهما وأحسنهما مسالمة لأخيه».وفيه الحسن بن كثير بن يحيى بن أبي كثير مجهول، [انظر ضعيف الترغيب: ١٦٢٦].

(٥) ضعيف جدًا حديث عمر بن الخطاب «إذا التقى المسلمان وسلم كل واحد منهما على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادئ تسعون وللمصافح عشرة». أخرجه البزار في مسنده والخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له والبيهقي في الشعب وفي إسناده نظر، [انظر ضعيف الجامع: ٣٩٨].

(٦) ضعيف: حديث أبي هريرة «تمام تحياتكم بينكم المصافحة». أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق وهو عند الترمذي من حديث أبي أمامة وضعفه، [الترمذي: ٢٧٣١، وانظر ضعيف الترمذي].

(٧) ضعيف جدًا: حديث «قبلة المسلم أخاه المصافحة». أخرجه الخرائطي وابن عدي من حديث أنس وقال غير محفوظ، [انظر السلسلة الضعيفة: ٤٠٥٠].

(٨) ضعيف: حديث ابن عمر «قبلنا يد رسول الله ﷺ». أخرجه أبو داود بسند حسن، [أبو داود: ٢٦٤٧، وانظر ضعيف أبي داود].

النبي ﷺ فقبلت يده[١] ، ورُوي أنّ أعرابيًا قال: يا رسول الله ائذن لي فأقبل رأسك ويدك قال: فأذن له ففعل[٢] ، ولقي أبو عبيدة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فصافحه وقبل يده وتنحيا يبكيان. وعن البراء بن عازب رضي الله عنه: أنه سلم على رسول الله ﷺ وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه فرد عليه ومدّ يده إليه فصافحه فقال: يا رسول الله ما كنت أرى هذا إلا من أخلاق الأعاجم؟ فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمُسْلِمَيْنَ إِذَا الْتَقَيَا فَتَصَافَحَا تَحَاتَّتْ ذُنُوبُهُمَا»[٣] ، وعن النبي ﷺ قال: «إِذَا مَرَّ الرَّجُلُ بِالقَوْمِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ فَرَدُّوا عَلَيْهِ كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ فَضْلُ دَرَجَةٍ لأَنَّهُ ذَكَّرَهُمْ السَّلاَمَ وَإِنْ لَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ مَلأٌ خَيْرٌ مِنْهُمْ وَأَطْيَبُ ـ أو قال: وَأَفْضَلُ ـ»[٤] ، والانحناء عند السلام منهي عنه. قال أنس رضي الله عنه: قلنا يا رسول الله أينحني بعضنا لبعض؟ قال: «لاَ» قال: فيقبل بعضنا بعضًا؟ قال «لاَ» قال: فيصافح بعضنا بعضًا؟ قال: «نَعَمْ»[٥] ، والالتزام والتقبيل قد ورد به الخبر عند القدوم من السفر[٦] ، وقال أبو ذرّ رضي الله عنه: ما لقيته ﷺ إلا صافحني، وطلبني يومًا فلم أكن في البيت فلما أخبرت جئت وهو على سرير فالتزمني فكانت أجود وأجود[٧] .

والأخذ بالركاب في توقير العلماء ورد به الأثر فعل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن

---

(١) حديث كعب بن مالك «لما نزلت توبتي أتيت النبي ﷺ فقبلت يده». أخرجه أبو بكر بن المقري في كتاب الرخصة في تقبيل اليد. بسند ضعيف.

(٢) حديث «أن أعرابيا قال يا رسول الله ائذن لي فأقبل رأسك ويدك فأذن له ففعل». أخرجه الحاكم من حديث بريدة إلا أنه قال: «رجليك» موضع «يدك» وقال صحيح الإسناد.

(٣) حديث البراء بن عازب «أنه سلم على رسول الله ﷺ وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه فرد عليه ومد يده إليه فصافحه فقال: يا رسول الله ما كنت أرى هذا إلا من أخلاق الأعاجم؟ فقال رسول الله ﷺ «إن المسلمين إذا التقيا فتصافحا تحاتت ذنوبهما». رواه الخرائطي بسند ضعيف وهو عند أبي داود والترمذي وابن ماجه مختصرا «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا» ، [أبو داود: ٥١٢١ ، والترمذي: ٢٧٢٧ ، وانظر صحيح أبي داود] قال الترمذي حسن غريب من حديث أبي إسحاق عن البراء.

(٤) صحيح: حديث «إذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم السلام وإن لم يردوا عليه رد عليه ملأ خير منهم وأطيب». أخرجه الخرائطي والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود مرفوعا وضعف البيهقي المرفوع ورواه موقوفا عليه بسند صحيح، [انظر صحيح الجامع: ٣٦٩٧].

(٥) حسن: حديث أنس: قلنا يا رسول الله أينحني بعضنا لبعض؟ قال: «لا» قال: فيقبل بعضنا بعضا؟ قال «لا» قال: فيصافح بعضنا بعضا؟ قال: «نعم». أخرجه الترمذي وحسنه وابن ماجه وضعفه أحمد والبيهقي، [الترمذي: ٢٧٢٨، وابن ماجه: ٣٧٠٢، وانظر السلسلة الصحيحة: ١٦٠].

(٦) ضعيف: حديث: «الالتزام والتقبيل عند القدوم من السفر». أخرجه الترمذي من حديث عائشة قالت: «قدم زيد بن حارثة... الحديث» وفيه «فاعتنقه وقبله» وقال حسن غريب، [الترمذي: ٢٧٣٢ ، وانظر المشكاة: ٤٦٨٢].

(٧) ضعيف: حديث أبي ذر «ما لقيته ﷺ إلا صافحني، وطلبني يوما فلم أكن في البيت فلما أخبرت جئت وهو على سرير فالتزمني فكانت أجود وأجود». أخرجه أبو داود وفيه رجل من عزة لم يسم وسماه البيهقي في الشعب عبد الله، [أبو داود: ٥٢١٤، وانظر ضعيف الترغيب: ١٦٣٠].

ثابت [١]، وأخذ عمر بغرز زيد حتى رفعه وقال: هكذا فافعلوا بزيد وأصحاب زيد.

والقيام مكروه على سبيل الإعظام لا على سبيل الإكرام، قال أنس: ما كان شخص أحب إلينا من رسول الله ﷺ؟ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك [٢]، وروي أنه عليه السلام قال مرة: «إِذَا رَأَيْتُمُونِي فَلاَ تَقُومُوا كَمَا تَصْنَعُ الأَعَاجِمُ» [٣]، وقال عليه السلام: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمْثُلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» [٤]، وقال (عليه السلام): «لاَ يُقِمِ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسَ فِيهِ وَلَكِنْ تَوَسَّعُوا وَتَفَسَّحُوا» [٥]، وكانوا يحترزون عن ذلك لهذا النهي. وقال ﷺ «إِذَا أَخَذَ الْقَوْمُ مَجَالِسَهُمْ فَإِنْ دَعَا أَحَدٌ أَخَاهُ فَأَوْسَعَ لَهُ فَلْيَأْتِهِ فَإِنَّمَا هِيَ كَرَامَةٌ أَكْرَمَهُ بِهَا أَخُوهُ فَإِنْ لَمْ يُوَسِّعْ لَهُ فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَوْسَعِ مَكَانٍ يَجِدُهُ فَيَجْلِسْ فِيهِ» [٦] وروي أنه سلم رجل على رسول الله ﷺ وهو يبول فلم يجب [٧]، فيكره السلام على من يقضي حاجته، ويكره أن يقول ابتداء: عليك السلام، فإنه قاله رجل لرسول الله ﷺ فقال عليه السلام: «إِنَّ عَلَيْكَ السَّلاَمُ تَحِيَّةُ الْمَوْتَى» قالها ثلاثًا، ثم قال: «إِذَا لَقِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَقُلْ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله» [٨] ويستحب للداخل إذا سلم ولم يجد مجلسًا أن لا ينصرف بل يقعد وراء الصف. كان رسول الله ﷺ جالسًا في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى

(١) حديث «أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت». تقدم في العلم.

(٢) صحيح: حديث أنس «ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك». أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح، [الترمذي: ٢٧٥٤، وانظر السلسلة الصحيحة: ٣٥٨].

(٣) ضعيف: حديث «إذا رأيتموني فلا تقوموا كما يصنع الأعاجم». أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث أبي أمامة وقال «كما يقوم الأعاجم» وفيه أبو العديس مجهول، [أبو داود: ٥٢٣٠، وابن ماجه: ٣٨٣٦، وانظر ضعيف الترغيب: ١٦٢٢].

(٤) صحيح: حديث «من سره أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار». أخرجه أبو داود والترمذي من حديث معاوية وقال حسن، [أبو داود: ٥٢٢٩، والترمذي: ٢٧٥٥، وانظر صحيح الجامع: ٥٩٥٧].

(٥) صحيح: حديث «لا يقيم الرجلُ الرجلَ من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن توسعوا وتفسحوا». متفق عليه من حديث ابن عمر، [البخاري: ٦٢٦٩، ومسلم: ٢١٧٧، واللفظ له].

(٦) حسن: حديث «إذا أخذ القوم مجالسهم فإن دعا أحد أخاه فأوسع له فليأته فإنما هي كرامة أكرمه بها أخوه فإن لم يوسع له فلينظر إلى أوسع مكان يجده فيجلس فيه». أخرجه البغوي في معجم الصحابة من حديث ابن شيبة ورجاله ثقات وابن شبيبة هذا ذكره أبو موسى المديني في ذيله في الصحابة وقد رواه الطبراني في الكبير من رواية مصعب بن شبيبة عن أبيه عن النبي ﷺ أخصر منه، وشيبة بن جبير والد منصور ليست له صحبة، [انظر صحيح الجامع: ٤٦٣].

(٧) صحيح: حديث «أن رجلا سلم على رسول الله ﷺ وهو يبول فلم يجب». أخرجه مسلم من حديث ابن عمر بلفظ «فلم يرد عليه»، [مسلم: ٣٧٠].

(٨) صحيح: حديث: قال رجل لرسول ﷺ عليك السلام فقال: «إن عليك السلام تحية الموتى» قالها ثالثا، ثم قال «إذا لقى أحدكم أخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله». أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي في اليوم والليلة من حديث ابن جري الهجيمي وهو صاحب القصة قال الترمذي حسن صحيح، [أبو داود: ٥٢٠٩، والترمذي: ٢٧٢١، وانظر صحيح أبي داود].

رسول الله ﷺ ، فأما أحدهما فوجد فرجة فجلس فيها، وأما الثاني فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «أَلاَّ أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاَثَةِ. أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى الله فَآوَاهُ الله، وَأَمَّا الثَّانِي فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا الله مِنْهُ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ الله عَنْهُ»(١) ، وقال ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلاَّ غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَتَفَرَّقَا»(٢) ، وسلمت أم هانىء على النبي ﷺ فقال: «مَنْ هذِهِ؟» فقيل له: أم هانىء، فقال عليه السلام: «مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِىءٍ»(٣) .

ومنها: أن يصون عرض أخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر ويرد عنه ويناضل دونه وينصره، فإن ذلك يجب عليه بمقتضى أخوة الإسلام. روى أبو الدرداء: أن رجلًا نال من رجل عند رسول الله ﷺ فرد عنه رجل فقال النبي ﷺ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ كَانَ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ»(٤) ، وقال ﷺ: «مَا مِنِ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ يَرُدُّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ إِلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يَرُدَّ عَنْهُ نَارَ جَهَنَّمَ يَوْمَ القِيَامَةِ»(٥) ، وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ ذُكِرَ عِنْدَهُ أَخُوهُ المُسْلِمُ وَهُوَ يَسْتَطِيعُ نَصْرَهُ فَلَمْ يَنْصُرْهُ أَذَلَّهُ الله بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ ذُكِرَ عِنْدَهُ أَخُوهُ المُسْلِمُ فَنَصَرَهُ نَصَرَهُ الله تَعَالَى فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»(٦) وقال عليه السلام: «مَنْ حَمَى عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ المُسْلِمِ فِي الدُّنْيَا بَعَثَ الله تَعَالَى لَهُ مَلَكًا يَحْمِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ النَّارِ»(٧) ، وقال جابر وأبو طلحة: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنِ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي

---

(١) صحيح: حديث «كان ﷺ جالسا في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ فأما أحدهما فوجد فرجة فجلس فيها وأما الثاني فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهبا، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة: أما أحدهم فأوى إلى الله، فآواه الله؛ وأما الثاني فاستحيا، فاستحيا الله منه؛ وأما الثالث فأعرض، فأعرض الله عنه». متفق عليه من حديث أبي واقد الليثي، [البخاري: ٦٦، ومسلم: ٢١٧٦].

(٢) صحيح: حديث «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا». أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث البراء بن عازب، [أبو داود: ٥٢١٢، والترمذي: ٢٧٢٧، وابن ماجه: ٣٧٠٣، وانظر صحيح الترغيب: ٢٧١٨].

(٣) صحيح: حديث: سلمت أم هانئ عليه فقال: «مرحبا بأم هانئ». أخرجه مسلم من حديث أم هانئ، [مسلم: ٣٣٦].

صحيح: حديث أبي الدرداء «من رد عن عرض أخيه كان له في حجابا من النار». أخرجه الترمذي [الترمذي: ١٩٣١، وانظر صحيح الجامع: ٦٢٦٣].

: حديث «ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم أخرجه أحمد من حديث أسماء بنت يزيد بنحوه والخرائطي في مكارم الأخلاق وهو عند الطبراني بهذا حديث أبي الدرداء وفيهما شهر بن حوشب، [أحمد: ٢٦٩٨٨، عن أبي الدرداء، ولم أقف عليه من ماء بنت يزيد، وانظر السلسلة الضعيفة: ٥٨٠].

جدًا حديث أنس «من ذكر عنده أخوه المسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره ولو بكلمة أذله الله بها خرة. ومن ذكر عنده أخوه المسلم فنصره نصره الله تعالى في الدنيا والآخرة». أخرجه ابن أبي الدنيا على ما ذكر منه وإسناده ضعيف، [انظر السلسلة الضعيفة: ١٨٨٨].

«من حمى عرض أخيه المسلم في الدنيا بعث الله له ملكا يحميه يوم القيامة من النار».

مَوْضِعٍ يُنْتَهَكُ فِيهِ عِرْضُهُ وَيُسْتَحَلُّ حُرْمَتُهُ نَصَرَهُ الله فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نَصْرَهُ، وَمَا مِنِ امْرِىءٍ خَذَلَ مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ يُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ إِلاَّ خَذَلَهُ الله فِي مَوْضِعٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ»(١) .

ومنها : تشميت العاطس. قال عليه الصلاة والسلام في العاطس: «يَقُولُ: الحَمْدُ لله عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَيَقُولُ الَّذِي يُشَمِّتُهُ: يَرْحَمُكُم الله، وَيَرُدُّ عَلَيْهِ العَاطِسُ فَيَقُولُ: يَهْدِيكُمُ الله وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ»(٢) ، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا يقول: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُل: الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ، فَإِذَا قَالَ ذلِكَ فَلْيَقُلْ مَنْ عِنْدَهُ: يَرْحَمُكَ الله فَإِذَا قَالُوا ذلِكَ فَلْيَقُلْ: يَغْفِرُ الله لِي وَلَكُمْ»(٣) ، وشمت رسول الله ﷺ عاطسًا ولم يشمت آخر فسأله عن ذلك فقال: «إِنَّهُ حَمِدَ الله وَأَنْتَ سَكَتَّ»(٤) ، وقال ﷺ: «يُشَمَّتُ العَاطِسُ المُسْلِمُ إِذَا عَطَسَ ثَلاثًا فَإِنْ زَادَ فَهُوَ زُكَامٌ»(٥) ، وروي أنه شمت عاطسًا ثلاثًا فعطس أخرى فقال: «إِنَّكَ مَزْكُومٌ»(٦) ، وقال أبو هريرة: كان رسول الله ﷺ إذا عطس غضَّ صوته واستتر بثوبه أو يده(٧). وروي خمر وجهه.

وقال أبو موسى الأشعري: كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله ﷺ رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول: «يَهْدِيكُمُ الله»(٨) ، وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه: أن

أخرجه أبو داود من حديث معاذ بن أنس نحوه بسند ضعيف، [أبو داود: ٤٨٨٣ ، وانظر صحيح أبي داود].

(١) ضعيف: حديث جابر وأبي طلحة «ما من امرئ مسلم ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه من عرضه ويستحل حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصره وما من امرئ خذل مسلما في موطن ينتهك فيه حرمته إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته». أخرجه أبو داود مع تقديم وتأخير واختلف في إسناده، [أبو داود: ٤٨٨٤ ، وانظر ضعيف الترغيب: ١٣٥٣].

(٢) صحيح: حديث «يقول العاطس الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشتمه يرحمك الله ويقول هو يهديكم الله ويصلح بالكم». أخرجه البخاري وأبو داود من حديث أبي هريرة ولم يقل البخاري «على كل حال»، [البخاري: ٦٢٢٤ ، وأبو داود: ٥٠٣٣].

(٣) صحيح: حديث أبي مسعود «إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين، فإذا قال ذلك فليقل من عنده: يرحمكم الله فإذا قالوا ذلك فليقل: يغفر الله لي ولكم». أخرجه النسائي في اليوم والليلة وقال حديث منكر ورواه أيضا أبو داود والترمذي من حديث سالم بن عبد الله واختلف في إسناده، [أبو داود: ٥٠٣١ ، والترمذي: ٢٧٤٠ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٦٨٦].

(٤) صحيح: حديث: شمت رسول الله ﷺ عاطسا ولم يشمت آخر فسأله عن ذلك فقال «أنه حمد الله وأنت سكت». متفق عليه من حديث أنس، [البخاري: ٦٢٢١ ، ومسلم: ٢٩٩١].

(٥) حسن: حديث «شمتوا المسلم إذا عطس ثلاثا فإن زاد فهو زكام». أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة «شمت أخاك ثلاثا... الحديث». وإسناده جيد، [أبو داود ٥٠٣٤ ، وانظر صحيح الجامع: ٢٩٩٣].

(٦) صحيح: حديث: أنه شمت عاطسا فعطس أخرى فقال «إنك مزكوم». أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع، [مسلم: ٢٩٩٣].

(٧) حسن صحيح: حديث أبي هريرة «كان إذا عطس غض صوته وستر بثوبه أو يده». أخرجه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وفي رواية لأبي نعيم في اليوم والليلة «خمر وجهه وفاه»، [أبو داود: ٥٠٢٩ ، والترمذي: ٢٧٤٥ ، وانظر صحيح أبي داود والترمذي].

رجلًا عطس خلف النبي ﷺ في الصلاة فقال: الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يرضى ربنا وبعدما يرضى والحمد لله على كل حال، فلما سلم النبي ﷺ قال: «مَنْ صَاحِبُ الكَلِمَاتِ؟» فقال: أنا يا رسول الله ما أردت بهن إلا خيرًا، فقال: «لَقَدْ رَأَيْتُ اثْنَيْ عَشَرَ مَلَكًا كُلُّهُمْ يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا»(١)، وقال ﷺ: «مَنْ عَطَسَ عِنْدَهُ فَسَبَقَ إِلَى الحَمْدِ لَمْ يَشْتَكِ خَاصِرَتَهُ»(٢)، وقال عليه السلام: «العُطَاسُ مِنَ الله وَالتَّثَاؤُبُ مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى فِيهِ، فَإِذَا قَالَ: ها ها، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَضْحَكُ مِنْ جَوْفِهِ»(٣)، وقال إبراهيم النخعي: إذا عطس في قضاء الحاجة فلا بأس بأن يذكر الله. وقال الحسن: يحمد الله في نفسه. وقال كعب: قال موسى عليه السلام: يا رب أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك؟ فقال: أنا جليس من ذكرني فقال: فإنا نكون على حال نجلك أن نذكرك عليها كالجنابة والغائط، فقال: اذكرني على كل حال.

ومنها: أنه إذا بلي بذي شر فينبغي أن يتحمله ويتقيه قال بعضهم: خالص المؤمن مخالصة وخالق الفاجر مخالقة، فإن الفاجر يرضى بالخلق الحسن في الظاهر. وقال أبو الدرداء: إنا لنبش في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهي مع من يخاف شره، قال الله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون:٩٦] قال ابن عباس في معنى قوله: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [الرعد:٢٢] أي الفحش والأذى بالسلام والمداراة. وقال في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [البقرة:٢٥١]، قال: بالرغبة والرهبة والحياء والمداراة. وقالت عائشة رضي الله عنها: استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال: «ائْذَنُوا لَهُ فَبِئْسَ رَجُلِ العَشِيرَةِ هُوَ»، فلما دخل ألان له القول حتى ظننتُ أن له عنده منزلة فلما خرج

---

(١) صحيح: حديث أبي موسى: كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله ﷺ رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول «يهديكم الله». أخرجه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح، [أبو داود: ٥٠٣٨، والترمذي: ٢٧٣٩، وانظر صحيح أبي داود].

(٢) ضعيف: حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة: أن رجلا عطس خلف النبي ﷺ في الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضى ربنا ويرضى والحمد لله على كل حال، فلما سلم النبي ﷺ قال «من صاحب الكلمات. » فقال: أنا يا رسول الله ما أردت بهن إلا خيرا، فقال لقد رأيت اثني عشر ملكا كلهم يبتدرونها أيهم يكتبها». أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه وإسناده جيد، [أبو داود: ٧٧٤، وانظر ضعيف أبي داود].

(٣) حديث «من عطس عنده فسبق إلى الحمد لم يشتك خاصرته». أخرجه الطبراني في الأوسط وفي الدعاء من حديث علي بسند ضعيف.

(٤) حديث «العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه، فإذا قال: ها ها، فإن الشيطان يضحك من جوفه». متفق عليه من حديث أبي هريرة، [البخاري: ٣٢٨٩، ومسلم: ٢٩٩٤]، دون قوله «العطاس من الله» فرواه الترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة، [الترمذي: ٢٧٤٦، وقال الألباني: حسن صحيح]، وقال البخاري «إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب... الحديث»، [البخاري: ٦٢٢٣].

قلت له: لما دخل قلت الذي قلت، ثم ألنت له القول فقال: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ الله يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ»(١) ، وفي الخبر: «مَا وَقَى الرَّجُلُ بِهِ عِرْضَهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ»(٢) .

وفي الأثر: خالطوا الناس بأعمالكم وزايلوهم بالقلوب. وقال محمد بن الحنفية رضي الله عنه: ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدًّا حتى يجعل الله له منه فرجًا.

ومنها : أن يجتنب مخالطة الأغنياء ويختلط بالمساكين ويحسن إلى الأيتام، كان النبي ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ المَسَاكِينَ»(٣) ، وقال كعب الأحبار: كان سليمان عليه السلام في ملكه إذا دخل المسجد فرأى مسكينًا جلس إليه وقال: مسكين جالس مسكينًا. وقيل: ما كان من كلمة تقال لعيسى عليه السلام أحب إليه من أن يقال له يا مسكين. وقال كعب الأحبار: ما في القرآن من: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فهو في التوراة «يا أيها المساكين» وقال عبادة بن الصامت: إن للنار سبعة أبواب ثلاثة للأغنياء وثلاثة للنساء وواحد للفقراء والمساكين؛ وقال الفضيل: بلغني أن نبيًا من الأنبياء قال: يا رب كيف لي أن أعلم رضاك عني؟ فقال: انظر كيف رضا المساكين عنك. وقال عليه الصلاة والسلام: «وَإِيَّاكُمْ وَمُجَالَسَةَ المَوْتَى» ، قيل: ومن الموتى يا رسول الله؟ قال: «الأَغْنِيَاءُ»(٤) وقال موسى: إلهي أين أبغيك؟ قال عند المكسرة قلوبهم. وقال : «لاَ تَغْبِطَنَّ فَاجِرًا بِنِعْمَةٍ فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي إِلَى مَا يَصِيرُ بَعْدَ المَوْتِ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ طَالِبًا حَثِيثًا»(٥) ، وأما اليتيم؛ فقال ﷺ: «مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا مِنْ أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ حَتَّى يَسْتَغْنِي فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ الْبَتَّةَ»(٦) ، وقال عليه السلام: «أَنَا وَكَافِلُ

---

(١) صحيح : حديث عائشة: استأذن رجل رسول الله ﷺ فقال: «ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو» فلما دخل ألان له القول حتى أن له عنده منزلة فلما خرج قلت له، لما دخل قلت الذي قلت، ثم ألنت له القول فقال: «يا عائشة إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاه فحشه». متفق عليه، [البخاري: ٦١٣١، ومسلم: ٢٥٩١].

(٢) ضعيف : حديث «ما وقي المرء عرضه فهو له صدقة». أخرجه أبو يعلى وابن عدي من حديث جابر وضعفه، [انظر السلسلة الصحيحة: ٨٩٨].

(٣) صحيح : حديث «اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين». أخرجه ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد والترمذي من حديث عائشة وقال غريب، [الترمذي: ٢٣٢٥. وابن ماجه٤١٢٦، وانظر صحيح ابن ماجه واللفظ له].

(٤) ضعيف جدًا حديث «إياكم ومجالسة الموتى قيل وما الموتى؟ قال الأغنياء».أخرجه الترمذي وضعفه والحاكم وصحح إسناده من حديث عائشة «إياك ومجالسة الأغنياء»، [الترمذي: ١٧٨٠، وانظر السلسلة الضعيفة: ١٢٩٤].

(٥) ضعيف : حديث «لا تغبطن فاجرا بنعمة فإنك لا تدري إلى ما يصير بعد الموت فإن من ورائه طالبا حثيثا». رواه البخاري في التاريخ والطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف، [انظر المشكاة: ٥٢٤٨].

الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ وَهُوَ يُشِيرُ بِإِصْبَعَيْهِ»(١) ، وقال ﷺ: «مَنْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ يَتِيمٍ تَرَحُّمًا كَانَتْ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ تَمُرُّ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَةٌ»(٢) ، وقال ﷺ: «خَيْرُ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ وَشَرُّ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ»(٣) .

ومنها: النصيحة لكل مسلم والجهد في إدخال السرور على قلبه، قال ﷺ: «الْمُؤْمِنُ يُحِبُّ لِلْمُؤْمِنِ كَمَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»(٤) ، وقال ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» وقال ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ مِرْآةُ أَخِيهِ فَإِذَا رَأَى فِيهِ شَيْئًا فَلْيُمِطْهُ عَنْهُ»(٥) ، وقال ﷺ: «مَنْ قَضَى حَاجَةً لأَخِيهِ فَكَأَنَّمَا خَدَمَ الله عُمْرَهُ»(٦) ، وقال ﷺ: «مَنْ أَقَرَّ عَيْنَ مُؤْمِنٍ أَقَرَّ الله عَيْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وقال ﷺ: «مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ سَاعَةً مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ قَضَاها أَوْ لَمْ يَقْضِها كَانَ خَيْرًا لَهُ مِنِ اعْتِكَافِ شَهْرَيْنِ»(٧) ، وقال عليه السلام: «مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُؤْمِنٍ مَغْمُومٍ أَوْ أَعَانَ مَظْلُومًا غَفَرَ الله لَهُ ثَلاثًا وَسَبْعِينَ مَغْفِرَةً»(٨) ؛ وقال ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» فقيل كيف ينصره ظالمًا؟ قال: «يَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ»(٩) ، وقال عليه السلام: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّ الأَعْمَالِ إِلَى

---

(١) صحيح: حديث «من ضم يتيما من أبوين مسلمين حتى يستغني فقد وجبت له الجنة البتة». أخرجه أحمد والطبراني من حديث مالك بن عمر وفيه علي بن زيد بن جدعان متكلم فيه، [أحمد: ١٨٥٤٧ ، وانظر صحيح الترغيب: ٢٥٤٣].

(٢) صحيح: حديث «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة». أخرجه البخاري من حديث سهل بن سعد، ومسلم من حديث أبي هريرة، [البخاري: ٦٠٠٥، من حديث سهل بن سعد، ومسلم: ٢٩٨٣، من حديث أبي هريرة].

(٣) ضعيف: حديث «من وضع يده على رأس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة». أخرجه أحمد والطبراني بإسناد ضعيف من حديث أبي أمامة دون قوله «ترحما» ولابن حبان في الضعفاء من حديث ابن أبي أوفى «من مسح يده على رأس يتيم رحمة له... الحديث» ، [أحمد: ٢١٦٤٩، وانظر ضعيف الترغيب].

(٤) ضعيف: حديث «خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه». أخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة وفيه ضعف، [ابن ماجه: ٣٦٧٩، وانظر ضعيف الترغيب: ١٥١٠].

(٥) صحيح: حديث «المؤمن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه». تقدم بلفظ «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» ولم أره بهذا اللفظ، [البخاري: ١٣ ، ومسلم: ٤٥ ، من حديث أنس].

(٦) ضعيف جدًا حديث «إن أحدكم مرآة أخيه فإذا رأى فيه شيئا فليمطه عنه». رواه أبو داود والترمذي وقد تقدم، [أبو داود: ٤٩١٨ ، والترمذي: ١٩٢٩ ، وانظر ضعيف الترمذي واللفظ له].

(٧) موضوع: حديث «من قضى لأخيه حاجة فكأنما خدم الله عمره». أخرجه البخاري في التاريخ والطبراني والخرائطي كلاهما في مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف مرسلا، [انظر ضعيف الجامع: ٥٧٩٢].

(٨) ضعيف جدًا حديث «من مشى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاها أو لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين». أخرجه الحاكم وصححه من حديث ابن عباس «لأن يمشي أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته- وأشار بإصبعه - أفضل من أن يعتكف في مسجدي هذا شهرين» وللطبراني في الأوسط «من مشى في حاجة أخيه كان خيرا له من اعتكافه عشر سنين» وكلاهما ضعيف .

(٩) موضوع: حديث «من فرج عن مغموم أو أعان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة». أخرجه الخرائطي

الله إِدْخَالَ السُّرُورِ عَلَى قَلْبِ الْمُؤْمِنِ أَوْ أَنْ يُفَرِّجَ عَنْهُ غَمًّا أَوْ يَقْضِيَ عَنْهُ دَيْنًا أَوْ يُطْعِمَهُ مِنْ جُوعٍ»(١) ، وقال ﷺ: «مَنْ حَمَى مُؤْمِنًا مِنْ مُنَافِقٍ يَعْنِبُهُ بَعَثَ الله إِلَيْهِ مَلَكًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِي لَحْمَهُ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ»، وقال ﷺ: «خَصْلَتَانِ لَيْسَ فَوْقَهُما شَيْءٌ مِنَ الشَّرِّ: الشِّرْكُ بِالله وَالضُّرُّ لِعِبَادِ الله. وَخَصْلَتَانِ لَيْسَ فَوقَهُما شَيْءٌ مِنَ البِرِّ: الإِيمَانُ بِالله وَالنَّفْعُ لِعِبَادِ الله»(٢) ، وقال ﷺ: «مَنْ لَمْ يَهْتَمَّ لِلْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ»(٣) ، وقال معروف الكرخي: من قال كل يوم: اللهم ارحم أمة محمد كتبه الله من الأبدال ـ وفي رواية أخرى ـ اللهم أصلح أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد ـ كل يوم ثلاث مرات ـ كتبه الله من الأبدال، وبكى علي بن الفضيل يومًا فقيل له ما يبكيك؟ قال: أبكي على من ظلمني إذا وقف غدًا بين يدي الله تعالى وسئل عن ظلمه ولم تكن له حجة.

ومنها: أن يعود مرضاهم فالمعرفة والإسلام كافيان في إثبات هذا الحق ونيل فضله. وأدب العائد خفة الجلسة وقلة السؤال وإظهار الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع. وعند الاستئذان لا يقابل الباب ويدق برفق ولا يقول: أنا، إذا قيل له: من ولا يقول: يا غلام، ولكن يحمد ويسبح، وقال ﷺ: «تَمَامُ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ أَنْ يَضَعَ أَحَدُكُمْ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ أَوْ عَلَى يَدِهِ وَيَسْأَلَهُ كَيْفَ هُوَ وَتَمَامُ تَحِيَّاتِكُمْ الْمُصَافَحَةُ» ، وقال ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا قَعَدَ فِي مَخَارِفِ الجَنَّةِ حَتَّى إِذَا قَامَ وُكِّلَ بِهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى اللَّيْلِ»(٤) وقال رسول الله ﷺ: «إِذَا عَادَ الرَّجُلُ الْمَرِيضَ خَاضَ فِي الرَّحْمَةِ فَإِذَا قَعَدَ عِنْدَهُ قَرَّتْ فِيهِ»(٥) ، وقال

في مكارم الأخلاق وابن حبان في الضعفاء وابن عدي من حديث أنس بلفظ «من أغاث ملهوف»، [انظر السلسلة الضعيفة: ٧٤٩].

(١) صحيح: حديث «انصر أخاك ظالما أو مظلوما، فقيل كيف ينصره ظالما؟ قال: يمنعه من الظلم». متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم، [البخاري: ٢٤٤٣من حديث أنس، ومسلم: ٢٥٨٤، من حديث جابر].

(٢) صحيح: حديث «إن من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على قلب المؤمن أو أن يفرج عنه غما أو يقضي عنه دينا أو يطعمه من جوع». أخرجه الطبراني في الصغير والأوسط من حديث ابن عمر بسند ضعيف، [انظر السلسلة الصحيحة: ٢٢٩١].

(٣) لا أصل له: حديث «خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضر بعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من البر الإيمان بالله والنفع لعباد الله». ذكره صاحب الفردوس من حديث علي ولم يسنده ولده في مسنده، [انظر السلسلة الضعيفة: ٧].

(٤) ضعيف: حديث «من لم يهتم للمسلمين فليس منهم». أخرجه الحاكم من حديث حذيفة والطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر وكلاهما ضعيف، [انظر ضعيف الترغيب: ١٠٩٩].

(٥) صحيح: حديث «من عاد مريضا قعد في مخارف الجنة حتى إذا قام وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى الليل». أخرجه أصحاب السنن والحاكم من حديث علي، [أبي داود: ٣٠٩٨، والترمذي: ٩٦٧، وابن ماجه: ١٤٤٢، وانظر صحيحابن ماجه واللفظ له]، «من أتى أخاه المسلم عائدا مشى في خرافة الجنة حتى يجلس فإذا جلس غمرته الرحمة فإن كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي وإن كان مساء... الحديث» لفظ ابن ماجه وصححه الحاكم وحسنه الترمذي ولمسلم من حديث ثوبان «من عاد مريضا لم يزل في خرفة الجنة»، [مسلم: ٢٥٦٨].

ﷺ: «إِذَا عَادَ الْمُسْلِمُ أَخَاهُ أَوْ زَارَهُ قَالَ الله تَعَالَى: طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مَنْزِلًا فِي الجَنَّةِ»(١)، وقال عليه السلام: «إِذَا مَرِضَ العَبْدُ بَعَثَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْهِ مَلَكَيْنِ فَقَالَ: انْظُرَا مَاذَا يَقُولُ لِعُوَّادِهِ؟ فَإِنْ هُوَ إِذَا جَاؤُوهُ حَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ رَفَعا ذلِكَ إِلَى الله وَهُوَ أَعْلَمُ فَيَقُولُ: لِعَبْدِي عَلَيَّ إِنْ تَوَفَّيْتُهُ أَنْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ وَإِنْ أَنَا شَفَيْتُهُ أَنْ أُبْدِلَ لَهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ وَأَنْ أُكَفِّرَ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ»(٢)، وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ»(٣)، وقال عثمان رضي الله عنه: مرضت فعادني رسول الله ﷺ فقال: «بِسْمِ الله الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ أُعِيذُكَ بِالله الأَحَدِ الصَّمَدِ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ مِنْ شَرِّ مَا تَجِدُ» قالها مرارًا(٤)، ودخل ﷺ على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو مريض فقال له: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ تَعْجِيلَ عَافِيَتِكَ أَوْ صَبْرًا عَلَى بَلِيَّتِكَ أَوْ خُرُوجًا مِنَ الدُّنْيا إِلَى رَحْمَتِكَ فَإِنَّكَ سَتُعْطَى إِحْدَاهُنَّ»(٥)، ويستحب للعليل أيضًا أن يقول: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إذا شكا أحدكم بطنه فليسأل امرأته شيئًا من صداقها

---

(١) صحيح: حديث «إذا عاد الرجل المريض خاض في الرحمة فإذا قعد عنده قرت فيه». أخرجه الحاكم والبيهقي من حديث جابر وقال «أنغمس فيها» قال الحاكم صحيح على شرط مسلم وكذا صححه ابن عبد البر، وذكره مالك في الموطأ بلاغا بلفظ «قرت فيه» ورواه الواقدي بلفظ «استقر فيها» وللطبراني في الصغير من حديث أنس «فإذا قعد عنده غمرته الرحمة» وله في الأوسط من حديث كعب بن مالك وعمرو بن حزم «استنقع فيها»، [انظر السلسلة الصحيحة: ١٩٢٩، وصحيح الأدب المفرد: ٥٢٢].

(٢) حسن: حديث «إذا عاد المسلم أخاه أو زاره قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك وتبوأت منزلا من الجنة». أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة إلا أنه قال «ناداه مناد» قال الترمذي غريب قلت فيه عيسى بن سنان القسملي ضعفه الجمهور، [الترمذي: ٢٠٠٨، وابن ماجه: ١٤٤٣، وانظر صحيح الجامع: ٦٣٨٧].

(٣) حديث «إذا مرض العبد بعث الله تبارك وتعالى إليه ملكين فقال: انظر ما يقول لعواده؟ فإن هو إذا جاؤوه حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله وهو أعلم فيقول: لعبدي على إن توفيته أن أدخله الجنة وإن أنا شفيته أن أبدل له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وإن أكفر عنه سيئاته». أخرجه مالك في الموطأ مرسلا من حديث عطاء بن يسار ووصله ابن عبد البر في التمهيد من روايته عن أبي سعيد الخدري وفيه عباد بن كثير الثقفي ضعيف الحديث، [حسنه الألباني، انظر صحيح الترغيب: ٣٤٣١] وللبيهقي من حديث أبي هريرة قال الله تعالى «إذا ابتليت عبدي المؤمن فلم يشكني إلى عواده أطلقته من أساري ثم أبدله لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم يستأنف العمل» وإسناده جيد، [صححه الألباني: ٣٤٢٤].

(٤) صحيح: حديث «من يرد الله به خيرا يصب منه». أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة، [البخاري: ٥٦٤٥].

(٥) ضعيف: حديث عثمان: مرضت فعادني رسول الله ﷺ فقال «بسم الله الرحمن الرحيم أعيذك بالله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد من شر ما تجد» قالها مرارا

أخرجه ابن السني في اليوم والليلة والطبراني والبيهقي في الأدعية من حديث عثمان بن عفان بإسناد حسن، [انظر السلسلة الصحيحة: ٢٨٤٧].

(٦) ضعيف: حديث: دخل على علي وهو مريض فقال «قل اللهم إني أسألك تعجيل عافيتك أو صبرا على بليتك أو خروجا من الدنيا إلى رحمتك فإنك ستعطي إحداهن». أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب المرض من حديث أنس بسند ضعيف: أن رسول الله ﷺ دخل على رجل وهو يشتكي ولم يسم عليا. وروى البيهقي في

ويشتري به عسلًا ويشربه بماء السماء فيجتمع له الهنيء والمريء والشفاء والمبارك. وقال ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَلاَ أُخْبِرُكَ بِأَمْرٍ هُوَ حَقٌّ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ فِي أَوَّلِ مَضْجَعِهِ مِنْ مَرَضِهِ نَجَّاهُ الله مِنَ النَّارِ» ، قلت: بلى يا رسول الله قال: «يَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ سُبْحَانَ الله رَبِّ العِبَادِ وَالبِلاَدِ وَالحَمْدُ لله حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ. الله أَكْبَرُ كَبِيرًا إِنَّ كِبْرِيَاءَ رَبِّنَا وَجَلاَلَهُ وَقُدْرَتَهُ بِكُلِّ مَكَانٍ. اللَّهُمَّ إِنْ أَنْتَ أَمْرَضْتَنِي لِتَقْبِضَ رُوحِي فِي مَرَضِي هذَا فَاجْعَلْ رُوحِي فِي أَرْوَاحِ مَنْ سَبَقَتْ لَهُم منك الحُسْنَى وَبَاعِدْنِي مِنَ النَّارِ كَمَا بَاعَدْتَ أَوْلِيَاءَكَ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْكَ الحُسْنَى»(١) ، وروي أنه قال عليه السلام: «عيادة المريض بعد ثلاث فواق ناقة»(٢) ، وقال طاوس: أفضل العيادة أخفها. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: عيادة المريض مرة سنّة فما ازدادت فنافلة، وقال بعضهم: عيادة المريض بعد ثلاث. وقال عليه السلام: «أغبوا في العيادة وأربعوا فيها»(٣)،وجملة أدب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى والضجر والفزع إلى الدعاء والتوكل بعد الدواء على خالق الدواء.

ومنها : أن يشيع جنائزهم، قال ﷺ: «مَنْ شَيَّعَ جَنَازَةً فَلَهُ قِيرَاطٌ مِنَ الأَجْرِ فَإِنْ وَقَفَ حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيراطَانِ»(٤) ، وفي الخبر، «القِيرَاطُ مِثْلُ أُحُدٍ»(٥) ، ولما روى أبو هريرة هذا الحديث وسمعه ابن عمر قال: لقد فرطنا إلى الآن في قراريط كثيرة. والقصد من التشييع قضاء حق المسلمين والاعتبار. وكان مكحول الدمشقي إذا رأى جنازة قال: اغدوا فإنا رائحون، موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الأول والآخر لا عقل له. وخرج مالك بن دينار خلف جنازة أخيه وهو يبكي ويقول: والله لا تقرّ عيني حتى أعلم إلى ما صرت ولا والله لا أعلم ما دمت حيًا.

وقال الأعمش: كنا نشهد الجنائز فلا ندري لمن نعزي لحزن القوم كلهم. ونظر إبراهيم الزيات إلى قوم يترحمون على ميت فقال لو ترحمون أنفسكم لكان أولى إنه نجا من أهوال ثلاث: وجه ملك الموت قد رأى، ومرارة الموت قد ذاق، وخوف الخاتمة قد أمن. وقال ﷺ

الدعوات من حديث عائشة: أن جبريل علمها للنبي ﷺ وقال إن الله يأمرك أن تدعو بهؤلاء الكلمات، [انظر السلسلة الضعيفة: ١٧٥٦].

(١) ضعيف : حديث أبي هريرة «ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار». أخرجه ابن أبي الدنيا في الدعاء وفي المرض والكفارات، [انظر ضعيف الترغيب: ٢٠٣٣].

(٢) ضعيف : حديث «عيادة المريض بعد ثلاث فواق ناقة». أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب المرض من حديث أنس بإسناد فيه جهالة، [انظر ضعيف الجامع : ٣٨٩٩].

(٣) ضعيف جدًا : حديث «أغبوا في العيادة وأربعوا». رواه ابن أبي الدنيا وفيه أبو يعلى من حديث جابر وزاد «إلا أن يكون مغلوبا» وإسناده ضعيف، [انظر ضعيف الجامع : ٩٧٥].

(٤) صحيح : حديث «من تبع جنازة فله قيراط من الأجر فإن وقف حتى تدفن فله قيراطان». أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة، [البخاري: ٤٧ ، ومسلم: ٩٤٥].

(٥) صحيح : حديث «القيراط مثل جبل أحد». أخرجه مسلم من حديث ثوبان وأبي هريرة وأصله متفق عليه، [البخاري: ٤٧ ، ومسلم: ٩٤٥ ، من حديث أبي هريرة، ومسلم: ٩٤٦ ، من حديث ثوبان].

«يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلاَثٌ فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ»(١).

ومنها: أن يزور قبورهم، والمقصود من ذلك الدعاء والاعتبار وترقيق القلب، قال ﷺ «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا إِلاَّ وَالقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ»(٢)، وقال عمر رضي الله عنه: خرجنا مع رسول الله ﷺ فأتى المقابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه. فبكى وبكينا، فقال: «مَا يُبْكِيكُمْ؟» قلنا: بكينا لبكائك. قال: «هذَا قَبْرُ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي زِيَارَتِها فَأَذِنَ لِي وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَها فَأَبَى عَلَيَّ فَأَدْرَكَنِي مَا يُدْرِكُ الوَلَدَ مِنَ الرِّقَّةِ»(٣)، وكان عمر رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى تبتل لحيته ويقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ القَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ فَإِنْ نَجا مِنْهُ صَاحِبُهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ»(٤)، وقال مجاهد: أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول: أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة. فهذا ما أعددت لك فما أعددت لي؟ وقال أبو ذر: ألا أخبركم بيوم فقري يوم أوضع في قبري. كان أبو الدرداء يقعد إلى القبور فقيل له في ذلك فقال: أجلس إلى قوم يذكرونني معادي وإن قمت عنهم لم يغتابوني. وقال حاتم الأصم: من مرَّ بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم. وقال: «مَا مِنْ لَيْلَةٍ إِلاَّ وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ القُبُورِ مَنْ تَغْبِطُونَ؟ قَالُوا: نَغْبِطُ أَهْلَ المَسَاجِدِ لأَنَّهُمْ يَصُومُونَ وَلاَ نَصُومُ وَيُصَلُّونَ وَلاَ نُصَلِّي وَيَذْكُرُونَ الله وَلاَ نَذْكُرُهُ»(٥)، وقال سفيان: من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة، ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار. وكان الربيع بن خيثم قد حفر في داره قبرًا فكان إذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع فيه ومكث ساعة ثم قال: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾

---

(١) صحيح: حديث «يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد». أخرجه مسلم من حديث أنس، [مسلم: ٢٩٦٠، وهو عند البخاري: ٦٥١٤].

(٢) حديث «ما أريت منظرا إلا والقبر أفظع منه». أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث عثمان وقال صحيح الإسناد وقال الترمذي حسن غريب، [الترمذي: ٢٣٠٨، وابن ماجه ٤٢٦٧، وانظر صحيح الترغيب ٣٥٥٠].

(٣) صحيح: حديث عمر: خرجنا مع رسول الله ﷺ فأتى المقابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه. فبكى وبكينا، فقال «ما يبكيكم؟» قلنا: بكينا لبكائك. قال «هذا قبر آمنة بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي واستأذنته في أن أستغفر لها فأبى علي فأدركني ما يدرك الولد من الرقة». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة مختصرا وأحمد من حديث بريدة وفيه: فقام إليه عمر ففداه بالأب والأم يقول يا رسول الله ما لك... الحديث، [مسلم: ٩٧٦، وأحمد: ٢٢٥٢٩].

(٤) حسن: حديث «عثمان بن عفان «إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر وإن لم ينج منه فما بعده أشد». أخرجه الترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصحح إسناده، [الترمذي: ٢٣٠٨، وابن ماجه: ٤٢٦٧، وانظر صحيح الترغي: ٣٥٥٠].

(٥) حديث «ما من ليلة إلا ينادي مناد يا أهل القبور من تغبطون؟ قالوا: نغبط أهل المساجد لأنهم يصومون ولا نصوم ويصلون ولا نصلي ويذكرون الله ولا نذكره». لم أجد له أصلا.

[المؤمنون: ٩٩] ثم يقول: يا ربيع قد أرجعت فاعمل الآن قبل أن لا ترجع. وقال ميمون بن مهران: خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة فلما نظر إلى القبور بكى، وقال: يا ميمون هذه قبور آبائي بني أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذاتهم أما تراهم صرعى قد خلت بهم المثلات وأصاب الهوام من أبدانهم؟ ثم بكى وقال: والله ما أعلم أحدًا أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله؟.

وآداب المعزِّي: خفض الجناح، وإظهار الحزن، وقلة الحديث، وترك التبسم.

وآداب تشييع الجنازة: لزوم الخشوع، وترك الحديث، وملاحظة الميت، والتفكر في الموت، والاستعداد له، وأن يمشي أمام الجنازة بقربها والإسراع بالجنازة سنَّة[1] فهذه جمل آداب تنبه على آداب المعاشرة مع عموم الخلق.

والجملة الجامعة فيه أن لا تستصغر منهم أحدًا حيًّا كان أو ميتًا فتهلك لأنك لا تدري لعله خير منك؟ فإنه وإن كان فاسقًا فلعله يختم لك بمثل حاله ويختم له بالصلاح؟ ولا تنظر إليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فإن الدنيا صغيرة عند الله صغير ما فيها. ومهما عظم أهل الدنيا في نفسك فقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله. ولا تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر في أعينهم ثم تحرم دنياهم فإن لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير. ولا تعادِهم بحيث تظهر العداوة فيطول الأمر عليك في المعاداة ويذهب دينك ودنياك فيهم ويذهب دينهم فيك، إلا إذا رأيت منكرًا في الدين فتعادي أفعالهم القبيحة وتنظر إليهم بعين الرحمة لهم لتعرّضهم لمقت الله وعقوبته بعصيانهم فحسبهم جهنم يصلونها، فمالك تحقد عليهم ولا تستكن إليهم في مودتهم لك وثنائهم عليك في وجهك وحسن بشرهم لك فإنك إن طلبت حقيقة ذلك لم تجد في المائة إلا واحدًا وربما لا تجده. ولا تشكُ إليهم أحوالك فيكلك الله إليهم ولا تطمع أن يكونوا لك في الغيب والسر كما في العلانية فذلك طمع كاذب وأنَّى تظفر به؟ ولا تطمع فيما في أيديهم فتستعجل الذل ولا تنال الغرض. ولا تعل عليهم تكبرًا لاستغنائك عنهم فإن الله يلجئك إليهم عقوبة على التكبر بإظهار الاستغناء. وإذا سألت أخًا منهم حاجة فقضاها فهو أخ مستفاد وإن لم يقض فلا تعاتبه فيصير عدوًّا تطول عليك مقاساته. ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول فلا يسمع منك ويعاديك، وليكن وعظك عرضًا واسترسالًا من غير تنصيص على الشخص.

ومهما رأيت منهم كرامة وخيرًا فاشكر الله الذي سخرهم لك واستعذ بالله أن يكلك إليهم. وإذا بلغك عنهم غيبة أو رأيت منهم شرًا أو أصابك منهم ما يسوءك فكل أمرهم إلى الله

---

(١) صحيح: حديث «الإسراع بالجنازة». متفق عليه من حديث أبي هريرة «أسرعوا بالجنازة... الحديث»، [البخاري: ١٣١٥، ومسلم: ٩٤٤].

واستعذ بالله من شرهم. ولا تشغل نفسك بالمكافأة فيزيد الضرر ويضيع العمر بشغله. ولا تقل لهم لم تعرفوا موضعي.

واعتقد أنك لو استحقيت ذلك لجعل الله لك موضعًا في قلوبهم فالله المحبب والمبغض إلى القلوب، وكن فيهم سميعًا لحقهم أصم عن باطلهم نطوقًا بحقهم صموتًا عن باطلهم. واحذر صحبة أكثر الناس فإنهم لا يقيلون عثرة ولا يغفرون زلة ولا يسترون عورة ويحاسبون على النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير، ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطأ والنسيان ولا يعفون، يغرون الإخوان على الإخوان بالنميمة والبهتان، فصحبة أكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان، إن رضوا فظاهرهم الملق وإن سخطوا فباطنهم الحنق لا يؤمنون في حنقهم ولا يرجون في ملقهم، ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب، يقطعون بالظنون، ويتغامزون وراءك بالعيون ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون، يحصون عليك العثرات في صحبتهم ليواجهوك بها في غضبهم ووحشتهم. ولا تعوّل على مودة من لم تخبره حق الخبرة، بأن تصحبه مدّة في دار أو موضع واحد فتجربه في عزله وولايته وغناه وفقره أو تسافر معه أو تعامله في الدينار والدرهم أو تقع في شدّة فتحتاج إليه، فإن رضيته في الأحوال فاتخذه أبًا لك إن كان كبيرًا أو ابنًا لك إن كان صغيرًا أو أخاك إن كان مثلك. فهذه جملة آداب المعاشرة مع أصناف الخلق.

حقوق الجوار:

اعلم أن الجوار يقتضي حقًا وراء ما تقتضيه أخوة الإسلام. فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة إذ قال النبي ﷺ: «الجِيرَانُ ثَلاثَةٌ: جَارٌ لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ، وَجَارٌ لَهُ حَقَّانِ، وَجَارٌ لَهُ ثَلاثَةُ حُقُوقٍ. فَالجَارُ الَّذِي لَهُ ثَلاثَةُ حُقُوقٍ الجَارُ المُسْلِمُ ذُو الرَّحِمِ فَلَهُ حَقُّ الجِوَارِ وَحَقُّ الإِسْلاَمِ وَحَقُّ الرَّحِمِ، وَأَمَّا الَّذِي لَهُ حَقَّانِ فَالجَارُ المُسْلِمُ لَهُ حَقُّ الجِوَارِ وَحَقُّ الإِسْلاَمِ، وَأَمَّا الَّذِي لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ فَالجَارُ المُشْرِكُ»(١) ، فانظر كيف أثبت للمشرك حقًا بمجرد الجوار، وقد قال ﷺ: «أَحْسِنْ مُجَاوَرَةَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا»(٢) ، وقال النبي ﷺ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»(٣) ، وقال ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ

(١) ضعيف: حديث «الجيران ثلاثة جار له حق واحد، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق، فالجار الذي له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم، وأما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام، وأما الذي له حق واحد فالجار المشرك». أخرجه الحسن بن سفيان والبزار في مسنديها وأبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية من حديث جابر وابن عدي من حديث عبد الله بن عمر وكلاهما ضعيف، [انظر السلسلة الضعيفة: ٣٤٩٣].

(٢) حديث «أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما». تقدم.

الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ»[١]، وقال ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»[٢]، وقال ﷺ: «أَوَّلُ خَصْمَيْنِ يَوْمَ القِيَامَةِ جَارَانِ»[٣]، وقال عليه الصلاة والسلام: «إِذَا أَنْتَ رَمَيْتَ كَلْبَ جَارِكَ فَقَدْ آذَيْتَهُ»[٤]، ويروى أن رجلًا جاء إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له: إن لي جارًا يؤذيني ويشتمني ويضيق عليَّ، فقال: اذهب فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه. وقيل لرسول الله : إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال ﷺ: «هِيَ فِي النَّارِ»[٥]، وجاء رجل إليه عليه السلام يشكو جاره فقال له النبي ﷺ: «اصْبِرْ» ثم قال له في الثالثة أو الرابعة: «اطْرَحْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ» قال: فجعل الناس يمرّون به ويقولون ما لك؟ فيقال آذاه جاره قال فجعلوا يقولون: لعنه الله، فجاءه جاره فقال له رد متاعك فوالله لا أعود[٦] وروى الزهري: أنّ رجلًا أتى النبي عليه السلام فجعل يشكو جاره، فأمره النبي ﷺ أن ينادي على باب المسجد: «أَلاَ إِنَّ أَرْبَعِينَ دَارًا جَارٌ»[٧]، قال الزهري: أربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأومأ إلى أربع جهات.

وقال عليه السلام: «اليُمْنُ وَالشُّؤْمُ فِي المَرْأَةِ وَالمَسْكَنِ وَالفَرَسِ، فَيُمْنُ المَرْأَةِ خِفَّةُ مَهْرِها وَيُسْرُ نِكَاحِها وَحُسْنُ خُلُقِها، وَشُؤْمُها غَلاَءُ مَهْرِها وَعُسْرُ نِكَاحِها وَسُوءُ خُلُقِها. وَيُمْنُ المَسْكَنِ سَعَتُهُ وَحُسْنُ جِوَارِ أَهْلِهِ. وَشُؤْمُهُ ضِيقُهُ وَسُوءُ جِوَارِ أَهْلِهِ، وَيُمْنُ الفَرَسِ ذُلُّهُ وَحُسْنُ خُلُقِهِ، وَشُؤْمُهُ صُعُوبَتُهُ وَسُوءُ خُلُقِهِ»[٨].

---

(١) صحيح: حديث «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه». متفق عليه من حديث عائشة، [البخاري: ٦٠١٤، ومسلم: ٢٦٢٤]، وابن عمر، [البخاري: ٦٠١٥، ومسلم: ٦٢٥].

(٢) صحيح: حديث «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره». متفق عليه من حديث أبي شريح، [البخاري: ٦٠١٩، ومسلم: ٤٨].

(٣) صحيح: حديث لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه». أخرجه البخاري من حديث أبي شريح أيضًا، [البخاري: ٦٠١٦].

(٤) حسن: حديث «أول خصمين يوم القيامة جاران». أخرجه أحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر بسند ضعيف، [احمد: ١٦٩٢١، وانظر صحيح الترغيب: ٢٥٥٧].

(٥) حديث «إذا أنت رميت كلب جارك فقد أذيته». لم أجد له أصلا.

(٦) صحيح: حديث «إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال هي في النار». أخرجه أحمد والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الإسناد، [أحمد: ٩٣٨٣، وانظر صحيح الترغيب: ٢٥٦٠].

(٧) حسن صحيح: حديث «جاء رجل إليه عليه السلام يشكو جاره فقال له النبي اصبر ثم قال له في الثالثة أو الرابعة اطرح متاعك في الطريق قال: فجعل الناس يمرون به ويقولون ما لك؟ فيقال آذاه جاره. قال فجعلوا يقولون: لعنه الله. فجاءه جاره فقال له رد متاعك فوالله لا أعود». أخرجه أبو داود وابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط مسلم، [أبو داود: ٥١٥٣، وانظر صحيح الترغيب: ٢٥٥٩].

(٨) ضعيف جدًا: حديث الزهري «ألا إن أربعين دارا جار». أخرجه أبو داود في المراسيل ووصله الطبراني من رواية الزهري عن ابن كعب بن مالك عن أبيه ورواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة وقال: «أربعون ذراعا» وكلاهما ضعيف، [انظر ضعيف الترغيب: ١٥١٨].

واعلم أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط بل احتمال الأذى، فإن الجار أيضًا قد كف أذاه فليس في ذلك قضاء حق، ولا يكفي احتمال الأذى بل لا بد من الرفق وإسداء الخير والمعروف، إذ يقال إن الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة فيقول: يا رب سل هذا لم منعني معروفه وسدّ بابه دوني؟.

وبلغ ابن المقفع أن جارًا له يبيع داره في دين ركبه وكان يجلس في ظل داره، فقال: ما قمت إذًا بحرمة ظل داره إن باعها معدمًا فدفع إليه ثمن الدار وقال: لا تبعها.

وشكا بعضهم كثرة الفأر في داره، فقيل له: لو اقتنيت هرًا؟ فقال: أخشى أن يسمع الفأر صوت الهرّ فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أحببت لهم ما لا أحب لنفسي.

وجملة حق الجار: أن يبدأه بالسلام، ولا يطيل معه الكلام، ولا يكثر عن حاله السؤال، ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهنئه في الفرح، ويظهر الشركة في السرور معه، ويصفح عن زلاته، ولا يتطلع من السطح إلى عوراته، ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره، ولا في مصب الماء في ميزابه، ولا في مطرح التراب في فنائه، ولا يضيق طرقه إلى الدار، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، ويستر ما ينكشف له من عوراته، وينعشه من صرعته إذا نابته نائبة، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يسمع عليه كلامًا، ويغض بصره عن حرمته، ولا يديم النظر إلى خادمته، ويتلطف بولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه. هذا إلى جملة الحقوق التي ذكرناها لعامة المسلمين، وقد قال ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا حَقُّ الجَارِ؟ إِنِ اسْتَعَانَ بِكَ أَعَنْتَهُ، وَإِنِ اسْتَنْصَرَكَ نَصَرْتَهُ، وَإِنِ اسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ، وَإِنِ افْتَقَرَ عُدْتَ عَلَيْهِ، وَإِنْ مَرِضَ عُدْتَهُ، وَإِنْ مَاتَ تَبِعْتَ جَنَازَتَهُ، وَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ هنَّأْتَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ عَزَّيْتَهُ، وَلاَ تَسْتَعْلِ عَلَيْهِ بِالبِنَاءِ فَتَحْجُبَ عَنْهُ الرِّيحَ إِلاَّ بِإِذْنِهِ، وَإِذَا اشْتَرَيْتَ فَاكِهَةً

---

(١) حديث «اليمن والشؤم في المرأة والمسكن والفرس، فيمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها، وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها. ويمن المسكن سعته وحسن جوار أهله. وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله. ويمن الفرس ذله وحسن خلقه، وشؤمه صعوبته وسوء خلقه». أخرجه مسلم من حديث ابن عمر «الشؤم في الدار والمرأة والفرس» وفي رواية له «إن يك من الشؤم شيء حقا»، [مسلم: ٢٢٢٥، وهو عند البخاري: ٥٠٩٤]، وله من حديث سهل بن سعد «إن كان ففي الفرس والمرأة والمسكن» ، [مسلم: ٢٢٢٦، وهو عند البخاري: ٢٨٥٩]، وللترمذي من حديث حكيم ابن معاوية «لا شؤم وقد يكون اليمن في الدار والمرأة والفرس» ، [الترمذي: ٢٨٢٤، وابن ماجه: ١٩٩٣، وانظر صحيح الترمذي]، ورواه ابن ماجه فسماه محمد بن معاوية وللطبراني من حديث أسماء بنت عميس: قالت يا رسول الله ما سوء الدار؟ قال: «ضيق ساحتها وخبث جيرانها» قيل فما سوء الدابة؟ قال «منعها ظهرها وسوء خلقها» قيل فما سوء المرأة؟ قال: «عقم رحمها وسوء خلقها» كلاهما ضعيف ورويناه في كتاب الخيل للدمياطي من رواية سالم بن عبد الله مرسلا «إذا كان الفرس ضروبا فهو مشؤوم وإذا كانت المرأة قد عرفت زوجا قبل زوجها فحنت إلى الزوج الأول فهي مشؤومة وإذا كانت الدار بعيدة من المسجد لا يسمع فيها الأذان والإقامة فهي مشؤومة» وإسناده ضعيف ووصله صاحب مسند الفردوس بذكر ابن عمر فيه.

فَأَهْدِ لَهُ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَأَدْخِلْها سِرًّا وَلاَ يَخْرُجْ بِها وَلَدُكَ لِيَغِيظَ بِها وَلَدَهُ، وَلاَ تُؤْذِهِ بِقُتارِ قِدْرِكَ إِلا أَنْ تَغْرِفَ لَهُ مِنْها» ، ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا حَقُّ الجَارِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَبْلُغُ حَقَّ الجَارِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَهُ اللهُ»(١) ، هكذا رواه عمر بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ، قال مجاهد: كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يسلخ شاة، فقال: يا غلام إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي، حتى قال ذلك مرارًا فقال له: لم تقول هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه(٢) وقال هشام: كان الحسن لا يرى بأسًا أن تطعم الجار اليهودي والنصراني من أضحيتك، وقال أبو ذرّ رضي الله عنه. أوصاني خليلي ﷺ وقال: «إِذَا طَبَخْتَ قِدْرًا فَأَكْثِرْ مَاءَها، ثُمَّ انْظُرْ بَعْضَ أَهْلِ بَيْتٍ فِي جيرَانِكَ فَاغْرِفْ لَهُمْ مِنْها»(٣)، وقالت عائشة رضي الله عنها: قلت يا رسول الله إن لي جارين أحدهما مقبل عليَّ ببابه والآخر ناء ببابه عني، وربما كان الذي عندي لا يسعهما، فأيهما أعظم حقًا؟ فقال: «المُقْبِلُ عَلَيْكَ بِبَابِهِ»(٤) ورأى الصّديق ولده عبد الرحمن وهو يناصي جارًا له، فقال: لا تناصِ جارك، فإنّ هذا يبقى والناس يذهبون. وقال الحسن بن عيسى النيسابوري: سألت عبد الله بن المبارك فقلت: الرجل المجاور يأتيني فيشكو غلامي أنه أتى إليه أمرًا والغلام ينكره، فأكره أن أضربه ولعله بريء وأكره أن أدعه فيجد علي جاري، فكيف أصنع؟ قال: إن غلامك لعله أن يحدث حدثًا يستوجب فيه الأدب فاحفظه عليه، فإذا شكاه جارك فأدبه على ذلك الحدث، فتكون قد أرضيت جارك وأدبته على ذلك الحدث، وهذا تلطف في الجمع بين الحقين.

وقالت عائشة رضي الله عنها: خلال المكارم عشر تكون في الرجل ولا تكون في أبيه،

---

(١) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « أتدرون ما حق الجار؟ إن استعان بك أعنته، وإن استنصرك نصرته، وإن استقرضك أقرضته، وإن افتقر عدت عليه، وإن مرض عدته، وإن مات تبعت جنازته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، ولا تستعل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، وإذا اشتريت فاكهة فاهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها. ثم قال: أتدرون ما حق الجار؟ والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله». أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق وابن عدي في الكامل وهو ضعيف.

(٢) صحيح: حديث مجاهد «كنت عند عبد الله ابن عمرو وغلام له يسلخ شاة فقال يا غلام إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي، حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا؟ فقال إن رسول الله ﷺ لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه». أخرجه أبو داود والترمذي وقال حسن غريب، [أبو داود: ٥١٥٢، والترمذي: ١٩٤٣، وانظر صحيح الترغيب: ٢٥٧٤].

(٣) صحيح: حديث أبي ذر: أوصاني خليلي ﷺ «إذا طبخت فأكثر المرق ثم انظر بعض أهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها». رواه مسلم، [مسلم: ٢٦٢٥].

(٤) صحيح: حديث عائشة «قلت يا رسول الله إن لي جارين أحدهما مقبل على بابه والآخر ناء ببابه عني، وربما كان الذي عندي لا يسعهما، فأيهما أعظم حقا؟ فقال: المقبل عليك ببابه». رواه البخاري، [صحيح: ٢٢٥٩، بنحوه].

وتكون في العبد ولا تكون في سيده، يقسمها الله تعالى لمن أحب: صدق الحديث، وصدق الناس، وإعطاء السائل، والمكافأة بالصنائع، وصلة الرحم، وحفظ الأمانة، والتذمم للجار، والتذمم للصاحب، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «يَا مَعْشَرَ المُسْلِمَاتِ لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِها وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ»(١)، قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ سَعَادَةِ المَرْءِ المُسْلِمِ: المَسْكَنَ الوَاسِعَ، وَالجَارَ الصَّالِحَ، وَالمَرْكَبَ الهَنِيَّ»(٢)، وقال عبد الله: قال رجل: يا رسول الله، كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت، قال: «إِذَا سَمِعْتَ جِيرَانَكَ يَقُولُونَ: قَدْ أَحْسَنْتَ فَقَدْ أَحْسَنْتَ، وَإِذَا سَمِعْتَهُمْ يَقُولُونَ: قَدْ أَسَأْتَ فَقَدْ أَسَأْتَ»(٣)، وقال جابر رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ جَارٌ فِي حَائِطٍ أَوْ شَرِيكٌ فَلاَ يَبِعْهُ حَتَّى يَعْرِضَهُ عَلَيْهِ»(٤) وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «قضى رسول الله ﷺ أن الجار يضع جذعه في حائط جاره شاء أم أبى»(٥). وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «لاَ يَمْنَعَنَّ أَحَدُكُمْ جَارَهُ أَنْ يَضَعَ خَشَبَةً فِي جِدَارِهِ» وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: ما لي أراكم عنها معرضين، والله لأرمينها بين أكنافكم. وقد ذهب بعض العلماء إلى وجوب ذلك. وقال ﷺ: «مَنْ أَرَادَ الله بِهِ خَيْرًا عَسَّلَهُ» قيل: وما عسله؟ قال «يُحَبِّبُهُ إِلَى جِيرَانِهِ»(٦).

حقوق الأقارب الرحم:

---

(١) صحيح: حديث أبي هريرة «يا نساء المسلمين لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة». رواه البخاري، [البخاري: ٢٥٦٦].

(٢) صحيح لغيره: حديث «إن من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنيء». رواه أحمد من حديث نافع بن عبد الحارث وسعد بن أبي وقاص، وحدث نافع أخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد، [أحمد: ١٤٩٤٧، وانظر صحيح الترغيب: ٢٥٧٥].

(٣) صحيح: حديث عبد الله: قال رجل يا رسول الله كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت؟ قال «إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت». رواه أحمد والطبراني وعبد الله هو ابن مسعود، وإسناده جيد، [ابن ماجه: ٤٢٢٣، وأحمد: ٣٧٩٨، وانظر صحيح الجامع: ٦١٠].

(٤) صحيح: حديث جابر «من كان له جار في حائط أو شريك فلا يبعه حتى يعرضه عليه». أخرجه ابن ماجه والحاكم دون ذكر الجار، وقال: صحيح الإسناد، وهو عند الخرائطي في مكارم الأخلاق بلفظ المصنف، [ابن ماجه: ٢٤٩٢، والترمذي: ١٣١٢، وانظر صحيح الجامع: ٦٤٩١]، ولابن ماجه من حديث ابن عباس «من كانت له أرض فأراد أن يبيعها فليعرضها على جاره« ورجاله رجال الصحيح، [ابن ماجه: ٢٤٩٣، وانظر السلسلة الصحيحة: ٢٣٥٨].

(٥) صحيح: حديث أبي هريرة «قضى رسول الله ﷺ أن الجار يضع جذعه في حائط جاره شاء أم أبى». رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق هكذا، وهو متفق عليه بلفظ »لا يمنعن أحدكم جاره أن يغرز خشبة في حائطه» رواه ابن ماجه بإسناد ضعيف، واتفق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة، [البخاري: ٢٤٦٣، ومسلم: ١٦٠٩، وابن ماجه: ٢٣٣٥، وانظر صحيح ابن ماجه].

(٦) صحيح: حديث «من أراد الله به خيرا عسله». رواه أحمد من حديث أبي عنبة الخولاني، ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق، والبيهقي في الزهد من حديث عمرو بن الحمق. زاد الخرائطي: قيل وما عسله؟ قال «حببه

قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ الله تَعَالَى: أَنَا الرَّحْمنُ وَهذِهِ الرَّحِمُ لَها اسْمًا مِنِ اسْمِي فَمَنْ وَصَلَها وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَها بَتَتُّهُ»(١)، وقال ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ وَيُوَسَّعَ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»(٢)، وفي رواية أخرى: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ وَيُوَسَّعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ فَلْيَتَّقِ الله وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» وقيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: «أَتْقَاهُم لله وَأَوْصَلُهُمْ لِرَحِمِهِ، وَآمَرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ، وَأَنْهَاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ»(٣)، وقال أبو ذر رضي الله عنه: «أوصاني خليلي عليه السلام بصلة الرحم وإن أدبرت وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرًا»(٤)، وقال ﷺ: «إِنَّ الرَّحِمَ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ، وَلَيْسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِيءِ، وَلكِنَّ الوَاصِلَ الَّذِي إِذَا انْقَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَها»(٥)، وقال عليه السلام: «إِنَّ أَعْجَلَ الطَّاعَةِ ثَوَابًا صِلَةُ الرَّحِمِ، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ البَيْتِ لَيَكُونُونَ فُجَّارًا، فَتَنْمُوا أَمْوَالُهُمْ وَيَكْثُرُ عَدَدُهُمْ إِذَا وَصَلُوا أَرْحَامَهُمْ»(٦). وقال زيد بن أسلم: لما خرج رسول الله ﷺ إلى مكة عرض له رجل فقال: إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم فعليك ببني مدلج، فقال عليه السلام: «إِنَّ الله قَدْ مَنَعَنِي مِنْ بَنِي مُدْلِجٍ بِصِلَتِهِمُ الرَّحِمَ»(٧)، وقالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: قدمت عليّ أمي، فقلت: يا رسول الله، إنّ أمي

إلى جيرانه» وقال البيهقي «يفتح له عملا صالحا قبل موته حتى يرضى عنه من حوله» وإسناده جيد، [أحمد: ١٧٣٣٠، وانظر صحيح الترغيب: ٣٣٥٨].

(١) صحيح: حديث «يقول الله تعالى أنا الرحمن، وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمي، فمن وصلها وصَلتُهُ، ومن قَطَعَها بَتَتُّهُ». متفق عليه من حديث عائشة، [البخاري: ٥٩٨٩، ومسلم: ٢٥٥٥، واللفظ عند أحمد: ١٦٨٩، من حديث عبد الرحمن بن عوف].

(٢) صحيح: حديث «من سره أن ينسأ له في أثره ويوسع له في رزقه فليتق الله وليصل رحمه». متفق عليه من حديث أنس دون قوله «فليتق الله»، [البخاري: ٣٠٦٧، ومسلم: ٢٥٥٧] وهو بهذه الزيادة عند أحمد والحاكم من حديث علي بإسناد جيد، [أحمد: ١٢١٧، وانظر ضعيف الترغيب: ١٤٨٨].

(٣) ضعيف: حديث: أي الناس أفضل فقال «أتقاهم لله وأوصلهم للرحم». رواه أحمد والطبراني من حديث درة بنت أبي لهب بإسناد حسن، [أحمد: ٢٦٨٨٨، وانظر ضعيف الترغيب: ١٣٨٩].

(٤) صحيح: حديث أبي ذر «أوصاني خليلي ﷺ بصلة الرحم وإن أدبرت، وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرا». رواه أحمد وابن حبان وصححه، [أحمد: ٢٠٩٠٦، وانظر السلسلة الصحيحة: ٢١٦٦].

(٥) صحيح: حديث «إن الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها»، [البخاري: ٥٩٩١] أخرجه الطبراني والبيهقي من حديث عبد الله بن عمرو، [أحمد: ٦٤٨٨، وصححه الألباني في مختصر العلو] وهو عند البخاري دون قوله «الرحم معلقة بالعرش» فرواها مسلم من حديث عائشة [مسلم: ٢٥٥٥].

(٦) حديث «إن أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونون فجارا، فتنموا أموالهم ويكثر عددهم إذا وصلوا أرحامهم». أخرجه ابن حبان من حديث أبي بكرة، والخرائطي في مكارم الأخلاق، والبيهقي في الشعب من حديث عبد الرحمن بن عوف بسند ضعيف.

(٧) حديث زيد بن أسلم: لما خرج رسول الله ﷺ إلى مكة عرض له رجل فقال: إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم فعليك ببني مدلج، فقال «إن الله منعني من بني مدلج بصلتهم الرحم». رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق، وزاد «وطعنهم في لبات الإبل» وهو مرسل صحيح الإسناد.

قدمت علي وهي مشركة أفأصلها؟ قال، «نَعَمْ»[١]. وفي رواية: أفأعطيها؟ قال: «نَعَمْ صِلِيها».
وقال عليه السلام: «الصَّدَقَةُ عَلَى المَسَاكِينِ صَدَقَةٌ وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ»[٢]، ولما أراد أبو طلحة أن يتصدّق بحائط كان له يعجبه عملاً بقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران :٩٢][٣] قال: يا رسول الله، هو في سبيل الله، وللفقراء والمساكين فقال عليه السلام: «وَجَبَ أَجْرُكَ عَلَى الله قَسِّمْهُ فِي أَقَارِبِكَ»، وقال عليه السلام: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الكَاشِحِ»[٤]، وهو في معنى قوله: «أَفْضَلُ الفَضَائِلِ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَصْفَحَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ»[٥] وروي أنّ عمر رضي الله عنه كتب إلى عماله: مروا الأقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا، وإنما قال ذلك لأنّ التجاور يورث التزاحم على الحقوق، وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم.

حقوق الوالدين والولد:

لا يخفى أنه إذا تأكد حق القرابة والرحم فأخص الأرحام وأمسها الولادة، فيتضاعف تأكد الحق فيها. وقد قال ﷺ: «لَنْ يُجْزِيَ وَلَدٌ وَالِدَهُ حَتَّى يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ»[٦]، وقد قال ﷺ: «بِرُّ الوَالِدَيْنِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ وَالصَّوْمِ وَالحَجِّ وَالعُمْرَةِ وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِ الله»[٧]، وقد قال ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مُرْضِيًا لأَبَوَيْهِ أَصْبَحَ لَهُ بَابَانِ مَفْتُوحَانِ إِلَى الجَنَّةِ، وَمَنْ أَمْسَى فَمِثْلُ ذلِكَ، وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا فَوَاحِدًا، وَإِنْ ظُلْمًا وَإِنْ ظُلْمًا. وَمَنْ أَصْبَحَ مُسْخِطًا

---

(١) صحيح: حديث أسماء بنت أبي بكر: قدمت على أمي فقلت: يا رسول الله، قدمت على أمي وهي مشركة أفأصِلُها؟ قال: «نعم صِليها». متفق عليه [البخاري: ٢٦٢٠، مسلم: ١٠٠٣].

(٢) حسن صحيح: حديث «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم صدقة وصلة». أخرجه الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه من حديث سلمان ابن عامر الضبي [الترمذي: ٦٥٨، والنسائي: ٢٥٨٢، ابن ماجه: ١٨٤٤، وانظر صحيح الترغيب: ٨٩٢].

(٣) صحيح: حديث «لما أراد أبو طلحة أن يتصدق بحائط كان له يعجبه عملا بقوله تعالى ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران :٩٢] قال: يا رسول الله هو في سبيل الله وللفقراء والمساكين فقال عليه السلام وجب أجرك على الله قسمه في أقاربك.
أخرجه البخاري وقد تقدم [البخاري: ١٤٦١].

(٤) صحيح: حديث «أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح». أخرجه أحمد والطبراني من حديث أبي أيوب، وفيه الحجاج بن أرطاة ورواه البيهقي من حديث أم كلثوم بنت عقبة [أحمد: ٢٣٠١٩، وانظر صحيح الترغيب: ٨٩٤].

(٥) ضعيف: حديث «أفضل الفضائل أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتصفح عمن ظلمك». أخرجه أحمد من حديث معاذ بن أنس بسند ضعيف وللطبراني نحوه من حديث أبي أمامة وقد تقدم [أحمد: ١٥١٩١، وانظر السلسلة الضعيفة: ٢٨٥٦].

(٦) صحيح: حديث «لن يجزي ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة [مسلم: ١٥١٠].

(٧) ضعيف: حديث «بر الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد». لم أجده هكذا. وروى

لأَبَوَيْهِ أَصْبَحَ لَهُ بَابَانِ مَفْتُوحَانِ إِلَى النَّارِ، وَمَنْ أَمْسَى مِثْلُ ذلِكَ، وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا فَوَاحِدًا، وَإِنْ ظُلْمًا وَإِنْ ظُلْمًا وَإِنْ ظُلْمًا»(١) ، وقال ﷺ: «إِنَّ الجَنَّةَ يُوجَدُ رِيحُها مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَلاَ يَجِدُ رِيحَها عَاقٌّ وَلاَ قَاطِعُ رَحِمٍ»(٢) ، وقال ﷺ: «بِرَّ أُمَّكَ وَأَبَاكَ وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ فَأَدْنَاكَ»(٣) .

ويروى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: يا موسى، إنه من بر والديه وعقني كتبته بارًا، ومن برني وعق والديه كتبته عاقًا.

وقيل: لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يقم له: فأوحى الله إليه: أتتعاظم أن تقوم لأبيك، وعزتي وجلالي لا أخرجت من صلبك نبيًا.

وقال ﷺ: «مَا عَلَى أَحَدٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ أَنْ يَجْعَلْها لِوَالِدَيْهِ إِذَا كَانَا مُسْلِمَيْنِ فَيَكُونَ لِوَالِدَيْهِ أَجْرُها وَيَكُونَ لَهُ مِثْلُ أُجُورِهِما مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِما شَيْءٌ»(٤) ، وقال مالك بن ربيعة: بينما نحن عند رسول الله إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله، هل بقي عليَّ من برّ أبوي شيء أبرهما بعد وفاتهما؟ قال «نَعَمْ، الصَّلاَةُ عَلَيْهِمَا ـ أي الدعاء لهما ـ وَالاسْتِغْفَارُ لَهُما، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِما، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِما، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لاَ تُوصَلُ إِلاَّ

أبو يعلى وللطبراني في الصغير والأوسط من حديث أنس: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه. قال: «هل بقى من والديك أحد؟» قال: أمي. قال «قابل الله في برها، فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد» وإسناده حسن [انظر ضعيف الترغيب: ١٤٧٥].

(١) ضعيف جدًا: حديث «من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة، ومن أمسى فمثل ذلك، وإن كان واحدا فواحدا، وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما. ومن أصبح مسخطا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار، ومن أمسى مثل ذلك، وإن كان واحدا فواحدا، وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما». أخرجه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس ولا يصح [انظر المشكاة: ٤٩٤٣].

(٢) ضعيف جدًا: حديث «إن الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم». أخرجه الطبراني في الصغير من حديث أبي هريرة دون ذكر القاطع، وهي في الأوسط من حديث جابر، إلا أنه قال «من مسيرة ألف عام» وإسنادهما ضعيف [انظر ضعيف الترغيب: ١٢٤٥].

(٣) حديث «بر أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك» [أبو داود: ٥١٤٠، النسائي: ٢٥٣٢ بنحوه، انظر صحيح الترغيب: ١٩٥٦، وقال الألباني: حسن صحيح]. أخرجه النسائي من حديث طارق المحاربي، وأخرجه أحمد والحاكم من حديث أبي رمثة [المشهور «رمثة»؟؟]، ولأبي داود نحوه من حديث كليب بن منفعة عن جده، وله وللترمذي والحاكم وصححه من حديث بهز ابن حكيم عن أبيه عن جده: من أبر؟ قال: «أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب» [أبو داود: ٥١٣٩، والترمذي: ١٨٩٧، وحسنه الألباني، انظر صحيح الترغيب: ٨٩٥] وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: قال رجل: من أحق الناس بحسن الصحبة؟ قال: «أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك» لفظ مسلم [البخاري: ٥٩٧١، مسلم: ٢٥٤٨].

(٤) ضعيف: حديث «ما على أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه إذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شيء». أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند ضعيف. دون قوله «إذا كانا مسلمين» [انظر السلسلة الضعيفة: ٤٨٧].

بِهِما»[١] ، وقال ﷺ : «إِنَّ مِنْ أَبَرِّ البِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ الأَبُ»[٢] ، وقال ﷺ : «بِرُّ الوَالِدَةِ عَلَى الوَلَدِ ضِعْفَانِ»[٣] ، وقال ﷺ : «دَعْوَةُ الوَالِدَةِ أَسْرَعُ إِجَابَةً. قيل: يا رسول الله، ولم ذاك؟ قال: هِيَ أَرْحَمُ مِنَ الأَبِ وَدَعْوَةُ الرَّحِمِ لاَ تَسْقُطُ»[٤] .

وسأله رجل فقال: يا رسول الله من أبرّ؟ فقال: «بِرَّ وَالِدَيْكَ» ، فقال: ليس لي والدان، فقال: «بِرَّ وَلَدَكَ، كَمَا أَنَّ لِوَالِدَيْكَ عَلَيْكَ حَقًّا كَذلِكَ لِوَلَدِكَ عَلَيْكَ حَقٌّ»[٥] ، وقال ﷺ : «رَحِمَ الله وَالِدًا أَعَانَ وَلَدَهُ عَلَى بِرِّهِ»[٦] ، أي لم يحمله على العقوق بسوء عمله. وقال ﷺ : «سَاوُوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ فِي العَطِيَّةِ» وقد قيل: «ولدك ريحانتك تشمها سبعًا وخادمك سبعًا، ثم هو عدوّك أو شريكك» وقال أنس رضي الله عنه: قال النبي ﷺ : «الغُلاَمُ يُعَقُّ عَنْهُ يَوْمَ السَّابِعِ وَيُسَمَّى وَيُمَاطُ عَنْهُ الأَذَى؛ فَإِذَا بَلَغَ سِتَّ سِنِينَ أُدِّبَ، فَإِذَا بَلَغَ تِسْعَ سِنِينَ عُزِلَ فِرَاشُهُ، فَإِذَا بَلَغَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ سَنَةً ضُرِبَ عَلَى الصَّلاةِ، فَإِذَا بَلَغَ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً زَوَّجَهُ أَبُوهُ؛ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: قَدْ أَدَّبْتُكَ وَعَلَّمْتُكَ وَأَنْكَحْتُكَ، أَعُوذُ بِالله مِنْ فِتْنَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَعَذَابِكَ فِي الآخِرَةِ»[٧] ، وقال ﷺ : «مِنْ حَقِّ الوَلَدِ عَلَى الوَالِدِ أَنْ يُحْسِنَ أَدَبَهُ وَيُحْسِنَ اسْمَهُ»[٨] .

---

(١) ضعيف: حديث «مالك بن ربيعة «بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله، هل بقي على من بر أبوي شيء أبرهما به بعد وفاتهما؟ قال نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما». أخرجه أبو داود وابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد [أبو داود: ٥١٤٢، وانظر ضعيف الترغيب: ١٤٨٢].

(٢) صحيح: حديث «إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه». أخرجه مسلم من حديث ابن عمر [مسلم: ٢٥٥٢].

(٣) حديث «بر الوالدة على الولد ضعفان». غريب بهذا اللفظ وقد تقدم قبل هذا بثلاثة أحاديث من حديث بهز بن حكيم وحديث أبي هريرة وهو معنى هذا الحديث.

(٤) حديث «دعوة الوالدة أسرع إجابة. قيل: يا رسول الله، ولم ذاك؟ قال: هي أرحم من الأب ودعوة الرحم لا تسقط». لم أقف له على أصل.

(٥) ضعيف: حديث: قال رجل يا رسول الله من أبر؟ قال «بر والديك» فقال ليس لي والدان فقال «ولدك فكما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق». أخرجه أبو عمر النوقاني في كتاب معاشرة الأهلين من حديث عثمان بن عفان دون قوله «فكما أن لوالديك» الخ وهذه القطعة رواها الطبراني من حديث ابن عمر قال الدارقطني في العلل أن الأصح وقفه على ابن عمر [انظر ضعيف الجامع: ٢٠٥٨ بنحوه].

(٦) ضعيف: حديث «رحم الله والدا أعان ولده على بره». أخرجه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من حديث علي بن أبي طالب وابن عمر بسند ضعيف ورواه النوقاني من رواية الشعبي مرسلا [انظر السلسلة الضعيفة: ١٩٤٦].

(٧) حديث أنس «الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى فإذا بلغ ست سنين أدب فإذا بلغ سبع سنين عزل فراشه فإذا بلغ ثلاثة عشر ضرب على الصلاة والصوم فإذا بلغ ستة عشر زوجه أبوه ثم أخذ بيده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة». أخرجه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الضحايا والعقيقة إلا أنه قال «وأدبوه لسبع وزوجوه لسبع عشرة ولم يذكر الصوم» وفي إسناده من لم يسم.

وقال عليه الصلاة والسلام: «كُلُّ غُلاَمٍ رَهِينٌ أَوْ رَهِينَةٌ بِعَقِيقَتِهِ تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ السَّابِعِ وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ»(١) ، وقال قتادة: إذا ذبحت العقيقة أخذت صوفة منها فاستقبلت بها أوداجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل عنه مثل الخيط ثم يغسل رأسه ويحلق بعد.

وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فشكا إليه بعض ولده، فقال: هل دعوت عليه؟ قال: نعم. قال: أنت أفسدته.

ويستحب الرفق بالولد: رأى الأقرع بن حابس النبي ﷺ وهو يقبل ولده الحسن، فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدًا منهم فقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ»(٢)، وقالت عائشة رضي الله عنها: قال لي رسول الله ﷺ «اغْسِلِي وَجْهَ أُسَامَةَ» ، فجعلت أغسله وأنا أنفة، فضرب يدي ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال: «قَدْ أَحْسَنَ بِنَا إِذْ لَمْ يَكُنْ جَارِيَةً»(٣)، وتعثر الحسن - والنبي ﷺ على منبره - فنزل فحمله وقرأ قوله تعالى: ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال :٢٨](٤) وقال عبد الله بن شداد: بينما رسول الله ﷺ يصلي بالناس، إذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد، فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر، فلما قضى صلاته قالوا: قد أطلت السجود يا رسول الله حتى ظننا أنه قد حدث أمر فقال: «إن ابني قد ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته»(٥)، وفي ذلك فوائد: إحداها القرب من الله تعالى فإن العبد أقرب ما يكون من الله تعالى إذا كان ساجدًا،

---

(١) ضعيف : حديث «من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه». أخرجه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وحديث عائشة وضعفها [انظر ضعيف الجامع : ٢٧٣٣].

(٢) حديث «كل غلام رهين أو رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه». أخرجه أصحاب السنن من حديث سمرة قال الترمذي حسن صحيح [أبو داود: ٢٨٣٧، والترمذي: ١٥٢٢، والنسائي: ٤٢٢٠، وابن ماجه: ٣١٦٥، وانظر الإرواء: ١١٦٩].

(٣) صحيح : حديث: رأى الأقرع بن حابس النبي ﷺ وهو يقبل ولده الحسن فقال إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال «من لا يرحم لا يرحم». أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة [البخاري: ٥٩٩٧].

(٤) صحيح : حديث عائشة: قال لي رسول الله ﷺ يوما «اغسلي وجه أسامة» فجعلت أغسله وأنا أنفه فضرب بيدي ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال «قد أحسن بنا إذ لم يكن جارية». لم أجده هكذا ولأحمد من حديث عائشة: أن أسامة عثر بعتبة الباب فدمى فجعل النبي ﷺ يمصه ويقول »لو كان أسامة جارية لحليتها ولكسوتها حتى أنفقها» وإسناده صحيح [ابن ماجه: ١٩٧٦، وأحمد: ٢٥٣٣٣، وانظر صحيح بن ماجه].

(٥) صحيح : حديث: عثر الحسن وهو على منبره ﷺ فنزل فحمله وقرأ قوله تعالى ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن :١٥]

أخرجه أصحاب السنن من حديث بريدة في الحسن والحسين معا يمشيان ويعثران قال الترمذي حسن غريب [أبو داود: ١١٠٩، الترمذي: ٣٧٧٤، النسائي: ١٤١٣، ابن ماجه: ٣٦٠٠، وانظر المشكاة: ٦١٥٩].

(٦) صحيح : حديث عبد الله بن شداد: بينما رسول الله ﷺ يصلي بالناس إذ جاء ه الحسن فركب عنقه وهو ساجد، فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر، فلما قضى صلاته قالوا قد أطلت السجود يا رسول الله حتى ظننا أنه قد حدث أمر فقال : » إن ابني قد ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته».

وفيه الرفق بالولد والبر، وتعليم لأمته. وقال ﷺ: «رِيحُ الوَلَدِ مِنْ رِيحِ الجَنَّةِ»(١).

وقال يزيد بن معاوية: أرسل أبي إلى الأحنف بن قيس، فلما وصل إليه قال له: يا أبا بحر، ما تقول في الولد؟ قال: يا أمير المؤمنين، ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، وبهم نصول على كل جليلة؛ فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقلًا ثقيلًا، فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك؛ فقال له معاوية: لله أنت يا أحنف، لقد دخلت عليَّ وأنا مملوء غضبًا وغيظًا على يزيد. فلما خرج الأحنف من عنده رضي عن يزيد وبعث إليه بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب؛ فأرسل يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب فقاسمه إياها على الشطر.

فهذه هي الأخبار الدالة على تأكد حق الوالدين وكيفية القيام بحقهما تعرف مما ذكرناه في حق الأخوة، فإن هذه الرابطة آكد من الأخوة بل يزيد ههنا أمران.

أحدهما: أن أكثر العلماء على أن طاعة الأبوين واجبة في الشبهات وإن لم تجب في الحرام المحض، حتى إذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما بالطعام فعليك أن تأكل معهما، لأن ترك الشبهة ورع، ورضا الوالدين حتم. وكذلك ليس لك أن تسافر في مباح أو نافلة إلا بإذنهما، والمبادرة إلى الحج الذي هو فرض الإسلام نفل، لأنه على التأخير، والخروج لطلب العلم نفل إلا إذا كنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم ولم يكن في بلدك من يعلمك، وذلك كمن يسلم ابتداء في بلد ليس فيها من يعلمه شرع الإسلام فعليه الهجرة ولا يتقيد بحق الوالدين.

قال أبو سعيد الخدري: هاجر رجل إلى رسول الله ﷺ من اليمن وأراد الجهاد، فقال عليه السلام: «هَلْ بِاليَمَنِ أَبَوَاكَ» قال: نعم، قال: «هَلْ أَذِنَا لَكَ؟» قال: لا، فقال عليه السلام: «فَارْجِعْ إِلَى أَبَوَيْكَ فَاسْتَأْذِنْهُمَا، فَإِنْ فَعَلاَ فَجَاهِدْ، وَإِلاَّ فَبِرَّهُما مَا اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّ ذلِكَ خَيْرُ مَا تَلْقَى الله بِهِ بَعْدَ التَّوحِيدِ»(٢)، وجاء آخر إليه ﷺ ليستشيره في الغزو فقال: «أَلَكَ وَالِدَةٌ؟» قال: نعم. قال «فَالْزَمْها فَإِنَّ الجَنَّةَ عِنْدَ رِجْلَيْها»(٣). وجاء آخر يطلب البيعة على الهجرة وقال: ما

رواه النسائي من رواية عبد الله بن شداد عن أبيه وقال فيه الحسن أو الحسين على الشك ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين [النسائي: ١١٤١، وانظر صحيح النسائي].

(١) ضعيف: حديث «ريح الولد ريح الجنة». أخرجه الطبراني في الصغير والأوسط وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عباس وفيه مندل بن علي ضعيف [انظر السلسلة الضعيفة: ٢٤٩٩].

(٢) صحيح: حديث أبي سعيد الخدري: هاجر رجل إلى رسول الله ﷺ من اليمن وأراد الجهاد فقال عليه السلام «هل باليمن أبواك.» قال: نعم، قال «هل أذنا لك؟» قال: لا، فقال عليه السلام «فارجع إلى أبويك فأستأذنهما، فإن فعلا فجاهد، وإلا فبرهما ما استطعت، فإن ذلك خير ما تلقى الله به بعد التوحيد». أخرجه أحمد وابن حبان دون قوله «ما استطعت» الخ [أحمد: ٢٧٣٢٠، أبو داود: ٢٥٣٠، وانظر صحيح الترغيب: ٢٤٨٢].

جئتك حتى أبكيت والدي، فقال: «ارْجِعْ إِلَيْهِما فَأَضْحِكْهِما كَما أَبْكَيْتَهُما»(١).

وقال ﷺ: «حَقُّ كَبِيرِ الإِخْوَةِ عَلَى صَغِيرِهِمْ كَحَقِّ الوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ»(٢).

وقال عليه السلام: «إِذَا اسْتَصْعَبَتْ عَلَى أَحَدِكُمْ دَابَّتُهُ أَوْ سَاءَ خُلُقُ زَوْجَتِهِ أَوْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فَلْيُؤَذِّنْ فِي أُذُنِهِ»(٣).

حقوق المملوك:

اعلم أن ملك النكاح قد سبقت حقوقه في آداب النكاح، فأما ملك اليمين فهو أيضًا يقتضي حقوقًا في المعاشرة لا بد من مراعاتها، فقد كان من آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ أن قال: «اتَّقُوا الله فِيما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ وَاكْسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مِنَ العَمَلِ مَا لاَ يُطِيقُونَ، فَما أَحْبَبْتُم فَأَمْسِكُوا وَمَا كَرِهْتُمْ فَبِيعُوا، وَلاَ تُعَذِّبُوا خَلْقَ الله فَإِنَّ الله مَلَّكَكُمْ إِيَّاهُمْ وَلَوْ شَاءَ لَمَلَّكَهُمْ إِيَّاكُمْ»(٤) وقال ﷺ: «لِلْمَمْلُوكِ طَعَامُهُ وَكِسْوَتُهُ بِالمَعْرُوفِ وَلاَ يُكَلَّفُ مِنَ العَمَلِ مَا لاَ يُطِيقُ»(٥)، وقال عليه السلام: «لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ خَبٌّ وَلاَ مُتَكَبِّرٌ وَلاَ

---

(١) صحيح لغيره: حديث: جاء آخر إلى النبي ﷺ يستشيره في الغزو فقال «ألك والدة؟» فقال: نعم، قال فالزمها فإن الجنة تحت قدمها». أخرجه النسائي وابن ماجه والحاكم من حديث معاوية بن جاهمة: أن جاهمة أتى النبي ﷺ. قال الحاكم صحيح الإسناد [النسائي: ٣١٠٤، ابن ماجه: ٢٧٨١، وانظر صحيح الترغيب: ٢٤٨٤].

(٢) صحيح: حديث جاء آخر فقال: ما جئتك حتى أبكيت والدي فقال «ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما». أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح الإسناد [أبو داود: ٢٥٢٨، النسائي: ٤١٦٣، ابن ماجه: ٢٧٨٢، وانظر صحيح الترغيب: ٢٤٨١].

(٣) ضعيف: حديث «حق كبير الإخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده». أخرجه أبو الشيخ ابن حيان في كتاب الثواب من حديث أبي هريرة ورواه أبو داود في المراسيل من رواية سعيد بن عمر وبن العاص مرسلا ووصله صاحب مسند الفردوس فقال عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه عن جده سعيد بن العاص وإسناده ضعيف [انظر السلسلة الضعيفة: ١٨٧٨].

(٤) ضعيف: حديث «إذا استصعب على أحدكم دابته أو ساء خلق زوجته أو أحد من أهل بيته فليؤذن في أذنه». أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث الحسين بن علي بن أبي طالب بسند ضعيف نحوه [انظر السلسلة الضعيفة: ٥٢].

(٥) صحيح: حديث كان من آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ أن قال: «اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون أتكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون، فما أحببتم فأمسكوا وما كرهتم فبيعوا، ولا تعذبوا خلق الله فإن الله ملككم إياهم ولو شاء لملكهم إياكم». وهو مفرق في عدة أحاديث فروى أبو داود من حديث علي: كان آخر كلام رسول الله ﷺ «الصلاة الصلاة اتقوا الله في ما ملكت أيمانكم» [أبو داود: ٥١٥٦، وانظر صحيح الترغيب: ٢٢٨٥] وفي الصحيحين من حديث أنس: كان آخر وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم» [ابن ماجه: ٢٦٩٧، أحمد: ١١٧٥٩، ولم أقف عليه في الصحيحين، وانظر صحيح ابن ماجه]، ولهما من حديث أبي ذر «أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم» [البخاري: ٢٥٤٥، مسلم: ١٦٦١] لفظ رواية مسلم وفي رواية لأبي داود «من يلايمكم من مملوكيكم فأطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون، ومن لا يلايمكم منهم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله تعالى» وإسناده صحيح [أبو داود: ٥١٥٧، وانظر صحيح الجامع: ٦٦٠٢].

خَائِنٌ وَلاَ سَيِّىءُ المَلَكَةِ»(١) ، وقال عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كم نعفو عن الخادم؟ فصمت عنه رسول الله ﷺ ثم قال: «اعْفُ عَنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً»(٢) ، وكان عمر رضي الله عنه يذهب إلى العوالي في كل يوم سبت، فإذا وجد عبدًا في عمل لا يطيقه وضع عنه منه. ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى رجلًا على دابته وغلامه يسعى خلفه فقال له: يا عبد الله احمله خلفك فإنما هو أخوك روحه مثل روحك فحمله ثم قال: لا يزال العبد يزداد من الله بعدًا ما مشى خلفه. وقالت جارية لأبي الدرداء: إني سممتك منذ سنة فما عمل فيك شيئًا فقال: لم فعلت ذلك؟ فقالت: أردت الراحة منك، فقال: اذهبي فأنت حرة لوجه الله. وقال الزهري: متى قلت للمملوك أخزاك الله فهو حر. وقيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم، قيل: فما بلغ من حلمه؟ قال: بينما هو جالس في داره إذ أتته خادمة له بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن له فعقره فمات، فدهشت الجارية، فقال: ليس يسكن روع هذه الجارية إلا العتق فقال لها: أنت حرة لا بأس عليك. وكان عون بن عبد الله إذا عصاه غلامه قال: ما أشبهك بمولاك؟ مولاك يعصى مولاه وأنت تعصى مولاك، فأغضبه يومًا فقال: إنما تريد أن أضربك اذهب فأنت حر. وكان عند ميمون بن مهران ضيف فاستعجل على جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوءة، فعثرت وأراقتها على رأس سيدها ميمون؛ فقال: يا جارية أحرقتني، قالت: يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع إلى ما قال الله تعالى قال: وما قال الله تعالى؟ قلت: قال ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران :١٣٤] قال: قد كظمت غيظي، قالت: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران :١٣٤] قال: قد عفوت عنك، قالت: زد فإن الله تعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران :١٣٤] قال: أنت حرة لوجه الله تعالى. وقال ابن المنكدر: إن رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ ضرب عبدًا له فجعل العبد يقول: أسألك بالله أسألك بوجه الله، فلم يعفه فسمع رسول الله ﷺ صياح العبد فانطلق إليه، فلما رأى رسول الله ﷺ أمسك يده فقال رسول الله ﷺ: «سَأَلَكَ بِوَجْهِ الله فَلَمْ تَعْفُهُ فَلَمَّا رَأَيْتَنِي أَمْسَكْتَ يَدَكَ»

---

(١) صحيح: حديث «للمملوك طعامه وسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة [انظر صحيح الترغيب: ٢٢٨٤].

(٢) ضعيف: حديث «لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خائن ولا سيئ الملكة». أخرجه أحمد مجموعا والترمذي مفرقا وابن ماجه مقتصرا على «سيئ الملكة» من حديث أبي بكر وليس عند أحد منهم متكبر وزاد أحمد والترمذي البخيل والمنان وهو ضعيف وحسن الترمذي أحد طريقيه [أحمد: ١٤، الترمذي: ١٩٤٦، ١٩٦٣، ابن ماجه: ٣٦٩١، وانظر ضعيف الترغيب: ١١٨٨].

(٣) صحيح: حديث ابن عمر: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخادم؟ فصمت ثم قال «اعف عنه كل يوم سبعين مرة». أخرجه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح غريب [أبو داود: ٥١٦٤، الترمذي: ١٩٤٩، وانظر صحيح الترغيب: ٢٢٨٩].

قال: فإنه حر لوجه الله يا رسول الله، فقال: «لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَسَفَعَتْ وَجْهَكَ النَّارُ»(١) ، وقال ﷺ: «العَبْدُ إِذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ الله فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ»(٢) ، ولما أعتق أبو رافع بكى وقال: كان لي أجران فذهب أحدهما. وقال ﷺ: «عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلاثَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَأَوَّلُ ثَلاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ، فَأَمَّا أَوَّلُ ثَلاثَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ: فَالشَّهِيدُ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَنَصَحَ لِسَيِّدِهِ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيالٍ، وَأَوَّلُ ثَلاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ: أَمِيرٌ مُسَلَّطٌ؛ وَذُو ثَرْوَةٍ لاَ يُعْطِي حَقَّ الله، وَفَقِيرٌ فَخُورٌ»(٣) ، وعن أبي مسعود الأنصاري قال: بينا أنا أضرب غلامًا لي إذ سمعت صوتًا من خلفي «اعْلَمْ يَا أَبَا مَسْعُودٍ» مرتين فالتفت فإذا رسول الله ﷺ فألقيت السوط من يدي فقال: «وَالله لله أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هذَا»(٤) ، وقال ﷺ: «إِذَا ابْتَاعَ أَحَدُكُم الخَادِمَ فَلْيَكُنْ أَوَّلُ شَيْءٍ يُطْعِمُهُ الحُلْوَ فَإِنَّهُ أَطْيَبُ لِنَفْسِهِ»(٥) ، رواه معاذ. وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ خَادِمَه بِطَعَامِهِ فَلْيُجْلِسْهُ وَلْيَأْكُلْ مَعَهُ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلْيُنَاوِلْهُ لُقْمَةً»(٦) ، وفي رواية: «إِذَا كَفَى أَحَدَكُمْ مَمْلُوكُهُ صَنْعَةَ طَعَامِهِ؛ فَكَفَاهُ حَرَّهُ وَمُؤْنَتَهُ وَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ فَلْيُجْلِسْهُ وَلْيَأْكُلْ مَعَهُ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلْيُنَاوِلْهُ أَوْ لِيَأْخُذْ أَكْلَةً فَلْيُرَوِّغْها ـ وأشار بيده ـ وَلْيَضَعْها فِي يَدِهِ وَلْيَقُلْ: كُلْ هذِهِ» . ودخل على سلمان رجل وهو يعجن فقال: يا أبا عبد الله ما هذا؟ فقال: بعثنا الخادم في شغل فكرهنا أن نجمع عليه عملين. وقال : «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ جَارِيَةٌ

---

(١) صحيح : حديث ابن المنكدر: أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ ضرب عبدا له فجعل العبد يقول: أسألك بالله أسألك بوجه الله، فلم يعفه فسمع رسول الله ﷺ صياح العبد فانطلق إليه، فلما رأى رسول الله ﷺ أمسك يده فقال رسول الله «سألك بوجه الله فلم تعفه فلما رأيتني أمسكت يدك» قال: فإنه حر لوجه الله يا رسول الله، فقال «لو لم تفعل لسفعت وجهك النار». أخرجه ابن المبارك في الزهد مرسلا وفي رواية لمسلم في حديث أبي مسعود الآتي ذكره: فجعل يقول: أعوذ بالله. قال فجعل يضربه فقال: أعوذ برسول الله فتركه، وفي رواية له: فقلت هو حر لوجه الله، فقال: «أما إنك لو لم تفعل للفحتك النار» أو «لمستك النار» [مسلم : ١٦٥٩].

(٢) صحيح : حديث «إذا نصح العبد لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين». متفق عليه من حديث ابن عمر [البخاري: ٢٥٤٦، مسلم: ١٦٦٤].

(٣) ضعيف : حديث «عرض علي أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار: فأول ثلاثة يدخلون الجنة: فالشهيد وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده، وعفيف متعفف ذو عيال، وأول ثلاثة يدخلون النار: أمير مسلط وذو ثروة لا يعطي حق الله وفقير فخور». أخرجه الترمذي وقال حسن وابن حبان من حديث أبي هريرة [الترمذي: ١٦٤٢، وانظر ضعيف الترغيب: ٤٦٤] .

(٤) صحيح : حديث أبي مسعود الأنصاري: بينا أنا أضرب غلاما لي سمعت صوتا من خلفي «اعلم يا أبا مسعود» مرتين فالتفت فإذا رسول الله ﷺ فألقيت السوط من يدي فقال «والله لله أقدر عليك منك على هذا». رواه مسلم [مسلم: ١٦٥٩].

(٥) ضعيف : حديث معاذ: إذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شيء يطعمه الحلو فإنه أطيب لنفسه.
أخرجه الطبراني في الأوسط والخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف [انظر ضعيف الجامع : ٢٧٢].

(٦) حديث أبي هريرة «وليأكل معه فإن أبى فليناوله» وفي رواية «إذا كفى أحدكم مملوك صنعة طعامه... الحديث». متفق عليه مع اختلاف لفظ وهو في مكارم الأخلاق بخرائطي باللفظين اللذين ذكرهما المصنف غير أنه لم يذكر «علاجه» وهذه اللفظة عند البخاري [البخاري: ٢٥٥٧، مسلم: ١٦٦٣].

فَصَانَها وَأَحْسَنَ إِلَيْهَا ثُمَّ أَعْتَقَها وَتَزَوَّجَها فَذلِكَ لَهُ أَجْرَانِ»(١)، وقد قال: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»(٢).

فجملة حق المملوك أن يشركه في طعمته وكسوته، ولا يكلفه فوق طاقته، ولا ينظر إليه بعين الكبر والازدراء وأن يعفو عن زلته ويتفكر عند غضبه عليه بهفوته أو بجنايته في معاصيه وجنايته على حق الله تعالى وتقصيره في طاعته مع أنّ قدرة الله عليه فوق قدرته. وروى فضالة بن عبيد أن النبي ﷺ قال: «ثَلاثَةٌ لا يُسْأَلُ عَنْهُمْ: رَجُلٌ فَارَقَ الجَمَاعَةَ، وَرَجُلٌ عَصَى إِمَامَهُ فَمَاتَ عَاصِيًا فَلاَ يُسْأَلُ عَنْهُما، وَامْرَأَةٌ غَابَ عَنْها زَوْجُها وَقَدْ كَفَاها مُؤْنَةَ الدُّنْيا فَتَبَرَّجَتْ بَعْدَهُ فَلاَ يُسْأَلُ عَنْها. وَثَلاثَةٌ لاَ يُسْأَلُ عَنْهُمْ: رَجُلٌ يُنَازِعُ الله رِدَاءَهُ وَرِدَاؤُهُ الكِبْرِيَاءُ وَإِزَارُهُ العِزُّ، وَرَجُلٌ فِي شَكٍّ مِنَ الله، وَقَنُوطٌ مِنْ رَحْمَةِ الله»(٣).

تم كتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق

* * *

(١) صحيح: حديث «من كانت عنده جارية فصانها وأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها فذلك له أجران». متفق عليه من حديث أبي موسى [البخاري: ٢٥٤٤، مسلم: ١٥٤].

(٢) صحيح: حديث «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته». متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم [البخاري: ٨٩٣، مسلم: ١٨٢٩].

(٣) صحيح: حديث فضالة بن عبيد «ثلاثة لا يسأل عنهم: رجل فارق الجماعة، ورجل عصى إمامه فمات عاصيا، فلا يسأل عنهما؛ وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤونة الدنيا، فتبرحت [فتبرجت؟؟] بعده، فلا يسأل عنها. وثلاثة لا يسأل عنهم رجل ينازع الله رداءه ورداؤه الكبرياء وإزاره العز، ورجل في شك من الله، وقنوط من رحمة الله». أخرجه الطبراني وصححه [انظر صحيح الترغيب: ١٨٨٧].

كتاب آداب العزلة

وهو الكتاب السادس من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعظم النعمة على خيرة خلقه وصفوته بأن صرف همهم إلى مؤانسته، وأجزل حظهم من التلذذ بمشاهدة آلائه وعظمته، وروّح أسرارهم بمناجاته وملاطفته، وحقر في قلوبهم النظر إلى متاع الدنيا وزهرتها حتى اغتبط بعزلته كل من طويت الحجب عن مجاري فكرته فاستأنس بمطالعة سبحات وجهه تعالى في خلوته، واستوحش بذلك عن الأنس بالإنس وإن كان من أخص خاصته، والصلاة على سيدنا محمد سيد أنبيائه وخيرته وعلى آله وصحابته سادة الحق وأئمته.

أما بعد: فإن للناس اختلافًا كثيرًا في العزلة والمخالطة وتفضيل إحداهما على الأخرى، ومع أن كل واحدة منهما لا تنفك عن غوائل تنفر عنها وفوائد تدعو إليها، وميل أكثر العباد والزهاد إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة، وما ذكرناه في كتاب الصحبة من فضيلة المخالطة والمؤاخاة والمؤالفة يكاد يناقض ما مال إليه الأكثرون من اختيار الاستيحاش والخلوة، فكشف الغطاء عن الحق في ذلك مهم. ويحصل ذلك برسم بابين.

الباب الأول: في نقل المذاهب والحجج فيها.

الباب الثاني: في كشف الغطاء عن الحق بحصر الفوائد والغوائل.

الباب الأول في نقل المذاهب والأقاويل وذكر حجج الفريقين في ذلك

أما المذاهب فقد اختلف فيها وظهر هذا الاختلاف بين التابعين. فذهب إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة: سفيان الثوري، وإبراهيم بن أدهم، وداود الطائي، وفضيل بن عياض، وسليمان الخوّاص، ويوسف بن أسباط وحذيفة المرعشي، وبشر الحافي.

وقال أكثر التابعين باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والإخوان والتألف والتحبب إلى المؤمنين والاستعانة بهم في الدين تعاونًا على البر والتقوى ومال إلى هذا: سعيد بن المسيب، والشعبي، وابن أبي ليلى، وهشام بن عروة، وابن شبرمة، وشريح، وشريك بن عبد الله، وابن عيينة، وابن المبارك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وجماعة.

والمأثور عن العلماء من الكلمات ينقسم إلى كلمات مطلقة تدل على الميل إلى أحد الرأيين، وإلى كلمات مقرونة بما يشير إلى علة الميل. فلننقل الآن مطلقات تلك الكلمات لنبين المذاهب فيها، وما هو مقرون بذكر العلة نورده عند التعرض للغوائل والفوائد، فنقول: قد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: خذوا بحظكم من العزلة. وقال ابن سيرين: العزلة

عبادة. وقال الفضيل: كفى بالله محبًا وبالقرآن مؤنسًا وبالموت واعظًا. وقيل: اتخذ الله صاحبًا ودع الناس جانبًا. وقال أبو الربيع الزاهد لداود الطائي: عظني، قال: صُمْ عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفرّ من الناس فرارك من الأسد. وقال الحسن رحمه الله: كلمات أحفظهن من التوراة؛ قنع ابن آدم فاستغنى، اعتزل الناس فسلم، ترك الشهوات فصار حرًا، وترك الحسد فظهرت مروءته، صبر قليلًا فتمتع طويلًا. وقال وهيب بن الورد: بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت والعاشر في عزلة الناس. وقال يوسف بن مسلم لعلي بن بكار: ما أصبرك على الوحدة؟ ـ وقد كان لزم البيت ـ فقال: كنت وأنا شاب أصبر على أكثر من هذا؛ كنت أجالس الناس ولا أكلمهم. وقال سفيان الثوري: هذا وقت السكوت وملازمة البيوت. وقال بعضهم: كنت في سفينة ومعنا شاب من العلوية فمكث معنا سبعًا لا نسمع له كلامًا؛ فقلنا له: يا هذا قد جمعنا الله وإياك منذ سبع ولا نراك تخالطنا ولا تكلمنا، فأنشأ يقول:

قليلُ الهمِّ لا ولد يموت ... ولا أمر يحاذره يفوتُ
قضى وطْرَ الصبا وأفاد علمًا ... فغايتُه التفرّد والسكوتُ

وقال إبراهيم النخعي لرجل تفقه ثم اعتزل، وكذا قال الربيع بن خيثم.

وقيل كان مالك بن أنس يشهد الجنائز، ويعود المرضى، ويعطي الإخوان حقوقهم، فترك ذلك واحدًا واحدًا حتى تركها كلها، وكان يقول: لا يتهيأ للمرء أن يخبر كل عذر له. وقيل لعمر بن عبد العزيز: لو تفرغت لنا؟ فقال: ذهب الفراغ فلا فراغ إلا عند الله تعالى. وقال الفضيل: إني لأجد للرجل عندي يدًا: إذا لقيني أن لا يسلم علي، وإذا مرضت أن لا يعودني. وقال أبو سليمان الداراني: بينما الربيع بن خيثم جالس على باب داره إذ جاءه حجر فصك جبهته فشجه، فجعل يمسح الدم ويقول: لقد وعظت يا ربيع، فقام ودخل داره فما جلس بعد ذلك على باب داره حتى أخرجت جنازته. وكان سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد لزما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا يأتيان المدينة لجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق. وقال يوسف بن أسباط: سمعت سفيان الثوري يقول: والله الذي لا إله إلا هو لقد حلت العزلة. وقال بشر بن عبد الله: أقل من معرفة الناس فإنك لا تدري ما يكون يوم القيامة، فإن تكن فضيحة كان من يعرفك قليلًا. ودخل بعض الأمراء على حاتم الأصم فقال له: ألك حاجة؟ قال: نعم، قال: وما هي؟ قال أن لا تراني ولا أراك ولا تعرفني. وقال رجل لسهل: أريد أن أصحبك، فقال: إذا مات أحدنا فمن يصحب الآخر؟ قال: الله قال: فليصحبه الآن. وقيل للفضيل: إن عليًا ابنك يقول لوددت أني في مكان أرى الناس ولا يروني؛ فبكى الفضيل وقال: يا ويح علي أفلا أتمها فقال لا أراهم ولا يروني؟ وقال الفضيل أيضًا: من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أفضل المجالس مجلس في قعر بيتك لا تَرى ولا تُرى. فهذه أقاويل المائلين إلى العزلة.

ذكر حجج المائلين الى المخالطة ووجه ضعفها:

احتج هؤلاء بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ [آل عمران:١٠٥]الآية. وبقوله تعالى: ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران:١٠٣]امتن على الناس بالسبب المؤلف وهذا ضعيف؛ لأن المراد به تفرّق الآراء واختلاف المذاهب في معاني كتاب الله وأصول الشريعة. والمراد بالألفة نزع الغوائل من الصدور وهي الأسباب المثيرة للفتن المحركة للخصومات، والعزلة لا تنافي ذلك.

واحتجوا بقوله ﷺ: «المُؤْمِنُ إِلْفٌ مَأْلُوفٌ وَلاَ خَيْرَ فِيمَنْ لاَ يَأْلَفُ وَلاَ يُؤْلَفُ»(١) وهذا ضعيف لأنه إشارة إلى مذمة سوء الخلق تمتنع بسببه المؤالفة، ولا يدخل تحته الحسن الخلق الذي إن خالط ألف وألف، ولكنه ترك المخالطة اشتغالاً بنفسه وطلبًا للسلامة من غيره.

واحتجوا بقوله ﷺ: «مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ» وقال: «مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ فَمَاتَ فَمِيتَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ»(٢)، وبقوله ﷺ: «مَنْ شَقَّ عَصَا المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمُونَ فِي إِسْلاَمٍ دَامِجٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ»(٣)، وهذا ضعيف لأن المراد به الجماعة التي اتفقت آراؤهم على إمام بعقد البيعة فالخروج عليهم بغي، وذلك مخالفة بالرأي وخروج عليهم وذلك محظور لاضطرار الخلق إلى إمام مطاع يجمع رأيهم ولا يكون ذلك إلا بالبيعة من الأكثر، فالمخالفة تشويش مثير للفتنة فليس في هذا تعرض للعزلة.

واحتجوا بنهيه ﷺ عن الهجر فوق ثلاث إذ قال: «مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ فَوقَ ثَلاَثٍ فَمَاتَ دَخَلَ النَّارَ»(٤)، وقال عليه السلام: «لاَ يَحِلُّ لامْرِىءٍ مُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوقَ ثَلاَثٍ وَالسَّابِقُ بِالصُّلْحِ يَدْخُلُ الجَنَّةَ»(٥)، وقال: «مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَافِكِ دَمِهِ»(٦)، قالوا: والعزلة

---

٢ كتاب العزلة، الباب الأول: في نقل المذاهب والحجج فيها

(١) حسن: حديث «المؤمن إلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف». تقدم في الباب الأول من آداب الصحبة [انظر صحيح الجامع: ٦٦٦٢].

(٢) صحيح: حديث «من ترك الجماعة فمات فميتته جاهلية». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم في الباب الخامس من كتاب الحلال والحرام [مسلم: ١٨٤٨].

(٣) صحيح: حديث «من شق عصا المسلمين والمسلمون في إسلام دامج فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه». أخرجه الطبراني والخطابي في العزلة من حديث ابن عباس بسند جيد [أبو داود: ٤٧٥٨ بنحوه، ولكنه قال: «من فارق الجماعة شبرًا . . . . . .» من حديث أبي ذر، وانظر صحيح أبي داود].

(٤) صحيح: حديث «من هجر أخاه فوق ثلاث فمات فدخل النار». أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح [أبو داود: ٤٩١٤، وانظر صحيح الترغيب: ٢٧٥٧].

(٥) صحيح: حديث لا يحل لامرئ أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق بالصلح يدخل الجنة» [البخاري: ٦٠٦٥، مسلم: ٢٥٥٩]. متفق عليه من حديث أنس دون قوله «والسابق بالصلح» زاد فيه الطبراني «والذي يبدأ بالصلح يسبق إلى الجنة»[انظر صحيح الترغيب: ٢٧٥٥].

(٦) صحيح: حديث «من هجر أخاه سنة فهو كسافك دمه». أخرجه أبو داود من حديث أبي خراش السلمي واسمه حدر بن أبي حدر وإسناده صحيح [انظر صحيح الترغيب: ٢٧٦٢].

هجره بالكلية. وهذا ضعيف لأن المراد به الغضب على الناس واللجاج فيه بقطع الكلام والسلام والمخالطة المعتادة، فلا يدخل فيه ترك المخالطة أصلًا من غير غضب. مع أن الهجر فوق ثلاث جائز في موضعين: أحدهما: أن يرى فيه إصلاحًا للمهجور في الزيادة.

الثاني: أن يرى لنفسه سلامة فيه. والنهي وإن كان عامًا فهو محمول على ما وراء الموضعين المخصوصين بدليل ما روي عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ هجرها ذا الحجة والمحرّم وبعض صفر[(١)]. وروي عن عمر: أنه ﷺ اعتزل نساءه وآلى منهن شهرًا وصعد إلى غرفة له وهي خزانته فلبث تسعًا وعشرين يومًا؛ فلما نزل قيل له: إنك كنت فيها تسعًا وعشرين، فقال: «الشهر قد يكون تسعًا وعشرين»[(٢)]، وروت عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ لاَ تُؤْمَنِ بَوَائِقُهُ»[(٣)]، فهذا صريح في التخصيص وعلى هذا ينزل قول الحسن رحمه الله حيث قال: هجران الأحمق قربة إلى الله فإن ذلك يدوم إلى الموت إذ الحماقة لا ينتظر علاجها.

وذكر عند محمد بن عمر الواقدي رجل هجر رجلًا حتى مات؛ فقال: هذا شيء قد تقدّم فيه قوم؛ سعد بن أبي وقاص كان مهاجرًا لعمار بن ياسر حتى مات، وعثمان بن عفان كان مهاجرًا لعبد الرحمن بن عوف، وعائشة كانت مهاجرة لحفصة. وكان طاوس مهاجرًا لوهب ابن منبه حتى ماتا. وكل ذلك يحمل على رؤيتهم سلامتهم في المهاجرة.

واحتجوا بما روي: أن رجلًا أتى الجبل ليتعبد فيه فجيء به إلى رسول الله ﷺ فقال: «لاَ تَفْعَلْ أَنْتَ وَلاَ أَحَدٌ مِنْكُمْ لَصَبْرُ أَحَدِكُمْ فِي بَعْضِ مَوَاطِنِ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ عِبَادَةِ أَحَدِكُمْ أَرْبَعِينَ عَامًا»[(٤)]، والظاهر أنّ هذا إنما كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدة وجوبه في ابتداء الإسلام بدليل ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ فمررنا

---

(١) حسن لغيره: حديث «أنه ﷺ هجر عائشة ذا الحجة والمحرم وبعض صفر». قلت: إنما هجر زينب هذه المدة كما رواه أبو داود من حديث عائشة وسكت عليه فهو عنده صالح [أبو داود: ٤٦٠٢، وانظر صحيح الترغيب: ٢٨٣٥].

(٢) صحيح: حديث عمر «أنه ﷺ اعتزل نساءه وآلى منهن شهرا وصعد إلى غرفة له وهي خزانته فلبث تسعا وعشرين يوما، فلما نزل قيل له: إنك كنت فيها تسعا وعشرين، فقال «الشهر قد يكون تسعا وعشرين». متفق عليه [البخاري: ٢٤٦٨، مسلم: ١٤٧٩].

(٣) حديث عائشة «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث إلا أن يكون ممن لا يأمن بوائقه». أخرجه ابن عدي وقال غريب المتن والإسناد وحديث عائشة عند أبي داود دون الاستثناء بإسناد صحيح [أبو داود: ٤٩١٣، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، والحديث كاملًا بالاستثناء انظر السلسلة الضعيفة: ٤١١٩، وقال الألباني باطل زيادة آخره].

(٤) حديث «أن رجلا أتى الجبل ليتعبد فيه فجيء به رسول الله ﷺ فقال «لا تفعل أنت ولا أحد منكم لصبر أحدكم في بعض مواطن الإسلام خير له من عبادة أحدكم وحده أربعين عاما». أخرجه البيهقي من حديث عسعس بن سلامة قال ابن عبد البر يقولون أن حديثه مرسل وكذا ذكره ابن حبان في ثقات التابعين.

بشعب فيه عيينة طيبة الماء؛ فقال واحد من القوم: لو اعتزلت الناس في هذا الشعب ولن أفعل ذلك حتى أذكره لرسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «لاَ تَفْعَلْ فَإِنَّ مُقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ الله خَيْرٌ مِنْ صَلاَتِهِ فِي أَهْلِهِ سِتِّينَ عَامًا. أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ الله لَكُمْ وَتَدْخُلُونَ الجَنَّةَ اغْزُوا فِي سَبِيلِ الله فَإِنَّهُ مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ الله فُوَاقَ نَاقَةٍ أَدْخَلَهُ الله الجَنَّةَ»(١).

واحتجوا بما روى معاذ بن جبل أنه قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الإِنْسَانِ كَذِئْبِ الغَنَمِ يَأْخُذُ القَاصِيَةَ وَالنَّاحِيَةَ وَالشَّارِدَةَ وَإِيَّاكُمْ وَالشِّعَابِ وَعَلَيْكُمْ بِالعَامَّةِ وَالجَمَاعَةِ وَالمَسَاجِدِ»(٢)، وهذا إنما أراد به من اعتزل قبل تمام العلم، وسيأتي بيان ذلك وأن ذلك ينهى عنه إلا لضرورة.

ذكر حجج المائلين الى تفضيل العزلة:

احتجوا بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى﴾ [مريم:٤٨] الآية. ثم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم:٤٩] إشارة إلى أن ذلك ببركة العزلة. وهذا ضعيف لأن مخالطة الكفار لا فائدة فيها إلا دعوتهم إلى الدين. وعند اليأس من إجابتهم فلا وجه إلا هجرهم، وإنما الكلام في مخالطة المسلمين وما فيها من البركة لما روي أنه قيل: يا رسول الله الوضوء من جرّ مخمر أحب إليك أو من هذه المطاهر التي يتطهر منها الناس؟ فقال: «بَلْ مِنْ هذِهِ المَطَاهِرِ الْتِمَاسًا لِبَرَكَةِ أَيْدِي المُسْلِمِينَ»(٣)، وروي أنه ﷺ لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم ليشرب منها، فإذا التمر المنقع في حياض الأدم وقد مغثه الناس بأيديهم وهم يتناولون منه ويشربون، فاستسقى منه وقال: «اسْقُونِي» فقال العباس: إن هذا النبيذ شراب قد مغث وخيض بالأيدي أفلا آتيك بشراب أنظف من هذا من جر مخمر في البيت؟ فقال: «اسْقُونِي مِنْ هذَا الَّذِي يَشْرَبُ مِنْهُ النَّاسُ أَلْتَمِسُ بَرَكَةَ أَيْدِي المُسْلِمِينَ» فشرب منه(٤)، فإذن كيف يستدل

---

(١) حسن: حديث أبي هريرة غزونا مع رسول الله ﷺ فمررنا بشعب فيه عيينة طيبة الماء، فقال واحد من القوم: لو اعتزلت الناس في هذا الشعب ولن أفعل ذلك حتى أذكره لرسول الله ﷺ فقال ﷺ «لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله خير من صلاته في أهله ستين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم وتدخلون الجنة اغزوا في سبيل الله فإنه من قاتل في سبيل الله فواق ناقة أدخله الله الجنة». أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم إلا أن الترمذي قال سبعين عاما [الترمذي: ١٦٥٠، وانظر ضعيف: ١٣٠١].

(٢) ضعيف: حديث معاذ بن جبل «الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم: يأخذ القاصية». أخرجه أحمد والطبراني ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعا [أحمد: ٢١٥٢٤، انظر ضعيف الترغيب: ٢٠٦].

(٣) حسن: حديث «قيل له ﷺ الوضوء من جر مخمر أحب إليك أو من هذه المطاهر التي يتطهر منها الناس؟ فقال: بل من هذه المطاهر، التماسا لبركة أيدي المسلمين». أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر وفيه ضعف [انظر صحيح الجامع: ٤٨٩٤].

(٤) حديث «لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم يشرب منها فإذا التمر المنقع في حياض الأدم وقد مغثه الناس بأيديهم وهم يتناولون منه ويشربون، فاستسقى منه وقال: «اسقوني» فقال العباس: إن هذا النبيذ شراب قد مغث

باعتزال الكفار والأصنام على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم؟.

واحتجوا أيضًا بقول موسى عليه السلام: ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾ [الدخان:٢١] وأنه فزع إلى العزلة عند اليأس منهم وقال تعالى في أصحاب الكهف: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ﴾ [الكهف:١٦] أمرهم بالعزلة. وقد اعتزل نبينا ﷺ قريشًا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والهجرة إلى أرض الحبشة(١)، ثم تلاحقوا به إلى المدينة بعد أن أعلى الله كلمته. وهذا أيضًا اعتزال عن الكفار بعد اليأس منهم، فإنه لم يعتزل المسلمين ولا من توقع إسلامه من الكفار. وأهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضًا وهم مؤمنون وإنما اعتزلوا الكفار، وإنما النظر في العزلة من المسلمين.

واحتجوا بقوله ﷺ لعبد الله بن عامر الجهني لما قال: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «لِيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ»(٢)، وروي أنه قيل له ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: «مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ الله تَعَالَى» قيل: ثم من؟ قال: «رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»(٣)، وقال ﷺ: «إِنَّ الله يُحِبُّ

وخيض بالأيدي أفلا آتيك بشراب أنظف من هذا من جر مخمر في البيت؟ فقال: «اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس ألتمس بركة أيدي المسلمين»، فشرب منه فإذن كيف يستدل باعتزال الكفار والأصنام على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم». رواه الأزرقي في تاريخ مكة من حديث ابن عباس بسند ضعيف ومن رواية ابن طاووس مرسلا نحوه.

(١) حديث «اعتزاله ﷺ قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والهجرة إلى أرض الحبشة، ثم تلاحقوا به إلى المدينة بعد أن أعلى الله كلمته وهذا أيضا اعتزال عن الكفار بعد اليأس منهم فإنه ﷺ لم يعتزل المسلمين ولا من توقع إسلامه من الكفار. وأهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضا وهم مؤمنون وإنما اعتزلوا الكفار، وإنما النظر في العزلة من المسلمين». رواه موسى بن عقبة في المغازي ومن طريقه البيهقي في الدلائل عن ابن شهاب مرسلا، ورواه ابن سعد في الطبقات من رواية ابن شهاب علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام مرسلا أيضا، ووصله من رواية أبي سلمة الحضرمي عن ابن عباس إلا أن ابن سعد ذكر أن المشركين حصروا بني هاشم في الشعب، وذكر موسى بن عقبة أن أبا طالب جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله شعبهم، ومغازي موسى بن عقبة أصح المغازي وذكر موسى بن عقبة أيضا أنه أمر أصحابه حين دخل الشعب بالخروج إلى أرض الحبشة، ولأبي داود من حديث أبي موسى أمرنا النبي ﷺ أن ننطلق إلى أرض النجاشي. قال البيهقي وإسناده صحيح، [أبوداود: ٣٢٠٥، **وانظر ضعيف أبي داود**]، ولأحمد من حديث ابن مسعود. بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي [أحمد: ٤٣٨٦]، وروى ابن اسحق بإسناد جيد ومن طريقه البيهقي في الدلائل من حديث أم سلمة «إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده... الحديث، [**انظر السلسلة الصحيحة: ٣١٩٠**].

(٢) صحيح: حديث «سأله عقبة بن عامر: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: ليسعك بيتك وأمسك عليك لسانك وابك على خطيئتك». أخرجه الترمذي من حديث عقبة وقال حسن، [**الترمذي: ٢٤٠٦، انظر صحيح الترغيب: ٢٧٤١**].

(٣) صحيح: حديث «أي الناس أفضل؟ قال: مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله تعالى، قيل: ثم من؟ قال: رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره». متفق عليه من حديث أبي سعيد

العَبْدَ التَّقِيَّ النَّقِيَّ الخَفِيَّ»(١).

وفي الاحتجاج بهذه الأحاديث نظر، فأما قوله لعبد الله بن عامر فلا يمكن تنزيله إلا على ما عرفه ﷺ بنور النبوة من حاله، وأن لزوم البيت كان أليق به وأسلم له من المخالطة، فإنه لم يأمر جميع الصحابة بذلك، ورب شخص تكون سلامته في العزلة لا في المخالطة كما قد تكون سلامته في القعود في البيت وأن لا يخرج إلى الجهاد، وذلك لا يدل على أن ترك الجهاد أفضل. وفي مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة، ولذلك قال ﷺ: «الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي لاَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَلاَ يَصْبِر عَلَى أَذَاهُمْ»(٢)، وعلى هذا ينزل قوله عليه السلام: «رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ يَعْبُدُ رَبَّهُ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ» فهذه إشارة إلى شرير بطبعه تتأذى الناس بمخالطته. وقوله: «إِنَّ الله يُحِبُّ التَّقِيَّ الخَفِيَّ» ، إشارة إلى إيثار الخمول وتوقي الشهرة. وذلك لا يتعلق بالعزلة فكم من راهب معتزل تعرفه كافة الناس؟ وكم من مخالط خامل لا ذكر له ولا شهرة؟ فهذا تعرض لأمر لا يتعلق بالعزلة.

واحتجوا بما روي أنه ﷺ قال لأصحابه: «أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ؟» قالوا: بلى يا رسول الله، فأشار بيده نحو المغرب وقال: «رَجُلٌ آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ الله يَنْتَظِرُ أَنْ يُغِيرَ أَوْ يُغارُ عَلَيْهِ. أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ بَعْدَهُ؟» وأشار بيده نحو الحجاز وقال: «رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ يُقِيمُ الصَّلاَةَ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ وَيَعْلَمُ حَقَّ الله فِي مَالِهِ اعْتَزَلَ شُرُورَ النَّاسِ»(٣)، فإذا ظهر أن هذه الأدلة لا شفاء فيها من الجانبين فلا بد من كشف الغطاء بالتصريح بفوائد العزلة وغوائلها ومقايسة بعضها بالبعض ليتبين الحق فيها.

الباب الثاني في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضلها

اعلم أن اختلاف الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة. وقد ذكرنا أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص بحسب ما فصلناه من آفات النكاح وفوائده،

الخدري، [البخاري: ٢٧٨٦، مسلم: ١٨٨٨].

(١) صحيح: حديث «إن الله يحب العبد التقي النقي الخفي». أخرجه مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص، [مسلم: ٢٩٦٥].

(٢) صحيح: حديث «الذي يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم». أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر ولم يسم الترمذي الصحابي قال شيخ من أصحاب النبي ﷺ والطريق واحد، [الترمذي: ٢٥٠٧، ابن ماجه: ٤٠٣٢، انظر السلسلة الصحيحة: ٦٣٩].

(٣) صحيح: حديث: ألا أنبئكم بخير الناس؟ قالوا: بلى، قال: فأشار بيده نحو المغرب وقال «رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه ألا أنبئكم بخير الناس بعده؟» وأشار بيده نحو الحجاز وقال «رجل في غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعلم حق الله في ماله اعتزل شرور الناس». أخرجه الطبراني من حديث أم مبشر إلا أنه قال: نحو المشرق، بدل: المغرب، وفيه ابن إسحاق رواه بالعنعنة وللترمذي والنسائي نحوه مختصرا من حديث ابن عباس قال الترمذي حديث حسن، [الترمذي: ١٦٥٢، انظر صحيح الترغيب: ٢٧٣٧].

فكذلك القول فيما نحن فيه. فلنذكر أولًا فوائد العزلة وهي تنقسم إلى فوائد دينية ودنيوية. والدينية تنقسم إلى ما يمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة والمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم، وإلى تخلص من ارتكاب المناهي التي يتعرض الإنسان لها بالمخالطة، كالرياء والغيبة والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة من جلساء السوء. وأما الدنيوية فتنقسم إلى ما يمكن من التحصيل بالخلوة؛ كتمكن المحترف في خلوته إلى ما يخلص من محذورات يتعرض لها بالمخالطة، كالنظر إلى زهرة الدنيا وإقبال الخلق عليها وطمعه في الناس وطمع الناس فيه، وانكشاف ستر مروءته بالمخالطة والتأذي بسوء خلق الجليس في مرائه أو سوء ظنه أو نميمته أو محاسدته أو التأذي بثقله وتشويه خلقته. وإلى هذا ترجع مجامع فوائد العزلة فلنحصرها في ست فوائد:

الفائدة الأولى:

التفرّغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق، والاشتغال باستكشاف أسرار الله تعالى في أمر الدنيا والآخرة وملكوت السموات والأرض، فإن ذلك يستدعي فراغًا ولا فراغ مع المخالطة، فالعزلة وسيلة إليه. ولهذا قال بعض الحكماء: لا يتمكن أحد من الخلوة إلا بالتمسك بكتاب الله تعالى. والمتمسكون بكتاب الله تعالى هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله الذاكرون الله بالله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولقوا الله بذكر الله. ولا شك في أن هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر فالعزلة أولى بهم. ولذلك كان ﷺ في ابتداء أمره يتبتل في جبل حراء وينعزل إليه حتى قوي فيه نور النبوّة[(١)] فكان الخلق لا يحجبونه عن الله فكان ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلًا على الله تعالى حتى كان الناس يظنون أن أبا بكر خليله. فأخبر النبي ﷺ عن استغراق همه بالله فقال: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا وَلكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ الله»[(٢)]، ولن يسع الجمع بين مخالطة الناس ظاهرًا والإقبال على الله سرًا إلا قوّة النبوّة فلا ينبغي أن يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع في ذلك، ولا يبعد أن تنتهي درجة بعض الأولياء إليه. فقد نقل عن الجنيد أنه قال: أنا أكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أني أكلمهم. وهذا إنما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقًا لا يبقى لغيره فيه متسع وذلك غير منكر، ففي المشتهرين بحب الخلق من يخالط الناس ببدنه وهو لا يدري ما يقول ولا ما يقال له لفرط عشقه لمحبوبه. بل الذي دهاه ملم يشوّش عليه أمرًا

---

٣ الباب الثاني: في فوائد العزلة وغوائلها

(١) صحيح: حديث «كان ﷺ في أول أمره يتبتل في جبل حراء وينعزل إليه». متفق عليه من حديث عائشة نحوه: فكان يخلوا بغار حراء يتحنث فيه... الحديث، [البخاري: ٤، مسلم: ١٦٠].

(٢) صحيح: حديث «لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله». أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم، [مسلم: ٢٣٨٣].

من أمور دنياه فقد يستغرقه الهم بحيث يخالط الناس ولا يحس بهم ولا يسمع أصواتهم لشدّة استغراقه. وأمر الآخرة أعظم عند العقلاء فلا تستحيل ذلك فيه ولكن الأولى بالأكثرين الاستعانة بالعزلة. ولذلك قيل لبعض الحكماء: ما الذي أرادوا بالخلوة واختيار العزلة؟ فقال: يستدعون بذلك دوام الفكرة وتثبت العلوم في قلوبهم ليحيوا حياة طيبة ويذوقوا حلاوة المعرفة. وقيل لبعض الرهبان: ما أصبرك على الوحدة فقال: ما أنا وحدي أنا جليس الله تعالى إذا شئت أن يناجيني قرأت كتابه وإذا شئت أن أناجيه صليت. وقيل لبعض الحكماء: إلى أي شيء أفضى بكم الزهد والخلوة؟ فقال: إلى الأنس بالله. وقال سفيان بن عيينة: لقيت إبراهيم ابن أدهم رحمه الله في بلاد الشام فقلت له: يا إبراهيم تركت خراسان؟ فقال: ما تهنأت بالعيش إلا ههنا أفرّ بديني من شاهق إلى شاهق، فمن يراني يقول موسوس أو حمال أو ملاح. وقيل لغزوان الرقاشي: هبك لا تضحك فما يمنعك من مجالسة إخوانك؟ قال: إني أصيب راحة قلبي في مجالسة من عنده حاجتي. وقيل للحسن: يا أبا سعيد ههنا رجل لم نره قط جالسًا إلا وحده خلف سارية. فقال الحسن: إذا رأيتموني فأخبروني به؛ فنظروا إليه ذات يوم فقالوا للحسن: هذا الرجل الذي أخبرناك به وأشاروا إليه؛ فمضى إليه الحسن وقال له. يا عبد الله أراك قد حببت إليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس؟ فقال: أمر شغلني عن الناس، قال: فما يمنعك أن تأتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس إليه؟ فقال: أمر شغلني عن الناس، وعن الحسن، فقال له الحسن: وما ذاك الشغل يرحمك الله؟ فقال: إني أصبح وأمسي بين نعمة وذنب فرأيت أن أشغل نفسي بشكر الله تعالى على النعمة والاستغفار من الذنب فقال له الحسن: أنت يا عبد الله أفقه عندي ومن الحسن فالزم ما أنت عليه. وقيل: بينما أويس القرني جالس إذ أتاه هرم بن حيان فقال له أويس: ما جاء بك؟ قال: جئت لآنس بك، فقال أويس: ما كنت أرى أن أحدًا يعرف ربه فيأنس بغيره؛ وقال الفضيل: إذا رأيت الليل مقبلًا فرحت به وقلت أخلو بربي، وإذا رأيت الصبح أدركني استرجعت كراهية لقاء الناس وأن يجيئني من يشغلني عن ربي. وقال عبد الله بن زيد: طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الآخرة، قيل له: وكيف ذلك؟ قال: يناجي الله في الدنيا ويجاوره في الآخرة. وقال ذو النون المصري. سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة ربه. وقال مالك بن دينار: من لم يأنس بمحادثة الله عز وجل عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمي قلبه وضيع عمره. وقال ابن المبارك: ما أحب حال من انقطع إلى الله تعالى ويروى عن بعض الصالحين أنه قال: بينما أنا أسير في بعض بلاد الشام إذا أنا بعابد خارج من بعض تلك الجبال فلما نظر إليّ تنحى إلى أصل شجرة وتستر بها فقلت: سبحان الله تبخل عليّ بالنظر إليك؟ فقال: هذا إني أقمت في هذا الجبل دهرًا طويلًا أعالج قلبي في الصبر عن الدنيا وأهلها فطال في ذلك تعبي وفني فيه عمري فسألت الله تعالى أن لا يجعل حظي من أيامي في مجاهدة قلبي، فسكنه الله عن الاضطراب

وألفه الوحدة والانفراد، فلما نظرت إليك خفت أن أقع في الأمر الأوّل فإليك عني فإني أعوذ من شرك برب العارفين وحبيب القانتين، ثم صاح: واغمّاه من طول المكث في الدنيا، ثم حوّل وجهه عني، ثم نفض يديه وقال: إليك عني يا دنيا لغيري فتزيني وأهلك فغري، ثم قال: سبحان من أذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع إليه ما ألهى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان، وجمع همهم في ذكره فلا شيء ألذ عندهم من مناجاته. ثم مضى وهو يقول: قدوس قدوس. فإذًا في الخلوة أنس بذكر الله واستكثار من معرفة الله وفي مثل ذلك قيل:

وإني لأستغشي وما بي غشوة ... لعلّ خيالًا منك يلقى خياليا
وأخرجُ من بين الجلوس لعلني ... أحدّث عنك النفس بالسرّ خاليا

ولذلك قال بعض الحكماء: إنما يستوحش الإنسان من نفسه لخلوّ ذاته عن الفضيلة فيكثر حينئذ ملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه بالكون معهم، فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الواحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة. وقد قيل: الاستئناس من علامات الإفلاس فإذًا هذه فائدة جزيلة ولكن في حق بعض الخواص ومن يتيسر له بدوام الذكر الأنس بالله أو بدوام الفكر التحقق في معرفة الله فالتجرد له أفضل من كل ما يتعلق بالمخالطة، فإن غاية العبادات وثمرة المعاملات أن يموت الإنسان محبًا لله عارفًا بالله ولا محبة إلا بالأنس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة إلا بدوام الفكر. وفراغ القلب شرط في كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة.

الفائدة الثانية:

التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض الإنسان لها غالبًا بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي أربعة: الغيبة والنميمة، والرياء والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا.

أما الغيبة، فإذا عرفت من كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات وجوهها عرفت أن التحرز عنها مع المخالطة عظيم لا ينجو منها إلا الصّديقون. فإن عادة الناس كافة التمضمض بأعراض الناس والتفكه بها والتنفل بحلاوتها وهي طعمتهم ولذتهم وإليها يستروحون من وحشتهم في الخلوة. فإن خالطتهم ووافقتهم أثمت وتعرضت لسخط الله تعالى، وإن سكت كنت شريكًا، والمستمع أحد المغتابين، وإن أنكرت أبغضوك وتركوا ذلك المغتاب فازدادوا غيبة إلى غيبة، وربما زادوا على الغيبة وانتهوا إلى الاستخفاف والشتم.

وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فهو من أصول الدين وهو واجب ـ كما سيأتي بيانه في آخر هذا الربع ـ ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات فإن سكت عصى الله به، وإن أنكر تعرض لأنواع من الضرر إذ ربما يجره طلب الخلاص عنها إلى معاص هي

أكبر مما نهى عنه ابتداء. وفي العزلة خلاص من هذا فإن الأمر في إهماله شديد والقيام به شاق. وقد قام أبو بكر رضي الله عنه خطيبًا وقال: «أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة:١٠٥] وإنكم تضعونها في غير موضعها وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا رَأَى النَّاسُ المُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ الله بِعِقَابٍ»(١)، وقد قال ﷺ: «إِنَّ الله لَيَسْأَلُ العَبْدَ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَ المُنْكَرَ أَنْ تُنْكِرَهُ؟ فَإِذَا لَقَنَ الله لِعَبْدٍ حُجَّتَهُ قَالَ: يَا رَبِّ رَجَوْتُكَ وَخِفْتُ النَّاسَ»(٢)، وهذا إذا خاف من ضرب أو أمر لا يطاق. ومعرفة حدود ذلك مشكلة وفيه خطر. وفي العزلة خلاص، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إثارة للخصومات وتحريك لغوائل الصدور كما قيل:

وكم سقت في آثاركم من نصيحة وقد يستفيد البغضة المتنصِّحُ

ومن جرب الأمر بالمعروف ندم عليه غالبًا فإنه كجدار مائل يريد الإنسان أن يقيمه فيوشك أن يسقط عليه؛ فإذا سقط عليه يقول يا ليتني تركته مائلًا.

نعم لو وجد أعوانًا أمسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة لاستقام وأنت اليوم لا تجد الأعوان فدعهم وانج بنفسك.

وأما الرياء؛ فهو الداء العضال الذي يعسر على الأبدال والأوتاد والاحتراز عنه. وكل من خالط الناس داراهم، ومن داراهم راءاهم ومن راءاهم وقع فيما وقعوا فيه وهلك كما هلكوا. وأقل ما يلزم فيه النفاق فإنك إن خالطت متعاديين ولم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقه صرت بغيضًا إليهما جميعًا، وإن جاملتهما كنت من شرار الناس. وقال ﷺ: «تَجِدُونَ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ ذَا الوَجْهَيْنِ يَأْتِي هؤُلاءِ بِوَجْهٍ وَهؤُلاءِ بِوَجْهٍ»(٣)، وقال عليه السلام: «إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذَا الوَجْهَيْنِ يَأْتِي هؤُلاءِ بِوَجْهٍ وَهؤُلاءِ بِوَجْهٍ»(٤)، وأقل ما يجب في مخالطة الناس إظهار الشوق والمبالغة فيه ولا يخلو ذلك عن كذب إما في الأصل وإما في الزيادة، وإظهار الشفقة بالسؤال عن الأحوال بقولك: كيف أنت؟ وكيف أهلك؟ وأنت في الباطن فارغ القلب من همومه،

---

(١) صحيح: حديث أبي بكر إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾[المائدة: ١٠٥] وإنكم تضعونها في غير موضعها وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول «إذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب». أخرجه أصحاب السنن. قال الترمذي: حسن صحيح، [أبو داود: ٤٣٣٨، الترمذي: ٢١٦٨، ابن ماجه: ٤٠٠٥، انظر صحيح الترغيب: ٢٣١٧].

(٢) صحيح: حديث «إن الله ليسأل العبد حتى يقول له ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره فإذا لقن الله لعبد حجته قال يا رب رجوتك وخفت الناس». أخرجه ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد جيد، [ابن ماجه: ٤٠١٧، انظر صحيح الجامع: ١٨١٨].

(٣) صحيح: حديث «تجدون من شراء الناس ذا الوجهين». متفق عليه من حديث أبي هريرة، [البخاري: ٣٤٩٤، مسلم: ٢٥٢٦].

(٤) حديث «إن من شر الناس ذا الوجهين». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وهو الذي قبله، [بنحو الحديث السابق].

وهذا نفاق محض. قال سري: لو دخل أخ لي فسويت لحيتي بيدي لدخوله لخشيت أن أكتب في جريدة المنافقين. وكان الفضيل جالسًا وحده في المسجد الحرام فجاء إليه أخ له فقال له: ما جاء بك؟ قال: المؤانسة يا أبا علي فقال: هي والله بالمواحشة أشبه هل تريد إلا أن تتزين لي وأتزين لك وتكذب لي وأكذب لك؟ إما أن تقوم عني أو أقوم عنك. وقال بعض العلماء: ما أحب الله عبدًا إلا أحب أن لا يشعر به. ودخل طاوس على الخليفة هشام فقال: كيف أنت يا هشام؟ فغضب عليه وقال: لم لم تخاطبني بأمير المؤمنين؟ فقال: لأن جميع المسلمين ما اتفقوا على خلافتك فخشيت أن أكون كاذبًا. فمن أمكنه أن يحترز هذا الاحتراز فليخالط الناس وإلا فليرض بإثبات اسمه في جريدة المنافقين. فقد كان السلف يتلاقون ويحترزون في قولهم كيف أصبحت؟ وكيف أمسيت؟ وكيف أنت؟ وكيف حالك؟ وفي الجواب عنه. فكان سؤالهم عن أحوال الدين لا عن أحوال الدنيا. قال حاتم الأصم لحامد اللفاف: كيف أنت في نفسك؟ قال: سالم معافى. فكره حاتم جوابه وقال: يا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة. وكان إذا قيل لعيسى عليه السلام: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت لا أملك تقديم ما أرجو ولا أستطيع دفع ما أحاذر وأصبحت مرتهنًا بعملي والخير كله في يد غيري ولا فقير أفقر مني وكان الربيع بن خثيم إذا قيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت من ضعفاء مذنبين نستوفي أرزاقنا وننتظر آجالنا.

وكان أبو الدرداء إذا قيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بخير إن نجوت من النار. وكان سفيان الثوري إذا قيل له: كيف أصبحت؟ يقول: أصبحت أشكر ذا إلى ذا وأذم ذا إلى ذا وأفر من ذا إلى ذا، وقيل لأويس القرني: كيف أصبحت؟ قال: كيف يصبح رجل إذا أمسى لا يدري أنه يصبح وإذا أصبح لا يدري أنه يمسي؟ وقيل لمالك بن دينار: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت في عمر ينقص وذنوب تزيد. وقيل لبعض الحكماء: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت لا أرضى حياتي لمماتي ولا نفسي لربي. وقيل لحكيم: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت آكل رزق ربي وأطيع عدوّه إبليس. وقيل لمحمد بن واسع: كيف أصبحت؟ قال: ما ظنك برجل يرتحل كل يوم إلى الآخرة مرحلة. وقيل لحامد اللفاف: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أشتهي عافية يوم إلى الليل، فقيل له: ألست في عافية في كل الأيام؟ فقال: العافية يوم لا أعصي الله تعالى فيه. وقيل لرجل وهو يجود بنفسه: ما حالك؟ فقال: وما حال من يريد سفرًا بعيدًا بلا زاد ويدخل قبرًا موحشًا بلا مؤنس وينطلق إلى ملك عدل بلا حجة. وقيل لحسان بن أبي سنان: ما حالك؟ قال: ما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب. وقال ابن سيرين لرجل: كيف حالك؟ فقال: وما حال من عليه خمسمائة درهم دينًا وهو معيل؟ - ذو عيال - فدخل ابن سيرين منزله فأخرج له ألف درهم فدفعها إليه وقال: خمسمائة اقض بها دينك وخمسمائة عد بها على نفسك وعيالك - ولم يكن عنده غيرها - ثم قال: والله لا أسأل أحدًا عن حاله أبدًا. وإنما فعل

ذلك لأنه خشي أن يكون سؤاله من غير اهتمام بأمره فيكون بذلك مرائيًا منافقًا. فقد كان سؤالهم عن أمور الدين وأحوال القلب في معاملة الله وإن سألوا عن أمور الدنيا فعن اهتمام وعزم على القيام بما يظهر لهم من الحاجة. وقال بعضهم: إني لأعرف أقوامًا كانوا لا يتلاقون ولو حكم أحدهم على صاحبه بجميع ما يملكه لم يمنعه، وأرى الآن أقوامًا يتلاقون ويتساءلون حتى عن الدجاجة في البيت. ولو انبسط أحدهم لحبة من مال صاحبه لمنعه فهل هذا إلا مجرد الرياء والنفاق؟ وآية ذلك أنك ترى هذا يقول كيف أنت؟ ويقول الآخر كيف أنت؟ فالسائل لا ينتظر الجواب والمسؤول يشتغل بالسؤال ولا يجيب، وذلك لمعرفتهم بأن ذلك عن رياء وتكلف. ولعل القلوب لا تخلو عن ضغائن وأحقاد والألسنة تنطق بالسؤال. قال الحسن: إنما كانوا يقولون السلام عليكم، إذا سلمت والله القلوب، وأما الآن: فكيف أصبحت عافاك الله؟ كيف أنت أصلحك الله؟ فإن أخذنا بقولهم كانت بدعة لا كرامة فإن شاؤوا غصبوا علينا، وإن شاؤوا لا. وإنما قال ذلك لأن البداية بقولك: كيف أصبحت بدعة. وقال رجل لأبي بكر بن عياش: كيف أصبحت؟ فما أجابه. وقال دعونا من هذه البدعة. وقال: إنما حدث هذا في زمان الطاعون الذي كان يدعى طاعون عمواس بالشام من الموت الذريع، كان الرجل يلقاه أخوه غدوة فيقول كيف أصبحت من الطاعون؟ ويلقاه عشية فيقول: كيف أمسيت؟ والمقصود أن الالتقاء في غالب العادات ليس يخلو من أنواع من التصنع والرياء والنفاق، وكل ذلك مذموم، بعضه محظور وبعضه مكروه. وفي العزلة الخلاص من ذلك، فإن من لقي الخلق ولم يخالقهم بأخلاقهم مقتوه واستثقلوه واغتابوه وتشمروا لإيذائه فيذهب دينهم فيه ويذهب دينه ودنياه في الانتقام منهم.

وأما مسارقة الطبع مما يشاهده من أخلاق الناس وأعمالهم؛ فهو داء دفين قلما يتنبه له العقلاء فضلًا عن الغافلين، فلا يجالس الإنسان فاسقًا مدة مع كونه منكرًا عليه في باطنه إلا ولو قاس نفسه إلى ما قبل مجالسته لأدرك بينهما تفرقة في النفرة عن الفساد واستثقاله إذ يصير للفساد بكثرة المشاهدة هينًا على الطبع فيسقط وقعه واستعظامه له، وإنما الوازع عنه شدّة وقعه في القلب فإذا صار مستصغرًا بطول المشاهدة أوشك أن تنحل القوّة الوازعة ويذعن الطبع للميل إليه أو لما دونه. ومهما طالت مشاهدته للكبائر من غيره استحقر الصغائر من نفسه: ولذلك يزدري الناظر إلى الأغنياء نعمة الله عليه فتؤثر مجالستهم في أن يستصغر ما عنده وتؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ما أتيح له من النعم. وكذلك النظر إلى المطيعين والعصاة هذا تأثيره في الطبع من يقصر نظره على ملاحظة أحوال الصحابة والتابعين في العبادة والتنزه عن الدنيا، فلا يزال ينظر إلى نفسه بعين الاستصغار وإلى عبادته بعين الاستحقار، وما دام يرى نفسه مقصرًا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستتمامًا للاقتداء.. ومن نظر إلى الأحوال الغالبة على أهل الزمان وإعراضهم عن الله وإقبالهم على الدنيا واعتيادهم

المعاصي استعظم أمر نفسه بأدنى رغبة في الخير يصادفها في قلبه وذلك هو الهلاك. ويكفي في تغيير الطبع مجرد سماع الخير والشر فضلًا عن مشاهدته. وبهذه الدقيقة يعرف سر قوله ﷺ: «عِنْدَ ذِكْرِ الصَّالِحِينَ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ»(١)، وإنما الرحمة دخول الجنة ولقاء الله وليس ينزل عند الذكر عين ذلك، ولكن سببه وهو انبعاث الرغبة من القلب وحركة الحرص على الاقتداء بهم والاستنكاف عما هو ملابس له من القصور والتقصير.

ومبدأ الرحمة فعل الخير ومبدأ فعل الخير الرغبة ومبدأ الرغبة ذكر أحوال الصالحين، فهذا معنى نزول الرحمة.

والمفهوم من فحوى هذا الكلام عند الفطن كالمفهوم من عكسه، وهو أن عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنة لأن كثرة ذكرهم تهوّن على الطبع أمر المعاصي، واللعنة هي البعد. ومبدأ البعد من الله هو المعاصي، والإعراض عن الله بالإقبال على الحظوظ العاجلة والشهوات الحاضرة لا على الوجه المشروع. ومبدأ المعاصي سقوط ثقلها وتفاحشها عن القلب. ومبدأ سقوط الثقل وقوع الأنس بها بكثرة السماع. إذا كان هذا حال ذكر الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم؟ بل قد صرح بذلك رسول الله ﷺ حيث قال: «مَثَلُ الجَلِيسِ السُّوءِ كَمَثَلِ الكِيرِ إِنْ لَمْ يَحْرِقْكَ بِشَرَرِهِ عَلِقَ بِكَ مِنْ رِيحِهِ»(٢)، فكما أن الريح يعلق بالثوب ولا يشعر به، فكذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر به. وقال ﷺ: «مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ مَثَلُ صَاحِبِ المِسْكِ إِنْ لَمْ يَهَبْ لَكَ مِنْهُ تَجِدْ رِيحَهُ» ولهذا أقول من عرف من عالم زلة حرم عليه حكايتها لعلتين، إحداهما: أنها غيبة، والثانية وهي أعظمهما. أن حكايتها تهون على المستمعين أمر تلك الزلة، ويسقط من قلوبهم استعظامهم الإقدام عليها فيكون ذلك سببًا لتهوين تلك المعصية، فإنه مهما وقع فيها فاستنكر ذلك دفع الاستنكار وقال: كيف يستبعد هذا منا وكلنا مضطرون إلى مثله حتى العلماء والعباد؟ ولو اعتقد أن مثل ذلك لا يقدم عليه عالم ولا يتعاطاه موفق معتبر لشق عليه الإقدام، فكم من شخص يتكالب على الدنيا ويحرص على جمعها ويتهالك على حب الرئاسة وتزيينها ويهوّن على نفسه قبحها ويزعم أن الصحابة رضي الله عنهم لم ينزهوا أنفسهم عن حب الرئاسة؟ وربما يستشهد عليه بقتال علي ومعاوية ويخمن في نفسه أن ذلك لم يكن لطلب الحق بل لطلب الرئاسة، فهذا الاعتقاد خطأ يهون عليه أمر الرئاسة ولوازمها من المعاصي. والطبع اللئيم يميل إلى اتباع الهفوات والإعراض عن الحسنات بل إلى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالتنزيل على مقتضى الشهوة ليتعلل به وهو من

---

(١) حديث «عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة». ليس له أصل في الحديث المرفوع وإنما هو من قول سفيان ابن عيينة كذا رواه ابن الجوزي في مقدمة صفوة الصفوة.

(٢) صحيح: حديث «مثل الجليس السوء كمثل الكير إن لم يحرق بشرره علق بك من ريحه». متفق عليه من حديث أبي موسى، [البخاري: ٢١٠١، مسلم: ٢٦٢٨].

دقائق مكائد الشيطان، ولذلك وصف الله المراغمين للشيطان فيها بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر :١٨] وضرب ﷺ لذلك مثلًا وقال: «مَثَلُ الَّذِي يَجْلِسُ يَسْتَمِعُ الحِكْمَةَ ثُمَّ لاَ يَعْمَلُ إِلاَّ بِشَرٍّ مَا يَسْتَمِعُ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى رَاعِيًا فَقَالَ لَهُ: يَا رَاعِي اجْرُرْ لِي شَاةً مِنْ غَنَمِكَ فَقَالَ: اذْهَبْ فَخُذْ خَيْرَ شَاةٍ فِيها فَذَهَبَ فَأَخَذَ بِأُذُنِ كَلْبِ الغَنَمِ»(١)، وكل من ينقل هفوات الأئمة فهذا مثاله أيضًا.

ومما يدل على سقوط وقع الشيء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته أن أكثر الناس إذا رأوا مسلمًا أفطر في نهار رمضان استبعدوا ذلك منه استبعادًا يكاد يفضي إلى اعتقادهم كفره، وقد يشاهدون من يخرج الصلوات عن أوقاتها ولا تنفر عنه طباعهم كنفرتهم عن تأخير الصوم، مع أن صلاة واحدة يقتضي تركها الكفر عند قوم وحز الرقبة عند قوم: وترك صوم رمضان كله لا يقتضيه ولا سبب له إلا أن الصلاة تتكرر والتساهل فيها مما يكثر فيسقط وقعها بالمشاهدة عن القلب. ولذلك لو لبس الفقيه ثوبًا من حرير أو خاتمًا من ذهب أو شرب من إناء فضة استبعدته النفوس واشتد إنكارها، وقد يشاهد في مجلس طويل لا يتكلم إلا بما هو اغتياب للناس ولا يستبعد منه ذلك. والغيبة أشد من الزنى، فكيف لا تكون أشد من لبس الحرير؟ ولكن كثرة سماع الغيبة ومشاهدة المغتابين أسقط وقعها عن القلوب وهون على النفس أمرها، فتفطن لهذه الدقائق وفرّ من الناس فرارك من الأسد لأنك لا تشاهد منهم إلا ما يزيد في حرصك على الدنيا وغفلتك عن الآخرة ويهون عليك المعصية ويضعف رغبتك في الطاعة. فإن وجدت جليسًا يذكرك الله رؤيته وسيرته فالزمه ولا تفارقه واغتنمه ولا تستحقره فإنها غنيمة العاقل وضالة المؤمن. وتحقق أن الجليس الصالح خير من الوحدة وأن الوحدة خير من الجليس السوء. ومهما فهمت هذه المعاني ولاحظت طبعك والتفت إلى حال من أردت مخالطته لم يخف عليك أن الأولى التباعد بالعزلة أو التقرب إليه بالخلطة. وإياك أن تحكم مطلقًا على العزلة أو الخلطة بأن إحداهما أوْلى إذ كل مفصل فإطلاق القول فيه بلا أو نعم خلف من القول محض ولا حق في المفصل إلا التفصيل.

الفائدة الثالثة:

الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لأخطارها وقلما تخلو البلاد عن تعصبات وفتن وخصومات، فالمعتزل عنهم في سلامة منها. قال عبد الله بن عمرو بن العاص: لما ذكر رسول الله ﷺ الفتن ووصفها وقال: «إِذَا رَأَيْتَ

(١) حديث «مثل الذي يجلس يستمع الحكمة ثم لا يعمل إلا بشر ما يستمع كمثل رجل أتى راعيا فقال له : يا راعي اجرر لي شاة من غنمك فقال اذهب فخذ خير شاة فيها فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم». أخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف، [ابن ماجه: ٤١٧٢، انظر السلسلة الضعيفة: ١٧٦١].

النَّاسَ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ وَخفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ وَكَانُوا هكَذَا» ـ وشبك بين أصابعه ـ، قلت: فما تأمرني، فقال: «الْزَمْ بَيْتَكَ وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَخُذْ مَا تَعْرِفُ وَدَعْ مَا تُنْكِرُ وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ الخَاصَّةِ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ العَامَّةِ»(١)، وروى أبو سعيد الخدري أنه ﷺ قال: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمًا يَتْبَعُ بِها شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ مِنْ شَاهِقٍ إِلَى شَاهِقٍ»(٢)، وروى عبد الله بن مسعود أنه ﷺ قال: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يَسْلَمُ لِذِي دِينٍ دِينُهُ إِلاَّ مَنْ فَرَّ بِدِينِهِ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى قَرْيَةٍ وَمِنْ شَاهِقٍ إِلَى شَاهِقٍ وَمِنْ جُحْرٍ إِلَى جُحْرٍ كَالثَّعْلَبِ الَّذِي يَرُوغُ» قيل له: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال: «إِذَا لَمْ تَنَل المَعِيشَةَ إِلاَّ بِمَعَاصِي الله تَعَالَى فَإِذَا كَانَ ذلِكَ الزَّمَانُ حَلَّتِ العُزُوبَةُ» قالوا: وكيف يا رسول الله وقد أمرتنا بالتزويج؟ قال: «إِذَا كَانَ ذلِكَ الزَّمَانُ كَانَ هَلاَكُ الرَّجُلِ عَلَى يَدِ أَبَوَيْهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبَوَانِ فَعَلَى يَدَيْ زَوْجَتِهِ وَوَلَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَعَلَى يَدَيْ قَرَابَتِهِ» ، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «يُعَيِّرُونَهُ بِضِيقِ اليَدِ فَيَتَكَلَّفُ مَا لاَ يُطِيقُ حَتَّى يُورِدَهُ ذلِكَ مَوَارِدَ الهَلَكَةِ»(٣) ، وهذا الحديث وإن كان في العزوبة فالعزلة مفهومة منه إذ لا يستغني المتأهل عن المعيشة والمخالطة ثم لا ينال المعيشة إلا بمعصية الله تعالى، ولست أقول: هذا أوان ذلك الزمان فلقد كان هذا بأعصار قبل هذا العصر، ولأجله قال سفيان: والله لقد حلت العزلة. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ذكر رسول الله ﷺ أيام الفتنة وأيام الهرج قلت: وما الهرج؟ قال: «حِينَ لاَ يَأْمَنُ الرَّجُلُ جَلِيسَهُ» قلت: فبم تأمرني إن أدركت ذلك الزمان؟ قال: «كُفَّ نَفْسَكَ وَيَدَكَ وادْخُلْ دَارَكَ» قال: قلت يا رسول الله أرأيت إن دخل على داري؟ قال: «فَادْخُلْ بَيْتَكَ» ، قلت: فإن دخل على بيتي؟ قال «فَادْخُلْ مَسْجِدَكَ وَاصْنَعْ هكَذَا» وقبض على الكوع «وَقُلْ: رَبِّيَ الله حَتَّى تَمُوتَ»(٤)، وقال

---

(١) حسن صحيح : حديث عبد الله بن عمرو بن العاص «إذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا – وشبك بين أصابعه –، قلت: فما تأمرني؟ فقال «الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة». أخرجه أبو داود والنسائي في اليوم والليلة بإسناد حسن، [أبو داود: ٤٣٤٣، انظر صحيح الترغيب: ٢٧٤٤].

(٢) صحيح : حديث أبي سعيد الخدري «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن». رواه البخاري، [البخاري: ١٩]

(٣) منكر : حديث ابن مسعود «سيأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاهق إلى شاهق». تقدم في النكاح، [انظر السلسلة الضعيفة: ٣٢٧٠].

(٤) صحيح : حديث ابن مسعود «ذكر رسول الله ﷺ أيام الفتنة وأيام الهرج قلت: وما الهرج؟ قال «حين لا يأمن الرجل جليسه» قلت: فبم تأمرني إن أدركت ذلك الزمان؟ قال «كف نفسك ويدك وادخل دارك «قال: قلت يا رسول الله أرأيت إن دخلت علي داري؟ قال: » فادخل بيتك» قلت: فإن دخل علي بيتي؟ قال «فادخل مسجدك واصنع هكذا » وقبض على الكوع» وقل ربي الله حتى تموت». أخرجه أبو داود مختصرا والخطابي في العزلة بتمامه وفي إسناده عند الخطابي انقطاع ووصله أبو داود بزيادة رجل اسمه سالم يحتاج إلى معرفته، [الحديث بتمامه، انظر السلسلة الصحيحة: ٣٢٥٤، وهو عند أبي داود: ٤٢٥٦ بنحوه].

سعد ـ لما دعي إلى الخروج أيام معاوية ـ لا... إلا أن تعطوني سيفًا له عينان بصيرتان ولسان ينطق بالكافر فأقتله وبالمؤمن فأكف عنه، وقال: مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محجة بيضاء فبينما هم كذلك يسيرون إذ هاجت ريح عجاجة فضلوا الطريق فالتبس عليهم؛ فقال بعضهم: الطريق ذات اليمين فأخذوا فيها فتاهوا وضلوا، وقال بعضهم: ذات الشمال فأخذوا فيها فتاهوا وضلوا، وأناخ آخرون وتوقفوا حتى ذهبت الريح وتبينت الطريق فسافروا. فاعتزل سعد وجماعة معه فارقوا الفتن ولم يخالطوا إلا بعد زوال الفتن. وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه لما بلغه أن الحسين رضي الله عنه توجه إلى العراق تبعه فلحقه على مسيرة ثلاثة أيام فقال له: أين تريد؟ فقال: العراق. فإذا معه طوامير وكتب؛ فقال: هذه كتبهم وبيعتهم فقال: لا تنظر إلى كتبهم ولا تأتهم؛ فأبى، فقال: إني أحدثك حديثًا؛ جبريل أتى النبي ﷺ فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا وإنك بضعة من رسول الله ﷺ والله لا يليها أحد منكم أبدًا وما صرفها عنكم إلا للذي هو خير لكم، فأبى أن يرجع، فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال: أستودعك الله من قتيل أو أسير[1]. وكان في الصحابة عشرة آلاف فما خف أيام الفتنة أكثر من أربعين رجلًا. وجلس طاوس في بيته فقيل له في ذلك فقال: فساد الزمان وحيف الأئمة. ولما بنى عروة قصره بالعقيق ولزمه قيل له: لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله ﷺ ؟ فقال: رأيت مساجدكم لاهية وأسواقكم لاغية والفاحشة في فجاجكم عالية وفيما هناك عما أنتم فيه عافية. فإذن الحذر من الخصومات، ومثارات الفتن إحدى فوائد العزلة.

الفائدة الرابعة:

الخلاص من شر الناس فإنهم يؤذونك مرة بالغيبة ومرة بسوء الظن والتهمة بالاقتراحات والأطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها، وتارة بالنميمة أو الكذب فربما يرون منك من الأعمال أو الأقوال ما لا تبلغ عقولهم كنهه فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم يدّخرونها لوقت تظهر فرصة للشر، فإذا اعتزلتهم استغنيت من التحفظ عن جميع ذلك. ولذلك قال بعض الحكماء لغيره: أعلمك بيتين خير من عشرة آلاف درهم؟ قال: ما هما؟ قال:

اخفضِ الصوتَ إنْ نطقتَ بليلٍ ... والتفتْ بالنَّهار قبل المَقَالِ

---

(١) ضعيف: حديث ابن عمر: أنه لما بلغه أن الحسين رضي الله عنه توجه إلى العراق تبعه فلحقه على مسيرة ثلاثة أيام فقال له: أين تريد؟ فقال: العراق فإذا معه طوامير وكتب، فقال: هذه كتبهم وبيعتهم فقال: لا تنظر إلى كتبهم ولا تأتهم، فأبى، فقال: إني أحدثك حديثا، جبريل أتى النبي ﷺ فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا وإنك بضعة من رسول الله ﷺ والله لا يليها أحد منكم أبدا وما صرفها عنكم إلا للذي هو خير لكم، فأبى أن يرجع، فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال: أستودعك الله من قتيل أو أسير». رواه الطبراني مقتصرا على المرفوع رواه في الأوسط بذكر قصة الحسين مختصرة ولم يقل: على مسيرة ثلاثة أيام. وكذا رواه البزار بنحوه وإسنادهما حسن، [المرفوع منه عند ابن ماجه: ٤٠٨٢، وانظر ضعيف ابن ماجه]

ليسَ للقولِ رجعةٌ حين يبدو بقبيحٍ يكون أو بجمالِ

ولا شك أن من اختلط بالناس وشاركهم في أعمالهم لا ينفك من حاسد وعدوّ يسيء الظن به ويتوهم أنه يستعد لمعاداته ونصب المكيدة عليه وتدسيس غائلة وراءه فالناس مهما اشتد حرصهم على أمر ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون: ٤] وقد اشتد حرصهم على الدنيا فلا يظنون بغيرهم إلا الحرص عليها.

قال المتنبي:

إذا ساء فِعْلُ المرءِ ساءتْ ظُنُونه وصدق ما يعتاده من توهمِ
وعادى محبيه بقولِ عُداتهِ فأصبح في ليلٍ من الشكِّ مُظْلِمِ

وقد قيل: معاشرة الأشرار تورث سوء الظن بالأبرار. وأنواع الشر الذي يلقاه الإنسان من معارفه وممن يختلط به كثيرة، ولسنا نطول بتفصيلها ففيما ذكرناه إشارة إلى مجامعها، وفي العزلة خلاص من جميعها. وإلى هذا أشار الأكثر ممن اختار العزلة. فقال أبو الدرداء: أخبر تقله، يروى مرفوعًا. وقال الشاعر:

مَنْ حَمِدَ النَّاس ولم يبلهم ثم بَلاهم ذم من يَحْمَدُ
وصار بالوحدة مستأنسًا يوحشه الأقربُ والأبعدُ

وقال عمر رضي الله عنه: في العزلة راحة من القرين السوء. وقيل لعبد الله بن الزبير: ألا تأتي المدينة؟ فقال: ما بقي فيها إلا حاسد نعمة أو فرح بنقمة. وقال ابن السماك: كتب صاحب لنا، أما بعد: فإن الناس كانوا دواء يتداوى به فصاروا داء ولا دواء له ففرّ منهم فرارك من الأسد. وكان بعض الأعراب يلازم شجرًا ويقول: هو نديم فيه ثلاث خصال، إن سمع مني لم ينم علي، وإن تفلت في وجهه احتمل مني، وإن عربدت عليه لم يغضب، فسمع الرشيد ذلك فقال: زهدني في الندماء. وكان بعضهم قد لزم الدفاتر والمقابر فقيل له ذلك فقال: لم أر أسلم من وحدة ولا أوعظ من قبر، ولا جليسًا أمتع من دفتر، وقال الحسن رضي الله عنه: أردت الحج فسمع ثابت البناني بذلك - وكان أيضًا من أولياء الله - فقال: بلغني أنك تريد الحج فأحببت أن أصحبك، فقال له الحسن: ويحك دعنا نتعاشر بستر الله علينا إني أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه. وهذه إشارة إلى فائدة أخرى في العزلة وهو بقاء الستر على الدين والمروءة والأخلاق والفقر وسائر العورات. وقد مدح الله سبحانه المتسترين فقال: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣] وقال الشاعر:

ولا عار إن زالت عن الحرِّ نعمة ولكنَّ عارًا أن يزول التجملُ

ولا يخلو الإنسان في دينه ودنياه وأخلاقه وأفعاله عن عورات الأولى في الدين والدنيا سترها ولا تبقى السلامة مع انكشافها. وقال أبو الدرداء: كان الناس ورقًا لا شوك فيه فالناس اليوم شوك لا ورق فيه. إذا كان هذا حكم زمانه وهو في أواخر القرن الأول فلا ينبغي أن يشك في

أن الأخير شر. وقال سفيان بن عيينة: قال لي سفيان الثوري ـ في اليقظة في حياته وفي المنام بعد وفاته ـ أقلل من معرفة الناس فإن التخلص منهم شديد ولا أحسب أني رأيت ما أكره إلا ممن عرفت.

وقال بعضهم: جئت إلى مالك بن دينار وهو قاعد وحده، وإذا كلب قد وضع حنكه على ركبته. فذهبت أطرده فقال: دعه يا هذا لا يضر ولا يؤذي وهو خير من جليس السوء. وقيل لبعضهم: ما حملك على أن تعتزل الناس؟ قال: خشيت أن أسلب ديني ولا أشعر. وهذه إشارة إلى مسارقة الطبع من أخلاق القرين السوء. وقال أبو الدرداء: اتقوا الله واحذروا الناس فإنهم ما ركبوا ظهر بعير إلا أدبروه، ولا ظهر جواد إلا عقروه، ولا قلب مؤمن إلا خربوه، وقال بعضهم: أقلل المعارف فإنه أسلم لدينك وقلبك، وأخف لسقوط الحقوق عنك، لأنه كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع. وقال بعضهم: أنكر من تعرف ولا تتعرف إلى من لا تعرف.

الفائدة الخامسة:

أن ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس. فأما انقطاع طمع الناس عنك ففيه فوائد، فإن رضا الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء بإصلاح نفسه أولى ومن أهون الحقوق وأيسرها حضور الجنازة وعيادة المريض وحضور الولائم والإملاكات، وفيها تضييع الأوقات وتعرض للآفات، ثم قد تعوق عن بعضها العوائق وتستقبل فيها المعاذير، ولا يمكن إظهار كل الأعذار فيقولون له قمت بحق فلان وقصرت في حقنا، ويصير ذلك سبب عداوة فقد قيل: من لم يعد مريضًا في وقت العيادة اشتهى موته خيفة من تخجيله إذا صح على تقصيره. ومن عمم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم، ولو خصص استوحشوا. وتعميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه المتجرد له طول الليل والنهار فكيف من له مهم يشغله في دين أو دنيا؟ قال عمرو بن العاص: كثرة الأصدقاء كثرة الغرماء، وقال ابن الرومي:

عدوّك من صديقك مستفادُ ... فلا تستكثرنَّ مِنَ الصِّحابِ
فإن الداءَ أكثرُ ما تراه ... يكونُ مِنَ الطَّعامِ أو الشَّرابِ

وقال الشافعي رحمه الله: أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام. وأما انقطاع طمعك عنهم فهو أيضًا فائدة جزيلة، فإن من نظر إلى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبعث بقوّة الحرص طمعه ولا يرى إلا الخيبة في أكثر الأحوال فيتأذى بذلك. ومهما اعتزل لم يشاهد، وإذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [طه: ١٣١] وقال ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكُمْ وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ

فَوْقَكُمْ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ»[(١)]، وقال عون بن عبد الله: كنت أجالس الأغنياء فلم أزل مغمومًا، كنت أرى ثوبًا أحسن من ثوبي ودابة أفره من دابتي فجالست الفقراء فاسترحت. وحكي أن المزني رحمه الله خرج من باب جامع الفسطاط وقد أقبل ابن عبد الحكم في موكبه فبهره ما رأى من حسن حاله وحسن هيئته فتلا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠] ثم قال بلى أصبر وأرضى، وكان فقيرًا مقلًا. فالذي هو في بيته لا يبتلى بمثل هذه الفتن. فإن من شاهد زينة الدنيا فإما أن يقوى دينه ويقينه فيصبر إلى أن يتجرع مرارة الصبر ـ وهو أمر من الصبر ـ أو تنبعث رغبته فيحتال في طلب الدنيا فيهلك هلاكًا مؤبدًا، أما في الدنيا فبالطمع الذي يخيب في أكثر الأوقات فليس كل من يطلب الدنيا تتيسر له، وأما في الآخرة فإيثاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتقرب إليه. ولذلك قال ابن الأعرابي:

إذا كان بابُ الذلِّ من جانب الغنى سموتُ إلى العلياءِ من جانب الفَقْرِ

أشار إلى أن الطمع يوجب في الحال ذلًا.

الفائدة السادسة:

الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى ومقاساة حمقهم وأخلاقهم، فإن رؤية الثقيل هي العمى الأصغر. قيل للأعمش: مم عمشت عيناك؟ قال: من النظر إلى الثقلاء. ويحكى أنه دخل عليه أبو حنيفة فقال في الخبر: «إِنَّ مَنْ سَلَبَ الله كَرِيمَتَيْهِ عَوَّضَهُ الله عَنْهُما مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُما»[(٢)]، فما الذي عوضك؟ فقال ـ في معرض المطايبة ـ عوضني الله منهما أنه كفاني رؤية الثقلاء وأنت منهم. وقال ابن سيرين: سمعت رجلًا يقول نظرت إلى ثقيل مرة فغشي عليَّ. وقال جالينوس: لكل شيء حمّى وحمّى الروح النظر إلى الثقلاء. وقال الشافعي رحمه الله: ما جالست ثقيلًا إلا وجدت الجانب الذي يليه من بدني كأنه أثقل عليَّ من الجانب الآخر.

وهذه الفوائد ما سوى الأوليين متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة ولكنها أيضًا تتعلق بالدين، فإن الإنسان مهما تأذى برؤية ثقيل لم يأمن أن يغتابه وأن يستنكر ما هو صنع الله، فإذا تأذى من غيره بغيبة أو سوء ظن أو محاسدة أو نميمة أو غير ذلك لم يصبر عن مكافأته. وكل ذلك يجر إلى فساد وفي العزلة سلامة عن جميع ذلك فليفهم.

---

(١) صحيح: حديث «انظروا إلى من هو دنوكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، [مسلم: ٢٩٦٣].

(٢) صحيح: حديث «من سلب الله كريمتيه عوضه عنهما ما هو خير منهما». أخرجه الطبراني بإسناد ضعيف من حديث جرير «من سلبت كريمتيه عوضته عنهما الجنة»، وله ولأحمد نحوه من حديث أبي أمامة بسند حسن، [أحمد: ١٣٦٠٧، وانظر صحيح الجامع: ١٧٢٧] وللبخاري من حديث أنس «يقول الله تبارك وتعالى إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه ثم صبر عوضته منهما الجنة» يريد عينيه، [البخاري: ٥٦٥٣].

آفات العزلة:

اعلم أن من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد بالاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك إلا بالمخالطة. فكل ما يستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة، وفواته من آفات العزلة، فانظر إلى فوائد المخالطة والدواعي إليها ما هي، وهي التعليم والتعلم، والنفع والانتفاع، والتأديب والتأدب، والاستئناس والإيناس، ونيل الثواب وإنالته في القيام بالحقوق، واعتياد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الأحوال والاعتبار بها، فلنفصل ذلك فإنها من فوائد المخالطة وهي سبع:

الفائدة الأولى: التعليم والتعلم.

وقد ذكرنا فضلهما في كتاب العلم وهما أعظم العبادات في الدنيا. ولا يتصوّر ذلك إلا بالمخالطة إلا أن العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة، وبعضها ضروري في الدنيا. فالمحتاج إلى التعلم لما هو فرض عليه عاص بالعزلة. وإن تعلم الفرض وكان لا يتأتى منه الخوض في العلوم ورأى الاشتغال بالعبادة فليعتزل. وإن كان يقدر على التبرز في علوم الشرع والعقل فالعزلة في حقه قبل التعلم غاية الخسران. ولهذا قال النخعي وغيره: تفقه ثم اعتزل فمن اعتزل قبل التعلم فهو في الأكثر مضيع أوقاته بنوم أو فكر في هوس، وغايته أن يستغرق الأوقات بأوراد يستوعبها، ولا ينفك في أعماله بالبدن والقلب عن أنواع من الغرور يخيب سعيه ويبطل عمله بحيث لا يدري، ولا ينفك اعتقاده في الله وصفاته عن أوهام يتوهمها ويأنس بها وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها فيكون في أكثر أحواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العباد. فالعلم هو أصل الدين فلا خير في عزلة العوام والجهال، أعني من لا يحسن العبادة في الخلوة ولا يعرف جميع ما يلزم فيها. فمثال النفس مثال مريض يحتاج إلى طبيب متلطف يعالجه، فالمريض الجاهل إذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل أن يتعلم الطب تضاعف لا محالة مرضه. فلا تليق العزلة إلا بالعالم، وأما التعليم ففيه ثواب عظيم مهما صحت نية المعلم والمتعلم. ومهما كان القصد إقامة الجاه والاستكثار بالأصحاب والأتباع فهو هلاك الدين. وقد ذكرنا وجه ذلك في كتاب العلم.

وحكم العالم في هذا الزمان أن يعتزل إن أراد سلامة دينه، فإنه لا يرى مستفيدًا يطلب فائدة لدينه، بل لا طالب إلا لكلام مزخرف، يستميل به العوام في معرض الوعظ أو الجدل معقد يتوصل به إلى إفحام الأقران ويتقرب به إلى السلطان ويستعمل في معرض المنافسة والمباهاة، وأقرب علم مرغوب فيه: المذهب، ولا يطلب غالبًا إلا للتوصل إلى التقدم على الأمثال وتولي الولايات واجتلاب الأموال. فهؤلاء كلهم يقتضي الدين والحزم الاعتزال عنهم، فإن صودف طالب لله ومتقرب بالعلم إلى الله فأكبر الكبائر الاعتزال عنه وكتمان العلم منه، وهذا لا

يصادف في بلدة كبيرة أكثر من واحد أو اثنين إن صودف.

ولا ينبغي أن يغتر الإنسان بقول سفيان: تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله، فإن الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون إلى الله. وانظر إلى أواخر أعمار الأكثرين منهم واعتبرهم أنهم ماتوا، وهم هلكى على طلب الدنيا ومتكالبون عليها أو راغبون عنها وزاهدون فيها، وليس الخبر كالمعاينة. واعلم أن العلم الذي أشار إليه سفيان هو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة سير الأنبياء والصحابة، فإن فيها التخويف والتحذير وهو سبب لإثارة الخوف من الله فإن لم يؤثر في الحال أثر في المآل.

وأما الكلام والفقه المجرّد ـ الذي يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات ـ المذهب منه والخلاف لا يرد الراغب فيه للدنيا إلى الله، بل لا يزال متماديًا في حرصه إلى آخر عمره. ولعل ما أودعناه هذا الكتاب إن تعلمه المتعلم رغبة في الدنيا فيجوز أن يرخص فيه، إذ يرجى أن ينزجر به في آخر عمره فإنه مشحون بالتخويف بالله والترغيب في الآخرة والتحذير من الدنيا، وذلك مما يصادف في الأحاديث وتفسير القرآن ولا يصادف في كلام ولا في خلاف ولا في مذهب. فلا ينبغي أن يخادع الإنسان نفسه فإن المقصر العالم بتقصيره أسعد حالًا من الجاهل المغرور أو المتجاهل المغبون وكل عالم اشتد حرصه على التعليم يوشك أن يكون غرضه القبول والجاه، وحظه تلذذ النفس في الحال باستشعار الإذلال على الجهال والتكبر عليهم، فآفة العلم الخيلاء[1] كما قال ﷺ: ولذلك حكي عن بشر أنه دفن سبعة عشر قمطرًا من كتب الأحاديث التي سمعها، وكان لا يحدث، ويقول: إني أشتهي أن أحدث فلذلك لا أحدث ولو اشتهيت أن لا أحدث لحدثت، ولذلك قال: «حدثنا» باب من أبواب الدنيا، وإذا قال الرجل «حدثنا» فإنما يقول أوسعوا لي. وقالت رابعة العدوية لسفيان الثوري: نعم الرجل أنت لولا رغبتك في الدنيا، قال: وفيما ذا رغبت؟ قالت: في الحديث. ولذلك قال أبو سليمان الداراني: من تزوج أو طلب الحديث أو اشتغل بالسفر فقد ركن إلى الدنيا. فهذه آفات قد نبهنا عليها في كتاب العلم، والحزم الإحتراز بالعزلة وترك الاستكثار من الأصحاب ما أمكن، بل الذي يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه فالصواب له إن كان غافلًا في مثل هذا الزمان أن يتركه. فلقد صدق أبو سليمان الخطابي حيث قال: دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال، إخوان العلانية أعداء السر، إذا لقوك تملقوك وإذا غبت عنهم سلقوك، من أتاك منهم كان عليك رقيبًا وإذا خرج كان عليك خطيبًا، أهل نفاق ونميمة وغلّ وخديعة، فلا تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم بل الجاه والمال وأن يتخذوك سلمًا إلى أوطارهم

---

(١) موضوع: حديث «آفة العلم الخيلاء». المعروف ما رواه مطين في مسنده من حديث علي بن أبي طالب بسند ضعيف «آفة العلم النسيان وآفة الجمال الخيلاء» [انظر السلسلة الضعيفة: ١٣٠٢].

وأغراضهم وحمارًا في حاجاتهم، إن قصرت في غرض من أغراضهم كانوا أشد أعدائك، ثم يعدون ترددهم إليك دالة عليك ويرونه حقًا واجبًا لديك، ويفرضون عليك أن تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم فتعادي عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم، وتنتهض لهم سفيهًا وقد كنت فقيهًا، وتكون لهم تابعًا خسيسًا بعد أن كنت متبوعًا رئيسًا. ولذلك قيل: اعتزال العامة مروءة تامة. فهذا معنى كلامه وإن خالف بعض ألفاظه، وهو حق وصدق. فإنك ترى المدرسين في رق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد إليهم فكأنه يهدي تحفة إليهم ويرى حقه واجبًا عليهم. وربما لا يختلف إليه ما لم يتكفل برزق له على الإدرار. ثم إن المدرس المسكين قد يعجز عن القيام بذلك من ماله، فلا يزال مترددًا إلى أبواب السلاطين ويقاسي الذل والشدائد مقاساة الذليل المهين حتى يكتب له على بعض وجوه السحت مال حرام، ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه ويمتهنه ويستذله إلى أن يسلم إليه ما يقدره نعمة مستأنفة من عنده عليه، ثم يبقى في مقاساة القسمة على أصحابه إن سوّى بينهم مقته المميزون ونسبوه إلى الحمق وقلة التمييز والقصور عن درك مصارفات الفضل والقيام بمقادير الحقوق بالعدل، وإن فاوت بينهم سلقه السفهاء بألسنة حداد وثاروا عليه ثوران الأساود والآساد، فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مطالبة ما يأخذه ويفرقه عليهم في العقبى. والعجب أنه مع هذا البلاء كله يمني نفسه بالأباطيل ويدليها بحبل الغرور ويقول لها، لا تفتري عن صنيعك فإنما أنت بما تفعلينه مريدة وجه الله تعالى، ومذيعة شرع رسول الله ﷺ ، وناشرة علم دين الله، وقائمة بكفاية طلاب العلم من عباد الله، وأموال السلاطين لا مالك لها وهي مرصدة للمصالح وأي مصلحة أكبر من تكثير أهل العلم؟ فبهم يظهر الدين ويتقوى أهله. ولو لم يكن ضحكة للشيطان لعلم بأدنى تأمل أن فساد الزمان لا سبب له إلا كثرة أمثال أولئك الفقهاء الذين يأكلون ما يجدون ولا يميزون بين الحلال والحرام، فتلحظهم أعين الجهال ويستجرئون على المعاصي باستجرائهم اقتداء بهم واقتفاء لآثارهم. ولذلك قيل: ما فسدت الرعية إلا بفساد الملوك وما فسدت الملوك إلا بفساد العلماء.

فنعوذ بالله من الغرور والعمى فإنه الداء الذي ليس له دواء.

الفائدة الثانية : النفع والانتفاع.

أما الانتفاع بالناس؛ فبالكسب والمعاملة. وذلك لا يتأتى إلا بالمخالطة والمحتاج إليه مضطر إلى ترك العزلة فيقع في جهاد من المخالطة أن طلب موافقة الشرع فيه ـ كما ذكرناه في كتاب الكسب ـ فإن كان معه مال لو اكتفى به قانعًا لأقنعه فالعزلة أفضل له إذا انسدت طرق المكاسب في الأكثر إلا من المعاصي، إلا أن يكون غرضه الكسب للصدقة، فإذا اكتسب من وجهه وتصدّق به فهو أفضل من العزلة للاشتغال بالنافلة، وليس بأفضل من العزلة للاشتغال بالتحقق في معرفة الله ومعرفة علوم الشرع، ولا من الإقبال بكنه الهمة على الله تعالى والتجرد

بها لذكر الله؛ أعني من حصل له أنس بمناجاة الله عن كشف وبصيرة لا عن أوهام وخيالات فاسدة.

وأما النفع: فهو أن ينفع الناس إما بماله أو ببدنه فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسبة. ففي النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب وذلك لا ينال إلا بالمخالطة. ومن قدر عليها مع القيام بحدود الشرع فهي أفضل له من العزلة إن كان لا يشتغل في عزلته إلا بنوافل الصلوات والأعمال البدنية، وإن كان ممن انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر أو فكر فذلك لا يعدل به غيره البتة.

الفائدة الثالثة : التأديب والتأدب.

ونعني به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل أذاهم كسرًا للنفس وقهرًا للشهوات. وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة، وهي أفضل من العزلة في حق مَن لم تتهذب أخلاقه، ولم تذعن لحدود الشرع شهواته، ولهذا انتدب خدام الصوفية في الرباطات فيخالطون الناس بخدمتهم وأهل السوق للسؤال منهم كسرًا لرعونة النفس واستمدادًا من بركة دعاء الصوفية المنصرفين بهممهم إلى الله سبحانه. وكان هذا هو المبدأ في الأعصار الخالية والآن قد خالطته الأغراض الفاسدة ومال ذلك عن القانون كما مالت سائر شعائر الدين، فصار يطلب من التواضع بالخدمة التكثير بالاستتباع والتذرّع إلى جمع المال والاستظهار بكثرة الأتباع، فإن كانت النية هذه فالعزلة خير من ذلك ولو إلى القبر، وإن كانت النية رياضة النفس فهي خير من العزلة في حق المحتاج إلى الرياضة، وذلك مما يحتاج إليه في بداية الإرادة، فبعد حصول الارتياض ينبغي أن يفهم أن الدابة لا يطلب من رياضتها عين رياضتها، بل المراد منها أن تتخذ مركبًا يقطع به المراحل ويطوى على ظهره الطريق، والبدن مطية للقلب يركبها ليسلك بها طريق الآخرة وفيها شهوات إن لم يكسرها جمحت به في الطريق، فمن اشتغل طول العمر بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها، فلا يستفيد منها إلا الخلاص في الحال في عضها ورفسها ورمحها، وهي لعمري فائدة مقصودة ولكن مثلها حاصل في البهيمة الميتة، وإنما ترد الدابة لفائدة تحصل من حياتها، فكذلك الخلاص من ألم الشهوات في الحال يحصل بالنوم والموت، ولا ينبغي أن يقنع به كالراهب الذي قيل له: يا راهب، فقال: ما أنا راهب إنما أنا كلب عقور حبست نفسي حتى لا أعقر الناس، وهذا حسن بالإضافة إلى من يعقر الناس ولكن لا ينبغي أن يقتصر عليه، فإنّ من قتل نفسه أيضًا لم يعقر الناس، بل ينبغي أن يتشوّف إلى الغاية المقصودة بها. ومن فهم ذلك واهتدى إلى الطريق وقدر على السلوك استبان له أن العزلة أعون له من المخالطة. فأفضل لمثل هذا الشخص المخالطة أوّلًا والعزلة آخرًا.

وأما التأديب: فإنما نعني به أن يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية معهم، فإنه لا يقدر على

تهذيبهم إلا بمخالطتهم، وحاله حال المعلم وحكمه، ويتطرّق إليه من دقائق الآفات والرياء ما يتطرّق إلى نشر العلم إلا أن مخايل طلب الدنيا من المريدين الطالبين للارتياض أبعد منها من طلبه العلم، ولذلك يرى فيهم قلة وفي طلبة العلم كثرة. فينبغي أن يقيس ما تيسر له من الخلوة بما تيسر له من المخالطة وتهذيب القوم، وليقابل أحدهما بالآخر وليؤثر الأفضل، وذلك يدرك بدقيق الاجتهاد ويختلف بالأحوال والأشخاص فلا يمكن الحكم عليه مطلقًا بنفي ولا إثبات.

الفائدة الرابعة: الاستئناس والإيناس.

وهو غرض مَن يحضر الولائم والدعوات ومواضع المعاشرة والأنس، وهذا يرجع إلى حظ النفس في الحال. وقد يكون ذلك على وجه حرام بمؤانسة من لا تجوز مؤانسته، أو على وجه مباح. وقد يستحب ذلك الأمر الدين وذلك فيمن تستأنس بمشاهدة أحواله وأقواله في الدين كالأنس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى. وقد يتعلق بحظ النفس ويستحب إذا كان الغرض منه ترويح القلب لتهييج دواعي النشاط في العبادة، فإنّ القلوب إذا أكرهت عميت ومهما كان في الوحدة وحشة وفي المجالسة أنس يروّح القلب فهي أولى، إذ الوفق في العبادة من حزم العبادة، ولذلك قال ﷺ: «إِنَّ الله لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا»(١)، وهذا أمر لا يستغنى عنه فإن النفس لا تألف الحق على الدوام ما لم تروّح؛ وفي تكليفها الملازمة داعية للفترة وهذا عنى بقوله عليه السلام: «إِنَّ هذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ» والإيغال فيه برفق دأب المستبصرين، ولذلك قال ابن عباس: لولا مخافة الوسواس لم أجالس الناس، وقال مرة: لدخلت بلادًا لا أنيس بها، وهل يفسد الناس إلا الناس؟ فلا يستغني المعتزل إذًا عن رفيق يستأنس بمشاهدته ومحادثته في اليوم والليلة ساعة فليجتهد في طلب من لا يفسد عليه في ساعته تلك سائر ساعاته، فقد قال ﷺ: «المَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»(٢)، وليحرص أن يكون حديثه عند اللقاء في أمور الدين وحكاية أحوال القلب وشكواه وقصوره عن الثبات على الحق والاهتداء إلى الرشد، ففي ذلك متنفس ومتروّح للنفس، فيه مجال رحب لكل مشغول بإصلاح نفسه فإنه لا تنقطع شكواه ولو عمر أعمارًا طويلة، والراضي عن نفسه مغرور قطعًا. فهذا النوع من الاستئناس في بعض أوقات النهار ربما يكون أفضل من العزلة في حق بعض الأشخاص فليتفقد فيه أحوال القلب وأحوال الجليس أوّلًا ثم ليجالس.

الفائدة الخامسة: في نيل الثواب وإنالته.

أما النيل فبحضور الجنائز وعيادة المريض وحضور العيدين، وأما حضور الجمعة فلا بدّ منه. وحضور الجماعة في سائر الصلوات أيضًا لا رخصة في تركه إلا لخوف ضرر ظاهر يقاوم

---

(١) صحيح: حديث «إن الله لا يمل حتى تملوا». تقدم، [البخاري: ١١٥١، مسلم: ٧٨٢ عن عائشة].
(٢) حسن: حديث «المرء على دين خليله». تقدم في آداب الصحبة، [أبو داود: ٤٨٣٣، الترمذي: ٢٣٧٨، انظر السلسلة الصحيحة: ٩٢٧].

ما يفوت من فضيلة الجماعة ويزيد عليه، وذلك لا يتفق إلا نادرًا، وكذلك في حضور الإملاكات والدعوات ثواب من حيث إنه إدخال سرور على قلب مسلم.

وأما إنالته فهو أن يفتح الباب لتعوده الناس أو ليعزوه في المصائب أو يهنوه على النعم فإنهم ينالون بذلك ثوابًا، وكذلك إذا كان من العلماء وإذن لهم في الزيارة نالوا ثواب الزيارة، وكان هو بالتمكين سببًا فيه، فينبغي أن يزن ثواب هذه المخالطات بآفاتها التي ذكرناها، وعند ذلك قد ترجح العزلة وقد ترجح المخالطة. فقد حكي عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك إجابة الدعوات وعيادة المرضى وحضور الجنائز، بل كانوا أحلاس بيوتهم لا يخرجون إلا إلى الجمعة أو زيارة القبور، وبعضهم فارق الأمصار وانحاز إلى قلل الجبال تفرغًا للعبادة وفرارًا من الشواغل.

الفائدة السادسة : من المخالطة التواضع.

فإنه من أفضل المقامات ولا يقدر عليه في الوحدة، وقد يكون الكبر سببًا في اختيار العزلة. فقد روي في الإسرائيليات أن حكيمًا من الحكماء صنف ثلاثمائة وستين مصحفًا في الحكمة حتى ظن أنه قد نال عند الله منزلة، فأوحى الله إلى نبيه: قل لفلان إنك قد ملأت الأرض نفاقًا وإني لا أقبل من نفاقك شيئًا، قال: فتخلى وانفرد في سرب تحت الأرض وقال: الآن قد بلغت رضا ربي، فأوحى الله إلى نبيه قل له: إنك لن تبلغ رضاي حتى تخالط الناس وتصبر على أذاهم، فخرج فدخل الأسواق وخالط الناس وجالسهم وواكلهم وأكل الطعام بينهم ومشى في الأسواق معهم، فأوحى الله تعالى إلى نبيه: الآن قد بلغ رضاي. فكم من معتزل في بيته وباعثه الكبر ومانعه عن المحافل أن لا يوقر أو لا يقدم، أو يرى الترفع عن مخالطتهم أرفع لمحله وأتقى لطراوة ذكره بين الناس، وقد يعتزل خيفة من أن تظهر مقابحه لو خالط فلا يعتقد فيه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ البيت سترًا على مقابحه إبقاء على اعتقاد الناس في زهده وتعبده من غير استغراق وقت الخلوة بذكر أو فكر، وعلامة هؤلاء أنهم يحبون أن يزاروا ولا يحبون أن يزوروا، ويفرحون بتقرّب العوام والسلاطين إليهم واجتماعهم على بابهم وطرقهم وتقبيلهم أيديهم على سبيل التبرك، ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذي يبغض إليه المخالطة وزيارة الناس لبغض إليه زياراتهم له، كما حكيناه عن الفضيل حيث قال: وهل جئتني إلا لأتزين لك وتتزين لي. وعن حاتم الأصم أنه قال للأمير الذي زاره: حاجتي أن لا أراك ولا تراني، فمن ليس مشغولًا مع نفسه بذكر الله فاعتزاله عن الناس سببه شدّة اشتغاله بالناس، لأن قلبه متجرّد للالتفات إلى نظرهم إليه بعين الوقار والاحترام. والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه:

أحدها : أنّ التواضع والمخالطة لا تنقص من منصب من هو متكبر بعلمه أو دينه إذ كان علي رضي الله عنه حمل التمر والملح في ثوبه ويده ويقول:

لا ينقص الكامل من كمالِهِ ما جرّ من نفعٍ إلى عيالِهِ

وكان أبو هريرة وحذيفة وأبي وابن مسعود رضي الله عنهم يحملون حزم الحطب وجرب الدقيق على أكتافهم، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول ـ وهو والي المدينة والحطب على رأسه ـ طرقوا لأميركم. وكان سيد المرسلين ﷺ يشتري الشيء فيحمله إلى بيته بنفسه؛ فيقول له صاحبه: أعطني أحمله فيقول: «صَاحِبُ الشَّيْءِ أَحَقُّ بِحَمْلِهِ»(١) ، وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما يمر بالسوّال وبين أيديهم كسر فيقولون: هلم إلى الغداء يا ابن رسول الله فكان ينزل ويجلس على الطريق ويأكل معهم ويركب ويقول: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣] .

الوجه الثاني: أن الذي شغل نفسه بطلب رضا الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور، لأنه لو عرف الله حق المعرفة علم أن الخلق لا يغنون عنه من الله شيئًا؛ وأن ضرره ونفعه بيد الله ولا نافع ولا ضار سواه، وأن من طلب رضا الناس ومحبتهم بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس، بل رضا الناس غاية لا تنال، فرضا الله أولى بالطلب. ولذلك قال الشافعي ليونس بن عبد الأعلى: والله ما أقول لك إلا نصحًا إنه ليس إلى السلامة من الناس من سبيل، فانظر ماذا يصلحك فافعله؟ ولذلك قيل:

مَنْ رَاقبَ النَّاس ماتَ غمًّا وفاز باللذة الجسورُ

ونظر سهل إلى رجل من أصحابه فقال له: اعمل كذا وكذا ـ لشيء أمره به ـ فقال: يا أستاذ لا أقدر عليه لأجل الناس، فالتفت إلى أصحابه وقال: لا ينال عبد حقيقة من هذا الأمر حتى يكون بأحد وصفين؛ عبد تسقط الناس من عينه فلا يرى في الدنيا إلا خالقه، وأن أحدًا لا يقدر على أن يضره ولا ينفعه. وعبد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالي بأي حال يرونه. وقال الشافعي رحمه الله: ليس من أحد إلا وله محب ومبغض فإذا كان هكذا فكن مع أهل طاعة الله. وقيل للحسن: يا أبا سعيد إن قومًا يحضرون مجلسك ليس بغيتهم إلا تتبع سقطات كلامك وتعنيتك بالسؤال؛ فتبسم وقال للقائل: هوّن على نفسك فإني حدثت نفسي بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت، وما حدثت نفسي بالسلامة من الناس لأني قد علمت أن خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم. وقال موسى عليه السلام: يا رب احبس عني ألسنة الناس فقال: يا موسى هذا شيء لم أصطفه لنفسي فكيف أفعله بك؟ وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى عزيز: إن لم تطب نفسًا بأني أجعلك علكًا في أفواه الماضغين لم أكتبك عندي من المتواضعين. فإذن من حبس نفسه في البيت ليحسن اعتقادات الناس وأقوالهم فيه فهو في

---

(١) موضوع: حديث: كان يشتري الشيء إلى بيته بنفسه فيقول له صاحبه أعطني أحمله فيقول «صاحب المتاع أحق بحمله». أخرجه أبو يعلى من حديث أبي هريرة بسند ضعيف في حمله السراويل الذي اشتراه، [انظر السلسلة الضعيفة: ٨٩].

عناء حاضر في الدنيا ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[الزمر :٢٦] فإذن لا تستحب العزلة إلا لمستغرق الأوقات بربه ذكرًا وفكرًا وعبادة وعلمًا بحيث لو خالطه الناس لضاعت أوقاته وكثرت آفاته ولتشوشت عليه عباداته. فهذه غوائل خفية في اختيار العزلة ينبغي أن تتقى فإنها مهلكات في صور منجيات.

الفائدة السابعة : التجارب.

فإنها تستفاد من المخالطة للخلق ومجاري أحوالهم. والعقل الغريزي ليس كافيًا في تفهم مصالح الدين والدنيا. وإنما تفيدها التجربة والممارسة، ولا خير في عزلة من لم تحنكه التجارب؛ فالصبي إذا اعتزل بقي غمرًا جاهلًا بل ينبغي أن يشتغل بالتعلم، ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج إليه من التجارب ويكفيه ذلك، ويحصل بقية التجارب بسماع الأحوال ولا يحتاج إلى المخالطة. ومن أهم التجارب أن يجرب نفسه وأخلاقه وصفات باطنه وذلك لا يقدر عليه في الخلوة، فإن كل مجرب في الخلاء يسر، وكل غضوب أو حقود أو حسود إذا خلا بنفسه لم يترشح منه خبثه، وهذه الصفات مهلكات في أنفسها يجب إماطتها وقهرها ولا يكفي تسكينها بالتباعد عما يحركها. فمثال القلب المشحون بهذه الخبائث مثال دمل ممتلىء بالصديد والمدة وقد لا يحس صاحبه بألمه ما لم يتحرك أو يمسه غيره، فإن لم يكن له يد تمسه أو عين تبصر صورته ولم يكن من يحركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل في نفسه واعتقد فقده، ولكن لو حركه محرك أو أصابه مشرط حجام لانفجر منه الصديد وفار فوران الشيء المختنق إذا حبس عن الاسترسال، فكذلك القلب المشحون بالحقد والبخل والحسد والغضب وسائر الأخلاق الذميمة إنما تتفجر منه خبائثه إذا حرك. وعن هذا كان السالكون لطريق الآخرة الطالبون لتزكية القلوب يجربون أنفسهم. فمن كان يستشعر في نفسه كبرًا سعى في إماطته حتى كان بعضهم يحمل قربة ماء على ظهره بين الناس أو حزمة حطب على رأسه ويتردد في الأسواق ليجرب نفسه بذلك فإن غوائل النفس ومكائد الشيطان خفية قل من يتفطن لها، ولذلك حكي عن بعضهم أنه قال: أعدت صلاة ثلاثين سنة مع أني كنت أصليها في الصف الأول، ولكن تخلفت يومًا بعذر فما وجدت موضعًا في الصف الأول فوقفت في الصف الثاني فوجدت نفسي تستشعر خجلة من نظر الناس إلي وقد سبقت إلى الصف الأوّل، فعلمت أن جميع صلواتي التي كنت أصليها كانت مشوبة بالرياء ممزوجة بلذة نظر الناس إليّ ورؤيتهم إياي في زمرة السابقين إلى الخير. فالمخالطة لها فائدة ظاهرة عظيمة في استخراج الخبائث وإظهارها. ولذلك قيل: السفر يسفر عن الأخلاق فإنه نوع من المخالطة الدائمة. وستأتي غوائل هذه المعاني ودقائقها في ربع المهلكات، فإن بالجهل بها يحبط العمل الكثير وبالعلم بها يزكو العمل القليل، ولولا ذلك ما فضل العلم على العمل، إذ يستحيل أن يكون العلم بالصلاة ولا يراد للصلاة إلا أفضل من الصلاة، فإنا نعلم أن ما يراد لغيره فإن ذلك

الغير أشرف منه، وقد قضى الشرع بتفضيل العالم على العابد حتى قال ﷺ: «فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِي»(١) ، فمعنى تفضيل العلم يرجع إلى ثلاثة أوجه:

أحدها: ما ذكرناه.

والثاني: عموم النفع لتعدي فائدته والعمل لا تتعدى فائدته.

والثالث: أن يراد به العلم بالله وصفاته وأفعاله فذلك أفضل من كل عمل، بل مقصود الأعمال صرف القلوب عن الخلق إلى الخالق لتنبعث بعد الانصراف إليه لمعرفته ومحبته، فالعمل وعلم العمل مرادان لهذا العلم، وهذا العلم غاية المريدين والعمل كالشرط له، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] فالكلم الطيب هو هذا العلم، والعمل كالحمال الرافع له إلى مقصده فيكون المرفوع أفضل من الرافع. وهذا كلام معترض لا يليق بهذا الكلام. فلنرجع إلى المقصود فنقول: إذا عرفت فوائد العزلة وغوائلها تحققت أن الحكم عليها مطلقًا بالتفضيل نفيًا وإثباتًا خطأ، بل ينبغي أن ينظر إلى الشخص وحاله, وإلى الخليط وحاله, وإلى الباعث على مخالطته, وإلى الفائت بسبب مخالطته من هذه الفوائد المذكورة, ويقاس الفائت بالحاصل, فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الأفضل, وكلام الشافعي رحمه الله هو فصل الخطاب إذ قال: يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط. فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة، ويختلف ذلك بالأحوال. وبملاحظة الفوائد والآفات يتبين الأفضل. هذا هو الحق الصراح وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر. وإنما هو إخبار كل واحد عن حالة خاصة هو فيها، ولا يجوز أن يحكم بها على غيره المخالف له في الحال. والفرق بين العالم والصوفي في ظاهر العلم يرجع إلى هذا وهو أن الصوفي لا يتكلم إلا عن حاله فلا جرم تختلف أجوبتهم في المسائل، والعالم هو الذي يدرك الحق على ما هو عليه ولا ينظر إلى حال نفسه فيكشف الحق فيه، وذلك مما لا يختلف فيه فإن الحق واحد أبدًا، والقاصر عن الحق كثير لا يحصى. ولذلك سئل الصوفية عن الفقر فما من واحد إلا وأجاب بجواب غير جواب الآخر، وكل ذلك حق بالإضافة إلى حاله وليس بحق في نفسه إذ الحق لا يكون إلا واحدًا. ولذلك قال أبو عبد الله الجلاء ـ وقد سئل عن الفقر ـ فقال: اضرب بكميك الحائط وقل ربي الله فهو الفقر. وقال الجنيد: الفقير هو الذي لا يسأل أحدًا ولا يعارض وإن عورض سكت. وقال سهل بن عبد الله: الفقير الذي لا يسأل ولا يدخر. وقال آخر: هو أن لا يكون لك فإن كان لك فلا يكون لك من حيث لم يكن لك. وقال إبراهيم الخواص: هو ترك

---

(١) حسن: حديث «فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي». تقدم في العلم، [الترمذي: ٢٦٨٥، انظر صحيح الترغيب: ٨١].

الشكوى وإظهار أثر البلوى. والمقصود أنه لو سئل منهم مائة لسمع منهم مائة جواب مختلفة قلما يتفق منها اثنان، وذلك كله حق من وجه فإنه خبر كل واحد عن حاله وما غلب على قلبه. ولذلك لا نرى اثنين منهم يثبت أحدهما لصاحبه قدمًا في التصوف أو يثني عليه، بل كل واحد منهم يدعي أنه الواصل إلى الحق والواقف عليه؛ لأن أكثر ترددهم على مقتضى الأحوال التي تعرض لقلوبهم فلا يشتغلون إلا بأنفسهم ولا يلتفتون إلى غيرهم. ونور العلم إذا أشرق أحاط بالكل وكشف الغطاء ورفع الاختلاف.

ومثال نظر هؤلاء ما رأيت من نظر قوم في أدلة الزوال ـ بالنظر في الظل ـ فقال بعضهم: هو في الصيف قدمان، وحكي عن آخر أنه نصف قدم، وآخر يرد عليه وأنه في الشتاء سبعة أقدام، وحكي عن آخر أنه خمسة أقدام، وآخر يرد عليه؛ فهذا يشبه أجوبة الصوفية واختلافهم، فإن كل واحد من هؤلاء أخبر عن الظل الذي رآه ببلد نفسه، فصدق في قوله وأخطأ في تخطئته صاحبه إذ ظن أن العالم كله بلده أو هو مثل بلده، كما أن الصوفي لا يحكم على العالم إلا بما هو حال نفسه، والعالم بالزوال هو الذي يعرف علة طول الظل وقصره وعلة اختلافه بالبلاد فيخبر بأحكام مختلفة في بلاد مختلفة ويقول في بعضها لا يبقى ظل، وفي بعضها يطول، وفي بعضها يقصر.

فهذا ما أردنا أن نذكره من فضيلة العزلة والمخالطة.

فإن قلت: فمن آثر العزلة ورآها أفضل له وأسلم فما آدابه في العزلة؟ فنقول: إنما يطول النظر في آداب المخالطة وقد ذكرناها في كتاب آداب الصحبة. وأما آداب العزلة فلا تطول فينبغي للمعتزل أن ينوي بعزلته كف شر نفسه عن الناس أوّلًا، ثم طلب السلامة من شر الأشرار ثانيًا، ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثًا، ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله رابعًا؛ فهذه آداب نيته. ثم ليكن في خلوته مواظبًا على العلم والعمل والذكر والفكر ليجتني ثمرة العزلة وليمنع الناس عن أن يكثروا غشيانه وزيارته فيشوش أكثر وقته. وليكف عن السؤال عن أخبارهم وعن الإصغاء إلى أراجيف البلد وما الناس مشغولون به، فإن كل ذلك ينغرس في القلب حتى ينبعث في أثناء الصلاة أو الفكر من حيث لا يحتسب، فوقوع الأخبار في السمع كوقوع البذر في الأرض فلا بد أن ينبت وتتفرع عروقه وأغصانه ويتداعى بعضها إلى بعض. وأحد مهمات المعتزل قطع الوساوس الصارفة عن ذكر الله. والأخبار ينابيع الوساوس وأصولها. وليقنع باليسير من المعيشة وإلا اضطره التوسع إلى الناس واحتاج إلى مخالطتهم. وليكن صبورًا على ما يلقاه من أذى الجيران وليسد سمعه عن الإصغاء إلى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة أو قدح فيه بترك الخلطة، فإن كل ذلك يؤثر في القلب ولو مدة يسيرة، وحال اشتغال القلب به لا بد أن يكون واقفًا عن سيره إلى طريق الآخرة، فإن السير إما بالواظبة على ورد وذكر مع حضور قلب، وإما بالفكر في جلال الله وصفاته وأفعاله وملكوت سمواته

وأرضه، وإما بالتأمل في دقائق الأعمال ومفسدات القلوب وطلب التحصن منها. وكل ذلك يستدعي الفراغ والإصغاء إلى جميع ذلك مما يشوّش القلب في الحال.

وقد يتجدد ذكره في دوام الذكر من حيث لا ينتظر. وليكن له أهل صالحة أو جليس صالح لتستريح نفسه إليه في اليوم ساعة من كد المواظبة ففيه عون على بقية الساعات. ولا يتم له الصبر في العزلة إلا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهمكون فيه، ولا ينقطع طمعه إلا بقصر الأمل بأن لا يقدّر لنفسه عمرًا طويلًا، بل يصبح على أنه لا يمسي ويمسي على أنه لا يصبح، فيسهل عليه صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو قدر تراخي الأجل. وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة. وليتحقق أن من لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت. وأن من أنس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت أنسه إذ لا يهدم الموت محل الأنس والمعرفة، بل يبقى حيًا بمعرفته وأنسه فرحًا بفضل الله عليه ورحمته، كما قال الله تعالى في الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠] وكل متجرّد لله في جهاد نفسه فهو شهيد مهما أدركه الموت مقبلًا غير مدبر «فالمجاهد من جاهد نفسه وهواه»[1]، كما صرح به رسول الله ﷺ. والجهاد الأكبر جهاد النفس، كما قال بعض الصحابة رضي الله عنهم: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، يعنون جهاد النفس.

تم كتاب العزلة، ويتلوه: كتاب آداب السفر، والحمد لله وحده

---

(١) صحيح: حديث «المجاهد من جاهد نفسه وهواه». أخرجه الحاكم من حديث فضالة بن عبيد وصححه دون قوله «وهواه» وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة، [الترمذي: ١٦٢، انظر صحيح الترغيب: ١٢١٨].

كتاب آداب السفر

وهو الكتاب السابع من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فتح بصائر أوليائه بالحكم والعبر، واستخلص همهم لمشاهدة عجائب صنعه في الحضر والسفر، فأصبحوا راضين بمجاري القدر منزهين قلوبهم عن التلفت إلى متنزهات البصر إلا على سبيل الاعتبار بما يسبح في مسارح النظر ومجاري الفكر، فاستوى عندهم البر والبحر والسهل والوعر والبدو والحضر. والصلاة على محمد سيد البشر وعلى آله وعلى صحبه المقتفين لآثاره في الأخلاق والسير وسلم كثيرًا.

أما بعد: فإن السفر وسيلة إلى الخلاص عن مهروب عنه أو الوصول إلى مطلوب ومرغوب فيه. والسفر سفران: سفر بظاهر البدن عن المستقرّ والوطن إلى الصحارى والفلوات، وسفر بسير القلب عن أسفل السافلين إلى ملكوت السموات. وأشرف السفرين السفر الباطن. فإنّ الواقف على الحالة التي نشأ عليها عقيب الولادة، الجامد على ما تلقفه بالتقليد من الآباء والأجداد، لازم درجة القصور وقانع بمرتبة النقص ومستبدل بمتسع فضاء: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران :١٣٣] ظلمة السجن وضيق الحبس، ولقد صدق القائل:

ولـم أرَ فـي عـيـوبِ الـنـاس عيبًا كنقصِ القادرين على التمامِ

إلا أن هذا السفر لما كان مقتحمه في خطب خطير لم يستغن فيه عن دليل وخفير، فاقتضى غموض السبيل وفقد الخفير والدليل وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب النازل القليل، اندرس مسالكه. فانقطع فيه الرفاق وخلا عن الطائفين متنزهات الأنفس والملكوت والآفاق. وإليه دعا الله سبحانه بقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت :٥٣] وبقوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات :٢٠-٢١] وعَلَى القعود عن هذا السفر وقع الإنكار بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝١٣٧ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات :١٣٧-١٣٨] وبقوله سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف :١٠٥] فمن يسر له هذا السفر لم يزل في سيره متنزهًا في جنة عرضها السموات والأرض وهو ساكن بالبدن مستقرّ في الوطن. وهو السفر الذي لا تضيق فيه المناهل والموارد ولا يضر فيه التزاحم والتوارد، بل تزيد بكثرة المسافرين غنائمه وتتضاعف ثمراته وفوائده؛ فغنائمه دائمة غير ممنوعة وثمراته متزايدة غير مقطوعة إلا إذا بدا للمسافر فترة في سفره ووقفة في حركته، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وإذا زاغوا أزاغ الله قلوبهم وما الله بظلام للعبيد، ولكنهم يظلمون أنفسهم ومن لم يؤهّل للجولان

في هذا الميدان والتطواف في متنزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر بدنه في مدّة مديدة فراسخ معدودة مغتنمًا بها تجارة للدنيا أو ذخيرة للآخرة، فإن كان مطلبه العلم والدين أو الكفاية للاستعانة على الدين كان من سالكي سبيل الآخرة، وكان له في سفره شروط وآداب إن أهملها كان من عمال الدنيا وأتباع الشيطان، وإن واظب عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بعمال الآخرة، ونحن نذكر آدابه وشروطه في بابين إن شاء الله تعالى.

الباب الأول: في الآداب من أوّل النهوض إلى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان.

الباب الثاني: فيما لابد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات.

الباب الأوّل في الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع: وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان: الفصل الأوّل في فوائد السفر وفضله ونيته

اعلم أن السفر نوع حركة ومخالطة، وفيه فوائد وله آفات ـ كما ذكرناه في كتاب الصحبة والعزلة.

والفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب أو طلب. فإن المسافر إما أن يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر إليه، وإما أن يكون له مقصد ومطلب.

والمهروب عنه إما أمر له نكاية في الأمور الدنيوية. كالطاعون والوباء إذا ظهر ببلد أو خوف سببه فتنة أو خصومة أو غلاء سعر. وهو إما عام كما ذكرناه أو خاص كمن يقصد بأذية في بلدة فيهرب منها. وإما أمر له نكاية في الدين كمن ابتلي في بلده بجاه ومال واتساع أسباب تصدّه عن التجرّد لله، فيؤثر الغربة والخمول ويجتنب السعة والجاه، أو كمن يدعى إلى بدعة قهرًا أو إلى ولاية عمل لا تحل مباشرته فيطلب الفرار منه.

وأما المطلوب فهو إما دنيوي كالمال والجاه أو ديني، والديني إما علم وإما عمل.

والعلم إما علم من العلوم الدينية وإما علم بأخلاق نفسه وصفاته على سبيل التجربة؛ وإما علم بآيات الأرض وعجائبها كسفر ذي القرنين وطوافه في نواحي الأرض.

والعمل إما عبادة وإما زيارة، والعبادة هو الحج والعمرة والجهاد. والزيارة أيضًا من القربات وقد يقصد بها مكان كمكة والمدينة وبيت المقدس. والثغور فإنّ الرباط بها قربة. وقد يقصد بها الأولياء والعلماء وهم إما موتى فتزار قبورهم، وإما أحياء فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر إلى أحوالهم قوّة الرغبة في الاقتداء بهم.

فهذه هي أقسام الأسفار ويخرج من هذه القسمة أقسام:

القسم الأول: السفر في طلب العلم، وهو إما واجب وإما نفل وذلك بحسب كون العلم واجبًا أو نفلًا. وذلك العلم إما علم بأمور دينه أو بأخلاقه في نفسه أو بآيات الله في أرضه. وقد

قال عليه السلام: «مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي طَلَبِ العِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله حَتَّى يَرْجِعْ»(١)، وفي خبر آخر: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ الله لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ»(٢)، وكان سعيد بن المسيب يسافر الأيام في طلب الحديث الواحد. وقال الشعبي: لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن في كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى ما كان سفره ضائعًا.

ورحل جابر بن عبد الله من المدينة إلى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرًا في حديث بلغهم عن عبد الله بن أنيس الأنصاري يحدّث به عن رسول الله ﷺ حتى سمعوه(٣)، وكل مذكور في العلم محصل له ـ من زمان الصحابة إلى زماننا هذا ـ لم يحصل العلم إلا بالسفر وسافر لأجله، وأما علمه بنفسه وأخلاقه فذلك أيضًا مهم فإنّ طريق الآخرة لا يمكن سلوكها إلا بتحسين الخلق وتهذيبه: ومن لا يطلع على أسرار باطنه وخبائث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها. وإنما السفر هو الذي يسفر عن أخلاق الرجال وبه يخرج الله الخبء في السموات والأرض، وإنما سمي السفر سفرًا لأنه يسفر عن الأخلاق: ولذلك قال عمر رضي الله عنه للذي زكى عنده بعض الشهود: هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم أخلاقه؟ فقال: لا، فقال: ما أراك تعرفه. وكان بشر يقول: يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فإن الماء إذا ساح طاب، وإذا طال مقامه في موضع تغير. وبالجملة فإن النفس في الوطن مع مواتاة الأسباب لا تظهر خبائث أخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المألوفات المعهودة، فإذا حملت وعثاء السفر وصرفت عن مألوفاتها المعتادة وامتحنت بمشاق الغربة انكشفت غوائلها ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بعلاجها. وقد ذكرنا في كتاب العزلة فوائد المخالطة، والسفر مخالطة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق.

وأما آيات الله في أرضه ففي مشاهدتها فوائد للمستبصر، ففيها قطع متجاورات وفيها الجبال والبراري والبحار وأنواع الحيوان والنبات. وما من شيء منها إلا وهو شاهد لله بالوحدانية ومسبح له بلسان ذلق لا يدركه إلا من ألقى السمع وهو شهيد. وأما الجاحدون

---

*٢*كتاب آداب السفر، الباب الأول: في الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع

(١) حسن: حديث «من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع». أخرجه الترمذي من حديث أنس وقال حسن غريب، [الترمذي: ٢٦٤٧، انظر صحيح الترغيب: ٨٨].

(٢) صحيح: حديث «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة». رواه مسلم وتقدم في العلم، [مسلم: ٢٦٩٩].

(٣)حديث «رحل جابر بن عبد الله من المدينة إلى مسيرة شهر في حديث بلغه عن عبد الله بن أنيس»، [البخاري معلقًا عقب حديث: ٧٧، أحمد: ١٥٦١٢]. أخرجه الخطيب في كتاب الرحلة بإسناد حسن ولم يسم الصحابي وقال البخاري في صحيحيه: رحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد ورواه أحمد إلا أنه قال إلى الشام وإسناده حسن، ولأحمد أن أبا أيوب ركب إلى عقبة بن عامر إلى مصر في حديث، [أحمد: ١٧٠٠١]، وله أن عقبة بن عامر أتى سلمة بن مخلد وهو أمير مصر في حديث آخر وكلاهما منقطع، [أحمد: ١٦٥١٢].

والغافلون والمغترون بلامع السراب من زهرة الدنيا فإنهم لا يبصرون ولا يسمعون لأنهم عن السمع معزولون وعن آيات ربهم محجوبون ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾[الروم: ٧] وما أريد بالسمع السمع الظاهر ـ فإن الذين أريدوا به ما كانوا معزولين عنه ـ وإنما أريد به السمع الباطن ولا يدرك بالسمع الظاهر إلا الأصوات. ويشارك الإنسان فيه سائر الحيوانات. فأما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال الذي هو نطق وراء نطق المقال يشبه قول القائل ـ حكاية لكلام الوتد والحائط ـ قال الجدار للوتد: لم تشقني؟ فقال: سل من يدقني، ولم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي. وما من ذرة في السموات والأرض إلا ولها أنواع شاهدات لله تعالى بالوحدانية هي توحيدها، وأنواع شاهدات لصانعها بالتقدّس هي تسبيحها، ولكن لا يفقهون تسبيحها لأنهم لم يسافروا من مضيق سمع الظاهر إلى فضاء سمع الباطن ومن ركاكة لسان المقال إلى فصاحة لسان الحال ـ ولو قدر كل عاجز على مثل هذا السير لما كان سليمان عليه السلام مختصًا بفهم منطق الطير، ولما كان موسى عليه السلام مختصًا بسماع كلام الله تعالى الذي يجب تقديسه عن مشابهة الحروف والأصوات. ومن يسافر ليستقرىء هذه الشهادات من الأسطر المكتوبة بالخطوط الإلهية على صفحات الجمادات لم يطل سفره بالبدن، بل يستقرّ في موضع ويفرغ قلبه للتمتع بسماع نغمات التسبيحات من آحاد الذرّات، فما له وللتردد في الفلوات وله غنية في ملكوت السموات؟ فالشمس والقمر والنجوم بأمره مسخرات. وهي إلى أبصار ذوي البصائر مسافرات في الشهر والسنة مرات، بل هي دائبة في الحركة على توالي الأوقات. فمن الغرائب أن يدأب في الطواف بآحاد المساجد من أمرت الكعبة أن تطوف به، ومن الغرائب أن يطوف في أكناف الأرض من يطوف به أقطار السماء. ثم ما دام المسافر مفتقرًا إلى أن يبصر عالم الملك والشهادة بالبصر الظاهر فهو بعد في المنزل الأوّل من منازل السائرين إلى الله والمسافرين إلى حضرته، وكأنه معتكف على باب الوطن لم يفض به المسير إلى متسع الفضاء، ولا سبب لطول المقام في هذا المنزل إلا الجبن والقصور. ولذلك قال بعض أرباب القلوب: إنّ الناس ليقولون افتحوا أعينكم حتى تبصروا، وأنا أقول: غمضوا أعينكم حتى تبصروا، وكل واحد من القولين حق إلا أنّ الأول خبر عن المنزل الأوّل القريب من الوطن، والثاني خبر عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التي لا يطؤها إلا مخاطر بنفسه؛ والمجاوز إليها ربما يتيه فيها سنين وربما يأخذ التوفيق بيده فيرشده إلى سواء السبيل، والهالكون في التيه هم الأكثرون من ركاب هذه الطريق ولكن السائحون بنور التوفيق فازوا بالنعيم والملك المقيم وهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى، واعتبر هذا الملك بملك الدنيا فإنه يقل بالإضافة إلى كثرة الخلق طلابه، ومهما عظم المطلوب قل المساعد. ثم الذي يهلك أكثر من الذي يملك. ولا يتصدّى لطلب الملك العاجز الجبان لعظيم الخطر وطول التعب:

وإذا كانتِ النفوسُ كبارًا تَعِبَتْ في مُرَادِها الأجسامُ

وما أودع الله العز والملك في الدين والدنيا إلا في حين الخطر. وقد يسمي الجبان الجبن والقصور باسم الحزم والحذر كما قيل:

يرى الجبناءُ أنّ الجبنَ حزمٌ وتـ ـلك خديعةُ الطبع اللئيمِ

فهذا حكم السفر الظاهر إذا أريد به السفر الباطن بمطالعة آيات الله في الأرض.

فلنرجع إلى الغرض الذي كنا نقصده ولنبين.

القسم الثاني: وهو أن يسافر لأجل العبادة إما لحج أو جهاد وقد ذكرنا فضل ذلك وآدابه وأعماله الظاهرة والباطنة في كتاب أسرار الحج، ويدخل في جملته زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام، وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء، وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته. ويجوز شدّ الرحال لهذا الغرض ولا يمنع من هذا قوله عليه السلام: «لاَ تَشُدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هذَا وَالمَسْجِدِ الحَرَامِ وَالمَسْجِدِ الأَقْصَى»(١)، لأن ذلك في المساجد، فإنها متماثلة بعد هذه المساجد، وإلا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء والأولياء والعلماء في أصل الفضل وإن كان يتفاوت في الدرجات تفاوتًا عظيمًا بحسب اختلاف درجاتهم عند الله.

وبالجملة، زيارة الأحياء أولى من زيارة الأموات. والفائدة من زيارة الأحياء طلب بركة الدعاء وبركة النظر إليهم فإن النظر إلى وجوه العلماء والصلحاء عبادة. وفيه أيضًا حركة للرغبة في الاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم وآدابهم؛ هذا سوى ما ينتظر من الفوائد العلمية المستفادة من أنفاسهم وأفعالهم كيف ومجرد زيارة الإخوان في الله فيه فضل؟ كما ذكرناه في كتاب الصحبة. وفي التوراة: سر أربعة أميال زر أخًا في الله.

وأما البقاع، فلا معنى لزيارتها سوى المساجد الثلاثة وسوى الثغور للرباط بها، فالحديث ظاهر في أنه لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع إلا إلى المساجد الثلاثة. وقد ذكرنا فضائل الحرمينَ في كتاب الحج.

وبيت المقدس أيضًا له فضل كبير. خرج ابن عمر من المدينة قاصدًا بين المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم كرَّ راجعًا من الغد إلى المدينة. وقد سأل سليمان عليه السلام ربه عز وجل: أن من قصد هذا المسجد لا يعنيه إلا الصلاة فيه؛ أن لا تصرف نظرك عنه ما دام مقيمًا فيه حتى يخرج منه؛ وأن تخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه فأعطاه الله ذلك.

القسم الثالث: أن يكون السفر للهرب من سبب مشوّش للدين. وذلك أيضًا حسن فالفرار

---

(١) صحيح: حديث «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى». تقدم في الحج، [البخاري: ١١٨٩، مسلم: ٨٢٧ عن أبي سعيد الخدري].

مما لا يطاق من سنن الأنبياء والمرسلين.

ومما يجب الهرب منه الولاية والجاه وكثرة العلائق والأسباب فإن كل ذلك يشوش فراغ القلب، والدين لا يتم إلا بقلب فارغ عن غير الله، فإن لم يتم فراغه فلا يتصور أن يشتغل بالدين. ولا يتصور فراغ القلب في الدنيا عن مهمات الدنيا والحاجات الضرورية، ولكن يتصوّر تخفيفها وتثقيلها وقد نجا المخفون وهلك المثقلون. والحمد لله الذي لم يعلق النجاة بالفراغ المطلق عن جميع الأوزار والأعباء، بل قبل المخف بفضله وشمله بسعة رحمته. والمخف هو الذي ليست الدنيا أكبر همه، وذلك لا يتيسر في الوطن لمن اتسع جاهه وكثرت علائقه، فلا يتم مقصوده إلا بالغربة والخمول وقطع العلائق التي لا بد عنها حتى يروض نفسه مدة مديدة. ثم ربما يمدّه الله بمعونته فينعم عليه بما يقوّي به يقينه ويطمئن به قلبه فيستوي عنده الحضر والسفر ويتقارب عنده وجود الأسباب والعلائق وعدمها فلا يصدّه شيء منها عما هو بصدده من ذكر الله، وذلك مما يعز وجوده جدًا، بل الغالب على القلوب الضعف والقصور عن الاتساع للخلق والخالق، وإنما يسعد بهذه القوّة الأنبياء والأولياء، والوصول إليها بالكسب شديد وإن كان للاجتهاد والكسب فيها مدخل أيضًا. ومثال تفاوت القوّة الباطنة فيه كتفاوت القوّة الظاهرة في الأعضاء، فرب رجل قوي ذي مرة سوى شديد الأعصاب محكم البنية يستقل بحمل ما وزنه ألف رطل مثلًا، فلو أراد الضعيف المريض أن ينال رتبته بممارسة الحمل والتدريج فيه قليلًا قليلًا لم يقدر عليه، ولكن الممارسة والجهد يزيد في قوّته زيادة ما وإن كان ذلك لا يبلغه درجته، فلا ينبغي أن يترك الجهد عند اليأس عن الرتبة العليا، فإن ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال. وقد كان من عادة السلف رضي الله عنهم مفارقة الوطن خيفة من الفتن. وقال سفيان الثوري: هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخامل فكيف على المشتهرين؟ هذا زمان رجل ينتقل من بلد إلى بلد كلما عرف في موضع تحول إلى غيره. وقال أبو نعيم: رأيت سفيان الثوري وقد علق قلّته بيده ووضع جرابه على ظهره فقلت: إلى أين يا أبا عبد الله؟ قال: بلغني عن قرية فيها رخص أريد أن أقيم بها، فقلت لهُ: وتفعل هذا؟ قال: نعم إذا بلغك أن قرية فيها رخص فأقم بها فإنه أسلم لدينك وأقلّ لهمك وهذا هرب من غلاء السعر. وكان سري السقطي يقول للصوفية: إذا خرج الشتاء فقد خرج آذار وأورقت الأشجار وطاب الانتشار فانتشروا. وقد كان الخوّاص لا يقيم ببلد أكثر من أربعين يومًا. وكان من المتوكلين ويرى الإقامة اعتمادًا على الأسباب قادحًا في التوكل. وسيأتي أسرار الاعتماد على الأسباب في كتاب التوكل إن شاء الله تعالى.

القسم الرابع: السفر هربًا مما يقدح في البدن كالطاعون، أو في المال كغلاء السعر أو ما يجري مجراه. ولا حرج في ذلك، بل ربما يجب الفرار في بعض المواضع، وربما يستحب في بعض بحسب وجوب ما يترتب عليه من الفوائد واستحبابه، ولكن يستثنى منه الطاعون فلا

ينبغي أن يفرّ منه لورود النهي فيه. قال أسامة بن زيد: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ هذَا الوَجَعَ - أو السقم - رِجْزٌ عُذِّبَ بِهِ بَعْضُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ، ثُمَّ بَقِيَ بَعْدُ فِي الأَرْضِ مِنْهُ»(١)، وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فَنَاءَ أُمَّتِي بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ» فقلت: هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون؟ قال: «غُدَّةٌ كَغُدَّةِ البَعِيرِ تَأْخُذُهُمْ فِي مَرَاقِهِمْ، المُسْلِمُ المَيِّتُ مِنْهُ شَهِيدٌ وَالمُقِيمُ عَلَيْهِ المُحْتَسِبُ كَالمُرَابِطِ فِي سَبِيلِ الله، وَالفَارُّ مِنْهُ كَالفَارِّ مِنَ الزَّحْفِ»(٢)، وعن مكحول عن أم أيمن قالت: أوصى رسول الله ﷺ بعض أصحابه: «لاَ تُشْرِكْ بِالله شَيْئًا وَإِنْ عُذِّبْتَ أَوْ حُرِقْتَ، وَأَطِعْ وَالِدَيْكَ وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ هُوَ لَكَ فَاخْرُجْ مِنْهُ. وَلاَ تَتْرُكِ الصَّلاَةَ عَمْدًا فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ الصَّلاَةَ عَمْدًا فَقَدْ بَرِئَتْ ذِمَّةُ الله مِنْهُ، وَإِيَّاكَ وَالخَمرَ فَإِنَّها مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ، وَإِيَّاكَ وَالمَعْصِيَةَ فَإِنَّها تُسْخِطُ الله، وَلاَ تَفِرَّ مِنَ الزَّحْفِ، وَإِنْ أَصَابَ النَّاسَ مَوَتَانٌ وَأَنْتَ فِيهِمْ فَاثْبُتْ فِيهِمْ، أَنْفِقْ مِنْ طَوْلِكَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ وَلاَ تَرْفَعْ عَصَاكَ عَنْهُمْ أَخِفْهُمْ بِالله»(٣)، فهذه الأحاديث تدل على أن الفرار من الطاعون منهي عنه وكذلك القدوم عليه. وسيأتي شرح ذلك في كتاب التوكل.

فهذه أقسام الأسفار، وقد خرج منه أن السفر ينقسم إلى مذموم وإلى محمود وإلى مباح. والمذموم ينقسم إلى حرام كإباق العبد وسفر العاق، وإلى مكروه كالخروج من بلد الطاعون. والمحمود ينقسم إلى واجب كالحج وطلب العلم الذي هو فريضة على كل مسلم، وإلى مندوب إليه كزيارة العلماء وزيارة مشاهدهم. ومن هذه الأسباب تتبين النية في السفر فإن معنى النية الانبعاث للسبب الباعث والانتهاض لإجابة الداعية. ولتكن نيته الآخرة في جميع أسفاره، وذلك ظاهر في الواجب والمندوب؛ ومحال في المكروه والمحظور.

وأما المباح فمرجعه إلى النية.

فمهما كان قصده بطلب المال مثلًا التعفف عن السؤال ورعاية ستر المروءة على الأهل

---

(١) صحيح: حديث أسامة بن زيد «إن هذا الوجع - أو السقم - رجز عذب به بعض الأمم قبلكم، ثم بقي بعد في الأرض منه». متفق عليه واللفظ لمسلم،[البخاري: ٣٤٧٣، مسلم: ٢٢١٨].

(٢) حسن: حديث عائشة «إن فناء أمتي بالطعن والطاعون فقلت: هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون؟ قال: غدة كغدة البعير تأخذهم في مراقهم، المسلم الميت منه شهيد والمقيم عليه المحتسب كالمرابط في سبيل الله، والفار منه كالفار من الزحف». رواه أحمد وابن عبد البر في التمهيد بإسناد جيد، [أحمد: ٢٥٦٥٠، انظر صحيح الترغيب: ١٤٠٨].

(٣) حسن: حديث أم أيمن: أوصى رسول الله ﷺ بعض أهله «لا تشرك بالله شيئا وإن عذبت أو حرقت، وأطع والديك وإن أمراك أن تخرج من كل شيء هو لك فاخرج منه، ولا تترك الصلاة عمداً فإن من ترك الصلاة عمداً فقد برئت ذمة الله منه وإياك والخمر فإنها مفتاح كل شر، وإياك والمعصية فإنها تسخط الله، ولا تفر من الزحف، وإن أصاب الناس مَوَتانٌ وأنت فيهم فاثبت فيهم، أنفق من طولك على أهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم، أخفهم بالله». أخرجه البيهقي وقال فيه إرسال، [البخاري في الأدب المفرد: ١٨].

والعيال والتصدق بما يفضل عن مبلغ صار هذا المباح بهذه النية من أعمال الآخرة، ولو خرج إلى الحج وباعثه الرياء والسمعة لخرج عن كونه من أعمال الآخرة لقوله ﷺ: «إِنَّما الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»[1]، فقوله ﷺ: «الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» عام في الواجبات والمندوبات والمباحات دون المحظورات، فإن النية لا تؤثر في إخراجها عن كونها من المحظورات، وقد قال بعض السلف: إن الله تعالى قد وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون إلى مقاصدهم فيعطي كل واحد على قدر نيته. فمن كانت نيته الدنيا أعطى منها ونقص من آخرته أضعافه؛ وفرق عليه همه وكثر بالحرص والرغبة شغله. ومن كانت نيته الآخرة أعطى من البصيرة والحكمة والفطنة وفتح له من التذكرة والعبرة بقدر نيته وجمع له همه ودعت له الملائكة واستغفرت له.

وأما النظر في أن السفر هو الأفضل أو الإقامة، فذلك يضاهي النظر في أن الأفضل هو العزلة أو المخالطة؟ وقد ذكر منهاجه في كتاب العزلة فليفهم هذا منه، فإن السفر نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة تفرق الهم وتشتت القلب في حق الأكثرين. والأفضل في هذا ما هو الأعون على الدين، ونهاية ثمرة الدين في الدنيا تحصيل معرفة الله تعالى وتحصيل الأنس بذكر الله تعالى، والأنس يحصل بدوام الذكر، والمعرفة تحصل بدوام الفكر. ومن لم يتعلم طريق الفكر والذكر لم يتمكن منهما. والسفر هو المعين على التعلم في الابتداء. والإقامة هي المعينة على العمل بالعلم في الانتهاء.

وأما السياحة في الأرض على الدوام فمن المشوشات للقلب إلا في حق الأقوياء، فإن المسافر وماله لعلى قلق إلا ما وقى الله، فلا يزال المسافر مشغول القلب تارة بالخوف على نفسه وماله، وتارة بمفارقة ما ألفه واعتاده في إقامته. وإن لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يخلو عن الطمع والاستشراف إلى الخلق، فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر، وتارة يقوى باستحكام أسباب الطمع. ثم الشغل بالحط والترحال مشوش لجميع الأحوال، فلا ينبغي أن يسافر المريد إلا في طلب علم أو مشاهدة شيخ يقتدي به في سيرته وتستفاد الرغبة في الخير من مشاهدته، فإن اشتغل بنفسه واستبصر وانفتح له طريق الفكر أو العمل فالسكون أولى به، إلا أن أكثر متصوفة هذه الأعصار ـ لما خلت بواطنهم عن لطائف الأفكار ودقائق الأعمال ولم يحصل لهم أنس بالله تعالى وبذكره في الخلوة وكانوا بطالين غير محترفين ولا مشغولين ـ قد ألفوا البطالة واستثقلوا العمل، واستوعروا طريق الكسب وأستلانوا جانب السؤال والكدية، واستطابوا الرباطات المبنية لهم في البلاد، واستسخروا الخدم المنتصبين للقيام بخدمة القوم واستخفوا عقولهم وأديانهم: من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة إلا الرياء والسمعة وانتشار

---

(١) صحيح: حديث «الأعمال بالنيات». متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم، [البخاري: ١، مسلم: ١٩٠٧].

الصيت واقتناص الأموال بطريق السؤال تعللًا بكثرة الأتباع، فلم يكن لهم في الخانقاهات حكم نافذ، ولا تأديب للمريدين نافع، ولا حجر عليهم قاهر، فلبسوا المرقعات واتخذوا في الخانقاهات متنزهات، وربما تلقفوا ألفاظًا مزخرفة من أهل الطامات، فينظرون إلى أنفسهم وقد تشبهوا بالقوم في خرقتهم وفي سياحتهم وفي لفظهم وعبارتهم وفي آداب ظاهرة من سيرتهم، فيظنون بأنفسهم خيرًا ويحسبون أنهم يحسنون صنعًا، ويعتقدون أن كل سوداء تمرة، ويتوهمون أنّ المشاركة في الظاهر توجب المساهمة في الحقائق وهيهات فما أغزر حماقة من لا يميز بين الشحم والورم؟ فهؤلاء بغضاء الله فإن الله تعالى يبغض الشاب الفارغ. ولم يحملهم على السياحة إلا الشباب والفراغ، إلا من سافر لحج أو عمرة في غير رياء ولا سمعة، أو سافر لمشاهدة شيخ يقتدي به في علمه وسيرته وقد خلت البلاد عنه الآن والأمور الدينية كلها قد فسدت وضعفت إلا التصوف فإنه قد انمحق بالكلية وبطل، لأنّ العلوم لم تندرس بعد، والعالم وإن كان عالم سوء فإنما فساده في سيرته لا في علمه، فيبقى عالمًا غير عامل بعلمه، والعمل غير العلم.

وأما التصوف فهو عبارة عن تجرد القلب لله تعالى واستحقار ما سوى الله. وحاصله يرجع إلى عمل القلب والجوارح. ومهما فسد العمل فات الأصل. وفي أسفار هؤلاء نظر للفقهاء من حيث إنه إتعاب للنفس بلا فائدة، وقد يقال إنّ ذلك ممنوع. ولكن الصواب عندنا أن نحكم بالإباحة فإنّ حظوظهم التفرج عن كرب البطالة بمشاهدة البلاد المختلفة، وهذه الحظوظ وإن كانت خسيسة فنفوس المتحركين لهذه الحظوظ أيضًا خسيسة، ولا بأس بإتعاب حيوان خسيس لحظ خسيس يليق به ويعود إليه، فهو المتأذي والمتلذذ. والفتوى تقتضي تشتيت العوام في المباحات التي لا نفع فيها ولا ضرر: فالسائحون في غير مهم في الدين والدنيا بل لمحض التفرج في البلاد كالبهائم المترددة في الصحارى فلا بأس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم ولم يلبسوا على الخلق حالهم، وإنما عصيانهم في التلبيس والسؤال على اسم التصوف والأكل من الأوقاف التي وقفت على الصوفية، لأنّ الصوفي عبارة عن رجل صالح عدل في دينه مع صفات أخر وراء الصلاح، ومن أقل صفات أحوال هؤلاء أكلهم أموال السلاطين، وأكل الحرام من الكبائر فلا تبقى معه العدالة والصلاح، ولو تصوّر صوفي فاسق لتصور صوفي كافر وفقيه يهودي. وكما أن الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفي عبارة عن عدل مخصوص لا يقتصر في دينه على القدر الذي يحصل به العدالة. وكذلك من نظر إلى ظواهرهم ولم يعرف بواطنهم وأعطاهم من ماله على سبيل التقرب إلى الله تعالى حرم عليهم الأخذ وكان ما أكلوه سحتًا، وأعني به إذا كان المعطي بحيث لو عرف بواطن أحوالهم ما أعطاهم: فأخذ المال بإظهار التصوف من غير اتصاف بحقيقته كأخذه بإظهار نسب رسول الله ﷺ على سبيل الدعوى، ومن زعم أنه علوي وهو كاذب وأعطاه مسلم مالًا لحبه

أهل البيت ولو علم أنه كاذب لم يعطه شيئًا فأخذه على ذلك حرام، وكذلك الصوفي. ولهذا احترز المحتاطون عن الأكل بالدين فإن المبالغ في الاحتياط لدينه لا ينفك في باطنه عن عورات لو انكشفت للراغب في مواساته لفترت رغبته عن المواساة. فلا جرم كانوا لا يشترون شيئًا بأنفسهم مخافة أن يسامحوا لأجل دينهم فيكونوا قد أكلوا بالدين. وكانوا يوكلون من يشتري لهم ويشترطون على الوكيل أن لا يظهر أنه لمن يشتري. نعم إنما يحل أخذ ما يعطى لأجل الدين إذا كان الآخذ بحيث لو علم المعطي من باطنه ما يعلمه الله تعالى لم يقتض ذلك فتورًا في رأيه فيه، والعاقل المنصف يعلم من نفسه أن ذلك ممتنع أو عزيز؛ والمغرور الجاهل بنفسه أحرى بأن يكون جاهلًا بأمر دينه، فإن أقرب الأشياء إلى قالبه قلبه فإذا التبس عليه أمر قلبه فكيف ينكشف له غيره؟ ومن عرف هذه الحقيقة لزمه لا محالة أن لا يأكل إلا من كسبه ليأمن من هذه الغائلة، أو لا يأكل إلا من مال من يعلم قطعًا أنه لو انكشف له عورات باطنه لم يمنعه ذلك عن مواساته. فإن اضطر طالب الحلال ومريد طريق الآخرة إلى أخذ مال غيره فليصرح له، وليقل إنك إن كنت تعطيني لما تعتقده فيَّ من الدين فلست مستحقًا لذلك، ولو كشف الله تعالى ستري لم ترني بعين التوقير، بل اعتقدت أني شر الخلق أو من شرارهم، فإن أعطاه مع ذلك فليأخذ، فإنه ربما يرضى منه هذه الخصلة وهو اعترافه على نفسه بركاكة الدين وعدم استحقاقه لما يأخذه. ولكن ههنا مكيدة للنفس بينة ومخادعة فليتفطن لها، وهو أنه قد يقول ذلك مظهرًا أنه متشبه بالصالحين في ذمهم نفوسهم واستحقارهم لها ونظرهم إليها بعين المقت والازدراء، فتكون صورة الكلام صورة القدح والازدراء وباطنه وروحه هو عين المدح والإطراء، فكم من ذام نفسه وهو لها مادح بعين ذمه، فذم النفس في الخلوة مع النفس هو المحمود. وأما الذم في الملأ فهو عين الرياء إلا إذا أورده إيرادًا يحصل للمستمع يقينًا بأنه مقترف للذنوب ومعترف بها. وذلك مما يمكن تفهيمه بقرائن الأحوال ويمكن تلبيسه بقرائن الأحوال. والصادق بينه وبين الله تعالى يعلم أن مخادعته لله عز وجل أو مخادعته لنفسه محال، فلا يتعذر عليه الاحتراز عن أمثال ذلك. فهذا هو القول في أقسام السفر ونية المسافر وفضيلته.

الفصل الثاني في آداب المسافر من أول نهوضه الى آخر رجوعه وهي أحد عشر آدابا

الأول: أن يبدأ برد المظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته، وبرد الودائع إن كانت عنده ولا يأخذ لزاده إلا الحلال الطيب، وليأخذ قدرًا يوسع به على رفقائه. قال ابن عمر رضي الله عنهما: من كرم الرجل طيب زاده في سفره. ولا بد في السفر من طيب الكلام وإطعام الطعام وإظهار مكارم الأخلاق في السفر، فإنه يخرج خبايا الباطن. ومن صلح لصحبة السفر صلح لصحبة الحضر، وقد يصلح في الحضر من لا يصلح في السفر. ولذلك قيل: إذا

أثنى على الرجل معاملوه في الحضر ورفقاؤه في السفر فلا تشكوا في صلاحه. والسفر من أسباب الضجر، ومن أحسن خلقه في الضجر فهو الحسن الخلق، وإلا فعند مساعدة الأمور على وفق الغرض قلما يظهر سوء الخلق.

وقد قيل: ثلاثة لا يلامون على الضجر: الصائم والمريض والمسافر، وتمام حسن خلق المسافر الإحسان إلى المكاري، ومعاونة الرفقة بكل ممكن، والرفق بكل منقطع بأن لا يجاوزه إلا بالإعانة بمركوب أو زاد أو توقف لأجله. وتمام ذلك مع الرفقاء بمزاح ومطايبة في بعض الأوقات من غير فحش ولا معصية ليكون ذلك شفاء لضجر السفر ومشاقه.

الثاني: أن يختار رفيقًا فلا يخرج وحده، فالرفيق ثم الطريق. وليكن رفيقه ممن يعينه على الدين فيذكره إذا نسي ويعينه ويساعده إذا ذكر، فإن المرء على دين خليله ولا يعرف الرجل إلا برفيقه. وقد نهى ﷺ عن أن يسافر الرجل وحده(١) وقال: «الثَّلاثَةُ نَفَرٌ»(٢) وقال أيضًا: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلاثَةً فِي السَّفَرِ فَأَمِّرُوا أَحَدَكُمْ»(٣)، وكانوا يفعلون ذلك ويقولون: هذا أميرنا أمره رسول الله ﷺ(٤). وليؤمروا أحسنهم أخلاقًا وأرفقهم بالأصحاب وأسرعهم إلى الإيثار وطلب الموافقة. وإنما يحتاج إلى الأمير لأن الآراء تختلف في تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر، ولا نظام إلا في الوحدة ولا فساد إلا في الكثرة. وإنما انتظم أمر العالم لأن مدبر الكل واحد ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] ومهما كان المدبر واحدًا انتظم أمر التدبير. وإذا كثر المدبرون فسدت الأمور في الحضر والسفر، إلا أن مواطن الإقامة لا تخلو عن أمير عام كأمير البلد. وأمير خاص كرب الدار. وأما السفر فلا يتعين له أمير إلا بالتأمير.

فلهذا وجب التأمير ليجتمع شتات الآراء. ثم على الأمير أن لا ينظر إلا لمصلحة القوم وأن يجعل نفسه وقاية لهم، كما نقل عن عبد الله المروزي أنه صحبه أبو علي الرباطي فقال: على أن تكون أنت الأمير أو أنا، فقال: بل أنت، فلم يزل يحمل الزاد لنفسه ولأبي علي على ظهره فأمطرت السماء ذات ليلة فقام عبد الله طول الليل على رأس رفيقه وفي يده كساء يمنع عنه

---

(١) صحيح: حديث «النهي عن أن يسافر الرجل وحده». أخرجه أحمد من حديث ابن عمر بسند صحيح، [أحمد: ٥٦١٨، انظر صحيح الجامع: ٦٩١٩]. وهو عند البخاري بلفظ «لو يعلم الناس ما في الوحدة ما سار راكب بليل وحده»، [البخاري: ٢٩٩٨].

(٢) حديث «الثلاثة نفر». رويناه من حديث علي في وصيته المشهورة وهو حديث موضوع والمعروف «الثلاثة ركب» رواه أبو داود والترمذي وحسنه النسائي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، [أبو داود: ٢٦٠٧، الترمذي: ١٦٧٤، انظر صحيح الترغيب: ٣١٠٩].

(٣) صحيح: حديث «إذا كنتم ثلاثة فأمروا أحدكم». أخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد حسن، [انظر السلسلة الصحيحة: ١٣٢٢].

(٤) صحيح موقوف: حديث «كانوا يفعلون ذلك ويقولون هو أميرنا أمره رسول الله ﷺ». أخرجه البزار والحاكم عن عمر أنه قال: إذا كنتم ثلاثة في سفر فأمروا عليكم أحدكم ذا أمير أمره رسول الله ﷺ. قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين، [انظر صحيح ابن خزيمة: ٢٥٤١].

المطر فكلما قال له عبد الله: لا تفعل، يقول، ألم تقل إن الإمارة مسلمة لي؟ فلا تتحكم عليَّ ولا ترجع عن قولك: حتى قال أبو علي: وددت أني مت ولم أقل له أنت الأمير، فهكذا ينبغي أن يكون الأمير. وقد قال ﷺ: «خَيْرُ الأَصْحَابِ أَرْبَعَةٌ»(١)، وتخصيص الأربعة من بين سائر الأعداد لا بد أن يكون له فائدة، والذي ينقدح فيه أن المسافر لا يخلو عن رجل يحتاج إلى حفظه وعن حاجة يحتاج إلى التردد فيها، ولو كانوا ثلاثة لكان المتردد في الحاجة واحدًا فيبقى في السفر بلا رفيق، فلا يخلو عن خطر وعن ضيق قلب لفقد أنس الرفيق، ولو تردد في الحاجة اثنان لكان الحافظ للرجل واحدًا، فلا يخلو أيضًا عن الخطر وعن ضيق الصدر. فإذن ما دون الأربعة لا يفي بالمقصود، وما فوق الأربعة يزيد فلا تجمعهم رابطة واحدة فلا ينعقد بينهم الترافق، لأن الخامس زيادة بعد الحاجة، ومن يستغني عنه لا تنصرف الهمة إليه فلا تتم المرافقة معه. نعم في كثرة الرفقاء فائدة للأمن من المخاوف ولكن الأربعة خير للرفاقة الخاصة لا للرفاقة العامة. وكم من رفيق في الطريق عند كثرة الرفاق لا يكلم ولا يخالط إلى آخر الطريق للاستغناء عنه.

الثالث: أن يودع رفقاء الحضر والأهل والأصدقاء: وليدع عند الوداع بدعاء رسول الله ﷺ. قال بعضهم: صحبت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من مكة إلى المدينة حرسها الله، فلما أردت أن أفارقه شيعني وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قَالَ لُقْمَانُ إِنَّ الله تَعَالَى إِذَا اسْتَوْدَعَ شَيْئًا حَفِظَهُ وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُ الله دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ»(٢)، وروى زيد بن أرقم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ سَفَرًا فَلْيُوَدِّعْ إِخْوَانَهُ فَإِنَّ الله تَعَالَى جَاعِلٌ لَهُ فِي دُعَائِهِمُ البَرَكَةَ»(٣)، وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه: أن رسول الله ﷺ كان إذا ودع رجلًا قال: «زَوَّدَكَ الله التَّقْوَى وَغَفَرَ ذَنْبَكَ وَوَجَّهَكَ إِلَى الخَيْرِ حَيْثُ تَوَجَّهْتَ»(٤)، فهذا دعاء المقيم للمودع. وقال موسى بن وردان: أتيت أبا هريرة رضي الله عنه أودعه لسفر أردته. فقال ألا أعلمك يا ابن أخي شيئًا علمنيه رسول الله ﷺ عند الوداع، فقلت بلى قال قل: «أَسْتَوْدِعُكَ

---

(١) ضعيف: حديث «خير الأصحاب أربعة». أخرجه أبو داود والترمذي والحاكم من حديث ابن عباس قال الترمذي حسن غريب وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين، [أبو داود: ٢٦١١، الترمذي: ١٥٥٥، انظر ضعيف الترغيب: ١٨١٤].

(٢) صحيح: حديث ابن عمر «قال لقمان إن الله إذا استودع شيئا حفظه وإني أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك». أخرجه النسائي في اليوم والليلة ورواه أبو داود مختصرا وإسناده جيد، [أبو داود: ٢٦٠٠ مختصرًا، انظر المشكاة: ٢٤٥٣].

(٣) موضوع: حديث زيد بن أرقم «إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه فإن الله جاعل له في دعائهم البركة». أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف، [انظر السلسلة الضعيفة: ١٦٢٣].

(٤) حسن صحيح: حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده «كان إذا ودع رجلا قال زودك الله التقوى». رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق والمحاملي في الدعاء وفيه ابن لهيعة، [الترمذي: ٣٤٤٤عن أنس، انظر صحيح الترمذي].

الله الَّذِي لاَ تَضِيعُ وَدَائِعُهُ» (١)، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنّ رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: إني أريد سفرًا فأوصني فقال له: «فِي حِفْظِ الله وَفِي كَنَفِهِ زَوَّدَكَ الله التَّقْوَى وَغَفَرَ ذَنْبَكَ وَوَجَّهَكَ لِلْخَيْرِ حَيْثُ كُنْتَ أَوْ أَيْنَما كُنْتَ» (٢)، شك فيه الراوي.

وينبغي إذا استودع الله تعالى ما يخلفه أن يستودع الجمع ولا يخصص. فقد روي أن عمر رضي الله عنه كان يعطي الناس عطاياهم إذ جاءه رجل معه ابن له فقال له عمر: ما رأيت أشبه بأحد من هذا بك؟ فقال له الرجل: أحدّثك عنه يا أمير المؤمنين بأمر، إني أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل به فقالت: تخرج وتدعني على هذه الحالة؟ فقلت: أستودع الله ما في بطنك، فخرجت ثم قدمت فإذا هي قد ماتت، فجلسنا نتحدّث فإذا نار على قبرها فقلت للقوم: ما هذه النار؟ فقالوا: هذه النار من قبر فلانة نراها كل ليلة، فقلت: والله إنها كانت لصوّامة قوّامة، فأخذت المعول حتى انتهينا إلى القبر فحفرنا فإذا سراج وإذا هذا الغلام يدب، فقيل لي إنّ هذه وديعتك ولو كنت استودعت أمه لوجدتها، فقال عمر رضي الله عنه: لهو أشبه بك من الغراب بالغراب.

الرابع: أن يصلي قبل سفره صلاة الاستخارة كما وصفناها في كتاب الصلاة. ووقت الخروج يصلي لأجل السفر، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رجلًا أتى النبي فقال: إني نذرت سفرًا وقد كتبت وصيتي فإلى أي الثلاثة أدفعها؟ إلى ابني أم أخي أم أبي؟ فقال النبي: «مَا اسْتَخْلَفَ عَبْدٌ فِي أَهْلِهِ مِنْ خَلِيفَةٍ أَحَبَّ إِلَى الله مِنْ أَرْبَعِ رَكَعاتٍ يُصَلِّيهِنَّ فِي بَيْتِهِ إِذَا شَدَّ عَلَيْهِ ثِيَابَ سَفَرِهِ، يَقْرَأُ فِيهِنَّ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ وَقُلْ هُوَ الله أَحَدٌ ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ بِهِنَّ إِلَيْكَ فَاخْلُفْنِي بِهِنَّ فِي أَهْلِي وَمَالِي فَهِيَ خَلِيفَتُهُ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَحِرْزٌ حَوْلَ دَارِهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ» (٣).

الخامس: إذا حصل على باب الدار فليقل: بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي،

---

(١) صحيح: حديث أبي هريرة «أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه». أخرجه ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة بإسناد حسن، [ابن ماجه: ٢٨٢٥، انظر صحيح الجامع: ٩٥٨].

(٢) حسن صحيح: حديث أنس «في حفظ الله وفي كنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث كنت أو أينما كنت». تقدم في الحج في الباب الثاني، [الترمذي: ٣٤٤٤ عن انس، انظر صحيح الترمذي].

(٣) ضعيف: حديث أنس «أن رجلا قال إني نذرت سفرا وقد كتبت وصيتي فإلى أي الثلاثة أدفعها؟ إلى ابني أم أخي أم أبي: فقال النبي ﷺ «ما استخلف عبد في أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصليهن في بيته إذا شد عليه ثياب سفره، يقرأ فيهن بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ثم يقول: اللهم إني أتقرب بهن إليك فاخلفني بهن في أهلي ومالي، فهي خليفته في أهله وماله وحرز حول داره حتى يرجع إلى أهله». أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق وفيه من لا يعرف، [ذكره الألباني في كتاب (حجة النبي)، وقال: قال العراقي: ضعيف].

فإذا مشى قال: اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت وإليك توجهت، اللهم أنت ثقتي وأنت رجائي فاكفني ما أهمني وما لا أهتم به وما أنت أعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير أينما توجهت. وليدع بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه، فإذا ركب الدابة فليقل: بسم الله وبالله والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون. فإذا استوت الدابة تحته فليقل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣] اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور.

السادس: أن يرحل عن المنزل بكرة. روى جابر: أن النبي ﷺ رحل يوم الخميس وهو يريد تبوك وقال: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِها»(١)، ويستحب أن يبتدىء بالخروج يوم الخميس، فقد روى عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال: قلما كان رسول الله ﷺ يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس(٢). وروى أنس: أنه ﷺ قال: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِها يَوْمَ السَّبْتِ»، وكان ﷺ إذا بعث سرية بعثها أوّل النهار(٣). وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِها يَوْمَ خَمِيسِها»(٤)، وقال عبد الله بن عباس: إذا كان لك إلى رجل حاجة فاطلبها منه نهارًا ولا تطلبها ليلًا واطلبها بكرة، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِها»(٥).

ولا ينبغي أن يسافر بعد طلوع الفجر من يوم الجمعة فيكون عاصيًا بترك الجمعة، واليوم منسوب إليها، فكان أوله من أسباب وجوبها. والتشييع للوداع مستحب وهو سنّة. قال ﷺ:

---

(١) صحيح: حديث جابر: أنه ﷺ رحل يوم الخميس يريد تبوك وقال: «اللهم بارك لأمتي في بكورها». رواه الخرائطي وفي السنن الأربعة من حديث صخر العامري «اللهم بارك لأمتي في بكورها» قال الترمذي حديث حسن، [أبو داود: ٢٦٠٦، الترمذي، ١٢١٢، انظر صحيح الجامع: ١٣٠٠].

(٢) صحيح: حديث كعب ابن مالك «قلما كان رسول الله ﷺ يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس والسبت». أخرجه البزار مقتصرا على يوم خميسها، [انظر السلسلة الصحيحة: ٢١٢٨] والخرئطي مقتصرا على يوم السبت[انظر البخاري: ١١٩٣]، وكلاهما ضعيف.

(٣) صحيح: حديث «كان إذا بعث سرية بعثها أول النهار». أخرجه الأربعة من حديث صخر العامري وحسنه الترمذي، [أبو داود: ٢٦٠٦، الترمذي: ١٢١٢، انظر صحيح الترغيب: ١٦٩٣].

(٤) ضعيف: حديث أبي هريرة «اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم خميسها». أخرجه ابن ماجه والخرئطي في مكارم الأخلاق واللفظ له وقال ابن ماجه «يوم الخميس» وكلا الإسنادين ضعيف، [ابن ماجه: ٢٢٣٧، انظر ضعيف الجامع: ١٢٠٦].

(٥) حديث ابن عباس «إذا كانت لك إلى رجل حاجة فاطلبها منه نهارا ولا تطلبها ليلا واطلبها بكرة، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم بارك لأمتي في بكورها». أخرجه البزار والطبراني في الكبير والخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له وإسناده ضعيف.

«لأَنْ أُشَيِّعَ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ الله فَأَكْتَنِفَهُ عَلَى رَحْلِهِ غَدْوَةً أَوْ رَوْحَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيا وَمَا فِيها»(١).

السابع: أن لا ينزل حتى يحمى النهار فهي السنَّة ويكون أكثر سيره بالليل. قال ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالدُّلْجَةِ فَإِنَّ الأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ مَا لاَ تُطْوَى بِالنَّهَارِ»(٢)، ومهما أشرف على المنزل فليقل: اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله، وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اصرف عني شر شرارهم. فإذا نزل المنزل فليصل فيه ركعتين ثم ليقل: اللهم إني أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق. فإذا جن عليه الليل فليقل: يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك ومن شر ما فيك وشر ما دب عليك، أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود وحية وعقرب ومن شر ساكني البلد ووالد وما ولد ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام:١٣] ومهما علا شرفًا من الأرض في وقت السير فينبغي أن يقول: اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال، ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة في سفره قال: سبحان الملك القدّوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت.

الثامن: أن يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردًا خارج القافلة ـ لأنه ربما يُغتال أو ينقطع ـ ويكون بالليل متحفظًا عند النوم. كان ﷺ إذا نام في ابتداء الليل في السفر افترش ذراعيه وإن نام في آخر الليل نصب ذراعيه نصبًا وجعل رأسه في كفه(٣). والغرض من ذلك أن لا يستثقل في النوم فتطلع الشمس وهو نائم لا يدري فيكون ما يفوته من الصلاة أفضل مما يطلبه بسفره.

والمستحب بالليل أن يتناوب الرفقاء في الحراسة فإذا نام واحد حرس آخر(٤) فهذه السنَّة. ومهما قصده عدوّ أو سبع في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي، وشهد الله، وسورة الإخلاص، والمعوّذتين. وليقل: بسم الله ما شاء الله لا قوّة إلا بالله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا يأتي بالخيرات إلا الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ

---

(١) ضعيف: حديث «لأن أشيع مجاهدا في سبيل الله فاكتنفه على رحلة غدوة أو روحة أحب إلي من الدنيا وما فيها». رواه ابن ماجه بسند ضعيف من حديث معاذ بن أنس، [ابن ماجه: ٢٨٢٤، انظر ضعيف الجامع: ٤٦٣٧].

(٢) صحيح لغيره: حديث «عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار». تقدم في الباب الثاني من الحج، [أبو داود: ٢٥٧١، انظر صحيح الترغيب: ٣١٢٢ عن أنس].

(٣) حديث «كان ﷺ إذا نام في ابتداء الليل في السفر افترش ذراعيه وإن نام في آخر الليل نصب ذراعيه نصبا وجعل رأسه في كفه». تقدم في الحج.

(٤) حديث تناوب الرفقاء في الحراسة. تقدم في الحج في الباب الثاني.

عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١] تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي القيوم الذي لا يموت، اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام، اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا تهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا. اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة إنك أنت أرحم الراحمين.

التاسع: أن يرفق بالدابة إن كان راكبًا فلا يحملها ما لا تطيق. ولا يضربها في وجهها فإنه منهي عنه، ولا ينام عليها فإنه يثقل بالنوم وتتأذى به الدابة، كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة. وقال ﷺ: «لاَ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ كَرَاسِيَّ»(١) ويستحب أن ينزل عن الدابة غدوة وعشية يروحها بذلك(٢) فهو سنَّة وفيه آثار عن السلف.

وكان بعض السلف يكتري بشرط أن لا ينزل ويوفي الأجرة. ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنًا إلى الدابة، فيوضع في ميزان حسناته لا في ميزان حسنات المكاري. ومن آذى بهيمة بضرب أو حمل ما لا تطيق طولب به يوم القيامة إذ في كل كبد حراء أجر. قال أبو الدرداء رضي الله عنه لبعير له عند الموت: أيها البعير لا تخاصمني إلى ربك فإني لم أكُ أحملك فوق طاقتك. وفي النزول ساعة صدقتان، إحداهما: ترويح الدابة، والثانية: إدخال السرور على قلب المكاري. وفيه فائدة أخرى وهي رياضة البدن وتحريك الرجلين. والحذر من خدر الأعضاء بطول الركوب.

وينبغي أن يقرّر مع المكاري ما يحمله عليها شيئًا شيئًا ويعرضه عليه، ويستأجر الدابة بعقد صحيح لئلا يثور بينهما نزاع يؤذي القلب ويحمل على الزيادة في الكلام، فما يلفظ العبد من قول إلا لديه رقيب عتيد. فليحترز عن كثرة الكلام واللجاج مع المكاري، فلا ينبغي أن يحمل فوق المشروط شيئًا وإن خف. فإن القليل يجر الكثير ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه. قال رجل لابن المبارك وهو على دابة: احمل لي هذه الرقعة إلى فلان، فقال: حتى استأذن المكاري فإني لم أشارطه على هذه الرقعة. فانظر كيف لم يلتفت إلى قول الفقهاء إن هذا مما يتسامح فيه، ولكن سلك طريق الورع؟.

العاشر: ينبغي أن يستصحب ستة أشياء. قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا سافر حمل معه خمسة أشياء: «المَرْآةُ وَالمُكْحَلَةُ وَالمِقْرَاضُ وَالسِّوَاكُ وَالمُشْطُ»(٣)،

---

(١) صحيح: حديث «لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي». تقدم في الباب الثالث من الحج، [انظر السلسلة الصحيحة: ٢١].

(٢) حديث «النزول عن الدابة غدوة وعشية». تقدم فيه.

(٣) ضعيف: حديث عائشة «كان إذا سافر حمل معه خمسة أشياء: المرآة والمكحلة والمدرى والسواك والمشط» وفي رواية ستة أشياء.

أخرجه الطبراني في الأوسط والبيهقي في سننه والخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له وطرقه كلها ضعيفة، [انظر ضعيف الجامع: ٤٥٠١].

وفي رواية أخرى عنها، ستة أشياء: المرآة والقارورة والمقراض والسواك والمكحلة والمشط. وقالت أم سعد الأنصارية: كان رسول الله ﷺ لا يفارقه في السفر المرآة والمكحلة(١)، وقال صهيب قال رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالإِثْمِدِ عِنْدَ مَضْجَعِكُمْ فَإِنَّهُ مِمَّا يَزِيدُ فِي البَصَرِ وَيُنْبِتُ الشَّعَرَ»(٢)، وروي أنه كان ﷺ يكتحل ثلاثًا ثلاثًا، وفي رواية: إنه اكتحل لليمنى ثلاثًا ولليسرى اثنتين(٣)، وقد زاد الصوفية الركوة والحبل. وقال بعض الصوفية: إذا لم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل على نقصان دينه.

وإنما زادوا هذا لما رأوه من الاحتياط في طهارة الماء وغسل الثياب، فالركوة لحفظ الماء الطاهر، والحبل لتجفيف الثوب المغسول ولنزع الماء من الآبار. وكان الأوّلون يكتفون بالتيمم ويغنون أنفسهم عن نقل الماء. ولا يبالون بالوضوء من الغدران ومن المياه كلها ما لم يتيقنوا نجاستها حتى توضأ عمر رضي الله عنه من ماء في جرة نصرانية. وكانوا يكتفون بالأرض والجبال عن الحبل فيفرشون الثياب المغسولة عليها. فهذه بدعة إلا أنها بدعة حسنة، وإنما البدعة المذمومة ما تضاد السنن الثابتة، وأما ما يعين على الاحتياط في الدين فمستحسن.

وقد ذكرنا أحكام المبالغة في الطهارات في كتاب الطهارة. وأن المتجرد لأمر الدين لا ينبغي أن يؤثر طريق الرخصة بل يحتاط في الطهارة ما لم يمنعه ذلك عن عمل أفضل منه.

وقيل: كان الخواص من المتوكلين وكان لا يفارقه أربعة أشياء في السفر والحضر: الركوة والحبل والإبرة بخيوطها والمقراض، وكان يقول: هذه ليست من الدنيا.

الحادي عشر: في آداب الرجوع من السفر، كان النبي ﷺ إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة أو غيره يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ الله وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ»(٤)، وإذا أشرف على مدينته

---

(١) حديث أم سعد الأنصارية «كان لا يفارقه في السفر المرآة والمكحلة». رواه الخرائطي وإسناده ضعيف.

(٢) صحيح: حديث صهيب «عليكم بالإثمد عند مضجعكم فإنه مما يزيد البصر وينبت الشعر». أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف وهو عند الترمذي وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث ابن عباس وصححه ابن عبد البر وقال الخطابي صحيح الإسناد، [الترمذي: ١٧٥٧، انظر صحيح الترغيب: ٢١٠٤].

(٣) صحيح: حديث «كان يكتحل لليمنى ثلاثا ولليسرى اثنتين». أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر بسند لين، [انظر السلسلة الصحيحة: ٦٣٣].

(٤) صحيح: حديث «كان النبي ﷺ إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة أو غيره يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده». الحديث تقدم في الحج، [أبو داود: ٢٧٧٠، انظر صحيح الجامع: ٤٧٦٩].

فليقل: اللهم اجعل لنا بها قرارًا ورزقًا حسنًا. ثم ليرسل إلى أهله من يبشرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فيرى ما يكرهه، ولا ينبغي له أن يطرقهم ليلًا[١] ، فقد ورد النهي عنه، وكان ﷺ إذا قدم دخل المسجد أوّلًا وصلى ركعتين ثم دخل البيت[٢] ، وإذا دخل قال: «تَوْبًا تَوْبًا لِرَبِّنَا أَوْبًا أَوْبًا لاَ يُغَادِرُ عَلَيْنَا حَوْبًا»[٣] .

وينبغي أن يحمل لأهل بيته وأقاربه تحفة من مطعوم أو غيره على قدر إمكانه فهو سنّة. فقد روي: أنه إن لم يجد شيئًا فليضع في مخلاته حجرًا[٤] وكأن هذا مبالغة في الاستحثاث على هذه المكرمة لأن الأعين تمتدّ إلى القادم من السفر والقلوب تفرح به، فيتأكد الاستحباب في تأكيد فرحهم وإظهار التفات القلب في السفر إلى ذكرهم بما يستصحبه في الطريق لهم، فهذه جملة من الآداب الظاهرة.

وأما الآداب الباطنة : ففي الفصل الأوّل بيان جملة منها. وجملته أن لا يسافر إلا إذا كان زيادة دينه في السفر. ومهما وجد قلبه متغيرًا إلى نقصان فيقف ولينصرف، ولا ينبغي أن يجاوز همه منزله، بل ينزل حيث ينزل قلبه وينوي في دخول كل بلدة أن يرى شيوخها ويجتهد أن يستفيد من كل واحد منهم أدبًا أو كلمة لينتفع بها، لا ليحكي ذلك ويظهر أنه لقي المشايخ. ولا يقيم ببلدة أكثر من أسبوع أو عشرة أيام إلا أن يأمره الشيخ المقصود بذلك. ولا يجالس في مدّة الإقامة إلا الفقراء الصادقين. وإن كان قصده زيارة أخ فلا يزيد على ثلاثة أيام فهو حدّ الضيافة إلا إذا شق على أخيه مفارقته. وإذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده أكثر من يوم وليلة. ولا يشغل نفسه بالعشرة فإن ذلك يقطع بركة سفره. وكلما دخل بلدًا لا يشتغل بشيء سوى زيارة الشيخ بزيارة منزله، فإن كان في بيته فلا يدق عليه بابه ولا يستأذن عليه إلى أن يخرج، فإذا خرج تقدّم إليه بأدب فسلم عليه، ولا يتكلم بين يديه إلا أن يسأله، فإن سأله أجاب بقدر السؤال، ولا يسأله عن مسألة ما لم يستأذن أولًا. وإذا كان في السفر فلا يكثر ذكر أطعمة البلدان وأسخيائها ولا ذكر أصدقائه فيها، وليذكر مشايخها وفقراءها. ولا يهمل في سفره زيارة قبور الصالحين بل يتفقدها في كل قرية وبلدة. ولا يظهر حاجته إلا بقدر الضرورة ومع من يقدر على إزالتها. ويلازم في الطريق الذكر وقراءة القرآن بحيث لا يسمع غيره. وإذا كلمه إنسان فليترك الذكر وليجبه ما دام يحدثه ثم ليرجع إلى ما كان عليه. فإن تبرمت نفسه بالسفر

---

(١) صحيح : حديث «النهي عن طروق الأهل ليلا». تقدم، [البخاري: ٥٢٤٤، ومسلم: ١٩٢٨].

(٢) صحيح : حديث «كان إذا قدم من سفر دخل المسجد أولا وصلى ركعتين». تقدم، [البخاري: ٢٦٠٤، ومسلم: ٧١٦].

(٣)حديث «كان إذا دخل قال: توبا توبا لربنا أوبا أوبا لا يغادر علينا حوبا». أخرجه ابن السني في اليوم والليلة والحاكم من حديث ابن عباس وقال صحيح على شرط الشيخين.

(٤)حديث «إطراق أهله عند القدوم ولو بحجر». أخرجه الدارقطني من حديث عائشة بإسناد ضعيف.

أو بالإقامة فليخالفها فالبركة في مخالفة النفس. وإذا تيسرت له خدمة قوم صالحين فلا ينبغي له أن يسافر تبرمًا بالخدمة فذلك كفران نعمة. ومهما وجد نفسه في نقصان عما كان عليه في الحضر فليعلم أن سفره معلول وليرجع إذ لو كان لحق لظهر أثره. قال رجل لأبي عثمان المغربي: خرج فلان مسافرًا، فقال: السفر غربة والغربة ذلة وليس للمؤمن أن يذل نفسه، وأشار به إلى أنّ من ليس له في السفر زيادة دين فقد أذل نفسه وإلا فعز الدين لا ينال إلا بذلة الغربة. فليكن سفر المريد من وطن هواه ومراده وطبعه حتى يعز في هذه الغربة ولا يذل فإن من اتبع هواه في سفره ذل لا محالة إما عاجلًا وإما آجلًا.

الباب الثاني فيما لابد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات

اعلم أن المسافر يحتاج في أوّل سفره إلى أن يتزّود لدنياه ولآخرته.

أما زاد الدنيا: فالطعام والشراب وما يحتاج إليه من نفقة. فإن خرج متوكلًا من غير زاد فلا بأس به إذا كان سفره في قافلة أو بين قرى متصلة. وإن ركب البادية وحده أو مع قوم لا طعام معهم ولا شراب، فإن كان ممن يصبر على الجوع ـ أسبوعًا أو عشرًا مثلًا ـ أو يقدر على أن يكتفي بالحشيش فله ذلك. وإن لم يكن له قوّة الصبر على الجوع ولا القدرة على الاجتزاء بالحشيش، فخروجه من غير زاد معصية فإنه ألقى نفسه بيده إلى التهلكة، ولهذا سر سيأتي في كتاب التوكل.

وليس معنى التوكل التباعد من الأسباب بالكلية، ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو والحبل ونزع الماء من البئر، ولوجب أن يصبر حتى يسخر الله له ملكًا أو شخصًا آخر حتى يصب الماء في فيه. فإن كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح في التوكل وهو آلة الوصول إلى المشروب فحمل عين المطعوم والمشروب حيث لا ينتظر له وجود أولى بأن لا يقدح فيه. وستأتي حقيقة التوكل في موضعها فإنه يلتبس إلا على المحققين من علماء الدين.

وأما زاد الآخرة: فهو العلم الذي يحتاج إليه في طهارته وصومه وصلاته وعبادته فلا بد وأن يتزود منه، إذ السفر تارة يخفف عنه أمورًا فيحتاج إلى معرفة القدر الذي يخففه السفر كالقصر والجمع والفطر، وتارة يشدد عليه أمورًا كان مستغنيًا عنها في الحضر كالعلم بالقبلة وأوقات الصلوات، فإنه في البلد يكتفي بغيره من محاريب المساجد وأذان المؤذنين وفي السفر قد يحتاج إلى أن يتعرّف بنفسه. فإذن ما يفتقر إلى تعلمه ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: العلم برخص السفر:

والسفر يفيد في الطهارة رخصتين: مسح الخفين والتيمم، وفي صلاة الفرض رخصتين: القصر والجمع، وفي النفل رخصتين: أداؤه على الراحلة وأداؤه ماشيًا، وفي الصوم رخصة واحدة وهي الفطر. فهذه سبع رخص.

الرخصة الأولى: المسح على الخفين، قال صفوان بن عسال: أمرنا رسول الله ﷺ إذا كنا مسافرين أو على سفر أن لا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن[١] فكل من لبس الخف على طهارة مبيحة للصلاة ثم أحدث فله أن يمسح على خفه من وقت حدثه ثلاثة أيام ولياليهن إن كان مسافرًا، أو يومًا وليلة إن كان مقيمًا ولكن بخمسة شروط:

الأول: أن يكون اللبس بعد كمال الطهارة، فلو غسل الرجل اليمنى وأدخلها في الخف ثم غسل اليسرى فأدخلها في الخف لم يجز له المسح عند الشافعي رحمه الله حتى ينزع اليمنى ويعيد لبسه.

الثاني: أن يكون الخف قويًا يمكن المشي فيه، ويجوز المسح على الخف وإن لم يكن منعلًا إذ العادة جارية بالتردد فيه في المنازل لأن فيه قوّة على الجملة، بخلاف جورب الصوفية فإنه لا يجوز المسح عليه وكذا الجرموق الضعيف.

الثالث: أن لا يكون في موضع فرض الغسل خرق، فإن تخرق بحيث انكشف محل الفرض لم يجز المسح عليه. وللشافعي قول قديم إنه يجوز ما دام يستمسك على الرجل، وهو مذهب مالك رضي الله عنه. ولا بأس به لمسيس الحاجة إليه وتعذر الخرز في السفر في كل وقت. والمداس المنسوج يجوز المسح عليه مهما كان ساترًا لا تبدو بشرة القدم من خلاله، وكذا المشقوق الذي يرد على محل الشق بشرج لأن الحاجة تمس إلى جميع ذلك فلا يعتبر إلا أن يكون ساترًا إلى ما فوق الكعبين كيفما كان. فأما إذا ستر بعض ظهر القدم وستر الباقي باللفافة لم يجز المسح عليه.

الرابع: أن لا ينزع الخف بعد المسح عليه، فإن نزع فالأولى له استئناف الوضوء، فإن اقتصر على غسل القدمين جاز.

الخامس: أن يمسح على الموضع المحاذي لمحل فرض الغسل لا على الساق، وأقله ما يسمى مسحًا على ظهر القدم من الخف. وإذا مسح بثلاث أصابع أجزأه، والأولى أن يخرج من شبهة الخلاف وأكمله أن يمسح أعلاه وأسفله دفعة واحدة من غير تكرار[٢]، كذلك فعل رسول الله ﷺ ووصفه: أن يبل اليدين ويضع رؤوس أصابع اليمنى من يده على رؤوس أصابع

---

٣ الباب الثاني: فيما لابد للمسافر من تعلمه

(١) حسن: حديث صفوان بن عسال «أمرنا رسول الله ﷺ إذا كنا مسافرين أو سفر أن لا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن». أخرجه الترمذي وصححه وابن ماجه والنسائي في الكبرى وابن خزيمة وابن حبان، [الترمذي: ٩٦، ابن ماجه: ٤٧٨، انظر صحيح الترمذي].

(٢) ضعيف: حديث «مسحه ﷺ على الخف وأسفله». أخرجه أبو داود والترمذي وضعفه وابن ماجه من حديث المغيرة وهكذا ضعفه البخاري وأبو زرعة [أبو داود: ١٦٥، الترمذي: ٩٧، ابن ماجه: ٥٥٠، انظر المشكاة: ٥٢١].

اليمنى من رجله ويمسحه بأن يجر أصابعه إلى جهة نفسه، ويضع رؤوس أصابع يده اليسرى على عقبه من أسفل الخف ويمرها إلى رأس القدم. ومهما مسح مقيمًا ثم سافر أو مسافرًا ثم أقام غلب حكم الإقامة فليقتصر على يوم وليلة. وعدد الأيام الثلاثة محسوب من وقت حدثه بعد المسح على الخف، فلو لبس الخف في الحضر ومسح في الحضر، ثم خرج وأحدث في السفر وقت الزوال مثلًا مسح ثلاثة أيام ولياليهن من وقت الزوال إلى الزوال من اليوم الرابع، فإذا زالت الشمس من اليوم الرابع لم يكن له أن يصلي إلا بعد غسل الرجلين فيغسل رجليه ويعيد لبس الخف، ويراعي وقت الحدث ويستأنف الحساب من وقت الحدث، ولو أحدث بعد لبس الخف في الحضر ثم خرج بعد الحدث فله أن يمسح ثلاثة أيام لأن العادة قد تقتضي اللبس قبل الخروج، ثم لا يمكن الاحتراز من الحدث. فأما إذا مسح في الحضر ثم سافر اقتصر على مدة المقيمين.

ويستحب لكل من يريد لبس الخف في حضر أو سفر أن ينكس الخف وينفض ما فيه حذرًا من حية أو عقرب أو شوكة. فقد روي عن أبي أمامة أنه قال: دعا رسول الله بخفيه فلبس أحدهما، فجاء غراب فاحتمل الآخر ثم رمى به فخرجت منه حية؛ فقال ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يَلْبَسْ خُفَّيْهِ حَتَّى يَنْفُضَهُما»(١).

الرخصة الثانية: التيمم بالتراب بدلًا عن الماء عند العذر؛ وإنما يتعذر الماء بأن يكون بعيدًا عن المنزل بعدًا لو مشى إليه لم يلحقه غوث القافلة إن صاح أو استغاث، وهو البعد الذي لا يعتاده أهل المنزل - في ترددهم لقضاء الحاجة - التردد إليه. وكذا إن نزل على الماء عدوّ أو سبع فيجوز التيمم وإن كان الماء قريبًا. وكذا إن احتاج إليه لعطشه في يومه أو بعد يومه لفقد الماء بين يديه فله التيمم. وكذا إن احتاج إليه لعطش أحد رفقائه فلا يجوز له الوضوء. ويلزمه بذله إما بثمن أو بغير ثمن ولو كان يحتاج إليه لطبخ مرقه أو لحم أو لبل فتيت يجمعه به لم يجز له التيمم بل عليه أن يجتزىء بالفتيت اليابس ويترك تناول المرقة. ومهما وهب له الماء وجب قبوله، وإن وهب له ثمنه لم يجب قبوله لما فيه من المنة. وإن بيع بثمن المثل لزمه الشراء وإن بيع بغبن لم يلزمه. فإذا لم يكن معه ماء وأراد أن يتيمم فأول ما يلزمه طلب الماء مهما جوّز الوصول إليه بالطلب، وذلك بالتردد حوالى المنزل وتفتيش الرحل وطلب البقايا من الأواني والمطاهر. فإن نسي الماء في رحله أو نسي بئرًا بالقرب منه لزمه إعادة الصلاة لتقصيره في الطلب. وإن علم أنه سيجد الماء في آخر الوقت فالأولى أن يصلي بالتيمم في أول الوقت فإن العمر لا يوثق به. وأول الوقت رضوان الله.

---

(١) ضعيف: حديث أبي أمامة «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما» . رواه الطبراني، وفيه من لا يعرف [انظر السلسلة الضعيفة: ٢٤٤٠].

تيمم ابن عمر رضي الله عنهما فقيل له: أتتيمم وجدران المدينة تنظر إليك؟ فقال: أو أبقى إلى أن أدخلها؟ ومهما وجد الماء بعد الشروع في الصلاة لم تبطل صلاته ولم يلزمه الوضوء. وإذا وجده قبل الشروع في الصلاة لزمه الوضوء.

ومهما طلب فلم يجد فليقصد صعيدًا طيبًا عليه تراب يثور منه غبار، وليضرب عليه كفيه بعد ضم أصابعهما ضربة فيمسح بها وجهه، ويضرب ضربة أخرى ـ بعد نزع الخاتم ـ ويفرج الأصابع ويمسح بها يديه إلى مرفقيه، فإن لم يستوعب بضربة واحدة جميع يديه ضرب ضربة أخرى، وكيفية التلطف فيه ما ذكرناه في كتاب الطهارة فلا نعيده.

ثم إذا صلى به فريضة واحدة فله أن يتنفل ما شاء بذلك التيمم. وإن أراد الجمع بين فريضتين فعليه أن يعيد التيمم للصلاة الثانية، فلا يصلي فريضتين إلا بتيممين. ولا ينبغي أن يتيمم لصلاة قبل دخول وقتها؛ فإن فعل وجب عليه إعادة التيمم. ولينو عند مسح الوجه: استباحة الصلاة. ولو وجد من الماء ما يكفيه لبعض طهارته فيستعمله ثم ليتيمم بعده تيممًا تامًا.

الرخصة الثالثة: في الصلاة المفروضة، القصر: وله أن يقتصر في كل واحدة من الظهر والعصر والعشاء على ركعتين ولكن بشروط ثلاثة:

(الأوّل): أن يؤديها في أوقاتها فلو صارت قضاء فالأظهر لزوم الإتمام.

(الثاني): أن ينوي القصر فلو نوى الإتمام لزمه الإتمام، ولو شك في أنه نوى القصر أو الإتمام لزمه الإتمام.

الثالث: أن لا يقتدي بمقيم ولا بمسافر متم، فإن فعل لزمه الإتمام بل إن شك في أن إمامه مقيم أو مسافر لزمه الإتمام، وإن تيقن بعده أنه مسافر لأن شعار المسافر لا تخفى فليكن متحققًا عند النية، وإن شك في أن إمامه هل نوى القصر أم لا بعد أن عرف أنه مسافرلم يضره ذلك، لأن النيات لا يطلع عليها. وهذا كله إذا كان في سفر طويل مباح.

وحدّ السفر من جهة البداية والنهاية فيه إشكال فلا بدّ من معرفته. والسفر هو الانتقال من موضع الإقامة مع ربط القصد بمقصد معلوم، فالهائم وراكب التعاسيف ليس له الترخص وهو الذي لا يقصد موضعًا معينًا، ولا يصير مسافرًا ما لم يفارق عمران البلد ولا يشترط أن يجاوز خراب البلدة وبساتينها التي يخرج أهل البلدة إليها للتنزه. وأما القرية فالمسافر منها ينبغي أن يجاوز البساتين المحوطة دون التي ليست بمحوطة. ولو رجع المسافر إلى البلد لأخذِ شيء نسيه لم يترخص إن كان ذلك وطنه ما لم يجاوز العمران، وإن لم يكن ذلك هو الوطن فله الترخص إذا صار مسافرًا بالانزعاج والخروج منه.

وأما نهاية السفر فبأحد أمور ثلاثة:

(الأول): الوصول إلى العمران من البلد الذي عزم على الإقامة به.

(الثاني): العزم على الإقامة ثلاثة أيام فصاعدًا إما في بلد أو في صحراء.

(الثالث): صورة الإقامة وإن لم يعزم كما إذا أقام على موضع واحد ثلاثة أيام سوى يوم الدخول لم يكن له الترخص بعده، وإن لم يعزم على الإقامة وكان له شغل وهو يتوقع كل يوم إنجازه ولكنه يتعوق عليه ويتأخر، فله أن يترخص وإن طالت المدة ـ على أقيس القولين ـ لأنه منزعج بقلبه ومسافر عن الوطن بصورته ولا مبالاة بصورة الثبوت على موضع واحد مع انزعاج القلب، ولا فرق بين أن يكون هذا الشغل قتالًا أو غيره، ولا بين أن تطول المدة أو تقصر، ولا بين أن يتأخر الخروج لمطر لا يعلم بقاؤه ثلاثة أيام أو لغيره؛ إذ ترخص رسول الله فقصر في بعض الغزوات ثمانية عشر يومًا على موضع واحد[1]. وظاهر الأمر أنه لو تمادى القتال لتمادى ترخصه؛ إذ لا معنى للتقدير بثمانية عشر يومًا. والظاهر أن قصره كان لكونه مسافرًا لا لكونه غازيًا مقاتلًا هذا معنى القصر.

وأما معنى التطويل، فهو أن يكون مرحلتين: كل مرحلة ثمانية فراسخ، وكل فرسخ ثلاثة أميال، وكل ميل أربعة آلاف خطوة، وكل خطوة ثلاثة أقدام.

ومعنى المباح، أن لا يكون عاقًا لوالديه هاربًا منهما، ولا هاربًا من مالكه، ولا تكون المرأة هاربة من زوجها، ولا أن يكون من عليه الدين هاربًا من المستحق مع اليسار، ولا يكون متوجهًا في قطع طريق، أو قتل إنسان، أو طلب إدرار حرام من سلطان ظالم، أو سعي بالفساد بين المسلمين.

وبالجملة، فلا يسافر الإنسان إلا في غرض، والغرض هو المحرك. فإن كان تحصيل ذلك الغرض حرامًا ولولا ذلك الغرض لكان لا ينبعث لسفره فسفره معصية ولا يجوز فيه الترخص. وأما الفسق في السفر بشرب الخمر وغيره فلا يمنع الرخصة. بل كل سفر ينهى الشرع عنه فلا يعين عليه بالرخصة، ولو كان له باعثان أحدهما مباح والآخر محظور، وكان بحيث لو لم يكن الباعث له المحظور لكان المباح مستقلًا بتحريكه ولكان لا محالة يسافر لأجله فله الترخص. والمتصوّفة الطوافون في البلاد من غير غرض صحيح سوى التفرج لمشاهدة البقاع المختلفة في ترخصهم خلاف، والمختار أن لهم الترخص.

الرخصة الرابعة: الجمع بين الظهر والعصر في وقتيهما، وبين المغرب والعشاء في

---

(١) حديث «قصره ﷺ في الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد». أخرجه أبو داود من حديث عمران بن حصين في قصة الفتح «فأقام بمكة ثمانية عشر ليلة لا يصلي إلا ركعتين» وللبخاري من حديث ابن عباس «أقام بمكة تسعة عشر يوما يقصر الصلاة» ولأبي داود «سبعة عشر» بتقديم السين وفي رواية له «خمسة عشر» [حديث «فأقام بمكة ثمانية . . . . .» عند أبي داود: ١٢٢٩، انظر المشكاة: ١٣٤٢، قال الألباني: ضعيف، حديث «أقام بمكة تسعة . . . .» عند البخاري: ١٠٨٠، حديث سبع عشر» عند أبي داود: ١٢٣٠، انظر صحيح أبو داود، حديث «خمسة عشر» عند أبي داود: ١٢٣١، انظر ضعيف أبي داود. قال الألباني: ضعيف منكر].

وقتيهما؛ فذلك أيضًا جائز في كل سفر طويل مباح، وفي جوازه في السفر القصير قولان. ثم إن قدم العصر إلى الظهر فلينو الجمع بين الظهر والعصر في وقتيهما قبل الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر وليقم، وعند الفراغ يقيم للعصر، ويجدد التيمم أوّلًا إن كان فرضه التيمم، ولا يفرق بينهما بأكثر من تيمم وإقامة، فإن قدم العصر لم يجز، وإن نوى الجمع عند التحريم بصلاة العصر جاز عند المزني، وله وجه في القياس إذ لا مستند لإيجاب تقديم النية بل الشرع جوّز الجمع وهذا جمع، وإنما الرخصة في العصر فتكفي النية فيها، وأما الظهر فجار على القانون. ثم إذا فرغ من الصلاتين فينبغي أن يجمع بين سنن الصلاتين؛ أما العصر؛ فلا سنَّة بعدها ولكن السنة التي بعد الظهر يصليها بعد الفراغ من العصر إما راكبًا أو مقيمًا، لأنه لو صلى راتبة الظهر قبل العصر لانقطعت الموالاة وهي واجبة ـ على وجه ـ ولو أراد أن يقيم الأربع المسنونة قبل الظهر والأربع المسنونة قبل العصر فليجمع بينهنَّ قبل الفريضتين فيصلي سنة الظهر أولًا ثم سنة العصر، ثم فريضة الظهر ثم فريضة العصر، ثم سنَّة الظهر الركعتان اللتان هما بعد الفرض، ولا ينبغي أن يهمل النوافل في السفر فما يفوته من ثوابها أكثر مما يناله من الربح، لا سيما وقد خفف الشرع عليه وجوز له أداءها على الراحلة كي لا يتعوّق عن الرفقة بسببها. وإن أخَّر الظهر إلى العصر فيجري على هذا الترتيب ولا يبالي بوقوع راتبة الظهر بعد العصر في الوقت المكروه لأن ما له سبب لا يكره في هذا الوقت، وكذلك يفعل في المغرب والعشاء والوتر. وإذا قدّم أو أخر فبعد الفراغ من الفرض يشتغل بجميع الرواتب ويختم الجميع بالوتر. وإن خطر له ذكر الظهر قبل خروج وقته فليعزم على أدائه مع العصر جميعًا فهو نية الجمع؛ لأنه إنما يخلو عن هذه النية إما بنية الترك أو بنية التأخير عن وقت العصر، وذلك حرام والعزم عليه حرام. وإن لم يتذكر الظهر حتى خرج وقته إما لنوم أو لشغل فله أن يؤدي الظهر مع العصر ولا يكون عاصيًا، لأن السفر كما يشغل عن فعل الصلاة فقد يشغل عن ذكرها.

ويحتمل أن يقال إن الظهر إنما تقع أداء إذا عزم على فعلها قبل خروج وقتها، ولكن الأظهر أن وقت الظهر والعصر صار مشتركًا في السفر بين الصلاتين، ولذلك يجب على الحائض قضاء الظهر إذا طهرت قبل الغروب. ولذلك ينقدح أن لا تشترط الموالاة ولا الترتيب بين الظهر والعصر عند تأخير الظهر، أما إذا قدَّم العصر على الظهر لم يجز لأن ما بعد الفراغ من الظهر هو الذي جعل وقتًا للعصر، إذ يبعد أن يشتغل بالعصر من هو عازم على ترك الظهر أو على تأخيره. وعذر المطر مجوّز للجمع كعذر السفر. وترك الجمعة أيضًا من رخص السفر وهي متعلقة أيضًا بفرائض الصلوات. ولو نوى الإقامة بعد أن صلى العصر فأدرك وقت العصر في الحضر فعليه أداء العصر، وما مضى إنما كان مجزئًا بشرط أن يبقى العذر إلى خروج وقت العصر.

الرخصة الخامسة: التنفل راكبًا، كان رسول الله ﷺ يصلي على راحلته أينما توجهت به

دابته[١] وأوتر رسول الله ﷺ على الراحلة. وليس على المتنفل الراكب في الركوع والسجود إلا الإيماء. وينبغي أن يجعل سجوده أخفض من ركوعه، ولا يلزمه الانحناء إلى حدّ يتعرض به لخطر بسبب الدابة. فإن كان في مرقد فليتم الركوع والسجود فإنه قادر عليه.

وأما استقبال القبلة فلا يجب لا في ابتداء الصلاة ولا في دوامها، ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة. فليكن في جميع صلاته إما مستقبلًا للقبلة أو متوجهًا في صوب الطريق لتكون له جهة يثبت فيها، فلو حرف دابته عن الطريق قصدًا بطلت صلاته إلا إذا حرفها إلى القبلة. ولو حرفها ناسيًا وقصر الزمان لم تبطل صلاته، وإن طال ففيه خلاف وإن جمحت به الدابة فانحرفت لم تبطل صلاته ـ لأن ذلك مما يكثر وقوعه ـ وليس عليه سجود سهو إذ الجماح غير منسوب إليه، بخلاف ما لو حرف ناسيًا فإنه يسجد للسهو بالإيماء.

الرخصة السادسة: التنفل للماشي جائز في السفر ويومىء بالركوع والسجود، ولا يقعد للتشهد لأن ذلك يبطل فائدة الرخصة وحكمه حكم الراكب؛ لكن ينبغي أن يتحرم بالصلاة مستقبلًا للقبلة؛ لأن الانحراف في لحظة لا عسر عليه فيه بخلاف الراكب فإن في تحريف الدابة وإن كان العنان بيده نوع عسر؛ وربما تكثر الصلاة فيطول عليه ذلك. ولا ينبغي أن يمشي في نجاسة رطبة عمدًا، فإن فعل بطلت صلاته بخلاف ما لو وطئت دابة الراكب نجاسة. وليس عليه أن يشوّش المشي على نفسه بالاحتراز من النجاسات التي لا تخلو الطريق عنها غالبًا. وكل هارب من عدوّ أو سيل أو سبع فله أن يصلي الفريضة راكبًا أو ماشيًا كما ذكرناه في التنفل.

الرخصة السابعة: الفطر، وهو في الصوم. فللمسافر أن يفطر إلا إذا أصبح مقيمًا ثم سافر فعليه إتمام ذلك اليوم. وإن أصبح مسافرًا صائمًا ثم أقام فعليه الإتمام. وإن أقام مفطرًا فليس عليه الإمساك بقية النهار. وإن أصبح مسافرًا على عزم الصوم لم يلزمه بل له أن يفطر إذا أراد، والصوم أفضل من الفطر. والقصر أفضل من الإتمام للخروج عن شبهة الخلاف، ولأنه ليس في عهدة القضاء بخلاف المفطر فإنه في عهدة القضاء وربما يتعذر عليه ذلك بعائق فيبقى في ذمته، إلا إذا كان الصوم يضر به فالإفطار أفضل.

فهذه سبع رخص تتعلق ثلاث منها بالسفر الطويل وهي القصر والفطر والمسح ثلاثة أيام.

وتتعلق اثنتان منها بالسفر طويلًا كان أو قصيرًا وهما سقوط الجمعة وسقوط القضاء عند أداء الصلاة بالتيمم. وأما صلاة النافلة ماشيًا وراكبًا ففيه خلاف والأصح جوازه في القصير. والجمع بين الصلاتين فيه خلاف والأظهر اختصاصه بالطويل. وأما صلاة الفرض راكبًا

---

(١) صحيح: حديث «كان يُصلي على راحلته أينما توجهت به دابته وأوتر على الراحلة». متفق عليه من حديث ابن عمر [البخاري: ١٠٠٠، مسلم: ٧٠٠].

وماشيًا للخوف فلا تتعلق بالسفر، وكذا أكل الميتة، وكذا أداء الصلاة في الحال بالتيمم عند فقد الماء، بل يشترك فيه الحضر والسفر مهما وجدت أسبابها.

فإن قلت: فالعلم بهذه الرخص هل يجب على المسافر تعلمه قبل السفر أم يستحب له ذلك؟ فاعلم أنه إن كان عازمًا على ترك المسح والقصر والجمع والفطر وترك التنفل راكبًا وماشيًا لم يلزمه علم شروط الترخص في ذلك، لأنّ الترخص ليس بواجب عليه. وأما علم رخصة التيمم فيلزمه لأنّ فقد الماء ليس إليه، إلاّ أن يسافر على شاطىء نهر يوثق ببقاء مائه، أو يكون معه في الطريق عالم يقدر على استفتائه عند الحاجة، فله أن يؤخر إلى وقت الحاجة. أما إذا كان يظن عدم الماء ولم يكن معه فيلزمه التعلم لا محالة.

فإن قلت: التيمم يحتاج إليه لصلاة لم يدخل بعد وقتها فكيف يجب علم الطهارة لصلاة بعد لم تجب وربما لا تجب؟ فأقول: من بينه وبين الكعبة مسافة لا تقطع إلا في سنة؛ فيلزمه قبل أشهر الحج ابتداء السفر. ويلزمه تعلم المناسك لا محالة إذا كان يظن أنه لا يجد في الطريق من يتعلم منه؛ لأنّ الأصل الحياة واستمرارها. وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب. وكل ما يتوقع وجوبه توقعًا ظاهرًا على الظن وله شرط لا يتوصل إليه إلا بتقديم ذلك الشرط على وقت الوجوب فيجب تقديم تعلم الشرط لا محالة، كعلم المناسك قبل وقت الحج وقبل مباشرته. فلا يحل إذن للمسافر أن ينشىء السفر ما لم يتعلم هذا القدر من علم التيمم. وإن كان عازمًا على سائر الرخص فعليه أن يتعلم أيضًا القدر الذي ذكرناه من علم التيمم وسائر الرخص؛ فإنه إذا لم يعلم القدر الجائز لرخصة السفر لم يمكنه الاقتصار عليه.

فإن قلت: إنه إن لم يتعلم كيفية التنفل راكبًا وماشيًا ماذا يضره وغايته إن صلى أن تكون صلاته فاسدة، وهي غير واجبة فكيف يكون علمها واجبًا؟ فأقول: من الواجب أن لا يصلي النفل على نعت الفساد، فالتنفل مع الحدث والنجاسة وإلى غير القبلة ومن غير إتمام شروط الصلاة وأركانها حرام، فعليه أن يتعلم ما يحترز به عن النافلة الفاسدة حذرًا عن الوقوع في المحظورات. فهذا بيان علم ما خفف عن المسافر في سفره.

القسم الثاني: ما يتجدّد من الوظيفة بسبب السفر:

وهو علم القبلة والأوقات، وذلك أيضًا واجب في الحضر، ولكن في الحضر من يكفيه من محراب متفق عليه يغنيه عن طلب القبلة ومؤذن يراعي الوقت فيغنيه عن طلب علم الوقت.

والمسافر قد تشتبه عليه القبلة وقد يلتبس عليه الوقت فلا بدّ له من العلم بأدلة القبلة والمواقيت. أما أدلة القبلة فهي ثلاثة أقسام: أرضية: كالاستدلال بالجبال والقرى والأنهار، وهوائية: كالاستدلال بالرياح شمالها وجنوبها وصباها ودبورها، وسماوية: وهي النجوم.

فأما الأرضية والهوائية: فتختلف باختلاف البلاد، فرب طريق فيه جبل مرتفع يعلم أنه على يمين المستقبل أو شماله أو ورائه أو قدامه، فليعلم ذلك وليفهمه. وكذلك الرياح قد تدل في

بعض البلاد فليفهم ذلك. ولسنا نقدر على استقصاء ذلك إذ لكل بلد وإقليم حكم آخر.

وأما السماوية: فأدلتها تنقسم إلى نهارية وإلى ليلية.

أما النهارية: فالشمس، فلا بدّ أن يراعي قبل الخروج من البلد أن الشمس عند الزوال أين تقع منه، أهي بين الحاجبين؟ أو على العين اليمنى؟ أو اليسرى؟ أو تميل إلى الجبين ميلًا أكثر من ذلك؟ فإن الشمس لا تغدو في البلاد الشمالية هذه المواقع. فإذا حفظ ذلك فمهما عرف الزوال بدليله الذي سنذكره عرف القبلة به. وكذلك يراعي مواقع الشمس منه وقت العصر. فإنه في هذين الوقتين يحتاج إلى القبلة بالضرورة. وهذا أيضًا لما كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه.

وأما القبلة وقت المغرب فإنها تدرك بموضع الغروب. وذلك بأن يحفظ أنّ الشمس تغرب عن يمين المستقبل، أو هي مائلة إلى وجهه، أو قفاه. وبالشفق أيضًا تعرف القبلة للعشاء الأخيرة.

وبمشرق الشمس تعرف القبلة لصلاة الصبح. فكأن الشمس تدل على القبلة في الصلوات الخمس، ولكن يختلف ذلك بالشتاء والصيف. فإن المشارق والمغارب كثيرة وإن كانت محصورة في جهتين، فلا بد من تعلم ذلك أيضًا. ولكن قد يصلي المغرب والعشاء بعد غيبوبة الشفق فلا يمكنه أن يستدل على القبلة به. فعليه أن يراعي موضع القطب. وهو الكوكب الذي يقال له: الجدي. فإنه كوكب كالثابت لا تظهر حركته عن موضعه، وذلك إما أن يكون على قفا المستقبل، أو على منكبه الأيمن من ظهره، أو منكبه الأيسر في البلاد الشمالية من مكة. وفي البلاد الجنوبية كاليمن وما والاها فيقع في مقابلة المستقبل، فيتعلم ذلك، وما عرفه في بلده فليعوّل عليه في الطريق كله إلا إذا طال السفر، فإن المسافة إذا بعدت اختلف موقع الشمس وموقع القطب وموقع المشارق والمغارب، إلا أن ينتهي في أثناء سفره إلى بلاد فينبغي أن يسأل أهل البصيرة. أو يراقب هذه الكواكب وهو مستقبل محراب جامع البلد حتى يتضح له ذلك. فمهما تعلم هذه الأدلة فله أن يعوّل عليها. فإن بان له أنه أخطأ من جهة القبلة إلى جهة أخرى من الجهات الأربع فينبغي أن يقضي. وإن انحرف عن حقيقة محاذاة القبلة ولكن لم يخرج عن جهتها لم يلزمه القضاء.

وقد أورد الفقهاء خلافًا في أنّ المطلوب جهة الكعبة أو عينها، وأشكل معنى ذلك على قوم إذ قالوا: إن قلنا إن المطلوب العين فمتى يتصوّر هذا مع بعد الديار؟ وإن قلنا: إن المطلوب الجهة فالواقف في المسجد إن استقبل جهة الكعبة وهو خارج ببدنه عن موازاة الكعبة لا خلاف في أنه لا تصح صلاته. وقد طوّلوا في تأويل معنى الخلاف في الجهة والعين. ولا بد أوّلًا من فهم معنى مقابلة العين ومقابلة الجهة.

فمعنى مقابلة العين: أن يقف موقفًا لو خرج خط مستقيم من بين عينيه إلى جدار الكعبة

لاتصل به وحصل من جانبي الخط زاويتان متساويتان (وهذه صورته والخط الخارج من موقف المصلي يقدر أنه خارج من بين عينيه) فهذه صورة مقابلة العين.

يوجد رسمة ص ٣٦٢

وأما مقابلة الجهة: فيجوز فيها أن يتصل طرف الخط الخارجي من بين العينين إلى الكعبة من غير أن يتساوى الزاويتان عن جهتي الخط، بل لا يتساوى الزاويتان إلا إذا انتهى الخط إلى نقطة معينة هي واحدة. فلو مدّ هذا الخط على الاستقامة إلى سائر النقط من يمينها أو شمالها كانت إحدى الزاويتين أضيق، فيخرج عن مقابلة العين ولكن لا يخرج عن مقابلة الجهة ـ كالخط الذي كتبنا عليه مقابلة الجهة فإنه لو قدر الكعبة على طرف ذلك الخط لكان الواقف مستقبلاً لجهة الكعبة لا لعينها.

وحدّ تلك الجهة ما يقع بين خطين يتوهمهما الواقف مستقبلاً لجهة خارجين من العينين، فيلتقي طرفاهما في داخل الرأس بين العينين على زاوية قائمة، فما يقع بين الخطين الخارجين من العينين فهو داخل في الجهة. وسعة ما بين الخطين تتزايد بطول الخطين وبالبعد عن الكعبة (وهذه صورته):

يوجد رسمة ص ٣٦٢

فإذا فهم معنى العين والجهة فأقول: الذي يصح عندنا في الفتوى أن المطلوب العين إن كانت الكعبة مما يمكن رؤيتها، وإن كان يحتاج إلى الاستدلال عليها لتعذر رؤيتها فيكفي استقبال الجهة.

فأما طلب العين عند المشاهدة فمجمع عليه، وأما الاكتفاء بالجهة عند تعذر المعاينة فيدل عليه الكتاب والسنة وفعل الصحابة رضي الله عنهم والقياس.

أما الكتاب: فقوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٥٠] أي نحوه.

ومَن قابل جهة الكعبة يقال قد ولى وجهه شطرها.

وأما السنَّة: فما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال لأهل المدينة: «مَا بَيْنَ المَغْرِبِ والمَشْرِقِ قِبْلَةٌ»(١) ، والمغرب يقع على يمين أهل المدينة والمشرق على يسارهم. فجعل رسول الله ﷺ جميع ما يقع بينهما قبلة ومساحة الكعبة لا تفي بما بين المشرق والمغرب وإنما يفي بذلك جهتها. وروي هذا اللفظ أيضًا عن عمر وابنه رضي الله عنهما.

وأما فعل الصحابة رضي الله عنهم: فما روي أن أهلَ مسجد قباء كانوا في صلاة الصبح بالمدينة مستقبلين لبيت المقدس مستدبرين الكعبة ـ لأن المدينة بينهما ـ فقيل لهم: الآن قد حوّلت القبلة إلى الكعبة. فاستداروا في أثناء الصلاة من غير طلب دلالة(٢) ولم ينكر عليهم. وسمي مسجدهم «ذا القبلتين» ومقابلة العين من المدينة إلى مكة لا تعرف إلا بأدلة هندسية يطول النظر فيها؛ فكيف أدركوا ذلك على البديهة في أثناء الصلاة وفي ظلمة الليل؟ ويدل أيضًا من فعلهم أنهم بنوا المساجد حوالى مكة وفي سائر بلاد الإسلام ولم يحضروا قط مهندسًا عند تسوية المحاريب، ومقابلة العين لا تدرك إلا بدقيق النظر الهندسي.

وأما القياس: فهو أن الحاجة تمس إلى الاستقبال وبناء المساجد في جميع أقطار الأرض، ولا يمكن مقابلة العين إلا بعلوم هندسية لم يرد الشرع بالنظر فيها، بل ربما يزجر عن التعمق في علمها فكيف ينبني أمر الشرع عليها؟ فيجب الاكتفاء بالجهة للضرورة.

وأما دليل صحة الصورة التي صورناها: وهو حصر جهات العالم في أربع جهات فقوله عليه السلام في آداب قضاء الحاجة: «لاَ تَسْتَقْبِلُوا بِهَا القِبْلَةَ وَلاَ تَسْتَدْبِرُوهَا وَلكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا»(٣) ، وقال: هذه بالمدينة ـ والمشرق على يسار المستقبل بها والمغرب على يمينه ـ فنهى عن جهتين ورخص في جهتين. ومجموع ذلك أربع جهات. ولم يخطر ببال أحد أن جهات العالم يمكن أن تفرض في ست أو سبع أو عشر. وكيفما كان فما حكم الباقي؟ بل الجهات تثبت في الاعتقادات بناء على خلقة الإنسان، وليس له إلا أربع جهات: قدام وخلف ويمين وشمال فكانت الجهات بالإضافة إلى الإنسان في ظاهر النظر أربعًا. والشرع لا يبنى إلا على مثل هذه الاعتقادات فظهر أن المطلوب الجهة، وذلك يسهل أمر الاجتهاد فيها وتعلم به

---

(١) صحيح: حديث «ما بين المشرق والمغرب قبلة». أخرجه الترمذي وصححه، والنسائي وقال منكر، وابن ماجه من حديث أبي هريرة [الترمذي: ٣٤٢، النسائي: ٢٢٤٣، ابن ماجه: ١١٠١، انظر الإرواء: ٢٩٢].

(٢) صحيح: حديث «إن أهل قباء كانوا في صلاة الصبح مستقبلين لبيت المقدس فقيل لهم الآن قد حولت القبلة إلى الكعبة فاستداروا في أثناء الصلاة من غير طلب دلالة ولم ينكر عليهم». أخرجه مسلم من حديث أنس واتفقا عليه من حديث ابن عمر مع اختلاف [مسلم: ٥٢٧ عن أنس وهو عند البخاري: ٤٠٣، مسلم: ٥٢٦].

(٣) صحيح: حديث «لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا وغربوا». متفق عليه من حديث أبي أيوب [البخاري: ١٤٤، مسلم: ٢٦٤].

أداة القبلة. فأما مقابلة العين فإنها تعرف بمعرفة مقدار عرض مكة عن خط الاستواء، ومقدار درجات طولها وهو بعدها عن أوّل عمارة في المشرق. ثم يعرف ذلك أيضًا في موقف المصلي، ثم يقابل أحدهما بالآخر. ويحتاج فيه إلى آلات وأسباب طويلة، والشرع غير مبني عليها قطعًا. فإذن القدر الذي لا بد من تعلمه من أدلة القبلة: موقع المشرق والمغرب في الزوال، وموقع الشمس وقت العصر. فبهذا يسقط الوجوب.

فإن قلت: فلو خرج المسافر من غير تعلم ذلك هل يعصي؟ فأقول: إن كان طريقه على قرى متصلة فيها محاريب، أو كان معه في الطريق بصير بأدلة القبلة موثوق بعدالته وبصيرته ويقدر على تقليده فلا يعصي. وإن لم يكن معه شيء من ذلك عصى. لأنه سيتعرض لوجوب الاستقبال ولم يكن قد حصل علمه فصار ذلك كعلم التيمم وغيره. فإن تعلم هذه الأدلة واستبهم عليه الأمر بغيم مظلم. أو ترك التعلم ولم يجد في الطريق من يقلده، فعليه أن يصلي في الوقت على حسب حاله، ثم عليه القضاء سواء أصاب أم أخطأ، والأعمى ليس له إلا التقليد فليقلد من يوثق بدينه وبصيرته إن كان مقلده مجتهدًا في القبلة، وإن كانت القبلة ظاهرة فله اعتماد قول كل عدل يخبره بذلك في حضر أو سفر وليس للأعمى ولا للجاهل أن يسافر في قافلة ليس فيها من يعرف أدلة القبلة ـ حيث يحتاج إلى الاستدلال ـ كما ليس للعامي أن يقيم ببلدة ليس فيها فقيه عالم بتفصيل الشرع، بل يلزمه الهجرة إلى حيث يجد من يعلمه دينه، وكذا إن لم يكن في البلد إلا فقيه فاسق فعليه الهجرة أيضًا إذ لا يجوز له اعتماد فتوى الفاسق، بل العدالة شرط لجواز قبول الفتوى ـ كما في الرواية ـ وإن كان معروفًا بالفقه مستور الحال في العدالة والفسق فله القبول مهما لم يجد من له عدالة ظاهرة لأن المسافر في البلاد لا يقدر أن يبحث عن عدالة المفتين. فإن رآه لابسًا للحرير أو ما يغلب عليه الإبريسم، أو راكبًا لفرس عليه مركب ذهب فقد ظهر فسقه وامتنع عليه قبول قوله، فليطلب غيره. وكذلك إذا رآه يأكل على مائدة سلطان أغلب ماله حرام أو يأخذ منه إدرارًا أو صلة من غير أن يعلم أن الذي يأخذه من وجه حلال، فكل ذلك فسق يقدح في العدالة ويمنع من قبول الفتوى والرواية والشهادة.

وأما معرفة أوقات الصلوات الخمس فلا بد منها. فوقت الظهر يدخل بالزوال، فإن كل شخص لا بد أن يقع له في ابتداء النهار ظل مستطيل في جانب المغرب، ثم لا يزال ينقص إلى وقت الزوال، ثم يأخذ في جهة المشرق ولا يزال يزيد إلى الغروب. فليقم المسافر في موضع أو لينصب عودًا مستقيمًا وليعلم على رأس الظل، ثم لينظر بعد ساعة فإن رآه في النقصان فلم يدخل بعد وقت الظهر.

وطريقه في معرفة ذلك أن ينظر في البلد ـ وقت أذان المؤذن المعتمد ـ ظل قامته، فإن كان مثلًا ثلاثة أقدام بقدمه فمهما صار كذلك في السفر وأخذ في الزيادة صلى. فإن زاد عليه ستة أقدام ونصفًا بقدمه دخل وقت العصر، إذ ظل كل شخص بقدمه ستة أقدام ونصف بالتقريب.

ثم ظل الزوال يزيد كل يوم إن كان سفره من أوّل الصيف. وإن كان من أوّل الشتاء فينقص كل يوم. وأحسن ما يعرف به ظل الزوال الميزان فليستصحبه المسافر. وليتعلم اختلاف الظل به في كل وقت. وإن عرف موقع الشمس من مستقبل القبلة وقت الزوال وكان في السفر في موضع ظهرت القبلة فيه بدليل آخر، فيمكنه أن يعرف الوقت بالشمس بأن تصير بين عينيه مثلاً إن كانت كذلك في البلد.

وأما وقت المغرب فيدخل بالغروب، ولكن قد تحجب الجبال المغرب عنه، فينبغي أن ينظر إلى جانب المشرق فمهما ظهر سواد في الأفق مرتفع من الأرض قدر رمح فقد دخل وقت المغرب.

وأما العشاء فيعرف بغيبوبة الشفق ـ وهو الحمرة ـ فإن كانت محجوبة عنه بجبال فيعرفه بظهور الكواكب الصغار وكثرتها، فإن ذلك يكون بعد غيبوبة الحمرة.

وأما الصبح فيبدو في الأوّل مستطيلاً كذنب السرحان فلا يحكم به إلى أن ينقضي زمان، ثم يظهر بياض معترض لا يعسر إدراكه بالعين لظهوره، فهذا أوّل الوقت. قال ﷺ: «لَيْسَ الصُّبْحُ هكَذَا ـ وجمع بين كفيه ـ وَإِنَّما الصُّبْحُ هكَذَا ـ ووضع إحدى سبابتيه على الأخرى وفتحهما ـ»[1] وأشار به إلى أنه معترض. وقد يستدل عليه بالمنازل وذلك تقريب لا تحقيق فيه، بل الاعتماد على مشاهدة انتشار البياض عرضًا لأن قومًا ظنوا أن الصبح يطلع قبل الشمس بأربع منازل، وهذا خطأ لأن ذلك هو الفجر الكاذب. والذي ذكره المحققون أنه يتقدم على الشمس بمنزلتين وهذا تقريب، ولكن لا اعتماد عليه فإن بعض المنازل تطلع معترضة منحرفة فيقصر زمان طلوعها، وبعضها منتصبة فيطول زمان طلوعها، ويختلف ذلك في البلد اختلافًا يطول ذكره. نعم تصلح المنازل لأن يعلم بها قرب وقت الصبح وبعده، فأما حقيقة أول الصبح فلا يمكن ضبطه بمنزلتين أصلاً. وعلى الجملة فإذا بقيت أربع منازل إلى طلوع قرن الشمس بمقدار منزلة يتيقن أنه الصبح الكاذب، وإذا بقي قريب من منزلتين يتحقق طلوع الصبح الصادق، ويبقى بين الصبحين قدر ثلثي منزلة بالتقريب يشك فيه أنه من وقت الصبح الصادق أو الكاذب، وهو مبدأ ظهور البياض وانتشاره قبل اتساع عرضه. فمن وقت الشك ينبغي أن يترك الصائم السحور، ويقدم القائم الوتر عليه ولا يصلي صلاة الصبح حتى تنقضي مدّة الشك، فإذا تحقق صلّى. ولو أراد مريد أن يقدّر على التحقيق وقتًا معينًا يشرب فيه

---

(١) حديث «ليس الصبح هكذا وجمع كفه إنما الصبح هكذا ووضع إحدى سبابتيه على الأخرى وفتحهما وأشار إلى أنه معترض». أخرجه ابن ماجه من حديث ابن مسعود بإسناد صحيح مختصر دون الإشارة بالكف والسبابتين، [ابن ماجه: ١٦٩٦، وهو عند البخاري: ٧٢٤٧]، ولأحمد من حديث طلق بن علي«ليس الفجر المستطيل في الأفق لكنه المعترض الأحمر» وإسناده حسن، [أحمد: ١٥٨٥٦]. ابن ماجه: ١٦٩٦، وهو عند البخاري: ٧٢٤٧].

متسحرًا ويقوم عقيبه ويصلي الصبح متصلًا به لم يقدر على ذلك، فليس معرفة ذلك في قوّة البشر أصلًا، بل لا بد من مهلة للتوقف والشك. ولا اعتماد إلا على العيان، ولا اعتماد في العيان إلا على أن يصير الضوء منتشرًا في العرض حتى تبدو مبادىء الصفرة. وقد غلط في هذا جمع من الناس كثير يصلون قبل الوقت. ويدل عليه ما روى أبو عيسى الترمذي في جامعه بإسناده عن طلق بن علي: أن رسول الله قال ﷺ: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ يُهِيبَنَّكُمْ السَّاطِعُ المُصْعِدُ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَعْتَرِضَ لَكُمُ الأَحْمَرُ»(١) وهذا صريح في رعاية الحمرة. قال أبو عيسى: وفي الباب عن عدي بن حاتم وأبي ذرّ وسمرة بن جندب ـ وهو حديث حسن غريب والعمل على هذا عند أهل العلم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «كُلوا وأشربوا ما دام الضوء ساطعًا». قال صاحب الغريبين: أي مستطيلًا. فإذًا لا ينبغي أن يعوّل إلا على ظهور الصفرة وكأنها مبادىء الحمرة. وإنما يحتاج المسافر إلى معرفة الأوقات لأنه قد يبادر بالصلاة قبل الرحيل حتى لا يشق عليه النزول، أو قبل النوم حتى يستريح. فإن وطن نفسه على تأخير الصلاة إلى أن يتيقن فتسمح نفسه بفوات فضيلة أول الوقت ويتجشم كلفة النزول وكلفة تأخير النوم إلى التيقن استغنى عن تعلم علم الأوقات: فإن المشكل أوائل الأوقات لا أوساطها.

* * *

(١) حسن: حديث طلق بن علي: كلوا واشربوا ولا يهيبنكم الساطع المصعد وكلوا وشربوا حتى يعترض لكم الأحمر». قال المصنف: رواه أبو عيسى الترمذي في جامعه وقال: حسن غريب وهو كما ذكر، ورواه أبو داود أيضا [أبو داود: ٢٣٤٨، والترمذي: ٧٠٥، انظر السلسلة الصحيحة: ٢٠٣١].

كتاب آداب السماع والوجد

وهو الكتاب الثامن من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحرق قلوب أوليائه بنار محبته، واسترق هممهم وأرواحهم بالشوق إلى لقائه ومشاهدته، ووقف أبصارهم وبصائرهم على ملاحظة جمال حضرته، حتى أصبحوا من تنسم روح الوصال سكرى، وأصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والهة حيرى، فلم يروا في الكونين شيئًا سواه، ولم يذكروا في الدارين إلا إياه، إن سنحت لأبصارهم صورة عبرت إلى المصور بصائرهم، وإن قرعت أسماعهم نغمة سبقت إلى المحبوب سرائرهم، وإن ورد عليهم صوت مزعج أو مقلق أو مطرب أو محزن أو مبهج أو مشوق أو مهيج لم يكن انزعاجهم إلا إليه، ولا طربهم إلا به ولا قلقهم إلا عليه، ولا حزنهم إلا فيه ولا شوقهم إلا إلى ما لديه، ولا انبعاثهم إلا له ولا ترددهم إلا حواليه. فمنه سماعهم، وإليه استماعهم، فقد أقفل عن غيره أبصارهم وأسماعهم، أولئك الذين اصطفاهم الله لولايته، واستخلصهم من بين أصفيائه وخاصته. والصلاة على محمد المبعوث برسالته وعلى آله وأصحابه أئمة الحق وقادته، وسلم كثيرًا.

أما بعد: فإن القلوب والسرائر، خزائن الأسرار ومعادن الجواهر، وقد طويت فيها جواهرها كما طويت النار في الحديد والحجر، كما أخفي الماء تحت التراب والمدر، ولا سبيل إلى استثارة خفاياها إلا بقوادح السماع ولا منفذ إلى القلوب إلى من دهليز الأسماع، فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج ما فيها، وتظهر محاسنها أو مساوئها، فلا يظهر من القلب عند التحريك إلا ما يحويه. كما لا يرشح الإناء إلا بما فيه، فالسماع للقلب محك صادق، ومعيار ناطق، فلا يصل نفس السماع إليه، إلا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه، وإذا كانت القلوب بالطباع مطيعة للأسماع حتى أبدت بوارداتها مكامنها، وكشفت بها عن مساويها وأظهرت محاسنها، وجب شرح القول في السماع والوجد وبيان ما فيهما من الفوائد والآفات، وما يستحب فيهما من الآداب والهيئات، وما يتطرّق إليهما من خلاف العلماء في أنهما من المحظورات أو المباحات. ونحن نوضح ذلك في بابين.

(الباب الأوّل): في إباحة السماع.

(الباب الثاني): في آداب السماع وآثاره في القلب بالوجد وفي الجوارح بالرقص والزعق وتمزيق الثياب.

* * *

الباب الأول في ذكر اختلاف العلماء في إباحة السماع وكشف الحق فيه

بيان أقاويل العلماء والمتصوفة في تحليله وتحريمه:

اعلم أن السماع هو أول الأمر، ويثمر السماع حالة في القلب تسمى الوجد، ويثمر الوجد تحريك الأطراف إما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب وإما موزونة فتسمى التصفيق والرقص، فلنبدأ بحكم السماع وهو الأول: وننقل فيه الأقاويل المعربة عن المذاهب فيه. ثم نذكر الدليل على إباحته، ثم نردفه بالجواب عما تمسك به القائلون بتحريمه.

فأما نقل المذاهب: فقد حكى القاضي أبو الطيب الطبري عن الشافعي ومالك وأبي حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء ألفاظًا يستدل بها على أنهم رأوا تحريمه.

وقال الشافعي رحمه الله في كتاب آداب القضاء: إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه تُرد شهادته.

وقال القاضي أبو الطيب: استماعه من المرأة التي ليست بمحرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعي رحمه الله بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب، وسواء كانت حرة أو مملوكة وقال: قال الشافعي رضي الله عنه صاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته، وقال: وحكي عن الشافعي أنه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن. وقال الشافعي رحمه الله: ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد أكثر مما يكره اللعب بشيء من الملاهي، ولا أحب اللعب بالشطرنج وأكره كل ما يلعب به الناس، لأن اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا المروءة.

وأما مالك رحمه الله فقد نهى عن الغناء وقال: إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها. وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا ابن سعد وحده.

وأما أبو حنيفة رضي الله عنه فإنه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب، وكذلك سائر أهل الكوفة: سفيان الثوري وحماد وإبراهيم والشعبي وغيرهم. فهذا كله نقله القاضي أبو الطيب الطبري.

ونقل أبو طالب المكي إباحة السماع من جماعة فقال: سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر، وعبد الله بن الزبير، والمغيرة بن شعبة، ومعاوية وغيرهم، وقال: قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابي وتابعي بإحسان، وقال: لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في أفضل أيام السنة وهي الأيام المعدودات التي أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق، ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع إلى زماننا هذا، فأدركنا أبا مروان القاضي وله جوار يسمعن الناس التلحين قد أعدهن للصوفية، قال: وكان لعطاء جاريتان يلحنان فكان إخوانه يستمعون إليهما. قال: وقيل لأبي الحسن بن سالم: كيف تنكر السماع

وقد كان الجنيد وسري السقطي وذو النون يستمعون؟ فقال: وكيف أنكر السماع وقد أجازه وسمعه من هو خير مني؟ فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع، وإنما أنكر اللهو واللعب في السماع.

وروي عن يحيى بن معاذ أنه قال: فقدنا ثلاثة أشياء فما نراها ولا أراها تزداد إلا قلة، حسن الوجه مع الصيانة، وحسن القول مع الديانة، وحسن الإخاء مع الوفاء. ورأيت في بعض الكتب هذا محكيًا بعينه عن الحارث المحاسبي وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده في الدين وتشميره. قال: وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة إلا أن يكون فيه سماع. وحكى غير واحد أنه قال: اجتمعنا في دعوة ومعنا أبو القاسم بن بنت منيع وأبو بكر بن داود، وابن مجاهد في نظرائهم، فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن داود في أن يسمع فقال ابن داود: حدثني أبي عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع وكان أبي يكرهه وأنا على مذهب أبي، فقال أبو القاسم بن بنت منيع: أما جدّي أحمد بن بنت منيع فحدثني عن صالح بن أحمد أن أباه كان يسمع قول ابن الخبازة، فقال ابن مجاهد لابن داود: دعني أنت من أبيك، وقال لابن بنت منيع: دعني أنت من جدك أي شيء تقول يا أبا بكر فيمن أنشد بيت شعر أهو حرام؟ فقال ابن داود: لا، قال: فإن كان حسن الصوت حرم عليه إنشاده؟ قال: لا، قال: فإن أنشده وطوله وقصر منه الممدود ومدّ منه المقصور أيحرم عليه؟ قال: أنا لم أقوَ لشيطان واحد فكيف أقوى لشيطانين؟ قال: وكان أبو الحسن العسقلاني الأسود من الأولياء يسمع ويوله عند السماع، وصنف فيه كتابًا وردَّ به على منكريه، وكذلك جماعة منهم صنفوا في الرد على منكريه.

وحكي عن بعض الشيوخ أنه قال: رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام فقلت له: ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا؟ فقال: هو الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء. وحكي عن ممشاد الدينوري أنه قال: رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت: يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئًا؟ فقال: ما أنكر منه شيئًا ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن. وحكي عن طاهر بن بلاد الهمداني الورّاق ـ وكان من أهل العلم ـ أنه قال: كنت معتكفًا في جامع جدّة على البحر فرأيت يومًا طائفة يقولون في جانب منه قولًا ويستمعون، فأنكرت ذلك بقلبي وقلت: في بيت من بيوت الله يقولون الشعر؟ قال: فرأيت النبي ﷺ تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية وإلى جنبه أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه، وإذا أبو بكر يقول شيئًا من القول والنبي ﷺ يستمع إليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك، فقلت في نفسي: ما كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون، وهذا رسول الله ﷺ يستمع وأبو بكر يقول فالتفت إلي رسول الله ﷺ وقال: «هذَا حَقٌّ بِحَقَ ـ أو قال: حَقٌّ مِنْ حَقَ ـ أَنَا أَشُكُّ فِيهِ».

وقال الجنيد: تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواضع، عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة، وعند المذاكرة لأنهم لا يتحاورون إلا في مقامات الصّديقين، وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقًا. وعن ابن جريج أنه كان يرخص في السماع فقيل له: أيؤتى يوم القيامة في جملة حسناتك أو سيئاتك؟ فقال: لا في الحسنات ولا في السيئات، لأنه شبيه باللغو، وقال الله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٥] .

هذا ما نقل من الأقاويل. ومن طلب الحق في التقليد فمهما استقصى تعارضت عنده هذه الأقاويل فيبقى متحيرًا أو مائلًا إلى بعض الأقاويل بالتشهي، وكل ذلك قصور بل ينبغي أن يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدارك الحظر والإباحة كما سنذكره.

بيان الدليل على إباحة السماع:

اعلم أن قول القائل: السماع حرام، معناه أنّ الله تعالى يعاقب عليه؛ وهذا أمر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات محصورة في النص أو القياس على المنصوص. وأعني بالنص ما أظهره ﷺ بقوله أو فعله، وبالقياس المعنى المفهوم من ألفاظه وأفعاله. فإن لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول بتحريمه، وبقي فعلًا لا حرج فيه كسائر المباحات. ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس، ويتضح ذلك في جوابنا على أدلة المائلين إلى التحريم. ومهما تم الجواب عن أدلتهم كان ذلك مسلكًا كافيًا في إثبات هذا الغرض، لكن نستفتح ونقول: قد دل النص والقياس جميعًا على إباحته.

أما القياس: فهو أن الغناء اجتمعت فيه معان ينبغي أن يبحث عن أفرادها ثم عن مجموعها، فإنّ فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك للقلب، فالوصف الأعم أنه صوت طيب. ثم الطيب ينقسم إلى الموزون وغيره. والموزون ينقسم إلى المفهوم كالأشعار، وإلى غير المفهوم كأصوات الجمادات وسائر الحيوانات.

أما سماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب، فلا ينبغي أن يحرم بل هو حلال بالنص والقياس أما القياس فهو أنه يرجع إلى تلذذ حاسة السمع بإدراك ما هو مخصوص به، وللإنسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة إدراك، وفي مدركات تلك الحاسة ما يستلذ، فلذة النظر في المبصرات الجميلة كالخضرة والماء الجاري والوجه الحسن، وبالجملة سائر الألوان الجميلة، وهي في مقابلة ما يكره من الألوان الكدرة القبيحة. وللشم الروائح الطيبة، وهي في مقابلة الأنتان المستكرهة. وللذوق الطعوم اللذيذة كالدسومة والحلاوة والحموضة، وهي في مقابلة المرارة المستبشعة. وللمس لذة اللين والنعومة والملاسة، وهي في مقابلة الخشونة والضراسة. وللعقل لذة العلم والمعرفة، وهي في مقابلة الجهل والبلادة.

فكذلك الأصوات المدركة بالسمع تنقسم إلى مستلذة كصوت العنادل والمزامير،

ومستكرهة كنهيق الحمير وغيرها. فما أظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها؟.

أما النص: فيدل على إباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده إذ قال: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ [فاطر:١] فقيل هو الصوت الحسن وفي الحديث: «مَا بَعَثَ الله نَبِيًّا إِلاَّ حَسَنَ الصَّوْتِ»(١) ، وقال ﷺ: «لله أَشَدُّ أُذُنًا لِلرَّجُلِ الحَسَنِ الصَّوْتِ بِالقُرْآنِ مِنْ صَاحِبِ القينَةِ لِقينَتِهِ»(٢) ، وفي الحديث في معرض المدح لداود عليه السلام: «أَنَّهُ كَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ فِي النِّيَاحَةِ عَلَى نَفْسِهِ وَفِي تِلاَوَةِ الزَّبُورِ حَتَّى كَانَ يَجْتَمِعُ الإِنْسُ وَالجِنُّ وَالوُحُوشُ وَالطَّيْرُ لِسَمَاعِ صَوْتِهِ، وَكَانَ يُحْمَلُ فِي مَجْلِسِهِ أَرْبَعَمِائَةِ جَنَازَةٍ وَمَا يَقْرُبُ مِنْها فِي الأَوْقَاتِ»(٣) ، وقال ﷺ في مدح أبي موسى الأشعري: «لَقَدْ أُعْطِيَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»(٤) ، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان:١٩] يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن. ولو جاز أن يقال إنما أبيح ذلك بشرط أن يكون في القرآن للزمه أن يحرم سماع صوت العندليب لأنه ليس من القرآن. وإذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له، فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والمعاني الصحيحة؟ وإنّ من الشعر لحكمة. فهذا نظر في الصوت من حيث إنه طيب حسن.

الدرجة الثانية: النظر في الصوت الطيب الموزون، فإنّ الوزن وراء الحسن فكم من صوت حسن خارج عن الوزن وكم من صوت موزون غير مستطاب. والأصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلاثة: فإنها إما أن تخرج من جماد كصوت المزامير والأوتار وضرب القضيب والطبل وغيره، وإما أن تخرج من حنجرة حيوان؛ وذلك الحيوان إما إنسان أو غيره كصوت العنادل والقماري وذات السجع من الطيور؛ فهي مع طيبها موزونة متناسبة المطالع والمقاطع فلذلك يستلذ سماعها. والأصل في الأصوات حناجر الحيوانات، وإنما وضعت المزامير على

---

*٢*كتاب السماع والوجد، الباب الأول في ذكر اختلاف العلماء في إباحته

(١) صحيح: حديث «ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت». أخرجه الترمذي في الشمائل عن قتادة وزاد قوله «وكان نبيكم حسن الوجه حسن الصوت» ورويناه متصلا في الغيلانيات من رواية قتادة عن أنس، والصواب الأول، قاله الدارقطني، ورواه ابن مردوية في التفسير من حديث علي بن أبي طالب وطرقه كلها ضعيفة [الترمذي في الشمائل: ٢٧٤، صححه الألباني في مختصر الشمائل].

(٢)حديث «لله أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته». تقدم في كتاب تلاوة القرآن [ابن ماجه: ١٣٤٠، انظر ضعيف الترغيب: ٨٧٦].

(٣)حديث «كان داود حسن الصوت في النياحة على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الإنس والجن والوحوش والطير لسماع صوته، وكان يحمل في مجلسه أربعمائة جنازة وما يقرب منها في الأوقات». لم أجد له أصلا.

(٤) صحيح: حديث «لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود». قاله في مدح أبي موسى، تقدم في تلاوة القرآن [الترمذي: ٣٨٥٥، انظر السلسلة الصحيحة: ٣٥٣٢].

أصوات الحناجر وهو تشبيه للصنعة بالخلقة. وما من شيء توصل أهل الصناعات بصناعتهم إلى تصويره إلا وله مثال في الخلقة التي استأثر الله تعالى بإختراعها؛ فمنه تعلم الصناع وبه قصدوا الاقتداء وشرح ذلك يطول. فسماع هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة أو موزونة فلا ذاهب إلى تحريم صوت العندليب وسائر الطيور. ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين جماد وحيوان. فينبغي أن يقاس على صوت العندليب الأصوات الخارجة من سائر الأجسام باختيار الآدمي كالذي يخرج من حلقه أو من القضيب والطبل والدف وغيره.

ولا يستثنى من هذه إلا الملاهي والأوتار والمزامير التي ورد الشرع بالمنع منها[1] لا للذتها إذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يلتذ به الإنسان. ولكن حرمت الخمور واقتضت ضراوة الناس بها المبالغة في الفطام عنها حتى انتهى الأمر في الابتداء إلى كسر الدنان فحرم معها ما هو شعار أهل الشرب وهي الأوتار والمزامير فقط، وكان تحريمها من قبل الاتباع كما حرمت الخلوة بالأجنبية لأنها مقدمة الجماع، وحرم النظر إلى الفخذ لاتصاله بالسوأتين، وحرم قليل الخمر وإن كان لا يسكر لأنه يدعو إلى السكر، وما من حرام إلا وله حريم يطيف به، وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون حمى للحرام ووقاية له وحظارًا مانعًا حوله، كما قال ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى وَإِنَّ حِمَى الله مَحَارِمُهُ»[2]، فهي محرمة تبعًا لتحريم الخمر لثلاث علل.

إحداها: أنها تدعو إلى شرب الخمر فإنّ اللذة الحاصلة بها إنما تتم بالخمر، ولمثل هذه العلة حرم قليل الخمر.

الثانية: أنها في حق قريب العهد بشرب الخمر تذكر مجالس الأنس بالشرب فهي سبب الذكر، والذكر سبب انبعاث الشوق، وانبعاث الشوق إذا قوي فهو سبب الإقدام. ولهذه العلة «نهى عن الانتباذ في المزفت والحنتم والنقير»[3]، وهي الأواني التي كانت مخصوصة بها.

---

(١) حديث «المنع من الملاهي والأوتار والمزامير». أخرجه البخاري من حديث أبي عامر أو أبي مالك الأشعري «ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الخز والحرير والمعازف» صورته عند البخاري صورة التعليق ولذلك ضعفه ابن حزم ووصله أبو داود والإسماعيلي [البخاري تعليقًا عقب حديث: ٥٥٩٠، أبو داود: ٤٠٣٩، وصححه الألباني. انظر المشكاة: ٥٣٤٣]، والمعازف: الملاهي، قاله الجوهري، ولأحمد من حديث أبي أمامة «إن الله أمرني أن أمحق المزامير والكيارات - يعني البرابط - والمعازف» [أحمد: ٢١٧١٥، انظر ضعيف الترغيب: ١٤٢١]، وله من حديث قيس بن سعد بن عبادة «إن ربي حرم على الخمر والكوبة والقنين [والقِيَن؟؟]» [أحمد: ١٥٠٥٥]، وله في حديث لأبي أمامة باستحلالهم الخمور وضربهم بالدفوف [أحمد: ٢٧٢٨]، وكلها ضعيفة، ولأبي الشيخ من حديث مرسلا «الاستماع إلى الملاهي معصية... الحديث»، ولأبي داود من حديث ابن عمر: سمع مزمارا فوضع إصبعيه على أذنيه. قال أبو داود: وهو منكر [أبي داود: ٤٩٢٤، انظر صحيح أبي داود].

(٢) صحيح: حديث «إن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه». تقدم في كتاب الحلال والحرام [الترمذي: ١٢٠٥، انظر صحيح الترغيب: ١٧٣١].

(٣) صحيح: حديث «النهي عن الحنتم والمزفت والنقير». متفق عليه من حديث ابن عباس [البخاري: ٥٣، ومسلم: ١٧، والحنتم: إناء يصنع من طين وشعر ودم، والمزفت: إناء يطلى بالزفت أو القار، والنقير: جزع الشجر ينقر ويتخذ وعاء].

فمعنى هذا أن مشاهدة صورتها تذكرها وهذه العلة تفارق الأولى إذ ليس فيها اعتبار لذة في الذكر إذ لا لذة في رؤية القنينة وأواني الشرب لكن من حيث التذكر بها. فإن كان السماع يذكر الشرب تذكيرًا يشوّق إلى الخمر عند من ألف ذلك مع الشرب فهو منهي عن السماع لخصوص هذه العلة فيه.

الثالثة: الاجتماع عليها، لما أن صار من عادة أهل الفسق فيمنع من التشبه بهم؛ لأن مَن تشبه بقوم فهو منهم. وبهذه العلة نقول بترك السنة مهما صارت شعارًا لأهل البدعة خوفًا من التشبه بهم وبهذه العلة يحرم ضرب الكوبة - وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين - وضربها عادة المخنثين ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحجيج والغزو، وبهذه العلة نقول لو اجتمع جماعة وزينوا مجلسًا وأحضروا آلات الشرب وأقداحه، وصبوا فيها السكنجبين، ونصبوا ساقيًا يدور عليهم ويسقيهم، فيأخذون من الساقي ويشربون ويحيي بعضهم بعضًا بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم، وإن كان المشروب مباحًا في نفسه، لأن في هذا تشبهًا بأهل الفساد، بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك الشعر على الرأس قزعًا في بلاد صار القباء فيها من لباس أهل الفساد، ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتياد أهل الصلاح ذلك فيهم. فبهذه المعاني حرم المزمار العراقي والأوتار كلها كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها. وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب، وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب لأن كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكر بها ولا يشوق إليها ولا يوجب التشبه بأربابها فلم يكن في معناها. فبقي على أصل الإباحة قياسًا على أصوات الطيور وغيرها، بل أقول سماع الأوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ حرام أيضًا. وبهذا يتبين أنه ليست العلة في تحريمها مجرّد اللذة الطيبة، بل القياس تحليل الطيبات كلها إلا ما في تحليله فساد. قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢] فهذه الأصوات لا تحرم من حيث إنها أصوات موزونة وإنما تحرم بعارض آخر. كما سيأتي في العوارض المحرّمة.

الدرجة الثالثة: الموزون والمفهوم، وهو الشعر وذلك لا يخرج إلا من حنجرة الإنسان فيقطع بإباحة ذلك لأنه ما زاد إلا كونه مفهومًا.

والكلام المفهوم غير حرام والصوت الطيب الموزون غير حرام، فإذا لم يحرم الآحاد فمن أين يحرم المجموع؟ نعم ينظر فيما يفهم منه فإن كان فيه أمر محظور حرم نثره ونظمه وحرم النطق به سواء كان بألحان أو لم يكن، والحق فيه ما قاله الشافعي رحمه الله إذ قال: الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح. ومهما جاز إنشاد الشعر بغير صوت وألحان جاز إنشاده مع الألحان: فإن أفراد المباحات إذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحًا. ومهما انضم مباح إلى

مباح لم يحرم إلا إذا تضمن المجموع محظورًا لا تتضمنه الآحاد. ولا محظور ههنا وكيف ينكر إنشاد الشعر وقد أنشد بين يدي رسول الله ﷺ؟[١] وقال عليه السلام: «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَة» [٢]، وأنشدت عائشة رضي الله عنها:

ذهبَ الذين يُعاشَ في أكنافهم ... وبقيت في خلف كَجِلْدِ الأجْرَبِ

وروي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال رضي الله عنهما، وكان بها وباء فقلت: يا أبت كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك؛ فكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرىءٍ مصبحٌ في أهله ... والموتُ أدنى من شِرَاكِ نَعْلِهِ

وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمَّى يرفع عقيرته ويقول:

ألاَ ليتَ شِعْري هل أبيتنَّ ليلةً ... بوادٍ وحولي إذخر وجليلُ

وهل أردن يومًا مياه مجنّة ... وهل يبدون لي شامة وطفيلُ

قالت عائشة رضي الله عنها: فأخبرت بذلك رسول الله ﷺ فقال: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ»[٣]، وقد كان رسول الله ﷺ ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد

---

(١) صحيح: حديث «إنشاد الشعر بين يدي رسول الله ﷺ». متفق عليه من حديث أبي هريرة: أن عمر مر بحسان وهو ينشد الشعر فلحظ إليه فقال: قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك... الحديث» [البخاري: ٣٢١٢، مسلم: ٢٤٨٥]، ولمسلم من حديث عائشة إنشاد حسان:

هجوت محمدا فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء

.... القصيدة [مسلم: ٢٤٩٠].

وإنشاد حسان أيضا:

وإن سنام المجد من آل هاشم ... بنو بنت مخزوم ووالدك العبد

[مسلم: ٢٤٨٥].

وللبخاري إنشاد ابن رواحة:

وفينا رسول الله يتلوا كتابه ... إذا انشق معروف من الفجر ساطع

... الأبيات [البخاري: ١١٥٥].

(٢) صحيح: حديث «إن من الشعر لحكمة». رواه البخاري من حديث أبي بن كعب وتقدم في العلم [البخاري: ٦١٤٥].

(٣) حديث عائشة في الصحيحين: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال فقال «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد». وفيه إنشاد أبي بكر:

كل امرئ مصبح في أهله * والموت أدنى من شراك نعله

وإنشاد بلال:

ألا ليت شعري أبيتن ليلة ... بواد وحولي إذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة ... وهل يبدون لي شامة وطفيل

قلت: هو في الصحيحين كما ذكر المصنف لكن أصل الحديث والشعر عند البخاري فقط ليس عند مسلم [البخاري: ١٨٨٩، مسلم: ١٣٧٦].

وهو يقول:

هذا الحمال لا حمال خيبر هـذا أبـر ربـنـا وأطـهـرُ

وقال أيضًا ﷺ مرة أخرى:

اللهمَّ إنّ العيشَ عيشُ الآخره فارحم الأنصار والمهاجره[1]

وهذه في الصحيحين. وكان النبي ﷺ يضع يضع لحسان منبرًا في المسجد يقوم عليه قائمًا يفاخر عن رسول الله ﷺ أو ينافح، ويقول رسول الله ﷺ: «إنَّ الله يُؤَيِّدُ حَسَّانَ بِرُوحِ القُدُسِ مَا نَافَحَ أَوْ فَاخَرَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ»[2]، ولما أنشده النابغة شعره قال له ﷺ: «لاَ يَفْضُضِ الله فَاكَ»[3]، وقالت عائشة رضي الله عنها: «كان أصحاب رسول الله ﷺ،

---

(١) حديث: كان ﷺ ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد وهو يقول:

هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أبر - ربنا - وأطهر

وقال ﷺ مرة أخرى:

اللهم العيش عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

قال المصنف: والبيتان في الصحيحين. قلت: البيت الأول انفرد به البخاري في قصة الهجرة من رواية عروة مرسلا وفيه البيت الثاني أيضا إلا أنه قال «الأجر» بدل «العيش» تمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي، قال ابن شهاب: ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل بيت شعر تام غير هذا البيت والبيت الثاني في الصحيحين من حديث أنس يرتجزون ورسول الله ﷺ معهم يقولون:

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار والمهاجره

وليس البيت موزونا، وفي الصحيحين أيضا أنه قال في حفر الخندق بلفظ «فبارك في الأنصار والمهاجره» وفي رواية «فاغفر» وفي رواية لمسلم «فأكرم» ولهما من حديث سهل بن سعد «فاغفر للمهاجرين والأنصار» [البخاري: ٤٢٨، مسلم: ٥٢٤ ن عمرو بن عوف، ولفظ «فبارك» عند البخاري: ٢٨٣٥، ولفظ «فاغفر» عند البخاري: ٢٨٣٤، مسلم: ١٨٠٥ عن أنس، وحديث «(فاغفر للمهاجرين . . .» عند البخاري: ٣٧٩٧، مسلم: ١٨٠٤].

٢) حديث: كان يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله ﷺ أو ينافح ويقول رسول الله ﷺ «إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله ﷺ». أخرجه البخاري تعليقا، وأبو داود والترمذي والحاكم متصلا من حديث عائشة، قال الترمذي: حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وفي الصحيحين أنها قالت «إنه كان ينافح عن رسول الله ﷺ» [أبو داود: ٥٠١٥، الترمذي: ٢٨٤٦، انظر السلسلة الصحيحة: ١٦٥٧، وحديث «إنه كان ينافح . . . .» عند البخاري: ٤١٤٥، ومسلم: ٢٤٨٧].

(٣) صحيح: حديث أنه قال للنابغة لما أنشده شعرا «لا يفضض الله فاك». رواه البغوي في معجم الصحابة، وابن عبد البر في الاستيعاب بإسناد ضعيف من حديث النابغة واسمه قيس بن عبد الله قال: أنشدت النبي ﷺ:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا...

الأبيات

ورواه البزار بلفظ «علونا العباد عفة وتكرما... الأبيات» وفيه: فقال «أحسنت يا أبا ليلى لا يفضض الله فاك» وللحاكم من حديث خزيم بن أوس: سمعت العباس يقول: يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك، فقال «قل لا يفضض الله فاك» فقال العباس:

من قلبها طبت في الظلام وفي * مستودع حيث يخصف الورق... الأبيات

يتناشدون عنده الأشعار وهو يتبسم»[١] ، وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: أنشدت رسول الله مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت كل ذلك يقول: «هيه هيه» ثم قال: «إِنْ كَادَ فِي شِعْرِهِ لَيُسْلِمُ»[٢] وعن أنس رضي الله عنه أن النبيﷺ كان يحدى له في السفر. وأنّ أنجشة كان يحدو بالنساء، والبراء بن مالك كان يحدو بالرجال، فقال رسول اللهﷺ: «يَا أَنْجَشَةَ رُوَيْدَكَ سَوْقَكَ بِالقَوَارِيرِ»[٣] ، ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمان رسول اللهﷺ وزمان الصحابة رضي الله عنهم وما هو إلا أشعار تؤدى بأصوات طيبة وألحان موزونة ولم ينقل عن أحد من الصحابة إنكاره، بل ربما كانوا يلتمسون ذلك تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ. فلا يجوز أن يحرم من حيث إنه كلام مفهوم مستلذ مؤدى بأصوات طيبة وألحان موزونة.

الدرجة الرابعة: النظر فيه من حيث إنه محرك للقلب ومهيج لما هو الغالب عليه. فأقول: لله تعالى سر في مناسبة النغمات الموزونة للأرواح حتى إنها لتؤثر فيها تأثيرًا عجيبًا. فمن الأصوات ما يفرح، ومنها ما يحزن، ومنها ما ينوم، ومنها ما يضحك ويطرب، ومنها ما يستخرج من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس. ولا ينبغي أن يظن أنّ ذلك لفهم معاني الشعر، بل في الأوتار حتى قيل من لم يحركه الربيع وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج. وكيف يكون ذلك لفهم المعنى وتأثيره مشاهد في الصبي في مهده؟ فإنه يسكنه الصوت الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه عما يبكيه إلى الإصغاء إليه. والجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثرًا يستخف معه الأحمال الثقيلة. ويستقصر لقوّة نشاطه في سماعه المسافات الطويلة، وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه، فتراها إذا طالت عليها البوادي واعتراها الإعياء والكلال تحت المحامل والأحمال إذا سمعت منادى الحداء تمدّ أعناقها وتصغي إلى الحادي ناصية آذانها وتسرع في سيرها حتى تتزعزع عليها أحمالها ومحاملها، وربما تتلف أنفسها من شدّة السير وثقل الحمل وهي لا تشعر به لنشاطها. فقد حكى أبو بكر محمد بن داود الدينوري ـ المعروف بالرقي ـ رضي الله عنه قال: كنت بالبادية

---

(١) صحيح: حديث عائشة «كان أصحاب رسول اللهﷺ يتناشدون الأشعار وهو يبتسم». أخرجه الترمذي من حديث جابر بن سمرة وصححه ولم أقف عليه من حديث عائشة [الترمذي: ٢٨٥٠، انظر السلسلة الصحيحة: ٤٣٤].

(٢) حديث الشريد: أنشدت النبيﷺ مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت كل ذلك يقول «هيه هيه» ثم قال: «إن كاد في شعره ليسلم». رواه مسلم [مسلم: ٢٢٥٥].

(٣) صحيح: حديث أنس: كان يحدى له في السفر وإن أنجشة كان يحدو بالنساء وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال، فقال رسول اللهﷺ «يا أنجشة رويدك، سوقك بالقوارير».رواه أبو داود الطيالسي واتفق الشيخان منه على قصة أنجشة دون ذكر البراء بن مالك [البخاري في الأدب المفرد: ١٢٦٤، انظر صحيح الأدب المفرد، والبخاري: ٦١٤٩، مسلم: ٢٣٢٣ دون ذكر البراء بن مالك].

فوافيت قبيلة من قبائل العرب فأضافني رجل منهم وأدخلني خباءه، فرأيت في الخباء عبدًا أسود مقيدًا بقيد، ورأيت جمالًا قد ماتت بين يدي البيت وقد بقي منها جمل وهو ناحل ذابل كأنه ينزع روحه، فقال لي الغلام: أنت ضيف ولك حق فتشفع فيَّ إلى مولاي فإنه مكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك في هذا القدر، فعساه يحل القيد عني، قال: فلما أحضروا الطعام امتنعت وقلت لا آكل ما لم أشفع في هذا العبد، فقال: إن هذا العبد قد أفقرني وأهلك جميع مالي، فقلت: ماذا فعل؟ فقال: إنّ له صوتًا طيبًا وإني كنت أعيش من ظهور هذه الجمال، فحملها أحمالًا ثقالًا وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة من طيب نغمته، فلما حطت أحمالها ماتت كلها إلا هذا الجمل الواحد، ولكن أنت ضيفي فلكرامتك قد وهبته لك، قال: فأحببت أن أسمع صوته، فلما أصبحنا أمره أن يحدو على جمل يستقي الماء من بئر هناك، فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقعت أنا على وجهي، فما أظن أني سمعت قط صوتًا أطيب منه. فإذن تأثير السماع في القلب محسوس. ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على جميع البهائم، فإن جميعها تتأثر بالنغمات الموزونة. ولذلك كانت الطيور تقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته. ومهما كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلب لم يجز أن يحكم فيه مطلقًا بإباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالأحوال والأشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم ما في القلب.

قال أبو سليمان: السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه ولكن يحرك ما هو فيه، فالترنم بالكلمات المسجعة الموزونة معتاد في مواضع لأغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب وهي سبعة مواضع:

الأول: غناء الحجيج، فإنهم أولًا يدورون في البلاد بالطبل والشاهين والغناء، وذلك مباح لأنها أشعار نظمت في وصف الكعبة والمنام والحطيم وزمزم وسائر المشاعر ووصف البادية وغيرها، وأثر ذلك يهيج الشوق إلى حج بيت الله تعالى واشتعال نيرانه إن كان ثَم شوق حاصل، أو استثارة الشوق واجتلابه إن لم يكن حاصلًا. وإذا كان الحج قربة والشوق إليه محمودًا كان التشويق إليه بكل ما يشوق محمودًا. وكما يجوز للواعظ أن ينظم كلامه في الوعظ ويزينه بالسجع ويشوق الناس إلى الحج بوصف البيت والمشاعر ووصف الثواب عليه جاز لغيره ذلك على نظم الشعر، فإن الوزن إذا انضاف إلى السجع صار الكلام أوقع في القلب، فإذا أضيف إليه صوت طيب ونغمات موزونة زاد وقعه، فإن أضيف إليه الطبل والشاهين وحركات الإيقاع زاد التأثير. وكل ذلك جائز ما لم يدخل فيه المزامير والأوتار التي هي من شعار الأشرار، نعم إن قصد به تشويق من لا يجوز له الخروج إلى الحج كالذي أسقط الفرض عن نفسه ولم يأذن له أبواه في الخروج، فهذا يحرم عليه الخروج. فيحرم تشويقه إلى

الحج بالسماع بكل كلام يشوق إلى الخروج فإن التشويق إلى الحرام حرام. وكذلك إن كانت الطريق غير آمنة وكان الهلاك غالبًا لم يجز تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق.

الثاني: ما يعتاده الغزاة لتحريض الناس على الغزو. وذلك أيضًا مباح كما للحاج، ولكن ينبغي أن تخالف أشعارهم وطرق ألحانهم أشعار الحاج وطرق ألحانهم، لأن استثارة داعية الغزو - بالتشجيع وتحريك الغيظ والغضب فيه على الكفار وتحسين الشجاعة واستحقار النفس والمال بالإضافة إليه - بالأشعار المشجعة. مثل قول المتنبي:

فإنْ لا تمت تحت السيوف مكرَّمًا ... تمت وتقاسِ الذلَّ غير مكرَّمِ

وقوله أيضًا:

يرى الجبناءُ أنَّ الجبنَ حزمٌ ... وتلك خديعةُ الطبعِ اللئيمِ

وأمثال ذلك. وطرق الأوزان المشجعة تخالف الطرق المشوّقة. وهذا أيضًا مباح في وقت يباح فيه الغزو. ومندوب إليه وقت يستحب فيه الغزو، ولكن في حق من يجوز له الخروج إلى الغزو.

الثالث: الرجزيات التي يستعملها الشجعان في وقت اللقاء، والغرض منها التشجيع للنفس وللأنصار وتحريك النشاط فيهم للقتال، وفيه التمدح بالشجاعة والنجدة، وذلك إذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان أوقع في النفس، وذلك مباح في كل قتال مباح، ومندوب في قتال مندوب، ومحظور في قتال المسلمين وأهل الذمة. وكل قتال محظور، لأن تحريك الدواعي إلى المحظور محظور. وذلك منقول عن شجعان الصحابة رضي الله عنهم كعلي وخالد رضي الله عنهما وغيرهما. ولذلك نقول: ينبغي أن يمنع من الضرب بالشاهين في معسكر الغزاة فإن صوته مرقق محزن يحلل عقدة الشجاعة ويضعف صرامة النفس ويشوق إلى الأهل والوطن ويورث الفتور في القتال، وكذا سائر الأصوات والألحان المرققة للقلب، فالألحان المرققة المحزنة تباين الألحان المحركة المشجعة فمن فعل ذلك على قصد تغيير القلوب وتفتير الآراء عن القتال الواجب فهو عاصٍ، ومن فعله على قصد التفتير عن القتال المحظور فهو بذلك مطيع.

الرابع: أصوات النياحة ونغماتها وتأثيرها في تهييج الحزن والبكاء وملازمة الكآبة والحزن قسمان: محمود ومذموم.

فأما المذموم: فكالحزن على ما فات قال الله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣] والحزن على الأموات من هذا القبيل فإنه تسخط لقضاء الله تعالى وتأسف على ما لا تدارك له.

فهذا الحزن لما كان مذمومًا كان تحريكه بالنياحة مذمومًا فلذلك ورد النهي الصريح عن

النياحة[١].

وأما الحزن المحمود: فهو حزن الإنسان على تقصيره في أمر دينه، وبكاؤه على خطاياه. والبكاء والتباكي والحزن والتحازن على ذلك محمود وعليه بكاء آدم عليه السلام. وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لأنه يبعث على التشمير للتدارك، ولذلك كانت نياحة داود عليه السلام محمودة إذ كان ذلك مع دوام الحزن وطول البكاء بسبب الخطايا والذنوب، فقد كان عليه السلام يبكي ويبكي ويحزن حتى كانت الجنائز ترفع من مجالس نياحته. وكان يفعل ذلك بألفاظه وألحانه، وذلك محمود لأن المفضي إلى المحمود محمود. وعلى هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت أن ينشد على المنبر بألحانه الأشعار المحزنة المرققة للقلب ولا أن يبكي ويتباكى ليتوصل به إلى تبكية غيره وإثارة حزنه.

الخامس: السماع في أوقات السرور تأكيدًا للسرور وتهييجًا له، وهو مباح إن كان ذلك السرور مباحًا كالغناء في أيام العيد وفي العرس وفي وقت قدوم الغائب وفي وقت الوليمة والعقيقة وعند ولادة المولود وعند ختانه وعند حفظه القرآن العزيز. وكل ذلك مباح لأجل إظهار السرور به. ووجه جوازه أن من الألحان ما يثير الفرح والسرور والطرب فكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه. ويدل على هذا من النقل إنشاد النساء على السطوح بالدف والألحان عند قدوم رسول الله[٢]:

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنا مِن ثَنيّاتِ الوداع وَجَبَ الشّكر علينا ما دعَا لله داع

فهذا إظهار السرور لقدومه ﷺ وهو سرور محمود، فإظهاره بالشعر والنغمات والرقص والحركات أيضًا محمود. فقد نقل عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم حجلوا في سرور أصابهم[٣] - كما سيأتي في أحكام الرقص - وهو جائز في قدوم كل قادم يجوز الفرح به وفي كل سبب مباح من أسباب السرور. ويدل على هذا ما روي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «لقد رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في

---

(١) صحيح: حديث «النهي عن النياحة». متفق عليه من حديث أم عطية: أخذ علينا النبي ﷺ في البيعة أن لا ننوح [البخاري: ٤٨٩٢، مسلم: ٩٣٧].

(٢) حديث «إنشاد النساء عند قدوم رسول الله ﷺ:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أخرجه البيهقي في دلائل النبوة من حديث عائشة معضلا وليس فيه ذكر للدف والألحان [انظر السلسلة الضعيفة: ٥٩٨].

(٣) صحيح: حديث «حجل جماعة من الصحابة في سرور أصحابهم». أخرجه أبو داود من حديث علي وسيأتي في الباب الثاني [أبو داود: ١٨٤٩، وانظر صحيح أبي داود، والحجل: نوع من الطيور في حجم الحمام].

المسجد حتى أكون أنا الذي أسأمه»[١] فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو إشارة إلى طول مدة وقوفها. وروى البخاري ومسلم أيضًا في صحيحيهما حديث عقيل، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها: أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تدففان وتضربان والنبي ﷺ متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر رضي الله عنه، فكشف النبي ﷺ عن وجهه وقال: «دَعْهُما يَا أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّها أَيَّامُ عِيدٍ» وقالت عائشة رضي الله عنها: رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد فزجرهم عمر رضي الله عنه، فقال النبي : «أَمنًا يَا بَنِي أَرْفِدَةَ»[٢] ، يعني من الأمن، ومن حديث عمرو بن الحارث عن ابن شهاب نحوه وفيه: تغنيان وتضربان[٣] . وفي حديث أبي طاهر عن ابن وهب: «والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله ﷺ وهو يسترني بثوبه ـ أو بردائه ـ لكي أنظر إلى لعبهم ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا الذي أنصرف»[٤] ، وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت ألعب بالبنات عند رسول ﷺ الله ﷺ قالت وكـــان يأتيني صواحب لي فكن يتقنعن من رسول الله ﷺ وكان رسول الله يسر لمجيئهن إليَّ فيلعبن معي[٥] وفي رواية أن النبي ﷺ قال لها يومًا: «مَا هذَا؟» قالت: بناتي، قال: «فَمَا هذَا الَّذِي أَرَى فِي وَسَطِهِنَّ؟» قالت: فرس، قال:

---

(١) صحيح : حديث عائشة «رأيت النبي صلى الله عليه سلم يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا الذي أسأمه». هو كما ذكره المصنف أيضا في الصحيحين لكن قوله إنه فيهما من رواية عقيل عن الزهري ليس كما ذكر بل هو عند البخاري كما ذكر وعند مسلم من رواية عمرو بن الحارث عنه [البخاري: ٥٢٣٦، مسلم: ٧٨٥].

(٢) صحيح : حديث عائشة: رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد فزجرهم عمر رضي الله عنه فقال النبي ﷺ «أمنا يا بني أرفدة». [البخاري: ٢٩٠١، مسلم: ٨٩٣، النسائي: ١٥٩٦] تقدم قبله بحديث دون زجر عمر لهم... إلى آخره. فرواه مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله «أمنا يا بني أرفدة» بل قال «دعهم يا عمر» زاد النسائي «فإنما هم بنو أرفدة» ولهما من حديث عائشة «دونكم بني أرفدة» وقد ذكره المصنف بعد هذا [البخاري: ٢٩٠٧، مسلم: ٨٩٢].

(٣) صحيح : حديث عمرو بن الحارث عن ابن شهاب نحوه وفيه «يغنيان ويضربان». رواه مسلم وهو عند البخاري من رواية الأوزاعي عن ابن شهاب [البخاري: ٣٥٣٠، مسلم: ٨٩٢].

(٤) حديث أبي طاهر عن ابن وهب: والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله ﷺ وهو يسترني بثوبه – أو بردائه – لكي أنظر إلى لعبهم ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا الذي أنصرف». رواه مسلم أيضا [مسلم: ٨٩٢].

(٥) صحيح : حديث عائشة: كنت ألعب بالبنات عند رسول الله ﷺ قالت وكان يأتيني صواحب لي فكن يتقنعن من رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يسر لمجيئهن إلي فيلعبن معي». وهو في الصحيحين كما ذكر المصنف لكن مختصر إلى قولها «فيلعبن معي». [البخاري: ٦١٣٠، مسلم: ٢٤٤٠] وأما الرواية المطولة التي ذكرها المصنف بقوله: وفي رواية – فليست من الصحيحين إنما رواها أبو داود بإسناد صحيح، [أبي داود: ٤٩٣٢، انظر صحيح أبي داود].

«مَا هذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟» قالت: جناحان، قال: «فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ؟» قالت: أو ما سمعت أنه كان لسليمان بن داود عليه السلام خيل لها أجنحة؟ قالت: فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه. والحديث محمول عندنا على عادة الصبيان في اتخاذ الصورة من الخزف والرقاع من غير تكميل صورته بدليل ما روي في بعض الروايات أن الفرس كان له جناحان من رقاع. وقالت عائشة رضي الله عنها: دخل عليّ رسول الله وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه، فدخل أبو بكر رضي الله عنه فانتهرني وقال: مزمار الشيطان عند رسول الله ، فأقبل عليه رسول الله وقال: «دَعْهُما» فلما غفل غمزتهما فخرجتا [1]. وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب فإما سألت رسول الله وإما قال: «تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ» فقلت: نعم، فأقامني وراءه وخدّي على خده ويقول: «دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفِدَةَ» حتى إذا مللت قال: «حَسْبُكِ» قلت: نعم، قال: «فَاذْهَبِي» وفي صحيح مسلم: فوضعت رأسي على منكبه فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا الذي انصرفت.

فهذه الأحاديث كلها في الصحيحين وهو نص صريح في أن الغناء واللعب ليس بحرام. وفيها دلالة على أنواع من الرخص.

(الأول): اللعب: ولا يخفى عادة الحبشة في الرقص واللعب.

(والثاني): فعل ذلك في المسجد.

(والثالث): قوله ﷺ: «دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفِدَةَ» وهذا أمر باللعب والتماس له فكيف يقدر كونه حرامًا؟.

(والرابع): منعه لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما عن الإنكار والتغيير وتعليله بأنه يوم عيد, أي هو وقت سرور, وهذا من أسباب السرور.

(والخامس): وقوفه طويلًا في مشاهدة ذلك وسماعه لموافقة عائشة رضي الله عنها. وفيه دليل على أن حسن الخلق في تطييب قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب أحسن من خشونة الزهد والتقشف في الامتناع والمنع منه.

(والسادس): قوله ﷺ ابتداء لعائشة: «أَتَشْتَهِينَ أَنْ تَنْظُرِي؟» ولم يكن ذلك عن اضطرار إلى مساعدة الأهل خوفًا من غضب أو وحشة، فإن الالتماس إذا سبق ربما كان الرد سبب وحشة وهو محذور فيقدم محذور على محذور. فأما ابتداء السؤال فلا حاجة فيه.

---

(١) صحيح: حديث عائشة: دخل علي رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه، فدخل أبو بكر رضي الله عنه فانتهرني وقال: مزمار الشيطان عند رسول الله ﷺ؟! فأقبل عليه رسول الله ﷺ وقال: «دعهما». فلما غفل غمزتهما فخرجتا.

هو في الصحيحين كما ذكر المصنف، والرواية التي عزاها لمسلم انفرد بها مسلم كما ذكر [البخاري: ٩٥٠، مسلم: ٨٩٢].

(والسابع): الرخصة في الغناء والضرب بالدف من الجاريتين، مع أنه شبه ذلك بمزمار الشيطان وفيه بيان أن المزمار المحرم غير ذلك.

(والثامن): أن رسول الله كان يقرع سمعه صوت الجاريتين وهو مضطجع، ولو كان يضرب بالأوتار في موضع لما جوّز الجلوس ثم لقرع صوت الأوتار سمعه. فيدل هذا على أن صوت النساء غير محرم تحريم صوت المزامير بل إنما يحرم عند خوف الفتنة.

فهذه المقاييس والنصوص تدل على إباحة الغناء والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحراب والنظر إلى رقص الحبشة والزنوج في أوقات السرور كلها - قياسًا على يوم العيد - فإنه وقت سرور، وفي معناه يوم العرس والوليمة والعقيقة والختان ويوم القدوم من السفر، وسائر أسباب الفرح وهو كل ما يجوز به الفرح شرعًا، ويجوز الفرح بزيارة الإخوان ولقائهم واجتماعهم في موضع واحد على طعام أو كلام فهو أيضًا مظنة السماع.

السادس: سماع العشاق تحريكًا للشوق وتهييجًا للعشق وتسلية للنفس. فإن كان في مشاهدة المعشوق فالغرض تأكيد اللذة، وإن كان مع المفارقة فالغرض تهييج الشوق. والشوق وإن كان ألمًا ففيه نوع لذة إذا انضاف إليه رجاء الوصال فإن الرجاء لذيذ واليأس مؤلم، وقوة لذة الرجاء بحسب قوّة الشوق والحب للشيء المرجوّ.

ففي هذا السماع تهييج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء المقدر في الوصال مع الإطناب في وصف حسن المحبوب. وهذا حلال إن كان المشتاق إليه ممن يباح وصاله كمن يعشق زوجته أو سريته، فيصغي إلى غنائها لتضاعف لذته في لقائها. فيحظى بالمشاهدة البصر، وبالسماع الأذن، ويفهم لطائف معاني الوصال والفراق القلب، فتترادف أسباب اللذة. فهذه أنواع تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ [العنكبوت: ٦٤] وهذا منه. وكذلك إن غضبت منه جارية أو حيل بينه وبينها بسبب من الأسباب فله أن يحرك بالسماع شوقه وأن يستثير به لذة رجاء الوصال، فإن باعها أو طلقها حرم عليه ذلك بعده. إذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصال واللقاء. وأما من يتمثل في نفسه صورة صبي أو امرأة لا يحل له النظر إليها وكان ينزل ما يسمع على ما تمثل في نفسه فهذا حرام لأنه محرك للفكر في الأفعال المحظورة، ومهيج للداعية إلى ما لا يباح الوصول إليه. وأكثر العشاق والسفهاء من الشباب في وقت هيجان الشهوة لا ينفكون عن إضمار شيء من ذلك، وذلك ممنوع في حقهم لما فيه من الداء الدفين لا لأمر يرجع إلى نفس السماع. ولذلك سئل حكيم عن العشق فقال: دخان يصعد إلى دماغ الإنسان يزيله الجماع ويهيجه السماع.

السابع: سماع من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه فلا ينظر إلى شيء إلا رآه فيه سبحانه، ولا يقرع سمعه قارع إلا سمعه منه أو فيه، فالسماع في حقه مهيج لشوقه ومؤكد

لعشقه وحبه ومور زناد قلبه، ومستخرج منه أحوالًا من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها وينكرها من كَلَّ حسه عن ذوقها. وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجدًا مأخوذ من الوجود والمصادفة أي صادف من نفسه أحوالًا لم يكن يصادفها قبل السماع. ثم تكون تلك الأحوال أسبابًا لروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتنقيه من الكدورات كما تنقي النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث، ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات وهي غاية مطالب المحبين لله تعالى ونهاية ثمرة القربات كلها، فالمفضي إليها من جملة القربات لا من جملة المعاصي والمباحات. وحصول هذه الأحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى في مناسبة النغمات الموزونة للأرواح وتسخير الأرواح لها وتأثرها بها شوقًا وفرحًا وحزنًا وانبساطًا وانقباضًا. ومعرفة السبب في تأثر الأرواح بالأصوات من دقائق علوم المكاشفات.

والبليد الجامد القاسي القلب المحروم عن لذة السماع يتعجب من التذاذ المستمع ووجده واضطراب حاله وتغير لونه تعجب البهيمة من لذة اللوزينج، وتعجب العنين من لذة المباشرة، وتعجب الصبي من لذة الرياسة واتساع أسباب الجاه، وتعجب الجاهل من لذة معرفة الله تعالى ومعرفة جلاله وعظمته وعجائب صنعه. ولكل ذلك سبب واحد وهو أن اللذة نوع إدراك والإدراك يستدعي مدركًا ويستدعي قوة مدركة. فمن لم تكمل قوة إدراكه لم يتصوّر منه التلذذ فكيف يدرك لذة الطعوم من فقد الذوق؟ وكيف يدرك لذة الألحان من فقد السمع؟ ولذة المعقولات من فقد العقل؟ وكذلك ذوق السماع بالقلب بعد وصول الصوت إلى السمع يدرك بحاسة باطنة في القلب، فمن فقدها عدم لا محالة لذته.

ولعلك تقول: كيف يتصور العشق في حق الله تعالى حتى يكون السماع محركًا له؟ فاعلم أن من عرف الله أحبه لا محالة، ومن تأكدت معرفته تأكدت محبته بقدر تأكد معرفته. والمحبة إذا تأكدت سميت عشقًا فلا معنى للعشق إلا محبة مؤكدة مفرطة. ولذلك قالت العرب: إن محمدًا قد عشق ربه. لما رأوه يتخلى للعبادة في جبل حراء. واعلم أنّ كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال والله تعالى جميل يحب الجمال. ولكن الجمال إن كان بتناسب الخلقة وصفاء اللون أدرك بحاسة البصر. وإن كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات والأخلاق وإرادة الخيرات لكافة الخلق وإفاضتها عليهم على الدوام إلى غير ذلك من الصفات الباطنة أدرك بحاسة القلب. ولفظ الجمال قد يستعار أيضًا لها فيقال: إنّ فلانًا حسن وجميل ولا تراد صورته. وإنما يعني به أنه جميل الأخلاق محمود الصفات حسن السيرة، حتى قد يحب الرجل بهذه الصفات الباطنة استحسانًا لها كما تحب الصورة الظاهرة. وقد تتأكد هذه المحبة فتسمى عشقًا. وكم من الغلاة في حب أرباب المذاهب كالشافعي ومالك وأبي حنيفة رضي الله عنهم. حتى يبذلوا أموالهم وأرواحهم في نصرتهم وموالاتهم

ويزيدوا على كل عاشق في الغلو والمبالغة. ومن العجب أن يعقل عشق شخص لم تشاهد قط صورته أجميل هو أم قبيح وهو الآن ميت؟ ولكن لجمال صورته الباطنة وسيرته المرضية والخيرات الحاصلة من عمله لأهل الدين وغير ذلك من الخصال. ثم لا يعقل عشق من ترى الخيرات منه. بل على التحقيق من لا خير ولا جمال ولا محبوب في العالم إلا وهو حسنة من حسناته وأثر من آثار كرمه وغرفة من بحر جوده، بل كل حسن وجمال في العالم أدرك بالعقول والأبصار والأسماع وسائر الحواس من مبتدأ العالم إلى منقرضه ومن ذروة الثريا إلى منتهى الثرى فهو ذرّة من خزائن قدرته ولمعة من أنوار حضرته، فليت شعري كيف لا يعقل حب من هذا وصفه؟ وكيف لا يتأكد عند العارفين بأوصافه حبه حتى يجاوز حدًّا يكون إطلاق اسم العشق عليه ظلمًا في حقه لقصوره عن الإنباء عن فرط محبته؟ فسبحان من احتجب عن الظهور بشدّة ظهوره واستتر عن الأبصار بإشراق نوره، ولولا احتجابه بسبعين حجابًا من نوره لأحرقت سبحات وجهه أبصار الملاحظين لجمال حضرته، ولولا أنّ ظهوره سبب خفائه لبهتت العقول ودهشت القلوب وتخاذلت القوى وتنافرت الأعضاء، ولو ركبت القلوب من الحجارة والحديد لأصبحت تحت مبادىء أنوار تجليه دكًا دكًا، فأنّى تطيق كنه نور الشمس أبصار الخفافيش. وسيأتي تحقيق هذه الإشارة في كتاب المحبة. ويتضح أن محبة غير الله تعالى قصور وجهل بل المتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله تعالى، إذ ليس في الوجود تحقيقًا إلا الله وأفعاله. ومن عرف الأفعال من حيث إنها أفعال لم يجاوز معرفة الفاعل إلى غيره. فمن عرف الشافعي مثلًا رحمه الله وعلمه وتصنيفه من حيث إنه تصنيفه ـ لا من حيث إنه بياض وجلد وحبر وورق وكلام منظوم ولغة عربية ـ فلقد عرفه ولم يجاوز معرفة الشافعي إلى غيره، ولا جاوزت محبته إلى غيره، فكل موجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وفعله وبديع أفعاله فمن عرفها من حيث هي صنع الله تعالى فرأى من الصنع صفات الصانع كما يرى من حسن التصنيف فضل المصنف وجلالة قدره كانت معرفته ومحبته مقصورة على الله تعالى غير مجاوزة إلى سواه. ومن حدّ هذا العشق أنه لا يقبل الشركة وكل ما سوى هذا العشق فهو قابل للشركة؛ إذ كل محبوب سواه يتصوّر له نظير إما في الوجود وإما في الإمكان. فأما هذا الجمال فلا يتصوّر له ثان لا في الإمكان ولا في الوجود. فكان اسم العشق على حب غيره مجازًا محضًا لا حقيقة. نعم الناقص القريب في نقصانه من البهيمة قد لا يدرك من لفظة العشق إلا طلب الوصال الذي هو عبارة عن تماس ظواهر الأجسام وقضاء شهوة الوقاع. فمثل هذا الحمار ينبغي أن لا يستعمل معه لفظة العشق والشوق والوصال والأنس، بل يجنب هذه الألفاظ والمعاني كما تجنب البهيمة النرجس والريحان وتخصص بالفت والحشيش وأوراق القضبان. فإنّ الألفاظ إنما يجوز إطلاقها في حق الله تعالى إذا لم تكن موهمة معنى يجب تقديس الله تعالى عنه. والأوهام تختلف باختلاف الأفهام فليتنبه لهذه الدقيقة في أمثال هذه

الألفاظ، بل لا يبعد أن ينشأ من مجرّد السماع لصفات الله تعالى وجد غالب يقطع بسببه نياط القلب.

فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله : أنه ذكر غلامًا كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأمه: من خلق السماء؟ قالت: الله عز وجل، قال: فمن خلق الأرض؟ قالت: الله عز وجل، قال: فمن خلق الجبال؟ قالت. الله عز وجل، قال: فمن خلق الغيم؟ قالت: الله عز وجل، قال: إني لأسمع لله شأنًا. ثم رمى بنفسه من الجبل فتقطع[1] . وهذا كأنه سمع ما دل على جلال الله تعالى وتمام قدرته فطرب لذلك ووجد فرمى بنفسه من الوجد. وما أنزلت الكتب إلا ليطربوا بذكر الله تعالى. قال بعضهم: رأيت مكتوبًا في الإنجيل: غنينا لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا. أي شوقناكم بذكر الله تعالى فلم تشتاقوا. فهذا ما أردنا أن نذكره من أقسام السماع وبواعثه ومقتضياته وقد ظهر على القطع إباحته في بعض المواضع والندب إليه في بعض المواضع.

فإن قلت: فهل له حالة يحرم فيها؟ فأقول إنه يحرم بخمسة عوارض: عارض في المسمع، وعارض في آلة الإسماع، وعارض في نظم الصوت، وعارض في نفس المستمع أو في مواظبته، وعارض في كون الشخص من عوام الخلق، لأن أركان السماع هي المسمع والمستمع وآلة الإسماع.

العارض الأوّل: أن يكون المسمع امرأة لا يحل النظر إليها وتخشى الفتنة من سماعها، وفي معناها الصبي الأمرد الذي تخشى فتنته، وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنة وليس ذلك لأجل الغناء، بلو لو كانت المرأة بحيث يفتتن بصوتها في المحاورة من غير ألحان فلا يجوز محاورتها ومحادثتها ولا سماع صوتها في القرآن أيضًا، وكذلك الصبي الذي تخاف فتنته.

فإن قلت: فهل تقول إن ذلك حرام بكل حال حسمًا للباب أو لا يحرم إلا حيث تخاف الفتنة في حق من يخاف العنت؟ فأقول: هذه مسألة محتملة من حيث الفقه يتجاذبها أصلان:

أحدهما: أن الخلوة بالأجنبية والنظر إلى وجهها حرام سواء خيفت الفتنة أو لم تخف لأنها مظنة الفتنة على الجملة. فقضى الشرع بحسم الباب من غير التفات إلى الصور.

والثاني: أن النظر إلى الصبيان مباح إلا عند خوف الفتنة فلا يلحق الصبيان بالنساء في عموم الحسم بل يتبع فيه الحال: وصوت المرأة دائر بين هذين الأصلين فإن قسناه على النظر إليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب، ولكن بينهما فرق إذ الشهوة تدعو إلى النظر في أوّل

---

(١) حديث أبي هريرة: إن غلاما كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأمه: من خلق السماء؟ فقالت: الله عز وجل، قال: فمن خلق الأرض؟ قالت: الله عز وجل، قال: فمن خلق الجبال؟ قالت: الله عز وجل، قال: فمن خلق الغيم؟ قالت: الله عز وجل، قال: إني لأسمع لله شأنا. ثم رمى بنفسه من الجبل فتقطع». رواه ابن حبان.

هيجانها ولا تدعو إلى سماع الصوت وليس تحريك النظر لشهوة المماسة كتحريك السماع بل هو أشد. وصوت المرأة في غير الغناء ليس بعورة فلم تزل النساء في زمن الصحابة رضي الله عنهم يكلمن الرجال في السلام والاستفتاء والسؤال والمشاورة وغير ذلك.

ولكن للغناء مزيد أثر في تحريك الشهوة. فقياس هذا على النظر إلى الصبيان أولى لأنهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم تؤمر النساء بستر الأصوات. فينبغي أن يتبع مثار الفتن ويقصر التحريم عليه. هذا هو الأقيس عندي ويتأيد بحديث الجاريتين المغنيتين في بيت عائشة رضي الله عنها؛ إذ يعلم أنهﷺ كان يسمع أصواتهما ولم يحترز منه، ولكن لم تكن الفتنة مخوفة عليه فلذلك لم يحترز. فإذن يختلف هذا بأحوال المرأة وأحوال الرجل في كونه شابًا وشيخًا ولا يبعد أن يختلف الأمر في مثل هذا بالأحوال. فإنا نقول: للشيخ أن يقبّل زوجته وهو صائم وليس للشاب ذلك؛ لأن القبلة تدعو إلى الوقاع في الصوم وهو محظور، والسماع يدعو إلى النظر والمقاربة وهو حرام فيختلف ذلك أيضًا بالأشخاص.

العارض الثاني: في الآلة، بأن تكون من شعار أهل الشرف أو المخنثين وهو المزامير والأوتار وطبل الكوبة. فهذه ثلاثة أنواع ممنوعة. وما عدا ذلك يبقى على أصل الإباحة كالدف - وإن كان فيه الجلاجل - وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات.

العارض الثالث: في نظم الصوت وهو الشعر، فإن كان فيه شيء من الخنا والفحش والهجو أو ما هو كذب على الله تعالى وعلى رسولهﷺ أو على الصحابة رضي الله عنهم، كما رتبه الروافض في هجاء الصحابة وغيرهم، فسماع ذلك حرام بألحان وغير ألحان، والمستمع شريك للقائل. وكذلك ما فيه وصف امرأة بعينها فإنه لا يجوز وصف المرأة بين الرجال. وأما هجاء الكفار وأهل البدع فذلك جائز. فقد كان حسان بن ثابت رضي الله عنه ينافح عن رسول الله ويهاجي الكفار وأمرهﷺ بذلك[1] ، فأما النسيب وهو التشبيه بوصف الخدود والأصداغ وحسن القدّ والقامة وسائر أوصاف النساء فهذا فيه نظر, والصحيح أنه لا يحرم نظمه وإنشاده بلحن وغير لحن, وعلى المستمع أن لا ينزله على امرأة معينة, فإن نزله فلينزله على من يحل له من زوجته وجاريته, فإن نزله على أجنبية فهو العاصي بالتنزيل وإحالة الفكر فيه, ومن هذا وصفه فينبغي أن يجتنب السماع رأسا, فإن من غلب عليه عشق نزل كل ما يسمعه عليه؛ سواء كان اللفظ مناسبا له أو لم يكن , إذ ما لفظ إلا ويمكن تنزيله على معان بطريق الاستعارة, فالذي يغلب على قلبه حب الله تعالى يتذكر بسواد الصدغ مثلا ظلمة الكفر، وبنضارة الخد؛ نور الإيمان, وبذكر الوصال؛ لقاء الله تعالى, وبذكر الفراق؛ الحجاب

---

(١) صحيح: حديث «أمرﷺ حسان بن ثابت بهجاء المشركين». متفق عليه من حديث البراء: أنهﷺ قال لحسان «اهجهم أو هاجهم، وجبريل معك» [البخاري: ٣٢١٣، مسلم: ٢٤٨٦].

عن الله تعالى في زمرة المردودين, وبذكر الرقيب المشوّش لروح الوصال عوائق الدنيا وآفاتها المشوشة لدوام الأنس بالله تعالى, ولا يحتاج في تنزيل ذلك عليه إلى استنباط وتفكر ومهلة، بل تسبق المعاني الغالبة على القلب إلى فهمه مع اللفظ.

كما روي عن بعض الشيوخ، أنه مرَّ في السوق فسمع واحدًا يقول: الخيار عشرة بحبة، فغلبه الوجد، فسئل عن ذلك فقال: إذا كان الخيار عشرة بحبة فما قيمة الأشرار؟ واجتاز بعضهم في السوق فسمع قائلًا يقول: يا سعتر بري، فغلبه الوجد فقيل له: على ماذا كان وجدك؟ فقال: سمعته كأنه يقول اسع تر بري، حتى إن العجمي قد يغلب عليه الوجد على الأبيات المنظومة بلغة العرب فإن بعض حروفها يوازن الحروف العجمية فيفهم منها معان أخر. أنشد بعضهم:

وما زارني في الليل إلا خياله

فتواجد عليه رجل أعجمي, فسئل عن سبب وجده فقال: إنه يقول: مازاريم, وهو كما يقول فإن لفظ «زار» يدل في العجمية على المشرف على الهلاك، فتوهم أنه يقول: كلنا مشرفون على الهلاك، فاستشعر عند ذلك خطر هلاك الآخرة.

والمحترق في حب الله تعالى وجده بحسب فهمه، وفهمه بحسب تخيله، وليس من شرط تخيله أن يوافق مراد الشاعر ولغته. فهذا الوجد حق وصدق. ومن استشعر خطر هلاك الآخرة بأن يتشوّش عليه عقله وتضطرب عليه أعضاؤه. فإذن ليس في تغيير أعيان الألفاظ كبير فائدة، بل الذي غلب عليه عشق مخلوق ينبغي أن يحترز من السماع بأي لفظ كان، والذي غلب عليه حب الله تعالى فلا تضره الألفاظ ولا تمنعه عن فهم المعاني اللطيفة بمجاري همته الشريفة.

العارض الرابع : في المستمع، وهو أن تكون الشهوة غالبة عليه وكان في غرّة الشباب وكانت هذه الصفة أغلب عليه من غيرها، فالسماع حرام عليه سواء غلب على قلبه حب شخص معين أو لم يغلب، فإنه كيفما كان فلا يسمع وصف الصدغ والخدّ والفراق والوصال إلا ويحرك ذلك شهوته وينزله على صورة معينة ينفخ الشيطان بها في قلبه فتشتعل فيه نار الشهوة وتحتدّ بواعث الشر. وذلك هو النصرة لحزب الشيطان والتخذيل للعقل المانع منه الذي هو حزب الله تعالى، والقتال في القلب دائم بين جنود الشيطان وهي الشهوات، وبين حزب الله تعالى وهو نور العقل، إلا في قلب قد فتحه أحد الجندين واستولى عليه بالكلية. وغالب القلوب الآن قد فتحها جند الشيطان وغلب عليها فتحتاج حينئذ إلى أن تستأنف أسباب القتال لإزعاجها، فكيف يجوز تكثير أسلحتها وتشحيذ سيوفها وأسنّتها، والسماع مشحذ لأسلحة جند الشيطان في حق مثل هذا الشخص. فليخرج مثل هذا عن مجمع السماع فإنه يستضربه.

العارض الخامس: أن يكون الشخص من عوام الخلق ولم يغلب عليه حب الله تعالى فيكون السماع له محبوبًا، ولو غلبت عليه شهوة فيكون في حقه محظورًا. ولكنه أبيح في حقه كسائر أنواع اللذات المباحة، إلا أنه إذا اتخذه ديدنه وهجيراه وقصر عليه أكثر أوقاته فهذا هو السفيه الذي ترد شهادته، فإن المواظبة على اللهو جناية. وكما أن الصغيرة بالإصرار والمداومة تصير كبيرة فكذلك بعض المباحات بالمداومة تصير صغيرة، وهو كالمواظبة على متابعة الزنوج والحبشة والنظر إلى لعبهم على الدوام فإنه ممنوع وإن لم يكن أصله ممنوعًا إذ فعله رسول الله ومن هذا القبيل اللعب بالشطرنج فإنه مباح ولكن المواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة. ومهما كان الغرض اللعب والتلذذ باللهو فذلك إنما يباح لما فيه من ترويح القلب، إذ راحة القلب معالجة له في بعض الأوقات لتنبعث دواعيه فيشتغل في سائر الأوقات بالجدّ في الدنيا كالكسب والتجارة، أو في الدين كالصلاة والقراءة. واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان الخال على الخد، ولو استوعبت الخيلان الوجه لشوهته فما أقبح ذلك فيعود الحسن قبحًا بسبب الكثرة فما كل حسن يحسن كثيره ولا كل مباح يباح كثيره، بل الخبز مباح والاستكثار منه حرام. فهذا المباح كسائر المباحات.

فإن قلت: فقد أدى مساق هذا الكلام إلى أنه مباح في بعض الأحوال دون بعض فلم أطلقت القول أولًا بالإباحة إذ إطلاق القول في المفصل بلا أو بنعم خلف وخطأ؟ فاعلم أن هذا غلط لأن الإطلاق إنما يمتنع لتفصيل ينشأ من عين ما فيه النظر، فأما ما ينشأ من الأحوال العارضة المتصلة به من خارج فلا يمنع الإطلاق، ألا ترى أنا إذا سئلنا عن العسل أهو حلال أم لا؟ قلنا: إنه حلال، على الإطلاق مع أنه حرام على المحرور الذي يستضر به وإذا سئلنا عن الخمر قلنا: إنها حرام، مع أنها تحل لمن غص بلقمة أن يشربها مهما لم يجد غيرها، ولكن هي من حيث إنها خمر حرام وإنما أبيحت لعارض الحاجة. والعسل من حيث إنه عسل حلال وإنما حرم لعارض الضرر، وما يكون لعارض فلا يلتفت إليه فإن البيع حلال ويحرم بعارض الوقوع في وقت النداء يوم الجمعة ونحوه من العوارض، والسماع من جملة المباحات من حيث إنه سماع صوت طيب موزون مفهوم، وإنما تحريمه لعارض خارج عن حقيقة ذاته. فإذا انكشف الغطاء عن دليل الإباحة فلا نبالي بمن يخالف بعد ظهور الدليل.

وأما الشافعي رضي الله عنه فليس تحريم الغناء من مذهبه أصلًا.

وقد نص الشافعي وقال في الرجل يتخذه صناعة: لا تجوز شهادته. وذلك لأنه من اللهو المكروه الذي يشبه الباطل، ومن اتخذه صنعة كان منسوبًا إلى السفاهة وسقوط المروءة، وإن لم يكن محرمًا بيّن التحريم. فإن كان لا ينسب نفسه إلى الغناء ولا يؤتى لذلك ولا يأتي لأجله وإنما يعرف بأنه قد يطرب في الحال فيترنم بها لم يسقط هذا مروءته ولم يبطل شهادته. واستدل بحديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان في بيت عائشة رضي الله عنها، وقال يونس بن

عبد الأعلى: سألت الشافعي رحمه الله عن إباحة أهل المدينة للسماع فقال الشافعي: لا أعلم أحدًا من علماء الحجاز كره السماع إلا ما كان منه في الأوصاف، فأما الحداء وذكر الأطلال والمرابع وتحسين الصوت بألحان الأشعار فمباح.

وحيث قال: إنه لهو مكروه يشبه الباطل فقوله «لَهْوٌ» صحيح. ولكن اللهو من حيث إنه لهوٌ ليس بحرام فلعب الحبشة ورقصهم لهو، وقد كان ينظر ﷺ إليه ولا يكرهه. بل اللهو واللغو لا يؤاخذ الله تعالى به إن عنى به أنه فعل ما لا فائدة فيه. فإن الإنسان لو وظف على نفسه أنه يضع يده على رأسه في اليوم مائة مرة فهذا عبث لا فائدة له ولا يحرم. قال الله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] فإذا كان ذكر اسم الله تعالى على الشيء على طريق القسم من غير عقد عليه ولا تصميم والمخالفة فيه مع أنه لا فائدة فيه لا يؤاخذ فكيف يؤاخذ به بالشعر والرقص؟

وأما قوله: يشبه الباطل، فهذا لا يدل على اعتقاد تحريمه، بل لو قال: هو باطل صريحًا. لما دل على التحريم وإنما يدل على خلوه عن الفائدة، فالباطل ما لا فائدة فيه. فقول الرجل لامرأته مثلًا: بعت نفسي منك، وقولها: اشتريت، عقد باطل مهما كان القصد اللعب والمطايبة وليس بحرام إلا إذا قصد به التمليك المحقق منع الشرع منه.

وأما قوله: «مكروه» فينزل بعض المواضع التي ذكرتها لك أو ينزل على التنزيه، فإنه نص على إباحة لعب الشطرنج وذكر أني أكره لعبه وتعليله يدل عليه فإنه قال: ليس ذلك من عادة ذوي الدين والمروءة. فهذا يدل على التنزيه. ورده الشهادة بالمواظبة عليه لا يدل على تحريمه أيضًا، بل قد ترد الشهادة بالأكل في السوق وما يحرم المروءة، بل الحياكة مباحة وليست من صنائع ذوي المروءة، وقد ترد شهادة المحترف بالحرفة الخسيسة فتعليله يدل على أنه أراد بالكراهة التنزيه.

وهذا هو الظن أيضًا بغيره من كبار الأئمة. وإن أرادوا التحريم فما ذكرناه حجة عليهم.

بيان حجج القائلين بتحريم السماع والجواب عنها:

احتجوا بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [لقمان: ٦] قال ابن مسعود والحسن البصري والنخعي رضي الله عنهم: إنّ لهو الحديث هو الغناء. وروت عائشة رضي الله عنها أنّ النبي ﷺ قال: «إِنَّ الله تَعَالَى حَرَّمَ القَيْنَةَ وَبَيْعَها وَثَمَنَها وَتَعْلِيمَها»(١)، فنقول: أما القينة فالمراد بها الجارية التي تغني للرجال في مجلس الشرب. وقد ذكرنا أن غناء الأجنبية للفسّاق ومن يخاف عليهم الفتنة حرام، وهم لا يقصدون بالفتنة إلا ما هو محظور، فأما غناء

---

(١) ضعيف: حديث عائشة «إن الله حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها». أخرجه الطبراني في الأوسط بإسناد ضعيف، قال البيهقي ليس بمحفوظ [انظر السلسلة الضعيفة: ٣٤٥٧].

الجارية لمالكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث، بل لغير مالكها سماعها عند عدم الفتنة. بدليل ما روي في الصحيحين من غناء الجاريتين في بيت عائشة رضي الله عنها. وأما شراء لهو الحديث بالدين استبدالاً به ليضل به عن سبيل الله فهو حرام مذموم، وليس النزاع فيه، وليس كل غناء بدلاً عن الدين مشترى به ومضلاً عن سبيل الله تعالى، وهو المراد في الآية. ولو قرأ القرآن ليضل به عن سبيل الله لكان حرامًا.

حكي عن بعض المنافقين أنه كان يؤم الناس ولا يقرأ إلا سورة عبس لما فيها من العتاب مع رسول الله فهمَّ عمر بقتله، ورأى فعله حرامًا لما فيه من الإضلال. فالإضلال بالشعر والغناء أولى بالتحريم.

واحتجوا بقوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١﴾ [النجم: ٥٩-٦١] قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الغناء بلغة حمير ـ يعني السمد ـ فنقول: ينبغي أن يحرم الضحك وعدم البكاء أيضًا لأن الآية تشتمل عليه.

فإن قيل: إنّ ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لإسلامهم؟ فهذا أيضًا مخصوص بأشعارهم وغنائهم في معرض الاستهزاء بالمسلمين، كما قال تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤] وأراد به شعراء الكفار. ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر في نفسه.

واحتجوا بما روى جابر رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «كَانَ إِبْلِيسُ أَوَّلَ مَنْ نَاحَ وَأَوَّلَ مَنْ تَغَنَّى»(١)، فقد جمع بين النياحة والغناء؟ قلنا: لا جرم كما استثنى منه نياحة داود عليه السلام ونياحة المذنبين على خطاياهم فكذلك يستثنى الغناء الذي يراد به تحريك السرور والحزن والشوق حيث يباح تحريكه، بل كما استثنى غناء الجاريتين يوم العيد في بيت رسول الله ، وغناؤهن عند قدومه عليه السلام بقولهن:

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع

واحتجوا بما روى أبو أمامة عنه أنه ﷺ قال: «مَا رَفَعَ أَحَدٌ صَوْتَهُ بِغِنَاءٍ إِلاَّ بَعَثَ الله لَهُ شَيْطَانَيْنِ عَلَى مَنْكِبَيْهِ يَضْرِبَانِ بِأَعْقَابِهِما عَلَى صَدْرِهِ حَتَّى يُمْسِكَ»(٢)، قلنا: هو منزل على بعض أنواع الغناء الذي قدمناه وهو الذي يحرّك من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة وعشق المخلوقين، فأما ما يحرّك الشوق إلى الله أو السرور بالعيد أو حدوث الولد أو قدوم

---

(١) لا أصل له: حديث جابر «كان إبليس أول من ناح وأول من تغنى.

لم أجد له أصلا من حديث جابر وذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب ولم يخرجه ولده في مسنده [انظر السلسلة الضعيفة: ٤٤٤].

(٢) حديث أبي أمامة «ما رفع أحد عقيرته بغناء إلا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقالهما على صدره حتى يمسك». أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي والطبراني في الكبير وهو ضعيف [انظر تحريم آلات الطرب: ص ٦٨، قال الألباني: أخرجه الطبراني في الكبير من طريقين عن القاسم بن عبد الرحمن عنه، وقد كنت أوردته من أجلهما في الصحيحة (٢٩٢٢) ثم تبين لي أن أحدهما ضعيفًا شديدًا فعدلت عن تقويته].

الغائب فهذا كله يضاد مراد الشيطان. بدليل قصة الجاريتين والحبشة والأخبار التي نقلناها من الصحاح فالتجويز في موضع واحد نص في الإباحة، والمنع في ألف موضع محتمل للتأويل ومحتمل للتنزيل. أما الفعل فلا تأويل له، إذ ما حرم فعله إنما يحل بعارض الإكراه فقط، وما أبيح فعله يحرم بعوارض كثيرة حتى النيات والقصود.

واحتجوا بما روى عقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال: «كُلُّ شَيْءٍ يَلْهُو بِهِ الرَّجُلُ فَهُوَ بَاطِلٌ إِلاَّ تَأْدِيبَهُ فَرَسَهُ وَرَمْيَهُ بِقَوْسِهِ وَمُلاَعَبَتَهُ لامْرَأَتِهِ»[(١)]، قلنا: فقوله: «بَاطِلٌ» لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة وقد يسلم ذلك. على أن التلهي بالنظر إلى الحبشة خارج عن هذه الثلاثة وليس بحرام، بل يلحق بالمحصور غير المحصور قياسًا كقوله ﷺ «لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاثٍ»[(٢)]، فإنه يلحق به رابع وخامس، فكذلك ملاعبة امرأته لا فائدة له إلا التلذذ. وفي هذا دليل على أنّ التفرّج في البساتين وسماع أصوات الطيور وأنواع المداعبات مما يلهو به الرجل لا يحرم عليه شيء منها وإن جاز وصفه بأنه باطل.

واحتجوا بقول عثمان رضي الله عنه: ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني مذ بايعت بها رسول الله . قلنا: فليكن التمني ومس الذكر باليمنى حرامًا، إن كان هذا دليل تحريم الغناء فمن أين يثبت أن عثمان رضي الله عنه كان لا يترك إلا الحرام؟.

واحتجوا بقول ابن مسعود رضي الله عنه: الغناء يُنبت في القلب النفاق ـ وزاد بعضهم ـ كما ينبت الماء البقل[(٣)] ورفعه بعضهم إلى رسول الله وهو غير صحيح. قالوا: ومرَّ على ابن عمر رضي الله عنهما قوم محرمون وفيهم رجل يتغنى فقال: ألا لا أسمع الله لكم ألا لا أسمع الله لكم. وعن نافع أنه قال: كنت مع ابن عمر رضي الله عنهما في طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه ثم عدل عن الطريق؛ فلم يزل يقول: يا نافع أتسمع ذلك؟ حتى قلت: لا؛ فأخرج أصبعيه وقال: هكذا رأيت رسول الله صنع[(٤)] وقال الفضيل بن عياض رحمه الله:

---

(١) ضعيف: حديث عقبة بن عامر «كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه فرسه ورميه بقوس وملاعبته زوجته». أخرجه أصحاب السنن الأربعة وفيه اضطراب [أبو داود: ٢٥١٣، الترمذي: ١٦٣٧، والنسائي: ٣٥٧٨، وابن ماجه: ٢٨١١، وانظر ضعيف الجامع: ٧٨٤].

(٢) صحيح: حديث «لا يحل دم امرئ إلا بإحدى ثلاث». متفق عليه من حديث ابن مسعود [البخاري: ٦٨٧٨، مسلم: ١٦٧٦].

(٣) ضعيف: حديث ابن مسعود «الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل». قال المصنف والمرفوع غير صحيح لأن في إسناده من لم يسم، رواه أبو داود وهو في رواية ابن العبد ليس في رواية اللؤلؤي ورواه البيهقي مرفوعا وموقوفا [أبو داود: ٤٩٢٧، وانظر السلسلة الضعيفة: ٢٤٣٠].

(٤) صحيح: حديث نافع «كنت مع ابن عمر رضي الله عنهما في طريق فسمع زمارة راع فوضع إصبعيه في أذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول: يا نافع أتسمع ذلك؟ حتى قلت: لا فأخرج إصبعيه وقال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ صنع». رفعه أبو داود وقال هذا حديث منكر [أبو داود: ٤٩٢٤، انظر صحيح أبي داود].

الغناء رقية الزنا. وقال بعضهم: الغناء رائد من روّاد الفجور. وقال يزيد بن الوليد: إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ويزيد الشهوة ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعله السكر، فإن كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء فإن الغناء داعية الزنى. فنقول: قول ابن مسعود رضي الله عنه: «ينبت النفاق». أراد به في حق المغني، فإنه في حقه ينبت النفاق إذ غرضه كله أن يعرض نفسه على غيره ويروّج صوته عليه، ولا يزال ينافق ويتودد إلى الناس ليرغبوا في غنائه، وذلك أيضًا لا يوجب تحريمًا. فإن لبس الثياب الجميلة وركوب الخيل المهملجة وسائر أنواع الزينة والتفاخر بالحرث والأنعام والزرع وغير ذلك ينبت في القلب النفاق والرياء، ولا يطلق القول بتحريم ذلك كله. فليس السبب في ظهور النفاق في القلب المعاصي فقط، بل المباحات التي هي مواقع نظر الخلق أكثر تأثيرًا. ولذلك نزل عمر رضي الله عنه عن فرس هملج تحته وقطع ذنبه لأنه استشعر في نفسه الخيلاء لحسن مطيته. فهذا النفاق من المباحات. وأما قول ابن عمر رضي الله عنهما: ألا لا أسمع الله لكم. فلا يدل على التحريم من حيث إنه غناء بل كانوا محرمين ولا يليق بهم الرفث، وظهر له من مخايلهم أن سماعهم لم يكن لوجد وشوق إلى زيارة بيت الله تعالى بل لمجرّد اللهو، فأنكر ذلك عليهم لكونه منكرًا بالإضافة إلى حالهم وحال الإحرام. وحكايات الأحوال تكثر فيها وجوه الاحتمال. وأما وضعه أصبعيه في أذنيه فيعارضه أنه لم يأمر نافعًا بذلك ولا أنكر عليه سماعه، وإنما فعل ذلك هو لأنه رأى أن ينزه سمعه في الحال وقلبه عن صوت ربما يحرّك اللهو ويمنعه عن فكر كان فيه أو ذكر هو أولى منه. وكذلك فعل رسول الله ـ مع أنه لم يمنع ابن عمر ـ لا يدل أيضًا على التحريم. بل يدل على أنّ الأولى تركه. ونحن نرى أن الأولى تركه في أكثر الأحوال، بل أكثر مباحات الدنيا الأوْلى تركها إذا علم أن ذلك يؤثر في القلب. فقد خلع رسول الله بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبي جهم إذا كانت عليه أعلام شغلت قلبه[1]، أفترى أن ذلك يدل على تحريم الأعلام على الثوب؟ فلعله ﷺ كان في حالة كان صوت زمارة الراعي يشغله عن تلك الحالة كما شغله العلم عن الصلاة. بل الحاجة إلى استثارة الأحوال الشريفة من القلب بحيلة السماع قصور بالإضافة إلى من هو دائم الشهود للحق، وإن كان كمالاً بالإضافة إلى غيره. ولذلك قال الحصري: ماذا أعمل بسماع ينقطع إذا مات من يسمع منه؟ إشارة إلى أن السماع من الله تعالى هو الدائم. فالأنبياء عليهم السلام على الدوام في لذة السمع والشهود فلا يحتاجون إلى التحريك بالحيلة. وأما قول الفضيل: هو رقية الزنا. وكذلك ما عداه من الأقاويل القريبة منه. فهو منزل على سماع الفساق والمغتلمين من الشبان. ولو كان ذلك عامًا لما سمع من الجاريتين في بيت رسول الله .

---

(١) صحيح: حديث «خلع رسول الله ﷺ بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبي جهم إذ كان عليه أعلام شغلت قلبه». تقدم في الصلاة [البخاري: ٣٧٣، مسلم: ٥٥٦].

وأما القياس: فغاية ما يذكر فيه أن يقاس على الأوتار، وقد سبق الفرق، أو يقال هو لهو ولعب، وهو كذلك ولكن الدنيا كلها لهو ولعب. قال عمر رضي الله عنه لزوجته: إنما أنت لعبة في زاوية البيت. وجميع الملاعبة مع النساء لهو إلا الحراثة التي هي سبب وجود الولد. وكذلك المزح الذي لا فحش فيه حلال. نقل ذلك عن رسول الله وعن الصحابة، كما سيأتي تفصيله في كتاب «آفات اللسان» إن شاء الله[1] وأي لهو يزيد على لهو الحبشة والزنوج في لعبهم وقد تثبت بالنص إباحته؟ على أني أقول: اللهو مروّح للقلب ومخفف عنه أعباء الفكر، والقلوب إذا أكرهت عميت وترويحها إعانة لها على الجدّ، فالمواظب على التفقه مثلًا ينبغي أن يتعطل يوم الجمعة لأنّ عطلة يوم تبعث على النشاط في سائر الأيام، والمواظب على نوافل الصلوات في سائر الأوقات ينبغي أن يتعطل في بعض الأوقات، ولأجله كرهت الصلاة في بعض الأوقات. فالعطلة معونة على العمل واللهو معين على الجدّ، ولا يصبر على الجدّ المحض والحق المرّ إلا نفوس الأنبياء عليهم السلام. فاللهو دواء القلب من داء الإعياء والملال، فينبغي أن يكون مباحًا، ولكن لا ينبغي أن يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء، فإذًا اللهو على هذه النية يصير قربة، هذا في حق من لا يحرّك السماع من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها بل ليس إلا اللذة والاستراحة المحضة، فينبغي أن يستحب له ذلك ليتوصل به إلى المقصود الذي ذكرناه. نعم هذا يدل على نقصان عن ذروة الكمال فإن الكامل هو الذي لا يحتاج أن يروّح نفسه بغير الحق، ولكن حسنات الأبرار سيئات المقرّبين ومن أحاط بعلم علاج القلوب ووجوه التلطف بها لسياقتها إلى الحق علم قطعًا أن ترويحها بأمثال هذه الأمور دواء نافع لا غنى عنه.

الباب الثاني آثار السماع وآدابه

اعلم أنّ أوّل درجة السماع فهمُ المسموع وتنزيله على معنى يقع للمستمع، ثم يثمر الفهم الوجد، ويثمر الوجد الحركة بالجوارح. فلينظر في هذه المقامات الثلاثة.

المقام الأوّل: في الفهم، وهو يختلف باختلاف أحوال المستمع.

وللمستمع أربعة أحوال:

إحداها: أن يكون سماع بمجرّد الطبع أي لا حظ له في السماع إلا استلذاذ الألحان والنغمات، وهذا مباح وهو أخسر رتب السماع، إذ الإبل شريكة له فيه، وكذا سائر البهائم بل لا يستدعي هذا الذوق إلا الحياة، فلكل حيوان نوع تلذذ بالأصوات الطيبة.

الحالة الثانية: أن يسمع بفهم ولكن ينزله على صورة مخلوق إما معينًا وإما غير معين،

(١) حديث مزاحه ﷺ يأتي في آفات اللسان كما قال المصنف.

وهو سماع الشباب وأرباب الشهوات ويكون تنزيلهم للمسموع على حسب شهواتهم ومقتضى أحوالهم، وهذه الحالة أخس من أن نتكلم فيها إلا ببيان خستها والنهي عنها.

[illegible]: أن ينزل ما يسمعه على أحوال نفسه في معاملته لله تعالى وتقلب أحواله في التمكن مرّة والتعذر أخرى، وهذا سماع المريدين لا سيما المبتدئين، فإنّ للمريد لا محالة مرادًا هو مقصده، ومقصده معرفة الله سبحانه ولقاؤه والوصول إليه بطريق المشاهدة بالسر وكشف الغطاء، وله في مقصده طريق هو سالكه، ومعاملات هو مثابر عليها، وحالات تستقبله في معاملاته. فإذا سمع ذكر عتاب أو خطاب أو قبول أو رد أو وصل أو هجر أو قرب أو بعد أو تلهف على فائت أو تعطش إلى منتظر أو شوق إلى وارد أو طمع أو يأس أو وحشة أو استئناس أو وفاء بالوعد أو نقض للعهد أو خوف فراق أو فرح بوصال أو ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب أو هموم العبرات أو ترادف الحسرات أو طول الفراق أو عدة الوصال أو غير ذلك مما يشتمل على وصفه الأشعار فلا بدّ أن يوافق بعضها حال المريد في طلبه فيجري ذلك مجرد القدح الذي يوري زناد قلبه، فتشتعل به نيرانه ويقوى به انبعاث الشوق وهيجانه ويهجم عليه بسببه أحوال مخالفة لعادته ويكون له مجال رحب في تنزيل الألفاظ على أحواله. وليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه، بل لكل كلام وجوه، ولكل ذي فهم في اقتباس المعنى منه حظوظ. ولنضرب لهذه التنزيلات والفهوم أمثلة كي لا يظن الجاهل أن المستمع لأبيات فيها ذكر الفم والخد والصدغ إنما يفهم منها ظواهرها. ولا حاجة بنا إلى ذكر كيفية فهم المعاني من الأبيات ففي حكايات أهل السماع ما يكشف عن ذلك.

فقد حكي أن بعضهم سمع قائلًا يقول:

قال الرسول غدًا تزور ... فقلت تعقل ما تقولُ

فاستفزه اللحن والقول وتواجد وجعل يكرر ذلك ويجعل مكان التاء نونًا. فيقول: قال الرسول غدًا نزور، حتى غشي عليه من شدة الفرح واللذة والسرور. فلما أفاق سئل عن وجده مم كان؟ فقال: ذكرت قول الرسول : «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَزُورُونَ رَبَّهُمْ فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ مَرَّةً»(١) . وحكى الرقي عن ابن الدراج أنه قال: كنت أنا وابن الفوطي مارين على دجلة بين البصرة والأبلة، فإذا بقصر حسن له منظرة وعليه رجل بين يديه جارية تغني وتقول:

كل يوم تتلوّنْ؟ ... غير هذا بك أحسنْ

---

٣ الباب الثاني: في آداب السماع وآثاره.

(١) موضوع: حديث «إن أهل الجنة يزورون ربهم في كل جمعة». أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة وفيه عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين مختلف فيه وقال الترمذي: لا نعرفه إلا من هذا الوجه قال: وقد روى سويد بن عمرو عن الأوزاعي شيئا من هذا [الترمذي: ٢٥٤٩، ابن ماجه: ٤٣٣٦ بنحوه، انظر السلسلة الضعيفة: ٣١٧١ واللفظ فيها].

فإذا شاب حسن تحت المنظرة وبيده ركوة وعليه مرقعة يستمع فقال: يا جارية بالله وبحياة مولاك ألا أعدت عليَّ هذا البيت. فأعادت فكان الشاب يقول: هذا والله تلوّني مع الحق في حالي، فشهق شهقة ومات، قال: فقلنا قد استقبلنا فرض، فوقفنا، فقال صاحب القصر للجارية: أنت حرّة لوجه الله تعالى قال ثم إن أهل البصرة خرجوا فصلوا عليه، فلما فرغوا من دفنه قال صاحب القصر: أشهدكم أن كل شيء لي في سبيل الله، وكل جواري أحرار، وهذا القصر للسبيل. قال: ثم رمى بثيابه واتزر بإزار وارتدى بآخر ومرّ على وجهه والناس ينظرون إليه حتى غاب عن أعينهم، وهم يبكون. فلم يسمع له بعد خبر. والمقصود أن هذا الشخص كان مستغرق الوقت بحاله مع الله تعالى ومعرفة عجزه عن الثبوت على حسن الأدب في المعاملة وتأسفه على تقلب قلبه وميله عن سنن الحق، فلما قرع سمعه ما يوافق حاله سمعه من الله تعالى كأنه يخاطبه ويقول له:

كل يوم تتلوّن؟ غير هذا بك أحسن

ومن كان سماعه من الله تعالى وعلى الله وفيه. فينبغي أن يكون قد أحكم قانون العلم في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته. وإلا خطر له من السماع في حق الله تعالى ما يستحيل عليه ويكفر به. ففي سماع المريد المبتدىء خطر إلا إذا لم ينزل ما يسمع إلا على حاله من حيث لا يتعلق بوصف الله تعالى. ومثال الخطأ فيه هذا البيت بعينه فلو سمعه في نفسه وهو يخاطب به ربه عز وجل فيضيف التلوّن إلى الله تعالى فيكفر، وهذا قد يقع عن جهل محض مطلق غير ممزوج بتحقيق، وقد يكون عن جهل ساقه إليه نوع من التحقيق، وهو أن يرى تقلب أحوال قلبه بل تقلب أحوال سائر العالم من الله وهو حق، فإنه تارة يبسط قلبه وتارة يقبضه وتارة ينوّره وتارة يظلمه وتارة يقسيه وتارة يلينه وتارة يثبته على طاعته ويقوّيه عليها وتارة يسلط الشيطان عليه ليصرفه عن سنن الحق، وهذا كله من الله تعالى. ومن يصدر منه أحوال مختلفة في أوقات متقاربة فقد يقال له في العادة: إنه ذو بداوات وإنه متلوّن. ولعل الشاعر لم يرد به إلا نسبة محبوبه إلى التلوّن في قبوله ورده وتقريبه وإبعاده وهذا هو المعنى. فسماع هذا كذلك في حق الله تعالى كفر محض بل ينبغي أن يعلم أنه سبحانه وتعالى يلوّن ولا يتلوّن ويغيِّر ولا يتغيِّر بخلاف عباده. وذلك العلم يحصل للمريد باعتقاد تقليدي إيماني. ويحصل للعارف البصير بيقين كشفي حقيقي. وذلك من أعاجيب أوصاف الربوبية وهو المغير من غير تغير، ولا يتصوّر ذلك إلا في حق الله تعالى، بل كل مغير سواه فلا يغير ما لم يتغير. ومن أرباب الوجد من يغلب عليه حال مثل السكر المدهش، فيطلق لسانه بالعتاب مع الله تعالى، ويستنكر اقتهاره للقلوب، وقسمته للأحوال الشريفة على تفاوت. فإنه المستصفي لقلوب الصديقين، والمبعد لقلوب الجاحدين والمغرورين، فلا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، ولم يقطع التوفيق عن الكفار لجناية متقدمة، ولا أمدَّ الأنبياء عليهم السلام بتوفيقه ونور هدايته لوسيلة

سابقة، ولكنه قال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[الصافات:١٧١] وقال عز وجل: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[السجدة:١٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[الأنبياء:١٠١] فإن خطر ببالك أنه لم اختلفت السابقة وهم في ربقة العبودية مشتركون؟ نوديت من سرادقات الجلال لا تجاوز حد الأدب، فإنه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[الأنبياء:٢٣] ولعمري تأدب اللسان والظاهر مما يقدر عليه الأكثرون. فأما تأدب السر عن إضمار الاستبعاد بهذا الاختلاف الظاهر في التقريب والإبعاد والإشقاء والإسعاد مع بقاء السعادة والشقاوة أبد الآباد فلا يقوى عليه إلا العلماء الراسخون في العلم. ولهذا قال الخضر عليه السلام لما سئل عن السماع في المنام: إنه الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء لأنه محرّك لأسرار القلوب ومكامنها، ومشوّش لها تشويش السكر المدهش الذي يكاد يحل عقدة الأدب عن السر إلا ممن عصمه الله تعالى بنور هدايته ولطيف عصمته. ولذلك قال بعضهم: ليتنا نجونا من هذا السماع رأسًا برأس: ففي هذا الفن من السماع خطر يزيد على خطر السماع المحرّك للشهوة، فإنّ غاية ذلك معصية وغاية الخطأ ههنا كفر.

واعلم أن الفهم قد يختلف بأحوال المستمع، فيغلب الوجد على مستمعين لبيت واحد وأحدهما مصيب في الفهم والآخر مخطىء، أو كلاهما مصيبان وقد فهما معنيين مختلفين متضادين، ولكنه بالإضافة إلى اختلاف أحوالهما لا يتناقض. كما حكي عن عتبة الغلام أنه سمع رجلًا يقول:

سبحان جبار السما ... إن المحب لفي عنا

فقال: صدقت. وسمعه رجل آخر فقال: كذبت. فقال بعض ذوي البصائر: أصابا جميعًا وهو الحق فالتصديق كلام محب غير ممكن من المراد بل مصدود متعب بالصدّ والهجر. والتكذيب كلام مستأنس بالحب مستلذ لما يقاسيه بسبب فرط حبه غير متأثر به، أو كلام محب غير مصدود عن مراده في الحال ولا مستشعر بخطر الصدّ في المآل. وذلك لاستيلاء الرجاء وحسن الظن على قلبه. فباختلاف هذه الأحوال يختلف الفهم.

وحكي عن أبي القاسم بن مروان ـ وكان قد صحب أبا سعيد الخراز رحمه الله وترك حضور السماع سنين كثيرة ـ فحضر دعوة وفيها إنسان يقول:

واقفٌ في الماء عطشا ... ن ولكن ليس يسقى

فقام القوم وتواجدوا، فلما سكنوا سألهم عن معنى ما وقع لهم من معنى البيت، فأشاروا إلى التعطش إلى الأحوال الشريفة والحرمان منها مع حضور أسبابها، فلم يقنعه ذلك فقالوا له: فماذا عندك فيه؟ فقال: أن يكون في وسط الأحوال ويكرم بالكرامات ولا يُعطى منها ذرّة. وهذه إشارة إلى إثبات حقيقة وراء الأحوال، والكرامات والأحوال سوابقها، والكرامات تسنح

في مباديها، والحقيقة بعد لم يقع الوصول إليها. ولا فرق بين المعنى الذي فهمه وبين ما ذكروه إلا في تفاوت رتبة المتعطش إليه، فإن المحروم عن الأحوال الشريفة أولًا يتعطش إليها، فإن مكن منها تعطش إلى ما وراءها، فليس بين المعنيين اختلاف في الفهم بل الاختلاف بين الرتبتين. وكان الشبلي رحمه الله كثيرًا ما يتواجد على هذا البيت:

ودادُكم هجرٌ وحبّكم قِلًّ ووصلُكم صرمٌ وسلمكم حربُ

وهذا البيت يمكن سماعه على وجوه مختلفة بعضها حق وبعضها باطل، وأظهرها: أن يفهم هذا في الخلق بل في الدنيا بأسرها بل في كل ما سوى الله تعالى. فإن الدنيا مكارة خداعة قتالة لأربابها معادية لهم في الباطن ومظهرة صورة الود «فما امتلأت منها دار حبرة إلا امتلأت عبرة»[1]، كما ورد في الخبر وكما قال الثعلبي في وصف الدنيا:

تنحّ عن الدّنيا فلا تخطبنّها ولا تخطبنْ قتالة من تناكحُ
فليس يفي مرجوّها بمخوفها ومكروهها إمّا تأملتَ راجحُ
لقد قال فيها الواصفون فأكثروا وعندي لها وصفٌ لعمري صالحُ
سلافٌ قصارها زعافٌ ومركب شهيٌّ إذا استذللته فهو جامحُ
وشخص جميل يؤثر الناس حسنه ولكن له أسرار سوءٍ قبائحُ

والمعنى الثاني: أن ينزله على نفسه في حق الله تعالى، فإنه إذا تفكر فمعرفته جهل إذ ما قدروا الله حق قدره. وطاعته رياء إذ لا يتقي الله حق تقاته، وحبه معلول إذ لا يدع شهوة من شهواته في حبه. ومن أراد الله به خيرًا بصره بعيوب نفسه فيرى مصداق هذا البيت في نفسه، وإن كان عليّ المرتبة بالإضافة إلى الغافلين، ولذلك قال ﷺ: «لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[2]، وقال عليه الصلاة والسلام: «إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ الله فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ سَبْعِينَ مَرَّةً»[3]، وإنما كان استغفاره عن أحوال هي درجات بعد بالإضافة إلى ما بعدها، وإن كانت قربًا بالإضافة إلى ما قبلها، فلا قرب إلا ويبقى وراءه قرب لا نهاية له إذ سبيل السلوك إلى الله تعالى غير متناه، والوصول إلى أقصى درجات القرب محال.

والمعنى الثالث: أن ينظر في مبادىء أحواله فيرتضيها ثم ينظر في عواقبها فيزدريها لاطلاعه على خفايا الغرور فيها، فيرى ذلك من الله تعالى فيستمع البيت في حق الله تعالى

---

(١) حديث «ما امتلأت دار منها حبرة إلا امتلأت عبرة». أخرجه ابن المبارك عن عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبي كثير مرسلا.

(٢) صحيح: حديث «لا أحصي ثناء عليك أنت كما ثنيت على نفسك». رواه مسلم وقد تقدم [مسلم: ٤٨٦].

(٣) صحيح: حديث «إني لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة». تقدم في الباب الثاني من الأذكار [البخاري: ٦٣٠٧].

شكاية من القضاء والقدر وهذا كفر ـ كما سبق بيانه ـ وما من بيت إلا ويمكن تنزيله على معان، وذلك بقدر غزارة علم المستمع وصفاء قلبه.

الحالة الرابعة: سماع من جاوز الأحوال والمقامات فعزب عن فهم ما سوى الله تعالى حتى عزب عن نفسه وأحوالها ومعاملاتها، وكان كالمدهوش الغائص في بحر عين الشهود الذي يضاهي حاله حال النسوة اللاتي قطعن أيديهن في مشاهدة جمال يوسف عليه السلام حتى دهشن وسقط إحساسهن. وعن مثل هذه الحالة تعبر الصوفية بأنه قد فنى عن نفسه. ومهما فني عن نفسه فهو عن غيره أفنى فكأنه فني عن كل شيء إلا عن الواحد المشهود. وفني أيضًا عن الشهود فإن القلب أيضًا إذا التفت إلى الشهود وإلى نفسه بأنه مشاهد فقد غفل عن المشهود. فالمستهتر بالمرئي لا التفات له في حال استغراقه إلى رؤيته ولا إلى عينه التي بها رؤيته ولا إلى قلبه الذي به لذته، فالسكران لا خبر له من سكره، والمتلذذ لا خبر له من التذاذه، وإنما خبره من المتلذذ به فقط. ومثاله العلم بالشيء: فإنه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشيء فالعالم بالشيء مهما ورد عليه العلم بالعلم بالشيء كان معرضًا عن الشيء. ومثل هذه الحالة قد تطرأ في حق المخلوق وتطرأ أيضًا في حق الخالق، ولكنها في الغالب تكون كالبرق الخاطف الذي لا يثبت ولا يدوم، وإن دام لم تطقه القوة البشرية، فربما اضطرب تحت أعبائه اضطرابًا تهلك به نفسه.

كما روي عن أبي الحسن النوري أنه حضر مجلسًا فسمع هذا البيت:

ما زلتُ أنزل من ودادك منزلاً تتحير الألباب عند نزوله

فقام وتواجد وهام على وجهه. فوقع في أجمة قصب قد قطع وبقيت أصوله مثل السيوف، فصار يعدو فيها ويعيد البيت إلى الغداة والدم يخرج من رجليه، حتى ورمت قدماه وساقاه وعاش بعد ذلك أيامًا ومات رحمه الله. فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد فهي أعلى الدرجات لأن السماع على الأحوال نازل عن درجات الكمال وهي ممتزجة بصفات البشرية وهو نوع قصور، وإنما الكمال أن يفنى بالكلية عن نفسه وأحواله؛ أعني أنه ينساها فلا يبقى له التفات إليها كما لم يكن للنسوة التفات إلى الأيدي والسكاكين. فيسمع لله وبالله وفي الله ومن الله وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الأحوال والأعمال واتحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الإخلاص، فلم يبق فيه منه شيء أصلًا، بل خمدت بالكلية بشريته وفني التفاته إلى صفات البشرية رأسًا، ولست أعني بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه، ولست أعني بالقلب اللحم والدم بل سر لطيف له إلى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سر الروح الذي هو من أمر الله عز وجل ـ عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ـ ولذلك السر وجود. وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه فإذا حضر فيه غيره فكأنه لا وجود إلا للحاضر. ومثاله المرآة المجلوة إذ ليس لها لون في نفسها بل لونها لون الحاضر فيها، وكذلك الزجاجة فإنها تحكي لون قرارها

ولونها لون الحاضر فيها. وليس لها في نفسها صورة بل صورتها قبول الصور، ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول الألوان، ويعرب عن هذه الحقيقة ـ أعني سر القلب بالإضافة إلى ما يحضر فيه ـ قول الشاعر:

رقّ الزجاج ورقّتِ الخمرُ فتشابها فتشاكل الأمرُ
فكأنما خمرٌ ولا قدحٌ وكأنما قدحٌ ولا خمرُ

وهذا مقام من مقامات علوم المكاشفة منه نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد، وقال أنا الحق وحوله يدندن كلام النصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت أو تدرعها بها أو حلولها فيها على ما اختلف فيهم عباراتهم وهو غلط محض يضاهي غلط من يحكم على المرآة بصورة الحمرة إذ ظهر فيها لون الحمرة مقابلها، وإذا كان هذا لا غير لائق بعلم المعاملة فلنرجع إلى الغرض؛ فقد ذكرنا تفاوت الدرجات في فهم المسموعات.

المقام الثاني: بعد الفهم والتنزيل، الوجد: وللناس كلام طويل في حقيقة الوجد ـ أعني الصوفية والحكماء الناظرين في وجه مناسبة السماع للأرواح ـ فلننقل من أقوالهم ألفاظًا ثم لنكشف عن الحقيقة فيه.

أما الصوفية، فقد قال ذو النون المصري رحمه الله في السماع: إنه وارد حق جاء يزعج القلوب إلى الحق، فمن أصغى إليه بحق تحقق، ومن أصغى إليه بنفس تزندق. فكأنه عبر عن الوجد بانزعاج القلوب إلى الحق وهو الذي يجده عند ورود وارد السماع إذ سمى السماع وارد حق. وقال أبو الحسن الدراج مخبرًا عما وجده في السماع: الوجد عبارة عما يوجد عند السماع، وقال: جال بي السماع في ميادين البهاء فأوجدني وجود الحق عند العطاء فسقاني بكأس الصفاء فأدركت به منازل الرضاء وأخرجني إلى رياض التنزه والقضاء. وقال الشبلي رحمه الله: السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة، فمن عرف الإشارة حل له استماع العبارة وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية. وقال بعضهم: السماع غذاء الأرواح لأهل المعرفة لأنه وصف يدق عن سائر الأعمال ويدرك برقة الطبع لرقته وبصفاء السر لصفائه ولطفه عند أهله. وقال عمرو بن عثمان المكي: لا يقع على كيفية الوجد عبارة لأن سر الله عند عباده المؤمنين الموقنين. وقال بعضهم: الوجد مكاشفات من الحق. وقال أبو سعيد بن الأعرابي: الوجد رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ومحادثة السر وإيناس المفقود، وهو فناؤك من حيث أنت، وقال أيضًا: الوجد أول درجات الخصوص وهو ميراث التصديق بالغيب فلما ذاقوه وسطع في قلوبهم نوره زال عنهم كل شك وريب. وقال أيضًا: الذي يحجب عن الوجد رؤية آثار النفس والتعلق بالعلائق والأسباب، لأن النفس محجوبة بأسبابها فإذا انقطعت الأسباب وخلص الذكر وصحا القلب ورق وصفا ونجحت الموعظة فيه وحل من المناجاة في محل قريب وخوطب وسمع الخطاب بأذن واعية وقلب شاهد وسر ظاهر

فشاهد ما كان منه خاليًا، فذلك هو الوجد لأنه قد وجد ما كان معدومًا عنده. وقال أيضًا: الوجد ما يكون عند ذكر مزعج أو خوف مقلق أو توبيخ على زلة أو محادثة بلطيفة أو إشارة إلى فائدة أو شوق إلى غائب أو أسف على فائت أو ندم على ماض أو استجلاب إلى حال أو داع إلى واجب أو مناجاة بسر، وهو مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والغيب بالغيب والسر بالسر واستخراج ما لك بما عليك مما سبق للسعي فيه فيكتب ذلك لك بعد كونه منك، فيثبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا ذكر، إذ كان هو المبتدىء بالنعم والمتولي، وإليه يرجع الأمر كله، فهذا ظاهر علم الوجد وأقوال الصوفية من هذا الجنس في الوجد كثيرة.

وأما الحكماء فقال بعضهم: في القلب فضيلة شريفة لم تقدر قوّة النطق على إخراجها باللفظ فأخرجتها النفس بالألحان، فلما ظهرت سرت وطربت إليها فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة الظواهر. وقال بعضهم: نتائج السماع استنهاض العاجز من الرأي واستجلاب العازب من الأفكار وحدة الكالّ من الأفهام والآراء حتى يثوب ما عزب وينهض ما عجز ويصفو ما كدر ويمرح في كل رأي ونية، فيصيب ولا يخطىء ويأتي ولا يبطىء. وقال آخر: كما أن الفكر يطرق العلم إلى المعلوم فالسماع يطرق القلب إلى العالم الروحاني. وقال بعضهم: وقد سئل عن سبب حركة الأطراف بالطبع على وزن الألحان والإيقاعات فقال: ذلك عشق عقلي والعاشق العقلي لا يحتاج إلى أن يناغي معشوقه بالمنطق الجرمي بل يناغيه ويناجيه بالتبسم واللفظ والحركة اللطيفة بالحاجب والجفن والإشارة، وهذه نواطق أجمع إلا أنها روحانية، وأما العاشق البهيمي فإنه يستعمل المنطق الجرمي ليعبر به عن ثمرة ظاهر شوقه الضعيف وعشقه الزائف. وقال آخر: من حزن فليسمع الألحان. فإن النفس إذا دخلها الحزن خمد نورها، وإذا فرحت اشتعل نورها وظهر فرحها فيظهر الحنين بقدر قبول القابل وذلك بقدر صفائه ونقائه من الغش والدنس.

والأقاويل المقررة في السماع والوجد كثيرة ولا معنى للاستكثار من إيرادها، فلنشتغل بتفهيم المعنى الذي يوجد عبارة عنه فنقول: إنه عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد حق جديد عقيب السماع يجده المستمع من نفسه. وتلك الحالة لا تخلو عن قسمين: فإنها إما أن ترجع إلى مكاشفات ومشاهدات هي من قبيل العلوم والتنبيهات، وإما أن ترجع إلى تغيرات وأحوال ليست من العلوم بل هي كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والأسف والندم والبسط والقبض، وهذه الأحوال يهيجها السماع ويقويها، فإن ضعف بحيث لم يؤثر في تحريك الظاهر أو تسكينه أو تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته أو يطرق أو يسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم يسم وجدًا، وإن ظهر على الظاهر سمي وجدًا إما ضعيفًا وإما قويًا، بحسب ظهوره وتغييره للظاهر وتحريكه بحسب قوّة وروده، وحفظ الظاهر عن التغيير بحسب قوّة الواجد وقدرته على ضبط جوارحه، فقد يقوى الوجد في الباطن ولا

يتغير الظاهر لقوّة صاحبه، وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك وحل عقد التماسك. وإلى معنى الأوّل أشار أبو سعيد بن الأعرابي حيث قال في الوجد: إنه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب، ولا يبعد أن يكون السماع سببًا لكشف ما لم يكن مكشوفًا قبله، فإن الكشف يحصل بأسباب: منها، التنبيه والسماع منبه، ومنها تغير الأحوال ومشاهدتها وإدراكها فإن إدراكها نوع علم يفيد إيضاح أمور لم تكن معلومة قبل الورود، ومنها، صفاء القلب والسماع يؤثر في تصفية القلب والصفاء يسبب الكشف، ومنها انبعاث نشاط القلب بقوّة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان تقصر عنه قبل ذلك قوّته، كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله. وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة أسرار الملكوت، كما أن عمل البعير حمل الأثقال فبواسطة هذه الأسباب يكون سببًا للكشف، بل القلب إذا صفا ربما يمثُل له الحق في صورة مشاهدة أو في لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف إذا كان في اليقظة، وبالرؤيا إذا كان في المنام، وذلك جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوّة. وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم المعاملة وذلك كما روي عن محمد بن مسروق البغدادي أنه قال: خرجت ليلة في أيام جهالتي وأنا نشوان وكنت أغني هذا البيت:

بطورِ سيناءَ كرمٌ ما مررت به ... إلا تعجبتُ ممّن يشرب الماء

فسمع قائلًا يقول:

وفي جهنّم ماءٌ ما تجرّعه ... خلقٌ فأبقى له في الجوف أمعاء

قال: فكان ذلك سبب توبتي واشتغالي بالعلم والعبادة. فانظر كيف أثر الغناء في تصفية قلبه حتى تمثل له حقيقة الحق في صفة جهنم في لفظ مفهوم موزون وقرع ذلك سمعه الظاهر.

وروي عن مسلم العباداني أنه قال: قدم علينا صالح المري وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد ومسلم الأسواري فنزلوا على الساحل، قال: فهيأت لهم ذات ليلة طعامًا فدعوتهم إليه فجاؤا فلما وضعت الطعام بين أيديهم إذا بقائل يقول رافعًا صوته هذا البيت:

وتلهيك عن دار الخلود مطاعم ... ولذة نفس غيها غير نافع

قال: فصاح عتبة الغلام صيحة وخرّ مغشيًا عليه وبكى القوم، فرفعت الطعام وما ذاقوا والله منه لقمة.

وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب فيشاهد أيضًا بالبصر صورة الخضر عليه السلام فإنه يتمثل لأرباب القلوب بصور مختلفة. وفي مثل هذه الحالة تتمثل الملائكة للأنبياء عليهم السلام إما على حقيقة صورتها وإما على مثال يحاكي صورتها بعض المحاكاة. وقد رأى رسول الله جبريل عليه السلام مرتين في صورة وأخبر عنه بأنه سد الأفق [1] وهو المراد

(١) صحيح: حديث «رأى جبريل عليه السلام مرتين في صورته فأخبر أنه سد الأفق». متفق عليه من حديث

بقوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾ إلى آخر هذه الآيات. وفي مثل هذه الأحوال من الصفاء يقع الاطلاع على ضمائر القلوب، وقد يعبر عن ذلك الاطلاع بالتفرس، ولذلك قال : «اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ الله» ، وقد حكي أن رجلًا من المجوس كان يدور على المسلمين ويقول ما معنى قول النبي : «اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ» فكان يذكر له تفسيره فلا يقنعه ذلك حتى انتهى إلى بعض المشايخ من الصوفية. فسأله، فقال له معناه: أن تقطع الزنار الذي على وسطك تحت ثوبك، فقال: صدقت هذا معناه وأسلم، وقال: الآن عرفت أنك مؤمن وأن إيمانك حق. وكما حكي عن إبراهيم الخواص قال: كنت ببغداد في جماعة من الفقراء في الجامع فأقبل شاب طيب الرائحة حسن الوجه فقلت لأصحابي: يقع لي أنه يهودي، فكلهم كرهوا ذلك، فخرجت وخرج الشاب ثم رجع إليهم وقال: أي شيء قال الشيخ فيَّ؟ فاحتشموه فألح عليهم فقالوا له: قال إنك يهودي، قال: فجاءني وأكب على يدي وقبَّل رأسي وأسلم، وقال: نجد في كتبنا أن الصديق لا تخطىء فراسته فقلت: أمتحن المسلمين, فتأملتهم فقلت: إن كان فيهم صديق ففي هذه الطائفة؛ لأنهم يقولون حديثه سبحانه ويقرءون كلامه، فلبست عليكم فلما اطلع علي الشيخ وتفرّس فيَّ علمت أنه صديق قال، وصار الشاب من كبار الصوفية.

وإلى مثل هذا الكشف الإشارة بقوله عليه الصلاة السلام: «لَوْلاَ أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحُومُونَ عَلَى قُلُوبِ بَنِي آدَمَ لَنَظَرُوا إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاءِ» وإنما تحوم الشياطين على القلوب إذا كانت مشحونة بالصفات المذمومة فإنها مرعى الشيطان وجنده. ومن خلّص قلبه من تلك الصفات وصفّاه لم يطف الشيطان حول قلبه. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ وبقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ والسماع سبب لصفاء القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء.

وعلى هذا يدل ما روي أن ذا النون المصري رحمه الله دخل بغداد فاجتمع إليه قوم من الصوفية ومعهم قوّال، فاستأذنوه في أن يقول لهم شيئًا. فأذن لهم في ذلك فأنشأ يقول:

صغيرُ هواكَ عذّبني ... فكيف إذا احتنكا
وأنتَ جمعتَ في قلبي ... هوًى قد كانَ مشتركا
أما ترثي لمكتئبٍ ... إذا ضحكَ الخليُّ بكى

فقام ذو النون وسقط على وجهه، ثم قام رجل آخر فقال ذو النون: الذي يراك حين تقوم.

عائشة [البخاري: ٣٢٣٤، مسلم: ١٧٧].

حديث «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله». أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد وقال حديث غريب [الترمذي: ٣١٢٧، وانظر السلسلة الضعيفة: ١٨٢١].

حديث «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء». تقدم في الصوم.

فجلس ذلك الرجل وكان ذلك اطلاعًا من ذي النون على قلبه.

أنه متكلف متواجد، فعرفه أن الذي يراه حين يقوم هو الخصم في قيامه لغير الله تعالى ولو كان الرجل صادقًا لما جلس. فإذًا قد رجع حاصل الوجد إلى مكاشفات وإلى حالات، واعلم أن كل واحد منهما ينقسم إلى ما يمكن التعبير عنه عند الإفاقة منه وإلى ما لا تمكن العبارة عنه أصلًا، ولعلك تستبعد حالة أو علمًا لا تعلم حقيقته ولا يمكن التعبير عن حقيقته، فلا تستبعد ذلك فإنك تجد في أحوالك القريبة لذلك شواهد.

أما العلم، فكم من فقيه تعرض عليه مسألتان متشابهتان في الصورة ويدرك الفقيه بذوقه أن بينهما فرقًا في الحكم؟ وإذا كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان على التعبير وإن كان من أفصح الناس، فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه، وإدراكه الفرق علم يصادفه في قلبه بالذوق ولا يشك في أن لوقوعه في قلبه سببًا وله عند الله تعالى حقيقة، ولا يمكنه الإخبار عنه لا لقصور في لسانه بل لدقة المعنى في نفسه عن أن تناله العبارة. وهذا مما قد تفطن له المواظبون على النظر في المشكلات.

وأما الحال، فكم من إنسان يدرك في قلبه في الوقت الذي يصبح فيه قبضًا أو بسطًا ولا يعلم سببه، وقد يتفكر إنسان في شيء فيؤثر في نفسه أثرًا فينسى ذلك السبب ويبقى الأثر في نفسه وهو يحس به، وقد تكون الحالة التي يحسها سرورًا ثبت في نفسه بتفكره في سبب موجب للسرور، أو حزنًا فينسى المتفكر فيه ويحس بالأثر عقيب. وقد تكون تلك الحالة حالة غريبة لا يعرب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة مفصحة عن المقصود، بل ذوق الشعر الموزون والفرق بينه وبين غير الموزون يختص به بعض الناس دون بعض، وهي حالة يدركها صاحب الذوق بحيث لا يشك فيها ـ أعني التفرقة بين الموزون والمنزحف ـ فلا يمكنه التعبير عنها بما يتضح مقصوده لمن لا ذوق له. وفي النفس أحوال غريبة هذا وصفها بل المعاني المشهورة من الخوف والحزن والسرور إنما تحصل في السماع عن غناء مفهوم، وأما الأوتار وسائر النغمات التي ليست مفهومة فإنها تؤثر في النفس تأثيرًا عجيبًا ولا يمكن التعبير عن عجائب تلك الآثار، وقد يعبر عنها بالشوق ولكن شوق لا يعرف صاحبه المشتاق إليه فهو عجيب، والذي اضطرب قلبه بسماع الأوتار أو الشاهين وما أشبهه ليس يدري إلى ماذا يشتاق؟ ويجد في نفسه حالة كأنها تتقاضى أمرًا ليس يدري ما هو. حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب على قلبه لا حب آدمي ولا حب الله تعالى. وهذا له سر وهو أن كل شوق فله ركنان:

أحدهما: صفة المشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق إليه.

والثاني: معرفة المشتاق إليه ومعرفة صورة الوصول إليه، فإن وجدت الصفة التي بها الشوق ووجد العلم بصورة المشتاق إليه كان الأمر ظاهرًا، وإن لم يوجد العلم بالمشتاق

ووجدت الصفة المشوقة وحركت قلبك الصفة واشتعلت نارها أورث ذلك دهشة وحيرة لا محالة.

ولو نشأ آدمي وحده بحيث لم يرَ صورة النساء ولا عرف صورة الوقاع ثم راهق الحلم وغلبت عليه الشهوة لكان يحس من نفسه بنار الشهوة، ولكن لا يدري أنه يشتاق إلى الوقاع لأنه ليس يدري صورة الوقاع ولا يعرف صورة النساء، فكذلك في نفسه الآدمي مناسبة مع العالم الأعلى واللذات التي وعد بها في سدرة المنتهى والفراديس العلا؛ إلا أنه لم يتخيل من هذا الأمور إلا الصفات والأسماء، كالذي سمع لفظ الوقاع واسم النساء ولم يشاهد صورة امرأة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه في المرآة ليعرف بالمقايسة، فالسماع يحرك منه الشوق والجهل المفرط والاشتغال بالدنيا قد أنساه نفسه وأنساه ربه وأنساه مستقره الذي إليه حنينه واشتياقه بالطبع، فيتقاضاه قلبه أمرًا ليس يدري ما هو؟ فيدهش ويتحير ويضطرب ويكون كالمختنق الذي لا يعرف طريق الخلاص فهذا، وأمثاله من الأحوال التي لا يدرك تمام حقائقها ولا يمكن المتصف بها أن يعبر عنها. فقد ظهر انقسام الوجد إلى ما يمكن إظهاره وإلى ما لا يمكن إظهاره.

واعلم أيضًا أن الوجد ينقسم إلى هاجم وإلى متكلف ويسمى التواجد، وهذا التواجد المتكلف فمنه مذموم وهو الذي يقصد به الرياء وإظهار الأحوال الشريفة مع الإفلاس منها، ومنه ما هو محمود وهو التوصل إلى استدعاء الأحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها بالحيلة، فإن للكسب مدخلًا في جلب الأحوال الشريفة، ولذلك أمر رسول الله ﷺ من لم يحضره البكاء في قراءة القرآن أن يتباكى ويتحازن[1] فإن هذه الأحوال قد تتكلف مبادئها ثم تتحقق أواخرها. وكيف لا يكون التكلف سببًا في أن يصير المتكلف في الآخرة طبعًا. وكل من يتعلم القرآن أولًا يحفظه تكلفًا، ويقرؤه تكلفًا مع تمام التأمل وإحضار الذهن، ثم يصير ذلك ديدنًا للسان مطردًا حتى يجري به لسانه في الصلاة وغيرها وهو غافل، فيقرأ تمام السورة وتثوب نفسه إليه بعد انتهائه إلى آخرها ويعلم أنه قرأها في حال غفلته، وكذلك الكاتب يكتب في الابتداء بجهد شديد ثم تتمرن على الكتابة يدُه فيصير الكتب له طبعًا فيكتب أوراقًا كثيرة وهو مستغرق القلب بفكر آخر، فجميع ما تحتمله النفس والجوارح من الصفات لا سبيل إلى اكتسابه إلا بالتكلف والتصنع أوّلًا ثم يصير بالعادة طبعًا. وهو المراد بقول بعضهم: العادة طبيعة خامسة. فكذلك الأحوال الشريفة لا ينبغي أن يقع اليأس منها عند فقدها، بل ينبغي أن يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره، فلقد شوهد في العادات من اشتهى أن يعشق شخصًا ولم

---

(١) ضعيف: حديث «البكاء عند قراءة القرآن فإن لم تبكوا فتباكوا». تقدم في تلاوة القرآن في الباب الثاني [ابن ماجه: ١٣٣٧، انظر ضعيف الترغيب: ٨٧٧].

يكن يعشقه فلم يزل يردد ذكره على نفسه ويديم النظر إليه ويقرّر على نفسه الأوصاف المحبوبة والأخلاق المحمودة فيه حتى عشقه ورسخ ذلك في قلبه رسوخًا خرج عن حدّ اختياره، فاشتهى بعد ذلك الخلاص منه فلم يتخلص. فكذلك حب الله تعالى والشوق إلى لقائه والخوف من سخطه وغير ذلك من الأحوال الشريفة؛ إذا فقدها الإنسان فينبغي أن يتكلف اجتلابها بمجالسة الموصوفين بها ومشاهدة أحوالهم وتحسين صفاتهم في النفس وبالجلوس معهم في السماع وبالدعاء والتضرع إلى الله تعالى في أن يرزقه تلك الحلة بأن ييسر له أسبابها.

ومن أسبابها، السماع ومجالسة الصالحين والخائفين والمحسنين والمشتاقين والخاشعين. فمن جالس شخصًا سرت إليه صفاته من حيث لا يدري. ويدل على إمكان تحصيل الحب وغيره من الأحوال بالأسباب قول رسول الله ﷺ في دعائه: «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ أَحَبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ»[1]، فقد فزع عليه السلام إلى الدعاء في طلب الحب. فهذا بيان انقسام الوجد إلى مكاشفات وإلى أحوال وانقسامه إلى ما يمكن الإفصاح عنه وإلى ما لا يمكن، وانقسامه إلى المتكلف وإلى المطبوع.

فإن قلت: فما بال هؤلاء لا يظهر وجدهم عند سماع القرآن وهو كلام الله ويظهر عند الغناء وهو كلام الشعراء؟ فلو كان ذلك حقًا من لطف الله تعالى ولم يكن باطلًا من غرور الشيطان لكان القرآن أولى به من الغناء؟ فنقول: الوجد الحق هو ما ينشأ من فرط حب الله تعالى وصدق إرادته والشوق إلى لقائه، وذلك يهيج بسماع القرآن أيضًا. وإنما الذي لا يهيج بسماع القرآن حب الخلق وعشق المخلوق. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [illegible] وقوله تعالى: ﴿مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [illegible] وكل ما يوجد عقيب السماع في النفس فهو وجد. فالطمأنينة والاقشعرار والخشية ولين القلب كل ذلك وجد.

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [illegible] وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [illegible] فالوجل والخشوع وجد من قبيل الأحوال وإن لم يكن من قبيل المكاشفات. ولكن قد يصير سببًا للمكاشفات والتنبيهات ولهذا قال ﷺ: «زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»[2]. وقال لأبي موسى

---

[1] حديث «اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب من يقربني إلى حبك». تقدم في الدعوات [الترمذي: ٣٤٩٠، انظر ضعيف الترمذي].

[2] حديث «زينوا القرآن بأصواتكم». تقدم في تلاوة القرآن [أبو داود: ١٤٦٨، انظر صحيح الترغيب: ١٤٤٩].

الأشعري «لَقَدْ أُوتِيَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ» (١).

وأما الحكايات الدالة على أن أرباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القرآن فكثيرة، فقوله ﷺ: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا»(٢)، خبر عن الوجد، فإن الشيب يحصل من الحزن والخوف وذلك وجد. وروي أن ابن مسعود رضي الله عنه قرأ على رسول الله ﷺ سورة النساء، فلما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال: «حَسْبُكَ» وكانت عيناه تذرفان بالدموع(٣). وفي رواية أنه عليه السلام قرأ هذه الآية أو قرىء عنده ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل: ١٢-١٣] فصعق(٤) وفي رواية أنه ﷺ قرأ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨] فبكى(٥) وكان عليه السلام إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر(٦) والاستبشار وجد. وقد أثنى الله تعالى على أهل الوجد بالقرآن فقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣] وروي أن رسول الله ﷺ كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل(٧).

وأما ما نقل من الوجد بالقرآن عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين فكثير: فمنهم من صعق، ومنهم من بكى، ومنهم من غشي عليه، ومنهم من مات في غشيته. وروي أن زرارة بن أوفى - وكان من التابعين - كان يؤم الناس بالرقة فقرأ ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨] فصعق

---

(١) صحيح: حديث «لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود». قاله لأبي موسى تقدم فيه [الترمذي: ٣٨٥٥، انظر صحيح الترمذي].

(٢) صحيح: حديث «شيبتني هود وأخواتها». أخرجه الترمذي من حديث أبي جحيفة وله وللحاكم من حديث ابن عباس نحوه قال الترمذي حسن وقال الحاكم صحيح على شرط البخاري [الترمذي: ٣٢٧٩، انظر صحيح الترغيب].

(٣) صحيح: حديث: إن ابن مسعود قرأ عليه فلما انتهى إلى قوله ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال «حسبك» وكانت عيناه تذرفان بالدموع. متفق عليه من حديثه [البخاري: ٥٠٥٠، مسلم: ٨٠٠].

(٤) حديث: أنه قرأ عنده ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل: ١٢-١٣] فصعق.
رواه ابن عدي. في الكامل والبيهقي في الشعب من طريقه من حديث أبي حرب بن أبي الأسود مرسلا.

(٥) صحيح: حديث: إنه قرأ ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨] فبكى.
أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو [مسلم: ٢٠٢].

(٦) صحيح: حديث «كان إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر». تقدم في تلاوة القرآن دون قوله: واستبشر [أبو داود: ٨٧١، والنسائي: ١٠٠٨، انظر صحيح أبي داود].

(٧) صحيح: حديث «أنه كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل». أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي في الشمائل من حديث عبد الله بن الشخير وقد تقدم [أبو داود: ٩٠٤، والنسائي: ١٢١٤، انظر صحيح الترغيب: ٥٤٤].

ومات في محرابه رحمه الله. وسمع عمر رضي الله عنه رجلًا يقرأ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾[الطور :٧-٨] فصاح صيحة وخر مغشيًا عليه فحُمل إلى بيته، فلم يزل مريضًا في بيته شهرًا. وأبو جرير - من التابعين - قرأ عليه صالح المري فشهق ومات. وسمع الشافعي رحمه الله قارئًا يقرأ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[المرسلات :٣٥-٣٦] فغشي عليه. وسمع علي بن الفضيل قارئًا يقرأ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[المطففين :٦] فسقط مغشيًا عليه، فقال الفضيل: شكر الله لك ما قد علمه منك. وكذلك نقل عن جماعة منهم.

وكذلك الصوفية: فقد كان الشبلي في مسجده ليلة من رمضان وهو يصلي خلف إمام له فقرأ الإمام: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾[الإسراء :٨٦] فزعق الشبلي زعقة ظن الناس أنه قد طارت روحه واحمر وجهه وارتعدت فرائصه، وكان يقول: بمثل هذا يخاطب الأحباب، يردد ذلك مرارًا. وقال الجنيد: دخلت على سري السقطي فرأيت بين يديه رجلًا قد غشي عليه فقال لي: هذا رجل قد سمع آية من القرآن فغشي عليه، فقلت: اقرؤوا عليه تلك الآية بعينها فقرئت فأفاق، فقال: من أين قلت هذا؟ فقلت: رأيت يعقوب عليه السلام كان عماه من أجل مخلوق فبمخلوق أبصر، ولو كان عماه من أجل الحق ما أبصر بمخلوق، فاستحسن ذلك. ويشير إلى ما قاله الجنيد قول الشاعر:

وكأسٍ شربتُ على لذّة وأخرى تداويتُ منها بها

وقال بعض الصوفية: كنت أقرأ ليلة هذه الآية: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[آل عمران :١٨٥] فجعلت أرددها فإذا هاتف يهتف بي: كم تردد هذه الآية؟ فقد قتلت أربعة من الجن ما رفعوا رؤوسهم إلى السماء منذ خلقوا. وقال أبو علي المغازلي للشبلي: ربما تطرق سمعي آية من كتاب الله تعالى فتجذبني إلى الإعراض عن الدنيا ثم أرجع إلى أحوالي وإلى الناس فلا أبقى على ذلك، فقال: ما طرق سمعك من القرآن فاجتذبك به إليه، فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك، وإذا ردك إلى نفسك فهو شفقة منه عليك فإنه لا يصلح لك إلا التبرّي من الحول والقوة في التوجه إليه. وسمع رجل من أهل التصوف قارئًا يقرأ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[الفجر :٢٧-٢٨] فاستعادها من القارىء وقال: كم أقول لها ارجعي وليست ترجع؟ وتواجدَ وزعق زعقة فخرجت روحه. وسمع بكر بن معاذ قارئًا يقرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ﴾[غافر :١٨] الآية فاضطرب ثم صاح: ارحم من أنذرته ولم يقبل إليك بعد الإنذار بطاعتك، ثم غشي عليه. وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله إذا سمع أحدًا يقرأ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾[الانشقاق :١] اضطربت أوصاله حتى كان يرتعد. وعن محمد بن صبيح قال: كان رجل يغتسل في الفرات فمر به رجل على الشاطىء يقرأ: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[يس :٥٩] فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات. وذكر أن سلمان الفارسي أبصر شابًا يقرأ فأتى على آية فاقشعر جلده فأحبه سلمان وفقده، فسأل عنه فقيل له: إنه مريض، فأتاه يعوده فإذا هو في

الموت، فقال: يا عبد الله أرأيت تلك القشعريرة التي كانت بي؟ فإنها أتتني في أحسن صورة فأخبرتني أن الله قد غفر لي بها كل ذنب.

وبالجملة، لا يخلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن فإن كان القرآن لا يؤثر فيه أصلًا فمثله: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[البقرة :١٧١] بل صاحب القلب تؤثر فيه الكلمة من الحكمة يسمعها. قال جعفر الخلدي: دخل رجل من أهل خراسان على الجنيد وعنده جماعة فقال للجنيد: متى يستوي عند العبد حامده وذامّه؟ فقال بعض الشيوخ: إذا دخل البيمارستان وقيد بقيدين، فقال الجنيد: ليس هذا من شأنك، ثم أقبل على الرجل وقال: إذا تحقق أنه مخلوق فشهق الرجل شهقة ومات.

فإن قلت: فإن سماع القرآن مفيدًا للوجد فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء من القوالين دون القارئين؟ فكان ينبغي أن يكون اجتماعهم وتواجدهم في حلق القراء لا حلق المغنين؟ وكان ينبغي أن يطلب عند كل اجتماع في كل دعوة قارىء لا قوال؛ فإن كلام الله تعالى أفضل من الغناء لا محالة، فاعلم أن الغناء أشد تهييجًا من القرآن من سبعة أوجه:

الوجه الأول: أن جميع آيات القرآن لا تناسب حال المستمع ولا تصلح لفهمه وتنزيله على ما هو مُلابس له، فمن استولى عليه حزن أو شوق أو ندم فمن أين يناسب حاله قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ﴾[النساء :١١] وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾[النور :٤] ، وكذلك جميع الآيات التي فيها بيان أحكام الميراث والطلاق والحدود وغيرها، وإنما المحرك لما في القلب ما يناسبه. والأبيات إنما يضعها الشعراء إعرابًا بها عن أحوال القلب فلا يحتاج في فهم الحال منها إلى تكلف.

نعم من يستولي عليه حالة غالبة قاهرة لم تبق فيه متسعًا لغيرها ومعه تيقظ وذكاء ثاقب يتفطن به للمعاني البعيدة من الألفاظ، فقد يخرج وجده على كل مسموع كمن يخطر له عند ذكر قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ﴾[النساء :١١] حالة الموت المحوج إلى الوصية وأن كل إنسان لا بد أن يخلف ماله وولده وهما محبوباه من الدنيا، فيترك أحد المحبوبين للثاني ويهجرهما جميعًا، فيغلب عليه الخوف والجزع أو يسمع ذكر الله في قوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ﴾[النساء :١١] فيدهش بمجرد الاسم عما قبله وبعده، أو يخطر له رحمة الله على عباده وشفقته بأن تولى قسم مواريثهم بنفسه نظرًا لهم في حياتهم وموتهم فيقول: إذا نظر لأولادنا بعد موتنا فلا نشك بأنه ينظر لنا فيهيج منه حال الرجاء ويورثه ذلك استبشارًا وسرورًا، أو يخطر له من قوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ﴾[النساء :١١] تفضيل الذكر بكونه رجلًا على الأنثى وأن الفضل في الآخرة لرجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله. وأن من ألهاه غير الله تعالى عن الله تعالى فهو من الإناث لا من الرجال تحقيقًا، فيخشى أن يحجب أو يؤخر في نعيم الآخرة كما أخرت الأنثى في أموال الدنيا. فأمثال هذا قد يحرّك الوجد، ولكن لمن فيه وصفان.

أحدهما: حالة غالبة مستغرقة قاهرة.

والآخر: تفطن بليغ وتيقظ بالغ كامل للتنبيه بالأمور القريبة على المعاني البعيدة وذلك مما يعز، فلأجل ذلك يفزع إلى الغناء الذي هو ألفاظ مناسبة للأحوال حتى يتسارع هيجانها. وروي أن أبا الحسين النوري كان مع جماعة في دعوى فجرى بينهم مسألة في العلم، وأبو الحسسن ساكت ثم رفع رأسه وأنشدهم:

ربَّ ورقاء هتوف في الضحى ... ذات شجو صدحت في فننِ
ذكرتْ إلفًا ودهرًا صالحًا ... وبكتْ حزنًا فهاجت حزني
فبكائي ربّما أرّقها ... وبُكاها ربما أرّقني
ولقد أشكُو فما أفهمها ... ولقد تَشْكُو فما تفهمني
غير أني بالجوى أعَرِفُها ... وهي أيضًا بالجوى تعرفني

قال: فما بقي أحد من القوم إلا قام وتواجدَ، ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذي خاضوا فيه، وإن كان العلم جدًا وحقًا.

الوجه الثاني: أن القرآن محفوظ للأكثرين ومتكرر على الأسماع والقلوب، وكلّما سمع أولًا عظم أثره في القلوب، وفي الكرة الثانية يضعف أثره، وفي الثالثة يكاد يسقط أثره.

ولو كلف صاحب الوجد الغالب أن يحضر وجده على بيت واحد على الدوام في مرات متقاربة في الزمان، في يوم أو أسبوع لم يمكنه ذلك. ولو أبدل ببيت آخر لتجدد له أثر في قلبه وإن كان معربًا عن عين ذلك المعنى. ولكن كون النظم واللفظ غريبًا بالإضافة إلى الأولى يحرك النفس وإن كان المعنى واحدًا. وليس يقدر القارىء على أن يقرأ قرآنًا غريبًا في كل وقت ودعوة فإن القرآن محصور لا يمكن الزيادة عليه وكله محفوظ متكرر، وإلى ما ذكرناه أشار الصديق رضي الله عنه حيث رأى الأعراب يقدمون فيسمعون القرآن ويبكون فقال: كنا كما كنتم ولكن قست قلوبنا، ولا تظنن أن قلب الصديق رضي الله عنه كان أقسى من قلوب الأجلاف من العرب، وأنه كان أخلى عن حب الله تعالى وحب كلامه من قلوبهم، ولكن التكرار على قلبه اقتضى المرون عليه وقلة التأثر به لما حصل له من الأنس بكثرة استماعه، إذ محال في العادات أن يسمع السامع آية لم يسمعها قبل فيبكي، ثم يدوم على بكائه عليها عشرين سنة، ثم يرددها ويبكي، ولا يفارق الأول الآخر إلا في كونه غريبًا جديدًا، ولكل جديد لذة ولكل طارىء صدمة، ومع كل مألوف أنس يناقض الصدمة. ولذا همَّ عمر رضي الله عنه أن يمنع الناس من كثرة الطواف وقال: قد خشيت أن يتهاون الناس بهذا البيت أي يأنسوا به. ومن قدم حاجًا فرأى البيت أولًا بكى وزعق وربما غشي عليه إذ وقع عليه بصره، وقد يقيم بمكة شهرًا ولا يحس من ذلك في نفسه بأثر. فإذًا المغني يقدر على الأبيات الغريبة في كل وقت ولا يقدر في كل وقت على آية غريبة.

الوجه الثالث: أن لوزن الكلام بذوق الشعر تأثيرًا في النفس فليس الصوت الموزون الطيب كالصوت الطيب الذي ليس بموزون، وإنما يوجد الوزن في الشعر دون الآيات، ولو زحف المغني البيت الذي ينشده أو لحن فيه أو مال عن حدّ تلك الطريقة في اللحن لاضطرب قلب المستمع وبطل جده وسماعه ونفر طبعه لعدم المناسبة. وإذا نفر الطبع اضطرب القلب وتشوّش، فالوزن إذن مؤثر فلذلك طاب الشعر.

الوجه الرابع: أن الشعر الموزون يختلف تأثيره في النفس بالألحان التي تسمى الطرق والاستانات وإنما اختلاف تلك الطرق بمدّ المقصور وقصر الممدود والوقف في أثناء الكلمات والقطع والوصل في بعضها. وهذا التصرف جائز في الشعر ولا يجوز في القرآن إلا التلاوة كما أنزل، فقصره ومدّه والوقف والوصل والقطع فيه على خلاف ما تقتضيه التلاوة حرام أو مكروه. وإذا رتل القرآن كما أنزل سقط عنه الأثر الذي سببه وزن الألحان وهو سبب مستقل بالتأثير وإن لم يكن مفهومًا، كما في الأوتار والمزمار والشاهين وسائر الأصوات التي لا تفهم.

الوجه الخامس: أن الألحان الموزونة تعضد وتؤكد بإيقاعات وأصوات أخر موزونة خارج الحلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره، لأن الوجد الضعيف لا يستثار إلا بسبب قوي، وإنما يقوى بمجموع هذه الأسباب ولكل واحد منها حظ في التأثير، وواجب أن يصان القرآن عن مثل هذه القرائن لأن صورتها عند عامة الخلق صورة اللهو واللعب، والقرآن جد كله عند كافة الخلق، فلا يجوز أن يمزج بالحق المحض ما هو لهو عند العامة وصورته صورة اللهو عند الخاصة، وإن كانوا لا ينظرون إليها من حيث إنها لهو، بل ينبغي أن يوقر القرآن فلا يقرأ على شوارع الطرق بل في مجلس ساكن، ولا في حال الجنابة، ولا على غير طهارة ولا يقدر على الوفاء بحق حرمة القرآن في كل حال إلا المراقبون لأحوالهم، فيعدل إلى الغناء الذي لا يستحق هذه المراقبة والمراعاة، ولذلك لا يجوز الضرب بالدف مع قراءة القرآن ليلة العرس. وقد أمر رسول الله ﷺ بضرب الدف في العرس فقال: «أَظْهِرُوا النِّكَاحَ وَلَوْ بِضَرْبِ الغِرْبَالِ»[1]، أو بلفظ هذا معناه، وذلك جائز مع الشعر دون القرآن. ولذلك لما دخل رسول الله ﷺ بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوارٍ فسمع إحداهن تقول: وفينا نبي يعلم ما في غد. على وجه الغناء، فقال ﷺ: «دَعِي هذَا وَقُولِي مَا كُنْتِ تَقُولِينَ»[2]، وهذه شهادة

---

(١) صحيح: حديث «الأمر بضرب الدف في العرس». تقدم في النكاح [الترمذي: ١٠٨٩، انظر السلسلة الضعيفة: ٩٧٨].

(٢) صحيح: حديث: دخل رسول الله ﷺ بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار فسمع إحداهن تقول: وفينا نبي يعلم ما في غد. على وجه الغناء، فقال ﷺ «دعي هذا وقولي ما كنت تقولين». أخرجه البخاري من حديثها وقد تقدم في النكاح [البخاري: ٤٠٠١].

بالنبوّة فزجرها عنها وردها إلى الغناء الذي هو لهو، لأن هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو، فإذًا يتعذر بسببه تقوية الأسباب التي بها يصير السماع محركًا للقلب فواجب في الاحترام العدول إلى الغناء عن القرآن كما وجب على تلك الجارية العدول عن شهادة النبوّة إلى الغناء.

الوجه السادس: أن المغني قد يغني ببيت لا يوافق حال السامع فيكرهه وينهاه عنه ويستدعي غيره فليس كل كلام موافقًا لكل حال. فلو اجتمعوا في الدعوات على القارىء فربما يقرأ آية لا توافق حالهم إذ القرآن شفاء للناس كلهم على اختلاف الأحوال، فآيات الرحمة شفاء الخائف، وآيات العذاب شفاء المغرور الآمن. وتفصيل ذلك مما يطول. فإذًا لا يؤمن أن لا يوافق المقروء الحال وتكرهه النفس فيتعرض به لخطر كراهة كلام الله تعالى من حيث لا يجد سبيلًا إلى دفعه. فالاحتراز عن خطر ذلك حزم بالغ وحتم واجب إذ لا يجد الخلاص عنه إلا بتنزيله على وفق حاله ولا يجوز تنزيل كلام الله تعالى إلا على ما أراد الله تعالى.

وأما قول الشاعر فيجوز تنزيله على غير مراده ففيه خطر الكراهة أو خطر التأويل الخطأ لموافقة الحال فيجب توقير كلام الله وصيانته عن ذلك، وهذا ما ينقدح في علل انصراف الشيوخ إلى سماع الغناء عن سماع القرآن.

وههنا وجه سابع ذكره أبو نصر السراج الطوسي في الاعتذار عن ذلك فقال: القرآن كلام الله وصفة من صفاته وهو حق لا تطيقه البشرية، لأنه غير مخلوق فلا تطيقه الصفات المخلوقة. ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيبته لتصدّعت ودهشت وتحيرت. والألحان الطيبة مناسبة للطباع ونسبتها نسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق، والشعر نسبته نسبة الحظوظ. فإذا علقت الألحان والأصوات بما في الأبيات من الإشارات واللطائف شاكل بعضها بعضًا كان أقرب إلى الحظوظ وأخف على القلوب لمشاكلة المخلوق المخلوق. فما دامت البشرية باقية ونحن بصفاتنا وحظوظنا نتنعم بالنغمات الشجية والأصوات الطيبة، فانبساطنا لمشاهدة بقاء هذه الحظوظ إلى القصائد أوْلى من انبساطنا إلى كلام الله تعالى الذي هو صفته وكلامه الذي منه بدأ وإليه يعود. وهذا حاصل المقصود من كلامه واعتذاره. وقد حكي عن أبي الحسن الدرّاج أنه قال: قصدت يوسف بن الحسين الرازي من بغداد للزيارة والسلام عليه، فلما دخلت الري كنت أسأل عنه فكل من سألته عنه قال. أيش تعمل بذلك الزنديق؟ فضيقوا صدري حتى عزمت على الانصراف. ثم قلت في نفسي: قد جبت هذا الطريق كله فلا أقل من أن أراه. فلم أزل أسأل عنه حتى دخلت عليه في مسجد وهو قاعد في المحراب وبين يديه رجل وبيده مصحف وهو يقرأ، فإذا هو شيخ بهي حسن الوجه واللحية، فسلمت عليه فأقبل عليّ وقال: من أين أقبلت؟ فقلت: من بغداد، فقال: وما الذي جاء بك؟ فقلت: قصدتك للسلام عليك، فقال: لو أن في بعض هذه البلدان قال لك إنسان أقم عندنا حتى نشتري لك

دارًا أو جارية أكان يقعدك ذلك عن المجيء؟ فقلت: ما امتحنني الله بشيء من ذلك ولو امتحنني ما كنت أدري كيف أكون؟ ثم قال لي: أتحسن أن تقول شيئًا؟ فقلت: نعم، فقال: هات فأنشأت أقول:

رأيتك تبني دائمًا في قطيعتي ... ولو كنت ذا حزم لهدّمت ما تبني
كأني بكم والليت أفضل قولكم ... ألا ليتنا كنا إذ الليت لا يغني

قال: فأطبق المصحف ولم يزل يبكي حتى ابتلت لحيته وابتل ثوبه، حتى رحمته من كثرة بكائه، ثم قال: يا بني تلوم أهل الري يقولون يوسف زنديق، هذا أنا من صلاة الغداة أقرأ في المصحف لم تقطر من عيني قطرة، وقد قامت القيامة عليّ لهذين البيتين.

فإذًا القلوب وإن كانت محترقة في حب الله تعالى فإن البيت الغريب يهيج منها ما لا تهيج تلاوة القرآن، وذلك لوزن الشعر ومشاكلته للطباع، ولكونه مشاكلًا للطبع اقتدر البشر على نظم الشعر، وأما القرآن؛ فنظمه خارج عن أساليب الكلام ومنهاجه وهو لذلك معجز لا يدخل في قوّة البشر لعدم مشاكلته لطبعه. وروي أن إسرافيل ـ أستاذ ذي النون المصري ـ دخل عليه رجل فرآه وهو ينكت في الأرض بأصبعه ويترنم ببيت فقال: هل تحسن أن تترنم بشيء؟ فقال: لا، قال: فأنت بلا قلب ـ إشارة إلى أن من له قلب وعرف طباعه علم أنه تحركه الأبيات والنغمات تحريكًا لا يصادف في غيرها فيتكلف طريق التحريك إما بصوت نفسه أو بغيره ـ وقد ذكرنا حكم المقام الأوّل في فهم المسموع وتنزيله، وحكم المقام الثاني في الوجد الذي يصادف في القلب، فلنذكر الآن أثر الوجد. أعني ما يترشح منه إلى الظاهر من صعقة وبكاء وحركة وتمزيق ثوب وغيره فنقول:

المقام الثالث من السماع:

نذكر فيه آداب السماع ظاهرًا وباطنًا وما يحمد من آثار الوجد وما يذم. فأما الآداب فهي خمس جمل:

الأوّل: مراعاة الزمان والمكان والإخوان. قال الجنيد: السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء وإلا فلا تسمع: الزمان والمكان والإخوان. ومعناه أن الاشتغال به في وقت حضور طعام أو خصام أو صلاة أو صارف من الصوارف مع اضطراب القلب لا فائدة فيه، فهذا معنى مراعاة الزمان فيراعى حالة فراغ القلب له. وأما المكان: فقد يكون شارعًا مطروقًا أو موضعًا كريه الصورة أو فيه سبب يشغل القلب فيجتنب ذلك. وأما الإخوان: فسببه أنه إذا حضر غير الجنس من منكر السماع متزهد الظاهر مفلس من لطائف القلوب كان مستثقلًا في المجلس واشتغل القلب به. وكذلك إذا حضر متكبر من أهل الدنيا يحتاج إلى مراقبته وإلى مراعاته، أو متكلف متواجد من أهل التصوّف يرائي بالوجد والرقص وتمزيق الثياب، فكل ذلك مشوّشات. فترك السماع عند فقد هذه الشروط أولى ففي هذه الشروط نظر للمستمع.

الأدب الثاني: هو نظر الحاضرين أن الشيخ إذا كان حوله مريدون يضرهم السماع فلا ينبغي أن يسمع في حضورهم فإن سمع فليشغلهم بشغل آخر، والمريد الذي يستضر بالسماع أحد ثلاثة:

أقلهم درجة: هو الذي لم يدرك من الطريق إلا الأعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق السماع، فاشتغاله بالسماع اشتغال بما لا يعنيه، فإنه ليس من أهل اللهو فيلهو ولا من أهل الذوق فيتنعم بذوق السماع، فليشتغل بذكر أو خدمة وإلا فهو تضييع لزمانه.

الثاني: هو الذي له ذوق السماع، ولكن فيه بقية من الحظوظ والالتفات إلى الشهوات والصفات البشرية ولم ينكسر بعد انكسارًا تؤمن غوائله، فربما يهيج السماع منه داعية اللهو والشهوة، فيقطع عليه طريقه ويصدّه عن الاستكمال.

الثالث: أن يكون قد انكسرت شهوته وأمنت غائلته وانفتحت بصيرته واستولى على قلبه حب الله تعالى، ولكنه لم يحكم ظاهر العلم ولم يعرف أسماء الله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل؛ فإذا فتح له باب السماع نزل المسموع في حق الله تعالى على ما يجوز وما لا يجوز، فيكون ضرره من تلك الخواطر التي هي كفر أعظم من نفع السماع.

قال سهل رحمه الله: كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل. فلا يصلح السماع لمثل هذا ولا لمن قلبه بعد ملوث بحب الدنيا وحب المحمدة والثناء، ولا لمن يسمع لأجل التلذذ والاستطابة بالطبع فيصير ذلك عادة له ويشغله ذلك عن عبادته ومراعاة قلبه وينقطع عليه طريقه. فالسماع مزلة قدم يجب حفظ الضعفاء عنه. قال الجنيد: رأيت إبليس في النوم فقلت له: هل تظفر من أصحابنا بشيء؟ قال: نعم في وقتين، وقت السماع ووقت النظر فإني أدخل عليهم به. فقال بعض الشيوخ: لو رأيته أنا لقلت له ما أحمقك من سمع منه إذا سمع ونظر إليه إذا نظر كيف تظفر به؟ فقال الجنيد: صدقت.

الأدب الثالث: أن يكون مصغيًا إلى ما يقول القائل، حاضر القلب، قليل الالتفات إلى الجوانب، متحرزًا عن النظر إلى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من أحوال الوجد. مشتغلًا بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله تعالى له من رحمته في سره، متحفظًا عن حركة تشوّش على أصحابه قلوبهم. بل يكون ساكن الظاهر، هادىء الأطراف، متحفظًا عن التنحنح والتثاؤب، ويجلس مطرقًا رأسه، كجلوسه في فكر مستغرق لقلبه، متماسكًا عن التصفيق والرقص وسائر الحركات على وجه التصنع والتكلف والمراءاة، ساكتًا عن النطق في أثناء القول بكل ما عنه بدّ، فإن غلبه الوجد وحركه بغير اختيار فهو فيه معذور غير ملوم. ومهما رجع إليه الاختيار فليعد إلى هدوئه وسكونه. ولا ينبغي أن يستديمه حياء من أن يقال انقطع وجده على القرب ولا أن يتواجد خوفًا من أن يقال هو قاسي القلب عديم الصفاء والرقة.

حكي أن شابًا كان يصحب الجنيد، فكان إذا سمع شيئًا من الذكر يزعق، فقال له الجنيد

يومًا: إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبني، فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر من كل شعرة منه قطرة ماء ولا يزعق، فحكي أنه اختنق يومًا لشدة ضبطه لنفسه فشهق شهقة فانشق قلبه وتلفت نفسه. وروي أن موسى عليه السلام قصَّ في بني إسرائيل فمزق واحد منهم ثوبه أو قميصه فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل له: مزق لي قلبك ولا تمزق ثوبك. قال أبو القاسم النصراباذي لأبي عمرو بن عبيد أنا أقول: إذا اجتمع القوم فيكون معهم قوّال يقول خيرًا لهم من أن يغتابوا؛ فقال أبو عمرو: الرياء في السماع وهو أن ترى من نفسك حالًا ليست فيك شر من أن تغتاب ثلاثين سنة أو نحو ذلك.

فإن قلت: الأفضل هو الذي لا يحركه السماع ولا يؤثر في ظاهره أو الذي يظهر عليه؟ فاعلم أن عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان، وتارة يكون مع قوّة الوجد في الباطن لكن لا يظهر لكمال القوّة على ضبط الجوارح فهو كمال، وتارة يكون لكون حال الوجد ملازمًا ومصاحبًا في الأحوال كلها فلا يتبين للسماع مزيد تأثير وهو غاية الكمال، فإن صاحب الوجد في غالب الأحوال لا يدوم وجده فمن هو في وجد دائم فهو المرابط للحق والملازم لعين الشهود؛ فهذا لا تغيره طوارق الأحوال ولا يبعد أن تكون الإشارة بقول الصديق رضي الله عنه: كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا، معناه قويت قلوبنا واشتدت فصارت تطيق ملازمة الوجد في كل الأحوال، فنحن في سماع معاني القرآن على الدوام فلا يكون القرآن جديدًا في حقنا طارئًا علينا حتى نتأثر به. فإذًا قوّة الوجد تحرك وقوّة العقل والتماسك تضبط الظاهر، وقد يغلب أحدهما الآخر إما لشدّة قوته وإما لضعف ما يقابله ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك فلا تظنن أن الذي يضطرب بنفسه على الأرض أتم وجدًا من الساكن باضطرابه، بل رب ساكن أتم وجدًا من المضطرب. فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقيل له في ذلك فقال: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ﴾ [النمل:٨٨] إشارة إلى أن القلب مضطرب جائل في الملكوت والجوارح متأدبة في الظاهر ساكنة. وقال أبو الحسن محمد بن أحمد وكان بالبصرة: صحبت سهل بن عبد الله ستين سنة فما رأيته تغير عند شيء كان يسمعه من الذكر أو القرآن، فلما كان في آخر عمره قرأ رجل بين يديه: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾ [الحديد:١٥] الآية، فرأيته قد ارتعد وكاد يسقط، فلما عاد إلى حاله سألته عن ذلك فقال: نعم يا حبيبي قد ضعفنا.

وكذلك سمع مرة قوله تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ﴾ [الفرقان:٢٦] فاضطرب فسأله ابن سالم وكان من أصحابه فقال: قد ضعفت. فقيل له: فإن كان هذا من مضعف فما قوّة الحال فقال: أن لا يرد عليه وارد إلا وهو يلتقيه بقوّة حاله، فلا تغيره الواردات وإن كانت قوية. وسبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الأحوال بملازمة الشهود. كما حكي عن سهل رحمه الله تعالى أنه قال: حالتي قبل الصلاة وبعدها واحدة، لأنه كان مراعيًا للقلب

حاضر الذكر مع الله تعالى في كل حال. فكذلك يكون قبل السماع وبعده، إذ يكون وجده دائمًا، وعطشه متصلًا، وشربه مستمرًا، بحيث لا يؤثر السماع. في زيادته. كما روي أن ممشاد الدينوري أشرف على جماعة فيهم قوال فسكنوا فقال: ارجعوا إلى ما كنتم فيه فلو جمعت ملاهي الدنيا في أذني ما شغل همي ولا شفي بعض ما بي. وقال الجنيد رحمه الله تعالى: لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم. وفضل العلم أتم من فضل الوجد.

فإن قلت: فمثل هذا لم يحضر السماع، فاعلم أن من هؤلاء من ترك السماع في كبره وكان لا يحضر إلا نادرًا لمساعدة أخ من الإخوان وإدخالًا للسرور على قلبه؛ وربما حضر ليعرف القوم كمال قوّته فيعلمون أنه ليس الكمال بالوجد الظاهر؛ فيتعلمون منه ضبط الظاهر عن التكلف وإن لم يقدروا على الاقتداء به في صيرورته طبعًا لهم. وإن اتفق حضورهم مع غير أبناء جنسهم فيكونون معهم بأبدانهم نائين عنهم بقلوبهم وبواطنهم. كما يجلسون من غير سماع مع غير جنسهم بأسباب عارضة تقتضي الجلوس معهم. وبعضهم نقل عنه ترك السماع ويظن أنه كان سبب تركه استغناءه عن السماع بما ذكرناه. وبعضهم كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحاني في السماع ولا كان من أهل اللهو، فتركه لئلا يكون مشغولًا بما لا يعنيه. وبعضهم تركه لفقد الإخوان. قيل لبعضهم: لم لا تسمع؟ فقال: ممن ومع من؟.

الأدب الرابع: أن لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن إن رقص أو تباكى فهو مباح إذا لم يقصد به المراءاة، لأنّ التباكي استجلاب للحزن، والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط. فكل سرور مباح فيجوز تحريكه. ولو كان ذلك حرامًا لما نظرت عائشة رضي الله عنها إلى الحبشة مع رسول الله ﷺ وهم يزفنون[1] . هذا لفظ عائشة رضي الله عنها في بعض الروايات. وقد روي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم حجلوا لما ورد عليهم سرور أوجب ذلك؛ وذلك في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها علي بن أبي طالب وأخوه جعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم فتشاحوا في تربيتها، فقال ﷺ لعلي: «أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ» فحجل علي وقال لجعفر: «أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي» فحجل وراء حجل علي وقال لزيد: «أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلاَنَا» ، فحجل زيد وراء حجل جعفر، ثم قال عليه السلام: «هِيَ لِجَعْفَرٍ لأَنَّ خَالَتَها تَحْتَهُ وَالخَالَةُ وَالِدَةٌ»[2] ، وفي رواية أنه قال لعائشة رضي الله عنها:

---

(١) صحيح: حديث «نظرت عائشة إلى رقص الحبشة مع رسول الله ﷺ وهم يزفنون». تقدم في الباب قبله [مسلم: ٨٩٢].

(٢) حديث: اختصم علي وجعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم في ابنة حمزة فتحاشوا في تربيتها فقال ﷺ لعلي «أنت مني وأنا منك» فحجل علي وقال لجعفر «أشبهت خلقي وخلقي» فحجل وراء حجل علي وقال لزيد «أنت أخونا ومولانا» فحجل زيد وراء حجل جعفر، ثم قال عليه السلام «هي لجعفر لأن خالتها تحته والخالة والدة». أخرجه أبو داود من حديث علي بإسناد حسن وهو عند البخاري دون «فحجل» [أبو داود: ٢٢٧٨،

«أَتُحِبِّينَ أَنْ تَنْظُرِي إِلَى زَفنِ الحَبَشَةِ» والزفن والحجل هو الرقص. وذلك يكون لفرح أو شوق فحكمه حكم مهيجه، إن كان فرحه محمودًا والرقص يزيده ويؤكده فهو محمود، وإن كان مباحًا فهو مباح، وإن كان مذمومًا فهو مذموم. نعم لا يليق اعتياد ذلك بمناصب الأكابر وأهل القدوة لأنه في الأكثر يكون عن لهو ولعب، وما له صورة اللعب واللهو في أعين الناس فينبغي أن يجتنبه المقتدى به لئلا يصغر في أعين الناس فيترك الاقتداء به.

وأما تمزيق الثياب، فلا رخصة فيه إلا عند خروج الأمر عن الاختيار، ولا يبعد أن يغلب الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري لغلبة سكر الوجد عليه، أو يدري ولكن يكون كالمضطر الذي لا يقدر على ضبط نفسه، وتكون صورته صورة المكره إذ يكون له في الحركة أو التمزيق متنفس، فيضطر إليه اضطرار المريض إلى الأنين، ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع أنه فعل اختياري، فليس كل فعل حصوله بالإرادة يقدر الإنسان على تركه، فالتنفس فعل يحصل بالإرادة، ولو كلف الإنسان أن يمسك النفس ساعة لاضطر من باطنه إلى أن يختار التنفس. فكذلك الزعقة وتمزيق الثياب قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم. فقد ذكر عند السري حديث الوجد الحاد الغالب فقال: نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لا يدري. فروجع فيه واستبعد أن ينتهي إلى هذا الحدّ فأصر عليه ولم يرجع. ومعناه: أنه في بعض الأحوال قد ينتهي إلى هذا الحدّ في بعض الأشخاص.

فإن قلت: فما تقول في تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع فإنهم يمزقونها قطعًا صغارًا ويفرقونها على القوم ويسمونها الخرقة؟ فاعلم أن ذلك مباح إذا قطع قطعًا مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات. فإن الكرباس يمزق حتى يخاط منه القميص، ولا يكون ذلك تضييعًا لأنه تمزيق لغرض. وكذلك ترقيع الثياب لا يمكن إلا بالقطع الصغار وذلك مقصود، والتفرقة على الجميع ليعم ذلك الخير مقصود مباح.

ولكل ما لك أن يقطع كرباسه مائة قطعة ويعطيها لمائة مسكين، ولكن ينبغي أن تكون القطع بحيث يمكن أن ينتفع بها في الرقاع. وإنما منعنا في السماع التمزيق المفسد للثوب الذي يهلك بعضه بحيث لا يبقى منتفعًا به فهو تضييع محض لا يجوز بالاختيار.

الأدب الخامس: موافقة القوم في القيام إذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف، أو قام باختيار من غير إظهار وجد وقامت له الجماعة فلا بد من الموافقة، فذلك من آداب الصحبة. وكذلك إن جرت عادة طائفة بتنحية العمامة على موافقة صاحب الوجد إذا سقطت عمامته. أو خلع الثياب إذا سقط عنه ثوبه بالتمزيق؛ فالموافقة في هذه الأمور من حسن

وهو عند البخاري: ٢٧٠٠، وأما بلفظ «فحجل» فهو عند أحمد: ٨٥٩، والحجل: أن يرفع قدم ويقفز على الأخرى من الفرح].

الصحبة والعشرة، إذ المخالفة موحشة ولكل قوم رسم، ولا بد من مخالقة الناس بأخلاقهم[١] كما ورد في الخبر، لا سيما إذا كانت أخلاقًا فيها حسن العشرة والمجاملة وتطييب القلب بالمساعدة. وقول القائل: إنّ ذلك بدعة لم يكن في الصحابة، فليس كل ما يحكم بإباحته منقولًا عن الصحابة رضي الله عنهم، وإنما المحذور ارتكاب بدعة تراغم سنّة مأثورة، ولم ينقل النهي عن شيء من هذا.

والقيام عند الدخول للداخل لم يكن من عادة العرب، بل كان الصحابة رضي الله عنهم لا يقومون لرسول الله ﷺ في بعض الأحوال[٢] كما رواه أنس رضي الله عنه. ولكن إذا لم يثبت فيه نهي عام فلا نرى به بأسًا في البلاد التي جرت العادة فيها بإكرام الداخل بالقيام، فإن المقصود منه الاحترام والإكرام وتطييب القلب به. وكذلك سائر أنواع المساعدات إذا قصد بها تطييب القلب واصطلح عليها جماعة فلا بأس بمساعدتهم عليها، بل الأحسن المساعدة إلا فيما ورد فيه نهي لا يقبل التأويل، ومن الأدب أن لا يقوم للرقص مع القوم إن كان يستثقل رقصه، ولا يشوّش عليهم أحوالهم إذ الرقص من غير إظهار التواجد مباح، والمتواجد هو الذي يلوح للجميع منه أثر التكلف. ومن يقوم عن صدق لا تستثقله الطباع فقلوب الحاضرين إذا كانوا من أرباب القلوب محك للصدق والتكلف.

سئل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال: صحته قبول قلوب الحاضرين له إذا كانوا أشكالًا غير أضداد.

فإن قلت: فما بال الطباع تنفر عن الرقص ويسبق إلى الأوهام أنه باطل ولهو ومخالف للدين فلا يراه ذو جدّ في الدين إلا وينكره؟.

فاعلم أنّ الجد لا يزيد على جد رسول الله ﷺ. وقد رأى الحبشة يزفنون في المسجد وما أنكره لما كان في وقت لائق به وهو العيد، ومن شخص لائق به وهم الحبشة.

نعم نفرة الطباع عنه، لأنه يرى غالبًا مقرونًا باللهو واللعب، واللهو واللعب مباح ولكن للعوام من الزنوج والحبشة ومن أشبههم. وهو مكروه لذوي المناصب لأنه لا يليق بهم، وما كره لكونه غير لائق بمنصب ذي المنصب فلا يجوز أن يوصف بالتحريم، فمن سأل فقيرًا فأعطاه رغيفًا كان ذلك طاعة مستحسنة، ولو سأل ملكًا فأعطاه رغيفًا أو رغيفين لكان ذلك منكرًا عند الناس كافة، ومكتوبًا في تواريخ الأخبار من جملة مساوئه ويعير به أعقابه وأشياعه، ومع هذا فلا يجوز أن يقال ما فعله حرام لأنه من حيث إنه أعطى خبزًا للفقير حسن، ومن حيث

---

(١) ضعيف جدًا: حديث «مخالفة الناس بأخلاقهم». أخرجه الحاكم من حديث أبي ذر «خالقوا الناس بأخلاقهم...» الحديث قال صحيح على شرط الشيخين [انظر السلسلة الضعيفة: ١١٨٧].

(٢) حديث «كانوا لا يقومون لرسول الله ﷺ في بعض الأحوال». كما رواه أنس تقدم في آداب الصحبة [سبق تخريجه قريبًا].

إنّه بالإضافة إلى منصبه كالمنع بالإضافة إلى الفقير مستقبح، فكذلك الراقص وما يجري مجراه من المباحات، ومباحات العوام سيئات الأبرار، وحسنات الأبرار سيئات المقرّبين، ولكن هذا من حيث الالتفات إلى المناصب. وأما إذا نظر إليه في نفسه وجب الحكم بأنه هو في نفسه لا تحريم فيه والله أعلم، فقد خرج من جملة التفصيل السابق أن السماع قد يكون حرامًا محضًا، وقد يكون مباحًا، وقد يكون مكروهًا، وقد يكون مستحبًا.

أما الحرام: فهو لأكثر الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا فلا يحرك السماع منهم إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة.

وأما المكروه: فهو لمن لا ينزله على صورة المخنوقين، ولكنه يتخذه عادة له في أكثر الأوقات على سبيل اللهو.

وأما المباح: فهو لمن لا حظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن.

وأما المستحب: فهو لمن غلب عليه حب الله تعالى ولم يحرك السماع منه إلا الصفات المحمودة، والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله.

* * *

كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهو الكتاب التاسع: من ربع العادات الثاني من كتب إحياء علوم الدين

الحمد لله الذي لا تستفتح الكتب إلا بحمده، ولا تستمنح النعم إلا بواسطة كرمه ورفده، والصلاة على سيد الأنبياء محمد رسوله وعبده، وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين من بعده.

أما بعد: فإنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوّة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد، وقد كان الذي خفنا أن يكون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه، وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم، وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم، فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسد هذه الثلمة إما متكفلًا بعملها أو متقلدًا لتنفيذها مجددًا لهذه السنة الداثرة ناهضًا بأعبائها ومتشمرًا في إحيائها كان مستأثرًا من بين الخلق بإحياء سنَّة أفضى الزمان إلى إماتتها، ومستبدًّا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها، وها نحن نشرح علمه في أربعة أبواب.

الباب الأول: في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته.

الباب الثاني: في أركانه وشروطه.

الباب الثالث: في مجاريه وبيان المنكرات المألوفة في العادات.

الباب الرابع: في أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

الباب الأول في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته والمذمة في إهماله وإضاعته

ويدل على ذلك بعد إجماع الأمة عليه وإشارات العقول السليمة إليه: الآيات والأخبار والآثار.

أما الآيات: فقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] ففي الآية بيان الإيجاب فإن قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن﴾ [آل عمران: ١٠٤] أمر وظاهر الأمر الإيجاب، وفيها بيان أن الفلاح منوط به إذ خص وقال: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥] وفيها بيان أنه فرض كفاية لا فرض عين، وأنه إذا قام

به أمة سقط الفرض عن الآخرين، إذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف بل قال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾[آل عمران:١٠٤] ، فإذًا مهما قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين، واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين، وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة، وقال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[آل عمران:١١٣-١١٤] فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر، حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾[التوبة:٧١] فقد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فالذي هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية، وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[المائدة:٧٨-٧٩] وهذا غاية التشديد إذ علل استحقاقهم للعنة بتركهم النهي عن المنكر، وقال عز وجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[آل عمران:١١٠] وهذا يدل على فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ بين أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[الأعراف:١٦٥] فبيَّن أنهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء ويدل ذلك على الوجوب أيضًا، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾[الحج:٤١] فقرن ذلك بالصلاة والزكاة في نعت الصالحين والمؤمنين، وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[المائدة:٢] وهو أمر جزم، ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسدّ سبل الشر والعدوان بحسب الإمكان، وقال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[المائدة:٦٣] فبين أنهم أثموا بترك النهي، وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾[هود:١١٦] الآية فبين أنه أهلك جميعهم إلا قليلًا منهم كانوا ينهون عن الفساد، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾[النساء:١٣٥] وذلك هو الأمر بالمعروف للوالدين والأقربين، وقال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء:١١٤] وقال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾[الحجرات

:٩] الآية، والإصلاح نهيٌ عن البغي وإعادة إلى الطاعة فإن لم يفعل فقد أمر الله تعالى بقتاله فقال: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحجرات:٩] وذلك هو النهي عن المنكر.

وأما الأخبار: فمنها ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال في خطبة خطبها: أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتؤوّلونها على خلاف تأويلها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة:١٠٥] وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ قَوْمٍ عَمِلُوا بِالْمَعَاصِي وَفِيهِمْ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يُنْكِرَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَفْعَلْ إِلاَّ يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ الله بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ»(١) . وروي عن أبي ثعلبة الخشني: أنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة:١٠٥] (٢) فقال: «يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ مُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَإِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ لِلْمُتَمَسِّكِ فِيها بِمِثْلِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ» قيل: بل منهم يا رسول الله. قال ﷺ: «لاَ بَلْ مِنْكُمْ لأَنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَعْوَانًا وَلاَ يَجِدُونَ عَلَيْهِ أَعْوَانًا» . وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن تفسير هذه الآية فقال: إن هذا ليس زمانها إنها اليوم مقبولة، ولكن قد أوشك أن يأتي زمانها تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا، وتقولون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، وقال رسول الله ﷺ: «لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ الله عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ ثم يَدْعُو خِيَارُكُمْ فَلاَ يُسْتَجَابَ لَهُمْ»(٣) ، معناه تسقط مهابتهم من أعين الأشرار فلا يخافونهم. وقال ﷺ: «يَا أَيُّها النَّاسُ إِنَّ الله يَقُولُ: لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ

---

*٢*كتاب الأمر بالمعروف، الباب الأول: في وجوب الأمر بالمعروف

(١) صحيح: حديث أبي بكر: أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: ١٠٥]

أخرجه أصحاب السنن وتقدم في العزلة [أبو داود: ٤٣٣٨، الترمذي: ٢١٦٨، ابن ماجه: ٤٠٠٥، انظر صحيح الترغيب: ٢٣١٧].

(٢) حديث أبي ثعلبة: أنه سأل النبي ﷺ عن تفسير قوله تعالى ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة :١٠٥] فقال: «يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فإذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك ودع عنك العوام؛ إن من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم، للمتمسك فيها بمثل الذي أنتم عليه أجر خمسين منكم» قيل: بل منهم يا رسول الله. قال: »لا بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانا ولا يجدون عليه أعوانا». أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه ابن ماجه [أبو داود: ٤٣٤١، الترمذي: ٣٠٥٨، وابن ماجه: ٤٠١٤، انظر ضعيف أبي داود].

(٣) حديث «لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم». [انظر السلسلة الضعيفة: ٤٢٩٨] أخرجه البزار من حديث عمر بن الخطاب والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف وللترمذي من حديث حذيفة نحوه إلا أنه قال «أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم» قال هذا حديث حسن [الترمذي: ٢١٦٩، انظر صحيح الترغيب: ٢٣١٣، وقال الألباني: حسن لغيره].

المُنْكَرِ قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا فَلاَ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»[(١)]، وقال ﷺ: «مَا أَعْمَالُ البِرِّ عِنْدَ الجِهَادِ فِي سَبِيلِ الله إِلاَّ كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ، وَمَا جَمِيعُ أَعْمَالِ البِرِّ وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِ الله عِنْدَ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ إِلاَّ كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ»[(٢)]، وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: «إِنَّ الله تَعَالَى لَيَسْأَلَ العَبْدَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَ المُنْكَرَ أَنْ تُنْكِرَهُ؟ فَإِذَا لَقَّنَ الله العَبْدَ حُجَّتَهُ قَالَ: رَبِّ وَثِقْتُ بِكَ وَفَرِقْتُ مِنَ النَّاسِ»[(٣)]، وقال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ» قالوا ما لنا بدّ إنما هي مجالسنا نتحدث فيها قال: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ ذلِكَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا» قالوا: وما حق الطريق؟ قال: «غَضُّ البَصَرِ وَكَفُّ الأَذَى وَرَدُّ السَّلاَمِ وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ»[(٤)] وقال ﷺ: «كلامُ ابْنِ آدَمَ كُلُّهُ عَلَيْهِ لاَ لَهُ إِلاَّ أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ أَوْ ذِكْرًا لله تَعَالَى»[(٥)]، وقال: «إِنَّ الله لاَ يُعَذِّبُ الخَاصَّةَ بِذُنُوبِ العَامَّةِ حَتَّى يَرَى المُنْكَرَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ فَلاَ يُنْكِرُونَهُ»[(٦)]، وروى أبو أمامة الباهلي عن النبي ﷺ أنه قال: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا طَغَى نِسَاؤُكُمْ وَفَسَقَ شُبَّانُكُمْ وَتَرَكْتُمْ جِهَادَكُمْ؟» قالوا: وإن ذلك لكائن يا رسول الله قال: «نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ وَأَشَدُّ مِنْهُ سَيَكُونُ» قالوا: وما أشد منه يا رسول الله؟ قال: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَمْ تَأْمُرُوا بِمَعْرُوفٍ وَلَمْ تَنْهَوْا عَنْ مُنْكَرٍ؟» قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟ قال: «نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ وَأَشَدُّ مِنْهُ سَيَكُونُ» قالوا: وما أشد منه؟ قال: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا رَأَيْتُمْ المَعْرُوفَ مُنْكَرًا وَالمُنْكَرَ مَعْرُوفًا؟» قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟ قال: «نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ وَأَشَدُّ مِنْهُ سَيَكُونُ» قالوا: وما أشد منه؟ قال: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا أَمَرْتُمْ بِالمُنْكَرِ وَنَهَيْتُمْ عَنِ

---

(١) حسن: حديث «يا أيها الناس إن الله سبحانه يقول لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم». [ابن ماجه: ٤٠٠٤، وأحمد: ٢٤٧٢٧] أخرجه أحمد والبيهقي من حديث عائشة بلفظ «مروا وانهوا» وهو عند ابن ماجه دون عزوه إلى كلام الله تعالى وفي إسناده لين [انظر صحيح الجامع: ٥٨٦٨/ ١].

(٢) حديث «ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في بحر لجي». رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس مقتصرا على الشطر الأول من حديث جابر بإسناد ضعيف، وأما الشطر الأخير فرواه علي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية من رواية يحيى بن عطاء مرسلا أو معضلا، ولا أدري من يحيى بن عطاء؟

(٣) صحيح: حديث «إن الله تعالى ليسأل العبد ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره؟ فإذا لقن الله العبد حجته قال رب وثقت بك وفرقت من الناس». أخرجه ابن ماجه وقد تقدم [ابن ماجه: ٤٠١٧، انظر السلسلة الصحيحة: ٩٢٩].

(٤) صحيح: حديث «إياكم والجلوس على الطرقات» قالوا ما لنا بد إنما هي مجالسنا نتحدث فيها قال «فإذا أبيتم إلا ذلك فأعطوا الطريق حقها» قالوا: وما حق الطريق؟ قال: «غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». متفق عليه من حديث أبي سعيد [البخاري: ٢٤٦٥، مسلم: ٢١٢١].

(٥) ضعيف: حديث «كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا أمرا بالمعروف أو نهيا عن منكر أو ذكرا لله تعالى». تقدم في العلم [انظر ضعيف الجامع: ٤٢٨٣].

(٦) حديث «إن الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين أظهرهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه». أخرجه أحمد من حديث عدي بن عميرة وفيه من يسم والطبراني من حديث أخيه العرس بن عميرة وفيه من لم أعرفه [أحمد: ١٧٢٦٧، انظر المشكاة: ٥١٤٧، قال الألباني: لم تتم دراسته].

المَعْرُوفِ؟» ؟ قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟ قال: «نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ وَأَشَدُّ مِنْهُ سَيَكُونُ؟ يَقُولُ الله تَعَالَى: بِي حَلَفْتُ لأُتِيحَنَّ لَهُمْ فِتْنَةً يَصِيرُ الحَلِيمُ فِيها حَيْرَانَ» (١). وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «لاَ تَقِفَنَّ عِنْدَ رَجُلٍ يَقْتُلُ مَظْلُومًا فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ وَلَمْ يَدْفَعْ عَنْهُ، وَلاَ تَقِفَنَّ عِنْدَ رَجُلٍ يُضْرِبُ مَظْلُومًا فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ وَلَمْ يَدْفَعْ عَنْهُ» (٢)، قال: وقال رسول الله ﷺ «لاَ يَنْبَغِي لامْرِىءٍ شَهِدَ مَقَامًا فِيهِ حَقٌّ إِلاَّ تَكَلَّمَ بِهِ فَإِنَّهُ لَنْ يُقَدِّمَ أَجَلَهُ وَلَنْ يَحْرِمَهُ رِزْقًا هُوَ لَهُ» (٣)، وهذا الحديث يدل على أنه لا يجوز دخول دور الظلمة والفسقة ولا حضور المواضع التي يشاهد المنكر فيها ولا يقدر على تغييره، فإنه قال: «اللَّعْنَةُ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَ» ، ولا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذارًا بأنه عاجز. ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات في الأسواق والأعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير، وهذا يقتضي لزوم الهجر للخلق. ولهذا قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: ما ساح السواح وخلوا دورهم وأولادهم إلا بمثل ما نزل بنا حين رأوا الشر قد ظهر والخير قد اندرس، ورأوا أنه لا يقبل ممن تكلم، ورأوا الفتن ولم يأمنوا أن تعتريهم وأن ينزل العذاب بأولئك القوم فلا يسلمون منه؛ فرأوا أن مجاورة السباع وأكل البقول خير من مجاورة هؤلاء في نعيمهم ثم قرأ: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الذاريات: ٥٠] قال: ففرّ قوم فلولا ما جعل الله جل ثناؤه في النبوّة من السر لقلنا ما هم بأفضل من هؤلاء. فيما بلغنا أن الملائكة عليهم السلام لتلقاهم وتصافحهم، والسحاب والسباع تمر بأحدهم فيناديها فتجيبه، ويسألها أين أمرت؟ فتخبره وليس بنبي. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله

---

(١) ضعيف: حديث أبي أمامة «كيف أنتم إذا طغى نساؤكم وفسق شبانكم وتركتم جهادكم؟ قالوا وإن ذلك لكائن يا رسول الله؟ قال: نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون. قالوا وما أشد منه يا رسول الله؟ قال: كيف أنتم إذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر؟ قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون. قالوا وما أشد منه؟ قال: كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا؟ قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون. قالوا وما أشد منه؟ قال كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ قالوا وكائن ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون، يقول الله تعالى: بي حلفت لأتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران». أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد ضعيف دون قوله «كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف» ورواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة مقتصرا على الأسئلة الثلاثة الأول وأجوبتها دون الأخيرين، وإسناده ضعيف [انظر السلسلة الضعيفة: ٥٢٠٤].

(٢) ضعيف: حديث عكرمة عن ابن عباس «لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه». أخرجه الطبراني بسند ضعيف والبيهقي في شعب الإيمان بسند حسن [انظر غاية المرام: ٤٤٨].

(٣) صحيح: حديث «لا ينبغي لامرئ شهد مقاما فيه حق إلا تكلم به فإنه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقا هو له». أخرجه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند الحديث الذي قبله وروى الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد «لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول الحق إذا علمه» [الترمذي: ٢١١٩، وابن ماجه: ٤٠٠٧، انظر صحيح الترغيب: ٢٧٥١].

ﷺ «مَنْ حَضَرَ مَعْصِيَةً فَكَرِهَهَا فَكَأَنَّهُ غَابَ عَنْهَا وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَأَحَبَّهَا فَكَأَنَّهُ حَضَرَهَا»(١)، ومعنى الحديث أن يحضر الحاجة أو يتفق جريان ذلك بين يديه. فأما الحضور قصدًا فممنوع بدليل الحديث الأول. وقال ابن مسعود رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ «مَا بَعَثَ الله عَزَّ وَجَلَّ نَبِيًّا إِلاَّ وَلَهُ حَوَارِي فَيَمْكُثُ النَّبِيُّ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ مَا شَاءَ الله تَعَالَى يَعْمَلُ فِيهِمْ بِكِتَابِ الله وَبِأَمْرِهِ حَتَّى إِذَا قَبَضَ الله نَبِيَّهُ مَكَثَ الحَوَارِيُّونَ يَعْمَلُونَ بِكِتَابِ الله وَبِأَمْرِهِ وَبِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ فَإِذَا انْقَرَضُوا كَانَ مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمٌ يَرْكَبُونَ رُؤُوسَ المَنَابِرِ يَقُولُونَ مَا يَعْرِفُونَ وَيَعْمَلُونَ مَا يُنْكِرُونَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذلِكَ فَحَقٌّ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ جِهَادُهُمْ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذلِكَ إِسْلامٌ»(٢).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: كان أهل قرية يعملون بالمعاصي وكان فيهم أربعة نفر ينكرون ما يعملون، فقام أحدهم فقال: إنكم تعملون كذا وكذا فجعل ينهاهم ويخبرهم بقبيح ما يصنعون فجعلوا يردون عليه ولا يرعون عن أعمالهم فسبهم فسبوه وقاتلهم فغلبوه فاعتزل ثم قال: اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني وقاتلتهم فغلبوني ثم ذهب ثم قام الآخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبهم فسبوه فاعتزل ثم قال: اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني ولو قاتلتهم لغلبوني. ثم ذهب ثم قام الثالث فنهاهم فلم يطيعوه فاعتزل ثم قال: اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم لغلبوني. ثم ذهب ثم قام الرابع فقال: اللهم إني لو نهيتهم لعصوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم لغلبوني ثم ذهب. قال ابن مسعود رضي الله عنه: كان الرابع أدناهم منزلة وقليل فيكم مثله، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قيل يا رسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون؟ قال: «نَعَمْ» قيل بم يا رسول الله؟ قال: «بِتَهَاوُنِهِمْ وَسُكُوتِهِمْ عَلَى مَعَاصِي الله تَعَالَى»(٣)، وقال جابر بن عبد الله، قال رسول الله ﷺ: «أَوْحَى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى مَلَكٍ مِنَ المَلائِكَةِ أَنْ اقْلِبْ مَدِينَةَ كَذَا وَكَذَا عَلَى أَهْلِهَا فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنَّ فِيهِمْ عَبْدَكَ فُلانًا لَمْ يَعْصِكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ قَالَ: اقْلِبْهَا عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ فَإِنَّ

---

(١) ضعيف: حديث أبي هريرة «من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكأنه حضرها». رواه ابن عدي وفيه يحيى بن أبي سلمان قال البخاري منكر الحديث [انظر السلسلة الضعيفة: ٤٥٨٨].

(٢) صحيح: حديث ابن مسعود «ما بعث الله عز وجل نبيا إلا وله حواري فيمكث النبي بين أظهرهم ما شاء الله تعالى يعمل فيهم بكتاب الله وبأمره حتى إذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبأمره وبسنة نبيهم فإذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤوس المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فإذا رأيتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك إسلام». روى مسلم نحوه [مسلم: ٥٠ بنحوه].

(٣) حديث ابن عباس: قيل يا رسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون؟ قال «نعم» قيل: بم يا رسول الله؟ قال «بتهاونهم وسكوتهم عن معاصي الله». أخرجه البزار والطبراني بسند ضعيف.

وَجْهَهُ لَمْ يَتَمَعَّرْ فِيَّ سَاعَةً قَطُّ»[(١)] ، وقالت عائشة رضي الله عنها، قال رسول الله ﷺ: «عُذِّبَ أَهْلُ قَرْيَةٍ فِيها ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفًا عَمَلُهُمْ عَمَلُ الأَنْبِيَاءِ» ، قالوا يا رسول الله كيف؟ قال: «لَمْ يَكُونُوا يَغْضَبُونَ لله وَلاَ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَلاَ يَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ»[(٢)] ، وعن عروة عن أبيه قال: قال موسى ﷺ: يا رب أي عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يتسرع إلى هواي كما يتسرع النسر إلى هواه، والذي يكلف بعبادي الصالحين كما يكلف الصبي بالثدي، والذي يغضب إذا أتيت محارمي كما يغضب النمر لنفسه، فإن النمر إذا غضب لنفسه لم يبال قل الناس أم كثروا وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدة الخوف، وقال أبو ذرّ الغفاري: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه يا رسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: «نَعَمْ يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ لله تَعَالَى مُجَاهِدِينَ فِي الأَرْضِ أَفْضَلَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَحْيَاءً مَرْزُوقِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ يُبَاهِي الله بِهِمْ مَلاَئِكَةَ السَّمَاءِ وَتُزَيَّنُ لَهُمُ الجَنَّةُ كَمَا تَزَيَّنَتْ أُمُّ سَلَمَةَ لِرَسُولِ الله ﷺ» ، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله ومن هم؟ قال: «الآمِرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ المُنْكَرِ وَالمُحِبُّونَ فِي الله وَالمُبْغِضُونَ فِي الله» ثم قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ العَبْدَ مِنْهُمْ لَيَكُونُ فِي الغُرْفَةِ فَوْقَ الغُرُفَاتِ فَوْقَ غُرَفِ الشُّهَدَاءِ لِلْغُرْفَةِ مِنْهَا ثَلاَثُمِائَةِ أَلْفِ بَابٍ مِنْهَا اليَاقُوتُ وَالزُّمُرُّدُ الأَخْضَرُ عَلَى كُلِّ بَابٍ نُورٌ، وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ لَيُزَوَّجُ بِثَلاَثِمِائَةِ أَلْفِ حَوْرَاءَ قَاصِرَاتَ الطَّرْفِ عِينٍ كُلَّمَا الْتَفَتَ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَنَظَرَ إِلَيْهَا تَقُولُ لَهُ: أَتَذْكُرُ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا أَمَرْتَ بِالمَعْرُوفِ وَنَهَيْتَ عَنِ المُنْكَرِ؟ كُلَّمَا نَظَرَ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ ذَكَرَتْ لَهُ مَقَامًا أَمَرَ فِيهِ بِمَعْرُوفٍ وَنَهَى فِيهِ عَنْ مُنْكَرٍ»[(٣)] ، وقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قلت: يا رسول الله أي الشهداء أكرم

---

(١) ضعيف جدًا: حديث جابر أوحى الله تبارك وتعالى إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها فقال يا رب إن فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين قال اقلبها عليه وعليهم فإن وجهه لم يتعر في ساعة قط». أخرجه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب وضعفه وقال المحفوظ من قول مالك بن دينار [انظر السلسلة الضعيفة: ١٩٠٤].

(٢) حديث عائشة «عذب أهل القرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الأنبياء». لم أقف عليه مرفوعا وروى ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ عن إبراهيم بن عمر الصنعاني «أوحى الله إلى يوشع بن نون إني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم قال يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ قال إنهم لم يغضبوا لغضبي فكانوا يؤاكلوهم ويشاربوهم».

(٣) لا أصل له: حديث أبي ذر: قال أبو بكر يا رسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين؟ قال: «نعم يا أبا بكر إن لله تعالى مجاهدين في الأرض أفضل من الشهداء» فذكر الحديث وفيه فقال «هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون في الله والمبغضون في الله» ثم قال: والذي نفسي بيده إن العبد منهم ليكون في الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء للغرفة منها ثلاثمائة ألف باب منها الياقوت والزمرد الأخضر على كل باب نور وإن الرجل منهم ليزوج بثلاثمائة ألف حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت إلى واحدة منهن فنظر إليها تقول له: أتذكر يوم كذا وكذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر؟ كلما نظر إلى واحدة منهن ذكرت له مقاما أمر فيه بمعروف ونهى فيه عن منكر». بطوله لم أقف له على أصل وهو منكر [انظر السلسلة الضعيفة: ٦٠٣].

على الله عز وجل؟ قال: «رَجُلٌ قَامَ إِلَى وَالٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ بِالمَعْرُوفِ وَنَهَاهُ عَنِ المُنْكَرِ، فَقَتَلَهُ فَإِنْ لَمْ يَقْتُلْهُ فَإِنَّ القَلَمَ لاَ يَجْرِي عَلَيْهِ بَعْدَ ذلِكَ وَإِنْ عَاشَ مَا عَاشَ» (١)، وقال الحسن البصري رحمه الله: قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ شُهَدَاءِ أُمَّتِي رَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ بِالمَعْرُوفِ وَنَهَاهُ عَنِ المُنْكَرِ فَقَتَلَهُ عَلَى ذلِكَ. فَذلِكَ الشَّهِيدُ مَنْزِلَتُهُ فِي الجَنَّةِ بَيْنَ حَمْزَةَ وَجَعْفَرٍ» (٢)، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: سمعت رسول الله يقول: «بِئْسَ القَوْمُ قَوْمٌ لاَ يَأْمُرُونَ بِالقِسْطِ وَبِئْسَ القَوْمُ قَوْمٌ لاَ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَلاَ يَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ» (٣).

وأما الآثار: فقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه: لتأمرنّ بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانًا ظالمًا لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم. وسئل حذيفة رضي الله عنه عن ميت الأحياء فقال: الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه. وقال مالك بن دينار: كان حبر من أحبار بني إسرائيل يغشى الرجال والنساء منزله يعظهم ويذكرهم بأيام الله عز وجل فرأى بعض بنيه يومًا وقد غمز بعض النساء فقال: مهلًا يا بني مهلًا، وسقط من سريره فانقطع نخاعه وأسقطت امرأته وقتل بنوه في الجيش، فأوحى الله تعالى إلى نبي زمانه: أن أخبر فلانًا الحبر أني لا أخرج من صلبك صديقًا أبدًا أما كان من غضبك لي إلا أن قلت: مهلًا يا بني مهلًا. وقال حذيفة: يأتي على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم، وأوحى الله تعالى إلى يوشع بن نون عليه السلام إني مهلك من قومك أربعين ألفًا من خيارهم وستين ألفًا من شرارهم فقال: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ قال: إنهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم. وقال بلال بن سعد: إن المعصية إذ أخفيت لم تضر إلا صاحبها، فإذا أعلنت ولم تغير أضرت بالعامة. وقال كعب الأحبار لأبي مسلم الخولاني: كيف منزلتك من قومك؟ قال: حسنة. قال كعب: إن التوراة لتقول غير ذلك، قال: وما تقول؟

---

(١) حديث أبي عبيدة «قلت يا رسول الله أي الشهداء أكرم على الله عز وجل؟ قال: رجل قام إلى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فإن لم يقتله فإن القلم لا يجري عليه بعد ذلك وإن عاش ما عاش». أخرجه البزار مقتصرا على هذا دون قوله «فإن لم يقتله... إلى آخره» وهذه الزيادة منكرة وفيه أبو الحسن غير مشهور لا يعرف.

(٢) صحيح: حديث الحسن البصري مرسلا «أفضل شهداء أمتي رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته في الجنة بين حمزة وجعفر»، [انظر صحيح الترغيب: ٢٣٠٨]. لم أره من حديث الحسن وللحاكم في المستدرك وصحح إسناده من حديث جابر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب «ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله».

(٣) حديث عمر «بئس القوم قوم لا يأمرون بالقسط وبئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر». رواه أبو الشيخ بن حبان من حديث جابر بسند ضعيف وأما حديث عمر فأشار أبو منصور الديلمي بقوله وفي الباب ورواه علي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية من حديث الحسن مرسلا.

قال: تقول إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه، فقال: صدقت التوراة وكذب أبو مسلم. وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يأتي العمال ثم قعد عنهم فقيل له: لو أتيتهم فلعلهم يجدون في أنفسهم، فقال: أرهب إن تكلمت أن يروا أن الذي بي غير الذي بي، وإن سكت رهبت أن آثم. وهذا يدل على أن من عجز عن الأمر بالمعروف فعليه أن يبعد عن ذلك الموضع ويستتر عنه حتى لا يجري بمشهد منه. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أوّل ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم، ثم الجهاد بألسنتكم، ثم الجهاد بقلوبكم، فإذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر نكس فجعل أعلاه أسفله. وقال سهل بن عبد الله رحمه الله: أيما عبد عمل في شيء من دينه بما أمر به أو نهى عنه وتعلق به عند فساد الأمور وتنكرها وتشوّش الزمان فهو ممن قد قام لله في زمانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. معناه أنه إذا لم يقدر إلا على نفسه فقام بها وأنكر أحوال الغير بقلبه فقد جاء بما هو الغاية في حقه، وقيل للفضيل: ألا تأمر وتنهى؟ فقال: إن قومًا أمروا ونهوا فكفروا وذلك أنهم لم يصبروا على ما أصيبوا. وقيل للثوري: ألا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فقال: إذا انبثق البحر فمن يقدر أن يسكره، فقد ظهر بهذه الأدلة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وأن فرضه لا يسقط مع القدرة إلا بقيام قائم به. فلنذكر الآن شروطه وشروط وجوبه:

الباب الثاني في أركان الأمر بالمعروف وشروطه

اعلم أن الأركان في الحسبة التي هي عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أربعة: المحتسب، والمحتسب عليه، والمحتسب فيه، ونفس الاحتساب. فهذه أربعة أركان ولكل واحد منها شروطه.

الركن الأول: المحتسب:

وله شروط وهو أن يكون مكلفًا مسلمًا قادرًا فيخرج منه المجنون والصبي والكافر والعاجز، ويدخل فيه آحاد الرعايا وإن لم يكونوا مأذونين، ويدخل فيه الفاسق والرقيق والمرأة. فلنذكر وجه اشتراط ما اشترطناه ووجه إطراح ما أطرحناه.

أما الشرط الأوّل: وهو التكليف، فلا يخفى وجه اشتراطه فإن غير المكلف لا يلزمه أمر، وما ذكرناه أردنا به شرط الوجوب، فأما إمكان الفعل وجوازه فلا يستدعي إلا العقل، حتى إن الصبي المراهق للبلوغ المميز - وإن لم يكن مكلفًا - فله إنكار المنكر وله أن يريق الخمر ويكسر الملاهي؛ وإذا فعل ذلك نال به ثوابًا ولم يكن لأحد منعه من حيث إنه ليس بمكلف. فإن هذه قربة وهو من أهلها كالصلاة والإمامة وسائر القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف؛ ولذلك أثبتناه للعبد وآحاد الرعية. نعم في المنع بالفعل وإبطال المنكر نوع ولاية وسلطنة، ولكنها تستفاد بمجرّد الإيمان كقتل المشرك وإبطال أسبابه وسلب

أسلحته. فإن للصبي أن يفعل ذلك حيث لا يستضر به فالمنع من الفسق كالمنع من الكفر.

وأما الشرط الثاني: وهو الإيمان، فلا يخفى وجه اشتراطه لأن هذا نصرة للدين فكيف يكون من أهله من هو جاحد لأصل الدين وعدوّ له؟.

وأما الشرط الثالث: وهو العدالة، فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق أن يحتسب، وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد على من يأمر بما لا يفعله مثل قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة:٤٤] وقوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الممتحنة:٣] وبما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِقَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَقَالُوا: كُنَّا نَأْمُرُ بِالخَيْرِ وَلاَ نَأْتِيهِ وَنَنْهَى عَنِ الشَّرِّ وَنَأْتِيهِ»(١)، وبما روي أن الله تعالى أوحى إلى عيسى ﷺ عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني، وربما استدلوا من طريق القياس بأن هداية الغير فرع للاهتداء، وكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة، والإصلاح، زكاة عن نصاب الصلاح، فمن ليس بصالح في نفسه فكيف يصلح غيره؟ ومتى يستقيم الظل والعود أعوج؟ وكل ما ذكروه خيالات وإنما الحق أن للفاسق أن يحتسب وبرهانه هو أن نقول: هل يشترط في الاحتساب أن يكون متعاطيه معصومًا عن المعاصي كلها؟ فإن شرط ذلك فهو خرق للإجماع، ثم حسم لباب الاحتساب إذ لا عصمة للصحابة فضلًا عمن دونهم، والأنبياء عليهم السلام قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا. والقرآن العزيز دال على نسبة آدم عليه السلام إلى المعصية وكذا جماعة من الأنبياء. ولهذا قال سعيد بن جبير: إن لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر إلا من لا يكون فيه شيء؛ لم يأمر أحد بشيء، فأعجب مالكًا ذلك من سعيد بن جبير. وإن زعموا أن ذلك لا يشترط عن الصغائر حتى لا يجوز للابس الحرير أن يمنع من الزنا وشرب الخمر فنقول:

وهل لشارب الخمر أن يغزو الكفار ويحتسب عليهم بالمنع من الكفر؟ فإن قالوا: لا، خرقوا الإجماع إذ جنود المسلمين لم تزل مشتملة على البر والفاجر وشارب الخمر وظالم الأيتام ولم يُمنعوا من الغزو لا في عصر رسول الله ولا بعده. فإن قالوا: نعم، فنقول: شارب الخمر هل له المنع من القتل أم لا؟ فإن قالوا: لا، قلنا: فما الفرق بينه وبين لابس الحرير؟ إذ جاز له المنع من الخمر، والقتل، كبيرة بالنسبة إلى الشرب كالشرب بالنسبة إلى لبس الحرير؛ فلا فرق. وإن قالوا: نعم، وفصلوا الأمر فيه بأن كل مقدم على شيء فلا يمنع عن مثله ولا عمّا دونه وإنما يمنع عما فوقه فهذا تحكم فإنه كما لا يبعد أن يمنع الشارب من الزنا والقتل فمن أين يبعد أن

---

٣ الباب الثاني: في أركان الأمر بالمعروف وشروطه

(١) صحيح: حديث «مررت ليلة أسري بي بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت: من أنتم؟ فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه». تقدم في العلم [أحمد: ١١٨٠١، انظر صحيح الترغيب: ٢٣٢٧ عن أنس].

يمنع الزاني من الشرب؟ بل من أين يبعد أن يشرب ويمنع غلمانه وخدمه من الشرب؟ ويقول يجب عليّ الانتهاء والنهي فمن أين يلزمني من العصيان بأحدهما أن أعصي الله تعالى بالثاني؟ وإذا كان النهي واجبًا عليَّ فمن أين يسقط وجوبه بإقدامي؟ إذ يستحيل أن يقال يجب النهي عن شرب الخمر عليه ما لم يشرب فإذا شرب سقط النهي.

فإن قيل: فيلزم على هذا أن يقول القائل الواجب على الوضوء والصلاة فأنا أتوضأ وإن لم أصلِّ وأتسحر وإن لم أصم، لأن المستحب لي السحور والصوم جميعًا ولكن يقال: أحدهما مرتب على الآخر، فكذلك تقويم الغير مرتب على تقويمه نفسه فليبدأ بنفسه ثم بمن يعول. والجواب: أن التسحر يراد للصوم ولولا الصوم لما كان التسحر مستحبًا، وما يراد لغيره لا ينفك عن ذلك الغير، وإصلاح الغير لا يراد لإصلاح النفس، ولا إصلاح النفس لإصلاح الغير، فالقول بترتب أحدهما على الآخر تحكم.

وأما الوضوء والصلاة، فهو لازم فلا جرم أن من توضأ ولم يصل كان مؤديًا أمر الوضوء وكان عقابه أقل من عقاب من ترك الصلاة والوضوء جميعًا، فليكن من ترك النهي والانتهاء أكثر عقابًا ممن نهى ولم ينته، كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه؟ بل للصلاة فلا حكم له دون الصلاة.

وأما الحسبة فليست شرطًا في الانتهاء والائتمار فلا مشابهة بينهما.

فإن قيل: فيلزم على هذا أن يقال إذا زنى الرجل بامرأة وهي مكرهة مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها، فأخذ الرجل يحتسب في أثناء الزنا ويقول: أنت مكرهة في الزنا ومختارة في كشف الوجه لغير محرم، وها أنا غير محرم لك فاستري وجهك، فهذا احتساب شنيع يستنكره قلب كل عاقل ويستشنعه كل طبع سليم، فالجواب: أن الحق قد يكون شنيعًا وأن الباطل قد يكون مستحسنًا بالطباع والمتبع الدليل دون نفرة الأوهام والخيالات فإنا نقول: قوله لها في تلك الحالة: «لا تكشفي وجهك» واجب أو مباح أو حرام؟ فإن قلتم: إنه واجب فهو الغرض لأن الكشف معصية والنهي عن المعصية حق. وإن قلتم: إنه مباح، فإذن له أن يقول ما هو مباح، فما معنى قولكم ليس للفاسق الحسبة؟ وإن قلتم: إنه حرام، فنقول، وكان هذا واجبًا فمن أين حرم بإقدامه على الزنا؟ ومن الغريب أن يصير الواجب حرامًا بسبب ارتكاب حرام آخر.

وأما نفرة الطباع عنه واستنكارها له فهو لسببين:

أحدهما: أنه ترك الأهم واشتغل بما هو مهم. وكما أن الطباع تنفر عن ترك المهم إلى ما لا يعني فتنفر عن ترك الأهم والاشتغال بالمهم كما تنفر عمن يتحرج عن تناول طعام مغصوب وهو مواظب على الربا، وكما تنفر عمن يتصاون عن الغيبة ويشهد بالزور لأن الشهادة بالزور أفحش وأشدّ من الغيبة التي هي إخبار عن كائن يصدق فيه المخبر، وهذا الاستبعاد في النفوس

لا يدل على أن ترك الغيبة ليس بواجب، وأنه لو اغتاب أو أكل لقمة من حرام لم تزد بذلك عقوبته، فكذلك ضرره في الآخرة من معصيته أكثر من ضرره من معصية غيره، فاشتغاله عن الأقل بالأكثر مستنكر في الطبع، من حيث إنه ترك الأكثر لا من حيث إنه أتى بالأقل، فمن غصب فرسه ولجام فرسه فاشتغل بطلب اللجام وترك الفرس نفرت عنه الطباع ويرى مسيئًا، إذ قد صدر منه طلب اللجام وهو غير منكر، ولكن المنكر تركه لطلب الفرس بطلب اللجام فاشتد الإنكار عليه لتركه الأهم بما دونه، فكذلك حسبة الفاسق تستبعد من هذا الوجه وهذا لا يدل على أن حسبته من حيث إنها حسبة مستنكرة.

الثاني: أن الحسبة تارة تكون بالنهي بالوعظ وتارة بالقهر، ولا ينجع وعظ من لا يتعظ أوّلًا ونحن نقول: من علم أن قوله لا يقبل في الحسبة لعلم الناس بفسقه فليس عليه الحسبة بالوعظ، إذ لا فائدة في وعظه فالفسق يؤثر في إسقاط فائدة كلامه، ثم إذا سقطت فائدة كلامه سقط وجوب الكلام، فأما إذا كانت الحسبة بالمنع فالمراد منه القهر وتمام القهر أن يكون بالفعل والحجة جميعًا، وإذا كان فاسقًا فإن قهر بالفعل فقد قهر بالحجة إذ يتوجه عليه أن يقال له: فأنت لِمَ تقدم عليه؟ فتنفر الطباع عن قهره بالفعل مع كونه مقهورًا بالحجة وذلك لا يخرج الفعل عن كونه حقًا كما أن يذب الظالم عن آحاد المسلمين ويهمل أباه وهو مظلوم معهم تنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقًا. فخرج من هذا أن الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لأنه لا يتعظ؛ وإذا لم يكن عليه ذلك، وعلم أنه يفضي إلى تطويل اللسان في عرضه بالإنكار فنقول: ليس له ذلك أيضًا. فرجع الكلام إلى أن أحد نوعي الاحتساب وهو الوعظ قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه، وأما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حرج على الفاسق في إراقة الخمور وكسر الملاهي وغيرها إذا قدر، وهذا غاية الإنصاف والكشف في المسألة، وأما الآيات التي استدلوا بها فهو إنكار عليهم من حيث تركهم المعروف لا من حيث أمرهم. ولكن أمرهم دل على قوّة علمهم وعقاب العالم أشدّ لأنه لا عذر له مع قوة علمه، وقوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[الممتحنة :٢] المراد به الوعد الكاذب، وقوله عز وجل: ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[البقرة :٤٤] إنكار من حيث إنهم نسوا أنفسهم لا من حيث إنهم أمروا غيرهم ولكن ذكر أمر الغير استدلالًا به على علمهم وتأكيدًا للحجة عليهم. وقوله: «يا ابن مريم عظ نفسك... الحديث» هو في الحسبة بالوعظ. وقد سلمنا أن وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف فسقه. ثم قوله: «فاستحي مني» لا يدل على تحريم وعظ الغير، بل معناه استحي مني فلا تترك الأهم وتشتغل بالمهم كما يقال احفظ أباك ثم جارك وإلاّ فاستحي.

فإن قيل: فليجز للكافر الذمي أن يحتسب على المسلم إذا رآه يزني لأن قوله لا تزن حق في نفسه فمحال أن يكون حرامًا عليه، بل ينبغي أن يكون مباحًا أو واجبًا.

قلنا: الكافر إن منع المسلم بفعله فهو تسلط عليه فيمنع من حيث إنه تسلط وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلًا. وأما مجرد قوله: «لا تزنِ» فليس بمحرم عليه من حيث إنه نهي عن الزنى ولكن من حيث إنه إظهار دالة الاحتكام على المسلم، وفيه إذلال للمحتكم عليه، والفاسق يستحق الإذلال ولكن لا من الكافر الذي هو أولى بالذل منه. فهذا وجه منعنا إياه من الحسبة وإلا فلسنا نقول إن الكافر يعاقب بسبب قوله: لا تزن، من حيث إنه نهي، بل نقول إنه إذا لم يقل لا تزن يعاقب عليه إن رأينا خطاب الكافر بفروع الدين وفيه نظر استوفيناه في الفقهيات ولا يليق بغرضنا الآن.

الشرط الرابع: كونه مأذونًا من جهة الإمام والوالي، فقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للآحاد من الرعية الحسبة، وهذا الاشتراط فاسد، فإن الآيات والأخبار التي أوردناها تدل على أن كل من رأى منكرًا فسكت عليه عصى إذ يجب نهيه أينما رآه وكيفما رآه على العموم، فالتخصيص بشرط التفويض من الإمام تحكم لا أصل له. والعجب أن الروافض زادوا على هذا فقالوا: لا يجوز الأمر بالمعروف ما لم يخرج الإمام المعصوم وهو الإمام الحق عندهم. وهؤلاء أخس رتبة من أن يكلموا بل جوابهم أن يقال لهم - إذا جاءوا إلى القضاء طالبين لحقوقهم في دمائهم وأموالهم - إن نصرتكم أمر بالمعروف واستخراج حقوقكم من أيدي من ظلمكم نهي عن المنكر وطلبكم لحقكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهي عن الظلم وطلب الحقوق لأن الإمام الحق بعد لم يخرج.

فإن قيل: في الأمر بالمعروف إثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه، ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقًا، فينبغي أن لا يثبت لآحاد الرعية إلا بتفويض من الوالي وصاحب الأمر؟ فنقول: أما الكافر فممنوع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام، والكافر ذليل فلا يستحق أن ينال عز التحكم على المسلم، وأما آحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة، وما فيه من عز السلطنة، والاحتكام لا يحوج إلى تفويض كعز التعليم والتعريف، إذ لا خلاف في أن تعريف التحريم والإيجاب لمن هو جاهل ومقدّم على المنكر بجهله لا يحتاج إلى إذن الوالي، وفيه عز الإرشاد وعلى المعرف ذل التجهيل، وذلك يكفي فيه مجرد الدين وكذلك النهي.

وشرح القول في هذا أن الحسبة لها خمس مراتب. كما سيأتي.

أوّلها: التعريف.

والثاني: الوعظ بالكلام اللطيف.

والثالث: السب والتعنيف، ولست أعني بالسب الفحش بل أن يقول: يا جاهل، يا أحمق ألا تخاف الله، وما يجري هذا المجرى.

والرابع: المنع بالقهر بطريق المباشرة ككسر الملاهي، وإراقة الخمر، واختطاف الثوب الحرير من لابسه، واستلاب الثوب المغصوب منه، ورده على صاحبه.

والخامس: التخويف والتهديد بالضرب، ومباشرة الضرب له حتى يمتنع عما هو عليه كالمواظب على الغيبة والقذف، فإن سلب لسانه غير ممكن ولكن يحمل على اختيار السكوت بالضرب. وهذا قد يحوج إلى استعانة وجمع أعوان من الجانبين ويجر ذلك إلى قتال وسائر المراتب لا يخفى وجه استغنائها عن إذن الإمام إلا المرتبة الخامسة فإن فيها نظرًا - سيأتي - أما التعريف والوعظ فكيف يحتاج إلى إذن الإمام؟ وأما التجهيل والتحميق والنسبة إلى الفسق وقلة الخوف من الله وما يجري مجراه فهو كلام صدق، والصدق مستحق بل أفضل الدرجات كلمة حق عند إمام جائر[1]، كما ورد في الحديث، فإذا جاز الحكم على الإمام على مراغمته فكيف يحتاج إلى إذنه؟ وكذلك كسر الملاهي وإراقة الخمور فإنه تعاطي ما يعرف كونه حقًا من غير اجتهاد فلم يفتقر إلى الإمام. وأما جمع الأعوان وشهر الأسلحة فذلك قد يجر إلى فتنة عامة ففيه نظر - سيأتي - واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاة قاطع بإجماعهم على الاستغناء عن التفويض، بل كل من أمر بمعروف فإن كان الوالي راضيًا به فذاك، وإن كان ساخطًا له فسخطه له منكر يجب الإنكار عليه، فكيف يحتاج إلى إذنه في الإنكار عليه، ويدل على ذلك عادة السلف في الإنكار على الأئمة.

كما روي أنّ مروان بن الحكم خطب قبل صلاة العيد فقال له رجل: إنما الخطبة بعد الصلاة، فقال له مروان: اترك ذلك يا فلان، فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضى ما عليه. قال لنا رسول الله ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُنْكِرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»[2]، فلقد كانوا فهموا من هذه العمومات دخول السلاطين تحتها فكيف يحتاج إلى إذنهم؟ وروي أنّ المهدي لما قدم مكة لبث بها ما شاء الله، فلما أخذ في الطواف نحى الناس عن البيت فوثب عبد الله بن مرزوق فلببه بردائه ثم هزه وقال له: انظر ما تصنع؟ من جعلك بهذا البيت أحق ممن أتاه من البعد، حتى إذا صار عنده حلت بينه وبينه؟ وقد قال الله تعالى: ﴿سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ [الحج: ٢٥] من جعل لك هذا؟ فنظر في

---

(١) صحيح: حديث «أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر». أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري [أبو داود: ٤٣٤٤، الترمذي: ٢١٧٤، النسائي: ٤٢٠٩، ابن ماجه: ٤٠١٢، انظر صحيح الترغيب: ٢٣٠٥].

(٢) صحيح: حديث «إن مروان خطب قبل الصلاة في العيد فقال له رجل إنما الخطبة بعد الصلاة، فقال له مروان: اترك ذلك يا فلان، فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضى ما عليه. قال لنا رسول الله ﷺ «من رأى منكم منكرا فلينكره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان». رواه مسلم [مسلم: ٤٩].

وجهه ـ وكان يعرفه لأنه من مواليهم ـ فقال: أعبد الله ابن مرزوق؟ قال: نعم، فأخذ فجيء به إلى بغداد فكره أن يعاقبه عقوبة يشنع بها عليه في العامة، فجعله في اصطبل الدواب ليسوس الدواب وضموا إليه فرسًا عضوضًا سيىء الخلق ليعقره الفرس فليَّن الله تعالى له الفرس، قال: ثم صيروه إلى بيت وأغلق عليه، وأخذ المهدي المفتاح عنده فإذا هو قد خرج بعد ثلاث إلى البستان يأكل البقل، فأوذن به المهدي فقال له: من أخرجك؟ فقال: الذي حبسني، فضج المهدي وصاح وقال: ما تخاف أن أقتلك؟ فرفع عبد الله إليه رأسه يضحك وهو يقول: لو كنت تملك حياة أو موتًا! فما زال محبوسًا حتى مات المهدي ثم خلوا عنه فرجع إلى مكة. قال: وكان قد جعل على نفسه نذرًا إن خلصه الله من أيديهم أن ينحر مائة بدنة فكان يعمل في ذلك حتى نحرها.

وروي عن حبان بن عبد الله قال: تنزه هارون الرشيد بالدوين ومعه رجل من بني هاشم وهو سليمان بن أبي جعفر فقال له هارون: قد كانت لك جارية تغني فتحسن فجئنا بها، قال: فجاءت فغنت فلم يحمد غناءها، فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: ليس هذا عودي، فقال للخادم، جئنا بعودها، قال: فجاء بالعود فوافق شيخًا يلقط النوى فقال: الطريق يا شيخ، فرفع الشيخ رأسه فرأى العود فأخذه من الخادم فضرب به الأرض؛ فأخذه الخادم وذهب به إلى صاحب الربع فقال: احتفظ بهذا فإنه طلبة أمير المؤمنين، فقال له صاحب الربع: ليس ببغداد أعبد من هذا فكيف يكون طلبة أمير المؤمنين؟ فقال له: اسمع ما أقول لك، ثم دخل على هارون فقال: إني مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له: الطريق، فرفع رأسه فرأى العود فأخذه فضرب به الأرض فكسره، فاستشاط هارون وغضب واحمرّت عيناه فقال له سليمان بن أبي جعفر: ما هذا الغضب يا أمير المؤمنين؟ ابعث إلى صاحب الربع يضرب عنقه ويرم به في الدجلة، فقال: لا، ولكن نبعث إليه ونناظره أوّلًا، فجاء الرسول فقال: أجب أمير المؤمنين، فقال: نعم، قال: اركب، قال: لا، فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر، فقيل لهارون: قد جاء الشيخ، فقال للندماء أي شيء ترون؟ نرفع ما قدّامنا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ أو نقوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر؟ فقالوا له: نقوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر أصلح، فقاموا إلى مجلس ليس فيه منكر ثم أمر بالشيخ فأدخل ـ وفي كمه الكيس الذي فيه النوى ـ فقال له الخادم: أخرج هذا من كمك وادخل على أمير المؤمنين، فقال: من هذا عشائي الليلة، قال: نحن نعشيك. قال: لا حاجة لي في عشائكم، فقال هارون للخادم: أي شيء تريد منه؟ قال في كمه نوى قلت له: اطرحه وادخل على أمير المؤمنين فقال: دعه لا يطرحه، قال: فدخل وسلم وجلس، فقال له هارون: يا شيخ ما حملك على ما صنعت؟ قال: وأي شيء صنعت؟ وجعل هارون يستحي أن يقول كسرت عودي، فلما أكثر عليه قال: إني سمعت أباك وأجدادك يقرؤون هذه الآية على المنبر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ

وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠] وأنا رأيت منكرًا فغيرته، فقال: فغيره. فوالله ما قال إلا هذا، فلما خرج أعطى الخليفة رجلًا بدرة وقال: اتبع الشيخ فإن رأيته يقول: قلت لأمير المؤمنين وقال لي؛ فلا تعطه شيئًا؛ وإن رأيته لا يكلم أحدًا فأعطه البدرة. فلما خرج من القصر إذا هو بنواة في الأرض قد غاصت فجعل يعالجها ولم يكلم أحدًا فقال له: يقول لك أمير المؤمنين خذ هذه البدرة، فقال: قل لأمير المؤمنين يردها من حيث أخذها. ويروى أنه أقبل بعد فراغه من كلامه على النواة التي يعالج قلعها من الأرض وهو يقول:

أرى الدُّنيا لمن هي في يديه ... همومًا كلما كَثُرَتْ لديهِ
تهين المُكْرَمين لها بصغرٍ ... وتكرم كل من هانتْ عليهِ
إذا استغنيت عن شيءٍ فَدَعْهُ ... وخُذْ مَا أنت مُحتاجٌ إليهِ

وعن سفيان الثوري رحمه الله قال: حج المهدي سنة ست وستين ومائة فرأيته يرمي جمرة العقبة والناس يخبطون يمينًا وشمالًا بالسياط، فوقفت فقلت: يا حسن الوجه حدّثنا أيمن عن وائل عن قدامة بن عبد الله الكلابي قال: رأيت رسول الله ﷺ يرمي الجمرة يوم النحر على جمل لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا إليك إليك ﷺ وها أنت يخبط الناس بين يديك يمينًا وشمالًا. فقال لرجل: من هذا؟ قال: سفيان الثوري. فقال: يا سفيان لو كان المنصور ما احتملك على هذا! فقال: لو أخبرك المنصور بما لقي لقصرت عما أنت فيه. قال: فقيل له إنه قال لك يا حسن الوجه ولم يقل لك يا أمير المؤمنين فقال: اطلبوه فطلب سفيان فاختفى. وقد روي عن المأمون أنه بلغه أنّ رجلًا محتسبًا يمشي في الناس يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر. ولم يكن مأمورًا من عنده بذلك فأمر بأن يدل عليه. فلما صار بين يديه قال له: إنني بلغني أنك رأيت نفسك أهلًا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير أن نأمرك وكان المأمون جالسًا على كرسي ينظر في كتاب أو قصة فأغفله فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر به ـ فقال له المحتسب: ارفع قدمك عن أسماء الله تعالى ثم قل ما شئت؛ فلم يفهم المأمون مراده فقال: ماذا تقول؟ حتى أعاده ثلاثًا فلم يفهم فقال: إما رفعت أو أذنت لي حتى أرفع. فنظر المأمون تحت قدمه فرأى الكتاب فأخذه وقبّله وخجل. ثم عاد وقال: لم تأمر بالمعروف وقد جعل الله ذلك إلينا ـ أهل البيت ـ ونحن الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج: ٤١] فقال: صدقت يا أمير المؤمنين أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكن غير أنّا

حديث قدامة بن عبد الله «رأيت رسول الله ﷺ يرمي الجمرة يوم النحر على جمل لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا إليك إليك». رواه الترمذي وقال حسن صحيح والنسائي وابن ماجه [الترمذي: ٩٠٣، النسائي: ٣٠٦١، ابن ماجه: ٣٠٣٥]. وأما قوله في أوله: إن الثوري قال حج المهدي سنة ست وستين. فليس بصحيح فإن الثوري توفي سنة إحدى وستين [انظر صحيح الترغيب: ١١٢٥].

أعوانك وأولياؤك فيه. ولا ينكر ذلك إلا من جهل كتاب الله تعالى وسنّة رسول الله ﷺ. قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٧١] الآية، وقال رسول الله ﷺ: «المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»(١)، وقد مكنت في الأرض وهذا كتاب الله وسنة رسوله، فإن انقدت لهما شكرت لمن أعانك لحرمتهما. وإن استكبرت عنهما ولم تنقد لما لزمك منهما فإنّ الذي إليه أمرك وبيده عزك وذلك قد شرط أنه لا يضيع أجر من أحسن عملًا فقل الآن ما شئت؛ فأعجب المأمون بكلامه وسرَّ به وقال: مثلك يجوز له أن يأمر بالمعروف. فامض على ما كنت عليه بأمرنا وعن رأينا. فاستمرّ الرجل على ذلك. ففي سياق هذه الحكايات بيان الدليل على الاستغناء عن الإذن.

فإن قيل: أفتثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد، والعبد على المولى، والزوجة على الزوج، والتلميذ على الأستاذ والرعية على الوالي مطلقًا، كما يثبت للوالد على الولد، والسيد على العبد، والزوج على الزوجة، والأستاذ على التلميذ، والسلطان على الرعية أو بينهما فرق؟ فاعلم أن الذي نراه: أنه يثبت أصل الولاية ولكن بينهما فرق في التفصيل. ولنفرض ذلك في الولد مع الوالد فنقول: قد رتبنا للحسبة خمس مراتب، وللولد الحسبة بالرتبتين الأوليين وهما: التعريف ثم الوعظ والنصح باللطف. وليس له الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد ولا بمباشرة الضرب وهما الرتبتان الأخيرتان وهل له الحسبة بالرتبة الثالثة حيث تؤدي إلى أذى الوالد وسخطه؟ هذا فيه نظر، وهو بأن يكسر مثلًا عوده ويريق خمره ويحل الخيوط عن ثيابه المنسوجة من الحرير ويرد إلى الملاك ما يجده في بيته من المال الحرام الذي غصبه أو سرقه أو أخذه عن إدرار رزق من ضريبة المسلمين - إذا كان صاحبه معينًا - ويبطل الصور المنقوشة على حيطانه والمنقورة في خشب بيته ويكسر أواني الذهب والفضة؛ فإن فعله في هذه الأمور ليس يتعلق بذات الأب بخلاف الضرب والسب، ولكن الوالد يتأذى به ويسخطه بسببه، إلا أن فعل الولد حق، وسخط الأب منشؤه حبه للباطل وللحرام والأظهر في القياس أنه يثبت للولد ذلك بل يلزمه أن يفعل ذلك، ولا يبعد أن ينظر فيه إلى قبح المنكر وإلى مقدار الأذى والسخط. فإن كان المنكر فاحشًا وسخطه عليه قريبًا كإراقة خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر، وإن كان المنكر قريبًا والسخط شديدًا كما لو كانت له آنية من بلور أو زجاج على صور حيوان وفي كسرها خسران مال كثير، فهذا مما يشتد فيه الغضب وليس تجري هذه المعصية مجرى الخمر وغيره فهذا كله مجال النظر.

فإن قيل: ومن أين قلتم ليس له الحسبة بالتعنيف والضرب والإرهاق إلى ترك الباطل،

---

(١) صحيح: حديث «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا». متفق عليه من حديث أبي موسى وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة [البخاري: ٤٨١، مسلم: ٢٥٨٥].

والأمر بالمعروف في الكتاب والسنة ورد عامًا من غير تخصيص؟ وأما النهي عن التأفيف والإيذاء فقد ورد وهو خاص فيما لا يتعلق بارتكاب المنكرات؟ فنقول: قد ورد في حق الأب على الخصوص ما يوجب الاستثناء من العموم إذ لا خلاف في أن الجلاد ليس له أن يقتل أباه في الزنا حدًا، ولا له أن يباشر إقامة الحد عليه، بل لا يباشر قتل أبيه الكافر، بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له أن يؤذيه في مقابلته.

وقد ورد في ذلك أخبار وثبت بعضها بالإجماع [(١)] فإذا لم يجز له إيذاؤه بعقوبة هي حق على جناية سابقة فلا يجوز له إيذاؤه بعقوبة هي منع عن جناية مستقبلة متوقعة بل أولى. وهذا الترتيب أيضًا ينبغي أن يجري في العبد والزوجة مع السيد والزوج، فهما قريبان من الولد في لزوم الحق وإن كان ملك اليمين آكد من ملك النكاح؛ ولكن في الخبر أنه: «لَوْ جَازَ السُّجُودُ لِمَخْلُوقٍ لأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا» [(٢)]، وهذا يدل على تأكيد الحق أيضًا. وأما الرعية مع السلطان فالأمر فيها أشد من الولد فليس لها معه إلا التعريف والنصح، فأما الرتبة الثالثة ففيها نظر من حيث إن الهجوم على أخذ الأموال من خزانته وردها إلى الملاك وعلى تحليل الخيوط من ثيابه الحرير وكسر آنية الخمور في بيته يكاد يفضي إلى خرق هيبته وإسقاط حشمته، وذلك محظور ورد النهي عنه، كما ورد النهي عن السكوت على المنكر [(٣)]، فقد تعارض فيه أيضًا محذوران والأمر فيه موكول إلى اجتهاد منشؤه النظر في تفاحش المنكر ومقدار ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه. وأما التلميذ والأستاذ فالأمر فيما بينهما أخف لأن المحترم هو الأستاذ المفيد للعلم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه فله أن يعامله بموجب علمه الذي تعلمه منه.

وروي أنه سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على والده؟ فقال: يعظه ما لم يغضب فإن غضب سكت عنه.

الشرط الخامس: كونه قادرًا؛ ولا يخفى أن العاجز ليس عليه حسبة إلا بقلبه إذ كل من

---

(١) الأخبار الواردة: في أن الجلاد ليس له أن يجلد أباه في الزنا، ولا أن يباشر إقامة الحد عليه، ولا يباشر قتل أبيه الكافر، وأنه لو قطع يده لم يلزم القصاص، ثم قال وثبت بعضها بالإجماع.

قلت: لم أجد فيه إلا حديث صحيح: «لا يقاد الوالد بالولد» رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمر، قال الترمذي: فيه اضطراب [الترمذي: ١٤٠٠، انظر صحيح الجامع: ٧٧٤٤].

(٢) صحيح: حديث «لو جاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها». تقدم في النكاح [الترمذي: ١٥٩، انظر السلسلة الصحيحة: ٣٤٩].

(٣) حديث «النهي عن الإنكار على السلطان جهرة بحيث يؤدي إلى خرق هيبته». أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث عياض بن غنم الأشعري «من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فلا يكلمه بها علانية وليأخذه بيده فليخل به؛ فإن قبلها، قبلها، وإلا كان قد أدى الذي عليه والذي له».[انظر ظلال الجنة: ١٠٩٨، وصححه الألباني] قال: صحيح الإسناد وللترمذي وحسنه من حديث أبي بكرة «من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله في الأرض» [الترمذي: ٢٢٢٤، انظر صحيح الجامع: ٦١١١، وحسنه الألباني].

أحب الله يكره معاصيه وينكرها. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: جاهدوا الكفار بأيديكم فإن لم تستطيعوا إلا أن تكفهروا في وجوههم فافعلوا.

واعلم أنه لا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسي، بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروهًا يناله، فذلك في معنى العجز، وكذلك إذا لم يخف مكروهًا ولكن علم أن إنكاره لا ينفع فليلتفت إلى معنيين؛ أحدهما: عدم إفادة الإنكار امتناعًا، والآخر: خوف مكروه. ويحصل من اعتبار المعنيين أربعة أحوال:

إحداها: أن يجتمع المعنيان بأن يعلم أنه لا ينفع كلامه ويضرب إن تكلم فلا تجب عليه الحسبة، بل ربما تحرم في بعض المواضع. نعم يلزمه أن لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج إلا لحاجة مهمة أو واجب، ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة إلا إذا كان يرهق إلى الفساد أو يحمل على مساعدة السلاطين في الظلم والمنكرات؛ فيلزمه الهجرة إن قدر عليها فإن الإكراه لا يكون عذرًا في حق من يقدر على الهرب من الإكراه.

الحالة الثانية: أن ينتفي المعنيان جميعًا بأن يعلم أن المنكر يزول بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه فيجب عليه الإنكار وهذه هي القدرة المطلقة.

الحالة الثالثة: أن يعلم أنه لا يفيد إنكاره لكنه لا يخاف مكروهًا فلا تجب عليه الحسبة لعدم فائدتها، ولكن تستحب لإظهار شعائر الإسلام وتذكير الناس بأمر الدين.

الحالة الرابعة: عكس هذه وهو أن يعلم أنه يصاب بمكروه، ولكن يبطل المنكر بفعله كما يقدر على أن يرمي زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها، ويريق الخمر، أو يضرب العود الذي في يده ضربة مختطفة فيكسره في الحال، ويتعطل عليه هذا المنكر ولكن يعلم أنه يرجع إليه فيضرب رأسه، فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب. ويدل عليه الخبر الذي أوردناه في فصل: «كلمة حق عند إمام جائر» ولا شك في أن ذلك مظنة الخوف. ويدل عليه أيضًا ما روي عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى أنه قال: سمعت من بعض الخلفاء كلامًا فأردت أن أنكر عليه وعلمت أني أقتل، ولم يمنعني القتل ولكن كان في ملأ من الناس فخشيت أن يعتريني التزين للخلق فأقتل من غير إخلاص في الفعل.

فإن قيل: فما معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] ؟ قلنا: لا خلاف في أن المسلم الواحد له أن يهجم على وصف الكفار ويقاتل وإن علم أنه يقتل، وهذا ربما يظن أنه مخالف لموجب الآية وليس كذلك، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس التهلكة ذلك، بل ترك النفقة في طاعة الله تعالى؛ أي من لم يفعل ذلك فقد أهلك نفسه. وقال البراء بن عازب: التهلكة هو أن يذنب الذنب ثم يقول لا يتاب عليَّ. وقال أبو عبيدة: هو أن يذنب ثم لا يعمل بعده خيرًا حتى يهلك. وإذا جاز أن يقاتل الكفار حتى يقتل جاز أيضًا له

ذلك في الحسبة، ولكن لو علم أنه لا نكاية لهجومه على الكفار كالأعمى يطرح نفسه على الصف أو العاجز، فذلك حرام وداخل تحت عموم آية التهلكة. وإنما جاز له الإقدام إذا علم أنه يقاتل إلى أن يقتل أو علم أنه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جرأته واعتقادهم في سائر المسلمين قلة المبالاة وحبهم للشهادة في سبيل الله فتنكسر بذلك شوكتهم؛ فكذلك يجوز للمحتسب بل يستحب له أن يعرض نفسه للضرب وللقتل إذا كان لحسبته تأثير في رفع المنكر أو في كسر جاه الفاسق أو في تقوية قلوب أهل الدين، وأما إن رأى فاسقًا متغلبًا وعنده سيف وبيده قدح، وعلم أنه لو أنكر عليه لشرب القدح وضرب رقبته فهذا مما لا أرى للحسبة فيه وجهًا وهو عين الهلاك. فإن المطلوب أن يؤثر في الدين أثرًا ويفديه بنفسه، فأما تعريض النفس للهلاك من غير أثر فلا وجه له بل ينبغي أن يكون حرامًا. وإنما يستحب له الإنكار إذا قدر على إبطال المنكر أو ظهر لفعله فائدة، وذلك بشرط أن يقتصر المكروه عليه. فإن علم أنه يضرب معه غيره من أصحابه أو أقاربه أو رفقائه فلا تجوز له الحسبة بل تحرم لأنه عجز عن دفع المنكر إلا بأن يفضي ذلك إلى منكر آخر، وليس ذلك من القدرة في شيء. بل لو علم أنه لو احتسب لبطل ذلك المنكر، ولكن كان ذلك سببًا لمنكر آخر يتعاطاه غير المحتسب عليه فلا يحل له الإنكار على الأظهر، لأن المقصود عدم مناكير الشرع مطلقًا لا من زيد أو عمرو، وذلك بأن يكون مثلًا مع الإنسان شراب حلال ـ نجس بسبب وقوع نجاسة فيه ـ وعلم أنه لو أراقه لشرب صاحبه الخمر أو تشرب أولاده الخمر لإعوازهم الشراب الحلال فلا معنى لإراقة ذلك. ويحتمل أن يقال إنه يريق ذلك فيكون هو مبطلًا لمنكر. وأما شرب الخمر فهو الملوم فيه والمحتسب غير قادر على منعه من ذلك المنكر، وقد ذهب إلى هذا ذاهبون. وليس ببعيد، فإن هذه مسائل فقهية لا يمكن فيها الحكم إلا بظن، ولا يبعد أن يفرق بين درجات المنكر المغير والمنكر الذي تفضي إليه الحسبة والتغيير، فإنه إذا كان يذبح شاة لغيره ليأكلها وعلم أنه لو منعه من ذلك لذبح إنسانًا وأكله فلا معنى لهذه الحسبة. نعم لو كان منعه عن ذبح إنسان أو قطع طرقه يحمله على أخذ ماله فذلك له وجه. فهذه دقائق واقعة في محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده في ذلك كله ولهذه الدقائق نقول: العامي ينبغي له أن لا يحتسب إلا في الجليات المعلومة كشرب الخمر والزنا وترك الصلاة، فأما ما يعلم كونه معصية بالإضافة إلى ما يطيف به من الأفعال ويفتقر فيه إلى اجتهاد فالعامي إن خاض فيه كان ما يفسده أكثر مما يصلحه، وعن هذا يتأكد ظن من لا يثبت ولاية الحسبة إلا بتعيين الوالي؛ إذ ربما ينتدب لها من ليس أهلًا لها لقصور معرفته أو قصور ديانته فيؤدي ذلك إلى وجوه من الخلل وسيأتي كشف الغطاء عن ذلك إن شاء الله.

فإن قيل: وحيث أطلقتم العلم بأن يصيبه مكروه أو أنه لا تفيد حسبته؛ فلو كان بدل العلم ظن فما حكمه؟ قلنا: الظن الغالب في هذه الأبواب في معنى العلم وإنما يظهر الفرق عند

تعارض الظن، والعلم إذ يرجح العلم اليقيني على الظن ويفرق بين العلم والظن في مواضع أخر، وهو أنه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعًا أنه لا يفيد، فإن كان غالب ظنه أنه لا يفيد ولكن يحتمل أن يفيد وهو مع ذلك لا يتوقع مكروهًا فقد اختلفوا في وجوبه، والأظهر وجوبه إذ لا ضرر فيه وجدواه متوقعة، وعموم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تقتضي الوجوب بكل حال ونحن إنما نستثني عنه بطريق التخصيص ما إذا علم أنه لا فائدة فيه إما بالإجماع أو بقياس ظاهر وهو أن الأمر ليس يراد لعينه بل للمأمور، فإذا علم اليأس عنه فلا فائدة فيه، فأما إذا لم يكن يأس فينبغي أن لا يسقط الوجوب.

فإن قيل: فالمكروه الذي تتوقع إصابته إن لم يكن متيقنًا ولا معلومًا بغالب الظن، ولكن كان مشكوكًا فيه، أو كان غالب ظنه أنه لا يصاب بمكروه ولكن احتمل أن يصاب بمكروه، فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لا يجب إلا عند اليقين بأنه لا يصيبه مكروه أم يجب في كل حال إلا إذا غلب على ظنه أنه يصاب بمكروه؟ قلنا: إن غلب على الظن أنه يصاب لم يجب، وإن غلب أنه لا يصاب وجب ـ ومجرد التجويز لا يسقط الوجوب، فإن ذلك ممكن في كل حسبة، وإن شك فيه من غير رجحان فهذا محل النظر، فيحتمل أن يقال الأصل الوجوب بحكم العمومات وإنما يسقط بمكروه، والمكروه هو الذي يظن أو يعلم حتى يكون متوقعًا، وهذا هو الأظهر. ويحتمل أن يقال: إنه إنما يجب عليه إذا علم أنه لا ضرر فيه عليه أو ظن أنه لا ضرر عليه، والأوّل أصح نظرًا إلى قضية العمومات الموجبة للأمر بالمعروف.

فإن قيل: فالتوقع للمكروه يختلف بالجبن والجرأة، فالجبان الضعيف القلب يرى البعيد قريبًا حتى كأنه يشاهده ويرتاع منه، والمتهور الشجاع يبعد وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن الأمل حتى إنه لا يصدق به إلا بعد وقوعه، فعلى ماذا التعويل؟ قلنا: التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والمزاج، فإن الجبن مرض وهو ضعف في القلب سببه قصور في القوة وتفريط، والتهور إفراط في القوّة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان، وإنما الكمال في الاعتدال الذي يعبر عنه بالشجاعة. وكل واحد من الجبن والتهور يصدر تارة عن نقصان العقل. وتارة عن خلل في المزاج بتفريط أو إفراط، فإن من اعتدل مزاجه في صفة الجبن والجرأة، فقد لا يتفطن لمدارك الشر فيكون سبب جرأته جهله، وقد لا يتفطن لمدارك دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله، وقد يكون عالمًا بحكم التجربة والممارسة بمداخل الشر ودوافعه، ولكن يعمل الشر البعيد في تخذيله وتحليل قوّته في الإقدام بسبب ضعف قلبه ما يفعله الشر القريب في حق الشجاع المعتدل الطبع. فلا التفات إلى الطرفين. وعلى الجبان أن يتكلف إزالة الجبن بإزالة علته وعلته جهل أو ضعف، ويزول الجهل بالتجربة، ويزول الضعف بممارسة الفعل المحفوف منه تكلفًا حتى يصير معتادًا، إذ المبتدىء في المناظرة والوعظ مثلًا قد يجبن عنه طبعه لضعفه، فإذا مارس واعتاد فارقه الضعف، فإن صار ذلك ضروريًا غير قابل

للزوال بحكم استيلاء الضعف على القلب، فحكم ذلك الضعيف يتبع حاله فيعذر كما يعذر المريض في التقاعد عن بعض الواجبات، ولذلك قد نقول على رأي: لا يجب ركوب البحر لأجل حجة الإسلام على من يغلب عليه الجبن في ركوب البحر ويجب على من لا يعظم خوفه منه، فكذلك الأمر في وجوب الحسبة.

فإن قيل: فالمكروه المتوقع ما حدّه؟ فإن الإنسان قد يكره كلمة، وقد يكره ضربة، وقد يكره طول لسان المحتسب عليه في حقه بالغيبة، وما من شخص يؤمر بالمعروف إلا يتوقع منه نوع من الأذى وقد يكون منه أن يسعى به إلى سلطان أو يقدح فيه في مجلس يتضرر بقدحه فيه، فما حد المكروه الذي يسقط الوجوب به؟ قلنا: هذا أيضًا فيه نظر غامض وصورته منتشرة ومجاريه كثيرة، ولكنا نجتهد في ضم نشره وحصر أقسامه.

فنقول: المكروه نقيض المطلوب ومطالب الخلق في الدنيا ترجع إلى أربعة أمور:

أما في النفس فالعلم. وأما في البدن فالصحة والسلامة. وأما في المال فالثروة. وأما في قلوب الناس فقيام الجاه؛ فإذًا المطلوب العلم والصحة والثروة والجاه. ومعنى الجاه ملك قلوب الناس، كما أن معنى الثروة ملك الدراهم، لأن قلوب الناس وسيلة إلى الأغراض، كما أن ملك الدراهم وسيلة إلى بلوغ الأغراض - وسيأتي تحقيق معنى الجاه وسبب ميل الطبع إليه في ربع المهلكات - وكل واحدة من هذه الأربعة يطلبها الإنسان لنفسه ولأقاربه المختصين به. ويكره في هذه الأربعة أمران؛ أحدهما: زوال ما هو حاصل موجود. والآخر: امتناع ما هو منتظر مفقود، أعني اندفاع ما يتوقع وجوده. فلا ضرر إلا في فوات حاصل وزواله، أو تعويق منتظر، فإن المنتظر عبارة عن الممكن حصوله والممكن حصوله كأنه حاصل وفوات إمكانه كأنه فوات حصوله: فرجع المكروه إلى قسمين:

أحدهما: خوف امتناع المنتظر وهذا لا ينبغي أن يكون مرخصًا في ترك الأمر بالمعروف أصلًا.

ولنذكر مثاله في المطالب الأربعة، أما العلم: فمثاله تركه الحسبة على من يختص بأستاذه خوفًا من أن يقبح حاله عنده فيمتنع من تعليمه. وأما الصحة: فتركه الإنكار على الطبيب الذي يدخل عليه مثلًا وهو لابس حريرًا خوفًا من أن يتأخر عنه فتمتنع بسببه صحته المنتظرة. وأما المال: فتركه الحسبة على السلطان وأصحابه وعلى من يواسيه من ماله خيفة من أن يقطع إدراره في المستقبل ويترك مواساته. وأما الجاه: فتركه الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاهًا في المستقبل خيفة من أن لا يحصل له الجاه أو خيفة من أن يقبح حاله عند السلطان الذي يتوقع منه ولاية.

وهذا كله لا يسقط وجوب الحسبة لأن هذه زيادات امتنعت، وتسمية امتناع حصول الزيادات ضررًا مجاز. وإنما الضرر الحقيقي فوات حاصل ولا يستثنى من هذا شيء إلا ما تدعو

إليه الحاجة ويكون في فواته محذور يزيد على محذور السكوت على المنكر، كما إذا كان محتاجًا إلى الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة الطبيب ويعلم أن في تأخره شدة الضنا به وطول المرض وقد يفضي إلى الموت. وأعني بالعلم الظن الذي يجوز بمثله ترك استعمال الماء والعدول إلى التيمم فإذا انتهى إلى هذا الحد لم يبعد أن يرخص في ترك الحسبة. وأما في العلم فمثل أن يكون جاهلًا بمهمات دينه ولم يجد إلا معلمًا واحدًا ولا قدرة له على الرحلة إلى غيره، وعلم أن المحتسب عليه قادر على أن يسد عليه طريق الوصول إليه لكون العالم مطيعًا له أو مستمعًا لقوله، فإذًا الصبر على الجهل بمهمات الدين محذور والسكوت على المنكر محذور، ولا يبعد أن يرجح أحدهما ويختلف ذلك بتفاحش المنكر وبشدة الحاجة إلى العلم لتعلقه بمهمات الدين. وأما في المال، فكمن يعجز عن الكسب والسؤال وليس هو قوي النفس في التوكل ولا منفق عليه سوى شخص واحد ولو احتسب عليه قطع رزقه وافتقر في تحصيله إلى طلب إدرار حرام أو مات جوعًا فهذا أيضًا إذا اشتد الأمر فيه لم يبعد أن يرخص له في السكوت. وأما الجاه، فهو أن يؤذيه شرير ولا يجد سبيلًا إلى دفع شره إلا بجاه يكتسبه من سلطان، ولا يقدر على التوصل إليه إلا بواسطة شخص يلبس الحرير أو يشرب الخمر، ولو احتسب عليه لم يكن واسطة ووسيلة له فيمتنع عليه حصول الجاه ويدوم بسببه أذى الشرير.

فهذه الأمور كلها إذا ظهرت وقويت لم يبعد استثناؤها، ولكن الأمر فيها منوط باجتهاد المحتسب حتى يستفتي فيها قلبه، ويزن أحد المحذورين بالآخر، ويرجح بنظر الدين لا بموجب الهوى والطبع، فإن رجح بموجب الدين سمي سكوته مداراة، وإن رجح بموجب الهوى سمي سكوته مداهنة. وهذا أمر باطن لا يطلع عليه إلا بنظر دقيق ولكن الناقد بصير، فحق على كل متدين فيه أن يراقب قلبه ويعلم أن الله مطلع على باعثه وصارفه أنه الدين أو الهوى، وستجد كل نفس ما عملت من سوء أو خير محضرًا عند الله ولو في فلتة خاطر أو فلتة ناظر من غير ظلم وجور فما الله بظلاّم للعبيد.

وأما القسم الثاني: وهو فوات الحاصل: فهو مكروه ومعتبر في جواز السكوت في الأمور الأربعة إلا العلم، فإن فواته غير مخوف إلا بتقصير منه وإلا فلا يقدر أحد على سلب العلم من غيره، وإن قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة والمال، وهذا أحد أسباب شرف العلم فإنه يدوم في الدنيا ويدوم ثوابه في الآخرة فلا انقطاع له أبد الآباد. وأما الصحة والسلامة ففواتهما بالضرب فكل من علم أنه يضرب ضربًا مؤلمًا يتأذى به في الحسبة لم تلزمه الحسبة وإن كان يستحب له ذلك - كما سبق - وإذا فهم هذا في الإيلام بالضرب فهو في الجرح والقطع والقتل أظهر. وأما الثروة فهو بأن يعلم أنه تنهب داره ويخرب بيته وتسلب ثيابه، فهذا أيضًا يسقط عنه الوجوب ويبقى الاستحباب إذ لا بأس بأن يفدى دينه بدنياه ولكل واحد من الضرب والنهب

حد في القلة لا يكترث به كالحبة في المال واللطمة الخفيف ألمها في الضرب وحد في الكثرة يتعين اعتباره ووسط يقع في محل الاشتباه والاجتهاد، وعلى المتدين أن يجتهد في ذلك ويرجح جانب الدين ما أمكن.

وأما الجاه ففواته بأن يضرب ضربًا غير مؤلم أو يسب على ملأ من الناس أو يطرح منديله في رقبته ويدار به في البلد أو يسود وجهه ويطاف به، وكل ذلك من غير ضرب مؤلم للبدن وهو فادح في الجاه ومؤلم للقلب. وهذا له درجات فالصواب أن يقسم إلى ما يعبر عنه بسقوط المروءة، كالطواف به في البلد حاسرًا حافيًا فهذا يرخص له في السكوت لأن المروءة مأمور بحفظها في الشرع، وهذا مؤلم للقلب ألمًا يزيد على ألم ضربات متعددة وعلى فوات دريهمات قليلة فهذه درجة.

الثانية: ما يعبر عنه بالجاه المحض وعلو الرتبة، فإن الخروج في ثياب فاخرة تجمل، وكذلك الركوب للخيول. فلو علم أنه لو احتسب لكلف المشي في السوق في ثياب لا يعتاد هو مثلها. أو كلف المشي راجلًا وعادته الركوب. فهذا من جملة المزايا. وليست المواظبة على حفظها محمودة. وحفظ المروءة محمود فلا ينبغي أن يسقط وجوب الحسبة بمثل هذا القدر. وفي معنى هذا ما لو خاف أن يتعرض له باللسان إما في حضرته بالتجهيل والتحميق والنسبة إلى الرياء والبهتان. وإما في غيبته بأنواع الغيبة فهذا لا يسقط الوجوب إذ ليس فيه إلا زوال فضلات الجاه التي ليس إليها كبير حاجة. ولو تركت الحسبة بلوم لائم أو باغتياب فاسق أو شتمه وتعنيفه أو سقوط المنزلة عن قلبه وقلب أمثاله لم يكن للحسبة وجوب أصلًا إذ لا تنفك الحسبة عنه إلا إذا كان المنكر هو الغيبة، وعلم أنه لو أنكر لم يسكت عن المغتاب ولكن أضافه إليه وأدخله معه في الغيبة فتحرم هذه الحسبة لأنها سبب زيادة المعصية، وإن علم أنه يترك تلك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا تجب عليه الحسبة لأن غيبته أيضًا معصية في حق المغتاب، ولكن يستحب له ذلك ليفدي عرض المذكور بعرض نفسه على سبيل الإيثار. وقد دلت العمومات على تأكد وجوب الحسبة وعظم الخطر في السكوت عنها فلا يقابله إلا ما عظم في الدين خطره، والمال والنفس والمروءة قد ظهر في الشرع خطرها، فأما مزايا الجاه والحشمة ودرجات التجمل وطلب ثناء الخلق فكل ذلك لا خطر له. وأما امتناعه لخوف شيء من هذه المكاره في حق أولاده وأقاربه فهو في حقه دونه لأن تأذيه بأمر نفسه أشد من تأذيه بأمر غيره، ومن وجه الدين هو فوقه لأن له أن يسامح في حقوق نفسه وليس له المسامحة في حق غيره. فإذًا ينبغي أن يمتنع فإنه إن كان ما يفوت من حقوقهم يفوت على طريق المعصية كالضرب والنهب فليس له هذه الحسبة لأنه دفع منكر يفضي إلى منكر، وإن كان يفوت لا بطريق المعصية فهو إيذاء للمسلم أيضًا وليس له ذلك إلا برضاهم.

فإذا كان يؤدي ذلك إلى أذى قومه فليتركه وذلك كالزاهد الذي له أقارب أغنياء فإنه لا

يخاف على ماله إن احتسب على السلطان ولكنه يقصد أقاربه انتقامًا منه بواسطته، فإذا كان يتعدى الأذى من حسبته إلى أقاربه وجيرانه فليتركه فإن إيذاء المسلمين محذور، كما أن السكوت على المنكر محذور. نعم إن كان لا ينالهم أذى في مال أو نفس ولكن ينالهم الأذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر، ويختلف الأمر فيه بدرجات المنكرات في تفاحشها ودرجات الكلام المحذور في نكايته في القلب وقدحه في العرض.

فإن قيل: فلو قصد الإنسان قطع طرف من نفسه وكان لا يمتنع عنه إلا بقتال ربما يؤدي إلى قتله فهل يقاتل عليه؟ فإن قلتم: يقاتل، فهو محال لأنه إهلاك نفس خوفًا من إهلاك طرف وفي إهلاك النفس إهلاك الطرف أيضًا، قلنا: يمنعه عنه ويقاتله إذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه، بل الغرض حسم سبيل المنكر والمعصية، وقتله في الحسبة ليس بمعصية وقطع طرف نفسه معصية. وذلك كدفع الصائل على مال مسلم بما يأتي على قتله فإنه جائز لا على معنى أنا نفدي درهمًا من مال مسلم بروح مسلم فإن ذلك محال ولكن قصده لأخذ مال المسلمين معصية وقتله في الدفع عن المعصية ليس بمعصية وإنما المقصود دفع المعاصي.

فإن قيل: فلو علمنا أنه لو خلا بنفسه لقطع طرف نفسه فينبغي أن نقتله في الحال حسمًا لباب المعصية؟ قلنا: ذلك لا يعلم يقينًا ولا يجوز سفك دمه بتوهم معصية، ولكنا إذا رأيناه في حال مباشرة القطع دفعناه، فإن قاتلنا قاتلناه ولم نبال بما يأتي على روحه.

فإذًا المعصية لها ثلاث أحوال:

إحداها: أن تكون متصرمة فالعقوبة على ما تصرم منها حد أو تعزير وهو إلى الولاة لا إلى الآحاد.

الثانية: أن تكون المعصية راهنة وصاحبها مباشر لها كلبسه الحرير وإمساكه العود والخمر، فإبطال هذه المعصية واجب بكل ما يمكن ما لم تؤدِّ إلى معصية أفحش منها أو مثلها، وذلك يثبت للآحاد والرعية.

الثالثة: أن يكون المنكر متوقعًا كالذي يستعد بكنس المجلس وتزيينه وجمع الرياحين لشرب الخمر وبعده لم يحضر الخمر؛ فهذا مشكوك فيه إذ ربما يعوق عنه عائق فلا يثبت للآحاد سلطنة على العازم على الشرب إلا بطريق الوعظ والنصح، فأما بالتعنيف والضرب فلا يجوز للآحاد ولا للسلطان إلا إذا كانت تلك المعصية علمت منه بالعادة المستمرة، وقد أقدم على السبب المؤدي إليها ولم يبق لحصول المعصية إلا ما ليس له فيه إلا الانتظار، وذلك كوقوف الأحداث على أبواب حمامات النساء للنظر إليهن عند الدخول والخروج، فإنهم وإن لم يضيقوا الطريق لسعته فتجوز الحسبة عليهم بإقامتهم من الموضع ومنعهم عن الوقوف بالتعنيف والضرب، وكان تحقيق هذا إذا بحث عنه يرجع إلى أن هذا الوقوف في نفسه معصية وإن كان مقصد العاصي وراءه كما أنّ الخلوة بالأجنبية في نفسها معصية لأنها مظنة وقوع

المعصية، وتحصيل مظنة المعصية معصية ونعني بالمظنة ما يتعرّض الإنسان به لوقوع المعصية غالبًا بحيث لا يقدر على الانكفاف عنها، فإذًا هو على التحقيق حسبة على معصية راهنة لا على معصية منتظرة.

الركن الثاني للحسبة: ما فيه الحسبة:

وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوم كونه منكرًا بغير اجتهاد، فهذه أربعة شروط فلنبحث عنها:

الأول: كونه منكرًا، ونعني به أن يكون محذور الوقوع في الشرع وعدلنا عن لفظ المعصية إلى هذا، لأن المنكر أعم من المعصية، إذ من رأى صبيًا أو مجنونًا يشرب الخمر فعليه أن يريق خمره ويمنعه، وكذا إن رأى مجنونًا يزني بمجنونة أو بهيمة فعليه أن يمنعه منه. وليس ذلك لتفاحش صورة الفعل وظهوره بين الناس بل لو صادف هذا المنكر في خلوة لوجب المنع منه، وهذا لا يسمى معصية في حق المجنون إذ معصية لا عاصي بها محال، فلفظ المنكر أدل عليه وأعم من لفظ المعصية، وقد أدرجنا في عموم هذا الصغيرة والكبيرة فلا تختص الحسبة بالكبائر، بل كشف العورة في الحمام والخلوة بالأجنبية واتباع النظر للنسوة الأجنبيات كل ذلك من الصغائر ويجب النهي عنها وفي الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظر سيأتي في كتاب التوبة.

الشرط الثاني: أن يكون موجودًا في الحال وهو احتراز أيضًا عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر، فإن ذلك ليس إلى الآحاد وقد انقرض المنكر واحتراز عما سيوجد في ثاني الحال، كمن يعلم بقرينة حال أنه عازم على الشرب في ليلته فلا حسبة عليه إلا بالوعظ، وإن أنكر عزمه عليه لم يجز وعظه أيضًا فإن فيه إساءة ظن بالمسلم وربما صدق في قوله. وربما لا يقدم على ما عزم عليه لعائق. وليتنبه للدقيقة التي ذكرناها وهو أن الخلوة بالأجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما يجري مجراه.

الشرط الثالث: أن يكون المنكر ظاهرًا للمحتسب بغير تجسس. فكل من ستر معصية في داره وأغلق بابه لا يجوز أن يتجسس عليه، وقد نهى الله تعالى عنه. وقصة عمر وعبد الرحمن بن عوف فيه مشهورة ـ وقد أوردناها في كتاب آداب الصحبة ـ وكذلك ما روي أن عمر رضي الله عنه تسلق دار رجل فرآه على حالة مكروهة فأنكر عليه فقال: يا أمير المؤمنين إن كنت أنا قد عصيت الله من وجه واحد فأنت قد عصيته من ثلاثة أوجه. فقال وما هي؟ فقال قد قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات:١٢] وقد تجسست. وقال تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة:١٨٩] وقد تسورت من السطح وقال: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور:٢٧] وما سلمت. فتركه عمر وشرط عليه التوبة. ولذلك شاور عمر الصحابة رضي الله عنهم وهو على المنبر وسألهم عن الإمام إذا شاهد بنفسه منكرًا

فهل له إقامة الحدّ فيه؟ فأشار علي رضي الله عنه بأن ذلك منوط بعدلين فلا يكفي واحد. وقد أوردنا هذه الأخبار في بيان حق المسلم من كتاب آداب الصحبة فلا نعيدها.

فإن قلت: فما حدّ الظهور والاستتار؟ فاعلم أن من أغلق باب داره وتستر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير إذنه لنعرف المعصية إلا أن يظهر في الدار ظهورًا يعرفه من هو خارج الدار كأصوات المزامير والأوتار إذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان الدار. فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهي وكذا إذا ارتفعت أصوات السكارى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعها أهل الشوارع فهذا إظهار موجب للحسبة. فإذن إنما يدرك مع تخلل الحيطان صوت أو رائحة. فإذا فاحت روائح الخمر فإن احتمل أن يكون ذلك من الخمور المحترمة فلا يجوز قصدها بالإراقة. وإن علم بقرينة الحال أنها فاحت لتعاطيهم الشرب فهذا محتمل. والظاهر جواز الحسبة. وقد تستر قارورة الخمر في الكم وتحت الذيل وكذلك الملاهي، فإذا رؤي فاسق وتحت ذيله شيء لم يجز أن يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصة. فإن فسقه لا يدل على أن الذي معه خمر. إذ الفاسق محتاج أيضًا إلى الخل وغيره. فلا يجوز أن يستدل بإخفائه وأنه لو كان حلالًا لما أخفاه لأن الأغراض في الإخفاء مما تكثر. وإن كانت الرائحة فهذا محل النظر. والظاهر أن له الاحتساب لأن هذه علامة تفيد الظن والظن كالعلم في أمثال هذه الأمور. وكذلك العود ربما يعرف بشكله إذا كان الثوب الساتر له رقيقًا. فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهرت دلالته فهو غير مستور بل هو مكشوف، وقد أمرنا بأن نستر ما ستر الله وننكر على من أبدى لنا صفحته. والإبداء له درجات فتارة يبدو لنا بحاسة السمع. وتارة بحاسة الشم. وتارة بحاسة البصر. وتارة بحاسة اللمس، ولا يمكن أن يخصص ذلك بحاسة البصر بل المراد العلم.

وهذه الحواس أيضًا تفيد العلم. فإذن إنما يجوز أن يكسر ما تحت الثوب إذا علم أنه خمر. وليس له أن يقول: أرني لأعلم ما فيه. هذا تجسس. ومعنى التجسس طلب الأمارات المعرفة فالأمارة المعرفة إن حصلت وأورثت المعرفة جاز العمل بمقتضاها فأما طلب الأمارة المعرفة فلا رخصة فيه أصلًا.

الشرط الرابع: أن يكون كونه منكرًا معلومًا بغير اجتهاد فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة. فليس للحنفي أن ينكر على الشافعي أكله الضب والضبع ومتروك التسمية. ولا للشافعي أن ينكر على الحنفي شربه النبيذ الذي ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوي الأرحام وجلوسه في دار أخذها بشفعة الجوار إلى غير ذلك من مجاري الاجتهاد. نعم. لو رأى الشافعي شافعيًا يشرب النبيذ وينكح بلا ولي ويطأ زوجته فهذا في محل النظر والأظهر أن له الحسبة والإنكار إذ لم يذهب أحد من المحصلين إلى أن المجتهد يجوز له أن يعمل بموجب اجتهاد غيره. ولا أن الذي أدى اجتهاده في التقليد إلى شخص رآه أفضل العلماء أن له أن يأخذ

بمذهب غيره فينتقد من المذاهب أطيبها عنده، بل على كل مقلد اتباع مقلده في كل تفصيل، فإذن مخالفته للمقلد متفق على كونه منكرًا بين المحصلين وهو عاصٍ بالمخالفة، إلا أنه يلزم من هذا أمر أغمض منه، وهو أنه يجوز للحنفي أن يعترض على الشافعي إذا نكح بغير ولي بأن يقول له: الفعل في نفسه حق ولكن لا في حقك فأنت مبطل بالإقدام عليه مع اعتقادك أن الصواب مذهب الشافعي، ومخالفة ما هو صواب عندك معصية في حقك وإن كانت صوابًا عند الله. وكذلك الشافعي يحتسب على الحنفي إذا شاركه في أكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول له: إما أن تعتقد أن الشافعي أولى بالاتباع ثم تقدم عليه، أو لا تعتقد ذلك فلا تقدم عليه، لأنه على خلاف معتقدك. ثم ينجر هذا إلى أمر آخر من المحسوسات وهو أن يجامع الأصم مثلًا امرأة على قصد الزنا وعلم المحتسب أن هذه امرأته زوّجه أبوه إياها في صغره، ولكنه ليس يدري وعجز عن تعريفه ذلك لصممه أو لكونه غير عارف بلغته، فهو في الإقدام مع اعتقاده أنها أجنبية عاص ومعاقب عليه في الدار الآخرة. فينبغي أن يمنعها عنه مع أنها زوجته وهو بعيد من حيث إنه حلال في علم الله قريب من حيث إنه حرام عليه بحكم غلطه وجهله. ولا شك في أنه لو علق طلاق زوجته على صفة في قلب المحتسب مثلًا من مشيئة أو غضب أو غيره وقد وجدت الصفة في قلبه وعجز عن تعريف الزوجين ذلك، ولكن علم وقوع الطلاق في الباطن فإذا رآه يجامعها فعليه المنع ـ أعني باللسان ـ لأن ذلك زنى إلا أن الزاني غير عالم به والمحتسب عالم بأنها طلقت منه ثلاثًا، وكونهما غير عاصيين لجهلهما بوجود الصفة لا يخرج الفعل عن كونه منكرًا ولا يتقاعد ذلك عن زنا المجنون وقد بينا أنه يمنع منه، فإذا كان يمنع مما هو منكر عند الله وإن لم يكن منكرًا عند الفاعل ولا هو عاص به لعذر الجهل، فيلزم من عكس هذا أن يقال: ما ليس بمنكر عند الله إنما هو منكر عند الفاعل لجهله لا يمنع منه، وهذا هو الأظهر والعلم عند الله. فتحصل من هذا أن الحنفي لا يعترض على الشافعي في النكاح بلا ولي، وأن الشافعي يعترض على الشافعي فيه لكون المعترض عليه منكرًا باتفاق المحتسب والمحتسب عليه. وهذه مسائل فقهية دقيقة والاحتمالات فيها متعارضة، وإنما أفتينا فيها بحسب ما ترجح عندنا في الحال. ولسنا نقطع بخطأ ترجيح المخالف فيها إن رأى أنه لا يجري الاحتساب إلا في معلوم على القطع، وقد ذهب إليه ذاهبون وقالوا: لا حسبة إلا في مثل الخمر والخنزير وما يقطع بكونه حرامًا، ولكن الأشبه عندنا أن الاجتهاد يؤثر في حق المجتهد، إذ يبعد غاية البعد أن يجتهد في القبلة ويعترف بظهور القبلة عنده في جهة بالدلالات الظنية ثم يستدبرها، ولا يمنع منه لأجل ظن غيره لأن الاستدبار هو الصواب. ورأى من يرى أنه يجوز لكل مقلد أن يختار من المذاهب ما أراد غير معتد به ولعله لا يصح ذهاب ذاهب إليه أصلًا؛ فهذا مذهب لا يثبت وإن ثبت فلا يعتدّ به.

فإن قلت: إذا كان لا يعترض على الحنفي في النكاح بلا ولي لأنه يرى أنه حق، فينبغي أن

لا يعترض على المعتزلي في قوله: إن الله لا يُرى؟ وقوله: وإن الخير من الله والشر ليس من الله؟ وقوله: كلام الله مخلوق؟ ولا على الحشوي في قوله: إن الله تعالى جسم وله صورة وإنه مستقر على العرش؟ بل لا ينبغي أن يعترض على الفلسفي في قوله: الأجساد لا تبعث وإنما تبعث النفوس؛ لأن هؤلاء أيضًا أدى اجتهادهم إلى ما قالوه وهم يظنون أن ذلك هو الحق.

فإن قلت: بطلان مذهب هؤلاء ظاهر، فبطلان مذهب من يخالف نص الحديث الصحيح أيضًا ظاهر، وكما ثبت بظواهر النصوص أن الله تعالى يُرى والمعتزلي ينكرها بالتأويل، فكذلك ثبت بظواهر النصوص مسائل خالف فيها الحنفي كمسألة النكاح بلا ولي، ومسألة شفعة الجوار ونظائرهما. فاعلم أن المسائل تنقسم إلى ما يتصوّر أن يقال فيه: كل مجتهد مصيب. وهي أحكام الأفعال في الحل والحرمة، وذلك هو الذي لا يعترض على المجتهدين فيه إذ لم يعلم خطؤهم قطعًا بل ظنًا، وإلى ما لا يتصوّر أن يكون المصيب فيه إلا واحد كمسألة الرؤية والقدر وقدم الكلام ونفي الصورة والجسمية والاستقرار عن الله تعالى، فهذا مما يعلم خطأ المخطىء فيه قطعًا ولا يبقى لخطئه الذي هو جهل محض وجه.

فإذن البدع كلها ينبغي أن تحسم أبوابها وتنكر على المبتدعين بدعهم وإن اعتقدوا أنها الحق، كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم وإن كانوا يعتقدون أن ذلك حق لأن خطأهم معلوم على القطع بخلاف الخطأ في مظانّ الاجتهاد.

فإن قلت: فمهما اعترضت على القدري في قوله: الشر ليس من الله، اعترض عليك القدري أيضًا في قولك: الشر من الله، وكذلك في قولك: إنّ الله يُرى، وفي سائر المسائل، إذ المبتدع محق عند نفسه، والمحق مبتدع عند المبتدع، وكلٌّ يدعي أنه محق وينكر كونه مبتدعًا. فكيف يتم الاحتساب؟ فاعلم أنّا لأجل هذا التعارض نقول: ينظر إلى البلدة التي فيها أظهرت تلك البدعة؛ فإن كانت البدعة غريبة والناس كلهم على السنّة فلهم الحسبة عليه بغير إذن السلطان، وإن انقسم أهل البلد إلى أهل البدعة وأهل السنة وكان في الاعتراض تحريك فتنة بالمقاتلة فليس للآحاد الحسبة في المذاهب إلا بنصب السلطان. فإذا رأى السلطان الرأي الحق ونصره وأذن لواحد أن يزجر المبتدعة عن إظهار البدعة كان له ذلك وليس لغيره. فإن ما يكون بإذن السلطان لا يتقابل، وما يكون من جهة الآحاد فيتقابل الأمر فيه. وعلى الجملة فالحسبة في البدعة أهم من الحسبة في كل المنكرات، ولكن ينبغي أن يراعى فيها هذا التفصيل الذي ذكرناه كيلا يتقابل الأمر ولا ينجز إلى تحريك الفتنة. بل لو أذن السلطان مطلقًا في منع كل من يصرح بأن القرآن مخلوق، أو أن الله لا يرى، أو أنه مستقرّ على العرش مماس له، أو غير ذلك من البدع لتسلط الآحاد على المنع منه ولم يتقابل الأمر فيه، وإنما يتقابل عند عدم إذن السلطان فقط.

الركن الثالث: المحتسب عليه:

وشرطه أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه في حقه منكرًا، وأقل ما يكفي في ذلك أن يكون إنسانًا، ولا يشترط كونه مكلفًا، إذ بينا أن الصبي لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وإن كان قبل البلوغ، ولا يشترط كونه مميزًا إذ بينا المجنون لو كان يزني بمجنونة أو يأتي بهيمة منعه منه. نعم، من الأفعال ما لا يكون منكرًا في حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره. ولكنا لسنا نلتفت إلى اختلاف التفاصيل فإن ذلك أيضًا مما يختلف فيه المقيم والمسافر والمريض والصحيح. وغرضنا الإشارة إلى الصفة التي بها يتهيأ توجه أصل الإنكار عليه لا ما بها يتهيأ للتفاصيل.

فإن قلت: فاكتف بكونه حيوانًا ولا تشترط كونه إنسانًا، فإن البهيمة لو كانت تفسد زرعًا لإنسان لكنا نمنعها منه كما نمنع المجنون من الزنى وإتيان البهيمة؟ فاعلم أن تسمية ذلك حسبة لا وجه لها، إذ الحسبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله، صيانة للممنوع عن مقارنة المنكر، ومنع المجنون عن الزنى وإتيان البهيمة لحق الله، وكذا منع الصبي عن شرب الخمر. والإنسان إذا أتلف زرع غيره منع منه لحقين، أحدهما: حق الله تعالى فإن فعله معصية، والثاني : حق المتلف عليه، فهما علتان تنفصل إحداهما عن الأخرى. فلو قطع طرف غيره بإذنه فقد وجدت المعصية وسقط حق المجني عليه بإذنه فتثبت الحسبة والمنع بإحدى العلتين. والبهيمة إذا أتلفت فقد عدمت المعصية، ولكن يثبت المنع بإحدى العلتين. ولكن فيه دقيقة وهو أنا لسنا نقصد بإخراج البهيمة منع البهيمة، بل حفظ مال المسلم؛ إذ البهيمة لو أكلت ميتة أو شربت من إناء فيه خمر أو ماء مشوب بخمر لم نمنعها منه، بل يجوز إطعام كلاب الصيد الجيف والميتات، ولكن مال المسلم إذا تعرض للضياع وقدرنا على حفظه بغير تعب وجب ذلك علينا حفظًا للمال، بل لو وقعت جرة لإنسان من علو وتحتها قارورة لغيره فتدفع الجرة لحفظ القارورة، لا لمنع الجرة من السقوط، فإنا لا نقصد منع الجرة وحراستها من أن تصير كاسرة للقارورة ونمنع المجنون من الزنى وإتيان البهيمة وشرب الخمر وكذا الصبي، لا صيانة للبهيمة المأتية أو الخمر المشروب: بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر وتنزيهًا له من حيث إنه إنسان محترم، فهذه لطائف دقيقة لا يتفطن لها إلا المحققون فلا ينبغي أن يغفل عنها ثم فيما يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر، إذ قد يتردّد في منعهما من لبس الحرير وغير ذلك. وسنتعرّض لما نشير إليه في الباب الثالث.

فإن قلت: فكل من رأى بهائم قد استرسلت في زرع إنسان فهل يجب عليه إخراجها؟ وكل من رأى مالًا لمسلم أشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه؟ فإن قلتم: إن ذلك واجب، فهو تكليف شطط يؤدي إلى أن يصير الإنسان مسخرًا لغيره طول عمره، وإن قلتم، لا يجب فلم يجب الاحتساب على من يغصب مال غيره وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير؟ فنقول: هذا بحث دقيق غامض. والقول الوجيز فيه أن نقول: مهما قدر على حفظه من الضياع

من غير أن يناله تعب في بدنه أو خسران في ماله أو نقصان جاهه وجب عليه ذلك، فذلك القدر واجب في حقوق المسلم، بل هو أقل درجات الحقوق، والأدلة الموجبة لحقوق المسلمين كثيرة وهذا أقل درجاتها وهو أولى بالإيجاب من رد السلام، فإن الأذى في هذا أكثر من الأذى في ترك رد السلام، بل لا خلاف في أن مال الإنسان إذا كان يضيع بظلم ظالم وكان عند الشهادة لو تكلم بها لرجع الحق إليه وجب عليه ذلك وعصى بكتمان الشهادة ففي معنى ترك الشهادة ترك كل دفع لا ضرر على الدافع فيه، فأما إن كان عليه تعب أو ضرر في مال أو جاه لم يلزمه السعي في ذلك ولكن إذا كان لا يتعب بتنبيه صاحب الزرع من نوم أو بإعلامه يلزمه، فإهمال تعريفه وتنبيهه كإهماله تعريف القاضي بالشهادة، وذلك لا رخصة فيه، ولا يمكن أن يراعي فيه الأقل والأكثر حتى يقال إن كان لا يضيع من منفعته في مدة اشتغاله بإخراج البهائم إلا قدر درهم مثلًا وصاحب الزرع يفوته مال كثير فيترجح جانبه لأن الدرهم الذي له هو يستحق حفظه كما يستحق صاحب الألف حفظ الألف ولا سبيل للمصير إلا ذلك، فأما إذا كان فوات المال بطريق هو معصية كالغضب أو قتل عبد مملوك للغير، فهذا يجب المنع منه وإن كان فيه تعب ما، لأن المقصود حق الشرع، والغرض دفع المعصية، وعلى الإنسان أن يتعب نفسه في دفع المعاصي كما عليه أن يتعب نفسه في ترك المعاصي. والمعاصي كلها في تركها تعب وإنما الطاعة كلها ترجع إلى مخالفة النفس وهي غاية التعب، ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر، بل التفصيل فيه كما ذكرناه من درجات المحذورات التي يخافها المحتسب.

وقد اختلف الفقهاء في مسألتين تقربان من غرضنا، إحداهما: أن الالتقاط هل هو واجب واللقطة ضائعة؟ والملتقط مانع من الضياع وساع في الحفظ؟ والحق فيه عندنا أن يفصل ويقال: إن كانت اللقطة في موضع لو تركها فيه لم تضع بل يلتقطها من يعرفها، أو تترك كما لو كان في مسجد أو رباط يتعين من يدخله وكلهم أمناء فلا يلزمه الالتقاط، وإن كانت في مضيعة نظر، فإن كان عليه تعب في حفظها كما لو كانت بهيمة وتحتاج إلى علف واصطبل فلا يلزمه ذلك، لأنه إنما يجب الالتقاط لحق المالك. وحقه بسبب كونه إنسانًا محترمًا، والملتقط أيضًا إنسان وله حق في أن لا يتعب لأجل غيره كما لا يتعب غيره لأجله. فإن كانت ذهبًا أو ثوبًا أو شيئًا لا ضرر عليه فيه إلا مجرد تعب التعريف، فهذا ينبغي أن يكون في محل الوجهين. فقائل يقول: التعريف والقيام بشرطه فيه تعب فلا سبيل إلى إلزامه ذلك إلا أن يتبرع فيلتزم طبقًا للثواب. وقائل يقول: إن هذا القدر من التعب مستصغر بالإضافة إلى مراعاة حقوق المسلمين؛ فينزل هذا منزلة تعب الشاهد في حضور مجلس الحكم فإنه لا يلزمه السفر إلى بلدة أخرى إلا أن يتبرع به، فإذا كان مجلس القاضي في جواره لزمه الحضور وكان التعب بهذه الخطوات لا يعدّ تعبًا في غرض إقامة الشهادة وأداء الأمانة، وإن كان في الطرف الآخر

من البلد وأحوج إلى الحضور في الهاجرة وشدّة الحر فهذا قد يقع في محل الاجتهاد والنظر، فإن الضرر الذي ينال الساعي في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا يشك في أنه لا يبالي به، وطرف في الكثرة لا يشك في أنه لا يلزمه احتماله، ووسط يتجاذبه الطرفان ويكون أبدًا في محل الشبهة والنظر، وهي من الشبهات المزمنة التي ليس في مقدور البشر إزالتها؛ إذ لا علة تفرق بين أجزائها المتقاربة، ولكن المتقي ينظر فيها لنفسه ويدع ما يريبه إلى ما لا يريبه، فهذا نهاية الكشف عن هذا الأصل.

الركن الرابع : نفس الاحتساب:

وله درجات وآداب: أما الدرجات، فأولها التعرف، ثم التعريف، ثم النهي، ثم الوعظ والنصح، ثم السب والتعنيف، ثم التغيير باليد، ثم التهديد بالضرب، ثم إيقاع الضرب وتحقيقه، ثم شهر السلاح، ثم الاستظهار فيه بالأعوان وجمع الجنود.

أما الدرجة الأولى : وهي التعرف؛ ونعني طلب المعرفة بجريان المنكر وذلك منهي عنه ـ وهو التجسس الذي ذكرناه ـ فلا ينبغي أن يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الأوتار، ولا أن يستنشق ليدرك رائحة الخمر، ولا أن يمس ما في ثوبه ليعرف شكل المزمار، ولا أن يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجري في داره. نعم لو أخبره عدلان ابتداء من غير استخبار بأن فلانًا يشرب الخمر في داره أو بأن في داره خمرًا أعده للشرب، فله إذ ذاك أن يدخل داره ولا يلزمه الاستئذان، ويكون تخطي ملكه بالدخول للتوصل إلى دفع المنكر ككسر رأسه بالضرب للمنع مهما احتاج إليه. وإن أخبره عدلان أو عدل واحد ـ وبالجملة كل من تقبل روايته لا شهادته ـ ففي جواز الهجوم على داره بقولهم، فيه نظر واحتمال، والأولى أن يمتنع لأن له حقًا في أن لا يتخطى داره بغير إذنه، ولا يسقط حق المسلم عما ثبت عليه حقه إلا بشاهدين؛ فهذا أولى ما يجعل مردًا فيه. وقد قيل إنه كان نقش خاتم لقمان: الستر لما عاينت أحسن من إذاعة ما ظننت.

الدرجة الثانية : التعريف، فإن المنكر قد يقدم عليه المقدم بجهله وإذا عرف أنه منكر تركه، كالسوادي يصلي ولا يحسن الركوع والسجود؛ فيعلم أنّ ذلك لجهله بأنّ هذه ليست بصلاة ولو رضي بأن لا يكون مصليًا لترك أصل الصلاة، فيجب تعريفه باللطف من غير عنف، وذلك لأن ضمن التعريف نسبة إلى الجهل والحمق، والتجهيل إيذاء وقلما يرضى الإنسان بأن ينسب إلى الجهل بالأمور لا سيما بالشرع. ولذلك ترى الذي يغلب عليه الغضب كيف يغضب إذا نبه على الخطأ والجهل؟ وكيف يجتهد في مجاحدة الحق بعد معرفته خيفة من أن تنكشف عورة جهله؟ والطباع أحرص على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية؛ لأن الجهل قبح في صورة النفس وسواد في وجهه، وصاحبه ملوم عليه، وقبح السوأتين يرجع إلى صورة البدن، والنفس أشرف من البدن وقبحها أشدّ من قبح البدن. ثم هو غير ملوم عليه

لأنه خلقة لم يدخل تحت اختياره حصوله، ولا في اختياره إزالته وتحسينه. والجهل قبح يمكن إزالته وتبديله بحسن العلم، فلذلك يعظم تألم الإنسان بظهور جهله، ويعظم ابتهاجه في نفسه بعلمه ثم لذته عند ظهور جمال علمه لغيره. وإذا كان التعريف كشفًا للعورة مؤذيًا للقلب فلا بدّ وأن يعالج دفع أذاه بلطف الرفق فنقول له: إن الإنسان لا يولد عالمًا ولقد كنا أيضًا جاهلين بأمور الصلاة فعلمنا العلماء، ولعل قريتك خالية عن أهل العلم أو عالمها مقصر في شرح الصلاة وإيضاحها، إنما شرط الصلاة الطمأنينة في الركوع والسجود. وهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير إيذاء؛ فإن إيذاء المسلم حرام محذور كما أن تقريره على المنكر محذور، وليس من العقلاء من يغسل الدم بالدم أو بالبول، ومن اجتنب محذور السكوت على المنكر واستبدل عنه محذور الإيذاء للمسلم مع الاستغناء عنه فقد غسل الدم بالبول على التحقيق. وأما إذا وقفت على خطأ في غير أمر الدين فلا ينبغي أن ترده عليه فإنه يستفيد منك علمًا ويصير لك عدوًّا، إلا إذا علمت أنه يغتنم العلم وذلك عزيز جدًّا.

الدرجة الثالثة: النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى؛ وذلك فيمن يقدم على الأمر وهو عالم بكونه منكرًا، أو فيمن أصر عليه بعد أن عرف كونه منكرًا، كالذي يواظب على الشرب أو على الظلم أو على اغتياب المسلمين أو ما يجري مجراه، فينبغي أن يوعَظ ويخوّف بالله تعالى وتورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد في ذلك وتحكى له سيرة السلف وعبادة المتقين؛ وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب، بل ينظر إليه نظر المترحم عليه ويرى إقدامه على المعصية مصيبة على نفسه إذ المسلمون كنفس واحدة، وههنا آفة عظيمة ينبغي أن يتوقاها فإنها مهلكة، وهي أن العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل؛ فربما يقصد بالتعريف الإدلال وإظهار التمييز بشرف العلم وإذلال صاحبه بالنسبة إلى خسة الجهل. فإن كان الباعث هذا فهذا المنكر أقبح في نفسه من المنكر الذي يعترض عليه. ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره من النار بإحراق نفسه وهو غاية في الجهل. وهذه مذلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور للشيطان يتدلى بحبله كل إنسان إلا من عرّفه الله عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته، فإن في الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من وجهين، أحدهما: من جهة دالة العلم، والآخر: من جهة دالة الاحتكام والسلطنة. وذلك يرجع إلى الرياء وطلب الجاه، وهو الشهوة الخفية الداعية إلى الشرك الخفي، وله محك ومعيار ينبغي أن يمتحن المحتسب به نفسه، وهو أن يكون امتناع ذلك الإنسان عن المنكر بنفسه أو باحتساب غيره أحب إليه من امتناعه باحتسابه. فإن كانت الحسبة شاقة عليه ثقيلة على نفسه وهو يود أن يكفي بغيره فليحتسب فإن باعثه هو الدين، وإن كان اتعاظ ذلك العاصي بوعظه وانزجاره بزجره أحب إليه من اتعاظه بوعظ غيره فما هو إلا متبع هوى نفسه ومتوسل إلى إظهاره جاه نفسه بواسطة حسبته فليتقِ الله تعالى فيه وليحتسب أوّلًا على نفسه. وعند هذا يقال له ما قيل

لعيسى عليه السلام: يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني. وقيل لداود الطائي رحمه الله: أرأيت رجلًا دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر؟ فقال أخاف عليه السوط، قال: إنه يقوى عليه، قال: أخاف عليه السيف، قال: إنه يقوى عليه، قال: أخاف عليه الداء الدفين وهو العجب.

الدرجة الرابعة: السب والتعنيف بالقول الخشن، وذلك يعدل إليه عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادىء الإصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح، وذلك مثل قول إبراهيم عليه السلام: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء:٦٧] ولسنا نعني بالسب والفحش بما فيه نسبة إلى الزنا ومقدّماته، ولا الكذب بل أن يخاطبه بما فيه مما لا يعدّ من جملة الفحش، كقوله: يا فاسق يا أحمق يا جاهل ألا تخاف الله، وكقوله: يا سوادي يا غبي وما يجري هذا المجرى. فإن كل فاسق فهو أحمق وجاهل، ولولا حمقه لما عصى الله تعالى، بل كل من ليس بكيِّس فهو أحمق، والكيِّس من شهد له رسول الله ﷺ بالكياسة حيث قال: «الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ. وَالأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى الله»(١).

ولهذه الرتبة أدبان: أحدهما: أن لا يقدم عليها إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف. والثاني: أن لا ينطق إلا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج إليه؛ بل يقتصر على قدر الحاجة. فإن علم أن خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليست تزجره فلا ينبغي أن يطلقه. بل يقتصر على إظهار الغضب والاستحقار له والازدراء بمحله لأجل معصيته، وإن علم أنه لو تكلم ضرب ولو اكفهر وأظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه ولم يكفه الإنكار بالقلب، بل يلزمه أن يقطب وجهه ويظهر الإنكار له.

الدرجة الخامسة: التغيير باليد، وذلك ككسر الملاهي، وإراقة الخمر، وخلع الحرير من رأسه وعن بدنه، ومنعه من الجلوس عليه، ودفعه عن الجلوس على مال الغير، وإخراجه من الدار المغصوبة بالجر برجله، وإخراجه من المسجد إذا كان جالسًا وهو جنب وما يجري مجراه، ويتصور ذلك في بعض المعاصي دون بعض.

فأما معاصي اللسان والقلب فلا يقدر على مباشرة تغييرها، وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصي وجوارحه الباطنة.

وفي هذه الدرجة أدبان:

أحدهما: أن لا يباشر بيده التغيير ما لم يعجز عن تكليف المحتسب عليه ذلك، فإذا

---

(١) ضعيف: حديث «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت. والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله». أخرجه الترمذي وقال حسن وابن ماجه من حديث شداد بن أوس [الترمذي: ٢٤٥٩، وابن ماجه: ٤٢٦٠، انظر ضعيف الترغيب: ١٩٥٩].

أمكنه أن يكلفه المشي في الخروج عن الأرض المغصوبة والمسجد فلا ينبغي أن يدفعه أو يجره، وإذا قدر على أن يكلفه إراقة الخمر وكسر الملاهي وحل دروز ثوب الحرير فلا ينبغي أن يباشر ذلك بنفسه، فإن في الوقوف على حد الكسر نوع عسير، فإذا لم يتعاط بنفسه ذلك كفى الاجتهاد فيه وتولاه من لا حجر عليه في فعله.

الثاني: أن يقتصر في طريق التغيير على القدر المحتاج إليه، وهو أن لا يأخذ بلحيته في الإخراج، ولا برجله إذا قدر على جره بيده؛ فإن زيادة الأذى فيه مستغنى عنه، وأن لا يمزق ثوب الحرير بل يحل دروزه فقط، ولا يحرق الملاهي والصليب الذي أظهره النصارى بل يبطل صلاحيتها للفساد بالكسر. وحد الكسر أن يصير إلى حالة تحتاج في استئناف إصلاحه إلى تعب يساوي تعب الاستئناف من الخشب ابتداء. وفي إراقة الخمور يتوقى كسر الأواني إن وجد إليه سبيلًا، فإن لم يقدر عليها إلا بأن يرمي ظروفها بحجر فله ذلك، وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الخمر إذ صار حائلًا بينه وبين الوصول إلى إراقة الخمر، ولو ستر الخمر ببدنه لكنا نقصد بدنه بالجرح والضرب لنتوصل إلى إراقة الخمر فإذن لا تزيد حرمة ملكه في الظروف على حرمة نفسه. ولو كان الخمر في قوارير ضيقة الرؤوس ولو اشتغل بإراقتها طال الزمان وأدركه الفساق ومنعوه فله كسرها، فهذا عذر. وإن كان لا يحذر ظفر الفساق به ومنعهم ولكن كان يضيع في زمانه وتتعطل عليه أشغاله فله أن يكسرها فليس عليه أن يضيع منفعة بدنه وغرضه من أشغاله لأجل ظرف الخمر، وحيث كانت الإراقة متيسرة بلا كسر فكسره لزمه الضمان.

فإن قلت: فهلا جاز الكسر لأجل الزجر؟ وهلا جاز الجر بالرجل في الإخراج عن الأرض المغصوبة ليكون ذلك أبلغ في الزجر؟ فاعلم أن الزجر إنما يكون عن المستقبل، والعقوبة تكون على الماضي، والدفع على الحاضر الراهن. وليس إلى آحاد الرعية إلا الدفع وهو إعدام المنكر، فما زاد على قدر الإعدام فهو إما عقوبة على جريمة سابقة أو زجر عن لاحق. وذلك إلى الولاة لا إلى الرعية. نعم الوالي له أن يفعل ذلك إذا رأى المصلحة فيه وأقول: له أن يأمر بكسر الظروف التي فيها الخمور زجرًا. وقد فعل ذلك في زمن رسول الله ﷺ تأكيدًا للزجر[1]، ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة إلى الزجر والفطام شديدة. فإذا رأى الوالي باجتهاده مثل الحاجة جاز له مثل ذلك. وإذا كان هذا منوطًا بنوع اجتهاد دقيق لم يكن ذلك لآحاد الرعية.

---

(١) حسن: حديث: تكسير الظروف التي فيها الخمور في زمنه ﷺ.

أخرجه الترمذي من حديث أبي طلحة أنه قال: يا نبي الله إني اشتريت خمرا لأيتام في حجري قال: «أهرق الخمر واكسر الدنان» وفيه ليث بن أبي سليم والأصح رواية السدي عن يحيى بن عياد عن أنس أن أبا طلحة كان عندي قاله الترمذي [الترمذي: ١٢٩٣، انظر صحيح الترمذي].

فإن قلت: فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصي بإتلاف أموالهم وتخريب دورهم التي فيها يشربون ويعصون وإحراق أموالهم التي بها يتوصلون إلى المعاصي؟ فاعلم أن ذلك لو ورد الشرع به لم يكن خارجًا عن سنن المصالح ولكنا لا نبتدع المصالح بل نتبع فيها. وكسر ظروف الخمر قد ثبت عند شدة الحاجة. وتركه بعد ذلك لعدم شدة الحاجة لا يكون نسخًا بل الحكم يزول بزوال العلة ويعود بعودها. وإنما جوزنا ذلك للإمام بحكم الاتباع ومنعنا آحاد الرعية منه لخفاء وجه الاجتهاد فيه. بل نقول لو أريقت الخمور أولًا فلا يجوز كسر الأواني بعدها وإنما جاز كسرها تبعًا للخمر. فإذا خلت عنها فهو إتلاف مال إلا أن تكون ضارية بالخمر لا تصلح إلا لها.

فكان الفعل المنقول عن العصر الأول كان مقرونًا بمعنيين؛ أحدهما: شدة الحاجة إلى الزجر، والآخر: تبعية الظروف للخمر التي هي مشغولة بها. وهما معنيان مؤثران لا سبيل إلى حذفهما. ومعنى ثالث: وهو صدوره عن رأي صاحب الأمر لعلمه بشدة الحاجة إلى الزجر وهو أيضًا مؤثر فلا سبيل إلى إلغائه. فهذه تصرفات دقيقة فقهية يحتاج المحتسب لا محالة إلى معرفتها.

الدرجة السادسة: التهديد والتخويف؛ كقوله: دع عنك هذا أو لأكسرن رأسك أو لأضربن رقبتك أو لآمرن بك وما أشبهه، وهذا ينبغي أن يقدم على تحقيق الضرب إذا أمكن تقديمه. والأدب في هذه الرتبة أن لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه، كقوله لأنهبن دارك أو لأضربن ولدك أو لأسبين زوجتك وما يجري مجراه، بل ذلك إن قاله عن عزم فهو حرام، وإن قاله من غير عزم فهو كذب. نعم إذا تعرض لوعيده بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه إلى حد معلوم يقتضيه الحال، وله أن يزيد في الوعيد على ما هو في عزمه الباطن إذا علم أن ذلك يقمعه ويردعه. وليس ذلك من الكذب المحذور بل المبالغة في مثل ذلك معتادة وهو معنى مبالغة الرجل في إصلاحه بين شخصين وتأليفه بين الضرتين، وذلك مما قد رخص فيه للحاجة وهذا في معناه، فإن القصد به إصلاح ذلك الشخص. وإلى هذا المعنى أشار بعض الناس أنه لا يقبح من الله أن يتوعد بما لا يفعل لأن الخلف في الوعيد كرم، وإنما يقبح أن يعد بما لا يفعل، وهذا غير مرضي عندنا فإن الكلام القديم لا يتطرق إليه الخلف وعدًا كان أو وعيدًا، وإنما يتصور هذا في حق العباد، وهو كذلك إذ الخلف في الوعيد ليس بحرام.

الدرجة السابعة: مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح، وذلك جائز للآحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة في الدفع، فإذا اندفع المنكر فينبغي أن يكف. والقاضي قد يرهق من ثبت عليه الحق إلى الأداء بالحبس، فإن أصر المحبوس وعلم القاضي قدرته على أداء الحق وكونه معاندًا فله أن يلزمه الأداء بالضرب على التدريج كما يحتاج إليه. وكذلك المحتسب يراعي التدريج فإن احتاج إلى شهر سلاح وكان يقدر على دفع

المنكر بشهر السلاح وبالجرح فله أن يتعاطى ذلك ما لم تثر فتنة. كما لو قبض فاسق مثلًا على امرأة أو كان يضرب بمزمار معه وبينه وبين المحتسب نهر حائل أو جدار مانع فيأخذ قوسه ويقول له: خل عنها أو لأرمينك إن لم تخل عنها فله أن يرمي، وينبغي أن لا يقصد المقتل بل الساق والفخذ وما أشبهه ويراعى فيه التدريج. وكذلك يسل سيفه ويقول: اترك هذا المنكر أو لأضربنك. فكل ذلك دفع للمنكر ودفعه واجب بكل ممكن. ولا فرق في ذلك بين ما يتعلق بخاص حق الله وما يتعلق بالآدميين.

وقالت المعتزلة: ما لا يتعلق بالآدميين فلا حسبة فيه إلا بالكلام أو بالضرب ولكن للإمام لا للآحاد.

الدرجة الثامنة : أن لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه إلى أعوان يشهرون السلاح. وربما يستمد الفاسق أيضًا بأعوانه ويؤدي ذلك إلى أن يتقابل الصفان ويتقاتلا... فهذا قد ظهر الاختلاف في احتياجه إلى إذن الإمام. فقال قائلون: لا يستقل آحاد الرعية بذلك لأنه يؤدي إلى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد.

وقال آخرون: لا يحتاج إلى الإذن ـ وهو الأقيس ـ لأنه إذا جاز للآحاد الأمر بالمعروف وأوائل درجاته تجر إلى ثوان والثواني إلى ثوالث. وقد ينتهي لا محالة إلى التضارب. والتضارب يدعو إلى التعاون فلا ينبغي أن يبالي بلوازم الأمر بالمعروف. ومنتهاه تجنيد الجنود في رضا الله ودفع معاصيه. ونحن نجوز للآحاد من الغزاة أن يجتمعوا ويقاتلوا من أرادوا من فرق الكفار قمعًا لأهل الكفر. فكذلك قمع أهل الفساد جائز لأن الكافر لا بأس بقتله والمسلم إن قتل فهو شهيد.

فكذلك الفاسق المناضل عن فسقه لا بأس بقتله. والمحتسب المحق إن قتل مظلومًا فهو شهيد. وعلى الجملة فانتهاء الأمر إلى هذا من النوادر في الحسبة. فلا يغير به قانون القياس. بل يقال: كل من قدر على دفع منكر فله أن يدفع ذلك بيده وبسلاحه وبنفسه وبأعوانه. فالمسألة إذن محتملة ـ كما ذكرناه ـ فهذه درجات الحسبة فلنذكر آدابها والله الموفق.

باب آداب المحتسب:

قد ذكرنا تفاصيل الآداب في آحاد الدرجات. ونذكر الآن جملها ومصادرها، فنقول: جميع آداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات في المحتسب: العلم. والورع. وحسن الخلق.

أما العلم: فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقتصر على حد الشرع فيه.

والورع: ليردعه عن مخالفة معلومة فما كل من علم عمل بعلمه. بل ربما يعلم أنه مسرف في الحسبة وزائد على الحدّ المأذون فيه شرعًا ولكن يحمله عليه غرض من الأغراض. وليكن

كلامه ووعظه مقبولاً فإن الفاسق يهزأ به إذا احتسب ويورث ذلك جرأة عليه.

وأما حسن الخلق: فليتمكن به من اللطف والرفق وهو أصل الباب وأسبابه. والعلم والورع لا يكفيان فيه. فإن الغضب إذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع في قمعه ما لم يكن في الطبع قبوله بحسن الخلق. وعلى التحقيق فلا يتم الورع إلا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب. وبه يصبر المحتسب على ما أصابه في دين الله. وإلا فإذا أصيب عرضه أو ماله أو نفسه بشتم أو ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه. بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم.

فهذه الصفات الثلاث بها تصير الحسبة من القربات وبها تندفع المنكرات. وإن فقدت لم يندفع المنكر. بل ربما كانت الحسبة أيضًا منكرة لمجاوزة حد الشرع فيها، ودل على هذه الآداب قوله ﷺ: «لاَ يَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَلاَ يَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ إِلاَّ رَفِيقٌ فِيما يأمر به رفيق فيما يَنْهَى عَنْهُ حَلِيمٌ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ حَلِيمٌ فِيمَا يَنْهَى عَنْهُ فَقِيهٌ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ فَقِيهٌ فِيمَا يَنْهَى عَنْهُ»(١)، وهذا يدل على أنه لا يشترط أن يكون فقيهًا مطلقًا بل فيما يأمر به وينهى عنه وكذا الحلم. قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: إذا كنت ممن يأمر بالمعروف فكن من آخذ الناس به وإلا هلكت وقد قيل:

لا تَلُمِ المرْءَ على فِعْلِهِ ... وأنتَ منسوبٌ إلى مثلِهِ
مَنْ ذَمَّ شيئًا وأتى مثلَه ... فإنما يُزْرى على عقلِهِ

ولسنا نعني بهذا أن الأمر بالمعروف يصير ممنوعًا بالفسق ولكن يسقط أثره عن القلوب بظهور فسقه للناس.

فقد روي عن أنس رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله. فقال ﷺ: «بَلْ مُرُوا بِالمَعْرُوفِ وَإِنْ لَمْ تَعْمَلُوا بِهِ كُلِّهِ، وَانْهَوْا عَنِ المُنْكَرِ وَإِنْ لَمْ تَجْتَنِبُوهُ كُلَّهُ»(٢). وأوصى بعض السلف بنيه فقال: إن أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مس الأذى، فإذن من آداب الحسبة توطين النفس على الصبر. ولذلك قرن الله

---

(١) حديث «لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه». [انظر إصلاح المساجد ص ٣١ . قال الألباني: لا يعرف له أصل] لم أجده هكذا وللبيهقي في الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده «من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف» [انظر السلسلة الضعيفة: ٥٩٠، وقال الألباني: ضعيف جدًا].

(٢) ضعيف: حديث أنس: قلنا يا رسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله، ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله. فقال ﷺ «بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله، وانهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله». أخرجه الطبراني في المعجم الصغير والأوسط وفيه عبد القدوس بن حبيب: أجمعوا على تركه [انظر ضيف الجامع: ٥٢٥٩].

تعالى الصبر بالأمر بالمعروف. فقال حاكيًا عن لقمان ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾ [لقمان :١٧] .

ومن الآداب، تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلائق حتى تزول عنه المداهنة، فقد روي عن بعض المشايخ أنه كان له سنور وكان يأخذ من قصاب في جواره كل يوم شيئًا من الغدد لسنوره فرأى على القصاب منكرًا، فدخل الدار أولًا وأخرج السنور، ثم جاء واحتسب على القصاب فقال له القصاب: لا أعطينك بعد هذا شيئًا لسنورك، فقال: ما احتسبت عليك إلا بعد إخراج السنور وقطع الطمع منك. وهو كما قال فمن لم يقطع الطمع من الخلق لم يقدر على الحسبة ومن طمع في أن تكون قلوب الناس عليه طيبة وألسنتهم بالثناء عليه مطلقة لم تتيسر له الحسبة. قال كعب الأحبار لأبي مسلم الخولاني: كيف منزلتك بين قومك؟ قال: حسنة، قال: إن التوراة تقول، إنّ الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه. فقال أبو مسلم: صدقت التوراة وكذب أبو مسلم.

ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المأمون إذ وعظه واعظ وعنف له في القول فقال: يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني وأمره بالرفق فقال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه :٤٤] فليكن اقتداء المحتسب في الرفق بالأنبياء صلوات الله عليهم. فقد روى أبو أمامة: أنّ غلامًا شابًا أتى النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فقال: يا نبي الله أتأذن لي في الزّنا؟ فصاح الناس به، فقال النبي ﷺ: «قَرِّبُوهُ ادْنُ» فدنا حتى جلس بين يديه فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟» فقال: لا جعلني الله فداك، قال: «كَذلِكَ النَّاسُ لاَ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ. أَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟» قال: لا جعلني الله فداك، قال: «كَذلِكَ النَّاسُ لاَ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ. أَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟»(١) ، وزاد ابن عوف حتى ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل واحد: لا، جعلني الله فداك. وهو ﷺ يقول: «كَذلِكَ النَّاسُ لاَ يُحِبُّونَهُ» وقالا جميعًا في حديثهما أعني ابن عوف والراوي الآخر فوضع رسول الله يده على صدره وقال: «اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبَهُ وَاغْفِرْ ذَنْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» ، فلم يكن شيء أبغض إليه منه يعني من الزنا.

---

(١) صحيح : حديث أبي أمامة: أن شابا قال: يا نبي الله ائذن لي في الزنا؟ فصاح الناس به، فقال النبي ﷺ «قربوه، أدْن» فدنا حتى جلس بين يديه، فقال النبي عليه الصلاة والسلام «أتحبه لأمك؟» فقال: لا، جعلني الله فداك! قال «كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم. أتحبه لابنتك؟ » قال: لا، جعلني الله فداك! قال: «كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم. أتحبه لأختك؟» وزاد ابن عوف: حتى ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل واحد: لا، جعلني الله فداك! وهو ﷺ يقول : «كذلك الناس لا يحبونه» وقالا جميعا في حديثهما، أعني ابن عوف والراوي الآخر، فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره وقال «اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه» فلم يكن شيء أبغض إليه منه، يعني الزنا.

رواه أحمد بإسناد جيد رجاله رجال الصحيح [أحمد: ٢١٧٠٨، انظر السلسلة الصحيحة: ٣٧٠].

وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله: إن سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال الفضيل: ما أخذ منهم إلا دون حقه، ثم خلا به وعذله ووبخه فقال سفيان: يا أبا علي إن لم نكن من الصالحين فإنا لنحب الصالحين. وقال حماد بن سلمة: إنّ صلة بن أشيم مرَّ عليه رجل قد أسبل إزاره فهمّ أصحابه أن يأخذوه بشدّة فقال: دعوني أنا أكفيكم، فقال: يا ابن أخي إنّ لي إليك حاجة قال: وما حاجتك يا عم؟ قال: أحب أن ترفع من إزارك. فقال: نعم وكرامة، فرفع إزاره فقال لأصحابه: لو أخذتموه بشدّة لقال: لا ولا كرامة وشتمكم. وقال محمد بن زكريا الغلابي: شهدت عبد الله بن محمد بن عائشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله، وإذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امرأة فجذبها فاستغاثت فاجتمع الناس عليه يضربونه، فنظر إليه ابن عائشة فعرفه فقال للناس: تنحوا عن ابن أخي، ثم قال: إليَّ يا ابن أخي؛ فاستحى الغلام فجاء إليه فضمه إلى نفسه، ثم قال له: امض معي، فمضى معه حتى صار إلى منزله فأدخله الدار وقال لبعض غلمانه: بيته عندك فإذا أفاق من سكره فأعلمه بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى تأتيني به فلما أفاق ذكر له ما جرى فاستحيا منه وبكى وهم بالانصراف؛ فقال الغلام: قد أمر أن تأتيه؛ فأدخله عليه فقال له: أما استحييت لنفسك؟ أما استحييت لشرفك؟ أما ترى من ولدك؟ فاتق الله وانزع عما أنت فيه فبكى الغلام منكسًا رأسه ثم رفع رأسه وقال: عاهدت الله تعالى عهدًا يسألني عنه يوم القيامة أني لا أعود لشرب النبيذ ولا لشيء مما كنت فيه وأنا تائب، فقال: ادن مني، فقبّل رأسه وقال: أحسنت يا بني فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب عنه الحديث: وكان ذلك ببركة رفقه ثم قال: إنّ الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويكون معروفهم منكرًا فعليكم بالرفق في جميع أموركم تنالون به ما تطلبون. وعن الفتح بن شخرف قال: تعلق رجل بامرأة وتحرّض لها وبيده سكين لا يدنو منه أحد إلا عقره، وكان الرجل شديد البدن؛ فبينا الناس كذلك والمرأة تصيح في يده إذ مر بشر بن الحارث فدنا منه وحك كتفه بكتف الرجل فوقع الرجل على الأرض؛ ومشى بشر فدنوا من الرجل وهو يترشح عرقًا كثيرًا ومضت المرأة لحالها فسألوه ما حالك؟ فقال: ما أدري ولكن حاكني شيخ وقال لي: إن الله عز وجل ناظر إليك وإلى ما تعمل؛ فضعفت لقوله قدماي وهبته هيبة شديدة ولا أدري من ذلك الرجل؟ فقالوا له: هو بشر بن الحارث، فقال: واسوأتاه كيف ينظر إليَّ بعد اليوم؟ وحمَّ الرجل من يومه ومات يوم السابع، فكذا كانت عادة أهل الدين في الحسبة. وقد نقلنا فيها آثارًا وأخبارًا في باب البغض في الله والحب في الله من كتاب آداب الصحبة فلا نطوّل بالإعادة. فهذا تمام النظر في درجات الحسبة وآدابها، والله الموفق بكرمه والحمد لله على جميع نعمه.

* * *

الباب الثالث في المنكرات المألوفة في العادات

فنشير إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها إذ لا مطمع في حصرها واستقصائها. فمن ذلك: منكرات المساجد

اعلم أنّ المنكرات تنقسم إلى مكروهة وإلى محظورة، فإذا قلنا: هذا منكر مكروه. فاعلم أن المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بحرام، إلا إذا لم يعلم الفاعل أنه مكروه فيجب ذكره له لأن الكراهة حكم في الشرع يجب تبليغه إلى من لا يعرفه. وإذا قلنا منكر محظور، أو قلنا منكر مطلقًا، فنريد به المحظور ويكون السكوت عليه مع القدرة محظورًا.

فمما يشاهد كثيرًا في المساجد إساءة الصلاة بترك الطمأنينة في الركوع والسجود وهو منكر مبطل للصلاة بنص الحديث، فيجب النهي عنه إلا عند الحنفي الذي يعتقد أن ذلك لا يمنع صحة الصلاة، إذ لا ينفع النهي معه. ومن رأى مسيئًا في صلاته فسكت عليه فهو شريكه - هكذا ورد به الأثر - وفي الخبر ما يدل عليه، إذ ورد في الغيبة أن المستمع شريك القائل[1]، وكذلك كل ما يقدح في صحة الصلاة من نجاسة على ثوبه لا يراها، أو انحراف عن القبلة بسبب ظلام أو عمى فكل ذلك تجب الحسبة فيه.

ومنها: قراءة القرآن باللحن يجب النهي عنه ويجب تلقين الصحيح. فإن كان المعتكف في المسجد يضيع أكثر أوقاته في أمثال ذلك ويشتغل به عن التطوّع والذكر فليشتغل به، فإن هذا أفضل له من ذكره وتطوّعه، لأن هذا فرض وهي قربة تتعدّى فائدتها، فهي أفضل من نافلة تقتصر عليه فائدتها. وإن كان ذلك يمنعه عن الوراقة مثلاً أو عن الكسب الذي هو طعمته، فإن كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يجز له ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا، وإن احتاج إلى الكسب لقوت يومه فهو عذر له فيسقط الوجوب عنه لعجزه، والذي يكثر اللحن في القرآن إن كان قادرًا على التعلم فليمتنع من القراءة قبل التعلم فإنه عاص به، وإن كان لا يطاوعه اللسان فإن كان أكثر ما يقرؤه لحنًا فليتركه وليجتهد في تعلم الفاتحة وتصحيحها، وإن كان الأكثر صحيحًا وليس يقدر على التسوية فلا بأس له أن يقرأ، ولكن ينبغي أن يخفض به الصوت حتى لا يسمع غيره. ولمنعه سرًا منه أيضًا وجه ولكن إذا كان ذلك منتهى قدرته وكان له أنس بالقراءة وحرص عليها فلست أرى به بأسًا والله أعلم.

ومنها: تراسل المؤذنين في الأذان وتطويلهم بمدّ كلماته وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر في الحيعلتين، أو انفراد كل واحد منهم بأذان ولكن من غير توقف إلى انقطاع أذان الآخر. بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الأذان لتداخل الأصوات. فكل ذلك

---

٣ الباب الثالث: في المنكرات المألوفة

(١) حديث «المغتاب والمستمع شريكان في الإثم». تقدم في الصوم.

منكرات مكروهة يجب تعريفها. فإن صدرت عن معرفة فيستحب المنع منها والحسبة فيها. وكذلك إذا كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغي أن يمنع من الأذان بعد الصبح، فذلك مشوّش للصوم والصلاة على الناس إلا إذا عرف أنه يؤذن قبل الصبح حتى لا يعول على أذانه في صلاة وترك سحور، أو كان معه مؤذن آخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح.

ومن المكروهات أيضًا، تكثير الأذان مرة بعد أخرى بعد طلوع الفجر في مسجد واحد في أوقات متعاقبة متقاربة، إما من واحد أو جماعة، فإنه لا فائدة فيه، إذا لم يبق في المسجد نائم ولم يكن الصوت مما يخرج عن المسجد حتى ينبه غيره فكل ذلك من المكروهات المخالفة لسنة الصحابة والسلف.

ومنها : أن يكون الخطيب لابسًا لثوب أسود يغلب عليه الإبريسم، أو ممسكًا لسيف مذهب فهو فاسق والإنكار عليه واجب، وأما مجرد السواد فليس بمكروه لكنه ليس بمحبوب إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البيض. ومن قال إنه مكروه وبدعة أراد به أنه لم يكن معهودًا في العصر الأوّل، ولكن إذا لم يرد فيه نهي فلا ينبغي أن يسمى بدعة ومكروهًا ولكنه ترك للأحب.

ومنها : كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة. فالقاص إن كان يكذب في أخباره فهو فاسق والإنكار عليه واجب، وكذا الواعظ المبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه إلا على قصد إظهار الرد عليه، إما للكافة إن قدر عليه أو لبعض الحاضرين حواليه فإن لم يقدر فلا يجوز سماع البدع. قال الله تعالى لنبيه: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام :٦٨] ومهما كان كلامه مائلًا إلى الإرجاء وتجرئة الناس على المعاصي، وكان الناس يزدادون بكلامه جرأة وبعفو الله وبرحمته وثوقًا يزيد بسببه رجاؤهم على خوفهم فهو منكر، ويجب منعه عنه لأن فساد ذلك عظيم، بل لو رجح خوفهم على رجائهم فذلك أليق وأقرب بطباع الخلق فإنهم إلى الخوف أحوج وإنما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال عمر رضي الله عنه: لو نادى مناد يوم القيامة؛ ليدخل النار كل الناس إلا رجلًا واحدًا لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل، ولو نادى منادٍ، ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلًا واحدًا، لخفت أن أكون أنا ذلك الرجل. ومهما كان الواعظ شابًا متزينًا للنساء في ثيابه وهيئته كثير الأشعار والإشارات والحركات وقد حضر مجلسه النساء فهذا منكر يجب المنع منه، فإن الفساد فيه أكثر من الصلاح، ويتبين ذلك منه بقرائن أحواله، بل لا ينبغي أن يسلم الوعظ إلا لمن ظاهره الورع وهيئته السكينة والوقار وزيه زي الصالحين، وإلا فلا يزداد الناس به إلا تماديًا في الضلال. ويجب أن يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فإن ذلك أيضًا مظنة الفساد، والعادات تشهد لهذه المنكرات، ويجب منع النساء من حضور المساجد للصلوات ومجالس الذكر إذا خيفت الفتنة بهن فقد منعتهن عائشة رضي الله عنها فقيل لها: إن رسول الله ﷺ ما

منعهن من الجماعات، فقالت: لو علم رسول الله ﷺ ما أحدثن بعده لمنعهن[١]. وأما اجتياز المرأة في المسجد مستترة فلا تمنع منه إلا أن الأولى أن لا تتخذ المسجد مجازًا أصلًا. وقراءة القراء بين يدي الوعاظ مع التمديد والألحان على وجه يغير نظم القرآن، ويجاوز حدّ التنزيل منكر مكروه شديد الكراهة أنكره جماعة من السلف.

ومنها: الحلق يوم الجمعة لبيع الأدوية والأطعمة والتعويذات، وكقيام السؤال وقراءتهم القرآن وإنشادهم الأشعار وما يجري مجراه، فهذه الأشياء منها ما هو محرم لكونه تلبيسًا وكذبًا، كالكذابين من طرقية الأطباء وكأهل الشعبذة والتلبيسات وكذا أرباب التعويذات في الأغلب يتوصلون إلى بيعها بتلبيسات على الصبيان والسوادية فهذا حرام في المسجد وخارج المسجد ويجب المنع منه. بل كل بيع فيه كذب وتلبيس وإخفاء عيب على المشتري فهو حرام.

ومنها: ما هو مباح خارج المسجد كالخياطة وبيع الأدوية والكتب والأطعمة، فهذا في المسجد أيضًا لا يحرم إلا بعارض وهو أن يضيق المحل على المصلين ويشوش عليهم صلاتهم، فإن لم يكن شيء من ذلك فليس بحرام والأولى تركه ولكن شرط إباحته أن يجري في أوقات نادرة وأيام معدودة، فإن اتخاذ المسجد دكانًا على الدوام حرم ذلك ومنع منه. فمن المباحات ما يباح بشرط القلة فإن كثر صار صغيرة. كما أن من الذنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الإصرار فإن كان القليل من هذا لو فتح بابه لخيف منه أن ينجر إلى الكثير فليمنع منه، وليكن هذا المنع إلى الوالي أو إلى القيم بمصالح المسجد من قبل الوالي لأنه لا يدرك ذلك بالاجتهاد، وليس للآحاد المنع مما هو مباح في نفسه لخوفه أن ذلك يكثر.

ومنها: دخول المجانين والصبيان والسكارى في المسجد، ولا بأس بدخول الصبي المسجد إذا لم يلعب، ولا يحرم عليه اللعب في المسجد ولا السكوت على لعبه إلا إذا اتخذ المسجد ملعبًا وصار ذلك معتادًا فيجب المنع منه، فهذا مما يحل قليله دون كثيره، ودليل حل قليله ما روي في الصحيحين: «أن رسول الله ﷺ وقف لأجل عائشة رضي الله عنها حتى نظرت إلى الحبشة يزفنون ويلعبون بالدرق والحراب يوم العيد في المسجد، ولا شك في أن الحبشة لو اتخذوا المسجد ملعبًا لمنعوا منه، ولم ير ذلك على الندرة والقلة منكرًا حتى نظر إليه، بل أمرهم به رسول الله ﷺ لتبصرهم عائشة تطييبًا لقلبها إذ قال: «دُونَكُمْ، يَا بَنِي أَرْفِدَةَ» كما نقلناه في كتاب السماع. وأما المجانين فلا بأس بدخولهم المسجد إلا أن يخشى تلويثهم له، أو شتمهم أو نطقهم مما هو فحش، أو تعاطيهم لما هو منكر في صورته ككشف العورة

---

(١) صحيح: حديث عائشة: لو علم رسول الله ﷺ ما أحدثن - أي النساء - من بعده لمنعهن المساجد. متفق عليه [البخاري: ٨٦٩، مسلم: ٤٤٥].
هذا الحديث لم يخرجه العراقي وقد خرجه الشارح عن البخاري ومسلم وغيرهما.

وغيره. وأما المجنون الهادىء الساكن الذي قد علم بالعادة سكونه وسكوته فلا يجب إخراجه من المسجد. والسكران في معنى المجنون، فإن خيف منه القذف ، أعني القيء ، أو الإيذاء باللسان وجب إخراجه. وكذا لو كان مضطرب العقل فإنه يخاف ذلك منه، وإن كان قد شرب ولم يسكر والرائحة منه تفوح فهو منكر مكروه شديد الكراهة. وكيف لا ومن أكل الثوم والبصل فقد نهاه رسول الله ﷺ عن حضور المساجد؟ ولكن يحمل ذلك على الكراهة والأمر في الخمر أشدّ.

فإن قال قائل: ينبغي أن يضرب السكران ويخرج من المسجد زجرًا. قلنا: لا، بل ينبغي القعود في المسجد ويدعى إليه ويؤمر بترك الشرب مهما كان في الحال عاقلًا، فأما ضربه للزجر فليس ذلك إلى الآحاد بل هو إلى الولاة وذلك عند إقراره أو شهادة شاهدين، فأما لمجرد الرائحة فلا. نعم إذا كان يمشي بين الناس متمايلًا بحيث يعرف سكره فيجوز ضربه في المسجد وغير المسجد منعًا له عن إظهار أثر السكر، فإن إظهار أثر الفاحشة فاحشة والمعاصي يجب تركها، وبعد الفعل يجب سترها وستر آثارها، فإن كان مستترًا مخفيًا لأثره فلا يجوز أن يتجسس عليه. والرائحة قد تفوح من غير شرب، بالجلوس في موضع الخمر وبوصوله إلى الفم دون الابتلاع، فلا ينبغي أن يعول عليه.

منكرات الأسواق:

من المنكرات المعتادة في الأسواق الكذب في المرابحة، وإخفاء العيب. فمن قال: اشتريت هذه السلعة مثلًا بعشرة وأربح فيها كذا وكان كاذبًا فهو فاسق. وعلى من عرف ذلك أن يخبر المشتري بكذبه، فإن سكت مراعاة لقلب البائع كان شريكًا له في الخيانة وعصى بسكوته. وكذا إذا علم به عيبًا فيلزمه أن ينبه المشتري عليه وإلا كان راضيًا بضياع مال أخيه المسلم وهو حرام، وكذا التفاوت في الذراع والمكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه أو رفعه إلى الوالي حتى يغيره.

ومنها : ترك الإيجاب والقبول والاكتفاء بالمعاطاة. ولكن ذلك في محل الاجتهاد فلا ينكر إلا على من اعتقد وجوبه. وكذا في الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الإنكار فيها فإنها مفسدة للعقود. وكذا في الربويات كلها وهي غالبة. وكذا سائر التصرفات الفاسدة.

ومنها : بيع الملاهي وبيع أشكال الحيوانات المصوّرة في أيام العيد لأجل الصبيان، فتلك يجب كسرها والمنع من بيعها كالملاهي، وكذلك بيع الأواني المتخذة من الذهب والفضة، وكذلك بيع ثياب الحرير، وقلانس الذهب والحرير، أعني التي لا تصلح إلا للرجال، أو يعلم بعادة البلد أنه لا يلبسه إلا الرجال، فكل ذلك منكر محظور، وكذلك من يعتاد بيع الثياب المبتذلة المقصورة التي يلبس على الناس بقصارتها وابتذالها ويزعم أنها جديدة فهذا الفعل حرام والمنع منه واجب. وكذلك تلبيس انخراق الثياب بالرفو وما يؤدي إلى الالتباس.

وكذلك جميع أنواع العقود المؤدية إلى التلبيسات وذلك يطول إحصاؤه. فليقس بما ذكرناه ما لم نذكره.

منكرات الشوارع:

فمن المنكرات المعتادة فيها: وضع الاسطوانات، وبناء الدكات متصلة بالأبنية المملوكة، وغرس الأشجار، وإخراج الرواشن والأجنحة، ووضع الخشب وأحمال الحبوب والأطعمة على الطرق، فكل ذلك منكر إن كان يؤدي إلى تضييق الطرق واستضرار المارة، وإن لم يؤد إلى ضرر أصلًا لسعة الطريق فلا يمنع منه. نعم يجوز وضع الحطب وأحمال الأطعمة في الطريق في القدر الذي ينقل إلى البيوت، فإن ذلك يشترك في الحاجة إليه الكافة ولا يمكن المنع منه. وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق وينجس المجتازين منكر يجب المنع منه إلا بقدر حاجة النزول والركوب. وهذا لأن الشوارع مشتركة المنفعة وليس لأحد أن يختص بها إلا بقدر الحاجة، والمرعى هو الحاجة التي ترد الشوارع لأجلها في العادة دون سائر الحاجات.

ومنها: سوق الدواب وعليها الشوك بحيث يمزق ثياب الناس فذلك منكر إن أمكن شدّها وضمها بحيث لا تمزق، أو أمكن العدول بها إلى موضع واسع، وإلا فلا منع إذ حاجة أهل البلد تمس إلى ذلك. نعم لا تترك ملقاة على الشوارع إلا بقدر مدة النقل. وكذلك تحميل الدواب من الأحمال ما لا تطيقه منكر يجب منع الملاك منه. وكذلك ذبح القصاب إذا كان يذبح في الطريق حذاء باب الحانوت ويلوث الطريق بالدم فإنه منكر يمنع منه، بل حقه أن يتخذ في دكانه مذبحًا فإن في ذلك تضييقًا بالطريق وإضرارًا بالناس بسبب ترشيش النجاسة، وبسبب استقذار الطباع للقاذورات، وكذلك طرح القمامة على جواد الطرق، وتبديد قشور البطيخ. أو رش الماء بحيث يخشى منه التزلق والتعثر كل ذلك من المنكرات، وكذلك إرسال الماء من الميازيب المخرجة من الحائط في الطريق الضيقة فإن ذلك ينجس الثياب. أو يضيق الطريق، فلا يمنع منه في الطرق الواسعة إذ العدول عنه ممكن فأما ترك مياه المطر والأوحال والثلوج في الطرق من غير كسح فذلك منكر، ولكن ليس يختص به شخص معين، إلا الثلج الذي يختص بطرحه على الطريق واحد، والماء الذي يجتمع على الطريق من ميزاب معين، فعلى صاحبه على الخصوص كسح الطريق، إن كان من المطر فذلك حسبة عامة فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها، وليس للآحاد فيها إلا الوعظ فقط، وكذلك إذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذي الناس فيجب منعه منه، وإن كان لا يؤذي إلا بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه، وإن كان يضيق الطريق ببسطه ذراعيه فيمنع منه، بل يمنع صاحبه من أن ينام على الطريق أو يقعد قعودًا يضيق الطريق، فكلبه أولى بالمنع.

منكرات الحمامات:

منها: الصورة التي تكون على باب الحمام أو داخل الحمام يجب إزالتها على كل من يدخلها إن قدر، فإن كان الموضع مرتفعًا لا تصل إليه يده فلا يجوز له الدخول إلا لضرورة فليعدل إلى حمام آخر. فإن مشاهدة المنكر غير جائزة ويكفيه أن يشوّه وجهها ويبطل به صورتها ولا يمنع من صور الأشجار وسائر النقوش سوى صورة الحيوان.

ومنها: كشف العورات والنظر إليها. ومن جملتها كشف الدلاك عن الفخذ وما تحت السرة لتنحية الوسخ بل من جملتها إدخال اليد تحت الإزار فإن مس عورة الغير حرام كالنظر إليها.

ومنها: الانبطاح على الوجه بين يدي الدلاك لتغميز الأفخاذ والأعجاز، فهذا مكروه إن كان مع حائل، ولكن لا يكون محظورًا إذا لم يخش من حركة الشهوة. وكذلك كشف العورة للحجام الذمي من الفواحش. فإن المرأة لا يجوز لها أن تكشف بدنها للذمية في الحمام فكيف يجوز لها كشف العورات للرجال؟.

ومنها: غمس اليد والأواني النجسة في المياه القليلة، وغسل الإزار والطاس النجس في الحوض وماؤه قليل؛ فإنه منجس للماء، إلا على مذهب مالك فلا يجوز الإنكار فيه على المالكية، ويجوز على الحنفية والشافعية وإن اجتمع مالكي وشافعي في الحمام فليس للشافعي منع المالكي من ذلك إلا بطريق الالتماس واللطف؛ وهو أن يقول له: إنا نحتاج أن نغسل اليد أولًا ثم نغمسها في الماء، وأما أنت فمستغن عن إيذائي وتفويت الطهارة عليّ، وما يجري مجرى هذا، فإن مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقهر.

ومنها: أن يكون في مداخل بيوت الحمام ومجاري مياهها حجارة ملساء مزلقة يزلق عليها الغافلون فهذا منكر، ويجب قلعه وإزالته وينكر على الحمامي إهماله فإنه يفضي إلى السقطة؛ وقد تؤدي السقطة إلى انكسار عضو أو انخلاعه، وكذلك ترك السدر والصابون المزلق على أرض الحمام منكر؛ ومن فعل ذلك وخرج وتركه فزلق به إنسان وانكسر عضو من أعضائه، وكان ذلك في موضع لا يظهر فيه بحيث يتعذر الاحتراز عنه فالضمان متردد بين الذي تركه وبين الحمامي، إذ حقه تنظيف الحمام، والوجه إيجاب الضمان على تاركه في اليوم الأول، وعلى الحمامي في اليوم الثاني إذ عادة تنظيف الحمام كل يوم معتادة، والرجوع في مواقيت إعادة التنظيف إلى العادات، فليعتبر بها. وفي الحمام أمور أُخر مكروهة ذكرناها في كتاب الطهارة فلتنظر هناك.

منكرات الضيافة:

فمنها: فرش الحرير للرجل فهو حرام. وكذلك تبخير البخور في مجمرة فضة أو ذهب، أو

الشراب أو استعمال ماء الورد في أواني الفضة أو ما رءوسها من فضة.

ومنها: إسدال الستور وعليها الصور.

ومنها: سماع الأوتار أو سماع القينات.

ومنها: اجتماع النساء على السطوح للنظر إلى الرجال مهما كان في الرجال شباب يخاف الفتنة منهم، فكل محظور منكر يجب تغييره. ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج، ومن لم يجز له الجلوس فلا رخصة له في الجلوس في مشاهدة المنكرات. وأما الصور التي على النمارق والزرابي المفروشة فليس منكرًا. وكذلك على الأطباق والقصاع، لا الأواني المتخذة على شكل الصور، فقد تكون رءوس بعض المجامر على شكل طير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه. وفي المكحلة الصغيرة من الفضة خلاف، وقد خرج أحمد بن حنبل عن الضيافة بسببها. ومهما كان الطعام حرامًا، أو كان الموضع مغصوبًا أو كانت الثياب المفروشة حرامًا فهو من أشدّ المنكرات، فإن كان من فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور، إذ لا يحل حضور مجالس الشرب وإن كان مع ترك الشرب، ولا يجوز مجالسة الفاسق في حالة مباشرته للفسق، وإنما النظر في مجالسته بعد ذلك، وأنه هل يجب بغضه في الله ومقاطعته كما ذكرناه في باب الحب والبغض في الله؟ وكذلك إن كان فيهم من يلبس الحرير أو خاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة. فإن كان الثوب على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر.

والصحيح أن ذلك منكر ويجب نزعه عنه إن كان مميزًا لعموم قوله عليه السلام: «هذَانِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي»[1]، وكما يجب منع الصبي من شرب الخمر ـ لا لكونه مكلفًا، لكن لأنه يأنس به، فإذا بلغ عسر عليه الصبر عنه ـ فكذلك شهوة التزين بالحرير تغلب عليه إذا اعتاده، فيكون ذلك بذرًا للفساد يبذر في صدره، فتنبت منه شجرة من الشهوة راسخة يعسر قلعها بعد البلوغ. أما الصبي الذي لا يميز فيضعف معنى التّحريم في حقه ولا يخلو عن احتمال والعلم عند الله فيه، والمجنون في معنى الصبي الذي لا يميز، نعم يحل التزين بالذهب والحرير للنساء من غير إسراف. ولا أرى رخصة في تثقيب أذن الصبية لأجل تعليق حلق الذهب فيها، فإن هذا جرح مؤلم ومثله موجب للقصاص فلا يجوز إلا لحاجة مهمة كالفصد والحجامة والختان، والتزين بالحلق غير مهم بل في التقريط بتعليقه على الأذن وفي المخانق والأسورة كفاية عنه. فهذا وإن كان معتادًا فهو حرام والمنع منه واجب، والاستئجار عليه غير صحيح، والأجرة المأخوذة عليه حرام؛ إلا أن يثبت من جهة النقل فيه رخصة، ولم

(١) صحيح: حديث «هذا حرامان على ذكور أمتي». أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث علي وقد تقدم في الباب الرابع من آداب الأكل [أبو داود: ٤٠٥٧، النسائي: ٥١٤٥، ابن ماجه: ٣٥٩٥، انظر صحيح الترغيب: ٢٠٤٩].

يبلغنا إلى الآن فيه رخصة.

ومنها: أن يكون في الضيافة مبتدع يتكلم في بدعته، فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرد؛ فإن كان لا يقدر عليه لم يجز، فإن كان المبتدع لا يتكلم ببدعته فيجوز الحضور مع إظهار الكراهة عليه والإعراض عنه كما ذكرناه في باب البغض في الله. وإن كان فيها مضحك بالحكايات وأنواع النوادر فإن كان يضحك بالفحش والكذب لم يجز الحضور وعند الحضور يجب الإنكار عليه، وإن كان ذلك بمزح لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح - أعني ما يقل منه - فأما اتخاذه صنعة وعادة فليس بمباح. وكل كذب لا يخفى أنه كذب ولا يقصد به التلبيس فليس من جملة المنكرات، كقول الإنسان مثلًا: طلبتك اليوم مائة مرة، وأعدت عليك الكلام ألف مرة؛ وما يجري مجراه مما يعلم أنه ليس يقصد به التحقيق فذلك لا يقدح في العدالة ولا ترد الشهادة به. وسيأتي حد المزاح المباح والكذب المباح في كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات.

ومنها: الإسراف في الطعام والبناء فهو منكر، بل في المال منكران: أحدهما: الإضاعة، والآخر: الإسراف.

فالإضاعة: تفويت مال بلا فائدة يعتدّ بها كإحراق الثوب وتمزيقه، وهدم البناء من غير غرض. وإلقاء المال في البحر، وفي معناه صرف المال إلى النائحة والمطرب، وفي أنواع الفساد لأنها فوائد محرمة شرعًا فصارت كالمعدومة.

وأما الإسراف: فقد يطلق لإرادة صرف المال إلى النائحة والمطرب والمنكرات، وقد يطلق على الصرف إلى المباحات في جنسها ولكن مع المبالغة.

والمبالغة تختلف بالإضافة إلى الأحوال فنقول: من لم يملك إلا مائة دينار مثلًا ومعه عياله وأولاده ولا معيشة لهم سواه فأنفق الجميع في وليمة فهو مسرف يجب منعه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[الإسراء: ٢٩] نزل هذا في رجل بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيئًا لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر على شيء وقال تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[الإسراء: ٢٦-٢٧] وكذلك قال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾[الفرقان: ٦٧] فمن يسرف هذا الإسراف ينكر عليه، ويجب على القاضي أن يحجر عليه؛ إلا إذا كان الرجل وحده وكان له قوّة في التوكل صادقة؛ فله أن ينفق جميع ماله في أبواب البر. ومن له عيال أو كان عاجزًا عن التوكل فليس له أن يتصدق بجميع ماله. وكذلك لو صرف جميع ماله إلى نقوش حيطانه وتزيين بنيانه فهو أيضًا إسراف محرم، وفعل ذلك ممن له مال كثير ليس بحرام لأن التزيين من الأغراض الصحيحة، ولم تزل المساجد تزين وتنقش أبوابها وسقوفها مع أن نقش الباب والسقف لا فائدة فيه إلا مجرد الزينة، فكذا الدور، وكذلك القول في التجمل بالثياب والأطعمة فذلك مباح في جنسه،

ويصير إسرافًا باعتبار حال الرجل وثروته، وأمثال هذه المنكرات كثيرة لا يمكن حصرها. فقس بهذه المنكرات المجامع ومجالس القضاة ودواوين السلاطين ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية وخانات الأسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه أو محذور، واستقصاء جميع المنكرات يستدعي استيعاب جميع تفاصيل الشرع أصولها وفروعها فلنقتصر على هذا القدر منها.

المنكرات العامة:

اعلم أن كل قاعد في بيته ـ أينما كان ـ فليس خاليًا في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن إرشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف، فأكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد فكيف في القرى والبوادي؟ ومنهم الأعراب والأكراد والتركمانية وسائر أصناف الخلق وواجب أن يكون في مسجد ومحلة من البلد فقيه يعلم الناس دينهم وكذا في كل قرية وواجب على كل فقيه ـ فرع من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية ـ أن يخرج إلى من يجاور بلده من أهل السواد، ومن العرب والأكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم، ويستصحب مع نفسه زادًا يأكله ولا يأكل من أطعمتهم فإن أكثرها مغصوب، فإن قام بهذا الأمر واحد سقط الحرج عن الآخرين وإلاّ عم الحرج الكافة أجمعين.

أما العالم فلتقصيره في الخروج. وأما الجاهل فلتقصيره في ترك التعلم.

وكل عامي عرف شروط الصلاة فعليه أن يعرف غيره وإلا فهو شريك في الإثم. ومعلوم أن الإنسان لا يولد عالمًا بالشرع وإنما يجب التبليغ على أهل العلم، فكل من تعلم مسألة واحدة فهو من أهل العلم بها. ولعمري الإثم على الفقهاء أشدّ لأنّ قدرتهم فيه أظهر وهو بصناعتهم أليق، لأن المحترفين لو تركوا حرفتهم لبطلت المعايش فهم قد تقلدوا أمرًا لا بد منه في صلاح الخلق. وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله ﷺ، فإن العلماء هم ورثة الأنبياء. وللإنسان أن يقعد في بيته ولا يخرج إلى المسجد لأنه يرى الناس لا يحسنون الصلاة، بل إذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهي. وكذا كل من تيقن أن في السوق منكرًا يجري على الدوام أو في وقت بعينه وهو قادر على تغييره فلا يجوز له أن يسقط ذلك عن نفسه بالقعود في البيت، بل يلزمه الخروج، فإن كان لا يقدر على تغيير الجميع وهو محترز عن مشاهدته ويقدر على البعض لزمه الخروج، لأنّ خروجه إذا كان لأجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضره مشاهدة ما لا يقدر عليه، وإنما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر من غير غرض صحيح، فحق على كل مسلم أن يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات، ثم يعلم ذلك أهل بيته، ثم يتعدّى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه، ثم إلى أهل محلته، ثم إلى أهل بلده، ثم إلى أهل السوادي المكتنف ببلده، ثم إلى أهل البوادي من الأكراد والعرب وغيرهم، وهكذا إلى أقصى العالم، فإن قام به الأدنى سقط عن الأبعد، وإلا حرج به على كل قادر عليه

قريبًا كان أو بعيدًا، ولا يسقط الحرج ما دام يبقى على وجه الأرض جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر على أن يسعى إليه بنفسه أو بغيره فيعلمه فرضه، وهذا شغل شاغل لمن يهمه أمر دينه يشغله عن تجزئة الأوقات في التفريعات النادرة والتعمق في دقائق العلوم التي هي من فروض الكفايات ولا يتقدّم على هذا إلا فرض عين أو فرض كفاية هو أهم منه.

الباب الرابع في أمر الأمراء والسلاطين ونهيهم عن المنكر

قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف وأن أوّله التعريف، وثانيه الوعظ، وثالثه التخشين في القول، ورابعه المنع بالقهر في الحمل على الحق بالضرب والعقوبة. والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتان الأوليان وهما: التعريف والوعظ. وأما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعية مع السلطان، فإن ذلك يحرّك الفتنة ويهيج الشر، ويكون ما يتولد منه من المحذور أكثر، وأما التخشين في القول كقوله: يا ظالم يا من لا يخاف الله وما يجري مجراه، فذلك إن كان يحرك فتنة يتعدّى شرها إلى غيره لم يجز، وإن كان لا يخاف إلا على نفسه فهو جائز بل مندوب إليه. فلقد كان من عادة السلف التعرض للأخطار والتصريح بالإنكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لأنواع العذاب لعلمهم بأن ذلك شهادة. قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ ثُمَّ رَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فِي ذَاتِ الله تَعَالَى فَقَتَلَهُ عَلَى ذلِكَ»(١)، وقال ﷺ: «أَفْضَلُ الجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»(٢)، ووصف النبي ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: «قَرْنٌ مِنْ حَدِيدٍ لاَ تَأْخُذُهُ فِي الله لَوْمَةُ لاَئِمٍ وَتَرْكُهُ قَوْلَ الحَقِّ مَا لَهُ مِنْ صَدِيقٍ»(٣)، ولما علم المتصلبون في الدين أن أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر، وأن صاحب ذلك إذا قتل فهو شهيد كما وردت به الأخبار، قدموا على ذلك موطنين أنفسهم على الهلاك ومحتملين أنواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله تعالى ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله. وطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل علماء

---

٣ الباب الرابع: في أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر

(١) صحيح: حديث «خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى رجل فأمره ونهاه في ذات الله فقتله على ذلك». أخرجه الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الإسناد وتقدم في الباب قبله [انظر صحيح الترغيب: ٢٣٠٨].

(٢) صحيح: حديث «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر». تقدم [النسائي: ٤٢٠٩، ابن ماجه: ٤٠١٢، انظر صحيح الترغيب: ٢٣٠٦].

(٣) حديث: وصفه ﷺ عمر بن الخطاب بأنه قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم، تركه قوله الحق ما له من صديق [أبو داود: ٤٦٥٦ على لسان أحد الأسقف، انظر ضعيف أبي داود].

أخرجه الترمذي بسند ضعيف مقتصرا على آخر الحديث من حديث علي «رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرا تركه الحق ما له صديق»، [الترمذي: ٣٧١٤، انظر ضعيف الترمذي، قال الألباني: ضعيف جدًا] وأما أول الحديث فرواه الطبراني إن عمر قال لكعب الأحبار كيف تجد نعتي؟ قال: أجد نعتك قرنا من حديد قال: وما قرن من حديد؟ قال: أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم.

السلف، وقد أوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين في كتاب الحلال والحرام، ونقتصر الآن على حكايات يعرف وجه الوعظ وكيفية الإنكار عليهم.

فمنها: ما روي من إنكار أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه على أكابر قريش حين قصدوا رسول الله ﷺ بالسوء. وذلك ما روي عن عروة رضي الله عنه قال: قلت لعبد الله بن عمرو ما أكثر ما رأيت قريشًا نالت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته؟ فقال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يومًا في الحجر فذكر رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل. سفَّه أحلامنا وشتم آباءنا وعابَ ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا، ولقد صبرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا فبينما هم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مرَّ بهم طائفًا بالبيت، فلما مرَّ بهم غمزوه ببعض القول قال: فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ ثم مضى، فلما مرَّ الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه عليه السلام ثم مضى، فمرَّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال: «أَتَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ» قال: فأطرق القوم حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى أنّ أشدّهم فيه وطأة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم راشدًا فوالله ما كنت جهولًا قال: فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه، فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا؟ أنت الذي تقول كذا؟ لما كان قد بلغهم من عيب آلهتهم ودينهم، قال: فيقول رسول الله ﷺ: «نَعَمْ أَنَا الَّذِي أَقُولُ ذلِكَ» قال: فلقد رأيت رجل منهم أخذ بمجامع ردائه قال: وقام أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه دونه يقول - وهو يبكي - ويلكم أتقتلون رجلًا أن يقول: ربِّي الله؟. ثم انصرفوا عنه وإن ذلك لأشدّ ما رأيت قريشًا بلغت منه[1].

---

(١) حديث عروة: قلت لعبد الله بن عمرو ما أكثر ما رأيت قريش نالت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عدواته، فقال حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحجر فذكر رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا، ولقد صبرنا منه على أمر عظيم - أو كما قالوا - فبينما هم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول قال فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ ثم مضى، فلما مر الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه عليه السلام ثم مضى، فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال «أتسمعون يا معشر قريش: أما والذي نفس محمد بيده فقد جئتكم بالذبح» قال فأطرق القوم حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى أن أشدهم فيه وطأة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم راشدا فوالله ما كنت جهولا. قال: فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا بادأكم بما

وفي رواية أخرى عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بينا رسول الله ﷺ بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلف ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال: أتقتلون رجلًا أن يقول: ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟ (١).

وروي أنّ معاوية رضي الله عنه حبس العطاء فقام إليه أبو مسلم الخولاني فقال له: يا معاوية إنه ليس من كدّك ولا من كدّ أبيك ولا من كدّ أمك. قال: فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال لهم: مكانكم! وغاب عن أعينهم ساعة ثم خرج عليهم وقد اغتسل فقال: إنّ أبا مسلم كلمني بكلام أغضبني وإني سمعت رسول الله يقول: «الغَضَبُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَالشَّيْطَانُ خُلِقَ مِنَ النَّارِ وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالمَاءِ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَغْتَسِلْ» (٢)، وإني دخلت فاغتسلت وصدق أبو مسلم أنه ليس من كدّي ولا من كدّ أبي فهلموا إلى عطائكم.

وروي عن ضبة بن محصن العنزي قال: كان علينا أبو موسى الأشعري أميرًا بالبصرة فكان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ وأنشأ يدعو لعمر رضي الله عنه قال: فغاظني ذلك منه، فقمت إليه فقلت له: أين أنت من صاحبه تفضله عليه؟ فصنع ذلك جمعًا ثم كتب إلى عمر يشكوني يقول: إنّ ضبة بن محصن العنزي يتعرض لي في خطبتي. فكتب إليه عمر: أن أشخصه إليَّ. قال: فأشخصني إليه فقدمت فضربت عليه الباب فخرج إليَّ فقال: من أنت؟ فقلت: أنا ضبة، فقال لي: لا مرحبًا ولا أهلًا، قلت: أما المرحب فمن الله، وأما الأهل فلا أهل لي ولا مال، فبماذا استحللت يا عمر إشخاصي من مصري بلا ذنب أذنبته ولا شيء أتيته؟ فقال: ما الذي شجر بينك وبين عاملي؟ قال: قلت: الآن أخبرك به، إنه كان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم أنشأ يدعو لك فغاظني ذلك منه فقمت إليه

تكرهون تركتموه، فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا؟ أنت الذي تقول كذا؟ لما كان قد بلغهم من عيب آلهتهم ودينهم، قال: فيقول رسول الله ﷺ «نعم أنا الذي أقول ذلك» قال: فلقد رأيت رجل منهم أخذ بمجامع ردائه قال: وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه دونه يقول - وهو يبكي - ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله؟ ثم انصرفوا عنه وإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت منه.

أخرجه بطوله البخاري مختصرا وابن حبان بتمامه [البخاري: ٣٦٧٨ مختصرًا، وذكره الألباني بطوله في صحيح السيرة ص ١٤٨].

(١) صحيح: حديث عبد الله بن عمرو: بينا رسول الله ﷺ بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلف ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟.

رواه البخاري [البخاري: ٣٦٧٨].

(٢) ضعيف: حديث معاوية «الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليغتسل». وفي أوله قصة رواه أبو نعيم في الحلية وفيه من لا أعرفه [انظر ضعيف الجامع: ٣٩٣٣].

فقلت له: أين أنت من صاحبه تفضله عليه؟ فصنع ذلك جمعًا ثم كتب إليك يشكوني. قال: فاندفع عمر رضي الله عنه باكيًا وهو يقول: أنت والله أوفق منه وأرشد، فهل أنت غافر لي ذنبي يغفر لك الله؟ قال: قلت غفر الله لك يا أمير المؤمنين. قال: ثم اندفع باكيًا وهو يقول: والله لليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدّثك بليلته ويومه؟ قلت: نعم، قال: أما الليلة: فإن رسول الله ﷺ لما أراد الخروج من مكة هاربًا من المشركين خرج ليلًا فتبعه أبو بكر، فجعل يمشي مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره، فقال رسول الله ﷺ: «مَا هذَا يَا أَبَا بَكْرٍ؟ مَا أَعْرِفُ هذَا مِنْ أَفْعَالِكَ» فقال: يا رسول الله: أذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفك، ومرة عن يمينك، ومرة عن يسارك، لا آمن عليك. قال: فمشى رسول الله ﷺ ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت؛ فلما رأى أبو بكر أنها قد حفيت حمله على عاتقه وجعل يشتدّ حتى أتى فم الغار فأنزله، ثم قال: والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك، قال: فدخل فلم ير فيه شيئًا فحمله فأدخله وكان في الغار خرق فيه حيات وأفاع، فألقمه أبو بكر قدمه مخافة أن يخرج منه شيء إلى رسول الله ﷺ فيؤذيه، وجعلن يضربن أبا بكر في قدمه وجعلت دموعه تنحدر على خديه من ألم ما يجد ورسول الله ﷺ يقول له: «يَا أَبَا بَكْرٍ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ الله مَعَنَا» ، فأنزل الله سكينته عليه والطمأنينة لأبي بكر فهذه ليلته.

وأما يومه، فلما توفي رسول الله ﷺ ارتدت العرب فقال بعضهم: نصلي ولا نزكي فأتيته لا آلوه نصحًا فقلت: يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم. فقال لي: أجبّار في الجاهلية خوّار في الإسلام؟ فبماذا أتألفهم؟ قبض رسول الله ﷺ وارتفع الوحي، فوالله لو منعوني عقالًا كانوا يعطونه رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، قال: فقاتلنا عليه فكان والله رشيد الأمر. فهذا يومه. ثم كتب إلى أبي موسى يلومه(١) .

وعن الأصمعي قال: دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الأشراف من كل بطن وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له: يا أبا محمد ما حاجتك؟ فقال: يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين

---

(١) حديث ضبة بن محصن: كان علينا أبو موسى الأشعري أميرا بالبصرة وفيه من عمر أنه قال والله لليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بيومه وليلته؟ فذكر ليلة الهجرة ويوم الردة بطوله.
رواه البيهقي في دلائل النبوة بإسناد ضعيف هكذا وقصة الهجرة رواها البخاري من حديث عائشة بغير هذا السياق واتفق عليها الشيخان من حديث أبي بكر بلفظ آخر [البخاري: ٥٨٠٧] ولهما من حديثه قال: قلت يا رسول الله لو أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما، [البخاري: ٣٦٥٣، مسلم: ٢٣٨١] وأما قتاله لأهل الردة ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة: لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر لأبي بكر كيف تقاتل الناس... الحديث [البخاري: ١٤٠٠، مسلم: ٢٠].

والأنصار فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسؤول عنهم، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم. فقال له: أجل أفعل، ثم نهض وقام. فقبض عليه عبد الملك فقال: يا أبا محمد إنما سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت؟ فقال: ما لي إلى مخلوق حاجة. ثم خرج فقال عبد الملك: هذا وأبيك الشرف!

وقد روي أنّ الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يومًا: قف على الباب فإذا مرَّ بك رجل فأدخله عليَّ ليحدّثني. فوقف الحاجب على الباب مدّة فمرّ به عطاء بن أبي رباح وهو لا يعرفه فقال له: يا شيخ ادخل إلى أمير المؤمنين فإنه أمر بذلك؛ فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من الوليد قال: السلام عليك يا وليد قال: فغضب الوليد على حاجبه وقال له: ويلك أمرتك أن تدخل إليَّ رجلًا يحدثني ويسامرني فأدخلت إليَّ رجلًا لم يرض أن يسميني بالاسم الذي اختاره الله لي. فقال له حاجبه: ما مرَّ بي أحد غيره، ثم قال لعطاء: اجلس، ثم أقبل عليه يحدّثه فكان فيما حدثه به عطاء أن قال له: بلغنا أن في جهنم واديًا يقال له هبهب أعده الله لكل إمام جائر في حكمه. فصعق الوليد من قوله، وكان جالسًا بين يدي عتبة باب المجلس فوقع على قفاه إلى جوف المجلس مغشيًا عليه؛ فقال عمر لعطاء: قتلت أمير المؤمنين. فقبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال له: يا عمر إن الأمر جد فجد، ثم قام عطاء وانصرف. فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه قال: مكثت سنة أجدُ ألم غمزته في ذراعي.

وكان ابن أبي شميلة يوصف بالعقل والأدب؛ فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك: تكلم، قال: بم أتكلم وقد علمت أن كل كلام تكلم به المتكلم عليه وبال إلا ما كان لله؟ فبكى عبد الملك ثم قال: يرحمك الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين إن الناس في القيامة لا ينجون من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه، فبكى عبد الملك ثم قال: لا جرم لأجعلن هذه الكلمات مثالًا نصب عيني ما عشت.

ويروى عن ابن عائشة أن الحجاج دعا بفقهاء البصرة وفقهاء الكوفة فدخلنا عليه، ودخل الحسن البصري رحمه الله آخر من دخل، فقال الحجاج: مرحبًا بأبي سعيد إليَّ إليَّ، ثم دعا بكرسي فوضع إلى جنب سريره فقعد عليه؛ فجعل الحجاج يذاكرنا ويسألنا إذ ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه فنال منه ونلنا منه مقاربة له وفرقًا من شره، والحسن ساكت عاض على إبهامه؛ فقال: يا أبا سعيد ما لي أراك ساكتًا؟ قال: ما عسيت أن أقول؟ قال: أخبرني برأيك في أبي تراب، قال: سمعت الله جل ذكره يقول: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ

لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣] فعلي ممن هدى الله من أهل الإيمان، فأقول: ابن عم النبي عليه السلام وختنه على ابنته وأحب الناس إليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه ولا يحول بينه وبينها. وأقول: إن كانت لعلي هناة فالله حسبه والله ما أجد فيه قولًا أعدل من هذا. فبسُرَ وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضبًا فدخل بيتًا خلفه وخرجنا. قال عامر الشعبي: فأخذت بيد الحسن فقلت: يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره، فقال: إليك عني يا عامر، يقول الناس عامر الشعبي عالم أهل الكوفة. أتيت شيطانًا من شياطين الإنس تكلمه بهواه وتقاربه في رأيه ويحك يا عامر هلا اتقيت إن سئلت فصدقت، أو سكت فسلمت؟ قال عامر: يا أبا سعيد قد قلتها وأنا أعلم ما فيها، قال الحسن: فذاك أعظم في الحجة عليك وأشد في التبعة.

قال: وبعث الحجاج إلى الحسن فلما دخل عليه قال: أنت الذي تقول: قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم؟ قال: نعم. قال: ما حملك على هذا؟ قال: ما أخذ الله على العلماء من المواثيق ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧] قال: يا حسن أمسك عليك لسانك وإياك أن يبلغني عنك ما أكره فأفرق بين رأسك وجسدك.

وحكي أن حطيطًا الزيات جيء به إلى الحجاج فلما دخل عليه قال: أنت حطيط؟ قال: نعم، سل عما بدا لك، فإني عاهدت الله ـ عند المقام ـ على ثلاث خصال: إن سُئلت لأصدقن، وإن ابتليت لأصبرنّ، وإن عوفيت لأشكرنّ، قال: فما تقول فيَّ؟ قال: أقول إنك من أعداء الله في الأرض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة. قال: فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان؟ قال: أقول: إنه أعظم جرمًا منك وإنما أنت خطيئة من خطاياه. قال: فقال الحجاج: ضعوا عليه العذاب، قال: فانتهى به العذاب إلى أن شقق له القصب ثم جعلوه على لحمه وشدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئًا. قال: فقيل للحجاج إنه في آخر رمق فقال: أخرجوه فارموا به في السوق. قال جعفر: فأتيته أنا وصاحب له فقلنا له: يا حطيط ألك حاجة؟ قال: شربة ماء فأتوه بشربة ثم مات، وكان ابن ثمان عشرة سنة رحمة الله عليه.

وروي أن عمر بن هبيرة دعا بفقهاء أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرائها فجعل يسألهم وجعل يكلم عامر الشعبي فجعل لا يسأله عن شيء إلا وجد عنده منه علمًا، ثم أقبل على الحسن البصري فسأله، ثم قال: هما هذان، هذا رجل أهل الكوفة ـ يعني الشعبي ـ وهذا رجل أهل البصرة ـ يعني الحسن ـ فأمر الحاجب فأخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن. فأقبل على الشعبي فقال: يا أبا عمرو إني أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم فأنا أحب حفظهم وتعهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم، وقد يبلغني عن العصابة من أهل الديار الأمر أجد عليهم فيه فأقبض

طائفة من عطائهم فأضعه في بيت المال ومن نيتي أن أرده عليهم، فيبلغ أمير المؤمنين أني قد قبضته على ذلك النحو فيكتب إليَّ أن لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا إنفاذ كتابه، وإنما أنا رجل مأمور على الطاعة. فهل عليَّ في هذا تبعة وفي أشباهه من الأمور والنية فيها على ما ذكرت؟ قال الشعبي: فقلت: أصلح الله الأمير إنما السلطان والد يخطىء ويصيب، قال: فسرّ بقولي وأعجب به ورأيت البشر في وجهه وقال: فلله الحمد، ثم أقبل على الحسن فقال: ما تقول يا أبا سعيد؟ قال: قد سمعت قول الأمير يقول: إنه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم، وحق الرعية لازم لك وحق عليك أن تحوطهم بالنصيحة، وإني سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشي صاحب رسول الله ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَنِ اسْتَرْعَى رَعِيَّةً فَلَمْ يَحُطْهَا بِالنَّصِيحَةِ حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الجَنَّةَ»(١)، ويقول: إني ربما قبضت من عطائهم إرادة صلاحهم واستصلاحهم وأن يرجعوا إلى طاعتهم، فيبلغ أمير المؤمنين أني قبضتها على ذلك النحو فيكتب إليَّ أن لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا أستطيع إنفاذ كتابه، وحق الله ألزم من حق أمير المؤمنين والله أحق أن يطاع ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فأعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل، فإن وجدته موافقًا لكتاب الله فخذ به وإن وجدته مخالفًا لكتاب الله فانبذه؛ يا ابن هبيرة اتق الله فإنه يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل على عملك؛ يا ابن هبيرة إن الله ليمنعك من يزيد ولا يمنعك يزيد من الله وإن أمر الله فوق كل أمر وإنه لا طاعة في معصية الله، وإني أحذرك بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين. فقال ابن هبيرة: أربع على ظلعك أيها الشيخ وأعرض عن ذكر أمير المؤمنين، فإن أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل وإنما ولاه الله تعالى ما ولاه من أمر هذه الأمة لعلمه به وما يعلمه من فضله ونيته. فقال الحسن: يا ابن هبيرة، الحساب من ورائك سوط بسوط وغضب بغضب والله بالمرصاد، يا ابن هبيرة: إنك إنْ تلق من ينصح لك في دينك ويحملك على أمر آخرتك خير من أن تلقى رجلًا يغرك ويمنيك. فقام ابن هبيرة وقد بَسُرَ وجهه وتغير لونه. قال الشعبي: فقلت: يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته فقال: إليك عني يا عامر، قال: فخرجت إلى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان أهلًا لما أدى إليه وكنا أهلًا أن يفعل

---

(١) موضوع: حديث الحسن بن عبد الرحمن بن سمرة «من استرعى رعية لم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة». رواه البغوي في معجم الصحابة بإسناد لين وقد اتفق عليه الشيخان بنحوه من رواية الحسن عن معقل بن يسار [انظر ضعيف الجامع: ٢٢٣٠ بنحوه].

ذلك بنا. فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء إلا مثل الفرس العربي بين المقارف وما شهدنا مشهدًا إلا برز علينا. وقال لله عز وجل وقلنا مقاربة لهم.

قال عامر الشعبي: وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطانًا بعد هذا المجلس فأحابيه. ودخل محمد بن واسع على بلال بن أبي بردة فقال له: ما تقول في القدر؟ فقال: جيرانك أهل القبول فتفكر فيهم فإن فيهم شغلًا عن القدر.

وعن الشافعي رضي الله عنه قال: حدثني عمي محمد بن علي قال: إني لحاضر مجلس أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور وفيه ابن أبي ذؤيب، وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال: فأتى الغفاريون فشكوا إلى أبي جعفر شيئًا من أمر الحسن بن زيد، فقال الحسن: يا أمير المؤمنين سل عنهم ابن أبي ذؤيب قال: فسأله، فقال: ما تقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب؟ فقال: أشهد أنهم أهل تحطم في أعراض الناس كثيرو الأذى لهم. فقال أبو جعفر: قد سمعتم، فقال الغفاريون: يا أمير المؤمنين سله عن الحسن بن زيد. فقال: يا ابن أبي ذؤيب ما تقول في الحسن بن زيد؟ فقال: أشهد عليه أنه يحكم بغير الحق ويتبع هواه. فقال: قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن أبي ذُؤيب وهو الشيخ الصالح؟ فقال: يا أمير المؤمنين اسأله عن نفسك. فقال: ما تقول فيَّ؟ قال: تعفيني يا أمير المؤمنين، قل: اسألك بالله إلا أخبرتني. قال: تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك؟ قال: والله لتخبرني، قال: أشهد أنك أخذت هذا المال من غير حقه فجعلته في غير أهله، وأشهد أن الظلم ببابك فاشٍ. قال: فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن أبي ذؤيب فقبض عليه ثم قال له: أما والله لولا أني جالس ههنا لأخذت فارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك قال: فقال ابن أبي ذؤيب يا أمير المؤمنين قد ولي أبو بكر وعمر فأخذا الحق وقسما بالسوية وأخذا بأقفاء فارس والروم وأصغرا آنافهم، قال: فخلى أبو جعفر قفاه وخلى سبيله وقال: والله لولا أني أعلم أنك صادق لقتلتك، فقال ابن أبي ذؤيب: والله يا أمير المؤمنين إني لأنصح لك من ابنك المهدي، قال: فبلغنا أن ابن أبي ذؤيب لما انصرف من مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له: يا أبا الحرث لقد سرني ما خاطبت به هذا الجبار ولكن ساءني قولك له ابنك المهدي، فقال: يغفر الله لك يا أبا عبد الله كلنا مهدي كلنا كان في المهد.

وعن الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال: بعث إليَّ أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالساحل فأتيته، فلما وصلت إليه وسلمت عليه بالخلافة رد علي واستجلسني ثم قال لي: ما الذي أبطأ بك عنا يا أوزاعي؟ قال: قلت: وما الذي تريد يا أمير المؤمنين؟ قال: أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم، قال: فقلت: فانظر يا أمير المؤمنين أن لا تجهل شيئًا مما أقول لك، قال: وكيف أجهله وأنا أسألك عنه وفيه وجهت إليك وأقدمتك له؟ قال: قلت: أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به، قال: فصاح بي الربيع وأهوى بيده إلى السيف فانتهره المنصور وقال:

هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة[١] فطابت نفسي وانبسطت في الكلام. فقلت: يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا عَبْدٍ جَاءَتْهُ مَوْعِظَةٌ مِنَ الله فِي دِينِهِ فَإِنَّها نِعْمَةٌ مِنَ الله سِيقَتْ إِلَيْهِ فَإِنْ قَبِلَها بِشُكْرٍ وَإِلاَّ كَانَتْ حُجَّةً مِنَ الله عَلَيْهِ لِيَزْدَادَ بِها إِثْمًا وَيَزْدَادَ الله بِها سُخْطًا عَلَيْهِ»[٢] ، يا أمير المؤمنين: حدثني مكحول عن عطية بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّما وَالٍ مَاتَ غَاشًّا لِرَعِيَّتِهِ حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الجَنَّةَ»[٣] ، يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله. إن الله هو الحق المبين. إن الذي ليَّن قلوب أمتكم لكم حين ولاَّكم أمورهم لقرابتكم من رسول الله ﷺ وقد كان بهم رؤوفًا رحيمًا مؤاسيًا لهم بنفسه في ذات يده محمودًا عند الله وعند الناس فحقيق بك أن تقوم له فيهم بالحق. وأن تكون بالقسط له فيهم قائمًا ولعوراتهم ساترًا. لا تغلق عليك دونهم الأبواب ولا تقيم دونهم الحجاب. تبتهج بالنعمة عندهم. وتبتئس بما أصابهم من سوء. يا أمير المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم أحمرهم وأسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل، فكيف بك إذا انبعث منهم فئام وراء فئام وليس منهم أحد إلا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه أو ظلامة سقتها إليه؟ يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال: كانت بيد رسول الله ﷺ جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين، فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له: يا محمد ما هذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبًا[٤]؟ فكيف بمن شقق أستارهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه؟ يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسلمة، أن رسول الله ﷺ دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابيًا لم يتعمده فأتاه جبريل عليه السلام فقال: «يا محمد إن الله لم يبعثك جبارًا ولا متكبرًا». فدعا

---

(١) حديث الأوزاعي مع المنصور وموعظته له وذكر فيها عشرة أحاديث مرفوعة، والقصة بجملتها رواها ابن أبي الدنيا في كتاب مواعظ الخلفاء ورويناها في مشيخة يوسف بن كامل الخفاف ومشيخة ابن طبرزد، وفي إسنادها أحمد بن عبيد بن ناصح قال ابن عدي يحدث بمناكير وهو عندي من أهل الصدق وقد رأيت سرد الأحاديث المذكورة في الموعظة لنذكر هل لبعضها طريق غير هذا الطريق وليعرف صحابي كل حديث أو كونه مرسلا، فأولها:

(٢) ضعيف: حديث عطية بن بشر «أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فإنها نعمة من الله سيقت إليه فإن قبلها بشكر وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إثما ويزداد الله بها سخطا عليه». أخرجه ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء [انظر ضعيف الجامع: ٢٢٤٥].

(٣) حديث عطية بن ياسر «أيما وال مات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة». أخرجه ابن أبي الدنيا فيه وابن عدي في الكامل في ترجمة أحمد بن عبيد.

(٤) حديث عروة بن رويم: كانت بيد رسول الله ﷺ جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين، فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له: يا محمد ما هذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبا؟
أخرجه ابن أبي الدنيا فيه وهو مرسل وعروة ذكره ابن حبان في ثقات التابعين.

النبي ﷺ الأعرابي فقال: «اقْتَصَّ مِنِّي» فقال الأعرابي: قد أحللتك؛ بأبي أنت وأمي ما كنت لأفعل ذلك أبدًا ولو أتيت على نفسي. فدعا له بخير[1] يا أمير المؤمنين رضِّ نفسك لنفسك وخذ لها الأمان من ربك، وارغب في جنة عرضها السموات والأرض التي يقول فيها رسول الله ﷺ: «لَقيدُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيا وَمَا فِيها»[2] . يا أمير المؤمنين إن الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل إليك، وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك. يا أمير المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف :٤٩] قال الصغيرة: التبسم، والكبيرة: الضحك، فكيف بما عملته الأيدي وحصدته الألسن؟ يا أمير المؤمنين بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لو ماتت سخلة على شاطىء الفرات ضيعة لخشيت أن أسأل عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك؟ يا أمير المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص :٢٦] قال الله تعالى في الزبور: يا داود إذا قعد الخصمان بين يديك فكان لك في أحدهما هوى فلا تتمنين في نفسك أن يكون الحق له فيفلح على صاحبه فأمحوك عن نبوتي ثم لا تكون خلفتي ولا كرامة، يا داود إنما جعلت رسلي إلى عبادي رعاء كرعاء الإبل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير ويدلوا الهزيل على الكلأ والماء. يا أمير المؤمنين إنك قد بليت بأمر لو عرض على السموات والأرض والجبال لأبين أن يحملنه وأشفقن منه، يا أمير المؤمنين حدثني يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن عمرة الأنصاري: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل رجلًا من الأنصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقيمًا فقال له: ما منعك من الخروج إلى عملك؟ أما علمت أنّ لك مثل أجر المجاهد في سبيل الله قال: لا، قال: وكيف ذلك؟ قال: إنه بلغني أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ وَالٍ يَلِي شَيْئًا مِنْ أُمُورِ النَّاسِ إِلاَّ أُتِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ مَغْلُولَةً يَدهُ إِلَى عُنُقِهِ لاَ يَفُكُّها إِلاَّ عَدْلُهُ فَيُوقَفُ عَلَى جِسْرٍ مِنَ النَّارِ يَنْتَفِضُ بِهِ ذلِكَ الجِسْرَ انْتِفَاضَةً تُزِيلُ كُلَّ عُضْوٍ مِنْهُ عَنْ مَوْضِعِهِ ثُمَّ يُقادُ فَيُحَاسَبُ فَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَجَا بِإِحْسَانِهِ وَإِنْ

---

(١) حديث حبيب بن مسلمة «أن رسول الله ﷺ دعا إلى القصاص من نفسه في خدش أعرابي لم يتعمده، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله لم يبعثك جبارا ولا متكبرا. فدعا النبي ﷺ الأعرابي فقال: اقتص مني، فقال الأعرابي: قد أحللتك، بأبي أنت وأمي وما كنت لأفعل ذلك أبدا ولو أتيت على نفسي. فدعا له بخير». أخرجه ابن أبي الدنيا فيه، وروى أبو داود والنسائي من حديث عمر قال: رأيت رسول الله ﷺ اقتص من نفسه، [أبي داود: ٤٥٣٧، النسائي: ٤٧٧٧، انظر ضعيف أبي داود]. وللحاكم من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه: طعن رسول الله ﷺ في خاصرة أُسَيْد بن حُضَيْر، فقال أوجعتني قال اقتص... الحديث. قال صحيح الإسناد [أبي داود: ٥٢٢٤، انظر صحيح أبي داود].

(٢) حديث «لقيد قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها». أخرجه ابن أبي الدنيا من رواية الأوزاعي معضلا لم يذكر إسناده ورواه البخاري من حديث أنس بلفظ »لقاب«[البخاري: ٢٧٩٦].

كَانَ مُسِيئًا انْخَرَقَ بِهِ ذلِكَ الجِسْرُ فَيُهْوى بِهِ فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»(١)، فقال له عمر رضي الله عنه: ممن سمعت هذا؟ قال: من أبي ذرّ وسلمان فأرسل إليهما عمر فسألهما فقالا: نعم سمعناه من رسول الله فقال عمر: واعمراه من يتولاها بما فيها؟ فقال أبو ذرّ رضي الله عنه: من سلت الله أنفه وألصق خدّه بالأرض. قال: فأخذ المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكاني. ثم قلت: يا أمير المؤمنين قد سأل جدّك العباس النبي ﷺ إمارة مكة أو الطائف أو اليمن فقال له النبي عليه السلام: «يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ النَّبِيِّ نَفْسٌ تُحْيِيها خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لاَ تُحْصِيها»(٢) نصيحة منه لعمه وشفقة عليه وأخبره أنه لا يغني عنه من الله شيئًا إذ أوحى الله إليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] فقال: «يَا عَبَّاسُ وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّي النَّبِيِّ وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ إِنِّي لَسْتُ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ الله شَيْئًا إِنَّ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ»(٣)، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يقيم أمر الناس إلا حصيف العقل أريب العقد لا يطلع منه على عورة ولا يخاف منه على حرّة ولا تأخذه في الله لومة لائم. وقال: الأمراء أربعة، فأمير قوي ظلف نفسه وعماله فذلك كالمجاهد في سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة، وأمير فيه ضعف ظلف نفسه وأرتع عماله لضعفه فهو على شفا هلاك إلا أن يرحمه الله، وأمير ظلف عماله وأرتع نفسه فذلك الحطمة الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «شَرُّ الرُّعَاةِ الحُطَمَةُ فَهُوَ الهَالِكُ وَحْدَهُ»(٤)، وأمير أرتع نفسه وعماله فهلكوا جميعًا. وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن جبرائيل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: «أتيتك حين أمر الله بمنافخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة، فقال له: «يَا جِبْرِيلُ صِفْ لِيَ النَّارَ» فقال: إن الله تعالى أمر بها فأوقد عليها

---

(١) ضعيف: حديث عبد الرحمن بن عمر: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقيما فقال له: ما منعك من الخرج إلى عملك؟ أما علمت أن لك مثل أجر المجاهد في سبيل الله قال: لا، قال: وكيف ذلك؟ قال: إنه بلغني أن رسول الله ﷺ قال «ما من وال يلي شيئا من أمور الناس إلا أتي به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه لا يفكها إلا عدله فيوقف على جسر من النار ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب فإن كان محسنا نجا بإحسانه وإن كان مسيئا انخرق به ذلك الجسر فيهوي به في النار سبعين خريفا». أخرجه ابن أبي الدنيا فيه من هذا الوجه ورواه الطبراني من رواية سويد بن عبد العزيز عن يسار بن أبي الحكم عن أبي وائل: أن عمر استعمل بشر بن عاصم فذكر أخصر منه، وأن بشرا سمعه من النبي ﷺ يذكر فيه: سلمان [انظر ضعيف الترغيب: ١٣١١].

(٢) حديث «يا عباس يا عم النبي نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها». أخرجه ابن أبي الدنيا هكذا معضلا بغير إسناد ورواه البيهقي من حديث جابر متصلا ومن رواية ابن المنكدر مرسلا وقال هذا هو المحفوظ مرسلا.

(٣) صحيح: حديث «يا عباس ويا صفية ويا فاطمة لا أغني عنكم من الله شيئا لي عملي ولكم عملكم». أخرجه ابن أبي الدنيا هكذا معضلا دون إسناده ورواه البخاري من حديث أبي هريرة متصلا دون قوله «لي عملي ولكم عملكم» [البخاري: ٢٧٥٣].

(٤) صحيح: حديث «شر الرعاة الحطمة فهو الهالك وحده». رواه مسلم من حديث عائذ بن عمرو المزني متصلا وهو عند ابن أبي الدنيا عن الأوزاعي معضلا كما ذكره المصنف [مسلم: ١٨٣٠ مختصرًا، الرعاة: جمع راعي وهو الحاكم، والحطمة: هو الظلوم].

ألف عام حتى احمرّت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصفرّت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء جمرها ولا يطفأ لهبها، والذي بعثك بالحق لو أنّ ثوبًا من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعًا، ولو أن ذنوبًا من شرابها صب في مياه الأرض جميعًا لقتل من ذاقه، ولو أنّ ذراعًا من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الأرض جميعًا لذابت وما استقلت، ولو أنّ رجلًا أدخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه؛ فبكى النبي ﷺ وبكى جبريل عليه السلام لبكائه فقال: أتبكي يا محمد وقد غفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا وَلِمَ بَكَيْتَ يَا جِبْرِيلُ وَأَنْتَ الرُّوحُ الأَمِينُ أَمِينُ الله عَلَى وَحْيِهِ» قال: أخاف أن أبتلى بما ابتلي به هاروت وماروت فهو الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي فأكون قد أمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء: يا جبريل ويا محمد إنّ الله قد آمنكما أن تعصياه فيعذبكما وفضل محمدًا على سائر الأنبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة»[1] ، وقد بلغني يا أمير المؤمنين أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: اللهم إن كنت تعلم أني أبالي إذا قعد الخصمان بين يدي على من مال الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلني طرفة عين. يا أمير المؤمنين إنّ أشد الشدة القيام لله بحقه وإن أكرم الكرم عند الله التقوى، وإنه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه، ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه. فهذه نصيحتي إليك والسلام عليك. ثم نهضت فقال لي: إلى أين؟ فقلت: إلى الولد والوطن بإذن أمير المؤمنين إن شاء الله. فقال: قد أذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه أستعين وعليه أتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل فلا تخلني من مطالعتك إياي بمثل هذا فإنك المقبول القول غير المتهم في النصيحة. قلت: أفعل إن شاء الله، قال محمد بن مصعب: فأمر له بمال يستعين به على

---

(١) موضوع: حديث: بلغني أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال «أتيتك حين أمر الله بمنافخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة، فقال له: يا جبريل صف لي النار فقال: إن الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصفرت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء جمرها ولا يطفأ لهبها، والذي بعثك بالحق لك أن ثوبا من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعا ولو أن ذنوبا من شرابها صب في مياه الأرض جميعا لقتل من ذاقه ولو أن ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الأرض جميعا لذابت وما استقلت، ولو أن رجلا أدخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه، فبكى النبي ﷺ وبكى جبريل عليه السلام لبكائه فقال: أتبكي يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: أفلا أكون عبدا شكورا ولم بكيت يا جبريل وأنت الروح الأمين أمين الله على وحيه، قال: أخاف أن أبتلى بما ابتلي به هاروت وماروت فهو الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي فأكون قد أمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء: يا جبريل ويا محمد إن الله قد آمنكما أن تعصياه فيعذبكما وفضل محمد على سائر الأنبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة». الحديث بطوله أخرجه ابن أبي الدنيا فيه هكذا معضلا بغير إسناد [انظر ضعيف الترغيب: ٢١٢٥].

خروجه فلم يقبله وقال: أنا في غنى عنه وما كنت لأبيع نصيحتي بعرض من الدنيا. وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك.

وعن ابن المهاجر قال: قدم أمير المؤمنين المنصور مكة شرفها الله حاجًا، فكان يخرج من دار الندوة إلى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به، فإذا طلع الفجر رجع إلى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فيصلي بالناس، فخرج ذات ليلة حين أسحر فبينا هو يطوف إذ سمع رجلًا عند الملتزم وهو يقول: اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع. فأسرع المنصور في مشيه حتى ملأ مسامعه من قوله، ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل إليه فدعاه فأتاه الرسول وقال له: أجب أمير المؤمنين؛ فصلى ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور: ما هذا الذي سمعتك تقوله من ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع والظلم؛ فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرضني وأقلقني؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن أمنتني على نفسي أنبأتك بالأمور ومن أصولها وإلا اقتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل، فقال له: أنت آمن على نفسك، فقال: الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق وإصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الأرض أنت. فقال: ويحك وكيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في يدي والحلو والحامض في قبضتي؟ قال: وهل دخل أحدًا من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين؟ إن الله تعالى استرعاك أمور المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابًا من الجص والآجر وأبوابًا من الحديد وحجبت معهم السلاح، ثم سجنت نفسك فيها منهم وبعثت عمالك في جمع الأموال وجبايتها واتخذت وزراء وأعوانًا ظلمة إن نسيت لم يذكروك وإن ذكرت لم يعينوك، وقويتهم على ظلم الناس بالأموال والكراع والسلاح، وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان نفر سميتهم، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العاري ولا الضعيف ولا الفقير، ولا أحد إلا وله في هذا المال حق فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لا يحجبوا عنك تجبي الأموال ولا تقسمها قالوا: هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا؟ فائتمروا على أن لا يصل إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمرًا إلا أقصوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس وهابوهم، وكان أوّل من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليتقوّوا بهم على ظلم رعيتك، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلأت بلاد الله بالطمع بغيًا وفسادًا وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل؛ فإن جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول إليك، وإن أراد رفع صوته أو قصته إليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك

ووقفت للناس رجلًا ينظر في مظالمهم، فإن جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته، وإن كانت للمتظلم به حرمة وإجابة لم يمكنه مما يريد خوفًا منهم، فلا يزال المظلوم يختلف إليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه؛ فإذا جهد وأخرج وظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضربًا مبرحًا ليكون نكالًا لغيره وأنت تنظر ولا تنكر ولا تغير؛ فما بقاء الإسلام وأهله على هذا؛ ولقد كانت بنو أمية وكانت العرب لا ينتهي إليهم المظلوم إلا رفعت ظلامته إليهم فينصف؛ ولقد كان الرجل يأتي من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي: يا أهل الإسلام فيبتدرونه ما لك ما لك فيرفعون مظلمته إلى سلطانهم فينتصف؛ ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى أرض الصين وبها ملك فقدمتها مرّة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراؤه: ما لك تبكي لا بكت عيناك؟ فقال: أما إني لست أبكي على المصيبة التي نزلت بي ولكن أبكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته، ثم قال: أما إن كان قد ذهب سمعي فإنّ بصري لم يذهب نادوا في الناس: ألا لا يلبس ثوبًا أحمر إلا مظلوم فكان يركب الفيل ويطوف طرفي النهار هل يرى مظلومًا فينصفه، هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه في ملكه، وأنت مؤمن بالله وابن عم نبي الله لا تغلبك رأفتك بالمسلمين ورقتك على شح نفسك، فإنك لا تجمع الأموال إلا لواحد من ثلاثة؛ إن قلت أجمعها لولدي فقد أراك الله عبرًا في الطفل الصغير يسقط من بطن أمه وماله على الأرض مال، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله تعالى يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه ولست الذي تعطي بل الله يعطي من يشاء، وإن قلت: أجمع المال لأشيد سلطاني، فقد أراك الله عبرًا فيمن كان قبلك ما أغنى عنهم ما جمعوه من الذهب والفضة وما أعدّوا من الرجال والسلاح والكراع وما ضرك وولد أبيك ما كنتم فيه من قلة الجدة والضعف حين أراد الله بكم ما أراد. وإن قلت: أجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنت فيها، فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح يا أمير المؤمنين، هل تعاقب من عصاك من رعيتك بأشدّ من القتل؟ قال: لا، قال: فكيف تصنع بالملك الذي خوّلك الله وما أنت عليه من ملك الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل، ولكن يعاقب من عصاه بالخلود في العذاب الأليم وهو الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك وأضمرته جوارحك؟ فماذا تقول إذا انتزع الملك الحق المبين ملك الدنيا من يدك ودعاك إلى الحساب؟ هل يغني عنك عنده شيء مما كنت فيه مما شححت عليه من ملك الدنيا؟ فبكى المنصور بكاء شديدًا حتى نحب وارتفع صوته ثم قال: يا ليتني لم أخلق ولم أك شيئًا، ثم قال: كيف احتيالي فيما خوّلت فيه ولم أرَ من الناس إلا خائنًا؟ قال: يا أمير المؤمنين عليك بالأئمة الأعلام المرشدين قال: ومن هم؟ قال: العلماء، قال: قد فروا مني، قال: هربوا منك مخافة أن تحملهم على ما ظهر من طريقتك من قبل عمالك، ولكن افتح

الأبواب، وسهّل الحجاب، وانتصر للمظلوم من الظالم، وامنع المظالم، وخذ الشيء مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل، وأنا ضامن على أنّ من هرب منك أن يأتيك فيعاونك على صلاح أمرك ورعيتك. فقال المنصور: اللهم وفقني أن أعمل بما قال هذا الرجل. وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فخرج فصلى بهم ثم قال للحرسي: عليك بالرجل إن لم تأتني به لأضربنَّ عنقك، واغتاظ عليه غيظًا شديدًا فخرج الحرسي يطلب الرجل فبينا هو يطوف فإذا هو بالرجل يصلي في بعض الشعاب فقعد حتى صلى ثم قال: يا ذا الرجل أما تتقي الله؟ قال: بلى، قال: أما تعرفه؟ قال: بلى، قال: فانطلق معي إلى الأمير فقد آلى أن يقتلني إن لم آته بك، قال: ليس لي إلى ذلك من سبيل، قال: يقتلني، قال: لا، قال: كيف؟ قال: تحسن تقرأ، قال: لا، فأخرج من مزود كان معه رقًا مكتوبًا فيه شيء فقال: خذه فاجعله في جيبك فإن فيه دعاء الفرج، قال: وما دعاء الفرج؟ قال: لا يرزقه إلا الشهداء، قلت: رحمك الله قد أحسنت إليَّ فإن رأيت أن تخبرني ما هذا الدعاء وما فضله؟ قال: من دعا به مساء وصباحًا هدمت ذنوبه ودام سروره ومحيت خطاياه واستجيب دعاؤه وبسط له رزقه وأعطي أمله وأعين على عدوّه وكتب عند الله صدّيقًا ولا يموت إلا شهيدًا، تقول: اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك، وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك، وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم أمسيت فيه فرجًا ومخرجًا. اللهم إنّ عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطمعني أن أسألك ما لا أستوجبه مما قصرت فيه أدعوك آمنًا وأسألك مستأنسًا وإنك المحسن إليَّ وأنا المسيء إلى نفسي فيما بيني وبينك تتودد إليَّ بنعمك وأتبغض إليك بالمعاصي ولكن الثقة بك حملتني على الجرأة عليك فعد بفضلك وإحسانك عليَّ إنك أنت التوّاب الرحيم. قال: فأخذته فصيرته في جيبي ثم لم يكن لي هم غير أمير المؤمنين فدخلت فسلمت عليه فرفع رأسه فنظر إليَّ وتبسم ثم قال: ويلك وتحسن السحر؟ فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين، ثم قصصت عليه أمري مع الشيخ فقال: هات الرق الذي أعطاك، ثم جعل يبكي وقال: وقد نجوت، وأمر بنسخه وأعطاني عشرة آلاف، ثم قال: أتعرفه؟ قلت: لا، قال: ذلك الخضر عليه السلام.

وعن أبي عمران الجوني قال: لما ولي هارون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنوه بما صار إليه من أمر الخلافة ففتح بيوت الأموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنية، وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد، وكان يظهر النسك والتقشف، وكان مؤاخيًا لسفيان بن سعيد بن المنذر الثوري قديمًا فهجره سفيان ولم يزره، فاشتاق هارون إلى زيارته ليخلو به ويحدّثه فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولا بما صار إليه، فاشتدّ ذلك على هارون فكتب إليه كتابًا يقول فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى أخيه سفيان بن سعيد بن المنذر أما بعد، يا أخي قد علمت أنّ الله تبارك وتعالى واخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله واعلم أني قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حبلك ولم أقطع منها ودك وإني منطو لك على أفضل المحبة والإرادة، ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله لأتيتك ولو حبوًا لما أجد لك في قلبي من المحبة، واعلم يا أبا عبد الله أنه ما بقي من إخواني وإخوانك أحد إلا وقد زارني وهناني بما صرت إليه، وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي وقرت به عيني وإني استبطأتك فلم تأتني، وقد كتبت لك كتابًا شوقًا مني إليك شديدًا، وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته، فإذا ورد عليك كتابي فالعجل العجل. فلما كتب الكتاب التفت إلى من عنده فإذا كلهم يعرفون سفيان الثوري وخشونته فقال: عليَّ برجل من الباب، فأدخل عليه رجل يقال له عباد الطالقاني. فقال: يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به إلى الكوفة فإذا دخلتها فسل عن قبيلة بني ثور، ثم سل عن سفيان الثوري فإذا رأيته فالقِ كتابي هذا إليه وع بسمعك وقلبك جميع ما يقول فأحص عليه دقيق أمره وجليله لتخبرني به. فأخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسأل عن القبيلة فأرشد إليها ثم سأل عن سفيان فقيل له: هو في المسجد. قال عباد: فأقبلت إلى المسجد فلما رآني قام قائمًا وقال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير. قال عباد: فوقعت الكلمة في قلبي فجرحت، فلما رآني نزلت بباب المسجد قام يصلي ولم يكن وقت صلاة، فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت فإذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤوسهم كأنهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من عقوبته، فسلمت فما رفع أحد إليَّ رأسه وردوا السلام عليَّ برءوس الأصابع، فبقيت واقفًا فما منهم أحد يعرض عليَّ الجلوس وقد علاني من هيبتهم الرعدة ومددت عيني إليهم فقلت: إن المصلي هو سفيان فرميت بالكتاب إليه. فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأن حية عرضت له في محرابه فركع وسجد وسلم وأدخل يده في كمه ولفها بعباءته وأخذه، فقلبه بيده ثم رماه إلى من كان خلفه وقال: يأخذه بعضكم يقرؤه فإني أستغفر الله أن أمسَّ شيئًا مسَّه ظالم بيده. قال عباد: فأخذه بعضهم فحله كأنه خائف من فم حية تنهشه، ثم فضه وقرأه، وأقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته قال: اقلبوه واكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه، فقيل له: يا أبا عبد الله إنه خليفة فلو كتبت إليه في قرطاس نقي. فقال: اكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه فإن كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به، وإن كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ولا يبقى شيء مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا، فقيل له: ما نكتب؟ فقال: اكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم، من العبد المذنب سفيان بن سعيد بن المنذر الثوري إلى العبد المغرور بالآمال هارون الرشيد الذي سُلب حلاوة الإيمان. أما بعد: فإني قد كتبت إليك أعرّفك أني قد صرمت حبلك

وقطعت ودك وقليت موضعك فإنك قد جعلتني شاهدًا عليك بإقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فأنفقته في غير حقه وأنفذته في غير حكمه، ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناء عني حتى كتبت إليَّ تشهدني على نفسك. أما إني قد شهدت عليك أنا وإخواني الذين شهدوا قراءة كتابك وسنؤدي الشهادة عليك غدًا بين يدي الله تعالى، يا هارون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في أرض الله تعالى والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل؟ أم رضي بذلك حملة القرآن وأهل العلم والأرامل والأيتام؟ أم هل رضي بذلك خلق من رعيتك؟ فشدّ يا هارون مئزرك وأعد للمسألة جوابًا وللبلاء جلبابًا، واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم العدل فقد رزئت في نفسك إذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ القرآن ومجالسة الأخيار، ورضيت لنفسك أن تكون ظالمًا وللظالمين إمامًا، يا هارون قعدت على السرير ولبست الحرير وأسبلت سترًا دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين، ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك، يظلمون الناس ولا ينصفون يشربون الخمور ويضربون من يشربها ويزنون ويحدون الزاني؟ ويسرقون ويقطعون السارق أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس؟ فكيف بك يا هارون غدًا إذا نادى المنادي من قبل الله تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾[الصافات:٢٢] أي الظلمة وأعوان الظلمة فقدمت بين يدي الله تعالى ويداك مغلولتان إلى عنقك لا يفكهما إلا عدلك وإنصافك، والظالمون حولك وأنت لهم سابق وإمام إلى النار، كأني بك يا هارون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت المساق وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانك زيادة عن سيئاتك، بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة، فاحتفظ بوصيتي واتعظ بموعظتي التي وعظتك بها، واعلم أني قد نصحتك وما أبقيت لك في النصح غاية، فاتق الله يا هارون في رعيتك واحفظ محمدًاﷺ في أمته وأحسن الخلافة عليهم، واعلم أن هذا الأمر لو بقي لغيرك لم يصل إليك وهو صائر إلى غيرك وكذا الدنيا تنتقل بأهلها واحد بعد واحد، فمنهم من تزود زادًا نفعه، ومنهم من خسر دنياه وآخرته، وإني أحسبك يا هارون ممن خسر دنياه وآخرته فإياك إياك أن تكتب لي كتابًا بعد هذا فلا أجيبك عنه والسلام.

قال عباد: فألقى إليَّ الكتاب منشورًا غير مطوي ولا مختوم فأخذته وأقبلت إلى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة من قلبي فناديت: يا أهل الكوفة، فأجابوني فقلت لهم: يا قوم من يشتري رجلًا هرب من الله إلى الله؟ فأقبلوا إليَّ بالدنانير والدراهم، فقلت: لا حاجة لي في المال ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية، قال: فأتيت بذلك ونزعت ما كان عليَّ من اللباس الذي كنت ألبسه مع أمير المؤمنين، وأقبلت أقود البرذون وعليه السلاح الذي كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هارون حافيًا راجلًا، فهزأ بي من كان على باب الخليفة. ثم استؤذن لي فلما دخلت عليه وبصر بي على تلك الحالة قام وقعد، ثم قام قائمًا وجعل يلطم

رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحزن ويقول: انتفع الرسول وخاب المرسل ما لي وللدنيا ما لي ولملك يزول عني سريعًا؟ ثم ألقيت الكتاب إليه منشورًا كما دفع إليَّ. فأقبل هارون يقرؤه ودموعه تنحدر من عينيه ويقرأ ويشهق فقال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت إليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن كنت تجعله عبرة لغيره. فقال هارون: اتركونا يا عبيد الدنيا، المغرور من غررتموه والشقي من أهلكتموه. وإن سفيان أمة وحده فاتركوا سفيان وشأنه. ثم لم يزل كتاب سفيان إلى جنب هارون يقرؤه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله. فرحم الله عبدًا نظر لنفسه واتقى الله فيما يقدم عليه غدًا من عمله فإنه عليه يحاسب وبه يجازى، والله ولي التوفيق.

وعن عبد الله بن مهران قال: حج الرشيد فوافى الكوفة فأقام بها أيامًا ثم ضرب بالرحيل، فخرج الناس، وخرج بهلول المجنون فيمن خرج بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به؛ إذ أقبلت هوادج هارون فكف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هارون نادى بأعلى صوته: يا أمير المؤمنين فكشف هارون السجاف بيده عن وجهه فقال: لبيك يا بهلول فقال: يا أمير المؤمنين، حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامري قال: رأيت النبي ﷺ منصرفًا من عرفة على ناقة له صهباء؛ لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك[1]، وتواضعك في سفرك هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك. قال: فبكى هارون حتى سقطت دموعه على الأرض، ثم قال: يا بهلول زدنا رحمك الله قال: نعم يا أمير المؤمنين، رجل آتاه الله مالًا وجمالًا فأنفق من ماله وعف في جماله كتب في خالص ديوان الله تعالى مع الأبرار. قال: أحسنت يا بهلول، ودفع له جائزة: فقال: اردد الجائزة إلى من أخذتها منه فلا حاجة لي فيها، قال: يا بهلول فإن كان عليك دين قضيناه، قال: يا أمير المؤمنين هؤلاء أهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم أن قضاء الدين بالدين لا يجوز ـ قال: يا بهلول فنجري عليك ما يقوتك أو يقيمك، قال: فرفع بهلول رأسه إلى السماء ثم قال: يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فمحال أن يذكرك وينساني. قال: فأسبل هارون السجاف ومضى.

وعن أبي العباس الهاشمي عن صالح بن المأمون قال: دخلت على الحارث المحاسبي رحمه الله فقلت له: يا أبا عبد الله هل حاسبت نفسك؟ فقال: كان هذا مرة، قلت له: فاليوم؟ قال: أكاتمٌ حالي؟ إني لأقرأ آية من كتاب الله تعالى فأضن لها أن تسمعها نفسي ولولا أن يغلبني فيها فرح ما أعلنت بها. ولقد كنت ليلة قاعدًا في محرابي فإذا أنا بفتى حسن الوجه

---

(١) حديث قدامة بن عبد الله العامري «رأيت النبي ﷺ منصرفا عن عرفة على ناقة له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك». أخرجه الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه دون قوله «منصرفا من عرفة» وإنما قالوا «يرمي الجمرة» وهو الصواب وقد تقدم في الباب الثاني [الترمذي: ٩٠٣، النسائي: ٣٠٦١، ابن ماجه: ٣٠٣٥، انظر صحيح الترغيب: ١١٢٥].

طيب الرائحة فسلم عليَّ ثم قعد بين يدي فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا واحد من السياحين أقصد المتعبدين في محاريبهم ولا أرى لك اجتهادًا فأي شيء عملك؟ قال: قلت له: كتمان المصائب واستجلاب الفوائد، قال: فصاح وقال: ما علمت أن أحدًا بين جنبي المشرق والمغرب هذه صفته؟ قال الحارث: فأردت أن أزيد عليه فقلت له: أما علمت أن أهل القلوب يخفون أحوالهم ويكتمون أسرارهم ويسألون الله كتمان ذلك عليهم فمن أين تعرفهم؟ قال: فصاح صيحة غشي عليه منها فمكث عندي يومين لا يعقل، ثم أفاق وقد أحدث في ثيابه، فعلمت إزالة عقله فأخرجت له ثوبًا جديدًا وقلت له: هذا كفني قد آثرتك به فاغتسل وأعد صلاتك فقال: هات الماء فاغتسل وصلى ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له: أين تريد؟ فقال لي: قم معي، فلم يزل يمشي حتى دخل على المأمون فسلم عليه وقال: يا ظالم أنا ظالم إن لم أقل لك يا ظالم، أستغفر الله من تقصيري فيك، أما تتقي الله تعالى فيما قد ملّكك؟ وتكلم بكلام كثير ثم أقبل يريد الخروج وأنا جالس بالباب فأقبل عليه المأمون وقال: من أنت؟ قال: أنا رجل من السياحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلي فلم أجد لنفسي فيه حظًا فتعلقت بموعظتك لعلي ألحقهم، قال: فأمر بضرب عنقه، فأخرج وأنا قاعد على الباب ملفوفًا في ذلك الثوب ومنادٍ ينادي: من ولي هذا فليأخذه، قال الحارث: فاختبأت عنه فأخذه أقوام غرباء فدفنوه وكنت معهم لا أعلمهم بحاله. فأقمت في مسجد بالمقابر محزونًا على الفتى فغلبتني عيناي فإذا هو بين وصائف لم أر أحسن منهن وهو يقول: يا حارث أنت والله من الكاتمين الذين يخفون أحوالهم ويطيعون ربهم، قلت: وما فعلوا؟ قال الساعة يلقونك، فنظرت إلى جماعة ركبان فقلت: من أنتم؟ قالوا: الكاتمون أحوالهم حرك هذا الفتى كلامك له فلم يكن في قلبه مما وصفت شيء فخرج للأمر والنهي وإن الله تعالى أنزله معنا وغضب لعبده.

وعن أحمد بن إبراهيم المقري قال: كان أبو الحسين النوري رجلًا قليل الفضول لا يسأل عما لا يعنيه ولا يفتش عما لا يحتاج إليه، وكان إذا رأى منكرًا غيره ولو كان فيه تلفه، فنزل ذات يوم إلى مشرعة تعرف بمشرعة الفحامين يتطهر للصلاة إذ رأى زورقًا فيه ثلاثون دنًا مكتوب عليها بالقار «لطف» فقرأه وأنكره لأنه لم يعلم في التجارات ولا في البيوع شيئًا يعبر عنه بلطف. فقال للملاح: إيش في هذه الدنان؟ قال: وإيش عليك امض في شغلك؟ فلما سمع النوري من الملاح هذا القول ازداد تعطشًا إلى معرفته فقال: أحب أن تخبرني إيش في هذه الدنان؛ قال: وإيش عليك أنت والله صوفي فضولي، هذا خمر للمعتضد يريد أن يتمم به مجلسه. فقال النوري: وهذا خمر؟ قال: نعم، فقال: أحب أن تعطيني ذلك المدري، فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه: أعطه حتى أنظر ما يصنع، فلما صارت المدري في يده صعد إلى الزورق ولم يزل يكسرها دنًا دنًا حتى أتى على آخرها إلا دنًا واحدًا، والملاح يستغيث، إلى أن ركب صاحب الجسر وهو يومئذ ابن بشر أفلح فقبض على النوري وأشخصه إلى حضرة

المعتضد ، وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس في أنه سيقتله ، قال أبو الحسين: فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد وبيده عمود يقلبه فلما رآني قال: من أنت؟ قلت: محتسب، قال: ومن ولاك الحسبة؟ قلت: الذي ولاك الإمامة ولاني الحسبة يا أمير المؤمنين، قال: فأطرق إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إليّ وقال: ما الذي حملك على ما صنعت؟ فقلت: شفقة مني عليك إذا بسطت يدي إلى صرف مكروه عنك فقصرت عنه. قال فأطرق مفكرًا في كلامي ثم رفع رأسه إليّ وقال: كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان؟ فقلت: في تخلصه علة أخبر بها أمير المؤمنين إن أذن، فقال: هات خبرني، فقلت: يا أمير المؤمنين إني أقبلت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه لي بذلك وغمر قلبي شاهد الإجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عني، فأقدمت عليها بهذه الحال إلى أن صرت إلى هذا الدنّ، فاستشعرت نفسي كبرًا على أني أقدمت على مثلك فمنعت ولو أقدمت عليه بالحال الأوّل وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أبال، فقال المعتضد: اذهب فقد أطلقنا يدك غير ما أحببت أن تغيره من المنكر. قال أبو الحسين فقلت: يا أمير المؤمنين بغض إلي التغيير لأني كنت أغير عن الله تعالى وأنا الآن أغير عن شرطي فقال المعتضد: ما حاجتك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين تأمر بإخراجي سالمًا فأمر له بذلك وخرج إلى البصرة، فكان أكثر أيامه بها خوفًا من أن يسأله أحد حاجة يسألها المعتضد، فأقام بالبصرة إلى أن توفي المعتضد ثم رجع إلى بغداد.

فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لكونهم اتكلوا على فضل الله تعالى أن يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة، فلما أخلصوا لله النية أثر كلامهم في القلوب القاسية فلينها وأزال قساوتها. وأما الآن فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا، ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا. ففساد الرعايا بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء، وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه، ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل، فكيف على الملوك والأكابر؟ والله المستعان على كل حال.

تم كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

* * *

كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة

وهو الكتاب العاشر: من ربع العادات الثاني من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه وترتيبه، وأدب نبيه محمدًا ﷺ فأحسن تأديبه، وزكى أوصافه وأخلاقه ثم اتخذه صفيه وحبيبه، ووفق للاقتداء به من أراد تهذيبه؛ وحرم عن التخلق بأخلاقه من أراد تخييبه، وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم كثيرًا.

أما بعد: فإن آداب الظواهر عنوان آداب البواطن، وحركات الجوارح ثمرات الخواطر، والأعمال نتيجة الأخلاق والآداب رشح المعارف، وسرائر القلوب هي مغارس الأفعال ومنابعها، وأنوار السرائر هي التي تشرق على الظواهر فتزينها وتجليها، وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساويها. ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه. ومن لم يكن صدره مشكاة الأنوار الإلهية لم يفض على ظاهره جمال الآداب النبوية، ولقد كنت عزمت على أن أختم ربع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة لئلا يشق على طالبها استخراجها من جميع هذه الكتب، ثم رأيت كل كتاب من ربع العادات قد أتى على جملة من الآداب فاستثقلت تكريرها وإعادتها، فإن طلب الإعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة المعادات، فرأيت أن أقتصر في هذا الكتاب على ذكر آداب رسول الله ﷺ وأخلاقه المأثورة عنه بالإسناد، فأسردها مجموعة فصلًا فصلًا محذوفة الأسانيد ليجتمع فيه مع جميع الآداب تجديد الإيمان وتأكيده بمشاهدة أخلاقه الكريمة التي شهد آحادها على القطع بأنه أكرم خلق الله تعالى وأعلاهم رتبة وأجلهم قدرًا فكيف مجموعها؟ ثم أضيف إلى ذكر أخلاقه ذكر خلقته، ثم ذكر معجزاته التي صحت بها الأخبار ليكون ذلك معربًا عن مكارم الأخلاق والشيم، منتزعًا عن آذان الجاحدين لنبوّته صمام الصمم. والله تعالى ولي التوفيق للاقتداء بسيد المرسلين في الأخلاق والأحوال وسائر معالم الدين فإنه دليل المتحيرين ومجيب دعوة المضطرين. ولنذكر فيه أولًا بيان تأديب الله تعالى إياه بالقرآن، ثم بيان جوامع من محاسن أخلاقه، ثم بيان جملة من آدابه وأخلاقه، ثم بيان كلامه وضحكه، ثم بيان أخلاقه وآدابه في الطعام، ثم بيان أخلاقه وآدابه في اللباس، ثم بيان عفوه مع القدرة ثم بيان إغضائه عما كان يكره، ثم بيان سخاوته وجوده، ثم بيان شجاعته وبأسه، ثم بيان تواضعه، ثم بيان صورته وخلقته، ثم بيان جوامع معجزاته وآياته ﷺ

* * *

بيان تاديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمدًا ﷺ بالقرآن:

كان رسول الله ﷺ كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال من الله تعالى أن يزينه بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق، فكان يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ حَسِّنْ خَلْقِي وَخُلُقِي»(١)، ويقول: «اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الأَخْلاَقِ»(٢)، فاستجاب الله تعالى دعاءه وفاء بقوله عز وجل: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠] فأنزل عليه القرآن وأدبه به فكان خُلُقه القرآن.

قال سعد بن هشام: دخلت على عائشة رضي الله عنها وعن أبيها فسألتها عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت: أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: «كان خُلُق رسول الله ﷺ القرآن»(٣).

وإنما أدبه القرآن بمثل قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩] وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ [النحل:٩٠] وقوله: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان:١٧] وقوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى:٤٣] وقوله: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:١٣] وقوله: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور:٢٢] وقوله: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤] وقوله: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤] وقوله: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات:١٢]، ولما كسرت رباعيته وشج يوم أُحُد فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم ويقول: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَّبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالدَّمِ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ»(٤)،

---

*٢*كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة

(١) صحيح: حديث: كان يقول في دعائه «اللهم حسن خلقي وخلقي». أخرجه أحمد من حديث ابن مسعود ومن حديث عائشة ولفظهما «اللهم أحسنت خلقي فأحسن خلقي» وإسنادهما جيد وحديث ابن مسعود رواه ابن حبان [أحمد: ٣٨١٣، انظر صحيح الترغيب: ٢٦٥٧].

(٢) صحيح: حديث «اللهم جنبني منكرات الأخلاق». أخرجه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه واللفظ له من حديث قطبة بن مالك وقال الترمذي «اللهم إني أعوذ بك» [الترمذي: ٣٥٩١، انظر صحيح الجامع: ١٢٩٨].

(٣) صحيح: حديث سعد بن هشام: دخلت على عائشة فسألتها عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن.

رواه مسلم ووهم الحاكم في قوله إنهما لم يخرجاه [مسلم: ٧٤٦].

(٤) صحيح: حديث: كسرت رباعيته وشج ﷺ يوم أحد فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم ويقول «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم» فأنزل الله تعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨]

فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨] تأديبًا له على ذلك.

وأمثال هذه التأديبات في القرآن لا تحصر وهو عليه السلام المقصود الأول بالتأديب والتهذيب، ثم منه يشرق النور على كافة الخلق فإنه أدب بالقرآن وأدب الخلق به، ولذلك قال ﷺ: «بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ»(١). ثم رغب الخلق في محاسن الأخلاق بما أوردناه في كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق فلا نعيده، ثم لما أكمل الله تعالى خلقه أثنى عليه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] فسبحانه ما أعظم شأنه وأتم امتنانه، ثم انظر إلى عميم لطفه وعظيم فضله كيف أعطى ثم أثنى؟ فهو الذي زينه بالخلق الكريم ثم أضاف إليه ذلك فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] ثم بيَّن رسول الله ﷺ للخلق أن الله يحب مكارم الأخلاق ويبغض سفسافها(٢) قال علي رضي الله عنه: يا عجبًا لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلًا فلو كان لا يرجو ثوابًا ولا يخشى عقابًا لقد كان ينبغي له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق، فإنها مما تدل على سبيل النجاة. فقال له رجل: أسمعته من رسول الله ﷺ؟ فقال: نعم وما هو خير منه لما أتى بسبايا طيىء وقفت جارية في السبي فقالت: يا محمد إن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإني بنت سيد قومي وإن أبي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتم الطائي. فقال ﷺ: «يَا جَارِيَةُ هذِهِ صِفَةُ المُؤْمِنِينَ حَقًّا لَوْ كَانَ أَبُوكِ مُسْلِمًا لَتَرَحَّمْنا عَلَيْهِ خَلُّوا عَنْها فَإِنَّ أَبَاهَا كَانَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ وَإِنَّ الله يُحِبُّ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ» فقام أبو بردة بن نيار فقال: يا رسول الله، الله يحب مكارم الأخلاق؟ فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلاَّ حَسَنُ الأَخْلاَقِ»(٣)، وعن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ

أخرجه مسلم من حديث أنس وذكره البخاري تعليقا [أخرجه البخاري تعليقًا عقب حديث: ٤٠٦٨، مسلم متصلًا: ١٧٩١].

(١) صحيح: حديث «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». أخرجه أحمد والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة قال الحاكم صحيح على شرط مسلم وقد تقدم في آداب الصحبة [أحمد: ٨٧٢٩، انظر صحيح الجامع: ٢٨٣٣].

(٢) صحيح: حديث «إن الله يحب معالي الأخلاق ويبغض سفسافها». أخرجه البيهقي من حديث سهل بن سعد متصلا ومن رواية طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلا ورجالهما ثقات [انظر السلسلة الصحيحة: ١٣٧٨].

(٣) موضوع: حديث علي قوله: واعجبا لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لقد كان ينبغي أن يسارع إلى مكارم الأخلاق فإنها مما تدل على سبيل النجاة. فقال له رجل: أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟ فقال نعم وما هو خير منه لما أتى بسبايا طيء وقفت جارية في السبي فقالت: يا محمد إني رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإني بنت سيد قومي وإن أبي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتم الطائي. فقال ﷺ «يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق وإن الله يحب مكارم الأخلاق» فقام أبو بردة بن نيار

قال: «إِنَّ اللهَ حَفَّ الإِسْلاَمَ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ»(١) ، ومن ذلك حسن المعاشرة، وكرم الصنيعة، ولين الجانب، وبذل المعروف، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، وعيادة المريض المسلم برًا كان أو فاجرًا، وتشييع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاورت - مسلمًا كان أو كافرًا - وتوقير ذي الشيبة المسلم، وإجابة الطعام، والدعاء عليه والعفو والإصلاح بين الناس، والجود والكرم والسماحة، والابتداء بالسلام، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، واجتناب ما حرّمه الإسلام من اللهو والباطل والغناء والمعازف كلها وكل ذي وتر وكل ذي دخل والغلبة والكذب والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة والنميمة، وسوء ذات البين، وقطيعة الأرحام، وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة والبذخ والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغي والعدوان والظلم. قال أنس رضي الله عنه: فلم يدع نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها ولم يدع غشًا - أو قال عيبًا، أو قال شيئًا - إلا حذرَناه ونهانا عنه(٢) . ويكفي من ذلك كله هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] الآية. وقال معاذ: أوصاني رسول الله ﷺ فقال: «يَا مَعَاذُ أُوصِيكَ بِاتِّقَاءِ اللهِ وَصِدْقِ الحَدِيثِ وَالوَفَاءِ بِالعَهْدِ وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ وَتَرْكِ الخِيَانَةِ وَحِفْظِ الجَارِ وَرَحْمَةِ اليَتِيمِ وَلِينِ الكَلاَمِ وَبَذْلِ السَّلاَمِ وَحُسْنِ العَمَلِ وَقِصَرِ الأَمَلِ وَلُزُومِ الإِيمَانِ وَالتَّفَقُّهِ فِي القُرْآنِ وَحُبِّ الآخِرَةِ وَالجَزَعِ مِنَ الحِسَابِ وَخَفْضِ الجَنَاحِ، وَأَنْهَاكَ أَنْ تَسُبَّ حَكِيمًا أَوْ تُكَذِّبَ صَادِقًا أَوْ تُطِيعَ آثِمًا أَوْ تَعْصِيَ إِمَامًا عَادِلًا أَوْ تُفْسِدَ أَرْضًا، وَأُوصِيكَ بِاتِّقَاءِ اللهِ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وَشَجَرٍ وَمَدَرٍ، وَأَنْ تُحْدِثَ لِكُلِّ ذَنْبٍ تَوْبَةً السِّرُّ بِالسِّرِّ وَالعَلاَنِيَةُ بِالعَلاَنِيَةِ»(٣) ، فهكذا أدب عباد الله ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب.

* * *

فقال: يا رسول الله، الله يحب مكارم الأخلاق؟ فقال «والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق». أخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول بإسناد فيه ضعف [انظر السلسلة الضعيفة: ٥٣٩٧].

(١) حديث معاذ «حف الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال». بطوله لم أقف له على أصل ويغني عنه حديث معاذ الآتي بعده بحديث.

(٢) حديث أنس «لم يدع ﷺ نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها». لم أقف له على إسناد وهو صحيح من حيث الواقع.

(٣) ضعيف: حديث «يا معاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة - وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل ولزوم الإيمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح، وأنهاك أن تسب حكيما أو تكذب صادقا أو تطيع آثما وتعصي إماما عادلا أو تفسد أرضنا وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر، وأن تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية». أخرجه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الزهد وقد تقدم في آداب الصحبة [انظر ضعيف الترغيب: ١٨٤١].

بيان جملة من محاسن أخلاقه التي جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار:

فقال: كان ﷺ أحلم الناس[(١)]، وأشجع الناس[(٢)]، وأعدل الناس[(٣)]، وأعف الناس لم تمس يده قط يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه[(٤)]، وكان أسخى الناس[(٥)]، لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل شيء ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل لم يأوِ إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه[(٦)]، لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله[(٧)]، لا يسأل شيئًا إلا

---

(١) حديث «كان ﷺ أحلم الناس». أخرجه أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله ﷺ من رواية عبد الرحمن بن أبزى: كان رسول الله عليه وسلم من أحلم الناس... الحديث. وهو مرسل. وروى أبو حاتم بن حبان من حديث عبد الله بن سلام في قصة إسلام زيد بن شعثة من أحبار اليهود وقول زيد لعمر بن الخطاب: يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله صلى عليه وسلم حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما فقد اختبرتهما... الحديث».

(٢) صحيح: حديث «أنه كان أشجع الناس». متفق عليه من حديث أنس [البخاري: ٢٨٢٠، مسلم: ٢٣٠٧].

(٣) حديث «كان أعدل الناس». أخرجه الترمذي في الشمائل من حديث علي بن أبي طالب في الحديث الطويل في صفته ﷺ: لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه وفيه. قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء... الحديث. وفيه من لم يسم [انظر الشمائل: ص ٢٣].

(٤) صحيح: حديث «كان أعف الناس لم تمس يده قط يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم له». أخرجه الشيخان من حديث عائشة: ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة يملكها [البخاري: ٧٢١٤، مسلم: ١٨٦٦].

(٥) حديث «كان ﷺ أسخى الناس». أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أنس «فضلت على الناس بأربع: بالسخاء والشجاعة...» الحديث [انظر السلسلة الضعيفة: ١٥٩٧، وقال الألباني: باطل]. ورجاله ثقات. وقال صاحب الميزان إنه منكر وفي الصحيحين من حديثه: كان رسول الله ﷺ أجود الناس واتفقا عليه من حديث ابن عباس. وتقدم في الزكاة [البخاري: ٢٨٢٠، مسلم: ٢٣٠٧ عن أنس، البخاري: ٦، مسلم: ٢٣٠٨عن ابن عباس].

(٦) حديث: كان لا يبيت عنده دينار ولا درهم قط، وإن فضل ولم يجد من يعطيه وفَجَأَهُ الليلُ، لم يأو إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه.

أخرجه أبو داود من حديث بلال في حديث طويل فيه: أهدى صاحب فدك لرسول الله ﷺ أربع ركائب عليهن كسوة وطعام وبيع بلال لذلك ووفاء دينه ورسول الله ﷺ قاعد في المسجد وحده [أبي داود: ٣٠٥٥، انظر صحيح أبي داود]. وفيه: قال «فضل شيء» قلت: نعم، ديناران قال «انظر أن تريحني منهما فلست بداخل على أحد من أهلي حتى تريحني منهما» فلم يأتنا أحد فبات في المسجد حتى أصبح وظل في المسجد اليوم الثاني حتى إذا كان في آخر النهار جاء راكبان فانطلقت بهما فكسوتهما وأطعمتهما حتى إذا صلى العتمة دعاني فقال: «ما فعل الذي قبلك؟» قلت: قد أراحك الله منه فكبر وحمد الله شفقا من أن يدركه الموت وعنده ذلك ثم اتبعته حتى جاء أزواجه... الحديث. وللبخاري من حديث عقبة بن الحارث: ذكرت وأنا في الصلاة فكرهت أن يمسي ويبيت عندنا فأمرت بقسمته. ولأبي عبيد في غريبه من حديث الحسن بن محمد مرسلا: كان لا يقبل مالا عنده ولا يبيته [البخاري: ١٢٢١].

(٧) صحيح: حديث: كان لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع

أعطاه[١] ، ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى إنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء[٢] ، وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله[٣] ، ويقطع اللحم معهن[٤]، وكان أشدّ الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد[٥] ، ويجيب دعوة العبد والحر[٦] ، ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافىء عليها[٧] ، ويأكلها ولا

سائر ذلك في سبيل الله.

متفق عليه نحوه من حديث عمر بن الخطاب وقد تقدم في الزكاة [**البخاري: ٥٣٥٧، مسلم: ١٧٥٧**].

(١) صحيح: حديث: كان لا يسأل شيئا إلا أعطاه [**انظر: السلسلة الصحيحة: ٢١٠٩**].

أخرجه الطيالسي والدارمي من حديث سهل بن سعد وللبخاري من حديثه: في الرجل الذي سأله الشملة فقيل له سألته إياها وقد علمت أنه لا يرد سائلا... الحديث [**البخاري: ٦٠٣٦**]. ولمسلم من حديث أنس: ما سئل على الإسلام شيئا إلا أعطا [**مسلم: ٢٣١٢**]. وفي الصحيحين من حديث جابر: ما سئل شيئا قط فقال: لا [**البخاري: ٦٠٣٤، مسلم: ٢٣١٢**].

(٢) صحيح: حديث: أنه كان يؤثر مما ادخر لعياله حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام. هذا معلوم ويدل عليه ما رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عباس: أنه ﷺ توفي ودرعه مرهونة بعشرين صاعا من طعام أخذه لأهله [**الترمذي: ١٢١٤، والنسائي: ٤٦٥١، وابن ماجه: ٢٤٣٩، انظر صحيح الترمذي**]. وقال ابن ماجه بثلاثين صاعا من شعير. وإسناده جيد وللبخاري من حديث عائشة: توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين. [**البخاري: ٢٩١٦**] وفي رواية البيهقي: بثلاثين صاعا من شعير .

(٣) صحيح: حديث: وكان ﷺ يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله.

أخرجه أحمد من حديث عائشة: كان يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته [**أحمد: ٢٤٢٢٨، انظر صحيح الجامع: ٤٩٣٧**]. ورجاله رجال الصحيح ورواه أبو الشيخ بلفظ: ويرقع الثوب. وللبخاري من حديث عائشة: كان يكون في مهنة أهله [**البخاري: ٦٧٦**].

(٤) صحيح: حديث: أنه كان يقطع اللحم.

أخرجه أحمد من حديث عائشة: أرسل إلينا آل أبي بكر بقائمة شاة ليلا فأمسكت وقطع رسول الله ﷺ - أو قالت - فأمسك رسول الله ﷺ وقطعت [**أحمد: ٢٤١١٠، انظر صحيح الترغيب: ٣٢٧٦**]. وفي الصحيحين من حديث عبد الرحمن ابن أبي بكر في أثناء حديث: وأيم الله ما من الثلاثين ومائة إلا حز له رسول الله ﷺ من سواد بطنها [**البخاري: ٢٦١٨، مسلم: ٢٠٥٦**].

(٥) حديث: كان من أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد.

أخرجه الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها [**البخاري: ٣٥٦٢، مسلم: ٢٣٢٠**].

(٦) حديث: كان يجيب دعوة العبد والحر.

أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث أنس: كان يجيب دعوة المملوك. قال الحاكم صحيح الإسناد [**الترمذي: ١٠١٧، ابن ماجه: ٢٢٩٦، انظر صحيح الجامع: ٤٩٤**] . قلت: بل ضعيف وللدارقطني في غرائب مالك وضعفه والخطيب في أسماء من روى عن مالك من حديث أبي هريرة: كان يجيب دعوة العبد إلى أي طعام دعي ويقول «لو دعيت إلى كراع لأجبت» [**البخاري: ٢٥٦٨**]. وهذا بعمومه دال على إجابة دعوة الحر وهذه القطعة الأخيرة عند البخاري من حديث أبي هريرة وقد تقدم وروى ابن سعد من رواية حمزة بن عبد الله بن عتبة: كان لا يدعوه أحمر ولا أسود من الناس إلا أجابه... الحديث. وهو مرسل.

(٧) حديث: كان يقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها.

أخرجه البخاري من حديث عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها [**البخاري: ٢٥٨٥**] . وأما ذكر: جرعة اللبن، وفخذ الأرنب، ففي الصحيحين من حديث أم الفضل: أنها أرسلت بقدح لبن إلى النبي ﷺ وهو

يأكل الصدقة[١] ، ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين[٢] ، يغضب لربه ولا يغضب لنفسه[٣] ، وينفذ الحق وإن عاد ذلك عليه بالضرر أو على أصحابه. وعرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيده في عدد من معه فأبى وقال: أنا لا أنتصر بمشرك[٤] ، وجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلًا بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وإن بأصحابه لحاجة إلى بعير واحد يتقوون به[٥] ، وكان يعصب الحجر على بطنه مرة من الجوع[٦] ومرة يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع من مطعم حلال وإن وجد تمرًا دون خبز أكله[٧] ، وإن وجد شواء أكله وإن وجد

واقف بعرفة فشربه [البخاري: ٥٦١٨، مسلم: ١١٢٣] . ولأحمد من حديث عائشة: أهدت أم سنبلة لرسول الله ﷺ لبنا... الحديث [أحمد: ٢٤٤٨٩] . وفي الصحيحين من حديث أنس: أن أبا طلحة بعث بورك أرنب أو فخذها إلى رسول الله ﷺ فقبله [البخاري: ٢٥٧٢، مسلم: ١٩٥٣].

(١) صحيح: حديث «كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة». متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم [البخاري: ٢٥٧٦، مسلم: ١٠٧٧].

(٢) حديث «كان لا يستكبر أن يمشي مع المسكين». أخرجه النسائي والحاكم من حديث عبد الله بن أبي أوفي بسند صحيح وقد تقدم في الباب الثاني من آداب الصحبة ورواه الحاكم أيضا من حديث أبي سعيد الخدري وقال صحيح على شرط الشيخين.

(٣) حديث «كان يغضب لربه ولا يغضب لنفسه». أخرجه الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة وفيه: وكان لا تغضبه الدنيا وما كان منها فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها. وفيه من لم يسم.

(٤) صحيح: حديث: وينفذ الحق وإن عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيد في عدد من معه فأبى وقال «أنا لا أستنصر بمشرك». أخرجه مسلم عائشة: خرج رسول الله ﷺ فلما كان بِحَرّةِ الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ففرح به أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه فلما أدركه قال جئت لأتبعك وأصيب معك فقال له «أتؤمن بالله ورسوله» قال: لا. قال: «فارجع فلن أستعين بمشرك...» الحديث [مسلم: ١٨١٧].

(٥) صحيح: حديث: وجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحِف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وإن بأصحابه لحاجة إلى بعير واحد يتقوون به.

متفق عليه من حديث سهل بن أبي حثمة ورافع بن خديج والرجل الذي وجد مقتولا هو عبد الله بن سهل الأنصاري [البخاري: ٣١٧٣، مسلم: ١٦٦٩ عن سهل بن أبي حثمة، والبخاري: ٦١٤٢، مسلم: ١٦٦٩ عن رافع بن خديج].

(٦) حديث كان يعصب الحجر على بطنه من الجوع [البخاري: ٤١٠١، مسلم: ٢٠٣٩].

متفق عليه من حديث جابر في قصة حفر الخندق وفيه: فإذا رسول الله ﷺ شد على بطنه حجرا، وأغرب ابن حبان فقال في صحيحه إنما هو الحجز - بضم الحاء وآخره زاي: جمع حجزة - وليس بمتابع على ذلك. ويرد على ذلك ما رواه الترمذي من حديث أبي طلحة: شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين. ورجاله كلهم ثقات [الترمذي: ٢٣١٧، انظر ضعيف الترغيب: ١٩٠٧].

(٧) حديث: كان يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع من مطعم حلال إن وجد تمرا دون خبز أكله وإن وجد خبز بر أو شعير أكله وإن وجد حلوا أو عسلا أكله وإن وجد لبنا دون خبز اكتفى به وإن وجد بطيخا أو رطبا أكله. انتهى. هذا كله معروف من أخلاقه ففي الترمذي من حديث أم هانئ دخل على النبي ﷺ فقال «أعندك

خبز برّ أو شعير أكله وإن وجد حلوًا أو عسلًا أكله، وإن وجد لبنًا دون خبز اكتفى به وإن وجد بطيخًا أو رطبًا أكله، لا يأكل متكئًا[١] ، ولا على خوان[٢] منديله باطن قدميه[٣] ، لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية[٤] ، حتى لقي الله تعالى إيثارًا على نفسه لا فقرًا ولا بخلًا يجيب الوليمة[٥] ويعود المرضى[٦] ، ويشهد الجنائز ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس[٧] ، أشدّ

شيء» [انظر الشمائل: ١٤٦، وحسنه الألباني] . قلت: لا، إلا خبز يابس وخل فقال: «هات» الحديث، وقال حسن غريب وفي كتاب الشمائل لأبي الحسن بن الضحاك بن المقري من رواية الأوزاعي قال: قال رسول الله ﷺ «ما أبالي ما رددت به الجوع» [انظر السلسلة الضعيفة: ٢٣٧٤]، وهذا معضل، ولمسلم من حديث جابر: أن النبي ﷺ سأل أهله الأدم فقالوا: ما عندنا إلا خل، فدعا به... الحديث [مسلم: ٢٠٥٢] . وله من حديث أنس: رأيته مقعيا يأكل تمرات [مسلم: ٢٠٤٤]، والترمذي وصححه من حديث أم سلمة أنها قربت إليه جنبا مشويا فأكل منه... الحديث[الترمذي: ٥٤١٦، مسلم: ٢٩٧٠] . وللشيخين من حديث عائشة: ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعا خبز بر حتى مضى لسبيله[البخاري: ٥٤١٦، مسلم: ٢٩٧٠]. لفظ مسلم وفي رواية له: ما شبع من خبز شعير يومين متتابعين [مسلم: ٢٩٧٠]. والترمذي وصححه وابن ماجه من حديث ابن عباس: كان أكثر خبزهم الشعير[الترمذي: ٢٣٦٠، ابن ماجه: ٣٣٤٧، انظر صحيح الترغيب: ٣٢٦٤]. وللشيخين من حديث عائشة: كان يحب الحلواء والعسل [البخاري: ٥٤٣١، مسلم: ١٤٧٤]. ولهما من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ شرب لبنا فدعا بماء فمضمض [البخاري: ٢١١، مسلم: ٣٥٨]. والنسائي من حديث عائشة كان يأكل الرطب بالبطيخ وإسناده صحيح [أبي داود: ٣٨٣٦، الترمذي: ١٨٤٣، انظر السلسلة الصحيحة: ٥٧].

(١) صحيح: حديث: أنه كان لا يأكل متكئا [أبو داود: ٣٧٧٠، ابن ماجه: ٢٤٤، انظر السلسلة الصحيحة: ٢١٠٤].

تقدم في آداب الأكل من الباب الأول.

(٢) صحيح: حديث: أنه كان لا يأكل على خوان [البخاري: ٦٤٥].

تقدم في الباب المذكور.

(٣) ضعيف: حديث: كان منديله باطن قدمه.

لا أعرفه من فعله وإنما المعروف فيه ما رواه ابن ماجه من حديث جابر: كنا زمان رسول الله ﷺ قليلا ما نجد الطعام فإذا وجدناه لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا. وقد تقدم في الطهارة [ابن ماجه: ٣٢٨٢، انظر ضعيف ابن ماجه].

(٤) صحيح: حديث: لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله.

تقدم في جملة الأحاديث التي قبله بثلاثة أحاديث [البخاري: ٥٤١٦، مسلم: ٢٩٧٠ عن عائشة].

(٥) حديث: كان يجيب الوليمة.

هذا معروف وتقدم قوله «لو دعيت إلى كراع لأجبت» [البخاري: ٢٥٦٨]وفي الأوسط للطبراني من حديث ابن عباس: أنه كان الرجل من أهل العوالي ليدعو رسول الله ﷺ بنصف الليل على خبز الشعير فيجيب. وإسناده ضعيف.

(٦) ضعيف: حديث «كان يعود المريض ويشهد الجنازة». أخرجه الترمذي وضعفه ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أنس ورواه الحاكم من سهل بن حنيف، وقال صحيح الإسناد وفي الصحيحين عدة أحاديث من عيادته للمرضى وشهوده للجنائز [الترمذي: ١٠١٧، ابن ماجه: ٤١٧٨، انظر ضعيف الترمذي].

(٧) صحيح: حديث «كان يمشي وحده بين أعدائه بلا حارس». أخرجه الترمذي والحاكم من حديث عائشة: كان رسول الله ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧] فأخرج رأسه من القبة فقال «انصرفوا فقد عصمني الله» قال الترمذي غريب وقال الحاكم صحيح الإسناد [الترمذي: ٣٠٤٦، انظر السلسلة الصحيحة: ٢٤٨٩].

الناس تواضعًا وأسكنهم في غير كبر[١] ، وأبلغهم في غير تطويل[٢] ، وأحسنهم بشرًا[٣] ، لا يهوله شيء من أمور الدنيا[٤] ويلبس ما وجد فمرّة شملة ومرة برد حبرة يمانيًا ومرّة جبة صوف ما وجد من المباح لبس[٥] ، وخاتمه فضة[٦] ، يلبسه في خنصره الأيمن[٧] ، والأيسر[٨]

---

(١) حديث «كان أشد الناس تواضعا وأسكنهم من غير كبر». رواه أبو الحسن بن الضحاك في الشمائل من حديث أبي سعيد الخدري في صفته ﷺ: هين المؤونة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه - إلى أن قال - متواضع في غير ذلة - وفيه - ذائب الإطراق [النسائي: ١٤١٤، انظر صحيح النسائي]. وإسناده ضعيف وفي الأحاديث الصحيحة الدالة على شدة تواضعه غنية عنه منها عند النسائي من حديث ابن أبي أوفي: كان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين... الحديث. وقد تقدم وعند أبي داود من حديث البراء: فجلس وجلسنا كأن على رؤوسنا الطير... الحديث [أبي داود: ٤٧٥٣، انظر صحيح الترغيب: ٣٥٥٨]. ولأصحاب السنن من حديث أسامة بن شريك: أتيت النبي ﷺ وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير [أبي داود: ٣٨٥٥، انظر صحيح أبي داود].

(٢) حديث «كان أبلغ الناس من غير تطويل». أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة: كان يحدث حديثا لو عَدّه العادّ لأحصاه [البخاري: ٣٥٦٨، مسلم: ٢٤٩٣]. ولهما من حديثها: لم يكن يسرد الحديث كسردكم، عَلّقه البخاري ووصله مسلم، [البخاري: ٣٥٦٨، مسلم: ٢٤٩٣]. زار الترمذي: ولكنه كان يتكلم بكلام يبينه فصل، يحفظه من جلس إليه [الترمذي: ٣٦٣٩، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي]. وله في الشمائل من حديث ابن أبي هالة: يتكلم بجوامع الكلم، فصل، لا فضول ولا تقصير [انظر الشمائل ص ٢٠].

(٣) حديث «كان أحسنهم بشرا» [انظر الشمائل ص ٢٤]. أخرجه الترمذي في الشمائل من حديث علي بن أبي طالب: كان رسول الله ﷺ دائم البشر سهل الخلق... الحديث وله في الجامع من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء: ما رأيت أحدا كان أكثر تبسما من رسول الله ﷺ وقال غريب قلت: وفيه ابن لهيعة [الترمذي: ٣٦٤١، انظر صحيح الترمذي].

(٤) حديث « كان لا يهوله شيء من أمور الدنيا». أخرجه أحمد من حديث عائشة: ما أعجب رسول الله ﷺ شيء من الدنيا وما أعجبه أحد قط إلا ذو تقى وفي لفظ له: ما أعجب النبي ﷺ شيء من الدنيا إلا أن يكون فيها ذو تقى. وفيه ابن لهيعة [أحمد: ٢٣٨٧٩، ٢٣٨٨٢].

(٥) حديث «كان يلبس ما وجد: فمرة شملة ومرة حبرة ومرة جبة صوف. ما وجد من المباح لبس». أخرجه البخاري من حديث سهل بن سعد: جاءت امرأة ببردة. قال سهل: هل تدرون ما البردة؟ هي الشملة منسوج في حاشيتها وفيه: فخرج إلينا وأنها لإزاره... الحديث ولابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت [البخاري: ١٢٧٧]. أن رسول الله ﷺ صلى في شملة قد عقد عليها [ابن ماجه: ٣٥٥٢، انظر ضعيف ابن ماجه]. فيه الأحوص بن حكيم مختلف فيه وللشيخين من حديث أنس: كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ أن يلبسها الحبرة [البخاري: ٥٨١٢، مسلم: ٢٠٧٩]. ولهما من حديث المغيرة بن شعبة وعليه جبة من صوف [البخاري: ٥٧٩٩، مسلم: ٢٧٤].

(٦) صحيح: حديث «خاتمه فضة». متفق عليه من حديث أنس: اتخذ خاتما من فضة [البخاري: ٧١٦٢، مسلم: ٢٠٩٢].

(٧) صحيح: حديث «لبسه الخاتم في خنصره الأيمن» [مسلم: ٢٠٩٤]. أخرجه مسلم من حديث أنس: «أن رسول الله ﷺ لبس خاتم فضة في يمينه» وللبخاري من حديثه: فإني لأرى بريقة في خنصره [البخاري: ٥٨٧٤].

(٨) صحيح: حديث «تختمه في الأيسر». أخرجه مسلم من حديث أنس: كان خاتم النبي ﷺ في هذه - وأشار إلى الخنصر من يده اليسرى - [مسلم: ٢٠٩٥].

يردف خلفه عبده أو غيره [١]، يركب ما أمكنه مرة فرسًا ومرة بعيرًا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارًا ومرة يمشي راجلًا حافيًا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى في أقصى المدينة[٢]، يحب الطيب ويكره الرائحة الرديئة[٣]، ويجالس الفقراء[٤]، ويؤاكل المساكين[٥]، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم[٦]، يصل ذوي

---

(١) حديث إردافه خلفه عبده أو غيره: أردف ﷺ أسامة بن زيد من عرفة [البخاري: ١٥٤٤ عن أبي عباس، البخاري: ١٦٧٠، مسلم: ١٢٨٠ عن أسامة].

كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس ومن حديث أسامة، وأردف مرة أخرى على حمار وهو في الصحيحين أيضا من حديث أسامة وهو مولاه وابن مولاه [البخاري: ١٩٨٧، مسلم: ١٧٩٨]، وأردف الفضل بن عباس من المزدلفة وهو في الصحيحين أيضا من حديث أسامة ومن حديث ابن عباس والفضل بن عباس [البخاري: ١٥٤٤، مسلم: ١٢٨١ عن ابن عباس، البخاري: ١٦٧٠، مسلم: ١٢٨٠ عن أسامة]، وأردف معاذ بن جبل وابن عمر وغيرهم من الصحابة [أبي داود: ٤٩٢٥، انظر صحيح أبي داود، وقال الألباني: حسن صحيح].

(٢) صحيح: حديث: كان يركب ما أمكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة راجلا ومرة حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة، يعود المرضى في أقصى المدينة.

ففي الصحيحين من حديث أنس: ركوبه صلى الله عليه سلم فرسا لأبي طلحة [البخاري: ٢٦٢٧، مسلم: ٢٣٠٧]. ولمسلم من حديث جابر بن سمرة ركوبه الفرس عريا حين انصرف من جنازة ابن الدحداح [مسلم: ٩٦٥، والعري: أي بدون سرج للفرس]. ولمسلم من حديث سهل بن سعد: كان للنبي ﷺ فرس يقال له: اللحيف [البخاري: ٢٨٥٥ عن سهل بن سعد وانفرد به البخاري ولم أره عند مسلم]. ولهما من حديث ابن عباس: طاف النبي ﷺ في حجة الوداع على بعير [البخاري: ١٦٠٨، مسلم: ١٢٧٢]. ولهما من حديث البراء: رأيت النبي ﷺ على بغلته البيضاء يوم حنين [البخاري: ٢٨٦٤، مسلم: ١٧٧٦]. ولهما من حديث أسامة: أنه ﷺ ركب على حمار على إكاف... الحديث [البخاري: ٢٩٨٧، مسلم: ١٧٩٨]. ولهما من حديث ابن عمر: كان يأتي قباء راكبا وماشيا [البخاري: ١١٩٣، مسلم: ١٣٩٩]. ولمسلم من حديثه في عيادته ﷺ لسعد بن عبادة: فقام وقمنا معه ونحن بضعة عشر ما علينا نعال ولا خفاف ولا قلانس ولا قمص نمشي في السباخ... الحديث [مسلم: ٩٢٥].

(٣) حديث: كان يحب الطيب والرائحة الطيبة ويكره الروائح الرديئة.

أخرجه النسائي من حديث أنس [النسائي: ٣٩٣٩، انظر صحيح الجامع: ٣١٢٤]. حبب إلى النساء والطيب وأبو داود والحاكم من حديث عائشة: أنها صنعت لرسول الله ﷺ جبة من صوف فلبسها فلما عرق وجد ريح الصوف فخلعها وكان يعجبه الريح الطيبة لفظ الحاكم [صحيح أبي داود: ٤٠٧٤، وانظر صحيح أبي داود] وقال صحيح على شرط الشيخين ولابن عدي من حديث عائشة كان يكره أن يوجد منه إلا ريح طيبة.

(٤) صحيح: حديث: كان يجالس الفقراء.

أخرجه أبو داود من حديث أبي سعيد: جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين وإن بعضهم ليستر بعضا من العرى... الحديث [أبي داود: ٣٦٦٦، وانظر صحيح أبي داود]. وفيه: فجلس رسول الله ﷺ وسطنا ليعدل بنفسه فينا... الحديث. وابن ماجه من حديث خباب: وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا... الحديث في نزول قوله تعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الأنعام: ٥٢] إسنادهما حسن [ابن ماجه: ٤١٢٧، وانظر صحيح ابن ماجه].

(٥) صحيح: حديث: مؤاكلته للمساكين.

أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها [البخاري: ٦٤٥٢].

(٦) حديث: كان يكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم.

أخرجه الترمذي في الشمائل من حديث علي الطويل في صفته ﷺ: وكان من سيرته إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه

رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم(١) لا يجفو على أحد(٢) ، يقبل معذرة المعتذر إليه(٣) ، يمزح ولا يقول إلاَّ حقًا(٤) ، يضحك من غير قهقهة(٥) ، يرى اللعب المباح فلا ينكره(٦) يسابق أهله(٧) ، وترفع الأصوات عليه فيصبر(٨) ، وكان له لقاحٍ وغنم يتقوت هو

على قدر فضلهم في الدين [انظر الشمائل ص ٢٢]. وفيه. ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم... الحديث. وللطبراني من حديث جرير في قصة إسلامه. فألقى إلى كسائه ثم أقبل على أصحابه ثم قال إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه [انظر صحيح الجامع : ٢٦٩ ، وحسنه الألباني]. وإسناده جيد ورواه الحاكم من حديث معبد بن خالد الأنصاري عن أبيه نحوه وقال صحيح الإسناد.

(١) حديث: كان يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم.

أخرجه الحاكم من حديث ابن عباس. كان يجل العباس إجلال الولد للوالد [انظر السلسلة الضعيفة : ٤٢٦٤]. وله من حديث سعد بن وقاص: أنه أخرج عمه العباس وغيره من المسجد فقال له العباس تخرجنا ونحن عصبتك وعمومتك وتسكن عليا فقال «ما أنا أخرجكم وأسكنه ولكن الله أخرجكم وأسكنه» قال في الأول صحيح الإسناد وسكت عن الثاني وفيه مسلم الملائي ضعيف [انظر السلسلة الضعيفة : ٤٩٥٢ ، قال الألباني : ضعيف جدًا]. فآثر عليا لفضله بتقدم إسلامه وشهوده بدرا والله أعلم وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر [البخاري : ٤٦٦ ، مسلم : ٢٣٨٢].

(٢) حديث: كان لا يجفو على أحد.

رواه أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي في اليوم والليلة من حديث أنس: كان قلما يواجه رجلا بشيء يكرهه [أبي داود : ٤١٨٢ ، الشمائل : ٢٩٧ ، وانظر السلسلة الضعيفة : ٤٢٥] وفيه ضعف وللشيخين من حديث أبي هريرة: أن رجلا استأذن عليه ﷺ فقال: «بئس أخو العشيرة فلما دخل ألان له القول... الحديث» [البخاري : ٦٠٣٢ ، مسلم : ٢٥٩١ عن عائشة ولم أره عن أبي هريرة].

(٣) صحيح : حديث: يقبل معذرة المعتذر إليه .

متفق عليه من حديث كعب بن مالك في قصة الثلاثة الذين خلفوا وفيه: طفق المخلفون يعتذرون إليه فقبل منهم علانيتهم... الحديث [البخاري : ٤٤١٨ ، مسلم : ٢٧٦٩].

(٤) حديث: يمزح ولا يقول إلا حقا.

أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة وهو عند الترمذي بلفظ: قالوا إنك تداعبنا: قال «إني ولا أقول إلا حقا» وقال حسن [الترمذي : ١٩٩٠ ، أحمد : ٨٢٧٦، انظر صحيح الجامع : ٢٤٩٤].

(٥) حديث: ضحكه من غير قهقهة.

أخرجه الشيخان من حديث عائشة: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعا ضاحكا حتى أرى لهواته إنما كان يتبسم [البخاري : ٦٠٩٢ ، مسلم : ٨٩٩]. والترمذي من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء: ما كان ضحك رسول الله ﷺ إلا تبسما [الترمذي : ٣٦٤٢، وانظر السلسلة الصحيحة : ٢٠٨٦]. قال صحيح غريب وله في الشمائل في حديث هند بن أبي هالة: جل ضحكه التبسم.

(٦) صحيح : حديث: يرى اللعب المباح ولا يكرهه.

أخرجه الشيخان من حديث عائشة: في لعب الحبشة بين يديه في المسجد وقال لهم «دونكم يا بني أرفدة» وقد تقدم في كتاب السماع [البخاري : ٩٥٠ ، مسلم : ٨٩٢].

(٧) صحيح : حديث: مسابقته ﷺ أهله.

أخرجه أبو داود والنسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث عائشة: في مسابقته لها: وتقدم في الباب الثالث من النكاح [أبو داود : ٢٥٧٨ ، ابن ماجه : ١٩٧٩ ، وانظر السلسلة الصحيحة : ١٣١].

(٨) صحيح : حديث: ترفع الأصوات عنده فيصبر.

أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن الزبير: قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس. فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي؟ وقال عمر: ما أردت خلافك. فتماريا

وأهله من ألبانها [١]، وكان له عبيد وإماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس [٢]، ولا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيما لا بد له منه من صلاح نفسه [٣]، يخرج إلى بساتين أصحابه [٤]، لا يحتقر مسكينًا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكًا لملكه يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء مستويًا [٥]، قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، نشأ في بلاد الجهل والصحارى في فقره، وفي رعاية الغنم يتيمًا لا أب له ولا أم، فعلمه الله تعالى جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأوّلين والآخرين، وما فيه النجاة والفوز في الآخرة والغبطة والخلاص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول [٦]. وفقنا الله

حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١] [البخاري: ٤٣٦٧].

(١) حديث: وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها.

أخرجه محمد بن سعد في الطبقات من حديث أم سلمة: كان عيشنا مع رسول الله ﷺ اللبن - أو قالت أكثر عيشنا - كانت لرسول الله ﷺ لقاح بالغابة... الحديث وفي رواية له: كانت لنا أعنز سبع فكان الراعي يبلغ بهن مرة الحمى ومرة أحدا ويروح بهن علينا وكانت لقاح بذي الحبل فيؤب إلينا ألبانهم بالليل... الحديث [البخاري: ٤١٩٤، مسلم: ١٨٠٦]. وفي إسنادهما محمد بن عمر الواقدي ضعيف في الحديث، وفي الصحيحين من حديث سلمة بن الأكوع: كانت لقاح رسول الله ﷺ ترعى بذي قرد... الحديث. ولأبي داود من حديث لقيط بن صبرة: لنا غنم مائة لا نريد أن تزيد فإذا ولد الراعي بهمة ذبحنا مكانها شاة... الحديث [أبي داود: ١٤٢، وانظر صحيح أبي داود].

(٢) حديث: كان له عبيد وإماء فلا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس.

أخرجه محمد بن سعد في الطبقات من حديث سلمى قالت: كان خدم النبي ﷺ أنا وخضرة ورضوى وميمونة بنت سعد أعتقهن كلهن. وإسناده ضعيف، وروى أيضا أن أبا بكر بن حزم كتب إلى عمر بن عبد العزيز بأسماء خدم رسول الله ﷺ فذكر: بركة - أم أيمن - وزيد بن حارثة أبا كبشة وأنسة وشقران وسفينة وثوبان ورباحا ويسارا وأبا رافع وأبا مويهبة ورافعا، أعتقهم كلهم، وفضالة ومدعما وكركرة وروى أبو بكر بن الضحاك في الشمائل من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد ضعيف: كان ﷺ يأكل مع خادمه [انظر السلسلة الصحيحة: ٢٢١٨]. ومسلم من حديث أبي اليسر «أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون...» الحديث [البخاري: ٣٠، مسلم: ١٦٦١ عن أبي ذر ولم أره من حديث أبي اليسر].

(٣) حديث: لا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيما لابد منه من صلاح نفسه.

أخرجه الترمذي في الشمائل من حديث علي بن أبي طالب: كان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءا لله وجزءا لأهله وجزءا لنفسه. ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فرد ذلك بالخاصة على العامة... الحديث.

(٤) حديث: يخرج إلى بساتين أصحابه.

تقدم في الباب الثالث من آداب الأكل «خروجه ﷺ إلى بستان أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الأنصاري وغيرهما».

(٥) صحيح: حديث: لا يحتقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء واحدا.

أخرجه البخاري من حديث سهل بن سعد: مر رجل على رسول الله ﷺ فقال: «ما تقولون في هذا؟» قالوا: حَرِيٌّ إن خطب أن ينكح... الحديث. وفيه: فمر رجل من فقراء المسلمين فقال: «ما تقولون في هذا؟» قالوا: حَرِيٌّ إن خطب أن لا ينكح... الحديث [البخاري: ٥٠٩١]. وفيه «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا» ومسلم من حديث أنس: أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى وقيصر والنجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل [مسلم: ١٧٧٤].

(٦) حديث: قد جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسية التامة وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل

لطاعته في أمره والتأسي به في فعله آمين يا رب العالمين.

بيان جملة أخرى من آدابه وأخلاقه:

مما رواه أبو البحتري قال: ما شتم رسول الله ﷺ أحدًا من المؤمنين بشتيمة إلا جعل لها كفارة ورحمة[(١)]، وما لعن امرأة قط ولا خادمًا بلعنة[(٢)]، وقيل له وهو في القتال: لو لعنتم يا رسول الله فقال: «إِنَّما بُعِثْتُ رَحْمَةً وَلَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا»[(٣)]، وكان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه إلى الدعاء له[(٤)] وما ضرب بيده أحدًا قط إلا أن يضرب بها في سبيل الله تعالى، وما انتقم من شيء صنع إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله، وما خير بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس

والصحارى وفي فقر وفي رعاية الغنم لا أب ولا أم فعلمه الله جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز في الآخرة والغبطة والخلاص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول.

هذا كله معروف معلوم فروى الترمذي في الشمائل من حديث علي بن أبي طالب في حديثه الطويل في صفته: وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه... الحديث [انظر الشمائل ص ٢٤]. وفيه: فسألته عن سيرته في جلسائه فقال كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب... الحديث. وفيه: كان يخزن لسانه إلا فيما يعنيه. وفيه: قد ترك نفسه من ثلاث، من المراء والإكثار وما لا يعنيه... الحديث. وقد تقدم بعضه، وروى ابن مردوية من حديث ابن عباس في قوله ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت:٤٨] قال: كان نبي الله ﷺ أميا لا يقرأ ولا يكتب. وقد تقدم في العلم وللبخاري من حديث ابن عباس قال: إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام :١٤٠] [البخاري: ٣٥٢٤] وأحمد وابن حبان من حديث أم سلمة في قصة هجرة الحبشة: أن جعفر قال للنجاشي أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة... الحديث [أحمد: ١٧٤٢، وانظر السيرة ص ١١٥، وقال الألباني: صحيح]. ولأحمد من حديث أبي بن كعب: إني لفي صحراء ابن عشر سنين وأشهر فإذا كلام فوق رأسي... الحديث [أحمد: ٢٠٧٥٢]، والبخاري من حديث أبي هريرة: كنت أرعاها - أي الغنم - على قراريط لأهل مكة [البخاري: ٢٢٦٢] ولأبي يعلى وابن حبان من حديث حليمة: إنما نرجو كرامة الرضاعة من والد المولود وكان يتيما... الحديث. وتقدم حديث «بعثت بمكارم الأخلاق» [انظر السلسلة الصحيحة: ٤٥].

(١) صحيح: حديث «ما شتم أحدا من المؤمنين إلا جعلها الله كفارة ورحمة». متفق عليه من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فيه «فأي المؤمنين لعنته شتمته جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة» وفي رواية «فاجعلها زكاة ورحمة» وفي رواية «فاجعلها له كفارة وقربة» وفي رواية «فاجعل ذلك كفارة له يوم القيامة» [البخاري: ٦٣٦١، مسلم: ٢٦٠١].

(٢) صحيح: حديث: ما لعن امرأة ولا خادما قط.

المعروف ما ضرب [مسلم: ٢٣٢٨، ولم أره عند البخاري]. مكان ما لعن. كما هو متفق عليه من حديث عائشة وللبخاري من حديث أنس: لم يكن فحاشا ولا لعانا [البخاري: ٦٠٣١]. وسيأتي الحديث الذي بعده فيه هذا المعنى.

(٣) (١٠٥٦٠) صحيح: حديث «إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعانا». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة [مسلم: ٢٥٩٩].

(٤) صحيح: حديث: كان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء ودعا له.

أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة: قالوا يا رسول الله إن دوسا قد كفرت وأبت فادع عليهم فقيل: هلكت دوس، فقال: «اللهم اهد دوسا وائت بهم» [البخاري: ٢٩٣٧، مسلم: ٢٥٢٤].

من ذلك[١] وما كان يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلا قام معه في حاجته[٢] وقال أنس رضي الله عنه: والذي بعثه بالحق ما قال لي في شيء قط كرهه: «لِمَ فَعَلْتَهُ؟» ولا لامني نساؤه إلا قال: «دَعُوهُ إِنَّما كَانَ هذَا بِكِتَابٍ وَقَدَرٍ»[٣] قالوا: وما عاب رسول الله ﷺ مضجعًا. إن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرش له اضطجع على الأرض[٤]، وقد وصفه الله تعالى في التوراة قبل أن يبعثه في السطر الأول فقال: محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح، مولده بمكة وهجرته بطابة وملكه بالشام، يأتزر على وسطه هو ومن معه دعاة للقرآن والعلم يتوضأ على أطرافه. وكذلك نعته في الإنجيل. وكان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام[٥]، ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف[٦]، وما

---

(١) صحيح: حديث: ما ضرب بيده أحدا قط إلا أن يضرب في سبيل الله تعالى وما انتقم في شيء صنع إليه إلا أن تنتهك حرمة الله، وما خير بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك.

متفق عليه من حديث عائشة مع اختلاف وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة [**البخاري**: ٣٥٦٠، **مسلم**: ٢٣٢٧، ٢٣٢٨].

(٢) صحيح: حديث: ما كان يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلا قام معه في حاجته.

أخرجه البخاري تعليقا من حديث أنس: إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت، ووصله ابن ماجه وقال: فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت من المدينة في حاجتها. [ذكره **البخاري تعليقًا عقب حديث**: ٦٠٧٢، **وابن ماجه**: ٤١٧٧، **وانظر صحيح ابن ماجه**] وقد تقدم، وتقدم أيضا من حديث ابن أبي أوفى: ولا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين حتى يقضي لهما حاجتهما.

(٣)حديث أنس: والذي بعثه بالحق ما قال في شيء قط كرهه «لم فعلته». ولا لامني أحد من أهله إلا قال «دعوه إنما كان هذا بكتاب وقدر». أخرجه الشيخان من حديث أنس: ما قال لشيء صنعته «لم صنعته» [**البخاري**: ٢٧٦٨، **مسلم**: ٢٣٠٩]. ولا لشيء تركته «لم تركته». وروى أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله ﷺ من حديث له قال فيه: ولا أمرني بأمر فتوانيت فيه فعاتبني عليه، فإن عاتبني أحد من أهله قال «دعوه فلو قدر شيء كان» وفي رواية له «كذا قضي».

(٤)حديث: ما عاب مضجعا، إن فرشوا له اضطجع، وإن لم يفرشوا له اضطجع على الأرض.

لم أجده بهذا اللفظ والمعروف: ما عاب طعاما [**البخاري**: ٣٥٦٣، **مسلم**: ٢٠٦٤]. ويؤخذ من عموم حديث علي بن أبي طالب: ليس بفظ، إلى أن قال: ولا عياب [**انظر الشمائل ص ٢٤**]. رواه الترمذي في الشمائل والطبراني وأبو نعيم في دلائل النبوة، وروى ابن أبي عاصم في كتاب السنة من حديث أنس: ما أعلمه عاب شيئا قط. وفي الصحيحين من حديث عمر: اضطجاعه على حصير [**البخاري**: ٤٩١٣، **مسلم**: ١٤٧٩]. والترمذي وصححه من حديث ابن مسعود: نام على حصير فقام وقد أثر في جنبه... الحديث [**الترمذي**: ٢٣٧٧، **انظر صحيح الترغيب**: ٣٢٨٢].

(٥) ضعيف: حديث: كان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام.

أخرجه الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة.

(٦) ضعيف: حديث: ومن قاوَمَه لِحاجةٍ، صابَرَهُ حتى يكون هو المنصرف.

أخرجه الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث علي بن أبي طالب وهو من حديث أنس: كان إذا لقي الرجل يكلمه لم يصرف وجهه حتى يكون هو المنصرف. ورواه الترمذي نحوه وقال غريب [**سبق تخريجه بمثل الحديث السابق**].

أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر (١)، وكان إذا لقي أحدًا من أصحابه بدأه بالمصافحة، ثم أخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته عليها (٢)، وكان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله (٣)، وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال: «أَلَكَ حَاجَةٌ؟» فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته (٤)، وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعًا ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة (٥)، ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه (٦)، لأنه كان حيث انتهى به المجلس جلس (٧)، وما رؤي قط مادًّا رجليه بين أصحابه حتى لا يضيق بهما على أحد إلا أن يكون المكان واسعًا لا ضيق فيه، وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة (٨)، وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا

---

(١) حديث: وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر.

أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أنس الذي قبله: كان إذا استقبل الرجل فصافحه، لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع. لفظ الترمذي وقال غريب.

(٢) حديث: كان إذا لقي أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته.

أخرجه أبو داود من حديث أبي ذر: وسأله رجل من عنزة هل كان رسول الله ﷺ يصافحكم إذا لقيتموه، قال: ما لقيته قط إلا صافحني... الحديث [أبو داود: ٥٢١٤، وانظر ضعيف الترغيب: ١٦٣٠]. وفيه الرجل الذي من عنزة ولم يسم وسماه البيهقي في الأدب عبد الله وروينا في علوم الحديث للحاكم من حديث أبي هريرة قال: شبك بيدي أبو القاسم ﷺ وهو عند مسلم بلفظ: أخذ رسول الله ﷺ بيده [البخاري: ٢٨٥، مسلم: ٢٧٨٩].

(٣) حديث: كان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله عز وجل.

أخرجه الترمذي في الشمائل من حديث علي في حديثه الطويل في صفته قال: على ذكر - بالتنوين - [انظر الشمائل ص ٢٣].

(٤) حديث: كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال «ألك حاجة» فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته.

لم أجد له أصلا.

(٥) حديث: كان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة.

أخرجه أبو داود والترمذي في الشمائل من حديث أبي سعيد الخدري: كان رسول الله ﷺ إذا جلس في المجلس احتبى بيديه [أبو داود: ٤٨٤٦، وانظر السلسلة الصحيحة: ٨٢٧]، وإسناده ضعيف والبخاري من حديث ابن عمرك رأيت رسول الله ﷺ بفناء الكعبة محتبيا بيديه [البخاري: ٦٢٧٢].

(٦) حديث: إنه لم يكن يعرف مجلسه من مجالس أصحابه.

أخرجه أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة وأبي ذر: قالا: كان النبي ﷺ يجلس بين ظهراني أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو؟ حتى يسأل... الحديث [أبو داود: ٤٦٩٨، النسائي: ٤٩٩١، وانظر صحيح أبي داود].

(٧) حديث: إنه حيثما انتهى به المجلس جلس.

رواه الترمذي في الشمائل في حديث علي الطويل [انظر الشمائل ص ٢٤].

(٨) ضعيف: حديث: ما رؤي قط مادا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بها على إلا أن يكون المكان واسعا لا ضيق فيه.

أخرجه الدارقطني في غرائب مالك من حديث أنس وقال باطل والترمذي وابن ماجه لم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له، زاد ابن ماجه قط، وسنده ضعيف [الترمذي: ٢٤٩٠، وابن ماجه: ٣٧١٦، وانظر ضعيف الترمذي].

رضاع يجلسه عليه[١] ، وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تحته فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل[٢] ، وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه[٣] ، حتى يعطي كل من جلس إليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف محاسنه وتوجهه للجالس إليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة، قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[آل عمران :١٥٩] ولقد كان يدعو أصحابه بكناهم إكرامًا لهم واستمالة لقلوبهم[٤] ، ويكني من لم تكن له كنية فكان يدعى بما كناه به[٥] ، ويكني أيضًا النساء اللاتي لهن الأولاد واللاتي لم يلدن يبتدىء لهن الكنى[٦] ويكني الصبيان

---

(١) صحيح : حديث: كان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه.

أخرجه الحاكم وصحح إسناده من حديث أنس: دخل جرير بن عبد الله على النبيﷺ ، وفيه: فأخذ بردته فألقاها عليه فقال «اجلس عليها يا جرير» الحديث وفيه «فإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه» وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة. وللطبراني في الكبير من حديث جرير: فألقى إلي كساء» ولأبي نعيم في الحلية: فبسط إلي رداءه [**انظر السلسلة الصحيحة : ١٢٠٥**].

(٢) حديث: كان يؤثر الداخل بالوسادة التي تحته فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل.

تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة [**سبق تخريجه قريبًا**].

(٣) حديث: ما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى يعطي كل من جلس إليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه وتوجهه للجالس إليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة [**انظر الشمائل ص ٢٣**].

أخرجه الترمذي في الشمائل من حديث علي الطويل وفيه: ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه. مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة.

(٤) حديث كان يدعو أصحابه بكناهم إكراما لهم واستمالة لقلوبهم.

في الصحيحين في قصة الغار من حديث أبي بكر: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما [**البخاري: ٣٦٥٣، مسلم: ٢٣٨١**]. وللحاكم من حديث ابن عباس: أنه قال لعمر يا أبا حفص أبصرت وجه عم رسول اللهﷺ؟ قال عمر: أنه لأول يوم كناني فيه بأبي حفص. وقال صحيح على شرط مسلم وفي الصحيحين أنه قال لعلي: قم يا أبا تراب [**البخاري: ٣٧٠٣، مسلم: ٢٤٠٩**]. وللحاكم من حديث رفاعة بن مالك: أن أبا الحسن وجد مغصا في بطنه فتخلفت عليه - يريد عليا - ولأبي يعلى الموصلي من حديث سعد بن أبي وقاص: فقال من هذا؟ أبو اسحق؟ فقلت: نعم، وللحاكم من حديث ابن مسعود: أن النبي ﷺ كناه أبا عبد الرحمن ولم يولد له.

(٥) حديث: كان يُكَنّي من لم يكن له كنية، وكان يُدْعَى بما كنّاه به.

أخرجه الترمذي من حديث أنس: قال كنّاني ﷺ ببقلة كنت أختليها - يعني أبا حمزة - قال حديث غريب [**الترمذي: ٣٨٣٠، وانظر ضعيف الترمذي**]، وابن ماجه: أن عمر قال لصهيب بن مالك تكتني وليس لك ولد؟ قال كناني رسول اللهﷺ بأبي يحيى [**ابن ماجه: ٣٧٣٨، وانظر السلسلة الصحيحة: ٤٤**]. وللطبراني من حديث أبي بكرة: تدليت ببكرة من الطائف فقال لي النبي ﷺ فأنت أبو بكرة.

(٦) حديث: كان يكني النساء اللاتي لهن الأولاد واللاتي لم يلدن يبتدئ لهن الكنى.

أخرجه الحاكم من حديث أم أيمن في قصة شربها بول النبي ﷺ. فقال: «يا أم أيمن قومي إلى تلك الفخارة... الحديث وابن ماجه من حديث عائشة: أنها قالت للنبي ﷺ كل أزواجك كنيته غيري [**ابن ماجه: ٣٧٣٩، وانظر صحيح ابن ماجه**]، قال «فأنت أم عبد الله» والبخاري من حديث أم خالد: أن النبي ﷺ قال لها: «يا أم خالد هذا سناه» وكانت صغيرة وفيه مولى الزبير لم يسم [**البخاري: ٥٨٢٣**]، ولأبي داود بإسناد صحيح أنها قالت: يا رسول الله كل صواحبي

فيستلين به قلوبهم[١] ، وكان أبعد الناس غضبًا وأسرعهم رضا[٢] ، وكان أرأف الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس[٣]، ولم تكن ترفع في مجلسه الأصوات[٤]، وكان إذا قام من مجلسه قال: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» ثم يقول: «عَلَّمَنِيهِنَّ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ»[٥] .

بيان كلامه وضحكه :

كان ﷺ أفصح الناس منطقًا وأحلاهم كلامًا ويقول[٦] :أنا أفصح العرب[٧] ، وإن أهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد ﷺ[٨]، وكان نزر الكلام سمح المقالة إذا نطق ليس بمهذار وكان كلامه كخرزات نظمن[٩] . قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: كان لا يسرد الكلام

لهن كِنَى، قال: «فاكتني بابنك عبد الله بن الزبير» [أبي داود: ٤٩٧٠ ، وانظر صحيح أبي داود].

(١) صحيح : حديث: كان يكني الصبيان.

ففي الصحيحين من حديث أنس. أن النبي ﷺ قال لأخ له صغير «يا أبا عُمَيْر، ما فَعَلَ النُّغَيْر؟» [البخاري: ٣١٢٩، مسلم: ٢١٥٠].

(٢) حديث: كان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا.

هذا من المعلوم ويدل عليه أخباره ﷺ أن بني آدم خيرهم بطيء الغضب سريع الفيء [الترمذي: ٢١٩١، وانظر ضعيف الترغيب: ١٦٤١]، رواه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري وقال حديث حسن وهو ﷺ خير بني آدم وسيدهم وكان ﷺ لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها [انظر إصلاح المساجد ، وقال الألباني غريب بهذا اللفظ]. رواه الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة.

(٣) حديث: كان أرأف الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس.

هذا من المعلوم ورويناه في الجزء الأول من فوائد أبي الدحداح من حديث علي في صفته النبي صلى عليه وسلم: كان أرحم الناس بالناس... الحديث بطوله.

(٤) حديث: لم تكن ترفع في مجلسه الأصوات.

أخرجه الترمذي في الشمائل من حديث علي الطويل.

(٥) صحيح : حديث: كان إذا قام من مجلسه قال «سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك» ثم يقول «عَلَّمَنِيهِنّ جبريل عليه السلام». أخرجه النسائي في اليوم والليلة والحاكم في المستدرك من حديث رافع بن خديج وتقدم في الأذكار والدعوات [الترمذي: ٣٤٣٣ دون قوله: «علمنيهن جبريل، وانظر صحيح الترمذي].

(٦) حديث» كان أفصح الناس منطقا وأحلاهم كلاما.

أخرجه أبو الحسن بن الضحاك في كتاب الشمائل وابن الجوزي في الوفاء بإسناد ضعيف من حديث بريدة: كان رسول الله ﷺ من أفصح العرب وكان يتكلم بالكلام لا يدرون ما هو حتى يخبرهم؟.

(٧) حديث «أنا أفصح العرب». أخرجه الطبراني في الكبير من حديث أبي سعيد الخدري: أنا أعرب العرب [انظر ضيف الجامع: ١٣٠٧ ، وقال الألباني: موضوع]. وإسناده ضعيف والحاكم من حديث عمر قال: قلت يا رسول الله ما بالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا؟ الحديث: وفي كتاب الرعد والمطر لابن أبي الدنيا في حديث مرسل: أن أعرابيا قال للنبي ﷺ: ما رأيت أفصح منك؟.

(٨) حديث: إن أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد ﷺ

أخرجه الحاكم من حديث ابن عباس وصححه: كلام أهل الجنة عربي [انظر ضعيف الجامع: ١٧٣].

(٩) حديث: كان نزر الكلام، سمح المقالة، إذا نطق ليس بمهذار، وكأن كلامه خرزات النظم.

كسردكم هذا كان كلامه نزرًا وأنتم تنثرون الكلام نثرًا[١]، قالوا: وكان أوجز الناس كلامًا وبذاك جاءه جبريل وكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد[٢]، وكان يتكلم بجوامع الكلام لا فضول ولا تقصير كأنه يتبع بعضه بعضًا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه[٣]، وكان جهير الصوت أحسن الناس نغمة[٤]، وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة[٥]، ولا يقول المنكر ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق[٦]، ويعرض عمن تكلم بغير جميل[٧]،

أخرجه الطبراني من حديث أم معبد: وكان منطقه خزرات نظم ينحدرن، حلو المنطق، لا نذر ولا هذر. وقد تقدم، وسيأتي في حديث عائشة بعده: كان إذا تكلم تكلم نزرا، وفي الصحيحين من حديث عائشة: كان يحدثنا حديثا لو عَدّه العادّ لأحصاه [البخاري: ٣٥٦٨، مسلم: ٢٤٩٣].

(١) صحيح: حديث عائشة: كان لا يسرد كسردكم هذا، كان كلامه نزرا وأنت تنثرونه نثرا.

اتفق الشيخان على أول الحديث وأما الجملتان الأخيرتان فرواه الخلعي في فوائده بإسناد منقطع [أول الحديث عند البخاري: ٣٥٦٨، مسلم: ٢٤٩٣].

(٢) حديث: كان أوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل وكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد.

أخرجه عبد بن حميد من حديث عمر بسند منقطع والدراقطني من حديث ابن عباس بإسناد جيد: أعطيت جوامع الكلم واختصر إلي الحديث اختصارا [البخاري: ٧٠١٣٠، مسلم: ٥٢٣]. وشطره الأول متفق عليه - كما سيأتي - قال البخاري بلغني في جوامع الكلم إن الله جمع له الأمور الكثيرة في الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك. وللحاكم من حديث عمر المتقدم: كانت لغة إسماعيل قد درست فجاء بها جبريل فحفظنيها [انظر ضعيف الجامع: ١٩١٩].

(٣) حديث: كان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كلام يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه.

رواه الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: بعثت بجوامع الكلم [البخاري: ٢٩٧٧، مسلم: ٥٢٣]. ولأبي داود من حديث جابر: كان في كلام النبي ﷺ ترتيل أو ترسيل [أبو داود ٤٨٣٨، وانظر صحيح أبي داود]. وفيه شيخ لم يسم وله وللترمذي من حديث عائشة: كان كلام النبي ﷺ كلاما فصلا يفهمه كل من سمعته [أبو داود: ٤٨٣٩، الترمذي: ٣٦٣٩، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود]. وقال الترمذي: يحفظه من جلس إليه وقال الترمذي في اليوم والليلة: يحفظه من سمعته وإسناده حسن.

(٤) حديث: كان جهير الصوت أحسن الناس نغمة.

أخرجه الترمذي والنسائي في الكبرى من حديث صفوان بن عسال قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر بينا نحن عنده إذ ناداه أعرابي بصوت له جهوري: يا محمد فأجابه رسول الله ﷺ على نحو من صوته «هاؤم» الحديث [الترمذي: ٣٥٣٥، أحمد: ١٧٦٢٩، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي]. وقال أحمد في مسنده: وأجابه نحوا مما تكلم به... الحديث. وقد يؤخذ من هذا أنه ﷺ كان جهوري الصوت ولم يكن يرفعه دائما، وقد يقال لم يكن جهوري الصوت وإنما رفع صوته رفقا بالأعرابي حتى لا يكون صوته أرفع من صوته وهو الظاهر وللشيخين من حديث البراء: ما سمعت أحدا أحسن صوتا منه [البخاري: ٧٦٩، مسلم: ٤٦٤].

(٥) حديث: كان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة.

أخرجه في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة.

(٦) حديث: لا يقول المنكر ولا يقول في الرضى والغضب إلا الحق.

أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو وقال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا تكتب كل شيء ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بإصبعه إلى فيه وقال «اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا الحق» رواه الحاكم وصححه [أبو داود: ٣٦٤٦، وانظر صحيح الجامع: ١١٩٦].

(٧) حديث: يعرض عمن تكلم بغير جميل.

ويكني عما اضطره الكلام إليه مما يكره [١] وكان إذا سكت تكلم جلساؤه ولا يتنازع عنده [٢] في الحديث ويعظ بالجد والنصيحة [٣]. ويقول: «لاَ تَضْرِبُوا القُرْآنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ فَإِنَّهِ أُنْزِلَ عَلَى وُجُوهٍ» [٤]، وكان أكثر الناس تبسمًا وضحكًا في وجوه أصحابه وتعجبًا مما تحدثوا به وخلطًا لنفسه بهم [٥]، ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه [٦]، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداءً به وتوقيرًا له [٧] قالوا: ولقد جاءه أعرابي يومًا وهو عليه السلام متغير اللون ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا: لا تفعل يا أعرابي، فإنا ننكر لونه فقال: دعوني فوالذي بعثه بالحق نبيًا لا أدعه حتى يتبسم، فقال: يا رسول الله بلغنا أن المسيح يعني الدجال يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جوعًا أفترى لي بأبي أنت وأمي أنّ أكف عن ثريده تعففًا وتنزهًا حتى أهلك هزالًا أم أضرب في ثريده حتى إذا تضلعت شبعًا آمنت بالله وكفرت به؟ قالوا: فضحك

أخرجه الترمذي في الشمائل من حديث علي الطويل: يتغافل عما لا يشتهي الحديث [انظر الشمائل ص ٢٤].

(١) حديث: يكني عما اضطره الكلام بما يكره فمن ذلك قوله ﷺ لامرأة رفاعة « حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك» [البخاري: ٢٦٣٩، مسلم: ١٤٣٣]. رواه البخاري من حديث عائشة: ومن ذلك ما اتفقا عليه من حديثها في المرأة التي سألته عن الاغتسال من الحيض «خذي فرصة ممسكة فتتطهري بها... الحديث» [البخاري: ٣١٤، مسلم: ٣٣٢، والفرصة القطعة من القطن].

(٢) حديث: كان إذا سكت تكلم جلساؤه ولا يتنازع عنده في الحديث.

أخرجه الترمذي في الشمائل في حديث علي الطويل.

(٣) صحيح: حديث يعظ بالجد والنصيحة.

أخرجه مسلم من حديث جابر: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم... الحديث [مسلم: ٨٦٧].

(٤) حديث «لا تضربوا القرآن بعضه ببعض وأنه أنزل على وجوه». أخرجه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو بإسناد حسن «إن القرآن يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض» [انظر المشكاة: ٢٣٧، وحسنه الألباني]، وفي رواية للهروي في ذم الكلام « إن القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض» وفي رواية له «أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض» [انظر كتاب السنة: ٤٠٦، وحسنه الألباني]، وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف» [البخاري: ٢٤١٩، مسلم: ٨١٨].

(٥) حديث: كان أكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه أصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخلطا لنفسه بهم.

أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن حارث بن جزء: ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله ﷺ [البخاري: ٣٦٤١، وانظر صحيح الترمذي]. وفي الصحيحين من حديث جرير: ولا رآني إلا تبسم [البخاري: ٣٠٣٦، مسلم: ٢٤٧٥]. والترمذي في الشمائل من حديث علي: يضحك مما تضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه [انظر الشمائل ص ٢٥]. ومسلم من حديث جابر بن سمرة: كانوا يتحدثون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم [مسلم: ٦٧٠].

(٦) حديث: ولربما ضحك حتى تبدوا نواجذه. متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود في قصة آخر من يخرج من النار [البخاري: ٧٥١١، مسلم: ١٨٦] وفي قصة الحبر الذي قال: إن الله يضع السموات على إصبع [البخاري: ٤٨١١، مسلم: ٢٧٨٦]. ومن حديث أبي هريرة في قصة المجامع في رمضان وغير ذلك [البخاري: ٢٦٠٠، مسلم: ١١١١].

(٧) حديث: كان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا له.

أخرجه الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة في أثناء حديثه الطويل: جل ضحكه التبسم.

رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال: «لاَ بَلْ يُغْنِيكَ الله بِمَا يُغْنِي بِهِ المُؤْمِنِينَ»(١)، قالوا: وكان من أكثر الناس تبسمًا وأطيبهم نفسًا ما لم ينزل عليه قرآن أو يذكر الساعة أو يخطب بخطبة عظة(٢)، وكان إذا سرَّ ورضي فهو أحسن الناس رضًا فإن وعظ وعظ بجد وإن غضب - وليس يغضب إلا لله - لم يقم لغضبه شيء، وكذلك كان في أموره كلها(٣)، وكان إذا نزل به الأمر فوض الأمر إلى الله، وتبرأ من الحول والقوة واستنزل الهدى فيقول: «اللَّهُمَّ أَرِنِي الحَقَّ حَقًّا فَأَتَّبِعَهُ وَأَرِنِي المُنْكَرَ مُنْكَرًا وَارْزُقْنِي اجْتِنَابَهُ وَأَعِذْنِي مِنْ أَنْ يَشْتَبِهَ عَلَيَّ فَأَتَّبِعَ هَوَايَ بِغَيْرِ هُدًى مِنْكَ وَاجْعَلْ هَوَايَ تِبْعًا لِطَاعَتِكَ وَخُذْ رِضا نَفْسِكَ مِنْ نَفْسِي فِي عَافِيَةٍ وَاهْدِنِي لِمَا

---

(١) حديث: جاءه أعرابي يوما وهو متغير ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا: لا تفعل يا أعرابي، فإنا ننكر لونه فقال: دعوني، والذي بعثه بالحق نبيا لا أدعه حتى يتبسم. فقال: يا رسول الله بلغنا أن المسيح الدجال يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا، أفترى لي بأبي أنت وأمي أن أكف عن ثريده تعففا وتنزها حتى أهلك هزالا أم أضرب في ثريده حتى إذا تضلعت شبعا آمنت بالله وكفرت به؟ قالوا: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال «لا بل يغنيك الله بما يغني به المؤمنين».

وهو حديث منكر لم أقف له على أصل ويرده قوله ﷺ في حديث المغيرة بن شعبة المتفق عليه: حين سأله أنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء، قال: «هو أهون على الله من ذلك». وفي رواية لمسلم: إنهم يقولون معه جبالا من خبز ولحم [أي قاله الأعرابي]... الحديث. نعم في حديث حذيفة وأبي مسعود المتفق عليهما لمن معه ماء ونارا... الحديث. [حديث «هو أهون .....» عند البخاري: ٧١٢٢، ومسلم: ٢٩٣٩، وحديث «إنهم يقولون...» عند مسلم: ٢٩٣٩، وحديث «معه ماء ونار....» عند البخاري ٣٤٥٢، ومسلم: ٢٩٣٤]

(٢) حديث: كان من أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه القرآن أو يذكر الساعة أو يخطب بخطبة عظة.

تقدم حديث عبد الله بن الحارث: ما رأيت أحدا أكثر تبسما منه. وللطبراني في مكارم الأخلاق من حديث جابر: كان إذا نزل عليه الوحي قلت: نذير قوم، فإذا سرى عنه فأكثر الناس ضحكا... الحديث. ولأحمد من حديث علي أو الزبير: كان يخطب فيذكر بأيام الله حتى يعرف ذلك في وجهه وكأنه نذير قوم يصبحهم الأمر غدوة، وكان إذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه ورواه أبو يعلى من حديث الزبير من غير شك وللحاكم من حديث جابر: كان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه. وهو عند مسلم بلفظ: كان إذا خطب. [حديث «ما رأيت أحدًا ...» عند الترمذي: ٣٦٤١، وانظر صحيح الترمذي، وحديث «نذير قوم»، وحديث «كان يخطب فيذكر ...» عند أحمد: ١٤٤٠، وحديث «كان إذا ذكر ....» عند النسائي: ١٥٧٨، وانظر السلسلة الصحيحة: ٢٠٧٩، وحديث «كان إذا خطب...» عند مسلم: ٨٦٧].

(٣) حديث: كان إذا سر ورضى فهو أحسن الناس رضا وإن وعظ وعظ بجد وإن غضب - ولا يغضب إلا الله - لم يقم لغضبه شيء، وكذلك كان في أموره كلها.

أخرجه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب أخلاق النبي ﷺ من حديث ابن عمر: كان رسول الله ﷺ يعرف غضبه ورضاه بوجهه كان إذا رضى فكأنما ملاحك الجدر وجهه، وإسناده ضعيف والمراد به المرآة توضع في الشمس فيرى ضوءها على الجدار، وللشيخين من حديث كعب بن مالك قال: وهو يبرق وجهه من السرور. وفيه: وكان إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه... الحديث، ومسلم: كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه... الحديث، وقد تقدم والترمذي في الشمائل في حديث هند بن أبي هالة: لا تغضبه الدنيا وما كان منها فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، وقد تقدم. [حديث «يعرف غضبه ورضاه...»، وحديث «وهو يبرق...» عند البخاري: ٣٥٥٦، ومسلم: ٢٧٦٩، وحديث «كان إذا خطب...» عند مسلم: ٨٦٧، وحديث «لا تغضبه الدنيا»].

اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[١].

بيان أخلاقه وآدابه في الطعام:

كان ﷺ يأكل ما وجد[٢]، وكان أحب الطعام إليه ما كان على ضفف[٣]، والضفف ما كثرت عليه الأيدي، وكان إذا وضعت المائدة قال: «بِسْمِ الله اللهم اجْعَلْهَا نِعْمَةً مَشْكُورَةً تَصِلُ بِها نِعْمَةَ الجَنَّةِ»[٤]، وكان كثيرًا إذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجلس المصلي إلا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول: «إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ العَبْدُ وَأَجْلِس كَمَا يَجْلِسُ العَبْدُ»[٥]، وكان لا يأكل الحار ويقول: «إِنَّهُ غَيْرُ ذِي

---

(١) حديث: كان يقول: «اللهم أرني الحق حقا فأتبعه وأرني المنكر منكرا وارزقني اجتنابه وأعذني من أن يشتبه علي فأتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم». لم أقف لأوله على أصل، وروى المستغفري في الدعوات من حديث أبي هريرة. كان النبي ﷺ يدعو فيقول «اللهم إنك سألتنا من أنفسنا ما لا نملكه إلا بك فأعطنا منها ما يرضيك عنا» ومسلم من حديث عائشة فيما كان يفتتح به صلاته من الليل «اهدني لما اختلف فيه» إلى آخر الحديث. [حديث «اللهم إنك سألتنا ...» انظر السلسلة الضعيفة: ١٧٢٤، وقال الألباني: ضعيف جدًّا، وحديث «فيما كان يفتتح به....» عند مسلم: ٧٧٠]

*٢*بيان أخلاقه وآدابه في الطعام

(٢) صحيح: حديث: كان يأكل ما وجد.

تقدم. [مسلم: ٢٠٥٢ عن جابر]

(٣) حديث: كان أحب الطعام إليه ما كان على ضفف أي كثرت عليه الأيدي.

أخرجه أبو يعلى والطبراني في الأوسط وابن عدي في الكامل من حديث جابر بسند حسن: أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي ولأبي يعلى من حديث أنس: لم يجتمع له غذاء وعشاء خبز ولحم إلا على ضفف. وإسناده ضعيف. [حديث «أحب الطعام...» انظر صحيح الترغيب: ٢١٣٣ وحسنه الألباني، وحديث «لم يجتمع له...» انظر الشمائل: ١١٧ وصححه الألباني].

(٤) حديث: كان إذا وضعت المائدة قال: «بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة». أما التسمية فرواها النسائي من رواية، من خدم النبي ﷺ ثمان سنين: أنه سمع رسول الله ﷺ إذا قرب إليه طعاما يقول: بسم الله...» الحديث. وإسناده صحيح وأما بقية الحديث فلم أجده. [حديث «إذا قرب...» انظر السلسلة الصحيحة: ٧١].

(٥) حديث: كان كثيرا إذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وقدميه كما يفعل المصلي إلا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد». أخرجه عبد الرزاق في المصنف من رواية أيوب معضلا: أن النبي ﷺ كان إذا أكل أحفز وقال: «آكل كما يأكل العبد...» الحديث. وروى ابن الضحاك في الشمائل من حديث أنس بسند ضيف: كان إذا قعد على الطعام استوفز على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأفعل كما يفعل العبد» وروى الشيخ في أخلاق النبي ﷺ بسند حسن من حديث أبي بن كعب: أن النبي ﷺ كان يجثوا على ركبتيه وكان لا يتكئ. أورده في صفة أكل رسول الله ﷺ. وللبزار من حديث ابن عمر «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد» ولأبي يعلى من حديث عائشة «آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد» وسندهما ضعيف. [حديث «إنما أنا عبد آكل ... وأجلس كما يجلس العبد» انظر السلسلة الصحيحة: ٥٤٤، وحديث «لا يأكل متكئا إنما أنا عبد...» انظر السلسلة الضعيفة: ٢٠٤٥]

بَرَكَةٍ وَإِنَّ الله لَمْ يُطْعِمْنا نَارًا فَأَبْرِدُوهُ»[١] ، وكان يأكل مما يليه[٢] ، ويأكل بأصابعه الثلاث[٣] ، وربما استعان بالرابعة[٤] ، ولم يأكل بأصبعين ويقول: «إِنَّ ذلِكَ أَكْلَةُ الشَّيْطَانِ»[٥] ، وجاءه عثمان بن عفان رضي الله عنه بفالوذج فأكل منه وقال: «مَا هذَا يَا عَبْد الله؟» قال: بأبي أنت وأمي نجعل السمن والعسل في البرمة ونضعها على النار ثم نغليه ثم نأخذ مخ الحنطة إذا طحنت فنقليه على السمن والعسل في البرمة، ثم نسوطه حتى ينضج فيأتي كما ترى، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ هذَا الطَّعَامَ طَيِّبٌ»[٦] ، وكان يأكل خبز الشعير غير

---

(١) حديث: كان لا يأكل الحار ويقول: «إنه غير ذي بركة، وإن الله لم يطعمنا نارًا». أخرجه البيهقي من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح: أتي النبي ﷺ يوما بطعام سخن فقال: «ما دخل بطني طعاما سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم» ولأحمد بإسناد جيد والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث خولة بنت قيس: وقدمت له حريرة فوضع يده فيها فوجد حرها فقبضها - لفظ الطبراني والبيهقي - وقال أحمد: فأحرقت أصابعه فقال: حسن. [حديث « ما دخل بطني طعاما . . . » عند ابن ماجه : ٤١٥٠ ، وانظر ضعيف الترغيب : ١٩٠٠ ، وحديث «وقدمت له حديدة . . . .» عند أحمد : ٢٦٧٧١ ، وانظر السلسلة الصحيحة : ١٥٧٨ ، ولفظ أحمد - قال : حس - وليس - حسن - وحس : كلمة تقال عند الألم المفاجئ وهذا - .

وللطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة «أبردوا الطعام فإن الطعام الحار غير ذي بركة» وله فيه وفي الصغير من حديثه: أتي بصحفة تفور فرفع يده منها وقال: «إن الله لم يطعمنا نارا» وكلاهما ضعيف. [حديث «أبردوا الطعام . . .» انظر ضعيف الجامع : ٣٧، وحديث «إن الله لم يطعمنا . . .»، وحديث «أتى بصحفة . . .».

(٢) صحيح : حديث: كان يأكل مما يليه.

أخرجه أبو الشيخ ابن حبان من حديث عائشة وفي إسناده رجل لم يسم وسماه في رواية له وكذلك البيهقي في روايته في الشعب عبيد بن القاسم نسيب سفيان الثوري، وقال البيهقي تفرد به عبيد هذا وقد رماه ابن معين بالكذب، ولأبي الشيخ من حديث عبد الله بن جعفر نحوه. [انظر السلسلة الصحيحة : ٢٠٦٢]

(٣) صحيح : حديث: أكله بأصابعه الثلاث.

أخرجه مسلم من حديث كعب بن مالك. [مسلم : ٢٠٣٢]

(٤) حديث: استعانته بالرابعة.

رويناه في الغيلانيات من حديث عامر بن ربيعة وفيه القاسم بن عبد الله العمري هالك وفي مصنف ابن أبي شيبة من رواية الزهري مرسلا: كان النبي ﷺ يأكل بالخمس. [حديث «ويستعين بالرابعة» انظر ضعيف الجامع : ٤٥٢١ ، قال الألباني : موضوع، وحديث «يأكل بالخمس» .

(٥) حديث: لم يأكل بإصبعين ويقول: «إن ذلك أكلة الشيطان». أخرجه الدارقطني في الأفراد من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف «لا تأكل بإصبع فإنه أكل الملوك ولا تأكل بإصبعين فإنه أكل الشياطين...» الحديث.

(٦) حديث: جاء عثمان بن عفان بفالوذج فأكل منه وقال: «ما هذا يا عبد الله؟» قال: بأبي أنت وأمي نجعل السمن والعسل في البرمة ونضعها على النار ثم نغليه ثم نأخذ مخ الحنطة إذا طحنت فنقليه على السمن والعسل في البرمة، ثم نسوطه حتى ينضج فيأتي كما ترى فقال رسول الله ﷺ «إن هذا الطعام طيب». قلت: المعروف أن الذي صنعه عثمان: الخبيص رواه البيهقي في الشعب من حديث ليث بن أبي سليم قال: إن أول من خبص الخبيص عثمان بن عفان، قدمت عليه عير تحمل النقي والعسل... الحديث. وقال هذا منقطع وروى الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عبد الله بن سلام: أقبل عثمان ومعه راحلة عليها غرارتان. وفيه: فإذا دقيق وسمن وعسل. وفيه: ثم قال لأصحابه كلوا هذا الذي تسميه فارس الخبيص. وأما خبر الفالوذج فرواه ابن ماجه بإسناد ضعيف من حديث ابن عباس قال: أول ما سمعنا بالفالوذج أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: إن أمتك تفتح عليهم الأرض ويفاض عليهم من الدنيا إنهم ليأكلون الفالوذج، قال النبي ﷺ: وما الفالوذج؟ قال: يخلطون

منخول[١] ، وكان يأكل القثاء بالرطب[٢] ، وبالملح [٣]، وكان أحب الفواكه الرطبة إليه البطيخ والعنب[٤] وكان يأكل البطيخ بالخبز وبالسكر[٥] ،

وربما أكله بالرطب[٦] ، ويستعين باليدين جميعًا، وأكل يومًا الرطب في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فأشار إليها بالنوى فجعلت تأكل من كفه اليسرى وهو يأكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة [٧]، وكان ربما أكل العنب خرطًا يُرى زؤانه على

السمن والعسل جميعا. قال ابن الجوزي في الموضوعات هذا حديث باطل لا أصل له. [حديث «أول من خبص . . .»، وحديث «أول ما سمعنا بالفالوذج . . .» عند ابن ماجه : ٣٣٤٠، وقال الألباني : منكر الإسناد موضوع المتن].

(١) صحيح : حديث: كان يأكل خبز الشعير غير منخول.

أخرجه البخاري من حديث سهل بن سعد. [البخاري: ٥٤١٣]

(٢) صحيح : حديث: كان يأكل القثاء بالرطب.

متفق عليه من حديث عبد الله بن جعفر. [البخاري: ٥٤٤٠، ومسلم: ٢٠٤٣]

(٣) ضعيف جدًا: حديث: كان يأكل القثاء بالملح.

أخرجه أبو الشيخ من حديث عائشة وفيه يحيى بن هاشم كذبه ابن معين وغيره ورواه ابن عدي وفيه عباد بن كثير متروك. [انظر السلسلة الضعيفة : ١٧٥٩]

(٤) حديث: كان أحب الفاكهة الرطبة إليه البطيخ والعنب.

أخرجه أبو نعيم في الطب النبوي من رواية أمية بن زيد العبسي: أن النبي ﷺ كان يحب من الفاكهة العنب والبطيخ. وروى أبو الشيخ وابن عدي في الكامل والطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث أنس: كان يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره ويأكل الرطب بالبطيخ، وكان أحب الفاكهة إليه. فيه يوسف بن عطية الصفار مجمع على ضعفه وروى ابن عدي من حديث عائشة: كان أحب الفاكهة لرسول الله ﷺ الرطب والبطيخ. وله من حديث آخر لها. فإن خير الفاكهة العنب. وكلاهما ضعيف. [حديث «كان يحب العنب والبطيخ» انظر السلسلة الضعيفة : ٤٢٦٥، وحديث «يأخذ الرطب بيمينه . . .» انظر ضعيف الجامع : ٤٥١٤، وحديث « أحب الفاكهة الرطبة والبطيخ . . .» انظر السلسلة الضعيفة : ١٧٥٩، وقال الألباني: ضعيف جدًا ، وحديث «خير الفاكهة . . .».

(٥) حديث: كان يأكل البطيخ بالخبز والسكر.

أما أكل البطيخ بالخبز فلم أره وإنما وجدت أكل العنب بالخبز فيما رواه ابن عدي من حديث عائشة مرفوعا: «عليكم بالمرازمة» قيل: يا رسول الله وما المرازمة؟ قال: «أكل الخبز مع العنب. فإن خير الفاكهة العنب وخير الطعام الخبز» وإسناده ضعيف. وأما أكل البطيخ بالسكر فإن أريد بالسكر نوع من التمر والرطب مشهور فهو الحديث الآتي بعده وإن أريد به السكر الذي هو الطبرزد فلم أر له أصلا إلا في حديث منكر معضل رواه أبو عمر التوقاني في كتاب البطيخ من رواية محمد بن علي بن الحسين. أن النبي ﷺ أكل بطيخا بسكر. وفيه موسى بن إبراهيم المروزي كذبه يحيى بن معين. [حديث «عليكم بالمرازمة» ، وحديث « أكل بطيخًا بسكر . . .».

(٦) صحيح : حديث: أكل البطيخ بالرطب.

أخرجه الترمذي والنسائي من حديث عائشة وحسنه الترمذي وابن ماجه من حديث سهل بن سعد. كان يأكل الرطب بالبطيخ. وهو عند الدارمي بلفظ. البطيخ بالرطب. [الترمذي : ١٨٤٣، وأبو داود : ٣٨٣٦ عن عائشة ، وابن ماجه : ٣٣٢٦ عن سهل بن سعد ، وانظر صحيح الترمذي]

(٧) حديث: استعانته باليدين جميعا فأكل يوما الرطب في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فأشار إليها بالنوى فجعلت تأكل من كفه اليسرى وهو يأكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة.

أما استعانته بيديه جميعا فرواه أحمد من حديث عبد الله بن جعفر قال. آخر ما رأيت من رسول الله ﷺ في إحدى يديه رطبات وفي الأخرى قثاء يأكل من هذه ويعض من هذه. وتقدم حديث أنس في أكله بيديه قبل هذه بثلاثة أحاديث

لحيته كخرز اللؤلؤ[١] وكان أكثر طعامه الماء والتمر[٢] وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الأطيبين[٣]، وكان أحب الطعام إليه اللحم ويقول: «هُوَ يَزِيدُ فِي السَّمعِ وَهُوَ سَيِّدُ الطَّعَامِ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَلَوْ سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُطْعِمنِيهِ كُلَّ يَوْمٍ لَفَعَلَ»[٤]، وكان يأكل الثريد باللحم والقرع، وكان يحب القرع[٥] ويقول: «إِنَّها شَجَرَةُ أَخِي يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلامُ»[٦]، قالت عائشة رضي الله عنها وكان يقول: «يَا عَائِشَةُ إِذَا طَبَخْتُمْ قِدْرًا فَأَكْثِرُوا فِيها مِنَ الدُّبَّاءِ فَإِنَّهُ يَشُدُّ قَلْبَ الحَزِينِ»[٧]، وكان يأكل لحم الطير الذي يصاد[٨]، وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن

وأما قصته مع الشاة فرويناها في فوائد أبي بكر الشافعي من حديث أنس بإسناد ضعيف. [حديث «آخر ما رأيت . . .» عند أحمد : ١٧٥٢]

(١) موضوع : حديث: ربما أكل العنب خرطا يرى زؤانه؟؟ على لحيته كخرز اللؤلؤ.
أخرجه ابن عدي في الكامل من حديث العباس والعقيلي في الضعفاء من حديث ابن عباس هكذا مختصرا وكلاهما ضعيف. [انظر السلسلة الضعيفة: ١٠٨]

(٢) صحيح : حديث: كان أكثر طعامه الماء والتمر.
أخرجه البخاري من حديث عائشة. توفي رسول الله ﷺ وقد شبعنا من الأسودين التمر والماء. [البخاري : ٥٣٨٣، ومسلم ٢٩٧٥]

(٣) حديث «كان يجمع اللبن بالتمر، ويُسَمِّيهِما الأَطْيَبَيْنِ». أخرجه أحمد من رواية إسماعيل بن أبي خالد عن أبيه قال. دخلت على رجل وهو يجمع لبن بتمر وقال. ادن فإن رسول الله ﷺ سماهما الأَطْيَبَيْنِ ورجاله ثقات وإبهامه لا يضر. [أحمد: ١٥٤٦]

(٤) حديث: كان أحب الطعام إليه اللحم ويقول: «هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل». أخرجه أبو الشيخ من رواية ابن سمعان قال: سمعت من علمائنا يقولون كان أحب الطعام إلى رسول الله ﷺ اللحم... الحديث. والترمذي في الشمائل من حديث جابر: أتانا النبي ﷺ في منزلنا فذبحنا له شاة فقال: «كأنهم علموا أنا نحب اللحم» وإسناده صحيح وابن ماجه من حديث أبي الدرداء بإسناد ضعيف: سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم. [حديث «كأنهم علموا أنا . . .» انظر الشمائل، وحديث «سيد الطعام . . .» عند ابن ماجه : ٣٣٠٥، وانظر السلسلة الضعيفة : ٣٧٢٤، وقال الألباني: ضعيف جدًا]

(٥) صحيح : حديث: كان يأكل الثريد باللحم والقرع.
أخرجه مسلم من حديث أنس. [مسلم: ٢٠٤١ بنحوه ، وأحمد: ١١٦٤١ واللفظ له]

(٦) حديث: كان يحب القرع ويقول: «إنها شجرة أخي يونس». أخرجه النسائي وابن ماجه من حديث أنس: كان النبي ﷺ يحب القرع. وقال النسائي: الدباء، وهو عند مسلم بلفظ: تعجبه وروى ابن مردوية في تفسيره من حديث أبي هريرة في قصة يونس: فلفظته في أصل شجرة، وهي الدباء. [حديث «يحب القرع» عند ابن ماجه : ٣٣٠٢، وانظر صحيح ابن ماجه ، بلفظ «تعجبه» عند مسلم : ٢٠٤١، وحديث «فلفظته في . . .»].

(٧) حديث «يا عائشة إذا طبختم قدرا فأكثروا من الدباء فإنها تشد قلب الحزين. رويناه في فوائد أبي بكر الشافعي.

(٨) ضعيف : حديث: كان يأكل لحم الطير الذي يصاد.
أخرجه الترمذي من حديث أنس قال: كان عند النبي ﷺ طير فقال: «اللهم ائتني بأحب الخلق إليك يأكل معي هذا الطير» فجاء علي فأكل معه، قال حديث غريب قلت وله طرق كلها ضعيفة. وروى أبو داود والترمذي واستغربه من حديث سفينة قال: أكلت مع النبي ﷺ لحم حباري. [حديث «كان عنده طير . . .» عند الترمذي : ٣٧٢١، وانظر ضعيف الترمذي ، وحديث «أكلت مع . . .» عند أبي داود: ٣٧٩٧، والترمذي ١٨٢٨، وانظر الإرواء : ٢٥٠٠ وضعفه الألباني]

يصاد له ويؤتى به فيأكله[١] ، وكان إذا أكل اللحم لم يطأطىء رأسه إليه ويرفعه إلى فيه رفعًا ثم ينتهشه انتهاشًا[٢] ، وكان يأكل الخبز والسمن[٣] ، وكان يحب من الشاة الذراع والكف، ومن القدر الدباء ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة[٤] ، ودعا في العجوة بالبركة وقال: «هِيَ مِنَ الجَنَّةِ وَشِفَاءٌ مِنَ السُّمِّ وَالسِّحْرِ»[٥] ، وكان يحب من البقول الهندباء والباذروج

---

(١) حديث: كان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له فيؤتي به فيأكله.
قلت هذا هو الظاهر من أحواله فقد قال من تبع الصيد غفل رواه أبو داود والنسائي والترمذي من حديث ابن عباس وقال: حسن غريب وأما حديث صفوان بن أمية عند الطبراني «قد كانت قبلي لله رسل كلهم يصطاد ويطلب الصيد» فهو ضعيف جدا. [**حديث «من تبع . . .» عند أبي داود: ٢٨٥٩، والترمذي : ٢٢٥٦، والنسائي: ٤٣٠٩، وانظر صحيح أبي داود، وحديث «قد كانت قبلي . . .»**].

(٢) حديث: كان إذا أكل اللحم لم يطأطئ رأسه إليه ورفعه إلى فيه رفعا ثم نهشه.
أخرجه أبو داود من حديث صفوان بن أمية قال: كنت آكل مع النبيﷺ فآخذ اللحم من العظم فقال «أدن العظم من فيك فإنه أهنأ وأمرأ» والترمذي من حديثه «انهش اللحم نهشا فإنه أهنى وأمرأ» وهو منقطع والذي قبله منقطع أيضا وللشيخين من حديث أبي هريرة: فتناول الذراع فنهش منها نهشة... الحديث. [**حديث «أدن العظم . . .» عند أبي داود : ٣٧٧٩، وانظر ضعيف أبي داود ، وحديث «انهش اللحم . . .» عند الترمذي: ١٨٣٥ ، وانظر ضعيف الترغيب : ١٢٨٩ ، وحديث «فتناول الذراع . . .» عند البخاري : ٤٧١٢ ، ومسلم: ١٩٤**]

(٣) حديث: كان يأكل الخبز والسمن.
متفق عليه من حديث أنس في قصة طويلة فيها: فأتت بذلك الخبز فآمر به رسول اللهﷺ ففت وعصرت أم سليم عكة فآدمته... الحديث. وفيه: ثم أكل النبيﷺ . وفي رواية ابن ماجه: فصنعت فيها شيئا من سمن ولا يصح وأبو داود وابن ماجه من حديث ابن عمر: وددت أن عندي خبزة بيضاء من بر سمراء ملبقة بسمن... الحديث. قال أبو داود منكر. [**حديث «ففت وعصرت . . .» عند البخاري : ٣٥٧٨، ومسلم : ٢٠٤٠، وحديث «فصنعت فيها . . .» عند ابن ماجه : ٣٣٤٢، وانظر صحيح ابن ماجه ، وحديث «وددت أن عندي . . .» عند أبي داود : ٣٨١٨، وابن ماجه : ٣٣٤١، وانظر ضعيف أبي داود**]

(٤) حديث: كان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن القدر الدباء ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة.
وروى الشيخان من حديث أبي هريرة قال: وضعت بين يدي النبيﷺ قصعة من ثريد ولحم فتناول الذراع وكانت أحب الشاة إليه... الحديث. وروى أبو الشيخ من حديث ابن عباس: كان أحب اللحم إلى رسول اللهﷺ الكتف. وإسناده ضعيف ومن حديث أبي هريرة: لم يكن يعجبه من الشاة إلا الكتف. وتقدم حديث أنس: كان يحب الدباء. قبل هذا بستة أحاديث ولأبي الشيخ من حديث أنس: كان أحب الطعام إليه الدباء. وله من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف: كان أحب الصباغ إلى رسول اللهﷺ الخل. وله بالإسناد المذكور: كان أحب التمر إلى رسول اللهﷺ العجوة. [**حديث «وضعت بين يدي . . .» عند البخاري : ٣٣٤٠، ومسلم : ١٩٤، وحديث «أحب اللحم إليه الكتف» انظر السلسلة الضعيفة: ٤٢٣٥، وقال الألباني : ضعيف جدًا، وحديث «لم يكن يعجبه . . .»، وحديث «كان يحب الدباء» انظر السلسلة الصحيحة : ٢١٢٧، وحديث «كان أحب الطعام إليه . . .» لم أقف عليه ويؤيده حديث أنس «رأيته يتتبع الدباء من حوالي الصحفة فلم أزل أحب الدباء» عند أبي داود : ٣٧٨٢، وانظر صحيح أبي داود ، وحديث «كان أحب الصباغ . . .» انظر السلسلة الضعيفة: ٤٢٣٤، وقال الألباني: ضعيف جدًا، وحديث «كان أحب التمر . . .» انظر السلسلة الضعيفة : ٤١٦٢، وقال الألباني ضعيف جدًا**].

(٥) حديث: دعا في العجوة بالبركة وقال: «هي من الجنة وشفاء من السم والسحر». أخرجه البزار والطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن الأسود قال: كنا عند رسول اللهﷺ في وفد سدوس فأهدينا له تمرا. وفيه: حتى ذكرنا تمر أهلنا هذا الجذامي فقال: «بارك الله في الجذامي وفي حديقة خرج هذا منها... الحديث» قال أبو موسى المديني: قيل هو تمر أحمر والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة «العجوة من الجنة وهي شفاء من

والبقلة الحمقاء التي يقال لها الرجلة[١] ، وكان يكره الكليتين لمكانهما من البول[٢] ، وكان لا يأكل من الشاة سبعًا: الذكر والأنثيين والمثانة والمرارة والغدد والحيا والدم، ويكره ذلك[٣] ، وكان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث[٤] ، وما ذم طعامًا قط لكن إن أعجبه أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم يبغضه إلى غيره[٥] وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما[٦] ، وكان يلعق بأصابعه الصحفة ويقول: «آخِرُ الطَّعَامِ أَكْثَرُ بَرَكَةٍ»[٧] ، وكان يلعق

السم» وفي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص «من تصبح بسبع تمرات من عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر». [حديث «دعا في العجوة . . .»، وحديث «بارك الله في الجذامي . . .» ، وحديث «العجوة من الجنة . . .» عند الترمذي : ٢٠٦٨، وابن ماجه : ٣٤٥٥، وانظر صحيح الترمذي ، وحديث «من تصبح بسبع . . .» عند البخاري : ٥٤٤٥، ومسلم: ٢٠٤٧]

(١) حديث: كان يحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء - التي يقال لها الرجلة - أبو نعيم في الطب النبوي من حديث ابن عباس "عليكم بالهندباء فإنه ما يوم إلا ويقطر عليه قطرة من قطر الجنة». وله من حديث الحسن بن علي وأنس بن مالك نحوه وكلها ضعيفة وأما الباذروج فلم أجد فيه حديثا وأما الرجلة فروى أبو نعيم من رواية ثوير قال: مر النبي ﷺ بالرجلة وفي رجله قرحة فداواها بها فبرئت فقال رسول الله ﷺ "بارك الله فيك أنبتي حيث شئت فأنت شفاء من سبعين داء أدناه الصداع" وهذا مرسل ضعيف. [حديث «عليكم بالهندباء . . .» انظر السلسلة الضعيفة: ٥٠٩، وقال الألباني : موضوع، وحديث «مر بالرجلة وفي رجله . . .».

(٢) ضعيف: حديث: كان يكره الكليتين لمكانهما من البول.

رويناه في جزء من حديث أبي بكر محمد بن عبيد الله بن الشخير من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف فيه أبو سعيد الحسن بن علي العدوي أحد الكذابين. [انظر ضعيف الجامع: ٤٦٠٥]

(٣) ضعيف: حديث: كان لا يأكل من الشاة الذكر والأنثيين والمثانة والمرارة والغدة والحيا والدم.

أخرجه ابن عدي ومن طريقه البيهقي من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف ورواه البيهقي من رواية مجاهد مرسلا. [انظر السلسلة الضعيفة: ٤٢٩٢]

(٤) حديث: كان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث.

أخرجه مالك في الموطأ عن الزهري عن سليمان بن يسار مرسلا ووصله الدارقطني في غرائب مالك عن الزهري عن أنس وفي الصحيحين من حديث جابر: أتى بقدر فيه خضرات من بقول فوجد لها ريحا... الحديث. وفيه قال فإني أناجي من لا تناجي. ولمسلم من حديث أبي أيوب في قصة بعثه إليه بطعام فيه ثوم فلم يأكل منه وقال "إني أكرهه من أجل ريحه". [حديث «كان لا يأكل الثوم . . .» انظر السلسلة : ٤٢٣٠، وحديث «أتى بقدر . . .» عند البخاري : ٨٥٥، ومسلم: ٥٦٤، وحديث «إني أكرهه . . .» عند مسلم : ٢٠٥٣]

(٥) صحيح: حديث: ما ذم طعاما قط لكن إن أعجبه أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم يبغضه إلى غيره.

تقدم أول الحديث وفي الصحيحين من حديث ابن عمر في قصة الضب فقال "كلوا فإنه ليس بحرام ولا بأس به ولكنه ليس من طعام قومي". [البخاري : ٧٢٦٧ ، ومسلم: ١٩٤٤]

(٦) حديث: كان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما.

أما الضب ففي الصحيحين عن ابن عباس "لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه" ولهما من حديث ابن عمر "أحلت لنا ميتتان ودمان" وفيه "أما الدمان: فالكبد والطحال" وللبيهقي موقوفا على زيد بن ثابت "إني لآكل الطحال وما بي إليه حاجة إلا ليعلم أهلي أنه لا بأس به". [حديث «لم يكن بأرض . . .» عند البخاري : ٥٣٩١، ومسلم : ١٩٤٥، وحديث «أحلت لنا ميتتان . . .» عند ابن ماجه : ٣٣١٤، وانظر السلسلة الصحيحة ١١١٨، ولم أره عند الشيخين ، وحديث «إني لا آكل الطحال . . .»]

(٧) حديث: كان يلعق الصحفة ويقول «آخر الطعام أكثر بركة». أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من حديث

أصابعه من الطعام حتى تحمرّ[١] ، وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه واحدة واحدة ويقول: إنه لا يدري في أي الطعام البركة[٢] ، وإذا فرغ قال: «الحَمْدُ لله اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَطْعَمْتَ فَأَشْبَعْتَ وَسَقَيْتَ فَأَرْوَيْتَ لَكَ الحَمْدُ غَيْرَ مَكْفُورٍ وَلاَ مُوَدَّعٍ وَلاَ مُسْتَغْنًى عَنْهُ»[٣] ، وكان إذا أكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلًا جيدًا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه[٤] ، وكان يشرب في ثلاث دفعات وله فيها ثلاث تسميات وفي أواخرها ثلاث تحميدات[٥] ، وكان يمص الماء مصًا ولا يعب عبًا[٦] ، وكان يدفع فضل سؤره إلى من على يمينه[٧] ، فإن كان من على يساره أجلّ رتبة قال للذي على يمينه: «السُّنَّةُ أَنْ تُعْطَى فَإِنْ

جابر في حديث قال فيه: ولا ترفع القصعة حتى تلعقها - أو تلعقها - فإن آخر الطعام فيه البركة. ومسلم من حديث أنس: أمرنا أن نسلت الصحفة. وقال "إن أحدكم لا يدري أي طعامه يبارك له فيه». [حديث «ولا ترفع . . .» انظر صحيح الترغيب : ٢١٦١، وحديث «أمرنا أن نسلت. . .» عند مسلم : ٢٠٣٤]

(١) صحيح دون قوله حتى تحمر : حديث: كان يلعق أصابعه من الطعام حتى تحمر.

أخرجه من حديث كعب بن مالك دون قوله حتى تحمر فلم أقف له على أصل. [مسلم: ٢٠٣٢]

(٢) صحيح : حديث: كان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه واحدة واحدة ويقول "إنه لا يدري في أي أصابعه البركة». أخرجه مسلم من حديث كعب بن مالك: أن النبي ﷺ كان لا يمسح يده حتى يلعقها وله من حديث جابر: فإذا فرغ فليلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة؟ وللبيهقي في الشعب من حديثه "لا يمسح أحدكم يده بالمنديل حتى يلعق يده فإن الرجل لا يدري في أي طعامه يبارك له فيه". [حديث «كان لا يمسح . . .» عند مسلم : ٢٠٣٣ عن كعب، وحديث «فإن فرغ . . .» مسلم: ٢٠٣٣ عن جابر ، وحديث «لا يمسح أحدكم. . .» انظر السلسلة الصحيحة: ١٤٠٤]

(٣) حديث: وإذا فرغ قال "اللهم لك الحمد أطعمت وأشبعت وسقيت وأرويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه». أخرجه الطبراني من حديث الحارث بن الحارث بسند ضعيف وللبخاري من حديث أبي أمامة: كان إذا فرغ من طعامه قال "الحمد لله الذي كفانا وآوانا غير مكفي ومكفور" وقال مرة "الحمد لله ربنا غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا". [حديث «وإذا فرغ قال . . .» انظر السلسلة الضعيفة : ٤٢٠٩ ، وحديث «كان إذا فرغ . . .» عند البخاري : ٥٤٥٨ ، ٥٤٥٩]

(٤) ضعيف جدًا : حديث: كان إذا أكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلا جيدا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه.

أخرجه أبو يعلى من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف "من أكل من هذه اللحوم شيئا فليغسل يده من ريح وضره لا يؤذى من حذاءه". [انظر السلسلة الضعيفة: ٤٥٦١]

(٥) حديث: كان يشرب في ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات وفي آخرها ثلاث تحميدات». أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ورجاله ثقات ومسلم من حديث أنس: كان إذا شرب تنفس ثلاثا. حديث «كان يشرب في ثلاث...» انظر السلسلة الصحيحة : ١٢٧٧، وقال الألباني : حسن صحيح ، وحديث «إذا شرب تنفس...» عند مسلم : ٢٠٢٨]

(٦) حديث: كان يمص الماء مصا ولا يعبه عبا.

أخرجه البغوي والطبراني وابن عدي وابن قانع وابن منده وأبو نعيم في الصحابة من حديث بهز: كان يستاك عرضا ويشرب مصا. وللطبراني من حديث أم سلمة: كان لا يعب. ولأبي الشيخ من حديث ميمونة: لا يعب ولا يلهث. وكلها ضعيفة. [حديث «كان يستاك عرضًا. . .» انظر ضعيف الجامع : ٤٥٥٢، وحديث «لا يعب. . .» انظر ضعيف الجامع : ٤٥٢٨]

(٧) صحيح : حديث: كان يدفع فضل سؤره إلى من عن يمينه.

متفق عليه من حديث أنس. [البخاري : ٢٣٥٢، ومسلم : ٢٠٢٩]

أَحْبَبْتَ آثَرْتَهُمْ»[(١)] ، وربما كان يشرب بنفس واحد حتى يفرغ[(٢)] وكان لا يتنفس في الإناء بل ينحرف عنه[(٣)] ، وأتي بإناء فيه عسل ولبن فأبى أن يشربه وقال: «شُرْبَتَانِ فِي شُرْبَةٍ وَإِدَامَانِ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ؟»[(٤)] ، ثم قال ﷺ: «لاَ أُحَرِّمُهُ وَلكِنِّي أَكْرَهُ الفَخْرَ وَالحِسَابَ بِفُضُولِ الدُّنْيَا غَدًا وَأُحِبُّ التَّوَاضُعَ فَإِنَّ مَنْ تَوَاضَعَ لله رَفَعَهُ الله» ، وكان في بيته أشدّ حياء من العاتق لا يسألهم طعامًا ولا يتشهاه عليهم إن أطعموه أكل وما أعطوه قبل وما سقوه شرب[(٥)] ، وكان ربما قام

---

(١) صحيح : حديث: استئذانه من على يمينه إذا كان من على يساره أجل رتبة.
متفق عليه من حديث سهل بن سعد. [البخاري : ٢٣٥١، ومسلم: ٢٠٣٠]

(٢) حديث: شربه بنفس واحد.
أخرجه أبو الشيخ من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف وللحاكم من حديث أبي قتادة وصححه "إذا شرب أحدكم فليشرب بنفس واحد" ولعل تأويل هذين الحديثين على ترك التنفس في الإناء والله أعلم. [وقع في بعض النسخ بلفظ «فلا يشرب بنفس واحد» وصححه الألباني بهذا اللفظ ، انظر صحيح الجامع : ٦٢٦ ، ولفظ «فليشرب» حملها على البعض على ترك التنفس في الإناء كما ذكر المصنف - رحمه الله -]

(٣) حسن : حديث: ان لا يتنفس في الإناء حتى ينحرف عنه.
أخرجه الحاكم من حديث أبي هريرة ذ"ولا يتنفس أحدكم في الإناء إذا شرب منه ولكن إذا أراد أن يتنفس فليؤخره عنه ثم يتنفس" وقال حديث صحيح الإسناد. [انظر صحيح الجامع : ٦٢٤]

(٤) ضعيف جدًا : حديث: أتي بإناء فيه عسل ولبن فأبى أن يشربه وقال "شربتان في شربة وإدامان في إناء واحد؟. رواه البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله "شربتان في شربة" إلى آخره وسنده ضعيف. [انظر السلسلة الضعيفة : ٤٨٧٥]

(٥) حديث: كان في بيته أشد حياء من العاتق لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه عليهم إن أطعموه أكل وما أطعموه قبل وما سقوه شرب.

رواه الشيخان من حديث أبي سعيد: كان أشد حياء من العذراء في خدرها... الحديث. وقد تقدم.
وأما كونه كان لا يسألهم طعاما فإنه أراد أي طعام بعينه من حديث عائشة: أنه قال ذات يوم "يا عائشة هل عندكم شيء. " قالت: فقلت ما عندنا شيء... الحديث وفيه: فلما رجع قلت أهديت لنا هدية، قال "ما هو؟ " قلت: حيس، قال "هاتيه" وفي رواية "قربيه" وفي رواية للنسائي "أصبح عندكم شيء تطعمينيه. " ولأبي داود "هل عندكم طعام. " وللترمذي "أعندك غداء. ». وفي الصحيحين من حديث عائشة: فدعا بطعام فأتى بخبز وأدم من أدم البيت فقال "ألم أر برمة على النار فيها لحم؟... الحديث" وفي رواية لمسلم "لو صنعتم لنا من هذا اللحم... الحديث" فليس في قصة بريرة إلا الاستفهام والرضا [وقد مر : . . . متفق عليه من حديث عائشة : "أهدي لبريرة لحم فقال النبي ﷺ: هو لها صدقة ولنا هدية"]. والحكمة فيه بيان الحكم لا التشهي والله أعلم.

وللشيخين من حديث أم الفضل: أنها أرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره فشربه. ولأبي داود من حديث أم هانئ: فجاءت الوليدة بإناء فيه شراب فتناوله فشرب منه. وإسناده حسن. [حديث «كان أشد حياء . . .» عند البخاري : ٦١١٩، ومسلم : ٢٣٢٠، حديث «هل عندكم . . .» عند مسلم : ١١٥٤، وحديث «أصبح عندكم . . .» عند النسائي : ٢٣٢٦، وانظر صحيح النسائي ، قال الألباني : حسن صحيح ، وحديث «هل عندكم طعام» عند أبي داود : ٢٤٥٥، وانظر صحيح الجامع : ٤٧١٩، وحديث «أعندك غذاء» عند الترمذي : ٧٣٤ وانظر صحيح الترمذي ، وقال الألباني : حسن صحيح ، وحديث «فدعا بطعام . . .» عند البخاري : ٥٠٩٧، ومسلم : ١٥٠٤، والبرمة: القدر المصنوع من الحجارة ، وحديث «لو صنعتم لنا من . . .» عند مسلم : ١٥٠٤، وحديث «أهدي لبريرة . . .» عند البخاري : ٢٥٧٨، ومسلم : ١٥٠٤، وحديث «أنها أرسلت . . .» عند البخاري: ١٦٦٢ ، ومسلم : ١١٢٣ ، وحديث «فجاءت الوليدة . . .» عند أبي داود : ٢٤٥٦، وانظر صحيح أبي داود].

فأخذ ما يأكل بنفسه أو يشرب [١].

بيان آدابه وأخلاقه في اللباس:

كان ﷺ يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك[٢] ، وكان يعجبه الثياب الخضر[٣] ، وكان أكثر لباسه البياض ويقول: «أَلْبِسُوهَا أَحْيَاءَكُمْ وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ» ، وكان يلبس القباء المحشوّ للحرب وغير الحرب[٤] ، وكان له قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه[٥] ، وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الإزار

---

(١) حديث: وكان ربما قام فأخذ ما يأكل أو يشرب بنفسه.

أخرجه أبو داود من حديث أم المنذر بنت قيس: دخل على رسول الله ﷺ فشرب ومعه علي - وعلى ناقة - ولنا دوال معلقة فقام رسول الله ﷺ فأكل منها... الحديث. وإسناده حسن وللترمذي وصححه وابن ماجه من حديث كبشة: دخل على رسول الله ﷺ فشرب من قربة معلقة قائما... الحديث. [حديث «دخل فشرب ومعه علي . . .» عند أبي داود : ٣٨٥٦، وانظر السلسلة الصحيحة : ٥٩، وحسنه الألباني ، وحديث «دخل فشرب من قربة . . .» عند الترمذي : ١٨٩٢ ، وابن ماجه : ٣٤٢٣ ، وانظر صحيح الترمذي]

*٢*بيان آدابه وأخلاقه في اللباس

(٢) حديث: كان يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك.

أخرجه الشيخان من حديث عائشة: أنها أخرجت إزارا مما يصنع باليمن وكساء من هذه الملبدة فقالت في هذا قبض رسول الله ﷺ وفي رواية: إزارا غليظا. ولهما من حديث أنس: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية... الحديث. لفظ مسلم وقال البخاري برد نجراني. وابن ماجه بسند ضعيف من حديث ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يلبس قميصا قصير اليدين والطول. وأبو داود والترمذي وحسنه. والنسائي من حديث أم سلمة: كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص. ولأبي داود من حديث أسماء بنت يزيد: كانت يد قميص رسول الله ﷺ إلى الرسغ. وفيه شهر بن حوشب مختلف فيه وتقدم قبل هذا الحديث حديث: الجبة والشملة والحبرة. [حديث «أنها أخرجت . . .» عند البخاري : ٣١٠٨ ، ومسلم: ٢٠٨٠، وحديث «كنت أمشي . . .» عند البخاري : ٣١٤٩، ومسلم : ١٠٥٧ ، وحديث «كان يلبس قميص قصير . . .» عن ابن ماجه : ٣٥٧٧، وانظر ضعيف ابن ماجه ، وحديث «كان أحب الثياب . . .» عند أبي داود : ٤٠٢٥ ، والترمذي ١٧٦٢ ، وانظر صحيح الترغيب : ٢٠٢٨ ، وحديث «كانت يد قميص . . .» عن أبي داود : ٤٠٢٧ ، وانظر ضعيف أبي داود]

(٣) صحيح : حديث: كان أكثر لباسه البياض ويقول "ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم». أخرجه ابن ماجه والحاكم من حديث ابن عباس "خير ثيابكم البياض فألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم" قال الحاكم: صحيح الإسناد وله ولأصحاب السنن من حديث سمرة "عليكم بهذه الثياب البياض فليلبسها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم" لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وقال الترمذي حسن صحيح. [حديث «خير ثيابكم . . .» عند ابن ماجه : ١٤٧٢ ، وانظر صحيح ابن ماجه ، وحديث «عليكم بهذه الثياب . . .» عند أبي داود : ٤٠٦١، والترمذي : ٩٩٤، والنسائي : ٥٣٢٣ ، وابن ماجه : ٣٥٦٧ ، وانظر صحيح أبي داود]

(٤) حديث: كان يلبس القباء المحشو للحرب وغير الحرب.

أخرجه الشيخان من حديث المسور بن مخرمة: أن النبي ﷺ قدمت عليه أقبية من ديباج مزرر بالذهب... الحديث. وليس في طرق الحديث لبسها إلا في طريق علقها البخاري قال: فخرج وعليه قباء من ديباج مزررة بالذهب... الحديث ومسلم من حديث جابر: لبس النبي ﷺ يوما قباء من ديباج أهدي له ثم نزعه... الحديث. [أخرجه البخاري تعليقًا عقب حديث : ٥٨٦٢ عن المسور ، ومسلم : ٢٠٧٠، عن جابر]

(٥) حديث: كان له قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه.

أخرجه أحمد من حديث أنس: أن أكيدر دومة أهدى إلى النبي ﷺ جبة سندس أو ديباج قبل أن ينهى عن الحرير

فوق ذلك إلى نصف الساق(١) ، وكان قميصه مشدود الأزرار وربما حل الأزرار في الصلاة وغيرها(٢) ، وكانت له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها(٣) ، وربما لبس الكساء وحده ما عليه غيره(٤) ، وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول: «إِنَّما أَنَا عَبْدٌ أَلْبَسُ كَمَا يَلْبَسُ العَبْدُ»(٥) ، وكان له ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة(٦) ، وربما

فلبسها. والحديث في الصحيحين وليس فيه أنه لبسها وقال فيه: وكان ينهى عن الحرير وعند الترمذي وصححه النسائي أنه لبسها ولكنه قال: بجبة ديباج منسوجة فيها الذهب. [البخاري : ٣٢٤٨ ، ومسلم : ٢٤٦٩ بدون لفظ (لبسها» ، والترمذي : ١٧٢٣ ، والنسائي : ٥٣٠٢، وأحمد : ١٢٧٣٦ ، وانظر صحيح الترمذي]

(١) حديث: كان ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق

رواه أبو الفضل محمد بن طاهر في كتاب صفوة التصوف من حديث عبد الله بن يسر: كانت ثياب رسول الله ﷺ إزاره فوق الكعبين وقميصه فوق ذلك ورداؤه فوق ذلك وإسناده ضعيف والحاكم وصححه من حديث ابن عباس: كان يلبس قميصا فوق الكعبين... الحديث. وهو عنده بلفظ: قميصا قصير اليدين والطول وعندهما والترمذي في الشمائل من رواية الأشعث قال: سمعت عمتي تتحدث عن عمها فذكر النبي ﷺ وفيه: فإذا إزاره إلى نصف ساقه ورواه النسائي وسمى الصحابي عبيد بن خالد واسم عمه الأشعث وهم بيت الأسود ولا يعرف. [حديث «كانت ثياب . . .» ، وحديث «كان يلبس قميصًا . . .» انظر السلسلة الضعيفة : ٢٤٥٧، وحديث «قميصًا قصير اليدين . . .» انظر السلسلة الضعيفة : ٢٤٥٨، وحديث «إزاره إلى نصف . . .» انظر السلسلة الضعيفة : ١٨٥٧]

(٢) حديث: كان قميصه مشدود الأزرار وربما حل الأزرار في الصلاة وغيرها

أبو داود والبيهقي والترمذي في الشمائل من رواية معاوية بن قرة بن إياس عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺ في رهط من مزينة وبايعناه وإن قميصه لمطلق الأزرار. وللبيهقي من رواية زيد بن أسلم قال: رأيت ابن عمر يصلي محلولة أزراره فسألته عن ذلك فقال: رأيت رسول الله ﷺ يفعله. وفي العلل للترمذي أنه سأل البخاري عن هذا الحديث فقال: أنا أتقي هذا الشيخ كأن حديثه موضوع يعني زهير بن محمد راويه عن زيد بن أسلم قلت تابعه الوليد بن مسلم عن زيد رواه عن خزيمة في صحيحه، وللطبراني من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يصلي محتبيا محلل الأزرار. [حديث «أتيت في رهط من . . .» عند أبي داود : ٤٠٨٢، وانظر صحيح أبي داود ، وحديث «رأيت ابن عمر . . .» انظر ضعيف الترغيب : ٣٤ ، وحديث «هو يصلي محتبيًا . . .»]

(٣) حديث: كان له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها

أخرجه أبو داود والترمذي من حديث قيلة بنت مخرمة قالت: رأيت النبي ﷺ وعليه أسمال ملاءتين كانتا يزعفران [بزعفران؟؟] قال الترمذي لا نعرفه إلا من عبد الله بن حسان. قلت ورواته موثقون وأبو داود من حديث قيس بن سعد فاغتسل ثم ناوله أبي سعد ملحفة مصبوغة بزعفران أو ورس فاشتمل بها... الحديث. ورجاله ثقات. [حديث «رأيته عليه أسمال . . .» عند الترمذي : ٢٨١٤ ، وانظر صحيح الترمذي ، وحسنه الألباني ، وحديث «فاغتسل ثم ناوله . . .» عند أبي داود : ٥١٨٥، وانظر ضعيف أبي داود]

(٤) ضعيف : حديث: ربما لبس الكساء وحده ليس عليه غيره

رواه ابن ماجه وابن خزيمة من حديث ثابت بن الصامت: أن النبي ﷺ صلى في بني عبد الأشهل وعليه كساء متلفف به... الحديث. وفي رواية البزار في كساء. [ابن ماجه : ١٠٣٢، وانظر ضعيف ابن ماجه]

(٥) صحيح : حديث: كان له كساء ملبد يلبسه ويقول "أنا عبد ألبس كما يلبس العبد». أخرجه الشيخان من رواية أبي بردة قال: أخرجت إلينا عائشة كساء ملبدا وإزارا غليظا فقالت: في هذين قبض رسول الله ﷺ. وللبخاري من حديث عمر "إنما أنا عبد" ولعبد الرزاق في المصنف من رواية أيوب السختياني مرفوعا معضلا "إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد" وتقدم من حديث أنس وابن عمر وعائشة متصلا. [حديث «أخرجت إلينا عائشة . . .» عند البخاري : ٥٨١٨ ، ومسلم : ٢٠٨٠، وحديث «إنما أنا عبد» عند البخاري : ٣٤٤٥ ، وحديث «إنما أنا عبد آكل . . .» انظر السلسلة الصحيحة : ٥٤٤]

(٦) حديث: كان له ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة

لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره ويعقد طرفيه بين كتفيه(١) ، وربما أمَّ به الناس على الجنائز(٢) ، وربما صلى في بيته في الإزار الواحد ملتحفًا به مخالفًا بين طرفيه ويكون ذلك الإزار الذي جامع فيه يومئذ(٣) ، وكان ربما صلى بالليل في الإزار ويرتدي ببعض الثوب مما يلي هدبه ويلقي البقية على بعض نسائه فيصلي كذلك(٤) ، ولقد كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمة: بأبي أنت وأمي ما فعل ذلك الكساء الأسود؟ فقال: «كَسَوْتَهُ» فقالت ما رأيت شيئًا قط كان أحسن من بياضك على سواده (٥). وقال أنس: وربما رأيته يصلي بنا الظهر في شملة عاقدًا بين طرفيه(٦) .

أخرجه الطبراني في الصغير والأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف زاد: فإذا انصرف طويناهما إلى مثله. ويرده حديث عائشة عبد ابن ماجه: ما رأيته يسب أحدا ولا يطوى له ثوب. [حديث «كان له ثوبان. . .» ، وحديث «ما رأيته يسب. . .» عند ابن ماجه: ٣٥٥٤، وانظر ضعيف ابن ماجه]

(١) حديث: ربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره فعقد طرفيه بين كتفيه.

أخرجه الشيخان من حديث عمر في حديث اعتزاله أهله: فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره. وللبخاري من رواية محمد بن المنكدر صلى بنا جابر في إزار قد عقده من قبل قفاه وثيابه موضوعة على المشجب وفي رواية له وهو يصلي في ثوب ملتحفا به ورداؤه موضوع وفيه: رأيت النبي ﷺ يصلي هكذا. [حديث «فإذا عليه إزاره وليس. . .» عند مسلم : ١٤٧٩، وحديث «صلى بنا جابر . . .» عند البخاري : ٣٥٢ ، وحديث «وهو يصلي في ثوب . . .» عند البخاري : ٣٧٠]

(٢) حديث: ربما أم به الناس على الجنائز.

لم أقف عليه.

(٣) حديث: ربما صلى في بيته في الإزار الواحد ملتحفا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الإزار الذي جامع فيه يومئذ

أخرجه أبو يعلى بإسناد حسن من حديث معاوية قال: دخلت على أم حبيبة زوج النبي ﷺ فرأيت النبي ﷺ في ثوب واحد فقلت: يا أم حبيبة أيصلي النبي ﷺ في الثوب الواحد؟ قالت: نعم، وهو الذي كان فيه ما كان - تعني الجماع - ورواه الطبراني في الأوسط.

(٤) حديث: ربما كان يصلي بالليل ويرتدي ببعض الثوب مما يلي هدبه ويلقي البقية على نسائه.

أخرجه أبو داود من حديث عائشة: أن النبي ﷺ صلى في ثوب بعضه على. ولمسلم: كان يصلي من الليل وأنا إلى جنبه وأنا حائض وعلى مرط بعضه على رسول الله ﷺ. وللطبراني في الأوسط من حديث أبي عبد الرحمن حاضن عائشة: رأيت النبي ﷺ وعائشة يصليان في ثوب واحد نصفه على النبي ﷺ ونصفه على عائشة. وسنده ضعيف. [حديث «أنه صلى في ثوب بعضه. . .» عند أبي داود : ٦٣١ ، وانظر صحيح أبي داود ، وحديث «كان يصلي من . . .» عند مسلم : ٥١٤، وحديث «رأيت النبي ﷺ وعائشة...»].

(٥) حديث: كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمة: بأبي أنت وأمي ما فعل ذلك الكساء الأسود؟ فقال "كسوته" فقالت: ما رأيت شيئا قط كان أحسن من بياضك على سواده

لم أقف عليه من حديث أم سلمة. ولمسلم من حديث عائشة: خرج النبي ﷺ وعليه مرط مرجل أسود. ولأبي داود والنسائي: صنعت للنبي ﷺ بردة سوداء من صوف فلبسها... الحديث. وزاد فيه ابن سعد في الطبقات: فذكرت بياض النبي ﷺ وسوادها ورواه الحاكم بلفظ: جبة. وقال صحيح على شرط الشيخين. [حديث «خرج وعليه مرط. . .» عند مسلم : ٢٠٨١، وحديث «صنعت للنبي ﷺ بردة...» عند أبي داود : ٤٠٧٤، وانظر صحيح أبي داود ، وحديث «فذكرت بياض...»، والحديث بلفظ «بية» انظر السلسلة الصحيحة: ٢١٣٦]

(٦) حديث أنس: ربما رأيته يصلي بنا الظهر في شملة عاقدا بين طرفيها.

وكان يتختم [١]، وربما خرج وفي خاتمه الخيط المربوط يتذكر به الشيء[٢]، وكان يختم به على الكتب ويقول: الخاتم على الكتاب خير من التهمة[٣] وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة، وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي إليها[٤]، وربما لم تكن العمامة فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته[٥]، وكانت له عمامة تسمى: السحاب، فوهبها من علي فربما طلع علي فيها فيقول ﷺ: «أَتَاكُمْ عَلِيٌّ فِي السَّحَابِ»[٦].

أخرجه البزار وأبو يعلى بلفظ: صلى بثوب واحد وقد خالف بين طرفيه. وللبزار: خرج في مرضه الذي مات فيه مرتديا بثوب قطن فصلى بالناس وإسناده صحيح. وابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت: صلى في شملة قد عقد عليها. وفي كامل ابن عدي: قد عقد عليها هكذا - وأشار سفيان إلى قفاه - وفي جزء الغطريف: فعقدها في عنقه ما عليه غيرها. وإسناده ضعيف. [حديث «صلى بثوب واحد. . .» عند ابن ماجه: ٥٤١، وانظر صحيح ابن ماجه، وحسنه الألباني، حديث «خرج في مرضه. . .»، وحديث «صلى في شملة. . .» عند ابن ماجه: ٣٥٥٢، وانظر ضعيف ابن ماجه، والحديث بزيادة «هكذا. . .»]

(١) صحيح: حديث: كان يتختم.

أخرجه الشيخان من حديث ابن عمر وأنس. [البخاري: ٥٨٦٦، ومسلم: ٢٠٩١، عن ابن عمر، والبخاري: ٦٥، ومسلم: ٢٠٩٢ عن أنس، ويتختم: أي يجعل له خاتمًا]

(٢) موضوع: حديث: ربما خرج وفي خاتمه خيط مربوط يتذكر به الشيء.

أخرجه ابن عدي من حديث واثلة بسند ضعيف: كان إذا أراد الحاجة أوثق في خاتمه خيطا. وزاد الحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث ابن عمر: ليذكره به. وسنده ضعيف. [انظر ضعيف الجامع: ٣٤٤٠]

(٣) حديث كان يختم به على الكتب ويقول "الخاتم على الكتاب خير من التهمة". أخرجه الشيخان من حديث أنس: لما أراد النبي ﷺ أن يكتب إلى الروم قالوا إنهم لا يقرؤون إلا كتابا مختوما، فاتخذ خاتما من فضة... الحديث. والنسائي والترمذي في الشمائل من حديث ابن عمر: اتخذ خاتما من فضة كان يختم به ولا يلبسه. وسنده صحيح وأما قوله" الخاتم على الكتاب خير من التهمة" فلم أقف له على أصل. [حديث «لما أراد. . .» عند البخاري: ٦٥، ومسلم: ٢٠٩٢، وحديث «اتخذ خاتمًا من فضة. . .» عند النسائي: ٥٢١٨ وانظر الشمائل: ٧٢، وانظر صحيح النسائي، قال الألباني: صحيح دون قوله «ولا يلبسه» فإنه شاذ]

(٤) حديث: كان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي إليها

أخرجه الطبراني وأبو الشيخ والبيهقي في شعب الإيمان من حديث ابن عمر: كان رسول الله عليه وسلم يلبس قلنسوة بيضاء. ولأبي الشيخ من حديث ابن عباس: كان لرسول الله ﷺ ثلاث قلانس. قلنسوة بيضاء مضربة وقلنسوة برد حبرة وقلنسوة ذات آذان يلبسها في السفر فربما وضعها بين يديه إذا صلى وإسنادهما ضعيف ولأبي داود والترمذي من حديث ركانة "فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس" قال الترمذي: غريب وليس إسناده بالقائم. [حديث «كان يلبس قلنسوة. . .» انظر السلسلة الضعيفة: ٢٥٣٨، وحديث «كان له ثلاث قلانس. . .» انظر ضعيف الجامع: ٤٦١٩، وقال الألباني: ضعيف جدًا، وحديث «فرق بيننا. . .» عند أبي داود: ٤٠٧٨، والترمذي: ١٧٨٤، وانظر ضعيف الجامع: ٣٩٥٩]

(٥) صحيح: حديث: ربما لم تكن العمامة فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته.

أخرجه من حديث ابن عباس: صعد رسول الله ﷺ المنبر وقد عصب رأسه بعصابة دسماء... الحديث. [انظر الشمائل: ٩٥]

(٦) حديث: كانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من علي فربما طلع علي فيها فيقول ﷺ "أتاكم علي في

وكان إذا لبس ثوبًا لبسه من قبل ميامنه[١]، ويقول: «الحَمْدُ لله الَّذِي كَسَانِي مَا أُوَارِي بِهِ عَوْرَتِي وَأَتَجَمَّلُ بِهِ فِي النَّاسِ»[٢]، وإذا نزع ثوبه وأخرجه من مياسره[٣]، وكان إذا لبس جديدًا أعطى خلق ثيابه مسكينًا ثم يقول: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَكْسُو مُسْلِمًا مِنْ سَمِلِ ثِيَابِهِ لاَ يَكْسُوهُ إِلاَّ لله إِلاَّ كَانَ فِي ضَمَانِ الله وَحِرْزِهِ وَخَيْرِهِ مَا وَارَاهُ حَيًّا وَمَيِّتًا»[٤]، وكان له فراش من أدم حشوه ليف طوله ذراعان أو نحوه وعرضه، ذراع وشبر أو نحوه[٥]، وكانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تُثنى طاقين تحته[٦].

السحاب». أخرجه ابن عدي وأبو الشيخ من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده وهو مرسل ضعيف جدا ولأبي نعيم في دلائل النبوة من حديث عمر في أثناء حديث: عمامته السحاب... الحديث. [حديث «أتاكم علي . . .» انظر السلسلة الضعيفة: ٤٨٨١، وقال الألباني : موضوع]

(١) صحيح: حديث: كان إذا لبس ثوبا يلبسه من قبل ميامنه.

أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة ورجاله رجال الصحيح وقد اختلف في رفعه. [الترمذي : ١٧٦٦ ، وانظر صحيح الجامع: ٤٧٧٩]

(٢) ضعيف: حديث «الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في الناس». أخرجه الترمذي وقال غريب وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث عمر بن الخطاب. [الترمذي: ٣٥٦٠، وابن ماجه: ٣٥٥٧، وانظر ضعيف الترغيب: ١٢٤٩]

(٣) حديث: كان إذا نزع ثوبه خرج من مياسره.

أخرجه أبو الشيخ من حديث ابن عمر: كان إذا لبس شيئا من الثياب بدأ بالأيمن وإذا نزع بدأ بالأيسر. وله من حديث أنس: كان إذا ارتدى أو ترجل أو انتعل بدأ بيمينه وإذا خلع بدأ بيساره. وسندهما ضعيف وهو في الانتعال في الصحيحين من حديث أبي هريرة من قوله لا من فعله. [حديث «كان إذا لبس . . .»، وحديث «كان إذا ارتدى . . .» انظر ضعيف الجامع : ٤٤٥٨ عن ابن عباس ولم أقف عليه عن ابن عمر ، وحديث «الانتعال» عند البخاري : ٥٨٥٦ ، ومسلم : ٢٠٩٧]

(٤) ضعيف: حديث: كان إذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول "ما من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه إلا لله إلا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حيا وميتا

أخرجه الحاكم في المستدرك والبيهقي في الشعب من حديث عمر قال: رأيت رسول الله ﷺ دعا بثيابه فلبسها فلما بلغ تراقيه قال "الحمد لله الذي كساني ما أتجمل به في حياتي وأواري به عورتي" ثم قال "ما من مسلم يلبس ثوبا جديدا... الحديث" دون ذكر: تصدقه ﷺ بثيابه وهو عند الترمذي وابن ماجه دون ذكر لبس النبي ﷺ لثيابه وهو أصح وقد تقدم قال البيهقي وهو غير قوي. [الترمذي : ٣٥٦٠، وابن ماجه : ٣٥٥٧ ، وانظر ضعيف الترغيب : ١٢٤٩]

(٥) حديث: كان له فراش من أدم حشوه ليف طوله ذراعان أو نحوه وعرضه ذراع وشبر أو نحوه

متفق عليه من حديث عائشة مقتصرا على هذا دون ذكر: عرضه وطوله. ولأبي الشيخ من حديث أم سلمة: كان فراش النبي ﷺ نحو ما يوضع الإنسان في قبره. وفيه: من لم يسم. [حديث «كان له فراش . . .» عند البخاري : ٦٤٥٦ ، ومسلم : ٢٠٨٢ ، وحديث «كان فراشه نحو ما . . .» عند أبي داود : ٥٠٤٤، وانظر ضعيف الترغيب : ٣٦٧ ، وقال الألباني : موضوع]

(٦) حديث: كانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل، تفرش طاقين تحته.

أخرجه ابن سعد في الطبقات وأبو الشيخ من حديث عائشة: دخلت علي امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله ﷺ عباءة مثنية... الحديث. ولأبي سعيد عنها: أنها كانت تفرش للنبي ﷺ عباءة باثنين... الحديث وكلاهما لا يصح والترمذي في الشمائل من حديث حفصة: وسئلت ما كان فراشه؟ قالت: مسح نثنيه اثنتين فينام عليه... الحديث. وهو

وكان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره[١]، وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه، وكان اسم رايته: العقاب. واسم سيفه الذي يشهد به الحروب: ذو الفقار. وكان له سيف يقال له: المخذم. وآخر يقال له: الرسوب، وآخر يقال له: القضيب. وكانت قبضة سيفه محلاة بالفضة[٢].

وكان يلبس المنطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة[٣]، وكان اسم قوسه: الكتوم. وجعبته الكافور[٤]، وكان اسم ناقته: القصواء، وهي التي يقال لها: العضباء واسم بغلته:

منقطع. [حديث «فرأت فراشه عباءة...» انظر السلسلة الصحيحة : ٢٤٨٤ ، وحديث «تفرش له عباءة...» ، وحديث «وسئلت ما كان...» انظر الشمائل : ٢٨٣، وقال الألباني : ضعيف جدًا]

(١) صحيح: حديث: كان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره.

متفق عليه من حديث عمر: في قصة اعتزال النبي ﷺ نساءه. [البخاري : ٢٤٦٨ ، ومسلم : ١٤٧٩]

(٢) حديث: كان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه، وكان اسم رايته: العقاب واسم سيفه الذي يشهد به الحروب: ذو الفقار وكان له سيف يقال له: المخذم. وآخر يقال له: الرسوب. وآخر يقال له: القضيب. وكانت قبضة سيفه محلاة بالفضة

أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس: كان رسول الله ﷺ سيف قائمته من فضة وقيعته من فضة كان يسمى ذا الفقار وكانت له قوس تسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجمع وكانت له درع موشحة بنحاس تسمى ذات الفضول وكانت له حربة تسمى النبعة وكانت له مجن تسمى الدفن وكان له ترس أبيض يسمى موجزا وكان له فرس أدهم يسمى السكب وكان له سرج يسمى الداج المؤخر وكان له بغلة شهباء يقال له الدلدل وكانت له ناقة تسمى القصواء وكان له حمار يسمى يعفور وكان له بساط يسمى الكر وكانت له عنزة تسمى الثمر وكانت له ركوة تسمى الصادر وكانت له مرآة تسمى المرآة وكان له مقراض يسمى الجامع وكان له قضيب شوحط يسمى الممشوق. وفيه علي بن غررة الدمشقي نسب إلى وضع الحديث ورواه ابن عدي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف: كانت راية رسول الله ﷺ سوداء تسمى العقاب. ورواه أبو الشيخ من حديث الحسن مرسلا وله من حديث علي بن أبي طالب: كان اسم سيف رسول الله ﷺ: ذا الفقار. أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس: أنه ﷺ تنقل سيفه ذا الفقار يوم بدر والحاكم من حديث علي في أثناء حديث وسيفه ذو الفقار وهو ضعيف ولابن سعد في الطبقات من رواية مروان بن أبي سعيد ابن المعلى مرسلا قال: أصاب رسول الله ﷺ من سلاح بني قينقاع ثلاثة أسياف: سيف قلعي وسيف يدعى بتارا وسيف يدعى الحتف، وكان عنده بعد ذلك المخذم ورسوب أصابهما من القلس وفي سنده الواقدي وذكر ابن أبي خيثمة في تاريخه: أنه يقال إنه ﷺ قدم المدينة ومعه سيفان يقال لأحدهما العضب شهد به بدرا ولأبي داود والترمذي وقال حسن والنسائي وقال منكر من حديث أنس: كانت قبيعة سيف رسول الله ﷺ فضة. [حديث «كان له سيف قائمته من...» انظر السلسلة الضعيفة : ٤٢٢٥ ، وقال الألباني : موضوع، وحديث «رأيته سوداء تسمى...» ، وحديث «كان اسم سيفه...» انظر ضعيف الجامع : ٤٤٧٣ ، وحديث «تنفل سيفه...» عند الترمذي : ١٥٦١، وابن ماجه : ٢٨٠٨ وانظر صحيح الترمذي ، قال الألباني : حسن، وحديث «أصاب من سلاح بني...»، وحديث «قدم المدينة ومعه سيفان...» ، وحديث «كانت قبيعة...» عند الترمذي : ١٦٩١، وأبي داود : ٢٥٨٤ ، والنسائي : ٥٣٧٤ ، وانظر صحيح الترمذي].

(٣) حديث: كان يلبس المنطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة

لم أقف له على أصل: ولابن سعد في الطبقات وأبي الشيخ من رواية محمد بن علي بن الحسين مرسلا: كان في درع النبي ﷺ حلقتان من فضة.

(٤) حديث: كان اسم قوسه الكتوم وجعبته الكافور.

لم أجد له أصلا وقد تقدم في حديث ابن عباس: أنه كانت له قوس تسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجمع

الدلدل. وكان اسم حماره يعفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينة (١)، وكان له مطهرة من فخار يتوضأ فيها ويشرب منها (٢)، فيرسل الناس أولادهم الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون على رسول الله ﷺ فلا يدفعون عنه، فإذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم وأجسادهم ويبتغون بذلك البركة.

بيان عفوه ﷺ مع قدرته: كان ﷺ أحلم الناس (٣)، وأرغبهم في العفو مع القدرة حتى أُتي بقلائد من ذهب وفضة فقسمها بين أصحابه فقام رجل من أهل البادية فقال: يا محمد والله لئن أمرك الله أن تعدل فما أراك تعدل، فقال: «وَيْحَكَ فَمَنْ يَعْدِلُ عَلَيْكَ بَعْدِي» فلما ولي قال: «رُدُّوهُ عَلَيَّ رُوَيْدًا» (٤)، روى جابر: أنه ﷺ كان يقبض الناس يوم خيبر من فضة في ثوب بلال فقال له رجل: يا رسول الله اعدل فقال له رسول الله ﷺ: «وَيْحَكَ فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ فَقَدْ خِبْتُ إِذَنْ وَخَسِرْتُ إِنْ كُنْتُ لاَ أَعْدِلُ» ، فقام عمر فقال: ألا أضرب عنقه فإنه منافق فقال: «مَعَاذَ الله أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي» (٥)، وكان رسول الله ﷺ في حرب فرأوا من

وقال ابن أبي خيثمة في تاريخه: أخذ رسول الله ﷺ يوم أحد من سلاح بني قينقاع ثلاثة قسي، قوس اسمها الروحاء، وقوس شوحط تدعى البيضاء، وقوس صفراء تدعى الصفراء، من سبع. [حديث «كانت له قوس . . .» انظر السلسلة الضعيفة : ٤٢٢٥ ، وقال الألباني : موضوع، وحديث «أخذه يوم أحد من سلاح . . .»].

(١) حديث: كان اسم ناقته القصواء وهي التي يقال لها العضباء واسم بغلته الدلدل واسم حماره يعفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينة. تقدم بعضه من حديث ابن عباس عند الطبراني، وللبخاري من حديث أنس: كان للنبي ﷺ ناقة يقال لها العضباء. ولمسلم من حديث جابر في حجة الوداع: ثم ركب القصواء والحاكم من حديث علي: ناقته القصواء وبغلته دلدل وحماره عفير... الحديث ورويناه في فوائد ابن الدحداح فقال: حماره يعفور وفيه شاته بركة والبخاري من حديث معاذ: كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له: عفير، ولابن سعد في الطبقات من رواية إبراهيم بن عبد الله من ولد عتبة بن غزوان: كانت منايح رسول الله ﷺ من الغنم سبعا: عجوة وزمزم وسقيا وبركة ورشة وإهلال وأطراف. وفي سنده الواقدي وله من رواية مكحول مرسلا: كانت له شاة تسمى قمر. [حديث «اسم ناقته . . .» انظر ضعيف الجامع : ٤٤٨٢ ، وقال الألباني : موضوع ، وحديث «ناقة يقال لها . . .» عند البخاري : ٢٨٧١ ، وحديث «ركب القصواء» عند مسلم : ١٢١٨ ، وحديث «ناقته القصواء . . .» انظر السلسلة الضعيفة : ٤٢٢٧ ، والحديث بلفظ «شاته بركة . . .» ، وحديث «كنت ردف . . .» عند البخاري : ٢٨٥٦ ، ومسلم : ٣٠، وحديث «كانت منايح . . .»، وحديث «كانت له شاة . . .»].

(٢) حديث: كانت له مطهرة من فخار يتوضأ فيها ويشرب فيها فيرسل الناس أولادهم الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون على رسول الله ﷺ فلا يدفعون عنه فإذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم وأجسادهم ويبتغون بذلك البركة.

لم أقف له على أصل.

(٣) حديث: كان أحلم الناس. تقدم.

(٤) صحيح: حديث: أتي بقلائد من ذهب وفضة فقسمها بين أصحابه فقام رجل من أهل البادية فقال: يا محمد والله لئن أمرك الله أن تعدل فما أراك تعدل، فقال "ويحك فمن يعدل عليه بعدي" فلما ولى قال "ردوه علي رويدا». أخرجه أبو الشيخ من حديث ابن عمر بإسناد جيد. [انظر ظلال الجنة : ٩٣٤]

(٥) صحيح: حديث جابر: أنه كان يقبض للناس يوم حنين من فضة في ثوب بلال فقال له رجل: يا نبي الله اعدل فقال له رسول الله ﷺ "ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل فقد خبت إذا وخسرت إن كنت لا أعدل" فقام

المسلمين غرّة فجاء رجل حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف فقال: من يمنعك مني؟ فقال: «الله» فقال: فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله ﷺ السيف وقال: «من يمنعك مني» ؟: فقال: كن خير آخذ قال: «قُلْ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله وَأَنِّي رَسُولُ الله» : فقال: لا، غير أني لا أقاتلك ولا أكون معك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله، فجاء أصحابه فقال: جئتكم من عند خير الناس[1] . وروى أنس: أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة ليأكل منها فجيء بها إلى النبي ﷺ فسألها عن ذلك فقالت: أردت قتلك؛ فقال: ما كان الله ليسلطك على ذلك، قالوا: أفلا تقتلها؟ فقال: لا[2]، وسحره رجل من اليهود فأخبره جبريل عليه أفضل الصلاة والسلام بذلك حتى استخرجه وحل العقد فوجد لذلك خفة وما ذكر ذلك لليهودي ولا أظهره عليه قط[3] ، وقال علي رضي الله عنه: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها، فانطلقنا حتى أتينا روضة خاخ فقلنا أخرجي الكتاب فقالت: ما معي من كتاب فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لننزعن الثياب، فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبي ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم أمرًا من أمر رسول الله ﷺ فقال: يا حاطب ما هذا؟ قال: يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقًا في قومي وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهلهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب منهم أن أتخذ فيهم يدًا يحمون بها قرابتي، ولم أفعل ذلك كفرًا ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ولا ارتدادًا عن ديني،

عمر فقال: ألا أضرب عنقه فإنه منافق فقال: معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي
رواه مسلم. [مسلم: ١٠٦٣]

(١) صحيح : حديث: كان في حرب فرؤي في المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف فقال: من يمنعك مني؟ فقال "الله" فقال: فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله ﷺ السيف وقال "من يمنعك مني. " فقال: كن خير آخذ قال "قل أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله" فقال: لا، غير أني لا أقاتلك ولا أكون معك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله، فجاء أصحابه فقال: جئتكم من عند خير الناس

متفق عليه من حديث جابر بنحوه وهو في مسند أحمد أقرب إلى اللفظ المصنف وسمي الرجل غورث بن الحارث. [البخاري : ٢٩١٠، ومسلم : ٨٤٣، وأحمد : ١٤٥١٢].

(٢) صحيح : حديث أنس: أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة ليأكل منها فجيء بها إلى النبي ﷺ فسألها عن ذلك فقالت: أردت قتلك، فقال "ما كان الله ليسلطك على ذلك" قالوا: أفلا تقتلها؟ فقال "لا». رواه مسلم وهو عند البخاري من حديث أبي هريرة. [البخاري : ٢٦١٧ ، ومسلم : ٢١٩٠ عن أنس، والبخاري : ٤٢٤٩ عن أبي هريرة]

(٣) صحيح : حديث: سحره رجل من اليهود فأخبره جبريل عليه أفضل الصلاة والسلام بذلك حتى استخرجه وحل العقد فوجد لذلك خفة وما ذكر ذلك لليهودي ولا أظهره عليه قط

أخرجه النسائي بإسناد صحيح من حديث زيد بن أرقم وقصة سحره في الصحيحين من حديث عائشة بلفظ آخر. [النسائي: ٤٠٨٠ عن زيد بن أرقم ، وانظر صحيح النسائي ، والبخاري : ٣٢٦٨ ، ومسلم : ٢١٨٩ عن عاشة]

فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ صَدَقَكُمْ» . فقال عمر رضي الله عنه: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال ﷺ: «إِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»»(١) ، وقسم رسول الله ﷺ قسمة فقال رجل من الأنصار: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي ﷺ فاحمرّ وجهه وقال: «رَحِمَ الله أَخِي مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هذَا فَصَبَرَ»(٢) ، وكان ﷺ يقول: «لاَ يُبَلِّغْنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ»(٣) .

بيان اغضائه ﷺ عما كان يكرهه:

كان رسول الله رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه ورضاه(٤) ، وكان إذا اشتد وجده أكثر من مس لحيته الكريمة(٥) ، وكان لا يشافه أحدًا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها فلم يقل له شيئًا حتى خرج فقال لبعض القوم: «لَوْ قُلْتُمْ لِهذَا أَنْ يَدَعَ هذِهِ»(٦) ، يعني: الصفرة. وبال أعرابي في المسجد بحضرته فهمَّ به الصحابة فقال ﷺ:

---

(١) حديث علي: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد وقال "انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها" فانطلقنا حتى أتينا روضة خاخ فقلنا أخرجي الكتاب فقالت: ما معي من كتاب فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لننزعن الثياب، فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبي ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم أمرا من أمر رسول الله ﷺ فقال "يا حاطب ما هذا. " قال: يا رسول الله لا تعجل علي أني كنت امرأ ملصقا في قومي وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهلهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب منهم إن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي، ولم أفعل ذلك كفرا ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ولا ارتداد عن ديني، فقال رسول الله ﷺ "إنه صدقكم" فقال عمر رضي الله عنه: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال ﷺ "إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». متفق عليه. [البخاري : ٣٠٠٧ ، ومسلم: ٢٤٩٤]

(٢) حديث: قسم رسول الله ﷺ قسمة فقال رجل من الأنصار: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله؟ فذكر ذلك للنبي ﷺ فاحمر وجهه وقال "رحم الله أخي موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر». متفق عليه من حديث ابن مسعود. [البخاري : ٦٠٥٩ ، ومسلم : ١٠٦٢]

(٣) ضعيف: حديث «لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر». أخرجه أبو داود والترمذي من حديث ابن مسعود وقال غريب من هذا الوجه. [أبو داود : ٤٨٦٠، والترمذي : ٣٨٩٦ ، وانظر ضعيف الجامع : ٦٣٢٢]

*٢*بيان إغضائه ﷺ عما يكرهه

(٤) حديث: كان رقيق البشرة لطيف الظاهر يعرف في وجهه غضبه.
أخرجه أبو الشيخ من حديث ابن عمر: كان رسول الله ﷺ يعرف رضاه وغضبه بوجهه... الحديث. وقد تقدم.

(٥) ضعيف: حديث: كان إذا اشتد وجده أكثر من مس لحيته الكريمة.
وقد تقدم أخرجه أبو الشيخ من حديث عائشة بإسناد حسن. [انظر السلسلة الضعيفة: ٧٠٧]

(٦) ضعيف: حديث: كان لا يشافه أحدا بما يكرهه. دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهه فلم يقل شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم "لو قلتم لهذا أن يدع هذه" يعني الصفرة.
أخرجه أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي في اليوم والليلة من حديث أنس وإسناده ضعيف. [أبو داود : ٤١٨٢ ، والترمذي في الشمائل : ٢٩٧ ، وانظر ضعيف أبي داود]

«لاَ تُزْرِمُوهُ» أي لا تقطعوا عليه البول ثم قال له: «إِنَّ هذِهِ المَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنَ القَذَرِ وَالبَوْلِ وَالخَلاءِ»(١) ، وفي رواية: «قَرِّبُوا وَلاَ تَنَفِّرُوا» . وجاءه أعرابي يومًا يطلب منه شيئًا فأعطاه ﷺ ثم قال له: «أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ؟» قال الأعرابي: لا، ولا أجملت، قال: فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل إلى الأعرابي وزاده شيئًا ثم قال: «أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ؟» قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا، فقال له النبي ﷺ: «إِنَّكَ قُلْتَ مَا قُلْتَ وَفِي نَفْسِ أَصْحَابِي شَيْءٌ مِنْ ذلِكَ فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَقُلْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مَا قُلْتَ بَيْنَ يَدَيَّ حَتَّى يَذْهَبَ مِنْ صُدُورِهِمْ مَا فِيهِا عَلَيْكَ» قال: نعم، فلما كان الغد أو العشي جاء فقال النبي ﷺ: «إِنَّ هذَا الأَعْرَابِيَّ، قَالَ مَا قَالَ فَزِدْنَاهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ رَضِيَ أَكَذلِكَ؟» فقال الأعرابي: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا، فقال ﷺ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ هذَا الأَعْرَابِيِّ كَمَثَلِ رَجُلٍ كَانَتْ لَهُ نَاقَةٌ شَرَدَتْ عَلَيْهِ فَاتَّبَعَها النَّاسُ فَلَمْ يَزِيدُوهَا إِلاَّ نُفُورًا فَنَادَاهُمْ صَاحِبُ النَّاقَةِ خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ نَاقَتِي فَإِنِّي أَرْفَقُ بِها وَأَعْلَمُ فَتَوَجَّهَ لَهَا صَاحِبُ النَّاقَةِ بَيْنَ يَدَيْها فَأَخَذَ لَها مِنْ قُمَامِ الأَرْضِ فَرَدَّها هَوْنًا حَتَّى جَاءَتْ وَاسْتَنَاخَتْ وَشَدَّ عَلَيْها رَحْلَها وَاسْتَوى عَلَيْها وَإِنِّي لَوْ تَرَكْتُكُمْ حَيْثُ قَالَ الرَّجُلُ مَا قَالَ فَقَتَلْتُمُوهُ دَخَلَ النَّارَ»(٢) .

بيان سخاوته وجوده ﷺ:

كان ﷺ أجود الناس وأسخاهم وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيئًا(٣)،

---

(١) صحيح: حديث: بال أعرابي في المسجد بحضرته فقال ﷺ "لا تزرموه" - أي لا تقطعوا عليه البول - ثم قال له "إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول والخلاء». متفق عليه من حديث أنس. [البخاري : ٢١٩ ، ومسلم : ٢٨٥ واللفظ له]

(٢) حديث: جاء أعرابي يوما يطلب منه شيئا فأعطاه رسول الله ﷺ ثم قال "أحسنت إليك" فقال الأعرابي: لا، ولا أجملت. قال: فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل إلى الأعرابي وزاده شيئا ثم قال "أحسنت إليك؟ " قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا. فقال له النبي ﷺ "إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي شيء من ذلك، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك. قال: نعم. فلما كان الغد أو العشي جاء فقال النبي ﷺ "إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي أكذلك؟ " فقال الأعرابي: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا. فقال ﷺ "إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا، فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق وأعلم، فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها هونا حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار». بطوله أخرجه البزار وأبو الشيخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف.

(٣) صحيح: حديث: كان أجود الناس وأسخاهم وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة.

أخرجه الشيخان من حديث أنس: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأجود الناس. ولهما من حديث ابن عباس: كان أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في شهر رمضان. وفيه: فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة. [حديث «كان أحسن الناس . . .» عند البخاري : ٢٨٢٠ ، ومسلم : ٢٣٠٧ ، وحديث «كان أجود الناس . . .» عند البخاري : ٦ ، ومسلم : ٢٣٠٨].

وكان علي رضي الله عنه إذا وصف النبيﷺ قال: كان أجود الناس كفًا وأوسع الناس صدرًا وأصدق الناس لهجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة، من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله[١] ، وما سئل عن شيء قط على الإسلام إلا أعطاه[٢] ، وأنّ رجلًا أتاه فسأله فأعطاه غنمًا سدّت ما بين جبلين فرجع إلى قومه وقال: أسلموا فإنّ محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة. وما سئل شيئًا قط فقال لا[٣] ، وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام إليها فقسمها فما رد سائلًا حتى فرغ منها[٤] ، وجاء رجل فسأله فقال: «مَا عِنْدِي شَيْءٌ وَلٰكِنْ ابْتَعْ عَلَيَّ فَإِذَا جَاءَنا شَيْءٌ قَضَيْنَاهُ» ، فقال عمر: يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه، فكره النبيﷺ ذلك فقال الرجل: أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالًا، فتبسم النبيﷺ وعرف السرور[٥] في وجهه ، ولما قفل من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله ﷺ وقال: «أَعْطُونِي رِدَائِي لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هٰذِهِ العِضَاة نَعَمًا لَقَسَمْتُها بَيْنَكُمْ ثُمَّ لاَ تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلاَ كَذَّابًا وَلاَ جَبَانًا»[٦] .

---

(١) ضعيف: حديث: كان علي إذا وصف النبي ﷺ قال: كان أجود الناس كفا وأوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة، من رأوه بديهة هابه ومن خلطه معرفة أحبه، يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله.

رواه الترمذي وقال ليس إسناده بمتصل. [الترمذي : ٣٦٣٨ ، وانظر ضعيف الترمذي]

(٢) صحيح: حديث: ما سئل شيئا قط على الإسلام إلى أعطاه.

متفق عليه من حديث أنس. [مسلم : ٢٣١٢ ، ولم أره عند البخاري]

(٣) صحيح: حديث: ما سئل شيئا قط فقال: لا.

متفق عليه من حديث جابر. [البخاري : ٦٠٣٤ ، ومسلم : ٢٣١١]

(٤) حديث: حمل إليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام إليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها.

أخرجه أبو الحسن بن الضحاك في الشمائل من حديث الحسن مرسلا أن رسول الله ﷺ قدم عليه مال من البحرين ثمانون ألفا لم يقدم عليه مال اكثر منه، لم يسأل يومئذ أحد إلا أعطاه ولم يمنع سائلا ولم يعط ساكتا فقال له العباس... الحديث. وللبخاري تعليقا من حديث أنس: أتى النبي ﷺ... الحديث. وفيه: فما كان يرى أحد إلا أعطاه إذا جاءه العباس... الحديث ووصله عمر بن محمد البحري في صحيحه. [حديث «قدم عليه مال . . .» ، وحديث «فما كان يرى أحد . . .» عند البخاري تعليقًا عقب حديث : ٤٢١ ، وهو موصولا]

(٥) ضعيف: حديث: جاءه رجل فسأله فقال "ما عندي شيء ولكن ابتَع عليّ فإذا جاءنا شيء قضيناه. فقال عمر: يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه! فكره النبي ﷺ ذلك، فقال الرجل: أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا. فتبسم النبي ﷺ وعرف السرور في وجهه.

أخرجه الترمذي في الشمائل من حديث عمر وفيه موسى بن علقمة القروي لم يروه غير ابنه هارون. [انظر الشمائل : ٣٠٥ ، وضعفه الألباني]

(٦) صحيح: حديث: لما قفل من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله ﷺ وقال "أعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني

بيان شجاعته :

كان ﷺ أنجد الناس وأشجعهم[١] ، قال علي رضي الله عنه: لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقربنا إلى العدوّ وكان من أشدّ الناس يومئذ بأسًا[٢] ، وقال أيضًا: كنا إذا أحمرّ البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدوّ منه[٣] ، قيل: وكان ﷺ قليل الكلام قليل الحديث فإذا أمر الناس بالقتال تشمر وكان من أشدّ الناس بأسًا[٤] ، وكان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدوّ[٥] ، وقال عمران بن حصين: ما لقي رسول الله ﷺ كتيبة إلا كان أوّل من يضرب[٦] ، وقالوا: كان قوي البطش[٧] ، ولما غشيه المشركون نزل عن بغلته فجعل يقول:

أنا النبيُّ لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب

فما رُؤِيَ يومئذ أحد كان أشدّ منه[٨] .

بخيلا ولا كذابا ولا جبانا». أخرجه البخاري من حديث جبير بن مطعم. [البخاري : ٢٨٢١]

(١) حديث: كان أنجد الناس وأشجعهم.

أخرجه الدارمي من حديث ابن عمر بسند صحيح: ما رأيت أنجد ولا أجود ولا أشجع ولا أرمى من رسول الله ﷺ. وللشيخين من حديث أنس: كان أشجع الناس وأحسن الناس... الحديث. [حديث «ما رأيت أنجد . . .» ، وحديث «كا أشجع . . .» عند البخاري : ٢٨٢٠ ، ومسلم : ٢٣٠٧]

(٢) حديث علي: لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا.

أخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ بإسناد جيد.

(٣) حديث علي أيضا: كنا إذا حمي البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه.

أخرجه النسائي بإسناد صحيح ولمسلم نحوه من حديث البراء. [مسلم : ١٧٧٦ بنحوه عن البراء]

(٤) حديث: كان قليل الكلام قليل الحديث فإذا أمر بالقتال تشمر وكان من أشد الناس بأسا.

أخرجه أبو الشيخ من حديث سعد بن عياض الثمالي مرسلا.

(٥) صحيح : حديث: كان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدو.

أخرجه مسلم من حديث البراء. والله إذا حمى الوطيس نتقي به وإن الشجاع منا الذي يحاذى به. [مسلم : ١٧٧٦]

(٦) حديث عمران بن حصين: ما لقى كتيبة إلا كان أول من يضرب.

أخرجه أبو الشيخ أيضا وفيه من لم أعرفه.

(٧) حديث: كان قوي البطش.

أخرجه أبو الشيخ أيضا من رواية أبي جعفر معضلا وللطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن عمرو "أعطيت قوة أربعين في البطش والجماع" وسنده ضعيف.

(٨) صحيح : حديث: لما غشيه المشركون نزل فجعل يقول "أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب" فما رؤي يومئذ أحد كان أشد منه

متفق عليه من حديث البراء دون قوله: فما رؤي يومئذ أحد أشد منه. وهذه الزيادة لأبي الشيخ وله من حديث علي في قصة بدر: وكان أشد الناس يومئذ بأسا. [البخاري : ٣٠٤٢ ، ومسلم : ١٧٧٦ ، وعند البخاري الزيادة التي أنكرها المصنف - رحمه الله - عندهما]

بيان تواضعه ﷺ:

كان ﷺ أشدّ الناس تواضعًا في علو منصبه [١]، قال ابن عامر: رأيته يرمي الجمرة على ناقة شهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك [٢]، وكان يركب الحمار موكفًا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف [٣] وكان يعود المريض ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك [٤]، ويخصف النعل ويرقع الثوب وكان يصنع في بيته مع أهله في حاجتهم [٥]، وكان أصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك [٦]، وكان يمرّ على الصبيان فيسلم عليهم [٧]، وأتى ﷺ برجل فأرعد من هيبته فقال له: هون عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد [٨]، وكان يجلس بين أصحابه مختلطًا بهم كأنه أحدهم فيأتي الغريب فلا يدري أيُّهم هو؟ حتى يسأل عنه حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلسًا يعرفه الغريب فبنوا له دكانًا من طين فكان يجلس عليه [٩]، وقالت له عائشة رضي الله عنها كُلْ ـ جعلني الله فداك ـ متكئًا فإنه أهون عليك قال:

---

*٢*بيان تواضعه ﷺ

(١) حديث: كان أشد الناس تواضعا في علو منصبه

أخرجه أبو الحسن بن الضحاك في الشمائل من حديث أبي سعيد الخدري في حديث طويل في صفته قال فيه: متواضع في غير مذلة. وإسناده ضعيف.

(٢) حسن: حديث: قال ابن عامر: رأيته يرمي الجمرة على ناقة شهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك.

أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث قدامة بن عبد الله بن عمار قال الترمذي حسن صحيح وفي كتاب أبي الشيخ قدامة بن عبد الله بن عامر كما ذكره المصنف. [الترمذي : ٩٠٣ ، والنسائي : ٣٠٦١ ، وابن ماجه : ٣٠٣٥ ، وانظر صحيح الترغيب : ١١٢٥]

(٣) صحيح: حديث: كان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف.

متفق عليه من حديث أسامة بن زيد. [البخاري : ٢٩٨٧ ، ومسلم : ١٧٩٨]

(٤) ضعيف: حديث: كان يعود المريض ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك.

أخرجه الترمذي وضعفه والحاكم وصحح إسناده من حديث أنس وتقدم منقطعا. [الترمذي : ١٠١٧ ، وانظر ضعيف الترمذي]

(٥) حديث: كان يخصف النعل ويرقع الثوب ويصنع في بيته مع أهله في حاجته.

هو في المسند من حديث عائشة وقد تقدم في أوائل آداب المعيشة. [أحمد : ٢٤٢٢٨]

(٦) صحيح: حديث: كان أصحابه لا يقومون له لما يعلمون من كراهته لذلك

هو عند الترمذي من حديث أنس وصححه وتقدم في آداب الصحبة. [الترمذي : ٢٧٥٤ ، وانظر صحيح الترمذي]

(٧) صحيح: حديث: كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم

متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم في آداب الصحبة. [البخاري : ٦٢٤٧ ، ومسلم : ٢١٦٨]

(٨) صحيح: حديث: أتي برجل فأرعد من هيبته فقال "هون الله عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد». أخرجه الحاكم من حديث جرير وقال صحيح على شرط الشيخين. [انظر السلسلة الصحيحة : ١٨٧٦]

(٩) صحيح: حديث: كان يجلس مع أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم فيأتي الغريب فلا يدري أيهم هو؟ حتى يسأل عنه حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلسا يعرفه الغريب فبنوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه

فأصغى رأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الأرض ثم قال: بل آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد (١)، وكان لا يأكل على خوان ولا في سكرجة (٢) حتى لحق بالله تعالى، وكان لا يدعوه أحد من أصحابه وغيرهم إلا قال: لبيك (٣)، وكان إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى الآخرة أخذ معهم وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدّث معهم، وإن تكلموا في الدنيا تحدّث معهم رفقًا بهم وتواضعًا لهم (٤)، وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحيانًا ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون فيتبسم هو إذا ضحكوا ولا يزجرهم إلا عن حرام (٥).

بيان صورته وخلقته ﷺ:

وكان من صفة رسول الله ﷺ أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد، بل كان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده، ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله ﷺ؛ ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فإذا فارقاه نسبًا إلى الطول ونسب هو عليه السلام إلى الربعة ويقول ﷺ: «جُعِلَ الخَيْرُ كُلُّهُ فِي الرَّبْعَةِ» (٦).

أخرجه أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة وأبي ذر وقد تقدم. [أبو داود: ٤٦٩٨، والنسائي: ٤٩٩١، وانظر صحيح أبي داود]

(١) صحيح: حديث: قالت عائشة: كل - جعلني الله فداك - متكئا فإنه أهون عليك قال: فأصغى رأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الأرض ثم قال "بل آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد». أخرجه أبو الشيخ من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عنها بسند ضعيف. [انظر السلسلة الصحيحة: ٥٤٤]

(٢) صحيح: حديث: كان ﷺ لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لقي الله
أخرجه البخاري من حديث أنس وتقدم في آداب الأكل. [البخاري: ٦٤٥٠]

(٣) حديث: وكان صلى اله عليه وسلم لا يدعوه أحد من أصحابه ول من غيرهم إلا قال "لبيك». أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عائشة وفيه حسين بن علوان متهم بالكذب وللطبراني في الكبير بإسناد جيد من حديث محمد بن حاطب في أثناء حديث: أن أمة قالت يا رسول الله فقال «لبيك وسعديك» الحديث.

(٤) حديث: كان ﷺ إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى الآخرة أخذ معهم وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم وإن تكلموا في الدنيا تحدث معهم رفقا بهم وتواضعا لهم
أخرجه الترمذي في الشمائل من حديث زيد بن ثابت دون ذكر: الشراب، وفيه سليمان بن خارجة تفرد عنه الوليد بن أبي الوليد وذكره ابن حبان في الثقات.

(٥) صحيح: حديث: كانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحيانا ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون فيبتسم هو إذا ضحكوا ولا يزجرهم إلا عن حرام.
أخرجه مسلم من حديث جابر بن سمرة دون قوله: ولا يزجرهم إلا عن حرام. [مسلم: ٦٧٠]

*٢*بيان صورته وخلقته ﷺ

(٦) حديث: كان من صفة رسول الله ﷺ أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد بل كان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده، ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله ﷺ ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فإذا فارقاه نسبا إلى الطول ونسب هو عليه السلام إلى الربعة ويقول ﷺ "جعل الخير كله في الربعة». أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عائشة بزيادة ونقصان دون شعر أبي طالب الآتي ودون قوله: وربما جعل شعره على أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ. ودون قوله: وربما كان واسع الجبهة - إلى قوله - وكان سهل الخدين. وفيه صبيح بن عبد الله الفرغاني منكر الحديث قاله الخطيب. وفي الصحيحين

وأما لونه فقد كان أزهر اللون ولم يكن بالآدم ولا بالشديد البياض. والأزهر هو الأبيض الناصع الذي لا تشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الألوان، ونعته عمه أبو طالب فقال:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل (١)

ونعته بعضهم بأنه مشرب بحمرة فقالوا: إنما كان المشرب منه بالحمرة ما ظهر للشمس والرياح كالوجه والرقبة، والأزهر الصافي عن الحمرة ما تحت الثياب منه. وكان عرقه ﷺ في وجهه كاللؤلؤ أطيب من المسك الأذفر.

وأما شعره فقد كان رجل الشعر حسنه ليس بالسبط ولا الجعد القطط وكان إذا مشطه بالمشط يأتي كأنه حبك الرمل. وقيل: كان شعره يضرب منكبيه وأكثر الرواية أنه كان إلى شحمة أذنيه. وربما جعله غدائر أربعًا تخرج كل أذن من بين غديرتين. وربما جعل شعره على

من حديث البراء: له شعر يبلغ شحمة أذنيه وأبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أم هانئ: قدم مكة وله أربع غدائر والترمذي من حديث علي في صفته ﷺ: أدعج العينين أهدب الأشفار... الحديث. وقال ليس إسناده بمتصل وله في الشمائل من حديث ابن أبي هالة: أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ في غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب. أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية سهل الخدين ضليع الفم مفلج الأسنان... الحديث. [حديث «جعل الخير كله في الربعة» انظر السلسلة الضعيفة : ٣٤٦٩ ، وحديث «له شعر يبلغ . . .» عند البخاري : ٣٥٥١ ، ومسلم : ٢٣٣٧ ، وحديث «قدم مكة . . .» عن أبي داود : ٤١٩١ ، والترمذي : ١٧٨١ ، وابن ماجه : ٣٦٣١ ، وانظر صحيح أبي داود ، وحديث « أدعج العينين . . .» عند الترمذي : ٣٦٣٨ ، وانظر ضعيف الترمذي ، وحديث «أزهر اللون . . .» انظر ضعيف الجامع : ٤٤٧٠ ، والشمائل : ٧]

(١) حديث: نعتَه عمه أبو طالب فقال: وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل.

ذكره ابن اسحق في السيرة وفي المسند عن عائشة: أنها تمثلت بهذا البيت وأبو بكر يقضي فقال أبو بكر: ذاك رسول الله ﷺ، وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه.

وأخرجه البخاري تعليقا من حديث ابن عمر: ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر وجه رسول الله ﷺ يستسقي، فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب، فأنشده، وقد وصله بإسناد صحيح.

حدثنا عمرو بن علي قال: حدثنا أبو قتيبة قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن أبيه قال: سمعت ابن عمر يتمثل بشعر أبي طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وقال عمر بن حمزة: حدثنا سالم، عن أبيه: ربما ذكرت قول الشاعر، وأنا أنظر إلى وجه النبي ﷺ يستسقي، فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل.

وهو قول أبي طالب. [حديث «أنها تمثلت بهذا . . .» عند أحمد: ٢٧، وحديث «ربما ذكرت قول الشاعر . . .» أخرجه البخاري تعليقًا عقب حديث: ١٠٠٨ ، وموصولا : ١٠٠٩]

وشرحه: (ثمال اليتامى) مطعمهم وقائم بأمرهم.

(عصمة للأرامل) حافظهن ومانعهن مما يضر، والأرامل جمع أرملة، وهي كل من لا زوج لها، وقيل: إن كانت فقيرة.

(يجيش) يهيج.

(كل ميزاب) ما يسيل منه الماء، من موضع عال، والمراد كثرة المطر]

أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ. وكان شيبه في الرأس واللحية سبع عشرة شعرة، ما زاد على ذلك.

وكان ﷺ أحسن الناس وجهًا وأنورهم، لم يصفه واصف إلا شبهه بالقمر ليلة البدر، وكان يرى رضاه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته، وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث يقول:

أمين مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام

وكان ﷺ واسع الجبهة أزج الحاجبين سابغهما، وكان أبلج ما بين الحاجبين كأن ما بينهما الفضة المخلصة، وكانت عيناه نجلاوين أدعجهما وكان في عينيه تمزج من حمرة، وكان أهدب الأشفار حتى تكاد تلتبس من كثرتها، وكان أقنى العرنين ، أي مستوي الأنف ، وكان مفلج الأسنان ـ أي متفرّقها ـ وكان إذا أفتر ضاحكًا أفتر عن مثل سنا البرق إذا تلألأ، وكان من أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم، وكان سهل الخدين صلبهما ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم، كث اللحية، وكان يعفي لحيته ويأخذ من شاربه، وكان أحسن عباد الله عنقًا لا ينسب إلى الطول ولا إلى القصر، ما ظهر من عنقه للشمس والرياح فكأنه إبريق فضة مشرب ذهبًا يتلألأ في بياض الفضة وفي حمرة الذهب، وكان ﷺ عريض الصدر لا يعدو لحم بعض بدنه بعضًا كالمرآة في استوائها وكالقمر في بياضه موصول ما بين لبته وسرته بشعر منقاد كالقضيب لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره، وكانت له عكن ثلاث يغطي الإزار منها واحدة ويظهر اثنتان، وكان عظيم المنكبين أشعرهما ضخم الكراديس ـ أي رؤوس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين ـ وكان واسع الظهر، ما بين كتفيه خاتم النبوّة وهو مما يلي منكبه الأيمن فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس، وكان عبل العضدين والذراعين طويل الزندين رحب الراحتين سائل الأطراف كأن أصابعه قضبان الفضة، كفه ألين من الخز، كأن كفه كف عطار طيبًا ـ مسها بطيب أو لم يمسها ـ يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على رأسه، وكان عبل ما تحت الإزار من الفخذين والساق، وكان معتدل الخلق في السمن بدن في آخر زمانه وكان لحمه متماسكًا يكاد يكون على الخلق الأول لم يضره السمن.

وأما مشيه ﷺ، فكان يمشي كأنما يتقلع من صخر وينحدر من صبب يخطو تكفيًا ويمشي الهوينى بغير تبختر ـ والهوينى تقارب الخطا ـ وكان عليه الصلاة والسلام يقول: «أَنَا أَشْبَهُ النَّاسِ بِآدَمَ ﷺ وَكَانَ أَبِي إِبْرَاهِيمُ ﷺ أَشْبَهَ النَّاسِ بِي خَلْقًا وَخُلُقًا» ، وكان يقول: «إِنَّ لِي عِنْدَ رَبِّي عَشَرَةَ أَسْمَاءَ أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو الله بِي الكُفْرَ، وَأَنَا العَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ، وَأَنَا الحَاشِرُ يَحْشُرُ الله العِبَادَ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا رَسُولُ الرَّحْمَةِ وَرَسُولُ التَّوْبَةِ

وَرَسُولُ المَلاَحِمِ وَالمُقَفِّي قَفَّيْتُ النَّاسَ جَمِيعًا وَأَنَا قُثَمُ»(١) ، قال أبو البحتري والقثم: الكامل الجامع، والله أعلم.

بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه:

اعلم أن من شاهد أحواله ﷺ وأصغى إلى سماع أخباره المشتملة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وعاداته وسجاياه وسياسته لأصناف الخلق، وهدايته إلى ضبطهم، وتألفه أصناف الخلق، وقوده إياهم إلى طاعته مع ما يحكى من عجائب أجوبته في مضايق الأسئلة، وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق، ومحاسن إشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذي يعجز الفقهاء والعقلاء عن إدراك أوائل دقائقها في طول أعمارهم، لم يبق له ريب ولا شك في أن ذلك لم يكن مكتسبًا بحيلة تقوم بها القوّة البشرية، بل لا يتصور ذلك إلا بالاستمداد من تأييد سماوي وقوّة إلهية، وأن ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس، بل كانت شمائله وأحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى أن العربي القح كان يراه فيقول: والله ما هذا وجه كذاب فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائله، فكيف من شاهد أخلاقه ومارس أحواله في جميع مصادره وموارده؟ وإنما أوردنا بعض أخلاقه لتعرف محاسن الأخلاق وليتنبه لصدقه عليه الصلاة والسلام وعلوّ منصبه ومكانته العظيمة عند الله؛ إذ آتاه الله جميع ذلك وهو رجل أمي لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب علم ولم يزل بين أظهر الجهال من الأعراب يتيمًا ضعيفًا مستضعفًا، فمن أين حصل له محاسن الأخلاق والآداب ومعرفة مصالح الفقه مثلًا فقط دون غيره من العلوم فضلًا عن معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوّة لولا

---

(١) حديث «إن لي عند ربي عشرة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد، وأنا الحاشر يحشر الله العباد على قدمي، وأنا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم والمقفي قفيت الناس جميعا وأنا قثم».[قال في النهاية:

«قثم» (س) فيه: "أتاني مَلَك، فقال: أنت قُثَمُ وخَلْقُكَ قَيِّم" القُثَم: المجتَمِع الخَلْقِ وقيل الجامع الكامِل: وقيل الجَمُوع للخير، وبه سُمِّي الرجُل قُثَم.

وقيل: قُثَم مَعْدُول عن قائِم، وهو الكثير العَطاء.

ومنه حديث المبعث "أنتَ قُثَمُ، أنت المُقَفّى، أنت الحاشِر" هذه أسماء للنبي صلى اللّه عليه وسلم انتهى. من النهاية]

أخرجه ابن عدي من حديث علي وجابر وأسامة بن زيد وابن عباس وعائشة بإسناد ضعيف، وله ولأبي نعيم في الدلائل من حديث أبي الطفيل: لي عند ربي عشرة أسماء. قال أبو الطفيل: حفظت منها ثمانية. فذكرها بزيادة ونقص وذكر سيف بن وهب: أن أبا جعفر قال: إن الاسمين طه ويس. وإسناده ضعيف وفي الصحيحين من حديث جبير بن مطعم: لي أسماء أنا أحمد وأنا محمد وأنا الحاشر وأنا الماحي وأنا العاقب. ولمسلم من حديث أبي موسى: والمقفي ونبي التوبة ونبي الرحمة. ولأحمد من حديث حذيفة: ونبي الملاحم. وسنده صحيح. [حديث «لي أسماء أنا أحمد وأنا محمد . . .» عند البخاري : ٤٨٩٦ ، ومسلم : ٢٣٥٤ ، وحديث «والمقفى ونبي . . .» عند مسلم : ٢٣٥٥ ، وحديث «نبي الملاحم . . .» عند أحمد : ٢٢٩٣٥ ، وانظر الشمائل : ٣١٦ ، وحسنه الألباني]

صريح الوحي؟ ومن أين لقوّة البشر الاستقلال بذلك؟ فلو لم يكن له إلا هذه الأمور الظاهرة لكان فيه كفاية. وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصل، فلنذكر من جملتها ما استفاضت به الأخبار واشتملت عليه الكتب الصحيحة إشارة إلى مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل.

فقد خرق الله العادة على يده غير مرة؛ إذ شق له القمر بمكة لما سألته قريش آية[(١)]، وأطعم النفر الكثير في منزل جابر[(٢)]، وفي منزل أبي طلحة ويوم الخندق[(٣)]، ومرة أطعم ثمانين من أربعة أمداد شعير وعناق[(٤)]، وهو من أولاد المعز فوق العتود، ومرة أكثر من ثمانين رجلًا من أقراص شعير حملها أنس في يده[(٥)]، ومرة أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير في يدها فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم[(٦)]، ونبع الماء من بين أصابعه عليه السلام فشرب أهل العسكر كلهم وهم عطاش، وتوضؤوا من قدح صغير ضاق عن أن يبسط عليه السلام يده فيه[(٧)]، وأهراق عليه السلام وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها، ومرة

---

*٢*بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه

(١) صحيح: حديث: انشقاق القمر

متفق عليه من حديث ابن مسعود وابن عباس وأنس. [البخاري: ٣٦٣٦، ومسلم: ٢٨٠١ عن ابن مسعود، والبخاري: ٤٨٦٦، ومسلم: ٢٨٠٣ عن ابن عباس، والبخاري: ٤٨٦٨، ومسلم: ٢٨٠٢ عن أنس]

(٢) صحيح: حديث: إطعام النفر الكثير في منزل جابر.

متفق عليه من حديثه. [البخاري: ٤١٠١، ومسلم: ٢٠٣٩]

(٣) صحيح: حديث: إطعامه النفر الكثير في منزل أبي طلحة.

متفق عليه من حديث أنس. [البخاري: ٣٥٧٨، ومسلم: ٢٠٤٠]

(٤) حديث: إطعامه ثمانين من أربعة أمداد شعير وعناق.

أخرجه الإسماعيلي في صحيحه ومن طريقة البيهقي في دلائل النبوة من حديث جابر وفيه أنهم كانوا ثمانمائة أو ثلاثمائة وهو عند البخاري دون ذكر العدد وفي رواية أبي نعيم في دلائل النبوة وهم ألف. [الحديث بتحديد عدد، وهو عند البخاري: ٤١٠١ بدون ذكر العدد]

(٥) صحيح: حديث: إطعامه أكثر من ثمانين رجلا من أقراص شعير حملها أنس في يده.

أخرجه مسلم من حديث أنس وفيه: حتى فعل ذلك بثمانين رجلا ثم أكل النبي ﷺ بعد ذلك وأهل البيت وتركوا سؤرا. وفي رواية لأبي نعيم في الدلائل: حتى أكل منه بضع وثمانون رجلا. وهو متفق عليه بلفظ: والقوم سبعون أو ثمانون رجلا. [البخاري: ٣٥٧٨، ومسلم: ٢٠٤٠]

(٦) حديث: إطعامه أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير في يدها فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم.

أخرجه البيهقي في دلائل النبوة من طريق ابن اسحق حدثنا سعيد بن ميناء عن ابنة بشير بن سعد وإسناده جيد.

(٧) حديث: نبع الماء من بين أصابعه عليه السلام فشرب أهل العسكر كلهم وهم عطاش وتوضؤا من قدح صغير ضاق عن أن يبسط عليه السلام يده فيه.

متفق عليه من حديث أنس في ذكر الوضوء فقط ولأبي نعيم من حديثه: خرج إلى قباء فأتي من بعض بيوتهم بقدح صغير. وفيه: ثم قال "هلم إلى الشرب" قال أنس: بصر عيني نبع الماء من بين أصابعه ولم يرد القدح حتى رووا منه. وإسناده جيد وللبزار واللفظ له والطبراني في الكبير من حديث ابن عباس: كان في سفر فشكا أصحابه العطش فقال

أخرى في بئر الحديبية فجاشتا بالماء؛ فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف حتى رووا وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء (١)، وأمر عليه السلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزوّد أربعمائة راكب من تمر كان في اجتماعه كربضة البعير - وهو موضع بروكه - فزوّدهم كلهم منه وبقي منه فحبسه (٢)، ورمى الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] (٣)، وأبطل الله تعالى الكهانة بمبعثه ﷺ فعدمت وكانت ظاهرة موجودة (٤)، وحنَّ الجذع الذي كان يخطب إليه لما عمل له المنبر حتى سمع منه جميع أصحابه مثل صوت الإبل فضمه إليه فسكن (٥)، ودعا اليهود إلى تمني الموت وأخبرهم بأنهم

"ائتوني بماء" فأتوه بإناء فيه ماء فوضع يده في الماء ينبع الماء من بين أصابعه... الحديث. [حديث «في ذكر الوضوء فقط» عند البخاري : ١٦٩ ، ومسلم : ٢٢٧٩]

(١) صحيح : حديث: إهراقه عليه السلام وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها ومرة أخرى في بئر الحديبية فجاشتا بالماء، فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف حتى رووا وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء.

أخرجه مسلم من حديث معاذ بقصة عين تبوك ومن حديث سلمة بن الأكوع بقصة عين الحديبية وفيه: فإما دعا وإما بصق فيها فجاشت... الحديث. وللبخاري من حديث البراء: أنه توضأ وصبه فيها. وفي الحديثين معا: أنهم كانوا أربعة عشر مائة وكذا عند البخاري من حديث البراء وكذلك عندهما من حديث جابر. وقال البيهقي إنه الأصح ولهما من حديثه أيضا: ألف وخمسمائة. ولمسلم من حديث ابن أبي أوفى: ألف وثلاثمائة. [حديث الحديبية عند البخاري : ٤١٥٠ عن البراء ، ٣٥٧٦ عن جابر ، ومسلم : ١٨٠٧ عن سلمة بن الأكوع ، ١٨٥٦ عن جابر ، ١٨٥٧ عن ابن أبي أوفى ، وحديث عين تبوك عند مسلم : ٧٠٦ عن معاذ]

(٢) حديث: أمر عليه السلام عمر بن الخطاب أن يزود أربعمائة راكب من تمر كان في اجتماعه كربضة البعير - وهو موضع بروكه - فزودهم كلهم منه وبقي منه فحبسه

أخرجه أحمد من حديث النعمان بن مقرن وحديث دكين بن سعيد بإسنادين صحيحين وأصل حديث دكين عند أبي داود مختصرا من غير بيان لعددهم. [أحمد : ٢٣٢٣٤ عن النعمان بن مقرن ، وأبو داود : ٥٢٣٨ مختصرا ، وأحمد : ١٧١٢٦ عن دكين ، وانظر صحيح أبي داود]

(٣) صحيح : حديث: رميه الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك القرآن في قوله تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]

أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع دون ذكر نزول الآية فرواه ابن مردويه في تفسيره من حديث جابر وابن عباس. [مسلم : ١٧٧٧ عن سلمة بن الأكوع]

(٤) حديث: إبطال الكهانة بمبعثه ﷺ فعدمت وكان ظاهرة موجودة

أخرجه الخرائطي من حديث مرداس بن قيس الدوسي قال: حضرت النبي ﷺ وذكرت عنده الكهانة وما كان من تغييرها عند مخرجه... الحديث. ولأبي نعيم في الدلائل من حديث ابن عباس في استراق الجن السمع فيلقونه على أوليائهم: فلما بعث محمد ﷺ دحروا بالنجوم وأصله عند البخاري بغير هذا السياق. [حديث «ذكرت عنده الكهانة . . .» ، وحديث «دحروا بالنجوم . . .» انظر صحيح السيرة ص١٠٢ ، وهو عند البخاري : ٧٧٣ عن ابن عباس]

(٥) صحيح : حديث: حنين الجذع الذي كان يخطب إليه لما عمل له المنبر حتى سمع منه جميع أصحابه مثل صوت الإبل فضمه إليه فسكن

أخرجه البخاري من حديث جابر وسهل بن سعد. [البخاري : ٩١٨ عن جابر ، ٩١٧ عن سهل بن سعد]

لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه[١] ، وهذا مذكور في سورة يقرأ بها في جميع جوامع الإسلام من شرق الأرض إلى غربها يوم الجمعة ، جهرًا ، تعظيمًا للآية التي فيها.

وأخبر عليه السلام بالغيوب وأنذر عثمان بأن تصيبه بلوى بعدها الجنة [٢] ، وبأن عمارًا تقتله الفئة الباغية[٣] ، وأن الحسن يصلح الله به فئتين من المسلمين عظيمتين[٤] ، وأخبر عليه السلام عن رجل قاتل في سبيل الله أنه من أهل النار[٥] ، فظهر ذلك بأن ذلك الرجل قتل نفسه وهذه كلها أشياء إلهية لا تعرف ألبتة بشيء من وجوه تقدمت المعرفة بها لا بنجوم ولا بكشف ولا بخط ولا بزجر، لكن بإعلام الله تعالى له ووحيه إليه. واتبعه سراقة بن مالك فساخت قدما فرسه في الأرض، وأتبعه دخان حتى استغاثه فدعا له فانطلق الفرس، وأنذره بأن سيوضع في ذراعيه سوارا كسرى[٦] ، فكان كذلك، وأخبر بمقتل الأسود العنسي الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن وأخبر بمن قتله [٧]، وخرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه[٨] .

وشكا إليه البعير بحضرة أصحابه وتذلل له[٩] ، وقال لنفر من أصحابه مجتمعين: «أَحَدُكُمْ

(١) حديث: دعا اليهود إلى تمني الموت وأخبرهم بأنهم لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه
أخرجه البخاري من حديث ابن عباس: لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا... الحديث. وللبيهقي في الدلائل من حديث ابن عباس لا يقولها رجل منكم إلا غص بريقه فمات مكانه فأبوا أن يفعلوا... الحديث. وإسناده ضعيف. [حديث «لو أن اليهود. . .» عند أحمد : ٢٢٢٦ ، وانظر السلسلة الصحيحة : ٣١٩٦ ، ولم أره عند البخاري كما ذكر المصنف]

(٢) صحيح : حديث: إخباره بأن عثمان تصيبه بلوى بعدها الجنة.
متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري. [البخاري : ٣٦٧٤ ، ومسلم : ٢٤٠٣]

(٣) صحيح : حديث: إخباره بأن عمارا تقتله الفئة الباغية.
أخرجه مسلم من حديث أبي قتادة وأم سلمة والبخاري من حديث أبي سعيد. [البخاري : ٤٤٧ عن أبي سعيد ، ومسلم : ٢٩١٥ عن أبي قتادة ، ٢٩١٦ عن أم سلمة]

(٤) صحيح : حديث: إخباره أن الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين.
أخرجه البخاري من حديث أبو بكرة. [البخاري: ٢٧٠٤]

(٥) صحيح : حديث: إخباره عن رجل قاتل في سبيل الله أنه من أهل النار.
متفق عليه من حديث أبي هريرة وسهل بن سعد. [البخاري : ٢٨٩٨ ، ومسلم : ١١٢ عن سهل بن سعد ، والبخاري : ٣٠٦٢ ، ومسلم : ١١١ عن أبي هريرة]

(٦) صحيح : حديث: اتباع سراقة بن مالك له في قصة الهجرة فساخت قدما فرسه في الأرض واتبعه دخان حتى استغاثه فدعا له فانطلق الفرس، وأنذره بأن سيوضع في ذراعيه سوارا كسرى.
متفق عليه من حديث أبي بكر الصديق. [البخاري : ٣٦١٥ ، ومسلم ٢٠٠٩]

(٧) حديث: أخباره بمقتل الأسود العنسي ليلة قتل وهو بصنعاء اليمن ومن قتله.
وهو مذكور في السير والذي قتله فيروز الديلمي وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة "بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من الذهب فأهمني شأنهما فأوحي إلى في المنام أن أنفخهما فنفختهما فطارا، فتأولتهما كذابين يخرجان بعدي" فكان أحدهما العنسي صاحب صنعاء... الحديث. [حديث «بينما أنا نائم . . .» عند البخاري : ٣٦٢١ ، ومسلم : ٢٢٧٣]

(٨) حديث: خرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه.

فِي النَّارِ ضِرْسُهُ مِثْلُ أُحُدٍ» فماتوا كلهم على استقامة وارتد منهم واحد فقتل مرتدًا [١]، وقال لآخرين منهم: «آخِرُكُمْ مَوْتًا فِي النَّارِ» ، فسقط آخرهم موتًا في النار فاحترق فيها فمات [٢]، ودعا شجرتين فأتتاه واجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا. وكان عليه السلام نحو الربعة فإذا مشى مع الطوال طالهم [٣]، ودعا عليه السلام النصارى إلى المباهلة فامتنعوا [٤] فعرفهم ﷺ أنهم إن فعلوا ذلك هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا ، وأتاه عامر بن الطفيل بن مالك وأربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتكاهم عازمين على قتله عليه السلام، فحيل بينهما وبين ذلك ودعا عليهما فهلك عامر بغدة وهلك أربد بصاعقة أحرقته [٥]، وأخبر عليه السلام أنه يقتل أبي بن خلف الجمحي فخدشه يوم أُحُد خدشًا لطيفًا فكانت منيته فيه [٦].

وأطعم عليه الصلاة والسلام السم فمات الذي أكله معه وعاش هو بعده أربع سنين، وكلمه

أخرجه ابن مردوية بسند ضعيف من حديث ابن عباس وليس فيه: أنهم كانوا مائة. وكذلك رواه ابن إسحاق من حديث محمد بن كعب القرظي مرسلا.

(١) صحيح : حديث: شكا إليه البعير وتذلل له.

أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن جعفر في أثناء حديث وفيه: فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه. وأول الحديث عند مسلم دون ذكر قصة البعير. [أبو داود : ٢٥٤٩ ، وانظر صحيح الترغيب : ٢٢٦٩ ، وأوله عند مسلم : ٣٤٢]

(٢) حديث: قال لنفر من أصحابه مجتمعين "أحدكم في النار ضرسه مثل أحد فماتوا كلهم على استقامة وارتد منهم واحد فقتل مرتدا». ذكره الدارقطني في المؤتلف والمختلف من حديث أبي هريرة بغير إسناد في ترجمة الرجال بن عنفرة وهو الذي ارتد - وهو بالجيم - وذكره عبد الغني - بالمهملة - وسبقه إلى ذلك الواقدي والمدائني والأول أصح وأكثر كما ذكره الدارقطني وابن ماكولا ووصله الطبراني من حديث رافع بن خديج بلفظ: أحد هؤلاء النفر في النار. وفيه الواقدي عن عبد الله بن نوح متروك. [حديث «قال لنفر من . . .» ، وحديث «أحد هؤلاء النفر . . .»]

(٣) حديث: قال لآخرين منهم "آخركم موتا في النار" فسقط آخرهم موتا في نار فاحترق فيها فمات.

أخرجه الطبراني والبيهقي في الدلائل من حديث ابن محذورة وفي رواية البيهقي: أن آخرهم موتا سمرة بن جندب، لم يذكر أنه احترق ورواه البيهقي من حديث أبي هريرة نحوه ثقات وقال ابن عبد البر: إنه سقط في قدر مملوء ماء حارا فمات. روى ذلك بإسناد متصل إلا أن فيه داود بن المخبر وقد ضعفه الجمهور.

(٤) صحيح : حديث: دعا شجرتين فأتتاه فاجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا.

أخرجه أحمد من حديث علي بن مرة بسند صحيح. [أحمد : ١٧٠٩٧ ، وهو عند ابن ماجه : ٣٣٩ ، وانظر صحيح ابن ماجه]

(٥) حديث: دعا النصارى إلى المباهلة، وأخبر إن فعلوا ذلك هلكوا، فامتنعوا.

أخرجه البخاري من حديث ابن عباس في أثناء حديث: ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا. [أحمد : ٢٢٢٦ ، ولم أره عند البخاري كما ذكر المصنف]

(٦) حديث: أتاه عامر بن الطفيل بن مالك وأربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتكاهم عازمين على قتله عليه السلام فحيل بينهما وبين ذلك ودعا عليهما فهلك عامر بغدة وهلك أربد بصاعقة أحرقته.

أخرجه الطبراني في الأوسط والأكبر من حديث ابن عباس بطوله بسند لين.

(٧) ضعيف : حديث: إخباره أنه يقتل أبي بن خلف الجمحي فخدشه يوم أحد خدشا لطيفا فكانت منيته.

أخرجه البيهقي في دلائل النبوة من رواية سعيد بن المسيب ومن رواية عروة بن الزبير مرسلا. [انظر الإرواء : ١٢١٥ مختصرًا]

الذراع المسموم [١].

وأخبر عليه الصلاة والسلام يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلًا رجلًا، فلم يتعدّ واحد منهم ذلك الموضع [٢] ، وأنذر عليه السلام بأن طوائف من أمته يغزون في البحر فكان كذلك [٣] ، وزويت له الأرض فأري مشارقها ومغاربها وأخبر بأن ملك أمته سيبلغ ما زوي له منها، فكان كذلك فقد بلغ ملكهم من أول المشرق: من بلاد الترك إلى آخر المغرب من بحر الأندلس وبلاد البربر ولم يتسعوا في الجنوب ولا في الشمال - كما أخبر ﷺ سواء بسواء [٤]، وأخبر فاطمة ابنته رضي الله عنها بأنها أول أهله لحاقًا به [٥] ، فكان كذلك. وأخبر نساءه بأن أطولهنَّ يدًا أسرعهنَّ لحاقًا به فكانت زينب بنت جحش الأسدية أطولهنَّ يدًا بالصدقة أولهنَّ لحوقًا به رضي الله عنها [٦].

ومسح ضرع شاة حائل لا لبن لها فدرت [٧]، وكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود رضي الله عنه. وفعل ذلك مرة أخرى في خيمة أم معبد الخزاعية. وندرت عين بعض أصحابه

---

(١) حديث: إنه أطعم السم فمات الذي أكله معه وعاش هو بعده أربع سنين، وكلمه الذراع المسموم.
أخرجه أبو داود من حديث جابر في رواية له مرسلة: أن الذي مات بشر بن البراء، وفي الصحيحين من حديث أنس: إن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها... الحديث. وفيه: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ.
[حديث «أن الذي مات . . .» عند أبي داود : ٤٥١١ ، وانظر صحيح أبي داود ، وقال الألباني : حسن صحيح ، وحديث «إن يهودية . . .» عند البخاري : ٢٦١٧ ، ومسلم : ٢١٩]

(٢) صحيح : حديث: إخباره ﷺ يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلا رجلا فلم يتعدوا واحد منهم ذلك الموضع
أخرجه مسلم من حديث عمر بن الخطاب. [مسلم : ٢٨٧٣]

(٣) صحيح : حديث: إخباره بأن طوائف من أمته يغزون في البحر فكان كذلك
متفق عليه من حديث أم حرام. [البخاري : ٢٧٨٩ ، ومسلم : ١٩١٢]

(٤) صحيح : حديث: زويت له الأرض فأري مشارقها ومغاربها وأخبر بأن ملك أمته سيبلغ ما زوي له منها فكان كذلك فقد بلغ من أول المشرق: من بلاد الترك إلى آخر المغرب من بحر الأندلس وبلاد البربر ولم يتسعوا في الجنوب ولا في الشمال - كما أخبر به ﷺ سواء بسواء
أخرجه مسلم من حديث عائشة وفاطمة أيضا. [مسلم : ٢٨٨٩ عن ثوبان ولم أقف عليه عن عائشة وفاطمة كما ذكر المصنف]

(٥) صحيح : حديث: إخباره فاطمة أنها أول أهله لحاقا به
متفق عليه من حديث عائشة وفاطمة أيضا. [البخاري : ٣٦٢٤ ، ومسلم : ٢٤٥٠]

(٦) صحيح : حديث: أخبر نساءه بأن أطولهن يدا أسرعهن لحاقا به فكانت زينب بنت جحش الأسدية أطولهن يدا بالصدقة أولهن لحوقا به رضي الله عنها.
أخرجه مسلم من حديث عائشة وفي الصحيحين: أن سودة كانت أولهن لحوقا به قال ابن الجوزي وهذا غلط من بعض الرواة بلا شك. [حديث «فكانت زينب . . .» عند مسلم : ٢٤٥٢ ، وحديث «أن سودة . . .» عند البخاري : ١٤٢٠ ، ولم أقف عليه عند مسلم]

(٧) حديث: مسح ضرع شاة حائل لا لبن لها فدرت فكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود.
أخرجه أحمد من حديث ابن مسعود بإسناد جيد. [أحمد : ٣٥٨٧]

فسقطت فردها عليه السلام بيده فكانت أصح عينيه وأحسنهما[١]، وتفل في عين علي رضي الله عنه وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته وبعثه بالراية [٢]، وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه ﷺ[٣]، وأصيبت رجل بعض أصحابه ﷺ فمسحها بيده فبرأت من حينها[٤]، وقلّ زاد جيش كان معه عليه السلام فدعا بجميع ما بقي فاجتمع شيء يسير جدًا فدعا فيه بالبركة، ثم أمرهم فأخذوا فلم يبق وعاء في العسكر إلا ملىء من ذلك [٥]، وحكى الحكم بن العاص ابن وائل مشيته عليه السلام مستهزئًا فقال ﷺ: «كَذلِكَ فَكُنْ» . فلم يزل يرتعش حتى مات[٦]، وخطب عليه السلام امرأة فقال له أبوها: إن بها برصًا ـ امتناعًا من خطبته واعتذارًا ـ ولم يكن بها برص فقال عليه السلام:. «فَلْتَكُنْ كَذلِكَ»[٧]، فبرصت وهي أم شبيب بن البرصاء الشاعر. إلى غير ذلك من آياته ومعجزاته ﷺ؛ وإنما اقتصرنا على المستفيض. ومن يستريب في انخراق العادة على يده ويزعم أن آحاد هذه الوقائع لم تنقل تواترًا بل المتواتر هو القرآن فقط كمن يستريب في شجاعة علي رضي الله عنه، وسخاوة حاتم الطائي، ومعلوم أن آحاد وقائعهم غير متواترة، ولكن مجموع الوقائع يورث علمًا ضروريًا ثم لا يتمارى في تواتر القرآن وهي المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق، وليس لنبي معجزة باقية سواه ﷺ إذ تحدى

---

(١) صحيح : حديث: ندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها فكانت أصح عينيه وأحسنهما.
أخرجه أبو نعيم والبيهقي وكلاهما في دلائل النبوة من حديث قتادة بن النعمان وهو الذي سقطت عينه ففي رواية للبيهقي: أنه كان ببدر. وفي رواية أبي نعيم: أنه كان بأحد، وفي إسناده اضطراب وكذا رواه البيهقي فيه من حديث أبي سعيد الخدري. [انظر بداية السول ص٤١ ، وقال الألباني : صحيح بتعدد طرقه]
(٢) صحيح : حديث: تفل في عين علي وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته وبعثه بالراية.
متفق عليه من حديث علي ومن حديث سهل بن سعد أيضا. [البخاري : ٢٩٤٢ ، ومسلم : ٢٤٠٦ عن سهل بن سعد ، والبخاري : ٢٩٧٥ ، ومسلم : ٢٤٠٧ عن سلمة بن الأكوع]
(٣) صحيح : حديث: كانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه.
أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود.
(٤) صحيح : حديث: أصيبت رجل بعض أصحابه فمسحها بيده فبرأت من حينها.
أخرجه البخاري في قصة قتل أبي رافع. [البخاري : ٤٠٣٩ عن البراء بن عازب]
(٥) صحيح : حديث: قل زاد جيش معه عليه السلام فدعا بجميع ما بقي فاجتمع شيء يسير جدا فدعا فيه بالبركة، ثم أمرهم فأخذوا فلم يبق وعاء في العسكر إلا ملئ من ذلك.
متفق عليه من حديث سلمة بن الأكوع. [مسلم : ٢٧ عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد شط الأعمش ولم أره عند البخاري ولا عن سلمة بن الأكوع]
(٦) حديث: حكى الحكم بن العاص مشيته مستهزئا به فقال «كذلك فكن: فلم يزل يرتعش حتى مات».
أخرجه البيهقي في الدلائل من حديث هند بن خديج بإسناد جيد وللحاكم في المستدرك من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر نحوه ولم يسم الحكم وقال صحيح الإسناد.
(٧) حديث: خطب امرأة فقال أبوها إن بها برصا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال «فلتكن كذلك» فبرصت المرأة. ذكرها ابن الجوزي في التلقيح وسماها جمرة بنت الحرث بن عوف المزني وتبعه على ذلك الدمياطي.

بها رسول الله ﷺ بلغاء الخلق وفصحاء العرب وجزيرة العرب حينئذ مملوءة بآلاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم. وكان ينادي بين أظهرهم أن يأتوا بمثلة ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقال ذلك تعجيزًا لهم فعجزوا عن ذلك وصرفوا عنه حتى عرضوا أنفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم للسبي، وما استطاعوا أن يعارضوا ولا أن يقدحوا في جزالته وحسنه، ثم انتشر ذلك بعده في أقطار العالم شرقًا وغربًا قرنًا بعد قرن وعصرًا بعد عصر، وقد انقرض اليوم قريب من خمسمائة سنة فلم يقدر أحد على معارضته.

فأعظِمْ بغباوةِ من ينظر في أحواله، ثم في أقواله، ثم في أفعاله، ثم في أخلاقه، ثم في معجزاته، ثم في استمرار شرعه إلى الآن، ثم في انتشاره في أقطار العالم، ثم في إذعان ملوك الأرض له في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويُتْمِه ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه.

وما أعظمَ توفيقَ من آمن به وصدَّقه واتبعه في كل ما ورد وصدر فنسأل الله تعالى أن يوفقنا للاقتداء به في الأخلاق والأفعال والأحوال والأقوال بمنِّه وسعة جوده.

تم الجزء الثاني من كتاب إحياء علوم الدين ويليه الجزء الثالث ويشتمل على ربع المهلكات.

الفهرس

كتاب آداب الأكل.....٣
الباب الأول فيما لا بد للمنفرد منه ٤
القسم الأول: في الآداب التي تتقدم على الأكل وهي سبعة:.....٤
القسم الثاني: في آداب حالة الأكل.....٧
القسم الثالث: ما يستحب بعد الطعام ٨
الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة في الأكل وهي سبعة.....١٠
الباب الثالث في آداب تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين.....١٢
الباب الرابع في آداب الضيافة.....١٧
إحضار الطعام، له آداب خمسة:.....٢٢
فأما الانصراف، فله ثلاثة آداب:.....٢٥
فصل يجمع آدابًا ومناهي طبية وشرعية متفرقة.....٢٦
كتاب آداب النكاح.....٣٠
الباب الأول في الترغيب في النكاح والترغيب عنه.....٣٠
الباب الثاني فيما يراعى حالة العقد من أحوال المرأة وشروط العقد.....٥١
أما العقد، فأركانه وشروطه لينعقد ويفيد الحل أربعة:.....٥١
الباب الثالث في آداب المعاشرة ٦٠
وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة.....٦٠
القسم الثاني من هذا الباب: النظر في حقوق الزوج عليها:.....٨٢
كتاب آداب الكسب والمعاش.....٨٨
الباب الأول في فضل الكسب والحث عليه.....٨٨
الباب الثاني في علم الكسب بطريق البيع والربا والسلم والإجارة والقراض ٩٣
العقد الأول: البيع: ٩٤
العقد الثاني: عقد الربا: ٩٩

العقد الثالث: السلم.....١٠٠
العقد الرابع: الإجارة.....١٠١
العقد الخامس: القراض:.....١٠٢
العقد السادس: الشركة.....١٠٣
الباب الثالث في بيان العدل واجتناب الظلم في المعاملة.....١٠٤
القسم الأول: فيما يعم ضرره. وهو أنواع:.....١٠٤
القسم الثاني: ما يخص ضرره المعامل: ١٠٧
الباب الرابع في الإحسان في المعاملة.....١١٤
الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويعم آخرته.....١١٩
وإنما تتم شفقة التاجر على دينه بمراعاة سبعة أمور:.....١١٩
كتاب الحلال والحرام.....١٢٦
الباب الأول في فضيلة الحلال ومذمة الحرام ١٢٧
وبيان أصناف الحلال ودرجاته وأصناف الحرام ودرجات الورع فيه.....١٢٧
أصناف الحلال ومداخله.....١٣١
القسم الأول: الحرام لصفة في عينه كالخمر والخنزير وغيرهما.....١٣١
القسم الثاني: ما يحرم لخلل في جهة إثبات اليد عليه.....١٣٣
درجات الحلال والحرام.....١٣٤
أمثلة الدرجات الأربع في الورع وشواهدها:.....١٣٥
الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام.....١٤٠
المثار الأول: الشك في السبب المحلل والمحرم:.....١٤١
المثار الثاني للشبهة: شك منشؤه الاختلاط:.....١٤٥
المثار الثالث للشبهة: أن يتصل بالسبب المحلل معصية:.....١٥٦
وأما المقدمات: فلتطرق المعصية إليها ثلاث درجات:.....١٥٨

المثار الرابع: الاختلاف في الأدلة:.....١٦٢
الباب الثالث في البحث، والسؤال، والهجوم، والإهمال ومظانها.....١٦٦
المثار الأول: أحوال المالك:.....١٦٧
المثار الثاني: ما يستند الشك فيه إلى سبب المال لا في حال المالك:.....١٧٠
الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية.....١٧٩
النظر الأول: في كيفية التمييز والإخراج:.....١٧٩
النظر الثاني: في المصرف.....١٨٢
فإذا أخرج الحرام فله ثلاثة أحوال:.....١٨٢
الباب الخامس في إدرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم.....١٨٨
النظر الأول: في جهات الدخل للسلطان:.....١٨٨
وكل ما يحل للسلطان سوى الإحياء وما يشترك فيه الرعية قسمان:.....١٨٨
النظر الثاني من هذا الباب: في قدر المأخوذ وصفة الآخذ.....١٩٤
الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة وما يحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والإكرام لهم.....١٩٧
اعلم أن لك مع الأمراء والعمال الظلمة ثلاثة أحوال:.....١٩٧
ولا يجوز الدخول عليهم إلا بعذرين:.....٢٠٢
الباب السابع في مسائل متفرقة يكثر مسيس الحاجة إليها ٢١٢
كتاب آداب الألفة والأخوة.....٢١٨
والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق.....٢١٨
الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها.....٢١٨
فضيلة الألفة والأخوة:.....٢١٨
بيان معنى الأخوة في الله وتمييزها من الأخوة في الدنيا:.....٢٢٤
بيان مراتب الذين يبغضون في الله وكيفية معاملتهم:.....٢٣٤

بيان الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته:.....٢٣٧
الباب الثاني في حقوق الأخوة والصحبة.....٢٤٠
الباب الثالث في حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من يدلي بهذه الأسباب.....٢٦٧
حقوق الجوار:.....٢٩٨
حقوق الأقارب الرحم:.....٣٠٢
حقوق الوالدين والولد:.....٣٠٤
حقوق المملوك:.....٣٠٩
كتاب آداب العزلة.....٣١٣
الباب الأول في نقل المذاهب والأقاويل وذكر حجج الفريقين في ذلك.....٣١٣
ذكر حجج المائلين إلى المخالطة ووجه ضعفها:.....٣١٥
ذكر حجج المائلين إلى تفضيل العزلة:.....٣١٧
الباب الثاني في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضلها.....٣١٩
الفائدة الأولى:.....٣٢٠
الفائدة الثانية:.....٣٢٢
الفائدة الثالثة:.....٣٢٧
الفائدة الرابعة:.....٣٢٩
الفائدة الخامسة:.....٣٣١
الفائدة السادسة:.....٣٣٢
آفات العزلة:.....٣٣٣
كتاب آداب السفر.....٣٤٤
الباب الأوّل في الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع: وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان: الفصل الأوّل في فوائد السفر وفضله ونيته.....٣٤٥

الفصل الثاني في آداب المسافر من أول نهوضه إلى آخر رجوعه وهي أحد عشر آدبا.....٣٥٣
الباب الثاني فيما لابد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات...٣٦٢
كتاب آداب السماع والوجد.....٣٧٦
الباب الأول في ذكر اختلاف العلماء في إباحة السماع وكشف الحق فيه.....٣٧٧
بيان أقاويل العلماء والمتصوفة في تحليله وتحريمه:.....٣٧٧
بيان الدليل على إباحة السماع:.....٣٧٩
بيان حجج القائلين بتحريم السماع والجواب عنها:.....٣٩٨
الباب الثاني آثار السماع وآدابه.....٤٠٢
وللمستمع أربعة أحوال:.....٤٠٢
المقام الثالث من السماع:.....٤٢١
كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....٤٢٨
الباب الأول في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته والمذمة في إهماله وإضاعته.....٤٢٨
المعصية لها ثلاث أحوال:.....٤٥٢
الركن الثاني للحسبة: ما فيه الحسبة:.....٤٥٣
الباب الثالث في المنكرات المألوفة في العادات ٤٦٨
منكرات الأسواق: ٤٧١
منكرات الشوارع:.....٤٧٢
منكرات الحمامات:.....٤٧٣
منكرات الضيافة:.....٤٧٣
المنكرات العامة:.....٤٧٦
الباب الرابع في أمر الأمراء والسلاطين ونهيهم عن المنكر.....٤٧٧

كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة.....٤٩٧
بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمدًا ﷺ بالقرآن:.....٤٩٨
بيان جملة من محاسن أخلاقه التي جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار:...٥٠١
بيان جملة أخرى من آدابه وأخلاقه:.....٥٠٩
بيان كلامه وضحكه :.....٥١٣
بيان أخلاقه وآدابه في الطعام:.....٥١٧
بيان آدابه وأخلاقه في اللباس:.....٥٢٥
بيان إغضائه ﷺ عما كان يكرهه:.....٥٣٣
بيان سخاوته وجوده ﷺ:.....٥٣٤
بيان شجاعته :.....٥٣٦
بيان تواضعه ﷺ:.....٥٣٧
بيان صورته وخلقته ﷺ:.....٥٣٨

* * *

إحياء علوم الدين

للإمام أبي حامد الغزالي

ويليه كتاب

المغني عن حمل الأسفار في الأسفار
في تخريج ما في الإحياء من الأخبار

ضبط نصه وخرج أحاديثه

د/ محمد محمد تامر

الجزء الثالث

دار الآفاق العربية

إحياء علوم الدين

للإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد

الغزالي

(المتوفى سنة ٥٠٥ هـ)

وبذيله كتاب

المغني عن الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار

للعلامة

زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي

(المتوفى سنة ٨٠٦ هـ)

ضبط نصه وخرج أحاديثه

د/ محمد محمد تامر

كلية دار العلوم - قسم الشريعة الإسلامية

الجزء الثالث

دار الآفاق العربية

دار الآفاق العربية
نشر - توزيع - طباعة
٥٥ ش محمود طلعت - من ش الطيران
مدينة نصر - القاهرة
تليفون: ٢٦١٧٣٣٩ - تليفاكس: ٢٦١٠١٦٤
e-mail: daralafk@hotmail.com

اسم الكتاب : إحياء علوم الدين
اسم المؤلف : الإمام الغزالى
اسم المحقق : د. محمد محمد تامر

رقم الإيداع : ١٥٨٤ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولى : 4 - 083 - 344 - 977

الطبعة الأولى
٢٠٠٤م

جميع الحقوق محفوظة للناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كتاب شرح عجائب القلب

وهو الكتاب الأول من ربع المهلكات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي تتحير دون إدراك جلاله القلوب والخواطر، وتدهش في مبادئ إشراق أنواره الأحداق والنواظر، المطلع على خفيات السرائر، العالم بمكنونات الضمائر، المستغني في تدبير مملكته عن المشاور والموازر، مقلب القلوب وغفار الذنوب، وستار العيوب، ومفرّج الكروب.

والصلاة على سيد المرسلين، وجامع شمل الدين، وقاطع دابر الملحدين. وعلى آله الطيبين الطاهرين، وسلم كثيرًا.

أما بعد: فشرف الإنسان وفضيلته التي فاق بها جملة من أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه، التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره، وفي الآخرة عدّته وذخره، وإنما استعدّ للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه؛ فالقلب هو العالم بالله. وهو المتقرب إلى الله؛ وهو العامل لله، وهو الساعي إلى الله، وهو المكاشف بما عند الله ولديه، وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات، يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة؛ فالقلب هو المقبول عند الله إذا سلم من غير الله، وهو المحجوب عن الله إذا صار مستغرقًا بغير الله، وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب وهو الذي يسعد بالقرب من الله فيفلح إذا زكاه، وهو الذي يخيب ويشقى إذا دنسه ودساه؛ وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى، وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره، وهو العاصي المتمرّد على الله تعالى وإنما الساري إلى الأعضاء من الفواحش آثاره؛ وبإظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساوئه، إذ كل إناء ينضح بما فيه، وهو الذي إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه، وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه، وهو الذي إذا جهله الإنسان فقد جهل نفسه، وإذا جهل نفسه فقد جهل ربه، ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل، إذ أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم، وقد حيل بينهم وبين أنفسهم، فإن الله يحول بين المرء وقلبه. وحيلولته بأن يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن، وأنه كيف يهوي مرة إلى أسفل السافلين وينخفض إلى أفق الشياطين، وكيف يرتفع أخرى إلى أعلى عليين ويرتقي إلى عالم الملائكة المقربين. ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد لما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه، فهو ممن قال الله تعالى فيه: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر:١٩]فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين.

وإذ فرغنا من الشطر الأوّل من هذا الكتاب من النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات، وهو العلم الظاهر، ووعدنا أن نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلب من الصفات المهلكات والمنجيات، وهو العلم الباطن ؛ فلا بدّ أن نقدّم عليه كتابين: كتابًا في شرح عجائب صفات القلب وأخلاقه، وكتابًا في كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه. ثم نندفع بعد في تفصيل المهلكات والمنجيات.

فلنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الأمثال ما يقرب من الأفهام، فإنّ التصريح بعجائبه وأسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه أكثر الأفهام.

بيان معنى النفس، والروح، والقلب، والعقل، وما هو المراد بهذه الأسامي

اعلم أنّ هذه الأسماء الأربعة تستعمل في هذه الأبواب. ويقل في فحول العلماء من يحيط بهذه الأسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها،، وأكثر الأغاليط منشؤها الجهل بمعنى هذه الأسامي واشتراكها بين مسميات مختلفة. ونحن نشرح في معنى هذه الأسامي ما يتعلق بغرضنا:

اللفظ الأول: لفظ القلب، وهو يطلق لمعنيين:

أحدهما: اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر، وهو لحم مخصوص، وفي باطنه تجويف، وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه، ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته، إذ يتعلق به غرض الأطباء ولا يتعلق به الأغراض الدينية. وهذا القلب موجود للبهائم، بل هو موجود للميت. ونحن إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك؛ فإنه قطعة لحم لا قدر له، وهو من عالم الملك والشهادة إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلًا عن الآدميين.

والمعنى الثاني: هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان، وهو المخاطب والمعاقب والمطالب. ولها علاقة مع القلب الجسماني، وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته؛ فإنّ تعلقه به يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات، أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة. أو تعلق المتمكن بالمكان، وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين:

أحدهما: أنه متعلق بعلوم المكاشفة، وليس غرضنا من هذا الكتاب إلا علوم المعاملة.

والثاني: أن تحقيقه يستدعي إفشاء سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه رسول الله ﷺ [(١)]؛ فليس لغيره أن يتكلم فيه، والمقصود أنّا إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة، وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر إلى

(١) صحيح: حديث: أنه ﷺ لم يتكلم في الروح.
متفق عليه من حديث ابن مسعود في سؤال اليهود عن الروح. وفيه: فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم، فعلمت أنه لم يوحى إليه... الحديث، وقد تقدم [البخاري: ٤٧٢١، مسلم: ٢٧٩٤].

معرفة صفاتها وأحوالها ولا يفتقر إلى ذكر حقيقتها.

اللفظ الثاني: الروح، وهو أيضًا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين:

أحدهما: جنس لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني، فينشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن، وجريانه في البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها، يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت، فإنه لا ينتهي إلى جزء من البيت إلا ويستنير به، والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان، والروح مثالها السراج، وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه، والأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى، وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب، وليس شرحه من غرضنا، إذ المتعلق به غرض الأطباء الذين يعالجون الأبدان؛ فأما غرض أطباء الدين المعالجين للقلب حتى ينساق إلى جوار رب العالمين، فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلًا.

المعنى الثاني: هو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان، وهو الذي شرحناه في أحد معاني القلب، وهو الذي أراده الله تعالى بقوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء:٨٥]وهو أمر عجيب رباني تعجز أكثر العقول والأفهام عن درك حقيقته.

اللفظ الثالث: النفس، وهو أيضًا مشترك بين معان، ويتعلق بغرضنا منه معنيان:

أحدهما: أنه يراد به المعنى الجامع لقوّة الغضب والشهوة في الإنسان على ما سيأتي شرحه، وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوّف؛ لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان، فيقولون: لا بد من مجاهدة النفس وكسرها، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك» (١).

المعنى الثاني: هي اللطيفة التي ذكرناها التي هي الإنسان بالحقيقة، وهي نفس الإنسان وذاته، ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها؛ فإذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة. قال الله تعالى في مثلها: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر:٢٧-٢٨]والنفس بالمعنى الأوّل لا يتصور رجوعها إلى الله تعالى؛ فإنها مبعدة عن الله، وهي من حزب الشيطان. وإذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوّامة؛ لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه.

قال الله تعالى: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة:٢]وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الأمارة بالسوء. قال الله تعالى إخبارًا عن يوسف عليه السلام أو امرأة العزيز: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف:٥٣]وقد

---

(١) موضوع: حديث «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك». أخرجه البيهقي في كتاب الزهد من حديث ابن عباس، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضاعين. [السلسلة الضعيفة: ١١٦٤]

يجوز أن يقال: المراد بالأمارة بالسوء: هي النفس بالمعنى الأوّل، فإذن النفس بالمعنى الأوّل مذمومة غاية الذم، وبالمعنى الثاني محمودة لأنها نفس الإنسان أي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات.

اللفظ الرابع: العقل، وهو أيضًا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم، والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان:

أحدهما: أنه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور، فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب.

والثاني: أنه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب أعني تلك اللطيفة. ونحن نعلم أنّ كل عالم فله في نفسه وجود هو أصل قائم بنفسه، والعلم صفة حالة فيه، والصفة غير الموصوف، والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم، وقد يطلق ويراد به محل الإدراك أعني المدرك، وهو المراد بقوله ﷺ: «أَوَّلُ ما خَلَقَ الله العَقْلُ»[1]: فإنّ العلم عرض لا يتصوّر أن يكون أوّل مخلوق، بل لا بد وأن يكون المحل مخلوقًا قبله أو معه، ولأنه لا يمكن الخطاب معه. وفي الخبر: أنه قال له تعالى أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر... الحديث.

فإذن قد انكشف لك أنّ معاني هذه الأسماء موجودة: وهي القلب الجسماني، والروح الجسماني، والنفس الشهوانية، والعلوم. فهذه أربعة معان يطلق عليها الألفاظ الأربعة، ومعنى خامس: وهي اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان. والألفاظ الأربعة بجملتها تتوارد عليها، فالمعاني خمسة، والألفاظ أربعة، وكل لفظ أطلق لمعنيين، وأكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الألفاظ وتواردها؛ فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون: هذا خاطر العقل، وهذا خاطر الروح، وهذا خاطر القلب، وهذا خاطر النفس، وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الأسماء، ولأجل كشف الغطاء عن ذلك قدّمنا شرح هذه الأسامي، وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب، فالمراد به المعنى الذي يفقه من الإنسان ويعرف حقيقة الأشياء، وقد يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر، لأن بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة، فإنها وإن كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب، فتعلقها الأوّل بالقلب وكأنه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها، ولذلك شبّه سهل التستري القلب بالعرش، والصدر بالكرسي فقال: القلب هو العرش والصدر هو الكرسي، ولا يظن به أنه يرى أنه عرش الله وكرسيه، فإن ذلك محال، بل أراد به أنه مملكة الإنسان والمجرى الأول لتدبيره وتصرفه، فهما بالنسبة إليه كالعرش والكرسي بالنسبة إلى الله تعالى، ولا يستقيم هذا التشبيه أيضًا إلا من بعض الوجوه، وشرح ذلك أيضًا لا يليق بغرضنا فلنجاوزه.

---

(١) موضوع: حديث «أول ما خلق الله العقل». وفي الخبر أنه قال له: «أقبل فأقبل وقال أدبر فأدبر... الحديث» تقدم في العلم [مشكاة المصابيح: ٥٠٦٤ (١٢)].

بيان جنود القلب:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر:٣١] فللّه سبحانه في القلوب والأرواح وغيرها من العوالم جنود مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها إلا هو. ونحن الآن نشير إلى بعض جنود القلب، فهو الذي يتعلق بغرضنا. وله جندان: جند يرى بالأبصار، وجند لا يرى إلا بالبصائر، وهو في حكم الملك، والجنود في حكم الخدم والأعوان، فهذا معنى الجند: فأما جنده المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والأذن واللسان وسائر الأعضاء الظاهرة والباطنة، فإنّ جميعها خادمة للقلب ومسخرة له، فهو المتصرف فيها والمردد لها، وقد خلقت مجبولة على طاعته لا تستطيع له خلافًا ولا عليه تمرّدًا، فإذا أمر العين بالانفتاح انفتحت، وإذا أمر الرجل بالحركة تحركت، وإذا أمر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم، وكذا سائر الأعضاء. وتسخير الأعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة لله تعالى، فإنهم مجبولون على الطاعة لا يستطيعون له خلافًا، بل ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦]، وإنما يفترقان في شيء: وهو أنّ الملائكة عليهم السلام عالمة بطاعتها وامتثالها، والأجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب، وإنما افتقر القلب إلى هذه الجنود من حيث افتقاره إلى المركب والزاد لسفره الذي لأجله خلق، وهو السفر إلى الله سبحانه وقطع المنازل إلى لقائه، فلأجله خلقت القلوب. قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] وإنما مركبه البدن وزاده العلم. وإنما الأسباب التي توصله إلى الزاد وتمكنه من التزوّد منه هو العمل الصالح، وليس يمكن العبد أن يصل إلى الله سبحانه ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا، فإنّ المنزل الأدنى لا بد من قطعه للوصول إلى المنزل الأقصى، فالدنيا مزرعة الآخرة، وهي منزل من منازل الهدى، وإنما سميت دنيا: لأنها أدنى المنزلتين، فاضطرّ إلى أن يتزوّد من هذا العالم، فالبدن مركبه الذي يصل به إلى هذا العالم، فافتقر إلى تعهد البدن وحفظه، وإنما يحفظ البدن بأن يجلب إليه ما يوافقه من الغذاء وغيره، وأن يدفع عنه ما ينافيه من أسباب الهلاك، فافتقر لأجل جلب الغذاء إلى جندين: باطن، وهو الشهوة. وظاهر، وهو اليد والأعضاء الجالبة للغذاء، فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج إليه، وخلقت الأعضاء التي هي آلات الشهوات فافتقر لأجل دفع المهلكات إلى جندين: باطن، وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الأعداء. وظاهر، وهو اليد والرجل اللتين بهما يعمل بمقتضى الغضب، وكل ذلك بأمور خارجة؛ فالجوارح من البدن كالأسلحة وغيرها، ثم المحتاج إلى الغذاء ما لم يعرف الغذاء لم تنفعه شهوة الغذاء وإلفه، فافتقر للمعرفة إلى جندين: باطن، وهو إدراك السمع والبصر والشم واللمس والذوق: وظاهر، وهو العين والأذن والأنف وغيرها. وتفصيل وجه الحاجة إليها ووجه الحكمة فيها يطول ولا تحويه مجلدات كثيرة. وقد أشرنا إلى طرف يسير منها في كتاب الشكر فليقتنع به.

فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة أصناف: صنف باعث ومستحث: إما إلى جلب النافع

الموافق كالشهوة، وإما إلى دفع الضارّ المنافي كالغضب، وقد يعبر عن هذا الباعث بالإرادة.

والثاني: هو المحرك للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد، ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة: وهي جنود مبثوثة في سائر الأعضاء لا سيما العضلات منها والأوتار. والثالث: هو المدرك المتعرف للأشياء كالجواسيس: وهي قوّة البصر والسمع والشم والذوق واللمس، وهي مبثوثة في أعضاء معينة، ويعبر عن هذا بالعلم والإدراك، ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الأعضاء المركبة من الشحم واللحم والعصب والدم والعظم التي أعدت آلات لهذه الجنود، فإنّ قوّة البطش إنما هي بالأصابع، وقوّة البصر إنما هي بالعين، وكذا سائر القوى، ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة أعني الأعضاء فإنها من عالم الملك والشهادة وإنما نتكلم الآن فيما أيدت به من جنود لم تروها. وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم إلى ما قد أسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس: أعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس وإلى ما أسكن منازل باطنة: وهي تجاويف الدماغ، وهي أيضًا خمسة، فإنّ الإنسان بعد رؤية الشيء يغمض عينه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال، ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ، ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك إلى البعض، ثم يتذكر ما قد نسيه ويعود إليه، ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات؛ ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ، ولولا خلق الله قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان الدماغ يخلو عنه كما تخلو اليد والرجل عنه؛ فتلك القوى أيضًا جنود باطنة وأماكنها أيضًا باطنة، فهذه هي أقسام جنود القلب، وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء بضرب الأمثلة يطول. ومقصود مثل هذا الكتاب أن ينتفع به الأقوياء والفحول من العلماء، ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب الأمثلة ليقرب ذلك من أفهامهم.

بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة:

اعلم أن جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادًا تامًا، فيعينه ذلك على طريقه الذي يسلكه وتحسن مرافقتهما في السفر الذي هو بصدده، وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه، وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله إلى سعادة الأبد، وللقلب جند آخر: وهو العلم والحكمة والتفكر، كما سيأتي شرحه، وحقه أن يستعين بهذا الجند فإنه حزب الله تعالى على الجندين الآخرين، فإنهما قد يلتحقان بحزب الشيطان. فإن ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينًا وخسر خسرانًا مبينًا، وذلك حالة أكثر الخلق، فإن عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة، وكان ينبغي أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل إليه، ونحن نقرب ذلك إلى فهمك بثلاثة أمثلة:

المثال الأول: أن نقول: مثل نفس الإنسان في بدنه أعني بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل ملك في مدينته ومملكته، فإن البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها، وجوارحها

وقواها بمنزلة الصناع والعملة، والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل. والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة إلى المدينة، والغضب والحمية له كصاحب الشرطة. والعبد الجالب للميرة كذاب مكار خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهائل والسم القاتل، وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح في آرائه وتدبيراته حتى لا يخلو من منازعته ومعارضته ساعة، كما أن الوالي في مملكته إذا كان مستغنيًا في تدبيراته بوزيره ومستشيرًا له ومعرضًا عن إشارة هذا العبد الخبيث، مستدلًا بإشارته في أن الصواب في نقيض رأيه، أدبه صاحب شرطته وساسه لوزيره وجعله مؤتمرًا له مسلطًا من جهته على هذا العبد الخبيث وأتباعه وأنصاره، حتى يكون العبد مسوسًا لا سائسًا، ومأمورًا مدبرًا لا أميرًا مدبرًا، استقام أمر بلده وانتظم العدل بسببه؛ فكذا النفس متى استعانت بالعقل وأدبت بحمية الغضب، وسلطتها على الشهوة، واستعانت بإحداهما على الأخرى تارة بأن تقلل مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها، وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها، اعتدلت قواها وحسنت أخلاقها، ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾[الجاثية:٢٣] ، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾[الأعراف:١٧٦] وقال عز وجل فيمن نهى النفس عن الهوى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[النازعات:٤٠-٤١] وسيأتي كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس إن شاء الله تعالى.

المثال الثاني: اعلم أن البدن كالمدينة والعقل ، أعني المدرك ، من الإنسان كملك مدبر لها، وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده وأعوانه، وأعضاؤه كرعيته، والنفس الأمارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدوّ ينازعه في مملكته ويسعى في إهلاك رعيته، فصار بدنه كرباط وثغر، ونفسه كمقيم فيه مرابط، فإن هو جاهد عدوّه وهزمه وقهره على ما يحب حمد أثره إذا عاد إلى الحضرة كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾[النساء:٩٥] وإن ضيع ثغره وأهمل رعيته ذم أثره فانتقم منه عند الله تعالى فيقال له يوم القيامة: يا راعي السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم تأو الضالة ولم تجبر الكسير اليوم أنتقم منك[(١)] كما ورد في الخبر. وإلى هذه المجاهدة الإشارة بقوله ﷺ: «رَجَعْنا مِنَ الجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الجِهَادِ الأَكْبَرِ»[(٢)].

---

(١) حديث: يقال يوم القيامة يا راعي السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة ولم تجبر الكسير اليوم أنتقم منك.
لم أجد له أصلا.

(٢) ضعيف: حديث «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر». أخرجه البيهقي في الزهد من حديث جابر وقال: هذا إسناد فيه ضعف [ضعيف الجامع: ٤٠٨٠].

المثال الثالث: مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه، فمتى كان الفارس حاذقًا وفرسه مروضًا وكلبه مؤدبًا معلمًا كان جديرًا بالنجاح، ومتى كان هو في نفسه أخرق وكان الفرس جموحًا والكلب عقورًا فلا فرسه ينبعث تحته منقادًا ولا كلبه يسترسل بإشارته مطيعًا فهو خليق بأن يعطب فضلًا عن أن ينال ما طلب، وإنما خرق الفارس مثل جهل الإنسان وقلة حكمته وكلال بصيرته، وجماح الفرس مثل غلبة الشهوة خصوصًا شهوة البطن والفرج، وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه. نسأل الله حسن التوفيق بلطفه.

بيان خاصية قلب الإنسان:

اعلم أن جملة ما ذكرناه قد أنعم الله به على سائر الحيوانات سوى الآدمي؛ إذ للحيوان الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة أيضًا، حتى أن الشاة ترى الذئب بعينها فتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه، فذلك هو الإدراك الباطن.

فلنذكر ما يختص به قلب الإنسان، ولأجله عظم شرفه واستأهل القرب من الله تعالى. وهو راجع إلى علم وإرادة:

أما العلم؛ فهو العلم بالأمور الدنيوية والأخروية والحقائق العقلية، فإن هذه أمور وراء المحسوسات ولا يشاركه فيها الحيوانات، بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل إذ يحكم الإنسان بأن الشخص الواحد لا يتصور أن يكون في مكانين في حالة واحدة، وهذا حكم منه على كل شخص. ومعلوم أنه لم يدرك بالحس إلا بعض الأشخاص فحكمه على جميع الأشخاص زائد على ما أدركه الحس. وإذا فهمت هذا في العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات أظهر.

وأما الإرادة؛ فإنه إذا أدرك بالعقل عاقبة الأمر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق إلى جهة المصلحة وإلى تعاطي أسبابها والإرادة لها، وذلك غير إرادة الشهوة وإرادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة. فإن الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة، والعقل يريدها ويطلبها ويبذل المال فيها. والشهوة تميل إلى لذائذ الأطعمة في حين المرض والعاقل يجد في نفسه زاجرًا عنها، وليس ذلك زاجر الشهوة. ولو خلق الله العقل المعرف بعواقب الأمور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للأعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعًا على التحقيق.

فإذن قلب الإنسان اختص بعلم وإرادة ينفك عنها سائر الحيوان، بل ينفك عنها الصبي في أوّل الفطرة وإنما يحدث ذلك فيه بعد البلوغ. وأما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فإنها موجودة في حق الصبي. ثم الصبي في حصول هذه العلوم فيه له درجتان:

إحداهما: أن يشتمل قلبه على سائر العلوم الضرورية الأولية؛ كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيها غير حاصلة إلا أنها صارت ممكنة قريبة الإمكان والحصول، ويكون حاله بالإضافة إلى العلوم كحال الكاتب الذي لا يعرف من الكتابة إلا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فإنه قد قارب الكتابة ولم

يبلغها بعد.

الثانية : أن تتحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر فتكون كالمخزونة عنده، فإذا شاء رجع إليها وحاله حال الحاذق بالكتابة إذ يقال له كاتب وإن لم يكن مباشرًا للكتابة بقدرته عليها. وهذه هي غاية درجة الإنسانية. ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطريق تحصيلها؛ إذ تحصل لبعض القلوب بإلهام إلهي على سبيل المبادأة والمكاشفة، ولبعضهم بتعلم واكتساب، وقد يكون سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول. وفي هذا المقام تتباين منازل العلماء والحكماء والأنبياء والأولياء، فدرجات الترقي فيه غير محصورة إذ معلومات الله سبحانه لا نهاية لها. وأقصى الرتب رتبة النبي الذي تنكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتكلف، بل بكشف إلهي في أسرع وقت، وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قربًا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة ومراقي هذه الدرجات هي منازل السائرين إلى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل، وإنما يعرف كل سالك منزله الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل. فأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علمًا لكن قد يصدق به إيمانًا بالغيب، كما أنا نؤمن بالنبوة والنبي ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة إلا النبي، وكما لا يعرف الجنين حال الطفل، ولا الطفل حال المميز وما يفتح له من العلوم الضرورية، ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فكذلك لا يعرف العاقل ما افتتح الله على أوليائه وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر :٢]وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضنون بها على أحد، ولكن إنما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال ﷺ «إنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ لَنَفَحَات أَلاَ فَتَعَرَّضُوا لَها» (١)، والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته من الخبث والكدورة الحاصلة من الأخلاق المذمومة ، كما سيأتي بيانه ، وإلى هذا الجود الإشارة بقوله ﷺ «يَنْزِلُ الله كُلَ لَيْلَةٍ إلى سَمَاءِ الدُّنيَا فَيَقُول هَلْ مِنْ داعٍ فَأَسْتَجيب لَهُ»؟ وبقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه عز وجل: «لَقَد طَالَ شَوْقُ الأَبْرَارِ إلى لِقَائي وَأَنا إلى لِقَائِهِم أَشَدُّ شَوْقًا» (٢)، وبقوله تعالى: «من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا» (٣)، كل ذلك إشارة إلى أن أنوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم ، تعالى عن البخل والمنع علوًا كبيرًا ، ولكن حجبت لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب، فإنّ القلوب كالأواني فما دامت ممتلئة بالماء

(١) ضعيف : حديث «إن لربكم في أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها ». متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وقد تقدم [ضعيف الجامع : ١٩١٧].

(٢) حديث «يقول الله عز وجل لقد طال شوق الأبرار إلى لقائي وأنا إلى لقائهم أشد شوقا ». لم أجد له أصلا إلا أن صاحب الفردوس أخرجه من حديث أبي الدرداء ولم يذكر له ولده في مسند الفردوس إسنادا.

(٣) صحيح : حديث «يقول الله من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا». متفق عليه من حديث أبي هريرة [البخاري: ٧٤٠٥، مسلم: ٢٦٧٥].

لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بجلال الله تعالى. وإليه الإشارة بقوله ﷺ «لَوْلا أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحُومُونَ عَلَى قُلُوبِ بَنِي آدَمَ لَنَظَرُوا إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاءِ» (١)، ومن هذه الجملة يتبين أن خاصية الإنسان العلم والحكمة.

وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله فبه كمال الإنسان وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الجلال والكمال. فالبدن مركب للنفس، والنفس محل للعلم، والعلم هو مقصود الإنسان وخاصيته التي لأجله خلق وكما أن الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية الكرّ والفرّ وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقًا لأجل تلك الخاصية، فإن تعطلت منه نزل إلى حضيض رتبة الحمار. وكذلك الإنسان يشارك الحمار والفرس في أمور ويفارقهما في أمور هي خاصيته وتلك الخاصية من صفات الملائكة المقرّبين من ربّ العالمين. والإنسان على رتبة بين البهائم والملائكة، فإن الإنسان من حيث يتغذى وينسل فنبات، ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان، ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على الحائط، وإنما خاصيته معرفة حقائق الأشياء.

فمن استعمل جميع أعضائه وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة، فحقيق بأن يلحق بهم وجدير بأن يسمى ملكًا وربانيًا كما أخبر الله تعالى عن صواحبات يوسف عليه السلام بقوله: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف:٣١].

ومن صرف همته إلى اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الأنعام فقط انحط إلى حضيض أفق البهائم فيصير إما غُمْرًا كثور، وإما شرهًا كخنزير. وإما ضريًا ككلب أو سنور، أو حقودًا كجمل. أو متكبرًا كنمر. أو ذا روغان كثعلب، أو يجمع ذلك كله كشيطان مريد.

وما من عضو من الأعضاء ولا حاسة من الحواس إلا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول إلى الله تعالى.

كما سيأتي بيان طرف منه في كتاب الشكر، فمن استعمله فيه فقد فاز، ومن عدل عنه فقد خسر وخاب. وجملة السعادة في ذلك أن يجعل لقاء الله تعالى مقصده، والدار الآخرة مستقرّه، والدنيا منزله، والبدن مركبه، والأعضاء خدمه. فيستقرّ هو - أعني المدرك من الإنسان - في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك، ويجري القوّة الخيالية المودعة في مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده إذ تجتمع أخبار المحسوسات عنده، ويجري القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه، ويجري اللسان مجرى ترجمانه، ويجري الأعضاء المتحركة مجرى كتابه، ويجري الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد منها بأخبار صقع من الأصقاع؛ فيوكل العين بعالم الألوان، والسمع بعالم الأصوات، والشم بعالم الروائح. وكذلك سائرها فإنها أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها إلى القوة الخيالية التي هي

---

(١) حديث «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم. أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه وقد تقدم في الصيام [أحمد: ٨٤٢٦].

كصاحب البريد، ويسلمها صاحب البريد إلى الخازن وهي الحافظة، ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها ما يحتاج إليه في تدبير مملكته وإتمام سفره الذي هو بصدده، وقمع عدوّه الذي هو مبتلى به، ودفع قواطع الطريق عليه فإذا فعل ذلك كان موفقًا سعيدًا شاكرًا نعمة الله وإذا عطل هذه الجملة أو استعملها لكن في مراعاة أعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة، أو في عمارة طريقه دون منزله، إذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره، ووطنه ومستقرّه الآخرة؛ كان مخذولًا شقيًا كافرًا بنعمة الله تعالى مضيعًا لجنود الله تعالى ناصرًا لأعداء الله مخذلًا لحزب الله فيستحق المقت والإبعاد في المنقلب والمعاد. نعوذ بالله من ذلك.

وإلى المثال الذي ضربناه أشار كعب الأحبار حيث قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت: الإنسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب منه ملك [(١)]، فإذا طاب الملك طابت جنوده، فقالت: هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقول. وقال علي رضي الله عنه في تمثيل القلوب: إن لله تعالى في أرضه آنية وهي القلوب فأحبها إليه تعالى أرقها وأصفاها وأصلبها: ثم فسره فقال: أصلبها في الدين وأصفاها في اليقين وأرقها على الإخوان، وهو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩] وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور:٣٥] قال أبي بن كعب رضي الله عنه: معناه مثل نور المؤمن وقلبه، وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ [النور:٤٠] مثل قلب المنافق. وقال زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج:٢٢] وهو قلب المؤمن. وقال سهل: مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي، فهذه أمثلة القلب.

بيان مجامع أوصاف القلب وأمثلته

اعلم أن الإنسان قد اصطحب في خلقته وتركيبه أربع شوائب، فلذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من الأوصاف وهي: الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية. فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم. ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى أفعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره- ومن حيث إنه في نفسه أمر رباني، كما قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء:٨٥] فإنه يدعي لنفسه الربوبية، ويحب الاستيلاء، والاستعلاء، والتخصص، والاستبداد بالأمور كلها، والتفرّد بالرئاسة، والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع، ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها؛ بل يدعي لنفسه العلم، والمعرفة والإحاطة بحقائق الأمور، ويفرح إذا نسب إلى العلم، ويحزن إذا

---

(١) ضعيف: حديث عائشة: الإنسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان.

أخرجه أبو نعيم في الطب النبوي والطبراني في مسند الشاميين والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة نحوه وله ولأحمد من حديث أبي ذر: وأما الأذن فقمع وأما العين فمقرة لما يوعى القلب ولا يصح منها شيء [حديث أبي هريرة ضعيف، انظر ضعيف الجامع: ١٤٣٨].

نسب إلى الجهل. والإحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من أوصاف الربوبية، وفي الإنسان حرص على ذلك. ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرًا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر، ويتوصل إلى الأغراض بالمكر والحيلة والخداع، ويظهر الشر في معرض الخير، وهذه أخلاق الشياطين.

وكل إنسان فيه شوب من هذه الأصول الأربعة ـ أعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية ـ وكل ذلك مجموع في القلب. فكأن المجموع في إهاب الإنسان: خنزير وكلب وشيطان وحكيم.

فالخنزير هو الشهوة فإنه لم يكن الخنزير مذمومًا للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه.

والكلب هو الغضب فإنّ السبع الضاري والكلب العقور ليس كلبًا وسبعًا باعتبار الصورة واللون والشكل، بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر، وفي باطن الإنسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه. فالخنزير يدعو بالشره إلى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب إلى الظلم والإيذاء.

والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري أحدهما بالآخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه.

والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ومكره بأن يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح، وأن يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه إذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكلب مقهورًا تحت سياسته، فإن فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الأمر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم، وإن عجز عن قهرها قهروه واستخدموه، فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائمًا في عبادة كلب وخنزير.

وهذا حال أكثر الناس مهما كان أكثر همتهم البطن والفرج ومنافسة الأعداء، والعجب منه أنه ينكر على عبدة الأصنام عبادتهم للحجارة، ولو كشف الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله ومثل له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين إما في النوم أو في اليقظة لرأى نفسه ماثلًا بين يدي خنزير ساجدًا له مرة وراكعًا أخرى ومنتظرًا لإشارته وأمره. فمهما هاج الخنزير لطلب شيء من شهواته انبعث على الفور في خدمته وإحضار شهوته، أو رأى نفسه ماثلًا بين يدي كلب عقور عابدًا له مطيعًا سامعًا لما يقتضيه ويلتمسه مدققًا بالفكر في حيل الوصول إلى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فإنه الذي يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده، ولينظر بعين البصيرة فلا يرى إن أنصف نفسه إلا ساعيًا طول النهار في عبادة هؤلاء،

وهذا غاية الظلم إذ جعل المالك مملوكًا والرب مربوبًا والسيد عبدًا والقاهر مقهورًا، إذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء الثلاثة فلا جرم ينتشر إلى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات تتراكم عليه حتى يصير طابعًا وَرَيْنًا مهلكًا للقلب ومميتًا له، أما طاعة خنزير الشهوة فتصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والحقد والشماتة وغيرها. وأما طاعة كلب الغضب فتنتشر منها إلى القلب صفة التهور والبذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها. وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجرأة والتلبيس والتضريب والغش والخب والخنا وأمثالها. ولو عكس الأمر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والإحاطة بحقائق الأشياء ومعرفة الأمور على ما هي عليه، والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة، واستحقاق التقدم على الخلق لكمال العلم وجلاله، ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب، ولانتشر إليه من ضبط خنزير الشهوة ورده إلى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدوء والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وأمثالها، ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها إلى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها.

فالقلب في حكم مرآة قد اكتنفته هذه الأمور المؤثرة فيه، وهذه الآثار على التواصل واصلة إلى القلب. أما الآثار المحمودة التي ذكرناها فإنها تزيد مرآة القلب جلاء وإشراقًا ونورًا وضياءً حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الأمر المطلوب في الدين، وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ الله بِعَبْدٍ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَاعِظًا مِنْ قَلْبِهِ» (١)، وبقوله ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ مِنْ قَلْبِهِ وَاعِظٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الله حَافِظٌ» (٢)، وهذا القلب هو الذي يستقرّ فيه الذكر. قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

وأما الآثار المذمومة فإنها مثل دخان مظلم يتصاعد إلى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى إلى أن يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبًا عن الله تعالى، وهو الطبع وهو الرين قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤] وقال عز وجل: ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف:١٠٠] فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب، كما ربط السماع بالتقوى فقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟﴾ [المائدة:١٠٨] ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٢].

---

(١) ضعيف: حديث: إذا أراد الله بعبده خيرا جعل له واعظا من قلبه. أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أم سلمة وإسناده جيد [ضعيف الجامع: ٣٣٠].

(٢) حديث «من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ». لم أجد له أصلاً.

ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلوب وعند ذلك يعمى القلب عن إدراك الحق وصلاح الدين ويستهين بأمر الآخرة ويستعظم أمر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها. فإذا قرع سمعه أمر الآخرة وما فيها من الأخطار دخل من أذن وخرج من أذن ولم يستقر في القلب ولم يحركه إلى التوبة والتدارك أولئك الذين ﴿يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾[الممتحنة :١٣] وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة.

قال ميمون بن مهران: إذا أذنب العبد ذنبًا نكت في قلبه نكتة سوداء فإذا هو نزع وتاب صقل، وإن عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه فهو الران، وقد قال النبي ﷺ: «قَلْبُ الْمُؤْمِنِ أَجْرَدُ فِيهِ سِرَاجٌ يُزْهِرُ وَقَلْبُ الْكَافِرِ أَسْوَدُ مَنْكُوسٌ»(١). فطاعة الله سبحانه بمخالفة الشهوات مصقلة للقلب، ومعاصيه مسودات له فمن أقبل على المعاصي أسود قلبه، ومن اتبع السيئة الحسنة ومحا أثرها لم يظلم قلبه، ولكن ينقص نوره كالمرآة التي يتنفس فيها ثم تمسح ويتنفس ثم تمسح، فإنها لا تخلو عن كدورة. وقد قال ﷺ: «الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ قَلْبٌ أَجْرَدُ فِيهِ سِرَاجٌ يُزْهِرُ فَذَلِكَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ، وَقَلْبٌ أَسْوَدُ مَنْكُوسٌ فَذَلِكَ قَلْبُ الْكَافِرِ، وَقَلْبٌ أَغْلَفُ مَرْبُوطٌ عَلَى غِلَافِهِ فَذَلِكَ قَلْبُ الْمُنَافِقِ وَقَلْبٌ مُصَفَّحٌ فِيهِ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ»(٢)، فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب. ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأي المادتين غلبت عليه حكم له بها؟ وفي رواية: ذهبت به. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف :٢٠١] فأخبر أن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا. فالتقوى باب الذكر، والذكر باب الكشف، والكشف باب الفوز الأكبر، وهو الفوز بلقاء الله تعالى.

بيان مثل القلب بالإضافة الى العلوم خاصة

اعلم أن محل العلم هو القلب؛ أعني اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح وهي المطاعة المخدومة من جميع الأعضاء، وهي بالإضافة إلى حقائق المعلومات كالمرآة بالإضافة إلى صور المتلونات؛ فكما أن للمتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها، كذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتتضح فيها، وكما أن المرآة غير وصور الأشخاص غير وحصول مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة أمور. فكذلك هاهنا ثلاثة أمور: القلب، وحقائق الأشياء، وحصول نفس الحقائق في القلب وحضورها فيه.

فالعالم عبارة عن القلب الذي فيه يحل مثال حقائق الأشياء، والمعلوم عبارة عن حقائق الأشياء. والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة.

---

(١) ضعيف: حديث «قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر .... الحديث». أخرجه أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد وهو بعض الحديث الذي يليه.

(٢) ضعيف: حديث «القلوب أربعة: قلب أجرد فيه سراج يزهر .... الحديث». أخرجه أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد الخدري. وقد تقدم [أحمد: ١٠٧٤٥، انظر السلسلة الضعيفة: ٥١٥٨].

وكما أن القبض مثلًا يستدعي (قابضًا) كاليد (ومقبوضًا) كالسيف، ووصولًا بين السيف واليد ، بحصول السيف في اليد ، ويسمى (قبضًا)، فكذلك وصول مثال المعلوم إلى القلب يسمى علمًا، وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودًا ولم يكن العلم حاصلًا، لأن العلم عبارة عن وصول الحقيقة إلى القلب، كما أن السيف موجود واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والأخذ حاصلًا لعدم وقوع السيف في اليد، نعم القبض عبارة عن حصول السيف بعينه في اليد والمعلوم بعينه لا يحصل في القلب، فمن علم النار لم تحصل عين النار في قلبه، ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها، فتمثيله بالمرآة أولى لأن عين الإنسان لا تحصل في المرآة وإنما يحصل مثال مطابق له. وكذا حصول مثال مطابق لحقيقة المعلوم في القلب يسمى علمًا.

وكما أن المرآة لا تنكشف فيها الصورة لخمسة أمور:

أحدها : نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل أن يدور ويشكل ويصقل.

والثاني : لخبثه وصدئه وكدورته وإن كان تام الشكل.

والثالث : لكونه معدولًا به عن جهة الصورة إلى غيرها كما إذا كانت الصورة وراء المرآة.

والرابع : لحجاب مرسل بين المرآة والصورة.

والخامس : للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه أن يحاذي بها شطر الصورة وجهتها.

فكذلك القلب مرآة مستعدة لأن ينجلي فيها حقيقة الحق في الأمور كلها، وإنما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الأسباب الخمسة:

أولها : نقصان في ذاته كقلب الصبي فإنه لا ينجلي له المعلومات لنقصانه.

والثاني : لكدورة المعاصي والخبث الذي يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فإن ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكمه. وإليه الإشارة بقوله ﷺ : «مَنْ قَارَفَ ذَنْبًا فَارَقَهُ عَقْلٌ لا يَعُودُ إِلَيْهِ أَبَدًا»(١) أي حصل في قلبه كدورة لا يزول أثرها إذ غايته أن يتبعه بحسنة يمحوه بها، فلو جاء بالحسنة ولم تتقدم السيئة لازداد لا محالة إشراق القلب، فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها إلى ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نورًا. فهذا خسران مبين ونقصان لا حيلة له فليست المرآة التي تتدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتي تمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق؟ فالإقبال على طاعة الله والإعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب، ويصفيه ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[العنكبوت: ٦٩] وقال ﷺ : «مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ الله عِلْمَ ما لَمْ يَعْلَمْ»(٢) .

---

(١) حديث «من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود إليه أبدا». لم أر له أصلا.

(٢) صحيح : حديث «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم». رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وقد

الثالث: أن يكون معدولًا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فإن قلب المطيع الصالح وإن كان صافيًا فإنه ليس يتضح فيه جلية الحق لأنه ليس يطلب الحق وليس محاذيًا بمرآته شطر المطلوب، بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية أو بتهيئة أسباب المعيشة ولا يصرف فكره إلى التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الإلهية، فلا ينكشف له إلا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الأعمال وخفايا عيوب النفس إن كان متفكرًا فيها، أو مصالح المعيشة إن كان متفكرًا فيها. وإذا كان تقييد الهم بالأعمال وتفصيل الطاعات مانعًا عن انكشاف جلية الحق فما ظنك فيمن صرف الهم إلى الشهوات الدنيوية ولذاتها وعلائقها، فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي؟.

الرابع: الحجاب فإن المطيع القاهر لشهواته المتجرد الفكر في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبًا عنه باعتقاد سبق إليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن، فإن ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من أن ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد، وهذا أيضًا حجاب عظيم به حجب أكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب، بل أكثر الصالحين المتفكرين في ملكوت السموات والأرض لأنهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجابًا بينهم وبين درك الحقائق.

الخامس: الجهل بالجهة التي يقع منها العثور على المطلوب فإن طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول إلا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى إذا تذكرها ورتبها في نفسه ترتيبًا مخصوصًا يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتنجلي حقيقة المطلوب لقلبه، فإن العلوم المطلوبة التي ليست فطرية لا تقتنص إلا بشبكة العلوم الحاصلة، بل كل علم لا يحصل إلا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والأنثى. ثم كما أن من أراد أن يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار وبعير وإنسان بل من أصل مخصوص من الخيل الذكر والأنثى، وذلك إذا وقع بينهما ازدواج مخصوص. فكذلك كل علم فله أصلان مخصوصان وبينهما طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب، فالجهل بتلك الأصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم. ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها، بل مثاله أن يريد الإنسان أن يرى قفاه مثلًا بالمرآة فإنه إذا رفع المرآة بإزاء وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا، وإن رفعها وراء القفا وحاذاه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيها فيحتاج إلى مرآة أخرى ينصبها وراء القفا، وهذه في مقابلتها بحيث يبصرها ويراعي مناسبة بين وضع

تقدم في العلم [الإيمان لابن تيمية].

المرآتين حتى تنطبع صورة القفا في المرآة المحاذية للقفا، ثم تنطبع صورة هذه المرآة في المرآة الأخرى التي في مقابلة العين، ثم تدرك العين صورة القفا، فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات أعجب مما ذكرناه في المرآة يعز على بسيط الأرض من يهتدي إلى كيفية الحيلة في تلك الازورارات. فهذه هي الأسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الأمور. وإلا فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لأنه أمر رباني شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف. وإليه الإشارة بقوله عز وجل: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الأحزاب:٧٢] إشارة إلى أن له خاصية تميز بها عن السموات والأرض والجبال بها صار مطيقًا لحمل أمانة الله تعالى. وتلك الأمانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد لحمل الأمانة ومطيق لها في الأصل، ولكن يثبطه عن النهوض بأعبائها والوصول إلى تحقيقها الأسباب التي ذكرناها. ولذلك قال ﷺ «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ وَإِنَّمَا أَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ» (١)، وقول رسول الله ﷺ «لَوْلا أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحُومُونَ عَلَى قُلُوبِ بَنِي آدَمَ لَنَظَرُوا إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاءِ» (٢)، إشارة إلى بعض هذه الأسباب التي هي الحجاب بين القلوب وبين الملكوت.

وإليه الإشارة بما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قيل لرسول الله، يا رسول الله أين الله في الأرض أو في السماء؟ قال: «في قلوب عباده المؤمنين» (٣)، وفي الخبر: «قالَ اللهُ تَعَالَى: لَمْ يَسَعْنِي أَرْضِي وَلا سَمَائِي وَوَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي المُؤْمِنِ اللَّيِّنِ الوَادِعِ» (٤)، وفي الخبر: أنه قيل يا رسول الله من خير الناس؟ فقال: «كُلُّ مُؤْمِنٍ مَخْمُومُ القَلْبِ» فقيل: وما مخموم القلب؟ فقال: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ الَّذِي لا غِشَّ فِيهِ وَلا بَغْيَ وَلا غَدْرَ ولا غِلَّ وَلا حَسَدَ» (٥) ولذلك قال عمر رضي الله عنه:

رأى قلبي ربي. إذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى، ومن ارتفع الحجاب بينه وبين الله تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى جنة عرض بعضها السموات والأرض، أما جملتها فأكثر سعة من السموات والأرض لأن السموات والأرض عبارة عن عالم الملك والشهادة، وهو

---

(١) صحيح: حديث «كل مولود يولد على الفطرة .... الحديث». متفق عليه من حديث أبي هريرة [البخاري: ١٣٨٥، مسلم: ٢٦٥٨].

(٢) حديث «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم» تقدم.

(٣) حديث ابن عمر: قيل لرسول الله، يا رسول الله أين الله في الأرض أو في السماء. «قال في قلوب عباده المؤمنين». لم أجده بهذا اللفظ، وللطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني يرفعه إلى النبي ﷺ قال «إن لله آنية من أهل الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين... الحديث» فيه بقية بن الوليد وهو مدلس لكنه صرح فيه بالتحديث[حديث أبو عتبة حسنه الألباني، انظر صحيح الجامع: ٢١٦٣] .

(٤) حديث «قال الله ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع». لم أر له أصلا وفي حديث أبي عتبة قبله عند الطبراني بعد قوله «وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه ألينها وأرقها».

(٥) صحيح: حديث: قيل من خير الناس؟ قال «كل مؤمن مخموم القلب .... الحديث». أخرجه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر بإسناد صحيح [ابن ماجه: ٤٢١٦، انظر صحيح الترغيب: ٢٨٨٩].

وإن كان واسع الأطراف متباعد الأكناف فهو متناه على الجملة، وأما عالم الملكوت وهي الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار المخصوصة بإدراك البصائر فلا نهاية له، نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالإضافة إلى علم الله لا نهاية له. وجملة عالم الملك والملكوت إذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية، لأن الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات إذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وأفعاله، ومملكته وعبيده من أفعاله، فما يتجلى من ذلك للقلب هي الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق، ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله وصفاته وأفعاله. وإنما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩] ومراد تزكيته حصول أنوار الإيمان فيه أعني إشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام:١٢٥] .وبقوله: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر:٢٢] .

نعم هذا التجلي وهذا الإيمان له ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: إيمان العوام وهو إيمان التقليد المحض.

والثانية: إيمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال، ودرجته قريبة من درجة إيمان العوام.

والثالثة: إيمان العارفين وهو المشاهد بنور اليقين.

ونبين لك هذه المراتب بمثال: وهو أن تصديقك بكون زيد مثلاً في الدار له ثلاث درجات.

الأولى: أن يخبرك من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته في القول، فإن قلبك يسكن إليه ويطمئن بخبره بمجرد السماع، وهذا هو الإيمان بمجرد التقليد، وهو مثل إيمان العوام فإنهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وأمهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وإرادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة الرسل وصدقهم وما جاؤوا به، وكما سمعوا به قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا إليه، ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لهم لحسن ظنهم بآبائهم وأمهاتهم ومعلميهم، وهذا الإيمان سبب النجاة في الآخرة وأهله من أوائل رتب أصحاب اليمين وليسوا من المقربين لأنه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين، إذ الخطأ ممكن فيما سمع من الآحاد بل من الأعداد فيما يتعلق بالاعتقادات، فقلوب اليهود والنصارى أيضًا مطمئنة بما يسمعونه من آبائهم وأمهاتهم إلا أنهم اعتقدوا ما اعتقدوا خطأ لأنهم ألقي إليهم الخطأ، والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن ألقي إليهم كلمة الحق.

الرتبة الثانية: أن تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون إيمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار أقوى من تصديقك بمجرد السماع، فإنك إذا قيل لك إنه في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينًا لأن الأصوات تدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت في حال مشاهدة الصورة، فيحكم قلبه بأن

هذا صوت ذلك الشخص؛ وهذا إيمان ممزوج بدليل والخطأ أيضًا ممكن أن يتطرق إليه، إذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة إلا أن ذلك قد لا يخطر ببال السامع لأنه ليس يجعل للتهمة موضعًا، ولا يقدر في هذا التلبيس والمحاكاة غرضًا.

الرتبة الثالثة: أن تدخل الدار فتنظر إليه بعينك وتشاهده؛ وهذه هي المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية. وهي تشبه معرفة المقربين والصديقين، لأنهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في إيمانهم إيمان العوام والمتكلمين، ويتميزون بمزية بينة يستحيل معها إمكان الخطأ. نعم وهم أيضًا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف.

أما درجات الكشف فمثاله أن يبصر زيدًا في الدار عن قرب وفي صحن الدار في وقت إشراق الشمس فيكمل له إدراكه، والآخر يدركه في بيت أو من بعد أو في وقت عشية فيتمثل له في صورته ما يستيقن معه أنه هو؛ ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والخفايا من صورته. ومثل هذا متصوّر في تفاوت المشاهدة للأمور الإلهية.

وأما مقادير العلوم فهو بأن يرى في الدار زيدًا وعمرًا وبكرًا غير ذلك، وآخر لا يرى إلا زيدًا، فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة. فهذا حال القلب بالإضافة إلى العلوم والله تعالى أعلم بالصواب.

بيان حال القلب بالإضافة الى أقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والاخروية

اعلم أن القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق، ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم إلى عقلية وإلى شرعية. والعقلية تنقسم إلى ضرورية ومكتسبة. والمكتسبة إلى دنيوية وأخروية.

أما العقلية: فنعني بها ما تقضي بها غريزة العقل ولا توجد بالتقليد والسماع؛ وهي تنقسم إلى ضرورية: لا يدري من أين حصلت وكيف حصلت؟ كعلم الإنسان بأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين والشيء الواحد لا يكون حادثًا قديمًا موجودًا معدومًا معًا؛ فإن هذه علوم يجد الإنسان نفسه منذ الصبا مفطورًا عليها ولا يدري متى حصل له هذا العلم ولا من أين حصل له؟ أعني أنه لا يدري له سببًا قريبًا، وإلا فليس يخفى عليه أن الله هو الذي خلقه وهداه. وإلى علوم مكتسبة: وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلًا.

قال علي رضي الله عنه:

رأيتُ العقلَ عقلين ... فمطبوعٌ ومسموعُ
ولا ينفع مسموعٌ ... إذا لم يكُ مطبوعُ
كما لا تنفعُ الشمس ... وضوء العينِ ممنوعُ

والأول هو المراد بقوله ﷺ لعلي: «ما خلق الله خلقًا أكرم عليه من العقل» (١)، والثاني هو المراد بقوله ﷺ لعلي رضي الله عنه: «إذا تقرب الناس إلى الله تعالى بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك» (٢). إذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة. ولكن مثل علي رضي الله عنه هو الذي يقدر على التقرب باستعمال العقل في اقتناص العلوم التي بها ينال القرب من رب العالمين، فالقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوّة البصر في العين، وقوة الإبصار لطيفة تفقد في العمى وتوجد في البصر وإن كان قد غمض عينيه أو جن عليه الليل، والعلم الحاصل منه في القلب جار مجرى قوّة إدراك البصر في العين ورؤيته لأعيان الأشياء. وتأخر العلوم عن عين العقل في مدّة الصبا إلى أوان التمييز أو البلوغ يضاهي تأخر الرؤية عن البصر إلى أوان إشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات. والقلم الذي سطر الله به العلوم على صفحات القلوب يجري مجرى قرص الشمس. وإنما لم يحصل العلم في قلب الصبي قبل التمييز لأن لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نفس العلم. والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى جعله سببًا لحصول نقش العلوم في قلوب البشر. قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:٤-٥] وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما لا يشبه وصفه وصف خلقه، فليس قلمه من قصب ولا خشب، كما أنه تعالى ليس من جوهر ولا عرض؛ فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه إلا أنه لا مناسبة بينهما في الشرف؛ فإن البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي اللطيفة المدركة، وهي كالفارس والبدن كالفرس، وعمى الفارس أضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لأحد الضررين إلى الآخر. ولموازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم:١١] سمى إدراك الفؤاد رؤية، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:٧٥] وما أراد به الرؤية الظاهرة فإن ذلك غير مخصوص بإبراهيم عليه السلام حتى يعرض في معرض الامتنان، ولذلك سمي ضد إدراكه عمى، فقال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦] وقال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٧٢] فهذا بيان العلم العقلي.

أما العلوم الدينية: فهي المأخوذة بطريق التقليد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وفهم معانيهما بعد السماع، وبه كمال صفة القلب وسلامته عن الأدواء والأمراض، فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وإن كان محتاجًا إليها، كما أن العقل غير كاف في استدامة صحة أسباب البدن بل يحتاج إلى معرفة

---

(١) حديث «ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل». أخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول بإسناد ضعيف وقد تقدم في العلم.

(٢) حديث «إذا تقرب الناس إلى الله بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك». أخرجه أبو نعيم من حديث علي بإسناد ضعيف.

خواص الأدوية والعقاقير بطريق التعلم من الأطباء، إذ مجرد العقل لا يهتدى إليه ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه إلا بالعقل، فلا غنى بالعقل عن السماع ولا غنى بالسماع عن العقل. فالداعي إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل، والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنّة مغرور، فإياك أن تكون من أحد الفريقين وكن جامعًا بين الأصلين، فإن العلوم العقلية كالأغذية والعلوم الشرعية كالأدوية والشخص المريض يستضر بالغذاء متى فاته الدواء، فكذلك أمراض القلوب لا يمكن علاجها إلا بالأدوية المستفادة من الشريعة وهي وظائف العبادات والأعمال التي ركبها الأنبياء صلوات الله عليهم لإصلاح القلوب، فمن لا يداوي قلبه المريض بمعالجات العبادة الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضرّ بها كما يستضر المريض بالغذاء. وظن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى في عين البصيرة نعوذ بالله منه، بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما. فيظن أنه تناقض في الدين، فيتحير به فينسل من الدين انسلال الشعرة من العجين.

وإنما ذلك لأن عجزه في نفسه خيل إليه نقضًا في الدين وهيهات. وإنما مثاله مثال الأعمى الذي دخل دار قوم فتعثر فيها بأواني الدار فقال لهم: ما بال هذه الأواني تركت على الطريق لم لا ترد إلى مواضعها؟ فقالوا له: تلك الأواني في مواضعها وإنما أنت لست تهتدي للطريق لعماك فالعجب منك أنك لا تحيل عثرتك على عماك وإنما تحيلها على تقصير غيرك؟ فهذه نسبة العلوم الدينية إلى العلوم العقلية.

والعلوم العقلية تنقسم إلى دنيوية وأخروية. فالدنيوية: كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات. والأخروية: كعلم أحوال القلب وآفات الأعمال والعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله ، كما فصلناه في كتاب العلم ، وهما علمان متنافيان ، أعني إن من صرف عنايته إلى أحدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر على الأكثر ، ولذلك ضرب علي رضي الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة أمثلة فقال: هما ككفتي الميزان، وكالمشرق والمغرب، وكالضرّتين إذا أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى.

ولذلك ترى الأكياس في أمور الدنيا وفي علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة جهالًا في أمور الآخرة. والأكياس في دقائق علوم الآخرة جهالًا في أكثر علوم الدنيا، لأن قوة العقل لا تفي بالأمرين جميعًا في الغالب فيكون أحدهما مانعًا من الكمال في الثاني. ولذلك قال ﷺ: «إِنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الجَنَّةِ البُلْهُ» (١)، أي البله في أمور الدنيا.

وقال الحسن في بعض مواعظه: لقد أدركنا أقوامًا لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو أدركوكم لقالوا شياطين. فمهما سمعت أمرًا غريبًا من أمور الدين جحده أهل الكياسة في سائر العلوم، فلا

(١) ضعيف: حديث «أكثر أهل الجنة البله». أخرجه البزار من حديث أنس وضعفه وصححه القرطبي في التذكرة وليس كذلك فقد قال ابن عدي: إنه منكر [ضعيف الجامع: ١٠٩٦].

يغرّنك جحودهم عن قبوله إذ من المحال أن يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب، فكذلك يجري أمر الدنيا والآخرة، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾ [يونس:٧] الآية. وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم: ٧] وقال عز وجل: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٢٩ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [النجم:٢٩-٣٠] فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر إلا لمن رسخه الله لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الأنبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الإلهية التي تتسع لجميع الأمور ولا تضيق عنها.

فأما قلوب سائر الخلق فإنها إذا استقلت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيها.

بيان الفرق بين الإلهام والتعلم، والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار

اعلم أن العلوم التي ليست ضرورية ـ وإنما تحصل في القلب في بعض الأحوال ـ تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه ألقي فيه من حيث لا يدري، وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم. فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى إلهامًا، والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارًا واستبصارًا. ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم إلى ما لا يدري العبد أنه كيف حصل له ومن أين حصل؟ وإلى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم، وهو مشاهدة الملك الملقي في القلب. والأول: يسمى إلهامًا ونفثًا في الروع. والثاني: يسمى وحيًا وتختص به الأنبياء. والأول يختص به الأولياء والأصفياء. والذي قبله ، وهو المكتسب بطريق الاستدلال ، يختص به العلماء. وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لأن تنجلي فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها، وإنما حيل بينه وبينها بالأسباب الخمسة ، التي سبق ذكرها ، فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به إلى يوم القيامة. وتجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها، والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد وأخرى يزول بهبوب الرياح تحركه.

وكذلك قد تهب رياح الألطاف وتنكشف الحجب عن أعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ، ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل. وتمام ارتفاع الحجاب بالموت فبه ينكشف الغطاء، وينكشف أيضًا في اليقظة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى، فيلمع في القلوب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف، وأخرى على التوالي إلى حد ما. ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الإلهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب، فإن ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك بل في

مشاهدة الملك المفيد للعلم، فإن العلم إنما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١].

فإذا عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية. فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الأقاويل والأدلة المذكورة، بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم، وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت، وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية فليس على العبد إلا الاستعداد بالتصفية المجردة وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة.

فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب، بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى. فمن كان لله كان الله له. وزعموا أن الطريق في ذلك أولًا بانقطاع علائق الدنيا بالكلية وتفريغ القلب منها وبقطع الهمة عن الأهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه إلى حالة يستوي فيها وجود كل شيء وعدمه، ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب، ويجلس فارغ القلب مجموع الهم، ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره، بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى، فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلًا بلسانه: الله الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهي إلى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه، ثم يصبر عليه إلى أن يمحى أثره عن اللسان ويصادف قلبه مواظبًا على الذكر، ثم يواظب عليه إلى أن يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة، ويبقى معنى الكلمة مجردًا في قلبه حاضرًا فيه كأنه لازم له لا يفارقه وله اختيار إلى أن ينتهي إلى هذا الحدّ واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس، وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى، بل هو بما فعله صار متعرضًا لنفحات رحمة الله فلا يبقى إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كما فتحها على الأنبياء والأولياء بهذه الطريق؛ وعند ذلك إذا صدقت إرادته وصفت همته وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تلمع لوامع الحق في قلبه، ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت؛ ثم يعود وقد يتأخر، وإن عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفًا؛ وإن ثبت قد يطول ثباته وقد لا يطول، وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد. ومنازل أولياء الله تعالى فيه لا تحصر كما لا يحصى تفاوت خلقهم وأخلاقهم. وقد رجع هذا الطريق

إلى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء، ثم استعداد وانتظار فقط.

وأما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وإمكانه وإفضائه إلى هذا المقصد على الندور فإنه أكثر أحوال الأنبياء والأولياء، ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطئوا ثمرته واستبعدوا استجماع شروطه، وزعموا أن محو العلائق إلى ذلك الحد كالمتعذر وإن حصل في حال فثباته أبعد منه، إذ أدنى وسواس وخاطر يشوش القلب، وقال رسول الله ﷺ «قَلْبُ المُؤْمِنِ أَشَدُّ تَقَلُّبًا مِنَ القِدْرِ في غَلَيانِهَا» (١)، وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: «قَلْبُ المُؤْمِنِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمنِ» (٢)، وفي أثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن، وإذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس إليها مدة طويلة إلى أن يزول وينقضي العمر قبل النجاح فيها، فكم من صوفي سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد أتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال، فالاشتغال بطريق التعلم أوثق وأقرب إلى الغرض. وزعموا أن ذلك يضاهي ما لو ترك الإنسان تعلم الفقه. وزعم أن النبي ﷺ لم يتعلم ذلك وصار فقيهًا بالوحي والإلهام من غير تكرير وتعليق، وأنا أيضًا ربما انتهت بي الرياضة والمواظبة إليه، ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره، بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز، فإن ذلك ممكن ولكنه بعيد جدًا؛ فكذلك هذا. وقالوا: لا بد أولًا من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فعساه ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة.

بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس

اعلم أن عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس، لأن القلب أيضًا خارج عن إدراك الحس وما ليس مدركًا بالحواس تضعف الأفهام عن دركه إلا بمثال محسوس. ونحن نقرّب ذلك إلى الأفهام الضعيفة بمثالين:

أحدهما: أنه لو فرضنا حوضًا محفورًا في الأرض احتمل أن يساق الماء من فوقه بأنهار تفتح فيه، ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافي، فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أغزر وأكثر. فذلك القلب مثل الحوض، والعلم مثل الماء، وتكون الحواس الخمس مثال الأنهار. وقد يمكن أن تساق العلوم إلى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلىء علمًا، ويمكن أن تسد هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد إلى عمق القلب بتطهيره ورفع

---

(١) صحيح: حديث «قلب المؤمن أشد تقلبا من القدر في غليانها». أخرجه أحمد والحاكم وصححه من حديث المقداد بن الأسود [أحمد: ٢٣٣٠٤، صحيح الجامع: ٥١٤٧].

(٢) صحيح: حديث «قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن». أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمر [مسلم: ٢٦٥٤].

طبقات الحجب عنه حتى تنفجر ينابيع العلم من داخله.

فإن قلت: فكيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه؟ فاعلم أن هذا من عجائب أسرار القلب ولا يسمح بذكره في علم المعاملة بل القدر الذي يمكن ذكره أن حقائق الأشياء مسطورة في اللوح المحفوظ، بل في قلوب الملائكة المقربين. فكما أن المهندس يصوّر أبنية الدار في بياض ثم يخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة، فكذلك فاطر السموات والأرض كتب نسخة العالم من أوله إلى آخره في اللوح المحفوظ، ثم أخرجه إلى الوجود على وفق تلك النسخة، والعالم الذي خرج إلى الوجود بصورته تتأدى منه صورة أخرى إلى الحس والخيال، فإن من ينظر إلى السماء والأرض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والأرض في خياله حتى كأنه ينظر إليها، ولو انعدمت السماء والأرض وبقي هو في نفسه لوجد صورة السماء والأرض في نفسه كأنه يشاهدهما وينظر إليهما، ثم يتأدى من خياله أثر إلى القلب فيحصل فيه حقائق الأشياء التي دخلت في الحس والخيال. والحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال، والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجًا من خيال الإنسان وقلبه. والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ.

فكأن للعالم أربع درجات في الوجود: وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسماني، ويتبعه وجوده الحقيقي، ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي - أعني وجود صورته في الخيال - ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي - أعني وجود صورته في القلب -.

وبعض هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمانية. والروحانية بعضها أشد روحانية من البعض؛ وهذا اللطف من الحكمة الإلهية، إذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث تنطبع صورة العالم والسموات والأرض على اتساع أكنافها فيها، ثم يسري من وجودها في الحس وجود إلى الخيال، ثم منه وجود في القلب فإنك أبدًا لا تدرك إلا ما هو واصل إليك، فلو لم يجعل للعالم كله مثالاً في ذاتك لما كان لك خبر مما يباين ذاتك، فسبحان من دبر هذه العجائب في القلوب والأبصار ثم أعمى عن دركها القلوب والأبصار، حتى صارت قلوب أكثر الخلق جاهلة بأنفسها وبعجائبها.

ولنرجع إلى الغرض المقصود فنقول: القلب قد يتصوّر أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ، كما أن العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر إليها وتارة من النظر إلى الماء الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها. فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الأشياء فيه وتفجر إليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس، فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الأرض. ومهما أقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابًا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما أن الماء إذا اجتمع في الأنهار منع ذلك من التفجر في الأرض، وكما أن من نظر إلى الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرًا إلى نفس الشمس؛ فإذن للقلب بابان: باب مفتوح إلى عالم

الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة، وباب مفتوح إلى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الملك والشهادة. وعالم الشهادة والملك أيضًا يحاكي عالم الملكوت نوعًا من المحاكاة.

فأما انفتاح باب القلب إلى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك. وأما انفتاح بابه الداخل إلى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علمًا يقينيًا بالتأمل في عجائب الرؤيا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل أو كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس. وإنما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى، وقال ﷺ: «سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ» قيل: ومن هم المفردون يا رسول الله؟ قال: «الْمُتَنَزِّهُونَ بِذِكْرِ الله تَعَالَى وَضَعَ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَوْزَارَهُمْ فَوَرَدُوا القِيامَةَ خفافًا» ، ثم قال في وصفهم إخبارًا عن الله تعالى فقال: «ثُمَّ أُقْبِلُ بِوَجْهِي عَلَيْهِمْ أَتُرَى مَنْ وَاجَهْتُهُ بِوَجْهِي يَعْلَمُ أَحَدٌ أَيُّ شَيْءٍ أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيَهُ؟ ثم قال تعالى: أَوَّلُ مَا أُعْطِيهِمْ أَنْ أَقْذِفَ النُّورَ فِي قُلُوبِهِمْ فَيُخْبِرُونَ عَنِّي كَمَا أُخْبِرُ عَنْهُمْ» (١)، ومدخل هذه الأخبار هو الباب الباطن فإذا الفرق بين علوم الأولياء والأنبياء وبين علوم العلماء والحكماء هذا وهو أن علومهم تأتي من داخل القلب من الباب المنفتح إلى عالم الملكوت، وعلم الحكمة يتأتى من أبواب الحواس المفتوحة إلى عالم الملك، وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي الشهادة والغيب لا يمكن أن يستقصى في علم المعاملة. فهذا مثال يعلمك الفرق بين مدخل العالمين.

المثال الثاني يعرفك الفرق بين العملين، أعني عمل العلماء وعمل الأولياء: فإن العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها إلى القلب، وأولياء الصوفية يعملون في جلاء القلوب وتطهيرها وتصفيتها وتصقيلها فقط، فقد حكي أن أهل الصين وأهل الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر رأي الملك على أن يسلم إليهم صفة لينقش أهل الصين منها جانبًا وأهل الروم جانبًا ويرخي بينهما حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر ففعل ذلك، فجمع أهل الروم من الأصباغ الغريبة ما لا ينحصر ودخل أهل الصين من غير صبغ وأقبلوا يجلون جانبهم ويصقلونه، فلما فرغ أهل الروم ادعى أهل الصين أنهم قد فرغوا أيضًا فعجب الملك من قولهم وأنهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ؟ فقيل: وكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا: ما عليكم ارفعوا الحجاب، فرفعوا وإذا بجانبهم يتلألأ منه عجائب الصنائع الرومية مع زيادة إشراق وبريق، إذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد التصقيل؛ فكذلك عناية الأولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلألأ فيه جلية الحق بنهاية الإشراق كفعل أهل الصين، وعناية الحكماء والعلماء بالاكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقشها في القلب كفعل أهل الروم، فكيفما كان الأمر فقلب المؤمن لا

(١) حديث «سبق المفردون قيل ومن هم؟ قال «المستهترون بذكر الله ... الحديث» [مسلم: ٢٦٧٦]. أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة مقتصرا على أول الحديث وقال فيه: وما المفردون؟ قال «الذاكرون الله كثيرا والذاكرات» ورواه الحاكم بلفظ «قال الذين يستهترون بذكر الله» وقال صحيح على شرط الشيخين وزاد فيه البيهقي في الشعب «يضع الذكر عنهم أثقالهم ويأتون يوم القيامة خفافا» ورواه هكذا الطبراني في المعجم الكبير من حديث أبي الدرداء دون الزيادة التي ذكرها المصنف في آخره وكلاهما ضعيف.

يموت وعلمه عند الموت لا يمحى وصفاؤه لا يتكدّر وإليه أشار الحسن رحمة الله عليه بقوله: التراب لا يأكل محل الإيمان بل يكون وسيلة وقربة إلى الله تعالى.

وأما ما حصله من نفس العلم وما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نفس العلم فلا غنى به عنه ولا سعادة لأحد إلا بالعلم والمعرفة، وبعض السعادات أشرف من بعض كما أنه لا غني إلا بالمال. فصاحب الدرهم غني وصاحب الخزائن المترعة غني، وتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة والإيمان كما تتفاوت درجات الأغنياء بحسب قلة المال وكثرته، فالمعارف أنوار ولا يسعى المؤمنون إلى لقاء الله تعالى إلا بأنوارهم: قال الله تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد:١٢] وقد روي في الخبر: «إن بعضهم يعطى نورًا مثل الجبل وبعضهم أصغر حتى يكون آخرهم رجلًا يعطى نورًا على إبهام قدميه فيضيء مرة وينطفئ أخرى فإذا أضاء قدّم قدميه فمشى وإذا أطفئ قام، ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالسحاب، ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب، ومنهم من يمر كالفرس إذا اشتد في ميدانه، والذي أعطي نورًا على إبهام قدمه يحبو حبوًا على وجهه ويديه ورجليه يجر يدًا ويعلق أخرى ويصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص»[1]. الحديث فبهذا يظهر تفاوت الناس في الإيمان ولو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح. فهذا أيضًا يضاهي قول القائل: لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها لرجح؛ فإيمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع، وإيمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم، وإيمان الأنبياء كالشمس. وكما ينكشف في نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع أقطارها ولا ينكشف في نور السراج إلا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت انشراح الصدر بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين. ولذلك جاء في الخبر: «أنه يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة»[2].

كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الإيمان وأن هذه المقادير من الإيمان لا تمنع دخول النار، وفي مفهومه أن من إيمانه يزيد على مثقال فإنه لا يدخل النار، إذ لو دخل لأمر بإخراجه أولًا وأن من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وإن دخلها. وكذلك قوله ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ خَيْرًا مِنْ أَلْفِ مِثْلِهِ إِلاَّ الإِنْسَانُ الْمُؤْمِنُ»[3]. إشارة إلى تفضيل قلب العارف بالله تعالى

---

(١) صحيح: حديث «إن بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم أصغر حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نورا على إبهام قدميه ..... الحديث». أخرجه الطبراني والحاكم من حديث ابن مسعود قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين [صحيح الترغيب: ٣٥٩١].

(٢) صحيح: حديث «يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة». متفق عليه من حديث أبي سعيد وليس فيه قوله «ربع مثقال» [البخاري: ٢٢، مسلم: ١٨٤].

(٣) صحيح: حديث «ليس شيء خيرا من ألف مثله إلا الإنسان أو المؤمن». أخرجه الطبراني من حديث سلمان

الموقن فإنه خير من ألف قلب من العوام. وقد قال تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران :١٣٩] تفضيلًا للمؤمنين على المسلمين والمراد به المؤمن العارف دون المقلد. وقال عز وجل: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة :١١] فأراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين أوتوا العلم. ويدل ذلك على أن اسم المؤمن يقع على المقلد وإن لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف.

وفسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة :١١] فقال يرفع الله العالم فوق المؤمن بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، وقال ﷺ: «أَكْثَرُ أَهْلِ الجَنَّةِ البُلْهُ وَعِلِّيُّونَ لِذَوِي الأَلْبَابِ» (١)، وقال: «فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِي» (٢)، وفي رواية: «كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ» فبهذه الشواهد يتضح لك تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم، ولهذا كان يوم القيامة يوم التغابن إذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران، والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره إليها كنظر الغني الذي يملك عشرة دراهم إلى الغني الذي يملك الأرض من المشرق إلى المغرب وكل واحد منهما غني ولكن ما أعظم الفرق بينهما وما أعظم الغبن على من يخسر حظه من ذلك ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء :٢١].

بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد

اعلم أن من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الإلهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفًا بصحة الطريق، ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي أن يؤمن به، فإن درجة المعرفة فيه عزيزة جدًا، ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات:

أما الشواهد: فقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت :٦٩] فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والإلهام. وقال ﷺ: «مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ الله عِلْمَ ما لَمْ يَعْلَمْ وَوَفَّقَهُ فِيما يَعْمَلُ حَتَّى يَسْتَوْجِبَ الجَنَّةَ وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِمَا يَعْلَمُ تَاهَ فِيما يَعْلَمُ وَلَمْ يُوَفَّقْ فِيمَا يَعْمَلُ حَتَّى يَسْتَوْجِبَ النَّارَ» (٣)، وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق :٢] من الإشكالات والشبه. ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾

بلفظ «الإنسان» ولأحمد من حديث ابن عمر «لا نعلم شيئا خيرا من مائة مثله إلا الرجل المؤمن» وإسنادهما حسن [أحمد: ٣٧٨٣٨، السلسلة الصحيحة: ٥٤٦].

(١) حديث «أكثر أهل الجنة البله، وعليون لذوي الألباب». تقدم دون هذه الزيادة ولم أجد لهذه الزيادة أصلا.

(٢) حديث «فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي». أخرجه الترمذي من حديث أبي أمامة وصححه وقد تقدم في العلم وكذلك الرواية الثانية [الترمذي: ٢٦٨٥، صحيح الجامع: ٤٢١٣].

(٣) ضعيف: حديث «من عمل بما علم .... الحديث». تقدم في العلم دون قوله «ووفقه فيما يعمل» فلم أرها [الإيمان لابن تيمية].

[الطلاق :٣]يعلمه علمًا من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة. وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال:٢٩]قيل نورًا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات، ولذلك كان يكثر ﷺفي دعائه من سؤال النور فقال عليه الصلاة والسلام: «اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نُورًا وَزِدْنِي نُورًا وَاجْعَلْ لِي فِي قَلْبِي نُورًا وَفِي قَبْرِي نُورًا وَفِي سَمْعِي نُورًا وَفِي بَصَرِي نُورًا ، حَتَّى قال: فِي شَعْرِي وَفِي بَشَرِي وَفِي لَحْمِي وَدَمِي وَعِظَامِي» (١)، وسئل ﷺعن قول الله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [الزمر:٢٢]ما هذا الشرح؟ فقال: «هُوَ التَّوسِعَةُ إِنَّ النُّورَ إذا قُذِفَ بِهِ فِي القَلْبِ اتَّسَعَ لَهُ الصَّدْرُ وَانْشَرَحَ» (٢)، وقال ﷺلابن عباس: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ» (٣). وقال علي رضي الله عنه: ما عندنا شيء أسره النبي ﷺإلينا إلا أن يؤتي الله تعالى عبدًا فهمًا في كتابه وليس هذا بالتعلم؟ (٤)وقيل في تفسير قوله تعالى: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ﴾ [البقرة:٢٦٩]إنه الفهم في كتاب الله، وقال تعالى: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ﴾ [الأنبياء:٧٩]خص ما انكشف باسم الفهم. وكان أبو الدرداء يقول: المؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق والله إنه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويجريه على ألسنتهم. وقال بعض السلف: ظن المؤمن كهانة.

وقال ﷺ «اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ الله تَعَالَى» (٥)، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر:٧٥]وقوله تعالى: ﴿قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة :١١٨]وروى الحسن عن رسول الله ﷺأنه قال: «العِلْمُ عِلْمَانِ فَعِلْمٌ بَاطِنٌ فِي القَلْبِ فَذَلِكَ هُوَ العِلْمُ النَّافِعُ» (٦)، وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو؟ فقال: هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه الله تعالى في قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكًا ولا بشرًا. وقد قال ﷺ «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مُحَدَّثِينَ وَمُعَلَّمِينَ وَمُكَلَّمِينَ وَإِنَّ عُمَرَ مِنْهُمْ» (٧)، وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا

---

(١) صحيح : حديث «اللهم أعطني نورا .... الحديث». متفق عليه من حديث ابن عباس [البخاري: ٦٣١٦، مسلم: ٧٦٣].

(٢) حديث: سئل عن قوله تعالى ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [الزمر:٢٢] ... الحديث». وفي المستدرك من حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم.

(٣) حديث «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل». قاله لابن عباس متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله «وعلمه التأويل» [البخاري: ١٤٣] فأخرجه بهذه الزيادة أحمد وابن حبان والحاكم وصححه وقد تقدم في العلم [أحمد: ٢٣٩٣].

(٤) صحيح : حديث علي: ما عندنا شيء أسره إلينا رسول الله ﷺإلا أن يؤتي الله عبدا فهما في كتابه، تقدم في آداب تلاوة القرآن [ابن ماجه: ٨٨٧، صححه الشيخ الألباني في سنن ابن ماجه: ٢٦٥٨].

(٥) ضعيف : حديث «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى». أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد وقد تقدم [الترمذي: ٢٩٨، انظر ضعيف الجامع: ٣١٢٧].

(٦) ضعيف جدًا : حديث «العلم علمان... الحديث». تقدم في العلم [ضعيف الترغيب: ٦٩].

(٧) حديث «إن من أمتي محدثين ومكلمين وإن عمر منهم». أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة «لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر» [البخاري: ٣٤٩٦] ورواه مسلم من حديث عائشة [مسلم: ٢٣٩٨].

مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ ولا نبيٍ وَلاَ مُحَدَّثٍ﴾ يعني الصديقين والمحدث هو الملهم، والملهم هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة.

والقرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف: وذلك علم من غير تعلم. وقال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦] خصصها بهم وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٨] وكان أبو يزيد وغيره يقول: ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فإذا نسي ما حفظه صار جاهلًا، إنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس. وهذا هو العلم الرباني وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:٦٥] مع أن كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علمًا لدنيا بل اللدني الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ما ورد فيه من الآيات والأخبار والآثار لخرج عن الحصر.

وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضًا خارج عن الحصر وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها عند موته: إنما هما أخواك وأختاك، وكانت زوجته حاملًا فولدت بنتًا فكان قد عرف قبل الولادة أنها بنت. وقال عمر رضي الله عنه في أثناء خطبته: يا سارية الجبل الجبل؛ إذ انكشف له أن العدوّ قد أشرف عليه فحذره لمعرفته ذلك، ثم بلوغ صوته إليه من جملة الكرامات العظيمة، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلت على عثمان رضي الله عنه وكنت قد لقيت امرأة في طريقي فنظرت إليها شزرًا وتأملت محاسنها فقال عثمان رضي الله عنه لما دخلت: يدخل عليَّ أحدكم وأثر الزنا ظاهر على عينيه أما علمت أن زنا العينين النظر؟ لتتوبن أو لأعزرنك فقلت: أوحي بعد النبي؟ فقال: لا، ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة.

وعن أبي سعيد الخراز قال: دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيرًا عليه خرقتان، فقلت في نفسي: هذا وأشباهه كل على الناس، فناداني وقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة:٢٣٥] فاستغفرت الله في سري فناداني، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى:٢٥] ثم غاب عني ولم أره.

وقال زكريا بن داود: دخل أبو العباس بن مسروق على أبي الفضل الهاشمي، وهو عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب يعيش به، قال: فلما قمت قلت في نفسي من أين يأكل هذا الرجل؟ قال: فصاح بي يا أبا العباس رد هذه الهمة الدنية فإن لله تعالى ألطافًا خفية. وقال أحمد النقيب: دخلت على الشبلي فقال مفتونًا: يا أحمد. فقلت: ما الخبر؟ قال: كنت جالسًا فجرى بخاطري أنك بخيل، فقلت: ما أنا بخيل، فعاد مني خاطري وقال: بل أنت بخيل، فقلت: ما فتح اليوم علي بشيء إلا دفعته إلى أول فقير يلقاني، قال: فما استتم الخاطر حتى دخل عليَّ صاحب لمؤنس الخادم ومعه خمسون دينارًا فقال: اجعلها في مصالحك، قال: وقمت فأخذتها

وخرجت وإذا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق رأسه فتقدمت إليه وناولته الدنانير، فقال: أعطها المزين، فقلت: إن جملتها كذا وكذا، قال: أوليس قد قلنا لك إنك بخيل؟ قال: فناولتها المزين فقال المزين: قد عقدنا لما جلس هذا الفقير بين أيدينا أن لا نأخذ عليه أجرًا، قال: فرميت بها في دجلة وقلت ما أعزك أحد إلا أذله الله عز وجل. وقال حمزة بن عبد الله العلوي: دخلت على أبي الخير النيناني واعتقدت في نفسي أن أسلم عليه ولا آكل في داره طعامًا، فلما خرجت من عنده إذا به قد لحقني وقد حمل طبقًا فيه طعام وقال: يا فتى كُلْ فقد خرجت الساعة من اعتقادك، وكان أبو الخير النيناني هذا مشهورًا بالكرامات وقال إبراهيم الرقي: قصدته مسلمًا عليه فحضرت صلاة المغرب فلم يكد يقرأ الفاتحة مستويًا فقلت في نفسي: ضاعت سفرتي فلما سلم خرجت إلى الطهارة فقصدني سبع فعدت إلى أبي الخير وقلت: قصدني سبع، فخرج وصاح به وقال: ألم أقل لك لا تتعرض لضيفاني فتنحى الأسد فتطهرت فلما رجعت قال لي: اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الأسد، واشتغلنا بتقويم البواطن فخافنا الأسد.

وما حكي من تفرس المشايخ وإخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر، بل ما حكي عنهم من مشاهدة الخضر عليه السلام والسؤال منه، ومن سماع صوت الهاتف، ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه، ومن أنكر الأصل أنكر التفصيل والدليل القاطع الذي لا يقدر أحد جحده أمران.

أحدهما: عجائب الرؤيا الصادقة فإنه ينكشف بها الغيب وإذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل أيضًا في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة إلا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات فكم من مستيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه

والثاني: إخبار رسول الله ﷺ عن الغيب وأمور في المستقبل كما اشتمل عليه القرآن وإذا جاز ذلك للنبي ﷺ جاز لغيره إذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الأمور وشغل بإصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل بإصلاح الخلق، وهذا لا يسمى نبيًا بل يسمى وليًا، فمن آمن بالأنبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة أن يقر بأن القلب له بابان:

باب إلى خارج وهو الحواس، وباب إلى الملكوت من داخل القلب وهو باب الإلهام والنفث في الروع والوحي، فإذا أقر بهما جميعًا لم يمكنه أن يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الأسباب المألوفة، بل يجوز أن تكون المجاهدة سبيلًا إليه فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت، وأما السبب في انكشاف الأمر في المنام بالمثال المحوج إلى التعبير وكذلك تمثل الملائكة للأنبياء والأولياء بصور مختلفة فذلك أيضًا من أسرار عجائب القلب، ولا يليق ذلك إلا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فإنه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها. فقد قال بعض المكاشفين: ظهر لي الملك فسألني أملي عليه شيئًا من ذكري الخفي عن مشاهدتي من التوحيد وقال: ما نكتب لك عملًا

ونحن نحب أن نصعد لك بعمل تتقرب به إلى الله عز وجل فقلت: ألستما تكتبان الفرائض؟ قالا: بلى، قلت: فيكفيكما ذلك. وهذه إشارة إلى أن الكرام الكاتبين لا يطلعون على أسرار القلب وإنما يطلعون على الأعمال الظاهرة. وقال بعض العارفين: سألت بعض الأبدال عن مسألة من مشاهدة اليقين فالتفت إلى شماله فقال: ما تقول رحمك الله؟ ثم التفت إلى يمينه فقال: ما تقول رحمك الله؟ ثم أطرق إلى صدره وقال: ما تقول رحمك الله؟ ثم أجاب بأغرب جواب سمعته فسألته عن التفاته فقال: لم يكن عندي في المسألة جواب عتيد، فسألت صاحب الشمال فقال: لا أدري فسألت صاحب اليمين وهو أعلم منه فقال لا أدري، فنظرت إلى قلبي وسألته فحدثني بما أجبتك فإذا هو أعلم منهما. وكأن هذا هو معنى قوله عليه السلام: «إنَّ فِي أُمَّتِي مُحَدَّثِينَ وإنَّ عُمَرَ مِنْهُمْ» .

وفي الأثر :إن الله تعالى يقول: أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه. وقال أبو سليمان الداراني رحمة الله عليه: القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها أبواب مغلقة فأي باب فتح له عمل فيه؟ فقد ظهر انفتاح باب من أبواب القلب إلى جهة الملكوت والملأ الأعلى، وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع والإعراض عن شهوات الدنيا. ولذلك كتب عمر رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد: احفظوا ما تسمعون من المطيعين فإنهم ينجلي لهم أمور صادقة. وقال بعض العلماء: يد الله على أفواه الحكماء لا ينطقون إلا بما هيأ الله لهم من الحق. وقال آخر: لو شئت لقلت إن الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره.

بيان تسلط الشيطان على القلب بالوساوس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها

اعلم أن القلب كما ذكرناه مثال قبة مضروبة لها أبواب تنصب إليه الأحوال من كل باب، ومثاله أيضًا مثال هدف تنصب إليه السهام من الجوانب، أو هو مثال مرآة منصوبة تجتاز عليها أصناف الصور المختلفة فتتراءى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها، أو مثال حوض تنصب فيه مياه مختلفة من أنهار مفتوحة إليه. وإنما مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب في كل حال؛ أما من الظاهر فالحواس الخمس، وأما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والأخلاق المركبة من مزاج الإنسان؛ فإنه إذا أدرك بالحواس شيئًا حصل منه أثر في القلب، وكذلك إذا هاجت الشهوة مثلًا بسبب كثرة الأكل وبسبب قوة في المزاج حصل منها في القلب أثر وإن كف عن الإحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء إلى شيء، وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال آخر.

والمقصود أن القلب في التغير والتأثر دائمًا من هذه الأسباب. وأخص الآثار الحاصلة في القلب هي الخواطر؛ وأعني بالخواطر ما يحصل فيه من الأفكار، والأذكار، وأعني به إدراكاته علومًا إما على سبيل التجدد وإما على سبيل التذكر فإنها تسمى خواطر من حيث إنها تخطر بعد أن كان القلب غافلًا عنها. والخواطر هي المحركات للإرادات فإن النية والعزم والإرادة إنما

تكون بعد خطور المنوى بالبال لا محالة، فمبدأ الأفعال الخواطر، ثم الخاطر يحرك الرغبة، والرغبة تحرك العزم، والعزم يحرك النية، والنية تحرك الأعضاء.

والخواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر أعني إلى ما يضر في العاقبة، وإلى ما يدعو إلى الخير أعني إلى ما ينفع في الدار الآخرة. فهما خاطران مختلفان فافتقرا إلى اسمين مختلفين، فالخاطر المحمود يسمى إلهامًا، والخاطر المذموم أعني الداعي إلى الشر يسمى وسواسًا، ثم إنك تعلم أن هذه الخواطر حادثة، ثم إن كل حادث فلا بد له من محدث. ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الأسباب هذا ما عرف من سنّة الله تعالى في ترتيب المسببات على الأسباب. فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار وأظلم سقفه واسود بالدخان علمت أن سبب السواد غير سبب الاستنارة.

وكذلك لأنوار القلب وظلمته سببان مختلفان: فسبب الخاطر الداعي إلى الخير يسمى ملكًا، وسبب الخاطر الداعي إلى الشر يسمى شيطانًا، واللطف الذي يتهيأ به القلب لقبول إلهام الخير يسمى توفيقًا، والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواء وخذلانًا، فإن المعاني المختلفة تفتقر إلى أسامي مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه إفاضة الخير وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والأمر بالمعروف، وقد خلقه وسخره لذلك، والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والأمر بالفحشاء؛ والتخويف عند الهم بالخير بالفقر. فالوسوسة في مقابلة الإلهام، والشيطان في مقابلة الملك، والتوفيق في مقابلة الخذلان. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات:٤٩] فإن الموجودات كلها متقابلة مزدوجة إلا الله تعالى فإنه فرد لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للأزواج كلها. فالقلب متجاذب بين الشيطان والملك. وقد قال ﷺ: «فِي القَلْبِ لَمَّتَانِ لَمَّةٌ مِنَ المَلَكِ إيعادٌ بِالخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالحَقِّ فَمَنْ وَجَدَ ذلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ الله سُبْحَانَهُ وَلْيَحْمَدِ الله، وَلَمَّةٌ مِنَ العَدُوِّ إيعادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالحَقِّ وَنَهْيٌ عَنِ الخَيْرِ فَمَنْ وَجَدَ ذلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة:٢٦٨] (١) الآية» . وقال الحسن إنما هما همان يجولان في القلب همٌّ من الله تعالى وهمّ من العدوّ، فرحم الله عبدًا وقف عند همه فما كان من الله تعالى أمضاه وما كان من عدوه جاهده.

ولتجاذب القلب بين هذين المسلطين قال رسول الله ﷺ: «قَلْبُ المُؤْمِنِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمنِ» (٢)، فالله يتعالى عن أن يكون له أصبع مركبة من لحم ودم وعصب منقسمة بالأنامل ولكن روح الأصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير، فإنك لا تريد

---

(١) ضعيف: حديث «في القلب لمّتان؛ لمّة من الملك: إيعاد بالخير ... الحديث». أخرجه الترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى من حديث ابن مسعود [الترمذي: ٢٩٨٨، ضعيف الجامع: ١٩٦٣].

(٢) حديث «قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن». تقدم.

أصبعك لشخصه بل لفعله في التقليب والترديد كما أنك تتعاطى الأفعال بأصابعك. والله تعالى يفعل ما يفعل باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب، كما أن أصابعك مسخرة لك في تقليب الأجسام مثلًا.

والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملك ولقبول آثار الشيطان صلاحًا متساويًا ليس يترجح أحدهما على الآخر، وإنما يترجح أحد الجانبين باتباع الهوى والإكباب على الشهوات أو الإعراض عنها ومخالفتها، فإن اتبع الإنسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لأن الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه، وإن جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه بأخلاق الملائكة عليهم السلام صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل إلى غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة. ولذلك قال ﷺ: «ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاّ وَلَه شَيْطَانٌ» قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «وَأَنَا إلاّ أَنَّ الله أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلا يَأْمُرُ إلاّ بِخَيْرٍ» (١)، وإنما كان هذا لأن الشيطان لا يتصرف إلا بواسطة الشهوة فمن أعانه الله على شهوته حتى صارت لا تنبسط إلا حيث ينبغي وإلى الحدّ الذي ينبغي فشهوته لا تدعو إلى الشر فالشيطان المتدّرع بها لا يأمر إلا بالخير.

ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالًا فوسوس. ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله وأقبل الملك وألهم. والتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم إلى أن ينفتح القلب لأحدهما فيستوطن ويستمكن، ويكون اجتياز الثاني اختلاسًا. وأكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وتملكتها فامتلأت بالوساوس الداعية إلى إيثار العاجلة واطراح الآخرة. ومبدأ استيلائها اتباع الشهوات والهوى.

ولا يمكن فتحها بعد ذلك إلا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح أثر الملائكة. وقال جابر بن عبيدة العدوي: شكوت إلى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال: إنما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فإن كان فيه شيء عالجوه وإلا مضوا وتركوه. يعني أن القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان. ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢] فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك سلط الله عليه الشيطان. وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] وهو إشارة إلى أن من الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله. ولذلك قال عمرو بن العاص للنبي ﷺ: «يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال: «ذلِكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ فَإِذا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِالله مِنْهُ وَاتْفُلْ عَلَى

(١) صحيح: حديث «ما منكم من أحد إلا وله شيطان .... الحديث». أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود [مسلم: ٢٨١٤].

يَسَارِكَ ثلاثًا» قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني»[١].

وفي الخبر: «إن للوضوء شيطانًا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه»[٢]، ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب إلا ذكر ما سوى ما يوسوس به، لأنه إذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم منه ما كان فيه من قبل، ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به فيجوز أيضًا أن يكون مجالاً للشيطان، وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال. ولا يعالج الشيء إلا بضدّه وضدّ جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبرئ عن الحول والقوّة، وهو معنى قولك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم. وذلك لا يقدر عليه إلا المتقون الغالب عليهم ذكر الله تعالى، وإنما الشيطان يطوف عليهم في أوقات الفلتات على سبيل الخلسة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١] وقال مجاهد في معنى قول الله تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس:٤] قال: هو منبسط على القلب؛ فإذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض، وإذا غفل انبسط على قلبه. فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار، ولتضادهما قال الله تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة:١٩]

وقال أنس: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ واضِعٌ خُرْطُومَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ فَإِنْ هُوَ ذَكَرَ الله تَعَالَى خَنَسَ وَإِنْ نَسِيَ الله تَعَالَى الْتَقَمَ قَلْبَهُ»[٣]، وقال ابن وضاح في حديث ذكره: إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان وجهه بيده وقال: بأبي وجه من لا يفلح[٤].

وكما أنّ الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضًا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ فَضَيِّقُوا مَجَارِيَهُ بِالجُوعِ»[٥]. وذلك لأنّ الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات. ولأجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى إخبارًا عن إبليس:

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ [الأعراف:١٦-١٧] وقال ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لابْنِ آدَمَ بِطُرُقٍ فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الإِسْلامِ فَقَالَ:

---

(١) صحيح: حديث ابن أبي العاص: إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي .... الحديث». أخرجه مسلم من حديث ابن أبي العاص [مسلم:٢٢٠٣].

(٢) ضعيف: حديث «إن للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه». أخرجه ابن ماجه والترمذي من حديث أبي بن كعب وقال غريب وليس إسناده بالقوي عند أهل الحديث [الترمذي: ٥٧، ضعيف الجامع: ١٩٧٠].

(٣) حديث أنس «إن الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم.... الحديث». أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب مكايد الشيطان وأبو يعلى الموصلي وابن عدي في الكامل وضعفه.

(٤) حديث ابن وضاح «إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال: بأبي وجه من لا يفلح». لم أجد له أصلا.

(٥) حديث «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم». تقدم.

أَتُسْلِمُ وَتَتْرُكُ دِينَكَ وَدِينَ آبائِكَ؟ فَعَصَاهُ وَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الهِجْرَةِ فَقَالَ: أَتُهَاجِرُ أَتَدَعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ؟ فَعَصَاهُ وَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الجِهَادِ فَقَالَ: أَتُجَاهِدُ وَهُوَ تَلَفُ النَّفْسِ وَالمَالِ فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ فَتُنْكَحُ نِسَاؤُكَ وَيُقْسَمُ مَالُكَ، فَعَصَاهُ وَجَاهَدَ» (١)، وقال رسول الله ﷺ: «فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَمَاتَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ» فذكر رسول الله ﷺ معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد أنه يقتل وتنكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة. فإذًا الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر إلى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصوّر أن ينفك عنه آدمي وإنما يختلفون بعصيانه ومتابعته، ولذلك قال عليه السلام: «ما مِنْ أَحَدٍ إلاّ وَلَهُ شَيْطانٌ» (٢).

فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والإلهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان أنه جسم لطيف أو ليس بجسم. وإن كان جسمًا فكيف يدخل بدن الإنسان ما هو جسم؟ فهذا الآن غير محتاج إليه في علم المعاملة. بل مثال الباحث عن هذا مثال من دخلت في ثيابه حية وهو محتاج إلى إزالتها ودفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عين الجهل فمصادمة الخواطر الباعثة على الشر قد علمت ودل ذلك على أنه عن سبب لا محالة، وعلم أنّ الداعي إلى الشر المحذور في المستقبل عدوّ فقد عرف العدوّ لا محالة، فينبغي أن يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز عنه فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس:٦٠] فينبغي للعبد أن يشتغل بدفع العدوّ عن نفسه لا بالسؤال عن أصله ونسبه ومسكنه. نعم ينبغي أن يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للعالمين.

فأما معرفة ذاته وصفاته وحقيقته ـ نعوذ بالله منه ـ وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين في علوم المكاشفات فلا يحتاج في علم المعاملة إلى معرفته. نعم ينبغي أن يعلم أن الخواطر تنقسم إلى ما يعلم قطعًا أنه داع إلى الشر فلا يخفى كونه وسوسة، وإلى ما يعلم أنه داع إلى الخير فلا يشك في كونه إلهامًا، وإلى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من لمة الملك أو من لمة الشيطان؟ فإن من مكائد الشيطان أن يعرض الشر في معرض الخير، والتمييز في ذلك غامض وأكثر العباد به يهلكون، فإن الشيطان لا يقدر على دعائهم إلى الشر الصريح فيصوّر الشر بصورة الخير، كما يقول للعالم بطريق الوعظ: أما تنظر إلى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد أشرفوا على النار؟ أما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك

---

(١) صحيح: حديث «إن الشيطان قعد لابن آدم بطرق ... الحديث». أخرجه النسائي من حديث سبرة بن أبي فاكه بإسناد صحيح [النسائي: ٦/ ٢١، صحيح الترغيب: ١٢٩٩].

(٢) حديث «ما من أحد إلا وله شيطان». تقدم.

وقد أنعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة؟ فكيف تكفر نعمة الله تعالى وتتعرض لسخطه وتسكت عن إشاعة العلم ودعوة الخلق إلى الصراط المستقيم؟ وهو لا يزال يقرّر ذلك في نفسه ويستجره بلطيف الحيل إلى أن يشتغل بوعظ الناس، ثم يدعوه بعد ذلك إلى أن يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ وإظهار الخير ويقول له: إن لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا إلى الحق ولا يزال يقرّر ذلك عنده وهو في أثنائه يؤكد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة الأتباع والعلم والنظر إلى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح إلى الهلاك؛ فيتكلم وهو يظن أن قصده الخير وإنما قصده الجاه والقبول، فيهلك بسببه وهو يظن أنه عند الله بمكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله ﷺ «إنَّ الله لَيُؤَيِّدُ هذا الدِّينَ بِقَوْمٍ لا خَلاقَ لَهُمْ» (١)، و «إنَّ الله لَيُؤَيِّدُ هذا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ» (٢)، ولذلك روي أن إبليس لعنه الله تمثل لعيسى ابن مريم عليه السلام فقال له: قل لا إله إلا الله. فقال: كلمة حق ولا أقولها بقولك. لأن له أيضًا تحت الخير تلبيسات، وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبها يهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والأغنياء وأصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لأنفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة.

وسنذكر جملة من مكائد الشيطان في كتاب الغرور في آخر هذا الربع. ولعلنا إن أمهل الزمان صنفنا فيه كتابًا على الخصوص نسميه (تلبيس إبليس) فإنه قد انتشر الآن تلبيسه في البلاد والعباد لاسيما في المذاهب والاعتقادات، حتى لم يبق من الخيرات إلا رسمها. كل ذلك إذعانًا لتلبيسات الشيطان ومكائده.

فحق على العبد أن يقف عند كل هم يخطر له ليعلم أنه من لمة الملك أو لمة الشيطان وأن يمعن النظر فيه بعين البصيرة لا بهوى من الطبع، ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟﴾ أي رجعوا إلى نور العلم: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١] أي ينكشف لهم الإشكال فأما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه إلى الإذعان بتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلطه ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر. وفي مثلهم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر:٤٧] قيل هي أعمال ظنوها حسنات فإذا هي سيئات. وأغمض أنواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكائد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد أهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر إليهم الوساوس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز عنه. ولا ينجى من كثرة الوسواس إلا سدّ أبواب الخواطر.

وأبوابها الحواس الخمس، وأبوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا. والخلوة في بيت

---

(١) صحيح: حديث «إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم». أخرجه النسائي من حديث أنس بإسناد جيد [صحيح الجامع: ١٨٦٦].

(٢) حديث «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر». متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم في العلم.

مظلم تسد باب الحواس. والتجرّد عن الأهل والمال يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنة في التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع إلا بشغل القلب بذكر الله تعالى، ثم إنه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بدّ من مجاهدته، وهذه مجاهدة لا آخر لها إلا الموت إذ لا يتخلص أحد من الشيطان ما دام حيًا. نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد، ولكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجري في بدنه. فإنه ما دام حيًا فأبواب الشيطان مفتوحة إلى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها ، كما سيأتي شرحها ، ومهما كان الباب مفتوحًا والعدوّ غير غافل لم يدفع إلا بالحراسة والمجاهدة.

قال رجل للحسن: يا أبا سعيد أينام الشيطان؟ فتبسم وقال: لو نام لاسترحنا. فإذن لا خلاص للمؤمن منه. نعم له سبيل إلى دفعه وتضعيف قوّته. قال ﷺ: «إِنَّ المُؤْمِنَ يُنْضِي شَيْطَانَهُ كَمَا يُنْضِي أَحَدُكُمْ بَعِيرَهُ فِي سَفَرِهِ»(١)، وقال ابن مسعود: شيطان المؤمن مهزول.

وقال قيس بن الحجاج: قال لي شيطاني، دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل العصفور، قلت: ولم ذاك؟ قال: تذيبني بذكر الله تعالى. فأهل التقوى لا يتعذر عليهم سدّ أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة، أعني الأبواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي إلى المعاصي الظاهرة، وإنما يتعثرون في طرقه الغامضة فإنهم لا يهتدون إليها فيحرسونها كما أشرنا إليه في غرور العلماء والوعاظ. والمشكل أن الأبواب المفتوحة إلى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد، وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الأبواب الكثيرة فالعبد فيها كالمسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق إلا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة. والعين البصيرة ههنا هي القلب المصفى بالتقوى. والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنّة رسوله ﷺ مما يهدي إلى غوامض طرقه، وإلا فطرقه كثيرة وغامضة. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: خط لنا رسول الله ﷺ يومًا خطًا وقال: «هذا سبيل الله» ثم خط خطوطًا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال: «هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْها شَيْطانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» ثم تلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾[الأنعام:١٥٣] لتلك الخطوط(٢) فبين ﷺ كثرة طرقه.

---

(١) ضعيف: حديث «إن المؤمن ينضي شيطانه .... الحديث». أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة وفيه ابن لهيعة [أحمد: ٨٧١٧، ضعيف الجامع: ١٧٧٢].

[الشرح من النهاية:

فيه «إن المؤمن لَيُنْضِي شيطانَه كما يُنْضِي أحدُكم بعيرَه» أي يُهْزِله، ويَجْعله نِضْوا. والنِضْو: الدابة التي أهْزَلَتْها الأسفار، وأذْهَبَت لَحْمَها. * ومنه حديث علي «كلمات لو رَحَلْتُم فيهنّ المَطِيَّ لأَنْضَيْتُموهنّ».

وحديث ابن عبد العزيز «أنْضَيتم الظُّهر» أي أهْزَلْتُموه.]

(٢) صحيح: حديث ابن مسعود: خط لنا رسول الله ﷺ خطا فقال «هذا سبيل الله .... الحديث». أخرجه النسائي في الكبرى والحاكم وقال: صحيح الإسناد [الترمذي: ٢٤٥٤، صححه الألباني في سنن الترمذي].

وقد ذكرنا مثالاً للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة، فلنذكر مثالاً لطريقه الواضح الذي لا يخفى إلا أن يضطر الآدمي إلى سلوكه.

وذلك كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «كانَ رَاهِبٌ فِي بَنِي إسْرَائِيلَ فَعَمِدَ الشَّيْطانُ إلَى جَارِيَةٍ فَخَنَقَها وَأَلْقَى فِي قُلُوبِ أَهْلِها أَنَّ دَوَاءَها عِنْدَ الرَّاهِبِ، فَأَتَوْا بِها إلَيْهِ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَها فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى قَبِلَها، فَلَمَّا كَانَتْ عِنْدَهُ لِيُعَالِجَها أتاهُ الشَّيْطَانُ فَزَيَّنَ لَهُ مُقَارَبَتَهَا وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى وَاقَعَهَا فَحَمَلَتْ مِنْهُ، فَوَسْوَسَ إلَيْهِ وَقالَ: الآنَ تُفْتَضَحُ يَأْتِيكَ أَهْلُها فَاقْتُلْهَا فَإنْ سَأَلُوكَ فَقُلْ ماتَتْ، فَقَتَلَها وَدَفَنَهَا، فَأَتَى الشَّيْطان أَهْلَها فَوَسْوَسَ إلَيْهِمْ وَأَلْقَى فِي قُلُوبِهِم أَنَّهُ أَحْبَلَهَا ثُمَّ قَتَلَهَا وَدَفَنَهَا، فَأَتَاهُ أَهْلُهَا فَسَأَلُوهُ عَنْهَا فَقَالَ: ماتَتْ، فَأَخَذُوهُ لِيَقْتُلُوهُ بِها فَأَتَاهُ الشَّيْطَانُ فَقَالَ: أَنَا الَّذِي خَنَقْتُها وَأَنَا الَّذِي أَلْقَيْتُ فِي قُلُوبِ أَهْلِها فَأَطِعْنِي تَنْجُ وَأُخَلِّصْكَ مِنْهُمْ قَالَ: بِمَاذا؟ قالَ: اسْجُدْ لِي سَجْدَتَيْنِ؛ فَسَجَدَ لَهُ سَجْدَتَيْنِ فَقَالَ لَهُ الشَّيْطَانُ: إنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ. فَهُوَ الَّذِي قَالَ الله تَعَالَى فِيهِ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾ [الحشر:١٦] »(١)

فانظر الآن إلى حيله واضطراره الراهب إلى هذه الكبائر، وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو أمر هين وربما يظن صاحبه أنه خير وحسنة فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الأمر بعد ذلك عن اختياره ويجرّه البعض إلى البعض بحيث لا يجد محيصًا: فنعوذ بالله من تضييع أوائل الأمور وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «مَنْ حَامَ حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ»(٢).

بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب

اعلم أنّ مثال القلب مثال حصن والشيطان عدوّ يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه، ولا يقدر على حفظ الحصن من العدوّ إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه، ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدري أبوابه، فحماية القلب عن وساوس الشيطان واجبة وهو فرض عين على كل عبد مكلف، وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضًا واجب، ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة. ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة، ولكنا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان.

---

(١) حديث «كان راهب في بني إسرائيل فأخذ الشيطان جارية فخنقها وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب.... الحديث». فهو الذي قال الله تعالى فيه ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ [الحشر:١٦]». رواه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان وابن مردويه في تفسيره في حديث عبيد بن أبي رفاعة مرسلا وللحاكم نحوه موقوفا على علي بن أبي طالب وقال صحيح الإسناد ووصله بطين في مسنده من حديث علي.

(٢) صحيح : حديث «من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه». متفق عليه من حديث النعمان بن بشير «من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه» لفظ البخاري [البخاري: ٥٢، مسلم: ١٥٩٩].

فمن أبوابه العظيمة : الغضب والشهوة؛ فإنّ الغضب هو غول العقل وإذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان. ومهما غضب الإنسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة. فقد روي أن موسى عليه السلام لقيه إبليس فقال له: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليمًا وأنا خلق من خلق الله أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لي إلى ربي أن يتوب عليّ، فقال موسى: نعم، فلما صعد موسى الجبل وكلم ربه عز وجل وأراد النزول قال له ربه: أدِّ الأمانة، فقال موسى: يا رب عبدك إبليس يريد أن تتوب عليه، فأوحى الله تعالى إلى موسى: يا موسى قد قضيت حاجتك مُرْهُ أن يسجد لقبر آدم حتى يتاب عليه، فلقي موسى إبليس فقال له: قد قضيت حاجتك أمرت أن تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليك، فغضب واستكبر وقال: لم أسجد له حيًا أأسجد له ميتًا؟ ثم قال له: يا موسى إن لك عليّ حقًا بما شفعت لي إلى ربك فاذكرني عند ثلاث لا أهلك فيهن: اذكرني حين تغضب فإن روحي في قلبك وعيني في عينك وأجري منك مجرى الدم؛ اذكرني إذا غضبت فإنه إذا غضب الإنسان نفخت في أنفه فما يدري ما يصنع، واذكرني حين تلقى الزحف فإني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فأذكره زوجته وولده وأهله حتى يولي، وإياك أن تجلس إلى امرأة ليست بذات محرم فإني رسولها إليك ورسولك إليها فلا أزال حتى أفتنك بها وأفتنها بك.

فقد أشار بهذا إلى الشهوة والغضب والحرص فإن الفرار من الزحف حرص على الدنيا، وامتناعه من السجود لآدم ميتًا هو الحسد وهو أعظم مداخله، وقد ذكر أن بعض الأولياء قال لإبليس: أرني كيف تغلب ابن آدم؟ فقال: آخذه عند الغضب وعند الهوى، فقد حكي أن إبليس ظهر لراهب فقال له الراهب: أي أخلاق بني آدم أعون لك؟ قال: الحدّة فإن العبد إذا كان حديدًا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة. وقيل: إن الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم إذا رضي جئت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه؟

ومن أبوابه العظيمة : الحسد والحرص فمهما كان العبد حريصًا على شيء أعماه حرصه وأصمه. إذ قال ﷺ: «حُبُّكَ لِلشَّيْءِ يُعْمِي وَيُصِمُّ» [(١)]، ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فإذا غطاه الحسد والحرص لم يبصر فحينئذ يجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله إلى شهوته وإن كان منكرًا وفاحشًا.

فقد روي أن نوحًا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى، فرأى في السفينة شيخًا لم يعرفه فقال له نوح: ما أدخلك؟ فقال: دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك، فقال له نوح: اخرج منها يا عدوّ الله فإنك لعين، فقال له إبليس: خمس أهلك بهن الناس وسأحدّثك منهن بثلاث ولا أحدّثك باثنتين، فأوحى الله تعالى إلى نوح: أنه لا حاجة لك بالثلاث فليحدّثك بالاثنتين، فقال له نوح: ما

(١) ضعيف : حديث «حبك الشيء يعمي ويصم». أخرجه أبو داود من حديث أبي الدرداء بإسناد ضعيف [أبو داود: ٥١٣٠، ضعفه الشيخ الألباني في سنن أبي داود].

الاثنتان؟ فقال: هما اللتان لا تكذباني هما اللتان لا تخلفاني بهما أهلك الناس؛ الحرص والحسد، فبالحسد لعنت وجعلت شيطانًا رجيمًا، وأما الحرص فإنه أبيح لآدم الجنة كلها إلا الشجرة فأصبت حاجتي منه بالحرص.

ومن أبوابه العظيمة :الشبع من الطعام وإن كان حلالًا صافيًا؛ فإنّ الشبع يقوّي الشهوات والشهوات أسلحة الشيطان.

فقد روي أنّ إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له: يا إبليس ما هذه المعاليق؟ قال: هذه الشهوات التي أصبت بها ابن آدم فقال: فهل فيّ منها شيء؟ قال: ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر، قال: فهل غير ذلك؟ قال: لا. قال لله عليّ أن لا أملأ بطني من الطعام أبدًا.

فقال له إبليس :ولله عليّ أن لا أنصح مسلمًا أبدًا. ويقال في كثرة الأكل ست خصال مذمومة؛ أولها :أن يذهب خوف الله من قلبه.

الثاني :أن يذهب رحمة الخلق من قلبه لأنه يظن أنهم كلهم شباع.

والثالث :أنه يثقل عن الطاعة.

والرابع :أنه إذا سمع كلام الحكمة لا يجد له رقة.

والخامس :أنه إذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع في قلوب الناس.

والسادس :أن يهيج فيه الأمراض.

ومن أبوابه : حب التزين من الأثاث والثياب والدار، فإن الشيطان إذا رأى ذلك غالبًا على قلب الإنسان باض فيه وفرخ، فلا يزال يدعوه إلى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع أبنيتها ويدعوه إلى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره، وإذا أوقعه في ذلك فقد استغنى أن يعود إليه ثانية، فإن بعض ذلك يجره إلى البعض فلا يزال يؤديه من شيء إلى شيء إلى أن يساق إليه أجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخشى من ذلك سوء العاقبة بالكفر نعوذ بالله منه.

ومن أبوابه العظيمة : الطمع في الناس، لأنه إذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحبب إليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بأنواع الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كأنه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب إليه ويدخل كل مدخل للوصول إلى ذلك.

وأقل أحواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة له بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فقد روى صفوان بن سليم أن إبليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال له: يا ابن حنظلة احفظ عني شيئًا أعلمك به فقال: لا حاجة لي به.

قال : انظر فإن كان خيرًا أخذت وإن كان شرًا رددت، يا ابن حنظلة لا تسأل أحدًا غير الله سؤال رغبة، وانظر كيف تكون إذا غضبت، فإني أملكك إذا غضبت.

ومن أبوابه العظيمة : العجلة وترك التثبت في الأمور، وقال ﷺ «العَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ

وَالتَّأَنِّي مِنَ الله تَعَالَى» (١). وقال عز وجل: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء:٣٧] وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء:١١] وقال لنبيه: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه:١١٤] وهذا لأن الأعمال ينبغي أن تكون بعد التبصرة والمعرفة، والتبصرة تحتاج إلى تأمل وتمهل، والعجلة تمنع من ذلك، وعند الاستعجال يروّج الشيطان شره على الإنسان من حيث لا يدري. فقد روي أنه لما ولد عيسى ابن مريم عليه السلام أتت الشياطين إبليس فقالوا: أصبحت الأصنام قد نكست رءوسها، فقال: هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى أتى خافقي الأرض فلم يجد شيئًا، ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد وإذا الملائكة حافين به، فرجع إليهم فقال: إن نبيًا قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها إلا هذا، فأيسوا من أن تعبد الأصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة.

ومن أبوابه العظيمة: الدراهم والدنانير وسائر أصناف الأموال من العروض والدواب والعقار؛ فإن كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان، فإن من معه قوته فهو فارغ القلب. فلو وجد مائة دينار مثلًا على طريق انبعث من قلبه شهوات تحتاج كل شهوة منها إلى مائة دينار أخرى فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج إلى تسعمائة أخرى، وقد كان قبل وجود المائة مستغنيًا، فالآن لما وجد مائة ظن أنه صار بها غنيًا وقد صار محتاجًا إلى تسعمائة ليشتري دارًا يعمرها وليشتري جارية وليشتري أثاث البيت ويشتري الثياب الفاخرة، وكل شيء من ذلك يستدعي شيئًا آخر يليق به.

وذلك لا آخر له فيقع في هاوية آخرها عمق جهنم فلا آخر لها سواء. قال ثابت البناني لما بعث رسول الله ﷺ قال إبليس لشياطينه: لقد حدث أمر فانظروا ما هو فانطلقوا حتى أعيوا ثم جاؤوا وقالوا ما ندري؟ قال: أنا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء وقال: قد بعث الله محمدًا قال: فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي ﷺ فينصرفون خائبين ويقولون: ما صحبنا قومًا قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى صلاتهم فيمحى ذلك، فقال لهم إبليس: رويدًا بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فنصيب منهم حاجتنا (٢).

وروي أن عيسى عليه الصلاة والسلام توسد يومًا حجرًا فمرّ به إبليس فقال: يا عيسى رغبت في الدنيا؟ فأخذه عيسى ﷺ فرمى به من تحت رأسه وقال: هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرًا يتوسد به عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن أن يكون عدّة للشيطان عليه.

فإن القائم بالليل مثلًا للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر، يمكن أن يتوسده؟ فلا يزال يدعوه إلى النوم وإلى أن يتوسده، ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك ببال ولا تتحرّك رغبته

---

(١) حديث «العجلة من الشيطان والتأني من الله». أخرجه الترمذي من حديث سهل بن سعد بلفظ الأناة وقال حسن.

(٢) حديث ثابت: لما بعث ﷺ قال إبليس لشياطينه: لقد حدث أمر ..... الحديث». أخرجه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان هكذا مرسلا.

إلى النوم. هذا في حجر فكيف بمن يملك المخاد الوثيرة والفرش الوطيئة والمتنزهات الطيبة فمتى ينشط لعبادة الله تعالى؟.

ومن أبوابه العظيمة: البخل وخوف الفقر؛ فإن ذلك هو الذي يمنع الإنفاق والتصدق ويدعو إلى الادخار والكنز والعذاب الأليم وهو الموعود للمكاثرين كما نطق به القرآن العزيز. قال خيثمة بن عبد الرحمن: إن الشيطان يقول: ما غلبني ابن آدم غلبة فلن يغلبني على ثلاث؛ أن آمره أن يأخذ المال من غير حقه. وإنفاقه في غير حقه، ومنعه من حقه. وقال سفيان: ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فإذا قبل ذلك منه أخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء.

ومن آفات البخل، الحرص على ملازمة الأسواق لجمع المال، والأسواق هي معشش الشياطين. وقال أبو أمامة إن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ إبْلِيسَ لَمَّا نَزَلَ إلى الأَرْضِ قَالَ: يا ربِّ أَنْزَلْتَنِي إلَى الأَرْضِ وَجَعَلْتَنِي رَجِيمًا فَاجْعَلْ لِي بَيْتًا. قالَ: الحَمَّامُ، قالَ: اجْعَلْ لِي مَجْلِسًا. قال: الأَسْوَاقُ ومَجَامِعُ الطُّرُقِ، قالَ: اجْعَلْ لِي طَعَامًا. قالَ: طَعَامُكَ ما لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ الله عَلَيْهِ، قالَ: اجْعَلْ لِي شَرَابًا. قالَ: كُلُّ مُسْكِرٍ، قَالَ: اجْعَلْ لِي مُؤَذِّنًا قالَ: المَزَامِيرُ، قالَ: اجْعَلْ لِي قُرْآنًا. قالَ: الشِّعْرُ، قالَ: اجْعَلْ لِي كِتَابًا. قالَ: الوَشْمُ، قالَ: اجْعَلْ لِي حَدِيثًا. قالَ: الكَذِبُ، قالَ: اجْعَلْ لِي مَصَائِدَ قالَ: النِّسَاءُ»[1].

ومن أبوابه العظيمة التوصل: التعصب للمذاهب والأهواء والحقد على الخصوم والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار، وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعًا فإن الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة في الطبع من الصفات السبعية، فإذا خيل إليه الشيطان أن ذلك هو الحق وكان موافقًا لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته، وهو بذلك فرحان مسرور يظن أنه يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الشياطين، فترى الواحد منهم يتعصب لأبي بكر الصدّيق رضي الله عنه وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاط لأنواع الفساد، ولو رآه أبو بكر لكان أوّل عدوّ له إذ موالي أبي بكر من أخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما بين لحييه، وكان من سيرته رضي الله عنه أن يضع حصاة في فمه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فأنى لهذا الفضولي أن يدعي ولاءه وحبه ولا يسير بسيرته؟

وترى فضوليًا آخر يتعصب لعلي رضي الله عنه وكان من زهد علي وسيرته أنه لبس في خلافته ثوبًا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمين إلى الرسغ، ونرى الفاسق لابسًا ثياب الحرير ومتجملًا بأموال اكتسبها من حرام وهو يتعاطى حب علي رضي الله عنه ويدعيه وهو أول خصمائه يوم القيامة، وليت شعري من أخذ ولدًا عزيزًا لإنسان هو قرة عينه وحياة قلبه فأخذ

---

(١) حديث أبي أمامة «إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يا رب أنزلتني إلى الأرض وجعلتني رجيما فأجعل لي بيتا قال الحمام .... الحديث». أخرجه الطبراني في الكبير وإسناده ضعيف جدا ورواه بنحوه من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف أيضاً.

يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب أبيه وولاءه فكيف يكون حاله عنده؟ ومعلوم أن الدين والشرع كانا أحب إلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة رضي الله عنهم، من الأهل والولد بل من أنفسهم والمقتحمون لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون به إلى عدوّ الله إبليس وعدوّ أوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصحابة وعند أولياء الله تعالى؟ لا بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما تحبه الصحابة في أمة رسول الله ﷺ لاستحيوا أن يجروا على اللسان ذكرهم مع قبح أفعالهم؟ ثم إن الشيطان يخيل إليهم أن من مات محبًا لأبي بكر وعمر فالنار لا تحوم حوله، ويخيل إلى الآخر أنه إذا مات محبًا لعلي لم يكن عليه خوف، وهذا رسول الله ﷺ يقول لفاطمة رضي الله عنها وهي بضعة منه [(١)]: «اعْمَلِي فَإِنِّي لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ الله شَيْئًا» [(٢)] وهذا مثال أوردناه من جملة الأهواء.

وهكذا حكم المتعصبين للشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من الأئمة فكل من ادعى مذهب إمام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الإمام هو خصمه يوم القيامة إذ يقول له:

كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان، وكان الحديث باللسان لأجل العمل لا لأجل الهذيان؛ فما بالك خالفتني في العمل والسيرة التي هي مذهبي ومسلكي الذي سلكته وذهبت فيه إلى الله تعالى ثم ادعيت مذهبي كاذبًا؟ وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر العالم، وقد سلمت المدارس لأقوام قل من الله خوفهم وضعفت في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع وإقامة الجاه إلا بالتعصب، فحبسوا ذلك في صدورهم ولم ينبهوهم على مكائد الشيطان فيه، بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا أمهات دينهم فقد هلكوا وأهلكوا فالله تعالى يتوب علينا وعليهم، وقال الحسن: بلغنا أن إبليس قال: سوّلت لأمة محمد ﷺ المعاصي فقصموا ظهري بالاستغفار فسوّلت لهم ذنوبًا لا يستغفرون الله تعالى منها وهي الأهواء.

وقد صدق الملعون فإنهم لا يعلمون أن ذلك من الأسباب التي تجر إلى المعاصي فكيف يستغفرون منها؟

ومن عظيم حيل الشيطان أن يشغل الإنسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات.

قال عبد الله بن مسعود: جلس قوم يذكرون الله تعالى فأتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع، فأتى رفقة أخرى يتحدّثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم فقاموا يقتتلون، وليس إياهم يريد، فقام الذين يذكرون الله تعالى فاشتغلوا بهم يفصلون بينهم

(١) صحيح: حديث «فاطمة بضعة مني». متفق عليه من حديث المسور بن مخرمة [البخاري: ٣٧١٤، مسلم: ٢٤٤٩].

(٢) حديث «إني لا أغني عنك من الله شيئا». قاله لفاطمة متفق عليه من حديث أبي هريرة [البخاري: ٢٧٥٣، مسلم: ٢٠٦].

فتفرقوا عن مجلسهم، وذلك مراد الشيطان منهم.

ومن أبوابه؛ حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر في ذات الله تعالى وصفاته وفي أمور لا يبلغها حدّ عقولهم حتى يشككهم في أصل الدين، أو يخيل إليهم في الله تعالى خيالات يتعالى الله عنها يصير أحدهم بها كافرًا أو مبتدعًا وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع في صدره، يظن ذلك هو المعرفة والبصيرة وأنه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله فأشدّ الناس حماقة أقواهم اعتقادًا في عقل نفسه وأثبت الناس عقلًا أشدّهم اتهامًا لنفسه وأكثرهم سؤالًا من العلماء. قالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَكَ؟ فَيَقُولُ: الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَيَقُولُ: فَمَنْ خَلَقَ الله؟ فَإِذا وَجَدَ أَحَدُكُمْ ذلِكَ فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بِالله وَرَسُولِهِ فَإِنَّ ذلِكَ يَذْهَبُ عَنْهُ» (١) والنبي ﷺ لم يأمر بالبحث في علاج هذا الوسواس فإن هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وإنما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعبادتهم ومعايشهم ويتركوا العلم للعلماء، فالعامي لو يزني ويسرق كان خيرًا له من أن يتكلم في العلم فإنه من تكلم في الله وفي دينه من غير إتقان العلم وقع في الكفر من حيث لا يدري، كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكائد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد، والمذاهب لا تحصر وإنما أردنا بما أوردناه المثال.

ومن أبوابه، سوء الظن بالمسلمين. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾ [الحجرات:١٢] فمن يحكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك أو يقصر في القيام بحقوقه أو يتوانى في إكرامه وينظر إليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرًا منه.

وكل ذلك من المهلكات ولأجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم، فقال ﷺ: «اتَّقُوا مَوَاضِعَ التُّهَمِ» (٢)، حتى احترز هو ﷺ من ذلك. روي عن علي بن حسين أن صفية بنت حيي بن أخطب أخبرته أن النبي ﷺ كان معتكفًا في المسجد قالت: فأتيته فتحدثت عنده فلما أمسيت انصرفت فقام يمشي معي فمرَّ به رجلان من الأنصار فسلما ثم انصرفا فناداهما وقال: «إِنَّها صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيَ» فقالا: يا رسول الله ما نظن بك إلا خيرًا، فقال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ مِنَ الجَسَدِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْكُما» (٣)، فانظر كيف أشفق ﷺ على دينهما فحرسهما؟ وكيف أشفق على أمته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في أحواله؟ فيقول: مثلي لا يظن به إلا الخير إعجابًا منه

---

(١) صحيح: حديث عائشة «إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك؟ فيقول الله ... الحديث». أخرجه أحمد والبزار وأبو يعلى في مسانيدهم ورجاله ثقات [أحمد: ٢٥٦٧١] وهو متفق عليه من حديث أبي هريرة [البخاري: ٣٢٧٦، مسلم: ١٣٤].

(٢) حديث «اتقوا مواضع التهم». لم أجد له أصلا.

(٣) صحيح: حديث «صفية بنت حيي: أن النبي ﷺ كان معتكفا فأتيته فتحدثت عنده ... الحديث». فقال «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم .... الحديث». متفق عليه [البخاري: ٢٠٣٨، مسلم: ٢١٧٥].

بنفسه.

فإن أورع الناس وأتقاهم وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة، بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم، ولذلك قال الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيبٍ كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار، فإن الأشرار لا يظنون بالناس كلهم إلا الشر. فمهما رأيت إنسانًا يسيء الظن بالناس طالبًا للعيوب فاعلم أنه خبيث الباطن وأن ذلك خبثه يترشح منه، وإنما رأى غيره من حيث هو فإن المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب، والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق.

فهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب ولو أردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الآدمي صفة مذمومة إلا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله.

فإن قلت: فما العلاج في دفع الشيطان، وهل يكفي في ذلك ذكر الله تعالى وقول الإنسان لا حول ولا قوة إلا بالله؟ فاعلم أن علاج القلب في ذلك سد هذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره.

وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات وتحتاج كل صفة إلى كتاب منفرد، على ما سيأتي شرحه، نعم إذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لأن حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب إلا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة، وإلا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان.

ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١] خصص بذلك المتقي، فمثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك فإن لم يكن بين يديك خبز أو لحم فإنه ينزجر بأن تقول له: اخسأ، فمجرد الصوت يدفعه. فإن كان بين يديك لحم وهو جائع فإنه يهجم على اللحم ولا يندفع بمجرد الكلام، فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر، فأما الشهوة إذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر إلى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب. وأما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فإنه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوّها بالغفلة عن الذكر، فإذا عاد إلى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨] وسائر الأخبار والآيات الواردة في الذكر.

قال أبو هريرة: التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فإذا شيطان الكافر دهين سمين كاسٍ، وشيطان المؤمن مهزول أشعث أغبر عار، فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن: مالك مهزول؟ قال: أنا مع رجل إذا أكل سمى الله فأظل جائعًا وإذا شرب سمى الله فأظل عطشانًا، وإذا لبس

سمى الله فأظل عريانًا، وإذا ادهن سمى الله فأظل شعثًا، فقال: لكني مع رجل لا يفعل شيئًا من ذلك فأنا أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه. وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح: اللهم إنك سلطت علينا عدوًّا بصيرًا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم. اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك إنك على كل شيء قدير. قال: فتمثل له إبليس يومًا في طريق المسجد فقال له: يا ابن واسع هل تعرفني؟ قال: ومن أنت؟ قال: أنا إبليس، فقال: وما تريد؟ قال: أريد أن لا تعلم أحدًا هذه الاستعاذة ولا أتعرض لك، قال: والله لا أمنعها ممن أرادها فاصنع ما شئت.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كان شيطان يأتي النبي ﷺ بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب، فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له: قل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ومن فتن الليل والنهار، ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن.

فقال ذلك فطفئت شعلته وخر على وجهه [(١)] وقال الحسن: نبئت أن جبرائيل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: إن عفريتًا من الجن يكيدك فإذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي [(٢)]، وقال ﷺ: «أَتَانِي الشَّيْطَانُ فَنَازَعَنِي ثُمَّ نَازَعَنِي فَأَخَذْتُ بِحَلْقِهِ فَوَالَّذِي بَعَثَنِي بِالحَقِّ ما أَرْسَلْتُهُ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ مَاءِ لِسَانِهِ عَلَى يَدِي، وَلَوْلا دَعْوَةُ أَخِي سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ لأَصْبَحَ طَرِيحًا فِي المَسْجِدِ» [(٣)]، وقال ﷺ: «ما سَلَكَ عُمَرُ فَجًّا إلاَّ سَلَكَ الشَّيْطانُ فَجًّا غَيْرَ الَّذِي سَلَكَهُ عُمَرُ» [(٤)]، وهذا لأن القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات، فمهما طمعت في أن يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر رضي الله عنه كان محالًا، وكنت كمن

---

(١) صحيح: حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى: كان الشيطان يأتي النبي ﷺ بيده شعلة من نار .... الحديث». أخرجه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان هكذا مرسلا ولمالك في الموطأ نحوه عن يحيى بن سعيد مرسلا ووصله ابن عبد البر في التمهيد من رواية يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن عياش الشامي عن ابن مسعود ورواه أحمد والبزار من حديث عبد الرحمن بن حبيش وقيل له: كيف صنع رسول الله ﷺ ليلة كادته الشياطين؟ فذكر نحوه [السلسلة الصحيحة: ٢٩٩٥].

(٢) ضعيف: حديث الحسن: نبئت أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: إن عفريتا من الجن يكيدك. أخرجه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان هكذا مرسلا [ضعيف الجامع: ٧٢].

(٣) صحيح: حديث «أتاني شيطان فنازعني ثم نازعني فأخذت بحلقه .... الحديث». أخرجه ابن أبي الدنيا من رواية الشعبي مرسلا هكذا [السلسلة الضعيفة: ٣٢٥١] وللبخاري من حديث أبي هريرة «أن عفريتا من الجن تفلت على البارحة – أو كلمة نحوها – ليقطع على صلاتي فأمكنني الله منه... الحديث» [البخاري: ٤٦١] والنسائي في الكبرى من حديث عائشة: كان يصلي فأتاه الشيطان فأخذه فصرعه فخنقه قال حتى وجدت برد لسانه على يدي... الحديث» وإسناده جيد.

(٤) صحيح: حديث «ما سلك عمر فجا إلا سلك الشيطان فجا غير فجه». متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص بلفظ » يا ابن الخطاب ما لقيك الشيطان سالكاً فجا... الحديث» [البخاري: ٦٠٨٥، مسلم: ٢٣٩٧].

يطمع أن يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشغولة بغليظ الأطعمة، ويطمع أن ينفعه كما نفع الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة، والذكر: الدواء، والتقوى: احتماء وهي تخلي القلب عن الشهوات.

فإذا نزل الذكر قلبًا فارغًا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء في المعدة الخالية عن الأطعمة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق :٣٧] وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحج :٤] ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مواليه وإن ذكر الله بلسانه. وإن كنت تقول الحديث قد ورد مطلقًا بأن الذكر يطرد الشيطان (١).

ولم تفهم أن أكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط نقلها علماء الدين فانظر إلى نفسك، فليس الخبر كالعيان، وتأمل أن منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة؛ فراقب قلبك إذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان إلى الأسواق وحساب العالمين وجواب المعاندين وكيف يمرّ بك في أودية الدنيا ومهالكها حتى أنك لا تذكر ما قد نسيته من فضول الدنيا إلا في صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك إلا إذا صليت؟ فالصلاة محك القلوب فبها يظهر محاسنها ومساوئها؛ فالصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا ينطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس، كما أن الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر، فإن أردت الخلاص من الشيطان فقدّم الاحتماء بالتقوى ثم أردفه بدواء الذكر يفر الشيطان منك كما فرّ من عمر رضي الله عنه.

ولذلك قال وهب بن منبه: اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وأنت صديقه في السر؛ أي أنت مطيع له. وقال بعضهم: يا عجبًا لمن يعصى المحسن بعد معرفته بإحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه. وكما أن الله تعالى قال: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر :٦٠] وأنت تدعوه ولا يستجيب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعاء.

قيل لإبراهيم بن أدهم: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال تعالى: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر :٦٠] ؟ قال: لأن قلوبكم ميتة، قيل وما الذي أماتها؟ قال: ثمان خصال؛ عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه، وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده، وقلتم نحب رسول الله ﷺ ولم تعملوا بسنته، وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر :٦] فواطأتموه على المعاصي، وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها، وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها، وإذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهورِكم وافترشتم عيوب الناس أمامكم فأسخطتم ربكم، فكيف يستجيب لكم؟.

فإن قلت: فالداعي إلى المعاصي المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفون؟ فاعلم أنه لا

(١) الحديث الوارد بأن الذكر يا عمر يطرد الشيطان. تقدم.

حاجة لك إلى معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع العدوّ ولا تسأل عن صفته. كُلِ البقل من حيث يؤتى ولا تسأل عن المبقلة، ولكن الذي يتضح بنور الاستبصار في شواهد الأخبار: أنهم جنود مجندة وأن لكل نوع من المعاصي شيطانًا يخصه ويدعو إليه فأما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه وهو أن اختلاف المسببات يدل على اختلاف الأسباب كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان.

وأما الأخبار فقد قال مجاهد: لإبليس خمسة من الأولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من أمره: ثبر، والأعور، ومبسوط، وداسم، وزلنبور.

فأما ثبر: فهو صاحب المصائب الذي يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية.

وأما الأعور: فإنه صاحب الزنى يأمر به ويزينه. وأما مبسوط: فهو صاحب الكذب. وأما داسم: فإنه يدخل مع الرجل إلى أهله يرميهم بالعيب عنده ويغضبه عليهم، وأما زلنبور: فهو صاحب السوق فيسببه لا يزالون متظلمين. وشيطان الصلاة يسمى خنزب [1] وشيطان الوضوء يسمى الولهان [2] وقد ورد في ذلك أخبار كثيرة.

وكما أن الشياطين فيهم كثرة فكذلك في الملائكة كثرة. وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل منفرد به، وقد قال أبو أمامة الباهلي قال رسول الله ﷺ «وُكِّلَ بِالمُؤْمِنِ مائَةٌ وَسِتُّونَ مَلَكًا يَذُبُّونَ عَنْهُ ما لَمْ يقدَّرْ عَلَيْهِ مِنْ ذلِكَ؛ لِلْبَصَرِ سَبْعَةُ أَمْلاكٍ يَذُبُّونَ عَنْهُ كَمَا يُذَبُّ الذُّبَابُ عَنْ قَصْعَةِ العَسَلِ فِي اليَوْمِ الصَّائِفِ.

وَمَا لَوْ بَدَا لَكُمْ لَرَأَيْتُمُوهُ عَلَى كُلِّ سَهْلٍ وَجَبَلٍ كُلٌّ بَاسِطٌ يَدَهُ فَاغِرٌ فَاهُ، وَلَوْ وُكِلَ العَبْدُ إلى نَفْسِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ لاَخْتَطَفَتْهُ الشَّيَاطِينُ» [3].

وقال أيوب بن يونس بن يزيد: بلغنا أنه يولد مع أبناء الإنس من أبناء الجن ثم ينشؤون معهم. وروى جابر بن عبد الله: أن آدم عليه السلام لما هبط إلى الأرض قال: يا رب هذا الذي جعلت بيني وبينه عداوة إن لم تعني عليه لا أقوى عليه، قال: لا يولد لك ولد إلا وكل به ملك، قال: يا رب زدني، قال: أجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرًا إلى ما أزيد، قال: رب زدني، قال: باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح، قال إبليس: يا رب هذا العبد الذي كرمته عليَّ إن لا تعني عليه لا أقوى عليه؟ قال: لا يولد له ولد إلا ولد لك ولد. قال: يا رب زدني، قال: تجري منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتًا، قال: رب زدني، قال: اجلب عليهم بخيلك

---

(١) حديث «إن شيطان الصلاة يسمى خنزب». أخرجه مسلم من حديث عثمان بن أبي العاص وقد تقدم أول الحديث.

(٢) حديث «إن شيطان الوضوء يسمى الولهان». تقدم وهو عند الترمذي من حديث أبي.

(٣) حديث أبي أمامة «وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه .... الحديث». أخرجه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان والطبراني في المعجم الكبير بإسناد ضعيف.

ورجلك إلى قوله غرورًا، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خلَقَ الله الجِنَّ ثَلاثَةَ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ حَيَّاتٌ وَعَقَارِبُ وَخِشَاشُ الأَرْضِ، وَصِنْفٌ كَالرِّيحِ فِي الهَوَاءِ، وَصِنْفٌ عَلَيْهِمُ الثَّوَابُ وَالعِقَابُ.

وَخَلَقَ الله تَعَالَى الإِنْسَانَ ثلاثةَ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ كَالبَهَائِمِ كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف:١٧٩] وَصِنْفٌ أَجْسَامُهُمْ أَجْسَامُ بَنِي آدَمَ وَأَرْوَاحُهُم أَرْوَاحُ الشَّيَاطِينِ، وَصِنْفٌ فِي ظِلِّ الله تَعَالَى يَوْمَ القِيامَةِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ»[1]، وقال وهيب بن الورد: بلغنا أن إبليس تمثل ليحيى بن زكريا عليهما السلام وقال: إني أريد أن أنصحك، قال: لا حاجة لي في نصحك ولكن أخبرني عن بني آدم قال: هم عندنا ثلاثة أصناف: أما صنف منهم وهم أشد الأصناف علينا نقبل على أحدهم حتى نفتنه ونتمكن منه فيفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه ثم نعود إليه فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه في عناء.

وأما الصنف الآخر فهم في أيدينا بمنزلة الكرة في أيدي صبيانكم نقلبهم كيف شئنا قد كفونا أنفسهم.

وأما الصنف الثالث فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء.

فإن قلت: فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض، وإذا رأى صورة فهل هي صورته الحقيقية أو هو مثال يمثل له به؟ فإن كان على صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة؟ وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين؟ فاعلم أن الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهما ولا تدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة إلا بأنوار النبوّة، فما رأى النبي ﷺ جبرائيل عليه السلام في صورته إلا مرتين[2]، وذلك أنه سأله أن يريه نفسه على صورته فواعده بالبقيع وظهر له بحراء فسد الأفق من المشرق إلى المغرب، ورآه مرة أخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وإنما كان يراه في صورة الآدمي غالبًا[3]، فكان يراه في صورة دحية الكلبي[4]، وكان رجلًا حسن

---

(١) ضعيف: حديث أبي الدرداء «خلق الله الجن ثلاثة أصناف: صنف حيات وعقارب ..... الحديث». أخرجه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان وابن حبان في الضعفاء في ترجمة يزيد بن سنان وضعفه والحاكم نحوه مختصرا: في الجن فقط ثلاثة أصناف. من حديث أبي ثعلبة الخشني وقال صحيح الإسناد [السلسلة الضعيفة: ٣٥٤٩].

(٢) صحيح: حديث: أنه ﷺ ما رأى جبريل في صورته إلا مرتين. أخرجه الشيخان من حديث عائشة: وسئلت هل رأى محمد ربه؟ وفيه: ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين [البخاري: ٣٢٣٤، مسلم: ١٧٧].

(٣) صحيح: حديث: أنه كان يرى جبريل في صورة الآدمي غالبا. أخرجه الشيخان من حديث عائشة وسئلت: فأين قوله ثم دنا فتدلى قالت ذاك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل... الحديث [البخاري: ٣٢٣٥، مسلم: ١٧٧].

(٤) حديث: أنه كان يرى جبريل في صورة دحية الكلبي.

أخرجه الشيخان من حديث أسامة بن زيد: أن جبريل أتى النبي ﷺ وعنده أم سلمة فجعل يحدث ثم قام قال النبي

الوجه. والأكثر أنه يكاشف أهل المكاشفة من أرباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة، فيراه بعينه ويسمع كلامه بأذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لأكثر الصالحين.

وإنما المكاشف في اليقظة هو الذي انتهى إلى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في المنام فيرى في اليقظة ما يراه غيره في المنام، كما روي عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن رجلًا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم، فرأى في النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكبه الأيسر بين منكبه وأذنه، له خرطوم طويل دقيق قد أدخله من منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه، فإذا ذكر الله تعالى خنس.

ومثل هذا قد يشاهد بعينه في اليقظة، فقد رآه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس إليها، وكانت الجيفة مثال الدنيا.

وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية، فإن القلب لا بدّ وأن تظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل عالم الملكوت وعند ذلك يشرق أثره على وجهه الذي يقابل عالم الملك والشهادة لأن أحدهما متصل بالآخر.

وقد بيّنا أن القلب له وجهان: وجه إلى عالم الغيب وهو مدخل الإلهام والوحي، ووجه إلى عالم الشهادة. فالذي يظهر منه في الوجه الذي يلي جانب عالم الشهادة لا يكون إلا صورة متخيلة لأن عالم الشهادة كله متخيلات، إلا أن الخيال تارة يحصل من النظر إلى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز أن لا تكون الصورة على وفق المعنى، حتى يرى شخصًا جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر لأن عالم الشهادة عالم كثير التلبيس.

أما الصورة التي تحصل في الخيال من إشراق عالم الملكوت على باطن سر القلوب فلا تكون إلا محاكية للصفة وموافقة لها، لأن الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة وموافقة لها فلا جرم لا يرى المعنى القبيح إلا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيرها، ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكية لها بالصدق، ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على إنسان خبيث، وتدل الشاة على إنسان سليم الصدر، وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير.

وهذه أسرار عجيبة وهي من أسرار عجائب القلب ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة. وإنما المقصود أن تصدق بأن الشيطان ينكشف لأرباب القلوب وكذلك الملك، تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما يكون ذلك في النوم، وتارة بطريق الحقيقة والأكثر هو التمثيل بصورة محاكية للمعنى ، هو مثال المعنى لا عين المعنى ، إلا أنه يشاهد بالعين مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حوله كالنائم.

ﷺ لأم سلمة «من هذا؟» قالت: دحية... الحديث.

بيان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به

اعلم أن هذا أمر غامض، وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها إلا على سماسرة العلماء بالشرع. فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «عُفِيَ عَنْ أُمَّتِي ما حَدَّثَتْ بِهِ نُفُوسَها ما لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ أَوْ تَعْمَلْ بِهِ» (١) وقال أبو هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إِنَّ الله تَعَالَى يَقُولُ لِلْحَفَظَةِ: إذا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ فَلا تَكْتُبُوها فَإِنْ عَمِلها فَاكْتُبُوها سَيِّئَةً، وَإِذا هَمَّ بِحَسَنَةٍ لَمْ يَعْمَلْها فَاكْتُبُوها حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَها فَاكْتُبُوها عَشْرًا» (٢) وقد خرّجه البخاري ومسلم في الصحيحين وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة.

وفي لفظ آخر: «مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَها كُتِبَتْ لَهُ إِلَى سَبْعَمائَةِ ضِعْفٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ وإِنْ عَمِلَها كُتِبَتْ» وفي لفظ آخر: «وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَأَنَا أَغْفِرُها لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْها» ، وكل ذلك يدل على العفو فأما ما يدل على المؤاخذة فقوله سبحانه: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٨٤] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦] فدل على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة:٢٨٣] وقوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٥] والحق عندنا في هذه المسألة لا يوقف عليه ما لم تقع الإحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلى أن يظهر العمل على الجوارح.

فنقول: أوّل ما يرد على القلب الخاطر، كما لو خطر له مثلاً صورة امرأة وأنها وراء ظهره في الطريق لو التفت إليها لرآها.

والثاني: هيجان الرغبة إلى النظر وهو حركة الشهوة في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الأول ونسميه ميل الطبع ويسمى الأول حديث النفس.

والثالث: حكم القلب بأن هذا ينبغي أن يفعل أي ينبغي أن ينظر إليها فإن الطبع إذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف، فإنه قد يمنعه حياء أو خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل، ويسمى هذا اعتقادًا وهو

---

(١) صحيح: حديث «عفي لأمتي عما حدثت به نفوسها». متفق عليه من حديث أبي هريرة «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها...» الحديث [البخاري: ٦٦٦٤، مسلم: ١٢٧].

(٢) حديث أبي هريرة «يقول الله إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه ... الحديث». قال المصنف أخرجه مسلم والبخاري في الصحيحين قلت هو كما قال واللفظ لمسلم فلهذا والله أعلم قدمه في الذكر [البخاري: ٧٥٠١، مسلم: ١٢٨].

يتبع الخاطر والميل.

الرابع: تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسميه همًا بالفعل ونية وقصدًا، وهذا الهم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن إذا أصغى القلب إلى الخاطر الأول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكد هذا الهم وصار إرادة مجزومة، فإذا انجزمت الإرادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت إليه وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل.

فههنا أربع أحوال للقلب قبل العمل بالجارحة: الخاطر وهو حديث النفس، ثم الميل، ثم الاعتقاد، ثم الهم.

فنقول: أما الخاطر فلا يؤاخذ به لأنه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لأنهما لا يدخلان أيضًا تحت الاختيار، وهما المرادان بقوله ﷺ: «عفي عن أمتي ما حدثت به نفوسها» فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل، فأما الهم والعزم فلا يسمى حديث النفس، بل حديث النفس كما روي عن عثمان ابن مظعون حيث قال للنبي ﷺ: يا رسول الله نفسي تحدثني أن أطلّق خولة، قال: «مَهْلًا إنَّ مِنْ سُنَّتِي النِّكَاحَ» قال: نفسي تحدثني أن أجبّ نفسي، قال: «مَهْلًا خِصَاءُ أُمَّتِي دُؤُوبُ الصِّيامِ» قال: نفسي تحدثني أن أترهب، قال: «مَهْلًا رَهْبَانِيَّةُ أُمَّتِي الجِهَادُ وَالحَجُّ» قال: نفسي تحدثني أن أترك اللحم، قال: «مَهْلًا فإنِّي أُحِبُّهُ وَلَوْ أَصَبْتهُ لأَكَلْتُهُ وَلَوْ سَأَلْتُ الله لأَطْعَمَنِيهِ» (١)، فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس، ولذلك شاور رسول الله ﷺ إذ لم يكن معه عزم وهمّ بالفعل.

وأما الثالث: وهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل فهذا تردد بين أن يكون

---

(١) حديث: إن عثمان بن مظعون قال: يا رسول الله نفسي تحدثني أن أطلق خولة. قال: «مهلا، إن من سنتي النكاح». أخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من رواية علي بن زيد عن سعيد بن المسيب مرسلا نحوه وفيه القاسم بن عبيد الله العمري، كذبه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وللدارمي من حديث سعد بن أبي وقاص: لما كان من أمر عثمان بن مظعون الذي كان من ترك النساء بعث إليه رسول الله ﷺ فقال «يا عثمان إني لم أومر بالرهبانية... الحديث» وفيه «من رغب عن سنتي فليس مني» وهو عندكم بلفظ: رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا. وللبغوي والطبراني في معجمي الصحابة بإسناد حسن من حديث عثمان بن مظعون: أنه قال يا رسول الله إني رجل تشق على هذه العزوبة في المغازي فتأذن لي يا رسول الله في الخصاء فأختصي قال «لا، ولكن عليك يابن مظعون بالصيام فإنه مجفرة». ولأحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث عبد الله بن عمرو» خصاء أمتي الصيام والقيام» وله من حديث سعيد بن العاص بإسناد فيه ضعف: إن عثمان بن مظعون قال: يا رسول الله ائذن لي في الاختصاء، فقال له رسول الله ﷺ: « إن الله قد أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة والتكبير على كل شرف... الحديث» وابن ماجه بسند ضعيف من حديث عائشة «النكاح من سنتي» ولأحمد وأبي يعلى من حديث أنس «لكل نبي» وقال أبو يعلى «لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله » وفيه زيد العمى وهو ضعيف ولأبي داود من حديث أبي أمامة «إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله» وإسناده جيد.

اضطرارًا أو اختيارًا، والأحوال تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به.

وأما الرابع: وهو الهم بالفعل؛ فإنه مؤاخذ به إلا أنه إن لم يفعل نظر فإن كان قد تركه خوفًا من الله تعالى وندمًا على همه كتبت له حسنة لأن همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة، والهم على وفق الطبع مما يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى، والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج إلى قوّة عظيمة فجده في مخالفة الطبع هو العمل لله تعالى والعمل لله تعالى أشدّ من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتب له حسنة لأنه رجح جدّه في الامتناع وهمه به على همه بالفعل، وإن تعوق الفعل بعائق أو تركه بعذر لا خوفًا من الله تعالى كتبت عليه سيئة، فإن همه فعل من القلب اختياري.

والدليل على هذا التفصيل ما روي في الصحيح مفصلًا في لفظ الحديث. قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «قَالَتِ المَلائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلامُ رَبِّ ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ فَقَالَ: ارْقُبُوهُ، فَإِنْ هُوَ عَمِلَها فَاكْتُبُوها لَهُ بِمِثْلِها، وَإِنْ تَرَكَها فَاكْتُبُوها لَهُ حَسَنَةً إِنَّما تَرَكَها مِنْ جَرَّائِي» (١)، وحيث قال: فإن لم يعملها: أراد به تركها لله، فأما إذا عزم على فاحشة فتعذرت عليه بسبب أو غفلة فكيف تكتب له حسنة؟ وقد قال ﷺ: «إِنَّمَا يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ» (٢)، ونحن نعلم أن من عزم ليلًا على أن يصبح ليقتل مسلمًا أو يزني بامرأة فمات تلك الليلة مات مصرًّا ويحشر على نيته وقد همَّ بسيئة ولم يعملها.

والدليل القاطع فيه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إِذا الْتَقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِما فَالقَاتِلُ والمَقْتُولُ فِي النَّارِ» فقيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «لأَنَّهُ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ» (٣)، وهذا نص في أنه صار بمجرد الإرادة من أهل النار مع أنه قتل مظلومًا، فكيف يظن أن الله لا يؤاخذ بالنية والهم؟ بل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به إلا أن يكفّره بحسنة، ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتبت له حسنة، فأما فوت المراد بعائق فليس بحسنة.

وأما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت اختيار فالمؤاخذة به تكليف ما لا يطاق، ولذلك لما نزل قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤] جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله ﷺ وقالوا: كلفنا ما لا

---

(١) صحيح: حديث «قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة - وهو أبصر .... الحديث». قال المصنف إنه في الصحيح وهو كما قال في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة [مسلم: ١٢٩].

(٢) حديث «إنما يحشر الناس على نياتهم». أخرجه ابن ماجه من حديث جابر دون قوله «إنما» [ابن ماجه: ٤٢٣٠، وصححه الألباني في سنن ابن ماجه] وله من حديث أبي هريرة «إنما يبعث الناس على نياتهم» وإسنادهما حسن ومسلم من حديث عائشة «يبعثهم الله على نياتهم» وله من حديث أم سلمة «يبعثون على نياتهم» [مسلم: ٢٨٨٤].

(٣) حديث «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار .... الحديث». متفق عليه من حديث أبي بكرة [البخاري: ٣١، مسلم: ٢٨٨٨].

نطيق إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال ﷺ «لَعَلَّكُمْ تَقُولُونَ كَمَا قَالَتِ الْيَهُودُ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا فَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا» (١)، فأنزل الله الفرج بعد سنة بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦] فظهر به أن كل ما لا يدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به. فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس.

وكل من يظن أن كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الأقسام الثلاثة فلا بد وأن يغلط وكيف لا يؤاخذ بأعمال القلب من الكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من أعمال القلب؟ بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً؟ أي ما يدخل تحت الاختيار.

فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذي محرم لم يؤاخذ به فإن أتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذًا به لأنه مختار فكذا خواطر القلب تجري هذا المجرى بل القلب أولى بمؤاخذته لأنه الأصل. قال رسول الله ﷺ «التَّقْوَى هٰهُنا وَأَشَارَ إِلَى الْقَلْبِ» (٢)، وقال الله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج:٣٧] وقال ﷺ «الإِثْمُ حَزَّازُ الْقُلُوبِ» (٣)، وقال: «البِرُّ ما اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَإِنْ أَفْتَوْكَ وَأَفْتَوْكَ» (٤)، حتى إنا نقول إذا حكم القلب المفتي بإيجاب شيء وكان مخطئًا فيه صار مثابًا عليه بل من قد ظن أنه تطهر فعليه أن يصلي.

فإن صلى ثم تذكر أنه لم يتوضأ كان له ثواب بفعله. فإن تذكر ثم تركه كان معاقبًا عليه. ومن وجد على فراشه امرأة فظن أنها زوجته لم يعص بوطئها وإن كانت أجنبية. فإن ظن أنها

---

(١) صحيح: حديث: لما نزل قوله تعالى ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤] جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله ﷺ فقالوا كلفنا ما لا نطيق ....الحديث. أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وابن عباس نحوه [مسلم: ١٢٥].

(٢) صحيح: حديث: «التقوى ههنا» وأشار إلى القلب. أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وقال «إلى صدره» [مسلم: ٢٥٦٤].

(٣) حديث «الإثم حواز القلوب». تقدم في العلم.

[الشرح من النهاية:

فيه «أنه احْتَزَّ من كَتِف شاة ثم صلى ولم يتوضأ» هو افْتَعَل من الحَزّ: القَطْع.

ومنه الحُزَّة وهي: القِطْعة من اللحم وغيره.

وقيل الحَزّ: القطع في الشيء من غير إبانة. يقال: حَزَزْت العُود أحُزُّه حَزًّا.

(٥) ومنه حديث ابن مسعود «الإثم حَوازُّ القلوب» هي الأمور التي تَحُزُّ فيها: أي تؤثِّر كما يؤثر الحَزّ في الشيء، وهو ما يَخْطر فيها من أن تكون مَعاصي لفَقْد الطُّمَأْنينة إليها، وهي بتشديد الزَّاي: جمع حَازّ. يقال إذا أصاب مِرْفَقُ البعير طَرَف كِرْكِرَته فقطعه وأدْماه: قيل به حازٌّ.

ورواه شَمِر «الإثم حَوَّاز القلوب» بتشديد الواو: أي يَحُوزُها ويَتَملَّكُها ويَغْلب عليها، ويروى «الإثم حَزَّاز القلوب» بزايين الأولى مشددة، وهي فَعَّال من الحَزّ.]

(٤) حديث «البر ما اطمأن إليه القلب، وإن أفتوك وأفتوك». أخرجه الطبراني من حديث أبي ثعلبة ولأحمد نحوه من حديث وابصة وفيه «وإن أفتاك الناس وأفتوك» وقد تقدما.

وفي لفظ «إنما أسهو لأسنّ» .

ولا تعجب من هذا فإن الأمم في كنف شفقة الأنبياء كالصبيان في كنف شفقة الآباء، وكالمواشي في كنف الرعاة. أما ترى الأب إذا أراد أن يستنطق ولده الصبي كيف ينزل إلى درجة نطق الصبي كما قال ﷺ للحسن: «كخ كخ» (١)، لما أخذ تمرة من تمر الصدقة ووضعها في فيه؟ وما كانت فصاحته تقصر عن أن يقول ارم هذه التمرة فإنها حرام، ولكنه لما علم أنه لا يفهم منطقه ترك الفصاحة ونزل إلى لكنته. بل الذي يعلم شاة أو طائرًا يصوّت به رغاء أو صفيرًا تشبهًا بالبهيمة والطائر تلطفًا في تعليمه. فإياك أن تغفل عن أمثال هذه الدقائق فإنها مزلة أقدام العارفين فضلًا عن الغافلين. نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه.

بيان أقسام العباد في دوام التوبة:

اعلم أن التائبين في التوبة على أربع طبقات :

الطبقة الأولى : أن يتوب العاصي ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره، فيتدارك ما فرط من أمره ولا يحدّث نفسه بالعود إلى ذنوبه إلا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادات مهما لم يكن في رتبة النبوّة، فهذا هو الاستقامة على التوبة، وصاحبه هو السابق بالخيرات المستبدل بالسيئات حسنات واسم هذه التوبة: التوبة النصوح. واسم هذه النفس الساكنة: النفس المطمئنة، التي ترجع إلى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين إليهم الإشارة بقوله ﷺ: «سَبَقَ المُفْرِدُونَ المُسْتَهتِرُونَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَضَعَ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَوْزَارَهُمْ فَوَرَدُوا القِيَامَةَ خِفَافًا» (٢). فإن فيه إشارة إلى أنهم كانوا تحت أوزار وضعها الذكر عنهم. وأهل هذه الطبقة على رتب من حيث النزوع إلى الشهوات. فمن تائب سكنت شهواته تحت قهر المعرفة ففتر نزاعها ولم يشغله عن السلوك صرعها، وإلى من لا ينفك عن منازعة النفس ولكنه مليء بمجاهدتها وردها، ثم تتفاوت درجات النزاع أيضًا بالكثرة والقلة وباختلاف المدة وباختلاف الأنواع. وكذلك يختلفون من حيث طول العمر، فمن مختطف يموت قريبًا من توبته يغبط على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة. ومن ممهل طال جهاده وصبره وتمادت استقامته وكثرت حسناته. وحال هذا أعلى وأفضل إذ كل سيئة فإنما تمحوها حسنة حتى قال بعض العلماء: إنما يكفر الذنب الذي ارتكبه العاصي أن يتمكن منه عشر مرات مع صدق الشهوة ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفًا من الله تعالى، واشتراط هذا بعيد وإن كان لا ينكر عظم أثره لو فرض. ولكن لا ينبغي للمريد الضعيف أن يسلك هذا الطريق فتهيج الشهوة وتحضر الأسباب حتى يتمكن ثم

---

(١) حديث أنه قال للحسن «كخ كخ». لما أخذ تمرة من الصدقة ووضعها في فيه. أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة وتقدم في كتاب الحلال والحرام.

(٢) حديث «سبق المفردون المستهترون بذكر الله». أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة وحسنه وقد تقدم.

يطمع في الانكفاف، فإنه لا يؤمن خروج عنان الشهوة عن اختياره فيقدم على المعصية وينقض توبته. بل طريقها الفرار من ابتداء أسبابه الميسرة له حتى يسد طرقها على نفسه، ويسعى مع ذلك في كسر شهوته بما يقدر عليه فبه تسلم توبته في الابتداء.

الطبقة الثانية: تائب سلك طريق الاستقامة في أمهات الطاعات وترك كبائر الفواحش كلها، إلا أنه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وتجريد قصد ولكن يبتلى بها في مجاري أحواله من غير أن يقدم عزمًا على الإقدام عليها، ولكنه كلما أقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف وجدد عزمه على أن يتشمر للاحتراز من أسبابها التي تعرّضه لها. وهذه النفس جديرة بأن تكون هي النفس اللوامة، إذ تلوم صاحبها على ما تستهدف له من الأحوال الذميمة لا عن تصميم عزم وتخمين رأي وقصد، وهذه أيضًا رتبة عالية وإن كانت نازلة عن الطبقة الأولى، وهي أغلب أحوال التائبين لأن الشر معجون بطينة الآدمي قلما ينفك عنه، وإنما غاية سعيه أن يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه فترجح كفة الحسنات، فإما أن تخلو بالكلية كفة السيئات فذلك في غاية البعد. وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى إذ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ﴾ [النجم: ٣٢] فكل إلمام يقع بصغيرة لا عن توطين نفسه عليه فهو جدير بأن يكون من اللمم المعفو عنه. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥] فأثنى عليهم مع ظلمهم لأنفسهم لتندمهم ولومهم أنفسهم عليه. وإلى مثل هذه الرتبة الإشارة بقوله ﷺ فيما رواه عنه علي كرم الله وجهه: «خِيَارُكُمْ كُلُّ مُفَتَّنٍ تَوَّابٍ»(١)، وفي خبر آخر: «المُؤْمِنَ كَالسُّنْبُلَةِ يَفِيءُ أَحْيانًا وَيَمِيلُ أحيانًا»(٢)، وفي الخبر: «لا بُدَّ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ ذَنْبٍ يَأْتِيهِ الفَيْئَة بَعْدَ الفَيْئَة»(٣)، أي الحين بعد الحين فكل ذلك أدلة قاطعة على أن هذا القدر لا ينقض التوبة ولا يلحق صاحبها بدرجة المصرين. ومن يؤيس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذي يؤيس الصحيح عن دوام الصحة بما يتناوله من الفواكه والأطعمة الحارّة مرة بعد أخرى من غير مداومة واستمرار، وكالفقيه الذي يؤيس المتفقه عن نيل درجة الفقهاء بفتوره عن التكرار والتعليق في أوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة. وذلك يدل على نقصان الطبيب والفقيه. بل الفقيه في الدين هو الذي لا يؤيس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومقارفة السيئات

---

(١) **ضعيف**: حديث علي «خياركم كل مفتن تواب». أخرجه البيهقي في الشعب بسند ضعيف. [انظر ضعيف الجامع: ٢٨٧٣].

(٢) **صحيح**: حديث «المؤمن كالسنبلة تفيء أحيانا وتميل أحيانا». أخرجه أبو يعلى وابن حبان في الضعفاء من حديث أنس والطبراني من حديث عمار بن ياسر والبيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلا وكلها ضعيفة وقالوا «تقوم» بدل «تفيء» وفي الأمثال للرامهرمزي إسناد جيد لحديث أنس. [انظر صحيح الجامع: ٥٨٤٥].

(٣) **صحيح**: حديث «لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة». أخرجه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بأسانيد حسنة. [انظر صحيح الجامع: ٥٧٣٥].

طويلًا بعيد جدًا، ومحال في الوجود ولو تخلص أحد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله ﷺ.

فقد روي: أنه نظر إلى علم ثوبه في الصلاة فلما سلم رمى بذلك الثوب وقال: «شَغَلَنِي عَنِ الصَّلاةِ» وقال: «اذْهَبُوا بِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ وائتُونِي بِأَنْبِجَانِيَّتِهِ»(١)، وكان في يده خاتم من ذهب فنظر إليه وهو على المنبر ثم رمى به وقال: «نَظْرَةً إِلَيْهِ وَنَظْرَة إِلَيْكُمْ»(٢)، وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر إلى خاتم الذهب وعلم الثوب، وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رمى به، فلا تنقطع وسوسة عروض الدنيا ونقدها إلا بالرمي والمفارقة، فما دام يملك شيئًا وراء حاجته ولو دينارًا واحدًا لا يدعه الشيطان في صلاته من الوسوسة في الفكر في ديناره، وأنه كيف يحفظه؟ وفي ماذا ينفقه؟ وكيف يخفيه حتى لا يعلم به أحد وكيف يظهره حتى يتباهى به؟ إلى غير ذلك من الوساوس.

فمن أنشب مخالبه في الدنيا وطمع في أن يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن أنّ الذباب لا يقع عليه فهو محال.

فالدنيا باب عظيم لوسوسة الشيطان. وليس له باب واحد بل أبواب كثيرة. قال حكيم من الحكماء: الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي، فإن امتنع أتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة، فإن أبى أمره بالتحرّج والشدّة حتى يحرم ما ليس بحرام، فإن أبى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرجه عن العلم، فإن أبى خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابرًا عفيفًا فتميل قلوبهم إليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه، وعند ذلك يشتدّ إلحاحه فإنها آخر درجة ويعلم أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنة.

بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات:

اعلم أن القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتنصب إليه الآثار والأحوال من الأبواب التي وصفناها، فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب، فإذا أصابه شيء يتأثر به أصابه من جانب آخر ما يضاده فتتغير صفته.

فإن نزل به الشيطان فدعاه إلى الهوى نزل به الملك وصرفه عنه، وإن جذبه شيطان إلى شر جذبه شيطان آخر إلى غيره، وإن جذبه ملك إلى خير جذبه آخر إلى غيره. فتارة يكون متنازعًا بين ملكين، وتارة بين شيطانين، وتارة بين ملك وشيطان، لا يكون قط مهملًا، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ﴾ [الأنعام: ١١٠] ولاطلاع رسول الله ﷺ على عجيب صنع الله تعالى في عجائب القلب وتقلبه كان يحلف به فيقول: «لا وَمُقَلِّبِ القُلُوبِ»(٣)، وكان

---

(١) حديث: أنه ﷺ نظر إلى علم في ثوبه في الصلاة ... الحديث. تقدم.

(٢) حديث: كان في يده خاتم من ذهب فنظر إليه على المنبر فرماه فقال «نظرة إليكم». أخرجه النسائي من حديث ابن عباس وتقدم في الصلاة.

(٣) صحيح: حديث «لا ومقلب القلوب». أخرجه البخاري من حديث ابن عمر [البخاري: ٦٦١٧].

كثيرًا ما يقول: «يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» قالوا: أو تخاف يا رسول الله؟ قال: «وَمَا يُؤْمِنُنِي وَالقَلْبُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمنِ يُقَلِّبُهُ كَيْفَ يَشَاءُ» (١)، وفي لفظ آخر: «إِنْ شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ».

وضرب له ﷺ ثلاثة أمثلة: فقال: «مَثَلُ القَلْبِ مَثَلُ العُصْفُورِ يَتَقَلَّبُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ» (٢)، وقال عليه السلام: «مَثَلُ القَلْبِ فِي تَقَلُّبِهِ كَالقِدْرِ إذا اسْتَجْمَعَتْ غَلَيَانًا» (٣)، وقال: «مَثَلُ القَلْبِ كَمَثَلِ رِيشَةٍ فِي أَرْضِ فَلاةٍ تُقَلِّبُها الرِّياحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ» (٤)، وهذه التقلبات وعجائب صنع الله في تقلبها من حيث لا تهتدي إليه المعرفة لا يعرفها إلا المراقبون والمراعون لأحوالهم مع الله تعالى.

والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما، ثلاثة:

قلب عمر بالتقوى وزكا بالرياضة وطهر عن خبائث الأخلاق تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت، فينصرف العقل إلى التفكر فيما خطر له ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على أسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه، فيحكم بأنه لا بد من فعله فيستحثه عليه ويدعوه إلى العمل به، وينظر الملك إلى القلب فيجده طيبًا في جوهره طاهرًا بتقواه مستنيرًا بضياء العقل معمورًا بأنوار المعرفة فيراه صالحًا لأن يكون له مستقرًا ومهبطًا، فعند ذلك يمدّه بجنود لا ترى ويهديه إلى خيرات أخرى حتى ينجر الخير إلى الخير وكذلك على الدوام، ولا يتناهى إمداده بالترغيب بالخير وتيسير الأمر عليه.

وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝﴾ [الليل :٥-٧] وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء، فلا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكائد الشيطان، بل يقف الشيطان ويوحي زخرف القول غرورًا

---

(١) صحيح: حديث «يا مثبت القلوب ثبت قلبي على دينك .... الحدث». أخرجه الترمذي من حديث أنس [الترمذي: ٢١٤٠، صحيح الجامع: ٧٩٨٧] وحسنه والحاكم من حديث جابر وقال ابن أبي الدنيا صحيح على شرط مسلم ولمسلم من حديث عبد الله ابن عمرو «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك» [مسلم: ٢٦٥٤] والنسائي في الكبرى وابن ماجه والحاكم وصححه على شرط البخاري ومسلم من حديث النواس بن سمعان «ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه» [ابن ماجه: ١٩٩] والنسائي في الكبرى بإسناد جيد نحوه من حديث عائشة.

(٢) ضعيف: حديث «مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة». أخرجه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم والبيهقي في الشعب من حديث أبي عبيدة بن الجراح. قلت رواه البغوي في معجمه من حديث أبي عبيد غير منسوب وقال لا أدري له صحبة أم لا [ضعيف الجامع: ٤١٠٥].

(٣) صحيح: حديث «مثل القلب في تقلبه كالقدر إذا استجمعت غليانا». أخرجه أحمد والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري من حديث المقداد بن الأسود [أحمد: ٢٣٣٠٤، وصححه الألباني في السنة: ٢٢٦].

(٤) صحيح: حديث «مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن». أخرجه الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من حديث أبي موسى الأشعري بإسناد حسن وللبزار نحوه من حديث أنس بإسناد ضعيف[أحمد: ٢٧٨٥٩، صحيح الجامع: ٢٣٦٥].

فلا يلتفت إليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورًا بالمنجيات، التي سنذكرها، من الشكر والصبر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك. وهو القلب الذي أقبل الله عز وجل بوجهه عليه، وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨] وبقوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر:٢٧].

القلب الثاني: القلب المخذول المشحون بالهوى، المدنس بالأخلاق المذمومة والخبائث، المفتوح فيه أبواب الشياطين، المسدود عنه أبواب الملائكة. ومبدأ الشر فيه أن ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب إلى حاكم العقل ليستفتي منه ويستكشف وجه الصواب فيه، فيكون العقل فيه قد ألف خدمة الهوى وأنس به واستمر على استنباط الحيل له وعلى مساعدة الهوى، فتستولي النفس وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته. فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين والغرور والأماني، ويوحي بذلك زخرفًا من القول غرورًا فيضعف سلطان الإيمان بالوعد والوعيد، ويخبو نور اليقين لخوف الآخرة إذ يتصاعد عن الهوى دخان مظلم إلى القلب يملأ جوانبه حتى تنطفئ أنواره، فيصير العقل كالعين التي ملأ الدخان أجفانها فلا يقدر على أن ينظر، وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب إمكان التوقف والاستبصار، ولو بصره واعظ وأسمعه ما هو الحق فيه عمي عن الفهم، وصمّ عن السمع، وهاجت الشهوة فيه، وسطا الشيطان، وتحركت الجوارح على وفق الهوى فظهرت المعصية إلى عالم الشهادة من عالم الغيب بقضاء من الله تعالى وقدره.

وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٣-٤٤] وبقوله عز وجل: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس:٧] وبقوله تعالى: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس:١٠] ورب قلب هذا حاله بالإضافة إلى بعض الشهوات كالذي يتورّع عن بعض الأشياء ولكنه إذا رأى وجهًا حسنًا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مساك قلبه، أو كالذي لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرئاسة والكبر، ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور أسبابه، أو كالذي لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحقر وذكر عيب من عيوبه، أو كالذي لا يملك نفسه عند القدرة على أخذ درهم أو دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فينسي فيه المروءة والتقوى، فكل ذلك لتصاعد دخان الهوى إلى القلب حتى يظلم وتنطفئ منه أنواره فينطفئ نور الحياء والمروءة والإيمان ويسعى في تحصيل مراد الشيطان.

القلب الثالث: قلب تبدو فيه خواطر الهوى فتدعوه إلى الشر فيلحقه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير، فتنبعث النفس بشهوتها إلى نصرة خاطر الشر فتقوي الشهوة وتحسن التمتع والتنعم،

فينبعث العقل إلى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها إلى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النفس إلى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل فيقوي داعي الهوى ويقول ما هذا التحرّج البارد ولم تمتنع عن هواك فتؤذي نفسك؟ وهل ترى أحدًا من أهل عصرك يخالف هواه أو يترك غرضه؟ أفتترك لهم ملاذ الدنيا يتمتعون بها وتحجر على نفسك حتى تبقى محرومًا شقيًا متعوبًا يضحك عليك أهل الزمان؟ أفتريد أن يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا؟ أما ترى العالم الفلاني ليس يحترز من مثل ذلك ولو كان ذلك شرًا لامتنع منه؟ فتميل النفس إلى الشيطان وتنقلب إليه؟ فيحمل الملك حملة على الشيطان ويقول هل هلك إلا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة؟ أفتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها أبد الآباد؟ أم تستثقل ألم الصبر عن شهوتك ولا تستثقل ألم النار؟ أتغتر بغفلة الناس عن أنفسهم واتّباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان مع أنّ عذاب النار لا يخففه عنك معصية غيرك؟ أرأيت لو كنت في يوم صائف شديد الحر ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد أكنت تساعد الناس أو تطلب لنفسك الخلاص؟ فكيف تخالف الناس خوفًا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفًا من حرّ النار؟

فعند ذلك تمتثل النفس إلى قول الملك فلا يزال يتردد بين الجندين متجاذبًا بين الحزبين إلى أن يغلب على القلب ما هو أولى به، فإن كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب إلى جنسه من أحزاب الشيطان معرضًا عن حزب الله تعالى وأوليائه، ومساعدًا لحزب الشيطان وأعدائه، وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى، وإن كان الأغلب على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب إلى إغواء الشيطان وتحريضه إياه على العاجلة وتهوينه أمر الآخرة، بل مال إلى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه، فقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن ، أي بين تجاذب هذين الجندين وهو الغالب ، أعني التقلب والانتقال من حزب إلى حزب، أما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة أو مع حزب الشيطان فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن الغيب إلى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فإنه من خزائن الملكوت، وهي أيضًا إذا ظهرت كانت علامات تعرّف أرباب القلوب سابق القضاء. فمن خلق للجنة يسرت له أسباب الطاعات ومن خلق للنار يسرت له أسباب المعاصي وسلط عليه أقران السوء وألقي في قلبه حكم الشيطان، فإنه بأنواع الحكم يغر الحمقى بقوله: إنّ الله رحيم فلا تبال، وإنّ الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم، وإن العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدًا: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠] يعدهم التوبة ويمنيهم المغفرة فيهلكهم بإذن الله تعالى بهذه الحيل وما يجري مجراها، فيوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحق، وكل ذلك بقضاء من الله وقدر: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي

ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام:١٢٥] ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ [آل عمران:١٦٠] فهو الهادي والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه. خلق الجنة وخلق لها أهلاً فاستعملهم بالطاعة، وخلق النار وخلق لها أهلاً فاستعملهم بالمعاصي. وعرف الخلق علامة أهل الجنة وأهل النار فقال: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾ [الانفطار:١٣-١٤] ثم قال تعالى فيما روي عن نبيه ﷺ: «هؤلاءِ فِي الجَنَّةِ وَلا أُبالِي وَهؤلاءِ فِي النَّارِ وَلا أُبَالِي» (١)، فتعالى الله الملك الحق لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون.

ولنقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب فإن استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة، وإنما ذكرنا منه ما يحتاج إليه لمعرفة أغوار علوم المعاملة وأسرارها لينتفع بهنا من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزئ بالقشر عن اللباب بل يتشوق إلى معرفة دقائق حقائق الأسباب. وفيما ذكرناه كفاية له ومقنع إن شاء الله تعالى والله ولي التوفيق.

تم كتاب عجائب القلب ولله الحمد والمنة. ويتلوه كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق، والحمد لله وحده وصلى الله على كل عبد مصطفى.

* * *

(١) صحيح لغيره: حديث «قال الله عز وجل هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي». أخرجه أحمد وابن حبان من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي وقال ابن عبد البر في الاستيعاب أنه مضطرب الإسناد [أحمد: ٢٦٩٤٢، وصححه الألباني في السنة: ٣٤٧] .

كتاب رياضة النفس

وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب

وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي صرف الأمور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فأحسن في تصويره، وزين صورة الإنسان بحسن تقويمه وتقديره، وحرسه من الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره، وفوّض تحسين الأخلاق إلى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره، وسهل على خواص عباده تهذيب الأخلاق بتوفيقه وتيسيره، وامتنّ عليهم بتسهيل صعبه وعسيره، والصلاة والسلام على محمد عبد الله ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره، الذي كان يلوح أنوار النبوّة من بين أساريره، ويستشرف حقيقة الحق من مخايله وتباشيره، وعلى آله وأصحابه الذين طهروا وجه الإسلام من ظلمة الكفر ودياجيره، وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره.

أما بعد: فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين، وهو على التحقيق شطر الدين وثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين.

والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين، المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين، وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى الموقدة التي تطلع على الأفئدة، كما أن الأخلاق الجميلة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن، والأخلاق الخبيثة أمراض القلوب وأسقام النفوس إلا أنه مرض يفوّت حياة الأبد، وأين منه المرض الذي لا يفوّت إلا حياة الجسد؟ ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان وليس في مرضها إلا فوت الحياة الفانية، فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفي مرضها فوت حياة باقية أولى، وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب إذ لا يخلو قلب من القلوب عن أسقام لو أهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت، فيحتاج العبد إلى تأنق في معرفة عللها وأسبابها ثم إلى تشمير في علاجها وإصلاحها، فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩] وإهمالها هو المراد بقوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:١٠] ونحن نشير في هذا الكتاب إلى جمل من أمراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل لعلاج خصوص الأمراض، فإن ذلك يأتي في بقية الكتب من هذا الربع، وغرضنا الآن النظر الكلي في تهذيب الأخلاق وتمهيد منهاجها.

ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالاً له ليقرب من الأفهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق، ثم بيان حقيقة حسن الخلق، ثم بيان قبول الأخلاق للتغير بالرياضة، ثم بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق، ثم بيان الطرق التي بها يعرف تفصيل الطرق إلى تهذيب الأخلاق ورياضة النفوس، ثم بيان العلامات التي بها يعرف مرض القلب، ثم بيان الطرق التي بها يعرف الإنسان عيوب نفسه، ثم بيان شواهد النقل على أن طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير، ثم بيان علامات حسن الخلق، ثم بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول النشوء، ثم بيان شروط الإرادة ومقدمات المجاهدة فهي أحد عشر فصلاً يجمع مقاصدها هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق

قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مثنيًا عليه ومظهرًا نعمته لديه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ خُلُقه القرآن (١)، وسأل رجل رسول الله ﷺ عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩] ثم قال ﷺ «هُوَ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ» (٢)، وقال ﷺ «إِنَّما بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأَخْلاقِ» (٣)، وقال ﷺ «أَثْقَلُ ما يُوضَعُ فِي المِيزَانِ يَوْمَ القِيامَةِ تَقْوَى الله وَحُسْنُ الخُلُقِ» (٤)، وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ من بين يديه فقال: يا رسول الله ما الدين؟ قال: «حُسْنُ الخُلُقِ» فأتاه من قبل يمينه فقال: يا رسول الله ما الدين؟ قال: «حُسْنُ الخُلُقِ».

ثم أتاه من قبل شماله فقال: ما الدين؟ فقال: «حُسْنُ الخُلُقِ» ثم أتاه من ورائه فقال يا رسول الله ما الدين؟ فالتفت إليه وقال: «أَمَا تَفْقَهُ؟ هُوَ أَنْ لا تَغْضَبَ» (٥)، وقيل يا رسول الله ما الشؤم قال: «سُوءُ الخُلُقِ» (٦)، وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: أوصني

---

(١) صحيح: حديث عائشة: كان خلقه القرآن تقدم وهو عند مسلم.

(٢) حديث «تأويل قوله تعالى ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الأعراف:١٩٩] الآية هو أن تصل من قطعك». أخرجه ابن مردويه من حديث جابر وقيس بن سعد بن عبادة وأنس بأسانيد حسان

(٣) صحيح: حديث «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». أخرجه أحمد والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة وتقدم في آداب الصحبة [أحمد: ٨٧٢٩، السلسلة الصحيحة: ٤٥].

(٤) صحيح: حديث «أثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن». أخرجه أبو داود والترمذي وصححه من حديث أبي الدرداء [الترمذي: ٢٠٠٣، وصححه الألباني].

(٥) مرسل ضعيف: حديث: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من بين يديه فقال: يا رسول الله ما الدين؟ قال «حسن الخلق ..... الحديث». أخرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب تعظيم قدر الصلاة من رواية أبي العلاء بن الشخير مرسلا [ضعيف الترغيب: ١٥٩٦].

(٦) حديث: ما الشؤم؟ قال «سوء الخلق». أخرجه أحمد من حديث عائشة «الشؤم سوء الخلق» [أحمد: ٢٤٠٢٦، ضعيف الجامع: ٣٤٢٦] ولأبي داود من حديث رافع بن مكيث «سوء الخلق شؤم» [أبو داود: ٥١٦٢، وضعفه الألباني] وكلاهما لا يصح.

فقال: «اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ» قال: زدني قال: «أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُها» قال: زدني قال: «خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» (١)، وسئل عليه السلام: أي الأعمال أفضل؟ قال: «خُلُقٌ حَسَنٌ» وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «ما حَسَّنَ الله خَلْقَ عَبْدٍ وَخُلُقَهُ فَيُطْعِمَهُ النَّارَ» (٢)، وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال: «لا خَيْرَ فِيها هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «أَوَّلُ مَا يُوضَعُ فِي المِيزَانِ حُسْنُ الخُلُقِ وَالسَّخَاءُ وَلَمَّا خَلَقَ الله الإيمَانَ قَالَ اللَّهُمَّ قَوِّنِي فَقَوَّاهُ بِحُسْنِ الخُلُقِ وَالسَّخَاءِ، وَلَمَّا خَلَقَ الله الكُفْرَ قَالَ اللَّهُمَّ قَوِّنِي فَقَوَّاه بِالبُخْلِ وَسُوءِ الخُلُقِ» (٣)، وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «إنَّ الله اسْتَخْلَصَ هذا الدِّينَ لِنَفْسِهِ وَلا يَصْلُحُ لِدِينِكُمْ إلاَّ السَّخَاءُ وَحُسْنُ الخُلُقِ أَلاَ فَزَيِّنُوا دِينَكُمْ بِهِمَا» (٤).

وقال عليه السلام: «حُسْنُ الخُلُقِ خُلُقُ الله الأَعْظَمُ» (٥)، وقيل: يا رسول الله أي المؤمنين أفضل إيمانًا؟ قال: «أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا» (٦)، وقال صلى الله تعالى عليه وسلم: «إنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَسَعُوهُمْ بِبَسْطِ الوَجْهِ وَحُسْنِ الخُلُقِ» (٧)، وقال أيضًا صلى الله تعالى عليه وسلم: «سُوءُ الخُلُقِ يُفْسِدُ العَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ» (٨)، وعن جرير بن عبد الله قال: قال

---

(١) حديث: قال رجل لرسول الله ﷺ: أوصني قال «اتق الله حيثما كنت .... الحديث». أخرجه الترمذي من حديث أبي ذر وقال حسن صحيح [الترمذي: ٣٤٤٤، وقال الألباني: حسن صحيح].

(٢) حديث «ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فتطعمه النار». تقدم في آداب الصحبة. حديث ضعيف وقد تقدم.

(٣) حديث أبي الدرداء: «سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه يقول: أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق... الحديث». لم أقف له على أصل هكذا ولأبي داود والترمذي من حديث أبي الدرداء: «ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق». وقال غريب وقال في بعض طرقه حسن صحيح [الترمذي: ٣٦٣، وصححه الألباني في سنن الترمذي].

(٤) موضوع: حديث «إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ... الحديث». أخرجه الدارقطني في كتاب المستجاد، والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد فيه لين [ضعفه الألباني في ضعيف الجامع من حديث عمران بن حصين: ١٥٥١].

(٥) موضوع: حديث «حسن الخلق خلق الله الأعظم». أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف [ضعيف الجامع: ٢٧١٥].

(٦) حسن صحيح: حديث: قيل يا رسول الله أي المؤمنين أفضلهم إيمانا؟ قال «أحسنهم خلقا». أخرجه أبو داود [أبو داود: ١١٦٢، وقال الألباني: حسن صحيح، انظر سنن أبي داود] والترمذي والنسائي والحاكم من حديث أبي هريرة وتقدم في النكاح بلفظ «أكمل المؤمنين» والطبراني من حديث أبي أمامة «أفضلكم إيمانا أحسنكم خلقا».

(٧) حسن: حديث «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق». أخرجه البزار وأبو يعلى والطبراني في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة وبعض طرق البزار رجاله ثقات [صحيح الترغيب: ٢٦٦١].

(٨) ضعيف جدًا: حديث «سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل». أخرجه ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هريرة والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وأبي هريرة أيضا وضعفهما ابن جرير [السلسلة الضعيفة: ٣٧٠٩].

رسول الله ﷺ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ قَدْ حَسَّنَ الله خَلْقَكَ فَحَسِّنْ خُلُقَكَ» (١)، وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحسن الناس وجهًا وأحسنهم خلقًا (٢).

وعن أبي مسعود البدري قال: كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي» (٣)، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يكثر الدعاء فيقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الصِّحَّةَ وَالعَافِيَةَ وَحُسْنَ الخُلُقِ» (٤)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «كَرَمُ المُؤْمِنِ دِينُهُ، وَحَسَبُهُ حُسْنُ خُلُقِهِ، وَمُرُوءَتُهُ عَقْلُهُ» (٥)، وعن أسامة بن شريك قال: شهدت الأعاريب يسألون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقولون ما خير ما أعطي العبد؟ قال: «خُلُقٌ حَسَنٌ» (٦)، وقال ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا» (٧).

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلاثٌ مَنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ أَوْ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ فَلا تَعْتَدُّوا بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ. تَقْوَى تَحْجُزُهُ عَنْ مَعَاصِي الله أَوْ حِلْمٌ يَكُفُّ بِهِ السَّفِيهَ أَوْ خُلُقٌ يَعِيشُ بِهِ بَيْنَ النَّاسِ» (٨)، وكان من دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم في افتتاح الصلاة: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الأَخْلاقِ لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ» (٩)، وقال أنس: بينما نحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يومًا إذ

---

(١) ضعيف: حديث «إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك». أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق وأبو العباس الدغولي في كتاب الآداب وفيه ضعف [ضعيف الجامع: ٢٠٣٢].

(٢) حسن: حديث البراء: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا. أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند حسن [صحيح الجامع: ٤٦٣٥].

(٣) صحيح: حديث أبي مسعود البدري «اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي». أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق هكذا من رواية عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي مسعود البدري وإنما هو ابن مسعود أي عبد الله، هكذا رواه ابن حبان في صحيحه [صحيح الجامع: ١٣٠٧] ورواه أحمد من حديث عائشة [أحمد: ٢٤٦٩٥].

(٤) ضعيف: حديث عبد الله بن عمرو «اللهم إني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق». أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق بإسناد فيه لين [ضعيف الجامع: ١١٩١].

(٥) حديث أبي هريرة «كرم المرء دينه ومروءته عقله وحسن خلقه». أخرجه ابن حبان والحاكم وصححه على شرط مسلم والبيهقي. قلت فيه مسلم بن خالد الزنجي وقد تكلم فيه[ضعيف الجامع: ٤١٦٨]. قال البيهقي وروى من وجهين آخرين ضعيفين ثم رواه موقوفا على عمر وقال إسناد صحيح.

(٦) حديث أسامة بن شريك: شهدت الأعاريب يسألون رسول الله ﷺ ما خير ما أعطي العبد؟ قال «خلق حسن». أخرجه ابن ماجه وتقدم في آداب الصحبة.

(٧) حديث «إن أحبكم إلى الله وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا». أخرجه الطبراني في الصغير والأوسط من حديث أبي هريرة «إن أحبكم إلى الله أحاسنكم أخلاقا» وللطبراني في مكارم الأخلاق من حديث جابر «إن أقربكم مني مجلسا أحاسنكم أخلاقا» وقد تقدم الحديثان في آداب الصحبة.

(٨) حديث ابن عباس: «ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتدوا بشيء من .... الحديث». أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق بإسناد ضعيف ورواه الطبراني في الكبير وفي مكارم الأخلاق من حديث أم سلمة.

(٩) صحيح: حديث: «اللهم اهدني لأحسن الأخلاق .... الحديث». أخرجه مسلم من حديث علي [مسلم: ٧٧١].

قال: «إِنَّ حُسْنَ الخُلُقِ لَيُذِيبُ الخَطِيئَةَ كَمَا تُذِيبُ الشَّمْسُ الجَلِيدَ» (١)، وقال عليه السلام: «مِنْ سَعَادَةِ المَرْءِ حُسْنُ الخُلُقِ» (٢)، وقال ﷺ: «اليُمْنُ حُسْنُ الخُلُقِ» (٣)، وقال عليه السلام لأبي ذر: «يا أبا ذَرَ لَا عَقْلَ كالتَّدْبِيرِ وَلَا حَسَبَ كَحُسْنِ الخُلُقِ» (٤) وعن أنس قال: قالت أم حبيبة لرسول الله ﷺ: أرأيت المرأة يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلون الجنة لأيهما هي تكون؟ قال: «لِأَحْسَنِهِمَا خُلُقًا كَانَ عِنْدَهَا فِي الدُّنْيَا، يا أُمَّ حَبِيبَةَ ذَهَبَ حُسْنُ الخُلُقِ بِخَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ» (٥)، وقال ﷺ: «إِنَّ المُسْلِمَ المُسَدَّدَ لَيُدْرِكُ دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ بِحُسْنِ خُلُقِهِ وَكَرَمِ مَرْتَبَتِهِ» (٦).

وفي رواية: «دَرَجَةُ الظَّمْآنِ فِي الهَوَاجِرِ» وقال عبد الرحمن بن سمرة: كنا عند النبي ﷺ فقال: «إني رأيت البارحة عجبًا رأيت رجلًا من أمتي جاثيًا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن خلقه فأدخله على الله تعالى» (٧).

وقال أنس: قال النبي ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ عَظِيمَ دَرَجَاتِ الآخِرَةِ وَشَرَفَ المَنَازِلِ وَإِنَّهُ لَضَعِيفٌ فِي العِبَادَةِ» (٨).

وروي: أن عمر رضي الله عنه استأذن على النبي ﷺ وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر رضي الله عنه تبادرن الحجاب، فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك فقال عمر رضي الله عنه: مم تضحك بأبي أنت وأمي يا

---

(١) ضعيف: حديث أنس: «إن حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد». أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف [ضعيف الجامع: ١٨٥] ورواه الطبراني والطيالسي والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وضعفه وكذا رواه من حديث أبي هريرة وضعفه أيضا.

(٢) موضوع: حديث «من سعادة المرء حسن الخلق». أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق والبيهقي في الشعب من حديث جابر بسند ضعيف [ضعيف الجامع: ٥٣٠٢].

(٣) ضعيف: حديث «اليمن حسن الخلق». أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث علي بإسناد ضعيف [السلسلة الضعيفة: ٢٢٦٨].

(٤) ضعيف: حديث «يا أبا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق». أخرجه ابن ماجه وابن حبان من حديث أبي ذر [ابن ماجه: ٤٢١٨، ضعيف الترغيب: ١٥٩٥].

(٥) منكر: حديث أنس: قالت أم حبيبة يا رسول الله أرأيت المرأة يكون لها زوجان .... الحديث». أخرجه البزار والطبراني في الكبير والخرائطي في مكارم الأخلاق بإسناد ضعيف [ضعيف الترغيب: ١٦٠٤].

(٦) صحيح: حديث «إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم مرتبته». أخرجه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو وبالرواية الأولى ومن حديث أبي هريرة بالرواية الثانية وفيهما ابن لهيعة [أحمد: ٦٦١٠، صحيح الجامع: ١٩٤٩٠].

(٧) حديث عبد الرحمن بن سمرة إني رأيت البارحة عجبا .... الحديث». أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف.

(٨) ضعيف: حديث «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف في العبادة». أخرجه الطبراني والخرائطي في مكارم الأخلاق وأبو الشيخ في كتاب مكارم الأخلاق وأبو الشيخ في كتاب طبقات الأصبهانيين من حديث أنس بإسناد جيد [ضعيف الترغيب: ١٥٩١].

رسول الله؟ فقال: «عَجِبْتُ لِهؤلاءِ اللاّتِي كُنَّ عِنْدِي لَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ تَبَادَرْنَ الحِجَابَ» فقال عمر: أنت كنت أحق أن يهبنك يا رسول الله، ثم أقبل عليهن عمر فقال: يا عدوّات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ ؟ قلن: نعم أنت أغلظ وأفظ من رسول الله ﷺ ، فقال ﷺ: «إيهًا يا ابْنَ الخَطَّابِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ما لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إلاّ سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ» (١)، وقال ﷺ: «سُوءُ الخُلُقِ ذَنْبٌ لا يُغْفَرُ وَسُوءُ الظَّنِّ خَطِيئَةٌ تَفُوحُ» (٢).

وقال عليه السلام: «إنَّ العَبْدَ لَيَبْلُغُ مِنْ سُوءِ خُلُقِهِ أَسْفَلَ دَرَكِ جَهَنَّمَ» (٣).

الآثار: قال ابن لقمان الحكيم لأبيه: يا أبت أي الخصال من الإنسان خير؟ قال: الدين، قال: فإذا كانت اثنتين؟ قال: الدين والمال. قال: فإذا كانت ثلاثًا؟ قال: الدين والمال والحياء، قال: فإذا كانت أربعًا؟ قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق، قال: فإذا كانت خمسًا؟ قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء، قال: فإذا كانت ستًا؟ قال: يا بني إذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو نقي تقي ولله ولي ومن الشيطان بريء، وقال الحسن: من ساء خلقه عذب نفسه.

وقال أنس بن مالك: إن العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك في جهنم وهو عابد.

وقال يحيى بن معاذ: في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق. وقال وهب بن منبه: مثل السيئ الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينًا. وقال الفضيل: لأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إليَّ من أن يصحبني عابد سيئ الخلق.

وصحب ابن المبارك رجلًا سيئ الخلق في سفر فكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال: بكيته رحمة له، فارقته وخلقه معه لم يفارقه، وقال الجنيد: أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه، الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الإيمان. وقال الكتاني: التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف. وقال عمر رضي الله عنه: خالطوا الناس بالأخلاق وزايلوهم بالأعمال. وقال يحيى بن معاذ: سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات، وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات.

---

(١) صحيح: حديث: إن عمر استأذن على رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه .... الحديث». متفق عليه [البخاري: ٣٢٩٤، مسلم: ٢٣٩٧] .

(٢) موضوع: حديث «سوء الخلق ذنب لا يغفر ...الحديث». أخرجه الطبراني في الصغير من حديث عائشة: ما من شيء إلا له توبة إلا صاحب سوء الخلق فإنه لا يتوب من ذنب إلا عاد في شرمنه. وإسناده ضعيف [ضعيف الترغيب: ١٦١١].

(٣) ضعيف: حديث: «إن العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم». أخرجه الطبراني والخرائطي في مكارم الأخلاق وأبو الشيخ في طبقات الأصبهانيين من حديث أنس بإسناد جيد وهو بعض الحديث الذي قبله بحديثين [ضعيف الترغيب: ١٥٩١].

وسئل ابن عباس: ما الكرم؟ فقال: هو ما بيَّن الله في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات :١٣] قيل فما الحسب؟ قال: أحسنكم خلقًا أفضلكم حسبًا. وقال: لكل بنيان أساس وأساس الإسلام حسن الخلق.

وقال عطاء : ما ارتفع من ارتفع إلا بالخلق الحسن، ولم ينل أحد كماله إلا المصطفى ﷺ فأقرب الخلق إلى الله عز وجل السالكون آثاره بحسن الخلق.

بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق

اعلم أن الناس قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق وأنه ما هو، وما تعرضوا لحقيقته وإنما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته، بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضرًا في ذهنه ولم يصرفوا العناية إلى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب، وذلك كقول الحسن: حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الأذى. وقال الواسطي: هو أن لا يخاصِم ولا يخاصَم من شدّة معرفته بالله تعالى.

وقال شاه الكرماني : هو كف الأذى واحتمال المؤن. وقال بعضهم: هو أن يكون من الناس قريبًا وفيما بينهم غريبًا. وقال الواسطي مرة: هو إرضاء الخلق في السراء والضراء.

وقال أبو عثمان : هو الرضا عن الله تعالى. وسئل سهل التستري عن حسن الخلق فقال: أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه، وقال مرة: أن لا يتهم الحق في الرزق ويثق به ويسكن إلى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يعصيه في جميع الأمور فيما بينه وبينه وفيما بينه وبين الناس. وقال علي رضي الله عنه: حسن الخلق في ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على العيال. وقال الحسين بن منصور: هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق. وقال أبو سعيد الخراز: هو أن لا يكون لك هم غير الله تعالى. فهذا وأمثاله كثير، وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه، ثم ليس هو محيطًا بجميع الثمرات أيضًا. وكشف الغطاء عن الحقيقة أولى من نقل الأقاويل المختلفة.

فنقول : الخُلُق والخَلْق عبارتان مستعملتان معًا، يقال: فلان حسن الخُلُق والخَلْق ، أي حسن الباطن والظاهر ، فيراد بالخَلْق الصورة الظاهرة، ويراد بالخُلُق الصورة الباطنة. وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة.

ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة. فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرًا من الجسد المدرك بالبصر. ولذلك عظم الله أمره بإضافته إليه إذ قال تعالى: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۝﴾ [ص: ٧١-٧٢]. فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين والروح إلى رب العالمين.

والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد؛ فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلًا وشرعًا سميت تلك الهيئة خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر عنها

الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقًا سيئًا. وإنما قلنا إنها هيئة راسخة، لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ. وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم.

فهاهنا أربعة أمور: أحدها: فعل الجميل والقبيح. والثاني: القدرة عليهما. والثالث: المعرفة بهما. والرابع: هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين؛ إما الحسن وإما القبيح.

وليس الخلق عبارة عن الفعل، فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل إما لفقد المال أو لمانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل إما لباعث أو لرياء وليس هو عبارة عن القوّة؛ لأن نسبة القوة إلى الإمساك والإعطاء بل إلى الضدّين واحد.

وكل إنسان خلق بالفطرة قادر على الإعطاء والإمساك، وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعًا على وجه واحد. بل هو عبارة عن المعنى الرابع، وهو الهيئة التي بها تستعد النفس لأن يصدر منها الإمساك أو البذل.

فالخلق إذًا عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة. وكما أن حسن الصورة الظاهر مطلقًا لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر؛ فكذلك في الباطن أربعة أركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق.

فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو: قوّة العلم، وقوة الغضب، وقوّة الشهوة، وقوّة العدل بين هذه القوى الثلاث.

أما قوّة العلم فحسنها وصلاحها في أن تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال، وبين الحق والباطل في الاعتقادات، وبين الجميل والقبيح في الأفعال فإذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الأخلاق الحسنة، وهي التي قال الله فيها: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩].

وأما قوّة الغضب: فحسنها في أن يصير انقباضها وانبساطها على حدّ ما تقتضيه الحكمة؛ وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في أن تكون تحت إشارة الحكمة، أعني إشارة العقل والشرع.

وأما قوّة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة الحكمة، أعنى إشارة العقل والشرع.

فالعقل مثاله مثال الناصح المشير. وقوة العدل هي القدرة، ومثالها مثال المنفذ الممضي لإشارة العقل. والغضب هو الذي تنفذ فيه الإشارة، ومثاله مثال كلب الصيد فإنه يحتاج إلى أن يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الإشارة لا بحسب هيجان شهوة النفس. والشهوة

مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فإنه تارة يكون مروّضًا مؤدّبًا وتارة يكون جموحًا. فمن استوت فيه هذه الخصال واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقًا. ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض أجزاء وجهه دون بعض. وحسن القوّة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة. وحسن قوّة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة.

فإن مالت قوّة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة تسمى تهوّرًا، وإن مالت إلى الضعف والنقصان تسمى جبنًا وخورًا. وإن مالت قوّة الشهوة إلى طرف الزيادة تسمى شرهًا، وإن مالت إلى النقصان تسمى جمودًا.

والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة، والطرفان رذيلتان مذمومتان، والعدل إذا فات فليس له طرفا زيادة ونقصان بل له ضدّ واحد ومقابل وهو الجور.

وأما الحكمة فيسمى إفراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة خبثًا وجربزة، ويسمى تفريطها بلهًا، والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة.

فإذًا أمهات الأخلاق وأصولها أربعة: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدل. ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية. ونعني بالعدل حالة للنفس وقوّة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها.

ونعني بالشجاعة كون قوّة الغضب منقادة للعقل في إقدامها واحجامها. ونعني بالعفة تأدّب قوّة الشهوة بتأديب العقل والشرع.

فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها.

إذ من اعتدال قوّة العقل: يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأي وإصابة الظن والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس. ومن إفراطها: تصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء.

ومن تفريطها: يصدر البله والغمارة والحمق والجنون، وأعني بالغمارة قلة التجربة في الأمور مع سلامة التخيل فقد يكون الإنسان غمرًا في شيء دون شيء. والفرق بين الحمق والجنون: أن الأحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له رؤية صحيحة في سلوك الطريق الموصل إلى الغرض، وأما المجنون فإنه يختار ما لا ينبغي أن يختار فيكون أصل اختياره وإيثاره فاسدًا.

وأما خلق الشجاعة: فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وأمثالها وهي أخلاق محمودة. وأما إفراطها وهو التهوّر. فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب. وأما تفريطها: فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب.

وأما خلق العفة: فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع. وأما ميلها إلى الإفراط أو التفريط: فيحصل منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للأغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك.

فأمهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربعة: وهي الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدل. والباقي فروعها.

ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع إلا رسول الله ﷺ، والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه. فكل من قرب منه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول الله ﷺ، وكل من جمع كمال هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكًا مطاعًا يرجع الخلق كلهم إليه ويقتدون به في جميع الأفعال. ومن انفك عن هذه الأخلاق كلها واتصف بأضدادها استحق أن يخرج من بين البلاد والعباد فإنه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد، فينبغي أن يبعد، كما أن الأوّل قريب من الملك المقرّب فينبغي أن يقتدي به ويتقرّب إليه فإن رسول الله ﷺ لم يبعث إلا ليتمم مكارم الأخلاق كما قال (١).

وقد أشار القرآن إلى هذه الأخلاق في أوصاف المؤمنين فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥] فالإيمان بالله وبرسوله من غير ارتياب هو قوّة اليقين وهو ثمرة العقل. ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع إلى ضبط قوة الشهوة. والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع إلى استعمال قوّة الغضب على شرط العقل وحدّ الاعتدال. فقد وصف الله تعالى الصحابة فقال: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] إشارة إلى أن للشدّة موضعًا وللرحمة موضعًا، فليس الكمال في الشدّة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال. فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان أركانه وثمراته وفروعه.

بيان قبول الأخلاق للتغيير بطريق الرياضة

اعلم أن بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق، فلم تسمح نفسه بأن يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته، فزعم أن الأخلاق لا يتصوّر تغييرها فإن الطباع لا تتغير.

واستدل فيه بأمرين:

أحدهما: أن الخُلُق هو صورة الباطن كما أن الخَلْق هو صورة الظاهر. فالخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالقصير لا يقدر أن يجعل نفسه طويلًا، ولا الطويل يقدر أن يجعل نفسه قصيرًا، ولا القبيح يقدر على تحسين صورته، فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى.

---

(١) حديث «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». تقدم في آداب الصحبة.

والثاني: أنهم قالوا حسن الخلق يقمع الشهوة والغضب. وقد جرّبنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى المزاج والطبع فإنه قط لا ينقطع عن الآدمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة. فإن المطلوب هو قطع التفات القلب إلى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده.

فنقول: لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات، ولما قال رسول الله ﷺ: «حَسِّنُوا أَخْلاقَكُمْ» (١)، وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن إذ ينقل البازي من الاستيحاش إلى الأنس، والكلب من شره الأكل إلى التأدب والإمساك والتخلية، والفرس من الجماح إلى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغيير للأخلاق.

والقول الكاشف للغطاء عن ذلك أن نقول: الموجودات منقسمة إلى ما لا مدخل للآدمي واختياره في أصله وتفصيله، كالسماء والكواكب، بل أعضاء البدن داخلًا وخارجًا، وسائر أجزاء الحيوانات.

وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله وإلى ما وجد وجودًا ناقصًا وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد أن وجد شرطه. وشرطه قد يرتبط باختيار العبد، فإن النواة ليست بتفاح ولا نخل إلا أنها خلقت خلقة يمكن أن تصير نخلة إذا انضاف التربية إليها، ولا تصير تفاحًا أصلًا ولا بالتربية، فإذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الأحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو أردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم نقدر عليه أصلًا، ولو أردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه. وقد أمرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا إلى الله تعالى. نعم الجبلات مختلفة بعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان:

أحدهما: قوة الغريزة في أصل الجبلة وامتداده مدّة الوجود فإن قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الإنسان، ولكن أصعبها أمرًا وأعصاها على التغيير قوة الشهوة، فإنها أقدم وجودًا، إذ الصبي في مبدإ الفطرة تخلق له الشهوة، ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب، وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز.

والسبب الثاني: أن الخلق قد يتأكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسنًا ومرضيًا والناس فيه على أربع مراتب:

الأولى: وهو الإنسان المغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليًا عن جميع الاعتقادات ولم تستتم شهوته أيضًا باتباع اللذات، فهذا سريع القبول للعلاج جدًّا فلا يحتاج إلا إلى معلم ومرشد، وإلى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في أقرب زمان.

والثانية: أن يكون قد عرف قبح القبيح، ولكنه لم يتعوّد العمل الصالح بل زين له سوء عمله

---

(١) ضعيف: حديث «حسنوا أخلاقكم». أخرجه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث معاذ «يا معاذ حسن خلقك للناس» منقطع ورجاله ثقات [ضعيف الترغيب: ١٦٠٣].

فتعاطاه انقيادًا لشهواته وإعراضًا عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه، ولكن علم تقصيره في عمله فأمره أصعب من الأول، إذ قد تضاعفت الوظيفة عليه؛ إذ عليه قلع ما رسخ في نفسه أوّلًا من كثرة الاعتياد للفساد، والآخر أن يغرس في نفسه صفة الاعتياد للصلاح، ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة إن انتهض لها بجد وتشمير وحزم.

والثالثة: أن يعتقد في الأخلاق القبيحة أنها الواجبة المستحسنة وأنها حق وجميل وتربى عليها، فهذا يكاد تمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه إلا على الندور، وذلك لتضاعف أسباب الضلال.

والرابعة: أن يكون مع نشئه على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهي به ويظن أن ذلك يرفع قدره، وهذا هو أصعب المراتب. وفي مثله قيل: ومن العناء رياضة الهرم، ومن التعذيب تهذيب الذيب.

والأول من هؤلاء جاهل فقط.

والثاني: جاهل وضال.

والثالث: جاهل وضال وفاسق.

والرابع: جاهل وضال وفاسق وشرير.

وأما الخيال الآخر الذي استدلوا به: وهو قولهم إن الآدمي ما دام حيًا فلا تنقطع عنه الشهوة والغضب وحب الدنيا وسائر هذه الأخلاق، فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا أن المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيهات فإن الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة، فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان، ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل، ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك. ومهما بقي أصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله إلى الشهوة حتى يحمله ذلك على إمساك المال. وليس المطلوب إماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط. والمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بأن يخلو عن التهوّر وعن الجبن جميعًا.

وبالجملة أن يكون في نفسه قويًا ومع قوته منقادًا للعقل. ولذلك قال الله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩] وصفهم بالشدة وإنما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لبطل الجهاد. وكيف يقصد قلع الشهوة والغضب بالكلية والأنبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك، إذ قال ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ» (١)، وكان إذا تكلم بين يديه بما يكرهه يغضب حتى تحمرّ وجنتاه ولكن لا يقول إلا حقًا فكان عليه السلام لا يخرجه

(١) صحيح: حديث «إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر». أخرجه مسلم من حديث أنس وله من حديث أبي هريرة «إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر» [حديث أنس عند مسلم: ٢٦٠٣، حديث أبي هريرة عند مسلم: ٢٦٠١].

غضبه عن الحق[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٣٤] ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد الغضب والشهوة إلى حدّ الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ولا يغلبه، بل يكون العقل هو الضابط لهما والغالب عليهما ممكن، وهو المراد بتغيير الخلق فإنه ربما تستولي الشهوة على الإنسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها فيقدم على الانبساط إلى الفواحش.

وبالرياضة تعود إلى حدّ الاعتدال فدل أن ذلك ممكن، والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها، والذي يدل على أن المطلوب هو الوسط في الأخلاق دون الطرفين أن السخاء خلق محمود شرعًا، وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير. وقد أثنى الله تعالى عليه فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:٦٧] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء:٢٩] وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجمود. قال الله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١] وقال في الغضب: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩] ، وقال ﷺ: «خَيْرُ الأُمُورِ أَوْسَاطُهَا»[(٢)]، وهذا له سر وتحقيق، وهو أن السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم. قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٩] والبخل من عوارض الدنيا، والتبذير أيضًا من عوارض الدنيا، وشرط القلب أن يكون سليمًا منهما أي لا يكون ملتفتًا إلى المال ولا يكون حريصًا على إنفاقه ولا على إمساكه، فإن الحريص على الإنفاق مصروف القلب إلى الإنفاق كما أن الحريص على الإمساك مصروف القلب إلى الإمساك فكان كمال القلب أن يصفو عن الوصفين جميعًا. وإذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الأشبه لعدم الوصفين، وأبعد عن الطرفين وهو الوسط، فإن الفاتر لا حار ولا بارد بل هو وسط بينهما فكأنه خال عن الوصفين، فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير. والشجاعة بين الجبن والتهوّر.

والعفة بين الشره والجمود. وكذلك سائر الأخلاق فكلا طرفي الأمور ذميم؛ هذا هو المطلوب وهو ممكن. نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد أن يقبح عنده الغضب رأسًا، ويذم إمساك المال رأسًا، ولا يرخص له في شيء منه لأنه لو رخص له في أدنى شيء اتخذ ذلك عذرًا

---

(١) صحيح: حديث: أنه كان يتكلم بين يديه بما يكره فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول إلا حقا فكان الغضب لا يخرجه عن الحق». أخرجه الشيخان من حديث عبد الله بن الزبير في قصة شراج الحرة فقال: لأن كان ابن عمتك؟ فتلون وجه رسول الله ﷺ [البخاري: ٢٣٦٠ن مسلم: ٢٣٥٧] ولهما من حديث أبي سعيد الخدري: وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه، [البخاري: ٦١٠٢، مسلم: ٢٣٢٠] ولهما من حديث عائشة: وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله [البخاري: ٣٥٦٠، مسلم: ٢٣٢٧]. ولمسلم: ما ينال منه شيء قط فينتقم من صاحبه... الحديث [مسلم: ٢٣٢٨].

(٢) موضوع: حديث «خير الأمور أوساطها». أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من رواية مطرف بن عبيد الله معضلاً [السلسلة الضعيفة: ٣٩٤٠].

في استبقاء بخله وغضبه وظن أنه القدر المرخص فيه. فإذا قصد قطع الأصل وبالغ فيه ولم يتيسر له إلا كسر سورته بحيث يعود إلى الاعتدال، فالصواب له أن يقصد قلع الأصل حتى يتيسر له القدر المقصود. فلا يكشف هذا السر للمريد فإنه موضع غرور الحمقى إذ يظن بنفسه أن غضبه بحق وأن إمساكه بحق.

بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة

قد عرفت أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوّة العقل وكمال الحكمة. وإلى اعتدال قوّة الغضب والشهوة، وكونها للعقل مطيعة وللشرع أيضًا.

وهذا الاعتدال يحصل على وجهين.

أحدهما: بجود إلهي وكمال فطري بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب، بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير عالمًا بغير تعليم ومؤدبًا بغير تأديب، كعيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام، وكذا سائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

ولا يبعد أن يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي خلق صادق اللهجة سخيًا جريئًا، وربما يخلق بخلافه، فيحصل ذلك فيه بالاعتياد ومخالطة المتخلقين بهذه الأخلاق، وربما يحصل بالتعلم.

والوجه الثاني: اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة وأعني به حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب. فمن أراد مثلًا أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال، فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفًا مجاهدًا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعًا ويتيسر عليه فيصير به جوادًا، وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف إلى أن يصير ذلك خلقًا له وطبعًا فيتيسّر عليه.

وجميع الأخلاق المحمودة شرعًا تحصل بهذا الطريق، وغايته أن يصير الفعل الصادر منه لذيذًا فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال الذي يبذله دون الذي يبذله عن كراهة، والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الأخلاق الدينية في النفس، ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الأفعال السيئة، وما لم تواظب عليه مواظبة من يشتاق إلى الأفعال الجميلة ويتنعم بها، ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها، كما قال ﷺ «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ»[1]، ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به. نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير، ولكن بالإضافة إلى تركها لا بالإضافة إلى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾

(١) حديث «وجعلت قرة عيني في الصلاة». أخرجه النسائي من حديث أنس وقد تقدم.

[البقرة:٤٥] وقال ﷺ: «اعْبُدِ الله فِي الرِّضا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَفِي الصَّبْرِ عَلَى ما تَكْرَهُ خَيْر كَثِيرٌ»(١)، ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان، بل ينبغي أن يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر، وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكمل، ولذلك لما سئل ﷺ عن السعادة فقال: «طُولُ العُمُرِ فِي طَاعَةِ الله تَعَالَى»(٢)، ولذلك كره الأنبياء والأولياء الموت فإن الدنيا مزرعة الآخرة.

وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل والنفس أزكى وأطهر والأخلاق أقوى وأرسخ، وإنما مقصود العبادات تأثيرها في القلب، وإنما يتأكد تأثيرها بكثرة المواظبة على العبادات. وغاية هذه الأخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شيء أحب إليه من لقاء الله تعالى عز وجل، فلا يستعمل جميع ماله إلا على الوجه الذي يوصله إليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملهما إلا على الوجه الذي يوصله إلى الله تعالى، وذلك بأن يكون موزونًا بميزان الشرع والعقل، ثم يكون بعد ذلك فرحًا به مستلذًا له، ولا ينبغي أن يستبعد مصير الصلاة إلى حد تصير هي قرة العين.

ومصير العبادات لذيذة فإن العادة تقتضي في النفس عجائب أغرب من ذلك؛ فإنا قد نرى الملوك والمنعمين في أحزان دائمة، ونرى المقامر قد يغلب عليه من الفرح واللذة بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح الناس بغير قمار، مع أن القمار ربما سلبه ماله وخرب بيته وتركه مفلسًا ومع ذلك فهو يحبه ويلتذ به، وذلك لطول إلفه له وصرف نفسه إليه مدة.

وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول النهار في حر الشمس قائمًا على رجليه وهو لا يحسّ بألمها لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحليقها في جو السماء، بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط، وعلى أن يتقدم به للصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوّته في الصبر على ذلك، حتى يرى ذلك فخرًا لنفسه، ويقطع الواحد منهم إربًا إربًا على أن يقر بما تعاطاه أو تعاطاه غيره فيصر على الإنكار ولا يبالي بالعقوبات فرحًا بما يعتقده كمالًا وشجاعة ورجولية، فقد صارت أحواله مع ما فيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره، بل لا حالة أخس وأقبح من حال المخنث في تشبهه بالإناث في نتف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النساء فترى المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله في تخنثه يتباهى به مع المخنثين، حتى يجري بين الحجامين والكناسين التفاخر والمباهاة كما يجرى بين الملوك والعلماء. فكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك في المخالطين والمعارف. فإذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل إليه وإلى

---

(١) حديث «اعبد الله في الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير». أخرجه الطبراني.

(٢) ضعيف: حديث: سئل عن السعادة فقال «طول العمر في عبادة الله». رواه القضاعي في مسند الشهاب وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف [السلسلة الصحيحة: ٢٤٠٧] وللترمذي من حديث أبي بكرة وصححه: أي الناس خير؟ قال «من طال عمره وحسن عمله» [الترمذي: ٢٣٢٩].

المقابح، فكيف لا تستلذ الحق لو ردت إليه مدة والتزمت المواظبة عليه؟ بل ميل النفس إلى هذه الأمور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي الميل إلى أكل الطين فقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة؛ فأما ميله إلى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل إلى الطعام والشراب فإنه مقتضى طبع القلب فإنه أمر رباني، وميله إلى مقتضيات الشهوة غريب من ذاته وعارض على طبعه، وإنما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله عز وجل ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد حل به كما قد يحل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سببان لحياتها، فكل قلب مال إلى حب شيء سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله، إلا إذا كان أحب ذلك الشيء لكونه معينًا له على حب الله تعالى وعلى دينه، فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض.

فإذًا قد عرفت بهذا قطعًا أن هذه الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعًا انتهاء، وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح - أعني النفس والبدن - فإن كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة، وكل فعل يجري على الجوارح فإنه قد يرتفع منه أثر إلى القلب، والأمر فيه دور، ويعرف ذلك بمثال: وهو أن من أراد أن يصير الحذق في الكتابة له صفة نفسية ، حتى يصير كاتبًا بالطبع ، فلا طريق له إلا أن يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن، فإن فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفًا، ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير صفة راسخة في نفسه، فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعًا كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفًا، فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسنًا، ولكن الأول بتكلف إلا أنه ارتفع منه أثر إلى القلب ثم انخفض من القلب إلى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن بالطبع.

وكذلك من أراد أن يصير فقيه النفس فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال الفقهاء، وهو التكرار للفقه حتى تنعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس.

وكذلك من أراد أن يصير سخيًا عفيف النفس حليمًا متواضعًا فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفًا حتى يصير ذلك طبعًا له، فلا علاج له إلا ذلك، وكما أن طالب فقه النفس لا ييأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة، فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالأعمال الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم.

وهو معنى قولنا إن الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاء المؤبد ولكن العطلة في يوم واحد تدعو إلى مثلها، ثم تتداعى قليلًا قليلًا حتى تأنس النفس بالكسل وتهجر التحصيل رأسًا فيفوتها فضيلة الفقه. وكذلك صغائر المعاصي يجر بعضها إلى بعض حتى يفوت أصل السعادة بهدم أصل الإيمان عند الخاتمة.

وكما أن تكرار ليلة لا يحس تأثيره في فقه النفس بل يظهر فقه النفس شيئًا فشيئًا على

التدريج ، مثل نمو البدن وارتفاع القامة ، فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تأثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال، ولكن لا ينبغي أن يستهان بقليل الطاعة فإن الجملة الكثيرة منها مؤثرة، وإنما اجتمعت الجملة من الآحاد، فلكل واحد منها تأثير، فما من طاعة إلا ولها أثر وإن خفي، فله ثواب لا محالة. فإن الثواب بإزاء الأثر وكذلك المعصية.

وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي يسوف نفسه يومًا فيومًا إلى أن يخرج طبعه عن قبول الفقه. فكذا من يستهين صغائر المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على التوالي إلى أن يختطفه الموت بغتة أو تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتتعذر عليه التوبة، إذ القليل يدعو إلى الكثير فيصير القلب مقيدًا بسلاسل شهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها.

وهو المعنى بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ [يس:٩] الآية. ولذلك قال علي رضي الله تعالى عنه: إن الإيمان ليبدو في القلب نكتة بيضاء، كلما ازداد الإيمان ازداد ذلك البياض، فإذا استكمل العبد الإيمان ابيضّ القلب كله. وإن النفاق ليبدو في القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فإذا استكمل النفاق اسودّ القلب كله.

فإذا عرفت أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة، وتارة تكون باعتياد الأفعال الجميلة، وتارة بمشاهدة أرباب الفعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح، إذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعًا. فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعًا واعتيادًا وتعلمًا فهو في غاية الفضيلة، ومن كان رذلًا بالطبع واتفق له قرناء السوء فتعلم منهم وتيسرت له أسباب الشر حتى اعتادها فهو في غاية البعد من الله عز وجل، وبين الرتبتين من اختلفت فيه من هذه الجهات، ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧-٨] ، ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل:٣٣] .

بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الأخلاق

قد عرفت من قبل أن الاعتدال في الأخلاق هو صحة النفس، والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها.

كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له، والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالًا. فنقول:

مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها وجلب الفضائل والأخلاق الجميلة إليها، مثال البدن في علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها إليه. وكما أن الغالب على أصل المزاج الاعتدال وإنما تعتري المعدة المضرة بعوارض الأغذية والأهوية والأحوال، فكذلك كل مولود يولد معتدلًا صحيح الفطرة، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، أي بالاعتياد والتعليم تكتسب الرذائل ، وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملًا

وإنما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية بالغذاء؛ فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال؛ وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم. وكما أن البدن إن كان صحيحًا فشأن الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة، وإن كان مريضًا فشأنه جلب الصحة إليه؛ فكذلك النفس منك إن كانت زكية طاهرة مهذبة، فينبغي أن تسعى لحفظها وجلب مزيد قوّة إليها واكتساب زيادة صفائها، وإن كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي أن تسعى لجلب ذلك إليها. وكما أن العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج إلا بضدها فإن كانت من حرارة فبالبرودة، وإن كانت من برودة فبالحرارة، فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها. فيعالج مرض الجهل بالتعلم، ومرض البخل بالتسخي، ومرض الكبر بالتواضع، ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفًا.

وكما أنه لا بد من الاحتمال لمرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الأبدان المريضة، فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل أولى. فإن مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله تعالى مرض يدوم بعد الموت أبد الآباد. وكما أن كل مبرد لا يصلح لعلة سببها الحرارة إلا إذا كان على حد مخصوص، ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة، ولا بد له من معيار يعرف به مقدار النافع منه فإنه إن لم يحفظ معياره زاد الفساد، فكذلك النقائض التي تعالج بها الأخلاق لا بد لها من معيار.

وكما أن معيار الدواء مأخوذ من عيار العلة حتى إن الطبيب لا يعالج ما لم يعرف أن العلة من حرارة أو برودة، فإن كانت من حرارة فيعرف درجتها أهي ضعيفة أم قوية؟

فإذا عرف ذلك التفت إلى أحوال البدن وأحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وسائر أحواله ثم يعالج بحسبها.

فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطبب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي أن لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم وأمراضهم. وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم، فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم. بل ينبغي أن ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة ويبني على ذلك رياضته.

فإن كان المريد مبتدئًا جاهلًا بحدود الشرع فيعلمه أولًا الطهارة والصلاة وظواهر العبادات، وإن كان مشغولًا بمال حرام أو مقارفًا لمعصية فيأمره أولًا بتركها، فإذا تزين ظاهره بالعبادات وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقرائن الأحوال إلى باطنه ليتفطن لأخلاقه وأمراض قلبه، فإن رأى معه مالًا فاضلًا عن قدر ضرورته أخذه منه. وصرفه إلى الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت إليه، وإن رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيأمره أن يخرج إلى الأسواق للكدية والسؤال، فإن عزة النفس والرئاسة لا تنكسر إلا بالذل ولا ذلّ أعظم من ذل السؤال

فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعز نفسه، فإن الكبر من الأمراض المهلكة وكذلك الرعونة، وإن رأى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب ورأى قلبه مائلًا إلى ذلك فرحًا به ملتفتًا إليه استخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى تتشوش عليه رعونته في النظافة.

فإن الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات النظيفة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار، فلا فرق بين أن يعبد الإنسان نفسه أو يعبد صنمًا فمهما عبد غير الله تعالى فقد حجب عن الله، ومن راعى في ثوبه شيئًا سوى كونه حلالًا وطاهرًا مراعاة يلتفت إليها قلبه فهو مشغول بنفسه.

ومن لطائف الرياضة إذا كان المريد لا يسخو بترك الرعونة رأسًا أو بترك صفة أخرى ولم يسمح بضدها دفعة؛ فينبغي أن ينقله من الخلق المذموم إلى خلق مذموم آخر أخف منه، كالذي يغسل الدم بالبول، ثم يغسل البول بالماء إذا كان الماء لا يزيل الدم.

كما يرغب الصبي في المكتب باللعب بالكرة والصولجان وما أشبهه، ثم ينقل من اللعب إلى الزينة وفاخر الثياب، ثم ينقل من ذلك بالترغيب في الرياسة وطلب الجاه، ثم ينقل من الجاه بالترغيب في الآخرة، فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فلينقل إلى جاه أخف منه، وكذلك سائر الصفات. وكذلك إذا رأى شره الطعام غالبًا عليه ألزمه الصوم وتقليل الطعام، ثم يكلفه أن يهيئ الأطعمة اللذيذة ويقدمها إلى غيره وهو لا يأكل منها حتى يقوي بذلك نفسه فيتعود الصبر وينكسر شرهه. وكذلك إذا رآه شابًا متشوقًا إلى النكاح وهو عاجز عن الطول فيأمره بالصوم، وربما لا تسكن شهوته بذلك فيأمره أن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء. ويمنعه اللحم والأدم رأسًا حتى تذل نفسه وتنكسر شهوته... فلا علاج في مبدإ الإرادة أنفع من الجوع. وإن رأى الغضب غالبًا عليه ألزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق، ويلزمه خدمة من ساء خلقه حتى يمرن نفسه على الاحتمال معه.

كما حكي عن بعضهم أنه كان يعوّد نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب، فكان يستأجر من يشتمه على ملأ من الناس ويكلف نفسه الصبر، ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل. وبعضهم كان يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب، فأراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الأمواج. وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على نصبة واحدة.

وبعض الشيوخ في ابتداء إرادته كان يكسل عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسمح بالقيام على الرجل عن طوع. وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورمى به في البحر؛ إذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود والرياء بالبذل.

فهذه الأمثلة تعرفك طريق معالجة القلوب. وليس غرضنا ذكر دواء كل مرض ، فإن ذلك سيأتي في بقية الكتب ، وإنما غرضنا الآن التنبيه على أن الطريق الكلي فيه سلوك مسلك

المضاد لكل ما تهواه النفس وتميل إليه، وقد جمع الله ذلك كله في كتابه العزيز في كلمة واحدة فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١] والأصل المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم فإذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت أسبابها ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى واختبارًا، فينبغي أن يصبر ويستمر، فإنه إن عوّد نفسه ترك العزم ألفت ذلك ففسدت وإذا اتفق منه نقض عزم، فينبغي أن يلزم نفسه عقوبة عليه ، كما ذكرناه في معاقبة النفس في كتاب المحاسبة والمراقبة ، وإذا لم يخوّف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرياضة بالكلية.

بيان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها الى الصحة

اعلم أنّ كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به، وإنما مرضه أن يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه أصلًا أو يصدر منه مع نوع من الاضطراب. فمرض اليد أن يتعذر عليها البطش.

ومرض العين أن يتعذر عليها الإبصار. وكذلك مرض القلب أن يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خلق لأجله؛ وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وإيثاره ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والأعضاء عليه. قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ففي كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة. وخاصية النفس التي للآدمي، ما يتميز بها عن البهائم، فإنه لم يتميز عنها بالقوّة على الأكل والوقاع والإبصار أو غيرها؛ بل بمعرفة الأشياء على ما هي عليه.

وأصل الأشياء وموجدها ومخترعها هو الله عز وجل الذي جعلها أشياء. فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله عز وجل فكأنه لم يعرف شيئًا. وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى أحبه وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات.

كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة: ٢٤] فمن عنده شيء أحب إليه من الله فقلبه مريض، كما أنّ كل معدة صار الطين أحب إليها من الخبز والماء أو سقطت شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة.

فهذه علامات المرض وبهذا يعرف أنّ القلوب كلها مريضة إلا ما شاء الله، إلا أنّ من الأمراض ما لا يعرفها صاحبها، ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه، فلذلك يغفل عنه. وإن عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فإن دواءه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح.

فإن وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبًا حاذقًا يعالجه، فإن الأطباء هم العلماء وقد استولى عليهم المرض، فالطبيب المريض قلما يلتفت إلى علاجه. فلهذا صار الداء عضالًا والمرض مزمنًا واندرس هذا العلم، وأنكر بالكلية طب القلوب وأنكر مرضها. وأقبل الخلق على حب الدنيا، وعلى أعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراءات. فهذه علامات أصول

الأمراض.

وأما علامات عودها إلى الصحة بعد المعالجة فهو أن ينظر في العلة التي يعالجها، فإن كان يعالج داء البخل فهو المهلك المبعد عن الله عز وجل وإنما علاجه ببذل الماء وإنفاقه، ولكنه قد يبذل المال إلى حدّ يصير به مبذرًا فيكون التبذير أيضًا داء، فكان كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة فهو أيضًا داء، بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة.

وكذلك المطلوب الاعتدال بين التبذير والتقتير حتى يكون على الوسط وفي غاية من البعد عن الطرفين، فإن أردت أن تعرف الوسط فانظر إلى الفعل الذي يوجبه الخلق المحذور، فإن كان أسهل عليك وألذ من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له، مثل أن يكون إمساك المال وجمعه ألذ عندك وأيسر عليك من بذله لمستحقه، فاعلم أن الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل، فإن صار البذل على غير المستحق ألذ عندك وأخف عليك من الإمساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع إلى المواظبة على الإمساك، فلا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتسيير الأفعال وتعسيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى المال فلا تميل إلى بذله ولا إلى إمساكه، بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه إلا إمساكه لحاجة محتاج أو بذله لحاجة محتاج، ولا يترجح عندك البذل على الإمساك فكل قلب صار كذلك فقد أتى الله سليمًا عن هذا المقام خاصة.

ويجب أن يكون سليمًا عن سائر الأخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق بالدنيا، حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق منها غير ملتفتة إليها ولا متشوّقة إلى أسبابها. فعند ذلك ترجع إلى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة في زمرة عباد الله المقربين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض، بل هو أدق من الشعر وأحدّ من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا، جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة، وقلما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم ، أعني الوسط ، حتى لا يميل إلى أحد الجانبين فيكون قلبه متعلقًا بالجانب الذي مال إليه. ولذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وإن كان مثل البرق قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ [مريم:٧١-٧٢] أي الذين كان قربهم إلى الصراط المستقيم أكثر من بعدهم عنه. ولأجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة: ٦] إذ وجب قراءة الفاتحة في كل ركعة.

فقد روي أنّ بعضهم رأى رسول الله ﷺ في المنام فقال: قد قلت يا رسول الله شيبتني هود، فلم قلت ذلك؟ فقال عليه السلام لقوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود:١١٢] فالاستقامة على سواء السبيل في غاية الغموض، ولكن ينبغي أن يجتهد الإنسان في القرب من الاستقامة إن لم يقدر على حقيقتها. فكل من أراد النجاة فلا نجاة له إلا بالعمل الصالح، ولا تصدر الأعمال

الصالحة إلا عن الأخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته وأخلاقه، وليعدّدها وليشتغل بعلاج واحد واحد فيها على الترتيب. فنسأل الله الكريم أن يجعلنا من المتقين.

بيان الطريق الذي يعرف به الإنسان عيوب نفسه

اعلم أنّ الله عز وجل إذا أراد بعبد خيرًا بصره بعيوب نفسه، فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه، فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج، ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه. فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق:

الأول: أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع إشارته في مجاهدته. وهذا شأن المريد مع شيخه والتلميذ مع أستاذه، فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه. وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده.

الثاني: أن يطلب صديقًا صدوقًا بصيرًا متدينًا فينصبه رقيبًا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله، فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه، فهكذا كان يفعل الأكياس والأكابر من أئمة الدين.

كان عمر رضي الله عنه يقول: رحم الله امرأ أهدى إليّ عيوبي. وكان يسأل سلمان عن عيوبه، فلما قدم عليه قال له: ما الذي بلغك عني مما تكرهه؟ فاستعفى فألح عليه فقال: بلغني أنك جمعت بين إدامين على مائدة، وأن لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل، قال: وهل بلغك غير هذا؟ قال: لا، فقال: أما هذان فقد كفيتهما. وكان يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين، فهل ترى عليّ شيئًا من آثار النفاق؟ فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه رضي الله عنه.

فكل من كان أوفر عقلًا وأعلى منصبًا كان أقل إعجابًا وأعظم اتهامًا لنفسه، إلا أن هذا أيضًا قد عز فقل في الأصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب، أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب.

فلا تخلو في أصدقائك عن حسود أو صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبًا، أو عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك.

ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل الناس فقيل له: لم لا تخالط الناس؟ فقال: وماذا أصنع بأقوام يخفون عني عيوبي؟ فكانت شهوة ذوي الدين أن ينتبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم، وقد آل الأمر في أمثالنا إلى أنّ أبغض الخلق إلينا من ينصحنا ويعرّفنا عيوبنا. ويكاد هذا أن يكون مفصحًا عن ضعف الإيمان فإنّ الأخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة، فلو نبهنا منبه على أن تحت ثوبنا عقربًا لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بإزالة العقرب وإبعادها وقتلها، وإنما نكايتها على البدن ويدوم ألمها يومًا فما دونه، ونكاية الأخلاق الرديئة على صميم القلب أخشى أن تدوم بعد الموت أبدًا أو آلافًا من السنين. ثم إنا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بإزالتها بل نشتغل

بمقابلة الناصح بمثل مقالته فنقول له: وأنت أيضًا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه، ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب التي أثمرتها كثرة الذنوب. وأصل كل ذلك ضعف الإيمان. فنسأل الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا ويبصرنا بعيوبنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوئنا بمنه وفضله.

الطريق الثالث: أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه فإن عين السخط تبدي المساوئ. ولعل انتفاع الإنسان بعدوّ مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه، إلا أن الطبع مجبول على تكذيب العدوّ وحمل ما يقوله على الحسد، ولكن البصير لا يخلو من الانتفاع بقول أعدائه فإن مساوئه لا بدّ وأن تنتشر على ألسنتهم.

الطريق الرابع: أن يخالط الناس فكل ما رآه مذمومًا فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها إليه، فإن المؤمن مرآة المؤمن، فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى. فما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه، فليتفقد نفسه ويطهرها من كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديبًا، فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب.

قيل لعيسى عليه السلام: من أدبك؟ قال ما أدبني أحد، رأيت جهل الجاهل شينًا فاجتنبته. وهذا كله حيل من فقد شيخًا عارفًا ذكيًا بصيرًا بعيوب النفس مشفقًا ناصحًا في الدين فارغًا من تهذيب نفسه مشتغلًا بتهذيب عباد الله تعالى ناصحًا لهم، فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده.

بيان شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق في معالجة أمراض القلب ترك الشهوات وأن مادة أمراضها هي اتباع الشهوات

اعلم أن ما ذكرناه إن تأملته بعيّن الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين، فإن عجزت عن ذلك فلا ينبغي أن يفوتك التصديق والإيمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد، فإن للإيمان درجة كما أن للعلم درجة، والعلم يحصل بعد الإيمان وهو وراءه قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] فمن صدّق بأن مخالفة الشهوات هي الطريق إلى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا، وإذا اطلع على ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلًّا وعد الله الحسنى.

والذي يقتضي الإيمان بهذا الأمر في القرآن والسنة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصر. قال الله تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝﴾ [النازعات: ٤٠-٤١] وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الحجرات: ٣] قيل نزع منها محبة الشهوات. وقال ﷺ: «المُؤْمِنُ بَيْنَ خَمْسِ شَدائِد: مُؤْمِنٌ يَحْسُدُهُ وَمُنَافِقٌ يَبْغُضُهُ وَكَافِرٌ يُقَاتِلُهُ وَشَيْطَانٌ يُضِلُّهُ وَنَفْسٌ

تُنَازِعُهُ» [١]، فبين أن النفس عدوّ منازع يجب عليه مجاهدتها.

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: يا داود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات، فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة.

وقال عيسى عليه السلام: طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره، وقال نبينا ﷺ لقوم قدموا من الجهاد: «مَرْحَبًا بِكُمْ قَدِمْتُمْ مِنَ الجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الجِهَادِ الأَكْبَرِ» قيل يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: «جِهَادُ النَّفْسِ» [٢]، وقال ﷺ: «المُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ الله عَزَّ وَجَلَّ» [٣]، وقال ﷺ: «كُفَّ أَذَاكَ عَنْ نَفْسِكَ وَلا تُتَابِعْ هَوَاها فِي مَعْصِيةِ الله تَعَالَى إِذَنْ تُخَاصِمُكَ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَلْعَنُ بَعْضُكَ بَعْضًا إِلاَّ أَنْ يَغْفِرَ الله تَعَالَى وَيَسْتُرَ» [٤]، وقال سفيان الثوري: ما عالجت شيئًا أشد عليَّ من نفسي مرة لي ومرة عليَّ، وكان أبو العباس الموصلي يقول لنفسه: يا نفس لا في الدنيا مع أبناء الملوك تتنعمين ولا في طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كأني بك بين الجنة والنار تحبسين، يا نفس ألا تستحين وقال الحسن: ما الدابة الجموح بأحوج إلى اللجام الشديد من نفسك.

وقال يحيى بن معاذ الرازي: جاهد نفسك بأسياف الرياضة. والرياضة على أربعة أوجه: القوت من الطعام، والغمض من المنام، والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الأنام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات، ومن قلة المنام صفو الإرادات، ومن قلة الكلام السلامة من الآفات، ومن احتمال الأذى، البلوغ إلى الغايات وليس على العبد شيء أشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الأذى، وإذا تحركت من النفس إرادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام، وضربتها بأيدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام، فتأمن من بوائقها من بين سائر الأنام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها؛ فتصير عند ذلك نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفارة في الميدان وكالملك المتنزه في البستان. وقال أيضًا: أعداء الإنسان ثلاثة: دنياه وشيطانه ونفسه، فاحترس من الدنيا بالزهد فيها، ومن الشيطان بمخالفته، ومن النفس بترك الشهوات.

قال بعض الحكماء: من استولت عليه النفس صار أسيرًا في حب شهواتها؛ محصورًا في سجن هواها، مقهورًا مغلولًا زمامه في يدها تجره حيث شاءت فتمنعّ قلبه من الفوائد. وقال

---

(١) حديث «المؤمن بين خمسة شدائد: مؤمن يحسده ومنافق يبغضه ... الحديث». أخرجه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف.

(٢) حديث «مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر». أخرجه البيهقي في الزهد وقد تقدم في شرح عجائب القلب.

(٣) صحيح: حديث: المجاهد من جاهد نفسه». أخرجه الترمذي في أثناء حديث وصححه وابن ماجه من حديث فضالة بن عبيد [الترمذي: ١٦٢١، صحيح الترغيب: ١٢١٨].

(٤) حديث «كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله ... الحديث». لم أجده بهذا السياق.

جعفر بن حميد: أجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم لا يدرك إلا بترك النعيم. وقال أبو يحيى الوراق: من أرضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات. وقال وهيب بن الورد: ما زاد على الخبز فهو شهوة. وقال أيضًا: من أحب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل.

ويروى أن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام ، بعد أن ملك خزائن الأرض وقعدت له على رابية الطريق في يوم موكبه وكان يركب في زهاء اثني عشر ألفًا من عظماء مملكته ، سبحان من جعل الملوك عبيدًا بالمعصية وجعل العبيد ملوكًا بطاعتهم له. إن الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدًا وذلك جزاء المفسدين، وإن الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكًا... فقال يوسف: كما أخبر الله تعالى عنه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٩٠] .

وقال الجنيد: أرقت ليلة فقمت إلى وردي فلم أجد الحلاوة التي كنت أجدها، فأردت أن أنام فلم أقدر، فجلست فلم أطق الجلوس، فخرجت فإذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق، فلما أحس بي قال: يا أبا القاسم إلى الساعة، فقلت: يا سيدي من غير موعد؟ فقال: بلى سألت الله عز وجل أن يحرك لي قلبك، فقلت: قد فعل فما حاجتك؟ قال: فمتى يصير داء النفس دواءها؟ فقلت: إذا خالفت النفس هواها؛ فأقبل على نفسه فقال: اسمعي فقد أجبتك بهذا سبع مرات فأبيت أن تسمعيه إلا من الجنيد ها قد سمعتيه، ثم انصرف وما عرفته.

وقال يزيد الرقاشي : إليكم عني الماء البارد في الدنيا لعلي لا أحرمه في الآخرة. وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: متى أتكلم؟ قال: إذا اشتهيت الصمت، قال: متى أصمت؟ قال: إذا اشتهيت الكلام. وقال علي رضي الله عنه: من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا. وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فإذا رأى الشيء يشتهيه قال لنفسه: اصبري فوالله ما أمنعك إلا من كرامتك عليّ.

فإذًا قد اتفق العلماء والحكماء على أن لا طريق إلى سعادة الآخرة إلا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات، فالإيمان بهذا واجب. وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فلا يدرك إلا بما قدمناه.

وحاصل الرياضة وسرها أن لا تتمتع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر إلا بقدر الضرورة، فيكون مقتصرًا من الأكل والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر إليه على قدر الحاجة والضرورة، فإنه لو تمتع بشيء منه أنس به وألفه، فإذا مات تمنى الرجوع إلى الدنيا بسببه ولا يتمنى الرجوع إلى الدنيا إلا من لا حظ له في الآخرة بحال، ولا خلاص منه إلا بأن يكون القلب مشغولًا بمعرفة الله وحبه والتفكر فيه والانقطاع إليه، ولا قوّة على ذلك إلا بالله، ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الذكر والفكر فقط. فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه والناس فيه أربعة:

الأول: رجل مستغرق قلبه بذكر الله فلا يلتفت إلى الدنيا إلا في ضرورات المعيشة فهو من

الصديقين. ولا ينتهي إلى هذه الرتبة إلا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة.

الثاني: رجل استغرقت الدنيا قلبه ولم يبق لله تعالى ذكر في قلبه إلا من حيث حديث النفس، حيث يذكره باللسان لا بالقلب فهذا من الهالكين.

والثالث: رجل اشتغل بالدنيا والدين، ولكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار إلا أنه ينجو منها سريعًا بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه.

والرابع: رجل اشتغل بهما جميعًا، ولكن الدنيا أغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله تعالى في قلبه وتمكنه من صميم فؤاده، وإن كان ذكر الدنيا أغلب على قلبه. اللهم إنا نعوذ بك من خزيك فإنك أنت المعاذ.

وربما يقول القائل إن التنعم بالمباح مباح، فكيف يكون التنعم سبب البعد من الله عز وجل؟ وهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة وسبب إحباط كل حسنة.

والمباح الخارج عن قدر الحاجة أيضًا من الدنيا وهو سبب البعد، وسيأتي ذلك في كتاب ذم الدنيا، وقد قال إبراهيم الخواص: كنت مرة في جبل اللكام فرأيت رمانًا فاشتهيته فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركتها، فرأيت رجلًا مطروحًا وقد اجتمعت عليه الزنابير فقلت: السلام عليك، فقال: وعليك السلام يا إبراهيم، فقلت: كيف عرفتني؟ فقال: من عرف الله عز وجل لم يخف عليه شيء، فقلت: أرى لك حالًا مع الله عز وجل فلو سألته أن يحميك من هذه الزنابير؟ فقال: وأرى لك حالًا مع الله تعالى فلو سألته أن يحميك من شهوة الرمان فإن لدغ الرمان يجد الإنسان ألمه في الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه في الدنيا، فتركته ومضيت.

وقال السري: أنا منذ أربعين سنة تطالبني نفسي أن أغمس خبزة في دبس فما أطعتها.

فإذًا لا يمكن إصلاح القلب لسلوك طريق الآخرة ما لم يمنع نفسه عن التنعم بالمباح، فإن النفس إذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات، فمن أراد حفظ لسانه من الغيبة والفضول فحقه أن يلزمه السكوت؛ إلا عن ذكر الله وإلا عن المهمات في الدين، حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم إلا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة. ومهما اعتادت العين رمي البصر إلى كل شيء جميل لم تتحفظ عن النظر إلا ما لا يحل، وكذلك سائر الشهوات، لأن الذي يشتهي به الحلال هو بعينه الذي يشتهي الحرام، فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها من الحرام فإن لم يعوّدها الاقتصار على قدر الضرورة من الشهوات غلبته. فهذه إحدى آفات المباحات ووراءها آفات عظيمة أعظم من هذه، وهو أن النفس تفرح بالتنعم في الدنيا وتركن إليها وتطمئن إليها أشرًا وبطرًا حتى تصير ثملة كالسكران الذي لا يفيق من سكره. وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسري في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت وأهوال يوم القيامة، وهذا هو موت القلب. قال الله تعالى: ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ [يونس: ٧] وقال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦] وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا

﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد: ٢٠] الآية. وكل ذلك ذم لها فنسأل الله السلامة.

فأولو الحزم من أرباب القلوب جربوا قلوبهم في حال الفرح بمؤاتاة الدنيا فوجدوها قاسية نفرة بعيدة التأثر عن ذكر الله واليوم الآخر، وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لأثر الذكر.

فعلموا أن النجاة في الحزن الدائم والتباعد من أسباب الفرح والبطر، ففطموها عن ملاذها وعوّدوها الصبر عن شهواتها ، حلالها وحرامها ، وعلموا أن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب وهو نوع عذاب، فمن نوقش الحساب في عرصات القيامة فقد عذب. فخلصوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا إلى الحرية والملك الدائم في الدنيا والآخرة بالخلاص من أسر الشهوات ورقها والأنس بذكر الله عز وجل والاشتغال بطاعته. وفعلوا بها ما يفعل بالبازي إذا قصد تأديبه ونقله من التوثب والاستيحاش إلى الانقياد والتأديب؛ فإنه يحبس أولًا في بيت مظلم وتخاط عيناه حتى يحصل به الفطام عن الطيران في جوّ الهواء، وينسى ما قد كان ألفه من طبع الاسترسال، ثم يرفق به باللحم حتى يأنس بصاحبه ويألفه إلفًا إذا دعاه أجابه، ومهما سمع صوته رجع إليه. فكذلك النفس لا تألف ربها ولا تأنس بذكره إلا إذا فطمت عن عادتها بالخلوة والعزلة أوّلًا ليحفظ السمع والبصر عن المألوفات، ثم عودت الثناء والذكر والدعاء ثانيًا في الخلوة حتى يغلب عليها الأنس بذكر الله عز وجل عوضًا عن الأنس بالدنيا وسائر الشهوات، وذلك يثقل على المريد في البداية ثم يتنعم به في النهاية، كالصبي يفطم عن الثدي وهو شديد عليه إذ كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه عند الفطام، ويشتد نفوره عن الطعام الذي يقدم إليه بدلًا عن اللبن، ولكنه إذا منع اللبن رأسًا يومًا فيومًا وعظم تعبه في الصبر عليه وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفًا، ثم يصير له طبعًا. فلو ردَّ بعد ذلك إلى الثدي لم يرجع إليه، فيهجر الثدي ويعاف اللبن ويألف الطعام.

وكذلك الدابة في الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك قهرًا، وتمنع عن السرج الذي ألفته بالسلاسل والقيود أوّلًا، ثم تأنس به بحيث تترك في موضعها فتقف فيه من غير قيد. فكذلك تؤدب النفس كما تؤدب الطير والدواب، وتأديبها بأن تمنع من النظر والأنس والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزايلها بالموت، إذ قيل له أحبب ما أحببت فإنك مفارقه. فإذا علم أنه من أحب شيئًا يلزمه فراقه ويشقى لا محالة لفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى، فإن ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه. وكل ذلك يتم بالصبر أولًا أيامًا قلائل فإن العمر قليل بالإضافة إلى مدة حياة الآخرة وما من عاقل إلا وهو راض باحتمال المشقة في سفر وتعلم صناعة وغيرها شهرًا ليتنعم به سنة أو دهرًا.

وكل العمر بالإضافة إلى الأبد أقل من الشهر بالإضافة إلى عمر الدنيا. فلا بد من الصبر والمجاهدة.

فعند الصباح يحمد القوم السرى وتذهب عنهم عمايات الكرى، كما قاله علي رضي الله عنه.

وطريق المجاهدة والرياضة لكل إنسان تختلف بحسب اختلاف أحواله. والأصل فيه أن يترك كل واحد ما به فرحه من أسباب الدنيا، فالذي يفرح بالمال أو بالجاه أو بالقبول في الوعظ أو بالعز في القضاء والولاية أو بكثرة الأتباع في التدريس والإفادة، فينبغي أن يترك أوّلًا ما به فرحه، فإنه إن منع عن شيء من ذلك وقيل له ثوابك في الآخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتألم به فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها، وذلك مهلك في حقه.

ثم إذا ترك أسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل إلا بذكر الله تعالى والفكر فيه. وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى يقمع مادته مهما ظهر، فإن لكل وسوسة سببًا ولا تزول إلا بقطع ذلك السبب والعلاقة. وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر إلا بالموت.

بيان علامات حسن الخلق

اعلم أن كل إنسان جاهل بعيوب نفسه، فإذا جاهد نفسه أدنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما يظن بنفسه أنه هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة، فلا بد من إيضاح علامة حسن الخلق. فإن حسن الخلق هو الإيمان، وسوء الخلق هو النفاق. وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين في كتابه وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق. فلنورد جملة من ذلك لتعلم آية حسن الخلق. قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝﴾ إلى قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١٠] وقال عز وجل: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢] إلى قوله ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢] إلى قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣] إلى آخر السورة.

ومن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق، وفقد جميعها علامة سوء الخلق، ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده. وقد وصف رسول الله ﷺ المؤمن بصفات كثيرة وأشار بجميعها إلى محاسن الأخلاق فقال: «المُؤْمِنُ يُحِبُّ لأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (١)، وقال عليه السلام: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» (٢)، وقال ﷺ: «مَنْ كَانَ

(١) صحيح: حديث «المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه». أخرجه الشيخان من حديث أنس «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» [البخاري: ١٣، مسلم: ٤٥].

(٢) صحيح: حديث «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه». متفق عليه من حديث أبي شريح الخزاعي ومن حديث أبي هريرة [البخاري: ٦٠١٨، مسلم: ٤٧].

يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ» (١)، وقال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» (٢)، وذكر أن صفات المؤمنين هي حسن الخلق، فقال ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمانًا أَحْسَنُهُمْ أَخْلاقًا» (٣)، وقال ﷺ: «إذا رَأَيْتُمُ الْمُؤْمِنَ صَمُوتًا وَقُورًا فَادْنُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلَقَّنُ الْحِكْمَةَ» (٤)، وقال ﷺ: «مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ» (٥)، وقال: «لا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يُشِيرَ إِلَى أَخِيهِ بِنَظْرَةٍ تُؤْذِيهِ» (٦)، وقال عليه السلام: «لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَرُوعَ مُسْلِمًا» (٧)، وقال ﷺ: «إِنَّما يَتَجَالَسُ الْمُتَجَالِسَانِ بِأَمَانَةِ الله عَزَّ وَجَلَّ فَلا يَحِلُّ لأَحَدِهِمَا أَنْ يُفْشِيَ عَلَى أَخِيهِ ما يَكْرَهُهُ» (٨).

وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال: هو أن يكون كثير الحياء قليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان، قليل الكلام كثير العمل، قليل الزلل قليل الفضول، برًا وصولاً وقورًا صبورًا شكورًا، رضيًا حليمًا رفيقًا عفيفًا شفيقًا، لا لعانًا ولا سبابًا ولا نمامًا ولا مغتابًا ولا عجولاً ولا حقودًا ولا بخيلاً ولا حسودًا، بشاشًا هشاشًا يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق.

وسئل رسول الله ﷺ عن علامة المؤمن والمنافق فقال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ هِمَّتُهُ فِي الصَّلاةِ وَالصِّيامِ وَالعِبَادَةِ، وَالْمُنَافِقُ هِمَّتُهُ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ كَالبَهِيمَةِ» (٩)، وقال حاتم الأصم: المؤمن مشغول بالفكر والعبر، والمنافق مشغول بالحرص والأمل، والمؤمن آيس من كل أحد إلا من الله، والمنافق راج كل أحد إلا الله، والمؤمن آمن من كل أحد إلا من الله، والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله، والمؤمن يقدم ماله دون دينه، والمنافق يقدم دينه دون ماله، والمؤمن

(١) حديث «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره». متفق عليه من حديثهما وهو بعض الحديث الذي قبله.

(٢) حديث «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت». متفق عليه أيضا من حديثهما وهو بعض الذي قبله.

(٣) حديث «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا». تقدم غير مرة.

(٤) ضعيف: حديث «إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة». أخرجه ابن ماجه من حديث أبي خلاد بلفظ «إذا رأيتم الرجل قد أعطي زهدا في الدنيا وقلة منطق... الحديث» [ابن ماجه: ٤١٠١، مشكاة المصابيح: ٥٢٢٩].

(٥) صحيح: حديث «من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن». أخرجه أحمد والطبراني والحاكم وصححه على شرطهما من حديث أبي موسى ورواه الطبراني والحاكم وصححه على شرط الشيخين من حديث أبي أمامة [أحمد: ١١٥، مشكاة المصابيح: ٦٠٠٣].

(٦) حديث «لا يحل لمسلم أن يشير إلى أخيه بنظر يؤذيه». أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق وفي البر والصلة مرسلا وقد تقدم.

(٧) صحيح: حديث «لا يحل لمسلم أن يروع مسلما». أخرجه الطبراني والطيالسي من حديث النعمان بن بشير والبزار من حديث عمر وإسناده ضعيف [أبي داود: ٥٠٠٤، صحيح الترغيب: ٢٨٠٥].

(٨) حديث «إنما يتجالس المتجالسان بأمانة .... الحديث». تقدم في آداب الصحبة.

(٩) حديث: سئل رسول الله ﷺ عن علامة المؤمن والمنافق فقال «إن المؤمن همته في الصلاة والصيام ... الحديث». لم أجد له أصلا.

يحسن ويبكي، والمنافق يسيء ويضحك، والمؤمن يحب الخلوة والوحدة، والمنافق يحب الخلطة والملأ، والمؤمن يزرع ويخشى الفساد، والمنافق يقلع ويرجو الحصاد، والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح، والمنافق يأمر وينهى للرئاسة فيفسد.

وأولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الأذى واحتمال الجفاء، ومن شكا من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه، فإن حسن الخلق احتمال الأذى، فقد روي أن رسول الله ﷺ كان يومًا يمشي ومعه أنس فأدركه أعرابي فجذبه جذبًا شديدًا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية، قال أنس رضي الله عنه: حتى نظرت إلى عنق رسول الله ﷺ قد أثرت فيه حاشية البرد من شدّة جذبه، فقال: يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ وضحك، ثم أمر بإعطائه [(١)] ولما أكثرت قريش إيذاءه وضربه قال: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» [(٢)]، قيل إنّ هذا يوم أُحُد فلذلك أنزل الله تعالى فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] .

ويحكى أن إبراهيم بن أدهم خرج يومًا إلى بعض البراري فاستقبله رجل جندي فقال: أنت عبد؟ قال: نعم، فقال له: أين العمران؟ فأشار إلى المقبرة، فقال الجندي: إنما أردت العمران؟ فقال: هو المقبرة، فغاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجه ورده إلى البلد فاستقبله أصحابه فقالوا ما الخبر؟ فأخبرهم الجندي ما قال له، فقالوا: هذا إبراهيم بن أدهم فنزل الجندي عن فرسه وقبّل يديه ورجليه وجعل يعتذر إليه، فقيل بعد ذلك له: لم قلت له أنا عبد؟ فقال: إنه لم يسألني: عبد من أنت بل قال: أنت عبد؟ فقلت: نعم، لأني عبد الله، فلما ضرب رأسي سألت الله له الجنة قيل كيف وقد ظلمك؟ فقال: علمت أنني أؤجر على ما نالني منه فلم أرد أن يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر.

ودعي أبو عثمان الحيري إلى دعوة ، وكان الداعي قد أراد تجربته ، فلما بلغ منزله قال له: ليس له وجه، فرجع أبو عثمان فلما ذهب غير بعيد دعاه ثانيًا فقال له: يا أستاذ ارجع فرجع أبو عثمان فقال له مثل مقالته الأولى فرجع، ثم دعاه الثالثة وقال: ارجع على ما يوجب الوقت فرجع، فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الأولى فرجع أبو عثمان، ثم جاءه الرابعة فرده حتى عامله بذلك مرات وأبو عثمان لا يتغير من ذلك، فأكب على رجليه وقال: يا أستاذ إنما أردت أن أختبرك فما أحسن خلقك فقال: إنّ الذي رأيت مني هو خلق الكلب، إن الكلب إذا دعي أجاب وإذا زجر انزجر.

---

(١) صحيح: حديث: كان ﷺ يمشي ومعه أنس فأدركه أعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية... الحديث. متفق عليه من حديث أنس [البخاري: ٥٨٠٩، مسلم: ١٠٥٧].

(٢) حديث «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». أخرجه ابن حبان والبيهقي في دلائل النبوة من حديث سهل ابن سعد وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود أنه حكاه ﷺ عن نبي من الأنبياء ضربه قومه [البخاري: ٣٤٧٧، مسلم: ١٧٩٢].

وروي عنه أيضًا اجتاز يومًا في سكة فطرحت عليه إجانة رماد فنزل عن دابته فسجد سجدة الشكر ثم جعل ينفض الرماد عن ثيابه ولم يقل شيئًا، فقيل: ألا زبرتهم؟ فقال: إن من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز له أن يغضب.

وروي أنّ علي بن موسى الرضا رحمة الله عليه كان لونه يميل إلى السواد ، إذ كانت أمه سوداء ، وكان بنيسابور حمام على باب داره، وكان إذا أراد دخول الحمام فرغه له الحمامي، فدخل ذات يوم فأغلق الحمامي الباب ومضى في بعض حوائجه، فتقدّم رجل رستاقي إلى باب الحمام ففتحه ودخل فنزع ثيابه ودخل فرأى علي بن موسى الرضا فظن أنه بعض خدام الحمام، فقال له: قم واحمل إليّ الماء فقام علي بن موسى وامتثل جميع ما كان يأمره به، فرجع الحمامي فرأى ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي بن موسى الرضا فخاف وهرب وخلاهما، فلما خرج علي بن موسى سأل عن الحمامي فقيل له: إنه خاف مما جرى فهرب. قال: لا ينبغي له أن يهرب إنما الذنب لمن وضع ماءه عند أمة سوداء.

وروي أن أبا عبد الله الخياط كان يجلس على دكانه، وكان له حريف مجوسي يستعمله في الخياطة فكان إذا خاط له شيئًا حمل إليه دراهم زائفة، فكان أبو عبد الله يأخذ منه ولا يخبره بذلك ولا يردّها عليه، فاتفق يومًا أن أبا عبد الله قام لبعض حاجته، فأتى المجوسي فلم يجده فدفع إلى تلميذه الأجرة واسترجع ما قد خاطه فكان درهمًا زائفًا، فلما نظر إليه التلميذ عرف أنه زائف فرده عليه، فلما عاد أبو عبد الله أخبره بذلك فقال: بئس ما عملت. هذا المجوسي يعاملني بهذه المعاملة منذ سنة وأنا أصبر عليه وآخذ الدراهم منه وألقيها في البئر لئلا يغرّ بها مسلمًا.

وقال يوسف بن أسباط: علامة حسن الخلق عشر خصال؛ قلة الخلاف، وحسن الإنصاف، وترك طلب العثرات، وتحسين ما يبدو من السيئات، والتماس المعذرة، واحتمال الأذى، والرجوع بالملامة على النفس، والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره، وطلاقة الوجه للصغير والكبير، ولطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه.

وسئل سهل عن حسن الخلق فقال: أدناه احتمال الأذى، وترك المكافأة، والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه. وقيل للأحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم فقال: من قيس بن عاصم، قيل وما بلغ من حلمه؟ قال: بينما هو جالس في داره إذ أتته جارية له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له صغير فمات، فدهشت الجارية فقال لها: لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى.

وقيل :إن أويسًا القرني كان إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة فكان يقول لهم: يا إخوتاه إن كان ولا بد فارموني بالصغار حتى لا تدموا ساقي فتمنعوني عن الصلاة. وشتم رجل الأحنف بن قيس وهو لا يجيبه وكان يتبعه فلما قرب من الحي وقف وقال: إن كان قد بقي في نفسك شيء فقله كي لا يسمعك بعض سفهاء الحي فيؤذوك.

وروي أن عليًا كرم الله وجهه دعا غلامًا فلم يجبه فدعاه ثانيًا وثالثًا فلم يجبه، فقام إليه فرآه مضطجعًا فقال: أما تسمع يا غلام؟ قال: بلى، قال: فما حملك على ترك إجابتي؟ قال: أمنت عقوبتك فتكاسلت، فقال: امض فأنت حر لوجه الله تعالى.

وقالت امرأة لمالك بن دينار رحمه الله: يا مرائي، فقال: يا هذه وجدت اسمي الذي أضله أهل البصرة. وكان ليحيى بن زياد الحارثي غلام سوء فقيل له: لم تمسكه؟ فقال: لأتعلم الحلم عليه.

فهذه نفوس قد ذللت بالرياضة فاعتدلت أخلاقها، ونقيت من الغش والغل والحقد بواطنها فأثمرت الرضا بكل ما قدره الله تعالى وهو منتهى حسن الخلق. فإن من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه، فهؤلاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرنا. فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي أن يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق، بل ينبغي أن يشتغل بالرياضة والمجاهدة إلى أن يبلغ درجة حسن الخلق فإنها درجة رفيعة لا ينالها إلا المقربون والصديقون.

بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوئهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم

اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب؛ وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له.

وقد قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم:٦] ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى؛ وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوده التنعم، ولا يحبب إليه الزينة والرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر فيهلك هلاك الأبد، بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال، فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا وقع عليه نشوء الصبي انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث.

ومهما رأى فيه مخايل التمييز فينبغي أن يحسن مراقبته، وأول ذلك ظهور أوائل الحياء، فإنه إذا كان يحتشم ويستحيي ويترك بعض الأفعال فليس ذلك إلا لإشراق نور العقل عليه، حتى يرى بعض الأشياء قبيحًا ومخالفًا للبعض فصار يستحيي من شيء دون شيء، وهذه هدية من الله تعالى إليه وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ، فالصبي المستحيي لا ينبغي أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه أو تمييزه، وأول ما يغلب

عليه من الصفات شره الطعام فينبغي أن يؤدب فيه، مثل أن لا يأخذ الطعام إلا بيمينه، وأن يقول عليه بسم الله عند أخذه، وأن يأكل مما يليه وأن لا يبادر إلى الطعام قبل غيره، وأن لا يحدق النظر إليه ولا إلى من يأكل، وأن لا يسرع في الأكل، وأن يجيد المضغ، وأن لا يوالي بين اللقم؛ ولا يلطخ يده ولا ثوبه، وأن يعوّد الخبز القفار في بعض الأوقات حتى لا يصير بحيث يرى الأدم حتمًا، ويقبح عنده كثرة الأكل بأن يشبه كل من يكثر الأكل بالبهائم، وبأن يلم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل الأكل، وأن يحبب إليه الإيثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن أي طعام كان، وأن يحبب إليه من الثياب البيض دون الملون والإبريسم ويقرّر عنده أن ذلك شأن النساء والمخنثين وأن الرجال يستنكفون منه ويكرّر ذلك عليه، ومهما رأى على صبي ثوبًا من إبريسم أو ملون فينبغي أن يستنكره ويذمه، ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة، وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه، فإن الصبي مهما أهمل في ابتداء نشوئه خرج في الأغلب رديء الأخلاق كذابًا حسودًا سروقًا نمامًا لحوحًا ذا فضول وضحك وكياد ومجانة، وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب، ثم يشغل في المكتب، فيتعلم القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ من الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله، ويحفظ من مخالطة الأدباء الذين يزعمون أن ذلك من الظرف ورقة الطبع، فإن ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد.

ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود، فينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله، ولا سيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه؛ فإن إظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة، فعند ذلك إن عاد ثانيًا فينبغي أن يعاتب سرًا ويعظم الأمر فيه ويقال له: إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا وأن يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس، ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه، وليكن الأب حافظًا هيبة الكلام معه فلا يوبخه إلا أحيانًا، والأم تخوفه بالأب وتزجره عن القبائح، وينبغي أن يمنع عن النوم نهارًا فإنه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلًا ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب أعضاؤه ولا يسمن بدنه فلا يصبر عن التنعم؛ بل يعوّد الخشونة في المفرش والملبس والمطعم، وينبغي أن يمنع من كل ما يفعله في خفية فإنه لا يخفيه إلا وهو يعتقد أنه قبيح، فإذا ترك تعود فعل القبيح.

ويعوّد في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل، ويعوّد أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع المشي، ولا يرخي يديه بل يضمها إلى صدره، ويمنع من أن يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه والداه أو بشيء من مطاعمه وملابسه أو لوحه ودواته، بل يعوّد

التواضع والإكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم، ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيئًا بدا له حشمة إن كان من أولاد المحتشمين، بل يعلم أن الرفعة في الإعطاء لا في الأخذ وأن الأخذ لؤم وخسة ودناءة، وإن كان من أولاد الفقراء فليعلم أن الطمع والأخذ مهانة وذلة وأن ذلك من دأب الكلب فإنه يصبص في انتظار لقمة والطمع فيها.

وبالجملة؛ يقبح إلى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما أكثر مما يحذر من الحيات والعقارب، فإن آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما أضر من آفة السموم على الصبيان بل على الأكابر أيضًا، وينبغي أن يعوّد أن لا يبصق في مجلسه ولا يمتخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلًا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه، ولا يعمد رأسه بساعده فإن ذلك دليل الكسل.

ويعلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة وأنه فعل أبناء اللئام، ويمنع اليمين رأسًا ، صادقًا كان أو كاذبًا ، حتى لا يعتاد ذلك في الصغر، ويمنع أن يبتدئ بالكلام، ويعوّد أن لا يتكلم إلا جوابًا وبقدر السؤال، وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سنًّا، وأن يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه، ويمنع من لغو الكلام وفحشه، ومن اللعن والسب، ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فإن ذلك يسري لا محالة من القرناء السوء، وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء. وينبغي إذا ضربه المعلم أن لا يكثر الصراخ والشغب، ولا يستشفع بأحد بل يصبر ويذكر له أن ذلك دأب الشجعان والرجال، وأن كثرة الصراخ دأب المماليك والنسوان. وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتّاب أن يلعب لعبًا جميلًا يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب، فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعلم دائمًا يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسًا. وينبغي أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سنًّا من قريب وأجنبي، وأن ينظر إليهم بعين الجلالة والتعظيم، وأن يترك اللعب بين أيديهم. ومهما بلغ سن التمييز، فينبغي أن لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان، ويجنب لبس الديباج والحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع.

ويخوّف من السرقة وأكل الحرام ومن الخيانة والكذب والفحش، وكل ما يغلب على الصبيان، فإذا وقع نشوءه كذلك في الصبا فمهما قارب البلوغ أمكن أن يعرف أسرار هذه الأمور، فيذكر له أن الأطعمة أدوية وإنما المقصود منها أن يقوى الإنسان بها على طاعة الله عز وجل، وأن الدنيا كلها لا أصل لها إذ لا بقاء لها، وأن الموت يقطع نعيمها، وأنها دار ممرّ لا دار مقرّ، وأن الآخرة دار مقرّ لا دار ممرّ، وأن الموت منتظر في كل ساعة، وأن الكيّس العاقل من تزوّد من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى ويتسع نعيمه في الجنان، فإذا كان النشوء صالحًا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعًا مؤثرًا ناجعًا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في

الحجر. وإن وقع النشؤ بخلاف ذلك حتى ألف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس.

فأوائل الأمور هي التي ينبغي أن تراعى، فإن الصبي بجوهره خلق قابلًا للخير والشر جميعًا وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين.

قال ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ وَإِنَّما أَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»[1].

قال سهل بن عبد الله التستري: كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يومًا: ألا تذكر الله الذي خلقك فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك، الله معي الله ناظر إليَّ الله شاهدي، فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلته فوقع في قلبي حلاوته، فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري، ثم قال لي خالي يومًا: يا سهل من كان الله معه وناظرًا إليه وشاهده أيعصيه؟ إياك والمعصية، فكنت أخلو بنفسي فبعثوا بي إلى المكتب فقلت: إني لأخشى أن يتفرق عليَّ همي ولكن شارطوا المعلم أني أذهب إليه ساعة فأتعلم ثم أرجع، فمضيت إلى الكتَّاب فتعلمت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين، وكنت أصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة، فوقعت لي مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلي أن يبعثوني إلى أهل البصرة لأسأل عنها، فأتيت البصرة فسألت علماءها فلم يشفِ أحد عني شيئًا. فخرجت إلى عبادان إلى رجل يعرف بأبي حبيب حمزة بن أبي عبد الله العباداني فسألته عنها فأجابني، فأقمت عنده مدّة أنتفع بكلامه وأتأدب بآدابه، ثم رجعت إلى تستر فجعلت قوتي اقتصادًا على أن يشتري لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي، فأفطر عند السحر على أوقية كل ليلة بحتًا من غير ملح ولا أدم، فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة. ثم عزمت على أن أطوي ثلاث ليال ثم أفطر ليلة.

ثم خمسًا، ثم سبعًا، ثم خمسًا وعشرين ليلة، فكنت على ذلك عشرين سنة، ثم خرجت أسيح في الأرض سنين، ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله ما شاء الله تعالى.

قال أحمد: ما رأيته أكل الملح حتى لقي الله تعالى.

بيان شروط الإرادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة:

واعلم أن من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مريدًا حرث الآخرة مشتاقًا إليها سالكًا سبلها مستهينًا بنعيم الدنيا ولذاتها، فإن من كانت عنده خرزة فرأى جوهرة نفيسة لم

(١) صحيح: حديث «كل مولود يولد على الفطرة ... الحديث». متفق عليه من حديث أبي هريرة [البخاري: ١٣٥٨، مسلم: ٢٦٥٨].

يبق له رغبة في الخرزة وقويت إرادته في بيعها بالجوهرة، ومن ليس مريدًا حرث الآخرة ولا طالبًا للقاء الله تعالى فهو لعدم إيمانه بالله واليوم الآخر.

ولست أعني بالإيمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق وإخلاص، فإن ذلك يضاهي قول من صدق بأن الجوهرة خير من الخرزة إلا أنه لا يدري من الجوهرة إلا لفظها وأما حقيقتها فلا.

ومثل هذا المصدّق إذا ألف الخرزة قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه إلى الجوهرة، فإذًا المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الإرادة والمانع من الإرادة عدم الإيمان، وسبب عدم الإيمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله تعالى الهادين إلى طريقه والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم أمر الآخرة ودوامها ، فالخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم وغاصوا في رقدتهم وليس في علماء الدين من ينبههم، فإن تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله، فإن طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين إلى الهوى عادلين عن نهج الطريق، فصار ضعف الإرادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببًا لخلو طريق الله تعالى عن السالكين فيه.

ومهما كان المطلوب محجوبًا والدليل مفقودًا والهوى غالبًا والطالب غافلًا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة، فإن تنبه متنبه من نفسه أو من تنبيه غيره وانبعث له إرادة في حرث الآخرة وتجارتها، فينبغي أن يعلم أنّ له شروطًا لا بدّ من تقديمها في بداية الإرادة وله معتصم لا بدّ من التمسك به، وله حصن لا بدّ من التحصن به ليأمن من الأعداء القطاع لطريقه، وعليه وظائف لا بد من ملازمتها في وقت سلوك الطريق.

أما الشروط التي لا بدّ من تقديمها في الإرادة، فهي رفع السدّ والحجاب الذي بينه وبين الحق، فإن حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السدّ على الطريق. قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس:٩] .

والسد بين المريد وبين الحق أربعة: المال، والجاه، والتقليد، والمعصية.

وإنما يرفع حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لا يبقى له إلا قدر الضرورة، فما دام يبقى له درهم يلتفت إليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله عز وجل.

وإنما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه بالتواضع وإيثار الخمول والهرب من أسباب الذكر وتعاطي أعمال تنفر قلوب الخلق عنه.

وإنما يرتفع حجاب التقليد بأن يترك التعصب للمذاهب وأن يصدق بمعنى قوله: «لا إلهَ إلاّ الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله» تصديق إيمان ويحرص في تحقيق صدقه بأن يرفع كل معبود له سوى الله تعالى ، وأعظم معبود له الهوى ، حتى إذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الأمر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليدًا، فينبغي أن يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة، فإن غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق في نفسه متسع لغيره صار ذلك قيدًا له وحجابًا إذ ليس من

شرط المريد الانتماء إلى مذهب معين أصلًا. وأما المعصية فهي حجاب ولا يرفعها إلا التوبة والخروج من المظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وإرضاء الخصوم، فإنّ من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصي الظاهرة، وأراد أن يقف على أسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد أن يقف على أسرار القرآن وتفسيره وهو بعد لم يتعلم لغة العرب، فإنّ ترجمة عربية القرآن لا بد من تقديمها أوّلًا ثم الترقي منها إلى أسرار معانيه، فكذلك لا بد من تصحيح الشريعة أوّلًا وآخرًا ثم الترقي إلى أغوارها وأسرارها.

فإذا قدم هذه الشروط الأربعة وتجرّد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحًا للصلاة فيحتاج إلى إمام يقتدي به، فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل، فإن سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة، فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة، فمن سلك سبل البوادي المهلكة بغير خفير فقد خاطر بنفسه وأهلكها، ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فإنها تجف على القرب، وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر. فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوّض أمره إليه بالكلية، ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا يبقي في متابعته شيئًا ولا يذر، وليعلم أنّ نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب، فإذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه أن يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهو أربعة أمور: الخلوة، والصمت، والجوع، والسهر.

وهذا تحصن من القواطع، فإن مقصود المريد إصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه.

أما الجوع؛ فإنه ينقص دم القلب ويبيضه وفي بياضه نوره، ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته، ورقته مفتاح المكاشفة كما أنّ قساوته سبب الحجاب.

ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدوّ فإنّ مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات. وقال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين جوّعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل بن عبد الله التستري: ما صار الأبدال أبدالًا إلا بأربع خصال، بإخماص البطون، والسهر، والصمت، والاعتزال عن الناس.

ففائدة الجوع في تنوير القلب أمر ظاهر يشهد له التجربة. وسيأتي بيان وجه التدريج فيه في كتاب كسر الشهوتين.

وأما السهر؛ فإنه يجلو القلب ويصفيه وينوّره، فيضاف ذلك إلى الصفاء الذي حصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدري والمرآة المجلوّة فيلوح فيه جمال الحق، ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتها، فتتمّ بذلك رغبته عن الدنيا وإقباله على الآخرة. والسهر أيضًا نتيجة الجوع فإن السهر مع الشبع غير ممكن، والنوم يقسي القلب ويميته إلا إذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة لأسرار الغيب. فقد قيل في صفة الأبدال: إنّ أكلهم

فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة. وقال إبراهيم الخوّاص رحمه الله: أجمع رأي سبعين صدّيقًا على أنّ كثرة النوم من كثرة شرب الماء.

وأما الصمت، فإنه تسهله العزلة، ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرابه وتدبير أمره، فينبغي أن لا يتكلم إلا بقدر الضرورة فإن الكلام يشغل القلب وشره القلوب إلى الكلام عظيم، فإنه يستروح إليه ويستثقل التجرّد للذكر والفكر فيستريح إليه. فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى.

وأما حياة الخلوة؛ ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فإنهما دهليز القلب. والقلب في حكم حوض تنصب إليه مياه كريهة كدرة قذرة من أنهار الحواس، ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها ليتفجر أصل الحوض فيخرج منه الماء النظيف الطاهر، وكيف يصح له أن ينزح الماء من الحوض والأنهار مفتوحة إليه فيتجدد في كل حال أكثر مما ينقص.

فلا بد من ضبط الحواس إلا عن قدر الضرورة، وليس يتم ذلك إلا بالخلوة في بيت مظلم، وإن لم يكن له مكان مظلم فليلف رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أو إزار، ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية.

أما ترى أن نداء رسول الله ﷺ بلغه وهو على مثل هذه الصفة فقيل له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدثر: ١][1].

فهذه الأربعة جنة وحصن بها تدفع عنه القواطع وتمنع العوارض القاطعة للطريق.

فإذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق. وإنما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله تعالى إلا صفات القلب التي سببها الالتفات إلى الدنيا وبعض تلك العقبات أعظم من بعض. والترتيب في قطعها أن يشتغل بالأسهل فالأسهل. وهي تلك الصفات؛ أعني أسرار العلائق التي قطعها في أول الإرادة، وآثارها؛ أعني المال والجاه وحب الدنيا والالتفات إلى الخلق والتشوّف إلى المعاصي، فلا بد أن يخلي الباطن عن آثارها كما أخلي الظاهر عن أسبابها الظاهرة، وفيه تطول المجاهدة، ويختلف ذلك باختلاف الأحوال؛ فرب شخص قد كفي أكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة، وقد ذكرنا أن طريق المجاهدة مضادة الشهوات ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد، كما سبق ذكره، فإذا كفى ذلك أو ضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة؛ شغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير الأوراد الظاهرة، بل

---

(١) صحيح: حديث: بدئ رسول الله ﷺ وهو مدثر فقيل له ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ متفق عليه من حديث جابر «جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني... الحديث» وفيه «فأتيت خديجة فقلت: دثروني وصبوا علي الماء باردا فدثروني وصبوا علي ماء باردا» قال فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ وفي رواية فقلت «زملوني زملوني» ومن حديث عائشة فقال «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع [البخاري: ٤٩٢٤، مسلم: ١٦١].

يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده وردًا واحدًا.

وهو لباب الأوراد وثمرتها؛ أعني ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلوّ من ذكر غيره، ولا يشغله به ما دام قلبه ملتفتًا إلى علائقه.

قال الشبلي للحصري: إن كان يخطر بقلبك من الجمعة التي تأتيني فيها إلى الجمعة الأخرى شيء غير الله تعالى فحرام عليك أن تأتيني. وهذا التجرد لا يحصل إلا مع صدق الإرادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون في صورة العاشق المستهتر الذي ليس له إلا همّ واحد. فإذا كان كذلك ألزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال، فإن أصل طريق الدين القوت الحلال، وعند ذلك يلقنه ذكرًا من الأذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلًا: الله الله.

أو: سبحان الله سبحان الله. أو ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة اللسان وتكون الكلمة كأنها جارية على اللسان من غير تحريك، ثم لا يزال يواظب عليه حتى يسقط الأثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب، ثم لا يزال كذلك حتى يمحي عن القلب حروف اللفظ وصورته، وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة معه غالبة عليه قد فرغ عن كل ما سواه، لأن القلب إذا شغل بشيء خلا عن غيره ، أي شيء كان ، فإذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو المقصود خلا لا محالة عن غيره، وعند ذلك يلزمه أن يراقب وساوس القلب والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما قد مضى من أحواله وأحوال غيره، فإنه مهما اشتغل بشيء منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان أيضًا نقصانًا، فليجتهد في دفع ذلك.

ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس إلى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة، وأنها: ما هي؟ وما معنى قولنا: الله؟ ولأي معنى كان إلهًا وكان معبودًا؟ ويعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر وبدعة. ومهما كان كارهًا لذلك ومتشمرًا لإماطته عن القلب لم يضره ذلك.

وهي منقسمة إلى ما يعلم قطعًا أن الله تعالى منزه عنه، ولكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه ويجريه على خاطره، فشرطه أن لا يبالي به ويفزع إلى ذكر الله تعالى ويبتهل إليه ليدفعه عنه كما قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝﴾[الأعراف: ٢٠٠-٢٠١] وإلى ما يشك فيه فينبغي أن يعرض ذلك على شيخه، بل كل ما يجد في قلبه من الأحوال من فترة أو نشاط أو التفات إلى عقله أو صدق في إرادة فينبغي أن يظهر ذلك لشيخه، وأن يستره عن غيره فلا يطلع عليه أحدًا، ثم إن شيخه ينظر في حاله ويتأمل في ذكائه وكياسته، فلو علم أنه لو تركه وأمره بالفكر تنبه من نفسه على حقيقة الحق فينبغي أن يحيله على الفكر ويأمره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما يكشف له حقيقته، وإن علم أن ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده

إلى الاعتقاد القاطع بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه، وينبغي أن يتأنق الشيخ ويتلطف به فإن هذه مهالك الطريق ومواضع أخطارها، فكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الإباحة؟ وذلك هو الهلاك العظيم.

ومن تجرد للذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن أمثال هذه الأفكار فإنه قد ركب سفينة الخطر، فإن سلم كان من ملوك الدين وإن أخطأ كان من الهالكين. ولذلك قال ﷺ: «عليكم بدين العجائز» (١) وهو تلقي أصل الإيمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال بأعمال الخير، فإن الخطر في العدول عن ذلك كثير.

ولذلك قيل يجب على الشيخ أن يتفرس في المريد فإن لم يكن ذكيًا فطنًا متمكنًا من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر، بل يرده إلى الأعمال الظاهرة والأوراد المتواترة، أو يشغله بخدمة المتجردين للفكر لتشمله بركتهم فإن العاجز عن الجهاد في صف القتال ينبغي أن يسقي القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيامة في زمرتهم وتعمه بركتهم، وإن كان لا يبلغ درجتهم، ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد يقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف له من الأحوال وما يبدو من أوائل الكرامات.

ومهما التفت إلى شيء من ذلك وشغلت به نفسه كان ذلك فتورًا في طريقه ووقوفًا، بل ينبغي أن يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا ترويه البحار ولو أفيضت عليه ويدوم على ذلك، ورأس ماله الانقطاع عن الخلق إلى الحق والخلوة.

قال بعض السياحين: قلت لبعض الأبدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق إلى التحقيق؟ فقال أن تكون في الدنيا كأنك عابر طريق. وقال مرة: قلت له دلني على عمل أجد قلبي فيه مع الله تعالى على الدوام فقال لي: لا تنظر إلى الخلق فإن النظر إليهم ظلمة، قلت: لا بد لي من ذلك، قال: فلا تسمع كلامهم فإن كلامهم قسوة، قلت: لا بد لي من ذلك، قال: فلا تعاملهم فإن معاملتهم وحشة، قلت: أنا بين أظهرهم لا بد لي من معاملتهم، قال فلا تسكن إليهم فإن السكون إليهم هلكة، قلت: هذا لعلة، قال: يا هذا أتنظر إلى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد أن تجد قلبك مع الله تعالى على الدوام؟ هذا ما لا يكون أبدًا.

فإذًا؛ منتهى الرياضة أن يجد قلبه مع الله تعالى على الدوام ولا يمكن ذلك إلا بأن يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره إلا بطول المجاهدة، فإذا حصل قلبه مع الله تعالى انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطائف الله تعالى ما لا يجوز أن يوصف بل لا

(١) لا أصل له: حديث «عليكم بدين العجائز». قال ابن طاهر في كتاب التذكرة هذا اللفظ تداوله العامة ولم أقف له على أصل يرجع إليه من رواية صحيحة ولا سقيمة حتى رأيت حديثا لمحمد بن عبد الرحمن بن السلماني عن ابن عمرو عن النبي ﷺ «إذا كان في آخر الزمان واختلف الأهواء فعليكم بدين أهل البادية» والنسائي وابن السلماني له عن أبيه عن ابن عمر نسخة كان يتهم بوضعها انتهى وهذا اللفظ من هذا الوجه رواه ابن حبان في الضعفاء في ترجمة ابن السلماني والله أعلم [السلسلة الضعيفة: ٥٣].

يحيط به الوصف أصلًا، وإذا انكشف للمريد شيء من ذلك فأعظم القواطع عليه أن يتكلم به وعظًا ونصحًا ويتصدى للتذكير فتجد النفس فيه لذة ليس وراءها لذة، فتدعوه تلك اللذة إلى أن يتفكر في كيفية إيراد تلك المعاني وتحسين الألفاظ المعبرة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والأخبار وتحسين صنعة الكلام لتميل إليه القلوب والأسماع، فربما يخيل إليه الشيطان أن هذا إحياء منك لقلوب الموتى الغافلين عن الله تعالى، وإنما أنت واسطة بين الله تعالى وبين الخلق تدعو عباده إليه وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة، ويتضح كيد الشيطان بأن يظهر في أقرانه من يكون أحسن كلامًا منه وأجزل لفظًا وأقدر على استجلاب قلوب العوام، فإنه يتحرك في باطنه عقرب الحسد لا محالة إن كان محركه كيد القبول، وإن كان محركه هو الحق حرصًا على دعوة عباد الله تعالى إلى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه ويقول: الحمد لله الذي عضدني وأيدني بمن وازرني على إصلاح عباده.

كالذي وجب عليه مثلًا أن يحمل ميتًا ليدفنه إذ وجده ضائعًا وتعين عليه ذلك شرعًا فجاء من أعانه عليه فإنه يفرح به ولا يحسد من يعينه، والغافلون موتى القلوب، والوعاظ هم المنبهون والمحيون لهم ففي كثرتهم استرواح وتناصر، فينبغي أن يعظم الفرح بذلك، وهذا عزيز الوجود جدًا فينبغي أن يكون المريد على حذر منه فإنه أعظم حبائل الشيطان في قطع الطريق على من انفتحت له أوائل الطريق فإن إيثار الحياة الدنيا طبع غالب على الإنسان، ولذلك قال الله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعلى:١٦] ثم بيّن أن الشر قديم في الطباع وأن ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى:١٨-١٩] فهذا منهاج رياضة المريد وتربيته في التدريج إلى لقاء الله تعالى.

فأما تفصيل الرياضة في كل صفة فسيأتي فإن أغلب الصفات على الإنسان بطنه وفرجه ولسانه ، أعني به الشهوات المتعلقة بها ، ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات، ثم مهما أحب الإنسان شهوة البطن والفرج وأنس بهما أحب الدنيا، ولم يتمكن منها إلا بالمال والجاه وإذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرئاسة، وإذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدنيا رأسًا وتمسك من الدين بما فيه الرئاسة وغلب عليه الغرور.

فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين أن نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب إن شاء الله تعالى: كتاب في كسر شهوة البطن والفرج، وكتاب في آفات اللسان، وكتاب في كسر الغضب والحقد والحسد، وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل خدعها، وكتاب في كسر حب المال وذم البخل، وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه، وكتاب في ذم الكبر والعجب، وكتاب في مواقع الغرور.

وبذكر هذه المهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربع المهلكات إن شاء الله تعالى فإن ما ذكرناه في الكتاب الأوّل هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات، وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو إشارة كلية إلى طريق تهذيب الأخلاق ومعالجة

أمراض القلوب.

أما تفصيلها فإنه يأتي في هذه الكتب إن شاء الله تعالى.

تم كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوتين والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

* * *

كتاب كسر الشهوتين

وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه، المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه، القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه، المتطوّل بالفضل فيما ينعم به ويسديه، المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه، المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما يفي بأمانيه، فهو الذي يرشده ويهديه، وهو الذي يميته ويحييه، وإذا مرض فهو يشفيه، وإذا ضعف فهو يقويه، وهو الذي يوفقه للطاعة ويرتضيه، وهو الذي يطعمه ويسقيه، ويحفظه من الهلاك ويحميه، ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه، ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقربه حتى تضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه، ويكسر به شهوة النفس التي تعاديه، فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه، هذا بعد أن يوسع عليه ما يلتذ به ويشتهيه، ويكثر عليه ما يهيج بواعثه ويؤكد دواعيه، كل ذلك يمتحنه به ويبتليه، فينظر كيف يؤثره على ما يهواه وينتحيه، وكيف يحفظ أوامره وينتهي عن نواهيه، ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه.

والصلاة على محمد عبده النبيه، ورسوله الوجيه، صلاة تزلفه وتحظيه، وترفع منزلته وتعليه، وعلى الأبرار من عترته وأقربيه، والأخيار من صحابته وتابعيه.

أما بعد: فأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن، فبها أخرج آدم عليه السلام وحوّاء من دار القرار إلى دار الذل والافتقار؛ إذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهواتهما حتى أكلا منها فبدت لهما سوآتهما.

والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الأدواء والآفات، إذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق إلى المنكوحات؛ ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة في الجاه والمال اللذين هما وسيلة إلى التوسع في المنكوحات والمطعومات؛ ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات؛ ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء، ثم يتداعى ذلك إلى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء، ثم يفضي ذلك بصاحبه إلى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء، وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء، ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لأذعنت لطاعة الله عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والطغيان، ولم ينجر به ذلك إلى الانهماك في الدنيا وإيثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا، وإذا عظمت آفة شهوة البطن إلى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها تحذيرًا منها، ووجب إيضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبًا فيها، وكذلك شرح شهوة الفرج فإنها تابعة لها.

ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى في فصول يجمعها بيان فضيلة الجوع ثم فوائده، ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتأخير، ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس، ثم بيان الرياضة في ترك الشهوة، ثم القول في شهوة الفرج، ثم بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله؛ ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة البطن والفرج والعين.

بيان فضيلة الجوع وذم الشبع

قال رسول الله ﷺ: «جَاهِدُوا أَنْفُسَكُمْ بِالجُوعِ وَالعَطَشِ فَإِنَّ الأَجْرَ في ذلِكَ كَأَجْرِ المُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَمَلٍ أَحَبَّ إِلَى الله مِنْ جُوعٍ وَعَطَشٍ» (١)، وقال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «لا يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاءِ مَنْ مَلأَ بَطْنَهُ» (٢)، وقيل يا رسول الله أي الناس أفضل؟ قال: «مَنْ قَلَّ مَطْعَمُهُ وَضَحِكُهُ وَرَضِيَ بِمَا يَسْتُرُ بِهِ عَوْرَتَهُ» (٣)، وقال النبي ﷺ: «سَيِّدُ الأَعْمَالِ الجُوعُ وَذُلُّ النَّفْسِ لِبَاسُ الصُّوفِ» (٤)، وقال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ: «البَسُوا وَكُلُوا وَاشْرَبُوا فِي أَنْصَافِ البُطُونِ فإِنَّهُ جُزْءٌ مِنَ النُّبُوَّةِ» (٥)، وقال الحسن: قال النبي ﷺ: «الفِكْرُ نِصْفُ العِبَادَةِ وَقِلَّةُ الطَّعَامِ هِيَ العِبَادَةُ» (٦)، وقال الحسن أيضًا: قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُكُمْ عِنْدَ الله مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ أَطْوَلُكُمْ جُوعًا وَتَفَكُّرًا فِي الله سُبْحَانَهُ، وَأَبْغَضُكُمْ عِنْدَ الله عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ كُلُّ نَؤُومٍ أَكُولٍ شَرُوبٍ» (٧)، وفي الخبر: «أن النبي ﷺ كان يجوع من غير عوز» (٨)، أي مختارًا لذلك، وقال ﷺ: «إِنَّ الله تَعَالَى يُبَاهِي المَلائِكَةَ بِمَنْ قَلَّ مَطْعَمُهُ وَمَشْرَبُهُ فِي الدُّنْيَا يَقُولُ الله تَعَالَى: «انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي ابْتَلَيْتُهُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فِي الدُّنْيَا فَصَبَرَ وَتَرَكَهُمَا اشْهَدُوا يا مَلائِكَتِي ما مِنْ أَكْلَةٍ يَدَعُها إِلاَّ أَبْدَلْتُهُ بِها دَرَجَاتٍ فِي الجَنَّةِ» (٩)، وقال ﷺ: «لا

---

(١) باطل: حديث «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش». لم أجد له أصلا [السلسلة الضعيفة: ٢٤٧].

(٢) لا أصل له: حديث ابن عباس «لا يدخل ملكوت السموات من ملأ بطنه». لم أجده أيضا [السلسلة الضعيفة: ٧٢٠].

(٣) حديث: أي الناس أفضل؟ قال «من قل مطعمه وضحكه ورضي بما يستر عورته» يأتي الكلام عليه وعلى ما بعده من الأحاديث.

(٤) لا أصل له: حديث «سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف» [السلسلة الضعيفة: ٤١٧].

(٥) لا أصله له: حديث أبي سعيد الخدري «البسوا وكلوا واشربوا في أنصاف البطون» [السلسلة الضعيفة: ٢٤٥].

(٦) حديث «الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة».

(٧) لا أصله له: حديث الحسن «أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعا وتفكرا.... الحديث». لم أجد لهذه الأحاديث المتقدمة أصلا [السلسلة الضعيفة: ٢٤٤].

(٨) حديث: كان يجوع من غير عوز - أي مختارا لذلك -. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من حديث عائشة: قالت لو شئنا أن نشبع لشبعنا ولكن محمدا ﷺ كان يؤثر على نفسه. وإسناده معضل.

(٩) حديث «إن الله تعالى يباهي الملائكة بمن قل مطعمه ومشربه في الدنيا .... الحديث». أخرجه ابن عدي في الكامل وقد تقدم في الصيام.

تُمِيتُوا القُلُوبَ بِكَثْرَةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَإِنَّ القَلْبَ كَالزَّرْعِ يَمُوتُ إذا كَثُرَ عَلَيْهِ المَاءُ»[1]، وقال ﷺ: «ما مَلأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَات يُقِمنَ صُلْبَهُ وَإِنْ كَانَ لا بُدَّ فَاعِلًا فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ»[2]، وفي حديث أسامة بن زيد وحديث أبي هريرة الطويل ذكر فضيلة الجوع إذ قال فيه: «إن أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا، الأخفياء الأتقياء الذين إن شهدوا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا، تعرفهم بقاع الأرض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله عز وجل، افترش الناس الفرش الوثيرة وافترشوا الجباه والركب، ضيع الناس فعل النبيين وأخلاقهم وحفظوها هم، تبكي الأرض إذا فقدتهم ويسخط الجبار على كل بلدة ليس فيها منهم أحد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف أكلوا العلق ولبسوا الخرق شعثًا غبرًا يراهم الناس فيظنون أن بهم داء وما بهم داء، ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم إلى أمر الله الذي أذهب عنهم الدنيا، فهم عند أهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حين ذهبت عقول الناس، لهم الشرف في الآخرة، يا أسامة إذا رأيتهم في بلدة فاعلم أنهم أمان لأهل تلك البلدة ولا يعذب الله قومًا هم فيهم.

الأرض بهم فرحة والجبار عنهم راض. اتخذهم لنفسك إخوانًا عسى أن تنجو بهم. وإن استطعت أن يأتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل. فإنك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين.

وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلي عليك الجبار»[3].

روى الحسن عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «الْبَسُوا الصُّوفَ وَشَمِّرُوا وَكُلُوا فِي أَنْصَافِ البُطُونِ تَدْخُلُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاءِ»[4].

وقال عيسى عليه السلام: «يا معشر الحواريين أجيعوا أكبادكم وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل»[5].

وروي ذلك أيضًا عن نبينا ﷺ رواه طاوس. وقيل مكتوب في التوراة: إن الله ليبغض الحبر

---

(١) لا أصل له: حديث «لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء». لم أقف له على أصل [السلسلة الضعيفة: ٧٢١].

(٢) حديث «ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه... الحديث». أخرجه الترمذي من حديث المقدام وقد تقدم.

(٣) حديث أسامة بن زيد وأبي هريرة «أقرب الناس من الله يوم القيامة من طال جوعه وعطشه .... الحديث». أخرجه الخطيب في الزهد من حديث سعيد بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ وأقبل على أسامة بن زيد مع تقديم وتأخير، ومن طريقه رواه ابن الجوزي وفيه حباب بن عبد الله فذكره مع تقديم بن جبلة أحد الكذابين وفيه من لا يعرف وهو منقطع أيضا ورواه الحارث بن أبي أسامة من هذا الوجه.

(٤) حديث الحسن عن أبي هريرة «البسوا الصوف وشمروا وكلوا في أنصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء». أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف.

(٥) حديث طاووس مرسلا قال عيسى عليه السلام: «يا معشر الحواريين أجيعوا أكبادكم .... الحديث». لم أجده أيضا.

السمين لأن السمن يدل على الغفلة وكثرة الأكل وذلك قبيح خصوصًا بالحبر.

ولأجل ذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن الله تعالى يبغض القارئ السمين وفي خبر مرسل: «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش» (١)، وفي الخبر: «إن الأكل على الشبع يورث البرص» (٢)، وقال ﷺ «المُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ وَالمُنَافِقُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ» (٣)، أي يأكل سبعة أضعاف ما يأكل المؤمن أو تكون شهوته سبعة أضعاف شهوته.

وذكر المعي كناية عن الشهوة لأن الشهوة هي التي تقبل الطعام وتأخذه كما يأخذ المعي.

وليس المعنى زيادة عدد معي المنافق على معي المؤمن.

وروى الحسن عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَدِيمُوا قَرْعَ بَابِ الجَنَّةِ يُفْتَحْ لَكُمْ» فقلت: كيف نديم قرع باب الجنة؟ قال: «بِالجُوعِ وَالظَّمَإِ» (٤).

وروي: «أن أبا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله ﷺ فقال له: «أَقْصِرْ مِنْ جُشَائِكَ فَإِنَّ أَطْوَلَ النَّاسِ جُوعًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ شِبَعًا فِي الدُّنْيَا» (٥)، وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: إن رسول الله ﷺ لم يمتلئ قط شبعًا وربما بكيت رحمة مما أرى به من الجوع فأمسح بطنه بيدي وأقول: نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقويك ويمنعك من الجوع؟ فيقول: «يا عَائِشَةُ إِخْوَانِي مِنْ أُولِي العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ قَدْ صَبَرُوا عَلَى مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هذا مَضَوْا عَلَى حَالِهِمْ فَقَدِمُوا عَلَى رَبِّهِمْ فَأَكْرَمَ مَآبَهُمْ وَأَجْزَلَ ثَوَابَهُمْ فَأَجِدُنِي أَسْتَحِي إِنْ تَرَفَّهْتُ فِي مَعِيشَتِي أَنْ يُقَصِّرَ بِي غَدًا دُونَهُمْ فَالصَّبْرُ أَيَّامًا يَسِيرَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَنْقُصَ حَظِّي غَدًا فِي الآخِرَةِ وَما مِنْ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ اللُّحُوقِ بِأَصْحَابِي وَإِخْوَانِي» قالت عائشة: فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله إليه» (٦)، وعن أنس قال: جاءت فاطمة رضوان الله عليها بكسرة خبز إلى

---

(١) حديث «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم .... الحديث». تقدم في الصيام دون الزيادة التي في آخره وذكر المصنف هنا أنه مرسل والمرسل رواه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان من حديث علي بن الحسين دون الزيادة أيضا.

(٢) لا أصل له: حديث «إن الأكل على الشبع يورث البرص». لم أجد له أصلا [السلسلة الضعيفة: ٢٤٦].

(٣) صحيح: حديث «المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء»
متفق عليه من حديث عمر وحديث أبي هريرة [البخاري: ٥٣٩٣، مسلم: ٢٠٦].

(٤) حديث الحسن عن عائشة «أديموا قرع باب الجنة .... الحديث». لم أجده أيضا.

(٥) حسن: حديث: إن أبا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله ﷺ فقال «أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعا في الدنيا». أخرجه البيهقي في الشعب من حديث أبي جحيفة [صحيح الجامع: ١١٧٩] وأصله عند الترمذي وحسنه ابن ماجه من حديث ابن عمر: تجشأ رجل... الحديث. لم يذكر أبا جحيفة [الترمذي: ٢٤٧٨].

(٦) حديث عائشة: أنه ﷺ لم يمتلئ شبعا قط وربما بكيت رحمة له لما أرى به من الجوع .... الحديث». أخرجه أبو موسى المديني مطولا في كتاب استحلاء الموت وأورد منه عياض في الشفاء.

رسول الله ﷺ فقال: «ما هذِهِ الكِسْرَةُ؟» قالت: قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى أتيتك منه بهذه الكسرة، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنَّهُ أَوَّلُ طَعَام دَخَلَ فَمَ أَبِيكِ مُنْذُ ثَلاثَةِ أَيَّام» (١)، وقال أبو هريرة: ما أشبع النبي ﷺ أهله ثلاثة أيام تباعًا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا (٢)، وقال ﷺ: «إنَّ أَهْلَ الجُوعِ فِي الدُّنْيا هُمْ أَهْلُ الشِّبَعِ فِي الآخِرَةِ، وَإِنَّ أَبْغَضَ النَّاسِ إِلَى الله المُتخَمُونَ المَلأَى وَمَا تَرَكَ عَبْدٌ أَكْلَةً يَشْتَهِيها إلاَّ كَانَتْ لَهُ دَرَجَة فِي الجَنَّةِ» (٣).

وأما الآثار: فقد قال عمر رضي الله عنه: إياكم والبطنة فإنها ثقل في الحياة نتن في الممات.

وقال شقيق البلخي: العبادة حرفة حانوتها الخلوة وآلتها المجاعة.

وقال لقمان لابنه: يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة. وكان الفضيل بن عياض يقول لنفسه: أي شيء تخافين؟ أتخافين أن تجوعي؟ لا تخافي ذلك؛ أنت أهون على الله من ذلك إنما يجوع محمد ﷺ وأصحابه.

وكان كهمس يقول: إلهي أجعتني وأعريتني وفي ظلم الليالي بلا مصباح أجلستني فبأي وسيلة بلغتني ما بلغتني؟ وكان فتح الموصلي إذا اشتدّ مرضه وجوعه يقول: إلهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل بأوليائك فبأي عمل أؤدي شكر ما أنعمت به عليّ؟ وقال مالك ابن دينار: قلت لمحمد بن واسع يا أبا عبد الله طوبى لمن كانت له غليلة تقوته وتغنيه عن الناس فقال لي يا أبا يحيى: طوبى لمن أمسى وأصبح جائعًا وهو عن الله راض.

وكان الفضيل بن عياض يقول: إلهي أجعتني وأجعت عيالي وتركتني في ظلم الليالي بلا مصباح وإنما تفعل ذلك بأوليائك فبأي منزلة نلت هذا منك؟ وقال يحيى بن معاذ: جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة. وفي التوراة اتق الله وإذا شبعت فاذكر الجياع. وقال أبو سليمان: لأن أترك لقمة من عشائي أحب إليّ من قيام ليلة إلى الصبح، وقال أيضًا: الجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه إلا من أحبه. وكان سهل بن عبد الله التستري يطوي نيفًا وعشرين يومًا لا يأكل، وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم، وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال: لا يوافي القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبي ﷺ في أكله.

وقال: لم ير الأكياس شيئًا أنفع من الجوع للدين والدنيا. وقال: لا أعلم شيئًا أضر على طلاب الآخرة من الأكل.

---

(١) حديث أنس: جاءت فاطمة بكسرة خبز لرسول الله ﷺ .... الحديث». أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده بسند ضعيف.

(٢) حديث أبي هريرة: ما شبع النبي ﷺ ثلاثة أيام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا. أخرجه مسلم وقد تقدم.

(٣) ضعيف: حديث «إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة». أخرجه الطبراني وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف [ضعيف الجامع: ١٨٣٦].

وقال: وضعت الحكمة والعلم في الجوع ووضعت المعصية والجهل في الشبع.

وقال: ما عبد الله بشيء أفضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال. وقد جاء في الحديث «ثلث للطعام فمن زاد عليه فإنما يأكل من حسناته» [1]، وسئل عن الزيادة فقال: لا يجد الزيادة حتى يكون الترك أحب إليه من الأكل، ويكون إذا جاع ليلة سأل الله أن يجعلها ليلتين، فإذا كان ذلك وجد الزيادة.

وقال: ما صار الأبدال أبدالاً إلا بإخماص البطون والسهر والصمت والخلوة. وقال: رأس كل بر نزل من السماء إلى الأرض الجوع، ورأس كل فجور بينهما الشبع.

وقال: من جوّع نفسه انقطعت عنه الوساوس.

وقال: إقبال الله عز وجل على العبد بالجوع والسقم والبلاء إلا من شاء الله.

وقال: اعلموا أن هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة إلا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والسهر والجهد وقال: ما مرّ على وجه الأرض أحد شرب من هذا الماء حتى روي فسلم من المعصية ـ وإن شكر الله تعالى ـ فكيف الشبع من الطعام؟ وسئل حكيم بأي قيد أقيد نفسي؟ قال: قيدها بالجوع والعطش، وذللها بإخمال الذكر وترك العز، وصغرها بوضعها تحت أرجل أبناء الآخرة، واكسرها بترك زي القراء عن ظاهرها، وانج من آفاتها بدوام سوء الظن بها، واصحبها بخلاف هواها.

وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى إنّ الله تعالى ما صافى أحدًا إلا بالجوع ولا مشوا على الماء إلا به، ولا طويت لهم الأرض إلا بالجوع، ولا تولاهم الله تعالى إلا بالجوع، وقال أبو طالب المكي: مثل البطن مثل المزهر وهو العود المجوف ذو الأوتار.

إنما حسن صوته لخفته ورقته ولأنه أجوف غير ممتلئ، وكذلك الجوف إذا خلا كان أعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للمنام. وقال أبو بكر بن عبد الله المزني: ثلاثة يحبهم الله تعالى؛ رجل قليل النوم قليل الأكل قليل الراحة.

وروي أن عيسى عليه السلام مكث يناجي ربه ستين صباحًا لم يأكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فإذا رغيف موضوع بين يديه، فجلس يبكي على فقد المناجاة وإذا شيخ قد أظله فقال له عيسى: بارك الله فيك يا ولي الله ادع الله تعالى فإني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني، فقال الشيخ: اللهم إن كنت تعلم أن الخبز خطر ببالي منذ عرفتك فلا تغفر لي، بل كان إذا حضر لي شيء أكلته من غير فكر وخاطر.

وروي أن موسى عليه السلام لما قرّبه الله عز وجل نجيًا كان قد ترك الأكل أربعين يومًا، ثلاثين ثم عشرًا، على ما ورد به القرآن؛ لأنه أمسك بغير تبييت يومًا فزيد عشرة لأجل ذلك.

* * *

(١) حديث «ثلث للطعام». تقدم.

بيان فوائد الجوع وآفات الشبع

قال رسول الله ﷺ: «جَاهِدُوا أَنْفُسَكُمْ بِالجُوعِ وَالعَطَشِ فَإِنَّ الأَجْرَ فِي ذلِكَ» ولعلك تقول: هذا الفضل العظيم للجوع من أين هو؟ وما سببه؟ وليس فيه إلا إيلام المعدة ومقاساة الأذى فإن كان كذلك فينبغي أن يعظم الأجر في كل ما يتأذى به الإنسان من ضربه لنفسه وقطعه للحمه وتناوله الأشياء المكروهة وما يجري مجراه؟

فاعلم أن هذا يضاهي قول من شرب دواء فانتفع به وظن أن منفعته لكراهة الدواء ومرارته، فأخذ يتناول كل ما يكرهه من المذاق وهو غلط، بل نفعه في خاصية في الدواء وليس لكونه مرًا، وإنما يقف على تلك الخاصية الأطباء، فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع إلا سماسرة العلماء ومن جوع نفسه مصدقًا لما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع به وإن لم يعرف علة المنفعة، كما أنّ من شرب الدواء انتفع به وإن لم يعلم وجه كونه نافعًا.

ولكنا نشرح لك ذلك إن أردت أن ترتقي من درجة الإيمان إلى درجة العلم. قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١] فنقول: في الجوع عشر فوائد.

الفائدة الأولى: صفاء القلب وإيقاد القريحة وإنفاذ البصيرة، فإنّ الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ شبه السكر حتى يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الأفكار وعن سرعة الإدراك، بل الصبي إذا أكثر الأكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم والإدراك.

وقال أبو سليمان الداراني: عليك بالجوع فإنه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السماوي.

وقال ﷺ: «أَحْيُوا قُلُوبَكُمْ بِقِلَّةِ الضَّحِكِ وَقِلَّةِ الشِّبَعِ وَطَهِّرُوها بِالجُوعِ تَصْفُو وَتَرِقُّ»(١)، ويقال: مثل الجوع مثل الرعد، ومثل القناعة مثل السحاب، والحكمة كالمطر.

وقال النبي ﷺ: «مَنْ أَجَاعَ بَطْنَهُ عَظُمَتْ فِكْرَتُهُ وَفَطِنَ قَلْبُهُ»(٢)، وقال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «مَنْ شَبِعَ وَنَامَ قَسَا قَلْبُهُ» ثم قال: «لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ وَزَكَاةُ البَدَنِ الجُوعُ»(٣)، وقال الشبلي: ما جعت لله يومًا إلا رأيت في قلبي بابًا مفتوحًا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط.

وليس يخفى أن غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل إلى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق، والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه، والمعرفة باب من أبواب الجنة فبالحري أن تكون

---

(١) لا أصل له: حديث «أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفوا وترق». لم أجد له أصلا [السلسلة الضعيفة: ٢٤٢]

(٢) لا أصل له: حديث «من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه». كذلك لم أجد له أصلا [السلسلة الضعيفة: ١٧٤٥].

(٣) ضعيف: حديث «من شبع ونام قسا قلبه، ثم قال «إن لكل شيء زكاة وإن زكاة الجسد الجوع». أخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة «لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم» وإسناده ضعيف [سنن ابن ماجه: ١٧٤٥].

ملازمة الجوع قرعًا لباب الجنة. ولهذا قال لقمان لابنه: يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة وقال أبو يزيد البسطامي: الجوع سحاب فإذا جاع العبد أمطر القلب الحكمة.

وقال النبي ﷺ: «نُورُ الحِكْمَةِ الجُوعُ، وَالتَّبَاعُدُ مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ الشِّبَعُ، وَالقُرْبَةُ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ حُبُّ المَسَاكِينِ والدُّنُوُّ مِنْهُمْ. لا تَشْبَعُوا فَتُطْفِئُوا نُورَ الحِكْمَةِ مِنْ قُلُوبِكُمْ وَمَنْ بَاتَ فِي خِفَّةٍ مِنَ الطَّعَامِ بَاتَ الحُورُ حَوْلَهُ حَتَّى يُصْبِحَ» (١).

الفائدة الثانية: رقة القلب وصفاؤه الذي به يتهيأ لإدراك لذة المثابرة والتأثر بالذكر، فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كأن بينه وبينه حجابًا من قسوة القلب، وقد يرق في بعض الأحوال فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة، وخلو المعدة هو السبب الأظهر فيه، وقال أبو سليمان الداراني: أحلى ما تكون إليَّ العبادة إذا التصق ظهري ببطني.

وقال الجنيد: يجعل أحدهم بينه وبين صدره مخلاة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة المناجاة. وقال أبو سليمان: إذا جاع القلب وعطش صبا ورق، وإذا شبع عمي وغلظ، فإذًا تأثر القلب بلذة المناجاة أمر وراء تيسير الفكر واقتناص المعرفة فهي فائدة ثانية.

الفائدة الثالثة: الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والأشر الذي هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى، فلا تنكسر النفس ولا تذل بشيء كما تذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها إذا ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقيمة طعام فاتتها، وأظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تأخرت عنها وما لم يشاهد الإنسان ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه ولا قهره، وإنما سعادته في أن يكون دائمًا مشاهدًا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة والقهر، فليكن دائمًا جائعًا مضطرًا إلى مولاه مشاهدًا للاضطرار بالذوق، ولأجل ذلك لما عرضت الدنيا وخزائنها على النبي ﷺ قال: «لا بَلْ أَجُوعُ يَوْمًا وَأَشْبَعُ يَوْمًا فَإِذا جُعْتُ صَبَرْتُ وَتَضَرَّعْتُ وَإِذا شَبِعْتُ شَكَرْتُ» (٢)، أو كما قال. فالبطن والفرج باب من أبواب النار وأصله الشبع، والذل والانكسار باب من أبواب الجنة وأصله الجوع.

ومن أغلق بابًا من أبواب النار فقد فتح بابًا من أبواب الجنة بالضرورة لأنهما متقابلان كالمشرق والمغرب، فالقرب من أحدهما بُعْد من الآخر.

الفائدة الرابعة: أن لا ينسى بلاء الله وعذابه؛ ولا ينسى أهل البلاء فإنَّ الشبعان ينسى الجائع وينسى الجوع، والعبد الفطن لا يشاهد بلاء من غيره إلا ويتذكر بلاء الآخرة، فيذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة، ومن جوعه جوع أهل النار، حتى إنهم ليجوعون

---

(١) حديث «نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع .... الحديث». ذكره أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وكتب عليه إنه مسند وهي علامة ما رواه بإسناده.

(٢) حديث «أجوع يوما وأشبع يوما .... الحديث». تقدم وهو عند الترمذي.

فيطعمون الضريع والزقوم ويسقون الغساق والمهل، فلا ينبغي أن يغيب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها، فإنه هو الذي يهيج الخوف، فمن لم يكن في ذلة ولا علة ولا قلة ولا بلاء نسي عذاب الآخرة ولم يتمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه، فينبغي أن يكون العبد في مقاساة بلاء أو مشاهدة بلاء، وأولى ما يقاسيه من البلاء الجوع فإن فيه فوائد جمة سوى تذكر عذاب الآخرة. وهذا أحد الأسباب الذي اقتضى اختصاص البلاء بالأنبياء والأولياء والأمثل فالأمثل. ولذلك قيل ليوسف عليه السلام: لم تجوع وفي يديك خزائن الأرض؟ فقال: أخاف أن أشبع فأنسى الجائع.

فذكر الجائعين والمحتاجين إحدى فوائد الجوع فإن ذلك يدعو إلى الرحمة والإطعام والشفقة على خلق الله عز وجل. والشبعان في غفلة من ألم الجائع.

الفائدة الخامسة: وهي من أكبر الفوائد: كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء، فإن منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى، ومادّة القوى والشهوات لا محالة الأطعمة، فتقليلها يضعف كل شهوة وقوّة وإنما السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه، والشقاوة في أن تملكه نفسه، وكما أنك لا تملك الدابة الجموح إلا بضعف الجوع فإذا شبعت قويت وشردت وجمحت، فكذلك النفس.

كما قيل لبعضهم: ما بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انهدّ؟ فقال: لأنه سريع المرح فاحش الأشر فأخاف أن يجمح بي فيورطني، فلأن أحمله على الشدائد أحب إليّ من أن يحملني على الفواحش.

وقال ذو النون: ما شبعت قط إلا عصيت أو هممت بمعصية. وقالت عائشة رضي الله عنها: أوّل بدعة حدثت بعد رسول الله ﷺ الشبع.

إنّ القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم إلى هذه الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزائن الفوائد.

ولذلك قيل: الجوع خزانة من خزائن الله تعالى وأقل ما يندفع بالجوع: شهوة الفرج وشهوة الكلام، فإن الجائع لا تتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها، فيمنعه الجوع من كل ذلك وإذا شبع افتقر إلى فاكهة فيتفكه لا محالة بأعراض الناس، ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم.

وأما شهوة الفرج: فلا تخفى غائلتها، والجوع يكفي شرها. وإذا شبع الرجل لم يملك فرجه، وإن منعته التقوى فلا يملك عينه، فالعين تزني كما أن الفرج يزني، فإن ملك عينه بغض الطرف فلا يملك فكره، فيخطر له من الأفكار الرديئة وحديث النفس بأسباب الشهوة ما يتشوّش به مناجاته، وربما عرض له ذلك في أثناء الصلاة.

وإنما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالاً، وإلا فجميع معاصي الأعضاء السبعة سببها القوة

الحاصلة بالشبع. قال حكيم: كل مريد صبر على السياسة فيصبر على الخبز البحت سنة لا يخلط به شيئًا من الشهوات ويأكل في نصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء.

الفائدة السادسة: دفع النوم ودوام السهر، فإن من شبع شرب كثيرًا، ومن كثر شربه كثر نومه، ولأجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام: معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرًا فتشربوا كثيرًا فترقدوا كثيرًا فتخسروا كثيرًا.

وأجمع رأي سبعين صدّيقًا على أن كثرة النوم من كثرة الشرب.

وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب، والعمر أنفس الجواهر وهو رأس مال العبد وفيه يتجر، والنوم موت فتكثيره ينقص العمر، ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فواتها.

ومهما غلب النوم فإن تهجد لم يجد حلاوة العبادة، ثم المتعزب إذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك أيضًا من التهجد، ويحوجه إلى الغسل إما بالماء البارد فيتأذى به أو يحتاج إلى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل، فيفوته الوتر إن كان قد أخره إلى التهجد، ثم يحتاج إلى مؤنة الحمام وربما تقع عينه على عورة في دخول الحمام، فإن فيه أخطارًا ذكرناها في كتاب الطهارة وكل ذلك أثر الشبع.

وقد قال أبو سليمان الداراني: الاحتلام عقوبة. وإنما قال ذلك لأنه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الغسل في كل حال.

فالنوم منبع الآفات، والشبع مجلبة له؛ والجوع مقطعة له.

الفائدة السابعة: تيسير المواظبة على العبادة فإن الأكل يمنع من كثرة العبادات لأنه يحتاج إلى زمان يشتغل فيه بالأكل، وربما يحتاج إلى زمان في شراء الطعام وطبخه، ثم يحتاج إلى غسل اليد والخلال، ثم يكثر تردداده إلى بيت الماء لكثرة شربه.

والأوقات المصروفة إلى هذا لو صرفها إلى الذكر والمناجاة وسائر العبادات لكثر ربحه.

قال السري: رأيت مع علي الجرجاني سويقًا يستف منه فقلت: ما حملك على هذا؟ قال: إني حسبت ما بين المضغ إلى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة، فانظر كيف أشفق على وقته ولم يضيعه في المضغ.

وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لا قيمة لها، فينبغي أن يستوفي منه خزانة باقية في الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه إلى ذكر الله وطاعته.

ومن جملة ما يتعذر بكثرة الأكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد، فإنه يحتاج إلى الخروج لكثرة شرب الماء وإراقته.

ومن جملته الصوم فإنه يتيسر لمن تعود الجوع، فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف أوقات شغله بالأكل وأسبابه إلى العبادة أرباح كثيرة، وإنما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ

﴿ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم: ٧].

وقد أشار أبو سليمان الداراني إلى ست آفات من الشبع فقال: من شبع دخل عليه ست آفات: فقد حلاوة المناجاة وتعذر حفظ الحكمة، وحرمان الشفقة على الخلق لأنه إذا شبع ظنّ أن الخلق كلهم شباع، وثقل العبادة، وزيادة الشهوات، وأن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد، والشباع يدورون حول المزابل.

الفائدة الثامنة: يستفيد من قلة الأكل صحة البدن ودفع الأمراض، فإن سببها كثرة الأكل وحصول فضلة الأخلاط في المعدة والعروق. ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج إلى الفصد والحجامة والدواء والطبيب، وكل ذلك يحتاج إلى مؤن ونفقات لا يخلو الإنسان منها بعد التعب عن أنواع من المعاصي واقتحام الشهوات، وفي الجوع ما يمنع ذلك كله.

حكي أن الرشيد جمع أربعة أطباء: هندي، ورومي، وعراقي، وسوادي. وقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه.

فقال الهندي: الدواء الذي لا داء فيه عندي هو الإهليلج الأسود. وقال العراقي: هو حب الرشّاد الأبيض.

وقال الرومي: هو عندي الماء الحار. وقال السوادي: وكان أعلمهم، الإهليلج يعفص المعدة وهذا داء، وحب الرشّاد يزلق المعدة وهذا داء، والماء الحار يرخي المعدة وهذا داء. قالوا: فما عندك؟ فقال الدواء الذي لا داء معه عندي أن لا تأكل الطعام حتى تشتهيه، وأن ترفع يدك عنه وأنت تشتهيه. فقالوا: صدقت. وذكر لبعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قول النبي ﷺ: «ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس»[(١)]، فتعجب منه وقال: ما سمعت كلامًا في قلة الطعام أحكم من هذا وإنه لكلام حكيم. وقال ﷺ: «البِطْنَةُ أَصْلُ الدَّاءِ وَالحِمْيَةُ أَصْلُ الدَّوَاءِ وَعَوِّدُوا كُلَّ جِسْمٍ ما اعْتَادَ»[(٢)]، وأظن تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لا من ذاك. وقال ابن سالم: من أكل خبز الحنطة بحتًا بأدب لم يعتل إلا علة الموت.

قيل: وما الأدب؟ قال: تأكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع.

وقال بعض أفاضل الأطباء في ذم الاستكثار: إن أنفع ما أدخل الرجل بطنه الرمان وأضر ما أدخل معدته المالح؛ ولأن يقلل من المالح خير له من أن يستكثر من الرمان. وفي الحديث: «صُومُوا تَصِحُّوا»[(٣)]، ففي الصوم والجوع وتقليل الطعام صحة الأجسام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما.

---

(١) حديث «ثلث للطعام». تقدم أيضا.

(٢) لا أصل له: حديث «البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل بدن بما اعتاد». لم أجد له أصلا [السلسلة الضعيفة: ٢٥٢].

(٣) ضعيف: حديث «صوموا تصحوا». أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب النبوي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف [السلسلة الصحيحة: ١٢٥٣].

الفائدة التاسعة: خفة المؤنة فإنّ من تعوّد قلة الأكل كفاه من المال قدر يسير، والذي تعوّد الشبع صار بطنه غريمًا ملازمًا له آخذًا بمخنقه في كل يوم، فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج إلى أن يدخل المداخل، فيكتسب من الحرام فيعصي أو من الحلال فيذل.

وربما يحتاج إلى أن يمدّ أعين الطمع إلى الناس وهو غاية الذل والقماءة والمؤمن خفيف المؤنة.

وقال بعض الحكماء: إني لأقضي عامة حوائجي بالترك فيكون ذلك أروح لقلبي. وقال آخر: إذا أردت أن أستقرض من غيري لشهوة أو زيادة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم لي.

وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله يسأل أصحابه عن سعر المأكولات فيقولون إنها غالية فيقول: أرخصوها بالترك. وقال سهل رحمه الله: الأكول مذموم في ثلاثة أحوال، إن كان من أهل العبادة فيكسل، وإن كان مكتسبًا فلا يسلم من الآفات وإن كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله تعالى من نفسه.

وبالجملة؛ سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا، وسبب حرصهم على الدنيا البطن والفرج، وسبب شهوة الفرج شهوة البطن.

وفي تقليل الأكل ما يحسم هذه الأحوال كلها وهي أبواب النار، وفي حسمها فتح أبواب الجنة كماقال ﷺ «أَدِيمُوا قَرْعَ بَابِ الجنَّةِ بِالجُوعِ» فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في سائر الشهوات أيضًا وصار حرًّا واستغنى عن الناس واستراح من التعب، وتخلى لعبادة الله عز وجل وتجارة الآخرة، فيكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإنما لا تلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة، وأما المحتاج فتلهيه لا محالة.

الفائدة العاشرة: أن يتمكن من الإيثار والتصدّق بما فضل من الأطعمة على اليتامى والمساكين، فيكون يوم القيامة في ظل صدقته [1] كما ورد به الخبر: فما يأكله كان خزانته الكنيف وما يتصدّق به كان خزانته فضل الله تعالى، فليس للعبد من ماله إلا ما تصدّق فأبقى أو أكل فأفنى أو لبس فأبلى فالتصدّق بفضلات الطعام أولى من التخمة والشبع.

وكان الحسن رحمة الله عليه إذا تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢] قال: عرضها على السموات السبع الطباق والطرائق التي زينها بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها سبحانه وتعالى: هل تحملين الأمانة بما فيها؟ قالت: وما فيها؟ قال: إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت، فقالت: لا، ثم عرضها كذلك على الأرض فأبت، ثم عرضها على الجبال الشوامخ الصلاب الصعاب فقال لها: هل تحملين الأمانة بما فيها؟ قالت: وما فيها؟ قال: فذكر

---

(١) حديث «كل امرئ في ظل صدقته». أخرجه الحاكم من حديث عقبة بن عامر وقد تقدم.

الجزاء والعقوبة فقالت: لا، ثم عرضها على الإنسان فحملها إنه كان ظلومًا لنفسه جهولًا بأمر ربه.

فقد رأيناهم والله اشتروا الأمانة بأموالهم فأصابوا آلافًا فماذا صنعوا فيها؟ وسعوا بها دورهم وضيقوا بها قبورهم، وأسمنوا براذينهم وأهزلوا دينهم، وأتعبوا أنفسهم بالغدوّ والرواح إلى باب السلطان يتعرّضون للبلاء وهم من الله في عافية، يقول أحدهم تبيعني أرض كذا وكذا وأزيدك كذا وكذا، يتكئ على شماله ويأكل من غير ماله، حديثه سخرة وماله حرام حتى إذا أخذته الكظة ونزلت به البطنة قال: يا غلام ائتني بشيء أهضم به طعامي، يا لكع أطعامك تهضم؟ إنما تهضم دينك، أين الفقير أين الأرملة أين المسكين أين اليتيم الذي أمرك الله تعالى بهم؟ فهذه إشارة إلى هذه الفائدة وهي صرف فاضل الطعام إلى الفقير ليدخر به الأجر، فذلك خيرٌ له من أن يأكله حتى يتضاعف الوزر عليه.

ونظر رسول الله ﷺ إلى رجل سمين البطن فأومأ إلى بطنه بأصبعه وقال: «لَوْ كَانَ هذا في غَيْرِ هذا لَكَانَ خَيْرًا لَكَ»[1]، أي لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك.

وعن الحسن قال: والله لقد أدركت أقوامًا كان الرجل منهم يمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لأكله فيقول: والله لا أجعل هذا كله لبطني حتى أجعل بعضه لله.

فهذه عشر فوائد للجوع يتشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تتناهى فوائدها، فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة.

ولأجل هذا قال بعض السلف: الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد، والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة. بل ذلك صريح في الأخبار التي رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد تدرك معاني تلك الأخبار إدراك علم وبصيرة.

فإذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كانت لك رتبة المقلدين في الإيمان والله أعلم بالصواب.

بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن

اعلم أن على المريد في بطنه ومأكوله أربع وظائف: الأول: أن لا يأكل إلا حلالًا فإن العبادة مع أكل الحرام كالبناء على أمواج البحار.

وقد ذكرنا ما يجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام، وتبقى ثلاث وظائف خاصة بالأكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الإبطاء والسرعة وتعيين الجنس المأكول في تناول المشتهيات وتركها.

أما الوظيفة الأولى: في تقليل الطعام، فسبيل الرياضة فيه التدريج، فمن اعتاد الأكل الكثير وانتقل دفعة واحدة إلى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته، فينبغي أن يتدرج إليه

(١) حديث: نظر إلى رجل سمين البطن فأومأ إلى بطنه بإصبعه وقال «لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك». أخرجه أحمد والحاكم في المستدرك والبيهقي في الشعب من حديث جعدة الجشمي وإسناده جيد.

قليلًا قليلًا وذلك بأن ينقص قليلًا قليلًا من طعامه المعتاد. فإن كان يأكل رغيفين مثلًا وأراد أن يرد نفسه إلى رغيفٍ واحد فينقص كل يوم ربع سبع رغيف، وهو أن ينقص جزءًا من ثمانية وعشرين جزءًا، أو جزءًا من ثلاثين جزءًا، فيرجع إلى رغيف في شهر، ولايستضر به ولا يظهر أثره، فإن شاء فعل في ذلك بالوزن وإن شاء بالمشاهدة، فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما أكله بالأمس. ثم هذا فيه أربع درجات.

أقصاها: أن يرد نفسه إلى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين. وهو اختيار سهل التستري رحمة الله عليه إذ قال: إن الله استعبد الخلق بثلاث، بالحياة، والعقل، والقوة، فإن خاف العبد على اثنين منها وهي الحياة والعقل، أكل وأفطر إن كان صائمًا. وتكلف الطلب إن كان فقيرًا.

وإن لم يخف عليهما بل على القوة قال: فينبغي أن لا يبالي.

ولو ضعف حتى صلى قاعدًا ورأى أن صلاته قاعدًا مع ضعف الجوع أفضل من صلاته قائمًا مع كثرة الأكل. وسئل سهل عن بدايته وما كان يقتات به فقال: كان قوتي في كل سنة ثلاثة دراهم، كنت آخذ بدرهم دبسًا، وبدرهم دقيق الأرز، وبدرهم سمنًا، وأخلط الجميع وأسوي منه ثلاثمائة وستين أكرة، آخذ في كل ليلة أكرة أفطر عليها، فقيل له: فالساعة كيف تأكل؟ قال: بغير حدّ ولا توقيت: ويحكى عن الرهابين أنهم قد يردّون أنفسهم إلى مقدار درهم من الطعام.

الدرجة الثانية: أن يردّ نفسه بالرياضة في اليوم والليلة إلى نصف مدّ، وهو رغيف وشيء مما يكون الأربعة منه منًا ويشبه أن يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الأكثرين كما ذكره النبي ﷺ، وهو فوق اللقيمات لأن هذه الصيغة في الجمع للقلة فهو لما دون العشرة، وقد كان ذلك عادة عمر رضي الله عنه إذ كان يأكل سبع لقم أو تسع لقم.

الدرجة الثالثة: أن يردها إلى مقدار المد، وهو رغيفان ونصف، وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الأكثرين، ويكاد ينتهي إلى ثلثي البطن، ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر. وفي بعض الألفاظ: «ثلث للذكر» بدل قوله «للنفس».

الدرجة الرابعة: أن يزيد على المد إلى المنّ، ويشبه أن يكون ما وراء المن إسرافًا مخالفًا لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ [الأعراف: ٣١] أعني في حق الأكثرين، فإن مقدار الحاجة إلى الطعام يختلف بالسن، والشخص، والعمل الذي يشتغل به.

وها هنا طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط، وهو أن يأكل إذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد، ولكن الأغلب أن من لم يقدر لنفسه رغيفًا أو رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق، ويشتبه عليه ذلك بالشهوة الكاذبة.

وقد ذكر للجوع الصادق علامات؛ إحداها: أن لا تطلب النفس الأدم بل تأكل الخبز وحده بشهوة، أي خبز كان، فمهما طلبت نفسه خبزًا بعينه أو طلبت أدمًا فليس ذلك بالجوع

الصادق. وقد قيل: من علامته أن يبصق فلا يقع الذباب عليه؛ أي لم يبق فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة، ومعرفة ذلك غامض. فالصواب للمريد أن يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فإذا انتهى إليه وقف وإن بقيت شهوته.

وعلى الجملة: فتقدير الطعام لا يمكن لأنه يختلف بالأحوال والأشخاص.

نعم قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعًا من حنطة في كل جمعة، فإذا أكلوا التمر اقتاتوا منه صاعًا ونصفًا، وصاع الحنطة أربعة أمداد، فيكون كل يوم قريبًا من نصف مدّ، وهو ما ذكرناه أنه قدر ثلث البطن، واحتيج في التمر إلى زيادة لسقوط النوى منه.

وقد كان أبو ذر رضي الله عنه يقول: طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله ﷺ والله لا أزيد عليه شيئًا حتى ألقاه فإني سمعته يقول: «أَقْرَبُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيامَةِ وَأَحَبُّكُمْ إِلَيَّ مَنْ مَاتَ عَلَى ما هُوَ عَلَيْهِ اليَوْمَ» (١)، وكان يقول في إنكاره على بعض الصحابة: قد غيرتم، ينخل لكم الشعير ولم يكن ينخل، وخبزتم المرقق وجمعتم بين إدامين واختلف عليكم ألوان الطعام، وغدا أحدكم في ثوب وراح في آخر، ولم يكونوا هكذا على عهد رسول الله ﷺ وكان قوت أهل الصفة مدًّا من تمر بين اثنين في كل يوم (٢) والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى.

وكان الحسن رحمة الله عليه يقول: المؤمن مثل العنيزة يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء، والمنافق مثل السبع الضاري بلعًا بلعًا وسرطًا سرطًا لا يطوي بطنه لجاره ولا يؤثر أخاه بفضله، وجهوا هذه الفضول أمامكم.

وقال سهل: لو كانت الدنيا دمًا عبيطًا لكان قوت المؤمن منها حلالًا لأن أكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط.

الوظيفة الثانية: في وقت الأكل ومقدار تأخيره وفيه أيضًا أربع درجات:

الدرجة العليا: أن يطوي ثلاثة أيام فما فوقها، وفي المريدين من رد الرياضة إلى الطي لا إلى المقدار، حتى انتهى بعضهم إلى ثلاثين يومًا وأربعين يومًا، وانتهى إليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم: محمد بن عمرو القرني، وعبد الرحمن بن إبراهيم، ورحيم، وإبراهيم التيمي، وحجاج بن فرافصة، وحفص العابد المصيصي، والمسلم بن سعيد، وزهير، وسليمان الخواص، وسهل بن عبد الله التستري، وإبراهيم بن أحمد الخوّاص، وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يطوي ستة أيام، وكان عبد الله بن الزبير يطوي سبعة أيام، وكان أبو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوي سبعًا.

---

(١) حديث أبي ذر «أقربكم مني مجلسا يوم القامة وأحبكم إلي من مات على ما هو عليه اليوم». أخرجه أحمد في كتاب الزهد ومن طريقه أبو نعيم في الحلية دون قوله: «وأحبكم إلي» وهو منقطع.

(٢) حديث: كان قوت أهل الصفة مدا من تمر بين اثنين في كل يوم». أخرجه الحاكم وصحح إسناده من حديث طلحة البصري.

وروي أن الثوري وإبراهيم بن أدهم كانا يطويان ثلاثًا ثلاثًا، كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة.

قال بعض العلماء: من طوى لله أربعين يومًا ظهرت له قدرة من الملكوت أي كوشف ببعض الأسرار الإلهية.

وقد حكي أن بعض أهل هذه الطائفة مر براهب فذاكره بحاله وطمع في إسلامه وترك ما هو عليه من الغرور، فكلمه في ذلك كلامًا كثيرًا إلى أن قال له الراهب: إن المسيح كان يطوي أربعين يومًا وإن ذلك معجزة لا تكون إلا لنبي أو صدّيق، فقال له الصوفي: فإن طويت خمسين يومًا تترك ما أنت عليه وتدخل في دين الإسلام وتعلم أنه حق وأنك على باطل؟ قال: نعم.

فجلس لا يبرح إلا حيث يراه حتى طوى خمسين يومًا، ثم قال: وأزيدك أيضًا فطوى إلى تمام الستين، فتعجب الراهب منه وقال: ما كنت أظن أن أحدًا يجاوز المسيح؟ فكان ذلك سبب إسلامه.

وهذه درجة عظيمة قلَّ من يبلغها إلاّ مكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وأنساه جوعته وحاجته.

الدرجة الثانية: أن يطوي يومين إلى ثلاثة وليس ذلك خارجًا عن العادة، بل هو قريب يمكن الوصول إليه بالجد والمجاهدة.

الدرجة الثالثة: وهي أدناها أن يقتصر في اليوم والليلة على أكلة واحدة وهذا هو الأقل، وما جاوز ذلك إسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع، وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة، فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا تغدَّى لم يتعشَّ وإذا تعشى لم يتغد [(١)]، وكان السلف يأكلون في كل يوم أكلة، وقال النبي ﷺ لعائشة: «إِيَّاكِ وَالسَّرَفَ فَإِنَّ أَكْلَتَيْنِ فِي يَوْمٍ مِنَ السَّرَفِ، وَأَكْلَةً وَاحِدَةً فِي كُلِّ يَوْمَيْنِ إِقْتَارٌ، وَأَكْلَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ قِوَامٌ بَيْنَ ذلِكَ» [(٢)]، وهو المحمود في كتاب الله عز وجل.

ومن اقتصر في اليوم على أكلة واحدة فيستحب له أن يأكلها سحرًا قبل طلوع الفجر فيكون أكله بعد التهجد وقبل الصبح، فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام، وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر، واجتماع الهم وسكون النفس إلى المعلوم، فلا تنازعه قبل وقته.

وفي حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما قام رسول الله ﷺ قيامكم هذا قط، وإن كان ليقوم حتى تورم قدماه، وما واصل وصالكم هذا قط غير أنه قد أخرَّ الفطر إلى السحر [(٣)]، وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يواصل إلى

---

(١) ضعيف: حديث أبي سعيد الخدري: كان إذا تغدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتغد». لم أجد له أصلا [ضعيف الجامع: ٤٣٦٠].

(٢) موضوع: حديث: قال لعائشة «إياك والإسراف فإن أكلتين في يوم من السرف». أخرجه البيهقي في الشعب من حديث عائشة وقال إسناده ضعيف [السلسلة الضعيفة: ٤٢٣].

(٣) صحيح: حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة: ما قام رسول الله ﷺ قيامكم هذا قط وإن كان

السحر [١]، فإن كان يلتفت قلب الصائم بعد المغرب إلى الطعام وكان ذلك يشغله عن حضور القلب في التهجد، فالأولى أن يقسم طعامه نصفين، فإن كان رغيفين مثلًا أكل رغيفًا عند الفطر ورغيفًا عند السحر، لتسكن نفسه ويخف بدنه عند التهجد ولا يشتد بالنهار جوعه لأجل التسحر، فيستعين بالرغيف الأول على التهجد وبالثاني على الصوم.

ومن كان يصوم يومًا ويفطر يومًا فلا بأس أن يأكل كل يوم فطره وقت الظهر، ويوم صومه وقت السحر. فهذه الطرق في مواقيت الأكل وتباعده وتقاربه.

الوظيفة الثالثة: في نوع الطعام وترك الإدام، وأعلى الطعام مخ البر فإن نخل فهو غاية الترفه، وأوسطه شعير منخول، وأدناه شعير لم ينخل.

وأعلى الأدم اللحم والحلاوة، وأدناه الملح والخل، وأوسطه المزورات بالأدهان من غير لحم.

وعادة سالكي طريق الآخرة الامتناع من الإدام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات، فإن كل لذيذ يشتهيه الإنسان وأكله اقتضى ذلك بطرًا في نفسه وقسوة في قلبه وأنسًا له بلذات الدنيا حتى يألفها ويكره الموت ولقاء الله تعالى، وتصير الدنيا جنة في حقه ويكون الموت سجنًا له.

وإذا منع نفسه عن شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجنًا عليه ومضيقًا له فاشتهت نفسه الإفلات منها، فيكوت الموت إطلاقها.

وإليه الإشارة بقول يحيى بن معاذ حيث قال: معاشر الصدّيقين جوّعوا أنفسكم لوليمة الفردوس فإن شهوة الطعام على قدر تجويع النفس: فكل ما ذكرناه من آفات الشبع فإنه يجري في كل الشهوات وتناول اللذات فلا نطول بإعادته، فلذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر في تناولها، حتى قال ﷺ: «شِرارُ أُمَّتِي الَّذِينَ يَأْكُلُونَ مُخَّ الحِنْطَةِ» [٢]، وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى أن من أكله مرة أو مرتين لم يعص، ومن داوم عليه أيضًا فلا يعصي بتناوله، ولكن تتربى نفسه بالنعيم فتأنس بالدنيا وتألف اللذات وتسعى في طلبها فيجرها ذلك إلى المعاصي فهم شرار الأمة، لأن مخ الحنطة يقودهم إلى اقتحام أمور، تلك الأمور معاص.

وقال ﷺ: «شِرَارُ أُمَّتِي الَّذِينَ غُذُّوا بِالنَّعِيمِ وَنَبَتَتْ عَلَيْهِ أَجْسَامُهُمْ» [٣]، وإنما همتهم ألوان

ليقوم حتى تزلع قدماه. رواه النسائي مختصرا: كان يصلي حتى تزلع قدماه. وإسناده جيد [النسائي: ١٦٤٥، وصححه الألباني].

(١) صحيح: حديث: كان يواصل إلى السحر. لم أجده من فعله وإنما هو من قوله «فأيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر» رواه البخاري من حديث أبي سعيد: وأما هو فكان يواصل وهو من خصائصه [البخاري: ١٩٦٧].

(٢) حديث «شرار أمتي الذي يأكلون مخ الحنطة». لم أجد له أصلا.

(٣) حسن لغيره: حديث «شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه أجسامهم». أخرجه ابن عدي في الكامل

الطعام وأنواع اللباس ويتشدقون في الكلام. وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام اذكر أنك ساكن القبر فإن ذلك يمنعك من كثير الشهوات.

وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيذ الأطعمة وتمرين النفس عليها ورأوا أن ذلك علامة الشقاوة، ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة، حتى روي أن وهب بن منبه قال: التقى ملكان في السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر: من أين؟ قال: أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي لعنه الله، وقال الآخر: أمرت بإهراق زيت اشتهاه فلان العابد.

فهذا تنبيه على أن تيسير أسباب الشهوات ليس من علامات الخير.

ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه عن شربة ماء بارد بعسل وقال: اعزلوا عني حسابها.

فلا عبادة لله تعالى أعظم من مخالفة النفس في الشهوات وترك اللذات ، كما أوردناه في كتاب رياضة النفس ، وقد روى نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما كان مريضًا فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة فلم توجد، ثم وجدت بعد كذا وكذا، فاشتريت له بدرهم ونصف فشويت وحملت إليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام: لفها برغيفها وادفعها إليه، فقال له الغلام: أصلحك الله قد اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها فلما وجدتها اشتريتها بدرهم ونصف، فنحن نعطيه ثمنها، فقال: لفها وادفعها إليه، ثم قال الغلام للسائل: هل لك أن تأخذ درهمًا وتتركها؟ قال: نعم فأعطاه درهمًا وأخذها وأتى بها فوضعها بين يديه وقال: قد أعطيته درهمًا وأخذتها منه، فقال: لفها وادفعها إليه ولا تأخذ منه الدرهم، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَيُّمَا امْرِئٌ اشْتَهَى شَهْوَةً فَرَدَّ شَهْوَتَهُ وَآثَرَ بِها عَلَى نَفْسِهِ غَفَرَ الله لَهُ» (١) وقال ﷺ: «إذا سَدَدْتَ كَلْبَ الجُوعِ بِرَغِيفٍ وَكُوز مِنَ المَاءِ القَرَاحِ فَعَلَى الدُّنْيَا وَأَهْلِها الدَّمَارُ» (٢)، أشار إلى أن المقصود رد ألم الجوع والعطش ودفع ضررهما دون التنعم بلذات الدنيا، وبلغ عمر رضي الله عنه أن يزيد بن أبي سفيان يأكل أنواع الطعام فقال عمر لمولى له: إذا علمت أنه قد حضر عشاؤه فأعلمني، فأعلمه فدخل عليه فقرّب عشاؤه فأتوه بثريد لحم فأكل معه عمر، ثم قرّب الشواء وبسط يزيد يده وكف عمر يده وقال: الله الله يا يزيد بن أبي سفيان أطعام بعد طعام؟ والذي نفس عمر بيده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم.

وعن يسار بن عمير قال: ما نخلت لعمر دقيقًا قط إلا وأنا له عاص. وروي أن عتبة الغلام

ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان من حديث فاطمة بنت رسول الله ﷺ وروى من حديث فاطمة بنت الحسين مرسلا، قال الدارقطني في العلل: أنه أشبه بالصواب، ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة بإسناد لا بأس به [حسن الألباني رواية أبي هريرة ، انظر صحيح الترغيب: ٢١٤٧].

(١) حديث نافع: أن ابن عمر كان مريضا فاشتهى سمكة .... الحديث، وفيه فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له». أخرجه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب بإسناد ضعيف جدا ورواه ابن الجوزي في الموضوعات.

(٢) موضوع: حديث «إذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا وأهلها الدمار». أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف [ضعيف الجامع: ٣٦٨].

كان يعجن دقيقه ويجففه في الشمس، ثم يأكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيأ في الآخرة الشواء والطعام الطيب.

وكان يأخذ الكوز فيغرف به من حب كان في الشمس نهاره فتقول مولاة له: يا عتبة لو أعطيتني دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء؟ فيقول لها: يا أم فلان قد شردت عني كلب الجوع.

قال شقيق بن إبراهيم: لقيت إبراهيم بن أدهم بمكة في سوق الليل، عند مولد النبي ﷺ، يبكي وهو جالس بناحية من الطريق فعدلت إليه وقعدت عنده وقلت: إيش هذا البكاء يا أبا إسحاق؟ فقال: خير، فعاودته مرة واثنتين وثلاثًا، فقال: يا شقيق استر عليَّ فقلت يا أخي قل ما شئت، فقال لي: اشتهت نفسي منذ ثلاثين سنة سكباجًا فمنعتها جهدي، حتى إذا كان البارحة كنت جالسًا وقد غلبني النعاس إذ أنا بفتى شاب بيده قدح أخضر يعلو منه بخار ورائحة سكباج، قال: فاجتمعت بهمتي عنه فقرّبه وقال: يا إبراهيم كُلْ، فقلت: ما آكل قد تركته لله عز وجل، فقال لي: قد أطعمك الله كُلْ، فما كان لي جواب إلا أني بكيت، فقال لي: كُلْ رحمك الله، فقلت: قد أمرنا أن لا نطرح في وعائنا إلا من حيث نعلم، فقال: كل عافاك الله فإنما أعطيته، فقيل لي يا خضر اذهب بهذا وأطعمه نفس إبراهيم بن أدهم فقد رحمها الله من طول صبرها على ما يحملها من منعها.

اعلم يا إبراهيم أني سمعت الملائكة يقولون: من أعطي فلم يأخذ طلب فلم يعط، فقلت: إن كان كذلك فها أنا بين يديك لأجل العقد مع الله تعالى، ثم التفت فإذا أنا بفتى آخر ناوله شيئًا وقال: يا خضر لقّمه أنت، فلم يزل يلقمني حتى نعست فانتبهت وحلاوته في فمي، قال شقيق: فقلت أرني كفك، فأخذت بكفه فقبلتها وقلت: يا من يطعم الجياع الشهوات إذا صححوا المنع، يا من يقدح في الضمير اليقين، يا من يشفي قلوبهم من محبته، أترى لشقيق عندك حالًا؟ ثم رفعت يد إبراهيم إلى السماء وقلت: بقدر هذا الكف عندك وبقدر صاحبه وبالجود الذي وجد منك جد على عبدك الفقير إلى فضلك وإحسانك ورحمتك وإن لم يستحق ذلك؛ قال: فقام إبراهيم ومشى حتى أدركنا البيت.

وروي عن مالك بن دينار أنه بقي أربعين سنة يشتهي لبنًا فلم يأكله. وأهدي إليه يومًا رطب فقال لأصحابه: كلوا فما ذقته منذ أربعين سنة.

وقال أحمد بن أبي الحواري: اشتهى أبو سليمان الداراني رغيفًا حارًا بملح فجئت به إليه فعض منه عضة ثم طرحه وأقبل يبكي وقال: عجلت إلى شهوتي بعد إطالة جهدي وا شقوتي قد عزمت على التوبة فأقلني قال أحمد: فما رأيته أكل الملح حتى لقي الله تعالى. وقال مالك بن ضيغم مررت بالبصرة في السوق فنظرت إلى البقل فقالت لي نفسي: لو أطعمتني الليلة من هذا فأقسمت أن لا أطعمها إياه أربعين ليلة، ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما أكل رطبة لأهل البصرة ولا بسرة قط وقال: يا أهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة ما أكلت لكم

رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم ما نقص مني ولا نقص مني ما زاد فيكم. وقال: طلقت الدنيا، منذ خمسين سنة، اشتهت نفسي لبنًا منذ أربعين سنة فوالله لا أطعمها حتى ألحق بالله تعالى. وقال حماد بن أبي حنيفة: أتيت داود الطائي والباب مغلق عليه فسمعته يقول: نفسي اشتهيت جزرًا فأطعمتك جزرًا، ثم اشتهيت تمرًا فآليت أن لا تأكليه أبدًا، فسلمت ودخلت فإذا هو وحده. ومرّ أبو حازم يومًا في السوق فرأى الفاكهة فاشتهاها، فقال لابنه: اشتر لنا من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب إلى الفاكهة التي لا مقطوعة ولا ممنوعة، فلما اشتراها وأتى بها إليه قال لنفسه: قد خدعتيني حتى نظرت واشتهيت وغلبتيني حتى اشتريت، والله لا ذقته فبعث بها إلى يتامى من الفقراء.

وعن موسى الأشج أنه قال: نفسي تشتهي ملحًا جريشًا منذ عشرين سنة. وعن أحمد بن خليفة قال: نفسي تشتهي منذ عشرين سنة ما طلبت مني إلا الماء حتى تروى فما أرويتها.

وروي أن عتبة الغلام اشتهى لحمًا سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال استحييت من نفسي أن أدافعها منذ سبع سنين ، سنة بعد سنة ، فاشتريت قطعة لحم على خبز وشويتها وتركتها على رغيف فلقيت صبيًا فقلت: ألست أنت ابن فلان وقد مات أبوك؟ قال: بلى، فناولته إياها قالوا: وأقبل يبكي ويقرأ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان :٨] ثم لم يذقه بعد ذلك.

ومكث يشتهي تمرًا سنين، فلما كان ذات يوم اشترى تمرًا بقيراط ورفعه إلى الليل ليفطر عليه قال: فهبت ريح شديدة حتى أظلمت الدنيا ففزع الناس، فأقبل عتبة على نفسه يقول: هذا لجرأتي عليك وشرائي التمر بالقيراط، ثم قال لنفسه: ما أظن أخذ الناس إلا بذنبك؟ على أن لا تذوقيه.

واشترى داود الطائي بنصف فلس بقلًا وبفلس خلًا، وأقبل ليلته كلها يقول لنفسه: ويلك يا داود ما أطول حسابك يوم القيامة، ثم لم يأكل بعده إلا قفارًا، وقال عتبة الغلام يومًا لعبد الواحد ابن زيد: إن فلانًا يصف من نفسه منزلة ما أعرفها من نفسي فقال: لأنك تأكل مع خبزك تمرًا وهو لا يزيد على الخبز شيئًا قال: فإن أنا تركت أكل التمر عرفت تلك المنزلة؟ قال: نعم؛ وغيرها، فأخذ يبكي فقال له بعض أصحابه: لا أبكى الله عينك أعلى التمر تبكي؟ فقال عبد الواحد دعه؛ فإن نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك، وهو إذا ترك شيئًا لم يعاوده.

وقال جعفر بن نصر : أمرني الجنيد أن أشتري له التين الوزيري، فلما اشتريته أخذ واحدة عند الفطور فوضعها في فمه ثم ألقاها وجعل يبكي، ثم قال: احمله فقلت له في ذلك فقال: هتف بي هاتف أما تستحيي؟ تركته من أجلي ثم تعود إليه وقال صالح المري: قلت لعطاء السلمي إني متكلف لك شيئًا فلا ترد عليّ كرامتي، فقال: افعل ما تريد، قال: فبعثت إليه مع ابني شربة من سويق قد لتته بسمن وعسل، فقلت: لا تبرح حتى يشربها، فلما كان من الغد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها، فعاتبته ولمته على ذلك وقلت: سبحان الله رددت عليّ

كرامتي فلما رأى وجدي لذلك قال: لا يسوؤك هذا، إني قد شربتها أوّل مرة وقد راودت نفسي في المرة الثانية على شربها فلم أقدر على ذلك، كلما أردت ذلك ذكرت قوله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ [إبراهيم:١٧]الآية قال صالح: فبكيت وقلت في نفسي: أنا في واد وأنت في واد آخر. وقال السري السقطي: نفسي منذ ثلاثين سنة تطالبني أن أغمس جزرة في دبس فما أطعمتها.

وقال أبو بكر الجلاء :أعرف رجلًا تقول له نفسه أنا أصبر لك على طي عشرة أيام وأطعمني بعد ذلك شهوة أشتهيها، فيقول لها: لا أريد أن تطوي عشرة أيام ولكن اتركي هذه الشهوة.

وروي أن عابدًا دعا بعض إخوانه فقرّب إليه رغفانًا فجعل أخوه يقلب الأرغفة ليختار أجودها فقال له العابد: مه أي شيء تصنع أما علمت أن في الرغيف الذي رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانعًا، حتى استدار من السحاب الذي يحمل الماء والماء الذي يسقي الأرض والرياح والأرض والبهائم وبني آدم حتى صار إليك، ثم أنت بعد هذا تقلبه ولا ترضى به.

وفي الخبر :«لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلاثمائة وستون صانعًا أولهم ميكائيل عليه السلام الذي يكيل الماء من خزائن الرحمة، ثم الملائكة التي تزجي السحاب والشمس والقمر والأفلاك وملائكة الهواء ودواب الأرض، وآخرهم الخباز: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨]»[1] وقال بعضهم: أتيت قاسمًا الجرعي فسألته عن الزهد أي شيء هو؟ فقال: أي شيء سمعت فيه؟ فعددت أقوالًا فسكت فقلت: وأي شيء تقول أنت؟ فقال: اعلم أن البطن دنيا العبد فبقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد، وبقدر ما يملكه بطنه تملكه الدنيا، وكان بشر بن الحارث قد اعتل مرة، فأتى عبد الرحمن الطبيب يسأله عن شيء يوافقه من المأكولات، فقال: تسألني فإذا وصفت لك لم تقبل مني، قال: صف لي حتى أسمع، قال: تشرب سكنجبينًا وتمص سفرجلًا وتأكل بعد ذلك اسفيذباجًا، فقال له بشر: هل تعلم شيئًا أقل من السكنجبين يقوم مقامه، قال: لا، قال: أنا أعرف، قال: ما هو؟ قال: الهندباء بالخل، ثم قال: أتعرف شيئًا أقل من السفرجل يقوم مقامه؟ قال: لا، قال أنا أعرف قال: ما هو؟ قال: الخرنوب الشامي، قال: فتعرف شيئًا أقل من الاسفيذباج يقوم مقامه؟ قال: لا، قال: أنا أعرف؛ ماء الحمص بسمن البقر في معناه، فقال له عبد الرحمن: أنت أعلم مني بالطب؛ فلم تسألني؟.

فقد عرفت بهذا أن هؤلاء امتنعوا من الشهوات ومن الشبع من الأقوات، وكان امتناعهم للفوائد التي ذكرناها، وفي بعض الأوقات لأنهم كانوا لا يصفو لهم الحلال فلم يرخصوا لأنفسهم إلا في قدر الضرورة، والشهوات ليست من الضرورات حتى قال أبو سليمان: الملح

(١) حديث «لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلاثمائة وستون صانعا أو لهم ميكائيل .... الحديث». لم أجد له أصلا.

شهوة لأنه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة. وهذا هو النهاية. فمن لم يقدر على ذلك فينبغي أن لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات، فكفى بالمرء إسرافًا أن يأكل كل ما يشتهيه، ويفعل كل ما يهواه فينبغي أن لا يواظب على أكل اللحم.

وقال علي كرم الله وجهه: من ترك اللحم أربعين يومًا ساء خلقه ومن داوم عليه أربعين يومًا قسا قلبه.

وقيل إن للمداومة على اللحم ضراوة كضراوة الخمر.

ومهما كان جائعًا وشاقت نفسه إلى الجماع فلا ينبغي أن يأكل ويجامع، فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه، وربما طلبت النفس الأكل لينشط في الجماع. ويستحب أن لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه لذلك، ولكن ليصلّ أو ليجلس فيذكر الله تعالى فإنه أقرب إلى الشكر.

وفي الحديث: «أَذِيبُوا طَعَامَكُمْ بِالذِّكْرِ وَالصَّلاةِ وَلا تَنَامُوا عَلَيْهِ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ»[1]، وأقل ذلك أن يصلي أربع ركعات أو يسبح مائة تسبيحة أو يقرأ جزءًا من القرآن عقيب أكله.

فقد كان سفيان الثوري إذا شبع ليلة أحياها، وإذا شبع في يوم واصله بالصلاة والذكر، وكان يقول: أشبع الزنجي وكدّه ومرة يقول: أشبع الحمار وكدّه.

ومهما اشتهى شيئًا من الطعام وطيبات الفواكه فينبغي أن يترك الخبز ويأكلها بدلًا منه لتكون قوتًا، ولا تكون تفكهًا لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة.

نظر سهل إلى ابن سالم وفي يده خبز وتمر فقال له: ابدأ بالتمر فإن قامت كفايتك به وإلا أخذت من الخبز بعده بقدر حاجتك. ومهما وجد طعامًا لطيفًا وغليظًا فليقدم اللطيف فإنه لا يشتهي الغليظ بعده، ولو قدّم الغليظ لأكل اللطيف أيضًا للطافته. وكان بعضهم يقول لأصحابه: لا تأكلوا الشهوات فإن أكلتموها فلا تطلبوها فإن طلبتموها فلا تحبوها، وطلب بعض أنواع الخبز شهوة. قال عبد الله بن عمر رحمة الله عليهما: ما تأتينا من العراق فاكهة أحب إلينا من الخبز فرأى ذلك الخبز فاكهة.

وعلى الجملة؛ لا سبيل إلى إهمال النفس في الشهوات المباحات واتباعها بكل حال فبقدر ما يستوفي العبد من شهوته يخشى أن يقال له يوم القيامة: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠] وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع في الدار الآخرة بشهواته. قال بعض أهل البصرة: نازعتني نفسي خبز أرز وسمكًا فمنعتها، فقويت مطالبتها واشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة، فلما مات قال بعضهم: رأيته في المنام فقلت ماذا فعل الله بك؟ قال: لا أحسن أن أصف ما تلقاني به ربي من النعم والكرامات، وكان أول شيء استقبلني به خبز أرز وسمكًا. وقال: كل اليوم شهوتك هنيئًا بغير حساب. وقد قال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا

(١) موضوع: حديث «أذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم». أخرجه الطبراني وابن السني في اليوم والليلة من حديث عائشة بسند ضعيف [السلسلة الضعيفة: ١١٥].

هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾[الحاقة:٢٤] وكانوا قد أسلفوا ترك الشهوات. ولذلك قال أبو سليمان: ترك شهوة من الشهوات أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها. وفقنا الله لما يرضيه.

بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه

اعلم أنّ المطلوب الأقصى في جميع الأمور والأخلاق: الوسط، إذ خير الأمور أوساطها وكلا طرفي قصد الأمور ذميم. وما أوردناه في فضائل الجوع ربما يومئ إلى أنّ الإفراط فيه مطلوب وهيهات، ولكن من أسرار حكمة الشريعة أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه، على وجه يومئ عند الجاهل إلى أنّ المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الإمكان.

والعالم يدرك أنّ المقصود الوسط، لأنّ الطبع إذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي أن يمدح غاية الجوع، حتى يكون الطبع باعثًا والشرع مانعًا فيتقاومان ويحصل الاعتدال، فإنّ من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم أنه لا ينتهي إلى الغاية؛ فإنه إن أسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع أيضًا ما يدل على إساءته، كما أنّ الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار، ثم لما علم النبي ﷺ من حال بعضهم أنه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه[1]، فإذا عرفت هذا فاعلم أنّ الأفضل بالإضافة إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بألم الجوع، بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه الجوع أصلًا، فإن مقصود الأكل بقاء الحياة وقوة العبادة، وثقل المعدة يمنع من العبادة وألم الجوع أيضًا يشغل القلب ويمنع منها.

فالمقصود أن يأكل أكلًا لا يبقى للمأكول فيه أثر ليكون متشبهًا بالملائكة فإنهم مقدّسون عن ثقل الطعام وألم الجوع، وغاية الإنسان الاقتداء بهم.

وإذا لم يكن للإنسان خلاص من الشبع والجوع فأبعد الأحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال.

ومثال طلب الآدمي البعد عن هذه الأطراف المتقابلة بالرجوع إلى الوسط مثال نملة ألقيت في وسط حلقة محمية على النار مطروحة على الأرض، فإنّ النملة تهرب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج منها.

فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط، فلو ماتت ماتت على الوسط لأنّ الوسط هو أبعد المواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة، فكذلك الشهوات محيطة بالإنسان إحاطة تلك الحلقة بالنملة، والملائكة خارجون عن تلك الحلقة، ولا مطمع للإنسان في الخروج وهو يريد أن يتشبه بالملائكة في الخلاص، فأشبه أحواله بهم البعد، وأبعد المواضع عن الأطراف الوسط، فصار الوسط مطلوبًا في جميع هذه الأحوال المتقابلة.

---

(١) حديث: النهي عن صوم الدهر كله وقيام الليل كله. تقدم.

وعنه عبر بقوله ﷺ «خَيْرُ الأُمُورِ أَوْسَاطُها» (١)، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف:٣١]ومهما لم يحس الإنسان بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوي على العمل مع خفته، ولكن هذا بعد اعتدال الطبع.

أما في بداية الأمر إذا كانت النفس جموحًا متشوقة إلى الشهوات مائلة إلى الإفراط فالاعتدال لا ينفعها بل لا بد من المبالغة في إيلامها بالجوع، كما يبالغ في إيلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره إلى أن تعتدل، فإذا ارتاضت واستوت ورجعت إلى الاعتدال ترك تعذيبها وإيلامها.

ولأجل هذا السر يأمر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه هو في نفسه فيأمره بالجوع وهو لا يجوع، ويمنعه الفواكه والشهوات، وقد لا يمتنع هو منها، لأنه قد فرغ من تأديب نفسه فاستغنى عن التعذيب.

ولما كان أغلب أحوال النفس الشره والشهوة والجماح والامتناع عن العبادة، كان الأصلح لها الجوع الذي تحس بألمه في أكثر الأحوال لتنكسر نفسه.

والمقصود أن تنكسر حتى تعتدل فترد بعد ذلك الغذاء أيضًا إلى الاعتدال. وإنما يمتنع من ملازمة الجوع من سالكي طريق الآخرة: إما صدّيق وإما مغرور أحمق.

أما الصديق: فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن أن يساق بسياط الجوع إلى الحق.

وأما المغرور: فلظنه بنفسه أنه الصدّيق المستغني عن تأديب نفسه الظان بها خيرًا.

وهذا غرور عظيم وهو الأغلب.

فإن النفس قلما تتأدب تأدبًا كاملًا، وكثيرًا ما تغتر فتنظر إلى الصدّيق ومسامحته نفسه في ذلك فيسامح نفسه، كالمريض ينظر إلى من قد صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة فيهلك.

والذي يدل على أن تقدير الطعام بمقدار يسير، في وقت مخصوص ونوع مخصوص - ليس مقصودًا في نفسه، وإنما هو مجاهدة نفس متنائية عن الحق غير بالغة رتبة الكمال، أن رسول الله ﷺ لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه.

قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم (٢)، وكان يدخل على أهله فيقول: «هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ شَيْءٍ» فإن قالوا: نعم أكل وإن قالوا لا قال: «إني إذًا صائم» (٣)، وكان يقدّم إليه الشيء فيقول: «أَمَا إِنِّي قَدْ أَرَدْتُ

(١) حديث «خير الأمور أوسطها». أخرجه البيهقي في الشعب مرسلا وقد تقدم.

(٢) صحيح: حديث عائشة: كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم. متفق عليه [البخاري: ١٩٦٩، مسلم: ١١٥٦].

(٣) حديث: كان يدخل على أهله فيقول «هل عندكم من شيء» فإن قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال «إني صائم». أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي من حديث عائشة وهو عند مسلم بنحوه كما سيأتي

الصَّوْمَ» (١) ثم يأكل، وخرج يومًا ﷺ وقال: «إِنِّي صَائِمٌ» فقالت له عائشة رضي الله عنها: قد أهدي إلينا حيس فقال: «كُنْتُ أَرَدْتُ الصَّوْمَ وَلكِنْ قَرِّبِيهِ» (٢).

ولذلك حكي عن سهل أنه قيل له: كيف كنت في بدايتك؟ فأخبر بضروب من الرياضات، منها: أنه كان يقتات ورق النبق مدة.

ومنها: أنه أكل دقاق التين مدّة ثلاث سنين، ثم ذكر أنه اقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين فقيل له: فكيف أنت في وقتك هذا؟ فقال: آكل بلا حدّ ولا توقيت. وليس المراد بقوله بلا حدّ ولا توقيت: أني آكل كثيرًا، بل أني لا أقدّر بمقدار واحد ما آكله.

وقد كان معروف الكرخي يهدي إليه طيبات الطعام فيأكل، فقيل له: إن أخاك بشرًا لا يأكل مثل هذا؟ فقال: إن أخي بشرًا قبضه الورع وأنا بسطتني المعرفة، ثم قال: إنما أنا ضيف في دار مولاي فإذا أطعمني أكلت وإذا جوعني صبرت، ما لي والاعتراض والتمييز؟ ودفع إبراهيم بن أدهم إلى بعض إخوانه دراهم وقال: خذ لنا بهذه الدراهم زبدًا وعسلًا وخبزًا حواريًا فقيل: يا أبا إسحاق بهذا كله؟ قال ويحك إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال وإذا عدمنا صبرنا صبر الرجال. وأصلح ذات يوم طعامًا كثيرًا ودعا إليه نفرًا يسيرًا فيهم الأوزاعي والثوري فقال له الثوري: يا أبا إسحاق أما تخاف أن يكون هذا إسرافًا؟ فقال: ليس في الطعام إسراف إنما الإسراف في اللباس والأثاث.

فالذي أخذ العلم من السماع والنقل تقليدًا يرى هذا من إبراهيم بن أدهم ويسمع عن مالك بن دينار أنه قال ما دخل بيتي الملح منذ عشرين سنة.

وعن سري السقطي أنه منذ أربعين سنة يشتهي أن يغمس جزرة في دبس فما فعل. فيراه متناقضًا فيتحير أو يقطع بأن أحدهما مخطئ. والبصير بأسرار القول يعلم أن كل ذلك حق ولكن بالإضافة إلى اختلاف الأحوال ثم هذه الأحوال المختلفة يسمعها فطن محتاط أو غبي مغرور.

فيقول المحتاط: ما أنا من جملة العارفين حتى أسامح نفسي فليس نفسي أطوع من نفس سري السقطي ومالك بن دينار، وهؤلاء من الممتنعين عن الشهوات فيقتدى بهم.

والمغرور يقول: ما نفسي بأعصى عليّ من نفس معروف الكرخي وإبراهيم بن أدهم فأقتدي بهم وأرفع التقدير في مأكولي، فأنا أيضًا ضيف في دار مولاي فما لي وللاعتراض؟ ثم إنه لو قصر أحد في حقه وتوقيره أو في ماله وجاهه بطريقة واحدة قامت القيامة عليه واشتغل بالاعتراض، وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمقى، بل رفع التقدير في الطعام والصيام وأكل

[مسلم: ١١٥٤].

(١) حديث: كان يقدم إليه الشيء فيقول «أما إني كنت أريد الصوم». أخرجه البيهقي من حديث عائشة بلفظ «وإن كنت قد فرضت الصوم» وقال إسناده صحيح وعند مسلم «قد كنت أصبحت صائما».

(٢) حديث: خرج وقال «إني صائم» فقالت عائشة يا رسول الله قد أهدي إلينا حيس فقال «كنت أردت الصوم ولكن قربيه». أخرجه مسلم بلفظ «قد كنت أصبحت صائما» وفي رواية له «أدنيه فقد أصبحت صائما» فأكل وفي لفظ للبيهقي «إني كنت أريد الصوم ولكن قربيه».

الشهوات لا يسلم إلا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنبوّة، فيكون بينه وبين الله علامة في استرساله وانقباضه، ولا يكون ذلك إلا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكلية، حتى يكون أكله إذا أكل على نية كما يكون إمساكه بنية، فيكون عاملًا لله في أكله وإفطاره، فينبغي أن يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فإنه كان يرى رسول الله ﷺ يحب العسل ويأكله [(١)] ثم لم يقس نفسه عليه، بل لما عرضت عليه شربة باردة ممزوجة بعسل جعل يدير الإناء في يده ويقول: اشربها وتذهب حلاوتها وتبقى تبعتها.

اعزلوا عني حسابها، وتركها.

وهذه الأسرار لا يجوز لشيخ أن يكاشف بها مريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط، ولا يدعوه إلى الاعتدال فإنه يقصر لا محالة عما يدعوه إليه.

فينبغي أن يدعوه إلى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال.

ولا يذكر له أن العارف الكامل يستغني عن الرياضة، فإن الشيطان يجد متعلقًا من قلبه فيلقي إليه كل ساعة: إنك عارف كامل، وما الذي فاتك من المعرفة والكمال.

بل كان من عادة إبراهيم الخواص أن يخوض مع المريد في كل رياضة كان يأمره بها، كي لا يخطر بباله أن الشيخ يأمره بما لم يفعل فينفره ذلك من رياضته.

والقوي إذا اشتغل بالرياضة وإصلاح الغير لزمه النزول إلى حد الضعفاء تشبهًا بهم وتلطفًا في سياقتهم إلى السعادة.

وهذا ابتلاء عظيم للأنبياء والأولياء وإذا كان الاعتدال خفيًا في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغي أن لا يترك في كل حال.

ولذلك أدب عمر رضي الله عنه ولده عبد الله إذ دخل عليه فوجده يأكل لحمًا مأدومًا بسمن، فعلاه بالدرة وقال: لا أم لك كُلْ يومًا خبزًا ولحمًا، ويومًا خبزًا ولبنًا، ويومًا خبزًا وسمنًا، ويومًا خبزًا وزيتًا، ويومًا خبزًا وملحًا، ويومًا خبزًا قفارًا.

وهذا هو الاعتدال، فأما المواظبة على اللحم والشهوات فإفراط وإسراف، ومهاجرة اللحم بالكلية إقتار. وهذا قوام بين ذلك، والله تعالى أعلم.

بيان آفة الرياء المتطرق الى من ترك أكل الشهوات وقلل الطعام

اعلم أنه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما أعظم من أكل الشهوات:

إحداهما: أن لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها، ولكن لا يريد أن يعرف بأنه يشتهيها فيخفي الشهوة ويأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة. وهذا هو الشرك الخفي، سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل له: هل تعلم به بأسًا؟ قال يأكل في الخلوة

---

(١) صحيح: حديث: كان يحب العسل ويأكله. متفق عليه من حديث عائشة: كان يحب الحلواء والعسل... الحديث. وفيه قصة شربه العسل عند بعض نسائه [البخاري: ٢٥٦٨].

ما لا يأكل مع الجماعة. وهذه آفة عظيمة، بل حق العبد إذا ابتلي بالشهوات وحبها أن يظهرها فإن هذا صدق الحال، وهو بدل عن فوات المجاهدات بالأعمال، فإن إخفاء النقص وإظهار ضده من الكمال هو نقصانان متضاعفان، والكذب مع الإخفاء كذبان، فيكون مستحقًا لمقتين ولا يرضى منه إلا بتوبتين صادقتين.

ولذلك شدد أمر المنافقين فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥] لأن الكافر كفر وأظهر وهذا كفر وستر، فكان ستره لكفره كفرًا آخر لأنه استخف بنظر الله سبحانه وتعالى إلى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره، والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والغش والإخفاء. بل كمال العارف أن يترك الشهوات لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة إسقاطًا لمنزلته من قلوب الخلق. وكان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في البيت وهو فيها من الزاهدين، وإنما يقصد به تلبيس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوشون عليه حاله.

فنهاية الزهد: الزهد في الزهد بإظهار ضدّه وهذا عمل الصدّيقين. فإنه جمع بين صدقين كما أن الأول جمع بين كذبين. وهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرّعها كأس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة برميه؛ فلا جرم أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا.

وهذا يضاهي طريق من يعطي جهرًا فيأخذ ويرد سرًا ليكسر نفسه بالذل جهرًا وبالفقر سرًا. فمن فاته هذا فلا ينبغي أن يفوته إظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه.

ولا ينبغي أن يغره قول الشيطان: إنك إذا أظهرت اقتدى بك غيرك فاستره إصلاحًا لغيرك، فإنه لو قصد إصلاح غيره لكان إصلاح نفسه أهم عليه من غيره، فهذا إنما يقصد الرياء المجرد ويروّجه الشيطان عليه في معرض إصلاح غيره، فلذلك ثقل عليه ظهور ذلك منه واعلم أن من اطلع عليه ليس يقتدى به في الفعل أو لا ينزجر باعتقاده أنه تارك للشهوات.

الآفة الثانية: أن يقدر على ترك الشهوات لكنه يفرح أن يعرف به فيشتهر بالتعفف عن الشهوات، فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الأكل وأطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه، وتلك هي الشهوة الخفية فمهما أحس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة آكد من كسر شهوة الطعام فليأكل فهو أولى له. قال أبو سليمان: إذا قدمت إليك شهوة وقد كنت تاركًا لها فأصب منها شيئًا يسيرًا ولا تعط نفسك مناها، فتكون قد أسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد نغصت عليها إذ لم تعطها شهوتها. وقال جعفر بن محمد الصادق: إذا قدمت إليّ شهوة نظرت إلى نفسي فإن هي أظهرت شهوتها أطعمتها منها وكان ذلك أفضل من منعها، وإن أخفت شهوتها وأظهرت العزوب عنها عاقبتها بالترك ولم أنلها منها شيئًا، وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية.

وبالجملة؛ من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب وفزع إلى حية؛ لأن شهوة الرياء أضر كثيرًا من شهوة الطعام والله ولي التوفيق.

القول في شهوة الفرج:

اعلم أن شهوة الوقاع سلطت على الإنسان لفائدتين:

إحداهما: أن يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة. فإن لذة الوقاع لو دامت لكانت أقوى لذات الأجساد، كما أن النار وآلامها أعظم آلام الجسد.

والترغيب والترهيب يسوق الناس إلى سعادتهم وليس ذلك إلا بألم محسوس ولذة محسوسة مدركة، فإن ما لا يدرك بالذوق لا يعظم إليه الشوق.

الفائدة الثانية: بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها. ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا إن لم تضبط ولم تقهر ولم ترد إلى حد الاعتدال.

وقد قيل في تأويل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٦] معناه شدة الغلمة، وعن ابن عباس: في قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق:٣] قال: هو قيام الذكر. وقد أسنده بعض الرواة إلى رسول الله ﷺ إلا أنه قال في تفسيره: الذكر إذا دخل.

وقد قيل: إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله [(١)]، وكان ﷺ يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَبَصَرِي وَقَلْبِي وَهَنِيِّ وَمَنِيِّي» [(٢)]، وقال عليه السلام: «النِّسَاءُ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ وَلَوْلا هذِهِ الشَّهْوَةُ لَمَا كَانَ لِلنِّسَاءِ سَلْطَنَةٌ عَلَى الرِّجَالِ» [(٣)].

روي أن موسى عليه السلام كان جالسًا في بعض مجالسه إذ أقبل إليه إبليس وعليه برنس يتلون فيه ألوانًا؛ فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه، ثم أتاه فقال: السلام عليك يا موسى، فقال له موسى: من أنت؟ فقال: أنا إبليس، فقال: لا حياك الله ما جاء بك؟ قال: جئت لأسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانتك منه، قال: فما الذي رأيت عليك؟ قال: برنس أختطف به قلوب بني آدم قال: فما الذي إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه قال: إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه، وأحذرك ثلاثًا: لا تخل بامرأة لا تحل لك فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أفتنه بها وأفتنها به، ولا تعاهد الله عهدًا إلا وفيت به، ولا تخرجن صدقة إلا أمضيتها فإنه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء بها. ثم ولى وهو يقول: يا ويلتاه علم موسى ما يحذر به بني آدم. وعن سعيد بن المسيب قال: ما بعث الله نبيًا فيما خلا إلا لم ييأس إبليس أن يهلكه بالنساء ولا شيء أخوف عندي منهن، وما بالمدينة بيت أدخله إلا بيتي وبيت ابنتي أغتسل فيه يوم الجمعة ثم أروح.

---

(١) حديث ابن عباس موقوفا مسندا في قوله تعالى ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق:٣] قال هو قيام الذكر وقال الذي أسنده: الذكر إذا دخل. هذا حديث لا أصل له.

(٢) حديث «اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي وهني ومني». تقدم في الدعوات.

(٣) ضعيف: حديث «النساء حبائل الشيطان». أخرجه الأصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث خالد بن زيد الجهني بإسناد فيه جهالة [ضعيف الترغيب: ١٤١٤].

وقال بعضهم: إن الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جندي وأنت سهمي الذي أرمي به فلا أخطئ، وأنت موضع سري وأنت رسولي في حاجتي. فنصف جنده الشهوة ونصف جنده الغضب.

وأعظم الشهوات شهوة النساء. وهذه الشهوة أيضًا لها إفراط وتفريط واعتدال، فالإفراط: ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجال إلى الاستمتاع بالنساء والجواري، فيحرم عن سلوك طريق الآخرة أو يقهر الدين حتى يجر إلى اقتحام الفواحش. وقد ينتهي إفراطها بطائفة إلى أمرين شنيعين:

أحدهما: أن يتناولوا ما يقوي شهواتهم على الاستكثار من الوقاع، كما قد يتناول بعض الناس أدوية تقوي المعدة لتعظم شهوة الطعام، وما مثال ذلك إلا كمن ابتلي بسباع ضارية وحيات عادية فتنام عنه في بعض الأوقات فيحتال لإثارتها وتهييجها ثم يشتغل بإصلاحها وعلاجها، فإن شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الإنسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص.

فإن قلت: فقد روي في غريب الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «شَكَوْتُ إلى جِبْرَائِيلَ ضَعْفَ الوِقَاعِ فَأَمَرَنِي بِأَكْلِ الهَرِيسَةِ»؟ [1] فاعلم أنه ﷺ كان تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالإمتاع، وحرم على غيره نكاحهن وإن طلقهن، فكان طلبه القوة لهذا لا للتمتع.

والأمر الثاني: أنه قد تنتهي هذه الشهوة ببعض الضلال إلى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع، وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهائم لأن المتعشق ليس يقنع بإراقة شهوة الوقاع وهي أقبح الشهوات وأجدرها أن يستحيا منه حتى اعتقد أن الشهوة لا تنقضي إلا من محل واحد، والبهيمة تقضي الشهوة أين اتفق فتكتفي به؟ وهذا لا يكتفي إلا بشخص واحد معين حتى يزداد به ذلًا إلى ذل وعبودية إلى عبودية، وحتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعًا لا ليكون خادمًا للشهوة ومحتالًا لأجلها وما العشق إلا سعة إفراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا هم له.

وإنما يجب الاحتراز من أوائله بترك معاودة النظر والفكر، وإلا فإذا استحكم عسر دفعه.

فكذلك عشق المال والجاه والعقار والأولاد حتى حب اللعب بالطيور والنرد والشطرنج، فإن هذه الأمور قد تستولي على طائفة بحيث تنغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة.

ومثال من يكثر سورة العشق في أول انبعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها إلى باب لتدخله، وما أهون منعها بصرف عنانها.

ومثال من يعالجها بعد استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبها ويجرها إلى ورائها. وما أعظم التفاوت بين الأمرين في اليسر والعسر، فليكن الاحتياط

(١) حديث «شكوت إلى جبريل ضعف الوقاع فأمرني بأكل الهريسة». أخرجه العقيلي في الضعفاء والطبراني في الأوسط من حديث حذيفة وقد تقدم وهو موضوع.

في بدايات الأمور فأما في أواخرها فلا تقبل العلاج إلا بجهد جهيد يكاد يؤدي إلى نزع الروح.

فإذًا إفراط الشهوة أن يغلب العقل إلى هذا الحد وهو مذموم جدًّا. وتفريطها: بالعنة أو بالضعف عن إمتاع المنكوحة، وهو أيضًا مذموم.

وإنما المحمود أن تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع في انقباضها وانبساطها. ومهما أفرطت فكسرها بالجوع والنكاح. قال ﷺ: «مَعَاشِرَ الشَّبَابِ عَلَيْكُمْ بِالبَاءَةِ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَالصَّوْمُ لَهُ وِجَاءٌ» (١).

بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله

اعلم أنّ المريد في ابتداء أمره ينبغي أن لا يشغل نفسه بالتزويج فإنّ ذلك شغل شاغل يمنعه من السلوك ويستجرّه إلى الأنس بالزوجة. ومن أنس بغير الله تعالى شغل عن الله ولا يغرّنه كثرة نكاح رسول الله ﷺ فإنه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى (٢)، فلا تقاس الملائكة بالحدادين.

ولذلك قال أبو سليمان الداراني: من تزوّج فقد ركن إلى الدنيا. وقال: ما رأيت مريدًا تزوّج فثبت على حاله الأول. وقيل له مرة: ما أحوجك إلى امرأة تأنس بها؟ فقال: لا آنسني الله بها، أي أن الأنس بها يمنع الأنس بالله تعالى، وقال أيضًا: كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤوم.

فكيف يقاس غير رسول الله ﷺ به؟ وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه إلى حدّ كان يخشى منه في بعض الأحوال أن يسري ذلك إلى قالبه فيهدمه. فلذلك كان يضرب بيده على فخذ عائشة أحيانًا ويقول: «كَلِّمِينِي يا عَائِشَةُ» لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه عنه (٣)، فقد كان طبعه الأنس بالله عز وجل، وكان أنسه بالخلق عارضًا رفقًا ببدنه، ثم إنه كان لا يطيق الصبر مع الخلق إذا جالسهم فإذا ضاق صدره قال: «أرحنا بها يا بلال» (٤)، حتى يعود إلى ما هو قرّة عينه (٥)، فالضعيف إذا لاحظ أحواله في مثل هذه الأمور فهو مغرور لأن الأفهام تقصر عن الوقوف على أسرار أفعاله ﷺ. فشرط المريد العزبة في الابتداء إلى أن يقوى في المعرفة، هذا إذا لم تغلبه الشهوة فإن غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم، فإن لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلًا، وإن قدر على حفظ الفرج فالنكاح له أولى لتسكن الشهوة، وإلا فمهما لم يحفظ عينه لم يحفظ عليه فكره ويتفرّق عليه همه، وربما وقع في بلية لا يطيقها. وزنى العين من كبائر

---

(١) حديث «معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فالصوم له وجاء». تقدم في النكاح.
(٢) حديث: كان لا يشغل قلبه عن الله تعالى جميع ما في الدنيا. تقدم.
(٣) حديث: كان يضرب يده على فخذ عائشة أحيانا ويقول «كلميني يا عائشة». لم أجد له أصلا.
(٤) حديث «أرحنا بها يا بلال». تقدم في الصلاة.
(٥) حديث: إن الصلاة كانت قرة عينه. تقدم أيضا.

الصغائر وهو يؤدي إلى القرب على الكبيرة الفاحشة وهي زنى الفرج. ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ فرجه.

قال عيسى عليه السلام: إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة.

وقال سعيد بن جبير: إنما جاءت الفتنة لداود عليه السلام من قبل النظرة. ولذلك قال لابنه عليه السلام: يا بني امش خلف الأسد والأسود ولا تمش خلف المرأة وقيل ليحيى عليه السلام: ما بدء الزنى؟ قال: النظر والتمني.

وقال الفضيل: يقول إبليس هو قوسي القديمة وسهمي الذي لا أخطئ به يعني النظر. وقال رسول الله ﷺ: «النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ فَمَنْ تَرَكَها خَوْفًا مِنَ الله تَعَالَى أَعْطَاهُ الله تَعَالَى إِيمانًا يَجِدُ حَلاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ»(١)، وقال ﷺ: «ما تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»(٢)، وقال ﷺ: «اتَّقُوا فِتْنَةَ الدُّنْيَا وَفِتْنَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ مِنْ قِبَلِ النِّسَاءِ»(٣)، وقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] الآية. وقال عليه السلام: «لِكُلِّ ابْنِ آدَمَ حَظٌّ مِنَ الزِّنَى فَالْعَيْنَانِ تَزْنِيانِ وَزِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْيَدَانِ تَزْنِيانِ وَزِنَاهُما الْبَطْشُ، والرِّجْلانِ تَزْنِيَانِ وَزِنَاهُمَا الْمَشْيُ، وَالفَمُ يَزْنِي وَزِنَاهُ الْقُبْلَةُ، وَالْقَلْبُ يَهُمُّ أَوْ يَتَمَنَّى وَيُصَدِّقُ ذلِكَ الفَرْجُ أَوْ يُكَذِّبُهُ»(٤)، وقالت أم سلمة: استأذن ابن أم مكتوم الأعمى على رسول الله ﷺ وأنا وميمونة جالستان، فقال عليه السلام: «احْتَجِبَا» فقلنا: أو ليس بأعمى لا يبصرنا؟ فقال: «وَأَنْتُما لا تُبْصِرَانِهِ»؟(٥). وهذا يدل على أنه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت به العادة في المآتم والولائم، فيحرم على الأعمى الخلوة بالنساء، ويحرم على المرأة مجالسة الأعمى وتحديق النظر إليه لغير حاجة، وإنما جوّز للنساء محادثة الرجال والنظر إليهم لأجل عموم الحاجة، وإن قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالنكاح أولى به، فإنّ الشر في الصبيان أكثر، فإن لو مال قلبه إلى امرأة أمكنه الوصول إلى استباحتها بالنكاح. والنظر إلى وجه الصبي بالشهوة حرام، بل كل من يتأثر قلبه بجمال صورة الأمرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحي لم يحل له النظر إليه.

فإن قلت: كل ذي حسّ يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة ولم تزل وجوه

---

(١) حديث «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ... الحديث». تقدم أيضا.

(٢) صحيح: حديث «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء». متفق عليه من حديث أسامة بن زيد [البخاري: ٥٠٩٦، مسلم: ٢٧٤١].

(٣) صحيح: حديث «اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء». أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري [مسلم: ٢٧٤٢].

(٤) صحيح: حديث «لكل ابن آدم حظ من الزنا فالعينان تزنيان .... الحديث». أخرجه مسلم والبيهقي واللفظ له من حديث أبي هريرة [مسلم: ٢٦٥٧] واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس نحوه.

(٥) ضعيف: حديث أم سلمة: استأذن ابن أم مكتوم الأعمى وأنا وميمونة جالستان فقال «احتجبا» فقلنا: أو ليس بأعمى لا يبصر؟ فقال «وأنتما لا تبصرانه؟». أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وقال حسن صحيح [أبو داود: ٤١١٢، وضعفه الألباني].

الصبيان مكشوفة؟ فأقول لست أعني تفرقة العين فقط، بل ينبغي أن يكون إدراكه التفرقة كإدراكه التفرقة بين شجرة خضراء وأخرى يابسة، وبين ماء صاف وماء كدر، وبين شجرة عليها أزهارها وأنوارها وشجرة تساقطت أوراقها، فإنه يميل إلى إحداهما بعينه وطبعه ولكن ميلاً خاليًا عن الشهوة، ولأجل ذلك لا يشتهي ملامسة الأزهار والأنوار وتقبيلها، ولا تقبيل الماء الصافي، وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين إليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لا شهوة فيها.

ويعرف ذلك بميل النفس إلى القرب والملامسة. فمهما وجد ذلك الميل في قلبه وأدرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والأثواب المنقشة والسقوف المذهبة فنظره نظر شهوة فهو حرام، وهذا مما يتهاون به الناس ويجرّهم ذلك إلى المعاطب وهم لا يشعرون.

قال بعض التابعين ما أنا بأخوف من السبع الضاري على الشاب الناسك من غلام أمرد يجلس إليه. وقال سفيان: لو أنّ رجلًا عبث بغلام بين أصبعين من أصابع رجله يريد الشهوة لكان لواطًا. وعن بعض السلف قال: سيكون في هذه الأمة ثلاثة أصناف لوطيون: صنف ينظرون، وصنف يصافحون، وصنف يعملون.

فإذًا آفة النظر إلى الأحداث عظيمة. فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له أن يكسر شهوته بالنكاح؛ فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع.

وقال بعضهم: غلبت علي شهوتي في بدء إرادتي بما لم أطق فأكثرت الضجيج إلى الله تعالى، فرأيت شخصًا في المنام فقال: ما لك؟ فشكوت إليه فقال: تقدّم إليّ، فتقدمت إليه فوضع يده على صدري فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي، فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة، ثم عاودني ذلك فأكثرت الاستغاثة فأتاني شخص في المنام فقال لي: أتحب أن يذهب ما تجده وأضرب عنقك؟ قلت: نعم، فقال: مدّ رقبتك؟ فمددتها فجرّد سيفًا من نور فضرب به عنقي فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة، ثم عاودني ذلك أو أشدّ منه فرأيت كأن شخصًا فيما بين جنبي وصدري يخاطبني ويقول: ويحك كم تسأل الله تعالى رفع ما لا يحب رفعه؟ قال: فتزوجت فانقطع ذلك عني وولد لي.

ومهما احتاج المريد إلى النكاح فلا ينبغي أن يترك شرط الإرادة في ابتداء النكاح ودوامه، أما في ابتدائه فبالنية الحسنة، وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة، كما فصلنا جميع ذلك في كتاب آداب النكاح فلا نطول بإعادته، وعلامة صدق إرادته أن ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية. قال بعضهم: من تزوج غنية كان له منها خمس خصال، مغالاة الصداق، وتسويف الزفاف، وفوت الخدمة، وكثرة النفقة، وإذا أراد طلاقها لم يقدر خوفًا على ذهاب مالها. والفقيرة بخلاف ذلك.

وقال بعضهم: ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل بأربع وإلا استحقرته: بالسنّ، والطول، والمال، والحسب، وأن تكون فوقه بأربع: بالجمال، والأدب، والورع والخلق وعلامة صدق

الإرادة في دوام النكاح الخلق.

تزوج بعض المريدين بامرأة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المرأة وشكت ذلك إلى أبيها وقالت: قد تحيرت في هذا الرجل أنا في منزله منذ سنين ما ذهبت إلى الخلاء قط إلا وحمل الماء قبلي إليه؟ وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال فلما قرب زفافها أصابها الجدري فاشتدّ حزن أهلها لذلك خوفًا من أن يستقبحها، فأراهم الرجل أنه قد أصابه رمد، ثم أراهم أن بصره قد ذهب حتى زفت إليه فزال عنهم الحزن، فبقيت عنده عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينيه حين ذلك، فقيل له في ذلك فقال تعمدته لأجل أهلها حتى لا يحزنوا، فقيل له: قد سبقت إخوانك بهذا الخلق.

وتزوج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقيل له: لم لا تطلقها؟ فقال: أخشى أن يتزوجها من لا يصبر عليها فيتأذى بها، فإن تزوج المريد فهكذا ينبغي أن يكون، وإن قدر على الترك فهو أولى له، إذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم أن ذلك يشغله عن حاله، كما روي أن محمد بن سليمان الهاشمي كان يملك من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم، فكتب إلى أهل البصرة وعلمائها في امرأة يتزوجها فأجمعوا كلهم على رابعة العدوية رحمها الله تعالى.

فكتب إليها : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإن الله تعالى قد ملكني من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم، وليس تمضي الأيام والليالي حتى أتمها مائة ألف وأنا أصير لك مثلها ومثلها فأجيبيني. فكتبت إليه: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن، فإذا أتاك كتابي هذا فهيّئ زادك وقدم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال أوصياءك فيقتسموا تراثك؛ فصم الدهر وليكن فطرك الموت.

وأما أنا فلو أن الله تعالى خولني أمثال الذي خوّلك وأضعافه ما سرني أن أشتغل عن الله طرفة عين.

وهذه إشارة إلى أن كل ما يشغل عن الله تعالى فهو نقصان، فلينظر المريد إلى حاله وقلبه فإن وجده في العزوبة فهو الأقرب، وإن عجز عن ذلك فالنكاح أولى به.

ودواء هذه العلة ثلاثة أمور: الجوع، وغض البصر، والاشتغال بشغل يستولي على القلب. فإن لم تنفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذي يستأصل مادتها فقط. ولهذا كان السلف يبادرون إلى النكاح وإلى تزويج البنات، قال سعيد بن المسيب: ما أيس إبليس من أحد إلا وأتاه من قبل النساء، وقال سعيد أيضًا ، وهو ابن أربع وثمانين سنة، وقد ذهبت إحدى عينيه وهو يعشو بالأخرى ، ما شيء أخوف عندي من النساء، وعن عبد الله بن أبي وداعة قال: كنت أجالس سعيد بن المسيب فتفقدني أيامًا فلما أتيته قال: أين كنت؟ قلت: توفيت أهلي فاشتغلت بها، فقال: هلّا أخبرتنا فشهدناها؟ قال: ثم أردت أن أقوم فقال: هل استحدثت امرأة؟ فقلت:

يرحمك الله تعالى ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ فقال: أنا، فقلت: وتفعل؟ قال: نعم، فحمد الله تعالى وصلى على النبي ﷺ وزوجني على درهمين ، أو قال ثلاثة ، قال: فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح؟ فصرت إلى منزلي وجعلت أفكر ممن آخذ وممن أستدين فصليت المغرب وانصرفت إلى منزلي فأسرجت، وكنت صائمًا فقدمت عشائي لأفطر ، وكان خبزًا وزيتًا ، وإذا بابي يقرع فقلت: من هذا؟ قال: سعيد، قال: فأفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب ، وذلك أنه لم ير أربعين سنة إلا بين داره والمسجد ، قال: فخرجت إليه فإذا به سعيد بن المسيب فظننت أنه قد بدا له، فقلت: يا أبا محمد لو أرسلت إليّ لأتيتك؟ فقال: لا، أنت أحق أن تؤتى، قلت: فما تأمر؟ قال: إنك كنت رجلًا عزبًا فتزوجت فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك، وهذه امرأتك، وإذا هي قائمة خلفه في طوله ثم أخذ بيدها فدفعها في الباب ورده فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب ثم تقدمت إلى القصعة التي فيها الخبز والزيت فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه؛ ثم صعدت السطح فرميت الجيران فجاءوني وقالوا: ما شأنك؟ قلت: ويحكم زوّجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا: أو سعيد زوّجك؟ قلت: نعم؛ قالوا: وهي في الدار؟ قلت: نعم، فنزلوا إليها وبلغ ذلك أمي فجاءت وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام؛ قال:

فأقمت ثلاثًا ثم دخلت بها؛ فإذا هي أجمل النساء، وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحق الزوج؟ قال: فمكثت شهرًا لا يأتيني سعيد ولا آتيه؛ فلما كان بعد الشهر أتيته وهو في حلقته فسلمت عليه فرد عليّ السلام ولم يكلمني حتى تفرق الناس من المجلس، فقال: ما حال ذلك الإنسان؟ فقلت: بخير يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو، قال: إن رابك منه أمر فدونك والعصا فانصرفت إلى منزلي فوجه إليّ بعشرين ألف درهم.

قال عبد الله بن سليمان : وكانت بنت سعيد بن المسيب هذه قد خطبها منه عبد الملك ابن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد فأبى سعيد أن يزوجه، فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف. فاستعجال سعيد في الزفاف تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين إلى تطفئة نارها بالنكاح رضي الله تعالى عنه ورحمه.

بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

اعلم أن هذه الشهوة هي أغلب الشهوات على الإنسان وأعصاها عند الهيجان على العقل، إلا أن مقتضاها قبيح يستحيا منه ويخشى من اقتحامه، وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها إما لعجز أو لخوف أو لحياء أو لمحافظة على جسمه، وليس في شيء من ذلك ثواب فإنه إيثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخر. نعم من العصمة أن لا يقدر ففي هذه العوائق فائدة وهي دفع

الإثم، فإن من ترك الزنى اندفع عنه إثمه بأي سبب كان تركه؟ وإنما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفًا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسُّر الأسباب، لا سيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصدّيقين.

ولذلك قال ﷺ: «مَنْ عَشِقَ فَعَفَّ فَكَتَمَ فَمَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ» (١)، وقال عليه السلام: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُم الله يَوْمَ القِيَامَةِ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلاّ ظِلُّهُ، وَعَدَّ منهم: رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذاتُ جَمَالٍ وَحَسَبٍ إِلَى نَفْسِهَا فقالَ إِنِّي أَخَافُ الله رَبَّ العَالَمِينَ» (٢)، وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من زليخا مع القدرة ومع رغبتها معروفة، وقد أثنى الله تعالى عليه بذلك في كتابه العزيز، وهو إمام لكل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة.

وروي أن سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجهًا فدخلت عليه امرأة فسألته نفسه فامتنع عليها وخرج هاربًا من منزله وتركها فيه.

قال سليمان: فرأيت تلك الليلة في المنام يوسف عليه السلام وكأني أقول له أنت يوسف؟ قال: نعم أنا يوسف الذي هممت وأنت سليمان الذي لم تهم أشار إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف:٢٤] وعنه أيضًا ما هو أعجب من هذا.

وذلك أنه خرج من المدينة حاجًا ومعه رفيق له حتى نزلا بالأبواء فقام رفيقه وأخذ السفرة وانطلق إلى السوق ليبتاع شيئًا، وجلس سليمان في الخيمة وكان من أجمل الناس وجهًا وأورعهم، فبصرت به أعرابية من قلة الجبل وانحدرت إليه حتى وقفت بين يديه، وعليها البرقع والقفازان، فأسفرت عن وجه لها كأنه فلقة قمر وقالت أهنئني؛ فظن أنها تريد طعامًا فقام إلى فضلة السفرة ليعطيها فقالت: لست أريد هذا إنما أريد ما يكون من الرجل إلى أهله؟ فقال: جهزك إليّ إبليس؟ ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأخذ في النحيب فلم يزل يبكي فلما رأت منه ذلك سدلت البرقع على وجهها وانصرفت راجعة حتى بلغت أهلها.

وجاء رفيقه فرآه وقد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه فقال ما يبكيك؟ قال: خير ذكرت صبيتي.

قال: لا والله إلا أن لك قصة إنما عهدك بصبيتك منذ ثلاث أو نحوها، فلم يزل به حتى أخبره خبر الأعرابية، فوضع رفيقه السفرة وجعل يبكي بكاء شديدًا فقال سليمان: وأنت ما يبكيك؟ قال: أنا أحق بالبكاء منك لأني أخشى أن لو كنت مكانك لما صبرت عنها، فلم يزالا يبكيان، فلما انتهى سليمان إلى مكة فسعى وطاف ثم أتى الحجر، فاحتبى بثوبه فأخذته عينه فنام وإذا رجل وسيم طويل له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان: رحمك الله من أنت؟

(١) موضوع: حديث «من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد». أخرجه الحاكم في التاريخ من حديث ابن عباس وقال أنكر على سويد بن سعيد، ثم قال: يقال أن يحيى لما ذكر له هذا الحديث قال: لو كان لي فرس ورمح غزوت سويدا. ورواه الخرائطي من غير طريق سويد بسند فيه نظر [ضعيف الجامع: ٥٦٩٨].

(٢) حديث «سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظل عرشه .... الحديث». متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم.

قال له: أنا يوسف، قال: يوسف الصدّيق؟ قال: نعم، قال: إن في شأنك وشأن امرأة العزيز لعجبًا فقال له يوسف: شأنك وشأن صاحبة الأبواء أعجب.

وروي عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انْطَلَقَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آوَاهُمُ المَبِيتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوا فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ، فَقَالُوا إِنَّهُ لا يُنْجِيكُمْ مِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ إِلاَّ أَنْ تَدْعُوا الله تَعَالَى بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَكُنْتُ لا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلا مَالاً، فَنَأَى بِي طَلَبُ الشَّجَرِ يَوْمًا فَلَمْ أَرُحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ فَكَرِهْتُ أَنْ أَغبقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَمَالاً، فَلَبِثْتُ وَالقَدَحُ فِي يَدِي أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ حَوْلَ قَدَمِي فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُما، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا ما نَحْنُ فِيهِ مِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْهُ.

وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّه كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ فَرَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِها فَامْتَنَعَتْ مِنِّي، حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُها مائَةً وَعِشْرِينَ دِينارًا عَلَى أَنْ تُخْلِيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِها فَفَعَلَتْ، حَتَّى إِذا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ: اتَّقِ الله وَلا تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلاَّ بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُها، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا ما نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ عَنْهُمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْها.

وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ وَأَعْطَيْتُهُمْ أُجُورَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَإِنَّهُ تَرَكَ الأَجْرَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ فَنَمَّيْتُ لَهُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَال، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يا عَبْدَ الله أَعْطِنِي أَجْرِي، فَقُلْتُ: كُلُّ ما تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ وَالبَقَرِ وَالغَنَمِ وَالرَّقِيقِ؟ فَقَالَ: يا عَبْدَ الله أَتَهْزَأُ بِي؟ فَقُلْتُ: لا أَسْتَهْزِئُ بِكَ فَخُذْهُ، فَاسْتَاقَهُ وَأَخَذَهُ كُلَّهُ وَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا ما نَحْنُ فِيهِ فانْفَرَجَت الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ» (١).

فهذا فضل من تمكن من قضاء هذه الشهوة فعف وقريب منه من تمكن من قضاء شهوة العين، فإن العين مبدأ الزنى فحفظها مهم، وهو عسر من حيث إنه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والآفات كلها منه تنشأ. والنظرة الأولى إذا لم تقصد لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها. قال ﷺ: «لَكَ الأُولَى وَعَلَيْكَ الثَّانِيَةُ» (٢)، أي النظرة.

وقال العلاء بن زياد: لا تتبع بصرك رداء المرأة فإن النظر يزرع في القلب شهوة، وقلما يخلو الإنسان في ترداده عن وقوع البصر على النساء والصبيان. فمهما تخايل إليه الحسن

---

(١) صحيح: حديث ابن عمر «انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار ..... الحديث». رواه البخاري [البخاري: ٢٢٧٢].

(٢) حسن: حديث «لك الأولى وليست لك الثانية». أي النظرة أخرجه أبو داود والترمذي من حديث بريدة قاله لعلي قال الترمذي حديث غريب [أبو داود: ٢١٤٩، وحسنه الألباني].

تقاضى الطبع المعاودة وعنده ينبغي أن يقرر في نفسه أن هذه المعاودة عين الجهل، فإنه إن حقق النظر فاستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول فلا يحصل له إلا التحسر، وإن استقبح لم يلتذ وتألم لأنه قصد الالتذاذ فقد فعل ما آلمه، فلا يخلو في كلتا حالتيه عن معصية وعن تألم وعن تحسر.

ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات، فإن أخطأت عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق.

فقد روي عن أبي بكر بن عبد الله المزني: أن قصابًا أولع بجارية لبعض جيرانه فأرسلها أهلها في حاجة لهم إلى قرية أخرى فتبعها وراودها عن نفسها فقالت له: لا تفعل لأنا أشدّ حبًا لك منك لي ولكني أخاف الله، قال: فأنت تخافينه وأنا لا أخافه فرجع تائبًا فأصابه العطش حتى كاد يهلك فإذا هو برسول لبعض أنبياء بني إسرائيل فسأله فقال: ما لك؟ قال: العطش.

قال: تعال حتى ندعو الله بأن تظلنا سحابة حتى ندخل القرية، قال: ما لي من عمل صالح فأدعو، فادع أنت، قال: أنا أدعو وأمن أنت على دعائي فدعا الرسول وأمن هو فأظلتهما سحابة حتى انتهيا إلى القرية، فأخذ القصاب إلى مكانه فمالت السحابة معه فقال له الرسول ﷺ: زعمت أن ليس لك عمل صالح وأنا الذي دعوت وأنت الذي أمنت فأظلتنا سحابة ثم تبعتك، لتخبرني بأمرك، فأخبره فقال الرسول: إن التائب عند الله تعالى بمكان ليس أحد من الناس بمكانه.

وعن أحمد بن سعيد العابد عن أبيه قال: كان عندنا بالكوفة شاب متعبد لازم المسجد الجامع لا يكاد يفارقه، وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت، فنظرت إليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال عليها ذلك، فلما كان ذات يوم وقفت له على الطريق وهو يريد المسجد فقالت له: يا فتى اسمع مني كلمات أكلمك بها ثم اعمل ما شئت، فمضى ولم يكلمها، ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له: يا فتى اسمع مني كلمات أكلمك بها، فأطرق مليًا وقال لها: هذا موقف تهمة وأنا أكره أن أكون للتهمة موضعًا، فقالت له: والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بأمرك ولكن معاذ الله أن يتشوّف العباد إلى مثل هذا مني، والذي حملني على أن لقيتك في مثل هذا الأمر بنفسي لمعرفتي أن القليل من هذا عند الناس كثير، وأنتم معاشر العباد على مثال القوارير أدنى شيء يعيبها، وجملة ما أقول لك إن جوارحي كلها مشغولة بك فالله الله في أمري وأمرك، قال: فمضى الشاب إلى منزله وأراد أن يصلي فلم يعقل كيف يصلي فأخذ قرطاسًا وكتب كتابًا ثم خرج من منزله وإذا بالمرأة واقفة في موضعها فألقى الكتاب إليها ورجع إلى منزله، وكان فيه: بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي أيتها المرأة أن الله عز وجل إذا عصاه العبد حلم فإذا عاد إلى المعصية مرة أخرى ستره، فإذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات والأرض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه، فإن كان ما ذكرت باطلًا فإني أذكرك يومًا تكون السماء فيه

كالمهل وتصير الجبال كالعهن وتجثو الأمم لصولة الجبار العظيم، وإني والله قد ضعفت عن إصلاح نفسي فكيف بإصلاح غيري؟ وإن كان ما ذكرت حقًّا فإني أدلك على طبيب هدى يداوي الكلوم الممرضة والأوجاع المرمضة ذلك الله رب العالمين فاقصديه بصدق المسألة فإني مشغول عنك بقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ۝ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر:١٨-١٩] فأين المهرب من هذه الآية؟ ثم جاءت بعد ذلك بأيام فوقفت له على الطريق فلما رآها من بعيد أراد الرجوع إلى منزله كيلا يراها فقالت: يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا اليوم أبدًا إلا غدًا بين يدي الله تعالى، ثم بكت بكاء شديدًا وقالت: أسأل لك الله الذي بيده مفاتيح قلبك أن يسهل ما قد عسر من أمرك، ثم إنها تبعته وقالت: امنن علي بموعظة أحملها عنك وأوصني بوصية أعمل عليها، فقال لها: أوصيك بحفظ نفسك من نفسك وأذكرك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام:٦٠] قال: فأطرقت وبكت بكاء شديدًا أشدّ من بكائها الأول، ثم إنها أفاقت ولزمت بيتها وأخذت في العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدًا، فكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكي، فيقال له: مم بكاؤك وأنت قد أيأستها من نفسك؟ فيقول: إني قد ذبحت طمعها في أول أمرها وجعلت قطيعتها ذخيرة لي عند الله تعالى فأنا أستحي منه أن أسترد ذخيرة ادخرتها عنده تعالى.

تم كتاب كسر الشهوتين بحمد الله تعالى وكرمه. يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب آفات اللسان، والحمد لله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وسلم تسليمًا كثيرًا.

* * *

كتاب آفات اللسان

وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمنِ الرَّحيم

الحمد لله الذي أحسن خلق الإنسان وعدله، وألهمه نور الإيمان فزينه به وجمّله، وعلمه البيان فقدمه به وفضله، وأفاض على قلبه خزائن العلوم فأكمله، ثم أرسل عليه سترًا من رحمته وأسبله، ثم أمده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله، ويكشف عنه ستره الذي أرسله، وأطلق بالحق مقوله، وأفصح بالشكر عما أولاه وخوله، من علم حصله ونطق سهله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله الذي أكرمه وبجله، ونبيه الذي أرسله بكتاب أنزله، وأسمى فضله وبين سبله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن قبله ما كبر الله عبد وهلله.

أما بعد: فإن اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة، فإنه صغير جرمه، عظيم طاعته وجرمه، إذا لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان، ثم إنه ما من موجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم إلا واللسان يتناوله ويتعرض له بإثبات أو نفي، فإن كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان إما بحق أو باطل ولا شيء إلا والعلم متناول له، وهذه خاصية لا توجد في سائر الأعضاء، فإن العين لا تصل إلى غير الألوان والصور، والآذان لا تصل إلى غير الأصوات، واليد لا تصل إلى غير الأجسام، وكذا سائر الأعضاء.

واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحدّ، له في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب، فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخي العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار، ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم، ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله، وعلم ما يحمد فيه إطلاق اللسان أو يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير، وأعصى الأعضاء على الإنسان اللسان فإنه لا تعب في إطلاقه ولا مؤنة في تحريكه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله، وإنه أعظم آلة الشيطان في استغواء الإنسان.

ونحن بتوفيق الله وحسن تدبيره نفصل مجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها وأسبابها وغوائلها، ونعرف طريق الاحتراز عنها، ونورد ما ورد من الأخبار والآثار في ذمها. فنذكر أولًا فضل الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يعني، ثم آفة فضول الكلام، ثم

آفة الخوض في الباطل، ثم آفة المراء والجدال؛ ثم آفة الخصومة، ثم آفة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدّعين للخطابة، ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان، ثم آفة اللعن إما لحيوان أو جماد أو إنسان، ثم آفة الغناء بالشعر ، وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده، ثم آفة المزاح، ثم آفة السخرية والاستهزاء، ثم آفة إفشاء السر، ثم آفة الوعد الكاذب، ثم آفة الكذب في القول واليمين، ثم بيان التعاريض في الكذب، ثم آفة الغيبة، ثم آفة النميمة، ثم آفة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعادين فيكلم كل واحد بكلام يوافقه، ثم آفة المدح، ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بأصول الدين، ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله عز وجل وعن كلامه وعن الحروف أهي قديمة أو محدثة؟ وهي آخر الآفات وما يتعلق بذلك وجملتها عشرون آفة ونسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه.

بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت

اعلم أن خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره إلا بالصمت، فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه، فقال ﷺ: «مَنْ صَمَتَ نَجَا» (١)، وقال عليه السلام: «الصَّمْتُ حُكْمٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ» (٢)، أي حكمة وحزم.

وروى عبد الله بن سفيان عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله أخبرني عن الإسلام بأمر لا أسأل عنه أحدًا بعدك قال: «قل آمنت بالله ثم استقم» قال: قلت: فما أتقي؟ فأومأ بيده إلى لسانه (٣)، وقال عقبة بن عامر: قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ» (٤)، وقال سهل بن سعد الساعدي.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَتَكَفَّلْ لِي بِمَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَرِجْلَيْهِ أَتَكَفَّلْ لَهُ بِالجَنَّةِ» (٥)، وقال ﷺ:

---

(١) صحيح: حديث «من صمت نجا». أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بسند فيه ضعف وقال غريب وهو عند الطبراني بسند جيد [الترمذي: ٢٥٠١، وصححه الألباني].

(٢) ضعيف: حديث «الصمت حكمة وقليل فاعله». أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف والبيهقي في الشعب من حديث أنس بلفظ «حكم» بدل «حكمة» وقال غلط فيه عثمان بن سعد والصحيح رواية ثابت قال والصحيح عن أنس أن لقمان قال ورواه كذلك هو وابن حبان في كتاب روضة العقلاء بسند صحيح إلى أنس [وضعفه الألباني رواية أنس في السلسلة الضعيفة: ٢٤٢٤].

(٣) صحيح: حديث سفيان الثقفي: يا رسول الله أخبرني عن الإسلام بأمر لا أسأل عنه أحد بعدك قال «قل آمنت بالله ثم استقم» قال: قلت فما أتقي؟ فأومأ بيده إلى لسانه. أخرجه الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه [الترمذي: ٢٤١٠، صحيح الجامع: ٤٣٩٥] وهو عند مسلم دون آخر الحديث الذي فيه ذكر اللسان [مسلم: ٣٨].

(٤) صحيح: حديث عقبة بن عامر: قلت يا رسول الله ما النجاة؟ قال «أمسك عليك لسانك ... الحديث». أخرجه الترمذي وقال حسن [الترمذي: ٢٤٠٦، وصححه الألباني].

(٥) صحيح: حديث سهل بن سعد «من يتوكل لي بما بين لحييه ورجليه أتوكل له بالجنة». رواه البخاري [البخاري: ٦٤٧٤].

«مَنْ وُقِيَ شَرَّ قَبْقَبِهِ وَذَبْذَبِهِ وَلَقْلَقِهِ فَقَدْ وُقِيَ الشَّرَّ كُلَّهُ» (١)، القبقب: هو البطن. والذبذب: الفرج، واللقلق: اللسان.

فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق، ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج، وقد سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: «تَقْوَى الله وَحُسْنُ الخُلُقِ» وسئل عن أكثر ما يدخل النار فقال: «الأَجْوَفَانِ: الفَمُ وَالفَرْجُ» (٢)، فيحتمل أن يكون المراد بالفم آفات اللسان لأنه محله، ويحتمل أن يكون المراد به البطن لأنه منفذه؛ فقد قال معاذ بن جبل: قلت: يا رسول الله أنؤاخذ بما نقول؛ فقال: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يا ابْنَ جَبَلٍ وَهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إلّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟» (٣) وقال عبد الله الثقفي: قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به فقال: «قُلْ رَبِّيَ الله ثُمَّ اسْتَقِمْ» قلت: يا رسول الله ما أخوف ما تخاف عليّ؟ فأخذ بلسانه وقال: «هذا» (٤).

وروي أن معاذًا قال: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ فأخرج رسول الله لسانه ثم وضع عليه أصبعه (٥). وقال أنس بن مالك: قال ﷺ: «لا يَسْتَقِيمُ إيمانُ العَبْدِ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ ولا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلا يَدْخُلُ الجَنَّةَ رَجُلٌ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ» (٦)، وقال ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْلَمَ فَلْيَلْزَمِ الصَّمْتَ» (٧)، وعن سعيد بن جبير مرفوعًا إلى رسول الله أنه قال: «إذا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ أَصْبَحَتِ الأَعْضَاءُ كُلُّهَا تُذَكِّرُ اللِّسَانَ أَيْ تَقُولُ اتَّقِ الله فِينا فَإِنَّكَ إِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا» (٨).

---

(١) ضعيف: حديث «من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي الشر كله». أخرجه أبو منصور الديلمي من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ «فقد وجبت له الجنة» [ضعيف الجامع: ٥٨٧٩].

(٢) حسن: حديث: «سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ... الحديث». أخرجه الترمذي وصححه وابن ماجه من حديث أبي هريرة [ابن ماجه: ٤٢٤٦، وحسنه الألباني].

(٣) صحيح: حديث معاذ: قلت يا رسول الله أنؤاخذ بما نقول؟ فقال «ثكلتك أمك يا ابن جبل وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم؟». أخرجه الترمذي وصححه وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين [الترمذي: ٢٦١٦، وصححه الألباني].

(٤) صحيح: حديث عبد الله الثقفي: قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به ... الحديث». رواه النسائي قال ابن عساكر وهو خطأ والصواب سفيان بن عبد الله الثقفي كما رواه الترمذي وصححه ابن ماجه وقد تقدم قبل هذا بخمسة أحاديث [الترمذي: ٢٤١٠، وصححه الألباني].

(٥) حديث: إن معاذا قال: «يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ فأخرج لسانه ثم وضع يده عليه». أخرجه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت قال «إصبعه» مكان «يده».

(٦) حسن: حديث أنس «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ... الحديث». أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت والخرائطي في مكارم الأخلاق بسند فيه ضعف [صحيح الترغيب: ٢٥٥٤].

(٧) ضعيف: حديث «من سره أن يسلم فليلزم الصمت». أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو الشيخ في فضائل الأعمال والبيهقي في الشعب من حديث أنس بإسناد ضعيف [ضعيف الترغيب: ٥٦٢٥].

(٨) حسن: حديث «إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان .... الحديث». أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رفعه ووقع في الإحياء عن سعيد بن جبير مرفوعًا وإنما هو عن سعيد بن جبير عن أبي

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه وهو يمد لسانه بيده فقال له: ما تصنع يا خليفة رسول الله؟ قال: هذا أوردني الموارد إن رسول الله ﷺ قال: «لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الجَسَدِ إلَّا يَشْكُو إلَى الله اللِّسَانَ عَلَى حِدَّتِهِ»(١).

وعن ابن مسعود أنه كان على الصفا يلبي ويقول: يا لسان قل خيرًا تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم، فقيل له يا أبا عبد الرحمن أهذا شيء، تقوله أو شيء سمعته؟ فقال: لا بل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أَكْثَرَ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ»(٢)، وقال ابن عمر: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَفَّ لِسَانَهُ سَتَرَ الله عَوْرَتَهُ وَمَنْ مَلَكَ غَضَبَهُ وَقَاهُ الله عَذَابَهُ وَمَنْ اعْتَذَرَ إلَى الله قَبِلَ الله عُذْرَهُ»(٣)، وروي أن معاذ بن جبل قال: يا رسول الله أوصني قال: «اعْبُدِ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي المَوْتَى وَإنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِمَا هُوَ أَمْلَكُ لَكَ مِنْ هذا كُلِّهِ»، وأشار بيده إلى لسانه(٤)، وعن صفوان بن سليم قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أُخْبِرُكُمْ بِأَيْسَرِ العِبَادَةِ وَأَهْوَنِها عَلَى البَدَنِ. الصَّمْتُ وَحُسْنُ الخُلُقِ»(٥).

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ»(٦)، وقال الحسن: ذكر لنا أن النبي ﷺ قال: «رَحِمَ الله عَبْدًا تَكَلَّمَ فَغَنِمَ أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ»(٧) وقيل لعيسى عليه السلام: دلنا على عمل ندخل به الجنة قال: لا تنطقوا أبدًا، قالوا: لا نستطيع ذلك، فقال: فلا تنطقوا إلا بخير.

سعيد رفعه ورواه الترمذي موقوفا على عمار بن زيد وقال هذا أصح [الترمذي: ٢٤٠٧، وحسنه الألباني].

(١) صحيح: حديث: إن عمر اطلع على أبي بكر وهو يمد لسانه بيده فقال: ما تصنع يا خليفة رسول الله قال: إن هذا أوردني الموارد إن رسول الله ﷺ قال «ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله عز وجل اللسان على حدته». أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو يعلى في مسنده والدارقطني في العلل والبيهقي في الشعب من رواية أسلم مولى عمر، وقال الدارقطني إن المرفوع وهم على الدراوردي؟؟ قال وروى هذا الحديث عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر، ولا علة له [صحيح الترغيب: ٢٨٧٣].

(٢) صحيح: حديث ابن مسعود: أنه كان على الصفا يلبي ويقول: يا لسان قل خيرا تغنم [صحيح الترغيب: ٢٨٧٢]. وفيه مرفوعا «إن أكثر خطايا بني آدم في لسانه» أخرجه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب بسند حسن [صححه الألباني في صحيح الترغيب].

(٣) حديث ابن عمر «من كف لسانه ستر الله عورته .... الحديث». أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت بسند حسن.

(٤) حديث: إن معاذا قال أوصني قال «اعبد الله كأنك تراه ...». أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني ورجاله ثقات وفيه انقطاع.

(٥) ضعيف: حديث صفوان بن سليم مرفوعا «ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن: الصمت وحسن الخلق». أخرجه ابن أبي الدنيا هكذا مرسلا ورجاله ثقات ورواه أبو الشيخ في طبقات المحدثين من حديث أبي ذر وأبي الدرداء أيضا مرفوعا [ضعيف الجامع: ٢١٥٨].

(٦) صحيح: حديث أبي هريرة «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت». متفق عليه [البخاري: ٦٠١٨، مسلم: ٤٧].

(٧) حسن: حديث الحسن: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال «رحم الله عبدا تكلم فغنم أو سكت فسلم». أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند فيه ضعف فإنه من رواية إسماعيل بن عياش

وقال سليمان بن داود عليهما السلام: إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب.

وعن البراء بن عازب قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: دلني على عمل يدخلني الجنة، قال: «أَطْعِمِ الجَائِعَ واسْقِ الظَّمْآنَ وَأْمُرْ بِالمَعْرُوف وَانْهَ عَنِ المُنْكَرِ فَإِنْ لَمْ تُطِقْ فَكُفَّ لِسَانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ» (١)، وقال ﷺ: «اخْزُنْ لِسَانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّكَ بِذلِكَ تَغْلِبُ الشَّيْطَانَ» (٢)، وقال ﷺ: «إِنَّ الله عِنْدَ لِسَانِ كُلِّ قَائِلٍ فَلْيَتَّقِ الله امْرُؤٌ عَلِمَ ما يَقُولُ» وقال عليه السلام: «إذا رَأَيْتُمُ المُؤْمِنَ صَمُوتًا وَقُورًا فَادْنُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلَقَّنُ الحِكْمَةَ» (٣)، وقال ابن مسعود، قال رسول الله ﷺ: «النَّاسُ ثَلاثَةٌ: غَانِمٌ وَسَالِمٌ وَشَاجِبٌ. فَالغَانِمُ الَّذِي يَذْكُرُ الله تَعَالَى، والسَّالِمُ السَّاكِتُ، وَالشَّاجِبُ الَّذِي يَخُوضُ فِي البَاطِلِ» (٤)، وقال عليه السلام: «إِنَّ لِسَانَ المُؤْمِنِ وَرَاءَ قَلْبِهِ فَإِذا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ تَدَبَّرَهُ بِقَلْبِهِ ثُمَّ أَمْضَاهُ بِلِسَانِهِ، وَإِنَّ لِسَانَ المُنَافِقِ أَمَامَ قَلْبِهِ، فَإِذا هَمَّ بِشَيْءٍ أَمْضَاهُ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَتَدَبَّرْهُ بِقَلْبِهِ» (٥)، وقال عيسى عليه السلام: العبادة عشرة أجزاء: تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس. وقال نبينا ﷺ: «مَنْ كَثُرَ كَلامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ» (٦).

الآثار: كان أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام، وكان يشير إلى لسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد.

وقال عبد الله بن مسعود: والله الذي لا إله إلا هو ما شيء أحوج إلى طول سجن من لسان. وقال طاوس: لساني سبع إن أرسلته أكلني.

وقال وهب بن منبه: في حكمة آل داود؛ حق على العاقل أن يكون عارفًا بزمانه حافظًا للسانه مقبلًا على شأنه.

عن الحجازين [الحجازيين؟؟] [صحيح الجامع: ٣٤٩٢].

(١) صحيح: حديث البراء: جاء أعرابي فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال «أطعم الجائع .... الحديث». أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد جيد [مشكاة المصابيح: ٣٣٨٤].

(٢) ضعيف: حديث «اخزن لسانك ألا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان». أخرجه الطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد وله في المعجم الكبير ولابن حبان في صحيحه نحوه من حديث أبي ذر [ضعيف الجامع: ٣٧٤٦].

(٣) حديث «إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة». أخرجه ابن ماجه من حديث أبي خلاد بلفظ «إذا رأيتم الرجل قد أعطي زهدا في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة» وقد تقدم.

(٤) ضعيف: حديث ابن مسعود «الناس غانم وسالم وشاحب ... الحديث». أخرجه الطبراني وأبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ «المجالس» وضعفه ابن عدي ولم أجده «ثلاثة» من حديث ابن مسعود [السلسلة الضعيفة: ٢١٢٨].

(٥) حديث «إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه .... الحديث». لم أجد له مرفوعا وإنما رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من رواية الحسن البصري قال «كانوا يقولون».

(٦) ضعيف: حديث «من كثر كلامه كثر سقطه ... الحديث». أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد رواه أبو حاتم بن حبان في روضة العقلاء والبيهقي في الشعب موقوفا على عمر بن الخطاب [ضعيف الجامع: ٥٨١٥].

وقال الحسن: ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه. وقال الأوزاعي: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز، رحمه الله، أما بعد: فإن من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير، ومن عدّ كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه. وقال بعضهم: الصمت يجمع للرجل فضيلتين؛ السلامة في دينه والفهم عن صاحبه.

وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار: يا أبا يحيى حفظ اللسان أشدّ على الناس من حفظ الدينار والدرهم. وقال يونس بن عبيد: ما من الناس أحد يكون منه لسانه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله. وقال الحسن: تكلم قوم عند معاوية رحمه الله والأحنف بن قيس ساكت فقال له: مالك يا أبا بحر لا تتكلم؟ فقال له: أخشى الله إن كذبت وأخشاك إن صدقت. وقال أبو بكر بن عياش: اجتمع أربعة ملوك؛ ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر، فقال أحدهم: أنا أندم على ما قلت ولا أندم على ما لم أقل، وقال الآخر: إني إذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم أملكها وإذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكني، وقال الثالث: عجبت للمتكلم إن رجعت عليه كلمته ضرته وإن لم ترجع لم تنفعه. وقال الرابع: أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت.

وقيل: أقام المنصور بن المعتز لم يتكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة أربعين سنة. وقيل: ما تكلم الربيع بن خيثم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان إذا أصبح وضع دواة وقرطاسًا وقلمًا فكل ما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء.

فإن قلت: فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه؟ فاعلم أن سببه كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض في الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وإيذاء الخلق وهتك العورات.

فهذه آفات كثيرة وهي سياقة إلى اللسان لا تثقل عليه ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان، والخائض فيها قلما يقدر أن يمسك اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب فإن ذلك من غوامض العلم، كما سيأتي تفصيله، ففي الخوض خطر وفي الصمت سلامة فلذلك عظمت فضيلته، هذا مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة. فقد قال الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

ويدلك على فضل لزوم الصمت أمر، وهو أن الكلام أربعة أقسام: قسم هو ضرر محض، وقسم هو نفع محض، وقسم فيه ضرر ومنفعة، وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة.

أما الذي هو ضرر محض فلا بدّ من السكوت عنه، وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر.

وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران، فلا يبقى إلا القسم الرابع، فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي ربع، وهذا الربع فيه خطر إذ يمتزج بما

فيه إثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجًا يخفى دركه فيكون الإنسان به مخاطرًا. ومن عرف دقائق آفات اللسان ، على ما سنذكره ، علم قطعًا أن ما ذكره ﷺ هو فصل الخطاب حيث قال: «مَنْ صَمَتَ نَجَا» (١)، فلقد أوتي والله جواهر الحكم قطعًا وجوامع الكلم (٢)، ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعاني إلا خواص العلماء وفيما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك إن شاء الله تعالى. ونحن الآن نعدّ آفات اللسان ونبتدىء بأخفها ونترقى إلى الأغلظ قليلًا، ونؤخر الكلام في الغيبة والنميمة والكذب فإن النظر فيها أطول وهي عشرون آفة فاعلم ذلك ترشد بعون الله تعالى.

الآفة الأولى: الكلام فيما لا يعنيك:

اعلم أن أحسن أحوالك أن تحفظ ألفاظك من جميع الآفات التي ذكرناها من الغيبة والنميمة والكذب والمراء والجدال وغيرها، وتتكلم فيما هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم أصلًا إلا أنك تتكلم بما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك إليه، فإنك مضيع به زمانك ومحاسب على عمل لسانك وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، لأنك لو صرفت زمان الكلام إلى الفكر ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكر ما يعظم جدواه، ولو هللت الله سبحانه وذكرته وسبحته لكان خيرًا لك فكم من كلمة يبنى بها قصرًا في الجنة؟

ومن قدر على أن يأخذ كنزًا من الكنوز فأخذ مكانه مدرة لا ينتفع بها كان خاسرًا خسرانًا مبينًا.

وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا يعنيه فإنه وإن لم يأثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى، فإنّ المؤمن لا يكون صمته إلا فكرًا ونظره إلا عبرة ونطقه إلا ذكرًا (٣)، هكذا قال النبي ﷺ. بل رأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها إلى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابًا في الآخرة فقد ضيع رأس ماله. ولهذا قال النبي ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ ما لا يَعْنِيهِ» (٤)، بل ورد ما هو أشدّ من هذا قال أنس: استشهد غلام منا يوم أُحُد فوجدنا على بطنه حجرًا مربوطًا من الجوع فمسحت أمه عن وجهه التراب وقالت هنيئًا لك الجنة يا بني، فقال ﷺ: «وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لا يَعْنِيهِ وَيَمْنَعُ مَا لا يَضُرُّهُ؟» (٥)، وفي حديث

---

(١) حديث «من صمت نجا». تقدم.

(٢) حديث: أنه ﷺ أوتي جوامع الكلم . أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم.

(٣) حديث «المؤمن لا يكون صمته إلا فكرا ونظره إلا عبرة ونطقه إلا ذكرا». لم أجد له أصلا وروى محمد بن زكريا العلائي أحد الضعفاء عن ابن عائشة عن أبيه قال خطب رسول الله ﷺ فقال «إن الله أمرني أن يكون نطقي ذكرا وصمتي فكرا ونظري عبرة».

(٤) صحيح : حديث «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه». أخرجه الترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث أبي هريرة [الترمذي: ٢٣١٧، وصححه الألباني].

(٥) ضعيف : حديث: استشهد منا غلام يوم أحد فوجدنا على بطنه حجرا مربوطا من الجوع .... الحديث». أخرجه الترمذي من حديث أنس مختصرا وقال غريب ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت بلفظ المصنف بسند

آخر: أنّ النبي ﷺ فقد كعبًا فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى أتاه فلما دخل عليه قال: «أَبْشِرْ يا كَعْبُ» فقالت أمه هنيئًا لك الجنة يا كعب فقال ﷺ: «مَنْ هذِهِ المُتَأَلِّيَةُ عَلَى الله» قال: هي أمي يا رسول الله قال: «وَمَا يُدْرِيكِ يا أُمَّ كَعْبٍ لَعَلَّ كَعْبًا قالَ ما لا يَعْنِيهِ أَوْ مَنَعَ مَا لا يُغْنِيهِ» (١)، ومعناه أنه إنما تتهيأ الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه، وإن كان كلامه في مباح فلا تتهيأ الجنة مع المناقشة في الحساب فإنه نوع من العذاب.

وعن محمد بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ هذا البَابَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ». فدخل عبد الله بن سلام فقام إليه ناس من أصحاب رسول الله فأخبروه بذلك وقالوا: أخبرنا بأوثق عمل في نفسك ترجو به فقال: إني لضعيف وإن أوثق ما أرجو به الله سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني (٢).

وقال أبو ذرّ: قال لي رسول الله ﷺ: «أَلاَ أَعَلِمُكَ بِعَمَلٍ خَفِيفٍ عَلَى البَدَنِ ثَقِيلٍ فِي المِيزَانِ؟» قلت: بلى يا رسول الله قال: «هُوَ الصَّمْتُ وَحُسْنُ الخُلُقِ وَتَرْكُ ما لا يَعْنِيكَ» (٣)، وقال مجاهد: سمعت ابن عباس يقول: خمس لهنّ أحب إليّ من الدهم الموقوفة: لا تتكلم فيما لا يعنيك فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر، ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعًا فإنه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت، ولا تمار حليمًا ولا سفيهًا فإنّ الحليم يقليك والسفيه يؤذيك، واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به، واعفه مما تحب أن يعفيك منه، وعامل أخاك بما تحب أن يعاملك به، واعمل عمل رجل يعلم أنه مجازى بالإحسان مأخوذ بالاحترام.

وقيل للقمان الحكيم: ما حكمتك؟ قال: لا أسأل عما كفيت ولا أتكلف ما لا يعنيني. وقال مورق العجلي: أمر أنا في طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا: وما هو؟ قال: السكوت عما لا يعنيني.

وقال عمر رضي الله عنه: لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم إلا الأمين، ولا أمين إلا من خشي الله تعالى، ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى.

ضعيف [الترمذي: ٢٣١٦، وضعفه الألباني].

(١) حسن: حديث: أن النبي ﷺ فقد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض ...الحديث، وفيه: «وما يدريك يا أم كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه أو منع ما لا يغنيه». أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث كعب بن عجرمة بإسناد جيد إلا أن الظاهر انقطاعه بين الصحابي وبين الراوي عنه [صحيح الترغيب: ٣٢٧١].

(٢) حديث محمد بن كعب «إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة» فدخل عبد الله بن سلام .... الحديث، وفيه: «وإن أوثق ما أرجو به الله سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني». أخرجه ابن أبي الدنيا هكذا مرسلا وفيه أبو نجيح اختلف فيه.

(٣) حديث أبي ذر «ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان» قلت: بلى يا رسول الله قال «هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك». أخرجه ابن أبي الدنيا بسند منقطع.

وحدّ الكلام فيما لا يعنيك أن تتكلم بكلام لو سكت عنه لم تأثم ولم تستضر به في حال ولا مال، مثاله أن تجلس مع قوم فتذكر لهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار، وما وقع لك من الوقائع، وما استحسنته من الأطعمة والثياب، وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم. فهذه أمور لو سكت عنها لم تأثم ولم تستضر، وإذا بالغت في الجهاد حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان، ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الأحوال العظيمة، ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك ، وأنّى تسلم من الآفات التي ذكرناها ، ومن جملتها أن تسأل غيرك عما لا يعنيك فأنت بالسؤال مضيع وقتك وقد ألجأت صاحبك أيضًا بالجواب إلى التضييع، هذا إذا كان الشيء مما لا يتطرّق إلى السؤال عنه آفة، وأكثر الأسئلة فيها آفات.

فإنك تسأل غيرك عن عبادته مثلًا فتقول له: هل أنت صائم؟ فإن قال: نعم، كان مظهرًا لعبادته فيدخل عليه الرياء، وإن لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر، وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات، وإن قال: لا، كان كاذبًا، وإن سكت كان مستحقرًا لك وتأذيت به، وإن احتال لمدافعة الجواب افتقر إلى جهد وتعب فيه.

فقد عرضته بالسؤال إما للرياء أو للكذب أو للاستحقار أو للتعب في حيلة الدفع، وكذلك سؤالك عن سائر عباداته، وكذلك سؤالك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحي منه.

وسؤالك عما حدّث به غيرك فتقول له: ماذا تقول؟ وفيم أنت؟ وكذلك ترى إنسانًا في الطريق فتقول: من أين؟ فربما يمنعه مانع من ذكره، فإن ذكره تأذى به واستحيا، وإن لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه... وكذلك تسأل عن مسألة لا حاجة بك إليها والمسؤول ربما لم تسمح نفسه بأن يقول لا أدري، فيجيب عن غير بصيرة.

ولست أعني بالتكلم فيما لا يعني هذا الأجناس، فإنّ هذا يتطرّق إليه إثم أو ضرر. وإنما مثال ما لا يعني ما روي أنّ لقمان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعًا ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم، فجعل يتعجب مما رأى فأراد أن يسأله عن ذلك فمنعته حكمته فأمسك نفسه ولم يسأله، فلما فرغ قام داود ولبسه ثم قال: نعم الدرع للحرب، فقال لقمان: الصمت حكم وقليل فاعله، أي حصل العلم به من غير سؤال فاستغنى عن السؤال. وقيل إنه كان يتردد إليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك من غير سؤال. فهذا وأمثاله عن الأسئلة إذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب هو مما لا يعني وتركه من حسن الإسلام فهذا حدّه.

وأما سببه الباعث عليه بالحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه أو المباسطة بالكلام على سبيل التودد أو تزجية الأوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها.

وعلاج ذلك كله أن يعلم أن الموت بين يديه وأنه مسؤول عن كل كلمة، وأن أنفاسه رأس ماله. وأن لسانه شبكة يقدر أن يقتنص بها الحور العين فإهماله ذلك وتضييعه خسران مبين. هذا علاجه من حيث العلم. وأما من حيث العمل فالعزلة أو أن يضع حصاة في فيه وأن يلزم

نفسه السكوت بها عن بعض ما يعنيه حتى يعتاد اللسان ترك ما لا يعنيه، وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديد جدًا.

الآفة الثانية: فضول الكلام:

وهو أيضًا مذموم، وهذا يتناول الخوض فيما لا يعني والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة، فإنّ من يعنيه أمر يمكنه أن يذكره بكلام مختصر، ويمكنه أن يجسمه ويقرره ويكرره. ومهما تأدّى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول ، أي فضل عن الحاجة ، وهو أيضًا مذموم ، لما سبق ، وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر. قال عطاء بن أبي رباح: إنّ من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدّون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ أو أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر، أو أن تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها، أتنكرون أنّ عليكم حافظين كرامًا كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، أما يستحي أحدكم إذا نشرت صحيفته التي أملاها صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه.

وعن بعض الصحابة قال: إنّ الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه أشهى إلي من الماء البارد إلى الظمآن فأترك جوابه خيفة أن يكون فضولًا. وقال مطرف: ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب والحمار: اللهم اخزه وما أشبه ذلك.

واعلم أنّ فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله عز وجل: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء:١١٤] وقال ﷺ: «طُوبَى لِمَنْ أَمْسَكَ الفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ وَأَنْفَقَ الفَضْلَ مِنْ مَالِهِ» (١)، فانظر كيف قلب الناس الأمر في ذلك فأمسكوا فضل المال وأطلقوا فضل اللسان، وعن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال: قدمت على رسول الله ﷺ في رهط من بني عامر فقالوا: أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا فضلًا، وأنت أطولنا علينا طولًا، وأنت الجفنة الغرّاء، وأنت وأنت فقال: «قُولُوا قَوْلَكُمْ وَلا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ» (٢)، إشارة إلى أن اللسان إذا أطنب بالثناء ولو بالصدق فيخشى أن يستهويه الشيطان إلى الزيادة المستغنى عنها. وقال ابن مسعود: أنذركم فضول كلامكم؛ حسب امرىء من الكلام ما بلغ به حاجته. وقال مجاهد: إن الكلام ليكتب حتى إن الرجل ليسكت ابنه فيقول، ابتاع لك كذا وكذا؟ فيكتب كذابًا. وقال الحسن: يا ابن

(١) ضعيف: حديث «طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله». أخرجه البغوي وابن قانع في معجمي الصحابة والبيهقي من حديث ركب المصري وقال ابن عبد البر إنه حديث حسن وقال البغوي: لا أدري سمع من النبي ﷺ أم لا وقال ابن منده مجهول لا نعرف له صحبة ورواه البزار من حديث أنس بسند ضعيف [ضعيف الترغيب: ١٧٠٥].

(٢) صحيح: حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه: قدمت على رسول الله ﷺ في رهط من عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا .... الحديث». أخرجه أبو داود والنسائي في اليوم والليلة بلفظ آخر ورواه ابن أبي الدنيا بلفظ المصنف [الترمذي: ٤٨٠٦، وصححه الألباني في سنن الترمذي: ٣٥٤].

آدم بسطت لك صحيفة ووكل بها ملكان كريمان يكتبان أعمالك فاعمل ما شئت وأكثر أو أقل.

وروي أنّ سليمان عليه السلام بعث بعض عفاريته وبعث نفرًا ينظرون ما يقول ويخبرونه، فأخبروه بأنه مرّ في السوق فرفع رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس وهز رأسه فسأله سليمان عن ذلك فقال: عجبت من الملائكة على رؤوس الناس ما أسرع ما يكتبون ومن الذين أسفل منهم ما أسرع ما يملون وقال إبراهيم التيمي: إذا أراد المؤمن أن يتكلم نظر فإن كان له تكلم وإلا أمسك، والفاجر إنما لسانه رسلًا رسلًا.

وقال الحسن: من كثر كلامه كثر كذبه، ومن كثر ماله كثرت ذنوبه، ومن ساء خلقه عذب نفسه، وقال عمرو بن دينار: تكلم رجل عن النبي ﷺ فأكثر، فقال له ﷺ: «كَمْ دُونَ لِسَانِكَ مِنْ حِجَابٍ؟» فقال: شفتاي وأسناني، قال: «أَفَمَا كانَ لَكَ ما يَرُدُّ كَلامَكَ؟»[1] وفي رواية: أنه قال ذلك في رجل أثنى عليه فاستهتر في الكلام ثم قال: ما أوتي رجل شرًا من فضل في لسانه، وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه: إنه ليمنعني من كثير من الكلام خوف المباهاة.

وقال بعض الحكماء: إذا كان الرجل في مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وإن كان ساكتًا فأعجبه السكوت فليتكلم.

وقال يزيد بن أبي حبيب: من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع فإن وجد من يكفيه فإن في الاستماع سلامة، وفي الكلام تزيين وزيادة ونقصان.

وقال ابن عمر: إن أحق ما طهر الرجل لسانه. ورأى أبو الدرداء امرأة سليطة، فقال: لو كانت هذه خرساء كان خيرًا لها. وقال إبراهيم: يهلك الناس خلتان: فضول المال وفضول الكلام. فهذه مذمة فضول الكلام وكثرته وسببه الباعث عليه. وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني.

الآفة الثالثة: الخوض في الباطل:

وهو الكلام في المعاصي كحكاية أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الأغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة وأحوالهم المكروهة، فإن كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه وهو حرام. وأما الكلام فيما لا يعني أو أكثر مما يعني فهو ترك الأولى ولا تحريم فيه. نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني لا يؤمن عليه الخوض في الباطل. وأكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه بأعراض الناس أو الخوض في الباطل.

وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفننها، فلذلك لا مخلص منها إلا بالاقتصار على

---

(١) حديث عمرو بن دينار: تكلم رجل عند النبي ﷺ فأكثر فقال «كم دون لسانك من حجاب ... الحديث». أخرجه ابن أبي الدنيا هكذا مرسلا ورجاله ثقات.

ما يعني من مهمات الدين والدنيا. وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها وهو يستحقرها، فقد قال بلال بن الحارث: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله ما يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ بِهِ ما بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ الله بِهَا رِضْوَانه إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله ما يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ بِهِ ما بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ الله عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ» (١)، وكان علقمة يقول: كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحارث.

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِهَا جُلَسَاءَهُ يَهْوِي بِهَا أَبْعَدَ مِنَ الثُّرَيَّا» (٢)، وقال أبو هريرة: إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالًا يهوي بها في جهنم، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالًا يرفعه الله بها في أعلى الجنة. وقال ﷺ: «أَعْظَمُ النَّاسِ خَطَايَا يَوْمَ القِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ خَوْضًا فِي البَاطِلِ» (٣)، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ [المدثر: ٤٥] وبقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] وقال سلمان: أكثر الناس ذنوبًا يوم القيامة أكثرهم كلامًا في معصية الله. وقال ابن سيرين: كان رجل من الأنصار يمرّ بمجلس لهم فيقول لهم توضؤوا فإن بعض ما تقولون شر من الحدث.

فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سيأتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيرها، بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها أو تدبر للتوصل إليها من غير حاجة دينية إلى ذكرها. ويدخل فيه أيضًا الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جرى من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن في بعضهم. وكل ذلك باطل والخوض فيه خوض في الباطل نسأل الله حسن العون بلطفه وكرمه.

الآفة الرابعة: المراء والجدال:

وذلك منهي عنه. قال ﷺ: «لا تُمَارِ أَخَاكَ وَلا تُمَازِحْهُ وَلا تَعِدْهُ مَوْعِدًا فَتُخْلِفَهُ» (٤)، وقال عليه السلام: «ذَرُوا المِرَاءَ فَإِنَّهُ لا تُفْهَمُ حِكْمَتُهُ ولا تُؤْمَنُ فِتْنَتُهُ» (٥)، وقال ﷺ: «مَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي أَعْلَى الجَنَّةِ، وَمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي رَبَضِ

(١) صحيح: حديث بلال بن الحارث «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله .... الحديث». أخرجه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح [صحيح الترغيب: ١٦١٩].

(٢) حديث «إن الرجل ليتكلم الكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها أبعد من الثريا». أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند حسن وللشيخين والترمذي «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا يهوي بها سبعين خريفا في النار» لفظ الترمذي وقال حسن غريب [البخاري: ٦٤٧٨، مسلم: ٢٩٨٨].

(٣) حديث «أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل». أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسلا ورجاله ثقات ورواه هو والطبراني موقوفا على ابن مسعود بسند صحيح [ضعيف الجامع: ١٣٩٣].

(٤) حديث «لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه». أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس وقد تقدم.

(٥) حديث «ذروا المراء فإنه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته». أخرجه الطبراني من حديث أبي الدرداء وأبي أمامة وأنس بن مالك وواثلة بن الأسقع بإسناد ضعيف دون قوله «لا تفهم حكمته» ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا موقوفا على ابن مسعود.

الجَنَّةِ» (١)، وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «إِنَّ أَوَّلَ ما عَهِدَ إِلَيَّ رَبِّي وَنَهَانِي عَنْهُ بَعْدَ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ وَشُرْبِ الخَمْرِ مُلاحَاةُ الرِّجَالِ» (٢)، وقال أيضًا: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ أَنْ هَدَاهُمُ الله تَعَالَى إِلاَّ أُوتُوا الجَدَلَ» (٣)، وقال أيضًا: «لا يَسْتَكْمِلُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الإِيمانِ حَتَّى يَدَعَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا» (٤)، وقال أيضًا: «سِتٌّ مَنْ كُنَّ فِيهِ بَلَغَ حَقِيقَةَ الإِيمانِ: الصِّيامُ فِي الصَّيْفِ، وَضَرْبُ أَعْدَاءِ الله بِالسَّيْفِ، وَتَعْجِيلُ الصَّلاةِ فِي اليَوْمِ الدَّجْنِ، وَالصَّبْرُ عَلَى المُصِيبَاتِ، وَإِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وَتَرْكُ المِرَاءِ وَهُوَ صَادِقٌ» (٥)، وقال الزبير لابنه: لا تجادل الناس بالقرآن فإنك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة.

وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه: من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل. وقال مسلم بن يسار: إياكم والمراء فإنه ساعة جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته وقيل: ما ضل قوم بعد إذ هداهم الله إلا بالجدل. وقال مالك بن أنس رحمة الله عليه: ليس هذا الجدال من الدين في شيء.

وقال أيضًا: المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن وقال لقمان لابنه: يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك. وقال بلال بن سعد: إذا رأيت الرجل لجوجًا ماريًا معجبًا برأيه فقد تمت خسارته.

وقال سفيان: لو خالفت أخي في رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بي إلى السلطان.

وقال أيضًا: صاف من شئت ثم أغضبه بالمراء فليرمينك بداهية تمنعك العيش. وقال ابن أبي ليلى: لا أماري صاحبي فإما أن أكذبه وإما أن أغضبه. وقال أبو الدرداء: كفى بك إثمًا أن لا تزال ماريًا. وقال ﷺ «تَكْفِيرُ كُلِّ لِحَاءٍ رَكْعَتَانِ» (٦)، وقال عمر رضي الله عنه: لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث. لا تتعلمه لتماري به، ولا لتباهي به، ولا لترائي به. ولا تتركه

---

(١) حديث «من ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة .... الحديث». تقدم في العلم.

(٢) ضعيف جدًا: حديث أم سلمة «إن أول ما عهد إلى ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال». أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني والبيهقي بسند ضعيف وقد رواه ابن أبي الدنيا في المراسيل من حديث عروة بن رويم [السلسلة الصحيحة: ٣٣٤٥].

(٣) حسن: حديث «ما ضل قوم إلا أوتوا الجدل». أخرجه الترمذي من حديث أبي أمامة وصححه وزاد «بعد هدى كانوا عليه» وتقدم في العلم وهو عند ابن أبي الدنيا دون هذه الزيادة كما ذكره المصنف [الترمذي: ٣٢٥٣، وحسنه الألباني في جامع الترمذي: ٣٧٨].

(٤) حديث «لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يذر المراء وإن محقا». أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وهو عند أحمد بلفظ «لا يؤمن العبد حتى يترك الكذب في المزاحة والمراء وإن كان صادقا» [أحمد: ٢٨٤١٦، وصحح الألباني رواية أحمد في صحيح الترغيب: ٢٩٣٩].

(٥) ضعيف: حديث «ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان .... الحديث». وفيه: «ترك المراء وهو صادق» أخرجه أبو منصور الديلمي من حديث أبي مالك الأشعري بسند ضعيف بلفظ «خصال من الخير... الحديث» [ضعيف الجامع: ٣٢٤٣].

(٦) حسن: حديث «تكفير كل لحاء ركعتان». أخرجه الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف [صحيح الجامع: ٢٩٨٦].

حياء من طلبه، ولا زهادة فيه، ولا رضا بالجهل منه.

وقال عيسى عليه السلام: من كثر كذبه ذهب جماله، ومن لاحى الرجال سقطت مروءته، ومن كثر همه سقم جسمه، ومن ساء خلقه عذب نفسه. وقيل لميمون بن مهران: ما لك لا تترك أخاك عن قلى؟ قال: لأني لا أشاريه ولا أماريه. وما ورد في ذم المراء والجدال أكثر من أن يحصى.

وحدّ المراء هو كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه؛ إما في اللفظ وإما فى المعنى وإما في قصد المتكلم. وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض. فكل كلام سمعته فإن كان حقًا فصدق به، وإن كان باطلًا أو كذبًا ولم يكن متعلقًا بأمور الدين فاسكت عنه.

والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه بإظهار خلل فيه من جهة النحو أو من جهة اللغة أو من جهة العربية أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تأخير. وذلك يكون تارة من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان. وكيفما كان فلا وجه لإظهار خلله.

وأما في المعنى: فبأن يقول ليس كما تقول؛ وقد أخطأت فيه من وجه كذا وكذا.

وأما في قصده، فمثل أن يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق، وإنما أنت فيه صاحب غرض، وما يجري مجراه، وهذا الجنس إن جرى في مسألة علمية ربما خص باسم الجدل وهو أيضًا مذموم بل الواجب السكوت أو السؤال في معرض الاستفادة لا على وجه العناد والنكارة، أو التلطف في التعريف لا في معرض الطعن.

وأما المجادلة، فعبارة عن قصد إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه، وآية ذلك أن يكون تنبيهه للحق من جهة أخرى مكروهًا عند المجادل، يحب أن يكون هو المظهر له خطأ ليبين به فضل نفسه ونقص صاحبه، ولا نجاة من هذا إلا بالسكوت، عن كل ما لا يأثم به لو سكت عنه.

وأما الباعث على هذا فهو الترفع بإظهار العلم والفضل، والتهجم على الغير بإظهار نقصه. وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان لها. أما إظهار الفضل: فهو من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية. وأما تنقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية فإنه يقتضي أن يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه، وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان، وإنما قوّتهما المراء والجدال. فالمواظب على المراء والجدال مقوّ لهذه الصفات المهلكة، وهذا مجاوز حد الكراهة بل هو معصية مهما حصل فيه إيذاء الغير. ولا تنفك المماراة عن الإيذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل، ويقدح في قائله بكل ما يتصوّر له؛ فيثور الشجار بين المتماريين كما يثور الهراش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما أن يعض صاحبه بما هو أعظم نكاية وأقوى في إفحامه وإلجامه.

وأما علاجه: فهو بأن يكسر الكبر الباعث له على إظهار فضله، والسبعية الباعث له على

تنقيص غيره ، كما سيأتي ذلك في كتاب ذم الكبر والعجب وكتاب ذم الغضب ، فإن علاج كل علة بإماطة سببها. وسبب المراء والجدال ما ذكرناه، ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعًا حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه.

روي أن أبا حنيفة رحمة الله عليه قال لداود الطائي: لم آثرت الانزواء؟ قال: لأجاهد نفسي بترك الجدال، فقال احضر المجالس واستمع ما يقال ولا تتكلم، قال: ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة أشدّ عليّ منها.

وهو كما قال لأن من سمع الخطأ من غيره وهو قادر على كشفه يعسر عليه الصبر عند ذلك جدًا.

ولذلك قال ﷺ «مَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بَنَى الله لَهُ بَيْتًا فِي أَعْلَى الجَنَّةِ» لشدة ذلك على النفس وأكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقائد.

فإن المراء طبع؛ فإذا ظن أن له عليه ثوابًا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع عليه، وذلك خطأ محض، بل ينبغي للإنسان أن يكف لسانه عن أهل القبلة، وإذا رأى مبتدعًا تلطف في نصحه في خلوة لا بطريق الجدال، فإن الجدال يخيل إليه أنها حيلة منه في التلبيس وأن ذلك صنعة يقدر المجادلون من أهل مذهبه على أمثالها لو أرادوا، فتستمر البدعة في قلبه بالجدل وتتأكد فإذا عرف أن النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه، وقال ﷺ «رَحِمَ الله مَنْ كَفَّ لِسَانَهُ عَنْ أَهْلِ القِبْلَةِ إلَّا بِأَحْسَنِ ما يَقْدِرُ عَلَيْهِ» (١)، وقال هشام بن عروة: كان عليه السلام يردد قوله هذا سبع مرات.

وكل من اعتاد المجادلة مدة وأثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزًا وقبولًا قويت فيه هذه المهلكات ولا يستطيع عنها نزوعًا إذا اجتمع عليه سلطان الغضب والكبر والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل. وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها؟.

الآفة الخامسة: الخصومة:

وهي أيضًا مذمومة وهي وراء الجدال والمراء؛ فالمراء طعن في كلام الغير بإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير.

وإظهار مزية الكياسة والجدال عبارة عن أمر يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها. والخصومة لجاج في الكلام ليستوفي به مال أو حق مقصود، وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضًا. والمراء لا يكون إلا باعتراض على كلام سبق. فقد قالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ «إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى الله الأَلَدُّ الخَصِمُ» (٢) وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ «مَنْ

---

(١) حديث «رحم الله من كف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه». أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد ضعيف من حديث هشام بن عروة عن النبي ﷺ مرسلا ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية هشام عن عائشة بلفظ «رحم الله امرأ كف لسانه عن أعراض المسلمين» وهو منقطع وضعيف جدا.

(٢) حديث عائشة «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم».أخرجه البخاري وقد تقدم.

جَادَلَ فِي خُصُومَةٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ الله حَتَّى يَنْزِعَ»[١]، وقال بعضهم: إياك والخصومة فإنها تمحق الدين.

ويقال: ما خاصم ورع قط في الدين. وقال ابن قتيبة: مرّ بي بشر بن عبد الله بن أبي بكرة فقال: ما يجلسك ها هنا؟ قلت: خصومة بيني وبين ابن عم لي، فقال: إن لأبيك عندي يدًا وإني أريد أن أجزيك بها، وإني والله ما رأيت شيئًا أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب من الخصومة؟ قال: فقمت لأنصرف فقال لي خصمي: ما لك؟ قلت: لا أخاصمك، قال: إنك عرفت أن الحق لي، قلت: لا ولكن أكرم نفسي عن هذا.

قال: فإني لا أطلب منك شيئًا هو لك.

فإن قلت: فإذا كان للإنسان حق فلا بد له من الخصومة في طلبه أو في حفظه مهما ظلمه ظالم، فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته؟ فاعلم أن هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بغير علم؛ مثل وكيل القاضي فإنه قبل أن يتعرف أن الحق في أي جانب هو يتوكل في الخصومة من أي جانب كان، فيخاصم بغير علم ويتناول الذي يطلب حقه، ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط أو على قصد الإيذاء، ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج إليها في نصرة الحجة وإظهار الحق، ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع أنه قد يستحقر ذلك القدر من المال، وفي الناس من يصرح به ويقول: إنما قصدي عناده وكسر عرضه، وإني إن أخذت منه هذا المال ربما رميت به في بئر ولا أبالي، وهذا مقصوده اللدد والخصومة واللجاج وهو مذموم جدًا.

فأما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف وزيادة لجاج على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد وإيذاء ففعله ليس بحرام، ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلًا، فإن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر، والخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب، وإذا هاج الغضب نسي المتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين، حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه، فمن بدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه المحذورات، وأقل ما فيه تشويش خاطره حتى إنه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الأمر على حد الواجب، فالخصومة مبدأ كل شر، وكذا المراء والجدال، فينبغي أن لا يفتح بابه إلا لضرورة، وعند الضرورة ينبغي أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدًا، فمن اقتصر على الواجب في خصومته سلم من الإثم ولا تذم خصومته، إلا أنه إن كان مستغنيًا عن الخصومة فيما خاصم فيه لأن عنده ما يكفيه فيكون تاركًا للأولى ولا يكون آثمًا، نعم أقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب، إذ أقل

---

(١) ضعيف: حديث أبي هريرة «من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع». أخرجه ابن أبي الدنيا والأصفهاني في الترغيب والترهيب وفيه رجاء أبو يحيى ضعفه الجمهور [ضعيف الجامع: ٥٥٤١].

درجات طيب الكلام إظهار الموافقة، ولا خشونة في الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله إما تجهيل وإما تكذيب، فإن من جادل غيره أو ماراه أو خاصمه فقد جهله أو كذبه فيفوت به طيب الكلام.

وقد قال ﷺ: «يُمْكِنُكُمْ مِنَ الجَنَّةِ طِيبُ الكَلامِ وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ»(١). وقد قال الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[البقرة:٨٣] وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من سلّم عليك من خلق الله فاردد عليه السلام وإن كان مجوسيًا إن الله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾[النساء:٨٦] وقال ابن عباس أيضًا: لو قال لي فرعون خيرًا لرددت عليه. وقال أنس: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَغُرَفًا يُرَى ظَاهِرُها مِنْ بَاطِنِها وَبَاطِنُها مِنْ ظَاهِرِها أَعَدَّها الله تَعَالَى لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ وَأَلانَ الكَلامَ»(٢)، وروي أن عيسى عليه السلام مرّ به خنزير فقال: مر بسلام، فقيل: يا روح الله أتقول هذا لخنزير؟ فقال: أكره أن أعود لساني الشر.

وقال نبينا عليه السلام: «الكلمة الطيبة صدقة»(٣)، وقال: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»(٤)، وقال عمر رضي الله عنه: البرّ شيء هين وجه طليق وكلام لين. وقال بعض الحكماء: الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح.

وقال بعض الحكماء: كل كلام لا يسخط ربك إلا أنك ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلًا، فإنه لعله يعوضك منه ثواب المحسنين.

وهذا كله في فضل الكلام الطيب وتضاده الخصومة والمراء والجدال واللجاج، فإنه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر. نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه.

الآفة السادسة: التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة الخ

التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والمقدّمات، وما جرى به عادة المتفاصحين المدّعين للخطابة. وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «أَنَا وَأَتْقِيَاءُ أُمَّتِي بُرَآءُ مِنَ التَّكَلُّفِ»، وقال ﷺ: «إِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا الثَّرْثَارُونَ المُتَفَيْهِقُونَ المُتَشَدِّقُونَ فِي الكَلامِ»(٥)، وقالت فاطمة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ: «شِرَارُ أُمَّتِي الَّذِينَ غُذُّوا بِالنَّعِيمِ يَأْكُلُونَ أَلْوَانَ الطَّعَامِ

---

١) حديث «يمكنكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام». أخرجه الطبراني من حديث جابر وفيه من لا أعرفه وله من حديث هانئ أبي شريح بإسناد جيد «يوجب الجنة إطعام الطعام وحسن الكلام».

٢) حديث أنس «إن في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها .... الحديث». أخرجه الترمذي وقد تقدم.

٣) صحيح: حديث «الكلمة الطيبة صدقة». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة [مسلم: ١٠٠٩].

٤) حديث «اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة». متفق عليه من حديث عدي بن حاتم وقد تقدم.

٥) صحيح: حديث «إن أبغضكم إلى الله وأبعدكم مني مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون». أخرجه حمد من حديث أبي ثعلبة وهو عند الترمذي من حديث جابر وحسنه بلفظ «إن أبغضكم إلي» [الترمذي: ٢٠١، وصححه الألباني في جامع الترمذي: ٣٧٠].

وَيَلْبَسُونَ أَلْوَانَ الثِّيَابِ وَيَتَشَدَّقُونَ فِي الكَلامِ» (١)، وقال ﷺ: «أَلاَ هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ ثلاث مرات» (٢)، والتنطع هو التعمق والاستقصاء. وقال عمر رضي الله عنه: إن شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان.

وجاء عمر بن سعد بن أبي وقاص إلى أبيه سعد يسأله حاجة، فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد: ما كنت من حاجتك بأبعد منك اليوم إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَتَخَلَّلُونَ الكَلامَ بِأَلْسِنَتِهِمْ كَمَا تَتَخَلَّلُ البَقَرَةُ الكَلأَ بِلِسَانِها» (٣)، وكأنه أنكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبب والمقدّمة المصنوعة المتكلفة.

وهذا أيضًا من آفات اللسان، ويدخل فيه كل سجع متكلف، وكذلك التفاصح الخارج عن حدّ العادة، وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات، إذ قضى رسول الله ﷺ بغرّة في الجنين فقال بعض قوم الجاني: كيف ندي من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك بطل؟ فقال: «أَسَجْعًا كَسَجْعِ الأَعْرَابِ» (٤)، وأنكر ذلك لأن أثر التكلف والتصنع بين عليه، بل ينبغي أن يقتصر في كل شيء على مقصوده، ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم.

ولا يدخل في هذه تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير من غير إفراط وإغراب، فإن المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها، فلرشاقة اللفظ تأثير فيه فهو لائق به.

فأما المحاورات التي تجري لقضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشدق والاشتغال به من التكلف المذموم، ولا باعث عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه.

الآفة السابعة: الفحش والسب وبذاءة اللسان:

وهو مذموم ومنهي عنه ومصدره الخبث واللؤم. قال ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالفُحْشَ فَإِنَّ الله تَعَالَى لا يُحِبُّ الفُحْشَ وَلا التَّفَحُّشَ» (٥)، ونهى رسول الله ﷺ عن أن تسب قتلى بدر من المشركين فقال: «لا تَسُبُّوا هؤلاءِ فإِنَّهُ لا يَخْلُصُ إِلَيْهِمْ شَيْءٌ مِمَّا تَقُولُونَ وَتُؤْذُونَ الأَحْيَاءَ أَلا إِنَّ البِذَاءَ

---

(١) حسن: حديث فاطمة: شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام». وفيه «ويتشدقون» أخرجه ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب [صحيح الترغيب: ٢٠٨٧].

(٢) صحيح: حديث «ألا هلك المتنطعون». من حديث ابن مسعود [أبو داود: ٢٤٦٠٨، وصححه الألباني]

(٣) حديث سعد «يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخلل البقرة الكلأ بلسانها». رواه أحمد.

(٤) صحيح: حديث: «كيف ندى من لا شرب ولا أكل ... الحديث».أخرجه مسلم من حديث المغيرة بن شعبة وأبي هريرة وأصلها عند البخاري أيضا [مسلم: ١٦٨٢].

*٢٠*الآفة السابعة: الفحش والسب وبذاءة اللسان.

(٥) صحيح: حديث «إياكم والفحش ... الحديث». أخرجه النسائي في الكبرى في التفسير والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو ورواه ابن حبان من حديث أبي هريرة [أحمد: ٦٧٥٣، إرواء الغليل: ٢١٣٣].

لُؤْمٌ»[(١)]، وقال ﷺ: «لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلاَ اللَّعَّانِ وَلا الفَاحِشِ وَلا البَذِيِّ»[(٢)]، وقال ﷺ: «الجَنَّةِ حَرَامٌ عَلَى كُلِّ فَاحِشٍ أَنْ يَدْخُلَها»[(٣)] وقال ﷺ: «أَرْبَعَةٌ يُؤْذُونَ أَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ عَلَى ما بِهِمْ مِنَ الأَذَى يَسْعَوْنَ بَيْنَ الحَمِيمِ وَالجَحِيمِ يَدْعُونَ بِالوَيْلِ وَالثُّبُورِ: رَجُلٌ يَسِيلُ فُوهُ قَيْحًا وَدَمًا فَيُقَالُ لَهُ ما بَالُ الأَبْعَدِ قَدْ آذَانَا عَلَى ما بِنَا مِنَ الأَذَى؟ فَيَقُولُ إِنَّ الأَبْعَدَ كانَ يَنْظُرُ إِلَى كُلِّ كَلِمَةٍ قَذِعَةٍ خَبِيثَةٍ فَيَسْتَلِذُّها كَمَا يَسْتَلِذُّ الرَّفَثَ»[(٤)]، وقال ﷺ لعائشة: «يا عائشة لو كان الفحش رجلًا لكان رجل سوء»[(٥)]، وقال ﷺ: «البِذَاءُ وَالبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنْ شُعَبِ النِّفَاقِ»[(٦)]، فيحتمل أن يراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه، ويحتمل أيضًا المبالغة في الإيضاح حتى ينتهي إلى حدّ التكلف، ويحتمل أيضًا البيان في أمور الدين وفي صفات الله تعالى، فإن إلقاء ذلك مجملًا إلى أسماع العوام أولى من المبالغة في بيانه؛ إذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس فإذا أجملت بادرت القلوب إلى القبول ولم تضطرب، ولكن ذكره مقرونًا بالبذاء يشبه أن يكون المراد به المجاهرة بما يستحي الإنسان من بيانه، فإن الأولى في مثله الإغماض والتغافل دون الكشف والبيان، وقال ﷺ: «إِنَّ الله لا يُحِبُّ الفَاحِشَ المُتَفَحِّشَ الصَّيَّاحَ فِي الأَسْوَاقِ»[(٧)]، وقال جابر بن سمرة: كنت جالسًا عند النبي ﷺ وأبي أمامي فقال ﷺ: «إِنَّ الفُحْشَ وَالتَّفَاحُشَ لَيْسَا مِنَ الإِسْلامِ فِي شَيْءٍ وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ إِسْلامًا أَحَاسِنُهُمْ أَخْلاقًا»[(٨)]، وقال إبراهيم بن

---

(١) حديث: النهي عن سب قتلى بدر من المشركين .... الحديث». أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث محمد بن علي الباقر مرسلا ورجاله ثقات وللنسائي من حديث ابن عباس بإسناد صحيح: إن رجلا وقع في أب للعباس كان في الجاهلية فلطمه... الحديث» وفيه «لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا أحياءنا» [النسائي: ٤٧٧٥، وضعفه الألباني في سنن النسائي: ٣٣].

(٢) صحيح: حديث «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء». أخرجه الترمذي بإسناد صحيح من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب وصححه وروى موقوفا قال الدار قطني في العلل والموقوف أصح [الترمذي: ١٩٧٧، وصححه الألباني في جامع الترمذي: ٣٥٠].

(٣) ضعيف: حديث «الجنة حرام على كل فاحش إن يدخلها». أخرجه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن عمرو [ضعيف الجامع: ٢٦٦٧].

(٤) ضعيف: حديث «أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى .... الحديث». أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث شقي بن ماتع واختلف في صحبته فذكره أبو نعيم في الصحابة وذكره البخاري وابن حبان في التابعين [ضعيف الترغيب: ١٢٢].

(٥) حسن: حديث «يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء». أخرجه ابن أبي الدنيا من رواية ابن لهيعة عن أبي النضر عن أبي سلمة عنها [صحيح الترغيب: ٤٦٣١].

(٦) صحيح: حديث «البذاء والبيان شعبتان من النفاق». أخرجه الترمذي وحسنه الحاكم وصححه على شرطهما من حديث أبي أمامة وقد تقدم.

(٧) ضعيف: حديث «إن الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش الصياح في الأسواق». أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث جابر بسند ضعيف [ضعيف الجامع: ١٦٧٤] وله وللطبراني من حديث أسامة بن زيد «إن الله يبغض الفاحش المتفحش» وإسناده جيد [صححه الألباني في صحيح الجامع: ١٨٧٧].

(٨) ضعيف: حديث جابر بن سمرة «إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شيء وإن أحسن الناس إسلاما أحاسنهم أخلاقا». أخرجه أحمد وابن أبي الدنيا بإسناد صحيح [أحمد: ٢٠٣٢، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة: ٣٠٣٢].

ميسرة يقال يؤتى بالفاحش المتفحش يوم القيامة في صورة كلب أو في جوف كلب.

وقال الأحنف بن قيس: ألا أخبركم بأدوأ الداء: اللسان البذيء، والخلق الدنيء.

فهذه مذمة الفحش. فأما حدّه وحقيقته فهو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة، وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الوقاع وما يتعلق به، فإن لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه، وأهل الصلاح يتحاشون عنها بل يكنون عنها.

ويدلون عليها بالرموز فيذكرون ما يقاربها ويتعلق بها، وقال ابن عباس: إن الله حيي كريم يعفو ويكنو، كنى باللمس عن الجماع، فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة.

وهناك عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل أكثرها في الشتم والتعيير، وهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها أفحش من بعض. وربما اختلف ذلك بعادة البلاد وأوائلها مكروهة وأواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها، وليس يختص هذا بالوقاع، بل بالكناية بقضاء الحاجة عن البول، والغائط أولى من لفظ التغوّط والخراء وغيرهما، فإن هذا أيضًا مما يخفى وكل ما يخفى يستحيا منه، فلا ينبغي أن يذكر ألفاظه الصريحة فإنه فحش، وكذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال: قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجرة، أو من وراء الستر، أو قالت أم الأولاد. فالتلطف في هذه الألفاظ محمود والتصريح فيها يفضي إلى الفحش، وكذلك من به عيوب يستحيا منها فلا ينبغي أن يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير. بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه، فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان.

قال العلاء بن هارون: كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه: فخرج تحت إبطه خرّاج فأتيناه نسأله لنرى ما يقول؟ فقلنا: من أين خرج؟ فقال: من باطن اليد.

والباعث على الفحش إما قصد الإيذاء وإما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق وأهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السّبُّ.

وقال أعرابي لرسول الله ﷺ: أوصني فقال: «عَلَيْكَ بِتَقْوَى الله وَإِنِ امْرُؤٌ عَيَّرَكَ بِشَيْءٍ يَعْلَمُهُ فِيكَ فَلا تُعَيِّرْهُ بِشَيْءٍ فِيهِ يَكن وَبَالُهُ عَلَيْهِ وَأَجْرُهُ لَكَ وَلا تَسُبَّنَّ شَيْئًا» قال: فما سببت شيئًا بعده[(١)]، وقال عياض بن حمّار: قلت يا رسول الله إن الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل عليَّ من بأس أن أنتصر منه؟ فقال: «المُتَسَابَّانِ شَيْطَانَانِ يَتَعَاوَيَانِ وَيَتَهَارَجَانِ»[(٢)]، وقال ﷺ:

(١) صحيح: حديث: قال أعرابي أوصني فقال «عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك .... الحديث» قال: فما سببت شيئا بعده. أخرجه أحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث أبي جرى الهجيمي قيل اسمه جابر بن سليم وقيل سليم بن جابر [السلسلة الصحيحة: ٧٧٠].

(٢) صحيح: حديث عياض ابن حمار: قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل على من بأس أن أنتصر منه؟ فقال «المُتَسَابَّان شيطانان يتكاذبان ويتهاتران». أخرجه أبو داود والطيالسي وأصله عند أحمد [صحيح الجامع: ٦٦٩٦].

«سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر» (١)، وقال ﷺ: «المُسْتَبَّانِ ما قَالا فَعَلَى البَادِيءِ مِنْهُمَا حَتَّى يَعْتَدِيَ المَظْلُومُ» (٢)، وقال ﷺ: «مَلْعُونٌ مَنْ سَبَّ وَالديْهِ» (٣)، وفي رواية: «مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أَنْ يَسُبَّ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ» قالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه؟ قال: «يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ الآخَرُ أَبَاهُ».

الآفة الثامنة: اللعن:

إما لحيوان أو جماد أو إنسان وكل ذلك مذموم. قال رسول الله ﷺ: «المؤمن ليس بلعان» (٤)، وقال ﷺ: «لا تَلاعَنُوا بِلَعْنَةِ الله وَلا بِغَضَبِهِ وَلا بِجَهَنَّمَ» (٥)، وقال حذيفة: ما تلاعن قوم قط إلا حق عليهم القول. وقال عمران بن حصين: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها، فقال ﷺ: «خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَأَعْرُوها فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ» (٦)، قال: فكأني أنظر إلى تلك الناقة تمشي بين الناس لا يتعرض لها أحد.

وقال أبو الدرداء: ما لعن أحد الأرض إلا قالت: لعن الله أعصانا لله: وقالت عائشة رضي الله عنها: سمع رسول الله ﷺ أبا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت إليه وقال: «يا أبا بكر أصدّيقين ولعانين كلا ورب الكعبة، مرتين أو ثلاثًا» (٧)، فأعتق أبو بكر يومئذٍ رقيقه وأتى النبي وقال: لا أعود.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّعَانِينَ لا يَكُونُونَ شُفَعَاءَ وَلا شُهَدَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ» (٨)، وقال أنس: كان رجل يسير مع رسول الله ﷺ على بعير فلعن بعيره فقال ﷺ: «يا عَبْدَ الله لا تَسِرْ مَعَنَا عَلَى

(١) صحيح: حديث «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر». متفق عليه من حديث ابن مسعود [البخاري: ٤٨، مسلم: ٦٤].

(٢) صحيح: حديث «المُسْتَبَّان: ما قالا، فعلى البادئ، حتى يعتدى المظلوم».أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وقال مالم يعتد من حديث ابن مسعود [مسلم: ٢٥٨٧].

(٣) صحيح: حديث «ملعون من سب والديه». وفي رواية «من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه... الحديث» أخرجه أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث ابن عباس باللفظ الأول بإسناد جيد [أحمد: ٢٩٠٩، صحيح الجامع: ٥٨٩١] واتفق الشيخان على اللفظ الثاني من حديث عبد الله بن عمرو [البخاري: ٥٩٧٣، مسلم: ٩٠].

*٢*الآفة الثامنة: اللعن

(٤) حديث «المؤمن ليس بلعان». تقدم حديث ابن مسعود «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان... الحديث» قبل هذا بأحد عشر حديثا وللترمذي وحسنه من حديث ابن عمر «لا يكون المؤمن لعانا».

(٥) حسن: حديث «لا تلاعنوا بلعنة الله .... الحديث». أخرجه الترمذي وأبو داود من حديث سمرة بن جندب قال الترمذي: حسن صحيح [أبو داود: ٤٩٠٦، وحسنه الألباني في سنن أبي داود: ٢٧٧].

(٦) صحيح: حديث عمران بن حصين: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره إذا امرأة من الأنصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها .... الحديث». رواه مسلم [مسلم: ٢٥٩٥].

(٧) حديث عائشة: سمع رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه وهو يلعن رفيقه فالتفت إليه فقال «يا أبا بكر أصديقين ولعانين .... الحديث». أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت وشيخه بشار بن موسى الخفاف ضعفه الجمهور وكان أحمد حسن الرأي فيه.

(٨) صحيح: حديث «إن اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة». أخرجه مسلم من حديث أبي الدرداء [مسلم: ٢٥٩٨].

بَعِيرٍ مَلْعُونٍ»[(١)]، وقال ذلك إنكارًا عليه.

واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد من الله تعالى، وذلك غير جائز إلا على من اتصف بصفة تبعده من الله عز وجل وهو الكفر والظلم، بأن يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين، وينبغي أن يتبع فيه لفظ الشرع فإن في اللعنة خطرًا لأنه حكم على الله عز وجل بأنه قد أبعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى، ويطلع عليه رسول الله ﷺ إذا أطلعه الله عليه.

والصفات المقتضية لِلَّعْنِ ثلاثة: الكفر، والبدعة، والفسق. واللعن في كل واحدة ثلاث مراتب.

الأولى: اللعن بالوصف الأعم كقولك لعنة الله على الكافرين والمبتدعين والفسقة.

الثانية: اللعن بأوصاف أخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض، أو على الزناة والظلمة وآكلي الربا، وكل ذلك جائز. ولكن في لعن أوصاف المبتدعة خطر لأن معرفة البدعة غامضة ولم يرد فيه لفظ مأثور، فينبغي أن يمنع منه العوام لأن ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير نزاعًا بين الناس وفسادًا.

الثالثة: اللعن للشخص المعين وهذا فيه خطر كقولك: زيد لعنه الله، وهو كافر أو فاسق أو مبتدع، والتفصيل فيه أن كل شخص ثبتت لعنته شرعًا فتجوز لعنته كقولك: فرعونه لعنه الله، وأبو جهل لعنه الله، لأنه قد ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعًا. وأما شخص بعينه في زماننا كقولك زيد لعنه الله، وهو يهودي مثلًا فهذا فيه خطر فإنه ربما يسلم فيموت مقربًا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونًا؟..

فإن قلت: يلعن لكونه كافرًا في الحال كما يقال للمسلم: رحمه الله، لكونه مسلمًا في الحال، وإن كان يتصور أن يرتد، فاعلم أن معنى قولنا رحمه الله: أي ثبته الله على الإسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى الطاعة، ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فإن هذا سؤال للكفر وهو في نفسه كفر، بل الجائز أن يقال: لعنه الله إن مات على الكفر، ولا لعنه الله إن مات على الإسلام.

وذلك غيب لا يدرى، والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر، وليس في ترك اللعن خطر وإذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق أو زيد المبتدع أولى، فلعن الأعيان فيه خطر لأن الأعيان تتقلب في الأحوال إلا من أعلم به رسول الله ﷺ فإنه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر، ولذلك عين قومًا باللعن فكان يقول في دعائه على قريش: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ»[(٢)]، وذكر جماعة قتلوا على الكفر حتى إنّ من لم يعلم عاقبته كان يلعنه

---

(١) حسن: حديث أنس: كان رجل مع رسول الله ﷺ على بعير فلعن بعيره فقال ﷺ «يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون». أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد جيد [صحيح الترغيب: ٢٧٩٥].

(٢) صحيح: حديث «اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة». وذكر جماعة متفق عليه من حديث ابن مسعود [البخاري: ٣٨٥٤، مسلم: ١٧٩٤].

فنهى عنه إذ روي: أنه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهرًا فنزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨] (١) يعني أنهم ربما يسلمون فمن أين تعلم أنهم ملعونون؟ وكذلك من بان لنا موته على الكفر جاز لعنه وجاز ذمه إن لم يكن فيه أذى على مسلم، فإن كان لم يجز كما روي أن رسول الله ﷺ سأل أبا بكر رضي الله عنه عن قبر مرَّ به وهو يريد الطائف فقال: هذا قبر رجل كان عاتيًا على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص، فغضب ابنه عمرو بن سعيد وقال: يا رسول الله هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للهام من أبي قحافة، فقال أبو بكر: يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام؟ فقال ﷺ «اكْفُفْ عَنْ أَبِي بَكْرٍ» فانصرف ثم أقبل على أبي بكر فقال: «يا أبا بَكْرٍ إذا ذَكَرْتُمُ الكُفَّارَ فَعَمِّمُوا فَإِنَّكُمْ إذا خَصَّصْتُمْ غَضِبَ الأَبْنَاءُ لِلآبَاءِ» (٢) فكف الناس عن ذلك، وشرب نعيمان الخمر فحدّ مرات في مجلس رسول الله ﷺ فقال بعض الصحابة: لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال ﷺ «لا تَكُنْ عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكَ» (٣)، وفي رواية: «لا تَقُلْ هذا فإنَّهُ يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ»، فنهاه عن ذلك، وهذا يدل على أن لعن فاسق بعينه غير جائز.

وعلى الجملة ففي لعن الأشخاص خطر فليجتنب، ولا خطر في السكوت عن لعن إبليس مثلًا فضلًا عن غيره.

فإن قيل: هل يجوز لعن يزيد لأنه قاتل الحسين أو آمر به؟

قلنا: هذا لم يثبت أصلًا فلا يجوز أن يقال إنه قتله أو أمر به ما لم يثبت، فضلًا عن اللعنة،

---

(١) صحيح: حديث: أنه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] أخرجه الشيخان من حديث أنس: دعا رسول الله ﷺ على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا... الحديث. وفي رواية لهما: قنت شهرا يدعو على رعل وذكوان... الحديث. ولهما من حديث أبي هريرة: وكان يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه... الحديث «اللهم العن لحيان ورعلا...» الحديث وفيه «ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله ليس لك من الأمر شيء» لفظ مسلم [البخاري: ٨١٤، مسلم: ٦٣٧].

(٢) حديث: إن رسول الله ﷺ سأل أبا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال: هذا قبر رجل كان عاتيا على الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه .... الحديث». أخرجه أبو داود في المراسيل من رواية علي بن ربيعة قال: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة توجه من فوره ذلك إلى الطائف ومعه أبو بكر ومعه ابنا سعيد بن العاص فقال أبو بكر: لمن هذا القبر؟ قالوا قبر قالوا قبر سعيد بن العاص فقال أبو بكر: لعن الله صاحب هذا القبر فإنه كان يجاهد الله ورسوله... الحديث. وفيه «فإذا سببتم المشركين فسبوهم جميعا».

(٣) حديث: شرب نعمان الخمر فحد مرات في مجلس رسول الله ﷺ فقال بعض الصحابة: لعنه الله ما أكثر ما يؤتي به فقال رسول الله ﷺ «لا تكن عونا للشيطان على أخيك». وفي رواية: «لا تقل هذا فإنه يحب الله ورسوله» أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب من طريق الزبير بن بكار من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلا ومحمد هذا ولد في حياته ﷺ وسماه محمدا وكناه عبد الملك وللبخاري من حديث عمر: أن رجلا على عهد رسول الله ﷺ كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك رسول الله ﷺ وكان قد جلده في الشراب، فأتي به يوما فأمر به فجلد فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتي به! فقال النبي ﷺ «لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله» من حديث أبي هريرة في رجل شرب ولم يسم وفيه «لا تعينوا عليه الشيطان» وفي رواية «لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم».

لأنه لا تجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق.

نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم عليًا وقتل أبو لؤلؤة عمر رضي الله عنهما فإن ذلك ثبت متواترًا. فلا يجوز أن يرمى مسلم بفسق أو كفر من غير تحقيق. قال ﷺ: «لا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالكُفْرِ وَلا يَرْمِيهِ بِالفسْقِ إلاّ ارْتَدَّتْ عَلَيهِ إنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذلِكَ» (١)، وقال ﷺ: «ما شَهِدَ رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ بِالكُفْرِ إلاّ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُما، إنْ كانَ كافِرًا فَهُوَ كَمَا قالَ.

وَإنْ لَمْ يَكُنْ كافِرًا فَقَدْ كَفَرَ بِتَكْفِيرِهِ إيَّاهُ» (٢)، وهذا معناه أن يكفره وهو يعلم أنه مسلم فإن ظن أنه كافر ببدعة أو غيرها كان مخطئًا لا كافرًا.

وقال معاذ: قال لي رسول الله ﷺ: «أَنْهَاكَ أَنْ تَشْتُمَ مُسْلِمًا أَوْ تَعْصِيَ إمامًا عَادِلًا، وَالتَّعَرُّضُ لِلأَمْوَاتِ أَشَدُّ» (٣)، قال مسروق: دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت: ما فعل فلان لعنه الله؟ قلت: توفي. قالت: رحمه الله، قلت: وكيف هذا؟ قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ فَإنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إلى ما قَدَّمُوا» (٤)، وقال عليه السلام: «لا تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ فَتُؤْذُوا بِهِ الأَحْيَاءَ» (٥)، وقال عليه السلام: «أَيُّها النَّاسُ احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي وَإخْوَانِي وَأَصْهَارِي وَلا تَسُبُّوهُمْ، أَيُّها النَّاسُ إذا مَاتَ المَيِّتُ فَاذْكُرُوا مِنْهُ خَيْرًا» (٦).

فإن قيل: فهل يجوز أن يقال: قاتل الحسين لعنه الله؟ أو الآمر بقتله لعنه الله؟ قلنا: الصواب أن يقال: قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله، لأنه يحتمل أن يموت بعد التوبة، فإن وحشيًا قاتل حمزة عم رسول الله ﷺ قتله وهو كافر، ثم تاب عن الكفر والقتل جميعًا ولا يجوز أن يلعن، والقتل كبيرة ولا تنتهي إلى رتبة الكفر، فإذا لم يقيد بالتوبة وأطلق كان فيه خطر وليس

---

(١) صحيح: حديث «لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك». متفق عليه والسياق للبخاري من حديث أبي ذر مع تقديم ذكر الفسق [البخاري: ٦٠٤٥، مسلم: ٦١].

(٢) حديث «ما شهد رجل على رجل بالكفر إلا أتى أحدهما إن كان كافرا فهو كما قال، وإن لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره إياه». أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف.

(٣) ضعيف: حديث معاذ «أنهاك أن تشتم مسلما أو تعصي إماما عادلا». أخرجه أبو نعيم في الحلية في أثناء حديث له طويل [ضعيف الترغيب: ١٨٤١].

(٤) صحيح: حديث عائشة «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا». أخرجه البخاري وذكر المصنف في أوله قصة لعائشة وهو عند ابن المبارك في الزهد والرقائق مع القصة [البخاري: ١٣٩٣].

(٥) صحيح: حديث «لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء». أخرجه الترمذي من حديث المغيرة بن شعبة ورجاله ثقات إلا أن بعضهم أدخل بين المغيرة وبين زياد بن علاقة رجل لم يسم [صحيح الجامع: ١٩٨٢].

(٦) ضعيف: حديث «أيها الناس احفظوني في أصحابي وإخواني وأصهاري ولا تسبوهم، أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيرا». أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عياض الأنصاري «احفظوني في أصحابي وأصهاري» وإسناده ضعيف [ضعيف الجامع: ١٥٣٧] وللشيخين من حديث أبي سعيد وأبي هريرة «لا تسبوا أصحابي» [البخاري: ٣٦٧٣، مسلم: ٢٥٤٠] ولأبي داود والترمذي وقال غريب من حديث ابن عمر «اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم» [أبو داود: ٤٩٠٠، وضعفه الألباني في سنن أبي داود: ٢٧٥] وللنسائي من حديث عائشة «لا تذكروا موتاكم إلا بخير» وإسناده جيد [النسائي: ١٩٣٥ بلفظ «هلكاكم»، وصححه الألباني].

في السكوت خطر فهو أولى.

وإنما أوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة وإطلاق اللسان بها. والمؤمن ليس بلعان فلا ينبغي أن يطلق اللسان باللعنة إلا على من مات على الكفر، أو على الأجناس المعروفين بأوصافهم دون الأشخاص المعينين.

فالاشتغال بذكر الله أولى فإن لم يكن ففي السكوت سلامة.

قال مكي بن إبراهيم: كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن أبي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا: يا ابن عون إنما نذكره لما ارتكب منك، فقال: إنما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة: لا إله إلا الله ولعن الله فلانًا، فلأن يخرج من صحيفتي لا إله إلا الله، أحبُّ إليَّ من أن يخرج منها لعن الله فلانًا. وقال رجل لرسول الله ﷺ: أوصني فقال: «أُوصِيكَ أَنْ لا تَكُونَ لَعَّانًا» (١)، وقال ابن عمر: إن أبغض الناس إلى الله كل طعان لعان. وقال بعضهم لعن المؤمن يعدل قتله، وقال حماد بن زيد بعد أن روى هذا لو قلت إنه مرفوع لم أبال؟ وعن أبي قتادة قال: كان يقال: «مَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ مِثْلُ أَنْ يَقْتُلَهُ» (٢)، وقد نقل ذلك حديثًا مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ.

ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الإنسان مثلًا: لا صحح الله جسمه ولا سلمه الله وما يجري مجراه، فإن ذلك مذموم. وفي الخبر: «إِنَّ المَظْلُومَ لَيَدْعُو عَلَى الظَّالِمِ حَتَّى يُكَافِئَهُ ثُمَّ يَبْقَى لِلظَّالِمِ عِنْدَهُ فَضْلَةٌ يَوْمَ القِيَامَةِ» (٣).

الآفة التاسعة: الغناء والشعر:

وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده، وأما الشعر، فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح إلا أن التجرّد له مذموم. قال رسول الله ﷺ: «لأَنْ يَمْتَلِيءَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا حَتَّى يَرِيَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيءَ شعرًا» (٤)، وعن مسروق أنه سئل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل له في ذلك فقال: أنا أكره أن يوجد في صحيفتي شعر. وسئل بعضهم عن شيء من الشعر فقال: أجعل مكان هذا ذكرًا فإن ذكر الله خير من الشعر. وعلى الجملة: فإنشاد

---

(١) صحيح: حديث قال رجل: أوصني قال «أوصيك أن لا تكون لعانا». أخرجه أحمد والطبراني وابن أبي عاصم في الآحاد والثاني من حديث جرموز الهجيمي وفيه رجل لم يسم أسقط ذكره ابن أبي عاصم [أحمد: ٢٠١٥٥، صحيح الجامع: ٢٥٤٢].

(٢) صحيح: حديث «لعن المؤمن كقتله». متفق عليه من حديث ثابت بن الضحاك [البخاري: ٦١٠٥، مسلم: ١١٠].

(٣) حديث «إن المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة». لم أقف له على أصل وللترمذي من حديث عائشة بسند ضعيف «من دعا على من ظلمه فقد انتصر» [الترمذي: ٣٥٥٢، وضعفه الألباني في جامع الترمذي: ٥٤].

(٤) صحيح: حديث «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير من أن يمتلئ شعرا». أخرجه مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص [مسلم: ٢٢٥٨] واتفق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة نحوه [البخاري: ٦١٥٥، مسلم: ٢٢٥٧] والبخاري من حديث ابن عمر [البخاري: ٦١٥٤] ومسلم من حديث أبي سعيد [مسلم: ٢٢٥٩].

الشعر ونظمه ليس بحرام إذا لم يكن فيه كلام مستكره. قال ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً» (١)، نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب، وقد يدخله الكذب، وقد أمر رسول الله ﷺ حسان بن ثابت الأنصاري بهجاء الكفار والتوسع في المدح (٢)، فإنه وإن كان كذبًا فإنه لا يلحق في التحريم بالكذب كقول الشاعر:

ولو لم يكن في كفِّه غير روحه لجادَ بها فليتَّقِ الله سَائِلُهْ

فإن هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء، فإن لم يكن صاحبه سخيًا كان كاذبًا، وإن كان سخيًا فالمبالغة من صنعة الشعر فلا يقصد منه أن يعتقد صورته. وقد أنشدت أبيات بين يدي رسول الله ﷺ لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك فلم يمنع منه. قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يخصف نعله وكنت جالسة أغزل، فنظرت إليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورًا قالت: فبهتّ فنظر إليّ فقال: «ما لَكَ بُهِتِّ؟» فقلت: يا رسول الله نظرت إليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورًا ولو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره قال: «وَمَا يَقُولُ يا عَائِشَةُ أَبُو كَبِيرِ الهُذَلِيُّ» قلت: يقول هذين البيتين:

ومبرأ من كل غبر حيضة وفساد مرضعة وداء مغيلِ
وإذا نظرت إلى أسرّة وجهه برقت كبرق العارض المتهللِ

قال: فوضع ﷺ ما كان بيده وقام إليّ وقبل ما بين عينيّ وقال: «جَزَاكِ الله خَيْرًا يا عَائِشَةُ ما سُرِرْتِ مِنِّي كَسُرُورِي مِنْكِ» (٣)، ولما قسّم رسول الله الغنائم يوم حنين أمر للعباس بن مرداس بأربع قلائص فاندفع يشكو في شعر له وفي آخره:

وما كان بدر ولا حابس يسودان مرداس في مجمعِ
وما كنت دون امرىء منهما ومن تضع اليوم لا يُرفعِ

فقال ﷺ: «اقْطَعُوا عَنِّي لِسَانَهُ» فذهب به أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه حتى اختار مائة من الإبل ثم رجع وهو من أرضى الناس، فقال له ﷺ: «أَتَقُولُ فِي الشِّعْرِ؟» فجعل يعتذر إليه ويقول: بأبي أنت وأمي إني لأجد للشعر دبيبًا على لساني كدبيب النمل ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا أجد بدًا من قول الشعر، فتبسم ﷺ وقال: «لا تَدَعُ العَرَبُ الشِّعْرَ حَتَّى تَدَعَ الإِبِلُ

---

(١) حديث «إن من الشعر لحكمة». تقدم في العلم وفي آداب السماع.

(٢) صحيح: حديث أمره حسانا أن يهجو المشركين.

متفق عليه من حديث البراء أنه ﷺ قال لحسان «اهجهم وجبريل معك» [البخاري: ٣٢١٣، ومسلم: ٢٤٨٦].

(٣) حديث عائشة: كان رسول الله ﷺ يخصف نعله وكنت أغزل قالت: فنظرت إليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا .... الحديث. وفيه: إنشاد عائشة لشعر أبي كبير الهذلي:

ومبرأ من كل غبر حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل
وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

قال فوضع ﷺ ما كان بيده وقام إلي وقبل ما بين عيني وقال «جزاك الله خيرا». رواه البيهقي في دلائل النبوة.

الحَنِينَ» (١).

الآفة العاشرة: المزاح:

وأصله مذموم منهي عنه إلا قدرًا يسيرًا يستثنى منه.

قال ﷺ «لا تُمَارِ أَخَاكَ وَلا تُمَازِحْهُ» (٢)، فإن قلت: المماراة فيها إيذاء لأنّ فيها تكذيبًا للأخ والصديق أو تجهيلًا له، وأما المزاح فمطايبة وفيه انبساط وطيب قلب فلم ينهى عنه؟ فاعلم أنّ المنهي عنه الإفراط فيه أو المداومة عليه.

أما المداومة؛ فلأنه اشتغال باللعب والهزل فيه واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة، وأما الإفراط فيه فإنه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة في بعض الأحوال، وتسقط المهابة والوقار، فما يخلو عن هذه الأمور فلا يذم، كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنِّي لأَمْزَحُ وَلا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا» (٣)، إلا أن مثله يقدر على أن يمزح ولا يقول إلا حقًا، وأما غيره إذا فتح باب المزاح كان غرضه أن يضحك الناس كيفما كان.

وقد قال رسول الله ﷺ «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِها جُلَسَاءَهُ يَهْوِي بها فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِنَ الثُّرَيَّا» (٤)، وقال عمر رضي الله عنه: من كثر ضحكه قلّت هيبته، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه.

ولأن الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة قال: «لَوْ تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا» (٥)، وقال رجل لأخيه: يا أخي هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم، قال: فهل أتاك أنك

---

(١) صحيح: حديث: لما قسم الغنائم أمر للعباس بن مرداس بأربع قلائص فاندفع يشكو في شعر له وفي آخره:

وما كان بدر ولا حابس ... يفوقان مرداس في مجمع

وما كنت دون امرئ منهما ... ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال ﷺ «اقطعوا عني لسانه .... الحديث». أخرجه مسلم من حديث رافع بن خديج أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن بن بدر والأقرع بن حابس كل إنسان منهم مائة من الإبل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك، فقال عباس بن مرداس:

أتجعل نهبي ونهب العـ ... ـبيد بين عيينة والأقرع

وما كان بدر ولا حابس ... يفوقان مرداس في مجمع

وما كنت دون امرئ منهما ... ومن تضع اليوم لا يرفع

قال فأتم له رسول الله ﷺ مائة وزاد في رواية أعطى علقمة بن علاثة مائة وأما زيادة «اقطعوا عني لسانه» فليست في شيء من الكتب المشهورة [مسلم: ١٠٦٠].

(٢) حديث «لا تمار أخاك ولا تمازحه». أخرجه الترمذي وقد تقدم.

(٣) حديث «إني أمزح ولا أقول إلا حقا». تقدم.

(٤) حديث «إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها في النار أبعد من الثريا». تقدم.

(٥) صحيح: حديث «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا». متفق عليه من حديث أنس وعائشة [البخاري: ٤٦٢١، مسلم: ٢٣٥٩].

خارج منها؟ قال: لا، قال: ففيم الضحك؟ قيل: فما رؤي ضاحكًا حتى مات.

وقال يوسف بن أسباط: أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك.

وقيل: أقام عطاء السلمي أربعين سنة لم يضحك ونظر وهيب بن الورد إلى قوم يضحكون في عيد فطر فقال: إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين؟ وإن كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين؟ وكان عبد الله بن أبي يعلى يقول: أتضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار؟ وقال ابن عباس: من أذنب ذنبًا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي.

وقال محمد بن واسع: إذا رأيت في الجنة رجلًا يبكي ألست تعجب من بكائه؟ قيل: بلى، قال: فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو أعجب منه؟ فهذه آفة الضحك والمذموم منه أن يستغرق ضحكًا، والمحمود منه التبسم الذي ينكشف فيه السنّ ولا يسمع له صوت.

وكذلك كان ضحك رسول الله [(١)].

قال القاسم مولى معاوية: أقبل أعرابي إلى النبي ﷺ على قلوص له صعب فسلم، فجعل كلما دنا من النبي ﷺ ليسأله يفرّ به فجعل أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون منه، ففعل ذلك مرارًا ثم وقصه فقتله فقيل: يا رسول الله إن الأعرابي قد صرعه قلوصه وقد هلك، فقال: «نَعَمْ، وَأَفْوَاهُكُمْ مَلأَى مِنْ دَمِهِ» [(٢)]، وأما أداء المزاح إلى سقوط الوقار فقد قال عمر رضي الله عنه: من مزح استخف به. وقال محمد بن المنكدر: قالت لي أمي يا بني لا تمازح الصبيان فتهون عندهم، وقال سعيد بن العاص لابنه: يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدنيء فيجترىء عليك.

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: اتقوا الله وإياكم والمزاح فإنه يورث الضغينة ويجرّ إلى القبيح، تحدّثوا بالقرآن وتجالسوا به فإن ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال. وقال عمر رضي الله عنه: أتدرون لم سمي المزاح مزاحًا؟ قالوا: لا، قال: لأنه أزاح صاحبه عن الحق. وقيل: لكل شيء بذور وبذور العداوة المزاح. ويقال: المزاح مسلبة للنهي مقطعة للأصدقاء.

فإن قلت: قد نقل المزاح عن رسول الله ﷺ وأصحابه فكيف ينهى عنه؟ فأقول: إن قدرت على ما قدر عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وهو أن تمزح ولا تقول إلا حقًا ولا تؤذي قلبًا ولا تفرط فيه وتقتصر عليه أحيانًا على الندور فلا حرج عليك فيه، ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ

---

(١) حديث: كان ضحكه التبسم. تقدم.

(٢) حديث القاسم مولى معاوية: أقبل أعرابي إلى النبي ﷺ على قلوص صعب له فسلم فجعل كلما دنا إلى النبي ﷺ ليسأله يفر به فجعل أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون منه، ففعل ذلك ثلاث مرات ثم وقصه فقتله فقيل: يا رسول الله إن الأعرابي قد صرعه قلوصه فهلك، فقال «نعم وأفواهكم ملأى من دمه». أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق وهو مرسل.

الإنسان المزاح حرفة يواظب عليه ويفرط فيه، ثم يتمسك بفعل الرسول ﷺ وهو كمن يدور نهاره مع الزنوج ينظر إليهم وإلى رقصهم ويتمسك بأنّ رسول الله ﷺ أذن لعائشة في النظر إلى رقص الزنوج في يوم عيد[(١)]، وهو خطأ إذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالإصرار، ومن المباحات ما يصير صغيرة بالإصرار، فلا ينبغي أن يغفل عن هذا، نعم روى أبو هريرة أنهم قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا فقال: «إِنِّي وَإِنْ دَاعَبْتُكُمْ لاَ أَقُولُ إِلَّا حَقًّا»[(٢)]، وقال عطاء: إنّ رجلًا سأل ابن عباس أكان رسول الله ﷺ يمزح؟ فقال: نعم، قال: فما كان مزاحه؟ قال: كان مزاحه أنه ﷺ كسا ذات يوم امرأة من نسائه ثوبًا واسعًا فقال لها: «الْبَسِيهِ وَاحْمَدِي وَجُرِّي مِنْهُ ذَيْلًا كَذَيْلِ الْعَرُوسِ»[(٣)]، وقال أنس: إن النبي ﷺ كان من أفكه الناس مع نسائه[(٤)]، وروي أنه كان كثير التبسم[(٥)]، وعن الحسن قال: أتت عجوز إلى النبي ﷺ فقال لها: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَجُوزٌ»[(٦)] فبكت فقال: «إِنَّكِ لَسْتِ بِعَجُوزٍ يَوْمَئِذٍ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٦] »، وقال زيد بن أسلم: إن امرأة يقال لها أم أيمن جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن زوجي يدعوك، قال: «وَمَنْ هُوَ أَهُوَ الَّذِي بِعَيْنِهِ بَيَاضٌ؟» قالت: والله ما بعينه بياض فقال: «بلى إن بعينه بياضًا» فقالت: لا والله، فقال: «ما من أحد إلا وبعينه بياض»[(٧)] وأراد به البياض المحيط بالحدقة، وجاءت امرأة أخرى فقالت: يا رسول الله احملني على بعير فقال: «بل نحملك على ابن البعير» فقالت: ما أصنع به إنه لا يحملني فقال ﷺ: «ما مِنْ بَعِيرٍ إِلَّا وَهُوَ ابْنُ بَعِيرٍ»[(٨)]، فكان يمزح به، وقال أنس: كان لأبي طلحة ابن يقال له أبو عمير وكان رسول الله ﷺ يأتيهم ويقول: «يا أَبَا عُمَيْرٍ ما فَعَلَ النُّغَيْرُ»[(٩)]، لنغير كان يلعب به وهو فرخ العصفور.

وقالت عائشة رضي الله عنها: خرجت مع رسول الله في غزوة بدر فقال: «تعالي حتى

---

(١) حديث: إذنه لعائشة في النظر إلى رقص الزنوج في يوم عيد. تقدم.

(٢) صحيح: حديث أبي هريرة: قالوا إنك تداعبنا قال «إني وإن داعبتكم فلا أقول إلا حقا». أخرجه الترمذي وحسنه [الترمذي: ١٩٩٠، صححه الألباني في جامع الترمذي: ٣٥٧].

(٣) حديث عطاء: إن رجلا سأل ابن عباس أكان رسول الله ﷺ يمزح؟ فقال ابن عباس: نعم .... الحديث». لم أقف عليه.

(٤) حديث أنس: كان من أفكه الناس. تقدم.

(٥) حديث «أنه كان كثير التبسم». تقدم.

(٦) حسن: حديث الحسن «لا يدخل الجنة عجوز». أخرجه الترمذي في الشمائل هكذا مرسلا وأسنده ابن الجوزي في الوفاء من حديث أنس بسند ضعيف [غاية المرام: ٤٨٨٨].

(٧) حديث زيد بن أسلم: في قوله لامرأة يقال لها أم أيمن قالت: إن زوجي يدعوك قال: «ومن هو أهو الذي بعينه بياض .. الحديث» أخرجه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبيدة بن سهم الفهري مع اختلاف.

(٨) صحيح: حديث: قوله لامرأة استحملته «نحملك على ابن البعير .. الحديث». أخرجه أبو داود والترمذي وصححه من حديث أنس بلفظ «أنا حاملك على ولد الناقة» [أبو داود: ٤٩٩٨، وصححه الألباني في سنن أبي داود: ٣٠٠].

(٩) حديث أنس «يا أبا عُمَيْر ما فعل النُّغَيْر؟ ». متفق عليه وتقدم في أخلاق النبوة.

أسابقك» فشددت درعي على بطني ثم خططنا خطًا فقمنا عليه واستبقنا فسبقني وقال: «هذِهِ مَكَانُ ذِي المَجَازِ» (١)، وذلك أنه جاء يومًا ونحن بذي المجاز وأنا جارية قد بعثني أبي بشيء فقال: «أَعْطِينِيهِ» فأبيت وسعيت وسعى في أثري فلم يدركني وقالت أيضًا؟ سابقني رسول الله ﷺ فسبقته، فلما حملت اللحم سابقني فسبقني، وقال: «هذه بتلك» (٢) وقالت أيضًا رضي الله عنها: كان عندي رسول الله ﷺ وسودة بنت زمعة فصنعت حريرة وجئت بها فقلت لسودة: كلي، فقالت: لا أحبه، فقلت: والله لتأكلن أو لألطخن به وجهك، فقالت: ما أنا بذائقته، فأخذت بيدي من الصحفة شيئًا منه فلطخت به وجهها ورسول الله ﷺ جالس بيني وبينها، فخفض لها رسول الله ﷺ ركبتيه لتستقيد مني فتناولت من الصحفة شيئًا فمسحت به وجهي وجعل رسول الله ﷺ يضحك (٣).

وروي أن الضحاك بن سفيان الكلابي كان رجلًا دميمًا قبيحًا، فلما بايعه النبي ﷺ قال: إن عندي امرأتين أحسن من هذه الحميراء، وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب، أفلا أنزل لك عن إحداهما فتزوّجها وعائشة جالسة تسمع، فقالت: أهي أحسن أم أنت؟ فقال: بل أنا أحسن منها وأكرم، فضحك رسول الله ﷺ من سؤالها إياه لأنه كان دميمًا (٤). وروى علقمة عن أبي سلمة أنه كان ﷺ يدلع لسانه للحسن بن علي عليهما السلام فيرى الصبي لسانه فيهش له فقال له عيينة بن بدر الفزاري: والله ليكونن لي الابن قد تزوّج وبقل وجهه وما قبلته قط فقال ﷺ: «إنَّ مَنْ لا يَرْحَم لا يُرْحَم» (٥) فأكثر هذه المطايبات منقولة مع النساء والصبيان، وكان ذلك منه معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل إلى هزل، وقال ﷺ مرة لصهيب وبه رمد وهو يأكل تمرًا: «أَتَأْكُلُ التَّمْرَ وَأَنْتَ رَمِدٌ»؟ (٦) فقال: إنما آكل بالشقِّ الآخَرِ يَا رَسُولَ الله فتبسم ﷺ. قال

---

(١) حديث عائشة: في مسابقته ﷺ في غزوة بدر فسبقها وقال «هذه مكان ذي المجاز». لم أجد له أصلا ولم تكن عائشة معه في غزوة بدر.

(٢) حديث عائشة: سابقني فسبقته. أخرجه النسائي وابن ماجه وقد تقدم في النكاح.

(٣) حديث عائشة في لطخ وجه سودة بحريرة ولطخ سودة وجه عائشة فجعل ﷺ يضحك. أخرجه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة وأبو يعلى بإسناد جيد.

(٤) حديث: إن الضحاك بن سفيان الكلابي قال عندي امرأتان أحسن من هذه الحميراء، أخرجه الزبير بن بكار في الفكاهة من رواية عبد الله بن حسن مرسلا أو معضلا وللدارقطني نحو هذه القصة مع عيينة بن حصن الفزاري بعد نزول الحجاب من حديث أبي هريرة.

(٥) حديث أبي سلمة عن أبي هريرة: أنه ﷺ كان يدلع لسانه للحسن بن علي فيرى الصبي فيهش إليه، فقال عيينة بن بدر الفزاري: والله ليكون لي الابن رجلا قد خرج وجهه وما قبلته قطا فقال «إن من لا يرحم لا يرحم». أخرجه أبو يعلى من هذا الوجه دون ما في آخره من قول عيينة بن حصن بن بدر ونسب إلى جده. وحكى الخطيب في المبهمات قولين في قائل ذلك أحدهما: أنه عيينة بن حصن، والثاني: أنه الأقرع بن حابس [أبو داود: ٥٢١٨، وصححه الألباني في سنن أبي داود: ٣٥٥]. وعند مسلم من رواية الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن الأقرع بن حابس أبصر النبي ﷺ يقبل الحسن فقال إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله ﷺ «من لا يرحم لا يرحم» [مسلم: ٢٣١٨].

(٦) حديث: قال لصهيب وبه رمد «أتأكل التمر وأنت رمد؟» فقال: إنما آكل على الشق الآخر، فتبسم النبي

بعض الرواة حتى نظرت إلى نواجذه. وروي أن خوّات بن جبير الأنصاري كان جالسًا إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة، فطلع عليه رسول اللهﷺ فقال: «يا أَبَا عَبْدِ الله ما لَكَ مَعَ النِّسْوَةِ؟» فقال: يفتلن ضفيرًا لجمل لي شرود، قال: فمضى رسول اللهﷺ لحاجته ثم عاد فقال: «يَا أبا عَبْدِ الله أَمَا تَرَكَ ذلِكَ الجَمَلُ الشِّرَادَ بَعْدُ؟» ، قال: فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك أتفرّر منه كلما رأيته حياء منه، حتى قدمت المدينة وبعدما قدمت المدينة قال: فرآني في المسجد يومًا أصلي فجلس إليّ فطوّلت فقال: «لا تُطَوِّلْ فإنِّي أَنْتَظِرُكَ» فلما سلمت قال: «يا أبا عَبْدِ الله أَمَا تَرَكَ ذلِكَ الجَمَلُ الشِّرَادَ بَعْدُ؟» قال: فسكت واستحييت، فقام وكنت بعد ذلك أتفرّر منه حتى لحقني يومًا وهو على حمار وقد جعل رجليه في شق واحد فقال: «أَبَا عَبْدِ الله أَمَا تَرَكَ ذلِكَ الجَمَلُ الشِّرَادَ بَعْدُ؟» فقلت والذي بعثك بالحق ما شرد منذ أسلمت فقال: «الله أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ اللَّهُمَّ اهْدِ أَبَا عَبْدِ الله» قال: فحسن إسلامه وهداه الله[1] ، وكان نعيمان الأنصاري رجلًا مزاحًا فكان يشرب الخمر في المدينة فيؤتى به إلى النبيﷺ فيضربه بنعله ويأمر أصحابه فيضربونه بنعالهم، فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة: لعنك الله، فقال النبيﷺ : «لا تَفْعَلْ فَإِنَّهُ يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ» وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة إلا اشترى منها، ثم أتى بها النبيﷺ فيقول: يا رسول الله هذا قد اشتريته لك وأهديته لك فإذا جاء صاحبها يتقاضاه بالثمن جاء به إلى النبيﷺ وقال: يا رسول الله أعطه ثمن متاعه، فيقول له : «أَوَلَمْ تُهْدِه لَنَا» فيقول: يا رسول الله إنه لم يكن عندي ثمنه وأحببت أن تأكل منه، فيضحك النبيﷺ ويأمر لصاحبه بثمنه[2] ، فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب.

الآفة الحادية عشرة: السخرية والاستهزاء:

وهذا محرم مهما كان مؤذيًا كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾[الحجرات:١١] ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء، وإذا كان بحضرة المستهزأ به لم

ﷺ . أخرجه ابن ماجه والحاكم من حديث صهيب ورجاله ثقات [ابن ماجه: ٣٤٤٣، وحسنه الألباني في سنن ابن ماجه: ١١٣٩].

(١) حديث: إن خَوّات بن جبير الأنصاري كان جالسا إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه النبيﷺ فقال «يا أبا عبد الله ما لك مع النسوة؟» فقال يفتلن ضفيرا لجمل لي بشرود .. الحديث» . أخرجه الطبراني في الكبير من رواية زيد بن أسلم عن خَوّات بن جبير مع اختلاف ورجاله ثقات، وأدخل بعضهم بين زيد وبين خَوّات: ربيعة بن عمرو.

(٢) حديث: كان نعيمان رجلا مزاحا فكان يشرب الخمر في المدينة فيؤتى به إلى النبيﷺ فيضربه.. الحديث». وفيه أنه كان يشتري الشئ ويهديه إلى النبيﷺ، ثم يجيء بصاحبه فيقول: أعطه ثمن متاعه .... الحديث. أخرجه الزبير بن بكار في الفكاهة ومن طريقه ابن عبد البر من رواية محمد بن حزم مرسلا وقد تقدم أوله.

يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة.

قالت عائشة رضي الله عنها: حاكيت إنسانًا فقال لي النبي ﷺ: «والله ما أُحِبُّ أَنِّي حَاكَيْتُ إِنْسَانًا وَلِي كَذَا وَكَذَا» (١)، وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩] إن الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن، والكبيرة القهقهة بذلك. وهذا إشارة إلى أن الضحك على الناس من جملة الذنوب والكبائر.

وعن عبد الله بن زمعة أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة فقال: «عَلامَ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ» (٢)، وقال ﷺ: «إِنَّ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالنَّاسِ يُفْتَحُ لِأَحَدِهِمْ بَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ فَيُقَالُ هَلُمَّ هَلُمَّ فَيَجِيءُ بِكَرْبِهِ وَغَمِّهِ فَإِذَا أَتَاهُ أُغْلِقَ دُونَهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ آخَرُ فَيُقَالُ هَلُمَّ هَلُمَّ فَيَجِيءُ بِكَرْبِهِ وَغَمِّهِ فَإِذَا أَتَاهُ أُغْلِقَ دُونَهُ فَمَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيُفْتَحُ لَهُ الْبَابُ فَيُقَالُ لَهُ هَلُمَّ هَلُمَّ فلا يَأْتِيهِ» (٣)، وقال معاذ بن جبل: قال النبي ﷺ: «مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ قَدْ تَابَ مِنْهُ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ» (٤)، وكل هذا يرجع إلى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغارًا له.

وعليه نبه قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١] أي لا تستحقره استصغارًا فلعله خير منك.

وهذا إنما يحرم في حق من يتأذى به، فأما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من أن يسخر به كانت السخرية في حقه من جملة المزاح، وقد سبق ما يلم منه وما يمدح، وإنما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون.

وذلك تارة بأن يضحك على كلامه إذا تخبط فيه ولم ينتظم، أو على أفعاله إذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته، أو على صورته وخلقته إذا كان قصيرًا أو ناقصًا لعيب من العيوب.

فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية للنهي عنها.

* * *

---

(١) صحيح: حديث عائشة: حكيت إنساناً فقال لي النبي ﷺ «ما يسرني أني حاكيت إنسانا ولي كذا وكذا». أخرجه أبو داود والترمذي وصححه [أبو داود: ٤٨٧٥، وصححه الألباني في سنن أبي داود: ٢٦٩].

(٢) حديث عبد الله بن زمعة: وعظهم في الضحك من الضرطة وقال «علام يضحك أحدكم مما يفعل». متفق عليه [البخاري: ٤٩٤٢، مسلم: ٢٨٥٥].

(٣) مرسل ضعيف: حديث «إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فإذا جاء أغلق دونه .. الحديث». أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت من حديث الحسن مرسلا ورويناه في ثمانيات النجيب من رواية أبي هدية أحد الهالكين عن أنس [ضعيف الترغيب: ١٧٦٢].

(٤) موضوع: حديث معاذ بن جبل «من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله». أخرجه الترمذي دون قوله «قد تاب منه» وقال حسن غريب وليس إسناده بمتصل قال أحمد بن منيع قالوا «من ذنب قد تاب منه» [الترمذي: ٢٥٠٥، وضعفه الألباني في جامع الترمذي: ٦٦١].

الآفة الثانية عشرة: افشاء السر:

وهو منهي عنه لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء.

قال النبي ﷺ: «إذا حَدَّثَ الرَّجُلُ الحَدِيثَ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ» (١)، وقال مطلقًا: «الحَدِيثُ بَيْنَكُمْ أَمَانَةٌ» (٢)، وقال الحسن: إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك.

ويروى أن معاوية رضي الله عنه أسرَّ إلى الوليد بن عتبة حديثًا فقال لأبيه: يا أبت إن أمير المؤمنين أسرَّ إليَّ حديثًا وما أراه يطوي عنك ما بسطه إلى غيرك؟ قال: فلا تحدثني به فإن من كتم سره كان الخيار إليه، ومن أفشاه كان الخيار عليه قال: فقلت يا أبت وإن هذا ليدخل بين الرجل وبين ابنه؟ فقال: لا والله يا بني ولكن أحب أن لا تذلل لسانك بأحاديث السر، قال: فأتيت معاوية فأخبرته فقال: يا وليد أعتقك أبوك من رق الخطأ، فإفشاء السر خيانة.

وهو حرام إذا كان فيه إضرار. ولؤم إن لم يكن فيه إضرار. وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب آداب الصحبة فأغنى عن الإعادة.

الآفة الثالثة عشرة: الوعد الكاذب:

فإن اللسان سبّاق إلى الوعد، ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفًا وذلك من أمارات النفاق. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة:١] وقال ﷺ: «العِدَةُ عَطِيَّةٌ» (٣) وقال ﷺ: «الوَأْيُ مِثْلُ الدَّيْنِ أَوْ أَفْضَلُ» (٤)، والوأي: الوعد.

وقد أثنى الله تعالى على نبيه إسماعيل عليه السلام في كتابه العزيز فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾ [مريم:٥٤] قيل: إنه وعد إنسانًا في موضع فلم يرجع إليه ذلك الإنسان بل نسي، فبقي إسماعيل اثنين وعشرين يومًا في انتظاره.

ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال: إنه كان خطب إلى ابنتي رجل من قريش وقد كان إليه مني شبه الوعد، فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق أشهدكم أني قد زوجته ابنتي.

وعن عبد الله بن أبي الخنساء قال: بايعت النبي ﷺ قبل أن يبعث وبقيت له بقية فواعدته أن آتيه بها في مكانه ذلك فنسيت يومي والغد فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه، فقال: «يا فَتَى لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ أَنا ها هنا مُنْذُ ثَلاثٍ أَنْتَظِرُكَ» (٥) وقيل لإبراهيم: الرجل يواعد الرجل

---

(١) حسن: حديث «إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة». أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه من حديث جابر [أبو داود: ٤٨٦٨، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ٤٨٦].

(٢) حديث «الحديث بينكم أمانة». أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث ابن شهاب مرسلا.

(٣) ضعيف: حديث «العدة عطية». أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث قباث بن أشيم بسند ضعيف وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث الحسن مرسلا [ضعيف الجامع: ١٥٠٦].

(٤) حديث «الوأي مثل الدين أو أفضل». أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية ابن لهيعة مرسلا وقال الوأي يعني الوعد، ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بسند ضعيف.

(٥) ضعيف: حديث عبد الله بن أبي الخنساء: بايعت النبي ﷺ فوعدته أن أتيه بها في مكانه ذلك فنسيت يومي

الميعاد فلا يجيء، قال: ينتظره إلى أن يدخل وقت الصلاة التي تجيء. وكان رسول اللهﷺ إذا وعد وعدًا قال: «عسى»[(١)] ، وكان ابن مسعود لا يعد وعدًا إلا ويقول إن شاء الله وهو الأولى.

ثم إذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء إلا أن يتعذر، فإن كان عند الوعد عازمًا على أن لا يفي فهذا هو النفاق. وقال أبو هريرة: قال النبيﷺ : «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ: إذا حَدَّثَ كَذَبَ وَإذا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإذا ائْتُمِنَ خَانَ»[(٢)] ، وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: قال رسول اللهﷺ : «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كانَ مُنَافِقًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَ فِيهِ خَلَّةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَها: إذا حَدَثَ كَذَّبَ وَإذا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإذا عَاهَدَ غَدَرَ وإذا خَاصَمَ فَجَرَ»[(٣)] ، وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر، فأما من عزم على الوفاء فعنّ له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقًا وإن جرى عليه ما هو صورة النفاق، ولكن ينبغي أن يحترز من صورة النفاق أيضًا كما يحترز من حقيقته، ولا ينبغي أن يجعل نفسه معذورًا من غير ضرورة حاجزة، فقد روي أن رسول اللهﷺ كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادمًا؛ فأتى بثلاثة من السبي فأعطى اثنين وبقي واحدًا، فأتت فاطمة رضي الله عنها تطلب منه خادمًا وتقول: ألا ترى أثر الرحى بيدي؟ فذكر موعده لأبي الهيثم فجعل يقول: «كَيْفَ بِمَوْعِدِي لِأَبِي الهَيْثَمِ؟»[(٤)] فآثره به على فاطمة ، لما كان قد سبق من موعده له، مع أنها كانت تدير الرحى بيدها الضعيفة.

ولقد كانﷺ جالسًا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال: إن لي عندك موعدًا يا رسول الله. قال: صَدَقْتَ، فَاحْتَكِمْ ما شِئْتَ» قال: أحتكم ثمانين ضائنة وراعيها، قال: «هِي لَكَ» ، وقال: «احْتَكَمْتَ يَسِيرًا[(٥)] ، وَلَصَاحِبَةُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ الَّتِي دَلَّتْهُ عَلَى عِظَامِ يُوسُفَ كانَتْ أَحْزَمَ مِنْكَ وَأَجْزَلَ حُكْمًا مِنْكَ حِينَ حَكَمَها مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ، فَقَالَتْ: حُكْمِي أَنْ تَرُدَّنِي شَابَّةً وَأَدْخُلَ مَعَكَ الجَنَّةَ» قيل فكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى

والغد فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال «يا بني قد شققت علي أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك». رواه أبو داود واختلف في إسناده وقال ابن مهدي ما أظن إبراهيم بن طهمان إلا أخطأ فيه [أبو داود: ٤٩٩٦، وضعفه الألباني في سنن أبي داود: ٢٩٩].

(١) حديث: كان إذا وعد وعدا قال «عسى». لم أجد له أصلا.

(٢) حديث أبي هريرة «ثلاث من كن فيه فهو منافق .. الحديث». متفق عليه وقد تقدم.

(٣) صحيح: حديث عبد الله بن عمرو «أربع من كن فيه كان منافقا .. الحديث». متفق عليه [البخاري: ٣٤، مسلم: ٥٨].

(٤) حديث: كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما، فأتي بثلاثة من السبي فأعطى اثنين وأبقى واحدا، فجاءت فاطمة رضي الله عنها تطلب منه .. الحديث» وفيه: فجعل يقول «كيف بموعدي لأبي الهيثم؟ ». فآثره به على فاطمة تقدم ذكر قصة أبي الهيثم في آداب الأكل وهي عند الترمذي من حديث أبي هريرة وليس فيها ذكر لفاطمة.

(٥) حديث: أنه كان جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل فقال: إن لي عندك موعدا، قال: «صدقت فاحتكم .. الحديث» وفيه «لصاحبه موسى التي دلته على عظام يوسف كانت أحزم منك... الحديث» أخرجه ابن حبان والحاكم في المستدرك من حديث أبي موسى مع اختلاف قال الحاكم صحيح الإسناد وفيه نظر.

جعلا مثلاً فقيل: أشح من صاحب الثمانين والراعي. وقد قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ الخُلْفُ أَنْ يَعِدَ الرَّجُلَ الرَّجُلَ وَفِي نِيَّتِهِ أَنْ يَفِيَ» (١). وفي لفظ آخر: «إذا وَعَدَ الرَّجُلَ أَخَاهُ وَفِي نِيَّتِهِ أَنْ يَفِيَ فَلَمْ يَجِدْ، فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ».

الآفة الرابعة عشرة: الكذب في القول واليمين:

وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب. قال إسماعيل بن واسط: سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله ﷺ فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي هذا عام أوّل، ثم بكى، وقال: «إِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ فَإِنَّهُ مَعَ الفُجُورِ وَهُمَا فِي النَّارِ» (٢)، وقال أبو أمامة: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الكَذِبَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النِّفَاقِ» (٣)، وقال الحسن: كما يقال إن من النفاق اختلاف السر والعلانية، والقول والعمل، والمدخل والمخرج، وإن الأصل الذي بني عليه النفاق الكذب.

وقال عليه السلام: «كَبُرَتْ خِيانَةً أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ لَهُ بِهِ كاذِبٌ» (٤) وقال ابن مسعود: قال النبي ﷺ: «لا يَزَالُ العَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا» (٥)، ومرّ رسول الله ﷺ برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان، يقول أحدهما: والله لا أنقصك من كذا وكذا، ويقول الآخر: والله لا أزيدك على كذا وكذا، فمرّ بالشاة وقد اشتراها أحدهما فقال: «أَوْجَبَ أَحَدُهُمَا بِالإِثْمِ وَالكَفَّارَةِ» (٦)، وقال عليه السلام: «الكَذِبُ

---

(١) ضعيف: حديث «ليس الخلف أن يعد الرجلُ الرجلَ ومن نيته أن يفي» وفي لفظ آخر «إذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن يفي فلم يجد فلا إثم عليه». أخرجه أبو داود والترمذي وضعفه من حديث زيد بن أرقم باللفظ الثاني إلا أنهما قالا «فلم يف» [أبو داود: ٤٩٩٥، وضعفه الألباني في سنن أبي داود: ٢٩٩]

(٢) صحيح: حديث أبي بكر الصديق: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي هذا عام أول - ثم بكى - وقال «إياكم والكذب .. الحديث». أخرجه ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة وجعله المصنف من رواية إسماعيل بن أوسط عن أبي بكر وإنما هو أوسط ابن إسماعيل بن أوسط وإسناده حسن [ابن ماجه: ٣٨٤٩، وصححه الألباني في سنن ابن ماجه: ١٢٦٥].

(٣) ضعيف: حديث أبي أمامة «إن الكذب باب من أبواب النفاق». أخرجه ابن عدي في الكامل بسند ضعيف وفيه عمر بن موسى الوجيهي ضعيف جدا [ضعيف الجامع: ١٥٢٠] ويغني عنه قوله ﷺ «ثلاث من كن فيه فهو منافق» وحديث «أربع من كن فيه كان منافقا» قال في كل منهما «وإذا حدث كذب» وهما في الصحيحين وقد تقدما في الآفة التي قبلها.

(٤) ضعيف: حديث «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب». أخرجه البخاري في كتاب الأدب المفرد وأبو داود من حديث سفيان بن أسيد وضعفه ابن عدي [سنن أبو داود: ٤٩٧١، وضعفه الألباني في سنن أبي داود: ٢٩٣] ورواه أحمد والطبراني من حديث النواس بن سمعان بإسناد جيد [رواية النواس بن سمعان عند أحمد: ١٧١٨٣، وهي ضعيفة، انظر ضعيف الجامع: ٤١٦٢].

(٥) صحيح: حديث ابن مسعود «لا يزال العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذابا». متفق عليه [البخاري: ٦٠٩٤، مسلم: ٢٦٠٧].

(٦) حديث: مر برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان .. الحديث» وفيه: فقال «أوجب أحدهما بالإثم والكفارة». أخرجه أبو الفتح الأزدي في كتاب الأسماء المفردة من حديث ناسخ الحضرمي وهكذا رويناها في أمالي ابن سمعون وناسخ ذكره البخاري هكذا في التاريخ، وقال أبو حاتم هو عبد الله بن ناسخ.

يُنْقِصُ الرِّزْقَ»(١)، وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ التُّجَّارَ هُمُ الفُجَّارُ» فقيل: يا رسول الله أليس قد أحل الله البيع؟ قال: «نَعَمْ وَلَكِنَّهُمْ يَحْلِفُونَ فَيَأْثَمُونَ وَيُحَدِّثُونَ فَيَكْذِبُونَ»(٢)، وقال ﷺ: «ثَلاثَةُ نَفَرٍ لا يُكَلِّمُهُمُ الله يَوْمَ القِيامَةِ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: المَنَّانُ بِعَطِيَّتِهِ وَالمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالحَلِفِ الفَاجِرِ وَالمُسْبِلُ إِزَارَهُ»(٣)، وقال ﷺ: «ما حَلَفَ حَالِفٌ بِالله فَأَدْخَلَ فِيها مِثْلَ جَنَاحِ بَعوضَةٍ إِلَّا كانَتْ نُكْتَةً فِي قَلْبِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»(٤)، وقال أبو ذر قال رسول الله ﷺ: «ثَلاثَةٌ يُحِبُّهُمُ الله: رَجُلٌ كَانَ فِي فِئَةٍ فَنَصَبَ نَحْرَهُ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يَفْتَحَ الله عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ، وَرَجُلٌ كَانَ لَهُ جَارٌ سُوءٍ يُؤْذِيهِ فَصَبَرَ عَلَى أَذَاهُ حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا مَوْتٌ أَوْ ظَعْنٌ، وَرَجُلٌ كَانَ مَعَهُ قَوْمٌ فِي سَفَرٍ أَوْ سَرِيَّةٌ فَأَطَالُوا السُّرَى حَتَّى أَعْجَبَهُمْ أَنْ يَمَسُّوا الأَرْضَ فَنَزَلُوا فَتَنَحَّى يُصَلِّي حَتَّى يُوقِظَ أَصْحَابَهُ لِلرَّحِيلِ.

وَثلاثَةٌ يَشْنَؤُهُمُ الله: التَّاجِرُ أَوِ البَيَّاعُ الحَلَّافُ، وَالفَقِيرُ المُخْتَالُ وَالبَخِيلُ المَنَّانُ»(٥)، وقال ﷺ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ القَوْمَ وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ»(٦)، وقال ﷺ: «رَأَيْتُ كَأَنَّ رَجُلاً جَاءَنِي فَقَالَ لِي قُمْ فَقُمْتُ مَعَهُ، فَإِذا أَنَا بِرَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا قَائِمٌ وَالآخَرُ جَالِسٌ، بِيَدِ القَائِمِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ يُلْقِمُهُ فِي شِدْقِ الجَالِسِ فَيَجْذِبُهُ حَتَّى يَبْلُغَ كَاهِلَهُ، ثُمَّ يَجْذِبُهُ فَيُلْقِمُهُ الجَانِبَ الآخَرَ فَيَمُدُّه فَإِذا مَدَّهُ رَجَعَ الآخَرُ كَمَا كَانَ، فَقُلْتُ لِلَّذِي أَقَامَنِي ما هذا؟ فَقَالَ: هذا رَجُلٌ كَذَّابٌ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ»(٧)، وعن عبد الله بن جراد قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله: هل يزني المؤمن؟ قال: «قَدْ يَكُونُ ذلِكَ».

---

(١) موضوع: حديث «الكذب ينقص الرزق». أخرجه أبو الشيخ في طبقات الأصبهانيين من حديث أبي هريرة ورويناه كذلك في مشيخة القاضي أبي بكر وإسناده ضعيف [ضعيف الجامع: ٢٣٢٧].

(٢) صحيح: حديث «إن التجار هم الفجار .. الحديث». أخرجه أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن شبل [أحمد: ١٥٢٤٢، صحيح الترغيب: ١٧٨٦].

(٣) صحيح: حديث «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الكاذب والمسبل إزاره». أخرجه مسلم من حديث أبي ذر [مسلم: ١٠٦].

(٤) حسن: حديث «ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت نكتة في قلبه إلى يوم القيامة». أخرجه الترمذي والحاكم وصحح إسناده من حديث عبد الله بن أنيس [الترمذي: ٣٠٢٠، وحسنه الألباني في سنن الترمذي: ٢٣٦].

(٥) صحيح: حديث أبي ذر «ثلاثة يحبهم الله .. الحديث». وفيه: «وثلاثة يشنؤهم الله: التاجر أو البائع الحلاف، والفقير المختال والبخيل المنان». أخرجه أحمد واللفظ له وفيه ابن الأحمس ولا يعرف حاله [أحمد: ٢٠٨٣٣، صحيح الجامع: ٣٠٧٤] ورواه هو والنسائي بلفظ آخر بإسناد جيد وللنسائي من حديث أبي هريرة «أربعة يبغضهم الله البياع الحلاف... الحديث» وإسناده جيد [النسائي: ٢٥٧٦، وصححه الألباني في سنن النسائي: ٨٦].

(٦) حسن: حديث «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له». أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده [أبو داود: ٤٩٩٠، وحسنه الألباني في سنن أبي داود: ٤٩٧].

(٧) صحيح: حديث «رأيت كأن رجلا جاءني فقال لي قم فقمت معه فإذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقمه في شدق الجالس .. الحديث». أخرجه البخاري من حديث سمرة بن جندب في حديث طويل [البخاري: ١٣٨٦].

قال: يا نبي الله هل يكذب المؤمن؟ قال: «لا» ، ثم أتبعها ﷺ بقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٠٥] (١).

وقال أبو سعيد الخدري: سمعت رسول الله ﷺ يدعو فيقول في دعائه: «اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ النِّفَاقِ وَفَرْجِي مِنَ الزِّنَى وَلِسَانِي مِنَ الكَذِبِ» (٢)، وقال ﷺ: «ثلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ الله وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ» (٣)، وقال عبد الله بن عامر: جاء رسول الله ﷺ إلى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألعب فقالت أمي: يا عبد الله تعال حتى أعطيك فقال ﷺ: «وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ» قالت تمرًا، فقال: «أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تَفْعَلِي لَكُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ» (٤)، وقال ﷺ: «لَوْ أَفَاءَ الله عَلَيَّ نِعَمًا عَدَدَ هذا الحَصَى لَقَسَمْتُها بَيْنَكُمْ ثُمَّ لا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلا كَذَّابًا وَلا جَبَانًا» (٥)، وقال ﷺ وكان متكئًا: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ الإِشْرَاكُ بِالله وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ» ثم قعد وقال: «أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ» (٦)، وقال ابن عمر: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَكْذِبُ الكِذْبَةَ لَيَتَبَاعَدُ المَلَكُ عَنْهُ مَسِيرَةَ مِيلٍ مِنْ نَتْنِ ما جَاءَ بِهِ» (٧)، وقال أنس: قال النبي ﷺ: «تَقَبَّلُوا إِلَيَّ بِسِتٍ أَتَقَبَّلْ لَكُمْ بِالجَنَّةِ» فقالوا: وما هن؟ قال: «إِذا حَدَّثَ أَحَدُكُمْ فَلا يَكْذِبْ وَإِذا وَعَدَ فلا يُخْلِفْ وَإِذا ائْتُمِنَ فَلا يَخُنْ وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ» (٨).

---

(١) حديث عبد الله بن الجراد: أنه سأل النبي ﷺ هل يزني المؤمن؟ قال «قد يكون من ذلك» قال: هل يكذب؟ قال «لا» .. الحديث». أخرجه ابن عبد البر في التمهيد بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت مقتصرا على الكذب وجعل السائل أبا الدرداء.

(٢) ضعيف: حديث أبي سعيد «اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب». هكذا وقع في نسخ الإحياء عن أبي سعيد وإنما هو عن أم معبد وكذا رواه الخطيب في التاريخ دون قوله «وفرجي من الزنا» وزاد «وعملي من الرياء وعيني من الخيانة» وإسناده ضعيف [ضعيف الجامع: ١٢٠٩].

(٣) صحيح: حديث «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم .. الحديث». وفيه « والإمام الكذاب» أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة [مسلم: ١٠٧].

(٤) حسن: حديث عبد الله بن عامر: جاء رسول الله ﷺ إلى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألعب فقالت أمي: يا عبد الله تعال أعطيك فقال «وما أردت أن تعطيه؟ قالت تمرا فقال «إن لم تفعلي كتبت عليك كذبة». رواه أبو داود وفيه من لم يسم وقال الحاكم إن عبد الله بن عامر ولد في حياته ﷺ ولم يسمع منه. قلت: وله شاهد من حديث أبي هريرة وابن مسعود ورجالهما ثقات إلا أن الزهري لم يسمع من أبي هريرة [أبو داود: ٤٩٩١، وحسنه الألباني في سنن أبي داود: ٢٩٨].

(٥) حديث «لو أفاء الله علي نعما عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا». رواه مسلم وتقدم في أخلاق النبوة.

(٦) صحيح: حديث «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر .. الحديث» ثم قعد وقال: «إلا وقول الزور». متفق عليه من حديث أبي بكرة [البخاري: ٢٦٥٤، مسلم: ٨٧].

(٧) ضعيف جدًا: حديث ابن عمر «إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به». أخرجه الترمذي وقال حسن غريب [الترمذي: ١٩٧٢، وضعفه الألباني في جامع الترمذي: ٣٤٨].

(٨) صحيح: حديث أنس «تقبلوا إلي بست أتقبل لكم بالجنة» فقالوا وما هن؟ قال «إذا حدث أحدكم فلا يكذب .. الحديث». أخرجه الحاكم في المستدرك والخرائطي في مكارم الأخلاق وفيه سعد بن سنان ضعفه أحمد

وقال ﷺ «إنَّ لِلشَّيْطَانِ كُحْلًا وَلَعُوقًا وَنُشُوقًا: أَمَا لَعُوقُهُ فَالكَذِبُ، وَأَمَّا نُشُوقُهُ فَالغَضَبُ. وَأَمَّا كُحْلُهُ فَالنَّوْمُ» (١)، وخطب عمر رضي الله عنه يومًا فقال: قام فينا رسول الله ﷺ كقيامي هذا فيكم فقال: «أَحْسِنُوا إِلَى أَصْحَابِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَفْشُو الكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ عَلَى اليَمِينِ وَلَمْ يُسْتَحْلَفْ وَيَشْهد وَلَمْ يُسْتَشْهَدْ» (٢)، وقال النبي ﷺ «مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الكَاذِبِين» (٣)، وقال ﷺ «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ بِإِثْمٍ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍ لَقِي الله عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ» (٤)، وروي عن النبي ﷺ «أَنَّهُ رَدَّ شَهَادَةَ رَجُلٍ فِي كذبةٍ كَذَبَهَا» (٥)، وقال ﷺ «كُلُّ خَصْلَةٍ يُطْبَعُ أَوْ يُطْوى عَلَيْهَا المُسْلِمُ إِلَّا الخِيَانَةَ وَالكَذِب» (٦)، وقالت عائشة رضي الله عنها: ما كان من خلق أشد على أصحاب رسول الله ﷺ من الكذب، ولقد كان رسول الله ﷺ يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب فما ينجلي من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث توبة لله عز وجل منها (٧).

وقال موسى عليه السلام: يا رب أي عبادك خير لك عملًا؟ قال: من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه.

وقال لقمان لابنه: يا بني إياك والكذب فإنه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه. وقال عليه السلام في مدح الصدق: «أَرْبَعٌ إِذا كُنَّ فِيكَ لا يَضُرُّكَ ما فَاتَكَ مِن الدُّنْيَا: صِدْقُ

والنسائي ووثقه ابن معين ورواه الحاكم بنحوه من حديث عبادة بن الصامت وقال صحيح الإسناد [صحيح الجامع: ٢٩٧٨].

(١) حديث «إن للشيطان كحلا ولعوقا .. الحديث». أخرجه الطبراني وأبو نعيم من حديث أنس بسند ضعيف وقد تقدم.

(٢) صحيح: حديث خطب عمر رضي الله عنه يوما .. الحديث وفيه «ثم يفشو الكذب». أخرجه الترمذي وصححه والنسائي في الكبرى من رواية ابن عمر عن عمر [الترمذي: ٢١٦٥، وصححه الألباني ، انظر جامع الترمذي: ٤٦٥].

(٣) صحيح: حديث «من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين». أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه من حديث سمرة بن جندب [مسلم في المقدمة].

(٤) صحيح: حديث «من حلف على يمين بإثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم .. الحديث». متفق عليه من حديث ابن مسعود [البخاري: ٢٣٥٧، مسلم: ١٣٨].

(٥) حديث: «أنه رد شهادة رجل في كذبة كذبها». أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية موسى بن شيبة مرسلا وموسى روى معمر عنه منا كبير قاله أحمد بن حنبل.

(٦) ضعيف: حديث علي «كل خصلة يطبع أو يطوي عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب». أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف من حديث أبي أمامة ورواه ابن عدي في مقدمة الكامل من حديث سعد بن أبي وقاص وابن عمر أيضا وأبي أمامة أيضا ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت من حديث سعد مرفوعا وموقوفا والموقوف أشبه بالصواب قاله الدارقطني في العلل [ضيف الجامع: ٤٢٢٦].

(٧) صحيح: حديث: ما كان من خلق شيء أشد عند أصحاب رسول الله ﷺ من الكذب ولقد كان يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب فما ينجلي من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث لله منها توبة [الترمذي: ١٩٧٣، وصححه الألباني في سنن الترمذي: ٣٤٨]. أخرجه أحمد من حديث عائشة ورجاله ثقات إلا أنه قال عن ابن أبي مليكة أو غيره وقد رواه أبو الشيخ في الطبقات فقال ابن أبي مليكة ولم يشك وهو صحيح.

الحَدِيثِ وَحِفْظُ الأَمَانَةِ وَحُسْنُ خُلُقٍ وَعِفَّةُ طُعْمِهِ»[(١)]، وقال أبو بكر رضي الله عنه في خطبة بعد وفاة رسول الله ﷺ: قام فينا رسول الله ﷺ مثل مقامي هذا عام أول ثم بكى، وقال: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّهُ مَعَ البر وَهُمَا فِي الجَنَّةِ»[(٢)]، وقال معاذ: قال لي رسول الله ﷺ: «أُوصِيكَ بِتَقْوَى الله وَصِدْقِ الحَدِيثِ وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ وَالوَفَاءِ بِالعَهْدِ وَبَذْلِ السَّلامِ وَخَفْضِ الجَنَاحِ»[(٣)].

وأما الآثار: فقد قال علي رضي الله عنه: أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيامة.

وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه: ما كذبت كذبة منذ شددت عليَّ إزاري.

وقال عمر رضي الله عنه: أحبكم إلينا ما لم نركم أحسنكم اسمًا فإذا رأيناكم فأحبكم إلينا أحسنكم خلقًا، فإذا اختبرناكم فأحبكم إلينا أصدقكم حديثًا وأعظمكم أمانة.

وعن ميمون بن أبي شبيب قال: جلست أكتب كتابًا فأتيت على حرف إن أنا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على تركه فنوديت من جانب البيت: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٢٧] وقال الشعبي: ما أدري أيهما أبعد غورًا في النار الكذاب أو البخيل؟ وقال ابن السماك: ما أراني أؤجر على ترك الكذب لأني إنما أدعه أنفه.

وقيل لخالد بن صبيح: أيسمى الرجل كاذبًا بكذبة واحدة؟ قال: نعم.

وقال مالك بن دينار: قرأت في بعض الكتب ما من خطيب إلا وتعرض خطبته على عمله فإن كان صادقًا صدق وإن كان كاذبًا قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا. وقال مالك بن دينار: الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه، وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شيء فقال له: كذبت، فقال عمر: والله ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه.

بيان ما رخص فيه من الكذب

اعلم أن الكذب ليس حرامًا لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره، فإن أقل درجاته أن يعتقد المخبر الشيء على خلاف ما هو عليه فيكون جاهلًا وقد يتعلق به ضرر غيره، ورب جهل فيه منفعة ومصلحة، فالكذب محصل لذلك الجهل فيكون مأذونًا فيه، وربما كان واجبًا.

قال ميمون بن مهران: الكذب في بعض المواطن خير من الصدق، أرأيت لو أن رجلًا

---

(١) صحيح: حديث «أربع إذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا: صدق الحديث .. الحديث». أخرجه الحاكم والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو وفيه ابن لهيعة [صحيح الجامع: ٨٧٣].

(٢) حديث أبي بكر «عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة». أخرجه ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة وقد تقدم بعضه في أول هذا النوع.

(٣) حديث معاذ «أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث». أخرجه أبو نعيم في الحلية وقد تقدم.

سعى خلف إنسان بالسيف ليقتله فدخل دارًا فانتهى إليك فقال: أرأيت فلانًا؟ ما كنت قائلًا؟ ألست تقول: لم أره؟ وما تصدق به. وهذا الكذب واجب.

فنقول: الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعًا، فالكذب فيه حرام، وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك القصد مباحًا، وواجب إن كان المقصود واجبًا، كما أن عصمة دم المسلم واجبة، فمهما كان في الصدق سفك دم امرىء مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب. ومهما كان لا يتم مقصود الحرب أو إصلاح ذات البين أن استمالة قلب المجني عليه إلا بكذب فالكذب مباح، إلا أنه ينبغي أن يحترز منه ما أمكن، لأنه إذا فتح باب الكذب على نفسه فيخشى أن يتداعى إلى ما يستغني عنه وإلى ما لا يقتصر على حدّ الضرورة، فيكون الكذب حرامًا في الأصل إلا لضرورة.

والذي يدل على الاستثناء ما روي عن أم كلثوم قالت: ما سمعت رسول الله ﷺ يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث: الرجل يقول القول يريد به الإصلاح، والرجل يقول القول في الحرب، والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها [(١)]، وقالت أيضًا: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ بِكَذَّابٍ مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَقَالَ خَيْرًا أَوْ نَمَى خَيْرًا» [(٢)] وقالت أسماء بنت يزيد: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ الكَذِبِ يُكْتَبُ عَلَى ابْنِ آدَمَ إلاَّ رَجُلٌ كَذَبَ بَيْنَ مُسْلِمَيْنِ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا» [(٣)]، وروي عن أبي كاهل قال: وقع بين اثنين من أصحاب النبي ﷺ كلام حتى تصارما فلقيت أحدهما فقلت: ما لك ولفلان فقد سمعته يحسن عليك الثناء؟ ثم لقيت الآخر فقلت له مثل ذلك حتى اصطلحا، ثم قلت: أهلكت نفسي وأصلحت بين هذين فأخبرت النبي ﷺ فقال: «يا أبا كَاهِلٍ أَصْلِحْ بَيْنَ النَّاسِ» [(٤)].

اي ولو بالكذب. وقال عطاء بن يسار: قال رجل للنبي ﷺ: أكذب على أهلي؟ قال: «لا خَيْرَ فِي الكَذِبِ» قال: أعدها وأقول لها، قال: «لا جُنَاحَ عَلَيْكَ» [(٥)].

وروي أن ابن أبي عذرة الدؤلي وكان في خلافة عمر رضي الله عنه كان يخلع النساء اللاتي

---

(١) صحيح: حديث أم كلثوم: ما سمعته يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث. أخرجه مسلم وقد تقدم.

(٢) صحيح: حديث أم كلثوم أيضا «ليس بكذاب من أصلح بين اثنين .. الحديث». متفق عليه وقد تقدم، والذي قبله عند مسلم بعض هذا.

(٣) ضعيف: حديث أسماء بنت يزيد «كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما». أخرجه أحمد بزيادة فيه وهو عند الترمذي مختصرا وحسنه [أحمد: ٢٧٠٢٣، السلسلة الضعيفة: ٤١٠٣].

(٤) حديث أبي كاهل: وقع بين رجلين من أصحاب النبي ﷺ كلام .. الحديث وفيه: «يا أبا كاهل، أصلح بين الناس». رواه الطبراني ولم يصح.

(٥) صحيح: حديث عطاء بن يسار: قال رجل للنبي ﷺ أكذب على أهلي؟ قال «لا خير في الكذب» قال: أعدها وأقول لها، قال «لا جناح عليك». أخرجه ابن عبد البر في التمهيد من رواية صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار وهو في الموطأ عن صفوان بن سليم معضلا من غير ذكر عطاء بن يسار [السلسلة الصحيحة: ٥٤٥].

يتزوّج بهن فطارت له في الناس من ذلك أحدوثة يكرهها، فلما علم بذلك أخذ بيد عبد الله بن الأرقم حتى أتى به إلى منزله، ثم قال لامرأته: أنشدك بالله هل تبغضيني؟ قالت: لا تنشدني، قال: فإني أنشدك الله، قالت: نعم، فقال لابن الأرقم: أتسمع؟ ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضي الله عنه فقال: إنكم لتحدّثون إني أظلم النساء وأخلعهن فاسأل ابن الأرقم، فسأله فأخبره، فأرسل إلى امرأة ابن أبي عذرة فجاءت هي وعمتها فقال: أنت التي تحدّثين لزوجك أنك تبغضينه؟ فقالت: إني أوّل من تاب وراجع أمر الله تعالى إنه ناشدني فتحرّجت أن أكذب، أفأكذب يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم فاكذبي فإن كانت إحداكن لا تحب أحدنا فلا تحدّثه بذلك، فإن أقل البيوت الذي يبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والأحساب.

وعن النواس بن سمعان الكلابي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما لِي أَرَاكُمْ تَتَهَافَتُونَ فِي الكَذِبِ تَهَافُتَ الفَرَاشِ فِي النَّارِ؟ كُلُّ الكَذِبِ يُكْتَبُ عَلَى ابْنِ آدَمَ لا مَحَالَةَ إلاّ أَنْ يَكْذِبَ الرَّجُلُ فِي الحَرْبِ، فَإِنَّ الحَرْبَ خُدْعَةٌ، أَوْ يَكُونَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ شَحْنَاءُ فَيُصْلِحَ بَيْنَهُما، أَوْ يُحَدِّثُ امْرَأَتَهُ يُرْضِيها» (١)، وقال ثوبان الكذب كله إثم إلا ما نفع به مسلمًا أو دفع عنه ضررًا.

وقال علي رضي الله عنه: إذا حدثتكم عن النبي ﷺ فلأن أخرّ من السماء أحبّ إليّ من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالحرب خدعة.

فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء، وفي معناها ما عداها إذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره.

أما ماله: فمثل أن يأخذه ظالم ويسأله عن ماله فله أن ينكره، أو يأخذه سلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله أن ينكر ذلك، فيقول: ما زنيت وما سرقت. وقال ﷺ: «مَنِ ارْتَكَبَ شَيْئًا مِنْ هذِهِ القَاذُورَاتِ فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ الله» (٢)، وذلك أن إظهار الفاحشة فاحشة أخرى، فللرجل أن يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ ظلمًا وعرضه بلسانه وإن كان كاذبًا.

وأما عرض غيره: فبأن يُسأل عن سر أخيه فله أن ينكره، وأن يصلح بين اثنين، وأن يصلح بين الضرات من نسائه بأن يظهر لكل واحدة أنها أحب إليه، وإن كانت امرأته لا تطاوعه إلا بوعد لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطييبًا لقلبها، أو يعتذر إلى إنسان وكان لا يطيب قلبه إلا بإنكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس به.

ولكن الحدّ فيه أن الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع، تولد منه محذور. فينبغي أن يقابل أحدهما بالآخر ويزن بالميزان القسط، فإذا علم أن المحذور الذي يحصل بالصدق أشدّ

---

(١) ضعيف: حديث النواس بن سمعان «ما لي أراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار؟ كل الكذب يكتب .. الحديث». أخرجه أبو بكر بن بلال في مكارم الأخلاق بلفظ «تتبايعون» إلى قوله «في النار» دون ما بعده فرواه الطبراني وفيهما شهر بن حوشب [ضعيف الجامع: ٤٢١٥].

(٢) صحيح: حديث «من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله». الحاكم من حديث عمر بلفظ «اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها فمن ألم بشيء منها فليستتر بستر الله» وإسناده حسن [صحيح الجامع: ١٤٩].

وقعًا في الشرع من الكذب فله الكذب، وإن كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق فيجب الصدق، وقد يتقابل الأمران بحيث يتردد فيهما، وعند ذلك الميل إلى الصدق أولى لأن الكذب يباح لضرورة أو حاجة مهمة، فإن شك في كون الحاجة مهمة فالأصل التحريم فيرجع إليه، ولأجل غموض إدراك مراتب المقاصد ينبغي أن يحترز الإنسان من الكذب ما أمكنه، وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له أن يترك أغراضه ويهجر الكذب، فأما إذا تعلق بغرض غيره فلا تجوز المسامحة لحق الغير والإضرار به؛ وأكثر كذب الناس إنما هو لحظوظ أنفسهم، ثم هو لزيادات المال والجاه ولأمور ليس فواتها محذورًا، حتى إن المرأة لتحكي عن زوجها ما تفخر به وتكذب لأجل مراغمة الضرات، وذلك حرام.

وقالت أسماء سمعت امرأة سألت رسول الله ﷺ قالت: إن لي ضرة وإني أتكثر من زوجي بما لم يفعل أضارها بذلك فهل علي شيء فيه؟ فقال ﷺ «المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطِ كَلابِسِ ثَوْبَي زُورٍ» (١)، وقال ﷺ «مَنْ تَطَعَّمَ بِمَا لا يُطْعَمُ أَوْ قَالَ لِي وَلَيْسَ لَهُ أَوْ أُعْطِيتُ وَلَمْ يُعْطَ كَلابِسِ ثَوْبَي زُورٍ يَوْمَ القِيَامَةِ» (٢)، ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا يتحققه، وروايته الحديث الذي لا يتثبته إذ غرضه أن يظهر فضل نفسه، فهو لذلك يستنكف من أن يقول: لا أدري، وهذا حرام، ومما يلتحق بالنساء الصبيان، فإن الصبي إذا كان لا يرغب في المكتب إلا بوعد أو وعيد أو تخويف كاذب كان ذلك مباحًا.

نعم روينا في الأخبار أن ذلك يكتب كذبًا، ولكن الكذب المباح أيضًا قد يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه ثم يعفي عنه، لأنه إنما أبيح بقصد الإصلاح ويتطرق إليه غرور كبير، فإنه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه، وإنما يتعلل ظاهرًا بالإصلاح فلهذا يكتب.

وكل من أتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم أن المقصود الذي كذب لأجله هل هو أهم في الشرع من الصدق أم لا؟ وذلك غامض جدًا والحزم تركه إلا أن يصير واجبًا بحيث لا يجوز تركه كما لو أدّى إلى سفك دم أو ارتكاب معصية كيف كان.

وقد ظن ظانون أنه يجوز وضع الأحاديث في فضائل الأعمال وفي التشديد في المعاصي، وزعموا أن القصد منه صحيح وهو خطأ محض، إذ قال ﷺ «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (٣)، وهذا لا يرتكب إلا لضرورة ولا ضرورة إذ في الصدّق مندوحة عن الكذب ففيما ورد من الآيات والأخبار كفاية عن غيرها. وقول القائل: إن ذلك قد تكرر على الأسماع

---

(١) صحيح: حديث أسماء: قالت امرأة: إن لي ضرة وإني أتكثر من زوجي بما لم يفعل .. الحديث». متفق عليه وهي أسماء بنت أبي بكر الصديق [البخاري: ٥٢١٩، مسلم: ٢١٢٩].

(٢) حديث «من تطعم بما لا يطعم وقال لي وليس له وأعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيامة». لم أجده بهذا اللفظ.

(٣) حديث «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار». متفق عليه من طرق وقد تقدم في العلم.

وسقط وقعه، وما هو جديد فوقعه أعظم، فهذا هوس إذ ليس هذا من الأغراض التي تقاوم محذور الكذب على رسول الله ﷺ وعلى الله تعالى ويؤدي فتح بابه إلى أمور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره أصلًا. والكذب على رسول الله ﷺ من الكبائر التي لا يقاومها شيء. نسأل الله العفو عنا وعن جميع المسلمين.

بيان العذر من الكذب بالمعاريض

قد نقل عن السلف أن في المعاريض مندوحة عن الكذب. قال عمر رضي الله عنه: أما في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب؟ وروي ذلك عن ابن عباس وغيره. وإنما أرادوا بذلك إذا اضطر الإنسان إلى الكذب فأما إذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعًا، ولكن التعريض أهون.

ومثال التعريض ما روي أن مطرفًا دخل على زياد فاستبطأه فتعلل بمرض وقال: ما رفعت جنبي مذ فارقت الأمير إلا ما رفعني الله.

وقال إبراهيم: إذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت أن تكذب فقل: إن الله تعالى ليعلم ما قلت من ذلك من شيء. فيكون قوله: «ما» حرف نفي عند المستمع، وعنده للإبهام. وكان معاذ بن جبل عاملًا لعمر رضي الله عنه فلما رجع قالت له امرأته: «ما جئت به مما يأتي به العمال إلى أهلهم؟ وما كان قد أتاها بشيء.

فقال: كان عندي ضاغط، قالت: كنت أمينًا عند رسول الله ﷺ وعند أبي بكر رضي الله عنه.

فبعث عمر معك ضاغطًا؟ وقامت بذلك بين نسائها واشتكت عمر، فلما بلغه ذلك دعا معاذًا وقال: بعثت معك ضاغطًا؟ قال: لم أجد ما أعتذر به إليها إلا ذلك، فضحك عمر رضي الله عنه وأعطاه شيئًا فقال: أرضها به، ومعنى قوله ضاغطًا يعني رقيبًا وأراد به الله تعالى، وكان النخعي لا يقول لابنته: أشتري لك سكرًا بل يقول: أرأيت لو اشتريت لك سكرًا؟ فإنه ربما لا يتفق له ذلك.

وكان إبراهيم إذا طلبه من يكره أن يخرج إليه وهو في الدار. قال للجارية: قولي له أطلبه في المسجد ولا تقولي له ليس ها هنا كيلا يكون كذبًا. وكان الشعبي إذا طلب في المنزل هو يكرهه خط دائرة وقال للجارية: ضعي الأصبع فيها وقولي ليس ها هنا.

وهذا كله في موضع الحاجة فأما في غير موضع الحاجة فلا، لأن هذا تفهيم للكذب وإن لم يكن اللفظ كذبًا فهو مكروه على الجملة كما روى عبد الله بن عتبة قال: دخلت مع أبي على عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فخرجت وعليَّ ثوب، فجعل الناس يقولون: هذا كساكه أمير المؤمنين؟ فكنت أقول جزى الله أمير المؤمنين خيرًا، فقال لي أبي: يا بني اتق الكذب وما أشبهه، فنهاه عن ذلك لأنّ فيه تقريرًا لهم عن ظن كاذب لأجل غرض المفاخرة وهذا غرض باطل لا فائدة فيه.

نعم المعاريض تباح لغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله ﷺ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَجُوزٌ»(١)، وقوله للأخرى: «الَّذِي فِي عَيْنِ زَوْجِكِ بَيَاضٌ» وللأخرى: «نَحْمِلُكَ عَلَى وَلَدِ البَعِيرِ»، وما أشبهه. وأما الكذب الصريح كما فعله نعيمان الأنصاري مع عثمان في قصة الضرير إذ قال له إنه نعيمان، وكما يعتاده الناس من ملاعبة الحمقى بتغريرهم بأن امرأة قد رغبت في تزويجك؛ فإن كان فيه ضرر يؤدي إلى إيذاء قلب فهو حرام، وإن لم يكن إلا لمطايبته فلا يوصف صاحبه بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة إيمانه. قال: «لا يَكْمُلُ لِلْمَرْءِ الإِيمانُ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَحَتَّى يَجْتَنِبَ الكَذِبَ فِي مُزَاحِهِ»(٢)، وأما قوله عليه السلام: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لِيُضْحِكَ بِها النَّاسَ يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِنَ الثُّرَيَّا»(٣). أراد به ما فيه غيبة مسلم أو إيذاء قلب دون محض المزاح.

ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت به العادة في المبالغة كقوله: طلبتك كذا وكذا مرة، وقلت لك كذا مائة مرة، فإنه لا يريد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة، فإن لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذبًا، وإن كان طلبه مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة لا يأثم وإن لم تبلغ مائة، وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب.

ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به أن يقال: كُلِ الطعام، فيقول: لا أشتهيه؛ وذلك منهي عنه وهو حرام، وإن لم يكن فيه غرض صحيح. قال مجاهد: قالت أسماء بنت عميس، كنت صاحبة عائشة في الليلة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله ﷺ ومعي نسوة قالت: فوالله ما وجدنا عنده قرى إلا قدحًا من لبن، فشرب ثم ناوله عائشة، قالت فاستحيت الجارية فقلت: لا تردّي يد رسول الله ﷺ خذي منه، قالت: فأخذت منه على حياء فشربت منه ثم قال: «ناولي صواحبك» فقلن: لا نشتهيه، فقال: «لا تَجْمَعَنَّ جُوعًا وَكَذِبًا» قالت: فقلت يا رسول الله إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه لا أشتهيه أيعد ذلك كذبًا؟ قال: «إِنَّ الكَذِبَ لَيُكْتَبُ كَذِبًا، حَتَّى تُكْتَبَ الكُذَيْبَةُ كُذَيْبَةً»(٤)، وقد كان أهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب.

---

(١) حديث «لا يدخل الجنة عجوز» وحديث «في عين زوجك بياض» وحديث «نحملك على ولد البعير». تقدمت الثلاثة في الآفة العاشرة.

(٢) حديث «لا يستكمل المؤمن إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه». ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب من حديث أبي مليكة الذماري وقال فيه نظر وللشيخين من حديث أنس «لا يؤمن أحد منكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» [البخاري: ١٣، مسلم: ٤٥] وللدارقطني في المؤتلف والمختلف من حديث أبي هريرة «لا يؤمن عبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في مزاحه» قال أحمد بن حنبل منكر.

(٣) حديث «إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها الناس يهوي بها أبعد من الثريا». تقدم في الآفة الثالثة.

(٤) ضعيف: حديث مجاهد عن أسماء بنت عميس: كنت صاحبة عائشة في الليلة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله ﷺ ومعي نسوة .. الحديث». أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني في الكبير وله نحوه من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وهو الصواب، فإن أسماء بنت عميس كانت إذ ذاك بالحبشة، لكن في طبقات الأصبهانيين لأبي الشيخ من رواية عطاء بن أبي رباح عن أسماء بنت عميس: زففنا إلى النبي ﷺ بعض نسائه... الحديث. فإذا كانت غير عائشة ممن تزوجها بعد خيبر فلا مانع من ذلك [ضعيف الجامع: ١٥٢١].

قال الليث بن سعد: كانت عينا سعد بن المسيب ترمص حتى يبلغ الرمص خارج عينيه، فقال له: لو مسحت عينيك؟ فيقول: وأين قول الطبيب: لا تمس عينيك؟ فأقول: لا أفعل وهذه مراقبة أهل الورع.

ومن تركه انسل لسانه في الكذب عند حد اختياره فيكذب ولا يشعر.

وعن خوات التيمي قال: جاءت أخت الربيع بن خثيم عائدة لابن له فانكبت عليه، فقالت: كيف أنت يا بني؟ فجلس الربيع وقال: أرضعتيه؟ قالت: لا، قال: ما عليك لو قلت، يا ابن أخي فصدقت؟ ومن العادة أن يقول: يعلم الله، فيما لا يعلمه، قال عيسى عليه السلام: إن من أعظم الذنوب عند الله أن يقول العبد إن الله يعلم، لما لا يعلم.

وربما يكذب في حكاية المنام، والإثم فيه عظيم إذ قال عليه السلام: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الفِرْيَةِ أَنْ يُدْعَى الرَّجُلُ إِلى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ يُرِيَ عَيْنَيْهِ فِي المَنَامِ مَا لَمْ يَرَ أَوْ يَقُولَ عَلَيَّ مَا لَم أَقُلْ» (١)، وقال عليه السلام: «مَنْ كَذَبَ فِي حُلُمٍ كُلِّفَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَيْسَ بِعَاقِدٍ بَيْنَهما أَبَدًا» (٢).

الآفة الخامسة عشرة: الغيبة:

والنظر فيها طويل، فلنذكر أولًا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع، وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢] وقال عليه الصلاة والسلام: «كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ» (٣)، والغيبة تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم، وقال أبو برزة: قال عليه السلام: «لا تَحَاسَدُوا وَلا تَبَاغَضُوا وَلا تَفَاحَشُوا وَلا تَدَابَرُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا» (٤)، وعن جابر وأبي سعيد قالا: قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْغِيبَةَ فَإِنَّ الغِيبَةِ أَشَدُّ مِنَ الزِّنَى، فَإِنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَزْنِي وَيَتُوبُ فَيَتُوبُ الله سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ وَإِنَّ صَاحِبَ الغِيبَةِ لا يُغْفَرُ لَهُ حَتَّى يَغْفِرَ لَهُ صَاحِبُهُ» (٥)، وقال

---

(١) صحيح: حديث «إن من أعظم الفرى أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عينيه في المنام ما لم تريا أو يقول على ما لم أقل». أخرجه البخاري من حديث واثلة بن الأسقع [البخاري: ٣٥٠٩] وله من حديث ابن عمر «من أفرى الفرى أن يرى عينيه ما لم تريا» [البخاري: ٧٠٤٣].

(٢) صحيح: حديث «من كذب في حلمه كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرة». أخرجه البخاري من حديث ابن عباس [البخاري: ٧٠٤٢].

(٣) صحيح: حديث «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة [مسلم: ٢٥٦٤].

(٤) حديث «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله إخوانا». متفق عليه من حديث أبي هريرة دون قوله «ولا يغتب بعضكم بعضا» وقد تقدم في آداب الصحبة.

(٥) ضعيف: حديث جابر وأبي سعيد «إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا .. الحديث». أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت وابن حبان في الضعفاء وابن مردوية في التفسير [ضعيف الجامع: ٢٢٠٤].

أنس: قال رسول الله ﷺ: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى أَقْوَامٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ بِأَظَافِيرِهِمْ فَقُلْتُ يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤلاءِ؟ قَالَ هَؤلاءِ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ النَّاسَ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»(١)، وقال سليم بن جابر: أتيت النبي عليه الصلاة والسلام فقلت علمني خيرًا أنتفع به، فقال: «لا تُحَقِّرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَصُبَّ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ المُسْتَقِي، وَأَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِبِشْرٍ حَسَنٍ وَإِنْ أَدْبَرَ فَلا تَغْتَابَنَّهُ»(٢)، وقال البراء: خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في بيوتهن فقال: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِقَلْبِهِ لا تَغْتَابُوا المُسْلِمِينَ وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَبَّعَ الله عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ الله عَوْرَتَهُ يَفْضَحهُ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ»(٣)، وقيل: أوحى الله إلى موسى عليه السلام: من مات تائبًا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة، ومن مات مصرًا عليها فهو أوّل من يدخل النار.

وقال أنس: أمر رسول الله ﷺ الناس بصوم يوم فقال: «لا يُفْطِرَنَّ أَحَدٌ حَتَّى آذَنَ لَهُ» فصام الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يجيء فيقول: يا رسول الله ظللت صائمًا فائذن لي لأفطر فيأذن له، والرجل والرجل، حتى جاء رجل فقال: يارسول الله فتاتان من أهلك ظلتا صائمتين وإنهما يستحيان أن يأتياك فائذن لهما أن يفطرا فأعرض عنه ﷺ، ثم عاوده فأعرض عنه، ثم عاوده فقال: «إِنَّهُمَا لَمْ يَصُومَا وَكَيْفَ يَصُومُ مَنْ ظَلَّ نَهَارَهُ يَأْكُلُ لَحْمَ النَّاسِ؟ اذْهَبْ فَمُرْهُمَا إِنْ كَانَتَا صَائِمَتَيْنِ أَنْ تَسْتَقِيئَا»، فرجع إليهما فأخبرهما فاستقاءتا، فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم، فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ بَقِيَتَا فِي بُطُونِهِمَا لأَكَلَتْهُمَا النَّارُ»(٤)، وفي رواية: أنه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك وقال يا رسول الله والله إنهما قد ماتتا أو كادتا أن تموتا، فقال ﷺ: «ائْتُونِي بهما» فجاءتا فدعا رسول الله ﷺ بقدح فقال لإحداهما: «قِيئِي» فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح، وقال للأخرى: «قِيئِي» فقاءت كذلك، فقال: «إِنَّ هَاتَيْنِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ الله لَهُمَا وَأَفْطَرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ الله عَلَيْهِما، جَلَسَتْ إِحْدَاهُما إِلَى الأُخْرَى فَجَعَلَتَا تَأْكُلانِ لُحُومَ النَّاسِ»(٥)، وقال أنس: خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربا

---

(١) صحيح: حديث أنس «مررت ليلة سرى بي على أقوام يخمشون وجوههم بأظافيرهم .. الحديث». أخرجه أبو داود مسندا ومرسلا والمسند أصح [أبو داود: ٤٨٧٨، وصححه الألباني في سنن أبي داود: ٤٦٩].

(٢) حديث سليم بن جابر: أتيت النبي عليه الصلاة والسلام فقلت علمني خيرا أنتفع به .. الحديث». أخرجه أحمد في المسند وابن أبي الدنيا في الصمت واللفظ له ولم يقل فيه أحمد «وإذا أدبر فلا تغتابه» وفي إسنادهما ضعف.

(٣) صحيح: حديث البراء «يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين .. الحديث». أخرجه ابن أبي الدنيا هكذا ورواه أبو داود من حديث أبي برزة بإسناد جيد [أبو داود: ٤٨٨٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٧٩٨٤].

(٤) ضعيف جدًا: حديث أنس: أمر رسول الله ﷺ الناس بصوم وقال «لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس .. الحديث». «وفي ذكر المرأتين اللتين اغتابتا في صيامهما فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم» أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت وابن مردوية في التفسير من رواية يزيد الرقاشي عنه ويزيد ضعيف [ضعيف الترغيب: ١٦٨٢].

(٥) ضعيف: حديث المرأتين المذكرتين وقال فيه «إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله

وعظم شأنه فقال: «إِنَّ الدِّرْهَمَ يُصِيبُهُ الرَّجُلُ مِنَ الرِّبَا أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ فِي الخَطِيئَةِ مِنْ سِتَّ وَثَلاثِينَ زَنْيَةٍ يَزْنِيها الرَّجُلُ وَأَرْبَى الرِّبَا عِرْضُ المُسْلِمِ» (١)، وقال جابر: كنا مع رسول الله ﷺ في مسير فأتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال: «إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَغْتَابُ النَّاسَ، وَأَمَّا الآخَرَ فَكَانَ لا يَسْتَنْزِهُ مِنْ بَوْلِهِ» ، فدعا بجريدة رطبة أو جريدتين فكسرهما ثم أمر بكل كسرة فغرست على قبر وقال: «أَمَا إِنَّهُ سَيُهَوَّنُ مِنْ عَذَابِهِمَا مَا كَانَتَا رَطْبَتَيْنِ ، أَوْ مَا لَمْ يَيْبَسَا» (٢).

ولما رجم رسول الله ﷺ ماعزًا في الزنى قال رجل لصاحبه: هذا أقعص كما يقعص الكلب، فمرّ ﷺ وهما معه بجيفة فقال: «انْهَشَا مِنْهَا» فقالا: يا رسول الله ننهش جيفة؟ فقال: «مَا أَصَبْتُمَا مِنْ أَخِيكُمَا أَنْتَن مِنْ هذِهِ» (٣) وكان الصحابة رضي الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك أفضل الأعمال ويرون خلافه عادة المنافقين.

وقال أبو هريرة: من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة وقيل له كله ميتًا كما أكلته حيًا، فيأكله فينضج ويكلح (٤)، وروي مرفوعًا كذلك. وروي أن رجلين كانا قاعدين عند باب من أبواب المسجد فمر بهما رجل كان مختنًا فترك ذلك. فقالا: لقد بقي فيه منه شيء وأقيمت الصلاة فدخلا فصليا مع الناس، فحاك في أنفسهما ما قالا فأتيا عطاء فسألاه فأمرهما أن يعيدا الوضوء والصلاة وأمرهما أن يقضيا الصيام إن كانا صائمين.

وعن مجاهد أنه قال في ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة:١] الهمزة: الطعان في الناس، واللمزة: الذي يأكل لحوم الناس.

وقال قتادة: ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث: ثلث من الغيبة، وثلث من النميمة، وثلث من البول. وقال الحسن: والله للغيبة أسرع في دين الرجل المؤمن من الأكلة في الجسد. وقال

عليهما .. الحديث». أخرجه أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله ﷺ وفيه رجل لم يسم ورواه أبو يعلى في مسنده فأسقط منه ذكر الرجل المتهم [أحمد: ٢٣١٤١، ضعيف الترغيب: ١٦٨٣].

(١) صحيح: حديث أنس: خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظم شأنه .. الحديث» وفيه «وأربى الربا عرض المسلم». أخرجه ابن أبي الدنيا بسند ضعيف [صحيح الترغيب: ١٨٥٦].

(٢) صحيح: حديث جابر: كنا مع رسول الله ﷺ في مسير فأتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال «إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يغتاب الناس .. الحديث» . أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو العباس الدغولي في كتاب الآداب بإسناد جيد [الأدب المفرد: ٢٥٦] وهو في الصحيحين من حديث ابن عباس إلا أنه ذكر فيه النميمة بدل الغيبة [البخاري: ٢١٦، مسلم: ٢٩٢] وللطيالسي فيه «أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس» ولأحمد والطبراني من حديث ابن بكرة نحوه بإسناد جيد.

(٣) ضعيف: حديث: قوله للرجل الذي قال لصاحبه في حق المرجوم هذا أقعص كما يقعص الكلب فمر بجيفة فقال: «انهشا منها .. الحديث». أخرجه أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة نحوه بإسناد جيد [أبو داود: ٤٤٢٨، وضعفه الألباني في سنن أبو داود: ١٤٨].

(٤) ضعيف: حديث أبي هريرة «من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة وقيل له كله ميتا كما أكلته حيا.. الحديث».أخرجه ابن مردويه في التفسير مرفوعا وموقوفا وفيه محمد بن إسحاق رواه بالعنعنة [ضعيف الترغيب: ١٦٨٥].

بعضهم: أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن أعراض الناس.

وقال ابن عباس: إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك. وقال أبو هريرة يبصر أحدكم القذى في عين أخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه. وكان الحسن يقول: ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بصلاح ذلك الغيب فتصلحه من نفسك، فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك، وأحب العباد إلى الله من كان هكذا.

وقال مالك بن دينار: مرّ عيسى عليه السلام ومعه الحواريون بجيفة كلب فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا الكلب فقال عليه الصلاة والسلام: ما أشدّ بياض أسنانه كأنه ﷺ نهاهم عن غيبة الكلب ونبههم على أنه لا يذكر من شيء من خلق الله إلا أحسنه.

وسمع علي بن الحسين رضي الله عنهما رجلًا يغتاب آخر فقال له: إياك والغيبة فإنها إدام كلاب النار. وقال عمر رضي الله عنه: عليكم بذكر الله تعالى فإنه شفاء وإياكم وذكر الناس فإنه داء. نسأل الله حسن التوفيق لطاعته.

بيان معنى الغيبة وحدودها

اعلم أن حدَّ الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه، سواء ذكرته بنقص في بدنه أو نسبه أو في خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه، حتى في ثوبه وداره ودابته.

أما البدن: فكذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة، وجميع ما يتصوّر أن يوصف به مما يكرهه كيفما كان. وأما النسب: فبأن تقول أبوه نبطي أو هندي أو فاسق أو خسيس أو إسكاف أو زبال، أو شيء مما يكرهه كيفما كان. وأما الخلق: فبأن تقول هو سيىء الخلق بخيل متكبر مراء شديد الغضب جبال عاجز ضعيف القلب متهوّر وما يجري مجراه.

وأما في أفعاله المتعلقة بالدين: فكقولك هو سارق أو كذاب أو شارب خمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصلاة أو الزكاة أو لا يحسن الركوع أو السجود أو لا يحترز من النجاسات أو ليس بارًا بوالديه أو لا يضع الزكاة موضعها أو لا يحسن قسمها أو لا يحرس صومه عن الرفث والغيبة والتعرض لأعراض الناس.

وأما فعله المتعلق بالدنيا: فكقولك إنه قليل الأدب متهاون بالناس، أو لا يرى لأحد على نفسه حقًا أو يرى لنفسه الحق على الناس، أو أنه كثير الكلام نئوم ينام في غير وقت النوم ويجلس في غير موضعه.

وأما في ثوبه فكقولك إنه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب.

وقال قوم: لا غيبة في الدين لأنه ذم ما ذمه الله تعالى فذكره بالمعاصي وذمه بها يجوز، بدليل ما روي أن رسول الله ﷺ ذكرت له امرأة وكثرة صلاحها وصومها ولكنها تؤذي جيرانها

بلسانها فقال: «هِيَ فِي النَّارِ»[١] وذكرت عنده امرأة أخرى بأنها بخيلة فقال: «فَمَا خَيْرُهَا إِذَنْ»[٢]، فهذا فاسد لأنهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم إلى تعرف الأحكام بالسؤال، ولم يكن غرضهم التنقيص ولا يحتاج إليه في غير مجلس الرسولﷺ. والدليل عليه إجماع الأمة على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لأنه داخل فيما ذكره رسول اللهﷺ في حد الغيبة.

وكل هذا وإن كان صادقًا فيه فهو مغتاب عاص لربه وآكل لحم أخيه، بدليل ما روي أن النبيﷺ قال: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الغِيبَةُ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُهُ» قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقوله؟ قال: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ»[٣]، وقال معاذ بن جبل: ذكر رجل عند رسول اللهﷺ فقالوا: ما أعجزه فقال: «اغتبتم أخاكم». قالوا: يا رسول الله قلنا ما فيه، قال: «إِنْ قُلْتُمْ مَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَهَتُّمُوهُ»[٤]، وعن حذيفة عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت عند رسول اللهﷺ امرأة فقالت: إنها قصيرة فقال ﷺ: «اغْتَبْتِيهَا»[٥]، وقال الحسن: ذكر الغير ثلاثة الغيبة والبهتان والإفك، وكل في كتاب الله عز وجل؛ فالغيبة أن تقول ما فيه، والبهتان أن تقول ما ليس فيه، والإفك أن تقول ما بلغك، وذكر ابن سيرين رجلًا فقال: ذاك الرجل الأسود، ثم قال: أستغفر الله إني أراني قد اغتبته.

وذكر ابن سيرين إبراهيم النخعي فوضع يده على عينه ولم يقل الأعور. وقالت عائشة لا يغتابن أحدكم أحدًا فإني قلت لامرأة مرة وأنا عند النبيﷺ إن هذه لطويلة الذيل فقال لي: «الْفُظِي الْفُظِي» فلفظت مضغة لحم[٦].

بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان

اعلم أن الذكر باللسان إنما حرم لأن فيه تفهيم الغير نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه، فالتعريض به كالتصريح والفعل فيه كالقول، والإشارة والإيماء والغمز والهمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام.

---

(١) صحيح: حديث: ذكر له امرأة وكثرة صومها وصلاتها لكن تؤذي جيرانها فقال «هي في النار». أخرجه ابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة [صحيح الترغيب: ٢٥٦٠].

(٢) حديث: ذكر امرأة أخرى بأنها بخيلة قال «فما خيرها إذن». أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي جعفر محمد بن علي مرسلا ورويناه في أمالي بن شمعون هكذا.

(٣) صحيح: حديث «هل تدرون ما الغيبة؟» قالوا الله ورسوله أعلم، قال «ذكرك أخاك بما يكرهه .. الحديث». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة [مسلم: ٢٥٨٩].

(٤) حديث معاذ: ذكر رجل عند رسول اللهﷺ فقالوا ما أعجزه .. الحديث». أخرجه الطبراني بسند ضعيف.

(٥) صحيح: حديث عائشة: أنها ذكرت امرأة فقالت إنها قصيرة فقال «اغتبتيها». رواه أحمد وأصله عند أبي داود والترمذي وصححه بلفظ آخر ووقع عند المصنف عن حذيفة عن عائشة وكذا هو في الصمت لابن أبي الدنيا والصواب عن أبي حذيفة كما عند أحمد وأبي داود والترمذي واسم أبي حذيفة سلمة بن صهيب [أبو داود: ٤٨٧٥، وصححه الألباني في سنن أبي داود: ٢٦٩].

(٦) ضعيف: حديث عائشة: قلت لامرأة وإن هذه طويلة الذيل فقالﷺ «الفظي» فلفظت بضعة من لحم. أخرجه ابن أبي الدنيا وابن مردويه في التفسير وفي إسناده امرأة لا أعرفها [ضعيف الترغيب: ١٦٨٠].

فمن ذلك قول عائشة رضي الله عنها: دخلت علينا امرأة فلما ولت أومأت بيدي أنها قصيرة فقال عليه السلام: «اغْتَبْتِيهَا» (١)، ومن ذلك المحاكاة كأن يمشي متعارجًا أو كما يمشي فهو غيبة بل هو أشد من الغيبة لأنه أعظم في التصوير والتفهيم، ولما رأى رسول الله ﷺ عائشة حاكت امرأة قال: «مَا يَسُرُّنِي أَنِّي حَاكَيْتُ إِنْسَانًا وَلِي كَذَا وَكَذَا» (٢).

وكذلك الغيبة بالكتابة فإن القلم أحد اللسانين. وذكر المصنف شخصًا معينًا وتهجين كلامه في الكتاب غيبة إلا أن يقترن به شيء من الأعذار المحوجة إلى ذكره، كما سيأتي بيانه، وأما قوله: قال قوم كذا: فليس ذلك غيبة، وإنما الغيبة التعرض لشخص معين إما حي وإما ميت.

ومن الغيبة أن تقول: بعض من مرَّ بنا اليوم، أو بعض من رأيناه؛ إذا كان المخاطب يفهم منه شخصًا معينًا؛ لأن المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم فأما إذا لم يفهم عينه جاز. كان رسول الله ﷺ إذا كره من إنسان شيئًا قال: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَفْعَلُونَ كَذَا وَكَذَا» (٣)، فكان لا يعين. وقولك: بعض من قدم من السفر، أو بعض من يدعي العلم، إن كانت معه قرينة تفهم عين الشخص فهي غيبة.

وأخبث أنواع الغيبة غيبة القراء المرائين فإنهم يفهمون المقصود على صيغة أهل الصلاح ليظهروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود، ولا يدرون بجهلهم أنهم جمعوا بين فاحشتين الغيبة والرياء، وذلك مثل أن يذكر عنده إنسان فيقول: الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام، أو يقول: نعوذ بالله من قلة الحياء نسأل الله أن يعصمنا منها، وإنما قصده أن يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء، وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول: ما أحسن أحوال فلان: ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلي بما يبتلى به كلنا وهو قلة الصبر.

فيذكر نفسه ومقصوده أن يذم غيره في ضمن ذلك ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين بأن يذم نفسه، فيكون مغتابًا ومرائيًا ومزكيًا نفسه. فيجمع بين ثلاث فواحش وهو بجهله يظن أنه من الصالحين المتعففين عن الغيبة.

ولذلك يلعب الشيطان بأهل الجهل إذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فإنه يتبعهم ويحبط بمكائده عملهم ويضحك عليهم ويسخر منهم. ومن ذلك أن يذكر عيب إنسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول: سبحان الله ما أعجب هذا حتى يصغي إليه ويعلم ما يقول، فيذكر الله

---

(١) حديث عائشة: دخلت علينا امرأة فأومأت بيدي أي قصيرة فقال النبي ﷺ «قد اغتبتيها». أخرجه ابن أبي الدنيا وابن مردويه من رواية حسان بن مخارق عنها وحسان وثقه ابن حبان وباقيهم ثقات.

(٢) حديث «ما يسرني أني حكيت ولي كذا وكذا». تقدم في الآفة الحادية عشرة.

(٣) صحيح: حديث كان إذا كره من إنسان شيئا قال «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا». أخرجه أبو داود من حديث عائشة دون قوله «وكان لا يعيره» ورجاله رجال الصحيح [أبو داود: ٤٧٨٨، وصححه الألباني في سنن أبي داود: ٢٥٠].

تعالى ويستعمل الاسم آلة له في تحقيق خبثه، وهو يمتن على الله عز وجل بذكره جهلًا منه وغرورًا، وكذلك يقول: ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف به نسأل الله أن يروّح نفسه، فيكون كاذبًا في دعوى الاغتمام وفي إظهار الدعاء له، بل لو قصد الدعاء لأخفاه في خلوته عقيب صلاته، ولو كان يغتم به لاغتم أيضًا بإظهار ما يكرهه.

وكذلك يقول: ذلك المسكين قد بلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه، فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده، وهو لجهله لا يدري أنه قد تعرض لمقت أعظم مما تعرض له الجهال إذا جاهروا.

ومن ذلك الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجب فإنه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيها وكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول: عجب ما علمت أنه كذلك ما عرفته إلى الآن إلا بالخير: وكنت أحسب فيه غير هذا، عافانا الله من بلائه، فإن كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة، بل الساكت شريك المغتاب.

قال ﷺ: «المُسْتَمِعُ أَحَدُ المُغْتَابِينَ» (١)، وقد روي عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن أحدهما قال لصاحبه: إن فلانًا لنؤوم ثم إنهما طلبا أدمًا من رسول الله ﷺ ليأكلا به الخبز، قال ﷺ: «قد ائتدمتما» فقالا: ما نعلمه؟ قال: «بَلَى إِنَّكُمَا أَكَلْتُمَا مِنْ لَحْمِ أَخِيكُمَا» (٢)، فانظر كيف جمعهما وكان القائل أحدهما والآخر مستمعًا.

وقال للرجلين اللذين قال أحدهما: أقعص الرجل كما يقعص الكلب «انْهَشَا مِنْ هذِهِ الجِيفَةِ» (٣)، فجمع بينهما، فالمستمع لا يخرج من إثم إلا أن ينكر بلسانه أو بقلبه إن خاف، وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه، وإن قال بلسانه اسكت، وهو مشتهٍ لذلك بقلبه فذلك نفاق، ولا يخرجه من الإثم ما لم يكرهه بقلبه، ولا يكفي في ذلك أن يشير باليد أي اسكت، أو يشير بحاجبه وجبينه، فإن ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي أن يعظم ذلك فيذب عنه صريحًا وقال ﷺ: «مَنْ أُذِلَّ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ فَلَمْ يَنْصُرْهُ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى نَصْرِهِ أَذَلَّهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الخَلائِقِ» (٤)، وقال أبو الدرداء: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ بِالغَيْبِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَرُدَّ عَنْ عِرْضِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ» (٥)، وقال أيضًا: «مَنْ ذَبَّ عَنْ عِرْضِ

---

(١) حديث «المستمع أحد المغتابين». أخرجه الطبراني من حديث ابن عمر: نهى رسول الله ﷺ عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة. وهو ضعيف.

(٢) حديث: أن أبا بكر وعمر قال أحدهما لصاحبه إن فلانا لنئوم ثم طلبا أدما من رسول الله ﷺ فقال «قد ائتدمتما!» فقالا: ما نعلم؟ قال «بلى ما أكلتما من لحم صاحبكما». أخرجه أبو العباس الدغولي في الآداب من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى مرسلا نحوه.

(٣) حديث «انهشا من هذه الميتة». قاله للرجلين اللذين قال أحدهما: أقعَصَ كما يقعص الكلب. تقدم قبل هذا باثني عشر حديثا.

(٤) ضعيف: حديث «من أذل عنده مؤمن وهو قادر على أن ينصره». أخرجه الطبراني من حديث سهل بن حنيف وفيه ابن لهيعة [ضعيف الجامع: ٥٢٨٠].

(٥) صحيح: حديث أبي الدرداء «من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم

أَخِيهِ بِالغَيْبِ كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ»(١)، وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفي فضل ذلك أخبار كثيرة أوردناها في كتاب آداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطول بإعادتها.

بيان الأسباب الباعثة على الغيبة

اعلم أن البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها أحد عشر سببًا: ثمانية منها تطرد في حق العامة، وثلاثة تختص بأهل الدين والخاصة.

أما الثمانية:

فالأوّل: أن يشفي الغيظ وذلك إذا جرى سبب غضب به عليه، فإنه إذا هاج غضبه يشتفي بذكر مساوئه فيسبق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن ثم دين وازع، وقد يمتنع تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن فيصير حقدًا ثابتًا فيكون سببًا دائمًا لذكر المساوىء، فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة.

الثاني: موافقة الأقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام، فإنهم إذا كانوا يتفكهون بذكر الأعراض فيرى أنه لو أنكر عليهم أو قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن أنه مجاملة في الصحبة، وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج إلى أن يغضب لغضبهم إظهارًا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوىء.

الثالث: أن يستشعر من إنسان أنه سيقصده ويطول لسانه عليه أو يقبح حاله عند محتشم، أو يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل أن يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط أثر شهادته، أو يبتدىء بذكر ما فيه صادقًا ليكذب عليه بعده فيروّج كذبه بالصدق الأوّل ويستشهد ويقول: ما من عادتي الكذب، فإني أخبركم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت.

الرابع: أن ينسب إلى شيء فيريد أن يتبرأ منه فيذكر الذي فعله، وكان من حقه أن يبرىء نفسه ولا يذكر الذي فعل فلا ينسب غيره إليه، أو يذكر غيره بأنه كان مشاركًا له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله.

الخامس: إرادة التصنع والمباهاة، وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول: فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف، وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم أنه أعلم منه، أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك.

السادس: الحسد وهو أنه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه، فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلًا إليه إلا بالقدح فيه، فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى

القيامة». أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت وفيه شهر بن حوشب وهو عند الطبراني من وجه آخر بلفظ «رد الله عن وجهه النار يوم القيامة» وفي رواية له «كان له حجابا من النار» وكلاهما ضعيف [صحيح الجامع: ٦٢٦٢].

(١) صحيح: حديث «من ذب عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يعتقه من النار». أخرجه أحمد والطبراني من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد [أحمد: ٢٧٠٦٢، وصحيح الجامع: ٦٢٤٠].

يكفوا عن كرامته والثناء عليه لأنه يثقل عليه أن يسمع كلام الناس وثناءهم عليه وإكرامهم له، وهذا هو عين الحسد وهو غير الغضب والحقد، فإنّ ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه، والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والرفيق الموافق.

السابع: اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك، فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة ومنشؤه التكبر والعجب.

الثامن: السخرية والاستهزاء استحقارًا له فإن ذلك قد يجري في الحضور ويجري أيضًا في الغيبة ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزأ به.

وأما الأسباب الثلاثة التي هي في الخاصة فهي أغمضها وأدقها، لأنها شرور خبأها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر.

الأول: أن تنبعث من الدين داعية التعجب في إنكار المنكر والخطأ في الدين، فيقول: ما أعجب ما رأيت من فلان فإنه قد يكون به صادقًا ويكون تعجبه من المنكر، ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في إظهار تعجبه، فصار به مغتابًا وآثمًا من حيث لا يدري. ومن ذلك قول الرجل: تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة؟ وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل؟.

الثاني: الرحمة وهو أن يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول: مسكين فلان قد غمني أمره وما ابتلي به، فيكون صادقًا في دعوى الاغتمام ويلهيه الغم عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابًا فيكون غمه ورحمته خيرًا، وكذا تعجبه ولكن ساقه الشيطان إلى شر من حيث لا يدري، والترحم والاغتمام ممكن دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه.

الثالث: الغضب لله تعالى فإنه قد يغضب على منكر قارفه إنسان إذا رآه أو سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يظهره على غيره، أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء، فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء فضلًا عن العوام، فإنهم يظنون أنّ التعجب والرحمة والغضب إذا كان لله تعالى.

كان عذرًا في ذكر الاسم وهو خطأ، بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم ، كما سيأتي ذكره ، روي عن عامر بن واثلة: أنّ رجلًا مرّ على قوم في حياة رسول الله ﷺ فسلم عليهم فردوا عليه السلام، فلما جاوزهم قال رجل منهم: إني لأبغض هذا في الله تعالى فقال أهل المجلس: لبئس ما قلت والله لننبئنه، ثم قالوا: يا فلان لرجل منهم ، قم فأدركه وأخبره بما قال.

فأدركه رسولهم فأخبره فأتى الرجل رسول الله ﷺ وحكى له ما قال وسأله أن يدعوه له، فدعاه وسأله فقال: قد قلت ذلك، فقال ﷺ: «لم تبغضه؟» فقال أنا جاره، وأنا به خابر. والله ما رأيته يصلي صلاة قط إلا هذه المكتوبة. قال فاسأله يا رسول الله هل رآني أخرتها عن وقتها أو

أسأت الوضوء لها أو الركوع أو السجود فيها؟ فسأله فقال: لا، فقال: والله ما رأيته يصوم شهرًا قط إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر، قال: فاسأله يا رسول الله هل رآني قط أفطرت فيه أو نقصت من حقه شيئًا؟ فسأله عنه فقال: لا، فقال: والله ما رأيته يعطي سائلًا ولا مسكينًا قط ولا رأيته ينفق شيئًا من ماله في سبيل الله إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر، قال: فاسأله يا رسول الله هل رآني نقصت منها أو ماكست فيها طالبها الذي يسألها؟ فسأله فقال: لا، فقال ﷺ للرجل: «قم فلعله خير منك» (١).

بيان العلاج الذي يمنع اللسان عن الغيبة

اعلم أن مساوىء الأخلاق كلها إنما تعالج بمعجون العلم والعمل، وإنما علاج كل علة بمضادة سببها، فلنفحص عن سببها، وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين: أحدهما على الجملة، والآخر على التفصيل.

أما على الجملة: فهو أن يعلم تعرضه لسخط الله تعالى بغيبته بهذه الأخبار التي رويناها وأن يعلم أنها محبطة لحسناته يوم القيامة، فإنها تنقل حسناته يوم القيامة إلى من اغتابه بدلًا عما استباحه من عرضه، فإن لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئات خصمه، وهو مع ذلك متعرض لمقت الله عز وجل ومشبه عنده بآكل الميتة، بل العبد يدخل النار بأن تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وربما تنقل إليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار، وإنما أقل الدرجات أن تنقص من ثواب أعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب.

قال ﷺ: «مَا النَّارُ فِي اليَبَسِ بِأَسْرَعَ مِنَ الغِيبَةِ فِي حَسَنَاتِ العَبْدِ» (٢)، وروي أن رجلًا قال للحسن: بلغني أنك تغتابني، فقال: ما بلغ من قدرك عندي أني أحكمك في حسناتي.

فهما آمن العبد بما ورد من الأخبار في الغيبة لم يطلق لسانه بها خوفًا من ذلك وينفعه أيضًا أن يتدبر في نفسه فإن وجد فيها عيبًا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله ﷺ «طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ» (٣)، ومهما وجد عيبًا فينبغي أن يستحي من أن يترك ذم نفسه ويذم غيره، بل ينبغي أن يتحقق أن عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه، وهذا إن كان ذلك يتعلق بفعله واختياره، وإن كان أمرًا خلقيًا فالذم له ذم للخالق فإن من ذم صنعة فقد ذم صانعها.

قال رجل لحكيم: يا قبيح الوجه، قال: ما كان خلق وجهي إليَّ فأحسنه. وإذا لم يجد للعبد عيبًا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوثن نفسه بأعظم العيوب، فإن ثلب الناس وأكل

(١) حديث عامر بن واثلة: أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله ﷺ فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم: إني لأبغض هذا في الله .. الحديث». وفيه فقال: «قم لعله خيراً منك» أخرجه أحمد بإسناد صحيح [أحمد: ٢٣٢٩١].

(٢) حديث «ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد». لم أجد له أصلا.

(٣) [illegible] حديث «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس». أخرجه البزار من حديث أنس بسند ضعيف [ضعيف الجامع: ٣٦٤٤].

لحم الميتة من أعظم العيوب، بل لو أنصف لعلم أن ظنه بنفسه أنه بريء من كل عيب جهل بنفسه وهو من أعظم العيوب، وينفعه أن يعلم أن تألم غيره بغيبته كتألمه بغيبة غيره له، فإذا كان لا يرضى لنفسه أن يغتاب فينبغي أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه. فهذه معالجات جميلة.

أما التفصيل؛ فهو أن ينظر في السبب الباعث له على الغيبة فإن علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا الأسباب.

أما الغضب، فيعالجه بما سيأتي في كتاب آفات الغضب وهو أن يقول: إني إذا أمضيت غضبي عليه فلعل الله تعالى يمضي غضبه عليَّ بسبب الغيبة إذ نهاني عنها فاجترأت على نهيه واستخففت بزجره، وقد قال ﷺ: «إِنَّ لِجَهَنَّمَ بَابًا لا يَدْخُلُ مِنْهُ إِلاَّ مَنْ شَفَى غَيْظَهُ بِمَعْصِيَةِ الله تَعَالَى»(١)، وقال ﷺ: «مَنِ اتَّقَى رَبَّهُ كَلَّ لِسَانُهُ وَلَمْ يُشْفِ غَيْظَهُ»(٢)، وقال ﷺ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُمْضِيَهُ دَعَاهُ الله تَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الخَلائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الحُورِ شَاءَ»(٣)، وفي بعض الكتب المنزلة على بعض النبيين: يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق.

وأما الموافقة؛ فبأن تعلم أن الله تعالى يغضب عليك إذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين، فكيف ترضى لنفسك أن توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم إلا أن يكون غضبك لله تعالى؟ وذلك لا يوجب أن نذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي أن تغضب لله أيضًا على رفقائك إذا ذكروه بالسوء، فإنهم عصوا ربك بأفحش الذنوب وهي الغيبة.

وأما تنزيه النفس بنسبة الغير إلى الخيانة حيث يستغني عن ذكر الغير، فتعالجه بأن تعرف أن التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت المخلوقين وأنت بالغيبة متعرض لسخط الله يقينًا ولا تدري أنك تتخلص من سخط الناس أم لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل لك ذم الله تعالى نقدًا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان.

وأما عذرك؛ كقولك إن أكلت الحرام ففلان يأكله، وإن قبلت مال السلطان ففلان يقبله، فهذا جهل لأنك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به، فإن من خالف أمر الله تعالى لا يقتدى به كائنًا من كان ولو دخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته لسفه عقلك. ففيما ذكرته غيبة وزيادة معصية أضفتهاإلى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر إلى المعزى تردي نفسها من قلة الجبل

---

(١) ضعيف: حديث «إن لجهنم بابا لا يدخله إلا من شفى غيظه بمعصية الله». أخرجه البزار وابن أبي الدنيا وابن عدي والبيهقي والنسائي من حديث ابن عباس بسند ضعيف [ضعيف الجامع: ١٩١٦].

(٢) ضعيف: حديث «من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه». أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف ورويناه في الأربعين البلدانية للسلفي [ضعيف الجامع: ٥٣٣٤].

(٣) حسن: حديث «من كظم غيظا وهو يقدر على أن يمضيه .. الحديث». أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس [أبو داود: ٤٧٧٧، وحسنه الألباني في سنن أبي داود: ٢٤٨].

فهي أيضًا تردي نفسها، ولو كان لها لسان ناطق بالعذر وصرحت بالعذر وقالت: العنز أكيس مني وقد أهلكت نفسها فكذلك أنا أفعل، لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تعجب ولا تضحك من نفسك.

وأما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بأن تقدح في غيرك فينبغي أن تعلم أنك بما ذكرته به أبطلت فضلك عند الله وأنت من اعتقاد الناس فضلك على خطر، وربما نقص اعتقادهم فيك إذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت ما عند الخالق يقينًا بما عند المخلوقين وهمًا، ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئًا.

وأما الغيبة لأجل الحسد فهو جمع بين عذابين لأنك حسدته على نعمة الدنيا وكنت في الدنيا معذبًا بالحسد، فما قنعت بذلك حتى أضفت إليه عذاب الآخرة، فكنت خاسرًا نفسك في الدنيا فصرت أيضًا خاسرًا في الآخرة لتجمع بين النكالين، فقد قصدت محسودك فأصبت نفسك وأهديت إليه حسناتك.

فإذا أنت صديقه وعدوّ نفسك إذ لا تضره غيبتك وتضرك، وتنفعه إذ تنقل إليه حسناتك أو تنقل إليك سيئاته، ولا تنفعك وقد جمعت إلى خبث الحسد جهل الحماقة، وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك كما قيل:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حَسُودُ

وأما الاستهزاء فمقصودك منه إخزاء غيرك عند الناس بإخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام، فلو تفكرت في حسرتك وجنايتك وخجلتك وخزيك يوم القيامة تحمل سيئات من استهزأت به وتساق إلى النار لأدهشك ذلك عن إخزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت أولى أن تضحك منك، فإنك سخرت به عند نفر قليل وعرّضت نفسك لأن يأخذ يوم القيامة بيدك على ملأ من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار إلى النار، مستهزئًا بك وفرحًا بخزيك ومسرورًا بنصرة الله تعالى إياه عليك وتسلطه على الانتقام منك.

وأما الرحمة له على إثمه فهو حسن، ولكن حسدك إبليس فأضلك، واستنطقك بما ينقل من حسناتك إليه ما هو أكثر من رحمتك، فيكون جبرًا لإثم المرحوم فيخرج عن كونه مرحومًا، وتنقلب أنت مستحقًا لأن تكون مرحومًا، إذ حبط أجرك ونقصت من حسناتك، وكذلك الغضب لله تعالى لا يوجب الغيبة، وإنما الشيطان حبب إليك الغيبة ليحبط أجر غضبك وتصير معرّضًا لمقت الله عز وجل بالغيبة.

وأما التعجب إذا أخرجك إلى الغيبة فتعجب من نفسك أنت؟ كيف أهلكت نفسك ودينك بدين غيرك أو بدنياه وأنت مع ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا وهو أن يهتك الله سترك كما هتكت بالتعجب ستر أخيك. فإذن علاج جميع ذلك المعرفة فقط، والتحقق بهذه الأمور التي هي من أبواب الإيمان، فمن قوي إيمانه بجميع ذلك انكف لسانه عن الغيبة لا محالة.

بيان تحريم الغيبة بالقلب

اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول، فكما يحرم عليك أن تحدّث غيرك بلسانك بمساوىء الغير فليس لك أن تحدّث نفسك وتسيء الظن بأخيك، ولست أعني به إلا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء.

فأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك أيضًا معفو عنه، ولكن المنهي عنه أن يظن، والظن عبارة عما تركن إليه النفس ويميل إليه القلب. فقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾ [الحجرات:١٢]وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يعلمها إلا علام الغيوب، فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءًا إلا إذا انكشف لك بعيان لا يقبل التأويل، فعند ذلك لا يمكنك إلا أن تعتقد ما علمته وشاهدته، وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه بأذنك ثم وقع في قلبك فإنما الشيطان يلقيه إليك، فينبغي أن تكذبه فإنه أفسق الفساق، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ [الحجرات:٦] فلا يجوز تصديق إبليس وإن كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم تجز أن تصدق به، لأن الفاسق يتصور أن يصدق في خبره ولكن لا يجوز لك أن تصدق به، حتى إنّ من استنكه فوجد منه رائحة الخمر لا يجوز أن يحدّ، إذ يقال يمكن أن يكون قد تمضمض بالخمر ومجها وما شربها، أو حمل عليه قهرًا، فكل ذلك لا محالة دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب وإساءة الظن بالمسلم بها، وقد قال ﷺ «إِنَّ الله حَرَّمَ عَلَى المُسْلِمِ دَمَهُ وَمَالَهُ وَأَنْ يَظُنَّ بِهِ ظَنَّ السُّوءِ» (١) فلا يستباح ظن السوء إلا بما يستباح به المال وهو نفس مشاهدته أو بينة عادلة، فإذا لم يكن كذلك وخطر لك وسواس سوء الظن، فينبغي أن تدفعه عن نفسك وتقرر عليها أن حاله عندك مستور كما كان، وأن ما رأيته منه يحتمل الخير والشر.

فإن قلت: فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث؟ فتقول: أمارة عقد سوء الظن أن يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفورًا ما، ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده وإكرامه والاغتمام بسببه؛ فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه.

وقد قال ﷺ «ثَلاثٌ فِي المُؤْمِنِ وَلَهُ مِنْهُنَّ مَخْرَجٌ فَمَخْرَجُهُ مِنْ سُوءِ الظَّنِ أَنْ لا يُحَقِّقَهُ» (٢)، أي لا يحققه في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح. أما في القلب: فبتغيره إلى النفرة والكراهة. وأما في الجوارح: فبالعمل بموجبه. والشيطان قد يقرر على القلب بأدنى مخيلة مساءة الناس، ويلقي إليه أن هذا من فطنتك وسرعة فهمك وذكائك وأن المؤمن ينظر بنور الله تعالى، وهو على التحقيق ناظر بغرور الشيطان وظلمته.

---

(١) حديث «إن الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء». أخرجه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند ضعيف ولابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر.

(٢) حديث «ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج». أخرجه الطبراني من حديث حارثة بن النعمان بسند ضعيف.

وأما إذا أخبرك به عدل فمال ظنك إلى تصديقه كنت معذورًا، لأنك لو كذبته لكنت جانيًا على هذا العدل إذ ظننت به الكذب، وذلك أيضًا من سوء الظن، فلا ينبغي أن تحسن الظن بواحد وتسيء بالآخر.

نعم ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت فتتطرق التهمة بسببه؟ فقد رد الشرع شهادة الأب العدل للولد للتهمة ورد شهادة العدو [(١)]، فلك عند ذلك أن تتوقف، وإن كان عدلاً فلا تصدقه ولا تكذبه، ولكن تقول في نفسك: المذكور حاله كان عندي في ستر الله تعالى، وكان أمره محجوبًا عني وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من أمره، وقد يكون الرجل ظاهره العدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور، ولكن قد يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساوئهم، فهذا قد يظن أنه عدل وليس بعدل، فإن المغتاب فاسق، وإن كان ذلك عادته ردت شهادته إلا أن الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في أمر الغيبة ولم يكترثوا بتناول أعراض الخلق.

ومهما خطر لك خاطر بسوء على مسلم، فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير، فإن ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي إليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة.

ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه، وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر إليك بعين التعظيم وتنظر إليه بعين الاستحقار وتترفع عليه، بإبداء الوعظ.

وليكن قصدك تخليصه من الإثم وأنت حزين، كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك نقصان في دينك: وينبغي أن يكون تركه لذلك من غير نصحك أحب إليك من تركه بالنصيحة. فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ وأجر الغم بمصيبته وأجر الإعانة له على دينه.

ومن ثمرات سوء الظن التجسس، فإن القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضًا منهي عنه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢]فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة.

ومعنى التجسس أن لا يترك عباد الله تحت ستر الله، فيتوصل إلى الإطلاع وهتك الستر حتى ينكشف له ما لو كان مستورًا عنه كان أسلم لقلبه ودينه. وقد ذكرنا في كتاب الأمر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته.

---

(١) حديث: رد الشرع شهادة الوالد العدل وشهادة العدو. أخرجه الترمذي من حديث عائشة وضعفه «لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حدا ولا ذي غمر لأخيه» وفيه «ولا ظنين في ولاء ولا قرابة» [الترمذي: ٢٢٩٨، وضعفه الألباني في جامع الترمذي: ٥٤٥] ولأبي داود وابن ماجه بإسناد جيد من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن رسول الله ﷺ رد شهادة الخائن والخائنة وذي الغمر على أخيه [أبو داود: ٣٦٠١، وحسنه الألباني في سنن أبي داود: ٣٠٦].

بيان الأعذار المرخصة في الغيبة:

اعلم أن المرخص في ذكر مساوىء الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا به فيدفع ذلك إثم الغيبة وهي ستة أمور:

الأوّل: التظلم فإن من ذكر قاضيًا بالظلم والخيانة وأخذ الرشوة كان مغتابًا عاصيًا إن لم يكن مظلومًا. أما المظلوم من جهة القاضي فله أن يتظلم إلى السلطان وينسبه إلى الظلم إذ لا يمكنه استيفاء حقه إلا به. قال ﷺ: «إِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالًا» (١) وقال عليه السلام: «مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ» (٢)، وقال عليه السلام: «لَيُّ الوَاجِدِ يُحِلُّ عُقُوبَتَهُ وَعِرْضَهُ» (٣).

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى منهج الصلاح، كما روي أن عمر رضي الله عنه مرّ على عثمان، وقيل على طلحة، رضي الله عنه فسلم عليه فلم يرد السلام، فذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه فذكر له ذلك، فجاء أبو بكر إليه ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم. وكذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه أن أبا جندل قد عاقر الخمر بالشام كتب إليه ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر: ١-٣] الآية فتاب، ولم ير ذلك عمر ممن أبلغه غيبة، إذ كان قصده أن ينكر عليه ذلك فينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح غيره، وإنما إباحة هذا بالقصد الصحيح فإن لم يكن ذلك هو المقصود كان حرامًا.

الثالث: الاستفتاء كما يقول للمفتي؛ ظلمني أبي أو زوجتي أو أخي فكيف طريقي في الخلاص؟ والأسلم التعريض بأن يقول: ما قولك في رجل ظلمه أبوه أو أخوه أو زوجته؟ ولكن التعيين مباح بهذا القدر لما روي عن هند بنت عتبة أنها قالت للنبي ﷺ: إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدي أفآخذ من غير علمه فقال: «خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالمَعْرُوفِ» (٤)، فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها إذ كان قصدها الاستفتاء.

الرابع: تحذير المسلم من الشر، فإذا رأيت فقيهًا يتردد إلى مبتدع أو فاسق وخفت أن تتعد إليه بدعته وفسقه فلك أن تكشف له بدعته وفسقه، مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لا غيره، وذلك موضع الغرور إذ قد يكون الحسد هو الباعث ويلبس الشيطان ذلك بإظهار الشفقة على الخلق، وكذلك من اشترى مملوكًا وقد عرفت المملوك بالسرقة أو بالفسق أو بعيب آخر فلك أن تذكر ذلك، فإن سكوتك ضرر المشتري وفي ذكرك

---

(١) صحيح: حديث «لصاحب الحق مقالاً». متفق عليه من حديث أبي هريرة [البخاري: ٢٤٠١، مسلم: ١٦٠١].

(٢) صحيح: حديث «مطل الغني ظلم». متفق عليه من حديثه [البخاري: ٢٤٠٠، مسلم: ١٥٦٤].

(٣) حسن: حديث «لي الواجد يحل عرضه وعقوبته». أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الشريد بإسناد صحيح [أبو داود: ٣٦٢٨، وحسنه الألباني في سنن أبي داود: ٣/ ٣١٣].

(٤) صحيح: حديث: إن هندا قالت إن أبا سفيان رجل شحيح. متفق عليه من حديث عائشة [البخاري: ٢٢١، مسلم: ١٧١٤].

ضرر العبد، والمشتري أولى بمراعاة جانبه.

وكذلك المزكي إذا سئل عن الشاهد فله الطعن فيه إن علم مطعنًا، وكذلك المستشار في التزويج وإيداع الأمانة له أن يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة: فإن علم أنه يترك التزويج بمجرد قوله: لا تصلح لك، فهو الواجب وفيه الكفاية، وإن علم أنه لا ينزجر إلا بالتصريح بعيبه فله أن يصرح به، إذ قال رسول الله ﷺ: «أَتْرَعَوُونَ عَنْ ذِكْرِ الفَاجِرِ اهْتِكُوهُ حَتَّى يَعْرِفَهُ النَّاسُ اذْكُرُوهُ بِمَا فِيهِ حَتَّى يَحْذَرَهُ النَّاسُ» (١)، وكانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم: الإمام الجائر، والمبتدع، والمجاهر بفسقه.

الخامس: أن يكون الإنسان معروفًا بلقب يعرب عن عيبه كالأعرج والأعمش، فلا إثم على من يقول: روى أبو الزناد عن الأعرج، وسلمان عن الأعمش، وما يجري مجراه فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف، ولأن ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد أن قد صار مشهورًا به. نعم إن وجد عنه معدلًا وأمكنه التعريف بعبارة أخرى فهو أولى، ولذلك يقال للأعمى: البصير، عدولًا عن اسم النقص.

السادس: أن يكون مجاهرًا بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس، وكان ممن يتظاهر به بحيث لا يستنكف. من أن يذكر له ولا يكره أن يذكر به، فإذا ذكرت فيه ما يتظاهر به فلا إثم عليك. قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَلْقَى جِلْبَابَ الحَيَاءِ عَنْ وَجْهِهِ فَلا غِيبَةَ لَهُ» (٢)، وقال عمر رضي الله عنه: ليس لفاجر حرمة وأراد به المجاهر بفسقه دون المستتر لا بد من مراعاة حرمته. وقال الصلت بن طريف: قلت للحسن: الرجل الفاسق المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة له؟ قال: لا ولا كرامة. وقال الحسن: ثلاثة لا غيبة لهم: صاحب الهوى، والفاسق المعلن بفسقه، والإمام الجائر. فهؤلاء الثلاثة يجمعهم أنهم يتظاهرون به وربما يتفاخرون به، فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون إظهاره؟ نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به أثم. وقال عوف: دخلت على ابن سيرين فتناولت عنده الحجاج فقال: إن الله حكم عدل، ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه، وإنك إذا لقيت الله تعالى غدًا كان أصغر ذنب أصبته أشدّ عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج.

بيان كفارة الغيبة

اعلم أن الواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج به من حق الله

---

(١) ضعيف: حديث «أترعوون عن ذكر الفاجر اهتكوه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس». أخرجه الطبراني وابن حبان في الضعفاء وابن عدي من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده دون قوله «حتى يعرفه الناس» ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا في الصمت [ضعيف الجامع: ١٠٤].

(٢) حديث «من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له». أخرجه ابن عدي وأبو الشيخ في كتاب ثواب الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف وقد تقدم.

سبحانه، ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج من مظلمته وينبغي أن يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله؟ إذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادمًا، فيكون قد قارف معصية أخرى، وقال الحسن: يكفيه الاستغفار دون الاستحلال.

وربما استدل في ذلك بما روى أنس بن مالك قال: قال رسول اللهﷺ: «كفارة من اغتبته أن تستغفر له»[1]، وقال مجاهد كفارة أكلك لحم أخيك: أن تثني عليه وتدعو له بخير.

وسئل عطاء بن أبي رباح عن التوبة من الغيبة قال: أن تمشي إلى صاحبك فتقول له: كذبت فيما قلت وظلمتك وأسأت، فإن شئت أخذت بحقك وإن شئت عفوت، وهذا هو الأصح.

وقول القائل: العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف، إذ قد وجب في العرض حدّ القذف وتثبت المطالبة به.

بل في الحديث الصحيح ما روي أنهﷺ قال: «من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فليستحللها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم، إنما يؤخذ من حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته»[2]، وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لأخرى إنها طويلة الذيل: قد اغتبتيها فاستحليها.

فإذن لا بد من الاستحلال إن قدر عليه، فإن كان غائبًا أو ميتًا فينبغي أن يكثر له الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات.

فإن قلت: فالتحليل هل يجب؟. فأقول: لا، لأنه تبرع والتبرع فضل، وليس بواجب ولكنه مستحسن، وسبيل المعتذر أن يبالغ في الثناء عليه والتودد إليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه، فإن لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة في القيامة.

وكان بعض السلف لا يحلل. قال سعيد بن المسيب: لا أحلل من ظلمني. وقال ابن سيرين: إني لم أحرمها عليه فأحللها له إن الله حرم الغيبة عليه وما كنت لأحلل ما حرم الله أبدًا.

فإن قلت: فما معنى قول النبيﷺ ينبغي أن يستحلها وتحليل ما حرّمه الله تعالى غير ممكن؟ فنقول: المراد به العفو عن المظلمة لا أن ينقلب الحرام حلالًا، وما قاله ابن سيرين حسن في التحليل قبل الغيبة فإنه لا يجوز له أن يحلل لغيره الغيبة.

فإن قلت: فما معنى قول النبيﷺ: «أَيَعْجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمْضَمَ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ تَصَدَّقْتَ بِعِرْضِي عَلَى النَّاسِ»[3]، فكيف يتصدّق بالعرض؟

---

(١) موضوع: حديث «كفارة من اغتبته أن تستغفر له». أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت والحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بسند ضعيف [ضعيف الجامع: ٤١٩٠].

(٢) صحيح: حديث «من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فليستحلله .. الحديث». متفق عليه من حديث أبي هريرة [البخاري: ٦٥٣٤].

(٣) ضعيف: حديث «أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إني تصدقت بعرضي على الناس». أخرجه البزار وابن السني في اليوم والليلة والعقيلي في الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف وذكره ابن عبد البر من حديث ثابت مرسلا عند ذكر أبي ضمضم في الصحابة قلت وإنما هو رجل ممن

ومن تصدق به فهل يباح تناوله فإن كان لا تنفذ صدقته فما معنى الحث عليه؟ فنقول: معناه أني لا أطلب مظلمة في القيامة منه ولا أخاصمه، وإلا فلا تصير الغيبة حلالاً به ولا تسقط المظلمة عنه، لأنه عفو قبل الوجوب إلا أنه وعد، وله العزم على الوفاء بأن لا يخاصم، فإن رجع وخاصم كان القياس كسائر الحقوق أنّ له ذلك. بل صرح الفقهاء أن من أباح القذف لم يسقط حقه من حد القاذف، ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا، وعلى الجملة فالعفو أفضل.

قال الحسن: إذا جثت الأمم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة نودوا: ليقم من كان له أجر على الله فلا يقوم إلا العافون عن الناس في الدنيا. وقد قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[الأعراف:١٩٩] فقال النبيﷺ: «يَا جِبْرِيلُ مَا هذَا العَفْوُ»؟، فقال: إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك[(١)] وروي عن الحسن أن رجلاً قال له: إن فلانًا قد اغتابك فبعث إليه رطبًا على طبق وقال: قد بلغني أنك أهديت إليّ من حسناتك فأردت أن أكافئك عليها فاعذرني فإني لا أقدر أن أكافئك على التمام.

الآفة السادسة عشرة: النميمة.

قال الله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾[القلم:١١] ثم قال: ﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾[القلم:١٣] قال عبد الله بن المبارك: الزنيم ولد الزنى الذي لا يكتم الحديث، وأشار به إلى أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد زنى استنباطًا من قوله عز وجل: ﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾[القلم:١٣] والزنيم هو الدعي، وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[الهمزة:١] قيل الهمزة: النمام، وقال تعالى: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾[المسد:٤] قيل: إنها كانت نمامة حمالة للحديث، وقال تعالى: ﴿فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾[التحريم:١٠] قيل: كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان، وامرأة نوح تخبر أنه مجنون، وقد قالﷺ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ»[(٢)]، وفي حديث آخر: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ» والقتات: هو النمام. وقال أبو هريرة. قال رسول الله ﷺ: «أَحَبُّكُمْ إِلَى الله أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا المُوطِئُونَ أَكْنَافًا الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤلَفُونَ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَى الله المَشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ، المُفَرِّقُونَ بَيْنَ الإِخْوَانِ، المُلْتَمِسُونَ لِلْبُرَآءِ العَثَرَاتِ»[(٣)]، وقالﷺ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ» قالوا: بلى، قال: «المَشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ المُفْسِدُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ البَاغُونَ لِلْبُرَآءِ العَيْبَ»[(٤)]، وقال أبو ذر: قال رسول اللهﷺ: «مَنْ أَشَاعَ عَلَى مُسْلِمٍ كَلِمَةً لِيَشِينَهُ بِهَا بِغَيْرِ

كان قبلنا كما عند البزار والعقيلي [ضعيف الجامع: ٢١٨٥].

(١) حديث: نزول ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾[الأعراف:١٩٩] الآية فقال يا جبريل «ما هذا» فقال إن الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك. تقدم في رياضة النفس.

(٢) حديث «لا يدخل الجنة نمام» وفي حديث آخر «قتات». متفق عليه من حديث حذيفة وقد تقدم.

(٣) حديث أبي هريرة «وأحبكم إلى الله أحسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا .. الحديث». أخرجه الطبراني في الأوسط والصغير وتقدم في آداب الصحبة.

(٤) حديث «ألا أخبركم بشراركم» قالوا بلى، قال «المشاؤون بالنميمة .. الحديث». أخرجه أحمد من حديث أبي مالك الأشعري وقد تقدم.

حَقَ شَانَهُ الله بِها فِي النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ» (١)، وقال أبو الدرداء: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا رَجُلٍ أَشَاعَ عَلَى رَجُلٍ كَلِمَةً وَهُوَ مِنْهَا بَرِيءٌ لِيَشِينَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُذِيبَهُ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ فِي النَّارِ» (٢)، وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ شَهِدَ عَلَى مُسْلِمٍ بِشَهَادَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (٣)، ويقال: إن ثلث عذاب القبر من النميمة.

وعن ابن عمر عن النبي ﷺ: «إِنَّ الله لَمَّا خَلَقَ الجَنَّةَ قَالَ لَهَا تَكَلَّمِي.

فَقَالَتْ: سَعِدَ مَنْ دَخَلَنِي، فَقَالَ الجَبَّارُ جَلَّ جَلالُهُ: وَعِزَّتِي وَجَلالِي لا يَسْكُنُ فِيكِ ثَمَانِيَةُ نَفَرٍ مِنَ النَّاسِ، لا يَسْكُنُكِ مُدْمِنُ خَمْرٍ، وَلا مُصِرٌّ عَلَى الزِّنَى، وَلا قَتَّاتٌ وَهُوَ النَّمَّامُ، وَلا دَيُّوثٌ، وَلا شُرْطِيٌّ، وَلا مُخَنَّثٌ، وَلا قَاطِعُ رَحِمٍ، وَلا الَّذِي يَقُولُ عَلَيَّ عَهْدُ الله إِنْ لَمْ أَفْعَلْ كَذَا وَكَذَا ثُمَّ لَمْ يَفِ بِهِ» (٤).

وروى كعب الأحبار أن بني إسرائيل أصابهم قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما سقوا فأوحى الله تعالى إليه: إني لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد أصر على النميمة.

فقال موسى: يا رب من هو؟ دلني عليه حتى أخرجه من بيننا.

قال: يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نمامًا، فتابوا جميعًا فسقوا. ويقال: اتبع رجل حكيمًا سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال: إني جئتك للذي أتاك الله تعالى من العلم أخبرني عن السماء وما أثقل منها؟ وعن الأرض وما أوسع منها؟ وعن الصخر وما أقسى منه؟ وعن النار وما أحرّ منها؟ وعن الزمهرير وما أبرد منه؟ وعن البحر وما أغنى منه؟ وعن اليتيم وما أذل منه؟ فقال له الحكيم: البهتان على البريء أثقل من السموات، والحق أوسع من الأرض، والقلب القانع أغنى من البحر، والحرص والحسد أحرّ من النار، والحاجة إلى القريب إذا لم تنجح أبرد من الزمهرير، وقلب الكافر أقسى من الحجر، والنمام إذا بان أمره أذل من اليتيم.

---

(١) ضعيف: حديث أبي ذر «من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة». أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني في مكارم الأخلاق وفيه عبد الله بن ميمون فإن يكن القداح فهو متروك الحديث [ضعيف الجامع: ٥٤١٧].

(٢) حديث أبي الدرداء «أيما رجل أشاع على رجل كلمة هو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يذيبه بها يوم القيامة في النار». أخرجه ابن أبي الدنيا موقوفا على أبي الدرداء. ورواه الطبراني بلفظ آخر مرفوعا من حديثه وقد تقدم.

(٣) ضعيف: حديث أبي هريرة «من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار». أخرجه أحمد وابن أبي الدنيا وفي رواية أحمد رجل لم يسم أسقطه ابن أبي الدنيا في الإسناد [ضعيف الترغيب: ١٣٨٣].

(٤) حديث ابن عمر «إن الله لما خلق الجنة قال لها تكلمي قالت: سعد من دخلني». لم أجده هكذا بتمامه ولأحمد «لا يدخل الجنة عاق لوالديه ولا ديوث» وللنسائي من حديث عبد الله بن عمرو «لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر» [النسائي: ٥٦٧٢] وللشيخين من حديث حذيفة «لا يدخل الجنة قتات» [البخاري: ٦٠٥٦، ومسلم: ١٠٥] ولهما من حديث جبير بن مطعم «لا يدخل الجنة قاطع» [البخاري: ٥٩٨٤، مسلم: ٢٥٥٦] وذكر صاحب الفردوس من حديث ابن عباس «لما خلق الله الجنة قال لها: تكلمي تزيني فتزينت، فقالت: طوبى لمن دخلني ورضي عنه إلهي، فقال الله عز وجل: لا سكنك مخنث ولا نائحة».

بيان حد النميمة وما يجب في ردها

اعلم أن اسم النميمة إنما يطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى المقول فيه، كما تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا، وليست النميمة مختصة به.

بل حدها كشف ما يكره كشفه، سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه، أو كرهه ثالث، وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالإيماء، وسواء كان المنقول عن الأعمال أو من الأقوال، وسواء كان ذلك عيبًا ونقصًا في المنقول عنه أو لم يكن، بل حقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه، بل كان ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره فينبغي أن يسكت عنه إلا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية، كما إذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود له، فأما إذا رآه يخفي مالًا لنفسه فذكره فهو نميمة وإفشاء للسر، فإن كان ما ينم به نقصًا وعيبًا في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة. فالباعث على النميمة إما إرادة السوء للمحكي عنه أو إظهار الحب للمحكي له، أو التفرّج بالحديث والخوض في الفضول والباطل.

وكل من حملت إليه النميمة وقيل له إن فلانًا قال فيك كذا وكذا، أو فعل في حقك كذا، أو هو يدبر في إفساد أمرك، أو في ممالأة عدوّك أو تقبيح حالك أو ما يجري مجراه فعليه ستة أمور.

الأول: أن لا يصدقه لأن النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ [الحجرات:٦].

والثاني: أن ينهاه عن ذلك وينصح له ويقبح عليه فعله. قال الله تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [لقمان:١٧].

الثالث: أن يبغضه في الله تعالى فإنه بغيض عند الله تعالى ويجب بغض من يبغضه الله تعالى.

الرابع: أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى: ﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾ [الحجرات:١٢].

الخامس: أن لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث لتتحقق، اتباعًا لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات:١٢].

السادس: أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه. ولا تحكي نميمته فتقول: فلان قد حكي لي كذا وكذا، فتكون به نمامًا ومغتابًا وقد تكون قد أتيت ما عنه نهيت.

وقد روي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئًا فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك فإن كنت كاذبًا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات:٦] وإن كنت صادقًا فأنت من أهل هذه الآية ﴿هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ﴾ [القلم:١١]، وإن شئت عفونا عنك؟ فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبدًا.

وذكر أن حكيمًا من الحكماء زاره بعض إخوانه فأخبره بخبر عن بعض أصدقائه فقال له الحكيم: قد أبطأت في الزيارة وأتيت بثلاث جنايات، بغضت أخي إليَّ، وشغلت قلبي الفارغ، واتهمت نفسك الأمينة.

وروي أن سليمان بن عبد الملك كان جالسًا وعنده الزهري فجاءه رجل فقال له سليمان: بلغني أنك وقعت فيَّ وقلت كذا وكذا، فقال الرجل: ما فعلت ولا قلت؟ فقال سليمان: إن الذي أخبرني صادق، فقال له الزهري: لا يكون النمام صادقًا، فقال سليمان: صدقت، ثم قال للرجل: اذهب بسلام.

وقال الحسن من نمَّ إليك نمَّ عليك. وهذا إشارة إلى أن النمام ينبغي أن يبغض ولا يوثق بقوله ولا بصداقته. وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والإفساد بين الناس والخديعة وهو ممن يسعون في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الشورى: ٤٢] والنمام منهم. وقال ﷺ: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنِ اتَّقَاهُ النَّاسُ لِشَرِّهِ» (١)، والنمام منهم. وقال: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ» قيل وما القاطع؟ قال: «قَاطِعٌ بَيْنَ النَّاسِ» (٢)، وهو النمام. وقيل: قاطع الرحم.

وروي عن علي رضي الله عنه أن رجلًا سعى إليه برجل فقال له: يا هذا نحن نسأل عما قلت فإن كنت صادقًا مقتناك. وإن كنت كاذبًا عاقبناك، وإن شئت أن نقيلك أقلناك، فقال: أقلني يا أمير المؤمنين. وقيل لمحمد بن كعب القرظي أي خصال المؤمن أوضع له؟ فقال: كثرة الكلام وإفشاء السر وقبول قول كل أحد. وقال رجل لعبد الله بن عامر، وكان أميرًا، بلغني أن فلانًا أعلم الأمير أني ذكرته بسوء، قال: قد كان ذلك، قال: فأخبرني بما قال لك حتى أظهر كذبه عندك؟ قال: ما أحب أن أشتم نفسي بلساني وحسبي إني لم أصدقه فيما قال ولا أقطع عنك الوصال.

وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال: ما ظنكم بقوم يحمد الصدق من كل طائفة من الناس إلا منهم؟ وقال مصعب بن الزبير: نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة، وليس من دل على شيء فأخبر به كمن قبله وأجازه، فاتقوا الساعي فلو كان صادقًا في قوله لكان لئيمًا في صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة. والسعاية هي النميمة إلا إنها إذا كانت إلى من يخاف جانبه سميت سعاية، وقد قال ﷺ: «السَّاعِي بِالنَّاسِ إِلَى

---

(١) صحيح: حديث «إن من شر الناس من اتقاه الناس لشره». متفق عليه من حديث عائشة نحوه [البخاري: ٦٠٣٢، مسلم: ٢٥٩١].

(٢) صحيح: حديث «لا يدخل الجنة قاطع». متفق عليه من حديث جبير بن مطعم [البخاري: ٥٩٨٤، مسلم: ٢٥٥٦].

النَّاسِ لِغَيْرِ رُشْدَةٍ» (١). يعني ليس بولد حلال. ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه في الكلام وقال: إني مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله وإن كرهته فإن وراءه ما تحب إن قبلته، فقال: قل، فقال: يا أمير المؤمنين إنه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا تصخ إليهم فيما استحفظك الله إياه فإنهم لن يألوا في الأمة خسفًا وفي الأمانة تضييعًا والأعراض قطعًا وانتهاكًا، أعلى قربهم البغي والنميمة، وأجلّ وسائلهم الغيبة والوقيعة وأنت مسؤول عما أجرموا وليسوا المسؤولين عما أجرمت، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غبنًا من باع آخرته بدنيا غيره.

وسعى رجل بزياد الأعجم إلى سليمان بن عبد الملك، فجمع بينهما للموافقة فأقبل زياد على الرجل وقال:

فأنت امرؤ إما ائتمنتك خاليًا ... فخنت وإما قلت قولًا بلا علمِ
فأنت من الأمر الذي كان بيننا ... بمنزلة بين الخيانة والإثمِ

وقال رجل لعمرو بن عبيد: إن الأسواري ما يزال يذكرك في قصصه بشرّ، فقال له عمرو: يا هذا ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه، ولا أدّيت حقي حين أعلمتني عن أخي ما أكره، ولكن أعلمه أن الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين.

ورفع بعض السعاة إلى الصاحب بن عباد رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على أخذه لكثرته، فوقع على ظهرها: السعاية قبيحة وإن كانت صحيحة، فإن كنت أجريتها مجرى النصح فخسرانك فيها أفضل من الربح، ومعاذ الله أن نقبل مهتوكًا في مستور، ولولا أنك في خفارة شيبتك لقابلناك بما يقتضيه فعلك في مثلك، فتوقّ يا ملعون العيب فإن الله أعلم بالغيب، الميت رحمه الله، واليتيم جبره الله، والمال ثمره الله والساعي لعنه الله.

وقال لقمان لابنه: يا بني أوصيك بخلال إن تمسكت بهن لم تزل سيدًا.

أبسط خلقك للقريب والبعيد. وأمسك جهلك عن الكريم واللئيم، واحفظ إخوانك وصل أقاربك وآمنهم من قبول قول ساع أو سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك، وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك. وقال بعضهم: النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي أثافي الذل. وقال بعضهم: لو صح ما نقله النمام إليك لكان هو المجترىء بالشتم

---

(١) ضعيف: حديث «الساعي بالناس إلى الناس لغير رشدة». أخرجه الحاكم من حديث أبي موسى «من سعى بالناس فهو لغير رشدة» أو فيه شيء منها وقال: له أسانيد هذا أمثلها، قلت فيه سهل بن عطية قال فيه ابن طاهر في التذكرة منكر الرواية قال والحديث لا أصل له وقد ذكر ابن حبان في الثقات سهل بن عطية ورواه الطبراني بلفظ «لا يسعى على الناس إلا ولد بغي وإلا من فيه عرق منه» وزاد بين سهل وبين بلال بن أبي بردة: أبا الوليد القرشي [ضعيف الجامع: ٥٦٣٠].

عليك، والمنقول عنه أولى بحلمك لأنه لم يقابلك بشتمك.

وعلى الجملة؛ فشرّ النمام عظيم ينبغي أن يتوقى. قال حماد بن سلمة: باع رجل عبدًا وقال للمشتري؛ ما فيه عيب إلا النميمة، قال: رضيت، فاشتراه، فمكث الغلام أيامًا ثم قال لزوجة مولاه: إن سيدي لا يحبك وهو يريد إن يتسرى عليك، فخذي الموسى واحلقي من شعر قفاه عند نومه شعرات حتى أسحره عليها فيحبك، ثم قال للزوج: إن امرأتك اتخذت خليلًا وتريد أن تقتلك، فتناوم لها حتى تعرف ذلك، فتناوم لها فجاءت المرأة بالموسى فظن أنها تريد قتله فقام إليها فقتلها، فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج، ووقع القتال بين القبيلتين. فنسأل الله حسن التوفيق.

الآفة السابعة عشرة: كلام ذي اللسانين:

كلام ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه، وقلما يخلو عنه من يشاهد متعاديين وذلك عين النفاق.

قال عمار بن ياسر: قال رسول الله : «مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ يَوْمَ القِيَامَةِ»(١) ، وقال أبو هريرة: قال رسول الله : «تَجِدُونَ مِنْ شَرِّ عِبَادِ الله يَوْمَ القِيَامَةِ ذَا الوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤلاءِ بِحَدِيثٍ وَهَؤلاءِ بِحَدِيثٍ»(٢) ، وفي لفظ آخر: «الَّذِي يَأْتِي هَؤلاءِ، بِوَجْهٍ وَهَؤلاءِ بِوَجْهٍ» وقال أبو هريرة: لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أمينًا عند الله. وقال مالك بن دينار: قرأت في التوراة بطلت الأمانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين. وقالﷺ : «أَبْغَضُ خَلِيقَةِ الله إِلَى الله يَوْمَ القِيَامَةِ الكَذَّابُونَ وَالمُسْتَكْبِرُونَ وَالَّذِينَ يُكْثِرُونَ البَغْضَاءَ لإِخْوَانِهِمْ فِي صُدُورِهِمْ فَإِذَا لَقُوهُمْ تَمَلَّقُوا لَهُمْ وَالَّذِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى الله وَرَسُولِهِ كَانُوا بِطَاءً وَإِذَا دُعُوا إِلَى الشَّيْطَانِ وَأَمْرِهِ كَانُوا سِرَاعًا»(٣) ، وقال ابن مسعود: لا يكونن أحدكم إمعة. قالوا: وما الإمعة؟ قال الذي يجري مع كل ريح. واتفقوا على أنّ ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق، وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها.

وقد روي أن رجلًا من أصحاب رسول الله مات فلم يصل عليه حذيفة فقال له عمر: يموت رجل من أصحاب رسول الله ولم تصلّ عليه؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنه منهم، فقال: نشدتك الله أنا منهم أم لا؟ قال: اللهم لا ولا أؤمن منها أحدًا بعدك.

فإن قلت: بماذا يصير الرجل ذا لسانين وما حدّ ذلك؟ فأقول: إذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما وكان صادقًا فيه لم يكن منافقًا ولا ذا لسانين، فإن الواحد قد يصادق

(١) حديث عمار بن ياسر «من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة». أخرجه البخاري في كتاب الأدب المفرد وأبو داود بسند حسن [أبو داود: ٤٨٧٢، وحسنه الألباني].

(٢) صحيح: حديث أبي هريرة «تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين .. الحديث». متفق عليه بلفظ «تجد من شر الناس» لفظ البخاري وهو عند ابن أبي الدنيا بلفظ المصنف [البخاري: ٦٠٥٨، مسلم: ٢٥٢٦].

(٣) ضعيف: حديث « أبغض خليقة الله إلى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لإخوانهم في صدورهم، فإذا لقوهم تملقوا لهم .. الحديث». لم أقف له على أصل [السلسلة الضعيفة].

متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي إلى حد الأخوة، إذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الأعداء ـ كما ذكرنا في كتاب آداب الصحبة والأخوة ـ نعم لو نقل كلام كل واحد منهما إلى الآخر فهو ذو لسانين وهو شر من النميمة، إذ يصير نمامًا بأن ينقل من أحد الجانبين فقط فإذا نقل من الجانبين فهو شر من النمام، وإن لم ينقل كلامًا ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين، وكذلك إذا وعد كل واحد منهما بأن ينصره، وكذلك إذا أثنى على كل واحد منهما في معاداته وكذلك إذا أثنى على أحدهما وكان إذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين.

بل ينبغي أن يسكت أو يثني على المحق من المتعاديين. ويثني عليه في غيبته وفي حضوره وبين يدي عدوّه.

قيل لابن عمر رضي الله عنهما: إنا ندخل على أمرائنا فنقول القول فإذا خرجنا قلنا غيره فقال: كنا نعدّ هذا نفاقًا على عهد رسول الله ﷺ [(١)]، وهذا نفاق مهما كان مستغنيًا عن الدخول على الأمير وعن الثناء عليه، فلو استغنى عن الدخول ولكن إذا دخل يخاف إن لم يثن فهو نفاق، لأنه الذي أحوج نفسه إلى ذلك، فإن كان مستغنيًا عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى وأثنى فهو منافق.

وهذا معنى قوله ﷺ: «حُبُّ المَالِ وَالجَاهِ يُنْبِتَانِ النِّفَاقَ فِي القَلْبِ كَمَا يُنْبِتُ المَاءُ البَقْلَ» [(٢)]، لأنه يحوج إلى الأمراء وإلى مراعاتهم ومراءاتهم. فأما إذا ابتلي به لضرورة وخاف إن لم يثن فهو معذور، فإن اتقاء الشر جائز. قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم، وقالت عائشة رضي الله عنها: استأذن رجل على رسول الله فقال: «ائْذَنُوا لَهُ فَبِئْسَ رَجُلُ العَشِيرَةِ هُوَ» ثم لما دخل ألان له القول، فلما خرج قلت: يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم ألنت له القول، فقال: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ الَّذِي يُكْرَمُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ» [(٣)]، ولكن هذا ورد في الإقبال وفي الكشر والتبسم. فأما الثناء فهو كذب صراح ولا يجوز إلا لضرورة أو إكراه يباح الكذب بمثله ـ كما ذكرناه في آفة الكذب ـ بل لا يجوز الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس في معرض التقرير على كل كلام باطل، فإن فعل ذلك فهو منافق، بل ينبغي أن ينكر، فإن لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه.

---

(١) صحيح: حديث. قيل لابن عمر إنا ندخل على أمرائنا. فنقول القول فإذا خرجنا قلنا غيره قال: كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله ﷺ. أخرجه الطبراني من طرق [ابن ماجه: ٣٩٧٥، وصححه الألباني في سنن ابن ماجه].

(٢) ضعيف جدًا: حديث «حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل». أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف إلا أنه قال «حب الغناء» وقال «العشب» مكان «البقل» [السلسلة الضعيفة: ٥/ ٤٩٥].

(٣) حديث عائشة: استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال «ائذنوا له فبئس رجل العشيرة .. الحديث». وفيه «إن شر الناس الذي يكرم اتقاء لشره» متفق عليه وقد تقدم في الآفة التي قبلها.

الآفة الثامنة عشرة: المدح

وهو منهي عنه في بعض المواضع. أما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها. والمدح يدخله ست آفات: أربع في المادح، واثنتان في الممدوح.

فأما المادح، فالأولى: أنه قد يفرط فينتهي به إلى الكذب. قال خالد بن معدان: من مدح إمامًا أو أحدًا بما ليس فيه على رؤوس الأشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه.

والثانية: أنه قد يدخله الرياء فإنه بالمدح مظهر للحب، وقد لا يكون مضمرًا له ولا معتقدًا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيًا منافقًا.

الثالثة: أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه، وروي أن رجلًا مدح رجلًا عند النبي ﷺ فقال له عليه السلام: «وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ لَوْ سَمِعَهَا مَا أَفْلَحَ»، ثم قال: «إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ لا بُدَّ مَادِحًا أَخَاهُ فَلْيَقُلْ أَحْسَبُ فُلانًا وَلا أُزَكِّي عَلَى الله أَحَدًا حَسِيبُهُ الله إِنْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ كَذلِكَ»[1]، وهذه الآفة تتطرق إلى المدح بالأوصاف المطلقة التي تعرف بالأدلة كقوله إنه متق وورع وزاهد وخير وما يجري مجراه، فأما إذا قال رأيته يصلي بالليل ويتصدّق ويحج فهذه أمور مستيقنة.

ومن ذلك قوله إنه عدل رضا فإنّ ذلك خفي فلا ينبغي أن يجزم القول فيه إلا بعد خبرة باطنة. سمع عمر رضي الله عنه رجلًا يثني على رجل فقال: أسافرت معه؟ قال: لا، قال: أخالطته في المبايعة والمعاملة؟ قال: لا. قال: فأنت جاره صباحه ومساءه؟ قال: لا. فقال: والله الذي لا إله إلا هو لا أراك تعرفه.

الرابعة: أنه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز. قال رسول الله: «إِنَّ الله تَعَالَى يَغْضَبُ إِذَا مُدِحَ الفَاسِقُ»[2]، وقال الحسن: من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصي الله تعالى في أرضه، والظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح.

وأما الممدوح فيضره من وجهين:

أحدهما: أنه يحدث فيه كبرًا وإعجابًا وهما مهلكان. قال الحسن رضي الله عنه: كان عمر رضي الله عنه جالسًا ومعه الدرّة والناس حوله إذ أقبل الجارود بن المنذر، فقال رجل: هذا سيد ربيعة، فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود، فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال: ما لي ولك يا أمير المؤمنين؟ قال: ما لي ولك أما لقد سمعتها؟ قال: سمعتها فمه، قال: خشيت أن يخالط

---

(١) صحيح: حديث: إن رجلا مدح رجلا عند رسول الله ﷺ فقال «ويحك قطعت عنق صاحبك». متفق عليه من حديث أبي بكرة بنحوه وهو في الصمت لابن أبي الدنيا بلفظ المصنف [البخاري: ٦٠٦١، مسلم: ٣٠٠٠].

(٢) ضعيف: حديث «إن الله يغضب إذا مدح الفاسق». أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب من حديث أنس وفيه أبو خلف خادم أنس ضعيف [ضعيف الجامع: ١٧٤٦]، ورواه أبو يعلى الموصلي وابن عدي بلفظ «إذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز العرش» قال الذهبي في الميزان: منكر [قال الألباني: منكر، السلسلة الضعيفة: ٥٩٥]، وقد تقدم في آداب الكسب.

قلبك منها شيء فأحببت أن أطأطىء منك.

الثاني: هو أنه إذا أثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفسه ومن أعجب بنفسه قل تشمره وأما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرًا، فأما إذا انطلقت الألسن بالثناء عليه ظن أنه قد أدرك ولهذا قال عليه السلام: «قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ لَوْ سَمِعَهَا مَا أَفْلَحَ» وقال ﷺ: «إِذَا مَدَحْتَ أَخَاكَ فِي وَجْهِهِ فَكَأَنَّمَا أَمْرَرْتَ عَلَى حَلْقِهِ مُوسَى وَمِيضًا» (١)، وقال أيضًا لمن مدح رجلًا «عقرت الرجل عقرك الله» (٢)، وقال مطرف: ما سمعت قط ثناء ولا مدحة إلا تصاغرت إلى نفسي.

وقال زياد بن أبي مسلم: ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة إلا تراءى له الشيطان، ولكن المؤمن يراجع، فقال ابن المبارك: لقدصدق كلاهما أما ما ذكره زياد فذلك قلب العوام، وأما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص. وقال ﷺ: «لَوْ مَشَى رَجُلٌ إِلَى رَجُلٍ بِسِكِّينٍ مُرْهَفٍ كَانَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يُثْنِي عَلَيْهِ فِي وَجْهِهِ» (٣)، وقال عمر رضي الله عنه: المدح هو الذبح. وذلك لأن المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور، أو لأن المدح يورث العجب والكبر وهما مهلكان كالذبح؛ لذلك شبهه به.

فإن سلم المدح من هذه الآفات في حق المادح والممدوح لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبًا إليه. ولذلك أثنى رسول الله على الصحابة فقال: «لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ بِإِيمَانِ الْعَالَمِ لَرَجَحَ» (٤)، وقال في عمر: «لَوْ لَمْ أُبْعَثْ لَبُعِثْتَ يَا عُمَرُ» (٥)، وأي ثناء يزيد على هذا؟ ولكنه ﷺ قال عن صدق وبصيرة.

وكانوا رضي الله عنهم أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبرًا وعجبًا وفتورًا. بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر إذ قال ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وِلْدِ آدَمَ وَلا فَخْرَ» (٦)، أي لست أقول هذا تفاخرًا كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم. وذلك لأن افتخاره ﷺ كان بالله وبالقرب من الله لا بولد آدم وتقدمه عليهم؛ كما أن المقبول عند الملك قبولًا عظيمًا إنما يفتخر

(١) ضعيف: حديث «إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمررت على حلقه موسى رميضا». أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية يحيى بن جابر مرسلا [السلسلة الضعيفة: ٢٥٤٣].

(٢) حسن: حديث «عقرت الرجل عقرك الله» قاله لمن مدح رجلا، لم أجد له أصلا [حسنه الألباني في الأدب المفرد].

(٣) حديث «لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من أن يثني عليه في وجهه». لم أجده أيضا.

(٤) حديث «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح». تقدم في العلم.

(٥) حديث «لو لم أبعث لبعثت يا عمر». أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وهو منكر والمعروف من حديث عقبة بن عامر «لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب» رواه الترمذي وحسنه [حديث عقبة حسنه الألباني وهو عند الترمذي: ٣٦٨٦].

(٦) صحيح: حديث «أنا سيد ولد آدم ولا فخر». أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري [الترمذي: ٣١٤٨، وصححه الألباني في جامع الترمذي] والحاكم من حديث جابر وقال صحيح الإسناد وله من حديث عبادة بن الصامت «أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر» ولمسلم من حديث أبي هريرة «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة» [مسلم: ٢٢٧٨].

بقبوله إياه وبه يفرح لا بتقدّمه على بعض رعاياه. وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه قال ﷺ «وجبت» [(١)]، لما أثنوا على بعض الموتى. وقال مجاهد: إن لبني آدم جلساء من الملائكة فإذا ذكر الرجل المسلم أخاه المسلم بخير قالت الملائكة: ولك بمثله، وإذا ذكره بسوء قالت الملائكة: يا ابن آدم المستور عورتك أربع على نفسك وأحمد الله الذي ستر عورتك. فهذه آفات المدح.

بيان ما على الممدوح:

اعلم أن على الممدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور، ولا ينجو منه إلا بأن يعرف نفسه ويتأمل ما في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الأعمال، فإنه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع أسراره وما يجري على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه أن يظهر كراهة المدح بإذلال المادح.

قال ﷺ «احْثُوا التُّرَابَ فِي وُجُوهِ المَادِحِينَ» [(٢)]، وقال سفيان بن عيينة: لا يضر المدح من عرف نفسه. وأثنى على رجل من الصالحين فقال: اللهم إنّ هؤلاء لا يعرفوني وأنت تعرفني. وقال آخر لما أثني عليه: اللهم إنّ عبدك هذا تقرّب إليّ بمقتك وأنا أشهدك على مقته. وقال علي رضي الله عنه لما أثني عليه: اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرًا مما يظنون. وأثنى رجل على عمر رضي الله عنه فقال: أتهلكني وتهلك نفسك؟ وأثنى رجل على علي كرم الله وجهه في وجهه، وكان قد بلغه أنه يقع فيه, فقال: أنا دون ما قلت وفوق ما في نفسك.

الآفة التاسعة عشرة: في الغفلة عن دقائق الخطا

الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته، ويرتبط بأمور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ في أمور الدين إلا العلماء الفصحاء، فمن قصر في علم أو فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل، لكن الله تعالى يعفو عنه لجهله. مثاله: ما قال حذيفة: قال النبي ﷺ «لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ مَا شَاءَ الله وَشِئْتُ وَلكِنْ لِيَقُلْ مَا شَاءَ الله ثُمَّ شِئْتُ» [(٣)]، وذلك لأنّ في العطف المطلق تشريكًا وتسوية وهو على خلاف الاحترام. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يكلمه في بعض الأمر فقال ما شاء الله وشئت، فقال ﷺ «أَجَعَلْتَنِي لله عَدِيلًا بَلْ مَا شَاءَ الله وَحْدَهُ» [(٤)]. وخطب رجل عند رسول الله فقال: من يطع الله

---

(١) صحيح: حديث «وجبت» قاله لما أثنوا على بعض الموتى. متفق عليه من حديث أنس [البخاري: ١٣٦٧، مسلم: ٩٤٩].

(٢) صحيح: حديث «احثوا في وجوه المداحين التراب». أخرجه مسلم من حديث المقداد [مسلم: ٣٠٠٢].

(٣) حديث حذيفة «لا يقل أحدكم ما شاء الله وشئت .. الحديث». أخرجه أبو داود والنسائي في الكبرى بسند صحيح [أبو داود: ٤٩٨].

(٤) صحيح: حديث ابن عباس: جاء رجل إلى النبي ﷺ فكلمه في بعض الأمر فقال: ما شاء الله وشئت فقال

ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال: «قُلْ: وَمَنْ يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ غَوَى» (١) فكره رسول الله قوله: ومن يعصهما، لأنه تسوية وجمع.

وكان إبراهيم يكره أن يقول الرجل: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: أعوذ بالله ثم بك. وأن يقول: لولا الله ثم فلان؟ ولا يقول: لولا الله وفلان؟ وكره بعضهم أن يقال: اللهم اعتقنا من النار، وكان يقول: العتق يكون بعد الورود.

وكانوا يستجيرون من النار ويتعوّذون من النار، وقال رجل: اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد ﷺ فقال حذيفة: إن الله يغني المؤمنين عن شفاعة محمد وتكون شفاعته للمذنبين من المسلمين.

وقال إبراهيم: إذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة، حمارًا رأيتني خلقته خنزيرًا رأيتني خلقته؛ وعن ابن عباس رضي الله عنهما:

إنّ أحدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه، فيقول: لولاه لسرقنا الليلة.

وقال عمر رضي الله عنه: قال رسول الله: «إِنَّ الله تَعَالَى يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِالله أَوْ لِيَصْمُتْ» (٢)، قال عمر رضي الله عنه: فوالله ما حلفت بها منذ سمعتها: وقال ﷺ: «لا تُسَمُّوا العِنَبَ كَرْمًا إِنَّما الكَرْمُ الرَّجُلُ المُسْلِمُ» (٣)، وقال أبو هريرة: قال رسول الله: «لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَلا أَمَتِي كُلُّكُمْ عَبِيدُ الله وَكُلُّ نِسائِكُمْ إِمَاءُ الله وَلْيَقُلْ غُلامِي وَجَارِيَتِي وَفَتَايَ وَفَتَاتِي، وَلا يَقُولُ المَمْلُوكُ رَبِّي وَلا رَبَّتِي وَلْيَقُلْ سَيِّدِي وَسَيِّدَتِي فَكُلُّكُمْ عَبِيدُ الله وَالرَّبُّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»، وقال: «لا تَقُولُوا لِلْفَاسِقِ سَيِّدَنَا فَإِنَّهُ إِنْ يَكُنْ سَيِّدُكُمْ فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ» (٤)، وقال: «مَنْ قَالَ أَنَا بَرِيءٌ مِنَ الإِسْلامِ فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَهُوَ كَمَا قَالَ وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَلَنْ يَرْجِعَ إِلَى الإِسْلامِ سَالِمًا» (٥)، فهذا وأمثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره.

ومن تأمل جميع ما أوردنا من آفات اللسان علم أنه إذا أطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف

«أجعلتني لله عدلا قل ما شاء الله وحده». أخرجه النسائي في الكبرى بإسناد حسن وابن ماجه [السلسلة الصحيحة: ١/٢٦٦].

(١) صحيح: حديث: خطب رجل عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى .. الحديث». أخرجه مسلم من حديث عدي بن حاتم [مسلم: ١٤٣٨].

(٢) صحيح: حديث عمر: إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم .. الحديث». متفق عليه [البخاري: ٥٦٤٣، مسلم: ٣١٠٤].

(٣) صحيح: حديث «لا تسموا العنب الكرم إنما الكرم الرجل المسلم». متفق عليه من حديث أبي هريرة [البخاري: ٥٧١٤، مسلم: ٤١٧٢].

(٤) صحيح: حديث «لا تقولوا للفاسق سيدنا .. الحديث». أخرجه أبو داود من حديث بريدة بسند صحيح [أبو داود: ٤٣٢٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٧٤٠٥].

(٥) صحيح: حديث «من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان صادقا فهو كما قال .. الحديث». أخرجه النسائي وابن ماجه من حديث بريدة بإسناد صحيح [ابن ماجه: ٢٠٩١، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٦٤٢١].

سر قوله ﷺ: «مَنْ صَمَتَ نَجَا» [(١)]، لأن هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب وهي على طريق المتكلم، فإن سكت سلم من الكل، وإن نطق وتكلم خاطر بنفسه إلا أن يوافقه لسان فصيح، وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة، ويقلل من الكلام فعساه يسلم عند ذلك، وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر، فإن كنت لا تقدر على أن تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة إحدى الغنيمتين.

الآفة العشرون: سؤال العوام عن صفات الله تعالى

سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه، وعن الحروف وأنها قديمة أو محدثة؟ ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن إلا أنّ ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب. والعامي يفرح بالخوض في العلم، إذ الشيطان يخيل إليه أنه من العلماء وأهل الفضل، ولا يزال يحبب إليه ذلك حتى يتكلم في العلم بما هو كفر وهو لا يدري.

وكل كبيرة يرتكبها العامي فهي أسلم له من أن يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته.

وإنما شأن العوام الاشتغال بالعبادات والإيمان بما ورد به القرآن، والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث، وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء أدب منهم يستحقون به المقت من الله عز وجل ويتعرّضون لخطر الكفر، وهو كسؤال ساسة الدواب عن أسرار الملوك وهو موجب للعقوبة.

وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم، فإنه بالإضافة إليه عامي. ولذلك قال ﷺ: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» [(٢)]، وقال أنس: سأل الناس رسول الله يومًا فأكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر وقال: «سَلُونِي لا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلاَّ أَنْبَأْتُكُمْ بِهِ» فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله من أبي؟ فقال: «أَبُوكَ حُذَافَةُ» فقام إليه شابان أخوان فقالا: يا رسول الله من أبونا؟ فقال: أبوكما الذي تدعيان إليه، ثم قام إليه رجل آخر فقال: يا رسول الله أفي الجنة أنا أم في النار؟ فقال: «لا بل في النار» فلما رأى الناس غضب رسول الله أمسكوا فقام إليه عمر رضي الله عنه فقال: رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا، فقال: «اجْلِسْ يَا عُمَرُ رَحِمَكَ الله إِنَّكَ مَا عَلِمْتُ لَمُوَفَّقٌ» [(٣)].

---

(١) حديث «من صمت نجا». أخرجه الترمذي وقد تقدم في أول آفات اللسان.

(٢) صحيح: حديث «ذروني ما تركتم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم .. الحديث». متفق عليه من حديث أبي هريرة [البخاري: ٦٧٤٤، مسلم: ٤٣٤٨].

(٣) صحيح: حديث: سأل الناس رسول الله ﷺ يوما حتى أكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر فقال «سلوني لا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به .. الحديث». متفق عليه مقتصرا على سؤال عبد الله بن حذافة وقول عمر [البخاري: ٩١، مسلم: ٤٣٥٤] . ولمسلم من حديث أبي موسى: فقام آخر فقال من أبي؟ فقال أبوك سالم مولى شيبة [مسلم: ٤٣٥٥].

وفي الحديث: نهى رسول الله عن القيل والقال وإضاعة المال وكثرة السؤال[١]، وقال: «يُوشِكُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ بَيْنَهُمْ حَتَّى يَقُولُوا قَدْ خَلَقَ الله الخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ الله؟ فَإِذَا قَالُوا ذلِكَ فَقُولُوا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢] حَتَّى تَخْتِمُوا السُّورَةَ ثُمَّ لِيَتْفُلْ أَحَدُكُمْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاثًا وَلْيَسْتَعِذْ بِالله مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ»[٢].

وقال جابر: ما نزلت أية المتلاعنين إلا لكثرة السؤال[٣]. وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على المنع من السؤال قبل أوان استحقاقه إذ قال: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠] فلما سأل عن السفينة أنكر عليه حتى اعتذر وقال: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف: ٧٣] فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثًا قال: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨] وفارقه.

فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهو من المثيرات للفتن، فيجب قمعهم ومنعهم من ذلك. وخوضهم في حروف القرآن يضاهي حال من كتب الملك إليه كتابًا ورسم له فيه أمورًا فلم يشتغل بشيء منها، وضيع زمانه في أن قرطاس الكتاب عتيق أم حديث؟ فاستحق بذلك العقوبة لا محالة. فكذلك تضييع العامي حدود القرآن واشتغاله بحروفه أهي قديمة أم حديثة؟ وكذلك سائر صفات الله سبحانه وتعالى. والله تعالى أعلم.

* * *

(١) صحيح: حديث: النهي عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال. متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة [البخاري: ١٣٨٣، مسلم: ٣٢٣٨].

(٢) حديث «يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا قد خلق الله الخلق .. الحديث». متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم.

(٣) حديث جابر: ما نزلت آية التلاعن إلا لكثرة السؤال. رواه البزار بإسناد جيد.

كتاب ذم الغضب والحقد والحسد

وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمنِ الرَّحيم

الحمد لله الذي لا يتكل على عفوه ورحمته إلا الراجون، ولا يحذر سوء غضبه وسطوته إلا الخائفون، الذي استدرج عباده من حيث لا يعلمون، وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون، وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون، ثم حفهم بالمكاره واللذات وأملى لهم لينظر كيف يعملون، وامتحن بهم حبهم ليعلم صدقهم فيما يدعون، وعرفهم أنه لا يخفى عليه شيء مما يسرون وما يعلنون، وحذرهم أن يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون فقال: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٤٩-٥٠] والصلاة والسلام على محمد رسوله الذي يسير تحت لوائه النبيون، وعلى آله وأصحابه الأئمة المهديين، والسادة المرضيين، صلاة يوازي عددها عدد ما كان من خلق الله وما سيكون، ويحظى ببركتها الأولون والآخرون، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد؛ فإن الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة، وإنها لمستكنة في طي الفؤاد.

استكنان الجمر تحت الرماد، ويستخرجها الكبر الدفين في قلب كل جبار عنيد، كاستخراج الحجر النار من الحديد، وقد انكشف للناظرين بنور اليقين، أن الإنسان ينزع منه عرق إلى الشيطان اللعين، فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] فإن شأن الطين السكون والوقار، وشأن النار التلظي والاستعار، والحركة والاضطراب.

ومن نتائج الغضب الحقد والحسد، وبهما هلك من هلك وفسد من فسد، ومفيضهما مضغة إذا صلحت صلح معها سائر الجسد، وإذا كان الحقد والحسد والغضب، مما يسوق العبد إلى مواطن العطب، فما أحوجه إلى معرفة معاطبه ومساوئه ليحذر ذلك ويتقيه، ويميطه عن القلب إن كان وينفيه، ويعالجه إن رسخ في قلبه ويداويه، فإن من لا يعرف الشر يقع فيه، ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه، ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه.

ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب، ويجمعها بيان ذم الغضب، ثم بيان حقيقة الغضب، ثم بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا؟ ثم بيان الأسباب المهيجة للغضب، ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه، ثم بيان فضيلة كظم الغيظ، ثم بيان فضيلة الحلم، ثم بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام، ثم القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق، ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه

ومعالجته وغاية الواجب في إزالته، ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبني العم والأقارب وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه، ثم بيان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب، ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب وبالله التوفيق.

بيان ذم الغضب: قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٦] الآية.

ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل، ومدح المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السكينة، وروى أبو هريرة أن رجلًا قال: يا رسول الله مرني بعمل وأقلل، قال: «لا تَغْضَبْ» ثم أعاد عليه فقال: «لا تَغْضَبْ» (١) وقال ابن عمر: قلت لرسول الله : قل لي قولًا وأقلله لعلّي أعقله، فقال: «لا تَغْضَبْ» فأعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع إليّ «لا تغضب» (٢)، وعن عبد الله بن عمرو: أنه سأل رسول الله ماذا ينقذني من غضب الله؟ قال: «لا تَغْضَبْ» (٣)، وقال ابن مسعود قال النبي ﷺ: «ما تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ؟» قلنا: الذي لا تصرعه الرجال، قال: «لَيْسَ ذلِكَ وَلكِنَّ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ» (٤)، وقال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ وَإِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ» (٥)، وقال ابن عمر: قال النبي ﷺ: «مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ الله عَوْرَتَهُ» (٦)، وقال سليمان بن داود عليهما السلام: يا بني إياك وكثرة الغضب فإن كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم.

وعن عكرمة في قوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩] قال: السيد الذي لا يغلبه الغضب وقال أبو الدرداء: قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة، قال: «لا تَغْضَبْ» (٧)، وقال يحيى لعيسى عليهما السلام: لا تغضب، قال: لا أستطيع أن لا أغضب إنما أنا بشر، قال: لا تقتن مالًا، قال: هذا عسى.

وقال ﷺ: «الغَضَبُ يُفْسِدُ الإِيمَانَ كَمَا يُفْسِدُ الصَّبِرُ العَسَلَ» (٨)، وقال ﷺ: «ما غَضِبَ

---

(١) صحيح: حديث أبي هريرة: إن رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال «لا تغضب» ثم أعاد عليه فقال «لا تغضب». رواه البخاري [البخاري: ٥٦٥١].

(٢) حديث ابن عمر: قلت لرسول الله ﷺ قل لي قولا .. الحديث». أخرج نحوه أبو يعلى بإسناد حسن.

(٣) حسن: حديث عبد الله بن عمرو: سأل رجل رسول الله ﷺ ما يبعدني من غضب الله؟ قال «لا تغضب». أخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق وابن عبد البر في التمهيد بإسناد حسن، وهو عند أحمد: وأن عبد الله بن عمرو هو السائل [أحمد: ٦٣٤٦، صحيح الترغيب: ٢٧٤٧].

(٤) صحيح: حديث ابن مسعود «ما تعدون الصُرَعَةَ .. الحديث». رواه مسلم [مسلم: ٤٧٢٢].

(٥) حديث أبي هريرة «ليس الشديد بالصُرَعَة .. الحديث» متفق عليه [البخاري: ٥٦٤٩، مسلم: ٤٧٢٣].

(٦) (٥٠٤)- حديث ابن عمر «من كف غضبه ستر الله عورته». أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو وذم الغضب وفي الصمت، وتقدم في آفات اللسان.

(٧) صحيح: حديث أبي الدرداء: دلني على عمل يدخلني الجنة، قال «لا تغضب». أخرجه ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والأوسط بإسناد حسن [صحيح الجامع: ٧٣٧٤].

(٨) ضعيف: حديث «الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل». أخرجه الطبراني في الكبير والبيهقي في

أَحَدٌ إلاَّ أَشْفَى عَلَى جَهَنَّمَ» (١)، وقال له رجل: أي شيء أشدّ عليّ؟ قال: «غضب الله» قال: فما يبعدني عن غضب الله؟ قال: «لا تغضب» (٢).

الآثار: قال الحسن: يا ابن آدم كلما غضبت وثبت ويوشك أن تثب وثبة فتقع في النار. وعن ذي القرنين أنه لقي ملكًا من الملائكة فقال: علمني علمًا أزداد به إيمانًا ويقينًا، قال: لا تغضب فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب، فرد الغضب بالكظم، وسكنه بالتؤدة.

وإياك والعجلة فإنك إذا عجلت أخطأت حظك، وكن سهلًا لينًا للقريب والبعيد ولا تكن جبارًا عنيدًا.

وعن وهب بن منبه: أن راهبًا كان في صومعته فأراد الشيطان أن يضله فلم يستطع، فجاءه حتى ناداه فقال له: افتح، فلم يجبه فقال: افتح فإني إن ذهبت ندمت، فلم يلتفت إليه فقال: إني أنا المسيح، قال الراهب: وإن كنت المسيح فما أصنع بك أليس قد أمرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بغيره لم نقبله منك؟ فقال: إني الشيطان وقد أردت أن أضلّك فلم أستطع؟ فجئتك لتسألني عما شئت فأخبرك، فقال: ما أريد أن أسألك عن شيء، قال: فولى مدبرًا، فقال الراهب: ألا تسمع، قال: بلى، قال: أخبرني أي أخلاق بني آدم أعون لك عليهم؟ فقال: الحدّة إن الرجل إذا كان حديدًا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة.

وقال خيثمة: الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم وإذا رضي جئت حتى أكون في قلبه؟ وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه؟ وقال جعفر بن محمد: الغضب مفتاح كل شر.

وقال بعض الأنصار: رأس الحمق الحدّة وقائده الغضب، ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم، والحلم زين ومنفعة، والجهل شين ومضرة، والسكوت عن جواب الأحمق جوابه.

وقال مجاهد: قال إبليس ما أعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلاث: إذا سكر أحدهم أخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما أحببنا، وإذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم، ونبخله بما في يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه. وقيل لحكيم. ما أملك فلانًا لنفسه قال: إذًا لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب. وقال بعضهم: إياك والغضب فإنه يصيرك إلى ذلة الاعتذار. وقيل: اتقوا الغضب فإنه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل.

وقال عبد الله بن مسعود: انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه، وأمانته عند طمعه وما علمك بحلمه إذا لم يغضب، وما علمك بأمانته إذا لم يطمع؟ وكتب عمر بن عبد العزيز إلى

الشعب من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده بسند ضعيف [السلسلة الضعيفة: ١٩١٨].

(١) حديث «ما غضب أحد إلا أشفى على جهنم». أخرجه البزار وابن عدي من حديث ابن عباس «للنار باب لا يدخله إلا من شفى غيظه بمعصية الله». إسناده ضعيف وتقدم في آفات اللسان.

(٢) حديث: قال رجل أي شيء أشد علي؟ قال «غضب الله» قال: فما يبعدني من غضب الله؟ قال «لا تغضب». أخرجه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالشطر الأخير منه وقد تقدم قبله بست أحاديث.

عامله أن لا تعاقب عند غضبك وإذا غضبت على رجل فاحبسه، فإذا سكن غضبك فأخرجه فعاقبه على قدر ذنبه، ولا تجاوز به خمسة عشر سوطًا.

وقال علي بن زيد: أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فأطرق عمر زمانًا طويلًا ثم قال: أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غدًا؟ وقال بعضهم لابنه: يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا تثبت روح الحي في التنانير المسجورة، فأقل الناس غضبًا أعقلهم، فإن كان للدنيا كان دهاء ومكرًا، وإن كان للآخرة كان حلمًا وعلمًا، فقد قيل: الغضب عدوّ العقل والغضب غول العقل.

وكان عمر رضي الله عنه إذا خطب قال في خطبته: أفلح منكم من حفظ من الطمع والهوى والغضب.

وقال بعضهم: من أطاع شهوته وغضبه قاداه إلى النار. وقال الحسن: من علامات المسلم قوة في دين وحزم في لين وإيمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق وإعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في فاقة وإحسان في قدرة وتحمل في رفاقة وصبر في شدّة، لا يغلبه الغضب ولا تجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته، فينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر ولايسرف ولا يقتر، يغفر إذا ظلم ويعفو عن الجاهل. نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء.

وقيل لعبد الله بن المبارك: أجمل لنا حسن الخلق في كلمة. فقال: اترك الغضب. وقال نبي من الأنبياء لمن تبعه: من يتكفل لي أن لا يغضب فيكون معي في درجتي ويكون بعدي خليفتي؟ فقال شاب من القوم: أنا، ثم أعاد عليه فقال الشاب: أنا أوفي به، فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل، سمي به لأنه تكفل بالغضب ووفى به. وقال وهب بن منبه: للكفر أربعة أركان: الغضب، والشهوة، والخرق والطمع.

بيان حقيقة الغضب

اعلم أن الله تعالى لما خلق الحيوان معرّضًا للفساد والموتان، بأسباب في داخل بدنه وأسباب خارجة عنه؛ أنعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك إلى أجل معلوم سماه في كتابه.

أما السبب الداخلي: فهو أنه ركبه من الحرارة والرطوبة، وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة، فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير أجزاؤها بخارًا يتصاعد منها، فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من أجزائها لفسد الحيوان، فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء؛ كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظًا له من الهلاك بهذا السبب.

وأما الأسباب الخارجة التي يتعرض لها الإنسان: فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التي

يقصد بها، فافتقر إلى قوة وحمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه، فخلق الله طبيعة الغضب من النار وغرزها في الإنسان وعجنها بطينته. فمهما صدّ عن غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارت ثورانًا يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع إلى أعالي البدن، كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر، فلذلك ينصب إلى الوجه فيحمر الوجه والعين، والبشرة لصفائها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها.

وإنما ينبسط الدم إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه، فإن صدر الغضب على من فوقه وكان معه يأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب وصار حزنًا، ولذلك يصفرّ اللون، وإن كان الغضب على نظير يشك فيه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمرّ ويصفرّ ويضطرب.

وبالجملة؛ فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام وإنما تتوجه هذه القوة عند ثورانها إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها وإلى التشفي والانتقام بعد وقوعها. والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها، ولا تسكن إلا به. ثم إن الناس في هذه القوة على درجات ثلاث في أول الفطرة من التفريط والإفراط والاعتدال.

أما التفريط: فبفقد هذه القوة أو ضعفها وذلك مذموم، وهو الذي يقال فيه إنه لا حمية له. ولذلك قال الشافعي رحمه الله: من استغضب فلم يغضب فهو حمار. فمن فقد قوة الغضب والحمية أصلًا فهو ناقص جدًا، وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبيﷺ بالشدة والحمية فقال: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وقال لنبيهﷺ: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] الآية، وإنما الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية وهو الغضب.

وأما الإفراط: فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته، ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار، بل يصير في صورة المضطر.

وسبب غلبته أمور غريزية وأمور اعتيادية: فرب إنسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كأن صورته في الفطرة صورة غضبان، ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لأن الغضب من النار[1]. كما قال: وإنما برودة المزاج تطفئه وتكسر سورته. وأما الأسباب الاعتيادية: فهو أن يخالط قومًا يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية، فيقول الواحد منهم: أنا الذي لا أصبر على المكر والمحال ولا أحتمل من أحد أمرًا ومعناه لا عقل فيّ ولا حلم. ثم يذكره في معرض الفخر بجهله. فمن سمعه رسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب. ومهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها أعمت صاحبها

---

(١) ضعيف: حديث «الغضب من النار». أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد بسند ضعيف «الغضب جمرة في قلب ابن آدم» [الترملي: ٢١١٧، وضعفه الألباني في جامع الترمذي] ولأبي داود من حديث عطية السعدي «إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار» [أبو داود: ٤٧٨٤، وضعفه الألباني في سنن أبي داود].

وأصمته عن كل موعظة، فإذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضبًا، وإذا استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر إذ ينطفىء نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب، فإن معدن الفكر الدماغ، ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم إلى الدماغ يستولي على معادن الفكر، وربما يتعدّى إلى معادن الحس فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه، وتسود عليه الدنيا بأسرها، ويكون دماغه على مثال كهف اضطرمت فيه نار فاسودّ جوّه وحمي مستقره وامتلأ بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانمحى أو انطفأ نوره، فلا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا ترى فيه صورة، ولا يقدر على إطفائه لا من داخل ولا من خارج، بل ينبغي أن يصبر إلى أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق: فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ.

وربما تقوى نار الغضب فتفني الرطوبة التي بها حياة القلب، فيموت صاحبه غيظًا كما تقوى النار في الكهف فينشق وتنهدّ أعاليه على أسفله، وذلك لإبطال النار ما في جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لأجزائه، فهكذا حال القلب عند الغضب.

وبالحقيقة فالسفينة في ملتطم الأمواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر أحسن حالًا وأرجى سلامة من النفس المضطربة غيظًا؛ إذ في السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسوسها، وأما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته إذ أعماه الغضب وأصمه.

ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الأطراف وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام، حتى يظهر الزبد على الأشداق وتحمر الأحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة، ولو رأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته، وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره فإن الظاهر عنوان الباطن، وإنما قبحت صورة الباطن أولًا ثم انتشر قبحها إلى الظاهر ثانيًا، فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس الثمرة بالمثمرة فهذا أثره في الجسد.

وأما أثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش من الكلام الذي يستحي منه ذو العقل ويستحي منه قائله عند فتور الغضب، وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ.

وأما أثره على الأعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة، فإن هرب منه المغضوب عليه أو فاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه، وقد يضرب بيده على الأرض ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير، وربما يسقط سريعًا لا يطيق العدو والنهوض بسبب شدة الغضب ويعتريه مثل الغشية، وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة مثلًا على الأرض وقد يكسر المائدة إذا غضب عليها. ويتعاطى أفعال المجانين فيشتم البهيمة والجمادات ويخاطبها ويقول: إلى متى منك هذا يا كيت وكيت؟ كأنه يخاطب عاقلًا، حتى ربما رفسته دابة فيرفس الدابة ويقابلها بذلك.

وأما أثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد وإضمار السوء والشماتة بالمساءات

والحزن بالسرور والعزم على إفشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح، فهذه ثمرة الغضب المفرط.

وأما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الأنفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والأمة واحتمال الذل من الأخساء وصغر النفس والقماءة وهو أيضًا مذموم، إذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة. قال : «إِنَّ سَعْدًا لَغَيُورٌ وَأَنَا أَغْيَرُ مِنْ سَعْدٍ وإِنَّ الله أَغْيَرُ مِنِّي»(١) ، وإنما خلقت الغيرة لحفظ الأنساب. ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب. ولذلك قيل كل أمة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها.

ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات، وقد قال : «خير أمتي أحداؤها»(٢) ، يعني في الدين وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾[النور:٢] بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه، إذ لا تتم الرياضة إلا بتسليط الغضب على الشهوة، حتى يغضب على نفسه عند الميل إلى الشهوات الخسيسة.

ففقد الغضب مذموم، وإنما المحمود غضب ينتظر إشارة العقل والدين، فينبعث حيث تجب الحمية وينطفيء حيث يحسن الحلم، وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله حيث قال: «خَيْرُ الأُمُورِ أَوْسَاطُها»(٣) ، فمن مال غضبه إلى الفتور حتى أحس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله، فينبغي أن يعالج نفسه حتى يقوي غضبه.

ومن مال غضبه إلى الإفراط حتى جرّه إلى التهوّر واقتحام الفواحش فينبغي أن يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين؛ فهو الصراط المستقيم وهو أرق من الشعرة وأحد من السيف؛ فإن عجز عنه فليطلب القرب منه. قال تعالى ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء:١٢٩] فليس كل من عجز عن الإتيان بالخير كله ينبغي أن يأتي بالشر كله؛ ولكن بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض. فهذه حقيقة الغضب ودرجاته. نسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه إنه على ما يشاء قدير.

بيان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة: ام لا؟

اعلم أنه ظن ظانون أنه يتصور محو الغضب بالكلية، وزعموا أن الرياضة إليه تتوجه وإياه تقصد، وظن آخرون أنه أصل لا يقبل العلاج. وهذا رأي من يظن الخلق كالخلق وكلاهما لا

---

(١) حديث «إن سعدا لغيور .. الحديث». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه من حديث المغيرة بنحوه وتقدم في النكاح.

(٢) موضوع : حديث «خير أمتي أحِدّاؤُها». أخرجه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث على بسند ضعيف وزاد «الذين إذا غضبوا رجعوا» [ضعيف الجامع : ٢٨٦٤].

(٣) حديث «خير الأمور أوسطها». أخرجه البيهقي في الشعب مرسلا وقد تقدم.

يقبل التغيير، وكلا الرأيين ضعيف. بل الحق فيه ما نذكره وهو أنه ما بقي الإنسان يحب شيئًا ويكره شيئًا فلا يخلو من الغيظ والغضب، وما دام يوافقه شيء ويخالفه آخر فلا بد من أن يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه، والغضب يتبع ذلك فإنه مهما أخذ منه محبوبه غضب لا محالة، وإذا قصد بمكروه غضب لا محالة.

إلا أن ما يهيجه الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما هو ضرورة في حق الكافة كالقوت والمسكن والملبس وصحة البدن، فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وأن يغضب، وكذلك إذا أخذ منه ثوبه الذي يستر عورته، وكذلك إذا أخرج من داره التي هي مسكنه أو أريق ماؤه الذي لعطشه، فهذه ضرورات لا يخلو الإنسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها.

القسم الثاني: ما ليس ضروريًا لأحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب، فإن هذه الأمور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الأمور، حتى صار الذهب والفضة محبوبين في أنفسهما فيكنزان، ويغضب على من يسرقهما وإن كان مستغنيًا عنهما في القوت، فهذا الجنس مما يتصوّر أن ينفك الإنسان عن أصل الغيظ عليه، فإذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمه ظالم فيجوز أن لا يغضب، إذ يجوز أن يكون بصيرًا بأمر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها، فإنه لا يحب وجودها ولو أحب وجودها لغضب على الضرورة بأخذها وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت والتصدّر في المجالس والمباهاة في العلم، فمن غلب الحب عليه فلا محالة يغضب إذا زاحمه مزاحم على التصدر في المحافل، ومن لا يحب ذلك فلا يبالي ولو جلس في صفّ النعال، فلا يغضب إذا جلس غيره فوقه.

وهذه العادات الرديئة هي التي أكثرت محاب الإنسان ومكارهه فأكثرت غضبه، وكلما كانت الإرادات والشهوات أكثر كان صاحبها أحط رتبة وأنقص، لأن الحاجة صفة نقص فمهما كثرت كثر النقص، والجاهل أبدًا جهده في أن يزيد في حاجاته وفي شهواته، وهو لا يدري أنه مستكثر من أسباب الغم والحزن، حتى ينتهي بعض الجهال بالعادات الرديئة ومخالطة قرناء السوء إلى أن يغضب لو قيل له: إنك لا تحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير، وما يجري مجراه من الرذائل، فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري لأن حبه ليس بضروري.

القسم الثالث: ما يكون ضروريًا في حق بعض الناس دون البعض، كالكتاب مثلًا في حق العالم لأنه مضطر إليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه، وكذلك أدوات الصناعات في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل إلى القوت إلا بها، فإنما هو وسيلة إلى الضروري، والمحبوب يصير ضروريًا ومحبوبًا، وهذا يختلف بالأشخاص وإنما الحب الضروري ما أشار إليه رسول الله بقوله: «مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافى فِي بَدَنِهِ وَلَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّما حِيزَتْ لَهُ

الدُّنْيا بِحَذَافِيرِهَا»[١]، ومن كان بصيرًا بحقائق الأمور وسلم له هذه الثلاثة يتصور أن لا يغضب في غيرها فهذه ثلاثة أقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها.

أما القسم الأول: فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب، ولكن لكي يقدر على أن لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر إلا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل، وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة، حتى يصير الحلم والاحتمال خلقًا راسخًا فأما قمع أصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن.

نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن، وينتهي ضعفه إلى أن يظهر أثره في الوجه، ولكن ذلك شديد جدًا وهذا حكم القسم الثالث أيضًا لأن ما صار ضروريًا في حق شخص فلا يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه. فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه.

وأما القسم الثاني: فيمكن التوصل بالرياضة إلى الانفكاك عن الغضب عليه إذ يمكن إخراج حبه من القلب، وذلك بأن يعلم الإنسان أن وطنه القبر ومستقره الآخرة، وأن الدنيا معبر يعبر عليها ويتزوّد منها قدر الضرورة، وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحو حبها عن قلبه، ولو كان للإنسان كلب لا يحبه لا يغضب إذا ضربه غيره، فالغضب تبع للحب.

فالرياضة في هذا تنتهي إلى قمع الغضب وهو نادر جدًا، وقد تنتهي إلى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو أهون.

فإن قلت: الضروري من القسم الأول التألم بفوات المحتاج إليه دون الغضب، فمن له شاة مثلًا وهي قوته فماتت لا يغضب على أحد وإن كان يحصل فيه كراهة، وليس من ضرورة كل كراهة غضب، فإن الإنسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الأشياء كلها بيد الله ومنه فلا يغضب على أحد من خلقه؛ إذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب، ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم، فلا يغضب على من يذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها، إذ يرى الذبح والموت من الله عز وجل فيندفع الغضب بغلبة التوحيد، ويندفع أيضًا بحسن الظن بالله، وهو أن يرى أن الكل من الله تعالى وأن الله لا يقدر له إلا ما فيه الخيرة، وربما تكون الخيرة في مرضه وجوعه وجرحه وقتله، فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد والحجام لأنه يرى أن الخيرة فيه، فيقول هذا على هذا الوجه غير محال، ولكن غلبة التوحيد إلى هذا الحد إنما تكون كالبرق الخاطف، تغلب في أحوال مختلفة ولا تدوم، ويرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسائط

---

(١) حسن: حديث «من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها». أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث عبيد الله بن محصن دون قوله «بحذافيرها» قال الترمذي حسن غريب [الترمذي: ٢٣٤٦، وحسنه الألباني في جامع الترمذي].

رجوعًا طبيعيًا لا يندفع عنه، ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله فإنه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه [(١)]، حتى قال: «اللَّهُمَّ أنا بَشَرٌ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ البَشَرُ فَأَيُّما مُسْلِمٍ سَبَبْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ أَوْ ضَرَبْتُهُ فَاجْعَلْها مِنِّي صَلاةً عَلَيْهِ وَزَكَاةً وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بها إِلَيْكَ يَوْمَ القِيامَةِ» [(٢)]، وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: يا رسول الله أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا فقال: «اكْتُبْ فَوَالَّذِي بَعَثَنِي بِالحَقِّ نَبِيًّا ما يَخْرُجُ مِنْهُ إلاّ حَقٌّ» وأشار إلى لسانه [(٣)]، فلم يقل إني لا أغضب، ولكن قال إن الغضب لا يخرجني عن الحق، أي لا أعمل بموجب الغضب.

وغضبت عائشة رضي الله تعالى عنها مرة فقال لها رسول الله : «ما لَكِ؟ جَاءَكِ شَيْطَانُكِ؟» فقالت: وما لك شيطان؟ قال: «بَلَى وَلكِنِّي دَعَوْتُ الله فَأَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فلا يَأْمُرُنِي إلاّ بِالخَيْرِ» [(٤)]، ولم يقل: لا شيطان لي، وأراد شيطان الغضب لكن قال: لا يحملني على الشر. وقال علي رضي الله تعالى عنه: كان رسول الله لا يغضب للدنيا فإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له [(٥)] فكان يغضب على الحق، وإن كان غضبه لله فهو التفات إلى الوسائط على الجملة، بل كل من يغضب على من يأخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فإنما غضب لله، فلا يمكن الانفكاك عنه. نعم قد يفقد أصل الغضب فيما هو ضروري إذا كان القلب مشغولاً بضروري أهم منه، فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره، فإن استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الإحساس بما عداه.

وهذا كما أن سلمان لما شُتم قال: إن خفت موازيني فأنا شر مما تقول وإن ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول.

فقد كان همه مصروفًا إلى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم. وكذلك شتم الربيع بن خثيم فقال: يا هذا قد سمع الله كلامك وإن دون الجنة عقبة إن قطعتها لم يضرني ما تقول، وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول، وسب رجل أبا بكر رضي الله عنه فقال: ما ستر الله عنك أكثر؛ فكأنه كان

---

(١) حديث: كان ﷺ يغضب حتى تحمر وجنتاه. أخرجه مسلم من حديث جابر: كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه. وللحاكم: كان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه. وقد تقدم في أخلاق النبوة.

(٢) حديث «اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر .. الحديث». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله: «أغضب كما يغضب البشر» وقال: «جلدته» بدل «ضربته» [مسلم: ٤٧٠٦] وفي رواية «اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر» وأصله متفق عليه وتقدم ولمسلم من حديث أنس «إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر» ولأبي يعلى من حديث أبي سعيد أو ضربته.

(٣) صحيح: حديث عبد الله بن عمرو: يا رسول الله أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا؟ قال «اكتب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه إلا حق» وأشار إلى لسانه. أخرجه أبو داود بنحوه [أبو داود: ٣١٦١، السلسلة الصحيحة: ٢٠٢٦].

(٤) صحيح: حديث: غضبت عائشة فقال النبي ﷺ «ما لك جاءك شيطانك .. الحديث». أخرجه مسلم من حديث عائشة [مسلم: ٥٠٣٥].

(٥) حديث علي: كان رسول الله ﷺ لا يغضب للدنيا .. الحديث». أخرجه الترمذي في الشمائل وقد تقدم.

مشغولاً بالنظر في تقصير نفسه عن أن يتقي الله حق تقاته ويعرفه حق معرفته، فلم يغضبه نسبة غيره إياه إلى نقصان، إذ كان ينظر إلى نفسه بعين النقصان، وذلك لجلالة قدره. وقالت امرأة لمالك بن دينار: يا مرائي، فقال: ما عرفني غيرك فكأنه كان مشغولاً بأن ينفي عن نفسه آفة الرياء، ومنكرًا على نفسه ما يلقيه الشيطان إليه فلم يغضب لما نسب إليه. وسب رجل الشعبي فقال: إن كنت صادقًا فغفر الله لي، وإن كنت كاذبًا فغفر الله لك.

فهذه الأقاويل دالة في الظاهر على أنهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم، ويحتمل أن يكون ذلك قد أثر في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الأغلب على قلوبهم، فإذًا اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد أن يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب؛ فإذًا يتصوّر فقد الغيظ إما باشتغال القلب بمهم، أو بغلبة نظر التوحيد، أو بسبب ثالث: وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لا يغتاظ فيطفىء شدة حبه لله غيظه، وذلك غير محال في أحوال نادرة. وقد عرفت بهذا أن الطريق للخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها ـ كما سيأتي في كتاب ذم الدنيا ـ ومن أخرج حب المزايا عن القلب تخلص من أكثر أسباب الغضب، وما لا يمكن محوه يمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه. نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه إنه على كل شيء قدير والحمد لله وحده.

بيان الأسباب المهيجة للغضب:

وقد عرفت أن علاج كل علة حسم مادتها وإزالة أسبابها فلا بد من معرفة أسباب الغضب. وقد قال يحيى لعيسى عليهما السلام: أي شيء أشد؟ قال: غضب الله، قال: فما يقرب من غضب الله، قال أن تغضب، قال: فما يبدي الغضب وما ينبته؟ قال عيسى: الكبر والفخر والتعزز والحمية.

والأسباب المهيجة للغضب هي: الزهو والعجب والمزاح والهزل والهزء والتعيير والمماراة والمضادّة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه، وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعًا ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها.

فينبغي أن تميت الزهو بالتواضع. وتميت العجب بمعرفتك بنفسك ـ كما سيأتي بيانه في كتاب الكبر والعجب ـ وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك إذ الناس يجمعهم في الانتساب أب واحد؛ وإنما اختلفوا في الفضل أشتاتًا فبنو آدم جنس واحد وإنما الفخر بالفضائل؛ والفخر والعجب والكبر أكبر الرذائل وهي أصلها ورأسها، فإذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك، فلم تفتخر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والأعضاء الظاهرة والباطنة؟ وأما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه إذا عرفت ذلك. وأما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك إلى سعادة

الآخرة. وأما الهزء فتزيله بالتكرم عن إيذاء الناس وبصيانة النفس عن أن يستهزأ بك. وأما التعيير فالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب. وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبًا لعز الاستغناء وترفعًا عن ذل الحاجة.

وكل خُلُقٍ من هذه الأخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجه إلى رياضة وتحمل مشقة، وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها، ثم المواظبة على مباشرة أضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة على النفس، فإذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضًا عن الغضب الذي يتولد منها. ومن أشدّ البواعث على الغضب عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة، وتلقيبه بالألقاب المحمودة غباوة وجهلًا حتى تميل النفس إليه وتستحسنه. وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الأكابر في معرض المدح بالشجاعة، والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكابر فيهيج الغضب إلى القلب بسببه، وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها، وآية أنه لضعف النفس أن المريض أسرع غضبًا من الصحيح، والمرأة أسرع غضبًا من الرجل، والصبي أسرع غضبًا من الرجل الكبير، والشيخ الضعيف أسرع غضبًا من الكهل، وذو الخلق السيىء والرذائل القبيحة أسرع غضبًا من صاحب الفضائل. فالرذل يغضب لشهوته إذا فاتته اللقمة، ولبخله إذا فاتته الحبة، حتى أنه يغضب على أهله وولده وأصحابه. بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال رسول الله «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» (١)، بل ينبغي أن يعالج هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ، فإن ذلك منقول عن الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء وأكابر الملوك الفضلاء، وضد ذلك منقول عن الأكراد والأتراك والجهلة والأغبياء الذين لا عقول لهم ولا فضل فيهم.

بيان علاج الغضب بعد هيجانه

ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لأسبابه حتى لا يهيج، فإذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه المذموم، وإنما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل.

أما العلم فهو ستة أمور؛ الأول: أن يتفكر في الأخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه، فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام وينطفئ عنه غيظه، قال مالك بن أوس بن الحدثان: غضب عمر على رجل وأمر بضربه فقلت يا أمير المؤمنين: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] فكان عمر يقول: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ فكان يتأمل في الآية وكان وقافًا عند كتاب الله مهما تلي عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلى الرجل. وأمر عمر بن

(١) حديث «ليس الشديد بالصُّرَعَة». تقدم قبله.

عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران:١٣٤] فقال لغلامه: خل عنه.

الثاني: أن يخوف نفسه بعقاب الله وهو أن يقول قدرة الله علي أعظم من قدرتي على هذا الإنسان، فلو أمضيت غضبي عليه لم آمن أن يمضي الله غضبه علي يوم القيامة أحوج ما أكون إلى العفو. فقد قال تعالى في بعض الكتب القديمة: يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق.

وبعث رسول الله وصيفًا إلى حاجة فأبطأ عليه فلما جاء قال: «لَوْلا القِصَاصُ لأَوْجَعْتُكَ»[1]، أي القصاص في القيامة. وقيل ما كان في بني إسرائيل ملك إلا ومعه حكيم إذا غضب أعطاه صحيفة فيها؛ ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة، فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه.

الثالث: أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والإنتقام وتشمر العدوّ لمقابلته والسعي في هدم أغراضه والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا إن كان لا يخاف من الآخرة.

وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الآخرة ولا ثواب عليه، لأنه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض، إلا أن يكون محذوره أن تتشوش عليه في الدنيا فراغته للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون مثابًا عليه.

الرابع: أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب، ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي، ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب للأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء، ويخير نفسه بين أن يتشبه بالكلاب والسباع وأراذل الناس وبين أن يتشبه بالعلماء والأنبياء في عادتهم لتميل نفسه إلى حب الاقتداء بهؤلاء إن كان قد بقي معه مسكة من عقل.

الخامس: أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الإنتقام ويمنعه من كظم الغيظ، ولا بد وأن يكون له سبب مثل قول الشيطان له: إن هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرًا في أعين الناس فيقول لنفسه: ما أعجبك تأنفين من الاحتمال الآن ولا تأنفين من خزي يوم القيامة والافتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منك؟ وتحذرين من أن تصغري في أعين الناس ولا تحذرين من أن تصغري عند الله والملائكة والنبيين؟ فمهما كظم الغيظ فينبغي أن يكظمه لله، وذلك يعظمه عند الله، فما له وللناس؟ وذل من ظلمه يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن، أفلا يحب أن يكون هو القائم إذا نودي يوم القيامة: ليقم من أجره على الله، فلا يقوم إلا من عفا؟ فهذا وأمثاله من معارف الإيمان ينبغي أن يكرره على قلبه.

السادس: أن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله لا على وفق مراده، فكيف يقول مرادي أولى من مراد الله؟ ويوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من

(١) حديث «لولا القصاص لأوجعتك». أخرجه أبو يعلى من حديث أم سلمة بسند ضعيف.

غضبه.

وأما العمل فأن تقول بلسانك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. هكذا أمر رسول الله أن يقال عند الغيظ (١)، وكان رسول الله إذا غضبت عائشة أخذ بأنفها وقال: «يا عُوَيْشُ قُولِي اللَّهُمَّ رَبَّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي وَأَذْهِبْ غَيْظَ قَلْبِي وَأَجِرْنِي مِنْ مُضِلاَّتِ الفِتَنِ» (٢)، فيستحب أن تقول ذلك، فإن لم يزل بذلك فاجلس إن كنت قائمًا واضطجع إن كنت جالسًا واقرب من الأرض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك، واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فإن سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة.

فقد قال رسول الله : «إِنَّ الغَضَبَ جَمْرَةٌ تُوقَدُ فِي القَلْبِ» (٣)، ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه، فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئًا فإن كان قائمًا فليجلس وإن كان جالسًا فلينم، فإن لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل، فإن النار لا يطفئها إلا الماء: فقد قال ﷺ: «إذا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ بِالمَاءِ فَإِنَّمَا الغَضَبُ مِنَ النَّارِ» (٤)، وفي رواية: «إِنَّ الغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ وَإِنَّما تُطْفَأُ النَّارُ بِالمَاءِ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ» (٥) وقال ابن عباس: قال رسول الله : «إذا غضبت فاسكت» (٦)، وقال أبو هريرة: كان رسول الله إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه ، وقال أبو سعيد الخدري: قال النبي ﷺ: «أَلا إِنَّ الغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ (٧).

---

(١) صحيح: حديث: الأمر بالتعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند الغيظ. متفق عليه من حديث سليمان بن صرد قال: كنت جالسا مع النبي ﷺ ورجلان يستبان فأحدهما أحمر وجهه وانتفخت أوداجه... الحديث. وفيه«لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد» فقالوا له: إن النبي ﷺ قال«تعوذ بالله من الشيطان الرجيم...» الحديث [البخاري: ٣٠٤٠، مسلم: ٤٧٢٥].

(٢) حديث: كان إذا غضبت عائشة أخذ بأنفها وقال«يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي .. الحديث». أخرجه ابن السني في اليوم والليلة من حديثها وتقدم في الأذكار والدعوات.

(٣) حديث «إن الغضب جمرة توقد في القلب .. الحديث». أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد دون قوله«توقد» وقد تقدم ورواه بهذا اللفظ البيهقي في الشعب.

(٤) حديث إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء البارد .. الحديث». أخرجه أبو داود من حديث عطية السعدي دون قوله «بالماء البارد» وهو بلفظ الرواية الثانية التي ذكرها المصنف وقد تقدم.

(٥) صحيح: حديث ابن عباس: إذا غضبت فاسكت. أخرجه أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني واللفظ لهما والبيهقي في شعب الإيمان وفيه ليث بن أبي سليم [أحمد: ٢٤٢٥، وصححه الألباني في الأدب المفرد].

(٦) ضعيف: حديث أبي هريرة: كان إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه. أخرجه ابن أبي الدنيا وفيه من لم يسم [ضعيف الجامع: ٤٤٣٢] ولأحمد بإسناد جيد في أثناء حديث فيه وكان أبو ذر قائما فجلس ثم اضطجع فقيل له: لم جلست ثم اضطجعت؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال لنا «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع» والمرفوع عند أبي داود وفيه عنده انقطاع سقط أبو الأسود.

(٧) ضعيف: حديث أبي سعيد «ألا إن الغضب جمرة في قلب ابن آدم .. الحديث». أخرجه الترمذي وقال حسن [الترمذي: ٢١٩١، وضعفه الألباني في جامع الترمذي].

أَلاَ تَرَوْنَ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَانْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذلِكَ شَيْئًا فَلْيُلْصِقْ خَدَّهُ بِالأَرْضِ» وكأن هذا إشارة إلى السجود وتمكين أعز الأعضاء من أذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب.

وروي أن عمر غضب يومًا فدعا بماء فاستنشق وقال: إن الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب. وقال عروة بن محمد: لما استعملت على اليمن قال لي أبي: أوليت؟ قلت: نعم، قال: فإذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك وإلى الأرض تحتك ثم عظِّم خالقهما.

وروي أن أبا ذرّ قال لرجل: يا ابن الحمراء، في خصومة بينهما، فبلغ ذلك رسول الله فقال: «يا أَبَا ذَرَ بَلَغَنِي أَنَّكَ الْيَوْمَ عَيَّرْتَ أَخَاكَ بِأُمِّهِ» فقال: نعم، فانطلق أبو ذرّ ليرضي صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله فقال:

«يَا أَبَا ذَرَ ارْفَعْ رَأْسَكَ فَانْظُرْ ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّكَ لَسْتَ بِأَفْضَلَ مِنْ أَحْمَرَ فِيهَا وَلا أَسْوَدَ إِلاَّ أَنْ تَفْضُلَهُ بِعَمَلٍ» ثم قال: «إِذَا غَضِبْتَ فَإِنْ كُنْتَ قَائِمًا فَاقْعُدْ وَإِنْ كُنْتَ قَاعِدًا فَاتَّكِىءْ وَإِنْ كُنْتَ مُتَّكِئًا فَاضْطَجِعْ» (١)، وقال المعتمر بن سليمان: كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتدّ غضبه فكتب ثلاث صحائف وأعطى كل صحيفة رجلًا وقال للأول: إذا غضبت فأعطني هذه، وقال للثاني: إذا سكن بعض غضبي فأعطني هذه، وقال للثالث إذا ذهب غضبي فأعطني هذه، فاشتد غضبه يومًا فأعطي الصحيفة الأولى فإذا فيها ما أنت وهذا الغضب إنك لست بإله إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضًا، فسكن بعض غضبه، فأعطي الثانية فإذا فيها: ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء، فأعطي الثالثة فإذا فيها: خذ الناس بحق الله فإنه لا يصلهم إلا ذلك. أي لا تعطل الحدود. وغضب المهدي على رجل فقال شبيب: لا تغضب لله بأشد من غضبه لنفسه، فقال: خلوا سبيله.

فضيلة كظم الغيظ:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] وذكر ذلك في معرض المدح. وقال رسول الله: «مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ كَفَّ الله عَنْهُ عَذَابَهُ، وَمَنِ اعْتَذَرَ إِلَى رَبِّهِ قَبِلَ الله عُذْرَهُ، وَمَنْ خَزَنَ لِسَانَهُ سَتَرَ الله عَوْرَتَهُ» (٢)، وقال ﷺ: «أَشَدُّكُمْ مَنْ غَلَبَ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَأَحْلَمُكُمْ مَنْ عَفَا

---

(١) صحيح: حديث أبي ذر: أنه قال لرجل: يا ابن الحمراء في خصومة بينهما فبلغ ذلك النبي ﷺ.. الحديث» فيه فقال: «يا أبا ذر ارفع رأسك فانظر .. الحدث» وفيه ثم قال «إذا غضبت» إلى آخره .. . أخرجه ابن أبي الدنيا في العفو وذم الغضب بإسناد صحيح [صحيح الترغيب: ٢٩٢٦] وفي الصحيحين من حديثه قال: كان بيني وبين رجل من إخواني كلام وكانت أمه أعجمية فعيرته بأمه فشكاني إلى النبي ﷺ فقال «يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية» [البخاري: ٢٩، مسلم: ٣١٣٩] ولأحمد أنه ﷺ قال له «انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى» ورجاله ثقات [أحمد ٢٠٤٣٨، وصححه الألباني].

(٢) حديث «من كف غضبه كف الله عنه عذابه .. الحديث». أخرجه الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان واللفظ له من حديث أنس بإسناد ضعيف ولابن أبي الدنيا من حديث ابن عمر «من ملك غضبه وقاه الله

عِنْدَ القُدْرَةِ» (١)، وقال ﷺ «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ لأَمْضَاهُ مَلأَ الله قَلْبَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ رِضًا» وفي رواية: «مَلأَ الله قَلْبَهُ أَمْنًا وَإِيمَانًا» (٢)، وقال ابن عمر: قال رسول الله : «ما جَرَعَ عَبْدٌ جَرْعَةً أَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ جَرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله تَعَالَى» (٣)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال ﷺ «إِنَّ لِجَهَنَّمَ بابًا لا يَدْخُلُهُ إلاَّ مَنْ شَفَى غَيْظَهُ بِمَعْصِيَةِ الله تَعَالَى» (٤)، وقال ﷺ «ما مِنْ جَرْعَةٍ أَحَبُّ إِلَى الله تَعَالَى مِنْ جَرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَها عَبْدٌ وَما كَظَمَها عَبْدٌ إلاَّ مَلأَ الله قَلْبَهُ إِيمَانًا» (٥)، وقال ﷺ «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ الله عَلَى رُؤُوسِ الخَلائِقِ وَيُخَيِّرُهُ مِنْ أَيِّ الحُورِ شاء» (٦).

الآثار: قال عمر رضي الله عنه: من اتقى الله لم يشف غيظه، ومن خاف الله لم يفعل ما يشاء، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون.

وقال لقمان لابنه : يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسألة، ولا تشف غيظك بفضيحتك، واعرف قدرك تنفعك معيشتك. وقال أيوب: حلم ساعة يدفع شرًا كثيرًا. واجتمع سفيان الثوري وأبو خزيمة اليربوعي والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد، فأجمعوا على أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الجزع. وقال رجل لعمر رضي الله عنه: والله ما تقضي بالعدل ولا تعطي الجزل، فغضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه. فقال له رجل: يا أمير المؤمنين ألا تسمع إلى الله تعالى يقول: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف :١٩٩] فهذا من الجاهلين، فقال عمر: صدقت، فكأنما كانت نارًا فأطفئت. وقال محمد بن كعب: ثلاث

عذابه... الحديث» وقد تقدم في آفات اللسان.

(١) ضعيف: حديث «أشدكم من ملك نفسه عند الغضب وأحلمكم من عفا عند القدرة». أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث علي بسند ضعيف [ضعيف الجامع: ٨٧١] والبيهقي في الشعب بالشطر الأول من رواية عبد الرحمن بن عجلان مرسلا بإسناد جيد، وللبزار والطبراني في مكارم الأخلاق واللفظ له من حديث «أشدكم أملككم لنفسه عند الغضب» وفيه عمران القطان مختلف فيه [ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة: ٣٣٥٩].

(٢) حسن: حديث «من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا» وفي رواية «أمنا وإيمانا». أخرجه ابن أبي الدنيا بالرواية الأولى من حديث ابن عمر [وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ١٧٦] وفيه سكين بن أبي سراج تكلم فيه ابن حبان وأبو داود بالرواية الثانية من حديث رجل من أبناء أصحاب النبي ﷺ عن أبيه [أبو داود: ٤٧٧٨، وضعفه الألباني في سنن أبي داود]، ورواها ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة وفيه من لم يسم.

(٣) صحيح: حديث ابن عمر «ما جرع رجل جرعة أعظم أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله». أخرجه ابن ماجه [ابن ماجه: ٤١٨٩، وصححه الألباني في سنن ابن ماجه].

(٤) حديث ابن عباس «إن لجهنم بابا لا يدخل منه إلا من شفى غيظه بمعصية الله». تقدم في آفات اللسان.

(٥) حديث «ما من جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها عبد إلا ملأ الله قلبه إيمانا». أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس، وفيه ضعف، ويُتَلَقَّىٰ من حديث ابن عمر وحديث الصحابي الذي لم يُسَمَّ، وقد تقدما.

(٦) حديث «من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء». تقدم في آفات اللسان.

من كن فيه استكمل الإيمان بالله، إذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له. وجاء رجل إلى سلمان فقال: يا عبد الله أوصني، قال: لا تغضب، قال لا أقدر، قال: فإن غضبت فأمسك لسانك ويدك.

بيان فضيلة الحلم:

اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ؛ لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم أي تكلف الحلم، ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة، ولكن إذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادًا فلا يهيج الغيظ، وإن هاج فلا يكون في كظمه تعب، وهو الحلم الطبيعي، وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل، ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفًا. قال: «إِنَّمَا العِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ وَالحِلْمَ بِالتَّحَلُّمِ وَمَنْ يَتَخَيَّرِ الخَيْرَ يَعِطْهُ وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوَقَّهِ» (١)، وأشار بهذا إلى أن اكتساب الحلم طريقه التحلم أولًا وتكلفه كما أن اكتساب العلم طريقه التعلم.

وقال أبو هريرة: قال رسول الله: «اطْلُبُوا العِلْمَ وَاطْلُبُوا مَعَ العِلْمِ السَّكِينَةَ وَالحِلْمَ، لِينُوا لِمَنْ تُعَلِّمُونَ وَلِمَنْ تَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ، وَلا تَكُونُوا مِنْ جَبَابِرَةِ العُلَمَاءِ فَيَغْلِبَ جَهْلُكُمْ حِلْمَكُمْ» (٢)، وأشار بهذا إلى أن التكبر والتجبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين. وكان من دعائه ﷺ: «اللهم أغنني بالعلم وزيني بالحلم وأكرمني بالتقوى وجملني بالعافية» (٣)، وقال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: ابتغوا الرفعة عند الله.

قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: «تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ وَتَحْلُمُ عَمَّنْ جَهِلَ عَلَيْكَ» (٤)، وقال ﷺ: «خَمْسٌ مِنْ سُنَنِ المُرْسَلِينَ: الحَيَاءُ وَالحِلْمُ وَالحِجَامَةُ وَالسِّوَاكُ وَالتَّعَطُّرُ» (٥)، وقال علي كرم الله وجهه: قال النبي ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ المُسْلِمَ لَيُدْرِكُ بِالحِلْمِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ وَإِنَّهُ لَيُكْتَبُ جَبَّارًا عَنِيدًا وَلا يَمْلِكُ إِلاَّ أَهْلَ بَيْتِهِ» (٦)، وقال أبو هريرة: إن

---

(١) حسن: حديث «إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم .. الحديث». أخرجه الطبراني والدارقطني في العلل من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف [صحيح الجامع: ٢٣٢٨].

(٢) ضعيف جدًا: حديث أبي هريرة «اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم ..». أخرجه ابن السني في رياضة المتعلمين بسند ضعيف [ضعيف الجامع: ٢٤٩٤].

(٣) ضعيف: حديث: كان من دعائه «اللهم أغنني بالعلم وزيني بالحلم وأكرمني بالتقوى وجملني بالعافية». لم أجد له أصلا [ضعيف الجامع: ١١٧٩].

(٤) حديث «ابتغوا الرفعة عند الله» قالوا: وما هي؟ قال «تصل من قطعك». أخرجه الحاكم والبيهقي وقد تقدم.

(٥) ضعيف: حديث «خمس من سنن المرسلين: الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر». أخرجه أبو بكر بن أبي عاصم في المثاني والآحاد والترمذي الحكيم في نوادر الأصول من رواية مليح بن عبد الله الخطمي عن أبيه عن جده [ضعيف الجامع: ٢٨٥٨]، وللترمذي وحسنه من حديث أبي أيوب «أربع» فأسقط «الحلم والحجامة» وزاد «النكاح» [الترمذي: ١٠٨٠، وضعفه الألباني في جامع الترمذي].

(٦) ضعيف: حديث علي «إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم .. الحديث». أخرجه الطبراني في الأوسط بسند ضعيف [ضعيف الجامع: ١٤٥٣].

رجلًا قال يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ ويجهلون عليَّ وأحلم عنهم، قال: «إِنْ كانَ كَمَا تَقُولُ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ المَلَّ ولاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ الله ظَهِيرٌ ما دُمْتَ عَلَى ذلِكَ» (١)، الملّ: يعني به الرمل.

قال رجل من المسلمين: اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأيما رجل أصاب من عرضي شيئًا فهو عليه صدقة فأوحى الله تعالى إلى النبي ﷺ إني قد غفرت له (٢)، وقال ﷺ: «أَيَعْجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمْضَمٍ» قالوا: وما أبو ضمضم؟ قال: «رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كانَ إذا أَصْبَحَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي تَصَدَّقْتُ اليَوْمَ بِعِرْضِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي» (٣).

وقيل في قوله تعالى: ﴿رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران:٧٩] أي حلماء علماء. وعن الحسن في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣] . قال حلماء إن جهل عليهم لم يجهلوا. وقال عطاء بن أبي رباح: ﴿يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:٦٣] أي حلماء. وقال ابن أبي حبيب في قوله عز وجل ﴿وَكَهْلًا﴾ [آل عمران:٤٦] قاله: الكهل منتهى الحلم. وقال مجاهد: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان:٧٢] أي إذا أوذوا صفحوا.

وروي أن ابن مسعود مر بلغو معرضًا فقال رسول الله: «أَصْبَحَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَأَمْسَى كَرِيمًا» (٤)، ثم تلا إبراهيم بن ميسرة وهو الراوي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان:٧٢] وقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ لا يُدْرِكْنِي وَلا أُدْرِكُهُ زَمَانٌ لا يَتَّبِعُونَ فِيهِ العَلِيمَ وَلاَ يَسْتَحْيُونَ فِيهِ مِنَ الحَلِيمِ، قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ العَجَمِ وَأَلْسِنَتُهُمْ أَلْسِنَةُ العَرَبِ» (٥)، وقال ﷺ: «لِيَلِيَنِّي مِنْكُمْ ذَوُو الأَحْلامِ وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، وَلا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الأَسْوَاقِ» (٦)، وروي أنه وفد على النبي ﷺ الأشج فأناخ راحلته ثم عقلها

---

(١) صحيح: حديث أبي هريرة: أن رجلا قال يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، ويجهلون علي وأحلم عنهم .. الحديث». رواه مسلم [مسلم: ٤٦٤٠].

(٢) حديث قال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأيما رجل أصاب من عرضي شيئا فهو صدقة عليه .. الحديث. أخرجه أبو نعيم في الصحابة والبيهقي في الشعب من رواية عبد المجيد بن أبي عبس بن جبر عن أبيه عن جده بإسناد لين، زاد البيهقي عن علي بن زيد وعلي هو الذي قال ذلك كما في أثناء الحديث وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أنه رواه ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة: أن رجلا من المسلمين ولم يسمه وقال أظنه أبا ضمضم قلت وليس بأبي ضمضم إنما هو علي بن زيد وأبو ضمضم ليس له صحبة وإنما هو متقدم.

(٣) حديث «أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم .. الحديث». تقدم في آفات اللسان.

(٤) ضعيف: حديث أن ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال النبي ﷺ «أصبح ابن مسعود وأمسى كريما». - أخرجه ابن المبارك في البر والصلة [السلسلة الضعيفة: ٣/ ٣١٠].

(٥) ضعيف: حديث «اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم .. الحديث». - أخرجه أحمد من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف [ضعيف الجامع: ١٢١٨].

(٦) صحيح: حديث «ليليني منكم أولو الأحلام والنهي .. الحديث». - أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود [مسلم: ٦٥٥] دون قوله «ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم» فهي عند أبي داود والترمذي وحسنه وهي عند مسلم في حديث آخر لابن مسعود [مسلم: ٦٥٤].

وطرح عنه ثوبين كانا عليه وأخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما.

وذلك بعين رسول الله يرى ما يصنع، ثم أقبل يمشي إلى رسول الله فقال عليه السلام: «إنَّ فِيكَ يا أَشَجُّ خُلُقَيْنِ يُحِبُّهُما الله وَرَسُولُهُ» قال: ما هما بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال: «الحِلْمُ وَالأَنَاةُ» فقال: خلتان تخلقتهما أو خلقان جبلت عليهما؟ فقال: «بل خلقان جبلك الله عليهما» فقال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله[1]، وقال ﷺ: «إنَّ الله يُحِبُّ الحَلِيمَ الحَيِيَّ الغَنِيَّ المُتَعَفِّفَ أبا العِيالِ التَّقِيَّ وَيُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ السَّائِلَ المُلْحِفَ الغَبِيَّ»[2]، وقال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «ثَلاثٌ مَنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ فلا تَعْتَدُّوا بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ: تَقْوَى تَحْجُزُهُ عَنْ مَعَاصِي الله عَزَّ وَجَلَّ، وَحِلْمٌ يَكُفُّ بِهِ السَّفِيهَ، وَخُلُقٌ يَعِيشُ بِهِ فِي النَّاسِ»[3]، وقال رسول الله: «إذا جَمَعَ الله الخَلائِقَ يَوْمَ القِيامَةِ نادَى مُنَادٍ: أَيْنَ أَهْلُ الفَضْلِ؟ فَيَقُومُ نَاسٌ وَهُمْ يَسِيرٌ فَيَنْطَلِقُونَ سِرَاعًا إِلَى الجَنَّةِ فَتَتَلَقَّاهُمُ المَلائِكَةُ فَيَقُولُونَ لَهُمْ إِنَّا نَرَاكُمْ سِرَاعًا إِلَى الجَنَّةِ فَيَقُولُونَ نَحْنُ أَهْلُ الفَضْلِ، فَيَقُولُونَ لَهُمْ ما كانَ فَضْلُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ كُنَّا إذا ظُلِمْنَا صَبَرْنَا وَإذا أُسِيءَ إِلَيْنَا عَفَوْنَا وَإذا جُهِلَ عَلَيْنَا حَلِمْنا.

فَيُقَالُ لَهُمْ ادْخُلُوا الجَنَّةَ فَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ»[4].

الآثار: قال عمر رضي الله عنه: تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم.

وقال علي رضي الله عنه: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك، وأن لا تباهي الناس بعبادة الله، وإذا أحسنت حمدت الله تعالى، وإذا أسأت استغفرت الله تعالى.

وقال الحسن: اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم. وقال أكثم بن صيفي: دعامة العقل الحلم وجماع الأمر الصبر. وقال أبو الدرداء: أدركت الناس ورقًا لا شوك فيه فأصبحوا شوكًا لا ورق فيه، إن عرفتهم نقدوك وإن تركتهم لم يتركوك، قالوا: كيف نصنع؟ قال: تقرضهم عن عرضك ليوم فقرك.

وقال علي رضي الله عنه: إن أوّل ما عوض الحليم من حلمه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل.

وقال معاوية رحمه الله تعالى: لا يبلغ مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته،

---

(١) حديث «يا أشج إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة .. الحديث».متفق عليه.

(٢) صحيح: حديث: إن الله يحب الحيي الحليم الغني المتعفف .. الحديث». - أخرجه الطبراني من حديث سعد «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي [صحيح الترغيب: ٨١٩].

(٣) حديث ابن عباس «ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتدوا بشيء من عمله». أخرجه أبو نعيم في كتاب الإيجاز بإسناد ضعيف والطبراني من حديث أم سلمة بإسناد لين وقد تقدم في آداب الصحبة.

(٤) ضعيف جدًا: حديث «إذا جمع الخلائق نادى مناد أين أهل الفضل؟ فيقوم ناس .. الحديث». وفيه «إذا جهل علينا حلمنا» أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال البيهقي في إسناده ضعف [ضعيف الترغيب: ١٦١٦].

ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم، وقال معاوية لعمرو بن الأهتم: أي الرجال أشجع؟ قال: من رد جهله بحلمه. قال: أي الرجال اسخى؟ قال: من بذل دنياه لصلاح دينه. وقال أنس بن مالك في قوله تعالى ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ إلى قوله ﴿عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥] هو الرجل يشتمه أخوه فيقول: إن كنت كاذبًا فغفر الله لك وإن كنت صادقًا فغفر الله لي.

وقال بعضهم: شتمت فلانًا من أهل البصرة فحلم علي فاستعبدني بها زمانًا.

وقال معاوية لعرابة بن أوس: بم سدت قومك يا عرابة؟ قال: يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم وأعطي سائلهم وأسعى في حوائجهم.

فمن فعل فعلي فهو مثلي ومن جاوزني فهو أفضل مني ومن قصر عني فأنا خير منه.

وسب رجل ابن عباس رضي الله عنهما فلما فرغ قال: يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها؟ فنكس الرجل رأسه واستحى.

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: أشهد أنك من الفاسقين، فقال: ليس تقبل شهادتك. وعن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أنه سبه رجل فرمى إليه بخميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم، فقال بعضهم: جمع له خمس خصال محمودة: الحلم وإسقاط الأذى وتخليص الرجل مما يبعد من الله عز وجل وحمله على الندم والتوبة ورجوعه إلى مدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير، وقال رجل لجعفر بن محمد: إنه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في أمر وإني أريد أن أتركه فأخشى أن يقال لي: إن تركك له ذل، فقال جعفر: إنما الذليل الظالم.

وقال الخليل بن أحمد: كان يقال من أساء فأحسن إليه فقد جعل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل إساءته.

وقال الأحنف بن قيس: لست بحليم ولكنني أتحلم. وقال وهب بن منبه: من يَرْحم يُرْحم ومن يصمت يسلم، ومن يجهل يغلب، ومن يعجل يخطىء، ومن يحرص على الشر لا يسلم، ومن لا يدع المراء يشتم، ومن لا يكره الشر يأثم، ومن يكره الشر يعصم، ومن يتبع وصية الله يحفظ، ومن يحذر الله يأمن، ومن يتول الله يمنع، ومن لا يسأل الله يفتقر، ومن يأمن مكر الله يخذل، ومن يستعن بالله يظفر. وقال رجل لمالك بن دينار: بلغني أنك ذكرتني بسوء، قال، أنت إذًا أكرم علي من نفسي إني إذا فعلت ذلك أهديت لك حسناتي. وقال بعض العلماء: الحلم أرفع من العقل لأن الله تعالى تسمى به.

وقال رجل لبعض الحكماء: والله لأسبنك سبًا يدخل معك في قبرك، فقال: معك يدخل لا معي. ومر المسيح بن مريم عليه الصلاة والسلام بقوم من اليهود فقالوا له شرًا فقال لهم خيرًا فقيل له: إنهم يقولون شرًا وأنت تقول خيرًا؟ فقال: كل ينفق مما عنده. وقال لقمان: ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة؛ لا يعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه. ودخل على بعض الحكماء صديق له فقدم إليه طعامًا فخرجت امرأة

الحكيم ، وكانت سيئة الخلق ، فرفعت المائدة وأقبلت على شتم الحكيم، فخرج الصديق مغضبًا فتبعه الحكيم وقال له تذكر يوم كنا في منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المائدة فأفسدت ما عليها فلم يغضب أحد منا؟ قال: نعم، قال فاحسب أن هذه مثل تلك الدجاجة؛ فسرى عن الرجل غضبه وانصرف وقال: صدق الحكيم، الحلم شفاء من كل ألم. وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال: أقمته مقام حجر تعثرت به فذبحت الغضب. وقال محمود الوراق:

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنبٍ ... وإن كَثُرتْ منه عليَّ الجرائمُ
وما الناسُ إلا واحد من ثلاثةٍ ... شريفٌ ومشروفٌ ومثلي مقاومُ
فأما الذي فوقي فأعرف قدره ... وأتبع فيه الحق والحق لازمُ
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن ... إجابته عرضي وإن لام لائمُ
وأما الذي مثلي فإن زلّ أو هفا ... تفضلت إن الفضلَ بالحلم حاكمُ

بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام:

اعلم أن كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله، فلا تجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا السب بالسبّ، وكذلك سائر المعاصي. وإنما القصاص والغرامة على قدر ما ورد الشرع به وقد فصلناه في الفقه. وأما السب فلا يقال بمثله إذ قال رسول الله : «إن امْرُؤٌ عَيَّرَكَ بِمَا فِيكَ فَلا تُعَيِّرْهُ بِمَا فِيهِ» (١)، وقال: «المُسْتَبَّانِ ما قالا فَهُوَ عَلَى البَادِئُ ما لَمْ يَعْتَدِ المَظْلُومُ» وقال: «المُسْتَبَّانِ شَيْطَانَانِ يَتَهَاتَرَانِ» (٢)، وشتم رجل أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام رسول الله . فقال أبو بكر: إنك كنت ساكتًا لما شتمني فلما تكلمت قمت. قال: «لِأَنَّ المَلَكَ كَانَ يُجِيبُ عَنْكَ فَلَمَّا تَكَلَّمْتَ ذَهَبَ المَلَكُ وَجَاءَ الشَّيْطَانُ فَلَمْ أَكُنْ لِأَجْلِسَ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ الشَّيْطَانُ» (٣)، وقال قوم: تجوز المقابلة بما لا كذب فيه، وإنما نهى رسول الله عن مقابلة التعيير بمثله نهي تنزيه، والأفضل تركه ولكنه لا يعصى به.

والذي يرخص فيه أن تقول : من أنت؟ وهل أنت إلا من بني فلان؟ كما قال سعد بن مسعود: وهل أنت إلّا من بني هذيل؟ وقال ابن مسعود: وهل أنت إلا من بني أمية؟ ومثل قوله: يا أحمق، قال مطرف: كل الناس أحمق فيما بينه وبين ربه إلا أن بعض الناس أقل حماقة من بعض.

---

(١) حديث «إنِ امرؤٌ عَيَّرَك بما فيك، فلا تعيّره بما فيه». أخرجه أحمد من حديث جابر بن مسلم، وقد تقدم.
(٢) حديث «المستبان شيطانان يتهاتران». تقدم.
(٣) ضعيف : حديث: شتم رجل أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام ﷺ .. الحديث». أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة متصلا ومرسلا قال البخاري المرسل أصح [ضعيف الترغيب: ١٦٣٩].

وقال ابن عمر في حديث طويل: حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله تعالى [١]، وكذلك قوله يا جاهل، إذ ما من أحد إلا وفيه جهل؛ فقد آذاه بما ليس بكذب. وكذلك قوله يا سيىء الخلق، يا صفيق الوجه يا ثلابا للأعراض، وكان ذلك فيه. وكذلك قوله: لو كان فيك حياء لما تكلمت، وما أحقرك في عيني بما فعلت، وأخزاك الله وانتقم منك.

فأما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق، لما روي أنه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام، فذكر رجل خالدًا عند سعد، فقال سعد: مه إن ما بيننا لم يبلغ ديننا. يعني أن يأثم بعضنا في بعض، فلم يسمع السوء فكيف يجوز له أن يقوله؟

والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام كالنسبة إلى الزنا والفحش والسب: ما روت عائشة رضي الله عنها أن أزواج النبي ﷺ أرسلن إليه فاطمة، فجاءت فقالت: يا رسول الله أرسلني إليك أزواجك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، والنبي ﷺ نائم، فقال: «يا بنية أتحبين ما أحب» ؟

قالت: نعم، قال: «فَأَحِبِّي هذِهِ» فرجعت إليهن فأخبرتهن بذلك فقلن: ما أغنيت عنا شيئًا، فأرسلن زينب بنت جحش، قالت وهي التي كانت تساميني في الحب فجاءت فقالت: بنت أبي بكر وبنت أبي بكر، فما زالت تذكرني وأنا ساكتة أنتظر أن يأذن لي رسول الله في الجواب فأذن لي فسببتها حتى جف لساني، فقال النبي ﷺ: «كَلاَّ إِنَّها ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ» [٢]، يعني أنك لا تقاومينها في الكلام قط وقولها: سببتها، ليس المراد به الفحش بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق.

وقال النبي ﷺ: «المُسْتَبَّانِ ما قَالاَ فَعَلَى البَادِئِ مِنْهُمَا حَتَّى يَعْتَدِيَ المَظْلُومُ» [٣]، فأثبت للمظلوم انتصارًا إلى أن يعتدي.

فهذا القدر هو الذي أباحه هؤلاء وهو رخصة في الإيذاء جزاء على إيذائه السابق. ولا تبعد الرخصة في هذا القدر ولكن الأفضل تركه فإنه يجره إلى ما وراءه ولا يمكنه الاقتصار على قدر الحق فيه، والسكوت عن أصل الجواب لعله أيسر من الشروع في الجواب والوقوف على حدّ الشرع فيه، ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فورة الغضب ولكن يعود سريعًا، ومنهم من يكف نفسه في الابتداء ولكن يحقد على الدوام.

والناس في الغضب أربعة: فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود، وبعضهم كالغضا بطيء الوقود وبطيء الخمود، وبعضهم بطيء الوقود سريع الخمود وهو الأحمد ما لم ينته إلى فتور الحمية والغيرة، وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهذا هو شرهم.

---

(١) حديث ابن عمر في حديث طويل «حتى ترى الناس كأنهم حمقى في ذات الله عز وجل». تقدم في العلم.

(٢) صحيح: حديث عائشة: إن أزواج النبي ﷺ أرسلن فاطمة فقالت: يا رسول الله أرسلني أزواجك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة .. الحديث». رواه مسلم [مسلم: ٤٤٧٢].

(٣) حديث «المستبان: ما قالا، فعلى البادئ .. الحديث». رواه مسلم وقد تقدم.

وفي الخبر: «المُؤْمِنُ سَرِيعُ الغَضَبِ سَرِيعُ الرِّضَى فَهذِهِ بِتِلْكَ» [(١)]، وقال الشافعي رحمه الله: من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرضى فهو شيطان. وقد قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله: «أَلاَ إِنَّ بَنِي آدَمَ خُلِقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ شَتَّى فَمِنْهُمْ بَطِيءُ الغَضَبِ سَرِيعُ الفَيْءِ، وَمِنْهُمْ سَرِيعُ الغَضَبِ سَرِيعُ الفَيْءِ؛ فَتِلْكَ بِتِلْكَ، وَمِنْهُمْ سَرِيعُ الغَضَبِ بَطِيءُ الفَيْءِ، أَلاَ وَإِنَّ خَيْرَهُمُ البَطِيءُ الغَضَبِ السَّرِيعُ الفَيْءِ وَشَرَّهُمُ السَّرِيعُ الغَضَبِ البَطِيءُ الفَيْءِ» [(٢)]، ولما كان الغضب يهيج ويؤثر في كل إنسان وجب على السلطان أن لا يعاقب أحدًا في حالة غضبه، لأنه ربما يتعدى الواجب، ولأنه ربما يكون متغيظًا عليه فيكون متشفيًا لغيظه ومريحًا نفسه من ألم الغيظ، فيكون صاحبه حظ نفسه، فينبغي أن يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه. ورأى عمر رضي الله عنه سكران فأراد أن يأخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع عمر، فقيل له: يا أمير المؤمنين لما شتمك تركته؟ قال: لأنه أغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسي، ولم أحب أن أضرب مسلمًا حمية لنفسي. وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل أغضبه: لولا أنك أغضبتني لعاقبتك.

القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق:

اعلم أن الغضب إذا لزم كظمه لعجزه عن التشفي في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقدًا، ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه وأن يدوم ذلك ويبقى، وقد قال ﷺ «المُؤْمِنُ لَيْسَ بِحَقُودٍ» [(٣)]، فالحقد ثمرة الغضب.

والحقد يثمر ثمانية أمور:

الأول: الحسد: وهو أن يحملك الحقد على أن تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة إن أصابها وتسر بمصيبة إن نزلت به، وهذا من فعل المنافقين. وسيأتي ذمه إن شاء الله تعالى.

الثاني: أن تزيد على إضمار الحسد في الباطن، فتشمت بما أصابه من البلاء.

الثالث: أن تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وإن طلبك وأقبل عليك.

الرابع: وهو دون أن تعرض عنه استصغارًا له.

الخامس: أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر وهتك ستر وغيره.

السادس: أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه.

السابع: إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه.

الثامن: أن تمنعه حقه من قضاء دين أو صلة رحم أو رد مظلمة. وكل ذلك حرام.

وأقل درجات الحقد أن تحترز من الآفات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد إلى ما تعصي الله به، ولكن تستثقله في الباطن ولا تنهى قلبك عن بغضه، حتى تمتنع عما كنت تطوع

(١) حديث «المؤمن سريع الغضب سريع الرضى».
(٢) حديث أبي سعيد الخدري «ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات .. الحديث». تقدم
(٣) حديث «المؤمن ليس بحقود». تقدم في العلم

به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على المنفعة له، أو بترك الدعاء له والثناء عليه أو التحريض على بره ومواساته. فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وإن كان لا يعرّضك لعقاب الله.

ولما حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق على مسطح ـ وكان قريبه ـ لكونه تكلم في واقعة الإفك نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور :٢٢] فقال أبو بكر: نعم نحب ذلك وعاد إلى الإنفاق عليه (١).

والأولى أن يبقى على ما كان عليه، فإن أمكنه أن يزيد في الإحسان مجاهدة للنفس وإرغامًا للشيطان فذلك مقام الصدّيقين وهو من فضائل أعمال المقرّبين. فللمحقود ثلاثة أحوال عند القدرة.

أحدها: أن يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة أو نقصان وهو العدل.

الثاني: أن يحسن إليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل.

الثالث: أن يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور، وهو اختيار الأراذل، والثاني: هو اختيار الصدّيقين، والأول: هو منتهى درجات الصالحين، ولنذكر الآن فضيلة العفو والإحسان.

فضيلة العفو والإحسان:

اعلم أن معنى العفو أن يستحق حقًا فيسقطه ويبرئ عنه من قصاص أو غرامة، وهو غير الحلم وكظم الغيظ؛ فلذلك أفردناه. قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف :١٩٩] وقال الله تعالى ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة :٢٣٧] وقال رسول الله: «ثَلاثٌ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كُنْتُ حَلاَّفًا لَحَلَفْتُ عَلَيْهِنَّ: مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ فَتَصَدَّقُوا، وَلا عَفَا رَجُلٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ الله إلاَّ زَادَهُ الله بِهَا عِزًّا يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلا فَتَحَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ مَسْأَلَةٍ إلاَّ فَتَحَ الله عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ» (٢)، وقال ﷺ: «التَّوَاضُعُ لا يَزِيدُ العَبْدَ إلاَّ رِفْعَةً فَتَوَاضَعُوا يَرْفَعْكُمُ الله، وَالعَفْوُ لا يَزِيدُ العَبْدَ إلاَّ عِزًّا فَاعْفُوا يُعِزَّكُمُ الله، وَالصَّدَقَةُ لا تَزِيدُ المَالَ إلاَّ كَثْرَةً فَتَصَدَّقُوا يَرْحَمْكُمُ الله» (٣)، وقالت عائشة رضي الله عنها: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله مُنْتَصِرًا مِنْ

---

(١) صحيح: حديث: لما حلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح نزل قوله تعالى ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ [النور: ٢٢] الآية. متفق عليه من حديث عائشة [البخاري: ٦١٨٥، مسلم: ٤٩٧٤].

(٢) صحيح: حديث «ثلاث – والذي نفسي بيده – إن كنت حلافا لحفت عليهن: ما نقص مال من صدقة .. الحديث». أخرجه الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري [الترمذي: ٢٣٢٥، وصححه الألباني في جامع الترمذي] ولمسلم وأبي داود نحوه من حديث أبي هريرة [مسلم: ٣٠٨٤].

(٣) ضعيف جدًا: حديث «التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله». أخرجه الأصفهاني في الترغيب والترهيب وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف [السلسلة الضعيفة: ٣٤٢٤].

مَظْلَمَةٍ ظَلَمَهَا قَطُّ مَا لَمْ يُنْتَهَكْ مِنْ مَحَارِمِ الله، فَإِذَا انْتُهِكَ مِنْ مَحَارِمِ الله شَيءٌ كَانَ أَشَدُّهُمْ فِي ذلِكَ غَضَبًا، وَمَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا»(١)، وقال عقبة: لقيت رسول الله يومًا فابتدرته فأخذت بيده أو بدرني فأخذ بيدي فقال: «يا عقبة ألا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ أَخْلاقِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ: تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ»(٢)، وقال ﷺ: «قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ: يَا رَبُّ أَيُّ عِبَادِكَ أَعَزُّ عَلَيْكَ؟ قَالَ: الَّذِي إِذَا قَدِرَ عَفَا»(٣)، وكذلك سئل أبو الدرداء عن أعز الناس قال: الذي يعفو إذا قدر فاعفوا يعزكم الله، وجاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو مظلمة فأمره النبي أن يجلس وأراد أن يأخذ له بمظلمته، فقال له: «إِنَّ المَظْلُومِينَ هُمُ المُفْلِحُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ»(٤)، فأبى أن يأخذها حين سمع الحديث, وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله: «مَنْ دَعَا عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ فَقَدْ انْتَصَرَ».

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا بَعَثَ الله الخَلائِقَ يَوْمَ القِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ مِنْ تَحْتِ العَرْشِ ثَلاثَةَ أَصْوَاتٍ: يَا مَعْشَرَ المُوَحِّدِينَ إِنَّ الله قَدْ عَفَا عَنْكُمْ فَلْيَعْفُ بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ»(٥)، وعن أبي هريرة أن رسول الله لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتي الباب فقال ﷺ: «مَا تَقُولُونَ وَمَا تَظُنُّونَ؟» فقالوا: نقول أخ وابن عم حليم رحيم ـ قالوا ذلك ثلاثًا ـ فقال: «أَقُولُ كَمَا قَالَ يُوسُفُ: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]»(٦) قال فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا في الإسلام: وعن سهيل بن عمرو قال: لما قدم رسول الله مكة وضع يديه على باب الكعبة والناس حوله فقال: «لا إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ» ثم قال: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَقُولُونَ وَمَا تَظُنُّونَ؟» قال: قلت يا رسول الله نقول خيرًا ونظن خيرًا أخ كريم

---

(١) حديث عائشة: ما رأيت رسول الله ﷺ منتصرا من مظلمة ظلمها قط .. الحديث». أخرجه الترمذي في الشمائل وهو عند مسلم بلفظ آخر وقد تقدم.

(٢) حديث عقبة بن عامر «يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة ... الحديث». أخرجه ابن أبي الدنيا والطبراني في مكارم الأخلاق والبيهقي في الشعب بإسناد ضعيف وقد تقدم.

(٣) صحيح: حديث: قال موسى يا رب أي عبادك أعز عليك؟ قال الذي إذا قدر عفا. أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة وفيه ابن لهيعة [السلسلة الصحيحة: ٣٣٥٠].

(٤) ضعيف: حديث «إن المظلومين هم المفلحون يوم القيامة». وفي أوله قصة رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو من رواية أبي صالح الحنفي مرسلا [ضعيف الجامع: ١٧٨٤].

(٥) حديث أنس: إذا بعث الله عز وجل الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات: يا معشر الموحدين إن الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض. أخرجه أبو سعيد أحمد بن إبراهيم المقرئ في كتاب التبصرة والتذكرة بلفظ «ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيامة: يا أمة محمد إن الله تعالى يقول ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي». وإسناده ضعيف [السلسلة الضعيفة: ٣/ ٤٣٩] ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ «نادى مناد يا أهل الجمع تداركوا المظالم بينكم وثوابكم علي» وله من حديث أم هانئ «ينادي مناد: يا أهل التوحيد ليعف بعضكم عن بعض وعلي الثواب».

(٦) حديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتي الباب فقال «ما تقولون .. الحديث» رواه ابن الجوزي في الوفاء من طريق ابن أبي الدنيا وفيه ضعف.

وابن عم رحيم وقد قدرت، فقال رسول الله : «أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ (١) » ، وعن أنس قال: قال رسول الله : «إِذا وَقَفَ العِبَادُ نَادَى مُنَادٍ لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى الله فَلْيَدْخُلِ الجَنَّةَ» ، قيل ومن ذا الذي له على الله أجر؟ قَالَ: «العَافُونَ عَنِ النَّاسِ، فَيَقُومُ كَذَا وَكَذَا أَلْفًا فَيَدْخُلُونَها بِغَيْرِ حِسَابٍ»(٢) ، وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يَنْبَغِي لِوالِي أَمْرٍ أَنْ يُؤْتَى بِحَدَ إِلاَّ أَقَامَهُ وَالله عَفُوٌّ يُحِبُّ العَفْوَ ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾[النور :٢٢] الآية»(٣) ، وقال جابر: قال رسول الله «ثَلاثٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ إِيمَانٍ دَخَلَ مِنْ أَيِّ أَبْوابِ الجَنَّةِ شَاءَ وَزُوِّجَ مِنَ الحُورِ العِين حَيْثُ شَاءَ: مَنْ أَدَّى دَيْنًا خَفِيًّا وَقَرأَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ عَشْرَ مَرَّاتٍ وَعَفَا عَنْ قَاتِلِهِ» قال أبو بكر: أو إحداهن يا رسول الله؟ قال: «أو إحداهن»(٤) .

الآثار : قال إبراهيم التيمي: إن الرجل ليظلمني فأرحمه. وهذا إحسان وراء العفو لأنه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم وأنه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب. وقال بعضهم: إذا أراد الله أن يتحف عبدًا قيَّض له من يظلمه. ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فجعل يشكو إليه رجلًا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر: إنك إن تلقى الله ومظلمتك كما هي، خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها.

وقال يزيد بن ميسرة: إن ظللت تدعو على من ظلمك فإن الله تعالى يقول إنّ آخر يدعو عليك بأنك ظلمته فإن شئت استجبنا لك وأجبنا عليك وإن شئت أخرتكما إلى يوم القيامة فيسعكما عفوي. وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه: كل الظالم إلى ظلمه فإنه أسرع إليه من دعائك عليه إلا أن يتداركه بعمل وقمن أن لا يفعل. وعن ابن عمر عن أبي بكر أنه قال: بلغنا أن الله تعالى يأمر مناديًا يوم القيامة فينادي من كان له عند الله شيء فليقم فيقوم أهل العفو، فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس. وعن هشام بن محمد قال: أتى النعمان بن المنذر برجلين قد أذنب أحدهما ذنبًا عظيمًا فعفا عنه والآخر أذنب ذنبًا خفيفًا فعاقبه وقال:

تعفو الملوك عن العظيم من الذنوب بفضلها
ولقـــد تعاقب في اليسير وليس ذاك لجهلها

---

(١) حديث سهيل بن عمرو: لما قدم رسول الله ﷺ مكة وضع يده على باب الكعبة .. الحديث». بنحوه: لم أجده.

(٢) ضعيف: حديث أنس «إذا وقف العباد نادى مناد ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة». قيل من ذا الذي أجره على الله؟ قال «العافون على الناس... الحديث» أخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق وفيه الفضل بن يسار ولا يتابع على حديثه [ضعيف الجامع: ٤٠٦].

(٣) حديث ابن مسعود «لا ينبغي لولي أمر أن يؤتى بحد إلا أقامه والله عفو يحب العفو ثم قرأ ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ [النور :٢٢] الآية». أخرجه أحمد والحاكم وصححه وتقدم في آداب الصحبة.

(٤) ضعيف جدًا: حديث جابر: ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة من أي أبواب الجنة شاء .. الحديث». أخرجه الطبراني في الأوسط في الدعاء بسند ضعيف [ضعيف الترغيب: ١٤٦٠].

إلا ليعرف حلمها ويخـاف شـــدة دخلها

وعن مبارك بن فضالة قال: وفد سوار بن عبد الله في وفد من أهل البصرة إلى أبي جعفر، فكنت عنده إذ أتي برجل فأمر بقتله فقلت يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر، فقلت يا أمير المؤمنين ألا أحدثك حديثًا سمعته من الحسن؟ قال: وما هو؟ قلت سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، فيقوم مناد فينادي من له عند الله يد فليقم، فلا يقوم إلا من عفا، فقال: والله لقد سمعته من الحسن؟ فقلت والله لسمعته منه، فقال: خلينا عنه.

وقال معاوية: عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة، فإذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والإفضال.

وروي أن راهبًا دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب: أرأيت ذا القرنين أكان نبيًا؟ فقال. لا، ولكنه إنما أعطي ما أعطي بأربع خصال كن فيه: كان إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا حدث صدق، ولا يجمع شغل اليوم لغد.

وقال بعضهم: ليس الحليم من ظلم فحلم. حتى إذا قدر انتقم، ولكن الحليم من ظلم فحلم حتى إذا قدر عفا. وقال زياد: القدرة تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب، وأتي هشام برجل بلغه عنه أمر فلما أقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام: وتتكلم أيضًا؟ فقال الرجل: يا أمير المؤمنين قال الله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾[النحل:١١١] أفنجادل الله تعالى ولا نتكلم بين يديك كلامًا؟ قال هشام: بلى ويحك تكلم.

وروي أن سارقًا دخل خباء عمار بن ياسر بصفين فقيل له اقطعه فإنه من أعدائنا، فقال بل أستر عليه لعل الله يستر عليَّ يوم القيامة، وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع طعامًا فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وإنها لمعي، فجعلوا يدعون على من أخذها ويقولون: اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها اللهم افعل به كذا، فقال عبد الله: اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها وإن كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه.

وقال الفضيل: ما رأيت أزهد من رجل من أهل خراسان جلس إليَّ في المسجد ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت أعلى الدنانير تبكي؟ فقال: لا، ولكن مثلتني وإياه بين يدي الله عز وجل فأشرف عقلي على إدحاض حجته فبكائي رحمة له؟ وقال مالك بن دينار: أتينا منزل الحكم بن أيوب ليلًا وهو على البصرة أمير. وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا معه عليه فما كنا مع الحسن إلا بمنزلة الفراريج، فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به إخوته من بيعهم إياه وطرحهم له في الجب فقال: باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم، وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس ثم قال: أيها الأمير ماذا صنع الله به؟ أداله منهم ورفع ذكره وأعلى كلمته وجعله على خزائن الأرض، فماذا صنع حين أكمل له أمره وجمع له أهله؟

﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٩٢] يعرض للحكم بالعفو عن أصحابه قال الحكم فأنا أقول لا تثريب عليكم اليوم ولو لم أجد إلا ثوبي هذا لواريتكم تحته.

وكتب ابن المقفع إلى صديق له يسأله العفو عن بعض إخوانه: فلان هارب من زلته إلى عفوك لائذ منك بك.

واعلم أنه لن يزداد الذنب عظمًا إلا ازداد العفو فضلًا. وأتي عبد الملك بن مروان بأسارى ابن الأشعث فقال لرجاء بن حيوة. ما ترى؟ قال إن الله تعالى قد أعطاك ما تحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو فعفا عنهم.

وروي أن زيادًا أخذ رجلًا من الخوارج فأفلت منه فأخذ أخًا له فقال له. إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك، فقال: أرأيت إن جئتك بكتاب من أمير المؤمنين تخلي سبيلي؟ قال: نعم. قال: فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى ثم تلا ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [النجم:٣٦-٣٨] فقال زياد: خلوا سبيله، هذا رجل قد لقن حجته، وقيل: مكتوب في الإنجيل. من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان.

فضيلة الرفق:

اعلم أن الرفق محمود ويضاده العنف والحدة. والعنف نتيجة الغضب والفظاظة.

والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة، وقد يكون سبب الحدة الغضب، وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاءه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت فالرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق، ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال.

ولأجل هذا أثنى رسول الله على الرفق وبالغ فيه فقال ﷺ: «يا عائشة إنه من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة» (١)، وقال رسول الله : «إِذَا أَحَبَّ الله أَهْلَ بَيْتٍ أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ» (٢)، وقال ﷺ: «إِنَّ الله لَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لا يُعْطِي عَلَى الخَرق وَإِذَا أَحَبَّ الله عَبْدًا أَعْطَاهُ الرِّفْقَ وَمَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ يُحْرَمُونَ الرِّفْقَ إلاَّ حُرِمُوا مَحَبَّةَ الله تَعَالَى» (٣)، وقالت عائشة رضي الله عنها قال

(١) صحيح: حديث «يا عائشة إنه من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة .. الحديث». رواه أحمد والعقيلي في الضعفاء في ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي وضعفه عن القاسم عن عائشة [صحيح الترغيب: ٢٥٢٤]. وفي الصحيحين من حديثها «يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله» [البخاري: ٥٥٦٥، مسلم: ٤٠٢٧].

(٢) صحيح: حديث «إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق». أخرجه أحمد بسند جيد والبيهقي في الشعب بسند ضعيف من حديث عائشة [أحمد: ٢٣٢٩٠، صحيح الجامع: ٣٠٣].

(٣) حسن: حديث «إن الله ليعطي على الرفق .. الحديث». أخرجه الطبراني في الكبير من حديث جرير بإسناد

النبي ﷺ: «إنَّ الله رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَيهِ ما لا يُعْطِي عَلَى العُنْفِ» (١)، وقال ﷺ: «يا عَائِشَةُ ارْفُقِي فَإنَّ الله إذا أَرَادَ بِأَهْلِ بَيْتٍ كَرَامَةً دَلَّهُمْ عَلَى بَابِ الرِّفْقِ» (٢)، وقال ﷺ: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الخَيْرَ كُلَّهُ» (٣)، وقال ﷺ: «أَيُّما وَالٍ وَلِيَ فَرَفِقَ وَلانَ رَفِقَ الله تَعَالَى بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ» (٤)، وقال ﷺ: «تَدْرُونَ مَنْ يُحَرَّمُ عَلَى النَّارِ يَوْمَ القِيامَةِ؟ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ» (٥)، وقال ﷺ: «الرِّفْقُ يُمْنٌ وَالخَرْقُ شُؤْمٌ» (٦)، وقال ﷺ: «التَّأَنِّي مِنَ الله وَالعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ» (٧).

وروي أن رسول الله أتاه رجل فقال: يا رسول الله إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير فقال: «الحمد لله» مرتين أو ثلاثًا ثم أقبل عليه فقال: «هل أنت مستوص» مرتين أو ثلاثًا قال: نعم.

قال: «إن أردت أمرًا فتدبر عاقبته فإن كان رشدًا فأمضه وإن كان سوى ذلك فانته» (٨)، وعن عائشة رضي الله عنها. أنها كانت مع رسول الله في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينًا وشمالاً فقال رسول الله: «يا عَائِشَةُ عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ فَإِنَّهُ لا يَدْخُلُ فِي شَيْءٍ إلاَّ زَانَهُ وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ شَانَهُ» (٩).

الآثار: بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جماعة من رعيته اشتكوا من عماله فأمرهم أن يوافوه، فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس أيتها الرعية إن لنا عليكم حقًا

ضعيف [صحيح الترغيب: ٢٦٦٦].

(١) صحيح: حديث «إن الله رفيق يحب الرفق .. الحديث». أخرجه مسلم من حديث عائشة [مسلم: ٤٦٩٧].

(٢) صحيح: حديث «يا عائشة أرفقي إن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق». أخرجه أحمد من حديث عائشة وفيه انقطاع ولأبي داود «يا عائشة أرفقي».

(٣) حديث «من يحرم الرفق يحرم الخير كله». أخرجه مسلم من حديث جرير دون قوله «كله» فهي عند أبي داود.

(٤) صحيح: حديث «أيما وال ولي فلان ورفق رفق الله به يوم القيامة». أخرجه مسلم من حديث عائشة وفي حديث فيه «ومن ولى من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به»، [مسلم: ٣٤٠٧].

(٥) حديث «أتدرون على من تحرم النار على كل هين لين سهل قريب». أخرجه الترمذي من حديث ابن مسعود وتقدم في آداب الصحبة.

(٦) ضعيف: حديث «الرفق يمن والخرق شؤم». أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود [ضعيف الجامع: ٣١٦١] والبيهقي في الشعب من حديث عائشة وكلاهما ضعيف،[ضعفه الألباني في ضعيف الجامع: ٣١٦٢].

(٧) حسن: حديث «التأني من الله والعجلة من الشيطان». أخرجه أبو يعلى من حديث أنس [صحيح الجامع: ٣٠١١] ورواه الترمذي وحسنه من حديث سهل بن سعد بلفظ «الأناة من الله» وقد تقدم.

(٨) موضوع: حديث: أتاه رجل فقال يا رسول الله إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك .. الحديث» «إن أردت أمرا فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فأمضه .. الحديث». أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق من حديث أبي جعفر هو المسمى عبد الله بن مسور الهاشمي ضعيف جدا [السلسلة الضعيفة: ٢٣٠٨] ولأبي نعيم في كتاب الإيجاز من رواية إسماعيل الأنصاري عن أبيه عن جده «إذا هممت بأمر فاجلس فتدبر عاقبته» وإسناده ضعيف.

(٩) صحيح: حديث عائشة «عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانه .. الحديث». رواه مسلم،[مسلم: ٤٦٩٨].

النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير، أيتها الرعاة إن للرعية عليكم حقًا فاعلموا أنه لا شيء أحب إلى الله ولا أعز من حلم إمام ورفقه، ليس جهل أبغض إلى الله ولا أغم من جهل إمام وخرقه، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية ممن هو دونه.

وقال وهب بن منبه: الرفق ثنى الحلم.

وفي الخبر موقوفًا ومرفوعًا: «العِلْمُ خَلِيلُ المُؤْمِنِ وَالحِلْمُ وَزِيرُهُ وَالعَقْلُ دَلِيلُهُ وَالعَمَلُ قَيِّمُهُ وَالرِّفْقُ وَالِدُهُ وَاللِّينُ أَخُوهُ وَالصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ»(١).

وقال بعضهم: ما أحسن الإيمان يزينه العلم وما أحسن العلم يزينه العمل وما أحسن العمل يزينه الرفق وما أضيف شيء إلى شيء مثل حلم إلى علم. وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما الرفق؟ قال: تكون ذا أناة فتلاين الولاة. قال فما الخرق؟ قال: معاداة إمامك ومناوأة من يقدر على ضررك.

وقال سفيان لأصحابه: تدرون ما الرفق؟ قالوا: قل يا أبا محمد، قال: أن تضع الأمور في مواضعها: الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه؛ وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل:

ووضع الندى في موضع السيف بالعُلاَ مُضِرٌ كوضع السيف في موضع النّدى

فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الأخلاق، ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحدة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر، فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف، وإن كان العنف في محله حسنًا كما أن الرفق في محله حسن، فإذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو ألذ من الزبد بالشهد وهكذا. وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: روي أن عمرو بن العاص كتب إلى معاوية يعاتبه في التأني فكتب إليه معاوية. أما بعد، فإن الفهم في الخير زيادة رشد، وإن الرشيد من رشد عن العجلة، وإن الخائب من خاب عن الأناة، وإن المتثبت مصيب أو كاد أن يكون مصيبًا، وإن العجل مخطئ أو كاد أن يكون مخطئًا، وأن من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك المعالي. وعن أبي عون الأنصاري قال: ما تكلم الناس بكلمة صعبة إلا وإلى جانبها كلمة ألين منها تجري مجراها. وقال أبو حمزة الكوفي: لا تتخذ من الخدم إلا ما لا بد منه فإن مع كل إنسان شيطانًا. واعلم أنهم لا يعطونك بالشدة شيئًا إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه. وقال الحسن: المؤمن وقاف متأن وليس كحاطب ليل. فهذا ثناء أهل العلم على الرفق وذلك لأنه محمود ومفيد في أكثر الأحوال وأغلب الأمور، والحاجة إلى العنف قد تقع ولكن على الندور، وإنما الكامل من يميز مواقع العنف فيعطي كل أمر حقه فإن كان قاصر البصيرة أو أشكل عليه حكم

(١) حديث «العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قائده والرفق والده». أخرجه أبو الشيخ في كتاب الثواب وفضائل الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف ورواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث أبي الدرداء وأبي هريرة وكلاهما ضعيف [انظر ضعيف الجامع: ٢٣٧٩].

واقعة من الوقائع فليكن ميله إلى الرفق فإن النجاح معه في الأكثر.

القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الراهب في ازالته.

بيان ذم الحسد

اعلم أن الحسد أيضًا من نتائج الحقد، والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرعه والغضب أصل أصله، ثم إن للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى.

وقد ورد في ذم الحسد خاصة أخبار كثيرة: قال رسول الله : «الحَسَدُ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ» (١)، وقال ﷺ في النهي عن الحسد وأسبابه وثمراته: «لا تَحَاسَدُوا وَلا تَقَاطَعُوا وَلا تَبَاغَضُوا وَلا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا» (٢)، وقال أنس: كنا يومًا جلوسًا عند رسول الله فقال: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ مِنَ هذا الفَجِّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ» قال: فطلع رجل من الأنصار ينفض لحيته من وضوئه قد علق نعليه في يده الشمال فسلم، فلما كان الغد قال رسول الله مثل ذلك فطلع ذلك الرجل، وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له: إني لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثًا فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي الثلاث فعلت، فقال: «نعم» فبات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيئًا غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى، ولم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر؛ قال: غير أني ما سمعته يقول إلا خيرًا فلما مضت الثلاث وكدت أن أحتقر عمله قلت: يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة، ولكني سمعت رسول الله يقول كذا وكذا فأردت أن أعرف عملك فلم أرك تعمل عملًا كثيرًا فما الذي بلغ بك ذلك؟ فقال ما هو إلا ورأيت، فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد على أحد من المسلمين في نفسي غشًا ولا حسدًا على خير أعطاه الله إياه، قال عبد الله: فقلت له هي التي بلغت بك وهي التي لا نطيق (٣)، وقال ﷺ: «ثَلاثٌ لا يَنْجُو مِنْهُنَّ أَحَدٌ: الظَّنُّ وَالطِّيَرَةُ وَالحَسَدُ، وَسَأُحَدِّثُكُمْ بِالمَخْرَجِ مِنْ ذلِكَ: إذا ظَنَنْتَ فَلا تُحَقِّقْ؛ وَإذا تَطَيَّرْتَ فَامْضِ، وَإذَا حَسَدْتَ فَلاَ تَبْغِ» (٤)، وفي

---

(١) ضعيف : حديث «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب». أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة وابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم، [انظر ضعيف الجامع : ٢١٩٧، ضعيف الترغيب: ١٧٢٣].

(٢) حديث «لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا .. الحديث». متفق عليه وقد تقدم [البخاري: ٦٠٦٥، مسلم: ٢٥٥٩].

(٣) حديث أنس: كنا يوما جلوسا عند رسول الله ﷺ فقال «يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة.. الحديث» وفيه أن ذلك الرجل قال: «لا أجد على أحد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله» رواه أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين ورواه البزار وسمي الرجل في رواية له سعدا وفيها ابن لهيعة.

(٤) ضعيف : حديث «ثلاث لا ينجو منهن أحد: الظن والطيرة والحسد .. الحديث». وفي رواية «وقل من ينجو منهن» أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي هريرة وفيه يعقوب بن محمد الزهري وموسى بن يعقوب الزمعي ضعفهما الجمهور، والرواية الثانية رواها ابن أبي الدنيا أيضا من رواية عبد الرحمن بن معاوية وهو مرسل ضعيف، وللطبراني من حديث حارثة بن النعمان نحوه وتقدم في آفات اللسان، [انظر ضعيف الجامع: ٢٥٢٦].

رواية: «ثَلاثٌ لا يَنْجُو مِنْهُنَّ أَحَدٌ وَقَلَّ مَنْ يَنْجُو مِنْهُنَّ» فأثبت في هذه الرواية إمكان النجاة.

وقال ﷺ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ، وَالبِغْضَةُ هِيَ الحَالِقَةُ لا أَقُولُ حالِقَةُ الشَّعْرِ وَلكِنْ حَالِقَةُ الدِّينِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَلاَ أَنْبِئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذلِكَ لَكُمْ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ» (١)، وقال ﷺ: «كَادَ الفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا وَكَادَ الحَسَدُ أَنْ يَغْلِبَ القَدَرَ» (٢)، وقال ﷺ: «إِنَّهُ سَيُصِيبُ أُمَّتِي دَاءُ الأُمَمِ» قالوا. وما داء الأمم؟ قال ﷺ: «الأَشَرُ وَالبَطَرُ وَالتَّكَاثُرُ وَالتَّنَافُسُ فِي الدُّنْيَا وَالتَّبَاغُدُ وَالتَّحَاسُدُ حَتَّى يَكُونَ البَغْيُ ثُمَّ الهَرْجُ» (٣)، وقال: «لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك» (٤)، وروي أن موسى عليه السلام لما تعجل إلى ربه تعالى رأى في ظل العرش رجلاً فغبطه بمكانه فقال: إن هذا لكريم على ربه، فسأل ربه تعالى أن يخبره باسمه فلم يخبره وقال أحدثك من عمله بثلاث: كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، وكان لا يعق والديه، ولا يمشي بالنميمة.

وقال زكريا عليه السلام: قال الله تعالى: الحاسد عدوّ لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي.

وقال ﷺ: «أَخْوَفُ ما أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي أَنْ يَكْثُرَ فِيهِمُ المَالُ فَيَتَحَاسَدُونَ وَيَقْتَتِلُونَ» (٥)، وقال ﷺ: «اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ الحَوَائِجِ بِالكِتْمَانِ فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ» (٦)، وقال ﷺ: «إِنَّ

---

(١) حسن: حديث: «دب إليكم داء الأمم: الحسد والبغضاء. .. الحديث». أخرجه الترمذي من حديث مولى الزبير عن الزبير، [الترمذي: ٢٥١٠، انظر صحيح الجامع: ٣٣٦١].

(٢) ضعيف: حديث «كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلب القدر». أخرجه أبو مسلم الكشي والبيهقي في الشعب من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ويزيد ضعيف ورواه الطبراني في الأوسط من وجه آخر بلفظ «كادت الحاجة أن تكون كفرا» وفيه ضعف أيضاً، [انظر ضعيف الجامع: ٤١٤٨، الضعيفة: ٤٠٨٠].

(٣) حسن: حديث «إنه سيصيب أمتي داء الأمم قبلكم» قالوا وما داء الأمم؟ قال «الأشر والبطر .. الحديث». أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة بإسناد جيد، [انظر صحيح الجامع: ٣٦٥٨، الصحيحة: ٦٨٠].

(٤) ضعيف: حديث «لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك». أخرجه الترمذي من حديث واثلة بن الأسقع وقال حسن غريب وفي رواية ابن أبي الدنيا فيرحمه الله، [الترمذي: ٢٥٠٦، انظر ضعيف الجامع: ٦٢٤٥، ضعيف الترغيب: ١٤٧٠].

(٥) ضعيف: حديث «أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون». أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي عامر الأشعري وفيه ثابت بن أبي ثابت جهله أبو حاتم [انظر ضعيف الجامع: ٨٤]، وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد «إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها» [البخاري: ١٤٦٥، مسلم: ١٠٥٢]، ولهما من حديث عمرو بن عوف البدري «والله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا... الحديث» [البخاري: ٤٠١٥، مسلم: ٢٩٦١]، ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو «إذا فتحت عليكم فارس والروم... الحديث» وفيه يتنافسون ثم يتحاسدون ثم يتدابرون... الحديث [مسلم: ٢٩٦٢]، ولأحمد والبزار من حديث عمر «لا تفتح الدنيا على أحد إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة»، [ضعيف، وانظر الضعيفة: ٤٨٧١، ضعيف الجامع: ١٨٩٣].

(٦) صحيح: حديث «استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود». أخرجه ابن أبي الدنيا

لِنِعَم الله أَعْدَاءٌ» فقيل ومن هم؟ فقال: «الَّذِينَ يحْسدُونَ الناس عَلَى ما آتاهُمُ الله مِنْ فَضْلِهِ» (١)، وقال ﷺ: «سِتَّةٌ يدْخُلُونَ النَّارَ قَبْلَ الحِسَابِ بِسَنةٍ» قيل يا رسول الله من هم؟ قال: «الأُمَرَاءُ بِالجَوْرِ وَالعَرَبُ بِالعَصَبِيَّةِ وَالدَّهَاقِينُ بِالتَّكَبُّرِ وَالتُّجَّارُ بِالخِيانَةِ، وَأَهْلُ الرُّسْتَاقِ بِالجَهَالَةِ وَالعُلَمَاءِ بِالحَسَدِ» (٢).

الآثار قال بعض السلف: أول خطيئة هي الحسد حسد إبليس آدم عليه السلام على رتبته فأبى أن يسجد له فحمله الحسد على المعصية. وحكي أن عون بن عبد الله دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذٍ على واسط فقال: إني أريد أن أعظك بشيء فقال: وما هو؟ قال: إياك والكبر فإنه أول ذنب عصي الله به، ثم قرأ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [البقرة:٣٤] الآية، وإياك والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والأرض يأكل منها إلا شجرة واحدة نهاه الله عنها فأكل منها فأخرجه الله تعالى منها، ثم قرأ ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا﴾ [البقرة:٣٨] إلى آخر الآية وإياك والحسد فإنما قتل ابن آدم أخاه حين حسده، ثم قرأ ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾ [المائدة:٢٧] ، الآيات وإذا ذكر أصحاب رسول الله فأمسك، وإذا ذكر القدر فاسكت، وإذا ذكرت النجوم فاسكت. وقال بكر بن عبد الله: كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول: أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء سيكفيكه إساءته، فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به إلى الملك فقال: إن هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم أن الملك أبخر، فقال له الملك: وكيف يصح ذلك عندي؟ قال: تدعوه إليك فإنه إذ دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر، فقال له: انصرف حتى أنظر، فخرج من عند الملك فدعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعامًا فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك على عادته فقال: أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء سيكفيكه إساءته، فقال له الملك: أدن مني فدنا فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه رائحة الثوم، فقال الملك في نفسه: ما أرى فلانًا إلا قد صدق؟ قال: وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أوصلة فكتب له كتابًا بخطه إلى عامل من عماله: إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنًا وابعث به إليّ فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال: ما هذا الكتاب؟ قال خط الملك لي بصلة، فقال هبه لي فقال: هو لك، فأخذه ومضى به إلى العامل فقال العامل في كتابك أن أذبحك وأسلخك، قال: إن الكتاب ليس هو لي فالله الله في أمري حتى تراجع الملك؛ فقال: ليس لكتاب الملك مراجعة، فذبحه وسلخه وحشا

والطبراني من حديث معاذ بسند ضعيف، [انظر الصحيحة: ١٤٥٣، صحيح الجامع: ٩٤٣].

(١) حديث «إن لنعم الله أعداء» قيل ومن أولئك؟ قال «الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله». أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس «إن لأهل النعم حساد فاحذروهم».

(٢) حديث «ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة .. الحديث» «والعلماء بالحسد»، أخرجه أبو منصور الديلمي من حديث ابن عمر وأنس بسندين ضعيفين.

جلده تبنًا وبعث به ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته وقال مثل قوله؛ فعجب الملك وقال: ما فعل الكتاب؟ فقال: لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له، قال له الملك: إنه ذكر لي أنك تزعم أني أبخر، قال: ما قلت ذلك؟ قال: فلم وضعت يدك على فيك؟ قال: لأنه أطعمني طعامًا فيه ثوم فكرهت أن تشمه، قال: صدقت ارجع إلى مكانك فقد كفى المسيء إساءته. وقال ابن سيرين رحمه الله: ما حسدت أحدًا على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة؟ وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار؟ وقال رجل للحسن: هل يحسد المؤمن؟ قال: ما أنساك بني يعقوب؟ نعم، ولكن غمه في صدرك فإنه لا يضرك ما لم تعد به يدًا ولا لسانًا.

وقال أبو الدرداء: ما أكثر عبد ذكر الموت إلا قل فرحه وقل حسده وقال معاوية: كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمة لا يرضيه إلا زوالها ولذلك قيل:

كل العداوات قد ترجى إماتتها إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال بعض الحكماء: الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسود ما يلقى. وقال أعرابي: ما رأيت ظالمًا أشبه بمظلوم من حاسد، إنه يرى النعمة عليك نقمة عليه. وقال الحسن: يا ابن آدم لم تحسد أخاك؟ فإن كان الذي أعطاه لكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله؟ وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار؟ وقال بعضهم: الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلًا، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضًا، ولا ينال من الخلق إلا جزعًا وغمًا، ولا ينال عند النزع إلا شدّة وهولًا، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالًا.

بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه:

اعلم أنه لا حسد إلا على نعمة، فإذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان:

إحداهما: أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها، وهذه الحالة تسمى حسدًا. فالحسد حدّه كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه.

الحالة الثانية: أن لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها. وهذه تسمى غبطة، وقد تختص باسم المنافسة.

وقد تسمى المنافسة حسدًا والحسد منافسة ويوضع أحد اللفظين موضع الآخر، ولا حجر في الأسامي بعد فهم المعاني. وقد قال ﷺ «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغْبِطُ وَالْمُنَافِقَ يَحْسُدُ» (١).

فأما الأول فهو حرام بكل حال، إلا نعمة أصابها فاجر أو كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وإفساد ذات البين وإيذاء الخلق، فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها، فإنك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آلة الفساد، ولو أمنت فساده لم يغمك بنعمته، ويدل

---

٢٠ بيان حقيقة الحسد وحكمه

(١) حديث «المؤمن يغبط والمنافق يحسد». لم أجد له أصلا مرفوعا، وإنما هو من قول الفضيل بن عياض، كذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد.

على تحريم الحسد الأخبار التي نقلناها وأن هذه الكراهة تسخّط لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض، وذلك لا عذر فيه ولا رخصة، وأي معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة؟ وإلى هذا أشار القرآن بقوله ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران:١٢٠] وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان. وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة:١٠٩] فأخبر تعالى أن حبهم زوال نعمة الإيمان حسد.

وقال عز وجل ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء:٨٩] وذكر الله تعالى حسد إخوة يوسف عليه السلام وعبر عما في قلوبهم بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ [يوسف:٨-٩] فلما كرهوا حب أبيهم له وساءهم ذلك وأحبوا زواله عنه غيبوه عنه وقال تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ [الحشر:٩] أي لا تضيق صدورهم به ولا يغتمون فأثنى عليهم بعدم الحسد. وقال تعالى في معرض الإنكار: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء:٥٤] وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ إلى قوله ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة:٢١٣] قيل في التفسير: حسدًا، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:١٤] فأنزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته، وأمرهم أن يتألفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا إذ أراد كل واحد منهم أن ينفرد بالرئاسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض. قال ابن عباس: كانت اليهود قبل أن يبعث النبي ﷺ إذا قاتلوا قومًا قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا أن ترسله وبالكتاب الذي تنزله إلا ما نصرتنا (١).

فكانوا ينصرون. فلما جاء النبي ﷺ من ولد إسماعيل عليه السلام عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم إياه فقال تعالى: ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة:٨٩] إلى قوله ﴿أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا﴾ [البقرة:٩٠] أي حسدًا. وقالت صفية بنت حُيَيّ للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم: جاء أبي وعمي من عندك يومًا، فقال أبي لعمي: ما تقول فيه؟ قال: أقول إنه النبي الذي بشر به موسى. قال: فما ترى؟ قال: أرى معاداته أيام الحياة (٢)، فهذا حكم الحسد في التحريم.

---

(١) حديث ابن عباس: قوله كانت اليهود قبل أن يبعث النبي ﷺ إذا قاتلوا قوما قالوا: نسألك بالنبي الذي وعدتنا أن ترسله .. الحديث. في نزول قوله تعالى ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة:٨٩] أخرجه ابن إسحاق في السيرة فيما بلغه عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ، فذكره نحوه وهو منقطع، [ذكره الألباني في صحيح السيرة ص (٥٧)].

(٢) حديث: قالت صفية بنت حيي للنبي ﷺ جاء أبي وعمي من عندك يوما فقال أبي لعمي: ما تقول فيه؟ قال أقول إنه النبي الذي بشر به موسى .. الحديث» أخرجه ابن إسحاق في السيرة قال حدثني أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال حديث عن صفية فذكره نحوه وهو منقطع أيضا.

وأما المنافسة: فليست بحرام بل هي إما واجبة وإما مندوبة وإما مباحة، وقد يستعمل لفظ الحسد بدل المنافسة والمنافسة بدل الحسد، قال قثم بن العباس: لما أراد هو والفضل أن يأتيا النبي ﷺ فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة ـ قالا لعلي حين قال لهما: لا تذهبا إليه فإنه لا يُؤَمِّرُكما عليها ـ فقالا له: ما هذا منك إلا نفاسة والله لقد زوّجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك [(١)]، أي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه إياك فاطمة.

والمنافسة في اللغة مشتقة من النفاسة. والذي يدل على إباحة المنافسة قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦] وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الحديد:٢١] وإنما المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان إلى خدمة مولاهما؛ إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها، فكيف، وقد صرح رسول الله بذلك فقال: «لا حَسَدَ إلاّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتاهُ الله مالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتاهُ الله تَعَالَى عِلْمًا فَهُوَ يَعْمَلُ بِهِ وَيُعَلِّمُهُ النَّاسَ» [(٢)]، ثم فسر ذلك في حديث أبي كبشة الأنماري فقال: «مَثَلُ هذِهِ الأُمَّةِ مَثَلُ أَرْبَعَةٍ: رَجُلٌ آتاهُ الله مالاً وَعِلْمًا فَهُوَ يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ فِي مَالِهِ، وَرَجُلٌ آتاهُ الله عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مالاً فَيَقُولُ رَبِّ لَوْ أَنَّ لِي مالاً مِثْلَ مَالِ فُلانٍ لَكُنْتُ أَعْمَلُ فِيهِ بِمِثْلِ عَمَلِهِ فَهُما فِي الأَجْرِ سَوَاءٌ» ـ وَهذا مِنْهُ حُبٌّ لأَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ مَالِهِ فَيَعْمَلَ مِثْلَ ما يَعْمَلُ مِنْ غَيْرِ حُبِّ زَوَالِ النِّعْمَةِ عَنْهُ قالَ: ـ وَرَجُلٌ آتاهُ الله مالاً وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ فِي مَعَاصِي الله، وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مالاً فَيَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مِثْلَ مَالِ فُلانٍ لَكُنْتُ أُنْفِقُهُ فِي مِثْلِ ما أَنْفَقَهُ فِيهِ مِنَ المَعَاصِي فَهُما فِي الوِزْرِ سَوَاءٌ» [(٣)]، فذمه رسول الله من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله. فإذًا لا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له. نعم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه المنافسة واجبة، وهو أن يحب أن يكون مثله لأنه إذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضيًا بالمعصية وذلك حرام، وإن كانت النعمة من الفضائل كإنفاق الأموال في المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب إليها، وإن كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة، وكل ذلك يرجع إلى إرادة مساواته واللحوق به في النعمة وليس فيها

---

(١) حديث قال قثم بن العباس: لما أراد هو والفضل أن يأتيا النبي ﷺ فيسألانه أن يؤمرهما على الصدقة – قالا لعلي .. الحديث. هكذا وقع للمصنف أنه قثم والفضل وإنما هو الفضل والمطلب بن ربيعة كما رواه مسلم من حديث المطلب بن ربيعة بن الحارث قال: اجتمع ربيعة بن الحارث والعباس بن عبد المطلب فقالا والله لو بعثنا هذين الغلامين قال لي وللفضل بن عباس ائتيا إلى رسول الله ﷺ فكلماه؛ فذكر الحديث. [مسلم: ١٠٧٢].

(٢) حديث «لا حسد إلا في اثنتين .. الحديث». متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم في العلم. [البخاري: ٥٠٢٥، مسلم: ٨١٥ بنحوه، وباللفظ المذكور في البخاري: ٧٣، مسلم: ٨١٦ من حديث ابن مسعود].

حديث أبي كبشة: مثل هذه الأمة مثل أربعة: رجل آتاه الله مالا .. الحديث». رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح [الترمذي: ٢٣٢٥، ابن ماجه: ٤٢٢٨، وانظر صحيح الجامع: ٣٠٢٤، صحيح الترغيب: ١٦].

كراهة النعمة، وكانت تحت هذه النعمة أمران، أحدهما: راحة المنعم عليه، والآخر: ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له.

ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات، نعم ذلك ينقص من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان. وههنا دقيقة غامضة: وهو أنه إذا أيس من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان، وإنما يزول نقصانه إما بأن ينال مثل ذلك أو بأن تزول نعمة المحسود، فإذا انسدّ أحد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر، حتى إذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشفى عنده من دوامها إذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره، وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فإن كان بحيث لو ألقي الأمر إليه ورد إلى اختياره لسعى في إزالة النعمة عنه فهو حسود حسدًا مذمومًا، وإن كان تدعه التقوى عن إزالة ذلك، فيعفى عما يجده في طبعه من الارتياح إلى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارهًا لذلك من نفسه بعقله ودينه، ولعله المعنى بقوله ﷺ: «ثلاثٌ لا يَنْفَكُّ المُؤْمِنُ عَنْهُنَّ: الحَسَدُ وَالظَّنُّ وَالطِّيَرَةُ»[1]، ثم قال وله منهن مخرج: «إذا حَسَدْت فَلا تَبْغِ» أي إن وجدت في قلبك شيئًا فلا تعمل به. وبعيد أن يكون الإنسان مريدًا للحاق بأخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل إلى زوال النعمة؛ إذ يجد لا محالة ترجيحًا له على دوامها. فهذا الحدّ من المنافسة يزاحم الحسد الحرام، فينبغي أن يحتاط فيه فإنه موضع الخطر؛ وما من إنسان إلا وهو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه وأقرانه يحب مساواتهم، ويكاد ينجر ذلك إلى الحسد المحظور إن لم يكن قوي الإيمان رزين التقوى. ومهما كان محرّكه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره ذلك إلى الحسد المذموم وإلى ميل الطبع إلى زوال النعمة عن أخيه، حتى ينزل هو إلى مساواته إذ لم يقدر هو أن يرتقي إلى مساواته بإدراك النعمة، وذلك لا رخصة فيه أصلًا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين أو مقاصد الدنيا، ولكن يعفى عنه في ذلك ما لم يعمل به إن شاء الله تعالى، وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له. فهذه هي حقيقة الحسد وأحكامه.

وأما مراتبه فأربع.

الأولى: أن يحب زوال النعمة عنه وإن كان ذلك لا ينتقل إليه وهذا غاية الخبث.

الثانية: أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة، مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو سعة نالها غيره وهو يحب أن تكون له، ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه، ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها.

الثالثة: أن لا يشتهي عينها لنفسه بل يشتهي مثلها، فإن عجز عن مثلها أحب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما.

---

(١) ضعيف: حديث «ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن: الحسد والظن والطيرة.. الحديث». تقدم غير مرة. [انظر ضعيف الجامع: ٢٥٢٦].

الرابعة: أن يشتهي لنفسه مثلها فإن لم تحصل فلا يحب زوالها عنه.

وهذا الأخير هو المعفو عنه إن كان في الدنيا، والمندوب إليه إن كان في الدين، والثالثة فيها مذموم وغير مذموم، والثانية أخف من الثالثة، والأولى مذموم محض. وتسمية الرتبة حسدًا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢] فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم، وأما تمنيه عين ذلك فهو مذموم.

بيان أسباب الحسد والمنافسة:

أما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة، فإن كان ذلك أمرًا دينيًا فسببه حب الله تعالى وحب طاعته، وإن كان دنيويًا فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها. وإنما نظرنا الآن في الحسد المذموم ومداخله كثيرة جدًا، ولكن يحصر جملتها سبعة أبواب: العداوة، والتعزز، والكبر، والتعجب، والخوف من فوت المقاصد المحبوبة، وحب الرئاسة، وخبث النفس وبخلها. فإنه مما يكره النعمة على غيره إما لأنه عدوه فلا يريد له الخير، وهذا لا يختص بالأمثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى أنه يحب زوال نعمته لكونه مبغضًا له بسبب إساءته إليه، أو إلى من يحبه. وإما أن يكون من حيث يعلم أنه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه، وهو المراد بالتعزز. وإما أن يكون في طبعه أن يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه لنعمته وهو المراد بالتكبر. وإما أن تكون النعمة عظيمة والمنصب عظيمًا فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب. وإما أن يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بأن يتوصل بها إلى مزاحمته في أغراضه. وإما أن يكون يحب الرئاسة التي تنبني على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها. وإما أن يكون بسبب من هذه الأسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى,ولا بد من شرح هذه الأسباب.

السبب الأول: العداوة والبغضاء، وهذا أشدّ أسباب الحسد، فإن من آذاه شخص بسبب من الأسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد. والحقد يقتضي التشفي والانتقام، فإن عجز المبغض عن أن يتشفى بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان، وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فمهما أصابت عدوه بلية فرح بها وظنها مكافأة له من جهة الله على بغضه وأنها لأجله، ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك لأنه ضد مراده، وربما يخطر له أنه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل أنعم عليه. وبالجملة، فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما، وإنما غاية التقى أن لا يبغي وأن يكره ذلك من نفسه، فأما أن يبغض إنسانًا ثم يستوي عنده مسرته ومساءته، فهذا غير ممكن، وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به أعني الحسد بالعداوة إذ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩-١٢٠] الآية. وكذلك قال تعالى ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨] والحسد بسبب البغض ربما

يفضي إلى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في إزالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه.

السبب الثاني: التعزز؛ وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره. فإذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علمًا أو مالًا خاف أن يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه، وليس من غرضه أن يتكبر بل غرضه أن يدفع كبره، فإنه قد رضي بمساواته مثلًا، ولكن لا يرضى بالترفع عليه.

السبب الثالث: الكبر؛ وهو أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في أغراضه، فإذا نال نعمة خاف أن لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته، أو ربما يتشوّف إلى مساواته أو إلى أن يرتفع عليه فيعود متكبرًا بعد أن كان متكبرًا عليه. ومن التكبر والتعزز كان حسد أكثر الكفار لرسول الله ﷺ إذ قالوا: كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطأطئ رؤوسنا؟ فقالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١][1] أي كان لا يثقل علينا أن نتواضع له ونتبعه إذا كان عظيمًا وقال تعالى يصف قول قريش: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ [الأنعام: ٥٣] كالاستحقار لهم والأنفة منهم.

السبب الرابع: التعجب، كما أخبر الله تعالى عن الأمم السالفة إذ قالوا: ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [يس: ١٥]، ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون: ٤٧]، ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٤] فتعجبوا من أن يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله تعالى بشر مثلهم فحسدوهم، وأحبوا زوال النبوّة عنهم جزعًا أن يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة، لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدّم عداوة أو سبب آخر من سائر الأسباب، وقالوا متعجبين: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤] وقالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الفرقان: ٢١] وقال تعالى: ﴿أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٣] الآية.

السبب الخامس: الخوف من فوت المقاصد، وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد، فإن كان واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونًا في الانفراد بمقصوده، ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية، وتحاسد الإخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الأبوين للتوصل به إلى مقاصد الكرامة والمال، وكذلك تحاسد التلميذين لأستاذ واحد على نيل المرتبة من قلب الأستاذ، وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه للتوصل به إلى المال والجاه، وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على أهل بلدة

---

٢٥ بيان أسباب الحسد والمنافسة

(١) حديث: سبب نزول قوله تعالى ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] ذكره ابن إسحاق في السيرة، وإن قائل ذلك الوليد بن المغيرة قال: أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف فنحن عظماء القريتين، فأنزل الله فيما بلغني هذه الآية، ورواه أبو محمد بن أبي حاتم وابن مردوية في تفسيريهما من حديث ابن عباس إلا أنهما قالا مسعود بن عمرو، وفي رواية لابن مردوية حبيب بن عمير الثقفي وهو ضعيف، [ذكره الألباني في صحيح السيرة ص (٢٠٠)].

واحدة إذا كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم، وكذلك تحاسد العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين، إذ يطلب كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصل بهم إلى أغراض له.

السبب السادس: حب الرئاسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل إلى مقصود. وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون إذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وأنه لا نظير له، فإنه لو سمع بنظير له في أقصى العالم لساءه ذلك وأحب موته أو زوال النعمة عنه التي بها يشاركه المنزلة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما يتفرّد هو به ويفرح بسبب تفرّده، وليس السبب في هذا عداوة ولا تعزز ولا تكبر على المحسود ولا خوف من فوات المقصود سوى محض الرئاسة بدعوى الانفراد.

وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس للتوصل إلى مقاصد سوى الرئاسة. وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم.

السبب السابع: خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى، فإنك تجد من لا يشتغل برئاسة وتكبر ولا طلب مال إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما أنعم الله به عليه يشق ذلك عليه، وإذا وصف له اضطراب أمور الناس وإدبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به، فهو أبدًا يحب الإدبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزانته. ويقال البخيل من يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره، فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه وبينهم عداوة ولا رابطة، وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث في النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت الجبلة، ومعالجته شديدة لأن الحسد الثابت بسائر الأسباب أسبابه عارضة يتصوّر زوالها فيطمع في إزالتها، وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر إزالته إذ يستحيل في العادة إزالته. فهذه هي أسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد بذلك، ويقوى قوّة لا يقدر معها على الإخفاء والمجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة. وأكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الأسباب، وقلما يتجرّد سبب واحد منها.

بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبني العم والأقارب وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه:

اعلم أن الحسد إنما يكثر بين قوم تكثر بينهم الأسباب التي ذكرناها، وإنما يقوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الأسباب فيهم وتتظاهر، إذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لأنه قد يمتنع عن قبول التكبر ولأنه يتكبر ولأنه عدوّ ولغير ذلك من الأسباب. وهذه الأسباب إنما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الأغراض، فإذا

خالف واحد منهم صاحبه في غرض من الأغراض نفر طبعه عنه وأبغضه وثبت الحقد في قلبه، فعند ذلك يريد أن يستحقره ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه، ويكره تمكنه من النعمة التي توصله إلى أغراضه وتترادف جملة من هذه الأسباب، إذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متنائيتين فلا يكون بينهما محاسدة، وكذلك في محلتين، نعم إذا تجاورا في مسكن أو سوق أو مدرسة أو مسجد تواردا على مقاصد تتناقض فيها أغراضهما، فيثور من التنافر والتباغض، ومنه تثور بقية أسباب الحسد، ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد، والعابد يحسد العابد دون العالم، والتاجر يحسد التاجر، بل الإسكاف يحسد الإسكاف ولا يحسد البزاز إلا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة، ويحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الأجانب والمرأة تحسد ضرتها وسرية زوجها أكثر مما تحسد أم الزوج وابنته. لأن مقصد البزاز غير مقصد الإسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد، إذ مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها إلا بكثرة الزبون، وإنما ينازعه فيه بزاز آخر؛ إذ حريف البزاز لا يطلبه الإسكاف بل البزاز. ثم مزاحمة البزاز المجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه إلى طرف السوق، فلا جرم يكون حسده للجار أكثر. وكذلك الشجاع لا يحسد العالم لأن مقصده أن يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة، ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض، وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع. ثم حسد الواعظ للواعظ أكثر من حسده للفقيه والطبيب، لأن التزاحم بينهما على مقصود واحد أخص. فأصل هذه المحاسدات العداوة، وأصل العداوة التزاحم بينهما على غرض واحد، والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين، فلذلك يكثر الحسد بينهما. نعم من اشتد حرصه على الجاه وأحب الصيت في جميع أطراف العالم بما هو فيه فإنه يحسد كل من هو في العالم وإن بعد ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها، ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا، فإن الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين: أما الآخرة فلا ضيق فيها، وإنما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملكوت سمواته وأرضه لم يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضًا، لأن المعرفة لا تضيق على العارفين.

بل المعلوم الواحد يعلمه ألف ألف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به، ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره، بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الأنس وثمرة الاستفادة والإفادة. فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لأن مقصدهم معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا ضيق فيه، وغرضهم المنزلة عند الله ولا ضيق أيضًا، فيما عند الله تعالى لأن أجل ما عند الله سبحانه من النعيم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ومزاحمة، ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الأنس بكثرتهم. نعم إذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لأن المال أعيان وأجسام إذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر، ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو نقص عنه لا محالة؛ فيكون سببًا للمحاسدة، وإذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك أن يمتلىء قلب غيره بها وأن يفرح بذلك.

والفرق بين العلم والمال أن المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن اليد الأخرى والعلم في

قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير أن يرتحل من قلبه، والمال أجسام وأعيان ولها نهاية فلو ملك الإنسان جميع ما في الأرض لم يبق بعده مال يتملكه غيره، والعلم لا نهاية له ولا يتصوّر استيعابه، فمن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوت أرضه وسمائه صار ذلك ألذ عنده من كل نعيم، ولم يكن ممنوعًا منه ولا مزاحمًا فيه، فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخلق لأن غيره أيضًا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته، فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام أعظم من لذة من ينظر إلى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة، فإن نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة ذاته، يأمن زوالها وهو أبدًا يجني ثمارها؛ فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية، فهو وإن غمض العين الظاهرة فروحه أبدًا ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة، فإن فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر :٤٧] فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا، فماذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب في العقبى؟ فإذن لا يتصوّر أن يكون في الجنة محاسدة ولا أن يكون بين أهل الدنيا في الجنة محاسدة، لأن الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة، ولا تنال إلا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضًا، فأهل الجنة بالضرورة برءاء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعًا، بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين إلى مضيق سجين، ولذلك وسم به الشيطان اللعين، وذكر من صفاته أنه حسد آدم عليه السلام على ما خص به من الاجتباء، ولما دعي إلى السجود استكبر وأبى وتمرّد وعصى. فقد عرفت أنه لا حسد إلا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل. ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر إلى زينة السماء ويتحاسدون على رؤية البساتين التي هي جزء يسير من جملة الأرض، وكل الأرض لا وزن لها بالإضافة إلى السماء، ولكن السماء لسعة الأقطار وافية بجميع الأبصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد أصلًا. فعليك إن كنت بصيرًا وعلى نفسك مشفقًا أن تطلب نعمة لا زحمة فيها ولذة لا كدر لها؟ ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته وأفعاله وعجائب ملكوت السموات والأرض. ولا ينال ذلك في الآخرة إلا بهذه المعرفة أيضًا.

فإن كنت لا تشتاق إلى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وفتر عنها رأيك وضعفت فيها رغبتك فأنت في ذلك معذور؛ إذ العنين لا يشتاق إلى لذة الوقاع، والصبي لا يشتاق إلى لذة الملك، فإن هذه لذات يختص بإدراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين، فكذلك لذة المعرفة يختص بإدراكها الرجال ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾[النور :٣٧] ولا يشتاق إلى هذه اللذة غيرهم، لأن الشوق بعد الذوق، ومن لم يذق لم يعرف، ومن لم يعرف لم يشتق، ومن لم يشتق لم يطلب، ومن لم يطلب لم يدرك، ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في أسفل السافلين ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[الزخرف :٣٦] .

بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب

اعلم أنّ الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب، ولا تداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل. والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقيقًا أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدِّين، وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما. ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدوّ نفسك وصديق عدوّك فارقت الحسد لا محالة. أما كونه ضررًا عليك في الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى، وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده، وعدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكمته، فاستنكرت ذلك واستبشعته. وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الإيمان، وناهيك بهما جناية على الدين. وقد انضاف إلى ذلك أنك غششت رجلًا من المؤمنين وتركت نصيحته، وفارقت أولياء الله وأنبياءه في حبهم الخير لعباده تعالى، وشاركت إبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم. وهذه خبائث في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب، وتمحوها كما يمحو الليل النهار. وأما كونه ضررًا عليك في الدنيا فهو أنك تتألم بحسدك في الدنيا أو تتعذب به، ولا تزال في كمد وغم إذ أعداؤك لا يخليهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم، فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم، فتبقى مغمومًا محرومًا متشعب القلب ضيق الصدر قد نزل بك ما يشتهيه الأعداء لك وتشتهيه لأعدائك، فقد كنت تريد المحنة لعدوّك فتنجزت في الحال محنتك وغمك نقدًا، ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك، ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة إن كنت عاقلًا أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءته مع عدم النفع، فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة؟ فما أعجب من العاقل كيف يتعرّض لسخط الله تعالى من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله وألم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة؟ وأما أنه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لأن النعمة لا تزول عنه بحسدك، بل ما قدره الله تعالى من إقبال ونعمة فلا بدّ أن يدوم إلى أجل غير معلوم قدّره الله سبحانه فلا حيلة في دفعه، بل كل شيء عنده بمقدار، ولكل أجل كتاب. ولذلك شكا نبي من الأنبياء من امرأة ظالمة مستولية على الخلق فأوحى الله إليه: فرّ من قدامها حتى تنقضي أيامها أي ما قدرناه في الأزل لا سبيل إلى تغييره فاصبر حتى تنقضي المدّة التي سبق القضاء بدوام إقبالها فيها. ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه إثم في الآخرة، ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي. وهذا غاية الجهل فإنه بلاء تشتهيه أوّلًا لنفسك، فإنك أيضًا لا تخلو عن عدوّ يحسدك، فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق لله تعالى عليك نعمة ولا على أحد من الخلق ولا نعمة الإيمان أيضًا، لأن الكفار يحسدون المؤمنين على الإيمان. قال الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة:١٠٩] إذ ما يريده الحسود لا يكون. نعم هو يضل بإرادته الضلال لغيره

فإن أراد الكفر كفر. فمن اشتهى أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكأنما يريد أن يسلب نعمة الإيمان بحسد الكفار، وكذا سائر النعم. وإن اشتهيت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة. فإن كل واحد من حمقى الحساد أيضًا يشتهي أن يخص بهذا الخاصية ولست بأولى من غيرك، فنعمة الله تعالى عليك في إن لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وأنت بجهلك تكرهها.

وأما أن المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح. أما منفعته في الدين: فهو إنه مظلوم من جهتك لا سيما إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه، فهذه هدايا تهديها إليه؛ أعني أنك بذلك تهدي إليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلسًا محرومًا عن النعمة، فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل. نعم كان لله عليه نعمة إذ وفقك للحسنات فنقلتها إليه فأضفت إليه نعمة إلى نعمة وأضفت إلى نفسك شقاوة إلى شقاوة.

وأما منفعته في الدنيا، فهو أن أهم أغراض الخلق مساءة الأعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين. ولا عذاب أشدّ مما أنت فيه من ألم الحسد، وغاية أماني أعدائك أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم، ولذلك لا يشتهي عدوّك موتك بل يشتهي أن تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد لتنظر إلى نعمة الله عليه فيتقطع قلبك حسدًا. ولذلك قيل:

لا مات أعداؤك بل خلدوا ... حتى يروا فيك الذي يكمدُ
لا زلت محسودًا على نعمة ... فإنما الكاملُ من يحسدُ

ففرح عدوّك بغمك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته، ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان ذلك أعظم مصيبة وبلية عنده، فما أنت فيما تلازمه من غم الحسد إلا كما يشتهيه عدوّك، فإذا تأملت هذا عرفت أنك عدوّ نفسك وصديق عدوّك إذ تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والآخرة وانتفع به عدوّك في الدنيا والآخرة. وصرت مذمومًا عند الخالق والخلائق شقيًا في الحال والمآل، ونعمة المحسود دائمة شئت أم أبيت باقية، ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت إلى إدخال أعظم سرور على إبليس الذي هو أعدى أعدائك، لأنه لما رآك محرومًا من نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوّك عنك خاف أن تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة، لأن من أحب الخير للمسلمين كان شريكًا في الخبر، ومن فاته اللحاق بدرجة الأكابر في الدنيا لم يفته ثواب الحب لهم مهما أحب ذلك، فخاف إبليس أن تحب ما أنعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغّضه إليك حتى لا تلحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك.

وقد قال أعرابي للنبي ﷺ: يا رسول الله الرجل يحب القوم ولم يلحق بهم فقال النبي ﷺ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»[1]، وقام أعرابي إلى رسول الله وهو يخطب فقال: يا رسول الله متى

(١) تخريج. حديث: الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم، فقال «هو مع من أحب». متفق عليه من حديث ابن

الساعة؟ فقال ﷺ: «ما أَعْدَدْتَ لَها؟» قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام إلا إني أحب الله ورسوله، فقال : «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» (١)، قال أنس: فما فرح المسلمون بعد إسلامهم كفرحهم يومئذٍ. إشارة إلى أن أكبر بغيتهم كانت حب الله ورسوله. قال أنس: فنحن نحب رسول الله وأبا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو أن نكون معهم.

وقال أبو موسى: قلت يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب الصوام ولا يصوم، حتى عدّ أشياء. فقال النبي ﷺ: «هو مع من أحب» (٢)، وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: إنه كان يقال: إن استطعت أن تكون عالمًا فكن عالمًا، فإن لم تستطع أن تكون عالمًا فكن متعلمًا، فإن لم تستطع أن تكون متعلمًا فأحبهم، فإن لم تستطع فلا تبغضهم، فقال: سبحان الله لقد جعل الله لنا مخرجًا.

فانظر الآن كيف حسدك إبليس ففوّت عليك ثواب الحب، ثم لم يقنع به حتى بغض إليك أخاك وحملك على الكراهة حتى أثمت، وكيف لا وعساك تحاسد رجلًا من أهل العلم وتحب أن يخطئ في دين الله تعالى وينكشف خطؤه ليفتضح؟ وتحب أن يخرس لسانه حتى لا يتكلم أو يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم وأي إثم يزيد على ذلك؟ فليتك إذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الإثم وعذاب الآخرة وقد جاء في الحديث: «أَهْلُ الجَنَّةِ ثَلاثَةٌ: المُحْسِنُ والمُحِبُّ لَهُ وَالكَافُّ عَنْهُ» (٣)، أي من يكف عنه الأذى والحسد والبغض والكراهة، فانظر كيف أبعدك إبليس عن جميع المداخل الثلاثة حتى لا تكون من أهل واحد منها ألبتة، فقد نفذ فيك حسد إبليس وما نفذ حسدك في عدوك بل على نفسك، بل لو كوشفت بحالك في يقظة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد في صورة من يرمي سهمًا إلى عدوه ليصيب مقتله فلا يصيبه بل يرجع إلى حدقته اليمنى فيقلعها، فيزيد غضبه فيعود ثانية فيرمي أشدّ من الأولى فيرجع إلى عينه الأخرى فيعميها، فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على رأسه فيشجه، وعدوّه سالم في كل حال وهو إليه راجع مرة بعد أخرى، وأعداؤه حوله يفرحون به ويضحكون عليه. وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه، بل حالك في الحسد أقبح من هذا لأن الرمية العائدة لم تفوّت إلا العينين ولو بقيتا لفاتتا بالموت لا محالة. والحسد يعود بالإثم والإثم لا يفوت بالموت، ولعله يسوقه إلى غضب الله وإلى النار، فلأن تذهب عينه في الدنيا خير له من أن تبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها لهيب النار. فانظر كيف انتقم الله من الحاسد إذ أراد زوال النعمة عن المحسود

مسعود، [البخاري: ٦١٦٩، مسلم: ٢٦٤١].

(١) صحيح : حديث: سؤال الأعرابي متى الساعة؟ فقال «ما أعددت لها». متفق عليه من حديث أنس. [البخاري: ٦١٧١، مسلم: ٢٦٣٩].

(٢) حديث أبي موسى: قلت يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي .. الحديث» وفيه «هو مع من أحب». متفق عليه من حديث [ابن مسعود] بلفظ آخر مختصرا: الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم، قال «المرء مع من أحب» [البخاري: ٦١٦٩، مسلم: ٢٦٤١].

(٣) لا أصل له : حديث «أهل الجنة ثلاثة: المحسن والمحب له والكاف عنه». لم أجد له أصلا.

فلم يزلها عنه ثم أزالها عن الحاسد؛ إذ السلامة من الإثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة قد زالتا عنه تصديقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر :٤٣] وربما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوّه، وقلما يشمت شامت بمساءة إلا ويبتلى بمثلها، حتى قالت عائشة رضي الله عنها: ما تمنيت لعثمان شيئًا إلا نزل بي، حتى لو تمنيت له القتل لقتلت. فهذا إثم الحسد نفسه فكيف ما يجرّ إليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق وإطلاق اللسان واليد بالفواحش في التشفي من الأعداء؟ وهو الداء الذي فيه هلك الأمم السالفة.

فهذه هي الأدوية العلمية فمهما تفكر الإنسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفأت نار الحسد من قلبه، وعلم أنه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه.

وأما العمل النافع فيه فهو أن يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغي أن يكلف نفسه نقيضه، فإن حمله الحسد على القدح في محسوده كلف لسانه المدح له والثناء عليه، وإن حمله على التكبر عليه ألزم نفسه التواضع له والاعتذار إليه، وإن بعثه على كف الإنعام عليه ألزم نفسه الزيادة في الإنعام عليه، فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه، ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فأحبه، وتولد من ذلك الموافقة التي تقطع مادة الحسد، لأن التواضع والثناء والمدح وإظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب المنعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالإحسان، ثم ذلك الإحسان يعود إلى الأول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه أولًا: طبعًا آخرًا ولا يصدّنه عن ذلك قول الشيطان له: لو تواضعت وأثنيت عليه حملك العدو على العجز أو على النفاق أو الخوف وأن ذلك مذلة ومهانة، وذلك من خداع الشيطان ومكائده بل المجاملة ـ تكلفًا كانت أو طبعًا ـ تكسر سورة العداوة من الجانبين وتقل مرغوبها وتعود القلوب التآلف والتحاب، وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباغض.

فهذه هي أدوية الحسد وهي نافعة جدًا إلا أنها مرة على القلوب جدًا ولكن النفع في الدواء المرّ. فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء؛ وإنما تهون مرارة هذا الدواء، أعني التواضع للأعداء والتقرّب إليهم، بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوّة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تعالى وحب ما أحبه. وعزة النفس وترفعها عن أن يكون في العالم شيء على خلاف مرادها جهل، وعند ذلك يريد ما لا يكون، إذ لا مطمع في أن يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخسة، ولا طريق إلى الخلاص من هذا إلا بأحد أمرين: إما بأن يكون ما تريد أو بأن تريد ما يكون، والأول ليس إليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه. وأما الثاني: فللمجاهدة فيه مدخل، وتحصيله بالرياضة ممكن، فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلي.

فأما الدواء المفصل: فهو تتبع أسباب الحسد من الكبر وغيره وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يغني ـ وسيأتي تفصيل مداواة هذه الأسباب في مواضعها إن شاء الله تعالى ـ فإنها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض إلا بقمع المادة، فإن لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه إلا تسكين وتطفئة، ولا يزال يعود مرة بعد أخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مواده، فإنه ما

دام محبًا للجاه فلا بد وأن يحسد من استأثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه، ويغمه ذلك لا محالة، وإنما غايته أن يهون الغم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده، فأما الخلو عنه رأسًا فلا يمكنه والله الموفق.

بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب:

اعلم أن المؤذي ممقوت بالطبع، ومن آذاك فلا يمكنك أن لا تبغضه غالبًا، فإذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك أن لا تكرهها له حتى يستوي عندك حسن حال عدوك وسوء حاله، بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة، ولا يزال الشيطان ينازعك إلى الحسد له، ولكن إن قوّى ذلك فيك حتى بعثك على إظهار الحسد بقول أو فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بأفعالك الاختيارية فأنت حسود عاص بحسدك، وإن كففت ظاهرك بالكلية إلا أنك بباطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فأنت أيضًا حسود عاص، لأن الحسد صفة القلب لا صفة الفعل، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ [الحشر:٩] وقال عز وجل: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء:٨٩] وقال: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ [آل عمران:١٢٠] أما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد، بل محل الحسد القلب دون الجوارح. نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك وبين الله تعالى، وإنما يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح، فأما إذا كففت ظاهرك وألزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك تمقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع، فقد أديت الواجب عليك، ولا يدخل تحت اختيارك في أغلب الأحوال أكثر من هذا، فأما تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه أو غمه بما تيسر لهما من نعمة أو تنصب عليهما من بلية سواء، فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتًا إلى حظوظ الدنيا، إلى أن يصير مستغرقًا بحب الله تعالى مثل السكران الواله، فقد ينتهي أمره إلى أن لا يلتفت قلبه إلى تفاصيل أحوال العباد، بل ينظر إلى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة، ويرى الكل عباد الله وأفعالهم أفعالًا لله، ويراهم مسخرين وذلك إن كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم، ثم يرجع القلب بعد ذلك إلى طبعه ويعود العدوّ إلى منازعته ـ أعني الشيطان ـ فإنه ينازع بالوسوسة. فمهما قابل ذلك بكراهته وألزم قلبه هذه الحالة فقد أدى ما كلفه. وقد ذهب ذاهبون إلى أنه لا يأثم إذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روي عن الحسن أنه سئل عن الحسد فقال: غمه فإنه لا يضرك ما لم تبده. وروي عنه موقوفًا ومرفوعًا إلى النبيﷺ أنه قال: «ثَلَاثَةٌ لا يَخْلُو مِنْهُنَّ الْمُؤْمِنُ وَلَهُ مِنْهُنَّ مَخْرَجٌ» فمخرجه من الحسد أن لا يبغي، والأولى أن يحمل هذا على ما ذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو، وتلك الكراهة تمنعه من البغي والإيذاء، فإن جميع ما ورد من الأخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم، ثم الحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الأفعال.

فكل من يحب إساءة مسلم فهو حاسد. فإذن كونه آثمًا بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد، والأظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والأخبار ومن حيث المعنى، إذ يبعد أن يعفى عن العبد في إرادته إساءة مسلم واشتماله بالقلب على ذلك من غير كراهة.

وقد عرفت من هذا أن لك في أعدائك ثلاثة أحوال.

أحدها: أن تحب مساءتهم بطبعك، وتكره حبك لذلك وميل قلبك إليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في إزالة ذلك الميل منك، وهذا معفو عنه قطعًا لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه.

الثاني: أن تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته إما بلسانك أو بجوارحك، فهذا هو الحسد المحظور قطعًا.

الثالث: وهو بين الطرفين أن تحسد بالقلب من غير مقت لنفسك على حسدك، ومن غير إنكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه، وهذا في محل الخلاف. والظاهر أنه لا يخلو عن إثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه. والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

* * *

كتاب ذم الدنيا

وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عرّف أولياءه غوائل الدنيا وآفاتها. وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدها وآياتها، ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعلموا أنه يزيد منكرها على معروفها ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها، ولكنها في صورة امرأة مليحة تستميل الناس بجمالها، ولها أسرار سوء قبائح تهلك الراغبين في وصالها، ثم هي فرارة عن طلابها شحيحة بإقبالها، وإذا أقبلت لم يؤمن شرها ووبالها، إن أحسنت ساعة أساءت سنة. وإن أساءت مرة جعلتها سُنَّة، فدوائر إقبالها على التقارب دائرة. وتجارة بنيها خاسرة بائرة، وآفاتها على التوالي لصدور طلابها راشقة، ومجاري أحوالها بذل طالبيها ناطقة. فكل مغرور بها إلى الذل مصيره. وكل متكبر بها إلى التحسر مسيره. شأنها الهرب من طالبها والطلب لهاربها، ومن خدمها فاتته، ومن أعرض عنها واتته لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن المنغصات، سلامتها تعقب السقم، وشبابها يسوق إلى الهرم، ونعيمها لا يثمر إلا الحسرة والندم فهي خداعة مكارة، طيارة فرارة، لا تزال تتزين لطلابها حتى إذا صاروا من أحبابها، كشرت لهم عن أنيابها، وشوشت عليهم مناظم أسبابها؛ وكشفت لهم عن مكنون عجائبها، فأذاقتهم قواتل سمامها؛ ورشقتهم بصوائب سهامها. بينما أصحابها منها في سرور وإنعام إذ ولت عنها كأنها أضغاث أحلام.

ثم عكرت عليهم بدواهيها فطحنتهم طحن الحصيد ووارتهم في أكفانهم تحت الصعيد، إن ملكت واحدًا منهم جميع ما طلعت عليه الشمس جعلته حصيدًا كأن لم يغن بالأمس. تمني أصحابها سرورًا وتعدهم غرورًا حتى يأملون كثيرًا ويبنون قصورًا. فتصبح قصورهم قبورًا وجمعهم بورًا. وسعيهم هباء منثورًا ودعاؤهم ثبورًا، هذه صفتها وكان أمر الله قدرًا مقدورًا. والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله المرسل إلى العالمين بشيرًا ونذيرًا وسراجًا منيرًا. وعلى من كان من أهله وأصحابه له في الدين ظهيرًا وعلى الظالمين نصيرًا وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فإن الدنيا عدوة لله وعدوة لأولياء الله وعدوة لأعداء الله. أما عداوتها لله فإنها قطعت الطريق على عباد الله. ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها. وأما عداوتها لأولياء الله عز وجل: فإنها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها.

وأما عداوتها لأعداء الله: فإنها استدرجتهم بمكرها وكيدها فاقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها. وعولوا عليها فخذلتهم أحوج ما كانوا إليها. فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الأكباد.

ثم حرمتهم السعادة أبد الآباد. فهم على فراقها يتحسرون ومن مكائدها يستغيثون ولا يغاثون. بل يقال لهم: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المومنون:١٠٨]﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة:٨٦].

وإذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلا بدّ أولاً من معرفة حقيقة الدنيا وما هي؟ وما الحكمة في خلقها مع عداوتها؟ وما مدخل غرورها وشرورها؟ فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك أن يقع فيه. ونحن نذكر ذم الدنيا وأمثلتها، وحقيقتها وتفصيل معانيها، وأصناف الأشغال المتعلقة بها، ووجه الحاجة إلى أصولها، وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها إن شاء الله تعالى. وهو المعين على ما يرتضيه.

بيان ذم الدنيا:

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة. وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة. بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا إلا لذلك، فلا حاجة إلى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها، وإنما نورد بعض الأخبار الواردة فيها. فقد روي أنّ رسول الله مرّ على شاة ميتة فقال: «أترون هذه الشاة هينة على أهلها؟» قالوا: من هوانها ألقوها. قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ للدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى الله مِنْ هذِهِ الشَّاةِ عَلَى أَهْلِها وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ما سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شُرْبَةَ مَاءٍ» (١).

وقال ﷺ «الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الكَافِرِ» (٢) وقال رسول الله : «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ ما فِيها إلاّ ما كَانَ لله مِنْهَا» (٣)، وقال أبو موسى الأشعري: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ فَآثِرُوا ما يَبْقَى عَلَى ما يَفْنَى» (٤)، وقال : «حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ» (٥)، وقال زيد بن أرقم: كنا مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه فدعا بشراب فأتي بماء وعسل، فلما أدناه من فيه بكى حتى أبكى

---

*٢*كتاب ذم الدنيا

(١) صحيح : حديث: مر على شاة ميتة فقال «أترون هذه الشاة هينة على أهلها .. الحديث». أخرجه ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث سهل بن سعد [ابن ماجه: ٤١١٠، انظر صحيح ابن ماجه]، وآخره عند الترمذي وقال حسن صحيح، [الترمذي: ٢٣٢٠، انظر صحيح الجامع: ٥٢٩٢]، ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث المستورد بن شداد دون هذه القطعة الأخيرة، [الترمذي: ٢٣٢١، ابن ماجه: ٤١١١، وانظر صحيح الترغيب: ٣٢٣٩]، ولمسلم نحوه من حديث جابر [مسلم: ٢٩٥٧].

(٢) صحيح : حديث «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، [مسلم: ٢٩٥٦].

(٣) حسن: حديث «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها». أخرجه الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي هريرة وزاد «إلا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم» [الترمذي: ٢٣٢٢، ابن ماجه: ٤١١٢، وانظر صحيح الجامع: ١٦٠٩، صحيح الترغيب: ٧٤].

(٤) صحيح لغيره: حديث أبي موسى الأشعري «من أحب دنياه أضر بآخرته .. الحديث». أخرجه أحمد والبزار والطبراني وابن حبان والحاكم وصححه [انظر صحيح الترغيب: ٣٢٤٧].

(٥) ضعيف: حديث «حب الدنيا رأس كل خطيئة». أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه من رواية الحسن مرسلا، [انظر ضعيف الجامع: ٢٦٨٢، الضعيفة: ١٢٢٦].

أصحابه وسكتوا وما سكت: ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرون على مسألته قال: ثم مسح عينيه فقالوا: يا خليفة رسول الله ما أبكاك؟ قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيئًا ولم أر معه أحدًا؛ فقلت: يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك؟ قال: «هذِهِ الدُّنْيَا مَثَلَتْ لِي فَقُلْت لَها: إِلَيْكِ عَنِّي ثُمَّ رجَعَت فَقَالَتْ: إِنَّكَ إِنْ أَفْلَتَّ مِنِّي لَمْ يَفْلَتْ مِنِّي مَنْ بَعْدَكَ» (١)، وقال ﷺ: «يـا عَجَبًا كُلُّ العَجَبِ لِلْمُصَدِّقِ بِـدَارِ الخُلُودِ وَهُوَ يَسْعَى لِدَارِ الغُرُورِ» (٢).

وروي أن رسول الله وقف على مزبلة فقال: «هَلِمُّوا إِلَى الدُّنْيَا وَأَخَذَ خِرَقًا قَدْ بَلِيَتْ عَلَى تِلْكَ المَزْبَلَةِ وَعِظَامًا قَدْ نَخِرَتْ فَقَالَ: هذِهِ الدُّنْيَا» (٣)، وهذه إشارة إلى أن زينة الدنيا ستخلق مثل تلك الخرق وأن الأجسام التي ترى بها ستصير عظامًا بالية. وقال ﷺ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ الله مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيها فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا بُسِطَتْ لَهُمْ الدُّنْيَا وَمُهِّدَت تَاهُوا فِي الحِلْيَةِ وَالنِّسَاءِ وَالطِّيبِ وَالثِّيابِ» (٤)، وقال عيسى عليه السلام: لا تتخذوا الدنيا ربًا فتتخذكم عبيدًا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فإن صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة.

و قال عليه أفضل الصلاة والسلام: يا معشر الحواريين إني قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فإن من خبث الدنيا أن عصى الله فيها، وإن من خبث الدنيا أن الآخرة لا تدرك إلا بتركها، ألا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا، ورب شهوة ساعة أورثت أهلها حزنًا طويلًا. وقال أيضًا: بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعنكم فيها الملوك والنساء، فأما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فإنهم لن يعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم، وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة. وقال أيضًا: الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه، وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء

---

(١) ضعيف: حديث زيد بن أرقم: كنا مع أبي بكر رضي الله عنه فدعا بشراب فأتي بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى .. الحديث» وفي: «كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيئا .. الحديث». أخرجه البزار بسند ضعيف بنحوه والحاكم وصحح إسناده وابن أبي الدنيا والبيهقي من طريقه بلفظه [انظر ضعيف الترغيب: ١٩١٧].

(٢) موضوع: حديث «يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور». أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث أبي جرير مرسلا [انظر الضعيفة: ١٠٧٨، ضعيف الجامع: ٢١٨٧].

(٣) إسناده ضعيف: حديث: إنه وقف على مزبلة فقال «هلموا إلى الدنيا .. الحديث». أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه من رواية ابن ميمون اللخمي مرسلا، وفيه بقية بن الوليد وقد عنعنه وهو مدلس.

(٤) صحيح دون قوله: «إن بني إسرائيل . . .»: حديث «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون .. الحديث». أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد دون قوله «إن بني إسرائيل... إلخ» [الترمذي: ٢١٩١، ابن ماجه: ٤٠٠٠، وهو صحيح وانظر صحيح الترغيب: ٣٢١٦] والشطر الأول متفق عليه، [لم أجده في البخاري، وهو في مسلم: ٢٧٤٢] ورواه ابن أبي الدنيا من حديث الحسن مرسلا بالزيادة التي في آخره.

الموت فيأخذ بعنقه.

وقال موسى بن يسار: قال النبي ﷺ: «إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَخلُقْ خَلْقًا أَبْغَضَ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنَّهُ مُنْذُ خَلَقَهَا لَمْ يَنظُرْ إِلَيهَا» (١)، وروي أن سليمان بن داود عليهما السلام مرَّ في موكبه والطير تظله والجن والإنس عن يمينه وشماله قال: فمر بعابد من بني إسرائيل فقال: والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكًا عظيمًا، قال: فسمع سليمان وقال: لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطي ابن داود، فإن ما أعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى. وقال ﷺ: «أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مالي مالي وَهَلْ لَكَ مِن مَالِكَ إِلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَبْقَيْتَ؟» (٢) وقال ﷺ: «إِنَّ الدُّنْيَا دَارَ مَنْ لا دَارَ لَهُ وَمَالُ مَنْ لا مَالَ لَهُ، وَلَها يَجْمَعُ مَنْ لا عَقْلَ لَهُ، وَعَلَيْها يُعَادِي مَنْ لا عِلْمَ لَهُ، وَعَلَيْها يَحْسُدُ مَنْ لا فِقْهَ لَهُ، وَلَهَا يَسْعَى مَنْ لا يَقِينَ لَهُ» (٣).

وقال ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ وَالدُّنْيَا أَكْبَرُ هَمِّهِ فَلَيْسَ مِنَ الله فِي شَيْءٍ وَأَلْزَمَ الله قَلْبَهُ أَرْبَعَ خِصَالٍ: هَمًّا لا يَنْقَطِعُ عَنْهُ أَبَدًا، وَشُغْلًا لا يَتَفَرَّغُ مِنْهُ أَبَدًا، وَفَقْرًا لا يَبْلُغُ غِنَاهُ أَبَدًا، وَأَمَلًا لا يَبْلُغُ مُنْتَهَاه أَبَدًا» (٤).

وقال أبو هريرة: قال لي رسول الله : «يا أبا هُرَيْرَةَ أَلاَ أُرِيكَ الدُّنْيَا جَمِيعَهَا بِمَا فِيهَا؟» فقلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بيدي وأتى بي واديًا من أودية المدينة فإذا مزبلة فيها رؤوس أناس وعذرات وخرق وعظام، ثم قال: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ هذِهِ الرُّؤُوسُ كَانَتْ تَحْرِصُ كَحِرْصِكُمْ وَتَأْمُلُ كَأَمَلِكُمْ ثُمَّ هِيَ اليَوْمَ عِظَامٌ بِلا جِلْدٍ ثُمَّ هِيَ صَائِرَةٌ رَمَادًا، وَهذِهِ العُذُرَاتُ هِيَ أَلْوانُ أَطْعِمَتِهِم اكْتَسَبُوهَا مِنَ حَيْثُ اكْتَسَبُوهَا ثُمَّ قَذَفُوهَا فِي بُطُونِهِمْ فَأَصْبَحَتْ وَالنَّاسُ يَتَحَامَوْنَها، وَهذِهِ الخِرَقُ البَالِيَةُ كَانَتْ رِيَاشَهُمْ وَلِبَاسَهُمْ فَأَصْبَحَتْ وَالرِّيَاحُ تَصْفِقُها، وَهذِهِ العِظَامُ عِظَامُ دَوَابِّهِمُ الَّتِي كانُوا يَنْتَجِعُونَ عَلَيْها أَطْرَافَ البِلادِ، فَمَنْ كانَ بَاكِيًا عَلَى الدُّنْيَا فَلْيَبْكِ» قال: فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا (٥).

---

(١) موضوع: حديث موسى بن يسار «إن الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وأنه منذ خلقها لم ينظر إليها». أخرجه ابن أبي الدنيا من هذا الوجه بلاغا وللبيهقي في الشعب من طريقه وهو مرسل [انظر الضعيفة: ٣٠٨٠، ضعيف الجامع: ١٦٣٤].

(٢) صحيح: حديث «ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم: مالي! مالي! .. الحديث». أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن الشخير، [مسلم: ٢٩٥٨].

(٣) ضعيف: حديث «الدنيا دار من لا دار له .. الحديث». أخرجه أحمد من حديث عائشة مقتصرا على هذا وعلى قوله «ولها يجمع من لا عقل له» دون بقيته وزاد ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه «ومال من لا مال له» وإسناده جيد، [انظر ضعيف الجامع: ٣٠١٢، ضعيف الترغيب: ١٨٨٤].

(٤) موضوع: حديث «من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وألزم الله قلبه أربع خصال .. الحديث». أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر دون قوله «وألزم الله قلبه... إلخ» وكذلك رواه ابن أبي الدنيا من حديث أنس بإسناد ضعيف والحاكم من حديث حذيفة وروى هذه الزيادة منفردة صاحب الفردوس من حديث ابن عمر وكلاهما ضعيف [انظر الضعيفة: ٣٠٩، ضعيف الجامع: ٢٤٦٧، ضعيف الترغيب: ١٨٨٢].

(٥) لا أصل له: حديث أبي هريرة «ألا أريك الدنيا جميعها بما فيها» فقلت: بلى يا رسول الله فأخذ بيدي وأتى بي واديا من أودية المدينة فإذا مزبلة .. الحديث». لم أجد له أصلا.

ويروى أن الله عز وجل لما أهبط آدم إلى الأرض قال له: ابن للخراب وَلِد للفناء. وقال داود بن هلال: مكتوب في صحف إبراهيم عليه السلام: يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين تصنعت وتزينت لهم، إني قذفت في قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقًا أهون عليّ منك، كل شأنك صغير وإلى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومي لأحد ولا يدوم لك أحد، وإن بخل بك صاحبك وشح عليك، طوبى للأبرار الذين أطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة، طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء إذا وفدوا إلي من قبورهم إلا النور يسعى أمامهم والملائكة حافون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتي. وقال رسول الله : «الدُّنْيَا مَوْقُوفَةٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، مُنْذُ خَلَقَهَا الله تَعَالَى لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا، وَتَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ يا رَبِّ اجْعَلْنِي لأَدْنَى أَوْلِيَائِكَ اليَوْمَ نَصِيبًا فَيَقُولُ اسْكُتِي يا لا شَيْءَ إِنِّي لَمْ أَرْضَكِ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا أَأَرْضَاكِ لَهُم اليَوْمَ» (١).

وروي في أخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل، ولم يكن ذلك مجعولًا في شيء من أطعمة الجنة إلا في هذه الشجرة فلذلك نهيا عن أكلها، قال فجعل يدور في الجنة، فأمر الله تعالى ملكًا يخاطبه فقال له: قل له أي شيء تريد؟ قال آدم: أريد أن أضع ما في بطني من الأذى، فقيل للملك: قل له في أي مكان تريد أن تضعه أعلى الفرش أم على السرر أم على الأنهار أم تحت ظلال الأشجار هل ترى ههنا مكانًا يصلح لذلك؟ اهبط إلى الدنيا. وقال ﷺ: «لَيَجِيئَنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَعْمَالُهُمْ كَجِبالِ تِهَامَةَ فَيُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ» قالوا: يا رسول الله مصلين؟ قال ﷺ: «نَعَمْ كانُوا يُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ وَيَأْخُذُونَ هَنَةً مِنَ اللَّيْلِ فَإِذا عَرَضَ لَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا وَثَبُوا عَلَيْهِ» (٢)، وقال ﷺ في بعض خطبه: «المُؤْمِنُ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ بَيْنَ أَجَلٍ قَدْ مَضَى لا يَدْرِي ما الله صَانِعٌ فِيهِ وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لا يَدْرِي مَا الله قَاضٍ فِيهِ؟ فَلْيَتَزَوَّدِ العَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ وَمِنْ دُنْيَاهُ لآخِرَتِهِ وَمِنْ حَيَاتِهِ لِمَوْتِهِ وَمِنْ شَبَابِهِ لِهَرَمِهِ، فَإِنَّ الدُّنْيَا خُلِقَتْ لَكُمْ وأَنْتُمْ خُلِقْتُمْ لِلآخِرَةِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ما بَعْدَ المَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ وَلا بَعْدَ الدُّنْيَا مِنْ دَارٍ إِلا الجَنَّةُ أَوْ النَّارُ» (٣)، وقال عيسى عليه السلام: لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحد.

وروي أن جبريل عليه السلام قال لنوح عليه السلام: يا أطول الأنبياء عمرًا كيف وجدت الدنيا؟ فقال كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر. وقيل لعيسى عليه السلام:

---

(١) حديث «الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر إليها .. الحديث». تقدم بعضه من رواية موسى بن يسار مرسلا ولم أجد باقيه.

(٢) حديث «ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار .. الحديث». أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث سالم مولى أبي حذيفة بسند ضعيف وأبو منصور الديلمي من حديث أنس وهو ضعيف أيضاً [قلت: أخرجه ابن ماجه ٤٢٤٥ بنحوه من حديث ثوبان، وانظر صحيح الجامع: ٥٠٢٨، صحيح الترغيب: ٢٣٤٦].

(٣) حديث «المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى .. الحديث». أخرجه البيهقي في الشعب من حديث الحسن عن رجل من أصحاب النبي ﷺ وفيه انقطاع.

لو اتخذت بيتًا يكنك. قال: يكفينا خلقان من كان قبلنا. وقال نبينا ﷺ: «احْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّها أَسْحَرُ مِنْ هَارُوتَ وَمَارُوتَ» (١)، وعن الحسن قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم على أصحابه فقال: «هَلْ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُذْهِبَ الله عَنْهُ العَمَى وَيَجْعَلَهُ بَصِيرًا: أَلاَ إِنَّهُ مَنْ رَغِبَ فِي الدُّنْيَا وَطَالَ أَمَلُهُ فِيها أَعْمَى الله قَلْبَهُ عَلَى قَدْرِ ذلِكَ، وَمَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا وَقَصَرَ فِيها أَمَلَهُ أَعْطَاهُ الله عِلْمًا بِغَيْرِ تَعَلُّم، وَهُدًى بِغَيْرِ هِدَايَةٍ: أَلا إِنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدَكُمْ قَوْمٌ لا يَسْتَقِيمُ لَهُمُ المُلْكُ إِلاَّ بِالقَتْلِ وَالتَّجَبُّرِ، وَلا الغِنَى إِلاَّ بِالفَخْرِ وَالبُخْلِ، وَلا المَحَبَّةُ إِلاَّ بِاتِّبَاعِ الهَوَى؛ أَلاَ فَمَنْ أَدْرَكَ ذلِكَ الزَّمَانَ مِنْكُمْ فَصَبَرَ عَلَى الفَقْرِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى الغِنَى، وَصَبَرَ عَلَى البَغْضَاءِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى المَحَبَّةِ، وَصَبَرَ عَلَى الذُّلِّ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى العِزِّ لا يُرِيدُ بِذلِكَ إِلاَّ وَجْهَ الله تَعَالَى أَعْطَاهُ الله ثَوَابَ خَمْسِينَ صِدِّيقًا» (٢).

وروي أن عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد والبرق يومًا، فجعل يطلب شيئًا يلجأ إليه فوقعت عينه على خيمة من بعيد فأتاها فإذا فيها امرأة فحاد عنها، فإذا هو بكهف في جبل فأتاه فإذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال: إلهي جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى، فأوحى الله تعالى إليه: مأواك في مستقر رحمتي لأزوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها بيدي، ولأطعمن في عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا، ولآمرن مناديًا ينادي أين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد في الدنيا عيسى ابن مريم.

وقال عيسى ابن مريم عليه السلام: ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها، وتغره ويأمنها، ويثق بها وتخذله، وويل للمغترين كيف أرتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون؟ وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدًا بذنبه؟ وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: يا موسى مالك ولدار الظالمين إنها ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعقلك، فبئست الدار هي إلا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي، يا موسى إني مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم.

وروي أن رسول الله بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين؛ فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ، فلما صلى رسول الله انصرف فتعرضوا له، فتبسم رسول الله حين رآهم ثم قال: «أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أبا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ» قالوا: أجل يا رسول الله، قال: «فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا ما يَسُرُّكُمْ فَوَالله ما الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا

---

(١) موضوع: حديث «احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت». أخرجه ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه من رواية أبي الدرداء الرهاوي مرسلا، وقال البيهقي إن بعضهم قال عن أبي الدرداء عن رجل من الصحابة قال الذهبي لا يدري من أبو الدرداء قال وهكذا منكر لا أصل له [انظر الضعيفة: ٣٤، انظر ضعيف الجامع: ١٩١].

(٢) حديث الحسن «هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى .. الحديث». أخرجه ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه هكذا مرسلا وفيه إبراهيم بن الأشعث تكلم فيه أبو حاتم.

أَهْلَكَتْهُمْ»[(١)]. وقال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله: «إِنَّ أَكْثَرَ ما أَخَافُ عَلَيْكُمْ ما يخْرِجُ الله لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ» فقيل ما بركات الأرض؟ قال: «زهرة الدنيا»[(٢)]. وقال ﷺ: «لا تَشْغَلُوا قُلُوبَكُمْ بِذِكْرِ الدُّنْيَا»[(٣)]، فنهى عن ذكرها فضلًا عن إصابة عينها.

وقال عمار بن سعيد: مرَّ عيسى عليه السلام بقرية فإذا أهلها موتى في الأفنية والطرق، فقال: يا معشر الحواريين إن هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا، فقالوا: يا روح الله وددنا أن لو علمنا خبرهم. فسأل الله تعالى فأوحى إليه إذا كان الليل فنادهم يجيبوك، فلما كان الليل أشرف على نشز ثم نادى: يا أهل هذه القرية فأجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال: ما حالكم وما قصتكم؟ قال: بتنا في عافية وأصبحنا في الهاوية، قال: وكيف ذاك؟ قال: بحبنا الدنيا وطاعتنا أهل المعاصي، قال: وكيف كان حبكم للدنيا؟ قال: حب الصبي لأمه إذا أقبلت فرحنا بها وإذا أدبرت حزنا وبكينا عليها، قال: فما بال أصحابك لم يجيبوني؟

قال: لأنهم ملجمون بلجم من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد، قال: فكيف أجبتني أنت من بينهم؟ قال: لأني كنت فيهم ولم أكن منهم، فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم، فأنا معلق على شفير جهنم لا أدري أأنجو منها أم أكبكب فيها؟ فقال المسيح للحواريين: لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة.

وقال أنس: كانت ناقة رسول الله العضباء لا تسبق فجاء أعرابي بناقة له فسبقها، فشق ذلك على المسلمين، فقال ﷺ: «إِنَّهُ حَقٌّ عَلَى الله أَنْ لا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إلاّ وضعه»[(٤)]، وقال عيسى عليه السلام: من الذي يبني على موج البحر دارًا؟ تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارًا. وقيل لعيسى عليه السلام: علّمنا علمًا واحدًا يحبنا الله عليه، قال: ابغضوا الدنيا يحبكم الله تعالى.

وقال أبو الدرداء، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لَوْ تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَهَانَتْ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا وَلآثَرْتُمُ الآخِرَةَ»[(٥)]، ثم قال أبو الدرداء ـ من قبل نفسه ـ لو

---

(١) صحيح: حديث: بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة. متفق عليه من حديث عمرو بن عوف البدري. [البخاري:٣١٥٨، مسلم: ٢٩٦١].

(٢) صحيح: حديث أبي سعيد «إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض .. الحديث». متفق عليه، [البخاري: ٢٨٤٢، مسلم: ١٠٥٢].

(٣) ضعيف: حديث «لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا». أخرجه البيهقي في الشعب من طريق ابن أبي الدنيا من رواية محمد بن النضر الحارثي مرسلا [انظر الضعيفة: ٢٣١٤، ضعيف الجامع: ٦٢٣٤].

(٤) صحيح: حديث أنس: كانت ناقة رسول الله ﷺ العضباء لا تسبق .. الحديث» وفيه «إنه حق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه». أخرجه البخاري، [البخاري: ٦٥٠١].

(٥) صحيح دون قوله: «ولهانت . . .»: حديث أبي الدرداء «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة». أخرجه الطبراني دون قوله «ولهانت... إلخ» وزاد «ولخرجتم إلى الصعدات... الحديث». وزاد الترمذي وابن ماجه من حديث أبي ذر «وما تلذذتم بالنساء على الفرش»، [الترمذي: ٢٣١٢، ابن ماجه: ٤١٩٠ وهو حسن، انظر صحيح الجامع: ٢٤٤٩، صحيح الترغيب: ٢٣٨٠]، وأول الحديث متفق عليه من حديث أنس [البخاري: ٤٦٢١، مسلم: ٢٣٥٩]، وفي أفراد البخاري من حديث عائشة [البخاري: ١٠٤٤].

تعلمون ما أعلم لخرجتم إلى الصعدات تجأرون وتبكون على أنفسكم، ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا راجع إليها إلا ما لا بدّ لكم منه، ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة، وحضرها الأمل فصارت الدنيا أملك بأعمالكم، وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها مخافة مما في عاقبته، ما لكم لا تحابون ولا تناصحون وأنتم إخوان على دين الله وما فرق بين أهوائكم إلا خبث سرائركم، ولو اجتمعتم على البر لتحابيتم، ما لكم تناصحون في أمر الدنيا ولا تناصحون في أمر الآخرة؟ ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على أمر آخرته، ما هذا إلا من قلة الإيمان في قلوبكم، لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لأنها أملك لأموركم. فإن قلتم: حب العاجلة غالب؟ فإنا نراكم تدعون العاجلة من الدنيا للآجل منها، تكدون أنفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب أمر لعلكم لا تدركونه، فبئس القوم أنتم ما حققتم إيمانكم بما يعرف به الإيمان البالغ فيكم فإن كنتم في شك مما جاء به محمد ﷺ فائتونا لنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن إليه قلوبكم والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم إنكم تستبينون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في أموركم، ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم، حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على ألسنتكم، وتسمونها المصائب وتقيمون فيها المآتم، وعامتكم قد تركوا كثيرًا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حالكم، إني لأرى الله قد تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضًا بالسرور، وكلكم يكره أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله فاصطحبتم على الغل ونبتت مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الأجل، ولوددت أن الله تعالى أراحني منكم وألحقني بمن أحب رؤيته ولو كان حيًا لم يصابركم، فإن كان فيكم خير فقد أسمعتكم وإن تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرًا، وبالله أستعين على نفسي وعليكم. وقال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين ارضوا بدنيء الدنيا مع سلامة الدين كما رضي أهل الدنيا بدنيء الدين مع سلامة الدنيا. وفي معناه قيل:

أرى رجالًا بأدنى الدين قد قنعوا ... وما أراهم رضوا في العيش بالدُّونِ

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما اس ... تغنى الملوك بدنياهم عن الدينِ

وقال عيسى عليه السلام: يا طالب الدنيا لِتَبَرَّ؛ تَرْكُكَ الدنيا أبَرّ. وقال نبينا ﷺ: «لَتَأْتِيَنَّكُمْ بَعْدِي دُنْيَا تَأْكُلُ إِيمَانَكُمْ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ»[1]، وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: يا موسى لا تركنن إلى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي أشد منها. ومرّ موسى عليه السلام برجل وهو يبكي ورجع وهو يبكي، فقال موسى: يا رب عبدك يبكي من مخافتك فقال: يا ابن عمران لو سال دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا.

الآثار: قال علي رضي الله عنه: من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلبًا ولا عن النار

---

(١) لا أصل له حديث «لتأتينكم بعدي دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب». لم أجد له أصلا.

مهربًا؛ أولها: من عرف الله وأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها. وقال الحسن: رحم الله أقوامًا كانت الدنيا عندهم وديعة فأدّوها إلى من ائتمنهم عليها، ثم راحوا خفافًا. وقال أيضًا رحمه الله: من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فَأَلْقِها في نحره. وقال لقمان عليه السلام لابنه: يا بني إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل، وحشوها الإيمان بالله تعالى، وشراعها التوكل على الله عز وجل، لعلك تنجو وما أراك ناجيًا. وقال الفضيل: طالت فكرتي في هذه الآية: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٧-٨] وقال بعض الحكماء: إنك لن تصبح في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعدك، وليس لك من الدنيا ألا عشاء ليلة وغداء يوم، فلا تهلك في أكلة، وصم عن الدنيا وأفطر على الآخرة، وإن رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار. وقيل لبعض الرهبان: كيف ترى الدهر؟ قال: يخلق الأبدان ويجدّد الآمال ويقرّب المنية ويبعد الأمنية. قيل: فما حال أهله؟ قال: من ظفر به تعب ومن فاته نصب. وفي ذلك قيل:

ومن يحمدِ الدُّنيا لعيش يسرّه ... فسوف لعمري عن قليل يلومُها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة ... وإن أقبلت كانت كثيرًا همومُها

وقال بعض الحكماء: كانت الدنيا ولم أكن فيها، وتذهب الدنيا ولا أكون فيها، فلا أسكن إليها فإن عيشها نكد وصفوها كدر وأهلها منها على وجل، إما بنعمة زائلة أو بلية نازلة أو منية قاضية.

وقال بعضهم: من عيب الدنيا أنها لا تعطي أحدًا ما يستحق، لكنها إما أن تزيد وإما أن تنقص. وقال سفيان: أما ترى النعم كأنها مغضوب عليها قد وضعت في غير أهلها. وقال أبو سليمان الداراني: من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيئًا إلا أراد أكثر. ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط منها شيئًا إلا أراد أكثر. وليس لهذا غاية. وقال رجل لأبي حازم: أشكو إليك حب الدنيا وليست لي بدار، فقال: انظر ما آتاكه الله عز وجل منها فلا تأخذه إلا من حله ولا تضعه إلا في حقه. ولا يضرك حب الدنيا. وإنما قال هذا لأنه لو آخذ نفسه بذلك لأتعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها. وقال يحيى بن معاذ: الدنيا حانوت الشيطان، فلا تسرق من حانوته شيئًا فيجيء في طلبه فيأخذك، وقال الفضيل: لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى؛ لكان ينبغي لنا أن نختار خزفًا يبقى على ذهب يفنى. فكيف وقد اخترنا خزفًا يفنى على ذهب يبقى؟ وقال أبو حازم: إياكم والدنيا فإنه بلغني أنه يوقف العبد يوم القيامة إذا كان معظمًا للدّنيا فيقال: هذا عظّم ما حقره الله. وقال ابن مسعود: ما أصبح أحد من الناس إلا وهو ضيف وما له عارية، فالضيف مرتحل والعارية مردودة. وفي ذلك قيل:

وما المال والأهلون إلا ودائع ... ولا بدّ يومًا أن تردَّ الودائع

وزار رابعة أصحابها، فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها، فقالت: اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها. ألا من أحب شيئًا أكثر من ذكره. وقيل لإبراهيم بن أدهم: كيف أنت؟ فقال:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقعُ
فطوبى لعبد آثر الله ربه ... وجاد بدنياه لما يتوقعُ

وقيل أيضًا في ذلك:

أرى طالبَ الدنيا وإن طال عمره ... ونال من الدنيا سرورًا وأنعما
كبانٍ بنى بنيانه فأقامه ... فلما استوى ما قد بناه تهدّما

وقيل أيضًا في ذلك:

هب الدنيا تساق إليك عفوًا ... أليس مصير ذاك إلى انتقالِ
ما دنياك إلا مثل فيءٍ ... أظلك ثم آذن بالزوالِ

وقال لقمان لابنه: يا بني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعًا، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعًا. وقال مطرف بن الشخير: لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم، ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم. وقال ابن عباس: إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء: جزء للمؤمن، وجزء للمنافق، وجزء للكافر. فالمؤمن يتزوّد، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع. وقال بعضهم: الدنيا جيفة، فمن أراد منها شيئًا فليصبر على معاشرة الكلاب. وفي ذلك قيل:

يا خاطبَ الدُّنيا إلى نفسها ... تنحَّ عن خطبتها تسلمِ
إن التي تخطب غدارة ... قريبة العُرس من المأتمِ

وقال أبو الدرداء: من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها. وفي ذلك قيل:

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفت ... له عن عدوٍّ في ثياب صديقِ

وقيل أيضًا:

يا راقدَ اللَّيل مسرورًا بأوله ... إن الحوادثَ قد يطرقن أسحارا
أفنى القرون التي كانت منعمة ... كرّ الجديدين إقبالًا وإدبارا
كم قد أبادت صروف الدهر من ملـ ... ـك قد كان في الدهر نفاعًا وضرارا
يا من يعانق دنيا لا بقاء لها ... يمسي ويصبح في دنياه سفارا
هلاَّ تركت من الدنيا معانقة ... حتى تعانق في الفردوس أبكارا
إن كنت تبغي جنان الخلد تسكنها ... فينبغي لك أن لا تأمن النارا

وقال أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه: لما بعث محمد ﷺ أتت إبليس جنوده فقالوا: قد بعث

نبي وأخرجت أمة، قال: يحبون الدنيا؟ قالوا: نعم، قال: لئن كانوا يحبون الدنيا ما أبالي ألاَّ يعبدوا الأوثان وإنما أغدو عليهم وأروح بثلاث: أخذ المال من غير حقه، وإنفاقه في غير حقه، وإمساكه عن حقه والشر كله من هذا نبع. وقال رجل لعلي كرم الله وجهه: يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا قال: وما أصف لك من دار من صح فيها سقم، ومن أمن فيها ندم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها افتتن، في حلالها الحساب، وفي حرامها العقاب، ومتشابهها العتاب. وقيل له ذلك مرة أخرى فقال: أطول أم أقصر؟ فقيل: قصر، فقال: حلالها حساب، وحرامها عذاب. وقال مالك بن دينار: اتقوا السحارة فإنها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا. وقال أبو سليمان الداراني: إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزاحمها، فإذا كانت الدنيا في القلب لم تزاحمها الآخرة، لأن الآخرة كريمة والدنيا لئيمة. وهذا تشديد عظيم ونرجو أن يكون ما ذكره سيار بن الحكم أصح، إذ قال: الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فأيهما غلب كان الآخر تبعًا له. وقال مالك بن دينار: بقدر ما تحزن للدنيا يخرج همّ الآخرة من قلبك، وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج همّ الدنيا من قلبك. وهذا اقتباس مما قاله علي كرم الله وجهه حيث قال: الدنيا والآخرة ضرتان، فبقدر ما ترضي إحداهما تسخط الأخرى.

وقال الحسن: والله لقد أدركت أقوامًا كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه، ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت، ذهبت إلى ذا أو ذهبت إلى ذا؟ وقال رجل للحسن: ما تقول في رجل آتاه الله مالاً فهو يتصدق منه ويصل منه، أيحسن له أن يتعيش فيه؟ ، يعني يتنعم ، فقال: لا، لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها إلا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره. وقال الفضيل: لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت عليَّ حلالاً لا أحاسب عليها في الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مرَّ بها أن تصيب ثوبه وقيل: لما قدم عمر رضي الله عنه الشام فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل، فسلم وسأله، ثم أتى منزله فلم ير فيه إلا سيفه وترسه ورحله، فقال له عمر رضي الله عنه: لو اتخذت متاعًا؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن هذا يبلغنا المقيل. وقال سفيان: خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك. وقال الحسن: والله لقد عبدت بنو إسرائيل الأصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم الدنيا. وقال وهب: قرأت في بعض الكتب، الدنيا غنيمة الأكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها، فسألوا الرجعة فلم يرجعوا. وقال لقمان لابنه: يا بني إنك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة، فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعد عنها. وقال سعيد بن مسعود: إذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راضٍ فذلك المغبون الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر.

وقال عمرو بن العاص على المنبر: والله ما رأيت قومًا قط أرغب فيما كان رسول الله ﷺ يزهد فيه منكم، والله ما مرَّ برسول الله ﷺ ثلاث إلا والذي عليه أكثر من الذي له [(١)]. وقال

(١) صحيح: حديث عمرو بن العاص: والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله ﷺ يزهد فيه منكم .. الحديث» أخرجه الحاكم وصححه ورواه أحمد وابن حبان بنحوه [انظر صحيح الترغيب: ٣٢٩٤].

الحسن بعد أن تلا قوله تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [لقمان:٣٣]من قال ذا؟ قاله من خلقها ومن هو أعلم بها، إياكم وما شغل من الدنيا فإن الدنيا كثيرة الأشغال، لا يفتح رجل على نفسه باب شغل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب. وقال أيضًا: مسكين ابن آدم رضي بدار حلالها حساب وحرامها عذاب، إن أخذه من حله حوسب به، وإن أخذه من حرام عذب به، ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله، يفرح بمصيبته في دينه ويجزع من مصيبته في دنياه.

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: سلام عليك، أما بعد: فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات. فأجابه عمر: سلام عليك، كأنك بالدنيا ولم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل. وقال الفضيل بن عياض: الدخول في الدنيا هين ولكن الخروج منها شديد. وقال بعضهم: عجبًا لمن يعرف أن الموت حق كيف يفرح؟ وعجبًا لمن يعرف أن النار حق كيف يضحك؟ وعجبًا لمن رأى تقلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها؟ وعجبًا لمن يعلم أن القدر حق كيف ينصب؟ وقدم على معاوية رضي الله عنه رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها؟ فقال: سنيات بلاء وسنيات رخاء، يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك، فلولا المولود لباد الخلق ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها. فقال له: سل ما شئت، قال: عمر مضى فترده أو أجل حضر فتدفعه، قال: لا أملك ذلك، قال: لا حاجة لي إليك. وقال داود الطائي رحمه الله: يا ابن آدم فرحت ببلوغ أملك، وإنما بلغته بانقضاء أجلك، ثم سوّفت بعملك كأن منفعته لغيرك. وقال بشر: من سأل الله الدنيا فإنما يسأله طول الوقوف بين يديه. وقال أبو حازم: ما في الدنيا شيء يسرك إلا وقد ألصق الله إليه شيئًا يسوءك. وقال الحسن: لا تخرج نفس ابن آدم إلا بحسرات ثلاث: أنه لم يشبع مما جمع، ولم يدرك ما أمل، ولم يحسن الزاد لما يقدم عليه. وقيل لبعض العباد؛ قد نلت الغنى، فقال: إنما نال الغنى من عتق من رق الدنيا. وقال أبو سليمان. لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة. وقال مالك بن دينار: اصطلحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضًا ولا ينهى بعضنا بعضًا، ولا يدعنا الله على هذا، فليت شعري أي عذاب الله ينزل علينا؟

وقال أبو حازم: يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة، وقال الحسن: أهينوا الدنيا فوالله ما هي لأحد بأهنأ منها لمن أهانها. وقال أيضًا: إذا أراد الله بعبد خيرًا أعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك، فإذا نفد أعاد عليه، وإذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطًا. وكان بعضهم يقول في دعائه: يا ممسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنك أمسك الدنيا عني. وقال محمد بن المنكدر: أرأيت لو أنّ رجلًا صام الدهر لا يفطر، وقام الليل لا ينام، وتصدق بماله، وجاهد في سبيل الله، واجتنب محارم الله، غير أنه يؤتى به يوم القيامة فيقال: إن هذا عظم في عينه ما صغره الله، وصغر في عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله؟ فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا؟ وقال أبو حازم: اشتدّت مؤنة الدنيا والآخرة، فأما مؤنة الآخرة

فإنك لا تجد عليها أعوانًا، وأما مؤنة الدنيا فإنك لا تضرب بيدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجرًا قد سبقك إليه. وقال أبو هريرة: الدنيا موقوفة بين السماء والأرض كالشن البالي تنادي ربها منذ خلقها إلى يوم يفنيها. يا رب يا رب لم تبغضني؟ فيقول لها: اسكتي يا لا شيء. وقال عبد الله بن المبارك: حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته، فمتى يصل الخير إليه؟ وقال وهب بن منبه: من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة، ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله، ومن غلب علمه هواه فهو الغالب.

وقيل لبشر: مات فلان فقال: جمع الدنيا وذهب إلى الآخرة، ضيع نفسه قيل له: إنه كان يفعل ويفعل ، وذكروا أبوابًا من البر ، فقال: وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا؟ وقال بعضهم: الدنيا تبغض إلينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت إلينا؟ وقيل لحكيم: الدنيا لمن هي؟ قال: لمن تركها. فقيل الآخرة لمن هي؟ قال: لمن طلبها. وقال حكيم: الدنيا دار خراب وأخرب منها قلب من يعمرها، والجنة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها. وقال الجنيد: كان الشافعي رحمه الله من المريدين الناطقين بلسان الحق في الدنيا، وعظ أخًا له في الله وخوفه بالله فقال: يا أخي إن الدنيا دحض مزلة ودار مذلة، عمرانها إلى الخراب صائر، وساكنها إلى القبور زائر، شملها على الفرقة موقوف، وغناها إلى الفقر مصروف، الإكثار فيها إعسار، والإعسار فيها يسار، فافزع إلى الله وارض برزق الله لا تتسلف من دار بقائك إلى دار فنائك، فإن عيشك فيء زائل وجدار مائل، أكثر من عملك وأقصر من أملك. وقال إبراهيم بن أدهم لرجل:

أدرهم في المنام أحب إليك أم دينار في اليقظة؟ فقال: دينار في اليقظة فقال: كذبت، لأن الذي تحبه في الدنيا كأنك تحبه في المنام، والذي لا تحبه في الآخرة كأنك لا تحبه في اليقظة. وعن إسماعيل بن عياش قال: كان أصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون إليك عنا يا خنزيرة، فلو وجدوا لها اسمًا أقبح من هذا لسموها به. وقال كعب: لتحببن إليكم الدنيا حتى تعبدوها وأهلها. وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله: العقلاء ثلاثة، من ترك الدنيا قبل أن تتركه، وبنى قبره قبل أن يدخله، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه. وقال أيضًا: الدنيا بلغ شؤمها أن تمنيك لما يلهيك عن طاعة الله، فكيف الوقوع فيها؟ وقال بكر بن عبد الله: من أراد أن يستغني عن الدنيا بالدنيا كان كمطفيء النار بالتبن. وقال بندار: إذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم أنهم في سخرة الشيطان. وقال أيضًا: من أقبل على الدنيا أحرقته نيرانها ، يعني الحرص ، حتى يصير رمادًا؛ ومن أقبل على الآخرة صفته بنيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به، ومن أقبل على الله عز وجل أحرقته نيران التوحيد فصار جوهرًا لا حدّ لقيمته. وقال علي كرم الله وجهه: إنما الدنيا ستة أشياء، مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم، فأشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب، وأشرف المشروبات الماء ويستوي فيه البر والفاجر، وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة، وأشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال، وأشرف المنكوحات المرأة وهي مبال في مبال، وإن المرأة لتزين أحسن شيء منها ويراد أقبح

شيء منها، وأشرف المشمومات المسك وهو دم.

بيان المواعظ في ذم الدنيا وصفتها:

قال بعضهم: يا أيها الناس اعملوا على مهل، وكونوا من الله على وجل، ولا تغتروا بالأمل ونسيان الأجل، ولا تركنوا إلى الدنيا فإنها غدّارة خدّاعة، قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بأمانيها، وتزينت لخطابها فأصبحت كالعروس المجلية، العيون إليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة، فكم من عاشق لها قتلت، ومطمئن إليها خذلت، فانظروا إليها بعين الحقيقة فإنها دار كثير بوائقها وذمها خالقها، جديدها يبلى، وملكها يفنى، وعزيزها يذل، وكثيرها يقل، ودها يموت، وخيرها يفوت، فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم، وانتبهوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان عليل أو مدنف ثقيل، فهل على الدواء من دليل، وهل إلى الطبيب من سبيل؟ فتدعى لك الأطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال: فلان أوصى ولماله أحصى، ثم يقال: قد ثقل لسانه فما يكلم إخوانه ولا يعرف جيرانه، وعرق عند ذلك جبينك، وتتابع أنينك، وثبت يقينك، وطمحت جفونك، وصدقت ظنونك، وتلجلج لسانك، وبكى إخوانك، وقيل لك هذا ابنك فلان، وهذا أخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تنطق، وختم على لسانك فلا ينطق، ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الأعضاء، ثم عرج بها إلى السماء، فاجتمع عند ذلك إخوانك وأحضرت أكفانك، فغسلوك وكفنوك، فانقطع عوّادك واستراح حسادك، وانصرف أهلك إلى مالك، وبقيت مرتهنًا بأعمالك. وقال بعضهم لبعض الملوك: إن أحق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها وأعطي حاجته منها، لأنه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه أو على جمعه فتفرقه، أو تأتي سلطانه فتهدمه من القواعد، أو تدب إلى جسمه فتسقمه، أو تفجعه بشيء هو ضنين به بين أحبابه، فالدنيا أحق بالذم، هي الآخذة ما تعطي، الراجعة فيما تهب، بينا هي تضحك صاحبها إذ أضحكت منه غيره، وبينا تبكي له إذ أبكت عليه، وبينا هي تبسط كفها بالإعطاء إذ بسطتها بالاسترداد، فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتعفره بالتراب غدًا، سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي، تجد في الباقي من الذاهب خلفًا، وترضى بكل من كل بدلًا.

وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز: أما بعد، فإنّ الدنيا دار ظعن ليست بدار إقامة، وإنما أنزل آدم عليه السلام من الجنة إليها عقوبة، فاحذرها يا أمير المؤمنين فإنّ الزاد منها تركها. والغنى منها فقرها. لها في كل حين قتيل. تذلّ من أعزها. وتفقر من جمعها. هي كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه. فكن فيها كالمداوي جراحه يحتمي قليلًا مخافة ما يكره طويلًا. ويصبر على شدة الدواء مخافة طوال الداء. فاحذر هذه الدار الغدّارة الختالة الخدّاعة التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وحلت بآمالها وسوّفت بخطابها. فأصبحت كالعروس المجلية. العيون إليها ناظرة والقلوب عليها والهة، والنفوس لها عاشقة وهي لأزواجها كلهم قالية. فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بالأوّل مزدجر. ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عنها

مدّكر. فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسى المعاد، فشغل فيها لبه حتى زلت به قدمه، فعظمت ندامته وكثرت حسرته، واجتمعت عليه سكرات الموت وتألمه وحسرات الفوت بغصته. وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب، فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد، فاحذرها يا أمير المؤمنين وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها؛ فإنّ صاحب الدنيا كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصته إلى مكروه، السارّ في أهلها غار، والنافع فيها غدّار ضار، وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها إلى فناء، فسرورها مشوب الأحزان لا يرجع منها ما ولى وأدبر، ولا يدري ما هو آت فينتظر.

أمانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر، وعيشها نكد، وابن آدم فيها على خطر، إن عقل ونظر فهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر، فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرًا ولم يضرب لها مثلًا لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ونبهت الغافل، فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ؟ فما لها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر إليها منذ خلقها، ولقد عرضت على نبيك ﷺ بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها[1]. إذ كره أن يخالف على الله أمره أو يحب ما أبغضه خالقه أو يرفع ما وضع مليكه، فزواها عن الصالحين اختبارًا وبسطها لأعدائه اغترارًا، فيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرم بها؛ ونسيّ ما صنع الله عزو جل بمحمد ﷺ حين شدّ الحجر على بطنه[2]، ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه عز وجل أنه قال لموسى عليه السلام: إذا رأيت الغنى مقبلًا فقل ذنب عجلت عقوبته، وإذا رأيت الفقر مقبلًا فقل مرحبًا بشعار الصالحين، وإن شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى بن مريم عليه السلام فإنه كان يقول: إدامي الجوع، وشعاري الخوف، ولباسي الصوف، وصلاتي في الشتاء في مشارق الشمس، وسراجي القمر، ودابتي رجلاي، وطعامي وفاكهتي ما أنبتت الأرض، أبيت وليس لي شيء، وأصبح وليس لي شيء، وليس على الأرض أحد أغنى مني..

وقال وهب بن منبه: لما بعث الله عز وجل موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون قال: لا يروعنكما لباسه الذي لبس من الدنيا، فإن ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس إلا بإذني، ولا يعجبنكما ما تمتع به منها فإنما هي زهرة الحياة وزينة المترفين، فلو شئت أن أزينكما

---

(١) حديث الحسن وكتب به إلى عمر بن عبد العزيز: «عرضت أي الدنيا على نبيك ﷺ بمفاتيحها وخزائنها». أخرجه ابن أبي الدنيا هكذا مرسلا ورواه أحمد والطبراني متصلا من حديث أبي مُوَيْهِبَةَ في أثناء حديث فيه «إني قد أعطيت خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة... الحديث» وسنده صحيح، وللترمذي من حديث أبي أمامة «عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا... الحديث»، [الترمذي: ٢٣٤٧، انظر ضعيف الجامع: ٣٧٠٤، ضعيف الترغيب: ١٨٦٥].

(٢) ضعيف: حديث الحسن مرسلا في شده الحجر على بطنه، أخرجه ابن أبي الدنيا أيضا هكذا وللترمذي من حديث أنس: رفعنا عن بطوننا عن حجر فرفع رسول الله ﷺ حجرين. وقال حديث غريب [الترمذي: ٢٣٧١، وانظر ضعيف الترغيب: ١٩٠٧، مختصر الشمائل: ١١٢].

بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن قدرته تعجز عما أوتيتما لفعلت، ولكني أرغب بكما عن ذلك فأزوي ذلك عنكما، وكذلك أفعل بأوليائي إني لأذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة، وإني لأجنبهم ملاذها كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن منازل الغرة، وما ذلك لهوانهم عليّ ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالمًا موفرًا، إنما يتزين لي أوليائي بالذل والخوف والخضوع والتقوى تنبت في قلوبهم وتظهر على أجسادهم، فهي ثيابهم التي يلبسون ودثارهم الذي يظهرون، وضميرهم الذي يستشعرون، ونجاتهم التي بها يفوزون، ورجاؤهم الذي إياه يأملون، ومجدهم الذي به يفخرون، وسيماهم التي بها يعرفون، فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك، وذلل لهم قلبك ولسانك، واعلم أنه من أخاف لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة، ثم أنا الثائر له يوم القيامة.

وخطب علي كرم الله وجهه يومًا خطبة فقال فيها: اعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها، فلا تغرّنكم الحياة الدنيا فإنها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة، وكل ما فيها إلى زوال وهي بين أهلها دول وسجال، لا تدوم أحوالها ولا يسلم من شرها نزالها، بينا أهلها منها في رخاء وسرور إذا هم منها في بلاء وغرور. أحوال مختلفة وتارات منصرفة. العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة. ترميهم بسهامها وتقصيهم بحمامها. وكل حتفه فيها مقدور وحظه فيها موفور. واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعمارًا وأشدّ منكم بطشًا وأعمر ديارًا وأبعد آثارًا. فأصبحت أصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية. واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة. الصخور والأحجار المسندة في القبور اللاطئة الملحدة. فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين. لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والإخوان على ما بينهم من قرب المكان والجوار ودنوّ الدار. وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلاء وأكلتهم الجنادل والثرى؟ وأصبحوا بعد الحياة أمواتًا وبعد نضارة العيش رفاتًا فجع بهم الأحباب وسكنوا تحت التراب ظعنوا فليس لهم إياب. هيهات هيهات. ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] فكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلاء والوحدة في دار المثوى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع. فكيف بكم لو عاينتم الأمور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور وأوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والأستار وظهرت منكم العيوب والأسرار؟ هنالك تجزى كل نفس بما كسبت إن الله عز وجل يقول: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١] وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ [الكهف ٤٩] الآية جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه متبعين لأوليائه حتى يحلنا وإياكم دار

المقامة من فضله إنه حميد مجيد.

وقال بعض الحكماء: الأيام سهام والناس أغراض، والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك، فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالي في بدنك؟ لو كشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك واستثقلت ممرّ الساعة بك ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار، وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها، وإنها لأمرّ من العلقم إذا عجنها الحكيم، وقد أعيت الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها، وما تأتي به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ، اللهم أرشدنا إلى الصواب.

وقال بعض الحكماء: وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها فقال: الدنيا وقتك الذي يرجع إليك فيه طرفك، لأن ما مضى عنك فقد فاتك إدراكه، وما لم يأت فلا علم لك به، والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعاته، وأحداثه تتوالى على الإنسان بالتغيير والنقصان، والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول، والأمل طويل والعمر قصير وإلى الله تصير الأمور.

وخطب عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فقال: يا أيها الناس إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدّقون به فإنكم حمقى، وإن كنتم تكذبون به فإنكم هلكى، إنما خلقتم للأبد ولكنكم من دار إلى دار تنقلون، عباد الله إنكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص، ومن شرابكم شرق، لا تصفوا لكم نعمة تسرون بها إلا بفراق أخرى تكرهون فراقها، فاعملوا لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه. ثم غلبه البكاء ونزل.

وقال علي كرّم الله وجهه في خطبته: أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وإن كنتم لا تحبون تركها، المبلية أجسامكم وأنتم تريدون تجديدها، فإنما مثلكم ومثلها كمثل قوم في سفر سلكوا طريقًا وكأنهم قد قطعوه، وأفضوا إلى علم فكأنهم بلغوه، وكم عسى أن يجري المجرى حتى ينتهي إلى الغاية؟ وكم عسى أن يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها؟ فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فإنه إلى انقطاع، ولا تفرحوا بمتاعها ونعمائها فإنه إلى زوال، عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه.

وقال محمد بن الحسين: لما علم أهل الفضل والعلم والمعرفة والأدب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا، وأنه لم يرضها لأوليائه، وأنها عنده حقيرة قليلة، وأنّ رسول الله ﷺ زهد فيها وحذر أصحابه من فتنتها، أكلوا منها قصدًا وقدّموا فضلًا، وأخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي، لبسوا من الثياب ما ستر العورة، وأكلوا من الطعام أدناه مما سدّ الجوعة، ونظروا إلى الدنيا بعين أنها فانية؛ وإلى الآخرة أنها باقية، فتزوّدوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة، ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم فعلموا أنهم سينظرون إليها بأعينهم فارتحلوا إليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم، تعبوا قليلًا وتنعموا طويلًا، كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم، أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم.

بيان صفة الدنيا بالأمثلة:

اعلم أنّ الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء، تعد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء، تنظر إليها فتراها ساكنة مستقرّة وهي سائرة سيرًا عنيفًا ومرتحلة ارتحالًا سريعًا، ولكن الناظر إليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن إليها، وإنما يحس عند انقضائها، ومثالها الظل فإنه متحرّك ساكن متحرّك في الحقيقة ساكن في الظاهر، لا تدرك حركته بالبصر الظاهر، بل بالبصيرة الباطنة، ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصري رحمه الله أنشد وقال:

أحلام نوم أو كظلّ زائل إن اللبيبَ بمثلها لا يُخدع

وكان الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يتمثل كثيرًا ويقول:

يا أهل لذّات دنيا لا بقاء لها إن اغترارًا بظلّ زائل حمق

وقيل إن هذا من قوله. ويقال: إن أعرابيًا نزل بقوم فقدموا إليه طعامًا فأكل، ثم قام إلى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة فأصابته الشمس فانتبه، فقام وهو يقول:

ألا إنما الدنيا كظل ثنية ولا بد يومًا أن ظلك زائلُ

وكذلك قيل:

وإن امرأ دنياه أكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور

مثال آخر للدنيا من حيث التغرير بخيالاتها ثم الإفلاس منها بعد إفلاتها. تشبه خيالات المنام وأضغاث الأحلام. قال رسول الله ﷺ: «الدُّنْيَا حُلُمٌ وَأَهْلُها عَلَيْها مُجَازَوْنَ وَمُعَاقَبُونَ» (١)، وقال يونس بن عبيد. ما شبهت نفسي في الدنيا إلا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك إذ انتبه، فكذلك الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا، فإذا ليس بأيديهم شيء مما ركنوا إليه وفرحوا به. وقيل لبعض الحكماء. أي شيء أشبه بالدنيا؟ قال: أحلام النائم.

مثال آخر للدنيا في عداوتها لأهلها وإهلاكها لبنيها.

اعلم أن طبع الدنيا التلطف في الاستدراج أولًا والتوصل إلى الإهلاك آخرًا، وهي كامرأة تتزين للخطاب حتى إذا نكحتهم ذبحتهم. وقد روي أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة، فقال لها: كم تزوجت؟ قالت: لا أحصيهم، قال: فكلهم مات عنك أم كلهم طلقك؟ قالت: بل كلهم قتلت، فقال عيسى عليه السلام: بؤسًا لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين كيف تهلكينهم واحدًا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر؟.

مثال آخر للدنيا في مخالفة ظاهرها لباطنها: اعلم أن الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي شبه عجوز متزينة تخدع الناس بظاهرها، فإذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها. وقال العلاء

(١) لا أصل له: حديث «الدنيا حلم وأهلها مجازون ومعاقبون». لم أجد له أصلا.

ابن زياد: رأيت في المنام عجوزًا كبيرة متعصبة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها معجبون ينظرون إليها، فجئت ونظرت وتعجبت من نظرهم إليها وإقبالهم عليها فقلت لها: ويلك من أنت؟ قالت: أو ما تعرفني؟ قلت: لا أدري من أنت؟ قالت: أنا الدنيا، قلت: أعوذ بالله من شرك قالت: إن أحببت أن تعاذ من شري فابغض الدرهم. قال أبو بكر بن عياش: رأيت الدنيا في النوم عجوزًا مشوّهة شمطاء تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها ويصفقون ويرقصون، فلما كانت بحذائي أقبلت عليّ فقالت: لو ظفرت بك لصنعت بك مثل ما صنعت بهؤلاء. ثم بكى أبو بكر وقال: رأيت هذا قبل أن أقدم إلى بغداد. وقال الفضيل بن عياض: قال ابن عباس: يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء، أنيابها بادية ومشوّه خلقها، فتشرف على الخلائق فيقال لهم أتعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال: هذه الدنيا التي تناحرتم عليها، بها تقاطعتم الأرحام، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم، ثم يقذف بها في جهنم فتنادي: أي رب أين أتباعي وأشياعي؟ فيقول الله عز وجل؟ الحقوا بها أتباعها وأشياعها. وقال الفضيل: بلغني أن رجلًا عرج بروحه فإذا امرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة من الحلي والثياب، وإذا لا يمر بها أحد إلا جرّحته، فإذا هي أدبرت كانت أحسن شيء رآه الناس، وإذا هي أقبلت كانت أقبح شيء رآه الناس، عجوز شمطاء زرقاء عمشاء قال: فقلت: أعوذ بالله منك قالت: لا والله. لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم قال: فقلت من أنت؟ قالت: أنا الدنيا.

مثال آخر للدنيا وعبور الإنسان بها:

اعلم أن الأحوال ثلاثة: حالة لم تكن فيها شيئًا وهي ما قبل وجودك إلى الأزل، وحالة لا تكون فيها مشاهدًا للدنيا وهي ما بعد موتك إلى الأبد، وحالة متوسطة بين الأبد والأزل وهي أيام حياتك في الدنيا؛ فانظر إلى مقدار طولها وانسبه إلى طرفي الأزل والأبد حتى تعلم إنه أقل من منزل قصير في سفر بعيد. ولذلك قال ﷺ: «ما لِي وَلِلدُّنْيَا وَإِنَّما مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رَاكِبٍ سَارَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ فَرُفِعَتْ له شَجَرَةٌ فَقَالَ تَحْتَ ظِلِّهَا سَاعَةً ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»(١)، ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها ولم يبال كيف انقضت أيامه في ضر وضيق أو في سعة ورفاهية، بل لا يبني لبنة على لبنة. توفي رسول الله ﷺ وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة(٢).

---

(١) صحيح: حديث «ما لي وللدنيا؟! إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب .. الحديث». أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث ابن مسعود بنحوه [الترمذي: ٢٣٧٧، ابن ماجه: ٤١٠٩، انظر صحيح الجامع: ٥٦٦٨، ضعيف الترغيب: ٣٢٨٢]، ورواه أحمد والحاكم وصححه من حديث ابن عباس [انظر صحيح الجامع: ٥٦٦٩، صحيح الترغيب: ٣٢٨٣].

(٢) ضعيف: حديث: توفي رسول الله ﷺ وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة» أخرجه ابن حبان في الثقات وللطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف «من سأل عني أو سره أن ينظر إلى فلينظر إلى أشعث شاحب مشمر لم يضع لبنة على لبنة... الحديث»، [انظر ضعيف الجامع: ١٨٩٦].

ورأى بعض الصحابة يبني بيتًا من جص فقـــال: «أَرَى الأَمْرَ أَعْجَلَ مِنْ هذا» وَأَنْكَرَ ذلِـــكَ [١].

وإلى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها. وهو مثال واضح فإن الحياة الدنيا معبر إلى الآخرة، والمهد هو الميل الأوّل على رأس القنطرة، واللحد هو الميل الآخر، وبينهما مسافة محدودة، فمن الناس من قطع نصف القنطرة، ومنهم من قطع ثلثها، ومنهم من قطع ثلثيها، ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها. وكيفما كان فلا بد له من العبور، والبناء على القنطرة وتزيينها بأصناف الزينة وأنت عابر عليها غاية الجهل والخذلان.

مثال آخر للدنيا في لين موردها وخشونة مصدرها: اعلم أن أوائل الدنيا هينة لينة يظن الخائض فيها أن حلاوة خفضها كحلاوة الخوض فيها وهيهات فإن الخوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد، وقد كتب علي رضي الله عنه إلى سلمان الفارسي بمثالها فقال: مثل الدنيا مثل الحية لين مسها ويقتل سمها، فأعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها، وضع عنك همومها بما أيقنت من فراقها، وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها، فإن صاحبها كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصه عنه مكروه والسلام.

مثال آخر للدنيا في تعذر الخلاص من تبعتها بعد الخوض فيها: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الدُّنْيَا كَالمَاشِي فِي المَاءِ هَلْ يَسْتَطِيعُ الَّذِي يَمْشِي فِي المَاءِ أَنْ لا تَبْتَلَّ قَدَمَاهُ» [٢]، وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا أنهم يخوضون في نعيم الدنيا بأبدانهم وقلوبهم منها مطهرة، وعلائقها عن بواطنهم منقطعة، وذلك مكيدة من الشيطان بل لو أخرجوا مما هم فيه لكانوا من أعظم المتفجعين بفراقها، فكما أن المشي على الماء يقتضي بللًا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضي علاقة وظلمة في القلب، بل علاقة الدنيا مع القلب تمنع حلاوة العبادة. قال عيسى عليه السلام: بحق أقول لكم، كما ينظر المريض إلى الطعام فلا يلتذ به من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا، وبحق أقول لكم، إن الدابة إذا لم تركب وتمتهن تصعب ويتغير خلقها كذلك القلوب إذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ، وبحق أقول لكم، إن الزق ما لم يتخرق أو يقحل يوشك أن يكون وعاء للعسل كذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات أو يدنسها الطمع أو يقسيها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة. وقال النبي ﷺ: «إِنَّمَا بَقِي مِنَ الدُّنْيَا بَلاءٌ وَفِتْنَةٌ

---

[١] صحيح حديث: رأى بعض أصحابه يبني بيتا من جص فقال «أرى الأمر أعجل من هذا». أخرجه أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وقال حسن صحيح، [أبو داود: ٥٢٣٥، الترمذي: ٢٣٣٥، انظر صحيح الجامع: ٥٥٢٦، صحيح الترغيب: ٣٣٤٣].

[٢] حديث «إنما مثل صاحب الدنيا كالماشي في الماء .. الحديث». أخرجه ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من رواية الحسن قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال فذكره. ووصله البيهقي في الشعب وفي الزهد من رواية الحسن عن أنس، [انظر ضعيف الجامع: ٦٠٩٥، ضعيف الترغيب: ١٨٨٣، الضعيفة: ٤٧٤١].

وإنَّمـــا مَثَلُ عَمَلِ أَحَدِكُمْ كَمَثَلِ الوِعَاءِ إذا طَابَ أَعْلاهُ طَابَ أَسْفَلُهُ وَإذا خَبُثَ أَعْلاهُ خَبُثَ أَسْفَلُهُ»(١).

مثال آخر لما بقي من الدنيا وقلته بالإضافة لما سبق: قال رسول اللهﷺ: «مَثَلُ هذِهِ الدُّنْيَا مَثَلُ ثَوْبٍ شُقَّ مِـــنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ فَبَقِيَ مُتَعَلِقًا بِخَيْطٍ فِي آخِرِهِ فَيُوشِكُ ذلِـــكَ الخَيْطُ أَنْ يَنْقَطِعَ»(٢).

مثال آخر لتأدية علائق الدنيا بعضها إلى بعض حتى الهلاك: قال عيسى عليه السلام: مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربًا ازداد عطشًا حتى يقتله.

مثال آخر لمخالفة آخر الدنيا أولها ولنضارة أوائلها وخبث عواقبها، اعلم أن شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الأطعمة في المعدة، وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للأطعمة اللذيذة إذا بلغت في المعدة غايتها، وكما أن الطعام كلما كان ألذ طعمًا وأكثر دسمًا وأظهر حلاوة كان رجيعه أقذر وأشد نتنًا، فكذلك كل شهوة في القلب هي أشهى وألذ وأقوى، فنتنها وكراهتها والتأذي بها عند الموت أشدّ بل هي في الدنيا مشاهدة، فإن من نهبت داره وأخذ أهله وماله وولده، فتكون مصيبته وألمه وتفجعه في كل ما فقد بقدر لذته به وحبه له وحرصه عليه، فكل ما كان عند الوجود أشهى عنده وألذ فهو عند الفقد أدهى وأمر، ولا معنى للموت إلا فقد ما في الدنيا. وقد روي أن النبيﷺ قال للضحاك بن سفيان الكلابي: «أَلَسْتَ تُؤْتَى بِطَعَامِكَ وَقَدْ مَلُحَ وَقَزَحَ ثُمَّ تَشْرَبُ عَلَيْهِ اللَّبَنَ وَالمَاءَ» ؟، قال: بلى؛ قال: «فَإِلامَ يَصِيرُ» قال: إلى ما قد علمت يا رسول الله، قال: «فإنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ ضَرَبَ مَثَلَ الدُّنْيَا بِمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ طَعَامُ ابْنِ آدَمَ»(٣)، وقال أبي بن كعب: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الدُّنْيَا ضُرِبَتْ مَثَلًا لابْنِ آدَمَ فَانْظُرْ مَا يَخْرُجُ مِـــنَ ابْـــنِ آدَمَ وَإِنَّ قِزْحَهُ وَمِلْحَهُ إِلاَمَ يَصِيرُ»(٤)، وقالﷺ: «إنَّ الله ضَرَبَ الدُّنْيَا لِمَطْعَمِ ابْنِ آدَمَ مَثَلًا وَضَرَبَ مَطْعَمَ ابْنِ آدَمَ لِلدُّنْيَا مَثَلًا وإنَّ قِزْحَهُ وَمِلْحَهُ»(٥)، وقال الحسن: قد رأيتهم يطيبونه بالأفاويه والطيب ثم يرمون به

---

(١) صحيح: حديث «إنما بقي من الدنيا بلاء وفتنة .. الحديث». أخرجه ابن ماجه من حديث معاوية فرقه في موضعين ورجاله ثقات، [ابن ماجه: ٤١٩٩، انظر صحيح الجامع: ٢٣٢٠، الصحيحة: ١٧٣٤].

(٢) إسناده ضعيف: حديث «مثل هذه الدنيا كمثل ثوب شق من أوله إلى آخره». أخرجه أبو الشيخ ابن حبان في الثواب وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أنس بسند ضعيف.

(٣) صحيح: حديث: أنه قال للضحاك بن سفيان الكلابي «ألست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح .. الحديث»، وفيه «فإن الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير إليه طعام ابن آدم». أخرجه أحمد والطبراني من حديثه بنحوه وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه [انظر الصحيحة: ٣٨٢].

(٤) صحيح: حديث أبي بن كعب «إن الدنيا ضربت مثلا لابن آدم .. الحديث». أخرجه الطبراني وابن حبان بلفظ «إن مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلا» ورواه عبد الله بن أحمد في زياداته بلفظ «جعل» [انظر الصحيحة: ٣٨٢صحيح الترغيب: ٢١٥٠].

(٥) حسن: حديث «إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا». الشطر الأول منه غريب والشطر الأخير هو الذي تقدم من حديث الضحاك بن سفيان « إن الله ضرب ما يخرج من بني آدم مثلا للدنيا» [انظر صحيح الجامع: ١٧٧٨].

حيث رأيتم، وقد قال الله عز وجل: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾[عبس:٢٤] قال ابن عباس إلى رجيعه، وقال رجل لابن عمر إني أريد أن أسألك وأستحيي قال: فلا تستحي واسأل. قال: إذا قضى أحدنا حاجته فقام ينظر إلى ذلك منه قال نعم إن الملك يقول له انظر إلى ما بخلت به انظر إلى ماذا صار. وكان بشر بن كعب يقول: انطلقوا حتى أريكم الدنيا فيذهب بهم إلى مزبلة فيقول انظروا إلى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم.

مثال آخر في نسبة الدنيا إلى الآخرة: قال رسول الله ﷺ: «ما الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إلاَّ كَمَثَلِ ما يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ فِي اليَمِّ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ بِمَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ»(١).

مثال آخر للدنيا وأهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها: اعلم أن أهل الدنيا مثلهم في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم إلى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج إلى قضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوّفهم مرور السفينة واستعجالها، فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة فصادف المكان خاليًا فأخذ أوسع الأماكن وألينها وأوفقها لمراده، وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر إلى أنوارها وأزهارها العجيبة وغياضها الملتفة ونغمات طيورها وألحانها الموزونة الغريبة وصار يلحظ من بريتها أحجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الألوان والأشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة أعين الناظرين بحسن زبرجدها وعجائب صورها، ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع إليها فلم يصادف إلا مكانًا ضيقًا حرجًا فاستقرّ فيه: وبعضهم أكبّ على تلك الأصداف والأحجار وأعجبه حسنها ولم تسمح نفسه بإهمالها فاستصحب منها جملة، فلم يجد في السفينة إلا مكانًا ضيقًا وزاده ما حمله من الحجارة ضيقًا وصار ثقيلًا عليه ووبالًا، فندم على أخذه ولم يقدر على رميه ولم يجد مكانًا لوضعه، فحمله في السفينة على عنقه وهو متأسف على أخذه وليس ينفعه التأسف. وبعضهم تولج الغياض ونسي المركب وبعد في متفرجه ومتنزهه منه حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله بأكل تلك الثمار واستشمام تلك الأنوار والتفرّج بين تلك الأشجار، وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات، ولا منفك عن شوك ينشب بثيابه وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وصوت هائل يفزع منه وعوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه عن الانصراف لو أراده، فلما بلغه نداء أهل السفينة انصرف مثقلًا بما معه ولم يجد في المركب موضعًا فبقي في الشط حتى مات جوعًا. وبعضهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة، فمنهم من افترسته السباع، ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك، ومنهم من مات في الأوحال، ومنهم من نهشته الحيّات، فتفرقوا كالجيف المنتنة.

وأما من وصل إلى المركب بثقل ما أخذه من الأزهار والأحجار، فقد استرقته وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه، فلم يلبث أن ذبلت تلك الأزهار وكمدت

---

(١) صحيح: حديث «ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع إليه». أخرجه مسلم من حديث المستورد بن شداد [مسلم: ٢٨٥٨].

تلك الألوان والأحجار فظهر نتن رائحتها فصارت مع كونها مضيقة عليه مؤذية له بنتنها ووحشتها. فلم يجد حيلة إلا أن ألقاها في البحر هربًا منها، وقد أثر فيه ما أكل منها فلم ينته إلى الوطن إلا بعد أن ظهرت عليه الأسقام بتلك الروائح فبلغ سقيمًا. مدبرًا. ومن رجع قريبًا ما فاته إلا سعة المحل فتأذى بضيق المكان مدة، ولكن لما وصل إلى الوطن استراح، ومن رجع أوّلًا وجد المكان الأوسع ووصل إلى الوطن سالمًا. فهذا مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمورهم. وما أقبح من يزعم أنه بصير عاقل أن تغرّه أحجار الأرض وهي الذهب والفضة وهشيم النبت وهي زينة الدنيا، وشيء من ذلك لا يصحبه عند الموت بل يصير كلًا ووبالًا عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه. وهذه حال الخلق كلهم إلا من عصمه الله عز وجل.

مثال آخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف إيمانهم: قال الحسن رحمه الله: بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَلَكُوا مَفَازَةً غَبْرَاءَ، حَتَّى إذا لَمْ يَدْرُوا، ما سَلَكُوا مِنْهَا أَكْثَرُ أَمْ ما بقي؟ أَنْفَدُوا الزَّادَ وَخَسِرُوا الظَّهْرَ وَبَقُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيِ المَفَازَةِ ولا زَادَ وَلا حَمُولَةَ فَأَيْقَنوا بِالهَلَكَةِ، فَبَيْنَا هُمْ كَذلِكَ إذْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ فِي حُلَّةٍ تَقْطُرُ رَأْسَهُ، فَقَالُوا: هذا قَرِيبُ عَهْدٍ بِرِيفٍ وَمَا جَاءَكُمْ هذا إلاّ مِنْ قَرِيبٍ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ قالَ: يا هؤلاءِ: فَقَالُوا: يا هذا فَقَالَ عَلامَ أَنْتُمْ؟ فَقَالُوا: عَلَى ما تَرَى، فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ إنْ هَدَيْتُكُمْ إِلَى مَاءٍ رَوَاءٍ وَرِياضٍ خُضْرٍ ما تَعْمَلُونَ؟ قَالُوا: لا نَعْصِيكَ شَيْئًا، قالَ: عُهُودَكُمْ وَمَوَاثِيقَكُمْ بِالله، فَأَعْطَوْهُ عُهُودَهُمْ وَمَوَاثِيقَهُمْ بِالله لا يَعْصُونَهُ شَيْئًا قالَ: فَأَوْرَدَهُمْ مَاءً رَوَاءً وَرِياضًا خُضْرًا فَمَكَثَ فِيهِمْ ما شَاءَ الله ثُمَّ قالَ: يا هؤلاءِ قَالُوا: يا هذا قالَ: الرَّحِيلُ قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى مَاءٍ لَيْسَ كَمَائِكُمْ وَإِلَى رِياضٍ لَيْسَتْ كَرِياضِكُمْ، فَقَالَ أَكْثَرُهُمْ: وَالله ما وَجَدْنا هذا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّا لَنْ نَجِدَهُ وَما نَصْنَعُ بِعَيْشٍ خَيْرٍ مِنْ هذا؟ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ، وَهُمْ أَقَلُّهُمْ، أَلَمْ تُعْطُوا هذا الرَّجُلَ عُهُودَكُمْ وَمَوَاثِيقَكُمْ بِالله لا تَعْصُوهُ شَيْئًا وَقَدْ صَدَقَكُمْ فِي أَوَّلِ حَدِيثِهِ فَوَالله لَيَصْدُقَنَّكُمْ فِي آخِرِهِ؟ فَرَاحَ فِيمَنْ اتَّبَعَهُ وَتَخَلَّفَ بَقِيَّتُهُمْ فَبَدَرَهُمْ عَدُوٌّ فَأَصْبَحُوا بَيْنَ أَسِيرٍ وَقَتِيلٍ»(١).

مثال آخر لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها: اعلم أنّ مثل الناس فيما أعطوا من الدنيا مثل رجل هيأ دارًا وزينها وهو يدعو إلى داره على الترتيب قومًا، واحدًا بعد واحد، فدخل واحد داره فقدّم إليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه، لا ليتملكه ويأخذه، فجهل رسمه وظن أنه قد وهب ذلك فتعلق به قلبه لما ظن أنه له، فلما استرجع منه ضجر وتفجع، ومن كان عالمًا برسمه انتفع به وشكره ورده بطيب قلب وانشراح صدر، وكذلك من

---

(١) حديث الحسن: بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه «إنما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء .. الحديث». أخرجه ابن أبي الدنيا هكذا بطوله، لأحمد والبزار والطبراني من حديث ابن عباس: أن رسول الله ﷺ أتاه فيما يرى النائم ملكان. الحديث وفيه «فقال أي أحد الملكين إن مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى مفازة». فذكر نحوه أخصر منه وإسناده حسن.

عرف سنّة الله في الدنيا علم أنها دار ضيافة سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزوّدوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعواري، ولا يصرفون إليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها. فهذه أمثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها نسأل الله تعالى اللطيف الخبير حسن العون بكرمه وحلمه.

بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد:

اعلم أنّ معرفة ذم الدنيا لا تكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي؟ وما الذي ينبغي أن يجتنب منها وما الذي لا يجتنب؟ فلا بد وأن نبين الدنيا المذمومة المأمور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ما هي؟ فنقول: دنياك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك، فالقريب الداني منها يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت، والمتراخي المتأخر يسمى آخرة وهو ما بعد الموت، فكل ما لك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك إلا أنّ جميع ما لك إليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هو ثلاثة أقسام.

القسم الأول: ما يصحبك في الآخرة وتبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيئان: العلم والعمل فقط؛ وأعني بالعلم: العلم بالله وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت أرضه وسمائه، والعلم بشريعة نبيه، وأعني بالعمل. العبادة الخالصة لوجه الله تعالى، وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير ذلك ألذ الأشياء عنده فيهجر النوم والمطعم والمنكح في لذته لأنه أشهى عنده من جميع ذلك فقد صار حظًا عاجلًا في الدنيا. ولكنا إذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا أصلًا بل قلنا إنه في الآخرة، وكذلك العابد قد يأنس بعبادته فيستلذها بحيث لو منع عنها لكان ذلك أعظم العقوبات عليه، حتى قال بعضهم: ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل، وكان آخر يقول: اللهم ارزقني قوّة الصلاة والركوع والسجود في القبر. فهذا قد صارت الصلاة عنده من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنوّ، ولكنا لسنا نعني بالدنيا المذمومة ذلك، وقد قال ﷺ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلاثٌ: النِّسَاءُ والطِّيبُ وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ» (١)، فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا. وكذلك كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا، والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود إنما يكون في الدنيا فلذلك أضافها إلى الدنيا إلا أنا لسنا في هذا الكتاب نتعرض إلا للدنيا المذمومة، فنقول هذه ليست من الدنيا.

القسم الثاني: وهو المقابل له على الطرف الأقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة أصلًا، كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الحاجات،

---

(١) صحيح: حديث «حبب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة». أخرجه النسائي والحاكم من حديث أنس دون قوله «ثلاث» وتقدم في النكاح [النسائي: ٣٩٣٩، انظر صحيح الجامع: ٣١٢٤، صحيح النسائي].

والضرورات الداخلة في جملة الرفاهية والرعونات، كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث والغلمان والجواري والخيول والمواشي والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الأطعمة، فحظ العبد من هذا كله هي الدنيا المذمومة وفيما يعدّ فضولًا أو في محل الحاجة نظر طويل، إذ روي عن عمر رضي الله عنه أنه استعمل أبا الدرداء على حمص فاتخذ كنيفًا أنفق عليه درهمين، فكتب إليه عمر: من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عويمر، قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي به عن عمران الدنيا حين أراد الله خرابها، فإذا أتاك كتابي هذا فقد سيرتك إلى دمشق أنت وأهلك. فلم يزل بها حتى مات. فهذا رآه فضولًا من الدنيا فتأمل فيه.

القسم الثالث: وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على أعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن، وكل ما لا بد منه ليتأتى للإنسان البقاء والصحة التي بها يتوصل إلى العلم والعمل. وهذا ليس من الدنيا كالقسم الأول، لأنه معين على القسم الأول ووسيلة إليه. فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولًا للدنيا ولم يصر به من أبناء الدنيا، وإن كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا. ولا يبقى مع العبد عند الموت إلا ثلاث صفات: صفاء القلب؛ أعني طهارته من الأدناس، وأنسه بذكر الله تعالى، وحبه لله عز وجل. وصفاء القلب وطهارته لا يحصلان إلا بالكف عن شهوات الدنيا والأنس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله تعالى والمواظبة عليه، والحب لا يحصل إلا بالمعرفة. ولا تحصل معرفة الله إلا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات المسعدات بعد الموت.

أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا؛ فهي من المنجيات إذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله، كما ورد في الأخبار: «إِنَّ أَعْمَالَ العَبْدِ تُنَاضِلُ عَنْهُ فَإِذَا جَاءَ العَذَابُ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ جَاءَ قِيَامُ اللَّيْلِ يَدْفَعُ عَنْهُ؛ وَإِذا جَاءَ مِنْ جِهَةِ يَدَيْهِ جَاءَتِ الصَّدَقَةُ تَدْفَعُ عَنْهُ»[1]، الحديث.

وأما الأنس والحب؛ فهما من المسعدات وهما موصلان العبد إلى لذة اللقاء والمشاهدة، وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت إلى أن يدخل أوان الرؤية في الجنة، فيصير القبر روضة من رياض الجنة، وكيف لا يكون القبر عليه روضة من رياض الجنة ولم يكن له إلا محبوب واحد؟ وكانت العوائق تعوقه عن دوام الأنس بدوام ذكره ومطالعة جماله، فارتفعت العوائق وأفلت من السجن وخلى بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورًا سليمًا من الموانع آمنًا من العوائق؟ وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبًا ولم يكن له محبوب إلا الدنيا وقد غصب منه وحيل

---

(١) حديث: «إن أعمال العبد تناضل عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه .. الحديث». أخرجه الطبراني من حديث عبد الرحمن بن سمرة بطوله وفيه خالد بن عبد الرحمن المخزومي ضعفه البخاري وأبو حاتم ولأحمد من حديث أسماء بنت أبي بكر «إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمنا أحزبه عمله الصلاة والصيام... الحديث» وإسناده صحيح.

بينه وبينه وسدّت عليه طرق الحيلة في الرجوع إليه؟ ولذلك قيل:

ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحدُ

وليس الموت عدمًا إنما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى. فإذًا سالك طريق الآخرة هو المواظب على أسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يقطعه عن شهوات الدنيا ويبغض إليه ملاذها ويقطعه عنها، وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن، وصحة البدن لا تنال إلا بقوت وملبس ومسكن، ويحتاج كل واحد إلى أسباب. فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلاثة إذا أخذه العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من أبناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة للآخرة، وإن أخذ ذلك لحظ النفس وعلى قصد التنعم صار من أبناء الدنيا والراغبين في حظوظها، إلا أنّ الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم إلى ما يعرض صاحبه لعذاب الآخرة ويسمى ذلك حرامًا، وإلى ما يحول بينه وبين الدرجات العلا ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالًا.

والبصير يعلم أن طول الموقف في عرضات القيامة لأجل المحاسبة أيضًا عذاب فمن نوقش الحساب عذب [(١)]، إذ قال رسول الله ﷺ: «حَلالُها حِسَابٌ وَحَرَامُها عَذَابٌ» [(٢)]، وقد قال أيضًا: «حلالها عذاب» إلا أنه عذاب أخف من عذاب الحرام، بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدّرجات العلا في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفوتها لحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو أيضًا عذاب، وقس به حالك في الدنيا إذا نظرت إلى أقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرات مع علمك بأنها سعادات منصرمة لا بقاء لها؟ ومنغصة بكدورات لا صفاء لها فما حالك في فوات سعادة لا يحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الدهور دون غايتها؟ فكل من تنعم في الدنيا ولو بسماع صوت من طائر أو بالنظر إلى خضرة أو شربة ماء بارد فإنه ينقص من حظه في الآخرة أضعافه، وهو المعنّى بقوله ﷺ لعمر رضي الله عنه: «هذا مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي تسْأَلُ عَنْهُ» [(٣)]، أشار به إلى الماء البارد. والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار، وكل ذلك من نقصان الحظ، ولذلك قال عمر رضي الله عنه: اعزلوا عني حسابها، حين كان به عطش فعرض عليه ماء بارد بعسل فأداره في كفه ثم امتنع عن شربه، فالدنيا قليلها وكثيرها حرامها وحلالها ملعونة إلا ما أعان على تقوى الله، فإن ذلك القدر ليس من الدنيا، وكل من كانت معرفته أقوى وأتقن كان حذره من نعيم الدنيا أشد، حتى أن عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لما نام ثم رماه، إذ تمثل له إبليس

---

(١) صحيح: حديث «من نوقش الحساب عذب». متفق عليه من حديث عائشة [البخاري: ٦٥٣٦، مسلم: ٢٨٧٦].

(٢) ضعيف الإسناد: حديث «حلالها حساب وحرامها عذاب». أخرجه ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه موقوفا على علي بن أبي طالب بإسناد منقطع بلفظ «وحرامها النار» ولم أجد مرفوعاً.

(٣) صحيح: حديث «هذا من النعيم الذي تسأل عنه». تقدم في الأطعمة [انظر صحيح الجامع: ٧٠٠١].

وقال: رغبت في الدنيا وحتى أن سليمان عليه السلام في ملكه كان يطعم الناس لذائذ الأطعمة وهو يأكل خبز الشعير، فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتهانًا وشدّة، فإن الصبر عن لذائذ الأطعمة مع القدرة عليها ووجودها أشد، ولهذا روي أن الله تعالى زوى الدنيا عن نبينا ﷺ فكان يطوي أيامًا [(١)]، وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع [(٢)]، ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الأنبياء والأولياء ثم الأمثل فالأمثل، كل ذلك نظرًا لهم وامتنانًا عليهم ليتوفر من الآخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه، ويلزم ألم الفصد والحجامة شفقة عليه وحبًا له لا بخلًا عليه. وقد عرفت بهذا أن كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا.

فإن قلت: فما الذي هو لله؟ فأقول: الأشياء ثلاثة أقسام:

منها: ما لا يتصوّر أن يكون لله وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات وأنواع التنعمات في المباحات، وهي الدنيا المحضة المذمومة، فهي الدنيا صورة ومعنى.

ومنها: ما صورته لله ويمكن أن يجعل لغير الله وهو ثلاثة: الفكر والذكر والكف عن الشهوات، فإن هذه الثلاثة إذا جرت سرًا ولم يكن عليها باعث سوى أمر الله واليوم الآخر فهي لله وليست من الدنيا، وإن كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرف به وطلب القبول بين الخلق بإظهار المعرفة أو كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال أو الحمية لصحة البدن والاشتهار بالزهد، فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى وإن كن يظن بصورته أنه لله تعالى.

ومنها: ما صورته لحظ النفس ويمكن أن يكون معناه لله، وذلك كالأكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده، فإن كان القصد لحظ النفس فهو من الدنيا وإن كان القصد الاستعانة به على التقوى فهو لله بمعناه وإن كانت صورته صورة الدنيا. قال ﷺ: «مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلالًا مُكَاثِرًا مُفَاخِرًا لَقِيَ الله وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ، وَمَنْ طَلَبَهَا اسْتِعْفافًا عَنِ المَسْأَلَةِ وَصِيانَةً لِنَفْسِهِ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَوَجْهُهُ كَالقَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ» [(٣)]، فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد، فإذًا الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة إليه لأمر الآخرة ويعبر عنه بالهوى، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝﴾ [النازعات: ٤٠-٤١] ومجامع الهوى خمسة أمور: وهي ما جمعه الله تعالى في قوله: ﴿أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ

---

(١) حديث: زوى الله الدنيا عن نبينا ﷺ فكان يطوي أياما، أخرجه محمد بن خفيف في شرف الفقراء من حديث عمر بن الخطاب قال: قلت يا رسول الله عجبا لمن بسط الله لهم الدنيا وزواها عنك... الحديث. وهو من طريق إسحاق معنعنا وللترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ كان يبيت الليالي المتتابعة طاويا وأهله... الحديث. قال الترمذي حسن صحيح [الترمذي: ٢٣٦٠، ابن ماجه: ٣٣٤٧، وهو حديث حسن، انظر صحيح الجامع: ٤٨٩٥، الصحيحة: ٢١١٩].

(٢) حسن: حديث: كان يشد الحجر على بطنه من الجوع [انظر الصحيحة: ١٦١٥]. تقدم.

(٣) حديث «من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقي الله وهو عليه غضبان، .. الحديث». أخرجه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف.

وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد: ٢٠] والأعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة: يجمعها قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤] ، فقد عرفت أنّ كل ما هو لله فليس من الدنيا، وقدر ضرورة القوت وما لا بدّ منه من مسكن وملبس هو لله إن قصد به وجه الله، والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله. وبين التنعم والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة. ولها طرفان وواسطة: طرف يقرب من حدّ الضرورة فلا يضر فإنّ الاقتصار على حدّ الضرورة غير ممكن، وطرف يزاحم جانب التنعم ويقرب منه وينبغي أن يحذر منه، وبينهما وسائط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

والحزم في الحذر والتقوى والتقرّب من حدّ الضرورة ما أمكن اقتداء بالأنبياء والأولياء عليهم السلام؛ إذ كانوا يردون أنفسهم إلى حدّ الضرورة حتى أن أويسًا القرني كان يظن أهله أنه مجنون لشدة تضييقه على نفسه، فبنوا له بيتًا على باب دارهم فكان يأتي عليهم السنة والسنتان والثلاث لا يرون له وجهًا، وكان يخرج أوّل الأذان ويأتي إلى منزله بعد العشاء الآخرة، وكان طعامه أن يلتقط النوى، وكلما أصاب حشفة خبأها لإفطاره وإن لم يصب ما يقوّته من الحشف باع النوى واشترى بثمنه ما يقوّته، وكان لباسه مما يلتقط من المزابل من قطع الأكسية فيغسلها في الفرات ويلفق بعضها إلى بعض ثم يلبسها، فكان ذلك لباسه وكان ربما مرّ الصبيان فيرمونه ويظنون أنه مجنون، فيقول لهم يا إخوتاه إن كنتم ولا بد أن ترموني فارموني بأحجار صغار، فإني أخاف أن تدموا عقبي، فيحضر وقت الصلاة ولا أصيب الماء، فهكذا كانت سيرته.

ولقد عظم رسول الله ﷺ أمره فقال: «إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن إشارة إليه رحمه الله» (١)، ولما ولي الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: أيها الناس من كان منكم من العراق فليقم، قال: فقاموا. فقال: اجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة، فجلسوا، فقال: اجلسوا إلا من كان من مراد، فجلسوا فقال: اجلسوا إلا من كان من قرن، فجلسوا كلهم إلا رجلًا واحدًا فقال له عمر: أقرني أنت؟ فقال: نعم. فقال: أتعرف أويس بن عامر القرني؟ فوصفه له، فقال: نعم وما ذاك تسأل عنه يا أمير المؤمنين والله ما فينا أحمق منه ولا أجن منه ولا أوحش منه ولا أدنى منه، فبكى عمر رضي الله تعالى عنه ثم قال: ما قلت ما قلت إلا لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر» (٢)، فقال هرم بن حيان:

---

(١) صحيح بلفظ: «. . . نفس الرحمن من هنا - يشير إلى اليمين»: حديث «إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن». أشار به إلى أويس القرني تقدم في قواعد العقائد لم أجد له أصلا، [ذكره الألباني في الصحيحة: ٣٣٦٧ بلفظ: «من هنا يشير إلى اليمين»].

(٢) ضعيف: حديث عمر «يدخل الجنة في شفاعته مثل ربيعة ومضر». يريد أويسًا، [انظر ضعيف الجامع: ٣٣١٢]، ورويناه في جزء ابن السماء من حديث أبي أمامة « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر» وإسناده حسن، وليس فيه ذكر لأويس بل في آخره: فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان [وهو صحيح، انظر صحيح الترغيب: ٣٦٤٧، الصحيحة: ٢١٧٨].

لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لي هم إلا أن أطلب أويسًا القرني وأسأل عنه، حتى سقطت عليه جالسًا على شاطىء الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه، قال: فعرفته بالنعت الذي نعت لي، فإذا رجل لحيم شديد الأدمة محلوق الرأس كث اللحية متغير جدًا كريه الوجه متهيب المنظر قال: فسلمت عليه فردَّ عليَّ السلام ونظر إليَّ، فقلت: حياك الله من رجل ومددت يدي لأصافحه فأبى أن يصافحني، فقلت: رحمك الله يا أويس وغفر لك كيف أنت رحمك الله؟ ثم خنقتني العبرة من حبي إياه ورقتي عليه إذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى، فقال: وأنت فحياك الله يا هرم بن حيان كيف أنت يا أخي ومن دلك عليَّ؟ قال: قلت الله. فقال: لا إله إلا الله سبحان الله ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء:١٠٨] قال: فعجبت حين عرفني ولا والله ما رأيته قبل ذلك ولا رآني فقلت: من أين عرفت اسمي واسم أبي وما رأيتك قبل اليوم؟ ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [التحريم:٣] وعرفت روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك، إن الأرواح لها أنفس كأنفس الأجساد، وإنَّ المؤمنين ليعرف بعضهم بعضًا ويتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا، يتعارفون ويتكلمون وإن نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل، قال: قلت حدّثني رحمك الله عن رسول الله ﷺ بحديث أسمعه منك. قال: إني لم أدرك رسول الله ﷺ ولم تكن لي معه صحبة بأبي وأمي رسول الله، ولكن رأيت رجالًا قد صحبوه وبلغني من حديثه كما بلغك ولست أحب أن أفتح على نفسي هذا الباب أن أكون محدثًا أو مفتيًا أو قاضيًا في نفسي شغل عن الناس يا هرم بن حيان فقلت:

يا أخي اقرأ عليَّ آية من القرآن أسمعها منك وادع لي بدعوات وأوصني بوصية أحفظها عنك، فإني أحبك في الله حبًا شديدًا، قال: فقام وأخذ بيدي على شاطىء الفرات ثم قال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم بكى. ثم قال: قال ربي والحق قول ربي وأصدق الحديث حديثه وأصدق الكلام كلامه، ثم قرأ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان:٣٨-٣٩] حتى انتهى إلى قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الدخان:٤٢] فشهق شهقة ظننت أنه قد غشي عليه ثم قال: يا ابن حيان مات أبوك حيان ويوشك أن تموت فإما إلى جنة وإما إلى نار، ومات أبوك آدم، وماتت أمك حوّاء، ومات نوح، ومات إبراهيم خليل الرحمن، ومات موسى نجي الرحمن، ومات داود خليفة الرحمن، ومات محمد ﷺ وعليهم وهو رسول رب العالمين، ومات أبو بكر خليفة المسلمين، ومات عمر بن الخطاب أخي وصفيي، ثم قال: يا عمراه يا عمراه، قال: فقلت رحمك الله إن عمر لم يمت، قال: فقد نعاه إلي ربي ونعى إلي نفسي ثم قال: أنا وأنت في الموتى كأنه قد كان، ثم صلى على النبي ﷺ، ثم دعا بدعوات خفيات، ثم قال: هذه وصيتي إياك يا هرم بن حيان كتاب الله ونهج الصالحين المؤمنين فقد نعيت إلي نفسي ونفسك، عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت، وأنذر قومك إذا رجعت إليهم وانصح للأمة جميعًا، وإياك أن تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق دينك وأنت لا تعلم فتدخل النار يوم القيامة،

ادع لي ولنفسك، ثم قال: اللهم إن هذا يزعم أنه يحبني فيك وزارني من أجلك فعرفني وجهه في الجنة وأدخله علي في دارك دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حيثما كان وضم عليه ضيعته وأرضه من الدنيا باليسير، وما أعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرًا واجعله لما أعطيته من نعمائك من الشّاكرين وأجزه عني خير الجزاء ثم قال: أستودعك الله يا هرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم رحمك الله تطلبني فإني أكره الشهرة والوحدة أحب إلي إني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس ما دمت حيًا فلا تسأل عني ولا تطلبني، واعلم أنك مني على بال وإن لم أرك ولم ترني فاذكرني وادع لي فإني سأذكرك وأدعو لك إن شاء الله، انطلق أنت ههنا حتى أنطلق أنا ههنا. فحرصت أن أمشي معه ساعة فأبى عليّ وفارقته فبكى وأبكاني وجعلت أنظر في قفاه حتى دخل بعض السكك، ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت أحدًا يخبرني عنه بشيء رحمه الله وغفر له.

فهكذا كانت سيرة أبناء الآخرة المعرضين عن الدنيا.

وقد عرفت مما سبق في بيان الدنيا ومن سيرة الأنبياء والأولياء أن حد الدنيا كل ما أظلته الخضراء وأقلته الغبراء إلا ما كان لله عز وجل من ذلك، وضدّ الدنيا الآخرة وهو كل ما أريد به الله تعالى مما يؤخذ بقدر الضرورة من الدنيا لأجل قوّة طاعة الله وذلك ليس من الدنيا. ويتبين هذا بمثال وهو أنّ الحاج إذ حلف أنه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرّد له، ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الرواية وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث في يمينه ولم يكن مشغولًا بغير الحج، فكذلك البدن مركب النفس تقطع به مسافة العمر، فتعهد البدن بما تبقى به قوّته على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الآخرة لا من الدنيا. نعم إذا قصد تلذذ البدن وتنعمه بشيء من هذه الأسباب كان منحرفًا عن الآخرة ويخشى على قلبه القسوة. قال الطنافسي: كنت على باب بني شيبة في المسجد الحرام سبعة أيام طاويًا فسمعت في الليلة الثامنة مناديًا وأنا بين اليقظة والنوم ألا من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج إليه أعمى الله عين قلبه. فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقك. فاعلم ذلك ترشد إن شاء الله تعالى.

بيان حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها التي استغرقت همم الخلق حتى انستهم أنفسهم وخالقهم ومصدرهم ومردهم:

اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة وللإنسان فيها حظ وله في إصلاحها شغل. فهذه ثلاثة أمور قد يظن أن الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك، أما الأعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الأرض وما عليها. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف :٧]فالأرض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقرّ، وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح.

ويجمع ما على الأرض ثلاثة أقسام: المعادن والنبات والحيوان. أما النبات: فيطلبه الآدمي للاقتيات والتداوي وأما المعادن: فيطلبها للآلات والأواني، كالنحاس والرصاص، وللنقد،

كالذهب والفضة، ولغير ذلك من المقاصد. وأما الحيوان فينقسم إلى الإنسان والبهائم. أما البهائم: فيطلب منها لحومها للمآكل وظهورها للمركب والزينة. وأما الإنسان: فقد يطلب الآدمي: أن يملك أبدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان؛ أو ليتمتع بهم كالجواري والنسوان؛ ويطلب قلوب الناس ليملكها بأن يغرس فيها التعظيم والإكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه؛ إذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين.

فهذه هي الأعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ﴾[آل عمران: ١٤] وهذا من الإنس ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾[آل عمران: ١٤] وهذا من الجواهر والمعادن؛ وفيه تنبيه على غيرها من اللآلىء والياقيت وغيرها ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾[آل عمران: ١٤] وهي البهائم والحيوانات ﴿وَٱلْحَرْثِ﴾ وهو النبات والزرع.

فهذه هي أعيان الدنيا، إلا أن لها مع العبد علاقتين: علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه إليها، حتى يصير قلبه كالعبد أو المحب المستهتر بالدنيا. ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر، وهذه هي الدنيا الباطنة. وأما الظاهرة فهي الأعيان التي ذكرناها.

العلاقة الثانية مع البدن؛ وهو اشتغاله بإصلاح هذه الأعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره، وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها، والخلق إنما نسوا أنفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين: علاقة القلب بالحب، وعلاقة البدن بالشغل. ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم أن هذه الأعيان التي سميناها دنيا لم تخلق إلا لعلف الدابة التي يسير بها إلى الله تعالى، وأعني بالدابة البدن، فإنه لا يبقى إلا بمطعم ومشرب وملبس ومسكن كما لا يبقى الجمل في طريق الحج إلا بعلف وماء وجلال.

ومثال العبد في الدنيا في نسيانه نفسه ومقصده: مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها ألوان الثياب، ويحمل إليها أنواع الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج، حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة للسباع هو وناقته. والحاج البصير لا يهمه من أمر الجمل إلا القدر الذي يقوى به على المشي، فيتعهده وقلبه إلى الكعبة والحج. وإنما يلتفت إلى الناقة بقدر الضرورة. فكذلك البصير في السفر إلى الآخرة لا يشغل بتعهد البدن إلا بالضرورة كما لا يدخل بيت الماء إلا لضرورة، ولا فرق بين إدخال الطعام في البطن وبين إخراجه من البطن في أن كل واحد منهما ضرورة البدن، ومن همته ما يدخل بطنه فقيمته ما يخرج منها. وأكثر ما شغل الناس عن الله تعالى هو البطن، فإن القوت ضروري وأمر المسكن والملبس أهون، ولو عرفوا سبب الحاجة إلى هذه الأمور واقتصروا عليه لم تستغرقهم أشغال الدنيا وإنما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها

وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت أشغال الدنيا عليهم، واتصل بعضها ببعض وتداعت إلى غير نهاية محدودة، فتاهوا في كثرة الأشغال ونسوا مقاصدها.

ونحن نذكر تفاصيل أشغال الدنيا، وكيفية حدوث الحاجة إليها، وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى تتضح لك أشغال الدنيا، كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف أنستهم عاقبة أمورهم؟ فنقول: الأشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والأعمال التي ترى الخلق منكبين عليها. وسبب كثرة الأشغال هو أن الإنسان مضطر إلى ثلاث: القوت، والمسكن، والملبس. فالقوت: للغذاء والبقاء. والملبس: لدفع الحرّ والبرد. والمسكن: لدفع الحرّ والبرد، ولدفع أسباب الهلاك عن الأهل والمال. ولم يخلق الله القوت والمسكن والملبس مصلحًا بحيث يستغني عن صنعة الإنسان فيه.

نعم. خلق ذلك للبهائم، فإن النبات يغذي الحيوان من غير طبخ، والحر والبرد لا يؤثر في بدنه فيستغني عن البناء ويقنع بالصحراء، ولباسها شعورها وجلودها، فتستغني عن اللباس.

والإنسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك إلى خمس صناعات هي أصول الصناعات، وأوائل الأشغال الدنيوية، وهي الفلاحة، والرعاية، والاقتناص، والحياكة، والبناء. أما البناء فللمسكن. والحياكة وما يكتنفها من أمر الغزل والخياطة فللملبس. والفلاحة للمطعم. والرعاية للمواشي والخيل أيضًا للمطعم والمركب. والاقتناص نعني به تحصيل ما خلقه الله من صيد أو معدن أو حشيش أو حطب فالفلاح يحصل النبات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها، والمقتنص يحصل ما نبت ونتج بنفسه من غير صنع آدمي، وكذلك يأخذ من معادن الأرض ما خلق فيها من غير صنعة آدمي، ونعني بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات وأشغال عدّة. ثم هذه الصناعات تفتقر إلى أدوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص، والآلات إنما تؤخذ إما من النبات وهو الأخشاب، أو من المعادن كالحديد والرصاص وغيرهما، أو من جلود الحيوانات. فحدثت الحاجة إلى ثلاث أنواع أخر من الصناعات: النجارة، والحدادة، والخز، وهؤلاء هم عمال الآلات، ونعني بالنجار؛ كل عامل في الخشب كيفما كان. وبالحدّاد، كل عامل في الحديد وجواهر المعادن حتى النحاس والإبري وغيرهما. وغرضنا ذكر الأجناس فأما آحاد الحرف فكثيرة. وأما الخراز؛ فنعني به كل عامل في جلود الحيوانات وأجزائها، فهذه أمهات الصناعات.

ثم إن الإنسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر إلى الاجتماع مع غيره من أبناء جنسه وذلك لسببين:

أحدهما: حاجته إلى النسل لبقاء جنس الإنسان، ولا يكون ذلك إلا باجتماع الذكر والانثى وعشرتهما.

والثاني: التعاون على تهيئة أسباب المطعم والملبس ولتربية الولد، فإن الاجتماع يفضي إلى الولد لا محالة، والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة أسباب القوت. ثم ليس يكفيه

الاجتماع مع الأهل والولد في المنزل بل لا يمكنه أن يعيش كذلك ما لم تجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة. فإنّ الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج إلى آلاتها، وتحتاج الآلة إلى حدّاد ونجار، ويحتاج الطعام إلى طحان وخباز، وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر إلى حراسة القطن وآلات الحياكة والخياطة وآلات كثيرة؟ فلذلك امتنع عيش الإنسان وحده وحدثت الحاجة إلى الاجتماع. ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة لتأذوا بالحرّ والبرد والمطر واللصوص فافتقروا إلى أبنية محكمة ومنازل ينفرد كل أهل بيت بها وبما معه من الآلات والأثاث والمنازل تدفع الحرّ والبرد والمطر وتدفع أذى الجيران من اللصوصية وغيرها، لكن المنازل قد تقصدها جماعة من اللصوص خارج المنازل، فافتقر أهل المنازل إلى التناصر والتعاون والتحصن وبسور يحيط بجميع المنازل، فحدثت البلاد لهذه الضرورة.

ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد وتعاملوا تولدت بينهم خصومات، إذ تحدث رياسة وولاية للزوج على الزوجة، وولاية للأبوين على الولد لأنه ضعيف يحتاج إلى قوام به، ومهما حصلت الولاية على عاقل أفضى إلى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم، إذ ليس لها قوّة المخاصمة وإن ظلمت. فأما المرأة فتخاصم الزوج، والولد يخاصم الأبوين. هذا في المنزل.

وأما أهل البلد أيضًا فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها، ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا، وكذلك الرعاة وأرباب الفلاحة يتواردون على المراعي والأراضي والمياه وهي لا تفي بأغراضهم فيتنازعون لا محالة. ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى أو مرض أو هرم وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضائعًا لهلك، ولو وُكِلَ تفقده إلى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له.

فحدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخرى. فمنها صناعة المساحة التي بها تعرف مقادير الأرض لتمكن القسمة بينهم بالعدل. ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم.

ومنها صناعة الحكم والتوصل لفصل الخصومة، ومنها الحاجة إلى الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي أن يضبط به الخلق، ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى في المعاملات وشروطها. فهذه أمور سياسية لا بدّ منها ولا يشتغل بها إلا مخصوصون بصفات مخصوصة من العلم والتمييز والهداية، وإذا اشتغلوا بها لم يتفرّغوا لصناعة أخرى ويحتاجون إلى المعاش، ويحتاج أهل البلد إليهم إذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الأعداء مثلًا تعطلت الصناعات، ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس واستضر الناس، فمست الحاجة إلى أن يصرف إلى معايشهم وأرزاقهم الأموال الضائعة التي لا مالك لها إن كانت، أو تصرف الغنائم إليهم إن كانت العداوة مع الكفار، فإن كانوا أهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من أموال المصالح، وإن أرادوا التوسع

فتمس الحاجة لا محالة إلى أن يمدّهم أهل البلد بأموالهم ليمدوهم بالحراسة، فتحدث الحاجة إلى الخراج. ثم يتولد بسبب الحاجة إلى الخراج الحاجة لصناعات أخر؛ إذ يحتاج إلى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وأرباب الأموال وهم العمال. وإلى من يستوفي منهم بالرفق وهم الجباة والمتخرجون، وإلى من يجمع عنده ليحفظه إلى وقت التفرقة وهم الخزان، وإلى من يفرّق عليهم بالعدل وهو الفارض للعساكر. وهذه الأعمال لو تولاها عدد لا تجمعهم رابطة انخرم النظام فتحدث منه الحاجة إلى ملك يدبرهم وأمير مطاع يعين لكل عمل شخصًا، ويختار لكل واحد ما يليق به ويراعي النصفة في أخذ الخراج وإعطائه، واستعمال الجند في الحرب وتوزيع أسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الأمير والقائد على كل طائفة منهم إلى غير ذلك من صناعات الملك، فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم أهل السلاح وبعد الملك الذي يراقبهم بالعين الكالئة ويدبرهم الحاجة إلى الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال. ثم هؤلاء أيضًا يحتاجون إلى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فتحدث الحاجة إلى مال الفرع مع مال الأصل وهو المسمى فرع الخراج. وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلاث طوائف؛ الفلاحون والرعاة والمحترفون: والثانية: الجندية الحماة بالسيوف. والثالثة: المترددون بين الطائفتين في الأخذ والعطاء وهم العمال والجباة وأمثالهم. فانظر كيف ابتدأ الأمر من حاجة القوت والملبس والمسكن وإلى ماذا انتهى. وهكذا أمور الدنيا لا يفتح منها باب إلا وينفتح بسببه أبواب أخر.

وهكذا تتناهى إلى غير حدّ محصور وكأنها هاوية لا نهاية لعمقها، من وقع في مهواة منها سقط منها إلى أخرى، وهكذا على التوالي.

فهذه هي الحرف والصناعات إلا أنها لا تتم إلا بالأموال والآلات. والمال عبارة عن أعيان الأرض وما عليها مما ينتفع به، وأعلاها الأغذية، ثم الأمكنة التي يأوي الإنسان إليها وهي الدور، ثم الأمكنة التي يسعى فيها للتعيش كالحوانيت والأسواق والمزارع، ثم الكسوة ثم أثاث البيت وآلاته، ثم آلات الآلات، وقد يكون في الآلات ما هو حيوان كالكلب آلة الصيد، والبقر آلة الحراثة، والفرس آلة الركوب في الحرب. ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فإن الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة، والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة. فبالضرورة يحتاج الفلاح إليهما ويحتاجان إلى الفلاح، فيحتاج أحدهما أن يبذل ما عنده للآخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة، إلا أن النجار مثلًا إذا طلب من الفلاح الغذاء بآلته ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت إلى آلته فلا يبيعه، والفلاح إذا طلب الآلة من النجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج إليه فتتعوّق الأغراض فاضطروا إلى حانوت يجمع آلة كل صناعة ليترصد بها صاحبها أرباب الحاجات؛ وإلى أبيات يجمع إليها ما يحمل الفلاحون فيشتريه منهم صاحب الأبيات ليترصد به أرباب الحاجات، فظهرت لذلك الأسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فإذا لم يصادف محتاجًا باعها بثمن رخيص من

الباعة فيخزنونها في انتظار أرباب الحاجات طمعًا في الربح، وكذلك في جميع الأمتعة والأموال. ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشترون من القرى الأطعمة ومن البلاد الآلات، وينقلون ذلك ويتعيشون به لتنتظم أمور الناس في البلاد بسببهم؛ إذ كل بلد ربما لا توجد فيه كل آلة، وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام، فالبعض يحتاج إلى البعض فيحوج إلى النقل، فيحدث التجار المتكفلون بالنقل وباعثهم عليه حرص جمع المال لا محالة، فيتعبون طول الليل والنهار في الأسفار لغرض غيرهم، ونصيبهم منها جمع المال الذي يأكله لا محالة غيرهم؛ إما قاطع طريق وإما سلطان ظالم، ولكن جعل الله تعالى في غفلتهم وجهلهم نظامًا للبلاد ومصلحة للعباد. بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة. ولو عقل الناس وارتفعت هممهم لزهدوا في الدنيا، ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش، ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد أيضًا.

ثم هذه الأموال التي تنقل لا يقدر الإنسان على حملها فتحتاج إلى دواب تحملها، وصاحب المال قد لا تكون له دابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الإجارة، ويصير الكراء نوعًا من الاكتساب أيضًا، ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة إلى النقدين فإن من يريد أن يشتري طعامًا بثوب فمن أين يدري المقدار الذي يساويه من الطعام كم هو؟ والمعاملة تجري في أجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه أمور لا تتناسب، فلا بدّ من حاكم عادل يتوسط بين المتبايعين يعدل أحدهما بالآخر فيطلب ذلك العدل من أعيان الأموال، ثم يحتاج إلى مال يطول بقاؤه لأن الحاجة إليه تدوم. وأبقى الأموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس، ثم مست الحاجة إلى الضرب والنقش والتقدير فمست الحاجة إلى دار الضرب والصيارفة. وهكذا تتداعى الأشغال والأعمال بعضها إلى بعض حتى انتهت إلى ما تراه. فهذه أشغال الخلق وهي معاشهم. وشيء من هذه الحرف لا يمكن مباشرته إلا بنوع تعلم وتعب في الابتداء.

وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به أو يمنعه عنه مانع فيبقى عاجزًا عن الاكتساب لعجزه عن الحرف، فيحتاج إلى أن يأكل مما يسعى فيه غيره، فيحدث منه حرفتان خسيستان: اللصوصية والكداية؛ إذ يجمعهما أنهما يأكلان من سعي غيرهما، ثم الناس يحترزون من اللصوص والمكدّين ويحفظون عنهم أموالهم فافتقروا إلى صرف عقولهم في استنباط الحيل والتدابير.

أما اللصوص: فمنهم من يطلب أعوانًا ويكون في يديه شوكة وقوّة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطريق كالأعراب والأكراد. وأما الضعفاء منهم فيفزعون إلى الحيل إما بالنقب أو التسلق عند انتهاز فرصة الغفلة، وإما بأن يكون طرّارًا أو سلالًا، إلى غير ذلك من أنواع التلصص الحادثة بحسب ما تنتجه الأفكار المصروفة إلى استنباطها.

وأما المكدي؛ فإنه إذا طلب ما سعى فيه غيره وقيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فمالك

والبطالة فلا يعطى شيئًا، فافتقروا إلى حيلة في استخراج الأموال وتمهيد العذر لأنفسهم في البطالة، فاحتالوا للتعلل بالعجز إما بالحقيقة كجماعة يعمون أولادهم وأنفسهم بالحيلة ليعذروا بالعمى فيعطون، وإما بالتعامي والتفالج والتجانن والتمارض وإظهار ذلك بأنواع من الحيل مع بيان أن تلك محنة أصابت من غير استحقاق، ليكون ذلك سبب الرحمة، وجماعة يلتمسون أقوالًا وأفعالًا يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها، فيسخوا برفع اليد عن قليل من المال في حال التعجب، ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم.

وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة والشعبذة والأفعال المضحكة، وقد يكون بالأشعار الغريبة والكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت. والشعر الموزون أشدّ تأثيرًا في النفس لا سيما إذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كأشعار مناقب الصحابة وفضائل أهل البيت، أو الذي يحرك داعية العشق من أهل المجانة كصنعة الطبالين في الأسواق، وصنعة ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات، والحشيش الذي يخيل بائعه أنها أدوية فيخدع بذلك الصبيان والجهال، وكأصحاب القرعة والفأل من المنجمين. ويدخل في هذا الجنس الوعاظ والمكدون على رؤوس المنابر إذا لم يكن وراءهم طائل علمي وكان غرضهم استمالة قلوب العوام وأخذ أموالهم بأنواع الكدية، وأنواعها تزيد على ألف نوع وألفين. وكل ذلك استنبط بدقيق الفكرة لأجل المعيشة. فهذه هي أشغال الخلق وأعمالهم التي أكبوا عليها، وجرهم إلى ذلك كله الحاجة إلى القوت والكسوة ولكنهم نسوا في أثناء ذلك أنفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآبهم فتاهوا وضلوا، وسبق إلى عقولهم الضعيفة بعد أن كدّرتها زحمة الاشتغالات بالدنيا خيالات فاسدة، فانقسمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدّة أوجه:

فطائفة غلبهم الجهل والغفلة فلم تنفتح أعينهم للنظر إلى عاقبة أمورهم فقالوا: المقصود أن نعيش أيامًا في الدنيا فنجتهد حتى نكسب القوت ثم نأكل حتى نقوى على الكسب، ثم نكسب حتى نأكل، فيأكلون ليكسبوا ثم يكسبون ليأكلوا، وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم في الدنيا ولا قدم في الدين؛ فإنه يتعب نهارًا ليأكل ليلًا ويأكل ليلًا ليتعب نهارًا، وذلك كسير السواني فهو سفر لا ينقطع إلا بالموت.

وطائفة أخرى زعموا أنهم تفطنوا الأمر وهو أنه ليس المقصود أن يشقى الإنسان بالعمل ولا يتنعم في الدنيا؛ بل السعادة في أن يقضي وطره من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن والفرج، فهؤلاء نسبوا أنفسهم وصرفوا هممهم إلى اتباع النسوان وجمع لذائذ الأطعمة يأكلون كما تأكل الأنعام، ويظنون أنهم إذا نالوا ذلك فقد أدركوا غاية السعادة فشغلهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر.

وطائفة ظنوا أنّ السعادة في كثرة المال والاستغناء بكثرة الكُنُوز، فأسهروا ليلهم وأتعبوا نهارهم في الجمع، فهم يتعبون في الأسفار طول الليل والنهار ويترددون في الأعمال الشاقة ويكتسبون، ويجمعون ولا يأكلون إلا قدر الضرورة شحًا وبخلًا عليها أن تنقص، وهذه لذتهم،

وفي ذلك دأبهم وحركتهم إلى أن يدركهم الموت؛ فيبقى تحت الأرض أو يظفر به من يأكله في الشهوات واللذات؛ فيكون للجامع تعبه ووباله وللآكل لذته. ثم الذين يجمعون ينظرون إلى أمثال ذلك ولا يعتبرون.

وطائفة ظنوا أن السعادة في حسن الاسم وانطلاق الألسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروءة؛ فهؤلاء يتعبون في كسب المعاش ويضيقون على أنفسهم في المطعم والمشرب ويصرفون جميع مالهم إلى الملابس الحسنة والدواب النفيسة، ويزخرفون أبواب الدور وما يقع عليها أبصار الناس حتى يقال إنه غني وإنه ذو ثروة ويظنون أن ذلك هو السعادة، فهمتهم في نهارهم وليلهم في تعهد موقع نظر الناس.

وطائفة أخرى ظنوا أن السعادة في الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير، فصرفوا هممهم إلى استجرار الناس إلى الطاعة بطلب الولايات وتقلد الأعمال السلطانية لينفذ أمرهم بها على طائفة من الناس، ويرون أنهم إذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا سعادة عظيمة، وأن ذلك غاية المطلب. وهذا أغلب الشهوات على قلوب الغافلين من الناس، فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر في آخرتهم ومعادهم.

ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد على نيف وسبعين فرقة، كلهم قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل، وإنما جرّهم إلى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن ونسوا ما تراد له هذه الأمور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها، وانجرّت بهم أوائل أسبابها إلى أواخرها، وتداعى بهم ذلك إلى مهاوٍ لم يمكنهم الرقي منها، فمن عرف وجه الحاجة إلى هذه الأسباب والأشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض في شغل وحرفة وعمل إلا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه، وأن غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك، وذلك إن سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الأشغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهمة إلى الاستعداد له، وإن تعدّى به قدر الضرورة كثرت الأشغال وتداعى البعض إلى البعض وتسلسل إلى غير نهاية، فتتشعب به الهموم ومن تشعبت به الهموم في أودية الدنيا فلا يبالي الله في أي واد أهلكه منها. فهذا شأن المنهمكين في أشغال الدنيا. وتنبه لذلك طائفة فأعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان ولم يتركهم، وأضلهم في الإعراض أيضًا حتى انقسموا إلى طوائف.

فظنت طائفة أن الدنيا دار بلاء ومحنة، والآخرة دار سعادة لكل من وصل إليها سواء تعبد في الدنيا أو لم يتعبد، فرأوا أن الصواب في أن يقتلوا أنفسهم للخلاص من محنة الدنيا، وإليه ذهب طوائف من العباد من أهل الهند فهم يتهجمون على النار ويقتلون أنفسهم بالإحراق، ويظنون أن ذلك خلاص لهم من محن الدنيا.

وظنت طائفة أخرى أن القتل لا يخلص بل لا بد أولًا من إماتة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكلية، وأنّ السعادة في قطع الشهوة والغضب، ثم أقبلوا على المجاهدة وشدّدوا على

أنفسهم، حتى هلك بعضهم بشدّة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن. وبعضهم مرض وانسد عليه الطريق في العبادة. وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن أن ما كلفه الشرع محال وأن الشرع تلبيس لا أصل له فوقع في الإلحاد. وظهر لبعضهم أن هذا التعب كله لله وأن الله تعالى مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا تزيده عبادة متعبد، فعادوا إلى الشهوات وسلكوا مسلك الإباحة وطووا بساط الشرع والأحكام، وزعموا أن ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا أن الله مستغن عن عبادة العباد.

وظن طائفة أنّ المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها إلى معرفة الله تعالى، فإذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصول يستغني عن الوسيلة والحيلة، فتركوا السعي والعبادة وزعموا أنه ارتفع محلهم في معرفة الله سبحانه عن أن يمتهنوا بالتكاليف، وإنما التكليف على عوام الخلق.

ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول إحصاؤها إلى ما يبلغ نيفًا وسبعين فرقة، وإنما الناجي منها فرقة واحدة؛ وهي السالكة ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية. أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد. وأما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل. ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة، بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا، ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حدّ مقصوده، فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد، ومن الكسوة كذلك، حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله بكنه همته واشتغل بالذكر والفكر طول العمر، وبقي ملازمًا لسياسة الشهوات ومراقبًا لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى، ولا يعلم تفصيل ذلك إلا بالاقتداء بالفرقة الناجية وهم الصحابة فإنه عليه السلام لما قال: «النَّاجِي مِنْها وَاحِدَةٌ» قالوا: يا رسول الله ومن هم؟ قال: «أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ» فقيل: ومن أهل السنة والجماعة؟ قال: «ما أنا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»[1]، وقد كانوا على النهج القصد وعلى السبيل الواضح الذي فصلناه من قبل، فإنهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين، وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية، وما كان لهم في الأمور تفريط ولا إفراط، بل كان أمرهم بين ذلك قوامًا، وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين: وهو أحب الأمور إلى الله تعالى ، كما سبق ذكره في مواضع ، والله أعلم.

تم كتاب ذم الدنيا والحمد لله أوّلًا وآخرًا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) حديث: افتراق الأمة وفيه «الناجي منهم واحدة» قالوا: ومن هم؟ قال «أهل السنة والجماعة .. الحديث» [الترمذي: ٢٦٤١، وهو حسن، انظر صحيح الجامع: ٥٣٤٣]، أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وحسنه «تفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة» فقالوا: من هي يا رسول الله؟ قال «ما أنا عليه وأصحابي» ولأبي داود من حديث معاوية، [أبو داود: ٤٥٩٧، وهو صحيح، انظر صحيح الجامع: ٢٦٤١، الصحيحة: ٢٠٤]، وابن ماجه من حديث أنس وعوف بن مالك وهي الجماعة وأسانيدها جياد [ابن ماجه: ٣٩٩٣، ٣٩٩٢ على الترتيب، وهو صحيح، انظر صحيح الجامع: ٢٠٤٢].

كتاب ذم البخل وذم حب المال

وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط، وكاشف الضر بعد القنوط، الذي خلق الخلق، ووسع الرزق، وأفاض على العالمين أصناف الأموال، وابتلاهم فيها بتقلب الأحوال، ورددهم فيها بين العسر واليسر، والغنى والفقر، والطمع واليأس، والثروة والإفلاس، والعجز والاستطاعة، والحرص والقناعة، والبخل والجود، والفرح بالموجود، والأسف على المفقود، والإيثار والإنفاق، والتوسع والإملاق، والتبذير والتقتير، والرضا بالقليل واستحقار الكثير، كل ذلك ليبلوهم أيهم أحسن عملًا، وينظر أيهم آثر الدنيا على الآخرة بدلًا، وابتغى عن الآخرة عدولًا وحِولًا، واتخذ الدنيا ذخيرة وخولًا، والصلاة على محمد الذي نسخ بملته مللًا، وطوى بشريعته أديانًا ونحلًا، وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللًا، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فإن فتن الدنيا كثيرة الشعب والأطراف واسعة الأرجاء والأكناف، ولكن الأموال أعظم فتنها وأطم محنها، وأعظم فتنة فيها أنه لا غنى لأحد عنها، ثم إذا وجدت فلا سلامة منها، فإن فقد المال حصل منه الفقر الذي يكاد أن يكون كفرًا، وإن وجد حصل منه الطغيان الذي لا تكون عاقبة أمره إلا خسرًا. وبالجملة؛ فهي لا تخلو من الفوائد والآفات، وفوائدها من المنجيات، وآفاتها من المهلكات، وتمييز خيرها عن شرها من المعوصات التي لا يقوى عليها إلا ذوو البصائر في الدين من العلماء الراسخين دون المسترسمين المغترين. وشرح ذلك مهم على الانفراد، فإن ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرًا في المال خاصة بل في الدنيا عامة، إذ الدنيا تتناول كل حظ عاجل، والمال بعض أجزاء الدنيا، والجاه بعضها، واتباع شهوة البطن والفرج بعضها، وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها، والكبر وطلب العلو بعضها. ولها أبعاض كثيرة. ويجمعها كل ما كان للإنسان فيه حظ عاجل. ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده، إذ فيه آفات وغوائل. وللإنسان من فقده صفة الفقر، ومن وجوده وصف الغنى. وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان.

ثم للفاقد حالتان: القناعة والحرص، وإحداهما مذمومة والأخرى محمودة. وللحريص حالتان: طمع فيما في أيدي الناس، وتشمر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق، والطمع شر الحالتين.

وللواجد حالتان: إمساك بحكم البخل والشح، وإنفاق. وإحداهما مذمومة والأخرى محمودة. وللمنفق حالتان: تبذير واقتصاد، والمحمود هو الاقتصاد.

وهذه أمور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم. ونحن نشرح ذلك في أربعة عشر

فصلًا إن شاء الله تعالى وهو: بيان ذم المال، ثم مدحه، ثم تفصيل فوائد المال وآفاته، ثم ذم الحرص والطمع، ثم علاج الحرص والطمع. ثم فضيلة السخاء. ثم حكايات الأسخياء، ثم ذم البخل، ثم حكايات البخلاء. ثم الإيثار وفضله. ثم حد السخاء والبخل. ثم علاج البخل. ثم مجموع الوظائف في المال. ثم ذم الغنى ومدح الفقر؛ إن شاء الله تعالى.

بيان ذم المال وكراهة حبه

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ۝١٥﴾ [التغابن: ١٥] فمن اختار ماله وولده على ما عند الله فقد خسر وغبن خسرانًا عظيمًا. وقال عز وجل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾ [هود:١٥] الآية. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: ٦-٧] فلا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم وقال تعالى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر:١].

وقال رسول الله ﷺ: «حُبُّ المَالِ وَالشَّرَفِ يُنْبِتَانِ النِّفَاقَ فِي القَلْبِ كَمَا يُنْبِتُ المَاءُ البَقْلَ» (١)، وقال ﷺ: «ما ذِئْبَانِ ضَارِيَانِ أُرْسِلا فِي زَرِيبَةِ غَنَمٍ بِأَكْثَرَ إِفْسَادًا فِيها مِنْ حُبِّ الشَّرَفِ وَالمَالِ وَالجَاهِ فِي دِينِ الرَّجُلِ المُسْلِمِ» (٢)، وقال ﷺ: «هَلَكَ المُكْثِرُونَ إلا مَنْ قالَ بِهِ فِي عِبادِ الله هكَذا وَهكَذا وَقَلِيلٌ مَا هُمْ» (٣)، وقيل: يا رسول الله أي أمتك شر؟ قال: «الأغنياء» (٤)، وقال

---

٢٠ كتاب ذم البخل وحب المال

(١) حديث «حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل». لم أجده بهذا اللفظ وذكره بعد هذا بلفظ «الجاه» بدل «الشرف» [لم أجده بهذا اللفظ، انظر الحديث الآتي].

(٢) صحيح بلفظ: «والشرف في دين . . .»: حديث «ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم». أخرجه الترمذي والنسائي في الكبرى من حديث كعب بن مالك وقالا «جائعان» مكان «ضاريان» ولم يقولا «في زريبة» وقالا «الشرف» بدل «الجاه» قال الترمذي حسن صحيح، [الترمذي: ٢٣٧٦، انظر صحيح الجامع: ٥٦٢٠، وصحيح الترغيب: ١٧١٠]، وللطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد «ما ذئبان ضاريان في زريبة غنم... الحديث» وللبزار من حديث أبي هريرة «ضاريان جائعان» وإسناد الطبراني فيهما ضعيف [انظر صحيح الترغيب: ٣٢٥١، المشكاة: ٥١٨١].

(٣) حسن صحيح دون قوله: «في عباد الله»: حديث «هلك المكثرون إلا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم». أخرجه الطبراني من حديث عبد الرحمن بن أبزي بلفظ «المكثرون» ولم يقل «في عباد الله»، [انظر صحيح الترغيب: ٣٢٦١]، ورواه أحمد من حديث أبي سعيد بلفظ «المكثرون» وهو متفق عليه من حديث أبي ذر بلفظ «هم الأخسرون» فقال أبو ذر: من هم؟ فقال «هم الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا... الحديث» [البخاري: ٦٦٣٨، مسلم: ٩٩٠].

(٤) حديث: قيل يا رسول الله أي أمتك شر؟ قال «الأغنياء». غريب لم أجده بهذا اللفظ وللطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث عبد الله بن جعفر «شرار أمتي الذين ولدوا في النعيم وغذوا به يأكلون من الطعام ألوانا» وفيه أصرم بن حوشب ضعيف، [قال الألباني: حسن لغيره. انظر صحيح الترغيب: ٢١٤٩]، ورواه هناد بن السري في الزهد له من رواية عروة بن رويم مرسلا، [ضعفه الألباني، انظر ضعيف الجامع: ٢٨٦٦] وللبزار من حديث أبي هريرة بسند ضعيف «إن من شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم وتنبت عليه أجسامهم» [قال الألباني: حسن لغيره. انظر صحيح الترغيب: ٢١٤٧].

ﷺ: «سَيَأْتِي بَعْدَكُمْ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ أَطَايِبَ الدُّنْيَا وَأَلْوَانَهَا وَيَرْكَبُونَ فُرْهَ الخَيْلِ وَأَلْوَانَهَا وَيَنْكِحُونَ أَجْمَلَ النِّسَاءِ وَأَلْوَانَها وَيَلْبَسُونَ أَجْمَلَ الثِّيَابِ وَأَلْوَانَهَا، لَهُمْ بُطُونٌ مِنَ القَلِيلِ لا تَشْبَعُ وَأَنْفُسٌ بِالكَثِيرِ لا تَقْنَعُ، عَاكِفُونَ عَلَى الدُّنْيَا يَغْدُونَ وَيَرُوحُونَ إِلَيْهَا، اتَّخَذُوهَا آلِهَةً مِنْ دُونِ إِلهِهِمْ وَرَبًّا دُونَ رَبِّهِمْ، إِلَى أَمْرِها يَنْتَهُونَ وَلِهَوَاهُمْ يَتْبَعُونَ، فَعَزِيمَةٌ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله لِمَنْ أَدْرَكَهُ ذلِكَ الزَّمَانُ مِنْ عَقِبِ عَقِبِكُمْ وَخَلَفِ خَلَفِكُمْ أن لا يُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ وَلا يَعُودَ مَرْضَاهُمْ وَلا يَتْبَعَ جَنَائِزَهُمْ وَلا يُوَقِّرَ كَبِيرَهُمْ، فَمَنْ فَعَلَ ذلِكَ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الإِسْلامِ» (١)، وقال ﷺ: «دَعُوا الدُّنْيَا لأَهْلِها، وَمَنْ أَخَذَ مِنَ الدُّنْيَا فَوْقَ ما يَكْفِيهِ أَخَذَ حَتْفَهُ وَهُوَ لا يَشْعُرُ» (٢)، وقال ﷺ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مالِي مالِي وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟» (٣)، وقال رجل: يا رسول الله مالي لا أحب الموت فقال: «هَلْ مَعَكَ مِنْ مَالٍ؟» قال: نعم يا رسول الله؛ قال: «قَدِّم مَالَكَ فإِنَّ قَلْبَ المُؤْمِنِ مَعَ مَالِهِ، إِنْ قَدَّمَهُ أَحَبَّ أَنْ يَلْحَقَهُ وَإِنْ خَلَّفَهُ أَحَبَّ أَنْ يَتَخَلَّفَ مَعَهُ» (٤)، وقال ﷺ: «أَخلاءُ ابْنِ آدَمَ ثَلاثَةٌ. وَاحِدٌ يَتْبَعُهُ إِلَى قَبْضِ رُوحِهِ، وَالثَّانِي إِلَى قَبْرِهِ، وَالثَّالِثُ إِلَى مَحْشَرِهِ. فَالَّذِي يَتْبَعُهُ إِلَى قَبْضِ رُوحِهِ فَهُوَ مَالُهُ، وَالَّذِي يَتْبَعُهُ إِلَى قَبْرِهِ فَهُوَ أَهْلُهُ، وَالَّذِي يَتْبَعُهُ إِلى مَحْشَرِهِ فَهُوَ عَمَلُهُ» (٥).

وقال الحواريون لعيسى عليه السلام: ما لك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك؟ فقال لهم؛ ما منزلة الدينار والدرهم عندكم؟ قالوا: حسنة، قال: لكنهما والمدر عندي سواء. وكتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما: يا أخي إياك أن تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُجَاءُ بِصَاحِبِ الدُّنْيَا الَّذِي أَطَاعَ الله فِيهَا وَمَالُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ كُلَّمَا تَكَفَّأَ بِهِ الصِّرَاطُ قالَ لَهُ مَالُهُ امْضِ فَقَدْ أَدَّيْتَ حَقَّ الله فِيَّ، ثُمَّ يُجَاءُ بِصَاحِبِ الدُّنْيَا الَّذِي لَمْ يُطِعِ الله فِيها وَمَالُهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ كُلَّما تَكَفَّأَ بِهِ الصِّرَاطُ قَالَ لَهُ مَالُهُ وَيْلَكَ أَلاَ أَدَيْتَ حَقَّ

---

(١) حديث «سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها ويركبون فره الخيل وألوانها وينكحون أجمل النساء .. الحديث». بطوله أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط من حديث أبي أمامة «سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب يتشدقون في الكلام أولئك شرار أمتي» وسنده ضعيف [حسنه الألباني، انظر صحيح الجامع: ٣٦٦٣، صحيح الترغيب: ٢٠٨٨]، ولم أجد لباقيه أصلا.

(٢) ضعيف: حديث «دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر». أخرجه البزار من حديث أنس وفيه هانئ بن المتوكل ضعفه ابن حبان. [انظر ضعيف الجامع: ٢٩٨٠، الضعيفة: ١٦٩١].

(٣) صحيح: حديث «يقول ابن آدم: مالي! مالي! .. الحديث». أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن الشخير وأبي هريرة وقد تقدم [مسلم: ٢٩٥٨، ٢٩٥٩ على الترتيب].

(٤) حديث: قال رجل يا رسول الله ما لي لا أحب الموت .. الحديث». لم أقف عليه.

(٥) حديث «أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه، والثاني إلى قبره .. الحديث». أخرجه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث النعمان بن بشير بإسناد جيد نحوه، ورواه أبو داود الطيالسي وأبو الشيخ في كتاب الثواب والطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند جيد أيضا وفي الكبير من حديث سمرة بن جندب وللشيخين من حديث أنس «يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد... الحديث» [البخاري: ٦٥١٤، مسلم: ٢٩٦٠].

الله فِيَّ فَمَا يَزَالُ كَذلِكَ يَدْعُو بِالوَيْلِ وَالثُّبُورِ»[(١)].

وكل ما أوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه إلى ذم المال، فلا نطوّل بتكريره، وكذا كل ما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم، لأن المال أعظم أركان الدنيا. وإنما نذكر الآن ما ورد في المال خاصة.

قال ﷺ: «إذا مَاتَ العَبْدُ قَالَتِ المَلائِكَةُ ما قَدَّمَ وَقَالَ النَّاسَ ما خَلَّفَ»[(٢)]، وقال ﷺ: «لا تَتَّخِذُوا الضَّيْعَةَ فَتُحِبُّوا الدُّنْيَا»[(٣)].

الآثار: روي أن رجلًا نال من أبي الدرداء وأراه سوءًا فقال: اللهم من فعل بي سوءًا فأصح جسمه وأطل عمره وأكثر ماله. فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر؟ لأنه لا بد وأن يفضي إلى الطغيان، ووضع علي كرم الله وجهه درهمًا على كفه ثم قال: أما إنك ما لم تخرج عني لا تنفعني. وروي أن عمر رضي الله عنه أرسل إلى زينب بنت جحش بعطائها فقالت: ما هذا؟ قالوا: أرسل إليك عمر بن الخطاب، قالت: غفر الله له، ثم سلت سترًا كان لها فقطعته وجعلته صررًا وقسمته في أهل بيتها ورحمها وأيتامها، ثم رفعت يديها فقالت: اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا. فكانت أوّل نساء رسول الله ﷺ لحوقًا به. وقال الحسن: والله ما أعز الدرهم أحد إلا أذله الله. وقيل: إن أوّل ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما إبليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال: من أحبكما فهو عبدي حقًا. وقال سميط بن عجلان: إن الدرهم والدنانير أزمة المنافقين يقادون بها إلى النار. وقال يحيى بن معاذ: الدرهم عقرب فإن لم تحسن رقيته فلا تأخذه، فإنه إن لدغك قتلك سمه، قيل: وما رقيته؟ قال: أخذه من حله ووضعه في حقه. وقال العلاء بن زياد: تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت: أعوذ بالله من شرك فقالت: إن سرك أن يعيذك الله مني فابغض الدرهم والدينار. وذلك لأن الدرهم والدينار هما الدنيا كلها إذ يتوصل بهما إلى جميع أصنافها، فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وفي ذلك قيل:

إني وجدت فلا تظنوا غيره ... أن التورّع عند هذا الدرهمِ
فإذا قدرت عليه ثم تركته ... فاعلم بأن تقاك تقوى المسلم

وفي ذلك قيل أيضًا:

---

(١) ضعيف الإسناد: حديث: كتب سلمان إلى أبي الدرداء وفيه: سمعت رسول الله ﷺ يقول «يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه .. الحديث». قلت: ليس هو من حديث سلمان إنما هو من حديث أبي الدرداء انه كتب إلى سلمان؛ كذا رواه البيهقي في الشعب وقال بدل «الدنيا» «المال» وهو منقطع.

(٢) ضعيف: حديث «إذا مات العبد قالت الملائكة: ما قدم .. الحديث». أخرجه البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة يبلغ به وقد تقدم في آداب الصحبة [انظر ضعيف الجامع: ٦٩٢، الضعيفة: ٢٧٠٧].

(٣) صحيح بلفظ: «فترغبوا في . . .»: حديث «لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا» أخرجه الترمذي والحاكم وصحح إسناده من حديث ابن مسعود بلفظ «فترغبوا» [الترمذي: ٢٣٢٨، انظر صحيح الجامع: ٧٢١٤، الصحيحة: ١٢].

لا يغرنك من المرء قميص رقعه
أو إزار فوق عظم الساق منه رفعه
أوجبين لاح فيه أثر قد خلعه
أره الدرهم تعرف حبه أو ورعه

ويروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته فقال: يا أمير المؤمنين صنعت صنيعًا لم يصنعه أحد قبلك، تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار ، وكان له ثلاثة عشر من الولد ، فقال عمر: أقعدوني فأقعدوه فقال: أما قولك لم أدع لهم دينارًا ولا درهمًا فإني لم أمنعهم حقًا لهم ولم أعطهم حقًا لغيرهم وإنما ولدي أحد رجلين: إما مطيع لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين، وإما عاص لله فلا أبالي على ما وقع. وروي أن محمد بن كعب القرظي أصاب مالًا كثيرًا فقيل له: لو ادخرته لولدك من بعدك؟ قال: لا ولكني أدخره لنفسي عند ربي وأدخر ربي لولدي. ويروى أن رجلًا قال لأبي عبد ربه: يا أخي لا تذهب بشر وتترك أولادك بخير فأخرج أبو عبد ربه من ماله مائة ألف درهم. وقال يحيى بن معاذ: مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته، قيل: وما هما؟ قال: يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله.

بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم:

اعلم أن الله تعالى قد سمى المال خيرًا في مواضع من كتابه العزيز فقال عز وجل: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة:١٨٠] الآية وقال رسول الله ﷺ: «نِعْمَ المَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ» (١)، وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال إذ لا يمكن الوصول إليهما إلا به، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف:٨٢] وقال تعالى ممتنًا على عباده: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح:١٢] وقال ﷺ: «كاد الفقر أن يكون كفرًا» (٢)، وهو ثناء على المال. ولا تقف على وجه الجمع بعد الذم والمدح إلا بأن تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله؛ حتى ينكشف لك أنه خير من وجه وشر من وجه، وأنه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر، فإنه ليس بخير محض ولا شر محض، بل هو سبب للأمرين جميعًا وما هذا وصفه فيمدح لا محالة تارة ويذم أخرى، ولكن البصير المميز يدرك أن المحمود منه غير المذموم، وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم، والقدر المقنع فيه هو أن مقصد الأكياس وأرباب البصائر

---

(١) صحيح: حديث «نعم المال الصالح للرجل الصالح». أخرجه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث عمرو بن العاص بسند صحيح بلفظ» نعما» وقالا «للمرء» [انظر صحيح الأدب المفرد: ٢٩٩، المشكاة: ٣٧٥٦].

(٢) ضعيف: حديث «كاد الفقر أن يكون كفرا». أخرجه أبو مسلم الليثي في سننه والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أنس وتقدم في كتاب ذم الغضب [انظر ضعيف الجامع: ٤١٤٨، الضعيفة: ٤٠٨٠].

سعادة الآخرة التي هي النعيم الدائم والملك المقيم. والقصد إلى هذا دأب الكرام والأكياس، إذ قيل لرسول الله ﷺ: من أكرم الناس وأكيسهم؟ فقال: «أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا وَأَشَدُّهُمْ لَهُ اسْتِعْدَادًا» (١).

وهذه السعادة لا تنال إلا بثلاث وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية، كالعلم وحسن الخلق، والفضائل البدنية: كالصحة والسلامة، والفضائل الخارجة عن البدن: كالمال وسائر الأسباب. وأعلاها النفسية، ثم البدنية، ثم الخارجة.

فالخارجة أخسها والمال من جملة الخارجات، وأدناها الدراهم والدنانير، فإنهما خادمان ولا خادم لهما، ومرادان لغيرهما. ولا يرادان لذاتهما؛ إذ النفس هي الجوهر النفيس المطلوب سعادتها، وأنها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الأخلاق لتحصلها صفة في ذاتها، والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والأعضاء، والمطاعم والملابس تخدم البدن. وقد سبق أن المقصود من المطاعم إبقاء البدن. ومن المناكح إبقاء النسل، ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق. ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه، وأنه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس الذي هو خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصده واستعمله لتلك الغاية ملتفتًا إليها غير ناس لها فقد أحسن وانتفع، وكان ما حصل له الغرض محمودًا في حقه، فإذًا المال آلة ووسيلة إلى مقصود صحيح، ويصلح أن يتخذ آلة ووسيلة إلى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة عن سعادة الآخرة وتسدّ سبيل العلم والعمل. فهو إذًا محمود مذموم، محمود بالإضافة إلى المقصد المحمود، ومذموم بالإضافة إلى المقصد المذموم. فمن أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حتفه وهو لا يشعر (٢) كما ورد به الخبر.

ولما كانت الطباع مائلة إلى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلًا لها وآلة إليها، عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الأنبياء من شره حتى قال نبينا عليه الصلاة والسلام: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ قُوتَ آلِ مُحَمَّدٍ كَفَافًا» (٣)، فلم يطلب من الدنيا إلا ما يتمحض خيره وقال: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ» (٤)، واستعاذ

---

(١) حسن: حديث: من أكرم الناس وأكيسهم؟ قال «أكثرهم للموت ذكرا .. الحديث». أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ: أي المؤمنين أكيس؟ ورواه ابن أبي الدنيا في الموت بلفظ المصنف وإسناده جيد [ابن ماجه: ٤٢٥٩، انظر صحيح الجامع: ٣٣٣٥، الصحيحة: ١٣٨٤].

(٢) ضعيف: حديث «من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه». تقدم قبله بتسعة أحاديث وهو بقية «احذروا الدنيا» [انظر ضعيف الجامع: ١٠٦، الضعيفة: ١٦٩١].

(٣) صحيح: حديث «اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا». متفق عليه من حديث أبي هريرة [البخاري: ٦٤٦٠، مسلم: ١٠٥٥ بلفظ: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا» وفي رواية لمسلم: ١٠٥٥ بلفظ: «كفافًا»].

(٤) صحيح: حديث «اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا». أخرجه الترمذي من حديث أنس [الترمذي: ٢٣٥٢]، وابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث أبي سعيد وقد تقدم [ابن ماجه: ٤١٢٦، وانظر صحيح الجامع: ١٢٦١، الصحيحة: ٣٠٨].

إبراهيم فقال: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] وعنى بها هذين الحجرين الذهب والفضة، إذ رتبة النبوّة أجل من أن يخشى عليها أن تعتقد الإلهية في شيء من هذه الحجارة، إذ قد كفي قبل النبوّة عبادتها مع الصغر، وإنما معنى عبادتهما حبهما والاغترار بهما والركون إليهما قال نبينا ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَتَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ تَعِسَ وَلا انْتَعَشَ وَإِذا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ»[1]، فبين أن محبهما عابد لهما ومن عبد حجرًا فهو عابد صنم. بل كل من كان عبدًا لغير الله فهو عابد صنم، أي قطعه ذلك عن الله تعالى أداء حقه فهو كعابد صنم، وهو شرك إلا أن الشرك شركان: شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقلما ينفك عنه المؤمنون فإنه أخفى من دبيب النمل، وشرك جلي يوجب الخلود في النار نعوذ بالله من الجميع.

بيان تفصيل آفات المال وفوائده:

اعلم أن المال مثل حية فيها سم وترياق، ففوائده ترياقه، وغوائله سمومه. فمن عرف غوائله وفوائده أمكنه أن يحترز من شره ويستدر من خيره.

أما الفوائد: فهي تنقسم إلى دنيوية ودينية: أما الدنيوية فلا حاجة إلى ذكرها فإن معرفتها مشهورة مشتركة بين أصناف الخلق، ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها. وأما الدينية فتنحصر جميعها في ثلاثة أنواع.

النوع الأول: أن ينفقه على نفسه إما في عبادة أو في الاستعانة على عبادة. أما في العبادة: فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فإنه لا يتوصل إليهما إلا بالمال، وهما من أمهات القربات والفقير محروم من فضلهما. وأما فيما يقويه على العبادة: فذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة فإن هذه الحاجات إذا لم تتيسر كان القلب مصروفًا إلى تدبيرها فلا يتفرغ للدين، وما لا يتوصل إلى العبادة إلا به فهو عبادة، فأخذ الكفاية من الدنيا لأجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية. ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجة فإن ذلك من حظوظ الدنيا فقط.

النوع الثاني: ما يصرفه إلى الناس، وهو أربعة أقسام: الصدقة، والمروءة، ووقاية العرض، وأجرة الاستخدام.

أما الصدقة: فلا يخفى ثوابها وإنها لتطفىء غضب الرب تعالى، وقد ذكرنا فضلها فيما تقدم.

وأما المروءة: فنعني بها صرف المال إلى الأغنياء والأشراف في ضيافة وهدية وإعانة وما يجري مجراها، فإن هذه لا تسمى صدقة، بل الصدقة ما يسلم إلى المحتاج إلا أن هذا من

---

(١) صحيح دون قوله: «ولا انتعش»: حديث «تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم .. الحديث». أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ولم يقل «وانتقش» [البخاري: ٢٨٨٧، وليس فيه: «ولا انتعش . . . إلخ»] وإنما علق آخره بلفظ «تعس وانتكس» ووصل ذلك ابن ماجه والحاكم [ابن ماجه: ٤١٣٦، وانظر صحيح الجامع: ٢٩٦٢، صحيح الترغيب: ١٢٢٥].

الفوائد الدينية إذ به يكتسب العبد الإخوان والأصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الأسخياء. فلا يوصف بالجود إلا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل المروءة والفتوة، وهذا أيضًا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا والضيافات وإطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها.

وأما وقاية العرض: فنعني به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم، وهو أيضًا مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية. قال رسول الله ﷺ: «ما وَقَى بِهِ المَرْءُ عِرْضَهُ كُتِبَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»(١)، وكيف لا وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافأة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة.

وأما الاستخدام؛ فهو أن الأعمال التي يحتاج إليها الإنسان لتهيئة أسبابه كثيرة، ولو تولاها بنفسه ضاعت أوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذي هو أعلى مقامات السالكين، ومن لا مال له فيفتقر إلى أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطحنه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج إليه، وكل ما يتصوّر أن يقوم به غيرك ويحصل به غرضك فأنت متعوب إذا اشتغلت به، إذ عليك من العلم والعمل والذكر والفكر ما لا يتصوّر أن يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره خسران.

النوع الثالث: ما لا يصرفه إلى إنسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودور المرضى ونصب الجباب في الطريق، وغير ذلك من الأوقاف المرصدة للخيرات، وهي من الخيرات المؤبدة الدارّة بعد الموت المستجلبة بركة أدعية الصالحين إلى أوقات متمادية، وناهيك بها خيرًا. فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر، والوصول إلى العز والمجد بين الخلق، وكثرة الإخوان والأعوان والأصدقاء، والوقار والكرامة في القلوب، فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ الدنيوية.

وأما الآفات فدينية ودنيوية أما الدينية فثلاث:

الأولى: أن تجر إلى المعاصي فإن الشهوات متفاضلة والعجز قد يحول بين المرء والمعصية، ومن العصمة أن لا يجد. ومهما كان الإنسان آيسًا عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته، فإذا استشعر القدرة عليها انبعثت داعيته والمال نوع من القدرة يحرّك داعية المعاصي وارتكاب الفجور، فإن اقتحم ما اشتهاه هلك وإن صبر وقع في شدّة؛ إذ الصبر مع القدرة أشدّ، وفتنة السراء أعظم من فتنة الضراء.

الثانية: أنه يجر إلى التنعم في المباحات، وهذا أوّل الدرجات، فمتى يقدر صاحب المال

---

(١) ضعيف: حديث «ما وقى المرء عرضه به فهو صدقة». رواه أبو يعلى من حديث جابر وقد تقدم [انظر ضعيف الترغيب: ١١٧٨، الضعيفة: ٨٩٨].

على أن يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الأطعمة كما كان يقدر عليه سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام في ملكه فأحسن أحواله أن لا يتنعم بالدنيا ويمرن عليها نفسه، فيصير التنعم مألوفًا عنده ومحبوبًا لا يصبر عنه، ويجرّه البعض منه إلى البعض، فإذا اشتدّ أنسه به ربما لا يقدر على التوصل إليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المراءاة والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الأخلاق الرديئة، لينتظم له أمر دنياه ويتيسر له تنعمه، فإن من كثر ماله كثرت حاجته إلى الناس، ومن احتاج إلى الناس فلا بد وأن ينافقهم ويعصي الله في طلب رضاهم، فإن سلم الإنسان من الآفة الأولى وهي مباشرة الحظوظ فلا يسلم عن هذه أصلًا. ومن الحاجة إلى الخلق تثور العداوة والصداقة، وينشأ عنه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والنميمة والغيبة وسائر المعاصي التي تخص القلب واللسان، ولا يخلو عن التعدي أيضًا إلى سائر الجوارح. وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة إلى حفظه وإصلاحه.

الثالثة: وهي التي لا ينفك عنها أحد وهو أنه يلهيه إصلاح ماله عن ذكر الله تعالى، وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران، ولذلك قال عيسى عليه الصلاة والسلام: في المال ثلاث آفات، أن يأخذه من غير حله، فقيل: إن أخذه من حله؟ فقال: يضعه في غير حقه، فقيل: إن وضعه في حقه، فقال: يشغله إصلاحه عن الله تعالى. وهذا هو الداء العضال. فإن أصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله والتفكر في جلاله، وذلك يستدعي قلبًا فارغًا وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرًا في خصومة الفلاح ومحاسبته، وفي خصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود، وخصومة أعوان السلطان في الخراج، وخصومة الأجراء على التقصير في العمارة، وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم. وصاحب التجارة يكون متفكرًا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه للمال. وكذلك صاحب المواشي. وهكذا سائر أصناف الأموال. وأبعدها عن كثرة الشغل: النقد المكنوز تحت الأرض، ولا يزال الفكر مترددًا فيما يصرف إليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يعثر عليه وفي دفع أطماع الناس عنه. وأودية أفكار الدنيا لا نهاية لها، والذي معه قوت يومه في سلامة من جميع ذلك. فهذه جملة الآفات الدنيوية سوى ما يقاسيه أرباب الأموال في الدنيا من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب في حفظ المال وكسبه، فإذًا ترياق المال أخذ القوت منه وصرف الباقي إلى الخيرات وما عدا ذلك سموم وآفات. نسأل الله تعالى السلامة وحسن العون بلطفه وكرمه إنه على ذلك قدير.

بيان ذم الحرص والطمع، ومدح القناعة واليأس مما في أيدي الناس

اعلم أن الفقر محمود ، كما أوردناه في كتاب الفقر ، ولكن ينبغي أن يكون الفقير قانعًا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حريصًا على اكتساب المال كيف كان، ولا يمكنه ذلك إلا بأن يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس والمسكن، ويقتصر على أقله قدرا وأخسه نوعًا، ويرد أمله إلى يومه أو إلى شهره، ولا يشغل قلبه بما بعد شهر. فإن تشوق

إلى الكثير أو طول أمله فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص، وجرّه الحرص والطمع إلى مساوئ الأخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروءات، وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة. قال رسول الله ﷺ: «لَوْ كانَ لابْنِ آدَمَ وَادِيانِ مِنْ ذَهَبٍ لابْتَغَى لَهُمَا ثَالِثًا وَلاَ يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إلاَّ التُّرَابُ وَيَتُوبُ الله عَلَى مَنْ تَابَ» (١)، وعن أبي واقد الليثي: قال: كان رسول الله ﷺ إذا أوحى إليه أتيناه يعلمنا مما أوحي إليه، فجئته ذات يوم فقال: «إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: إنَّا أَنْزَلْنَا المَالَ لإقامِ الصَّلاةِ وَإيتاءِ الزَّكاةِ، وَلَوْ كَانَ لابْنِ آدَمَ وَادٍ مِنْ ذَهَبٍ لأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ ثانٍ وَلَوْ كَانَ لَهُ الثَّانِي لأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُمَا ثَالِثٌ وَلاَ يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إلاَّ التُّرَابُ وَيَتُوبُ الله عَلَى مَنْ تَابَ» (٢).

وقال أبو موسى الأشعري: نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها: إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى واديًا ثالثًا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» (٣). وقال ﷺ: «مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعَانِ: مَنْهُومُ العِلْمِ وَمَنْهُومُ المَالِ» (٤)، وقال ﷺ: «يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَيَشُبُّ مَعَهُ اثْنَتَانِ: الأَمَلُ وَحُبُّ المَالِ» أو كما قال (٥).

ولما كانت هذه جبلة للآدمي مضلة وغريزة مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله على القناعة، فقال ﷺ: «طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ لِلإسْلامِ وَكانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنِعَ بِهِ» (٦)، وقال ﷺ: «ما مِنْ أَحَدٍ فَقِيرٍ وَلاَ غَنِيَ إلاَّ وَدَّ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنَّهُ كَانَ أُوتِيَ قُوتًا فِي الدُّنْيَا» (٧)، وقال ﷺ: «لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ

---

(١) صحيح: حديث «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا .. الحديث». متفق عليه من حديث ابن عباس وأنس [البخاري: ٦٤٣٦، ٦٤٣٩، مسلم: ١٠٤٩، ١٠٤٨ على الترتيب].

(٢) صحيح: حديث أبي واقد الليثي «إن الله عز وجل يقول: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة .. الحديث». أخرجه أحمد والبيهقي في الشعب بسند صحيح، [انظر صحيح الجامع: ١٧٨١، الصحيحة: ١٦٣٩].

(٣) صحيح دون قوله: إن الله يؤيد هذا . . . لهم»: حديث أبي موسى: نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها «إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم لو أن لابن آدم واديين من مال .. الحديث». أخرجه مسلم مع اختلاف دون قوله «إن الله يؤيد هذا الدين»[مسلم: ١٠٤٨، من قوله: «لو أن لابن آدم . . . إلخ»] ورواه بهذه الزيادة الطبراني وفيه علي ابن زيد متكلم فيه [انظر الصحيحة: ٢٩١٢].

(٤) صحيح: حديث «منهومان لا يشبعان .. الحديث». أخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود بسند ضعيف [انظر صحيح الجامع: ٦٦٢٤، المشكاة: ٢٦٠].

(٥) صحيح: حديث «يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان .. الحديث». متفق عليه من حديث أنس [البخاري: ٦٤٢١، مسلم: ١٠٤٧].

(٦) صحيح: حديث «طوبى لمن هدي للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به». أخرجه الترمذي وصححه والنسائي في الكبرى من حديث فضالة بن عبيد [الترمذي: ٢٣٤٩، انظر صحيح الجامع: ٣٩٣١، صحيح الترغيب: ٨٣٠]، ولمسلم من حديث عبد الله بن عمر «وقد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنّعهُ الله بما آتاه» [مسلم: ١٠٥٤].

(٧) ضعيف جدًا: حديث «ما من أحد غني ولا فقير إلا ود يوم القيامة إنه كان أوتي في الدنيا قوتا». أخرجه ابن ماجه من رواية نفيع بن الحارث عن أنس، ونفيع ضعيف [ابن ماجه: ٤١٤٠، انظر ضعيف الجامع: ٥١٤٧، ضعيف الترغيب: ١٨٨١، الضعيفة: ٤٨٦٩].

العَرَضِ إنَّمَا الغِنَى غِنَى النَّفْسِ» (١)، ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال: «أَيُّها النَّاسُ أَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِعَبْدٍ إلاَّ ما كُتِبَ لَهُ وَلَنْ يَذْهَبَ عَبْدٌ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيهِ ما كُتِبَ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ» (٢).

وروي أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال: أي عبادك أغنى؟ قال: أقنعهم مما أعطيته، قال: فأيهم أعدل؟ قال: من أنصف من نفسه. وقال ابن مسعود: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ فِي رُوَعِي أنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا فَاتَّقُوا الله وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ» (٣). وقال أبو هريرة: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أَبَا هُرَيْرَةَ إذا اشْتَدَّ بِكَ الجُوعُ فَعَلَيْكَ بِرَغِيفٍ وَكُوزٍ مِنْ مَاءٍ وَعَلَى الدُّنْيَا الدَّمَارُ» وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنِعًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ ما تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا» (٤)، ونهى رسول الله ﷺ عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الأنصاري: أنَّ أعرابيًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله عظني وأوجز فقال: «إذا صَلَّيْتَ فَصَلِّ صَلاةَ مُوَدِّعٍ وَلا تَحَدَّثَنَّ بِحَدِيثٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ غَدًا، وَأَجْمِعِ اليَأْسَ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ» (٥)، وقال عوف بن مالك الأشجعي: كنا عند رسول الله ﷺ، تسعة أو ثمانية أو سبعة ، فقال: «أَلا تُبَايِعُونَ رَسُولَ الله» قلنا: أو ليس قد بايعناك يا رسول الله؟ ثم قال: «أَلا تُبَايِعُونَ رَسُولَ الله» فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا: قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك؟ قال: «أَنْ تَعْبُدُوا الله وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَتُصَلُّوا الخَمْسَ، وَأَنْ تَسْمَعُوا وَتُطِيعُوا» وأسر كلمة خفية «ولا تسألوا الناس شيئًا» (٦)، قال: فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحدًا أن يناوله إياه.

الآثار: قال عمر رضي الله عنه: إنَّ الطمع فقر وإنَّ اليأس غنى وإنه من ييأس عما في أيدي

---

(١) صحيح: حديث «ليس الغنى عن كثرة العرض، وإنما الغنى غنى النفس». متفق عليه من حديث أبي هريرة [البخاري: ٦٤٤٦، مسلم: ١٠٥١].

(٢) صحيح: حديث «ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له». أخرجه الحاكم من حديث جابر بنحوه وصحح إسناده، وقد تقدم في آداب الكسب والمعاش [انظر صحيح الجامع: ١٥٧، صحيح الترغيب: ١٦٩٩، الصحيحة: ٨٩٨].

(٣) صحيح: حديث ابن مسعود «إن روح القدس نفث في روعي إن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها .. الحديث». أخرجه ابن أبي الدنيا في القناعة والحاكم مع اختلاف وقد تقدم فيه، [انظر صحيح الجامع: ٢٠٨٥، صحيح الترغيب: ١٧٠٠، الصحيحة: ٢٨٦٦].

(٤) صحيح: حديث أبي هريرة «كن ورعا تكن أعبد الناس .. الحديث». أخرجه ابن ماجه وقد تقدم [ابن ماجه: ٤٢١٧، انظر صحيح الجامع: ٤٥٨٠، صحيح الترغيب: ١٧٤١].

(٥) صحيح: حديث أبي أيوب «إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه وأجمع اليأس مما في أيدي الناس». أخرجه ابن ماجه وتقدم في الصلاة وللحاكم نحوه من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح الإسناد [انظر صحيح الجامع: ٧٤٢، الصحيحة: ٤٠١].

(٦) صحيح: حديث عوف بن مالك: كنا عند رسول الله ﷺ - سبعة أو ثمانية أو تسعة - فقال «ألا تبايعون .. الحديث» وفيه «ولا تسألوا الناس». أخرجه مسلم من حديثه ولم يقل: «فقال قائل» ولا قال: «تسمعوا». وقال: سوط أحدهم [مسلم: ١٠٤٣]. وهي عند أبي داود وابن ماجه كما ذكرها المصنف [أبو داود: ١٦٤٢، ابن ماجه: ٢٨٦٧، انظر صحيح الترغيب: ٨٠٩].

الناس استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال: قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك، وفي ذلك قيل:

العيش ساعات تمرّ وخطوب أيام تكرّ
اقنع بعيشك ترضه واترك هواك تعيش حرّ
فلرب حتف ساقه ذهب وياقوت ودرّ

وكان محمد بن واسع يبلّ الخبز اليابس بالماء ويأكل ويقول: من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد. وقال سفيان: خير دنياكم ما لم تبتلوا به وخير ما ابتليتم به ما خرج من أيديكم وقال ابن مسعود: ما من يوم إلا وملك ينادي: يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك. وقال سميط ابن عجلان: إنما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر فَلِمَ يدخلك النار؟ وقيل لحكيم: ما مالك؟ قال: التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس. ويروى أن الله عز وجل قال: يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت، وإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن. وقال ابن مسعود: إذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبًا يسيرًا ولا يأتي الرجل فيقول: إنك وإنك فيقطع ظهره، فإنما يأتيه ما قسم له من الرزق أو ما رزق. وكتب بعض بني أمية إلى أبي حازم ، يعزم عليه إلا رفع إليه حوائجه ، فكتب إليه: قد رفعت حوائجي إلى مولاي فما أعطاني منها قبلت وما أمسك عني قنعت. وقيل لبعض الحكماء: أي شيء أسر للعاقل وأيما شيء أعون على دفع الحزن؟ فقال: أسرها إليه ما قدّم من صالح العمل، وأعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء وقال بعض الحكماء: وجدت أطول الناس غمًا الحسود، وأهنأهم عيشًا القنوع، وأصبرهم على الأذى الحريص إذا طمع، وأخفضهم عيشًا أرفضهم للدنيا، وأعظمهم ندامة العالم المفرّط. وفي ذلك قيل:

أرفه ببال فتى أمسى على ثقة أنّ الذي قسم الأرزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدنسه والوجه منه جديد ليس يخلقه
إنّ القناعة من يحلل بساحتها لم يلق في دهره شيئًا يؤرّقه

وقد قيل أيضًا:

حتى متى أنا في حلّ وترحالِ وطُولِ سعي وإدبارٍ وإقبالِ
ونازحِ الدّار لا أنفك مغتربًا عن الأحبة لا يدرون ما حالي
بمشرق الأرض طورًا ثم مغربها لا يخطر الموت من حرصي على بالي
ولو قنعت أتاني الرزق في دعة إنّ القنوع الغنى لا كثرة المالِ

وقال عمر رضي الله عنه: ألا أخبركم بما أستحل من مال الله تعالى: حلتان لشتائي وقيظي، وما يسعني من الظهر لحجي وعمرتي، وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرفعهم ولا بأوضعهم، فوالله ما أدري أيحل ذلك أم لا؟

كأنه شك في أنّ هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التي تجب القناعة بها؟ وعاتب أعرابي

أخاه على الحرص فقال: يا أخي أنت طالب ومطلوب، يطلبك من لا تفوته وتطلب أنت ما قد كفيته، وكأن ما غاب عنك قد كشف لك، وما أنت فيه قد نقلت عنه، وكأنك يا أخي لم تر حريصًا محرومًا وزاهدًا مرزوقًا. وفي ذلك قيل:

أراك يزيدك الإثراء حرصًا ... على الدنيا كأنك لا تموتُ
فهل لك غاية إن صرت يومًا ... إليها قلت حسبي قد رضيتُ

وقال الشعبي: حكي أنّ رجلًا صاد قنبرة فقالت: ما تريد أن تصنع بي؟ قال: أذبحك وآكلك، قالت: والله ما أشفي من قرم ولا أشبع من جوع ولكن أعلمك ثلاث خصال هي خير لك من أكلي. أما واحدة: فأعلمك وأنا في يدك، وأما الثانية: فإذا صرت على الشجرة، وأما الثالثة: فإذا صرت على الجبل، قال: هات الأولى، قالت: لا تلهفن على ما فاتك، فخلاها فلما صارت على الشجرة قال: هات الثانية قالت: لا تصدّقن بما لا يكون أنه يكون، ثم طارت فصارت على الجبل فقالت: يا شقي لو ذبحتني لأخرجت من حوصلتي درّتين زنة كل درّة عشرون مثقالًا، قال: فعض على شفته وتلهف وقال: هات الثالثة، قالت: أنت قد نسيت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة؟ ألم أقل لك: لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون أنه يكون، أنا لحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالًا فكيف يكون في حوصلتي درتان كل واحدة عشرون مثقالًا؟ ثم طارت فذهبت. وهذا مثال لفرط طمع الآدمي فإنه يعميه عن درك الحق حتى يقدّر ما لا يكون أنه يكون. وقال ابن السماك: إن الرجاء حبل في قلبك وقيد في رجلك فأخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك. وقال أبو محمد اليزيدي: دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب، فلما رآني تبسم، فقلت: فائدة أصلح الله أمير المؤمنين؟ قال: نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني أمية فاستحسنتهما وقد أضفت إليهما ثالثًا. وأنشدني:

إذا سدّ باب عنك من دون حاجةٍ ... فدعه لأخرى ينفتح لك بابُها
فإن قراب البطن يكفيك ملؤه ... ويكفيك سوءات الأمور اجتنابُها
ولا تك مبذالًا لعرضك واجتنب ... ركوب المعاصي يجتنبك عقابُها

وقال عبد الله بن سلام لكعب: ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد إذ وعوها وعقلوها؟ قال: الطمع وشره النفس وطلب الحوائج. وقال رجل للفضيل: فسر لي قول كعب، قال: يطمع الرجل في الشيء يطلبه فيذهب عليه دينه، وأما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب أن يفوتها شيء، ويكون لك إلى هذا حاجة وإلى هذا حاجة فإذا قضاها لك خرم أنفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له. فمن حبك للدنيا سلمت عليه إذا مررت به وعدته إذا مرض؛ لم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله، فلو لم يكن لك إليه حاجة كان خيرًا لك. ثم قال: هذا خير لك من مائة حديث عن فلان عن فلان. قال بعض الحكماء: من عجيب أمر الإنسان أنه لو نودي بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على

الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مدّة التمتع وتوقع الزوال. وقال عبد الواحد بن زيد: مررت براهب فقلت له: من أين تأكل؟ قال: من بيدر اللطيف الخبير، الذي خلق الرحا يأتيها بالطحين، وأومأ بيده إلى رحا أضراسه ، فسبحان القدير الخبير.

بيان علاج الحرص والطمع، والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة

اعلم أنّ هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان: الصبر والعلم والعمل، ومجموع ذلك خمسة أمور:

الأول: وهو العمل؛ الاقتصاد في المعيشة والرفق في الإنفاق، فمن أراد عز القناعة فينبغي أن يسدّ عن نفسه أبواب الخروج ما أمكنه ويردّ نفسه إلا ما لا بدّ منه، فمن كثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة، بل إن كان وحده فينبغي أن يقنع بثوب واحد خشن، ويقنع بأي طعام كان؛ ويقلل من الإدام ما أمكنه، ويوطن نفسه عليه وإن كان له عيال فيردّ كل واحد إلى هذا القدر؛ فإن هذا القدر يتيسر بأدنى جهد. ويمكن معه الإجمال في الطلب والاقتصاد في المعيشة وهو الأصل في القناعة؛ ونعني به الرفق في الإنفاق وترك الخرق فيه، قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ» (١)، وقال ﷺ: «ما عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ» (٢)، وقال ﷺ: «ثَلاثٌ مُنْجِيَاتٌ؛ خَشْيَةُ الله فِي السِّرِّ وَالعَلانِيَةِ، وَالقَصْدُ فِي الغِنَى والفَقْرِ، وَالعَدْلُ فِي الرِّضَا وَالغَضَبِ» (٣)، وروي أن رجلًا أبصر أبا الدرداء يلتقط حبًا من الأرض وهو يقول: إن من فقهك رفقك في معيشتك. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال النبيّ ﷺ: «الاقْتِصَادُ وَحُسْنُ السَّمْتِ وَالهَدْيُ الصَّالِحُ جُزْءٌ مِنْ بِضْعٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ» (٤).

وفي الخبر: «التَّدْبِيرُ نِصْفُ المَعِيشَةِ» (٥)، وقال ﷺ: «مَنِ اقْتَصَدَ أَغْنَاهُ الله، وَمَنْ بَذَّرَ أَفْقَرَهُ الله، وَمَنْ ذَكَرَ الله عَزَّ وَجَلَّ أَحَبَّهُ الله» (٦)، وقال ﷺ: «إذا أَرَدْتَ أَمْرًا فَعَلَيْكَ بِالتُّؤَدَةِ حَتَّى يَجْعَلَ

---

(١) صحيح: حديث «إن الله يحب الرفق في الأمر كله». متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم [البخاري: ٦٠٢٤، مسلم: ٢١٦٥].

(٢) ضعيف: حديث «ما عال من اقتصد». أخرجه أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود ورواه من حديث ابن عباس بلفظ «مقتصد» [انظر ضعيف الجامع: ٥١٠٠، ٥١٠١، الضعيفة: ٤٤٥٩].

(٣) حسن: حديث «ثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب». أخرجه البزار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف [انظر صحيح الجامع: ٣٠٣٩، صحيح الترغيب: ٤٥٣، الصحيحة: ١٨٠٢].

(٤) حسن: حديث ابن عباس «الاقتصاد وحسن السمت والهدى الصالح». أخرجه أبو داود من حديث ابن عباس مع تقديم وتأخير وقال «السمت الصالح» وقال «من خمسة وعشرين» [أبو داود: ٤٧٧٦، انظر صحيح الجامع: ١٩٩٣] ورواه الترمذي وحسنه من حديث عبد الله بن سرجس وقال «التؤدة» بدل «الهدى الصالح» وقال «من أربعة» [الترمذي: ٢٠١٠، انظر صحيح الجامع: ٣٦٩٢، صحيح الترغيب: ١٦٩٦].

(٥) موضوع: حديث «التدبير نصف المعيشة». رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس، وفيه خلاد بن عيسى، جهله العقيلي، ووثقه ابن معين [انظر ضعيف الجامع: ٢٢٨٦، والضعيفة: ١٥٧].

(٦) ضعيف: حديث «من اقتصد أغناه الله .. الحديث». أخرجه البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله

الله لَكَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا» (١) والتؤدة في الإنفاق من أهم الأمور.

الثاني أنه إذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب لأجل المستقبل، ويعينه على ذلك قصر الأمل، والتحقق بأن الرزق الذي قدّر له فلا بدّ وأن يأتيه وإن لم يشتد حرصه، فإن شدّة الحرص ليست هي السبب لوصول الأرزاق، بل ينبغي أن يكون واثقًا بوعد الله تعالى إذ قال عز وجل: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦] وذلك لأن الشيطان يعده الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول: إن لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج إلى احتمال الذل في السؤال، فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفًا من الفقر، ويضحك عليه في احتماله التعب نقدا مع الغفلة عن الله لتوهم تعب في ثاني الحال وربما لا يكون.

وفي مثله قيل:

مَنْ ينفقِ السَّاعات في جمع ... مالِهِ مخافة فقرٍ فالذي فعل الفقر

وقد دخل ابنا خالد على رسول الله ﷺ فقال لهما: «لا تَيْأَسا مِنَ الرِّزْقِ ما تَهَزْهَزَتْ رُؤُوسُكُمَا فَإِنَّ الإِنْسَانَ تَلِدُهُ أُمُّهُ أَحْمَرَ لَيْسَ عَلَيْهِ قِشْرٌ ثُمَّ يَرْزُقُهُ الله تَعَالَى» (٢) ومرّ رسول الله ﷺ بابن مسعود وهو حزين فقال له: «لا تُكْثِرْ هَمَّكَ ما قُدِّرَ يَكُنْ وَمَا تُرْزَقْ يَأْتِكَ» (٣) وقال ﷺ «أَلا أَيُّها النَّاسُ أَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِعَبْدٍ إِلاّ ما كُتِبَ لَهُ وَلَنْ يَذْهَبَ عَبْدٌ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَهُ ما كُتِبَ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ» (٤) ولا ينفك الإنسان عن الحرص إلا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى في تقدير أرزاق العباد، وأن ذلك يحصل لا محالة مع الإجمال في الطلب، بل ينبغي أن يعلم أن رزق الله للعبد من حيث لا يحتسب أكثر. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣] فإذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي أن يضطرب قلبه لأجله، وقال ﷺ «أَبَى الله أَنْ يَرْزُقَ عَبْدَهُ المُؤْمِنَ إِلاّ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ» (٥)، وقال سفيان: اتق الله فما رأيت تقيًا محتاجًا. أي لا يترك التقي فاقدًا

«ومن ذكر الله أحبه الله» وشيخه فيه عمران بن هارون البصري قال الذهبي: شيخ لا يعرف حاله أتى بخبر منكر أي هذا الحديث، ولأحمد وأبي يعلى في حديث لأبي سعيد «ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله».

(١) ضعيف: حديث «إذا أردت أمرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله فيه فرجا ومخرجا». رواه ابن المبارك في البر والصلة وقد تقدم [انظر ضعيف الجامع: ٣٤٨، الضعيفة: ٢٣٠٧].

(٢) ضعيف: حديث «لا تيأسا من الرزق ما تهززت رؤوسكما .. الحديث». رواه ابن ماجه من حديث: حَبّة وسَوَاءِ ابني خالد، وقد تقدم [ابن ماجه: ٤١٦٥، انظر ضعيف الجامع: ٦٢٨١، ضعيف ابن ماجه].

(٣) ضعيف: حديث «لا تكثر همك ما قدر يكن وما ترزق يأتك». قاله لابن مسعود أخرجه أبو نعيم من حديث خالد بن رافع وقد اختلف في صحبته ورواه الأصفهاني في الترغيب والترهيب من رواية مالك بن عمرو المغافري مرسلا [انظر ضعيف الجامع: ٦٢٦٤].

(٤) صحيح: حديث «ألا أيها الناس أجملوا في الطلب .. الحديث». تقدم قبل هذا بثلاثة عشر حديثا [انظر صحيح الجامع: ٢٧٤٢، ١٥٧، صحيح الترغيب: ١٦٩٩].

(٥) ضعيف: حديث «أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب». أخرجه ابن حبان في الضعفاء

لضرورته، بل يلقي الله في قلوب المسلمين أن يوصلوا إليه رزقه. وقال المفضل الضبي: قلت لأعرابي من أين معاشك؟ قال: نذر الحاج، قلت: فإذا صدروا، فبكى وقال: لو لم نعش إلا من حيث ندري لم نعش. وقال أبو حازم رضي الله عنه: وجدت الدنيا شيئين: شيئًا منهما هو لي، فلن أعجله قبل وقته ولو طلبته بقوة السماوات والأرض. وشيئًا منهما هو لغيري فلذلك لم أنله فيما مضى فلا أرجوه فيما بقي، يمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري، ففي أي هذين أفني عمري؟ فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان. وإنذاره بالفقر.

الثالث: أن يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الحرص والطمع من الذل، فإذا تحقق عنده ذلك انبعثت رغبته إلى القناعة لأنه في الحرص لا يخلو من تعب، وفي الطمع لا يخلو من ذل. وليس في القناعة إلا ألم الصبر عن الشهوات والفضول. وهذا ألم لا يطلع عليه أحد إلا الله وفيه ثواب الآخرة. وذلك مما يضاف إليه نظر الناس وفيه الوبال والمأثم. ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فإن من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته إلى الناس فلا يمكنه دعوتهم إلى الحق ويلزمه المداهنة، وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الإيمان، قال ﷺ: «عز المؤمن استغناؤه عن الناس»[1]، ففي القناعة الحرّية والعز. ولذلك قيل: استغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره.

الرابع: أن يكثر تأمله فيْ تنعم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحمقى من الأكراد والأعراب الأجلاف ومن لا دين لهم ولا عقل. ثم ينظر إلى أحوال الأنبياء والأولياء، وإلى سمت الخلفاء الراشدين، وسائر الصحابة والتابعين، ويستمع أحاديثهم ويطالع أحوالهم. ويخير عقله بين أن يكون على مشابهة أراذل الناس أو على الاقتداء بمن هم أعز أصناف الخلق عند الله، حتى يهون عليه بذلك الصبر على الضنك والقناعة باليسير، فإنه إن تنعم في البطن، فالحمار أكثر أكلًا منه، وإن تنعم في الوقاع فالخنزير أعلى رتبة منه، وإن تزين في الملبس والحلي ففي اليهود من أعلى زينة منه، وإن قنع بالقليل ورضي به لم يساهمه في رتبته إلا الأنبياء والأولياء.

الخامس: أن يفهم ما في جمع المال من الخطر، كما ذكرناه في آفات المال، وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع؛ وما في خلو اليد من الأمن والفراغ، ويتأمل ما ذكرناه في آفات المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة إلى خمسمائة عام، فإنه إذا لم يقنع بما يكفيه

من حديث علي بإسناد رواه، ورواه ابن الجوزي في الموضوعات [انظر ضعيف الجامع: ٢٨، والضعيفة: ١٤٩٠].

(١) حسن: حديث «عز المؤمن استغناؤه عن الناس». أخرجه الطبراني في الأوسط والحاكم وصحح إسناده، وأبو الشيخ في كتاب الثواب، وأبو نعيم في الحلية من حديث سهل بن سعد: أن جبريل قاله للنبي ﷺ في أثناء حديث، وفيه زفر بن سليمان عن محمد بن عيينة وكلاهما مختلف فيه وجعله القضاعي في مسند الشهاب من قول النبي ﷺ، [انظر صحيح الجامع: ٧٣، صحيح الترغيب: ٦٢٧].

ألحق بزمرة الأغنياء وأخرج من جريدة الفقراء. ويتم ذلك بأن ينظر أبدًا إلى من دونه في الدنيا لا إلى من فوقه، فإن الشيطان أبدًا يصرف نظره في الدنيا إلى من فوقه فيقول لم تفتر عن الطلب وأرباب الأموال يتنعمون في المطاعم والملابس ويصرف نظره في الدين إلى من دونه فيقول: ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك وهو لا يخاف الله؟ والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد أن تتميز عنهم؟ قال أبو ذرّ: أوصاني خليلي صلوات الله عليه أن أنظر إلى من هو دوني لا إلى من هو فوقي[1] أي في الدنيا. وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «إذا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فَضَّلَهُ الله عَلَيْهِ فِي المَالِ وَالخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُ مِمَّنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ»[2]، فبهذه الأمور يقدر على اكتساب خلق القناعة. وعماد الأمر الصبر وقصر الأمل، وأن يعلم أن غاية صبره في الدنيا أيام قلائل للتمتع دهرًا طويلًا، فيكون كالمريض الذي يصبر على مرارة الدواء لشدّة طمعه في انتظار الشفاء.

بيان فضيلة السخاء:

اعلم أن المال إن كان مفقودًا فينبغي أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص، وإن كان موجودًا فينبغي أن يكون حاله الإيثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل، فإن السخاء من أخلاق الأنبياء عليهم السلام وهو أصل من أصول النجاة. وعنه عبر النبي ﷺ حيث قال: «السَّخَاءُ شَجَرَةٌ مِنْ شَجَرِ الجَنَّةِ أَغْصَانُهَا مُتَدَلِّيَةٌ إِلَى الأَرْضِ فَمَنْ أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْها قَادَهُ ذلِكَ الغُصْنُ إِلَى الجَنَّةِ»[3]، وقال جابر: قال رسول الله ﷺ: «قالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ: قالَ الله تَعَالَى: «إِنَّ هذا دِينٌ ارْتَضَيْتُهُ لِنَفْسِي وَلَنْ يُصْلِحَهُ إلا السَّخَاءُ وَحُسْنُ الخُلُقِ فَأَكْرِمُوهُ بِهِمَا مَا اسْتَطَعْتُمْ»[4]، وفي رواية: «فَأَكْرِمُوهُ بِهِمَا ما صَحِبْتُمُوهُ»، وعن عائشة الصديقية رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما جَبَلَ الله تَعَالَى وَلِيًّا لَهُ إلا عَلَى حُسْنِ الخُلُقِ وَالسَّخَاءِ»[5] وعن

---

(١) صحيح: حديث أبي ذر: أوصاني خليلي ﷺ أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر لمن هو فوقي». أخرجه أحمد وابن حبان في أثناء حديث وقد تقدم [انظر صحيح الترغيب: ٢٥٢٥، الصحيحة: ٢١٦٦].

(٢) صحيح: حديث أبي هريرة «إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه». متفق عليه وقد تقدم [البخاري: ٦٤٩٠، مسلم: ٢٩٦٣].

(٣) ضعيف: حديث «السخاء شجرة من شجر الجنة .. الحديث». أخرجه ابن حبان في الضعفاء من حديث عائشة وابن عدي والدارقطني في المستجاد من حديث أبي هريرة وسياتي بعده وأبو نعيم من حديث جابر وكلاهما ضعيف ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من حديثهم ومن حديث الحسين وأبي سعيد [انظر ضعيف الجامع: ٣٣٤٠، الضعيفة: ٣٨٩٢].

(٤) موضوع: حديث جابر مرفوعا حكاية عن جبريل عن الله تعالى «إن هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما استطعتما». أخرجه الدارقطني في المستجاد وقد تقدم [انظر ضعيف الجامع: ١٥٥١، ضعيف الترغيب: ١٥٦١].

(٥) موضوع: حديث عائشة «ما جبل الله وليا له إلا على السخاء وحسن الخلق». أخرجه الدارقطني في المستجاد دون قوله «وحسن الخلق» بسند ضعيف ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات وذكره بهذه الزيادة ابن عدي من رواية بقية عن يوسف بن أبي السفر عن الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة، ويوسف ضعيف جدا [انظر الضعيفة: ٦٢٢، ضعيف الترغيب: ١٥٦٠].

جابر قال: قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: «الصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ» (١)، وقال عبد الله بن عمرو. قال رسول الله ﷺ: «خُلُقَانِ يُحِبُّهُمَا الله عَزَّ وَجَلَّ وَخُلُقَانِ يُبْغِضُهُمَا الله عَزَّ وَجَلَّ، فَأَمَّا اللَّذَانِ يُحِبُّهُمَا الله تَعَالَى فَحُسْنُ الخُلُقِ وَالسَّخَاءُ، وَأَمَّا اللَّذَانِ يُبْغِضُهُمَا الله فَسُوءُ الخُلُقِ وَالبُخْلُ، وَإِذا أَرَادَ الله بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِ النَّاسِ» (٢)، وروى المقدام بن شريح عن أبيه عن جده قال: قلت: يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال: «إِنَّ مُوجِبَاتِ المَغْفِرَةِ بَذْلُ الطَّعَامِ وَإِفْشَاءُ السَّلامِ وَحُسْنُ الكَلامِ» (٣)، وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «السَّخَاءُ شَجَرَةٌ فِي الجَنَّةِ فَمَنْ كَانَ سَخِيًّا أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْها فَلَمْ يَتْرُكْهُ ذلِكَ الغُصْنُ حَتَّى يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ والشُّحُ شَجَرَةٌ فِي النَّارِ فَمَنْ كَانَ شَحِيحًا أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا فَلَمْ يَتْرُكْهُ ذلِكَ الغُصْنُ حَتَّى يُدْخِلَهُ النَّارَ» (٤)، وقال أبو سعيد الخدري. قال النبي ﷺ: «يَقُولُ الله تَعَالَى: اطْلُبُوا الفَضْلَ مِنَ الرُّحَمَاءِ مِنْ عِبادِي تَعِيشُوا فِي أَكْنَافِهِمْ فإِنِّي جَعَلْتُ فِيهِمْ رَحْمَتِي، وَلا تَطْلُبُوهُ مِنَ القَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ فإِنِّي جَعَلْتُ فِيهِم سَخَطِي» (٥)، وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «تَجَافَوْا عَنْ

---

(١) صحيح: حديث جابر: أي الإيمان أفضل؟ قال «الصبر والسماحة». أخرجه أبو يعلى وابن حبان في الضعفاء بلفظ: سئل عن الإيمان. وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر ضعفه الجمهور ورواه أحمد من حديث عائشة وعمرو بن عنبسة بلفظ: ما الإيمان؟ قال «الصبر والسماحة» وفيه شهر بن حوشب ورواه البيهقي في الزهد بلفظ: أي الأعمال أفضل؟ قال «الصبر والسماحة وحسن الخلق» وإسناده صحيح [انظر صحيح الجامع: ١٠٩٧، والصحيحة: ٥٥٤].

(٢) موضوع: حديث عبد الله بن عمرو «خلقان يحبهما الله وخلقان يبغضهما الله، فأما اللذان يحبهما الله تعالى فحسن الخلق والسخاء .. الحديث». أخرجه أبو منصور الديلمي دون قوله في آخره «وإذا أراد الله بعبد خيرا» وقال فيه «الشجاعة» بدل «حسن الخلق» وفيه محمد بن يونس الكديمي كذبه أبو داود وموسى بن هارون وغيرهما ووثقه الخطيب، وروى الأصفهاني جميع الحديث موقوفا على عبد الله بن عمرو، وروى الديلمي أيضا من حديث أنس «إذا أراد الله بعبده خيرا صير حوائج الناس إليه» وفيه يحيى بن شبيب ضعفه ابن حبان [انظر ضعيف الجامع: ٢٨٤٣، الضعيفة: ١٧٠٦].

(٣) صحيح: حديث المقدام بن شريح عن أبيه عن جده «إن من موجبات المغفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام». أخرجه الطبراني بلفظ «بذل السلام وحسن الكلام» وفي رواية له «يوجب الجنة إطعام الطعام وإفشاء السلام» وفي رواية له «عليك بحسن الكلام وبذل الطعام» [انظر صحيح الجامع: ٢٢٣٢، صحيح الترغيب: ٢٦٩٩، الصحيحة: ١٠٣٥].

(٤) ضعيف: حديث أبي هريرة «السخاء شجرة في الجنة .. الحديث». وفيه «والشح شجرة في النار... الحديث» أخرجه الدارقطني في المستجاد وفيه عبد العزيز بن عمران الزهري ضعيف جدا [انظر ضعيف الجامع: ٣٣٤٠، الضعيفة: ٣٨٩٢].

(٥) ضعيف: حديث أبي سعيد «يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في أكنافهم .. الحديث». أخرجه ابن حبان في الضعفاء والخرائطي في مكارم الأخلاق والطبراني في الأوسط وفيه محمد بن مروان السدي الصغير ضعيف، ورواه العقيلي في الضعفاء فجعله عبد الرحمن السدي وقال إنه مجهول، وتابع محمد بن مروان السدي عليه عبد الملك بن الخطاب وقد غمزه ابن القطان، وتابعه عليه عبد الغفار بن الحسن بن دينار قال فيه أبو حاتم لا بأس بحديثه وتكلم فيه الجوزجاني والأزدي، ورواه الحاكم من حديث علي وقال إنه صحيح الإسناد، وليس كما قال [انظر ضعيف الجامع: ٩٠٠، الضعيفة: ١٥٧٧].

ذَنْبِ السَّخِيِّ فإنَّ الله آخِذٌ بِيَدِهِ كُلَّمَا عَثَرَ» (١)، وقال ابن مسعود قال ﷺ: «الرِّزْقُ إِلَى مُطْعِمِ الطَّعامِ أَسْرَعُ مِنَ السِّكِّينِ إِلَى ذِرْوَةِ البَعِيرِ وَإِنَّ الله تَعَالَى لَيُبَاهِي بِمُطْعِمِ الطَّعَامِ المَلائِكَةَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ» (٢)، وقال ﷺ: «إِنَّ الله جَوَادٌ يُحِبُّ الجُودَ وَيُحِبُّ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَها» (٣)، وقال أنس: إن رسول الله ﷺ لم يسأل على الإسلام شيئًا إلا أعطاه، وأتاه رجل فسأله فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة، فرجع إلى قومه فقال: «يا قوم أسلموا؛ فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخاف الفاقة» (٤)

وقال ابن عمر: قال ﷺ: «إِنَّ لله عِبَادًا يَخُصُّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ العِبَادِ، فَمَنْ بَخِلَ بِتِلْكَ المَنَافِعِ عَلَى العِبَادِ نَقَلَهَا الله تَعَالَى عَنْهُ وَحَوَّلَها إِلَى غَيْرِهِ» (٥)، وعن الهلالي قال: أتي رسول الله ﷺ بأسرى من بني العنبر فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلًا، فقال علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه: يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم؟ فقال ﷺ: «نَزَلَ عَلَيَّ جِبْرِيلُ فَقَالَ: اقْتُلْ هؤلاءِ وَاتْرُكْ هذا فَإِنَّ الله تَعَالَى شَكَرَ لَهُ سَخَاءً فيه» (٦)، وقال ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ ثَمَرَةً وَثَمَرَةُ المَعْرُوفِ تَعْجِيلُ السَّرَاحِ» (٧)، وعن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله

---

(١) ضعيف: حديث ابن عباس «تجافوا عن ذنب السخي فإن الله آخذ بيده كلما عثر». أخرجه الطبراني في الأوسط والخرائطي في مكارم الأخلاق. وقال الخرائطي «أقيلوا السخي زلته» وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه ورواه الطبراني فيه وأبو نعيم من حديث ابن مسعود نحوه بإسناد ضعيف ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق الدارقطني [انظر ضعيف الجامع: ٢٣٩٠، ضعيف الترغيب: ١٥٦٧].

(٢) ضعيف: حديث ابن مسعود «الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة العير .. الحديث». لم أجده من حديث ابن مسعود ورواه ابن ماجه من حديث أنس ومن حديث ابن عباس بلفظ «الخير أسرع إلى البيت الذي يغشى» [ابن ماجه: ٣٣٥٦ من حديث أنس]، في حديث ابن عباس «يؤكل فيه عن الشفرة إلى سنام البعير» [ابن ماجه: ٣٣٥٧ من حديث ابن عباس]، ولأبي الشيخ في كتاب الثواب من حديث جابر «الرزق إلى أهل البيت الذي فيه السخاء... الحديث» وكلها ضعيفة [انظر ضعيف الجامع: ٢٩٥١، ضعيف الترغيب: ١٥٦٥].

(٣) صحيح: حديث «إن الله جواد يحب الجود ويحب معالي الأمور ويكره سفاسفها». أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز، وهذا مرسل وللطبراني في الكبير والأوسط والحاكم والبيهقي من حديث سهل بن سعد «إن الله كريم يحب الكرم ويحب معالي الأمور» وفي الكبير والبيهقي «معالي الأخلاق... الحديث» وإسناده صحيح وتقدم آخر الحديث في أخلاق النبوة [انظر صحيح الجامع: ١٧٤٤، الصحيحة: ١٦٢٧].

(٤) صحيح: حديث أنس: لم يسأل على الإسلام شيئا إلا أعطاه فأتاه رجل فسأله، فأمر له بشاء [أي: غنم] كثير بين جبلين .. الحديث». أخرجه مسلم وقد تقدم في أخلاق النبوة [مسلم: ١٠٥٣].

(٥) حسن: حديث ابن عمر «إن لله عبادا يخصهم بالنعم لمنافع العباد .. الحديث». أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط وأبو نعيم وفيه محمد بن حسان السمتي، وفيه لين ووثقه ابن معين يرويه عن أبي عثمان عبد الله بن زيد الحمصي ضعفه الأزدي [انظر صحيح الجامع: ٢١٦٤، الصحيحة: ١٦٩٢].

(٦) حديث الهلالي: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأسرى من بني العنبر فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلا.. الحديث» وفيه «فإن الله تعالى شكر له سخاءً فيه». لم أجد له أصلا.

(٧) حديث «إن لكل شيء ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح». لم أقف له على أصل.

ﷺ: «طَعَامُ الجَوَادِ دَوَاءٌ وَطَعَامُ البَخِيلِ دَاءٌ» (١).

وقال ﷺ: «مَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ الله عِنْدَهُ عَظُمَتْ مِئْنَةُ النَّاسِ عَلَيْهِ» (٢)، فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال. وقال عيسى عليه السلام: استكثروا من شيء لا تأكله النار، قيل: وما هو؟ قال: المعروف. وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «الجَنَّةُ دَارُ الأَسْخِيَاءِ» (٣)، وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ السَّخِيَّ قَرِيبٌ مِنَ الله قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ قَرِيبٌ مِنَ الجَنَّةِ بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّ البَخِيلَ بَعِيدٌ مِنَ الله بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ بَعِيدٌ مِنَ الجَنَّةِ قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ، وَجَاهِلٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إِلَى الله مِنْ عَالِمٍ بَخِيلٍ، وَأَدْوَأُ الدَّاءِ البُخْلُ» (٤)، وقال ﷺ: «اصْنَعِ المَعْرُوفَ إِلَى مَنْ هُوَ أَهْلُهُ وَإِلَى مَنْ لَيْسَ بِأَهْلِهِ، فَإِنْ أَصَبْتَ أَهْلَهُ فَقَدْ أَصَبْتَ أَهْلَهُ، وَإِنْ لَمْ تُصِبْ أَهْلَهُ فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ» (٥)، وقال ﷺ: «إِنَّ بُدَلاءَ أُمَّتِي لَمْ يَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِصَلاةٍ وَلا صِيَامٍ وَلَكِنْ دَخَلُوها بِسَخَاءِ الأَنْفُسِ وَسَلامَةِ الصُّدُورِ وَالنُّصْحِ لِلْمُسْلِمِينَ» (٦)، وقال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ لِلْمَعْرُوفِ وُجُوهًا مِنْ خَلْقِهِ حَبَّبَ إِلَيْهِمُ المَعْرُوفَ وَحَبَّبَ إِلَيْهِمْ فِعَالَهُ وَوَجَّهَ طُلاَّبَ المَعْرُوفِ إِلَيْهِمْ وَيَسَّرَ عَلَيْهِمْ إِعْطَاءَهُ كَمَا يَسَّرَ الغَيْثَ إِلَى البَلْدَةِ الجَدْبَةِ فَيُحْيِيهَا وَيُحْيِي بِهِ أَهْلَهَا» (٧)، وقال ﷺ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ مَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ

---

(١) موضوع: حديث نافع عن ابن عمر «طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء». أخرجه ابن عدي والدارقطني في غرائب مالك وأبو علي الصدفي في عواليه رجاله ثقات أئمة قال ابن القطان وإنهم لمشاهير ثقات إلا مقدام بن داود فإن أهل مصر تكلموا فيه [انظر الضعيفة: ٣٨٢٤].

(٢) ضعيف: حديث «من عظمت نعمة الله عليه عظمت مؤونة الناس عليه». رواه ابن عدي وابن حبان في الضعفاء من حديث معاذ بلفظ «ما عظمت نعمة الله على عبد إلا ذكره» وفيه أحمد بن مهران قال أبو حاتم مجهول والحديث باطل ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عمر بإسناد منقطع، وفيه حليس بن محمد أحد المتروكين، ورواه العقيلي من حديث ابن عباس قال ابن عدي يروى من وجوه كلها غير محفوظة [انظر ضعيف الجامع: ٥١٠٨، ضعيف الترغيب: ١٥٧٢].

(٣) ضعيف: حديث عائشة «الجنة دار الأسخياء». أخرجه ابن عدي والدارقطني في المستجاد والخرائطي قال الدارقطني لا يصح ومن طريقه رواه ابن الجوزي في الموضوعات. وقال الذهبي حديث منكر ما آفته سوى جحدر قلت رواه الدارقطني فيه من طريق آخر وفيه محمد بن الوليد الموقري وهو ضعيف جدا [انظر ضعيف الجامع: ٢٦٦٨، الضعيفة: ٣٤٧٦].

(٤) ضعيف جدًا: حديث أبي هريرة «إن السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة .. الحديث». أخرجه الترمذي وقال غريب ولم يذكر فيه «وأدوأ الداء البخيل» ورواه بهذه الزيادة الدارقطني فيه [الترمذي: ١٩٦١، انظر ضعيف الجامع: ٣٣٤١، ضعيف الترغيب: ١٥٥٥].

(٥) ضعيف: حديث «اصنع المعروف إلى أهله وإلى من ليس من أهله». أخرجه الدارقطني في المستجاد من رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرسلا وتقدم في آداب المعيشة. [انظر ضعيف الجامع: ٨٩٤]

(٦) ضعيف: حديث «إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الأنفس .. الحديث». أخرجه الدارقطني في المستجاد وأبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أنس، وفيه محمد بن عبد العزيز المبارك الدينوي أورد ابن عدي له مناكير، وفي الميزان أنه ضعيف منكر الحديث، ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي سعيد نحوه وفيه صالح المري متكلم فيه. [انظر ضعيف الجامع: ١٣٥٦، ضعيف الترغيب: ١٧٣٠]

(٧) ضعيف جدًا حديث أبي سعيد «إن الله جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب إليهم المعروف .. الحديث».

وَأَهْلِهِ كُتِبَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا وَقَى بِهِ الرَّجُلُ عِرْضَهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ مِنْ نَفَقَةٍ فَعَلَى الله خَلَفُهَا»(١) وقال ﷺ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ وَالدَّالُّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ وَالله يُحِبُّ إِغَاثَةَ اللَّهْفَانِ»(٢)، وقال ﷺ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ فَعَلْتَهُ إِلَى غَنِيٍّ أَوْ فَقِيرٍ صَدَقَةٌ»(٣)، وروي أنّ الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام لا تقتل السامري فإنه سخي، وقال جابر: بعث رسول الله ﷺ بعثًا عليهم قيس بن سعد بن عبادة، فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب، فحدّثوا رسول الله ﷺ بذلك فقال ﷺ: «إِنَّ الجُودَ لَمِنْ شِيمَةِ أَهْلِ ذلِكَ البَيْتِ»(٤).

الآثار: قال علي كرم الله وجهه: إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فإنها لا تفنى، وإذا أدبرت عنك فأنفق منها فإنها لا تبقى وأنشد:

لا تبخلنَّ بدنيا وهي مقبلة ... فليس ينقصها التبذير والسرفُ
وإن تولّت فأحرى أن تجود بها ... فالحمدُ منها إذا ما أدبرت خلفُ

وسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهم عن المروءة والنجدة والكرم فقال: أما المروءة فحفظ الرجل دينه وحذره نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن المنازعة والإقدام في الكراهية. وأما النجدة فالذب عن الجار والصبر في المواطن، وأما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والإطعام في المحل والرأفة بالسائل مع بذل النائل. ورفع رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقعة فقال: حاجتك مقضية. فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك. فقال: يسألني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى أقرأ رقعته.

أخرجه الدارقطني في المستجاد من رواية أبي هارون العبدي عنه وأبو هارون ضعيف ورواه الحاكم من حديث علي وصححه. [انظر ضعيف الجامع: ١٥٩٢، الضعيفة: ٢٨٤٩]

(١) ضعيف لكن الجملتان الأوليان منه صحيحتان: حديث: «كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة .. الحديث». أخرجه ابن عدي والدارقطني في المستجاد والخرائطي والبيهقي في الشعب من حديث جابر وفيه عبد الحميد بن الحسن الهلالي وثقه ابن معين وضعفه الجمهور [انظر الضعيفة: ٨٩٨، صحيح الجامع: ٤٥٥٥، ٣٠٨٢]، والجملة الأولى منه عند البخاري من حديث جابر [البخاري: ٦٠٢١] وعند مسلم من حديث حذيفة. [مسلم: ١٠٠٥]

(٢) حديث «كل معروف صدقة، والدال على الخير كفاعله، والله يحب إغاثة اللهفان». أخرجه الدارقطني في المستجاد من رواية الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده والحجاج ضعيف وقد جاء مفرقا فالجملة الأولى تقدمت قبله [انظر الحديث السابق] والجملة الثانية تقدمت في العلم من حديث أنس وغيره [وهو صحيح: انظر صحيح الجامع: ١٦٠٥، الصحيحة: ١٦٦٠] والجملة الثالثة رواها أبو يعلى من حديث أنس أيضا وفيها زياد النميري ضعيف. [الجملة الثالثة ضعيفة، انظر ضعيف الجامع: ٢٩٩٧، ضعيف الترغيب: ٩٣]

(٣) صحيح: حديث «كل معروف فعلته إلى غني أو فقير صدقة». أخرجه الدارقطني فيه من حديث أبي سعيد وجابر والطبراني والخرائطي كلاهما في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود وابن منيع من حديث ابن عمر بإسنادين ضعيفين. [انظر صحيح الجامع: ٤٥٥٨، الصحيحة: ٢٠٤٠]

(٤) حديث جابر: بعث رسول الله ﷺ بعثا عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم .. الحديث» وفيه «إن الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت». أخرجه الدارقطني فيه من رواية أبي حمزة الحميري عن جابر ولا يعرف اسمه ولا حاله.

وقال ابن السماك: عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الأحرار بمعروفه. وسئل بعض الأعراب: من سيدكم؟ فقال: من احتمل شتمنا وأعطى سائلنا وأغضى عن جاهلنا. وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما: من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخيًا وإنما السخي من يبتدئ بحقوق الله تعالى في أهل طاعته ولا تنازعه نفسه إلى حب الشكر له إذا كان يقينه بثواب الله تعالى تامًا. وقيل للحسن البصري: ما السخاء؟ فقال: أن تجود بمالك في الله عز وجل. قيل: فما الحزم؟ قال: أن تمنع مالك فيه، قيل: فما الإسراف؟ قال: الإنفاق لحب الرئاسة. وقال جعفر الصادق رحمة الله عليه: لا مال أعون من العقل، ولا مصيبة أعظم من الجهل، ولا مظاهرة كالمشاورة. ألا وإن الله عز وجل يقول: إني جواد كريم لا يجاورني لئيم، واللؤم من الكفر وأهل الكفر في النار، والجود والكرم من الإيمان وأهل الإيمان في الجنة. وقال حذيفة رضي الله عنه: ربَّ فاجر في دينه أخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته. وروي أنَّ الأحنف بن قيس رأى رجلًا في يده درهم فقال: لمن هذا الدرهم؟ فقال: لي، فقال: أما إنه ليس لك حتى يخرج من يدك. وفي معناه قيل:

أنت للمالِ إذا أمسكته ... فإذا أنفقته فالمالُ لكْ

وسمي واصل بن عطاء: الغزال، لأنه كان يجلس إلى الغزالين؛ فإذا رأى امرأة ضعيفة أعطاها شيئًا. وقال الأصمعي: كتب الحسن بن علي إلى الحسين بن علي رضوان الله عليهم يعتب عليه في إعطاء الشعراء فكتب إليه: خير المال ما وقي به العرض. وقيل لسفيان بن عيينة: ما السخاء؟ قال: السخاء البر بالإخوان والجود بالمال. قال: وورث أبي خمسين ألف درهم فبعث بها صررًا إلى إخوانه. وقال: قد كنت أسأل الله تعالى لإخواني الجنة في صلاتي أفأبخل عليهم بالمال؟ وقال الحسن: بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود. وقيل لبعض الحكماء: من أحب الناس إليك؟ قال: من كثرت أياديه عندي، قيل: فإن لم يكن، قال: من كثرت أيادي عنده. وقال عبد العزيز بن مروان: إذا الرجل أمكنني من نفسه حتى أضع معروفي عنده فيده عندي مثل يدي عنده. وقال المهدي لشبيب بن شبة: كيف رأيت الناس في داري؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ الرجل منهم ليدخل راجيًا ويخرج راضيًا، وتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفر فقال:

إنَّ الصنيعة لا تكون صنيعة ... حتى يصابَ بها طريق المصنعِ

فإذا اصطنعت صنيعة فاعمد بها ... لله أو لذوي القرابة أو دعِ

فقال عبد الله بن جعفر: إن هذين البيتين ليبخلان الناس، ولكن أمطر المعروف مطرًا، فإن أصاب الكرام كانوا له أهلًا وإن أصاب اللئام كنت له أهلًا.

حكايات الأسخياء:

عن محمد بن المنكدر عن أم درّة، وكانت تخدم عائشة رضي الله عنها، قالت: إن معاوية بعث إليها بمال في غرارتين ثمانين ومائة ألف درهم، فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس، فلما أمست قالت يا جارية هلمي فطوري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها أم درة: ما استطعت

فيما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحمًا نفطر عليه؟ فقالت لو كنت ذكرتيني لفعلت.

وعن أبان بن عثمان قال: أراد رجل أن يضار عبيد الله بن عباس فأتى وجوه قريش فقال: يقول لكم عبيد الله تغدوا عندي اليوم، فأتوه حتى ملؤوا عليه الدار، فقال ما هذا؟ فأخبر الخبر، فأمر عبيد الله بشراء فاكهة، وأمر قومًا فطبخوا وخبزوا، وقدّمت الفاكهة إليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد فأكلوا حتى صدروا، فقال عبيد الله لوكلائه: أو موجود لنا هذا كل يوم؟ قالوا: نعم، قال: فليتغد عندنا هؤلاء في كل يوم.

وقال مصعب بن الزبير: حج معاوية فلما انصرف مرَّ بالمدينة، فقال الحسين بن علي لأخيه الحسن لا تلقه ولا تسلم عليه، فلما خرج معاوية، قال الحسن إن علينا دينًا فلا بدّ لنا من إتيانه فركب في أثره ولحقه فسلم عليه وأخبره بدينه، فمروا عليه ببختي عليه ثمانون ألف دينار وقد أعيا وتخلف عن الإبل وقوم يسوقونه، فقال معاوية: ما هذا؟ فذكر له، فقال: اصرفوه بما عليه إلى أبي محمد.

وعن واقد بن محمد الواقدي قال: حدثني أبي أنه رفع رقعة إلى المأمون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه، فوقع المأمون على ظهر رقعته إنك رجل اجتمع فيك خصلتان، السخاء والحياء، فأما السخاء فهو الذي أطلق ما في يديك، وأما الحياء فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ما أنت عليه، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم فإن كنت قد أصبت فازدد في بسط يدك، وإن لم أكن قد أصبت فجنايتك على نفسك. وأنت حدثتني وكنت على قضاء الرشيد؛ عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن أنس: أن النبي ﷺ قال للزبير بن العوام: «يا زُبَيْرُ اعْلَمْ أَنَّ مَفَاتِيحَ أَرْزَاقِ العِبَادِ بِإِزَاءِ العَرْشِ يَبْعَثُ الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ عَبْدٍ بِقَدْرِ نَفَقَتِهِ، فَمَنْ كَثَّرَ كَثَّرَ لَهُ، وَمَنْ قَلَّلَ قَلَّلَ لَهُ وَأَنْتَ أَعْلَمُ»[1]، قال الواقدي: فوالله لمذاكرة المأمون إياي بالحديث أحب إليَّ من الجائزة وهي مائة ألف درهم.

وسأل رجل الحسن بن علي رضي الله عنهما حاجة فقال له: يا هذا حق سؤالك إياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك تكبر علي، ويدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله، والكثير في ذات الله تعالى قليل، وما في ملكي وفاء لشكرك، فإن قبلت الميسور ورفعت عني مؤنة الاحتمال والاهتمام لما أتكلفه من واجب حقك فعلت، فقال: يا ابن رسول الله أقبل وأشكر العطية، وأعذر على المنع، فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال: هات الفضل من الثلاثمائة ألف درهم، فأحضر خمسين ألفًا قال: فما فعلت بالخمسمائة دينار؟ قال: هي عندي، قال أحضرها، فأحضرها فدفع الدنانير والدراهم إلى الرجل وقال: هات من يحملها لك، فأتاه بحمالين فدفع إليه الحسن رداءه لكراء الحمالين، فقال له مواليه: والله ما عندنا درهم فقال: أرجو أن يكون لي عند الله أجر عظيم.

---

(١) حديث أنس «يا زبير اعلم أن مفاتيح أرزاق العباد بإزاء العرش.. الحديث». وفي أوله قصة مع المأمون أخرجه الدارقطني فيه وفي إسناده الواقدي عن محمد بن إسحاق عن الزهري بالعنعنة ولا يصح.

واجتمع قرّاء البصرة إلى ابن عباس وهو عامل بالبصرة فقالوا: لنا جار صوّام قوّام يتمنى كل واحد منا أن يكون مثله، وقد زوّج ابنته من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به، فقام عبد الله بن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلها داره وفتح صندوقًا فأخرج منه ست بدر فقال: احملوا، فحملوا فقال ابن عباس: ما أنصفناه أعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه، ارجعوا بنا نكن أعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمنًا عن عبادة ربه، وما بنا من الكبر ما لا نخدم أولياء الله تعالى ففعل وفعلوا.

وحكي أنه لما أجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد أميرهم فقال: والله لأعلمنّ الشيطان أني عدوّه؛ فعال محاويجهم إلى أن رخصت الأسعار، ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم، فرهنهم بها حلي نسائه وقيمتها خمسمائة ألف ألف، فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب إليهم بيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم إلى من لم تنله صلاته.

وكان أبو طاهر بن كثير شيعيًا فقال له رجل: بحق علي بن أبي طالب لما وهبت لي نخلتك بموضع كذا وكذا، فقال: قد فعلت، وحقه لأعطينك ما يليها، وكان ذلك أضعاف ما طلب الرجل.

وكان أبو مرثد أحد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر: والله ما عندي ما أعطيك ولكن قدمني إلى القاضي وادع علي بعشرة آلاف درهم حتى أقرّ لك بها ثم احبسني، فإن أهلي لا يتركوني محبوسًا، ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع إليه عشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرثد من الحبس.

وكان معن بن زائدة عاملًا على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فأقام مدّة وأراد الدخول على معن فلم يتهيأ له فقال يومًا لبعض خدّام معن: إذا دخل الأمير البستان فعرّفني، فلما دخل الأمير البستان أعلمه، فكتب الشاعر بيتًا على خشبة وألقاها في الماء الذي يدخل البستان وكان معن على رأس الماء فلما بصر بالخشبة أخذها وقرأها فإذا مكتوب عليها:

أيا جود معن ناج معنًا بحاجتي ... فما لي إلى معنٍ سواك شفيعُ

فقال: من صاحب هذه؟ فدعي بالرجل، فقال له: كيف قلت؟ فقال له، فأمر له بعشر بدر، فأخذها ووضع الأمير الخشبة تحت بساطه، فلما كان اليوم الثاني أخرجها من تحت البساط وقرأها ودعا بالرجل فدفع إليه مائة ألف درهم، فلما أخذها الرجل تفكر وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج، فلما كان في اليوم الثالث قرأ ما فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن: حق علي أن أعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي ولا دينار.

وقال أبو الحسن المدائني: خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجًا ففاتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا، فمرّوا بعجوز في خباء لها فقالوا: هل من شراب؟ فقالت: نعم، فأناخوا إليها وليس لها إلا شويهة في كسر الخيمة فقالت: احلبوها وامتذقوا لبنها. ففعلوا ذلك ثم قالوا لها: هل من طعام؟ قالت: لا، إلا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيىء لكم ما

تأكلون، فقام إليها أحدهم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعامًا فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا لها: نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه، فإذا رجعنا سالمين فألمي بنا فإنا صانعون بك خيرًا ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال: ويلك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم، ثم تقولين نفر من قريش؟ قال: ثم بعد مدّة ألجأتهما الحاجة إلى دخول المدينة، فدخلاها وجعلا ينقلان البعر إليها ويبيعانه ويتعيشان بثمنه، فمرّت العجوز ببعض سكك المدينة، فإذا الحسن بن علي جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة، فبعث غلامه فدعا بالعجوز وقال لها: يا أمة الله أتعرفيني؟ قالت: لا، قال: أنا ضيفك يوم كذا ويوم كذا، فقالت العجوز: بأبي أنت وأمي أنت هو؟ قال: نعم. ثم أمر الحسن فاشتروا لها من شياه الصدقة ألف شاة، وأمر لها معها بألف دينار، وبعث بها مع غلامه إلى الحسين فقال لها الحسين: بكم وصلك أخي؟ قالت: بألف شاة وألف دينار، فأمر لها الحسين أيضًا بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر، فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين؟ قالت: بألفي شاة وألفي دينار، فأمر لها عبد الله بألفي شاة وألفي دينار، وقال لها: لو بدأت بي لأتعبتهما، فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار.

وخرج عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده، فقام إليه غلام من ثقيف فمشى إلى جانبه فقال له عبد الله: ألك حاجة يا غلام؟ قال: صلاحك وفلاحك رأيتك تمشي وحدك فقلت أقيك بنفسي وأعوذ بالله إن طار بجناحك مكروه، فأخذ عبد الله بيده ومشى معه إلى منزله، ثم دعا بألف دينار فدفعها إلى الغلام وقال: استنفق هذا فنعم ما أدبك أهلك.

وحكي أنّ قومًا من العرب جاؤوا إلى قبر بعض أسخيائهم للزيارة، فنزلوا عند قبره وباتوا عنده وقد كانوا جاؤوا من سفر بعيد؛ فرأى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له: هل لك أن تبادل بعيرك بنجيبي؟ وكان السخي الميت قد خلف نجيبًا معروفًا به، ولهذا الرجل بعير سمين، فقال له في النوم: نعم، فباعه في النوم بعيره بنجيبه، فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل إلى بعيره فنحره في النوم، فانتبه الرجل من نومه فإذا الدم يثج من نحر بعيره، فقام الرجل فنحره وقسم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم منه ثم رحلوا وساروا، فلما كان اليوم الثاني وهو في الطريق استقبلهم ركب، فقال رجل منهم: من فلان ابن فلان منكم؟ ، باسم ذلك الرجل ، فقال: أنا، فقال له: هل بعت من فلان ابن فلان شيئًا؟ وذكر الميت صاحب القبر، قال: نعم بعت بعيري بنجيبه في النوم، فقال: خذ هذا نجيبه، ثم قال: هو أبي وقد رأيته في النوم وهو يقول: إن كنت ابني فادفع نجيبي إلى فلان بن فلان وسماه.

وقدم رجل من قريش من السفر فمرّ برجل من الأعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر وأضر به المرض، فقال: يا هذا أعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه: ما بقي معك من النفقة فادفعه إليه، فصب الغلام في حجر الأعرابي أربعة آلاف درهم، فذهب لينهض فلم يقدر من

الضعف، فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما أعطيناك؟ قال: لا، ولكن ذكرت ما تأكل الأرض من كرمك فأبكاني.

واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن أبي معيط داره التي في السوق بتسعين ألف درهم، فلما كان الليل سمع بكاء أهل خالد فقال لأهله: ما لهؤلاء؟ قالوا: يبكون لدارهم، فقال: يا غلام ائتهم فأعلمهم أنّ المال والدار لهم جميعًا.

وقيل: بعث هارون الرشيد إلى مالك بن أنس رحمه الله بخمسمائة دينار؛ فبلغ ذلك الليث بن سعد فأنفذ إليه ألف دينار، فغضب هارون وقال: أعطيته خمسمائة وتعطيه ألفًا وأنت من رعيتي؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنّ لي من غلتي كل يوم ألف دينار؛ فاستحييت أن أعطي مثله أقل من دخل يوم. وحكي أنه لم تجب عليه الزكاة مع أنّ دخله كل يوم ألف دينار. وحكي أنّ امرأة سألت الليث بن سعد رحمة الله عليه شيئًا من عسل، فأمر لها بزق من عسل، فقيل له إنها كانت تقنع بدون هذا؟ فقال: إنها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر النعمة علينا. وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلاثمائة وستين مسكينًا.

وقال الأعمش: اشتكت شاة عندي فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسألني هل استوفت علفها؟ وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها؟ وكان تحتي لبد أجلس عليه فإذا خرج قال: خذ ما تحت اللبد، حتى وصل إليّ في علة الشاة أكثر من ثلاثمائة دينار من بره حتى تمنيت أن الشاة لم تبرأ.

وقال عبد الملك بن مروان لأسماء بن خارجة: بلغني عنك خصال فحدثني بها، فقال: هي من غيري أحسن منها مني، فقال: عزمت عليك إلا حدّثتني بها؟ فقال: يا أمير المؤمنين ما مددت رجلي بين يدي جليس لي قط، ولا صنعت طعامًا قط فدعوت عليه قومًا إلا كانوا أمن علي مني عليهم، ولا نصب لي رجل وجهه قط يسألني شيئًا فاستكثرت شيئًا أعطيته إياه.

ودخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلًا جوادًا فإذا لم يجد شيئًا كتب لمن سأله صكًا على نفسه حتى يخرج عطاؤه، فلما نظر إليه سليمان تمثل بهذا البيت فقال:

إني سمعت مع الصباح مناديًا ... يا من يعين على الفتى المعوانِ

ثم قال: ما حاجتك؟ قال: ديني. قال: وكم هو؟ قال: ثلاثون ألف دينار، قال: لك دينك ومثله.

وقيل: مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ إخوانه فقيل له: إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين، فقال: أخزى الله مالًا يمنع الإخوان من الزيارة، ثم أمر مناديًا فنادى من كان عليه لقيس بن سعد حق فهو منه بريء قال: فانكسرت درجته بالعشي لكثرة من زاره وعاده.

وعن أبي إسحاق قال: صليت الفجر في مسجد الأشعث بالكوفة أطلب غريمًا لي، فلما صليت وضع بين يدي حلة ونعلان، فقلت: لست من أهل هذا المسجد، فقالوا: إنّ الأشعث

ابن قيس الكندي قدم البارحة من مكة فأمر لكل من صلى في المسجد بحلة ونعلين.

وقال الشيخ أبو سعد الحركوشي النيسابوري رحمه الله: سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول: سمعت الشافعي المجاور بمكة يقول: كان بمصر رجل عرف بأن يجمع للفقراء شيئًا، فولد لبعضهم مولود قال: فجئت إليه وقلت له: ولد لي مولود وليس معي شيء فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح بشيء، فجاء إلى قبر رجل وجلس عنده وقال: رحمك الله كنت تفعل وتصنع وإني درت اليوم على جماعة فكلفتهم دفع شيء لمولود فلم يتفق لي شيء، قال: ثم قام وأخرج دينارًا وقسمه نصفين وناولني نصفه، وقال: هذا دين عليك إلى أن يفتح الله عليك بشيء، قال: فأخذته وانصرفت فأصلحت ما اتفق لي به قال: فرأى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال:

سمعت جميع ما قلت وليس لنا إذن في الجواب، ولكن احضر منزلي وقل لأولادي يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار فاحملها إلى هذا الرجل، فلما كان من الغد تقدّم إلى منزل الميت وقص عليهم القصة فقالوا له: اجلس. وحفروا الموضع وأخرجوا الدنانير وجاءوا بها فوضعوها بين يديه، فقال: هذا مالكم وليس لرؤياي حكم، فقالوا: هو يتسخى ميتًا ولا نتسخى نحن أحياء؟ فلما ألحوا عليه حمل الدنانير إلى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة، قال: فأخذ منها دينارًا فكسره نصفين فأعطاه النصف الذي أقرضه وحمل النصف الآخر، وقال: يكفيني هذا وتصدّق به على الفقراء، فقال أبو سعيد: فلا أدري أي هؤلاء أسخى؟

وروي أنّ الشافعي رحمه الله لما مرض مرض موته بمصر قال: مروا فلانًا يغسلني، فلما توفي بلغه خبر وفاته فحضر وقال: ائتوني بتذكرته، فأتي بها فنظر فيها فإذا على الشافعي سبعون ألف درهم دين، فكتبها على نفسه وقضاها عنه، وقال: هذا غسلي إياه؛ أي أراد به هذا. وقال أبو سعيد الواعظ الحركوشي: لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه، فرأيت جماعة من أحفاده وزرتهم فرأيت فيهم سيماء الخير وآثار الفضل فقلت بلغ أثره في الخير إليهم وظهرت بركته فيهم مستدلًا بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢] وقال الشافعي، رحمه الله: لا أزال أحب حماد بن أبي سليمان لشيء بلغني عنه أنه كان ذات يوم راكبًا حماره فحركه فانقطع زرّه، فمر على خياط فأراد أن ينزل إليه ليسوّي زرّه، فقال الخياط: والله لا نزلت فقام الخياط إليه فسوّى زرّه فأخرج إليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها إلى الخياط واعتذر إليه من قلتها، وأنشد الشافعي رحمه الله لنفسه:

يا لهفَ قلبي على مالٍ أجودُ به ... على المقلّين من أهل المروءاتِ
إنّ اعتذاري إلى من جاء يسألني ... ما ليس عندي لمن إحدى المصيباتِ

وعن الربيع بن سليمان قال: أخذ رجل بركاب الشافعي رحمه الله فقال: يا ربيع أعطه أربعة دنانير واعتذر إليه عني، وقال الربيع: سمعت الحميدي يقول: قدم الشافعي من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف دينار فضرب خباءه في موضع خارج عن مكة ونثرها على ثوب، ثم أقبل على كل

من دخل عليه يقبض له قبضة ويعطيه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شيء. وعن أبي ثور قال: أراد الشافعي الخروج إلى مكة ومعه مال، وكان قلما يمسك شيئًا من سماحته، فقلت له ينبغي أن تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك، قال فخرج ثم قدم علينا فسألته عن ذلك المال، فقال: ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني أن أشتريها لمعرفتي بأصلها وقد وقف أكثرها، ولكني بنيت بمنى مضربًا يكون لأصحابنا إذا حجوا أن ينزلوا فيه. وأنشد الشافعي رحمه الله لنفسه يقول:

أرى نفسي تتوقُ إلى أمورٍ ... يقصرُ دون مبلغهن مالي
فنفسي لا تطاوعني ببخلٍ ... ومالي لا يبلغني فعالي

وقال محمد بن عباد المهلبي: دخل أبي على المأمون فوصله بمائة ألف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فأخبر بذلك المأمون، فلما عاد إليه عاتبه المأمون في ذلك فقال: يا أمير المؤمنين منع الموجود سوء ظن بالمعبود، فوصله بمائة ألف أخرى.

وقام رجل إلى سعيد بن العاص فسأله فأمر له بمائة ألف درهم فبكى، فقال له سعيد: ما يبكيك؟ قال: ابكي على الأرض أن تأكل مثلك، فأمر له بمائة ألف أخرى.

ودخل أبو تمام على إبراهيم بن شكلة بأبيات امتدحه بها فوجده عليلًا فقبل منه المدحة وأمر حاجبه بنيله ما يصلحه، وقال: عسى أن أقوم من مرضي فأكافئه، فأقام شهرين فوحشه طول المقام فكتب إليه يقول:

إنّ حرامًا قبول مدحتنا ... وترك ما نرتجي من الصفدِ
كما الدراهم والدنانير في ... البيع حرامٌ إلا يدًا بيدِ

فلما وصل البيتان إلى إبراهيم قال لحاجبه: كم أقام بالباب؟ قال: شهرين، قال: أعطه ثلاثين ألفًا وجئني بدواة، فكتب إليه:

أعجلتنا فأتاك عاجل برّنا ... قلا ولو أمهلتنا لم نقللِ
فخذِ القليلَ وكن كأنك لم تقل ... ونقول نحن كأننا لم نفعلِ

وروي أنه كان لعثمان على طلحة رضي الله عنهما خمسون ألف درهم، فخرج عثمان يومًا إلى المسجد فقال له طلحة: قد تهيأ مالك فاقبضه، فقال: هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك. وقالت سعدى بنت عوف: دخلت على طلحة فرأيت منه ثقلًا فقلت له: مالك؟ فقال: اجتمع عندي مال وقد غمني، فقلت: وما يغمك ادع قومك؟ فقال: يا غلام علي بقومي، فقسمه فيهم فسألت الخادم كم كان؟ قال: أربعمائة ألف. وجاء أعرابي إلى طلحة فسأله وتقرّب إليه برحم فقال: إنّ هذه الرحم ما سألني بها أحد قبلك، إنّ لي أرضًا قد أعطاني بها عثمان ثلاثمائة ألف فإن شئت فاقبضها، وإن شئت بعتها من عثمان ودفعت إليك الثمن، فقال: الثمن، فباعها من عثمان ودفع إليه الثمن.

وقيل: بكى علي كرّم الله وجهه يومًا فقيل: ما يبكيك؟ فقال: لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام،

أخاف أن يكون الله قد أهانني.

وأتى رجل صديقًا له فدق عليه الباب فقال: ما جاء بك؟ قال: عليَّ أربعمائة درهم دين، فوزن أربعمائة درهم وأخرجها إليه وعاد يبكي، فقالت امرأته: لم أعطيته إذ شق عليك؟ فقال إنما أبكي لأني لم أتفقد حاله حتى احتاج إلى مفاتحتي، فرحم الله من هذه صفاتهم وغفر لهم أجمعين.

بيان ذم البخل:

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩] وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران:١٨٠] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء:٣٧] وقال ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ» (١)، وقال ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإِنَّهُ دَعَا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَسَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَدَعَاهُمْ فَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ وَدَعَاهُمْ فَقَطَعُوا أَرْحَامَهُمْ» (٢)، وقال ﷺ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ بَخِيلٌ ولا خَبٌّ ولاَ خَائِنٌ ولا سَيِّئُ المَلَكَةِ» (٣)، وفي رواية: «وَلاَ جَبَّارٌ» وفي رواية: «ولا منان».

وقال ﷺ: «ثَلاَثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ وَهَوًى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ المَرْءِ بِنَفْسِهِ» (٤)، وقال ﷺ: «إِنَّ الله يُبْغِضُ ثَلاَثَةً: الشَّيْخَ الزَّانِي، وَالبَخِيلَ المَنَّانَ، وَالمُعِيلَ المُخْتَالَ» (٥)، وقال ﷺ: «مَثَلُ

---

(١) صحيح: حديث «إياكم والشح .. الحديث». [انظر صحيح الترغيب: ٢٦٠٣] أخرجه مسلم من حديث جابر بلفظ «واتقوا الشح فإن الشح... الحديث» [مسلم: ٢٥٧٨] ولأبي داود والنسائي في الكبرى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو «إياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا».

(٢) صحيح: حديث «إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم». أخرجه الحاكم من حديث أبي هريرة بلفظ «حرماتهم» مكان «أرحامهم» وقال صحيح على شرط مسلم. [انظر صحيح الترغيب: ٢٢١٧ ، ٢٦٠٣]

(٣) ضعيف: حديث «لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيئ الملكة» وفي رواية «ولا جبار» وفي رواية «ولا منان». أخرجه أحمد والترمذي وحسنه من حديث أبي بكر واللفظ لأحمد دون قوله «ولا منان» فهي عند الترمذي [الترمذي: ١٩٦٣ ، وانظر ضعيف الجامع: ٦٣٣٩ ، ضعيف الترغيب: ١١٨٨ ، ١٥٥١] وله ولابن ماجه «لا يدخل الجنة سيئ الملكة». [الترمذي: ١٩٤٦ ، ابن ماجه: ٣٦٩١ ، وانظر ضعيف الجامع: ٦٣٤٠ ، ضعيف الترمذي]

(٤) حسن حديث «ثلاث مهلكات .. الحديث». تقدم في العلم. [انظر صحيح الجامع: ٣٠٣٩]

(٥) ضعيف: حديث «إن الله يبغض ثلاثا: الشيخ الزاني والبخيل المنان والفقير المختال». أخرجه الترمذي والنسائي من حديث أبي ذر دون قوله «البخيل المنان» وقال فيه «الغني الظلوم» [الترمذي: ٢٥٦٨ ، النسائي: ٢٥٧٠ ، وانظر ضعيف الجامع: ٢٦١٠، ضعيف الترغيب: ١١٣٨] وقد تقدم وللطبراني في الأوسط من حديث علي «إن الله ليبغض الغني الظلوم والشيخ الجهول والعائل المختال» بسند ضعيف. [انظر ضعيف الجامع: ١٦٩٠ ، ضعيف الترغيب: ١١٣٧]

المُنْفِقِ وَالبَخِيلِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ لَدُنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا المُنْفِقُ فلا يُنْفِقُ شَيْئًا إلا سَبَغَتْ أَوْ وَفَرَتْ عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ، وَأَمَّا البَخِيلُ فَلاَ يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلاَّ قَلَصَتْ وَلَزِمَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا حَتَّى أَخَذَتْ بِتَرَاقِيهِ فَهُوَ يُوَسِّعُهَا وَلاَ تَتَّسِعُ» (١).

وقال ﷺ: «خَصْلَتَانِ لا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ: البُخْلُ وَسُوءُ الخُلُقِ» (٢)، وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ» (٣)، وقال ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالفُحْشَ إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ الفَاحِشَ وَلا المُتَفَحِّشَ، وَإِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فإنما أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الشُّحُّ أَمَرَهُمْ بِالكَذِبِ فَكَذَبُوا وَأَمَرَهُمْ بِالظُّلْمِ فَظَلَمُوا وَأَمَرَهُمْ بِالقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا» (٤)، وقال ﷺ: «شَرُّ مَا فِي الرَّجُلِ شُحٌّ هَالِعٌ وَجُبْنٌ خَالِعٌ» (٥). وقتل شهيد على عهد رسول الله ﷺ فبكته باكية فقالت: واشهيداه فقال ﷺ: «وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّهُ شَهِيدٌ فَلَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيما لا يَعْنِيهِ أَوْ يَبْخَلُ بِمَا لا يَنْقُصُهُ» (٦)، وقال جبير بن مطعم: بينا نحن نسير مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقفلة من خيبر إذ علقت برسول الله ﷺ الأعراب يسألونه، حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه، فوقف ﷺ فقال: «أَعْطُونِي رِدَائِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هذِهِ العِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ثُمَّ لا تَجِدُونِي بَخِيلاً وَلاَ كَذَّابًا وَلاَ جَبَانًا» (٧).

---

(١) صحيح: حديث «مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد .. الحديث». متفق عليه من حديث أبي هريرة. [البخاري : ١٤٤٤ ، مسلم : ١٠٢١]

(٢) ضعيف: حديث «خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق». أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد وقال غريب. [الترمذي : ١٩٦٢ ، وانظر ضعيف الجامع : ٢٨٣٣ ، الضعيفة: ١١١٩]

(٣) صحيح: حديث «اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن .. الحديث». أخرجه البخاري من حديث سعد وتقدم في الأذكار. [البخاري: ٦٣٦٥]

(٤) صحيح دون قوله: «أمرهم بالكذب . . . فظلموا»: حديث «إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة .. الحديث». أخرجه الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو ودون قوله «أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا» قال عوضا عنهما «وبالبخل فبخلوا وبالفجور ففجروا» [انظر صحيح الترغيب: ٢٢١٧ ، ٢٦٠٤] وكذا رواه أبو داود على ذكر الشح [أبو داود : ١٦٩٨ ، وانظر صحيح الجامع : ٢٦٧٨ ، صحيح الترغيب: ٢٦٠٤] وقد تقدم قبله بسبعة أحاديث ولمسلم من حديث جابر «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح» فذكره بلفظ آخر ولم يذكر الفحش. [مسلم : ٢٥٧٨]

(٥) صحيح: حديث «شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع». أخرجه أبو داود من حديث جابر بسند جيد. [أبو داود : ٢٥١١ ، وانظر صحيح الجامع : ٣٧٠٩ ، صحيح الترغيب : ٢٦٠٥ ، الصحيحة : ٥٦٠]

(٦) صحيح لغيره: حديث «وما يدريك أنه شهيد فلعله كان يتكلم فيما لا يعنيه أو يبخل بما لا ينقصه». أخرجه أبو يعلى من حديث أبي هريرة بسند ضعيف [انظر صحيح الترغيب: ٢٨٨٤] وللبيهقي في الشعب من حديث أنس أن أمه قالت ليهنك الشهادة وهو عند الترمذي، إلا أن رجلا قال له: أبشر بالجنة. [الترمذي : ٢٣١٦ ، وانظر صحيح الترغيب : ٢٨٨٢]

(٧) صحيح: حديث جبير بن مطعم: بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقفلة من حنين إذ علقت برسول الله ﷺ الأعراب .. الحدث». أخرجه البخاري وتقدم في أخلاق النبوة. [البخاري : ٣١٤٨، السمرة : نوع من شجر الطلح ، والعِضَاه: شجر عظيم له شوك]

وقال عمر رضي الله عنه: قسم رسول الله ﷺ قسمًا فقلت: غير هؤلاء كان أحق به منهم؟ فقال: «إِنَّهُمْ يُخَيِّرُونِي بَيْنَ أَنْ يَسْأَلُونِي بِالفُحْشِ أَوْ يُبَخِّلُونِي وَلَسْتُ بِبَاخِلٍ»(١)، وقال أبو سعيد الخدري: دخل رجلان على رسول الله ﷺ فسألاه ثمن بعير فأعطاهما دينارين؛ فخرجا من عنده فلقيهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأثنيا وقالا معروفًا وشكرا ما صنع بهما، فدخل عمر على رسول الله ﷺ فأخبره بما قالا. فقال ﷺ: «لكِنْ فُلانٌ أَعْطَيْتُهُ ما بَيْنَ عَشَرَةٍ إِلَى مائَةٍ وَلَمْ يَقُلْ ذلِكَ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَسْأَلُنِي فَيَتَطَلَّقُ فِي مَسْأَلَتِهِ مُتَأَبِّطَها وَهِيَ نَارٌ»؛ فقال عمر: فلم تعطهم ما هو نار؟ فقال: «يَأْبَوْنَ إِلا أَنْ يَسْأَلُونِي وَيَأْبَى الله لِيَ البُخْلَ»(٢).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «الجُودُ مِنْ جُودِ الله تَعَالَى فَجُودُوا يَجُدِ الله لَكُمْ أَلا إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الجُودَ فَجَعَلَهُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ وَجَعَلَ رأسَهُ رَاسِخًا فِي أَصْلِ شَجَرَةِ طُوبَى، وَشَدَّ أَغْصَانَها بِأَغْصَانِ سِدْرَةِ المُنْتَهَى، وَدَلَّى بَعْضَ أَغْصَانِها إِلَى الدُّنْيَا، فَمَنْ تَعَلَّقَ بِغُصْنٍ مِنْها أَدْخَلَهُ الجَنَّةَ، ألا إِنَّ السَّخَاءَ مِنَ الإِيمَانِ، وَالإِيمَانُ فِي الجَنَّةِ. وَخَلَقَ البُخْلَ مِنْ مَقْتِهِ وَجَعَلَ رَأْسَهُ رَاسِخًا فِي أَصْلِ شَجَرَةِ الزَّقُومِ وَدَلَّى بَعْضَ أَغْصَانِها إِلَى الدُّنْيَا فَمَنْ تَعَلَّقَ بِغُصْنٍ مِنْهَا أَدْخَلَهُ النَّارَ، ألا إِنَّ البُخْلَ مِنَ الكُفْرِ وَالكُفْرُ فِي النَّارِ»(٣)، وقال ﷺ: «السَّخَاءُ شَجَرَةٌ تَنْبُتُ فِي الجَنَّةِ فَلا يَلِجُ الجَنَّةَ إِلاَّ سَخِيٌّ، وَالبُخْلُ شَجَرَةٌ تَنْبُتُ فِي النَّارِ فَلا يَلِجُ النَّارَ إِلاَّ بَخِيلٌ»(٤).

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ لِوَفْدِ بني لحيان: «مَنْ سَيِّدُكُمْ يا بَنِي لحيانَ؟» قالوا: سيدنا جدّ بن قيس إلا أنه رجل فيه بخل، فقال ﷺ: «وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَأُ مِنَ البُخْلِ وَلكِنْ سَيِّدُكُمْ عَمْرُو بْنُ الجَمُوحِ»(٥)، وفي رواية أنهم قالوا: سيدنا جدّ بن قيس، فقال: بم تسودونه؟» قالوا: إنه أكثر مالاً وإنا على ذلك لنرى منه البخل، فقال عليه السلام: «وأي داء أدوأ من البخل ليس ذلك سيدكم» قالوا: فمن سيدنا يا رسول الله؟ قالوا: «سيدكم بشر بن البراء» . وقال علي رضي

---

(١) صحيح: حديث عمر: قسم النبي ﷺ قسما .. الحديث. وفيه «ولست بباخل». أخرجه مسلم. [مسلم: ١٠٥٦]

(٢) صحيح: حديث أبي سعيد: في الرجلين اللذين أعطاهما رسول الله ﷺ دينارين فلقيهما عمر فأثنيا وقالا معروفا .. الحديث» وفيه «ويأبى الله لي البخل». رواه أحمد وأبو يعلى والبزار نحوه ولم يقل أحمد: إنهما سألاه ثمن بعير ورواه البزار من رواية أبي سعيد عن عمر ورجال أسانيدهم ثقات. [انظر صحيح الترغيب: ٨١٦، ٨٤٤ غاية المرام: ٤٦٣]

(٣) حديث ابن عباس «الجود من جود الله فجودوا يجد الله لكم .. الحديث». بطوله ذكره صاحب الفردوس ولم يخرجه ولده في مسنده ولم أقف له على إسناد.

(٤) ضعيف جدا: حديث «السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة إلا سخي .. الحديث». تقدم دون قوله «فلا يلج في الجنة» إلى آخره وذكره بهذه الزيادة صاحب الفردوس من حديث علي ولم يخرجه ولده في مسنده. [انظر ضعيف الجامع: ٣٣٤٠، الضعيفة: ٣٨٩٢]

(٥) صحيح: حديث أبي هريرة «من سيدكم يا بني لحيان؟» قالوا: سيدنا جد بن قيس .. الحديث». أخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم بلفظ «يا بني سلمة» «وقال سيدكم بشر بن البراء» وأما الرواية التي قال فيها «سيدكم عمرو بن الجموح» فرواها الطبراني في الصغير من حديث كعب بن مالك بإسناد حسن. [انظر صحيح الأدب المفرد: ٢٩٦]

الله عنه: قال رسول الله ﷺ «إنَّ الله يُبْغِضُ البَخِيلَ فِي حَيَاتِهِ السَّخِيَّ عِنْدَ مَوْتِهِ» (١)، وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ «السَّخِيُّ الجَهُولُ أَحَبُّ إِلَى الله مِنَ العَابِدِ البَخِيلِ» (٢)، وقال أيضًا: قال ﷺ «الشُّحُّ وَالإِيمَانُ لا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ» (٣)، وقال أيضًا: «خَصْلَتَانِ لا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ: البُخْلُ وَسُوءُ الخُلُقِ» (٤)، وقال ﷺ «لا يَنْبَغِي لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَكُونَ بَخِيلاً وَلا جَبَانًا» (٥)، وقال ﷺ «يَقُولُ قَائِلُكُمْ: الشَّحِيحُ أَعْذَرُ مِنَ الظَّالِمِ وَأَيُّ ظُلْمٍ أَظْلَمُ عِنْدَ الله مِنَ الشُّحِّ، حَلَفَ الله تَعَالَى بِعِزَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ وَجَلالِهِ لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ شَحِيحٌ وَلاَ بَخِيلٌ» (٦).

وروي أن رسول الله ﷺ كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي ذنبي فقال ﷺ «وَمَا ذَنْبُكَ صِفْهُ لِي؟» فقال: هو أعظم من أن أصفه لك فقال: «وَيْحَكَ ذَنْبُكَ أَعْظَمُ أَمِ الأَرَضُونَ؟» فقال: بلى ذنبي أعظم يا رسول الله، قال: «فَذَنْبُكَ أَعْظَمُ أَمِ الجِبَالُ؟» قال: بل ذنبي أعظم يا رسول الله، قال: «فَذَنْبُكَ أَعْظَمُ أَمِ البِحَارُ؟» قال: بل ذنبي أعظم يا رسول الله، قال: «فَذَنْبُكَ أَعْظَمُ أَمِ السَّمواتُ؟» قال: بل ذنبي أعظم يا رسول الله، قال: «فَذَنْبُكَ أَعْظَمُ أَمِ العَرْشُ؟» قال: بل ذنبي أعظم يا رسول الله، قال: «فَذَنْبُكَ أَعْظَمُ أَمِ الله؟» قال: بل الله أعظم وأعلى، قال: «وَيْحَكَ فَصِفْ لِي ذَنْبَكَ» قال: يا رسول الله إني رجل ذو ثروة من المال وإنّ السائل ليأتيني يسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من نار، فقال ﷺ «إِلَيْكَ عَنِّي لا تَحْرِقْنِي بِنَارِكَ فَوَالَّذِي بَعَثَنِي بِالهِدَايَةِ وَالكَرَامَةِ لَوْ قُمْتَ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالمَقَامِ ثُمَّ صَلَّيْتَ أَلْفَيْ أَلْفِ عَامٍ ثُمَّ بَكَيْتَ حَتَّى تَجْرِيَ مِنْ دُمُوعِكَ الأَنْهَارُ وَتُسْقَى بِهَا الأَشْجَارُ ثُمَّ مِتَّ وَأَنْتَ لَئِيمٌ لأَكَبَّكَ الله فِي النَّارِ، وَيْحَكَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ البُخْلَ كُفْرٌ وَأَنَّ الكُفْرَ فِي النَّارِ، وَيْحَكَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الله تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [محمد:٣٨]، ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن:١٦]» (٧).

---

(١) ضعيف: حديث علي «إن الله ليبغض البخيل في حياته السخي عند موته». ذكره صاحب الفردوس ولم يخرجه ولده في مسنده ولم أجد له إسنادا. [انظر ضعيف الجامع : ١٦٨٦]

(٢) ضعيف جدًا: حديث أبي هريرة «السخي الجهول أحب إلى الله من العابد البخيل». أخرجه الترمذي بلفظ «ولجاهل سخي» وهو بقية حديث «إن السخي قريب من الله» وقد تقدم. [الترمذي : ١٩٦١ ، وانظر صحيح الترغيب : ١٥٥٥، المشكاة : ١٨٦٩]

(٣) صحيح: حديث أبي هريرة «لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد». أخرجه النسائي وفي إسناده اختلاف. [النسائي : ٣١١٠ ، وانظر صحيح الجامع : ٧٦١٦ ، صحيح الأدب المفرد : ٢٨١]

(٤) حديث «خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق». أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد وقد تقدم. [انظر ضعيف الجامع : ٢٨٣٣]

(٥) حديث «لا ينبغي لمؤمن أن يكون جبانا ولا بخيلا». لم أره بهذا اللفظ.

(٦) موضوع: حديث «يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأي ظلم أظلم عند الله من الشح .. الحديث» وفيه «لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل». لم أجده بتمامه وللترمذي من حديث أبي بكر «لا يدخل الجنة بخيل» وقد تقدم. [الترمذي : ١٩٦٣ ، وانظر ضعيف الجامع : ٤٠٩٠ ، الضعيفة : ٦٧٣]

(٧) لا أصل له: حديث: كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي .. الحديث» في ذم البخل وفيه قال: «إليك عني لا تحرقني بنارك .. الحديث». بطوله وهو باطل لا أصل له.

الآثار: قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما خلق الله جنة عدن قال لها: تزيني فتزينت، ثم قال لها: أظهري أنهارك فأظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان أنهار الخمر وأنهار العسل واللبن، ثم قال لها: أظهري سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك وحور عينك فأظهرت، فنظر إليها فقال: تكلمي، فقالت: طوبى لمن دخلني، فقال الله تعالى: وعزتي لا أسكنك بخيلًا. وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز: أف للبخيل لو كان البخل قميصًا ما لبسته ولو كان طريقًا ما سلكته. وقال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: إنا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء لكننا نتصبر. وقال محمد بن المنكدر: كان يقال إذا أراد الله بقوم شرًا أمر الله عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدي بخلائهم. وقال علي كرّم الله وجهه في خطبته: إنه سيأتي على الناس زمان عضوض يعض الموسر على ما في يده ولم يؤمر بذلك. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة:٢٣٧] وقال عبد الله بن عمرو: الشح أشد من البخل لأن الشحيح هو الذي يشح على ما في يد غيره حتى يأخذه ويشح بما في يده فيحبسه، والبخيل هو الذي يبخل بما في يده. وقال الشعبي: لا أدري أيهما أبعد غورًا في نار جهنم البخل أو الكذب؟ وقيل: ورد على أنوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي: تكلم، فقال: خير الناس من ألفى سخيًا وعند الغضب وقورًا وفي القول متأنيًا وفي الرفعة متواضعًا وعلى كل ذي رحم مشفقًا. وقام الرومي فقال: من كان بخيلًا ورث عدوّه ماله ومن قلّ شكره لم ينل النجاح وأهل الكذب مذمومون وأهل النميمة يموتون فقراء ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه. وقال الضحاك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ [يس:٨] قال: البخل، أمسك الله تعالى أيديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى.

وقال كعب: ما من صباح إلا وقد وكل به ملكان يناديان اللهم عجل لممسك تلفًا وعجل لمنفق خلفًا. وقال الأصمعي: سمعت أعرابيًا وقد وصف رجلًا فقال: لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينه، وكأنما يرى السائل ملك الموت إذا أتاه. وقال أبو حنيفة رحمه الله: لا أرى أن أعدل بخيلًا لأن البخل يحمله على الاستقصاء فيأخذ فوق حقه خيفة من أن يغبن، فمن كان هكذا لا يكون مأمون الأمانة. وقال علي كرّم الله وجهه: والله ما استقصى كريم قط حقه. قال الله تعالى: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ [التحريم:٣] وقال الجاحظ: ما بقي من اللذات إلا ثلاث ذم البخلاء، وأكل القديد، وحك الجرب. وقال بشر بن الحارث: البخيل لا غيبة له. قال النبي ﷺ: «إِنَّكَ إِذًا لَبَخِيلٌ».

ومدحت امرأة عند رسول الله ﷺ فقالوا: صوّامة قوامة إلا أنّ فيها بخلًا قال: «فَمَا خَيْرُهَا إِذًا»(١)، وقال بشر: النظر إلى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين. وقال يحيى بن معاذ: ما في القلب للأسخياء إلا حب ولو كانوا فجارًا، وللبخلاء إلا بغض ولو

(١) حديث: مدحت امرأة عند النبي ﷺ فقالوا: صوامة قوامة إلا أن فيها بخلا..الحديث». تقدم في آفات اللسان.

كانوا أبرارًا. وقال ابن المعتز: أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه. ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام إبليس في صورته فقال له: يا إبليس أخبرني بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك قال: أحب الناس إلي المؤمن البخيل، وأبغض الناس إلي الفاسق السخي، قال له: لم؟ قال: لأن البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي أتخوف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله، ثم ولى وهو يقول لولا أنك يحيى لما أخبرتك.

حكايات البخلاء:

قيل: كان بالبصرة رجل موسر بخيل، فدعاه بعض جيرانه وقدّم إليه طباهجة ببيض فأكل منه فأكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت، فجعل يتلوّى فلما جهده الأمر وصف حاله للطبيب فقال: لا بأس عليك، تقيأ ما أكلت، فقال: هاه أتقيأ طباهجة ببيض؟ الموت ولا ذلك.

وقيل: أقبل أعرابي يطلب رجلًا، وبين يديه تين فغطى التين بكسائه، فجلس الأعرابي فقال له الرجل: هل تحسن من القرآن شيئًا؟ قال: نعم، فقرأ ﴿... وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝﴾ [التين: ١-٢] فقال: وأين التين؟ قال: هو تحت كسائك.

ودعا بعضهم أخًا له ولم يطعمه شيئًا، فحبسه إلى العصر حتى اشتد جوعه وأخذه مثل الجنون، فأخذ صاحب البيت العود وقال له: بحياتي أي صوت تشتهي أن أسمعك؟ قال: صوت المقلى.

ويحكى أن محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلًا قبيح البخل، فسئل نسيب له كان يعرفه عنه فقال له قائل: صف لي مائدته فقال: هي فتر في فتر، وصحافة منقورة من حب الخشخاش، قيل فمن يحضرها؟ قال: الكرام الكاتبون قال: فما يأكل معه أحد؟ قال: بلى الذباب، فقال: سوأتك بدت وأنت خاص به وثوبك مخرق، قال أنا والله ما أقدر على إبرة أخيطه بها، ولو ملك محمد بيتًا من بغداد إلى النوبة مملوءًا إبرًا، ثم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي عليه السلام يطلبون منه إبرة ويسألونه إعارتهم إياها ليخيط بها قميص يوسف الذي قُدَّ من دُبُر ما فعل.

ويقال كان مروان بن أبي حفصة لا يأكل اللحم بخلًا حتى يقرم إليه فإذا قرم إليه أرسل غلامه فاشترى له رأسًا فأكله فقيل له:

نراك لا تأكل إلا الرؤوس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك؟ قال: نعم الرأس أعرف سعره فآمن خيانة الغلام ولا يستطيع أن يغبنني فيه، وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه، إن مس عينًا أو أذنًا أو خدًّا وقفت على ذلك، وآكل منه ألوانًا، عينه لونًا، وأذنه لونًا، ولسانه لونًا، وغلصمته لونًا، ودماغه لونًا، وأكفى مؤونة طبخه؛ فقد اجتمعت لي فيه مرافق. وخرج يومًا يريد الخليفة المهدي فقالت له امرأة من أهله: ما لي عليك إن رجعت بالجائزة؟ فقال: إن أعطيت مائة ألف أعطيتك درهمًا فأعطي ستين ألفًا فأعطاها أربعة دوانق. واشترى مرّة لحمًا بدرهم

فدعاه صديق له فرد اللحم إلى القصاب بنقصان دانق وقال: أكره الإسراف. وكان للأعمش جار وكان لا يزال يعرض عليه المنزل ويقول: لو دخلت فأكلت كسرة وملحًا فيأبى عليه الأعمش، فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الأعمش فقال: سر بنا، فدخل منزله فقرب إليه كسرة وملحًا، فجاء سائل فقال له رب المنزل: بورك فيك، فأعاد عليه المسألة فقال له بورك فيك، فلما سأل الثالثة قال له اذهب والله وإلا خرجت إليك بالعصا قال فناداه الأعمش وقال اذهب ويحك فلا والله ما رأيت أحدًا أصدق مواعيد منه هو منذ مدّة يدعوني على كسرة وملح فوالله ما زادني عليهما.

بيان الإيثار وفضله:

اعلم أن السخاء والبخل كل منهما ينقسم إلى درجات. فأرفع درجات السخاء الإيثار، وهو أن يجود بالمال مع الحاجة. وإنما السخاء عبارة عن بذل ما لا يحتاج إليه لمحتاج أو لغير محتاج، والبذل مع الحاجة أشدّ. وكما أن السخاوة قد تنتهي إلى أن يسخو الإنسان على غيره مع الحاجة فالبخل قد ينتهي إلى أن يبخل على نفسه مع الحاجة، فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى، ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها إلا البخل بالثمن؛ ولو وجدها مجانًا لأكلها. فهذا بخيل على نفسه مع الحاجة؛ وذلك يؤثر على نفسه غيره مع أنه محتاج إليه. فانظر ما بين الرجلين؟ فإن الأخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الإيثار درجة في السخاء، وقد أثنى الله على الصحابة رضي الله عنهم به فقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]

وقال النبي ﷺ: «أَيُّمَا امْرِئٍ اشْتَهَى شَهْوَةً فَرَدَّ شَهْوَتَهُ وَآثَرَ عَلَى نَفْسِهِ غُفِرَ لَهُ» (١)، «وقالت عائشة رضي الله عنها ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا، ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا» (٢).

ونزل برسول الله ﷺ ضيف فلم يجد عند أهله شيئًا، فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب بالضيف إلى أهله، ثم وضع بين يديه الطعام وأمر امرأته بإطفاء السراج، وجعل يمدّ يده إلى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل، حتى أكل الضيف، فلما أصبح قال له رسول الله ﷺ: «لَقَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمُ اللَّيْلَةَ إِلَى ضَيْفِكُمْ»، ونزلت ﴿وَيُؤْثِرُونَ

---

(١) ضعيف: حديث «أيما رجل اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له». أخرجه ابن حبان في الضعفاء وأبو الشيخ في الثواب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد تقدم. [انظر ضعيف الجامع: ٥٤٣٩، الضعيفة: ١٠٦]

(٢) منكر بهذا اللفظ حديث عائشة: ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متواليات ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا. أخرجه البيهقي في الشعب بلفظ: ولكنه كان يؤثر على نفسه. [انظر ضعيف الترغيب: ١٨٩٨] وأول الحديث عند مسلم بلفظ: ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله. [مسلم: ٢٩٧٠] وللشيخين: ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة ثلاثة ليال تباعا حتى قبض. زاد مسلم: من طعام. [البخاري: ٦٤٥٤، مسلم: ٢٩٧٠]

عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ﴾ [الحشر :٩][(١)] فالسخاء خلق من أخلاق الله تعالى؛ والإيثار أعلى درجات السخاء. وكان ذلك من أدب رسول الله ﷺ حتى سماه الله تعالى عظيمًا فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم :٤] وقال سهل بن عبد الله التستري: قال موسى عليه السلام: يا رب أرني بعض درجات محمد ﷺ وأمته فقال: يا موسى إنك لن تطيق ذلك، ولكن أريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي، قال: فكشف له عن ملكوت السموات فنظر إلى منزلة كادت تتلف نفسه من أنوارها وقربها من الله تعالى، فقال: يا رب بماذا بلغت به إلى هذه الكرامة؟ قال: بخلق اختصصته به من بينهم وهو الإيثار، يا موسى لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتًا من عمره إلا استحييت من محاسبته، وبوّأته من جنتي حيث يشاء.

وقيل: خرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه؛ إذ أتى الغلام بقوته، فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى إليه الغلام بقرص فأكله، ثم رمى إليه الثاني والثالث فأكله، وعبد الله ينظر إليه فقال: يا غلام كم قوتك كل يوم؟ قال: ما رأيت قال: فلم آثرت به هذا الكلب؟ قال ماهي بأرض كلاب، إنه جاء من مسافة بعيدة جائعًا فكرهت أن أشبع وهو جائع قال: فما أنت صانع اليوم؟ قال: أطوي يومي هذا، فقال عبد الله بن جعفر: ألام على السخاء إنّ هذا الغلام لأسخى مني، فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات فأعتق الغلام ووهبه منه.

وقال عمر رضي الله عنه: أهدي إلى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال: إن أخي كان أحوج مني إليه فبعث به إليه، فلم يزل واحد يبعث به إلى آخر حتى تداوله سبعة أبيات ورجع إلى الأوّل.

وبات علي كرم الله وجهه على فراش رسول الله ﷺ فأوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام: إني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟

فاختارا كلاهما الحياة وأحباها؛ فأوحى الله عز وجل إليهما أفلا كنتما كمثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين نبيي محمد ﷺ فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة؟ اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوّه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل عليه السلام يقول: بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب والله تعالى يباهي بك الملائكة فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [البقرة :٢٠٧][(٢)].

---

(١) حديث: نزل برسول الله ﷺ ضيف فلم يجد عند أهله شيئا فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب بالضيف إلى أهله .. الحديث. في نزول قوله ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ﴾ [الحشر :٩] متفق عليه من حديث أبي هريرة. [البخاري : ٣٧٩٨ ، مسلم : ٢٠٥٤]

(٢) موضوع : حديث: بات علي على فراش رسول الله ﷺ فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل إني آخيت بينكما

وعن أبي الحسن الأنطاكي: أنه اجتمع عنده نيف وثلاثون نفسًا ، وكانوا في قرية بقرب الريّ ، ولهم أرغفة معدودة لم تشبع جميعهم، فكسروا الرغفان وأطفؤوا السراج وجلسوا للطعام، فلما رفع فإذا الطعام بحاله ولم يأكل أحد منه شيئًا إيثارًا لصاحبه على نفسه.

وروي أن شعبة جاءه سائل وليس عنده شيء؛ فنزع خشبة من سقف بيته فأعطاه ثم اعتذر إليه.

وقال حذيفة العدوي: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعي شيء من ماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه، فإذا أنا به فقلت: أسقيك؟ فأشار إلي أن نعم، فإذا رجل يقول: آه... فأشار ابن عمي إلى أن انطلق به إليه، فجئته فإذا هو هشام بن العاص فقلت: أسقيك؟ فسمع به آخر فقال: آه... فأشار هشام انطلق به إليه، فجئته فإذا هو قد مات فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات رحمة الله عليهم أجمعين.

وقال عباس بن دهقان: ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها إلا بشر بن الحارث فإنه أتاه رجل في مرضه فشكا إليه الحاجة فنزع قميصه وأعطاه إياه، واستعار ثوبًا فمات فيه.

وعن بعض الصوفية قال: كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا إلى باب الجهاد، فتبعنا كلب من البلد، فلما بلغنا ظاهر الباب إذا نحن بدابة ميتة فصعدنا إلى موضع عال وقعدنا. فلما نظر الكلب إلى الميتة رجع إلى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبًا، فجاء إلى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب في الميتة، فما زالت تأكلها وذلك الكلب قاعد ينظر إليها حتى أكلت الميتة وبقي العظم ورجعت الكلاب إلى البلد، فقام ذلك الكلب وجاء إلى تلك العظام فأكل مما بقي عليها قليلًا ثم انصرف.

وقد ذكرنا جملة من أخبار الإيثار وأحوال الأولياء في كتاب الفقر والزهد فلا حاجة إلى الإعادة ههنا، وبالله التوفيق وعليه التوكل فيما يرضيه عز وجل.

بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما:

لعلك تقول: قد عرف بشواهد الشرع أن البخل من المهلكات، ولكن ما حدّ البخل وبماذا يصير الإنسان بخيلًا؟ وما من إنسان إلا وهو يرى نفسه سخيًا وربما يراه غيره بخيلًا، وقد يصدر فعل من إنسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم: هذا بخل ويقول آخرون ليس هذا من البخل. وما من إنسان إلا ويجد من نفسه حبًا للمال ولأجله يحفظ المال ويمسكه، فإن كان يصير بإمساك المال بخيلًا فإذًا لا ينفك أحد عن البخل. وإذا كان الإمساك مطلقًا لا يوجب البخل، ولا معنى للبخل إلا الإمساك فما البخل الذي يوجب الهلاك؟ وما حدّ السخاء الذي يستحق به العبد صفة

وجعلت عمر أحد كما أطول من عمر الآخر .. الحديث. في نزول فأنزل الله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[البقرة:٢٠٧] [انظر الضعيفة: ٤٩٤٦] أخرجه أحمد مختصرا من حديث ابن عباس: شرى على نفسه فلبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه... الحديث. وليس فيه ذكر جبريل وميكائيل ولم أقف لهذه الزيادة على أصل، وفيه أبو بلج مختلف فيه، والحديث منكر.

السخاوة وثوابها؟ فنقول: قد قال قائلون حدّ البخل منع الواجب، فكل من أدى ما يجب عليه فليس ببخيل، وهذا غير كاف؛ فإن من يرد اللحم مثلًا إلى القصاب والخبز للخباز بنقصان حبة أو نصف حبة فإنه يعدّ بخيلًا بالاتفاق. وكذلك من يسلم إلى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم في لقمة ازدادوها عليه أو تمرة أكلوها من ماله يعد بخيلًا. ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن أنه يأكل معه فأخفاه عنه عدّ بخيلًا. وقال قائلون: البخيل هو الذي يستصعب العطية، وهو أيضًا قاصر، فإنه إن أريد به أنه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها، ويستصعب ما فوق ذلك؟ وإن أريد به أنه يستصعب بعض العطايا فما من جواد إلا وقد يستصعب بعض العطايا؟ وهو ما يستغرق جميع ماله أو المال العظيم. فهذا لا يوجب الحكم بالبخل. وكذلك تكلموا في الجود، فقيل الجود عطاء بلا منّ وإسعاف من غير روية. وقيل: الجود عطاء من غير مسألة على رؤية التقليل. وقيل: الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما أمكن. وقيل: الجود عطاء على رؤية أن المال لله تعالى والعبد لله عز وجل فيعطي عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر. وقيل: من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء، ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئًا فهو صاحب جود، ومن قاسى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب إيثار، ومن لم يبذل شيئًا فهو صاحب بخل.

وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة الجود والبخل، بل نقول: المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق، ويمكن إمساكه عن الصرف إلى ما خلق للصرف إليه، ويمكن بذله بالصرف إلا ما لا يحسن الصرف إليه، ويمكن التصرف فيه بالعدل، وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ، ويبذل حيث يجب البذل، فالإمساك حيث يجب البذل بخل، والبذل حيث يجب الإمساك تبذير.

وبينهما وسط وهو المحمود وينبغي أن يكون السخاء والجود عبارة عنه؛ إذ لم يؤمر رسول الله ﷺ إلا بالسخاء، وقد قيل له: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء:٢٩] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:٦٧] . فالجود وسط بين الإسراف والإقتار وبين البسط والقبض، وهو أن يقدر بذله وإمساكه بقدر الواجب، ولا يكفي أن يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبًا به غير منازع له فيه. فإن بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخ وليس بسخي، بل ينبغي أن لا يكون لقلبه علاقة مع المال إلا من حيث يراد المال له وهو صرفه إلى ما يجب صرفه إليه.

فإن قلت: فقد صار هذا موقوفًا على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله؟.

فأقول: إن الواجب قسمان: واجب بالشرع، وواجب بالمروءة والعادة. والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروءة، فإن منع واحدًا منهما فهو بخيل، ولكن الذي يمنع واجب الشرع أبخل كالذي يمنع أداء الزكاة ويمنع عياله وأهله النفقة، أو يؤديها ولكنه يشق

عليه، فإنه بخيل بالطبع، وإنما يتسخى بالتكلف، أو الذي يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب قلبه أن يعطي من أطيب ماله، أو من وسطه، فهذا كله بخل.

وأما واجب المروءة فهو ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات، فإن ذلك مستقبح، واستقباح ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص. فمن كثر ماله استقبح منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة، ويستقبح من الرجل المضايقة مع أهله وأقاربه ومماليكه ما لا يستقبح مع الأجانب، ويستقبح من الجار ما لايستقبح مع البعيد، ويستقبح في الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح في المعاملة، فيختلف ذلك بما فيه من المضايقة في ضيافة أو معاملة وبما به المضايقة من طعام أو ثوب، إذ يستقبح في الأطعمة ما لا يستقبح في غيرها، ويستقبح في شراء الكفن مثلاً أو شراء الأضحية أو شراء خبز الصدقة ما لا يستقبح في غيره من المضايقة. وكذلك بمن معه المضايقة من صديق أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولد أو أجنبي. وبمن منه المضايقة من صبي أو امرأة أو شيخ أو شاب أو عالم أو جاهل أو موسر أو فقير. فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي أن لا يمنع إما بحكم الشرع وإما بحكم المروءة، وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره. ولعل حد البخل هو إمساك المال عن غرض، ذلك الغرض هو أهم من حفظ المال، فإنّ صيانة الدين أهم من حفظ المال، فمانع الزكاة والنفقة بخيل. وصيانة المروءة أهم من حفظ المال، والمضايق في الدقائق مع من لا تحسن المضايقة معه هاتك ستر المروءة لحب المال فهو بخيل.

ثم تبقى درجة أخرى، وهي أن يكون الرجل ممن يؤدي الواجب ويحفظ المروءة ولكن معه مال كثير قد جمعه ليس يصرفه إلى الصدقات وإلى المحتاجين، فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدّة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعًا لدرجاته في الآخرة، وإمساك المال عن هذا الغرض بخل عند الأكياس وليس ببخل عند عوام الخلق، وذلك لأن نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون إمساكه لدفع نوائب الزمان مهمًا، وربما يظهر عند العوام أيضًا سمة البخل عليه إن كان في جواره محتاج فمنعه، وقال: قد أديت الزكاة الواجبة وليس علي غيرها. ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله، وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاح دينه واستحقاقه. فمن أدى واجب الشرع وواجب المروءة اللائقة به فقد تبرأ من البخل. نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات، فإذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا تتوجه إليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير.

ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس أجود من بعض، فاصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة والمروءة هو الجود، ولكن بشرط أن يكون عن طيب نفس ولا يكون طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء فإن من طمع في الشكر والثناء فهو بياع وليس بجواد، فإنه يشتري المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه، والجود هو بذل الشيء من غير عوض. هذا هو الحقيقة ولا يتصوّر ذلك إلا من الله تعالى، وأما الآدمي فاسم الجود عليه مجاز إذ لا يبذل

الشيء إلا لغرض، ولكنه إذا لم يكن غرضه إلا الثواب في الآخرة أو اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادًا، فإن كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلًا أو من ملامة الخلق أو ما يتوقعه من نفع يناله من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود، لأنه مضطر إليه بهذه البواعث، وهي أعواض معجلة له عليه فهو معتاض لا جواد، كما روي عن بعض المتعبدات أنها وقفت على حبان بن هلال وهو جالس مع أصحابه فقالت: هل فيكم من أسأله عن مسألة؟ فقالوا لها: سلي عما شئت ، وأشاروا إلى حبان بن هلال ، فقالت: ما السخاء عندكم؟ قالوا: العطاء والبذل والإيثار، قالت: هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين؟ قالوا: أن نعبد الله سبحانه سخية بها أنفسنا غير مكرهة، قالت: فتريدون على ذلك أجرًا؟ قالوا: نعم، قالت: ولم؟ قالوا: لأن الله تعالى وعدنا بالحسنة عشر أمثالها، قالت: سبحان الله فإذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرة فبأي شيء تسخيتم عليه؟ قالوا لها: فما السخاء عندك يرحمك الله؟ قالت: السخاء عندي أن تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك أجرًا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء ألا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئًا بشيء؟ إن هذا في الدنيا لقبيح، وقالت بعض المتعبدات: أتحسبون أن السخاء في الدرهم والدينار فقط؟ قيل: ففيم؟ قالت: السخاء عندي في المهج. وقال المحاسبي: السخاء في الدين أن تسخو بنفسك تتلفها لله عز وجل ويسخو قلبك ببذل مهجتك وإهراق دمك لله تعالى بسماحة من غير إكراه، ولا تريد بذلك ثوابًا عاجلًا ولا آجلًا، وإن كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على ظنك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله، حتى يكون مولاك هو الذي يفعل لك ما لا تحسن أن تختار لنفسك.

بيان علاج البخل:

اعلم أن البخل سببه حب المال. ولحب المال سببان:

أحدهما: حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل، فإن الإنسان لو علم أنه يموت بعد يوم ربما أنه كان لا يبخل بماله، إذ القدر الذي يحتاج إليه في يوم أو في شهر أو في سنة قريب، وإن كان قصير الأمل ولكن كان له أولاد أقام الولد مقام طول الأمل، فإنه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لأجلهم. ولذلك قال عليه السلام: «الوَلَدُ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ مَجْهَلَةٌ» (١)، فإذا انضاف إلى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوي البخل لا محالة.

السبب الثاني: أن يحب عين المال؛ فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره إذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته وتفضل آلاف وهو شيخ بلا ولد ومعه أموال كثيرة ولا تسمح نفسه بإخراج الزكاة ولا بمداواة نفسه عند المرض بل صار محبًا للدنانير عاشقًا لها يلتذ بوجودها في

---

(١) صحيح: حديث «الولد مبخلة..». زاد في رواية «محزنة» ابن ماجه من حديث يعلى بن مرة دون قوله «محزنة» [ابن ماجه : ٣٦٦٦] رواه بهذه الزيادة أبو يعلى والبزار من حديث أبي سعيد والحاكم من حديث الأسود ابن خلف وإسناده صحيح. [انظر صحيح الجامع : ١٩٨٩ ، ١٩٩٠]

يده وبقدرته عليها، فيكنزها تحت الأرض وهو يعلم أنه يموت فتضيع أو يأخذها أعداؤه، ومع هذا فلا تسمح نفسه بأن يأكل أو يتصدق منها بحبة واحدة، وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج لا سيما في كبر السن، وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه. ومثال صاحبه: مثال رجل عشق شخصًا فأحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله، فإن الدنانير رسول يبلغ إلى الحاجات فصارت محبوبة لذلك، لأن الموصل إلى اللذيذ لذيذ، ثم قد تنسى الحاجات ويصير الذهب عنده كأنه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال، بل من رأى بينه وبين الحجر فرقًا فهو جاهل إلا من حيث قضاء حاجته به، فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة. فهذه أسباب حب المال.

وإنما علاج كل علة بمضادة سببها، فتعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر، وتعالج طول الأمل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الأقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم، وتعالج التفات القلب إلى الولد بأن خالقه خلق معه رزقه، وكم من ولد ولم يرث من أبيه مالًا وحاله أحسن ممن ورث؟ وبأن يعلم أنه يجمع المال لولده يريد أن يترك ولده بخير وينقلب هو إلى شر، وأن ولده إن كان تقيًا صالحًا فالله كافيه، وإن كان فاسقًا فيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته إليه. ويعالج أيضًا قلبه بكثرة التأمل في الأخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله به على البخل من العقاب العظيم. ومن الأدوية النافعة: كثرة التأمل في أحوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم له، فإنه ما من بخيل إلا ويستقبح البخل من غيره، ويستثقل كل بخيل من أصحابه، فيعلم أنه مستثقل ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه. ويعالج أيضًا قلبه بأن يتفكر في مقاصد المال، وأنه لماذا خلق؟ ولا يحفظ من المال إلا بقدر حاجته إليه والباقي يدخره لنفسه في الآخرة بأن يحصل له ثواب بذله. فهذه الأدوية من جهة المعرفة والعلم، فإذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الإمساك في الدنيا والآخرة هاجت رغبته في البذل إن كان عاقلًا، فإن تحركت الشهوة فينبغي أن يجيب الخاطر الأول ولا يتوقف، فإن الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه.

حكي أنّ أبا الحسن البوشنجي كان ذات يوم في الخلاء فدعا تلميذًا له وقال: انزع عني القميص وادفعه إلى فلان، فقال: هلا صبرت حتى تخرج؟ قال: لم آمن على نفسي أن تتغير، وكان قد خطر لي بذله ولا تزول صفة البخل إلا بالبذل تكلفًا كما لا يزول العشق إلا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقرّه؛ حتى إذا سافر وفارق تكلفًا وصبر عنه مدّة تسلى عنه قلبه، فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي أن يفارق المال تكلفًا بأن يبذله، بل لو رماه في الماء كان أولى به من إمساكه إياه مع الحب له. ومن لطائف الحيل فيه أن يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء، فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعًا في حشمة الجود، فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث الرياء، ولكن ينعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه، ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال، كما يسلى

الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا ليخلى واللعب، ولكن لينفك عن الثدي إليه، ثم ينقل عنه إلى غيره، فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي أن يسلط بعضها على بعض كما تسلط الشهوة على الغضب وتكسر سورته بها، ويسلط الغضب على الشهوة وتكسر رعونتها به، إلا أن هذا مفيد في حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء، فيبذل الأقوى بالأضعف، فإن كان الجاه محبوبًا عنده كالمال فلا فائدة فيه فإنه يقلع من علة ويزيد في أخرى مثلها، إلا أن علامة ذلك أن لا يثقل عليه البذل لأجل الرياء، فلذلك يتبين أن الرياء أغلب عليه، فإن كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي أن يبذل فإن ذلك يدل على أن مرض البخل أغلب على قلبه.

ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال إن الميت تستحيل جميع أجزائه دودًا ثم يأكل بعض الديدان البعض، حتى يقل عددها ثم يأكل بعضها بعضًا حتى ترجع إلى اثنتين قويتين عظيمتين، ثم لا تزالان تتقاتلان إلى أن تغلب إحداهما الأخرى فتأكلها وتسمن بها، ثم لا تزال تبقى جائعة وحدها إلى أن تموت، فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن أن يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها، ويجعل الأضعف قوتًا للأقوى إلى أن لا يبقى إلا واحدة، ثم تقع العناية بمحوها وإذابتها بالمجاهدة وهو منع القوت عنها. ومنع القوت عن الصفات أن لا يعمل بمقتضاها، فإنها تقتضي لا محالة أعمالًا، وإذا خولفت خمدت الصفات وماتت. مثل البخل فإنه يقتضي إمساك المال فإذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد أخرى ماتت صفة البخل وصار البذل طبعًا وسقط التعب فيه، فإن علاج البخل بعلم وعمل، فالعلم يرجع إلى معرفة آفة البخل وفائدة الجود، والعمل يرجع إلى الجود والبذل على سبيل التكلف، ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمى ويصم فيمنع تحقق المعرفة فيه، وإذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة مزمنة، كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء وإمكان استعماله فإنه لا حيلة فيه إلا الصبر إلى الموت.

وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية في معالجة علة البخل في المريدين أن يمنعهم من الاختصاص بزواياهم. وكان إذا توهم في مريد فرحه بزاويته وما فيها، نقله إلى زاوية غيرها، ونقل زاوية غيره إليه وأخرجه عن جميع ما ملكه، وإذا رآه يلتفت إلى ثوب جديد يلبسه أو سجادة يفرح بها يأمره بتسليمها إلى غيره ويلبسه ثوبًا خلقًا لا يميل إليه قلبه.

فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا. فمن لم يسلك هذا السبيل أنس بالدنيا وأحبها، فإن كان له ألف متاع كان له ألف محبوب، ولذلك إذا سرق كل واحد منه ألمت به مصيبة بقدر حبه له، فإذا مات نزل به ألف مصيبة دفعة واحدة لأنه كان يحب الكل وقد سلب عنه، بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقد والهلاك.

حمل إلى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظير، ففرح الملك بذلك فرحًا شديدًا فقال لبعض الحكماء عنده: كيف ترى هذا؟ قال: أراه مصيبة أو فقرًا، قال: كيف؟

قال: إن كسر كان مصيبة لا جبر لها وإن سرق صرت فقيرًا إليه ولم تجد مثله، وقد كنت قبل أن يحمل إليك في أمن من المصيبة والفقر، ثم اتفق يومًا أن كسر أو سرق وعظمت مصيبة الملك عليه فقال: صدق الحكيم ليته لم يحمل إلينا وهذا شأن جميع أسباب الدنيا فإن الدنيا عدوة لأعداء الله إذ تسوقهم إلى النار، وعدوّة أولياء الله إذ تغمهم بالصبر عنها، وعدوّة الله إذ تقطع طريقه على عباده، وعدوّه نفسها، فإن المال لا يحفظ إلا بالخزائن والحراس. والخزائن والحراس لا يمكن تحصيلها إلا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير، فالمال يأكل نفسه ويضادّ ذاته حتى يفنى، ومن عرف آفة المال لم يأنس به ولم يفرح به ولم يأخذ منه إلا بقدر حاجته، ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لأن ما أمسكه لحاجته فليس ببخل، ولا يحتاج إليه، فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله، بل هو كالماء على شط الدجلة إذ لا يبخل به أحد لقناعة الناس منه بمقدار الحاجة.

بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله:

اعلم أن المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه. ومثاله مثال حية يأخذها الراقي ويستخرج منها الترياق، ويأخذها الغافل فيقتله سمها من حيث لا يدري ولا يخلو أحد عن سم المال إلا بالمحافظة على خمس وظائف:

الأولى: أن يعرف مقصود المال وأنه لماذا خلق وأنه لم يحتج إليه حتى يكتسب ولا يحفظ إلا قدر الحاجة، ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه.

الثانية: أن يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض، وما الغالب عليه الحرام كمال السلطان، ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروءة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة، وكالسؤال الذي فيه الذلة وهتك المروءة وما يجري مجراه.

الثالثة: في المقدار الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل، بل القدر الواجب ومعياره الحاجة، والحاجة ملبس ومسكن ومطعم. ولكل واحد ثلاث درجات: أدنى، وأوسط، وأعلى. وما دام مائلًا إلى جانب القلة ومتقرّبا من حد الضرورة كان محقًّا ويجيء من جملة المحقين، وإن جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر لعمقها. وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد.

الرابعة: أن يراعي جهة المخرج ويقتصد في الإنفاق غير مبذر ولا مقتر كما ذكرناه، فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه، فإن الإثم في الأخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء.

الخامسة: أن يصلح نيته في الأخذ والترك والإنفاق والإمساك، فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة، ويترك ما يترك زهدًا فيه واستحقارًا له إذا فعل ذلك لم يضره وجود المال، ولذلك قال علي رضي الله عنه: لو أنّ رجلًا أخذ جميع ما في الأرض وأراد به وجه الله تعالى فهو زاهد، ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى فليس بزاهد. فلتكن جميع حركاتك وسكناتك

لله مقصورة على عبادة أو ما يعين على العبادة، فإن أبعد الحركات عن العبادة الأكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة، فإذا كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة في حقك. وكذلك ينبغي أن تكون نيتك في كل ما يحفظك من قميص وإزار وفراش وآنية، لأن كل ذلك مما يحتاج إليه في الدين، وما فضل من الحاجة ينبغي أن يقصد به أن ينتفع به عبد من عباد الله ولا يمنعه منه عند حاجته، فمن فعل ذلك فهو الذي أخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا تضره كثرة المال، ولكن لا يتأتى ذلك إلا لمن رسخ في الدين قدمه وعظم فيه علمه. والعامي إذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال وزعم أنه يشبه أغنياء الصحابة شابه الصبي الذي يرى المعزم الحاذق يأخذ الحية ويتصرف فيها فيخرج ترياقها فيقتدي به، ويظن أنه أخذها مستحسنًا صورتها وشكلها ومستلينا جلدها، فيأخذها اقتداء به فتقتله في الحال، إلا أنّ قتيل الحية يدري أنه قتيل، وقتيل المال قد لا يعرف. وقد شبهت الدنيا بالحية فقيل:

هي دنيا كحية تنفث السمّ وإنْ كانت المجسة لانت

وكما يستحيل أن يتشبه الأعمى بالبصير في تخطي قلل الجبال وأطراف البحر والطرق المشوكة فمحال أن يتشبه العامي بالعالم الكامل في تناول المال.

بيان ذم الغنى ومدح الفقر:

اعلم أن الناس قد اختلفوا في تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر ـ وقد أوردنا ذلك في كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ـ ولكنا في هذا الكتاب ندل على أن الفقر أفضل وأعلى من الغنى على الجملة من غير التفات إلى تفصيل الأحوال، ونقتصر فيه على حكاية فصل ذكره الحارث المحاسبي رضي الله عنه في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من الأغنياء، حيث احتج بأغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم، والمحاسبي رحمه الله حبر الأمة في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال وأغوار العبادات، وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه. وقد قال بعد كلام له في الرد على علماء السوء: بلغنا أنّ عيسى ابن مريم عليه السلام قال: يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدّقون ولا تفعلون ما تؤمرون، وتدرسون ما لا تعلمون فيا سوء ما تحكمون، تتوبون بالقول والأماني وتعملون بالهوى، وما يغني عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة، بحق أقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة؛ كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم؛ يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته؟ بحق أقول لكم إن قلوبكم تبكي من أعمالكم، جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم؛ بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة؛ فأي الناس أخسر منكم لو تعلمون؟ ويلكم حتام تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محل المتحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم، مهلا مهلًا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش

مظلم؟ كذلك لا يغني عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة متعطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام؛ توشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم، ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلمكم إلى الملك الديان عراة فرادى، فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم. ثم قال الحارث رحمه الله: إخواني فهؤلاء علماء السوء شياطين الإنس وفتنة على الناس، رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة، وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين، وفي الآخرة هم الخاسرون أو يعفو الكريم بفضله.

وبعد: فإني رأيت الهالك المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص، فيتفجر عنه أنواع الهموم وفنون المعاصي وإلى البوار والتلف مصيره، فرح الهالك برجائه فلم تبق له دنياه ولم يسلم له دينه: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج:١١] فيا لها من مصيبة ما أفظعها ورزية ما أجلها، ألا فراقبوا الله إخواني ولا يغرّنكم الشيطان وأولياؤه من الآنسين بالحجج الداحضة عند الله، فإنهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لأنفسهم المعاذير والحجج، ويزعمون أنّ أصحاب رسول الله ﷺ كانت لهم أموال فيتزين المغرورون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال، ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون. ويحك أيها المفتون إنّ احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك فتهلك لأنك متى زعمت أنّ أخيار الصحابة أرادوا المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم، ومتى زعمت أنّ جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه فقد ازدريت محمدًا والمرسلين؟ ونسبتهم إلى قلة الرغبة والزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه أنت وأصحابك من جمع المال، ونسبتهم إلى الجهل إذ لم يجمعوا المال كما جمعت، ومتى زعمت أنّ جمع المال الحلال أعلى من تركه، فقد زعمت أنّ رسول الله ﷺ لم ينصح للأمة إذ نهاهم عن جمع المال [(١)] وقد علم أنّ جمع المال خير للأمة؟ فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال، كذبت ورب السماء على رسول الله ﷺ فلقد كان للأمة ناصحًا وعليهم مشفقًا وبهم رؤوفًا. ومتى زعمت أنّ جمع المال أفضل فقد زعمت أنّ الله عز وجل لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أنّ جمع المال خير لهم؟ أو زعمت أنّ الله تعالى لم يعلم أن الفضل في الجمع فلذلك نهاهم عنه، وأنت عليم بما في المال من الخير والفضل لذلك رغبت في الاستكثار كأنك أعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهلك أيها المفتون؟ تدبر بعقلك ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك ما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن

---

(١) ضعيف: حديث: النهي عن جمع المال. أخرجه ابن عدي من حديث ابن مسعود «ما أوحى الله إلي أن أجمع المال وأكون من التاجرين... الحديث» ولأبي نعيم والخطيب في التاريخ والبيهقي في الزهد من حديث الحارث بن سويد في أثناء الحديث «لا تجمعوا ما لا تأكلون» وكلاهما ضعيف. [انظر ضعيف الجامع : ٤٢٨١ ، ضعيف الترغيب : ١٩٥٣]

ابن عوف وقد ودَّ عبد الرحمن بن عوف في القيامة أنه لم يؤت من الدنيا إلا قوتًا؟.

ولقد بلغني أنه لما توفي عبد الرحمن بـــن عوف رضي الله عنه قال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ: إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب: سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبًا وأنفق طيبًا وترك طيبًا فبلغ ذلك أبا ذرّ فخرج مغضبًا يريد كعبًا فمر بعظم لحي بعير فأخذه بيده ثم انطلق يريد كعبًا، فقيل لكعب: إن أبا ذرّ يطلبك، فخرج هاربًا حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر، وأقبل أبو ذرّ يقص الأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان، فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربًا من أبي ذرّ، فقال له أبو ذرّ: هيه يا ابن اليهودية تزعم أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف، ولقد خرج رسول الله ﷺ يومًا نحو أحد وأنا معه فقال «يا أبا ذر» فقلت: لبيك يا رسول الله فقال: «الأَكْثَرُونَ هُمُ الأَقَلُّونَ يَوْمَ القِيامَةِ إلا مَنْ قَالَ هكَذَا وَهكَذَا عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَقُدَّامَهُ وَخَلْفَهُ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ» ثم قال: «يَا أَبا ذَرّ» قلت: نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي، قال: «ما يَسُرُّني أَنْ لِي مِثْلَ أُحُدٍ أُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ الله أَمُوتُ يَوْمَ أَمُوتُ وَأَتْرُكُ مِنْهُ قِيرَاطَيْنِ» قلت: أو قنطارين يا رسول الله؟ قال: «بل قيراطان» ثم قال: «يا أبا ذَرّ أَنْتَ تُرِيدُ الأَكْثَرَ وَأَنَا أُرِيدُ الأَقَلَّ» (١)، فرسول الله ﷺ يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف؟ كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه خوفًا حتى خرج.

وبلغنا أن عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة، فقالت عائشة رضي الله عنها: ما هذا؟ قيل: عير قدمت لعبد الرحمن، قالت: صدق الله ورسوله ﷺ، فبلغ ذلك عبد الرحمن فسألها فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنِّي رَأَيْتُ الجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فُقَرَاءَ المُهَاجِرِينَ وَالمُسْلِمِينَ يَدْخُلُونَ سَعْيًا، وَلَمْ أَرَ أَحَدًا مِنَ الأَغْنِيَاءِ يَدْخُلُها مَعَهُمْ إلا عَبْدَ الرَّحْمنِ بْنَ عَوْفٍ يَدْخُلُها مَعَهُمْ حَبْوًا» (٢)، فقال عبد الرحمن: إن العير وما عليها في سبيل الله، وإن أرقاءها أحرار لعلي أدخلها معهم سعيًا.

وبلغنا أن النبي ﷺ قال لعبد الرحمن بن عوف: «أَمَا إِنَّكَ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أَغْنِياءِ

---

(١) صحيح: حديث أبي ذر «الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا .. الحديث». متفق عليه [البخاري : ٦٤٤٤ ، مسلم : ٩٤] وقد تقدم دون هذه الزيادة التي في أوله من قول كعب حين مات عبد الرحمن بن عوف: كسب طيبا وترك طيبا. وإنكار أبي ذر عليه، فلم أقف على هذه الزيادة إلا في قول الحارث بن أسد المحاسبي بلغني كما ذكره المصنف، وقد رواها أحمد وأبو يعلى أخصر من هذا ولفظ كعب: إذا كان قضى عنه حق الله فلا بأس به، فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعبا وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول ما أحب لو كان هذا الجبل لي ذهبا... الحديث. وفيه ابن لهيعة. [وهو صحيح ، وانظر المشكاة : ١٨٨٢]

(٢) منكر: حديث عائشة «إني رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيا، ولم أر أحدا من الأغنياء يدخلها معهم إلا عبد الرحمن بن عوف يدخلها معهم حبوا». رواه أحمد مختصرا في كون عبد الرحمن يدخل حبوا دون ذكر فقراء المهاجرين والمسلمين، وفيه عمارة بن زاذان مختلف فيه. [انظر الضعيفة : ٥٣٤٦ ، ١٧٧٢]

أُمَّتِي وَمَا كِدْتَ أَنْ تَدْخُلَهَا إِلاَّ حَبْوًا» (١).

ويحك أيها المفتون، فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وتقواه وصنائعه المعروف وبذله الأموال في سبيل الله مع صحبته لرسول الله ﷺ وبشراه بالجنة (٢) أيضًا يوقف في عرصات القيامة وأهوالها بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف، وأنفق منه قصدًا، وأعطى في سبيل الله سمحًا، منع من السعي إلى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو في آثارهم حبوًا؟ فما ظنك بأمثالنا الغرقى في فتن الدنيا؟ وبعد: فالعجب كل العجب لك يا مفتون تتمرّغ في تخاليط الشبهات والسحت، وتتكالب على أوساخ الناس، وتتقلب في الشهوات والزينة والمباهاة، وتتقلب في فتن الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن وتزعم أنك إن جمعت المال فقد جمعه الصحابة كأنك أشبهت السلف وفعلهم؟ ويحك إن هذا من قياس إبليس ومن فتياه لأوليائه وسأصف لك أحوالك وأحوال السلف لتعرف فضائحك وفضل الصحابة. ولعمري لقد كان لبعض الصحابة أموال أرادوها للتعفف والبذل في سبيل الله، فكسبوا حلالًا وأكلوا طيبًا وأنفقوا قصدًا، وقدموا فضلًا، ولم يمنعوا منها حقًّا، ولم يبخلوا بها، لكنهم جادوا لله بأكثرها، وجاد بعضهم بجميعها، وفي الشدة آثروا الله على أنفسهم كثيرًا، فبالله أكذلك أنت؟ والله إنك لبعيد الشبه بالقوم.

وبعد: فإن أخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين، ومن خوف الفقر آمنين، وبالله في أرزاقهم واثقين، وبمقادير الله مسرورين، وفي البلاء راضين، وفي الرخاء شاكرين، وفي الضراء صابرين، وفي السراء حامدين، وكانوا لله متواضعين، وعن حب العلو والتكاثر ورعين. لم ينالوا من الدنيا إلا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهرتها. فبالله أكذلك أنت؟.

ولقد بلغنا أنهم كانوا إذا أقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا: ذنب عجلت عقوبته من الله، وإذا رأوا الفقر مقبلًا قالوا: مرحبًا بشعار الصالحين. وبلغنا أن بعضهم كان إذا أصبح وعند عياله شيء أصبح كئيبًا حزينًا، وإذا لم يكن عندهم شيء أصبح فرحًا مسرورًا، فقيل له: إن الناس إذا لم يكن عندهم شيء حزنوا، وإذا كان عندهم شيء فرحوا، وأنت لست كذلك قال: إني إذا أصبحت وليس عند عيالي شيء فرحت إذ كان لي برسول الله ﷺ أسوة، وإذا كان عند عيالي شيء اغتممت إذ لم يكن لي بآل محمد أسوة. وبلغنا أنهم كانوا إذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا

---

(١) ضعيف: حديث: أنه قال «أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتي وما كدت تدخلها إلا حبوا». أخرجه البزار من حديث أنس بسند ضعيف والحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف «يا ابن عوف إنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفا» وقال صحيح الإسناد قلت: بل ضعيف فيه خالد بن أبي مالك ضعفه الجمهور. [انظر الضعيفة : ١٧٧٢]

(٢) صحيح: حديث: بشر النبي ﷺ عبد الرحمن بن عوف بالجنة. أخرجه الترمذي والنسائي في الكبرى من حديثه «أبو بكر في الجنة... الحديث» وفيه «وعبد الرحمن بن عوف في الجنة» [الترمذي : ٣٧٤٧ ، وانظر صحيح الجامع : ٥٠] وهو عند الأربعة من حديث سعيد بن زيد قال البخاري والترمذي وهذا أصح. [أبو داود : ٤٦٤٩ ، وابن ماجه : ١٣٣ ، وانظر صحيح الجامع : ٤٠١٠ ، المشكاة : ٦١٠٩]

وأشفقوا وقالوا: ما لنا وللدنيا وما يراد بها فكأنهم على جناح خوف، وإذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا: الآن تعاهدنا ربنا. فهذه أحوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل أكثر مما وصفنا. فبالله أكذلك أنت؟ إنك لبعيد الشبه بالقوم.

وسأصف لك أحوالك أيها المفتون ضدًّا لأحوالهم، وذلك أنك تطغى عند الغنى، وتبطر عند الرخاء، وتمرح عند السراء، وتغفل عن شكر ذي النعماء، وتقنط عند الضراء، وتتسخط عند البلاء، ولا ترضى بالقضاء. نعم وتبغض الفقر وتأنف من المسكنة؛ وذلك فخر المرسلين وأنت تأنف من فخرهم. وأنت تدّخر المال وتجمعه خوفًا من الفقر وذلك من سوء الظنّ بالله عز وجل وقلة اليقين بضمانه، وكفى به إثمًا، وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها. ولقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «شِرَارُ أُمَّتِي الَّذِينَ غُذُّوا بِالنَّعِيمِ فَرَبَتْ عَلَيْهِ أَجْسَامُهُمْ»(١)، وبلغنا أنّ بعض أهل العلم قال: ليجيء يوم القيامة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾[الأحقاف:٢٠] وأنت في غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا فيا لها حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة في الدنيا، وقد بلغنا أنه من طلب الدنيا للتكاثر أو للتفاخر لقي الله وهو عليه غضبان، وأنت غير مكترث بما حل بك من غضب ربك حين أردت التكاثر والعلو نعم وعساك المكث في الدنيا أحب إليك من النقلة إلى جوار الله، فأنت تكره لقاء الله والله للقائك أكره، وأنت في غفلة وعساك تأسف على ما فاتك من عرض الدنيا؛ وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَسِفَ عَلَى دُنْيَا فَاتَتْهُ اقْتَرَبَ مِنَ النَّارِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ. وَقِيلَ سَنَةٍ». وأنت تأسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله. نعم ولعلك تخرج من دينك أحيانًا لتوفير دنياك وتفرح بإقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورًا بها، وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَسُرَّ بِهَا ذَهَبَ خَوْفُ الآخِرَةِ مِنْ قَلْبِهِ»(٢)، وبلغنا أنّ بعض أهل العلم قال: إنك تحاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا، وتحاسب بفرحك في الدنيا إذا قدرت عليها وأنت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى، وعساك تعني بأمور دنياك أضعاف ما تعني بأمور آخرتك، وعساك ترى مصيبتك في معاصيك أهون من مصيبتك في انتقاص دنياك، نعم وخوفك من ذهاب مالك أكثر من خوفك من الذنوب، وعساك تبذل للناس ما جمعت من الأوساخ كلها للعلو والرفعة في الدنيا، وعساك ترضي المخلوقين مساخطًا لله تعالى كيما تكرم وتعظم. ويحك فكأن احتقار الله تعالى لك في القيامة أهون عليك من احتقار الناس إياك، وعساك تخفي من المخلوقين

---

(١) حسن لغيره: حديث «شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم .. الحديث». تقدم ذكره في أوائل كتاب ذم البخل عند الحديث الرابع منه «من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة سنة». [انظر صحيح الترمذي : ٢١٤٧ ، الصحيحة : ١٨٩١]

(٢) حديث «من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه». لم أجده إلا بلاغا للحارث بن أسد المحاسبي كما ذكره المصنف عنه.

مساوئك ولا تكترث باطلاع الله عليك فيها فكأن الفضيحة عند الله أهون عليك من الفضيحة عند الناس، فكأن العبيد أعلى عندك قدرًا من الله، تعالى الله عن جهلك فكيف تنطق عند ذوي الألباب وهذه المثالب فيك؟ أف لك متلوثًا بالأقذار وتحتج بمال الأبرار؟ هيهات هيهات ما أبعدك عن السلف الأخيار، والله لقد بلغني أنهم كانوا فيما أحل لهم أزهد منكم فيما حرّم عليكم، إن الذي لا بأس به عندكم كان من الموبقات عندهم، وكانوا للزلة الصغيرة أشدّ استعظامًا منكم لكبائر المعاصي، فليت أطيب مالك وأحله مثل شبهات أموالهم؟ وليتك أشفقت من سيئاتك كما أشفقوا على حسناتهم أن لا تقبل؟ ليت صومك على مثال إفطارهم؟ وليت اجتهادك في العبادة مثل فتورهم ونومهم؟ وليت جميع حسناتك مثل واحدة من سيئاتهم. وقد بلغني عن بعض الصحابة أنه قال: غنيمة الصدّيقين ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم ما زوي عنهم منها، فمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة، فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت؟ فريق خيار الصحابة في العلو عند الله وفريق أمثالكم في السفالة، أو يعفو الله الكريم بفضله.

وبعد: فإنك إن زعمت أنك متأس بالصحابة بجمع المال للتعفف والبذل في سبيل الله فتدبر أمرك، ويحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم؟ أو تحسب أنك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا، لقد بلغني أن بعض الصحابة قال: كنا ندع سبعين بابًا من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام، أفتطمع من نفسك في مثل هذا الاحتياط؟ لا ورب الكعبة ما أحسبك كذلك ويحك كن على يقين أن جمع المال لأعمال البر مكر من الشيطان ليوقعك بسبب البر في اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام، وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «من اجترأ على الشبهات أوشك أن يقع في الحرام»[1]، أيها المغرور، أما علمت أنّ خوفك من اقتحام الشبهات أعلى وأفضل وأعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات، وبذلها في سبيل الله وسبيل البر؟ بلغنا ذلك عن بعض أهل العلم قال: لأن تدع درهمًا واحدًا مخافة أن لا يكون حلالًا خير لك من أن تتصدّق بألف دينار من شبهة لا تدري أيحل لك أم لا؟ فإن زعمت أنك أتقى وأورع من أن تتلبس بالشبهات وإنما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله ويحك إن كنت كما زعمت بالغًا في الورع فلا تتعرّض للحساب، فإن خيار الصحابة خافوا المسألة، وبلغنا أن بعض الصحابة قال: ما سرني أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وأنفقها في طاعة الله ولم يشغلني الكسب عن صلاة الجمعة، قالوا: ولم ذاك رحمك الله؟ قال: لأني غني عن مقام يوم القيامة فيقول: عبدي من أين اكتسبت وفي أي شيء أنفقت؟ فهولاء المتقون كانوا في جدّة الإسلام والحلال موجود لديهم، تركوا المال وجلًا من الحساب مخافة أن لا يقوم خير المال بشره، وأنت بغاية الأمن والحلال في

---

(١) صحيح: حديث «من اجترأ على الشبهات أوشك أن يقع في الحرام». متفق عليه من حديث النعمان بن بشير نحوه وقد تقدم في كتاب الحلال والحرام أول الحديث. [البخاري: ٥٣، مسلم: ١٥٩٩]

دهرك مفقود. تتكالب على الأوساخ ثم تزعم أنك تجمع المال من الحلال، ويحك أين الحلال فتجمعه؟.

وبعد: فلو كان الحلال موجودًا لديك أما تخاف أن يتغير عند الغنى قلبك، وقد بلغنا أن بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة أن يفسد قلبه! أفتطمع أن يكون قلبك أنقى من قلوب الصحابة فلا يزول عن شيء من الخلق في أمرك وأحوالك! لئن ظننت ذلك لقد أحسنت الظن بنفسك الأمّارة بالسوء، ويحك إني لك ناصح أرى لك أن تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لأعمال البر ولا تتعرض للحساب، فإنه بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ» (١)، وقال عليه السلام: «يُؤْتَى بِرَجُلٍ يَوْمَ القِيَامَةِ وَقَدْ جَمَعَ مَالًا مِنْ حَرَامٍ وَأَنْفَقَهُ فِي حَرَامٍ فَيُقَالُ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ، وَيُؤْتَى بِرَجُلٍ قَدْ جَمَعَ مالًا مِنْ حَلالٍ وَأَنْفَقَهُ فِي حَرَامٍ فَيُقَالُ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ، وَيُؤْتَى بِرَجُلٍ قَدْ جَمَعَ مالًا مِنْ حَرَامٍ وَأَنْفَقَهُ فِي حَلالٍ فَيُقَالُ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ، وَيُؤْتَى بِرَجُلٍ قَدْ جَمَعَ مالًا مِنْ حَلالٍ وَأَنْفَقَهُ فِي حَلالٍ فَيُقَالُ لَهُ: قِفْ لَعَلَّكَ قَصَّرْتَ فِي طَلَبِ هذا بِشَيْءٍ مِمَّا فَرَضْتُ عَلَيْكَ مِنْ صَلاةٍ لَمْ تُصَلِّها لِوَقْتِها، وَفَرَّطْتَ فِي شَيْءٍ مِنْ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَوُضُوئِهَا فيقول: لا يَا رَبِّ كَسَبْتُ مِنْ حَلالٍ وَأَنْفَقْتُ فِي حَلالٍ وَلَمْ أُضَيِّعْ شَيْئًا مِمَّا فَرَضْتَ عَلَيَّ، فَيُقَالُ: لَعَلَّكَ اخْتَلْتَ فِي هذا المَالِ فِي شَيْءٍ مِنْ مَرْكَبٍ أَوْ ثَوْبٍ بَاهَيْتَ بِهِ فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ لَمْ أَخْتَلْ وَلَمْ أُبَاهِ فِي شَيْءٍ، فَيُقَالُ: لَعَلَّكَ مَنَعْتَ حَقَّ أَحَدٍ أَمَرْتُكَ أَنْ تُعْطِيَهِ مِنْ ذَوِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ كَسَبْتُ مِنْ حَلالٍ وَأَنْفَقْتُ فِي حَلالٍ وَلَمْ أُضَيِّعْ شَيْئًا مِمَّا فَرَضْتَ عَلَيَّ وَلَمْ أَخْتَلْ وَلَمْ أُبَاهِ وَلَمْ أُضَيِّعْ حَقَّ أَحَدٍ أَمَرْتَنِي أَنْ أُعْطِيَهُ، قَالَ: فَيَجِيءُ أُولَئِكَ فَيُخَاصِمُونَهُ فَيَقُولُونَ: يا رَبِّ أَعْطَيْتَهُ وَأَغْنَيْتَهُ وَجَعَلْتَهُ بَيْنَ أَظْهُرِنَا وَأَمَرْتَهُ أَنْ يُعْطِيَنَا، فَإِنْ كَانَ أَعْطَاهُمْ وَمَا ضَيَّعَ مِنْ ذلِكَ شَيْئًا مِنَ الفَرَائِضِ وَلَمْ يَخْتَلْ فِي شَيْءٍ فَيُقَالُ: قِفْ، الآنَ هَاتِ شُكْرَ كُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتُهَا عَلَيْكَ مِنْ أَكْلَةٍ أَوْ شَرْبَةٍ أَوْ لَذَّةٍ فَلا يَزَالُ يُسْأَلُ» (٢).

ويحك فمن ذا الذي يتعرض لهذه المسألة التي كانت لهذا الرجل الذي تقلب في الحلال وقام بالحقوق كلها وأدى الفرائض بحدودها، حوسب هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال أمثالنا الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها؟ ويحك، لأجل هذه المسائل يخاف المتقون أن يتلبسوا بالدنيا فرضوا بالكفاف منها وعملوا بأنواع البر من كسب المال، فلك ويحك بهؤلاء الأخيار أسوة، فإن أبيت ذلك وزعمت أنك بالغ من الورع والتقوى، ولم تجمع المال إلا من حلال، بزعمك، للتعفف والبذل في سبيل الله، ولم تنفق شيئًا من الحلال إلا بحق، ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله، ولم تسخط الله في شيء من سرائرك

---

(١) صحيح: حديث «من نوقش الحساب عذب». متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم. [البخاري: ٦٥٣٦، مسلم: ٢٨٧٦]

(٢) لا أصل له: حديث «يؤتى برجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وأنفقه في حرام فيقال:اذهبوا به إلى النار .. الحديث». بطوله لم أقف له على أصل.

وعلانيتك ويحك فإن كنت كذلك، ولست كذلك، فقد ينبغي لك أن ترضى بالبلغة وتعتزل ذوي الأموال إذا وقفوا للسؤال وتقف مع الرعيل الأول في زمرة المصطفى، لا حبس عليك للمسألة والحساب، فإما سلامة وإما عطب. فإنه بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «يَدْخُلُ صَعَالِيكُ المُهَاجِرِينَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمُ الجَنَّةَ بِخَمْسِمِائَةِ عَامٍ» (١)، وقال عليه السلام: «يَدْخُلُ فُقَرَاءُ المُؤْمِنِينَ الجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ فَيَأْكُلُونَ وَيَتَمَتَّعُونَ وَالآخَرُونَ جُثَاةٌ عَلَى رُكَبِهِمْ فَيَقُولُ قِبَلَكُمْ طَلِبَتِي أَنْتُمْ حُكَّامُ النَّاسِ وَمُلُوكُهُمْ فَأَرُونِي مَاذا صَنَعْتُمْ فِيمَا أَعْطَيْتُكُمْ» (٢).

وبلغنا أن بعض أهل العلم قال: ما سرني أن لي حمر النعم ولا أكون في الرعيل الأول مع محمد عليه السلام وحزبه. يا قوم فاستبقوا السباق مع المخفين في زمرة المرسلين عليهم السلام، وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع عن رسول الله ﷺ وجل المتقين. لقد بلغني أن بعض الصحابة وهو أبو بكر رضي الله عنه عطش فاستسقى فأتي بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خنقته العبرة ثم بكى وأبكى، ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكاء، فلما أكثر البكاء قيل له: أكل هذا من أجل هذه الشربة؟ قال: نعم، بينا أنا ذات يوم عند رسول الله ﷺ وما معه أحد في البيت غيري، فجعل يدفع عن نفسه وهو يقول: «إليك عني» فقلت له: فداك أبي وأمي ما أرى بين يديك أحدًا فمن تخاطب؟ فقال: «هذِهِ الدُّنْيَا تَطَاوَلَتْ إِلَيَّ بِعُنُقِها وَرَأْسِها فَقَالَتْ لِي: يا مُحَمَّدُ خُذْنِي، فَقُلْتُ: إِلَيْكِ عَنِّي، فَقَالَتْ: إِنْ تَنْجُ مِنِّي يا مُحَمَّدُ فَإِنَّهُ لا يَنْجُو مِنِّي مَنْ بَعْدَكَ» فأخاف أن تكون هذه لحقتني تقطعني عن رسول الله ﷺ (٣). يا قوم فهؤلاء الأخيار بكوا وجلًا أن تقطعهم عن رسول الله ﷺ شربة من حلال ويحك أنت في أنواع من النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الانقطاع؟ أف لك ما أعظم جهلك ويحك فإن تخلفت في القيامة عن رسول الله ﷺ محمد المصطفى لتنظرن إلى أهوال جزعت منها الملائكة والأنبياء، ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق، ولئن أردت الكثرة لتصيرن إلى حساب عسير، ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن إلى وقوف طويل وصراخ وعويل؛ ولئن رضيت بأحوال المتخلفين لتقطعن عن أصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم المتنعمين، ولئن خالفت أحوال المتقين لتكونن من المحتبسين في أهوال يوم

---

(١) صحيح: حديث «يدخل صعاليك المهاجرين قبل أغنيائهم الجنة بخمسمائة عام». أخرجه الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد بلفظ «فقراء» مكان «صعاليك» [الترمذي: ٢٣٥١، ابن ماجه: ٤١٢٣، وانظر صحيح الجامع: ٤٢٢٨] ولهما وللنسائي في الكبرى من حديث أبي هريرة «يدخل الفقراء الجنة... الحديث» [الترمذي: ٢٣٥٣، وانظر صحيح الترمذي] ولمسلم من حديث عبد الله بن عمر «إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء إلى الجنة بأربعين خريفا». [مسلم: ٢٩٧٩]

(٢) لا أصل له: حديث «يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم فيأكلون .. الحديث». لم أرى له أصلا.

(٣) ضعيف: حديث: إن بعض الصحابة عطش فاستسقى فأتى بشربة ماء وعسل .. احديث». في دفع النبي ﷺ الدنيا عن نفسه وقوله «إليك عني... الحديث» أخرجه البزار والحاكم من حديث زيد بن أرقم قال: كنا عند أبي بكر فدعا بشراب فأتي بماء وعسل... الحديث. قال الحاكم صحيح الإسناد، قلت بل ضعيف وقد تقدم قبل هذا الكتاب. [انظر ضعيف الجامع: ١٩١٧

الدين. فتدبر ويحك ما سمعت وبعد. فإن زعمت أنك في مثال خيار السلف، قانع بالقليل، زاهد في الحلال، بذول لمالك، مؤثر على نفسك، لا تخشى الفقر ولا تدخر شيئًا لغدك، مبغض للتكاثر والغنى، راض بالفقر والبلاء فرح بالقلة والمسكنة، مسرور بالذل والضعة، كاره للعلو والرفعة قوي في أمرك لا يتغير عن الرشد قلبك، قد حاسبت نفسك في الله، وأحكمت أمورك كلها على ما وافق رضوان الله ولن توقف في المسألة، ولن يحاسب مثلك من المتقين. وإنما تجمع المال الحلال للبذل في سبيل الله، ويحك أيها المغرور فتدبر الأمر وأمعن النظر أما علمت أن ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب للذكر والتذكر والتذكار والفكر والاعتبار- أسلم للدين وأيسر للحساب وأخف للمسألة وآمن من روعات القيامة وأجزل للثواب وأعلى لقدرك عند الله أضعافًا. بلغنا عن بعض الصحابة أنه قال: لو أن رجلًا في حجره دنانير يعطيها والآخر يذكر الله لكان الذاكر أفضل. وسئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر قال: تركه أبرّ به. وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين، أحدهما طلب الدنيا حلالًا فأصابها، فوصل بها رحمه وقدم لنفسه. وأما الآخر فإنه جانبها فلم يطلبها ولم يتناولها، فأيهما أفضل؟ قال: بعيد والله ما بينهما الذي جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها.

ويحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها، ولك في العاجل إن تركت الاشتغال بالمال، وإن ذلك أروح لبدنك وأقل لتعبك وأنعم لعيشك وأرضى لبالك وأقل لهمومك. فما عذرك في جمع المال وأنت بترك المال أفضل ممن طلب المال لأعمال البر؟ نعم وشغلك بذكر الله أفضل من بذل المال في سبيل الله فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الآجل.

وبعد: فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الأخلاق أن تتأسى بنبيك إذ هداك الله به، وترضى ما اختاره لنفسه من مجانبة الدنيا. ويحك تدبر ما سمعت وكن على يقين أن السعادة والفوز في مجانبة الدنيا، فسر مع لواء المصطفى سابقًا إلى جنة المأوى. فإنه بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «سَادَاتُ المُؤْمِنِينَ فِي الجَنَّةِ مَنْ إذا تَغَدَّى لَمْ يَجِدْ عَشَاءً، وَإذا اسْتَقْرَضَ لَمْ يَجِدْ قَرْضًا، وَلَيْسَ لَهُ فَضْلُ كُسْوَةٍ إلا ما يُوَارِيهِ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى أنْ يَكْتَسِبَ ما يُغْنِيهِ، يُمْسِي مَعَ ذلِكَ وَيُصْبِحُ رَاضِيًا عَنْ رَبِّهِ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩] »[1] ألا يا أخي متى جمعت هذا المال بعد هذا البيان فإنك مبطل فيما ادعيت أنك للبر والفضل تجمعه، لا ولكنك خوفًا من الفقر تجمعه، وللتنعم والزينة والتكاثر والفخر والعلو والرياء والسمعة والتعظيم والتكرمة تجمعه، ثم تزعم أنك لأعمال البر تجمع المال: ويحك راقب الله واستحي من دعواك أيها المغرور. ويحك

(١) حديث «سادات المؤمنين في الجنة من إذا تغدى لم يجد عشاء .. الحديث». عزاه صاحب مسند الفردوس للطبراني من رواية أبي حازم عن أبي هريرة مختصرا بلفظ «سادة الفقراء في الجنة... الحديث» ولم أره في معاجم الطبراني.

إن كنت مفتونًا بحب المال والدنيا فكن مقرًا أن الفضل والخير في الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول، نعم وكن عند جمع المال مزريًا على نفسك معترفًا بإساءتك وجلًا من الحساب، فذلك أنجى لك وأقرب إلى الفضل من طلب الحجج لجمع المال. إخواني اعلموا أن دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودًا وكانوا مع ذلك من أورع الناس وأزهدهم في المباح لهم، ونحن في دهر الحلال فيه مفقود، وكيف لنا من الحلال مبلغ القوت وستر العورة. فأما جمع المال في دهرنا فأعاذنا الله وإياكم منه.

وبعد: فأين لنا بمثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم؟ وأين لنا مثل ضمائرهم وحسن نياتهم؟ دهينا ورب السماء بأدواء النفوس وأهوائها، وعن قريب يكون الورود؛ فيا سعادة المخفين يوم النشور وحزن طويل لأهل التكاثر والتخاليط، وقد نصحت لكم إن قبلتم والقابلون لهذا قليل. وفقنا الله وإياكم لكل خير برحمته آمين. هذا آخر كلامه وفيه كفاية في إظهار فضل الفقر على الغنى ولا مزيد عليه. ويشهد لذلك جميع الأخبار التي أوردناها في كتاب ذم الدنيا، وفي كتاب الفقر والزهد.

ويشهد له أيضًا ما روي عن أبي أمامة الباهلي: أن ثعلبة بن حطاب قال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالًا، قال: «يا ثَعْلَبَةُ قَلِيلٌ تُؤَدِّي شُكْرَهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لا تُطِيقُهُ» قال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالًا، قال: «يا ثَعْلَبَةُ أَمَا لَكَ فِيَّ أُسْوَةٌ؟ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِثْلَ نَبِيِّ الله تَعَالَى؟ أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ تَسِيرَ مَعِي الجِبَالُ ذَهَبًا وَفِضَّةً لَسَارَتْ» قال: والذي بعثك بالحق نبيًا لئن دعوت الله أن يرزقني مالًا لأعطين كل ذي حق حقه، ولأفعلن ولأفعلن، قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْ ثَعْلَبَةَ مَالًا» فاتخذ غنمًا فنمت كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديًا من أوديتها، حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة ويدع ما سواهما، ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الجماعة إلا الجمعة، وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة، وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الأخبار في المدينة، وسأل رسول الله ﷺ عنه فقال: «ما فَعَلَ ثَعْلَبَةُ بْنُ حَاطِبٍ؟» فقيل: يا رسول الله اتخذ غنمًا فضاقت عليه المدينة؛ وأخبر بأمره كله، فقال: «يا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ يا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ يا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ» قال: وأنزل الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] وأنزل الله تعالى فرائض الصدقة، فبعث رسول الله ﷺ رجلًا من جهينة ورجلًا من بني سليم على الصدقة، وكتب لهما كتابًا بأخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجا فيأخذا من المسلمين: وقال: «مُرَّا بِثَعْلَبَةَ بْنِ حَاطِبٍ وَبِفُلانٍ ، رَجُلٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ ، وَخُذَا صَدَقَاتِهِمَا»: فخرجا حتى أتيا ثعلبة، فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ فقال: ما هذه إلا جزية ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا إليَّ فانطلقا نحو السليمي فسمع بهما فقام إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة، ثم استقبلهما بها؛ فلما رأوها قالوا: لا يجب عليك ذلك وما نريد نأخذ هذا منك، قال: بلى خذوها، فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرًا بثعلبة فسألاه

الصدقة فقال: أروني كتابكما، فنظر فيه فقال: هذه أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي ﷺ فلما رآهما قال: «يا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ» قبل أن يكلماه ودعا للسليمي فأخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السليمي فأنزل الله تعالى في ثعلبة: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧] وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة، فسمع ما أنزل الله فيه، فخرج حتى أتى ثعلبة فقال: لا أم لك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا كذا، فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته فقال: «إِنَّ الله مَنَعَنِي أَنْ أَقْبَلَ مِنْكَ صَدَقَتَكَ» فجعل يحثو التراب على رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «هذا عَمَلُكَ أَمَرْتُكَ فَلَمْ تُطِعْنِي» ، فلما أبى أن يقبل منه شيئًا رجع إلى منزله، فلما قبض رسول الله ﷺ جاء بها إلى أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه، وجاء بها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه، وتوفي ثعلبة بعد في خلافة عثمان (١).

فهذا طغيان المال وشؤمه وقد عرفته من هذا الحديث، ولأجل بركة الفقر وشؤم الغنى آثر رسول الله ﷺ الفقر لنفسه ولأهل بيته، حتى روي عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه قال: كانت لي من رسول الله منزلة وجاه فقال: «يا عِمْرَانُ إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا مَنْزِلَةً وَجَاهًا فَهَلْ لَكَ فِي عِيَادَةِ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ الله ﷺ ؟» فقلت: نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فقام وقمت معه حتى وقفت بباب منزل فاطمة فقرع الباب وقال: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَأَدْخُلُ؟» فقالت: ادخل يا رسول الله، قال: «أنا ومن معي؟» قالت: ومن معك يا رسول الله؟ فقال: «عمران بن حصين» فقالت: والذي بعثك بالحق نبيًا ما عليّ إلا عباءة فقال: «اصْنَعِي بِهَا هكَذَا وَهكَذَا» وأشار بيده، فقالت: هذا جسدي فقد واريته، فكيف برأسي؟ فألقى إليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال: «شُدِّي بِهَا عَلَى رَأْسِكَ» ثم أذنت له فدخل، فقال: «السَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَاهُ كَيْفَ أَصْبَحْتِ؟» قالت: أصبحت والله وجعة وزادني وجعًا على ما بي أني لست أقدر على طعام آكله، فقد أجهدني الجوع، فبكى رسول الله ﷺ وقال: «لا تَجْزَعِي يا بِنْتَاهُ فَوَالله ما ذُقْتُ طَعَامًا مُنْذُ ثَلاثَةٍ، وَإِنِّي لأَكْرَمُ عَلَى الله مِنْكِ وَلَوْ سَأَلْتُ رَبِّي لأَطْعَمَنِي، وَلَكِنِي آثَرْتُ الآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا» ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِها وَقالَ لَهَا: «أَبْشِرِي فَوَالله إِنَّكِ لَسَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ» فقالت: فأين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران؟ فقال: «آسِيَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ عَالَمِها، وَمَرْيَمُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ عَالَمِها، وَخَدِيجَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ عَالَمِها، وَأَنْتِ سَيِّدَةُ نِسَاءِ عَالَمِكِ، إِنَّكُنَّ فِي بُيُوتٍ مِنْ قَصَبٍ لا أَذى فِيها وَلا صَخَبَ» ثم قال لها: «اقْنَعِي بِابْنِ عَمِّكِ فَوَالله لَقَدْ زَوَّجْتُكِ سَيِّدًا فِي الدُّنْيَا وَسَيِّدًا فِي

---

(١) ضعيف جدًا: حديث أبي أمامة: أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال «يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه .. الحديث. أخرجه الطبراني بسند ضعيف. [انظر ضعيف الجامع : ٤١١٢ ، الضعيفة : ١٦٠٧ ، ٤٠٨١]

الآخِرَةِ» (١)، فانظر الآن إلى حال فاطمة رضي الله عنها وهي بضعة من رسول الله ﷺ كيف آثرت الفقر وتركت المال؟ ومن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم وما ورد من أخبارهم وآثارهم؛ لم يشك في أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات؛ إذ أقل ما فيه من أداء الحقوق والتوقي من الشبهات والصرف إلى الخيرات اشتغال الهم بإصلاحه وانصرافه عن ذكر الله، إذ لا ذكر إلا مع الفراغ، ولا فراغ مع شغل المال.

وقد روي عن جرير عن ليث قال: صحب رجل عيسى ابن مريم عليه السلام فقال: أكون معك وأصحابك، فانطلقا فانتهيا إلى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة، فأكلا رغيفين وبقي رغيف ثالث، فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف، فقال للرجل: من أخذ الرغيف؟ فقال: لا أدري، قال: فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية ومعها خشفان لها، قال: فدعا أحدهما فأتاه، فذبحه فاشتوى منه فأكل هو وذلك الرجل، ثم قال للخشف: قم بإذن الله فقام فذهب، فقال للرجل: أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف؟ فقال: لا أدري، ثم انتهيا إلى وادي ماء، فأخذ عيسى بيد الرجل فمشيا على الماء، فلما جاوزا قال له: أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف؟ فقال: لا أدري، فانتهيا إلى مفازة فجلسا، فأخذ عيسى عليه السلام يجمع ترابًا وكثيبًا ثم قال: كن ذهبًا بإذن الله تعالى، فصار ذهبًا، فقسمه ثلاثة أثلاث ثم قال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن أخذ الرغيف، فقال: أنا الذي أخذت الرغيف، فقال: كله لك، وفارقه عيسى عليه السلام، فانتهى إليه رجلان في المفازة ومعه المال فأرادا أن يأخذاه منه ويقتلاه، فقال: هو بيننا أثلاثًا، فابعثوا أحدكم إلى القرية حتى يشتري لنا طعامًا نأكله، قال: فبعثوا أحدهم، فقال الذي بعث: لأي شيء أقاسم هؤلاء هذا المال؟ لكنني أضع في هذا الطعام سمًّا فأقتلهما وآخذ المال وحدي، قال: ففعل، وقال ذانك الرجلان: لأي شيء نجعل لهذا ثلث المال؟ ولكن إذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا، قال: فلما رجع إليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا، فبقي ذلك المال في المفازة وأولئك الثلاثة عنده قتلى، فمرّ بهم عيسى عليه السلام على تلك الحالة فقال لأصحابه: هذه الدنيا فاحذروها.

وحكي أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس بأيديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورًا، فإذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم، وقد قيض لهم في ذلك معايش من نبات الأرض، وأرسل ذو القرنين إلى ملكهم فقال له: أجب ذا القرنين، فقال: مالي إليه حاجة فإن كان له حاجة فليأتني، فقال ذو

---

(١) حديث عمران بن حصين: كانت لي من رسول الله ﷺ منزلة وجاه فقال: «يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله ﷺ؟ .. الحديث» بطوله وفيه «لقد زوجتك سيدا في الدنيا وسيدا في الآخرة» لم أجده من حديث عمران. ولأحمد والطبراني من حديث معقل بن يسار: وضأت النبي ﷺ ذات يوم فقال «هل لك في فاطمة تعودها ... الحديث» وفيه «أما ترضين أن زَوَّجْتُكِ أقدم أمتي سلما، وأكثرهم علما، وأعظمهم حلما؟» وإسناده صحيح.

القرنين: صدق، فأقبل إليه ذو القرنين، وقال له: أرسلت إليك لتأتيني فأبيت، فها أنا قد جئت، فقال: لو كان لي إليك حاجة لأتيتك، فقال له ذو القرنين: مالي أراكم على حالة لم أر أحدًا من الأمم عليها؟ قال: وما ذاك؟ قال: ليس لكم دنيا ولا شيء أفلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما؟ قالوا: إنما كرهناهما لأن أحدًا لم يعط منهما شيئًا إلا تاقت نفسه ودعته إلى ما هو أفضل منه. فقال: ما بالكم قد احتفرتم قبورًا فإذا أصبحتم تعاهدتموها فكنستموها وصليتم عندها؟ قالوا: أردنا إذا نظرنا إليها وأملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الأمل. قال: وأراكم لا طعام لكم إلا البقل من الأرض، أفلا اتخذتم البهائم من الأنعام فاحتلبتموها وركبتموها فاستمتعتم بها؟ قالوا: كرهنا أن نجعل بطوننا قبورًا لها ورأينا في نبات الأرض بلاغًا، وإنما يكفي ابن آدم أدنى العيش من الطعام وإيما ما جاوز الحنك من الطعام لم نجد له طعمًا كائنًا ما كان من الطعام؟ ثم بسط ملك تلك الأرض يده خلف ذي القرنين فتناول جمجمة، فقال: يا ذا القرنين أتدري من هذا؟ قال: لا؛ ومن هو؟ قال: ملك من ملوك الأرض أعطاه الله سلطانًا على أهل الأرض فغشم وظلم وعتا، فلما رأى الله سبحانه ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى، وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته. ثم تناول جمجمة أخرى بالية فقال: يا ذا القرنين هل تدري من هذا؟ قال: لا أدري ومن هو؟ قال: هذا ملك ملكه الله بعده، قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر؛ فتواضع وخشع لله عز وجل وأمر بالعدل في أهل مملكته، فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله، حتى يجزيه به في آخرته. ثم أهوى إلى جمجمة ذي القرنين فقال: وهذه الجمجمة قد كانت كهذين فانظر يا ذا القرنين ما أنت صانع؟ فقال له ذو القرنين: هل لك في صحبتي فاتخذك أخًا ووزيرًا وشريكًا فيما آتاني الله من هذا المال؟ قال: ما أصلح أنا وأنت في مكان ولا أن نكون جميعًا، قال ذو القرنين: ولم؟ قال: من أجل أن الناس كلهم لك عدوّ ولي صديق، قال: ولم؟ قال: يعادونك لما في يديك من الملك والمال والدنيا ولا أجد أحدًا يعاديني لرفضي لذلك ولما عندي من الحاجة وقلة الشيء، قال: فانصرف عنه ذو القرنين متعجبًا منه ومتعظًا به، فهذه الحكايات تدلك على آفات الغنى مع ما قدّمناه من قبل، وبالله التوفيق.

تم كتاب ذم المال والبخل بحمد الله تعالى وعونه، ويليه كتاب ذم الجاه والرياء

* * *

كتاب ذم الجاه والرياء

وهو الكتاب الثامن من ربع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمنِ الرَّحيم

الحمد لله علام الغيوب، المطلع على سرائر القلوب، المتجاوز عن كبائر الذنوب، العالم بما تجنه الضمائر من خفايا الغيوب، البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات، الذي لا يقبل من الأعمال إلا ما كمل ووفى، وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفا، فإنه المنفرد بالملكوت، فهو أغنى الأغنياء عن الشرك. والصلاة والسلام على محمد وآله وأصحابه المبرئين من الخيانة والإفك، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فقد قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الرِّيَاءُ وَالشَّهْوَةُ الخَفِيَّةُ الَّتِي هِيَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ»(١)، ولذلك عجز عن الوقوف على غوائلها سماسرة العلماء فضلًا عن عامة العباد والأتقياء، وهو من أواخر غوائل النفس وبواطن مكائدها. وإنما يبتلى به العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة، فإنهم مهما قهروا أنفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على أصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح، فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير وإظهار العمل والعلم، فوجدت مخلصًا من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ونظرهم إليه بعين الوقار والتعظيم، فسارعت إلى إظهار الطاعة وتوصلت إلى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق، وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده، وعلمت أنهم إذا عرفوا تَرْكَه الشهوات وتوقِّيه الشبهات وتحمله مشاق العبادات أطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقريظ والإطراء ونظروا إليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا في بركة دعائه، وحرصوا على اتباع رأيه وفاتحوه بالخدمة والسلام، وأكرموه في المحافل غاية الإكرام، وسامحوه في البيع والمعاملات، وقدموه في المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس، وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له في أغراضه موقرين، فأصابت النفس في ذلك لذة هي أعظم اللذات وشهوة هي أغلب الشهوات، فاستحقرت فيه ترك المعاصي والهفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لإدراكها في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات، فهو يظن أن حياته بالله وبعبادته المرضية، وإنما حياته

---

(١) حسن: حديث «إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية». أخرجه ابن ماجه والحاكم من حديث شداد بن أوس وقالا «الشرك» بدل «الرياء» وفسراه بالرياء قال الحاكم صحيح الإسناد، قلت بل ضعيفه وهو عند ابن المبارك في الزهد ومن طريقه عند البيهقي في الشعب بلفظ المصنف. [ابن ماجه: ٤٢٠٥، وانظر الصحيحة: ٥٠٨]

بهذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها العقول النافذة القوية، ويرى أنه مخلص في طاعة الله ومجتنب لمحارم الله، والنفس قد أبطنت هذه الشهوة تزيينًا للعباد وتصنعًا للخلق وفرحًا بما نالت من المنزلة والوقار، وأحبطت بذلك ثواب الطاعات وأجور الأعمال، وقد أثبتت اسمه في جريدة المنافقين وهو يظن أنه عند الله من المقرّبين. وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصدّيقون، ومهواة لا يرقى منها إلا المقرّبون، ولذلك قيل: آخر ما يخرج من رءوس الصديقين حب الرياسة.

وإذا كان الرياء هو الداء الدفين الذي هو أعظم شبكة للشياطين، وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته وأقسامه وطرق معاجلته والحذر منه، ويتضح الغرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين، الشطر الأول: في حب الجاه والشهرة، وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول، وبيان ذم الجاه، وبيان معنى الجاه وحقيقته، وبيان السبب في كونه محبوبًا أشدّ من حب المال، وبيان أن الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي، وبيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم، وبيان السبب في حب المدح والثناء وكراهية الذم. وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب المدح، وبيان علاج كراهة الذم، وبيان اختلاف أحوال الناس في المدح والذم. فهي اثنا عشر فصلًا منها تنشأ معاني الرياء فلا بدّ من تقديمها، والله الموفق للصواب بلطفه ومنه وكرمه.

بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت:

اعلم أصلحك الله أن أصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم، بل المحمود الخمول إلا من شهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه. قال أنس رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «حَسْبُ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يُشِيرَ النَّاسُ إِلَيْهِ بِالأَصَابِعِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ إِلاَّ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ» (١)، وقال جابر بن عبد الله: قال رسول الله ﷺ: «بِحَسْبِ المَرْءِ مِنَ الشَّرِّ إِلاَّ مِنْ عَصَمَهُ اللهُ مِنَ السُّوءِ أَنْ يُشِيرَ النَّاسُ إِلَيْهِ بالأَصَابِعِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ. إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» (٢)، ولقد ذكر الحسن رحمه الله للحديث تأويلًا، ولا بأس به، إذ روى هذا الحديث فقيل له: يا أبا سعيد إن الناس إذا رأوك أشاروا إليك بالأصابع،

---

(١) ضعيف: حديث أنس «حسب امرئ من الشر إلا من عصمه أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه». أخرجه البيهقي في الشعب بسند ضعيف. [انظر ضعيف الجامع : ٢٣٢١]

(٢) صح الشطر الثاني منه: حديث جابر «بحسب المرء من الشر .. الحديث». مثله وزاد في آخره «إن الله لا ينظر إلى صوركم .. الحديث». هو غير معروف من حديث جابر، معروف من حديث أبي هريرة رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب بسند ضعيف مقتصرين على أوله [وهو ضعيف وانظر ضعيف الجامع : ٢٣٢١] ورواه مسلم مقتصرا على الزيادة التي في آخره [مسلم : ٢٥٦٤]، وروى الطبراني والبيهقي في الشعب أوله من حديث عمران بن حصين بلفظ «كفى بالمرء إثما» [ضعيف جدًا، وانظر ضعيف الجامع : ٤١٧٥ ، الضعيفة : ٢٢٣١] ورواه ابن يونس في تاريخ الغرباء من حديث ابن عمر بلفظ «هلاك بالرجل» وفسر دينه بالبدعة ودنياه بالفسق وإسنادهما ضعيف.

فقال: إنه لم يعن هذا وإنما عنى به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه، وقال علي كرّم الله وجهه: تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر، وتعلم واكتم، واصمت تسلم، تسر الأبرار وتغيظ الفجار. وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: ما صدقَ اللهَ من أحب الشهرة. وقال أيوب السختياني: والله ما صدقَ اللهَ عبدٌ إلا سره أن لا يشعر بمكانه. وعن خالد بن معدان: أنه كان إذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة.

وعن أبي العالية: أنه كان إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة قام. ورأى طلحة قومًا يمشون معه نحوًا من عشرة، فقال: ذباب طمع وفراش نار. وقال سليم بن حنظلة: بينا نحن حول أبيّ بن كعب نمشي خلفه إذ رآه عمر فعلاه بالدرّة. فقال: انظر يا أمير المؤمنين ما تصنع؟ فقال: إن هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع، وعن الحسن قال: خرج ابن مسعود يومًا من منزله فاتبعه ناس فالتفت إليهم فقال: علام تتبعوني فوالله لو تعلمون ما أغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان.

وقال الحسن: إن خفق النعال حول الرجال قلما تلبث عليه قلوب الحمقى. وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال: هل لكم من حاجة؟ وإلا فما عسى أن يبقي هذا من قلب المؤمن. وروي أن رجلًا صحب ابن محيريز في سفر فلما فارقه قال: أوصني، فقال: إن استطعت أن تعرف ولا تعرف وتمشي ولا يمشى إليك وتسأل ولا تُسأل فافعل. وخرج أيوب في سفر فشيعه ناس كثيرون فقال: لولا أني أعلم أن الله يعلم من قلبي أني لهذا كاره لخشيت المقت من الله عز وجل. وقال معمر: عاتبت أيوب على طول قميصه فقال: إن الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تشميره. وقال بعضهم: كنت مع أبي قلابة إذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال: إياكم وهذا الحمار الناهق يشير به إلى طلب الشهرة. وقال الثوري: كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والثياب الرديئة إذ الأبصار تمتد إليهما جميعًا. وقال رجل لبشر بن الحارث. أوصني، فقال أخمل ذكرك وطيب مطعمك. وكان حوشب يبكي ويقول: بلغ اسمي مسجد الجامع.

وقال بشر: ما أعرف رجلًا أحب أن يُعْرَفَ إلا ذهب دينه وافتضح. وقال أيضًا: لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس. رحمة الله عليه وعليهم أجمعين.

بيان فضيلة الخمول:

قال رسول الله ﷺ: «رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لأَبَرَّهُ مِنْهُمُ البَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ» (١) وقال ابن مسعود: قال النبي ﷺ: «رُبَّ ذِي طِمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى

---

(١) صحيح: حديث «رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة» رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره» [مسلم : ٢٦٢٢] وللحاكم «رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره» وقال صحيح الإسناد [بل هو ضعيف : انظر ضعيف الجامع : ٣٠٨٦] ولأبي نعيم في الحلية من حديث أنس ضعيف «رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك» وهو عند الحاكم نحوه بهذه الزيادة وقال صحيح الإسناد قلت بل ضعيفه. [وهو صحيح ، انظر صحيح الجامع : ٣٤٨٧ ، ٤٥٧٣ ، صحيح الترغيب : ٢٠٨٣]

الله لأَبَرَّهُ لَوْ قالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ لأَعْطَاهُ الجَنَّةَ وَلَمْ يُعْطِهِ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا» (١)، وقال ﷺ: «أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ الجَنَّةِ: كُلُّ ضَعِيفٍ مُسْتَضْعَفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لأَبَرَّهُ وَأَهْلِ النَّارِ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ مُسْتَكْبِرٍ جَوَّاظٍ» (٢)، وقال أبو هريرة: قال ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ كُلُّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ لَهُ الَّذِينَ إذا اسْتَأْذَنُوا عَلَى الأُمَرَاءِ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُمْ وَإِذَا خَطَبُوا النِّسَاءَ لَمْ يُنْكَحُوا وَإذا قَالُوا لَمْ يُنْصَتْ لِقَوْلِهِمْ حَوَائِجُ أَحَدِهِمْ تَتَخَلَّلُ فِي صَدْرِهِ لَوْ قُسِمَ نُورُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى النَّاسِ لَوَسِعَهُمْ» (٣)، وقال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَوْ أَتَى أَحَدَكُمْ يَسْأَلُهُ دِينَارًا لَمْ يُعْطِهِ إِيَّاها وَلَوْ سَأَلَهُ دِرْهَمًا لَمْ يُعْطِهِ إِيَّاهُ وَلَوْ سَأَلَهُ فَلْسًا لَمْ يُعْطِهِ إِيَّاهُ، وَلَوْ سَأَلَ الله الجَنَّةَ لأَعْطَاهُ إِيَّاها، وَلَوْ سَأَلَهُ الدُّنْيَا لَمْ يُعْطِهِ إِيَّاها، وَمَا مَنَعَهَا إِيَّاهُ إِلاَّ لِهَوَانِهَا عَلَيْهِ، رُبَّ ذِي طِمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لأَبَرَّهُ» (٤)، وروي أن عمر رضي الله عنه دخل المسجد فرأى معاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله ﷺ فقال: ما يبكيك؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اليَسِيرَ مِنَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ وإِنَّ الله يُحِبُّ الأَتْقِيَاءَ الأَخْفِيَاءَ الَّذِينَ إِنْ غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الهُدَى يَنْجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ» (٥).

وقال محمد بن سويد: قحط أهل المدينة وكان بها رجل صالح لا يؤبه له ملازم لمسجد النبي ﷺ، فبينما هم في دعائهم إذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين أوجز فيهما ثم بسط يديه فقال: يا رب أقسمت عليك إلا أمطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشت السماء بالغمام، وأمطروا حتى صاح أهل المدينة من مخافة الغرق، فقال: يا رب إن كنت تعلم أنهم قد اكتفوا فارفع عنهم، وسكن، وتبع الرجل صاحبه الذي استسقى حتى عرف منزله، ثم بكر عليه فخرج إليه فقال إني أتيتك في حاجة فقال ما هي؟ قال تخصني بدعوة، قال: سبحان الله أنت أنت وتسألني أن أخصك بدعوة؟ ثم قال ما الذي بلغك ما رأيت؟ قال: أطعت الله فيما أمرني ونهاني فسألت الله فأعطاني.

---

(١) صحيح دون قوله: «لو قال اللهم . . .»: حديث ابن مسعود «رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا». أخرجه ابن أبي الدنيا ومن طريقه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف. [انظر صحيح الجامع: ٣٤٨٧، ضعيف الترغيب: ١٨٦٣]

(٢) صحيح: حديث «ألا أدلكم على أهل الجنة: كل ضعيف مستضعف .. الحديث». متفق عليه من حديث حارثة بن وهب. [البخاري: ٤٩١٨، مسلم: ٢٨٥٣ بلفظ: «عتل» بدل «متكبر» وفي رواية لمسلم: «كل جواظ زنيم متكبر»]

(٣) حديث أبي هريرة: «إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين، لا يؤبه له. الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم ... الحديث». قلت: هكذا ذكره العراقي، وقد ذكر صاحب الإتحاف أن العراقي بيض له.

(٤) ضعيف: حديث «إن من أمتي من لو أتى أحدكم يسأله دينارا لم يعطه إياه .. الحديث». أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث ثوبان بإسناد صحيح دون قوله «ولو سأله الدنيا لم يعطه إياها وما منعها إياه إلا لهوانها عليه». [انظر ضعيف الترغيب: ١٨٦٣]

(٥) ضعيف: حديث معاذ بن جبل «إن اليسير من الرياء شرك وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء .. الحديث». أخرجه الطبراني والحاكم واللفظ له وقال صحيح الإسناد، قلت بل ضعيفه فيه عيسى بن عبد الرحمن وهو الزرقي متروك. [انظر ضعيف الجامع: ٢٠٢٩، المشكاة: ٥٣٢٨]

وقال ابن مسعود: كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى، أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب، تعرفون في أهل السماء وتخفون في أهل الأرض. وقال أبو أمامة: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ الله تَعَالَى: إِنَّ أَغْبَطَ أَوْلِيَائِي عَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَفِيفُ الحَاذِ ذُو حَظٍّ مِنْ صَلاةٍ أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَأَطَاعَهُ فِي السِّرِّ وكَانَ غَامِضًا فِي النَّاسِ لا يُشَارُ إِلَيْهِ بِالأَصَابِعِ ثُمَّ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ» قال: ثم نقر رسول الله ﷺ بيده فقال: «عَجِلَتْ مَنِيَّتُهُ وَقَلَّ تُرَاثُهُ وَقَلَّتْ بَوَاكِيهِ»(١)، وقال عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: أحب عباد الله إلى الله الغرباء، قيل: ومن الغرباء، قال: الفارّون بدينهم يجتمعون يوم القيامة إلى المسيح عليه السلام. وقال الفضيل بن عياض: بلغني أن الله تعالى يقول في بعض ما يمن به على عبده، ألم أنعم عليك؟ ألم أسترك؟ ألم أحمل ذكرك؟ وكان الخليل بن أحمد يقول: اللهم اجعلني عندك من أرفع خلقك، واجعلني عند نفسي من أوضع خلقك، واجعلني عند الناس من أوسط خلقك. وقال الثوري: وجدت قلبي يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء أصحاب قوت وعناء. وقال إبراهيم بن أدهم: ما قرّت عيني يومًا في الدنيا قط إلا مرة، بت ليلة في بعض مساجد قرى الشام وكان بي البطن، فجرّني المؤذن برجلي حتى أخرجني من المسجد. وقال الفضيل: إن قدرت على أن لا تُعْرَف فافعل، وما عليك ألاّ تُعْرَف وما عليك أن لا يثنى عليك وما عليك أن تكون مذمومًا عند الناس إذا كنت محمودًا عند الله تعالى؟ فهذه الآثار والأخبار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول. وإنما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة في القلوب، وحب الجاه هو منشأ كل فساد.

فإن قلت: فأي شهرة تزيد على شهرة الأنبياء والخلفاء الراشدين وأئمة العلماء فكيف فاتهم فضيلة الخمول؟ فاعلم أن المذموم طلب الشهرة، فأما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من العبد فليس بمذموم. نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الأقوياء، وهم كالغريق الضعيف إذا كان معه جماعة من الغرقى فالأولى به أن لا يعرفه أحد منهم فإنهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم، وأما القوي فالأولى أن يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب على ذلك.

بيان ذم الجاه ومعناه:

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص :٨٣] جمع بين إرادة الفساد والعلو، وبين أن الدار الآخرة للخالي عن الإرادتين جميعًا. وقال عز وجل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٥-١٦] وهذا أيضًا متناول بعمومه لحب الجاه فإنه أعظم لذة من لذات الحياة الدنيا وأكثر

(١) حسن حديث أبي أمامة «إن أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ .. الحديث». أخرجه الترمذي وابن ماجه بإسنادين ضعيفين. [الترمذي: ٢٣٤٧ ، وانظر المشكاة : ٥١٨٩]

زينة من زينتها. وقال رسول الله ﷺ: «حُبُّ المَالِ وَالجَاهِ يُنْبِتَانِ النِّفَاقَ فِي القَلْبِ كَمَا يُنْبِتُ المَاءُ البَقْلَ» (١)، وقال ﷺ: «ما ذِئْبَانِ ضَارِيَانِ أُرْسِلا فِي زَرِيبَةِ غَنَمٍ بِأَسْرَعَ إِفْسَادًا مِنْ حُبِّ الشَّرَفِ وَالمال فِي دِينِ الرَّجُلِ المُسْلِمِ» (٢)، وقال ﷺ لعلي كرم الله وجهه: «إِنَّمَا هَلاكُ النَّاسِ بِاتِّبَاعِ الهَوَى وَحُبِّ الثَّنَاءِ» (٣)، نسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه.

بيان معنى الجاه وحقيقته:

اعلم أن الجاه والمال هما ركنا الدنيا. ومعنى المال ملك الأعيان المنتفع بها، ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها. وكما أن الغني هو الذي يملك الدراهم والدنانير، أي يقدر عليهما ليتوصل بهما إلى الأغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس، فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس، أي يقدر على أن يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها أربابها في أغراضه ومآربه. وكما أنه يكتسب الأموال بأنواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بأنواع من المعاملات، ولا تصير القلوب مسخرة إلا بالمعارف والاعتقادات، فكل من اعتقد القلب فيه وصفًا من أوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاد القلب وبحسب درجة ذلك الكمال عنده، وليس يشترط أن يكون الوصف كمالًا في نفسه بل يكفي أن يكون كمالًا عنده وفي اعتقاده، وقد يعتقد ما ليس كمالًا كمالًا، ويذعن قلبه للموصوف به انقيادًا ضروريًا بحسب اعتقاده، فإن انقياد القلب حال للقلب. وأحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها، وكما أن محبّ المال يطلب ملك الأرقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب أن يسترق الأحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم، بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه أعظم؛ لأن المالك يملك العبد قهرًا والعبد متأب بطبعه، ولو خلي ورأيه انسل عن الطاعة، وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعًا وييغي أن تكون له الأحرار عبيدًا بالطبع والطوع، مع الفرح بالعبودية والطاعة له، فما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير. فإذًا معنى الجاه: قيام المنزلة في قلوب الناس، أي اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه، فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم، وبقدر إذعان القلوب تكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته على القلوب يكون فرحه وحبه للجاه.

فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والإطراء، فإن المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده، فيثني عليه، وكالخدمة والإعانة فإنه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر

---

(١) حديث «حب المال والجاه ينبتان النفاق .. الحديث». تقدم في أول هذا الباب ولم أجده.

(٢) حسن صحيح: حديث «ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم .. الحديث». تقدم أيضا هناك. [انظر صحيح الترغيب: ٣٢٥١، ٣٢٥٢]

(٣) حديث «إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء». لم أره بهذا اللفظ وقد تقدم في العلم من حديث أنس «ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع... الحديث» [وهو حسن، انظر صحيح الجامع: ٣٠٣٩] ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس بسند ضعيف «حب الثناء من الناس يعمى ويصم». [وهو ضعيف، انظر ضعيف الجامع: ٢٦٨١، الضعيفة: ٣٤٧٨]

اعتقاده فيكون سخرة له مثل العبد في أغراضه، وكالإيثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد، فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلب، ومعنى قيام الجاه في القلب اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص إما بعلم أو عبادة أو حسن خلق أو نسب أو ولاية أو جمال في صورة أو قوة في بدن أو شيء مما يعتقده الناس كمالًا، فإن هذه الأوصاف كلها تعظم محله في القلوب فتكون سببًا لقيام الجاه، والله تعالى أعلم.

بيان سبب كون الجاه محبوبًا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب إلا بشديد المجاهدة:

اعلم أن السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وسائر أنواع الأموال محبوبًا هو بعينه يقتضي كون الجاه محبوبًا، بل يقتضي أن يكون أحبّ من المال، كما يقتضي أن يكون الذهب أحب من الفضة مهما تساويا في المقدار، وهو أنك تعلم أن الدراهم والدنانير لا غرض في أعيانهما إذ لا تصلح لمطعم ولا مشرب ولا منكح ولا ملبس، وإنما هي والحصباء بمثابة واحدة، ولكنهما محبوبان لأنهما وسيلة إلى جميع المحاب وذريعة إلى قضاء الشهوات، فكذلك الجاه لأن معنى الجاه ملك القلوب، وكما أن ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الإنسان بها إلى سائر أغراضه، فكذلك ملك قلوب الأحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة على التوصل إلى جميع الأغراض، فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة، وترجيح الجاه على المال اقتضى أن يكون الجاه أحب من المال، ولملك الجاه ترجيح على ملك المال من ثلاثة أوجه:

الأول: أن التوصل بالجاه إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه، فالعالم أو الزاهد الذي تقرّر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له، فإن أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال، وأما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال إذا وجد كنزًا ولم يكن له جاه يحفظ ماله وأراد أن يتوصل بالمال إلى الجاه لم يتيسر له، فإذًا الجاه آلة ووسيلة إلى المال، فمن ملك الجاه فقد ملك المال، ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال، فلذلك صار الجاه أحب.

الثاني: هو أن المال معرض للبلوى والتلف بأن يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة، ويحتاج فيه إلى الحفظة والحراس والخزائن، ويتطرق إليه أخطار كثيرة، وأما القلوب إذا ملكت فلا تتعرّض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن عتيدة، لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها أيدي النهاب والغصاب، وأثبت الأموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغني عن المراقبة والحفظ، وأما خزائن القلوب فهي محفوظة محروسة بأنفسها، والجاه في أمن وأمان من الغصب والسرقة فيها. نعم إنما تغصب القلوب بالتصريف وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من أوصاف الكمال، وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاولة فعله.

الثالث: أن ملك القلوب يسري وينمى ويتزايد من غير حاجة إلى تعب ومقاساة، فإن القلوب إذا أذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم أو عمل أو غيره أفصحت الألسنة لا محالة بما فيها، فيصف ما يعتقده لغيره ويقتنص ذلك القلب أيضًا له، ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر. لأن ذلك إذا استطار في الأقطار اقتنص القلوب ودعاها إلى الإذعان والتعظيم، فلا يزال يسري من واحد ويتزايد وليس له مردّ معين، وأما المال فمن ملك منه شيئًا فهو مالكه ولا يقدر على استنمائه إلا بتعب ومقاساة، والجاه أبدًا في النماء بنفسه ولا مرد لموقعه والمال واقف، ولهذا إذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الألسنة بالثناء استحقرت الأموال في مقابلته، فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال. وإذا فصلت كثرت وجوه الترجيح.

فإن قلت: فالإشكال قائم في المال والجاه جميعًا فلا ينبغي أن يحب الإنسان المال والجاه. نعم القدر الذي يتوصل به إلى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم، كالمحتاج إلى الملبس والمسكن والمطعم أو كالمبتلى بمرض أو بعقوبة إذا كان لا يتوصل إلى دفع العقوبة عن نفسه إلا بمال أو جاه، فحبه للمال والجاه معلوم، إذ كل ما لا يتوصل إلى المحبوب إلا به فهو محبوب، وفي الطباع أمر عجيب وراء هذا وهو حب جمع الأموال وكنز الكنوز وادخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات، حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثًا، وكذلك يحب الإنسان اتساع الجاه وانتشار الصيت إلى أقاصي البلاد التي يعلم قطعًا أنه لا يطؤها ولا يشاهد أصحابها، ليعظموه أو ليبروه بمال أو ليعينوه على غرض من أغراضه، ومع اليأس من ذلك فإنه يلتذ به غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت في الطبع، ويكاد يظن أن ذلك جهل فإنه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة؟ فنقول: نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب. وله سببان؟

أحدهما: جلي تدركه الكافة. والآخر: خفي وهو أعظم السببين ولكنه أدقهما وأخفاهما وأبعدهما عن أفهام الأذكياء فضلًا عن الأغبياء، وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها إلا الغواصون.

فأما السبب الأول: فهو دفع ألم الخوف؛ لأن الشفيق بسوء الظن مولع، والإنسان وإن كان مكفيًا في الحال فإنه طويل الأمل ويخطر بباله أنّ المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج إلى غيره، فإذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع ألم الخوف إلا الأمن الحاصل بوجود مال آخر يفزع إليه إن أصابت هذا المال جائحة، فهو أبدًا لشفقته على نفسه وحبه للحياة يقدّر طول الحياة، ويقدّر هجوم الحاجات، ويقدّر إمكان تطرق الآفات إلى الأموال، ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال، حتى إن أصيب بطائفة من ماله استغنى بالآخر.

وهذا خوف لا يوقف له على مقدار مخصوص من المال، فلذلك لم يكن لمثله موقف إلى أن يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال رسول الله ﷺ: «مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعَانِ مَنْهُومُ العِلْمِ

وَمَنْهُومُ المَالِ» [(١)]، ومثل هذه العلة تطرد في حبه قيام المنزلة والجاه في قلوب الأباعد عن وطنه وبلده، فإنه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن أو يزعج أولئك عن أوطانهم إلى وطنه، ويحتاج إلى الاستعانة بهم، ومهما كان ذلك ممكنًا ولم يكن احتياجه إليهم مستحيلًا إحالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الأمن من هذا الخوف.

وأما السبب الثاني وهو الأقوى: لأن الروح أمر رباني، به وصفه الله تعالى إذ قال سبحانه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥] أو معنى كونه ربانيًا أنه من أسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في إظهاره إذ لم يظهره رسول الله ﷺ [(٢)]، ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم أنّ للقلب ميلًا إلى صفات بهيمية كالأكل والوقاع، وإلى صفات سبعية كالقتل والضرب والإيذاء، وإلى صفات شيطانية كالمكر والخديعة والإغواء، وإلى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلاء، وذلك لأنه مركب من أصول مختلفة يطول شرحها وتفصيلها، فهو لما فيه من الأمر الرباني يحب الربوبية بالطبع، ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرّد بالوجود على سبيل الاستقلال. فصار الكمال من صفات الإلهية فصار محبوبًا للإنسان، والكمال بالتفردّ بالوجود فإن المشاركة في الوجود نقص لا محالة، فكمال الشمس في أنها موجودة وحدها، فلو كان معها شمس أخرى لكان ذلك نقصًا في حقها، إذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية، والمنفرد بالوجود هو الله تعالى إذ ليس معه موجود سواه، فإن ما سواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته، بل هو قائم به، فلم يكن موجودًا معه لأن المعية توجب المساواة في الرتبة، والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال، بل الكامل من لا نظير له في رتبته.

وكما أن إشراق نور الشمس في أقطار الآفاق ليس نقصانًا في الشمس بل هو من جملة كمالها، وإنما نقصان الشمس بوجود شمس أخرى تساويها في الرتبة مع الاستغناء عنها، فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع إلى إشراق أنوار القدرة فيكون تابعًا ولا يكون متبعًا فإذن معنى الربوبية التفرّد بالوجود وهو الكمال. وكل إنسان فإنه بطبعه محب لأن يكون هو المنفرد بالكمال، ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية: ما من إنسان إلا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] ولكنه ليس يجد له مجالًا وهو كما قال، فإن العبودية قهر على النفس. والربوبية محبوبة بالطبع: وذلك للنسبة الربانية التي أومأ إليها قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥]، ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال، فهي محبة للكمال ومشتهية له وملتذة به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال، وكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته، ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته أو عدم صفات

---

(١) صحيح: حديث «منهومان لا يشبعان .. الحديث». أخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود بسند ضعيف والبزار والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس بسند لين وقد تقدم. [انظر صحيح الجامع: ٦٦٢٤، المشكاة: ٢٦٠]

(٢) صحيح: حديث: أنه ﷺ لم يظهر سر الروح. أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود وقد تقدم. [البخاري: ٧٢٩٧]

الكمال من ذاته. وإنما الكمال بعد أن يسلم التفرّد بالوجود في الاستيلاء على كل الموجودات، فإن أكمل الكمال أن يكون وجود غيرك منك فإن لم يكن منك فأن تكون مستوليًا عليه، فصار الاستيلاء على الكل محبوبًا بالطبع، لأنه نوع كمال. وكل موجود يعرف ذاته فإنه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذ به، إلا أن الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التأثير فيه، وعلى تغييره بحسب الإرادة وكونه مسخرًا لك تردده كيف تشاء، فأحب الإنسان أن يكون له استيلاء على كل الأشياء الموجودة معه.

إلا أن الموجودات منقسمة إلى ما لا يقبل التغيير في نفسه كذات الله تعالى وصفاته. وإلى ما يقبل التغيير ولكن لا يستولي عليه قدرة الخلق، كالأفلاك والكواكب وملكوت السموات ونفوس الملائكة والجن والشياطين، وكالجبال والبحار وما تحت الجبال والبحار. وإلى ما يقبل التغيير بقدرة العبد كالأرض وأجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس، فإنها قابلة للتأثير والتغيير مثل أجسادهم وأجساد الحيوانات.

فإذا انقسمت الموجودات إلى ما يقدر الإنسان على التصرف فيه كالأرضيات، وإلى ما لا يقدر عليه كذات الله تعالى والملائكة والسموات، أحب الإنسان أن يستولي على السموات بالعلم والإحاطة والاطلاع على أسرارها فإن ذلك نوع استيلاء، إذ المعلوم المحاط به كالداخل تحت العلم، والعالم كالمستولي عليه، فلذلك أحب أن يعرف الله تعالى والملائكة والأفلاك والكواكب، وجميع عجائب السموات، وجميع عجائب البحار والجبال وغيرها لأن ذلك نوع استيلاء عليها، والاستيلاء نوع كمال. وهذا يضاهي اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة إلى معرفة طريق الصنعة فيها، كمن يعجز عن وضع الشطرنج، فإنه قد يشتهي أن يعرف اللعب به وأنه كيف وضع؟ وكمن يرى صنعة عجيبة في الهندسة أو الشعبذة أو جرّ الثقيل أو غيره وهو مستشعر في نفسه بعض العجز والقصور عنه ولكنه يشتاق إلى معرفة كيفيته فهو متألم ببعض العجز متلذذ بكمال العلم إن علمه.

وأما القسم الثاني: وهو الأرضيات التي يقدر الإنسان عليها، فإنه يحب بالطبع أن يستولي عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان: أجساد وأرواح.

أما الأجساد: فهي الدراهم والدنانير والأمتعة فيجب أن يكون قادرًا عليها يفعل فيها ما شاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع، فإن ذلك قدرة والقدرة كمال، والكمال من صفات الربوبية، والربوبية محبوبة بالطبع، فلذلك أحب الأموال وإن كان لا يحتاج إليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه، وكذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد الأشخاص الأحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف في أجسادهم وأشخاصهم بالاستسخار، وإن لم يملك قلوبهم، فإنها ربما لم تعتقد كماله حتى يصير محبوبًا لها ويقوم القهر منزلته فيها، فإن الحشمة القهرية أيضًا لذيذة لما فيها من القدرة.

القسم الثاني: نفوس الآدميين وقلوبهم وهي أنفس ما على وجه الأرض، فهو يحب أن

يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفة تحت إشارته وإرادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوبية، والقلوب إنما تتسخر بالحب ولا تحب إلا باعتقاد الكمال، فإن كل كمال محبوب لأن الكمال من الصفات الإلهية والصفات الإلهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الإنسان، وهو الذي لا يبليه الموت فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله، فإنه محل الإيمان والمعرفة وهو الواصل إلى لقاء الله تعالى والساعي إليه فإذن معنى الجاه تسخير القلوب، ومن تسخرت له القلوب كانت له قدرة واستيلاء عليها، والقدرة والاستيلاء كمال وهو من أوصاف الربوبية. فإذن محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة، والمال والجاه من أسباب القدرة، ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات، وما دام يبقى معلوم، أو مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول. ولذلك قال ﷺ: «منهومان لا يشبعان» فإذن مطلوب القلوب الكمال. والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور، فسرور كل إنسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال، فهذا هو السبب في كون العلم والمال والجاه محبوبًا، وهو أمر وراء كونه محبوبًا لأجل التوصل إلى قضاء الشهوات فإن هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات، بل يحب الإنسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل به إلى الأغراض، بل ربما يفوت عليه جملة من الأغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع العجائب والمشكلات، لأن في العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من صفات الربوبية فكان محبوبًا بالطبع، إلا أن في حب كمال العلم والقدرة أغاليط لا بد من بيانها إن شاء الله تعالى.

بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لا حقيقة له:

قد عرفت أنه لا كمال بعد فوات التفرد بالوجود إلا في العلم والقدرة، ولكن الكمال الحقيقي فيه متلبس بالكمال الوهمي، وبيانه أن كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة أوجه:

أحدها: من حيث كثرة المعلومات وسعتها، فإنه محيط بجميع المعلومات، فلذلك كلما كانت علوم العبد أكثر كان أقرب إلى الله تعالى.

الثاني: من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به، وكون المعلوم مكشوفًا به كشفًا تامًا، فإن المعلومات مكشوفة لله تعالى بأتم أنواع الكشف على ما هي عليه، فلذلك مهما كان علم العبد أوضح وأيقن وأصدق وأوفق للمعلوم في تفاصيل صفات العلوم كان أقرب إلى الله تعالى.

الثالث: من حيث بقاء العلم أبد الآباد بحيث لا يتغير ولا يزول، فإن علم الله تعالى باق لا يتصور أن يتغير، فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يقبل التغير والانقلاب كان أقرب إلى الله تعالى.

والمعلومات قسمان: متغيرات وأزليا.

أما المتغيرات: فمثالها العلم بكون زيد في الدار، فإنه علم له معلوم، ولكنه يتصور أن يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فينقلب جهلًا، فيكون نقصانًا لا

كمالًا، فكلما اعتقدت اعتقادًا موافقًا وتصور أن ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد أن ينقلب كمالك نقصًا، ويعود علمك جهلًا. ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم، كعلمك مثلًا بارتفاع جبل ومساحة أرض، وبعدد البلاد وتباعد ما بينها من الأميال والفراسخ، وسائر ما يذكر في المسالك والممالك، وكذلك العلم باللغات التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الأعصار والأمم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل الزئبق تتغير من حال إلى حال، فليس فيه كمال إلا في الحال ولا يبقى كمالًا في القلب.

القسم الثاني: هو المعلومات الأزلية وهو جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات، فإن هذه معلومات أزلية أبدية، إذ لا يستحيل الواجب قط جائزًا ولا الجائز محالًا ولا المحال واجبًا. فكل هذه الأقسام داخلة في معرفة الله وما يجب له، وما يستحيل في صفاته، ويجوز في أفعاله، فالعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وحكمته في ملكوت السموات والأرض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى، ويبقى كمالًا للنفس بعد الموت، وتكون هذه المعرفة نورًا للعارفين بعد الموت: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم:٨] أي تكون هذه المعرفة رأس مال يوصل إلى كشف ما لم ينكشف في الدنيا، كما أن من معه سراج خفي فإنه يجوز أن يصير ذلك سببًا لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه، فيكمل النور الخفي على سبيل الاستتمام، ومن ليس معه أصل السراج فلا مطمع له في ذلك، فمن ليس معه أصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع في هذا النور، فيبقى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها بل: ﴿كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [النور:٤٠] فإذن لا سعادة إلا في معرفة الله تعالى وأما ما عدا ذلك من المعارف فمنها ما لا فائدة له أصلًا كمعرفة الشعر وأنساب العرب وغيرهما، ومنها ما له منفعة في الإعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والأخبار، فإن معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن، ومعرفة التفسير تعين على معرفة ما في القرآن من كيفية العبادات والأعمال التي تفيد تزكية النفس، ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد استعداد النفس لقبول الهدايا إلى معرفة الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس:٩] وقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩] فتكون جملة هذه المعارف كالوسائل إلى تحقيق معرفة الله تعالى، وإنما الكمال في معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله، وينطوي فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات إذ الموجودات كلها من أفعاله، فمن عرفها من حيث هي فعل الله تعالى. ومن حيث ارتباطها بالقدرة والإرادة والحكمة، فهي من تكملة معرفة الله تعالى، وهذا حكم كمال العلم ذكرناه وإن لم يكن لائقًا بأحكام الجاه والرياء ولكن أوردناه لاستيفاء أقسام الكمال.

وأما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد، بل للعبد علم حقيقي وليس له قدرة حقيقية،

وإنما القدرة الحقيقية لله وما يحدث من الأشياء عقيب إرادة العبد وقدرته وحركته فهي حادثة بإحداث الله ، كما قرّرناه في كتاب الصبر والشكر، وكتاب التوكل وفي مواضع شتى من ربع المنجيات ، فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله إلى الله تعالى فأما كمال القدرة فلا.. نعم. له كمال من جهة القدرة بالإضافة إلى الحال وهي وسيلة له إلى كمال العلم كسلامة أطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشي وحواسه للإدراك، فإن هذه القوى آلة للوصول بها إلى حقيقة كمال العلم، وقد يحتاج في استيفاء هذه القوى إلى القدرة بالمال والجاه للتوصل به إلى المطعم والمشرب والملبس والمسكن، وذلك إلى قدر معلوم، فإن لم يستعمله للوصول به إلى معرفة جلال الله فلا خير فيه ألبتة إلا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب، ومن ظن ذلك كمالاً فقد جهل، فالخلق أكثرهم هالكون في غمرة هذا الجهل، فإنهم يظنون أن القدرة على الأجساد بقهر الحشمة، وعلى أعيان الأموال بسعة الغنى، وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال، فلما اعتقدوا ذلك أحبوه ولما أحبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله تعالى ومن ملائكته وهو العلم والحرية.

أما العلم : فما ذكرناه من معرفة الله تعالى.

وأما الحرية : فالخلاص من أسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا تستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب، فإن دفع آثار الشهوة والغضب عن النفس من الكمال الذي هو من صفات الملائكة. ومن صفات الكمال لله تعالى استحالة التغير والتأثر عليه فمن كان عن التغير والتأثر بالعوارض أبعد كان إلى الله تعالى أقرب وبالملائكة أشبه، ومنزلته عند الله أعظم. وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة، وإنما لم نورده في أقسام الكمال لأن حقيقته ترجع إلى عدم ونقصان، فإنّ التغير نقصان إذ هو عبارة عن عدم صفة كائنة وهلاكها، والهلاك نقص في اللذات وفي صفات الكمال.

فإذن الكمالات ثلاثة ، إن عددنا (عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد لها) كمالاً ككمال العلم وكمال الحرية؛ وأعني به عدم العبودية للشهوات وإرادة الأسباب الدنيوية ، وكمال القدرة للعبد طريق إلى اكتساب كمال العلم، وكمال الحرية ولا طريق له إلى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته، إذ قدرته على أعيان الأموال وعلى استسخار القلوب والأبدان تنقطع بالموت، ومعرفته وحرّيته لا ينعدمان بالموت بل يبقيان كمالاً فيه ووسيلة إلى القرب من الله تعالى. فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فأقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال، وهو الكمال الذي لا يسلم وإن سلم فلا بقاء له، وأعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذي إذا حصل كان أبديًا لا انقطاع له، وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون، وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف:٤٦] فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالاً في النفس، والمال والجاه هو الذي ينقضي على

القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس:٢٤] الآية. وقال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ [الكهف:٤٥] وكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحياة الدنيا، وكل ما لا يقطعه الموت فهو الباقيات الصالحات. فقد عرفت بهذا أن كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا أصل له، وأن من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودًا فهو جاهل، وإليه أشار أبو الطيب بقوله:

وَمَنْ ينفقِ السّاعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

إلا قدر البلغة منهما إلى الكمال الحقيقي اللهم اجعلنا ممن وفقته للخير وهديته بلطفك.

بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم:

مهما عرفت أنّ معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمه حكم ملك الأموال فإنه عرض من أعراض الحياة الدنيا، وينقطع بالموت كالمال، والدنيا مزرعة الآخرة، فكل ما خلق في الدنيا فيمكن أن يتزوّد منه للآخرة، وكما أنه لا بد من أدنى مال لضرورة المطعم والمشرب والملبس، فلا بدّ من أدنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق، والإنسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام أو المال الذي يبتاع به الطعام، فكذلك لا يخلو عن الحاجة إلى خادم يخدمه، ورفيق يعينه، وأستاذ يرشده، وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الأشرار، فحبه لأن يكون له في قلب خادمه من المحل ما يدعوه إلى الخدمة ليس بمذموم، وحبه لأن يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته ليس بمذموم، وحبه لأن يكون له في قلب أستاذه من المحل ما يحسن به إرشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم، وحبه لأن يكون له من المحل في قلب سلطانه ما يحثه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم، فإن الجاه وسيلة إلى الأعراض كالمال، فلا فرق بينهما إلا أنّ التحقيق في هذا يفضي إلى أن يكون المال والجاه بأعيانهما محبوبين له، بل ينزل ذلك منزلة حب الإنسان أن يكون له في داره بيت ماء لأنه مضطرّ إليه لقضاء حاجته، ويود أن لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء، فهذا على التحقيق ليس محبًا لبيت الماء فكل ما يراد للتوصل به إلى محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوصل إليه. وتدرك التفرقة بمثال آخر وهو أنّ الرجل قد يحب زوجته من حيث إنه يدفع بها فضلة الشهوة، كما يدفع بيت الماء فضلة الطعام، ولو كفى مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته، كما أنه لو كفى قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به، وقد يحب الإنسان زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفي الشهوة لبقي مستصحبًا لنكاحها، فهذا هو الحب دون الأوّل، وكذلك الجاه والمال. وقد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين، فحبهما لأجل التوصل بهما إلى مهمات البدن غير مذموم، وحبهما لأعيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم، ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمل الحب على مباشرة معصية. وما يتوصل به إلى اكتساب بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل إلى

اكتسابه بعبادة، فإنّ التوصل إلى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام، وإليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سيأتي.

فإن قلت: طلبه المنزلة والجاه في قلب أستاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به أمره مباح على الإطلاق كيفما كان، أو يباح إلى حد مخصوص على وجه مخصوص؟ فأقول: يطلب ذلك على ثلاثة أوجه، وجهان مباحان، ووجه محظور.

أما الوجه المحظور: فهو أن يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة وهو منفك عنها، مثل العلم والورع والنسب، فيظهر لهم أنه عَلَوي أو عالم أو ورع وهو لا يكون كذلك. فهذا حرام لأنه كذب وتلبيس إما بالقول أو بالمعاملة.

وأما أحد المباحين: فهو أن يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف ﷺ فيما أخبر عنه الرب تعالى: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٥٥] فإنه طلب المنزلة في قلبه بكونه حفيظًا عليمًا، وكان محتاجًا إليه وكان صادقًا فيه.

والثاني: أن يطلب إخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه، حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به، فهذا أيضًا مباح لأن حفظ الستر على القبائح جائز، ولا يجوز هتك الستر وإظهار القبيح. وهذا ليس فيه تلبيس، بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به، كالذي يخفي عن السلطان أنه يشرب الخمر ولا يلقي إليه أنه ورع، فإن قوله: إني ورع، تلبيس، وعدم إقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشرب.

ومن جملة المحظورات تحسين الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده، فإن ذلك رياء، وهو ملبس إذ يخيل إليه أنه من المخلصين الخاشعين لله وهو مراء بما يفعله، فكيف يكون مخلصًا؟ فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية، وذلك يجري مجرى اكتساب المال الحرام من غير فرق، وكما لا يجوز له أن يتملك مال غيره بتلبيس في عوض أو غيره فلا يجوز له أن يتملك قلبه بتزوير وخداع، فإن ملك القلوب أعظم من ملك الأموال.

بيان السبب في حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطبع إليه وبغضها للذم ونفرتها منه:

اعلم أن لحب المدح والتذاذ القلب به أربعة أسباب:

السبب الأوّل: وهو الأقوى: شعور النفس بالكمال فإنا بينا أن الكمال محبوب، وكل محبوب فإدراكه لذيذ. فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت، والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها، فإن الوصف الذي به مدح لا يخلو إما أن يكون جليًا ظاهرًا أو يكون مشكوكًا فيه، فإن كان جليًا ظاهرًا محسوسًا كانت اللذة به أقل، ولكنه لا يخلو عن لذة كثنائه عليه بأنه طويل القامة أبيض اللون فإن هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته، فإذا استشعرته لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة، وإن كان ذلك الوصف مما يتطرق إليه الشك فاللذة فيه أعظم كالثناء عليه بكمال العلم أو كمال الورع أو بالحسن المطلق،، فإن

الإنسان ربما يكون شاكًا في كمال حسنه وفي كمال علمه وكمال ورعه ويكون مشتاقًا إلى زوال هذا الشك بأن يصير مستيقنًا لكونه عديم النظير في هذه الأمور إذ تطمئن نفسه إليه، فإذا ذكره غيره أورث ذلك طمأنينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذاته، وإنما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير بهذه الصفات خبير بها لا يجازف في القول إلا عن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء أستاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة الفضل فإنه في غاية اللذة، وإن صدر ممن يجازف في الكلام أو لا يكون بصيرًا بذلك الوصف ضعفت اللذة، وبهذه العلة يبغض الذم أيضًا ويكرهه لأنه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مؤلم، ولذلك يعظم الألم إذا صدر الذم من بصير موثوق به كما ذكرناه في المدح.

السبب الثاني: أن المدح يدل على أن قلب المادح مملوك للمدوح وأنه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ، وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والأكابر، ويضعف مهما كان المادح ممن لا يؤبه له ولا يقدر على شيء، فإن القدرة عليه بملك قلبه قدرة على أمر حقير فلا يدل المدح إلا على قدرة قاصرة، وبهذه العلة أيضًا يكره الذم ويتألم به القلب، وإذا كان من الأكابر كانت نكايته أعظم لأن الفائت به أعظم.

السبب الثالث: أن ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه، لا سيما إذا كان ذلك ممن يلتفت إلى قوله ويعتد بثنائه، وهذا مختص بثناء يقع على الملأ فلا جرم كلما كان الجمع أكثر والمثني أجدر بأن يلتفت إلى قوله كان المدح ألذ والذم أشد على النفس.

السبب الرابع: أن المدح يدل على حشمة الممدوح، واضطرار المادح إلى إطلاق اللسان بالثناء على الممدوح إما عن طوع وإما عن قهر، فإن الحشمة أيضًا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة، وهذه اللذة تحصل وإن كان المادح لا يعتقد في الباطن ما مدح به، ولكن كونه مضطرًا إلى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه، فلا جرم تكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته، فتكون لذة ثناء القوي الممتنع عن التواضع بالثناء أشد.

فهذه الأسباب الأربعة قد تجمع في مدح مادح واحد فيعظم بها الالتذاذ، وقد تفترق فتنقص اللذة بها. أما العلة الأولى وهي استشعار الكمال فتندفع بأن يعلم الممدوح أنه غير صادق في قوله، كما إذا مدح بأنه نسيب أو سخي أو عالم يعلم أو متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك، فتزول اللذة التي سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات، فإن كان يعلم أن المادح ليس يعتقد ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه، وتبقى لذة الاستيلاء والحشمة على اضطرار لسانه إلى النطق بالثناء فإن لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه أصلًا لذة لفوات الأسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح

وتألمها بسبب الذم. وإنما ذكرنا ذلك ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمة، فإن ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته، إذ العلاج عبارة عن حل أسباب المرض. والله الموفق بكرمه ولطفه وصلى الله على كل عبد مصطفى.

بيان علاج حب الجاه:

اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفًا بالتودد إليهم والمراءات لأجلهم، ولا يزال في أقواله وأفعاله ملتفتًا إلى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق وأصل الفساد، ويجر ذلك لا محالة إلى التساهل في العبادات والمراءاة بها وإلى اقتحام المحظورات للتوصل إلى اقتناص القلوب، ولذلك شبه رسول الله ﷺ حب الشرف والمال وإفسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال عليه السلام: «إنه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل» إذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول أو الفعل، وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر إلى النفاق معهم وإلى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها، وذلك هو عين النفاق.

فحب الجاه إذن من المهلكات، فيجب علاجه وإزالته عن القلب فإنه طبع جبل عليه القلب كما جبل على حب المال، وعلاجه مركب من علم وعمل.

أما العلم: فهو أن يعلم السبب الذي لأجله أحب الجاه وهو كمال القدرة على أشخاص الناس وعلى قلوبهم، وقد بينا أنّ ذلك إن صفا وسلم فآخره الموت، فليس هو من الباقيات الصالحات، بل لو سجد لك كل من على بسيط الأرض من المشرق إلى المغرب فإلى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له، ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوي الجاه مع المتواضعين له. فهذا لا ينبغي أن يترك به الدين الذي هو الحياة الأبدية التي لا انقطاع لها، ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي ، كما سبق ، صغر الجاه في عينه، إلا أنّ ذلك إنما يصغر في عين من ينظر إلى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده، ويكون حاله كحال الحسن البصري حين كتب إلى عمر بن العزيز: (أما بعد: فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات). فانظر كيف مدّ نظره نحو المستقبل وقدره كائنًا. وكذلك حال عمر بن عبد العزيز حين كتب في جوابه (أما بعد: فكأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل)، فهؤلاء كان التفاتهم إلى العاقبة، فكان عملهم لها بالتقوى إذ علموا أنّ العاقبة للمتقين، فاستحقروا الجاه والمال في الدنيا. وأبصار أكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها إلى مشاهدة العواقب، ولذلك قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى:١٦-١٧] وقال عز وجل: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [القيامة:٢٠-٢١] فمن هذا حدّه فينبغي أن يعالج قلبه من حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة، وهو أن يتفكر في الأخطار التي يستهدف لها أرباب الجاه في الدنيا، فإن كل ذي جاه محسود ومقصود بالإيذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من أن تتغير منزلته في القلوب، والقلوب أشدّ تغيرًا من القدر في غليانها وهي مترددة بين الإقبال والإعراض، فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما

يبنى على أمواج البحر فإنه لا ثبات له، والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع أذى الأعداء كل ذلك غموم عاجلة ومكدرة للذة الجاه، فلا يفي في الدنيا مرجوّها بمخوفها فضلًا عما يفوت في الآخرة، فهذا ينبغي أن تعالج البصيرة الضعيفة. وأما من نفذت بصيرته وقوي إيمانه فلا يلتفت إلى الدنيا، فهذا هو العلاج من حيث العلم.

وأما من حيث العمل: فإسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة أفعال يلام عليها حتى يسقط من أعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويأنس بالخمول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق. وهذا هو مذهب الملامتية، إذ اقتحموا الفواحش في صورتها ليسقطوا أنفسهم من أعين الناس فيسلموا من آفة الجاه، وهذا غير جائز لمن يقتدى به فإنه يوهن الدين في قلوب المسلمين، وأما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له أن يقدم على محظور لأجل ذلك، بل له أن يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس؛ كما روي أن بعض الملوك قصد بعض الزهاد، فلما علم بقربه منه استدعى طعامًا وبقلًا وأخذ يأكل بشره ويعظم اللقمة، فلما نظر إليه الملك سقط من عينه وانصرف، فقال الزاهد: الحمد لله الذي صرفك عني: ومنهم من شرب شرابًا حلالًا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن به أنه يشرب الخمر فيسقط من أعين الناس. وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه إلا أنّ أرباب الأحوال ربما يعالجون أنفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأوا إصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير، كما فعل بعضهم، فإنه عرف بالزهد وأقبل الناس عليه، فدخل حمامًا ولبس ثياب غيره وخرج فوقف في الطريق حتى عرفوه فأخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا: إنه طرّار وهجروه، وأقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة إلى موضع الخمول، فإنّ المعتزل في بيته في البلد الذي هو به مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته، فإنه ربما يظن أنه ليس محبًا لذلك الجاه وهو مغرور، وإنما سكنت نفسه لأنها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه فذموه أو نسبوه إلى أمر غير لائق به جزعت نفسه وتألمت، وربما توصلت إلى الاعتذار عن ذلك وإماطة ذلك الغبار عن قلوبهم، وربما يحتاج في إزالة ذلك عن قلوبهم إلى كذب وتلبيس ولا يبالي به، وبه يتبين بعد أنه محب للجاه والمنزلة. ومن أحب الجاه والمنزلة فهو كمن أحب المال بل هو شر منه فإنّ فتنة الجاه أعظم، ولا يمكنه أن لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس، فإذا أحرز قوته من كسبه أو من جهة أخرى وقطع طمعه عن الناس رأسًا أصبح الناس كلهم عنده كالأرذال، فلا يبالي أكان له منزلة في قلوبهم أم لم يكن، كما لا يبالي بما في قلوب الذين هم منه في أقصى المشرق لأنه لا يراهم ولا يطمع فيهم، ولا يقطع الطمع عن الناس إلا بالقناعة، فمن قنع استغنى عن الناس وإذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن، ولا يتم ترك الجاه إلا بالقناعة وقطع الطمع. ويستعين على جميع ذلك بالأخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم: المؤمن لا يخلو من ذلة أو قلة أو علة. وينظر في أحوال السلف وإيثارهم للذل على العز

ورغبتهم في ثواب الآخرة رضي الله عنهم أجمعين.

بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم:

اعلم أنّ أكبر الناس إنما هلكوا بخوف مذمة الناس وحب مدحهم، فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء للمدح وخوفًا من الذم، وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقة ملاحظة الأسباب التي لأجلها يحب المدح ويكره الذم.

أما السبب الأول: فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه أن ترجع إلى عقلك وتقول لنفسك: هذه الصفة التي يمدحك بها أنت متصف بها أم لا؟ فإن كنت متصفًا بها فهي إما صفة تستحق بها المدح كالعلم والورع، وإما صفة لا تستحق المدح كالثروة والجاه والأعراض الدنيوية فإن كانت من الأعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الأرض الذي يصير على القرب هشيمًا تذروه الرياح، وهذا من قلة العقل، بل العاقل يقول كما قال المتنبي:

أشدّ الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا

فلا ينبغي أن يفرح الإنسان بعروض الدنيا، وإن فرح فلا ينبغي أن يفرح بمدح المادح بها بل بوجودها.

والمدح ليس هو سبب وجودها. وإن كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي أن لا يفرح بها لأن الخاتمة غير معلومة، وهذا إنما يقتضي الفرح لأنه يقرب عند الله زلفى، وخطر الخاتمة باقٍ ففي الخوف من سوء الخاتمة شغل عن الفرح بكل ما في الدنيا، بل الدنيا دار أحزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم إن كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح، فإن اللذة في استشعار الكمال والكمال موجود في فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلا ينبغي أن تفرح بالمدح، والمدح لا يزيدك فضلًا وإن كانت الصفة التي مدحت بها أنت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون، ومثالك مثال من يهزأ به إنسان ويقول: سبحان الله ما أكثر العطر الذي في أحشائه وما أطيب الروائح التي تفوح منه؟ إذا قضى حاجته، وهو يعلم ما تشتمل عليه أمعاؤه من الأقذار والأنتان، ثم يفرح بذلك إذا أثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خبائث باطنك وغوائل سريرتك وأقذار صفاتك. كان ذلك من غاية الجهل. فإذًا المادح إن صدق فليكن فرحك بصفتك التي هي من فضل الله عليك، وإن كذب فينبغي أن يغمك ذلك ولا تفرح به.

وأما السبب الثاني: وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببًا لتسخير قلب آخر، فهذا يرجع إلى حب الجاه والمنزلة في القلوب، وقد سبق وجه معالجته، وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المنزلة عند الله، وبأن تعلم أن طلبك المنزلة في قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به؟

وأما السبب الثالث: وهو الحشمة التي اضطرت المادح إلى المدح، فهو أيضًا يرجع إلى

قدرة عارضة لا ثبات لها ولا تستحق الفرح، بل ينبغي أن يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به ، كما نقل ذلك عن السلف ، لأن آفة المدح على الممدوح عظيمة ، كما ذكرناه في كتاب آفات اللسان ، قال بعض السلف: من فرح بمدح فقد مكن الشيطان من أن يدخل في بطنه. وقال بعضهم: إذا قيل لك: نعم الرجل أنت، فكان أحب إليك من أن يقال لك: بئس الرجل أنت، فأنت والله بئس الرجل. وروي في بعض الأخبار ، فإن صح فهو قاصم للظهور ، أنّ رجلًا أثنى على رجل خيرًا عند رسول الله ﷺ فقال: «لَوْ كَانَ صَاحِبُكَ حَاضِرًا فَرَضِيَ الَّذِي قُلْتَ فَمَاتَ عَلَى ذلِكَ دَخَلَ النَّارَ»(١)، وقال ﷺ مرة للمادح: «وَيْحَكَ قَصَمْتَ ظَهْرَهُ لَوْ سَمِعَكَ ما أَفْلَحَ إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ»(٢)، وقال عليه السلام: «ألا لا تَمَادَحُوا وَإِذا رَأَيْتُمُ المَادِحِينَ فاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ»(٣)، فلهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور العظيم به، حتى إن بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلًا عن شيء فقال: أنت يا أمير المؤمنين خير مني وأعلم، فغضب وقال: إني لم آمرك بأن تزكيني، وقيل لبعض الصحابة: لا يزال الناس بخير ما أبقاك الله، فغضب وقال: إني لأحسبك عراقيًا. وقال بعضهم ، لما مدح ، اللهم إن عبدك تقرّب إليّ بمقتك فأشهدك على مقته. وإنما كرهوا المدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق، فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله تعالى يبغض إليهم مدح الخلق، لأن الممدوح هو المقرّب عند الله والمذموم بالحقيقة هو المبعد من الله الملقى في النار مع الأشرار، فهذا الممدوح إن كان عند الله من أهل النار فما أعظم جهله إذا فرح بمدح غيره، وإن كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح إلا بفضل الله تعالى وثنائه عليه إذ ليس أمره بيد الخلق. ومهما علم أن الأرزاق والآجال بيد الله تعالى قل التفاته إلى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من أمر دينه. والله الموفق للصواب برحمته.

بيان علاج كراهة الذم:

قد سبق أن العلة في كراهة الذم هو ضد العلة في حب المدح، فعلاجه أيضًا يفهم منه. والقول الوجيز فيه أن من ذمك لا يخلو من ثلاثة أحوال.

إما أن يكون قد صدق فيما قال وقصد به النصح والشفقة، وإما أن يكون صادقًا ولكن قصده الإيذاء والتعنت، وإما أن يكون كاذبًا.

فإن كان صادقًا وقصده النصح فلا ينبغي أن تذمه وتغضب عليه وتحقد بسببه، بل ينبغي أن

---

(١) حديث: أن رجلا أثنى على رجل خيرا فقال «لو كان صاحبك حاضرا فرضي الذي قلت ومات على ذلك دخل النار». لم أجد له أصلا.

(٢) حديث «ويحك قصمت ظهره .. الحديث». قاله للمادح تقدم.

(٣) صحيح دون قوله : «ألا لا تمادحوا» : حديث «ألا لا تمادحوا وإذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب». تقدم دون قوله «ألا لا تمادحوا». [انظر صحيح الجامع : ٥٦٩ ، الصحيحة : ٩١٢]

تتقلد منته فإن من أهدى إليك عيوبك فقد أرشدك إلى المهلك حتى تتقيه، فينبغي أن تفرح به وتشتغل بإزالة الصفة المذمومة عن نفسك إن قدرت عليها، فأما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك إياه فإنه غاية الجهل، وإن كان قصده التعنت فأنت قد انتفعت بقوله إذ أرشدك إلى عيبك إن كنت جاهلًا به، أو ذكرك عيبك إن كنت غافلًا عنه، أو قبحه في عينك لينبعث حرصك على إزالته إن كنت قد استحسنته. وكل ذلك أسباب سعادتك وقد استفدته منه فاشتغل بطلب السعادة فقد أتيح لك أسبابها بسبب ما سمعته من المذمة. فمهما قصدت الدخول على ملك وثوبك ملوث بالعذرة وأنت لا تدري، ولو دخلت عليه كذلك لخفت أن يحز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال لك قائل: أيها الملوث بالعذرة طهر نفسك، فينبغي أن تفرح به لأن تنبيهك بقوله غنيمة، وجميع مساوىء الأخلاق مهلكة في الآخرة والإنسان إنما يعرفها من قول أعدائه فينبغي أن يغتنمه.

وأما قصد العدوّ التعنت فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بقول انتفعت به أنت وتضرر هو به؟

الحالة الثالثة: أن يفتري عليك بما أنت بريء منه عند الله تعالى فينبغي أن لا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه، بل تتفكر في ثلاثة أمور:

أحدها: أنك إن خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن أمثاله وأشباهه، وما ستره الله من عيوبك أكثر، فاشكر الله تعالى إذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما أنت بريء عنه.

والثاني: أن ذلك كفارات لبقية مساوئك وذنوبك فكأنه رماك بعيب أنت بريء منه وطهرك من ذنوب أنت ملوث بها وكل من اغتابك فقد أهدى إليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك. فما بالك تفرح بقطع الظهر وتحزن لهدايا الحسنات التي تقرّبك إلى الله تعالى وأنت تزعم أنك تحب القرب من الله.

وأما الثالث: فهو أن المسكين قد جنى على دينه حتى سقط من عين الله وأهلك نفسه بافترائه وتعرّض لعقابه الأليم، فلا ينبغي أن تغضب عليه مع غضب الله عليه فتشمت به الشيطان وتقول: اللهم أهلكه، بل ينبغي أن تقول: اللهم أصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه، كما قال ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ»(١)، لما أن كسروا ثنيته وشجوا وجهه وقتلوا عمه حمزة يوم أُحُد. ودعا إبراهيم بن أدهم لمن شج رأسه بالمغفرة فقيل له في ذلك فقال: علمت أني مأجور بسببه وما نالني منه إلا خير فلا أرضى أن يكون هو مُعَاقبًا بسببي. ومما يهوّن عليك كراهة المذمة قطع الطمع فإن من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم أثر ذلك في قلبه، وأصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن المال والجاه، وما دام الطمع قائمًا كان

---

(١) صحيح: حديث «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». قاله لما ضربه قومه. أخرجه البيهقي في دلائل النبوة وقد تقدم والحديث في الصحيح أنه ﷺ قاله حكاية عن نبي من الأنبياء حين ضربه قومه. [البخاري: ٣٤٧٧، مسلم: ١٧٩٢]

حب الجاه والمدح في قلب من طمعت فيه غالبًا، وكانت همتك إلى تحصيل المنزلة في قلبه مصروفة، ولا ينال ذلك إلا بهدم الدين، فلا ينبغي أن يطمع طالب المال والجاه ومحب المدح ومبغض الذم في سلامة دينه فإن ذلك بعيد جدًا.

بيان اختلاف أحوال الناس في المدح والذم:

اعلم أنّ للناس أربعة أحوال بالإضافة إلى الذام والمادح:

الحالة الأولى: أن يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافئه أو يحب مكافأته، وهذا حال أكثر الخلق وهو غاية درجات المعصية في هذا الباب.

الحالة الثانية: أن يمتعض في الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافأته ويفرح باطنه، ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن إظهار السرور، وهذا من النقصان إلا أنه بالإضافة إلى ما قبله كمال.

الحالة الثالثة: وهي أوّل درجات الكمال أن يستوي عنده ذامه ومادحه فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة. وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورًا إن لم يمتحن نفسه بعلاماته. وعلاماته أن لا يجد في نفسه استثقالًا للذام عند تطويله الجلوس عنده أكثر مما يجده في المادح، وأن لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج المادح فوق ما يجده في قضاء حاجة الذام، وأن لا يكون انقطاع الذام عن مجلسه أهون عليه من انقطاع المادح، وأن لا يكون موت المادح المطري له أشدّ نكاية في قلبه من موت الذام، وأن لا يكون غمه بمصيبة المادح وما يناله من أعدائه أكثر مما يكون بمصيبة الذام، وأن لا تكون زلة المادح أخف على قلبه وفي عينه من زلة الذام. فمهما خف الذام على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما أبعد ذلك وما أشدّه على القلوب، وأكثر العباد فرحهم بمدح الناس لهم مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون أنفسهم بهذه العلامات، وربما شعر العابد بميل قلبه إلى المادح دون الذام، والشيطان يحسن له ذلك ويقول: الذام قد عصى الله بمذمتك، والمادح قد أطاع الله بمدحك، فكيف تسوّي بينهما؟ وإنما استثقالك للذام من الدين المحض. وهنا محض التلبيس، فإن العابد لو تفكر علم أن في الناس من ارتكب كبائر المعاصي أكثر مما ارتكب الذام في مذمته، ثم إنه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم، ويعلم أن المادح الذي مدح لا يخلو عن مذمة غيره. ولا يجد في نفسه نفرة عنه بمذمة غيره كما يجد لمذمة نفسه، والمذمة من حيث إنها معصية لا تختلف بأن يكون هو المذموم أو غيره. فإذن العابد المغرور لنفسه يغضب ولهواه يمتعض، ثم إن الشيطان يخيل إليه أنه من الدين حتى يعتل على الله بهواه فيزيده ذلك بعدًا من الله، ومن لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات النفوس فأكثر عباداته تعب ضائع يفوّت عليه الدنيا ويخسره في الآخرة، وفيهم قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤].

الحالة الرابعة: وهي الصدق في العبادة، أن يكره المدح ويمقت المادح، إذ يعلم أنه فتنة

عليه قاصمة للظهر مضرة له في الدين، ويحب الذام إذ يعلم أنه مهد إليه عيبه ومرشد له إلى مهمه ومهد إليه حسناته، فقد قال ﷺ: «رَأْسُ التَّوَاضُعِ أَنْ تَكْرَهَ أَنْ تُذْكَرَ بِالبِرِّ وَالتَّقْوَى»[1]، وقد روي في بعض الأخبار ما هو قاصم لظهور أمثالنا إن صح، إذ روي أنه ﷺ قال: «وَيْلٌ لِلصَّائِمِ وَوَيْلٌ لِلْقَائِمِ وَوَيْلٌ لِصَاحِبِ الصُّوفِ إلاَّ مَنْ...» فقيل يا رسول الله إلا من؟ فقال: «إلا مَنْ تَنَزَّهَتْ نَفْسُهُ عَنِ الدُّنْيَا وَأَبْغَضَ المِدْحَةَ وَاسْتَحَبَّ المَذَمَّةَ»[2]، وهذا شديد جدًّا، وغاية أمثالنا الطمع في الحالة الثانية، وهو أن يضمر الفرح والكراهية على الذام والمادح، ولا يظهر ذلك بالقول والعمل، فأما الحالة الثالثة وهي التسوية بين المادح والذام فلسنا نطمع فيها. ثم إن طالبنا أنفسنا بعلامة الحالة الثانية فإنها لا تفي بها، لأنها لا بد وأن تتسارع إلى إكرام المادح وقضاء حاجاته، وتتثاقل على إكرام الذام والثناء عليه وقضاء حوائجه، ولا نقدر على أن نسوي بينهما في الفعل الظاهر كما لا نقدر عليه في سريرة القلب، ومن قدر على التسوية بين المادح والذام في ظاهر الفعل فهو جدير بأن يتخذ قدوة في هذا الزمان إن وجد فإنه الكبريت الأحمر يتحدث الناس به ولا يرى، فكيف بما بعده من المرتبتين؟ وكل واحدة من هذه الرتب أيضًا فيها درجات.

أما الدرجات في المدح فهو أن من الناس من يتمنى المدحة والثناء وانتشار الصيت، فيتوصل إلى نيل ذلك بكل ما يمكن حتى يرائي بالعبادات، ولا يبالي بمقارفة المحظورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق ألسنتهم بالمدح وهذا من الهالكين.

ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات، ولا يباشر المحظورات، وهذا على شرف جرف هار، فإن حدود الكلام الذي يستميل به القلوب وحدود الأعمال لا يمكنه أن يضبطها فيوشك أن يقع فيما لا يحل لنيل الحمد، فهو قريب من الهالكين جدًّا.

ومنهم من لا يريد المدحة ولا يسعى لطلبها، ولكن إذا مدح سبق السرور إلى قلبه فإذا لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهية فهو قريب من أن يستجره فرط السرور إلى الرتبة التي قبلها وإن جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهية وبغض السرور إليه بالتفكر في آفات المدح، فهو في خطر المجاهدة فتارة تكون اليد له وتارة تكون عليه.

ومنهم من إذا سمع المدح لم يسر به ولم يغتم به ولم يؤثر فيه وهذا على خير، وإن كان قد بقي عليه بقية من الإخلاص.

ومنهم من يكره المدح إذا سمعه ولكن لا ينتهي به إلى أن يغضب على المادح وينكر عليه، وأقصى درجاته أن يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه، لا أن يظهر الغضب وقلبه محب له فإن ذلك عين النفاق؛ لأنه يريد أن يظهر من نفسه الإخلاص والصدق وهو مفلس عنه،

---

(١) لا أصل له: حديث «رأس التواضع أن يكره أن يذكر بالبر والتقوى». لم أجد له أصلا.

(٢) حديث «ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف .. الحديث». لم أجده هكذا وذكر صاحب الفردوس من حديث أنس «ويل لمن لبس الصوف فخالف فعله قوله» ولم يخرجه ولد في مسنده.

وكذلك بالضد من هذا تتفاوتُ الأحوال في حق الذام، وأوّل درجاته إظهار الغضب وآخرها إظهار الفرح، ولا يكون الفرح وإظهاره إلا ممن في قلبه حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه وكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيساتها الخبيثة فيبغضها بغض العدوّ، والإنسان يفرح ممن يذم عدوّه، وهذا شخصٌ عدوُّه نفسُه فيفرح إذا سمع ذمها ويشكر الذام على ذلك ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها، فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده إذا صار بالمذمة أوضع في أعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الناس، وإذا سيقت إليه حسنات لم ينصب فيها فعساه يكون خيرًا لعيوبه التي هو عاجز عن إماطتها، ولو جاهد المريد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهو أن يستوي عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه إحداها، ولا يقطع شيئًا منها إلا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل.

الشطر الثاني من الكتاب في طلب الجاه والمنزلة بالعبادات وهو الرياء:

وفيه بيان ذم الرياء، وبيان حقيقة الرياء وما يرائي، وبيان درجات الرياء، وبيان الرياء الخفي، وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط، وبيان دواء الرياء وعلاجه، وبيان الرخصة في إظهار الطاعات، وبيان الرخصة في كتمان الذنوب، وبيان ترك الطاعات خوفًا من الرياء والآفات، وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادات بسبب رؤية الخلق، وبيان ما يجب على المريد أن يلزمه قلبه قبل الطاعة وبعدها. وهي عشرة فصول وبالله التوفيق.

بيان ذم الرياء:

اعلم أن الرياء حرام والمرائي عند الله ممقوت، وقد شهدت لذلك الآيات والأخبار والآثار.

أما الآيات: فقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝﴾ [الماعون:٤-٦] وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر:١٠] قال مجاهد: هم أهل الرياء. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان:٩] فمدح المخلصين ينفي كل إرادة سوى وجه الله، والرياء ضده. وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠] (١) نزل بعد ذلك فيمن يطلب الأجر والحمد بعباداته وأعماله

وأما الأخبار: فقد قال ﷺ حين سأله رجل فقال: يا رسول الله فيم النجاة؟ فقال: «أَنْ لا

---

(١) ضعيف: حديث: نزول قوله تعالى ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠] نزلت فيمن يطلب الأجر والحمد بعباداته وأعماله. أخرجه الحاكم من حديث طاوس: قال رجل إني أقف الموقف أبتغي وجه الله وأحب أن يرى موطني فلم يرد عليه حتى نزلت هذه الآية. [ضعيف الترغيب : ٩، ٨٣٦] هكذا في نسختي من المستدرك ولعله سقط منه ابن عباس أو أبو هريرة، وللبزار من حديث معاذ بسند ضعيف «من صام رياء فقد أشرك... الحديث» وفيه: أنه ﷺ تلا هذه الآية. [موضوع، انظر ضعيف الترغيب : ٢١، وما بعده]

يَعْمَلَ العَبْدُ بِطَاعَةِ الله يُرِيدُ بِها النَّاسَ» وقال أبو هريرة في حديث الثلاثة ، المقتول في سبيل الله والمتصدق بماله والقارىء لكتاب الله، كما أوردناه في كتاب الإخلاص: وإن الله عز وجل يقول لكل واحد منهم: كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد، كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع، كذبت بل أردت أن يقال فلان قارىء. فأخبر أنهم لم يثابوا وأن رياءهم هو الذي أحبط أعمالهم (١)، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: قال النبي ﷺ: «مَنْ رَاءَى رَاءَى الله بِهِ وَمَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ الله بِهِ» (٢)، وفي حديث آخر طويل: «إنَّ الله تَعَالَى يَقُولُ لِمَلائِكَتِهِ: إنَّ هذا لَمْ يُرِدْنِي بِعَمَلِهِ فَاجْعَلُوهُ فِي سِجِّينٍ» (٣).

وقال ﷺ: «إنَّ أَخْوَفَ ما أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرِّياءُ» . يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء (٤). وقال ﷺ: «اسْتَعِيذُوا بِالله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ جُبِّ الحزن» قيل وما هو يا رسول الله؟ قال: «وَادٍ فِي جَهَنَّمَ أُعِدَّ لِلْقُرَّاءِ المُرَائِينَ» (٥)، وقال ﷺ: «يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ عَمِلَ لِي عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَهُوَ لَهُ كُلُّهُ وَأنا مِنْهُ بَرِيءٌ وَأَنا أَغْنَى الأَغْنِيَاءِ عَنِ الشِّرْكِ» (٦)، وقال عيسى المسيح ﷺ: «إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس أنه صائم، وإذا أعطى بيمينه فليخف عن شماله، وإذا صلى فليرخ ستر بابه فإن الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقال نبينا ﷺ: «لا يَقْبَلُ الله عَزَّ وَجَلَّ

---

(١) صحيح: حديث أبي هريرة في الثلاثة: المقتول في سبيل الله والمتصدق بماله والقارئ لكتابه فإن الله تعالى يقول لكل واحد منهم كذبت .. الحديث. رواه مسلم وسيأتي في كتاب الإخلاص. [مسلم : ١٩٠٥]

(٢) صحيح: حديث ابن عمر «من راءى، راءى الله به؛ ومن سمّع، سمّع الله به». متفق عليه من حديث جندب ابن عبد الله، [البخاري : ٦٤٩٩ ، مسلم : ٢٩٨٧] وأما حديث ابن عمر فرواه الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من رواية شيخ يكنى أبا يزيد عنه بلفظ «من سمع الناس سمع الله به مسامع خلقه وحقره وصغره» وفي الزهد لابن المبارك ومسند أحمد بن منيع إنه من حديث عبد الله بن عمرو. [وهو صحيح، وانظر صحيح الترغيب : ٢٥ ، الصحيحة : ٢٥٦٦]

(٣) حديث «إن الله يقول للملائكة إن هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين». أخرجه ابن المبارك في الزهد ومن طريقه ابن أبي الدنيا في الإخلاص وأبو الشيخ في كتاب العظمة من رواية حمزة بن حبيب مرسلا ورواه ابن الجوزي في الموضوعات.

(٤) صحيح: حديث «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر .. الحديث». أخرجه أحمد والبيهقي في الشعب من حديث محمود بن لبيد وله رواية ورجاله ثقات ورواه الطبراني من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج. [انظر صحيح الترغيب : ٣٢ ، الصحيحة : ٩٥١]

(٥) حديث «استعيذوا بالله من جب الحزن» قيل وما هو؟ قال «واد في جهنم أعد للقراء المرائين». أخرجه الترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث أبي هريرة وضعفه ابن عدي. [الترمذي : ٢٣٨٣ ، ابن ماجه : ٢٥٦ ، وانظر ضعيف الترغيب : ٢٥٦، الضعيفة : ٥٠٢٤]

(٦) صحيح بلفظ : «أغنى الشركاء»: حديث «يقول الله عز وجل من عمل لي عملا أشرك فيه غيري فهو له كله .. الحديث». أخرجه مالك واللفظ له من حديث أبي هريرة دون قوله «وأنا منه بريء» [انظر صحيح الترغيب: ٣٤] ومسلم مع تقديم وتأخير دونها أيضا [مسلم: ٢٩٨٥] وهي عند ابن ماجه بسند صحيح. [ابن ماجه: ٤٢٠٢ ، وانظر صحيح الترغيب: ٣٤ ، صحيح ابن ماجه]

عَمَلًا فِيهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ رِيَاءٍ» (١)، وقال عمر لمعاذ بن جبل حين رآه يبكي: ما يبكيك؟ قال: حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعني النبي ﷺ يقول: «إِنَّ أَدْنَى الرِّيَاءِ شِرْكٌ» (٢)، وقال ﷺ: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الرِّيَاءُ وَالشُّهْرَةُ الخَفِيَّةُ» (٣)، وهي أيضًا ترجع إلى خطايا الرياء ودقائقه، وقال ﷺ: «إِنَّ فِي ظِلِّ العَرْشِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ رَجُلًا تَصَدَّقَ بِيَمِينِهِ فَكَادَ يُخْفِيها عَنْ شِمَالِهِ» (٤)، ولذلك ورد: «أَنْ فُضِّلَ عَمَلُ السِّرِّ عَلَى عَمَلِ الجَهْرِ بِسَبْعِينَ ضِعْفًا» (٥)، وقال ﷺ: «إِنَّ المُرَائِي يُنَادَى عَلَيْهِ يَوْمَ القِيامَةِ يا فاجِرُ يا غَادِرُ يا مُرَائِي ضَلَّ عَمَلُكَ وَحَبِطَ أَجْرُكَ اذْهَبْ فَخُذْ أَجْرَكَ مِمَّنْ كُنْتَ تَعْمَلُ لَهُ» (٦)، وقال شدّاد بن أوس: رأيت النبي ﷺ يبكي فقلت: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: «إِنِّي تَخَوَّفْتُ عَلَى أُمَّتِي الشِّرْكَ أما إِنَّهُمْ لا يَعْبُدُونَ صَنَمًا وَلا شَمْسًا وَلا قَمَرًا وَلا حَجَرًا وَلكِنَّهُمْ يُرَاءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ» (٧)، وقال ﷺ: «لمَّا خَلَقَ الله الأَرْضَ مَادَتْ بِأَهْلِها فَخَلَقَ الجِبَالَ فَصَيَّرَها أَوْتادًا لِلأَرْضِ، فقالتْ المَلائِكَةُ: «ما خَلَقَ رَبُّنَا خَلْقًا هُوَ أَشَدُّ مِنَ الجِبَالِ» فَخَلَقَ الله الحَدِيدَ فَقَطَعَ الجِبَالَ، ثُمَّ خَلَقَ النَّارَ فَأَذَابَتِ الحَدِيدَ، ثُمَّ أَمَرَ الله المَاءَ بِإِطْفَاءِ النَّارِ، وَأَمَرَ الرِّيحَ فَكَدَّرَتِ المَاءَ، فَاخْتَلَفَتِ المَلائِكَةُ فَقَالَتْ: نَسْأَلُ الله تَعَالَى، قَالُوا: يا رَبِّ ما أَشَدُّ ما خَلَقْتَ مِنْ خَلْقِكَ؟ قَالَ الله تَعَالَى: (لَمْ أَخْلُقْ خَلْقًا هُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ قَلْبِ ابْنِ آدَمَ حِينَ يَتَصَدَّقُ بِصَدَقَةٍ بِيَمِينِهِ فَيُخْفِيها عَنْ شِمَالِهِ فَهذا أَشَدُّ خَلْقٍ خَلَقْتُهُ) (٨).

وروى عبد الله بن المبارك بإسناده عن رجل أنه قال لمعاذ بن جبل: حدثني حديثًا سمعته من

---

(١) حديث «لا يقبل الله عملا فيه مقدار ذرة من رياء». لم أجده هكذا.

(٢) ضعيف: حديث معاذ «إن أدنى الرياء شرك». أخرجه الطبراني هكذا والحاكم بلفظ «إن اليسير من الرياء شرك» وقد تقدم. [انظر ضعيف الجامع : ١٣٧٩ ، ٢٠٢٩]

(٣) حسن: حديث «أخوف ما أخاف عليكم الرياء». تقدم في أول هذا الكتاب. [انظر الصحيحة : ٥٠٨]

(٤) صحيح: حديث «إن في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجلا تصدق بيمينه فكاد أن يخفيها عن شماله». متفق عليه من حديث أبي هريرة بنحوه في حديث «سبعة يظلهم الله في ظله». [البخاري : ٦٦٠، مسلم : ١٠٣١]

(٥) ضعيف: حديث: تفضيل عمل السر على عمل الجهر بسبعين. ضعفه البيهقي في الشعب من حديث أبي الدرداء «إن الرجل ليعمل العمل فيكتب له عمل صالح معمول به في السر يضعف أجره سبعين ضعفا» قال البيهقي هذا من أفراد بقية عن شيوخه المجهولين، [انظر ضعيف الترغيب : ٢٤] وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص من حديث عائشة بسند ضعيف «يفضل الذكر الخفي الذي لا تسمعه الحفظة على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين درجة». [وهو ضعيف جدًا ، وانظر ضعيف الجامع : ٣٠٦٠، الضعيفة : ٣٦٢٧]

(٦) حديث «إن المرائي ينادي يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط أجرك .. الحديث». أخرجه ابن أبي الدنيا من رواية جبلة اليحصبي عن صحابي لم يسم وزاد «يا كافر يا خاسر» ولم يقل «يا مرائي» وإسناده ضعيف.

(٧) ضعيف جدًا حديث شداد بن أوس «إني تخوفت على أمتي الشرك .. الحديث». أخرجه ابن ماجه والحاكم نحوه وقد تقدم قريبا. [ابن ماجه : ٤٢٠٥ ، وانظر ضعيف الجامع : ١٣٧٨ ، ضعيف الترغيب : ٢١]

(٨) ضعيف: حديث «لما خلق الله الأرض مادت بأهلها .. الحديث» وفيه «لم أخلق خلقا هو أشد من قلب ابن آدم حين يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله». أخرجه الترمذي من حديث أنس مع اختلاف وقال غريب. [الترمذي : ٣٣٦٩ ، وانظر ضعيف الجامع : ٤٧٧٠ ، ضعيف الترغيب: ٥٢٩]

رسول الله ﷺ قال: فبكى معاذ حتى ظننت أنه لا يسكت ثم سكت ثم قال: سمعت النبي ﷺ قال لي: «يا معاذ» قلت لبيك بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال: «إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا إِنْ أَنْتَ حَفِظْتَهُ نَفَعَكَ وَإِنْ أَنْتَ ضَيَّعْتَهُ وَلَمْ تَحْفَظْهُ انْقَطَعَتْ حُجَّتُكَ عِنْدَ الله يَوْمَ القِيامَةِ، يا مَعَاذُ إِنَّ الله تَعَالَى خَلَقَ سَبْعَةَ أَمْلاكٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمواتِ وَالأَرْضِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمواتِ فَجَعَلَ لِكُلِّ سَمَاءٍ مِنَ السَّبْعَةِ مَلَكًا بَوَّابًا عَلَيْها قَدْ جَلَّلَهَا عِظَمًا فَتَصْعَدُ الحَفَظَةُ بِعَمَلِ العَبْدِ مِنْ حِينِ أَصْبَحَ إِلى حِينِ أَمْسَى، لَهُ نُورٌ كَنُورِ الشَّمْسِ، حَتَّى إذا صَعِدَتْ بِهِ إلى السَّماءِ الدُّنْيا زَكَّتْهُ فَكَثَّرَتْهُ فَيَقُولُ المَلَكُ لِلْحَفَظَةِ: اضْرِبُوا بِهذا العَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ، أنا صَاحِبُ الغِيبَةِ أَمَرَنِي رَبِّي أن لا أَدَعَ عَمَلَ مَنْ اغْتَابَ النَّاسَ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي» قال: «ثُمَّ تَأْتِي الحَفَظَةُ بِعَمَلٍ صَالِحٍ مِنْ أَعْمالِ العَبْدِ فَتَمُرُّ بِهِ فَتُزَكِّيهِ وَتُكَثِّرُهُ حَتَّى تَبْلُغَ بِهِ إلى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَيَقُولُ لَهُمُ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِها: «قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهذا العَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ إِنَّهُ أَرَادَ بِعَمَلِهِ هذا عَرَضَ الدُّنْيا أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي إِنَّهُ كَانَ يَفْتَخِرُ بِهِ عَلَى النَّاسِ فِي مَجَالِسِهِمْ» قال: «وَتَصْعَدُ الحَفَظَةُ بِعَمَلٍ يَبْتَهِجُ نُورًا مِنْ صَدَقَةٍ وَصِيَامٍ وَصَلاةٍ قَدْ أَعْجَبَ الحَفَظَةَ فَيُجَاوِزُونَ بِهِ إلى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَيَقُولُ لَهُمُ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهَا: «قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهذا العَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ، أنا مَلَكُ الكِبْرِ أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إلى غَيْرِي إِنَّهُ كَانَ يَتَكَبَّرُ عَلَى النَّاسِ فِي مَجَالِسِهِمْ» قال: «وَتَصْعَدُ الحَفَظَةُ بِعَمَلِ العَبْدِ يُزْهِرُ كما يُزْهِرُ الكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ لَهُ دَوِيٌّ مِنْ تَسْبِيحٍ وَصَلاةٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ حَتَّى يُجَاوِزُوا بِهِ السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَيَقُولُ لَهُمُ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِها: «قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهذا العَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ اضْرِبُوا بِهِ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ، أَنا صَاحِبُ العُجْبِ أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي إِنَّهُ كَانَ إذا عَمِلَ عَمَلًا أَدْخَلَ العُجْبَ فِي عَمَلِهِ» قال: «وَتَصْعَدُ الحَفَظَةُ بِعَمَلِ العَبْدِ حَتَّى يُجَاوِزُوا بِهِ السَّمَاءَ الخَامِسَةَ كَأَنَّهُ العَرُوسُ المَزْفُوفَةُ إِلَى أَهْلِها فَيَقُولُ لَهُمُ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِها: «قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهذا العَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ وَاحْمِلُوهُ عَلَى عَاتِقِهِ أَنا مَلَكُ الحَسَدِ إِنَّهُ كَانَ يَحْسُدُ النَّاسَ مَنْ يَتَعَلَّمُ وَيَعْمَلُ بِمِثْلِ عَمَلِهِ وَكُلُّ مَنْ كانَ يَأْخُذُ فَضْلًا مِنَ العِبَادَةِ يَحْسُدُهُمْ وَيَقَعُ فِيهِمْ أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إلى غَيْرِي» قال: «وَتَصْعَدُ الحَفَظَةُ بِعَمَلِ العَبْدِ مِنْ صَلاةٍ وَزَكاةٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ وَصِيامٍ فَيُجَاوِزُونَ بِهَا إلى السَّماءِ السَّادِسَةِ فَيَقُولُ لَهُمُ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهَا: «قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهذا العَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ إِنَّهُ كَانَ لا يَرْحَمُ إِنْسانًا قَطُّ مِنْ عِبادِ الله أَصَابَهُ بَلاءٌ أَوْ ضُرٌّ أَضَرَّ بِهِ بَلْ يَشْمَتُ بِهِ، أنا مَلَكُ الرَّحْمَةِ أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي».

قال: «وَتَصْعَدُ الحَفَظَةُ بِعَمَلِ العَبْدِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ مِنْ صَوْمٍ وَصَلاةٍ وَنَفَقَةٍ وَزَكَاةٍ وَاجْتِهَادٍ وَوَرَعٍ لَهُ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ الرَّعْدِ وَضَوْءٌ كَضَوْءِ الشَّمْسِ مَعَهُ ثَلاثَةُ آلافِ مَلَكٍ فَيُجَاوِزُونَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ لَهُمُ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهَا: قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهذا العَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ، اضْرِبُوا بِهِ جَوَارِحَهُ أَثْقِلُوا بِهِ عَلَى قَلْبِهِ إِنِّي أَحْجُبُ عَنْ رَبِّي كُلَّ عَمَلٍ لَمْ يُرَدْ بِهِ وَجْهُ رَبِّي إِنَّهُ أَرَادَ بِعَمَلِهِ غَيْرَ الله تَعَالَى، إِنَّهُ أَرَادَ رِفْعَةً عِنْدَ الفُقَهَاءِ وَذِكْرًا عِنْدَ العُلَمَاءِ وَصِيتًا فِي المَدائِنِ، أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي، وَكُلُّ عَمَلٍ لَمْ يَكُنْ لله خَالِصًا فَهُوَ رِياءٌ وَلاَ يَقْبَلُ الله عَمَلَ المُرَائِي»

قال: «وَتَصْعَدُ الحَفَظَةُ بِعَمَلِ العَبْدِ مِنْ صَلاةٍ وَزَكَاةٍ وَصِيَامٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ وخُلُقٍ حَسَنٍ وَصَمْتٍ وَذِكْرٍ لله تَعَالَى وَتُشَيِّعُهُ مَلائِكَةُ السَّموَاتِ حَتَّى يَقْطَعُوا بِهِ الحُجُبَ كُلَّها إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ، فَيَقِفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَشْهَدُونَ لَهُ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ المُخْلِصِ لله» . قال: «فَيَقُولُ الله لَهُمْ أَنْتُم الحَفَظَةُ عَلَى عَمَلِ عَبْدِي وَأنا الرَّقِيبُ عَلَى نَفْسِه إِنَّهُ لَمْ يُرِدْنِي بِهذا العَمَلِ وَأَرَادَ بِهِ غَيْرِي فَعَلَيْهِ لَعْنَتِي، فَتَقُولُ المَلائِكَةُ كُلُّهُمْ: عَلَيْهِ لَعْنَتُكَ وَلَعْنَتُنَا، وتَقُولُ السَّمَاوَاتُ كُلُّهَا: عَلَيْهِ لَعْنَةُ الله وَلَعْنَتُنَا وَتَلْعَنُهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ» قال معاذ: قلت يا رسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ قال: «اقْتَدِ بِي وَإِنْ كَانَ فِي عَمَلِكَ نَقْصٌ، يا مُعَاذُ حَافِظْ عَلَى لِسَانِكَ مِنَ الوَقِيعَةِ فِي إِخْوَانِكَ مِنْ حَمَلَةِ القُرْآنِ وَاحْمِلْ ذُنُوبَكَ عَلَيْكَ وَلا تَحْمِلْها عَلَيْهِمْ، وَلا تُزَكِّ نَفْسَكَ بِذَمِّهِمْ، وَلا تَرْفَعْ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ، وَلا تُدْخِلْ عَمَلَ الدُّنْيَا فِي عَمَلِ الآخِرَةِ، وَلا تَتَكَبَّرْ فِي مَجْلِسِكَ لِكَيْ يَحْذَرَ النَّاسُ مِنْ سُوءِ خُلُقِكَ، وَلا تناجِ رَجُلاً وَعِنْدَكَ آخَرُ، وَلا تَتَعَظَّمْ عَلَى النَّاسِ فَيَنْقَطِعَ عَنْكَ خَيْرُ الدُّنْيَا، وَلا تُمَزِّقِ النَّاسِ فَتُمَزِّقَكَ كِلابُ النَّارِ يَوْمَ القِيامَةِ فِي النَّارِ. قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَالنَّشِطَٰتِ نَشْطًا﴾ [النازعات: ٢] أَتَدْرِي مَنْ هُنَّ يا مُعَاذُ؟ قلت: ما هن بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال: «كِلابٌ فِي النَّارِ تَنْشَطُ اللَّحْمَ وَالعَظْمَ» . قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها؟ قال: «يا مُعَاذُ إِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ الله عَلَيْهِ» (١). قال: فما رأيت أكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر مما في هذا الحديث.

وأما الآثار: فيروى أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رجلاً يطأطىء رقبته قال: يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب، ورأى أبو أمامة الباهلي رجلاً في المسجد يبكي في سجوده فقال: أنت أنت لو كان هذا في بيتك. وقال علي كرّم الله وجهه: للمرائي ثلاث علامات يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان في الناس ويزيد في العمل إذا أثني عليه وينقص إذا ذم. وقال رجل لعبادة بن الصامت: أقاتل بسيفي في سبيل الله أريد به وجه الله تعالى ومحمدة الناس، قال: لا شيء لك، فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول: لا شيء لك، ثم قال في الثالثة: إن الله يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشرك... الحديث. وسأل رجل سعيد بن المسيب فقال: إن أحدنا يصطنع المعروف يحب أن يحمد ويؤجر، فقال له: أتحب أن تمقت؟ قال: لا، قال: فإذا عملت لله عملاً فأخلصه. وقال الضحاك: لا يقولن أحدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولا يقولن هذا لله وللرحم، فإن الله تعالى لا شريك له. وضرب عمر رجلاً بالدرة ثم قال له: اقتص مني فقال: لا بل أدعها لله ولك. فقال له عمر: ما صنعت شيئًا إما أن تدعها لي فأعرف ذلك أو تدعها لله وحده، فقال: ودعتها لله وحده، فقال: فنعم

---

(١) **موضوع**: حديث معاذ الطويل «إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض، ثم خلق السموات فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها .. الحديث». بطوله في صعود الحفظة بعمل العبد ورد الملائكة له من كل سماء ورد الله تعالى له بعد ذلك عزاه المصنف إلى رواية عبد الله بن المبارك بإسناده عن رجل عن معاذ وهو كما قال رواه في الزهد وفي إسناده كما ذكر من لم يسم، ورواه ابن الجوزي في الموضوعات. [انظر ضعيف الترغيب : ٢٧]

إذن. وقال الحسن: لقد صحبت أقوامًا إن كان أحدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت أصحابه وما يمنعه منها إلا مخافة الشهرة وأن كان أحدهم ليمر فيرى الأذى في الطريق فما يمنعه أن ينحيه إلا مخافة الشهرة ويقال: إن المرائي ينادى يوم القيامة بأربعة أسماء: يا مرائي يا غادر يا خاسر يا فاجر اذهب فخذ أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا. وقال الفضيل بن عياض:

كانوا يراءون بما يعملون وصاروا اليوم يراءون بما لا يعملون. وقال عكرمة: إن الله يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لأنّ النية لا رياء فيها. وقال الحسن رضي الله عنه: المرائي يريد أن يغلب قدر الله تعالى وهو رجل سوء يريد أن يقول الناس هو رجل صالح، وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأردياء؟ فلا بدّ لقلوب المؤمنين أن تعرفه. وقال قتادة: إذا راءى العبد يقول الله تعالى: انظروا إلى عبدي يستهزىء بي. وقال مالك بن دينار:القرّاء ثلاثة: قرّاء الرحمن، وقرّاء الدنيا، وقرّاء الملوك، وإن محمد بن واسع من قرّاء الرحمن. وقال الفضيل: من أراد أن ينظر إلى مراء فلينظر إليّ. وقال محمد بن المبارك الصوري: أظهر السمت بالليل فإنه أشرف من سمتك بالنهار لأن السمت بالنهار للمخلوقين وسمت الليل لرب العالمين. وقال أبو سليمان: التوقي عن العمل أشدّ من العمل. وقال ابن المبارك: إن كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان، فقيل له وكيف ذاك؟ قال يحب أن لا يذكر أنه مجاور بمكة. وقال إبراهيم بن أدهم: ما صدق الله من أراد أن يشتهر.

بيان حقيقة الرياء وما يراءى به:

اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية، والسمعة مشتقة من السماع، وإنما الرياء أصله طلب المنزلة في قلوب الناس بإيرائهم خصال الخير إلا أنّ الجاه والمنزلة تطلب في القلب بأعمال سوى العبادات وتطلب العبادات. واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات وإظهارها، فحدّ الرياء هو إرادة العباد بطاعة الله، فالمرائي هو العابد والمراءى هو الناس المطلوب رؤيتهم بطلب المنزلة في قلوبهم، والمراءى به هو الخصال التي قصد المرائي إظهارها، والرياء هو قصده إظهار ذلك، والمراءى به كثير وتجمعه خمسة أقسام وهي مجامع ما يتزين به العبد للناس وهو: البدن، والزي، والقول، والعمل، والأتباع والأشياء الخارجة. وكذلك أهل الدنيا يراءون بهذه الأسباب الخمسة إلا أنّ طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهو من الرياء بالطاعات.

القسم الأوّل: الرياء في الدين بالبدن: وذلك بإظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدّة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة، وليدل بالنحول على قلة الأكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن على الدين، وكذلك يرائي بتشعيث الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرّغ لتسريح الشعر. وهذه الأسباب مهما ظهرت استدل الناس بها على هذه الأمور فارتاحت النفس لمعرفتهم، فلذلك تدعوه النفس إلى

إظهارها لنيل تلك الراحة. ويقرب من هذا خفض الصوت وإغارة العينين وذبول الشفتين، ليستدل بذلك على أنه مواظب على الصوم، وأنّ وقار الشرع هو الذي خفض من صوته أو ضعف الجوع هو الذي ضعف من قوته. وعن هذا قال المسيح عليه السلام: إذا صام أحدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه. وكذلك روي عن أبي هريرة، وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان بالرياء؛ ولذلك قال ابن مسعود: أصبحوا صيامًا مدهنين. فهذه مراءاة أهل الدين بالبدن.

فأما أهل الدنيا فيراءون بإظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوّة الأعضاء وتناسبها.

الثاني: الرياء بالهيئة والزي: أما الهيئة فبتشعيث شعر الرأس وحلق الشارب وإطراق الرأس في المشي والهدوء في الحركة وإبقاء أثر السجود على الوجه، وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها إلى قريب من الساق، وتقصير الأكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقًا، كل ذلك يرائي به ليظهر من نفسه أنه متبع للسنة فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين، ومن ذلك لبس المرقعة والصلاة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبهًا بالصوفية مع الإفلاس من حقائق التصوّف في الباطن. ومنه التقنع بالإزار فوق العمامة وإسبال الرداء على العينين ليرى به أنه قد انتهى تقشفه إلى الحذر من غبار الطريق، ولتنصرف إليه الأعين بسبب تميزه بتلك العلامة. ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه من هو خال عن العلم ليوهم أنه من أهل العلم.

والمراءون بالزي على طبقات: فمنهم من يطلب المنزلة عند أهل الصلاح بإظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليرائي بغلظها ووسخها وقصرها وتخرقها أنه غير مكترث بالدنيا، ولو كلف أن يلبس ثوبًا وسطًا نظيفًا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح، وذلك لخوفه أن يقول الناس قد بدا له من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب في الدنيا. وطبقة أخرى يطلبون القبول عند أهل الصلاح وعند أهل الدنيا من الملوك والوزراء والتجار، ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردهم القراء ولو لبسوا الثياب المخرقة البذلة ازدرتهم أعين الملوك والأغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول أهل الدين والدنيا، فلذلك يطلبون الأصواف الدقيقة والأكسية الرقيقة والمرقعات المصبوغة والفوط الرفيعة فيلبسونها، ولعل قيمة ثوب أحد الأغنياء ولونه وهيئته لون ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول عند الفريقين، وهؤلاء إن كلفوا لبس ثوب خشن أو وسخ لكان عندهم كالذبح خوفًا من السقوط من أعين الملوك والأغنياء، ولو كلفوا لبس الديبقي والكتان الدقيق الأبيض والمقصب المعلم ، وإن كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم ذلك عليهم خوفًا من أن يقول أهل الصلاح قد رغبوا في زي أهل الدنيا. وكل طبقة منهم رأى منزلته في زي مخصوص فيثقل عليه الانتقال إلى ما دونه أو إلى ما فوقه وإن كان مباحًا خيفة من المذمة.

وأما أهل الدنيا، فمراءاتهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة وأنواع التوسع والتجمل في

الملبس والمسكن وأثاث البيت وفره الخيول وبالثياب المصبغة والطيالسة النفيسة، وذلك ظاهر بين الناس فإنهم يلبسون في بيوتهم الثياب الخشنة ويشتدّ عليهم لو برزوا للناس على تلك الهيئة ما لم يبالغوا في الزينة.

الثالث: الرياء بالقول: ورياء أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الأخبار والآثار، لأجل الاستعمال في المحاورة وإظهارًا لغزارة العلم ودلالة على شدّة العناية بأحوال السلف الصالحين، وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق، وإظهار الغضب للمنكرات وإظهار الأسف على مقارفة الناس للمعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت بقراءة القرآن، ليدل بذلك على الخوف والحزن، وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والدق على من يروي الحديث ببيان خلل في لفظه ليعرف أنه بصير بالأحاديث والمبادرة إلى أنّ الحديث صحيح أو غير صحيح لإظهار الفضل فيه، والمجادلة على قصد إفحام الخصم ليظهر للناس قوّته في علم الدين. والرياء بالقول كثير وأنواعه لا تنحصر.

وأما أهل الدنيا، فمراءاتهم بالقول بحفظ الأشعار والأمثال والتفاصح في العبارات وحفظ النحو الغريب للإغراب على أهل الفضل وإظهار التودد إلى الناس لاستمالة القلوب.

الرابع: الرياء بالعمل: كمراءاة المصلي بطول القيام ومدّ الظهر وطول السجود والركوع وإطراق الرأس. وترك الالتفات وإظهار الهدوء والسكون وتسوية القدمين واليدين، وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة وبإطعام الطعام، وبالإخبات في المشي عند اللقاء كإرخاء الجفون وتنكيس الرأس والوقار في الكلام، حتى أنّ المرائي قد يسرع في المشي إلى حاجته فإذا اطلع عليه أحد من أهل الدين رجع إلى الوقار وإطراق الرأس خوفًا من أن ينسبه إلى العجلة وقلة الوقار، فإن غاب الرجل عاد إلى عجلته، فإذا رآه عاد إلى خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون يجدّد الخشوع له، بل هو لاطلاع إنسان عليه يخشى أن لا يعتقد فيه أنه من العباد والصلحاء، ومنهم من إذا سمع هذا استحيا من أن تخالف مشيته في الخلوة مشيته بمرأى من الناس، فيكلف نفسه المشية الحسنة في الخلوة حتى إذا رآه الناس يفتقر إلى التغيير ويظن أنه يتخلص به عن الرياء وقد تضاعف به رياؤه، فإنه صار في خلوته أيضًا مرائيًا، فإنه إنما يحسن مشيته في الخلوة ليكون كذلك في الملأ لا لخوف من الله وحياء منه.

وأما أهل الدنيا، فمراءاتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطا والأخذ بأطراف الذيل وإدارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة.

الخامس: المراءاة بالأصحاب والزائرين والمخالطين: كالذي يتكلف أن يستزير عالمًا من العلماء ليقال إن فلانًا قد زار فلانًا، أو عابدًا من العباد ليقال إن أهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون إليه، أو ملكًا من الملوك أو عاملًا من عمال السلطان ليقال إنهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين. وكالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى أنه لقي شيوخًا كثيرة واستفاد منهم فيباهي بشيوخه

ومباهاته ومراءاته تترشح منه عند مخاصمته، فيقول لغيره: من لقيت من الشيوخ وأنا قد لقيت فلانًا وفلانًا ودرت البلاد وخدمت الشيوخ. وما يجري مجراه فهذه مجامع ما يرائي به المراءون وكلهم يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب العباد. ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى إلى ديره سنين كثيرة؟ وكم من عابد اعتزل إلى قلة جبل مدّة مديدة، وإنما خبأته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولو عرف أنهم نسبوه إلى جريمة في ديره أو صومعته لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله ببراءة ساحته، بل يشتدّ لذلك غمه ويسعى بكل حيلة في إزالة ذلك من قلوبهم، مع أنه قد قطع طمعه من أموالهم ولكنه يحب مجرّد الجاه ، فإنه لذيذ كما ذكرناه في أسبابه ، فإنه نوع قدرة وكمال في الحال وإن كان سريع الزوال لا يغتر به إلا الجهال ولكن أكثر الناس جهال، ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس من ذلك إطلاق اللسان بالثناء والحمد. ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة إليه. ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجز الحوائج على يده فيقوم له بذلك جاه عند العامة، ومنهم من يقصد التوصل بذلك إلى جمع حطام وكسب مال ولو من الأوقاف وأموال اليتامى وغير ذلك من الحرام، وهؤلاء شر طبقات المرائين الذين يراءون بالأسباب التي ذكرناها، فهذه حقيقة الرياء وما به يقع الرياء.

فإن قلت : فالرياء حرام أو مكروه أو مباح أو فيه تفصيل؟

فأقول فيه تفصيل فإن الرياء هو طلب الجاه، وهو إما أن يكون بالعبادات أو بغير العبادات، فإن كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث إنه طلب منزلة في قلوب العباد، ولكن كما لا يمكن كسب المال بتلبيسات وأسباب محظورات فكذلك الجاه، وكما أن كسب قليل من المال هو ما يحتاج إليه الإنسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات أيضًا محمود، وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف :٥٥] وكما أن المال فيه سم ناقع ودرياق نافع فكذلك الجاه، وكما أن كثير المال يلهي ويطغي وينسي ذكر الله والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل أشدّ، وفتنة الجاه أعظم من فتنة المال، وكما أنّا لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول أيضًا تملك القلوب الكثيرة حرام إلا إذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز. نعم انصراف الهم إلى سعة الجاه مبدأ الشرور كانصراف الهم إلى كثرة المال، ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرها، وأما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله إن زال فلا ضرر فيه، فلا جاه أوسع من جاه رسول الله ﷺ وجاه الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين، ولكن انصراف الهم إلى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم، فعلى هذا نقول: تحسين الثوب الذي يلبسه الإنسان عند الخروج إلى الناس مراءاة وهو ليس بحرام لأنه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا، وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم. والدليل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها: أنّ رسول الله ﷺ أراد أن يخرج يومًا إلى الصحابة فكان ينظر

في جب الماء ويسوي عمامته وشعره فقالت: أو تفعل ذلك يا رسول الله؟ قال: «نَعَمْ إنَّ الله تَعَالَى يُحِبُّ مِنَ العَبْدِ أَنْ يَتَزَيَّنَ لإِخْوَانِهِ إذا خَرَجَ إِلَيْهِمْ» (١). نعم هذا كان من رسول الله ﷺ عبادة لأنه كان مأمورًا بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم، ولو سقط من أعينهم لم يرغبوا في اتباعه، فكان يجب عليه أن يظهر لهم محاسن أحواله لئلا تزدريه أعينهم، فإنّ أعين عوام الخلق تمتدّ إلى الظواهر دون السرائر، فكان ذلك قصد رسول الله ﷺ ولكن لو قصد قاصد به أن يحسن نفسه في أعينهم حذرًا من ذمهم ولومهم واسترواحًا إلى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد أمرًا مباحًا،إذ للإنسان أن يحترز من ألم المذمة ويطلب راحة الأنس بالإخوان.

ومهما استثقلوه واستقذروه لم يأنس بهم.

فإذن المراءاة بما ليس من العبادات قد تكون مباحة، وقد تكون طاعة، وقد تكون مذمومة، وذلك بحسب الغرض المطلوب بها. ولذلك نقول: الرجل إذا أنفق ماله على جماعة من الأغنياء لا في معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس أنه سخي فهذا مراءاة وليس بحرام وكذلك أمثاله.

أما العبادات كالصدقة والصلاة والصيام والغزو والحج فللمرائي فيه حالتان إحداهما: أن لا يكون له قصد إلا الرياء المحض دون الأجر، وهذا يبطل عبادته لأنّ الأعمال بالنيات، وهذا ليس بقصد العبادة، لا يقتصر، على إحباط عبادته حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصي بذلك ويأثم كما دلت عليه الأخبار والآيات.

والمعنى فيه أمران:

أحدهما: يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر لأنه خيل إليهم أنه مخلص مطيع لله وأنه من أهل الدين وليس كذلك، والتلبيس في أمر الدنيا حرام أيضًا، حتى لو قضى دين جماعة وخيل للناس أنه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته أثم به لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر.

والثاني: يتعلق بالله وهو أنه مهما قصد بعبادة الله تعالى خلقَ اللهِ فهو مستهزىء بالله. ولذلك قال قتادة: إذا راءى العبد قال الله لملائكته انظروا إليه يستهزىء بي.

ومثاله أن يتمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وإنما وقوفه لملاحظة جارية من جواري الملك أو غلام من غلمانه، فإن هذا استهزاء بالملك إذ لم يقصد التقريب إلى الملك بخدمته بل قصد بذلك عبدًا من عبيده، فأي استحقار يزيد على أن يقصد العبد بطاعة الله تعالى مراءاة عبد ضعيف لا يملك له ضرًا ولا نفعًا؟ وهل ذلك إلا لأنه يظن أن ذلك العبد أقدر على تحصيل أغراضه من الله؟ وأنه أولى بالتقريب من الله إذ آثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته؟ وأي استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى؟ فهذا من كبائر

---

(١) حديث عائشة: أراد أن يخرج يوما إلى الصحابة فكان ينظر في جب الماء ويسوي عمامته وشعره .. الحديث». أخرجه ابن عدي في الكامل وقد تقدم في الطهارة.

المهلكات ولهذا سماه رسول الله ﷺ الشرك الأصغر (١).

نعم بعض درجات الرياء أشد من بعض ، كما سيأتي بيانه في درجات الرياء إن شاء الله تعالى ، ولا يخلو شيء منه عن إثم غليظ أو خفيف بحسب ما به المراءاة ولو لم يكن في الرياء إلا أنه يسجد ويركع لغير الله لكان فيه كفاية، فإنه وإن لم يقصد التقرب إلى الله فقد قصد غير الله، ولعمري لو عظم غير الله بالسجود لكفر كفرًا جليًا، إلا أن الرياء هو الكفر الخفي لأن المرائي عظم في قلبه الناس، فاقتضت تلك العظمة أن يسجد ويركع فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه، ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبًا من الشرك، إلا أنه قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده بإظهاره من نفسه صورة التعظيم لله، فإن هذا كان شركًا خفيًا لا شركًا جليًا، وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه إلا من خدعه الشيطان وأوهم عنده أن العباد يملكون من ضره ونفعه ورزقه وأجله ومصالح حاله ومآله أكثر مما يملكه الله تعالى، فلذلك عدل بوجهه عن الله إليهم وأقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم، ولو وكله الله تعالى إليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك أقل مكافأة له على صنيعه، فإن العباد كلهم عاجزون عن أنفسهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا فكيف يملكون لغيرهم هذا في الدنيا؟ فكيف في يوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا بل تقول الأنبياء فيه نفسي نفسي؟ فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله ما يرتقبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس؟ فلا ينبغي أن نشك في أن المرائي بطاعة الله في سخط الله من حيث النقل والقياس جميعًا هذا إذا لم يقصد الأجر فأما إذا قصد الأجر والحمد جميعًا في صدقته أو صلاته فهو الشرك الذي يناقض الإخلاص. وقد ذكرنا حكمه في كتاب الإخلاص، ويدل على ما نقلناه من الآثار قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت: إنه لا أجر له فيه أصلًا.

بيان درجات الرياء:

اعلم أن بعض أبواب الرياء أشد وأغلظ من بعض، واختلافه باختلاف أركانه وتفاوت الدرجات فيه. وأركانه ثلاثة: المراءى به والمراءى لأجله ونفس قصد الرياء.

الركن الأول: نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو إما أن يكون مجردًا دون إرادة عبادة الله تعالى والثواب، وإما أن يكون مع إرادة الثواب، فإن كان كذلك لا يخلو إما أن تكون إرادة الثواب أقوى وأغلب أو أضعف أو مساوية لإرادة العبادة فتكون الدرجات أربعًا:

الأولى: وهي أغلظها أن لا يكون مراده الثواب أصلًا، كالذي يصلي بين أظهر الناس ولو

---

(١) صحيح: حديث: سمى الرياء الشرك الأصغر. أخرجه أحمد من حديث محمود بن لبيد وقد تقدم ورواه الطبراني من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج فجعله في مسند رافع وتقدم قريبا [انظر صحيح الجامع : ١٥٥٥ ، الصحيحة : ٩٥١] وللحاكم وصحح إسناده من حديث شداد بن أوس: كنا نعد على عهد رسول الله ﷺ أن الرياء الشرك الأصغر. [وهو صحيح ، انظر صحيح الترغيب : ٣٥]

انفرد لكان لا يصلي، بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس، فهذا جرّد قصده إلى الرياء فهو الممقوت عند الله تعالى. وكذلك من يخرج الصدقة خوفًا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما أداها فهذه الدرجة العليا من الرياء.

الثاني: أن يكون له قصد الثواب أيضًا ولكن قصدًا ضعيفًا، بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله، ولا يحمله ذلك القصد على العمل، ولو لم يكن قصد الثواب لكان الرياء يحمله على العمل، فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه المقت والإثم.

الثالث: أن يكون له قصد الثواب وقصد الرياء متساويين، بحيث لو كان كل واحد منهما خاليًا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة، أو كان كل واحد منهما لو انفرد لاستقل بحمله على العمل، فهذا قد أفسد مثل ما أصلح فنرجو أن يسلم رأسًا برأس لا له ولا عليه، أو يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الأخبار تدل على أنه لا يسلم، وقد تكلمنا عليه في كتاب الإخلاص.

الرابع: أن يكون إطلاع الناس مرجحًا ومقويًا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما أقدم عليه فالذي نظنه والعلم عند الله أنه لا يحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب وأما قوله ﷺ: «يقول الله تعالى أنا أغنى الأغنياء عن الشرك» فهو محمول على ما إذا تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح.

الرابع الثاني: المراءى به وهو الطاعات وذلك ينقسم إلى الرياء بأصول العبادات وإلى الرياء بأوصافها.

القسم الأول وهو الأغلظ: الرياء بالأصول وهو على ثلاث درجات.

الأولى: الرياء بأصل الإيمان وهذا أغلظ أبواب الرياء وصاحبه مخلد في النار، وهو الذي يظهر كلمتي الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائي بظاهر الإسلام، وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله عز وجل: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] أي في دلالتهم بقولهم على ضمائرهم. وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ۝ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٥] الآية، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١١٩] وقال تعالى: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ١٤١-١٤٣] والآيات فيهم كثيرة. وكان النفاق يكثر في ابتداء الإسلام ممن يدخل في ظاهر الإسلام ابتداءً لغرض، وذلك مما يقل في زماننا، ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنًا فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة ميلًا إلى قول الملاحدة، أو يعتقد طي بساط الشرع والأحكام

ميلًا إلى أهل الإباحة، أو يعتقد كفرًا أو بدعة وهو يظهر خلافه، فهؤلاء من المنافقين والمرائين المخلدين في النار، وليس وراء هذا الرياء رياء، وحال هؤلاء أشدّ حالًا من الكفار المجاهرين، فإنهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر.

الثانية: الرياء بأصول العبادات مع التصديق بأصل الدين، وهذا أيضًا عظيم عند الله ولكنه دون الأول بكثير. ومثاله: أن يكون مال الرجل في يد غيره فيأمره بإخراج الزكاة خوفًا من ذمه، والله يعلم منه أنه لو كان في يده لما أخرجها، أو يدخل وقت الصلاة وهو في جمع وعادته ترك الصلاة في الخلوة، وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق ليفطر، وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها، أو يصل رحمه أو يبر والديه لا عن رغبة ولكن خوفًا من الناس، أو يغزو أو يحج كذلك. فهذا مراء معه أصل الإيمان بالله يعتقد أنه لا معبود سواه، ولو كلف أن يعبد غير الله أو يسجد لغيره لم يفعل، ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند إطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق أحب إليه من منزلته عند الخالق، وخوفه من مذمة الناس أعظم من خوفه من عقاب الله، ورغبته في محمدتهم أشدّ من رغبته في ثواب الله، وهذا غاية الجهل وما أجدر صاحبه بالمقت وإن كان غير منسل عن أصل الإيمان من حيث الاعتقاد.

الثالثة: أن لا يرائي بالإيمان ولا بالفرائض، ولكنه يرائي بالنوافل والسنن التي لو تركها لا يعصي، ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولإيثار لذة الكسل على ما يرجى من الثواب، ثم يبعثه الرياء على فعلها، وذلك كحضور الجماعة في الصلاة وعيادة المريض واتباع الجنازة وغسل الميت، وكالتهجد بالليل وصيام يوم عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس. فقد يفعل المرائي جملة ذلك خوفًا من المذمة أو طلبًا للمحمدة، ويعلم الله تعالى منه أنه لو خلا بنفسه لما زاد على أداء الفرائض. فهذا أيضًا عظيم ولكنه دون ما قبله، فإن الذي قبله آثر حمد الخلق على حمد الخالق. وهذا أيضًا قد فعل ذلك واتقى ذمّ الخلق دون ذم الخالق، فكان ذم الخلق أعظم عنده من عقاب الله، وأما هذا فلم يفعل ذلك لأنه لم يخف عقابًا على ترك النافلة لو تركها، وكأنه على شطر من الأوّل وعقابه نصف عقابه. فهذا هو الرياء بأصول العبادات.

القسم الثاني: الرياء بأوصاف العبادات لا بأصولها، وهو أيضًا على ثلاث درجات:

الأولى: أن يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة، كالذي غرضه أن يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة، فإذا رآه الناس أحسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين، وقد قال ابن مسعود: من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها رَبَّه عز وجل، أي أنه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة، فإذا اطلع عليه آدمي أحسن الصلاة، ومن جلس بين يدي إنسان متربعًا أو متكئًا فدخل غلامه فاستوى وأحسن الجلسة كان ذلك منه تقديمًا للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة. وهذا حال المرائي بتحسين الصلاة في الملأ دون الخلوة. وكذلك الذي يعتاد إخراج الزكاة من الدنانير الرديئة أو من الحب الرديء فإذا اطلع عليه غيره

أخرجها من الجيّد خوفًا من مذمته، وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث لأجل الخلق لا إكمالًا لعبادة الصوم خوفًا من المذمة، فهذا أيضًا من الرياء المحظور لأن فيه تقديمًا للمخلوقين على الخالق، ولكنه دون الرياء بأصول التطوّعات.

فإن قال المرائي: إنما فعلت ذلك صيانة لألسنتهم عن الغيبة، فإنهم إذا رأوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات أطلقوا اللسان بالذم والغيبة، وإنما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية؟ فيقال له: هذه مكيدة للشيطان عندك وتلبيس، وليس الأمر كذلك، فإن ضررك من نقصان صلاتك وهي خدمة منك لمولاك أعظم من ضررك بغيبة غيرك، فلو كان باعثك الدين لكانت شفقتك على نفسك أكثر، وما أنت في هذا إلا كمن يهدي وصيفة إلى ملك لينال منه فضلًا وولاية يتقلدها، فيهديها إليه وهي عوراء قبيحة مقطوعة الأطراف ولا يبالي به إذا كان الملك وحده، وإذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفًا من مذمة غلمانه، وذلك محال بل من يراعي جانب غلام الملك ينبغي أن تكون مراقبته للملك أكثر.

نعم للمرائي فيه حالتان: إحداهما أن يطلب بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعًا. والثانية: أن يقول ليس يحضرني الإخلاص في تحسين الركوع والسجود، ولو خففت كانت صلاتي عند الله ناقصة وآذاني الناس بذمهم وغيبتهم، فأستفيد بتحسين الهيبة دفع مذمتهم ولا أرجو عليه ثوابًا، فهو خير من أن أترك تحسين الصلاة فيفوت الثواب وتحصل المذمة فهذا فيه أدنى نظر. والصحيح أن الواجب عليه أن يحسن ويخلص، فإن لم تحضره النية فينبغي أن يستمر على عادته في الخلوة فليس له أن يدفع الذم بالمراءاة بطاعة الله فإن ذلك استهزاء كما سبق.

الدرجة الثانية: أن يرائي بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة لعبادته، كالتطويل في الركوع والسجود، ومدّ القيام وتحسين الهيئة ورفع اليدين والمبادرة إلى التكبيرة الأولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السور المعتادة، وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت، وكاختيار الأجود على الجيد في الزكاة وإعتاق الرقبة الغالية في الكفارة. وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه.

الثالثة: أن يرائي بزيادات خارجة عن نفس النوافل كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده للصف الأول وتوجهه إلى يمين الإمام وما يجري مجراه. وكل ذلك مما يعلم الله منه أنه لو خلا بنفسه لكان لا يبالي أين وقف ومتى يحرم بالصلاة؟ فهذه درجات الرياء بالإضافة إلى ما يرائي به وبعضه أشدّ من بعض. والكل مذموم.

الركن الثالث: المرائي لأجله، فإن للمرائي مقصودًا لا محالة، وإنما يرائي لإدراك مال أو جاه أو غرض من الأغراض لا محالة، وله أيضًا ثلاث درجات:

الأولى: وهي أشدّها وأعظمها أن يكون مقصوده التمكن من معصية، كالذي يرائي بعبادته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن أكل الشبهات وغرضه أن يعرف بالأمانة

فيولى القضاء أو الأوقاف أو الوصايا أو مال الأيتام فيأخذها أو يسلم إليه تفرقة الزكاة أو الصدقات ليستأثر بما قدر عليه منها، أو يودع الودائع فيأخذها ويجحدها، أو تسلم إليه الأموال التي تنفق في طريق الحج فيختزل بعضها أو كلها، أو يتوصل بها إلى استتباع الحجيج ويتوصل بقوتهم إلى مقاصده الفاسدة في المعاصي. وقد يظهر بعضهم زي التصوّف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وإنما قصده التحبب إلى امرأة أو غلام لأجل الفجور، وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرون الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النساء والصبيان أو يخرج إلى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرفقة من امرأة أو غلام. وهؤلاء أبغض المرائين إلى الله تعالى لأنهم جعلوا طاعة ربهم سلمًا إلى معصيته واتخذوها آلة ومتجرًا وبضاعة لهم في فسقهم، ويقرب من هؤلاء وإن كان دونهم من هو مقترف جريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد أن ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي جحد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال إنه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحيل مال غيره وكذلك من ينسب إلى فجور بامرأة أو غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع وإظهار التقوى.

الثانية: أن يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال أو نكاح امرأة جميلة أو شريفة، كالذي يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الأموال ويرغب في نكاحه النساء، فيقصد إما امرأة بعينها لينكحها أو امرأة شريفة على الجملة، وكالذي يرغب أن يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته. فهذا رياء محظور لأنه طلب بطاعة الله متاع الدنيا ولكنه دون الأول، فإن المطلوب بهذا مباح في نفسه.

الثالثة: أن لا يقصد نيل حظ وإدراك مال أو نكاح، ولكن يظهر عبادته خوفًا من أن ينظر إليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد ويعتقد أنه من جملة العامة كالذي يمشي مستعجلًا فيطلع عليه الناس فيحسن المشي ويترك العجلة كيلا يقال إنه من أهل اللهو والسهو لا من أهل الوقار، وكذلك إن سبق إلى الضحك أو بدا منه المزاح فيخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وإظهار الحزن، ويقول ما أعظم غفلة الآدمي عن نفسه، والله يعلم منه أنه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك، وإنما يخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار لا بعين التوقير، وكالذي يرى جماعة يصلون التراويح أو يتهجدون أو يصومون الخميس والاثنين أو يتصدقون فيوافقهم خيفة أن ينسب إلى الكسل ويلحق بالعوام، ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيئًا من ذلك، وكالذي يعطش يوم عرفة أو عاشوراء أو في الأشهر الحرم فلا يشرب خوفًا من أن يعلم الناس أنه غير صائم، فإذا ظنوا به الصوم امتنع عن الأكل لأجله، أو يدعى إلى طعام فيمتنع ليظن أنه صائم وقد لا يصرح بأني صائم ولكن يقول: لي عذر، وهو جمع بين خبيثين، فإنه يري أنه صائم ثم يري أنه مخلص ليس بمراء، وأنه يحترز من أن يذكر عبادته للناس فيكون مرائيًا فيريد أن يقال إنه ساتر لعبادته، ثم إن اضطر إلى شرب لم يصبر عن أن يذكر

لنفسه فيه عذرًا تصريحًا أو تعريضًا بأن يتعلل بمرض يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم، أو يقول أفطرت تطييبًا لقلب فلان، ثم قد لا يذكر ذلك متصلًا بشربه كي لا يظن به أن يعتذر رياءً ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضًا، مثل أن يقول: إن فلانًا محب للإخوان شديد الرغبة في أن يأكل الإنسان من طعامه وقد ألح علي اليوم ولم أجد بدًا من تطييب قلبه. ومثل أن يقول: إن أمي ضعيفة القلب مشفقة عليَّ تظن أني لو صمت يومًا مرضت فلا تدعني أصوم، فهذا وما يجري مجراه من آفات الرياء فلا يسبق إلى اللسان إلا لرسوخ عرق الرياء في الباطن.

أما المخلص فإنه لا يبالي كيف نظر الخلق إليه؟ فإن لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد أن يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيكون ملبسًا، وإن كان له رغبة في الصوم لله قنع بعلم الله تعالى ولم يشرك فيه غيره، وقد يخطر له أنّ في إظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور ، وسيأتي شرح ذلك وشروطه ،.

فهذه درجات الرياء ومراتب أصناف المرائين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه، وهو من أشد المهلكات وإن من شدّته أن فيه شوائب هي أخفى من دبيب النمل كما ورد به الخبر، يزل فيه فحول العلماء فضلًا عن العباد الجهلاء بآفات النفوس وغوائل القلوب والله أعلم.

بيان الرياء الخفي الذي هو أخفى من دبيب النمل:

اعلم أنّ الرياء جلي وخفي، فالجلي هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو أجلاه، وأخفى منه قليلًا هو ما لا يحمل على العمل بمجرده، إلا أنه يخفف العمل الذي يريد به وجه الله، كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه، فإذا نزل عنده ضيف تنشط له وخف عليه وعلم أنه لولا رجاء الثواب لكان لا يصلي لمجرد رياء الضيفان، وأخفى من ذلك ما لا يؤثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف أيضًا ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب، ومهما لم يؤثر في الدعاء إلى العمل لم يمكن أن يعرف إلا بالعلامات، وأجلى علاماته أن يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص في عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده ويتمم العمل كذلك، ولكن إذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروّح ذلك عن قلبه شدة العبادة، وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يرشح السرور، ولولا التفات القلب إلى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس، فلقد كان الرياء مستكنًا، في القلب استكنان النار في الحجر فأظهر عنه اطلاع الخلق أثر الفرح والسرور، ثم إذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتًا وغذاءً للعرق الخفي من الرياء حتى يتحرّك على نفسه حركة خفية، فيتقاضى تقاضيًا خفيًا أن يتكلف سببًا يطلع عليه بالتعريض وإلقاء الكلام عرضًا وإن كان لا يدعو إلى التصريح، وقد يخفي فلا يدعو إلى الإظهار بالنطق تعريضًا وتصريحًا ولكن بالشمائل، كإظهار النحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد، وأخفى من ذلك أن يختفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته،

ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يبدءوه بالسلام وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير وأن يثنوا عليه وأن ينشطوا في قضاء حوائجه وأن يسامحوه في البيع والشراء وأن يوسعوا له في المكان، فإن قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادًا في نفسه كأنه يتقاضى الاحترام مع الطاعة التي أخفاها مع أنه لم يطلع عليه، ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه، ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يكن خاليًا عن شوب خفي من الرياء أخفى من دبيب النمل [1] وكل ذلك يوشك أن يحبط الأجر ولا يسلم منه إلا الصدِّيقون.

وقد روي عن علي كرم الله وجهه أنه قال: إن الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة، ألم يكن يرخص عليكم السعر؟ ألم تكونوا تبتدءون بالسلام؟ ألم تكونوا تقضى لكم الحوائج؟ وفي الحديث: «لا أَجْرَ لَكُمْ قَدِ اسْتَوْفَيْتُمْ أُجُورَكُمْ» وقال عبد الله بن المبارك: روي عن وهب بن منبه انه قال: إن رجلًا من السوّاح قال لأصحابه إنا إنما فارقنا الأموال والأولاد مخافة الطغيان فنخاف أن نكون قد دخل علينا في أمرنا هذا الطغيان أكثر مما دخل على أهل الأموال في أموالهم، إن أحدنا إذا لقي أحب أن يعظم لمكان دينه، وإن سأل حاجة أحب أن تقضى له لمكان دينه، وإن اشترى شيئًا أحب أن يرخص عليه لمكان دينه، فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس فإذا السهل والجبل قد امتلأ بالناس، فقال السائح: ما هذا؟ قيل: هذا الملك قد أظلك، فقال للغلام ائتني بطعام فأتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر، فجعل يحشو شدقه ويأكل أكلًا عنيفًا فقال الملك أين صاحبكم؟ فقالوا هذا، قال: كيف أنت؟ قال كالناس، وفي حديث آخر: بخير، فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه، فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وأنت لي ذام. فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفي يجتهدون لذلك في مخادعة الناس عن أعمالهم الصالحة يحرصون على إخفائها أعظم مما يحرص الناس على إخفاء فواحشهم، كل ذلك رجاء أن تخلص أعمالهم الصالحة فيجازيهم الله في القيامة بإخلاصهم على ملأ من الخلق، إذ علموا أنّ الله لا يقبل في القيامة إلا الخالص وعلموا شدّة حاجتهم وفاقتهم في القيامة وأنه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزي والد عن ولده، ويشتغل الصدّيقون بأنفسهم فيقول كل واحد: نفسي نفسي فضلًا عن غيرهم فكانوا كزوّار بيت الله إذا توجهوا إلى مكة فإنهم يستصحبون مع أنفسهم الذهب المغربي الخالص لعلمهم أن أرباب البوادي لا يروج عندهم الزائف والتبهرج، والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يفزع إليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجي إلا الخالص من النقد، فكذا يشاهد أرباب القلوب يوم القيامة والزاد

---

(١) حديث «في الرياء شوائب أخفى من دبيب النمل». أخرجه أحمد والطبراني من حديث أبي موسى الأشعري «اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل» [حسن ، وانظر صحيح الترغيب : ٣٦] ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي بكر الصديق وضعفه هو والدارقطني. [قلت ، والحديث صحيح من حديث ابن عباس وغيره بلفظ : «الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل» ، انظر صحيح الجامع : ٣٧٣٠ ، ٣٧٣١ ، صحيح الأدب المفرد: ٧١٦]

الذي يتزوّدونه له من التقوى. فإذن شوائب الرياء الخفي كثيرة لا تنحصر، ومهما أدرك من نفسه تفرقة بين أن يطلع على عبادته إنسان أو بهيمة ففيه شعبة من الرياء فإنه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضره البهائم أو الصبيان الرضع أم غابوا، اطلعوا على حركته أم لم يطلعوا، فلو كان مخلصًا قانعًا بعلم الله لاستحقر العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم، وعلى أنّ العقلاء لا يقدرون له على رزق ولا أجل ولا زيادة ثواب ونقصان عقاب كما لا يقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين، فإذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفي، ولكن ليس كل شوب محبطًا للأجر مفسدًا للعمل بل فيه تفضيل.

فإن قلت: فما نرى أحدًا ينفك عن السرور إذا عرفت طاعاته، فالسرور مذموم كله أو بعضه محمود وبعضه مذموم؟ فنقول: أولًا، كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم إلى محمود وإلى مذموم.

فأما المحمود فأربعة أقسام:

الأوّل: أن يكون قصده إخفاء الطاعة والإخلاص لله، ولكن لما اطلع عليه الخلق علم أن الله أطلعهم وأظهر الجميل من أحواله، فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره إليه وإلطافه به، فإنه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة، ولا لطف أعظم من ستر القبيح وإظهار الجميل، فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس:٥٨]فكأنه ظهر له أنه عند الله مقبول ففرح به.

الثاني: أن يستدل بإظهار الله الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا أنه كذلك يفعل في الآخرة إذ قال رسول الله ﷺ «ما ستر الله على عبد ذنبًا إلا ستره عليه في الآخرة» [1]فيكون الأوّل فرحًا بالقول في الحال من غير ملاحظة المستقبل، وهذا التفات إلى المستقبل.

الثالث: أن يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك أجره، فيكون له أجر العلانية بما أظهر آخرًا وأجر السر بما قصده أولًا، ومن اقتدى به في طاعة فله مثل أجر أعمال المقتدين به من غير أن ينقص من أجورهم شيء، وتوقع ذلك جدير بأن يكون سبب السرور، فإن ظهور مخائل الربح لذيذ وموجب للسرور لا محالة.

الرابع: أن يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم في مدحهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم إلى الطاعة، إذ من أهل الإيمان من يرى أهل الطاعة فيمقته ويحسده أو يذمه ويهزأ به أو ينسبه إلى الرياء ولا يحمده عليه، فهذا فرح بحسن إيمان عباد الله. وعلامة الإخلاص في هذا النوع أن يكون فرحه بحمده غيره مثل فرحه بحمدهم إياه.

وأما المذموم وهو الخامس: فهو أن يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه

---

(١) صحيح: دون قوله: «ذنبًا»حديث «ما ستر الله على عبد ذنبا في الدنيا إلا ستره عليه في الآخرة». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة. [مسلم: ٢٩٥٠]

ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالإكرام في مصادره وموارده فهذا مكروه والله تعالى أعلم.

بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا يحبط:

فنقول فيه: إذا عقد العبد العبادة على الإخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فلا يخلو إما أن يَرِدَ عليه بعد فراغه من العمل أو قبل الفراغ، فإن ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير إظهار فهذا لا يفسد العمل، إذ العمل قد تم على نعت الإخلاص سالمًا عن الرياء فما يطرأ بعده فيرجو أن ينعطف عليه أثره، لا سيما إذا لم يتكلف هو إظهاره والتحدث به ولم يتمن إظهاره وذكره ولكن اتفق ظهوره بإظهار الله، ولم يكن منه إلا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه. نعم لو تم العمل على الإخلاص من غير عقد رياء ولكن ظهرت له بعده رغبة في الإظهار فتحدث به وأظهره فهذا مخوف.

وفي الآثار والأخبار ما يدل على أنه يحبط. فقد روي عن ابن مسعود أنه سمع رجلًا يقول: قرأت البارحة البقرة فقال ذلك حظه منها: وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال لرجل قال له: صمت الدهر يا رسول الله. فقال له: «ما صُمْتَ ولا أَفْطَرْتَ» (١)، فقال بعضهم: إنما قال ذلك لأنه أظهره وقيل هو إشارة إلى كراهة صوم الدهر. وكيفما كان فيحتمل أن يكون ذلك من رسول الله ﷺ ومن ابن مسعود استدلالًا على أن قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده له لما أن ظهر منه التحدث به، إذ يبعد أن يكون ما يطرأ بعد العمل مبطلًا لثواب العمل بل الأقيس أن يقال إنه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراءاته بطاعة الله بعد الفراغ منها، بخلاف ما لو تغير عقده إلى الرياء قبل الفراغ من الصلاة فإن ذلك قد يبطل الصلاة ويحبط العمل. وأما إذا ورد وارد الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلًا وكان قد عقد على الإخلاص ولكن ورد في أثنائها وارد الرياء، فلا يخلو إما أن يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل وإما أن يكون رياءً باعثًا على العمل، فإن كان باعثًا على العمل وختم العبادة به حبط أجره. ومثاله: أن يكون في تطوّع فتجددت له نظارة، أو حضر ملك من الملوك وهو يشتهي أن ينظر إليه، أو يذكر شيئًا نسيه من ماله وهو يريد أن يطلبه، ولولا الناس لقطع الصلاة فاستتمها خوفًا من مذمة الناس، فقد حبط أجره وعليه الإعادة إن كان في فريضة، وقد قال ﷺ: «العَمَلُ كَالوِعَاءِ إذا طَابَ آخِرُهُ طَابَ أَوَّلُهُ» (٢) أي النظر إلى خاتمته. وروي: «أنه مَنْ رَاءَى بِعَمَلٍ سَاعَةً حَبِطَ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ

---

(١) حديث قال لرجل قال: صمت الدهر «ما صمت ولا أفطرت». أخرجه مسلم من حديث أبي قتادة، قال: عمر يا رسول الله كيف بمن يصوم الدهر؟ قال «لا صام ولا أفطر» [مسلم : ١١٦٢] وللطبراني من حديث أسماء بنت يزيد في أثناء حديث، فيه: فقال رجل إني صائم، قال بعض القوم إنه لا يفطر إنه يصوم كل يوم قال النبي ﷺ «لا صام ولا أفطر من صام الأبد» ولم أجده بلفظ الخطاب. [قلت هو في البخاري : ١٩٧٧، مسلم : ١١٥٩ من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ : «لا صام من صام الأبد»]

(٢) حديث «العمل كالوعاء إذا طاب آخره طاب أوله». أخرجه ابن ماجه من حديث معاوية بن أبي سفيان بلفظ «إذا طاب أسفله طاب أعلاه» وقد تقدم. [ابن ماجه: ٤١٩٩، وانظر صحيح الجامع: ٢٣٢٠، صحيح ابن ماجه]

قَبْلَهُ»[1]، وهذا منزل على الصلاة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فإن كل جزء من ذلك مفرد، فما يطرأ يفسد الباقي دون الماضي، والصوم والحج من قبيل الصلاة. وأما إذا كان وارد الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الإتمام لأجل الثواب، كما لو حضر جماعة في أثناء الصلاة ففرح بحضورهم وعقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لأجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها أيضًا، فهذا رياء قد أثر في العمل وانتهض باعثًا على الحركات، فإن غلب حتى انمحق معه الإحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورًا، فهذا أيضًا ينبغي أن يفسد العبادة مهما مضى ركن من أركانها على هذا الوجه، لأنَّا نكتفي بالنية السابقة عند الإحرام بشرط أن لا يطرأ عليها ما يغلبها ويغمرها، ويحتمل أن يقال لا يفسد العبادة نظرًا إلى حالة العقد وإلى بقاء قصد أصل الثواب وإن ضعف بهجوم قصد هو أغلب منه.

ولقد ذهب الحارث المحاسبي رحمه الله تعالى إلى الإحباط في أمر هو أهون من هذا وقال: إذا لم يرد إلا مجرد السرور باطلاع الناس ، يعني سرورًا هو كحب المنزلة والجاه ، قال: قد اختلف الناس في هذا، فصارت فرقة إلى أنه محبط لأنه نقض العزم الأوّل وركن إلى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالإخلاص وإنما يتم العمل بخاتمته، ثم قال ولا أقطع عليه بالحبط وإن لم يتزيد في العمل ولا آمن عليه وقد كنت أقف فيه لاختلاف الناس، والأغلب على قلبي أنه يحبط إذا ختم عمله بالرياء ثم قال: فإن قيل قد قال الحسن رحمه الله تعالى: إنهما حالتان، فإذا كانت الأولى لله لم تضره الثانية. وقد روي أن رجلًا قال للرسول ﷺ: يا رسول الله أسر العمل لا أحب أن يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني قال: «لك أجران أَجْرُ السِّرِّ وَأَجْرُ العَلَانِيَةِ»[2]، ثم تكلم على الخبر والأثر فقال: أما الحسن فإنه أراد بقوله: لا يضره، أي لا يدع العمل ولا تضره الخطرة وهو يريد الله، ولم يقل إذا عقد الرياء بعد عقد الإخلاص لم يضره، وأما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله إلى ثلاثة أوجه.

[illegible]: أنه يحتمل أنه أراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث أنه قبل الفراغ.

الثاني: أنه أراد أن يسر به للاقتداء به أو لسرور آخر محمود مما ذكرناه قبل لا سرورًا بسبب حب المحمدة والمنزلة، بدليل أنه جعل له به أجرًا، ولا ذاهب من الأمة إلى أن للسرور بالمحمدة أجرًا وغايته أن يعفى عنه، فكيف يكون للمخلص أجر وللمرائي أجران؟.

---

(١) حديث «من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله». لم أجده بهذا اللفظ، وللشيخين من حديث جندب «من سَمّع، سَمّع الله به؛ ومن راءى، راءى الله به» [البخاري : ٦٤٩٩ ، مسلم : ٢٩٨٧] ورواه مسلم من حديث ابن عباس. [مسلم : ٢٩٨٦]

(٢) ضعيف: حديث: إن رجلا قال أسر العمل لا أحب أن يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني فقال «لك أجران .. الحديث». أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من رواية ذكوان عن ابن مسعود ورواه الترمذي وابن حبان من رواية ذكوان عن أبي هريرة: الرجل يعمل العمل فيسره فإذا اطلع عليه أعجبه قال «له أجر السر والعلانية» قال الترمذي غريب وقال إنه روى عن أبي صالح وذكر أنه مرسل. [الترمذي: ٢٣٨٤ ، وانظر ضعيف الجامع : ٤٧٨٧ ، الضعيفة: ٤٣٤٤ ، ضعيف الترمذي، قلت: ويغني عنه حديث أبي ذر وفيه: «أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه؟ قال: تلك عاجل بشر المؤمن» مسلم: ٢٦٤٢].

والثالث: أنه قال: أكثر من يروي الحديث يرويه غير متصل إلى أبي هريرة بل أكثرهم يوقفه على أبي صالح، ومنهم من يرفعه، فالحكم بالعمومات الواردة في الرياء أولى. هذا ما ذكره ولم يقطع به بل أظهر ميلًا إلى الإحباط.

والأقيس عندنا: أن هذا القدر لم يظهر أثره في العمل بل بقي العمل صادرًا عن باعث الدين وإنما انضاف إليه السرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لأنه لم ينعدم به أصل نيته وبقيت تلك النية باعثة على العمل وحاملة على الإتمام.

وأما الأخبار التي وردت في الرياء فهي محمولة على ما إذا لم يرد به إلا الخلق، وأما ما ورد في الشركة فهو محمول على ما إذا كان قصد الرياء مساويًا لقصد الثواب أو أغلب منه، أما إذا كان ضعيفًا بالإضافة إليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الأعمال، ولا ينبغي أن يفسد الصلاة، ولا يبعد أن يقال إن الذي أوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله ، والخالص ما لا يشوبه شيء ، فلا يكون مؤديًا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه. وقد ذكرنا في كتاب الإخلاص كلامًا أوفى مما أوردناه الآن فليرجع إليه، فهذا حكم الرياء الطارىء بعد عقد العبادة إما قبل الفراغ أو بعد الفراغ.

القسم الثالث: الذي يقارن حال العقد بأن يبتدىء الصلاة على قصد الرياء، فإن استمر عليه سلم فلا خلاف في أنه يقضي ولا يعتد بصلاته، وإن ندم عليه في أثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة أوجه:

قالت فرقة: لم تنعقد صلاته مع قصد الرياء فليستأنف.

وقالت فرقة: تلزمه إعادة الأفعال كالركوع والسجود وتفسد أفعاله دون تحريمة الصلاة لأن التحريم عقد، والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدًا.

وقالت فرقة: لا يلزم إعادة شيء بل يستغفر الله بقلبه ويتم على الإخلاص والنظر إلى خاتمة العبادة كما لو ابتدأ بالإخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله.

وشبهوا ذلك بثوب أبيض لطخ بنجاسة عارضة فإذا أزيل العارض عاد إلى الأصل، فقالوا إن الصلاة والركوع والسجود لا تكون إلا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرًا، ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار إلى حالة لا يبالي بحمد الناس وذمهم فتصح صلاته.

ومذهب الفريقين الآخرين خارج عن قياس الفقه جدًا خصوصًا من قال يلزمه إعادة الركوع والسجود دون الافتتاح، لأن الركوع والسجود إن لم يصح صارت أفعالًا زائدة في الصلاة فتفسد الصلاة. وكذلك قول من يقول لو ختم بالإخلاص صح نظرًا إلى الآخر فهو أيضًا ضعيف، لأن الرياء يقدح في النية وأولى الأوقات بمراعاة أحكام النية حال الافتتاح، فالذي يستقيم على قياس الفقه هو أن يقال إن كان باعثه مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الأمر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده، وذلك فيمن إذا خلا بنفسه لم يصلّ ولما رأى الناس تحرم بالصلاة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسًا أيضًا كان يصلي لأجل الناس، فهذه صلاة

لا نية فيها إذ النية عبارة عن إجابة باعث الدين، وههنا لا باعث ولا إجابة. فأما إذا كان بحيث لولا الناس أيضًا لكان يصلي إلا أنه ظهر له الرغبة في المحمدة أيضًا فاجتمع الباعثان، فهذا إما أن يكون في صدقة وقراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم أو في عقد صلاة وحج، فإن كان في صدقة فقد عصى بإجابة باعث الرياء وأطاع بإجابة باعث الثواب ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧-٨] فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط أحدهما الآخر.

وإن كان في صلاة تقبل الفساد بتطرق خلل إلى النية فلا يخلو إما أن تكون فرضًا أو نفلًا، فإن كانت نفلًا فحكمها أيضًا حكم الصدقة فقد عصى من وجه وأطاع من وجه، إذ اجتمع في قلبه الباعثان، ولا يمكن أن يقال صلاته فاسدة والاقتداء به باطل حتى إن من صلى التراويح وتبين من قرائن حاله أن قصده الرياء بإظهار حسن القراءة، ولولا اجتماع الناس خلفه وخلا في بيت وحده لما صلى لا يصح الاقتداء به فإن المصير إلى هذا بعيد جدًا، بل يظن بالمسلم أنه يقصد الثواب أيضًا بتطوعه فتصح باعتبار ذلك القصد صلاته ويصح الاقتداء به، وإن اقترن به قصد آخر وهو به عاص، فأما إذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وإنما يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه، لأن الإيجاب لم ينتهض باعثًا في حقه بمجرده واستقلاله، وإن كان كل باعث مستقلًا حتى لو لم يكن باعث الرياء لأدى الفرائض، ولو لم يكن باعث الفرض لأنشأ صلاة تطوعًا لأجل الرياء فهذا محل النظر، وهو محتمل جدًا، فيحتمل أن يقال إن الواجب صلاة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص، ويحتمل أن يقال الواجب امتثال الأمر بباعث مستقل بنفسه وقد وجد، فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه، كما لو صلى في دار مغصوبة فإنه وإن كان عاصيًا بإيقاع الصلاة في الدار المغصوبة فإنه مطيع بأصل الصلاة ومسقط للفرض عن نفسه، وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في أصل الصلاة.

أما إذا كان الرياء في المبادرة مثلًا دون أصل الصلاة مثل من بادر إلى الصلاة في أوّل الوقت لحضور جماعة ولو خلا لأخر إلى وسط الوقت، ولولا الفرض لكان لا يبتدىء صلاة لأجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلاته وسقوط الفرض به، لأن باعث أصل الصلاة من حيث إنها صلاة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت، فهذا أبعد من القدح في النية، هذا في رياء يكون باعثًا على العمل وحاملًا عليه، وأما مجرد السرور باطلاع الناس عليه إذا لم يبلغ أثره إلى حيث يؤثر في العمل فبعيد أن يفسد الصلاة. فهذا ما نراه لائقًا بقانون الفقه، والمسألة غامضة من حيث أن الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه، والذين خاضوا فيها وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلاة وفسادها، بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الإخلاص على إفساد العبادات بأن الخواطر وما ذكرناه هو الأقصد فيما نراه والعلم عند الله عز وجل فيه وهو عالم الغيب والشهادة وهو الرحمن الرحيم.

بيان داء الرياء وطريق معالجة القلب فيه:

قد عرفت مما سبق أن الرياء محبط للأعمال وسبب للمقت عند الله تعالى وأنه من كبائر المهلكات، وما هذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجدّ في إزالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق، فلا شفاء إلا في شرب الأدوية المرّة البشعة، وهذه مجاهدة يضطر إليها العباد كلهم، إذ الصبي يخلق ضعيف العقل والتمييز ممتدّ العين إلى الخلق الكثير الطمع فيهم؛ فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويرسخ ذلك في نفسه، وإنما يشعر بكونه مهلكًا بعد كمال عقله وقد انغرس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه إلا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات. فلا ينفك أحد عن الحاجة إلى هذه المجاهدة، ولكنها تشق أولًا وتخف آخرًا وفي علاجه مقامان.

أحدهما: قلع عروقه وأصوله التي منها انشعابه.

والثاني: دفع ما يخطر منه في الحال.

المقام الأول: في قلع عروقه واستئصال أصوله: وأصله حب المنزلة والجاه. وإذا فضل رجع إلى ثلاثة أصول وهي لذة المحمدة، والفرار من ألم الذم، والطمع فيما في أيدي الناس. ويشهد للرياء بهذه الأسباب وأنها الباعثة للمرائي ما روى أبو موسى أن أعرابيًا سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله الرجل يقاتل [1] حمية، ومعناه أنه يأنف أن يقهر أو يذم بأنه مقهور مغلوب، قال: والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر في القلوب - والرجل يقاتل للذكر، وهذا هو الحمد باللسان، فقال ﷺ «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله» وقال ابن مسعود: إذا التقى الصفان نزلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم، فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك، والقتال للملك إشارة إلى الطمع في الدنيا. وقال عمر رضي الله عنه: يقولون فلان شهيد ولعله يكون قد ملأ دفتي راحلته ورقًا. وقال ﷺ «مَنْ غَزَا لا يَبْغِي إلاّ عِقَالًا فَلَهُ ما نَوَى» [2]، فهذا إشارة إلى الطمع. وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من ألم الذم كالبخيل بين الأسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فإنه يتصدق بالقليل كي لا يبخل، وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره، وكالجبان بين الشجعان لا يفرّ من الزحف خوفًا من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال. ولكن إذا أيس من الحمد كره الذم، وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات معدودة حتى لا يذم بالكسل وهو لا يطمع في الحمد. وقد يقدر الإنسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على ألم الذم، ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج إليه خيفة من أن يذم

---

(١) صحيح: حديث أبي موسى: أن أعرابيا قال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية .. الحديث». متفق عليه. [البخاري: ٧٤٥٨، مسلم: ١٩٠٤]

(٢) صحيح: حديث «من غزا لا يبغي إلا عِقَالاً، فله ما نوى». أخرجه النسائي وقد تقدم. [النسائي: ٣١٣٨، وانظر صحيح الجامع: ٦٤٠١، المشكاة: ٣٨٥٠]

بالجهل، ويفتي بغير علم ويدعي العلم بالحديث وهو به جاهل، كل ذلك حذرًا من الذم. فهذه الأمور الثلاثة هي التي تحرك المرائي إلى الرياء، وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الأول من الكتاب على الجملة.

ولكنا نذكر الآن ما يخص الرياء وليس يخفى أن الإنسان إنما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه أنه خير له ونافع ولذيذ، إما في الحال وإما في المآل، فإن علم أنه لذيذ في الحال ولكنه ضار في المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه، كمن يعلم أن العسل لذيذ ولكن إذا بان له أن فيه سما أعرض عنه، فكذلك طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم ما فيه من المضرة. ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم والمقت الشديد والخزي الظاهر، حيث ينادى على رءوس الخلائق:

يا فاجر يا غادر يا مرائي، أما استحييت إذا اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا، وراقبت قلوب العباد واستهزأت بطاعة الله، وتحببت إلى العباد بالتبغض إلى الله، وتزينت لهم بالشين عند الله، وتقرّبت إليهم بالبعد من الله، وتحمدت إليهم بالتذمم عند الله، وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله، أما كان أحد أهون عليك من الله فمهما تفكر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته في الآخرة وبما يحبط من ثواب الأعمال، مع أن العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص، فإذا فسد بالرياء حول إلى كفة السيئات فترجح به ويهوي إلى النار، فلو لم يكن في الرياء إلا إحباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيًا في معرفة ضرره وإن كان مع ذلك سائر حسناته راجحة، فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصدّيقين، وقد حط عنهم بسبب الرياء، ورد إلى صف النعال من مراتب الأولياء، هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق، فإنّ رضا الناس غاية لا تدرك، فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم، ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه، وأسخطهم أيضًا عليه ثم أي غرض له في مدحهم وإيثار ذم الله لأجل حمدهم؟ ولا يزيده حمدهم رزقًا ولا أجلًا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيامة، وأما الطمع فيما في أيديهم فبأن يعلم أنّ الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والإعطاء، وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق إلا الله، ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والخيبة، وإن وصل إلى المراد لم يخل عن المنة والمهانة، فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم فاسد قد يصيب وقد يخطىء وإذا أصاب فلا تفي لذته بألم منته ومذلته؟ وأما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده ذمهم شيئًا ما لم يكتبه عليه الله، ولا يعجل أجله ولا يؤخر رزقه، ولا يجعله من أهل النار إن كان من أهل الجنة، ولا يبغضه إلى الله إن كان محمودًا عند الله، ولا يزيده مقتًا إن كان ممقوتًا عند الله، فالعباد كلهم عجزة لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا ولا يملكون موتًا ولا حياةً ولا نشورًا. فإذا قرر في قلبه آفة هذه الأسباب وضررها فترت رغبته وأقبل

على الله قلبه، فإن العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه، ويكفيه أن الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء وإظهار الإخلاص لمقتوه، وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه إلى الناس ويعرفهم أنه مراء وممقوت عند الله، ولو أخلص لله لكشف الله لهم إخلاصه وحببه إليهم وسخرهم له وأطلق ألسنتهم بالمدح والثناء عليه، مع أنه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من بني تميم: إن مدحي زين وإن ذمي شين فقال له رسول الله ﷺ: «كَذَبْتَ؛ ذَاكَ الله الَّذِي لا إلهَ إلاَّ هُوَ» (١)، إذ لا زين إلا في مدحه ولا شين لا في ذمه، فأي خير لك في مدح الناس. وأنت عند الله مذموم ومن أهل النار؟ وأي شر لك من ذم الناس وأنت عند الله محمود في زمرة المقرّبين؟ فمن أحضر في قلبه الآخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله استحقر ما يتعلق بالخلق أيام الحياة مع ما فيه من الكدورات والمنغصات، واجتمع همه وانصرف إلى الله قلبه وتخلص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق، وانعطف من إخلاصه أنوار على قلبه ينشرح بها صدره وينفتح بها له من لطائف المكاشفات ما يزيد به أنسه بالله ووحشته من الخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للآخرة، وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية الرياء وتذلل له منهج الإخلاص. فهذا وما قدّمناه في الشطر الأوّل هي الأدوية العلمية القالعة مغارس الرياء.

وأما الدواء العملي: فهو أن يعود نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب دونها، كما تغلق الأبواب دون الفواحش، حتى يقنع قلبه بعلم الله أو إطلاعه على عباداته ولا تنازعه النفس إلى طلب علم غير الله به. وقد روي أن بعض أصحاب أبي حفص الحداد ذم الدنيا وأهلها فقال: أظهرت ما كان سبيلك أن تخفيه لا تجالسنا بعد هذا. فلم يرخص في إظهار هذا القدر لأن في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها، فلا دواء للرياء مثل الإخفاء، وذلك يشق في بداية المجاهدة، وإذا صبر عليه مدّة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل ألطاف الله وما يمدّ به عباده من حسن التوفيق والتأييد والتسديد ولكن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١] فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية، ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة:١٢٠] ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠].

المقام الثاني: في دفع العارض منه في أثناء العبادة وذلك لا بد من تعلمه أيضًا، فإن من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع وإسقاط نفسه من أعين المخلوقين واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه في أثناء العبادات، بل يعارضه بخطرات

---

(١) صحيح دون قوله: «كذبت»: حديث: قال شاعر من بني تميم إن مدحي زين وإن ذمي شين: فقال «كذبت ذاك الله». أخرجه أحمد من حديث الأقرع بن حابس وهو قائل «ذلك» دون قوله «كذبت» ورجاله ثقات إلا أني لا أعرف لأبي سلمة بن عبد الرحمن سماعا من الأقرع ورواه الترمذي من حديث البراء وحسنه بلفظ فقال رجل «إن حمدي». [الترمذي: ٣٢٦٧، وهو صحيح، وانظر صحيح الترمذي]

الرياء، ولا تنقطع عنه نزعاته وهوى النفس وميلها لا ينمحي بالكلية، فلا بد وأن يتشمر لدفع ما يعرض من خاطر الرياء. وخواطر الرياء ثلاثة ، قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترادف على التدريج ، فالأول: العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم. ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم. ثم يتلوه هيجان الرغبة في قبول النفس له والركون إليه وعقد الضمير على تحقيقه. فالأول: معرفة. والثاني: حالة تسمى الشهوة والرغبة. والثالث: فعل يسمى العزم وتصميم العقد. وإنما كمال القوّة في دفع الخاطر الأوّل وردّه قبل أن يتلوه الثاني، فإذا خطر له معرفة اطلاع الخلق أو رجاء اطلاعهم دفع ذلك بأن قال: مالك وللخلق علموا أو لم يعلموا والله عالم بحالك فأي فائدة في علم غيره؟ فإن هاجت الرغبة إلى لذة الحمد يذكر ما رسخ في قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرّضه للمقت عند الله في القيامة وخيبته في أحوج أوقاته إلى أعماله، فكما أنّ معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء فمعرفة آفة الرياء تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة، إذ يتفكر في تعرّضه لمقت الله وعقابه الأليم، والشهوة تدعوه إلى القبول، والكراهة تدعوه إلى الإباء، والنفس تطاوع لا محالة أقواهما وأغلبهما.

فإذن لا بدّ في ردّ الرياء من ثلاثة أمور: المعرفة، والكراهة والإباء. وقد يشرع العبد في العبادة على عزم الإخلاص، ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تحضره المعرفة ولا الكراهة التي كان الضمير منطويًا عليها، وإنما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحب الحمد واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى في القلب متسع لغيره، فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بآفات الرياء وشؤم عاقبته إذ لم يبق موضع في القلب خال عن شهوة الحمد أو خوف الذم، وهو كالذي يحدّث نفسه بالحلم وذم الغضب، ويعزم على التحلم عند جريان سبب الغضب ثم يجري من الأسباب ما يشتد به غضبه فينسى سابقة عزمه ويمتلىء قلبه غيظًا يمنع من تذكر آفة الغضب ويشغل قلبه عنه، فكذلك حلاوة الشهوة تملأ القلب وتدفع نور المعرفة مثل مرارة الغضب. وإليه أشار جابر بقوله: بايعنا رسول الله ﷺ تحت الشجرة على أن لا نفرّ ولم نبايعه على الموت فأنسيناها يوم حنين (١) . حتى نودي: يا أصحاب الشجرة فرجعوا. وذلك لأنّ القلوب امتلأت بالخوف فنسيت العهد السابق حتى ذكروا، وأكثر الشهوات التي تهجم فجأة هكذا تكون، إذ ينسى معرفة مضرته الداخلة في عقد الإيمان.

ومهما نسي المعرفة لم تظهر الكراهة فإن الكراهة ثمرة المعرفة. وقد يتذكر الإنسان فيعلم أن الخاطر الذي خطر له هو خاطر الرياء الذي يعرّضه لسخط الله، ولكن يستمر عليه لشدّة شهوته، فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال، فيسوّف بالتوبة أو يتشاغل عن التفكر في ذلك لشدّة الشهوة، فكم من عالم يحضره كلام لا يدعوه إلى فعله إلا رياء الخلق وهو يعلم ذلك،

---

(١) صحيح دون قوله: «فأنسيناها . . .»: حديث جابر: بايعنا رسول الله ﷺ تحت الشجرة على أن لا نفر .. الحديث». أخرجه مسلم مختصرا دون ذكر «يوم حنين» فرواه مسلم من حديث العباس. [قلت : بل هو من حديث جابر وهو في مسلم : ١٨٥٦]

ولكنه يستمرّ عليه فتكون الحجة عليه أوكد؟ إذ قبل داعي الرياء مع علمه بغائلته وكونه مذمومًا عند الله، ولا تنفعه معرفته إذا خلت المعرفة عن الكراهة. وقد تحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الرياء لكون الكراهة ضعيفة بالإضافة إلى قوّة الشهوة، وهذا أيضًا لا ينتفع بكراهته إذ الغرض من الكراهة أن تصرف عن الفعل.

فإذن لا فائدة إلا في اجتماع الثلاث: وهي المعرفة، والكراهة، والإباء. فالإباء ثمرة الكراهة، والكراهة ثمرة المعرفة، وقوة المعرفة بحسب قوة الإيمان ونور العلم، وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكر فيما عند الله وقلة التأمل في آفات الحياة الدنيا وعظيم نعيم الآخرة، وبعض ذلك ينتج بعضًا ويثمره، وأصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة، ومنبع كل ذنب؛ لأن حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هي التي تغضب القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكر في العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة وأنوار العلوم.

فإن قلت: فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحملته الكراهة على الإباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع إليه وحبه له ومنازعته إياه إلا أنه كاره لحبه ولميله إليه وغير محبب إليه، فهل يكون في زمرة المرائين؟ فاعلم أن الله لم يكلف العباد إلا ما تطيق وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل إلى الشهوات ولا ينزع إليها، وإنما غايته أن يقابل شهوته بكراهة استثارها من معرفة العواقب وعلم الدين وأصول الإيمان بالله واليوم الآخر، فإذا فعل ذلك فهو الغاية في أداء ما كلف به. ويدل على ذلك من الأخبار ما روي أن أصحاب رسول الله ﷺ شكوا إليه وقالوا: تعرض لقلوبنا أشياء لأن نخر من السماء فتخطفنا الطير أو تهوي بنا الريح في مكان سحيق أحب إلينا من أن نتكلم بها، فقال عليه السلام: «أَوَ قَدْ وَجَدْتُمُوهُ» قالوا: نعم قال: «ذلِكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ» (١)، ولم يجدوا إلا الوسواس والكراهة له، ولا يمكن أن يقال أراد بصريح الإيمان الوسوسة، فلم يبق إلا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة، والرياء كان عظيمًا فهو دون الوسوسة في حق الله تعالى، فإذا اندفع ضرر الأعظم بالكراهة فبأن يندفع بها ضرر الأصغر أولى، وكذلك يروى عن النبي ﷺ في حديث ابن عباس أنه قال: «الحَمْدُ لله الَّذِي رَدَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ إِلى الوَسْوَسَةِ» (٢)، وقال أبو حازم: ما كان من نفسك وكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ما هو عدوك، وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه. فإذن وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا تضرك مهما رددت مرادهما

---

(١) صحيح: حديث: شكوى الصحابة ما يعرض في قلوبهم وقوله «ذلك صريح الإيمان». أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود مختصرا: سئل النبي ﷺ عن الوسوسة فقال «ذلك محض الإيمان» [مسلم: ١٣٣، وهو فيه: ١٣٢، بلفظ المصنف من حديث أبي هريرة] والنسائي في اليوم والليلة وابن حبان في صحيحه ورواه النسائي فيه من حديث عائشة.

(٢) صحيح: حديث ابن عباس «الحمد لله الذي رد كيد الشيطان إلى الوسوسة». أخرجه أبو داود والنسائي في اليوم والليلة بلفظ «كيده». [أبو داود: ٥١١٢، وانظر صحيح أبي داود]

بالإباء والكراهة، والخواطر التي هي العلوم والتذكرات والتخيلات للأسباب المهيجة للرياء هي من الشيطان، والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من النفس، والكراهة من الإيمان ومن آثار العقل، إلا أنّ للشيطان ههنا مكيدة وهي أنه إذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل إليه أن صلاح قلبه في الاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال حتى يسلبه ثواب الإخلاص وحضور القلب، لأن الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف عن سر المناجاة مع الله فيوجب ذلك نقصانًا في منزلته عند الله.

والمتخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء على أربع مراتب:

الأولى: أن يرده على الشيطان فيكذبه، ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه أن ذلك أسلم لقلبه، وهو على التحقيق نقصان، لأنه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذي هو بصدده وانصرف إلى قتال قطاع الطريق، والتعريج على قتال قطاع الطريق نقصان في السلوك.

الثانية: أن يعرف أن الجدال والقتال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادلته.

الثالثة: أن لا يشتغل بتكذيبه أيضًا لأن ذلك وقفة وإن قلت؛ بل يكون قد قرّر في عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمرّ على ما كان عليه مستصحبًا للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة.

الرابعة: أن يكون قد علم أن الشيطان سيحسده عند جريان أسباب الرياء، فيكون قد عزم على أنه مهما نزغ الشيطان زاد فيما هو فيه من الإخلاص والاشتغال بالله وإخفاء الصدقة والعبادة غيظًا للشيطان، وذلك هو الذي يغيظ الشيطان ويقمعه ويوجب يأسه وقنوطه حتى لا يرجع. يروى عن الفضيل بن غزوان أنه قيل له: إن فلانًا يذكرك، فقال، والله لأغيظن من أمَرَه قيل ومن أمره؟ قال: الشيطان، اللهم اغفر له. أي لأغيظنه بأن أطيع الله فيه.

ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة من أن يزيد في حسناته. وقال إبراهيم التيمي: إن الشيطان ليدعو العبد إلى الباب من الإثم، فلا يطعه وليحدث عند ذلك خيرًا، فإذا رآه كذلك تركه. وقال أيضًا: إذا رآك الشيطان مترددًا طمع فيك، وإذا رآك مداومًا ملك وقلاك.

وضرب الحارث المحاسبي رحمه الله لهذه الأربعة مثالًا أحسن فيه فقال: مثالهم كأربعة قصدوا مجلسًا من العلم والحديث لينالوا به فائدة وفضلًا وهداية ورشدًا، فحسدهم على ذلك ضال مبتدع وخاف أن يعرفوا الحق، فتقدّم إلى واحد فمنعه وصرفه عن ذلك ودعاه إلى مجلس ضلال فأبى، فلما عرف إباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن أن ذلك مصلحة له، وهو غرض الضال ليفوّت عليه بقدر تأخره. فلما مر الثاني عليه نهاه واستوقفه، فوقف فدفع في نحر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل، ففرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه. ومرّ به

الثالث فلم يلتفت إليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله، بل استمرّ على ما كان، فخاب منه رجاؤه بالكلية. فمرّ الرابع فلم يتوقف له، وأراد أن يغيظه فزاد في عجلته وترك التأني في المشي، فيوشك إن عادوا ومروا عليه مرة أخرى أن يعاود الجميع إلا هذا الأخير فإنه لا يعاوده خيفة من أن يزداد فائدة باستعجاله.

فإن قلت: فإذا كان الشيطان لا تؤمن نزغاته فهل يجب الترصد له قبل حضوره للحذر منه انتظارًا لوروده، أم يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له، أو يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة عنه؟ قلنا: اختلف الناس فيه على ثلاثة أوجه.

فذهبت فرقة من أهل البصرة إلى أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لأنهم انقطعوا إلى الله واشتغلوا بحبه، فاعتزلهم الشيطان وأيس منهم وخنس عنهم، كما أيس من ضعفاء العباد في الدعوة إلى الخمر والزنى، فصارت ملاذ الدنيا عندهم، وإن كانت مباحة، كالخمر والخنزير، فارتحلوا من حبها بالكلية فلم يبق للشيطان إليهم سبيل فلا حاجة بهم إلى الحذر.

وذهبت فرقة من أهل الشام إلى أن الترصد للحذر منه إنما يحتاج إليه من قل يقينه ونقص توكله، فمن أيقن بأن لا شريك لله في تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم أن الشيطان ذليل مخلوق ليس له أمر ولا يكون إلا ما أراده الله فهو الضار والنافع، والعارف يستحي منه أن يحذر غيره، فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر.

وقالت فرقة من أهل العلم: لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية فهو وسيلة الشيطان يكاد يكون غرورًا، إذ الأنبياء عليهم السلام لم يتخلصوا من وسواس الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص غيرهم؟ وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا، بل في صفات الله تعالى وأسمائه، وفي تحسين البدع والضلال وغير ذلك، ولا ينجو أحد من الخطر فيه، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢]. وقال النبي ﷺ: «إنه ليغان على قلبي»(١)، مع أن شيطانه قد أسلم ولا يأمره إلا بخير(٢)، فمن ظن أن اشتغاله بحب الله أكثر من اشتغال رسول الله ﷺ وسائر الأنبياء عليهم السلام فهو مغرور، ولم يؤمنهم من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه آدم وحواء في الجنة التي هي دار الأمن والسرور بعد أن قال الله لهما: ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٧-١١٩] ومع أنه لم ينه إلا عن شجرة واحدة وأطلق له وراء ذلك ما أراد، فإذا لم يأمن نبي من الأنبياء وهو في الجنة دار الأمن والسعادة من

---

(١) صحيح: حديث «إنه ليغان على قلبي». تقدم. [مسلم: ٢٧٠٢]

(٢) صحيح: حديث: إن شيطانه أسلم فلا يأمر إلا بخير. تقدم أيضا. [مسلم: ٢٨١٤]

كيد الشيطان، فكيف يجوز لغيره أن يأمن في دار الدنيا وهي منبع المحن والفتن معدن الملاذ والشهوات المنهيّ عنها؟ وقال موسى عليه السلام فيما أخبر عنه تعالى: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [القصص:١٥]ولذلك حذر الله منه جميع الخلق، فقال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف:٢٧]وقال عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف:٢٧]والقرآن من أوّله إلى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدع الأمن منه؟ وأخذ الحذر من حيث أمر الله به لا ينافي الاشتغال بحب الله، فإن من الحب له امتثال أمره وقد أمر بالحذر من العدوّ كما أمر بالحذر من الكفار فقال تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء:١٠٢]وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠]فإذا لزمك بأمر الله الحذر من العدوّ الكافر وأنت تراه فبأن يلزمك الحذر من عدوّ يراك ولا تراه أولى.

ولذلك قال ابن محيريز: صيد تراه ولا يراك يوشك أن تظفر به، وصيد يراك ولا تراه يوشك أن يظفر بك. فأشار إلى الشيطان، فكيف وليس في الغفلة عن عداوة الكافر إلا قتل هو شهادة وفي إهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعقاب الأليم؟ فليس من الاشتغال بالله الإعراض عما حذر الله. وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم أن ذلك قادح في التوكل، فإن أخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح في توكل رسول الله ﷺ فكيف يقدح في التوكل الخوف مما خوف الله به والحذر مما أمر بالحذر منه؟ وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما يبين غلط من زعم أن معنى التوكل النزوع عن الأسباب بالكلية وقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ لا يناقض امتثال التوكل، مهما اعتقد القلب أن الضار والنافع والمحيي والمميت هو الله تعالى، فكذلك يحذر الشيطان ويعتقد أن الهادي والمضل هو الله، ويرى الأسباب وسائط مسخرة، كما ذكرناه في التوكل.

وهذا ما اختاره الحارث المحاسبي رحمه الله وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم، وما قبله يشبه أن يكون من كلام العباد الذي لم يغزر علمهم، ويظنون أن ما يهجم عليهم من الأحوال في بعض الأوقات من الاستغراق بالله يستمر على الدوام وهو بعيد.

ثم اختلفت هذه الفرقة على ثلاثة أوجه في كيفية الحذر فقال قوم: إذا حذرنا الله تعالى العدوّ فلا ينبغي أن يكون شيء أغلب في قلوبنا عن ذكره والحذر منه والترصد له، فإنا إن غفلنا عنه لحظة فيوشك أن يهلكنا. وقال قوم: إن ذلك يؤدي إلى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال الهم كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان منا، بل نشتغل بالعبادة وبذكر الله تعالى ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة إلى الحذر منه فنجمع بين الأمرين، فإنا إن نسيناه ربما عرض من حيث لا نحتسب، وإن تجردنا لذكره كنا قد أهملنا ذكر الله، فالجمع أولى.

وقال العلماء المحققون: غلط الفريقان، أما الأول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسي ذكر الله فلا يخفى غلطه، وإنما أمرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدّنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره

أغلب الأشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدوّ؟ ثم يؤدي ذلك إلى خلو القلب عن نور ذكر الله تعالى، فإذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله تعالى وقوة الاشتغال به فيوشك أن يظفر به ولا يقوى على دفعه، فلم يأمرنا بانتظار الشيطان ولا بإدمان ذكره، وأما الفرقة الثانية فقد شاركت الأولى إذ جمعت في القلب بين ذكر الله والشيطان، وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله، وقد أمر الله الخلق بذكره ونسيان ما عداه ، إبليس وغيره.

فالحق أن يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على نفسه عداوته، فإذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله ويكب عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله أمر الشيطان، فإنه إذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له، وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان، بل الرجل ينام وهو خائف من أن يفوته مهم عند طلوع الصبح؛ فيلزم نفسه الحذر وينام على أن يتنبه في ذلك الوقت فيتنبه في الليل مرات قبل أوانه لما أسكن في قلبه من الحذر، مع أنه بالنوم غافل عنه، فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه؟ ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع العدوّ إذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى قد أمات منه الهوى وأحيا فيه نور العقل والعلم وأماط عنه ظلمة الشهوات، فأهل البصيرة أشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصده وألزموها الحذر، ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله، ودفعوا بالذكر شر العدو، واستضاءوا بنور الذكر حتى صرفوا خواطر العدو.

فمثال القلب مثال بئر أريد تطهيرها من الماء القذر ليتفجر منها الماء الصافي. فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها الماء القذر، والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله قد نزح الماء القذر من جانب ولكنه تركه جاريًا إليها من جانب آخر فيطول تعبه ولا تجف البئر من الماء القذر، والبصير هو الذي جعل لمجرى الماء القذر سدًّا وملأها بالماء الصافي فإذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب.

بيان الرخصة في قصد اظهار الطاعات:

اعلم أن في الإسرار للأعمال فائدة الإخلاص والنجاة من الرياء، وفي الإظهار فائدة الإقتداء وترغيب الناس في الخير ولكن فيه آفة الرياء. قال الحسن: قد علم المسلمون أن السر أحرز العملين، ولكن في الإظهار أيضًا فائدة، ولذلك أثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[البقرة:٢٧١] .

والإظهار قسمان:

أحدهما: في نفس العمل.

والآخر: التحدث بما عمل.

القسم الأول: إظهار نفس العمل كالصدقة في الملأ لترغيب الناس فيها، كما روي عن الأنصاري الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما رأوه، فقال النبيﷺ: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً

فَعَمِلَ بِها كَانَ لَهُ أَجْرُها وَأَجْرُ مَنْ اتَّبَعَهُ» (١)، وتجري سائر الأعمال هذا المجرى من الصلاة والصيام والحج والغزو وغيرها، ولكن الاقتداء في الصدقة على الطباع أغلب. نعم الغازي إذا همَّ بالخروج فاستعد وشد الرحل قبل القوم تحريضًا لهم على الحركة فذلك أفضل له لأن الغزو في أصله من أعمال العلانية لا يمكن إسراره، فالمبادرة إليه ليست من الإعلان بل هو تحريض مجرد، وكذلك الرجل قد يرفع صوته في الصلاة بالليل لينبه جيرانه وأهله فيقتدى به. فكل عمل لا يمكن إسراره كالحج والجهاد والجمعة فالأفضل المبادرة إليه وإظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط أن لا يكون فيه شوائب الرياء، وأما ما يمكن إسراره كالصدقة والصلاة فإن كان إظهار الصدقة يؤذي المتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر أفضل لأن الإيذاء حرام. فإن لم يكن فيه إيذاء فقد اختلف الناس في الأفضل فقال قوم: السر أفضل من العلانية وإن كان في العلانية قدوة، وقال قوم: السر أفضل من علانية لا قدوة فيها، أما العلانية للقدوة فأفضل من السر. ويدل على ذلك أن الله عز وجل أمر الأنبياء بإظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة، ولا يجوز أن يظن بهم أنهم حرموا أفضل العملين. ويدل عليه قوله عليه السلام: «فَلَهُ أَجْرُها وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا» . وقد روي في الحديث: «إنَّ عَمَلَ السِّرِّ يُضَاعَفُ عَلَى عَمَلِ العَلانِيَةِ سَبْعِينَ ضِعْفًا وَيُضَاعَفُ عَمَلُ العَلانِيَةِ إذا اسْتُنَّ بِعَامِلِهِ عَلَى عَمَلِ السِّرِّ سَبْعِينَ ضِعْفًا» (٢)، وهذا لا وجه للخلاف فيه فإنه مهما انفك القلب عن شوائب الرياء وتم الإخلاص على وجه واحد في الحالتين فما يقتدى به أفضل لا محالة، وإنما يخاف من ظهور الرياء، ومهما حصلت شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به، فلا خلاف في أن السر أفضل منه. ولكن على من يظهر العمل وظيفتان:

إحداهما : أن يظهره حيث يعلم أنه يقتدى به أو يظن ذلك ظنًّا، ورب رجل يقتدي به أهله دون جيرانه، وربما يقتدي به جيرانه دون أهل السوق، وربما يقتدي به أهل محلته، وإنما العالم المعروف هو الذي يقتدي به الناس كافة. فغير العالم إذا أظهر بعض الطاعات ربما نسب إلى الرياء والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الإظهار من غير فائدة، وإنما يصح الإظهار بنية القدوة ممن هو في محل القدوة على من هو في محل الاقتداء به.

والثانية : أن يراقب قلبه فإنه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه إلى الإظهار بعذر

---

(١) صحيح : حديث «من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه». وفي أوله قصة مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلي. [مسلم : ١٠١٧]

(٢) ضعيف : حديث «إن عمل السر يضاعف على عمل العلانية بسبعين ضعفا». أخرجه البيهقي في الشعب من حديث أبي الدرداء مقتصرا على الشطر الأول بنحوه وقال هذا من أفراد بقية عن شيوخه المجهولين [انظر ضعيف الترغيب : ٢٤]، وقد تقدم قبل هذا بنحو ورقتين وله من حديث ابن عمر «عمل السر أفضل من عمل العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء» وقال تفرد به بقية عن عبد الملك بن مهران [وهو ضعيف جدًا، انظر ضعيف الجامع : ٣٣٤٢ ، الضعيفة: ٢٤٠٦] وله من حديث عائشة «يفضل – أو يضاعف – الذكر الخفي الذي لا يسمعه الحفظة على الذي تسمعه بسبعين ضعفا» وقال تفرد به معاوية بن يحيى الصدفي وهو ضعيف. [وهو ضعيف جدًا، انظر ضعيف الجامع : ٣٠٦٠]

الاقتداء، وإنما شهوته التجمل بالعمل وبكونه يقتدى به، وهذا حال كل من يظهر أعماله إلا الأقوياء المخلصين وقليل ما هم. فلا ينبغي أن يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر، فإن الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر إلى جماعة من الغرقى فرحمهم فأقبل عليهم حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك، والغرق بالماء في الدنيا ألمه ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله، لا بل عذابه دائم مدّة مديدة، وهذه مزلة أقدام العباد والعلماء فإنهم يتشبهون بالأقوياء في الإظهار ولا تقوى قلوبهم على الإخلاص فتحبط أجورهم بالرياء، والتفطن لذلك غامض، ومحك ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو قيل له أخف العمل حتى يقتدي الناس بعابد آخر من أقرانك ويكون لك في السر مثل أجر الإعلان، فإن مال قلبه إلى أن يكون هو المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الرياء دون طلب الأجر واقتداء الناس به ورغبتهم في الخير، فإنهم قد رغبوا في الخير بالنظر إلى غيره وأجره قد توفر عليه مع إسراره، فما بال قلبه يميل إلى الإظهار لولا ملاحظته لأعين الخلق ومراءاتهم؟ فليحذر العبد خدع النفس فإن النفس خدوع والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب، وقلما تسلم الأعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغي أن يعدل بالسلامة شيئًا والسلامة في الإخفاء، وفي الإظهار من الأخطار ما لا يقوى عليه أمثالنا، فالحذر من الإظهار أولى بنا وبجميع الضعفاء.

القسم الثاني: أن يتحدّث بما فعله بعد الفراغ، وحكمه حكم إظهار العمل نفسه والخطر في هذا أشدّ لأن مؤنة النطق خفيفة على اللسان، وقد تجري في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة في إظهار الدعاوى عظيمة، إلا أنه لو تطرّق إليه الرياء لم يؤثر في إفساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها، فهو من هذا الوجه أهون، والحكم فيه أنّ من قوي قلبه وتم إخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم، وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به والرغبة في الخير بسببه فهو جائز، بل هو مندوب إليه إن صفت النية وسلمت عن جميع الآفات، لأنه ترغيب في الخير، والترغيب في الخير خير، وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الأقوياء. قال سعد بن معاذ: ما صليت صلاةً منذ أسلمت فحدّثت نفسي بغيرها، ولا تبعت جنازة فحدّثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها، وما سمعت النبيﷺ يقول قولًا قط إلا علمت أنه حق. وقال عمر رضي الله عنه: ما أبالي أصبحت على عسر أو يسر لأني لا أدري أيهما خير لي؟ وقال ابن مسعود: ما أصبحت على حال فتمنيت أن أكون على غيرها. وقال عثمان رضي الله عنه: ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول اللهﷺ (١)، وقال شدّاد بن أوس: ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت حتى أزمها وأخطمها، غير هذه وكان قد قال لغلامه: ائتنا

---

(١) حديث عثمان قوله: ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكرى بيميني منذ بايعت رسول اللهﷺ .. الحديث». أخرجه أبو يعلى الموصلي في معجمه بإسناد ضعيف من رواية أنس عنه في أثناء حديث وإن عثمان قال: يا رسول الله، فذكره بلفظ منذ بايعتك، قال «هو ذاك يا عثمان». [قلت: هو عند ابن ماجه : ٣١١ من حديث عثمان، بدون قوله «هو ذاك يا عثمان»، وهو ضعيف جدًا ، وانظر ضعيف ابن ماجه]

بالسفرة لنبعث بها حتى ندرك الغداء. وقال أبو سفيان لأهله حين حضره الموت: لا تبكوا عليَّ فإني ما أحدثت ذنبًا منذ أسلمت. وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: ما قضى الله فيَّ بقضاء قط فسرني أن يكون قضى لي بغيره، وما أصبح لي هوى إلا في مواقع قدر الله.

فهذا كله إظهار لأحوال شريفة، وفيها غاية المراءاة إذا صدرت ممن يرائي بها، وفيها غاية الترغيب إذا صدرت ممن يقتدى به. فذلك على قصد الاقتداء جائز للأقوياء بالشروط التي ذكرناها فلا ينبغي أن يسدّ باب إظهار الأعمال والطباع مجبولة على حب التشبه والاقتداء، بل إظهار المرائي للعبادة إذا لم يعلم الناس أنه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرائي. فكم من مخلص كان سبب إخلاصه الاقتداء بمن هو مراء عند الله؟ وقد روي أنه كان يجتاز الإنسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع أصوات المصلين بالقرآن من البيوت، فصنف بعضهم كتابًا في دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه، فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فإظهار المرائي فيه خير كثير لغيره إذا لم يعرف رياؤه. وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم [1]، كما ورد في الأخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم، والله تعالى أعلم.

بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليها وكراهة ذمهم له:

اعلم أن الأصل في الإخلاص استواء السريرة والعلانية كما قال عمر رضي الله عنه لرجل: عليك بعمل العلانية، قال: يا أمير المؤمنين وما عمل العلانية؟ قال: ما إذا اطلع عليك لم تستحي منه. وقال أبو مسلم الخولاني: ما عملت عملًا أبالي أن يطلع الناس عليه إلا إتياني أهلي والبول والغائط، إلا أن هذه درجة عظيمة لا ينالها كل واحد. ولا يخلو الإنسان عن ذنوب بقلبه أو بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لا سيما ما تختلج به الخواطر في الشهوات والأماني، والله مطلع على جميع ذلك فإرادة العبد لإخفائها عن العبيد ربما يظن أنه رياء محظور وليس كذلك بل المحظور أنه يستر ذلك ليرى الناس أنه ورع خائف من الله تعالى مع أنه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائي.

وأما الصادق الذي لا يرائي فله ستر المعاصي ويصح قصده فيه، ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه في ثمانية أوجه:

الأوّل: أن يفرح بستر الله عليه، وإذا افتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف أن يهتك ستره في القيامة، إذ ورد في الخبر: «أن من ستر الله عليه في الدنيا ذنبًا ستره الله عليه في الآخرة» [2]،

---

(١) صحيح: حديث «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر [وبأقوام لا خلاق لهم]». هما حديثان فالأول متفق عليه من حديث أبي هريرة [البخاري: ٦٦٠٦، مسلم: ١١١] وقد تقدم في العلم. والثاني رواه النسائي من حديث أنس بسند صحيح وتقدم أيضا. [انظر صحيح الجامع: ١٨٦٦]

(٢) حديث «إن من ستر عليه في الدنيا يستر عليه في الآخرة». تقدم قبل هذا بورقة. [مسلم: ٢٥٩٠ بلفظ: «لا يستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة»]

وهذا غم ينشأ من قوّة الإيمان.

الثاني: أنه قد علم أن الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما قال ﷺ: «من ارتكب شيئًا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله»[1] فهو وإن عصى الله بالذنب فلم يخل قلبه عن محبة ما أحبه الله. وهذا ينشأ من قوّة الإيمان بكراهة الله لظهور المعاصي، وأثر الصدق فيه أن يكره ظهور الذنب من غيره أيضًا ويغتم بسببه.

الثالث: أن يكره ذم الناس له به من حيث إن ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى، فإن الطبع يتأذى بالذم وينازع العقل ويشغل عن الطاعة، وبهذه العلة أيضًا ينبغي أن يكره الحمد الذي يشغله عن ذكر الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر. وهذا أيضًا من قوّة الإيمان إذ صدق الرغبة في فراغ القلب لأجل الطاعة من الإيمان.

الرابع: أن يكون ستره ورغبته فيه لكراهته لذم الناس من حيث يتأذى طبعه، فإن الذم مؤلم للقلب كما أن الضرب مؤلم للبدن، وخوف تألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الإنسان به عاص وإنما يعصي إذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته إلى ما لا يجوز حذرًا من ذمهم، وليس يجب على الإنسان أن لا يغتم بذم الخلق ولا يتألم به، نعم كمال الصدق في أن تزول عنه رؤيته للخلق فيستوي عنده ذامه ومادحه لعلمه أن الضارّ والنافع هو الله وأن العباد كلهم عاجزون، وذلك قليل جدًا، وأكثر الطباع تتألم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان، ورب تألم بالذم محمود إذا كان الذام من أهل البصيرة في الدين فإنهم شهداء الله، وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان في الدين فكيف لا يغتم به؟ نعم. الغم المذموم هو أن يغتم لفوات الحمد بالورع، كأنه يحب أن يحمد بالورع، ولا يجوز أن يحب أن يحمد بطاعة الله، فيكون قد طلب بطاعة الله ثوابًا من غيره، فإن وجد ذلك في نفسه وجب عليه أن يقابله بالكراهة والرد.

• وأما كراهة الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذرًا من ذلك، ويتصوّر أن يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم. وإنما مراده أن يتركه الناس حمدًا وذمًا، فكم من صابر عن لذة الحمد لا يصبر على ألم الذم؟ إذ الحمد بطلب اللذة، وعدم اللذة لا يؤلم، وأما الذم فإنه مؤلم؛ فحب الحمد على الطاعة طلب ثواب على الطاعة في الحال، وأما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه إلا أمر واحد وهو أن يشغله غمه باطلاع الناس على ذنبه عن اطلاع الله فإن ذلك غاية النقصان في الدين، بل ينبغي أن يكون غمه باطلاع الله وذمه له أكثر.

الخامس: أن يكره الذم من حيث إن الذام قد عصى الله تعالى به وهذا من الإيمان، وعلامته أن يكره ذمه لغيره أيضًا فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع.

---

(١) صحيح: حديث «من ارتكب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله». أخرجه الحاكم في المستدرك وقد تقدم. [انظر صحيح الجامع: ١٤٩]

السادس: أن يستر ذلك كيلا يقصد بشر إذا عرف ذنبه وهذا وراء ألم الذم، فإن الذم من حيث يشعر القلب بنقصانه وخسته وإن كان ممن يؤمن شره، وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الأسباب، فله أن يستر ذلك حذرًا منه.

السابع: مجرد الحياء فإنه نوع ألم وراء ألم الذم والقصد بالشر، وهو خلق كريم يحدث في أوّل الصبا مهما أشرق عليه نور العقل فيستحي من القبائح إذا شوهدت وهو منه وصف محمود إذ قال رسول الله ﷺ: «الحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ» (١)، وقال ﷺ: «الحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ» (٢)، وقال ﷺ: «الحَيَاءُ لا يَأْتِي إلاَّ بِخَيْرٍ» (٣)، وقال ﷺ: «إنَّ الله يُحِبُّ الحَيِيَّ الحَلِيمَ» (٤)، فالذي يفسق ولا يبالي أن يظهر فسقه للناس جمع إلى الفسق والتهتك والوقاحة فقد الحياء، فهو أشدّ حالًا ممن يستتر ويستحي، إلا أن الحياء ممتزج بالرياء ومشتبه به اشتباهًا عظيمًا قل من يتفطن له، ويدعي كل مراء أنه مستحي وأن سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس، وذلك كذب، بل الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم وتهيج عقبه داعية الرياء وداعية الإخلاص، ويتصوّر أن يخلص معه ويتصوّر أن يرائي معه.

وبيانه أن الرجل يطلب من صديق له قرضًا ونفسه لا تسخو بإقراضه إلا أنه يستحيي من رده، وعلم أنه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحي ولا يقرض رياء ولا لطلب الثواب، فله عند ذلك أحوال، أحدها أن يشافه بالرد الصريح ولا يبالي فينسب إلى قلة الحياء، وهذا فعل من لا حياء له. فإن المستحي إما أن يتعلل أو يقرض.

فإن أعطى فيتصوّر له ثلاثة أحوال:

أحدها: أن يمزج الرياء بالحياء بأن يهيج الحياء فيقبح عنده الرد، فيهيج خاطر الرياء ويقول: ينبغي أن تعطي حتى يثني عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخاء، أو ينبغي أن تعطي حتى لا يذمك ولا ينسبك إلى البخل، فإذا أعطى فقد أعطى بالرياء وكان المحرّك للرياء هو هيجان الحياء.

الثاني: أن يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيتعذر الإعطاء، فيهيج داعي الإخلاص ويقول له: إنّ الصدقة بواحدة والقرض بثمان عشرة ففيه أجر عظيم وإدخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى، فتسخو النفس بالإعطاء لذلك، فهذا مخلص هيج الحياء إخلاصه.

---

(١) صحيح: حديث «الحياء خير كله». أخرجه مسلم من حديث عمران بن حصين وقد تقدم. [مسلم: ٣٧]

(٢) صحيح: حديث «الحياء شعبة من الإيمان». متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم. [البخاري: ٩، مسلم: ٣٥]

(٣) صحيح: حديث «الحياء لا يأتي إلا بخير». متفق عليه من حديث عمران بن حصين وقد تقدم. [البخاري: ٦١١٧، مسلم: ٣٧]

(٤) حديث «إن الله يحب الحيي الحليم». أخرجه الطبراني من حديث فاطمة، وللبزار من حديث أبي هريرة «إن الله يحب الغني الحليم المتعفف» وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه. [وهو صحيح، انظر صحيح الترغيب: ٨١٩]

الثالث: أن لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته؛ لأنه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه فأعطاه بمحض الحياء، وهو ما يجده في قلبه من ألم الحياء ولولا الحياء لرده، ولو جاءه من لا يستحي منه من الأجانب أو الأراذل لكان يرده وإن كثر الحمد والثواب فيه، فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا إلا في القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب. والمرائي يستحي من المباحات أيضًا، حتى إنه يرى مستعجلًا في المشي فيعود إلى الهدوء، أو ضاحكًا فيرجع إلى الانقباض، ويزعم أن ذلك حياء وهو عين الرياء. وقد قيل:س إنّ بعض الحياء ضعف وهو صحيح، والمراد به الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من وعظ الناس وإمامة الناس في الصلاة، وهو في الصبيان والنساء محمود وفي العقلاء غير محمود. وقد تشاهد معصية من شيخ فتستحي من شيبته أن تنكر عليه لأن من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم، وهذا الحياء حسن وأحسن منه أن تستحي من الله فلا تضيع الأمر بالمعروف، فالقوي يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه، فهذه هي الأسباب التي يجوز لأجلها ستر القبائح والذنوب.

الثامن: أن يخاف من ظهور ذنبه أن يستجرىء عليه غيره ويقتدي به، وهذه العلة الواحدة فقط هي الجارية في إظهار الطاعة وهو القدوة، ويختص ذلك بالأئمة أو بمن يقتدى به، وبهذه العلة ينبغي أيضًا أن يخفي العاصي أيضًا معصيته من أهله وولده لأنهم يتعلمون منه.

ففي ستر الذنوب: هذه الأعذار الثمانية، وليس في إظهار الطاعة عذر إلا هذا العذر الواحد، ومهما قصد بستر المعصية أن يخيل إلى الناس أنه ورع كان مرائيًا كما إذا قصد بذلك بإظهار الطاعة.

فإن قلت: فهل يجوز للعبد أن يحب حمد الناس له بالصلاح وحبهم إياه بسببه، وقد قال رجل للنبي ﷺ: دلني على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال: «ازهد في الدنيا يحبك الله وانبذ إليهم هذا الحطام يحبوك» (١).

فنقول: حبك لحب الناس لك قد يكون مباحًا وقد يكون محمودًا وقد يكون مذمومًا. فالمحمود أن تحب ذلك لتعرف به حب الله لك، فإنه تعالى إذا أحب عبدًا حببه في قلوب عباده. والمذموم أن تحب حبهم وحمدهم على حجك وغزوك وصلاتك وعلى طاعة بعينها، فإن ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجل سوى ثواب الله. والمباح أن تحب أن يحبوك لصفات محمودة سوى الطاعات المحمودة المعينة، فحبك ذلك كحبك المال لأن ملك القلوب وسيلة إلى الأغراض كملك الأموال فلا فرق بينهما.

---

(١) صحيح: حديث: قال رجل دلني على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال «ازهد في الدنيا يحبك الله وانبذ إليهم هذا الحطام يحبوك». أخرجه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بلفظ «وازهد فيما في أيدي الناس» وقد تقدم. [ابن ماجه: ٤١٠٢، وانظر صحيح الجامع: ٩٢٢، ٩٢٣]

بيان ترك الطاعات خوفًا من الرياء ودخول الآفات:

اعلم أن من الناس من يترك العمل خوفًا من أن يكون مرائيًا به وذلك غلط وموافقة للشيطان، بل الحق فيما يترك من الأعمال وما لا يترك لخوف الآفات ما نذكره، وهو أن الطاعات تنقسم إلى: ما لا لذة في عينه، كالصلاة والصوم والحج والغزو فإنها مقاساة ومجاهدات، إنما تصير لذيذة من حيث إنها توصل إلى حمد الناس، وحمد الناس لذيذ، وذلك عند اطلاع الناس عليه. وإلى ما هو لذيذ، وهو أكثر ما لا يقتصر على البدن، بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء والولايات والحسبة وإمامة الصلاة والتذكير والتدريس وإنفاق المال على الخلق، وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة.

القسم الأوّل: الطاعات اللازمة للبدن، التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها، كالصوم والصلاة والحج، فخطرات الرياء فيها ثلاث:

إحداها: ما يدخل قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين، فهذا مما ينبغي أن يترك لأنه معصية لا طاعة فيه، فإنه تدرّع بصورة الطاعة إلى طلب المنزلة، فإن قدر الإنسان على أن يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها: ألا تستحيين من مولاك ولا تسخين بالعمل لأجله وتسخين بالعمل لأجل عباده؟ حتى يندفع باعث الرياء وتسخو النفس بالعمل لله عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة له فليشتغل بالعمل.

الثانية: أن ينبعث لأجل الله ولكن يعترض الرياء مع عقد العبادة وأوّلها، فلا ينبغي أن يترك العمل لأنه وجد باعثًا دينيًا، فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحسين الإخلاص بالمعالجات التي ذكرناها من إلزام النفس كراهة الرياء والإباء عن القبول..

الثالثة: أن يعقد على الإخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه، فينبغي أن يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكي يرجع إلى عقد الإخلاص ويرد نفسه إليه قهرًا حتى يتم العمل؛ لأن الشيطان يدعوك أوّلًا إلى ترك العمل، فإذا لم تجب واشتغلت فيدعوك إلى الرياء، فإذا لم تجب ودفعت بقي يقول لك: هذا العمل ليس بخالص وأنت مراء وتعبك ضائع فأي فائدة لك في عمل لا إخلاص فيه؟ حتى يحملك بذلك على ترك العمل، فإذا تركته فقد حصلت غرضه. ومثال من يترك العمل لخوفه أن يكون مرائيًا كمن سلم إليه مولاه حنطة فيها زؤان وقال: خلصها من الزؤان ونقها منه تنقية بالغة، فيترك أصل العمل ويقول: أخاف إن اشتغلت به لم تخلص خلاصًا صافيًا نقيًا. فترك العمل من أجله هو ترك الإخلاص مع أصل العمل، فلا معنى له. ومن هذا القبيل أن يترك العمل خوفًا على الناس أن يقولوا إنه مراء فيعصون الله به. فهذا من مكائد الشيطان لأنه أوّلًا أساء الظن بالمسلمين، وما كان من حقه أن يظن بهم ذلك، ثم إن كان فلا يضره قولهم ويفوته ثواب العبادة، وترك العلم خوفًا من قولهم إنه مراء هو عين الرياء، فلولا حبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم فما له ولقولهم قالوا إنه مراء أو قالوا إنه مخلص؟ وأي فرق بين أن يترك العمل خوفًا من أن يقال إنه مراء، وبين أن يحسن العمل خوفًا من أن يقال إنه غافل مقصر؟ بل ترك العمل أشدّ من

ذلك. فهذه كلها مكائد الشيطان على العباد الجهال، ثم كيف يطمع في أن يتخلص من الشيطان بأن يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له: الآن يقول الناس إنك تركت العمل ليقال إنه مخلص لا يشتهي الشهرة، فيضطرك بذلك إلى أن تهرب، فإن هربت ودخلت سربًا تحت الأرض ألقى في قلبك حلاوة معرفة الناس لتزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك فكيف تتخلص منه؟ بل لا نجاة منه إلا بأن تلزم قلبك معرفة آفة الرياء وهو أنه ضرر في الآخرة ولا نفع فيه في الدنيا لتلزم الكراهة والإباء قلبك، وتستمرّ مع ذلك على العمل ولا تبالي، وإن نزغ العدوّ نازغ الطبع فإنّ ذلك لا ينقطع، وترك العمل لأجل ذلك يجرّ إلى البطالة وترك الخيرات. فما دمت تجد باعثًا دينيًا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء، وألزم قلبك الحياء من الله إذا دعتك نفسك إلى أن تستبدل بحمده حمد المخلوقين، وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وأنك تريد حمدهم لمقتوك، بل إن قدرت على أن تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل. فإن قال لك الشيطان: أنت مراء، فاعلم كذبه وخدعه بما تصادف في قلبك من كراهة الرياء وإبائه وخوفك منه وحيائك من الله تعالى، وإن لم تجد في قلبك له كراهية ومنه خوفًا ولم يبق باعث ديني بل تجرّد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد، فمن شرع في العمل لله فلا بدّ أن يبقى معه أصل قصد الثواب.

فإن قلت: فقد نقل عن أقوام ترك العمل مخافة الشهرة. روي أنّ إبراهيم النخعي دخل عليه إنسان وهو يقرأ فأطبق المصحف وترك القراءة وقال: لا يرى هذا أنّا نقرأ كل ساعة. وقال إبراهيم التيمي: إذا أعجبك الكلام فاسكت وإذا أعجبك السكوت فتكلم. وقال الحسن: إن كان أحدهم ليمرّ بالأذى ما يمنعه من دفعه إلاّ كراهة الشهرة، وكان أحدهم يأتيه البكاء فيصرفه إلى الضحك مخافة الشهرة. وقد ورد في ذلك آثار كثيرة قلنا: هذا يعارضه ما ورد من إظهار الطاعات ممن لا يحصى، وإظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ أقرب إلى خوف الشهرة من البكاء وإماطة الأذى عن الطريق ثم لم يتركه.

وبالجملة، ترك النوافل جائز والكلام في الأفضل. والأفضل إنما يقدر عليه الأقوياء دون الضعفاء، فالأفضل أن يتمم العمل ويجتهد في الإخلاص ولا يتركه، وأرباب الأعمال قد يعالجون أنفسهم بخلاف الأفضل لشدّة الخوف، فالاقتداء ينبغي أن يكون بالأقوياء. وأما إطباق إبراهيم النخعي المصحف فيمكن أن يكون لعلمه بأنه سيحتاج إلى ترك القراءة عند دخوله واستئنافه بعد خروجه للاشتغال بمكالمته، فرأى أن لا يراه في القراءة أبعد عن الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود إليه بعد ذلك. وأما ترك دفع الأذى فذلك ممن يخاف على نفسه آفة الشهرة وإقبال الناس عليه وشغلهم إياه عن عبادات هي أكبر من رفع خشبة من الطريق، فيكون ترك ذلك للمحافظة على عبادات هي أكبر منها لا بمجرّد خوف الرياء. وأما قول التيمي: إذا أعجبك الكلام فاسكت يجوز أن يكون قد أراد به مباحات الكلام كالفصاحة في الحكايات وغيرها فإن ذلك يورث العجب، وكذلك العجب بالسكوت المباح محذور فهو عدول عن

مباح إلى مباح حذرًا من العجب. فأما الكلام الحق المندوب إليه فلم ينص عليه، على أن الآفة مما تعظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني، وإنما كلامنا في العبادات الخاصة ببدن العبد مما لا يتعلق بالناس ولا تعظم فيه الآفات، ثم كلام الحسن في تركهم البكاء وإماطة الأذى لخوف الشهرة ربما كان حكاية أحوال الضعفاء الذين لا يعرفون الأفضل ولا يدركون هذه الدقائق، وإنما ذكره تخويفًا للناس من آفة الشهرة وزجرًا من طلبها.

القسم الثاني: ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والأخطار، وأعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم إنفاق المال.

أما الخلافة والإمارة:

فهي من أفضل العبادات إذا كان ذلك مع العدل والإخلاص، وقد قال النبي ﷺ «لَيَوْمٌ مِنْ إِمَامٍ عَادِلٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ الرَّجُلِ وَحْدَهُ سِتِّينَ عَامًا» (١)، فأعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة، وقال ﷺ «أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ ثَلاثَةٌ: الإِمَامُ المُقْسِطُ» (٢)، أحدهم. وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «ثَلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الإِمامُ العَادِلُ» (٣)، أحدهم. وقال ﷺ «أَقْرَبُ النَّاسِ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيامَةِ إِمَامٌ عَادِلٌ» (٤) رواه أبو سعيد الخدري. فالإمارة والخلافة من أعظم العبادات، ولم يزل المتقون يتركونها ويحترزون منها ويهربون من تقلدها وذلك لما فيها من عظيم الخطر، إذ تتحرك بها الصفات الباطنة ويغلب النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء ونفاذ الأمر وهو أعظم ملاذ الدنيا، فإذا صارت الولاية محبوبة كان الوالي ساعيًا في حظ نفسه، ويوشك أن يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وولايته وإن كان حقًّا، ويقدم على ما يزيد في مكانته وإن كان باطلًا، وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرًّا من فسق ستين سنة بمفهوم الحديث الذي ذكرناه. ولهذا الخطر العظيم كان عمر رضي الله عنه يقول، من يأخذها بما فيها، وكيف لا وقد قال النبي ﷺ «ما مِنْ وَالِي عَشَرَةٍ إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ القِيامَةِ مَغْلُولَةً يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ أَطْلَقَهُ عَدْلُهُ أَوْ أَوْبَقَهُ جَوْرُهُ» (٥) رواه معقل بن يسار، وولاه عمر ولاية فقال:

---

(١) منكر: حديث «ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما». أخرجه الطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس وقد تقدم. [انظر ضعيف الترغيب: ١٤٠٣، الضعيفة: ٩٨٩، ١٥٩٥]

(٢) صحيح دون قوله: «أول من»: حديث «أول من يدخل الجنة ثلاثة: الإمام المقسط».- أخرجه مسلم من حديث عياض بن حماد «أهل الجنة ثلاث: ذو سلطان مقسط... الحديث» ولم أر فيه ذكر الأولية. [مسلم: ٢٨٦٥]

(٣) ضعيف: حديث أبي هريرة «ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل». تقدم. [انظر ضعيف الجامع: ٢٥٩٢، ضعيف الترغيب: ٥٨٣، لكن صح بلفظ: «الصائم حتى يفطر، والمسافر، ودعوة المظلوم» وأيضًا بلفظ «دعوة الوالد» بدل «دعوة المظلوم»، انظر الصحيحة: ٥٩٦، ٥٩٨، ١٧٩٧، ضعيف الترمذي: ٣٥٩٨]

(٤) ضعيف: حديث أبي سعيد الخدري «أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة إمام عادل». أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب من رواية عطية العوفي وهو ضعيف عنه وفيه أيضا إسحق بن إبراهيم الديباجي ضعيف أيضا. [انظر ضعيف الترغيب: ١٣٢٠، الضعيفة: ١١٥٧]

(٥) صحيح: حديث «ما من والي عشرة إلا جاء يوم القيامة يده مغلولة إلى عنقه لا يفكها إلا عدله». [انظر الصحيحة: ٣٤٩] أخرجه أحمد من حديث عبادة بن الصامت ورواه أحمد والبزار من رواية رجل لم يسم عن

يا أمير المؤمنين أشر عليّ، قال: اجلس واكتم عليّ. وروى الحسن: «أنّ رجلًا ولاه النبي ﷺ فقال للنبي: خر لي قال: «اجْلِسْ» (١)، وكذلك حديث عبد الرحمن بن سمرة إذ قال له النبي ﷺ: «يا عَبْدَ الرَّحْمنِ لا تَسْأَلِ الإِمَارَةَ فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيتَها مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْها وَإِنْ أُوتِيتَها عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا» (٢)، وقال أبو بكر رضي الله عنه لرافع بن عمر: لا تأمر على اثنين، ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال له رافع: ألم تقل لي لا تأمر على اثنين وأنت قد وليت أمر أمة محمد؟ فقال: بلى وأنا أقول لك ذلك فمن لم يعدل فيها فعليه بهلة الله، يعني لعنة الله. ولعل القليل البصيرة يرى ما ورد من فضل الإمارة مع ما ورد من النهي عنها متناقضًا وليس كذلك، بل الحق فيه أنّ الخواص الأقوياء في الدين لا ينبغي أن يمتنعوا من تقلد الولايات، وأنّ الضعفاء لا ينبغي أن يدوروا بها فيهلكوا، وأعني بالقوي الذي لا تميله الدنيا ولا يستفزه الطمع ولا تأخذه في الله لومة لائم، وهم الذين سقط الخلق عن أعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا أنفسهم وملكوها وقمعوا الشيطان فأيس منهم، فهؤلاء لا يحركهم إلا الحق ولا يسكنهم إلا الحق ولو زهقت فيهم أرواحهم، فهم أهل نيل الفضل في الإمارة والخلافة ومن علم أنه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات، ومن جرّب نفسه فرءاها صابرة على الحق كافة عن الشهوات في غير الولايات، ولكن خاف عليها أن تتغير إذا ذاقت لذة الولاية وأن تستحلي الجاه وتستلذ نفاذ الأمر فتكره العزل، فيداهن خيفة من العزل، فهذا قد اختلف العلماء في أنه هل يلزمه الهرب من تقلد الولاية؟ فقال قائلون: لا يجب لأن هذا خوف أمر في المستقبل وهو في الحال لم يعهد نفسه إلا قوية في ملازمة الحق وترك لذات النفس، والصحيح أنّ عليه الاحتراز لأنّ النفس خدّاعة مدعية للحق واعدة بالخير، فلو وعدت بالخير جزمًا لكان يخاف عليه أن تتغير عند الولاية فكيف إذا أظهرت التردد.؟ والامتناع عن قبول الولاية أهون من العزل بعد الشروع، فالعزل مؤلم وهو كما قيل العزل طلاق الرجال، فإذا شرع لا تسمح نفسه بالعزل

سعد بن عبادة وفيهما يزيد بن أبي زياد متكلم فيه ورواه أحمد والبزار وأبو يعلى والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ورواه البزار والطبراني من حديث أبي هريرة ورواه البزار والطبراني من حديث بريدة والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس وثوبان وله من حديث أبي الدرداء «ما من والي ثلاثة إلا لقى الله مغلولة يمينه... الحديث» [وهو ضعيف جدًا، وانظر الضعيفة: ١٣٣٢]وقد عزى المصنف هذا الحديث لرواية معقل بن يسار والمعروف من حديث معقل بن يسار «ما من عبد يسترعيه الله رعية لم يحطها بنصيحة إلا لم يرح رائحة الجنة» متفق عليه. [البخاري : ٧١٥٠، واللفظ له ، مسلم : ١٤٢]

(١) صحيح بلفظ : «الزم بيتك» : حديث الحسن: أن رجلا ولاه النبي ﷺ فقال للنبي ﷺ: خر لي قال «اجلس». أخرجه الطبراني موصولا من حديث عصمة هو ابن مالك وفيه الفضل بن المختار وأحاديثه منكرة يحدث بالأباطيل قاله أبو حاتم ورواه أيضا من حديث ابن عمر بلفظ «الزم بيتك» وفيه الغراب بن أبي الغراب ضعفه ابن معين وابن عدي وقال أبو حاتم: صدوق. [وهو صحيح ، انظر صحيح الجامع : ١٢٤٧، الصحيحة : ١٥٣٥]

(٢) صحيح : حديث عبد الرحمن بن سمرة «لا تسل الإمارة .. الحديث». متفق عليه. [البخاري : ٦٦٢٢ ، مسلم : ١٦٥٢]

وتميل نفسه إلى المداهنة وإهمال الحق وتهوي به في قعر جهنم، ولا يستطيع النزوع منه إلى الموت إلا أن يعزل قهرًا، وكان فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية. ومهما مالت النفس إلى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب فهو أمارة الشر، ولذلك قال ﷺ: «إِنَّا لا نُوَلِّي أَمْرَنا مَنْ سَأَلَنَا» (١)، فإذا فهمت اختلاف حكم القوي والضعيف علمت أنّ نهي أبي بكر رافعًا عن الولاية ثم تقلده لها ليس بمتناقض.

وأما القضاء: فهو وإن كان دون الخلافة والإمارة فهو في معناهما، فإن كل ذي ولاية أمير، أي له أمر نافذ، والإمارة محبوبة بالطبع، والثواب في القضاء عظيم مع اتباع الحق، والعقاب فيه أيضًا عظيم مع العدول عن الحق وقد قال النبي ﷺ: «القُضَاةُ ثَلاثَةٌ: قَاضِيَانِ فِي النَّارِ وَقَاضٍ فِي الجَنَّةِ» (٢)، وقال عليه السلام: «مَنْ اسْتُقْضِيَ فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ» (٣)، فحكمه حكم الإمارة ينبغي أن يتركه الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها وزن في عينه، وليتقلده الأقوياء الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم. ومهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي على القضاء إلا بمداهنتهم وإهمال بعض الحقوق لأجلهم ولأجل المتعلقين بهم، إذ يعلم أنه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه أو لم يطيعوه، فليس له أن يتقلد القضاء، وإن تقلد فعليه أن يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عذرًا مرخصًا له في الإهمال أصلًا، بل إذا عزل سقطت العهدة عنه، فينبغي أن يفرح بالعزل إن كان يقضي لله، فإن لم تسمح نفسه بذلك فهو إذن يقضي لاتباع الهوى والشيطان، فكيف يرتقب عليه ثوابًا؟ وهو مع الظلمة في الدرك الأسفل من النار.

وأما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية الحديث وجمع الأسانيد العالية، وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر، فآفته أيضًا عظيمة مثل آفة الولايات، وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا إليه سبيلًا، وكانوا يقولون: حدّثنا، باب من أبواب الدنيا، ومن قال: حدثنا، فقد قال أوسعوا لي. ودفن بشر كذا وكذا قمطر من الحديث وقال: يمنعني من الحديث أني أشتهي أن أحدّث، ولو اشتهيت أن لا أحدث لحدثت. والواعظ يجد في وعظه وتأثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم وإقبالهم عليه لذة لا توازيها لذة، فإذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه إلى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وإن كان باطلًا، ويفر عن كل كلام يستثقله العوام وإن كان حقًا، ويصير مصروف الهمة بالكلية إلى ما يحرك قلوب العوام ويعظم منزلته في

---

(١) صحيح: حديث «إنا لا نولى أمرنا من سألنا». متفق عليه من حديث أبي موسى. [البخاري: ٢٢٦١، مسلم: ١٧٣٣]

(٢) صحيح: حديث «القضاة ثلاثة .. الحديث». أخرجه أصحاب السنن من حديث بريدة وتقدم في العلم وإسناده صحيح. [أبو داود: ٣٥٧٣، الترمذي: ١٣٢٢، وانظر صحيح الجامع: ٤٤٤٦، صحيح الترغيب: ٢١٧٢، الإرواء: ٢٦٢٨]

(٣) صحيح: حديث «من استُقضِيَ فقد ذُبِحَ بغير سكين». أخرجه أصحاب السنن من حديث أبي هريرة بلفظ «من جعل قاضيا» وفي رواية «من ولي القضاء» وإسناده صحيح. [أبو داود: ٣٥٧٢، الترمذي: ١٣٢٥، وانظر صحيح الجامع: ٦١٩٠، صحيح الترغيب: ٢١٧١، صحيح الترمذي]

قلوبهم، فلا يسمع حديثًا وحكمة إلا ويكون فرحه به من حيث إنه يصلح لأن يذكره على رأس المنبر، وكان ينبغي أن يكون فرحه به من حيث إنه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به أولاً، ثم يقول: إذا أنعم الله عليَّ بهذه النعمة ونفعني بهذه الحكمة فأقصها ليشاركني في نفعها إخواني المسلمين. فهذا أيضًا مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات، فمن لا باعث له إلا طلب الجاه والمنزلة والأكل بالدين والتفاخر والتكاثر، فينبغي أن يتركه ويخالف الهوى فيه، إلى أن ترتاض نفسه وتقوى في الدين همته ويأمن على نفسه الفتنة، فعند ذلك يعود إليه.

فإن قلت: مهما حكم بذلك على أهل العمل تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق؟ فنقول: قد نهى رسول الله ﷺ عن طلب الإمارة وتوعد عليها [(١)]، حتى قال: «إِنَّكُمْ تَحْرِصُونَ عَلَى الإِمَارَةِ وَإِنَّها حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ يَوْمَ القِيامَةِ إِلاَّ مَنْ أَخَذَها بِحَقِّها» [(٢)]، وقال ﷺ: «نِعْمَتِ المُرْضِعَةُ وَبِئْسَتِ الفَاطِمَةُ» [(٣)]، ومعلوم أن السلطنة والإمارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعًا، وثار القتال بين الخلق، وزال الأمن، وخربت البلاد، وتعطلت المعايش فلم نهي عنها مع ذلك؟ وضرب عمر رضي الله عنه أبي بن كعب، رأى قومًا يتبعونه، وهو في ذلك يقول: أبي سيد المسلمين، وكان يقرأ عليه القرآن، فمنع من أن يتبعوه وقال: ذلك فتنة على المتبوع ومذلة على التابع، وعمر كان بنفسه يخطب ويعظ ولا يمتنع منه، واستأذن رجل عمر أن يعظ الناس إذا فرغ من صلاة الصبح فمنعه فقال: أتمنعني من نصح الناس؟ فقال: أخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا، إذ رأى فيه مخايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق. والقضاء والخلافة مما يحتاج الناس إليه في دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى، وفي كل واحد منهما فتنة ولذة فلا فرق بينهما، فأما قول القائل: نهيك عن ذلك يؤدي إلى اندراس العلم فهو غلط، إذ نهي رسول الله ﷺ عن القضاء لم يؤد إلى تعطيل القضاء [(٤)]، بل الرئاسة وحبها يضطر الخلق إلى طلبها، وكذلك حب الرئاسة لا يترك العلوم تندرس، بل لو حبس الخلق وقيدوا بالسلاسل والأغلال من طلب العلوم التي فيها القبول والرئاسة لأفلتوا من الحبس وقطعوا السلاسل

---

(١) صحيح: حديث: النهي عن طلب الإمارة هو حديث عبد الرحمن بن سمرة «لا تسل الإمارة». وقد تقدم قبله بثلاثة أحاديث. [أخرجه البخاري: ٦٦٢٢، مسلم: ١٦٥٢]

(٢) هما حديثان وهما صحيحان: حديث «إنكم تحرصون على الإمارة وإنها حسرة يوم القيامة وندامة [إلا من أخذها بحقها]». أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة دون قوله «إلا من أخذها بحقها» وزاد في آخره «فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة» ودون قوله «حسرة» وهي في صحيح ابن حبان. [البخاري: ٧١٤٨، وهو في مسلم: ١٨٢٥، من حديث أبي ذر بلفظ: «وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها» وليس فيه: «إنكم تحرصون على الإمارة»]

(٣) صحيح: حديث «نعمت المرضعة وبئست الفاطمة». أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة وهو بقية الحديث الذي قبله ورواه ابن حبان بلفظ «فبئست المرضعة وبئست الفاطمة». [البخاري: ٧١٤٨]

(٤) حديث: نهي رسول الله ﷺ عن القضاء .. الحديث. أخرجه مسلم من حديث أبي ذر «لا تؤمّرنّ على اثنين ولا تَلِيَنّ مال يتيم». [مسلم: ١٨٢٦]

وطلبوها. وقد وعد الله أن يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فلا تشغل قلبك بأمر الناس فإنّ الله لا يضيعهم وانظر لنفسك، ثم إني أقول مع هذا إذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلًا فليس في النهي عنه إلا امتناع بعضهم، وإلا فليعلم أنّ كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرئاسة فإن لم يكن في البلد إلا واحد وكان وعظه نافعًا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمعته في الظاهر وتخييله إلى العوام أنه إنما يريد الله بوعظه وأنه تارك للدنيا ومعرض عنها فلا نمنعه منه ونقول له اشتغل وجاهد نفسك، فإن قال: لست أقدر على نفسي فنقول: اشتغل وجاهد، لأنا نعلم أنه لو ترك ذلك لهلك الناس كلهم إذ لا قائم به غيره، ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده، وسلامة دين الجميع أحب عندنا من سلامة دينه وحده، فنجعله فداء للقوم ونقول لعل هذا هو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «إنَّ الله يُؤَيِّدُ هذا الدِّينَ بِأَقْوامٍ لا خَلاَقَ لَهُمْ»[1]، ثم الواعظ هو الذي يرغب في الآخرة ويزهد في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته. فأما ما أحدثه الوعاظ في هذه الأعصار من الكلمات المزخرفة والألفاظ المسجعة المقرونة بالأشعار مما ليس فيه تعظيم لأمر الدين وتخويف للمسلمين، بل فيه الترجية والتجرئة على المعاصي بطيارات النكت، فيجب إخلاء البلاد منهم، فإنهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان، وإنما كلامنا في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يبطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره، وفيما أوردناه في كتاب العلم من الوعيد الوارد في حق علماء السوء ما يبيّن لزوم الحذر من فتن العلم وغوائله.

ولهذا قال المسيح عليه السلام: يا علماء السوء تصومون وتصلون وتتصدّقون ولا تفعلون ما تأمرون، وتدرسون ما لا تعلمون، فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والأماني وتعملون بالهوى، وما يغني عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة، بحق أقول لكم: لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة، كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم، يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته؟ بحق أقول لكم: إن قلوبكم تبكي من أعمالكم، جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم، بحق أقول لكم: أفسدتم آخرتكم بصلاح دنياكم، فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة، فأي ناس أخس منكم لو تعلمون، ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين، وتقيمون في محلة المتجبرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم مهلًا مهلًا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا، لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام، توشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم، ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم، ثم يدفعكم العلم من خلفكم، ثم يسلمكم

---

(١) صحيح: حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم». أخرجه النسائي وقد تقدم قريبا. [انظر صحيح الجامع : ١٨٦٦]

إلى الملك الديان حفاة عراة فرادى فيوقفكم على سوءاتكم، ثم يجزيكم بسوء أعمالكم. وقد روى الحارث المحاسبي هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال: هؤلاء علماء السوء شياطين الإنس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا، فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون.

فإن قلت: فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ رغائب كثيرة، حتى قال رسول الله ﷺ: «لَأَنْ يَهْدِيَ الله بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (١)، وقال ﷺ: «أَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إِلَى هُدىً وَاتُّبِعَ عَلَيْهِ كَانَ لَهُ أَجْرُهُ وَأَجْرُ مَنِ اتَّبَعَهُ» (٢)، إلى غير ذلك من فضائل العلم، فينبغي أن يقال للعالم اشتغل بالعلم واترك مراءاة الخلق كما يقال لمن خالجه الرياء في الصلاة لا تترك العمل ولكن أتمم العمل وجاهد نفسك، فاعلم أن فضل العلم كبير وخطره عظيم كفضل الخلافة والإمارة، ولا نقول لأحد من عباد الله اترك العلم إذ ليس في نفس العلم آفة وإنما الآفة في إظهاره بالتصدّي للوعظ والتدريس ورواية الحديث، ولا نقول له أيضًا اتركه ما دام يجد في نفسه باعثًا دينيًا ممزوجًا بباعث الرياء، أما إذا لم يحركه إلا الرياء فترك الإظهار أنفع له وأسلم. وكذلك نوافل الصلوات إذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها، أما إذا خطر له وساوس الرياء في أثناء الصلاة وهو لها كاره فلا يترك الصلاة، لأن آفة الرياء في العبادات ضعيفة، وإنما تعظم في الولايات وفي التصدي للمناصب الكبيرة في العلم.

وبالجملة فالمراتب ثلاث:

الأولى: الولايات، والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفًا من الآفة.

الثانية: الصوم والصلاة والحج والغزو، وقد تعرض لها أقوياء السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لخوف الآفة. وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على نفيها مع إتمام العمل لله بأدنى قوة.

الثالثة: وهي متوسطة بين الرتبتين؛ وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس، والآفات فيها أقل مما في الولايات وأكثر مما في الصلاة، فالصلاة ينبغي أن لا يتركها الضعيف والقوي ولكن يدفع خاطر الرياء، والولايات ينبغي أن يتركها الضعفاء رأسًا دون الأقوياء، ومناصب العلم بينهما، ومن جرب آفات منصب العلم علم أنه بالولاة أشبه، وأن الحذر منه في حق الضعيف أسلم والله أعلم.

وهاهنا رتبة رابعة وهي: جمع المال وأخذه للتفرقة على المستحقين، فإن في الإنفاق

---

(١) صحيح دون قوله «من الدنيا وما فيها»: حديث «لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها». متفق عليه من حديث سهل بن سعد بلفظ «خير لك من حمر النعم» وقد تقدم في العلم. [البخاري: ٢٩٤٢، مسلم: ٢٤٠٦]

(٢) صحيح: حديث «أيما داع دعا إلى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه». أخرجه ابن ماجه من حديث أنس بزيادة في أوله [ابن ماجه: ٢٠٥، وانظر صحيح الجامع: ٢٧١٢] ولمسلم من حديث أبي هريرة «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه... الحديث». [مسلم: ٢٦٧٤]

وإظهار السخاء استجلابًا للثناء، وفي إدخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس، والآفات فيها أيضًا كثيرة.

ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب القوت ثم أمسك، وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال: القاعد أفضل لما يعرفون من قلة السلامة في الدنيا، وأن من الزهد تركها قربة إلى الله تعالى. وقال أبو الدرداء: ما يسرني أنني أقمت على درج مسجد دمشق أصيب كل يوم خمسين دينارًا أتصدق بها، أما إني لا أحرم البيع والشراء ولكني أريد أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

وقد اختلف العلماء فقال قوم: إذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق بها فهو أفضل من أن يشتغل بالعبادات والنوافل، وقال قوم: الجلوس في دوام ذكر الله أفضل، والأخذ والإعطاء يشغل عن الله، وقد قال المسيح عليه السلام: يا طالب الدنيا ليبرّ بها، تركك لها أبرّ، وقال: أقل ما فيه أن يشغله إصلاحه عن ذكر الله وذكر الله أكبر وأفضل. وهذا فيمن سلم من الآفات، فأما من يتعرض لآفة الرياء فتركه لها أبرّ والاشتغال بالذكر لا خلاف في أنه أفضل.

وبالجملة: ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو مثار الآفات، والأحب أن يعمل ويدفع الآفات، فإن عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه، وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر، وليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يميل إليه الطبع.

وبالجملة: ما يجده أخف على قلبه فهو في الأكثر أضر عليه؛ لأن النفس لا تشير إلا بالشر وقلما تستلذ الخير وتميل إليه، وإن كان لا يبعد ذلك أيضًا في بعض الأحوال، وهذه أمور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي وإثبات فهو موكول إلى اجتهاد القلب لينظر فيه لدينه ويدع ما يريبه إلى ما لا يريبه، ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك المال ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين البخل. ولا خلاف في أن تفرقة المال في المباحات فضلًا عن الصدقات أفضل من إمساكه، وإنما الخلاف فيمن يحتاج إلى الكسب: أن الأفضل الكسب والإنفاق، أو التجرد للذكر وذلك لما في الكسب من الآفات، فأما المال الحاصل من الحلال فتفرقته أفضل من إمساكه بكل حال.

فإن قلت فبأي علامة تعرف العالم والواعظ أنه صادق مخلص في وعظه غير مريد رياء الناس؟ فاعلم أن لذلك علامات.

إحداها: أنه لو ظهر من هو أحسن منه وعظًا أو أغزر منه علمًا والناس له أشدّ قبولًا فرح به ولم يحسده. نعم لا بأس بالغبطة وهو أن يتمنى لنفسه مثل علمه.

والأخرى: أن الأكابر إذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل بقي كما كان عليه، فينظر إلى الخلق بعين واحدة.

والأخرى: أن لا يحب اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه في الأسواق. ولذلك علامات كثيرة يطول إحصاؤها.

وقد روي عن سعيد بن أبي مروان قال: كنت جالسًا إلى جنب الحسن إذ دخل علينا الحجاج من بعض أبواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون أصفر، فدخل المسجد على برذونه، فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقة أحفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريبًا منها، ثم ثنى وركه فنزل ومشى نحو الحسن، فلما رآه الحسن متوجهًا إليه تجافى له عن ناحية مجلسه، قال سعيد: وتجافيت له أيضًا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة ومجلس للحجاج، فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له ، يتكلم به في كل يوم ، فما قطع الحسن كلامه قال سعيد: فقلت في نفسي؛ لأبلون الحسن اليوم ولأنظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج إليه أن يزيد في كلامه يتقرّب إليه، أو يحمل الحسن هيبة الحجاج أن ينقص من كلامه؟ فتكلم الحسن كلامًا واحدًا نحوًا مما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى إلى آخر كلامه، فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث به، رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال: صدق الشيخ وبرّ فعليكم بهذه المجالس وأشباهها فاتخذوها حلقًا وعادة فإنه بلغني عن رسول الله ﷺ : «أَنَّ مَجَالِسَ الذِّكْرِ رِيَاضُ الجَنَّةِ»(١) ، ولولا ما حملناه من أمر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها، قال: ثم افتر الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته، فلما فرغ طفق فقام، فجاء رجل من أهل الشام إلى مجلس الحسن ، حين قام الحجاج ، فقال: عباد الله المسلمين ألا تعجبون أني رجل شيخ كبير، وأني أغزو فأكلف فرسًا وبغلًا، وأكلف فسطاطًا، وأن لي ثلاثمائة درهم من العطاء وأنّ لي سبع بنات من العيال؟ فشكا من حاله حتى رق الحسن له وأصحابه، والحسن مكب، فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه فقال: ما لهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولًا ومال الله دولًا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم، فإذا غزا عدوّ الله غزا في الفساطيط الهبابة وعلى البغال السباقة، وإذا أغزى أخاه أغزاه طاويًا راجلًا؟ فما فتر الحسن حتى ذكرهم بأقبح العيب وأشدّه، فقام رجل من أهل الشام كان جالسًا إلى الحسن فسعى به إلى الحجاج وحكى له كلامه، فلم يلبث الحسن أن أتته رسل الحجاج فقالوا: أجب الأمير، فقام الحسن وأشفقنا عليه من شدّة كلامه الذي تكلم به، فلم يلبث الحسن أن رجع إلى مجلسه وهو يبتسم، وقلما رأيته فاغرًا فاه يضحك إنما كان يتبسم، فأقبل حتى قعد في مجلسه فعظم الأمانة وقال: إنما تجالسون بالأمانة كأنكم تظنون أن الخيانة ليست إلا في الدينار والدرهم، إن الخيانة أشدّ الخيانة أن يجالسنا الرجل فنطمئن إلى جانبه ثم ينطلق فيسعى بنا إلى شرارة من نار إني أتيت هذا الرجل فقال: أقصر عليك من لسانك وقولك: إذا غزا عدوّ الله غزا كذا وكذا، وإذا أغزى أخاه: أغزاه كذا لا أبا لك تحرض علينا الناس؟ أما إنا على ذلك لا نتهم نصيحتك فأقصر عليك من لسانك، قال: فدفعه الله عني.

---

(١) صحيح: حديث: أن مجالس الذكر رياض الجنة. تقدم في الأذكار والدعوات. [انظر صحيح الترغيب : ١٥١١ ، الصحيحة : ٢٥٦٢]

وركب الحسن حمارًا يريد المنزل فبينما هو يسير إذا التفت فرأى قومًا يتبعونه فوقف فقال: هل لكم من حاجة أو تسألون عن شيء وإلا فارجعوا فما يبقي هذا من قلب العبد؟ فبهذه العلامات وأمثالها تتبين سريرة الباطن. ومهما رأيت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ولا يتوانسون ولا يتعاونون فاعلم أنهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون. اللهم ارحمنا بلطفك يا أرحم الراحمين.

بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح:

اعلم أنّ الرجل قد يبيت مع القوم في موضع فيقومون للتهجد، أو يقوم بعضهم فيصلون الليل كله أو بعضه، وهو ممن يقوم في بيته ساعة قريبة، فإذا رآهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على ما كان يعتاده، أو يصلي مع أنه كان لا يعتاد الصلاة بالليل أصلًا، وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه أهل الموضع فينبعث له نشاط في الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط، فهذا ربما يظن أنه رياء وأن الواجب ترك الموافقة، وليس كذلك على الإطلاق بل له تفصيل؛ لأن كل مؤمن راغب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار، ولكن قد تعوقه العوائق ويمنعه الاشتغال ويغلبه التمكن من الشهوات أو تستهويه الغفلة، فربما تكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة، أو تندفع العوائق والأشغال في بعض المواضع فينبعث له النشاط، فقد يكون الرجل في منزله فتقطعه الأسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير، أو تمكنه من التمتع بزوجته، أو المحادثة مع أهله وأقاربه، أو الاشتغال بأولاده أو مطالعة حساب له مع معامليه، فإذا وقع في منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التي تفتر رغبته عن الخير وحصلت له أسباب باعثة على الخير، كمشاهدته إياهم وقد أقبلوا على الله وأعرضوا عن الدنيا، فإنه ينظر إليهم فينافسهم ويشق عليه أن يسبقوه بطاعة الله فتتحرك داعيته للدين لا للرياء، أو ربما يفارقه النوم لاستنكاره الموضع أو سبب آخر فيغتنم زوال النوم، وفي منزله ربما يغلبه النوم وربما ينضاف إليه أنه في منزله على الدوام، والنفس لا تسمح بالتهجد دائمًا وتسمح بالتهجد وقتًا قليلًا فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق، وقد يعسر عليه الصوم في منزله ومعه أطايب الأطعمة ويشق عليه الصبر عنها، فإذا أعوزته تلك الأطعمة لم يشق عليه فتنبعث داعية الدين للصوم، فإن الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين، فإذا سلم منها قوي الباعث. فهذا وأمثاله من الأسباب يتصوّر وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم، والشيطان مع ذلك ربما يصد عن العمل ويقول: لا تعمل فإنك تكون مرائيًا إذا كنت لا تعمل في بيتك ولا تزد على صلاتك المعتادة، وقد تكون رغبته في الزيادة لأجل رؤيتهم وخوفًا من ذمهم ونسبتهم إياه إلى الكسل، لا سيما إذا كانوا يظنون به أنه يقوم الليل، فإن نفسه لا تسمح بأن يسقط من أعينهم فيريد أن يحفظ منزلته، وعند ذلك قد يقول الشيطان: صل فإنك مخلص ولست تصلي لأجلهم بل لله وإنما كنت لا تصلي كل ليلة لكثرة العوائق وإنما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم. هذا أمر مشتبه إلا على ذوي البصائر، فإذا عرف أنّ المحرّك هو الرياء فلا

ينبغي أن يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة؛ لأنه يعصي الله بطلب محمدة الناس بطاعة الله، وإن كان انبعاثه لدفع العوائق وتحرك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق.

وعلامة ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الموضع بعينه هل كانت نفسه تسخو بالصلاة وهم لا يرونه؟ فإن سخت نفسه فليصل فإن باعثه الحق، وإن كان ذلك يثقل على نفسه لو غاب عن أعينهم فليترك، فإن باعثه الرياء. وكذلك قد يحضر الإنسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلاة ما لا يحضره كل يوم، ويمكن أن يكون ذلك لحب حمدهم، ويمكن أن يكون نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب إقبالهم على الله تعالى، وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه نزوع النفس إلى حب الحمد، فمهما علم أن الغالب على قلبه إرادة الدين فلا ينبغي أن يترك العمل بما يجده من حب الحمد، بل ينبغي أن يردّ ذلك على نفسه بالكراهية ويشتغل بالعبادة. وكذلك قد يبكي جماعة فينظر إليهم فيحضره البكاء خوفًا من الله تعالى لا من الرياء، ولو سمع ذلك الكلام وحده لما بكى، ولكن بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب، وقد لا يحضره البكاء فيتباكى ، تارة رياءً وتارة مع الصدق ، إذ يخشى على قلبه قساوة القلب حين يبكون ولا تدمع عينه فيتباكى تكلفًا، وذلك محمود. وعلامة الصدق فيه أن يعرض على نفسه أنه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة فيتباكى أم لا؟ فإن لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن أعينهم فإنما خوفه من أن يقال إنه قاسي القلب فينبغي أن يترك التباكي.

قال لقمان عليه السلام لابنه: لا ترى أنك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر. وكذلك الصيحة والتنفس والأنين عند القرآن أو الذكر أو بعض مجاري الأحوال، تارة تكون من الصدق والحزن والخوف والندم والتأسف، وتارة تكون لمشاهدته حزن غيره وقساوة قلبه، فيتكلف التنفس والأنين ويتحازن وذلك محمود، وقد تقترن به الرغبة فيه لدلالته على أنه كثير الحزن ليعرف بذلك، فإن تجرّدت هذه الداعية فهي الرياء، وإن اقترنت بداعية الحزن فإن أباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه. وإن قبل ذلك وركن إليه بقلبه حبط أجره وضاع سعيه وتعرّض لسخط الله تعالى به، وقد يكون أصل الأنين عن الحزن، ولكن يمدّه ويزيد في رفع الصوت فتلك الزيادة رياء، وهو محظور لأنها في حكم الابتداء لمجرد الرياء، فقد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد معه نفسه، ولكن يسبقه خاطر الرياء فيقبله، فيدعو إلى زيادة تحزين للصوت أو رفع له أو حفظ الدمعة على الوجه حتى تبصر بعد أن استرسلت لخشية الله، ولكن يحفظ أثرها على الوجه لأجل الرياء. وكذلك قد يسمع الذكر فتضعف قواه من الخوف فيسقط، ثم يستحي أن يقال له إنه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة، فيزعق ويتواجد تكلفًا ليري أنه سقط لكونه مغشيًا عليه وقد كان ابتداء السقطة عن صدق، وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفيق سريعًا فتجزع نفسه أن يقال حالته غير ثابتة، وإنما هي كبرق خاطف، فيستديم الزعقة والرقص ليري دوام حاله، وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سريعًا فيجزع

أن يقال لم تكن غشيته صحيحة ولو كان لدام ضعفه، فيستديم إظهار الضعف والأنين فيتكىء على غيره يري أنه يضعف عن القيام ويتمايل في المشي ويقرب الخطا ليظهر أنه ضعيف عن سرعة المشي. فهذه كلها مكائد الشيطان ونزغات النفس. فإذا خطرت فعلاجها أن يتذكر أن الناس لو عرفوا نفاقه في الباطن واطلعوا على ضميره لمقتوه، وإن الله مطلع على ضميره وهو له أشدّ مقتًا، كما روي عن ذي النون رحمه الله أنه قام وزعق، فقام معه شيخ آخر رأى فيه أثر التكلف فقال يا شيخ الذي يراك حين تقوم؟ فجلس الشيخ. وكل ذلك من أعمال المنافقين.

وقد جاء في الخبر: «تعوذوا بالله من خشوع النفاق» [1] وإنما خشوع النفاق أن تخشع الجوارح والقلب غير خاشع، ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه، فإن ذلك قد يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمراءاة. فهذه خواطر ترد على القلب متضادة مترادفة متقاربة، وهي مع تقاربها متشابهة، فراقب قلبك في كل ما يخطر لك وانظر ما هو ومن أين هو؟ فإن كان لله فأمضه واحذر مع ذلك أن يكون قد خفي عليك شيء من الرياء الذي هو كدبيب النمل، وكن على وجل من عبادتك أهي مقبولة أم لا؟ لخوفك على الإخلاص فيها، واحذر أن يتحدّد لك خاطر الركون إلى حمدهم بعد الشروع بالإخلاص فإن ذلك مما يكثر جدًّا، فإذا خطر لك فتفكر في اطلاع الله عليك ومقته لك. وتذكر ما قاله أحد الثلاثة الذين حاجوا أيوب عليه السلام إذ قال: يا أيوب أما علمت أن العبد تضل عنه علانيته التي كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريرته. وقول بعضهم: أعوذ بك أن يرى الناس أني أخشاك وأنت لي ماقت. وكان من دعاء علي بن الحسين رضي الله عنهما. اللهم إني أعوذ بك أن تحسن فيَّ لامعة العيون وعلانيتي وتقبح لك فيما أخلو سريرتي، محافظًا على رياء الناس من نفسي مضيعًا لما أنت مطلع عليه مني، أبدي للناس أحسن أمري وأفضي إليك بأسوأ عملي، تقربًا إلى الناس بحسناتي وفرارًا منهم إليك بسيئاتي، فيحل بي مقتك ويجب عليَّ غضبك، أعذني من ذلك يا رب العالمين. وقد قال أحد الثلاثة نفر لأيوب عليه السلام: يا أيوب ألم تعلم أن الذين حفظوا علانيتهم وأضاعوا سرائرهم عند طلب الحاجات إلى الرحمن تسود وجوههم؟ فهذه جمل آفات الرياء. فليراقب العبد قلبه ليقف عليها ففي الخبر: «إن للرياء سبعين بابًا» [2]،

---

(١) حديث «تعوذوا بالله من خشوع النفاق». أخرجه البيهقي في الشعب من حديث أبي بكر الصديق وفيه الحارث بن عبيد الأيادي ضعفه أحمد وابن معين.

(٢) صحيح بلفظ الربا: حديث «الرياء سبعون بابا». هكذا ذكر المصنف هذا الحديث هنا وكأنه تصحف عليه أو على من نقله من كلامه أنه «الرياء» بالمثناة وإنما هو «الربا» بالموحدة والمرسوم كتابته بالواو، والحديث رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ «الربا سبعون حوبا أيسرها أن ينكح الرجل أمه» وفي إسناده أبو معشر واسمه نجيح مختلف فيه [ابن ماجه : ٢٢٧٤ وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع : ٣٥٤١ ، صحيح الترغيب : ١٨٥٣] وروى ابن ماجه أيضا من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ قال «الربا ثلاث وسبعون بابا» وإسناده صحيح هكذا ذكر ابن ماجه الحديثين في أبواب التجارات وقد روى البزار حديث ابن مسعود بلفظ «الربا بضع وسبعون بابا والشرك مثل ذلك» وهذه الزيادة قد يستدل بها على أنه «الرياء» بالمثناة لاقترانه مع الشرك والله أعلم.

وقد عرفت أن بعضه أغمض من بعض، حتى إن بعضه مثل دبيب النمل، وبعضه أخفى من دبيب النمل، وكيف يدرك ما هو أخفى من دبيب النمل إلا بشدة التفقد والمراقبة؟ وليته أدرك بعد بذل المجهود، فكيف يطمع في إدراكه من غير تفقد القلب وامتحان للنفس وتفتيش عن خدعها؟ نسأل الله تعالى العافية بمنه وكرمه وإحسانه.

بيان ما ينبغي للمريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه:

اعلم أن أولى ما يلزم المريد قلبه في سائر أوقاته القناعة بعلم الله في جميع طاعاته، ولا يقنع بعلم الله إلا من لا يخاف إلا الله ولا يرجو إلا الله، فأما من خاف غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه على محاسن أحواله، فإن كان في هذه الرتبة فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والإيمان لما فيه من خطر التعرض للمقت، وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره، فإن النفس عند ذلك تكاد تغلي حرصًا على الإفشاء وتقول: مثل هذا العمل العظيم أو الخوف العظيم أو البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك فما في الخلق من يقدر على مثله، فكيف ترضى بإخفائه فيجهل الناس محلك وينكرون قدرك ويحرمون الاقتداء بك؟ ففي مثل هذا الأمر ينبغي أن يثبت قدمه، ويتذكر في مقابلة عظم عمله: عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامه أبد الآباد وعظم غضب الله ومقته على من طلب بطاعته ثوابًا من عباده، ويعلم أنّ إظهاره لغيره محبب إليه وسقوط عند الله وإحباط للعمل العظيم فيقول: وكيف أتبع هذا العمل بحمد الخلق وهم عاجزون لا يقدرون لي على رزق ولا أجل؟ فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي أن ييأس عنه فيقول: إنما يقدر على الإخلاص الأقوياء فأما المخلطون فليس ذلك من شأنهم، فيترك المجاهدة في الإخلاص، لأن المخلط إلى ذلك أحوج من المتقي لأن المتقي إن فسدت نوافله بقيت فرائضه كاملة تامة، والمخلط لا تخلو فرائضه عن النقصان والحاجة إلى الجبران بالنوافل فإن لم تسلم صار مأخوذًا بالفرائض وهلك به، فالمخلط إلى الإخلاص أحوج.

وقد روى تميم الداري عن النبي ﷺ أنه قال: «يُحَاسَبُ العَبْدُ يَوْمَ القِيامَةِ فَإِنْ نَقَصَ فَرْضُهُ قِيلَ انْظُرُوا هَلْ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فإنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ أُكْمِلَ بِهِ فَرْضُهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ تَطَوُّعٌ أُخِذَ بِطَرَفَيْهِ فَأُلْقِيَ فِي النَّارِ» (١)، فيأتي المخلط يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجتهاده في جبر الفرائض وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك إلا بخلوص النوافل، وأما المتقي فجهده في زيادة الدرجات فإن حبط تطوّعه بقي من حسناته ما يترجح على السيئات فيدخل الجنة.

فإذن ينبغي أن يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه لتصح نوافله، ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يظهره ولا يتحدّث به، وإذا فعل جميع ذلك فينبغي أن يكون وجلًا من عمله خائفًا أنه ربما داخله من الرياء الخفي ما لم يقف عليه، فيكون شاكًا في قبوله ورده مجوزًا أن يكون الله قد أحصى عليه من نيته الخفية ما مقته بها ورد عمله بسببها، ويكون هذا الشك

---

(١) صحيح: حديث تميم الداري: في إكمال فريضة الصلاة بالتطوع. أخرجه أبو داود وابن ماجه وتقدم في الصلاة.[أبو داود: ٨٦٤، ابن ماجه: ١٤٢٦، وانظر صحيح الجامع: ٢٥٧٤، صحيح ابن ماجه].

والخوف في دوام عمله وبعده إلا في ابتداء العقد بل ينبغي أن يكون متيقنًا في الابتداء أنه مخلص ما يريد بعمله إلا الله حتى يصح عمله، فإذا شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شائبة خفية أحبطت عمله من رياء أو عجب أولى به، ولكن يكون رجاؤه أغلب من خوفه لأنه استيقن أنه دخل بالإخلاص وشك في أنه هل أفسده برياء؟ فيكون رجاء القبول أغلب، وبذلك تعظم لذته في المناجاة والطاعات.

فالإخلاص: يقين، والرياء: شك. وخوفه لذلك الشك جدير بأن يكفر خاطر الرياء إن كان قد سبق وهو غافل عنه. والذي يتقرّب إلى الله بالسعي في حوائج الناس وإفادة العلم ينبغي أن يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط، ورجاء الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط، دون شكره ومكافأة وحمد وثناء من المتعلم والمنعم عليه، فإن ذلك يحبط الأجر. فمهما توقع من المتعلم مساعدة في شغل وخدمة، أو مرافقة في المشي في الطريق ليستكثر باستتباعه، أو ترددًا منه في حاجة فقد أخذ أجره فلا ثواب له غيره. نعم إن لم يتوقع هو ولم يقصد إلا الثواب على عمله بعلمه ليكون له مثل أجره، ولكن خدمه التلميذ بنفسه فقبل خدمته، فنرجو أن لا يحبط ذلك أجره إذ كان لا ينتظره ولا يريده منه، ولا يستبعده منه لو قطعه. ومع هذا فقد كان العلماء يحذرون هذا، حتى إن بعضهم وقع في بئر فجاء قوم فأدلوا حبلًا ليرفعوه فحلف عليهم أن لا يقف معهم من قرأ عليه آية من القرآن أو سمع منه حديثًا، خيفة أن يحبط أجره.

وقال شقيق البلخي: أهديت لسفيان الثوري ثوبًا فرده عليّ، فقلت له: يا أبا عبد الله لست أنا ممن يسمع الحديث حتى ترده عليّ قال: علمت ذاك ولكن أخوك يسمع مني الحديث فأخاف أن يلين قلبي لأخيك أكثر مما يلين لغيره.

وجاء رجل إلى سفيان ببدرة أو بدرتين وكان أبوه صديقًا لسفيان وكان سفيان يأتيه كثيرًا، فقال له: يا أبا عبد الله في نفسك من أبي شيء؟ فقال: يرحم الله أباك ، كان وكان وأثنى عليه ، فقال: يا أبا عبد الله قد عرفت كيف صار هذا المال إليّ، فأحب أن تأخذ هذه تستعين بها على عيالك.

قال: فقبل سفيان ذلك.

قال: فلما خرج قال لولده: يا مبارك الحقه فرده عليّ، فرجع فقال: أحب أن تأخذ مالك، فلم يزل به حتى رده عليه. وكأنه كانت أخوته مع أبيه في الله تعالى فكره أن يأخذ ذلك. قال ولده: فلما خرج لم أملك نفسي أن جئت إليه فقلت: ويلك أي شيء قلبك هذا، حجارة؟ عد أنه ليس لك عيال أما ترحمني؟ أما ترحم إخوتك؟ أما ترحم عيالنا؟ فأكثرت عليه فقال لي: يا مبارك تأكلها أنت هنيئًا مريئًا وأسأل عنه أنا.

فإذن يجب على العالم أن يلزم قلبه طلب الثواب من الله في اهتداء الناس به فقط، ويجب على المتعلم أن يلزم قلبه حمد الله وطلب ثوابه ونيل المنزلة عنده، لا عند المعلم وعند الخلق.

وربما يظن أن له أن يرائي بطاعته لينال عند المعلم رتبته، فيتعلم منه، وهو خطأ لأن إرادته بطاعته غير الله خسران في الحال، والعلم ربما يفيد وربما لا يفيد؟ فكيف يخسر في الحال عملًا نقدًا على توهم علم وذلك غير جائز، بل ينبغي أن يتعلم لله ويعبد لله ويخدم المعلم لله، لا ليكون له في قلبه منزلة، إن كان يريد أن يكون تعلمه طاعة، فإن العباد أمروا أن لا يعبدوا إلا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره.

وكذلك من يخدم أبويه لا ينبغي أن يخدمهما لطلب المنزلة عندهما إلا من حيث إن رضا الله عنه في رضا الوالدين، ولا يجوز له أن يرائي بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين، فإن ذلك معصية في الحال وسيكشف الله عن ريائه وتسقط منزلته من قلوب الوالدين أيضًا. وأما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغي له أن يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بعلمه، ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده واستعظامهم محله، فإن ذلك يغرس الرياء في صدره حتى تتيسر عليه العبادات في خلوته به، وإنما سكوته لمعرفة الناس باعتزاله واستعظامهم لمحله وهو لا يدري أنه المخفف للعمل عليه.

قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت عليه في صومعته فقلت: يا سمعان منذ كم أنت في صومعتك؟ قال: منذ سبعين سنة، قلت: فما طعامك؟ قال: يا حنيفي وما دعاك إلى هذا؟ قلت: أحببت أن أعلم، قال: في كل ليلة حمصة. قلت: فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة؟ قال: ترى الدير الذي بحذائك؟ قلت: نعم، قال: إنهم يأتوني في كل سنة يومًا واحدًا فيزينون صومعتي ويطوفون حولها ويعظموني، فكلما تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة، فأنا أحتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز الأبد، فوقر في قلبي المعرفة، فقال: حسبك أو أزيدك؟ قلت: بلى، قال: انزل عن الصومعة، فنزلت فأدلى لي ركوة فيها عشرون حمصة فقال لي: ادخل الدير فقد رأوا ما أدليت إليك، فلما دخلت الدير اجتمع عليَّ النصارى فقالوا: يا حنيفي ما الذي أدلى إليك الشيخ؟ قلت: من قوته. قالوا: فما تصنع به ونحن أحق به؟ ثم قالوا: ساوم قلت: عشرون دينارًا فأعطوني عشرين دينارًا فرجعت إلى الشيخ فقال: يا حنيفي ما الذي صنعت؟ قلت: بعته منهم، قال: بكم؟ قلت: بعشرين دينارًا، قال: أخطأت لو ساومتهم بعشرين ألف دينار لأعطوك، هذا عز من لا تعبده فانظر كيف يكون عز من تعبده؟ يا حنيفي أقبل على ربك ودع الذهاب والجيئة.

والمقصود أن استشعار النفس عز العظمة في القلوب يكون باعثًا في الخلوة وقد لا يشعر العبد به، فينبغي أن يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته أن يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة واحدة، فلو تغيروا عن اعتقادهم له لم يجزع ولم يضق به ذرعًا إلا كراهة ضعيفة، إن وجدها في قلبه فيردها في الحال بعقله وإيمانه، فإنه لو كان في عبادة واطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعًا ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه، فإن دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه، ولكن

إذا قدر على رده بكراهة العقل والإيمان وبادر إلى ذلك ولم يقبل ذلك السرور بالركون إليه فيرجى له أن لا يخيب سعيه، إلا أن يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع والانقباض كي لا ينبسطوا إليه، فذلك لا بأس به ولكن فيه غرور، إذ النفس قد تكون شهوتها الخفية إظهار الخشوع وتتعلل بطلب الانقباض فيطالبها في دعواها قصد الانقباض بموثق من الله غليظ، وهو أنه لو علم أن انقباضهم عنه إنما حصل بأن يعدو كثيرًا أو يضحك كثيرًا أو يأكل كثيرًا فتسمح نفسه بذلك؟ فإذا لم تسمح وسمحت بالعبادة فيشبه أن يكون مرادها المنزلة عندهم، ولا ينجو من ذلك إلا من تقرر في قلبه أنه ليس في الوجود أحد سوى الله فيعمل عمل من لو كان على وجه الأرض وحده لكان يعمله، فلا يلتفت قلبه إلى الخلق إلا خطرات ضعيفة لا يشق عليه إزالتها فإذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق.

ومن علامة الصدق فيه أنه لو كان له صاحبان أحدهما غني والآخر فقير فلا يجد عند إقبال الغني زيادة هزة في نفسه، لا كرامة إلا إذا كان في الغني زيادة علم أو زيادة ورع، فيكون مكرمًا له بذلك الوصف لا بالغنى، فمن كان استرواحه إلى مشاهدة الأغنياء أكثر فهو مراء أو طماع، وإلا فالنظر إلى الفقراء يزيد في الرغبة إلى الآخرة ويحبب إلى القلب المسكنة، والنظر إلى الأغنياء بخلافه، فكيف استروح بالنظر إلى الغني أكثر مما يستروح إلى الفقير؟ وقد حكي أنه لم ير الأغنياء في مجلس أذل منهم فيه في مجلس سفيان الثوري، كان يجلسهم وراء الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا يتمنون أنهم فقراء في مجلسه. نعم لك زيادة إكرام للغني إذا كان أقرب إليك أو كان بينك وبينه حق وصداقة سابقة، ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة في فقير لكنت لا تقدم الغني عليه في إكرام وتوقير ألبتة، فإن الفقير أكرم على الله من الغني، فإيثارك له لا يكون طمعًا في غناه ورياء له، ثم إذا سوّيت بينهما في المجالسة فيخشى عليك أن تظهر الحكمة والخشوع للغني أكثر مما تظهره للفقير، وإنما ذلك رياء خفي أو طمع خفي، كما قال ابن السماك لجارية له: ما لي إذا أتيت بغداد فتحت لي الحكمة؟ فقالت: الطمع يشحذ لسانك وقد صدقت فإن اللسان ينطق عند الغني بما لا ينطق عند الفقير، وكذلك يحضر من الخشوع عنده ما لا يحضره عند الفقير. ومكائد النفس وخفاياها في هذا الفن لا تنحصر ولا ينجيك منها إلا أن تخرج ما سوى الله من قلبك، وتتجرد بالشفقة على نفسك بقية عمرك ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منغصة في أيام متقاربة، وتكون في الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد أمكنته الشهوات وساعدته اللذات، ولكن في بدنه سقم وهو يخاف الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات، وعلم أنه لو احتمى وجاحد شهوته عاش ودام ملكه، فلما عرف ذلك جالس الأطباء وحارف الصيادلة وعود نفسه شرب الأدوية المرة وصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها، فبدنه كل يوم يزداد نحولًا لقلة أكله ولكن سقمه يزداد كل يوم نقصانًا لشدّة احتمائه، فمهما نازعته نفسه إلى شهوة تفكر في توالي الأوجاع والآلام عليه وأداه ذلك إلى الموت المفرق بينه وبين مملكته الموجب لشماتة الأعداء به، ومهما اشتدّ عليه شرب

دواء تفكر فيما يستفيده منه من الشفاء الذي هو سبب التمتع بملكه ونعيمه في عيش هنيء وبدن صحيح وقلب رخي وأمر نافذ، فيخف عليه مهاجرة اللذات ومصابرة المكروهات. فكذلك المؤمن المريد لملك الآخرة احتمى عن كل مهلك له في آخرته وفي لذات الدنيا وزهرتها فاجتزى منها بالقليل، واختار النحول والذبول والوحشة والحزن والخوف، وترك المؤانسة بالخلق خوفًا من أن يحل عليه غضب من الله فيهلك، ورجاء أن ينجو من عذابه، فخف ذلك كله عليه عند شدّة يقينه وإيمانه بعاقبة أمره وبما أعدّ له من النعيم المقيم في رضوان الله أبد الآباد، ثم علم أن الله كريم رحيم لعباده المريدين لمرضاته عونًا وبهم رءوفًا وعليهم عطوفًا ولو شاء لأغناهم عن التعب، ولكن أراد أن يبلوهم ويعرف صدق إرادتهم حكمة منه وعدلًا، ثم إذا تحمل التعب في بدايته أقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الإعياء وسهل عليه الصبر، وحبب إليه الطاعة ورزقه فيها من لذة المناجاة ما يلهيه عن سائر اللذات ويقويه على إماتة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وأمده بمعونته، فإن الكريم لا يضيع سعي الراجي ولا يخيب أمل المحب وهو الذي يقول: «من تقرّب إليّ شبرًا تقرّبت إليه ذراعًا» ويقول تعالى: «لقد طال شوق الأبرار إلى لقائي وإني إلى لقائهم أشدّ شوقًا» فليظهر العبد في البداية جدّه وصدقه وإخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى على القرب ما هو اللائق بجوده وكرمه ورأفته ورحمته.

تم كتاب ذم الجاه والرياء والحمد لله وحده

كتاب ذم الكبر والعجب

وهو الكتاب التاسع من ربع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمنِ الرَّحيم

الحمد لله الخالق البارىء المصوّر العزيز الجبار المتكبر العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع، الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع، وكل متكبر في جناب عزه مسكين متواضع، فهو القهار الذي لا يدفعه عن مراده دافع، الغني الذي ليس له شريك ولا منازع، القادر الذي بهر أبصار الخلائق جلاله وبهاؤه، وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه، وحصر ألسن الأنبياء وصفه وثناؤه، وارتفع عن حدّ قدرتهم إحصاؤه واستقصاؤه، فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكته وأنبياؤه، وكسر ظهور الأكاسرة عزه وعلاؤه، وقصر أيدي القياصرة عظمته وكبرياؤه، فالعظمة إزاره والكبرياء رداؤه، ومن نازعه فيهما قصمه بداء الموت فأعجزه دواؤه، جل جلاله وتقدّست أسماؤه، والصلاة على محمد الذي أنزل عليه النور المنتشر ضياؤه، حتى أشرقت بنوره أكناف العالم وأرجاؤه، وعلى آله وأصحابه الذين هم أحباء الله وأوليائه، وخيرته وأصفياؤه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فقد قال رسول الله ﷺ: «قَالَ الله تَعَالَى: الكِبْرِياءُ رِدَائِي وَالعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي فِيهِما قَصَمْتُهُ» (١)، وقال ﷺ: «ثَلاثٌ مُهْلِكاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ وَهُوىً مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ المَرْءِ بِنَفْسِهِ» (٢)، فالكبر والعجب داءان مهلكان، والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان، وهما عند الله ممقوتان بغيضان. وإذا كان القصد في هذا الربع من كتاب إحياء علوم الدين شرح المهلكات وجب إيضاح الكبر والعجب فإنهما من قبائح المرديات. ونحن نستقصي بيانهما من الكتاب في شطرين: شطر في الكبر، وشطر في العجب.

الشطر الأول من الكتاب: في الكبر وفيه، بيان ذم الكبر، وبيان ذم الاختيال، وبيان فضيلة التواضع، وبيان حقيقة التكبر وآفته، وبيان من يتكبر عليه ودرجات التكبر، وبيان ما به التكبر، وبيان البواعث على التكبر، وبيان أخلاق المتواضعين وما فيه يظهر الكبر، وبيان علاج الكبر. وبيان امتحان النفس في خلق الكبر، وبيان المحمود من خلق التواضع والمذموم منه.

---

*٢*كتاب ذم الكبر والعجب

(١) صحيح دون ذكر «العظمة»: حديث «قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما قصمته». أخرجه الحاكم في المستدرك دون ذكر «العظمة» وقال صحيح على شرط مسلم وتقدم في العلم، وسيأتي بعد حديثين بلفظ آخر. [انظر صحيح الجامع: ٤٣٠٩].

(٢) حسن: حديث «ثلاث مهلكات .. الحديث». أخرجه البزار والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف وتقدم فيه أيضا. [انظر صحيح الجامع: ٣٠٣٩، صحيح الترغيب: ٤٥٣].

بيان ذم الكبر:

قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:١٤٦] وقال عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر:٣٥] وقال تعالى:

﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم:١٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل:٢٣] وقال تعالى: ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٢١] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠] وذم الكبر في القرآن كثير، وقد قال رسول الله ﷺ «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ، وَلا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إيمَانٍ» (١) وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ «يَقُولُ الله تَعَالَى: الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَلْقَيْتُهُ فِي جَهَنَّمَ وَلا أُبَالِي» (٢)، وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: التقى عبدُ الله بن عمرو وعبدُ الله بن عمر على الصفا فتواقفا، فمضى ابن عمرو وأقام ابن عمر يبكي، فقالوا: ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: هذا، يعني عبد الله بن عمرو، زعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ أَكَبَّهُ الله فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ» (٣)، وقال رسول الله ﷺ «لا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ فِي الجَبَّارِينَ فَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ العَذَابِ» (٤)، وقال سليمان بن داود عليهما السلام يومًا، للطير والإنس والجنّ والبهائم: اخرجوا، فخرجوا في مائتي ألف من الإنس ومائتي ألف من الجن، فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات، ثم خفض حتى مسّت أقدامه البحر، فسمع صوتًا: لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرّة من كبر لخسفت به أبعد مما رفعته. وقال ﷺ «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ عُنُقٌ لَهُ أُذُنَانِ تَسْمَعَانِ وعينانِ تُبْصِرَانِ وَلِسَانٌ يَنْطِقُ يَقُولُ: وُكِّلْتُ بِثَلاثَةٍ. بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ الله إِلهًا آخَرَ، وَبِالمُصَوِّرِينَ» (٥)، وقال ﷺ «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ بَخِيلٌ وَلا جَبَّارٌ

---

(١) صحيح: حديث «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار رجل في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان». أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود. [مسلم: ٩١].

(٢) صحيح: حديث أبي هريرة «يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في جهنم». أخرجه مسلم وأبو داود وابن ماجه واللفظ له، وقال أبو داود «قذفته في النار» وقال مسلم «عذبته» وقال «رداؤه» و «إزاره» بالغيبة وزاد مع أبي هريرة أبا سعيد أيضا. [مسلم: ٢٦٢٠، أبو داود: ٤٠٩٠].

(٣) حديث عبد الله بن عمرو «من كان في قلبه مثقال حبة من كبر كبه الله في النار على وجهه». أخرجه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه بإسناد صحيح.

(٤) ضعيف: حديث «لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين .. الحديث». أخرجه الترمذي وحسنه من حديث سلمة بن الأكوع دون قوله «من العذاب». [الترمذي: ٢٠٠٠، وانظر ضعيف الجامع: ٦٣٤٤، ضعيف الترغيب: ١٧٤٤].

(٥) صحيح: حديث «يخرج من النار عنق له أذنان .. الحديث». أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح غريب. [الترمذي: ٢٥٧٤، وانظر صحيح الجامع: ٨٠٥١، صحيح الترغيب: ٣٠٦١].

وَلا سَيِّىءُ المَلَكَةِ» (١)، وقال ﷺ: «تَحَاجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالمُتَكَبِّرِينَ وَبِالمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الجَنَّةُ: ما لِي لا يَدْخُلُنِي إلاَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسُقَّاطُهُمْ وَعَجَزَتُهُمْ؟ فَقَالَ الله لِلْجَنَّةِ: إنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا» (٢)، وقال ﷺ: «بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ تَجَبَّرَ وَاعْتَدَى وَنَسِيَ الجَبَّارَ الأَعْلَى، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ تَجَبَّرَ وَاخْتَالَ وَنَسِيَ الكَبِيرَ المُتَعَالِ، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ غَفِلَ وَسَهَا وَنَسِيَ المَقَابِرَ وَالبِلَى، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ عَتَا وَبَغَى وَنَسِيَ المَبْدَأَ وَالمُنْتَهَى» (٣)، وعن ثابت أنه قال: بلغنا أنه قيل يا رسول الله ما أعظم كبر فلان فقال: «أَلَيْسَ بَعْدَهُ المَوْتُ» (٤)، وقال عبد الله بن عمرو: إنّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلامُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ دَعَا ابْنَيْهِ وَقَالَ: إنِّي آمُرُكُما بِاثْنَتَيْنِ وَأَنْهَاكُمَا عَنِ اثْنَتَيْنِ، أَنْهَاكُمَا عَنِ الشِّرْكِ وَالكِبْرِ، وَآمُرُكُمَا بِلا إلَهَ إلاَّ الله. فَإنَّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرَضِينَ وَمَا فِيهِنَّ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةِ المِيزَانِ وَوُضِعَتْ لا إلَهَ إلاَّ الله فِي الكِفَّةِ الأُخْرَى كَانَتْ أَرْجَحَ مِنْهُمَا، وَلَوْ أَنَّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرَضِينَ وَمَا فِيهِنَّ كَانَتَا حَلْقَةً فَوُضِعَتْ لا إلَهَ إلاَّ الله عَلَيْهَا لَقَصَمَتْهَا، وَآمُرُكُما بِسُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ فَإنَّهَا صَلاةُ كُلِّ شَيْءٍ وَبِهَا يُرْزَقُ كُلُّ شَيْءٍ» (٥)، قال المسيح عليه السلام: طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارًا. وقال ﷺ: «أَهْلُ النَّارِ كُلُّ جَعْظَرِيٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ جَمَّاعٍ مَنَّاعٍ، وَأَهْلُ الجَنَّةِ الضُّعَفَاءُ المُقِلُّونَ» (٦)، وقال ﷺ: «إنَّ أَحَبَّكُمْ إلَيْنَا وَأَقْرَبَكُمْ مِنَّا فِي الآخِرَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا، وإنَّ أَبْغَضَكُمْ إلَيْنَا وَأَبْعَدَكُمْ مِنَّا الثَّرْثَارُونَ المُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ» قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: «المُتَكَبِّرُونَ» (٧)، وقال ﷺ: «يُحْشَرُ المُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي مِثْلِ صُوَرِ الذَّرِّ

---

(١) ضعيف: حديث «لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيئ الملكة». تقدم في أسباب الكسب والمعاش والمعروف «خائن» مكان «جبار».[انظر ضعيف الترغيب: ١١٨٨].

(٢) حديث «تحاجت الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين .. الحديث». متفق عليه من حديث أبي هريرة. [البخاري: ٤٨٥، مسلم: ٢٨٤٦].

(٣) ضعيف: حديث «بئس العبد عبدٌ تجبّر واعتدى .. الحديث». أخرجه الترمذي من حديث أسماء بنت عميس بزيادة فيه مع تقديم وتأخير وقال غريب وليس إسناده بالقوي ورواه الحاكم في المستدرك وصححه [الترمذي: ٢٤٤٨، وانظر ضعيف الجامع: ٢٣٥٠، ضعيف الترغيب: ١٧٤٢] ورواه البيهقي في الشعب من حديث نعيم بن عمار وضعفه. [انظر ضعيف الترغيب: ١٠٨٤].

(٤) حديث ثابت: بلغنا أنه قيل يا رسول الله ما أعظم كبر فلان؟ فقال «أليس بعده الموت». أخرجه البيهقي في الشعب هكذا مرسلا بلفظ «تجبر».

(٥) صحيح: حديث عبد الله بن عمرو «إن نوحا لما حضرته الوفاة دعا ابنيه .. الحديث». أخرجه أحمد والبخاري في كتاب الأدب والحاكم بزيادة في نقله قال صحيح الإسناد. [انظر الصحيحة: ١٣٤، صحيح الأدب المفرد: ٥٤٨، صحيح الترغيب: ١٥٤٣].

(٦) صحيح: حديث «أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع». وهو بغير هذه الزيادة عندهما من حديث حارثة بن وهب الخزاعي «ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر».[البخاري: ٤٩١٨، مسلم: ٢٨٥٣، وهو صحيح بهذه الزيادة، وانظر صحيح الترغيب: ٣١٩٧، الصحيحة: ١٧٤١].

(٧) صحيح: حديث «إن أحبكم إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا .. الحديث». أخرجه أحمد من

تَطَؤُهُمُ النَّاسُ، ذَرًّا فِي مِثْلِ صُوَرِ الرِّجَالِ يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ، ثُمَّ يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ بُولُس يَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ طِينِ الخَبَالِ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ» (١)، وقال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: «يُحْشَرُ الجَبَّارُونَ وَالمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيامَةِ فِي صُوَرِ الذَّرِّ تَطَؤُهُمُ النَّاسُ لِهَوَانِهِمْ عَلَى اللهِ تَعَالَى» (٢)، وعن محمد بن واسع قال: دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت له يا بلال: إن أباك حدّثني عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ فِي جَهَنَّمَ وَادِيًا يُقَالُ لَهُ هَبْهَبُ حَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ يُسْكِنَهُ كُلَّ جَبَّارٍ، فَإِيَّاكَ يا بِلالُ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَسْكُنُهُ» (٣)، وقال ﷺ: «إِنَّ فِي النَّارِ قَصْرًا يُجْعَلُ فِيهِ المُتَكَبِّرُونَ وَيُطْبَقُ عَلَيْهِمْ» (٤)، وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَفْخَةِ الكِبْرِيَاءِ» (٥) وقال ﷺ: «مَنْ فَارَقَ رُوحُهُ جَسَدَهُ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ ثَلاثٍ دَخَلَ الجَنَّةَ: الكِبْرِ وَالدَّيْنِ وَالغُلُولِ» (٦).

الآثار: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لا يحقرن أحد أحدًا من المسلمين، فإن صغير المسلمين عند الله كبير. وقال وهب: لما خلق الله جنة عدن نظر إليها فقال: أنت حرام على كل متكبر. وكان الأحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره، فجاء يومًا ومصعب مادّ رجليه فلم يقبضهما، وقعد الأحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك في وجهه فقال: عجبًا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين. وقال الحسن: العجب من ابن

حديث أبي ثعلبة الخشني بلفظ «إلي» و «مني» وفيه انقطاع ومكحول لم يسمع من أبي ثعلبة وقد تقدم في رياضة النفس أول الحديث. [انظر صحيح الجامع: ١٥٣٥، صحيح الترغيب: ٢٦٦٢].

(١) حسن دون قوله: «تطؤهم الناس»: حديث «يحشر المتكبرون يوم القيامة في مثل صُوَرِ الذر تطؤهم الناس .. الحديث». أخرجه الترمذي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال غريب. [الترمذي: ٢٤٩٢، وانظر صحيح الجامع: ٨٠٤٠، صحيح الترغيب: ٢٩١١، صحيح الأدب المفرد: ٥٥٧].

(٢) حديث أبي هريرة «يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صُوَرِ الذر .. الحديث». أخرجه البزار هكذا مختصرا دون قوله «الجبارون» وإسناده حسن.

(٣) ضعيف: حديث أبي موسى «إن في جهنم واديا يقال له هبهب». أخرجه أبو يعلى والطبراني والحاكم وقال صحيح الإسناد، قلت فيه أزهر بن سنان ضعفه ابن معين وابن حبان وأورد له في الضعفاء هذا الحديث. [انظر ضعيف الجامع: ٤٠١١، ضعيف الترغيب: ١٣٢٩، الضعيفة: ١١٨١].

(٤) ضعيف: حديث «إن في النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم». أخرجه البيهقي في الشعب من حديث أنس وقال «توابيت» مكان «قصرا» وقال «فيقفل» مكان «يطبق» وفيه أبان بن أبي عياش وهو ضعيف.

(٥) لم أجده بهذا اللفظ: حديث «اللهم إني أعوذ بك من نفخة الكبرياء». لم أره بهذا اللفظ، وروى أبو داود وابن ماجه من حديث جبير بن مطعم عن النبي ﷺ في أثناء حديث «أعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه» قال: نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة [أبو داود: ٧٦٤، ابن ماجه: ٨٠٧] ، ولأصحاب السنن من حديث أبي سعيد الخدري نحوه، تكلم فيه أبو داود وقال الترمذي هو أشهر حديث في هذا الكتاب. [أبو داود: ٧٧٥، الترمذي: ٢٤٢، وانظر صحيح أبي داود، المشكاة: ١٢١٧، صفة الصلاة ص (٩٥)].

(٦) صحيح: حديث «من فارق روحه جسده، وهو بريءٌ من ثلاثة، دخل الجنة». أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ثوبان وذكر المصنف لهذا الحديث هنا موافق للمشهور في الرواية أنه الكبر (بالموحدة والراء) لكن ذكر ابن الجوزي في جامع المسانيد عن الدارقطني قال إنما هو الكنز (بالنون والزاي) وكذلك أيضا ذكر ابن مردويه الحديث في تفسير ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤] .[الترمذي: ١٥٧٣، ابن ماجه: ٢٤١٢، وانظر صحيح الجامع: ٦٤١١، صحيح الترغيب: ١٧٩٨، الصحيحة: ٢٧٨٥].

آدم، يغسل الخرء بيده كل يوم مرة أو مرتين ثم يعارض جبار السموات. وقد قيل في ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١]هو سبيل الغائط والبول. وقد قال محمد بن الحسين بن علي: ما دخل قلب امرىء شيء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قلّ أو كثر. وسئل سليمان عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال: الكبر. وقال النعمان بن بشير ، على المنبر ، إن للشيطان مصالي وفخوخًا، وإن من مصالي الشيطان وفخوخه البطر بأنعم الله، والفخر بإعطاء الله، والكبر على عباد الله، واتباع الهوى في غير ذات الله نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه.

بيان ذم الاختيال واظهار آثار الكبر في المشي وجر الثياب:

قال رسول الله ﷺ «لاَ يَنْظُرُ الله إِلَى رَجُلٍ يَجُرُّ إِزَارَهُ بَطَرًا» (١)، وقال ﷺ «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ فِي بُرْدَتِهِ إِذْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ فَخَسَفَ الله بِهِ الأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيها إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ» (٢)، وقال ﷺ «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ لا يَنْظُرُ الله إِلَيْهِ يَوْمَ القِيامَةِ» . وقال زيد بن أسلم: دخلت على ابن عمر فمرّ به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول: أي بني ارفع إزارك فإني سمعت رسول الله ﷺيقول: «لا يَنْظُرُ الله إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ خُيَلاءَ» (٣). وروي أن رسول الله ﷺبصق يومًا على كفه ووضع أصبعه عليه وقال: «يَقُولُ الله تعالى: ابْنَ آدَمَ أَتُعْجِزُنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هذِهِ حَتَّى إِذَا سَوَّيْتُكَ وَعَدَلْتُكَ مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ وَلِلأَرْضِ مِنْكَ وَئِيدٌ جَمَعْتَ وَمَنَعْتَ حَتَّى إِذا بَلَغَتِ التَّرَاقِي قُلْتَ أَتَصَدَّقُ وَأَنَّى أَوَانُ الصَّدَقَةِ» (٤)، وقال ﷺ «إِذا مَشَتْ أُمَّتِي المُطَيْطَاءَ وَخَدَمَتْهُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ سَلَّطَ الله بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ» (٥)، قال ابن الأعرابي: هي مشية فيها اختيال. وقال ﷺ «مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ وَاخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ لَقِيَ الله وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ» (٦).

---

(١) صحيح: حديث «لا ينظر الله إلى من جر إزاره بطرا». متفق عليه من حديث أبي هريرة. [البخاري: ٥٧٨٨، مسلم: ٢٠٨٧].

(٢) صحيح: حديث «بينما رجل يتبختر في بردته إذ أعجبته نفسه .. الحديث». متفق عليه من حديث أبي هريرة. [البخاري: ٥٧٨٩، مسلم: ٢٠٨٨].

(٣) صحيح: حديث ابن عمر «لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء». رواه مسلم مقتصرا على المرفوع دون ذكر مرور عبد الله بن واقد على ابن عمر وهو رواية لمسلم أن المار رجل من بني ليث غير مسمى. [مسلم: ٢٠٨٥].

(٤) صحيح: حديث: إن رسول الله ﷺبصق يوما على كفه ووضع إصبعه عليها وقال «يقول الله تعالى: ابن آدم أتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه! .. الحديث». أخرجه ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث بشر بن جحاش. [ابن ماجه: ٢٧٠٧، وانظر صحيح الجامع: ٨١٤٤، الصحيحة: ١٠٩٩].

(٥) صحيح: حديث «إذا مشت أمتي المطيطاء .. الحديث». أخرجه الترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر: المطيطاء (بضم الميم وفتح الطاءين المهملتين بينهما مثناة من تحت) مصغرا ولم يستعمل مكبرا. [الترمذي: ٢٢٦١، وانظر صحيح الجامع: ٨٠١، صحيح الترغيب: ٢٩١٩].

(٦) صحيح: حديث «من تعظم في نفسه واختال في مشيه». أخرجه أحمد والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر. [انظر صحيح الجامع: ٦١٥٧، صحيح الترغيب: ٢٩١٨، الصحيحة: ٥٤٣].

الآثار: عن أبي بكر الهذلي قال: بينما نحن مع الحسن إذ مر علينا ابن الأهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز، قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشي يتبختر، إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال: أف... أف... شامخ بأنفه ثاني عطفه مصعّر خده ينظر في عطفيه، أي حميق أنت تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأخوذ بأمر الله فيها ولا المؤدى حق الله منها، والله أن يمشي أحد طبيعته يتخلج تخلج المجنون في كل عضو من أعضائه لله نعمة، وللشيطان به لفتة، فسمع ابن الأهتم فرجع يعتذر إليه فقال: لا تعتذر إليّ وتب إلى ربك، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧]؟ .

ومرّ بالحسن شاب عليه بزة له حسنة فدعاه فقال له: ابن آدم معجب بشبابه محب لشمائله، كأن القبر قد وارى بدنك وكأنك قد لاقيت عملك، ويحك داو قلبك فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم.

وروي أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف، فنظر إليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه بأصبعه ثم قال: ليست هذه مشية من في بطنه خراء؟ فقال عمر كالمعتذر: يا عم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها. ورأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه وقال: أتدري من أنت؟ أما أمك فاشتريتها بمائتي درهم. وأما أبوك فلا أكثر الله في المسلمين مثله، ورأى ابن عمر رجلًا يجرّ إزاره فقال: إنّ للشيطان إخوانًا ، كررها مرتين أو ثلاثًا ،. ويروى أن مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب وهو يتبختر في جبة خز، فقال: يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله، فقال له المهلب: أما تعرفني؟ فقال: بلى أعرفك أوّلك نطفة مذرة وآخرتك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك. وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٣] أي يتبختر وإذ قد ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلنذكر فضيلة التواضع، والله تعالى أعلم.

بيان فضيلة التواضع:

قال رسول الله ﷺ: «ما زَادَ الله عَبْدًا بِعَفْوٍ إلاَّ عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لله إلاَّ رَفَعَهُ الله» (١)، وقال ﷺ: «ما مِنْ أَحَدٍ إلاَّ وَمَعَهُ مَلَكَانِ وَعَلَيْهِ حَكَمَةٌ يُمْسِكَانِهِ بِها فَإِنْ هُوَ رَفَعَ نَفْسَهُ جَبَذَاهَا ثُمَّ قالا اللَّهُمَّ ضَعْهُ وَإِنْ وَضَعَ نَفْسَهُ قالا اللَّهُمَّ ارْفَعْهُ» (٢)، وقال ﷺ: «طُوبَى لِمَنْ تَوَاضَعَ فِي غَيْرِ مَسْكَنَةٍ وَأَنْفَقَ مَالًا جَمَعَهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَرَحِمَ أَهْلَ الذُّلِّ وَالمَسْكَنَةِ وَخَالَطَ أَهْلَ الفِقْهِ

---

(١) صحيح: حديث «ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا .. الحديث». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم. [مسلم: ٢٥٨٨].

(٢) ضعيف: حديث «ما من أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه بها .. الحديث». أخرجه العقيلي في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة والبيهقي أيضا من حديث ابن عباس وكلاهما ضعيف.

وَالحِكْمَةِ» (١)، وعن أبي سلمة المديني عن أبيه عن جده قال: كان رسول الله ﷺ عندنا بقباء وكان صائمًا فأتيناه عند إفطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيئًا من عسل فلما رفعه وذاقه وجد حلاوة العسل فقال: «ما هذا؟» قلنا: يا رسول الله جعلنا فيه شيئًا من عسل فوضعه وقال: «أَمَا إِنِّي لا أُحَرِّمُهُ وَمَنْ تَوَاضَعَ لله رَفَعَهُ الله، وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ الله، وَمَنْ اقْتَصَدَ أَغْنَاهُ الله، وَمَنْ بَذَّرَ أَفْقَرَهُ الله، وَمَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الله أَحَبَّهُ الله» (٢).

وروي أن النبي ﷺ: «كان في نفر من أصحابه في بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكرّه منها فأذن له، فلما دخل أجلسه رسول الله على فخذه ثم قال له: «اطْعَمْ» فكأن رجلًا من قريش اشمأز منه وتكرّه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها» (٣) وقال ﷺ: «خَيَّرَنِي رَبِّي بَيْنَ أَمْرَيْنِ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا رَسُولًا أَوْ مَلِكًا نَبِيًّا فَلَمْ أَدْرِ أَيُّهُمَا أَخْتَارُ وَكَانَ صَفِيِّي مِنَ المَلائِكَةِ جِبْرِيلُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَيْهِ فَقَالَ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ فَقُلْتُ عَبْدًا رَسُولًا» (٤) وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتعاظم على خلقي وألزم قلبه خوفي وقطع نهاره بذكري وكف نفسه عن الشهوات من أجلي، وقال ﷺ: «الكَرَمُ التَّقْوَى وَالشَّرَفُ التَّوَاضُعُ وَالْيَقِينُ الغِنَى» (٥)، وقال المسيح عليه السلام: طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة، طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا

---

(١) ضعيف: حديث «طوبى لمن تواضع في غير مسكنة .. الحديث». أخرجه البغوي وابن قانع والطبراني من حديث ركب المصري والبزار من حديث أنس وقد تقدم بعضه في العلم وبعضه في آفات اللسان. [انظر ضعيف الجامع: ٣٦٤٢، ضعيف الترغيب: ١٣٦٨].

(٢) ضعيف جداً دون قوله: «من تواضع لله رفعه الله» حديث أبي سلمة المديني عن أبيه عن جده قال: كان رسول الله ﷺ عندنا بقباء وكان صائما .. الحديث» وفيه «ومن تواضع لله رفعه الله .. الحديث». رواه البزار من رواية طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده طلحة فذكر نحوه دون قوله «ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله ولم يقل «بقباء» وقال الذهبي في الميزان إنه خبر منكر وقد تقدم ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة قالت أتى رسول الله ﷺ بقدح فيه لبن وعسل... الحديث» وفيه «أما إني لا أعزم أنه حرام... الحديث» وفيه «من أكثر ذكر الموت أحبه الله» وروى المرفوع منه أحمد وأبو يعلى من حديث أبي سعيد دون قوله «ومن بذر أفقره الله» وذكرا فيه قوله «ومن أكثر ذكر الله أحبه الله» وتقدم في ذم الدنيا. [انظر ضعيف الترغيب: ١٩١٠، الضعيفة: ٤٨٧٥، صحيح الجامع: ٦١٦٢].

(٣) ضعيف: حديث السائل الذي كان به زَمانَةٌ منكرة، وأنه ﷺ أجلسه على فخذه ثم قال «إطعَم» .. الحديث. لم أجد له أصلا والموجود حديث أكله مع مجذوم رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث جابر وقال الترمذي غريب. [أبو داود: ٣٩٢٥، الترمذي: ١٨١٧، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع: ٤١٩٥، الضعيفة: ١١٤٤].

(٤) صحيح دون قوله: «فلم أدري . . . . إليه»: حديث «خيرني ربي بين أمرين أن أكون عبدا رسولا أو ملكا نبيا .. الحديث». أخرجه أبو يعلى من حديث عائشة والطبراني من حديث ابن عباس وكلا الحديثين ضعيف. [انظر صحيح الترغيب: ٣٢٨٠، الصحيحة: ١٠٠٢، بداية السول ص (٦٤)].

(٥) صحيح دون قوله: «والشرف. . . .»: حديث «الكرم التقوى، والشرف التواضع، واليقين الغنى». أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين مرسلا [وهو ضعيف، انظر ضعيف الجامع: ٤٢٩٩، الضعيفة: ٤١٥٨] وأسند الحاكم أوله من رواية الحسن عن سمرة وقال صحيح الإسناد. [انظر صحيح الجامع: ٣١٧٨].

هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة، طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة. وقال بعضهم: بلغني أنّ النبي ﷺ قال: «إذا هَدَى الله عَبْدًا لِلإسْلام وَحَسَّنَ صُورَتَهُ وَجَعَلَهُ فِي مَوْضِعٍ غَيْرِ شَائِنٍ لَهُ وَرَزَقَهُ مَعَ ذلِكَ تَوَاضُعًا فَذلِكَ مِنْ صَفْوَةِ الله» (١)، وقال ﷺ «أَرْبَعٌ لا يُعْطِيهُمُ الله إلاّ مَنْ أَحَبَّ: الصَّمْتُ وَهُوَ أَوَّلُ العِبَادَةِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَى الله. وَالتَّوَاضُعُ، وَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا» (٢)، وقال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ «إذا تَوَاضَعَ العَبْدُ رَفَعَهُ الله إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ» (٣)، وقال ﷺ «التَّوَاضُعُ لا يَزِيدُ العَبْدَ إلاّ رِفْعَةً فَتَوَاضَعُوا يَرْحَمْكُمُ الله» (٤)، ويروى أن رسول الله ﷺ كان يطعم فجاء رجل أسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس إلى أحد إلا قام من جنبه، فأجلسه النبي ﷺ إلى جنبه (٥)، وقال ﷺ «إِنَّهُ لَيُعْجِبُنِي أَنْ يَحْمِلَ الرَّجُلُ الشَّيْءَ فِي يَدِهِ يَكُونُ مَهْنَةً لِأَهْلِهِ يَدْفَعُ بِهِ الكِبْرَ عَنْ نَفْسِهِ» (٦)، وقال النبي ﷺ لأصحابه يومًا: «ما لِي لا أَرَى عَلَيْكُمْ حَلاوَةَ العِبَادَةِ» قالوا: وما حلاوة العبادة ؟ قال: «التَّوَاضُعُ» (٧)، وقال ﷺ «إذا رَأَيْتُمُ المُتَوَاضِعِينَ مِنْ أُمَّتِي فَتَوَاضَعُوا لَهُمْ وَإذا رَأَيْتُمُ المُتَكَبِّرِينَ فَتَكَبَّرُوا عَلَيْهِمْ فإنَّ ذلِكَ مَذَلَّةٌ لَهُمْ وَصَغَارٌ» (٨).

الآثار: قال عمر رضي الله عنه: إنّ العبد إذا تواضع لله رفع الله حكمته وقال: انتعش رفعك الله، وإذا تكبر وعدا طوره رهصه الله في الأرض وقال اخسأ خسأك الله، فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس حقير حتى إنه لأحقر عندهم من الخنزير. وقال جرير بن عبد الله: انتهيت مرة إلى شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسوّيته عليه، ثم إنّ

---

(١) حديث «إذا هدى الله عبدا للإسلام وحسن صورته .. الحديث». أخرجه الطبراني موقوفا على ابن مسعود نحوه وفيه المسعودي مختلف فيه.

(٢) موضوع: حديث «أربع لا يعطيهن الله ألا من يحب: الصمت». أخرجه الطبراني والحاكم من حديث أنس «أربع لا يصبن إلا بعجب الصمت هو أول العبادة والتواضع وذكر الله وقلة الشيء» قال الحاكم صحيح الإسناد قلت فيه العوام بن جويرية قال ابن حبان يروي الموضوعات ثم روى له هذا الحديث. [انظر ضعيف الجامع: ٧٦٤، ضعيف الترغيب: ١٧١١، الضعيفة: ١٩٥٨].

(٣) موضوع: حديث ابن عباس «إذا تواضع العبد رفع الله رأسه إلى السماء السابعة». أخرجه البيهقي في الشعب نحوه وفيه زمعة بن صالح ضعفه الجمهور. [انظر ضعيف الجامع: ٤٤٠].

(٤) ضعيف جداً: حديث «إن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة .. الحديث». أخرجه في الترغيب والترهيب من حديث أنس وفيه بشر بن الحسين وهو ضعيف جدا ورواه ابن عدي من حديث ابن عمر وفيه الحسن بن عبد الرحمن الاحتياصي وخارجة بن مصعب وكلاهما ضعيف. [انظر ضعيف الجامع: ٢٥١٥، الضعيفة: ٣٤٢٤].

(٥) [[ضعيف: حديث: كان يطعم فجاءه رجل أسود به جدري فجعل لا يجلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي ﷺ إلى جنبه. لم أجده هكذا والمعروف أكله مع مجذوم رواه أبو داود والترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث جابر كما تقدم. [أبو داود: ٣٩٢٥، وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع: ٤١٩٥، الضعيفة: ١١٤٤].

(٦) حديث «إنه ليعجبني أن يحمل الرجل الشيء في يده فيكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه». غريب.

(٧) حديث «ما لي لا أرى عليكم حلاوة العبادة» قالوا: وما حلاوة العبادة؟ قال «التواضع». غريب أيضا.

(٨) حديث «إذا رأيتم المتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك مذلة لهم وصغار». غريب أيضا.

الرجل استيقظ فإذا هو سلمان الفارسي، فذكرت له ما صنعت فقال لي: يا جرير تواضع لله في الدنيا فإنه من تواضع في الدنيا رفعه الله يوم القيامة. يا جرير أتدري ما ظلمة النار يوم القيامة؟ قلت: لا، قال: إنه ظلم الناس بعضهم بعضًا في الدنيا. وقالت عائشة رضي الله عنها: إنكم لتغفلون عن أفضل العبادات التواضع، وقال يوسف بن أسباط: يجزي قليل الورع من كثير العمل ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد. وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع ما هو؟ فقال: أن تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته ولو سمعته من أجهل الناس قبلته. وقال ابن المبارك: رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل. وقال قتادة: من أعطي مالًا أو جمالًا أو ثيابًا أو علمًا ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالًا يوم القيامة. وقيل: أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: إذا أنعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة أتممها عليك. وقال كعب: ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع بها درجة في الآخرة، وما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها ولم يتواضع بها لله إلا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له طبقًا من النار يعذبه إن شاء الله أو يتجاوز عنه. وقيل لعبد الملك بن مروان: أي الرجال أفضل؟ قال: من تواضع عن قدرة وزهد عن رغبة وترك النصرة عن قوّة. ودخل ابن السماك على هارون فقال: يا أمير المؤمنين إنّ تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك، فقال: ما أحسن ما قلت فقال: يا أمير المؤمنين إنّ امرأ آتاه الله جمالًا في خلقته وموضعًا في حسبه وبسط له في ذات يده فعف في جماله وواسى من ماله وتواضع في حسبه كتب في ديوان الله من خالص أولياء الله، فدعا هارون بدواة وقرطاس وكتبه بيده. وكان سليمان بن داود عليهما السلام إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف حتى يجيء إلى المساكين فيقعد معهم ويقول: مسكين مع مساكين. وقال بعضهم: كما تكره أن يراك الأغنياء في الثياب الدّون فكذلك فاكره أن يراك الفقراء في الثياب المرتفعة.

روي أنه خرج يونس وأيوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن: أتدرون ما التواضع؟ التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلمًا إلا رأيت له عليك فضلًا. وقال مجاهد: إنّ الله تعالى لما أغرق قوم نوح عليه السلام شمخت الجبال وتطاولت وتواضع الجودي فرفعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه. وقال أبو سليمان: إنّ الله عز وجل اطلع على قلوب الآدميين فلم يجد قلبًا أشدّ تواضعًا من قلب موسى عليه السلام فخصه من بينهم بالكلام. وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات: لم أشك في الرحمة لولا أني كنت معهم إني أخشى أنهم حرموا بسببي. ويقال: أرفع ما يكون المؤمن عند الله أوضع ما يكون عند نفسه، وأوضع ما يكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسه. وقال زياد النمري: الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر. وقال مالك بن دينار: لو أن مناديًا ينادي بباب المسجد ليخرج شركم رحلًا والله ما كان

أحد يسبقني إلى الباب إلا رجلًا بفضل قوّة أو سعي قال: فلما بلغ ابن المبارك قوله قال: بهذا صار مالك مالكًا. وقال الفضيل: من أحب الرئاسة لم يفلح أبدًا. وقال موسى بن القاسم: كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت إلى محمد بن مقاتل فقلت: يا أبا عبد الله أنت إمامنا فادع الله عز وجل لنا، فبكى ثم قال: ليتني لم أكن سبب هلاككم، قال: فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال: إنّ الله عز وجل رفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل. وجاء رجل إلى الشبلي رحمه الله فقال له: ما أنت؟ وكان هذا دأبه وعادته، فقال: أنا النقطة التي تحت الباء فقال له الشبلي: أباد الله شاهدك أو تجعل لنفسك موضعًا. وقال الشبلي في بعض كلامه: ذلي عطل ذل اليهود. ويقال: من يرى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب. وعن أبي الفتح بن شخرف قال: رأيت علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت له: يا أبا الحسن عظني، فقال لي: ما أحسن التواضع بالأغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة منهم بالله عز وجل. وقال أبو سليمان: لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه. وقال أبو يزيد: ما دام العبد يظنّ أنّ في الخلق من هو شر منه فهو متكبر، فقيل له: فمتى يكون متواضعًا؟ قال: إذا لم ير لنفسه مقامًا ولا حالًا، وتواضع كل إنسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه، وقال أبو سليمان: لو اجتمع الخلق على أن يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما قدروا عليه. وقال عروة بن الورد: التواضع أحد مصائد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها إلا التواضع. وقال يحيى بن خالد البرمكي: الشريف إذا تنسك تواضع، والسفيه إذا تنسك تعاظم. وقال يحيى بن معاذ: التكبر على ذي التكبر عليك بما له تواضع. ويقال: التواضع في الخلق كلهم حسن، وفي الأغنياء أحسن، والتكبر في الخلق كلهم قبيح، وفي الفقراء أقبح. ويقال: لا عز إلا لمن تذلل لله عز وجل، ولا رفعة إلا لمن تواضع لله عز وجل، ولا أمن إلا لمن خاف الله عز وجل، ولا ربح إلا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل.

وقال أبو علي الجوزجاني: النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد، فمن أراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة، وإذا أراد الله تعالى به خيرًا لطف به في ذلك، فإذا هاجت في نفسه نار الكبر أدركها التواضع مع نصرة الله تعالى، وإذا هاجت نار الحسد في نفسه أدركتها النصيحة مع توفيق الله عز وجل، وإذا هاجت في نفسه نار الحرص أدركتها القناعة مع عون الله عز وجل.

وعند الجنيد رحمه الله أنه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولا أنه روي عن النبي ﷺ أنه قال: «يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ زَعِيمُ القَوْمِ أَرْذَلُهُمْ»(١)، ما تكلمت عليكم. وقال الجنيد أيضًا:

---

*٢*بيان حقيقة الكبر وآفته.

(١) ضعيف: حديث «يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم». أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة «إذا اتخذ الفيء دولا... الحديث» وفيه «كان زعيم القوم أرذلهم... الحديث» وقال غريب وله [الترمذي: ٢٢١١، وهو ضعيف، انظر ضعيف الجامع: ٢٨٧] من حديث علي بن أبي طالب «إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل

التواضع عند أهل التوحيد تكبر، ولعل مراده أنّ التواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئًا حتى يضعها أو يرفعها.

وعن عمرو بن شيبة قال: كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلًا راكبًا بغلة وبين يديه غلمان وإذا هم يعنفون الناس، قال: ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر، فإذا أنا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال: فجعلت أنظر إليه وأتأمله فقال لي: ما لك تنظر إليّ؟ فقلت له: شبهتك برجل رأيته بمكة، ووصفت له الصفة، فقال له: أنا ذلك الرجل، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال إني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يترفع الناس. وقال المغيرة: كنا نهاب إبراهيم النخعي هيبة الأمير وكان يقول إن زمانًا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء. وكان عطاء السلمي إذا سمع صوت الرعد قام وقعد وأخذه بطنه كأنه امرأة ماخض، وقال هذا من أجلي يصيبكم، لو مات عطاء لاستراح الناس. وكان بشر الحافي يقول: سلموا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم. ودعا رجل لعبد الله بن المبارك فقال: أعطاك الله ما ترجوه، فقال إنّ الرجاء يكون بعد المعرفة فأين المعرفة؟ وتفاخرت قريش عند سلمان الفارسي رضي الله عنه يومًا فقال سلمان: لكنني خلقت من نطفة قذرة ثم أعود جيفة منتنة ثم آتي الميزان فإن ثقل فأنا كريم وإن خف فأنا لئيم. وقال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: وجدنا الكرم في التقوى، والغنى في اليقين، والشرف في التواضع. نسأل الله الكريم حسن التوفيق.

بيان حقيقة الكبر وآفته:

اعلم أنّ الكبر ينقسم إلى باطن وظاهر. فالباطن هو خلق في النفس، والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح. واسم الكبر بالخلق الباطن أحق، وأما الأعمال فإنها ثمرات لذلك الخلق. وخلق الكبر موجب للأعمال ولذلك إذا ظهر على الجوارح يقال تكبر، وإذا لم يظهر يقال في نفسه كبر. فالأصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فإن الكبر يستدعي متكبرًا عليه ومتكبرًا به، وبه ينفصل الكبر عن العجب ، كما سيأتي ، فإنّ العجب لا يستدعي غير المعجب بل لو لم يخلق الإنسان إلا وحده تصوّر أن يكون معجبًا، ولا يتصوّر أن يكون متكبرًا إلا أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق الغير في صفات الكمال، فعند ذلك يكون متكبرًا، ولا يكفي أن يستعظم نفسه ليكون متكبرًا فإنه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا يتكبر عليه، ولا يكفي أن يستحقر غيره فإنه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر، بل ينبغي أن يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة، ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره، فعند هذه الاعتقادات الثلاث يحصل فيه خلق الكبر، لا أن هذه الرؤية تنفي الكبر، بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه،

بها البلاء» فذكر منها «وكان زعيم القوم أرذلهم» [الترمذي: ٢٢١٠، وانظر ضعيف الجامع: ٦٠٨، ضعيف الترغيب: ١٤٠٧] ولأبي نعيم في الحلية من حديث حذيفة «من اقتراب الساعة اثنان وسبعون خصلة» فذكرها منها وفيهما فرج بن فضالة ضعيف. [وهو ضعيف أيضاً، انظر الضعيفة: ١١٧١].

فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون إلى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك، فتلك العزة والهزة والركون إلى العقيدة هو خلق الكبر. ولذلك قال النبي ﷺ: «أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَفْخَةِ الكِبْرِياءِ» (١)، وكذلك قال عمر: أخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا، للذي استأذنه أن يعظ بعد صلاة الصبح. فكأن الإنسان مهما رأى نفسه بهذه العين، وهو الاستعظام، كبر وانتفخ وتعزز.

فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات، وتسمى أيضًا عزة وتعظمًا، ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦] قال: عظمة لم يبلغوها، ففسر الكبر بتلك العظمة. ثم هذه العزة تقتضي أعمالًا في الظاهر والباطن هي ثمرات ويسمى ذلك تكبرًا، فإنه مهما عظم عنده قدره بالإضافة إلى غيره حقر من دونه وازدراه وأقصاه عن نفسه وأبعده وترفع عن مجالسته ومؤاكلته، ورأى أن حقه أن يقوم ماثلًا بين يديه إن اشتدّ كبره، فإن كان أشدّ من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله أهلًا للقيام بين يديه ولا بخدمة عتبته، فإن كان دون ذلك فيأنف من مساواته وتقدّم عليه في مضائق الطرق وارتفع عليه في المحافل وانتظر أن يبدأه بالسلام واستبعد تقصيره في قضاء حوائجه وتعجب منه، وإن حاج أو ناظر أنف أن يرد عليه وإن وعظ استنكف من القبول، وإن وعظ عنف في النصح، وإن رد عليه شيء من قوله غضب وإن علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم، وينظر إلى العامة كأنه ينظر إلى الحمير استجهالًا لهم واستحقارًا.

والأعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهي أكثر من أن تحصى فلا حاجة إلى تعدادها فإنها مشهورة. فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة، وفيه يهلك الخواص من الخلق، وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلًا عن عوام الخلق، وكيف لا تعظم آفته، وقد قال ﷺ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ؟» (٢) وإنما صار حجابًا دون الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها، وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة، والكبر وعزة النفس يغلق تلك الأبواب كلها، لأنه لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز، ولا يقدر على التواضع وهو رأس أخلاق المتقين وفيه العز، ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز، ولا يقدر أن يدوم على الصدق وفيه العز، ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز، ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز، ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز، ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز، ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز، ولا يسلم من الازدراء بالناس ومن اغتيابهم وفيه العز. ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم إلا وصاحب العز والكبر مضطر إليه ليحفظ عزه، وما من خلق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفًا من أن يفوته عزه، فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه. والأخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع إلى البعض لا محالة. وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له، وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر

---

(١) حديث «أعوذ بك من نفخة الكبرياء». تقدم فيه.

(٢) حديث «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر». تقدم فيه. [مسلم: ٩١].

والمتكبرين. قال الله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٣] ثم قال: ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر:٧٢] ثم أخبر أن أشدّ أهل النار عذابًا أشدّهم عتيًا على الله تعالى فقال: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ [مريم:٦٩] وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل:٢٢] وقال عز وجل: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ:٣١] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠] وقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف:١٤٦] قيل في التفسير: سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم، وفي بعض التفاسير سأحجب قلوبهم عن الملكوت. وقال ابن جريج: سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا بها. ولذلك قال المسيح عليه السلام: إنّ الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا، كذلك الحكمة تعمل في قلب المتواضع ولا تعمل في قلب المتكبر، ألا ترون أنّ من شمخ برأسه إلى السقف شجه، ومن طأطأ أظله وأكنه. فهذه مثل ضربه للمتكبرين وأنهم كيف يحرمون الحكمة، ولذلك ذكر رسول الله ﷺ جحود الحق في حد الكبر والكشف عن حقيقته وقال: «مَنْ سَفِهَ الحَقَّ وَغَمَصَ النَّاسَ»(١).

بيان المتكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات الكبر فيه:

اعلم أنّ المتكبر عليه هو الله تعالى أو رسله أو سائر خلقه، وقد خلق الإنسان ظلومًا جهولًا، فتارة يتكبر على الخلق، وتارة يتكبر على الخالق، فإذن التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلاثة أقسام:

الأول: التكبر على الله، وذلك هو أفحش أنواع الكبر، ولا مثار له إلا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمروذ، فإنه كان يحدّث نفسه بأن يقاتل رب السماء، وكما يحكى عن جماعة من الجهلة. بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره، فإنه لتكبره قال: أنا ربكم الأعلى، إذ استنكف أن يكون عبدًا لله، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠] وقال تعالى: ﴿لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء:١٧٢] الآية. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان:٦٠].

القسم الثاني: التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها على الانقياد لبشر مثل سائر الناس؛ وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن

---

(١) صحيح: حديث «الكِبْر: من سَفَّهَ الحق وغمص الناس». أخرجه [مسلم: ٩١] من حديث ابن مسعود في أثناء حديث وقال «بطر الحق وغمط الناس» ورواه الترمذي فقال «من بطر الحق وغمص الناس» وقال حسن صحيح [الترمذي: ١٩٩٩، وهو صحيح، انظر غاية المرام: ١١٥]، ورواه أحمد من حديث عقبة بن عامر بلفظ المصنف، ورواه البيهقي في الشعب من حديث أبي ريحانة هكذا. [وهو صحيح، انظر الصحيحة: ١٣٤، ١٦٢٦، صحيح الأدب المفرد: ٥٤٨].

الانقياد وهو ظانّ أنه محق فيه، وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسل، كما حكى الله قولهم: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون:٤٧]وقولهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [ابراهيم:١٠]. ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ [المؤمنون:٣٤] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٢١]﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام:٨]وقال فرعون فيما أخبر الله عنه: ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزخرف:٥٣]وقال الله تعالى: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [القصص:٣٩]فتكبر هو على الله وعلى رسله جميعًا. قال وهب: قال له موسى عليه السلام آمن ولك ملكك، قال: حتى أشاور هامان، فشاور هامان فقال هامان: بينما أنت رب يعبد إذ صرت عبد تعبد فاستنكف عن عبودية الله وعن اتباع موسى عليه السلام. وقالت قريش فيما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:٣١]قال قتادة: عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفي، طلبوا من هو أعظم رئاسة من النبي إذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله إلينا؟ فقال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف:٣٢]وقال الله تعالى: ﴿لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا﴾ [الأنعام:٥٣]أي استحقارًا لهم واستبعادًا لتقدّمهم. وقالت قريش لرسول الله ﷺ كيف نجلس إليك وعندك هؤلاء؟ وأشاروا إلى فقراء المسلمين فازدروهم بأعينهم لفقرهم، وتكبروا عن مجالستهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ إلى قوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم﴾ [الأنعام:٥٢]وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف:٢٨][1] ثم أخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم إذ لم يروا الذين ازدروهم فقالوا: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾ [ص:٦٢]قيل: يعنون عمارًا وبلالًا وصهيبًا والمقداد رضي الله عنهم، ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة، فجهل كونه محقًّا، ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن الاعتراف قال الله تعالى مخبرًا عنهم: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة:٨٩]وقال: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤]وهذا الكبر قريب من التكبر على الله عز وجل وإن كان دونه، ولكنه تكبر على قبول أمر الله والتواضع لرسوله.

القسم الثالث: التكبر على العباد، وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحقر غيره، فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه إلى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف عن مساواتهم، وهذا وإن كان دون الأول والثاني فهو أيضًا عظيم من وجهين:

---

(١) صحيح: حديث قالت قريش لرسول الله ﷺ كيف نجلس إليك وعندك هؤلاء؟ .. الحديث» في نزول قوله تعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الأنعام:٥٢]إلى قوله ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم﴾ [الأنعام:٥٢]. أخرجه مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص إلا أنه قال: «فقال المشركون» وقال ابن ماجه: «قالت قريش».[مسلم: ٢٤١٣، ابن ماجه: ٤١٢٨].

أحدهما: أن الكبر والعز والعظمة والعلاء لا يليق إلا بالملك القادر، فأما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن أين يليق بحاله الكبر؟ فمهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق إلا بجلاله، ومثاله: أن يأخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على رأسه ويجلس على سريره، فما أعظم استحقاقه للمقت وما أعظم تهدفه للخزي والنكال وما أشد استجراءه على مولاه وما أقبح ما تعاطاه وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله تعالى: «العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته». أي إنه خاص صفتي ولا يليق إلا بي، والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي، وإذا كان الكبر على عباده لا يليق إلا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه، إذ الذي يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستأثر بما حق الملك أن يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض أمره، وإن لم يبلغ درجته درجة من أراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه، فالخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم، فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه. نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمروذ وفرعون، هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في أصل الملك.

الوجه الثاني: الذي تعظم به رذيلة الكبر أنه يدعو إلى مخالفة الله تعالى في أوامره؛ لأن المتكبر إذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله وتشمر لجحده، ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون أنهم يتباحثون عن أسرار الدين ثم إنهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين، ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم أنف الآخر من قبوله، وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك من أخلاق الكافرين والمنافقين إذ وصفهم الله تعالى فقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت:٢٦] فكل من يناظر للغلبة والإفحام لا ليغتنم الحق إذا ظفر به فقد شاركهم في هذا الخلق، وكذلك يحمل ذلك على الأنفة من قبول الوعظ كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ [البقرة:٢٠٦].

وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قرأها فقال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦] قام رجل يأمر بالمعروف فقتل، فقام آخر فقال: تقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، فقتل المتكبر الذي خالفه والذي أمره كبرًا.

وقال ابن مسعود: كفى بالرجل إثمًا إذا قيل اتق الله قال: عليك نفسك وقال ﷺ لرجل: «كُلْ بِيَمِينِكَ» قال: لا أستطيع، فقال النبي: «لاَ اسْتَطَعْتَ» فما منعه إلا كبره، قال: فما رفعها بعد ذلك [1] أي اعتلت يده. فإذن تكبره على الخلق عظيم لأنه سيدعوه إلى التكبر على أمر الله، وإنما ضرب إبليس مثلًا لهذا، وما حكاه من أحواله إلا ليعتبر به، فإنه قال: أنا خير منه،

---

(١) صحيح: حديث: قال لرجل «كل بيمينك» قال: لا أستطيع قال «لا استطعت» فما منعه إلا كبره، قال. فما رفعها بعد ذلك. أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع. [مسلم: ٢٠٢١].

وهذا الكبر بالنسب لأنه قال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، فحمله ذلك على أن يمتنع من السجود الذي أمره الله تعالى به، وكان مبدؤه الكبر على آدم والحسد له فجرّه ذلك إلى التكبر على أمر الله تعالى، فكان ذلك سبب هلاكه أبد الآباد، فهذه آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة، ولذلك شرح رسول الله الكبر بهاتين الآفتين إذ سأله ثابت بن قيس بن شماس فقال: يا رسول الله إني امرؤ قد حبب إليَّ من الجمال ما ترى أفمن الكبر هو؟ فقال ﷺ: «لا وَلَكِنَّ الكِبْرَ مَنْ بَطِرَ الحَقَّ وَغَمَصَ النَّاسَ» (١) وفي حديث آخر: «مَنْ سَفِهَ الحَقَّ» (٢) وقوله: «وَغَمَصَ النَّاسَ» أي ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله أمثاله أو خير منه. وهذا الآفة الأولى: «وسفه الحق» هو رده وهي الآفة الثانية، فكل من رأى أنه خير من أخيه واحتقر أخاه وازدراه ونظر إليه بعين الاستصغار، أو رد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق، ومن أنف من أن يخضع لله تعالى ويتواضع لله بطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه وبين الله تعالى ورسله.

بيان ما به التكبر:

اعلم أنه لا يتكبر إلا متى استعظم نفسه، ولا يستعظمها إلا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال. وجماع ذلك يرجع إلى كمال ديني أو دنيوي، فالديني هو العلم والعمل، والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار. فهذه سبعة أسباب.

الأول: العلم، وما أسرع الكبر إلى العلماء ولذلك قال ﷺ: «آفَةُ العِلْمِ الخُيَلاَءُ» (٣)، فلا يلبث العالم أن يتعزز بعزة العلم يستشعر في نفسه جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر إليهم نظره إلى البهائم ويستجهلهم ويتوقع أن يبدءوه بالسلام، فإن بدأه واحد منهم بالسلام أو ردّ عليه ببشر أو قام له أو أجاب له دعوة رأى ذلك صنيعة عنده ويدًا عليه يلزمه شكرها، واعتقد أنه أكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله، وأنه ينبغي أن يرقوا له ويخدموه شكرًا له على صنيعه، بل الغالب أنهم يبرونه فلا يبرهم ويزورونه فلا يزورهم ويعودونه فلا يعودهم ويستخدم من خالطه منهم ويستسخره في حوائجه، فإن قصر فيه استنكره كأنهم عبيده أو أجراؤه، وكأن تعليمه العلم صنيعة منه إليهم ومعروف لديهم واستحقاق حق عليهم، هذا فيما يتعلق بالدنيا. أما في أمر الآخرة فتكبره عليهم بأن يرى نفسه عند الله تعالى أعلى وأفضل منهم، فيخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم، وهذا بأن يسمى

---

(١) صحيح: حديث: قول ثابت بن قيس بن شماس إني امرؤ قد حبب إلي من الجمال ما ترى .. الحديث» وفيه «الكبر من بطر الحق وغمص الناس». أخرجه مسلم والترمذي وقد تقدم قبله بحديثين. [مسلم: ٩١ بلفظ: «غمط»، الترمذي: ١٩٩٩].

(٢) صحيح: حديث «الكبر من سفه الحق وغمص الناس». تقدم معه. [انظر الصحيحة: ١٣٤، ١٦٢٦].

(٣) حديث «آفة العلم الخيلاء». قلت: هكذا ذكره المصنف والمعروف «آفة العلم النسيان وآفة الجمال الخيلاء» هكذا رواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث علي بسند ضعيف. [وهو موضوع، انظر ضعيف الجامع: ٩، الضعيفة: ١٣٠٢] وروى عنه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس «آفة الجمال الخيلاء» وفيه الحسن بن الحميد الكوفي: لا يُدرى من هو، حدث عن أبيه بحديث موضوع؛ قاله صاحب الميزان. [موضوع، وانظر السابق].

جاهلًا أولى من أن يسمى عالمًا، بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الإنسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه ، كما سيأتي في طريق معالجة الكبر بالعلم ، وهذا العلم يزيد خوفًا وتواضعًا وتخشعًا، ويقتضي أن يرى كل الناس خيرًا منه لعظم حجة الله عليه بالعلم، وتقصيره في القيام بشكر نعمة العلم. ولهذا قال أبو الدرداء: من ازداد علمًا ازداد وجعًا وهو كما قال.

فإن قلت :فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرًا وأمنًا؟

فاعلم أن لذلك سببين :

أحدهما :أن يكون اشتغاله بما يسمى علمًا وليس علمًا حقيقيًا، وإنما العلم الحقيقي ما يعرف به العبد ربه ونفسه، وخطر أمره في لقاء الله والحجاب منه، وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والأمن. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر :٢٨]فأما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات، فإذا تجرّد الإنسان لها حتى امتلأ منها امتلأ بها كبرًا ونفاقًا، وهذه بأن تسمى صناعات أولى من أن تسمى علومًا، بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة، وهذه تورث التواضع غالبًا.

السبب الثاني :أن يخوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة رديء النفس سيىء الأخلاق، فإنه لم يشتغل أولًا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بأنواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر، فإذا خاض في العلم ، أي علم كان ، صادف العلم من قلبه منزلًا خبيثًا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير أثره. وقد ضرب وهب لهذا مثلًا فقال: العلم كالغيث ينزل من السماء حلوًا صافيًا فتشربه الأشجار بعروقها فتحوّله على قدر طعومها فيزداد المرّ مرارة والحلو حلاوة، فكذلك العلم تحفظه الرجال فتحوله على قدر هممها وأهوائها، فيزيد المتكبر كبرًا والمتواضع تواضعًا، وهذا لأن من كانت همته الكبر وهو جاهل فإذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرًا، وإذا كان الرجل خائفًا مع جهله فازداد علمًا علم أن الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفًا وإشفاقًا وذلًا وتواضعًا، فالعلم من أعظم ما يتكبر به، ولذلك قال تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء :٢١٥]وقال عز وجل: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران :١٥٩]ووصف أولياءه فقال: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة :٥٤]وكذلك ﷺقال فيما رواه العباس رضي الله عنه: «يكون قوم يقرءون القرآن لايجاوز حناجرهم يقولون: قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا ومن أعلم منا» ثم التفت إلى أصحابه وقال: «أولئك منكم أيها الأمة أولئك هم وقود النار» (١). ولذلك قال عمر

---

(١) صحيح دون قوله : «لا يجاوز حناجرهم» : حديث العباس «يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون: قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا .. الحديث». أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق. [انظر صحيح الترغيب: ١٣٥، الصحيحة: ٣٢٣٠].

رضي الله عنه لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم. ولذلك استأذن تميم الداري عمر رضي الله عنه في القصص فأبى أن يأذن له وقال: إنه الذبح، واستأذنه رجل كان إمام قوم أنه إذا سلم من صلاته ذكرهم فقال: إني أخاف أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا. وصلى حذيفة بقوم فلما سلم من صلاته قال: لتلتمسن إمامًا غيري أو لتصلن وحدانا فإني رأيت في نفسي أنه ليس في القوم أفضل مني. فإذا كان مثل حذيفة لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الأمة؟ فما أعز على بسيط الأرض عالمًا يستحق أن يقال له عالم ثم إنه لا يحركه عن العلم وخيلاؤه، فإن وجد ذلك فهو صديق زمانه، فلا ينبغي أن يفارق بل يكون النظر إليه عبادةً فضلًا عن الاستفادة من أنفاسه وأحواله، لو عرفنا ذلك ولو في أقصى الصين لسعينا إليه رجاء أن تشملنا بركته وتسري إلينا سيرته وسجيته، وهيهات فأنى يسمح آخر الزمان بمثلهم؟ فهم أرباب الإقبال وأصحاب الدول قد انقرضوا في القرن الأوّل ومن يليهم، بل يعز في زماننا عالم يختلج في نفسه الأسف والحزن على فوات هذه الخصلة، فذلك أيضًا إما معدوم وإما عزيز. ولولا بشارة رسول الله ﷺ بقوله: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ مَنْ تَمَسَّكَ فِيهِ بِعُشْرِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ نَجَا» (١)، لكان جديرًا بنا أن نقتحم والعياذ بالله تعالى ورطة اليأس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء أعمالنا، ومن لنا أيضًا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه، وليتنا تمسكنا بعشر عشره. فنسأل الله تعالى أن يعاملنا بما هو أهله ويستر علينا قبائح أعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله.

الثاني: العمل والعبادة، وليس يخلو عن رذيلة العز والكبر واستمالة قلوب الناس الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا.

أما في الدنيا: فهو أنهم يرون غيرهم بزيارتهم أولى منهم بزيارة غيرهم، ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم على سائر الناس في الحظوظ، إلى جميع ما ذكرناه في حق العلماء، وكأنهم يرون عبادتهم منة على الخلق.

وأما في الدين: فهو أن يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيًا وهو الهالك تحقيقًا، مهما رأى ذلك، قال ﷺ «إِذَا سَمِعْتُم الرَّجُلَ يَقُولُ هَلَكَ النَّاسَ فَهُوَ أَهْلَكَهُمْ» (٢)، وإنما قال ذلك لأن هذا القول منه يدل على أنه مزدر بخلق الله مغتر بالله آمن من مكره غير خائف من سطوته، وكيف لا يخاف؟ ويكفيه شرًا احتقاره لغيره. قال ﷺ «كَفَى بِالمَرْءِ شَرًّا أَنْ يَحْقِرَ أَخَاه المُسْلِمَ» (٣)، وكم من الفرق بينه وبين من يحبه الله ويعظمه لعبادته ويستعظمه، ويرجو له ما

---

(١) صحيح بلفظ: «بعشر ما يعرف»: حديث «سيأتي على الناس زمان من تمسك بعشر ما أنتم عليه نجا». أخرجه أحمد من رواية رجل عن أبي ذر. [انظر الصحيحة: ٢٥١٠].

(٢) صحيح: حديث «إذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة. [مسلم: ٢٦٢٣].

(٣) صحيح: حديث «كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه المسلم». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ «امرؤ من الشر». [مسلم: ٢٥٦٤].

لا يرجوه لنفسه، فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم إياه لله، فهم يتقربون إلى الله تعالى بالدنو منه وهو يتمقت إلى الله بالتنزه والتباعد منهم، كأنه مترفع عن مجالستهم، فما أجدرهم إذ أحبوه لصلاحه أن ينقلهم الله إلى درجته في العمل وما أجدره إذا ازدراهم بعينه أن ينقله الله إلى حد الإهمال كما روي أن رجلًا في بني إسرائيل كان يقال له: خليع بني إسرائيل، لكثرة فساده، مرَّ برجل آخر يقال له عابد بني إسرائيل، وكان على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به فقال الخليع في نفسه: أنا خليع بني إسرائيل وهذا عابد بني إسرائيل، فلو جلست إليه لعل الله يرحمني فجلس إليه فقال العابد: أنا عابد بني إسرائيل وهذا خليع بني إسرائيل فكيف يجلس إليَّ؟ فأنف منه وقال له: قم عني فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان: مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع وأحبطت عمل العابد. وفي رواية أخرى: فتحولت الغمامة إلى رأس الخليع.

وهذا يعرّفك أنّ الله تعالى إنما يريد من العبيد قلوبهم، فالجاهل العاصي إذا تواضع هيبة لله وذل خوفًا منه فقد أطاع الله بقلبه، فهو أطوع لله من العالم المتكبر والعابد المعجب. وكذلك روي أن رجلًا في بني إسرائيل أتى عابدًا من بني إسرائيل فوطىء على رقبته وهو ساجد فقال: ارفع فوالله لا يغفر الله لك[1]، فأوحى الله إليه أيها المتألي بل أنت لا يغفر الله لك، وكذلك قال الحسن: وحتى أن صاحب الصوف أشدّ كبرًا من صاحب المطرّز الخز، أي أن صاحب الخز يذل لصاحب الصوف ويرى الفضل له، وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآفة أيضًا قلما ينفك عنها كثير من العباد، وهو أنه لو استخف به مستخف أو آذاه مؤذ استبعد أن يغفر الله له، ولا يشك في أنه صار ممقوتًا عند الله، ولو آذى مسلمًا آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده، وهو جهل وجمع بين الكبر والعجب واغترار بالله وقد ينتهي الحمق والغباوة ببعضهم إلى أن يتحدّى ويقول: سترون ما يجري عليه؟ وإذا أصيب بنكبة زعم أن ذلك من كراماته وأن الله ما أراد به إلا شفاء غليله والانتقام له منه، مع أنه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله، وعرف جماعة آذوا الأنبياء صلوات الله عليهم فمنهم من قتلهم ومنهم من ضربهم، ثم إن الله أمهل أكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا، بل ربما أسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الآخرة، ثم الجاهل المغرور يظن أنه أكرم على الله من أنبيائه وأنه قد انتقم له بما لا ينتقم لأنبيائه به ولعله في مقت الله بإعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين.

وأما الأكياس من العباد: فيقولون ما كان يقوله عطاء السلمي حين كانت تهب ريح أو تقع صاعقة: ما يصيب الناس ما يصيبهم إلا بسببي ولو مات عطاء لتخلصوا. وما قاله الآخر بعد

---

(١) حديث «الرجل من بني إسرائيل الذي وطئ على رقبه عابد من بني إسرائيل وهو ساجد فقال: ارفع فوالله لا يغفر الله لك .. الحديث». أخرجه أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة في قصة العابد الذي قال للعاصي «والله لا يغفر الله لك أبدا» وهو بغير هذا السياق وإسناده حسن. [أبو داود: ٤٩٠١، وهو صحيح، انظر صحيح الجامع: ٤٤٥٥].

انصرافه من عرفات: كنت أرجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم، فانظر إلى الفرق بين الرجلين هذا يتقي الله ظاهرًا وباطنًا، وهو رجل على نفسه مزدر لعمله وسعيه، وذلك ربما يضمر من الرياء والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة للشيطان به، ثم إنه يمتن على الله بعمله. ومن اعتقد جزمًا أنه فوق أحد من عباد الله فقد أحبط بجهله جميع عمله، فإن الجهل أفحش المعاصي وأعظم شيء يبعد العبد عن الله، وحكمه لنفسه بأنه خير من غيره جهل محض وأمن من مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، ولذلك روي أن رجلًا ذكر بخير للنبي ﷺ فأقبل ذات يوم فقالوا: يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك، فقال: «إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِهِ سَفْعَةً مِنَ الشَّيْطَانِ» ، فسلم ووقف على النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «أَسْأَلُكَ بالله حَدَّثَتْكَ نَفْسُكَ أَنْ لَيْسَ فِي القَوْمِ أَفْضَلَ مِنْكَ» قال: اللهم نعم [(١)] ، فرأى رسول الله ﷺ بنور النبوّة ما استكن في قلبه سفعة في وجهه. وهذه آفة لا ينفك عنها أحد من العباد إلا من عصمه الله.

لكن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات

الدرجة الأولى: أن يكون الكبر مستقرًا في قلبه يرى نفسه خيرًا من غيره، إلا أن يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرًا من نفسه، وهذا قد رسخ في قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع أغصانها بالكلية.

الثانية: أن يظهر ذلك على أفعاله بالترفع في المجالس والتقدّم على الأقران وأظهار الإنكار على من يقصر في حقه، وأدنى ذلك في العالم أن يصعر خدّه للناس كأنه معرض عنهم، وفي العابد أن يعبس وجهه ويقطب جبينه كأنه منزه عن الناس مستقذر لهم أو غضبان عليهم وليس يعلم المسكين أو الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يعبس ولا في الخد حتى يصعر ولا في الرقبة حتى تطأطأ ولا في الذيل حتى يضم؛ إنما الورع في القلوب، قال رسول الله ﷺ: «التَّقْوَى ههُنا» وأشار إلى صدره [(٢)] . فقد كان رسول الله ﷺ: أكرم الخلق وأتقاهم وكان أوسعهم خلقًا وأكثرهم بشرًا وتبسمًا وانبساطًا [(٣)] ، ولذلك قال الحارث بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله ﷺ: يعجبني من القراء كل طليق مضحاك، فأما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعلمه، فلا أكثر الله من المسلمين مثله. ولو كان الله سبحانه وتعالى يرضى ذلك لما قال لنبيه ﷺ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢١٥﴾ [الشعراء: ٢١٥] وهؤلاء الذين يظهر أثر الكبر على شمائلهم فأحوالهم أخف حالًا ممن هو في الرتبة الثالثة وهو

---

(١) حديث: أن رجلا ذكر بخير للنبي ﷺ فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال «إني أرى في وجهه سفعة من الشيطان» فسلم ووقف على النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ «أسألك بالله حدثتك نفسك أن ليس في القوم أفضل منك» قال: اللهم نعم. أخرجه أحمد والبزار والدارقطني من حديث أنس.

(٢) صحيح: حديث «التقوى ههنا» وأشار إلى صدره. أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم. [مسلم: ٢٥٦٤].

(٣) ضعيف: حديث «كان أكرم الخلق وأتقاهم .. الحديث». تقدم في كتاب أخلاق النبوة. [انظر ضعيف الجامع: ٤٣٨٦، الضعيفة: ٤١٨٥].

الذي يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه إلى الدعوى والمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكايات الأحوال والمقامات والتشمر لغلبه الغير في العلم والعمل.

أما العابد، فإنه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد. من هو وما عمله ومن أين زهده؟ فيطول اللسان فيهم بالتنقص، ثم يثني على نفسه ويقول: إني لم أفطر منذ كذا وكذا ولا أنام الليل وأختم القرآن في كل يوم، وفلان ينام سحرًا ولا يكثر القراءة، وما يجري مجراه، وقد يزكي نفسه ضمنًا فيقول: قصدني فلان بسوء فهلك ولده وأخذ ماله أو مرض، أو ما يجري مجراه، يدعي الكرامة لنفسه. وأما مباهاته: فهو أنه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى أكثر مما كان يصلي، وأن كانوا يصبرون على الجوع فيكلف نفسه الصبر ليغلبهم ويظهر له قوّته وعجزهم، وكذلك يشتدّ في العبادة خوفًا من أن يقال غيره أعبد منه أو أقوى منه في دين الله.

وأما العالم، فإنه يتفاخر ويقول: أنا متفنن في العلوم ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلانًا وفلانًا، ومن أنت وما فضلك ومن لقيت؟ وما الذي سمعت من الحديث؟ كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه. وأما مباهاته: فهو أنه يجتهد في المناظرة أن يغلب ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل، كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الألفاظ، وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الأقران ويتعظم عليهم، ويحفظ الأحاديث ألفاظها وأسانيدها حتى يرد على من أخطأ فيها فيظهر فضله ونقصان أقرانه، ويفرح مهما أخطأ واحد منهم ليرد عليه ويسوء إذا أصاب وأحسن خيفة من أن يرى أنه أعظم منه.

فهذا كله أخلاق الكبر وآثاره التي يثمرها التعزز بالعلم والعمل، وأين من يخلو عن جميع ذلك أو عن بعضه؟ فليت شعري من الذي عرف هذه الأخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله ﷺ «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ» (١)، كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره ورسول الله ﷺ يقول: إنه من أهل النار؟ وإنما العظيم من خلا عن هذا، ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر، والعالم هو الذي فهم أن الله تعالى قال له: إن لك عندنا قدرًا ما لم تر لنفسك قدرًا فإن رأيت لها قدرًا فلا قدر لك عندنا. ومن لم يعلم هذا في الدين فاسم العالم عليه كذب، ومن علمه لزمه أن لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرًا. فهذا هو التكبر بالعلم والعمل.

الثالث: التكبر بالحسب والنسب، فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملًا وعلمًا، وقد يتكبر بعضهم فيرى أن الناس له أموال وعبيد ويأنف من مخالطتهم ومجالستهم، وثمرته على اللسان التفاخر به فيقول لغيره: يا نبطي ويا هندي ويا أرمني من أنت ومن أبوك؟ فأنا فلان ابن فلان، وأين لمثلك أن يكلمني أو ينظر إليّ؟ ومع مثلي تتكلم؟ وما يجري مجراه. وذلك عرق دفين في النفس لا ينفك عنه نسيب وإن كان صالحًا وعاقلًا، إلا أنه قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الأحوال، فإن غلبه غضب أطفأ ذلك نور

(١) صحيح: حديث «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر». تقدم. [مسلم: ٩١].

بصيرته وترشح منه كما روي عن أبي ذر أنه قال: قاولت رجلًا عند النبي ﷺ فقلت له: يا ابن السوداء فقال النبي ﷺ: «يَا أبا ذَرّ طَفَّ الصَّاعُ طَفَّ الصَّاعُ لَيْسَ لابْنِ البَيْضَاءِ عَلَى ابْنِ السَّوْدَاءِ فَضْلٌ» (١)، فقال أبو ذر رحمه الله: فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدي. فانظر كيف نبهه رسول الله ﷺ أنه رأى لنفسه فضلًا بكونه ابن بيضاء وأن ذلك خطأ وجهل؟ وانظر كيف تاب وقلع من نفسه شجرة الكبر بأخمص قدم من تكبر عليه إذ عرف أن العز لا يقمعه إلا الذل؟ ومن ذلك ما روي أن رجلين تفاخرا عند النبي ﷺ فقال أحدهما للآخر: أنا فلان ابن فلان فمن أنت لا أم لك؟ فقال النبي ﷺ: «افْتَخَرَ رَجُلانِ عِنْدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ أَحَدُهُمَا أَنَا فُلانُ ابْنُ فُلانٍ حَتَّى عَدَّ تِسْعَةً فَأَوْحَى الله تَعَالَى إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ قُلْ لِلَّذِي افْتَخَرَ بَلِ التِّسْعَةُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَأَنْتَ عَاشِرُهُمْ» (٢)، وقال رسول الله ﷺ: «لَيَدَعَنَّ قَوْمٌ الفَخْرَ بِآبَائِهِمْ وَقَدْ صَارُوا فَحْمًا فِي جَهَنَّمَ أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى الله مِنَ الجُعْلانِ الَّتِي تَدْرِفُ بِآنافِها القَذَرَ» (٣).

الرابع: التفاخر بالجمال وذلك أكثر ما يجري بين النساء ويدعو ذلك إلى التنقص والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس، ومن ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: دخلت امرأة على النبي ﷺ فقلت بيدي هكذا أي أنها قصيرة، فقال النبي ﷺ: «قَدِ اغْتَبْتِيها» (٤)، وهذا منشؤه خفاء الكبر لأنها لو كانت أيضًا قصيرة لما ذكرتها بالقصر، فكأنها أعجبت بقامتها واستقصرت المرأة في جنب نفسها فقالت ما قالت.

الخامس: الكبر بالمال؛ وذلك يجري بين الملوك في خزائنهم وبين التجار في بضائعهم وبين الدهاقين في أراضيهم وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم، فيستحقر الغني الفقير ويتكبر عليه ويقول له: أنت مكد ومسكين وأنا لو أردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك، ومن أنت؟ وما معك وأثاث بيتي يساوي أكثر من جميع مالك؟ وأنا أنفق في اليوم ما

---

(١) صحيح بغير هذا السياق: حديث أبي ذر: قاولت رجلا عند النبي ﷺ فقلت: له يا ابن السوداء .. الحديث». [وهو صحيح من حديث عقبة بن عامر بلفظ: إن مسابكم هذه وليست بمساب على أحد، وإنما أنتم ولد آدم لم تملؤوه، ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين أو عمل صالح .....» انظر صحيح الترغيب: ٢٩٦٢، الصحيحة: ١٠٣٨] أخرجه ابن المبارك في البر والصلة مع اختلاف ولأحمد من حديثه أن النبي ﷺ قال له «انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى». [وهو صحيح لغيره وانظر صحيح الترغيب: ٢٩٦٢، صحيح الجامع: ١٥٠٥].

(٢) حديث «إن رجلين تفاخرا عند النبي ﷺ فقال أحدهما للآخر: أنا فلان بن فلان فمن أنت لا أم لك؟ .. الحديث». أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند من حديث أبي بن كعب بإسناد صحيح ورواه أحمد موقوفا على معاذ بقصة موسى فقط.

(٣) حسن صحيح: حديث «ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما في جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدرف بآنافها القذر». أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه وابن حبان من حديث أبي هريرة. [أبو داود: ٥١١٦، الترمذي: ٣٩٥٥، وانظر صحيح الجامع: ٥٤٨٢، صحيح الترغيب: ٢٩٢٢].

(٤) صحيح بلفظ: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته» بدل قوله: «قد اغتبتها»: حديث عائشة: دخلت امرأة على النبي ﷺ فقلت بيدي هكذا، أي أنها قصيرة فقال النبي ﷺ «قد اغتبتها». تقدم في آفات اللسان. [انظر صحيح الجامع: ٥١٤٠، صحيح الترغيب: ٢٨٣٤].

لا تأكله في سنة؟ وكل ذلك لاستعظامه للغنى واستحقاره للفقر، وكل ذلك جهل منه بفضيلة الفقر وآفة الغنى، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف:٣٤] حتى أجابه فقال: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۝ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ [الكهف:٣٩-٤١] وكان ذلك منه تكبرًا بالمال والولد، ثم بيّن الله عاقبة أمره بقوله: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٢] ومن ذلك تكبر قارون إذ قال تعالى إخبارًا عن تكبره ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص:٧٩] .

السادس: الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على أهل الضعف.

السابع: التكبر بالأتباع والأنصار والتلامذة والغلمان وبالعشيرة والأقارب والبنين، ويجري ذلك بين الملوك في المكاثرة بالجنود، وبين العلماء في المكاثرة بالمستفيدين.

وبالجملة، فكل ما هو نعمة وأمكن أن يعتقد كمالًا وإن لم يكن في نفسه كمالًا أمكن أن يتكبر به، حتى إن المخنث ليتكبر على أقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة المخنثين؛ لأنه يرى ذلك كمالًا فيفتخر به وإن لم يكن فعله إلا نكالًا، وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه أن ذلك كمال وإن كان مخطئًا فيه. فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض، فيتكبر من يدلي بشيء منه على من لا يدلي به، أو على من يدلي بما هو دونه في اعتقاده. وربما كان مثله أو فوقه عند الله تعالى، كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو أعلم منه لظنه أنه هو الأعلم ولحسن اعتقاده في نفسه. نسأل الله العون بلطفه ورحمته إنه على كل شيء قدير.

بيان البواعث على التكبر وأسبابه المهيجة له:

اعلم أن الكبر خلق باطن، وأما ما يظهر من الأخلاق والأفعال فهي ثمرة ونتيجة، وينبغي أن تسمى تكبرًا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير، وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب الذي يتعلق بالمتكبر، كما سيأتي معناه، فإنه إذا أعجب بنفسه وبعلمه وبعمله أو بشيء من أسبابه استعظم نفسه وتكبر.

وأما الكبر الظاهر فأسبابه ثلاثة: سبب في المتكبر، وسبب في المتكبر عليه، وسبب فيما يتعلق بغيرهما.

أما السبب الذي في المتكبر فهو: العجب، والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد، والحسد. والذي يتعلق بغيرهما هو الرياء، فتصير الأسباب بهذا الاعتبار أربعة: العجب، والحقد، والحسد، والرياء.

أما العجب: فقد ذكرنا أنه يورث الكبر الباطن والكبر يثمر التكبر الظاهر في الأعمال والأقوال والأحوال.

وأما الحقد: فإنه يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى أنه مثله أو فوقه، ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فأورثه الغضب حقدًا ورسخ في قلبه بغضه، فهو لذلك لا تطاوعه نفسه أن يتواضع له وإن كان عنده مستحقًا للتواضع، فكم من رذل لا تطاوعه نفسه على التواضع لواحد من الأكابر لحقده عليه أو بغضه له؟ ويحمله ذلك على رد الحق إذا جاء من جهته وعلى الأنفة من قبول نصحه وعلى أن يجتهد في التقدم عليه، وإن علم أنه لا يستحق ذلك، وعلى أن لا يستحله وإن ظلمه، فلا يعتذر إليه وإن جنى عليه، ولا يسأله عما هو جاهل به.

وأما الحسد: فإنه أيضًا يوجب البغض للمحسود وإن لم يكن من جهته إيذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد، ويدعو الحسد أيضًا إلى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم، فكم من جاهل يشتاق إلى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه حسدًا وبغيًا عليه؟ فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بأنه يستحق التواضع بفضل علمه، ولكن الحسد يبعثه على أن يعامله بأخلاق المتكبرين، وإن كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه.

وأما الرياء: فهو أيضًا يدعو إلى أخلاق المتكبرين، حتى إن الرجل ليناظر من يعلم أنه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد، ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من أن يقول الناس إنه أفضل منه، فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد، ولا خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه. وأما الذي يتكبر بالعجب أو الحسد أو الحقد فإنه يتكبر أيضًا عند الخلوة به مهما لم يكن معهما ثالث، وكذلك قد ينتمي إلى نسب شريف كاذبًا وهو يعلم أنه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب إلى ذلك النسب ويترفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطريق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنًا بأنه لا يستحق ذلك، ولا كبر في باطنه لمعرفته بأنه كاذب في دعوى النسب، ولكن يحمله الرياء على أفعال المتكبرين، وكأن اسم المتكبر إنما يطلق في الأكثر على من يفعل هذه الأفعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر إلى الغير بعين الاحتقار، وهو إن سمي متكبرًا فلأجل التشبه بأفعال الكبر. نسأل الله حسن التوفيق والله تعالى أعلم.

بيان أخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر:

اعلم أن التكبر يظهر في شمائل الرجل، كصعر في وجهه ونظره شزرًا وإطراقه رأسه وجلوسه متربعًا أو متكئًا وفي أقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الإيراد، ويظهر في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وحركاته وسكناته، وفي تعاطيه لأفعاله وفي سائر تقلباته في أحواله وأقواله وأعماله. فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض.

فمنها: التكبر بأن يحب قيام الناس له أو بين يديه. وقد قال علي كرم الله وجهه: من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام. وقال أنس: لم يكن

شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك[(١)].

ومنها: أن لا يمشي إلا ومعه غيره يمشي خلفه. قال أبو الدرداء: لا يزال العبد يزداد من الله بعدًا ما مشي خلفه، وكان عبد الرحمن بن عوف لايعرف من عبيده، إذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة. ومشى قوم خلف الحسن البصري فمنعهم وقال: ما يبقي هذا من قلب العبد، وكان رسول الله ﷺ في بعض الأوقات يمشي مع بعض الأصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم[(٢)]. إما لتعليم غيره أو لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب كما أخرج الثوب الجديد في الصلاة وأبدله بالخليع لأحد هذين المعنيين[(٣)].

ومنها: أن لا يزور غيره وإن كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع. روي أن سفيان الثوري قدم الرملة فبعث إليه إبراهيم بن أدهم: أن تعال فحدثنا، فجاء سفيان فقيل له: يا أبا إسحاق تبعث إليه بمثل هذا؟ فقال أردت أن أنظر كيف تواضعه؟.

ومنها: أن يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه إلا أن يجلس بين يديه والتواضع خلافه. قال ابن وهب: جلست إلى عبد العزيز بن أبي روّاد فمس فخذي فخذه فنحيت نفسي عنه فأخذ ثيابي فجرني إلى نفسه وقال لي: لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة وإني لا أعرف رجلًا منكم شرًا مني؟ وقال أنس: كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله ﷺ فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث تشاء[(٤)].

ومنها: أن يتوقى من مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم وهو الكبر: دخل رجل، وعليه جدري قد تقشر، على رسول الله ﷺ وعنده ناس من أصحابه يأكلون، فما جلس إلى أحد إلا قام من جنبه[(٥)]، فأجلسه النبي ﷺ إلى جنبه، وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا يحبس عن طعامه مجذومًا ولا أبرص ولا مبتلى إلا أقعدهم على مائدته.

---

*٢٠*بيان أخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر

(١) صحيح: حديث أنس: لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك». تقدم في آداب الصحبة وفي أخلاق النبوة. [انظر الصحيحة: ٣٥٨].

(٢) منكر: حديث: كان في بعض الأوقات يمشي مع الأصحاب فيأمرهم بالتقدم. أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة بسند ضعيف جدا: أنه خرج يمشي إلى البقيع فتبعه أصحابه فوقف فأمرهم أن يتقدموا ومشى خلفهم فسئل عن ذلك فقال «إني سمعت خفق نعالكم فأشفقت أن يقع في نفسي شيئا من الكبر» وهو منكر، فيه جماعة ضعفاء.

(٣) حديث: إخراجه الثوب الجديد في الصلاة وإبداله بالخليع قلت: المعروف نزع الشراك الجديد ورد الشراك الخلق أو نزع الخميصة وليس الأنبجانية، وكلاهما تقدم في الصلاة. [حديث لبس الأنبجانية: في البخاري: ٣٧٣١، مسلم: ٥٥٦].

(٤) صحيح: حديث أنس: كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه .. الحديث. تقدم في آداب المعيشة. [انظر صحيح ابن ماجه].

(٥) حديث: الرجل الذي به جدري وإجلاسه إلى جنبه. تقدم قريبا.

ومنها: أن لا يتعاطى بيده شغلًا في بيته، والتواضع خلافه: روي أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلةً ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ، فقال الضيف: أقوم إلى المصباح فأصلحه؟ فقال: ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه، قال: أفأنبه الغلام؟ فقال: هي أوّل نومة نامها، فقام وأخذ البطة وملأ المصباح زيتًا فقال الضيف: قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين؟ فقال: ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ما نقص مني شيء وخير الناس من كان عند الله متواضعًا.

ومنها: أن لا يأخذ متاعه ويحمله إلى بيته، وهو خلاف عادة المتواضعين، وكان رسول الله ﷺ يفعل ذلك (١)، وقال علي كرم الله وجهه: لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شيء إلى عياله، وكان أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير يحمل سطلًا له من خشب إلى الحمام. وقال ثابت بن أبي مالك: رأيت أبا هريرة أقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذٍ خليفة لمروان، فقال: أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك أو عن الأصبغ بن نباتة قال: كأني أنظر إلى عمر رضي الله عنه معلقًا لحمًا في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة، يدور في الأسواق حتى دخل رحله. وقال بعضهم: رأيت عليًا رضي الله عنه قد اشترى لحمًا بدرهم فحمله في ملحفته، فقلت له: أحمل عنك يا أمير المؤمنين فقال: لا، أبو العيال أحق أن يحمل.

ومنها: اللباس إذ يظهر به التكبر والتواضع، وقد قال النبي: «البَذَاذَةُ مِنَ الإيمانِ» (٢)، فقال هارون: سألت معنًا عن البذاذة فقال: هو الدون من اللباس. وقال زيد بن وهب: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى السوق وبيده الدرة وعليه إزار فيه أربع عشرة رقعة بعضها من أدم، وعوتب علي كرم الله وجهه في إزار مرقوع فقال: يقتدي به المؤمن ويخشع له القلب. وقال عيسى عليه السلام: جودة الثياب خيلاء في القلب. وقال طاوس: إني لأغسل ثوبي هذين فأنكر قلبي ما داما نقيين. ويروى أنّ عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان قبل أن يستخلف تشترى له الحلة بألف دينار فيقول: ما أجودها لولا خشونة فيها! فلما استخلف كان يشتري له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما أجوده لولا لينه فقيل له: أين لباسك ومركبك وعطرك يا أمير المؤمنين؟ فقال إن لي نفسًا ذوّاقة وإنها لم تذق من الدنيا طبقة إلا تاقت إلى الطبقة التي فوقها، حتى إذا ذاقت الخلافة وهي أرفع الطبقات تاقت إلى ما عند الله عز وجل. وقال سعيد بن سويد: صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إن الله قد أعطاك فلو لبست؟ فنكس رأسه مليًا ثم رفع رأسه فقال: إن أفضل القصد عند الجدة وإن أفضل العفو عند القدرة، وقال ﷺ: «مَنْ تَرَكَ زِينَةً لله وَوَضَعَ ثِيابًا حَسَنَةً تَوَاضُعًا لله وَابْتِغَاءَ لِمَرْضَاتِهِ كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يَدَّخِرَ لَهُ عَبْقَرِيَّ الجَنَّةِ» (٣).

---

(١) حديث: حمله متاعه إلى بيته. أخرجه أبو يعلى من حديث أبي هريرة في شرائه للسراويل وحمله وتقدم.

(٢) صحيح: حديث «البذاذة من الإيمان». أخرجه أبو داود وابن ماجه حديث أبي أمامة بن ثعلبة وقد تقدم. [أبو داود: ٤١٦١، وانظر صحيح الجامع: ٢٨٧٩، الصحيحة: ٣٤١، والبذاذة يعني التقشف].

(٣) حديث «من ترك زينة الله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله .. الحديث». أخرجه أبو سعيد الماليني في مسند الصوفية وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس «من ترك زينة لله... الحديث» وفي إسناده نظر.

فإن قلت: فقد قال عيسى عليه السلام: جودة الثياب خيلاء القلب. وقد سئل نبينا عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال ﷺ «لَا وَلَكِنْ مَنْ سَفِهَ الحَقَّ وَغَمَصَ النَّاسَ» (١) فكيف طريق الجمع بينهما؟ فاعلم أنَّ الثوب الجديد ليس من ضرورته أن يكون من التكبر في حق كل أحد في كل حال، وهو الذي أشار إليه رسول الله ﷺ وهو الذي عرفه رسول الله ﷺ من حال ثابت بن قيس إذ قال: إني امرؤ حبب إليَّ من الجمال ما ترى (٢)، فعرف أنَّ ميله إلى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره، فإنه ليس من ضرورته أن يكون من الكبر، وقد يكون ذلك من الكبر كما أنَّ الرضا بالثوب الدون قد يكون من التواضع. وعلامة المتكبر أن يطلب التجمل إذا رآه الناس ولا يبالي إذا انفرد بنفسه كيف كان. وعلامة طالب الجمال أن يحب الجمال في كل شيء ولو في خلوته وحتى في سنور داره، فذلك ليس من التكبر. فإذا انقسمت الأحوال نزل قول عيسى عليه السلام على بعض الأحوال على أنَّ قوله: خيلاء القلب، يعني قد تورث خيلاء في القلب، وقول نبينا ﷺ: «إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الكِبْرِ» يعني أنَّ الكبر لا يوجبه، ويجوز أن لا يوجبه الكبر ثم يكون هو مورثًا للكبر. وبالجملة؛ فالأحوال تختلف في مثل هذا والمحبوب الوسط من اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرداءة. وقد قال ﷺ: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالْبَسُوا وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ سَرَفٍ وَلا مَخِيلَةٍ» (٣). «إِنَّ الله يُحِبُّ أَنْ يُرَى أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ» (٤) وقال بكر بن عبد الله المزني: البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية. وإنما خاطب بهذا قومًا يطلبون التكبر بثياب أهل الصلاح. وقد قال عيسى عليه السلام: ما لكم تأتوني وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري؟ البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية.

ومنها: أن يتواضع بالاحتمال إذا سب وأوذي وأخذ حقه، فذلك هو الأصل. وقد أوردنا ما نقل عن السلف من احتمال الأذى في كتاب الغضب والحسد. وبالجملة، فمجامع حسن الأخلاق والتواضع سيرة النبي ﷺ فيه فينبغي أن يقتدى به، ومنه ينبغي أن يتعلم. وقد قال أبو سلمة: قلت لأبي سعيد الخدري ما ترى فيما أحدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم؟ فقال: يا ابن أخي كل لله واشرب لله والبس لله، وكل شيء من ذلك دخله زهو أو مباهاة أو رياء أو سمعة فهو معصية وسرف، وعالج في بيتك من الخدمة ما كان يعالج

---

(١) صحيح: حديث: سئل عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر؟ فقال «لا». الحديث تقدم غير مرة. [انظر الصحيحة: ١٣٤، ١٦٢٦، وأصله في مسلم: ٩١].

(٢) صحيح: حديث: إن ثابت بن قيس قال للنبي ﷺ: إني امرؤ حبب إلي الجمال ما ترى. هو الذي قبله سمى فيه السائل وقد تقدم. [انظر صحيح الأدب المفرد: ٤٠٩٢، صحيح أبي داود].

(٣) حسن: حديث «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة». أخرجه النسائي وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.[النسائي: ٢٥٥٩، ابن ماجه: ٣٦٠٥، وانظر صحيح الجامع: ٤٥٠٥، صحيح الترغيب: ٢١٤٥].

(٤) صحيح: حديث «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده». أخرجه الترمذي وحسنه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أيضا وقد جعلهما المصنف حديثا واحدا. [الترمذي: ٢٨١٩، وانظر صحيح الجامع: ١٧١٢، الصحيحة: ١٢٩٠].

رسول اللهﷺ في بيته، كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطحن عنه إذا أعيا، ويشتري الشيء من السوق ولا يمنعه الحياء أن يعلقه بيده أو يجعله في طرف ثوبه، وينقلب إلى أهله يصافح الغني والفقير والكبير والصغير، ويسلم مبتدئًا على كل من استقبله من صغير أو كبير أسود أو أحمر حر أو عبد من أهل الصلاة، ليس له حلة لمدخله وحلة لمخرجه، لا يستحي من أن يجيب إذا دعي وإن كان أشعث أغبر، ولا يحقر ما دعي إليه وإن لم يجد إلا حشف الدقل، لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء، هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس شديد في غير عنف متواضع في غير مذلة جواد من غير سرف رحيم لكل ذي قربى ومسلم، رقيق القلب دائم الإطراق لم يشبع قط من شبع ولا يمد يده من طمع، قال أبو سلمة فدخلت على عائشة رضي الله عنها فحدّثتها بما قال أبو سعيد في زهد رسول اللهﷺ فقالت: ما أخطأ منه حرفًا ولقد قصر إذ ما أخبرك أن رسول اللهﷺ لم يمتلىء قط شبعًا ولم يبث إلى أحد شكوى، وإن كانت الفاقة لأحب إليه من اليسار والغنى، وإن كان ليظل جائعًا يلتوي ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء أن يسأل ربه فيؤتى بكنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها من مشارق الأرض ومغاربها لفعل، وربما بكيت رحمةً له مما أوتي من الجوع فأمسح بطنه بيدي وأقول: نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع؟ فيقول: «يا عائِشَةُ إخْوَانِي مِنْ أُولِي العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ قَدْ صَبَرُوا عَلَى مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هذا فَمَضَوْا عَلَى حَالِهِمْ وَقَدِمُوا عَلَى رَبِّهِمْ فَأَكْرَمَ مَآبَهُمْ وَأَجْزَلَ ثَوَابَهُمْ فَأَجِدُنِي أَسْتَحِيي إنْ تَرَفَّهْتُ فِي مَعِيشَتِي أَنْ يُقَصِّرَ بِي دُونَهُمْ أَيَّامًا يَسِيرَةً أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ أَنْ يَنْقُصَ حَظِّي غَدًا فِي الآخِرَةِ وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبُّ إلَيَّ مِنَ اللُّحُوقِ بِإخْوَانِي وَأَخِلاَّئِي» . قالت عائشة رضي الله عنها: فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله عز وجل[1] .

فما نقل من أحواله يجمع جملة أخلاق المتواضعين، فمن طلب التواضع فليقتد به، ومن رأى نفسه فوق محله ولم يرض لنفسه بما رضي هو به فما أشدّ جهله فلقد كان أعظم خلق الله منصبًا في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة إلا في الاقتداء به، ولذلك قال عمر رضي الله عنه: إنّا قوم أعزنا الله بالإسلام فلن نطلب العز في غيره، لما عوتب في بذاذة هيئته عند دخوله الشام. وقال أبو الدرداء: اعلم أنّ لله عبادًا يقال لهم الأبدال خلف من الأنبياء هم أوتاد الأرض، فلما انقضت النبوّة أبدل الله مكانهم قومًا من أمة محمد لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر من غير تجبن وتواضع في غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم

---

(١) حديث أبي سعيد الخدري وعائشة: قال الخدري لأبي سلمة عالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول اللهﷺ يعالج في بيته كان يعلف الناضح... الحديث. وفيه: قال أبو سلمة فدخلت على عائشة فحدثتها بذلك عن أبي سعيد فقالت: ما أخطأ ولقد قصر أو ما أخبرك أنه لم يمتلئ قط شبعا... الحديث بطوله لم أقف له على إسناد.

لنفسه، وهم أربعون صدّيقًا أو ثلاثون رجلًا قلوبهم على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه، واعلم يا أخي إنهم لا يلعنون شيئًا ولا يؤذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون أحدًا ولا يحرصون على الدنيا، هم أطيب الناس خيرًا وألينهم عريكةً وأسخاهم نفسًا، علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة، ليسوا اليوم في خشية وغدًا في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة، قلوبهم تصعد ارتياحًا إلى الله واشتياقًا إليه وقدمًا في استباق الخيرات ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢]قال الراوي: فقلت: يا أبا الدرداء ما سمعت بصفة أشدّ عليّ من تلك الصفة وكيف لي أن أبلغها؟ فقال: ما بينك وبين أن تكون في أوسعها إلا أن تكون تبغض الدنيا، فإنك إذا أبغضت الدنيا أقبلت على حب الآخرة، وبقدر حبك للآخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك، وإذا علم الله من عبد حسن الطلب أفرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة، واعلم يا ابن أخي أنّ ذلك في كتاب الله تعالى المنزل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل: ١٢٨]قال يحيى بن كثير: فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته. اللهم اجعلنا من محبي المحبين لك يا رب العالمين فإنه لا يصلح لحبك إلا من ارتضيته.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع له:

اعلم أن الكبر من المهلكات ولا يخلو أحد من الخلق عن شيء منه، وإزالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة واستعمال الأدوية القامعة له. وفي معالجته مقامان.

أحدهما: استئصال أصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها في القلب.

الثاني: دفع العارض منه بالأسباب الخاصة التي بها يتكبر الإنسان على غيره.

المقام الأوّل: في استئصال أصله، وعلاجه علمي وعملي، ولا يتم الشفاء إلا بمجموعهما:

أما العلمي: فهو أن يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى ويكفيه ذلك في إزالة الكبر، فإنه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل، وأنه لا يليق به إلا التواضع والذلة والمهانة، وإذا عرف ربه علم أنه لا تليق العظمة والكبرياء إلا بالله، أما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفة، وأما معرفته نفسه فهو أيضًا يطول ولكنا نذكر من ذلك ما ينفع في إثارة التواضع والمذلة، ويكفيه أن يعرف معنى آية واحدة في كتاب الله فإن في القرآن علم الأوّلين والآخرين لمن فتحت بصيرته، وقد قال الله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ٢٢﴾ [عبس:١٧-٢٢]فقد أشارت الآية إلى أول خلق الإنسان وإلى آخر أمره وإلى وسطه،

فلينظر الإنسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية. أما أول الإنسان فهو أنه لم يكن شيئًا مذكورًا وقد كان في حيز العدم دهورًا بل لم يكن لعدمه أول وأي شيء أخس وأقل من المحو والعدم؟ وقد كان كذلك في القدم، ثم خلقه الله من أرذل الأشياء، ثم من أقذرها إذ قد خلقه من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم جعله عظمًا، ثم كسا العظم لحمًا، فقد كان هذا بداية وجوده حيث كان شيئًا مذكورًا، فما صار شيئًا مذكورًا إلا وهو على أخس الأوصاف والنعوت إذ لم يخلق في ابتدائه كاملًا بل خلقه جمادًا ميتًا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم، فبدأ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوّته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وببكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته. فهذا معنى قوله: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس:١٨-١٩] ومعنى قوله: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان:١-٢] كذلك خلقه أولًا ثم امتن عليه فقال: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ [عبس:٢٠] وهذا إشارة إلى ما تيسر له في مدّة حياته إلى الموت. وكذلك قال:

﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان: ٢-٣] ومعناه أنه أحياه بعد أن كان جمادًا ميتًا ترابًا أولًا ونطفة ثانيًا، وأسمعه بعد ما كان أصم، وبصره بعد ما كان فاقدًا للبصر، وقوّاه بعد الضعف، وعلّمه بعد الجهل، وخلق له الأعضاء بما فيها من العجائب والآيات بعد الفقد لها، وأغناه بعد الفقر، وأشبعه بعد الجوع، وكساه بعد العري، وهداه بعد الضلال. فانظر كيف دبره وصوره، وإلى السبيل كيف يسره، وإلى طغيان الإنسان ما أكفره، وإلى جهل الإنسان كيف أظهره؟ فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس:٧٧]، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم:٢٠] فانظر إلى نعمة اللهعليه كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة إلى هذه الرفعة والكرامة فصار موجود بعد العدم، وحيًا بعد الموت، وناطقًا بعد البكم، وبصيرًا بعد العمى، وقويًا بعد الضعف، وعالمًا بعد الجهل، ومهديًا بعد الضلال، وقادرًا بعد العجز، وغنيًا بعد الفقر؟ فكان في ذاته لا شيء وأي شيء أخس من لا شيء؟ وأي قلة أقل من العدم المحض؟ ثم صار بالله شيئًا. وإنما خلقه من التراب الذليل الذي يوطأ بالأقدام والنطفة القذرة بعد العدم المحض أيضًا ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه، وإنما أكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمته وجلاله وأنه لا يليق الكبرياء إلا به جل وعلا. ولذلك امتن عليه فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد:٨-١٠] وعرف خسته أولًا فقال: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾ [القيامة:٣٧-٣٨] ثم ذكر منته عليه فقال: ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩﴾ [القيامة: ٣٨-٣٩] ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده أولًا بالاختراع.

فمن كان هذا بدؤه وهذه أحواله فمن أين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على

التحقيق أخس الأخساء وأضعف الضعفاء؟ ولكن هذه عادة الخسيس إذا رفع من خسته شمخ بأنفه وتعظم، وذلك لدلالة خسة أوله ولا حول ولا قوة إلا بالله. نعم لو أكمله وفوّض إليه أمره وأدام له الوجود باختياره لجاز أن يطغى وينسى المبدأ والمنتهى، ولكنه سلط عليه في دوام وجوده الأمراض الهائلة والأسقام العظيمة والآفات المختلفة والطباع المتضادة، من المرّة والبلغم والريح والدم يهدم البعض من أجزائه البعض، شاء أم أبى رضي أم سخط، فيجوع كرهًا ويعطش كرهًا ويمرض كرهًا ويموت كرهًا، لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا ولا خيرًا ولا شرًا، يريد أن يعلم الشيء فيجهله، ويريد أن يذكر الشيء فينساه ويريد أن ينسى الشيء ويغفل عنه فلا يغفل عنه، ويريد أن يصرف قلبه إلى ما يهمه فيجول في أودية الوساوس والأفكار بالاضطرار، فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه، ويشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه، ويكره الشيء وربما تكون حياته فيه، يستلذ الأطعمة وتهلكه وترديه، ويستبشع الأدوية وهي تنفعه وتحييه، ولا يأمن في لحظة من ليله أو نهاره أن يسلب سمعه وبصره وتفلج أعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه، فهو مضطرّ ذليل إن ترك بقي وإن اختطف فني، عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا شيء من غيره، فأي شيء أذل منه لو عرف نفسه؟ وأنّى يليق الكبر به لولا جهله؟ فهذا أوسط أحواله فليتأمله.

وأما آخره ومورده فهو الموت المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢١-٢٢] ومعناه أنه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وإدراكه وحركته، فيعود جمادًا كما كان أوّل مرة، لا يبقى إلا شكل أعضائه وصورته لا حس فيه ولا حركة، ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قذرةً كما كان في الأوّل نطفة مذرة، ثم تبلى أعضاؤه وتتفتت أجزاؤه وتنخر عظامه ويصير رميمًا رفاتًا، ويأكل الدود أجزاءه فيبتدىء بحدقتيه فيقلعهما وبخدّيه فيقطعهما، وبسائر أجزائه فيصير روثًا في أجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل إنسان ويهرب منه لشدّة الإنتان، وأحسن أحواله أن يعود إلى ما كان فيصير ترابًا يعمل منه الكيزان ويعمر منه البنيان، فيصير مفقودًا بعد ما كان موجودًا. وصار كأن لم يغن بالأمس حصيدًا كما كان في أوّل أمره أمدًا مديدًا، وليته بقي كذلك فما أحسنه لو ترك ترابًا. لا بل يحييه بعد طول البلى ليقاسي شديد البلاء، فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرّقة، ويخرج إلى أهوال القيامة فينظر إلى قيامة قائمة وسماء مشققة ممزقة وأرض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة وأحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجهنم تزفر وجنة ينظر إليها المجرم فيتحسر، ويرى صحائف منشورة فيقال له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ [الإسراء: ١٤] فيقول: وما هو فيقال: كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر بأسبابها ملكان رقيبان يكتبان عليك ما كنت تنطق به أو تعمله من قليل وكثير ونقير وقطمير وأكل وشرب وقيام وقعود، قد نسيت ذلك وأحصاه الله عليك فهلم إلى الحساب واستعدّ للجواب أو تساق إلى دار العذاب، فينقطع قلبه فزعًا من هول هذا الخطاب قبل أن تنتشر

الصحيفة ويشاهد ما فيها من مخازيه، فإذا شاهده قال: ﴿يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ﴾ [الكهف:٤٩] فهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس:٢٢] فما لمن هذا حاله والتكبر والتعظم؟ بل ما له وللفرح في لحظة واحدة فضلًا عن البطر والأشر؟ فقد ظهر له أوّل حاله ووسطه ولو ظهر آخره والعياذ بالله تعالى ربما اختار أن يكون كلبًا أو خنزيرًا ليصير مع البهائم ترابًا ولا يكون إنسانًا يسمع خطابًا أو يلقى عذابًا، وإن كان عند الله مستحقًّا للنار فالخنزير أشرف منه وأطيب وأرفع إذ أوله التراب وآخره التراب وهو بمعزل عن الحساب والعذاب، والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق. ولو رأى أهل الدنيا العبد المذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته، ولو وجدوا ريحه لماتوا من نتنه، ولو وقعت قطرة من شرابه الذي يسقى منه في بحار الدنيا لصارت أنتن من الجيفة، فمن هذا حاله في العاقبة ، إلا أن يعفو الله عنه وهو على شك من العفو ، كيف يفرح ويبطر وكيف يتكبر ويتجبر وكيف يرى نفسه شيئًا حتى يعتقد له فضلًا؟ وأي عبد لم يذنب ذنبًا استحق به العقوبة إلا أن يعفو الله الكريم بفضله ويجبر الكسر بمنه، والرجاء منه ذلك لكرمه وحسن الظنّ به ولا قوة إلا بالله. أرأيت من جنى على بعض الملوك فاستحق بجنايته ضرب ألف سوط فحبس إلى السجن وهو ينتظر أن يخرج إلى العرض وتقام عليه العقوبة على ملأ من الخلق وليس يدري أيعفى عنه أم لا؟

كيف يكون ذله في السجن أفترى أنه يتكبر على من في السجن؟ وما من عبد مذنب إلا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدري كيف يكون آخر أمره؟ فيكفيه ذلك حزنًا وخوفًا وإشفاقًا ومهانة وذلًّا. فهذا هو العلاج العلمي القامع لأصل الكبر.

وأما العلاج العملي فهو التواضع لله بالفعل ولسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق المتواضعين، كما وصفناه وحكيناه من أحوال الصالحين ومن أحوال رسول الله ﷺ حتى إنه كان يأكل على الأرض ويقول: «إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ العَبْدُ» (١)، وقيل لسلمان. لم لا تلبس ثوبًا جديدًا؟ فقال: إنما أنا عبد فإذا أعتقت يومًا لبست جديدًا أشار به إلى العتق في الآخرة. ولا يتم التواضع بعد المعرفة إلا بالعمل، ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالإيمان وبالصلاة جميعًا، وقيل: الصلاة عماد الدين، وفي الصلاة أسرار لأجلها كانت عمادًا، ومن جملتها ما فيها من التواضع بالمثول قائمًا وبالركوع والسجود، وقد كانت العرب قديمًا يأنفون من الإنحناء، فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحني لأخذه، وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لإصلاحه، حتى قال حكيم بن حزام: بايعت النبي ﷺ على أن لا أخرّ إلا قائمًا فبايعه النبي ﷺ، ثم فقه وكمل إيمانه بعد ذلك (٢)، فلما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة والضعة أمروا

(١) ضعيف: حديث: كان يأكل على الأرض ويقول «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد». تقدم في آداب المعيشة. [انظر ضعيف الجامع: ٢٠٥٣، الضعيفة: ٣٢١٩].

(٢) صحيح: حديث حكيم بن حزام: بايعت رسول الله ﷺ على أن لا أخر إلا قائما. الحديث رواه أحمد

به لتنكسر بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم، وبه أمر سائر الخلق، فإن الركوع والسجود والمثول قائمًا هو العمل الذي يقتضيه التواضع، فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الأفعال فليواظب على نقيضه حتى يصير التواضع له خلقًا، فإن القلوب لا تتخلق بالأخلاق المحمودة إلا بالعلم والعمل جميعًا، وذلك لخفاء العلاقة بين القلوب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم الملكوت.

المقام الثاني: فيما يعرض من التكبر بالأسباب السبعة المذكورة، وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه أن الكمال الحقيقي هو العلم والعمل، فأما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمي فمن هذا يعسر على العالم أن لا يتكبر، ولكنا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الأسباب السبعة.

الأوّل: النسب فيمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداوِ قلبه بمعرفة أمرين.

أحدهما: أن هذا جهل من حيث إنه تعزز بكمال غيره، ولذلك قيل:

لئن فخرت بآباءٍ ذوي شرفٍ ... لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

فالمتكبر بالنسب إن كان خسيسًا في صفات ذاته فمن أين يجبر خسته بكمال غيره؟

بل لو كان الذي ينسب إليه حيًّا لكان له أن يقول: الفضل لي: ومن أنت وإنما أنت دودة خلقت من بولي؟ أفترى أن الدودة التي خلقت من بول إنسان أشرف من الدودة التي من بول فرس؟ هيهات بل هما متساويان والشرف للإنسان لا للدودة.

الثاني: أن يعرف نسبه الحقيقي، فيعرف أباه وجده فإن أباه القريب نطفة قذرة وجدّه البعيد تراب ذليل، وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾[السجدة:٧-٨] فمن أصله التراب المهين الذي يداس بالأقدام ثم خمر طينة حتى صار حمًا مسنونًا كيف يتكبر؟ وأخس الأشياء ما إليه انتسابه إذ يقال يا أذل من التراب ويا أنتن من الحمأة ويا أقذر من المضغة.

فإن كان كونه من أبيه أقرب من كونه من التراب فنقول: افتخر بالقريب دون البعيد، فالنطفة والمضغة أقرب إليه من الأب فليحقر نفسه بذلك، ثم إن كان ذلك يوجب رفعة لقربه فالأب الأعلى من التراب فمن أين رفعته؟ وإذا لم يكن له رفعة فمن أين جاءت الرفعة لولده؟ فإذن أصله من التراب وفصله من النطفة فلا أصل له ولا فصل وهذه غاية خسة النسب فالأصل يوطأ بالأقدام والفضل تغسل منه الأبدان. فهذا هو النسب الحقيقي للإنسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة أصله كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم وقد أخبره بذلك والداه، فلم يزل فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك إذ أخبره عدول لا يشك في قولهم أنه ابن هندي حجام يتعاطى القاذورات، وكشفوا له وجه

مقتصرا على هذا وفيه إرسال خفي. [قلت: هو عند النسائي: ١٠٨٤، وانظر صحيح النسائي].

التلبيس عليه فلم يبق له شك في صدقهم، أفترى أن ذلك يبقي شيئًا من كبره؟ لا بل يصير عند نفسه أحقر الناس وأذلهم فهو من استشعار الخزي لخسته في شغل عن أن يتكبر على غيره. فهذا حال البصير إذا تفكر في أصله وعلم أنه من النطفة والمضغة والتراب، إذ لو كان أبوه ممن يتعاطى نقل التراب أو يتعاطى الدم بالحجامة أو غيرها لكان يعلم به خسة نفسه لمماسة أعضاء أبيه للتراب والدم، فكيف إذا عرف أنه في نفسه من التراب والدم والأشياء القذرة التي يتنزه عنها هو في نفسه؟.

السبب الثاني: التكبر بالجمال، ودواؤه أن ينظر إلى الظاهر نظر العقلاء ولا ينظر إلى باطنه نظر البهائم. ومهما نظر إلى باطنه رأى من القبائح ما يكدر عليه تعززه بالجمال فإنه وكل به الأقذار في جميع أجزائه:

الرجيع في أمعائه، والبول في مثانته، والمخاط في أنفه، والبزاق في فيه، والوسخ في أذنيه، والدم في عروقه، والصديد تحت بشرته، والصنان تحت إبطه، يغسل الغائط بيده كل يوم دفعة أو دفعتين، ويتردد كل يوم إلى الخلاء مرة أو مرتين ليخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلًا عن أن يمسه أو يشمه، كل ذلك ليعرف قذارته وذله هذا في حال توسطه.

وفي أول أمره خلق من الأقذار الشنيعة الصور، من النطفة ودم الحيض، وأخرج من مجرى الأقذار. إذ خرج من الصلب، ثم من الذكر مجرى البول، ثم من الرحم مفيض دم الحيض، ثم خرج من مجرى القذر. قال أنس رحمه الله: كان أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه يخطبنا فيقذر إلينا أنفسنا ويقول: خرج أحدكم من مجرى البول مرتين: وكذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز. ما هذه مشية من في بطنه خراء؟ إذ رآه يتبختر، وكان ذلك قبل خلافته وهذا أوّله ووسطه.

ولو ترك نفسه في حياته يومًا لم يتعهدها بالتنظيف والغسل لثارت منه الأنتان والأقذار، وصار أنتن وأقذر من الدواب المهملة التي لا تتعهد نفسها قط. فإذا نظر إنه خلق من أقذار وأسكن في أقذار، وسيموت فيصير جيفة أقذر من سائر الأقذار لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن وكلون الأزهار في البوادي، فبينما هو كذلك إذ صار هشيمًا تذروه الرياح، كيف ولو كان جماله باقيًا وعن هذه القبائح خاليًا لكان يجب أن لا يتكبر به على القبيح، إذ لم يكن قبح القبيح إليه فينفيه، ولا كان جمال الجميل إليه حتى يحمد عليه؟ كيف ولا بقاء له بل هو في كل حين يتصوّر أن يزول بمرض أو جدري أو قرحة أو سبب من الأسباب؟ فكم من وجوه جميلة قد سمجت بهذه الأسباب؟ فمعرفة هذه الأمور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن أكثر تأملها.

السبب الثالث: التكبر بالقوّة والأيدي، ويمنعه من ذلك أن يعلم ما سلط عليه من العلل والأمراض، وأنه لو توجع عرق واحد في يده لصار أعجز من كل عاجز وأذل من كل ذليل، وأنه لو سلبه الذباب شيئًا لم يستنقذه منه وأن بقة لو دخلت في أنفه أو نملة دخلت في أذنه لقتلته،

وأن شوكة لو دخلت في رجله لأعجزته، وأن حمى يوم تحلل من قوّته ما لا ينجبر في مدّة. فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على أنّ يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغي أن يفتخر بقوّته ثم إن قوي الإنسان فلا يكون أقوى من حمار أو بقرة أو فيل أو جمل، وأي افتخار في صفة يسبقك فيها البهائم؟.

السبب الرابع والخامس: الغنى وكثرة المال، وفي معناه كثرة الأتباع والأنصار والتكبر بولاية السلاطين والتمكن من جهتهم، وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الإنسان كالجمال والقوّة والعلم. وهذا أقبح أنواع الكبر، فإن المتكبر بماله كأنه متكبر بفرسه وداره، ولو مات فرسه وانهدمت داره لعاد ذليلًا، والمتكبر بتمكين السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بنى أمره على قلب هو أشدّ غليانًا من القدر، فإن تغير عليه كان أذل الخلق، وكل متكبر بأمر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل، كيف والمتكبر بالغنى لو تأمل لرأى في اليهود من يزيد عليه في الغنى والثروة والتجمل؟ فأف لشرف يسبقك به اليهودي وأف لشرف يأخذه السارق في لحظة واحدة فيعود صاحبه ذليلًا مفلسًا؟ فهذه أسباب ليست في ذاته، وما هو في ذاته ليس إليه دوام وجوده وهو في الآخرة وبال ونكال، فالتفاخر به غاية الجهل، وكل ما ليس إليك فليس لك، وشيء من هذه الأمور ليس إليك بل إلى واهبه إن أبقاه لك وإن استرجعه زال عنك، وما أنت إلا عبد مملوك لا تقدر على شيء. ومن عرف ذلك لا بد وأن يزول كبره.

ومثاله: أن يفتخر الغافل بقوّته وجماله وماله وحرّيته واستقلاله وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه، إذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بأنه رقيق لفلان وأنّ أبويه كانا مملوكين له، فعلم ذلك وحكم به الحاكم، فجاء مالكه فأخذه وأخذ جميع ما في يده، وهو مع ذلك يخشى أن يعاقبه وينكل به لتفريطه في أمواله وتقصيره في طلب مالكه ليعرف أنّ له مالكًا، ثم نظر العبد فرأى نفسه محبوسًا في منزل قد أحدقت به الحيات والعقارب والهوام وهو في كل حال على وجل من كل واحدة منها، وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقًا في الخلاص ألبتة، أفترى من هذا حاله هل يفخر بقدرته وثروته وقوّته وكماله أم يذل نفسه ويخضع؟ وهذا حال كل عاقل بصير فإنه يرى نفسه كذلك فلا يملك رقبته وبدنه وأعضائه وماله، وهو مع ذلك بين آفات وشهوات وأمراض وأسقام هي كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك. فمن هذا حاله لا يتكبر بقوّته وقدرته إذ يعلم أنه لا قدرة له ولا قوة. فهذا طريق علاج التكبر بالأسباب الخارجة وهو أهون من علاج التكبر بالعلم والعمل، فإنهما كمالان في النفس جديران بأن يفرح بهما، ولكن التكبر بهما أيضًا نوع من الجهل خفي كما سنذكره.

السبب السادس: الكبر بالعلم، وهو أعظم الآفات وأغلب الأدواء وأبعدها عن قبول العلاج إلا بشدّة شديدة وجهد جهيد، وذلك لأن قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس، وهو أعظم من قدر المال والجمال وغيرهما، بل لا قدر لهما أصلًا إلا إذا كان معهما علم وعمل. ولذلك قال كعب الأحبار: إنّ للعلم طغيانًا كطغيان المال. وكذلك قال عمر رضي الله تعالى عنه:

العالِمُ إذا زل زل بزلته عالم فيعجز العالم عن أن لا يستعظم نفسه بالإضافة إلى الجاهل لكثرة ما نطق الشرع بفضائل العلم. ولن يقدر العالم على دفع الكبر إلا بمعرفة أمرين:

أحدهما: أن يعلم أنّ حجة الله على أهل العلم آكد، وأنه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم، فإن من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم فجنايته أفحش، إذ لم يقضِ حق نعمة الله عليه في العلم، ولذلك قال ﷺ «يُؤْتَى بِالعَالِمِ يَوْمَ القِيامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فَيَدُورُ بِها كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِالرَّحَى فَيُطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ مَا لَكَ؟ فَيَقُولُ كُنْتُ آمُرُ بِالخَيْرِ وَلا آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ الشَّرِّ وَآتِيهِ» (١)، وقد مثل الله سبحانه وتعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال عز وجل: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة:٥] أراد به علماء اليهود. وقال في بلعم بن باعوراء: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ حتى بلغ ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف:١٧٦] قال ابن عباس رضي الله عنهما: أوتي بلعم كتابًا فأخلد إلى شهوات الأرض أي سكن حبه إليها فمثله بالكلب: ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف:١٧٦]. أي سواء آتيته الحكمة أو لم أوته لا يدع شهوته، ويكفي العالم هذا الخطر فأي عالم لم يتبع شهوته وأي عالم لم يأمر بالخير الذي لا يأتيه؟ فمهما خطر للعالم عظم قدره بالإضافة إلى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده، فإن خطره أعظم من خطر غيره كما أنّ قدره أعظم من قدر غيره، فهذا بذاك. وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة أعدائه فإنه إذا أخذ وقهر اشتهى أن يكون قد كان فقيرًا، فكم من عالم يشتهي في الآخرة سلامة الجهال؟ والعياذ بالله منه. فهذا الخطر يمنع من التكبر، فإنه إن كان من أهل النار فالخنزير أفضل منه، فكيف يتكبر من هذا حاله؟ فلا ينبغي أن يكون العالم عند نفسه أكبر من الصحابة رضوان الله عليهم وقد كان بعضهم يقول: يا ليتني لم تلدني أمي ويأخذ الآخر تبنة من الأرض ويقول: يا ليتني كنت هذه التبنة ويقول الآخر: ليتني كنت طيرًا أؤكل ويقول الآخر: ليتني لم أك شيئًا مذكورًا كل ذلك خوفًا من خطر العاقبة، فكانوا يرون أنفسهم أسوأ حالًا من الطير ومن التراب. ومما أطال فكره في الخطر الذي هو بصدده زال بالكلية كبره، ورأى نفسه كأنه شر الخلق.

ومثاله مثال عبد أمره سيده بأمور فشرع فيها، فترك بعضها وأدخل النقصان في بعضها وشك في بعضها أنه هل أداها على ما يرتضيه سيده أم لا؟ فأخبره مخبر أنّ سيده أرسل إليه رسولًا يخرجه من كل ما هو فيه عريانًا ذليلًا ويلقيه على بابه في الحرّ والشمس زمانًا طويلًا، حتى إذا ضاق الأمر عليه وبلغ به المجهود أمر برفع حسابه وفتش عن جميع أعماله قليلها وكثيرها ثم أمر

---

(١) صحيح بلفظ: «يؤتى بالرجل»: حديث «يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه .. الحديث». متفق عليه من حديث أسامة بن زيد بلفظ «يؤتى بالرجل» وتقدم في العلم. [البخاري: ٣٢٦٧، مسلم: ٢٩٨٩].

به إلى سجن ضيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة، وقد علم أنّ سيده قد فعل بطوائف عبيده مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا يدري من أي الفريقين يكون؟ فإذا تفكر في ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على أحد من الخلق، بل تواضع رجاء أن يكون هو من شفعائه عند نزول العذاب، فكذلك العالم إذا تفكر فيما ضيعه من أوامر ربه بجنايات على جوارحه وبذنوب في باطنه من الرياء والحقد والحسد والعجب والنفاق وغيره، وعلم بما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لا محالة.

الأمر الثاني: أن العالم يعرف أن الكبر لا يليق إلا بالله عز وجل وحده، وأنه إذا تكبر صار ممقوتًا عند الله بغيضًا، وقد أحب الله منه أن يتواضع وقال له إن لك عندي قدرًا ما لم تر لنفسك قدرًا فإن رأيت لنفسك قدرًا فلا قدر لك عندي، فلا بدّ وأن يكلف نفسه ما يحبه مولاه منه. وهذا يزيل التكبر عن قلبه وإن كان يستيقن أنه لا ذنب له مثلًا أو تصور ذلك. وبهذا زال التكبر عن الأنبياء عليهم السلام إذ علموا أن من نازع الله تعالى في رداء الكبرياء قصمه، وقد أمرهم الله بأن يصغروا أنفسهم حتى يعظم عند الله محلهم، فهذا أيضًا مما يبعثه على التواضع لا محالة.

فإن قلت: فكيف يتواضع للفاسق المتظاهر بالفسق وللمبتدع، وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم عابد، وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى، وكيف يغنيه أن يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم أن خطر الفاسق والمبتدع أكثر؟ فاعلم أن ذلك إنما يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة، بل لو نظر إلى كافر لم يمكنه أن يتكبر عليه، إذ يتصور أن يسلم الكافر فيختم له بالإيمان ويضل هذا العالم فيختم له بالكفر، والكبير من هو كبير عند الله في الآخرة، والكلب والخنزير أعلى رتبة ممن هو عند الله من أهل النار وهو لا يدري ذلك، فكم من مسلم نظر إلى عمر رضي الله عنه قبل إسلامه فاستحقره وازدراه لكفره وقد رزقه الله الإسلام وفاق جميع المسلمين؟ إلا أبا بكر وحده، فالعواقب مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل إلا إلى العاقبة، وجميع الفضائل في الدنيا تراد للعاقبة. فإذن من حق العبد أن لا يتكبر على أحد. بل إن نظر إلى الجاهل قال: هذا عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم فهو أعذر مني. وإن نظر إلى عالم قال: هذا قد علم ما لم أعلم فكيف أكون مثله؟ وإن نظر إلى كبير هو أكبر منه سنًّا قال: هذا قد أطاع الله قبلي فكيف أكون مثله؟ وإن نظر إلى صغير قال: إني عصيت الله قبله فكيف أكون مثله؟ وإن نظر إلى مبتدع أو كافر قال: ما يدريني لعله يختم له بالإسلام ويختم لي بما هو عليه الآن، فليس دوام الهداية إليّ، كما لم يكن ابتداؤها إليّ؟ فبملاحظة الخاتمة يقدر على أن ينفي الكبر عن نفسه، وكل ذلك بأن يعلم أن الكمال في سعادة الآخرة والقرب من الله، لا فيما يظهر في الدنيا مما لا بقاء له، ولعمري هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ولكن حق على كل واحد أن يكون مصروف الهمة إلى نفسه مشغول القلب بخوفه لعاقبته، لا أن يشتغل بخوف غيره، فإن الشفيق بسوء الظن مولع، وشفقة كل إنسان على نفسه. فإذا حبس جماعة في جناية ووعدوا بأن

تضرب رقابهم لم يتفرّغوا لتكبر بعضهم على بعض وإن عمهم الخطر، إذ شغل كل واحد نفسه عن الالتفات إلى هم غيره، حتى كأن كل واحد هو وحده في مصيبته وخطره.

فإن قلت: فكيف أبغض المبتدع في الله وأبغض الفاسق وقد أمرت ببغضهما، ثم مع ذلك أتواضع لهما والجمع بينهما متناقض؟ فاعلم أن هذا أمر مشتبه يلتبس على أكثر الخلق، إذ يمتزج غضبك لله في إنكار البدعة والفسق بكبر النفس والإدلال بالعلم والورع، فكم من عابد جاهل وعالم مغرور إذا رأى فاسقًا جلس بجنبه أزعجه من عنده وتنزه عنه بكبر باطن في نفسه وهو ظان أنه قد غضب لله، كما وقع لعابد بني إسرائيل مع خليعهم؟ وذلك لأن الكبر على المطيع ظاهر كونه شرًّا والحذر منه ممكن، والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فإن الغضبان أيضًا يتكبر على من غضب عليه والمتكبر يغضب، وأحدهما يثمر الآخر ويوجبه، وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما إلا الموفقون.

والذي يخلصك من هذا أن يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع أو الفاسق أو عند أمرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلاثة أمور:

أحدها: التفاتك إلى ما سبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك في عينك.

والثاني: أن تكون ملاحظتك لما أنت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث إنها نعمة من الله تعالى عليك، فله المنة فيه لا لك، فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك، وإذا لم تعجب لم تتكبر.

والثالث: ملاحظة إبهام عاقبتك، وعاقبته أنه ربما يختم لك بالسوء ويختم له بالحسنى، حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه.

فإن قلت: فكيف أغضب مع هذه الأحوال؟ فأقول: تغضب لمولاك وسيدك، إذ أمرك أن تغضب له لا لنفسك، وأنت في غضبك لا ترى نفسك ناجيًا وصاحبك هالكًا، بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك أكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة، وأعرفك ذلك بمثال لتعلم أنه ليس من ضرورة الغضب لله أن تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره فأقول: إذا كان للملك غلام وولد هو قرّة عينه، وقد وكّل الغلام بالولد ليراقبه، وأمره أن يضربه مهما أساء أدبه واشتغل بما لا يليق به، ويغضب عليه. فإن كان الغلام محبًّا مطيعًا لمولاه فلا يجد بدًّا أن يغضب مهما رأى ولده قد أساء الأدب، وإنما يغضب عليه لمولاه ولأنه أمره به، ولأنه يريد التقرّب بامتثال أمره إليه، ولأنه جرى من ولده ما يكره مولاه، فيضرب ولده ويغضب عليه من غير تكبر عليه، بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه؛ لأن الولد أعز لا محالة من الغلام. فإذن ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع، فكذلك يمكنك أن تنظر إلى المبتدع والفاسق وتظنّ أنه ربما كان قدرهما في الآخرة عند الله أعظم، لما سبق لهما من الحسنى في الأزل، ولما سبق لك من سوء القضاء في الأزل وأنت غافل عنه، ومع ذلك فتغضب بحكم الأمر محبة لمولاك إذ جرى ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز أن يكون

عنده أقرب منك في الآخرة. فهكذا يكون بعض العلماء الأكياس فينضم إليه الخوف والتواضع. وأما المغرور فإنه يتكبر ويرجو لنفسه أكثر مما يرجوه لغيره مع جهله بالعاقبة، وذلك غاية الغرور. فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله أو اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الأمر.

السبب السابع: التكبر بالورع والعبادة، وذلك أيضًا فتنة عظيمة على العباد، وسبيله أن يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو أن يعلم أن من يتقدّم عليه بالعلم لا ينبغي أن يتكبر عليه كيفما كان لما عرفه من فضيلة العلم، وقد قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩] وقال ﷺ: «فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِي» (١)، إلى غير ذلك مما ورد في فضل العلم.

فإن قال العابد: ذلك لعالم عامل بعلمه وهذا عالم فاجر، فيقال له: أما عرفت أنّ الحسنات يذهبن السيئات، وكما أنّ العلم يمكن أن يكون حجة على العالم، فكذلك يمكن أن يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه، وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الأخبار بما يشهد لذلك، وإذا كان هذا الأمر غائبًا عنه لم يجز له أن يحتقر عالمًا بل يجب عليه التواضع له.

فإن قلت: فإن صح هذا فينبغي أن يكون للعالم أن يرى نفسه فوق العابد لقوله عليه السلام: «فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِي» ؟ فاعلم أن ذلك كان ممكنًا لو علم عاقبة أمره، وخاتمة الأمر مشكوك فيها، فيحتمل أن يموت بحيث يكون حاله عند الله أشد من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان يحسبه هينًا وهو عند الله عظيم وقد مقته به، وإذا كان هذا ممكنًا كان على نفسه خائفًا، فإذا كان كل واحد من العابد والعالم خائفًا على نفسه وقد كلف أمر نفسه لا أمر غيره، فينبغي أن يكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجاء، وذلك يمنعه من التكبر بكل حال. فهذا العابد مع العالم، فأما مع غير العالم فهم منقسمون في حقه إلى مستورين وإلى مكشوفين، فينبغي أن لا يتكبر على المستور فلعله أقل منه ذنوبًا وأكثر منه عبادةً وأشد منه حبًا لله، وأما المكشوف حاله إن لم يظهر لك من الذنوب إلا ما تزيد عليه ذنوبك في طول عمرك. فلا ينبغي أن تتكبر عليه، ولا يمكن أن تقول هو أكثر مني ذنبًا؛ لأن عدد ذنوبك في طول عمرك وذنوب غيرك في طول العمر لا تقدر على إحصائها حتى تعلم الكثرة. نعم يمكن أن تعلم أنّ ذنوبه أشد كما لو رأيت منه القتل والشرب والزنى، ومع ذلك فلا ينبغي أن تتكبر عليه إذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والغل واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله تعالى وتخيل الخطأ في ذلك شديد عند الله، فربما جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله ممقوتًا، وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله وإخلاص وخوف وتعظيم ما أنت خال عنه، وقد كَفَّرَ اللهُ بذلك عنه سيئاته، فينكشف الغطاء يوم القيامة فتراه فوق نفسك بدرجات، فهذا ممكن والإمكان

---

(١) صحيح: حديث «فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي». أخرجه الترمذي من حديث أبي أمامة وتقدم في العلم. [انظر صحيح الجامع: ٤٢١٣، صحيح الترغيب: ٨١].

البعيد فيما عليك ينبغي أن يكون قريبًا إن كنت مشفقًا على نفسك، فلا تتفكر فيما هو ممكن لغيرك بل فيما هو مخوف في حقك، فإنه لا تزر وازرة وزر أخرى، وعذاب غيرك لا يخفف شيئًا من عذابك، فإذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن أن ترى نفسك فوق غيرك.

وقد قال وهب بن منبه: ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال، فعدّ تسعة حتى بلغ العاشر فقال: العاشرة وما العاشرة بها شاد مجده وبها علا ذكره، أن يرى الناس كلهمْ خيرًا منه. وإنما الناس عنده فرقتان: فرقة هي أفضل منه وأرفع، وفرقة هي شر منه وأدنى. فهو يتواضع للفرقتين جميعًا بقلبه، إن رأى من هو خير منه سره ذلك وتمنى أن يلحق به، وإن رأى من هو شر منه قال: لعل هذا ينجو وأهلك أنا فلا تراه إلا خائفًا من العاقبة ويقول لعل برّ هذا باطن فذلك خير له، ولا أدري لعل فيه خلقًا كريمًا بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عليه ويختم له بأحسن الأعمال، ويرى ظاهره فذلك شر لي. فلا يأمن فيما أظهره من الطاعة أن يكون دخلها الآفات فأحبطتها، ثم قال: فحينئذٍ كمل عقله وساد أهل زمانه. فهذا كلامه. وبالجملة فمن جوّز أن يكون عند الله شقيًا وقد سبق القضاء في الأزل بشقوته فما له سبيل إلى أن يتكبر بحال من الأحوال.

نعم إذا غلب عليه الخوف رأى كل أحد خيرًا من نفسه وذلك هو الفضيلة، كما روي أن عابدًا آوى إلى جبل فقيل له في النوم: ائت فلانًا الإسكاف فسله أن يدعو لك. فأتاه فسأله عن عمله فأخبره أنه يصوم النهار، ويكتسب فيتصدق ببعضه ويطعم عياله ببعضه، فرجع وهو يقول: إن هذا لحسن، ولكن ليس هذا كالتفرغ لطاعة الله فأتي في النوم ثانيًا فقيل له: ائت فلانًا الإسكاف فقل له: ما هذا الصفار الذي بوجهك؟ فأتاه فسأله فقال له: ما رأيت أحدًا من الناس إلا وقع لي: أنه سينجو وأهلك أنا، فقال العابد: بهذه.

والذي يدل على فضيلة هذه الخصلة قوله تعالى: ﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون:٦٠] أي أنهم يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون:٥٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور:٢٦] وقد وصف الله تعالى الملائكة عليهم السلام مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادات على الدؤوب بالإشفاق، فقال تعالى مخبرًا عنهم: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء:٢٠]، ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٢٨] فمتى زال الإشفاق والحذر مما سبق به القضاء في الأزل، وينكشف عند خاتمة الأجل، غلب الأمن من مكر الله وذلك يوجب وهو سبب الهلاك. فالكبر دليل الأمن والأمن مهلك. والتواضع دليل الخوف وهو مسعد، فإذن ما يفسده العابد بإضمار الكبر واحتقار الخلق والنظر إليهم بعين الاستصغار أكثر مما يصلحه بظاهر الأعمال. فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب لا غير، إلا أن النفس بعد هذه المعرفة قد تضمر التواضع وتدعي البراءة من

الكبر وهي كاذبة، فإذا وقعت الواقعة عادت إلى طبعها ونسيت وعدها، فعلى هذا لا ينبغي أن يكتفي في المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغي أن تكمل بالعمل وتجرب بأفعال المتواضعين في مواقع هيجان الكبر في النفس.

وبيانه أن يمتحن النفس بخمس امتحانات هي أدلة على استخراج ما في الباطن وإن كانت الامتحانات كثيرة.

الامتحان الأول: أن يناظر في مسألة مع واحد من أقرانه، فإن ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه وإخراجه الحق، فذلك يدل على أن فيه كبرًا دفينًا فليتق الله فيه ويشتغل بعلاجه. أما من حيث العلم فبأن يذكر نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته وأن الكبر لا يليق إلا بالله تعالى. وأما العمل فبأن يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق وأن يطلق اللسان بالحمد والثناء، ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول: ما حسن ما فطنت له وقد كنت غافلًا عنه فجزاك الله خيرًا كما نبهتني له فالحكمة ضالة المؤمن فإذا وجدها ينبغي أن يشكر من دله عليها. فإذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعًا، وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله، ومهما ثقل عليه الثناء على أقرانه بما فيهم ففيه كبر، فإن كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل عليه في الملأ فليس فيه كبر وإنما فيه رياء، فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس، ويذكر القلب بأن منفعته في كماله في ذاته وعند الله لا عند الخلق، إلى غير ذلك من أدوية الرياء.

وإن ثقل عليه في الخلوة والملأ جميعًا ففيه الكبر والرياء جميعًا، ولا ينفعه الخلاص من أحدهما ما لم يتخلص من الثاني. فليعالج كلا الداءين فإنهما جميعًا مهلكان.

الامتحان الثاني: أن يجتمع مع الأقران والأمثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس في الصدور تحتهم، فإن ثقل عليه ذلك فهو متكبر، فليواظب عليه تكلفًا حتى يسقط عنه ثقله، فبذلك يزايله الكبر وههنا للشيطان مكيدة وهو أن يجلس في صف النعال أو يجعل بينه وبين الأقران بعض الأرذال فيظن أن ذلك تواضع وهو عين الكبر، فإن ذلك يخفّ على نفوس المتكبرين إذ يوهمون أنهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل، فيكون قد تكبر وتكبر بإظهار التواضع أيضًا، بل ينبغي أن يقدم أقرانه ويجلس بينهم بجنبهم ولا ينحط عنهم إلى صف النعال، فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن.

الامتحان الثالث: أن يجيب دعوة الفقير ويمر إلى السوق في حاجة الرفقاء والأقارب، فإن ثقل عليه فهو كبر، فإن هذه الأفعال من مكارم الأخلاق والثواب عليها جزيل، فنفور النفس عنها ليس إلا لخبث في الباطن، فليشتغل بإزالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر.

الامتحان الرابع: أن يحمل حاجة نفسه وحاجة أهله ورفقائه من السوق إلى البيت، فإن أبت نفسه ذلك فهو كبر أو رياء، فإن كان يثقل ذلك عليه مع خلوّ الطريق فهو كبر، وإن كان لا

يثقل عليه إلا مع مشاهدة الناس فهو رياء، وكل ذلك من أمراض القلب وعلله المهلكة له إن لم تتدارك، وقد أهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الأجساد مع أن الأجساد قد كتب عليها الموت لا محالة، والقلوب لا تدرك السعادة إلا بسلامتها إذ قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٩] . ويروى عن عبد الله بن سلام أنه حمل حزمة حطب فقيل له يا أبا يوسف: قد كان في غلمانك وبنيك ما يكفيك قال: أجل ولكن أردت أن أجرب نفسي هل تنكر ذلك؟ فلم يقنع منها بما أعطته من العزم على ترك الأنفة حتى جرّبها أهي صادقة أم كاذبة؟ وفي الخبر: «من حمل الفاكهة أو الشيء فقد برىء من الكبر» (١).

الامتحان الخامس: أن يلبس ثيابًا بذلة، فإن نفور النفس عن ذلك في الملأ رياء وفي الخلوة كبر. وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه له مسح يلبسه بالليل، وقد قال ﷺ: «مَنْ اعْتَقَلَ البَعِيرَ وَلَبِسَ الصُّوفَ فَقَدْ بَرِىءَ مِنَ الكِبْرِ» (٢)، وقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّما أَنَا عَبْدٌ آكُلُ بِالأَرْضِ وَأَلْبَسُ الصُّوفَ وَأَعْقِلُ البَعِيرَ وَأَلْعَقُ أَصَابِعِي وَأُجِيبُ دَعْوَةَ المَمْلُوكِ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» (٣). وروي أنّ أبا موسى الأشعري قيل له إنّ أقوامًا يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم، فلبس عباءة فصلى فيها بالناس. وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فيما يختص بالملأ فهو الرياء، وما يكون في الخلوة فهو الكبر؛ فاعرف فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه، ومن لا يدرك المرض لا يداويه.

بيان غاية الرياضة في خلق التواضع:

اعلم أن هذا الخلق كسائر الأخلاق له طرفان وواسطة: فطرفه الذي يميل إلى الزيادة يسمى تكبرًا، وطرفه الذي يميل إلى النقصان يسمى تخاسسًا ومذلة، والوسط يسمى تواضعًا. والمحمود أن يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس، فإن كلا طرفي الأمور ذميم وأحب الأمور إلى الله تعالى أوساطها. فمن يتقدم على أمثاله فهو متكبر ومن يتأخر عنهم فهو متواضع: أي وضع شيئًا من قدره الذي يستحقه. والعالم إذا دخل عليه إسكاف فتنحى له عن مجلسه وأجلسه فيه ثم تقدم وسوّى له نعله وغدا إلى باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل، وهذا أيضًا غير محمود بل المحمود عند الله العدل، وهو أن يعطي كل ذي حق حقه، فينبغي أن يتواضع بمثل هذا لأقرانه ومن يقرب من درجته، فأما تواضعه للسوقي فبالقيام والبشر في الكلام والرفق في السؤال وإجابة دعوته والسعي في حاجته وأمثال ذلك، وأن لا يرى نفسه خيرًا منه بل يكون على نفسه أخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة أمره. فإذن سبيله في

---

(١) ضعيف: حديث «من حمل الشيء والفاكهة فقد برئ من الكبر». أخرجه البيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة وضعفه بلفظ «من حمل بضاعته».[انظر ضعيف الجامع: ٥٥٦٧].

(٢) حديث «من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر». أخرجه البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بزيادة فيه وفي إسناده القاسم اليعمري ضعيف جدا.

(٣) حديث «إنما أنا عبد آكل بالأرض وألبس الصوف .. الحديث». تقدم بعضه ولم أجد بقيته.

اكتساب التواضع أن يتواضع للأقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود في محاسن العادات ليزول به الكبر عنه، فإن خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع، وإن كان يثقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكلف لا متواضع، بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية، فإن خف ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى أحب التملق والتخاسس، فقد خرج إلى طرف النقصان فليرفع نفسه إذ ليس للمؤمن أن تذل نفسه إلى أن يعود إلى الوسط الذي هو الصراط المستقيم، وذلك غامض في هذا الخلق وفي سائر الأخلاق. والميل عن الوسط إلى طرف النقصان وهو التملق أهون من الميل إلى طرف الزيادة بالتكبر، كما أنّ الميل إلى طرف التبذير في المال أحمد عند الناس من الميل إلى طرف البخل، فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان وأحدهما أفحش، وكذلك نهاية التكبر ونهاية التنقص والتذلل مذمومان وأحدهما أقبح من الآخر. والمحمود المطلق هو العدل ووضع الأمور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب كما لا يعرف ذلك بالشرع والعادة ولنقتصر على هذا القدر من بيان أخلاق الكبر والتواضع.

الشطر الثاني من الكتاب في العجب: وفيه بيان ذم العجب وآفاته، وبيان حقيقة العجب والإدلال وحدّهما، وبيان علاج العجب على الجملة، وبيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه.

بيان ذم العجب وآفاته:

اعلم أن العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنّة رسوله . قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة:٢٥] ذكر ذلك في معرض الإنكار، وقال عز وجل: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر:٢] فرد على الكفار في إعجابهم بحصونهم وشوكتهم، وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٤] ، وهذا أيضًا يرجع إلى العجب بالعمل. وقد يعجب الإنسان بعمل هو مخطىء فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه. وقال ﷺ: «ثَلاثٌ مُهْلِكاتٌ شُحٌّ مُطَاعٌ وَهَوًى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ المَرْءِ بِنَفْسِهِ» (١)، «وقال ﷺ لأبي ثعلبة، حيث ذكر آخر هذه الأمة فقال: «إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوى متبعًا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك» (٢). وقال ابن مسعود: الهلاك في اثنتين القنوط والعجب. وإنما جمع بينهما لأن السعادة لا تنال إلا بالسعي والطلب والجد والتشمر، والقانط لا يسعى ولا يطلب، والمعجب يعتقد أنه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسعى.

٢٠*بيان ذم العجب وآفاته

(١) حسن: حديث «ثلاث مهلكات .. الحديث». تقدم غير مرة. [انظر صحيح الجامع: ٣٠٣٩، صحيح الترغيب: ٤٥٣].

(٢) ضعيف: حديث أبي ثعلبة «إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك». أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وقد تقدم. [أبو داود: ٤٣٤١، الترمذي: ٣٠٥٨، وانظر ضعيف الجامع: ٢٣٤٤، ضعيف الترغيب: ١٨٤٦].

فالموجود لا يطلب، والمحال لا يطلب، والسعادة موجودة في اعتقاد المعجب حاصلة له ومستحيلة في اعتقاد القانط، فمن ههنا جمع بينهما. وقد قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم:٣٢] قال ابن جريج: معناه إذا عملت خيرًا فلا تقل عملت. وقال زيد بن أسلم: لا تبروها، أي لا تعتقدوا أنها بارة وهو معنى العجب. ووقى طلحة رسول الله يوم أحد بنفسه فأكب عليه حتى أصيبت كفه، فكأنه أعجبه فعله العظيم إذ فداه بروحه حتى جرح، فتفرس ذلك عمر فيه فقال: ما زال يعرف في طلحة نأو منذ أصيبت أصبعه مع رسول الله ﷺ (١) والنأو: هو العجب، في اللغة، إلا أنه لم ينقل فيه أنه أظهره واحتقر مسلمًا ولما كان وقت الشورى قال له ابن عباس: أين أنت من طلحة؟ قال: ذلك رجل فيه نخوة. فإذا كان لا يتخلص من العجب أمثالهم فكيف يتخلص الضعفاء إن لم يأخذوا حذرهم؟ وقال مطرف: لأن أبيت نائمًا وأصبح نادمًا أحب إليّ من أبيت قائمًا وأصبح معجبًا. وقال ﷺ: «لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَخِشِيتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذلِكَ العُجْبُ العُجْبُ» (٢)، فجعل العجب أكبر الذنوب. وكان بشر بن منصور من الذين إذا رءوا ذكر الله تعالى والدار الآخرة لمواظبته على العبادة، فأطال الصلاة يومًا ورجل خلفه ينظر ففطن له بشر، فلما انصرف عن الصلاة قال له: لا يعجبنك ما رأيت مني، فإن إبليس لعنه الله قد عبد الله تعالى مع الملائكة مدّة طويلة ثم صار إلى ما صار إليه. وقيل لعائشة رضي الله عنها: متى يكون الرجل مسيئًا؟ قالت: إذا ظن أنه محسن، وقد قال تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٤] والمن نتيجة استعظام الصدقة، واستعظام العمل هو العجب. فظهر بهذا أن العجب مذموم جدًّا.

بيان آفة العجب:

اعلم أنّ آفات العجب كثيرة، فإن العجب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه ، كما ذكرناه ، فيتولد من العجب الكبر، ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى، هذا مع العباد، وأما مع الله تعالى فالعجب يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها، فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه أنه مستغن عن تفقدها فينساها، وما يتذكره منها فيستصغره ولا يستعظمه فلا يجتهد في تداركه وتلافيه بل يظن أنه يغفر له. وأما العبادات والأعمال فإنه يستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها، وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها، ثم إذا أعجب بها عمي عن آفاتها. ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سعيه ضائعًا، فإنّ الأعمال الظاهرة إذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب قلما تنفع، وإنما يتفقد من يغلب عليه الإشفاق والخوف دون العجب، والمعجب يغتر

---

(١) صحيح: حديث «وقى طلحة رسول الله ﷺ بنفسه وأكب عليه حتى أصيبت كفه». أخرجه البخاري من رواية قيس بن أبي حازم قال: رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي ﷺ. [البخاري : ٤٠٦٣].

(٢) حسن: حديث «لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب». أخرجه البزار وابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث أنس وفيه سلام ابن أبي الصهباء قال البخاري منكر الحديث. وقال أحمد حسن ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف جدا. [انظر صحيح الجامع: ٥٣٠٣].

بنفسه وبرأيه ويأمن مكر الله وعذابه، ويظن أنه عند الله بمكان وأنّ له عند الله منةً وحقًّا بأعماله التي هي نعمة وعطية من عطاياه، ويخرجه العجب إلى أن يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها، وإن أعجب برأيه وعمله وعقله منع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبدّ بنفسه ورأيه ويستنكف من سؤال من هو أعلم منه، وربما يعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره، ولا يفرح بخواطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ، بل ينظر إلى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطئه، فإن كان رأيه في أمر دنيوي فيحقق فيه، وإن كان في أمر ديني لا سيما فيما يتعلق بأصول العقائد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال أهل البصيرة لكان ذلك يوصله إلى الحق. فهذا وأمثاله من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات، ومن أعظم آفاته أن يفتر في السعي لظنه أنه قد فاز وأنه قد استغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه. نسأل الله تعالى العظيم حسن التوفيق لطاعته.

بيان حقيقة العجب والإدلال وحدّهما:

اعلم أنّ العجب إنما يكون بوصف هو كمال لا محالة، وللعالم بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان.

إحداهما: أن يكون خائفًا على زواله ومشفقًا على تكدّر أو سلبه من أصله فهذا ليس بمعجب.

والأخرى: أن لا يكون خائفًا من زواله لكن يكون فرحًا به من حيث إنه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث إضافته إلى نفسه وهذا أيضًا ليس بمعجب.

وله حالة ثالثة: هي العجب وهي أن يكون غير خائف عليه بل يكون فرحًا به مطمئنًا إليه، ويكون فرحه به من حيث إنه كمال ونعمة وخير ورفعة لا من حيث إنه عطية من الله تعالى ونعمة منه، فيكون فرحه من حيث إنه صفته ومنسوب إليه بأنه له لا من حيث إنه منسوب إلى الله تعالى بأنه منه، فمهما غلب على قلبه إنه نعمة من الله مهما شاء سلبها عنه زال العجب بذلك عن نفسه.

فإذن العجب هو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم. فإن انضاف إلى ذلك أن غلب على نفسه أن له عند الله حقًا وأنه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا، واستبعد أن يجري عليه مكروه استبعادًا يزيد على استبعاده ما يجري على الفساق سمي هذا إدلالًا بالعمل، فكأنه يرى لنفسه على الله دالة، وكذلك قد يعطي غيره شيئًا فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبًا، فإن استخدمه أو اقترح عليه الاقتراحات أو استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلًا عليه.

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر:٦] أي لا تدل بعملك وفي الخبر: «إنّ صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه، ولأن تضحك وأنت معترف بذنبك خير من أن تبكي وأنت

مدل بعملك»[1]، والإدلال وراء العجب. فلا مدل إلا وهو معجب ورب معجب لا يدل، إذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه، والإدلال لا يتم إلا مع توقع جزاء، فإن توقع إجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب منه كان مدلًا بعمله؛ لأنه لا يعجب من رد دعاء الفاسق، ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك، فهذا هو العجب والإدلال وهو من مقدّمات الكبر وأسبابه، والله تعالى أعلم.

بيان علاج العجب على الجملة:

اعلم أن علاج كل علة هو مقابلة سببها بضدّه، وعلة العجب الجهل المحض، فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط، فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق وإصلاحهم؛ فإن العجب بهذا أغلب من العجب بالجمال والقوّة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه.

فنقول: الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب إنما يعجب به من حيث إنه فيه فهو محله ومجراه أو من حيث إنه منه وبسببه وبقدرته وقوّته؛ فإن كان يعجب به من حيث إنه فيه وهو محله ومجراه يجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل، لأن المحل مسخر ومجرى لا مدخل له في الإيجاد والتحصيل، فكيف يعجب بما ليس إليه؟ وإن كان يعجب به من حيث إنه هو منه وإليه وباختياره حصل وبقدرته تم، فينبغي أن يتأمل في قدرته وإرادته وأعضائه وسائر الأسباب التي بها يتم عمله أنها من أين كانت له؟ فإن كان جميع ذلك نعمة من الله عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي أن يكون إعجابه بجود الله وكرمه وفضله، إذ أفاض عليه ما لا يستحق وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فمهما برز الملك لغلمانه ونظر إليهم وخلع من جملتهم على واحد منهم لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا لجماله ولا لخدمة، فينبغي أن يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه وإيثاره من غير استحقاق وإعجابه بنفسه من أين وما سببه؟ ولا ينبغي أن يعجب هو بنفسه. نعم يجوز أن يعجب العبد فيقول: الملك حكم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر إلا لسبب، فلولا أنه تفطن في صفة من الصفات المحمودة الباطنة لما اقتضى الإيثار بالخلعة ولما آثرني بها، فيقال: وتلك الصفة أيضًا هي من خلعة الملك وعطيته التي خصصك بها من غيرك، من غير وسيلة، أو هي عطية غيره؟ فإن كانت من عطية الملك أيضًا لم يكن لك أن تعجب بها، بل كان كما لو أعطاك فرسًا فلم تعجب به. فأعطاك غلامًا فصرت تعجب به وتقول: إنما أعطاني غلامًا لأني صاحب فرس فأما غيري فلا فرس له، فيقال: وهو الذي أعطاك الفرس فلا فرق بين أن يعطيك الفرس والغلام معًا أو يعطيك أحدهما بعد الآخر فإذا كان الكل منه فينبغي أن يعجبك جوده وفضله لا نفسك.

وأما إن كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد أن تعجب بتلك الصفة، وهذا يتصوّر في حق

---

(١) حديث «إن صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه .. الحديث .لم أجد له أصلا.

الملوك ولا يتصوّر في حق الجبار القاهر ملك الملوك المنفرد باختراع الجميع المنفرد بإيجاد الموصوف والصفة، فإنك إن أعجبت بعبادتك وقلت: وفقني للعبادة لحبي له، فيقال: ومن خلق الحب في قلبك؟ فتقول: هو، فيقال: فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتدأك بهما من غير استحقاق من جهتك إذ لا وسيلة لك ولا علاقة، فيكون الإعجاب بجوده إذ أنعم بوجودك ووجود صفاتك وبوجود أعمالك وأسباب أعمالك فإذًا لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني بغناه لأن كل ذلك من فضل الله وإنما هو محل لفيضان فضل الله تعالى وجوده، والمحل أيضًا من فضله وجوده.

فإن قلت: لا يمكنني أن أجهل أعمالي وإني أنا عملتها فإني أنتظر عليها ثوابًا، ولولا أنها عملي لما انتظرت ثوابًا، فإن كانت الأعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن أين لي الثواب؟ وإن كانت الأعمال مني وبقدرته فكيف لا أعجب بها؟ فاعلم أن جوابك من وجهين:

أحدهما: هو صريح الحق.

والآخر: فيه مسامحة.

أما صريح الحق: فهو أنك وقدرتك وإرادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه، فما عملت إذ عملت وما صليت إذ صليت: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] فهذا هو الحق الذي انكشف لأرباب القلوب بمشاهدة أوضح من إبصار العين، بل خلقك وخلق أعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة، وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الإرادة، ولو أردت أن تنفي شيئًا من هذا عن نفسك لم تقدر عليه، ثم خلق الحركات في أعضائك مستبدًا باختراعها من غير مشاركة من جهتك معه في الاختراع، إلا أنه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق في العضو قوة وفي القلب إرادة، ولم يخلق إرادة ما لم يخلق علمًا بالمراد، ولم يخلق علمًا ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم، فتدريجه في الخلق شيئًا بعد شيء هو الذي خيل لك أنك أوجدت عملك وقد غلطت. وإيضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله سيأتي تقريره في كتاب الشكر فإنه أليق به فارجع إليه.

ونحن الآن نزيل إشكالك بالجواب الثاني الذي فيه مسامحة ما، وهو أن تحسب أن العمل حصل بقدرتك فمن أين قدرتك؟ ولا يتصور العمل إلا بوجودك ووجود عملك وإرادتك وسائر أسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك فإن كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه وهذا المفتاح بيد الله، ومهما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل، فالعبادات خزائن بها يتوصل إلى السعادات ومفاتيحها القدرة والإرادة والعلم وهي بيد الله لا محالة. أرأيت لو رأيت خزائن الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن، ولو جلست على بابها وحول حيطانها ألف سنة لم يمكنك أن تنظر إلى دينار مما فيها، ولو أعطاك المفتاح لأخذته من قريب بأن تبسط يدك إليه فتأخذه فقط، فإذا أعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها ومكنك منها فمددت يدك وأخذتها كان إعجابك بإعطاء الخازن المفاتيح أو بما إليك من مدّ اليد وأخذها؟ فلا تشك في

أنك ترى ذلك نعمة من الخازن لأن المؤنة في تحريك اليد بأخذ المال قريبة، وإنما الشأن كله في تسليم المفاتيح. فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الإرادة الجازمة وحركت الدواعي والبواعث وصرف عنك الموانع والصوارف، حتى لم يبق صارف إلا دفع ولا باعث إلا وكّل بك فالعمل هين عليك، وتحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الأسباب كلها من الله ليس شيء منها إليك، فمن العجائب أن تعجب بنفسك ولا تعجب بمن إليه الأمر كله، ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه في إيثاره إياك على الفساق من عباده إذ سلط دواعي الفساد على الفساق وصرفها عنك، وسلط أخدان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك، ومكنك من أسباب الشهوات واللذات وزواها عنك، وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك، حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة من الفاسق العاصي، بل آثرك وقدمك واصطفاك بفضله وأبعد المعاصي وأشقاه بعدله فما أعجب إعجابك بنفسك إذا عرفت ذلك فإذن لا تنصرف قدرتك إلى المقدور إلا بتسليط الله عليك داعية لا تجد سبيلًا إلى مخالفتها، فكأنه الذي اضطرّك إلى الفعل إن كنت فاعلًا تحقيقًا فله الشكر والمنة لا لك ، وسيأتي في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الأسباب والمسببات ما تستبين به أنه لا فاعل إلا الله ولا خالق سواه ، والعجب ممن يتعجب ، إذا رزقه الله عقلًا وأفقره ، ممن أفاض عليه المال من غير علم فيقول: كيف منعني قوت يومي وأنا العاقل الفاضل وأفاض على هذا نعيم الدنيا وهو الغافل الجاهل؟ حتى يكاد يرى هذا ظلمًا، ولا يدري المغرور أنه لو جمع له بين العقل والمال جميعًا لكان ذلك بالظلم أشبه في ظاهر الحال، إذ يقول الجاهل الفقير: يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتني منهما فهلا جمعتهما لي أو هلا رزقتني أحدهما؟ وإلى هذا أشار علي رضي الله عنه حيث قيل له:

ما بال العقلاء فقراء؟ فقال: إنّ عقل الرجل محسوب عليه من رزقه.

والعجب أنّ العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغني أحسن حالًا من نفسه، ولو قيل له: هل تؤثر جهله وغناه عوضًا عن عقلك وفقرك لامتنع عنه فإذن ذلك يدل على أنّ نعمة الله عليه أكبر؛ فلم يتعجب من ذلك؟ والمرأة الحسناء الفقيرة ترى الحلي والجواهر على الدميمة القبيحة فتعجب وتقول: كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخصص مثل ذلك القبح؟ ولا تدري المغرورة أنّ الجمال محسوب عليها من رزقها وأنها لو خيرت بين الجمال وبين القبح مع الغنى لآثرت الجمال؟ فإذن نعمة الله عليها أكبر. وقول الحكيم الفقير العاقل بقلبه: يا رب لم حرمتني الدنيا وأعطيتها الجهال؟ كقول من أعطاه الملك فرسًا فيقول: أيها الملك لم لا تعطيني الغلام وأنا صاحب الفرس؟ فيقول: كنت لا تتعجب من هذا لو لم أعطك الفرس فهب أني ما أعطيتك فرسًا أصارت نعمتي عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة أخرى؟ فهذه أوهام لا تخلو الجهال عنها، ومنشأ جميع ذلك الجهل، ويزال ذلك بالعلم المحقق بأنّ العبد وعمله وأوصافه كل ذلك من عند الله تعالى نعمة ابتدأه بها قبل الاستحقاق، وهذا ينفي العجب والإدلال

ويورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة. ومن عرف هذا لم يتصوّر أن يعجب بعلمه وعمله إذ يعلم أنّ ذلك من الله تعالى، ولذلك قال داود عليه السلام: يا رب ما تأتي ليلة إلا وإنسان من آل داود صائم ، وفي رواية ما تمر ساعة من ليل أو نهار إلا وعابد من آل داود يعبدك إما يصلي وإما يصوم وإما يذكرك ، فأوحى الله تعالى إليه: يا داود ومن أين لهم ذلك إنّ ذلك لم يكن إلا بي ولولا عوني إياك ما قويت وسأكلك إلى نفسك، قال ابن عباس: إنما أصاب داود ما أصاب الذنب بعجبه بعمله إذ أضافه إلى آل داود مدلًا به حتى وكل إلى نفسه، فأذنب ذنبًا أورثه الحزن والندم. وقال داود: يا رب إنّ بني إسرائيل يسألونك بإبراهيم وإسحاق ويعقوب، فقال: إني ابتليتهم فصبروا، فقال: يا رب وأنا إن ابتليتني صبرت، فأدل بالعمل قبل وقته فقال الله تعالى: فإني لم أخبرهم بأي شيء أبتليهم ولا في أي شهر ولا في أي يوم، وأنا مخبرك في سنتك هذه وشهرك هذا أبتليك غدًا بامرأة فاحذر نفسك، فوقع فيما وقع فيه. وكذلك لما اتكل أصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين على قوّتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله تعالى عليهم وقالوا لا نغلب اليوم من قلة [(١)] وكلوا إلى أنفسهم فقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة:٢٥].

روى ابن عيينة أن أيوب عليه السلام قال: إلهي إنك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد عليّ أمر إلا آثرت هواك على هواي، فنودي من غمامة بعشرة آلاف صوت. يا أيوب أنّى لك ذلك، أي من أين لك ذلك؟ قال: فأخذ رمادًا ووضعه على رأسه وقال: منك يا رب منك يا رب، فرجع من نسيانه إلى إضافة ذلك إلى الله تعالى. ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور:٢١] وقال النبي ﷺ لأصحابه وهم خير الناس: «ما منكم من أحد ينجيه عمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته» [(٢)] ولقد كان أصحابه من بعده يتمنون أن يكونوا ترابًا وتبنًا وطيرًا مع صفاء أعمالهم وقلوبهم، فكيف يكون لذي بصيرة أن يعجب بعمله أو يدل به ولا يخاف على نفسه؟ فإذن هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب، ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الإعجاب بها، بل هو ينظر إلى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الإيمان والطاعة بغير ذنب أذنبوه من قبل، فيخاف من ذلك فيقول: إنّ من لا يبالي أن يحرم من غير جناية ويعطى من غير وسيلة لا يبالي أو يعود ويسترجع ما وهب، فكم من مؤمن ارتدّ ومطيع قد فسق وختم له بسوء وهذا لا يبقى معه عجب بحال، والله تعالى أعلم.

---

(١) حديث: قولهم يوم حنين لا نغلب اليوم من قلة. أخرجه البيهقي في دلائل النبوة من رواية الربيع بن أنس مرسلا: أن رجلا قال يوم حنين لن تغلب اليوم من قلة فشق ذلك على رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٥] ولابن مردوية في تفسيره من حديث أنس: لما التقوا يوم حنين أعجبتهم كثرتهم فقالوا: اليوم نقاتل؛ ففروا. فيه الفرح بن فضالة ضعفه الجمهور.

(٢) صحيح: حديث «ما منكم من أحد ينجيه عمله .. الحديث». متفق عليه من حديث أبي هريرة. [البخاري : ٥٦٧٣، مسلم: ٢٨١٦].

بيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه:

اعلم أنّ العجب بالأسباب التي بها يتكبر ، كما ذكرناه ، وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالرأي الخطأ الذي يزين له بجهله، فما به العجب ثمانية أقسام:

الأوّل : أن يعجب ببدنه في جماله وهيئته وصحته وقوّته وتناسب أشكاله وحسن صورته وحسن صوته. وبالجملة تفصيل خلقته، فيلتفت إلى جمال نفسه وينسى أنه نعمة من الله تعالى وهو بعرضة الزوال في كل حال، وعلاجه ما ذكرناه في الكبر بالجمال وهو التفكر في أقذار باطنه وفي أوّل امره وفي آخره، وفي الوجوه الجميلة والأبدان الناعمة أنها كيف تمزقت في التراب وأنتنت في القبور حتى استقذرتها الطباع.

الثاني : البطش والقوّة كما حكي عن قوم عاد حين قالوا فيما أخبر الله عنهم: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت:١٥] وكما اتكل عوج على قوّته وأعجب بها فاقتلع جبلًا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام، فثقب الله تعالى تلك القطعة من الجبل بنقر هدهد ضعيف المنقار حتى صارت في عنقه، وقد يتكل المؤمن أيضًا على قوته كما روي عن سليمان عليه السلام أنه قال: لأطوفن الليلة على مائة امرأة ولم يقل إن شاء الله تعالى، فحرم ما أراد من الولد [(١)]، وكذلك قول داود عليه السلام: إن ابتليتني صبرت، وكان إعجابًا منه بالقوة، فلما ابتلي بالمرأة لم يصبر، ويورث العجب بالقوة الهجوم في الحروب والقاء النفس في التهلكة والمبادرة إلى الضرب والقتل لكل من قصده بالسوء، وعلاجه ما ذكرناه، وهو أن يعلم أنّ حمّى يوم تضعف قوته وأنه إذا أعجب بها ربما سلبها الله تعالى بأدنى آفة يسلطها عليه.

الثالث : العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الأمور من مصالح الدين والدنيا، وثمرته الاستبداد بالرأي وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له ولرأيه، ويخرج إلى قلة الإصغاء إلى أهل العلم إعراضًا عنهم بالاستغناء بالرأي والعقل واستحقارًا لهم وإهانة، وعلاجه أن يشكر الله تعالى على ما رزق من العقل، ويتفكر أنه بأدنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك منه فلا يأمن أن يسلب عقله إن أعجب به ولم يقم بشكره، وليستقصر عقله وعلمه، وليعلم أنه ما أوتي من العلم إلا قليلًا وإن اتسع علمه، وأن ما جهله مما عرفه الناس أكثر مما عرفه، فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى؟ وأن يتهم عقله وينظر إلى الحمقى كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم؟ فيحذر أن يكون منهم وهو لا يدري. فإن القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله، فينبغي أن يعرف مقدار عقله، من غيره لا من نفسه، ومن أعدائه لا من أصدقائه، فإن من يداهنه يثني عليه فيزيده عجبًا وهو لا يظن بنفسه إلا الخير ولا يفطن لجهل نفسه فيزداد به عجبًا.

---

(١) صحيح: حديث: قال سليمان: لأطوفن الليلة بمائة امرأة .. الحديث. أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة. [البخاري : ٥٢٤٢].

الرابع: العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية، حتى يظن بعضهم أنه ينجو بشرف نسبه ونجاة آبائه وأنه مغفور له، ويتخيل بعضهم أن جميع الخلق له موال وعبيد، وعلاجه أن يعلم أنه مهما خالف آباءه في أفعالهم وأخلاقهم وظن أنه ملحق بهم فقد جهل، وإن اقتدى بآبائه فما كان من أخلاقهم العجب بل الخوف والإزراء على النفس واستعظام الخلق وملمة النفس، ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب، فليتشرف بما شرفوا به، وقد ساواهم في النسب وشاركهم في القبائل من لم يؤمن بالله واليوم الآخر، وكانوا عند الله شرًا من الكلاب وأخس من الخنازير، ولذلك قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات:١٣] أي لا تفاوت في أنسابكم لاجتماعكم في أصل واحد، ثم ذكر فائدة النسب فقال: ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات:١٣] ثم بيّن أن الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات:١٣] ولما قيل لرسول الله ﷺ من أكرم الناس؟ من أكيس الناس؟ لم يقل: من ينتمي إلى نسبي ولكن قال: «أَكْرَمُهُمْ أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا وَأَشَدُّهُمْ لَهُ اسْتِعْدَادًا» (١)، وإنما نزلت هذه الآية حين أذن بلال يوم الفتح على الكعبة: فقال الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن أسيد: هذا العبد الأسود يؤذن على الكعبة؟ فقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات:١٣].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عَبِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ، أَيْ كِبْرَهَا، كُلُّكُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ» (٢) وقال النبي ﷺ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لا تَأْتِي النَّاسُ بِالأَعْمَالِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَتَأْتُونَ بِالدُّنْيَا تَحْمِلُونَهَا عَلَى رِقَابِكُمْ تَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ فَأَقُولُ هكذا -أَيْ أُعْرِضُ عَنْكُمْ-» (٣)، فبيّن أنهم إذا مالوا إلى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش. ولما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤] ناداهم بطنًا بعد بطن، حتى قال ﷺ: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ المُطَّلِبِ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ اعْمَلا لأَنْفُسِكُمَا فَإِنِّي لا أُغْنِي عَنْكُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا» (٤)، فمن عرف هذه الأمور وعلم أن شرفه بقدر تقواه، وقد كان من عادة آبائه التواضع اقتدى بهم في

---

(١) حسن: حديث: لما قيل له: من أكرم الناس من أكيس الناس؟ قال «أكثرهم للموت ذكرا .. الحديث». أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر دون قوله «وأكرم الناس» وهو بهذه الزيادة عند ابن أبي الدنيا في ذكر الموت آخر الكتاب. [ابن ماجه: ٤٢٥٩، وانظر صحيح الترغيب: ٣٣٣٥، الصحيحة: ١٣٨٤].

(٢) صحيح: حديث «إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية .. الحديث». أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة [أبو داود: ٥١١٦، وانظر صحيح الجامع: ٥٤٨٢] ورواه الترمذي أيضا من حديث ابن عمر وقال غريب. [الترمذي: ٣٢٧٠، وانظر صحيح الجامع: ٧٨٦٧، الصحيحة: ٢٨٠٣].

(٣) حسن: حديث «يا معشر قريش لا يأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم .. الحديث». أخرجه الطبراني من حديث عمران بن حصين إلا أنه قال: يا معشر بني هاشم وسنده ضعيف. [انظر الصحيحة: ٧٦٥، الأدب المفرد: ٨٩٧، ظلال الجنة: ٢١٣].

(٤) صحيح: حديث لما نزل قوله تعالى ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤] ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال «يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب .. الحديث». متفق عليه من حديث أبي هريرة [البخاري: ٢٧٥٣، مسلم: ٢٠٤] ورواه مسلم من حديث عائشة. [مسلم: ٢٠٥].

التقوى والتواضع، وإلا كان طاعنًا في نسب نفسه ، بلسان حاله ، مهما انتمى إليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والإشفاق.

فإن قلت : فقد قال ﷺ بعد قوله لفاطمة وصفية: «إِنِّي لا أُغْنِي عَنْكُمَا مِنَ الله شَيْئًا إلاَّ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبِلالِهَا» (١)، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «أَتَرْجُو سُلَيْمٌ شَفَاعَتِي وَلا يَرْجُوهَا بَنُو عَبْدِ المُطَّلِبِ» (٢)، فذلك يدل على أنه سيخص قرابته بالشفاعة؟ فاعلم أن كل مسلم فهو منتظر شفاعة رسول الله ﷺ، والنسيب أيضًا جدير بأن يرجوها لكن بشرط أن يتقي الله أن يغضب عليه، فإنه إن يغضب عليه فلا يأذن لأحد في شفاعته؛ لأن الذنوب منقسمة إلى ما يوجب المقت فلا يؤذن في الشفاعة له، وإلى ما يعفى عنه بسبب الشفاعة، كالذنوب عند ملوك الدنيا فإن كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيما اشتدّ عليه غضب الملك، فمن الذنوب ما لا تنجي منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨] وبقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥] وبقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٣] وبقوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨] ، وإذا انقسمت الذنوب إلا ما يشفع فيه وإلى ما لا يشفع فيه وجب الخوف والإشفاق لا محالة، ولو كان ذنب تقبل فيه الشفاعة لما أمر قريشًا بالطاعة ولما نهى رسول الله ﷺ فاطمة رضي الله عنها عن المعصية، ولكان يأذن لها في اتباع الشهوات لتكمل لذاتها في الدنيا ثم يشفع لها في الآخرة لتكمل لذاتها في الآخرة. فالانهماك في الذنوب وترك التقوى اتكالاً على رجاء الشفاعة يضاهي انهماك المريض في شهواته اعتمادًا على طبيب حاذق قريب مشفق من أب أو أخ أو غيره، وذلك جهل لأن سعي الطبيب وهمته وحذقه تنفع في إزالة بعض الأمراض لا في كلها، فلا يجوز ترك الحمية مطلقًا اعتمادًا على مجرّد الطب، بل للطبيب أثر على الجملة ولكن في الأمراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج. فهكذا ينبغي أن تفهم عناية الشفعاء من الأنبياء والصلحاء للأقارب والأجانب، فإنه كذلك قطعًا، وذلك لا يزيل الخوف والحذر، وكيف يزيل وخير الخلق بعد رسول الله ﷺ أصحابه وقد كانوا يتمنون أن يكونوا بهائم من خوف الآخرة مع كمال تقواهم وحسن أعمالهم وصفاء قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول الله ﷺ إياهم بالجنة، خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة عامة ولم يتكلوا عليه ولم يفارق الخوف والخشوع قلوبهم؟ فكيف يعجب بنفسه ويتكل على الشفاعة من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم؟

الخامس : العجب بنسب السلاطين الظلمة وأعوانهم دون نسب الدين والعلم. وهذا غاية

---

(١) صحيح : حديث: قوله بعد قوله المتقدم لفاطمة وصفية «ألا إن لكما رحما سأبلها ببلالها». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ «غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها».[مسلم: ٢٠٤].

(٢) حديث «أترجو سليم شفاعتي ولا ترجوها بنو عبد المطلب». أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله ابن جعفر وفيه أصبرم بن حوشب عن إسحاق بن واصل وكلاهما ضعيف جدا.

الجهل، وعلاجه أن يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين الله وأنهم الممقوتون عند الله تعالى، ولو نظر إلى صورهم في النار وأنتانهم وأقذارهم لاستنكف منهم ولتبرأ من الانتساب إليهم، ولأنكر على من نسبه إليهم استقذارًا واستحقارًا لهم، ولو انكشف له ذلهم في القيامة وقد تعلق الخصماء بهم والملائكة آخذون بنواصيهم يجرّونهم على وجوههم إلى جهنم في مظالم العباد لتبرأ الله منهم، ولكان انتسابه إلى الكلب والخنزير أحب إليه من الانتساب إليهم، فحق أولاد الظلمة إن عصمهم الله من ظلمهم أن يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لآبائهم إن كانوا مسلمين فأما العجب فجهل محض.

السادس: العجب بكثرة العدد من الأولاد والخدم والغلمان والعشيرة والأقارب والأنصار والأتباع، كما قال الكفار: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾ [سبأ:٣٥] وكما قال المؤمنون يوم حنين: لا نغلب اليوم من قلة، وعلاجه ما ذكرناه في الكبر وهو أن يتفكر في ضعفه وضعفهم وأن كلهم عبيد عجزة لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا. و ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٩] ، ثم كيف يعجب بهم وأنهم سيفترقون عنه إذا مات فيدفن في قبره ذليلًا مهينًا وحده لا يرافقه أهل ولا ولد ولا قريب ولا حميم ولا عشير، فيسلمونه إلى البلى والحيات والعقارب والديدان ولا يغنون عنه شيئًا، وهو أحوج أوقاته إليهم، وكذلك يهربون منه يوم القيامة: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾ [عبس:٣٤-٣٦] الآية. فأي خير فيمن يفارقك في أشدّ أحوالك ويهرب منك؟ وكيف تعجب به ولا ينفعك في القبر والقيامة وعلى الصراط إلا عملك وفضل الله تعالى؟ فكيف تتكل على من لا ينفعك، وتنسى نعم من يملك نفعك وضرك وموتك وحياتك.

السابع: العجب بالمال كما قال تعالى إخبارًا عن صاحب الجنتين إذ قال: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف:٣٤] ورأى رسول الله ﷺ رجلًا غنيًا جلس بجنبه فقير فانقبض عنه وجمع ثيابه، فقال عليه السلام: «أَخَشِيتَ أَنْ يَعْدُوَ إِلَيْكَ فَقْرُهُ»[(١)] ، وذلك للعجب بالغنى، وعلاجه أن يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظيم غوائله، وينظر إلى فضيلة الفقراء وسبقهم إلى الجنة في القيامة، وإلى أن المال غاد ورائح ولا أصل له، وإلى أن في اليهود من يزيد عليه في المال وإلى قوله عليه الصلاة والسلام: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ فِي حلَّةٍ لَهُ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ إِذ أَمَرَ الله الأَرْضَ فَأَخَذَتْهُ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيها إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ»[(٢)] ، أشار به إلى عقوبة إعجابه بماله ونفسه. وقال أبو ذرّ، كنت مع رسول الله ﷺ فدخل المسجد فقال لي: «يَا أَبَا ذَرّ ارْفَعْ رَأْسَكَ» فرفعت رأسي فإذا رجل عليه ثياب جياد ثم قال: «ارْفَعْ رَأْسَكَ» فرفعت رأسي فإذا رجل عليه ثياب خلقة

---

(١) حديث: رأى النبي ﷺ غنيا جلس بجنبه فقير فانقض عنه .. الحديث». رواه أحمد في الزهد.

(٢) صحيح: حديث «بينما رجل يتبختر في حلة له قد أعجبته نفسه .. الحديث». متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم. [البخاري: ٥٧٨٩، مسلم: ٢٠٨٨].

فقال لي: «يَا أَبَا ذَرّ هذَا عِنْدَ الله خَيْرٌ مِنْ قِرَابِ الأَرْضِ مِثْلَ هذَا» (١)، وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الأغنياء وشرف الفقراء عند الله تعالى، فكيف يتصوّر من المؤمن أن يعجب بثروته؟ بل لا يخلو المؤمن عن خوف من تقصيره في القيام بحقوق المال في أخذه من حله ووضعه في حقه، ومن لا يفعل ذلك فمصيره إلى الخزي والبوار فكيف يعجب بماله؟

الثامن: العجب بالرأي الخطأ. قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر :٨] وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف :١٠٤] وقد أخبر رسول الله ﷺ: أن ذلك يغلب على آخر هذه الأمة (٢) وبذلك هلكت الأمم السالفة إذ افترقت فرقًا فكل معجب برأيه: و ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون :٥٣] وجميع أهل البدع والضلال إنما أصروا عليها لعجبهم بآرائهم والعجب بالبدعة هو استحسان ما يسوق إليه الهوى والشهوة مع ظنّ كونه حقًا، وعلاج هذا العجب أشدّ من علاج غيره لأن صاحب الرأي الخطأ جاهل بخطئه ولو عرفه لتركه، ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فتعسر مداواته جدًا.

لأن العارف يقدر على أن يبين للجاهل جهله ويزيله عنه، إلا إذا كان معجبًا برأيه وجهله فإنه لا يصغي إلى العارف ويتهمه، فقد سلّط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده؟ وإنما علاجه على الجملة أن يكون متهمًا لرأيه أبدًا لا يغتر به إلا أن يشهد له قاطع من كتاب أو سنة أو دليل عقلي صحيح جامع لشروط الأدلة، ولن يعرف الإنسان أدلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها إلا بقريحة تامة وعقل ثاقب وجدّ وتشمر في الطلب وممارسة للكتاب والسنة ومجالسة لأهل العلم طول العمر ومدارسة للعلوم، ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الأمور، والصواب لمن لم يتفرّغ لاستغراق عمره في العلم أن لا يخوض في المذاهب ولا يصغي إليها ولا يسمعها، ولكن يعتقد أن الله تعالى واحد لا شريك له وأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى :١١] وأن رسوله ﷺ صادق فيما أخبر به ويتبع سنّة السلف، ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتنقير وسؤال عن تفصيل، بل يقول: آمنا وصدّقنا ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصي وأداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الأعمال، فإن خاض في المذاهب والبدع والتعصب في العقائد هلك من حيث لا يشعر.

هذا حق كل من عزم على أن يشتغل في عمره بشيء غير العلم، فأما الذي عزم على التجرد

---

(١) حديث أبي ذر: كنت مع النبي ﷺ فدخل المسجد فقال لي «يا أبا ذر رافع رأسك» فرفعت رأسي .. الحديث» وفيه «هذا عند الله خير من قراب الأرض مثل هذا». أخرجه ابن حبان في صحيحه.

(٢) ضعيف: حديث «أنه يغلب على آخره هذه الأمة الإعجاب بالرأي». هو حديث أبي ثعلبة المتقدم «فإذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك» وهو عند أبي داود والترمذي. [أبو داود: ٤٣٤١، الترمذي: ٣٠٥٨، وانظر ضعيف الجامع: ٢٣٤٤، ضعيف الترغيب: ١٨٤٦، الضعيفة: ١٠٢٥].

للعلم فأول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الأمر فيه، والوصول إلى اليقين والمعرفة في أكبر المطالب شديد لا يقدر عليه إلا الأقوياء المؤيدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدًا، فنسأل الله تعالى العصمة من الضلال ونعوذ به من الاغترار بخيالات الجهال.

تم كتاب ذم الكبر والعجب والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

كتاب ذم الغرور

وهو الكتاب العاشر من ربع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمنِ الرّحيم

الحمد لله الذي بيده مقاليد الأمور، وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور، مخرج أوليائه من الظلمات إلى النور، ومورد أعدائه ورطات الغرور، والصلاة على محمد مخرج الخلائق من الديجور، وعلى آله وأصحابه الذين لم تغرهم الحياة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور، صلاة تتوالى على ممرّ الدهور ومكرّ الساعات والشهور.

أما بعد: فمفتاح السعادة التيقظ والفطنة، ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة فلا نعمة لله على عباده أعظم من الإيمان والمعرفة، ولا وسيلة إليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة، ولا نقمة أعظم من الكفر والمعصية، ولا داعي إليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة، فالأكياس وأرباب البصائر قلوبهم: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور:٣٥] والمغترون قلوبهم: ﴿كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠] فالأكياس هم الذين أراد الله أن يهديهم، فشرح صدورهم للإسلام والهدى، والمغترون هم الذين أراد الله أن يضلهم فجعل صدرهم ضيقًا حرجًا كأنما يصعد في السماء. والمغرور هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلًا وبقي في العمى فاتخذ الهوى قائدًا والشيطان دليلًا: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٧٢] وإذا عرف أن الغرور هو أم الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر من وقوع الغرور فيه، ليحذره المريد بعد معرفته فيتقيه، فالموفق من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد فأخذ منها حذره وبنى على الحزم والبصيرة أمره.

ونحن نشرح أجناس الغرور وأصناف المغترين من القضاة والعلماء والصالحين الذين اغتروا بمبادىء الأمور، الجميلة ظواهرها القبيحة سرائرها، ونشير إلى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها، فإن ذلك وإن كان أكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على أمثلة تغني عن الاستقصاء، وفرق المغترين كثيرة، ولكن يجمعهم أربعة أصناف:

الصنف الأول: من العلماء.

الصنف الثاني: من العباد.

الصنف الثالث: من المتصوفة.

الصنف الرابع: من أرباب الأموال.

والمغترون من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة، فمنهم من رأى المنكر معروفًا كالذي يتخذ المسجد ويزخرفها من المال الحرام، ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله تعالى كالواعظ الذي غرضه القبول والجاه، ومنهم من يترك الأهم ويشتغل بغيره، ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافلة، ومنهم من يترك اللباب ويشتغل بالقشر، كالذي يكون همه في الصلاة مقصورًا على تصحيح مخارج الحروف إلى غير ذلك من مداخل لا تتضح إلا بتفصيل الفرق وضرب الأمثلة. ولنبدأ أولًا بذكر غرور العلماء ولكن بعد بين ذم الغرور وبيان حقيقته وحده.

بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثلته:

اعلم أن قوله تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[لقمان:٣٣] وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾[الحديد:١٤] الآية. كاف في ذم الغرور، وقد قال رسول الله ﷺ: «حَبَّذَا نَوْمُ الأَكْيَاسِ وَفِطْرُهُمْ كَيْفَ يَغْبِنُونَ سَهَرَ الحَمْقَى وَاجْتِهَادهمْ وَلَمِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ صَاحِبِ تَقْوَى وَيَقِينٍ أَفْضَلُ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِنَ المُغْتَرِّينَ»[(١)]، وقال ﷺ: «الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ»[(٢)]، وكل ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور؛ لأن الغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل، إذ الجهل هو أن يعتقد الشيء ويراه على خلاف ما هو به، والغرور هو جهل إلا أن كل جهل ليس بغرور، بل يستدعي الغرور: مغرورًا فيه مخصوصًا ومغرورًا به وهو الذي يغره.

فمهما كان المجتهد المعتقد شيئًا يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن أنها دليل ولا تكون دليلًا سمي الجهل الحاصل به غرورًا. فالغرور هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى، ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد أنه خير إما في العاجل أو في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور، وأكثر الناس يظنون بأنفسهم الخير وهم مخطئون فيه، فأكثر الناس إذن مغرورون وإن اختلفت أصناف غرورهم واختلفت درجاتهم، حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض، وأظهرها وأشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفساد، فنورد لهما أمثلةً لحقيقة الغرور.

المثال الأول: غرور الكفار، فمنهم من غرّته الحياة الدنيا ومنهم من غرّه بالله الغرور، أما الذين غرّتهم الحياة الدنيا: فهم الذين قالوا: النقد خير من النسيئة والدنيا نقد والآخرة نسيئة فهي

---

(١) حديث «حبذا نوم الأكياس وفطرهم .. الحديث». أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين من قول أبي الدرداء بنحوه وفيه انقطاع وفي بعض الروايات: أبي الورد، موضع أبي الدرداء ولم أجده مرفوعا.

(٢) ضعيف: حديث «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت .. الحديث». أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث شداد بن أوس. [الترمذي: ٢٤٥٩، ابن ماجه: ٤٢٦٠، وانظر ضعيف الجامع: ٤٣٠٥، ضعيف الترغيب: ١٩٥٩، الضعيفة: ٥٣١٩].

إذن خير فلا بد من إيثارها، وقالوا: اليقين خير من الشك ولذّات الدنيا يقين ولذّات الآخرة شك فلا نترك اليقين بالشك. وهذه أقيسة فاسدة تشبه قياس إبليس حيث قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢] وإلى هؤلاء الإشارة بقوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة:٨٦] وعلاج هذا الغرور إما بتصديق الإيمان وإما بالبرهان: أما التصديق بمجرد الإيمان فهو أن يصدق الله تعالى في قوله: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل:٩٦] وفي قوله عز وجل: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ [الشورى:٣٦] وقوله: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلى:١٧] وقوله: ﴿وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥] وقوله: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا﴾ [لقمان:٣٣] وقد أخبر رسول الله ﷺ بذلك طوائف من الكفار فقلدوه وصدّقوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان (١)، ومنهم من قال: نشدتك الله أبعثك الله رسولاً؟ فكان يقول: «نَعَمْ» فيصدق (٢)، وهذا إيمان العامة وهو يخرج من الغرور، وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والده في أن حضور المكتب خير من حضور الملعب مع أنه لا يدري وجه كونه خيرًا.

وأما المعرفة بالبيان والبرهان فهو أن يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان، فإن كل مغرور فلغروره سبب، وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون إليه وإن كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بألفاظ العلماء. فالقياس الذي نظمه الشيطان فيه أصلان.

أحدهما: أن الدنيا نقد والآخرة نسيئة وهذا صحيح.

والآخر: قوله: إن النقد خير من النسيئة، وهذا محل التلبيس فليس الأمر كذلك، بل إن كان النقد مثل النسيئة في المقدار والمقصود فهو خير وإن كان أقل منها فالنسيئة خير، فإن الكافر المغرور يبذل في تجارته درهمًا ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا أتركه، وإذا حذره الطبيب الفواكه ولذائذ الأطعمة ترك ذلك في الحال خوفًا من ألم المرض في المستقبل؛ فقد ترك النقد ورضي بالنسيئة. والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الأسفار نقدًا لأجل الراحة والربح نسيئة، فإن كان عشرة في ثاني الحال خيرًا من واحد في الحال فأنسب لذة الدنيا من حيث مدتها إلى مدة الآخرة، فإن أقصى عمر الإنسان مائة سنة وليس هو

---

(١) صحيح: حديث: تصديق بعض الكفار بما أخبر به رسول الله ﷺ وإيمانهم من غير مطالبة بالبرهان وهو مشهور في السنن، من ذلك قصة إسلام الأنصار وبيعتهم وهي عند أحمد من حديث جابر وفيه: حتى بعثنا الله إليه من يثرب فآويناه وصدقناه فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه... الحديث». وهي عند أحمد بإسناد جيد. [انظر الصحيحة: ٦٣].

(٢) صحيح: حديث: قول من قال له نشدتك آلله أبعثك رسولاً؟ فيقول «نعم» فيصدق. متفق عليه من حديث أنس في قصة ضمام بن ثعلبة وقوله للنبي ﷺ آلله أرسلك للناس كلهم؟ فقال «اللهم نعم» وفي آخره: فقال الرجل آمنت بما جئت به وللطبراني من حديث ابن عباس في ضمام قال: نشدتك به أهو أرسلك بما أتتنا كتبك وأتتنا رسلك أن نشهد أن لا إله إلا الله وأن ندع اللات والعزى؟ قال «نعم» الحديث. [البخاري: ٦٣، مسلم: ١٢].

عشر عشير من جزء من ألف ألف جزء من الآخرة. فكأنه ترك واحدًا ليأخذ ألف ألف بل ليأخذ ما لا نهاية له ولا حدّ وإن نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا مكدرة مشوبة بأنواع المنغصات ولذات الآخرة صافية غير مكدرة، فإذن قد غلط في قوله: النقد خير من النسيئة، فهذا غرور منشؤه قبول لفظ عام مشهور أطلق وأريد به خاص، فغفل به المغرور عن خصوص معناه. فإن من قال: النقد خير من النسيئة، أراد به خيرًا من نسيئة هي مثله وإن لم يصرح به.

وعند هذا يفزع الشيطان إلى القياس الآخر وهو: أن اليقين خير من الشك والآخرة شك، وهذا القياس أكثر فسادًا من الأول لأن كلا أصليه باطل، إذ اليقين خير من الشك إذا كان مثله، وإلاّ فالتاجر في تعبه على يقين وفي ربحه على شك والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي إدراكه رتبة العلم على شك والصياد في تردده في المقتنص على يقين وفي الظفر بالصيد على شك، وكذا الحزم دأب العقلاء بالاتفاق وكل ذلك ترك لليقين بالشك، ولكن التاجر يقول: إن لم أتجر بقيت جائعًا وعظم ضرري، وإن اتجرت كان تعبي قليلًا وربحي كثيرًا؛ وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين، ولكن يقول: ضرر مرارة الدواء قليل بالإضافة إلى ما أخافه من المرض والموت، فكذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم أن يقول: أيام الصبر قلائل وهو منتهى العمر بالإضافة إلى ما يقال من أمر الآخرة، فإن كان ما قيل فيه كذبًا؛ فما يفوتني إلا التنعم أيام حياتي وقد كنت في العدم من الأزل إلى الآن لا أتنعم، فأحسب أني بقيت في العدم. وإن كان ما قيل صدقًا، فأبقى في النار أبد الآباد وهذا لا يطاق. ولهذا قال علي كرم الله وجهه لبعض الملحدين: إن كان ما قلته حقًّا فقد تخلصت وتخلصنا، وإن كان ما قلناه حقًّا فقد تخلصنا وهلكت: وما قال هذا عن شك منه في الآخرة ولكن كلّم الملحد على قدر عقله وبيّن له أنه وإن لم يكن متيقنًا فهو مغرور».

وأما الأصل الثاني من كلامه: وهو أن الآخرة شك، فهو أيضًا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان.

أحدهما: الإيمان والتصديق تقليدًا للأنبياء والعلماء، وذلك أيضًا يزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام وأكثر الخواص، ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علته، وقد اتفق الأطباء وأهل الصناعة من عند آخرهم على أن دواءه النبت الفلاني فإنه تطمئن نفس المريض إلى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية، بل يثق بقولهم ويعمل به، ولو بقي سوادي أو معتوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن الأحوال أنهم أكثر منه عددًا وأغزر منه فضلًا وأعلم منه بالطب، بل لا علم له بالطب، فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتقد كذبهم بقوله، ولا يغتر في علمهم بسببه، ولو اعتمد قوله وترك قول الأطباء كان معتوهًا مغرورًا، فكذلك من نظر إلى المقرّين بالآخرة والمخبرين عنها والقائلين بأن التقوى هو الدواء النافع في الوصول إلى سعادتها، وجدهم خير خلق الله وأعلاهم رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل، وهم الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء واتبعهم عليه الخلق على أصنافهم، وشذ منهم آحاد من البطالين غلبت

عليهم الشهوة ومالت نفوسهم إلى التمتع، فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بأنهم من أهل النار فجحدوا الآخرة وكذبوا الأنبياء، فكما أن قول الصبي وقول السوادي لا يزيل طمأنينة القلب إلى ما اتفق عليه الأطباء، فكذلك قول هذا الغني الذي استرقته الشهوات لا يشكك في صحة أقوال الأنبياء والأولياء والعلماء.

وهذا القدر من الإيمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محالة والغرور يزول به.

وأما المدرك الثاني لمعرفة الآخرة فهو الوحي للأنبياء والإلهام للأولياء، ولا تظنن أن معرفة النبي عليه السلام لأمر الآخرة ولأمور الدين تقليد لجبريل عليه السلام بالسماع منه، كما أن معرفتك تقليد للنبي ﷺ حتى تكون معرفتك مثل معرفته، وإنما يختلف المقلد فقط وهيهات فإنّ التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والأنبياء عارفون ومعنى معرفتهم أنه كشف لهم حقيقة الأشياء كما هي عليها فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد أنت المحسوسات بالبصر الظاهر، فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد.

وذلك بأن يكشف لهم عن حقيقة الروح وأنه من أمر الله تعالى وليس المراد بكونه من أمر الله الأمر الذي يقابل النهي لأن ذلك الأمر كلام والروح ليس بكلام، وليس المراد بالأمر الشأن حتى يكون المراد به أنه من خلق الله فقط لأن ذلك عام في جميع المخلوقات بل العالم عالمان: عالم الأمر وعالم الخلق، ولله الخلق والأمر، فالأجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق إذ الخلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان، وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فإنه من عالم الأمر، وشرح ذلك سر الروح، ولا رخصة في ذكره لاستضرار أكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذي منع من إفشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه، وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه، وإذا عرف نفسه وربه عرف أنه أمر رباني بطبعه وفطرته، وأنه في العالم الجسماني غريب وأن هبوطه إليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بأمر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على آدم وعبر عنه بالمعصية وهي التي حطته عن الجنة التي هي أليق به بمقتضى ذاته فإنها في جوار الرب تعالى، وأنه أمر رباني وحنينه إلى جوار الرب تعالى له طبعي ذاتي، إلا أن يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه. ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه إذ قيل له: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[الحشر:١٩] أي الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم. يقال: فسقت الرطبة عن كمامها؛ إذا خرجت عن معدنها الفطري. وهذه إشارة إلى أسرار يهتز لاستنشاق روائحها العارفون وتشمئز من سماع ألفاظها القاصرون فإنها تضر بهم كما تضر رياح الورد بالجعل، وتبهر أعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس أبصار الخفافيش. وانفتاح هذا الباب من سر القلب إلى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية، ويسمى صاحبه وليًا عارفًا، وهي مبادي مقامات الأنبياء. وآخر مقامات الأولياء أوّل مقامات الأنبياء.

ولنرجع إلى الغرض المطلوب فالمقصود أن غرور الشيطان بأن الآخرة شك يدفع إما بيقين تقليدي، وإما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن، والمؤمنون بألسنتهم وبعقائدهم إذا ضيعوا أوامر الله تعالى وهجروا الأعمال الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصي فهم مشاركون للكفار في هذا الغرور لأنهم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة، نعم أمرهم أخف لأنّ أصل الإيمان يعصمهم عن عقاب الأبد فيخرجون من النار ولو بعد حين، ولكنهم أيضًا من المغرورين فإنهم اعترفوا بأنّ الآخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا إلى الدنيا وآثروها، ومجرد الإيمان لا يكفي للفوز قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه:٨٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦] ثم قال النبي ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه» (١)، وقال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝﴾ [العصر:١-٣] فوعد المغفرة في جميع كتاب الله تعالى منوط بالإيمان والعمل الصالح جميعًا لا بالإيمان وحده، فهؤلاء أيضًا مغرورون أعني المطمئنين إلى الدنيا الفرحين بها المترفين بنعيمها المحبين لها.

الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة لما بعده، فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعًا.

ولنذكر للغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين. فأما غرور الكفار بالله: فمثاله قول بعضهم في أنفسهم وبألسنتهم: إنه لو كان لله من معاد فنحن أحق به من غيرنا ونحن أوفر حظًا فيه وأسعد حالًا، كما أخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين المتحاورين إذ قال: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف:٣٦] وجملة أمرهما كما نقل في التفسير: أن الكافر منهما بنى قصرًا بألف دينار واشترى بستانًا بألف دينار وخدمًا بألف دينار وتزوّج امرأة على ألف دينار، وفي ذلك كله يعظه المؤمن ويقول: اشتريت قصرًا يفنى ويخرب ألا اشتريت قصرًا في الجنة لا يفنى واشتريت بستانًا يخرب ويفنى ألا اشتريت بستانًا في الجنة لا يفنى وخدمًا لا يفنون ولا يموتون وزوجةً من الحور العين لا تموت وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول: ما هناك شيء وما قيل من ذلك فهو أكاذيب وإن كان فليكونن لي في الجنة خير من هذا.

وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل إذ يقول: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم:٧٧] فقال الله تعالى ردًّا عليه: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝ كَلَّا﴾ [مريم:٧٨-٧٩] وروي عن خباب بن الأرت أنه قال: كان لي على العاص بن وائل دين فجئت أتقاضاه فلم يقض لي فقلت: إني آخذه في الآخرة؛ فقال لي: إذا صرت إلى الآخرة فإن لي هناك مالًا وولدًا أقضيك منه.

---

(١) صحيح: حديث «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه». متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم. [قلت: بل هو في البخاري: ٥٠، مسلم: ٩ من حديث أبي هريرة، وأما حديث ابن عمر انفرد به مسلم: ٨].

فأنزل الله تعالى قوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧] (١) وقال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠] وهذا كله من الغرور بالله.

وسببه قياس من أقيسة إبليس نعوذ بالله منه، وذلك أنهم ينظرون مرة إلى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعمة الآخرة، وينظرون مرة إلى تأخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة: ٨] فقال تعالى جوابًا لقولهم: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المجادلة: ٨] ومرة ينظرون إلى المؤمنين؛ وهم فقراء شعث غبر فيزدرون بهم ويستحقرونهم، فيقولون: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ [الأنعام: ٥٣] ويقولون: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١] وترتيب القياس الذي نظمه في قلوبهم أنهم يقولون: قد أحسن الله إلينا بنعيم الدنيا، وكل محسن فهو محب، وكل محب فإنه يحسن أيضًا في المستقبل كما قال الشاعر:

لقد أحسن الله فيما مضى ... كذلك يحسن فيما بقي

وإنما يقيس المستقبل على الماضي بواسطة الكرامة والحب إذ يقول: لولا أني كريم عند الله ومحبوب لما أحسن إلي. والتلبيس تحت ظنه أن كل محسن محب، لا بل تحت ظنه أنّ إنعامه عليه في الدنيا إحسان، فقد اغتر بالله إذ ظن أنه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصائر يدل على الهوان.

ومثاله: أن يكون للرجل عبدان صغيران يبغض أحدهما ويحب الآخر، فالذي يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الأدب، ويمنعه من الفواكه وملاذ الأطعمة التي تضره، ويسقيه الأدوية التي تنفعه. والذي يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكتب ويأكل كل ما يشتهي، فيظن هذا العبد المهمل أنه عند سيده محبوب كريم لأنه مكّنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع أغراضه فلا يمنعه ولم يحجر عليه، وذلك محض الغرور، وهكذا نعيم الدنيا ولذتها فإنها مهلكات ومبعدات من الله، «فإن الله يحمي عبده من الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضه من الطعام والشراب وهو يحبه» (٢)، هكذا ورد في الخبر عن سيد البشر.

وكان أرباب البصائر إذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا: ذنب عجلت عقوبته ورأوا ذلك علامة المقت والإهمال، وإذا أقبل عليهم الفقر قالوا: مرحبًا بشعار الصالحين. والمغرور إذا

---

(١) صحيح: حديث: خباب بن الأرت، قال كان لي على العاص بن وائل دين فجئت أتقاضاه ... الحديث. في نزول قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [مريم: ٧٧] الآية أخرجه البخاري ومسلم. [البخاري: ٤٧٣٢، مسلم: ٢٧٩٥].

(٢) صحيح لغيره: حديث «إن الله يحمي عبده من الدنيا وهو يحبه .. الحديث». أخرجه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه من حديث قتادة بن النعمان. [الترمذي: ٢٠٣٦، وانظر صحيح الجامع: ٢٨٢، صحيح الترغيب: ٣١٨٠].

أقبلت عليه الدنيا ظنّ أنها كرامة من الله، وإذا صرفت عنه ظن أنها هوان، كما أخبر الله تعالى عنه إذ قال: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر:١٥-١٦] فأجاب الله عن ذلك: ﴿كَلَّا﴾ [الفجر: ١٧] أي ليس كما قال إنما هو ابتلاء نعوذ بالله من شر البلاء ونسأل الله التثبيت، فبيّن أنّ ذلك غرور. قال الحسن كذبهما جميعًا بقوله: ﴿كَلَّا﴾ يقول ليس هذا بإكرامي ولا هذا بهواني، ولكنّ الكريم من أكرمته بطاعتي غنيًا كان أو فقيرًا، والمهان من أهنته بمعصيتي غنيًا كان أو فقيرًا.

وهذا الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان إما بالبصيرة أو بالتقليد.

أما البصيرة: فبأن يعرف وجه كون الالتفات إلى شهوات الدنيا مبعدًا عن الله ووجه كون التباعد عنه مقرّبًا إلى الله ويدرك ذلك بالإلهام في منازل العارفين والأولياء، وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة.

وأما معرفته بطريق التقليد والتصديق: فهو أن يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدّق رسوله ﷺ، وقد قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون:٥٥-٥٦] وقال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٢] وقال تعالى: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤] وفي تفسير قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٢] أنهم كلما أحدثوا ذنبًا أحدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾ [آل عمران:١٧٨] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم:٤٢] إلى غير ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى وسنّة رسوله، فمن آمن به تخلص من هذا الغرور فإن منشأ هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته، فإن من عرفه لا يأمن مكره ولا يغتر بأمثال هذه الخيالات الفاسدة، وينظر إلى فرعون وهامان وقارون وإلى ملوك الأرض وما جرى لهم كيف أحسن الله إليهم ابتداءً ثم دمرهم تدميرًا فقال تعالى: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ [مريم:٩٨] الآية، وقد حذر الله تعالى من مكره واستدراجه فقال: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩] وقال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل:٥٠] وقال عز وجل: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران:٥٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ۝﴾ [الطارق:١٥-١٧] فكما لا يجوز للعبد المهمل أن يستدل بإهمال السيد إياه وتمكينه من النعم على حب السيد، بل ينبغي أن يحذر أن يكون ذلك مكرًا منه وكيدًا مع أنّ السيد لم يحذره مكر نفسه، فبأن يحب ذلك في حق الله تعالى مع تحذيره استدراجه أولى، فإذن من أمن مكر الله فهو مغتر، ومنشأ هذا الغرور أنه استدل بنعم الدنيا على أنه كريم عند ذلك المنعم، واحتمل أن يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى، فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب إلى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حدّ الغرور.

المثال الثاني: غرور العصاة من المؤمنين بقولهم: إن الله كريم وإنا نرجو عفوه، واتكالهم على ذلك وإهمالهم الأعمال وتحسين ذلك بتسمية تمنيهم واغترارهم رجاء، وظنهم أنّ الرجاء مقام محمود في الدين وأنّ نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم، وأين معاصي العباد في بحار رحمته وإنّا موحدون ومؤمنون؟ فنرجوه بوسيلة الإيمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بصلاح الآباء وعلو رتبتهم، كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفة سيرة آبائهم في الخوف والتقوى والورع، وظنهم أنهم أكرم على الله من آباءهم إذ آباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين، وهم مع غاية الفسق والفجور آمنون.

وذلك نهاية الاغترار بالله تعالى. فقياس الشيطان للعلوية.

أنّ من أحب إنسانًا أحب أولاده وأن الله قد أحب آباءكم فيحبكم فلا تحتاجون إلى الطاعة، وينسى المغرور أنّ نوحًا عليه السلام أراد أن يستصحب ولده معه في السفينة فلم يرد فكان من المغرقين: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ [هود:٤٥] فقال تعالى: ﴿يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ﴾ [هود:٤٦] وأن إبراهيم عليه السلام استغفر لأبيه فلم ينفعه.

وأن نبينا ﷺ وعلى كل عبد مصطفى استأذن ربه في أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار، فجلس يبكي على قبر أمه لرقته لها بسبب القرابة حتى أبكى من حوله [(١)] فهذا أيضًا اغترار بالله تعالى وهذا لأن الله تعالى يحب المطيع ويبغض العاصي، فكما أنه لا يبغض الأب المطيع ببغضه للولد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي بحبه للأب المطيع، ولو كان الحب يسري من الأب إلى الولد لأوشك أن يسري البغض أيضًا بل الحق أن لا تزر وازرة وزر أخرى.

ومن ظن أنه ينجو بتقوى أبيه كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه ويروى بشرب أبيه.

ويصير عالمًا بتعلم أبيه ويصل إلى الكعبة ويراها بمشي أبيه.

فالتقوى فرض عين فلا يجزي فيه والد عن ولده شيئًا وكذا العكس، وعند الله جزاء التقوى ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾ [عبس:٣٤-٣٥] إلا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتدّ غضب الله عليه فيأذن في الشفاعة له، كما سبق في كتاب الكبر والعجب.

فإن قلت: فأين الغلط في قول العصاة والفجار إن الله كريم وإنّا نرجو رحمته ومغفرته، وقد قال أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرًا، فما هذا إلا كلام صحيح مقبول الظاهر في القلوب؟ فاعلم أن الشيطان لا يغوي الإنسان إلا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن، ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب، ولكن النبي ﷺ كشف عن ذلك فقال: «الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى الله» [(٢)]، وهذا هو المتمني على الله

(١) صحيح: حديث: «أنه ﷺ استأذن أن يزور قبر أمه ويستغفر لها، فأُذِن له في الزيارة ولم يؤذن له الاستغفار.. الحديث». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة. [مسلم: ٩٧٦].

(٢) ضعيف: حديث: الكيس من دان نفسه. [انظر ضعيف الجامع: ٤٣٠٥، ضعيف الترغيب: ١٩٥٩].

تعالى غير الشيطان اسمه فسماه: رجاء، حتى خدع به الجهال. وقد شرح الله الرجاء فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢١٨] يعني أنّ الرجاء بهم أليق وهذا لأنه ذكر أنّ ثواب الآخرة أجر وجزاء على الأعمال قال الله تعالى: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران:١٨٥] أفترى أنّ من استؤجر على إصلاح أوانٍ وشرط له أجرة عليها وكان الشارط كريمًا يفي بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد، فجاء الأجير وكسر الأواني وأفسد جميعها ثم جلس ينتظر الأجر ويزعم أنّ المستأجر كريم، أفتراه العقلاء في انتظاره متمنيًا مغرورًا أو راجيًا؟ وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء والغرّة.

قيل للحسن: قوم يقولون نرجو الله ويضيعون العمل فقال: هيهات هيهات تلك أمانيهم يترجحون فيها، من رجا شيئًا طلبه ومن خاف شيئًا هرب منه.

وقال مسلم بن يسار: لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاي فقال له رجل: إنّا لنرجو الله فقال مسلم: هيهات هيهات؟ من رجا شيئًا طلبه ومن خاف شيئًا هرب منه. وكما أن الذي يرجو في الدنيا ولدًا وهو بعد لم ينكح أو نكح ولم يجامع أو جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن أو آمن ولم يعمل صالحًا أو عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور.

فكما أنه إذا نكح ووطىء وأنزل بقي مترددًا في الولد يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الأم إلى أن يتم فهو كيس، فكذلك إذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي مترددًا بين الخوف والرجاء يخاف أن لا يقبل منه وأن لا يدوم عليه وأن يختم له بالسوء، ويرجو من الله تعالى أن يثبته بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد، ويحرس قلبه عن الميل إلى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل إلى المعاصي فهو كيس، ومن عدا هؤلاء فهم المغرورون بالله: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٢] ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص:٨٨] وعند ذلك يقولون كما أخبر الله عنهم: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة:١٢] أي علمنا أنه كما لا يولد إلا بوقاع ونكاح ولا ينبت زرع إلا بحراثة وبث بذر، فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب وأجر إلا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحًا فقد علمنا الآن صدقك في قولك: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ [النجم:٣٩-٤٠] ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ﴾ [الملك:٨-٩] أي ألم نسمعكم سنة الله في عباده وأنه: ﴿تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨١] وأن: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر:٣٨] فما الذي غركم بالله بعد أن سمعتم وعقلتم؟ ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾ [الملك:١٠-١١].

فإن قلت: فأين مظنة الرجاء وموضعه المحمود؟ فاعلم أنه محمود في موضعين:

أحدهما: في حق العاصي المنهمك إذا خطرت له التوبة فقال له الشيطان: وأنّى تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله تعالى؛ فيجب عند هذا أن يقمع القنوط بالرجاء ويتذكر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٥٣] وأنّ الله كريم يقبل التوبة عن عباده وأنّ التوبة طاعة تكفر الذنوب قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر:٥٣-٥٤] أمرهم بالإنابة، وقال تعالى: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه:٨٢] فإذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج، وإن توقع المغفرة مع الإصرار فهو مغرور، كما أن من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق فخطر له أن يسعى إلى الجمعة فقال له الشيطان: إنك لا تدرك الجمعة فأقم على موضعك فكذب الشيطان ومر يعدو وهو يرجو أن يدرك الجمعة فهو راج، وإن استمرّ على التجارة وأخذ يرجو تأخير الإمام للصلاة لأجله إلى وسط الوقت أو لأجل غيره أو لسبب من الأسباب التي لا يعرفها فهو مغرور.

الثاني: أن تفتر نفسه عن فضائل الأعمال ويقتصر على الفرائض فيرجي نفسه نعيم الله تعالى وما وعد به الصالحين حتى ينبعث من رجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون:١-٢] إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:١٠-١١] فالرجاء الأوّل: يقمع القنوط المانع من التوبة، والرجاء الثاني: يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمر، فكل توقع حث على توبة أو على تشمر في العبادة فهو رجاء، وكل رجاء أوجب فتورًا في العبادة وركونًا إلى البطالة فهو غرة، كما إذا خطر له أن يترك الذنب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان: ما لك ولإيذاء نفسك وتعذيبها ولك رب كريم غفور رحيم؟ فيفتر بذلك عن التوبة والعبادة فهو غرّة، وعند هذا واجب على العبد أن يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه ويقول: إنه مع أنه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، وإنه مع أنه كريم خلد الكفار في النار أبد الآباد، مع أنه لم يضره كفرهم، بل سلط العذاب والمحن والأمراض والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على إزالتها، فمن هذه سنّته في عباده وقد خوّفني عقابه فكيف لا أخافه وكيف أغتر به؟

فالخوف والرجاء قائدان وسائقان يبعثان الناس على العمل، فما لا يبعث على العمل فهو تمن وغرور.

ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب إقبالهم على الدنيا وسبب إعراضهم عن الله تعالى وإهمالهم السعي للآخرة، فذلك غرور فقد أخبر ﷺ وذكر أن الغرور سيغلب على قلوب آخر هذه الأمة (١) وقد كان ما وعد به ﷺ فقد كان الناس في الأعصار الأول يواظبون على

(١) ضعيف: حديث «إن الغرور يغلب على آخر هذه الأمة». تقدم في آخر ذم الكبر والعجب وهو حديث أبي ثعلبة. في إعجاب كل ذي رأي برأيه. [انظر ضعيف الجامع: ٢٣٤٤، الضعيفة: ١٠٢٥].

العبادات ويؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون يخافون على أنفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يبالغون في التقوى والحذر من الشبهات والشهوات ويبكون على أنفسهم في الخلوات.

وأما الآن فترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع إكبابهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا وإعراضهم عن الله تعالى، زاعمين أنهم واثقون بكرم الله تعالى وفضله، راجون لعفوه ومغفرته، كأنهم يزعمون أنهم عرفوا من فضله وكرمه ما لم يعرفه الأنبياء والصحابة والسلف الصالحون.

فإن كان هذا الأمر يدرك بالمنى وينال بالهوينى فعلام إذن كان بكاء أولئك وخوفهم وحزنهم؟ وقد ذكرنا تحقيق هذه الأمور في كتاب الخوف والرجاء، وقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه معقل بن يسار: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَخْلَقُ فِيهِ الْقُرْآنُ فِي قُلُوبِ الرِّجَالِ كَمَا تَخْلَقُ الثِّيَابُ عَلَى الأَبْدَانِ أَمْرُهُمْ كُلُّهُ يَكُونُ طَمَعًا لا خَوْفَ مَعَهُ، إِنْ أَحْسَنَ أَحَدُهُمْ قَالَ: يُتَقَبَّلُ مِنِّي، وَإِنْ أَسَاءَ قَالَ: يُغْفَرُ لِي» (١)، فأخبر أنهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن وما فيه. وبمثله أخبر عن النصارى إذ قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف:١٦٩] ومعناه أنهم: ﴿وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي هم علماء ﴿يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾ أي شهواتهم من الدنيا حرامًا كان أو حلالًا.

وقد قال تعالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦]، ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم:١٤] والقرآن من أوله إلى آخره تحذير وتخويف، لا يتفكر فيه متفكر إلا ويطول حزنه ويعظم خوفه إن كان مؤمنًا بما فيه.

وترى الناس يهذّونه هذًّا، يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها وكأنهم يقرءون شعرًا من أشعار العرب لا يهمهم الالتفات إلى معانيه والعمل بما فيه، وهل في العالم غرور يزيد على هذا؟ فهذه أمثلة الغرور بالله وبيان الفرق بين الرجاء والغرور، ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاص إلا أن معاصيهم أكثر، وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أنهم تترجح كفة حسناتهم مع أن ما في كفة السيئات أكثر، وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من أموال المسلمين والشبهات أضعافه، ولعل ما تصدّق به من أموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظنّ أن أكل ألف درهم حرام يقاومه التصدّق بعشرة من الحرام أو الحلال، وما هو إلا كمن وضع عشرة دراهم في كَفةِ ميزان وفي الكفة الأخرى ألفًا وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله. نعم.

ومنهم من يظن أن طاعاته أكثر من معاصيه لأنه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه، وإذا

---

(١) حديث: معقل بن يسار «يأتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال .. الحديث». أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس نحوه بسند فيه جهالة ولم أره من حديث معقل.

عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله بلسانه أو يسبّح الله في اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق أعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد، ويكون نظره إلى عدد سبحته أنه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحة مائة مرة أو ألف مرة، وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعده الله بالعقاب على كل كلمة فقال: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨] فهذا أبدًا يتأمل في فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت إلى ما ورد من عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين، يظهرون من الكلام ما لا يضمرونه إلى غير ذلك من آفات اللسان. وذلك محض الغرور.

ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذي زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته، وما نطق به في فتراته كان يعده ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته، حتى لا يفضل عليه أجرة نسخه فيا عجبًا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفًا على قيراط يفوته في الأجرة على النسخ ولا يحتاط خوفًا من فوت الفردوس الأعلى ونعيمه ما هذه إلا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها لقد دُفِعْنا إلى أَمْرٍ إنْ شَكَكْنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وإن صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فما هذه أعمال من يصدق بما جاء به القرآن، وإنّا نبرأ إلى الله أن نكون من أهل الكفران.

فسبحان من صدّنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان، وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب أن يخشى ويتقي ولا يغتر به اتكالًا على أباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى، والله أعلم.

بيان أصناف المغترين وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف:

الصنف الأول: أهل العلم والمغترون منهم فرق:

ففرقة: أحكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي وإلزامها الطاعات، واغتروا بعلمهم وظنوا أنهم عند الله بمكان وأنهم بلغوا من العلم مبلغًا لا يعذب الله مثلهم، بل يقبل في الخلق شفاعتهم، وأنه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون، فإنهم لو نظروا بعين البصيرة علموا أنّ العلم علمان: علم معاملة، وعلم مكاشفة: وهو العلم بالله وبصفاته، المسمى بالعادة: علم المعرفة.

فأما العلم بالمعاملة: كمعرفة الحلال والحرام، ومعرفة أخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها، فهي علوم لا تراد إلا للعمل ولولا الحاجة إلى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة، وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل.

فمثال هذا: كمريض به علة لا يزيلها إلا دواء مركب من أخلاط كثيرة لا يعرفها إلا حذاق الأطباء، فيسعى في طلب الطبيب بعد أن هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصّل له الأخلاط وأنواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها تجتلب، وعلمه كيفية دق كل

واحد منها وكيفية خلطه وعجنه، فتعلم ذلك وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع إلى بيته وهو يكرّرها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها، أفترى أنّ ذلك يغني عنه من مرضه شيئًا؟ هيهات هيهات لو كتب منه ألف نسخة وعلمه ألف مريض حتى شفي جميعهم وكرّره كل ليلة ألف مرة لم يغنه ذلك من مرضه شيئًا، إلا أن يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته، ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه، وإذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف إذا لم يشربه أصلًا؟ فمهما ظن أنّ ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره.

وهكذا الفقيه الذي أحكم علم الطاعات ولم يعملها وأحكم علم المعاصي ولم يجتنبها وأحكم علم الأخلاق المذمومة وما زكى نفسه منها وأحكم علم الأخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور، إذ قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩] ولم يقل قد أفلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علم ذلك وعلمه الناس وعند هذا يقول له الشيطان:

لا يغرنك هذا المثال فإنّ العلم بالدواء لا يزيل المرض، وإنما مطلبك القرب من الله وثوابه والعلم يجلب الثواب، ويتلو عليه الأخبار الواردة في فضل العلم.

فإن كان المسكين معتوهًا مغرورًا وافق ذلك مراده وهواه فاطمأنّ إليه وأهمل العمل، وإن كان كيسًا فيقول للشيطان: أتذكرني فضائل العالم وتنسيني ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ [الأعراف:١٧٦] وكقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة:٥] فأي خزي أعظم من التمثيل بالكلب والحمار؟ وقد قال ﷺ: «مَنِ ازْدَادَ عِلْمًا وَلَمْ يَزْدَدْ هُدًى لَمْ يَزْدَدْ مِنَ الله إلاّ بُعْدًا» (١)، وقال ﷺ أيضًا: «يُلْقَى العَالِمُ فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فَيَدُورُ بِهَا فِي النَّارِ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ فِي الرَّحَى» (٢)، وكقوله عليه الصلاة والسلام: «شَرُّ النَّاسِ العُلَمَاءُ السُّوءُ» (٣)، وقول أبي الدرداء: ويل للذي لا يعلم مرة ولو شاء الله لعلمه وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات، أي أنّ العلم حجة عليه إذ يقال له: ماذا عملت فيما علمت وكيف قضيت شكر الله؟ وقال ﷺ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ الله بِعِلْمِهِ» (٤)، فهذا وأمثاله مما أوردناه في كتاب العلم في باب علامة علماء الآخرة أكثر من أن يحصى، إلا أن هذا فيما لا يوافق هوى العالم الفاجر، وما ورد في فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه إلى ما يهواه وذلك عين الغرور، فإنه إن نظر بالبصيرة فمثاله ما ذكرناه، وإن نظر بعين الإيمان فالذي أخبره بفضيلة العلم هو الذي

---

(١) ضعيف جداً: حديث «من ازداد علما ولم يزدد هدى .. الحديث». تقدم في العلم. [انظر ضعيف الجامع: ٥٣٩٣، الضعيفة: ٤٥٤١].

(٢) حديث «يلقى العالم في النار فتندلق أقتابه .. الحديث». تقدم غير مرة. [أخرجه البخاري: ٣٢٦٧، ومسلم: ٢٩٨٩].

(٣) حديث «شر الناس علماء السوء». تقدم في العلم.

(٤) ضعيف جداً: حديث «أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله تعالى بعلمه». تقدم فيه. [انظر ضعيف الجامع: ٨٦٨، الضعيفة: ١٦٣٤].

أخبره بذم العلماء السوء وأن حالهم عند الله أشدّ من حال الجهال.

فبعد ذلك اعتقاده أنه على خير مع تأكد حجة الله عليه غاية الغرور.

وأما الذي يدعي علوم المكاشفة: كالعلم بالله وبصفاته وأسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع أمر الله وحدوده فغروره أشدّ، ومثاله مثال من أراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف أخلاقه وأوصافه ولونه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يتعرف ما يحبه ويكرهه وما يغضب عليه وما يرضى به، أو عرف ذلك إلا أنه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما يغضب به عليه، وعاطل عن جميع ما يحبه من زي وهيئة وكلام وحركة وسكون، فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخًا بجميع ما يكرهه الملك، عاطلًا عن جميع ما يحبه، متوسلًا إليه بمعرفته له ولنسبه واسمه وبلده وصوته وشكله وعادته في سياسة غلمانه ومعاملة رعيته، فهذا مغرور جدًا إذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمعرفته فقط ومعرفة ما يكرهه ويحبه لكان ذلك أقرب إلى نيله المراد من قربه والاختصاص به، بل تقصيره في التقوى واتباعه للشهوات يدل على أنه لم ينكشف له من معرفة الله إلا الأسامي دون المعاني، إذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه واتقاه.

فلا يتصوّر أن يعرف الأسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه، وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: خفني كما تخاف السبع الضاري. نعم.

من يعرف من الأسد لونه وشكله واسمه قد لا يخافه وكأنه ما عرف الأسد، فمن عرف الله تعالى عرف من صفاته أنه يهلك العالمين ولا يبالي، ويعلم أنه مسخر في قدرة من لو أهلك مثله آلافًا مؤلفة وأبدّ عليهم العذاب أبد الآباد لم يؤثر ذلك فيه أثرًا ولم تأخذه عليه رقة ولا اعتراه عليه جزع.

ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[فاطر:٢٨] وفاتحة الزبور: «رأس الحكمة خشية الله». وقال ابن مسعود: كفى بخشية الله علمًا وكفى بالاغترار بالله جهلًا. واستفتي الحسن عن مسألة فأجاب فقيل له: إن فقهاءنا لا يقولون ذلك، فقال: وهل رأيت فقيهًا قط؟ الفقيه القائم ليله الصائم نهاره الزاهد في الدنيا.

وقال مرة: الفقيه لا يداري ولا يماري ينشر حكمة الله، فإن قبلت منه حمد الله وإن ردت عليه حمد الله.

فإذن الفقيه من فقه عن الله أمره ونهيه وعلم من صفاته ما أحبه وما كرهه وهو العالم. ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين وإذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين.

وفرقة أخرى: أحكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي، إلا أنهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا الصفات المذمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرئاسة والعلاء وإرادة السوء للأقران والنظراء وطلب الشهرة في البلاد والعباد، وربما لم يعرف بعضهم أن ذلك مذموم فهو مكب عليها غير متحرز عنها ولا يلتفت إلى قوله: «أَدْنَى الرِّياءِ

شِرْكٌ» (١)، وإلى قوله عليه السلام: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» (٢)، وإلى قوله عليه الصلاة والسلام: «الحَسَدُ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ» (٣)، وإلى قوله عليه الصلاة والسلام: «حُبُّ الشَّرَفِ وَالمَالِ يُنْبِتَانِ النِّفَاقَ كَمَا يُنْبِتُ المَاءُ البَقْلَ» (٤)، إلى غير ذلك من الأخبار التي أوردناها في جميع ربع المهلكات في الأخلاق المذمومة. فهؤلاء زينوا ظواهرهم وأهملوا بواطنهم ونسوا قوله ﷺ: «إِنَّ الله لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلا إِلَى أَمْوَالِكُمْ وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» (٥)، فتعهدوا الأعمال وما تعهدوا القلوب، والقلب هو الأصل، إذ لا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم. ومثال هؤلاء كبئر الحش ظاهرها جص وباطنها نتن، أو كقبور الموتى ظاهرها مزين وباطنها جيفة، أو كبيت مظلم باطنه وضع سراج على سطحه فاستنار ظاهره وباطنه مظلم، أو كرجل قصد الملك ضيافته إلى داره فجصص باب داره وترك المزابل في صدر داره، ولا يخفى أن ذلك غرور، بل أقرب مثال إليه: رجل زرع زرعًا فنبت ونبت معه حشيش يفسده، فأمر بتنقية الزرع عن الحشيش بقلعه من أصله، فأخذ يجز رءوسه وأطرافه فلا تزال تقوى أصوله فتنبت؛ لأن مغارس المعاصي هي الأخلاق الذميمة في القلب، فمن لا يطهر القلب منها لا تتم له الطاعات الظاهرة إلا مع الآفات الكثيرة.

بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد أمر بالطلاء وشرب الدواء، فالطلاء ليزيل ما على ظاهره والدواء ليقطع مادته من باطنه، فقنع بالطلاء وترك الدواء، وبقي يتناول ما يزيد في المادة، فلا يزال يطلي الظاهر والجرب دائم به يتفجر من المادة التي في الباطن.

وفرقة أخرى: علموا أنّ هذه الأخلاق الباطنة مذمومة من جهة الشرع، إلا أنهم لعجبهم بأنفسهم يظنون أنهم منفكون عنها وأنهم أرفع عند الله من أن يبتليهم بذلك، وإنما يبتلي به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم، فأما هم فأعظم عند الله من أن يبتليهم، ثم إذا ظهر عليهم مخايل الكبر والرئاسة وطلب العلو والشرف قالوا: ما هذا كبر وإنما هو طلب عز الدين وإظهار شرف العلم ونصرة دين الله وإرغام أنف المخالفين من المبتدعين وإني لو لبست الدون من الثياب وجلست في الدون من المجالس لشمت بي أعداء الدين وفرحوا بذلك، وكان ذلي ذلًا على الإسلام ونسي المغرور أن عدوّه الذي حذره منه مولاه هو الشيطان، وأنه يفرح بما يفعله ويسخر به، وينسى أنّ النبي ﷺ بماذا نصر الدين وبماذا أرغم الكافرين؟ ونسي ما روي عن الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والمسكنة، حتى عوتب عمر رضي الله عنه في بذاذة زيه عند قدومه إلى الشام فقال: إنّا قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب العز في غيره، ثم هذا

---

(١) ضعيف جداً: حديث «أدنى الرياء شرك». تقدم في ذم الجاه والرياء. [انظر ضعيف الجامع: ١٣٧٩].

(٢) صحيح: حديث «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر». تقدم غير مرة. [أخرجه مسلم: ٩١].

(٣) ضعيف: حديث «الحسد يأكل الحسنات .. الحديث». تقدم في العلم وغيره. [انظر ضعيف الجامع: ٢١٩٧، ضعيف الترغيب: ١٧٢٣].

(٤) حديث «حب الشرف والمال ينبتان النفاق في القلب .. الحديث». تقدم.

(٥) صحيح: حديث «إن الله لا ينظر إلى صوركم .. الحديث». تقدم. [مسلم: ٢٥٦٤].

المغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والديبقي والإبريسم ، المحرّم ، والخيول والمراكب ويزعم أنه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك مهما أطلق اللسان بالحسد في أقرانه أو فيمن رد عليه شيئًا من كلامه لم يظنّ بنفسه أنّ ذلك حسد ولكن قال: إنما هذا غضب للحق وردّ على المبطل في عدوانه وظلمه، ولم يظن بنفسه الحسد، حتى يعتقد أنه لو طعن في غيره من أهل العلم أو منع غيره من رياسة وزوحم فيها هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله؟ أم لا يغضب مهما طعن في عالم آخر ومنع؟ بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لأقرانه من خبث باطنه، وهكذا يرائي بأعماله وعلومه وإذا خطر له خاطر الرياء قال: هيهات إنما غرضي من إظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا إلى دين الله تعالى فيتخلصوا من عقاب الله تعالى: ولا يتأمل المغرور أنه ليس يفرح باقتداء الخلق بغيره كما يفرح باقتدائه به، فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان، كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم فإنه لا يفرق بين أن يحصل شفاؤهم على يده أو على يد طبيب آخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان أيضًا ويقول: إنما ذلك لأنهم إذا اهتدوا بي كان الأجر لي والثواب لي فإنما فرحي بثواب الله لا بقبول الخلق قولي هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع من ضميره على أنه لو أخبره نبي بأن ثوابه في الخمول وإخفاء العلم أكثر من ثوابه في الإظهار، وحبس مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل لاحتال في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع إلى موضعه الذي به تظهر رئاسته من تدريس أو وعظ أو غيره.

وكذلك يدخل على السلطان ويتودد إليه ويثني عليه ويتواضع له، وإذا خطر له أن التواضع للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان: هيهات إنما ذلك عند الطمع في مالهم فأما أنت فغرضك أن تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر أعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه أنه لو ظهر لبعض أقرانه قبول عند ذلك الشيطان فصار يشفعه في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين ثقل ذلك عليه، ولو قدر على أن يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه والكذب عليه لفعل.

وكذلك قد ينتهي غرور بعضهم إلى أن يأخذ من مالهم وإذا خطر له أنه حرام قال له الشيطان: هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وأنت إمام المسلمين وعالمهم وبك قوام الدين أفلا يحل لك أن تأخذ قدر حاجتك؟

فيفتتن بهذا التلبيس في ثلاثة أمور:

أحدها: في أنه مال لا مالك له فإنه يعرف أنه يأخذ الخراج من المسلمين وأهل السواد، والذين أخذ منهم أحياء. وأولادهم وورثتهم أحياء، وغاية الأمر وقوع الخلط في أموالهم، ومن غصب مائة دينار من عشرة أنفس وخالطها فلا خلاف في أنه مال حرام، ولا يقال هو مال لا مالك له، ويجب أن يقسم بين العشرة ويرد إلى كل واحد عشرة، وإن كان مال كل واحد قد اختلط بالآخر.

الثاني والثالث: في قوله إنك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين؛ ولعل الذين فسد دينهم واستحلوا أموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والإقبال على الرياسة والإعراض عن الآخرة بسببه أكثر من الذين زهدوا في الدنيا ورفضوها وأقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوّام مذهب الشياطين لا إمام الدين، إذ الإمام: هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الدنيا والإقبال على الله كالأنبياء عليهم السلام والصحابة وعلماء السلف.

والدجال: هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الله والإقبال على الدنيا. فلعل موت هذا أنفع للمسلمين من حياته وهو يزعم أنه قوّام الدين.

ومثله كما قال المسيح عليه السلام للعالم السوء: إنه كصخرة وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع. وأصناف غرور أهل العلم في هذه الأعصار المتأخرة خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل إلى الكثير.

وفرقة أخرى: أحكموا العلم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظواهر المعاصي، وتفقدوا أخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والحقد والكبر وطلب العلو، وجاهدوا أنفسهم في التبري منها وقلعوا من القلوب منابتها الجلية القوية، ولكنهم بعد مغرورون، إذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكائد الشيطان وخبايا خداع النفس ما دق وغمض مدركه فلم يفطنوا لها وأهملوها، وإنما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش رآه فقلعه، إلا أنه لم يفتش على ما لم يخرج رأسه بعد من تحت الأرض وظن أن الكل قد ظهر وبرز، وكان قد نبت من أصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فأهملها وهو يظن أنه قد اقتلعها، فإذا هو بها في غفلته وقد نبتت وقويت وأفسدت أصول الزرع من حيث لا يدري.

فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد للدفائن فتراه يسهر ليله ونهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين ألفاظها وجمع التصانيف فيها، وهو يرى أنّ باعثه الحرص على إظهار دين الله ونشر شريعته.

ولعل باعثه الخفي هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الأطراف، وكثرة الرحلة إليه من الآفاق، وانطلاق الألسنة عليه بالثناء، والمدح بالزهد والورع والعلم، والتقديم له في المهمات وإيثاره في الأغراض، والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الإصغاء عند حسن اللفظ والإيراد، والتمتع بتحريك الرءوس إلى كلامه، والبكاء عليه والتعجب منه، والفرح بكثرة الأصحاب والأتباع والمستفيدين، والسرور بالتخصص بهذه الخاصية من بين سائر الأقران والأشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد، والتمكن به من إطلاق لسان الطعن في الكافة المقبلين على الدنيا، لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن إدلال بالتميز واعتداد بالتخصيص.

ولعل هذا المسكين المغرور حياته في الباطن بما انتظم له من أمر وإمارة وعز وانقياد وتوقير وحسن ثناء، فلو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من أعماله فعساه

يتشوّش عليه قلبه وتختلط أوراده ووظائفه. وعساه يعتذر بكل حيلة لنفسه وربما يحتاج إلى أن يكذب في تغطية عيبه. وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وإن كان قد اعتقد فيه فوق قدره، وينبو قلبه عمن عرف حدّ فضله وورعه وإن كان ذلك على وفق حاله.

وعساه يؤثر بعض أصحابه على بعض وهو يرى أنه يؤثره لتقدمه في الفضل والورع، وإنما ذلك لأنه أطوع له وأتبع لمراده وأكثر ثناء عليه وأشدّ إصغاء إليه وأحرص على خدمته، ولعلهم يستفيدون منه ويرغبون في العلم وهو يظن أن قبولهم له لإخلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه من منافع خلقه، ويرى أن ذلك مكفر لذنوبه ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية فيه.

وعساه لو وعد بمثل ذلك الثواب في إيثاره الخمول والعزلة وإخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده في العزلة ولاختفاء لذة القبول وعزة الرئاسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان: من زعم من بني آدم أنه بعلمه امتنع مني فبجهله وقع في حبائلي.

وعساه يصنف ويجتهد فيه ظانًّا أنه يجمع علم الله لينتفع به وإنما يريد به استطارة اسمه بحسن التصنيف، فلو ادعى مدع تصنيفه ومحا عنه اسمه ونسبه إلى نفسه ثقل عليه ذلك مع علمه بأن ثواب الاستفادة من التصنيف إنما يرجع إلى المصنف والله يعلم بأنه هو المصنف لا من ادعاه، ولعله في تصنيفه لا يخلو من الثناء على نفسه إما صريحًا بالدعاوى الطويلة العريضة، وإما ضمنًا بالطعن في غيره، ليستبين من طعنه في غيره، أنه أفضل ممن طعن فيه وأعظم منه علمًا ولقد كان في غنية عن الطعن فيه، ولعله يحكي من الكلام المزيف ما يزيد تزييفه فيعزيه إلى قائله وما يستحسنه فلعله لا يعزيه إليه ليظن أنه من كلامه، فينقله بعينه كالسارق له أو يغيره أدنى تغيير كالذي يسرق قميصًا فيتخذه قباء حتى لا يعرف أنه مسروق، ولعله يجتهد في تزيين ألفاظه وتسجيعه وتحسين نظمه كيلا ينسب إلى الركاكة ويرى أن غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون أقرب إلى نفع الناس، وعساه غافلًا عما روي أن بعض الحكماء وضع ثلاثمائة مصحف في الحكمة فأوحى الله إلى نبي زمانه قل له قد ملأت الأرض نفاقًا وإني لا أقبل من نفاقك شيئًا.

ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين إذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه فلو افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من أصحابه نظر كل واحد إلى كثرة من يتبعه وأنه أكثر تبعًا أو غيره، فيفرح إن كان أتباعه أكثر وإن علم أن غيره أحق بكثرة الأتباع منه، ثم إذا تفرقوا واشتغلوا بالإفادة تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف إلى واحد منهم إذا انقطع عنه إلى غيره ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه لإكرامه ولا يتشمر لقضاء حوائجه كما كان يتشمر من قبل، ولا يحرص على الثناء عليه كما أثنى مع علمه بأنه مشغول بالاستفادة، ولعل التحيز منه إلى فئة أخرى كان أنفع له في دينه لآفة من الآفات كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته عنها في تلك الفئة، ومع ذلك لا تزول النفرة عن قلبه، ولعل واحدًا

منهم إذا تحرّكت فيه مبادىء الحسد لم يقدر على إظهاره فيتعلل بالطعن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك، ويقول إنما غضبت لدين الله لا لنفسي.

ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح له وإن أثنى عليه ربما ساءه وكرهه، وربما قطب وجهه إذا ذكرت عيوبه ، يظهر أنه كاره لغيبة المسلمين ، وسر قلبه راض به ومريد له، والله مطلع عليه في ذلك. فهذا وأمثاله من خفايا القلوب لا يفطن له إلا الأكياس ولا يتنزه عنه إلا الأقوياء، ولا مطمع فيه لأمثالنا من الضعفاء، إلا أنّ أقل الدرجات أن يعرف الإنسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على إصلاحه، فإذا أراد الله بعبد خيرًا بصره بعيوب نفسه، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجوّ الحال، وأمره أقرب من المغرور المزكي لنفسه الممتن على الله بعمله وعلمه الظانّ أنه من خيار خلقه، فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار ومن المعرفة بخفايا العيوب مع الإهمال.

وهذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم.

ولنذكر الآن غرور الذين قنعوا من العلوم بما لم يهمهم وتركوا المهم وهم به مغترون إما لاستغنائهم عن أصل ذلك العلم، وإما لاقتصارهم عليه.

فمنهم فرقة اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح العباد، وخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذاهب، وربما ضيعوا مع ذلك الأعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يخرسوا اللسان عن الغيبة ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن المشي إلى السلاطين وكذا سائر الجوارح، ولم يخرسوا قلوبهم عن الكبر والحسد والرياء وسائر المهلكات.

فهؤلاء مغرورون من وجهين.

أحدهما : من حيث العمل.

والآخر : من حيث العلم.

أما العمل : فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وأن مثالهم مثال المريض إذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه، لا بل مثالهم مثال من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك ومحتاج إلى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلًا ونهارًا مع علمه بأنه رجل لا يحيض ولا يستحاض، ولكن يقول: ربما تقع علة الاستحاضة لامرأة وتسألني عن ذلك، وذلك غاية الغرور.

فكذلك المتفقه المسكين قد يسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات الباطنة، وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله وهو عليه غضبان، فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والإجارة والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوى والبينات وبكتاب الحيض وهو لا يحتاج إلى شيء من ذلك قط في عمره لنفسه، وإذا احتاج غيره كان في المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والرئاسة

والمال، وقد دهاه الشيطان وما يشعر، إذ يظن المغرور بنفسه أنه مشغول بفرض دينه وليس يدري أن الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين معصية. هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وقد كان قصد بالفقه وجه الله تعالى، فإنه وإن قصد وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه في جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل.

وأما غروره من حيث العلم: فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظنّ أنه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وربما طعن في المحدثين وقال: إنهم نقلة أخبار وحملة أسفار لا يفقهون، وترك أيضًا علم تهذيب الأخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بإدراك جلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى، فتراه آمنًا من الله مغترًا به متكلًا على أنه لا بد وأن يرحمه فإنه قوام دينه، وأنه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التي هي أهم وهو غافل مغرور، وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر أن ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوّفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى، إذ قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢] والذي يحصل به الإنذار غير هذا العلم، فإن مقصود هذا العلم: حفظ الأموال بشروط المعاملات وحفظ الأبدان بالأموال وبدفع القتل والجراحات، والمال في طريق الله آلة والبدن مركب.

وإنما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين العبد وبين الله تعالى، وإذا مات ملوثًا بتلك الصفات كان محجوبًا عن الله.

فمثاله في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الرواية والخف، ولا شك في أنه لو لم يكن لتعطل الحج، ولكن المقتصر عليه ليس من الحج في شيء ولا بسبيله ، وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ، ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه إلا تعلم طريق المجادلة والإلزام وإفحام الخصوم ودفع الحق لأجل الغلبة والمباهاة، فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات أرباب المذاهب والتفقد لعيوب الأقران والتلقف لأنواع التسبيبات المؤذية، وهؤلاء هم سباع الإنس طبعهم الإيذاء وهمهم السفه، ولا يقصدون العلم إلا لضرورة ما يلزمهم لمباهاة الأقران، فكل علم لا يحتاجون إليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق إلى الله تعالى بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فإنهم يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ، وإنما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجري بين المتصارعين في الجدل.

وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الذين من قبلهم في علم الفتاوى لكن زادوا إذ اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات أيضًا، بل جميع دقائق الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف، وأما أدلة الأحكام فيشتمل عليها علم المذاهب وهو كتاب الله وسنّة رسول الله وفهم معانيهما.

وأما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية فإنما أبدعت لإظهار

الغلبة والإفحام وإقامة سوق الجدل بها فغرور هؤلاء أشد كثيرًا وأقبح من غرور من قبلهم.

وفرقة أخرى: اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الأهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم، واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق في مناظرة أولئك وافحامهم، وافترقوا في ذلك فرقًا كثيرة، واعتقدوا أنه لا يكون لعبد عمل إلا بإيمان ولا يصح إيمان إلا بأن يتعلم جدلهم وما سموه أدلة عقائدهم، وظنوا أنه لا أحد أعرف بالله وبصفاته منهم، وأنه لا إيمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم، ودعت كل فرقة منهم إلى نفسها.

ثم هم فرقتان: ضالة ومحقة؛ فالضالة هي التي تدعو إلى غير السنَّة، والمحقة هي التي تدعو إلى السنَّة والغرور شامل لجميعهم.

أما الضالة: فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة، وهم فرق كثيرة يكفر بعضهم بعضًا، وإنما أتيت من حيث إنها لم تتهم رأيها ولم تحكم أوّلًا شروط الأدلة ومنهاجها، فرأى أحدهم الشبهة دليلًا والدليل شبهة وأما الفرقة المحقة: فإنما اغترارها من حيث إنها ظنت بالجدل أنه أهم الأمور وأفضل القربات في دين الله وزعمت أنه لا يتم لأحد دينه ما لم يفحص ويبحث، وأنّ من صدَّق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن أو ليس كامل الإيمان ولا مقرّب عند الله.

فلهذا الظن الفاسد قطعت أعمارها في تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم، وأهملوا أنفسهم وقلوبهم حتى عميت عليهم ذنوبهم وخطاياهم الظاهرة والباطنة، وأحدهم يظن أنّ اشتغاله بالجدل أولى وأقرب عند الله وأفضل، ولكنه لالتذاذه بالغلبة والإفحام ولذة الرئاسة وعز الانتماء إلى الذب عن دين الله تعالى عميت بصيرته فلم يلتفت إلى القرن الأوّل، فإن النبي ﷺ شهد لهم بأنهم خير الخلق، وأنهم قد أدركوا كثيرًا من أهل البدع والهوى فما جعلوا أعمارهم ودينهم غرضًا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم وأحوالهم، بل لم يتكلموا فيه إلا من حيث رأوا حاجة وتوسموا مخايل قبول فذكروا بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلالته، وإذا رأوا مصرًا على ضلالة هجروه وأعرضوا عنه وأبغضوه في الله ولم يلزموا الملاحاة معه طول العمر، بل قالوا: إنّ الحق هو الدعوة إلى السنَّة ومن السنة ترك الجدل في الدعوة إلى السنَّة.

إذ روى أبو أمامة الباهلي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما ضل قوم قط بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»(١).

وخرج رسول الله ﷺ يومًا على أصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كأنه فقيء في وجهه حب الرمان(٢)، حمرة من الغضب، فقال: «أَبِهذَا بُعِثْتُمْ أَبِهذَا أُمِرْتُمْ أَنْ

---

(١) حسن: حديث «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل». تقدم في العلم وفي آفات اللسان. [انظر صحيح الجامع: ٥٦٣٣، صحيح الترغيب: ١٤١].

(٢) صحيح لغيره: حديث: «خرج يوما على أصحابه وهم يجادلون ويختصمون، فغضب حتى كأنه فقئ في

تَضْرِبُوا كِتَابَ الله بَعْضَهُ بِبَعْضٍ انْظُرُوا إِلَى مَا أُمِرْتُمْ بِهِ فَاعْمَلُوا وَمَا نُهِيتُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» فقد زجرهم عن ذلك وكانوا أولى خلق الله بالحجاج والجدال.

ثم إنهم رأوا رسول الله ﷺ وقد بعث إلى كافة أهل الملل فلم يقعد معهم في مجلس مجادلة لإلزام وإفحام وتحقيق حجة، ودفع سؤال وإيراد إلزام، فما جادلهم إلا بتلاوة القرآن المنزل عليهم ولم يزد في المجادلة عليه لأنّ ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها الإشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم، وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقائق الأقيسة وأن يعلم أصحابه كيفية الجدل والإلزام، ولكن الأكياس وأهل الحزم لم يغتروا بهذا وقالوا لو نجا أهل الأرض وهلكنا لم تنفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم، وليس علينا في المجادلة أكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى وأهل الملل، وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلاتهم فما لنا نضيع العمر ولا نصرفه إلى ما ينفعنا في يوم فقرنا وفاقتنا؟؟ ولم نخوض فيما لا نأمن على أنفسنا الخطأ في تفاصيله؟ ثم نرى أن المبتدع ليس يترك بدعته بجداله بل يزيده التعصب والخصومة تشدّدًا في بدعته، فاشتغالي بمخاصمة نفسي ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للآخرة أولى، هذا لو كنت لم أنه عن الجدل والخصومة فكيف وقد نهيت عنه؟ وكيف أدعو إلى السنة بترك السنة؟ فالأولى أتفقد نفسي وأنظر من صفاتها ما يبغضه الله تعالى وما يحبه لأتنزه عما يبغضه وأتمسك بما يحبه.

وفرقة أخرى: اشتغلوا بالوعظ والتذكير، وأعلاهم رتبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والإخلاص والصدق ونظائره، وهم مغرورون يظنون بأنفسهم أنهم إذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق إليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله إلا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين، وغرور هؤلاء أشد الغرور لأنهم يعجبون بأنفسهم غاية الإعجاب ويظنون أنهم ما تبحروا في علم المحبة إلا وهم محبون لله، وما قدروا على تحقيق دقائق الإخلاص إلا وهم مخلصون، وما وقعوا على خفايا عيوب النفس إلا وهم عنها منزهون: ولولا أنه مقرب عند الله لما عرفه معنى القرب والبعد وعلم السلوك إلى الله وكيفية قطع المنازل في طريق الله فالمسكين بهذه الظنون يرى أنه من الخائفين وهو آمن من الله تعالى، ويرى أنه من الراجين وهو من المغترين المضيعين، ويرى أنه من الراضين بقضاء الله وهو من الساخطين ويرى أنه من المتوكلين على الله وهو من المتكلين على العز والجاه والمال والأسباب، ويرى أنه من المخلصين وهو من المرائين. بل يصف الإخلاص فيترك الإخلاص في الوصف، ويصف الرياء ويذكره وهو يرائي بذكره ليعتقد فيه أنه لولا أنه مخلص لما اهتدى إلى دقائق الرياء، ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوّة رغبته فيها فهو يظهر الدعاء إلى الله وهو منه فارٌّ

وجهه حب الرمان .. الحديث». تقدم. [انظر صحيح الترغيب: ١٤٠، ظلال الجنة: ٤٠٦، صحيح ابن ماجه].

ويخوف بالله تعالى وهو منه آمن. ويذكر بالله تعالى وهو له ناس، ويقرّب إلى الله وهو منه متباعد، ويحث على الإخلاص وهو غير مخلص، ويذم الصفات المذمومة وهو بها متصف، ويصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق أشد حرصًا ، لو منع عن مجلسه الذي يدعو الناس فيه إلى الله لضاقت عليه الأرض بما رحبت ، ويزعم أن غرضه إصلاح الخلق ولو ظهر من أقرانه من أقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غمًا وحسدًا، ولو أثنى أحد من المترددين إليه على بعض أقرانه لكان أبغض خلق الله إليه.

فهؤلاء أعظم الناس غرّة وأبعدهم عن التنبه والرجوع إلى السداد، لأن المرغب في الأخلاق المحمودة والمنفر عن المذمومة هو العلم بغوائلها وفوائدها، وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب دعوة الخلق عن العمل به.

فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه؟ وإنما المخوف ما يتلوه على عباد الله فيخافون وهو ليس بخائف.

نعم إن ظن نفسه أنه موصوف بهذه الصفات المحمودة يمكن أن يدل على طريق الامتحان والتجربة، وهو أن يدعي مثلًا حب الله فما الذي تركه من محاب نفسه لأجله؟ ويدّعي الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف؟ ويدعي الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى؟ ويدعي الأنس بالله فمتى طابت له الخلوة ومتى استوحش من مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه يمتلىء بالحلاوة إذا أحدق به المريدون وتراه يستوحش إذا خلا بالله تعالى فهل رأيت محبًا يستوحش من محبوبه ويستروح منه إلى غيره، فالأكياس يمتحنون أنفسهم بهذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموثق من الله غليظ والمغترون يحسنون بأنفسهم الظنون وإذا كشف الغطاء عنهم في الآخرة يفتضحون بل يطرحون في النار فتندلق أقتابهم فيدور بها أحدهم كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر لأنهم يأمرون بالخير ولا يأتونه وينهون عن الشر ويأتونه، وإنما وقع الغرور لهؤلاء من حيث إنهم يصادفون في قلوبهم شيئًا ضعيفًا من أصول هذه المعاني وهو حب الله والخوف منه والرضا بفعله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية في هذه المعاني فظنوا أنهم قد قدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله علمه، وما نفع الناس بكلامهم فيها إلا لاتصافهم بها، وذهب عليهم أنّ القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة للعلم وأن كل ذلك غير الاتصاف بالصفة، فلم يفارق آحاد المسلمين في الاتصاف بصفة الحب والخوف بل في القدرة على الوصف، بل ربما زاد أمنه وقل خوفه وظهر إلى الخلق ميله، وضعف في قلبه حب الله تعالى، وإنما مثاله مثال مريض يصف المرض ويصف دواءه بفصاحته، ويصف الصحة والشفاء، وغيره من المرضى لا يقدر على وصف الصحة والشفاء وأسبابه ودرجاته وأصنافه، فهو لا يفارقهم في صفة المرض والاتصاف به وإنما يفارقهم في الوصف والعلم بالطب، فظنه عند علمه بحقيقة الصحة أنه صحيح غاية الجهل، فكذلك العلم بالخوف والحب والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير

الاتصاف بحقائقها.

ومن التبس عليه وصف الحقائق بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور فهذه حالة الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم بل منهاج وعظهم منهاج وعظ القرآن والأخبار ووعظ الحسن البصري وأمثاله رحمة الله عليهم.

وفرقة أخرى: منهم عدلوا عن المنهاج الواجب في الوعظ وهم وعاظ أهل هذا الزمان كافة إلا من عصمه الله، على الندور في بعض أطراف البلاد إن كان ولسنا نعرفه، فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبًا للإغراب. وطائفة شغفوا بطيارات النكت وتسجيع الألفاظ وتلفيقها فأكثر هممهم بالأسجاع والاستشهاد بأشعار الوصال والفراق، وغرضهم أن تكثر في مجالستهم الزعقات والتواجد ولو على أغراض فاسدة، فهؤلاء شياطين الإنس ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل، فإنّ الأوّلين وإن لم يصلحوا أنفسهم فقد أصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم. وأما هؤلاء فإنهم يصدّون عن سبيل الله ويجرون الخلق إلى الغرور بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جراءة على المعاصي ورغبة في الدنيا، لا سيما إذا كان الواعظ متزينًا بالثياب والخيل والمراكب فإنه تشهد هيئته من فرقه إلى قدمه بشدة حرصه على الدنيا فما يفسده هذا المغرور أكثر مما يصلحه بل لا يصلح أصلًا ويضل خلقًا كثيرًا ولا يخفى وجه كونه مغرورًا.

وفرقة أخرى: منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد وأحاديثهم في ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير إحاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على المنابر، وبعضهم في المحاريب، وبعضهم في الأسواق مع الجلساء وكل منهم يظن أنه إذا تميز بهذا القدر عن السوقة والجندية، إذ حفظ كلام الزهاد وأهل الدين دونهم فقد أفلح ونال الغرض، وصار مغفورًا له وأمن عقاب الله من غير أن يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام، ولكنه يظن أن حفظه لكلام أهل الدين يكفيه. وغرور هؤلاء أظهر من غرور من قبلهم.

وفرقة أخرى: استغرقوا أوقاتهم في علم الحديث أعني في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الأسانيد الغريبة العالية فهمة أحدهم أن يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول: أنا أروي عن فلان ولقد رأيت فلانًا ومعي من الإسناد ما ليس مع غيري، وغرورهم من وجوه:

منها: أنهم كحملة الأسفار فإنهم لا يصرفون العناية إلى فهم معاني السنّة فعلمهم قاصر وليس معهم إلا النقل ويظنون أنّ ذلك يكفيهم.

ومنها: أنهم إذا لم يفهموا معانيها ولا يعملون بها وقد يفهمون بعضها أيضًا ولا يعملون به.

ومنها: أنهم يتركون العلم الذي هو فرض عين وهو معرفة علاج القلب ويشتغلون بتكثير الأسانيد وطلب المعالي منها ولا حاجة بهم إلى شيء من ذلك.

ومنها: وهو الذي أكب عليه أهل الزمان أنهم أيضًا لا يقيمون بشرط السماع فإن السماع بمجرّده وإن لم تكن له فائدة ولكنه مهم في نفسه للوصول إلى إثبات الحديث إذ التفهم بعد

الإثبات والعمل بعد التفهم، فالأول السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع ثم تركوا حقيقة السماع، فترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ ينام والصبي يلعب، ثم يكتب اسم الصبي في السماع فإذا كبر تصدّى ليسمع منه والبالغ الذي يحضر ربما يغفل ولا يسمع ولا يصغي ولا يضبط وربما يشتغل بحديث أو نسخ، والشيخ الذي يقرأ عليه لو صحف وغير ما يقرأ عليه لم يشعر به ولم يعرفه، وكل ذلك جهل وغرور. إذ الأصل في الحديث أن يسمعه من رسول الله ﷺ فيحفظه كما سمعه، ويرويه كما حفظه، فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع. فإن عجزت عن سماعه من رسول الله ﷺ سمعته من الصحابة أو التابعين وصار سماعك عن الراوي كسماع من سمع من رسول الله ﷺ، وهو أن تصغي لتسمع فتحفظ وتروي كما حفظت، وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفًا ولو غير غيرك منه حرفًا أو أخطأ علمت خطأه.

ولحفظك طريقان:

أحدهما: أن تحفظ بالقلب وتستديمه بالذكر والتكرار كما تحفظ ما جرى على سمعك في مجاري الأحوال.

والثاني: أن تكتب كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه حتى لا تصل إليه يد من يغيره، ويكون حفظك للكتاب معك وفي خزانتك، فإنه لو امتدّت إليه يد غيرك ربما غيره، فإذا لم تحفظه لم تشعر بتغييره فيكون محفوظًا بقلبك أو بكتابك فيكون كتابك مذكرًا لما سمعته وتأمن فيه من التغيير والتحريف.

فإذا لم تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس، ثم رأيت نسخةً لذلك الشيخ وجوّزت أن يكون ما فيه مغيرًا أو يفارق حرف منه للنسخة التي سمعتها لم يجز لك أن تقول: سمعت هذا الكتاب، فإنك لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه بل سمعت شيئًا يخالف ما فيه ولو في كلمة.

فإذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها لتقابل بها فمن أين تعلم أنك سمعت ذلك؟ وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦]وقول الشيوخ كلهم في هذا الزمان إنّا سمعنا ما في هذا الكتاب إذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه فهو كذب صريح.

وأقل شروط السماع أن يجري الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر معه بالتغيير ولو جاز أن يكتب سماع الصبي والغافل والنائم والذي ينسخ لجاز أن يكتب سماع المجنون والصبي في المهد، ثم إذا بلغ الصبي وأفاق المجنون يسمع عليه ولا خلاف في عدم جوازه، ولو جاز ذلك لجاز أن يكتب سماع الجنين في البطن فإن كان لا يكتب سماع الصبي في المهد لأنه لا يفهم ولا يحفظ، فالصبي الذي يلعب والغافل والمشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ، وإن استجرأ جاهل فقال: يكتب سماع الصبي في المهد فليكتب سماع

الجنين في البطن، فإن فرق بينهما بأنّ الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فما ينفع هذا وهو إنما ينقل الحديث دون الصوت، فليقتصر إذا صار شيخًا على أن يقول: سمعت بعد بلوغي أني في صباي حضرت مجلسًا يروى فيه حديث كان يقرع سمعي صوته ولا أدري ما هو؟ فلا خلاف في أن الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب صريح ولو جاز إثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية لأنه سمع صوتًا غفلًا لجاز إثبات سماع صبي في المهد وذلك غاية الجهل.

ومن أين يأخذ هذا؟ وهل للسماع مستند إلا قول رسول الله ﷺ «نَضَّرَ الله امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا» (١)، وكيف يؤدي كما سمع من لا يدري ما سمع فهذا أفحش أنواع الغرور. وقد بلي بهذا أهل الزمان ولو احتاط أهل الزمان لم يجدوا شيوخًا إلا الذين سمعوه في الصبا على هذا الوجه مع الغفلة، إلا أنّ للمحدّثين في ذلك جاهًا وقبولًا، فخاف المساكين أن يشترطوا ذلك فيقل من يجتمع لذلك في حلقهم فينقص جاههم، وتقل أيضًا أحاديثهم التي قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدموا ذلك وافتضحوا، فاصطلحوا على أنه ليس يشترط إلا أن يقرع سمعه دمدمة وإن كان لا يدري ما يجري؟

وصحة السماع لا تعرف من قول المحدثين لأنه ليس من علمهم بل من علم علماء الأصول بالفقه وما ذكرناه مقطوع به في قوانين أصول الفقه فهذا غرور هؤلاء، ولو سمعوا على الشرط لكانوا أيضًا مغرورين في اقتصارهم على النقل وفي إفناء أعمارهم في جمع الروايات والأسانيد وإعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الأخبار، بل الذي يقصد من الحديث سلوك طريق الآخرة وسالك طريقها ربما يكفيه الحديث الواحد عمره، كما روي عن بعض الشيوخ أنه حضر مجلس السماع فكان أوّل حديث روي قوله عليه الصلاة والسلام: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» (٢)، فقام وقال: يكفيني هذا حتى أفرغ منه ثم أسمع غيره. فهكذا يكون سماع الأكياس الذين يحذرون الغرور.

وفرقة أخرى: اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا أنهم قد غفر لهم وأنهم من علماء الأمة، إذ قوام الدين بالكتاب والسنة، وقوام الكتاب والسنة، بعلم اللغة والنحو فأفنى هؤلاء أعمارهم في دقائق النحو وفي صناعة الشعر وفي غريب اللغة، ومثالهم كمن يفني جميع العمر في تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها ويزعم أنّ العلوم لا يمكن

(١) صحيح: حديث «نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها». أخرجه أصحاب السنن وابن حبان من حديث زيد بن ثابت [أبو داود: ٣٦٦٠، الترمذي: ٢٦٥٦، وانظر صحيح الجامع: ٦٧٦٣] والترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود وقال الترمذي حديث حسن صحيح [الترمذي: ٢٦٥٧، وانظر صحيح الجامع: ٦٧٦٤] وابن ماجه فقط من حديث جبير بن مطعم وأنس. [ابن ماجه: ٢٣١، وانظر صحيح الجامع: ٦٧٦٥، ٦٦٧٦، صحيح الترغيب: ٩١].

(٢) حديث «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه». أخرجه الترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث أبي هريرة وهو عند مالك من رواية علي بن الحسين مرسلا وقد تقدم. [الترمذي: ٢٣١٧، ابن ماجه: ٣٩٧٦، وانظر صحيح الجامع: ٥٩١١، صحيح الترغيب: ٢٨٨١، المشكاة: ٤٨٣٩].

حفظها إلا بالكتابة فلا بدّ من تعلمها وتصحيحها، ولو عقل لعلم أنه يكفيه أن يتعلم أصل الخط بحيث يمكن أن يقرأ كيفما كان والباقي زيادة على الكفاية، وكذلك الأديب لو عقل لعرف أنّ لغة العرب كلغة الترك والمضيع عمره في معرفة لغة العرب كالمضيع له في معرفة لغة الترك والهند، وإنما فارقتها لغة العرب لأجل ورود الشريعة بها، فيكفي من اللغة علم الغريبين في الأحاديث والكتاب، ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب، فأما التعمق فيه إلى درجات لا تتناهى فهو فضول مستغنى عنه، ثم لو اقتصر عليه وأعرض عن معرفة معاني الشريعة والعمل بها فهذا أيضًا مغرور، بل مثاله مثال من ضيع عمره في تصحيح مخارج الحروف في القرآن واقتصر عليه وهو غرور، إذ المقصود من الحروف المعاني وإنما الحروف ظروف وأدوات، ومن احتاج إلى أن يشرب السكنجبين ليزول ما به من الصفراء وضيع أوقاته في تحسين القدح الذي يشرب فيه السكنجبين فهو من الجهال المغرورين، فكذلك غرور أهل النحو واللغة والأدب والقراءات والتدقيق في مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها وتجردّوا لها وعرجوا عليها ، أكثر مما يحتاج إليه في تعلم العلوم التي هي فرض عين ، فاللب الأقصى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل، وهو كالقشر للعمل وكاللب بالإضافة إلى ما فوقه وما فوقه هو سماع الألفاظ وحفظها بطريق الرواية، وهو قشر بطريق الإضافة إلى المعرفة ولب بالإضافة إلى ما فوقه، وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهو القشر الأعلى العلم بمخارج الحروف، والقانعون بهذه الدرجات كلهم مغترون إلا من اتخذ هذه الدرجات منازل فلم يعرج عليها إلا بقدر حاجته، فتجاوز إلى ما وراء ذلك حتى وصل إلى لباب العمل فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه ورجى عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الأعمال وتصفيتها عن الشوائب والآفات.

فهذا هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل إليه وقشور له ومنازل بالإضافة إليه، وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان في المنزل القريب أو في المنزل البعيد.

وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها أربابها. فأما علم الطب والحساب والصناعات وما يعلم أنه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد أصحابها أنهم ينالون المغفرة بها من حيث إنها علوم فكان الغرور بها أقل من الغرور بعلوم الشرع، لأن العلوم الشرعية مشتركة في أنها محمودة كما يشارك القشر اللب في كونه محمودًا ولكن المحمود منه لعينه هو المنتهى.

والثاني محمود للوصول به إلى المقصود الأقصى فمن اتخذ القشر مقصودًا وعرج عليه فقد اغتر به.

وفرقة أخرى :عظم غرورهم في فن الفقه فظنوا أن حكم العبد بينه وبين الله يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا الحيل في دفع الحقوق وأساءوا تأويل الألفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر وأخطؤوا فيها. وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والغرور فيه والخطأ في الفتاوى مما يكثر. ولكن هذا نوع عم الكافة إلا الأكياس منهم فنشير إلى أمثلة: فمن ذلك فتواهم بأن المرأة

متى أبرأت من الصداق برىء الزوج بينه وبين الله تعالى، وذلك خطأ بل الزوج قد يسيء إلى الزوجة بحيث يضيق عليها الأمور بسوء الخلق فتضطر إلى طلب الخلاص فتبرىء الزوج لتتخلص منه فهو إبراء لا على طيبة نفس وقد قال تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾[النساء:٤] وطيبة النفس غير طيبة القلب، فقد يريد الإنسان بقلبه ما لا تطيب به نفسه فإنه يريد الحجامة بقلبه ولكن تكرهها نفسه، وإنما طيبة النفس أن تسمح نفسها بالإبراء لا عن ضرورة تقابله حتى إذا رددت بين ضررين اختارت أهونهما فهذه مصادرة على التحقيق بإكراه الباطن. نعم.

القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والأغراض، فينظر إلى الإبراء الظاهر وأنها لم تكره بسبب ظاهر والإكراه الباطن ليس يطلع الخلق عليه، ولكن مهما تصدّى القاضي الأكبر في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوبًا ولا مفيدًا في تحصيل الإبراء، ولذلك لا يحل أن يؤخذ مال إنسان إلا بطيب نفس منه، فلو طلب من الإنسان مالًا على ملأ من الناس فاستحيا من الناس أن لا يعطيه وكان يود أن يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه، ولكن خاف ألم مذمة الناس وخاف ألم تسليم المال، وردد نفسه بينهما فاختار أهون الألمين وهو ألم التسليم فسلمه، فلا فرق بين هذا وبين المصادرة إذ معنى المصادرة إيلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك أقوى من ألم القلب ببذل المال فيختار أهون الألمين، والسؤال في مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب بالسوط، ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عن الله تعالى فإن الباطن عند الله تعالى ظاهر، وإنما حاكم الدنيا هو الذي يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت لأنه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب، وكذلك من يعطي اتقاء لشر لسانه أو لشر سعايته فهو حرام عليه، وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام.

ألا ترى ما جاء في قصة داود عليه السلام حيث قال ـ بعد أن غفر له ـ يا رب كيف لي بخصمي؟ فأمر بالاستحلال منه وكان ميتًا فأمر بندائه في صخرة بيت المقدّس، فنادى: يا أوريا، فأجابه: لبيك يا نبي الله أخرجتني من الجنة فماذا تريد؟ فقال: إني أسأت إليك في أمر فهبه لي، قال: قد فعلت ذلك يا نبي الله، فانصرف وقد ركن إلى ذلك فقال له جبريل عليه السلام: هل ذكرت له ما فعلت؟؟ قال: لا، قال: فارجع فبيّن له، فرجع فناداه فقال: لبيك يا نبي الله، فقال: إني أذنبت إليك ذنبًا، قال: ألم أهبه لك؟ قال: ألا تسألني ما ذلك الذنب؟ قال: ما هو يا نبي الله؟ قال: كذا وكذا، وذكر شأن المرأة فانقطع الجواب، فقال يا أوريا ألا تجيبني؟ قال: يا نبي الله ما هكذا يفعل الأنبياء حتى أقف معك بين يدي الله، فاستقبل داود البكاء والصراخ من الرأس حتى وعده الله أن يستوهبه منه في الآخرة. فهذا ينبهك أن الهبة من غير طيبة قلب لا تفيد، وأن طيبة القلب لا تحصل إلا بالمعرفة، فكذلك طيبة القلب لا تكون في الإبراء والهبة وغيرهما إلا إذا خلى الإنسان واختياره، حتى تنبعث الدواعي من ذات نفسه لا أن تضطر بواعثه إلى الحركة بالحيل والإلزام.

ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة في آخر الحول من زوجته واتهابه مالها لإسقاط الزكاة، فالفقيه يقول: سقطت الزكاة، فإن أراد به أن مطالبة السلطان والساعي سقطت عنه فقد صدق فإن مطمح نظرهم ظاهر الملك وقد زال، وإن ظن أنه يسلم في القيامة ويكون كمن لم يملك المال، أو كمن باع لحاجته إلى المبيع لا على هذا القصد فما أعظم جهله بفقه الدين وسر الزكاة، فإن سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة البخل فإن البخل مهلك قال ﷺ: «ثلاث مهلكات شح مطاع» (١)، وإنما صار شحه مطاعًا بما فعله وقبله لم يكن مطاعًا.

فقد تم هلاكه بما يظن أنّ فيه خلاصه فإنّ الله مطلع على قلبه وحبه المال وحرصه عليه، وأنه بلغ من حرصه على المال أن استنبط الحيل حتى يسدّ على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهل والغرور، ومن ذلك إباحة الله مال المصالح للفقيه وغيره بقدر الحاجة، والفقهاء المغرورون لا يميزون بين الأماني والفضول والشهوات وبين الحاجات، بل كل ما لا تتم رعونتهم إلا به يرونه حاجة وهو محض الغرور، بل الدنيا خلقت لحاجة العباد إليها في العبادة وسلوك طريق الآخرة، فكل ما تناوله العبد للاستعانة به على الدين والعبادة فهو حاجته وما عدا ذلك فهو فضوله وشهوته، ولو ذهبنا نصف غرور الفقهاء في أمثال هذا لملأنا فيه مجلدات والغرض من ذلك التنبيه على أمثلة تعرف الأجناس دون الاستيعاب فإنّ ذلك يطول.

الصنف الثاني: أرباب العبادة والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره في الصلاة. ومنهم من غروره في تلاوة القرآن. ومنهم في الحج. ومنهم في الغزو.

ومنهم في الزهد وكذلك كل مشغول بمنهج من مناهج العمل فليس خاليًا عن غرور إلا الأكياس وقليل ما هم.

فمنهم فرقة: أهملوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل والنوافل وربما تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا إلى العدوان والسرف، كالذي تغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرضى الماء المحكوم بطهارته في فتوى الشرع، ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في النجاسة، وإذا آل الأمر إلى الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما أكل الحرام المحض، ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء إلى الطعام لكان أشبه بسيرة الصحابة، إذ توضأ عمر رضي الله عنه بماء في جرّة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان مع هذا يدع أبوابًا من الحلال مخافة من الوقوع في الحرام. ثم من هؤلاء من يخرج إلى الإسراف في صب الماء وذلك منهي عنه (٢)، وقد يطول الأمر حتى يضيع الصلاة ويخرجها عن وقتها، وإن لم يخرجها أيضًا عن وقتها فهو مغرور لما فاته

---

(١) حسن: حديث «ثلاث مهلكات .. الحديث». تقدم غير مرة. [انظر صحيح الجامع: ٣٠٣٩].

(٢) حديث: النهي عن الإسراف في الوضوء. أخرجه الترمذي وضعفه وابن ماجه من حديث أبي بن كعب «إن للوضوء شيطانا يقال له الولهان... الحديث» وتقدم في عجائب القلب. [الترمذي: ٥٧، وهو ضعيف، انظر ضعيف الجامع: ١٩٧٠، ضعيف الترمذي، قلت: ويغني عن حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ توضأ ثلاثاً ثم قال: «هذا الوضوء فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم» وهو حسن صحيح، انظر صحيح الجامع: ٦٩٨٩، الصحيحة: ٢٩٨٠].

من فضيلة أول الوقت، وإن لم يفته فهو مغرور لإسرافه في الماء، وإن لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو أعز الأشياء فيما له مندوحة عنه، إلا أن الشيطان يصدّ الخلق عن الله بطريق سني، ولا يقدر على صدّ العباد إلا بما يخيل إليهم أنه عبادة فيبعدهم عن الله بمثل ذلك.

وفرقة أخرى: غلب عليها الوسوسة في نية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوّش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلاة عن الوقت، وإن تم تكبيره فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته، وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه، يفعلون ذلك في أوّل الصلاة ثم يغفلون في جميع الصلاة فلا يحضرون قلوبهم، ويغترون بذلك ويظنون أنهم إذا أتعبوا أنفسهم في تصحيح النية في أوّل الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم.

وفرقة أخرى: تغلب عليهم الوسوسة في إخراج حروف الفاتحة وسائر الأذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلاته، لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلاً عن معنى القرآن والاتعاظ به وصرف الفهم إلى أسراره. وهذا من أقبح أنواع الغرور فإنه لم يكلف الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف إلا بما جرت به عادتهم في الكلام.

ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة إلى مجلس سلطان وأمر أن يؤديها على وجهها، فأخذ يؤدي الرسالة ويتأنق في مخارج الحروف ويكررها ويعيدها مرةً بعد أخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فما أحراه بأن تقام عليه السياسة ويرد إلى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل.

وفرقة أخرى: اغتروا بقراءة القرآن فيهذُّونه هذا وربما يختمونه في اليوم والليل مرة، ولسان أحدهم يجري به وقلبه يتردد في أودية الأماني إذ لا يتفكر في معاني القرآن لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند أوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار فيه إلى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة، فهو مغرور يظن أن المقصود من إنزال القرآن الهمهمة به مع الغفلة عنه.

ومثاله: مثال عبد كتب إليه مولاه ومالكه كتابًا وأشار عليه فيه بالأوامر والنواهي، فلم يصرف عنايته إلى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما أمره به مولاه، إلا أنه يكرر الكتاب بصوته ونغمته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة، ومهما ظن أن ذلك هو المراد منه فهو مغرور. نعم تلاوته إنما تراد لكيلا ينسى بعد لحفظه وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه، وقد يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويلتذ به ويغتر باستلذاذه ويظن أن ذلك لذة مناجاة الله تعالى وسماع كلامه وإنما هي لذته في صوته، ولو ردد ألحانه بشعر أو كلام آخر لالتذ به ذلك الالتذاذ، فهو مغرور إذ لم يتفقد قلبه فيعرفه أن لذته بكلام الله تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه أو بصوته.

وفرقة أخرى: اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر أو صاموا الأيام الشريفة وهم فيها لا يحفظون ألسنتهم عن الغيبة، وخواطرهم عن الرياء، وبطونهم عن الحرام عند الإفطار، وألسنتهم عن الهذيان بأنواع الفضول طول النهار، وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيهمل الفرائض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور.

وفرقة أخرى: اغتروا بالحج فيخرجون إلى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال، وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الإسلام ويضيعون في الطريق الصلاة والفرائض ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم، ولا يحذرون في الطريق من الرفث والخصام، وربما جمع بعضهم الحرام وأنفقه على الرفقاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فيعصي الله تعالى في كسب الحرام أوّلًا وفي إنفاقه بالرياء ثانيًا فلا هو أخذه من حله ولا هو وضعه في حقه، ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذائل الأخلاق وذميم الصفات لم يقدّم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن أنه على خير من ربه فهو مغرور.

وفرقة أخرى: أخذت في طريق الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس ويأمرهم بالخير وينسى نفسه، وإذا أمرهم بالخير عنف وطلب الرئاسة والعزة وإذا باشر منكرًا ورد عليه غضب وقال: أنا المحتسب فكيف تنكر عليّ؟ وقد يجمع الناس إلى مسجده ومن تأخر عنه أغلظ القول عليه وإنما غرضه الرياء والرئاسة، ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه، بل منهم من يؤذن ويظن أنه يؤذن لله ولو جاء غيره وأذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال: لم آخذ حقي وزوحمت على مرتبتي، وكذلك قد يتقلد إمامة مسجد ويظن أنه على خير وإنما غرضه أن يقال إنه إمام مسجد فلو تقدّم غيره وإن كان أورع وأعلم منه ثقل عليه.

وفرقة أخرى: جاوروا بمكة أو المدينة واغتروا بمكة ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم فقلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة إلى قول من يعرفه أنّ فلانًا مجاور بذلك، وتراه يتحدّى ويقول: قد جاورت بمكة كذا وكذا سنة، وإذا سمع أنّ ذلك قبيح ترك صريح التحدّي وأحب أن يعرفه الناس بذلك ثم إنه قد يجاور ويمدّ عين طمعه إلى أوساخ أموال الناس وإذا جمع من ذلك شيئًا شح به وأمسكه لم تسمح نفسه بلقمة يتصدّق بها على فقير فيظهر فيه الرياء والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك المجاورة، ولكن حب المحمدة وأن يقال إنه من المجاورين ألزمه المجاورة مع التضمخ بهذه الرذائل فهو أيضًا مغرور، وما من عمل من الأعمال وعبادة من العبادات إلا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتها واعتمد عليها فهو مغرور، ولا يعرف شرح ذلك إلا من جملة كتب إحياء علوم الدين، فيعرف مداخل الغرور في الصلاة من كتاب الصلاة، وفي الحج من كتاب الحج، والزكاة والتلاوة وسائر القربات من الكتب التي رتبناها فيها، وإنما الغرض الآن الإشارة إلى مجامع ما سبق في الكتب.

وفرقة أخرى: زهدت في المال وقنعت من اللباس والطعام بالدون ومن المسكن

بالمساجد وظنت أنها أدركت رتبة الزهاد، وهو مع ذلك راغب في الرئاسة والجاه إما بالعلم أو بالوعظ أو بمجرّد الزهد، فقد ترك أهون الأمرين وباء بأعظم المهلكين، فإنّ الجاه أعظم من المال ولو ترك الجاه وأخذ المال كان إلى السلامة أقرب فهذا مغرور إذ ظن أنه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا، ولم يدر أنّ منتهى لذاتها الرئاسة وأنّ الراغب فيها لا بدّ وأن يكون منافقًا وحسودًا ومتكبرًا ومرائيًا ومتصفًا بجميع خبائث الأخلاق. نعم.

وقد يترك الرئاسة ويؤثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور إذ يتطول بذلك على الأغنياء ويخشن معهم الكلام وينظر إليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله، ويتصف بجملة من خبائث القلوب وهو لا يدري، وربما يعطى المال فلا يأخذه خيفة من أن يقال بطل زهده، ولو قيل له إنه حلال فخذه في الظاهر ورده في الخفية لم تسمح به نفسه خوفًا من ذم الناس، فهو راغب في حمد الناس وهو من ألذ أبواب الدنيا، ويرى نفسه أنه زاهد في الدنيا وهو مغرور ومع ذلك فربما لا يخلو من توقير الأغنياء وتقديمهم على الفقراء والميل إلى المريدين له والمثنين عليه والنفرة عن المائلين إلى غيره من الزهاد، وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان نعوذ بالله منه.

وفي العباد من يشدّد على نفسه في أعمال الجوارح حتى ربما يصلي في اليوم والليلة مثلًا ألف ركعة ويختم القرآن وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات فلا يدري أنّ ذلك مهلك، وإن علم ذلك فلا يظن بنفسه ذلك، وإن ظن بنفسه ذلك توهم أنه مغفور له لعمله الظاهر وأنه غير مؤاخذ بأحوال القلب، وإن توهم فيظن أن العبادات الظاهرة تترجح بها كفة حسناته وهيهات وذرة من ذي تقوى وخلق واحد من أخلاق الأكياس أفضل من أمثال الجبال عملًا بالجوارح، ثم لا يخلو هذا المغرور، مع سوء خلقه مع الناس وخشونته وتلوث باطنه، عن الرياء وحب الثناء، فإذا قيل له أنت من أوتاد الأرض وأولياء الله وأحبابه فرح المغرور بذلك وصدق به وزاده ذلك غرورًا، وظن أن تزكية الناس له دليل على كونه مرضيًا عند الله ولا يدري أن ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه.

وفرقة أخرى: حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض، ترى أحدهم يفرح بصلاة الضحى وبصلاة الليل وأمثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتدّ حرصه على المبادرة بها في أوّل الوقت، وينسى قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «ما تَقَرَّبَ المُتَقَرِّبُونَ إِلَيَّ بِمِثْلِ أَدَاءِ ما افْتَرَضْتُ عَلَيْهِمْ»[1]، وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور.

بل قد يتعين على الإنسان فرضان: أحدهما يفوت والآخر لا يفوت، أو فضلان أحدهما يضيق وقته والآخر يتسع وقته. فإن لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورًا. ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى، فإن المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وإنما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض،

(١) حديث «ما تقرب المتقربون إلى بمثل أداء ما افترضت عليهم». أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة بلفظ «ما تقرب إلى عبدي».[البخاري : ٦٥٠٢].

كتقديم الفرائض كلها على النوافل، وتقديم فروض الأعيان على فروض الكفاية، وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ما قام به غيره، وتقديم الأهم من فروض الأعيان على ما دونه، وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت، وهذا كما يجب تقديم حاجة الوالدة على حاجة الوالد إذ سئل رسول الله ﷺ فقيل له: من أبر يا رسول الله؟ قال «أمك» قال: ثم من؟ قال «أمك» قال: ثم من؟ قال «أمك» قال: ثم من؟ قال «أباك» قال: ثم من؟ قال «أدناك فأدناك» (١)، فينبغي أن يبدأ في الصلة بالأقرب، فإن استويا فبالأحوج، فإن استويا فبالأتقى والأورع.

وكذلك من لا يفي ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو مغرور بل ينبغي أن يقدّم حقهما على الحج، وهذا من تقديم فرض أهم على فرض هو دونه.

وكذلك إذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة فالجمعة تفوت والاشتغال بالوفاء بالوعد معصية وإن كان هو طاعة في نفسه.

وكذلك قد تصيب ثوبه النجاسة فيغلظ القول على أبويه وأهله بسبب ذلك فالنجاسة محذورة وإيذاؤهما محذور.

والحذر من الإيذاء أهم من الحذر من النجاسة. وأمثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر. ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور.

وهذا غرور في غاية الغموض لأنّ المغرور فيه في طاعة إلا أنه لا يفطن لصيرورة الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هي أهم منها.

ومن جملته الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل من الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب؛ لأن مقصود الفقه معرفة ما يحتاج إليه غيره في حوائجه.

فمعرفة ما يحتاج هو إليه في قلبه أولى به إلا أن حب الرئاسة والجاه ولذة المباهاة وقهر الأقران والتقدّم عليهم يعمى عليه حتى يغتر به مع نفسه ويظنّ أنه مشغول بهم دينه.

الصنف الثالث: المتصوّفة وما أغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق كثيرة.

ففرقة منهم: وهو متصوّفة أهل الزمان إلا من عصمه الله اغتروا بالزي والهيئة والمنطق، فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم وفي ألفاظهم وفي آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم، وفي أحوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث إلى غير ذلك من الشمائل والهيئات، فلما تكلفوا هذه الأمور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضًا صوفية ولم يتعبوا قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب، وتطهير الباطن

---

(١) حسن: حديث: من أبر يا رسول الله؟ قال «أمك» .. الحديث». أخرجه الترمذي والحاكم وصححه من حديث زيد بن حكيم عن أبيه عن جده وقد تقدم في آداب الصحبة. [الترمذي: ١٨٩٧، وانظر صحيح الترغيب: ٨٩٥، الإرواء: ٢١٧٠ وأصله في الصحيحين من حديث أبي هريرة].

والظاهر من الآثام الخفية والجلية، وكل ذلك من أوائل منازل التصوف، ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم في الصوفية؟ كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئًا منها؟ بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير والقطمير، ويمزق بعضهم أعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه.

وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امرأة عجوز سمعت أن الشجعان والأبطال من المقاتلين ثبتت أسماؤهم في الديوان ويقطع لكل واحد منهم قطر من أقطار المملكة، فتاقت نفسها إلى أن يقطع لها مملكة فلبست درعًا ووضعت على رأسها مغفرًا وتعلمت من رجز الأبطال أبياتًا وتعودت إيراد تلك الأبيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيفية تبخترهم في الميدان وكيف تحريكهم الأيدي وتلفقت جميع شمائلهم في الزي والمنطق والحركات والسكنات، ثم توجهت إلى المعسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان، فلما وصلت إلى المعسكر أنفذت إلى ديوان العرض وأمر بأن تجرد عن المغفر والدرع وينظر ما تحته وتمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر عنائها في الشجاعة، فلما جردت عن المغفر والدرع فإذا هي عجوز ضعيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر؟ فقيل لها أجئت للاستهزاء بالملك وللاستخفاف بأهل حضرته والتلبيس عليهم خذوها فألقوها قدام الفيل لسخفها فألقيت إلى الفيل.

فهكذا يكون حال المدعين للتصوف في القيامة إذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الأكبر الذي لا ينظر إلى الزي والمرقع بل إلى سرّ القلب.

وفرقة أخرى: زادت على هؤلاء في الغرور إذ شق عليها الاقتداء بهم في بذاذة الثياب والرضا بالدون، فأرادت أن تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدًّا من التزين بزيهم فتركوا الحرير والإبريسم وطلبوا المرقعات النفيسة والفوط الرقيقة والسجادات المصبغة ولبسوا من الثياب ما هو أرفع قيمةً من الحرير والإبريسم، وظن أحدهم مع ذلك أنه متصوّف بمجرّد لون الثوب وكونه مرقعًا، ونسي أنهم إنما لونوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لإزالة الوسخ، وإنما لبسوا المرقعات إذ كانت ثيابهم مخرقة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد فأما تقطيع الفوط الرقيقة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن أين يشبه ما اعتادوه؟ فهؤلاء أظهر حماقة من كافة المغرورين، فإنهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الأطعمة ويطلبون رغد العيش ويأكلون أموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي الظاهرة فضلًا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بأنفسهم الخير وشر هؤلاء مما يتعدى إلى الخلق إذ يهلك من يقتدي بهم، ومن لا يقتدي بهم تفسد عقيدته في أهل التصوف كافة ويظنّ أن جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين منهم، وكل ذلك من شؤم المتشبهين وشرهم.

وفرقة أخرى: ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والأحوال والملازمة في عين الشهود والوصول إلى القرب، ولا يعرف هذه الأمور إلا بالأسامي والألفاظ لأنه تلقف

من ألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن أن ذلك أعلى من علم الأولين والآخرين، فهو ينظر إلى الفقهاء والمفسرين والمحدثين وأصناف العلماء بعين الازدراء فضلًا عن العوام، حتى إن الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم أيامًا معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فيرددها كأنه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الأسرار، ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء، فيقول في العباد إنهم أجراء متعبون، ويقول في العلماء إنهم بالحديث عن الله محجوبون، ويدعي لنفسه أنه الواصل إلى الحق وأنه من المقربين، وهو عند الله من الفجار المنافقين، وعند أرباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط علمًا ولم يهذب خلقًا ولم يرتب عملًا ولم يراقب قلبًا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه.

وفرقة أخرى: وقعت في الإباحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الأحكام وسووا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم أن الله مستغن عن عملي فلم أتعب نفسي، وبعضهم يقول: قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن، وإنما يغتر به من لم يجرب، وأما نحن فقد جربنا وأدركنا أن ذلك محال.

ولا يعلم الأحمق أن الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من أصلهما بل إنما كلفوا قلع مادتهما بحيث ينقاد كل واحد منهما لحكم العقل والشرع. وبعضهم يقول: الأعمال بالجوارح لا وزن لها، وإنما النظر إلى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصلة إلى معرفة الله وإنما نخوض في الدنيا بأبداننا وقلوبنا عاكفة في حضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب، ويزعمون أنهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية وأن الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها، ويرفعون درجة أنفسهم على درجة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذ كانت تصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة. حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية، وأصناف غرور أهل الإباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى، وكل ذلك بناء على أغاليط ووساوس يخدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل أحكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم صالح للاقتداء به وإحصاء أصنافهم يطول.

وفرقة أخرى: جاوزت حدّ هؤلاء واجتنبت الأعمال وطلقت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار أحدهم يدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها. فمنهم من يدعي الوجد والحب لله تعالى ويزعم أنه واله بالله ولعله قد تخيل في الله خيالات هي بدعة أو كفر فيدعي حب الله قبل معرفته، ثم إنه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله عز وجل وعن إيثار هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الأمور حياء من الخلق، ولو خلا لما تركه حياء من الله تعالى.

وليس يدري أن أكل ذلك يناقض الحب، وبعضهم ربما يميل إلى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصحح دعوى التوكل، وليس يدري أن ذلك بدعة لم تنقل عن السلف والصحابة وقد كانوا أعرف بالتوكل منه، فما فهموا أن التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل

كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد، وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الأسباب واثق به، وما من مقام من المقامات المنجيات إلا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات في ربع المنجيات من الكتاب فلا يمكن إعادتها.

وفرقة أخرى: ضيقت على نفسها في أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص وأهملوا تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصلة الواحدة، ومنهم من أهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومسكنه وأخذ يتعمق في غير ذلك، وليس يدري المسكين أن الله تعالى لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الأعمال دون طلب الحلال، بل لا يرضيه إلا تفقد جميع الطاعات والمعاصي. فمن ظن أن بعض هذه الأمور يكفيه وينجيه فهو مغرور.

وفرقة أخرى: ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدّوا لخدمة الصوفية فجمعوا قومًا وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرئاسة وجمع المال، وإنما غرضهم التكبر، وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاع، وهم يظهرون أن غرضهم الإرفاق وغرضهم الاستتباع، وهم يظهرون أن غرضهم الخدمة والتبعية ثم إنهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم لتكثر أتباعهم وينتشر بالخدمة اسمهم، وبعضهم يأخذ أموال السلاطين ينفق عليهم، وبعضهم يأخذها لينفق في طريق الحج على الصوفية ويزعم أن غرضه البر والإنفاق، وباعث جميعهم الرياء والسمعة، وآية ذلك إهمالهم لجميع أوامر الله تعالى عليهم ظاهرًا وباطنًا ورضاهم بأخذ الحرام والإنفاق منه. ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج لإرادة الخير كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالعذرة ويزعم أن قصده العمارة.

وفرقة أخرى: اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الأخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علمًا وحرفة، فهم في جميع أحوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام في آفاتها، فيقولون هذا في النفس عيب والغفلة عن كونه عيبًا عيب، والالتفات إلى كونه عيبًا عيب، ويشغفون فيه بكلمات مسلسلة تضيع الأوقات في تلفيقها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن عيوب النفس وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه.

وفرقة أخرى: جاوزوا هذه الرتبة وابتدءوا سلوك الطريق وانفتحت لهم أبواب المعرفة، فكلما تشمموا من مبادىء المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها وأعجبتهم غرابتها فتقيدت قلوبهم بالالتفاف إليها والتفكر فيها، وفي كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم، وكل ذلك غرور لأن عجائب طريق الله ليس لها نهاية، فلو وقف مع كل أعجوبة وتقيد بها قصرت خطاه وحرم الوصول إلى المقصد وكان مثاله مثال من قصد ملكًا فرأى على باب ميدانه روضة فيها أزهار وأنوار لم يكن قد رأى قبل ذلك مثلها، فوقف ينظر إليها ويتعجب حتى فاته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك.

وفرقة أخرى: جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا إلى ما يفيض عليهم من الأنوار في الطريق ولا إلى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات إليها جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا إلى حدّ القربة إلى الله تعالى، فظنوا أنهم قد وصلوا إلى الله فوقفوا وغلطوا فإن لله تعالى سبعين حجابًا من نور لا يصل السالك إلى حجاب من تلك الحجب في الطريق إلا ويظن أنه قد وصل.

وإليه الإشارة بقول إبراهيم عليه السلام إذ قال الله تعالى إخبارًا عنه: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ [الأنعام:٧٦] وليس المعنى به هذه الأجسام المضيئة فإنه كان يراها في الصغر ويعلم أنها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحدًا، والجهال يعلمون أن الكوكب ليس بإله فمثل إبراهيم عليه السلام لا يغرّه الكوكب الذي لا يغرّ السوادية.

ولكن المراد به أنه نور من الأنوار التي هي من حجب الله عز وجل وهي على طريق السالكين، ولا يتصوّر الوصول إلى الله تعالى إلا بالوصول إلى هذه الحجب، وهي حجب من نور بضعها أكبر من بعض وأصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه وأعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر، فلم يزل إبراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات حيث قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:٧٥] يصل إلى نور بعد نور ويتخيل إليه في أوّل ما كان يلقاه أنه قد وصل، ثم كان يكشف له أن وراءه أمرًا فيترقى إليه ويقول: قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل إلى الحجاب الأقرب الذي لا وصول إلا بعده، فقال: ﴿هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ [الأنعام:٧٨] فلما ظهر له أنه مع عظمه غير خال عن الهوى في حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾ [الأنعام:٧٦] إلى أن قال: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام:٧٩] وسالك هذه الطريق قد يغتر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الأول، وأوّل الحجب بين الله وبين العبد هو نفسه فإنه أيضًا أمر رباني وهو نور من أنوار الله تعالى، أعني سر القلب الذي تتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى أنه ليتسع لجملة العالم ويحيط به وتتجلى فيه صورة الكل، وعند ذلك يشرق نوره إشراقًا عظيمًا إذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في أوّل الأمر محجوب بمشكاة هي كالساتر له فإذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد إشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب إلى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه، وربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول: أنا الحق فإن لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك، وكان قد اغتر بكوكب صغير من أنوار الحضرة الإلهية ولم يصل بعد إلى القمر فضلًا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس، إذ المتجلي يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يتراءى في المرآة بالمرآة فيظن أنه لون المرآة، وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج كما قيل:

رقّ الزجاج ورقّتِ الخمرُ ... فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمرٌ ولا قدحٌ ... وكأنما قدحٌ ولا خمر

وبهذه العين نظر النصارى إلى المسيح فرأوا إشراق نور الله قد تلألأ فيه فغلطوا فيه كمن يرى كوكبًا في مرآة أو في ماء فيظن أن الكوكب في المرآة أو في الماء فيمدّ يده إليه ليأخذه وهو مغرور، وأنواع الغرور في طريق السلوك إلى الله تعالى لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى إلا بعد شرح جميع علوم المكاشفة، وذلك مما لا رخصة في ذكره، ولعل القدر الذي ذكرناه أيضًا كان الأولى تركه إذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج إلى أن يسمعه من غيره، والذي لم يسلكه لاينتفع بسماعه بل ربما يستضر به إذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم، ولكن فيه فائدة وهو إخراجه من الغرور الذي هو فيه بل ربما يصدّق بأنّ الأمر أعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجدله المزخرف ويصدّق أيضًا بما يحكى له من المكاشفات التي أخبر عنها أولياء الله، ومن عظم غروره ربما أصر مكذبًا بما يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل.

الصنف الرابع: أرباب الأموال، والمغترون منهم فرق:

ففرقة منهم: يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون أساميهم بالآجر عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت أثرهم، وهم يظنون أنهم قد استحقوا المغفرة بذلك. وقد اغتروا فيه من وجهين:

أحدهما: أنهم يبنونها من أموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشا والجهات المحظورة، فهم قد تعرضوا لسخط الله في كسبها وتعرّضوا لسخطه في إنفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها، فإذن قد عصوا الله بكسبها فالواجب عليهم التوبة والرجوع إلى الله وردها إلى ملاكها إما بأعيانها وإما برد بدلها عند العجز، فإن عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها إلى الورثة فإن لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها إلى أهم المصالح، وربما يكون الأهم التفرقة على المساكين، وهم لا يفعلون ذلك خيفة من أن يظهر ذلك للناس فيبنون الأبنية بالآجر وغرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء أسمائهم المكتوبة فيها لا لبقاء الخير.

والوجه الثاني: أنهم يظنون بأنفسهم الإخلاص وقصد الخير في الإنفاق على الأبنية ولو كلف واحد منهم أن ينفق دينارًا ولا يكتب اسمه على الموضع الذي أنفق عليه لشق عليه ذلك ولم تسمح به نفسه، والله مطلع عليه كتب اسمه أو لم يكتب، ولولا أنه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر إلى ذلك.

وفرقة أخرى: ربما اكتسبت المال من الحلال وأنفقت على المساجد وهي أيضًا مغرورة من وجهين:

أحدهما: الرياء وطلب الثناء فإنه ربما يكون في جواره أو بلده فقراء وصرف المال إليهم أهم وأفضل وأولى من الصرف إلى بناء المساجد وزينتها، وإنما يخف عليهم الصرف على المساجد ليظهر ذلك بين الناس.

والثاني: أنه يصرف إلى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التي هي منهي عنها وشاغلة قلوب المصلين ومختطفة أبصارهم [(١)] والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب، وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك، ووبال ذلك كله يرجع إليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى أنه من الخيرات ويعدّ ذلك وسيلة إلى الله تعالى، وهو مع ذلك قد تعرّض لسخط الله وهو يظن أنه مطيع له وممتثل لأمره، وقد شوّش قلوب عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم به إلى زخارف الدنيا، فيشتهون مثل ذلك في بيوتهم ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله في رقبته؛ إذ المسجد للتواضع ولحضور القلب. مع الله تعالى.

قال مالك بن دينار: أتى رجلان مسجدًا فوقف أحدهما على الباب وقال: مثلي لا يدخل بيت الله، فكتبه الملكان عند الله صديقًا. فهكذا ينبغي أن تعظم المساجد وهو أن يرى تلويث المسجد بدخوله فيه بنفسه جناية على المسجد لا أن يرى تلويث المسجد بالحرام أو بزخرف الدنيا منة على الله تعالى.

وقال الحواريون للمسيح عليه السلام: انظر إلى هذا المسجد ما أحسنه فقال: أمتي أمتي بحق أقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرًا قائمًا على حجر إلا أهلكه بذنوب أهله. إن الله لا يعبأ بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيئًا، وإن أحب الأشياء إلى الله تعالى القلوب الصالحة بها يعمر الله الأرض وبها يخرّب إذا كانت على غير ذلك.

وقال أبو الدرداء: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا زَخْرَفْتُمْ مَسَاجِدَكُمْ وَحَلَّيْتُمْ مَصَاحِفَكُمْ فَالدَّمَارُ عَلَيْكُمْ» [(٢)]، وقال الحسن: «إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ لَهُ: ابْنِهِ سَبْعَةَ أَذْرُعٍ طُولًا فِي السَّمَاءِ لا تُزَخْرِفْهُ وَلا تَنْقُشْهُ» [(٣)]، فغرور هذا من حيث إنه رأى المنكر واتكل عليه.

وفرقة أخرى: ينفقون الأموال في الصدقات على الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة، ومن الفقراء من عادته الشكر والإفشاء للمعروف ويكرهون التصدّق في السر، ويرون إخفاء الفقير لما يأخذ منهم جناية عليهم وكفرانًا، وربما يحرصون على إنفاق المال في الحج فيحجون مرة بعد أخرى، وربما تركوا جيرانهم جياعًا، ولذلك قال ابن مسعود: في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب، يهون عليهم السفر ويبسط لهم في الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين، يهوي بأحدهم بعيره بين الرمال والقفار وجاره مأسور إلى جنبه لا يواسيه.

---

(١) حديث: النهي عن زخرفة المساجد وتزيينها بالنقوش .. الحديث. أخرجه البخاري من قول عمر بن الخطاب: أكن الناس ولا تحمر ولا تصفر. [قلت: أخرجه البخاري: تعليقًا بصيغة الجزم، كتاب الصلاة، باب بنيان المسجد].

(٢) حسن: حديث «إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم». أخرجه ابن المبارك في الزهد وأبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف موقوفا على أبي الدرداء. [انظر صحيح الجامع: ٥٨٥].

(٣) حديث الحسن مرسلا: لما أراد أن يبني مسجد المدينة أتاه جبريل فقال ابنه سبعة أذرع طولا في السماء ولا تزخرفه ولا تنقشه. لم أجده.

وقال أبو نصر التمار: إن رجلًا جاء يودع بشر بن الحارث وقال: قد عزمت على الحج فتأمرني بشيء؟ فقال له: كم أعددت للنفقة؟ فقال: ألفي درهم. قال بشر: فأي شيء تبتغي بحجك؟ تزهدًا أو اشتياقًا إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله؟ قال: ابتغاء مرضاة الله، قال: فإن أصبت مرضاة الله تعالى وأنت في منزلك وتنفق ألفي درهم وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى أتفعل ذلك؟ قال: نعم، قال: اذهب فأعطها عشرة أنفس: مديون يقضي دينه، وفقير يرم شعثه، ومعيل يغني عياله، ومربي يتيم يفرحه، وإن قوي قلبك تعطيها واحدًا فافعل فإن إدخالك السرور على قلب المسلم وإغاثة اللهفان وكشف الضر وإعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الإسلام، قم فأخرجها كما أمرناك وإلا فقل لنا ما في قلبك؟ فقال: يا أبا نصر سفري أقوى في قلبي، فتبسم بشر رحمه الله وأقبل عليه وقال له: المال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس أن تقضي به وطرًا فأظهرت الأعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل اليقين.

وفرقة أخرى: من أرباب الأموال اشتغلوا بها يحفظون الأموال ويمسكونها بحكم البخل، ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها إلى نفقة، كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن، وهم مغرورون لأن البخل المهلك قد استولى على بواطنهم فهو يحتاج إلى قمعه بإخراج المال، فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها، ومثاله مثال من دخل في ثوبه حية وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفراء، ومن قتلته الحية متى يحتاج إلى السكنجبين؟ ولذلك قيل لبشر: إن فلانًا الغني كثير الصوم والصلاة فقال: المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره وإنما حال هذا إطعام الطعام للجياع والإنفاق على المساكين، فهذا أفضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه ومن جمعه للدنيا ومنعه للفقراء.

وفرقة أخرى: غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم إلا بأداء الزكاة فقط، ثم إنهم يخرجون من المال الخبيث الرديء الذين يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدعهم ويتردد في حاجاتهم، ومن يحتاجون إليه في المستقبل للاستسخار في خدمة أو من لهم فيه على الجملة غرض، أو يسلمون ذلك إلى من يعينه واحد من الأكابر ممن يستظهر بحشمه لينال بذلك عنده منزلةً فيقوم بحاجاته. وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور، ويظن أنه مطيع لله تعالى وهو فاجر إذ طلب بعبادة الله عوضًا من غيره، فهذا وأمثاله من غرور أصحاب الأموال أيضًا لا يحصى وإنما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على أجناس الغرور.

وفرقة أخرى: من عوام الخلق وأرباب الأموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا أن ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادةً، ويظنون أنّ لهم على مجرّد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ أجرًا، وهم مغرورون لأن فضل مجلس الذكر لكونه مرغبًا في الخير فإن لم يهيج الرغبة فلا خير فيه، والرغبة محمودة لأنها تبعث على العمل فإن ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير فيها، وما يراد لغيره فإذا قصر عن الأداء إلى ذلك الغير لا قيمة له،

وربما يغتر بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل البكاء، وربما تدخله رقة كرقة النساء فيبكي ولا عزم، وربما يسمع كلامًا مخوفًا فلا يزيد على أن يصفق بيديه ويقول: يا سلام سلم أو نعوذ بالله أو سبحان الله ويظن أنه قد أتى بالخير كله وهو مغرور. وإنما مثاله مثال المريض الذي يحضر مجالس الأطباء فيسمع ما يجري، أو الجائع الذي يحضر عنده من يصف له الأطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف، وذلك لا يغني عنه من مرضه وجوعه شيئًا. فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل بها لا يغني من الله شيئًا. فكل وعظ لم يغير منك صفة تغييرًا يغير أفعالك حتى تقبل على الله تعالى إقبالًا قويًا أو ضعيفًا وتعرض عن الدنيا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك، فإذا رأيته وسيلة لك كنت مغرورًا.

فإن قلت: فما ذكرته من مداخل الغرور أمر لايتخلص منه أحد ولا يمكن الاحتراز منه، وهذا يوجب اليأس إذ لا يقوى أحد من البشر على الحذر من خفايا هذه الآفات؟ فأقول: الإنسان إذا فترت همته في شيء أظهر اليأس منه واستعظم الأمر واستوعر الطريق، وإذا صح منه الهوى اهتدى إلى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول إلى الغرض، حتى إن الإنسان إذا أراد أن يستنزل الطير المحلق في جو السماء مع بعده منه استنزله وإذا أراد أن يخرج الحوت من أعماق البحار استخرجه، وإذا أراد أن يستخرج الذهب أو الفضة من تحت الجبال استخرجه، وإذا أراد أن يقنص الوحوش المطلقة في البراري والصحارى اقتنصها، وإذا أراد أن يستسخر السباع والفيلة وعظيم الحيوانات استسخرها وإذا أراد أن يأخذ الحيات والأفاعي ويعبث بها أخذها واستخرج الدرياق من أجوافها، وإذا أراد أن يتخذ الديباج الملون المنقش من ورق التوت اتخذه، وإذا أراد أن يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها استخرج بدقيق الهندسة ذلك وهو مستقر على الأرض، وكل ذلك باستنباط الحيل وإعداد الآلات، فسخر الفرس للركوب والكلب للصيد وسخر البازي لاقتناص الطيور، وهيأ الشبكة لاصطياد السمك، إلى غير ذلك من دقائق حيل الآدمي. كل ذلك لأن همه أمر دنياه وذلك معين له على دنياه، فلو همه أمر آخرته فليس عليه إلا شغل واحد هو تقويم قلبه فعجز عن تقويم قلبه وتخاذل، وقال هذا محال ومن الذي يقدر عليه؟ وليس ذلك بمحال لو أصبح وهمه هذا الهم بل هو كما يقال:

لو صح منك الهوى ارشدت للحيل

فهذا شيء لم يعجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم بإحسان. فلا يعجز عنه أيضًا من صدقت إرادته وقويت همته، بل لا يحتاج إلى عشر تعب الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم أسبابها.

فإن قلت: قد قرّبت الأمر فيه مع أنك أكثرت في ذكر مداخل الغرور فيم ينجو العبد من الغرور؟ فاعلم أنه ينجو منه بثلاثة أمور: بالعقل والعلم والمعرفة. فهذه ثلاثة أمور لا بد منها.

أما العقل: فأعني به الفطرة الغريزية والنور الأصلي الذي به يدرك الإنسان حقائق الأشياء فالفطنة والكيس فطرة، والحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على التحفظ على الغرور، فصفاء

العقل وذكاء الفهم لا بدّ منه في أصل الفطرة، فهذا إن لم يفطر عليه الإنسان فاكتسابه غير ممكن. نعم، إذا حصل أصله أمكن تقويته بالممارسة فأساس السعادات كلها العقل والكياسة، قال رسول الله ﷺ: «تَبَارَكَ الله الَّذِي قَسَمَ العَقْلَ بَيْنَ عِبَادِهِ أَشْتَاتًا» ، إن الرجلين ليستوي عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب أحد، وما قسم الله لخلقه حظًا هو أفضل من العقل واليقين (١).

وعن أبي الدرداء أنه قيل: يا رسول الله أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدّق ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويعين الضعيف ولا يعلم منزلته عند الله يوم القيامة فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا يُجْزَى عَلَى قَدْرِ عَقْلِهِ» (٢)، وقال أنس: أثني على رجل عند رسول الله ﷺ فقالوا خيرًا، فقال رسول الله ﷺ: «كَيْفَ عَقْلُهُ» ، قالوا: يا رسول الله نقول من عبادته وفضله وخلقه فقال: «كَيْفَ عَقْلُهُ فإِنَّ الأَحْمَقَ يُصِيبُ بِحُمْقِهِ أَعْظَمَ مِنْ فُجُورِ الفَاجِرِ. وَإِنَّما يُقَرِّبُ النَّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ» (٣) ، وقال أبو الدرداء: كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن رجل شدّة عبادة سأل عن عقله فإذا قالوا حسن قال: «أَرْجُوهُ» وإن قالوا غير ذلك: قال «لَنْ يَبْلُغَ» (٤) ، وذكر له ﷺ شدّة عبادة رجل فقال: «كَيْفَ عَقْلُهُ» قالوا: ليس شيء قال: «لَنْ يَبْلُغَ صَاحِبُكُمْ حَيْثُ تَظُنُّونَ» فالذكاء صحيح وغريزة العقل نعمة من الله في أصل الفطرة فإن فاتت ببلادة وحماقة فلا تدارك لها.

الثاني: المعرفة، وأعني بالمعرفة أن يعرف أربعة أمور: يعرف نفسه، ويعرف ربه، ويعرف الدنيا، ويعرف الآخرة: فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريبًا في هذا العالم وأجنبيًا من هذه الشهوات البهيمية، وإنما الموافق له طبعًا هو معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه فقط، فلا يتصور أن يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه فليستعن على هذا بما ذكرناه في كتاب المحبة، وفي كتاب شرح عجائب القلب، وكتاب التفكر، وكتاب الشكر، إذ فيها إشارات إلى وصف النفس وإلى وصف جلال الله، ويحصل به التنبه على الجملة وكمال المعرفة وراءه، فإن هذا من علوم المكاشفة، ولم نطنب في هذا الكتاب إلا في علوم المعاملة.

وأما معرفة الدنيا والآخرة فيستعين عليها بمن ذكرنا في كتاب ذم الدنيا وكتاب ذكر الموت

---

(١) حديث «تبارك الله الذي قسم العقل بين عباده أشتاتا». أخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من رواية طاووس مرسلا وفي أوله قصة وإسناده ضعيف ورواه بنحوه من حديث أبي حميد وهو ضعيف أيضًا.

(٢) حديث أبي الدرداء «يا رسول الله أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل .. الحديث» وفيه «إنما يجزى على قدر عقله». أخرجه الخطيب في التاريخ وفي أسماء من روى عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه ولم أره من حديث أبي الدرداء.

(٣) ضعيف: حديث أنس: أُثنيَ على رجل عند النبي ﷺ فقال «كيف عقله .. الحديث». أخرجه داود بن المحبر في كتاب العقل وهو ضعيف وتقدم في العلم.

(٤) حديث أبي الدرداء: كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن رجل شدة عبادة، سأل عن عقله .. الحديث». أخرجه الترمذي الحكيم في النوادر وابن عدي ومن طريقه البيهقي في الشعب وضعفه.

ليتبين له أن لا نسبة للدنيا إلى الآخرة، فإذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والآخرة ثار من قلبه بمعرفة الله حب الله، وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها، وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها ويصير أهم أموره ما يوصله إلى الله تعالى وينفعه في الآخرة، وإذا غلبت هذه الإرادة على قلبه صحت نيته في الأمور كلها، فإن أكل مثلًا أو اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الآخرة. وصحت نيته واندفع عنه كل غرور منشؤه تجاذب الأغراض والنزوع إلى الدنيا والجاه والمال فإن ذلك هو المفسد للنية.

وما دامت الدنيا أحب إليه من الآخرة وهوى نفسه أحب إليه من رضا الله تعالى فلا يمكنه الخلاص من الغرور.

فإذا غلب حب الله على قلبه بمعرفته بالله وبنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج إلى المعنى الثالث وهو العلم: أعني العلم بمعرفة كيفية سلوك الطريق إلى الله، والعلم بما يقرّبه من الله وما يبعده عنه، والعلم بآفات الطريق وعقباته وغوائله. وجميع ذلك قد أودعناه كتب إحياء علوم الدين، فيعرف من ربع العبادات شروطها فيراعيها وآفاتها فيتقيها، ومن ربع العادات أسرار المعايش وما هو مضطر إليه فيأخذه بأدب الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه، ومن ربع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة في طريق الله فإن المانع من الله الصفات المذمومة في الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق علاجه، ويعرف من ربع المنجيات الصفات المحمودة التي لا بد وأن توضع خلفًا عن المذمومة بعد محوها.

فإذا أحاط بجميع ذلك أمكنه الحذر من الأنواع التي أشرنا إليها من الغرور، وأصل ذلك كله أن يغلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الإرادة وتصح به النية، ولا يحصل ذلك إلا بالمعرفة التي ذكرناها.

فإن قلت: فإذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه؟ فأقول يخاف عليه أن يخدعه الشيطان ويدعوه إلى نصح الخلق أو نشر العلم ودعوة الناس إلى ما عرفه من دين الله، فإن المريد المخلص إذا فرغ من تهذيب نفسه وأخلاقه وراقب القلب حتى صفاه من جميع المكدّرات واستوى على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا في عينه فتركها، وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت إليهم، ولم يبق إلا هم واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق إلى لقائه، وقد عجز الشيطان عن إغوائه إذ يأتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فيأتيه من جهة الدين ويدعوه إلى الرحمة على خلق الله والشفقة على دينهم والنصح لهم والدعاء إلى الله، فينظر العبد برحمته إلى العبيد فيراهم حيارى في أمرهم سكارى في دينهم صمًّا عميًا قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وفقدوا الطبيب وأشرفوا على العطب، فغلب على قلبه الرحمة لهم، وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم ويبيّن لهم ضلالهم ويرشدهم إلى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومؤنة ولزوم غرامة، فكان مثله كمثل رجل كان به داء عظيم لا يطاق ألمه، وقد كان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك

ولا يتصرف لشدة ضربان الألم فوجد له دواء عفوًا صفوًا من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرىء وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدأ بالنهار بعد شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية الكدر وأصاب لذة العافية بعد طول السقام، ثم نظر إلى عدد كثير من المسلمين وإذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع إلى السماء أنينهم، فتذكر أن دواءهم هو الذي يعرفه ويقدر على شفائهم بأسهل ما يكون وفي أرجى زمان، فأخذته الرحمة والرأفة ولم يجد فسحة من نفسه في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد أن اهتدى إلى الطريق وشفي من أمراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم وأعضل داؤهم وقرب هلاكهم وإشفاؤهم، وسهل عليه دواؤهم فانبعث من ذات النفس عزم جازم في الاشتغال بنصحهم وحرّضه الشيطان على ذلك رجاء أن يجد مجالًا للفتنة، فلما اشتغل بذلك وجد الشيطان مجالًا للفتنة فدعاه إلى الرياسة دعاء خفيًا أخفى من دبيب النمل لا يشعر به المريد، فلم يزل ذلك الدبيب في قلبه حتى دعاه إلى التصنع والتزين للخلق بتحسين الألفاظ والنغمات والحركات والتصنع في الزي والهيئة، فأقبل الناس إليه يعظمونه ويبجلونه ويوقرونه توقيرًا يزيد على توقير الملوك إذ رأوه شافيًا لأدوائهم بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم وأقاربهم، فآثروه بأبدانهم وأموالهم وصاروا له خولًا كالعبيد والخدم فخدموه وقدّموه في المحافل وحكموه على الملوك والسلاطين، فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت لذة يا لها من لذة أصابت من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة، فكان قد ترك الدنيا فوقع في أعظم لذاتها، فعند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدّت إلى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة. وأمارة انتشار الطبع وركون النفس إلى الشيطان أنه لو أخطأ فردّ عليه بين يدي الخلق غضب، فإذا أنكر على نفسه ما وجده من الغضب بادر الشيطان فخيل إليه أنّ ذلك غضب لله لأنه إذا لم يحسن اعتقاد المريدين فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع في الغرور، فربما أخرجه ذلك إلى الوقيعة فيمن رد عليه فوقع في الغيبة المحظورة بعد تركه الحلال المتسع، ووقع في الكبر الذي هو تمرّد عن قبول الحق والشكر عليه بعد أن كان يحذر من طوارق الخطرات، وكذلك إذا سبقه الضحك أو فتر عن بعض الأوراد جزعت النفس أن يطلع عليه فيسقط قبوله فأتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء، وربما زاد في الأعمال والأوراد لأجل ذلك والشيطان يخيل إليه إنك إنما تفعل ذلك كيلا يفتر رأيهم عن طريق الله فيتركون الطريق بتركه، وإنما ذلك خدعة وغرور بل هو جزع من النفس خيفة فوت الرئاسة، ولذلك لا تجزع نفسه في اطلاع الناس على مثل ذلك من أقرانه، بل ربما يحب ذلك ويستبشر به، ولو ظهر من أقرانه من مالت القلوب إلى قبوله وزاد أثر كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا أن النفس قد استبشرت واستلذت الرئاسة لكان يغتنم ذلك، إذ مثاله أن يرى الرجل جماعة من إخوانه قد وقعوا في بئر وتغطى رأس البئر بحجر كبير فعجزوا عن الرقي من البئر بسببه، فرق قلبه لإخوانه فجاء ليرفع الحجر من رأس البئر فشق عليه فجاءه من أعانه على

ذلك حتى تيسر عليه أو كفاه ذلك ونحاه بنفسه، فيعظم بذلك فرحه لا محالة إذ غرضه خلاص إخوانه من البئر، فإن كان غرض الناصح خلاص إخوانه المسلمين من النار فإذا ظهر من أعانه أو كفاه ذلك لم يثقل عليه، أرأيت لو اهتدوا جميعهم من أنفسهم أكان ينبغي أنه يثقل ذلك عليه إن كان غرضه هدايتهم؟ فإذا اهتدوا بغيره فلم يثقل عليه؟ ومهما وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان إلى جميع كبائر القلوب وفواحش الجوراح وأهلكه. فنعوذ بالله من زيغ القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء.

فإن قلت: فمتى يصح له أن يشتغل بنصح الناس؟ فأقول إذا لم يكن له قصد إلا هدايتهم لله تعالى وكان يودّ لو وجد من يعينه، أو لو اهتدوا بأنفسهم وانقطع بالكلية طمعه عن ثنائهم وعن أموالهم، فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم إذا كان الله يحمده ولم يفرح بحمدهم إذا لم يقترن به حمد الله تعالى، ونظر إليهم كما ينظر إلى السادات وإلى البهائم.

أما إلى السادات: فمن حيث إنه لا يتكبر عليهم ويرى كلهم خيرًا منه لجهله بالخاتمة. وأما إلى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة في قلوبهم فإنه لا يبالي كيف تراه البهائم فلا يتزين لها ولا يتصنع بل راعي الماشية إنما غرضه رعاية الماشية ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية إليه. فما لم ير سائر الناس كالماشية التي لا يلتفت إلى نظرها ولا يبالي بها لا يسلم من الاشتغال بإصلاحهم. نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه بإصلاحهم فيكون كالسراج يضيء لغيره ويحترق في نفسه.

فإن قلت: فلو ترك الوعاظ الوعظ إلا عند نيل هذه الدرجة لخلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب؟ فأقول قد قال رسول الله ﷺ: «حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ» (١)، ولو لم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعايش وهلكت القلوب والأبدان جميعًا، إلا أنه علم أنّ حب الدنيا مهلك وأنّ ذكر كونه مهلكًا لا ينزع الحب من قلوب الأكثرين لا الأقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم، فلم يترك النصح وذكر ما في حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفًا من أن يترك نفسه بالشهوات المهلكة التي سلطها الله على عباده ليسوقهم بها إلى جهنم تصديقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة:١٣] فكذلك لا تزال ألسنة الوعاظ مطلقة لحب الرئاسة ولا يدعونها بقول من يقول: إنّ الوعظ لحب الرئاسة حرام، كما لا يدع الخلق والشرب والزنى والسرقة والرياء والظلم وسائر المعاصي بقول الله تعالى ورسوله إنّ ذلك حرام، فانظر لنفسك وكن فارغ القلب من حديث الناس، فإنّ الله تعالى يصلح خلقًا كثيرًا بإفساد شخص واحد وأشخاص. ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة:٢٥١] وإنّ الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم، فإنما يخشى أن يفسد طريق الاتعاظ، فأما أن تخرس ألسنة الوعاظ ووراءهم باعث الرئاسة وحب

---

(١) ضعيف: حديث «حب الدنيا رأس كل خطيئة». أخرجه البيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلا وقد تقدم في كتاب ذم الدنيا. [انظر ضعيف الجامع: ٢٦٨٢، ضعيف الترغيب: ١٤١٤].

الدنيا فلا يكون ذلك أبدًا.

فإن قلت: فإن علم المريد هذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح أو نصح وراعى شرط الصدق والإخلاص فيه، فما الذي يخاف عليه وما الذي بقي بين يديه من الأخطار وحبائل الاغترار؟ فاعلم أنه بقي عليه أعظمه وهو أنّ الشيطان يقول له: قد أعجزتني وأفلتّ مني بذكائك وكمال عقلك، وقد قدرت على جملة من الأولياء والكبراء وما قدرت عليك فما أصبرك وما أعظم عند الله قدرك ومحلك إذ قوّاك على قهري ومكنك من التفطن لجميع مداخل غروري فيصغي إليه ويصدّقه ويعجب بنفسه في فراره من الغرور كله، فيكون إعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الأكبر، فالعجب أعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان: يا ابن آدم إذا ظننت أنك بعلمك تخلصت مني فبجهلك قد وقعت في حبائلي.

فإن قلت: فلو لم يعجب بنفسه إذ علم أنّ ذلك من الله تعالى لا منه وإنّ مثله لا يقوى على دفع الشيطان إلا بتوفيق الله ومعونته، ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن أقل القليل فإذا قدر على مثل هذا الأمر العظيم علم أنه لم يقو عليه بنفسه بل بالله تعالى فما الذي يخاف عليه بعد نفي العجب؟ فأقول: يخاف عليه الغرور بفضل الله والثقة بكرمه والأمن من مكره حتى يظن أنه يبقى على هذه الوتيرة في المستقبل ولا يخاف من الفترة والانقلاب، فيكون حاله الاتكال على فضل الله فقط دون أن يقارنه الخوف من مكره، ومن أمن مكر الله فهو خاسر جدًّا، بل سبيله أن يكون مشاهدًا جملة ذلك من فضل الله ثم خائفًا على نفسه أن يكون قد سدّت عليه صفة من صفات قلبه من حب دنيا ورياء وسوء خلق والتفات إلى عز وهو غافل عنه، ويكون خائفًا أن يسلب حاله في كل طرفة عين غير آمن من مكر الله ولا غافل عن خطر الخاتمة.

وهذا خطر لا محيص عنه وخوف لا نجاة منه إلا بعد مجاوزة الصراط. ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الأولياء في وقت النزع وكان قد بقي له نفس فقال: أفلت مني يا فلان؟ فقال: لا، بعد ولذلك قيل: الناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم.

فإذن المغرور هالك والمخلص الفارّ من الغرور على خطر فلذلك لا يفارق الخوف والحذر قلوب أولياء الله أبدًا.

فنسأل الله تعالى العون والتوفيق وحسن الخاتمة، فإنّ الأمور بخواتيمها.

تم كتاب ذم الغرور، وبه تم ربع المهلكات، ويتلوه في أول ربع المنجيات «كتاب التوبة» والحمد لله أولاً وآخرًا وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده، وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الفهرس

كتاب شرح عجائب القلب.....٣
بيان معنى النفس، والروح، والقلب، والعقل، وما هو المراد بهذه الأسامي.....٤
بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة:.....٨
بيان خاصية قلب الإنسان:.....١٠
بيان مجامع أوصاف القلب وأمثلته.....١٣
بيان مثل القلب بالإضافة إلى العلوم خاصة.....١٦
بيان حال القلب بالإضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والأخروية....٢١
بيان الفرق بين الإلهام والتعلم، والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار.....٢٤
بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد.....٣٠
بيان تسلط الشيطان على القلب بالوساوس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها.....٣٤
بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب.....٤١
بيان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به.....٥٤
الوسواس أصناف:.....٥٨
بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات:.....٦٠
والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردّد بينهما، ثلاثة:.....٦١
كتاب رياضة النفس.....٦٥
وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب ٦٥
بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق.....٦٦
بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق.....٧١
بيان قبول الأخلاق للتغيير بطريق الرياضة.....٧٤

بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة.....٧٨
بيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق.....٨١
بيان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها إلى الصحة.....٨٤
بيان الطريق الذي يعرف به الإنسان عيوب نفسه.....٨٦
بيان شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق في معالجة أمراض القلب ترك الشهوات وأن مادة أمراضها هي اتباع الشهوات.....٨٧
بيان علامات حسن الخلق.....٩٢
بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوئهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم....٩٦
بيان شروط الإرادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة:....٩٩
كتاب كسر الشهوتين.....١٠٧
بيان فضيلة الجوع وذم الشبع.....١٠٨
بيان فوائد الجوع وآفات الشبع.....١١٣
بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن.....١١٩
بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه.....١٢٩
بيان آفة الرياء المتطرق إلى من ترك أكل الشهوات وقلل الطعام.....١٣٢
القول في شهوة الفرج:.....١٣٤
بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله.....١٣٦
بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين.....١٤٠
كتاب آفات اللسان.....١٤٥
بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت.....١٤٦
الآفة الأولى: الكلام فيما لا يعنيك:.....١٥١
الآفة الثانية: فضول الكلام:.....١٥٤
الآفة الثالثة: الخوض في الباطل:.....١٥٥

الآفة الرابعة: المراء والجدال:.....١٥٦
الآفة الخامسة: الخصومة:.....١٥٩
الآفة السادسة: التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة الخ.....١٦١
الآفة السابعة: الفحش والسب وبذاءة اللسان:.....١٦٢
الآفة الثامنة: اللعن:.....١٦٥
الآفة التاسعة: الغناء والشعر:.....١٦٩
الآفة العاشرة: المزاح:.....١٧١
الآفة الحادية عشرة: السخرية والاستهزاء:.....١٧٥
الآفة الثانية عشرة: إفشاء السر:.....١٧٧
الآفة الثالثة عشرة: الوعد الكاذب:.....١٧٧
الآفة الرابعة عشرة: الكذب في القول واليمين:.....١٧٩
بيان ما رخص فيه من الكذب.....١٨٣
بيان الحذر من الكذب بالمعاريض.....١٨٧
الآفة الخامسة عشرة: الغيبة:.....١٨٩
بيان معنى الغيبة وحدودها.....١٩٢
بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان.....١٩٣
بيان الأسباب الباعثة على الغيبة.....١٩٦
بيان العلاج الذي يمنع اللسان عن الغيبة.....١٩٨
بيان تحريم الغيبة بالقلب.....٢٠١
بيان الأعذار المرخصة في الغيبة:.....٢٠٣
الآفة السادسة عشرة: النميمة.....٢٠٦
بيان حد النميمة وما يجب في ردها.....٢٠٨

الآفة السابعة عشرة: كلام ذي اللسانين:.....٢١١
الآفة الثامنة عشرة: المدح.....٢١٣
بيان ما على الممدوح:.....٢١٥
الآفة التاسعة عشرة: في الغفلة عن دقائق الخطأ.....٢١٥
الآفة العشرون:سؤال العوال عن صفات الله تعالى.....٢١٧
كتاب ذم الغضب والحقد والحسد.....٢١٩
بيان حقيقة الغضب.....٢٢٢
بيان الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة: أم لا؟.....٢٢٥
إلا أن ما يحبه الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام:.....٢٢٦
بيان الأسباب المهيجة للغضب:.....٢٢٩
بيان علاج الغضب بعد هيجانه.....٢٣٠
بيان فضيلة الحلم:.....٢٣٥
بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام:.....٢٣٩
القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق:.....٢٤١
فضيلة الرفق:.....٢٤٦
القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته.....٢٤٩
بيان ذم الحسد.....٢٤٩
بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه:.....٢٥٢
بيان أسباب الحسد والمنافسة:.....٢٥٦
بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبني العم والأقارب وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه:.....٢٥٨
بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب.....٢٦١
بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب:.....٢٦٥

كتاب ذم الدنيا.....٢٦٧
بيان ذم الدنيا:.....٢٦٨
بيان المواعظ في ذم الدنيا وصفتها:.....٢٨٠
بيان صفة الدنيا بالأمثلة:.....٢٨٤
مثال آخر للدنيا وعبور الإنسان بها:.....٢٨٥
بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد:.....٢٩٠
بيان حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها التي استغرقت همم الخلق حتى أنستهم أنفسهم وخالقهم ومصدرهم وموردهم:.....٢٩٦
كتاب ذم البخل وذم حب المال.....٣٠٥
بيان ذم المال وكراهة حبه.....٣٠٦
بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم:.....٣٠٩
بيان تفصيل آفات المال وفوائده:.....٣١١
وأما الآفات فدينية ودنيوية أما الدينية فثلاث:.....٣١٢
بيان ذم الحرص والطمع، ومدح القناعة واليأس مما في أيدي الناس.....٣١٣
بيان علاج الحرص والطمع، والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة.....٣١٨
بيان فضيلة السخاء:.....٣٢١
حكايات الأسخياء:.....٣٢٦
بيان ذم البخل:.....٣٣٣
حكايات البخلاء:.....٣٣٨
بيان الإيثار وفضله:.....٣٣٩
بيان حدّ السخاء والبخل وحقيقتهما:.....٣٤١
بيان علاج البخل:.....٣٤٤
بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله:.....٣٤٧

بيان ذم الغنى ومدح الفقر:.....٣٤٨
كتاب ذم الجاه والرياء.....٣٦١
بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت:.....٣٦٢
بيان فضيلة الخمول:.....٣٦٣
بيان ذم الجاه ومعناه:.....٣٦٥
بيان معنى الجاه وحقيقته:.....٣٦٦
بيان سبب كون الجاه محبوبًا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب إلا بشديد المجاهدة:..٣٦٧
بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لا حقيقة له:.....٣٧١
والمعلومات قسمان: متغيرات وأزليا.....٣٧١
بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم:.....٣٧٤
بيان السبب في حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطبع إليه وبغضها للذم ونفرتها منه:.....٣٧٥
اعلم أن لحب المدح والتذاذ القلب به أربعة أسباب:.....٣٧٥
بيان علاج حب الجاه:.....٣٧٧
بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم:.....٣٧٩
بيان علاج كراهة الذم:.....٣٨٠
بيان اختلاف أحوال الناس في المدح والذم:.....٣٨٢
الشطر الثاني من الكتاب في طلب الجاه والمنزلة بالعبادات وهو الرياء:.....٣٨٤
بيان ذم الرياء:.....٣٨٤
بيان حقيقة الرياء وما يراءى به:.....٣٨٩
بيان درجات الرياء:.....٣٩٤
بيان الرياء الخفي الذي هو أخفى من دبيب النمل:.....٣٩٩
بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه:.....٤٠٦

والمتخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء على أربع مراتب:.....٤١١
بيان الرخصة في قصد إظهار الطاعات:.....٤١٤
بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة إطلاع الناس عليها وكراهة ذمهم له:...٤١٧
فإن أعطى فيتصوّر له ثلاثة أحوال:.....٤١٩
بيان ترك الطاعات خوفًا من الرياء ودخول الآفات:.....٤٢١
بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح:.....٤٣١
بيان ما ينبغي للمريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه:.....٤٣٤
كتاب ذم الكبر والعجب.....٤٣٩
بيان ذم الكبر:.....٤٤٠
بيان ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر في المشي وجر الثياب:.....٤٤٣
بيان فضيلة التواضع:.....٤٤٤
بيان حقيقة الكبر وآفته:.....٤٤٩
بيان المتكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات الكبر فيه:.....٤٥١
بيان ما به التكبر:.....٤٥٤
لكن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات.....٤٥٨
بيان البواعث على التكبر وأسبابه المهيجة له:.....٤٦١
بيان أخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر:.....٤٦٢
بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع له:.....٤٦٧
بيان غاية الرياضة في خلق التواضع:.....٤٨٠
بيان ذم العجب وآفاته:.....٤٨١
بيان آفة العجب:.....٤٨٢
بيان حقيقة العجب والإدلال وحدّهما:.....٤٨٣
بيان علاج العجب على الجملة:.....٤٨٤

بيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه:.....٤٨٨
كتاب ذم الغرور.....٤٩٤
بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثلته:.....٤٩٥

* * *

إحياء علوم الدين

للإمام أبي حامد الغزالي

وبذيله كتاب

المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار

تحقيق وتخريج أحاديث

د. محمد محمد تامر

الجزء الرابع

إحياء علوم الدين

للإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد

الغزالي

(المتوفى سنة ٥٠٥ هـ)

وبذيله كتاب

المغني عن الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار

للعلامة

زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي

(المتوفى سنة ٨٠٦ هـ)

ضبط نصه وخرج أحاديثه

د/ محمد محمد تامر

كلية دار العلوم - قسم الشريعة الإسلامية

الجزء الرابع

دار الآفاق العربية

دار الآفاق العربية
نشر – توزيع – طباعة
٥٥ ش محمود طلعت – من ش الطيران
مدينة نصر – القاهرة
تليفون: ٢٦١٧٣٣٩ – تليفاكس: ٢٦١٠١٦٤
e-mail: daralafk@hotmail.com

اسم الكتاب : إحياء علوم الدين
اسم المؤلف : الإمام الغزالى
اسم المحقق : د. محمد محمد تامر

رقم الإيداع : ١٥٨٤ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولى : 4 - 083 - 344 - 977

الطبعة الأولى
٢٠٠٤م

جميع الحقوق محفوظة للناشر

كتاب التوبة

وهو الكتاب الأول من ربع المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين

الحمد لله الذي بتحميده يستفتح كل كتاب، وبذكره يصدّر كل خطاب، وبحمده يتنعم أهل النعيم في دار الثواب، وباسمه يتسلى الأشقياء وإن أرخى دونهم الحجاب، وضرب بينهم وبين السعداء بسور له باب، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، ونتوب إليه توبة من يوقن أنه رب الأرباب ومسبب الأسباب، ونرجوه رجاء من يعلم أنه الملك الرحيم الغفور التوّاب، ونمزج الخوف برجائنا مزج من لا يرتاب أنه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديدُ العقاب.

ونصلي على نبيه محمد وعلى آله وصحبه صلاة تنقذنا من هول المطلع يوم العرض والحساب. وتمهد لنا عند الله زلفى وحسن مآب.

أما بعد: فإن التوبة عن الذنوب بالرجوع إلى ستار العيوب وعلام الغيوب، مبدأ طريق السالكين، ورأس مال الفائزين، وأوّل إقدام المريدين، ومفتاح استقامة المائلين، ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقرّبين، ولأبينا آدم عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الأنبياء أجمعين، وما أجدر بالأولاد، الاقتداء بالآباء والأجداد، فلا غرو إن أذنب الآدمي واجترم، فهي شنشنة نعرفها من أخزم، ومن أشبه أباه فما ظلم.

ولكن الأب إذا جبر بعد ما كسر وعمر بعد أن هدم، فليكن النزوع إليه في كلا طرفي النفي والإثبات والوجود والعدم، ولقد قرع آدم سن الندم، وتندّم على ما سبق منه وتقدم. فمن اتخذه قدوة في الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم. بل التجرّد لمحض الخير دأب الملائكة المقرّبين، والتجرد للشر دون التلافي سجية الشياطين، والرجوع إلى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الآدميين، فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان، والمتجرد للشر شيطان، والمتلافي للشر بالرجوع إلى الخير بالحقيقة إنسان، فقد ازدوج في طينة الإنسان شائبتان، واصطحب فيه سجيتان. وكل عبد مصحح نسبه إما إلى الملك أو إلى آدم أو إلى الشيطان، فالتائب قد أقام البرهان، على صحة نسبه إلى آدم بملازمة حدّ الإنسان، والمصر على الطغيان مسجل على نفسه بنسب الشيطان، فأما تصحيح النسب إلى الملائكة بالتجرد لمحض الخير فخارج عن حيز الإمكان؛ فإن الشر معجون مع الخير في طينة آدم عجنًا محكمًا لا يخلصه إلا إحدى النارين: نار الندم أو نار جهنم، فالإحراق بالنار ضروري في تخليص جوهر الإنسان من خبائث الشيطان وإليك الآن اختيار أهون النارين، والمبادرة إلى أخف الشرين قبل أن يطوى

بساط الاختيار، ويساق إلى دار الاضطرار. إما إلى الجنة وإما إلى النار. وإذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع وجب تقديمها في صدر ربع المنجيات بشرح حقيقتها وشروطها وسببها وعلامتها وثمرتها والآفات المانعة منها والأدوية الميسرة لها، ويتضح ذلك بذكر أربعة أركان:

الركن الأول: في نفس التوبة وبيان حدّها وحقيقتها وأنها واجبة على الفور وعلى جميع الأشخاص وفي جميع الأحوال، وأنها إذا صحت كانت مقبولة.

الركن الثاني: فيما عنه التوبة وهو الذنوب وبيان انقسامها إلى صغائر وكبائر وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله تعالى، وبيان كيفية توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات، وبيان الأسباب التي بها تعظم الصغائر.

الركن الثالث: في بيان شروط التوبة ودوامها وكيفية تدارك ما مضى من المظالم وكيفية تكفير الذنوب وبيان أقسام التائبين في دوام التوبة.

الركن الرابع: في السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج في حل عقدة الإصرار من المذنبين.

ويتم المقصود بهذه الأركان الأربعة إن شاء الله عز وجل.

الركن الأول في نفس التوبة

بيان حقيقة التوبة وحدها:

اعلم أن التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة أمور مرتبة: علم، وحال، وفعل. فالعلم الأوّل، والحال الثاني، والفعل الثالث. والأوّل موجب للثاني، والثاني موجب للثالث إيجابًا اقتضاه اطراد سنّة الله في الملك والملكوت. أما العلم، فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابًا بين العبد وبين كل محبوب، فإذا عرف ذلك معرفة محققة بيقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب، فإن القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألم، فإن كان فواته بفعله تأسف على الفعل المفوت، فيسمى تألمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ندمًا، فإذا غلب هذا الألم على القلب واستولى وانبعث من هذا الألم في القلب حالة أخرى تسمى إرادة وقصدًا إلى فعل له تعلق بالحال والماضي وبالاستقبال، أما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذي كان ملابسًا، وأما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفوّت للمحبوب إلى آخر العمر. وأما بالماضي فبتلافي ما فات بالجبر والقضاء إن كان قابلًا للجبر، فالعلم هو الأوّل وهو مطلع هذه الخيرات وأعني بهذا العلم الإيمان واليقين، فإن الإيمان عبارة عن

التصديق بأن الذنوب سموم مهلكة واليقين عبارة عن تأكد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب فيثمر نور هذا الإيمان مهما أشرق على القلب نار الندم فيتألم بها القلب حيث يبصر بإشراق نور الإيمان أنه صار محجوبًا عن محبوبه، كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فيسطع النور عليه بانقشاع سحاب أو انحسار حجاب فرأى محبوبه وقد أشرف على الهلاك فتشتعل نيران الحب في قلبه وتنبعث تلك النيران بإرادته للانتهاض للتدارك، فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلاثة معان مرتبة في الحصول، فيطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرًا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدّمة والترك كالثمرة والتابع المتأخر، وبهذا الاعتبار قال عليه الصلاة والسلام: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ» (١). إذ لا يخلو الندم عن علم أوجبه وأثمره، وعن عزم يتبعه ويتلوه؛ فيكون الندم محفوفًا بطرفيه أعني ثمرته ومثمره؛ وبهذا الاعتبار قيل في حدّ التوبة إنه ذوبان الحشا لما سبق من الخطأ؛ فإن هذا يعرض لمجرّد الألم، ولذلك قيل: هو نار في القلب تلتهب، وصدع في الكبد لا ينشعب، وباعتبار معنى الترك قيل في حدّ التوبة إنه خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء. وقال سهل بن عبد الله التستري: التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة، ولا يتم ذلك إلا بالخلوة والصمت وأكل الحلال وكأنه أشار إلى المعنى الثالث من التوبة، والأقاويل في حدود التوبة لا تنحصر؛ وإذا فهمت هذه المعاني الثلاثة وتلازمها وترتيبها عرفت أن جميع ما قيل في حدودها قاصر عن الإحاطة بجميع معانيها، وطلب العلم بحقائق الأمور أهم من طلب الألفاظ المجرّدة.

بيان وجوب التوبة وفضلها:

اعلم أن وجوب التوبة ظاهر بالأخبار (٢) والآيات، وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته وشرح الله بنور الإيمان صدره حتى اقتدر على أن يسعى بنوره الذي بين يديه في ظلمات الجهل مستغنيًا عن قائد يقوده في كل خطوة. فالسالك إما أعمى لا يستغني عن القائد في خطوه، وإما بصير يهدى إلى أوّل الطريق ثم يهتدي بنفسه، وكذلك الناس في طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام؛ فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد في خطوه فيفتقر إلى أن يسمع في كل قدم نصًّا من كتاب الله أو سنّة رسوله، وربما يعوزه ذلك فيتحير؛ فسير هذا وإن

---

(١) صحيح: حديث «الندم توبة». أخرجه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصحح إسناده من حديث ابن مسعود، ورواه ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين. [ابن ماجه: ٤٢٥٢، وانظر صحيح الجامع: ٦٨٠٢].

(٢) حديث: اعلم أن وجوب التوبة ظاهر بالأخبار. أخرج مسلم من حديث الأغر المزني «يا أيها الناس توبوا إلى الله... الحديث» [مسلم: ٢٧٠٢] ولابن ماجه من حديث جابر «يا أيها الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا... الحديث» وسنده ضعيف. [ابن ماجه: ١٠٨١، وانظر ضعيف الترغيب: ٤٤٤].

طال عمره وعظم جدّه مختصر وخطاه قاصرة.

ومن سعيد شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فيتنبه بأدنى إشارة لسلوك طريق معوصة وقطع عقبات متعبة ويشرق في قلبه نور القرآن ونور الإيمان، وهو لشدّة نور باطنه يجتزئ بأدنى بيان، فكأنه يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار؛ فإذا مسته نار فهو نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء، وهذا لا يحتاج إلى نص منقول في كل واقعة، فمن هذا حاله إذا أراد أن يعرف وجوب التوبة فينظر أوّلًا بنور البصيرة إلى التوبة ما هي، ثم إلى الوجوب ما معناه، ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك في ثبوته لها، وذلك بأن يعلم معنى الواجب ما هو واجب في الوصول إلى سعادة الأبد والنجاة من هلاك الأبد، فإنه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه لم يكن لوصفه بكونه واجبًا معنى.

وقول القائل: صار واجبًا بالإيجاب، حديث محض فإن ما لا غرض لنا آجلًا وعاجلًا في فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به، أوجبه علينا غيرنا أو لم يوجبه؟ فإذا عرف معنى الوجوب وأنه الوسيلة إلى سعادة الأبد، وعلم أن لا سعادة في دار البقاء إلا في لقاء الله تعالى، وأن كل محجوب عنه يشقى لا محالة محول بينه وبين ما يشتهي محترق بنار الفراق ونار الجحيم.

وعلم أنه لا مبعد عن لقاء الله إلا اتباع الشهوات والأنس بهذا العالم الفاني والإكباب على حب ما لا بد من فراقه قطعًا، وعلم أنه لا مقرّب من لقاء الله إلا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والإقبال بالكلية على الله طلبًا للأنس به بدوام ذكره وللمحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته، وعلم أن الذنوب التي هي إعراض عن الله واتباع لمحاب الشياطين أعداء الله المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوبًا مبعدًا عن الله تعالى فلا يشك في أن الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول إلى القرب، وإنما يتم الانصراف بالعلم والندم والعزم، فإنه ما لم يعلم أن الذنوب أسباب البعد عن المحبوب لم يندم ولم يتوجع بسبب سلوكه في طريق البعد، وما لم يتوجع فلا يرجع، ومعنى الرجوع الترك والعزم، فلا يشك في أن المعاني الثلاثة ضرورية في الوصول إلى المحبوب، وهكذا يكون الإيمان الحاصل عن نور البصيرة، وأما من لم يترشح لمثل هذا المقام المرتفعة ذروته عن حدود أكثر الخلق، ففي التقليد والاتباع له مجال رحب يتوصل به إلى النجاة من الهلاك، فليلاحظ فيه قول الله وقول رسوله ﷺ وقول السلف الصالحين فقد قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١] وهذا أمر على العموم، وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨] الآية ومعنى النصوح: الخالص لله تعالى خاليًا عن الشوائب مأخوذ من النصح.

ويدل على فضل التوبة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]

وقال عليه السلام: «التائبُ حَبِيبُ الله وَالتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ» (١)، وقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ العَبْدِ المُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ بِأَرْضٍ دَوِيَّةٍ مُهْلِكَةٍ مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُه فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَام نَوْمَةً فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ فَطَلَبَهَا حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الحَرُّ وَالعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ قَالَ أَرْجِع إِلَى مَكَانِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ عَلَيْهَا زَادُهُ وَشَرَابُهُ؛ فَاللهُس تَعَالَى أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ العَبْدِ المُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ» (٢).

وفي بعض الألفاظ: «قال من شدّة فرحه إذ أراد شكر الله: أنا ربك وأنت عبدي».

ويروى عن الحسن قال: لما تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام هنأته الملائكة وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا: يا آدم قرّت عينك بتوبة الله عليك، فقال آدم عليه السلام: يا جبريل فإن كان بعد هذه التوبة سؤال فأين مقامي؟ فأوحى الله إليه: يا آدم ورّثت ذويك التعب والنصب وورّثتهم التوبة، فمن دعاني منهم لبيته كما لبيتك، ومن سألني المغفرة لم أبخل عليه لأني قريب مجيب، يا آدم وأحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم مستجاب. والأخبار والآثار في ذلك لا تحصى، والإجماع منعقد من الأمة على وجوبها؛ إذ معناه العلم بأنّ الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدات من الله تعالى، وهذا داخل في وجوب الإيمان، ولكن قد تدهش الغفلة عنه، فمعنى هذا العلم إزالة هذه الغفلة، ولا خلاف في وجوبها. ومن معانيها: ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير في سابق الأحوال، وذلك لا يشك في وجوبه. وأما التندم على ما سبق والتحزن عليه فواجب، وهو روح التوبة، وبه تمام التلافي، فكيف لا يكون واجبًا، بل هو نوع ألم يحصل لا محالة عقيب حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع في سخط الله.

فإن قلت: تألم القلب أمر ضروري لا يدخل تحت الاختيار، فكيف يوصف بالوجوب؟ فاعلم أنّ سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله سبيل إلى تحصيل سببه، وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لا بمعنى أن العلم يخلقه العبد ويحدثه في نفسه فإن ذلك محال،

---

(١) **حسن**: حديث «التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له». أخرجه ابن ماجه من حديث ابن مسعود بالشطر الثاني دون الأول [ابن ماجه: ٤٢٥٠، وانظر صحيح الجامع: ٣٠٠٨]، وأما الشطر الأول فروى ابن أبي الدنيا في التوبة وأبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أنس بسند ضعيف «إن الله يحب الشاب التائب» [ضعيف: انظر الضعيفة: ٩٧] ولعبد الله بن أحمد في زوائد المسند وأبي يعلى بسند ضعيف من حديث علي «إن الله يحب العبد المؤمن المفتن التواب». [موضوع: انظر الضعيفة: ٩٦].

(٢) **صحيح**: حديث «لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض فلاة دوية مهلكة... الحديث». متفق عليه من حديث ابن مسعود وأنس. زاد مسلم في حديث أنس «ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح» ورواه مسلم بهذه الزيادة من حديث النعمان بن بشير ومن حديث أبي هريرة مختصرا. [البخاري: ٦٣٠٨، مسلم: ٢٧٤٤].

بل العلم والندم والفعل والإرادة والقدرة والقادر الكل من خلق الله وفعله ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات:٩٦] .

هذا هو الحق عند ذوي الأبصار وما سوى هذا ضلال.

فإن قلت: أفليس للعبد اختيار في الفعل والترك؟ قلنا: نعم وذلك لا يناقض قولنا: إنّ الكل من خلق الله تعالى، بل الاختيار أيضًا من خلق الله، والعبد مضطر في الاختيار الذي له، فإن الله إذا خلق اليد الصحيحة وخلق الطعام اللذيذ، وخلق الشهوة للطعام في المعدة، وخلق العلم في القلب بأن هذا الطعام يسكن الشهوة، وخلق الخواطر المتعارضة في أن هذا الطعام هل فيه مضرة مع أنه يسكن الشهوة، وهل دون تناوله مانع يتعذر معه تناوله أم لا، ثم خلق العلم بأنه لا مانع ثم عند اجتماع هذه الأسباب تنجزم الإرادة الباعثة على التناول؛ فانجزام الإرادة بعد تردد الخواطر المتعارضة وبعد وقوع الشهوة للطعام يسمى اختيارًا، ولا بدّ من حصوله عند تمام أسبابه؛ فإذا حصل انجزام الإرادة بخلق الله تعالى إياها تحرّكت اليد الصحيحة إلى جهة الطعام لا محالة، إذ بعد تمام الإرادة والقدرة يكون حصول الفعل ضروريًا، فتحصل الحركة، فتكون الحركة بخلق الله بعد حصول القدرة وانجزام الإرادة، وهما أيضًا من خلق الله، وانجزام الإرادة يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم الموانع، وهما أيضًا من خلق الله تعالى، ولكن بعض هذه المخلوقات يترتب على البعض ترتيبًا جرت به سنّة الله تعالى في خلقه: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[الأحزاب:٦٢] فلا يخلق الله حركة اليد بكتابة منظومة ما لم يخلق فيها صفة تسمى قدرة وما لم يخلق فيها حياة وما لم يخلق إرادة مجزومة، ولا يخلق الإرادة المجزومة ما لم يخلق شهوة وميلًا في النفس، ولا ينبعث هذا الميل انبعاثًا تامًا ما لم يخلق علمًا بأنه موافق للنفس إما في الحال أو في المآل، ولا يخلق العلم أيضًا إلا بأسباب أخر ترجع إلى حركة وإرادة وعلم؛ فالعلم والميل الطبيعي أبدًا يستتبع الإرادة الجازمة، والقدرة والإرادة أبدًا تستردف الحركة، وهكذا الترتيب في كل فعل، والكل من اختراع الله تعالى، ولكن بعض مخلوقاته شرط لبعض، فلذلك يجب تقدّم البعض وتأخر البعض، كما لا تخلق الإرادة إلا بعد العلم، ولا يخلق العلم إلا بعد الحياة، ولا تخلق الحياة إلا بعد الجسم؛ فيكون خلق الجسم شرطًا لحدوث الحياة لا أن الحياة تتولد من الجسم، ويكون خلق الحياة شرطًا لخلق العلم لا أنّ العلم يتولد من الحياة، ولكن لا يستعدّ المحل لقبول العلم إلا إذا كان حيًا ويكون خلق العلم شرطًا لجزم الإرادة لا أنّ العلم يولد الإرادة، ولكن لا يقبل الإرادة إلا جسم حي عالم، ولا يدخل في الوجود إلا ممكن، وللإمكان ترتيب لا يقبل التغيير لأن تغييره محال، فمهما وجد شرط الوصف استعدّ المحل به لقبول الوصف فحصل ذلك الوصف من الجود الإلهي والقدرة الأزلية عند حصول الاستعداد، ولما كان للاستعداد بسبب الشروط ترتيب كان لحصول الحوادث بفعل الله تعالى ترتيب، والعبد مجري هذه الحوادث المرتبة؛

وهي مرتبة في قضاء الله تعالى الذي هو واحد كلمح البصر ترتيبًا كليًا لا يتغير، وظهورها بالتفصيل مقدر بقدر لا يتعداها وعنه العبارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩] وعن القضاء الكلي الأزلي العبارة بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر:٥٠].

وأما العباد فإنهم مسخرون تحت مجاري القضاء والقدر، ومن جملة القدر خلق حركة في يد الكاتب بعد خلق صفة مخصوصة في يده تسمى القدرة، وبعد خلق ميل قوي جازم في نفسه يسمى القصد، وبعد علم بما إليه ميله يسمى الإدراك والمعرفة، فإذا ظهرت من باطن الملكوت هذه الأمور الأربعة على جسم عبد مسخر تحت قهر التقدير سبق أهل عالم الملك والشهادة المحجوبون عن عالم الغيب والملكوت، وقالوا يا أيها الرجل قد تحرّكت ورميت وكتبت، ونودي من وراء حجاب الغيب وسرادقات الملكوت: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧] وما قتلت إذ قتلت. ولكن ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة:١٤].

وعند هذا تتحير عقول القاعدين في بحبوحة عالم الشهادة؛ فمن قائل إنه جبر محض، ومن قائل إنه اختراع صرف، ومن متوسط مائل إلى أنه كسب، ولو فتح لهم أبواب السماء فنظروا إلى عالم الغيب والملكوت لظهر لهم أن كل واحد صادق من وجه، وأنّ القصور شامل لجميعهم. فلم يدرك واحد منهم كنه هذا الأمر ولم يحط علمه بجوانبه، وتمام علمه ينال بإشراق النور من كوّة نافذة إلى عالم الغيب، وأنه تعالى عالم الغيب والشهادة لا يظهر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول. وقد يطلع على الشهادة من لم يدخل في حيز الارتضاء، ومن حرّك سلسلة الأسباب والمسببات وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط مناط سلسلتها بمسبب الأسباب انكشف له سر القدر وعلم علمًا يقينًا أن لا خالق إلا الله ولا مبدع سواه.

فإن قلت: قد قضيت على كل واحد من القائلين بالجبر والاختراع والكسب أنه صادق من وجه وهو مع صدقه قاصر وهذا تناقض، فكيف يمكن فهم ذلك؟ وهل يمكن إيصال ذلك إلى الأفهام بمثال؟ فاعلم أنّ جماعة من العميان قد سمعوا أنه حمل إلى البلدة حيوان عجيب يسمى الفيل وما كانوا قط شاهدوا صورته ولا سمعوا اسمه، فقالوا لا بدّ لنا من مشاهدته ومعرفته باللمس الذي نقدر عليه، فطلبوه، فلما وصلوا إليه لمسوه فوقع يد بعض العميان على رجليه ووقع يد بعضهم على نابه ووقع يد بعضهم على أذنه، فقالوا قد عرفناه، فلما انصرفوا سألهم بقية العميان فاختلفت أجوبتهم، فقال الذي لمس الرجل: إنّ الفيل ما هو إلا مثل أسطوانة خشنة الظاهر إلا أنه ألين منها، وقال الذي لمس الناب: ليس كما يقول بل هو صلب لا لين فيه وأملس لا خشونة فيه وليس في غلظ الأسطوانة أصلًا بل هو مثل عمود، وقال الذي لمس الأذن: لعمري هو لين وفيه خشونة، فصدق أحدهما فيه ولكن قال:

ما هو مثل عمود ولا هو مثل أسطوانة وإنما هو مثل جلد عريض غليظ، فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه إذ أخبر كل واحد عما أصابه من معرفة الفيل، ولم يخرج واحد في خبره عن وصف الفيل، ولكنهم بجملتهم قصروا عن الإحاطة بكنه صورة الفيل، فاستبصر بهذا المثال واعتبر به فإنه مثال أكثر ما اختلف الناس فيه، وإن كان هذا كلامًا يناطح علوم المكاشفة ويحرّك أمواجها وليس ذلك من غرضنا، فلنرجع إلى ما كنا بصدده وهو بيان أنّ التوبة واجبة بجميع أجزائها الثلاثة: العلم والندم والترك، وأنّ الندم داخل في الوجوب لكونه واقعًا في جملة أفعال الله المحصورة بين علم العبد وإرادته وقدرته المتخللة بينها، وما هذا وصفه فاسم الوجوب يشمله.

بيان أن وجوب التوبة على الفور:

أما وجوبها على الفور فلا يستراب فيه، إذ معرفة كون المعاصي مهلكات من نفس الإيمان، وهو واجب على الفور والمتقصي عن وجوبه هو الذي عرفه معرفة زجره ذلك عن الفعل المكروه، فإنّ هذه المعرفة ليست من علوم المكاشفات التي لا تتعلق بعمل، بل هي من علوم المعاملة وكل علم يراد ليكون باعثًا على عمل فلا يقع التقصي عن عهدته ما لم يصر باعثًا عليه؛ فالعلم بضرر الذنوب إنما أريد ليكون باعثًا لتركها، فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الإيمان، وهو المراد بقوله عليه السلام: «لا يَزْنِي الزَّاني حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ» (١)، وما أراد به نفي الإيمان الذي يرجع إلى علوم المكاشفة كالعلم بالله ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله، فإنّ ذلك لا ينفيه الزنا والمعاصي، وإنما أراد به نفي الإيمان لكون الزنا مبعدًا عن الله تعالى موجبًا للمقت، كما إذا قال الطبيب: هذا سم فلا تتناوله، فإذا تناوله يقال تناول وهو غير مؤمن لا بمعنى أنه غير مؤمن بوجود الطبيب وكونه طبيبًا وغير مصدّق به، بل المراد أنه غير مصدّق بقوله إنه سم مهلك؛ فإن العالم بالسم لا يتناوله أصلًا، فالعاصي بالضرورة ناقص الإيمان وليس الإيمان بابًا واحدًا بل هو نيف وسبعون بابًا أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، ومثاله قول القائل: ليس الإنسان موجودًا واحدًا بل هو نيف وسبعون موجودًا أعلاها القلب والروح وأدناها إماطة الأذى عن البشرة بأن يكون مقصوص الشارب مقلوم الأظافر نقي البشرة عن الخبث حتى يتميز عن البهائم المرسلة الملوثة بأرواثها المستكرهة الصور بطول مخالبها وأظلافها، وهذا مثال مطابق، فالإيمان كالإنسان، وفقد شهادة التوحيد يوجد البطلان بالكلية كفقد الروح، والذي ليس له إلا شهادة التوحيد والرسالة هو كإنسان مقطوع الأطراف مفقوء العينين فاقد لجميع أعضائه الباطنة والظاهرة لا أصل الروح، وكما أن

---

(١) صحيح: حديث «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن». متفق عليه من حديث أبي هريرة. [البخاري: ٢٤٧٥، مسلم: ٥٧].

من هذا حاله قريب من أن يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التي تخلف عنها الأعضاء التي تمدّها وتقوّيها؛ فكذلك من ليس له إلا أصل الإيمان وهو مقصر في الأعمال قريب من أن تقتلع شجرة إيمانه إذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة للإيمان في مقدّمة قدوم ملك الموت ووروده؛ فكل إيمان لم يثبت في اليقين أصله ولم تنتشر في الأعمال فروعه لم يثبت على عواصف الأهوال عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة لا ما يسقى بالطاعات على توالي الأيام والساعات حتى رسخ وثبت. وقول العاصي للمطيع إني مؤمن كما أنك مؤمن كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر: أنا شجرة وأنت شجرة، وما أحسن جواب شجرة الصنوبر إذ قالت: ستعرفين اغترارك بشمول الاسم إذا عصفت رياح الخريف، فعند ذلك تنقطع أصولك وتتناثر أوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجرة مع الغفلة عن أسباب ثبوت الأشجار:

وسوف ترى إذا انجلى الغبارُ أفَرَسٌ تحتك أم حمارُ

وهذا أمر يظهر عند الخاتمة، وإنما انقطع نياط العارفين خوفًا من دواعي الموت ومقدّماته الهائلة التي لا يثبت عليها إلا الأقلون؛ فالعاصي إذا كان لا يخاف الخلود في النار بسبب معصيته كالصحيح المنهمك في الشهوات المضرة إذا كان لا يخاف الموت بسبب صحته وأن الموت غالبًا لا يقع فجأة، فيقال له: الصحيح يخاف المرض ثم إذا مرض خاف الموت، وكذلك العاصي يخاف سوء الخاتمة ثم إذا ختم له بالسوء والعياذ بالله وجب الخلود في النار؛ فالمعاصي للإيمان كالمأكولات المضرة للأبدان، فلا تزال تجتمع في الباطن حتى تغير مزاج الأخلاط وهو لا يشعر بها، إلى أن يفسد المزاج فيمرض دفعة ثم يموت دفعة، فكذلك المعاصي، فإذا كان الخائف من الهلاك في هذه الدنيا المنقضية يجب عليه ترك السموم وما يضره من المأكولات في كل حال وعلى الفور، فالخائف من هلاك الأبد أولى بأن يجب عليه ذلك، وإذا كان متناول السم إذا ندم يجب عليه أن يتقيأ ويرجع عن تناوله بإبطاله وإخراجه عن المعدة على سبيل الفور والمبادرة تلافيًا لبدنه المشرف على هلاك لا يفوت عليه إلا هذه الدنيا الفانية، فمتناول سموم الدين وهي الذنوب أولى بأن يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن ما دام يبقى للتدارك مهلة وهو العمر، فإن المخوف من هذا السم فوات الآخرة الباقية التي فيها النعيم المقيم والملك العظيم، وفي فواتها نار الجحيم والعذاب المقيم الذي تتصرم أضعاف أعمار الدنيا دون عشر عشير مدّته، إذ ليس لمدّته آخر ألبتة؛ فالبدار البدار إلى التوبة قبل أن تعمل سموم الذنوب بروح الإيمان عملًا يجاوز الأمر فيه الأطباء واختيارهم ولا ينفع بعده الاحتماء فلا ينجح بعد ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين وتحق الكلمة عليه بأنه من الهالكين، ويدخل تحت عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝ وَسَوَآءٌ

عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾[يس:٨-١٠] ولا يغرّنك لفظ الإيمان، فنقول: المراد بالآية الكافر، إذ بيّن لك أن الإيمان بضع وسبعون بابًا وأن الزاني لا يزني حين يزني وهو مؤمن، فالمحجوب عن الإيمان الذي هو شعب وفروع سيحجب في الخاتمة عن الإيمان الذي هو أصل، كما أن الشخص الفاقد لجميع الأطراف التي هي حروف وفروع سيساق إلى الموت المعدم للروح التي هي أصل؛ فلا بقاء للأصل دون الفرع، ولا وجود للفرع دون الأصل، ولا فرق بين الأصل والفرع إلا في شيء واحد: وهو أن وجود الفرع وبقاءه جميعًا يستدعي وجود الأصل، وأما وجود الأصل فلا يستدعي وجود الفرع، فبقاء الأصل بالفرع، ووجود الفرع بالأصل، فعلوم المكاشفة وعلوم المعاملة متلازمة كتلازم الفرع والأصل فلا يستغني أحدهما عن الآخر وإن كان أحدهما في رتبة الأصل والآخر في رتبة التابع، وعلوم المعاملة إذا لم تكن باعثة على العمل فعدمها خير من وجودها، فإن هي لم تعمل عملها الذي تراد له قامت مؤيدة للحجة على صاحبها، ولذلك يزاد في عذاب العالم الفاجر على عذاب الجاهل الفاجر، كما أوردنا من الأخبار في كتاب العلم.

بيان أن وجوب التوبة عام في الأشخاص والأحوال فلا ينفك عنه أحد ألبتة:

اعلم أن ظاهر الكتاب قد دل على هذا إذ قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[النور:٣١] فعمم الخطاب. ونور البصيرة أيضًا يرشد إليه، إذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله المقرب إلى الشيطان، ولا يتصوّر ذلك إلا من عاقل، ولا تكمل غريزة العقل إلا بعد كمال غريزة الشهوة والغضب وسائر الصفات المذمومة التي هي وسائل الشيطان إلى إغواء الإنسان.

إذ كمال العقل إنما يكون عند مقاربة الأربعين، وأصله إنما يتم عند مراهقة البلوغ، ومبادئه تظهر بعد سبع سنين، والشهوات جنود الشيطان، والعقول جنود الملائكة، فإذا اجتمعا قام القتال بينهما بالضرورة، إذ لا يثبت أحدهما للآخر لأنهما ضدان، فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة، ومهما غلب أحدهما أزعج الآخر بالضرورة، وإذا كانت الشهوات تكمل في الصبا والشباب قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان ووقع للقلب به أنس وإلف لا محالة مقتضيات الشهوات بالعادة وغلب ذلك عليه ويعسر عليه النزوع عنه، ثم يلوح العقل الذي هو حزب الله وجنده ومنقذ أوليائه من أيدي أعدائه شيئًا فشيئًا على التدريج، فإن لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان وأنجز اللعين موعده حيث قال: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء:٦٢] وإن كمل العقل وقوي كان أوّل شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومقارفة العادات ورد الطبع على سبيل القهر إلى العبادات، ولا معنى للتوبة إلا هذا، وهو الرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيره الشيطان، إلى طريق الله تعالى، وليس في الوجود آدمي إلا وشهوته سابقة على عقله وغريزته

التي هي عدة الشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدة الملائكة، فكان الرجوع عما سبق إليه على مساعدة الشهوات ضروريًا في حق كل إنسان نبيًا كان أو غبيًا، فلا تظنن أن هذه الضرورة اختصت بآدم عليه السلام، وقد قيل:

فلا تحسبنَّ هندًا لها الغدرُ وحدها سجية نفس، كل غانيةٍ هندُ

بل هو حكم أزلي مكتوب على جنس الإنس لا يمكن فرض خلافه ما لم تتبدّل السنة الإلهية التي لا مطمع في تبديلها، فإذن كل من بلغ كافرًا جاهلًا فعليه التوبة من جهله وكفره، فإذا بلغ مسلمًا تبعًا لأبويه غافلًا عن حقيقة إسلامه فعليه التوبة من غفلته بتفهم معنى الإسلام، فإنه لا يغني عنه إسلام أبويه شيئًا ما لم يسلم بنفسه، فإن فهم ذلك فعليه الرجوع عن عادته وإلفه للاسترسال وراء الشهوات من غير صارف بالرجوع إلى قالب حدود الله في المنع والإطلاق والانفكاك والاسترسال، وهو من أشق أبواب التوبة، وفيه هلك الأكثرون إذ عجزوا عنه، وكل هذا رجوع وتوبة، فدل على أنّ التوبة فرض عين في حق كل شخص يتصوّر أن يستغني عنها أحد من البشر كما لم يستغن آدم، فخلقة الولد لا تتسع لما لم يتسع له خلقة الوالد أصلًا. وأما بيان وجوبها على الدوام وفي كل حال فهو أنّ كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه، إذ لم يخل عنه الأنبياء كما ورد في القرآن والأخبار من خطايا الأنبياء وتوبتهم وبكائهم على خطاياهم، فإن خلا في بعض الأحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فإن خلا في بعض الأحوال عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بإيراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله، فإن خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وصفاته وأفعاله، وكل ذلك نقص وله أسباب، وترك أسبابه بالتشاغل بأضدادها رجوع عن طريق إلى ضدّه والمراد بالتوبة الرجوع، ولا يتصوّر الخلو في حق الآدمي عن هذا النقص، وإنما يتفاوتون في المقادير، فأما الأصل فلا بدّ منه، ولهذا قال عليه السلام: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي حَتَّى أَسْتَغْفِرَ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ سَبْعِينَ مَرَّةً» (١). الحديث، ولذلك أكرمه الله تعالى بأن قال: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]. وإذا كان هذا حاله فكيف حال غيره؟.

فإن قلت: لا يخفى أن ما يطرأ على القلب من الهموم والخواطر نقص، وأنّ الكمال في الخلو عنه، وأن القصور عن معرفة كنه جلال الله نقص، وأنه كلما ازدادت المعرفة زاد الكمال، وأنّ الانتقال إلى الكمال من أسباب النقصان رجوع، والرجوع توبة، ولكن هذه

---

(١) حديث «أنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة». أخرجه مسلم من حديث الأغر المزني، إلا أنه قال «في اليوم مائة مرة» وكذا عند أبي داود، [مسلم: ٢٧٠٢، أبو داود: ١٥١٥]. وللبخاري من حديث أبي هريرة «إني لأستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة» [البخاري: ٦٣٠٧]. وفي رواية البيهقي في الشعب «سبعين» لم يقل «أكثر» وتقدم في الأذكار والدعوات.

فضائل لا فرائض، وقد أطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال، والتوبة عن هذه الأمور ليست بواجبة، إذ إدراك الكمال غير واجب في الشرع: فما المراد بقولك: التوبة واجبة في كل حال؟ فاعلم أنه قد سبق أنّ الإنسان لا يخلو في مبدأ خلقته من اتباع الشهوات أصلًا، وليس معنى التوبة تركها فقط، بل تمام التوبة بتدارك ما مضى، وكل شهوة اتبعها الإنسان ارتفع منها ظلمة إلى قلبه كما يرتفع عن نفس الإنسان ظلمة إلى وجه المرآة الصقيلة، فإن تراكمت ظلمة الشهوات صار رينًا كما يصير بخار النفس في وجه المرآة عند تراكمه خبثًا، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[المطففين:١٤] فإذا تراكم الرين صار طبعًا فيطبع على قلبه، كالخبث على وجه المرأة إذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد وأفسده وصار لا يقبل الصقل بعده وصار كالمطبوع من الخبث، ولا يكفي في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل، بل لا بد من محو تلك الأريان التي انطبعت في القلب، كما لا يكفي في ظهور الصور في المرآة قطع الأنفاس والبخارات المسوّدة لوجهها في المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الأريان، وكما يرتفع إلى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات فيرتفع إليه نور من الطاعات وترك الشهوات، فتنمحي ظلمة المعصية بنور الطاعة، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُها»(١)، فإذن لا يستغني العبد في حال من أحواله عن محو آثار السيئات عن قلبه بمباشرة حسنات تضاد آثارها آثار تلك السيئات؛ هذا في قلب حصل أوّلًا صفاؤه وجلاؤه ثم أظلم بأسباب عارضة؛ فأما التصقيل الأوّل ففيه يطول الصقل؛ إذ ليس شغل الصقل في إزالة الصدأ عن المرآة كشغله في عمل أصل المرآة؛ فهذه أشغال طويلة لا تنقطع أصلًا، وكل ذلك يرجع إلى التوبة، فأما قولك: إن هذا لا يسمى واجبًا بل هو فضل وطلب كمال، فاعلم أن الواجب له معنيان:

أحدهما: ما يدخل في فتوى الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهو القدر الذي لو اشتغل به كافة الخلق لم يخرب العالم، فلو كلف الناس كلهم أن يتقوا الله حق تقاته لتركوا المعايش ورفضوا الدنيا بالكلية، ثم يؤدي ذلك إلى بطلان التقوى بالكلية، فإنه مهما فسدت المعايش لم يتفرّغ أحد للتقوى، بل شغل الحياكة والحراثة والخبز يستغرق جميع العمر من كل واحد فيما يحتاج إليه، فجميع هذه الدرجات ليست بواجبة بهذا الاعتبار.

والواجب الثاني: هو الذي لا بدّ منه للوصول به إلى القرب المطلوب من رب العالمين والمقام المحمود بين الصدّيقين، والتوبة عن جميع ما ذكرناه واجبة في الوصول إليه كما يقال: الطهارة واجبة في صلاة التطوّع أي لمن يريدها، فإنه لا يتوصل إليه إلا بها.

---

(١) حسن: حديث «أتبع السيئة الحسنة تمحها». أخرجه الترمذي من حديث أبي ذر بزيادة في أوله وآخره وقال حسن صحيح، وقد تقدم في رياضة النفس. [الترمذي: ١٩٨٧، وانظر صحيح الترمذي].

فأما من رضي بالنقصان والحرمان عن فضل صلاة التطوّع فالطهارة ليست واجبة عليه لأجلها، كما يقال: العين والأذن واليد والرجل شرط في وجود الإنسان، يعني أنه شرط لمن يريد أن يكون إنسانًا كاملًا ينتفع بإنسانيته ويتوصل بها إلى درجات العلا في الدنيا، فأما من قنع بأصل الحياة ورضي أن يكون كلحم على وضم وكخرقة مطروحة فليس يشترط لمثل هذه الحياة عين ويد ورجل، فأصل الواجبات الداخلة في فتوى العامة لا يوصل إلا إلى أصل النجاة، وأصل النجاة كأصل الحياة، وما وراء أصل النجاة من السعادات التي بها تنتهي الحياة يجري مجرى الأعضاء والآلات التي بها تتهيأ الحياة وفيه سعي الأنبياء والأولياء والعلماء والأمثل فالأمثل، وعليه كان حرصهم، وحواليه كان تطوافهم، ولأجله كان رفضهم لملاذ الدنيا بالكلية، حتى انتهى عيسى عليه السلام إلى أن توسد حجرًا في منامه، فجاء إليه الشيطان وقال: أما كنت تركت الدنيا للآخرة؛ فقال: نعم، وما الذي حدث؟ فقال: توسدك لهذا الحجر تنعم في الدنيا فلم لا تضع رأسك على الأرض؟ فرمى عيسى عليه السلام بالحجر ووضع رأسه على الأرض، وكان رميه للحجر توبة عن ذلك التنعم.

أفترى أن عيسى عليه السلام لم يعلم أن وضع الرأس على الأرض لا يسمى واجبًا في فتاوى العامة؟ أفترى أن نبينا محمدًا ﷺ لما شغله الثوب الذي كان عليه علم في صلاته حتى نزعه [(١)] وشغله شراك نعله الذي جدّده حتى أعاد الشراك الخلق [(٢)]. لم يعلم أن ذلك ليس واجبًا في شرعه الذي شرعه لكافة عباده، فإذا علم ذلك فلم تاب عنه بتركه وهل كان ذلك إلا لأنه رآه مؤثرًا في قلبه أثرًا يمنعه عن بلوغ المقام المحمود الذي قد وعد به؟ أفترى أن الصديق رضي الله عنه بعد أن شرب اللبن وعلم أنه على غير وجهه أدخل أصبعه في حلقه ليخرجه حتى كاد يخرج معه روحه ما علم من الفقه هذا القدر؟ وهو أن ما أكله عن جهل فهو غير آثم به ولا يجب في فتوى الفقه إخراجه؟ فلم تاب عن شرابه بالتدارك على حسب إمكانه بتخلية المعدة عنه؟ وهل كان ذلك إلا لسر وقر في صدره عرّفه ذلك السر أن فتوى العامة حديث آخر، وأن خطر طريق الآخرة لا يعرفه إلا الصدّيقون، فتأمل أحوال هؤلاء الذين هم أعرف خلق الله بالله وبطريق الله وبمكر الله وبمكامن الغرور بالله، وإياك مرة واحدة أن تغرّك الحياة الدنيا، وإياك ثم إياك ألف ألف مرة أن يغرك بالله الغرور، فهذه أسرار من استنشق مبادئ روائحها علم أن لزوم التوبة النصوح ملازم للعبد السالك في طريق الله تعالى في كل نفس من أنفاسه ولو عمّر عُمر نوح، وأن ذلك واجب على الفور من غير مهلة، ولقد صدق أبو سليمان الداراني حيث قال: لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره إلا على تفويت ما مضى منه في غير الطاعة لكان

---

(١) حديث نزعه ﷺ الثوب الذي كان عليه في الصلاة: تقدم في الصلاة أيضا

(٢) حديث نزعه الشراك الجديد وإعادة الشراك الخلق: تقدم في الصلاة أيضا.

خليقًا أن يحزنه ذلك إلى الممات، فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله؟ وإنما قال هذا لأن العاقل إذا ملك جوهرة نفيسة وضاعت منه بغير فائدة بكى عليها لا محالة، وإن ضاعت منه وصار ضياعها سبب هلاكه كان بكاؤه منها أشدّ، وكل ساعة من العمر بل كل نفس جوهرة نفيسة لا خلف لها ولا بدل منها، فإنها صالحة لأن توصلك إلى سعادة الأبد وتنقذك من شقاوة الأبد، وأي جوهر أنفس من هذا؟ فإذا ضيعتها في الغفلة فقد خسرت خسرانًا مبينًا، وإن صرفتها إلى معصية فقد هلكت هلاكًا فاحشًا. فإن كنت لا تبكي على هذه المصيبة فذلك لجهلك، ومصيبتك بجهلك أعظم من كل مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف المصاب بها أنه صاحب مصيبة، فإنّ نوم الغفلة يحول بينه وبين معرفته. والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا، فعند ذلك ينكشف لكل مفلس إفلاسه ولكل مصاب مصيبته، وقد رفع الناس عن التدارك.

قال بعض العارفين: إن ملك الموت عليه السلام إذا ظهر للعبد أعلمه أنه قد بقي من عمرك ساعة وإنك لا تستأخر عنها طرفة عين، فيبدو للعبد من الأسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج منها على أن يضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى ليستعتب فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد إليه سبيلًا، وهو أوّل ما يظهر من معاني قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبا:٥٤] وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١٠-١١] فقيل: الأجل القريب الذي يطلبه: معناه أنه يقول عند كشف الغطاء للعبد يا ملك الموت أخرني يومًا أعتذر فيه إلى ربي وأتوب وأتزوّد صالحًا لنفسي، فيقول: فنيت الأيام فلا يوم، فيقول: فأخرني ساعة فيقول: فنيت الساعات فلا ساعة، فيغلق عليه باب التوبة فيتغرغر بروحه وتتردد أنفاسه في شراسفه، ويتجرّع غصة اليأس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر، فيضطرب أصل إيمانه في صدمات تلك الأحوال، فإذا زهقت نفسه فإن كان سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة، وإن سبق له القضاء بالشقوة والعياذ بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة، ولمثل هذا يقال: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ [النساء:١٨] وقوله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء:١٧] ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة بأن يتندّم عليها ويمحو أثرها بحسنة يردفها بها قبل أن يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو، ولذلك قال: «أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا» ولذلك قال لقمان لابنه: يا بني لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين:

أحدهما: أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير رينًا وطبعًا فلا يقبل المحو.

الثاني: أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد في الخبر: «إن أكثر صياح أهل النار من التسويف»[(١)]، فما هلك من هلك إلا بالتسويف، فيكون تسويده القلب نقدًا وجلاؤه بالطاعة نسيئة إلى أن يختطفه الموت فيأتي الله بقلب غير سليم، ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم، فالقلب أمانة الله تعالى عند عبده، والعمر أمانة الله عنده، وكذا سائر أسباب الطاعة، فمن خان في الأمانة ولم يتدارك خيانته فأمره مخطر.

قال بعض العارفين: إن لله تعالى إلى عبده سرين يسرهما إليه على سبيل الإلهام:

أحدهما: إذا خرج من بطن أمه يقول له: عبدي قد أخرجتك إلى الدنيا طاهرًا نظيفًا واستودعتك عمرك وائتمنتك عليه، فانظر كيف تحفظ الأمانة وانظر إليَّ كيف تلقاني.

والثاني: عند خروج روحه يقول: عبدي ماذا صنعت في أمانتي عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد فألقاك على الوفاء، أو أضعتها فألقاك بالمطالبة والعقاب. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] وبقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

بيان أن التوبة إذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة

اعلم أنك إذا فهمت معنى القبول لم تشك في أن كل توبة صحيحة فهي مقبولة، فالناظرون بنور البصائر المستمدون من أنوار القرآن علموا أن كل قلب سليم مقبول عند الله، ومتنعم في الآخرة في جوار الله تعالى، ومستعدّ لأن ينظر بعينه الباقية إلى وجه الله تعالى، وعلموا أن القلب خلق سليمًا في الأصل، وكل مولود يولد على الفطرة وإنما تفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها، وعلموا أن نار الندم تحرق تلك الغبرة، وأن نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة، وأنه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون، وكما أن الثوب الوسخ لا يقبله الملك لأن يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله تعالى لأن يكون في جواره، وكما أن استعمال الثوب في الأعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة، فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب، وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره ويزكيه، وكل قلب زكي طاهر فهو مقبول، كما أنّ كل ثوب نظيف فهو مقبول، فإنما عليك التزكية والتطهير. وأما القبول فمبذول قد سبق به القضاء الأزلي الذي لا مرد له، وهو المسمى فلاحًا في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩] ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة أقوى وأجلى من المشاهدة بالبصر أنّ القلب يتأثر بالمعاصي والطاعات تأثرًا متضادًا يستعار لأحدهما لفظ الظلمة كما يستعار للجهل، ويستعار للآخر لفظ

(١) حديث «إن أكثر صياح أهل النار من التسويف». لم أجد له أصلا.

النور كما يستعار للعلم، وأنّ بين النور والظلمة تضادًا ضروريًا لا يتصور الجمع بينهما، فكأنه لم يبق من الدين إلا قشوره ولم يعلق به إلا أسماؤه وقلبه في غطاء كثيف عن حقيقة الدين بل عن حقيقة نفسه وصفات نفسه، ومن جهل نفسه فهو بغيره أجهل وأعني به قلبه، إذ بقلبه يعرف غير قلبه، فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه، فمن يتوهم أنّ التوبة تصح ولا تقبل كمن يتوهم أنّ الشمس تطلع والظلام لا يزول، والثوب يغسل بالصابون والوسخ لا يزول إلا أن يغوص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخلله فلا يقوى الصابون على قلعه، فمثال ذلك أن تتراكم الذنوب حتى تصير طبعًا ورينًا على القلب فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب، نعم قد يقول باللسان تبت فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب أصلًا ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن به، فهذا حال امتناع أصل التوبة، وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين عن الله بالكلية، فهذا البيان كاف عند ذوي البصائر في قبول التوبة، ولكنا نعضد جناحه بنقل الآيات والأخبار والآثار فكل استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة لا يوثق به، وقد قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى:٢٥]وقال تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر:٣]إلى غير ذلك من الآيات. وقال ﷺ «لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ....» الحديث والفرح وراء القبول، فهو دليل على القبول وزيادة. وقال ﷺ «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِالتَّوْبَةِ لِمُسِيءِ اللَّيْلِ إِلَى النَّهَارِ وَلِمُسِيءِ النَّهَارِ إِلَى اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» (١)، وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل، فرب قابل ليس بطالب ولا طالب إلا وهو قابل. وقال ﷺ «لَوْ عَمِلْتُم الخَطَايا حتى تَبْلُغَ السَّمَاءَ ثُمَّ نَدِمْتُمْ لَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ» (٢)، وقال أيضًا: «إِنَّ العَبْدَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيَدْخُلُ بِهِ الجَنَّةَ، فقيل: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: يَكُونُ نُصْبَ عَيْنِيه تائبًا مِنْهُ فارًّا حَتَّى يُدْخَلَ الجَنَّة» (٣)، وقال ﷺ «كَفَّارَة الذَّنْبِ النَّدَامَة» (٤)، وقال ﷺ «التَّائب مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ» .

---

(١) صحيح: حديث «إن الله يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل إلى النهار».... الحديث رواه مسلم من حديث أبي موسى بلفظ «يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار... الحديث» [مسلم: ٢٧٥٩] وفي رواية للطبراني «لمسيء الليل أن يتوب بالنهار... الحديث».

(٢) حسن صحيح: حديث «لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم». أخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة وإسناده حسن بلفظ «لو أخطأتم» وقال «ثم تبتم».[ابن ماجه: ٤٢٤٨].

(٣) ضعيف: حديث «إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة». أخرجه ابن المبارك في الزهد عن المبارك بن فضالة عن الحسن مرسلا، ولأبي نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة «إن العبد ليذنب الذنب فإذا ذكره أحزنه، فإذا نظر الله إليه أنه أحزنه غفر له... الحديث» وفيه صالح المرى، وهو رجل صالح لكنه مضعف في الحديث. ولابن أبي الدنيا في التوبة عن ابن عمر «إن الله لينفع العبد بالذنب يذنبه» والحديث غير محفوظ، قاله العقيلي. [الضعيفة: ٢٠٣١].

(٤) ضعيف: حديث «كفارة الذنب الندامة». أخرجه أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن

ويروى «أن حبشيًا قال: يا رسول الله إني كنت أعمل الفواحش فهل لي من توبة؟ قال: «نعم» فولى ثم رجع فقال: يا رسول الله أكان يراني وأنا أعملها؟ قال: «نعم» فصاح الحبشي صيحة خرجت فيها روحه»[(١)].

ويروى أن الله عز وجل لما لعن إبليس سأله النظرة فأنظره إلى يوم القيامة، فقال: وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح، فقال الله تعالى: وعزتي وجلالي لا حجبت عنه التوبة ما دام الروح فيه[(٢)].

وقال ﷺ: «إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبن السَّيِّئَاتِ كَمَا يُذْهِبُ المَاءُ الوَسَخَ»[(٣)]، والأخبار في هذا لا تحصى.

وأما الآثار: فقد قال سعيد بن المسيب أنزل قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء:٢٥] في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب.

وقال الفضيل: قال الله تعالى: بشر المذنبين بأنهم إن تابوا قبلت منهم، وحذر الصدّيقين أني إن وضعت عليهم عدلي عذبتهم.

وقال طلق بن حبيب: إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العبد ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين.

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: من ذكر خطيئة ألمَّ بها فوجل منها قلبه محيت عنه في أم الكتاب.

ويروى أن نبيًا من أنبياء بني إسرائيل أذنب فأوحى الله تعالى إليه: وعزتي لئن عدت لأعذبنك، فقال: يا ربّ أنت أنت وأنا أنا وعزتك إن لم تعصمني لأعودن فعصمه الله تعالى.

وقال بعضهم: إن العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادمًا حتى يدخل الجنة فيقول إبليس: ليتني لم أوقعه في الذنب.

وقال حبيب بن ثابت: تعرض على الرجل ذنوبه يوم القيامة فيمر بالذنب فيقول: أما إني قد كنت مشفقًا منه، فيغفر له.

عباس، وفيه يحيى بن عمرو بن مالك اليشكري ضعيف. [أحمد: ٢٦١٨، وانظر الضعيفة: ٢٢٣٦].

(١) حديث «أن حبشيا قال يا رسول الله إني كنت أعمل الفواحش فهل لي من التوبة قال: « نعم». لم أجد له أصلا.

(٢) حسن: حديث «إن الله لما لعن إبليس سأله النظرة فأنظره إلى يوم القيامة فقال: وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح». أخرجه أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد أن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أزال أغوى عبادك مادامت أرواحهم في أجسادهم، فقال: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني، أورده المصنف بصيغة: ويروي كذا ولم يعزه إلى النبي صلى الله عليه، فذكرته احتياطا. [أحمد: ٢٧٦٢٧، وانظر الصحيحة: ١٠٤، وصحيح الجامع: ١٦٥٠].

(٣) حديث «إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ». لم أجده بهذا اللفظ، وهو صحيح المعنى وهو بمعنى «أتبع السيئة الحسنة تمحها» رواه الترمذي وتقدم قريبا.

ويروى أن رجلًا سأل ابن مسعود عن ذنب ألمّ به هل له من توبة؟

فأعرض عنه ابن مسعود ثم التفت إليه فرأى عينيه تذرفان؛ فقال له: إن للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فإن عليه ملكًا موكلًا به لا يغلق فاعمل ولا تيأس.

وقال عبد الرحمن بن أبي القاسم: تذاكرنا مع عبد الرحيم توبة الكافر وقول الله تعالى: ﴿إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال:٣٨] فقال إني لأرجو أن يكون المسلم عند الله أحسن حالًا، ولقد بلغني أن توبة المسلم كإسلام بعد إسلام.

وقال عبد الله بن سلام: لا أحدّثكم إلا عن نبي مرسل أو كتاب منزل، إن العبد إذا عمل ذنبًا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه أسرع من طرفة عين.

وقال عمر رضي الله عنه: اجلسوا إلى التوّابين فإنهم أرق أفئدة.

وقال بعضهم: أنا أعلم متى يغفر الله لي. قيل: ومتى؟ قال: إذا تاب عليّ.

وقال آخر: أنا من أن أحرم التوبة أخوف من أن أحرم المغفرة، أي المغفرة من لوازم التوبة وتوابعها لا محالة.

ويروى أنه كان في بني إسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة، ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال: إلهي أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة، فإن رجعت إليك أتقبلني؟ فسمع قائلًا يقول ولا يرى شخصًا: أحببتنا فأحببناك، وتركتنا فتركناك، وعصيتنا فأمهلناك، وإن رجعت إلينا قبلناك.

وقال ذو النون المصري رحمع الله تعالى: إن لله عبادًا نصبوا أشجار الخطايا نصب روامق القلوب، وسقوها بماء التوبة فأثمرت ندمًا وحزنًا، فجنوا من غير جنون وتبلدوا من غير عي ولا بكم، وإنهم هم البلغاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله، ثم شربوا بكأس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء، ثم تولهت قلوبهم في الملكوت وجالت أفكارهم بين سرايا حجب الجبروت، واستظلوا تحت رواق الندم وقرءوا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا إلى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة، وسرحت أرواحهم في العلا حتى أناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحياة وردموا خنادق الجزع وعبرو جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة وأقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا إلى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة، فهذا القدر كاف في بيان أن كل توبة صحيحة مقبولة لا محالة.

فإن قلت: أفتقول ما قالته المعتزلة من أنّ قبول التوبة واجب على الله؟ فأقول: لا أعني بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله إلا ما يريده القائل بقوله: إن الثوب إذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ، وإن العطشان إذا شرب الماء وجب زوال العطش، وإنه إذا منع الماء مدّة

وجب العطش، وإنه إذا دام العطش وجب الموت، وليس في شيء من ذلك ما يريده المعتزلة بالإيجاب على الله تعالى، بل أقول: خلق الله تعالى الطاعة مكفرة للمعصية، والحسنة ماحية للسيئة، كما خلق الماء مزيلًا للعطش، والقدرة متسعة بخلافه لو سبقت به المشيئة، فلا واجب على الله تعالى، ولكن ما سبقت به إرادته الأزلية فواجب كونه لا محالة.

فإن قلت: فما من تائب إلا وهو شاك في قبول توبته، والشارب للماء لا يشك في زوال عطشه فلم يشك فيه؟ فأقول شكه في القبول كشكه في وجود شرائط الصحة، فإنّ للتوبة أركانًا وشروطًا دقيقة كما سيأتي، وليس يتحقق وجود جميع شروطها كالذي يشك في دواء شربه للإسهال في أنه هل يسهل وذلك لشكه في حصول شروط الإسهال في الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء وطبخه وجودة عقاقيره وأدويته، فهذا وأمثاله موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك في قبولها لا محالة على ما سيأتي في شروطها إن شاء الله تعالى.

الركن الثاني فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغائرها وكبائرها

اعلم أنّ التوبة ترك الذنب، ولا يمكن ترك الشيء إلا بعد معرفته، وإذا كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل إليها إلا به واجبًا، فمعرفة الذنوب إذن واجبة، والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لأمر الله تعالى في ترك أو فعل وتفصيل ذلك يستدعي شرح التكليفات من أوّلها إلى آخرها، وليس ذلك من غرضنا، ولكنا نشير إلى مجامعها وروابط أقسامها، والله الموفق للصواب برحمته.

بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات العبد

اعلم أنّ للإنسان أوصافًا وأخلاقًا كثيرة على ما عرف شرحه في كتاب عجائب القلب وغوائله، ولكن تنحصر مثارات الذنوب في أربع صفات: صفات ربوبية، وصفات شيطانية، وصفات بهيمية، وصفات سبعية. وذلك لأن طينة الإنسان عجنت من أخلاط مختلفة، فاقتضى كل واحد من الأخلاط في المعجون منه أثرًا من الآثار كما يقتضي السكر والخل والزعفران في السكنجبين آثارًا مختلفة، فأما ما يقتضي النزوع إلى الصفات الربوبية فمثل الكبر والفخر والجبرية وحب المدح والثناء والعز والغنى وحب دوام البقاء وطلب الاستعلاء على الكافة حتى كأنه يريد أن يقول: أنا ربكم الأعلى، وهذا يتشعب منه جملة من كبائر الذنوب غفل عنها الخلق ولم يعدوها ذنوبًا: وهي المهلكات العظيمة التي هي كالأمهات لأكثر المعاصي كما استقصيناه في ربع المهلكات.

الثانية: هي الصفة الشيطانية التي منها يتشعب الحسد والبغي والحيلة والخداع والأمر بالفساد والمنكر وفيه يدخل الغش والنفاق والدعوة إلى البدع والضلال.

الثالثة: الصفة البهيمية ومنها يتشعب الشره والكلب والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج، ومنه يتشعب الزنا واللواط والسرقة وأكل مال الأيتام وجمع الحطام لأجل الشهوات.

الرابعة: الصفة السبعية، ومنها يتشعب الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الأموال، ويتفرّع عنها جمل من الذنوب، وهذه الصفات لها تدريج في الفطرة، فالصفة البهيمية هي التي تغلب أوّلًا ثم تتلوها الصفة السبعية ثانيًا، ثم إذا اجتمعا استعملا العقل في الخداع والمكر والحيلة وهي الصفة الشيطانية، ثم بالآخرة تغلب الصفات الربوبية وهي الفخر والعز والعلو وطلب الكبرياء وقصد الاستيلاء على جميع الخلق. فهذه أمهات الذنوب ومنابعها ثم تنفجر الذنوب من هذه المنابع على الجوارح، فبعضها في القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق وإضمار السوء للناس، وبعضها على العين والسمع، وبعضها على اللسان، وبعضها على البطن والفرج، وبعضها على اليدين والرجلين وبعضها على جميع البدن، ولا حاجة إلى بيان تفصيل ذلك فإنه واضح.

قسمة ثانية: اعلم أنّ الذنوب تقسم إلى ما بين العبد وبين الله تعالى وإلى ما يتعلق بحقوق العباد. فما يتعلق بالعبد خاصة كترك الصلاة والصوم والواجبات الخاصة به وما يتعلق بحقوق العباد كتركه الزكاة وقتله النفس وغصبه الأموال وشتمه الأعراض وكل متناول من حق الغير، فإما نفس أو طرف أو مال أو عرض أو دين أو جاه، وتناول الدين بالإغواء والدعاء إلى البدعة والترغيب في المعاصي وتهييج أسباب الجرأة على الله تعالى كما يفعله بعض الوعاظ بتغليب جانب الرجاء على جانب الخوف وما يتعلق بالعباد فالأمر فيه أغلظ، وما بين العبد وبين الله تعالى إذا لم يكن شركًا فالعفو فيه أرجى وأقرب، وقد جاء في الخبر، الدواوين ثلاثة: ديوان يغفر، وديوان لا يغفر، وديوان لا يترك: فالديوان الذي يغفر: ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى، وأما الديوان الذي لا يغفر: فالشرك بالله تعالى. وأما الديوان الذي لا يترك. فمظالم العباد[1] أي لا بد وأن يطالب بها حتى يعفى عنها.

قسمة ثالثة: اعلم أنّ الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر، وقد كثر اختلاف الناس فيها، فقال قائلون لا صغيرة ولا كبيرة، بل كل مخالفة لله فهي كبيرة، وهذا ضعيف، إذ قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾

---

(١) ضعيف: حديث «الدواوين ثلاثة: ديوان يغفر». أخرجه أحمد والحاكم وصححه من حديث عائشة، وفيه صدقة بن موسى الدقيقي ضعفه ابن معين وغيره، وله شاهد من حديث سلمان، رواه الطبراني. [أحمد: ٢٥٥٠٠، وانظر ضعيف الجامع: ٣٠٢٢].

[النساء: ٣١] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢] وقال ﷺ: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة يكفرن ما بينهن إن اجتنبت الكبائر»(١). وفي لفظ آخر: «كفارات لما بينهن إلا الكبائر» وقد قال ﷺ فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص: «الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس»(٢)، واختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر من أربع إلى سبع إلى تسع إلى إحدى عشرة فما فوق ذلك، فقال ابن مسعود: هن أربع. وقال ابن عمر: هن سبع. وقال عبد الله بن عمرو: هن تسع. وكان ابن عباس إذا بلغه قول ابن عمر: الكبائر سبع، يقول: هن إلى سبعين أقرب منها إلى سبع، وقال مرة: كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة. وقال غيره: كل ما أوعد الله عليه بالنار فهو من الكبائر. وقال بعض السلف: كل ما أوجب عليه الحدّ في الدنيا فهو كبيرة، وقيل: إنها مبهمة لا يعرف عددها كليلة القدر وساعة يوم الجمعة. وقال ابن مسعود لما سئل عنها: اقرأ من أوّل سورة النساء إلى رأس ثلاثين آية منها عند قوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء: ٣١] فكل ما نهي عنه في هذه السورة إلى هنا فهو كبيرة. وقال أبو طالب المكي: الكبائر سبع عشرة جمعتها من جملة الأخبار(٣)، وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن

---

(١) صحيح: حديث «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة تكفر ما بينهن إن اجتنبت الكبائر». رواه مسلم من حديث أبي هريرة. [مسلم: ٢٣٣].

(٢) صحيح: حديث عبد الله بن عمرو «الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس». رواه البخاري. [البخاري: ٦٦٧٥].

(٣) - الأخبار الواردة في الكبائر حكى المصنف عن أبي طالب المكي أنه قال: الكبائر سبع عشرة جميعها من جملة الأخبار، وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم. الشرك بالله، والإصرار على معصيته، والقنوط من رحمته، والأمن من مكره، وشهادة الزور، وقذف المحصن، واليمين الغموس، والسحر، وشرب الخمر والمسكر، وأكل مال اليتيم ظلما وأكل الربا، والزنا، واللواط، والقتل، والسرقة، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين.

وسأذكر ما ورد منها مرفوعا، وقد تقدم أربعة منها في حديث عبد الله بن عمرو، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة «اجتنبوا السبع الموبقات» [البخاري: ٢٧٦٧، ومسلم: ٨٩ عن أبي هريرة] قالوا: يا رسول الله وما هي؟ قال «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف. وقذف المحصنات المؤمنات» ولهما من حديث أبي بكرة «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قال الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور - أو قال قول الزور - » [البخاري: ٥٩٧٦، ومسلم: ٨٧ عن أبي بكرة،] ولهما من حديث أنس: سئل عن الكبائر قال «الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين» [البخاري ٥٩٧٧، ومسلم: ٨٨ عن أنس،] وقال «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قال: قول الزور، أو قال شهادة الزور» ولهما من حديث ابن مسعود: سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم: قال «أن تجعل لله ندا وهو خلقك» قلت ثم أي؟ قال «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك» قلت ثم أي؟ قال «أن تزاني حليلة جارك». [البخاري: ٤٤٧٧، ومسلم: ٨٦ عن ابن مسعود] وللطبراني من حديث سلمة بن قيس: «إنما هي أربع: لا تشركوا بالله شيئا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تزنوا، ولا تسرقوا» [السلسلة الصحيحة: ١٨٥٣] وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تزنوا، ولا تسرقوا» وفي الأوسط للطبراني من حديث ابن عباس «الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر» وفيه موقوفا على عبد الله بن عمرو «أعظم الكبائر شرب الخمر» [انظر صحيح الترغيب: ٢٣٧٠] وكلاهما ضعيف. وللبزار من حديث ابن عباس بإسناد حسن: أن رجلا

عمر وغيرهم؛ أربعة في القلب وهي الشرك بالله، والإصرار على معصيته، والقنوط من رحمته، والأمن من مكره. وأربع في اللسان، وهي: شهادة الزور، وقذف المحصن، واليمين الغموس، وهي التي يحق بها باطلًا أو يبطل بها حقًا، وقيل هي التي يقتطع بها مال امرئ مسلم باطلًا ولو سواكًا من أراك. وسميت غموسًا لأنها تغمس صاحبها في النار.

والسحر: وهو كل كلام يغير الإنسان وسائر الأجسام عن موضوعات الخلقة. وثلاث في البطن: وهي شرب الخمر والمسكر من كل شراب، وأكل مال اليتيم ظلمًا، وأكل الربا وهو يعلم. واثنتان في الفرج وهما: الزنا واللواط. واثنتان في اليدين وهما: القتل والسرقة. وواحدة في الرجلين: وهي الفرار من الزحف الواحد من اثنين والعشرة من العشرين. وواحدة في جميع الجسد وهو عقوق الوالدين.

قال يا رسول الله ما الكبائر؟ قال «الشرك بالله، والإياس من روح الله، والقنوط من رحمة الله» [انظر السلسلة الصحيحة: ٢٠٥١] وله من حديث بريدة «أكبر الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، ومنع فضل الماء ومنع الفحل» [انظر صحيح الترغيب: ١٨٤٨، وقال الألباني: حسن لغيره] وفيه صالح بن حبان ضعفه ابن معين والنسائي وغيرهما، وله من حديث أبي هريرة «الكبائر أولهن الإشراك بالله» وفيه «والانتقال إلى الأعراب بعد هجرته» وفيه خالد بن يوسف السمين ضعيف وللطبراني في الكبير من حديث سهل بن أبي حثمة في الكبائر «والتعرب بعد الهجرة» [انظر السلسلة الصحيحة: ٢٢٤٤] وفيه ابن لهيعة، وله في الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري «الكبائر سبع» وفيه «والرجوع إلى الأعرابية بعد الهجرة» [انظر صحيح الجامع: ٤٦٠٦، وحسنه الألباني] وفيه أبو بلال الأشعري ضعفه الدارقطني، وللحاكم من حديث عبيد بن عمير عن أبيه «الكبائر تسع» فذكر منها واستحلال البيت الحرام» [أبي داود: ٢٨٧٥، وانظر ضعيف الترغيب: ٤٦١] وللطبراني من حديث واثلة «إن من أكبر الكبائر أن يقول الرجل على ما لم أقل» وله أيضا من حديثه «إن من أكبر الكبائر أن ينتفي الرجل من ولده» ولمسلم من حديث جابر «بين الرجل وبين الشرك - أو الكفر ترك الصلاة» [مسلم: ٨٢] ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو «من الكبائر شتم الرجل والديه» [البخاري: ٥٩٧٣، ومسلم: ٩٠] ولأبي داود من حديث سعيد بن زيد «من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق» [عند أبي داود: ٤٨٧٦، وانظر السلسلة الصحيحة: ٣٩٥٠] وفي الصحيحين من حديث ابن عباس: أنه ﷺ مر على قبرين فقال «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير وإنه لكبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله» [البخاري: ٢١٦، ومسلم: ٢٩٢] الحديث ولأحمد في هذه القصة من حديث أبي بكرة «أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس» [انظر ضعيف الترغيب: ١٦٩٣] الحديث ولأبي داود والترمذي من حديث أنس «عرضت على ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أتيها رجل ثم نسيها» [أبي داود: ٤٦١، والترمذي: ٢٩١٦، وانظر ضعيف الترغيب: ١٨٤] سكت عليه أبو داود واستغربه البخاري والترمذي. وروى ابن أبي شيبة في التوبة من حديث ابن عباس «لا صغيرة مع إصرار» [انظر السلسلة الضعيفة: ٤٨١٠، وقال الألباني: منكر] وفيه أبو شيبة الخراساني والحديث منكر يعرف به. وأما الموقوفات فروى الطبراني والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال الكبائر الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله. وروى البيهقي فيه عن ابن عباس قال: الكبائر الإشراك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس التي حرم الله، وقذف المحصنات، وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف، وأكل الربا، والسحر، والزنا، واليمين الغموس الفاجرة، والغلول، ومنع الزكاة، وشهادة الزور، وكتمان الشهادة وشرب الخمر، وترك الصلاة متعمدا وأشياء مما فرضها الله، ونقض العهد، وقطيعة الرحم. وروى ابن أبي الدنيا في التوبة عن ابن عباس: كل ذنب أصر عليه العبد كبيرة، وفيه الربيع بن صبيح مختلف فيه. وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس عن أنس قوله: لا صغيرة مع الإصرار، وإسناده جيد، فقد اجتمع من المرفوعات والموقوفات ثلاثة وثلاثون أو اثنان وثلاثون، إلا أن بعضها لا يصح إسناده كما تقدم، وإنما ذكرت الموقوفات حتى يعلم ما ورد في المرفوع وما ورد في الموقوف. وللبيهقي في الشعب عن ابن عباس أنه قيل له: الكبائر سبع، فقال: هي إلى السبعين أقرب. وروى البيهقي أيضا فيه عن ابن عباس قال: كل ما نهى الله عنه كبيرة والله أعلم.

قال: وجملة عقوقهما أن يقسما عليه في حق فلا يبر قسمهما وإن سألاه حاجة فلا يعطيهما، وإن يسباه فيضربهما، ويجوعان فلا يطعمهما: هذا ما قاله وهو قريب، ولكن ليس يحصل به تمام الشفاء، إذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه، فإنه جعل أكل الربا ومال اليتيم من الكبائر، وهي جناية على الأموال، ولم يذكر في كبائر النفوس إلا القتل، فأما فقء العين وقطع اليدين وغير ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وأنواع العذاب فلم يتعرّض له، وضرب اليتيم وتعذيبه وقطع أطرافه لا شك في أنه أكبر من أكل ماله، كيف وفي الخبر: «مِنَ الكَبَائِرِ السَّبَّتَانِ بِالسَّبَّةِ وَمِنَ الكَبَائِرِ اسْتِطَالَةُ الرَّجُلِ فِي عِرْضِ أَخِيهِ المُسْلِمِ»(١)، وهذا زائد على قذف المحصن. وقال أبو سعيد الخدري وغيره من الصحابة: إنكم لتعملون أعمالًا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدّها على عهد رسول الله ﷺ من الكبائر(٢).

وقالت طائفة: كل عمد كبيرة وكل ما نهى الله عنه فهو كبيرة، وكشف الغطاء عن هذا أن نظر الناظر في السرقة أهي كبيرة أم لا: لا يصح. ما لم يفهم معنى الكبيرة، والمراد بها كقول القائل: السرقة حرام أم لا؟ لا مطمع في تعريفه إلا بعد تقرير معنى الحرام أوّلًا ثم البحث عن وجوده في السرقة؛ فالكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص في اللغة ولا في الشرع، وذلك لأنّ الكبيرة والصغيرة من المضافات، وما من ذنب إلا وهو كبير بالإضافة إلى ما دونه، وصغير بالإضافة إلى ما فوقه، فالمضاجعة مع الأجنبية كبيرة بالإضافة إلى النظرة، صغيرة بالإضافة إلى الزّنا، وقطع يد المسلم كبيرة بالإضافة إلى ضربه، صغيرة بالإضافة إلى قتله. نعم للإنسان أن يطلق على ما توعد بالنار على فعله خاصة اسم الكبيرة، ونعني بوصفه بالكبيرة: أنّ العقوبة بالنار عظيمة، وله أن يطلق على ما أوجب الحدّ عليه مصيرًا إلى أنّ ما عجل عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظيم، وله أن يطلق على ما ورد في نص الكتاب النهي عنه فيقول: تخصيصه بالذكر في القرآن يدل على عظمه، ثم يكون عظيمًا وكبيرة لا محالة بالإضافة، إذ منصوصات القرآن أيضًا تتفاوت درجاتها، فهذه الإطلاقات لا حرج فيها، وما نقل من ألفاظ الصحابة يتردّد بين هذه الجهات، ولا يبعد تنزيلها على شيء من هذه الاحتمالات، نعم من المهمات أن تعلم معنى قول الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ

---

(١) **ضعيف:** حديث «من الكبائر السبّتان بالسبّة، ومن الكبائر استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم». عزاه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس لأحمد وأبي داود من حديث سعد بن زيد، والذي عندهما من حديثه «من أربى الربا استطالة الرجل في عرض المسلم بغير حق» كما تقدم.[أبو داود: ٤٨٧٧ وانظر ضعيف الجامع: ٥٢٩١].

(٢) **صحيح:** حديث أبي سعيد الخدري وغيره من الصحابة: إنكم تعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الكبائر. أخرجه أحمد [أحمد: ١٠٦١٢] والبزار بسند صحيح وقال «من الموبقات» بدل الكبائر. ورواه البخاري من حديث أنس [البخاري: ٦٤٩٢] وأحمد والحاكم من حديث عبادة بن قرص وقال. صحيح الإسناد.

عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء:٣١] وقول رسول الله ﷺ: «الصَّلَوَاتُ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إلاَّ الكَبائِر» فإن هذا إثبات حكم الكبائر. والحق في ذلك أن الذنوب منقسمة في نظر الشرع إلى ما يعلم استعظامه إياها، وإلى ما يعلم أنها معدودة في الصغائر، وإلى ما يشك فيه، فلا يدري حكمه، فالطمع في معرفة حدّ حاصر أو عدد جامع مانع طلب لما لا يمكن فإن ذلك لا يمكن إلا بالسماع من رسول الله ﷺ بأن يقول: إني أردت بالكبائر عشرًا أو خمسًا ويفصلها فإن لم يرد هذا، بل ورد في بعض الألفاظ: «ثَلاثٌ مِنَ الكَبَائِرِ» (١)، وفي بعضها: «سَبْعٌ مِنَ الكَبَائِرِ» (٢)، ثم ورد: «أنَّ السَّبْعَتَيْنِ بِالسَّبْعَةِ الوَاحِدَةِ مِنَ الكَبَائِرِ» وهو خارج عن السبع والثلاث: علم أنه لم يقصد به العدد بما يحصر، فكيف يطمع في عدد ما لم يعده الشرع؟ وربما قصد الشرع إبهامه ليكون العباد منه على وجل، كما أبهم ليلة القدر ليعظم جدّ الناس في طلبها، نعم لنا سبيل كلي يمكننا أن نعرف به أجناس الكبائر وأنواعها بالتحقيق. وأما أعيانها فنعرفها بالظن والتقريب، ونعرف أيضًا أكبر الكبائر، فأما أصغر الصغائر فلا سبيل إلى معرفته. وبيانه أنا نعلم بشواهد الشرع وأنوار البصائر جميعًا أن مقصود الشرائع كلها سياق الخلق إلى جوار الله تعالى وسعادة لقائه، وأنه لا وصول لهم إلى ذلك إلا بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وكتبه ورسله، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] أي ليكونوا عبيدًا لي. ولا يكون العبد عبدًا ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية ولا بدّ أن يعرف نفسه وربه، فهذا هو المقصود الأقصى ببعثة الأنبياء، ولكن لا يتم هذا إلا في الحياة الدنيا، وهو المعنيّ بقوله عليه الصلاة والسلام: «الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الآخِرَةِ» (٣)، فصار حفظ الدنيا أيضًا مقصودًا تابعًا للدين لأنه وسيلة إليه. والمتعلق من الدنيا بالآخرة شيئان: النفوس والأموال، فكل ما يسدّ باب معرفة الله تعالى فهو أكبر الكبائر ويليه ما يسدّ باب حياة النفوس ويليه باب ما يسدّ المعايش التي بها حياة الناس، فهذه ثلاث مراتب، فحفظ المعرفة على القلوب، والحياة على الأبدان، والأموال على الأشخاص ضروري في مقصود الشرائع كلها، وهذه ثلاثة أمور لا يتصوّر أن تختلف فيها الملل، فلا يجوز أنّ الله تعالى يبعث نبيًا يريد ببعثه إصلاح الخلق في

---

(١) **صحيح**: حديث «ثلاثة من الكبائر». أخرجه الشيخان من حديث أبي بكرة ألا أنبئكم بأكبر الكبائر - ثلاث -... الحديث» وقد تقدم.

(٢) حديث «سبع من الكبائر». رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد «الكبائر سبع» [انظر صحيح الترغيب: ١٨٤٨ وقال الألباني: حسن لغيره] وقد تقدم وله في الكبير من حديث عبد الله بن عمر «من صلى الصلوات الخمس واجتنب الكبائر... الحديث» [انظر صحيح الترغيب: ١٣٤٠، وحسنه الألباني] ثم عدهن سبعا. وتقدم عن الصحيحين حديث أبي هريرة «اجتنبوا السبع الموبقات" [سبق تخريجه].

(٣) **ضعيف**: حديث «الدنيا مزرعة الآخرة». لم أجده بهذا اللفظ مرفوعا وروى العقيلي في الضعفاء وأبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث طارق بن أشيم «نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لآخرته.. الحديث»، وإسناده ضعيف. [انظر السلسلة الضعيفة: ٤٦٦٦].

دينهم ودنياهم ثم يأمرهم بما يمنعهم عن معرفته ومعرفة رسله؛ أو يأمرهم بإهلاك النفوس وإهلاك الأموال، فحصل من هذا أن الكبائر على ثلاث مراتب:

الأولى: ما يمنع من معرفة الله تعالى ومعرفة رسله وهو الكفر، فلا كبيرة فوق الكفر، إذ الحجاب بين الله وبين العبد هو الجهل، والوسيلة المقرّبة له إليه هو العلم والمعرفة، وقربه بقدر معرفته، وبعده بقدر جهله، ويتلو الجهل الذي يسمى كفرًا الأمن من مكر الله والقنوط من رحمته، فإن هذا أيضًا عين الجهل، فمن عرف الله لم يتصوّر أن يكون آمنًا ولا أن يكون آيسًا، ويتلو هذه الرتبة: البدع كلها المتعلقة بذات الله وصفاته وأفعاله وبعضها أشدّ من بعض، وتفاوتها على حسب تفاوت الجهل بها وعلى حسب تعلقها بذات الله سبحانه بأفعاله وشرائعه وبأوامره ونواهيه، ومراتب ذلك لا تنحصر، وهي تنقسم إلى ما يعلم أنها داخلة تحت ذكر الكبائر المذكورة في القرآن، وإلى ما يعلم أنه لا يدخل؛ وإلى ما يشك فيه وطلب دفع الشك في القسم المتوسط طمع في غير مطمع.

المرتبة الثانية: النفوس إذ ببقائها وحفظها تدوم الحياة وتحصل المعرفة بالله، فقتل النفس لا محالة من الكبائر وإن كان دون الكفر، لأن ذلك يصدم عين المقصود وهذا يصدم وسيلة المقصود، إذ حياة الدنيا لا تراد إلا للآخرة والتوصل إليها بمعرفة الله تعالى، ويتلو هذه الكبيرة قطع الأطراف وكل ما يفضي إلى الهلاك حتى الضرب وبعضها أكبر من بعض، ويقع في هذه الرتبة تحريم الزنا واللواط، لأنه لو اجتمع الناس على الاكتفاء بالذكور في قضاء الشهوات انقطع النسل، ودفع الموجود قريب من قطع الوجود.

وأما الزنا فإنه لا يفوت أصل الوجود ولكن يشوّش الأنساب ويبطل التوارث والتناصر وجملة من الأمور التي لا ينتظم العيش إلا بها، بل كيف يتم النظام مع إباحة الزنى ولا ينتظم أمور البهائم ما لم يتميز الفحل منها بإناث يختص بها عن سائر الفحول، ولذلك لا يتصور أن يكون الزنى مباحًا في أصل شرع قصد به الإصلاح، وينبغي أن يكون الزنى في الرتبة دون القتل، لأنه ليس يفوت دوام الوجود ولا يمنع أصله ولكنه يفوت تمييز الأنساب ويحرّك من الأسباب ما يكاد يفضي إلى التقاتل وينبغي أن يكون أشدّ من اللواط لأن الشهوة داعية إليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويعظم أثر الضرر بكثرته.

المرتبة الثالثة: الأموال فإنها معايش الخلق فلا يجوز تسلط الناس على تناولها كيف شاؤوا حتى بالاستيلاء والسرقة وغيرهما، بل ينبغي أن تحفظ لتبقى ببقائها النفوس، إلا أن الأموال إذا أخذت أمكن استردادها وإن أكلت أمكن تغريمها فليس يعظم الأمر فيها، نعم إذا جرى تناولها بطريق يعسر التدارك له فينبغي أن يكون ذلك من الكبائر، وذلك بأربع طرق:

أحدها: الخفية، وهي السرقة فإنه إذا لم يطلع عليه غالبًا كيف يتدارك.

الثاني: أكل مال اليتيم، وهذا أيضًا من الخفية وأعني به في حق الولي والقيم فإنه مؤتمن

فيه وليس له خصم سوى اليتيم وهو صغير لا يعرفه فتعظيم الأمر فيه واجب، بخلاف الغصب فإنه ظاهر يعرف، وبخلاف الخيانة في الوديعة فإن المودع خصم فيه ينتصف لنفسه.

الثالث: تفويتها بشهادة الزور.

الرابع: أخذ الوديعة وغيرها باليمين الغموس فإن هذه طريق لا يمكن فيها التدارك ولا يجوز أن تختلف الشرائع في تحريمها أصلًا، وبعضها أشدّ من بعض وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس. وهذه الأربعة جديرة بأن تكون مرادة بالكبائر وإن لم يوجب الشرع الحد في بعضها، ولكن أكثر الوعيد عليها وعظم في مصالح الدنيا تأثيرها.

وأما أكل الربا فليس إلا أكل مال الغير بالتراضي مع الإخلال بشرط وضعه الشرع ولا يبعد أن تختلف الشرائع في مثله، وإذا لم يجعل الغصب الذي هو أكل مال الغير بغير رضاه وبغير رضا الشرع من الكبائر فأكل الربا أكل برضا المالك ولكن دون رضا الشرع، وإن عظم الشرع الرّبا بالزجر عنه فقط عظم أيضًا الظلم بالغصب وغيره وعظم الخيانة، والمصير إلى أنّ أكل دانق بالخيانة أو الغصب من الكبائر فيه نظر، وذلك واقع في مظنة الشك وأكثر ميل الظنّ إلى أنه غير داخل تحت الكبائر، بل ينبغي أن تختص الكبيرة بما لا يجوز اختلاف الشرع فيه ليكون ضروريًا في الدين، فيبقى مما ذكره أبو طالب المكي القذف والشرب والسحر والفرار من الزحف وعقوق الوالدين. أما الشرب لما يزيل العقل فهو جدير بأن يكون من الكبائر، وقد دل عليه تشديدات الشرع وطريق النظر أيضًا، لأن العقل محظوظ كما أنّ النفس محظوظة، بل لا خير في النفس دون العقل، فإزالة العقل من الكبائر ولكن هذا لا يجري في قطرة من الخمر، فلا شك في أنه لو شرب ماء فيه قطرة من الخمر، لم يكن ذلك كبيرة وإنما هو شرب ماء نجس، والقطرة وحدها في محل الشك، وإيجاب الشرع الحدّ به يدل على تعظيم أمره، فيعد ذلك من الكبائر بالشرع، وليس في قوّة البشرية الوقوف على جميع أسرار الشرع، فإن ثبت إجماع في أنه كبيرة وجب الاتباع، ولا فللتوقف فيه مجال. وأما القذف فليس فيه إلا تناول الأعراض، والأعراض دون الأموال في الريبة، ولتناولها مراتب، وأعظمها التناول بالقذف بالإضافة إلى فاحشة الزنى، وقد عظم الشرع أمره، وأظن ظنًا غالبًا أن الصحابة كانوا يعدّون كل ما يجب به الحدّ كبيرة، فهو بهذا الاعتبار لا تكفره الصلوات الخمس، وهو الذي نريده بالكبيرة الآن، ولكن من حيث إنه يجوز أن تختلف فيه الشرائع فالقياس بمجرّده لا يدل على كبره وعظمته، بل كان يجوز أن يرد الشرع بأنّ العدل الواحد إذا رأى إنسانًا يزني فله أن يشهد ويجلد المشهود عليه بمجرّد شهادته، فإن لم تقبل شهادته فحدّه ليس ضروريًا في مصالح الدنيا وإن كان على الجملة من المصالح الظاهرة الواقعة في رتبة الحاجات، فإذن هذا أيضًا يلحق بالكبائر في حق من عرف حكم الشرع، فأما من ظن أنّ له أن يشهد وحده، أو ظن أنه يساعده على شهادة غيره فلا ينبغي أن يجعل في حقه من الكبائر.

وأما السحر فإن كان فيه كفر فكبيرة، وإلا فعظمته بحسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك نفس أو مرض أو غيره.

وأما الفرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا أيضًا ينبغي أن يكون من حيث القياس في محل التوقف، وإذا قطع بأن سب الناس بكل شيء سوى الزنى، وضربهم، والظلم لهم بغصب أموالهم، وإخراجهم من مساكنهم وبلادهم، وإجلائهم من أوطانهم ليس من الكبائر ، إذ لم ينقل ذلك في السبع عشرة كبيرة وهو أكبر ما قيل فيه ، فالتوقف في هذا أيضًا غير بعيد، ولكن الحديث يدل على تسميته كبيرة فليلحق بالكبائر. فإذا رجع حاصل الأمر إلى أنا نعني بالكبيرة ما لا تكفره الصلوات بحكم الشرع. وذلك مما انقسم إلى ما علم أنه لا تكفره قطعًا وإلى ما ينبغي أن تكفره وإلى ما يتوقف فيه، والمتوقف فيه بعضه مظنون للنفي والإثبات وبعضه مشكوك فيه وهو شك لا يزيله إلا نص كتاب أو سنة، وإذن لا مطمع فيه، فطلب رفع الشك فيه محال.

فإن قلت : فهذا إقامة برهان على استحالة معرفة حدّها، فكيف يردّ الشرع بما يستحيل معرفة حدّه؟ فاعلم أنّ كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز أن يتطرّق إليه الإبهام، لأن دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث إنها كبيرة، بل كل موجبات الحدود معلومة بأسمائها كالسرقة والزنى وغيرهما، وإنما حكم الكبيرة أنّ الصلوات الخمس لا تكفرها، وهذا أمر يتعلق بالآخرة، والإبهام أليق به حتى يكون الناس على وجل وحذر فلا يتجرؤون على الصغائر اعتمادًا على الصلوات الخمس، وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر بموجب قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١] ولكن اجتناب الكبيرة إنما يكفر الصغيرة إذا اجتنبها مع القدرة والإرادة، كمن يتمكن من امرأة ومن مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع فيقتصر على نظر أو لمس، فإنّ مجاهدة نفسه بالكف عن الوقاع أشدّ تأثيرًا في تنوير قلبه من إقدامه على النظر في إظلامه؛ فهذا معنى تكفيره، فإن كان عنينًا أو لم يكن امتناعه إلا بالضرورة للعجز أو كان قادرًا ولكن امتنع لخوف أمر آخر فهذا لا يصلح للتكفير أصلًا، وكل من يشتهي الخمر بطبعه ولو أبيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التي هي مقدّماته كسماع الملاهي والأوتار، نعم. من يشتهي الخمر وسماع الأوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة عن الخمر ويطلقها في السماع فمجاهدته النفس بالكف ربما تمحو عن قلبه الظلمة التي ارتفعت إليه من معصية السماع، فكل هذه أحكام أخروية، ويجوز أن يبقى بعضها في محل الشك وتكون من المتشابهات فلا يعرف تفصيلها إلا بالنص ولم يرد النص بعد ولا حدّ جامع، بل ورد بألفاظ مختلفات، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الصَّلاةُ إِلَى الصَّلاةِ كَفَّارةٌ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ كَفَّارَةٌ إلاّ مِنْ ثَلاثٍ: إِشْرَاكٌ بِاللَّهِ، وَتَرْكُ السُّنَّةِ، وَنَكْثُ

الصَّفَقَةِ»[١]، قيل ما ترك السنة؟ قيل الخروج عن الجماعة. ونكث الصفقة، أن يبايع رجلًا ثم يخرج عليه بالسيف يقاتله، فهذا وأمثاله من الألفاظ لا يحيط بالعدد كله ولا يدل على حدّ جامع فيبقى لا محالة مبهمًا.

فإن قلت: الشهادة لا تقبل إلا ممن يجتنب الكبائر، والورع عن الصغائر ليس شرطًا في قبول الشهادة، وهذا من أحكام الدنيا فاعلم أنا لا نخصص رد الشهادة بالكبائر، فلا خلاف في أنّ من يسمع الملاهي ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب ويشرب في أواني الذهب والفضة لا تقبل شهادته، ولم يذهب أحد إلى أنّ هذه الأمور من الكبائر. وقال الشافعي رضي الله عنه: إذا شرب الحنفي النبيذ حددته ولم أرد شهادته، فقد جعله كبيرة بإيجاب الحد ولم يرد به الشهادة، فدل على أن الشهادة نفيًا وإثباتًا لا تدور على الصغائر والكبائر، بل كل الذنوب تقدح في العدالة إلا ما لا يخلو الإنسان عنه غالبًا بضرورة مجاري العادات. كالغيبة، والتجسس، وسوء الظن، والكذب في بعض الأقوال، وسماع الغيبة، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأكل الشبهات، وسب الولد والغلام وضربهما بحكم الغضب زائدًا على المصلحة، وإكرام السلاطين الظلمة، ومصادقة الفجار، والتكاسل عن تعليم الأهل والولد جميع ما يحتاجون إليه من أمر الدين، فهذه ذنوب لا يتصوّر أن ينفك الشاهد عن قليلها أو كثيرها إلا بأن يعتزل الناس ويتجرّد لأمور الآخرة ويجاهد نفسه مدّة بحيث يبقى على سمعته مع المخالطة بعد ذلك، ولو لم يقبل إلا قول مثله لعز وجوده وبطلت الأحكام والشهادات. وليس لبس الحرير وسماع الملاهي واللعب بالنرد ومجالسة أهل الشرب في وقت الشرب والخلوة بالأجنبيات وأمثال هذه الصغائر من هذا القبيل، فإلى مثل هذا المنهاج ينبغي أن ينظر في قبول الشهادة وردها لا إلى الكبيرة والصغيرة، ثم آحاد هذه الصغائر التي لا ترد الشهادة بها لو واظب عليها لأثر في رد الشهادة كمن اتخذ الغيبة وثلب الناس عادة، وكذلك مجالسة الفجار ومصادقتهم، والصغيرة تكبر بالمواظبة كما أنّ المباح يصير صغيرة بالمواظبة، كاللعب بالشطرنج والترنم بالغناء على الدوام وغيره، فهذا بيان حكم الصغائر والكبائر.

بيان كيفية توزع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا:

اعلم أنّ الدنيا من عالم الملك والشهادة، والآخرة من عالم الغيب والملكوت، وأعني بالدنيا حالتك قبل الموت، وبالآخرة حالتك بعد الموت، فدنياك وآخرتك صفاتك وأحوالك، يسمى القريب الداني منها دنيا، والمتأخر آخرة. ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة، فإنا

---

(١) حديث «الصلاة إلى الصلاة كفارة ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث إشراك بالله وترك السنة ونكث الصفقة». أخرجه الحاكم من حديث أبي هريرة نحوه وقال صحيح الإسناد.

الآن نتكلم في الدنيا وهو عالم الملك وغرضنا شرح الآخرة وهي عالم الملكوت، ولا يتصوّر شرح عالم الملكوت في عالم الملك إلا بضرب الأمثال، ولذلك قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣] وهذا لأنّ عالم الملك نوم بالإضافة إلى عالم الملكوت، ولذلك قال ﷺ: «النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذا مَاتُوا انْتَبَهُوا» (١)، وما سيكون في اليقظة لا يتبين لك في النوم إلا بضرب الأمثال المحوجة إلى التعبير، فكذلك ما سيكون في يقظة الآخرة لا يتبين في نوم الدنيا إلا في كثرة الأمثال، وأعني بكثرة الأمثال ما نعرفه من علم التعبير، ويكفيك منه إن كنت فطنًا ثلاثة أمثلة.

فقد جاء رجل إلى ابن سيرين فقال: رأيت كأن في يدي خاتمًا أختم به أفواه الرجال وفروج النساء فقال: إنك مؤذن تؤذن في رمضان قبل طلوع الفجر، قال: صدقت. وجاء رجل آخر فقال: رأيت كأني أصب الزيت في الزيتون، فقال: إن كان تحتك جارية اشتريتها ففتش عن حالها فإن أمك سبيت في صغرك، لأن الزيتون أصل الزيت فهو يرد إلى الأصل، فنظر فإذا جاريته كانت أمه وقد سبيت في صغره. وقال له آخر رأيت كأني أقلد الدرّ في أعناق الخنازير، فقال: إنك تعلم الحكمة غير أهلها فكان كما قال، والتعبير من أوّله إلى آخره أمثال تعرفك طريق ضرب الأمثال، وإنما نعني بالمثل أداء المعنى في صورة إن نظر إلى معناه وجده صادقًا، وإن نظر إلى صورته وجده كاذبًا، فالمؤذن إن نظر إلى صورة الخاتم والختم به على الفروج رآه كاذبًا، فإنه لم يختم به قط، وإن نظر إلى معناه وجده صادقًا إذ صدر منه روح الختم ومعناه وهو المنع الذي يراد الختم له، وليس للأنبياء أن يتكلموا مع الخلق إلا بضرب الأمثال، لأنهم كلفوا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم، وقدر عقولهم أنهم في النوم، والنائم لا يكشف له عن شيء إلا بمثلٍ، فإذا ماتوا انتبهوا، وعرفوا أن المثل صادق، ولذلك قال ﷺ: «قَلْبُ المُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمنِ» (٢)، وهو من المثال الذي لا يعقله إلا العالمون، فأما الجاهل فلا يجاوز قدره ظاهر المثال لجهله بالتفسير الذي يسمى تأويلًا، كما يسمى تفسير ما يرى من الأمثلة في النوم تعبيرًا فيثبت لله تعالى يدًا وأصبعًا. تعالى الله عن قوله علوًا كبيرًا. وكذلك في قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» (٣)، فإنه لا يفهم من الصورة إلا اللون والشكل والهيئة فيثبت لله تعالى مثل ذلك. تعالى الله عن قوله علوًا كبيرًا. من هاهنا زل من زلّ في صفات إلهية حتى في الكلام وجعلوه صوتًا وحرفًا إلى غير ذلك من الصفات، والقول فيه يطول، وكذلك قد يرد في أمر الآخرة ضرب أمثلة يكذب بها الملحد بجمود نظره على ظاهر

---

(١) **لا أصل له:** حديث «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا». لم أجده مرفوعا، وإنما يعزى إلى علي بن أبي طالب. [الضعيفة: ١٠٢].

(٢) حديث «قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن». تقدم.

(٣) حديث «إن الله خلق آدم على صورته». تقدم.

المثال وتناقضه عنده، كقوله ﷺ: «يُؤْتَى بِالمَوْتِ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُذْبَحُ» (١) فيثور الملحد الأحمق ويكذب ويستدل به على كذب الأنبياء ويقول: يا سبحان الله الموت عرض والكبش جسم فكيف ينقلب العرض جسمًا؟ وهل هذا إلا محال، ولكن الله تعالى عزل هؤلاء الحمقى عن معرفة أسراره فقال: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣] ولا يدري المسكين أن من قال رأيت في منامي أنه جيء بكبش وقيل هذا هو الوباء الذي في البلد وذبح فقال المعبر: صدقت والأمر كما رأيت وهذا يدل على أن هذا الوباء ينقطع ولا يعود قط، لأن المذبوح وقع اليأس منه، فإن المعبر صادق في تصديقه وهو صادق في رؤيته، وترجع حقيقة ذلك إلى أن الموكل بالرؤيا وهو الذي يطلع الأرواح عند النوم على ما في اللوح المحفوظ عرّفه بما في اللوح المحفوظ بمثال ضربه له، لأن النائم إنما يحتمل المثال فكان مثاله صادقًا وكان معناه صحيحًا؛ فالرسل أيضًا إنما يكلمون الناس في الدنيا وهي بالإضافة إلى الآخرة نوم، فيوصلون المعاني إلى أفهامهم بالأمثلة حكمة من الله ولطفًا بعباده وتيسيرًا لإدراك ما يعجزون عن إدراكه دون ضرب المثل، فقوله ﷺ: «يُؤْتَى بِالمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ» مثال ضربه ليوصل إلى الأفهام حصول اليأس من الموت، وقد جبلت القلوب على التأثر بالأمثلة وثبوت المعاني فيها بواسطتها، ولذلك عبر القرآن بقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة:١١٧] عن نهاية القدرة، وعبر ﷺ بقوله: «قَلْبُ المُؤْمِنِ بَيْنَ اصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمنِ» عن سرعة التقليب. وقد أشرنا إلى حكمة ذلك في «كتاب قواعد العقائد» من ربع العبادات فلنرجع الآن إلى الغرض، فالمقصود أن تعريف توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات لا يمكن إلا بضرب المثال فلتفهم من المثل الذي نضربه معناه لا صورته. فنقول: الناس في الآخرة ينقسمون أصنافًا وتتفاوت درجاتهم ودركاتهم في السعادة والشقاوة تفاوتًا لا يدخل تحت الحصر كما تفاوتوا في سعادة الدنيا وشقاوتها ولا تفارق الآخرة في هذا المعنى أصلًا ألبتة، فإن مدبر الملك والملكوت واحد لا شريك له. وسنته الصادرة عن إرادته الأزلية مطردة لا تبديل لها، إلا أنا إن عجزنا عن إحصاء آحاد الدرجات فلا نعجز عن إحصاء الأجناس. فنقول: الناس ينقسمون في الآخرة بالضرورة إلى أربعة أقسام: هالكين، ومعذبين، وناجين، وفائزين. ومثاله في الدنيا أن يستولي ملك من الملوك على إقليم فيقتل بعضهم فهم الهالكون، ويعذب بعضهم مدّة ولا يقتلهم فهم المعذبون، ويخلي بعضهم فهم الناجون، ويخلع على بعضهم فهم الفائزون، فإن كان الملك عادلًا لم يقسمهم كذلك إلا باستحقاق، فلا يقتل إلا جاحدًا لاستحقاق الملك معاندًا له في أصل الدولة، ولا يعذب إلا من قصر في خدمته مع الاعتراف

---

(١) صحيح: حديث «يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح». متفق عليه من حديث أبي سعيد. [البخاري: ٤٧٣٠، مسلم: ٢٨٤٩].

بملكه وعلوّ درجته، ولا يخلى إلا معترفًا له برتبة الملك لكنه لم يقصر ليعذب ولم يخدم ليخلع عليه، ولا يخلع إلا على من أبلى عمره في الخدمة والنصرة، ثم ينبغي أن تكون خلع الفائزين متفاوتة الدرجات بحسب درجاتهم في الخدمة، وإهلاك الهالكين إما تحقيقًا بحزّ الرقبة أو تنكيلًا بالمثلة بحسب درجاتهم في المعاندة، وتعذيب المعذبين في الخفة والشدّة وطول المدّة وقصرها واتحاد أنواعها واختلافها بحسب درجات تقصيرهم، فتقسم كل رتبة من هذه الرتب إلى درجات لا تحصى ولا تنحصر، فكذلك فافهم أنّ الناس في الآخرة هكذا يتفاوتون، فمن هالك، ومن معذب مدّة، ومن ناج يحل في دار السلامة، ومن فائز. والفائزون ينقسمون إلى من يحلون في جنات عدن أو جنات المأوى أو جنات الفردوس، والمعذبون ينقسمون إلى من يعذب قليلًا وإلى من يعذب ألف سنة إلى سبعة آلاف سنة، وذلك آخر من يخرج من النار كما ورد في الخبر [1]، وكذلك الهالكون الآيسون من رحمة الله تتفاوت دركاتهم، وهذه الدركات بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي، فلنذكر كيفية توزعها عليها.

الرتبة الأولى: وهي رتبة الهالكين. ونعني بالهالكين الآيسين من رحمة الله تعالى، إذ الذي قتله الملك في المثال الذي ضربناه آيس من رضا الملك وإكرامه فلا تغفل عن معاني المثال، وهذه الدرجة لا تكون إلا للجاحدين والمعرضين المتجرّدين للدنيا المكذبين بالله ورسله وكتبه، فإن السعادة الأخروية في القرب من الله والنظر إلى وجهه وذلك لا ينال أصلًا إلا بالمعرفة التي يعبر عنها بالإيمان والتصديق، والجاحدون هم المنكرون، والمكذبون هم الآيسون من رحمة الله تعالى أبد الآباد وهم الذين يكذبون برب العالمين وبأنبيائه المرسلين، ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] لا محالة وكل محجوب من محبوبه فمحول بينه وبين ما يشتهيه لا محالة فهو لا محالة يكون محترقًا نار جهنم بنار الفراق، ولذلك قال العارفون: ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاؤنا للحور العين وإنما مطالبنا اللقاء ومهربنا من الحجاب فقط، وقالوا من يعبد الله بعوض فهو لئيم كأن يعبده لطلب جنته أو لخوف ناره، بل العارف يعبده لذاته فلا يطلب إلا ذاته فقط، فأما الحور العين والفواكه فقد لا يشتهيها، وأما النار فقد لا يتقيها. إذ نار الفراق إذا استولت ربما غلبت النار المحرقة للأجسام، فإن نار الفراق نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة، ونار جهنم لا شغل لها إلا مع الأجسام، وألم الأجسام يستحقر مع ألم الفؤاد، ولذلك قيل:

وفي فؤاد المحبّ نار جوى ... أحرّ نار الجحيم أبردُها

(١) موضوع: حديث «إن آخر من يخرج من النار يعذب سبعة آلاف سنة». أخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث أبي هريرة بسند ضعيف في حديث قال فيه وأطولهم مكثا فيه مثل الدنيا من يوم خلقت إلى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة. [انظر السلسة الضعيفة: ٥٣٨١].

ولا ينبغي أن تنكر هذا في عالم الآخرة إذ له نظير مشاهد في عالم الدنيا، فقد رئي من غلب عليه الوجد فغدا على النار وعلى أصول القصب الجارحة للقدم وهو لا يحس به لفرط غلبة ما في قلبه وترى الغضبان يستولي عليه الغضب في القتال فتصيبه جراحات وهو لا يشعر بها في الحال لأنّ الغضب نار في القلب، قال رسول الله ﷺ: «الغضب قطعة من النار»[1]، واحتراق الفؤاد أشدّ من احتراق الأجساد، والأشد يبطل الإحساس بالأضعف كمّا تراه فليس الهلاك من النار والسيف إلا من حيث إنه يفرّق بين جزأين يرتبط أحدهما بالآخر برابطة التأليف الممكن في الأجسام، فالذي يفرق بين القلب وبين محبوبه الذي يرتبط به برابطة تأليف أشدّ إحكامًا من تأليف الأجسام فهو أشدّ إيلامًا إن كنت من أرباب البصائر وأرباب القلوب، ولا يبعد أن لا يدرك من لا قلب له شدّة هذا الألم ويستحقره بالإضافة إلى ألم الجسم، فالصبي لو خير بين ألم الحرمان على الكرة والصولجان وبين ألم الحرمان عن رتبة السلطان لم يحس بألم الحرمان عن رتبة السلطان أصلًا ولم يعدّ ذلك ألمًا وقال: العدو في الميدان مع الصولجان أحب إليّ من ألف سرير للسلطان مع الجلوس عليه، بل من تغلبه شهوة البطن لو خيّر بين الهريسة والحلواء وبين فعل جميل يقهر به الأعداء ويفرح به الأصدقاء لآثر الهريسة والحلواء، وهذا كله لفقد المعنى الذي بوجوده يصير الجاه محبوبًا. ووجود المعنى الذي بوجوده يصير الطعام لذيذًا، وذلك لمن استرقته صفات البهائم والسباع ولم تظهر فيه صفات الملائكة التي لا يناسبها ولا يلذها إلا القرب من رب العالمين ولا يؤلمها إلا البعد والحجاب، وكما لا يكون الذوق إلا في اللسان والسمع إلا في الآذان، فلا تكون هذه الصفة إلا في القلب، فمن لا قلب له ليس له هذا الحس، كمن لا سمع له ولا بصر ليس له لذة الألحان وحسن الصور والألوان، وليس لكل إنسان قلب؛ ولو كان لما صح قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾[ق:٣٧] فجعل من لم يتذكر بالقرآن مفلسًا من القلب. ولست أعني بالقلب هذا الذي تكتنفه عظام الصدر بل أعني به السر الذي هو من عالم الأمر، واللحم الذي هو من عالم الخلق عرشه والصدر كرسيه، وسائر الأعضاء عالمه ومملكته، ولله الخلق والأمر جميعًا، ولكن ذلك السر الذي قال الله تعالى فيه: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[الإسراء:٨٥] هو الأمير والملك لأن بين عالم الأمر وعالم الخلق ترتيبًا، وعالم الأمر أمير على عالم الخلق، وهو اللطيفة التي إذا صلحت صلح لها سائر الجسد. من عرفها فقد عرف نفسه، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه، وعند ذلك يشم العبد مبادئ روائح المعنى المطوي تحت قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» ونظر بعين الرحمة إلى الحاملين له على ظاهر لفظه وإلى المتعسفين في طريق تأويله، وإن كانت رحمته للحاملين على اللفظ أكثر من رحمته للمتعسفين في التأويل، لأن الرحمة على

(١) حديث «الغضب قطعة من النار». أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد نحوه، وقد تقدم.

قدر المصيبة ومصيبة أولئك أكثر، وإن اشتركوا في مصيبة الحرمان من حقيقة الأمر، فالحقيقة فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وهي حكمته يختص بها من يشاء: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩] ولنعد إلى الغرض فقد أرخينا الطول وطوّلنا النفس في أمر هو أعلى من علوم المعاملات التي نقصدها في هذا الكتاب، فقد ظهر أنّ رتبة الهلاك ليس إلا للجهال المكذبين، وشهادة ذلك من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ لا تدخل تحت الحصر فلذلك لم نوردها.

الرتبة الثانية: رتبة المعذبين. وهذه رتبة من تحلى بأصل الإيمان ولكن قصر في الوفاء بمقتضاه، فإنّ رأس الإيمان هو التوحيد. وهو أن لا يعبد إلا الله، ومن اتبع هواه فقد اتخذ إلهه هواه، فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة، بل معنى قولك لا إله إلا الله معنى قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام:٩١] وهو أن تذر بالكلية غير الله، ومعنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [الأحقاف: ١٣] ولما كان الصراط المستقيم الذي لا يكمل التوحيد إلا بالاستقامة عليه أدق من الشعر وأحدّ من السيف مثل الصراط الموصوف في الآخرة، فلا ينفك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو في أمر يسير، إذ لا يخلو عن اتباع الهوى ولو في فعل قليل، وذلك قادح في كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم، فذلك يقتضي لا محالة نقصانًا في درجات القرب، ومع كل نقصان ناران: نار الفراق لذلك الكمال الفائت بالنقصان، ونار جهنم كما وصفها القرآن؛ فيكون كل مائل عن الصراط المستقيم معذبًا مرتين من وجهين، ولكن شدّة ذلك العذاب وخفته وتفاوته بحسب طول المدّة إنما يكون بسبب أمرين، أحدهما: قوّة الإيمان وضعفه، والثاني: كثرة اتباع الهوى وقلته، وإذ لا يخلو بشر في غالب الأمر عن واحد من الأمرين. قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَٰرِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم:٧١-٧٢] ولذلك قال الخائفون من السلف: إنما خوفنا لأنا تيقنا أنا على النار واردون وشككنا في النجاة، ولما روى الحسن الخبر الوارد فيمن يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادي يا حنان يا منان[1] قال الحسن: يا ليتني كنت ذلك الرجل. واعلم أن في الأخبار ما يدل على أنّ آخر من يخرج من النار بعد سبعة آلاف سنة، وأن الاختلاف في المدّة بين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة حتى قد يجوز بعضهم على النار كبرق خاطف ولا يكون له فيها لبث، وبين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة درجات متفاوتة من اليوم والأسبوع والشهر وسائر المدد وأنّ الاختلاف بالشدّة لا نهاية لأعلاه، وأدناه التعذيب بالمناقشة في الحساب، كما أن الملك قد يعذب بعض المقصرين في الأعمال

(١) ضعيف جداً: حديث «من يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادي يا حنان يا منان». أخرجه أحمد وأبو يعلى من رواية أبي ظلال القسملي عن أنس وأبو ظلال ضعيف واسمه هلال بن أمية. [أحمد: ١٢٩٩٨، وانظر الضعيفة: ١٢٤٩].

بالمناقشة في الحساب ثم يعفو؛ وقد يضرب بالسياط، وقد يعذب بنوع آخر من العذاب، ويتطرّق إلى العذاب اختلاف ثالث في غير المدّة والشدّة وهو اختلاف الأنواع، إذ ليس من يعذب بمصادرة المال فقط كمن يعذب بأخذ المال وقتل الولد واستباحة الحريم وتعذيب الأقارب والضرب وقطع اللسان واليد والأنف والأذن وغيره؛ فهذه الاختلافات ثابتة في عذاب الآخرة دل عليها قواطع الشرع؛ وهي بحسب اختلاف قوّة الإيمان وضعفه وكثرة الطاعات وقلتها وكثرة السيئات وقلتها. أما شدّة العذاب فبشدّة قبح السيئات وكثرتها وأما كثرته فبكثرتها، وأما اختلاف أنواعه فباختلاف أنواع السيئات؛ وقد انكشف هذا لأرباب القلوب مع شواهد القرآن بنور الإيمان وهو المعني بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦] وبقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر:١٧] وبقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم:٣٩] وبقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧-٨] إلى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة من كون العقاب والثواب جزاء على الأعمال، وكل ذلك بعدل لا ظلم فيه، وجانب العفو والرحمة أرجح؛ إذ قال تعالى فيما أخبر عنه نبينا ﷺ: «سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي» (١)، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠] فإذن هذه الأمور الكلية من ارتباط الدرجات والدركات بالحسنات والسيئات معلومة بقواطع الشرع ونور المعرفة، فأما التفصيل فلا يعرف إلا ظنًا ومستنده ظواهر الأخبار ونوع حدس يستمدّ من أنوار الاستبصار بعين الاعتبار، فنقول: كل من أحكم أصل الإيمان واجتنب جميع الكبائر وأحسن جميع الفرائض، أعني الأركان الخمسة، ولم يكن منه إلا صغائر متفرّقة لم يصر عليها، فيشبه أن يكون عذابه المناقشة في الحساب فقط، فإنه إذا حوسب رجحت حسناته على سيئاته، إذ ورد في الأخبار أن الصلوات الخمسة والجمعة وصوم رمضان كفارات لما بينهنّ، وكذلك اجتناب الكبائر بحكم نص القرآن مكفرًا للصغائر، وأقل درجات التكفير أن يدفع العذاب إن لم يدفع الحساب، وكل من هذا حاله فقد ثقلت موازينه، فينبغي أن يكون بعد ظهور الرجحان في الميزان وبعد الفراغ من الحساب في عيشة راضية، نعم التحاقه بأصحاب اليمين أو بالمقرّبين ونزوله في جنات عدن أو في الفردوس الأعلى، فكذلك يتبع أصناف الإيمان، لأن الإيمان إيمانان: تقليدي كإيمان العوام يصدّقون بما يستمعون ويستمرّون عليه، وإيمان كشفي يحصل بانشراح الصدر بنور الله حتى ينكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه، فيتضح أنّ الكل إلى الله مرجعه ومصيره، إذ ليس في الوجود إلا الله تعالى وصفاته وأفعاله، فهذا الصنف هم المقرّبون النازلون في الفردوس الأعلى، وهم على غاية القرب من الملأ الأعلى، وهم أيضًا على

(١) صحيح: حديث «سبقت رحمتي غضبي». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة. [مسلم: ٢٧٥١].

أصناف: فمنهم السابقون ومنهم من دونهم؛ وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى. ودرجات العارفين في المعرفة بالله تعالى لا تنحصر، إذ الإحاطة بكنه جلال الله غير ممكنة وبحر المعرفة ليس له ساحل وعمق. وإنما يغوص فيه الغوّاصون بقدر قواهم وبقدر ما سبق لهم من الله تعالى في الأزل؛ فالطريق إلى الله تعالى لا نهاية لمنازله؛ فالسالكون سبيل الله لا نهاية لدرجاتهم. وأما المؤمن إيمانًا تقليديًا فمن أصحاب اليمين ودرجته دون درجة المقرّبين، وهم أيضًا على درجات؛ فالأعلى من درجات أصحاب اليمين تقارب رتبته الأدنى من درجات المقرّبين، هذا حال من اجتنب كل الكبائر وأدى الفرائض كلها. أعني الأركان الخمسة التي هي النطق بكلمة الشهادة باللسان والصلاة والزكاة والصوم والحج؛ فأما من ارتكب كبيرة أو كبائر أو أهمل بعض أركان الإسلام، فإن تاب توبة نصوحًا قبل قرب الأجل التحق بمن لم يرتكب، لأنّ التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والثوب المغسول كالذي لم يتوسخ أصلًا، وإن مات قبل التوبة فهذا أمر محظر عند الموت، إذ ربما يكون موته على الإصرار سببًا لتزلزل إيمانه فيختم له بسوء الخاتمة، لا سيما إذا كان إيمانه تقليديًا، فإن التقليد وإن كان جزمًا فهو قابل للانحلال بأدنى شك وخيال، والعارف البصير أبعد أن يخاف عليه سوء الخاتمة وكلاهما إن ماتا على الإيمان يعذبان إلا أن يعفو الله عذابًا يزيد على عذاب المناقشة في الحساب، وتكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب كثرة مدة الإصرار، ومن حيث الشدّة بحسب قبح الكبائر، ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف أصناف السيئات، وعند انقضاء مدّة العذاب ينزل علية البله المقلدون في درجات أصحاب اليمين، والعارفون المستبصرون في أعلى عليين: ففي الخبر: «آخِرُ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ يُعْطَى مِثْلَ الدُّنْيَا كُلِّها عَشَرَة أَضْعَافٍ» (١)، فلا تظن أنّ المراد به تقديره بالمساحة لأطراف الأجسام، كأن يقابل فرسخ بفرسخين أو عشرة بعشرين؛ فإنّ هذا جهل بطريق ضرب الأمثال، بل هذا كقول القائل: أخذ منه جملًا وأعطاه عشرة أمثاله، وكان الجمل يساوي عشرة دنانير فأعطاه مائة دينار؛ فإن لم يفهم من المثل إلا المثل في الوزن والثقل فلا تكون مائة دينار لو وضعت في كفة الميزان والجمل في الكفة الأخرى عشر عشيره، بل هو موازنة معاني الأجسام وأرواحها دون أشخاصها وهياكلها؛ فإن الجمل لا يقصد لثقله وطوله وعرضه ومساحته بل لماليته، فروحه المالية وجسمه اللحم والدم ومائة دينار عشرة أمثاله بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسمانية، وهذا صادق عند من يعرف روح المالية من الذهب والفضة، بل لو أعطاه جوهرة وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال: أعطيته عشرة أمثاله، كان صادقًا، ولكن لا يدرك صدقه إلا الجوهريون؛ فإن روح الجوهرية لا

---

(١) صحيح: حديث «إن آخر من يخرج من النار يعطي مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف». متفق عليه من حديث ابن مسعود. [البخاري: ٦٥٧١، مسلم: ١٨٦].

تدرك بمجرّد البصر بل بفطنة أخرى وراء البصر، فلذلك يكذب به الصبي بل القروي والبدوي ويقول: ما هذه الجوهرة إلا حجر وزنه مثقال، ووزن الجمل ألف ألف مثقال فقد كذب في قوله: إني أعطيته عشرة أمثاله، والكاذب بالتحقيق هو الصبي ولكن لا سبيل إلى تحقيق ذلك عنده إلا بأن ينتظر به البلوغ والكمال وأن يحصل في قلبه النور الذي يدرك به أرواح الجواهر وسائر الأموال، فعند ذلك ينكشف له الصدق، والعارف عاجز عن تفهيم المقلد القاصر صدق رسول الله ﷺ في هذه الموازنة، إذ يقول ﷺ: «الجَنَّةُ فِي السَّموَاتِ» (١)، كما ورد في الأخبار والسموات من الدنيا فكيف يكون عشرة أمثال الدنيا في الدنيا، وهذا كما يعجز البالغ عن تفهيم الصبي تلك الموازنة، وكذلك تفهيم البدوي وكما أن الجوهري مرحوم إذا بلي بالبدوي والقروي في تفهيم تلك الموازنة، فالعارف مرحوم إذا بلي بالبليد الأبله في تفهيم هذه الموازنة، ولذلك قال ﷺ: «ارْحَمُوا ثَلاثَةً: عَالِمًا بَيْنَ الجُهَّالِ، وَغَنِيٍّ قَوْمٍ افْتَقَرَ، وَعَزِيزَ قَوْمٍ ذَلَّ» (٢)، والأنبياء مرحومون بين الأمة بهذا السبب، ومقاساتهم لقصور عقول الأمة فتنة لهم وامتحان وابتلاء من الله وبلاء موكل بهم سبق بتوكيله القضاء الأزلي، وهو المعني بقوله عليه الصلاة والسلام: «البَلاءُ مُوَكَّلٌ بِالأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الأَوْلِيَاءِ ثُمَّ الأَمْثَلِ فَالأَمْثَلِ» (٣) فلا تظنن أن البلاء بلاء أيوب عليه السلام وهو الذي ينزل بالبدن؛ فإنّ بلاء نوح عليه السلام أيضًا من البلاء العظيم، إذ بلي بجماعة كان لا يزيدهم دعاؤه إلى الله إلا فرارًا، ولذلك لما تأذى رسول الله ﷺ بكلام بعض الناس قال: «رَحِمَ اللَّهُ أَخِي مُوسَى لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذا فَصَبَرَ» (٤)، فإذن لا تخلو الأنبياء عن الابتلاء بالجاحدين، ولا تخلو الأولياء والعلماء عن الابتلاء بالجاهلين، ولذلك قلما ينفك الأولياء عن ضروب من الإيذاء وأنواع البلاء بالإخراج من البلاد والسعاية بهم إلى السلاطين والشهادة عليهم بالكفر والخروج عن الدين، وواجب أن يكون أهل المعرفة عند أهل الجهل من الكافرين، كما يجب أن يكون المعتاض عن الجمل الكبير جوهرة صغيرة

---

(١) صحيح: حديث «كون الجنة في السموات». أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فيه «فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن».[البخاري: ٢٧٩٠].

(٢) حديث «ارحموا ثلاثة: عالما بين الجهال». أخرجه ابن حبان في الضعفاء من رواية عيسى بن طهمان عن أنس، وعيسى ضعيف، ورواه فيه من حديث ابن عباس إلا أنه قال «عالم تلاعب به الصبيان» وفيه أبو البحتري واسمه وهب بن وهب أحد الكذابين.

(٣) صحيح: حديث «البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل». أخرجه الترمذي وصححه، والنسائي في الكبرى، وابن ماجه من حديث سعد بن أبي وقاص وقال: قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ فذكره دون ذكر الأولياء وللطبراني من حديث فاطمة «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون... الحديث».[الترمذي: ٢٣٩٨، وانظر صحيح الجامع: ٩٩٢].

(٤) صحيح: حديث «رحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر». أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود. [البخاري: ٦٠٥٩].

عند الجاهلين من المبذرين المضيعين، فإذا عرفت هذه الدقائق فآمن بقوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّه يُعْطِي آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مِثْلَ الدُّنْيَا عَشْرَ مَرَّاتٍ» وإياك أن تقتصر بتصديقك على ما يدركه البصر والحواس فقط فتكون حمارًا برجلين، لأن الحمار يشاركك في الحواس الخمس وإنما أنت مفارق للحمار بسر إلهي عرض على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنه وأشفقن منه، فإدراك ما يخرج عن عالم الحواس الخمس لا يصادف إلا في عالم ذلك السر الذي فارقت به الحمار وسائر البهائم؛ فمن ذهل عن ذلك وعطله وأهمله وقنع بدرجة البهائم ولم يجاوز المحسوسات فهو الذي أهلك نفسه بتعطيلها ونسيها بالإعراض عنها، فلا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فكل من لم يعرف إلا المدرك بالحواس فقد نسي الله، إذ ليس ذات الله مدركًا في هذا العالم بالحواس الخمس، وكل من نسي الله أنساه الله - لا محالة - نفسه ونزل إلى رتبة البهائم وترك الترقي إلى الأفق الأعلى وخان في الأمانة التي أودعه الله تعالى وأنعم عليه كافرًا لأنعمه ومتعرّضًا لنقمته إلا أنه أسوأ حالًا من البهيمة، فإنّ البهيمة تتخلص بالموت. وأما هذا فعنده أمانة سترجع لا محالة إلى مودعها، فإليه مرجع الأمانة ومصيرها وتلك الأمانة كالشمس الزاهرة وإنما هبطت إلى هذا القالب الفاني وغربت فيه، وستطلع هذه الشمس عند خراب هذا القالب من مغربها وتعود إلى بارئها وخالقها إما مظلمة منكسفة وإما زاهرة مشرقة. والزاهرة المشرقة غير محجوبة عن حضرة الربوبية، والمظلمة أيضًا راجعة إلى الحضرة، إذ المرجع والمصير للكل إليه إلا أنها ناكسة رأسها عن جهة أعلى عليين إلى جهة أسفل سافلين، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[السجدة:١٢] فبين أنهم عند ربهم إلا أنهم منكوسون قد انقلبت وجوههم إلى أقفيتهم وانتكست رؤوسهم عن جهة فوق إلى جهة أسفل، وذلك حكم الله فيمن حرمه توفيقه ولم يهده طريقه؛ فنعوذ بالله من الضلال والنزول إلى منازل الجهال؛ فهذا حكم انقسام من يخرج من النار ويعطي مثل عشرة أمثال الدنيا أو أكثر، ولا يخرج من النار إلا موحد. ولست أعني بالتوحيد أن يقول بلسانه لا إله إلا الله، فإن اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينفع إلا في عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته وأيدي الغانمين عن ماله، ومدّة الرقبة والمال مدّة الحياة، فحيث لا تبقى رقبة ولا مال لا ينفع القول باللسان، وإنما ينفع الصدق في التوحيد وكمال التوحيد أن لا يرى الأمور كلها إلا من الله.

وعلامته أن لا يغضب على أحد من الخلق بما يجري عليه، إذ لا يرى الوسائط وإنما يرى مسبب الأسباب كما سيأتي تحقيقه في التوكل، وهذا التوحيد متفاوت، فمن الناس من له من التوحيد مثل الجبال، ومنهم من له مثقال.

ومنهم من له مقدار خردلة وذرّة، فمن في قلبه مثقال دينار من إيمان فهو أوّل من يخرج من النار.

وفي الخبر يقال: «أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينارٍ مِنْ إيمَانٍ»(١)، وآخر من يخرج من في قلبه مثقال ذرّة من إيمان، وما بين المثقال والذرّة على قدر تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقال وبين طبقة الذرة، والموازنة بالمثقال والذرّة على سبيل ضرب المثل كما ذكرنا في الموازنة بين أعيان الأموال وبين النقود، وأكثر ما يدخل الموحدين النار مظالم العباد، فديوان العباد هو الديوان الذي لا يترك، فأما بقية السيئات فيتسارع العفو والتكفير إليها، ففي الأثر: إن العبد ليوقف بين يدي الله تعالى وله من الحسنات أمثال الجبال لو سلمت له لكان من أهل الجنة، فيقوم أصحاب المظالم فيكون قد سب عرض هذا وأخذ مال هذا وضرب هذا فيقضي من حسناته حتى لا تبقى له حسنة، فتقول الملائكة يا ربنا هذا قد فنيت حسناته وبقي طالبون كثير، فيقول الله تعالى: «ألقوا من سيئاتهم على سيئاته وصكوا له صكًا إلى النار». وكما يهلك هو بسيئة غيره بطريق القصاص فكذلك ينجو المظلوم بحسنة الظالم، إذ ينقل إليه عوضًا عما ظلم به وقد حكي عن ابن الجلاء أن بعض إخوانه اغتابه ثم أرسل إليه يستحله فقال: لا أفعل، ليس في صحيفتي حسنة أفضل منها فكيف أمحوها. وقال هو وغيره: ذنوب إخواني من حسناتي أريد أن أزين بها صحيفتي، فهذا ما أردنا أن نذكره من اختلاف العباد في المعاد في درجات السعادة والشقاوة، وكل ذلك حكم بظاهر أسباب يضاهي حكم الطبيب على مريض بأنه يموت لا محالة ولا يقبل العلاج، وعلى مريض آخر بأن عارضه خفيف وعلاجه هين، فإنّ ذلك ظنّ يصيب في أكثر الأحوال، ولكن قد تتوق إلى المشرف على الهلاك نفسه من حيث لا يشعر الطبيب، وقد يساق إلى ذي العارض الخفيف أجله من حيث لا يطلع عليه، وذلك من أسرار الله تعالى الخفية في أرواح الأحياء وغموض الأسباب التي رتبها مسبب الأسباب بقدر معلوم، إذ ليس في قوّة البشر الوقوف على كنهها، فكذلك النجاة والفوز في الآخرة لهما أسباب خفية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها، يعبر عن ذلك السبب الخفي المفضي إلى النجاة بالعفو والرضا وعما يفضي إلى الهلاك بالغضب والانتقام، ووراء ذلك سر المشيئة الإلهية الأزلية التي لا يطلع الخلق عليها، فلذلك يجب علينا أن نجوّز العفو عن العاصي وإن كثرت سيئاته الظاهرة والغضب على المطيع وإن كثرت طاعاته الظاهرة؛ فإنّ الاعتماد على التقوى والتقوى في القلب، وهو أغمض من أن يطلع عليه صاحبه فكيف غيره، ولكن قد انكشف لأرباب القلوب أنه لا عفو عن عبد إلا بسبب خفي فيه يقتضي العفو، ولا غضب إلا بسبب باطن يقتضي البعد عن الله تعالى، ولولا ذلك لم يكن العفو والغضب جزاء على الأعمال والأوصاف، ولو لم يكن جزاء لم يكن عدلًا، ولو لم يكن عدلًا لم يصح قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] ولا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ

(١) حديث «أخرجوا من النار من في قلبه مثقال دينار من إيمان». الحديث تقدم.

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠] وكل ذلك صحيح، فليس للإنسان إلا ما سعى، وسعيه هو الذي يرى، وكل نفس بما كسبت رهينة، فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم، ولما غيروا ما بأنفسهم غير الله ما بهم، تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] وهذا كله قد انكشف لأرباب القلوب انكشافًا أوضح من المشاهدة بالبصر، إذ البصر يمكن الغلط فيه، إذ قد يرى البعيد قريبًا والكبير صغيرًا. ومشاهدة القلب لا يمكن الغلط فيها، وإنما الشأن في انفتاح بصيرة القلب، وإلا فما يرى بها بعد الانفتاح فلا يتصور فيه الكذب، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١].

الرتبة الثالثة: رتبة الناجين، وأعني بالنجاة السلامة فقط دون السعادة والفوز، وهم قوم لم يخدموا فيخلع عليهم ولم يقصروا فيعذبوا، ويشبه أن يكون هذا حال المجانين والصبيان من الكفار والمعتوهين والذين لم تبلغهم الدعوة في أطراف البلاد، وعاشوا على البله وعدم المعرفة فلم يكن لهم معرفة ولا جحود ولا طاعة ولا معصية فلا وسيلة تقربهم ولا جناية تبعدهم، فما هم من أهل الجنة ولا من أهل النار، بل ينزلون في منزلة بين المنزلتين ومقام بين المقامين عبر الشرع عنه بالأعراف، وحلول طائفة من الخلق [(١)] فيه معلوم يقينًا من الآيات والأخبار ومن أنوار الاعتبار؛ فأما الحكم على العين كالحكم مثلًا بأن الصبيان منهم؛ فهذا مظنون وليس بمستيقن؛ والاطلاع عليه تحقيقًا في عالم النبوة؛ ويبعد أن ترتقي إليه رتبة الأولياء والعلماء؛ والأخبار في حق الصبيان أيضًا متعارضة. حتى قالت عائشة رضي الله عنها لما مات بعض الصبيان: عصفور من عصافير الجنة، فأنكر ذلك رسول الله ﷺ وقال: «وَمَا يُدْرِيكِ» [(٢)] فإذن

---

(١) حديث «حلول طائفة من الخلق الأعراف». أخرجه البزار من حديث أبي سعيد الخدري: سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف فقال «هم رجال قتلوا في سبيل الله وهم عصاة لآبائهم فمنعتهم الشهادة أن يدخلوا النار ومنعتهم المعصية أن يدخلوا الجنة، وهم على سور بين الجنة والنار... الحديث» وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف. ورواه الطبراني من رواية أبي معشر عن يحيى بن شبل عن عمر بن عبد الرحمن المدني عن أبيه مختصرا، وأبو معشر نجيح السندي ضعيف، ويحيى بن شبل لا يعرف. وللحاكم عن حذيفة قال: «أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت سيئاتهم عن الجنة... الحديث» وقال صحيح على شرط الشيخين. وروى الثعلبي عن ابن عباس قال: الأعراف موضع عال في الصراط عليه العباس وحمزة وعلي وجعفر... الحديث، هذا كذب موضوع وفيه جماعة من الكذابين. [حديث «وهم رجال قتلوا.....»، وحديث «أصحاب الأعراف....»].

(٢) **صحيح**: حديث عائشة أنها قالت لما مات بعض الصبيان: عصفور من عصافير الجنة فأنكر ذلك رسول الله وقال «ما يدريك». رواه مسلم. [مسلم: ٢٦٦٢].

قال المصنف: والأخبار في حق الصبيان متعارضة.

قلت: روى البخاري من حديث سمرة بن جندب في رؤيا النبي ﷺ، وفيه «وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإبراهيم عليه السلام، وأما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة» فقيل يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ قال وأولاد المشركين». [البخاري: ٧٠٤٧].

وللطبراني من حديثه: سألنا رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال «هم خدمة أهل الجنة» [انظر صحيح الجامع:

الإشكال والاشتباه أغلب في هذا المقام.

الرتبة الرابعة: رتبة الفائزين وهم العارفون دون المقلدين، وهم المقرّبون السابقون؛ فإن المقلد وإن كان له فوز على الجملة بمقام في الجنة فهو من أصحاب اليمين وهؤلاء هم المقرّبون وما يلقى هؤلاء يجاوز حدّ البيان، والقدر الممكن ذكره ما فصله القرآن، فليس بعد بيان الله بيان، والذي لا يمكن التعبير عنه في هذا العالم فهو الذي أجمله قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧] وقوله عز وجل: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»، والعارفون مطلبهم تلك الحالة التي لا يتصوّر أن تخطر على قلب بشر في هذا العالم وأما الحور والقصور والفاكهة واللبن والعسل والخمر والحلي والأساور فإنهم لا يحرصون عليها ولو أعطوها لم يقنعوا بها، ولا يطلبون إلا لذة النظر إلى وجه الله تعالى الكريم فهي غاية السعادة ونهاية اللذات ولذلك قيل لرابعة العدوية رحمة الله عليها: كيف رغبتك في الجنة؟ فقالت: الجار ثم الدار؛ فهؤلاء قوم شغلهم حب رب الدار عن الدار وزينتها، بل عن كل شيء سواه حتى عن أنفسهم، ومثالهم مثال العاشق المستهتر بمعشوقه المستوفي همه بالنظر إلى وجهه والفكر فيه، فإنه في حال الاستغراق غافل عن نفسه لا يحس بما يصيبه في بدنه، ويعبر على هذه الحالة بأنه فني عن نفسه، ومعناه أنه صار مستغرقًا بغيره وصارت همومه همًا واحدًا وهو محبوبه، ولم يبق فيه متسع لغير محبوبه

٢٥٨٦] وفيه عباد بن منصور الناجي قاضي البصرة، وهو ضعيف يرويه عن عيسى بن شعيب، وقد ضعفه ابن حبان.

وللنسائي من حديث الأسود بن سريع: كنا في غزاة لنا... الحديث في قتلى الذرية، وفيه «ألا إن خياركم أبناء المشركين» ثم قال «لا تقتلوا ذرية وكل نسمة تولد على الفطرة... الحديث» وإسناده صحيح. [أحمد: ١٥١٦٢ وانظر صحيح الجامع: ٥٥٧١].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة «كل مولود يولد على الفطرة... الحديث».[البخاري: ١٣٨٥].

وفي رواية لأحمد «ليس مولود يولد إلا على هذه الملة».[أحمد: ٧٣٩٤].

ولأبي داود في آخر الحديث: يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير؟ فقال «الله أعلم بما كانوا عاملين».[أبو داود: ٤٧١٢، وصححه الألباني في سنن أبي داود].

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس: سئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين فقال «الله أعلم بما كانوا عاملين».[البخاري: ٦٥٩٧، مسلم: ٢٦٦٠].

وللطبراني من حديث ثابت بن الحارث الأنصاري: كانت يهود إذا هلك لهم صبي صغير قالوا: هو صِدّيق. فقال ﷺ «كذبت يهود، ما من نسمة يخلقها الله في بطن أمه إلا أنه شقي أو سعيد... الحديث» وفيه عبد الله بن لهيعة.

ولأبي داود من حديث ابن مسعود: «الوائدة والموءودة في النار». [أبو داود: ٤٧١٧، وانظر صحيح الجامع: ٧١٤٢]. وله من حديث عائشة: قلت يا رسول الله ذراري المؤمنين؟ فقال «مع آبائهم» [أبي داود: ٤٧١٢، وانظر المشكاة: ١١١، وصححه الألباني] قلت: بلا عمل؟ قال «الله أعلم بما كانوا عاملين» قلت: فذراري المشركين؟ قال «مع آبائهم» قلت: بلا عمل؟ قال «الله أعلم بما كانوا عاملين».

وللطبراني من حديث خديجة: قلت يا رسول الله أين أطفالي منك؟ قال «في الجنة» قلت: بلا عمل؟ قال «الله أعلم بما كانوا عاملين» قلت: أطفالي قبلك؟ قال «في النار» قلت: بلا عمل؟ قال « الله أعلم بما كانوا عاملين» [انظر كتاب السنة: ٢١٣، وضعفه الألباني] وإسناده منقطع بين عبد الله بن الحارث وخديجة.

وفي الصحيحين من حديث الصعب بن جثامة في أولاد المشركين «هم من آبائهم» وفي رواية «هم منهم».[البخاري: ٣٠١٣، ومسلم: ١٧٤٥].

حتى يلتفت إليه لا نفسه ولا غير نفسه، وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة إلى قرّة عين لا يتصوّر أن تخطر في هذا العالم على قلب بشر، كما لا يتصوّر أن تخطر صورة الألوان والألحان على قلب الأصم والأكمه، إلا أن يرفع الحجاب عن سمعه وبصره، فعند ذلك يدرك حاله ويعلم قطعًا أنه لم يتصوّر أن تخطر بباله قبل ذلك صورته فالدنيا حجاب على التحقيق، وبرفعه ينكشف الغطاء، فعند ذلك يدرك ذوق الحياة الطيبة: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٦٤] فهذا القدر كاف في بيان توزع الدرجات على الحسنات، والله الموفق بلطفه.

بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب:

اعلم أن الصغيرة تكبر بأسباب:

منها: الإصرار والمواظبة، ولذلك قيل: لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار، فكبيرة واحدة تنصرم ولا يتبعها مثلها لو تصوّر ذلك كان العفو عنها أرجى من صغيرة يواظب العبد عليها ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على توال فتؤثر فيه، وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة واحدة لم يؤثر، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ الأَعْمَالِ أَدْوَمُها وَإِنْ قَلَّ»[1]، والأشياء تستبان بأضداها وإن كان النافع من العمل هو الدائم وإن قل فالكثير المنصرم قليل النفع في تنوير القلب وتطهيره، فكذلك القليل من السيئات إذا دام عظم تأثيره في إظلام القلب، إلا أنّ الكبيرة قلما يتصوّر الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغائر، فقلما يزني الزاني بغتة من غير مراودة ومقدمات، وقلما يقتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة، فكل كبيرة تكتنفها صغائر سابقة ولاحقة، ولو تصوّرت كبيرة وحدها بغتة ولم يتفق إليها عود ربما كان العفو فيها أرجى من صغيرة واظب الإنسان عليها عمره.

منها: أن يستصغر الذنب فإنّ الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله تعالى، وكلما استصغره كبر عند الله تعالى لأن استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهيته له، وذلك النفور يمنع من شدة تأثره به، واستصغاره يصدر عن الألف به وذلك يوجب شدّة الأثر في القلب، والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات، والمحذور تسويده بالسيئات، ولذلك لا يؤاخذ بما يجري عليه في الغفلة فإن القلب لا يتأثر بما يجري في الغفلة، وقد جاء في الخبر «المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرى ذنبه كذباب مرّ على أنفه فأطاره»[2]، وقال بعضهم: الذنب الذي لا يغفر قول العبد: ليت كل ذنب عملته مثل هذا،

---

(١) **صحيح**: حديث «خير الأعمال أدومها وإن قل». متفق عليه من حديث عائشة بلفظ «أحب» وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: حديث «المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه». [البخاري: ٦٣٠٨] أخرجه البخاري. من رواية الحارث ابن سويد قال حدثنا عبد الله بن مسعود حديثين: أحدهما عن النبي ﷺ، والآخرة عن نفسه، فذكر هذا وحديث

وإنما يعظم الذنب في قلب المؤمن لعلمه بجلال الله، فإذا نظر إلى عظم من عصى به رأى الصغيرة كبيرة، وقد أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه: لا تنظر إلى قلة الهدية وانظر إلى عظم مهديها، ولا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها، وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين: لا صغيرة، بل كل مخالفة فهي كبيرة، وكذلك قال بعض الصحابة رضي الله عنهم للتابعين: وإنكم لتعملون أعمالاً هي في أعينكم أدق من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات، إذ كانت معرفة الصحابة بجلال الله أتم، فكانت الصغائر عندهم بالإضافة إلى جلال الله تعالى من الكبائر، وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل، ويتجاوز عن العامي في أمور لا يتجاوز في أمثالها عن العارف، لأن الذنب والمخالفة يكبر بقدر معرفة المخالف.

ومنها: السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة، فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم أثرها في تسويد قلبه، حتى إن من المذنبين من يتمدح بذنبه ويتبجح به لشدّة فرحه بمقارفته إياه، كما يقول: أما رأيتني كيف مزقت عرضه، ويقول المناظر في مناظرته: أما رأيتني كيف فضحته وكيف ذكرت مساوئه حتى أخجلته وكيف استخففت به وكيف لبست عليه؟ ويقول المعامل في التجارة: أما رأيت كيف روّجت عليه الزائف وكيف خدعته وكيف غبنته في ماله وكيف استحمقته؟ فهذا وأمثاله تكبر به الصغائر فإن الذنوب مهلكات، وإذا دفع العبد إليها وظفر الشيطان به في الحمل عليها فينبغي أن يكون في مصيبة وتأسف بسبب غلبة العدوّ عليه وبسبب بعده من الله تعالى، فالمريض الذي يفرح بأن ينكسر إناؤه الذي فيه دواءه حتى يتخلص من ألم شربه لا يرجى شفاؤه.

ومنها: أن يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وإمهاله إياه ولا يدري أنه إنما يمهل مقتًا ليزداد بالإمهال إثمًا، فيظن أن تمكنه من المعاصي عناية من الله تعالى به، فيكون ذلك لأمنه من مكر الله وجهله بمكامن الغرور بالله، كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [المجادلة: ٨].

ومنها: أن يأتي الذنب ويظهره بأن يذكره بعد إتيانه أو يأتيه في مشهد غيره فإن ذلك جناية منه على ستر الله الذي سدله عليه وتحريك لرغبة الشر فيمن أسمعه ذنبه أو أشهده فعله، فهما جنايتان انضمتا إلى جنايته فغلظت به، فإن انضاف إلى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الأسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الأمر، وفي الخبر: «كُلُّ النَّاسِ مُعَافًى إلاّ

«لله أفرح بتوبة العبد» [هو باقي الحديث السابق] ولم يبين المرفوع من الموقوف، وقد رواه البيهقي في الشعب من هذا.

المُجَاهِرِينَ يَبِيتَ أَحَدُهُمْ عَلَى ذَنْبٍ قَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيُصْبِحُ فَيَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ وَيَتَحَدَّثُ بِذَنْبِهِ» (١)، وهذا لأن من صفات الله ونعمه أنه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستر؟ فالإظهار كفران لهذه النعمة. وقال بعضهم: لا تذنب فإن كان ولا بدّ فلا ترغب غيرك فيه فتذنب ذنبين، ولذلك قال تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة:٦٧] وقال بعض السلف: ما انتهك المرء من أخيه حرمة أعظم من أن يساعده على معصية ثم يهوّنها عليه.

ومنها: أن يكون المذنب عالمًا يقتدى به فإذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الإبريسم وركوبه مراكب الذهب، وأخذه مال الشبهة من أموال السلاطين، ودخوله على السلاطين وتردّده عليهم ومساعدته إياهم بترك الإنكار عليهم وإطلاق اللسان في الأعراض وتعدّيه باللسان في المناظرة وقصده الاستخفاف واشتغاله من العلوم بما لا يقصد منه إلا الجاه كعلم الجدل والمناظرة، فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت العالم ويبقى شره مستطيرًا في العالم آمادًا متطاولة، فطوبى لمن إذا مات ماتت ذنوبه معه. وفي الخبر: «من سنَّ سنَّة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئًا» (٢)، وقال تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ﴾ [يس:١٢] والآثار ما يلحق من الأعمال بعد انقضاء العمل والعامل، وقال ابن عباس: ويل للعالم من الأتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الآفاق. وقال بعضهم: مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق ويغرق أهلها.

وفي الإسرائيليات: إن عالمًا كان يضل الناس بالبدعة ثم أدركته توبة فعمل في الإصلاح دهرًا، فأوحى الله تعالى إلى نبيهم: قل له إن ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن أضللت من عبادي فأدخلتهم النار، فبهذا يتضح أن أمر العلماء مخطر فعليهم وظيفتان: إحداهما ترك الذنب، والأخرى إخفاؤه، وكما تتضاعف أوزارهم على الذنوب فكذلك يتضاعف ثوابهم على الحسنات إذا اتبعوا، فإذا ترك التجمل والميل إلى الدنيا وقنع منها باليسير ومن الطعام بالقوت ومن الكسوة بالخلق فيتبع عليه ويقتدي به العلماء والعوام فيكون له مثل ثوابهم، وإن مال إلى التجمل مالت طباع من دونه إلى التشبه به، ولا يقدرون على التجمل إلا بخدمة السلاطين وجمع الحطام من الحرام ويكون هو السبب في جميع ذلك، فحركات العلماء في طوري الزيادة والنقصان تتضاعف آثارها إما بالربح وإما بالخسران، وهذا القدر كاف في تفاصيل الذنوب التي التوبة توبة عنها.

---

(١) صحيح: حديث «كل الناس معافى إلا المجاهرين». متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ «كل أمتي» وقد تقدم.

(٢) صحيح: حديث «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها». أخرجه مسلم من حديث جرير بن عبد الله وقد تقدم في آداب الكسب.

الركن الثالث في تمام التوبة وشروطها ودوامها إلى آخر العمر

قد ذكرنا أن التوبة عبارة عن ندم يورث عزمًا وقصدًا، وذلك الندم أورثه العلم بكون المعاصي حائلًا بينه وبين محبوبه، ولكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وتمام، ولتمامها علامة، ولدوامها شرط فلا بدّ من بيانها: أما العلم فالنظر فيه نظر في سبب التوبة وسيأتي. وأما الندم فهو توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب وعلامته طول الحسرة والحزن وانسكاب الدمع وطول البكاء والفكر، فمن استشعر عقوبة نازلة بولده أو ببعض أعزته طال عليه مصيبته وبكاؤه، وأي عزيز أعز عليه من نفسه وأي عقوبة أشد من النار وأي شيء أدل على نزول العقوبة من المعاصي وأي مخبر أصدق من الله ورسوله؟ ولو حدثه إنسان واحد يسمى طبيبًا: أن مرض ولده المريض لا يبرأ وأنه سيموت منه، لطال في الحال حزنه، فليس ولده بأعز من نفسه ولا الطبيب بأعلم ولا أصدق من الله ورسوله ولا الموت بأشد من النار ولا المرض بأدل على الموت من المعاصي على سخط الله تعالى والتعرض بها للنار، فألم الندم كلما كان أشد كان تكفير الذنوب به أرجى، فعلامة صحة الندم رقة القلب وغزارة الدمع، وفي الخبر: «جَالِسُوا التَّوَّابِينَ فَإِنَّهُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً» (١)، ومن علامته أن تتمكن مرارة تلك الذنوب في قلبه بدلًا عن حلاوتها فيستبدل بالميل كراهية وبالرغبة نفرة.

وفي الإسرائيليات: إن الله سبحانه وتعالى قال لبعض أنبيائه ، وقد سأله قبول توبة عبد بعد أن اجتهد سنين في العبادة ولم ير قبول توبته فقال ، وعزتي وجلالي لو شفع فيه أهل السموات والأرض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب منه في قلبه.

فإن قلت : فالذنوب هي أعمال مشتهاة بالطبع فكيف يجد مرارتها؟ فأقول: من تناول عسلًا كان فيه سم ولم يدركه بالذوق واستلذه ثم مرض وطال مرضه وألمه وتناثر شعره وفلجت أعضاؤه فإذا قدم إليه عسل فيه مثل ذلك السم وهو في غاية الجوع والشهوة للحلاوة فهل تنفر نفسه عن ذلك العسل أم لا؟ **فإن قلت** : لا، فهو جحد للمشاهدة والضرورة، بل ربما تنفر عن العسل الذي ليس فيه سم أيضًا لشبهه به، فوجدان التائب مرارة الذنب كذلك يكون، وذلك لعلمه بأن كل ذنب فذوقه ذوق العسل وعمله عمل السم، ولا تصح التوبة ولا تصدق إلا بمثل هذا الإيمان. ولما عز مثل هذا الإيمان عزت التوبة والتائبون، فلا ترى إلا معرضًا

---

(١) **لا أصل له** : حديث «جالسوا التوابين فإنهم أرق أفئدة». [انظر السلسلة الضعيفة : ١٠٣، وقال الألباني : لا أصل له]لم أجده مرفوعا وهو من قول عون بن عبد الله رواه ابن أبي الدنيا في التوبة قال «جالسوا التوابين فإن رحمة الله إلى النادم أقرب» وقال أيضا «فالموعظة إلى قلوبهم أسرع وهم إلى الرقة أقرب» وقال أيضا «التائب أسرع دمعة وأرق قلبا».

عن الله تعالى متهاونًا بالذنوب مصرًا عليها، فهذا شرط تمام الندم وينبغي أن يدوم إلى الموت وينبغي أن يجد هذه المرارة في جميع الذنوب وإن لم يكن قد ارتكبها من قبل، كما يجد متناول السم في العسل النفرة من الماء البارد مهما علم أن فيه مثل ذلك السم، إذ لم يكن ضرره من العسل بل مما فيه، ولم يكن ضرر التائب من سرقته وزناه من حيث إنه سرقة وزنا بل من حيث إنه من مخالفة أمر الله تعالى وذلك جار في كل ذنب. وأما القصد الذي ينبعث منه وهو إرادة التدارك فله تعلق بالحال؛ وهو يوجب ترك كل محظور هو ملابس له وأداء كل فرض هو متوجه عليه في الحال. وله تعلق بالماضي؛ وهو تدارك ما فرط. وبالمستقبل؛ وهو دوام الطاعة ودوام ترك المعصية إلى الموت.

وشرط صحتها فيما يتعلق بالماضي أن يرد فكره إلى أوّل يوم بلغ فيه بالسن أو الاحتلام ويفتش عما مضى من عمره سنة سنة وشهرًا شهرًا ويومًا يومًا ونفسًا نفسًا، وينظر إلى الطاعات ما الذي قصر فيه منها؟ وإلى المعاصي ما الذي قارفه منها؟ فإن كان قد ترك صلاة أو صلاها في ثوب نجس أو صلاها بنية غير صحيحة لجهله بشرط النية فيقضيها عن آخرها، فإن شك في عدد ما فاته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن أنه أداه ويقضي الباقي وله أن يأخذ فيه بغالب الظن ويصل إليه على سبيل التحري والاجتهاد.

وأما الصوم: فإن كان قد تركه في سفر ولم يقضه أو أفطر عمدًا أو نسي النية بالليل ولم يقض؛ فيتعرّف مجموع ذلك بالتحري والاجتهاد ويشتغل بقضائه.

وأما الزكاة: فيحسب جميع ماله وعدد السنين من أوّل ملكه ، لا من زمان البلوغ فإن الزكاة واجبة في مال الصبي ، فيؤدي ما علم بغالب الظن أنه في ذمته، فإن أداه لا على وجه يوافق مذهبه بأن لم يصرف إلى الأصناف الثمانية أو أخرج البدل وهو على مذهب الشافعي رحمه الله تعالى فيقضي جميع ذلك، فإن ذلك لا يجزيه أصلًا، وحساب الزكاة ومعرفة ذلك يطول ويحتاج فيه إلى تأمل شاف ويلزمه أن يسأل عن كيفية الخروج عنه من العلماء.

وأما الحج: فإن كان قد استطاع في بعض السنين ولم يتفق له الخروج والآن قد أفلس فعليه الخروج، فإن لم يقدر مع الإفلاس فعليه أن يكتسب من الحلال قدر الزاد، فإن لم يكن له كسب ولا مال فعليه أن يسأل الناس ليصرف إليه من الزكاة أو الصدقات ما يحج به، فإنه إن مات قبل الحج مات عاصيًا قال عليه السلام: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَحُجَّ فَلْيَمُتْ إِنْ شَاءَ يَهُودِيًّا وَإِنْ شَاءَ نَصْرَانِيًّا»[1]، والعجز الطارئ بعد القدرة لا يسقط عنه الحج. فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها.

وأما المعاصي: فيجب أن يفتش من أول بلوغه عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده

(١) حديث «من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا». تقدم في الحج.

ورجله وفرجه وسائر جوارحه، ثم ينظر في جميع أيامه وساعاته ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطلع على جميعها صغائرها وكبائرها ثم ينظر فيها فما كان من ذلك بينه وبين الله تعالى من حيث لا يتعلق بمظلمة العباد، كنظر إلى غير محرم وقعود في مسجد مع الجنابة ومس مصحف بغير وضوء واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع ملاهٍ وغير ذلك مما لا يتعلق بمظالم العباد، فالتوبة عنها بالندم والتحسر عليها وبأن يحسب مقدارها من حيث الكبر ومن حيث المدة ويطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها فيأتي من الحسنات بمقدار تلك السيئات أخذًا من قوله ﷺ «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُما كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا» (١)، بل من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود:١١٤]فيكفر سماع الملاهي بسماع القرآن وبمجالس الذكر، ويكفر القعود في المسجد جنبًا بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة، ويكفر مس المصحف محدثًا بإكرام المصحف وكثرة قراءة القرآن منه وكثرة تقبيله بأن يكتب مصحفًا ويجعله وقفًا، ويكفر شرب الخمر بالتصدق بشراب حلال هو أطيب منه وأحب إليه، وعدّ جميع المعاصي غير ممكن وإنما المقصود سلوك الطريق المضادة فإن المرض يعالج بضده، فكل ظلمة ارتفعت إلى القلب بمعصية فلا يمحوها إلا نور يرتفع إليها بحسنة تضادها، والمتضادات هي المتناسبات فلذلك ينبغي أن تمحى كل سيئة بحسنة من جنسها لكن تضادها، فإن البياض يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة، وهذا التدريج والتحقيق من التلطف في طريق المحو فالرجاء فيه أصدق والثقة به أكثر من أن يواظب على نوع واحد من العبادات وإن كان ذلك أيضًا مؤثرًا في المحو فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى ويدل على أن الشيء يكفر بضده أن حب الدنيا رأس كل خطيئة وأثر اتباع الدنيا في القلب السرور بها والحنين إليها فلا جرم كان كل أذى يصيب المسلم ينبو بسببه قلبه عن الدنيا يكون كفارة له، إذ القلب يتجافى بالهموم والغموم عن دار الهموم قال ﷺ «مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبٌ لا يُكَفِّرُها إلاّ الهُمُومُ» (٢)، وفي لفظ آخر: «إلاّ الهَمّ بِطَلَبِ المَعِيشَةِ» وفي حديث عائشة رضي الله عنها: «إذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له أعمال تكفرها أدخل الله تعالى عليه الهموم فتكون كفارة لذنوبه» (٣)، ويقال: إنّ الهم الذي يدخل على القلب والعبد لا يعرف هو ظلمة الذنوب والهم بها، وشعور القلب بوقفة الحساب وهول المطلع.

---

(١) حديث «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها». أخرجه الترمذي من حديث أبي ذر وصححه وتقدم أوله في آداب الكسب وبعضه في أوائل التوبة وتقدم في رياضة النفس.

(٢) حديث «من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهموم» وفي لفظ آخر «إلا الهم في طلب المعيشة». أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية والخطيب في التلخيص من حديث أبي هريرة بسند ضعيف تقدم في النكاح.

(٣) حديث «إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له أعمال تكفرها أدخل الله عليه الغموم». وتقدم أيضا في النكاح وهو عند أحمد من حديث عائشة بلفظ «ابتلاه الله بالحزن».

فإن قلت: همّ الإنسان غالبًا بماله وولده وجاهه وهو خطيئة فكيف يكون كفارة؟ فاعلم أن الحب له خطيئة والحرمان عنه كفارة ولو تمتع به لتمت الخطيئة، فقد روي أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه السلام في السجن فقال له: كيف تركت الشيخ الكئيب؟ فقال قد حزن عليك حزن مائة ثكلى قال: فما له عند الله؟ قال: أجر مائة شهيد. فإذن الهموم أيضًا مكفرات حقوق الله فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى.

وأما مظالم العباد؛ ففيها أيضًا معصية وجناية على حق الله تعالى فإن الله تعالى نهى عن ظلم العباد أيضًا، فما يتعلق منه بحق الله تعالى تداركه بالندم والتحسر وترك مثله في المستقبل والإتيان بالحسنات التي هي أضدادها، فيقابل إيذاءه الناس بالإحسان إليهم، ويكفر غصب أموالهم بالتصدق بملكه الحلال، ويكفر تناول أعراضهم بالغيبة والقدح فيهم بالثناء على أهل الدين وإظهار ما يعرف من خصال الخير من أقرانه وأمثاله، ويكفر قتل النفوس بإعتاق الرقاب، لأن ذلك إحياء إذ العبد مفقود لنفسه موجود لسيده والإعتاق إيجاد لا يقدر الإنسان على أكثر منه فيقابل الإعدام بالإيجاد وبهذا تعرف أن ما ذكرناه من سلوك طريق المضادة في التكفير والمحو مشهود له في الشرع حيث كفر القتل بإعتاق رقبة، ثم إذا فعل ذلك كله لم ينجه ولم يكفه ما لم يخرج عن مظالم العباد ومظالم العباد إما في النفوس أو الأموال أو الأعراض أو القلوب أعني به الإيذاء المحض.

أما النفوس فإن جرى عليه قتل خطأ فتوبته بتسليم الدية ووصولها إلى المستحق إما منه أو من عاقلته وهو في عهدة ذلك قبل الوصول. وإن كان عمدًا موجبًا للقصاص فبالقصاص، فإن لم يعرف فيجب عليه أن يتعرف عند ولي الدم ويحكمه في روحه فإن شاء عفا عنه وإن شاء قتله ولا تسقط عهدته إلا بهذا. ولا يجوز له الإخفاء وليس هذا كما لو زنى أو شرب أو سرق أو قطع الطريق أو باشر ما يجب عليه فيه حد الله تعالى فإنه لا يلزمه في التوبة أن يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس من الوالي استيفاء حق الله تعالى. بل عليه أن يتستر بستر الله تعالى ويقيم حد الله على نفسه بأنواع المجاهدة والتعذيب، فالعفو في محض حقوق الله تعالى قريب من التائبين النادمين، فإن رفع أمر هذه إلى الوالي حتى أقام عليه الحد وقع موقعه وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله تعالى بدليل ما روي أن ماعز بن مالك أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد ظلمت نفسي وزنيت وإني أريد أن تطهرني فرده فلما كان من الغد أتاه فقال: يا رسول الله إني قد زنيت فرده الثانية فلما كان في الثالثة أمر به فحفر له حفرة ثم أمر به فرجم، فكان الناس فيه فريقين: فقائل يقول لقد هلك وأحاطت به خطيئته وقائل يقول ما توبة أصدق من توبته فقال رسول الله ﷺ «لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم» [1]،

(١) **صحيح**: حديث: اعتراف ماعز بالزنا ورده ﷺ حتى اعترف أربعا وقوله «لقد تاب توبة». أخرجه مسلم من حديث بريدة بن الخصيب. [مسلم: ١٦٩٥].

وجاءت الغامدية فقالت: يا رسول الله إني قد زنيت فطهرني فردها فلما كان من الغد قالت: يا رسول الله لم تردني لعلك تريد أن تردني كما رددت ماعزًا، فوالله إني لحبلى: فقال ﷺ: «أما الآن فاذهبي حتى تضعي» فلما ولدت أتت بالصبي في خرقة فقالت: هذا قد ولدته قال: «اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ» فلما فطمته أتت بالصبي وفي يده كسرة خبز فقالت: يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها، فأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضح الدم على وجهه فسبها، فسمع رسول الله ﷺ سبّه إياها فقال: «مَهْلًا يا خَالِدُ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَها صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ» ثُمَّ أَمَرَ بها فَصَلَّى عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ [(١)].

وأما القصاص وحدّ القذف: فلا بدّ من تحليل صاحبه المستحق فيه، وإن كان المتناول ما لا تناوله بغصب أو خيانة أو غبن في معاملة بنوع تلبيس كترويج زائف أو ستر عيب من المبيع أو نقص أجرة أجير أو منع أجرته، فكل ذلك يجب أن يفتش عنه لا من حدّ بلوغه بل من أوّل مدّة وجوده، فإنّ ما يجب في مال الصبي يجب على الصبي إخراجه بعد البلوغ إن كان الولي قد قصر فيه فإن لم يفعل كان ظالمًا مطالبًا به، إذ يستوي في الحقوق المالية الصبي والبالغ، وليحاسب نفسه على الحبات والدوانق من أوّل يوم حياته إلى يوم توبته قبل أن يحاسب في القيامة، وليناقش قبل أن يناقش فمن لم يحاسب نفسه في الدنيا طال في الآخرة حسابه، فإن حصل مجموع ما عليه بظنّ غالب ونوع من الاجتهاد ممكن فليكتبه وليكتب أسامي أصحاب المظالم واحدًا واحدًا وليطف في نواحي العالم وليطلبهم وليستحلهم أو ليؤد حقوقهم، وهذه التوبة تشق على الظلمة وعلى التجار فإنهم لا يقدرون على طلب المعاملين كلهم ولا على طلب ورثتهم ولكن على كل واحد منهم أن يفعل منه ما يقدر عليه فإن عجز فلا يبقى له طريق إلا أن يكثر من الحسنات حتى تفيض عنه يوم القيامة فتؤخذ حسناته وتوضع في موازين أرباب المظالم، ولكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فإنه إن لم تف بها حسناته حمل من سيئات أرباب المظالم فيهلك بسيئات غيره. فهذا طريق كل تائب في رد المظالم وهذا يوجب استغراق العمر في الحسنات لو طال العمر بحسب طول مدّة الظلم فكيف وذلك مما لا يعرف؟ وربما يكون الأجل قريبًا؟ فينبغي أن يكون تشميره للحسنات والوقت ضيق أشدّ من تشميره الذي كان في المعاصي في متسع الأوقات. هذا حكم المظالم الثابتة في ذمته.

أما أمواله الحاضرة فليردّ إلى المالك ما يعرف له مالكًا معينًا وما لا يعرف له مالكًا فعليه أن يتصدّق به، فإن اختلط الحلال بالحرام فعليه أن يعرف قدر الحرام بالاجتهاد ويتصدّق بذلك

---

(١) صحيح: حديث الغامدية واعترافها بالزنا ورجمها وقوله ﷺ «لقد تابت توبة». أخرجه مسلم من حديث بريدة وهو بعض الذي قبله. [مسلم: ١٦٩٥].

المقدار كما سبق تفصيله في كتاب الحلال والحرام.

وأما الجناية على القلوب بمشافهة الناس بما يسوءهم أو يعيبهم في الغيبة فيطلب كل من تعرّض له بلسانه أو آذى قلبه بفعل من أفعاله وليستحل واحدًا واحدًا منهم ومن مات أو غاب فقد فات أمره ولا يتدارك إلا بتكثير الحسنات لتؤخذ منه عوضًا في القيامة، وأما من وجده وأحله بطيب قلب منه فذلك كفارته وعليه أن يعرفه قدر جنايته وتعرضه له فالاستحلال المبهم لا يكفي، وربما لو عرف ذلك وكثرة تعدّيه عليه لم تطب نفسه بالإحلال وادخر ذلك في القيامة ذخيرة يأخذها من حسناته أو يحمله من سيئاته، فإن كان في جملة جنايته على الغير ما لو ذكره وعرفه لتأذى بمعرفته كزناه بجاريته أو أهله أو نسبته باللسان إلى عيب من خفايا عيوبه يعظم أذاه مهما شوّفه به فقد انسدّ عليه طريق الاستحلال، فليس له إلا أن يستحل منها ثم تبقى له مظلمة فليجبرها بالحسنات كما يجبر مظلمة الميت والغائب.

وأما الذكر والتعريف فهو سيئة جديدة يجب الاستحلال منها، ومهما ذكر جنايته وعرفه المجنيّ عليه فلم تسمح نفسه بالاستحلال بقيت المظلمة عليه فإن هذا حقه، فعليه أن يتلطف به ويسعى في مهماته وأغراضه ويظهر من حبه والشفقة عليه ما يستميل به قلبه، فإن الإنسان عبد الإحسان، وكل من نفر بسيئة مال بحسنة فإذا طاب قلبه بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالإحلال، فإن أبى إلا الإصرار فيكون تلطفه به واعتذاره إليه من جملة حسناته التي يمكن أن يجبر بها في القيامة جنايته، وليكن قدر سعيه في فرحه وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه في أذاه، حتى إذا قاوم أحدهما الآخر أو زاد عليه أخذ ذلك منه عوضًا في القيامة بحكم الله به عليه، كمن أتلف في الدنيا مالًا فجاء بمثله فامتنع من له المال من القبول وعن الإبراء فإن الحاكم يحكم عليه بالقبض منه شاء أم أبى، فكذلك يحكم في صعيد القيامة أحكم الحاكمين وأعدل المقسطين.

وفي المتفق عليه من الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أن نبي الله ﷺ قال: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: لا.

فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ لَهُ: إِنَّهُ قَتَلَ مائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِها أُناسًا يَعْبُدُونَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ وَلاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّها أَرْضُ سُوءٍ فَانْطَلَقَ حَتَّى إذا نِصْفِ الطَّرِيقِ أَتَاهُ المَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ العَذَابِ فَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّه، وَقَالَتْ مَلاَئِكَةِ العَذَابِ إِنَّه لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيَ فَجَعَلُوهُ حَكَمًا بَيْنَهُمْ فَقَالَ قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيِّهِمَا

كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ فَقَاسُوا فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ» (١)، وفي رواية: «فكان إلى القرية الصالحة أقرب منها بشبر فجعل من أهلها». وفي رواية: «فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدي وإلى هذه أن تقرّبي وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له»، فبهذا تعرف أنه لا خلاص إلا برجحان ميزان الحسنات ولو بمثقال ذرّة فلا بدّ للتائب من تكثير الحسنات هذا حكم القصد المتعلق بالماضي.

وأما العزم المرتبط بالاستقبال؛ فهو أن يعقد مع الله عقدًا مؤكدًا ويعاهده بعهد وثيق أن لا يعود إلى تلك الذنوب ولا إلى أمثالها، كالذي يعلم في مرضه أن الفاكهة تضره مثلًا فيعزم عزمًا جزمًا أنه لا يتناول الفاكهة ما لم يزل مرضه، فإن هذا العزم يتأكد في الحال وإن كان يتصوّر أن تغلبه الشهوة في ثاني الحال، ولكن لا يكون تائبًا ما لم يتأكد عزمه في الحال، ولا يتصوّر أن يتم ذلك للتائب في أوّل أمره إلا بالعزلة والصمت وقلة الأكل والنوم وإحراز قوت حلال، فإن كان له مال موروث حلال أو كانت له حرفة يكتسب بها قدر الكفاية فليقتصر عليه، فإن رأس المعاصي أكل الحرام فكيف يكون تائبًا مع الإصرار عليه ولا يكتفي بالحلال وترك الشبهات من لا يقدر على ترك الشهوات في المأكولات والملبوسات؟ وقد قال بعضهم من صدق في ترك شهوة وجاهد نفسه لله سبع مرار لم يبتل بها. وقال آخر: من تاب من ذنب واستقام سبع سنين، لم يعد إليه أبدًا. ومن مهمات التائب إذا لم يكن عالمًا أن يتعلم ما يجب عليه في المستقبل وما يحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة، وإن لم يؤثر العزلة لم تتم له الاستقامة المطلقة إلا أن يتوب عن بعض الذنوب، كالذي يتوب عن الشرب والزّنا والغصب مثلًا، وليست هذه توبة مطلقة.

وقد قال بعض الناس إنّ هذه التوبة لا تصح، وقال قائلون تصح، ولفظ الصحة في هذا المقام مجمل، بل نقول لمن قال لا تصح: إن عنيت به أن تركه بعض الذنوب لا يفيد أصلًا بل وجوده كعدمه فما أعظم خطأك فإنا نعلم أن كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب وقلتها سبب لقلته. ونقول لمن قال تصح إن أردت به أن التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولًا يوصل إلى النجاة أو الفوز فهذا أيضًا خطأ بل النجاة والفوز بترك الجميع.

هذا حكم الظاهر ولسنا نتكلم في خفايا أسرار عفو الله فإن قال من ذهب إلى أنها لا تصح إني أردت به أن التوبة عبارة عن الندم. وإنما يندم على السرقة مثلًا لكونها معصية لا لكونها سرقة؛ ويستحيل أن يندم عليها دون الزّنا إن كان توجعه لأجل المعصية فإنّ العلة شاملة لهما إذ من يتوجع على قتل ولده بالسيف يتوجع على قتله بالسكين لأنّ توجعه بفوات محبوبه سواء

(١) صحيح: حديث أبي سعيد الخدري المتفق عليه «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الأرض». هو متفق عليه كما قال المصنف من حديث أبي سعيد. [البخاري: ٣٤٧٠، ومسلم: ٢٧٦٦].

كان بالسيف أو بالسكين، فكذلك توجع العبد بفوات محبوبه وذلك بالمعصية سواء عصى بالسرقة أو الزّنى فكيف يتوجع على البعض دون البعض؟ فالندم حالة يوجبها العلم بكون المعصية مفوّتة للمحبوب من حيث إنها معصية فلا يتصوّر أن يكون على بعض المعاصي دون البعض، ولو جاز هذا لجاز أن يتوب من شرب الخمر من أحد الدنين دون الآخر فإن استحال ذلك من حيث إن المعصية في الخمرين واحد وإنما الدنان ظروف فكذلك أعيان المعاصي آلات للمعصية والمعصية من حيث مخالفة الأمر واحدة، فإذن معنى عدم الصحة أن الله تعالى وعد التائبين رتبة وتلك الرتبة لا تنال إلا بالندم ولا يتصوّر الندم على بعض المتماثلات، فهو كالملك المرتب على الإيجاب والقبول فإنه إذا لم يتم الإيجاب والقبول نقول إن العقد لا يصح أي لم تترتب عليه الثمرة وهو الملك، وتحقيق هذا أنّ ثمرة مجرّد الترك أن ينقطع عنه عقاب ما تركه وثمرة الندم تكفير ما سبق، فترك السرقة لا يكفر السرقة بل الندم عليها ولا يتصوّر الندم إلا لكونها معصية وذلك يعم جميع المعاصي، وهو كلام مفهوم واقع يستنطق المنصف بتفصيل به ينكشف الغطاء.

فنقول: التوبة عن بعض الذنوب لا تخلو إما أن تكون عن الكبائر دون الصغائر، أو عن الصغائر دون الكبائر، أو عن كبيرة دون كبيرة. أما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فأمر ممكن لأنه يعلم أن الكبائر أعظم عند الله وأجلب لسخط الله ومقته، والصغائر أقرب إلى تطرّق العفو إليها فلا يستحيل أن يتوب عن الأعظم ويتندّم عليه، كالذي يجني على أهل الملك وحرمه ويجني على دابته فيكون خائفًا من الجناية على الأهل مستحقرًا للجناية على الدابة، والندم بحسب استعظام الذنب واعتقاد كونه مبعدًا عن الله تعالى. وهذا ممكن وجوده في الشرع فقد كثر التائبون في الأعصار الخالية ولم يكن أحد منهم معصومًا فلا تستدعي التوبة العصمة. والطبيب قد يحذر المريض العسل تحذيرًا شديدًا، ويحذره السكر تحذيرًا أخف منه على وجه يشعر معه أنه ربما لا يظهر ضرر السكر أصلًا، فيتوب المريض بقوله عن العسل دون السكر فهذا غير محال وجوده وإن أكلهما جميعًا بحكم شهوته ندم على أكل العسل دون السكر.

الثاني: أن يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا أيضًا ممكن لاعتقاده أنّ بعض الكبائر أشدّ وأغلظ عند الله، كالذي يتوب عن القتل والنهب والظلم ومظالم العباد لعلمه أن ديوان العباد لا يترك وما بينه وبين الله يتسارع العفو إليه، فهذا أيضًا ممكن كما في تفاوت الكبائر والصغائر، لأنّ الكبائر أيضًا متفاوتة في أنفسها وفي اعتقاد مرتكبها، ولذلك قد يتوب عن بعض الكبائر التي لا تتعلق بالعباد كما يتوب عن شرب الخمر دون الزنى مثلًا، إذ يتضح له أنّ الخمر مفتاح الشرور وأنه إذا زال عقله ارتكب جميع المعاصي وهو لا يدري فبحسب ترجح شرب الخمر عنده ينبعث منه خوف يوجب ذلك تركًا في المستقبل وندمًا على الماضي.

الثالث: أن يتوب عن صغيرة أو صغائر وهو مصر على كبيرة يعلم أنها كبيرة، كالذي

يتوب عن الغيبة أو عن النظر إلى غير المحرم أو ما يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر، فهو أيضًا ممكن، ووجه إمكانه أنه ما من مؤمن إلا وهو خائف من معاصيه ونادم على فعله ندمًا إما ضعيفًا وإما قويًا، ولكن تكون لذة نفسه في تلك المعصية أقوى من ألم قلبه في الخوف منها لأسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والغفلة، وأسباب توجب قوّة الشهوة فيكون الندم موجودًا ولكن لا يكون مليًا بتحريك العزم ولا قويًا عليه، فإن سلم عن شهوة أقوى منه بأن لم يعارضه إلا ما هو أضعف قهر الخوف الشهوة وغلبها وأوجب ذلك ترك المعصية، وقد تشتدّ ضراوة الفاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر عنه، وتكون له ضراوة ما بالغيبة وثلب الناس والنظر إلى غير المحرم، وخوفه من الله قد بلغ مبلغًا يقمع هذه الشهوة الضعيفة دون القوية فيوجب عليه جند الخوف انبعاث العزم للترك؟ بل يقول هذا الفاسق في نفسه: إن قهرني الشيطان بواسطة غلبة الشهوة في بعض المعاصي فلا ينبغي أن أخلع العذار وأرخي العنان بالكلية بل أجاهده في بعض المعاصي، فعساني أغلبه فيكون قهري له في البعض كفارة لبعض ذنوبي. ولو لم يتصوّر هذا لما تصوّر من الفاسق أن يصلي ويصوم، ولقيل له إن كانت صلاتك لغير الله فلا تصح، وإن كانت لله فاترك الفسق لله فإن أمر الله فيه واحد، فلا يتصوّر أن تقصد بصلاتك التقرّب إلى الله تعالى ما لم تتقرّب بترك الفسق؛ وهذا محال بأن يقول لله تعالى عليّ أمران ولي على المخالفة فيهما عقوبتان، وأنا مليء في أحدهما بقهر الشيطان عاجز عنه في الآخر، فأنا أقهره فيما أقدر عليه، وأرجو بمجاهدتي فيه أن يكفر عني بعض ما عجزت عنه بفرط شهوتي فكيف لا يتصوّر هذا وهو حال كل مسلم؟ إذ لا مسلم إلا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته ولا سبب له إلا هذا، وإذا فهم هذا فهم أنّ غلبة الخوف للشهوة في بعض الذنوب ممكن وجودها، والخوف إذا كان من فعل ماض أورث الندم والندم يورث العزم وقد قال النبي ﷺ: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ» ولم يشترط الندم على كل ذنب وقال: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ» ولم يقل التائب من الذنوب كلها، وبهذه المعاني تبين سقوط قول القائل إنّ التوبة عن بعض الذنوب غير ممكنة لأنها متماثلة في حق الشهوة وفي حق التعرّض إلى سخط الله تعالى، نعم يجوز أن يتوب عن شرب الخمر دون النبيذ لتفاوتهما في اقتضاء السخط، ويتوب عن الكثير دون القليل لأنّ لكثرة الذنوب تأثيرًا في كثرة العقوبة فيساعد الشهوة بالقدر الذي يعجز عنه ويترك بعض شهوته لله تعالى، كالمريض الذي حذره الطبيب الفاكهة فإنه قد يتناول قليلها ولكن لا يستكثر منها، فقد حصل من هذا أنه لا يمكن أن يتوب عن شيء ولا يتوب عن مثله بل لا بدّ وأن يكون ما تاب عنه مخالفًا لما بقي عليه إما في شدّة المعصية وإما في غلبة الشهوة، وإذا حصل هذا التفاوت في اعتقاد التائب تصوّر اختلاف حاله في الخوف والندم، فيتصوّر اختلاف حاله في الترك فندمه على ذلك الذنب ووفاؤه بعزمه على الترك يلحقه بمن لم يذنب وإن لم يكن قد أطاع الله في جميع الأوامر والنواهي.

فإن قلت: هل تصح توبة العنين من الزنى الذي قارفه قبل طريان العنة؟ فأقول: لا، لأنّ التوبة عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله، وما لا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه إياه، ولكني أقول لو طرأ عليه بعد العنة كشف ومعرفة تحقق به ضرر الزنى الذي قارفه وثار منه احتراق وتحسر وندم بحيث لو كانت شهوة الوقاع به باقية لكانت حرقة الندم تقمع تلك الشهوة وتغلبها فإني أرجو أن يكون ذلك مكفرًا لذنبه وماحيًا عنه سيئته، إذ لا خلاف في أنه لو تاب قبل طريان العنة ومات عقيب التوبة كان من التائبين وإن لم يطرأ عليه حالة تهيج فيها الشهوة وتتيسر أسباب قضاء الشهوة، ولكنه تائب باعتبار أنّ ندمه بلغ مبلغًا أوجب صرف قصده عن الزنى لو ظهر قصده، فإذن لا يستحيل أن تبلغ قوّة الندم في حق العنين هذا المبلغ إلا أنه لا يعرفه من نفسه، فإن كل من لا يشتهي شيئًا يقدّر نفسه قادرًا على تركه بأدنى خوف، والله تعالى مطلع على ضميره وعلى مقدار ندمه فعساه يقبله منه، بل الظاهر أنه يقبله.

والحقيقة في هذا كله ترجع إلى ظلمة المعصية تنمحي عن القلب بشيئين، أحدهما: حرقة الندم والآخر: شدة المجاهدة بالترك في المستقبل. وقد امتنعت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس محالاً أن يقوى الندم بحيث يقوى على محوها دون المجاهدة، ولولا هذا لقلنا إن التوبة لا تقبل ما لم يعش التائب بعد التوبة مدة يجاهد نفسه في عين تلك الشهوة مرات كثيرة، وذلك مما لا يدل ظاهر الشرع على اشتراطه أصلاً.

فإن قلت: إذا فرضنا تائبين أحدهما سكنت نفسه عن النزوع إلى الذنب والآخر بقي في نفسه نزوع إليه وهو يجاهدها ويمنعها فأيهما أفضل؟ فاعلم أن هذا مما اختلف العلماء فيه، فقال أحمد بن أبي الحواري وأصحاب أبي سليمان الداراني: إن المجاهد أفضل لأن له مع التوبة فضل الجهاد. وقال علماء البصرة: ذلك الآخر أفضل لأنه لو فتر في توبته كان أقرب إلى السلامة من المجاهد الذي هو في عرضة الفتور عن المجاهدة. وما قاله كل واحد من الفريقين لا يخلو عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة.

والحق فيه أن الذي انقطع نزوع نفسه له حالتان:

إحداهما: أن يكون انقطاع نزوعه إليها بفتور في نفس الشهوة فقط، فالمجاهد أفضل من هذا إذ تركه بالمجاهدة قد دل على قوّة نفسه واستيلاء دينه على شهوته فهو دليل قاطع على قوّة اليقين وقوّة الدين؛ وأعني بقوّة الدين قوة الإرادة التي تنبعث بإشارة اليقين وتقمع الشهوة المنبعثة بإشارة الشياطين، فهاتان قوتان تدل المجاهدة عليهما قطعًا. وقول القائل إن هذا أسلم إذ لو فتر لا يعود إلى الذنب فهذا صحيح، ولكن استعمال لفظ الأفضل فيه خطأ. وهو كقول القائل: العنين أفضل من الفحل لأنه في أمن من خطر الشهوة، والصبي أفضل من البالغ لأنه

أسلم، والمفلس أفضل من الملك القاهر القامع لأعدائه لأن المفلس لا عدوّ له والملك ربما يغلب مرّة وإن غلب مرّات، وهذا كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر غير عالم بأن العز في الأخطار وأن العلو شرطه اقتحام الأغرار. بل كقول القائل: الصياد الذي ليس له فرس ولا كلب أفضل في صناعة الاصطياد وأعلى رتبة من صاحب الكلب والفرس، لأنه آمن من أن يجمح به فرسه فتنكسر أعضاؤه عند السقوط على الأرض وآمن من أن يعضه الكلب ويعتدي عليه، وهذا خطأ بل صاحب الفرس والكلب إذا كان قويًا عالمًا بطريق تأديبهما أعلى رتبة وأحرى بدرك سعادة الصيد.

الحالة الثانية: أن يكون بطلان النزوع بسبب قوة اليقين وصدق المجاهدة السابقة إذا بلغ مبلغًا قمع هيجان الشهوة حتى تأدبت بأدب الشرع، فلا تهيج إلا بالإشارة من الدين وقد سكنت بسبب استيلاء الدين عليها. فهذا أعلى رتبة من المجاهد المقاسي لهيجان الشهوة وقمعها. وقول القائل: ليس لذلك فضل الجهاد قصور عن الإحاطة بمقصود الجهاد فإن الجهاد ليس مقصودًا لعينه، بل المقصود قطع ضراوة العدوّ حتى لا يستجرّك إلى شهواته وإن عجز عن استجرارك فلا يصدك عن سلوك طريق الدين، فإذا قهرته وحصلت المقصود فقد ظفرت وما دمت في المجاهدة فأنت بعد في طلب الظفر. ومثاله كمثال من قهر العدوّ واسترقه بالإضافة إلى من هو مشغول بالجهاد في صف القتال ولا يدري كيف يسلم. ومثاله أيضًا مثال من علم كلب الصيد وراض الفرس فهما نائمان عنده بعد ترك الكلب الضراوة والفرس الجماح بالإضافة إلى من هو مشغول بمقاساة التأديب بعد، ولقد زل في هذا فريق فظنوا أن الجهاد هو المقصود الأقصى ولم يعلموا أن ذلك طلب للخلاص من عوائق الطريق. وظن آخرون أن قمع الشهوات وإماطتها بالكلية مقصود حتى جرّب بعضهم نفسه فعجز عنه فقال: هذا محال، فكذب بالشرع وسلك سبيل الإباحة واسترسل في اتباع الشهوات. وكل ذلك جهل وضلال وقد قررنا ذلك في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات.

فإن قلت: فما قولك في تائبين أحدهما نسي الذنب ولم يشتغل بالتفكر فيه والآخر جعله نصب عينه ولا يزال يتفكر فيه ويحترق ندمًا عليه فأيهما أفضل؟ فاعلم أن هذا أيضًا قد اختلفوا فيه، فقال بعضهم: حقيقة التوبة أن تنصب ذنبك بين عينيك. وقال آخر: حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك. وكل واحد من المذهبين عندنا حق ولكن بالإضافة إلى حالين.

وكلام المتصوّفة أبدًا يكون قاصرًا، فإن عادة كل واحد منهم أن يخبر عن حال نفسه فقط ولا يهمه حال غيره فتختلف الأجوبة لاختلاف الأحوال، وهذا نقصان بالإضافة إلى الهمة والإرادة والجدّ حيث يكون صاحبه مقصور النظر على حال نفسه لا يهمه أمر غيره، إذ طريقه إلى الله نفسه ومنازله أحواله. وقد يكون طريق العبد إلى الله العلم فالطرق إلى الله تعالى كثيرة وإن كانت مختلفة في القرب والبعد، والله أعلم بمن هو أهدى سبيلًا مع الاشتراك في أصل

الهداية؟

فأقول: تصور الذنب وذكره والتفجّع عليه كمال في حق المبتدئ؛ لأنه إذا نسيه لم يكثر احتراقه فلا تقوى إرادته وانبعاثه لسلوك الطريق، لأن ذلك يستخرج منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع إلى مثله. فهو بالإضافة إلى الغافل كمال ولكنه بالإضافة إلى سالك الطريق نقصان فإنه شغل مانع عن سلوك الطريق.

بل سالك الطريق ينبغي أن لا يعرج على غير السلوك، فإن ظهر له مبادئ الوصول وانكشف له أنوار المعرفة ولوامع الغيب استغرقه ذلك ولم يبق فيه متسع للالتفات إلى ما سبق من أحواله وهو الكمال. بل لو عاق المسافر عن الطريق إلى بلد من البلاد نهر حاجز طال تعب المسافر في عبوره مدة من حيث إنه كان قد خرب جسره من قبل، فلو جلس على شاطىء البحر بعد عبوره يبكي متأسفًا على تخريبه الجسر كان هذا مانعًا آخر اشتغل به بعد الفراغ من ذلك المانع. نعم إن لم يكن الوقت وقت الرحيل بأن كان ليلًا فتعذر السلوك أو كان على طريقه أنهار وهو يخاف على نفسه أن يمر بها فليظل بالليل بكاؤه وحزنه على تخريب الجسر ليتأكد بطول الحزن عزمه على أن لا يعود إلى مثله، فإن حصل له من التنبيه ما وثق بنفسه أنه لا يعود إلى مثله فسلوك الطريق أولى به من الاشتغال بذكر تخريب الجسر والبكاء عليه، وهذا لا يعرفه إلا من عرف الطريق والمقصد والعائق وطريق السلوك ، وقد أشرنا إلى تلويحات منه في كتاب العلم وفي ربع المهلكات ، بل نقول شرط دوام التوبة أن يكون كثير الفكر في النعيم في الآخرة لتزيد رغبته، ولكن إن كان شابًا فلا ينبغي أن يطيل فكره في كل ما له نظير في الدنيا كالحور والقصور فإن ذلك الفكر ربما يحرك رغبته فيطلب العاجلة ولا يرضى بالآجلة. بل ينبغي أن يتفكر في لذة النظر إلى وجه الله تعالى فقط فذلك لا نظير له في الدنيا. فكذلك تذكر الذنب قد يكون محركًا للشهوة، فالمبتدئ أيضًا قد يستضر به فيكون النسيان أفضل له عند ذلك. ولا يصدّنك عن التصديق بهذا التحقيق ما يحكى لك من بكاء داود ونياحته عليه السلام، فإن قياسك نفسك على الأنبياء قياس في غاية الاعوجاج لأنهم قد ينزلون في أقوالهم وأفعالهم إلى الدرجات اللائقة بأممهم، فإنهم ما بعثوا إلا لإرشادهم فعليهم التلبس بما تنتفع أممهم بمشاهدته وإن كان ذلك نازلًا عن ذروة مقامهم، فلقد كان في الشيوخ من لا يشير على مريده بنوع رياضة إلا ويخوض معه فيها وقد كان مستغنيًا عنها لفراغه عن المجاهدة وتأديب النفس تسهيلًا للأمر على المريد. ولذلك قال ﷺ: «أَمَا إِنِّي لا أَنْسَى وَلَكِنِّي أُنَسَّى لِأُشَرِّعَ»[1]،

(١) حديث «أما إني لا أنسى ولكن أنسى لأشرع». ذكره مالك بلاغا بغير إسناد وقال ابن عبد البر لا يوجد في الموطأ إلا مرسلا لا إسناد له وكذا قال حمزة الكتاني إنه لم يرد من غير طريق مالك وقال أبو طاهر الأنماطي: وقد طال بحثي عنه وسؤالي عنه للأئمة والحفاظ فلم أظفر به ولا سمعت عن أحد أنه ظفر به وادعى بعض طلبة الحديث أنه وقع له مسندا.

وفي لفظ «إنما أسهو لأسنّ» .

ولا تعجب من هذا فإن الأمم في كنف شفقة الأنبياء كالصبيان في كنف شفقة الآباء، وكالمواشي في كنف الرعاة. أما ترى الأب إذا أراد أن يستنطق ولده الصبي كيف ينزل إلى درجة نطق الصبي كما قال ﷺ للحسن: «كخ كخ» [1]، لما أخذ تمرة من تمر الصدقة ووضعها في فيه؟ وما كانت فصاحته تقصر عن أن يقول ارم هذه التمرة فإنها حرام، ولكنه لما علم أنه لا يفهم منطقه ترك الفصاحة ونزل إلى لكنته. بل الذي يعلم شاة أو طائرًا يصوّت به رغاء أو صفيرًا تشبهًا بالبهيمة والطائر تلطفًا في تعليمه. فإياك أن تغفل عن أمثال هذه الدقائق فإنها مزلة أقدام العارفين فضلًا عن الغافلين. نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه.

بيان أقسام العباد في دوام التوبة:

اعلم أن التائبين في التوبة على أربع طبقات :

الطبقة الأولى : أن يتوب العاصي ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره، فيتدارك ما فرط من أمره ولا يحدّث نفسه بالعود إلى ذنوبه إلا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادات مهما لم يكن في رتبة النبوّة، فهذا هو الاستقامة على التوبة، وصاحبه هو السابق بالخيرات المستبدل بالسيئات حسنات واسم هذه التوبة: التوبة النصوح. واسم هذه النفس الساكنة: النفس المطمئنة، التي ترجع إلى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين إليهم الإشارة بقوله ﷺ: «سَبَقَ المُفْرِدُونَ المُسْتَهتِرُونَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَضَعَ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَوْزَارَهُمْ فَوَرَدُوا القِيَامَةَ خِفَافًا» [2]. فإن فيه إشارة إلى أنهم كانوا تحت أوزار وضعها الذكر عنهم. وأهل هذه الطبقة على رتب من حيث النزوع إلى الشهوات. فمن تائب سكنت شهواته تحت قهر المعرفة ففتر نزاعها ولم يشغله عن السلوك صرعها، وإلى من لا ينفك عن منازعة النفس ولكنه مليء بمجاهدتها وردها، ثم تتفاوت درجات النزاع أيضًا بالكثرة والقلة وباختلاف المدة وباختلاف الأنواع. وكذلك يختلفون من حيث طول العمر، فمن مختطف يموت قريبًا من توبته يغبط على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة. ومن ممهل طال جهاده وصبره وتمادت استقامته وكثرت حسناته. وحال هذا أعلى وأفضل إذ كل سيئة فإنما تمحوها حسنة حتى قال بعض العلماء: إنما يكفر الذنب الذي ارتكبه العاصي أن يتمكن منه عشر مرات مع صدق الشهوة ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفًا من الله تعالى، واشتراط هذا بعيد وإن كان لا ينكر عظم أثره لو فرض. ولكن لا ينبغي للمريد الضعيف أن يسلك هذا الطريق فتهيج الشهوة وتحضر الأسباب حتى يتمكن ثم

(١) حديث أنه قال للحسن «كخ كخ». لما أخذ تمرة من الصدقة ووضعها في فيه. أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة وتقدم في كتاب الحلال والحرام.

(٢) حديث «سبق المفردون المستهترون بذكر الله». أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة وحسنه وقد تقدم.

يطمع في الانكفاف، فإنه لا يؤمن خروج عنان الشهوة عن اختياره فيقدم على المعصية وينقض توبته. بل طريقها الفرار من ابتداء أسبابه الميسرة له حتى يسد طرقها على نفسه، ويسعى مع ذلك في كسر شهوته بما يقدر عليه فبه تسلم توبته في الابتداء.

الطبقة الثانية: تائب سلك طريق الاستقامة في أمهات الطاعات وترك كبائر الفواحش كلها، إلا أنه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وتجريد قصد ولكن يبتلى بها في مجاري أحواله من غير أن يقدم عزمًا على الإقدام عليها، ولكنه كلما أقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف وجدد عزمه على أن يتشمر للاحتراز من أسبابها التي تعرّضه لها. وهذه النفس جديرة بأن تكون هي النفس اللوامة، إذ تلوم صاحبها على ما تستهدف له من الأحوال الذميمة لا عن تصميم عزم وتخمين رأي وقصد، وهذه أيضًا رتبة عالية وإن كانت نازلة عن الطبقة الأولى، وهي أغلب أحوال التائبين لأن الشر معجون بطينة الآدمي قلما ينفك عنه، وإنما غاية سعيه أن يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه فترجح كفة الحسنات، فإما أن تخلو بالكلية كفة السيئات فذلك في غاية البعد. وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى إذ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢] فكل إلمام يقع بصغيرة لا عن توطين نفسه عليه فهو جدير بأن يكون من اللمم المعفو عنه. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥] فأثنى عليهم مع ظلمهم لأنفسهم لتندمهم ولومهم أنفسهم عليه. وإلى مثل هذه الرتبة الإشارة بقوله ﷺ فيما رواه عنه علي كرم الله وجهه: «خِيَارُكُمْ كُلُّ مُفَتَّنٍ تَوَّابٍ»[(١)]، وفي خبر آخر: «المُؤْمِنَ كَالسُّنْبُلَةِ يَفِيءُ أَحْيانًا وَيَمِيلُ أحيانًا»[(٢)]، وفي الخبر: «لا بُدَّ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ ذَنْبٍ يَأْتِيهِ الفَيْئَة بَعْدَ الفَيْئَة»[(٣)]، أي الحين بعد الحين فكل ذلك أدلة قاطعة على أن هذا القدر لا ينقض التوبة ولا يلحق صاحبها بدرجة المصرين. ومن يؤيس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذي يؤيس الصحيح عن دوام الصحة بما يتناوله من الفواكه والأطعمة الحارّة مرة بعد أخرى من غير مداومة واستمرار، وكالفقيه الذي يؤيس المتفقه عن نيل درجة الفقهاء بفتوره عن التكرار والتعليق في أوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة. وذلك يدل على نقصان الطبيب والفقيه. بل الفقيه في الدين هو الذي لا يؤيس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومقارفة السيئات

---

(١) **ضعيف**: حديث علي «خياركم كل مفتن تواب». أخرجه البيهقي في الشعب بسند ضعيف. [انظر ضعيف الجامع: ٢٨٧٣].

(٢) **صحيح**: حديث «المؤمن كالسنبلة تفيء أحيانا وتميل أحيانا». أخرجه أبو يعلى وابن حبان في الضعفاء من حديث أنس والطبراني من حديث عمار بن ياسر والبيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلا وكلها ضعيفة وقالوا «تقوم» بدل «تفيء» وفي الأمثال للرامهرمزي إسناد جيد لحديث أنس. [انظر صحيح الجامع: ٥٨٤٥].

(٣) **صحيح**: حديث «لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة». أخرجه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بأسانيد حسنة. [انظر صحيح الجامع: ٥٧٣٥].

المختطفات قال النبي ﷺ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاؤُونَ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ المُسْتَغْفِرُونَ» (١)، وقال أيضًا «المؤمن واه راقع فخيرهم من مات على رقعة» أي واه بالذنوب راقع بالتوبة والندم وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [القصص:٥٤] فما وصفهم بعدم السيئة أصلًا.

الطبقة الثالثة: أن يتوب ويستمرّ على الاستقامة مدّة، ثم تغلبه الشهوات في بعض الذنوب فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة لعجزه عن قهر الشهوة، إلا أنه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة، وإنما قهرته هذه الشهوة الواحدة أو الشهوتان وهو يود لو أقدره الله تعالى على قمعها وكفاه شرها، هذا أمنيته في حال قضاء الشهوة عند الفراغ يتندم ويقول ليتني لم أفعله وسأتوب عنه وأجاهد نفسي في قهرها، لكنه تسوّل نفسه ويسوف توبته مرة بعد أخرى ويومًا بعد يوم. فهذه النفس هي التي تسمى: النفس المسوّلة، وصاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة:١٠٢] فأمره من حيث مواظبته على الطاعات وكراهته لما تعاطاه مرجوّ فعسى الله أن يتوب عليه، وعاقبته مخطرة من حيث تسويفه وتأخيره، فربما يختطف قبل التوبة ويقع أمره في المشيئة فإن تداركه الله بفضله وجبر كسره وامتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين، وإن غلبته شقوته وقهرته شهوته فيخشى أن يحق عليه في الخاتمة ما سبق عليه من القول في الأزل، لأنه مهما تعذر على المتفقه مثلًا الاحتراز عن شواغل التعلم دل تعذره على أنه سبق له في الأزل أن يكون من الجاهلين فيضعف الرجاء في حقه، وإذا يسرت له أسباب المواظبة على التحصيل دل على أنه سبق له في الأزل أن يكون من جملة العالمين. فكذلك ارتباط سعادات الآخرة ودركاتها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الأسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الأغذية والأدوية، وارتباط حصول فقه النفس الذي به تستحق المناصب العلية في الدنيا بترك الكسل والمواظبة على تفقيه النفس، فكما لا يصلح لمنصب الرئاسة والقضاء والتقدّم بالعلم إلا نفس صارت فقيهة بطول التفقيه فلا يصلح لملك الآخرة ونعيمها ولا للقرب من رب العالمين إلا قلب سليم صار طاهرًا بطول التزكية والتطهير. هكذا سبق في الأزل بتدبير رب الأرباب.

ولذلك قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس:٧-١٠] فمهما وقع العبد في ذنب فصار الذنب نقدًا والتوبة نسيئة كان هذا من علامات الخذلان. قال ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ سَبْعِينَ سَنَةً حَتَّى

(١) حسن: حديث «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين المستغفرون». أخرجه الترمذي واستغربه والحاكم وصحح إسناده من حديث أنس وقال «التوابون» بدل «المستغفرون» قلت فيه علي بن مسعدة ضعفه البخاري. [الترمذي: ٢٤٩٩، وانظر صحيح الجامع الصغير: ٤٥١٥].

يَقُولَ النَّاسَ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِها وَلا يَبْقَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إلاّ شِبْرٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُها» (١)، فإذن الخوف من الخاتمة قبل التوبة. وكل نفس فهو خاتمة ما قبله إذ يمكن أن يكون الموت متصلاً به، فليراقب الأنفاس وإلا وقع في المحذور ودامت الحسرات حين لا ينفع التحسر.

الطبقة الرابعة: أن يتوب ويجري مدة على الاستقامة ثم يعود إلى مقارفة الذنب أو الذنوب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة ومن غير أنّ يتأسف على فعله، بل ينهمك انهماك الغافل في اتباع شهواته فهذا من جملة المصرين، وهذه النفس هي: النفس الأمارة بالسوء، الفرارة من الخير؛ ويخاف على هذا سوء الخاتمة وأمره في مشيئة الله، فإن ختم له بالسوء شقي شقاوة لا آخر لها وإن ختم له بالحسنى حتى مات على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين، ولا يستحيل أن يشمله عموم العفو بسبب خفي لا تطلع عليه، كما لا يستحيل أن يدخل الإنسان خرابًا ليجد كنزًا فيتفق أن يجده، وأن يجلس في البيت ليجعله الله عالمًا بالعلوم من غير تعلم كما كان الأنبياء صلوات الله عليهم. فطلب المغفرة بالطاعات كطلب العلم بالجهد والتكرار، وطلب المال بالتجارة وركوب البحار وطلبها بمجرّد الرجاء مع خراب الأعمال كطلب الكنوز في المواضع الخربة وطلب العلوم من تعليم الملائكة، وليت من اجتهد تعلم وليت من اتجر استغنى وليت من صام وصلى غفر له، فالناس كلهم محرومون إلا العالمون والعالمون كلهم محرومون إلا العاملون والعاملون كلهم محرومون إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم. وكما أن من خرب بيته وضيع ماله وترك نفسه وعياله جياعًا يزعم أنه ينتظر فضل الله بأن يرزقه كنزًا يجده تحت الأرض في بيته الخرب يعدّ عند ذوي البصائر من الحمقى والمغرورين، وإن كان ما ينتظره غير مستحيل في قدرة الله تعالى وفضله، فكذلك من ينتظر المغفرة من فضل الله تعالى وهو مقصر عن الطاعة مصر على الذنوب غير سالك سبيل المغفرة يعدّ عند أرباب القلوب من المعتوهين.

والعجب من عقل هذا المعتوه وترويجه حماقته في صيغة حسنة إذ يقول: إن الله كريم وجنته ليست تضيق على مثلي ومعصيتي ليست تضره، ثم تراه يركب البحار ويقتحم الأوعار في طلب الدينار وإذا قيل له إن الله كريم ودنانير خزائنه ليست تقصر على فقرك، وكسلك بترك التجارة ليس يضرك فاجلس في بيتك فعساه يرزقك من حيث لا تحتسب فيستحمق قائل

---

(١) حديث «إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة». [البخاري: ٢٨٩٨، ومسلم: ١١٢ عن سهل بن سعد] متفق عليه من حديث سهل بن سعد دون قوله «سبعين سنة» ولمسلم من حديث أبي هريرة «إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة... الحديث» [مسلم: ٢٦٥١] ولأحمد من رواية شهر بن حوشب عن أبي هريرة «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة» [ابن ماجه: ٢٧٠٤، وأحمد: ٧٦٨٤، وانظر ضعيف الترغيب: ٢٠٣٨] وشهر مختلف فيه.

هذا الكلام ويستهزىء به ويقول: ما هذا الهوس؟ السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة وإنما ينال ذلك بالكسب، هكذا قدّره مسبب الأسباب وأجرى به سنته ولا تبديل لسنة الله، ولا يعلم المغرور أن رب الآخرة ورب الدنيا واحد وأنّ سنته لا تبديل لها فيهما جميعًا، وأنه قد أخبر إذ قال: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم:٣٩] فكيف يعتقد أنه كريم في الآخرة وليس بكريم في الدنيا؟ وكيف يقول ليس مقتضى الكرم الفتور عن كسب المال ومقتضاه الفتور عن العمل للملك المقيم والنعيم الدائم، وأنّ ذلك بحكم الكرم يعطيه من غير جهد في الآخرة وهذا يمنعه مع شدّة الاجتهاد في غالب الأمر في الدنيا؟ وينسى قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢] فنعوذ بالله من العمى والضلال فما هذا إلا انتكاس على أم الرأس وانغماس في ظلمات الجهل وصاحب هذا جدير بأن يكون داخلًا تحت قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [السجدة:١٢] أي أبصرنا أنك صدقت إذ قلت: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم:٣٩] فارجعنا نسعى وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب ويحق عليه العذاب فنعوذ بالله من دواعي الجهل والشك والارتياب السائق بالضرورة إلى سوء المنقلب والمآب.

بيان ما ينبغي أن يبادر اليه التائب ان جرى عليه ذنب اما عن قصد وشهوة غالبة أو عن المام بصلح الاتفاق:

اعلم أنّ الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضاده كما ذكرنا طريقه، فإن لم تساعده النفس على العزم على الترك لغلبة الشهوة فقد عجز عن أحد الواجبين فلا ينبغي أن يترك الواجب الثاني وهو أن يدرأ بالحسنة السيئة ليمحوها فيكون ممن خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا، فالحسنات المكفرة للسيئات إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح، ولتكن الحسنة في محل السيئة وفيما يتعلق بأسبابها.

فأما بالقلب فليكفره بالتضرع إلى الله تعالى في سؤال المغفرة والعفو، ويتذلل تذلل العبد الآبق، ويكون ذله بحيث يظهر لسائر العباد وذلك بنقصان كبره فيما بينهم، فما للعبد الآبق المذنب وجه للتكبر على سائر العباد، وكذلك يضمر بقلبه الخيرات للمسلمين والعزم على الطاعات.

وأما باللسان فبالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول: رب ظلمت نفسي وعملت سوءًا فاغفر لي ذنوبي، وكذلك يكثر من ضروب الاستغفار ، كما أوردناه في كتاب الدعوات والأذكار ،.

وأما بالجوارح فبالطاعات والصدقات وأنواع العبادات. وفي الآثار ما يدل على أنّ الذنب إذا أتبع بثمانية أعمال كان العفو عنه مرجوًا؛ أربعة من أعمال القلوب وهي: التوبة أو العزم على التوبة، وحب الإقلاع عن الذنب وتخوف العقاب عليه، ورجاء المغفرة له. وأربعة من أعمال الجوارح وهي: أن تصلي عقيب الذنب ركعتين ثم تستغفر الله تعالى بعدهما سبعين مرة

وتقول: سبحان الله العظيم وبحمده، مائة مرة ثم تتصدّق بصدقة ثم تصوم يومًا، وفي بعض الآثار: تسبغ الوضوء وتدخل المسجد وتصلي ركعتين [١]، وفي بعض الأخبار: تصلي أربع ركعات [٢]، وفي الخبر: «إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تكفرها، السر بالسر والعلانية بالعلانية» [٣]، ولذلك قيل: صدقة السر تكفر ذنوب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار. وفي الخبر الصحيح: أن رجلًا قال لرسول الله ﷺ: إني عالجت امرأة فأصبت منها كل شيء إلا المسيس فاقض عليَّ بحكم الله تعالى فقال ﷺ: «أَوَمَا صَلَّيْتَ مَعَنَا صَلاةَ الغَدَاةِ؟» قال: بلى، فقال ﷺ: «إن الحسنات يذهبن السيئات» [٤]، وهذا يدل على أنّ ما دون الزنى من معالجة النساء صغيرة إذ جعل الصلاة كفارة له بمقتضى قوله ﷺ: «الصلوات الخمس كفارات لما بينهن إلا الكبائر»، فعلى الأحوال كلها ينبغي أن يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته ويجتهد في دفعها بالحسنات.

فإن قلت: فكيف يكون الاستغفار نافعًا من غير حل عقدة الإصرار، وفي الخبر: «المُسْتَغْفِرُ مِنَ الذَّنْبِ وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَيْهِ كَالمُسْتَهْزِىءِ بِآيَاتِ اللَّهِ» [٥]، وكان بعضهم يقول:

---

(١) صحيح: أثر «إن من مكفرات الذنب أن تسبغ الوضوء وتدخل المسجد وتصلي ركعتين». أخرجه أصحاب السنن من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه «ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ثم يستغفر الله إلا غفر الله له» – لفظ أبي داود –، وهو في الكبرى للنسائي مرفوعا وموقوفا فلعل المصنف عبر بالأثر لإرادة الموقوف، فذكرته احتياطا وإلا، فالآثار ليست من شرط كتابي. [أبو داود: ١٥٢١، والترمذي: ٣٠٠٦، وابن ماجه: ١٣٩٥، وانظر صحيح الترغيب: ١٦٢١].

(٢) صحيح: حديث: التفكير بصلاة أربع ركعات. أخرجه ابن مردويه في التفسير والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس قال كان رجل من أصحاب النبي ﷺ يهوى امرأة... الحديث وفيه: فلما رآها جلس منها مجلس الرجل من امرأته وحرك ذكره فإذا هو مثل الهدبة فقام نادما فأتى النبي ﷺ فذكر له ذلك فقال له النبي ﷺ «صل أربع ركعات» فأنزل الله عز وجل ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ [هود: ١١٤] الآية وإسناده جيد. [أبو داود: ٤٤٦٨ بنحوه عن ابن مسعود، وانظر صحيح الترغيب: ٣١٦٣].

(٣) حسن: حديث «إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية». [صحيح الجامع: ١٠٤٠، وحسنه الألباني] أخرجه البيهقي في الشعب من حديث معاذ وفيه رجل لم يسم ورواه الطبراني من رواية عطاء بن يسار عن معاذ ولم يلقه بلفظ «وما عملت من سوء فأحدث لله فيه توبة السر بالسر... الحديث» [انظر صحيح الترغيب: ٣١٤٤، وقال الألباني: حسن لغيره].

(٤) صحيح: حديث: أن رجلا قال يا رسول الله إني عالجت امرأة فأصبت منها كل شيء إلا المسيس فاقض علي بحكم الله تعالى فقال ﷺ «أوَمَا صليت معنا صلاة الغداة» قال: بلى، فقال ﷺ «إن الحسنات يذهبن السيئات». متفق عليه من حديث ابن مسعود دون قوله «أو ما أصليت معنا صلاة الغداة» ورواه مسلم من حديث أنس وفيه «هل حضرت معنا الصلاة» قال: نعم، ومن حديث أبي أمامة وفيه «ثم شهدت الصلاة معنا» قال: نعم... الحديث. [البخاري: ٥٢٦، ومسلم: ٢٧٦٣ عن أنس، ومسلم: ٢٧٦٥ عن أبي أمامة، وهو عند أبي داود: ٤٤٦٨ عن ابن مسعود واللفظ له، وانظر صحيح أبي داود، وقال الألباني: حسن صحيح].

(٥) ضعيف: حديث «المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات الله». أخرجه ابن أبي الدنيا في التوبة ومن طريقه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بلفظ «كالمستهزئ بربه» وسنده ضعيف. [انظر ضعيف الجامع: ٢٤٩٨].

أستغفر الله من قولي أستغفر الله، وقيل: الاستغفار باللسان توبة الكذابين. وقالت رابعة العدوية: استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير فاعلم أنه قد ورد في فضل الاستغفار أخبار خارجة عن الحصر ، ذكرناها في كتاب الأذكار والدعوات ، حتى قرن الله الاستغفار ببقاء الرسول ﷺ فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال :٣٣] فكان بعض الصحابة يقول: كان لنا أمانان ذهب أحدهما وهو كون الرسول فينا وبقي الاستغفار معنا فإن ذهب هلكنا (١) فنقول: الاستغفار الذي هو توبة الكذابين هو الاستغفار بمجرّد اللسان من غير أن يكون للقلب فيه شركة، كما يقول الإنسان بحكم العادة وعن رأس الغفلة أستغفر الله، وكما يقول إذا سمع صفة النار نعوذ بالله منها من غير أن يتأثر به قلبه، وهذا يرجع إلى مجرّد حركة اللسان ولا جدوى له، فأما إذا انضاف إليه تضرع القلب إلى الله تعالى وابتهاله في سؤال المغفرة عن صدق إرادة وخلوص نية ورغبة فهذه حسنة في نفسها فتصلح لأن تدفع بها السيئة، وعلى هذا تحمل الأخبار الواردة في فضل الاستغفار حتى قال ﷺ: «ما أَصَرَّ مِنَ اسْتَغْفَرَ وَلَوْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً» (٢)، وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب. وللتوبة والاستغفار درجات وأوائلها لا تخلو عن الفائدة وإن لم تنته إلى أواخرها ولذلك قال سهل: لا بدّ للعبد في كل حال من مولاه، فأحسن أحواله أن يرجع إليه في كل شيء فإن عصى قال يا رب استر عليّ، فإذا فرغ من المعصية قال يا رب تب عليّ، فإذا تاب قال يا رب ارزقني العصمة، وإذا عمل قال يا رب تقبل مني. وسئل أيضًا عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال: أوّل الاستغفار الاستجابة ثم الإنابة ثم التوبة، فالاستجابة أعمال الجوارح والإنابة أعمال القلوب والتوبة إقباله على مولاه بأن يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر، فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ثم التنقل إلى الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم الفكر ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو الخلة، ولا يستقرّ هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضا زاده والتوكل صاحبه، ثم ينظر الله إليه فيرفعه إلى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش. وسئل أيضًا عن قوله ﷺ: «التَّائِبُ حَبِيبُ اللَّهِ» فقال: إنما يكون حبيبًا إذا كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [التوبة :١١٢] الآية. وقال: الحبيب هو الذي لا يدخل فيما يكرهه حبيبه.

---

(١) حديث بعض الصحابة في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ﴾ [الأنفال :٣٣] الآية «كان لنا أمانان ذهب أحدهما». [أحمد: ١٩٠١٢] أخرجه أحمد من قول أبي موسى الأشعري ورفعه الترمذي من حديثه «أنزل الله عليّ أمانين... الحديث» [الترمذي: ٣٠٨٢، وانظر السلسلة الضعيفة: ١٦٩٠] وضعفه، وابن مردويه في تفسيره من قول ابن عباس.

(٢) ضعيف: حديث «ما أصر من استغفر». تقدم في الدعوات. [أبو داود: ١٥١٤، والترمذي: ٣٥٥٩ عن أبي بكر، انظر السلسلة الضعيفة: ٤٤٧٤].

والمقصود أن للتوبة ثمرتين:

إحداهما: تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له.

والثانية: نيل الدرجات حتى يصير حبيبًا. وللتكفير أيضًا درجات: فبعضه محو لأصل الذنب بالكلية وبعضه تخفيف له، ويتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة، فالاستغفار بالقلب والتدارك بالحسنات، وإن خلا عن حل عقدة الإصرار. من أوائل الدرجات، فليس يخلو عن الفائدة أصلًا، فلا ينبغي أن تظن أن وجودها كعدمها. بل عرف أهل المشاهدة وأرباب القلوب معرفة لا ريب فيها أن قول الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧] صدق وأنه لا تخلو ذرة من الخير عن أثر، كما لا تخلو شعيرة تطرح في الميزان عن أثر، ولو خلت الشعيرة الأولى عن أثر لكانت الثانية مثلها ولكان لا يرجح الميزان بأحمال الذرّات وذلك بالضرورة محال، بل ميزان الحسنات يرجح بذرات الخير إلى أن يثقل فترفع كفة السيئات، فإياك أن تستصغر ذرات الطاعات فلا تأتيها وذرات المعاصي فلا تنفيها كالمرأة الخرقاء تكسل عن الغزل تعللًا بأنها لا تقدر في كل ساعة إلا على خيط واحد وتقول: أي غنى يحصل بخيط وما وقع ذلك في الثياب؟ ولا تدري المعتوهة أن ثياب الدنيا اجتمعت خيطًا خيطًا وأن أجسام العالم مع اتساع أقطاره اجتمعت ذرة ذرة. فإذن التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله أصلًا. بل أقول: الاستغفار باللسان أيضًا حسنة إذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بغيبة مسلم أو فضول كلام، بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالإضافة إلى السكوت عنه وإنما يكون نقصانًا بالإضافة إلى عمل القلب. ولذلك قال بعضهم لشيخه أبي عثمان المغربي: إن لساني في بعض الأحوال يجري بالذكر والقرآن وقلبي غافل. فقال: أشكر الله إذ استعمل جارحة من جوارحك في الخير وعوّده الذكر ولم يستعمله في الشر ولم يعوده الفضول. وما ذكره حق فإن تعوّد الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك كالطبع يدفع جملة من المعاصي. فمن تعوّد لسانه الاستغفار إذا سمع من غيره كذبًا؛ سبق لسانه إلى ما تعوّد فقال: أستغفر الله. ومن تعوّد الفضول سبق لسانه إلى قول ما أحمقك وما أقبح كذبك ومن تعوّد الاستعاذة إذا حدث بظهور مبادىء الشر من شرير قال بحكم سبق اللسان: نعوذ بالله، وإذا تعوّد الفضول قال: لعنه الله، فيعصي في إحدى الكلمتين ويسلم في الأخرى، وسلامته أثر اعتياد لسانه الخير وهو من جملة معاني قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة:١٢٠] ومعاني قوله تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠] فانظر كيف ضاعفها إذ جعل الاستغفار في الغفلة عادة اللسان، حتى دفع بتلك العادة شر العصيان بالغيبة واللعن والفضول، هذا تضعيف في الدنيا لأدنى الطاعات، وتضعيف الآخرة ﴿أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤١] فإياك وأن

تلمح في الطاعات مجرد الآفات فتفتر رغبتك عن العبادات، فإن هذه مكيدة روّجها الشيطان بلعنته على المغرورين وخيل إليهم أنهم أرباب البصائر وأهل التفطن للخفايا والسرائر، فأي خير في ذكرنا باللسان مع غفلة القلب؟ فانقسم الخلق في هذه المكيدة إلى ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات.

أما السابق فقال: صدقت يا ملعون ولكن هي كلمة حق أردت بها باطلًا. فلا جرم أعذبك مرتين وأرغم أنفك من وجهين فأضيف إلى حركة اللسان حركة القلب، فكان كالذي داوى جرح الشيطان بنثر الملح عليه.

وأما الظالم المغرور: فاستشعر في نفسه خيلاء الفطنة لهذه الدقيقة ثم عجز عن الإخلاص بالقلب فترك مع ذلك تعويد اللسان بالذكر فأسعف الشيطان وتدلى بحبل غروره فتمت بينهما المشاركة والموافقة كما قيل: وافق شنّ طبقه وافقه فاعتنقه.

وأما المقتصد: فلم يقدر على إرغامه بإشراك القلب في العمل وتفطن لنقصان حركة اللسان بالإضافة إلى القلب، ولكن اهتدى إلى كماله بالإضافة إلى السكوت والفضول فاستمر عليه وسأل الله تعالى أن يشرك القلب مع اللسان في اعتياد الخير.

فكان السابق كالحائك الذي ذمت حياكته فتركها وأصبح كاتبًا، والظالم المتخلف كالذي ترك الحياكة أصلًا، وأصبح كناسًا، والمقتصد كالذي عجز عن الكتابة فقال: لا أنكر مقدمة الحياكة ولكن الحائك مذموم بالإضافة إلى الكاتب لا بالإضافة إلى الكناس فإذا عجزت عن الكتابة فلا أترك الحياكة.

ولذلك قالت رابعة العدوية: استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير. فلا تظن أنها تذم حركة اللسان من حيث إنه ذكر الله، بل تذم غفلة القلب فهو محتاج إلى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه، فإن سكت عن الاستغفار باللسان أيضًا احتاج إلى استغفارين لا إلى استغفار واحد فهكذا ينبغي أن تفهم ذم ما يذم وحمد ما يحمد وإلا جهلت معنى ما قال القائل الصادق: حسنات الأبرار سيئات المقربين. فإن هذه أمور تثبت بالإضافة فلا ينبغي أن تؤخذ من غير إضافة، بل ينبغي أن لا تستحقر ذرات الطاعات والمعاصي. ولذلك قال جعفر الصادق: إن الله تعالى خبأ ثلاثًا في ثلاث؛ رضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيئًا فلعل رضاه فيه، وغضبه في معاصيه فلا تحقروا منها شيئًا فلعل غضبه فيه، وخبأ ولايته في عباده فلا تحقروا منهم أحدًا فلعله ولي الله تعالى.

وزاد: وخبأ إجابته في دعائه فلا تتركوا الدعاء فربما كانت الإجابة فيه.

* * *

الركن الرابع في دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الإصرار

اعلم أن الناس قسمان: شاب لا صبوة له نشأ على الخير واجتناب الشر وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «تعجب ربك من شاب ليست له صبوة»[(١)]، وهذا عزيز نادر.

والقسم الثاني: هو الذي لا يخلو عن مقارفة الذنوب، ثم هم ينقسمون إلى مصرين وإلى تائبين، وغرضنا أن نبين العلاج في حل عقدة الإصرار ونذكر الدواء فيه. فاعلم أن شفاء التوبة لا يحصل إلا بالدواء ولا يقف على الدواء من لا يقف على الداء، إذ لا معنى للدواء إلا مناقضة أسباب الداء فكل داء حصل من سبب فدواؤه حل ذلك السبب ورفعه وإبطاله. ولا يبطل الشيء إلا بضدّه. ولا سبب للإصرار إلا الغفلة والشهوة ولا يضاد الغفلة إلا العلم ولا يضاد الشهوة إلا الصبر على قطع الأسباب المحركة للشهوة، والغفلة رأس الخطايا قال الله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۝ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝﴾ [النحل: ١٠٨-١٠٩] فلا دواء إذن للتوبة إلا معجون يعجن من حلاوة العلم ومرارة الصبر، وكما يجمع السكنجبين بين حلاوة السكر وحموضة الخل ويقصد بكل منهما غرض آخر في العلاج بمجموعهما فيقمع الأسباب المهيجة للصفراء فهكذا ينبغي أن تفهم علاج القلب مما به من مرض الإصرار. فإذن لهذا الدواء أصلان: أحدهما العلم والآخر الصبر ولا بد من بيانهما.

فإن قلت: أينفع كل علم لحل الإصرار أم لا بد من علم مخصوص؟ فاعلم أن العلوم بجملتها أدوية لأمراض القلوب ولكن لكل مرض علم يخصه، كما أن علم الطب نافع في علاج الأمراض بالجملة ولكن يخص كل علة علم مخصوص فكذلك دواء الإصرار. فلنذكر خصوص ذلك العلم على موازنة مرض الأبدان ليكون أقرب إلى الفهم فنقول: يحتاج المريض إلى التصديق بأمور:

الأول: أن يصدق على الجملة بأن للمرض والصحة أسبابًا يتوصل إليها بالاختيار على ما رتبه مسبب الأسباب، وهذا هو الإيمان بأصل الطب فإنّ من لا يؤمن به لا يشتغل بالعلاج ويحق عليه الهلاك. وهذا وزانه مما نحن فيه الإيمان بأصل الشرع وهو أنّ للسعادة في الآخرة سببًا هو الطاعة وللشقاوة سببًا هو المعصية وهذا هو الإيمان بأصل الشرائع، وهذا لا بدّ من حصوله إما عن تحقيق أو تقليد وكلاهما من جملة الإيمان.

الثاني: أنه لا بد أن يعتقد المريض في طبيب معين أنه عالم بالطب حاذق فيه صادق فيما

---

(١) ضعيف: حديث «تعجب ربك من الشاب ليست له صبوة». أخرجه أحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة. [أحمد: ١٦٩٢٠، وانظر ضعيف الجامع: ١٦٥٨].

يعبر عنه لا يلبس ولا يكذب، فإنّ إيمانه بأصل الطب لا ينفعه بمجرده دون هذا الإيمان. ووزانه مما نحن فيه: العلم بصدق الرسول ﷺ والإيمان بأن كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف.

الثالث: أنه لا بد أن يصغي إلى الطبيب فيما يحذره عنه من تناول الفواكه والأسباب المضرة على الجملة حتى يغلب عليه الخوف في ترك الاحتماء فتكون شدّة الخوف باعثة له على الاحتماء. ووزانه من الدين: الإصغاء إلى الآيات والأخبار المشتملة على الترغيب في التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى، والتصديق بجميع ما يلقى إلى سمعه من ذلك من غير شك واسترابة حتى ينبعث به الخوف المقوي على الصبر الذي هو الركن الآخر في العلاج.

الرابع: أن يصغي إلى الطبيب فما يخص مرضه وفيما يلزمه في نفسه الاحتماء عنه ليعرّفه أوّلًا تفصيل ما يضره من أفعاله وأحواله ومأكوله ومشروبه، فليس على كل مريض الاحتماء عن كل شيء ولا ينفعه كل دواء بل لكل علة خاصة علم خاص وعلاج خاص. ووزانه من الدين: أن كل عبد فليس يبتلى بكل شهوة وارتكاب كل ذنب بل لكل مؤمن ذنب مخصوص أو ذنوب مخصوصة؟ وإنما حاجته في الحال مرهقة إلى العلم بأنها ذنوب، ثم إلى العلم بآفاتها وقدر ضررها، ثم إلى العلم بكيفية التوصل إلى الصبر عنها، ثم إلى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها.

فهذه علوم يختص بها أطباء الدين وهم العلماء الذي هم ورثة الأنبياء، فالعاصي إن علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم، وإن كان لا يدري أنّ ما يرتكبه ذنب فعلى العالم أن يعرّفه ذلك، وذلك بأن يتكفل كل عالم بإقليم أو بلدة أو محلة أو مسجد أو مشهد فيعلم أهله دينهم ويميز ما يضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم، ولا ينبغي أن يصبر إلى أن يسأل عنه، بل ينبغي أن يتصدّى لدعوة الناس إلى نفسه فإنهم ورثة الأنبياء، والأنبياء ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على أبواب دورهم في الابتداء ويطلبون واحدًا واحدًا فيرشدونهم، فإنّ مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم، كما أنّ الذي ظهر على وجهه برص ولا مرآة معه لا يعرف برصه ما لم يعرفه غيره، وهذا فرض عين على العلماء كافة. وعلى السلاطين كافة أن يرتبوا في كل قرية وفي كل محلة فقيهًا متدينًا يعلم الناس دينهم فإنّ الخلق لا يولدون إلا جهالًا فلا بدّ من تبليغ الدعوة إليهم في الأصل والفرع. والدنيا دار المرضى إذ ليس في بطن الأرض إلا ميت ولا على ظهرها إلا سقيم. ومرضى القلوب أكثر من مرضى الأبدان.

والعلماء أطباء والسلاطين قوام دار المرضى فكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة العلم يسلم إلى السلطان ليكف شره كما يسلم الطبيب المريض الذي لا يحتمي أو الذي غلب عليه

الجنون إلى القيم ليقيده بالسلاسل والأغلال ويكف شره عن نفسه وعن سائر الناس.

وإنما صار مرض القلوب أكثر من مرض الأبدان لثلاث علل:

إحداها: أنّ المريض به لا يدري أنه مريض.

والثانية: أنّ عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم بخلاف مرض البدن فإنّ عاقبته موت مشاهد تنفر الطباع منه، وما بعد الموت غير مشاهد. وعاقبة الذنوب موت القلب وهو غير مشاهد في هذا العالم فقلت النفرة عن الذنوب وإن علمها مرتكبها، فلذلك تراه يتكل على فضل الله في مرض القلب ويجتهد في علاج مرض البدن من غير اتكال.

والثالثة: وهو الداء العضال؛ فقد الطبيب، فإنّ الأطباء هم العلماء وقد مرضوا في هذه الأعصار مرضًا شديدًا عجزوا عن علاجه، وصارت لهم سلوة في عموم المرض حتى لا يظهر نقصانهم، فاضطروا إلى إغواء الخلق والإشارة عليهم بما يزيدهم مرضًا، لأنّ الداء المهلك هو حب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الأطباء فلم يقدروا على تحذير الخلق منه استنكافًا من أن يقال لهم: فما بالكم تأمرون بالعلاج وتنسون أنفسكم؟ فبهذا السبب عم على الخلق الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء وهلك الخلق لفقد الأطباء، بل اشتغل الأطباء بفنون الإغواء فليتهم إذ لم ينصحوا لم يغشوا وإذ لم يصلحوا لم يفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فإنهم إذا تكلموا لم يهمهم في مواعظهم إلا ما يرغب العوام ويستميل قلوبهم، ولا يتوصلون إلى ذلك إلا بالإرجاء وتغليب أسباب الرجاء وذكر دلائل الرحمة لأن ذلك ألذ في الأسماع وأخف على الطباع، فتنصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد جراءة على المعاصي ومزيد ثقة بفضل الله.

ومهما كان الطبيب جاهلًا أو خائنًا أهلك بالدواء حيث يضعه في غير موضعه. فالرجاء والخوف دواءان ولكن لشخصين متضادي العلة. أما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية وكلف نفسه ما لا تطيق وضيق العيش على نفسه بالكلية: فتكسر سورة إسرافه في الخوف بذكر أسباب الرجاء ليعود إلى الاعتدال. وكذلك المصر على الذنوب المشتهي للتوبة الممتنع عنها بحكم القنوط واليأس استعظامًا لذنوبه التي سبقت: يعالج أيضًا بأسباب الرجاء حتى يطمع في قبول التوبة فيتوب. فأما معالجة المغرور المسترسل في المعاصي بذكر أسباب الرجاء فيضاهي معالجة المحرور بالعسل طلبًا للشفاء وذلك من دأب الجهال والأغبياء.

فإذن فساد الأطباء هي المعضلة الزباء التي لا تقبل الدواء أصلًا.

فإن قلت: فاذكر الطريق الذي ينبغي أن يسلكه الواعظ في طريق الوعظ مع الخلق؟ فاعلم أنّ ذلك يطول ولا يمكن استقصاؤه. نعم نشير إلى الأنواع النافعة في حل عقدة الإصرار وحمل الناس على ترك الذنوب وهي أربعة أنواع:

الأوّل: أن يذكر ما في القرآن من الآيات المخوفة للمذنبين والعاصين، وكذلك ما ورد

من الأخبار والآثار مثل قوله: «ما مِنْ يَوْمٍ طَلَعَ فَجْرُهُ وَلا لَيْلَةٍ غَابَ شَفَقُها إلاَّ وَمَلَكَانِ يَتَجَاوَبَانِ بِأَرْبَعَةِ أَصْوَاتٍ يَقُولُ أَحَدُهُمَا: يا لَيْتَ هَذا الخَلْقَ لَمْ يُخْلَقُوا وَيَقُولُ الآخَرُ: يا لَيْتَهُمْ إذْ خُلِقُوا عَلِمُوا لِمَاذَا خُلِقُوا فَيَقُولُ الآخَرُ: يا لَيْتَهُمْ إذْ لَمْ يَعْلَمُوا لِمَاذا خُلِقُوا عَمِلُوا بِمَا عَلِمُوا»[(١)]، وفي بعض الروايات: «ليتهم تجالسوا فتذكروا ما علموا ويقول الآخر: يا ليتهم إذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا» وقال بعض السلف: إذا أذنب العبد أمر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو أمير عليه أن يرفع القلم عنه ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتبها عليه وإن لم يستغفر كتبها.

وقال بعض السلف: ما من عبد يعصي إلا استأذن مكانه من الأرض أن يخسف به واستأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه كسفًا؛ فيقول الله تعالى للأرض والسماء كفا عن عبدي وأمهلاه فإنكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه، ولعله يتوب إليَّ فأغفر له ولعله يستبدل صالحًا فأبدله له حسنات فذلك معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر:٤١] وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: «الطابع معلق بقائمة العرش فإذا انتهكت الحرمات واستحلت المحارم أرسل الله الطابع فيطبع على القلوب بما فيها»[(٢)]، وفي حديث مجاهد: «القلب مثل الكف المفتوحة كلما أذنب العبد ذنبًا انقبضت أصبع حتى تنقبض الأصابع كلها فيسدّ على القلب فذلك هو الطبع»[(٣)]، وقال الحسن: إنّ بين العبد وبين الله حدًّا من المعاصي معلومًا إذا بلغه العبد طبع الله على قلبه فلم يوفقه بعدها لخير.

والأخبار والآثار في ذم المعاصي ومدح التائبين لا تحصى فينبغي أن يستكثر الواعظ منها إن كان وارث رسول الله ﷺ، فإنه ما خلف دينارًا ولا درهمًا إنما خلف العلم والحكمة وورثه كل عالم بقدر ما أصابه[(٤)].

---

(١) حديث «ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها إلا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات فيقول أحدهما: يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا! ويقول الآخر: يا ليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا! فيقول الآخر: يا ليتهم إذ علموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا». غريب لم أجده هكذا. وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف «إن لله ملكا ينادي في كل ليلة أبناء الأربعين زرع قد دنا حصاده... الحديث» وفيه «ليت الخلائق لم يخلقوا وليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فتجالسوا بينهم فتذاكروا... الحديث».

(٢) موضوع: حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه «الطابع معلق بقائمة العرش فإذا انتهكت الحرمات». أخرجه ابن عدي وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر وهو منكر. [انظر السلسلة الضعيفة: ١٢٧٠].

(٣) حديث مجاهد «القلب مثل الكف المفتوحة». قلت هكذا قال المصنف: وفي حديث مجاهد، وكأنه أراد به قول مجاهد وكذا ذكره المفسرون من قوله وليس بمرفوع وقد رويناه في شعب الإيمان للبيهقي من قول حذيفة.

(٤) صحيح: حديث: أنه ﷺ ما خلف دينارا ولا درهما إنما خلف العلم والحكمة. أخرجه البخاري من حديث عمرو بن الحارث قال: ما ترك رسول الله ﷺ عند موته دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة. ولمسلم من حديث عائشة ما ترك دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا. وفي حديث أبي الدرداء: إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما

النوع الثاني : حكايات الأنبياء والسلف الصالحين وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم فذلك شديد الوقع ظاهر النفع في قلوب الخلق، مثل أحوال آدم في عصيانه وما لقيه من الإخراج من الجنة، حتى روي أنه لما أكل من الشجرة تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته، فاستحيا التاج والإكليل من وجهه أن يرتفعا عنه فجاءه جبريل عليه السلام فأخذ التاج عن رأسه وحل الإكليل عن جبينه، ونودي من فوق العرش: اهبطا من جواري فإنه لا يجاورني من عصاني. قال: فالتفت آدم إلى حوّاء باكيًا وقال: هذا أوّل شؤم المعصية أخرجنا من جوار الحبيب.

وروي أن سليمان بن داود عليهما السلام لما عوقب على خطيئته لأجل التمثال الذي عبد في داره أربعين يومًا، وقيل: لأن المرأة سألته أن يحكم لأبيها فقال نعم ولم يفعل، وقيل: بل أحب بقلبه أن يكون الحكم لأبيها على خصمه لمكانها منه فسلب ملكه أربعين يومًا فهرب تائهًا على وجهه فكان يسأل بكفه فلا يطعم فإذا قال أطعموني فإني سليمان بن داود شج وطرد وضرب. وحكي أنه استطعم من بيت لامرأته فطردته وبصقت في وجهه. وفي رواية: أخرجت عجوز جرّة فيها بول فصبته على رأسه إلى أن أخرج الله الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الأربعين ، أيام العقوبة ، قال: فجاءت الطيور فعكفت على رأسه وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله فاعتذر إليه بعض من كان جنى عليه فقال: لا ألومكم فيما فعلتم من قبل ولا أحمدكم في عذركم الآن إنّ هذا أمر كان من السماء ولا بدّ منه.

وروي في الإسرائيليات : أنّ رجلًا تزوج امرأة من بلدة أخرى فأرسل عبده ليحملها إليه فراودته نفسه وطالبته بها، فجاهدها واستعصم، قال: فنبأه الله ببركة تقواه فكان نبيًا في بني إسرائيل. وفي قصص موسى عليه السلام أنه قال للخضر عليه السلام: بم أطلعك الله على علم الغيب؟ قال: بتركي المعاصي لأجل الله تعالى. وروي أن الريح كانت تسير بسليمان عليه السلام فنظر إلى قميصه نظرة وكان جديدًا فكأنه أعجبه قال: فوضعته الريح، فقال: لم فعلت هذا ولم آمرك؟ قالت: إنما نطيعك إذا أطعت الله. وروي أنّ الله تعالى أوحى إلى يعقوب عليه السلام: أتدري لم فرّقت بينك وبين ولدك يوسف؟ قال: لا، قال: لقولك لإخوته: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ [يوسف :١٣] لم خفت عليه الذئب ولم ترجني؟ ولم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظي له؟ وتدري لم رددته عليك؟ قال: لا، قال: لأنك رجوتني وقلت: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف :٨٣] وبما قلت: ﴿ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟﴾ [يوسف :٨٧] وكذلك لما قال يوسف لصاحب الملك:

إنما ورثوا العلم... الحديث وقد تقدم في العلم. [البخاري: ٢٧٣٩ عن عمرو بن الحارث، ومسلم: ١٦٣٥ عن عائشة، وحديث أبي الدرداء عند الترمذي: ٢٦٨٢، وانظر صحيح الترمذي، ولم أره عند مسلم].

﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف :٤٢] قال الله تعالى: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف :٤٢] .

وأمثال هذه الحكايات لا تنحصر ولم يرد بها القرآن والأخبار ورود الأسمار، بل الغرض بها الاعتبار والاستبصار لتعلم أنّ الأنبياء عليهم السلام لم يتجاوز عنهم في الذنوب الصغار فكيف يتجاوز عن غيرهم في الذنوب الكبار؟ نعم كانت سعادتهم في أن عوجلوا بالعقوبة ولم يؤخروا إلى الآخرة والأشقياء يمهلون ليزدادوا إثمًا ولأن عذاب الآخرة أشدّ وأكبر. فهذا أيضًا مما ينبغي أن يكثر جنسه على أسماع المصرين فإنه نافع في تحريك دواعي التوبة.

النوع الثالث: أن يقرّر عندهم أن تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنوب وأن كل ما يصيب العبد من المصائب فهو بسبب جناياته، فرب عبد يتساهل في أمر الآخرة ويخاف من عقوبة الله في الدنيا أكثر لفرط جهله، فينبغي أن يخوف به فإن الذنوب كلها يتعجل في الدنيا شؤمها في غالب الأمر، كما حكي في قصة داود وسليمان عليهما السلام حتى إنه قد يضيق على العبد رزقه بسبب ذنوبه وقد تسقط منزلته من القلوب ويستولي عليه أعداؤه، قال ﷺ: «إنَّ العَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بالذَّنْبِ يُصِيبُهُ» (١)، وقال ابن مسعود: إني لأحسب أن العبد ينسى العلم بالذنب يصيبه؛ وهو معنى قوله عليه السلام: «مَنْ قَارَفَ ذَنْبًا فَارَقَهُ عَقْلٌ لا يَعُودُ إِلَيْهِ أَبَدًا» (٢)، وقال بعض السلف: ليست اللعنة سوادًا في الوجه ونقصًا في المال إنما اللعنة أن لا تخرج من ذنب إلا وقعت في مثله أو شر منه، وهو كما قال لأن اللعنة هي الطرد والإبعاد فإذا لم يوفق للخير ويسر له الشر فقد أبعد، والحرمان عن رزق التوفيق أعظم حرمان، وكل ذنب فإنه يدعو إلى ذنب آخر ويتضاعف فيحرم العبد به عن رزقه النافع من مجالسة العلماء المنكرين للذنوب ومن مجالسة الصالحين بل يمقته الله تعالى ليمقته الصالحون.

وحكي عن بعض العارفين أنه كان يمشي في الوحل جامعًا ثيابه محترزًا عن زلقة رجله حتى زلقت رجله وسقط، فقام وهو يمشي في وسط الوحل ويبكي ويقول: هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب ويجانبها حتى يقع في ذنب وذنبين فعندها يخوض في الذنوب خوضًا. وهو إشارة إلى أنّ الذنب تتعجل عقوبته بالانجرار إلى ذنب آخر، ولذلك قال الفضيل: ما أنكرت من تغير الزمان وجفاء الإخوان فذنوبك ورّثتك ذلك. وقال بعضهم: إني لأعرف عقوبة ذنبي في سوء خلق حماري.

وقال آخر: أعرف العقوبة حتى في فأر بيتي. وقال بعض صوفية الشام: نظرت إلى غلام نصراني حسن الوجه فوقفت أنظر إليه فمرّ بي ابن الجلاء الدمشقي فأخذ بيدي فاستحييت

(١) ضعيف: حديث «إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه». أخرجه ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده واللفظ له إلا أنه قال «الرجل» بدل «العبد» من حديث ثوبان. [ابن ماجه: ٤٠٢٢، وانظر ضعيف الترغيب: ١٤٧٣].

(٢) حديث «من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود إليه أبدا». تقدم. وقال العراقي لم أجد له اصلا.

منه فقلت: يا أبا عبد الله سبحان الله تعجبت من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت للنار فغمز يدي وقال: لتجدنّ عقوبتها بعد حين، قال: فعوقبت بها بعد ثلاثين سنة وقال أبو سليمان الداراني: الاحتلام عقوبة. وقال: لا يفوت أحدًا صلاة جماعة إلا بذنب يذنبه.

وفي الخبر: «ما أنكرتم من زمانكم فبما غيرتم من أعمالكم» (١)، وفي الخبر: «يقول الله تعالى إن أدنى ما أصنع بالعبد إذا آثر شهوته على طاعتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي» (٢)، وحكي عن أبي عمرو بن علوان، في قصة يطول ذكرها، قال فيها: كنت قائمًا ذات يوم أصلي فخامر قلبي هوى طاولته بفكرتي حتى تولد منه شهوة الرجال، فوقعت إلى الأرض واسود جسدي كله فاستترت في البيت فلم أخرج ثلاثة أيام، وكنت أعالج غسله في الحمام بالصابون فلا يزداد إلا سوادًا حتى انكشف بعد ثلاث، فلقيت الجنيد وكان قد وجه إليّ فأشخصني من الرقة، فلما أتيته قال لي: أما استحييت من الله تعالى كنت قائمًا بين يديه فساررت نفسك بشهوة حتى استولت عليك برقة وأخرجتك من بين يدي الله تعالى فلولا أني دعوت الله لك وتبت إليه عنك للقيت الله بذلك اللون، قال فعجبت كيف علم بذلك وهو ببغداد وأنا بالرقة؟.

واعلم أنه لا يذنب العبد ذنبًا إلا ويسود وجه قلبه فإن كان سعيدًا أظهر السواد على ظاهره لينزجر، وإن كان شقيًا أخفي عنه حتى ينهمك ويستوجب النار.

والأخبار كثيرة في آفات الذنوب في الدنيا من الفقر والمرض وغيره. بل من شؤم الذنب في الدنيا على الجملة أن يكسب ما بعده صفته، فإن ابتلي بشيء كان عقوبة له ويحرم جميل الرزق حتى يضاعف شقاؤه، وإن أصابته نعمة كانت استدراجًا له ويحرم جميل الشكر حتى يعاقب على كفرانه. وأما المطيع فمن بركة طاعته أن تكون كل نعمة في حقه جزاء على طاعته ويوفق لشكرها وكل بلية كفارة لذنوبه وزيادة في درجاته.

النوع الرابع: ذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب كالخمر والزنى والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد، وكل ذلك مما لا يمكن حصره، وذكره مع غير أهله وضع الدواء في غير موضعه، بل ينبغي أن يكون العالم كالطبيب الحاذق فيستدل أولًا بالنبض والسحنة ووجود الحركات على العلل الباطنة ويشتغل بعلاجها، فيستدل بقرائن الأحوال على خفايا الصفات وليتعرّض لما وقف عليه اقتداء برسول الله ﷺ حيث قال له واحد أوصني يا

---

(١) حديث «ما أنكرتم من زمانكم فبما أنكرتم من أعمالكم». أخرجه البيهقي في الزهد من حديث أبي الدرداء وقال غريب تفرد به هكذا العقيلي وهو عبد الله ابن هانئ. قلت: هو متهم بالكذب، قال ابن أبي حاتم روى عن أبيه أحاديث بواطيل.

(٢) حديث «يقول الله إني أدنى ما أصنع بالعبد إذا آثر شهوته على طاعتي أن أحرمه لذة مناجاتي». غريب لم أجده.

رسول الله ولا تكثر عليّ قال: «لا تَغْضَبْ» (١)، وقال له آخر أوصني يا رسول الله فقال عليه السلام: «عَلَيْكَ بِاليَأْسِ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الغِنَى، وإِيَّاكَ وَالطَّمَعَ فَإِنَّهُ الفَقْرُ الحَاضِرُ، وَصَلِّ صَلاَةَ مُوَدِّعٍ، وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ» (٢)، وقال رجل لمحمد بن واسع: أوصني، فقال: أوصيك أن تكون ملكًا في الدنيا والآخرة قال: وكيف لي بذلك؟ قال: الزم الزهد في الدنيا.

فكأنه ﷺ توسم في السائل الأوّل مخائل الغضب فنهاه عنه، وفي السائل الآخر مخائل الطمع في الناس وطول الأمل. وتخيل محمد بن واسع في السائل مخائل الحرص على الدنيا. وقال رجل لمعاذ: أوصني، فقال: كن رحيمًا أكن لك بالجنة زعيمًا. فكأنه تفرّس فيه آثار الفظاظة والغلظة. وقال رجل لإبراهيم بن أدهم، أوصني فقال: إياك والناس وعليك بالناس ولا بدّ من الناس فإنّ الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ذهب الناس وبقي النسناس وما أراهم بالناس بل غمسوا في ماء اليأس. فكأنه تفرّس فيه آفة المخالطة وأخبر عما كان هو الغالب على حاله في وقته، وكان الغالب أذاه بالناس.

والكلام على قدر حال السائل أولى من أن يكون بحسب حال القائل. وكتب معاوية رحمه الله إلى عائشة رضي الله عنها: أن اكتبي لي كتابًا يوصيني فيه ولا تكثري، فكتبت إليه: من عائشة إلى معاوية سلام عليك أما بعد فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ الْتَمَسَ سَخَطَ اللَّهِ بِرِضَا النَّاسِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ» (٣)، والسلام عليك. فانظر إلى فقهها كيف تعرضت للآفة التي تكون الولاة بصددها؟ وهي مراعاة الناس وطلب مرضاتهم. وكتبت إليه مرة أخرى. أما بعد، فاتق الله فإنك إذا اتقيت الله كفاك الناس. وإذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئًا والسلام.

فإذن على كل ناصح أن تكون عنايته مصروفة إلى تفرس الصفات الخفية وتوسم الأحوال اللائقة ليكون اشتغاله بالمهم فإن حكاية جميع مواعظ الشرع مع كل واحد غير ممكنة والاشتغال بوعظه بما هو مستغن عن التوعظ فيه تضييع زمان.

فإن قلت: فإن كان الواعظ يتكلم في جمع أو سأله من لا يدري باطن حاله أن يعظه فكيف يفعل؟ فاعلم أن طريقه في ذلك أن يعظه بما يشترك كافة الخلق في الحاجة إليه إما على العموم وإما على الأكثر، فإن في علوم الشرع أغذية وأدوية فالأغذية للكافة والأدوية لأرباب

---

(١) **صحيح**: حديث: قال رجل أوصني ولا تكثر علي قال «لا تغضب». تقدم. [الترمذي: ٢٠٢٠، وانظر السلسلة الصحيحة: ١٣٢٧].

(٢) **حسن**: حديث قال له آخر: أوصني قال «عليك باليأس». أخرجه ابن ماجه والحاكم وقد تقدم. [ابن ماجه: ٤١٧١، وانظر صحيح ابن ماجه].

(٣) **صحيح**: حديث عائشة «من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس». أخرجه الترمذي والحاكم وفي مسند الترمذي من لم يسم. [الترمذي: ٢٤١٤، وانظر صحيح الترغيب: ٢٢٥٠].

العلل.

ومثاله ما روي أن رجلًا قال لأبي سعيد الخدري: أوصني، قال: عليك بتقوى الله عز وجل فإنها رأس كل خير وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بالقرآن فإنه نور لك في أهل الأرض وذكر لك في أهل السماء، وعليك بالصمت إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان وقال رجل للحسن: أوصني، فقال: أعز أمر الله يعزك الله.

وقال لقمان لابنه: يا بني زاحم العلماء بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتوك، وخذ من الدنيا بلاغك، وأنفق فضول كسبك لآخرتك، ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالًا وعلى أعناق الرجال كلًّا، وصم صومًا يكسر شهوتك ولا تصم صومًا يضر بصلاتك فإن الصلاة أفضل من الصوم، ولا تجالس السفيه ولا تخالط ذا الوجهين. وقال أيضًا لابنه: يا بني لا تضحك من غير عجب ولا تمش في غير أرب ولا تسأل عما لا يعنيك ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك فإن مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت، يا بني إن من يرحم يُرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الشر يأثم ومن لا يملك لسانه يندم. وقال رجل لأبي حازم: أوصني، فقال: كل ما لو جاءك الموت عليه فرأيته غنيمة فالزمه وكل ما لو جاءك الموت عليه فرأيته مصيبة فاجتنبه. وقال موسى للخضر عليهما السلام: أوصني، فقال: كن بسامًا ولا تكن غضابًا وكن نفاعًا ولا تكن ضرارًا وانزع عن اللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران. وقال رجل لمحمد بن كرام: أوصني، فقال: اجتهد في رضا خالقك بقدر ما تجتهد في رضا نفسك وقال رجل لحامد اللفاف: أوصني فقال: اجعل لدينك غلافًا كغلاف المصحف أن تدنسه الآفات، قال: وما غلاف الدين؟ قال: ترك طلب الدنيا إلا ما لا بدّ منه وترك كثرة الكلام إلا فيما لا بدّ منه وترك مخالطة الناس إلا فيما لا بدّ منه.

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز رحمهم الله تعالى أما بعد، فخف مما خوّفك الله واحذر مما حذّرك الله وخذ مما في يديك لما بين يديك، فعند الموت يأتيك الخبر اليقين والسلام. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن يسأله أن يعظه فكتب إليه: أما بعد؛ فإن الهول الأعظم والأمور المفظعات أمامك ولا بدّ لك من مشاهدة ذلك إما بالنجاة وإما بالعطب، واعلم أن من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظر في العواقب نجا ومن أطاع هواه ضل ومن حلم غنم ومن خاف أمن ومن أمن اعتبر ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم، فإذا زللت فارجع وإذا ندمت فأقلع وإذا جهلت فاسأل وإذا غضبت فأمسك. وكتب مطرف بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله: أما بعد، فإن الدنيا دار عقوبة ولها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم عنده فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوي جرحه يصبر على شدّة الدواء لما يخاف من عاقبة الداء. وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عدي بن

أرطأة: أما بعد، فإن الدنيا عدوة أولياء الله وعدوة أعداء الله فأما أولياؤه فغمتهم وأما أعداؤه فغرتهم. وكتب أيضًا إلى بعض عماله. أما بعد، فقد أمكنتك القدرة من ظلم العباد فإذا هممت بظلم أحد فاذكر قدرة الله عليك، واعلم أنك لا تأتي إلى الناس شيئًا إلا كان زائلًا عنهم باقيًا عليك، واعلم أن الله عز وجل آخذ للمظلومين من الظالمين والسلام.

فهكذا ينبغي أن يكون وعظ العامة ووعظ من لا يدري خصوص واقعته، فهذه المواعظ مثل الأغذية التي يشترك الكافة في الانتفاع بها. ولأجل فقد مثل هؤلاء الوعاظ انحسم باب الاتعاظ وغلبت المعاصي واستشرى الفساد، وبلي الخلق بوعاظ يزخرفون أسجاعًا وينشدون أبياتًا ويتكلفون ذكر ما ليس في سعة علمهم ويتشبهون بحال غيرهم فسقط عن قلوب العامة وقارهم ولم يكن كلامهم صادرًا من القلب ليصل إلى القلب، بل القائل متصلف والمستمع متكلف وكل واحد منهما مدبر ومتخلف.

فإذن كان طلب الطبيب أول علاج المرضى، وطلب العلماء أول علاج العاصين. فهذا أحد أركان العلاج وأصوله.

الأصل الثاني الصبر: ووجه الحاجة إليه أن المريض إنما يطول مرضه لتناوله ما يضره، وإنما يتناول ذلك: إما لغفلته عن مضرته، وإما لشدة غلبة شهوته؛ فله سببان فما ذكرناه هو علاج الغفلة. فيبقى علاج الشهوة ، وطريق علاجها قد ذكرناه في كتاب رياضة النفس ، وحاصله أن المريض إذا اشتدت ضراوته لمأكول مضر فطريقه أن يستشعر عظم ضرره ثم يغيب ذلك عن عينه فلا يحضره ثم يتسلى عنه بما يقرب منه في صورته ولا يكثر ضرره ثم يصبر بقوّة الخوف على الألم الذي يناله في تركه، فلا بدّ على كل حال من مرارة الصبر فكذلك يعالج الشهوة في المعاصي، كالشاب مثلًا إذا غلبته الشهوة فصار لا يقدر على حفظ عينه ولا حفظ قلبه أو حفظ جوارحه في السعي وراء شهوته فينبغي أن يستشعر ضرر ذنبه بأن يستقري المخوفات التي جاءت فيه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فإذا اشتدّ خوفه تباعد من الأسباب المهيجة لشهوته. ومهيج الشهوة من خارج هو حضور المشتهى والنظر إليه، وعلاجه الهرب والعزلة. ومن داخل: تناول لذائذ الأطعمة، وعلاجه الجوع والصوم الدائم. وكل ذلك لا يتم إلا بصبر ولا يصبر إلا عن خوف ولا يخاف إلا عن علم ولا يعلم إلا عن بصيرة وافتكار أو عن سماع وتقليد، فأول الأمر حضور مجالس الذكر ثم الاستماع من قلب مجرد عن سائر الشواغل مصروف إلى السماع ثم التفكر فيه لتمام الفهم، وينبعث من تمامه لا محالة خوفه وإذا قوي الخوف تيسر بمعونته الصبر وانبعث الدواعي لطلب العلاج، وتوفيق الله وتيسيره من وراء ذلك. فمن أعطى من قلبه حسن الإصغاء واستشعر الخوف فاتقى وانتظر الثواب وصدق بالحسنى فسييسره الله تعالى لليسرى. وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسييسره للعسرى فلا يغني عنه ما اشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك وتردى. وما

على الأنبياء إلا شرح طرق الهدى وإنما لله الآخرة والأولى.

فإن قلت: فقد رجع الأمر كله إلى الإيمان لأن ترك الذنب لا يمكن إلا بالصبر عنه والصبر لا يمكن إلا بمعرفة الخوف، والخوف لا يكون إلا بالعلم والعلم لا يحصل إلا بالتصديق بعظم ضرر الذنوب، والتصديق بعظم ضرر الذنوب هو تصديق الله ورسوله وهو الإيمان؛ فكأن من أصر على الذنب لم يصر عليه إلا لأنه غير مؤمن؟ فاعلم أن هذا لا يكون لفقد الإيمان بل يكون لضعف الإيمان، إذ كل مؤمن مصدق بأن المعصية سبب البعد من الله تعالى وسبب العقاب في الآخرة. ولكن سبب وقوعه في الذنب أمور:

أحدها: أن العقاب الموعود غيب ليس بحاضر، والنفس جبلت متأثرة بالحاضر، فتأثرها بالموعود ضعيف بالإضافة إلى تأثرها بالحاضر.

الثاني: أن الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجزة وهي في الحال آخذة بالمخنق وقد قوي ذلك واستولى عليها بسبب الاعتياد والإلف، والعادة طبيعة خامسة، والنزوع عن العاجل لخوف الآجل شديد على النفس ولذلك قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۝ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢٠-٢١] وقال عز وجل: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الأعلى: ١٦] وقد عبر عن شدة الأمر قول رسول الله ﷺ: «حُفَّتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»(١)، وقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ النَّارَ فَقَالَ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَنَظَرَ فَقَالَ وَعِزَّتِكَ لا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ثُمَّ قَالَ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَنَظَرَ فَقَالَ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لا يَبْقَى أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا. وَخَلَقَ الجَنَّةَ فَقَالَ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَنَظَرَ فَقَالَ وَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا فَحَفَّهَا بِالمَكَارِهِ ثُمَّ قَالَ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ»(٢)، فإذًا كون الشهوة مرهقة في الحال وكون العقاب متأخرًا إلى المآل سببان ظاهران في الاسترسال مع حصول أصل الإيمان فليس كل من يشرب في مرضه ماء الثلج لشدّة عطشه مكذبًا بأصل الطب ولا مكذبًا بأن ذلك مضر في حقه ولكن الشهوة تغلبه وألم الصبر عنه ناجز فيهون عليه الألم المنتظر.

الثالث: أنه ما من مذنب مؤمن إلا وهو في الغالب عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحسنات، وقد وعد بأن ذلك يجبره إلا أن طول الأمل غالب على الطباع فلا يزال يسوّف التوبة والتكفير، فمن حيث رجاؤه التوفيق للتوبة ربما يقدم عليه مع الإيمان.

---

(١) صحيح: حديث «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات». متفق عليه من حديث أبي هريرة. [البخاري: ٦٤٨٧، ومسلم: ٢٨٢٣].

(٢) حسن: حديث «إن الله تعالى خلق النار فقال لجبريل عليه السلام: اذهب فانظر إليها». أخرجه أبو داود والترمذي والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة وقدم فيه ذكر الجنة.[أبو داود: ٤٧٤٤، والترمذي: ٢٥٦٠، وانظر صحيح الترغيب: ٣٦٦٩].

الرابع: أنه ما من مؤمن موقن إلا وهو معتقد أن الذنوب لا توجب العقوبة إيجابًا لا يمكن العفو عنها، فهو يذنب وينتظر العفو عنها اتكالًا على فضل الله تعالى. فهذه أسباب أربعة موجبة للإصرار على الذنب مع بقاء أصل الإيمان.

نعم. قد يقدم المذنب بسبب خامس يقدح في أصل إيمانه وهو كونه شاكًا في صدق الرسل وهذا هو الكفر، كالذي يحذره الطبيب عن تناول ما يضره في المرض فإن كان المحذر ممن لا يعتقد فيه أنه عالم بالطب فيكذبه أو يشك فيه فلا يبالي به فهذا هو الكفر.

فإن قلت: فما علاج الأسباب الخمسة؟ فأقول: هو الفكر، وذلك بأن يقرر على نفسه في السبب الأول وهو تأخر العقاب، أن كل ما هو آت آت وأن غدًا للناظرين قريب وأن الموت أقرب إلى كل أحد من شراك نعله فما يدريه لعل الساعة قريب، والمتأخر إذا وقع صار ناجزًا، ويذكر نفسه أنه أبدًا في دنياه يتعب في الحال لخوف أمر في الاستقبال، إذ يركب البحار ويقاسي الأسفار لأجل الربح الذي يظنّ أنه قد يحتاج إليه في ثاني الحال بل لو مرض فأخبره طبيب نصراني بأن شرب الماء البارد يضره ويسوقه إلى الموت وكان الماء البارد ألذ الأشياء عنده تركه، مع أن الموت ألمه لحظة إذا لم يخف ما بعده، ومفارقته للدنيا لا بدّ منها، فكم نسبة وجوده في الدنيا إلى عدمه أزلًا وأبدًا؟ فلينظر كيف يبادر إلى ترك ملاذه بقول ذمي لم تقم معجزة على طبه فيقول: كيف يليق بعقلي أن يكون قول الأنبياء المؤيدين بالمعجزات عندي دون قول نصراني يدعي الطب لنفسه بلا معجزة على طبه ولا يشهد له إلا عوام الخلق؟ وكيف يكون عذاب النار عندي أخف من عذاب المرض وكل يوم في الآخرة بمقدار خمسين ألف سنة من أيام الدنيا؟ وبهذا التفكر بعينه يعالج اللذة الغالبة عليه ويكلف نفسه تركها ويقول: إذا كنت لا أقدر على ترك لذاتي أيام العمر وهي أيام قلائل فكيف أقدر على ذلك أبد الآباد؟ وإذا كنت لا أطيق ألم الصبر فكيف أطيق ألم النار؟ وإذا كنت لا أصبر عن زخارف الدنيا مع كدوراتها وتنغصها وامتزاج صفوها بكدرها فكيف أصبر عن نعيم الآخرة؟ وأما تسويف التوبة فيعالجه بالفكر في أن أكثر صياح أهل النار من التسويف، لأن المسوّف يبني الأمر على ما ليس إليه وهو البقاء فلعله لا يبقى وإن بقي فلا يقدر على الترك غدًا كما لا يقدر عليه اليوم، فليت شعري هل عجز في الحال إلا لغلبة الشهوة والشهوة ليست تفارقه غدًا بل تتضاعف إذ تتأكد بالاعتياد فليست الشهوة التي أكدها الإنسان بالعادة كالتي لم يؤكدها. وعن هذا هلك المسوفون لأنهم يظنون الفرق بين المتماثلين ولا يظنون أن الأيام متشابهة في أن ترك الشهوات فيها أبدًا شاق. وما مثال المسوف إلا مثال من احتاج إلى قلع شجرة فرآها قوية لا تنقلع إلا بمشقة شديدة فقال أؤخرها سنة ثم أعود إليها، وهو يعلم أن الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها، وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه، فلا حماقة في الدنيا أعظم من حماقته إذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف فأخذ ينتظر الغلبة عليه إذا ضعف هو في نفسه وقوي

الضعيف.

وأما المعنى الرابع: وهو انتظار عفو الله تعالى، فعلاجه ما سبق وهو كمن ينفق جميع أمواله ويترك نفسه وعياله فقراء منتظرًا من فضل الله تعالى أن يرزقه العثور على كنز في أرض خربة، فإن إمكان العفو عن الذنب مثل هذا الإمكان، وهو مثل من يتوقع النهب من الظلمة في بلده وترك ذخائر أمواله في صحن داره، وقدر على دفنها وإخفائها فلم يفعل، وقال: أنتظر من فضل الله تعالى أن يسلط غفلة أو عقوبة على الظالم الناهب حتى لا يتفرغ إلى داري أو إذا انتهى إلى داري مات على باب الدار فإن الموت ممكن والغفلة ممكنة وقد حكي في الأسمار أن مثل ذلك وقع فأنا أنتظر من فضل الله مثله. فمنتظر هذا منتظر أمر ممكن ولكنه في غاية الحماقة والجهل، إذ قد لا يمكن ولا يكون.

وأما الخامس: وهو شك فهذا كفر، وعلاجه الأسباب التي تعرفه صدق الرسل وذلك يطول. ولكن يمكن أن يعالج بعلم قريب يليق بحدّ عقله، فيقال له: ما قاله الأنبياء المؤيدون بالمعجزات هل صدقه ممكن أو تقول أعلم أنه محال كما أعلم استحالة كون شخص واحد في مكانين في حالة واحدة؟ فإن قال: أعلم استحالته كذلك فهو أخرق معتوه وكأنه لا وجود لمثل هذا في العقلاء. وإن قال: أنا شاك فيه، فيقال: لو أخبرك شخص واحد مجهول عند تركك طعامك في البيت لحظة أنه ولغت فيه حية وألقت سمها فيه وجوزت صدقه فهل تأكله أو تتركه وإن كان ألذ الأطعمة؟ فيقول: أتركه لا محالة لأني أقول إن كذب فلا يفوتني إلا هذا الطعام، والصبر عنه وإن كان شديدًا فهو قريب، وإن صدق فتفوتني الحياة، والموت بالإضافة إلى ألم الصبر عن الطعام وإضاعته شديد. فيقال له: يا سبحان الله كيف تؤخر صدق الأنبياء كلهم مع ما ظهر لهم من المعجزات وصدق كافة الأولياء والعلماء والحكماء بل جميع أصناف العقلاء، ولست أعني بهم جهال العوام بل ذوي الألباب، عن صدق رجل واحد مجهول لعل له غرضًا فيما يقول؟ فليس في العقلاء إلا من صدّق باليوم الآخر وأثبت ثوابًا وعقابًا وإن اختلفوا في كيفيته، فإن صدقوا فقد أشرفت على عذاب يبقى أبد الآباد، وإن كذبوا فلا يفوتك إلا بعض شهوات هذه الدنيا الفانية المكدّرة. فلا يبقى له توقف إن كان عاقلًا مع هذا الفكر إذ لا نسبة لمدّة العمر إلى أبد الآباد، بل لو قدرنا الدنيا مملوءة بالذرة وقدرنا طائرًا يلتقط في كل ألف ألف سنة حبة واحدة منها لفنيت الذرة ولم ينقص أبدًا الآباد شيئًا، فكيف يفتر رأي العاقل في الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلًا لأجل سعادة تبقى أبد الآباد؟ ولذلك قال أبو العلاء أحمد بن سليمان التنوخي المعرّي:

قال المنجم والطبيب كلاهما ... لا تبعث الأموات قلت إليكما
إن صحّ قولكما فلست بخاسرٍ ... أو صحّ قولي فالخسار عليكما

ولذلك قال علي رضي الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الأمور وكان شاكًا: إن

صح ما قلت فقد تخلصنا جميعًا وإلا فقد تخلصت وهلكت أي العاقل يسلك طريق الأمن في جميع الأحوال.

فإن قلت: هذه الأمور جلية ولكنها ليست تنال إلا بالفكر فما بال القلوب هجرت الفكر فيها واستثقلته؟ وما علاج القلوب لردّها إلى الفكر لا سيما من آمن بأصل الشرع وتفصيله؟ فاعلم أنَّ المانع من الفكر أمران:

أحدهما: أنّ الفكر النافع هو الفكر في عقاب الآخرة وأهوالها وشدائدها وحسرات العاصين في الحرمان عن النعيم المقيم، وهذا فكر لداغ مؤلم للقلب فينفر القلب عنه ويتلذذ بالفكر في أمور الدنيا على سبيل التفرّج والاستراحة.

والثاني: أن الفكر شغل في الحال مانع من لذائذ الدنيا وقضاء الشهوات، وما من إنسان إلا وله في كل حالة من أحواله ونفس من أنفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقته فصار عقله مسخرًا لشهوته فهو مشغول بتدبير حيلته، وصارت لذته في طلب الحيلة فيه أو في مباشرة قضاء الشهوة والفكر يمنعه من ذلك.

وأما علاج هذين المانعين: فهو أن يقول لقلبه ما أشد غباوتك في الاحتراز من الفكر في الموت وما بعده تألمًا بذكره مع استحقار ألم مواقعته، فكيف تصبر على مقاساته إذا وقع وأنت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده ومتألم به؟ وأما الثاني وهو كون الفكر مفوتًا للذات الدنيا؛ فهو أن يتحقق أن فوات لذات الآخرة أشد وأعظم فإنها لا آخر لها ولا كدورة فيها، ولذات الدنيا سريعة الدثور وهي مشوبة بالمكدرات فما فيها لذة صافية عن كدر. وكيف وفي التوبة عن المعاصي والإقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى واستراحة بمعرفته وطاعته وطول الأنس به؟ ولو لم يكن للمطيع جزاء على عمله إلا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الأنس بمناجاة الله تعالى لكان ذلك كافيًا، فكيف بما ينضاف إليه من نعيم الآخرة؟ نعم هذه اللذة لا تكون في ابتداء التوبة ولكنها بعد ما يصبر عليها مدة مديدة وقد صار الخير ديدنًا كما كان الشر ديدنًا، فالنفس قابلة، ما عوّدتها تتعوّد والخير عادة والشر لجاجة.

فإذن هذه الأفكار هي المهيجة للخوف المهيج لقوة الصبر عن اللذات، ومهيج هذه الأفكار وعظ الوعاظ وتنبيهات تقع للقلب بأسباب تتفق لا تدخل في الحصر، فيصير الفكر موافقًا للطبع فيميل القلب إليه.

ويعبر عن السبب الذي أوقع الموافقة بين الطبع والفكر الذي هو سبب الخير بالتوفيق، إذ التوفيق هو التأليف بين الإرادة وبين المعنى الذي هو طاعة نافعة في الآخرة.

وقد روي في حديث طويل: أنه قام عمار بن ياسر فقال لعلي بن أبي طالب كرّم الله وجهه: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الكفر على ماذا بني؟ فقال علي رضي الله عنه: بني على أربع دعائم: على الجفاء والعمى والغفلة والشك، فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت

العلماء، ومن عمي نسي الذكر، ومن غفل حاد عن الرشد، ومن شك غرّته الأماني فأخذته الحسرة والندامة وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب. فما ذكرناه بيان لبعض آفات الغفلة عن التفكر وهذا القدر في التوبة كاف. وإذا كان الصبر ركنًا من أركان دوام التوبة فلا بدّ من بيان الصبر فنذكره في كتاب مفرد إن شاء الله تعالى.

* * *

كتاب الصبر والشكر

وهو الكتاب الثاني من ربع المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أهل الحمد والثناء، المنفرد برداء الكبرياء، المتوحد بصفات المجد والعلاء، المؤيد صفوة الأولياء بقوّة الصبر على السراء والضراء والشكر على البلاء والنعماء، والصلاة على محمد سيد الأنبياء وعلى أصحابه سادة الأصفياء وعلى آله قادة البررة الأتقياء صلاة محروسة بالدوام عن الفناء، ومصونة بالتعاقب عن التصرم والانقضاء.

أما بعد: فإن الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر [1] كما وردت به الآثار وشهدت له الأخبار. وهما أيضًا وصفان من أوصاف الله تعالى واسمان من أسمائه الحسنى إذ سمى نفسه صبورًا وشكورًا، فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطري الإيمان ثم هو غفلة عن وصفين من أوصاف الرحمن ولا سبيل إلى الوصول إلى القرب من الله تعالى إلا بالإيمان، وكيف يتصور سلوك سبيل الإيمان دون معرفة ما به الإيمان ومن به الإيمان؟ والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به الإيمان وعن إدراك ما به الإيمان، فما أحوج كلا الشطرين إلى الإيضاح والبيان. ونحن نوضح كلا الشطرين في كتاب واحد لارتباط أحدهما بالآخر إن شاء الله تعالى.

الشطر الأول: في الصبر وفيه بيان فضيلة الصبر، وبيان حده وحقيقته، وبيان كونه نصف الإيمان وبيان اختلاف أساميه باختلاف متعلقاته، وبيان أقسامه بحسب اختلاف القوّة والضعف، وبيان مظان الحاجة إلى الصبر، وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه. فهي سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده إن شاء الله تعالى.

بيان فضيلة الصبر:

وقد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعًا، وأضاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة:٢٤] وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف:١٣٧] وقال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٦] وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾

---

(١) حديث «الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر». أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ويزيد ضعيف.

[القصص:٥٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠] فما من قربة إلا وأجرها بتقدير وحساب إلا الصبر، ولأجل كون الصوم من الصبر وأنه نصف الصبر قال الله تعالى: «الصوم لي وأنا أجزي به» فأضافه إلى نفسه من بين سائر العبادات ووعد الصابرين بأنه معهم فقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦] وعلق النصرة على الصبر فقال تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران:١٢٥] وجمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٧] فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين. واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول.

وأما الأخبار فقد قال ﷺ: «الصَّبْرُ نِصْفُ الإيمَانِ» (١) على ما سيأتي وجه كونه نصفًا وقال ﷺ: «مِنْ أَقَلِّ ما أُوتِيتُمْ اليَقِينُ وَعَزِيمَةُ الصَّبْرِ وَمَنْ أُعْطِيَ حَظَّه مِنْهُمَا لَمْ يُبَالِ بِمَا فَاتَهُ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَصِيَامِ النَّهَارِ، وَلأَن تَصْبِرُوا عَلَىَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُوَافِيَنِي كُلُّ امْرِىءٍ مِنْكُمْ بِمِثْلِ عَمَلِ جَمِيعِكُمْ وَلَكِنِّي أَخَافُ أَنْ تُفْتَحَ عَلَيْكُم الدُّنْيَا بَعْدِي فَيُنْكِرَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَيُنْكِرَكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ عِنْدَ ذَلِكَ، فَمَنْ صَبَرَ وَاحْتَسَبَ ظَفِرَ بِكَمَالِ ثَوَابِهِ ثم قرأ قوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم﴾ [النحل:٩٦] (٢)، الآية. وروى جابر أنه سأل ﷺ عن الإيمان فقال: «الصَّبْرُ والسَّمَاحَةُ» (٣)، وقال أيضًا: «الصَّبْرُ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ» (٤)، وسئل مرة: «ما الإيمان؟ فقال: الصبر» (٥) وهذا يشبه قوله ﷺ: «الحَجُّ عَرَفَةُ» (٦) معناه معظم الحج عرفة وقال أيضًا ﷺ: «أَفْضَلُ الأَعْمَالِ ما أُكْرِهَتْ عَلَيْهِ النُّفُوسُ» (٧) وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: تخلق بأخلاقي وإن من أخلاقي أني أنا الصبور. وفي حديث عطاء

---

(١) حديث «الصبر نصف الإيمان». أخرجه أبو نعيم والخطيب من حديث ابن مسعود وتقدم في الصوم. [انظر صحيح الترغيب: ٣٣٩٧، وقال الألباني: صحيح موقوف عن علقمة، وضعيف الجامع: ٣٥٣٦، وضعف رفعه عن ابن مسعود].

(٢) حديث «من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر». بطوله تقدم في العلم مختصرا ولم أجده هكذا بطوله.

(٣) صحيح: حديث جابر: سئل عن الإيمان فقال «الصبر والسماحة». أخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق وابن حبان في الضعفاء وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر ضعيف ورواه الطبراني في الكبير من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده. [انظر السلسلة الصحيحة: ٥٥٤].

(٤) حديث «الصبر كنز من كنوز الجنة». غريب لم أجده.

(٥) ضعيف جداً: حديث: سئل مرة عن الإيمان فقال «الصبر». أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعا «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد» ويزيد ضعيف. [انظر ضعيف الجامع: ٣٥٣٥].

(٦) صحيح: حديث «الحج عرفة». تقدم في الحج. [الترمذي: ٨٨٩، والنسائي: ٣٠١٦، وانظر المشكاة: ٢٧١٤].

(٧) حديث «أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس». لا أصل له مرفوعا وإنما هو من قول عمر بن عبد العزيز هكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب محاسبة النفس.

عن ابن عباس: لما دخل رسول الله ﷺ على الأنصار فقال: «أمؤمنون أنتم» ؟ فسكتوا، فقال عمر: نعم يا رسول الله. قال: «وما علامة إيمانكم» ؟ قالوا: نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء، فقال ﷺ: «مؤمنون ورب الكعبة» (١)، وقال ﷺ: «فِي الصَّبْرِ عَلَى ما تَكْرَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ» (٢)، وقال المسيح عليه السلام: إنكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون.

وقال رسول الله ﷺ: «لو كان الصبر رجلًا لكان كريمًا والله يحب الصابرين» (٣)، والأخبار في هذا لا تحصى.

وأما الآثار: فقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري: عليك بالصبر واعلم أن الصبر صبران أحدهما أفضل من الآخر. الصبر في المصيبات حسن وأفضل منه الصبر عما حرم الله تعالى. واعلم أن الصبر ملاك الإيمان وذلك بأن التقوى أفضل البر والتقوى بالصبر.

وقال علي كرم الله وجهه: بني الإيمان على أربع دعائم: اليقين والصبر والجهاد والعدل. وقال أيضًا: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له. وكان عمر رضي الله عنه يقول: نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين؛ يعني بالعدلين الصلاة والرحمة، وبالعلاوة الهدى. والعلاوة ما يحمل فوق العدلين على البعير، وأشار به إلى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة :١٥٧] وكان حبيب بن أبي حبيب إذا قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:٤٤] بكى وقال: واعجباه أعطى وأثنى أي هو المعطي للصبر وهو المثني. وقال أبو الدرداء: ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر. هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل، وأما من حيث النظر بعين الاعتبار فلا تفهمه إلا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه، إذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل قبل معرفة الموصوف، فلنذكر حقيقته ومعناه وبالله التوفيق.

بيان حقيقة الصبر ومعناه:

اعلم أن الصبر مقام من مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين، وجميع مقامات الدين إنما تنتظم من ثلاثة أمور: معارف وأحوال وأعمال. فالمعارف هي الأصول وهي تورث

---

(١) حديث عطاء عن ابن عباس: دخل على الأنصار فقال «أمؤمنون أنتم؟ » فسكتوا، فقال عمر: نعم يا رسول الله». أخرجه الطبراني في الأوسط من رواية يوسف بن ميمون وهو منكر الحديث عن عطاء.

(٢) صحيح: حديث «في الصبر على ما تكره خير كثير». أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس وقد تقدم. [الترمذي: ٢٥٠٧ عن شيخ من أصحاب النبي ﷺ يرى شعبة أنه ابن عمر، وانظر صحيح الترمذي].

(٣) ضعيف: حديث «لو كان الصبر رجلا لكان كريما». أخرجه الطبراني من حديث عائشة وفيه صبيح بن دينار ضعفه العقيلي. [انظر ضعيف الجامع: ٤٨٣٢].

الأحوال والأحوال تثمر الأعمال فالمعارف كالأشجار، والأحوال كالأغصان، والأعمال كالثمار. وهذا مطرد في جميع منازل السالكين إلى الله تعالى.

واسم الإيمان تارة يختص بالمعارف وتارة يطلق على الكل ـ كما ذكرناه في اختلاف اسم الإيمان والإسلام في قواعد العقائد ـ وكذلك الصبر لا يتم إلا بمعرفة سابقة وبحالة قائمة. فالصبر على التحقيق عبارة عنها والعمل هو كالثمرة يصدر عنها، ولا يعرف هذا إلا بمعرفة كيفية الترتيب بين الملائكة والإنس والبهائم. فإن الصبر خاصية الإنس ولا يتصور ذلك في البهائم والملائكة. أما في البهائم فلنقصانها. وأما في الملائكة فلكمالها.

وبيانه أن البهائم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها فلا باعث لها على الحركة والسكون إلا الشهوة، وليس فيها قوّة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوّة في مقابلة مقتضى الشهوة صبرًا.

وأما الملائكة عليهم السلام؛ فإنهم جرّدوا للشوق إلى حضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم تسلط عليهم شهوة صارفة صادة عنها حتى يحتاج إلى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجند آخر يغلب الصوارف.

وأما الإنسان؛ فإنه خلق في ابتداء الصبا ناقصًا مثل البهيمة لم يخلق فيه إلا شهوة الغذاء الذي هو محتاج إليه، ثم تظهر فيه شهوة اللعب والزينة، ثم شهوة النكاح، على الترتيب، وليس له قوّة الصبر البتة؛ إذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما، وليس في الصبي إلا جند الهوى كما في البهائم، ولكنّ الله تعالى بفضله وسعة جوده أكرم بني آدم ورفع درجتهم عن درجة البهائم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين؛ أحدهما يهديه، والآخر يقويه، فتميز بمعونة الملكين عن البهائم واختص بصفتين: إحداهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله، ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي إليه الهداية والتعريف. فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية إلى مصلحة العواقب بل إلى مقتضى شهواتها في الحال فقط، فلذلك لا تطلب إلا اللذيذ. وأما الدواء النافع مع كونه مضرًا في الحال فلا تطلبه ولا تعرفه، فصار الإنسان بنور الهداية يعرف أن اتباع الشهوات له مغبات مكروهة في العاقبة، ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر، فكم من مضر يعرفه الإنسان كالمرض النازل به مثلًا ولكن لا قدرة له على دفعه؟ فافتقر إلى قدرة وقوة يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه، فوكل الله تعالى به ملكًا آخر يسدده ويؤيده ويقويه بجنود لم تروها، وأمر هذا الجند بقتال جند الشهوة، فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى ذلك بحسب إمداد الله تعالى عبده بالتأييد، كما أن نور الهداية أيضًا يختلف في الخلق اختلافًا لا ينحصر.

فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الإنسان البهائم في قمع الشهوات وقهرها: باعثًا دينيًا،

ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها: باعث الهوى. وليفهم أن القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد.

ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى، ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لأعداء الله تعالى. فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة. فإن ثبت حتى قهره واستمرّ على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين، وإن تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق بأتباع الشياطين.

فإذن ترك الأفعال المشتهاة عمل يثمره حال يسمى: الصبر، وهو ثبات باعث الدين الذي هو في مقابلة باعث الشهوة.

وثبات باعث الدين حال تثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضاداتها لأسباب السعادات في الدنيا والآخرة.

فإذا قوي يقينه ـ أعني المعرفة التي تسمى إيمانًا وهو اليقين بكون الشهوة عدوًا قاطعًا لطريق الله تعالى ـ قوي ثبات باعث الدين، وإذا قوي ثباته تمت الأفعال على خلاف ما تتقاضاه الشهوة، فلا يتم ترك الشهوة إلا بقوّة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة.

وقوة المعرفة والإيمان تقبح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها. وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجندين بإذن الله تعالى وتسخيره إياهما وهما من الكرام الكاتبين وهما الملكان الموكلان بكل شخص من الآدميين. وإذا عرفت أن رتبة الملك الهادي أعلى من رتبة الملك المقوّي لم يخف عليك أنّ جانب اليمين هو أشرف الجانبين من جنبتي الدست، الذي ينبغي أن يكون مسلمًا له. فهو إذن صاحب اليمين والآخر صاحب الشمال.

وللعبد طوران في الغفلة والفكر وفي الاسترسال والمجاهدة. فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسيء إليه فيكتب إعراضه سيئة، وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب إقباله له حسنة.

وكذا بالاسترسال هو معرض عن صاحب اليسار تارك للاستمداد منه فهو به مسيء إليه فيثبت عليه سيئة، وبالمجاهدة مستمدّ من جنوده فيثبت له به حسنة.

وإنما ثبتت هذه الحسنات والسيئات بإثباتهما فلذلك سميا كرامًا كاتبين. أما الكرام فلانتفاع العبد بكرمهما ولأن الملائكة كلهم كرام بررة، وأما الكاتبون فلإثباتهما الحسنات والسيئات، وإنما يكتبان في صحائف مطوية في سر القلب، ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم، فإنهما وكتبتهما وخطهما وصحائفهما وجملة ما تعلق بهما من جملة عالم الغيب والملكوت لا من عالم الشهادة، وكل شيء من عالم الملكوت لا تدركه الأبصار في هذا العالم، ثم تنشر هذه الصحائف المطوية عنه مرتين: مرة في القيامة الصغرى ومرة في القيامة الكبرى، وأعني بالقيامة الصغرى حالة الموت، إذ قال ﷺ: «من مات فقد

قامت قيامته»[(١)]، وفي هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[الأنعام:٩٤] وفيها يقال: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[الإسراء:١٤] أما في القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق فلا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملأ من الخلق، وفيها يساق المتقون إلى الجنة والمجرمون إلى النار زمرًا لا آحادًا. والهول الأول هو هول القيامة الصغرى. ولجميع أهوال القيامة الكبرى نظير في القيامة الصغرى مثل زلزلة الأرض مثلًا فإن أرضك الخاصة بك تزلزل في الموت، فإنك تعلم أن الزلزلة إذا نزلت ببلدة صدق أن يقال قد زلزلت أرضهم وإن لم تزلزل البلاد المحيطة بها، بل لو زلزل مسكن الإنسان وحده فقد حصلت الزلزلة في حقه، لأنه إنما يتضرر عند زلزلة جميع الأرض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره، فحصته من الزلزلة قد توفرت من غير نقصان. واعلم أنك أرضى مخلوق من التراب، وحظك الخاص من التراب بدنك فقط، فأما بدن غيرك فليس بحظك، والأرض التي أنت جالس عليها بالإضافة إلى بدنك ظرف ومكان وإنما تخاف من تزلزله أن يتزلزل بدنك بسببه، وإلا فالهواء أبدًا متزلزل وأنت لا تخشاه إذ ليس يتزلزل به بدنك، فحظك من زلزلة الأرض كلها زلزلة بدنك فقط، فهي أرضك وترابك الخاص بك، وعظامك جبال أرضك، ورأسك سماء أرضك، وقلبك شمس أرضك، وسمعك وبصرك وسائر حواصك نجوم سمائك، ومفيض العرق من بدنك بحر أرضك، وشعورك نبات أرضك، وأطرافك أشجار أرضك، وهكذا إلى جميع أجزائك، فإذا انهدم بالموت أركان بدنك فقد زلزلت الأرض زلزالها، فإذا انفصلت العظام من اللحوم فقد حملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة، فإذا رمت العظام فقد نسفت الجبال نسفًا، فإذا أظلم قلبك عند الموت فقد كوّرت الشمس تكويرًا، فإذا بطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارًا، فإذا انشق دماغك فقد انشقت السماء انشقاقًا، فإذا انفجرت من هول الموت عرق جبينك فقد فجرت البحار تفجيرًا، فإذا التفت إحدى ساقيك بالأخرى وهما مطيتاك فقد عطلت العشار تعطيلًا، فإذا فارقت الروح الجسد فقد حملت الأرض فمدّت حتى ألقت ما فيها وتخلت، ولست أطول بجميع موازنة الأحوال والأهوال ولكني أقول بمجرّد الموت تقوم عليك هذه القيامة الصغرى، ولا يفوتك من القيامة الكبرى شيء مما يخصك بل ما يخص غيرك. فإن بقاء الكواكب في حق غيرك ماذا ينفعك وقد انتثرت حواسك التي بها تنتفع بالنظر إلى الكواكب، والأعمى يستوي عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها لأنها قد كسفت في حقه دفعة واحدة، وهو حصته منها فالانجلاء بعد ذلك حصة غيره، ومن انشق رأسه فقد انشقت

---

(١) ضعيف: حديث من مات فقد قامت قيامته». أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث أنس بسند ضعيف. [انظر السلسلة الضعيفة: ١١٦٦].

سماؤه إذ السماء عبارة عما يلي جهة الرأس فمن لا رأس له لا سماء له فمن أين ينفعه بقاء السماء لغيره؟ فهذه هي القيامة الصغرى. والخوف بعد أسفل والهول بعد مؤخر وذلك إذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السموات والأرض ونسفت الجبال ونمت الأهوال.

واعلم أن هذه الصغرى وإن طوّلنا في وصفها فإنا لم نذكر عشير أوصافها وهي بالنسبة إلى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة إلى الولادة الكبرى؛ فإن للإنسان ولادتين:

إحداهما: الخروج من الصلب والترائب إلى مستودع الأرحام فهو في الرحم في قرار مكين إلى قدر معلوم، وله في سلوكه إلى الكمال منازل وأطوار من نطفة وعلقة ومضغة وغيرها إلى أن يخرج من مضيق الرحم إلى فضاء العالم. فنسبة عموم القيامة الكبرى إلى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم إلى سعة فضاء الرحم، ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه العبد بالموت إلى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا أيضًا إلى الرحم، بل أوسع وأعظم. فقس الآخرة بالأولى فما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة.

وما النشأة الثانية إلا على قياس النشأة الأولى بل أعداد النشآت ليست محصورة في اثنتين. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة:٦١] فالمقرّ بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والملكوت. والمقرّ بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء إلى أحد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والاقتداء بالأعور الدجال.

فما أعظم غفلتك يا مسكين - وكلنا ذلك المسكين - وبين يديك هذه الأهوال فإن كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال أفلا تكفيك دلالة القيامة الصغرى؟ أو ما سمعت قول سيد الأنبياء: «كَفَى بِالمَوْتِ وَاعِظًا» (١) أو ما سمعت بكربه عليه السلام عند الموت حتى قال ﷺ: «اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَى مُحَمَّدٍ سَكَرَاتِ المَوْتِ» (٢)، أو ما تستحي من استبطائك هجوم الموت اقتداء برعاع الغافلين الذين لا ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون؟ فيأتيهم المرض نذيرًا من الموت فلا ينزجرون ويأتيهم الشيب رسولًا منه فما يعتبرون فيا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون، أفيظنون أنهم في الدنيا خالدون؟ ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا

---

(١) ضعيف جداً: حديث «كفى بالموت واعظا». أخرجه البيهقي في الشعب من حديث عائشة وفيه الربيع بن بدر ضعيف ورواه الطبراني من حديث عقبة بن عامر وهو معروف من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقي في الزهد. [انظر السلسلة الضعيفة: ٥٠٢].

(٢) ضعيف: حديث «اللهم هون على محمد سكرات الموت». أخرجه الترمذي وقال غريب والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث عائشة بلفظ «اللهم أعني على سكرات الموت».[انظر الترمذي: ٩٧٨، وابن ماجه: ١٦٢٣، وانظر ضعيف الترمذي].

يَرْجِعُونَ﴾ [يس:٣١] أم يحسبون أنّ الموتى سافروا من عندهم فهم معدومون كلا ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس:٣٢] ولكن ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [يس: ٤٦] وذلك لأنا ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس:٩-١٠].

ولنرجع إلى الغرض فإن هذه تلويحات تشير إلى أمور هي أعلى من علوم المعاملة فنقول: قد ظهر أن الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى، وهذه المقاومة من خاصة الآدميين لما وكل بهم من الكرام الكاتبين ولا يكتبان شيئًا على الصبيان والمجانين، إذ قد ذكرنا أن الحسنة في الإقبال على الاستفادة منهما والسيئة في الإعراض عنهما، وما للصبيان والمجانين سبيل إلى الاستفادة فلا يتصوّر منهما إقبال وإعراض، وهما لا يكتبان إلا الإقبال والإعراض من القادرين على الإقبال والإعراض.

ولعمري إنه قد تظهر مبادىء إشراق نور الهداية عند سنّ التمييز وتنمو على التدريج إلى سنّ البلوغ كما يبدو نور الصبح إلى أن يطلع قرص الشمس، ولكنها هداية قاصرة لا ترشد إلى مضارّ الآخرة بل إلى مضارّ الدنيا، فلذلك يضرب على ترك الصلوات ناجزًا ولا يعاقب على تركها في الآخرة، ولا يكتب عليه من الصحائف ما ينشر في الآخرة، بل على القيم العدل والولي البر الشفيق - إن كان من الأبرار وكان على سمت الكرام الكاتبين البررة الأخيار - أن يكتب على الصبي سيئته وحسنته على صحيفة قلبه، فيكتبه عليه بالحفظ ثم ينشره عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه بالضرب.

فكل ولي هذا سمته في حق الصبي فقد ورث أخلاق الملائكة واستعملها في حق الصبي.

فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته الملائكة فيكون مع النبيين والمقرّبين والصدّيقين، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ كَهاتَيْنِ فِي الجَنَّةِ»[1]، وأشار إلى أصبعيه الكريمتين ﷺ.

بيان كون الصبر نصف الإيمان:

اعلم أنّ الإيمان تارة يختص في إطلاقه بالتصديقات بأصول الدين وتارة يختص بالأعمال الصالحة الصادرة منها وتارة يطلق عليهما جميعًا، وللمعارف أبواب وللأعمال أبواب، ولاشتمال لفظ الإيمان على جميعها كان الإيمان نيفًا وسبعين بابًا.

واختلاف هذه الإطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات.

ولكن الصبر نصف الإيمان باعتبارين وعلى مقتضى إطلاقين:

---

(١) صحيح: حديث «أنا وكافل اليتيم كهاتين». أخرجه البخاري من حديث سهل بن سعد وتقدم. [البخاري: ٥٣٠٤].

أحدهما: أن يطلق على التصديقات والأعمال جميعًا.

فيكون للإيمان ركنان: أحدهما: اليقين.

والآخر: الصبر. والمراد باليقين. المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده إلى أصول الدين.

والمراد بالصبر: العمل بمقتضى اليقين إذ اليقين يعرفه أن المعصية ضارّة والطاعة نافعة، ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل.

فيكون الصبر نصف الإيمان بهذا الاعتبار. ولهذا جمع رسول الله ﷺ بينهما فقال: «مِنْ أَقَلِّ ما أُوتِيتُمْ اليَقِينُ وَعَزِيمَةُ الصَّبْرِ...» الحديث إلى آخره.

الاعتبار الثاني: أن يطلق على الأحوال المثمرة للأعمال لا على المعارف، وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقيه العبد إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره فيهما، وله بالإضافة إلى ما يضره حال الصبر، وبالإضافة إلى ما ينفعه حال الشكر.

فيكون الشكر أحد شطري الإيمان بهذا الاعتبار كما أن اليقين أحد الشطرين بالاعتبار الأوّل.

وبهذا النظر قال ابن مسعود رضي الله عنه: الإيمان نصفان، نصف صبر ونصف شكر. وقد يرفع أيضًا إلى رسول الله ﷺ.

ولما كان الصبر صبرًا عن باعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين، باعث من جهة الشهوة، وباعث من جهة الغضب؛ فالشهوة لطلب اللذيذ والغضب للهرب من المؤلم، وكان الصوم صبرًا عن مقتضى الشهوة فقط وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب: قال ﷺ بهذا الاعتبار: «الصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْرِ» لأن كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعًا، فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الإيمان.

فهكذا ينبغي أن تفهم تقديرات الشرع بحدود الأعمال والأحوال ونسبتها إلى الإيمان: والأصل فيه أن تعرف كثرة أبواب الإيمان فإن اسم الإيمان يطلق على وجوه مختلفة.

بيان الأسامي التي تتعدد للصبر بالإضافة الى ما عنه الصبر:

اعلم أن الصبر ضربان: أحدهما: ضرب بدني، كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها.

وهو إما بالفعل: كتعاطي الأعمال الشاقة إما من العبادات أو من غيرها.

وإما بالاحتمال: كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة. وذلك قد يكون محمودًا إذا وافق الشرع.

ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر: وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع

ومقتضيات الهوى. ثم هذا الضرب إن كان صبرًا على شهوة البطن والفرج سمي عفة، وإن كان على احتمال مكروه اختلفت أساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر.

فإن كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر، وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع وهو إطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها.

وإن كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس، وتضاده حالة تسمى البطر.

وإن كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن.

وإن كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلمًا ويضاده التذمر.

وإن كان في نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمي سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر.

وإن كان في إخفاء كلام سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتومًا.

وإن كان عن فضول العيش سمي زهدًا ويضاده الحرص.

وإن كان صبرًا على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشره فأكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر. ولذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الإيمان قال: «هو الصبر» لأنه أكثر أعماله وأعزها كما قال: «الحج عرفة»[1]، وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك وسمى الكل صبرًا فقال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ﴾ أي المصيبة. ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ أي الفقر ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ أي المحاربة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧] فإذن هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها، ومن يأخذ المعاني من الأسامي يظن أنّ هذه الأحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها من حيث رأى الأسامي مختلفة، والذي يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله تعالى يلحظ المعاني أوّلًا فيطلع على حقائقها ثم يلاحظ الأسامي فإنها وضعت دالة على المعاني.

فالمعاني هي الأصول والألفاظ هي التوابع.

ومن يطلب الأصول من التوابع لا بدّ وأن يزل.

وإلى الفريقين الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك:٢٢] فإن الكفار لم يغلطوا فيما غلطوا فيه إلا بمثل هذه الانعكاسات، نسأل الله حسن التوفيق بكرمه ولطفه.

بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف:

اعلم أنّ باعث الدين بالإضافة إلى باعث الهوى له ثلاثة أحوال:

---

(١) صحيح: حديث «الحج عرفة». أخرجه أصحاب السنن من حديث عبد الرحمن بن يعمر وتقدم في الحج. [الترمذي: ٨٨٩، والنسائي: ٣٠١٦، وابن ماجه: ٣٠١٥، وانظر المشكاة: ٢٧١٤].

أحدها: أن يقهر داعي الهوى فلا تبقى له قوّة المنازعة ويتوصل إليه بدوام الصبر، وعند هذا يقال من صبر ظفر.

والواصلون إلى هذه الرتبة هم الأقلون فلا جرم هم الصدّيقون المقربون ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠] فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى باعث الدين.

وإياهم ينادي المنادي ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨].

الحالة الثانية: أن تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه إلى جند الشياطين، ولا يجاهد ليأسه من المجاهدة، وهؤلاء هم الغافلون وهم الأكثرون، وهم الذين استرقتهم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم فحكموا أعداء الله في قلوبهم التي هي سر من أسرار الله تعالى وأمر من أمور الله.

وإليهم الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَـٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣] وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فخسرت صفقتهم، وقيل لمن قصد إرشادهم: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [النجم: ٢٩-٣٠] وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالأماني وهو غاية الحمق كما قال ﷺ: «الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ وَالأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ» (١)، وصاحب هذه الحالة إذا وعظ قال: أنا مشتاق إلى التوبة ولكنها قد تعذرت علي فلست أطمع فيها، أو لم يكن مشتاقًا إلى التوبة ولكن قال: إنّ الله غفور رحيم كريم فلا حاجة به إلى توبتي.

وهذا المسكين قد صار عقله رقيقًا لشهوته، فلا يستعمل عقله إلا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل إلى قضاء شهوته، فقد صار عقله في يد شهواته كمسلم أسير في أيدي الكفار فهم يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها، ومحله عند الله تعالى محل من يقهر مسلمًا ويسلمه إلى الكفار ويجعله أسيرًا عندهم، لأنه بفاحش جنايته يشبه أنه سخر ما كان حقه أن لا يستسخر، وسلط ما حقه أن لا يتسلط عليه، وإنما استحق المسلم أن يكون متسلطًا لما فيه من معرفة الله وباعث الدين وإنما استحق الكافر أن يكون مسلطًا عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه أوجب من حق غيره عليه.

فمهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وجند الملائكة للمعنى الخسيس

---

(١) ضعيف: حديث «الكيس من دان نفسه». تقدم في ذم الغرور. [الترمذي: ٢٤٥٩، وابن ماجه: ٢٤٦٠، وانظر ضعيف الترغيب: ١٩٥٩].

الذي هو من حزب الشياطين المبعدين عن الله تعالى كان كمن أرق مسلمًا لكافر، بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه فأخذ أعز أولاده وسلمه إلى أبغض أعدائه، فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستيجابه لنقمته لأن الهوى أبغض إله عبد في الأرض عند الله تعالى والعقل أعز موجود خلق على وجه الأرض.

الحالة الثالثة: أن يكون الحرب سجالًا بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه، وهذا من المجاهدين يعد مثله لا من الظافرين، وأهل هذه الحالة هم الذين ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢] هذا باعتبار القوّة والضعف.

ويتطرّق إليه أيضًا ثلاثة أحوال باعتبار عدد ما يصبر عنه: فإنه إما أن يغلب جميع الشهوات أو لا يغلب شيئًا منها، أو يغلب بعضها دون بعض.

وتنزيل قوله تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ على من عجز عن بعض الشهوات دون بعض أولى.

والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقًا يشبهون بالأنعام بل هم أضل سبيلًا، إذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها تجاهد مقتضى الشهوات، وهذا قد خلق ذلك له وعطله فهو الناقص حقًا المدبر يقينًا، ولذلك قيل:

ولم أرَ في عيوب الناس عيبًا ... كنقصِ القادرين على التمامِ

وينقسم الصبر أيضًا باعتبار اليسر والعسر إلى ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه إلا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبرًا، وإلى ما يكون من غير شدة تعب بل يحصل بأدنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر.

وإذا دامت التقوى وقوي التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر ولذلك قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝﴾ [الليل: ٥-٧] ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره، فإنّ الرجل القوي يقدر على أن يصرع الضعيف بأدنى حملة وأيسر قوّة بحيث لا يلقاه في مصارعته إعياء ولا لغوب ولا تضطرب فيه نفسه ولا ينبهر.

ولا يقوى على أن يصرع الشديد إلا بتعب ومزيد جهد وعرق جبين.

فهكذا تكون المصارعة بين باعث الدين وباعث الهوى فإنه على التحقيق صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين. ومهما أذعنت الشهوات وانقمعت وتسلط باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول المواظبة أورث ذلك مقام الرضا ــ كما سيأتي في كتاب الرضا ــ فالرضا أعلى من الصبر، ولذلك قال ﷺ: «اعْبُدِ اللَّهَ عَلَى الرِّضَا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَفِي الصَّبْرِ عَلَى ما تَكْرَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ» (١).

---

(١) حديث «اعبد الله على الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير». أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس وقد تقدم. [أحمد: ٢٨٠٠ عن ابن عباس، وليس فيه «اعبد الله على الرضا» ولم أقف عليه عند الترمذي].

وقال بعض العارفين: أهل الصبر على ثلاثة مقامات:

أوّلها: ترك الشهوة وهذه درجة التائبين.

وثانيها: الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين.

وثالثها: المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصدّيقين.

وسنبين في كتاب المحبة أنّ مقام المحبة أعلى من مقام الرضا، كما أنّ مقام الرضا أعلى من مقام الصبر. وكأن هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على المصائب والبلايا.

واعلم أنّ الصبر أيضًا ينقسم باعتبار حكمه إلى فرض ونفل ومكروه ومحرم. فالصبر عن المحظورات فرض. وعلى المكاره نفل.

والصبر على الأذى المحظور محظور كمن تقطع يده أو يد ولده وهو يصبر عليه ساكتًا. وكمن يقصد حريمه بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيصبر عن إظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على أهله فهذا الصبر محرم. والصبر المكروه هو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة في الشرع فليكن الشرع محك الصبر. فكون الصبر نصف الإيمان لا ينبغي أن يخيل إليك أنّ جميعه محمود بل المراد به أنواع من الصبر مخصوصة.

بيان مظانّ الحاجة الى الصبر وأن العبد لا يستغني عنه في حال من الأحوال:

اعلم أنّ جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين:

أحدهما: هو الذي يوافق هواه.

والآخر: هو الذي لا يوافقه بل يكرهه. وهو محتاج إلى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الأحوال لا يخلو عن أحد هذين النوعين أو عن كليهما. فهو إذن لا يستغني قط عن الصبر.

النوع الأول: ما يوافق الهوى: وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الأسباب وكثرة الأتباع والأنصار وجميع ملاذ الدنيا.

وما أحوج العبد إلى الصبر على هذه الأمور فإنه إن لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون إليها والانهماك في ملاذها المباحة منها أخرجه ذلك إلى البطر والطغيان، فإن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى حتى قال بعض العارفين: البلاء يصبر عليه المؤمن، والعوافي لا يصبر عليها إلا صدّيق.

وقال سهل: الصبر على العافية أشدّ من الصبر على البلاء ولما فتحت أبواب الدنيا على الصحابة رضي الله عنهم قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر، ولذلك حذر الله عباده من فتنة المال.

والزوج والولد فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [المنافقون: ٩] وقال عز وجل: ﴿إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾ [التغابن: ١٤] وقال ﷺ: «الْوَلَدُ مَبْخَلَةٌ مجْبَنَةٌ مَحْزَنَةٌ» (١).

ولما نظر عليه السلام إلى ولده الحسن رضي الله عنه يتعثر في قميصه نزل عن المنبر واحتضنه ثم قال: «صَدَقَ اللَّهُ ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ [التغابن: ١٥] إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ ابْنِي يَتَعَثَّرُ لَم أَمْلِك نَفْسِي أَنْ أَخَذْتُهُ» (٢)، ففي ذلك عبرة لأولي الأبصار.

فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية، ومعنى الصبر عليها أن لا يركن إليها ويعلم أن كل ذلك مستودع عنده وعسى أن يسترجع على القرب وأن لا يرسل نفسه في الفرح بها ولا ينهمك في التنعم واللذة واللهو واللعب، وأن يرعى حقوق الله في ماله بالإنفاق وفي بدنه ببذل المعونة للخلق وفي لسانه ببذل الصدق، وكذلك في سائر ما أنعم الله به عليه وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم إلا بالقيام بحق الشكر ــ كما سيأتي ــ وإنما كان الصبر على السراء أشدّ لأنه مقرون بالقدرة ومن العصمة أن لا تقدر، والصبر على الحجامة والفصد إذا تولاه غيرك أيسر من الصبر على فصدك نفسك وحجامتك نفسك؛ والجائع عند غيبة الطعام أقدر على الصبر منه إذا حضرته الأطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها، فلهذا عظمت فتنة السراء.

النوع الثاني: ما لا يوافق الهوى والطبع، وذلك لا يخلو إما أن يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي، أو لا يرتبط باختياره كالمصائب والنوائب. أو لا يرتبط باختياره ولكن له اختيار في إزالته كالتشفي من المؤذي بالانتقام منه فهذه ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يرتبط باختياره وهو سائر أفعاله التي توصف بكونها طاعة أو معصية وهما ضربان:

الضرب الأوّل: الطاعة، والعبد يحتاج إلى الصبر عليها، فالصبر على الطاعة شديد لأن النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية، ولذلك قال بعض العارفين: ما من نفس إلا وهي مضمرة ما أظهره فرعون من قوله ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] ولكن فرعون وجد له مجالًا وقبولًا فأظهره إذ استخف قومه فأطاعوه، وما من أحد إلا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه وأتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته، وإن كان ممتنعًا من إظهاره فإن استشاطته وغيظه عند تقصيرهم في خدمته واستبعاده ذلك ليس يصدر إلا عن إضمار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء.

---

(١) صحيح: حديث «الولد مجبنة مبخلة محزنة». أخرجه أبو يعلى الموصلي من حديث أبي سعيد وتقدم. [ابن ماجه: ٣٦٦٦، وانظر صحيح الجامع: ١٩٩٠].

(٢) صحيح: حديث «لما نظر إلى ابنه الحسن يتعثر في قميصه نزل عن المنبر». أخرجه أصحاب السنن من حديث بريدة وقالوا الحسن والحسين وقال الترمذي حسن غريب. [أبو داود: ١١٠٩، والترمذي: ٣٧٧٤، وابن ماجه: ٣٦٠٠، والنسائي: ١٤١٣، وانظر صحيح أبي داود].

فإذن العبودية شاقة على النفس مطلقًا.

ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة.

ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة. ومنها ما يكره بسببهما جميعًا كالحج والجهاد. فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد.

ويحتاج المطيع إلى الصبر على طاعته في ثلاث أحوال:

الأولى: قبل الطاعة، وذلك في تصحيح النية والإخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات وعقد العزم على الإخلاص والوفاء.

وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والإخلاص وآفات الرياء ومكائد النفس. وقد نبه عليه صلوات الله عليه إذ قال: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى»[(١)]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥] ولهذا قدم الله تعالى الصبر على العمل فقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [هود:١١].

الحالة الثانية: حالة العمل، كي لا يغفل عن الله في أثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ويدوم على شرط الأدب إلى آخر العمل الأخير فيلازم الصبر عن دواعي الفتور إلى الفراغ، وهذا أيضًا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى: ﴿نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ۝ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ [العنكبوت: ٥٨-٥٩] أي صبروا إلى تمام العمل.

الحالة الثالثة: بعد الفراغ من العمل، إذ يحتاج إلى الصبر عن إفشائه والتظاهر به للسمعة والرياء والصبر عن النظر إليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط أثره كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد:٣٣] وكما قال تعالى: ﴿لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٤] فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن والأذى فقد أبطل عمله.

والطاعات تنقسم إلى فرض ونفل وهو محتاج إلى الصبر عليهما جميعًا وقد جمعهما الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النحل:٩٠] فالعدل هو الفرض، والإحسان هو النفل، وإيتاء ذي القربى هو المروءة وصلة الرحم. وكل ذلك يحتاج إلى صبر.

الضرب الثاني: المعاصي فما أحوج العبد إلى الصبر عنها، وقد جمع الله تعالى أنواع المعاصي في قوله تعالى: ﴿وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِ﴾ [النحل:٩٠] وقال: «المُهَاجِرَ مَنْ هَجَرَ السُّوءَ، وَالمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ هَوَاهُ»[(٢)]. والمعاصي مقتضى باعث الهوى.

---

(١) صحيح: حديث «إنما الأعمال بالنيات». متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم. [البخاري: ١، ومسلم: ١٩٠٧].

(٢) صحيح: حديث «المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه». أخرجه ابن ماجه بالشطر الأول والنسائي في الكبرى بالشطر الثاني كلاهما من حديث فضالة بن عبيد الله بإسنادين جيدين وقد تقدما. [انظر

وأشد أنواع الصبر: الصبر عن المعاصي التي صارت مألوفة بالعادة فإن العادة طبيعة خامسة، فإذا انضافت العادة إلى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعها، ثم إن كان ذلك الفعل مما يتيسر فعله كان الصبر عنه أثقل على النفس، كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعريضًا وتصريحًا.

وأنواع المزح المؤذي للقلوب وضروب الكلمات التي يقصد بها الإزراء والاستحقار وذكر الموتى والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم ومناصبهم، فإن ذلك في ظاهره غيبة وفي باطنه ثناء على النفس.

فللنفس فيه شهوتان: إحداهما نفي الغير، والأخرى إثبات نفسه. وبها تتم له الربوبية التي هي في طبعه، وهي ضدّ ما أمر به من العبودية. ولاجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتادًا في المحاورات يعسر الصبر عنها، وهي أكبر الموبقات حتى بطل استنكارها واستقباحها من القلوب لكثرة تكريرها وعموم الأنس بها، فترى الإنسان يلبس حريرًا مثلًا فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار في أعراض الناس ولا يستنكر ذلك مع ما ورد في الخبر من أن الغيبة أشد من الزّنى [(١)] ومن لم يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر على الصبر عن ذلك فيجب عليه العزلة والانفراد فلا ينجيه غيره، فالصبر على الانفراد أهون من الصبر على السكوت مع المخالطة.

وتختلف شدة الصبر في آحاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوّتها وضعفها.

وأيسر من حركة اللسان حركة الخواطر باختلاف الوساوس، فلا جرم يبقى حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه أصلًا إلا بأن يغلب على القلب هم آخر في الدين يستغرقه، كمن أصبح وهمومه هم واحد، وإلا فإن لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصور فتور الوسواس عنه.

القسم الثاني: ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه، كما لو أو ذي بفعل أو قول وجنى عليه في نفسه أو ماله فالصبر على ذلك بترك المكافأة تارة يكون واجبًا وتارة يكون فضيلة.

قال بعض الصحابة رضوان الله عليهم: ما كنا نعدّ إيمان الرجل إيمانًا إذا لم يصبر على الأذى. وقال تعالى: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم:١٢] وقسم رسول الله ﷺ مرة مالًا، فقال بعض الأعراب من المسلمين: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله،

السلسلة الضعيفة: ٥٤٩].

(١) ضعيف: حديث «إن الغيبة أشد من الزنا». تقدم في آفات اللسان. [انظر ضعيف الترغيب: ١٦٩٠].

فأخبر به رسول الله ﷺ فاحمرّت وجنتاه ثم قال: «يَرْحَمُ اللَّهُ أَخِي مُوسَى لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هذا فَصَبَرَ» (١)، وقال تعالى: ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب:٤٨]وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل:١٠]وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الحجر:٩٧-٩٨]الآية.

وقال تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران:١٨٦]أي تصبروا عن المكافأة.

ولذلك مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصاص وغيره فقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل:١٢٦]وقال ﷺ «صِلْ مَنْ قَطَعَكَ وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ» (٢)، ورأيت في الإنجيل: قال عيسى ابن مريم عليه السلام: لقد قيل لكم من قبل إن السن بالسن والأنف بالأنف، وأنا أقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الأيمن فحوّل إليه الخدّ الأيسر ومن أخذ رداءك فأعطه إزارك ومن سخرك لتسير معه ميلًا فسر معه ميلين.

وكل ذلك أمر بالصبر على الأذى. فالصبر على أذى الناس من أعلى مراتب الصبر لأنه يتعاون فيه باعث الدين وباعث الشهوة والغضب جميعًا.

القسم الثالث: ما لا يدخل تحت حصر الاختيار أوّله وآخره؛ كالمصائب: مثل موت الأعزة وهلاك الأموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين وفساد الأعضاء.

وبالجملة سائر أنواع البلاء، فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر. قال ابن عباس رضي الله عنهما: الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه: صبر على أداء فرائض الله تعالى فله ثلاثمائة درجة، وصبر عن محارم الله تعالى فله ستمائة درجة، وصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعمائة درجة.

وإنما فضلت هذه الرتبة مع أنها من الفضائل على ما قبلها وهي من الفرائض لأن كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم.

فأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه إلا الأنبياء لأنه بضاعة الصدّيقين فإنّ ذلك شديد على النفس. ولذلك قال ﷺ: «أَسْأَلُكَ مِنَ اليَقِينِ ما تُهَوِّنُ عَلَيَّ بِهِ مَصَائِبَ الدُّنْيَا» (٣)،

---

(١) صحيح: حديث: قسم رسول الله ﷺ مرة مالا فقال بعض الأعراب». متفق عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم. [البخاري: ٦٠٥٩، ومسلم: ١٠٦٢].

(٢) صحيح لغيره: حديث «صل من قطعك». تقدم. [أحمد: ١٦٨٨٣ عن عقبة بن عامر، وانظر صحيح الترغيب: ٢٥٣٦].

(٣) حسن: حديث «أسألك من اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا». أخرجه الترمذي والنسائي والحاكم

فهذا صبر مستنده حسن اليقين.

وقال أبو سليمان: والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره؟ وقال النبي ﷺ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا وَجَّهْتُ إِلَى عَبْدٍ مِنْ عَبِيدِي مُصِيبَةً فِي بَدَنِه أَوْ مَالِهِ أَوْ وَلَدِهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَ ذَلِكَ بِصَبْرٍ جَمِيلٍ اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنْ أَنْصِبَ لَهُ مِيزَانًا أَوْ أَنْشُرَ لَهُ دِيوَانًا» (١)، وقال ﷺ: «انْتِظَارُ الفَرَجِ بِالصَّبْرِ عِبَادَةٌ» (٢)، وقال ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَقَالَ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[البقرة: ١٥٦] اللَّهُمَّ اؤْجُرْنِي بِمُصِيبَتِي وَأَعْقِبْنِي خَيْرًا مِنْهَا إِلاَّ فَعَلَ اللَّهُ بِهِ ذَلِكَ» (٣)، وقال أنس: حدّثني رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ يَا جِبْرِيلُ مَا جَزَاءُ مَنْ سَلَبْتُ كَرِيمَتَيْهِ قَالَ سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا قَالَ تَعَالَى: جَزَاؤُهُ الخُلُودُ فِي دَارِي وَالنَّظَرُ إِلَى وَجْهِي» (٤)، وقال ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِبَلاءٍ فَصَبَرَ وَلَمْ يَشْكُنِي إِلَى عُوَّادِهِ أَبْدَلْتُهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ فَإِذَا أَبْرَأْتُهُ وَلاَ ذَنْبَ لَهُ وَإِنْ تَوَفَّيْتُهُ فَإِلَى رَحْمَتِي» (٥)، وقال داود عليه السلام: يا رب ما جزاء الحزين الذي يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه أن ألبسه لباس الإيمان فلا أنزعه عنه أبدًا.

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله في خطبته: ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوّضه منها الصبر إلا كان ما عوّضه منها أفضل مما انتزع منه وقرأ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم

وصححه من حديث ابن عمر وحسنه الترمذي وقد تقدم في الدعوات. [الترمذي: ٣٥٠٢، وانظر صحيح الترمذي].

(١) ضعيف: حديث «قال الله إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ولده أو ماله ثم استقبل ذلك بصبر جميل». أخرجه ابن عدي من حديث أنس بسند ضعيف. [انظر ضعيف الجامع: ٤٠٤٤].

(٢) حديث «انتظار الفرج بالصبر عبادة». [بلفظ «الصبر» انظر السلسلة الضعيفة: ١٥٧٢، وقال الألباني: موضوع، وبدونه انظر السلسلة الضعيفة: ١٥٧٣، وقال الألباني: ضعيف جدا] أخرجه القضاعي في مسند الشهاب من حديث ابن عمر وابن عباس وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة من حديث علي دون قوله «بالصبر» وكذلك رواه أبو سعيد الماليني في مسند الصوفية من حديث ابن عمر وكلها ضعيفة وللترمذي من حديث ابن مسعود «أفضل العبادة انتظار الفرج» [عند الترمذي: ٣٥٧٧، وانظر ضعيف الترغيب: ١٠١٥، وقال الألباني: ضعيف جداً] وتقدم في الدعوات.

(٣) صحيح: حديث «ما من عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦] اللهم أجرني بمصيبتي وأعقبني خيرا منها إلا فعل الله به ذلك». أخرجه مسلم من حديث أم سلمة. [مسلم: ٩١٨].

(٤) حديث أنس «إن الله قال يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه». [انظر ضعيف الترغيب، وقال الألباني: منكر] أخرجه الطبراني في الأوسط من رواية أبي ظلال القسملي واسمه هلال أحد الضعفاء عن أنس ورواه البخاري بلفظ «إن الله عز وجل قال إذا ابتلت عبدي بحبيبته فصبر عوضته منهما الجنة» [عند البخاري: ٥٦٥٣] رواه ابن عدي وأبو يعلى بلفظ «إذا أخذت كريمتي عبدي لم أرض له ثوابا دون الجنة» قلت يا رسول الله وإن كانت واحدة قال «وإن كانت واحدة» [ولم أقف عليه] وفيه سعيد بن سليم قال ابن عدي ضعيف.

(٥) موضوع: حديث «يقول الله: إذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني إلى عواده، أبدلته لحما خيرا من لحمه». أخرجه مالك في الموطأ من حديث عطاء بن يسار عن أبي سعيد انتهى وعباد بن كثير ضعيف ورواه البيهقي موقوفا على أبي هريرة. [انظر السلسلة الضعيفة: ٦٩١].

بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] وسئل فضيل عن الصبر فقال: هو الرضا بقضاء الله، قيل: وكيف ذلك؟ قال: الراضي لا يتمنى فوق منزلته. وقيل حبس الشبلي رحمه الله في المارستان فدخل عليه جماعة فقال: من أنتم؟ قالوا: أحباؤك جاؤوك زائرين، فأخذ يرميهم بالحجارة فأخذوا يهربون فقال: لو كنتم أحبائي لصبرتم على بلائي.

وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها وكان فيها: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] ويقال إنّ امرأة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها: أما تجدين الوجع؟ فقالت: إنّ لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه.

وقال داود لسليمان عليهما السلام: يستدل على تقوى المؤمن بثلاث: حسن التوكل فيما لم ينل، وحسن الرضا فيما قد نال، وحسن الصبر فيما قد فات.

وقال نبينا ﷺ: «مِنْ إِجْلالِ اللَّهِ وَمَعْرِفَةِ حَقِّهِ أَنْ لا تَشْكُوَ وَجَعَكَ وَلا تَذْكُرَ مُصِيبَتَكَ» (١)، ويروى عن بعض الصالحين أنه خرج يومًا وفي كمه صرة فافتقدها فإذا هي قد أخذت من كمه فقال: بارك الله له فيها لعله أحوج إليها مني.

وروي عن بعضهم أنه قال: مررت على سالم مولى أبي حذيفة في القتلى وبه رمق فقلت له: أسقيك ماء؟ فقال: جرّني قليلًا إلى العدوّ واجعل الماء في الترس فإني صائم فإن عشت إلى الليل شربته.

فهكذا كان صبر سالكي طريق الآخرة على بلاء الله تعالى.

فإن قلت: فبماذا تنال درجة الصبر في المصائب وليس الأمر إلى اختياره؟ فهو مضطر شاء أم أبى، فإن كان المراد به أن لا يتكون في نفسه كراهية المصيبة فذلك غير داخل في اختيار فاعلم أنه إنما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى وإظهار الكآبة وتغيير العادة في الملبس والمفرش والمطعم، وهذه الأمور داخلة تحت اختياره فينبغي أن يجتنب جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمرًا على عادته، ويعتقد أنّ ذلك كان وديعة فاسترجعت.

كما روي عن الرميصاء أم سليم رحمها الله، أنها قالت: توفي ابن لي وزوجي أبو طلحة غائب فقمت فسجيته في ناحية البيت فقدم أبو طلحة فقمت فهيأت له إفطاره فجعل يأكل، فقال: كيف الصبي؟ قلت: بأحسن حال بحمد الله ومنه فإنه لم يكن منذ اشتكى بأسكن منه الليلة، ثم تصنعت له أحسن ما كنت أتصنع له قبل ذلك حتى أصاب مني حاجته، ثم قلت: ألا

---

(١) حديث «من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك». لم أجده مرفوعا وإنما رواه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات من رواية سفيان عن بعض الفقهاء قال «من الصبر أن لا تتحدث بمصيبتك ولا بوجعك ولا تزكي نفسك».

تعجب من جيراننا قال: ما لهم؟ قلت: أعيروا عارية فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا، فقال: بئس ما صنعوا فقلت: هذا ابنك كان عارية من الله تعالى وإن الله قد قبضه إليه، فحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «اللهم بارك لهما في ليلتهما»[1]، قال الراوي: فلقد رأيت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرؤوا القرآن وروى جابر أنه عليه السلام قال: «رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الجَنَّةَ فَإذا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ» وقد قيل: الصبر الجميل هو أن لا يعرف صاحب المصيبة من غيره، ولا يخرجه عن حدّ الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع، إذ يكون من جميع الحاضرين لأجل الموت سواء، ولأنّ البكاء توجع القلب على الميت فإن ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الإنسان إلى الموت، ولذلك لما مات إبراهيم ولد النبي ﷺ فاضت عيناه فقيل له: أما نهيتنا عن هذا؟ فقال: «إنَّ هَذِهِ رَحْمَةٌ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ» بل ذلك أيضًا لا يخرج عن مقام الرضا، فالمقدم على الحجامة والفصد راض به وهو متألم بسببه لا محالة وقد تفيض عيناه إذا عظم ألمه ــ وسيأتي ذلك في كتاب الرضا إن شاء الله تعالى ــ وكتب ابن أبي نجيح يعزي بعض الخلفاء: إنّ أحق من عرف حق الله تعالى فيما أخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما أبقاه له: واعلم أنّ الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو المأجور فيك.

واعلم أنّ أجر الصابرين به فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه.

فإذن مهما دفع الكراهة بالتفكر في نعمة الله تعالى عليه بالثواب نال درجة الصابرين. نعم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر وسائر المصائب.

وقد قيل: من كنوز البر كتمان المصائب والأوجاع والصدقة. فقد ظهر لك بهذه التقسيمات أنّ وجوب الصبر عام في جميع الأحوال والأفعال، فإنّ الذي كفى الشهوات كلها واعتزل وحده لا يستغني عن الصبر على العزلة والانفراد ظاهرًا، وعن الصبر وعن وساوس الشيطان باطنًا.

فإن اختلاج الخواطر لا يسكن.

وأكثر جولان الخواطر إنما يكون في فائت لا تدارك له أو في مستقبل لا بدّ وأن يحصل منه. ما هو مقدّر، فهو كيفما كان تضييع زمان. وآلة العبد قلبه وبضاعته عمره فإذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به أنسًا بالله تعالى أو عن فكر يستفيد به معرفة بالله تعالى ليستفيد بالمعرفة محبة الله تعالى فهو مغبون، هذا إن كان فكره ووسواسه في المباحات مقصورًا عليه، ولا يكون ذلك غالبًا، بل يتفكر في وجوه الحيل لقضاء الشهوات، إذ لا يزال ينازع كل من

(١) حديث الرميصاء أم سليم: توفي ابن لي وزوجي أبو طلحة غائب فقمت فسجيته في ناحية البيت». أخرجه الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في الحلية والقصة في الصحيحين من حديث أنس مع اختلاف. [حديث الرميصاء وهو عند البخاري: ٥٤٧٠، ومسلم: ٢١٤٤ عن أنس].

تحرّك على خلاف غرضه في جميع عمره، أو من يتوهم أنه ينازعه ويخالف أمره أو غرضه بظهور أمارة له منه، بل يقدر المخالفة من أخلص الناس في حبه حتى في أهله وولده، ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر في كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم عما يتعللون به في مخالفته، ولا يزال في شغل دائم، فللشيطان جندان: جند يطير وجند يسير، والوسواس عبارة عن حركة جنده الطيار، والشهوة عبارة عن حركة جنده السيار.

وهذا لأن الشيطان خلق من النار وخلق الإنسان من صلصال كالفخار والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين، والطين طبيعته السكون والنار طبيعتها الحركة، فلا يتصوّر نار مشتعلة لا تتحرّك بل لا تزال تتحرّك بطبعها.

وقد كلف الملعون المخلوق من النار أن يطمئن عن حركته ساجدًا لما خلق الله من الطين فأبى واستكبر واستعصى وعبر عن سبب استعصائه بأن قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف :١٢] .

فإذن حيث لم يسجد الملعون لأبينا آدم صلوات الله عليه وسلامه فلا ينبغي أن يطمع في سجوده لأولاده.

ومهما كف عن القلب وسواسه وعدوانه وطيرانه وجولانه فقد أظهر انقياده وإذعانه. وانقياده بالإذعان سجود منه ــ فهو روح السجود ــ وإنما وضع الجبهة على الأرض قالبه وعلامته الدالة عليه بالاصطلاح.

ولو جعل وضع الجبهة على الأرض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصوّر ذلك، كما أنّ الانبطاح بين يدي المعظم المحترم يرى استخفافًا بالعادة، فلا ينبغي أن يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب فتكون ممن قيده عالم الشهادة بالكلية عن عالم الغيب وتحقق أن الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس إلى يوم الدين إلا أن تصبح وهمومك هم واحد، فتشغل قلبك بالله وحده فلا يجد الملعون مجالاً فيك، فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين الداخلين في الاستثناء عن سلطنة هذا اللعين.

ولا تظنن أنه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن آدم مجرى الدم، وسيلانه مثل الهواء في القدح فإنك إن أردت أن يخلو القدح عن الهواء من غير أن تشغله بالماء أو بغيره فقد طمعت في غير مطمع، بل بقدر ما يخلو من الماء يدخل فيه الهواء لا محالة، فكذلك القلب المشغول بفكر مهم في الدين لا يخلو عن جولان الشيطان، وإلا فمن غفل عن الله تعالى ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة قرين إلا الشيطان.

ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف :٣٦]

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُبْغِضُ الشَّابَّ الفَارِغَ» [١]، وهذا لأن الشاب إذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به على دينه كان ظاهره فارغًا ولم يبق قلبه فارغًا، بل يعشش فيه الشيطان ويبيض ويفرخ، ثم تزدوج أفراخه أيضًا وتبيض مرة أخرى وتفرخ، وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدًا أسرع من توالد سائر الحيوانات لأن طبعه من النار، وإذا وجد الحلفاء اليابسة كثر توالده، فلا تزال تتوالد النار من النار ولا تنقطع البتة بل تسري شيئًا فشيئًا على الاتصال.

فالشهوة في نفس الشاب للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار، وكما لا تبقى النار إذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبقى للشيطان مجال إذا لم تكن شهوة، فإذن إذا تأملت علمت أن أعدى عدوك شهوتك وهي صفة. نفسك، ولذلك قال الحسين بن منصور الحلاج ــ حين كان يصلب ــ وقد سئل عن التصرف ما هو؟ فقال: هي نفسك إن لم تشغلها شغلتك.

فإذن حقيقة الصبر وكماله: الصبر عن كل حركة مذمومة، وحركة الباطن أولى بالصبر عن ذلك، وهذا صبر دائم لا يقطعه إلا الموت.

نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه.

بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه:

اعلم أن الذي أنزل الداء أنزل الدواء ووعد الشفاء، فالصبر وإن كان شاقًا أو ممتنعًا فتحصيله ممكن بمعجون العلم والعمل.

فالعلم والعمل هما الأخلاط التي منها تركب الأدوية لأمراض القلوب كلها، ولكن يحتاج كل مرض إلى علم آخر وعمل آخر، وكما أن أقسام الصبر مختلفة فأقسام العلل المانعة منه مختلفة، وإذا اختلفت العلل اختلف العلاج إذ معنى العلاج مضادة العلة وقمعها. واستيفاء ذلك مما يطول ولكنا نعرف الطريق في بعض الأمثلة.

فنقول: إذا افتقر إلى الصبر عن شهوة الوقاع مثلًا وقد غلبت عليه الشهوة بحيث ليس يملك معها فرجه، أو يملك فرجه ولكن ليس يملك عينه، أو يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه إذ لا تزال تحدثه بمقتضيات الشهوات ويصرفه ذلك عن المواظبة على الذكر والفكر والأعمال الصالحة «فنقول» قد قدمنا أن الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى، وكل متصارعين أردنا أن يغلب أحدهما الآخر فلا طريق لنا فيه إلا تقوية من أردنا أن تكون له اليد العليا وتضعيف الآخر؛ فلزمنا هاهنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة.

فأما باعث الشهوة فسبيل تضعيفه ثلاثة أمور:

أحدها: أن ننظر إلى مادة قوتها وهي الأغذية الطيبة المحركة للشهوة ــ من حيث نوعها

(١) حديث «إن الله تعالى يبغض الشاب الفارغ». لم أجده.

ومن حيث كثرتها ـــ فلا بد من قطعها بالصوم الدائم مع الاقتصاد عند الإفطار على طعام قليل في نفسه ضعيف في جنسه، فيحترز عن اللحم والأطعمة المهيجة للشهوة.

الثاني: قطع أسبابه المهيجة في الحال فإنه إنما يهيج بالنظر إلى مظانّ الشهوة، إذ النظر يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة، وهذا يحصل بالعزلة والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور المشتهاة والفرار منها بالكلية، قال رسول الله ﷺ: «النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ»[1]، وهو سهم يسدده الملعون ولا ترس يمنع منه إلا تغميض الأجفان أو الهرب من صوب رميه.

فإنه إنما يرمي هذا السهم عن قوس الصور فإذا انقلبت عن صوب الصور لم يصبك سهمه.

الثالث: تسلية النفس بالمباح من الجنس الذي تشتهيه وذلك بالنكاح، فإن كل ما يشتهيه الطبع ففي المباحات من جنسه ما يغني عن المحظورات منه: وهذا هو العلاج الأنفع في حق الأكثر، فإنّ قطع الغذاء يضعف عن سائر الأعمال، ثم قد لا يقمع الشهوة في حق أكثر الرجال ولذلك قال ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالبَاءَةِ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وِجَاءٌ»[2].

فهذه ثلاثة أسباب، فالعلاج الأول وهو قطع الطعام: يضاهي قطع العلف عن البهيمة الجموح وعن الكلب الضاري ليضعف فتسقط قوته.

الثاني: يضاهي تغييب اللحم عن الكلب وتغييب الشعير عن البهيمة حتى لا تتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها.

والثالث: يضاهي تسليتها بشيء قليل مما يميل إليه طبعها حتى يبقى معها من القوة ما تصبر به على التأديب.

وأما تقوية باعث الدين فإنما تكون بطريقين:

أحدهما: إطعامه في فوائد المجاهدة وثمراتها في الدين والدنيا، وذلك بأن يكثر فكره في الأخبار التي أوردناها في فضل الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة.

وفي الأثر: إن ثواب الصبر على المصيبة أكثر مما فات وإنه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة، إذ فاته ما لا يبقى معه إلا مدة الحياة وحصل له ما يبقى بعد موته أبد الدهر. ومن أسلم خسيسًا في نفيس فلا ينبغي أن يحزن لفوات الخسيس في الحال.

وهذا من باب المعارف وهو من الإيمان فتارة يضعف وتارة يقوى، فإن قوي قوّى باعث الدين وهيجه تهييجًا شديدًا وإن ضعف ضعفه. وإنما قوّة الإيمان يعبر عنها باليقين وهو

---

(١) ضعيف جداً: حديث «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس». تقدم غير مرة. [انظر ضعيف الترغيب: ١١٩٤].

(٢) حديث «عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم». تقدم في النكاح. [الترمذي: ١٠٨١، والنسائي: ٢٢٣٩، وانظر صحيح الترمذي وهو عند البخاري: ٥٠٦٦، ومسلم: ١٤٠٠بلفظ قريب عن ابن مسعود أيضاً].

المحرك لعزيمة الصبر، وأقل ما أتى الناس اليقين وعزيمة الصبر.

والثاني: أن يعود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجًا قليلًا قليلًا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجرىء عليها وتقوى منته في مصارعتها، فإن الاعتياد والممارسة للأعمال الشاقة تؤكد القوى التي تصدر منها تلك الأعمال، ولذلك تزيد قوّة الحمالين والفلاحين والمقاتلين.

وبالجملة فقوّة الممارسين للأعمال الشاقة تزيد على قوة الخياطين والعطارين والفقهاء والصالحين، وذلك لأن قواهم لم تتأكد بالممارسة.

فالعلاج الأوّل: يضاهي أطماع المصارع بالخلعة عند الغلبة ووعده بأنواع الكرامة كما وعد فرعون سحرته عند إغرائه إياهم بموسى حيث قال: ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء:٤٢].

والثاني: يضاهي تعويد الصبي الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة بمباشرة أسباب ذلك منذ الصبا حتى يأنس به ويستجرىء عليه وتقوى فيه منته.

فمن ترك بالكلية المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وإن ضعفت، ومن عوّد نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما أراد.

فهذا منهاج العلاج في جميع أنواع الصبر ولا يمكن استيفاؤه، وإنما أشدّها كف الباطن عن حديث النفس، وإنما يشتد ذلك على من تفرّغ له بأن قمع الشهوات الظاهرة وآثر العزلة وجلس للمراقبة والذكر والفكر، فإنّ الوسواس لا يزال يجاذبه من جانب إلى جانب.

وهذا لا علاج له البتة إلا قطع العلائق كلها ظاهرًا وباطنًا بالفرار عن الأهل والولد والمال والجاه والرفقاء والأصدقاء، ثم الاعتزال إلى زاوية بعد إحراز قدر يسير من القوت وبعد القناعة به، ثم كل ذلك لا يكفي ما لم تصر الهموم همًا واحدًا وهو الله تعالى.

ثم إذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ذلك ما لم يكن له مجال في الفكر وسير بالباطن في ملكوت السموات والأرض وعجائب صنع الله تعالى وسائر أبواب معرفة الله تعالى، حتى إذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان ووسواسه، وإن لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه إلا الأوراد المتواصلة المترتبة في كل لحظة: من القراءة والأذكار والصلوات، ويحتاج مع ذلك إلى تكليف القلب الحضور فإنّ الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون الأوراد الظاهرة، ثم إذا فعل ذلك كله لم يسلم له من الأوقات إلا بعضها؛ إذ لا يخلو في جميع أوقاته عن حوادث تتجدّد فتشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وإيذاء من إنسان وطغيان من مخالط، إذ لا يستغني عن مخالطة من يعينه في بعض أسباب المعيشة.

فهذا أحد الأنواع الشاغلة.

وأما النوع الثاني: فهو ضروري أشدّ ضرورة من الأوّل وهو اشتغاله بالمطعم والملبس وأسباب المعاش، فإن تهيئة ذلك أيضًا تحوج إلى شغل إن تولاه بنفسه، وإن تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلب ممن يتولاه.

ولكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له أكثر الأوقات إن لم تهجم به ملمة أو واقعة، وفي تلك الأوقات يصفو القلب ويتيسر له الفكر، وينكشف فيه من أسرار الله تعالى في ملكوت السموات والأرض ما لا يقدر على عشر عشيره في زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق، والانتهاء إلى هذا هو أقصى المقامات التي يمكن أن تنال بالاكتساب والجهد فأما مقادير ما ينكشف ومبالغ ما يرد من لطف الله تعالى في الأحوال والأعمال فذلك يجري مجرى الصيد وهو بحسب الرزق.

فقد يقل الجهد ويجل الصيد وقد يطول الجهد ويقل الحظ، والمعوّل وراء هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فإنها توازي أعمال الثقلين وليس ذلك باختيار العبد. نعم اختيار العبد في أن يتعرّض لتلك الجذبة بأن يقطع عن قلبه جواذب الدنيا، فإن المجذوب إلى أسفل سافلين لا ينجذب إلى أعلى عليين.

وكل مهموم بالدنيا فهو منجذب إليها، فقطع العلائق الجاذبة هو المراد بقوله ﷺ: «إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ أَلاَ فَتَعَرَّضُوا لَهَا» وذلك لأن تلك النفحات والجذبات لها أسباب سماوية إذ قال الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢] وهذا من أعلى أنواع الرزق.

والأمور السماوية غائبة عنا فلا ندري متى ييسر الله تعالى أسباب الرزق. فما علينا إلا تفريغ المحل والانتظار لنزول الرحمة وبلوغ الكتاب أجله كالذي يصلح الأرض وينقيها من الحشيش ويبث البذر فيها، وكل ذلك لا ينفعه إلا بمطر ولا يدري متى يقدّر الله أسباب المطر، إلا أنه يثق بفضل الله تعالى ورحمته أنه يخلي سنة عن مطر، فكذلك قلما تخلو سنة وشهر ويوم عن جذبة من الجذبات ونفحة من النفحات.

فينبغي أن يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيه بذر الإرادة والإخلاص وعرّضه لمهاب رياح الرحمة، كما يقوى انتظار الأمطار في أوقات الربيع وعند ظهور الغيم فيقوى انتظار تلك النفحات في الأوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم وتساعد القلوب كما في يوم عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان، فإن الهمم والأنفاس أسباب.

بحكم تقدير الله تعالى لاستدرار رحمته حتى تستدر بها الأمطار في أوقات الاستسقاء، وهي لاستدرار أمطار المكاشفات ولطائف المعارف من خزائن الملكوت أشد مناسبة منها لاستدرار قطرات الماء واستجرار الغيوم في أقطار الجبال والبحار، بل الأحوال والمكاشفات حاضرة معك في قلبك، وإنما أنت مشغول عنها بعلائقك وشهواتك فصار ذلك حجابًا بينك وبينها، فلا تحتاج إلى أن تنكسر الشهوة ويرفع الحجاب فتشرق أنوار المعارف من باطن القلب.

وإظهار ماء الأرض بحفر القنى أسهل وأقرب من الاسترسال إليها من مكان بعيد منخفض

عنها. ولكونه حاضرًا في القلب ومنسيًا بالشغل عنه سمى الله تعالى جميع معارف الإيمان تذكرًا، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩] وقال تعالى: ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧] فهذا هو علاج الصبر عن الوساوس والشواغل وهو آخر درجات الصبر وإنما الصبر عن العلائق كلها مقدّم على الصبر عن الخواطر.

قال الجنيد رحمه الله: السير من الدنيا إلى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في حب الحق شديد، والسير من النفس إلى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله أشد فذكر شدّة الصبر عن شواغل القلب ثم شدّة هجران الخلق.

وأشد العلائق على النفس علاقة الخلق وحب الجاه.

فإنّ لذة الرياسة والغلبة والاستعلاء والاستتباع أغلب اللذات في الدنيا على نفوس العقلاء، وكيف لا تكون أغلب اللذات ومطلوبها صفة من صفات الله تعالى وهي الربوبية؟ والربوبية محبوبة ومطلوبة بالطبع للقلب لما فيه من المناسبة لأمور الربوبية، وعنه العبارة بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء:٨٥] وليس القلب مذموم على حبه ذلك وإنما هو مذموم على غلط وقع له بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الأمر إذ حسده على كونه من عالم الأمر.

فأضله وأغواه، وكيف يكون مذمومًا عليه وهو يطلب سعادة الآخرة؟ فليس يطلب إلا بقاء لا فناء فيه.

وعزًا لا ذل فيه وأمنًا لا خوف فيه وغنى لا فقر فيه وكمالًا لا نقصان فيه؟ وهذه كلها من أوصاف الربوبية.

وليس مذمومًا على طلب ذلك، بل حق كل عبد أن يطلب ملكًا عظيمًا لا آخر له. وطالب الملك طالب للعلو والعز والكمال لا محالة.

ولكن الملك ملكان: ملك مشوب بأنواع الآلام وملحوق بسرعة الانصرام ولكنه عاجل وهو في الدنيا وملك مخلد دائم لا يشوبه كدر ولا ألم ولا يقطعه قاطع ولكنه آجل... وقد خلق الإنسان عجولًا راغبًا في العاجلة فجاء الشيطان وتوسل إليه بواسطة العجلة ــ التي في طبعه ــ فاستغواه بالعاجلة وزين له الحاضرة، وتوسل إليه بواسطة الحمق فوعده بالغرور في الآخرة ومناه مع ملك الدنيا ملك الآخرة كما قال: «وَالأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الأَمَانِي» فانخدع المخذول بغروره واشتغل بطلب عز الدنيا وملكها على قدر إمكانه.

ولم يتدل الموفق بحبل غروره إذ علم مداخل مكره فأعرض عن العاجلة. فعبر عن المخذولين بقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [القيامة:٢٠-٢١] وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان:٢٧] وقال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن

تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [النجم :٢٩-٣٠] .

ولما استطار مكر الشيطان في كافة الخلق أرسل الله الملائكة إلى الرسل وأوحوا إليهم ما تم على الخلق من إهلاك العدوّ وإغوائه، فاشتغلوا بدعوة الخلق إلى الملك الحقيقي عن الملك المجازي الذي لا أصل له إن سلم ولا دوام له أصلاً فنادوا فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة :٣٨] .

فالتوراة والإنجيل والزبور والفرقان وصحف موسى وإبراهيم وكل كتاب منزل ما أنزل إلا لدعوة الخلق إلى الملك الدائم المخلد، والمراد منهم أن يكونوا ملوكًا في الدنيا ملوكًا في الآخرة.

أما ملك الدنيا : فالزهد فيها والقناعة باليسير منها.

وأما ملك الآخرة : فبالقرب من الله تعالى يدرك بقاء لا فناء فيه وعزًا لا ذل فيه وقرّة عين أخفيت في هذا العالم لا تعلمها نفس من النفوس.

والشيطان يدعوهم إلى ملك الدنيا لعلمه بأن ملك الآخرة يفوت به إذ الدنيا والآخرة ضرتان، ولعلمه بأن الدنيا لا تسلم له أيضًا ولو كانت تسلم له لكان يحسده أيضًا، ولكن ملك الدنيا لا يخلو عن المنازعات والمكدرات وطول الهموم في التدبيرات وكذا سائر أسباب الجاه. ثم مهما تسلم وتتم الأسباب ينقضي العمر ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [يونس :٢٤] فضرب الله تعالى لها مثلاً فقال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ [الكهف :٤٥] والزهد في الدنيا لما أن كان ملكًا حاضرًا حسده الشيطان عليه فصده عنه.

ومعنى الزهد أن يملك العبد شهوته وغضبه فينقادان لباعث الدين وإشارة الإيمان، وهذا ملك بالاستحقاق إذ به يصير صاحبه حرًا.

وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبدًا لفرجه وبطنه وسائر أغراضه، فيكون مسخرًا مثل البهيمة مملوكًا يستجره زمام الشهوة آخذًا بمختنقه إلى حيث يريد ويهوى. فما أعظم اغترار الإنسان إذ ظن أنه ينال الملك بأن يصير مملوكًا وينال الربوبية بأن يصير عبدًا ومثل هذا هل يكون إلا منكوسًا في الدنيا منكوسًا في الآخرة؟ ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد: هل من حاجة؟ قال كيف أطلب منك حاجة وملكي أعظم من ملكك؟ فقال كيف؟ قال: من أنت عبده فهو عبد لي فقال كيف ذلك؟ قال: أنت عبد شهوتك وغضبك وفرجك وبطنك، وقد ملكت هؤلاء كلهم فهم عبيد لي. فهذا إذن هو الملك في الدنيا وهو الذي يسوق إلى الملك في الآخرة. فالمخدوعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعًا، والذين وفقوا للاشتداد

على الصراط المستقيم فازوا بالدنيا والآخرة جميعًا.

فإذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخير والعبودية ومدخل الغلط في ذلك وكيفية تعمية الشيطان وتلبيسه يسهل عليك النزوع عن الملك والجاه والإعراض عنه والصبر عند فواته؛ إذ تصير بتركه ملكًا في الحال وترجو به ملكًا في الآخرة.

ومن كوشف بهذه الأمور بعد أن ألف الجاه وأنس به ورسخت فيه بالعادة مباشرة أسبابه فلا يكفيه في العلاج مجرد العلم والكشف؛ بل لا بدّ وأن يضيف إليه العمل.

وعمله في ثلاثة أمور:

أحدها: أن يهرب عن موضع الجاه كي لا يشاهد أسبابه فيعسر عليه الصبر مع الأسباب كما يهرب من غلبته الشهوة من مشاهدة الصور المحركة ومن لم يفعل هذا فقد كفر نعمة الله في سعة الأرض إذ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧].

الثاني: أن يكلف نفسه في أعماله أفعالًا تخالف ما اعتاده، فيبدل التكلف بالتبذل وزي الحشمة بزي التواضع، وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاء بمقتضى جاهه، فينبغي أن يبدلها بنقائضها حتى يرسخ باعتياد ذلك ضد ما رسخ فيه من قبل باعتياد ضده. فلا معنى للمعالجة إلا المضادة.

الثالث: أن يراعي في ذلك التلطف والتدريج فلا ينتقل دفعة واحدة إلى الطرف الأقصى من التبذل، فإن الطبع نفور ولا يمكن نقله عن أخلاقه إلا بالتدريج، فيترك البعض ويسلي نفسه بالبعض، ثم إذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتدأ بترك البعض من ذلك البعض، إلى أن يقنع بالبقية. وهكذا يفعل شيئًا فشيئًا إلى أن يقمع تلك الصفات التي رسخت فيه. وإلى هذا التدريج الإشارة بقوله ﷺ: «إِنَّ هذا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ وَلا تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لا أَرْضًا قَطَعَ وَلا ظَهْرًا أَبْقَى»(١)، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «لا تُشَادُّوا هَذَا الدِّينَ فَإِنَّ مَنْ يُشَادَّهُ يَغْلِبْهُ»(٢).

فإذن ما ذكرناه من علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه أضفه إلى ما ذكرناه من قوانين طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات، فاتخذه دستورك لتعرف به علاج الصبر في جميع الأقسام التي فصلناها من قبل، فإن تفصيل الآحاد يطول. ومن راعى التدريج ترقى به الصبر إلى حال يشق عليه الصبر دونه كما كان يشق عليه الصبر معه، فتنعكس أموره فيصير ما كان محبوبًا عنده ممقوتًا وما كان مكروهًا عنده مشربًا هنيئًا لا يصبر عنه. وهذا لا يعرف إلا بالتجربة والذوق وله نظير في العادات، فإن الصبي يحمل على التعلم

(١) حسن: حديث «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق». أخرجه أحمد من حديث أنس والبيهقي من حديث جابر وتقدم في الأوراد. [أحمد: ٢٧٣١٨، وانظر صحيح الجامع: ٢٢٤٦].

(٢) صحيح: حديث «لا تشادوا هذا الدين فإنه من شاده يغلبه». تقدم فيه. [انظر السلسلة الصحيحة: ١١٦١].

في الابتداء قهرًا. فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم، حتى إذا انفتحت بصيرته وأنس بالعلم انقلب الأمر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب. وإلى هذا يشير ما حكي عن بعض العارفين أنه سأل الشبلي عن الصبر أيه أشد؟ فقال: الصبر في الله تعالى، فقال: لا، فقال: الصبر لله، فقال: لا، فقال: الصبر مع الله، فقال: لا، فقال: فأيش؟ قال: الصبر عن الله؛ فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه تتلف. وقد قيل في معنى قوله تعالى: ﴿ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟﴾ [آل عمران: ٢٠٠] اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله. وقيل الصبر لله غناء والصبر بالله بقاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء. وقد قيل في معناه:

والصبر عنك فمذموم عواقبه ... والصبر في سائر الأشياء محمودُ

وقيل أيضًا:

الصبرُ يجمل في المواطن كلها ... إلا عليك فإنه لا يجملُ

هذا آخر ما أردنا شرحه من علوم الصبر وأسراره.

الشطر الثاني من الكتاب في الشكر

وله ثلاثة أركان:

الأول: في فضيلة الشكر وحقيقته وأقسامه وأحكامه.

الثاني: في حقيقة النعمة وأقسامها الخاصة والعامة.

الثالث: في بيان الأفضل من الشكر والصبر.

الركن الأول في نفس الشكر

بيان فضيلة الشكر:

اعلم أن الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه مع أنه قال: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] فقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧] وقال تعالى: ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥] وقال عز وجل إخبارًا عن إبليس اللعين: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦] قيل هو طريق الشكر، ولعلوّ رتبة الشكر طعن اللعين في الخلق فقال: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]. وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] وقد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] واستثنى في خمسة أشياء في الإغناء والإجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾ [التوبة: ٢٨] وقال: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن

شَآءَ﴾ [الأنعام:٤١] وقال: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة:٢١٢] وقال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨] وقال: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [التوبة:١٥] وهو خلق من أخلاق الربوبية إذ قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن:١٧] وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر:٧٤] وقال: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:١٠] .

وأما الأخبار: فقد قال رسول الله ﷺ: «الطَّاعِمَ الشَّاكِرُ بِمَنْزِلَةِ الصَّائِمِ الصَّابِرِ»(١)، وروي عن عطاء أنه قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت: أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ فبكت وقالت: وأي شأنه لم يكن عجبًا؟ أتاني ليلة فدخل معي في فراشي - أو قالت في لحافي - حتى مس جلدي جلده ثم قال «يا ابنة أبي بكر ذريني أتعبد لربي» قالت: قلت إني أحب قربك لكني أوثر هواك فأذنت له، فقام إلى قربة ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء، ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفعَ رأسه فبكى فلم يزل كذلك يبكي حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة، فقلت: يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا ولم لا أفعل ذلك وقد أنزل الله تعالى علي « ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران:١٩٠] الآية(٢)» .

وهذا يدل على أنّ البكاء ينبغي أن لا ينقطع أبدًا.

وإلى هذا السر يشير ما روي أنه مر بعض الأنبياء بحجر صغيرة يخرج منه ماء كثير فتعجب منه فأنطقه الله تعالى فقال: منذ سمعت قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة:٢٤] فأنا أبكي من خوفه، فسأله أن يجيره من النار فأجاره، ثم رآه بعد مدّة على مثل ذلك فقال: لم تبكي الآن؟ فقال: ذاك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالحجارة أو أشدّ قسوة ولا تزول قسوته إلا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعًا.

وروي عنه ﷺ أنه قال: «ينادى يَوْمَ القِيَامَةِ لِيَقُمِ الحَمَّادُون فَتَقُومُ زُمْرَةٌ فَيُنْصَبُ لَهُمْ لِوَاءٌ فَيَدْخلُونَ الجَنَّةَ» قيل: ومن الحمادون؟ قال: «الذين يشكرون الله تعالى على كل

---

(١) صحيح: حديث «الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر». علقه البخاري وأسنده الترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة ورواه ابن ماجه من حديث سنان بن سنة وفي إسناده اختلاف. [ذكره البخاري تعليقاً عقب حديث: ٥٤٦٠، وهو عند الترمذي: ٢٤٨٦، وابن ماجه: ١٧٦٤ عن أبي هريرة، وابن ماجه: ١٧٦٥ عن سنان بن الأسلمي، وانظر صحيح الترمذي].

(٢) حديث عطاء: دخلت على عائشة فقلت لها: أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ فبكت وقالت: وأي شأنه لم يكن عجبا؟». [مسلم: ٢٨٢٠ عن عائشة] أخرجه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب أخلاق رسول الله ﷺ ومن طريقه ابن الجوزي في الوفا وفيه أبو جناب واسمه يحيى بن أبي حية ضعفه الجمهور ورواه ابن حبان في صحيحه من رواية عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء دون قولها: وأي أمره لم يكن عجبا. وهو عند مسلم من رواية عروة عن عائشة مقتصرا على آخر الحديث. [الحديث انظر صحيح الترغيب: ١٤٦٨، وحسنه الألباني، وأخره دون ذكر «ولم لا أفعل . . . .» عند مسلم: ٢٨٢٠].

حال» [١]، وفي لفظ آخر: «الَّذِينَ يَشْكُرُونَ اللَّهَ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ» وقال ﷺ: «الحَمْدُ رِدَاءُ الرَّحْمنِ» [٢]، وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام: إني رضيت بالشكر مكافأة من أوليائي - في كلام طويل - وأوحى الله تعالى أيضًا في صفة الصابرين: أن دارهم دار السلام إذا دخلوها ألهمتهم الشكر وهو خير الكلام، وعند الشكر أستزيدهم، وبالنظر إلي أزيدهم.

ولما نزل في الكنوز ما نزل قال عمر رضي الله عنه: أي المال نتخذ؟ فقال عليه السلام: «لِيَتَّخِذْ أَحَدُكُمْ لِسَانًا ذَاكِرًا وَقَلْبًا شَاكِرًا» [٣]، فأمر باقتناء القلب الشاكر بدلًا من المال. وقال ابن مسعود: الشكر نصف الإيمان.

بيان حد الشكر وحقيقته:

اعلم أن الشكر من جملة مقامات السالكين، وهو أيضًا ينتظم من علم وحال وعمل، فالعلم هو الأصل فيورث الحال والحال يورث العمل فأما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم، والحال هو الفرح الحاصل بإنعامه، والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه.

ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه الإحاطة بحقيقة الشكر فإن كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن الإحاطة بكمال معانيه.

فالأصل الأوّل: العلم: وهو علم بثلاثة أمور: بعين النعمة، ووجه كونها نعمة في حقه، وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الإنعام ويصدر الإنعام منه عليه.

فإنه لا بد من: نعمة، ومنعم، ومنعم عليه، تصل إليه النعمة من المنعم بقصد وإرادة، فهذه الأمور لا بد من معرفتها. هذا في حق غير الله تعالى فأما في حق الله تعالى فلا يتم إلا بأن يعرف أن النعم كلها من الله وهو المنعم، والوسائط مسخرون من جهته.

وهذه المعرفة وراء التوحيد والتقديس إذ دخل التقديس والتوحيد فيها.

بل الرتبة الأولى في معارف الإيمان: التقديس. ثم إذا عرف ذاتًا مقدسة فيعرف أنه لا مقدس إلا واحد وما عداه غير مقدس: وهو التوحيد. ثم يعلم أن كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط، فالكل نعمة منه، فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة، إذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد: كمال القدرة والانفراد بالفعل.

(١) ضعيف: حديث «ينادى يوم القيامة ليقم الحمادون». أخرجه الطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بلفظ «أول من يدعى إلى الجنة الحمادون... الحديث» وفيه قيس بن الربيع ضعفه الجمهور.[انظر السلسلة الضعيفة: ٦٣٢].

(٢) حديث «الحمد رداء الرحمن». لم أجد له أصلا وفي الصحيح من حديث أبي هريرة «الكبر رداؤه... الحديث» وتقدم في العلم. [الحديثان عند مسلم: ٢٦٢٠].

(٣) صحيح: حديث عمر «ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا». تقدم في النكاح. [ابن ماجه: ١٨٥٦، وانظر صحيح ابن ماجه].

وعن هذا عبر رسول الله حيث قال: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ فَلَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ قَالَ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ فَلَهُ عشْرُونَ حَسَنَةً، وَمَنْ قَالَ الحَمْدُ لِلَّهِ فَلَهُ ثَلاثُونَ حَسَنَةً» (١)، وقال: «أَفْضَلِ الذِّكْرِ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الحَمْدُ لِلَّهِ» (٢)، وقال: «لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الأَذْكَارِ يُضَاعَفُ ما يُضَاعَفُ الحَمْدُ لِلَّهِ» (٣)، ولا تظنن أن هذه الحسنات بإزاء تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها في القلب «فسبحان الله» كلمة تدل على التقديس و «لا إله إلا الله» كلمة تدل على التوحيد و «الحمد لله» كلمة تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق. فالحسنات بإزاء هذه المعارف التي هي من أبواب الإيمان واليقين.

واعلم أن تمام هذه المعرفة ينفي الشرك في الأفعال، فمن أنعم عليه ملك من الملوك بشيء فإن رأى لوزيره أو وكيله دخلًا في تيسير ذلك وإيصاله إليه فهو إشراك به في النعمة، فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه، بل منه بوجه ومن غيره بوجه، فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون موحدًا في حق الملك.

نعم لا يغض من توحيده في حق الملك وكمال شكره أن يرى النعمة الواصلة إليه بتوقيعه الذي كتبه بقلمه وبالكاغذ الذي كتبه عليه، فإنه لا يفرح بالقلم والكاغذ ولا يشكرهما، لأنه لا يثبت لهما دخلًا من حيث هما موجودان بأنفسهما بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك.

وقد يعلم أن الوكيل الموصل والخازن أيضًا مضطرّان من جهة الملك في الإيصال، وأنه لو رد الأمر إليه ولم يكن من جهة الملك إرهاق وأمر جزم يخاف عاقبته لما سلم إليه شيئًا، فإذا عرف ذلك كان نظره إلى الخازن الموصل كنظره إلى القلم والكاغد، فلا يورث ذلك شركًا في توحيده من إضافة النعمة إلى الملك.

وكذلك من عرف الله تعالى وعرف أفعاله علم أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره كالعلم مثلًا في يد الكاتب وأن الحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها، فإن الله تعالى هو المسلط للدواعي عليها لتفعل ــ شاءت أم أبت ــ كالخازن المضطر الذي لا يجد سبيلًا إلى مخالفة الملك ولو خلى ونفسه لما أعطاك ذرة مما في يده.

فكل من وصل إليك نعمة من الله تعالى على يده فهو مضطر إذ سلط الله عليه الإرادة وهيج

(١) صحيح: حديث «من قال سبحان الله فله عشر حسنات». تقدم في الدعوات. [أحمد: ٨٠٣٢ بنحوه، وانظر صحيح الترغيب: ١٥٥٤ عن أبي مسعود وأبي هريرة].

(٢) حسن: حديث «أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله». أخرجه الترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه وابن حبان من حديث جابر. [الترمذي: ٣٣٨٣، وابن ماجه: ٣٨٠٠، وانظر صحيح الترغيب: ١٥٢٦].

(٣) حديث «ليس شيء من الأذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله». لم أجده مرفوعا وإنما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر عن إبراهيم النخعي. يقال إن الحمد أكثر الكلام تضعيفا.

عليه الدواعي وألقى في نفسه أنّ خيره في الدنيا والآخرة أن يعطيك ما أعطاك، وأن غرضه المقصود عنده في الحال والمآل لا يحصل إلا به.

وبعد أن خلق الله له هذا الاعتقاد لا يجد سبيلًا إلى تركه، فهو إذن إنما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولو لم يكن غرضه في العطاء لما أعطاك، ولو لم يعلم أن منفعته في منفعتك لما نفعك فهو إذن إنما يطلب نفع نفسه بنفعك فليس منعمًا عليك بل اتخذك وسيلة إلى نعمة أخرى وهو يرجوها.

وإنما الذي أنعم عليك هو الذي سخره لك وألقى في قلبه من الاعتقادات والإرادات ما صار به مضطرًا إلى الإيصال إليك. فإن عرفت الأمور كذلك فقد عرفت الله تعالى وعرفت فعله، وكنت موحدًا وقدرت على شكره، بل كنت بهذه المعرفة بمجرّدها شاكرًا.

ولذلك قال موسى عليه السلام في مناجاته: إلهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك؟ فقال الله عز وجل: علم أن كل ذلك مني فكانت معرفته شكرًا.

فإذن لا تشكر إلا بأن تعرف أن الكل منه، فإن خالجك ريب في هذا لم تكن عارفًا لا بالنعمة ولا بالمنعم، فلا تفرح بالمنعم وحده بل وبغيره، فبنقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك: فهذا بيان هذا الأصل.

الأصل الثاني: الحال المستمدة من أصل المعرفة: وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع، وهو أيضًا في نفسه شكر على تجرّده كما أن المعرفة شكر ولكن إنما يكون شكرًا إذا كان حاويًا شرطه، وشرطه أن يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالإنعام، ولعل هذا مما يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثلًا فنقول: الملك الذي يريد الخروج إلى سفره فأنعم بفرس على إنسان يتصوّر أن يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يفرح بالفرس من حيث إنه فرس وإنه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وإنه جواد نفيس، وهذا فرح من لا حظ له في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحراء فأخذه لكان فرحه مثل ذلك الفرح.

الوجه الثاني: أن يفرح به لا من حيث إنه فرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه، حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء أو أعطاه غير الملك لكان لا يفرح به أصلًا لاستغنائه عن الفرس أصلًا أو استحقاره له بالإضافة إلى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك.

الوجه الثالث: أن يفرح به ليركبه ليخرج في خدمة الملك ويتحمل مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه، وربما يرتقي إلى درجة الوزارة من حيث إنه ليس يقنع بأن يكون محله في قلب الملك أن يعطيه فرسًا ويعتني به هذا القدر من العناية، بل هو طالب لأن لا ينعم الملك بشيء من ماله على أحد إلا بواسطته، ثم إنه ليس يريد من الوزارة الوزارة بل يريد مشاهدة

الملك والقرب منه، حتى لو خير بين القرب منه دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب، فهذه ثلاث درجات، فالأولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلًا لأن نظر صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطي، وهذا حال كل من فرح بنعمة من حيث إنها لذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر، والثانية داخلة في معنى الشكر من حيث إنه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحثه على الإنعام في المستقبل، وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفًا من عقابه ورجاء لثوابه، وإنما الشكر التام في الفرح الثالث، وهو أن يكون فرح العبد بنعمة الله تعالى من حيث إنه يقدر بها على التوصل إلى القرب منه تعالى والنزول في جواره والنظر إلى وجهه على الدوام، فهذا هو الرتبة العليا، وأمارته أن لا يفرح من الدنيا إلا بما هو مزرعة للآخرة ويعينه عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتصدّه عن سبيله، لأنه ليس يريد النعمة لأنها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لأنه جواد ومهملج بل من حيث إنه يحمله في صحبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه، ولذلك قال الشبلي رحمه الله: الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة.

وقال الخوّاص رحمه الله: شكر العامة على المطعم والملبس والمشرب. وشكر الخاصة على واردات القلوب، وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس من الألوان والأصوات وخلا عن لذة القلب، فإنّ القلب لا يلتذ في حال الصحة إلا بذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه، وإنما يلتذ بغيره إذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس بأكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الأشياء الحلوة ويستحلي الأشياء المرّة كما قيل:

ومَنْ يكُ ذا فمٍ مرّ مريض ... يجد مرًّا به الماء الزلالا

فإذن هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى، فإن لم تكن إبل فمعزى، فإن لم يكن هذا فالدرجة الثانية، أما الأولى فخارجة عن كل حساب، فكم من فرق بين من يريد الملك للفرس ومن يريد الفرس للملك، وكم من فرق بين من يريد الله لينعم عليه وبين من يريد نعم الله ليصل بها إليه.

الأصل الثالث: العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم.

وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح أما بالقلب فقصد الخير وإضماره لكافة الخلق. وأما باللسان فإظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه، وأما بالجوارح: فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته، حتى إن شكر العينين: أن تستر كل عيب تراه لمسلم، وشكر الأذنين: أن تستر كل عيب تسمعه فيه، فيدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الأعضاء والشكر باللسان: لإظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به؛ فقد قال ﷺ لرجل: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟» قال بخير، فأعاد ﷺ السؤال حتى قال

في الثالثة: بخير أحمد الله وأشكره، فقال ﷺ: «هذا الَّذِي أَرَدْتُ مِنْكَ»[(١)]، وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعًا والمستنطق له به مطيعًا وما كان قصدهم الرياء بإظهار الشوق، وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت؛ فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من أهل الدين، وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك وبيده كل شيء إلى عبد ملوك لا يقدر على شيء؛ فالأحرى بالعبد إن لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وأفضى به الضعف إلى الشكوى أن تكون شكواه إلى الله تعالى، فهو المبلي والقادر على إزالة البلاء.

وذل العبد لمولاه عز، والشكوى إلى غيره ذل؛ وإظهار الذل للعبد مع كونه عبدًا مثله ذل قبيح.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت:١٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف:١٩٤] فالشكر باللسان من جملة الشكر. وقد روي أن وفدًا قدموا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فقام شاب ليتكلم، فقال عمر: الكبر الكبر فقال: يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالسن لكان في المسلمين من هو أسن منك فقال: تكلم، فقال: لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة، أما الرغبة فقد أوصلها إلينا فضلك، وأما الرهبة فقد آمننا منها عدلك، وإنما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف. فهذه هي أصول معاني الشكر المحيطة بمجموع حقيقته.

فأما قول من قال إن الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع فهو نظر إلى فعل اللسان مع بعض أحوال القلب. وقول من قال إن الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه نظر إلى مجرّد عمل اللسان.

وقول القائل: إن الشكر هو الاعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة: جامع لأكثر معاني الشكر لا يشذ منه إلا عمل اللسان. وقول حمدون القصار شكر النعمة: أن ترى نفسك في الشكر طفيليًا، إشارة إلى أن معنى المعرفة من معاني الشكر فقط وقول الجنيد الشكر: أن لا ترى نفسك أهلًا للنعمة: إشارة إلى حال من أحوال القلب على الخصوص وهؤلاء أقوالهم تعرب على أحوالهم؛ فلذلك تختلف أجوبتهم ولا تتفق، ثم قد يختلف جواب

---

(١) **صحيح:** حديث قال ﷺ لرجل «كيف أصبحت؟» فقال: بخير، فأعاد السؤال حتى قال في الثالثة: بخير أحمد الله وأشكره، فقال «هذا الذي أردت منك». أخرجه الطبراني في الدعاء من رواية الفضيل بن عمرو مرفوعا نحوه، قال في الثالثة: أحمد الله. وهذا معضل، ورواه في المعجم الكبير من حديث عبد الله بن عمرو ليس فيه تكرار السؤال وقال: أحمد الله إليك، وفيه راشد بن سعد ضعفه الجمهور لسوء حفظه، ورواه مالك في الموطأ موقوفا على عمر بإسناد صحيح. [انظر السلسلة الصحيحة: ٢٩٥٢].

كل واحد في حالتين لأنهم لا يتكلمون إلا عن حالتهم الراهنة الغالبة عليهم اشتغالاً بما يهمهم عما لا يهمهم، أو يتكلمون بما يرونه لائقًا بحال السائل، اقتصارًا على ذكر القدر الذي يحتاج إليه، وإعراضًا عما لا يحتاج إليه؛ فلا ينبغي أن تظن أن ما ذكرناه طعن عليهم وأنه لو عرض عليهم جميع المعاني التي شرحناها كانوا ينكرونها، بل لا يظن ذلك بعاقل أصلاً إلا أن تعرض منازعة من حيث اللفظ في أن اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع المعاني، أم يتناول بعضها مقصودًا وبقية المعاني تكون من توابعه ولوازمه؟ ولسنا نقصد في هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم طريق الآخرة في شيء، والله الموفق برحمته.

بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى:

لعلك يخطر ببالك أنّ الشكر إنما يعقل في حق منعم هو صاحب حظ في الشكر، فإنا نشكر الملوك إما بالثناء ليزيد محلهم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم، أو بالخدمة التي هي إعانة لهم على بعض أغراضهم أو بالمثول بين أيديهم في صورة الخدم، وذلك تكثير لسوادهم وسبب لزيادة جاههم، فلا يكونون شاكرين لهم إلا بشيء من ذلك، وهذا محال في حق الله تعالى من وجهين:

أحدهما: أن الله تعالى منزه عن الحظوظ والأغراض، مقدّس عن الحاجة إلى الخدمة والإعانة، وعن نشر الجاه والحشمة بالثناء والإطراء، وعن تكثير سواد الخدم بالمثول بين يديه ركعًا سجدًا؛ فشكرنا إياه بما لاحظ فيه يضاهي شكرنا الملك المنعم علينا بأن ننام في بيوتنا أو نسجد أو نركع، إذ لاحظ للملك فيه وهو غائب لا علم له، ولاحظ لله تعالى في أفعالنا كلها.

الوجه الثاني: أن كل ما نتعاطاه باختيارنا فهو نعمة أخرى من نعم الله علينا، إذ جوارحنا وقدرتنا وإرادتنا وداعيتنا وسائر الأمور التي هي أسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته فكيف نشكر نعمة بنعمة، ولو أعطانا الملك مركوبًا فأخذنا مركوبًا آخر له وركبناه، أو أعطانا الملك مركوبًا آخر لم يكن الثاني شكر للأول منا بل كان الثاني يحتاج إلى شكر كما يحتاج الأوّل، ثم لا يمكن شكر الشكر إلا بنعمة أخرى فيؤدي إلى أن يكون الشكر محالاً في حق الله تعالى من هذين الوجهين.

ولسنا نشك في الأمرين جميعًا، والشرع قد ورد به فكيف السبيل إلى الجمع؟ فاعلم أن هذا الخاطر قد خطر لداود عليه السلام، وكذلك لموسى عليه السلام فقال: يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك؟ وفي لفظ آخر: وشكري لك نعمة أخرى منك توجب عليّ الشكر لك؟ فأوحى الله تعالى إليه: إذا عرفت هذا فقد شكرتني.

وفي خبر آخر: إذا عرفت أنّ النعمة مني رضيت منك بذلك شكرًا.

فإن قلت: فقد فهمت السؤال وفهمي قاصر عن إدراك معنى ما أوحي إليهم؛ فإني أعلم

استحالة الشكر لله تعالى، فأما كون العلم باستحالة الشكر شكرًا فلا أفهمه، فإنّ هذا العلم أيضًا نعمة منه فكيف صار شكرًا؟ وكأنّ الحاصل يرجع إلى أنّ من لم يشكر فقد شكر، وأنّ قبول الخلعة الثانية من الملك شكر للخلعة الأولى، والفهم قاصر عن درك السر فيه فإن أمكن تعريف ذلك بمثال فهو مهم في نفسه.

فاعلم أنّ هذا قرع باب من المعارف وهي أعلى من علوم المعاملة، ولكنا نشير منها إلى ملامح ونقول: هاهنا نظران: نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرّفك قطعًا أنه الشاكر وأنه المشكور وأنه المحب وأنه المحبوب، وهذا نظر من عرف أنه ليس في الوجود غيره وأن كل شيء هالك إلا وجهه وأن ذلك صدق في كل حال أزلًا وأبدًا، لأن الغير هو الذي يتصوّر أن يكون له بنفسه قوام، ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال أن يوجد، إذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه، وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره؛ فإن اعتبر ذاته ولم يلتفت إلى غيره لم يكن له وجود البتة، وإنما الموجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره بقي موجودًا فإن كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم، ولا قيوم إلا واحد، ولا يتصوّرأن يكون غير ذلك؛ فإذن ليس في الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الصمد؛ فإذا نظرت من هذا المقام عرفت أن الكل منه مصدره وإليه مرجعه، فهو الشاكر وهو المشكور، وهو المحب وهو المحبوب، ومن هاهنا نظر حبيب بن أبي حبيب حيث قرأ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:٤٤] فقال واعجباه أعطى وأثنى إشارة إلى أنه إذا أثنى على إعطائه فعلى نفسه أثنى، فهو المثني وهو المثنى عليه، ومن هاهنا نظر الشيخ أبو سعيد الميهني حيث قرىء بين يديه: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤] فقال: لعمري يحبهم ودعه يحبهم فبحق يحبهم لأنه إنما يحب نفسه، أشار به إلى أنه المحب وأنه المحبوب، وهذه رتبة عالية لا تفهمها إلا بمثال على حدّ عقلك، فلا يخفى عليك أنّ المصنف إذا أحب تصنيفه فقد أحب نفسه، والصانع إذا أحب صنعته فقد أحب نفسه، والوالد إذا أحب ولده من حيث إنه ولده فقد أحب نفسه، وكل ما في الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وصنعته؛ فإن أحبه فما أحب إلا نفسه، وإذا لم يحب إلا نفسه فبحق أحب ما أحب؛ وهذا كله نظر بعين التوحيد، وتعبر الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس أي فنى عن نفسه وعن غير الله فلم ير إلا الله تعالى، فمن لم يفهم هذا ينكر عليهم ويقول: كيف فنى وطول ظله أربعة أذرع ولعله يأكل في كل يوم أرطالًا من الخبز، فيضحك عليهم الجهال لجهلهم بمعاني كلامهم، وضرورة قول العارفين أن يكونوا ضحكة للجاهلين، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [المطففين:٢٩-٣٣] ثم بين أن ضحك العارفين عليهم غدا أعظم، إذ قال تعالى:

﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٤-٣٥] وكذلك أمة نوح عليه السلام كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة قال: ﴿إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨] فهذا أحد النظرين.

النظر الثاني: نظر من لم يبلغ إلى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسمان: قسم لم يثبتوا إلا وجود أنفسهم وأنكروا أن يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون وعماهم في كلتا العينين لأنهم نفوا ما هو الثابت تحقيقًا وهو القيوم الذي هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فقائم به، ولم يقتصروا على هذا حتى أثبتوا أنفسهم، ولو عرفوا لعلموا أنهم من حيث هم هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم، وإنما وجودهم من حيث أوجدوا لا من حيث وجدوا، وفرق بين الموجود وبين الموجد، وليس في الوجود إلا موجود واحد وموجد، فالموجود حق والموجد باطل من حيث هو هو، والموجود قائم وقيوم والموجد هالك وفان، وإذا كان كل من عليها فان، فلا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام.

الفريق الثاني: ليس بهم عمى ولكن بهم عور، لأنهم يبصرون بإحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه، والعين الأخرى إن تم عماها لم يبصر بها فناء غير الموجود الحق، فأثبت موجودًا آخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقًا كما أنّ الذي قبله جاحد تحقيقًا: فإن جاوز حد العمى إلى العمش أدرك تفاوتًا بين الموجودين، فأثبت عبدًا وربًا، فبهذا القدر من إثبات التفاوت والنقص من الموجود الآخر دخل في حد التوحيد، ثم إن كحل بصره بما يزيد في أنواره فيقل عمشه وبقدر ما يزيد في بصره يظهر له نقصان ما أثبته سوى الله تعالى؛ فإن بقي في سلوكه كذلك فلا يزال يفضي به النقصان إلى المحو، فينمحي عن رؤية ما سوى الله فلا يرى إلا الله، ليكون قد بلغ كمال التوحيد، وحيث أدرك نقصًا في وجود ما سوى الله تعالى دخل في أوائل التوحيد، وبينهما درجات لا تحصى، فبهذا تتفاوت درجات الموحدين، وكتب الله المنزلة على ألسنة رسله هي الكحل الذي به يحصل أنوار الأبصار، والأنبياء هم الكحالون، وقد جاءوا داعين إلى التوحيد المحض، وترجمته قول «لا إله إلا الله» ومعناه أن لا يرى إلا الواحد الحق، والواصلون إلى كمال التوحيد هم الأقلون، والجاحدون والمشركون أيضًا قليلون، وهم على الطرف الأقصى المقابل لطرف التوحيد، إذ عبدة الأوثان قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] فكانوا داخلين في أوائل أبواب التوحيد دخولًا ضعيفًا، والمتوسطون هم الأكثرون، وفيهم من تنفتح بصيرته في بعض الأحوال فتلوح له حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت، وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانًا ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز.

لكل إلى شأو العلا حركاتُ ... ولكن عزيز في الرجال ثباتُ

ولما أمر الله تعالى نبيه ﷺ بطلب القرب فقيل له: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩] قال في

سجوده: «أَعوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ عِقَابِكَ وَأَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»(١)؛ فقوله ﷺ: «أَعُوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ عِقَابِكَ» كلام عن مشاهدة فعل الله فقط، فكأنه لم ير إلا الله وأفعاله، فاستعاذ بفعله من فعله «ثم اقترب ففني عن مشاهدة الأفعال، وترقى إلى مصادر الأفعال وهي الصفات فقال: أعوذ برضاك من سخطك» وهما صفتان، ثم رأى ذلك نقصانًا في التوحيد فاقترب ورقي من مقام مشاهدة الصفات إلى مشاهدة الذات فقال «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ» وهذا فرار منه إليه من غير رؤية فعل وصفة، ولكنه رأى نفسه فارًّا منه إليه ومستعيذًا ومثنيًا، ففني عن مشاهدة نفسه إذ رأى ذلك نقصانًا واقترب فقال: «لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ» فقوله ﷺ: «لا أُحْصِي» خبر عن فناء نفسه وخروج عن مشاهدتها، وقوله: «أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ» بيان أنه المثني والمثنى عليه وأن الكل منه بدا وإليه يعود وأن كل شيء هالك إلا وجهه؛ فكان أول مقاماته نهاية مقامات الموحدين وهو أن لا يرى إلا الله تعالى وأفعاله، فيستعيذ بفعل من فعل: فانظر إلى ماذا انتهت نهايته إذا انتهى إلى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات الحق، ولقد كان لا يرقى من رتبة إلى أخرى إلا ويرى الأولى بعدًا بالإضافة إلى الثانية، فكان يستغفر الله من الأولى ويرى ذلك نقصًا في سلوكه وتقصيرًا في مقامه، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي حَتَّى أَسْتَغْفِرَ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ سَبْعِينَ مَرَّةً»(٢)، فكان ذلك لترقيه إلى سبعين مقامًا بعضها فوق البعض: أوّلها وإن كان مجاوزًا أقصى غايات الخلق ولكن كان نقصانًا بالإضافة إلى آخرها، فكان استغفاره لذلك.

ولما قالت عائشة رضي الله عنها: أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا البكاء في السجود وما هذا الجهد الشديد؟ قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا»(٣)، معناه، أفلا أكون طالبًا للمزيد في المقامات. فإن الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

وإذا تغلغلنا في بحار المكاشفة فلنقبض العنان، ولنرجع إلى ما يليق بعلوم المعاملة: فنقول الأنبياء عليهم السلام بعثوا لدعوة الخلق إلى كمال التوحيد الذي وصفناه، ولكن بينهم وبين الوصول إليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة، وإنما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة

---

(١) صحيح: حديث قال في سجوده «أعوذ بالله بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك». أخرجه مسلم من حديث عائشة: أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك... الحديث. [مسلم: ٤٨٦].

(٢) صحيح: حديث «إنه ليغان على قلبي». تقدم في التوبة، وقبله في الدعوات. [مسلم: ٢٧٠٢].

(٣) صحيح: حديث عائشة لما قالت له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا البكاء». رواه أبو الشيخ وهو بقية حديث عطاء عنها المتقدم قبل هذا بتسعة أحاديث، وهو عند مسلم من رواية عروة عنها مختصرا وكذلك هو في الصحيحين مختصرا من حديث المغيرة بن شعبة. [البخاري: ٤٨٣٧، ومسلم: ٢٨٢٠ عن عروة عن عائشة، والبخاري: ٦٤٧١، ومسلم: ٢٨١٩ عن المغيرة].

وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة أخرى ومقام آخر فيظهر في ذلك المقام بالإضافة إلى تلك المشاهدة الشكر والشاكر والمشكور، ولا يعرف ذلك إلا بمثال فأقول: يمكنك أن تفهم أن ملكًا من الملوك أرسل إلى عبد قد بعد منه مركوبًا وملبوسًا ونقدًا لأجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك، ثم يكون له حالتان:

إحداهما: أن يكون قصده من وصول العبد إلى حضرته أن يقوم ببعض مهماته ويكون له عناية في خدمته.

والثانية: أن لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة به إليه، بل حضوره لا يزيد في ملكه لأنه لا يقوى على القيام بخدمة تغني فيه غناء، وغيبته لا تنقص من ملكه، فيكون قصد من الإنعام عليه بالمركوب والزاد أن يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه لا لينتفع الملك به وبانتفاعه، فمنزل العباد من الله تعالى في المنزلة الثانية لا في المنزلة الأولى فإن الأولى محال على الله تعالى، والثانية غير محال.

ثم اعلم أن العبد لا يكون شاكرًا في الحالة الأولى بمجرد الركوب والوصول إلى حضرته ما لم يقم بخدمته التي أرادها الملك منه.

وأما في الحالة الثانية فلا يحتاج إلى الخدمة أصلًا، ومع ذلك يتصوّر أن يكون شاكرًا وكافرًا ويكون شكره بأن يستعمل ما أنفذه إليه مولاه فيما أحبه لأجله لا لأجل نفسه، وكفره أن لا يستعمل ذلك فيه بأن يعطله أو يستعمله فيما يزيد في بعده منه، فمهما لبس العبد الثوب وركب الفرس ولم ينفق الزاد إلا في الطريق فقد شكره مولاه إذ استعمل نعمته في محبته: أي فيما أحبه لعبده لا لنفسه، وإن ركبه واستدبر حضرته وأخذ يبعد منه فقد كفر نعمته: أي استعملهما فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه، وإن جلس ولم يركب لا في طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر أيضًا نعمته إذ أهملها وعطلها، وإن كان هذا دون ما لو بعد منه، فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون إلى استعمال الشهوات لتكمل بها أبدانهم فيبعدون بها عن حضرته، وإنما سعادتهم في القرب منه فأعدّ لهم من النعم ما يقدرون على استعماله في نيل درجة القرب، وعن بعدهم وقربهم عبر الله تعالى إذ قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [التين: ٤-٦] الآية، فإذن نعم الله تعالى آلات يترقى العبد بها عن أسفل السافلين، خلقها الله تعالى لأجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب، والله تعالى غني عنه قرب أم بعد، والعبد فيها بين أن يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر لموافقة محبة مولاه وبين أن يستعملها في معصيته فقد كفر لاقتحامه ما يكرهه مولاه ولا يرضاه له؛ فإن الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية، وإن عطلها ولم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو أيضًا كفران للنعمة بالتضييع، وكل ما خلق في الدنيا إنما خلق آلة للعبد ليتوصل به

إلى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله تعالى؛ فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمة الله في الأسباب التي استعملها في الطاعة، وكل كسلان ترك الاستعمال أو عاص استعملها في طريق البعد فهو كافر جار في غير محبة الله تعالى؛ فالمعصية والطاعة تشملهما المشيئة ولكن لا تشملهما المحبة والكراهة، بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه.

ووراء بيان هذه الدقيقة سر القدر الذي منع من إفشائه، وقد انحل بهذا الإشكال الأوّل: وهو أنه إذا لم يكن للمشكور حظ فكيف يكون الشكر؛ وبهذا أيضًا ينحل الثاني؛ فإنا لم نَعْنِ بالشكر إلا انصراف نعمة الله في جهة محبة الله فإذا انصرفت النعمة في جهة المحبة بفعل الله فقد حصل المراد، وفعلك عطاء من الله تعالى، ومن حيث أنت محله فقد أثنى عليك، وثناؤه نعمة أخرى منه إليك؛ فهو الذي أعطى وهو الذي أثنى وصار أحد فعليه سببًا لانصراف فعله الثاني إلى جهة محبته، فله الشكر على كل حال، وأنت موصوف بأنك شاكر بمعنى أنك محل المعنى الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى أنك موجب له، كما أنك موصوف بأنك عارف وعالم لا بمعنى أنك خالق للعلم وموجده، ولكن بمعنى أنك محل له، وقد وجد بالقدرة الأزلية فيك؛ فوصفك بأنك شاكر إثبات شيئية لك وأنت شيء، إذ جعلك خالق الأشياء شيئًا وإنما أنت لا شيء إذا كنت أنت ظانًا لنفسك شيئًا من ذاتك؛ فأما باعتبار النظر إلى الذي جعل الأشياء شيئًا فأنت شيء إذ جعلك شيئًا؛ فإن قطع النظر عن جعله كنت لا شيء تحقيقًا، وإلى هذا أشار ﷺ حيث قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» (١)، لما قيل له: يا رسول الله ففيم العمل إذا كانت الأشياء قد فرغ منها من قبل؟ فتبين أن الخلق مجاري قدرة الله تعالى ومحل أفعاله وإن كانوا هم أيضًا من أفعاله ولكن بعض أفعاله محل للبعض.

وقوله: «اعملوا» وإن كان جاريًا على لسان الرسول فهو فعل من أفعاله، وهو سبب لعلم الخلق أن العمل نافع، وعلمهم فعل من أفعال الله تعالى، والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة إلى الحركة والطاعة، وانبعاث الداعية أيضًا من أفعال الله تعالى، وهو سبب لحركة الأعضاء وهي أيضًا من أفعال الله تعالى، ولكن بعض أفعاله سبب للبعض أي الأوّل شرط للثاني كما كان خلق الجسم سببًا لخلق العرض إذ لا يخلق العرض قبله، وخلق الحياة شرط لخلق العلم وخلق العلم شرط لخلق الإرادة والكل من أفعال الله تعالى وبعضها سبب للبغض: أي هو شرط، ومعنى كونه شرطًا أنه لا يستعدّ لقبول فعل الحياة إلا جوهر ولا يستعدّ لقبول العلم إلا ذو حياة ولا لقبول الإرادة إلا ذو علم، فيكون بعض أفعاله سببًا للبعض بهذا المعنى لا بمعنى أنّ بعض أفعاله موجد لغيره بل ممهد شرط الحصول لغيره، وهذا إذا حقق ارتقى إلى درجة التوحيد الذي ذكرناه.

---

(١) صحيح: حديث «اعملوا فكل ميسر لما خلق له». من حديث علي وعمران بن حصين. [البخاري: ٤٩٤٩، ومسلم: ٢٧٤٧ عن علي، أحمد: ٩٣٦٨ عن عمران بن حصين].

فإن قلت: فلم قال الله تعالى اعملوا وإلا فأنتم معاقبون مذمومون على العصيان، وما إلينا شيء فكيف نذم وإنما الكل إلى الله تعالى؟ فاعلم أنّ هذا القول من الله تعالى سبب لحصول اعتقاد فينا، والاعتقاد سبب لهيجان الخوف، وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافي عن دار الغرور، وذلك سبب للوصول إلى جوار الله، والله تعالى مسبب الأسباب ومرتبها، فمن سبق له في الأزل السعادة يسر له هذه الأسباب حتى يقوده بسلسلتها إلى الجنة، ويعبر عن مثله بأن كلًّا ميسر لما خلق له، ومن لم يسبق له من الله الحسنى بعد عن سماع كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ وكلام العلماء؛ فإذا لم يسمع لم يعلم «وإذا لم يعلم لم يخف»، وإذا لم يخف لم يترك الركون إلى الدنيا، وإذا لم يترك الركون إلى الدنيا بقي في حزب الشيطان، وإن جهنم لموعدهم أجمعين؛ فإذا عرفت هذا تعجبت من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل؛ فما من أحد إلا وهو مقود إلى الجنة بسلاسل الأسباب، وهو تسليط العلم والخوف عليه.

وما من مخذول إلا وهو مقود إلى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والأمن والغرور عليه، فالمتقون يساقون إلى الجنة قهرًا، والمجرمون يقادون إلى النار قهرًا، ولا قاهر إلا الله الواحد القهار، ولا قادر إلا الملك الجبار، وإذا انكشف الغطاء عن أعين الغافلين فشاهدوا الأمر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادي ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦] ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لا ذلك اليوم على الخصوص، ولكنّ الغافلين لا يسمعون هذا النداء إلا ذلك اليوم، فهو نبأ عما يتجدد للغافلين من كشف الأحوال حيث لا ينفعهم الكشف؛ فنعوذ بالله الحليم الكريم من الجهل والعمى فإنه أصل أسباب الهلاك.

بيان تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه:

اعلم أنّ فعل الشكر وترك الكفر لا يتم إلا بمعرفة ما يحبه الله تعالى عما يكرهه، إذ معنى الشكر استعمال نعمه تعالى في محابه، ومعنى الكفر نقيض ذلك إما بترك الاستعمال أو باستعمالها في مكارهه. ولتمييز ما يحبه الله تعالى مما يكرهه مدركان:

أحدهما: السمع، ومستنده الآيات والأخبار.

والثاني: بصيرة القلب، وهو النظر بعين الاعتبار، وهذا الأخير عسير، وهو لأجل ذلك عزيز. فلذلك أرسل الله تعالى الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق، ومعرفة ذلك تنبني على معرفة جميع أحكام الشرع في أفعال العباد، فمن لا يطلع على أحكام الشرع في جميع أفعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر أصلًا.

وأما الثاني وهو النظر بعين الاعتبار فهو إدراك حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه، إذ ما خلق شيئًا في العالم إلا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب، وتلك الحكمة منقسمة إلى جلية وخفية.

أما الجلية فكالعلم بأن الحكمة في خلق الشمس أن يحصل بها الفرق بين الليل والنهار، فيكون النهار معاشًا والليل لباسًا فتتيسر الحركة عند الإبصار، والسكون عند الاستتار، فهذا من جملة حكم الشمس لا كل الحكم فيها بل فيها حكم أخرى كثيرة دقيقة، وكذلك معرفة الحكمة في الغيم ونزول الأمطار وذلك لانشقاق الأرض بأنواع النبات مطعمًا للخلق ومرعى للأنعام، وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الجلية التي تحملها أفهام الخلق دون الدقيق الذي يقصرون عن فهمه، إذ قال تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا﴾ [عبس:٢٥-٢٨]الآية.

وأما الحكمة في سائر الكواكب السيارة منها والثوابت فخفية لا يطلع عليها كافة الخلق، والقدر الذي يحتمله فهم الخلق أنها زينة للسماء لتستلذ العين بالنظر إليها، وأشار إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات:٦]فجميع أجزاء العالم سماؤه وكواكبه ورياحه وبحاره وجباله ومعادنه ونباته وحيواناته وأعضاء حيواناته لا تخلو ذرّة من ذرّاته عن حكم كثيرة من حكمه واحدة إلى عشرة إلى ألف إلى عشرة آلاف، وكذا أعضاء الحيوان تنقسم إلى ما يعرف حكمتها كالعلم بأن العين للإبصار لا للبطش، واليد للبطش لا للمشي، والرجل للمشي لا للشم، فأما الأعضاء الباطنة من الأمعاء والمرارة والكبد والكلية وآحاد العروق والأعصاب والعضلات وما فيها من التجاويف والالتفاف والاشتباك والانحراف والدقة والغلظ وسائر الصفات فلا يعرف الحكمة فيها سائر الناس، والذين يعرفونها لا يعرفون منها إلا قدرًا يسيرًا بالإضافة إلى ما في علم الله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥] فإذن كل من استعمل شيئًا في جهة غير الجهة التي خلق لها ولا على الوجه الذي أريد به فقد كفر فيه نعمة الله تعالى، فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد إذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه ويأخذ ما ينفعه لا ليهلك بها غيره، ومن نظر إلى وجه غير المحرم فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس، إذ الإبصار يتم بهما، وإنما خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقي بهما ما يضره فيهما، فقد استعملها في غير ما أريدتا به، وهذا لأنّ المراد من خلق الخلق وخلق الدنيا وأسبابها أن يستعين الخلق بهما على الوصول إلى الله تعالى ولا وصول إليه إلا بمحبته والأنس به في الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا، ولا أنس إلا بدوام الذكر ولا محبة إلا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر، ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر إلا بدوام البدن، ولا يبقى البدن إلا بالغذاء، ولا يتم الغذاء إلا بالأرض والماء والهواء، ولا يتم ذلك إلا بخلق السماء والأرض وخلق سائر الأعضاء ظاهرًا وباطنًا، فكل ذلك لأجل البدن والبدن مطية النفس، والراجع إلى الله تعالى هي النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة، فلذلك قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٧]الآية، فكل من استعمل شيئًا في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع الأسباب التي لا بدّ منها لإقدامه

على تلك المعصية.

ولنذكر مثالًا واحدًا للحكم الخفية التي ليست في غاية الخفاء حتى تعتبر بها وتعلم طريقة الشكر والكفران على النعم فنقول: من نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وبهما قوام الدنيا وهما حجران لا منفعة في أعيانهما ولكن يضطر الخلق إليهما من حيث إن كل إنسان محتاج إلى أعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته، وقد يعجز عما يحتاج إليه ويملك ما يستغني عنه.

كما يملك الزعفران مثلًا وهو محتاج إلى جمل يركبه، ومن يملك الجمل ربما يستغني عنه ويحتاج إلى الزعفران، فلا بد بينهما من معاوضة ولا بدّ في مقدار العوض من تقدير، إذ لا يبذل صاحب الجمل جمله بكل مقدار من الزعفران، ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطى منه مثله في الوزن أو الصورة.

وكذا من يشتري دارًا بثياب أو عبدًا بخف أو دقيقًا بحمار فهذه الأشياء لا تناسب فيها، فلا يدري أن الجمل كم يسوى بالزعفران فتتعذر المعاملات جدًّا، فافتقرت هذه الأعيان المتنافرة المتباعدة إلى متوسط بينها يحكم فيها بحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته ومنزلته حتى إذا تقرّرت المنازل وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوي من غير المساوي، فخلق الله تعالى الدنانير والدراهم حاكمين ومتوسطين بين سائر الأموال حتى تقدّر الأموال بهما، فيقال: هذا الجمل يسوى مائة دينار وهذا القدر من الزعفران يسوى مائة، فهما من حيث إنهما مساويان بشيء واحد إذن متساويان، وإنما أمكن التعديل بالنقدين إذ لا غرض في أعيانهما ولو كان في أعيانهما غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحًا ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الأمر، فإذن خلقهما الله تعالى لتتداولهما الأيدي ويكونا حاكمين بين الأموال بالعدل ولحكمة أخرى وهي التوسل بهما إلى سائر الأشياء لأنهما عزيزان في أنفسهما ولا غرض في أعيانهما ونسبتهما إلى سائر الأحوال نسبة واحدة فمن ملكهما فكأنه ملك كل شيء، لا كمن ملك ثوبًا فإنه لم يملك إلا الثوبَ، فلو احتاج إلى طعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب لأن غرضه في دابة مثلًا فاحتيج إلى شيء وهو في صورته كأنه ليس بشيء وهو في معناه كأنه كل الأشياء، والشيء إنما تستوي نسبته إلى المختلفات إذا لم تكن له صورة خاصة يفيدها بخصوصها، كالمرآة لا لون لها، وتحكي كل لون فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة إلى كل غرض، وكالحرف لا معنى له في نفسه وتظهر به المعاني في غيره، فهذه هي الحكمة الثانية، وفيهما أيضًا حكم يطول ذكرها فكل من عمل فيهما عملًا لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمة الله تعالى فيهما، فإذن من كنزهما فقد ظلمهما وأبطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمتنع عليه الحكم بسببه؛ لأنه إذا كنز فقد ضيع الحكم ولا يحصل

الغرض المقصود به، وما خلقت الدراهم والدنانير لزيد خاصة ولا لعمرو خاصة إذ لا غرض للآحاد في أعيانهما فإنهما حجران، وإنما خلقا لتتداولهما الأيدي فيكونا حاكمين بين الناس وعلامة معرفة للمقادير مقوّمة للمراتب، فأخبر الله تعالى الذين يعجزون عن قراءة الأسطر الإلهية المكتوبة في صفحات الموجودات بخط إلهي لا حرف فيه ولا صوت الذي لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة - أخبر هؤلاء العاجزين بكلام سمعوه من رسوله ﷺ حتى وصل إليهم بواسطة الحرف والصوت المعني الذي عجزوا عن إدراكه، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤] وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير آنية من ذهب أو فضة فلقد كفر النعمة وكان أسوأ حالًا ممن كنز لأن مثال هذا مثال من استسخر حاكم البلد في الحياكة والمكس والأعمال التي يقوم بها أخساء الناس، والحبس أهون منه، وذلك أن الخزف والحديد والرصاص والنحاس تنوب مناب الذهب والفضة في حفظ المائعات عن أن تتبدّد، وإنما الأواني لحفظ المائعات، ولا يكفي الخزف والحديد في المقصود الذي أريد به النقود فمن لم ينكشف له هذا انكشف له بالترجمة الإلهية وقيل له: من شرب في آنية من ذهب أو فضة فكأنما يجرجر في بطنه نار جهنم [(١)]، وكل من عامل معاملة الربا على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم لأنهما خلقا لغيرهما لا لنفسهما إذ لا غرض في عينهما، فإذا اتجر في عينهما فقد اتخذهما مقصودًا على خلاف وضع الحكمة، إذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا نقد معه فقد لا يقدر على أن يشتري به طعامًا ودابة، إذ ربما لا يباع الطعام والدابة بالثوب، فهو معذور في بيعه بنقد آخر ليحصل النقد فيتوصل به إلى مقصوده فإنهما وسيلتان إلى الغير لا غرض في أعيانهما، وموقعهما في الأموال كموقع الحرف من الكلام، كما قال النحويون: إنّ الحرف هو الذي جاء لمعنى في غيره، وكموقع المرآة من الألوان؛ فأما من معه نقد فلو جاز له أن يبيعه بالنقد فيتخذ التعامل على النقد غاية عمله فيبقى النقد مقيدًا عنده وينزل منزلة المكنوز، وتقييد الحاكم والبريد الموصل إلى الغير ظلم، كما أن حبسه ظلم، فلا معنى لبيع النقد بالنقد إلا اتخاذ النقد مقصودًا للادخار وهو ظلم.

فإن قلت: فلم جاز بيع أحد النقدين بالآخر، ولم جاز بيع الدرهم بمثله؟ فاعلم أن أحد النقدين يخالف الآخر في مقصود التوصل، إذ قد يتيسر التوصل بأحدهما من حيث كثرته كالدراهم تتفرق في الحاجات قليلًا قليلًا، ففي المنع منه ما يشوّش المقصود الخاص به؛ وهو تيسر التوصل به إلى غيره: وأما بيع الدرهم بدرهم يماثله فجائز من حيث إن ذلك لا يرغب فيه

---

(١) صحيح: حديث «من شرب في آنية من ذهب أو فضة فكأنما يجرجر في بطنه نار جهنم». متفق عليه من حديث أم سلمة، ولم يصرح المصنف بكونه حديثا. [البخاري: ٥٦٣٤، ومسلم: ٢٠٦٥].

عاقل مهما تساويا ولا يشتغل به تاجر فإنه عبث يجري مجرى وضع الدرهم على الأرض وأخذه بعينه، ونحن لا نخاف على العقلاء أن يصرفوا أوقاتهم إلى وضع الدرهم على الأرض وأخذه بعينه، فلا نمنع مما لا تتشوق النفوس إليه إلا أن يكون أحدهما أجود من الآخر، وذلك أيضًا لا يتصور جريانه؛ إذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الرديء فلا ينتظم العقد؛ وإن طلب زيادة في الرديء فذلك مما قد يقصده فلا جرم نمنعه منه ونحكم بأن جيدها ورديئها سواء؛ لأن الجودة والرداءة ينبغي أن ينظر إليهما فيما يقصد في عينه، وما لا غرض في عينه فلا ينبغي أن ينظر إلى مضافات دقيقة في صفاته، وإنما الذي ظلم هو الذي ضرب النقود مختلفة في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في أعيانها وحقها أن لا تقصد.

وأما إذا باع درهمًا بدرهم مثله نسيئة فإنما لم يجز ذلك لأنه لا يقدم على هذا إلا مسامح قاصد الإحسان في القرض وهو مكرمة مندوحة عنه لتبقى صورة المسامحة فيكون له حمد وأجر.

والمعاوضة لا حمد فيها ولا أجر، فهو أيضًا ظلم لأنه إضاعة خصوص المسامحة وإخراجها في معرض المعارضة، وكذلك الأطعمة خلقت ليتغذى بها أو يتداوى بها فلا ينبغي أن تصرف على جهتها فإن فتح باب المعاملة فيها يوجب تقييدها في الأيدي ويؤخر عنها الأكل الذي أريدت له، فما خلق الله الطعام إلا ليؤكل والحاجة إلى الأطعمة شديدة فينبغي أن تخرج عن يد المستغني عنها إلى المحتاج ولا يعامل على الأطعمة إلا مستغن عنها؛ إذ من معه طعام فلم لا يأكله إن كان محتاجًا ولم يجعله بضاعة تجارة، وإن جعله بضاعة تجارة فليبعه ممن يطلبه بعوض غير الطعام يكون محتاجًا إليه، فأما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو أيضًا مستغن عنه، ولهذا ورد في الشرع لعن المحتكر، وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب؛ نعم بائع البر بالتمر معذور، إذ أحدهما لا يسدّ مسدّ الآخر في الغرض وبائع صاع من البر بصاع منه غير معذور ولكنه عابث فلا يحتاج إلى منع لأن النفوس لا تسمح به إلا عند التفاوت في الجودة؛ ومقابلة الجيد بمثلها من الرديء لا يرضى بها صاحب الجيد.

وأما جيد برديئين فقد يقصد، ولكن لما كانت الأطعمة من الضروريات والجيد يساوي الرديء في أصل الفائدة ويخالفه في وجوه التنعم أسقط الشرع غرض التنعم فيما هو القوام، فهذه حكمة الشرع في تحريم الربا، وقد انكشف لنا هذا بعد الإعراض عن فن الفقه فلنلحق هذا بفن الفقهيات فإنه أقوى من جميع ما أوردناه في الخلافيات، وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعي رحمه الله في التخصص بالأطعمة دون المكيلات، إذ لو دخل الجص فيه لكانت الثياب والدواب أولى بالدخول؛ ولولا الملح لكان مذهب مالك رحمه الله أقوم المذاهب فيه إذ خصصه بالأوقات، ولكن كل معنى يرعاه الشرع فلا بد أن يضبط بحد وتحديد هذا كان ممكنًا بالقوت وكان ممكنًا بالمطعوم فرأى الشرع التحديد بجنس المطعوم أحرى لكل ما هو

ضرورة البقاء؛ وتحديدات الشرع قد تحيط بأطراف لا يقوى فيها أصل المعنى الباعث على الحكم؛ ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولو لم يحدّ لتحير الخلق في اتباع جوهر المعنى مع اختلافه بالأحوال والأشخاص.

فعين المعنى بكمال قوّته يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص فيكون الحدّ ضروريًا، فلذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق:١]ولأنّ أصول هذه المعاني لا تختلف فيها الشرائع وإنما تختلف في وجوه التحديد، كما يحدّ شرع عيسى ابن مريم عليه السلام تحريم الخمر بالسكر، وقد حدّه شرعنا بكونه من جنس المسكر؛ لأنّ قليله يدعو إلى كثيره، والداخل في الحدود داخل في التحريم بحكم الجنس كما دخل أصل المعنى بالجملة الأصلية، فهذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم النقدين، فينبغي أن يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق لحكمة فينبغي أن يصرف عنها، ولا يعرف هذا إلا من قد عرف الحكمة: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩]ولكن لا تصادف جواهر الحكم في قلوب هي مزابل الشهوات وملاعب الشياطين، بل لا يتذكر إلا أولو الألباب ولذلك قال ﷺ «لَوْلاَ أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحُومُونَ عَلَى قُلُوبِ بَنِي آدَمَ لَنَظَرُوا إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاءِ» (١)، وإذا عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكوتك، وكل فعل صادر منك فإنه إما شكر وإما كفر إذ لا يتصوّر أن ينفك عنهما، وبعض ذلك نصفه في لسان الفقه الذي تناطق به عوام الناس بالكراهة وبعضه بالحظر وكل ذلك عند أرباب القلوب موصوف بالحظر، فأقول مثلًا: لو استنجيت باليمنى فقد كفرت نعمة اليدين، إذ خلق الله لك اليدين وجعل إحداهما أقوى من الأخرى، فاستحق الأقوى بمزيد رجحانه في الغالب التشريف والتفضيل، وتفضيل الناقص عدول عن العدل، والله لا يأمر بالعدل، ثم أحوجك من أعطاك اليدين إلى أعمال: بعضها شريف كأخذ المصحف، وبعضها خسيس كإزالة النجاسة، فإذا أخذت المصحف باليسار وأزلت النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بما هو خسيس فغضضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل، وكذلك إذا بصقت مثلًا في جهة القبلة أو استقبلتها في قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله تعالى في خلق الجهات وخلق سعة العالم لأنه خلق الجهات لتكون متسعك في حركتك وقسم الجهات إلى ما لم يشرفها وإلى ما شرفها بأن وضع فيها بيتًا أضافه إلى نفسه استمالة لقلبك إليه ليتقيد به قلبك فيتقيد بسببه بدنك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار إذا عبدت ربك، وكذلك انقسمت أفعالك إلى ما هي شريفة كالطاعات وإلى ما هي خسيسة كقضاء الحاجة ورمي البصاق، فإذا رميت بصاقك إلى جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله تعالى عليك بوضع القبلة التي

---

(١) حديث «لولا أن الشياطين يحومون على بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء». تقدم في الصوم.

بوضعها كمال عبادتك، وكذلك إذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت؛ لأن الخف وقاية للرجل، فللرجل فيه حظ، والبداءة في الحظوظ ينبغي أن تكون بالأشرف فهو العدل والوفاء بالحكمة، ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الخف والرجل، وهذا عند العارفين كبيرة وإن سماه الفقيه مكروهًا، حتى إن بعضهم كان قد جمع أكرارًا من الحنطة وكان يتصدّق بها، فسئل عن سببه فقال: لبست المداس مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهوًا فأريد أن أكفره بالصدقة، نعم الفقيه لا يقدر على تفخيم الأمر في هذه الأمور لأنه مسكين، بل بإصلاح العوام الذين تقرب درجتهم من درجة الانعام وهم مغموسون في ظلمات أطم وأعظم من أن تظهر أمثال هذه الظلمات بالإضافة إليها، فقبيح أن يقال: الذي شرب الخمر وأخذ القدح بيساره قد تعدّى من وجهين:

أحدهما: الشرب والآخر الأخذ باليسار، ومن باع خمرًا في وقت النداء يوم الجمعة فقبيح أن يقال خان من وجهين: أحدهما: بيع الخمر، والآخر البيع في وقت النداء.

ومن قضى حاجته في محراب المسجد مستدبر القبلة فقبيح أن يذكر تركه الأدب في قضاء الحاجة من حيث إنه لم يجعل القبلة عن يمينه، فالمعاصي كلها ظلمات بعضها فوق بعض، فينمحق بعضها في جنب البعض، فالسيد قد يعاقب عبده إذا استعمل سكينه بغير إذنه، ولكن لو قتل بتلك السكين أعز أولاده لم يبق لاستعمال السكين بغير إذنه حكم ونكاية في نفسه، فكل ما راعاه الأنبياء والأولياء من الآداب وتسامحنا فيه في الفقه مع العوام فسببه هذه الضرورة، وإلا فكل هذه المكاره عدول عن العدل وكفران للنعمة ونقصان عن الدرجة المبلغة للعبد إلى درجات القرب، نعم بعضها يؤثر في العبد بنقصان القرب وانحطاط المنزلة وبعضها يخرج بالكلية عن حدود القرب إلى عالم البعد الذي هو مستقرّ الشياطين، وكذلك من كسر غصنًا من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمة ومن غير حاجة غرض صحيح فقد كفر نعمة الله تعالى في خلق الأشجار وخلق اليد أما اليد فإنها لم تخلق للعبث بل للطاعة والأعمال المعينة على الطاعة.

وأما الشجر فإنما خلقه الله تعالى وخلق له العروق وساق إليه الماء وخلق فيه قوّة الاغتذاء والنماء ليبلغ منتهى نشوه، فينتفع به عباده، فكسره قبل منتهى نشوه لا على وجه ينتفع به عباده مخالفة لمقصود الحكمة وعدول عن العدل، فإن كان له غرض صحيح فله ذلك، إذ الشجر والحيوان جعلا فداء لأغراض الإنسان، فإنهما جميعًا فانيان هالكان، فإفناء الأخس في بقاء الأشرف مدّة ما أقرب إلى العدل من تضييعهما جميعًا وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:١٣] نعم إذا كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم أيضًا وإن كان محتاجًا، لأنّ كل شجرة بعينها لا تفي بحاجات عباد الله كلهم بل تفي بحاجة واحدة، ولو خصص واحد بها من غير رجحان واختصاص كان ظلمًا، فصاحب الاختصاص

هو الذي حصل البذر ووضعه في الأرض وساق إليه الماء وقام بالتعهد فهو أولى به من غيره فيرجح جانبه بذلك، فإن نبت ذلك في موات الأرض لا بسعي آدمي اختص بمغرسه أو بغرسه، فلا بدّ من طلب اختصاص آخر وهو السبق إلى أخذه، فللسابق خاصية السبق، فالعدل هو أن يكون أولى به وعبر الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك، وهو مجاز محض، إذ لا ملك إلا لملك الملوك الذي له ما في السموات والأرض، وكيف يكون العبد مالكًا وهو في نفسه ليس يملك نفسه بل هو ملك غيره، نعم الخلق عباد الله والأرض مائدة الله وقد أذن لهم في الأكل من مائدته بقدر حاجتهم، كالملك ينصب مائدة لعبيده، فمن أخذ لقمة بيمينه واحتوت عليها براجمه فجاء عبد آخر وأراد انتزاعها من يده لم يمكن منه لا لأن اللقمة صارت ملكًا له بالأخذ باليد ــ فإن اليد وصاحب اليد أيضًا مملوك ــ ولكن إذا كانت كل لقمة بعينها لا تفي بحاجة كل العبيد فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص، والأخذ اختصاص ينفرد به العبد فمنع من لا يدلي بذلك الاختصاص عن مزاحمته، فهكذا ينبغي أن تفهم أمر الله في عباده، ولذلك نقول: من أخذ من أموال الدنيا أكثر من حاجته وكنزه وأمسكه وفي عباد الله من يحتاج إليه فهو ظالم، وهو من الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، وإنما سبيل الله طاعته وزاد الخلق في طاعته أموال الدنيا، إذ بها تندفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم، نعم لا يدخل هذا في حدّ فتاوى الفقه لأن مقادير الحاجات خفية والنفوس في استشعار الفقر في الاستقبال مختلفة، وأواخر الأعمار غير معلومة، فتكليف العوام ذلك يجري مجرى تكليف الصبيان الوقار والتؤدة والسكوت عن كل كلام غير مهم، وهو بحكم نقصانهم لا يطيقونه، فتركنا الاعتراض عليهم في اللعب واللهو وإباحتنا ذلك إياهم لا يدل على أن اللهو واللعب حق، فكذلك إباحتنا للعوام حفظ الأموال والاقتصار في الإنفاق على قدر الزكاة لضرورة ما جبلوا عليه من البخل لا يدل على أنه غاية الحق وقد أشار القرآن إليه، إذ قال تعالى: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟﴾ [محمد :٣٧].

بل الحق الذي لا كدورة فيه والعدل الذي لا ظلم فيه أن لا يأخذ أحد من عباد الله من مال الله إلا بقدر زاد الراكب، فكل عباد الله ركاب لمطايا الأبدان إلى حضرة الملك الديان، فمن أخذ زيادة عليه ثم منعه عن راكب آخر محتاج إليه فهو ظالم تارك للعدو وخارج عن مقصود الحكمة، وكافر نعمة الله تعالى عليه بالقرآن والرسول والعقل وسائر الأسباب التي بها عرف أن ما سوى زاد الراكب وبال عليه في الدنيا والآخرة فمن فهم حكمة الله تعالى في جميع أنواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر، واستقصاء ذلك يحتاج إلى مجلدات ثم لا تفي إلا بالقليل، وإنما أوردنا هذا القدر ليعلم علة الصدق في قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]وفرح إبليس لعنه الله بقوله: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف :١٧]فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف معنى هذا كله وأمورًا أخر وراء ذلك تنقضي الأعمار دون استقصاء

مباديها؛ فأما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة، وبهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير.

فإن قلت: فقد رجع حاصل هذا الكلام إلى أن لله تعالى حكمة في كل شيء، وأنه جعل بعض أفعال العباد سببًا لتمام الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض أفعالها مانعًا من تمام الحكمة، فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساقت الحكمة إلى غايتها فهو شكر وكل ما خالف ومنع الأسباب من أن تنساق إلى الغاية المرادة بها فهو كفران، وهذا كله مفهوم، ولكن الإشكال باق: وهو أنّ فعل العبد المنقسم إلى ما يتمم الحكمة وإلى ما يرفعها هو أيضًا من فعل الله تعالى، فأين العبد في البين حتى يكون شاكرًا مرة وكافرًا أخرى؟ فاعلم أنّ تمام التحقيق في هذا يستمدّ من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات، وقد رمزنا فيما سبق إلى تلويحات بمباديها، ونحن الآن نعبر بعبارة وجيزة عن آخرها وغايتها يفهمها من عرف منطق الطير ويجحدها من عجز عن الإيضاع في السير فضلًا عن أن يجول في جوّ الملكوت جولان الطير فنقول: إن لله عز وجل في جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة أعلى وأجل من أن تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها، فلم يكن لها في العالم عبارة لعلو شأنها وانحطاط رتبة واضعي اللغات عن أن يمتدّ طرف فهمهم إلى مبادي إشراقها، فانخفضت عن ذروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الخفافيش عن نور الشمس، لا لغموض في نور الشمس ولكن لضعف في أبصار الخفافيش، فاضطرّ الذين فتحت أبصارهم لملاحظة جلالها إلى أن يستعيروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات عبارة تفهم من مبادي حقائقها شيئًا ضعيفًا جدًّا، فاستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا لله تعالى صفة هي القدرة عنها يصدر الخلق، والاختراع، ثم الخلق ينقسم في الوجود إلى أقسام وخصوص صفات، ومصدر انقسام هذه الأقسام واختصاصها بخصوص صفاتها صفة أخرى استعير لها بمثل الضرورة التي سبقت عبارة المشيئة، فهي توهم منها أمرًا مجملًا عند المتناطقين باللغات التي هي حروف وأصوات المتفاهمين بها، وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الأفعال الصادرة من القدرة إلى ما ينساق إلى المنتهى الذي هو غاية حكمتها وإلى ما يقف دون الغاية، وكان لكل واحد نسبة إلى صفة المشيئة لرجوعها إلى الاختصاصات التي بها تتم القسمة والاختلافات، فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبة، واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة، وقيل: إنهما جميعًا داخلان في وصف المشيئة، ولكن لكل واحد خاصية أخرى في النسبة يوهم لفظ المحبة والكراهة، منهما أمرًا مجملًا عند طالبي الفهم من الألفاظ واللغات، ثم انقسم عباده الذين هم أيضًا من خلقه واختراعه إلى من سبقت له المشيئة الأزلية أن يستعمله لاستيفاء حكمته دون غايتها، ولكون

ذلك قهرًا في حقهم بتسليط الدواعي والبواعث عليهم وإلى من سبقت لهم في الأزل أن يستعملهم لسياقة حكمته إلى غايتها في بعض الأمور، فكان لكل واحد من الفريقين نسبة إلى المشيئة خاصة، فاستعير لنسبة المستعملين في إتمام الحكمة بهم عبارة الرضا، واستعير للذين استوقف بهم أسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب، فظهر على من غضب عليه في الأزل فعل وقفت الحكمة به دون غايتها، فاستعير له الكفران، وأردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة في النكال، وظهر على من ارتضاه في الأزل فعل انساقت بسببه الحكمة إلى غايتها، فاستعير له عبارة الشكر وأردف بخلعة الثناء والإطراء زيادة في الرضا والقبول والإقبال فكان الحاصل أنه تعالى أعطى الجمال ثم أثنى، وأعطى النكال ثم قبح وأردى، وكان مثاله أن ينظف الملك عبده الوسخ عن أوساخه ثم يلبسه من محاسن ثيابه، فإذا تمم زينته قال يا جميل ما أجملك وأجمل ثيابك وأنظف وجهك فيكون بالحقيقة هو المجمل وهو المثني على الجمال فهو المثنى عليه بكل حال، وكأنه لم يثن من حيث المعنى إلا على نفسه، وإنما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة، فهكذا كانت الأمور في الأزل، وهكذا تتسلسل الأسباب والمسببات بتقدير رب الأرباب ومسبب الأسباب، ولم يكن ذلك على اتفاق وبحث بل عن إرادة وحكمة وحكم حق وأمر جزم استعير له لفظ القضاء، وقيل إنه كلمح بالبصر أو هو أقرب، لفاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم بما سبق به التقدير، فاستعير لترتب آحاد المقدورات بعضها على بعض لفظ القدر فكان لفظ القضاء بإزاء الأمر الواحد الكلي، ولفظ القدر بإزاء التفصيل المتمادي إلى غير نهاية.

وقيل: إنّ شيئًا من ذلك ليس خارجًا عن القضاء والقدر، فخطر لبعض العباد أن القسمة لماذا اقتضت هذا التفصيل، وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفضيل، وكان بعضهم لقصوره لا يطيق ملاحظة كنه هذا الأمر والاحتواء على مجامعه، فألجموا عما لم يطيقوا خوض غمرته بلجام المنع وقيل لهم اسكتوا فما لهذا خلقتم ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[الأنبياء:٢٣] وامتلأت مشكاة بعضهم نورا مقتبسًا من نور الله تعالى في السموات والأرض، وكان زيتهم أولًا صافيًا يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار، فمسته نار فاشتعل نورًا على نور، فأشرقت أقطار الملكوت بين أيديهم بنور ربها فأدركوا الأمور كلها كما هي عليه فقيل لهم: تأدبوا بآداب الله تعالى واسكتوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا[1] فإن للحيطان آذانًا وحواليكم ضعفاء الأبصار، فسيروا بسير أضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لأبصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم، فتخلقوا بأخلاق الله تعالى وانزلوا إلى سماء الدنيا من

(١) صحيح: حديث «إذا ذكر القدر فأمسكوا». رواه الطبراني من حديث ابن مسعود، وقد تقدم في العلم، ولم يصرح المصنف بكونه حديثا. [انظر السلسلة الصحيحة: ٣٤].

منتهى علوّكم ليأنس بكم الضعفاء ويقتبسوا من بقايا أنواركم المشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب في جنح الليل، فيحيا به حياة يحتملها شخصه وحاله وإن كان لا يحيا به حياة المترددين في كمال نور الشمس، وكونوا كمن قيل فيهم:

شربنا شرابًا طيبًا عند طيب ... كذاك شراب الطيبين يطيبُ
شربنا وأهرقنا على الأرض فضلة ... وللأرض من كأس الكرام نصيبُ

فهكذا كان أوّل هذا الأمر وآخره، ولا يفهمه إلا إذا كنت أهلًا له، وإذا كنت أهلًا له فتحت العين وأبصرت فلا تحتاج إلى قائد يقودك، والأعمى يمكن أن يقاد ولكن إلى حدّ ما،س فإذا ضاق الطريق وصار أحدّ من السيف وأدقّ من الشعر قدر الطائر على أن يطير عليه ولم يقدر على أن يستجرّ وراءه أعمى، وإذا دق المجال ولطف لطف الماء مثلًا ولم يكن العبور إلا بالسباحة، فقد يقدر الماهر بصنعة السباحة أن يعبر بنفسه وربما لم يقدر على أن يستجرّ وراءه آخر؛ فهذه أمور نسبة السير عليها إلى السير على ما هو مجال جماهير الخلق كنسبة المشي على الماء إلى المشي على الأرض، والسباحة يمكن أن تتعلم؛ فأما المشي على الماء فلا يكتسب بالتعليم بل ينال بقوّة اليقين؛ ولذلك قيل للنبي ﷺ: إن عيسى عليه السلام يقال إنه مشى على الماء فقال ﷺ: «لَوْ ازْدَادَ يَقِينًا لَمَشى عَلَى الهَوَاءِ»(١)، فهذه رموز وإشارات إلى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران، لا يليق بعلم المعاملة أكثر منها، وقد ضرب الله تعالى مثلًا لذلك تقريبًا إلى أفهام الخلق إذ عرّف أنه ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه، فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم، ثم إن أخبر أن له عبدين يحب أحدهما واسمه جبريل وروح القدس والأمين، وهو عنده محبوب مطاع أمين مكين: ويبغض الآخر واسمه إبليس وهو اللعين المنظر إلى يوم الدين، ثم أحال الإرشاد إلى جبريل فقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل:١٠٢] وقال تعالى: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [غافر:١٥] وأحال الإغواء على إبليس فقال تعالى: ﴿لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الزمر:٨] والإغواء هو استيقاف العباد دون بلوغ غاية الحكمة، فانظر كيف نسبه إلى العبد الذي غضب عليه، والإرشاد سياقه لهم إلى الغاية فانظر كيف نسبه إلى العبد الذي أحبه، وعندك في

---

(١) منكر: حديث قيل له: يقال إن عيسى مشى على الماء قال «لو ازداد يقينا لمشى على الهواء». هذا حديث منكر لا يعرف هكذا، والمعروف. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين من قول بكر بن عبد الله المزني قال: فقد الحواريون نبيهم فقيل لهم توجه نحو البحر فانطلقوا يطلبونه، فلما انتهوا إلى البحر إذا هو قد أقبل يمشي على الماء، فذكر حديثا فيه أن عيسى قال: لو أن لابن آدم من اليقين شعرة مشى على الماء. [الواضح من صياغة المصنف أنه ليس حديث ولكن قول بكر المزني] وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف من حديث معاذ بن جبل «لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال».[حديث «يقال أن عيسى...»، وحديث «لو عرفتم الله...» هما فقرتين من حديث واحد انظر السلسلة الضعيفة: ٤٣٥٧، وقال الألباني: منكر].

العادة له مثال، فالملك إذا كان محتاجًا إلى من يسقيه الشراب وإلى من يحجمه وينظف فناء منزله عن القاذورات وكان له عبدان فلا يعين للحجامة والتنظيف إلا أقبحهما وأخسهما ولا يفوّض حمل الشراب والطيب إلا إلى أحسنهما وأكملهما وأحبهما إليه ولا ينبغي أن تقول «هذا فعلي، ولم يكون فعله دون فعلي؟» فإنك أخطأت إذا أضفت ذلك إلى نفسك، بل هو الذي صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب إتمامًا للعدل، فإن عدله تارة يتم بأمور لا مدخل لك فيها، وتارة يتم فيك فإنك أيضًا من أفعاله، فداعيتك وقدرتك وعلمك وعملك وسائر أسباب حركاتك في التعبير هو فعله الذي رتبه بالعدل ترتيبًا تصدر منه الأفعال المعتدلة، إلا أنك لا ترى إلا نفسك فتظن أنّ ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والملكوت، فلذلك تضيفه إلى نفسك، وإنما أنت مثل الصبي الذي ينظر ليلًا إلى لعب المشعبذ الذي يخرج صورًا من وراء حجاب ترقص وتزعق وتقوم وتقعد وهي مؤلفة من خرق لا تتحرك بأنفسها وإنما تحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورءوسها في يد المشعبذ وهو محتجب عن أبصار الصبيان، فيفرحون ويتعجبون لظنهم أن تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقعد.

وأما العقلاء فإنهم يعلمون أن ذلك تحريك وليس بتحرك، ولكنهم ربما لا يعلمون كيف تفصيله، والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلمه كما يعلمه المشعبذ الذي الأمر إليه والجاذبة بيده، فكذلك صبيان أهل الدنيا والخلق كلهم صبيان بالنسبة إلى العلماء، ينظرون إلى هذه الأشخاص فيظنون أنها المتحركة فيحيلون عليها، والعلماء يعلمون أنهم محركون إلا أنهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم الأكثرون إلا العارفون والعلماء الراسخون فإنهم أدركوا بحدة أبصارهم خيوطًا دقيقة عنكبوتية بل أذق منها بكثير معلقة من السماء متشبثة الأطراف بأشخاص أهل الأرض لا تدرك تلك الخيوط لدقتها بهذه الأبصار الظاهرة، ثم شاهدوا رءوس تلك الخيوط في مناطات لها هي معلقة بها، وشاهدوا لتلك المناطات مقابض هي في أيدي الملائكة المحركين للسموات، وشاهدوا أيضًا ملائكة السموات مصروفة إلى حملة العرش ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من الأمر من حضرة الربوبية كي لا يعصوا الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وعبر عن هذه المشاهدات في القرآن وقيل: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢] وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل إليهم من القدر والأمر فقيل: ﴿خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق:١٢] وهذه أمور لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم وعبر ابن عباس رضي الله عنهما عن اختصاص الراسخين في العلوم بعلوم لا تحتملها أفهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ﴾ [الطلاق:١٢] فقال: لو ذكرت ما أعرفه من معنى هذه الآية لرجمتموني، وفي لفظ آخر: لقلتم إنه كافر.

ولنقتصر على هذا القدر فقد خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار وامتزج بعلم المعاملة ما ليس منه، فلنرجع إلى مقاصد الشكر فنقول: إذا رجع حقيقة الشكر إلى كون العبد مستعملاً في إتمام حكمة الله تعالى، فأشكر العباد أحبهم إلى الله وأقربهم إليه وأقربهم إلى الله الملائكة ولهم أيضًا ترتيب، وما منهم إلا وله مقام معلوم، وأعلام في رتبة القرب ملك اسمه إسرافيل عليه السلام، وإنما علوا درجتهم لأنهم في أنفسهم كرام بررة، وقد أصلح الله تعالى بهم الأنبياء عليهم السلام، وهم أشرف مخلوق على وجه الأرض، ويلي درجتهم درجة الأنبياء فإنهم في أنفسهم أخيار، وقد هدى الله بهم سائر الخلق وتمم بهم حكمته، وأعلاهم رتبة نبينا وعليهم، إذ أكمل الله به الدين وختم به النبيين، ويليهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء فإنهم في أنفسهم صالحون، وقد أصلح الله بهم سائر الخلق، ودرجة كل واحد منهم بقدر ما أصلح من نفسه ومن غيره، ثم يليهم السلاطين بالعدل لأنهم أصلحوا دنيا الخلق كما أصلح العلماء دينهم، ولأجل اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا محمد ﷺ كان أفضل من سائر الأنبياء فإنه أكمل الله به صلاح دينهم ودنياهم ولم يكن السيف والملك لغيره من الأنبياء، ثم يلي العلماء والسلاطين الصالحون الذين أصلحوا دينهم ونفوسهم فقط، فلم تتم حكمة الله بهم بل فيهم، ومن عدا هؤلاء فهمج رعاع.

واعلم أن السلطان به قوام الدين فلا ينبغي أن يستحقر وإن كان ظالمًا فاسقًا.

قال عمرو بن العاص رحمه الله: إمام غشوم خير من فتنة تدوم.

وقال النبي ﷺ: «سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ تَعْرِفُونَ مِنْهُمْ وَتَنْكِرُونَ، وَيُفْسِدُونَ وَمَا يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِم أَكْثَرَ، فَإِنْ أَحْسَنُوا فَلَهُم الأَجْرُ وَعَلَيْكُمْ الشُّكْرُ، وَإِنْ أَسَاءُوا فَعَلَيْهِم الوِزْرُ وَعَلَيْكُم الصَّبْرُ» (١)، وقال سهل: من أنكر إمامة السلطان فهو زنديق، ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع، ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل. وسئل: أي الناس خير؟ فقال: السلطان، فقيل: كنا نرى أن شر الناس السلطان فقال مهلًا، إن الله تعالى له كل يوم نظرتين: نظرة إلى سلامة أموال

---

(١) حديث «سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون، ويفسدون وما يصلح الله بهم أكثر». أخرجه مسلم من حديث أم سلمة «يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون» [مسلم: ١٨٥٤] ورواه الترمذي بلفظ «سيكون عليكم أئمة» [عند الترمذي: ٢٢٦٥، وتنظر صحيح الجامع: ٢٣٩٥] وقال حسن صحيح، وللبزار بسند ضعيف من حديث ابن عمر «السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم من عباده، فإن عدل كان له الأجر وكان على الرعية الشكر، وإن جار أو حاف أو ظلم كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر» [انظر ضعيف الترغيب: ١٣٢٤، وقال الألباني: موضوع، ولفظ «وما يصل الله بهم أكثر» انظر السلسلة الضعيفة: ١٣٥٢، وقال الألباني: ضعيف جداً] وأما قوله «وما يصلح الله بهم أكثر» فلم أجده بهذا اللفظ، إلا أنه يؤخذ من حديث ابن مسعود حين فزع إليه الناس لما أنكروا سيرة الوليد بن عقبة فقال عبد الله: اصبروا فإن جور إمامكم خمسين سنة خير من هرج شهر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول - فذكر حديثا فيه «والإمارة الفاجرة خير من الهرج» رواه الطبراني في الكبير بإسناد لا بأس به.

المسلمين، ونظرة إلى سلامة أبدانهم، فيطلع في صحيفته فيغفر له جميع ذنبه، وكان يقول: الخشبات السود المعلقة على أبوابهم خير من سبعين قاص يقصون.

الركن الثاني من أركان الشكر، ما عليه الشكر

وهو النعمة، فلنذكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأصنافها ومجامعها فيما يخص ويعم فإن إحصاء نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم :٣٤]فنقدم أمورًا كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم، ثم نشتغل بذكر الآحاد، والله الموفق للصواب.

بيان حقيقة النعمة وأقسامها:

اعلم أن كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فإنه يسمى نعمة، ولكن النعمة بالحقيقة هي السعادة الأخروية، وتسمية ما سواها نعمة وسعادة إما غلط وإما مجاز، كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة نعمة فإن ذلك غلط محض، وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقًا ولكن يكون إطلاقه على السعادة الأخروية أصدق فكل سبب يوصل إلى سعادة الآخرة ويعين عليها إما بواسطة واحدة أو بوسائط فإن تسميته نعمة صحيحة وصدق لأجل أنه يفضي إلى النعمة الحقيقية.

والأسباب المعينة واللذات المسماة نعمة نشرحها بتقسيمات:

القسمة الأولى: أن الأمور كلها بالإضافة إلينا تنقسم إلى ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعًا: كالعلم وحسن الخلق وإلى ما هو ضار فيهما جميعًا كالجهل وسوء الخلق، وإلى ما ينفع في الحال ويضر في المآل: كالتلذذ باتباع الشهوات، وإلى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المآل: كقمع الشهوات ومخالفة النفس، فالنافع في الحال والمآل هو النعمة تحقيقًا كالعلم وحسن الخلق والضارّ فيهما هو البلاء تحقيقًا وهو ضدهما والنافع في الحال المضر في المآل بلاء محض عند ذوي البصائر وتظنه الجهال نعمة ومثاله الجائع إذا وجد عسلًا فيه سم فإنه يعدّه نعمة إن كان جاهلًا، وإذا علمه علم أن ذلك بلاء سيق إليه.

والضار في الحال النافع في المآل نعمة عند ذوي الألباب بلاء عند الجهال: ومثاله الدواء البشع في الحال مذاقه إلا أنه شاف من الأمراض والأسقام وجالب للصحة والسلامة، فالصبي الجاهل إذا كلف شربه ظنه بلاء والعاقل يعدّه نعمة ويتقلد المنة ممن يهديه إليه ويقربه منه ويهيىء له أسبابه، فلذلك تمنع الأم ولدها من الحجامة والأب يدعوه إليها، فإن الأب لكمال عقله يلمح العاقبة، والأم لفرط حبها وقصورها تلحظ الحال، والصبي لجهله يتقلد منة من أمه دون أبيه ويأنس إليها وإلى شفقتها ويقدر الأب عدوًا له؛ ولو عقل لعلم أن الأم عدوًا باطنًا في

صورة صديق؛ لأن منعها إياه من الحجامة يسوقه إلى أمراض وآلام أشدّ من الحجامة، ولكن الصديق الجاهل شر من العدوّ العاقل، وكل إنسان فإنه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل، فلذلك تعمل به ما لا يعمل به العدوّ.

قسمة ثانية: اعلم أن الأسباب الدنيوية مختلطة قد امتزج خيرها بشرها، فقلما يصفو خيرها كالمال والأهل والولد والأقارب والجاه وسائر الأسباب، ولكن تنقسم إلى ما نفعه أكثر من ضره كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر الأسباب، وإلى ما ضره أكثر من نفعه في حق أكثر الأشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع، وإلى ما يكافىء ضرور نفعه وهذه أمور تختلف بالأشخاص؛ فرب إنسان صالح ينتفع بالمال الصالح وإن كثر فينفقه في سبيل الله ويصرفه إلى الخيرات، فهو مع هذا التوفيق نعمة في حقه، ورب إنسان يستضر بالقليل أيضًا إذ لا يزال مستصغرًا له شاكيًا من ربه طالبًا للزيادة عليه، فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء في حقه.

قسمة ثالثة: اعلم أن الخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى ما هو مؤثر لذاته لا لغيره، وإلى مؤثر لغيره، وإلى مؤثر لذاته ولغيره.

فالأوّل: ما يؤثر لذاته لا لغيره: كلذة النظر إلى وجه الله تعالى وسعادة لقائه، وبالجملة سعادة الأخرى التي لا انقضاء لها فإنها لا تطلب ليتوصل بها إلى غاية أخرى مقصودة وراءها، بل تطلب لذاتها.

الثاني: ما يقصد لغيره ولا غرض أصلًا في ذاته: كالدراهم والدنانير فإن الحاجة لو كانت لا تنقضي بها لكانت هي والحصباء بمثابة واحدة، ولكن لما كانت وسيلة إلى اللذات سريعة الإيصال إليها صارت عند الجهال محبوبة في نفسها حتى يجمعوها ويكنزوها ويتصارفوا عليها بالربا ويظنون أنها مقصودة، ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصًا فيحب بسببه رسوله الذي يجمع بينه وبينه ثم ينسى في محبة الرسول محبة الأصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولًا بتعهد الرسول ومراعاته وتفقده، وهو غاية الجهل والضلال.

الثالث: ما يقصد لذاته ولغيره: كالصحة والسلامة فإنها تقصد ليقدر بسببها على الذكر والفكر الموصلين إلى لقاء الله تعالى، أو ليتوصل بها إلى استيفاء لذات الدنيا، وتقصد أيضًا لذاتها فإن الإنسان وإن استغنى عن الشيء الذي تراد سلامة الرجل لأجله فيريد أيضًا سلامة الرجل من حيث إنها سلامة، فإذن المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقًا، وما يؤثر لذاته ولغيره أيضًا فهو نعمة ولكن دون الأوّل، فأما ما لا يؤثر إلا لغيره كالنقدين فلا يوصفان في أنفسهما من حيث إنهما جوهران بأنهما نعمة، بل من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد أمرًا ليس يمكنه أن يتوصل إليه إلا بهما، فلو كان مقصده العلم والعبادة ومعه الكفاية التي هي ضرورة حياته، استوى عنده الذهب والمدر، فكان وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة، بل ربما شغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء في حقه ولا يكونان

نعمة.

قسمة رابعة: اعلم أنّ الخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى نافع ولذيذ وجميل، فاللذيذ هو الذي تدرك راحته في الحال، والنافع هو الذي يفيد في المآل، والجميل هو الذي يستحسن في سائر الأحوال: والشرور أيضًا تنقسم إلى ضارّ وقبيح ومؤلم، وكل واحد من القسمين ضربان: مطلق ومقيد، فالمطلق هو الذي اجتمع فيه الأوصاف الثلاثة أما في الخير فكالعلم والحكمة فإنها نافعة وجميلة ولذيذة عند أهل العلم والحكمة، وأما في الشر فكالجهل فإنه ضارّ وقبيح ومؤلم، وإنما يحس الجاهل بألم جهله إذا عرف أنه جاهل، وذلك بأن يرى غيره عالمًا ويرى نفسه جاهلًا فيدرك ألم النقص فتنبعث منه شهوة العلم اللذيذة، ثم قد يمنعه الحسد، والكبر والشهوات البدنية عن التعلم فيتجاذبه متضادّان فيعظم ألمه، فإنه إن ترك التعلم تألم بالجهل ودرك النقصان، وإن اشتغل بالتعلم تألم بترك الشهوات أو بترك الكبر وذل التعلم، ومثل هذا الشخص لا يزال في عذاب دائم لا محالة. والضرب الثاني: المقيد، وهو الذي جمع بعض هذه الأوصاف دون بعض، فرب نافع مؤلم كقطع الأصبع المتآكلة والسلعة الخارجة من البدن، ورب نافع قبيح كالحمق فإنه بالإضافة إلى بعض الأحوال نافع، فقد قيل: استراح من لا عقل له فإنه لا يهتم بالعاقبة فيستريح في الحال إلى أن يحين وقت هلاكه، ورب نافع من وجه ضارّ من وجه: كإلقاء المال في البحر عند خوف الغرق، فإنه ضارّ للمال نافع للنفس في نجاتها. والنافع قسمان: ضروري كالإيمان وحسن الخلق في الإيصال إلى سعادة الآخرة وأعني بهما العلم والعمل إذ لا يقوم مقامهما البتة غيرهما، وإلى ما لا يكون ضروريًّا كالسكنجبين مثلًا في تسكين الصفراء؛ فإنه قد يمكن تسكينها أيضًا بما يقوم مقامه.

قسمة خامسة: اعلم أنّ النعمة يعبر بها عن كل لذيذ، واللذات بالإضافة إلى الإنسان من حيث اختصاصه بها أو مشاركته لغيره ثلاثة أنواع: عقلية، وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات، وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات.

أما العقلية فكلذة العلم والحكمة، إذ ليس يستلذها السمع والبصر والشم والذوق ولا البطن ولا الفرج، وإنما يستلذها القلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها بالعقل، وهذه أقل اللذات وجودًا وهي أشرفها، أما قلتها فلأن العلم لا يستلذه إلا عالم، والحكمة لا يستلذها إلا حكيم، وما أقل أهل العلم والحكمة، وما أكثر المتسمين باسمهم والمترسمين برسومهم.

وأما شرفها فلأنها لازمة لا تزول أبدًا لا في الدنيا ولا في الآخرة، ودائمة لا تمل، فالطعام يشبع منه فيمل، وشهوة الوقاع يفرغ منها فتستثقل، والعلم والحكمة قط لا يتصوّر أن تمل وتستثقل، ومن قدر على الشريف الباقي أبد الآباد إذا رضي بالخسيس الفاني في أقرب الآماد فهو مصاب في عقله محروم لشقاوته وإدباره وأقل أمر فيه: أن العلم والعقل لا يحتاج إلى أعوان وحفظة بخلاف المال، إذ العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم يزيد بالإنفاق والمال

ينقص بالإنفاق، والمال يسرق والولاية يعزل عنها، والعلم لا تمتدّ إليه أيدي السراق بالأخذ ولا أيدي السلاطين بالعزل، فيكون صاحبه في روح الأمن أبدًا، وصاحب المال والجاه في كرب الخوف أبدًا ثم العلم نافع ولذيذ وجميل في كل حال أبدًا، والمال تارة يجذب إلى الهلاك وتارة يجذب إلى النجاة، ولذلك ذم الله تعالى المال في القرآن في مواضع وإن سماه خيرًا في مواضع.

وأما قصور أكثر الخلق عن إدراك لذة العلم. فإما لعدم الذوق فمن لم يذق لم يعرف ولم يشتق، إذ الشوق تبع الذوق، وإما لفساد أمزجتهم ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات، كالمريض الذي لا يدرك حلاوة العسل ويراه مرًّا، وإما لقصور فطنتهم، إذ لم تخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم، كالطفل الرضيع الذي لا يدرك لذة العسل والطيور السمان ولا يستلذ إلا اللبن، وذلك لا يدل على أنها ليست لذيذة، ولا استطابته اللبن تدل على أنه ألذ الأشياء، فالقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلاثة، إما من لم يحيى باطنه كالطفل، وإما من مات بعد الحياة باتباع الشهوات، وإما من مرض بسبب اتباع الشهوات: وقوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة:١٠] إشارة إلى مرض العقول.

وقوله عز وجل: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس:٧٠] إشارة إلى من لم يحيى حياة باطنة، وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتى وإن كان عند الجهال من الأحياء، ولذلك كان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فرحين وإن كانوا موتى بالأبدان الثانية: لذة يشارك الإنسان فيها بعض الحيوانات كلذة الرئاسة والغلبة والاستيلاء، وذلك موجود في الأسد والنمر وبعض الحيوانات.

الثالثة: ما يشارك فيها سائر الحيوانات كلذة البطن والفرج، وهذه أكثرها وجودًا وهي أخسها، ولذلك اشترك فيها كل ما دبّ ودرج حتى الديدان والحشرات، ومن جاوز هذه الرتبة تشبثت به لذة الغلبة، وهو أشدّها التصاقًا بالمتغافلين، فإن جاوز ذلك ارتقى إلى الثالثة فصار أغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة، لا سيما لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله، وهذه رتبة الصدّيقين، ولا ينال تمامها إلا بخروج استيلاء حب الرئاسة من القلب، وآخر ما يخرج من رءوس الصدّيقين حب الرياسة. وأما شره البطن والفرج فكسره مما يقوى عليه الصالحون وشهوة الرياسة لا يقوى على كسرها إلا الصدّيقون: فأما قمعها بالكلية، حتى لا يقع بها الإحساس على الدوام وفي اختلاف الأحوال فيشبه أن يكون خارجًا عن مقدور البشر. نعم تغلب لذة معرفة الله تعالى في أحوال لا يقع معها الإحساس بلذة الرئاسة والغلبة، ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تعتريه الفترات فتعود إليه الصفات البشرية فتكون موجودة ولكن تكون مقهورة لا تقوى على حمل النفس على العدول عن العدل، وعند هذا تنقسم القلوب إلى أربعة أقسام: قلب لا يحب إلا الله تعالى ولا يستريح إلا بزيادة المعرفة به والفكر فيه، وقلب لا

يدري ما لذة المعرفة وما معنى الأنس بالله وإنما لذته بالجاه والرئاسة والمال وسائر الشهوات البدنية، وقلب أغلب أحواله الأنس بالله سبحانه والتلذذ بمعرفته والفكر فيه ولكن قد يعتريه في بعض الأحوال الرجوع إلى أوصاف البشرية.

وقلب أغلب أحواله التلذذ بالصفات البشرية ويعتريه في بعض الأحوال تلذذ بالعلم والمعرفة. أما الأول فإن كان ممكنًا في الوجود فهو في غاية البعد. وأما الثاني فالدنيا طافحة به. وأما الثالث والرابع فموجودان ولكن على غاية الندور، ولا يتصوّر أن يكون ذلك نادرًا شاذًّا، وهو مع الندور يتفاوت في القلة والكثرة، وإنما تكون كثرته في الأعصار القريبة من أعصار الأنبياء عليهم السلام، فلا يزال يزداد العهد طولًا وتزداد مثل هذه القلوب قلة، إلى أن تقرب الساعة ويقضي الله أمرًا كان مفعولًا، وإنما وجب أن يكون هذا نادرًا لأنه مبادي ملك الآخرة والملك عزيز والملوك لا يكثرون، فكما لا يكون الفائق في الملك والجمال إلا نادرًا وأكثر الناس من دونهم، فكذا في ملك الآخرة، فإنّ الدنيا مرآة الآخرة، فإنها عبارة عن عالم الشهادة، والآخرة عبارة عن عالم الغيب، وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب، كما أنّ الصورة في المرآة تابعة لصورة الناظر في المرآة، والصورة في المرآة وإن كانت هي الثانية في رتبة الوجود فإنها أولى في حق رؤيتك، فإنك لا ترى نفسك، وترى صورتك في المرآة أولًا فتعرف بها صورتك التي هي قائمة بك ثانيًا على سبيل المحاكاة، فالقلب التابع في الوجود متبوعًا في حق المعرفة والقلب المتأخر متقدّمًا، وهذا نوع من الانعكاس ولكن الانعكاس والانتكاس ضرورة هذا العالم، فكذلك عالم الملك والشهادة محاك لعالم الغيب والملكوت، فمن الناس من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك إلا ويعبر به إلى عالم الملكوت فيسمى عبوره عبرة، وقد أمر الحق به فقال: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر:٢] ومنهم من عميت بصيرته فلم يعتبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وستنفتح إلى حبسه أبواب جهنم وهذا الحبس مملوء نارًا من شأنها أن تطلع على الأفئدة، إلا أن بينه وبين إدراك ألمها حجابًا، فإذا رفع ذلك الحجاب بالموت أدرك، وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم استنطقهم بالحق فقالوا الجنة والنار مخلوقتان، ولكن الجحيم تدرك مرة بإدراك يسمى علم اليقين، ومرة بإدراك آخر يسمى عين اليقين، وعين اليقين لا يكون إلا في الآخرة، وعلم اليقين قد يكون في الدنيا ولكن للذين قد وفوا حظهم من نور اليقين، فلذلك قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ﴾ [التكاثر:٥-٦] أي في الدنيا ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ﴾ [التكاثر:٧] أي في الآخرة، فإذا قد ظهر أن القلب الصالح لملك الآخرة لا يكون إلا عزيزًا كالشخص الصالح لملك الدنيا.

قسمة سادسة: حاوية لمجامع النعم: اعلم أنّ النعم تنقسم إلى ما هي غاية مطلوبة لذاتها وإلى ما هي مطلوبة لأجل الغاية؛ أما الغاية فإنها سعادة الآخرة ويرجع حاصلها إلى أربعة أمور:

بقاء لا فناء له، وسرور لا غم فيه، وعلم لا جهل فيه، وغنى لا فقر بعده، وهي النعمة الحقيقية، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لا عَيْشَ إلاَّ عَيْشُ الآخِرَةِ» (١)، وقال ذلك مرّة في الشدة تسلية للنفس، وذلك في وقت حفر الخندق في شدّة الضر؛ وقال ذلك مرة في السرور منعًا للنفس من الركون إلى سرور الدنيا؛ وذلك عند إحداق الناس به في حجة الوداع (٢).

وقال رجل: اللهم إني أسألك تمام النعمة، فقال النبي ﷺ: «وَهَلْ تَعْلَمُ مَا تَمَامُ النِّعْمَةِ» ؟ قال: لا. قال «تَمَام النِّعْمَةِ دُخُولُ الجَنَّةِ» (٣).

وأما الوسائل فتنقسم إلى الأقرب الأخص كفضائل النفس: وإلى ما يليه في القرب كفضائل البدن وهو الثاني، وإلى ما يليه في القرب ويجاوز إلى غير البدن كالأسباب المطيفة بالبدن من المال والأهل والعشيرة؛ وإلى ما يجمع بين هذه الأسباب الخارجة عن النفس وبين الحاصلة للنفس كالتوفيق والهداية، فهي إذن أربعة أنواع:

النوع الأول: وهو الأخص الفضائل النفسية ويرجع حاصلها مع انشعاب أطرافها إلى الإيمان وحسن الخلق، وينقسم الإيمان إلى علم المكاشفة وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته ورسله، وإلى علوم المعاملة.

وحسن الخلق ينقسم إلى قسمين: ترك مقتضى الشهوات والغضب واسمه العفة ومراعاة العدل في الكف عن مقتضى الشهوات والإقدام حتى لا يمتنع أصلًا ولا يقدم كيف شاء، بل يكون إقدامه وإحجامه بالميزان العدل الذي أنزله الله تعالى على لسان رسوله ، إذ قال تعالى: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٨-٩] فمن خصى نفسه ليزيل شهوة النكاح، أو ترك النكاح مع القدرة والأمن من الآفات، أو ترك الأكل حتى ضعف عن العبارة والذكر والفكر فقد أخسر الميزان.

ومن انهمك في شهوة البطن والفرج فقد طغى في الميزان، وإنما العدل أن يخلو وزنه وتقديره عن الطغيان والخسران فتعتدل به كفتا الميزان، فإذن الفضائل الخاصة بالنفس المقرّبة إلى الله تعالى أربعة: علم مكاشفة، وعلم معاملة، وعفة، وعدالة، ولا يتم هذا في غالب الأمر إلا بالنوع الثاني وهو الفضائل البدنية وهي أربعة: الصحة، والقوّة، والجمال، وطول العمر ولا تتهيأ هذه الأمور الأربعة إلا بالنوع الثالث وهي النعم الخارجة المطيفة بالبدن وهي أربعة:

---

(١) **صحيح**: حديث قوله عند حفر الخندق «لا عيش إلا عيش الآخرة». متفق عليه من حديث أنس. [البخاري: ٢٩٦١، ومسلم: ١٨٠٥].

(٢) حديث قوله في حجة الوداع «لا عيش إلا عيش الآخرة». رواه الشافعي مرسلا، والحاكم متصلا وصححه، وتقدم في الحج.

(٣) **ضعيف**: حديث قال رجل: اللهم إني أسألك تمام النعمة، فقال النبي ﷺ: «وهل تعلم ما تمام النعمة؟ قال: لا. قال «تمام النعمة دخول الجنة». أخرجه الترمذي من حديث معاذ بسند حسن. [الترمذي: ٣٥٢٧، وانظر السلسلة الضعيفة: ٣٤١٦].

المال والأهل، والجاه، وكرم العشيرة، ولا ينتفع بشيء من هذه الأسباب الخارجة والبدنية إلا بالنوع الرابع وهي الأسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة وهي أربعة: هداية الله، ورشده، وتسديده، وتأييده، فمجموع هذه النعم ستة عشر إذا قسمناها إلى أربعة وقسمنا كل واحدة من الأربعة إلى أربعة، وهذه الجملة يحتاج البعض منها إلى البعض إما حاجة ضرورية أو نافعة أما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الآخرة إلى الإيمان وحسن الخلق إذ لا سبيل إلى الوصول إلى سعادة الآخرة البتة إلا بهما، فليس للإنسان إلا ما سعى وليس لأحد في الآخرة إلا ما تزوّد من الدنيا، فكذلك حاجة الفضائل النفسية التي تكسب هذه العلوم وتهذيب الأخلاق إلى صحة البدن ضروري.

وأما الحاجة النافعة على الجملة فكحاجة هذه النعم النفسية والبدنية إلى النعم الخارجة مثل المال والعز والأهل، فإن ذلك لو عدم ربما تطرق الخلل إلى بعض النعم الداخلة.

فإن قلت: فما وجه الحاجة لطريق الآخرة إلى النعم الخارجة من المال والأهل والجاه والعشيرة؟ فاعلم أن هذه الأسباب جارية مجرى الجناح المبلغ والآلة المسهلة للمقصود.

أما المال فالفقير في طلب العلم والكمال وليس له كفاية:

كساع إلى الهيجا بغير سلاح، وكبازي يروم الصيد بلا جناح

ولذلك قال ﷺ: «نِعْمَ المَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ» (١)، وقال ﷺ: «نِعْمَ العَوْنُ عَلى تَقْوَى اللَّهِ المَالُ» (٢)، وكيف لا ومن عُدِمَ المال صار مستغرق الأوقات في طلب الأقوات وفي تهيئة اللباس والمسكن وضرورات المعيشة، ثم يتعرّض لأنواع من الأذى تشغله عن الذكر والفكر ولا تندفع إلا بسلاح المال، ثم مع ذلك يحرم عن فضيلة الحج والزكاة والصدقات وإفاضة الخيرات.

وقال بعض الحكماء وقد قيل له ما النعيم؟ فقال: الغنى فإني رأيت الفقير لا عيش له.

قيل: زدنا قال: الأمن، فإني رأيت الخائف لا عيش له. قيل: زدنا قال: العافية، فإني رأيت المريض لا عيش له.

قيل: زدنا قال: الشباب، فإني رأيت الهرم لا عيش له.

وكأنّ ما ذكره إشارة إلى نعيم الدنيا ولكن من حيث إنه معين على الآخرة فهو نعمة، ولذلك قال ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مُعَافًى فِي بَدَنِهِ آمِنًا فِي سِرْبِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ

(١) **صحيح**: حديث «نعم المال الصالح للرجل الصالح». رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث عمرو بن العاص بسند جيد. [أحمد: ١٧٣٤٦، وانظر المشكاة: ٣٧٥٦].

(٢) **ضعيف**: حديث «نعم العون على تقوى الله: المال». رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية محمد بن المنكدر عن جابر. ورواه أبو القاسم البغوي من رواية ابن المنكدر مرسلا: ومن طريقه رواه القضاعي في مسند الشهاب هكذا مرسلا. [انظر السلسلة الضعيفة: ٢٠٤٢].

الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا»[١]، وأما الأهل والولد الصالح فلا يخفى وجه الحاجة إليهما، إذ قال ﷺ: «نِعْمَ العَوْنُ عَلَى الدِّينِ المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»[٢]، وقال ﷺ في الولد: «إِذَا مَاتَ العَبْدُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ: وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ...» الحديث[٣] وقد ذكرنا فوائد الأهل والولد في كتاب النكاح.

وأما الأقارب فمهما كثر أولاد الرجل وأقاربه كانوا له مثل الأعين والأيدي فيتيسر له بسببهم من الأمور الدنيوية المهمة في دينه ما لو انفرد به لطال شغله، وكل ما يفرغ قلبك عن ضرورات الدنيا فهو معين لك على الدين، فهو إذن نعمة.

وأما العز والجاه، فبه يدفع الإنسان عن نفسه الذل والضيم، ولا يستغني عنه مسلم فإنه لا ينفك عن عدوّ يؤذيه وظالم يشوّش عليه علمه وعمله وفراغه ويشغل قلبه، وقلبه رأس ماله، وإنما تندفع هذه الشواغل بالعز والجاه، ولذلك قيل: الدين والسلطان توأمان.

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١] ولا معنى للجاه إلى ملك القلوب، كما لا معنى للغنى إلا ملك الدراهم، ومن ملك الدراهم تسخرت له أرباب القلوب لدفع الأذى عنه فكما يحتاج الإنسان إلى سقف يدفع عنه المطر، وجبة تدفع عنه البرد، وكلب يدفع الذئب عن ماشيته، فيحتاج أيضًا إلى من يدفع الشر به عن نفسه، وعلى هذا القصد كان الأنبياء الذين لا ملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه، وكذلك علماء الدين لا على قصد التناول من خزائنهم والاستئثار والاستكثار في الدنيا بمتابعتهم، ولا تظنن أن نعمة الله تعالى على رسول الله ﷺ حيث نصره وأكمل دينه وأظهره على جميع أعدائه ومكن في القلوب حبه حتى اتسع به عزه وجاهه كانت أقل من نعمته عليه حيث كان يؤذي ويضرب حتى افتقر إلى الهرب والهجرة[٤].

---

(١) **حسن لغيره:** حديث «من أصبح معافى في بدنه آمنا في سربه». أخرجه الترمذي وحسنه، وابن ماجه من حديث عبيد الله بن محصن الأنصاري، وقد تقدم. [الترمذي: ٢٣٤٦، وابن ماجه: ٤١٤١، وانظر صحيح الترغيب: ٨٣٣].

(٢) حديث «نعم العون على الدين المرأة الصالحة». [انظر السلسلة الضعيفة: ٢٠٤١، وقال الألباني: لا أصل له] لم أجد له إسنادا، ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة"[مسلم: ١٤٦٧].

(٣) **صحيح:** حديث «إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، وتقدم في النكاح.[مسلم: ١٦٣١].

(٤) حديث: ما ناله ﷺ من الأذى ونحوه حتى افتقر إلى الهرب والهجرة. رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال «لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل... الحديث» [البخاري: ٣٢٣١، ومسلم: ١٧٩٥]. وللترمذي وصححه وابن ماجه من حديث أنس «لقد أخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أوذيت في الله وما يؤذي أحد ولقد أتى علي ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال» [الترمذي: ٢٤٧٢، وابن ماجه: ١٥١، وانظر صحيح الترغيب: ٣٢٨١] قال الترمذي: معنى هذا حين خرج النبي ﷺ هاربا من مكة

فإن قلت: كرم العشيرة وشرف الأهل هو من النعم أم لا؟ فأقول: نعم، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «الأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ» (١)، ولذلك كان من أكرم الناس أرومة في نسب آدم عليه السلام (٢) وقال ﷺ: «تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ الأَكْفَاءَ» (٣)، وقال ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ» فقيل: وما خضراء الدمن؟ قال: «المَرْأَةُ الحَسْنَاءُ فِي المَنْبِتِ السُّوءِ» (٤)، فهذا أيضًا من النعم ولست أعني به الانتساب إلى الظلمة وأرباب الدنيا، بل الانتساب إلى شجرة رسول الله ﷺ وإلى أئمة العلماء وإلى الصالحين والأبرار المتوسمين بالعلم والعمل.

فإن قلت: فما معنى الفضائل البدنية؟ فأقول: لا خفاء بشدّة الحاجة إلى الصحة والقوة وإلى طول العمر إذ لا يتم علم وعمل إلا بهما، ولذلك قال: «أَفْضَلُ السَّعَادَاتِ طُولُ العُمُرِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى» (٥)، وإنما يستحقر من جملته أمر الجمال، فيقال يكفي أن يكون البدن سليمًا من الأمراض الشاغلة عن تحرّي الخيرات، ولعمري الجمال قليل الغناء ولكنه من الخيرات أيضًا: أما في الدنيا فلا يخفى نفعه فيها، وأما في الآخرة فمن وجهين:

أحدهما: أن القبيح مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجميل إلى الإجابة أقرب وجاهه في الصدور أوسع، فكأنه من هذا الوجه جناح مبلغ كالمال والجاه، إذ هو نوع قدرة، إذ يقدر الجميل الوجه على تنجيز حاجات لا يقدر عليها القبيح، وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فمعين على الآخرة بواسطتها.

ومعه بلال. وللبخاري عن عروة قال: سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ قال: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقا شديدا، فجاء أبو بكر فدفعه عنه... الحديث[البخاري: ٣٦٧٨]. وللبزار وأبي يعلى من حديث أنس قال: لقد ضربوا رسول الله ﷺ حتى غشي عليه، فقام أبو بكر فجعل ينادي: ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله. وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(١) صحيح: حديث «الأئمة من قريش». رواه النسائي والحاكم من حديث أنس بإسناد صحيح. [أحمد: ١١٨٩٨، وانظر صحيح الترغيب: ٢١٨٨].

(٢) حديث: كان ﷺ من أكرم الناس أرومة في نسب آدم. الأرومة الأصل، هذا معلوم، فروى مسلم من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعا «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» [مسلم: ٢٢٧٦] وفي رواية الترمذي «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل» [الترمذي: ٣٦٠٥، وانظر صحيح الترمذي] وله من حديث العباس وحسنه وابن عباس والمطلب بن ربيعة وصححه والمطلب بن أبي وداعة وحسنه «إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم» [الترمذي: ٣٦٠٧، وانظر السلسلة الضعيفة: ٣٠٧٣] وفي حديث ابن عباس «ما بال أقوام يبتذلون أصلي، فوالله لأنا أفضلهم أصلا وخيرهم موضعًا». [وحديث «ما بال القوم.....»].

(٣) حسن: حديث «تخيروا لنطفكم». أخرجه ابن ماجه من حديث عائشة، وتقدم في النكاح. [ابن ماجه: ١٩٦٨، وانظر صحيح ابن ماجه].

(٤) ضعيف جدًا: حديث «إياكم وخضراء الدمن». تقدم فيه أيضا. [انظر السلسلة الضعيفة: ١٤].

(٥) صحيح: حديث «أفضل السعادة طول العمر في عبادة الله». غريب بهذا اللفظ، وللترمذي من حديث أبي بكرة أن رجلا قال: يا رسول الله، أي الناس خير؟ قال «من طال عمره وحسن عمله» وقال حسن صحيح. [الترمذي: ٢٣٣٠، وانظر صحيح الترغيب: ٣٣٦٣].

والثاني: أنّ الجمال في الأكثر يدل على فضيلة النفس؛ لأن نور النفس إذا تم إشراقه تأدى إلى البدن، فالمنظر والمخبر كثيرًا ما يتلازمان، ولذلك عوّل أصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيئات البدن فقالوا: الوجه والعين مرآة الباطن.

ولذلك يظهر فيه أثر الغضب والسرور والغم، ولذلك قيل: طلاقة الوجه عنوان ما في النفس.

وقيل: ما في الأرض قبيح إلا ووجهه أحسن ما فيه. واستعرض المأمون جيشًا فعرض عليه رجل قبيح، فاستنطقه فإذا هو ألكن، فأسقط اسمه من الديوان وقال: الروح إذا أشرقت على الظاهر فصباحة، أو على الباطن ففصاحة، وهذا ليس له ظاهر ولا باطن، وقد قال ﷺ: «اطْلُبُوا الخَيْرَ عِنْدَ صِبَاحِ الوُجُوهِ» (١)، وقال عمر رضي الله عنه: إذا بعثتم رسولًا فاطلبوه حسن الوجه حسن الاسم.

وقال الفقهاء: إذا تساوت درجات المصلين فأحسنهم وجهًا أولاهم بالإمامة، وقال تعالى ممتنًا بذلك: ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۚ﴾ [البقرة:٢٤٧] ولسنا نعني بالجمال ما يحرك الشهوة فإن ذلك أنوثة، وإنما نعني به ارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال في اللحم وتناسب الأعضاء وتناصف خلقة الوجه بحيث لا تنبوا الطباع عن النظر إليه.

فإن قلت: فقد أدخلت المال والجاه والنسب والأهل والولد في حيز النعم، وقد ذم الله تعالى المال والجاه، وكذا رسول الله ﷺ (٢) وكذا العلماء.

قال تعالى: ﴿إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾ [التغابن:١٤] وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ [التغابن:١٥] وقال علي كرّم الله وجهه في ذم النسب: الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرىء ما يحسنه. وقيل: المرء بنفسه لا بأبيه. فما معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعًا؟ فاعلم أن من يأخذ العلوم من الألفاظ المنقولة المئوّلة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه أغلب ما لم يهتد بنور الله تعالى إلى إدراك العلوم على ما هي عليه، ثم ينزل النقل على وفق ما ظهر له منها بالتأويل مرة وبالتخصيص أخرى؛ فهذه نعم معينة على أمر الآخرة لا سبيل إلى جحدها، إلا أنّ فيها فتنًا ومخاوف؛ فمثال المال مثال الحية التي فيها ترياق نافع وسم ناقع، فإن أصابها المعزم الذي يعرف وجه الاحتراز عن سمها وطريق استخراج ترياقها النافع كانت نعمة، وإن أصابها السوادي الغر فهي عليه بلاء

---

(١) **موضوع**: حديث «اطلبوا الخير عند حسان الوجوه». أخرجه أبو يعلى من رواية إسماعيل بن عياش عن خيرة بنت محمد بن ثابت بن سباع عن أمها عائشة، وخيرة وأمها لا أعرف حالهما. ورواه ابن حبان من وجه آخر في الضعفاء، والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر، وله طرق كلها ضعيفة. [انظر ضعيف الجامع: ٩٠٣].

(٢) **صحيح**: حديث «ذم المال والجاه». أخرجه الترمذي من حديث كعب بن مالك «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حب المال والشرف لدينه» وقد تقدم في ذم المال والبخل. [الترمذي: ٢٣٧٦، وانظر صحيح الترغيب: ١٧١٠].

وهلاك، وهو مثل البحر الذي تحته أصناف الجواهر واللآلىء، فمن ظفر بالبحر فإن كان عالمًا بالسباحة وطريق الغوص وطريق الاحتراز عن مهلكات البحر فقد ظفر بنعمه، وإن خاضه جاهلًا بذلك فقد هلك، فلذلك مدح الله تعالى المال وسماه خيرًا، ومدحه رسول اللهﷺ وقال: «نِعْمَ العَوْنُ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى المَالُ» وكذلك مدح الجاه والعز، إذ منّ الله تعالى على رسولهﷺ بأن أظهره على الدين كله وحببه في قلوب الخلق، وهو المعني بالجاه، ولكن المنقول في مدحهما قليل، والمنقول في ذم المال والجاه كثير، وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه، إذ الرياء مقصوده اجتلاب القلوب.

ومعنى الجاه ملك القلوب، وإنما كثر هذا وقل ذاك لأن الناس أكثرهم جهال بطريق الرقية لحية المال وطريق الغوص في بحر الجاه، فوجب تحذيرهم فإنهم يهلكون بسم المال قبل الوصول إلى ترياقه، ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره، ولو كانا في أعيانهما مذمومين بالإضافة إلى كل أحد لما تصور أن ينضاف إلى النبوّة الملك كما كان لرسولنا ، ولا أن ينضاف إليها الغنى كما كان لسليمان عليه السلام: فالناس كلهم صبيان والأموال حيات والأنبياء والعارفون معزمون، فقد يضر الصبي ما لا يضر المعزم، نعم المعزم لو كان له ولد يريد بقاءه وصلاحه وقد وجد حية وعلم أنه لو أخذها لأجل ترياقها لاقتدى به ولده وأخذ الحية إذا رآها ليلعب بها فيهلك، فله غرض في الترياق وله غرض في حفظ الولد، فواجب عليه أن يزن غرضه في الترياق بغرضه في حفظ الولد، فإذا كان يقدر على الصبر عن الترياق ولا يستضر به ضررًا كثيرًا، ولو أخذها لأخذها الصبي ويعظم ضرره بهلاكه فواجب عليه أن يهرب عن الحية إذا رآها ويشير على الصبي بالهرب ويقبح صورتها في عينه ويعرّفه أنّ فيها سمًّا قاتلًا لا ينجو منه أحد ولا يحدّثه أصلًا بما فيها من نفع الترياق، فإنّ ذلك ربما يغرّه فيقدم عليه من غير تمام المعرفة.

وكذلك الغوّاص إذا علم أنه لو غاص في البحر بمرأى من ولده لاتبعه وهلك. فواجب عليه أن يحذر الصبي ساحل البحر والنهر. فإن كان لا ينزجر الصبي بمجرد الزجر مهما رأى والده يحوم حول الساحل.

فواجب عليه أن يبعد من الساحل مع الصبي ولا يقرب منه بين يديه. فكذلك الأمة في حجر الأنبياء عليهم السلام كالصبيان والأغبياء.

ولذلك قال ﷺ: «إنما أنا لكم مثل الوالد لولده» (١)، وقال ﷺ: «إنكم تَتَهَافَتُونَ عَلَى النَّارِ تَهَافُتَ الفَرَاشِ وَأَنَا آخُذ بِحُجَزِكُمْ» (٢)، وحظهم الأوفر في حفظ أولادهم عن المهالك، فإنهم

(١) حسن: حديث «إنما أنا لكم مثل الوالد لولده». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله «لولده» وقد تقدم. [النسائي: ٤٠، وابن ماجه: ٣١٣، والمشكاة: ٣٤٧ عن أبي هريرة، وحسنه الألباني، ولم أقف عليه عند مسلم].
(٢) صحيح: حديث «إنكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم». [البخاري: ٦٤٨٣،

لم يبعثوا إلا لذلك، وليس لهم في المال حظ إلا بقدر القوت، فلا جرم اقتصروا على قدر القوت وما فضل فلم يمسكوه بل أنفقوه، فإن الإنفاق فيه الترياق، وفي الإمساك السم، ولو فتح للناس باب كسب المال ورغبوا فيه لمالوا إلى سم الإمساك ورغبوا عن ترياق الإنفاق، فلذلك قبحت الأموال، والمعنى به تقبيح إمساكها والحرص عليها للاستكثار منها والتوسع في نعيمها بما يوجب الركون إلى الدنيا ولذاتها؛ فأما أخذها بقدر الكفاية وصرف الفاضل إلى الخيرات فليس بمذموم، وحق كل مسافر أن لا يحمل إلا بقدر زاده في السفر إذا صمم العزم على أن يختص بما يحمله؛ فأما إذا سمحت نفسه بإطعام الطعام وتوسيع الزاد على الرفقاء فلا بأس بالاستكثار.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «لِيَكُنْ بَلاَغُ أَحَدِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّاكِبِ» [(١)]، معناه لأنفسكم خاصة وإلا فقد كان فيمن يروي هذا الحديث ويعمل به من يأخذ مائة ألف درهم في موضع واحد ويفرقها في موضعه ولا يمسك منها حبة.

ولما ذكر رسول الله ﷺ أن الأغنياء يدخلون الجنة بشدّة استأذنه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في أن يخرج عن جميع ما يملكه، فأذن له فنزل جبريل عليه السلام، وقال: «مره بأن يطعم المسكين ويكسو العاري ويقري الضيف...» الحديث [(٢)] فإذن النعم الدنيوية مشوبة قد امتزج دواؤها بدائها ومرجوّها بمخوفها ونفعها بضرها؛ فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته فله أن يقرب منها متقيًا داءها ومستخرجًا دواءها ومن لا يثق بها فالبعد البعد والفرار الفرار عن مظانّ الأخطار، فلا تعدل بالسلامة شيئًا في حق هؤلاء وهم الخلق كلهم إلا من عصمه الله تعالى وهداه لطريقه.

فإن قلت: فما معنى النعم التوفيقية الراجعة إلى الهداية والرشد والتأييد والتسديد؟ فاعلم أن التوفيق لا يستغني عنه أحد: وهو عبارة عن التأليف والتلفيق بين إرادة العبد وبين قضاء الله وقدره، وهذا يشمل الخير والشر وما هو سعادة وما هو شقاوة، ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله تعالى وقدره، كما أن الإلحاد عبارة عن

ومسلم: ٢٢٨٤ عن أبي هريرة] متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ «مثلي ومثل الناس» وقال مسلم «ومثل أمتي كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيه» ولمسلم من حديث جابر «وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي».[مسلم: ٢٢٨٥ عن جابر].

(١) **صحيح**: حديث «ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد راكب». أخرجه ابن ماجه والحاكم من حديث سلمان لفظ الحاكم وقال «بلغة» وقال «مثل زاد الراكب» وقال صحيح الإسناد قلت: هو من رواية أبي سفيان عن أشياخه غير مسمين وقال ابن ماجه «عهد إلى أن يكفى أحدكم مثل زاد الراكب».[ابن ماجه: ٤١٠٤، وانظر صحيح الجامع: ٥٤٦٥].

(٢) حديث استأذنه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في أن يخرج عن جميع ما يملكه، فأذن له فنزل جبريل عليه السلام، وقال: مره بأن يطعم المسكين». أخرجه الحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف وقال صحيح الإسناد، قلت. كلا، فيه خالد بن أبي مالك ضعيف جدا.

الميل فخصص بمن مال إلى الباطل عن الحق، وكذا الارتداد، ولا خفاء بالحاجة إلى التوفيق ولذلك قيل:

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجني عليه اجتهاده

فأما الهداية فلا سبيل لأحد إلى طلب السعادة إلا بها؛ لأنّ داعية الإنسان قد تكون مائلة إلى ما فيه صلاح آخرته ولكن إذا لم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحًا فمن أين ينفعه مجرّد الإرادة؟ فلا فائدة في الإرادة والقدرة والأسباب إلا بعد الهداية، ولذلك قال تعالى: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:٥٠] وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [النور:٢١] وقال ﷺ: «ما مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إلاّ بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى» أي بهدايته، فقيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا»[1]، وللهداية ثلاث منازل.

الأولى: معرفة طريق الخير والشر المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:١٠] وقد أنعم الله تعالى به على كافة عباده بعضه بالعقل وبعضه على لسان الرسل، ولذلك قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت:١٧] فأسباب الهدى هي الكتب والرسل وبصائر العقول، وهي مبذولة ولا يمنع منها إلا الحسد والكبر وحب الدنيا، والأسباب التي تعمي القلوب وإن كانت لا تعمي الأبصار، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦] ومن جملة المعميات: الإلف والعادة وحب استصحابهما، وعنه العبارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف:٢٢] الآية.

وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:٣١] وقوله تعالى: ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ [القمر:٢٤] فهذه المعميات هي التي منعت الاهتداء.

والهداية الثانية وراء هذه الهداية العامة، وهي التي يمدّ الله تعالى بها العبد حالًا بعد حال، وهي ثمرة المجاهدة حيث قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩] وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد:١٧] .

والهداية الثالثة وراء الثانية، وهو النور الذي يشرق في عالم النبوّة والولاية بعد كمال المجاهدة، فيهتدي بها إلى ما لا يهتدي إليه بالعقل الذي يحصل به التكليف وإمكان تعلم

---

(١) **صحيح**: حديث «ما من أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله». متفق عليه من حديث أبي هريرة «لن يدخل أحدكم عمله الجنة» [البخاري: ٥٦٧٣، ومسلم: ٢٨١٦ عن أبي هريرة، والبخاري: ٦٤٦٧، ومسلم: ٢٨١٨ عن عائشة، ومسلم: ٢٨١٧ عن جابر] قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة» وفي رواية لمسلم «ما من أحد يدخله عمله الجنة... الحديث» [مسلم: ٢٨١٦] واتفقا عليه من حديث عائشة، وانفرد به مسلم من حديث جابر وقد تقدم.

العلوم وهو الهوى المطلق وما عداه حجاب له ومقدّمات، وهو الذي شرفه الله تعالى بتخصيص الإضافة إليه وإن كان الكل من جهته تعالى، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة:١٢٠]وهو المسمى حياة في قوله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام:١٢٢]والمعني بقوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر:٢٢]وأما الرشد فنعني به العناية الإلهية التي تعين الإنسان عند توجهه إلى مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده، ويكون ذلك من الباطن كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٥١] فالرشد عبارة عن هداية باعثة إلى جهة السعادة محركة إليها، فالصبي إذا بلغ خبيرًا بحفظ المال وطرق التجارة والاستنماء ولكنه مع ذلك يبذر ولا يريد الاستنماء لا يسمى رشيدًا لا لعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته، فكم من شخص يقدم على ما يعلم أنه يضره فقد أعطي الهداية وميز بها عن الجاهل الذي لا يدري أنه يضره ولكن ما أعطي الرشد، فالرشد بهذا الاعتبار أكمل من مجرّد الهداية إلى وجوه الأعمال وهي نعمة عظيمة.

وأما التسديد فهو توجيه حركاته إلى صوب المطلوب وتيسرها عليه ليشتدّ في صوب الصواب في أسرع وقت، فإن الهداية بمجرّدها لا تكفي، بل لا بد من هداية محركة للداعية وهي الرشد والرشد لا يكفي، بل لا بدّ من تيسر الحركات بمساعدة الأعضاء والآلات حتى يتم المراد مما انبعثت الداعية إليه فالهداية محض التعريف، والرشد هو تنبيه الداعية لتستيقظ وتتحرّك، والتسديد إعانة ونصرة بتحريك الأعضاء في صوب السداد، وأما التأييد فكأنه جامع للكل، وهو عبارة عن تقوية أمره بالبصيرة من داخل وتقوية البطش ومساعدة الأسباب من خارج، وهو المراد بقوله عز وجل: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [المائدة:١١٠] وتقرب منه العصمة، وهي عبارة عن وجود إلهي يسبح في الباطن يقوى به الإنسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع من باطنه غير محسوس، وإياه عنى بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف:٢٤] فهذه هي مجامع النعم، ولن تتثبت إلا بما يخوّله الله من الفهم الصافي الثاقب والسمع الواعي والقلب البصير المتواضع المراعي والمعلم الناصح والمال الزائد على ما يقصر عن المهمات بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذي يصونه عن سفه السفهاء وظلم الأعداء، ويستدعي كل واحد من هذه الأسباب الستة عشر أسبابًا، وتستدعي تلك الأسباب أسبابًا إلى أن تنتهي بالآخرة إلى دليل المتحيرين وملجأ المضطرين وذلك رب الأرباب ومسبب الأسباب، وإذا كانت تلك الأسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاءها فلنذكر منها أنموذجًا ليعلم به معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم:٣٤] وبالله التوفيق.

بيان وجه الأنموذج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر والإحصاء:

اعلم أنا جمعنا النعم في ستة عشر ضربًا، وجعلنا صحة البدن نعمة من النعم الواقعة في الرتبة المتأخرة، فهذه النعمة الواحدة لو أردنا أن نستقصي الأسباب التي بها تمت هذه النعمة لم نقدر عليها، ولكن الأكل أحد أسباب الصحة فلنذكر نبذة من جملة الأسباب التي بها تتم نعمة الأكل فلا يخفى أن الأكل فعل، وكل فعل من هذا النوع فهو حركة، وكل حركة لا بدّ لها من جسم متحرّك هو آلتها، ولا بدّ لها من قدرة على الحركة، ولا بد من إرادة للحركة، ولا بدّ من علم بالمراد وإدراك له، ولا بدّ للأكل من مأكول، ولا بد للمأكول من أصل منه يحصل، ولا بدّ له من صانع يصلحه، فلنذكر أسباب الإدراك، ثم أسباب الإرادات، ثم أسباب القدرة، ثم أسباب المأكول على سبيل التلويح لا على سبيل الاستقصاء.

الطرف الأول: في نعم الله تعالى في خلق أسباب الإدراك:

اعلم أن الله تعالى خلق النبات وهو أكمل وجودًا من الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التي لا تنمى ولا تغذى؛ فإنّ النبات خلق فيه قوّة بها يجتذب الغذاء إلى نفسه من جهة أصله وعروقه التي في الأرض، وهي له آلات، فبها يجتذب الغذاء وهي العروق الدقيقة التي تراها في كل ورقة، ثم تغلظ أصولها، ثم تتشعب، ولا تزال تستدق وتتشعب إلى عروق شعرية تنبسط في أجزاء الورقة حتى تغيب عن البصر، إلا أنّ النبات مع هذا الكمال ناقص، فإنه إذا أعوزه غذاء يساق إليه ويماس أصله جف ويبس ولم يمكنه طلب الغذاء من وضع آخر، فإن الطلب إنما يكون بمعرفة المطلوب وبالانتقال إليه والنبات عاجز عن ذلك، فمن نعمة الله تعالى عليك أن خلق لك آلات الإحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء، فانظر إلى ترتيب حكمة الله تعالى في خلق الحواس الخمس التي هي آلة الإدراك، فأوّلها حاسة اللمس وإنما خلقت لك حتى إذا مستك نار محرقة أو سيف جارح تحس به فتهرب، منه، وهذا أوّل حس يخلق للحيوان، ولا يتصوّر حيوان إلا ويكون له هذا الحس؛ لأنه إذا لم يحس أصلًا فليس بحيوان، وأنقص درجات الحس أن يحسن بما لا يلاصقه ويماسه، فإن الإحساس مما يبعد منه إحساس أتم لا محالة، وهذا الحس موجود لكل حيوان، حتى الدودة التي في الطين فإنها إذا غرز فيها إبرة انقبضت للهرب، لا كالنبات فإنّ النبات يقطع فلا ينقبض إذ لا يحس بالقطع، إلا أنك لو لم يخلق لك إلا هذا الحس لكنت ناقصًا كالدودة لا تقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما يمس بدنك فتحس به فتجذبه إلى نفسك فقط، فافتقرت إلى حس تدرك به ما بعد عنك، فخلق لك الشم إلا أنك تدرك به الرائحة ولا تدري أنها جاءت من أي ناحية، فتحتاج إلى أن تطوف كثيرًا من الجوانب فربما تعثر على الغذاء التي شممت ريحه، وربما لم تعثر فتكون في غاية النقصان لو لم يخلق لك إلا هذا، فخلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك

وتدرك جهته فتقصد تلك الجهة بعينها، إلا أنه لو لم يخلق لك إلا هذا لكنت ناقصًا، إذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران والحجب، فتبصر غذاء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدوًّا لا حجاب بينك وبينه؛ وأما ما بينك وبينه حجاب فلا تبصره، وقد لا ينكشف الحجاب إلا بعد قرب العدوّ فتعجز عن الهرب، فخلق لك السمع حتى تدرك به الأصوات من وراء الجدران والحجب عند جريان الحركات؛ لأنك لا تدرك بالبصر إلا شيئًا حاضرًا، وأما الغائب فلا يمكنك معرفته إلا بكلام ينتظم من حروف وأصوات تدرك بحس السمع، فاشتدّت إليه حاجتك فخلق لك ذلك، وميزت بفهم الكلام عن سائر الحيوانات، وكل ذلك ما كان يغنيك لو لم يكن لك حسن الذوق، إذ يصل الغذاء إليك فلا تدرك أنه موافق لك أو مخالف فتأكله فتهلك، كالشجرة يصب في أصلها كل مائع ولا ذوق لها فتجذبه، وربما يكون ذلك سبب جفافها، ثم كل ذلك لا يكفيك لو لم يخلق في مقدّمة دماغك إدراك آخر يسمى حسًّا مشتركًا تتأدى إليه هذه المحسوسات الخمس وتجتمع فيه، ولولاه لطال الأمر عليك، فإنك إذا أكلت شيئًا أصفر مثلًا فوجدته مرًّا مخالفًا لك فتركته، فإذا رأيته مرة أخرى فلا تعرف أنه مر مضر ما لم تذقه ثانيًا لولا الحس المشترك إذ العين تبصر الصفرة ولا تدرك المرارة فكيف تمتنع عنه والذوق يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة، فلا بدّ من حاكم تجتمع عنده الصفرة والمرارة جميعًا، حتى إذا أردت الصفرة حكم بأنه مر فيمتنع عن تناوله ثانيًا، وهذا كله تشاركك فيه الحيوانات، إذ للشاة هذه الحواس كلها، فلو لم يكن لك إلا هذا لكنت ناقصًا؛ فإنّ البهيمة يحتال عليها فتؤخذ فلا تدري كيف تدفع الحيلة عن نفسها وكيف تتخلص إذا قيدت، وقد تلقي نفسها في بئر ولا تدري أن ذلك يهلكها، ولذلك قد تأكل البهيمة ما تستلذه في الحال ويضرها في ثاني الحال فتمرض وتموت، إذ ليس لها إلا الإحساس بالحاضر، فأما إدراك العواقب فلا، فميزك الله تعالى وأكرمك بصفة أخرى وهي أشرف من الكل وهو العقل، فبه تدرك مضرة الأطعمة ومنفعتها في الحال والمآل، وبه تدرك كيفية طبخ الأطعمة وتأليفها وإعداد أسبابها، فتنتفع بعقلك في الأكل الذي هو سبب صحتك وهو أحسن فوائد العقل، وأقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله ومعرفة الحكمة في عالمه، وعند ذلك تنقلب فائدة الحواس الخمس في حقك، فتكون الحواس الخمس كالجواسيس وأصحاب الأخبار الموكلين بنواحي المملكة، وقد وكلت كل واحدة منها بأمر تختصّ به، فواحدة منها بأخبار الألوان، والأخرى بأخبار الأصوات، والأخرى بأخبار الروائح، والأخرى بأخبار الطعوم، والأخرى بأخبار الحرّ والبرد والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها، وهذه البرد والجواسيس يقتنصون الأخبار من أقطار المملكة ويسلمونها إلى الحس المشترك، والحس المشترك قاعد في مقدّمة الدماغ، مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة من نواحي العالم فيأخذها وهي مختومة ويسلمها، إذ

ليس له إلا أخذها وجمعها وحفظها؛ فأما معرفة حقائق ما فيها فلا، ولكن إذا صادف القلب العاقل الذي هو الأمير والملك سلم الإنهاءات إليه مختومة، فيفتشها الملك ويطلع منها على أسرار المملكة ويحكم فيها بأحكام عجيبة لا يمكن استقصاؤها في هذا المقام وبحسب ما يلوح له من الأحكام والمصالح يحرّك الجنود وهي الأعضاء: مرة في الطلب ومرة في الهرب ومرة في إتمام التدبيرات التي تعنّ له، فهذه سياقة نعمة الله عليك في الإدراكات، ولا تظنن أنا استوفيناها؛ فإنّ الحواس الظاهرة هي بعض الإدراكات، والبصر واحد من جملة الحواس، والعين آلة واحدة له، وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها أغشية، وبعض الأغشية كأنها نسج العنكبوت وبعضها كالمشيمة، وبعض تلك الرطوبات كأنه بياض البيض وبعضها كأنه الجمد، ولكل واحدة من هذه الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدوير وتركيب، لو اختلت طبقة واحدة من جملة العشر أو صفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وعجز عنه الأطباء والكحالون كلهم، فهذا في حس واحد، فقس به حاسة السمع وسائر الحواس؛ بل لا يمكن أن تستوفي في حكم الله تعالى وأنواع نعمه في جسم البصر وطبقاته في مجلدات كثيرة، مع أنّ جملته لا تزيد على جوزة صغيرة؛ فكيف ظنك بجميع البدن وسائر أعضائه وعجائبه، فهذه مرامز إلى نعم الله تعالى بخلق الإدراكات.

الطرف الثاني: في أصناف النعم في خلق الإرادات:

اعلم أنه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذاء من بعد ولم يخلق لك ميل في الطبع وشوق إليه وشهوة له تستحثك على الحركة لكان البصر معطلًا، فكم من مريض يرى الطعام وهو أنفع الأشياء له وقد سقطت شهوته فلا يتناوله، فيبقى البصر والإدراك معطلًا في حقه، فاضطررت إلى أن يكون لك ميل إلى ما يوافقك يسمى شهوة ونفرة عما يخالفك تسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة؛ فخلق الله تعالى فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكلها بك كالمتقاضي الذي يضطرّك إلى التناول حتى تتناول وتغتذي فتبقى بالغذاء، وهذا مما يشاركك فيه الحيوانات دون النبات.

ثم هذه الشهوة لو لم تسكن إذا أخذت مقدار الحاجة أسرفت وأهلكت نفسك، فخلق الله لك الكراهة عند الشبع لتترك الأكل بها، لا كالزرع فإنه لا يزال يجتذب الماء إذا انصب في أسفله حتى يفسد فيحتاج إلى آدمي يقدّر غذاءه بقدر الحاجة، فيسقيه مرة ويقطع عنه الماء أخرى، وكما خلقت لك هذه الشهوة حتى تأكل فيبقى به بدنك خلق لك شهوة الجماع حتى تجامع فيبقى به نسلك، ولو قصصنا عليك عجائب صنع الله تعالى في خلق الرحم وخلق دم الحيض، وتأليف الجنين من المني ودم الحيض، وكيفية خلق الأنثيين والعروق السالكة إليها من الفقار الذي هو مستقر النطفة، وكيفية انصباب ماء المرأة من الترائب بواسطة العروق وكيفية انقسام مقعر الرحم إلى قوالب تقع النطفة في بعضها فتتشكل بشكل الذكور وتقع في

بعضها فتتشكل بشكل الإناث، وكيفية إدارتها في أطوار خلقها مضغة وعلقة ثم عظمًا ولحمًا ودمًا، وكيفية قسمة أجزائها إلى رأس ويد ورجل وبطن وظهر وسائر الأعضاء: لقضيت من أنواع نعم الله تعالى عليك في مبدأ خلقك كل العجب، فضلًا عما تراه الآن، ولكنا لسنا نريد أن نتعرّض إلا لنعم الله تعالى في الأكل وحده كي لا يطول الكلام؛ فإذن شهوة الطعام أحد ضروب الإرادات، وذلك لا يكفيك، فإنه تأتيك المهلكات من الجوانب، فلو لم يخلق فيك الغضب الذي به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك، لبقيت عرضة للآفات ولأخذ منك كل ما حصلته من الغذاء، فإن كل واحد يشتهي ما في يديك فتحتاج إلى داعية في دفعه ومقاتلته وهي داعية الغضب الذي به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك، ثم هذا لا يكفيك إذ الشهوة والغضب لا يدعوان إلا إلى ما يضر وينفع في الحال، وأما في المآل فلا تكفي فيه هذه الإرادة، فخلق الله تعالى لك إرادة أخرى مسخرة تحت إشارة العقل المعرّوف للعواقب، كما خلق الشهوات والغضب مسخرة تحت إدراك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل، إذ كان مجرّد المعرفة بأن هذه الشهوة مثلًا تضرك لا يغنيك في الاحتراز عنها ما لم يكن لك ميل إلى العمل بموجب المعرفة، وهذه الإرادة أفردت بها عن البهائم إكرامًا لبني آدم كما أفردت بمعرفة العواقب، وقد سمينا هذه الإرادة باعثًا دينيًا، وفصلناه في كتاب الصبر تفصيلًا أوفى من هذا.

الطرف الثالث: في نعم الله تعالى في خلق القدرة وآلات الحركة:

اعلم أن الحس لا يفيد إلا الإدراك، والإرادة لا معنى لها إلا الميل إلى الطلب والهرب وهذا لا كفاية فيه ما لم تكن فيك آلة الطلب والهرب، فكم من مريض مشتاق إلى شيء بعيد عنه مدرك له ولكنه لا يمكنه أن يمشي إليه لفقد رجله، أو لا يمكنه أن يتناوله لفقد يده أو لفلج وخدر فيهما، فلا بدّ من آلات للحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلبًا وبمقتضى الكراهية هربًا، فلذلك خلق الله تعالى لك الأعضاء التي تنظر إلى ظاهرها ولا تعرف أسرارها، فمنها ما هو للطلب والهرب كالرجل للإنسان والجناح للطير والقوائم للدواب، ومنها ما هو للدفع كالأسلحة للإنسان والقرون للحيوان، وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافًا كثيرًا، فمنها ما يكثر أعداؤه ويبعد غذاؤه فيحتاج إلى سرعة الحركة فخلق له الجناح ليطير بسرعة، ومنها ما خلق له أربع قوائم، ومنها ما له رجلان، ومنها ما يدب وذكر ذلك يطول فلنذكر الأعضاء التي بها يتم الأكل فقط ليقاس عليها غيرها فنقول: رؤيتك الطعام من بعد وحركتك إليه لا تكفي ما لم تتمكن من أن تأخذه، فافتقرت إلى آلة باطشة، فأنعم الله تعالى عليك بخلق اليدين وهما طويلتان ممتدّتان إلى الأشياء ومشتملتان على مفاصل كثيرة لتتحرك في الجهات فتمتدّ وتنثني إليك فلا تكون كخشبة منصوبة؛ ثم جعل رأس اليد عريضًا بخلق الكف؛ ثم قسم رأس الكف بخمسة أقسام هي الأصابع وجعلها في صفين بحيث يكون

الإبهام في جانب ويدور على الأربعة الباقية، ولو كانت مجتمعة أو متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعها وضعًا إن بسطتها كانت لك مجرفة وإن صممتها كانت لك مغرفة، وإن جمعتها كانت لك آلة للضرب، وإن نشرتها ثم قبضتها كانت لك آلة في القبض، ثم خلق لها أظفارًا وأسند إليها رؤوس الأصابع حتى لا تتفتت وحتى تلتقط بها الأشياء الدقيقة التي لا تحويها الأصابع فتأخذها برؤوس أظفارك، ثم هب أنك أخذت الطعام باليدين فمن أين يكفيك هذا ما لم يصل إلى المعدة وهي في الباطن، فلا بد وأن يكون من الظاهر دهليز إليها حتى يدخل الطعام منه، فجعل الفم منفذًا إلى المعدة مع ما فيه من الحكم الكثيرة سوى كونه منفذًا للطعام إلى المعدة، ثم إن وضعت الطعام في الفم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فتحتاج إلى طاحونة تطحن بها الطعام، فخلق لك اللحيين من عظمين وركب فيهما الأسنان وطبق الأضراس العليا على السفلى لتطحن بهما الطعام طحنًا، ثم الطعام تارة يحتاج إلى الكسر وتارة إلى القطع ثم يحتاج إلى طحن بعد ذلك، فقسم الأسنان إلى عريضة طواحين كالأضراس، وإلى حادة قواطع كالرباعيات وإلى ما يصلح للكسر كالأنياب، ثم جعل مفصل اللحيين متخلخلًا بحيث يتقدم الفك الأسفل ويتأخر حتى يدور على الفك الأعلى دوران الرحى، ولولا ذلك لما تيسر إلا ضرب أحدهما على الآخر مثل تصفيق اليدين مثلًا، وبذلك لا يتم الطحن.

فجعل اللحى الأسفل متحرّكًا حركة دورية، واللحى الأعلى ثابتًا لا يتحرّك فانظر إلى عجيب صنع الله تعالى فإن كل رحى صنعه الخلق فيثبت منه الحجر الأسفل ويدور الأعلى إلا هذا الرحى الذي صنعه الله تعالى، إذ يدور منه الأسفل على الأعلى، فسبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه وأتم برهانه وأوسع امتنانه ثم هب أنك وضعت الطعام في فضاء الفم فكيف يتحرّك الطعام إلى ما تحت الأسنان، أو كيف تستجرّه الأسنان إلى نفسها، أو كيف يتصرف باليد في داخل الفم؟ فانظر كيف أنعم الله عليك بخلق اللسان، فإنه يطوف في جوانب الفم ويرد الطعام من الوسط إلى الأسنان بحسب الحاجة كالمجرفة التي ترد الطعام إلى الرحى، هذا مع ما فيه من فائدة الذوق وعجائب قوّة النطق والحكم التي لسنا نطنب بذكرها، ثم هب أنك قطعت الطعام وطحنته وهو يابس فلا تقدر على الابتلاع إلا بأن ينزلق إلى الحلق بنوع رطوبة، فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عينًا يفيض اللعاب منها وينصب بقدر الحاجة حتى ينعجن به الطعام، فانظر كيف سخرها لهذا الأمر فإنك ترى الطعام من بعد فيثور الحنكان للخدمة وينصب اللعاب حتى تتحلب أشداقك والطعام بعد بعيد عنك، ثم هذا الطعام المطحون المنعجن من يوصله إلى المعدة وهو في الفم ولا تقدر على أن تدفعه باليد ولا يد في المعدة حتى تمتدّ فتجذب الطعام، فانظر كيف هيأ الله تعالى المريء والحنجرة وجعل على رأسها طبقات تنفتح لأخذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى يتقلب الطعام بضغطه فيهوي إلى المعدة في دهليز المريء، فإذا ورد الطعام على المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لأن

يصير لحمًا وعظمًا ودمًا على هذه الهيئة بل لا بد وأن يطبخ طبخًا تامًّا حتى تتشابه أجزاؤه، فخلق الله تعالى المعدة على هيئة قدر فيقع فيها الطعام فتحتوي عليه وتغلق عليه الأبواب، فلا يزال لابثًا فيها حتى يتم الهضم والنضج بالحرارة التي تحيط بالمعدة من الأعضاء الباطنة، إذ من جانبها الأيمن الكبد ومن الأيسر الطحال، ومن قدّام الترائب، ومن خلف لحم الصلب فتتعدّى الحرارة إليها من تسخين هذه الأعضاء من الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير مائعًا متشابهًا يصلح للنفوذ في تجاويف العروق، وعند ذلك يشبه ماء الشعير في تشابه أجزائه ورقته، وهو بعد لا يصلح للتغذية، فخلق الله تعالى بينها وبين الكبد مجاري من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهي إلى الكبد، والكبد معجون من طينة الدم حتى كأنه دم، وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة في أجزاء الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر في أجزائها حتى تستولي عليه قوّة الكبد فتصبغه بلون الدم، فيستقر فيها ريثما يحصل له نضج آخر ويحصل له هيئة الدم الصافي الصالح لغذاء الأعضاء، إلا أن حرارة الكبد هي التي تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد في جميع ما يطبخ: إحداهما شبيهة بالدردي والعكر وهو الخلط السوداوي، والأخرى شبيهة بالرغوة وهي الصفراء، ولو لم تفصل عنها الفضلتان فسد مزاج الأعضاء، فخلق الله تعالى المرارة والطحال وجعل لكل واحد منهما عنقًا ممدودًا إلى الكبد داخلًا في تجويفه، فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجذب الطحال العكر السوداوي، فيبقى الدم صافيًا ليس فيه إلا زيادة رقة ورطوبة لما فيه من المائية، ولولاها لما انتشر في تلك العروق الشعرية، ولأخرج منها متصاعدًا إلى الأعضاء، فخلق الله سبحانه الكليتين وأخرج من كل واحدة منهما عنقًا طويلًا إلى الكبد.

ومن عجائب حكمة الله تعالى أن عنقهما ليس داخلًا في تجويف الكبد بل متصل بالعروق الطالعة من حدبة الكبد حتى يجذب ما يليها بعد الطلوع من العروق الدقيقة التي في الكبد، إذ لو اجتذب قبل ذلك لغلظ ولم يخرج من العروق، فإذا انفصلت منه المائية فقد صار الدم صافيًا من الفضلات الثلاث نقيًا من كل ما يفسد الغذاء، ثم إن الله تعالى أطلع من الكبد عروقًا، ثم قسمها بعد الطلوع أقسامًا، وشعب كل قسم بشعب، وانتشر ذلك في البدن كله من الفرق إلى القدم ظاهرًا وباطنًا، فيجري الدم الصافي فيها ويصل إلى سائر الأعضاء حتى تصير العروق المنقسمة شعرية كعروق الأوراق والأشجار بحيث لا تدرك بالأبصار، فيصل منها الغذاء بالرشح إلى سائر الأعضاء، ولو حلت بالمرارة آفة فلم تجذب الفضلة الصفراوية فسد الدم وحصل منه الأمراض الصفراوية كاليرقان والبثور والحمرة، وإن حلت بالطحال آفة فلم يجذب الخلط السوداوي حدثت الأمراض السوداوية كالبهق والجذام والماليخوليا وغيرها، وإن لم تندفع المائية نحو الكلى حدث منه الاستسقاء وغيره.

ثم انظر إلى حكمة الفاطر الحكيم كيف رتب المنافع على هذه الفضلات الثلاث

الخسيسة: أما المرارة فإنها تجذب بأحد عنقيها وتقذف بالعنق الآخر إلى الأمعاء ليحصل له في ثفل الطعام رطوبة مزلقة ويحدث في الأمعاء لذع يحركها للدفع، فتنضغط حتى يندفع الثفل وينزلق وتكون صفرته لذلك.

وأما الطحال فإنه يحيل تلك الفضلة إحالة يحصل بها فيه حموضة وقبض، ثم يرسل منها كل يوم شيئًا إلى فم المعدة فيحرّك الشهوة بحموضته وينبهها ويثيرها ويخرج الباقي مع الثفل، وأما الكلية فإنها تغتذي بما في تلك المائية من دم وترسل الباقي إلى المثانة ولنقتصر على هذا القدر من بيان نعم الله تعالى في الأسباب التي أعدت للأكل.

ولو ذكرنا كيفية احتياج الكبد إلى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الأعضاء الرئيسية إلى صاحبه وكيفية انشعاب العروق الضوارب من القلب إلى سائر البدن وبواسطتها يصل الحس وكيفية انشعاب العروق السواكن من الكبد إلى سائر البدن وبواسطتها يصل الغذاء، ثم كيفية تركب الأعضاء وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها وأوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها ـــ لطال الكلام، وكل ذلك محتاج إليه للأكل ولأمور أخر سواه، بل في الآدمي آلاف من العضلات والعروق والأعصاب مختلفة بالصغر والكبر والدقة والغلظ وكثرة الانقسام وقلته، ولا شيء منها إلا وفيه حكمة أو اثنتان أو ثلاث أو أربع إلى عشر وزيادة وكل ذلك نعم من الله تعالى عليك لو سكن من جملتها عرق متحرّك أو تحرك عرق ساكن، لهلكت يا مسكين، فانظر إلى نعمة الله تعالى عليك أولًا لتقوى بعدها على الشكر، فإنك لا تعرف من نعمة الله سبحانه إلا الأكل وهو أخسها، ثم لا تعرف منها إلا أنك تجوع فتأكل، والحمار أيضًا يعلم أنه يجوع فيأكل ويتعب فينام ويشتهي فيجامع ويستنهض فينهض ويرمح، فإذا لم تعرف أنت من نفسك إلا ما يعرف الحمار فكيف تقوم بشكر نعمة الله عليك؟ وهذا الذي رمزنا إليه على الإيجاز قطرة من بحر واحد من بحار نعم الله فقط، فقس على الإجمال ما أهملناه من جملة ما عرفناه حذرًا من التطويل، وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالإضافة إلى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى أقل من قطرة من بحر، إلا أن من علم شيئًا من هذا أدرك شمة من معاني قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨] ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الأعضاء وقوام منافعها وإدراكاتها وقواها ببخار لطيف يتصاعد من الأخلاط الأربعة ومستقره القلب، ويسري في جميع البدن بواسطة العروق الضوارب فلا ينتهي إلى جزء من أجزاء البدن إلا ويحدث عند وصوله في تلك الأجزاء ما يحتاج إليه من قوة حس وإدراك وقوة حركة وغيرها، كالسراج الذي يدار في أطراف البيت فلا يصل إلى جزء إلا ويحصل بسبب وصوله ضوء على أجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه، ولكنه جعل السراج سببًا له بحكمته؛ وهذا البخار اللطيف هو الذي تسميه الأطباء الروح؛ ومحله القلب، ومثاله جرم نار السراج والقلب له كالمسرجة، والدم الأسود الذي في باطن القلب له كالفتيلة،

والغذاء له كالزيت، والحياة الظاهرة في سائر أعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت وكما أن السراج إذا انقطع زيته انطفأ فسراج الروح أيضًا ينطفىء مهما انقطع غذاؤه، وكما أن الفتيلة قد تحترق فتصير رمادًا بحيث لا تقبل الزيت فينطفىء السرج مع كثرة الزيت فكذلك الدم الذي تشبث به هذا البخار في القلب قد يحترق بفرط حرارة القلب فينطفىء مع وجود الغذاء، فإنه لا يقبل الغذاء الذي يبقى به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت قبولًا تتشبث النار به؛ وكما أن السراج تارة ينطفىء بسبب من داخل كما ذكرناه وتارة بسبب من خارج كريح عاصف فكذلك الروح تارة تنطفىء بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج وهو القتل، وكما أن انطفاء السراج بفناء الزيت أو بفساد الفتيلة أو بريح عاصف أو بإطفاء إنسان لا يكون إلا بأسباب مقدّرة في علم الله مرتبة ويكون كل ذلك بقدر؛ فكذلك انطفاء الروح، وكما أن انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك أجله الذي أجل له في أم الكتاب، فكذلك انطفاء الروح؛ وكما أن السراج إذا انطفأ أظلم البيت كله فالروح إذا انطفأ أظلم البدن كله وفارقته أنواره التي كان يستفيدها من الروح وهي أنوار الإحساسات والقدر والإرادات وسائر ما يجمعها معنى لفظ الحياة، فهذا أيضًا رمز وجيز إلى عالم آخر من عوالم نعم الله تعالى وعجائب صنعه وحكمته ليعلم أنه ﴿لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف:١٠٩] عز وجل: فتعسًا لمن كفر بالله تعسًا؛ وسحقًا لمن كفر نعمته سحقًا.

فإن قلت: فقد وصفت الروح ومثلته ورسول الله ﷺ سئل عن الروح فلم يزد عن أن قال: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥][1]، فلم يصفه لهم على هذا الوجه.

فاعلم أن هذه غفلة عن الاشتراك الواقع في لفظ الروح، فإنّ الروح يطلق لمعان كثيرة لا نطوّل بذكرها ونحن إنما وصفنا من جملتها جسمًا لطيفًا تسميه الأطباء روحًا، وقد عرفوا صفته ووجوده وكيفية سريانه في الأعضاء وكيفية حصول الإحساس والقوى في الأعضاء به، حتى إذا خدر بعض الأعضاء علموا أن ذلك لوقوع سدّة في مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر بل منابت الأعصاب ومواقع السدّة فيها ويعالجونها بما يفتح السدّة فإن هذا الجسم بلطفه ينفذ في شباك العصب وبواسطته يتأدى من القلب إلى سائر الأعضاء وما يرتقي إليه معرفة الأطباء فأمره سهل نازل.

وأما الروح التي هي الأصل وهي التي إذا فسدت فسد لها سائر البدن، فذلك سر من أسرار الله تعالى لم نصفه، ولا رخصة في وصفه إلا بأن يقال: هو أمر رباني كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء:٨٥] والأمور الربانية لا تحتمل العقول وصفها بل تتحير فيها

---

(١) **صحيح**: حديث: أنه سئل عن الروح فلم يزد على أن قال «الروح من أمر ربي». متفق عليه من حديث ابن مسعود، وقد تقدم في شرح عجائب القلب. [البخاري: ٧٤٦٢، ومسلم: ٢٧٩٤].

عقول أكثر الخلق، وأما الأوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن إدراك الأصوات، وتتزلزل في ذكر مبادىء وصفها معاقد العقول المقيدة بالجوهر والعرض المحبوسة في مضيقها، فلا يدرك بالعقل شيء من وصفه بل بنور آخر أعلى وأشرف من العقل يشرق ذلك النور في عالم النبوّة والولاية، نسبته إلى العقل نسبة العقل إلى الوهم والخيال، وقد خلق الله تعالى الخلق أطوارًا، فكما يدرك الصبي المحسوسات ولا يدرك المعقولات لأن ذلك طور لم يبلغه بعد، فكذلك يدرك البالغ المعقولات ولا يدرك ما وراءها؛ لأن ذلك طور لم يبلغه بعد، وإنه لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية، فبها يلحظ جناب الحق بنور الإيمان واليقين، وذلك المشرب أعز من أن يكون شريعة لكل وارد، بل لا يطلع عليه إلا واحد بعد واحد، ولجناب الحق صدر وفي مقدمة الصدر مجال وميدان رحب، وعلى أوّل الميدان عتبة هي مستقر ذلك الأمر الرباني، فمن لم يكن له على هذه العتبة جواز ولا لحافظ العتبة مشاهدة استحال أن يصل الميدان، فكيف بالانتهاء إلى ما وراءه من المشاهدات العالية، ولذلك قيل: من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه.

وأنى يصادف هذا خزانة الأطباء؟ ومن أين للطبيب أن يلاحظه؟ بل المعنى المسمى روحًا عند الطبيب بالإضافة إلى هذا الأمر الرباني كالكرة التي يحركها صولجان الملك بالإضافة إلى الملك فمن عرف الروح الطبي فظنّ أنه أدرك الأمر الرباني كان كمن رأى الكرة التي يحرّكها صولجان الملك فظن أنه رأى الملك، ولا يشك في أنّ خطأه فاحش، وهذا الخطأ أفحش منه جدًّا، ولما كانت العقول التي بها يحصل التكليف وبها تدرك مصالح الدنيا عقولًا قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الأمر لم يأذن الله تعالى لرسوله ﷺ أن يتحدّث عنه، بل أمره أن يكلم الناس على قدر عقولهم، ولم يذكر الله تعالى في كتابه من حقيقة هذا الأمر شيئًا، ولكن ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته، أما نسبته ففي قوله تعالى: ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ وأما فعله فقد ذكر في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝٣٠﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠] ولنرجع الآن إلى الغرض، فإن المقصود ذكر نعم الله تعالى في الأكل، فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى في آلات الأكل.

الطرف الرابع: في نعم الله تعالى في الأصول التي يحصل منها الأطعمة وتصير صالحة لأن يصلحها الآدمي بعد ذلك بصنعته:

اعلم أن الأطعمة كثيرة، ولله تعالى في خلقها عجائب كثيرة لا تحصى وأسباب متوالية لا تتناهى، وذكر ذلك في كل طعام مما يطول، فإن الأطعمة إما أدوية وإما فواكه وإما أغذية، فلنأخذ الأغذية فإنها الأصل، ولنأخذ من جملتها حبة من البر ولندع سائر الأغذية فنقول: إذا وجدت حبة أو حبات فلو أكلتها فنيت وبقيت جائعًا، فما أحوجك إلى أن تنمو الحبة في نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تفي بتمام حاجتك فخلق الله تعالى في حبة الحنطة من القوى ما

يغتذي به كما خلق فيك، فإن النبات إنما يفارقك في الحس والحركة ولا يخالفك في الاغتذاء لأنه يغتذي بالماء ويجتذب إلى باطنه بواسطة العروق كما تغتذي أنت وتجتذب، ولسنا نطنب في ذكر آلات النبات في اجتذاب الغذاء إلى نفسه، ولكن نشير إلى غذائه فنقول: كما أن الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج إلى طعام مخصوص، فكذلك الحبة لا تغتذي بكل شيء بل تحتاج إلى شيء مخصوص، بدليل أنك لو تركتها في البيت لم تزد لأنه ليس يحيط بها إلا هواء، ومجرد الهواء لا يصلح لغذائها، ولو تركتها في الماء لم تزد، ولو تركتها في أرض لا ماء فيها لم تزد، بل لا بدّ من أرض فيها ماء يمتزج ماؤها بالأرض فيصير طينًا، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ...﴾ [عبس: ٢٤-٢٩]الآية؛ ثم لا يكفي الماء والتراب، إذ لو تركت في أرض ندية صلبة متراكمة لم تنبت لفقد الهواء، فيحتاج إلى تركها في أرض رخوة متخلخلة يتغلغل الهواء إليها، ثم الهواء لا يتحرك إليها بنفسه فيحتاج إلى ريح تحرك الهواء وتضربه بقهر وعنف على الأرض حتى ينفذ فيها، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الحجر :٢٢]وإنما إلقاحها في إيقاع الازدواج بين الهواء والماء والأرض، ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان في برد مفرط وشتاء شات، فتحتاج إلى حرارة الربيع والصيف؛ فقد بان احتياج غذائه إلى هذه الأربعة، فانظر إلى ماذا يحتاج كل واحد، إذ يحتاج الماء لينساق إلى أرض الزراعة من البحار والعيون والأنهار والسواقي، فانظر كيف خلق الله البحار وفجر العيون وأجرى منها الأنهار، ثم الأرض ربما تكون مرتفعة والمياه لا ترتفع إليها، فانظر كيف خلق الله تعالى الغيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها بإذنه إلى أقطار الأرض وهي سحب ثقال حوامل بالماء، ثم انظر كيف يرسله مدرارًا على الأراضي في وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة، وانظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه تتفجر منها العيون تدريجًا، فلو خرجت دفعة لغرقت البلاد وهلك الزرع والمواشي، ونعم الله في الجبال والسحاب والبحار والأمطار لا يمكن إحصاؤها، وأما الحرارة فإنها لا تحصل بين الماء والأرض وكلاهما باردان، فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الأرض مسخنة للأرض في وقت دون وقت، ليحصل البرد عند الحاجة إلى البرد، والحر عند الحاجة إلى الحر فهذه إحدى حكم الشمس ــ والحكم فيها أكثر من أن تحصى، ثم النبات إذا ارتفع عن الأرض كان في الفواكه انعقاد وصلابة فتفتقر إلى رطوبة تنضجها، فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين، فهو ينضج الفواكه ويصبغها بتقدير الفاطر الحكيم ولذلك لو كانت الأشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة، حتى أن الشجرة الصغيرة تفسد إذا ظللتها شجرة كبيرة، وتعرف ترطيب القمر بأن تكشف رأسك له بالليل فتغلب على رأسك الرطوبة التي يعبر عنها بالزكام

فكما يرطب رأسك يرطب الفاكهة أيضًا، ولا نطول فيما لا مطمع في استقصائه، بل نقول: كل كوكب في السماء فقد سخر لنوع فائدة كما سخرت الشمس للتسخين والقمر للترطيب، فلا يخلو واحد منهما عن حكم كثيرة لا تفي قوة البشر بإحصائها، ولو لم يكن كذلك لكان خلقها عبثًا وباطلًا ولم يصح قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ [آل عمران :١٩١] وقوله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء :١٦] وكما أنه ليس في أعضاء بدنك عضو إلا لفائدة فليس في أعضاء بدن العالم عضو إلا لفائدة، والعالم كله كشخص واحد، وآحاد أجسامه كالأعضاء له وهي متعاونة تعاون أعضاء بدنك في جملة بدنك، وشرح ذلك يطول، ولا ينبغي أن تظن أنّ الإيمان بأن النجوم والشمس والقمر مسخرات بأمر الله سبحانه في أمور جعلت أسبابًا لها بحكم الحكمة ــ مخالف للشرع لما ورد فيه من النهي عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم[1] بل المنهي عنه في النجوم أمران:

أحدهما: أن تصدّق بأنها فاعلة لآثارها مستقلة بها وأنها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها: وهذا كفر.

والثاني: تصديق المنجمين في تفصيل ما يخبرون عنه من الآثار التي لا يشترك كافة الخلق في دركها؛ لأنهم يقولون ذلك عن جهل، فإن علم أحكام النجوم كان معجزة لبعض الأنبياء عليهم السلام ثم اندرس ذلك العلم فلم يبق إلا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطإ؛ فاعتقاد كون الكواكب أسبابًا لآثار تحصل بخلق الله تعالى في الأرض وفي النبات وفي الحيوان ليس قادحًا في الدين بل هو حق، ولكن دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قادح في الدين، ولذلك إذا كان معك ثوب غسلته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك: أخرج الثوب وابسطه فإن الشمس قد طلعت وحمي النهار والهواء لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الإنكار عليه بحوالته حمي الهواء على طلوع الشمس، وإذا سألت عن تغيير وجه الإنسان فقال: قرعتني الشمس في الطريق فاسود وجهي لم يلزمك تكذيبه بذلك، وقس بهذا سائر الآثار، إلا أن الآثار بعضها معلوم وبعضها مجهول.

فالمجهول لا يجوز دعوى العلم فيه، والمعلوم بعضه معلوم للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطلوع الشمس، وبعضه لبعض الناس كحصول الزكام بشروق القمر؛ فإذن الكواكب

---

(١) صحيح: حديث النهي عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم. أخرجه أبو داود وابن ماجه بسند صحيح من حديث ابن عباس «من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد» [أبي داود: ٣٩٠٥، وابن ماجه: ٣٧٢٦، وانظر صحيح الترغيب: ٣٠٥١] وللطبراني من حديث ابن مسعود وثوبان «إذا ذكرت النجوم فأمسكوا» [انظر صحيح الجامع: ٥٤٥] وإسنادهما ضعيف، وقد تقدم في العلم. ولمسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي قال: قلت يا رسول الله، أمورا كنا نصنعها في الجاهلية كنا نأتي الكهان! قال «فلا تأتوا الكهان... الحديث"[مسلم: ٥٣٧].

ما خلقت عبثًا، بل فيها حكم كثيرة لا تحصى، ولهذا نظر رسول الله ﷺ إلى السماء وقرأ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١] ثم قال ﷺ: «وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ ثُمَّ مَسَحَ بِهَا سَبَلَتَهُ»(١)، ومعناه أن يقرأ ويترك التأمل، ويقتصر من فهم ملكوت السموات على أن يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم أيضًا، فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذي مسح بها سبلته، فلله تعالى في ملكوت السموات والآفاق والأنفس والحيوانات عجائب يطلب معرفتها المحبون لله تعالى، فإن من أحب عالمًا فلا يزال مشغولًا بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجائب علمه حبًا له، فكذلك الأمر في عجائب صنع الله تعالى، فإن العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب عباده، فإن تعجبت من تصنيف فلا تتعجب من المصنف، بل من الذي سخر المصنف لتصنيفه بما أنعم عليه من هدايته وتسديده وتعريفه، كما إذا رأيت لعب المشعوذ ترقص وتتحرك حركات موزونة متناسبة فلا تعجب من اللعب فإنها خرق محركة لا متحركة، ولكن تعجب من حذق المشعوذ المحرك لها بروابط دقيقة خفية عن الأبصار؛ فإذن المقصود أن غذاء النبات لا يتم إلا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب، ولا يتم ذلك إلا بالأفلاك التي هي مركوزة فيها، ولا تتم الأفلاك إلا بحركاتها، ولا تتم حركاتها إلا بملائكة سماوية يحركونها، وكذلك يتمادى ذلك إلى أسباب بعيدة تركنا ذكرها تنبيهًا بما ذكرناه على ما أهملناه، ولنقتصر على هذا من ذكر أسباب غذاء النبات.

الطرف الخامس: في نعم الله تعالى في الأسباب الموصلة للأطعمة إليك:

اعلم أنّ هذه الأطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لأجلها توجد في بعض الأماكن دون بعض، والناس منتشرون على وجه الأرض وقد تبعد عنهم الأطعمة ويحول بينهم وبينها البحار والبراري، فانظر كيف سخر الله تعالى التجار وسلط عليهم حرص حب المال وشهوة الربح مع أنهم لا يغنيهم في غالب الأمر شيء، بل يجمعون فإما أن تغرق بها السفن أو تنهبها قطاع الطريق أو يموتوا في بعض البلاد فيأخذها السلاطين، وأحسن أحوالهم أن يأخذها ورثتهم وهم أشدّ أعدائهم لو عرفوا، فانظر كيف سلط الله الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسوا الشدائد في طلب الربح ويركبوا الأخطار ويغرّروا بالأرواح في ركوب البحر فيحملون الأطعمة وأنواع الحوائج من أقصى الشرق والغرب إليك وانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الله الحيوانات

---

(١) حديث قرأ قوله تعالى ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١] ثم قال «ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته» أي ترك تأملها. أخرجه الثعلبي من حديث ابن عباس بلفظ «ولم يتفكر فيها» وفيه أبو جناب يحيى بن أبي حية ضعيف.

وسخرها للركوب والحمل في البراري، وانظر إلى الإبل كيف خلقت، وإلى الفرس كيف أمدت بسرعة الحركة، وإلى الحمار كيف جعل صبورًا على التعب، وإلى الجمال كيف تقطع البراري وتطوي المراحل تحت الأعباء الثقيلة على الجوع والعطش، وانظر كيف سيرهم الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر ليحملوا إليك الأطعمة وسائر الحوائج وتأمل ما يحتاج إليه الحيوانات من أسبابها وأدواتها وعلفها وما تحتاج إليه السفن فقد خلق الله تعالى جميع ذلك إلى حدّ الحاجة وفوق الحاجة وإحصاء ذلك غير ممكن، ويتمادى ذلك إلى أمور خارجة عن الحصر نرى تركها طلبًا للإيجاز.

الطرف السادس: في اصلاح الاطعمة:

اعلم أنّ الذي ينبت في الأرض من النبات وما يخلق من الحيوانات لا يمكن أن يقضم ويؤكل، وهو كذلك، بل لا بدّ في كل واحد من إصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بإلقاء البعض وإبقاء البعض إلى أمور أخر لا تحصى، واستقصاء ذلك في كل طعام يطول، فلنعين رغيفًا واحدًا، ولننظر إلى ما يحتاج إليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للأكل من بعد إلقاء البذر في الأرض، فأوّل ما يحتاج إليه الحارث ليزرع ويصلح الأرض، ثم الثور الذي يثير الأرض والفدان وجميع أسبابه، ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء مدّة، ثم تنقية الأرض من الحشيش، ثم الحصاد، ثم الفرك والتنقية، ثم الطحن، ثم العجين ثم الخبز؛ فتأمل عدد هذه الأفعال التي ذكرناها وما لم نذكره، وعدد الأشخاص القائمين بها، وعدد الآلات التي يحتاج إليها من الحديد والخشب والحجر وغيره وانظر إلى أعمال الصناع في إصلاح آلات الحراثة والطحن والخبز من نجار، وحدّاد وغيرهما وانظر إلى حاجة الحدّاد إلى الحديد والرصاص والنحاس وانظر كيف خلق الله تعالى الجبال والأحجار والمعادن وكيف جعل الأرض قطعًا متجاورات مختلفة فإن فتشت علمت أنّ رغيفًا واحدًا لا يستدير بحيث يصلح لأكلك يا مسكين ما لم يعمل عليه أكثر من ألف صانع، فابتدىء من الملك الذي يزجي السحاب لينزل الماء إلى آخر الأعمال من جهة الملائكة حتى تنتهي النوبة إلى عمل الإنسان فإذا استدار طلبه قريب من سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصنائع التي بها تتم مصلحة الخلق، ثم تأمل كثرة أعمال الإنسان في تلك الآلات، حتى أن الإبرة التي هي آلة صغيرة فائدتها خياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك لا تكمل صورتها من حديدة تصلح للإبرة إلا بعد أن تمر على يد الإبري خمسًا وعشرين مرة ويتعاطى في كل مرة منها عملًا، فلو لم يجمع الله تعالى البلاد ولم يسخر العباد وافتقرت إلى عمل المنجل الذي تحصد به البر مثلًا بعد نباته لنفذ عمرك وعجزت عنه أفلا ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نطفة قذرة لأن يعمل هذه الأعمال العجيبة والصنائع الغريبة فانظر إلى المقراض مثلًا وهما جلمان متطابقان ينطبق أحدهما على الآخر فيتناولان الشيء معًا ويقطعانه بسرعة، ولو لم يكشف الله تعالى طريق اتخاذه بفضله وكرمه

لمن قبلنا وافتقرنا إلى استنباط الطريق فيه بفكرنا ثم إلى استخراج الحديد من الحجر وإلى تحصيل الآلات التي بها يعمل المقراض وعمر الواحد منا عمر نوح وأوتي أكمل العقول لقصر عمره عن استنباط الطريق في إصلاح هذه الآلة وحدها فضلًا عن غيرها، فسبحان من ألحق ذوي الأبصار بالعميان وسبحان من منع النبيين مع هذا البيان، فانظر الآن لو خلا بلدك عن الطحان مثلًا، أو عن الحدّاد، أو عن الحجام الذي هو أخس العمال، أو عن الحائك، أو عن واحد من جملة الصناع ماذا يصيبك من الأذى وكيف تضطرب عليك أمورك كلها فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى نفذت به مشيئته وتمت به حكمته ولنوجز القول في هذه الطبقة أيضًا فإن الغرض التنبيه على النعم دون الاستقصاء.

الطرف السابع: في اصلاح المصلحين:

اعلم أن هؤلاء الصناع المصلحين للأطعمة وغيرها لو تفرقت آراؤهم وتنافرت طباعهم تنافر طباع الوحش لتبدّدوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض بل كانوا كالوحوش لا يحويهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد فانظر كيف ألف الله تعالى بين قلوبهم وسلط الأنس والمحبة عليهم ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال:٦٣] فلأجل الإلف وتعارف الأرواح اجتمعوا وائتلفوا وبنوا المدن والبلاد ورتبوا المساكن والدور متقاربة متجاورة ورتبوا الأسواق والخانات وسائر أصناف البقاع مما يطول إحصاؤه، ثم هذه المحبة تزول بأغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها، ففي جبلة الإنسان الغيظ والحسد والمنافسة، وذلك مما يؤدي إلى التقاتل والتنافر، فانظر كيف سلط الله تعالى السلاطين وأمدّهم بالقوة والعدّة والأسباب وألقى رعبهم في قلوب الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعًا وكرهًا، وكيف هدى السلاطين إلى طريق إصلاح البلاد حتى رتبوا أجزاء البلد كأنها أجزاء شخص واحد تتعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها بالبعض، فرتبوا الرؤساء والقضاة والسجن وزعماء الأسواق، واضطروا الخلق إلى قانون العدل وألزموهم التساعد والتعاون حتى صار الحدّاد ينتفع بالقصاب والخباز وسائر أهل البلد وكلهم ينتفعون بالحدّاد، وصار الحجام ينتفع بالحراث، والحرّاث بالحجام، وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه، كما يتعاون جميع أعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض.

وانظر كيف بعث الأنبياء عليهم السلام حتى أصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرّفوهم قوانين الشرع في حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة في ضبطهم وكشفوا من أحكام الإمامة والسلطنة وأحكام الفقه ما اهتدوا به إلى إصلاح الدنيا فضلًا عما أرشدوهم إليه من إصلاح الدين وانظر كيف أصلح الله تعالى الأنبياء بالملائكة وكيف أصلح الملائكة بعضهم ببعض إلى أن ينتهي إلى الملك المقرّب الذي لا واسطة بينه وبين الله تعالى فالخباز

يخبز العجين والطحان يصلح الحب بالطحن والحرّاث يصلحه بالحصاد، والحدّاد يصلح آلات الحراثة والنجار يصلح آلات الحدّاد وكذا جميع أرباب الصناعات المصلحين لآلات الأطعمة، والسلطان يصلح الصناع، والأنبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم، والعلماء يصلحون السلاطين، والملائكة يصلحون الأنبياء إلى أن ينتهي إلى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل ترتيب وتأليف، وكل ذلك نعم من رب الأرباب ومسبب الأسباب، ولولا فضله وكرمه إذ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت:٦٩] لما اهتدينا إلى معرفة هذه النبذة اليسيرة من نعم الله تعالى، ولولا عزله إيانا عن أن نطمح بعين الطمع إلى الإحاطة بكنه نعمه لتشوفنا إلى طلب الإحاطة والاستقصاء، ولكنه تعالى عزلنا بحكم القهر والقدرة فقال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم:٣٤] فإن تكلمنا فبإذنه انبسطنا، وإن سكتنا فبقهره انقبضنا؛ إذ لا معطي لما منع ولا مانع لما أعطى، لأنا في كل لحظة من لحظات العمر قبل الموت نسمع بسمع القلوب نداء الملك الجبار: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦] فالحمد لله الذي ميزنا عن الكفار وأسمعنا هذا النداء قبل انقضاء الأعمار.

الطرف الثامن: في بيان نعمة الله تعالى في خلق الملائكة عليهم السلام:

ليس يخفى عليك ما سبق من نعمة الله في خلق الملائكة بإصلاح الأنبياء عليهم السلام وهدايتهم وتبليغ الوحي إليهم، ولا تظنن أنهم مقتصرون في أفعالهم على ذلك القدر بل طبقات الملائكة مع كثرتها وترتيب مراتبها تنحصر بالجملة في ثلاث طبقات: الملائكة الأرضية والسماوية وحملة العرش، فانظر كيف وكلهم الله تعالى بك فيما يرجع إلى الأكل والغذاء الذي ذكرناه دون ما يجاوز ذلك من الهداية والإرشاد وغيرهما.

واعلم أن كل جزء من أجزاء بدنك بل من أجزاء النبات لا يغتذي إلا بأن يوكل به سبعة من الملائكة هو أقله إلى عشرة إلى مائة إلى ما وراء ذلك وبيانه أن معنى الغذاء أن يقوم جزء من الغذاء مقام جزء وقد تلف، وذلك الغذاء يصير دمًا في آخر الأمر، ثم يصير لحمًا وعظمًا، وإذا صار لحمًا وعظمًا تم اغتذاؤك، والدم واللحم أجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار، فهي لا تتحرك بأنفسها ولا تتغير بأنفسها، ومجرد الطبع لا يكفي في ترددها في أطوارها كما أن البر بنفسه لا يصير طحينًا ثم عجينًا ثم خبزًا مستديرًا مخبوزًا إلا بصناع، فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحمًا وعظمًا وعروقًا وعصبًا إلا بصناع والصناع في الباطن هم الملائكة كما أن الصناع في الظاهر هم أهل البلد، وقد أسبغ الله تعالى عليك نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغي أن تغفل عن نعمه الباطنة، فأقول: لا بد من ملك يجذب الغذاء إلى جوار اللحم والعظم، فإن الغذاء لا يتحرك بنفسه، ولا بد من ملك آخر يمسك الغذاء في جواره، ولا بد من ثالث يخلع عنه صورة الدم، ولا بد من رابع يكسوه صورة اللحم والعروق أو العظم، ولا بد من خامس يدفع الفضل

الفاضل عن حاجة الغذاء، ولا بد من سادس يلصق ما اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلًا، ولا بد من سابع يرعى المقادير في الإلصاق فيلحق بالمستدير ما لا يبطل استدارته وبالعريض ما لا يزيل عرضه وبالمجوف ما لا يبطل تجويفه، ويحفظ على كل واحد قدر حاجته، فإنه لو جمع مثلًا من الغذاء على أنف الصبي ما يجمع على فخذه لكبر أنفه وبطل تجويفه وتشوهت صورته وخلقته، بل ينبغي أن يسوق إلى الأجفان مع رقتها وإلى الحدقة مع صفائها وإلى الأفخاذ مع غلظها وإلى العظم مع صلابته ما يليق بكل واحد منها من حيث القدر والشكل وإلا بطلت الصورة وربا بعض المواضع وضعف بعض المواضع، بل لو لم يراع هذا الملك العدل في القسمة والتقسيط فساق إلى رأس الصبي وسائر بدنه من الغذاء ما ينمو به إلا إحدى الرجلين مثلًا لبقيت تلك الرجل كما كانت في حدّ الصغر وكبر جميع البدن، فكنت ترى شخصًا في ضخامة رجل وله رجل واحدة كأنها رجل صبي فلا ينتفع بنفسه ألبتة فمراعاة هذه الهندسة في هذه القسمة مفوّضة إلى ملك من الملائكة، ولا تظنن أنّ الدم بطبعه يهندس شكل نفسه فإنّ محيل هذه الأمور على الطبع جاهل لا يدري ما يقول؛ فهذه هي الملائكة الأرضية وقد شغلوا بك وأنت في النوم تستريح وفي الغفلة تتردد، وهم يصلحون الغذاء في باطنك ولا خبر لك منهم وذلك في كل جزء من أجزائك الذي لا يتجزأ حتى يفتقر بعض الأجزاء كالعين والقلب إلى أكثر من مائة ملك، تركنا تفضيل ذلك للإيجاز، والملائكة الأرضية مددهم من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه إلا الله تعالى، ومدد الملائكة السماوية من حملة العرش والمنعم على جملتهم بالتأييد والهداية والتسديد المهيمن القدوس المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت جبار السموات والأرض مالك الملك ذو الجلال والإكرام، والأخبار الواردة في الملائكة الموكلين بالسموات والأرض وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب ينجرّ من جانب إلى جانب [1] أكثر من أن تحصى فلذلك تركنا الاستشهاد به.

---

(١) حديث الأخبار الواردة في الملائكة الموكلين بالسموات والأرضين وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب ينجر من جانب إلى جانب... ففي الصحيحين من حديث أبي ذر في قصة الإسراء قال جبريل [البخاري: ٣٣٤٢، ومسلم: ١٦٣] لخازن السماء الدنيا: افتح، وفيه: أتى السماء الثانية فقال لخازنها: افتح،... الحديث، ولهما من حديث أبي هريرة «إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام» [النسائي: ١٢٨٢ عن ابن مسعود، ولم أجده في الصحيحين، ولا عن أبي هريرة كما ذكر المصنف -رحمه الله-، وانظر صحيح الترغيب: ١٦٦٤] وفي الصحيحين من حديث عائشة في قصة عرضه نفسه على عبد ياليل « [البخاري: ٣٢٣١، ومسلم: ١٧٩٥] فناداني ملك الجبال إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين... الحديث» ولهما من حديث أنس «إن الله وكل بالرحم ملكا...» الحديث [البخاري: ٣١٨، ومسلم: ٢٦٤٦] وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث بريدة الأسلمي «ما من نبت ينبت إلا وتحته ملك موكل حتى يحصد... الحديث» وفيه محمد بن صالح الطبري وأبو بحر البكراوي واسمه عثمان بن عبد الرحمن وكلاهما ضعيف. وللطبراني من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف «إن لله ملائكة ينزلون في كل ليلة يحسون الكلال عن دواب الغزاة إلا دابة في

فإن قلت: فهلا فوضت هذه الأفعال إلى ملك واحد ولم أفتقر إلى سبعة أملاك، والحنطة أيضًا تحتاج إلى من يطحن أولًا ثم إلى من يميز عنه النخالة ويدفع الفضلة ثانيًا، ثم إلى من يصب الماء عليه ثالثًا، ثم إلى من يعجن رابعًا، ثم إلى من يقطعه كرات مدورة خامسًا، ثم إلى من يرقها رغفانًا عريضة سادسًا، ثم إلى من يلصقها بالتنور سابعًا، ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد يستقل به فهلا كانت أعمال الملائكة باطنًا كأعمال الإنس ظاهرًا؟ فاعلم أن خلقة الملائكة تخالف خلقة الإنس، وما من واحد منهم إلا وهو وحداني الصفة ليس فيه خلط وتركيب البتة، فلا يكون لكل واحد منهم إلا فعل واحد، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤] فلذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مثالهم في تعين مرتبة كل واحد منهم وفعله مثال الحواس الخمس، فإنّ البصر لا يزاحم السمع في إدراك الأصوات ولا الشم يزاحمها ولا هما يتنازعان الشم؛ وليس كاليد والرجل فإنك قد تبطش بأصابع الرجل بطشًا ضعيفًا فتزاحم به اليد، وقد تضرب غيرك برأسك فتزاحم اليد التي هي آلة الضرب ولا كالإنسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن والعجن والخبز، فإن هذا نوع من الاعوجاج والعدول عن العدل سببه اختلاف صفات الإنسان واختلاف دواعيه، فإنه ليس وحداني الصفة فلم يكن وحداني الفعل، ولذلك نرى الإنسان يطيع الله مرة ويعصيه أخرى لاختلاف دواعيه وصفاته، وذلك غير ممكن في طباع الملائكة، بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية في حقهم، فلا جرم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ويسبحون الليل والنهار لا يفترون، والراكع منهم راكع أبدًا، والساجد منهم ساجد أبدًا، والقائم قائم أبدًا لا اختلاف في أفعالهم ولا فتور، ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه، وطاعتهم لله تعالى من حيث لا مجال للمخالفة فيهم يمكن أن تشبه بطاعة أطرافك لك، فإنك مهما جزمت الإرادة بفتح الأجفان لم يكن للجفن الصحيح تردد واختلاف في طاعتك مرة ومعصيتك أخرى، بل كأنه منتظر لأمرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلًا بإشارتك، فهذا يشبهه من وجه ولكن يخالفه من وجه، إذ الجفن لا علم له بما يصدر منه من الحركة فتحًا وإطباقًا والملائكة أحياء عالمون بما يعملون؛ فإذن هذه نعمة الله عليك في الملائكة الأرضية والسماوية وحاجتك إليهما في غرض الأكل فقط دون ما عداها من الحركات والحاجات كلها؛ فإنا لم نطول بذكرها؛ فهذه طبقة أخرى من طبقات النعم ومجامع الطبقات لا يمكن إحصاؤها، فكيف آحاد ما يدخل تحت مجامع

عنقها جرس» [انظر ضعيف الجامع: ١٩٥٥] وللترمذي وحسنه من حديث ابن عباس: قالت اليهود يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد قال «ملك من الملائكة موكل بالسحاب» [الترمذي: ٣١١٧، وانظر السلسلة الصحيحة: ١٨٧٢] ولمسلم من حديث أبي هريرة «بينما رجل بفلاة من الأرض سمع صوتا من سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماء في حرة... الحديث».[مسلم: ٢٩٨٤].

الطبقات، فإذن قد أسبغ الله تعالى نعمه عليك ظاهرة وباطنة، ثم قال: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠] فترك باطن الإثم مما لا يعرفه الخلق من الحسد وسوء الظن والبدعة وإضمار الشر للناس إلى غير ذلك من آثام القلوب هو الشكر للنعم الباطنة، وترك الإثم الظاهر بالجوارح شكر للنعمة الظاهرة بل أقول: كل من عصى الله تعالى ولو في تطريفة واحدة بأن فتح جفنه مثلًا حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى عليه في السموات والأرض وما بينهما، فإن كل ما خلقه الله تعالى حتى الملائكة والسموات والأرض والحيوانات والنبات بجملته نعمة على كل واحد من العباد قد تم به انتفاعه وإن انتفع غيره أيضًا به فإن لله تعالى في كل تطريفة بالجفن نعمتين في نفس الجفن، إذ خلق تحت كل جفن عضلات ولها أوتار ورباطات متصلة بأعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الأعلى وارتفاع الجفن الأسفل وعلى كل جفن شعور سود، ونعمة الله تعالى في سوادها أنها تجمع ضوء العين، إذ البياض يفرّق الضوء والسواد يجمعه، ونعمة الله تعالى في ترتيبها صفًّا واحدًا أن يكون مانعًا للهوام من الدبيب إلى باطن العين ومتشبثًا للأقذاء التي تتناثر في الهواء، وله في كل شعرة منها نعمتان من حيث لين أصلها ومع اللين قوام نصبها، وله في اشتباك الأهداب نعمة أعظم من الكل: وهو أنّ غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو طبق لم يبصر، فيجمع الأجفان مقدار ما تتشابك الأهداب فينظر من وراء شباك الشعر، فيكون شباك الشعر مانعًا من وصول القذى من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل، ثم إن أصاب الحدقة غبار فقد خلق أطراف الأجفان خادمة منطبقة على الحدقة كالمصقلة للمرآة فيطبقها مرة أو مرتين وقد انصقلت الحدقة من الغبار وخرجت الاقذاء إلى زوايا العين والأجفان، والذباب لما لم يكن لحدقته جفن خلق له يدين، فتراه على الدوام يمسح بهما حدقتيه ليصقلهما من الغبار وإذ تركنا الاستقصاء لتفاصيل النعم لافتقاره إلى تطويل يزيد على أصل هذا الكتاب، ولعلنا نستأنف له كتابًا مقصودًا فيه إن أمهل الزمان وساعد التوفيق نسميه عجائب صنع الله تعالى، فلنرجع إلى غرضنا فنقول: من نظر إلى غير محرم فقد كفر بفتح العين نعمة الله تعالى في الأجفان، ولا تقوم الأجفان إلا بعين، ولا العين إلا برأس ولا الرأس إلا بجميع البدن، ولا البدن إلا بالغذاء، ولا الغذاء إلا بالماء والأرض والهواء والمطر والغيم والشمس والقمر، ولا يقوم شيء من ذلك إلا بالسموات، ولا السموات إلا بالملائكة، فإنّ الكل كالشيء الواحد يرتبط البعض منه بالبعض ارتباط أعضاء البدن بعضها ببعض، فإذن قد كفر كل نعمة في الوجود من منتهى الثريا إلى منتهى الثرى فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جماد إلا ويلعنه، ولذا ورد في الأخبار أن البقعة التي يجتمع فيها الناس إما أن تلعنهم إذا تفرقوا أو تستغفر لهم[1] ، وكذلك

(١) حديث «إن البقعة التي اجتمع فيها الناس تلعنهم أو تستغفر لهم». لم أجد له أصلا.

ورد أن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر [١] وأن الملائكة يلعنون العصاة [٢] في ألفاظ كثيرة لا يمكن إحصاؤها، وكل ذلك إشارة إلى أن العاصي بتطريفة واحدة جنى على جميع ما في الملك والملكوت، وقد أهلك نفسه إلا أن يتبع السيئة بحسنة تمحوها، فيتبدل اللعن بالاستغفار، فعسى الله أن يتوب عليه ويتجاوز عنه.

وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام: «يا أيوب ما من عبد لي من الآدميين إلا ومعه ملكان، فإذا شكرني على نعمائي قال الملكان: اللهم زده نعمًا على نعم، فإنك أهل الحمد والشكر، فكن من الشاكرين قريبًا فكفى بالشاكرين علوّ رتبة، وعندي أني أشكر شكرهم وملائكتي يدعون لهم والبقاع تحبهم والآثار تبكي عليهم».

وكما عرفت أن في كل طرفة عين نعمًا كثيرة، فاعلم أن في كل نفس ينبسط وينقبض نعمتين، إذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم يخرج لهلك، وبانقباضه يجمع روح الهواء إلى القلب ولو سدّ متنفسه لاحترق قلبه بانقطاع روح الهواء وبرودته عنه وهلك، بل اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة وفي كل ساعة قريب من ألف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات، فعليك في كل لحظة آلاف آلاف نعمة في كل جزء من أجزاء بدنك، بل في كل جزء من أجزاء العالم، فانظر هل يتصوّر إحصاء ذلك أم لا؟ ولما انكشف لموسى عليه السلام حقيقة قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤] قال: إلهي كيف أشكرك ولك في كل شعرة من جسدي نعمتان: أن لينت أصلها، وأن طمست رأسها؟ وكذا ورد في الأثر: أن من لم يعرف نعم الله إلا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه.

وجميع ما ذكرناه يرجع إلى المطعم والمشرب فاعتبر ما سواه من النعم به، فإنّ البصير لا تقع عينه في العالم على شيء ولا يلم خاطره بموجود إلا ويتحقق أن لله فيه نعمة عليه، فلنترك الاستقصاء والتفصيل فإنه طمع في غير مطمع.

بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر:

اعلم أنه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة إلا الجهل والغفلة، فإنهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم، ولا يتصور شكر النعمة إلا بعد معرفتها، ثم إنهم إن عرفوا نعمة ظنوا أن الشكر عليها أن يقول بلسانه: الحمد لله، الشكر لله.

ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أريدت بها وهي طاعة الله عز وجل فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين إلا غلبة الشهوة واستيلاء

---

(١) حسن: حديث «إن العالم ليستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر». تقدم في العلم. [الترمذي: ٢٦٨٥ بنحوه، وانظر صحيح الترغيب: ٨١].

(٢) صحيح: حديث «إن الملائكة يلعنون العصاة». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة الملائكة تلعن أحدكم إذا أشار إلى أخيه بحديدة وإن كان أخاه لأبيه وأمه. [مسلم: ٢٦١٦].

الشيطان.

أما الغفلة عن النعم فلها أسباب، وأحد أسبابها أن الناس بجهلهم لا يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم في جميع أحوالهم نعمة، فلذلك لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من النعم لأنها عامة للخلق مبذولة لهم في جميع أحوالهم، فلا يرى كل واحد لنفسه منهم اختصاصًا به فلا يعدّه نعمة، ولا تراهم يشكرون الله على روح الهواء، ولو أخذ بمختنقهم لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ماتوا ولو حبسوا في بيت حمام فيه هواء حارّ أو في بئر فيه هواء ثقل برطوبة الماء ماتوا غمًّا؛ فإن ابتلي واحد منهم بشيء من ذلك ثم نجا ربما قدّر ذلك نعمة وشكر الله عليها، وهذا غاية الجهل إذ صار شكرهم موقوفًا على أن تسلب عنهم النعمة ثم ترد عليهم في بعض الأحوال، والنعمة في جميع الأحوال أولى بأن تشكر في بعضها؛ فلا ترى البصير يشكر صحة بصره إلا أن تعمى عينه، فعند ذلك لو أعيد عليه بصره أحس به وشكره وعدّه نعمة، ولما كانت رحمة الله واسعة عمم الخلق وبذل لهم في جميع الأحوال فلم يعدّه الجاهل نعمة، وهذا الجاهل مثل العبد السوء حقه أن يضرب دائمًا، حتى إذا ترك ضربه ساعة تقلد به منة، فإن ترك ضربه على الدوام غلبه البطر وترك الشكر، فصار الناس لا يشكرون إلا المال الذي يتطرّق الاختصاص إليه من حيث الكثرة والقلة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم، كما شكا بعضهم فقره إلى بعض أرباب البصائر وأظهر شدّة اغتمامه به فقال له: أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال: لا فقال: أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال لا: فقال: أيسرك أنك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفًا؟ فقال: لا، فقال: أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال: لا، فقال: أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفًا

وحكي أن بعض القراء اشتد به الفقر حتى ضاق به ذرعًا، فرأى في المنام كأنّ قائلًا يقول له: تود أنا أنسيناك من القرآن سورة الأنعام وأن لك ألف دينار؟ قال: لا، قال: فسورة هود؟ قال: لا، قال: فسورة يوسف؟ قال: لا، فعدّد عليه سورًا ثم قال: فمعك قيمة مائة ألف دينار وأنت تشكو، فأصبح وقد سري عنه.

ودخل ابن السماك على بعض الخلفاء وبيده كوز ماء يشربه، فقال له: عظني فقال: لو لم تعط هذه الشربة إلا ببذل جميع أموالك وإلا بقيت عطشان فهل كنت تعطيه؟ قال: نعم، فقال: لو لم تعط إلا بملكك كله فهل كنت تتركه؟ قال: نعم. قال: فلا تفرح بملك لا يساوي شربة ماء.

فبهذا تبين أن نعمة الله تعالى على العبد في شربة ماء عند العطش أعظم من ملك الأرض كلها، وإذا كانت الطباع مائلة إلى اعتداد النعمة الخاصة دون العامة - وقد ذكرنا النعم العامة- فلنذكر إشارة وجيزة إلى النعم الخاصة فنقول: ما من عبد إلا ولو أمعن النظر في أحواله

رأى من الله نعمة أو نعمًا كثيرةً تخصه لا يشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس وربما لا يشاركه فيها أحد، وذلك يعترف به كل عبد في ثلاثة أمور: في العقل، والخلق، والعلم.

أما العقل: فما من عبد لله تعالى إلا وهو راض عن الله في عقله يعتقد أنه أعقل الناس، وقل من يسأل الله العقل، وإنّ من شرف العقل أن يفرح به الخالي عنه كما يفرح به المتصف به، فإذا كان اعتقاده أنه أعقل الناس فواجب عليه أن يشكره؛ لأنه إن كان كذلك فالشكر واجب عليه، وإن لم يكن ولكنه يعتقد أنه كذلك فهو نعمة في حقه، فمن وضع كنزًا تحت الأرض فهو يفرح به ويشكره عليه، فإن أخذ الكنز من حيث لا يدري فيبقى فرحه بحسب اعتقاده ويبقى شكره لأنه في حقه كالباقي.

وأما الخلق: فما من عبد إلا ويرى من غيره عيوبًا يكرهها وأخلاقًا يذمها، وإنما يذمها من حيث يرى نفسه بريئًا عنها، فإذا لم يشتغل بذم الغير فينبغي أن يشتغل بشكر الله تعالى إذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيىء.

وأما العلم: فما من أحد إلا ويعرف بواطن أمور نفسه وخفايا أفكاره ما هو منفرد به، ولو كشف الغطاء حتى اطلع عليه أحد من الخلق لافتضح، فكيف لو اطلع الناس كافة فإذن لكل عبد علم بأمر خاص لا يشاركه فيه أحد من عباد الله، فلم لا يشكر ستر الله الجميل الذي أرسله على وجه مساويه فأظهر الجميل وستر القبيح وأخفى ذلك عن أعين الناس وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه أحد، فهذه ثلاثة من النعم خاصة يعترف بها كل عبد إما مطلقًا.

وإما في بعض الأمور فلننزل عن هذه الطبقة إلى طبقة أخرى أعم منها قليلًا، فنقول: ما من عبد إلا وقد رزقه الله تعالى في صورته أو شخصه أو أخلاقه أو صفاته أو أهله أو ولده أو مسكنه أو بلده أو رفيقه أو أقاربه أو عزه أو جاهه أو في سائر محابه أمورًا لو سلب ذلك منه وأعطى ما خصص به غيره لكان لا يرضى به، وذلك مثل أن جعله مؤمنًا لا كافرًا وحيًّا لا جمادًا وإنسانًا لا بهيمة وذكرًا لا أنثى وصحيحًا لا مريضًا وسليمًا لا معيبًا؛ فإنّ كل هذه خصائص، وإن كان فيها عموم أيضًا فإن هذه الأحوال لو بدلت بأضدادها لم يرض بها، بل له أمور لا يبدّلها بأحوال الآدميين أيضًا، وذلك إما أن يكون بحيث لا يبدله بما خص به أحد من الخلق أو لا يبدله بما خص به الأكثر، فإذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فإذن حاله أحسن من حال غيره وإذا كان لا يعرف شخص يرتضي لنفسه حالة بدلًا عن حال نفسه إما على الجملة وإما في أمر خاص؛ فإذن لله تعالى عليه نعم ليست له على أحد من عباده سواه، وإن كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فلينظر إلى عدد المغبوطين عنده فإنه لا محالة يراهم أقل بالإضافة إلى غيرهم، فيكون من دونه في الحال أكثر بكثير مما هو فوقه، فما باله ينظر إلى من فوقه ليزدري نعم الله تعالى على نفسه، ولا ينظر إلى من دونه ليستعظم نعم الله عليه، وما باله

لا يسوي دنياه بدينه، أليس إذا لامته نفسه على سيئة يقارفها يعتذر إليها بأن في الفساق كثرة فينظر أبدًا في الدين إلى من دونه لا إلى من فوقه، فلم لا يكون نظره في الدنيا كذلك؟ فإذا كان حال أكثر الخلق في الدين خير منه، وحاله في الدنيا خير من حال أكثر الخلق، فكيف لا يلزمه الشكر وإذا قال ﷺ: «مَنْ نَظَرَ فِي الدُّنْيَا إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ وَنَظَرَ فِي الدِّينِ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ كَتَبَهُ اللَّهُ صَابِرًا وَشَاكِرًا. وَمَنْ نَظَرَ فِي الدُّنْيَا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ وَفِي الدِّينِ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ صَابِرًا وَلا شَاكِرًا»[(١)] فإذن كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد لله تعالى على نفسه نعمًا كثيرة لا سيما من خص بالسنة والإيمان والعلم والقرآن ثم الفراغ والصحة والأمن وغير ذلك، ولذلك قيل:

من شاء عيشًا رحيبًا يستطيل به ... في دينه ثمَّ في دنياه إقبالا
فلينظرن إلى من فوقه ورعًا ... ولينظرن إلى من دونه مالا

وقال ﷺ: «مَنْ لَمْ يَسْتَغْنِ بِآيَاتِ اللَّهِ فَلاَ أَغْنَاهُ اللَّهُ»[(٢)]، وهذا إشارة إلى نعمة العلم.

وقال عليه السلام: «إِنَّ القُرآنَ هُوَ الغِنَى الَّذِي لا غِنَى بَعْدَهُ وَلا فَقْرَ مَعَهُ»[(٣)]، وقال عليه السلام: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ القُرْآنَ فظن أَنَّ أَحَدًا أَغْنَى مِنْهُ فَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِآيَاتِ اللَّهِ»[(٤)]، وقال ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»[(٥)]، وقال عليه السلام: «كَفَى بِاليَقِينِ غِنًى»[(٦)]، وقال بعض السلف: يقول الله تعالى في بعض الكتب المنزلة: «إن عبدًا أغنيته عن ثلاثة لقد أتممت عليه نعمتي: عن سلطان يأتيه، وطبيب يداويه، وعما في يد أخيه» وعبر الشاعر عن هذا فقال:

إذا ما القوتُ يأتيك ... كذا الصحة والأمنُ
وأصبحت أخًا حزنٍ ... فلا فارقك الحزنُ

---

(١) ضعيف: حديث «من نظر في الدنيا إلى من هو دونه ونظر في الدين إلى من هو فوقه كتبه الله صابرا شاكرا». أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وقال غريب، وفيه المثنى بن الصباح ضعيف. [الترمذي: ٢٥١٢، وانظر السلسلة الضعيفة: ١٩٢٤].

(٢) حديث «من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله». لم أجده بهذا اللفظ.

(٣) ضعيف: حديث «إن القرآن هو الغنى الذي لا غنى بعده ولا فقر معه». أخرجه أبو يعلى والطبراني من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ «إن القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه» قال الدارقطني رواه أبو معاوية عن الأعمش عن يزيد الرقاشي عن الحسن مرسلا، وهو أشبه بالصواب. [انظر السلسلة الضعيفة: ١٥٥٨].

(٤) ضعيف جدًا: حديث «من آتاه الله القرآن فظن أن أحدا أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله». أخرجه البخاري في التاريخ من حديث رجاء الغنوي بلفظ «من آتاه الله حفظ كتابه وظن أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي فقد صغر أعظم النعم» وقد تقدم في فضل القرآن، ورجاء مختلف في صحبته. وورد من حديث عبد الله بن عمرو وجابر والبراء نحوه وكلها ضعيفة. [انظر السلسلة الضعيفة: ١٨١١].

(٥) صحيح: حديث «ليس منا من لم يتغن بالقرآن». تقدم في آداب التلاوة. [البخاري: ٧٥٢٧].

(٦) ضعيف جداً: حديث «كفى باليقين غنى». رواه الطبراني من حديث عقبة بن عامر، ورواه ابن أبي الدنيا في القناعة موقوفا عليه، وقد تقدم. [انظر ضعيف الترغيب: ١٩٥١].

بل أرشق العبارات وأفصح الكلمات كلام أفصح من نطق بالضاد حيث عبر عن هذا المعنى فقال: «مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي بَدَنِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ: فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا»(١)، ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور وراء هذه الثلاث؛ مع أنها وبال عليهم لا يشكرون نعمة الله في هذه الثلاث ولا يشكرون نعمة الله عليهم في الإيمان الذي به وصولهم إلى النعيم المقيم والملك العظيم، بل البصير ينبغي أن لا يفرح إلا بالمعرفة واليقين والإيمان، بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم إليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الأرض من المشرق إلى المغرب من أموال وأتباع وأنصار وقيل له خذها عوضًا عن علمك بل عن عشر عشير علمك: لم يأخذه، وذلك لرجائه أن نعمة العلم تفضي به إلى قرب الله تعالى في الآخرة، بل لو قيل له لك في الآخرة ما ترجوه بكماله، فخذ هذه اللذات في الدنيا بدلًا عن التذاذك بالعلم في الدنيا وفرحك به، فكان لا يأخذه، لعلمه بأن لذة العلم دائمة لا تنقطع وباقية لا تسرق ولا تغصب ولا ينافس فيها وأنها صافية لا كدورة فيها، ولذات الدنيا كلها ناقصة مكدّرة مشوشة لا يفي مرجوها بمخوفها ولا لذتها بألمها ولا فرحها بغمها، هكذا كانت إلى الآن، وهكذا تكون ما بقي من الزمان إذ ما خلقت لذات الدنيا إلا لتجلب بها العقول الناقصة وتخدع، حتى إذا انخدعت وتقيدت بها أبت عليها واستعصت، كالمرأة الجميل ظاهرها تتزين للشاب الشبق الغني، حتى إذا تقيد بها قلبه استعصت عليه واحتجبت عنه فلا يزال معها في تعب قائم وعناء دائم، وكل ذلك باغتراره بلذة النظر إليها في لحظة، ولو عقل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم جميع عمره، فهكذا وقعت أرباب الدنيا في شباك الدنيا وحبائلها، ولا ينبغي أن نقول إن المعرض عن الدنيا متألم بالصبر عنها، فإنّ المقبل عليها أيضًا متألم بالصبر عليها وحفظها وتحصيلها ودفع اللصوص عنها، وتألم المعرض يفضي إلى لذة في الآخرة وتألم المقبل يفضي إلى الألم في الآخرة، فليقرأ المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤] فإذن إنما انسد طريق الشكر على الخلق لجهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة.

فإن قلت: فما علاج هذه القلوب الغافلة حتى تشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر؟ فأقول: أما القلوب البصيرة فعلاجها التأمل فيما رمزنا إليه من أصناف نعم الله تعالى العامة.

وأما القلوب البليدة التي لا تعدّ النعمة نعمة إلا إذا خصتها أو شعرت بالبلاء معها، فسبيله أن ينظر أبدًا إلى من دونه ويفعل ما كان يفعله بعض الصوفية، إذ كان يحضر كل يوم دار

---

(١) حسن لغيره: حديث «من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه: فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها». تقدم غير مرة. [الترمذي: ٢٣٤٦، وابن ماجه: ٤١٤١، وانظر صحيح الترغيب: ٨٣٣].

المرضى والمقابر والمواضع التي تقام فيها الحدود، فكان يحضر دار المرضى ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم ثم يتأمل في صحته وسلامته فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره ببلاء الأمراض ويشكر الله تعالى، ويشاهد الجناة الذين يقتلون وتقطع أطرافهم ويعذبون بأنواع العذاب ليشكر الله تعالى على عصمته من الجنايات ومن تلك العقوبات ويشكر الله تعالى على نعمة الأمن، ويحضر المقابر فيعلم أنّ أحب الأشياء إلى الموتى أن يردوا إلى الدنيا ولو يومًا واحدًا، أما من عصى الله تعالى فليتدارك، وأما من أطاع فليزد في طاعته، فإن يوم القيامة يوم التغابن، فالمطيع مغبون إذ يرى جزاء طاعته فيقول: كنت أقدر على أكثر من هذه الطاعات فما أعظم غبني إذ ضيعت بعض الأوقات في المباحات، وأما العاصي فغبنه ظاهر، فإذا شاهد المقابر وعلم أنّ أحب الأشياء إليهم أن يكون قد بقي لهم من العمر ما بقي له، فيصرف بقية العمر إلى ما يشتهي أهل القبور العود لأجله ليكون ذلك معرفة لنعم الله تعالى في بقية العمر، بل في الإمهال في كل نفس من الأنفاس، وإذا عرف تلك النعمة شكر بأن يصرف العمر إلى ما خلق العمر لأجله وهو التزود من الدنيا للآخرة، فهذا علاج هذه القلوب الغافلة لتشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر.

وقد كان الربيع بن خيثم مع تمام استبصاره يستعين بهذه الطريق تأكيدًا للمعرفة، فكان قد حفر في داره قبرًا فكان يضع غلًا في عنقه وينام في لحده ثم يقول: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠] ثم يقوم ويقول: يا ربيع وقد أعطيت ما سألت، فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا ترد.

ومما ينبغي أن تعالج به القلوب البعيدة عن الشكر: أن تعرف أن النعمة إذا لم تشكر زالت ولم تعد، ولذلك كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول: عليكم بملازمة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم.

وقال بعض السلف: النعم وحشية فقيدوها بالشكر. وفي الخبر: «مَا عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عَبْدٍ إلاّ كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ فَمَنْ تَهَاوَنَ بِهِمْ عرَّضَ تِلْكَ النِّعْمَةَ لِلزَّوَالِ»[(١)]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] فهذا تمام هذا الركن.

* * *

(١) ضعيف: حديث «ما عظمت نعمة الله على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه». أخرجه ابن عدي وابن حبان في الضعفاء من حديث معاذ بن جبل بلفظ « إلا عظمت مؤونة الناس عليه، فمن لم يحتمل تلك المؤونة... الحديث» رواه ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عباس وقال: إنه موضوع على حجاج الأعور. [انظر ضعيف الترغيب: ١٥٧٢].

الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط أحدهما بالآخر

بيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد:

لعلك تقول: ما ذكرته في النعم إشارة إلى أن الله تعالى في كل موجود نعمة، وهذا يشير إلى أن البلاء لا وجود له أصلًا فما معنى الصبر إذن. وإن كان البلاء موجودًا فما معنى الشكر على البلاء.

وقد ادعى مدّعون أنا نشكر على البلاء فضلًا عن الشكر على النعمة، فكيف يتصوّر الشكر على البلاء، وكيف يشكر على ما يصبر عليه والصبر على البلاء يستدعي ألمًا والشكر يستدعي فرحًا وهما يتضادان، وما معنى ما ذكرتموه من أن لله تعالى في كل ما أوجده نعمة على عباده؟ فاعلم أن البلاء موجود كما أن النعمة موجودة، والقول بإثبات النعمة يوجب القول بإثبات البلاء لأنهما متضادان: ففقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء، ولكن قد سبق أن النعمة تنقسم إلى نعمة مطلقة من كل وجه: أما في الآخرة فكسعادة العبد بالنزول في جوار الله تعالى، وأما في الدنيا فكالإيمان وحسن الخلق وما يعين عليهما، وإلى نعمة مقيدة من وجه دون وجه: كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه، فكذلك البلاء ينقسم إلى مطلق ومقيد: أما المطلق في الآخرة فالبعد من الله تعالى إما مدّة وإما أبدًا.

وأما في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي تفضي إلى البلاء المطلق. وأما المقيد فكالفقر والمرض والخوف وسائر أنواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا، فالشكر المطلق للنعمة المطلقة.

وأما البلاء المطلق في الدنيا فقد لا يؤمر بالصبر عليه؛ لأن الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذا المعصية، بل حق الكافر أن يترك كفره وكذا حق العاصي، نعم الكافر قد لا يعرف أنه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتألم بسبب غشية أو غيرها فلا صبر عليه، والعاصي يعرف أنه عاص فعليه ترك المعصية، بل كل بلاء يقدر الإنسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه، فلو ترك الإنسان الماء مع طول العطش حتى عظم تألمه فلا يؤمر بالصبر عليه بل يؤمر بإزالة الألم، وإنما الصبر على ألم ليس إلى العبد إزالته، فإذن يرجع الصبر في الدنيا إلى ما ليس ببلاء مطلق، بل يجوز أن يكون نعمة من وجه فلذلك يتصوّر أن يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر: فإن الغنى مثلًا يجوز أن يكون سببًا لهلاك الإنسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل وتقتل أولاده، والصحة أيضًا كذلك؛ فما من نعمة من هذه النعم الدنيوية إلا ويجوز أن تصير بلاء ولكن بالإضافة إليه، فكذلك ما من بلاء إلا ويجوز أن يصير نعمة ولكن بالإضافة إلى حاله؛ فرب عبد تكون الخيرة

له في الفقر والمرض، ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبغى؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى:٢٧] وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق:٦-٧] وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُ كَمَا يَحْمِي أَحَدُكُمْ مَرِيضَهُ»(١) وكذلك الزوجة والولد والقريب، وكل ما ذكرناه في الأقسام الستة عشر من النعم سوى الإيمان وحسن الخلق فإنها يتصوّر أن تكون بلاء في حق بعض الناس فتكون أضدادها إذن نعمًا في حقهم، إذ قد سبق أن المعرفة كمال ونعمة فإنها صفة من صفات الله تعالى، ولكن قد تكون على العبد في بعض الأمور بلاء ويكون فقدها نعمة، مثاله: جهل الإنسان بأجله فإنه نعمة عليه، إذ لو عرفه ربما تنغص عليه العيش وطال بذلك غمه وكذلك جهله بما يضمره الناس عليه من معارفه وأقاربه نعمة عليه، إذ لو رفع الستر واطلع عليه لطال ألمه وحقده وحسده واشتغاله بالانتقام؛ وكذلك جهله بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه، إذ لو عرفها أبغضه وآذاه وكان ذلك وبالًا عليه في الدنيا والآخرة، بل جهله بالخصال المحمودة في غيره قد يكون نعمة عليه فإنه ربما يكون وليًا لله تعالى وهو يضطر إلى إيذائه وإهانته، ولو عرف ذلك وآذى كان إثمه لا محالة أعظم، فليس من آذى نبيًا أو وليًا وهو يعرف كمن آذى وهو لا يعرف.

ومنها: إبهام الله تعالى أمر القيامة، وإبهامه ليلة القدر، وساعة يوم الجمعة، وإبهامه بعض الكبائر، فكل ذلك نعمة لأن هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد، فهذه وجوه نعم الله تعالى في الجهل فكيف في العلم.

وحيث قلنا: إن لله تعالى في كل موجود نعمة فهو حق، وذلك مطرد في حق كل أحد، ولا يستثنى عنه بالظن إلا الآلام التي يخلقها في بعض الناس، وهي أيضًا قد تكون نعمة في حق المتألم بها، فإن لم تكن نعمة في حقه كالألم الحاصل من المعصية كقطعه يد نفسه ووشمه بشرته فإنه يتألم به وهو عاص به، وألم الكفار في النار فهو أيضًا نعمة ولكن في حق غيرهم من العباد لا في حقهم، لأن مصائب قوم عند قوم فوائد. ولولا أن الله تعالى خلق العذاب وعذب به طائفة لما عرف المتنعمون قدر نعمه ولو كثر فرحهم بها، ففرح أهل الجنة إنما يتضاعف إذا تفكروا في آلام أهل النار.

أما ترى أهل الدنيا ليس يشتدّ فرحهم بنور الشمس مع شدّة حاجتهم إليه من حيث إنها عامة مبذولة، ولا يشتدّ فرحهم بالنظر إلى زينة السماء وهي أحسن من كل بستان لهم في الأرض يجتهدون في عمارته، ولكن زينة السماء لما عمت لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها،

---

(١) صحيح لغيره: حديث «إن الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضه». أخرجه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه، وقد تقدم. [الترمذي: ٢٠٣٦، وانظر صحيح الترغيب: ٣١٨٠].

فإذن قد صح ما ذكرناه من أنّ الله تعالى لم يخلق شيئًا إلا وفيه حكمة، ولا خلق شيئًا إلا وفيه نعمة إما على جميع عباده أو على بعضهم، فإذن في خلق الله تعالى البلاء نعمة أيضًا إما على المبتلى أو على غير المبتلى، فإذن كل حالة لا توصف بأنها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة، فيجتمع فيها على العبد وظيفتان: الصبر والشكر جميعًا.

فإن قلت: فهما متضادان فكيف يجتمعان؟ إذ لا صبر إلا على غم، ولا شكر إلا على فرح؟ فاعلم أن الشيء الواحد قد يغتم به من وجه ويفرح به من وجه آخر، فيكون الصبر من حيث الاغتمام، والشكر من حيث الفرح.

وفي كل فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة أمور ينبغي أن يفرح العاقل بها ويشكر عليها.

أحدها: أن كل مصيبة ومرض فيتصوّر أن يكون أكبر منها، إذ مقدورات الله تعالى لا تتناهى فلو ضعفها الله تعالى وزادها ماذا كان يرده ويحجزها، فليشكر إذ لم تكن أعظم منها في الدنيا.

الثاني: أنه كان يمكن أن تكون مصيبته في دينه: قال رجل لسهل رضي الله تعالى عنه: دخل اللص بيتي وأخذ متاعي فقال: اشكر الله تعالى، لو دخل الشيطان قلبك فأفسد التوحيد ماذا كنت تصنع؟ ولذلك استعاذ عيسى عليه الصلاة والسلام في دعائه إذ قال: اللهم لا تجعل مصيبتي في ديني.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: ما ابتليت ببلاء إلا كان لله تعالى على فيه أربع نعم: إذ لم يكن في ديني، وإذ لم يكن أعظم منه، وإذ لم أحرم الرضا به، وإذ أرجو الثواب عليه.

وكان لبعض أرباب القلوب صديق فحبسه السلطان، فأرسل إليه يعلمه ويشكو إليه، فقال له: اشكر الله فضربه؛ فأرسل إليه يعلمه ويشكو إليه، فقال: اشكر الله، فجيء بمجوسي فحبس عنده وكان مبطونًا فقيد وجعل حلقة من قيده في رجله وحلقة في رجل المجوسي، فأرسل إليه فقال: اشكر الله، فكان المجوسي يحتاج إلى أن يقوم مرات وهو يحتاج إلى أن يقوم معه ويقف على رأسه حتى يقضي حاجته، فكتب إليه بذلك، فقال اشكر الله، فقال: إلى متى هذا، وأي بلاء أعظم من هذا؟ فقال: لو جعل الزنار الذي في وسطه على وسطك ماذا كنت تصنع؟ فإذن ما من إنسان أصيب ببلاء إلا ولو تأمل حق التأمل في سوء أدبه ظاهرًا وباطنًا في حق مولاه لكان يرى أنه يستحق أكثر مما أصيب به عاجلًا وآجلًا ومن استحق عليك أن يضربك مائة سوط فاقتصر على عشرة فهو مستحق للشكر، ومن استحق عليك أن يقطع يديك فترك إحداهما فهو مستحق للشكر.

ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع فصب على رأسه طشت من رماد، فسجد لله تعالى

سجدة الشكر، فقيل له: ما هذه السجدة؟ فقال: كنت أنتظر أن تصب علي النار، فالاقتصار على الرماد نعمة، وقيل لبعضهم: ألا تخرج إلى الاستسقاء فقد احتبست الأمطار فقال: أنتم تستبطئون المطر وأنا أستبطىء الحجر.

فإن قلت: كيف أفرح وأرى جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتي ولم يصابوا بما أصبت به حتى الكفار؟ فاعلم أن الكافر قد خبىء له ما هو أكثر، وإنما أمهل حتى يستكثر من الإثم ويطول عليه العقاب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨] وأما العاصي فمن أين تعلم أن في العالم من هو أعصى منه، ورب خاطر بسوء أدب في حق الله تعالى وفي صفاته أعظم وأطم من شرب الخمر والزنى وسائر المعاصي بالجوارح، ولذلك قال تعالى في مثله: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥] فمن أين تعلم أن غيرك أعصى منك، ثم لعله قد أخرت عقوبته إلى الآخرة وعجلت عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر الله تعالى على ذلك.

وهذا هو الوجه الثالث في الشكر، وهو أنه ما من عقوبة إلا وكان يتصوّر أن تؤخر إلى الآخرة ومصائب الدنيا يتسلى عنها بأسباب أخر تهون المصيبة فيخف وقعها، ومصيبة الآخرة تدوم، وإن لم تدم فلا سبيل إلى تخفيفها بالتسلي، إذ أسباب التسلي مقطوعة بالكلية في الآخرة عن المعذبين، ومن عجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانيًا، إذ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ إذا أَذْنَبَ ذَنْبًا فَأَصابَتْهُ شِدَّةٌ أَوْ بَلاءٌ فِي الدُّنْيا فَالله أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُعَذِّبَهُ ثَانِيًا»(١).

الرابع: أن هذه المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه في أم الكتاب وكان لا بدّ من وصولها إليه وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها أو من جميعها، فهذه نعمة.

الخامس: أن ثوابها أكثر منها فإن مصائب الدنيا طرق إلى الآخرة من وجهين:

أحدهما: الوجه الذي يكون به الدواء الكريه نعمة في حق المريض ويكون المنع من أسباب اللعب نعمة في حق الصبي، فإنه لو خلي واللعب كان يمنعه ذلك عن العلم والأدب، فكان يخسر جميع عمره، فكذلك المال والأهل والأقارب والأعضاء حتى العين التي هي أعز الأشياء قد تكون سببًا لهلاك الإنسان في بعض الأحوال، بل العقل الذي هو أعز الأمور قد يكون سببًا لهلاكه، فالملحدة غدًا يتمنون لو كانوا مجانين أو صبيانًا ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله تعالى، فما من شيء من هذه الأسباب يوجد من العبد إلا ويتصوّر أن يكون له فيه خيرة

---

(١) ضعيف: حديث «إن العبد إذا أذنب ذنبا فأصابه شدة وبلاء في الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه ثانيا». أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث علي «من أصاب في الدنيا ذنبا عوقب به فالله أعدل من أن يثني عقوبته على عبده... الحديث» لفظ ابن ماجه. وقال الترمذي «من أصاب حدا فعجل عقوبته في الدنيا...» [البخاري: ١٨، ومسلم: ١٧٠٩] وقال حسن. وللشيخين من حديث عبادة بن الصامت «ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له... الحديث».[الترمذي: ٢٦٢٦، وابن ماجه: ٢٦٠٤، وانظر ضعيف ابن ماجه].

دينية، فعليه أن يحسن الظن بالله تعالى ويقدّر فيه الخيرة ويشكره عليه، فإن حكمة الله واسعة وهو بمصالح العباد أعلم من العباد، وغدًا يشكره العباد على البلايا إذا رأوا ثواب الله على البلايا، كما يشكر الصبي بعد العقل والبلوغ أستاذه وأباه على ضربه وتأديبه، إذ يدرك ثمرة ما استفاده من التأديب، والبلاء من الله تعالى تأديب وعنايته بعباده أتم وأوفر من عناية الآباء بالأولاد، فقد روي أنّ رجلًا قال لرسول الله ﷺ: أوصني قال: «لا تَتَّهِمِ اللَّهَ فِي شَيْءٍ قَضَاهُ عَلَيْكَ»(١). ونظر إلى السماء فضحك، فسئل فقال: «عَجِبْتُ لِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِ: إنْ قَضَى لَهُ بِالسَّرَّاءِ رَضِيَ وَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ قَضَى لَهُ بِالضَّرَّاءِ رَضِيَ وَكَانَ خَيْرًا لَهُ»(٢).

الوجه الثاني: أنّ رأس الخطايا المهلكة حب الدنيا، ورأس أسباب النجاة التجافي بالقلب عن دار الغرور، ومواتاة النعم على وفق المراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة تورث طمأنينة القلب إلى الدنيا وأسبابها وأنسه بها حتى تصير كالجنة في حقه، فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقته، وإذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن إليها ولم يأنس بها وصارت سجنًا عليه، وكانت نجاته منها غاية اللذة كالخلاص من السجن، ولذلك قال ﷺ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الكَافِرِ»(٣)، والكافر كل من أعرض عن الله تعالى ولم يرد إلا الحياة الدنيا ورضي بها واطمأنّ إليها، والمؤمن كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الحنين إلى الخروج منها، والكفر بعضه ظاهر وبعضه خفي، وبقدر حب الدنيا في القلب يسري فيه الشرك الخفي، بل الموحد المطلق هو الذي لا يحب إلا الواحد الحق، فإذن في البلاء نعم من هذا الوجه فيجب الفرح به، وأما التألم فهو ضروري، وذلك يضاهي فرحك عند الحاجة إلى الحجامة بمن يتولى حجامتك مجانًا، أو يسقيك دواء نافعًا بشعًا مجانًا، فإنك تتألم وتفرح فتصبر على الألم وتشكره على سبب الفرح، فكل بلاء في الأمور الدنيوية مثاله الدواء الذي يؤلم في الحال وينفع في المآل، بل من دخل دار ملك للنضارة وعلم أنه يخرج منه لا محالة، فرأى وجهًا حسنًا لا يخرج معه من الدار كان ذلك وبالًا وبلاء عليه لأنه يورثه الأنس بمنزل لا يمكنه المقام فيه ولو كان عليه في المقام خطر من أن يطلع عليه الملك فيعذبه فأصابه ما يكره حتى نفره عن المقام كان ذلك نعمة عليه، والدنيا منزل وقد دخلها الناس من باب الرحم وهم

---

(١) حسن لغيره: حديث: قال له رجل أوصني قال «لا تتهم الله في شيء قضاه عليك». رواه أحمد والطبراني من حديث عبادة بزيادة في أوله، وفي إسناده ابن لهيعة. [أحمد: ٢٢٢١٠، وانظر صحيح الترغيب: ١٣٠٧].

(٢) حديث: نظر إلى السماء فضحك، فسئل فقال «عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن». أخرجه مسلم من حديث صهيب دون نظره إلى السماء، وضحكه «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابه ضراء صبر فكان خيرا له» [مسلم: ٢٩٩٩] وللنسائي في اليوم والليلة من حديث سعد بن أبي وقاص «عجبت من رضا الله للمؤمن إن أصابته خير حمد ربه وشكر... الحديث».

(٣) صحيح: حديث «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، وقد تقدم. [مسلم: ٢٩٥٦].

خارجون عنها من باب اللحد، فكل ما يحقق أنسهم بالمنزل فهو بلاء، وكل ما يزعج قلوبهم عنها ويقطع أنسهم بها فهو نعمة؛ فمن عرف هذا تصوّر منه أن يشكر على البلايا، ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يتصوّر منه الشكر؛ لأنّ الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة، ومن لا يؤمن بأن ثواب المصيبة أكبر من المصيبة لم يتصوّر منه الشكر على المصيبة. وحكي أن أعرابيًا عزى ابن عباس على أبيه فقال:

اصبرْ نكن بك صابرين فإنما ... صبرُ الرعية بعد صَبْرِ الراسِ
خير من العباس أجرك بعده ... والله خير منك للعباسِ

فقال ابن عباس: ما عزاني أحد أحسن من تعزيته.

والأخبار الواردة في الصبر على المصائب كثيرة: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ» (١)، وقال ﷺ قال الله تعالى: «إذا وَجَّهْتُ إِلَى عَبْدٍ مِنْ عَبِيدِي مُصِيبَةً فِي بَدَنِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ وَلَدِهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَ ذلِكَ بِصَبْرٍ جَمِيلٍ اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنْ أَنْصُبَ لَهُ مِيزَانًا أَوْ أَنْشُرَ لَهُ دِيوَانًا» وقال عليه السلام: «ما مِنْ عَبْدٍ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَقَالَ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَعْقِبْنِي خَيْرًا مِنْهَا إلاَّ فَعَلَ اللَّهُ ذلِكَ بِهِ»، وقال ﷺ قال الله تعالى: «مَنْ سَلَبْت كَرِيمَتَيْهِ فَجَزَاؤُهُ الخُلُودُ فِي دَارِي وَالنَّظَرُ إِلَى وَجْهِي».

وروي أن رجلًا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي فقال ﷺ: «لا خَيْرَ فِي عَبْدٍ لا يَذْهَبُ مَالُهُ وَلاَ يَسْقَمُ جِسْمُهُ، إنَّ اللَّهَ إذا أَحَبَّ عَبْدًا ابْتَلاهُ وَإِذَا ابْتَلاهُ صَبَّرَهُ» (٢)، وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «إنَّ الرَّجُلَ لَتَكُونُ لَهُ الدَّرَجَةُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى لا يَبْلُغُها بِعَمَلٍ حَتَّى يُبْتَلَى بِبَلاءٍ فِي جِسْمِهِ فَيَبْلُغُها بِذَلِكَ» (٣)، وعن خباب بن الأرت قال: أتينا رسول الله ﷺ وهو متوسد بردائه في ظل الكعبة فشكونا إليه فقلنا: يا رسول الله، ألا تدعو الله تستنصره لنا؟ فجلس محمرًا لونه ثم قال: «إنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ لَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ حَفِيرَةٌ

---

(١) صحيح: حديث «من يرد الله به خير يصب منه». رواه البخاري من حديث أبي هريرة. [البخاري: ٥٦٤٥].

(٢) حديث أن رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسدي فقال «لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسده، إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه، وإذا ابتلاه صبره». أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد فيه لين.

(٣) صحيح لغيره: حديث «إن الرجل ليكون له الدرجة عند الله لا يبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء في جسمه فيبلغها بذلك». رواه أبو داود في رواية ابن داسه، وابن العبد من حديث محمد بن خالد السلمي عن أبيه عن جده، وليس في رواية اللؤلؤي. ورواه أحمد وأبو يعلى والطبراني من هذا الوجه، ومحمد بن خالد لم يرو عنه إلا أبو المليح الحسن بن عمر الرقي، وكذلك لم يرو عن خالد إلا ابنه محمد، وذكر أبو نعيم أن ابن منده سمي جده اللجلاج بن سليم، فالله أعلم. وعلى هذا فابنه خالد بن اللجلاج العامري ذاك مشهور روى عنه جماعة. ورواه ابن منده وأبو نعيم وابن عبد البر في الصحابة من رواية عبد الله بن أبي إياس بن أبي فاطمة عن أبيه عن جده. ورواه البيهقي من رواية إبراهيم السلمي عن أبيه عن جده فالله أعلم. [أبو داود: ٣٠٩٠ وانظر صحيح الترغيب: ٣٤٠٩].

وَيُجَاءُ بِالمِنْشَارِ فَيُوْضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ فِرْقَتَيْنِ ما يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ»[(١)]، وعن علي كرّم الله وجهه قال: أيما رجل حبسه السلطان ظلمًا فمات فهو شهيد، وإن ضربه فمات فهو شهيد، وقال عليه السلام: «مِنْ إجْلالِ اللَّهِ وَمَعْرِفَةِ حَقِّهِ أَنْ لا تَشْكُو وَجَعَكَ وَلا تَذْكُرَ مُصِيبَتَكَ».

وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: تولدون للموت وتعمرون للخراب وتحرصون على ما يفنى وتذرون ما يبقى، ألا حبذا المكروهات الثلاث: الفقر والمرض والموت.

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا وَأَرَادَ أَنْ يُصَافِيَهُ صَبَّ عَلَيْهِ البَلاءَ صَبًّا وَثَجَّهُ عَلَيْهِ ثَجًّا، فَإذا دَعَاهُ قَالَتِ المَلائِكَةُ: صَوْتٌ مَعْرُوفٌ وَإنْ دَعَاهُ ثَانِيًا فَقَالَ يا رَبِّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَبَّيْكَ عَبْدِي وَسَعْدَيْكَ لا تَسْأَلُنِي شَيْئًا إلاَّ أَعْطَيتكَ أَوْ دَفَعْتُ عَنْكَ ما هُوَ خَيْرٌ وَادخَرْتَ لَكَ عِنْدِي ما هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ، فَإذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ جِيءَ بِأَهْلِ الأَعْمَالِ فَوُفُّوا أَعْمَالَهُمْ بِالمِيزَانِ: أَهْلُ الصَّلاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ وَالحَجِّ، ثُمَّ يُؤْتَى بِأَهْلِ البَلاءِ فَلاَ يُنْصَبُ لَهُمْ مِيزَانٌ وَلاَ يُنْشَرُ لَهُمْ دِيوانٌ، يُصَبُّ عَلَيْهِمُ الأَجْرُ صَبًّا كَمَا كان يُصَبُّ عَلَيْهِمُ البَلاءُ صَبًّا فَيَوَدُّ أَهْلُ العَافِيَةِ فِي الدُّنْيَا لَوْ أَنَّهُمْ كَانَتْ تُقْرَضُ أَجْسَادُهُمْ بِالمَقَارِيضِ لِمَا يَرَوْنَ ما يَذْهَبُ بِهِ أَهْلُ البَلاءِ مِنَ الثَّوابِ»[(٢)]، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: شكا نبي من الأنبياء عليهم السلام إلى ربه فقال: يا رب، العبد المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك تزوي عنه الدنيا وتعرض له البلاء، ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويجترىء عليك وعلى معاصيك تزوي عنه البلاء وتبسط له الدنيا؛ فأوحى الله تعالى إليه: «إنّ العباد لي والبلاء لي وكل يسبح بحمدي، فيكون المؤمن عليه من الذنوب، فأزوي عنه الدنيا وأعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه، حتى يلقاني فأجزيه بحسناته.

ويكون الكافر له الحسنات فأبسط له في الرزق وأزوي عنه البلاء فأجزيه بحسناته في الدنيا، حتى يلقاني فأجزيه بسيئاته.

وروي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه: كيف الفرح بعد هذه الآية؟ فقال رسول الله ﷺ: «غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْتَ تَمْرَضُ؟ أَلَسْتَ يُصِيبُكَ الأَذَى؟ أَلَسْتَ تَحْزَنُ؟ فَهذَا مِمَّا تُجْزَوْنَ بِهِ»[(٣)]، يعني أن جميع

---

(١) صحيح: حديث خباب بن الأرت: أتينا رسول الله ﷺ وهو متوسد برداء في ظل الكعبة فشكونا إليه». تقدم. [البخاري: ٣٦١٢].

(٢) ضعيف: حديث أنس «إذا أراد الله بعبد خيرا وأراد أن يصافيه صب عليه البلاء صبا». أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب المرض من رواية بكر بن خنيس عن يزيد الرقاشي عن أنس أخصر منه دون قوله «فإذا كان يوم القيامة... إلى آخره» وبكر بن خنيس والرقاشي ضعيفان. ورواه الأصفهاني في الترغيب والترهيب بتمامه وأدخل بين بكر وبين الرقاشي ضرار بن عمرو وهو أيضا ضعيف. [انظر ضعيف الترغيب: ١٩٨٦].

(٣) صحيح: حديث لما نزل قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه: كيف الفرح بعد هذه الآية! فقال رسول الله ﷺ «غفر الله لك يا أبا بكر، ألست تمرض؟».

ما يصيبك يكون كفارة لذنوبك.

وعن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ أنه قال: «إِذَا رَأَيْتُمْ الرَّجُلَ يُعْطِيهِ اللَّهُ ما يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَتِهِ فَاعْلَمُوا أَنَّ ذلِكَ اسْتِدْرَاجٌ ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٤٤] (١) يعني لما تركوا ما أمروا به فتحنا عليهم أبواب الخير ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا بِمَآ أُوتُوٓا﴾ [الأنعام:٤٤] أي بما أعطوا من الخير أخذناهم بغتة.

وعن الحسن البصري رحمه الله: أن رجلًا من الصحابة رضي الله عنهم رأى امرأة كان يعرفها في الجاهلية، فكلمها ثم تركها، فجعل الرجل يلتفت إليها وهو يمشي فصدمه حائط فأثر في وجهه فأتى النبي فأخبره، فقال: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَجَّلَ لَهُ عُقُوبَةَ ذَنْبِهِ فِي الدُّنْيَا» (٢)، وقال علي كرم الله وجهه: ألا أخبركم بأرجى آية في القرآن؟ قالوا: بلى، فقرأ عليهم: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠] فالمصائب في الدنيا بكسب الأوزار، فإذا عاقبه الله في الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه ثانيًا، وإن عفا عنه في الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه يوم القيامة.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «مَا تَجَرَّعَ عَبْدٌ قَطُّ جُرْعَتَيْنِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ رَدَّهَا بِحِلْمٍ، وَجُرْعَةِ مُصِيبَةٍ يَصْبِرُ الرَّجُلُ لَهَا.

وَلا قَطَرَتْ قَطْرَةٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَطْرَةِ دَمٍ أُهْرِيقَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ قَطْرَةِ دَمْعٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ وَهُوَ سَاجِدٌ وَلا يَرَاهُ إِلاَّ اللَّهُ. وَمَا خَطَا عَبْدٌ خُطْوَتَيْنِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ خُطْوَةٍ إِلَى صَلاَةِ الفَرِيضَةِ، وَخُطْوَةٍ إِلَى صِلَةِ الرَّحِمِ» (٣).

من رواية من لم يسم عن أبي بكر ورواه الترمذي من وجه آخر بلفظ آخر وضعفه. قال: وليس له إسناد صحيح. وقال الدارقطني: وروى أيضا من حديث عمر ومن حديث الزبير، قال: وليس فيها شيء يثبت.[الترمذي: ٣٠٣٩، وانظر صحيح الترغيب: ٣٤٣٠].

(١) صحيح: حديث عقبة بن عامر «إذا رأيتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا أن ذلك استدراج، ثم قرأ قوله تعالى ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٤٤] ». رواه أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب بسند حسن. [أحمد: ١٦٨٦٠، وانظر السلسلة الصحيحة: ٤١٣].

(٢) صحيح: حديث الحسن البصري في الرجل الذي رأى امرأة فجعل يلتفت إليها وهو يمشي فصدمه حائط. أخرجه أحمد والطبراني بإسناد صحيح من رواية الحسن عن عبد الله بن معقل مرفوعا ومتصلا. ووصله الطبراني أيضا من رواية الحسن عن عمار بن ياسر، ورواه أيضا من حديث ابن عباس، وقد روى الترمذي وابن ماجه المرفوع منه من حديث أنس وحسنه الترمذي. [أحمد: ١٦٣٤٦، وانظر السلسلة الصحيحة: ١٢٢٠].

(٣) حديث أنس «ما تجرع عبد قط جرعتين أحب إلى الله من جرعة غيظ ردها بحلم، وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها». أخرجه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث علي بن أبي طالب دون ذكر الجرعتين، وفيه محمد بن صدقة وهو الفدكي(١) منكر الحديث. وروى ابن ماجه من حديث ابن عمر بإسناد جيد: «ما من جرعة أعظم عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله». [ابن ماجه: ٤١٨٩، وانظر صحيح الترغيب: ٢٧٥٢، وقال الألباني: صحيح لغيره] وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة «ما قطر في الأرض قطرة أحب إلى الله عز وجل من دم رجل مسلم في سبيل الله، أو قطرة دمع في سواد الليل... الحديث» وفيه محمد بن صدقة، وهو الفدكي: منكر الحديث.

وعن أبي الدرداء قال: توفي ابن لسليمان بن داود عليهما السلام فوجد عليه وجدًا شديدًا فأتاه ملكان فجثيا بين يديه في زي الخصوم، فقال أحدهما: بذرت بذرًا فلما استحصد مرّ به هذا فأفسده، فقال للآخر: ما تقول؟ فقال: أخذت الجادة فأتيت على زرع فنظرت يمينًا وشمالاً فإذا الطريق عليه. فقال سليمان عليه السلام: ولم بذرت على الطريق، أما علمت أن لا بدّ للناس من الطريق؟ قال: فلم تحزن على ولدك، أما علمت أن الموت سبيل الآخرة؟ فتاب سليمان إلى ربه ولم يجزع على ولد بعد ذلك.

ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له مريض، فقال: يا بني، لأن تكون في ميزاني أحب إليّ من أن أكون في ميزانك، فقال يا أبت، لأن يكون ما تحب أحب إلي من أن يكون ما أحب.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نعي إليه ابنة له، فاسترجع وقال: عورة سترها الله تعالى، ومؤنة كفاها الله، وأجر قد ساقه الله، ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال: قد صنعنا ما أمر الله تعالى قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة:٤٥].

وعن ابن المبارك أنه مات له ابن، فعزاه مجوسي يعرفه؛ فقال له: ينبغي للعاقل أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام، فقال ابن المبارك: اكتبوا عنه هذه.

وقال بعض العلماء: إن الله ليبتلي العبد بالبلاء بعد البلاء حتى يمشي على الأرض وما له ذنب.

وقال الفضيل: إن الله عز وجل ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالخير.

وقال حاتم الأصم: إن الله عز وجل يحتج يوم القيامة على الخلق بأربعة أنفس على أربعة أجناس على الأغنياء بسليمان، وعلى الفقراء بالمسيح، وعلى العبيد بيوسف، وعلى المرضى بأيوب صلوات الله عليهم.

وروي أن زكريا عليه السلام لما هرب من الكفار من بني إسرائيل واختفى في الشجرة فعرفوا ذلك، فجيء بالمنشار فنشرت الشجرة حتى بلغ المنشار إلى رأس زكريا، فأنّ منه أنة؛ فأوحى الله تعالى إليه يا زكريا لئن صعدت منك أنّة ثانية لأمحونك من ديوان النبوّة، فعض زكريا عليه السلام على أصبعه حتى قطع شطرين.

وقال أبو السعود البلخي: من أصيب بمصيبة فمزق ثوبًا أو ضرب صدرًا فكأنما أخذ رمحًا يريد أن يقاتل به ربه عز وجل.

وقال لقمان رحمه الله لابنه: يا بني إن الذهب يجرّب بالنار والعبد الصالح يجرّب بالبلاء، فإذا أحب الله قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط.

وقال الأحنف بن قيس: أصبحت يومًا أشتكي ضرسي، فقلت لعمي: ما نمت البارحة من وجع الضرس حتى قلتها ثلاثًا، فقال: لقد أكثرت من ضرسك في ليلة واحدة، وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلاثين سنة ما علم بها أحد وأوحى الله تعالى إلى عزير عليه السلام: «إذا نزلت بك

بلية فلا تشكني إلى خلقي واشك إلي كما لا أشكوك إلى ملائكتي إذا صعدت مساويك وفضائحك» نسأل الله من عظيم لطفه وكرمه ستره الجميل في الدنيا والآخرة.

بيان فضل النعمة على البلاء:

لعلك تقول: هذه الأخبار تدل على أن البلاء خير في الدنيا من النعم، فهل لنا أن نسأل الله البلاء؟ فأقول: لا وجه لذلك لما روي عن رسول الله ﷺ: أنه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة[1] وكان يقول هو والأنبياء عليهم السلام: «رَبَّنا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً»[2]، وكانوا يستعيذون من شماتة الأعداء وغيرها[3].

وقال علي كرّم الله وجهه: اللهم إني أسألك الصبر، فقال ﷺ: «لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ البَلاَءَ فَاسْأَلْهُ العَافِيَةَ»[4].

وروى الصدّيق رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «سَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ، فَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْ العَافِيَةِ إلاَّ اليَقِينِ»[5]، وأشار باليقين إلى عافية القلب عن مرض الجهل والشك، فعافية القلب أعلى من عافية البدن.

وقال الحسن رحمه الله: الخير الذي لا شر فيه: العافية مع الشكر فكم من منعم عليه غير شاكر.

وقال مطرّف بن عبد الله: لأن أعافى فأشكر، أحب إليّ من أن أبتلي فأصبر.

---

(١) ضعيف: حديث: أنه ﷺ كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة. رواه أحمد من حديث بشر بن أبي أرطاة بلفظ «أجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة» [أحمد: ١٧١٧٦، وانظر السلسلة الضعيفة: ٢٩٠٧] وإسناده جيد. ولأبي داود من حديث عائشة «اللهم إني أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة» [أبي داود: ٥٠٨٥، وانظر المشكاة: ١٢١٦، وقال الألباني: ضعيف] وفيه بقية وهو مدلس، ورواه بالعنعنة.

(٢) حديث: كان يقول هو والأنبياء عليهم السلام «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار». أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس: كان أكثر دعوة يدعو بها النبي ﷺ يقول: «اللهم آتنا في الدنيا... » الحديث [البخاري: ٦٣٨٩، ومسلم: ٢٦٩٠] ولأبي داود والنسائي من حديث عبد الله بن السائب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ما بين الركنين «ربنا آتنا...» [أبي داود: ١٨٩٢ وانظر صحيح أبي داود، وحسنه الألباني] الحديث.

(٣) صحيح: حديث: كان يستعيذ من شماتة الأعداء. [البخاري: ٦٣٤٧، ومسلم: ٢٧٠٧ عن أبي هريرة]. تقدم في الدعوات.

(٤) ضعيف: حديث قال علي رضي الله عنه: اللهم إني أسألك الصبر، فقال ﷺ «قد سألت الله البلاء فسله العافية» [الترمذي: ٣٥٢٧، وانظر ضعيف الترمذي]. رواه الترمذي من حديث معاذ في أثناء حديث وحسنه، ولم يسم عليا وإنما قال: سمع رجلا. وله وللنسائي في اليوم والليلة من حديث علي: كنت ساكنا فمر بي رسول الله ﷺ وأنا أقول... الحديث. وفيه: «فإن كان بلاء فصبرني» [الترمذي: ٣٥٦٤، وانظر ضعيف الترمذي]، فضربه برجله وقال «اللهم عافه واشفه» وقال حسن صحيح.

(٥) حسن صحيح: حديث أبي بكر الصديق «سلوا الله العافية». أخرجه ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة بإسناد جيد، وقد تقدم. [الترمذي: ٣٥٥٨، وانظر صحيح الترغيب: ٣٣٨٧، ولم أره عند ابن ماجه].

وقال ﷺ في دعائه: «وَعَافِيَتُكَ أَحَبُّ إِلَيَّ»[(١)].

وهذا أظهر من أن يحتاج فيه إلى دليل واستشهاد، وهذا لأن البلاء صار نعمة باعتبارين: أحدهما بالإضافة إلى ما هو أكثر منه إما في الدنيا أو في الدين، والآخر بالإضافة إلى ما يرجى من الثواب؛ فينبغي أن نسأل الله تمام النعمة في الدنيا ودفع ما فوقه من البلاء، ويسأله الثواب في الآخرة على الشكر على نعمته فإنه قادر على أن يعطي على الشكر ما لا يعطيه على الصبر.

فإن قلت: فقد قال بعضهم: أود أن أكون جسرًا على النار يعبر علي الخلق كلهم فينجون وأكون أنا في النار. وقال سمنون رحمه الله تعالى:

ليس لي في سواك حظ ... فكيفما شئت فاختبرني

فهذا من هؤلاء سؤال للبلاء فاعلم أنه حكي عن سمنون المحب رحمه الله أنه بلي بعد هذا البيت بعلة الحصر، فكان بعد ذلك يدور على أبواب المكاتب ويقول للصبيان: ادعوا لعمكم الكذاب، وأما محبة الإنسان ليكون هو في النار دون سائر الخلق فغير ممكنة، ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظنّ المحب بنفسه حبًا لمثل ذلك، فمن شرب كأس المحبة سكر، ومن سكر توسع في الكلام، ولو زايله سكره علم أن ما غلب عليه كان حالة لا حقيقة لها، فما سمعته من هذا الفن فهو من كلام العشاق الذين أفرط حبهم، وكلام العشاق يستلذ سماعه ولا يعوّل عليه، كما حكي أن فاختة كان يراودها زوجها فتمنعه، فقال: ما الذي يمنعك عني، ولو أردت أن أقلب لك الكونين مع ملك سليمان ظهرًا لبطن لفعلته لأجلك؟ فسمعه سليمان عليه السلام فاستدعاه وعاتبه فقال: يا نبي الله كلام العشاق لا يحكى، وهو كما قال، وقال الشاعر:

أريد وصاله ويريد هجري ... فأترك ما أريد لما يريد

وهو أيضًا محال، ومعناه أني أريد ما لا يريد، لأن من أراد الوصال ما أراد الهجر، فكيف أراد الهجر الذي لم يرده، بل لا يصدق هذا الكلام إلا بتأويلين.

أحدهما: أن يكون ذلك في بعض الأحوال حتى يكتسب به رضاه الذي يتوصل به إلى مراد الوصال في الاستقبال فيكون الهجران وسيلة إلى الرضا والرضا وسيلة إلى وصال المحبوب، والوسيلة إلى المحبوب محبوبة، فيكون مثاله مثال محب المال إذا أسلم درهمًا في درهمين فهو بحب الدرهمين يترك الدرهم في الحال.

الثاني: أن يصير رضاه عنده مطلوبًا من حيث إنه رضاه فقط، ويكون له لذة في استشعاره

---

(١) ضعيف: حديث «وعافيتك أحب إلي». ذكره ابن إسحق في السيرة في دعائه يوم خرج إلى الطائف بلفظ «وعافيتك أوسع لي» وكذا رواه ابن أبي الدنيا في الدعاء من رواية حسان بن عطية مرسلا، ورواه أبو عبد الله بن منده من حديث عبد الله بن جعفر مسندا وفيه من يجهل. [انظر ضعيف الجامع: ١١٨٢].

رضا محبوبه منه تزيد تلك اللذة على لذته في مشاهدته مع كراهته، فعند ذلك يتصوّر أن يريد ما فيه الرضا، فلذلك قد انتهى حال بعض المحبين إلى أن صارت لذتهم في البلاء مع استشعارهم رضا الله عنهم أكثر من لذتهم في العافية من غير شعور الرضا، فهؤلاء إذا قدروا رضاه في البلاء صار البلاء أحب إليهم من العافية، وهذه حالة لا يبعد وقوعها في غلبات الحب ولكنها لا تثبت، وإن ثبتت مثلًا فهل هي حالة صحيحة أم حالة اقتضتها حالة أخرى وردت على القلب فمالت به عن الاعتدال؟ هذا فيه نظر، وذكر تحقيقه لا يليق بما نحن فيه، وقد ظهر بما سبق أن العافية خير من البلاء فنسأل الله تعالى المانّ بفضله على جميع خلقه العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة لنا ولجميع المسلمين.

بيان الأفضل من الصبر والشكر:

اعلم أنّ الناس اختلفوا في ذلك، فقال قائلون: الصمت أفضل من الشكر.

وقال آخرون: الشكر أفضل. وقال آخرون: هما سيان. وقال آخرون: يختلف ذلك باختلاف الأحوال، واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب بعيد عن التحصيل، فلا معنى للتطويل بالنقل، بل المبادرة إلى إظهار الحق أولى. فنقول: في بيان ذلك مقامان.

المقام الأوّل: البيان على سبيل التساهل: وهو أن ينظر إلى ظاهر الأمر ولا يطلب بالتفتيش بحقيقته وهو البيان الذي ينبغي أن يخاطب به عوام الخلق لقصور أفهامهم عن درك الحقائق الغامضة، وهذا الفن من الكلام هو الذي ينبغي أن يعتمده الوعاظ، إذ مقصود كلامهم من مخاطبة العوام إصلاحهم، والطئر المشفقة لا ينبغي أن تصلح الصبي الطفل بالطيور السمان وضروب الحلاوات، بل باللبن اللطيف، وعليها أن تؤخر عنه أطايب الأطعمة إلى أن يصير محتملًا لها بقوّته، ويفارق الضعف الذي هو عليه في بنيته فنقول: هذا المقام في البيان يأبى البحث والتفصيل ومقتضاه النظر إلى الظاهر المفهوم من موارد الشرع، وذلك يقتضي تفضيل الصبر، فإن الشكر وإن وردت أخبار كثيرة في فضله فإذا أضيف إليه ما ورد في فضيلة الصبر كانت فضائل الصبر أكثر، بل فيه ألفاظ صريحة في التفضيل كقوله ﷺ: «مِنْ أَفْضَلِ ما أُوتِيتُمُ الْيَقِينُ وَعَزِيمَةُ الصَّبْرِ» (١)، وفي الخبر: «يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزيه الله جزاء الشاكرين، ويؤتى بأصبر أهل الأرض فيقال له: «أما ترضى أن يجزيك كما جزينا هذا الشاكر، فيقول: نعم يا رب، فيقول الله تعالى: كلا، أنعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت، لأضعفن لك الأجر عليه، فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين» (٢).

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] وأما قوله ﷺ: «الطَّاعِمُ

---

(١) حديث «من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر». تقدم.

(٢) حديث: يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزيه الله جزاء الشاكرين، ويؤتى بأصبر أهل الأرض». لم أجد له أصلا.

الشَّاكِرُ بِمَنْزِلَةِ الصَّائِمِ الصَّابِرِ»[١]، فهو دليل على أنّ الفضيلة في الصبر إذ ذكر ذلك في معرض المبالغة لرفع درجة الشكر، فألحقه بالصبر فكان هذا منتهى درجته، ولولا أنه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان إلحاق الشكر به مبالغة في الشكر، وهو كقوله ﷺ: «الجُمْعَةَ حَجُّ المَسَاكِينِ وَجِهَادُ المَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ»[٢]، وكقوله ﷺ: «شَارِبُ الخَمْرِ كَعَابِدِ الوَثَنِ»[٣]، وأبدا المشبه به ينبغي أن يكون أعلى رتبة، فكذلك قوله ﷺ: «الصَّبْرُ نِصْفُ الإِيمَانِ» لا يدل على أنّ الشكر مثله، وهو كقوله عليه السلام: «الصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْرِ» فإنّ كل ما ينقسم قسمين يسمى أحدهما نصفًا وإن كان بينهما تفاوت، كما يقال: الإيمان هو العلم والعمل، فالعمل هو نصف الإيمان فلا يدل ذلك على أنّ العمل يساوي العلم.

وفي الخبر عن النبي ﷺ: «آخِرُ الأَنْبِيَاءِ دُخُولًا الجَنَّةَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لِمَكَانِ مُلْكِهِ. وَآخِرُ أَصْحَابِي دُخُولًا الجَنَّةَ عَبْدُ الرَّحْمنِ بْنُ عَوْفٍ لِمَكَانِ غِنَاهُ»[٤]، وفي خبر آخر: «يَدْخُلُ سُلَيْمَانَ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا»[٥]، وفي الخبر: «أَبْوَابُ الجَنَّةِ كُلُّهَا مِصْرَاعَانِ إِلاّ بَابُ الصَّبْرِ فَإِنَّهُ مِصْرَاعٌ وَاحِدٌ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُهُ أَهْلُ البَلاءِ أَمَامَهُمْ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ»[٦].

---

(١) صحيح: حديث «الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر». أخرجه الترمذي وحسنه، وابن ماجه من حديث أبي هريرة، وقد تقدم. [الترمذي: ٢٤٨٦، وابن ماجه: ١٧٦٤، وانظر السلسلة الصحيحة: ٦٥٥].

(٢) ضعيف: حديث «الجمعة حج المساكين وجهاد المرأة حسن التبعل». أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده بالشطر الأول من حديث ابن عباس بسند ضعيف، [انظر ضعيف الجامع: ٢٦٥٩]، والطبراني بالشطر الثاني من حديثه بسند ضعيف أيضا أن امرأة قالت: كتب الله الجهاد على الرجال فما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة؟ قال: طاعة أزواجهن. وفي رواية: ما جزاء غزوة المرأة؟ قال طاعة الزوج... الحديث» وفيه القاسم بن فياض، وثقه أبو داود وضعفه ابن معين وباقي رجاله ثقات، [انظر السلسلة الضعيفة: ٥٣٤٠].

(٣) صحيح: حديث «شارب الخمر كعابد الوثن». أخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ «مدمن الخمر» ورواه بلفظ «شارب» الحارث بن أبي أسامة من حديث عبد الله بن عمر، وكلاهما ضعيف وقال ابن عدي: إن حديث أبي هريرة أخطأ فيه محمد بن سليمان بن الأصبهاني، [ابن ماجه: ٣٣٧٥، وانظر صحيح الجامع: ٥٨٦١].

(٤) حديث «آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه، وآخر أصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه». أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث معاذ بن جبل «يدخل الأنبياء كلهم قبل داود وسليمان الجنة بأربعين عاما» وقال: لم يروه إلا شعيب بن خالد وهو كوفي ثقة. وروى البزار من حديث أنس «أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتي عبد الرحمن بن عوف» وفيه أغلب بن تميم ضعيف.

(٥) حديث «يدخل سليمان بعد الأنبياء بأربعين خريفا». تقدم حديث معاذ قبله. ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية دينار عن أنس بن مالك، ودينار الحبشي أحد الكذابين على أنس والحديث منكر.

(٦) حديث «أبواب الجنة كلها مصراعان إلا باب الصبر فإنه مصراع واحد». لم أجد له أصلا ولا في الأحاديث الواردة في مصاريع أبواب الجنة تفرقة، فروى مسلم من حديث أنس في الشفاعة «والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وبصرى» ،[البخاري: ٤٧١٢، ومسلم: ١٩٤، من حديث أبي هريرة، ولم أقف عليه من حديث أنس] وفي الصحيحين في خطبة عتبة بن غزوان: ولقد ذكرنا أن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام،[مسلم: ٢٩٦٧، ولم أقف عليه عند مسلم].

وكل ما ورد في فضائل الفقر يدل على فضيلة الصبر؛ لأنّ الصبر حال الفقير، والشكر حال الغني، فهذا هو المقام الذي يقنع العوام ويكفيهم في الوعظ اللائق والتعريف لما فيه صلاح دينهم.

المقام الثاني : هو البيان الذي نقصد به تعريف أهل العلم والاستبصار بحقائق الأمور بطريق الكشف والإيضاح فنقول فيه: كل أمرين مبهمين لا تمكن الموازنة بينهما مع الإبهام ما لم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما، وكل مكشوف يشتمل على أقسام لا تمكن الموازنة بين الجملة والجملة، بل يجب أن تفرد الآحاد بالموازنة حتى يتبين الرجحان.

والصبر والشكر أقسامهما وشعبهما كثيرة فلا يتبين حكمهما في الرجحان والنقصان مع الإجمال فنقول: قد ذكرنا أن هذه المقامات تنتظم من أمور ثلاثة: علوم، وأحوال، وأعمال، والشكر والصبر وسائر المقامات هي كذلك، وهذه الثلاثة إذا وزن البعض منها بالبعض لاح للناظرين في الظواهر أن العلوم تراد للأحوال، والأحوال تراد للأعمال، والأعمال هي الأفضل: وأما أرباب البصائر فالأمر عندهم بالعكس من ذلك، فإن الأعمال تراد للأحوال والأحوال تراد للعلوم، فالأفضل العلوم ثم الأحوال ثم الأعمال؛ لأن كل مراد لغيره فذلك الغير لا محالة أفضل منه.

وأما آحاد هذه الثلاثة فالأعمال قد تتساوى وقد تتفاوت إذا أضيف بعضها إلى بعض، وكذا آحاد الأحوال إذا أضيف بعضها إلى بعض، وكذا آحاد المعارف، وأفضل المعارف علوم المكاشفة وهي أرفع من علوم المعاملة، بل علوم المعاملة دون المعاملة لأنها تراد للمعاملة؛ ففائدتها إصلاح العمل، وإنما فضل العالم بالمعاملة على العابد إذا كان علمه مما يعم نفعه فيكون بالإضافة إلى عمل خاص أفضل؛ وإلا فالعلم القاصر بالعلم ليس بأفضل من العمل القاصر؛ فنقول: فائدة إصلاح العمل إصلاح حال القلب، وفائدة إصلاح حال القلب أن ينكشف له جلال الله تعالى في ذاته وصفاته، وأفعاله، فأرفع علوم المكاشفة معرفة الله سبحانه، وهي الغاية التي تطلب لذاتها، فإن السعادة تنال بها بل هي عين السعادة، ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بأنها عين السعادة وإنما يشعر بها في الآخرة فهي المعرفة الحرّة التي لا قيد عليها فلا تتقيد بغيرها.

وكل ما عداها من المعارف عبيد وخدم بالإضافة إليها، فإنها إنما تراد لأجلها.

ولما كانت مرادة لأجلها كان تفاوتها بحسب نفعها في الإفضاء إلى معرفة الله تعالى: فإن بعض المعارف يفضي إلى بعض إما بواسطة أو بوسائط كثيرة، فكلما كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله تعالى أقل فهي أفضل.

وأما الأحوال فنعني بها أحوال القلب في تصفيته وتطهيره عن شوائب الدنيا وشواغل الخلق، حتى إذا طهر وصفا اتضح له حقيقة الحق، فإذن فضائل الأحوال بقدر تأثيرها في

إصلاح القلب وتطهيره، وإعداده لأن تحصل له علوم المكاشفة، وكما أن تصقيل المرآة يحتاج إلى أن يتقدم على تمامه أحوال للمرآة بعضها أقرب إلى الصقالة من بعض، فكذلك أحوال القلب، فالحالة القريبة أو المقرّبة من صفاء القلب هي أفضل مما دونها لا محالة بسبب القرب من المقصود، وهكذا ترتيب الأعمال فإن تأثيرها في تأكيد صفاء القلب وجلب الأحوال إليه، وكل عمل إما أن يجلب إليه حالة مانعة من المكاشفة موجبة لظلمة القلب جاذبة إلى زخارف الدنيا، وإما أن يجلب إليه حالة مهيئة للمكاشفة موجبة لصفاء القلب وقطع علائق الدنيا عنه.

واسم الأول المعصية، واسم الثاني الطاعة، والمعاصي من حيث التأثير في ظلمة القلب وقساوته متفاوتة، وكذا الطاعات في تنوير القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات تأثيرها وذلك يختلف باختلاف الأحوال، وذلك أنا بالقول المطلق ربما نقول الصلاة النافلة أفضل من كل عبادة نافلة، وأنّ الحج أفضل من الصدقة، وأنّ قيام الليل أفضل من غيره، ولكن التحقيق فيه أنّ الغني الذي معه مال وقد غلبه البخل وحب المال على إمساكه فإخراج الدرهم له أفضل من قيام ليال وصيام أيام، لأن الصيام يليق بمن غلبته شهوة البطن فأراد كسرها، أو منعه الشبع عن صفاء الفكر من علوم المكاشفة فأراد تصفية القلب بالجوع، فأما هذا المدبر إذا لم تكن حاله هذه الحال فليس يستضر بشهوة بطنه ولا هو مشتغل بنوع فكر يمنعه الشبع منه، فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله إلى حال غيره، وهو كالمريض الذي يشكو وجع البطن إذا استعمل دواء الصداع لم ينتفع به، بل حقه أن ينظر في المهلك الذي استولى عليه، والشح المطاع من جملة المهلكات، ولا يزيل صيام مائة سنة وقيام ألف ليلة منه ذرة، بل لا يزيله إلا إخراج المال؛ فعليه أن يتصدّق بما معه، وتفصيل هذا مما ذكرناه في ربع المهلكات فليرجع إليه؛ فإذن باعتبار هذه الأحوال يختلف، وعند ذلك يعرف البصير أن الجواب المطلق فيه خطأ، إذ لو قال لنا قائل: الخبز أفضل أم الماء؟ لم يكن فيه جواب حق إلا أن الخبز للجائع أفضل، والماء للعطشان أفضل، فإن اجتمعا فلينظر إلى الأغلب؛ فإن كان العطش هو الأغلب فالماء أفضل، وإن كان الجوع أغلب فالخبز أفضل، فإن تساويا فهما متساويان، وكذا إذا قيل: السكنجبين أفضل أم شراب اللينوفر؟ لم يصح الجواب عنه مطلقًا أصلًا، نعم لو قيل لنا: السكنجبين أفضل أم عدم الصفراء؟ فنقول: عدم الصفراء، لأن السكنجبين مراد له، وما يراد لغيره فلذلك الغير أفضل منه لا محالة، فإذن في بذل المال عمل وهو الإنفاق ويحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب، ويتهيأ القلب بسبب خروج حب الدنيا منه لمعرفة الله تعالى وحبه، فالأفضل المعرفة، ودونها الحال، ودونها العمل.

فإن قلت: فقد حث الشرع على الأعمال وبالغ في ذكر فضلها حتى طلب الصدقات بقوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة:٢٤٥] وقال تعالى: ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾

[التوبة :١٠٤]فكيف لا يكون الفعل والإنفاق هو الأفضل؟ فاعلم أن الطبيب إذا أثنى على الدواء لم يدل على أن الدواء مراد لعينه، أو على أنه أفضل من الصحة والشفاء الحاصل به، ولكن الأعمال علاج لمرض القلوب، ومرض القلوب مما لا يشعر به غالبًا فهو كبرص على وجه من لا مرآة معه، فإنه لا يشعر به، ولو ذكر له لا يصدق به.

والسبيل معه المبالغة في الثناء على غسل الوجه بماء الورد مثلًا إن كان ماء الورد يزيل البرص، حتى يستحثه فرط الثناء على المواظبة عليه فيزول مرضه، فإنه لو ذكر له أن المقصود زوال البرص عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم أن وجهه لا عيب فيه.

ولنضرب مثلًا أقرب من هذا فنقول: من له ولد علمه العلم والقرآن وأراد أن يثبت ذلك في حفظه بحيث لا يزول عنه، وعلم أنه لو أمره بالتكرار والدراسة ليبقى له محفوظًا لقال إنه محفوظ ولا حاجة بي إلى تكرار ودراسة، لأنه يظن أن ما يحفظه في الحال يبقى كذلك أبدًا، وكان له عبيد فأمر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك بالجميل لتتوفر داعيته على كثرة التكرار بالتعليم، فربما يظن الصبي المسكين أن المقصود تعليم العبيد القرآن وأنه قد استخدم لتعليمهم، فيشكل عليه الأمر فيقول: ما بالي قد استخدمت لأجل العبيد وأنا أجل منهم وأعز عند الوالد، وأعلم أن أبي لو أراد تعليم العبيد لقدر عليه دون تكليفي به، وأعلم أنه لا نقصان لأبي بفقد هؤلاء العبيد فضلًا عن عدم علمهم بالقرآن، فربما يتكاسل هذا المسكين فيترك تعليمهم اعتمادًا على استغناء أبيه وعلى كرمه في العفو عنه فينسى العلم والقرآن ويبقى مدبرًا محرومًا من حيث لا يدري، وقد انخدع بمثل هذا الخياط طائفة وسلكوا طريق الإباحة وقالوا: إن الله تعالى غني عن عبادتنا وعن أن يستقرض منا، فأي معنى لقوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة :٢٤٥] ولو شاء الله إطعام المساكين لأطعمهم فلا حاجة بنا إلى صرف أموالنا إليهم، كما قال تعالى حكاية عن الكفار: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [يس :٤٧] وقالوا أيضًا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام :١٤٨] فانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم، فسبحان من إذا شاء أهلك بالصدق وإذا شاء أسعد بالجهل: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة :٢٦] فهؤلاء لما ظنوا أنهم استخدموا لأجل المساكين والفقراء أو لأجل الله تعالى، ثم قالوا لا حظ لنا في المساكين ولا حظ لله فينا وفي أموالنا سواء أنفقنا أو أمسكنا: هلكوا كما هلك الصبي لما ظن أن مقصود الوالد استخدامه لأجل العبيد ولم يشعر بأنه كان المقصود ثبات صفة العلم في نفسه وتأكده في قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته في الدنيا، وإنما كان ذلك من الوالد تلطفًا به في استجراره إلى ما فيه سعادته، فهذا المثال يبين لك ضلال من ضل من هذا الطريق، فإذن هذا المسكين الآخذ لمالك يستوفي بواسطة المال خبث البخل وحب الدنيا من باطنك، فإنه مهلك لك فهو كالحجام يستخرج الدم منك

ليخرج بخروج الدم العلة المهلكة من باطنك، فالحجام خادم لك لا أنت خادم للحجام.

ولا يخرج الحجام عن كونه خادمًا بأن يكون له غرض في أن يصنع شيئًا بالدم، ولما كانت الصدقات مطهرة للبواطن ومزكية لها عن خبائث الصفات امتنع رسول الله ﷺ مَنْ أخذها وانتهى عنها [١]، كما نهى عن كسب الحجام وسماها أوساخ أموال الناس، وشرف أهل بيته بالصيانة عنها [٢]، والمقصود أن الأعمال مؤثرات في القلب كما سبق في ربع المهلكات، والقلب بحسب تأثيرها مستعدّ لقبول الهداية ونور المعرفة، فهذا هو القول الكلي والقانون الأصلي الذي ينبغي أن يرجع إليه في معرفة فضائل الأعمال والأحوال والمعارف، ولنرجع الآن إلى خصوص ما نحن فيه من الصبر والشكر فنقول: في كل واحد منهما معرفة وحال وعمل، فلا يجوز أن تقابل المعرفة في أحدهما بالحال، أو العمل في الآخر، بل يقابل كل واحد منهما بنظيره حتى يظهر التناسب، وبعد التناسب يظهر الفضل، ومهما قوبلت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر ربما رجعا إلى معرفة واحدة، إذ معرفة الشاكر: أن يرى نعمة العينين مثلًا من الله تعالى.

ومعرفة الصابر: أن يرى العمى من الله، وهما معرفتان متلازمتان متساويتان هذا إن اعتبرتا في البلاء والمصائب.

وقد بينا أن الصبر قد يكون على الطاعة وعن المعصية، وفيهما يتحد الصبر والشكر لأنّ الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة، لأن الشكر يرجع إلى صرف نعمة الله تعالى إلى ما هو المقصود منها بالحكمة والصبر يرجع إلى ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى، فالصبر والشكر فيه اسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين فثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى يسمى صبرًا بالإضافة إلى باعث الهوى، ويسمى شكرًا بالإضافة إلى باعث الدين، إذ باعث الدين إنما خلق لهذه الحكمة: وهو أن يصرع به باعث الشهوة، وقد صرفه إلى مقصود الحكمة، فهما عبارتان عن معنى واحد، فكيف يفضل الشيء على نفسه؛ فإذن مجاري الصبر ثلاثة: الطاعة، والمعصية، والبلاء وقد ظهر حكمها في الطاعة والمعصية، وأما البلاء فهو عبارة عن فقد نعمة، والنعمة إما أن تقع ضرورية كالعينين مثلًا، وإما أن تقع في محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال، أما العينان فصبر الأعمى عنهما بأن لا يظهر الشكوى ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب العمى في بعض المعاصي، وشكر البصير عليهما من حيث العمل بأمرين: أحدهما أن لا يستعين بهما على معصية، والآخر أن يستعملهما في الطاعة، وكل أحد من الأمرين لا يخلو عن الصبر؛ فإن الأعمى كفي الصبر عن

---

[١] حديث النهي عن كسب الحجام، تقدم، [مسلم: ١٥٦٨].

[٢] حديث امتنع من الصدقة وسماها أوساخ الناس وشرف أهل بيته بالصيانة عنها. أخرجه مسلم من حديث عبد المطلب بن ربيعة «إن هذه الصدقة لا تحل لنا إنما هي أوساخ القوم وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد» وفي رواية له «أوساخ الناس»، [مسلم: ١٠٧٢].

الصور الجميلة لأنه لا يراها، والبصير إذا وقع بصره على جميل فصبر كان شاكرًا لنعمة العينين؛ وإن أتبع النظر كفر نعمة العينين؛ فقد دخل الصبر في شكره، وكذا إذا استعان بالعينين على الطاعة فلا بد أيضًا فيه من صبر على الطاعة، ثم قد يشكرها بالنظر إلى عجائب صنع الله تعالى ليتوصل به إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، فيكون هذا الشكر أفضل من الصبر، ولولا هذا لكانت رتبة شعيب عليه السلام مثلًا وقد كان ضريرًا من الأنبياء فوق رتبة موسى عليه السلام وغيره من الأنبياء، لأنه صبر على فقد البصر وموسى عليه السلام لم يصبر مثلًا، ولكان الكمال في أن يسلب الإنسان الأطراف كلها ويترك كلحم على وضم وذلك محال جدًّا؛ لأنّ كل واحد من هذه الأعضاء آلة في الدين يفوت بفوتها ذلك الركن من الدين، وشكرها باستعمالها فيما هي آلة فيه من الدين، وذلك لا يكون إلا بصبر، وأما ما يقع في محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فإنه إذا لم يؤت إلا قدر الضرورة وهو محتاج إلى ما وراءه، ففي الصبر عنه مجاهدة وهو جهاد الفقر، ووجود الزيادة نعمة، وشكرها أن تصرف إلى الخيرات، أو أن لا تستعمل في المعصية، فإن أضيف الصبر إلى الشكر الذي هو صرف إلى الطاعة فالشكر أفضل، لأنه تضمن الصبر أيضًا، وفيه فرح بنعمة الله تعالى، وفيه احتمال ألم في صرفه إلى الفقراء وترك صرفه إلى التنعم المباح، وكان الحاصل يرجع إلى أن شيئين أفضل من شيء واحد، وأن الجملة أعلى رتبة من البعض، وهذا فيه خلل إذ لا تصح الموازنة بين الجملة وبين أبعاضها، وأما إذا كان شكره بأن لا يستعين به على معصية بل يصرفه إلى التنعم المباح فالصبر هاهنا أفضل من الشكر، والفقير الصابر أفضل من الغني الممسك ماله الصارف إياه إلى المباحات لا من الغني الصارف ماله إلى الخيرات، لأنّ الفقير قد جاهد نفسه وكسر نهمتها وأحسن الرضا على بلاء الله تعالى، وهذه الحالة تستدعي لا محالة قوّة، والغني أتبع نهمته وأطاع شهوته ولكنه اقتصر على المباح، والمباح فيه مندوحة عن الحرام، ولكن لا بدّ من قوّة في الصبر عن الحرام أيضًا، إلا أن القوة التي عنها يصدر صبر الفقير أعلى وأتم من هذه القوّة التي يصدر عنها الاقتصار في التنعم على المباح والشرف لتلك القوّة التي يدل العمل عليها، فإنّ الأعمال لا تراد إلا لأحوال القلوب، وتلك القوّة حالة للقلب تختلف بحسب قوّة اليقين والإيمان، فما دل على زيادة قوّة في الإيمان فهو أفضل لا محالة، وجميع ما ورد من تفضيل أجر الصبر على أجر الشكر في الآيات والأخبار إنما أريد به هذه الرتبة على الخصوص لأن السابق إلى أفهام الناس من النعمة والأموال والغنى بها، والسابق إلى الأفهام من الشكر أن يقول الإنسان: الحمد لله ولا يستعين بالنعمة على المعصية، لا أن يصرفها إلى الطاعة، فإذن الصبر أفضل من الشكر، أي الصبر الذي تفهمه العامة أفضل من الشكر الذي تفهمه العامة، وإلى هذا المعنى على الخصوص أشار الجنيد رحمه الله حيث سئل عن الصبر والشكر: أيهما أفضل؟ فقال: ليس مدح الغني بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم، وإنما المدح في الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما، فشرط الغنى

يصحبه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتمتعها وتلذذها، والفقير يصحبه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتقبضها وتزعجها، فإذا كان الاثنان قائمين لله تعالى بشرط ما عليهما كان الذي آلم صفته وأزعجها أتم حالاً ممن متع صفته ونعمها.

والأمر على ما قاله، وهو صحيح من جملة أقسام الصبر والشكر في القسم الأخير الذي ذكرناه، وهو لم يرد سواه.

ويقال: كان أبو العباس بن عطاء قد خالفه في ذلك وقال: الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر، فدعا عليه الجنيد فأصابه ما أصابه من البلاء من قتل أولاده وإتلاف أمواله وزوال عقله أربع عشرة سنة، فكان يقول: دعوة الجنيد أصابتني، ورجع إلى تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر.

ومهما لاحظت المعاني التي ذكرناها علمت أنّ لكل واحد من القولين وجهًا في بعض الأحوال، فرب فقير صابر أفضل من غني شاكر كما سبق، ورب غني شاكر أفضل من فقير صابر، وذلك هو الغني الذي يرى نفسه مثل الفقير، إذ لا يمسك لنفسه من المال إلا قدر الضرورة والباقي يصرفه إلى الخيرات أو يمسكه، على اعتقاد أنه خازن للمحتاجين والمساكين، وإنما ينتظر حاجة تسنح حتى يصرف إليها، ثم إذا صرف لم يصرفه لطلب جاه وصيت ولا لتقليد منة، بل أداء لحق الله تعالى في تفقد عباده، فهذا أفضل من الفقير الصابر.

فإن قلت: فهذا لا يثقل على النفس والفقير يثقل عليه الفقر؛ لأن هذا يستشعر لذة القدرة وذاك يستشعر ألم الصبر؛ فإن كان متألمًا بفراق المال فينجبر ذلك بلذته في القدرة على الإنفاق؟.

فاعلم أنّ الذي نراه أنّ من ينفق ماله عن رغبة وطيب نفس أكمل حالاً ممن ينفقه وهو بخيل به وإنما يقتطعه عن نفسه قهرًا.

وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة، فإيلام النفس ليس مطلوبًا لعينه بل لتأديبها، وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد، والكلب المتأدب أكمل من الكلب المحتاج إلى الضرب وإن كان صابرًا على الضرب، ولذلك يحتاج إلى الإيلام والمجاهدة في البداية ولا يحتاج إليهما في النهاية، بل النهاية أن يصير ما كان مؤلمًا في حقه لذيذًا عنده، كما يصير التعلم عند الصبي العاقل لذيذة.

وقد كان مؤلمًا له أوّلاً، ولكن لما كان الناس كلهم إلا الأقلين في البداية - بل قيل البداية بكثير - كالصبيان، أطلق الجنيد القول بأن الذي يؤلم صفته أفضل، وهو كما قال صحيح فيما أراده من عموم الخلق، فإذًا إذا كنت لا تفصل الجواب وتطلقه لإرادة الأكثر فأطلق القول بأن الصبر أفضل من الشكر فإنه صحيح بالمعنى السابق إلى الأفهام؛ فإذا أردت التحقيق ففصل، فإنّ للصبر درجات أقلها ترك الشكوى مع الكراهية، ووراءها الرضا وهو مقام وراء

الصبر، ووراءه الشكر على البلاء وهو وراء الرضا؛ إذ الصبر مع التألم والرضا يمكن بما لا ألم فيه ولا فرح، والشكر لا يمكن إلا على محبوب مفروح به، وكذلك الشكر درجات كثيرة ذكرنا أقصاها، ويدخل في جملتها أمور دونها؛ فإنّ حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر، ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر، والمعرفة بعظيم حلم الله وكنف ستره شكر، والاعتراض بأنّ النعم ابتداء من الله تعالى من غير استحقاق شكر، والعلم بأنّ الشكر أيضًا نعمة من نعم الله موهبة منه شكر، وحسن التواضع للنعم والتذلل فيها شكر، وشكر الوسائط شكر؛ إذ قال عليه السلام: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»[1]، وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب أسرار الزكاة، وقلة الاعتراف وحسن الأدب بين يدي المنعم شكر، وتلقي النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر.

وما يندرج من الأعمال والأحوال تحت اسم الشكر والصبر لا تنحصر آحادها؛ وهي درجات مختلفة؛ فكيف يمكن إجمال القول بتفضيل أحدهما على الآخر إلا على سبيل إرادة الخصوص باللفظ العام كما ورد في الأخبار والآثار.

وقد روي عن بعضهم أنه قال: رأيت في بعض الأسفار شيخًا كبيرًا قد طعن في السن فسألته عن حاله فقال: إني كنت في ابتداء عمري أهوى ابنة عم لي وهي كذلك كانت تهواني؛ فاتفق أنها زوّجت مني، فليلة زفافها قلت: تعالي حتى نحيي هذه الليلة شكرًا لله تعالى على ما جمعنا، فصلينا تلك الليلة ولم يتفرّغ أحدنا إلى صاحبه؛ فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك، فصلينا طول الليل، فمنذ سبعين أو ثمانين سنة نحن على تلك الحالة كل ليلة، أليس كذلك يا فلانة؟ قالت العجوز: هو كما يقول الشيخ؛ فانظر إليهما لو صبرا على بلاء الفرقة أن لو لم يجمع الله بينهما، وأنسب صبر الفرقة إلى شكر الوصال على هذا الوجه، فلا يخفى عليك أنّ هذا الشكر أفضل؛ فإذن لا وقوف على حقائق المفضلات إلا بتفضيل كما سبق. والله أعلم.

* * *

(١) حسن صحيح: حديث «من لم يشكر الناس لم يشكر الله». تقدم في الزكاة، [الترمذي: ١٩٥٥، وانظر صحيح الترغيب: ٩٧٦].

كتاب الخوف والرجاء

الحمد لله المرجوّ لطفه وثوابه، المخوف مكره وعقابه، الذي عمر قلوب أوليائه بروح رجائه حتى ساقهم بلطائف آلائه إلى النزول بفنائه، والعدول عن دار بلائه التي هي مستقرّ أعدائه.

وضرب بسياط التخويف وزجره العنيف وجوه المعرضين عن حضرته إلى دار ثوابه وكرامته، وصدّهم عن التعرّض لأئمته والتهدّف لسخطه ونقمته، قودًا لأصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وأزمة الرفق واللطف إلى جنته. والصلاة والسلام على محمد سيد أنبيائه وخير خليفته وعلى آله وأصحابه وعترته.

أما بعد: فإن الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقرّبون إلى كل مقام محمود، ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كئود، فلا يقود إلى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الأرجاء ثقيل الأعباء محفوفًا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء - إلا أزمة الرجاء. ولا يصدّ عن نار الجحيم والعذاب الأليم - مع كون محفوفًا بلطائف الشهوات وعجائب اللذات إلا سياط التخويف وسطوات التعنيف، فلا بدّ إذن من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسبيل التوصل إلى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما. ونحن نجمع ذكرهما في كتاب واحد يشتمل على شطرين: الشطر الأوّل في الرجاء، والشطر الثاني في الخوف.

أما الشطر الأوّل: فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء، وبيان فضيلة الرجاء وبيان دواء الرجاء، والطريق الذي يجتلب به الرجاء.

بيان حقيقة الرجاء:

اعلم أن الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين، وإنما يسمى الوصف مقامًا إذا ثبت وأقام، وإنما يسمى حالًا إذا كان عارضًا سريع الزوال، وكما أن الصفرة تنقسم إلى ثابتة كصفرة الذهب، وإلى سريعة الزوال كصفرة الوجل، وإلى ما هو بينهما كصفرة المريض، فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الأقسام، فالذي هو غير ثابت يسمى حالًا لأنه يحول على القرب وهذا جار في كل وصف من أوصاف القلب، وغرضنا الآن حقيقة الرجاء، فالرجاء أيضًا يتم من حال وعلم وعمل، فالعلم سبب يثمر الحال.

والحال يقتضي العمل، وكان الرجاء اسمًا من جملة الثلاثة، وبيانه: أن كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم إلى موجود في الحال وإلى موجود فيما مضى وإلى منتظر في الاستقبال، فإذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمي ذِكْرًا وتذكرًا، وإن كان ما خطر بقلبك موجودًا في الحال سمي وجدًا وذوقًا وإدراكًا، وإنما سمي وجدًا لأنها حالة تجدها من نفسك،

وإن كان قد خطر ببالك وجود شيء في الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمي انتظارًا وتوقعًا، فإن كان المنتظر مكروهًا حصل منه ألم في القلب سمي خوفًا وإشفاقًا، وإن كان محبوبًا حصل من انتظاره وتعلق القلب به وإخطار وجوده بالبال لذة في القلب وارتياح سمي ذلك الارتياح رجاء، فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده، ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بدّ وأن يكون له سبب، فإن كان انتظاره لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق، وإن كان ذلك انتظارًا مع انخرام أسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحمق عليه أصدق من اسم الرجاء، وإن لم تكن الأسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التمني أصدق على انتظاره لأنه انتظار من غير سبب.

وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف إلا على ما يتردد فيه، أما ما يقطع به فلا، إذ لا يقال: أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع وأخاف غروبها وقت الغروب؛ لأنّ ذلك مقطوع به، نعم يقال: أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه. وقد علم أرباب القلوب أنّ الدنيا مزرعة الآخرة، والقلب كالأرض، والإيمان كالبذر فيه، والطاعات جارية مجرى تقليب الأرض وتطهيرها ومجرى حفر الأنهار وسياقة الماء إليها، والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالأرض السبخة التي لا ينمو فيها البذر، ويوم القيامة يوم الحصاد، ولا يحصد أحد إلا ما زرع، ولا ينمو زرع إلا من بذر الإيمان، وقلما ينفع إيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه، كما لا ينمو بذر في أرض سبخة، فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع، فكل من طلب أرضًا طيبة وألقى فيها بذرًا جيدًا غير عفن ولا مسوّس، ثم أمدّه بما يحتاج إليه وهو سوق الماء إليه في أوقاته، ثم نقى الشوك عن الأرض والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر أو يفسده، ثم جلس منتظرًا من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات المفسدة إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته: سمي انتظاره رجاء. وإن بث البذر في أرض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصب إليها الماء ولم يشتغل بتعهد البذر أصلًا، ثم انتظر الحصاد منه: سمي انتظاره حمقًا وغرورًا لا رجاء. وإن بث البذر في أرض طيبة ولكن لا ماء لها وأخذ ينتظر مياه الأمطار حيث لا تغلب الأمطار ولا يمتنع أيضًا: سمي انتظاره تمنيًا لا رجاء؛ فإذن اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات؛ فالعبد إذا بث بذر الإيمان، وسقاه بماء الطاعات، وطهر القلب عن شوك الأخلاق الرديئة، وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك إلى الموت وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة، وكان انتظاره رجاء حقيقيًا محمودًا في نفسه باعثًا له على المواظبة والقيام بمقتضى أسباب الإيمان في إتمام أسباب المغفرة إلى الموت، وإن قطع عن بذر الإيمان تعهده بماء الطاعات، أو ترك القلب مشحونًا برذائل الأخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة، فانتظاره حمق وغرور، قال ﷺ:

«الأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الجَنَّةَ» (١)، وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم:٥٩] وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف:١٦٩] وذم الله تعالى صاحب البستان إذ دخل جنته وقال: ﴿مَّآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف: ٣٥-٣٦] فإذن العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بأن ينتظر من فضل الله تمام النعمة، وما تمام النعمة إلا بدخول الجنة. وأما العاصي فإذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بأن يرجو قبول التوبة. وأما قبول التوبة إذا كان كارهًا للمعصية تسوءه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهي التوبة ويشتاق إليها، فحقيق بأن يرجو من الله التوفيق للتوبة؛ لأنّ كراهيته للمعصية وحرصه على التوبة يجري مجرى السبب الذي قد يفضي إلى التوبة، وإنما الرجاء بعد تأكد الأسباب، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢١٨] معناه أولئك يستحقون أن يرجوا رحمة الله، وما أراد به تخصيص وجود الرجاء لأن غيرهم أيضًا قد يرجو؛ ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء، فأما من ينهمك فيما يكرهه الله تعالى ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع، فرجاؤه المغفرة حمق كرجاء من بث البذر في أرض سبخة وعزم على أن لا يتعهده بسقي ولا تنقية. قال يحيى بن معاذ: من أعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب من رجاء العفو من غير ندامة، وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزاء بغير عمل، والتمني على الله عز وجل مع الإفراط:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس

فإذا عرفت حقيقة الرجاء ومظنته فقد علمت أنها حالة أثمرها العلم بجريان أكثر الأسباب، وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الأسباب على حسب الإمكان، فإن من حسن بذره وطابت أرضه وغزر ماؤه صدق رجاؤه، فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تفقد الأرض وتعهدها وتنحية كل حشيش ينبت فيها فلا يفتر عن تعهدها أصلًا إلى وقت الحصاد، وهذا لأن الرجاء يضاده اليأس، واليأس يمنع من التعهد، فمن عرف أن الأرض سبخة وأن الماء معوز وأن البذر لا ينبت: فيترك لا محالة تفقد الأرض والتعب في تعهدها، والرجاء محمود لأنه باعث، واليأس مذموم وهو ضدّه لأنه صارف عن العمل، والخوف ليس بضدّه للرجاء بل هو

---

(١) ضعيف: حديث «الأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الجنة». تقدم غير مرة، [الترمذي: ٢٤٥٦، وابن ماجه: ٤٢٦٠، وانظر ضعيف الترغيب: ١٩٥٩].

رفيق له كما سيأتي بيانه، بل هو باعث آخر بطريق الرهبة كما أن الرجاء باعث بطريق الرغبة، فإذن حال الرجاء يورث طول المجاهدة بالأعمال والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الأحوال، ومن آثاره التلذذ بدوام الإقبال على الله تعالى والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له، فإن هذه الأحوال لا بدّ وأن تظهر على كل من يرجو ملكًا من الملوك أو شخصًا من الأشخاص، فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى؟ فإن كان لا يظهر فليستدل به على الحرمان عن مقام الرجاء والنزول في حضيض الغرور والتمني فهذا هو البيان لحال الرجاء ولما أثمره من العلم ولما استثمر منه من العمل، ويدل على إثماره لهذه الأعمال حديث زيد الخيل، إذ قال لرسول الله ﷺ: جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد؟ فقال: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟» قال: أصبحت أحب الخير وأهله، وإذا قدرت على شيء منه سارعت إليه وأيقنت بثوابه، وإذا فاتني منه شيء حزنت عليه وحننت إليه. فقال: «هَذِهِ عَلاَمَةَ اللَّهِ فِيمن يُرِيدُ وَلَوْ أَرَادَكَ لِلأُخْرَى هَيَّأَكَ لَهَا ثُمَّ لا يُبَالِي فِي أَيِّ أَوْدِيَتِها هَلَكْتَ» فقد ذكر علامة من أريد به الخير، فمن ارتجى أن يكون مرادًا بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور[(١)].

بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه:

اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف؛ لأن أقرب العباد إلى الله تعالى أحبهم له، والحب يغلب الرجاء، واعتبر ذلك بملكين يخدم أحدهما خوفًا من عقابه والآخر رجاء لثوابه، ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن وغائب لا سيما في وقت الموت: قال تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر:٥٣] فحرم أصل اليأس، وفي أخبار يعقوب عليه السلام أن الله تعالى أوحى إليه: أتدري لم فرقت بينك وبين يوسف؟ لأنك قلت أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لم خفت الذئب ولم ترجني؟ ولم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظي له. وقال ﷺ: «لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إلاّ وَهُوَ يُحْسِنَ الظَّنَّ باللَّهِ تَعَالَى»[(٢)]، وقال ﷺ: يقول الله عز وجل: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي ما شَاءَ»[(٣)]، ودخل على رجل وهو في النزع فقال ﷺ: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟» فقال: أجدني أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي. فقال ﷺ:

---

(١) ضعيف: حديث: قال زيد الخير جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد؟». أخرجه الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف، وفيه أنه قال «أنت زيد الخير» وكذا قال ابن أبي حاتم سماه النبي ﷺ زيد الخير يروي عنه حديث، وذكره في حديث يروي: «فقام زيد الخير فقال: يا رسول الله... الحديث» سمعت أبي يقول ذلك، [انظر كتاب السنة: ٤١٥، وضعفه الألباني].

(٢) صحيح: حديث «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله». أخرجه مسلم من حديث جابر، [مسلم: ٢٨٧٧].

(٣) صحيح: حديث أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء». أخرجه ابن حبان من حديث واثلة بن الأسقع وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة دون قوله «فليظن بي ما شاء»، [انظر صحيح الجامع: ٤٣١٦، وهو عند البخاري: ٧٤٠٥، ومسلم: ٢٦٧٥، مختصرا من حديث أبي هريرة].

«ما اجْتَمَعَا فِي قَلْبِ عَبْدٍ في هذا المَوْطِنِ إلاّ أَعْطَاهُ اللَّهُ ما رَجَا وَأَمَّنَهُ مِمَّا يَخَافُ» (١)، وقال علي رضي الله عنه لرجل أخرجه الخوف إلى القنوط لكثرة ذنوبه: يا هذا يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك. وقال سفيان: من أذنب ذنبًا فعلم أن الله تعالى قدّره عليه ورجا غفرانه غفر الله له ذنبه، قال: لأن الله عز وجل عيّر قومًا فقال: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ [فصلت:٢٣] وقال تعالى: ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفتح:١٢] وقال ﷺ: «إنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ: ما مَنَعكَ إذْ رَأَيْتَ المُنْكَرِ أَنْ تُنْكِرَهُ؟ فإنْ لَقَّنَهُ اللَّهُ حُجَّتَهُ قَالَ: يا رَبِّ رَجَوْتُكَ وَخِفْتُ النَّاسَ. قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: قَدْ غَفَرْتُهُ لَكَ» (٢)، وفي الخبر الصحيح: «أن رجلًا كان يداين الناس فيسامح الغني ويتجاوز عن المعسر فلقي الله ولم يعمل خيرًا قط، فقال الله عز وجل: من أحق بذلك منا» (٣)، فعفا عنه لحسن ظنه ورجائه أن يعفو عنه مع إفلاسه عن الطاعات. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر:٢٩] ولما قال ﷺ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصَّعَدَاتِ تَلْدِمُونَ صُدُورَكُمْ وَتُجْأَرُونَ إِلَى رَبِّكُمْ» فهبط جبريل عليه السلام فقال: إن ربك يقول لك لم تقنط عبادي؟ فخرج عليهم ورجاهم وشوّقهم (٤).

وفي الخبر: إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: أحبني وأحب من يحبني وحببني إلى خلقي. فقال: يا رب، كيف أحببك إلى خلقك؟ قال: اذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي وإحساني وذكرهم ذلك فإنهم لا يعرفون مني إلا الجميل (٥).

---

(١) حسن صحيح: حديث: دخل ﷺ على رجل وهو في النزع فقال «كيف تجدك؟». رواه الترمذي وقال غريب، والنسائي في الكبرى، وابن ماجه من حديث أنس وقال النووي: إسناده جيد، [الترمذي: ٩٨٣، وابن ماجه: ٤٢٦١، وانظر صحيح الترغيب: ٣٣٨٣].

(٢) صحيح: حديث «إن الله يقول للعبد يوم القيامة: ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره؟». أخرجه ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد جيد، وقد تقدم في الأمر بالمعروف، [ابن ماجه: ٤٠١٧، وانظر صحيح الجامع: ١٨١٨].

(٣) صحيح: حديث: أن رجلا كان يداين الناس فيسامح الغني ويتجاوز عن المعسر». أخرجه مسلم من حديث أبي مسعود «حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسرا فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر قال الله عز وجل: نحن أحق بذلك، تجاوزوا عنه»، [مسلم: ١٥٦١، من حديث أبي مسعود]. واتفقا عليه من حديث حذيفة، [البخاري: ٢٣٩١، ومسلم: ١٥٦٠] وأبي هريرة بنحوه، [البخاري: ٢٠٧٨، ومسلم: ١٥٦٢].

(٤) حديث «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فهبط جبريل عليه السلام». أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة، فأوله متفق عليه من حديث أنس، [البخاري: ٤٦٢١، ومسلم: ٢٣٥٩]، ورواه بزيادة «ولخرجتم إلى الصعدات» أخرجه أحمد والحاكم، وقد تقدم، [الترمذي: ٢٣١٢، وحسنه الألباني، والحديث كاملا كره الألباني في السلسلة الضعيفة: ٩١٠، وقال الألباني: موضوع].

(٥) حديث «إن الله تعالى أوحى إلى عبده داود عليه السلام أحبني وأحب من يحبني». لم أجد له أصلا، وكأنه من الإسرائيليات كالذي قبله.

ورئي أبان بن أبي عياش في النوم وكان يكثر ذكر أبواب الرجاء فقال: أوقفني الله تعالى بين يديه فقال: ما الذي حملك على ذلك؟ فقلت: أردت أن أحببك إلى خلقك، فقال: قد غفرت لك. ورئي يحيى بن أكثم بعد موته في النوم، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني الله بين يديه وقال: يا شيخ السوء، فعلت وفعلت، قال: فأخذني من الرعب ما يعلم الله، ثم قلت: يا رب ما هكذا حدثت عنك، فقال: وما حدثت عني؟ فقلت: حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس عن نبيك ﷺ عن جبريل عليه السلام أنك قلت: أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء، وكنت أظن بك أن لا تعذبني، فقال الله عز وجل: صدق جبريل وصدق نبيي، وصدق أنس، وصدق الزهري، وصدق معمر، وصدق عبد الرزاق وصدقت قال: فألبست ومشى بين يدي الولدان إلى الجنة، فقلت: يا لها من فرحة. وفي الخبر: «أنّ رجلًا من بني إسرائيل كان يقنط الناس ويشدّد عليهم، قال: فيقول الله تعالى يوم القيامة: اليوم أويسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها» (١)، وقال ﷺ: «إِنَّ رَجُلًا يُدْخَلُ النَّارَ فَيَمْكُثُ فِيها أَلْفَ سَنَةٍ يُنَادِي: يا حَنَّانُ يا مَنَّانُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَائْتِنِي بِعَبْدِي. قَالَ فَيَجِيءُ بِهِ فَيُوقِفُهُ عَلَى رَبِّهِ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: كَيْفَ وَجَدْتَ مَكَانَكَ؟ فَيَقُولُ: شَرَّ مَكَانٍ. قَالَ فَيَقُولُ رُدُّوهُ إِلَى مَكَانِهِ. قَالَ: فَيَمْشِي وَيَلْتَفِتُ إِلَى وَرَائِهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَى أَيِّ شَيْءٍ تَلْتَفِتُ فَيَقُولُ: لَقَدْ رَجَوْتُ أَنْ لا تُعِيدَنِي إِلَيْها بَعْدَ إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْها، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى الجَنَّةِ» (٢)، فدل هذا على أن رجاءه كان سبب نجاته، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه.

بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء ويغلب:

اعلم أنّ هذا الدواء يحتاج إليه أحد رجلين: إما رجل غلب عليه اليأس فترك العبادة، وإما رجل غلب عليه الخوف فأسرف في المواظبة على العبادة حتى أضر بنفسه وأهله، وهذان رجلان مائلان عن الاعتدال إلى طرفي الإفراط والتفريط، فيحتاجان إلى علاج يردهما إلى الاعتدال: فأما العاصي المغرور المتمني على الله مع الإعراض عن العبادة واقتحام المعاصي فأدوية الرجاء تنقلب سمومًا مهلكة في حقه وتنزل منزلة العسل الذي هو شفاء لمن غلب عليه البرد، وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة، بل المغرور لا يستعمل في حقه إلا أدوية الخوف والأسباب المهيجة له، فلهذا يجب أن يكون واعظ الخلق متلطفًا ناظرًا إلى مواقع العلل معالجًا لكل علة بما يضادها لا بما يزيد فيها، فإنّ المطلوب هو العدل والقصد في

(١) حديث: أن رجلا من بني إسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم». رواه البيهقي في الشعب عن زيد بن أسلم، فذكره مقطوعا.

(٢) حديث «إن رجلا يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادي: يا حنان يا منان». أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله، والبيهقي في الشعب وضعفه من حديث أنس.

الصفات والأخلاق كلها وخير الأمور أوساطها؛ فإذا جاوز الوسط إلى أحد الطرفين عولج بما يرده إلى الوسط لا بما يزيد في ميله عن الوسط، وهذا الزمان زمان لا ينبغي أن يستعمل فيه مع الخلق أسباب الرجاء، بل المبالغة في التخويف أيضًا تكاد أن لا تردهم إلى جادة الحق وسنن الصواب، فأما ذكر أسباب الرجاء فيهلكهم ويرديهم بالكلية، ولكنها لما كانت أخف على القلوب وألذ عند النفوس، ولم يكن غرض الوعاظ إلا استمالة القلوب واستنطاق الخلق بالثناء كيفما كانوا مالوا إلى الرجاء حتى ازداد الفساد فسادًا وازداد المنهمكون في طغيانهم تماديًا. قال علي كرّم الله وجهه: إنما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم من مكر الله.

ونحن نذكر أسباب الرجاء لتستعمل في حق الآيس أو فيمن غلب عليه الخوف اقتداء بكتاب الله تعالى وسنّة رسوله فإنهما مشتملان على الخوف والرجاء جميعًا لأنهما جامعان لأسباب الشفاء في حق أصناف المرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورثة الأنبياء بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لا استعمال الأخرق الذي يظن أنّ كل شيء من الأدوية صالح لكل مريض كيفما كان. وحال الرجاء يغلب بشيئين، أحدهما: الاعتبار، والآخر: استقراء الآيات والأخبار والآثار.

أما الاعتبار: فهو أن يتأمل جميع ما ذكرناه في أصناف النعم من كتاب الشكر حتى إذا علم لطائف نعم الله تعالى لعباده في الدنيا وعجائب حكمه التي راعاها في فطرة الإنسان حتى أعدّ له في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كآلات الغذاء وما هو محتاج إليه كالأصابع والأظفار وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين واختلاف ألوان العينين وحمرة الشفتين وغير ذلك مما كان لا ينثلم بفقده غرض مقصود؛ وإنما كان يفوّت به مزية جمال، فالعناية الإلهية إذا لم تقصر عن عباده في أمثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده أن تفوتهم المزايد والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقهم إلى الهلاك المؤبد، بل إذا نظر الإنسان نظرًا شافيًا علم أنّ أكثر الخلق قد هيىء له أسباب السعادة في الدنيا، حتى أنه يكره الانتقال من الدنيا بالموت، وإن أخبر بأنه لا يعذب بعد الموت أبدًا مثلًا أو لا يحشر أصلًا فليست كراهتهم للعدم إلا لأنّ أسباب النعم أغلب لا محالة، وإنما الذي يتمنى الموت نادر، ثم لا يتمناه إلا في حال نادرة وواقعة هاجمة غريبة، فإذا كان حال أكثر الخلق في الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة فسنة الله لا تجد لها تبديلًا، فالغالب أمر الآخرة هكذا يكون لأن مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم، فهذا إذا تؤمل حق التأمل قوي به أسباب الرجاء، ومن الاعتبار أيضًا النظر في حكمة الشريعة وسنتها في مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها، حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة في البقرة من أقوى أسباب الرجاء.

فقيل له: وما فيها من الرجاء؟ فقال: الدنيا كلها قليل، ورزق الإنسان منها قليل، والدين قليل عن رزقه، فانظر كيف أنزل الله تعالى فيه أطول آية ليهدي عبده إلى طريق الاحتياط في حفظ دينه، فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه؟

الفن الثاني: استقراء الآيات والأخبار، فما ورد في الرجاء خارج عن الحصر، أما الآيات فقد قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣] وفي قراءة رسول الله ﷺ: (ولا يبالي إنه هو الغفور الرحيم) (١) وقال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى:٥] وأخبر تعالى أنّ النار أعدّها لأعدائه، وإنما خوّف بها أولياءه فقال: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ [الزمر:١٦] وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٣١] وقال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝﴾ [الليل:١٤-١٦] وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد:٦] (٢) ويقال: إن النبي ﷺ لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له: أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى:٥] قال: «لا يَرْضَى مُحَمَّدٌ وَوَاحِدٌ مِنْ أُمَّتِهِ فِي النَّارِ» وكان أبو جعفر محمد بن علي يقول: أنتم أهل العراق تقولون أرجى آية في كتاب الله عز وجل قوله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٣] الآية، ونحن أهل البيت نقول: أرجى آية في كتاب الله تعالى قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى:٥].

وأما الأخبار: فقد روى أبو موسى عنه أنه ﷺ قال: «أُمَّتِي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ لا عَذَابَ عَلَيْهَا في الآخِرَةِ عَجَّلَ اللَّهُ عِقَابَها فِي الدُّنْيَا: الزَّلازِل وَالفِتَن، فَإذا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ دُفِعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْ أُمتي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ فَقِيلَ: هذا فِدَاؤكَ مِنَ النَّارِ» (٣).

---

(١) ضعيف: حديث: قرأ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] وفي قراءة رسول الله ﷺ «ولا يبالي إنه هو الغفور الرحيم» أخرجه الترمذي من حديث أسماء بنت يزيد وقال حسن غريب، [الترمذي: ٣٢٣٧، وانظر ضعيف الترمذي].

(٢) حديث إن النبي ﷺ لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له: أما ترضى وقد أنزل عليك ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد:٦] لم أجده بهذا اللفظ. وروى ابن أبي حاتم والثعلبي في تفسيرهما من رواية علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب قال: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ «لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحدا العيش... الحديث».

(٣) صحيح: حديث أبي موسى «أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها عجل الله عقابها في الدنيا الزلازل والفتن، فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمتي رجل من أهل الكتاب فقيل: هذا فداؤك من النار». أخرجه أبو

وفي لفظ آخر: يأتي كل رجل من هذه الأمة بيهودي أو نصراني إلى جهنم فيقول: «هَذَا فِدَائِي مِنَ النَّارِ فَيُلْقَى فِيهَا» (١)، وقال ﷺ: «الحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ وَهِيَ حَظُّ المُؤْمِنِ مِنَ النَّارِ» (٢)، وروي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [التحريم:٨] أن الله تعالى أوحى إلى نبيه عليه الصلاة والسلام: إني أجعل حساب أمتك إليك. قال: «لا يَا رَبِّ أَنْتَ أَرْحَمُ بِهِمْ مِنِّي».

فقال: «إِذَنْ لا نُخْزِيكَ فِيهِمْ» (٣).

وروي عن أنس: أنّ رسول الله ﷺ سأل ربه في ذنوب أمته فقال: «يا رَبِّ اجْعَلْ حِسَابَهُمْ إِلَي لئلاَّ يَطَّلِعَ عَلَى مَسَاوِيهِمْ غَيْرِي» فأوحى الله تعالى إليه: هم أمتك وهم عبادي، وأنا أرحم بهم منك، لا أجعل حسابهم إلى غيري لئلا تنظر إلى مساويهم أنت ولا غيرك (٤). وقال ﷺ: «حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ وَمَوْتِي خَيْرٌ لَكُمْ، أَمَّا حَيَاتِي فَأَسُنُّ لَكُم السُّنَنَ وَأُشَرِّعُ لَكُم الشَّرَائِعَ. وَأَمَّا مَوْتِي فَإِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ فَمَا رَأَيْتُ مِنْهَا حَسَنًا حَمِدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْهَا سَيِّئًا اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ تَعَالَى لَكُمْ» (٥)، وقال ﷺ يومًا: «يا كريم العفو» فقال جبريل عليه السلام: أتدري ما تفسير: يا كريم العفو؟ هو إن عفا عن السيئات برحمة بدّلها حسنات بكرمه (٦).

وسمع النبي ﷺ رجلًا يقول: اللهم إني أسألك تمام النعمة.

داود دون قوله «فإذا كان يوم القيامة... إلخ» فرواها ابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف، وفي صحيحه من حديث أبي موسى كما سيأتي ذكره في الحديث الذي يليه، [أبو داود: ٤٢٧٨، وابن ماجه: ٤٢٩٢، وانظر صحيح الجامع: ٢٢٦١].

(١) صحيح: حديث «يأتي كل رجل من هذه الأمة بيهودي أو نصراني إلى جهنم». أخرجه مسلم من حديث أبي موسى «إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول: هذا فداؤك من النار» وفي رواية له «لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه في النار يهوديا أو نصرانيا»، [مسلم: ٢٧٦٧].

(٢) صحيح: حديث «الحمى من فيح جهنم وهي حظ المؤمن من النار». أخرجه أحمد من رواية أبي صالح الأشعري عن أبي أمامة، وأبو صالح لا يعرف ولا يعرف اسمه، [أحمد: ٢١٦٦١، وانظر السلسلة الصحيحة: ١٨٢٢].

(٣) حديث «إن الله أوحى إلى نبيه ﷺ إني أجعل حساب أمتك إليك. فقال «لا يا رب أنت أرحم بهم». الحديث في تفسير قوله تعالى ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ﴾ [التحريم :٨] أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله.

(٤) حديث أنس أنه ﷺ سأل ربه في ذنوب أمته فقال «يا رب اجعل حسابهم إلي». لم أقف له على أصل.

(٥) حديث قال ﷺ «حياتي خير لكم وموتي خير لكم». أخرجه البزار من حديث عبد الله بن مسعود ورجاله رجال الصحيح، إلا أن عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي داود وإن أخرج له مسلم ووثقه ابن معين والنسائي فقد ضعفه كثيرون، ورواه الحارث ابن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بنحوه بإسناد ضعيف.

(٦) حديث قال ﷺ يوما «يا كريم العفو» فقال جبريل: أتدري ما تفسير: يا كريم العفو؟ هو إن عفا عن السيئات برحمته بدلها حسنات بكرمه. لم أجده عن النبي ﷺ، والموجود أن هذا كان بين إبراهيم الخليل وبين جبريل، هكذا رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة من قول عتبة بن الوليد. ورواه البيهقي في الشعب من رواية عتبة بن الوليد قال: حدثني بعض الزهاد... فذكره.

فقال: «هَلْ تَدْرِي ما تَمَامُ النِّعْمَةِ؟» قال: لا. قال: «دُخُولُ الجَنَّةِ» (١)، قال العلماء: قد أتم الله علينا نعمته برضاه الإسلام لنا إذ قال تعالى: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وفي الخبر: «إِذَا أَذْنَبَ العَبْدُ ذَنْبًا فَاسْتَغْفَرَ الله يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلائِكَتِهِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ» (٢)، وفي الخبر: «لَوْ أَذْنَبَ العَبْدُ حَتَّى تَبْلُغَ ذُنُوبُهُ عَنَانَ السَّمَاءِ غَفَرْتُهَا لَهُ ما اسْتَغْفَرَنِي وَرَجَانِي» (٣)، وفي الخبر: «لَوْ لَقِيَنِي عَبْدِي بِقِرابِ الأَرْضِ ذُنُوبًا لَقِيتُهُ بِقِرابِ الأَرْضِ مَغْفِرَةً» (٤)، وفي الحديث: «إِنَّ المَلَكَ لَيرفَعُ القَلَمَ عَن العَبْدِ إذا أَذْنَبَ سِتَّ سَاعَاتٍ، فَإِنْ تَابَ واسْتَغْفَرَ لَمْ يكْتُبْهُ عَلَيْهِ وَإِلاَّ كَتَبَها سَيِّئَةً» (٥)، وفي لفظ آخر: «فَإِذَا كَتَبَهَا عَلَيْهِ وَعَمِلَ حَسَنَةً قَالَ صَاحِبُ اليَمِينِ لِصَاحِبِ الشِّمَالِ وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَيْهِ: أَلْقِ هذِهِ السَّيِّئَةَ حَتَّى أُلْقِيَ مِنْ حَسَنَاتِهِ وَاحِدَةً تَضْعِيفَ العَشْرِ وَأَرْفَعُ لَهُ تِسْعَ حَسَنَاتٍ، فَتُلْقَى عَنْهُ السَّيِّئَةُ» . وروى أنس في حديث أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إِذَا أَذْنَبَ العَبْدُ ذَنْبًا كُتِبَ عَلَيْهِ» فقال أعرابي: وإن تاب عنه؟ قال: «مُحِيَ عَنْهُ» قال: فإن عاد؟ قال النبي ﷺ: «يُكْتَبُ عَلَيْهِ» قال الأعرابي: فإن تاب؟ قال: «مُحِيَ مِنْ صَحِيفَتِهِ» قال: إلى متى؟ قال: «إِلَى أَنْ يَسْتَغْفِرَ وَيَتُوبَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّ اللَّهَ لا يَمَلُّ مِنَ المَغْفِرَةِ حَتَّى يَمَلَّ العَبْدُ مِنَ الاسْتِغْفَارِ؛ فَإِذَا هَمَّ العَبْدُ بِحَسَنَةٍ كَتَبَهَا صَاحِب اليَمِينِ حَسَنَةً قَبْلَ أَنْ يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ عَشْرَ حَسَنَاتٍ ثُمَّ يُضَاعِفُها اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى سَبْعِمائَةِ ضِعْفٍ، وَإِذا هَمَّ

---

(١) ضعيف: حديث سمع رجلا يقول: اللهم إني أسألك تمام النعمة». تقدم، [الترمذي: ٣٥٢٧، وانظر ضعيف الترمذي].

(٢) ضعيف: حديث «إذا أذنب العبد فاستغفر يقول الله تعالى لملائكته: انظروا إلى عبدي أذنب ذنبا فعلم أن له ربًا يغفر الذنوب». متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ «إن عبدا أصاب ذنبا فقال: أي رب أذنبت ذنبًا فاغفر لي... الحديث» وفي رواية « أذنب عبد ذنبا فقال... الحديث» ، [البخاري: ٧٥٠٧، مسلم: ٢٧٥٨].

(٣) حسن لغيره: حديث «لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء». أخرجه الترمذي من حديث أنس «يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك« وقال: حسن، [الترمذي: ٣٥٤٠، زانظر صحيح الترغيب: ١٦١٦].

(٤) صحيح: حديث «لو لقيني عبدي بقراب الأرض ذنوبا لقيته بقرابها مغفرة». أخرجه مسلم من حديث أبي ذر «ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة»، [مسلم: ٢٦٨٧]، وللترمذي من حديث أنس الذي قبله «يا ابن آدم لو لقيتني... الحديث»، [الترمذي: ٣٥٤٠، وانظر صحيح الترمذي].

(٥) ضعيف جدًا: حديث «إن الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات، فإن تاب واستغفر لم يكتبه عليه وإلا كتبها سيئة« قال: وفي لفظ آخر « فإذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو أمير عليه: ألق هذه السيئة حتى ألقي من حسناته واحدة من تضعيف العشر». أخرجه البيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة بسند فيه لين باللفظ الأول ورواه أيضا أطول منه وفيه «إن صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال« وليس فيه: أنه يأمر صاحب الشمال بإلقاء السيئة حتى يلقي من حسناته واحدة، ولم أجد لذلك أصلا، [الحديث بدون «ألق هذه السيئة. . .» انظر صحيح الترمذي].

بِخَطِيئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ فَإِذا عَمِلَهَا كُتِبَتْ خَطِيئَةً وَاحِدَةً وَوَرَاءَها حُسْنُ عَفْوِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»(١).

وجاء رجل إلى النبي فقال: يا رسول الله، إني لا أصوم إلا الشهر لا أزيد عليه، ولا أصلي إلا الخمس لا أزيد عليها، وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوّع: أين أنا إذا مت؟ فتبسم رسول الله وقال: «نَعَمْ مَعِي، إذا حَفِظْتَ قَلْبَكَ مِنِ اثْنَتَيْنِ: الغِلِّ، وَالحَسَدِ؛ وَلِسَانَكَ مِنِ اثْنَتَيْنِ: الغِيبَةِ، وَالكَذِبِ؛ وَعَيْنَيْكَ مِنِ اثْنَتَيْنِ: النَّظَرِ إِلَى ما حَرَّمَ اللَّهُ، وَأَنْ تَزْدَرِيَ بِهِمَا مُسْلِمًا. دَخَلْتَ مَعِي الجَنَّةَ عَلَى رَاحَتَيَّ هَاتَيْنِ»(٢).

وفي الحديث الطويل لأنس: أنّ الأعرابي قال: يا رسول الله، من يلي حساب الخلق؟ فقال: «الله تبارك وتعالى» قال: هو بنفسه؟ قال: «نعم» فتبسم الأعرابي؛ فقال: «مِمَّ ضَحِكْتَ يا أَعْرَابِيُّ؟» فقال: إنّ الكريم إذا قدر عفا، وإذا حاسب سامح، فقال النبي ﷺ: «صَدَقَ الأَعْرَابِيُّ، ألا لا كَرِيمَ أَكْرَمُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، هُوَ أَكْرَمُ الأَكْرَمِينَ» ثم قال: «فَقِهَ الأَعْرَابِيُّ»(٣)، وفيه أيضًا: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَرَّفَ الكَعْبَةَ وَعَظَّمَها وَلَوْ أَنَّ عَبْدًا هَدَمَها حَجَرًا حَجَرًا ثُمَّ أَحْرَقَها ما بَلَغَ جُرْمَ مَنِ اسْتَخَفَّ بِوَلِيٍّ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى».

قال الأعرابي: ومن أولياء الله تعالى؟ قال: «المُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ تَعَالَى، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]».

وفي بعض الأخبار: «المُؤْمِنُ أَفْضَلُ مِنَ الكَعْبَةِ»(٤).

---

(١) حديث أنس «إذا أذنب العبد ذنبا كتب عليه» فقال أعرابي: فإن تاب عنه؟ قال «محي عنه» قال: فإن عاد؟». وفيه «إن الله لا يمل من التوبة حتى يمل العبد من الاستغفار». أخرجه البيهقي في الشعب بلفظ: فقال يا رسول الله إني أذنبت ذنبا. قال «استغفر ربك» قال: فأستغفر ثم أعود. قال «فإذا عدت فاستغفر ربك» ثلاث مرات أو أربعا. قال: فاستغفر ربك حتى يكون الشيطان هو المسجور المحسور» وفيه أبو بدر بن يسار بن الحكم المصري منكر الحديث. وروى أيضا من حديث عقبة بن عامر: أحدنا يذنب؟ قال «يكتب عليه» قال: ثم يستغفر ويتوب؟ قال «يغفر له ويتاب عليه» قال: فيعود... الحديث. وفيه «لا يمل الله حتى تملوا» وليس في الحديثين قوله في آخره «فإذا هم العبد بحسنة... إلخ» وهو في الصحيحين بنحوه من حديث ابن عباس عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه «فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن هم بها وعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة» [البخاري: ٦٤٩١، مسلم: ١٣١، عن ابن عباس، والبخاري: ٧٥٠١، مسلم: ١٢٨ عن أبي هريرة بنحوه] زاد مسلم في رواية «أو محاها الله ولا يهلك على الله إلا هالك» ولهما نحوه من حديث أبي هريرة.

(٢) حديث: جاء رجل فقال: يا رسول الله إني لا أصوم إلا الشهر لا أزيد عليه، ولا أصلي إلا الخمس لا أزيد عليها، وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع». تقدم.

(٣) حديث أنس الطويل: قال أعرابي: يا رسول الله من يلي حساب الخلق؟ فقال «الله تبارك وتعالى» قال: هو بنفسه؟ قال «نعم» فتبسم الأعرابي». لم أجد له أصلا.

(٤) ضعيف: حديث «المؤمن أفضل من الكعبة». أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ «ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفسي بيده لحرمة المؤمن أعظم حرمة منك ماله ودمه وأن يظن به إلا خيرا» وشيخه نصر ابن محمد بن سليمان الحمصي ضعفه أبو حاتم ووثقه ابن حبان، وقد تقدم [انظر ضعيف الجامع: ٥٠٠٦].

و: «المُؤْمِنُ طَيِّبٌ طَاهِرٌ» (١)، و: «المُؤْمِنُ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ المَلائِكَةِ» (٢).

وفي الخبر: «خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى جَهَنَّمَ مِنْ فَضْلِ رَحْمَتِهِ سَوْطًا يَسُوقُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ إِلَى الجَنَّةِ» (٣)، وفي خبر آخر: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّمَا خَلَقْتُ الخَلْقَ لِيَرْبَحُوا عَلَيَّ وَلَمْ أَخْلُقْهُمْ لأَرْبَحَ عَلَيْهِمْ» (٤)، وفي حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ: «ما خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى شَيْئًا إِلاَّ جَعَلَ لَهُ ما يَغْلِبُه وَجعَلَ رَحْمَتَهُ تَغْلِبُ غَضَبَهُ» (٥)، وفي الخبر المشهور: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي» (٦)، وعن معاذ بن جبل وأنس بن مالك أنه ﷺ قال: «مَنْ قَالَ لا إله إلا اللَّهُ دَخَلَ الجَنَّةَ» (٧) و: «مَنْ كان آخِرُ كَلاَمِهِ لا إله إلا اللَّهُ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ» (٨)، و: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا حَرُمَتْ عَلَيْهِ النَّارُ» (٩)، و: «لا يَدْخُلُها مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ» (١٠).

---

(١) حديث «المؤمن طيب طاهر». لم أجده بهذا اللفظ، وفي الصحيحين من حديث حذيفة «المؤمن لا ينجس» [حديث حذيفة عند البخاري: ٢٨٥، مسلم: ٣٧١].

(٢) ضعيف: حديث «المؤمن أكرم على الله من الملائكة». أخرجه ابن ماجه من رواية أبي المهزم يزيد بن سفيان عن أبي هريرة بلفظ «المؤمن أكرم على الله من بعض الملائكة» وأبو المهزم تركه شعبة وضعفه ابن معين ورواه ابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من هذا الوجه بلفظ المصنف [ابن ماجه: ٣٩٤٧، انظر ضعيف ابن ماجه].

(٣) حديث «خلق الله من فضل رحمته سوطا يسوق به عباده إلى الجنة». لم أجده هكذا، ويغني عنه ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة «عجب ربنا من قوم يجاء بهم إلى الجنة في السلاسل» [حديث أبي هريرة عند البخاري: ٣٠١٠].

(٤) حديث «قال الله إنما خلقت الخلق ليربحوا علي ولم أخلقهم لأربح عليهم». لم أقف له على أصل.

(٥) منكر: حديث أبي سعيد «ما خلق الله شيئا إلا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه». أخرجه أبو الشيخ ابن حبان في الثواب، وفيه عبد الرحمن بن كردم جهله أبو حاتم، وقال صاحب الميزان: ليس بواه ولا بمجهول [انظر السلسلة الضعيفة: ٤٤٣٨].

(٦) صحيح: حديث «إن الله كتب على نفسه بنفسه قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي تغلب غضبي». متفق عليه من حديث أبي هريرة، وقد تقدم [البخاري: ٣١٩٤، مسلم: ٢٧٥١].

(٧) حسن: حديث معاذ وأنس «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة». أخرجه الطبراني في الدعاء بلفظ «من مات يشهد. » وتقدم من حديث معاذ، وهو في اليوم والليلة للنسائي بلفظ «من مات يشهد...» وقد تقدم من حديث معاذ، ومن حديث أنس أيضا، وتقدم في الأذكار [أحمد: ٢١٤٩٨ عن أنس عن معاذ، وانظر السلسلة الصحيحة: ٢٢٧٨].

(٨) صحيح: حديث «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تمسه النار». أخرجه أبو داود والحاكم وصححه من حديث معاذ بلفظ «دخل الجنة» [أبو داود: ٣١١٦، وانظر صحيح أبي داود].

(٩) حديث «من لقي الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار» [البخاري: ١٢٨، مسلم: ٣٢]. أخرجه الشيخان من حديث أنس أنه ﷺ قال لمعاذ «ما من عبد يشهد أن إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار» وزاد البخاري «صادقا من قلبه» وفي رواية له «من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة» [البخاري: ١٢٩، وأحمد: ٢٣٠١٢] ورواه أحمد من حديث معاذ بلفظ «جعله الله في الجنة» وللنسائي من حديث أبي عمرة الأنصاري في أثناء حديث فقال «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أني رسول الله لا يلقى الله عبد يؤمن بهما إلا حجب عن النار يوم القيامة».

(١٠) حديث «لا يدخلها من في قلبه وزن ذرة من إيمان». أخرجه أحمد من حديث سهل بن بيضاء «من شهد أن

وفي خبر آخر: «لَوْ عَلِمَ الكَافِرُ سَعَةَ رَحْمَةِ اللَّهِ ما أَيِسَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ» (١)، ولما تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج:١] قال: «أَتَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ هذا؟ هذا يَوْمَ يُقَالُ لآدَمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: قُمْ فَابْعَثْ بعث النَّارِ مِنْ ذُرِّيتكَ، فَيَقُولُ: كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُمائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ إِلَى النَّارِ وَوَاحِدٌ إِلَى الجَنَّةِ» قال: فأبلس القوم وجعلوا يبكون وتعطلوا يومهم عن الاشتغال والعمل، فخرج عليهم رسول الله ﷺ وقال: «ما لَكُمْ لا تَعْمَلُونَ» فقالوا: ومن يشتغل بعملٍ بعدما حدثتنا بهذا؟ فقال: «كَمْ أَنْتُمْ فِي الأُمَمِ؟ أَيْنَ تَاوِيلُ وَثَارِيث وَمَنْسَكُ وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ أُمَمٌ لا يُحْصِيها إلاّ اللَّهُ تَعَالَى، إِنَّما أَنْتُمْ فِي سَائِرِ الأُمَمِ كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثورِ الأَسْوَدِ، وَكَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ» (٢) فانظر كيف كان الخوف يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم بأزمة الرجاء إلى الله تعالى، إذ ساقهم بسياط الخوف أوّلًا، فلما خرج ذلك بهم عن حدّ الاعتدال إلى إفراط اليأس داواهم بدواء الرجاء وردهم إلى الاعتدال، والقصد والآخر لم يكن مناقضًا للأوّل ولكن ذكر في الأوّل ما رآه سببًا للشفاء واقتصر عليه، فلما احتاجوا إلى المعالجة بالرجاء ذكر تمام الأمر، فعلى الواعظ أن يقتدي بسيد الوعاظ فيتلطف في استعمال أخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة بعد ملاحظة العلل الباطنة، وإن لم يراع ذلك كان ما يفسد بوعظه أكثر مما يصلحه.

وفي الخبر: «لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَخَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا يُذْنِبُونَ فَيَغْفِر لَهُمْ» (٣)، وفي لفظ آخر: «لَذَهَبَ بِكُمْ وَجَاءَ بِخَلْقٍ آخَرَ يُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ».

وفي الخبر: «لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَخَشِيتُ عَلَيْكُمْ ما هُوَ شَرٌّ مِنَ الذُّنُوبِ» قيل: وما هو؟ قال:

لا إله إلا الله حرمه الله على النار» [أحمد: ١٥١٣١١، وانظر صحيح الجامع: ٧٩٦٧] وفيه انقطاع، وله من حديث عثمان بن عفان «إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه إلا حرم على النار» [أحمد: ٤٤٩، وانظر صحيح الترغيب: ١٥٢٨] قال عمر بن الخطاب: هي كلمة الإخلاص، وإسناده صحيح ولكن هذا ونحوه شاذ مخالف لما ثبت في الأحاديث الصحيحة من دخول جماعة من الموحدين النار وإخراجهم بالشفاعة، نعم لا يبقى في النار من في قلبه ذرة من إيمان كما هو متفق عليه من حديث أبي سعيد، وفيه «فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه» [البخاري: ٢٢، مسلم: ١٨٣] وقال مسلم «من خير» بدل «من إيمان».

(١) صحيح: حديث «لو علم الكافر سعة رحمة الله ما أيِسَ من جنته أحد». متفق عليه من حديث أبي هريرة [البخاري: ٦٤٦٩، مسلم: ٢٧٥٥].

(٢) صحيح: حديث: لما تلا ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج:١] قال «أتدرون أي يوم هذا؟». أخرجه الترمذي من حديث عمران بن حصين وقال: حسن صحيح. قلت: هو من رواية الحسن البصري عن عمران ولم يسمع منه، وفي الصحيحين نحوه من حديث أبي سعيد [حديث عمران عند الترمذي: ٣١٦٩، وهو عند البخاري: ٣٣٤٨، مسلم: ٢٢٢ عن أبي سعيد].

(٣) صحيح: حديث «لو لم تذنبوا لخلق الله خلقا يذنبون فيغفر لهم» وفي لفظ «لذهب بكم وجاء بخلق يذنبون فيغفر لهم إنه هو الغفور الرحيم». أخرجه مسلم من حديث أبي أيوب، واللفظ الثاني من حديث أبي هريرة قريبا منه [مسلم: ٢٧٤٨ عن أبي أيوب، ٢٧٤٩ عن أبي هريرة].

«العُجْبُ»[١]، وقال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه للَّه أَرْحَمُ بِعَبْدِهِ المُؤْمِنِ مِنْ الوَالِدَةِ الشَّفِيقَةِ بِوَلَدِهَا»[٢]، وفي الخبر: «لَيَغْفِرَنَّ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ مَغْفِرَةً ما خَطَرَتْ عَلَى قَلْبِ أَحَدٍ، حَتَّى إِنَّ إِبْلِيسَ لَيَتَطَاوَلَ لَهَا رَجَاءَ أَنْ تُصِيبَهُ»[٣]، وفي الخبر: «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مائَةَ رَحْمَةٍ ادَّخَرَ مِنْهَا عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً وَأَظْهَرَ مِنْهَا فِي الدُّنْيَا رَحْمَةً وَاحِدَةً فِيهَا يَتَرَاحَمُ الخَلْقُ، فَتَحِنُّ الوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِها وَتَعْطِفُ البَهِيمَةُ عَلَى وَلَدِها.

فإِذَا كانَ يَوْمُ القِيَامَةِ ضَمَّ هذِهِ الرَّحْمَةَ إِلَى التِّسْعِ وَالتِّسْعِينَ ثُمَّ بَسَطَهَا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ وَكُلُّ رَحْمَةٍ مِنْهَا طِبَاقُ السَّمَواتِ والأَرْضِ قَالَ: فَلاَ يَهْلِكُ عَلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ إِلاَّ هَالِكٌ»[٤].

وفي الخبر: «ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الجَنَّةَ وَلا يُنْجِيهِ مِنَ النَّارِ» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «وَلا أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ»[٥]، وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: «اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدًا لَنْ يُنْجِيَهُ عَمَلُهُ»[٦]، وقال: «إِنِّي اخْتَبَأْتُ شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي أَتَرَونَهَا لِلْمُطِيعِينَ المُتَّقِينَ بَلْ هِيَ لِلْمُتَلَوِّثِينَ المُخَلِّطِينَ»[٧]، وقال عليه الصلاة والسلام: «بُعِثْتُ بِالحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ السَّهْلَةِ»[٨]، وقال وعلى كل عبد مصطفى «أُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ

---

(١) حسن: حديث «لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب» قيل ما هو؟ قال «العجب». أخرجه البزار وابن حبان في الضعفاء، والبيهقي في الشعب من حديث أنس، وتقدم في ذم الكبر والعجب [انظر صحيح الترغيب: ٢٩٢١].

(٢) صحيح: حديث «والذي نفسي بيده لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها». متفق عليه من حديث عمر بنحوه [البخاري: ٥٩٩٩، مسلم: ٢٧٥٤].

(٣) حديث «ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة». أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله من حديث ابن مسعود بإسناد ضعيف.

(٤) صحيح: حديث «إن لله تعالى مائة رحمة ادخر منها عنده تسعا وتسعين رحمة». متفق عليه من حديث أبي هريرة [البخاري: ٦٤٦٩، مسلم: ٢٧٥٢].

(٥) صحيح: حديث «ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة». متفق عليه من حديث أبي هريرة، وقد تقدم [البخاري: ٥٦٧٣، مسلم: ٢٨١٦].

(٦) صحيح: حديث «اعملوا وأبشروا واعلموا أن أحدا لن ينجيه عمله». تقدم أيضا [الترمذي: ٣١٦٩، وانظر صحيح الترمذي].

(٧) صحيح: حديث «إني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي». أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة «لكل نبي دعوة وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي» [البخاري: ٦٣٠٤، مسلم: ١٩٨ عن أبي هريرة، مسلم: ٢٠٠ عن أنس]. ورواه مسلم من حديث أنس، وللترمذي من حديثه وصححه، وابن ماجه من حديث جابر «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» [الترمذي: ٢٤٣٦، ابن ماجه: ٤٣١٠، وانظر صحيح الترمذي] ولابن ماجه من حديث أبي موسى، ولأحمد من حديث ابن عمر «خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة، فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى، أترونها للمتقين...» الحديث [أحمد: ٥٤٢٩، وانظر ضعيف الترغيب: ٢١١٩] وفيه من لم يسم.

(٨) صحيح: حديث «بعثت بالحنيفية السمحة السهلة» [أحمد: ٢١٧٨٨، وانظر السلسلة الصحيحة: ٢٩٢٤]. أخرجه أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف دون قوله «السهلة» وله وللطبراني من حديث بن عباس «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة» [انظر السلسلة الصحيحة: ٨٨١] وفيه محمد بن اسحق رواه بالعنعنة.

أَهْلُ الكِتَابَيْنِ أَنَّ فِي دِينِنَا سَمَاحَةً»[(١)]، ويدل على معناه استجابة الله تعالى للمؤمنين في قولهم: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ [البقرة:٢٨٦] وقال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف:١٥٧] وروى محمد بن الحنفية عن علي رضي الله تعالى عنهما أنه قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر:٨٥] قال: «يا جبريل، وما الصفح الجميل؟» قال عليه السلام: «إذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه» فقال: «يا جبريل فالله تعالى أكرم من أن يعاتب من عفا عنه» فبكى جبريل وبكى النبي ﷺ، فبعث الله تعالى إليهما ميكائيل عليه السلام وقال: إن ربكما يقرئكما السلام ويقول: كيف أعاتب من عفوت عنه، هذا ما لا يشبه كرمي[(٢)].

والأخبار الواردة في أسباب الرجاء أكثر من أن تحصى.

وأما الآثار: فقد قال علي كرّم الله وجهه: من أذنب ذنبًا فستره الله عليه في الدنيا فالله أكرم من أن يكشف ستره في الآخرة، ومن أذنب ذنبًا فعوقب عليه في الدنيا فالله تعالى أعدل من أن يثني عقوبته على عبده في الآخرة. وقال الثوري: ما أحب أن يجعل حسابي إلى أبوي لأني أعلم أن الله تعالى أرحم بي منهما.

وقال بعض السلف: المؤمن إذا عصى الله تعالى ستره عن أبصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه.

وكتب محمد بن صعب إلى أسود بن سالم بخطه: إن العبد إذا كان مسرفًا على نفسه فرفع يديه يدعو ويقول: يا رب حجبت الملائكة صوته، وكذا الثانية والثالثة، حتى إذا قال الرابعة: يا ربي، قال الله تعالى: حتى متى تحجبون عني صوت عبدي، قد علم عبدي أنه ليس له رب يغفر له الذنوب غيري، أشهدكم أني قد غفرت له، وقال إبراهيم بن أدهم رحمة الله عليه: خلا لي الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة، فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت: يا ربي اعصمني حتى لا أعصيك أبدًا، فهتف بي هاتف من البيت: يا إبراهيم أنت تسألني العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون مني ذلك، فإذا عصمتهم فعلى من أتفضل؟ ولمن أغفر؟ وكان الحسن يقول: لو لم يذنب المؤمن لكان يطير في ملكوت السماوات ولكن الله تعالى قمعه بالذنوب. وقال الجنيد رحمه الله تعالى: إن بدت عين من الكرم ألحقت المسيئين بالمحسنين. ولقي مالك بن دينار أبانا فقال له: إلى كم تحدث الناس بالرخص؟ فقال: يا أبا

---

(١) **صحيح**: حديث «أحب أن يعلم أهل الكتاب أن في ديننا سماحة». رواه أبو عبيد في غريب الحديث، وأحمد [أحمد: ٢٤٣٣٤ عن عائشة، وانظر السلسلة الصحيحة: ١٨٢٩].

(٢) حديث محمد ابن الحنفية عن علي: لما نزل قوله تعالى ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر:٨٥] قال: يا جبريل وما الصفح الجميل؟ « قال عليه السلام: إذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه». أخرجه ابن مردويه في تفسيره موقوفا على علي مختصرا، قال: الرضا بغير عتاب، ولم يذكر بقية الحديث، وفي إسناده نظر.

يحيى، إني لأرجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ما تخرق له كساءك هذا من الفرح. وفي حديث ربعي بن حراش عن أخيه ــ وكان من خيار التابعين، وهو ممن تكلم بعد الموت ــ قال: لما مات أخي سجي بثوبه وألقيناه على نعشه، فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدًا، وقال: إني لقيت ربي عز وجل فحياني بروح وريحان وربي غير غضبان، وإني رأيت الأمر أيسر مما تظنون فلا تفتروا، وأن محمدًا ينتظرني وأصحابه حتى أرجع إليهم. قال: ثم طرح نفسه فكأنها كانت حصاة وقعت في طشت، فحملناه ودفناه.

وفي الحديث أن رجلين من بني إسرائيل تواخيا في الله تعالى، فكان أحدهما يسرف على نفسه، وكان الآخر عابدًا وكان يعظه ويزجره، فكان يقول: دعني وربي، أبعثت عليَّ رقيبًا، حتى رآه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال: لا يغفر الله لك. قال: فيقول الله تعالى يوم القيامة: أيستطيع أحد أن يحظر رحمتي على عبادي، اذهب أنت فقد غفرت لك، ثم يقول للعابد: وأنت فقد أوجبت لك النار. قال: فوالذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة أهلكت دنياه وآخرته (١).

وروي أيضًا أن لصًا كان يقطع الطريق في بني إسرائيل أربعين سنة، فمرّ عليه عيسى عليه السلام وخلفه عابد من عباد بني إسرائيل من الحواريين، فقال اللص في نفسه: هذا نبي الله يمرّ وإلى جنبه حواريه لو نزلت فكنت معهما ثالثًا، قال: فنزل فجعل يريد أن يدنو من الحواري ويزدري نفسه تعظيمًا للحواري ويقول في نفسه: مثلي لا يمشي إلى جنب هذا العابد.

قال: وأحس الحواري به، فقال في نفسه: هذا يمشي إلى جانبي، فضم نفسه ومشى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام، فمشى بجنبه فبقي اللص خلفه، فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام قل لهما ليستأنفا العمل فقد أحبطت ما سلف من أعمالهما؛ أما الحواري فقد أحبطت حسناته لعجبه بنفسه، وأما الآخر فقد أحبطت سيئاته بما ازدرى على نفسه، فأخبرهما بذلك وضم اللص إليه في سياحته وجعله من حوارييه.

وروي عن مسروق أن نبيًا من الأنبياء كان ساجدًا فوطىء عنقه بعض العصاة حتى ألزق الحصى بجبهته، قال: فرفع النبي عليه الصلاة والسلام رأسه مغضبًا فقال: «اذْهَبْ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكَ» ، فأوحى الله تعالى إليه: تتألى عليَّ في عبادي، إني قد غفرت له.

ويقرب من هذا ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ كان يقنت على المشركين ويلعنهم في صلاته، فنزل عليه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران :١٢٨] الآية، فترك الدعاء عليهم وهدى الله تعالى عامة أولئك للإسلام (٢).

---

(١) صحيح: حديث «إن رجلين من بني إسرائيل تواخيا في الله عز وجل فكان أحدهما يسرف على نفسه». رواه أبو داود من حديث أبي هريرة بإسناد جيد.[أبو داود: ٤٩٠١، وانظر صحيح أبي داود].

(٢) حديث ابن عباس: كان يقنت على المشركين ويلعنهم في صلاته، فنزل عليه قوله تعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ

وروي في الأثر أن رجلين كانا من العابدين متساويين في العبادة، قال: فإذا أدخلا الجنة رفع أحدهما في الدرجات العلى على صاحبه، فيقول: يا رب ما كان هذا في الدنيا بأكثر مني عبادة فرفعته عليَّ في عليين، فيقول الله سبحانه: إنه كان يسألني في الدنيا الدرجات العلى وأنت كنت تسألني النجاة من النار، فأعطيت كل عبد سؤله.

وهذا يدل على أن العبادة على الرجاء أفضل؛ لأن المحبة أغلب على الراجي منها على الخائف، فكم من فرق في الملوك بين من يخدم اتقاء لعقابه وبين من يخدم ارتجاء لإنعامه وإكرامه. ولذلك أمر الله تعالى بحسن الظن، ولذلك قال ﷺ: «سلوا الله الدرجات العلى فإنما تسألون كريمًا» (١)، وقال ﷺ: «إذا سَأَلْتُم اللَّهَ فَأَعْظِمُوا الرَّغْبَةَ وَاسْأَلُوا الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى؛ فَإِنَّ اللَّهَ تعَالَى لا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ» (٢).

وقال بكر بن سليم الصوّاف: دخلنا على مالك بن أنس في العشية التي قبض فيها فقلنا: يا أبا عبد الله، كيف تجدك؟ قال: لا أدري ما أقول لكم إلا أنكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب، ثم ما برحنا حتى أغمضناه.

وقال يحيى بن معاذ في مناجاته: يكاد رجائي لك من الذنوب يغلب رجائي إياك مع الأعمال؛ لأني أعتمد في الأعمال على الإخلاص وكيف أحرزها وأنا بالآفة معروف، وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف.

وقيل إن مجوسيًا استضاف إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقال: إن أسلمت أضفتك، فمرّ المجوسي، فأوحى الله تعالى إليه: يا إبراهيم لم تطعمه إلا بتغيير دينه ونحن من سبعين سنة نطعمه على كفره، فلو أضفته ليلة ماذا كان عليك، فمر إبراهيم يسعى خلف المجوسي

﴿ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران :١٢٨] فترك الدعاء عليهم. أخرجه البخاري من حديث ابن عمر أنه كان إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر يقول «اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا» بعد ما يقول «سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد» [البخاري: ٤٠٧٠] فأنزل الله عز وجل ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران :١٢٨] إلى قوله ﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران :١٢٨] ورواه الترمذي وسماهم أبا سفيان والحارث بن هشام وصفوان بن أمية وزاد «فتاب عليهم فأسلموا فحسن إسلامهم» [الترمذي: ٣٠٠٤، وانظر صحيح الترمذي، وبلفظ «أربعة نفر» عند الترمذي: ٣٠٠٥، وانظر صحيح الترمذي، وقال الألباني: حسن صحيح] وقال حسن غريب. وفي رواية له «أربعة نفر» ولم يسمهم وقال «فهداهم الله للإسلام» وقال حسن غريب صحيح.

(١) حديث «سلوا الله الدرجات العلى فإنما تسألون كريما». لم أجده بهذا اللفظ. وللترمذي من حديث ابن مسعود «سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل» [الترمذي: ٣٥٧١، وانظر ضعيف الترمذي] وقال: هكذا روى حماد بن واقد وليس بالحافظ.

(٢) صحيح: حديث «إذا سألتم الله فأعظموا الرغبة واسألوا الفردوس الأعلى فإن الله لا يتعاظمه شيء». [مسلم: ٢٦٧٩] أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة «إذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزم وليعظم الرغبة، فإن الله عز وجل لا يتعاظمه شيء أعطاه» والبخاري من حديث أبي هريرة في أثناء حديث «فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة» [البخاري: ٧٤٢٣، والترمذي: ٢٥٢٩ عن معاذ، ٢٥٣٠ عن عبادة] ورواه الترمذي من حديث معاذ وعبادة بن الصامت.

فرده وأضافه، فقال له المجوسي: ما السبب فيما بدا لك؟ فذكر له، فقال له المجوسي: أهكذا يعاملني ثم قال: اعرض علي الإسلام فأسلم.

ورأى الأستاذ أبو سهل الصعلوكي أبا سهل الزجاجي في المنام وكان يقول بوعيد الأبد، فقال له: كيف حالك؟ فقال: وجدنا الأمر أهون مما توهمنا.

ورأى بعضهم أبا سهل الصعلوكي في المنام على هيئة حسنة لا توصف، فقال له: يا أستاذ، بم نلت هذا؟ فقال: بحسن ظني بربي.

وحكي أن أبا العباس بن سريج رحمه الله تعالى رأى في مرض موته في منامه كأن القيامة قد قامت، وإذا الجبار سبحانه يقول: أين العلماء؟ قال: فجاءوا، ثم قال: ماذا عملتم فيما علمتم؟ قال: فقلنا يا رب قصرنا وأسأنا: قال: فأعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب وأراد جوابًا غيره، فقلت: أما أنا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت أن تغفر ما دونه، فقال: اذهبوا به فقد غفرت لكم، ومات بعد ذلك بثلاث ليال.

وقيل: كان رجل شريب جمع قومًا من ندمائه ودفع إلى غلامه أربعة دراهم وأمره أن يشتري شيئًا من الفواكه للمجلس، فمرّ الغلام بباب مجلس منصور بن عمار وهو يسأل لفقير شيئًا ويقول: من دفع إليه أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات، قال: فدفع الغلام إليه الدراهم، فقال منصور: ما الذي تريد أن أدعو لك؟ فقال: لي سيد أريد أن أتخلص منه، فدعا منصور وقال: الأخرى.

قال: أن يخلف الله علي دراهمي، فدعا، ثم قال: الأخرى. قال: أن يتوب الله على سيدي، فدعا، ثم قال: الأخرى، فقال: أن يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم، فدعا منصور، فرجع الغلام فقال له سيده: لم أبطأت؟ فقص عليه القصة. قال: وبم دعا، فقال: سألت لنفسي العتق.

فقال له: اذهب فأنت حرّ. قال: وأيش الثاني؟ قال: أن يخلف الله علي الدراهم، قال: لك أربعة آلاف درهم، وأيش الثالث؟ قال: أن يتوب الله عليك. قال تبت إلى الله تعالى. قال: وأيش الرابع؟ قال: أن يغفر الله لي ولك وللقوم، قال: هذا الواحد ليس إلي، فلما بات تلك الليلة رأى في المنام كأن قائلًا يقول له: أنت فعلت ما كان إليك، أفترى أني لا أفعل ما إلي، قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين أجمعين.

وروي عن عبد الوهاب بن عبد الحميد الثقفي قال: رأيت ثلاثة من الرجال وامرأة يحملون جنازة، قال: فأخذت مكان المرأة وذهبنا إلى المقبرة وصلينا عليها ودفنا الميت، فقلت للمرأة: من كان هذا الميت منك؟ قالت: ابني. قلت: ولم يكن لكم جيران؟ قالت: بلى ولكن صغروا أمره. قلت: وأيش كان هذا؟ قالت: مخنثًا، قال: فرحمتها وذهبت بها إلى منزلي وأعطيتها دراهم وحنطة وثيابًا، قال: فرأيت تلك الليلة كأنه أتاني آت كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب

بيض فجعل يتشكرني، فقلت من أنت؟ فقال: المخنث الذي دفنتموني اليوم رحمني ربي باحتقار الناس إياي.

وقال إبراهيم الأطروش: كنا قعودًا ببغداد مع معروف الكرخي على دجلة، إذ مرّ أحداث في زورق يضربون بالدف ويشربون ويلعبون، فقالوا لمعروف: أما تراهم يعصون الله مجاهرين، ادع الله عليهم، فرفع يديه وقال إلهي كما فرّحتهم في الدنيا ففرّحهم في الآخرة، فقال القوم: إنما سألناك أن تدعو عليهم فقال: إذا فرّحهم في الآخرة تاب عليهم، وكان بعض السلف يقول في دعائه: يا رب وأي أهل دهر لم يعصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابغة ورزقك عليهم دارًا سبحانك ما أحلمك وعزتك إنك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدرّ الرزق حتى كأنك يا ربنا لا تغضب.

فهذه هي الأسباب التي بها يجلب روح الرجاء إلى قلوب الخائفين والآيسين، فأما الحمقى المغرورون فلا ينبغي أن يسمعوا شيئًا من ذلك، بل يسمعون ما سنورده في أسباب الخوف فإنّ أكثر الناس لا يصلح إلا على الخوف، كالعبد السوء والصبي العرم لا يستقيم إلا بالسوط والعصا وإظهار الخشونة في الكلام. وأما ضدّ ذلك فيسدّ عليهم باب الصلاح في الدين والدنيا.

وفيه بيان حقيقة الخوف، وبيان درجاته، وبيان أقسام المخاوف، وبيان فضيلة الخوف، وبيان بيان حقيقة الخوف:

اعلم أنّ الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال، وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء، ومن أنس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدًا لجمال الحق على الدوام: لم يبق له التفات إلى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله أعلى من الخوف والرجاء فإنهما زمانان يمنعان النفس عن الخروج إلى رعوناتها، وإلى هذا أشار الواسطي حيث قال: الخوف حجاب بين الله وبين العبد. وقال أيضًا: إذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا لخوف؛ وبالجملة فالمحب إذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصًا في الشهود، وإنما دوام الشهود غاية المقامات، ولكنا الآن إنما نتكلم في أوائل المقامات فنقول: حال الخوف ينتظم أيضًا من علم وحال وعمل.

أما العلم: فهو العلم بالسبب المفضي إلى المكروه وذلك كمن جنى على ملك ثم وقع في يده فيخاف القتل مثلًا ويجوّز العفو والإفلات، ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوّة علمه بالأسباب المفضية إلى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك في نفسه حقودًا غضوبًا منتقمًا وكونه محفوفًا بمن يحثه على الانتقام خاليًا عمن يتشفع إليه في حقه، وكان هذا الخائف عاطلًا عن كل وسيلة وحسنة تمحو أثر جنايته عند الملك، فالعلم بتظاهر هذه

الأسباب سبب لقوّة الخوف وشدّة تألم القلب، وبحسب ضعف هذه الأسباب يضعف الخوف، وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية قارفها الخائف بل عن صفة المخوف كالذي وقع في مخالب سبع فإنه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهي حرصه وسطوته على الافتراس غالبًا وإن كان افتراسه بالاختيار، وقد يكون من صفة جبلية للمخوف منه، كخوف من وقع في مجرى سيل أو جوار حريق فإنّ الماء يخاف لأنه بطبعه مجبول على السيلان والإغراق، وكذا النار على الإحراق؛ فالعلم بأسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لإحراق القلب وتألمه، وذلك الإحراق هو الخوف، فكذلك الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته، وأنه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع، وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي، وتارة يكون بهما جميعًا. وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى واستغنائه وأنه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] فتكون قوّة خوفه؛ فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه؛ ولذلك قال ﷺ: «أنا أخوفكم لله»[(١)]، وكذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] ثم إذا كملت المعرفة أورثت جلال الخوف واحتراق القلب، ثم يفيض أثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات. أما في البدن فبالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكاء، وقد تنشق به المرارة فيفضي إلى الموت، أو يصعد إلى الدماغ فيفسد العقل، أو يقوى فيورث القنوط واليأس. وأما في الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافيًا لما فرط واستعدادًا للمستقبل، ولذلك قيل: ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه. وقال أبو القاسم الحكيم: من خاف شيئًا هرب منه، ومن خاف الله هرب إليه. وقيل لذي النون: متى يكون العبد خائفًا؟ قال: إذا نزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقام. وأما في الصفات فبأن يقمع الشهوات ويكدّر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة، كما يصير العسل مكروهًا عند من يشتهيه إذا عرف أنّ فيه سمًّا، فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح، ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة، ويفارقه الكبر والحقد والحسد، بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرّغ لغيره ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالأنفاس واللحظات ومؤاخذة النفس بالخطرات والخطوات والكلمات، ويكون حاله حال من وقع في مخالب سبع ضار لا يدري أنه يغفل عنه فيفلت أو يهجم عليه فيهلك، فيكون ظاهره وباطنه مشغولًا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره. هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه، وهكذا كان حال جماعة من

(١) صحيح: حديث «أنا أخوفكم لله». أخرجه البخاري من حديث أنس «والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له» [البخاري: ٥٠٦٣] وللشيخين من حديث عائشة «والله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية». [البخاري: ٦١٠١، ومسلم: ٢٣٥٦].

الصحابة والتابعين وقوّة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوّة الخوف الذي هو تألم القلب واحتراقه، وقوّة الخوف بحسب قوّة المعرفة بجلال الله وصفاته وأفعاله وبعيوب النفس وما بين يديها من الأخطار والأهوال، وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره في الأعمال: أن يمنع عن المحظورات ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعًا، فإن زادت قوّته كف عما يتطرّق إليه إمكان التحريم فيكف أيضًا عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى، إذ التقوى: أن يترك ما يريبه إلى ما لا يريبه وقد يحمله على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى، فإذا انضم إليه التجرّد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنها تفارقه ولا يصرف إلى غير الله تعالى نفسًا من أنفاسه فهو الصدق، وصاحبه جدير بأن يسمى صدّيقًا، ويدخل في الصدق التقوى، ويدخل في التقوى الورع، ويدخل في الورع العفة فإنها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة؛ فإذن الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والإقدام ويتجدّد له بسبب الكف اسم العفة، وهو كف عن مقتضى الشهوة وأعلى منه الورع فإنه أعم لأنه كف عن كل محظور، وأعلى منه التقوى فإنه اسم للكف عن المحظور والشبهة جميعًا، ووراءه اسم الصديق والمقرّب، وتجري الرتبة الآخرة مما قبلها مجرى الأخص من الأعم؛ فإذا ذكرت الأخص فقد ذكرت الكل، كما أنك تقول: الإنسان إما عربي وإما عجمي، والعربي إما قرشي أو غيره، والقرشي إما هاشمي أو غيره، والهاشمي إما علوي أو غيره، والعلوي إما حسني أو حسيني، فإذا ذكرت أنه حسني مثلًا فقد وصفته بالجميع، وإن وصفته بأنه علوي وصفته بما هو فوقه مما هو أعم منه، فكذلك إذا قلت صدّيق فقد قلت: إنه تقي وورع وعفيف، فلا ينبغي أن تظنّ أنّ كثرة هذه الأسامي تدل على معان كثيرة متباينة، فيختلط عليك كما اختلط على من طلب المعاني من الألفاظ ولم يتبع الألفاظ المعاني، فهذه إشارة إلى مجامع معاني الخوف وما يكتنفه من جانب العلو كالمعرفة الموجبة له ومن جانب السفل كالأعمال الصادرة منه كفًا وإقدامًا.

بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف:

اعلم أن الخوف محمود، وربما يظن أن كل ما هو خوف محمود، فكل ما كان أقوى وأكثر كان أحمد وهو غلط، بل الخوف سوط الله يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى، والأصلح للبهيمة أن لا تخلو عن سوط وكذا الصبي، ولكن ذلك لا يدل على أنّ المبالغة في الضرب محمودة، وكذلك الخوف له قصور وله إفراط وله اعتدال. والمحمود هو الاعتدال والوسط.

فأما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء يخطر بالبال عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء وتفيض الدموع، وكذلك عند مشاهدة سبب هائل، فإذا غاب ذلك السبب عن الحس ورجع القلب إلى الغفلة، فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضيب

الضعيف الذي تضرب به دابة قوية لا يؤلمها ألمًا مبرحًا فلا يسوقها إلى المقصد ولا يصلح لرياضتها، وهكذا خوف الناس كلهم إلا العارفين والعلماء، ولست أعني بالعلماء المترسمين برسوم العلماء والمتسمين بأسمائهم فإنهم أبعد الناس عنّ الخوف، بل أعني العلماء بالله وبأيامه وأفعاله، وذلك مما قد عز وجوده الآن؛ ولذلك قال الفضيل بن عياض: إذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت، فإنك إن قلت: «لا» كفرت، وإن قلت: «نعم» كذبت، وأشار به إلى أنّ الخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات وما لم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق أن يسمى خوفًا.

وأما المفرط فإنه الذي يقوى ويجاوز حدّ الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط، وهو مذموم أيضًا لأنه يمنع من العمل، وقد يخرج الخوف أيضًا إلى المرض والضعف وإلى الوله والدهشة وزوال العقل؛ فالمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل على العمل، ولولاه لما كان الخوف كمالًا لأنه بالحقيقة نقصان لأن منشأه الجهل والعجز. أما الجهل فإنه ليس يدري عاقبة أمره ولو عرف لم يكن خائفًا لأنّ المخوف هو الذي يتردد فيه.

وأما العجز فهو أنه متعرض لمحذور لا يقدر على دفعه؛ فإذن هو محمود بالإضافة إلى نقص الآدمي، وإنما المحمود في نفسه وذاته هو العلم والقدرة، وكل ما يجوز أن يوصف الله تعالى به وما لا يجوز وصف الله تعالى به فليس بكمال في ذاته، وإنما يصير محمودًا بالإضافة إلى نقص هو أعظم منه، كما يكون احتمال ألم الدواء محمودًا لأنه أهون من ألم المرض والموت، فما يخرج إلى القنوط فهو مذموم، وقد يخرج الخوف أيضًا إلى المرض والضعف وإلى الوله والدهشة وزوال العقل، وقد يخرج إلى الموت، وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذي يقتل الصبي والسوط الذي يهلك الدابة أو يمرضها أو يكسر عضوًا من أعضائها، وإنما ذكر رسول الله ﷺ أسباب الرجاء وأكثر منها ليعالج به صدمة الخوف المفرط المفضي إلى القنوط أو أحد هذه الأمور، فكل ما يراد لأمر فالمحمود منه ما يفضي إلى المراد المقصود منه، وما يقصر عنه أو يجاوزه فهو مذموم، وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والفكر والذكر وسائر الأسباب الموصلة إلى الله تعالى، وكل ذلك يستدعي الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل، فكل ما يقدح في هذه الأسباب فهو مذموم.

فإن قلت: من خاف فمات من خوفه فهو شهيد، فكيف يكون حاله مذمومًا فاعلم أنّ معنى كونه شهيدًا أنّ له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لو مات في ذلك الوقت لا بسبب الخوف، فهو بالإضافة إليه فضيلة، فأما بالإضافة إلى تقدير بقائه وطول عمره في طاعة الله وسلوك سبله فليس بفضيلة، بل للسالك إلى الله تعالى بطريق الفكر والمجاهدة والترقي في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء، ولولا هذا لكانت رتبة صبي يقتل أو مجنون يفترسه سبع أعلى من رتبة نبي أو ولي يموت حتف أنفه، وهو محال، فلا ينبغي

أن يظن هذا، بل أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله تعالى؛ فكل ما أبطل العمر أو العقل أو الصحة التي يتعطل العمر بتعطيلها فهو خسران ونقصان بالإضافة إلى أمور، وإن كان بعض أقسامها فضيلة بالإضافة إلى أمور أخر كما كانت الشهادة فضيلة بالإضافة إلى ما دونها لا بالإضافة إلى درجة المتقين والصدّيقين، فإذن الخوف إن لم يؤثر في العمل فوجوده كعدمه، مثل السوط الذي لا يزيد في حركة الدابة، وإن أثر فله درجات بحسب ظهور أثره، فإن لم يحصل إلا على العفة وهي الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة، فإذا أثمر الورع فهو أعلى، وأقصى درجاته أن يثمر درجات الصدّيقين: وهو أن يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى حتى لا يبقى لغير الله تعالى فيه متسع؛ فهذا أقصى ما يحمد منه، وذلك مع بقاء الصحة والعقل؛ فإن جاوز هذا إلى إزالة العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه إن قدر عليه، ولو كان محمودًا لما وجب علاجه بأسباب الرجاء وبغيره حتى يزول، ولذلك كان سهل رحمه الله يقول للمريدين الملازمين للجوع أيامًا كثيرة: احفظوا عقولكم فإنه لم يكن لله تعالى ولي ناقص العقل.

بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يخاف منه:

اعلم أن الخوف لا يتحقق إلا بانتظار مكروه، والمكروه أما أن يكون مكروهًا في ذاته كالنار، وإما أن يكون مكروهًا لأنه يفضي إلى المكروه، كما تكره المعاصي لأدائها إلى مكروه في الآخرة وكما يكره المريض الفواكه المضرة لأدائها إلى الموت، فلا بدّ لكل خائف من أن يتمثل في نفسه مكروهًا من أحد القسمين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يحرق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه، ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة، فالذين يغلب على قلوبهم ما ليس مكروهًا لذاته بل لغيره: كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة، أو خوف نقض التوبة ونكث العهد، أو خوف ضعف القوّة عن الوفاء بتمام حقوق الله تعالى، أو خوف زوال رقة القلب وتبدّلها بالقساوة. أو خوف الميل عن الاستقامة، أو خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة، أو خوف أن يكله الله تعالى إلى حسناته التي اتكل عليها وتعزز بها في عباد الله، أو خوف البطر بكثرة نعم الله عليه، أو خوف الاشتغال عن الله بغير الله أو خوف الاستدراج بتواتر النعم: أو خوف انكشاف غوائل طاعاته حيث يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب، أو خوف تبعات الناس عنده في الغيبة والخيانة والغش وإضمار السوء، أو خوف ما لا يدري أنه يحدث في بقية عمره أو خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والافتضاح قبل الموت، أو خوف الاغترار بزخارف الدنيا، أو خوف اطلاع الله على سريرته في حال غفلته عنه. أو خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء، أو خوف السابقة التي سبقت له في الأزل. فهذه كلها مخاوف، ولكل واحد خصوص فائدة، وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضي إلى المخوف، فمن يخاف استيلاء العادة عليه فيواظب

على الفطام عن العادة، والذي يخاف من اطلاع الله تعالى على سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوساوس، وهكذا إلى بقية الأقسام.

وأغلب هذه المخاوف على اليقين خوف الخاتمة، فإن الأمر فيه مخطر، وأعلى الأقسام وأدلها على كمال المعرفة خوف السابقة؛ لأنّ الخاتمة تتبع السابقة وفرع يتفرع عنها بعد تخلل أسباب كثيرة، فالخاتمة تظهر ما سبق به القضاء في أم الكتاب، والخائف من الخاتمة بالإضافة إلى الخائف من السابقة كرجلين وقع الملك في حقهما بتوقيع يحتمل أن يكون فيه حز الرقبة ويحتمل أن يكون فيه تسليم الوزارة إليه ولم يصل التوقيع إليهما بعد، فيرتبط قلب أحدهما بحالة وصول التوقيع ونشره وأنه عماذا يظهر، ويرتبط قلب الآخر بحالة توقيع الملك وكيفيته وأنه ما الذي خطر له في حال التوقيع من رحمة أو غضب وهذا التفات إلى السبب فهو أعلى من الالتفات إلى ما هو فرع، فكذلك الالتفات إلى القضاء الأزلي الذي جرى بتوقيعه القلم أعلى من الالتفات إلى ما يظهر في الأبد؛ وإليه أشار النبيﷺ حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال: «هذَا كِتَابُ اللهِ كَتَبَ فِيْهِ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاء آبَائِهِمْ لا يُزَادُ فِيهِمْ وَلا يُنْقَصُ» ثم قبض كفه اليسرى وقال: «هذَا كِتَابُ اللَّهِ كُتِبَ فِيهِ أَهْل النَّارِ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاء آبَائِهِمْ لا يُزَادُ فِيهِمْ وَلا يُنْقَصُ وَلَيَعْمَلَنَّ أَهْلُ السَّعَادَةِ بِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ حَتَّى يُقَال كَأَنَّهُمْ منهم بَلْ هُمْ هُمْ، ثُمَّ يَسْتَنْقِذُهُمْ اللَّهُ قَبْل المَوْتِ وَلَوْ بِفَوَاقِ نَاقَةٍ. وَلَيَعْمَلَنَّ أَهْلُ الشَّقَاوَةِ بِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ حَتَّى يُقَالَ كَأَنَّهُمْ مِنْهُمْ بَلْ هُمْ هُمْ، ثُمَّ يَسْتَخرِجُهُمْ اللَّهُ قَبْلَ المَوْتِ وَلَوْ بِفَوَاقِ نَاقَةٍ، السَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللَّهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ بِقَضَاءِ اللَّهُ، وَالأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ»[1] وهذا كانقسام الخائفين إلى من يخاف معصيته وجنايته، وإلى من يخاف الله تعالى نفسه لصفته وجلاله وأوصافه التي تقتضي الهيبة لا محالة، فهذا أعلى رتبة، ولذلك يبقى خوفه وإن كان في طاعة الصدّيقين، وأما الآخر فهو في عرصة الغرور والأمن. إن واظب على الطاعات فالخوف من المعصية خوف الصالحين، والخوف من الله خوف الموحدين والصدّيقين، وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى، وكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بأن يخاف من غير جناية؛ بل العاصي لو عرف الله حق المعرفة لخاف الله ولم يخف معصيته، ولولا أنه مخوف في نفسه لما سخره للمعصية ويسر له سبيلها ومهد له أسبابها، فإن تيسير أسباب المعصية إبعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها أن يسخر للمعصية وتجري عليه أسبابها ولا سبق قبل الطاعة وسيلة توسل بها من يسرت له الطاعات ومهد له سبيل القربات، فالعاصي قد قضي عليه بالمعصية شاء أم أبى، وكذا المطيع فالذي رفع محمدًا

---

(١) صحيح: حديث «هذا كتاب الله كتب فيه أهل الجنة بأسمائهم». أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وقال: حسن صحيح غريب. [الترمذي: ٢١٤١، وانظر السلسلة الصحيحة: ٨٤٨].

إلى أعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ويضع أبا جهل في أسفل سافلين من غير جناية سبقت منه قبل وجوده جدير بأن يخاف منه لصفة جلاله، فإنّ من أطاع الله أطاع بأن سلط عليه إرادة الطاعة وآتاه القدرة وبعد خلق الإرادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريًّا، والذي عصى عصى لأنه سلط عليه إرادة قوية جازمة وآتاه الأسباب والقدرة، فكان الفعل بعد الإرادة والقدرة ضروريًّا، فليت شعري ما الذي أوجب إكرام هذا وتخصيصه بتسليط إرادة الطاعات عليه، وما الذي أوجب إهانة الآخر وإبعاده بتسليط دواعي المعصية عليه، وكيف يحال ذلك على العبد؟ وإذا كانت الحوالة ترجع إلى القضاء الأزلي من غير جناية ولا وسيلة فالخوف ممن يقضي بما يشاء ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل، ووراء هذا المعنى سر القدر لا يجوز إفشاؤه ولا يمكن أن تفهم الخوف منه في صفاته جل جلاله إلا بمثال لولا إذن الشرع لم يستجرىء على ذكره ذو بصيرة، فقد جاء في الخبر: «إنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمَ: يا دَاوُدُ خَفْنِي كما تَخَافُ السَّبُعَ الضَّارِي»[1]. فهذا المثال يفهمك حاصل المعنى وإن كان لا يقف بك على سببه فإنّ الوقوف على سببه وقوف على سر القدر، ولا يكشف ذلك إلا لأهله. والحاصل أن السبع يخاف لا لجناية سبقت إليه منك بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته، ولأنه يفعل ما يفعل ولا يبالي، فإن قتلك لم يرق قلبه ولا يتألم بقتلك وإن خلاك لم يخلك شفقة عليك وإبقاء على روحك بل أنت عنده أخس من أن يلتفت إليك حيًا كنت أو ميتًا بل إهلاك ألف مثلك وإهلاك نملة عنده على وتيرة واحد، إذ لا يقدح ذلك في عالم سبعيته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته، ولله المثل الأعلى، ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي أقوى وأوثق وأجلى من المشاهدة الظاهرة أنه صادق في قوله سبحانه «هؤلاء إلى الجنة لا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي» ويكفيك من موجبات الهيبة والخوف المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة.

الطبقة الثانية من الخائفين: أن يتمثل في أنفسهم ما هو المكروه، وذلك مثل سكرات الموت وشدّته، أو سؤال منكر ونكير، أو عذاب القبر، أو هول المطلع، أو هيبة الموقف بين يدي الله تعالى والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير، أو الخوف من الصراط وحدّته وكيفية العبور عليه، أو الخوف من النار وأغلالها وأهوالها، أو الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم والملك المقيم وعن نقصان الدرجات، أو الخوف من الحجاب عن الله تعالى، وكل هذه الأسباب مكروهة في نفسها فهي لا محالة مخوفة وتختلف أحوال الخائفين

---

(١) حديث «إن الله تعالى أوحى إلى داود: يا داود، خفني كما يخاف السبع الضاري». لم أجد له أصلا، ولعل المصنف قصد بإيراده أنه من الإسرائيليات، فإنه عبر عنه بقوله: جاء في الخبر، وكثيرا ما يعبر بذلك عن الإسرائيليات التي هي غير مرفوعة.

فيها. وأعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك هو خوف العاملين والصالحين والزاهدين وكافة العالمين، ومن لم تكمل معرفته ولم تنفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بألم البعد والفراق، وإذا ذكر له أن العارف لا يخاف النار وإنما يخاف الحجاب وجد ذلك في باطنه منكرًا وتعجب منه في نفسه، وربما أنكر لذة النظر إلى وجه الله الكريم لولا منع الشرع إياه من إنكاره، فيكون اعترافه به باللسان عن ضرورة التقليد، وإلا فباطنه لا يصدّق به؛ لأنه لا يعرف إلا لذة البطن والفرج والعين بالنظر إلى الألوان والوجوه الحسان، وبالجملة كل لذة تشاركه فيها البهائم، فأما لذة العارفين فلا يدركها غيرهم، وتفصيل ذلك وشرحه حرام مع من ليس أهلًا له، ومن كان أهلًا له استبصر بنفسه واستغنى عن أن يشرحه له غيره، فإلى هذه الأقسام يرجع خوف الخائفين، نسأل الله تعالى حسن التوفيق بكرمه.

بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه:

اعلم أنّ فضل الخوف تارة يعرف بالتأمل والاعتبار، وتارة بالآيات والأخبار.

أما الاعتبار: فسبيله أنّ فضيلة الشيء بقدر غنائه في الإفضاء إلى سعادة لقاء الله تعالى في الآخرة، إذ لا مقصود سوى السعادة، ولا سعادة للعبد إلا في لقاء مولاه والقرب منه؛ فكل ما أعان عليه فله فضيلة، وفضيلته بقدر غايته، وقد ظهر أنه لا وصول إلى سعادة لقاء الله في الآخرة إلا بتحصيل محبته والأنس به في الدنيا، ولا تحصل المحبة إلا بالمعرفة، ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر، ولا يحصل الأنس إلا بالمحبة ودوام الذكر، ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر إلا بانقطاع حب الدنيا من القلب، ولا ينقطع ذلك إلا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات إلا بقمع الشهوات، ولا تنقمع الشهوة بشيء كما تقمع بنار الخوف؛ فالخوف هو النار المحرقة للشهوات؛ فإن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات، ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق، وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الأعمال الفاضلة المحمودة التي تقرّب إلى الله زلفى.

وأما بطريق الاقتباس من الآيات والأخبار فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن الحصر، وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهي مجامع مقامات أهل الجنان، وقال الله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف:١٥٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨]. وصفهم بالعلم لخشيتهم. وقال عز وجل: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة:٨] وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف، لأنّ الخوف ثمرة العلم، ولذلك جاء في خبر موسى عليه أفضل الصلاة والسلام: وأما الخائفون فإنّ لهم الرفيق الأعلى لا يشاركون فيه،

فانظر كيف أفردهم بمرافقة الرفيق الأعلى، وذلك لأنهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الأنبياء لأنهم ورثة الأنبياء. ومرافقة الرفيق الأعلى للأنبياء ومن يلحق بهم، ولذلك لما خير رسول الله ﷺ في مرض موته بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله تعالى كان يقول: «أسألك الرفيق الأعلى» (١)، فإذن إن نظر إلى مثمره فهو العلم، وإن نظر إلى ثمرته فالورع والتقوى، ولا يخفى ما ورد في فضائلهما، حتى إنّ العاقبة صارت موسومة بالتقوى مخصوصة بها، كما صار الحمد مخصوصًا بالله تعالى والصلاة برسول الله ، حتى يقال: الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة على سيدنا محمد وآله أجمعين. وقد خصص الله تعالى التقوى بالإضافة إلى نفسه فقال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج :٣٧] وإنما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف ــ كما سبق ــ ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات :١٣] ولذلك أوصى الله تعالى الأوّلين والآخرين بالتقوى فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء :١٣١] وقال عز وجل: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران :١٧٥] فأمر بالخوف وأوجبه وشرطه في الإيمان، فلذلك لا يتصوّر أن ينفك مؤمن عن خوف وإن ضعف، ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه، وقال رسول الله ﷺ في فضيلة التقوى: «إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لِميقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ فَإِذَا هُمْ بِصَوْتٍ يُسْمِعَ أَقْصَاهُمْ كَمَا يُسْمِعُ أَدْنَاهُمْ فَيَقُولُ: أَعْمَالُكُمْ تُرَدُّ عَلَيْكُمْ. أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ جَعَلْتُ نَسَبًا وَجَعَلْتُمْ نَسَبًا، فَوَضَعْتُمْ نَسَبِي وَرَفَعْتُمْ نَسَبَكُمْ، قُلْتُ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات :١٣] وَأَبَيْتُمْ إِلاَّ أَنْ تَقُولُوا فُلانُ بْنُ فُلانٍ وَفُلانٌ أَغْنَى مِنْ فُلانٍ، فَالْيَوْمَ أَضَعُ نَسَبَكُمْ وَأَرْفَعُ نَسَبِي، أَيْنَ الْمُتَّقُونَ؟ فَيُرْفَعُ لِلْقَوْمِ لِوَاءٌ فَيَتْبَعُ الْقَوْمُ لِوَاءَهُمْ إِلَى مَنَازِلِهِمْ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ» (٢) وقال عليه الصلاة والسلام: «رأس الحكمة مخافة الله» (٣) وقال عليه الصلاة والسلام لابن مسعود: «إن أردت أن تلقاني فأكثر من الخوف بعدي» (٤).

---

(١) صحيح : حديث: لما خير في مرض موته كان يقول «أسألك الرفيق الأعلى». متفق عليه من حديث عائشة قالت: كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح «إنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير» فلما نزل به ورأسه في حجري غشي عليه ثم أفاق فأشخص ببصره إلى سقف البيت ثم قال «اللهم الرفيق الأعلى» فعلمت أنه لا يختارنا، وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح... الحديث. [البخاري: ٤٤٣٧، ومسلم: ٢٤٤٤].

(٢) ضعيف جدًا: حديث «إذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمعه أقصاهم كما يسمعه أدناهم». أخرجه الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك بسند ضعيف والثعلبي في التفسير مقتصرا على آخره «إني جعلت نسبا... الحديث» [انظر ضعيف الترغيب: ١٧٦٣] من حديث أبي هريرة.

(٣) ضعيف : حديث «رأس الحكمة مخافة الله». رواه أبو بكر بن بلال الفقيه في مكارم الأخلاق، والبيهقي في الشعب، وضعفه من حديث ابن مسعود، ورواه في دلائل النبوة من حديث عقبة بن عامر ولا يصح أيضا. [انظر ضعيف الجامع : ٣٠٦٦].

(٤) حديث «إن أردت أن تلقاني فأكثر من الخوف بعدي». قاله لابن مسعود، لم أقف له على أصل.

وقال الفضيل: من خاف الله دله الخوف على كل خير. وقال الشبلي رحمه الله: ما خفت الله يومًا إلا رأيت له بابًا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط. وقال يحيى بن معاذ: ما من مؤمن يعمل السيئة إلا ويلحقها حسنتان: خوف العقاب ورجاء العفو كثعلب بين أسدين. وفي خبر موسى عليه الصلاة والسلام وأما الورعون فإنه لا يبقى أحد إلا ناقشته الحساب وفتشت عما في يديه إلا الورعين فإني أستحي منهم وأجلهم أن أوقفهم للحساب.

والورع والتقوى أسام اشتقت من معان شرطها الخوف، فإن خلت عن الخوف لم تسمَّ بهذه الأسامي، وكذلك ما ورد في فضائل الذكر لا يخفى، وقد جعله الله تعالى مخصوصًا بالخائفين فقال: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ [الأعلى:١٠] وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦] وقال ﷺ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي لا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَلا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ فَإِنْ أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وإِنْ خَافَنِي في الدُّنْيَا أَمَنْتُهُ يَومَ القِيَامَةِ»(١)، وقال ﷺ: «مَنْ خَافَ اللَّهَ تَعَالَى خَافَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَمَنْ خَافَ غَيْرَ اللَّهِ خَوَّفَهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»(٢)، وقال ﷺ: «أَتَمُّكُمْ عَقْلًا أَشَدُّكُمْ خَوْفًا لِلَّهِ تَعَالَى، وَأَحْسَنُكُمْ فِيما أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ وَنَهَى عَنْهُ نَظَرًا»(٣)، وقال يحيى بن معاذ رحمة الله عليه: مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة.

وقال ذو النون رحمه الله تعالى: من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد حبه وصح له لبه.

وقال ذو النون أيضًا: ينبغي أن يكون الخوف أبلغ من الرجاء فإذا غلب الرجاء تشوّش القلب.

وكان أبو الحسين الضرير يقول: علامة السعادة خوف الشقاوة؛ لأنّ الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده، فإذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين. وقيل ليحيى بن معاذ: من آمن الخلق غدًا؟ فقال: أشدهم خوفًا اليوم. وقال سهل رحمه الله: لا تجد الخوف حتى تأكل الحلال. وقيل للحسن: يا أبا سعيد، كيف نصنع؟ نجالس أقوامًا يخوّفونا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال: والله إنك إن تخالط أقوامًا يخوّفونك حتى يدركك أمن؛ خير لك من أن تصحب أقوامًا يؤمنونك حتى يدركك الخوف. وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: ما فارق الخوف قلبًا إلا خرب. وقالت عائشة رضي الله عنها: «قلت يا رسول الله ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾

---

(١) حسن: حديث «لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين». أخرجه ابن حبان في صحيحه، والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة، ورواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من رواية الحسن مرسلا. [انظر صحيح الجامع: ٤٣٣٢].

(٢) منكر: حديث «من خاف الله تعالى خافه كل شيء». رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من حديث أبي أمامة بسند ضعيف جدا. ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين بإسناد ضعيف معضل، وقد تقدم. [انظر السلسلة الضعيفة: ٤٨٥].

(٣) حديث «أتمكم عقلا أشدكم خوفا لله تعالى». لم أقف له على أصل، ولم يصح في فضل العقل شيء.

[المؤمنون: ٦٠] هو الرجل يسرق ويزني؟ قال: «لا، بَل الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ وَيَخَافُ أَنْ لا يُقْبَلَ مِنْهُ»(١)، والتشديدات الواردة في الأمن من مكر الله وعذابه لا تنحصر، وكل ذلك ثناء على الخوف؛ لأنّ مذمة الشيء ثناء على ضدّه الذي ينفيه، وضدّ الخوف الأمن، كما أن ضدّ الرجاء اليأس، وكما دلت مذمة القنوط على فضيلة الرجاء فكذلك تدل مذمة الأمن على فضيلة الخوف المضاد له بل نقول: كل ما ورد في فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لأنهما متلازمان، فإنّ كل من رجا محبوبًا فلا بدّ وأن يخاف فوته، فإن كان لا يخاف فوته فهو إذًا لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجيًا، فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل انفكاك أحدهما عن الآخر، نعم يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر وهما مجتمعان، ويجوز أن يشتغل القلب بأحدهما ولا يلتفت إلى الآخر في الحال لغفلته عنه، وهذا لأن من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه، إذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف؛ فإذن المحبوب الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لا محالة؛ فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء؛ وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف، والتقديران يتقابلان لا محالة إذا كان ذلك الأمر المنتظر مشكوكًا فيه، نعم أحد طرفي الشك قد يترجح على الآخر بحضور بعض الأسباب ويسمى ذلك ظنًا، فيكون ذلك سبب غلبة أحدهما على الآخر، فإذا غلب على الظن وجود المحبوب قوي الرجاء وخفي الخوف بالإضافة إليه، وكذا بالعكس، وعلى كل حال فهما متلازمان، ولذلك قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠] وقال عز وجل: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦] ولذلك عبر العرب عن الخوف بالرجاء، فقال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣] أي لا تخافون، وكثيرًا ما ورد في القرآن الرجاء بمعنى الخوف وذلك لتلازمهما، إذ عادة العرب التعبير عن الشيء بما يلازمه، بل أقول: كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله فهو إظهار لفضيلة الخشية، فإنّ البكاء ثمرة الخشية فقد قال تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢] وقال تعالى: ﴿يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩] وقال عز وجل: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ۝﴾ [النجم: ٥٩-٦١] وقال ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ تَخْرُجُ مِنْ عَيْنَيْهِ دَمْعَةٌ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ رَأْسِ الذُّبَابِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ تُصِيبُ شَيْئًا مِنْ حُرِّ وَجْهِهِ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»(٢)، وقال ﷺ: «إِذَا اقْشَعَرَّ قَلْبُ مُؤْمِنٍ مِنْ

---

(١) صحيح: حديث عائشة: قلت يا رسول الله ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] هو الرجل يسرق ويزني؟». رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد. قلت: بل منقطع بين عائشة وبين عبد الرحمن بن سعد بن وهب قال الترمذي وروى عن عبد الرحمن بن سعيد عن أبي حازم عن أبي هريرة. [الترمذي: ٣١٧٥، وابن ماجه: ٤١٩٨، وانظر السلسلة الصحيحة: ١٦٢].

(٢) ضعيف: حديث «ما من عبد مؤمن تخرج من عينه دمعة. أخرجه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود بسند ضعيف. [ابن ماجه: ٤١٩٧، وانظر ضعيف الترغيب: ١٩٣٦].

خَشْيَةِ اللَّهِ تَحَاتَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ كَمَا يَتَحَاتُّ مِنَ الشَّجَرَةِ وَرَقُهَا» [١]، وقال ﷺ: «لا يَلِجُ النَّارَ أَحَدٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى يَعُودَ اللبَنُ في الضَّرْعِ» [٢]، وقال عقبة بن عامر: «ما النجاة يا رسول الله؟ قال: أَمْسِك عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ» [٣]، وقالت عائشة رضي الله عنها: «قلت يا رسول الله أيدخل أحد من أمتك الجنة بغير حساب؟ قال: نَعَمْ مَنْ ذَكَرَ ذُنُوبَهُ فَبَكَى» [٤]، وقال ﷺ: «ما مِنْ قَطْرَةٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ قَطْرَةِ دَمْعٍ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ قَطْرَةِ دَمٍ أُهْرِيقَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى» [٥]، وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي عَيْنَيْنِ هَطَّالَتَيْنِ تَشْفِيَانِ الْقَلْبَ بِذُرُوفِ الدَّمْعِ مَعَ خَشْيَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَصِيرَ الدُّمُوعُ دَمًا والأَضْرَاسُ جَمْرًا» [٦]، وقال ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ» وَذَكَرَ مِنْهُمْ «رَجُلًا ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» [٧].

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: من استطاع أن يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتباك.

وكان محمد بن المنكدر رحمه الله إذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول: بلغني أن النار لا تأكل موضعًا مسته الدموع.

---

(١) ضعيف: حديث «إذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله». أخرجه الطبراني والبيهقي فيه من حديث العباس بسند ضعيف. [انظر ضعيف الترغيب: ١٩٤٢].

(٢) صحيح لغيره: حديث «لا يلج النار أحد بكي من خشية الله تعالى». أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح، والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة. [الترمذي: ١٦٣٣، والنسائي: ٣١٠٨، وانظر صحيح الترغيب: ١٢٦٩].

(٣) صحيح لغيره: حديث قال عقبة بن عامر: ما النجاة يا رسول الله؟ قال «أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك». تقدم. [الترمذي: ٢٤٠٦، وانظر صحيح الترغيب: ٢٧٤١].

(٤) حديث عائشة: قلت أيدخل الجنة أحد من أمتك بغير حساب؟ قال «نعم من ذكر ذنوبه فبكى». لم أقف له على أصل.

(٥) حسن: حديث «ما من قطرة أحب إلى الله». أخرجه الترمذي من حديث أبي أمامة وقال: حسن غريب، وقد تقدم. [الترمذي: ١٦٦٩، وانظر صحيح الترغيب: ١٣٢٦].

(٦) ضعيف: حديث «اللهم ارزقني عينين هطالتين». أخرجه الطبراني في الكبير في الدعاء وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بإسناد حسن، ورواه الحسين المروزي في زياداته على الزهد والرقائق لابن المبارك من رواية سالم بن عبد الله مرسلا دون ذكر «الله» وذكر الدارقطني في العلل أن من قال فيه «عن أبيه» وهم، وإنما هو عن سالم بن عبد الله مرسلا، قال: وسالم هذا يشبه أن يكون سالم بن عبد الله المحاربي وليس بابن عمر انتهى، وما ذكره من أنه سالم المحاربي هو الذي يدل عليه كلام البخاري في التاريخ ومسلم في الكنى وابن أبي حاتم عن أبيه وأبي أحمد الحاكم فإن الراوي له عن سالم عبد الله أبو سلمة، وإنما ذكروا له رواية عن سالم المحاربي والله أعلم. نعم حكى ابن عساكر في تاريخه الخلاف في أن الذي يروى عن سالم المحاربي أو سالم بن عبد الله بن عمر. [انظر السلسلة الضعيفة: ٢٩٠٥].

(٧) صحيح: حديث «سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» وذكر منهم «رجلا ذكر الله خاليا ففاضت عيناه». متفق عليه من حديث أبي هريرة، وقد تقدم. [البخاري: ٦٦٠، ومسلم: ١٠٣١].

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته، وصلى حتى ينكسر صلبه.

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: ما تغرغرت عين بمائها إلا لم يرهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم القيامة، فإن سالت دموعه أطفأ الله بأوّل قطرة منها بحارًا من النيران، ولو أن رجلاً بكى في أمة ما عذبت تلك الأمة.

وقال أبو سليمان: البكاء من الخوف، والرجاء والطرب من الشوق.

وقال كعب الأحبار رضي الله عنه: والذي نفسي بيده؛ لأن أبكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي أحبّ إليّ من أن أتصدق بجبل من ذهب.

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إليّ من أن أتصدّق بألف دينار.

وروي عن حنظلة قال: كنا عند رسول الله ﷺ فوعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعت إلى أهلي فدنت مني المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله ﷺ وأخذنا في الدنيا، ثم تذكرت ما كنا فيه فقلت في نفسي: قد نافقت حيث تحوّل عني ما كنت فيه من الخوف والرقة، فخرجت وجعلت أنادي: نافق حنظلة، فاستقبلني أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال: كلا لم ينافق حنظلة، فدخلت على رسول الله ﷺ وأنا أقول: نافق حنظلة؛ فقال رسول الله ﷺ: «كَلاَّ لَمْ يُنَافِقْ حَنْظَلَةُ» فقلت: يا رسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا، فرجعت إلى أهلي فأخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك عليه. فقال ﷺ: «يَا حَنْظَلَةُ لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ أَبَدًا عَلَى تِلْكَ الحَالَةِ لَصَافَحَتْكُم المَلائِكَةُ فِي الطَّرِيقِ وَعَلَى فِرَاشِكُمْ؛ وَلَكِنْ يا حَنْظَلَةُ سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ»(١).

فإذن كل ما ورد في فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومذمة الأمن فهذه دلالة على فضل الخوف؛ لأنّ جملة ذلك متعلقة به إما تعلق السبب أو تعلق المسبب.

بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما:

اعلم أنّ الأخبار في فضل الخوف والرجاء قد كثرت وربما ينظر الناظر إليها فيعتريه شك في أن الأفضل أيهما، وقول القائل: الخوف أفضل أم الرجاء؟ سؤال فاسد يضاهي قول القائل: الخبز أفضل أم الماء؟ وجوابه أن يقال: الخبز أفضل للجائع، والماء أفضل للعطشان، فإن اجتمعا نظر إلى الأغلب؛ فإن كان الجوع أغلب فالخبز أفضل، وإن كان العطش أغلب فالماء

---

(١) صحيح: حديث حنظلة: كنا عند رسول الله ﷺ فوعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها العيون». أخرجه مسلم مختصرا. [مسلم: ٢٧٥٠].

أفضل، وإن استويا فهما متساويان، وهذا لأنّ كل ما يراد لمقصود ففضله يظهر بالإضافة إلى مقصوده لا إلى نفسه، والخوف والرجاء دواء من يداوي بهما القلوب، ففضلهما بحسب الداء الموجود، فإن كان الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله تعالى والاغترار به فالخوف أفضل، وإن كان الأغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء أفضل، وكذلك إن كان الغالب على العبد المعصية فالخوف أفضل، ويجوز أن يقال مطلقًا: الخوف أفضل على التأويل الذي يقال فيه الخبز أفضل من السكنجبين، إذ يعالج بالخبز مرض الجوع، وبالسكنجبين مرض الصفراء، ومرض الجوع أغلب وأكثر فالحاجة إلى الخبز أكثر فهو أفضل، فبهذا الاعتبار غلبة الخوف أفضل؛ لأنّ المعاصي والاغترار على الخلق أغلب، وإن نظر إلى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء أفضل لأنه مستقى من بحر الرحمة، ومستقى الخوف من بحر الغضب، ومن لاحظ من صفات الله تعالى ما يقتضي اللطف والرحمة كانت المحبة عليه أغلب، وليس وراء المحبة مقام. وأما الخوف فمستنده الالتفات إلى الصفات التي تقتضي العنف فلا تمازجه المحبة ممازجتها للرجاء.

وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغي أن يستعمل فيه لفظ الأصلح لا لفظ الأفضل فنقول: أكثر الخلق الخوف لهم أصلح من الرجاء، وذلك لأجل غلبة المعاصي. فأما التقي الذي ترك ظاهر الإثم وباطنه وخفيه وجليه فالأصلح أن يعتدل خوفه ورجاؤه، ولذلك قيل: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا. وروي أنّ عليًا كرّم الله وجهه قال لبعض ولده: يا بني خف الله خوفًا ترى أنك لو أتيته بحسنات أهل الأرض لم يتقبلها منك، وارج الله رجاء ترى أنك لو أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك، ولذلك قال عمر رضي الله عنه: لو نودي ليدخل النار كل الناس إلا رجلًا واحدًا لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلًا واحدًا لخشيت أن أكون أنا ذلك الرجل، وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوي؛ فمثل عمر رضي الله عنه ينبغي أن يستوي خوفه ورجاؤه؛ فأما العاصي إذا ظن أنه الرجل الذي استثني من الذين أمروا بدخول النار كان ذلك دليلًا على اغتراره.

فإن قلت: مثل عمر رضي الله عنه لا ينبغي أن يتساوى خوفه ورجاؤه، بل ينبغي أن يغلب رجاؤه كما سبق في أول كتاب الرجاء، وأن قوته ينبغي أن تكون بحسب قوّة أسبابه كما مثل بالزرع والبذر، ومعلوم أن من بث البذر الصحيح في أرض نقية وواظب على تعهدها وجاء بشروط الزراعة جميعها غلب على قلبه رجاء الإدراك ولم يكن خوفه مساويًا لرجائه، فهكذا ينبغي أن تكون أحوال المتقين فاعلم أن من يأخذ المعارف من الألفاظ والأمثلة يكثر زَلَلُه، وذلك وإن أوردناه مثلًا فليس يضاهي ما نحن فيه من كل وجه؛ لأن سبب غلبة الرجاء العلم الحاصل بالتجربة، إذ علم بالتجربة صحة الأرض ونقاؤها، وصحة البذر وصحة الهواء وقلة

الصواعق المهلكة في تلك البقاع وغيرها، وإنما مثال مسألتنا بذر لم يجرّب جنسه وقد بث في أرض غريبة لم يعهدها الزارع ولم يختبرها، وهي في بلاد ليس يدري أتكثر الصواعق فيها أم لا فمثل هذا الزارع وإن أدى كنه مجهوده وجاء بكل مقدوره فلا يغلب رجاؤه على خوفه، والبذر في مسألتنا هو الإيمان - وشروط صحته دقيقة، والأرض القلب - وخفايا خبثه وصفائه من الشرك الخفي والنفاق والرياء وخفايا الأخلاق فيه غامضة، والآفات هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب إليها في مستقبل الزمان وإن سلم في الحال، وذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة، إذ قد يعرض من الأسباب ما لا يطاق مخالفته ولم يجرب مثله، والصواعق هي أهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده، وذلك مما لم يجرّب مثله، ثم الحصاد والإدراك عند المنصرف من القيامة إلى الجنة وذلك لم يجرّب، فمن عرف حقائق هذه الأمور فإن كان ضعيف القلب جبانًا في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما سيحكى في أحوال الخائفين من الصحابة والتابعين، وإن كان قوي القلب ثابت الجأش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه، فأما أن يغلب رجاؤه فلا، ولقد كان عمر رضي الله عنه يبالغ في تفتيش قلبه حتى كان يسأل حذيفة رضي الله عنه أنه هل يعرف به من آثار النفاق شيئًا؟ إذ كان قد خصه رسول الله ﷺ بعلم المنافقين [(١)]، فمن ذا الذي يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفي؟ وإن اعتقد نقاء قلبه عن ذلك فمن أين يأمن مكر الله تعالى بتلبيس حاله عليه وإخفاء عيبه عنه؟ وإن وثق به فمن أين يثق ببقائه على ذلك إلى تمام حسن الخاتمة؟ وقد قال ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ خَمْسِينَ سَنَةً حَتَّى لا يَبْقَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلاَّ شبر» [(٢)].

وفي رواية: «إلا قَدْرُ فَوَاقِ نَاقَةٍ فَيَسْبِقَ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ» وقدر فواق الناقة لا يحتمل عملًا بالجوارح إنما هو بمقدار خاطر يختلج في القلب عند الموت فيقتضي خاتمة السوء، فكيف يؤمن ذلك؟ فإذن أقصى غايات المؤمن أن يعتدل خوفه ورجاؤه، وغلبة الرجاء في غالب الناس تكون مستندة للاغترار وقلة المعرفة، ولذلك جمع الله تعالى بينهما في وصف من أثنى عليهم فقال تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة:١٦]وقال عز وجل: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء:٩٠]وأين مثل عمر رضي الله عنه؟ فالخلق الموجودة في

---

(١) صحيح: حديث: أن حذيفة كان خصه رسول الله ﷺبعلم المنافقين. أخرجه مسلم من حديث حذيفة «في أصحابي اثنا عشر منافقا» تمامه «لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط... الحديث».[مسلم: ٢٧٧٩].

(٢)حديث «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر» وفي رواية «إلا قدر فواق ناقة». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة «إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له بعمل أهل النار» [مسلم: ٢٦٥١] وللبزار وللطبراني في الأوسط «سبعين سنة» [ابن ماجه: ٢٧٠٤، وانظر ضعيف الترغيب: ٢٠٣٨] وإسناده حسن. وللشيخين في أثناء حديث لابن مسعود «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع... الحديث» [البخاري: ٣٢٠٨، ومسلم: ٢٦٤٣] ليس فيه تقدير زمن للعمل بخمسين سنة ولا ذكر «شبر» ولا « فواق ناقة».

هذا الزمان كلهم الأصلح لهم غلبة الخوف، بشرط أنّ لا يخرجهم إلى اليأس وترك العمل وقطع الطمع من المغفرة فيكون ذلك سببًا للتكاسل عن العمل وداعيًا إلى الانهماك في المعاصي فإن ذلك قنوط وليس بخوف، إنما الخوف هو الذي يحث على العمل ويكدّر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون إلى الدنيا ويدعوه إلى التجافي عن دار الغرور فهو الخوف المحمود، دون حديث النفس الذي لا يؤثر في الكف والحث ودون اليأس الموجب للقنوط.

وقد قال يحيى بن معاذ: من عبد الله تعالى بمحض الخوف غرق في بحار الأفكار، ومن عبده بمحض الرجاء تاه في مفازة الاغترار، ومن عبده بالخوف والرجاء استقام في محجة الادّكار.

وقال مكحول الدمشقي: من عبد الله بالخوف فهو حروري، ومن عبده بالرجاء فهو مرجىء، ومن عبده بالمحبة فهو زنديق، ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد.

فإذن لا بد من الجمع بين هذه الأمور، وغلبة الخوف هو الأصلح ولكن قبل الإشراف على الموت، أما عند الموت فالأصلح غلبة الرجاء وحسن الظن؛ لأن الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل، فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل ثم لا يطيق أسباب الخوف، فإن ذلك يقطع نياط قلبه ويعين على تعجيل موته، وأما روح الرجاء فإنه يقوي قلبه ويحبب إليه ربه الذي إليه رجاؤه، ولا ينبغي أن يفارق أحد الدنيا إلا محبًا لله تعالى ليكون محبًا للقاء الله تعالى، فإنّ من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه، والرجاء تقارنه المحبة فمن ارتجى كرمه فهو محبوب، والمقصود من العلوم والأعمال كلها معرفة الله تعالى حتى تثمر المعرفة المحبة، فإن المصير إليه والقدوم بالموت عليه، ومن قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته، ومن فارق محبوبه اشتدّت محنته وعذابه، فمهما كان القلب الغالب عليه عند الموت حب الأهل والولد والمال والمسكن والعقار والرفقاء والأصحاب: فهذا رجل محابه كلها في الدنيا، فالدنيا جنته، إذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب، فموته خروج من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه، ولا يخفى حال من يحال بينه وبين ما يشتهيه، فإذا لم يكن له محبوب سوى الله تعالى وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه والدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا إذن سجنه؛ لأن السجن عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس عن الاسترواح إلى محابه، فموته قدوم على محبوبه وخلاص من السجن ولا يخفى حال من أفلت من السجن وخلى بينه وبين محبوبه بلا مانع ولا مكدّر، فهذا أول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقيب موته من الثواب والعقاب فضلًا عما أعده الله لعباده الصالحين مما لم تره عين ولا تسمعه أذن ولا خطر على قلب بشر، وفضلًا عما أعده الله تعالى للذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ورضوا بها واطمأنوا إليها من الأنكال والسلاسل والأغلال وضروب الخزي والنكال، فنسأل الله تعالى أن يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين، ولا مطمع في إجابة

هذا الدعاء إلا باكتساب حب الله تعالى، ولا سبيل إليه إلا بإخراج حب غيره من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى الله تعالى من جاه ومال ووطن، فالأولى أن تدعو بما دعا به نبينا ﷺ إذ قال: «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ أَحَبَّكَ وَحُبَّ مَا يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِكَ وَاجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ المَاءِ البَارِدِ» (١)، والغرض أن غلبة الرجاء عند الموت أصلح لأنه أجلب للمحبة، وغلبة الخوف قبل الموت أصلح لأنه أحرق لنار الشهوات وأقمع لمحبة الدنيا عن القلب، ولذلك قال: «لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ» (٢)، وقال تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء» ولما حضرت سليمان التيمي الوفاة قال لابنه: يا بني حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء حتى ألقى الله على حسن الظن به.

وكذلك لما حضرت الثوري الوفاة واشتد جزعه جمع العلماء حوله يرجونه. وقال أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه لابنه عند الموت: اذكر لي الأخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن، والمقصود من ذلك كله أن يحبب الله تعالى إلى نفسه، ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام: أن حببني إلى عبادي. فقال: بماذا؟ قال: بأن تذكر لهم آلائي ونعمائي، فإذن غاية السعادة أن يموت محبًا لله تعالى، وإنما تحصل المحبة بالمعرفة بإخراج حب الدنيا من القلب حتى تصير الدنيا كلها كالسجن المانع من المحبوب، ولذلك رأى بعض الصالحين أبا سليمان الداراني في المنام وهو يطير، فسأله؟ فقال: الآن أفلت، فلما أصبح سأل عن حاله فقيل له: إنه مات البارحة.

بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف:

اعلم أن ما ذكرناه في حال الصبر وشرحناه في كتاب الصبر والشكر هو كاف في هذا الغرض؛ لأن الصبر لا يمكن إلا بعد حصول الخوف والرجاء؛ لأن أول مقامات الدين اليقين الذي هو عبارة عن قوة الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر والجنة والنار، وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجاء للجنة والرجاء والخوف يقويان على الصبر، فإن الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها إلا بقوة الرجاء؛ والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها إلا بقوة الخوف، ولذلك قال علي كرم الله وجهه: من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات، ثم يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء إلى مقام المجاهدة والتجرّد لذكر الله تعالى والفكر فيه على الدوام، ويؤدي دوام الذكر إلى الأنس ودوام الفكر إلى كمال المعرفة، ويؤدي كمال المعرفة والأنس إلى

---

(١) ضعيف: حديث «اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك». أخرجه الترمذي من حديث معاذ، وتقدم في الأذكار والدعوات. [الترمذي: ٣٤٩٠، وانظر السلسلة الضعيفة: ١١٢٥].

(٢) صحيح: حديث «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه». أخرجه مسلم من حديث جابر، وقد تقدم. [مسلم: ٢٨٧٧].

المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات، فهذا هو الترتيب في سلوك منازل الدين، وليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء، ولا بعدهما مقام سوى الصبر، وبه المجاهدة والتجرّد لله ظاهرًا وباطنًا، ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق إلا الهداية والمعرفة، ولا مقام بعد المعرفة إلا المحبة والأنس، ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته وهو التوكل، فإذن فيما ذكرناه في علاج الصبر كفاية، ولكنا نفرد الخوف بكلام جملي فنقول: الخوف يحصل بطريقين مختلفين أحدهما أعلى من الآخر، ومثاله: أنّ الصبي إذا كان في بيت فدخل عليه سبع أو حية ربما كان لا يخاف، وربما مدّ اليد إلى الحية ليأخذها ويلعب بها، ولكن إذا كان معه أبوه وهو عاقل خاف من الحية وهرب منها، فإذا نظر الصبي إلى أبيه وهو ترتعد فرائصه ويحتال في الهرب منها قام معه وغلب عليه الخوف ووافقه في الهرب، فخوف الأب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها وسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته. وأما خوف الابن فإيمانه بمجرّد التقليد لأنه يحسن الظن بأبيه ويعلم أنه لا يخاف إلا من سبب مخوف في نفسه، فيعلم أنّ السبع مخوف ولا يعرف وجهه، وإذا عرفت هذا المثال فاعلم أن الخوف من الله تعالى على مقامين:

أحدهما: الخوف من عذابه.

والثاني: الخوف منه؛ فأما الخوف منه فهو خوف العلماء وأرباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران:٢٨] وقوله عز وجل: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران:١٠٢] . وأما الأوّل؛ فهو خوف عموم الخلق، وهو حاصل بأصل الإيمان بالجنة والنار، وكونهما جزأين على الطاعة والمعصية وضعفه بسبب الغفلة وسبب ضعف الإيمان، وإنما تزول الغفلة بالتذكير والوعظ وملازمة الفكر في أهوال يوم القيامة وأصناف العذاب في الآخرة، وتزول أيضًا بالنظر إلى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة أحوالهم، فإن فاتت المشاهدة فالسماع لا يخلو عن تأثير، وأما الثاني وهو الأعلى فأن يكون الله هو المخوف، أعني أن يخاف العبد الحجاب عنه ويرجو القرب منه. قال ذو النون رحمه الله تعالى: خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر لجيّ، وهذه خشية العلماء حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨] ولعموم المؤمنين أيضًا حظ من هذه الخشية، ولكن هو بمجرد التقليد أيضًا هي خوف الصبي من الحية تقليدًا لأبيه، وذلك لا يستند إلى بصيرة فلا جرم يضعف ويزول على قرب، حتى إن الصبي ربما يرى المعزم يقدم على أخذ الحية فينظر إليه ويغتر به فيتجرأ على أخذها تقليدًا له كما احترز من أخذها تقليدًا لأبيه، والعقائد التقليدية ضعيفة في الغالب إلا إذا قويت بمشاهدة أسبابها المؤكدة لها على الدوام وبالمواظبة على مقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدّة طويلة على الاستمرار؛ فإذن من ارتقى إلى ذروة المعرفة وعرف الله

تعالى خافه بالضرورة فلا يحتاج إلى علاج لجلي الخوف، كما أن من عرف السبع ورأى نفسه واقعًا في مخالبه لا يحتاج إلى علاج لجلب الخوف إلى قلبه بل يخافه بالضرورة شاء أم أبى، ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام: خفني كما تخاف السبع الضاري. ولا حيلة في جلب الخوف من السبع الضاري إلا معرفة السبع ومعرفة الوقوع في مخالبه فلا يحتاج إلى حيلة سواه فمن عرف الله تعالى عرف أنه يفعل ما يشاء ولا يبالي، ويحكم ما يريد ولا يخاف، قرّب الملائكة من غير وسيلة سابقة، وأبعد إبليس من غير جريمة سالفة، بل صفته ما ترجمه قوله تعالى: هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي. وإن خطر ببالك أنه لا يعاقب إلا على معصية ولا يثيب إلا على طاعة فتأمل أنه لم يمد المطيع بأسباب الطاعة حتى يطيع شاء أم أبى ولم يمد العاصي بدواعي المعصية حتى يعصي شاء أم أبى، فإنه مهما خلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعًا بها بالضرورة، فإن كان أبعده لأنه عصاه فلم حمله على المعصية هل ذلك لمعصية سابقة حتى يتسلسل إلى غير نهاية أو يقف لا محالة على أوّل لا علة له من جهة العبد بل قضى عليه في الأزل، وعن هذا المعنى عبرﷺ إذ قال: «احْتَجَّ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عِنْدَ رَبِّهِما، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ، قال مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلاَئِكَتَهُ وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ، ثُمَّ أَهْبَطت النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَىَ الأَرْضِ.

فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ وَأَعْطَاكَ الأَلْوَاحَ فِيها تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا، فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللَّهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أَخْلَقَ؟ قَالَ مُوسَى: بِأَرْبَعِينَ عَامًا. قَالَ آدَمُ: فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه :١٢١] قال نَعَمَ. قَالَ: أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أَعْمَلَهُ وَقَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنةً، قال ﷺ: «فَحَجَ آدَمُ مُوسَى»[1]، فمن عرف السبب في هذا الأمر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص العارفين المطلعين على سر القدر، ومن سمع هذا فآمن به وصدّق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين، ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف؛ فإن كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في مخالب السبع، والسبع قد يغفل بالاتفاق فيخليه، وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب ما يتفق، ولذلك الاتفاق أسباب مرتبة بقدر معلوم، ولكن إذا أضيف إلى من لا يعرفه سمي اتفاقًا، وإن أضيف إلى علم الله لم يجز أن يسمى اتفاقًا، والواقع في مخالب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع؛ لأنّ السبع مسخر: إن سلط عليه الجوع افترس، وإن سلط عليه الغفلة خلي وترك، فإنما يخاف خالق السبع وخالق صفاته،

---

(١) صحيح: حديث «احتج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام عند ربهما». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، وهو متفق عليه بألفاظ أخر. [البخاري: ٤٧٣٨، ومسلم: ٢٦٥٢ واللفظ لمسلم].

فلست أقول مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع، بل إذا كشف الغطاء علم أنّ الخوف من السبع هو عين الخوف من الله تعالى؛ لأنّ المهلك بواسطة السبع هو الله، فاعلم أنّ سباع الآخرة مثل سباع الدنيا، وأن الله تعالى خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب وخلق لكل واحد أهلًا يسوقه القدر المتفرع عن القضاء الجزم الأزلي إلى ما خلق له، فخلق الجنة وخلق لها أهلًا سخروا لأسبابها شاءوا أم أبوا، وخلق النار وخلق لها أهلًا سخروا لأسبابها شاءوا أم أبوا، فلا يرى أحد نفسه في ملتطم أمواج القدر إلا غلبه الخوف بالضرورة، فهذه مخاوف العارفين بسر القدر، فمن قعد به القصور عن الارتفاع إلى مقام الاستبصار فسبيله أن يعالج نفسه بسماع الأخبار والآثار، فيطالع أحوال الخائفين العارفين وأقوالهم، وينسب عقولهم ومناصبهم إلى مناصب الراجين المغرورين، فلا يتمارى في أن الاقتداء بهم أولى لأنهم الأنبياء والأولياء والعلماء.

وأما الآمنون فهم الفراعنة والجهال والأغبياء.

أما رسولنا ﷺ فهو سيد الأوّلين والآخرين [(١)]، وكان أشدّ الناس خوفًا [(٢)]، حتى روي أنه كان يصلي على طفل: ففي رواية أنه سمع في دعائه يقول: «اللَّهُمَّ قِهِ عَذَابَ القَبْرِ وَعَذَابَ النَّارِ» [(٣)]، وفي رواية ثانية: أنه سمع قائلًا يقول: هنيئًا لك، عصفور من عصافير الجنة، فغضب وقال: «ما يُدْرِيكَ أَنَّه كَذَلِكَ، واللَّهِ إنِّي رسُولُ اللَّه، وَمَا أَدْرِي ما يُصْنَعُ بِي إنَّ اللَّهَ خَلَقَ الجَنَّةَ وَخَلَقَ لَهَا أَهْلًا لا يُزَادُ فِيهِمْ وَلا يُنْقَصُ مِنْهِمْ» [(٤)]. وروي أنه ﷺ قال ذلك أيضًا على جنازة عثمان بن مظعون وكان من المهاجرين الأوّلين لما قالت أم سلمة: هنيئًا لك الجنة، فكانت تقول أم سلمة بعد ذلك: والله لا أزكي أحدًا بعد عثمان [(٥)]، وقال محمد بن خولة الحنفية:

---

(١) صحيح: حديث: كان سيد الأولين والآخرين. أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة «أنا سيد ولد آدم ولا فخر... الحديث».[مسلم: ٢٢٧٨].

(٢) صحيح: حديث: كان أشد الناس خوفًا. تقدم قبل هذا بخمسة وعشرين حديثا. قوله «والله إني لأخشاكم لله» [البخاري: ٥٠٦٣] وقوله «والله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية». [البخاري: ٦١٠١، مسلم: ٢٣٥٦].

(٣) صحيح: حديث إنه كان يصلي على طفل فسمع في دعائه يقول «اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار». [انظر المشكاة: ١٦٨٩، وصححه الألباني] أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أنس أن النبي ﷺ صلى على صبي أو صبية وقال «لو كان أحد نجا من ضمة القبر لنجا هذا الصبي» [انظر صحيح الجامع: ٥٣٠٧] واختلف في إسناده، فرواه في الكبير من حديث أبي أيوب أن صبيًا دفن فقال رسول الله ﷺ «لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي» [انظر السلسلة الصحيحة: ٢١٦٤].

(٤) صحيح: حديث: انه سمع قائلة تقول لطفل مات: هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة». أخرجه مسلم من حديث عائشة قالت: تُوفي صبي فقلت طوبى له عصفور من عصافير الجنة... الحديث» وليس فيه فغضب، وقد تقدم. [مسلم: ٢٦٦٢].

(٥) صحيح: حديث: لما توفي عثمان بن مظعون قالت أم سلمة: هنيئا لك الجنة». أخرجه البخاري من حديث أم العلاء الأنصارية وهي القائلة رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله، قال وما يدريك... الحديث وورد أن التي قالت ذلك أم خارجة بن زيد، ولم أجد فيه ذكر أم سلمة. [البخاري: ٢٦٨٧ عن أم العلاء].

والله لا أزكي أحدًا غير رسول الله ﷺ ولا أبي الذي ولدني، قال: فثارت الشيعة عليه، فأخذ يذكر من فضائل علي ومناقبه، وروي في حديث آخر عن رجل من أهل الصفة استشهد فقالت أمه: هنيئًا لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت إلى رسول الله ﷺ وقتلت في سبيل الله، فقال ﷺ: «وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِمَا لا يَنْفَعُهُ وَيَمْنَعُ ما لا يَضُرُّهُ» (١)، وفي حديث آخر: «أنه ﷺ دخل على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول: هنيئًا لك الجنة، فقال ﷺ: مَنْ هذِهِ المُتَأَلِّيَةُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى؟ فقال المريض: هي أمي يا رسول الله، فقال: وَمَا يُدْرِيكِ، لَعَلَّ فُلانًا كَانَ يَتَكَلَّمُ بِمَا لا يَعْنِيهِ وَيَبْخَلُ بِمَا لا يُغْنِيهِ» (٢)، وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم، وهو يقول ﷺ: «شيبتني هود وأخواتها» (٣)، سورة الواقعة وإذا الشمس كوّرت وعم يتساءلون فقال العلماء: لعل ذلك لما في سورة هود من الإبعاد كقوله تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود :٦٠] ﴿أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾ [هود :٦٨] ﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود :٩٥] مع علمه بأنه لو شاء الله ما أشركوا، إذ لو شاء لآتى كل نفس هداها وفي سورة الواقعة: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقعة :٢-٣] أي جف القلم بما هو كائن وتمت السابقة حتى نزلت الواقعة: إما خافضة قومًا كانوا مرفوعين في الدنيا، وإما رافعة قومًا كانوا مخفوضين في الدنيا.

وفي سورة التكوير أهوال يوم القيامة وانكشاف الخاتمة، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ۝﴾ [التكوير :١٢-١٤] وفي عم يتساءلون: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبا :٤٠] الآية، وقوله تعالى: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبا :٣٨] والقرآن من أوّله إلى آخره مخاوف لمن قرأه بتدبر، ولو لم يكن فيه إلا قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه :٨٢] لكان كافيًا، إذ علق المغفرة على أربعة شروط يعجز العبد عن آحادها، وأشدّ منه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ [القصص :٦٧] وقوله تعالى: ﴿لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب :٨] قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن :٣١] وقوله عز وجل: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ [الأعراف :٩٩] الآية. وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ

---

(١) حديث: إن رجلا من أهل الصفة استشهد فقالت أمه: «هنيئا لك يا بني الجنة». [انظر صحيح الترغيب: ٢٨٨٣ وحسنه الألباني]. رواه البيهقي في الشعب، إلا أنه قال فقالت أمه: «هنيئا لك الشهادة» [انظر صحيح الترغيب: ١٣٤٩ على لسان بعض الصحابة وليست أمه] وهو عند الترمذي، إلا أنه قال: إن رجلا قال له: «أبشر بالجنة» [الترمذي: ٢٣١٦، وانظر صحيح الترغيب: ٢٨٨٢، وقال الألباني: صحيح لغيره]، وقد تقدم في ذم المال والبخل مع اختلاف.

(٢) صحيح: حديث: دخل على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول: هنيئا لك الجنة». تقدم أيضا. [انظر السلسلة الصحيحة: ٣١٠٣].

(٣) صحيح: حديث «شيبتني هود وأخواتها». أخرجه الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه من حديث ابن عباس، وهو في الشمائل من حديث أبي جحيفة. وقد تقدم في كتاب السماع. [الترمذي: ٣٢٩٧، وانظر صحيح الجامع: ٣٧٢٣].

ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢] وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم:٨٥] الآيتين. وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم:٧١] الآية. وقوله: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت:٤٠] الآية: وقوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ [الشورى:٢٠] الآية. وقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧] الآيتين.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ﴾ [الفرقان:٢٣] الآية. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر:١-٢] إلى آخر السورة، فهذه أربعة شروط للخلاص من الخسران، وإنما كان خوف الأنبياء مع ما فاض عليهم من النعم لأنهم لم يأمنوا مكر الله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩] حتى روي أن النبي وجبريل عليهما الصلاة والسلام بكيا خوفًا من الله تعالى، فأوحى الله إليهما لم تبكيان وقد أمنتكما؟ فقالا: ومن يأمن مكرك؟ (١) وكأنهما إذ علما أن الله هو علام الغيوب وأنه لا وقوف لهما على غاية الأمور لم يأمنا أن يكون قوله: «قد أمنتكما» ابتلاء وامتحانًا لهما ومكرًا بهما، حتى إن سكن خوفهما ظهر أنهما قد أمنا من المكر وما وفيا بقولهما كما أنّ إبراهيم ﷺ لما وضع في المنجنيق قال: حسبي الله، وكانت هذه من الدعوات العظام فامتحن وعورض بجبريل في الهواء، حتى قال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، فكان ذلك وفاء بحقيقة قوله حسبي الله، فأخبر الله تعالى عنه فقال: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم:٣٧] أي بموجب قوله: حسبي الله، وبمثل هذا أخبر عن موسى ﷺ حيث قال: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝﴾ [طه:٤٥-٤٦] ومع هذا لما ألقى السحرة سحرهم أوجس موسى في نفسه خيفة؛ إذ لم يأمن مكر الله والتبس الأمر عليه حتى جدّد عليه الأمن وقيل له: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه:٦٨] ولما ضعفت شوكة المسلمين يوم بدر قال ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هذِهِ العِصَابَةَ لَمْ يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ يَعْبُدُكَ» (٢)، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: دع عنك مناشدتك ربك فإنه واف لك بما وعدك، فكان مقام الصدّيق رضي الله عنه مقام الثقة بوعد الله، وكان مقام رسول الله ﷺ مقام الخوف من مكر الله وهو أتم لأنه لا يصدر إلا عن كمال المعرفة بأسرار الله تعالى وخفايا أفعاله ومعاني صفاته التي يعبر عن بعض ما يصدر عنها بالمكر؛ وما لأحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله تعالى، ومن عرفَ

---

(١) حديث: أنه وجبريل صلى الله عليهما وسلم بكيا خوفا من الله عز وجل، فأوحى الله إليهما: لم تبكيان. أخرجه ابن شاهين في شرح السنة من حديث عمر، ورويناه في مجلس عن أمالي أبي سعيد النقشاش. بسند ضعيف.

(٢) صحيح: حديث قال يوم بدر «اللهم إن تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الأرض أحد يعبدك». أخرجه البخاري من حديث ابن عباس بلفظ «اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم... الحديث».[البخاري: ٢٩١٥، ومسلم: ١٧٦٣].

حقيقةَ المعرفةِ قصورَ معرفته عن الإحاطة بكنه الأمور، عظُم خوفه لا محالة، ولذلك قال المسيح لما قيل له: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦] وقال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المائدة:١١٨] الآية، فوّض الأمر إلى المشيئة وأخرج نفسه بالكلية من البين، لعلمه بأنه ليس له من الأمر شيء وأن الأمور مرتبطة بالمشيئة ارتباطًا يخرج عن حدّ المعقولات والمألوفات فلا يمكن الحكم عليها بقياس ولا حدس ولا حسبان فضلًا عن التحقيق والاستيقان، وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين، إذا الطامة الكبرى هي ارتباط أمرك بمشيئة من لا يبالي بك إن أهلكك فقد أهلك أمثالك ممن لا يحصى ولم يزل في الدنيا يعذبهم بأنواع الآلالم والأمراض، ويمرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق، ثم يخلد العقاب عليهم أبد الآباد، ثم يخبر عنه ويقول: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة:١٣] وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [هود:١١٩] الآية، فكيف لا يخاف ما حق من القول في الأزل ولا يطمع في تداركه؟ ولو كان الأمر آنفًا لكانت الأطماع تمتدّ إلى حيلة فيه، ولكن ليس إلا التسليم فيه واستقراء خفي السابقة من جلي الأسباب الظاهرة على القلب والجوارح؛ فمن يسرت له أسباب الشر وحيل بينه وبين أسباب الخير وأحكمت علاقته من الدنيا فكأنه كشف له على التحقيق سر السابقة التي سبقت له بالشقاوة، إذ كل ميسر لما خلق له، وإن كانت الخيرات كلها ميسرة، والقلب بالكلية عن الدنيا منقطعًا وبظاهره وباطنه على الله مقبلًا كان هذا يقتضي تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك موثوقًا به، ولكنّ خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف إشعالًا ولا يمكنها من الانطفاء، وكيف يؤمن تغير الحال وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن وأن القلب أشدّ تقلبًا من القدر في غليانها، وقد قال مقلب القلوب عز وجل: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ [المعارج:٢٨] فأجهل الناس من أمنه وهو ينادي بالتحذير من الأمن، ولولا أن الله لطف بعباده العارفين إذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف.

فأسباب الرجاء رحمة لخواص الله وأسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق من وجه، إذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف مقلب القلوب.

قال بعض العارفين: لو حالت بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة أسطوانةٌ فمات لم أقطع له بالتوحيد؛ لأني لا أدري ما ظهر له من التقلب. وقال بعضهم: لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الإسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت على الإسلام؛ لأني لا أدري ما يعرض لقلبي بين باب الحجرة وباب الدار. وكان أبو الدرداء يحلف بالله ما

أحد أمن على إيمانه أن يسلبه عند الموت إلا سلبه.

وكان سهل يقول: خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وعند كل حركة، وهم الذين وصفهم الله تعالى إذ قال: ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

ولما احتضر سفيان جعل يبكي ويجزع، فقيل له: يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فإنّ عفو الله أعظم من ذنوبك، فقال: أوعلى ذنوبي أبكي لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا.

وحكي عن بعض الخائفين أنه أوصى بعض إخوانه فقال: إذا حضرتني الوفاة فاقعد على رأسي، فإن رأيتني مت على التوحيد فخذ جميع ما أملكه فاشتر به لوزًا وسكرًا وانثره على صبيان أهل البلد، وقل هذا عرس المنفلت، وإن مت على غير التوحيد فأعلم الناس بذلك حتى لا يغتروا بشهود جنازتي ليحضر جنازتي من أحب على بصيرة لئلا يلحقني الرياء بعد الوفاة. قال: وبم أعلم ذلك؟ فذكر له علامة، فرأى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر واللوز وفرّقه.

وكان سهل يقول: المريد يخاف أن يبتلى بالمعاصي، والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر.

وكان أبو زيد يقول: إذا توجهت إلى المسجد فكأن في وسطي زنارًا أخاف أن يذهب بي إلى البيعة وبيت النار حتى أدخل المسجد فينقطع عني الزنار، فهذا لي في كل يوم خمس مرات.

وروي عن المسيح عليه الصلاة والسلام أنه قال: يا معشر الحواريين، أنتم تخافون المعاصي، ونحن معاشر الأنبياء نخاف الكفر.

وروي في أخبار الأنبياء أنّ نبيًا شكى إلى الله تعالى الجوع والقمل والعري سنين وكان لباسه الصوف، فأوحى الله تعالى إليه: عبدي، أما رضيت أن عصمت قلبك أن تكفر بي حتى تسألني الدنيا؟ فأخذ التراب فوضعه على رأسه وقال: بلى قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر.

فإذا كان خوف العارفين مع رسوخ أقدامهم وقوّة إيمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخافه الضعفاء؟

ولسوء الخاتمة أسباب تتقدّم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات المذمومة، ولذلك اشتدّ خوف الصحابة من النفاق حتى قال الحسن: لو أعلم أني بريء من النفاق كان أحب إلي مما طلعت عليه الشمس.

وما عنوا به النفاق الذي هو ضدّ أصل الإيمان بل المراد به ما يجتمع مع أصل الإيمان فيكون مسلمًا منافقًا، وله علامات كثيرة: قال ﷺ: «أَرْبَعٌ مِنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ خَالِصٌ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّه مُسْلِمٌ، وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ فَفِيهِ شُعْبَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَها: مَنْ

إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإذا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإذا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإذا خَاصَمَ فَجَرَ»[(١)]، وفي لفظ آخر: «وَإذَا عَاهَدَ غَدَرَ».

وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لا يخلو عن شيء منه إلا صديق، إذ قال الحسن: إنّ من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب واختلاف المدخل والمخرج، ومن الذي يخلو عن هذه المعاني بل صارت هذه الأمور مألوفة بين الناس معتادة ونُسي كونها منكر بالكلية، بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوّة، فكيف الظن بزماننا حتى قال حذيفة رضي الله تعالى عنه: إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ فيصير بها منافقًا إني لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات[(٢)]. وكان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إنكم لتعملون أعمالًا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الكبائر[(٣)]. وقال بعضهم: علامة النفاق أن تكره من الناس ما تأتي مثله، وأن تحب على شيء من الجور، وأن تبغض على شيء من الحق. وقيل: من النفاق، أنه إذا مدح بشيء ليس فيه أعجبه ذلك. وقال رجل لابن عمر رحمه الله: إنا ندخل على هؤلاء الأمراء فنصدقهم فيما يقولون، فإذا خرجنا تكلمنا فيهم؛ فقال: كنا نعدّ هذا نفاقًا على عهد رسول الله ﷺ[(٤)]. وروي أنه سمع رجلًا يذم الحجاج ويقع فيه، فقال: أرأيت لو كان الحجاج حاضرًا أكنت تتكلم بما تكلمت به؟ قال: لا. قال: كنا نعدّ هذا نفاقًا على عهد رسول الله ﷺ[(٥)]. وأشدّ من ذلك ما روي أنّ نفرًا قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه، فكانوا يتكلمون في شيء من شأنه، فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه، فقال: تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا؛ فقال: كنا نعد هذا نفاقًا على عهد رسول الله ﷺ[(٦)].

وهذا حذيفة كان قد خص بعلم المنافقين وأسباب النفاق، وكان يقول: إنه يأتي على القلب ساعة يمتلىء بالإيمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز إبرة، ويأتي عليه ساعة يمتلىء بالنفاق حتى لا يكون للإيمان فيه مغرز إبرة، فقد عرفت بهذا أنّ خوف العارفين من سوء

---

(١) **صحيح**: حديث «أربع من كن فيه فهو منافق خالص». متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو وقد تقدم في قواعد العقائد. [البخاري: ٣٤، مسلم: ٥٨].

(٢) حديث حذيفة: إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد الرسول ﷺ فيصير بها منافقًا. أخرجه أحمد من حديث حذيفة، وقد تقدم في قواعد العقائد. [أحمد: ٢٢٧٦٧].

(٣) **صحيح**: حديث كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون «إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر». أخرجه البخاري من حديث أنس وأحمد، والبزار من حديث أبي سعيد، وأحمد والحاكم من حديث عبادة بن قرص وصحح إسناده، وتقدم في التوبة. [البخاري: ٦٤٩٢، وأحمد: ١٣٦٢٥].

(٤) **صحيح**: حديث: قال رجل لابن عمر: إنا ندخل على هؤلاء الأمراء فنصدقهم فيما يقولون. رواه أحمد والطبراني، وقد تقدم في قواعد العقائد. [أحمد: ٥٧٩٥، وابن ماجه: ٣٩٧٥، وانظر صحيح ابن ماجه].

(٥) حديث سمع ابن عمر رجلا يذم الحجاج ويقع فيه. تقدم هناك ولم أجد فيه ذكر الحجاج.

(٦) حديث: إن نفر قعدوا عند باب حذيفة ينتظرونه، فكانوا يتكلمون في شيء من شأنه.لم أجد له أصلا.

الخاتمة، وأنّ سببه أمور تتقدّمه: منها البدع، ومنها المعاصي، ومنها النفاق، ومتى يخلو العبد عن شيء من جملة ذلك وإن ظنّ أنه خلا عنه فهو النفاق، إذ قيل: من أمن النفاق فهو منافق.

وقال بعضهم لبعض العارفين: إني أخاف على نفسي النفاق، فقال: لو كنت منافقًا لما خفت النفاق، فلا يزال العارف بين الالتفات إلى السابقة والخاتمة خائفًا منهما. ولذلك قال ﷺ: «العَبْدَ المُؤْمِنُ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ: بَيْنَ أَجَلٍ قَدْ مَضَى لا يَدْرِي ما اللَّهُ صَانِعٌ فِيهِ، وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لا يَدْرِي ما اللَّهُ قَاضٍ فِيهِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ما بَعْدَ المَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ، ولا بَعْدَ الدُّنْيَا مِنْ دَارٍ إلاَّ الجَنَّةَ أَو النَّارَ»(١)، والله المستعان.

بيان معنى سوء الخاتمة:

فإن قلت: إن أكثر هؤلاء يرجع إلى سوء الخاتمة، فما معنى سوء الخاتمة؟

فاعلم أن سوء الخاتمة على رتبتين: إحداهما أعظم من الأخرى، فأما الرتبة العظيمة الهائلة: فأن يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله: إما الشك، وإما الجحود، فتقبض الروح على حال غلبة الجحود أو الشك، فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجابًا بينه وبين الله تعالى أبدًا، وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد. والثانية وهي دونها أن يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا وشهوة من شهواتها، فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحال فيكون استغراق قلبه به منكسًا رأسه إلى الدنيا وصارفًا وجهه إليها.

ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب، ومهما حصل الحجاب نزل العذاب إذ نار الله الموقدة لا تأخذ إلا المحجوبين عنه، فأما المؤمن السليم قلبه من حب الدنيا المصروف همه إلى الله تعالى فتقول له النار: جز يا مؤمن فإنّ نورك أطفأ لهبي، فمهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا، فالأمر مخطر؛ لأن المرء يموت على ما عاش عليه، ولا يمكن اكتساب صفة أخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه، إذ لا تصرف في القلوب إلا بأعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الأعمال، فلا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع إلى الدنيا ليتدارك، وعند ذلك تعظم الحسرة، إلا أن أصل الإيمان وحب الله تعالى إذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالأعمال الصالحة فإنه يمحو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت، فإن كان إيمانه في القوة إلى حدّ مثقال أخرجه من النار في زمان أقرب، وإن كان أقل من ذلك طال مكثه في النار، ولو لم يكن

---

(١) حديث «العبد المؤمن بين مخافتين: بين أجل قد مضى». أخرجه البيهقي في الشعب من رواية الحسن عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، وقد تقدم في ذم الدنيا: ذكره ابن المبارك في كتاب الزهد بلاغا، وذكره صاحب الفردوس من حديث جابر ولم يخرجه ولده في مسند الفردوس.

إلا مثقال حبة فلا بدّ وأن يخرجه من النار ولو بعد آلاف سنين.

فإن قلت: فما ذكرته يقتضي أن تسرع النار إليه عقيب موته، فما باله يؤخر إلى يوم القيامة ويمهل طول هذه المدة؟.

فاعلم أنّ كل من أنكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الله تعالى وعن نور القرآن ونور الإيمان، بل الصحيح عند ذوي الأبصار ما صحت به الأخبار وهو: أنّ القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة (١)، وأنه قد يفتح إلى قبر المعذب سبعون بابًا من الجحيم (٢)، كما وردت به الأخبار، فلا تفارقه روحه إلا وقد نزل به البلاء إن كان قد شقي بسوء الخاتمة، وإنما تختلف أصناف العذاب باختلاف الأوقات، فيكون سؤال منكر ونكير عند الوضع في القبر (٣) والتعذيب بعده (٤) ثم المناقشة في الحساب (٥) والافتضاح على ملأ من الأشهاد في القيامة (٦)، ثم بعد ذلك خطر الصراط (٧) وهول الزبانية (٨) ... إلى آخر ما وردت به الأخبار، فلا يزال الشقي مترددًا في جميع أحواله بين أصناف العذاب وهو في جملة الأحوال معذب إلا أن يتغمده الله برحمته، ولا تظنن أن محل الإيمان لا يأكله التراب، بل التراب يأكل جميع الجوارح ويبددها إلى أن يبلغ الكتاب أجله فتجتمع الأجزاء المتفرقة وتعاد إليها الروح التي هي محل الإيمان، وقد كانت من وقت الموت إلى الإعادة إما في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش إن كانت سعيدة، وإما على حالة تضاد هذه الحال إن كانت والعياذ بالله شقية.

---

(١) ضعيف جدًا: حديث «القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة». أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد وقال غريب، وتقدم في الأذكار. [الترمذي: ٢٤٦٠، وانظر ضعيف الترغيب: ١٩٤٤، قلت: وعذاب القبر ونعيمه ثابت في أحاديث صحاح منها عند أبي داود: ٤٧٥٣ وانظر صحيح أبي داود].

(٢) حديث «إنه يفتح إلى قبر المعذب سبعون بابا من الجحيم». لم أجد له أصلا.

(٣) صحيح: حديث: سؤال منكر ونكير عند الوضع في القبر. تقدم في قواعد العقائد. [أبو داود: ٤٧٥٣، وانظر صحيح أبي داود].

(٤) صحيح: حديث: عذاب القبر. تقدم فيه. [بنحو الحديث السابق].

(٥) صحيح: حديث: المناقشة في الحساب. تقدم فيه. [بنحو الحديث السابق].

(٦) حديث: الافتضاح على ملأ الأشهاد في القيامة. رواه أحمد والطبراني من حديث ابن عمر بإسناد جيد «من انتفى من ولده ليفضحه في الدنيا فضحه الله على رؤوس الأشهاد» [أحمد: ٤٧٨٠، وانظر السلسلة الصحيحة: ٣٤٨٠] وفي الصحيحين من حديث ابن عمر «وأما الكافر والمنافق فينادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم» [البخاري: ٢٤٤١، ومسلم: ٢٧٦٨] والطبراني والعقيلي في الضعفاء من حديث الفضيل بن عياض «فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة» [انظر ضعيف الجامع: ٣٩٨٦] وهو حديث طويل منكر.

(٧) صحيح: حديث: خطر الصراط. تقدم في قواعد العقائد. [مسلم: ١٨٣ عن أبي سعيد الخدري].

(٨) حديث: هول الزبانية. أخرجه الطبراني من حديث أنس «الزبانية يوم القيامة أسرع إلى فسقة حملة القرآن منها إلى عبدة الأوثان والنيران» [انظر السلسلة الضعيفة: ٢٥٨٨، وقال الألباني: منكر] قال صاحب الميزان: حديث منكر. وروى ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم معضلا في خزنة جهنم: «ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب».

فإن قلت: فما السبب الذي يفضي إلى سوء الخاتمة؟

فاعلم أن أسباب هذه الأمور لا يمكن إحصاؤها على التفصيل، ولكن يمكن الإشارة إلى مجامعها: أما الختم على الشك والجحود فينحصر سببه في شيئين:

أحدهما: يتصوّر مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح في الأعمال: كالمبتدع الزاهد فإنّ عاقبته مخطرة جدًّا، وإن كانت أعماله صالحة ولست أعني مذهبًا فأقول إنه بدعة؛ فإنّ بيان ذلك يطول القول فيه، بل أعني بالبدعة: أن يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وأفعاله خلاف الحق فيعتقده على خلاف ما هو عليه، إما برأيه ومعقوله ونظره الذي به يجادل الخصم وعليه يعوّل وبه يغتر، وإما أخذًا بالتقليد ممن هذا حاله؛ فإذا قرب الموت وظهرت له ناصية ملك الموت واضطرب القلب بما فيه ربما ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلًا، إذ حال الموت حال كشف الغطاء ومبادىء سكراته منه، فقد ينكشف به بعض الأمور؛ فمهما بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعًا به متيقنًا له عند نفسه لم يظن بنفسه أنه أخطأ في هذا الاعتقاد خاصة لالتجائه فيه إلى رأيه الفاسد وعقله الناقص، بل ظن أنّ كل ما اعتقده لا أصل له، إذ لم يكن عنده فرق في إيمانه بالله ورسوله ﷺ وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد، فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببًا لبطلان بقية اعتقاداته أو لشكه فيها، فإن اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل أن يثبت ويعود إلى أصل الإيمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعياذ بالله منه، فهؤلاء هم المرادون بقوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر:٤٧] وبقوله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤] وكما أنه ينكشف في النوم ما سيكون في المستقبل وذلك بسبب خفة أشغال الدنيا عن القلب فكذلك ينكشف في سكرات الموت بعض الأمور، إذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هي المانعة للقلب من أن ينظر إلى الملكوت، فيطالع ما في اللوح المحفوظ لتنكشف له الأمور على ما هي عليه، فيكون مثل هذه الحال سببًا للكشف، ويكون الكشف سبب الشك في بقية الاعتقادات، وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وأفعاله شيئًا على خلاف ما هو به إما تقليدًا وإما نظرًا بالرأي والمعقول، فهو في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر، بل لا ينجي منه إلا الاعتقاد الحق، والبله بمعزل عن هذا الخطر، أعني الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر إيمانًا مجملًا راسخًا كالأعراب والسوادية وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يشرعوا في الكلام استقلالًا ولا صغوا إلى أصناف المتكلمين في تقليد أقاويلهم المختلفة، ولذلك قال ﷺ: «أَكْثَرُ أَهْلِ الجَنَّةِ البُلْهُ»[1].

(١) ضعيف: حديث «أكثر أهل الجنة البله». أخرجه البزار من حديث أنس، وقد تقدم. [انظر ضعيف الجامع: ١٠٩٦].

ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الأمور، وأمروا الخلق أن يقتصروا على أن يؤمنوا بما أنزل الله عز وجل جميعًا وبكل ما جاء من الظواهر مع اعتقاده نفي التشبيه، ومنعوهم عن الخوض في التأويل؛ لأن الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباته كئودة ومسالكه وعرة، والعقول عن درك جلال الله تعالى قاصرة، وهداية الله تعالى بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة، وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطرب ومتعارض، والقلوب لما ألقي إليها في مبدأ النشأة آلفة وبه متعلقة، والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة أو المأخوذة بحسن الظن من المعلمين في أول الأمر، ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة، وشهوات الدنيا بمخنقها آخذة وعن تمام الفكر صارفة، فإذا فتح باب الكلام في الله وفي صفاته بالرأي والمعقول مع تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في طبائعهم وحرص كل جاهل منهم على أن يدعي الكمال أو الإحاطة بكنه الحق انطلقت ألسنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين إليهم، وتأكد ذلك بطول الإلف فيهم، فانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم، فكانت سلامة الخلق في أن يشتغلوا بالأعمال الصالحة ولا يتعرّضوا لما هو خارج عن حدّ طاقتهم، ولكن الآن قد استرخى العنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ما وافق طبعه بظنّ وحسبان، وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان وأنه صفو الإيمان، ويظن أن ما وقع به من حدس وتخمين علم اليقين وعين اليقين ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص:٨٨] وينبغي أن ينشد في هؤلاء عند كشف الغطاء:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حَسُنَتْ ... ولم تخفِ سُوءَ ما يأتي به القدرُ
وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صَفْوِ الليالي يحدث الكَدرُ

واعلم يقينًا أن كل من فارق الإيمان الساذج بالله ورسوله وكتبه وخاض في البحث، فقد تعرّض لهذا الخطر ومثاله مثال من انكسرت سفينته وهو في ملتطم الأمواج يرميه موج إلى موج، فربما يتفق أن يلقيه إلى الساحل وذلك بعيد، والهلاك عليه أغلب.

وكل نازل على عقيدة تلقفها من الباحثين ببضاعة عقولهم إما مع الأدلة التي حرّروها في تعصباتهم أو دون الأدلة، فإن كان شاكًّا فيه فهو فاسد الدين وإن كان واثقًا فهو آمن من مكر الله مغتر بعقله الناقص، وكل خائض في البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين، إلا إذا جاوز حدود المعقول إلى نور المكاشفة الذي هو مشرق في عالم الولاية والنبوّة وذلك هو الكبريت الأحمر، وأنى يتيسر، وإنما يسلم عن هذا الخطر البله من العوام أو الذين شغلهم خوف النار بطاعة الله فلم يخوصوا في هذا الفضول فهذا أحد الأسباب المخطرة في سوء الخاتمة.

وأما السبب الثاني: فهو ضعف الإيمان في الأصل، ثم استيلاء حب الدنيا على القلب. ومهما ضعف الإيمان ضعف حب الله تعالى وقوي حب الدنيا، فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله تعالى إلا من حيث حديث النفس، ولا يظهر له أثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان، فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة النفوس على القلب، فلا يزال يطفىء ما فيه من نور الإيمان على ضعفه حتى يصبر طبعًا ورينًا، فإذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب أعني حب الله ضعفًا لما يبدو من استشعار فراق الدنيا وهي المحبوب الغالب على القلب، فيتألم القلب باستشعار فراق الدنيا، ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بإنكار ما قدر عليه من الموت وكراهة ذلك.

من حيث إنه من الله، فيخشى أن يثور في باطنه بغض الله تعالى بدل الحب، كما أنّ الذي يحب ولده حبًا ضعيفًا إذا أخذ ولده أمواله التي هي أحب إليه من ولده وأحرقها انقلب ذلك الحب الضعيف بغضًا، فإن اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكًا مؤبدًا، والسبب الذي يفضي إلى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون إليها والفرح بأسبابها مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب الله تعالى؛ فمن وجد في قلبه حب الله أغلب من حب الدنيا وإن كان يحب الدنيا أيضًا فهو أبعد عن هذا الخطر، وحب الدنيا رأس كل خطيئة، وهو الداء العضال، وقد عم أصناف الخلق وذلك كله لقلة المعرفة بالله تعالى، إذ لا يحبه إلا من عرفه؟ ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤] فإذن كل من فارقته روحه في حالة خطرة الإنكار على الله تعالى بباله وظهور بغض فعل الله بقلبه في تفريقه بينه وبين أهله وماله وسائر محابه؟ فيكون موته قدومًا على ما أبغضه وفراقًا لما أحبه، فيقدم على الله قدوم العبد المبغض الآبق إذا قدم به على مولاه قهرًا فلا يخفى ما يستحقه من الخزي والنكال، وأما الذي يتوفى على الحب فإنه يقدم على الله تعالى قدوم العبد المحسن المشتاق إلى مولاه الذي تحمل مشاق الأعمال ووعثاء الأسفار طمعًا في لقائه، فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرّد القدوم فضلًا عما يستحقه من لطائف الإكرام وبدائع الإنعام.

وأما الخاتمة الثانية التي هي دون الأولى وليست مقتضية للخلود في النار، فلها أيضًا سببان:

أحدهما: كثرة المعاصي وإن قوي الإيمان، والآخر ضعف الإيمان وإن قلت المعاصي، وذلك لأن مقارفة المعاصي سببها غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الإلف والعادة، وجميع ما ألفه الإنسان في عمره يعود ذكره إلى قلبه عند موته، فإن كان ميله الأكثر إلى

الطاعات كان أكثر ما يحضره ذكر طاعة الله، وإن كان ميله الأكثر إلى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عند الموت؟ فربما تقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي، فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبًا عن الله تعالى، فالذي لا يقارف الذنب إلا الفينة بعد الفينة فهو أبعد عن هذا الخطر، والذي لم يقارف ذنبًا أصلًا فهو بعيد جدًّا عن هذا الخطر، والذي غلبت عليه المعاصي وكانت أكثر من طاعاته وقلبه بها أفرح منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم في حقه جدًّا، ونعرّف هذا بمثال: وهو أنه لا يخفى عليك أن الإنسان يرى في منامه جملة من الأحوال التي عهدها طول عمره، حتى إنه لا يرى إلا ما يماثل مشاهدته في اليقظة، وحتى إن المراهق الذي يحتلم لا يرى صورة الوقاع إذا لم يكن قد واقع في اليقظة، ولو بقي كذلك مدة لما رأى عند الاحتلام صورة الوقاع، ثم لا يخفى أن الذي قضى عمره في الفقه يرى من الأحوال المتعلقة بالعلم والعلماء أكثر مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة، والتاجر يرى من الأحوال المتعلقة بالتجارة وأسبابها أكثر مما يراه الطبيب والفقيه؛ لأنه إنما يظهر في حال النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول الإلف أو بسبب آخر من الأسباب، والموت شبيه النوم ولكنه فوقه، ولكن سكرات الموت وما يتقدّمه من الغشية قريب من النوم، فيقتضي ذلك تذكر المألوف وعوده إلى القلب، وأحد الأسباب المرجحة لحصول ذكره في القلب طول الإلف، فطول الإلف بالمعاصي والطاعات أيضًا مرجح، وكذلك تخالف أيضًا منامات الصالحين منامات الفساق، فتكون غلبة الإلف سبب لأن تتمثل صورة فاحشة في قلبه وتميل إليها نفسه، فربما تقبض عليها روحه فيكون ذلك سبب سوء خاتمته، وإن كان أصل الإيمان باقيًا بحيث يرجى له الخلاص منها، وكما أن ما يخطر في اليقظة إنما يخطر بسبب خاص يعلمه الله تعالى، فكذلك آحاد المنامات لها أسباب عند الله تعالى نعرف بعضها ولا نعرف بعضها، كما أنا نعلم أن الخاطر ينتقل من الشيء إلى ما يناسبه إما بالمشابهة وإما بالمضادة وإما بالمقارنة بأن يكون قد ورد على الحس منه.

أما بالمشابهة فبأن ينظر إلى جميل فيتذكر جميلًا آخر، وأما بالمضادة فبأن ينظر إلى جميل فيتذكر قبيحًا ويتأمل في شدة التفاوت بينهما، وأما بالمقارنة فبأن ينظر إلى فرس قد رآه من قبل مع إنسان فيتذكر ذلك الإنسان، وقد ينتقل الخاطر من شيء إلى شيء ولا يدري وجه مناسبته له، وإنما يكون ذلك بواسطة وواسطتين، مثل أن ينتقل من شيء ثان، ومنه إلى شيء ثالث، ثم ينسى الثاني، ولا يكون بين الثالث والأوّل مناسبة، ولكن يكون بينه وبين الثاني مناسبة وبين الثاني والأوّل مناسبة، فكذلك لانتقالات الخواطر في المنامات أسباب من هذا الجنس، وكذلك عند سكرات الموت، فعلى هذا - والعلم عند الله - من كانت الخياطة أكثر أشغاله، فإنك تراه يومىء إلى رأسه كأنه يأخذ إبرته ليخيط بها ويبل إصبعه التي لها عادة بالكستبان ويأخذ الإزار من فوقه ويقدره ويشبره كأنه يتعاطى تفصيله، ثم يمدّ يده إلى

المقراض، ومن أراد أن يكف خاطره عن الانتقال عن المعاصي والشهوات فلا طريق له إلا المجاهدة طول العمر في فطامه نفسه عنها وفي قمع الشهوات عن القلب، فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير وتخلية الفكر من الشر عدّة وذخيرة لحالة سكرات الموت، فإنه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه، ولذلك نقل عن بقال أنه كان يلقن عند الموت كلمتي الشهادة فيقول: خمسة ستة أربعة، فكان مشغول النفس بالحساب الذي طال إلفه له قبل الموت.

وقال بعض العارفين من السلف: العرش جوهرة تتلألأ نورًا، فلا يكون العبد على حال إلا انطبع مثاله في العرش على الصورة التي كان عليها، فإذا كان في سكرات الموت كشف له صورته من العرش؛ فربما يرى نفسه على صورة معصية، وكذلك يكشف له يوم القيامة فيرى أحوال نفسه فيأخذه من الحياء والخوف ما يجل عن الوصف، وما ذكره صحيح، وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك، فإن النائم يدرك ما يكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهي جزء من أجزاء النبوّة، فإذا رجع سوء الخاتمة إلى أحوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله، والاتفاقات المقتضية لسوء الخواطر غير داخلة تحت الاختيار دخولًا كليًا وإن كان لطول الإلف فيه تأثير، فبهذا عظم خوف العارفين من سوء الخاتمة؛ لأنه لو أراد الإنسان أن لا يرى في المنام إلا أحوال الصالحين وأحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وإن كانت كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه، ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط، وإن كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة، حتى سمعت الشيخ أبا علي الفارمذي رحمة الله عليه يصف لي وجوب حسن أدب المريد لشيخه وأن لا يكون في قلبه إنكار لكل ما يقوله ولا في لسانه مجادلة عليه فقال: حكيت لشيخي أبي القاسم الكرماني منامًا لي وقلت: رأيتك قلت لي كذا. فقلت: لم ذاك؟ قال: فهجرني شهرًا ولم يكلمني وقال: لولا أنه كان في باطنك تجويز المطالبة وإنكار ما أقوله لك لما جرى ذلك على لسانك في النوم وهو كما قال؛ إذ قلما يرى الإنسان في منامه خلاف ما يغلب في اليقظة على قلبه؛ فهذا هو القدر الذي نسمح بذكره في علم المعاملة من أسرار أمر الخاتمة، وما وراء ذلك فهو داخل في علم المكاشفة، وقد ظهر لك بهذا أنّ الأمن من سوء الخاتمة بأن ترى الأشياء كما هي عليه من غير جهل وتزجي جميع العمر في طاعة الله من غير معصية؛ فإن كنت تعلم أنّ ذلك محال أو عسير فلا بدّ وأن يغلب عليك من الخوف ما غلب على العارفين حتى يطول بسببه بكاؤك ونياحتك ويدوم به حزنك وقلقك، كما سنحكيه من أحوال الأنبياء والسلف الصالحين ليكون ذلك أحد الأسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك، وقد عرفت بهذا أنّ أعمال العمر كلها ضائعة إن لم يسلم في النفس الأخير الذي عليه خروج الروح، وإن سلامته مع اضطراب أمواج الخواطر مشكلة جدًّا، ولذلك كان مطرف بن عبد الله يقول: إني لا

أعجب ممن هلك كيف هلك، ولكني أعجب ممن نجا كيف نجا؟! ولذلك قال حامد اللفاف: إذا صعدت الملائكة بروح العبد المؤمن وقد مات على الخير والإسلام تعجبت الملائكة منه وقالوا: كيف نجا هذا من دنيا فسد فيها خيارنا؟! وكان الثوري يومًا يبكي فقيل له: علام تبكي؟ فقال: بكينا على الذنوب زمانًا، فالآن نبكي على الإسلام.

وبالجملة، من وقعت سفينته في لجة البحر وهجمت عليه الرياح العاصفة واضطربت الأمواج كانت النجاة في حقه أبعد من الهلاك، وقلب المؤمن أشدّ اضطرابًا من السفينة، وأمواج الخواطر أعظم التطامًا من أمواج البحر، وإنما المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرَّجلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ خَمْسِينَ سَنَةً حَتَّى لا يَبْقَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إلاّ فُوَاقُ نَاقَةٍ فَيُخْتَمُ لَهُ بِمَا سَبَقَ بِهِ الكِتَابُ»(١)، ولا يتسع فواق الناقة لأعمال توجب الشقاوة، بل هي الخواطر التي تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف. وقال سهل: رأيت كأني أدخلت الجنة، فرأيت ثلاثمائة نبي فسألتهم: ما أخوف ما كنتم تخافون في الدنيا؟ قالوا: سوء الخاتمة ولأجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطًا عليها، وكانت موت الفجأة مكروهًا، أما الموت فجأة فلأنه ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب لا يخلو عن أمثاله إلا أن يدفع بالكراهة أو بنور المعرفة. وأما الشهادة؛ فلأنها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله تعالى وخرج حب الدنيا والأهل والمال والولد وجميع الشهوات عن القلب، إذ لا يهجم على صف القتال موطنًا نفسه على الموت إلا حبًا لله وطلبًا لمرضاته وبائعًا دنياه بآخرته وراضيًا بالبيع الذي بايعه الله به، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] والبائع راغب عن المبيع لا محالة ومخرج حبه عن القلب؛ ومجرّد حب العوض المطلوب في قلبه، ومثل هذه الحالة قد يغلب على القلب في بعض الأحوال ولكن لا يتفق زهوق الروح فيها فصف القتال سبب لزهوق الروح على مثل هذه الحالة، هذا فيمن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة، فإن من هذا حاله وإن قتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه الأخبار(٢).

وإذ بان لك معنى سوء الخاتمة وما هو مخوف فيها فاشتغل بالاستعداد لها، فواظب على ذكر الله تعالى وأخرج من قلبك حب الدنيا، واحرس عن فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر

(١) حديث «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة». تقدم.

(٢) صحيح: حديث «المقتول في الحرب إذا كان قصده الغلبة والغنيمة وحسن الصيت فهو بعيد عن رتبة الشهادة». متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري «إن رجلا قال: يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»، وفي رواية: «الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء»، وفي رواية «غضبا». [البخاري: ٢٨١٠، ٧٤٥٨، ومسلم: ١٩٠٤ عن أبي موسى].

فيها قلبك، واحترز عن مشاهدة المعاصي ومشاهدة أهلها جهدك، فإن ذلك أيضًا يؤثر في قلبك ويصرف إليه فكرك وخواطرك، وإياك أن تسوّف وتقول: سأستعدّ لها إذا جاءت الخاتمة، فإن كل نفس من أنفاسك خاتمتك، إذ يمكن أن تختطف فيه روحك، هذا ما دمت في يقظتك، وأما إذا نمت فإياك أن تنام إلا على طهارة الظاهر والباطن وأن يغلبك النوم إلا بعد غلبة ذكر الله على قلبك، لست أقول على لسانك فإنّ حركة اللسان بمجرّدها ضعيفة الأثر.

واعلم قطعًا أنه لا يغلب عند النوم على قلبك إلا ما كان قبل النوم غالبًا عليه، وأنه لا يغلب في النوم إلا ما كان غالبًا قبل النوم، ولا ينبعث عن نومك إلا ما غلب على قلبك في نومك، والموت والبعث شبيه النوم واليقظة، فكما لا ينام العبد إلا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ إلا على ما كان عليه في نومه، فكذلك لا يموت المرء إلا على ما عاش عليه ولا يحشر إلا على ما مات عليه، وتحقق قطعًا ويقينًا أنّ الموت والبعث حالتان من أحوالك كما أن النوم واليقظة حالتان من أحوالك، وآمن بهذا تصديقًا باعتقاد القلب إن لم تكن أهلًا لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة، وراقب أنفاسك ولحظاتك، وإياك أن تغفل عن الله طرفة عين فإنك إذا فعلت ذلك كله كنت مع ذلك في خطر عظيم، فكيف إذا لم تفعل؟ والناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم.

واعلم أن ذلك لا يتيسر لك ما لم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك، وضرورتك مطعم وملبس ومسكن والباقي كله فضول، والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك ويسد رمقك، فينبغي أن يكون تناولك تناول مضطر كاره له، ولا تكون رغبتك فيه أكثر من رغبتك في قضاء حاجتك، إذ لا فرق بين إدخال الطعام في البطن وإخراجه؛ فهما ضرورتان في الجبلة، وكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك التي يشتغل بها قلبك فلا ينبغي أن يكون تناول الطعام من همتك.

واعلم أنه إن كان همتك ما يدخل بطنك فقيمتك ما يخرج من بطنك، وإذا لم يكن قصدك من الطعام إلا التقوي على عبادة الله تعالى كقصدك من قضاء حاجتك، فعلامة ذلك تظهر في ثلاثة أمور: من مأكولك في وقته وقدره وجنسه، أما الوقت فأقله أن يكتفى في اليوم والليلة بمرة واحدة فيواظب على الصوم، وأما قدره فبأن لا يزيد على ثلث البطن، وأما جنسه فأن لا يطلب لذائذ الأطعمة بل يقنع بما يتفق، فإن قدرت على هذه الثلاث وسقطت عنك مئونة الشهوات واللذائذ قدرت بعد ذلك على ترك الشبهات وأمكنك أن لا تأكل إلا من حله، فإنّ الحلال يعز ولا يفي بجميع الشهوات، وأما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحرّ والبرد وستر العورة، فكل ما دفع البرد عن رأسك ولو قلنسوة بدانق فطلبك غيره فضول منك يضيع فيه زمانك ويلزمك الشغل الدائم والعناء القائم في تحصيله بالكسب مرة والطمع أخرى من الحرام والشبهة، وقس بهذا ما تدفع به الحرّ والبرد عن بدنك؛ فكل ما حصل مقصود اللباس إن لم

تكتف به في خساسة قدره وجنسه لم يكن لك موقف ومرد بعده.

بل كنت ممن لا يملأ بطنه إلا التراب، وكذلك المسكن أن اكتفيت بمقصوده كفتك السماء سقفًا والأرض مستقرًا؛ فإن غلبك حر أو برد فعليك بالمساجد، فإن طلبت مسكنًا خاصًا طال عليك وانصرف إليه أكثر عمرك، وعمرك هو بضاعتك، ثم إن تيسر لك فقصدت من الحائط سوى كونه حائلًا بينك وبين الأبصار، ومن السقف سوى كونه دافعًا للأمطار، فأخذت ترفع الحيطان وتزين السقوف فقد تورّطت في مهواة يبعد رقيك منها، وهكذا جميع ضرورات أمورك إن اقتصرت عليها تفرغت لله وقدرت على التزوّد لآخرتك والاستعداد لخاتمتك، وإن جاوزت حدّ الضرورة إلى أودية الأماني تشعبت همومك ولم يبال الله في أي واد أهلكك؛ فاقبل هذه النصيحة ممن هو أحوج إلى النصيحة منك.

واعلم أنّ متسع التدبير والتزوّد والاحتياط هذا العمر القصير، فإذا دفعته يومًا بيوم في تسويفك أو غفلتك اختطفت فجأة في غير وقت إرادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك، فإن كنت لا تقدر على ملازمة ما أرشدت إليه بضعف خوفك إذا لم يكن فيما وصفناه من أمر الخاتمة كفاية في تخويفك فإنا سنورد عليك من أحوال الخائفين ما نرجو أن يزيل بعض القساوة عن قلبك، فإنك تتحقق أنّ عقل الأنبياء والأولياء والعلماء وعملهم ومكانهم عند الله تعالى لم يكن دون عقلك وعملك ومكانك، فتأمل مع كلال بصيرتك وعمش عين قلبك في أحوالهم: لم اشتدّ بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يصعق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشيًا عليه وبعضهم يخرّ ميتًا إلى الأرض، ولا غرو، إن كان ذلك لا يؤثر في قلبك فإنّ قلوب الغافلين مثل الحجارة أو أشدّ قسوة ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

بيان أحوال الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام في الخوف:

روت عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه فيقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفًا من عذاب الله (١).

وقرأ آية في سورة الواقعة فصعق (٢)، وقال تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣] ورأى

---

(١) صحيح: حديث عائشة: أن رسول الله ﷺ كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه فيقوم. متفق عليه من حديث عائشة. [البخاري: ٤٨٢٩، ومسلم: ٨٩٩].

(٢) حديث: قرأ في سورة الحاقة فصعق. المعروف فيما يروى من هذه القصة أنه قرئ عنده ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل: ١٢-١٣] فصعق، كما رواه ابن عدي والبيهقي في الشعب مرسلا، وهكذا ذكره المصنف على الصواب في كتاب السماع كما تقدم.

رسول الله ﷺ صورة جبريل عليه السلام بالأبطح فصعق [١]. وروي أنه عليه السلام كان إذا دخل في الصلاة يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل [٢]. وقال ﷺ: «ما جَاءَنِي جِبْرِيلَ قَطُّ إلاَّ وَهُوَ يُرْعَدُ فَرَقًا مِنَ الجَبَّارِ» [٣]، وقيل: لما ظهر على إبليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان، فأوحى الله إليهما: مالكما تبكيان كل هذا البكاء؟ فقالا: يا رب، ما نأمن مكرك؛ فقال الله تعالى: هكذا كونا، لا تأمنا مكري.

وعن محمد بن المنكدر قال: لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة من أماكنها، فلما خلق بنو آدم عادت.

وعن أنس أنه عليه السلام سأل جبريل: «مَا لِي لا أَرَى مِيكَائِيلَ يَضْحَكُ؟» فقال جبريل: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار [٤].

ويقال: إنّ لله تعالى ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النار مخافة أن يغضب الله عليهم فيعذبهم بها.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان الأنصار، فجعل يلتقط من التمر ويأكل، فقال: «يا ابْنَ عُمَرَ، مَا لَكَ لا تَأْكُلُ؟» فقلت: يا رسول الله لا أشتهيه، فقال: «لكِنِّي أَشْتَهِيهِ وَهذَا صُبْحُ رَابِعَةٍ لَمْ أَذُقْ طَعَامًا وَلَمْ أَجِدْهُ وَلَوْ سَأَلْتُ رَبِّي لأَعْطَانِي مُلْكَ قَيْصَرَ وَكِسْرَى فَكَيْفَ بِكَ يا ابْنَ عُمَرَ إذا بقِيتَ فِي قَوْمٍ يَخْبَئُونَ رِزْقَ سَنَتِهِمْ وَيَضْعُفُ اليَقِينُ فِي قُلُوبِهِمْ؟» قال فوالله ما برحنا ولا قمنا حتى نزلت: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٦٠] قال فقال رسول الله

---

(١) حديث: إنه رأى صورة جبريل بالأبطح فصعق. أخرجه البزار من حديث ابن عباس بسند جيد: «سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته؟ فقال: ادع ربك»، فدعا ربه فطلع عليه من قبل المشرق فجعل يرتفع ويسير، فلما رآه فصعق. ورواه ابن المبارك من رواية الحسن مرسلا بلفظ: فغشي عليه. وفي الصحيحين عن عائشة: «رأى جبريل في صورته مرتين» [البخاري: ٤٨٥٥، ومسلم: ١٧٧] ولهما عن ابن مسعود: «رأى جبريل له ستمائة جناح». [البخاري: ٣٢٣٢، ومسلم: ١٧٤]

(٢) صحيح: حديث: كان إذا دخل في الصلاة سمع لصدره أزيز كأزيز المرجل. رواه أبو داود والترمذي في الشمائل، والنسائي من حديث عبد الله بن الشخير، وتقدم في كتاب السماع. [أبو داود: ٩٠٤، والنسائي: ١٢١٤، وانظر صحيح الترغيب: ٥٤٤].

(٣) حديث «ما جاءني جبريل قط إلا وهو ترتعد فرائسه من الجبار». لم أجد هذا اللفظ. وروى أبو الشيخ في كتاب العظمة عن ابن عباس قال: إن جبريل عليه السلام يوم القيامة لقائم بين يدي الجبار تبارك وتعالى ترتعد فرائصه فرقا من عذاب الله... الحديث» وفيه زميل بن سماك الحنفي يحتاج إلى معرفته.

(٤) حسن لغيره: حديث أنس أنه ﷺ قال لجبريل «ما لي لا أرى ميكائيل يضحك» فقال: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار. رواه أحمد وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من رواية ثابت عن أنس بإسناد جيد، ورواه ابن شاهين في السنة من حديث ثابت مرسلا، وورد ذلك أيضا في حق إسرافيل. رواه البيهقي في الشعب، وفي حق جبريل رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين. [أحمد: ١٢٩٣٠، وانظر صحيح الترغيب: ٣٦٦٤، ولم أره في حق إسرافيل وجبريل].

ﷺ، «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْكُمْ بِكَنْزِ المَالِ وَلا بِاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ، مَنْ كَنَزَ دَنَانِيرَ يُرِيدُ بِهَا حَيَاةً فَانِيَةً فَإِنَّ الحَيَاةَ بِيَدِ اللَّهِ، أَلاَ وَإِنِّي لا أَكْنِزُ دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا وَلا أَخْبَأُ رِزْقًا لِغَدٍ» (١).

وقال أبو الدرداء: كان يسمع أزيز قلب إبراهيم خليل الرحمن إذا قام في الصلاة من مسيرة ميل خوفًا من ربه.

وقال مجاهد: بكى داود عليه السلام أربعين يومًا ساجدًا لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه وحتى غطى رأسه، فنودي: يا داود أجائع أنت فتطعم؟ أم ظمآن فتسقى؟ أم عار فتكسى؟ فنحب نحبة هاج العود فاحترق من حرّ جوفه، ثم أنزل الله تعالى عليه التوبة والمغفرة فقال: يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته في كفه مكتوبة، فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيره إلا رآها فأبكته، قال: وكان يؤتى بالقدح ثلثاه فإذا تناوله أبصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه. ويروى عنه عليه السلام أنه ما رفع رأسه إلى السماء حتى مات حياء من الله عز وجل، وكان يقول في مناجاته: إلهي إذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الأرض برحبها، وإذا ذكرت رحمتك ارتدّت إلي روحي، سبحانك إلهي أتيت أطباء عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم عليك يدلني، فبؤسًا للقانطين من رحمتك.

وقال الفضيل: بلغني أنّ داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صارخًا واضعًا يده على رأسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت إليه السباع فقال: ارجعوا لا أريدكم، إنما أريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلني إلا البكاء، ومن لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود الخطاء. وكان يعاتب في كثرة البكاء فيقول، دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء قبل تخريق العظام واشتغال الحثا وقبل أن يؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. وقال عبد العزيز بن عمر: لما أصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال: إلهي بح صوتي في صفاء أصوات الصديقين. وروي أنه عليه السلام لما طال بكاؤه ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعه واشتدّ غمه، فقال: يا رب أما ترحم بكائي؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا داود، نسيت ذنبك وذكرت بكاءك، فقال: إلهي وسيدي كيف أنسى ذنبي وكنت إذا تلوت الزبور كف الماء الجاري عن جريه وسكن هبوب الريح وأظلني الطير على رأسي وأنست الوحوش إلى محرابي، إلهي وسيدي فما هذه الوحشة التي بيني وبينك؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا داود ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية، يا داود: آدم خلق من خلقي خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي وأسجدت له ملائكتي وألبسته ثوب كرامتي وتوجته بتاج وقاري، وشكا لي الوحدة فزوجته حواء أمتي وأسكنته جنتي، عصاني فطردته عن جواري عريانًا ذليلًا، يا داود اسمع مني والحق

(١) ضعيف جدًا: حديث ابن عمر: خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل على حيطان الأنصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل». أخرجه ابن مردويه في التفسير والبيهقي في الزهد من رواية رجل لم يسم عن ابن عمر، قال البيهقي: هذا إسناد مجهول، والجراح بن منهال ضعيف. [انظر ضعيف الترغيب: ١٩٠١].

أقول: أطعتنا فأطعناك، وسألتنا فأعطيناك، وعصيتنا فأمهلناك، وإن عدت إلينا على ما كان منك قبلناك.

وقال يحيى بن أبي كثير: بلغنا أن داود عليه السلام كان إذا أراد أن ينوح مكث قبل ذلك سبعًا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء، فإذا كان قبل ذلك بيوم أخرج له المنبر إلى البرية، فأمر سليمان أن ينادي بصوت يستقري البلاد وما حولها من الغياض والآكام والجبال والبراري والصوامع والبيع، فينادي فيها: ألا من أراد أن يسمع نوح داود على نفسه فليأت، قال: فتأتي الوحوش من البراري والآكام وتأتي السباع من الغياض وتأتي الهوام من الجبال وتأتي الطير من الأوكار وتأتي العذارى من خدورهن، وتجتمع الناس لذلك اليوم، ويأتي داود حتى يرقى المنبر ويحيط به بنو إسرائيل وكل صنف على حدته محيطون به وسليمان عليه السلام قائم على رأسه.

فيأخذ في الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ، ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار فتموت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس، ثم يأخذ في أهوال القيامة وفي النياحة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة، فإذا رأى سلمان كثرة الموتى قال: يا أبتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طوائف من بني إسرائيل ومن الوحوش والهوام، فيأخذ في الدعاء، فبينا هو كذلك إذ ناداه بعض عباد بني إسرائيل: يا داود عجلت بطلب الجزاء على ربك قال: فيخرّ داود مغشيًا عليه، فإذا نظر سليمان إلى ما أصابه أتى بسرير فحمله عليه ثم أمر مناديًا ينادي: ألا من كان له مع داود حميم أو قريب فليأت بسرير فليحمله فإن الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار فكانت المرأة تأتي بالسرير وتحمل قريبها وتقول: يا من قتله ذكر النار، يا من قتله خوف الله ثم إذا أفاق داود قام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأغلق بابه ويقول: يا إله داود أغضبان أنت على داود ولا يزال يناجي ربه، فيأتي سليمان ويقعد على الباب ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص من شعير فيقول: يا أبتاه تقوّ بهذا على ما تريد، فيأكل من ذلك القرص ما شاء الله ثم يخرج إلى بني إسرائيل فيكون بينهم.

وقال يزيد الرقاشي: خرج داود ذات يوم بالناس يعظهم ويخوّفهم، فخرج في أربعين ألفًا فمات منهم ثلاثون ألفًا وما رجع إلا في عشرة آلاف، قال: وكان له جاريتان اتخذهما، حتى إذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب قعدتا على صدره وعلى رجليه مخافة أن تتفرق أعضاؤه ومفاصله فيموت.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: دخل يحيى بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج، فنظر إلى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف، ونظر إلى مجتهديهم قد خرقوا التراقي وسلكوا فيها السلاسل وشدّوا أنفسهم إلى أطراف بيت المقدس، فهاله ذلك، فرجع إلى أبويه فمرّ بصبيان يلعبون، فقالوا له: يا يحيى، هلم بنا لنلعب فقال: إني لم

أخلق للعب، قال: فأتى أبويه فسألهما أن يدرعاه الشعر ففعلا، فرجع إلى بيت المقدس وكان يخدمه نهارًا ويصبح فيه ليلًا، حتى أتت عليه خمس عشرة سنة، فخرج ولزم أطواد الأرض وَغِيرانَ الشعاب، فخرج أبواه في طلبه فأدركاه على بحيرة الأردن وقد أنقع رجليه في الماء حتى كاد العطش يذبحه وهو يقول: وعزتك وجلالك لا أذوق بارد الشراب حتى أعلم أين مكاني منك، فسأله أبواه أن يفطر على قرص كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن يمينه، فمدح بالبر، فرده أبواه إلى بيت المقدس، فكان إذا قام يصلي بكى حتى يبكي معه الشجر والمدر، ويبكي زكريا عليه السلام لبكائه حتى يغمى عليه، فلم يزل يبكي حتى خرقت دموعه لحم خدّيه وبدت أضراسه للناظرين، فقالت له أمه: يا بني لو أذنت لي أن أتخذ لك شيئًا تواري به أضراسك عن الناظرين فأذن لها، فعمدت إلى قطعتي لبود فألصقتهما على خدّيه، فكان إذا قام يصلي بكى فإذا استنقعت دموعه في القطعتين أتت إليه أمه فعصرتهما، فإذا رأى دموعه تسيل على ذراعي أمه قال: اللهم هذه دموعي وهذه أمي وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين، فقال له زكريا يومًا: يا بني إنما سألت ربي أن يهبك لي لتقرّ عيناي بك، فقال يحيى، يا أبت إن جبريل عليه السلام أخبرني أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها إلا كل بكاء. فقال زكريا عليه السلام: يا بني فابك.

وقال المسيح عليه السلام: معاشر الحواريين، خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا. بحق أقول لكم: إن أكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس قليل.

وقيل: كان الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلًا في ميل، فيأتيه جبريل فيقول له: ربك يقرئك السلام ويقول: هل رأيت خليلًا يخاف خليله؟ فيقول: يا جبريل إني إذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي، فهذه أحوال الأنبياء عليهم السلام فدونك والتأمل فيها فإنهم أعرف خلق الله بالله وصفاته، صلوات الله عليهم أجمعين وعلى كل عباد الله المقرّبين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف والصالحين في شدة الخوف:

روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لطائر: ليتني مثلك يا طائر ولم أخلق بشرًا.

وقال أبو ذرّ رضي الله عنه: وددت لو أني شجرة تعضد، وكذلك قال طلحة.

وقال عثمان رضي الله عنه: وددت أني إذا مت لم أبعث.

وقالت عائشة رضي الله عنها: وددت أني كنت نسيًا منسيًا.

وروي أن عمر رضي الله عنه كان يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن مغشيًا عليه، فكان يعاد أيامًا. وأخذ يومًا تبنة من الأرض فقال: يا ليتني كنت هذه التبنة، يا ليتني لم أك شيئًا مذكورًا، يا ليتني كنت نسيًا منسيًا، يا ليتني لم تلدني أمي. وكان في وجه عمر رضي الله عنه

خطان أسودان من الدموع وقال رضي الله عنه: من خاف الله لم يشف غيظه، ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون. ولما قرأ عمر رضي الله عنه: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[التكوير:١] وانتهى إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾[التكوير:١٠] خرّ مغشيًا عليه، ومرّ يومًا بدار إنسان وهو يصلي ويقرأ سورة: ﴿وَٱلطُّورِ﴾[الطور:١] فوقف يستمع، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾[الطور:٧-٨] نزل عن حماره واستند إلى حائط ومكث زمانًا، ورجع إلى منزله فمرض شهرًا يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه.

وقال علي كرّم الله وجهه وقد سلم من صلاة الفجر وقد علاه كآبة وهو يقلب يده: لقد رأيت أصحاب محمد فلم أر اليوم شيئًا يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثًا صفرًا غبرًا بين أعينهم أمثال ركب المعزى قد باتوا لله سجدًا وقيامًا يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا ذكروا الله فمادوا كما يميد الشجر في يوم الريح، وهملت أعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم، والله فكأني بالقوم باتوا غافلين، ثم قام. فما رئي بعد ذلك ضاحكًا حتى ضربه ابن ملجم.

وقال عمران بن حصين: وددت أن أكون رمادًا تنسفني الرياح في يوم عاصف.

وقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: وددت أني كبش فيذبحني أهلي فيأكلون لحمي ويحسون مرقي.

وكان علي بن الحسين رضي الله عنه إذا توضأ اصفر لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟.

وقال موسى بن مسعود: كنا إذا جلسنا إلى الثوري كأن النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه.

وقرأ مضر القارىء يومًا: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ...﴾[الجاثية: ٢٩] الآية فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشي عليه، فلما أفاق قال: وعزتك لاعصيتك جهدي أبدًا، فأعني بتوفيقك على طاعتك.

وكان المسور بن مخرمة لا يقوى أن يسمع شيئًا من القرآن: لشدّة خوفه، ولقد كان يقرأ عنده الحرف والآية فيصيح الصيحة فما يعقل أيامًا، حتى أتى عليه رجل من خثعم فقرأ عليه: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾[مريم:٨٥-٨٦] فقال أنا من المجرمين ولست من المتقين، أعد علي القول أيها القارىء، فأعادها عليه فشهق شهقة فلحق بالآخرة.

وقرىء عند يحيى البكاء: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾[الأنعام:٣٠] فصاح صيحة مكث منها مريضًا أربعة أشهر يعاد من أطراف البصرة.

وقال مالك بن دينار: بينما أنا أطوف بالبيت إذ أنا بجويرية متعبدة متعلقة بأستار الكعبة

وهي تقول: يا رب كم شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها يا رب أما كان لك أدب وعقوبة إلا النار؟ وتبكي؛ فما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر، قال مالك: فلما رأيت ذلك وضعت يدي على رأسي صارخًا أقول: ثكلت مالكًا أمه.

وروي أن الفضيل رئي يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى المحترقة، حتى إذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: واسوأتاه منك وإن غفرت، ثم انقلب مع الناس.

وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الخائفين؟ فقال: قلوبهم بالخوف فرحة، وأعينهم باكية، يقولون: كيف نفرح والموت من ورائنا، والقبر أمامنا، والقيامة موعدنا، وعلى جهنم طريقنا، وبين يدي الله ربنا وموقفنا.

ومرّ الحسن بشاب وهو مستغرق في ضحكه وهو جالس مع قوم في مجلس؛ فقال له الحسن: يا فتى، هل مررت بالصراط؟ قال: لا. قال: فهل تدري إلى الجنة تصير أم إلى النار؟ قال: لا. قال: فما هذا الضحك؟ قال فما رؤي ذلك الفتى بعدها ضاحكًا.

وكان حماد بن عبد ربه إذا جلس جلس مستوفزًا على قدميه، فيقال له: لو اطمأننت؟ فيقول: تلك جلسة الآمن، وأنا غير آمن إذ عصيت الله تعالى.

وقال عمر بن عبد العزيز: إنما جعل الله هذه الغفلة في قلوب العباد رحمة كيلا يموتوا من خشية الله تعالى.

وقال مالك بن دينار: لقد هممت إذا أنا مت آمرهم أن يقيدوني ويغلوني ثم ينطلقوا بي إلى ربي كما ينطلق بالعبد الآبق إلى سيده.

وقال حاتم الأصم: لا تغتر بموضع صالح، فلا مكان أصلح من الجنة وقد لقي آدم عليه السلام فيها ما لقي: ولا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول تعبده لقي ما لقي ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام كان يحسن اسم الله الأعظم فانظر ماذا لقي ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر منزلة عند الله من المصطفى ولم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه.

وقال السري: إني لأنظر إلى أنفي كل يوم مرات مخافة أن يكون قد اسودّ وجهي. وقال أبو حفص: منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسي أن الله ينظر إلي نظر السخط وأعمالي تدل على ذلك.

وخرج ابن المبارك يومًا على أصحابه فقال: إني اجترأت البارحة على الله سألته الجنة.

وقالت أم محمد بن كعب القرظي لابنها: يا بني إني أعرفك صغيرًا وكبيرًا طيبًا، وكأنك أحدثت حدثًا موبقًا لما أراك تصنع في ليلك ونهارك فقال: يا أماه، ما يؤمنني أن يكون الله تعالى قد اطلع علي وأنا على بعض ذنوبي فمقتني وقال: وعزتي وجلالي لا غفرت لك.

وقال الفضيل: إني لا أغبط نبيًّا مرسلًا، ولا ملكًا مقربًا ولا عبدًا صالحًا، أليس هؤلاء

يعاينون يوم القيامة، إنما أغبط من لم يخلق.

وروي: أن فتى من الأنصار دخلته خشية النار، فكان يبكي حتى حبسه ذلك في البيت، فجاء النبي ﷺ فدخل عليه واعتنقه فخرّ ميتًا، فقال ﷺ: «جهّزوا صاحبكم فإن الفرق من النار فتت كبده» (١).

وروي عن ابن أبي ميسرة أنه كان إذا أوى إلى فراشه يقول: يا ليت أمي لم تلدني، فقالت له أمه: يا ميسرة، إن الله تعالى قد أحسن إليك. هداك إلى الإسلام، قال: أجل ولكن الله قد بيّن لنا أنا واردو النار ولم يبين لنا أنا صادرون عنها.

وقيل لفرقد السبخي: أخبرنا بأعجب شيء بلغك عن بني إسرائيل فقال: بلغني أنه دخل بيت المقدس خمسمائة عذراء لباسهن الصوف والمسوح، فتذاكرن ثواب الله وعقابه فمتن جميعًا في يوم واحد.

وكان عطاء السلمي من الخائفين ولم يكن يسأل الله الجنة أبدًا إنما كان يسأل الله العفو. وقيل له في مرضه: ألا تشتهي شيئًا؟ فقال: إن خوف جهنم لم يدع في قلبي موضعًا للشهوة: إنه ما رفع رأسه إلى السماء ولا ضحك أربعين سنة. وأنه رفع رأسه يومًا ففزع فسقط فانفتق في بطنه فتق، وكان يمس جسده في بعض الليلة مخافة أن يكون قد مسخ. وكان إذا أصابتهم ريح أو برق أو غلاء طعام قال: هذا من أجلي يصيبهم، لو مات عطاء لاستراح الناس. وقال عطاء: خرجنا مع عتبة الغلام وفينا كهول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهور العشاء قد تورّمت أقدامهم من طول القيام وغارت أعينهم في رءوسهم ولصقت جلودهم على عظامهم وبقيت العروق كأنها الأوتار، يصبحون كأن جلودهم قشور البطيخ وكأنهم قد خرجوا من القبور يخبرون كيف أكرم الله المطيعين وكيف أهان العاصين، فبينما هم يمشون إذ مرّ أحدهم بمكان فخرّ مغشيًا عليه، فجلس أصحابه حوله يبكون في يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقًا، فجاءوا بماء فمسحوا وجهه فأفاق وسألوه عن أمره؟ فقال: إني ذكرت أني كنت عصيت الله في ذلك المكان.

وقال صالح المري: قرأت على رجل من المتعبدين: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٦] فصعق ثم أفاق فقال: زدني يا صالح فإني أجد غمًّا، فقرأت: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠] فخرّ ميتًا.

وروي أن زرارة بن أبي أوفى صلى بالناس الغداة فلما قرأ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨] خرّ مغشيًا عليه، فحمل ميتًا.

---

(١) ضعيف: حديث: أن فتى من الأنصار دخلته خشية النار». أخرجه ابن أبي الدنيا في الخائفين من حديث حذيفة، والبيهقي في الشعب من حديث سهل بن سعد بإسنادين فيهما نظر. [انظر ضعيف الترغيب: ١٩٦٦].

ودخل يزيد الرقاشيّ على عمر بن عبد العزيز فقال: عظني يا يزيد: فقال: يا أمير المؤمنين، اعلم أنك لست أوّل خليفة يموت، فبكى ثم قال: زدني، قال: يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم أب إلا ميت، فبكى ثم قال: زدني يا يزيد، فقال: يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين الجنة والنار منزل، فخرّ مغشيًا عليه.

وقال ميمون بن مهران: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر :٤٣] صاح سلمان الفارسي ووضع يده على رأسه وخرج هاربًا ثلاثة أيام لا يقدرون عليه (١).

ورأى داود الطائي امرأة تبكي على رأس قبر ولدها وهي تقول: يا ابناه، ليت شعري أي خديك بدأ به الدود أولًا؟ فصعق داود وسقط مكانه.

وقيل: مرض سفيان الثوري فعرض دليله على طبيب ذمي فقال: هذا رجل قطع الخوف كبده، ثم جاء وجس عروقه ثم قال: ما علمت أن في الملة الحنيفية مثله.

وقال أحمد بن حنبل رحمة الله عليه: سألت الله عز وجل أن يفتح عليّ بابًا من الخوف، ففتح فخفت على عقلي؛ فقلت: يا رب على قدر ما أطيق، فسكن قلبي.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته، وصلى حتى ينكسر صلبه، وكأنه أشار إلى معنى قوله: «لَوْ تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» (٢).

وقال العنبري: اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوّة وهو يبكي ولحيته ترجف، فقال: عليكم بالقرآن، عليكم بالصلاة، ويحكم ليس هذا زمان حديث، إنما هذا زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق، إنما هذا زمان: احفظ لسانك وأخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر.

ورئي الفضيل يومًا وهو يمشي، فقيل له: إلى أين؟ قال: لا أدري، وكان يمشي والهًا من الخوف.

وقال ذرّ بن عمر لأبيه عمر بن ذر: ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي أحد، فإذا تكلمت أنت سمعت البكاء من كل جانب، فقال: يا بني ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة. وحكي أنّ قومًا وقفوا بعابد وهو يبكي فقالوا: ما الذي يبكيك يرحمك الله؟ قال: قرحة يجدها الخائفون في قلوبهم قالوا: وما هي؟ قال: روعة النداء بالعرض على الله عز وجل.

وكان الخوّاص يبكي ويقول في مناجاته: قد كبرت وضعف جسمي عن خدمتك فأعتقني.

---

(١) حديث ميمون بن مهران: لما نزلت هذه الآية ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٤٣] صاح سلمان الفارسي ووضع يده على رأسه وخرج هاربا ثلاثة أيام لا يقدرون عليه. لم أقف له على أصل.

(٢) صحيح: حديث «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا». تقدم في قواعد العقائد. [البخاري: ١٠٤٤، ومسلم: ٩٠١ عن عائشة].

وقال صالح المري: قدم علينا ابن السماك مرة فقال: أرني شيئًا من بعض عجائب عبادكم، فذهبت به إلى رجل في بعض الأحياء في خص له، فاستأذنا عليه، فإذا رجل يعمل خوصًا، فقرأت عليه: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧١-٧٢] فشهق الرجل شهقة وخرّ مغشيًا عليه، فخرجنا من عنده وتركناه على حاله، وذهبنا إلى آخر فدخلنا عليه فقرأت هذه الآية فشهق شهقة وخرّ مغشيًا عليه، فذهبنا واستأذنا على ثالث، فقال: ادخلوا إن لم تشغلونا عن ربنا، فقرأت: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤] فشهق شهقة فبدا الدم من منخريه وجعل يتشحط في دمه حتى يبس. فتركناه على حاله وخرجنا فأدرته على ستة أنفس كل تخرج من عنده وتتركه مغشيًا عليه. ثم أتيت به إلى السابع فاستأذنا، فإذا امرأة من داخل الخص تقول: ادخلوا، فدخلنا فإذا شيخ فان جالس في مصلاه، فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا، فقلت بصوت عال: ألا إنّ للخلق غدًا مقامًا، فقال الشيخ: بين يدي من ويحك ثم بقي مبهوتًا فاتحًا فاه شاخصًا بصره يصيح بصوت له ضعيف أوه أوه حتى انقطع ذلك الصوت، فقالت امرأته: اخرجوا فإنكم لا تنتفعون به الساعة، فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم؛ فإذا ثلاثة قد أفاقوا، وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى. وأما الشيخ فإنه مكث ثلاثة أيام على حالته مبهوتًا متحيرًا لا يؤدي فرضًا فلما كان بعد ثلاث عقل.

وكان يزيد بن الأسود يرى أنه من الأبدال، وكان قد حلف أن لا يضحك أبدًا ولا ينام مضطجعًا ولا يأكل سمنًا أبدًا، فما رؤي ضاحكًا ولا مضطجعًا ولا أكل سمنًا حتى مات رحمه الله.

وقال الحجاج لسعيد بن جبير: بلغني أنك لم تضحك قط فقال: كيف أضحك وجهنم قد سعرت والأغلال قد نصبت والزبانية قد أعدّت؟!.

وقال رجل للحسن: يا أبا سعيد كيف أصبحت؟ قال: بخير، قال: كيف حالك؟ فتبسم الحسن وقال: تسألني عن حالي؟ ما ظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق كل إنسان منهم بخشبة؟ على أي حال يكون؟ قال الرجل: على حال شديدة. قال الحسن: حالي أشدّ من حالهم.

ودخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز عليه فسلمت عليه ثم قامت إلى مسجد في بيته فصلت فيه ركعتين وغلبتها عيناها: فرقدت فاستبكت في منامها، ثم انتبهت فقالت: يا أمير المؤمنين، إني والله رأيت عجبًا، قال، وما ذلك؟ قالت: رأيت النار وهي تزفر على أهلها ثم جيء بالصراط ووضع على متنها، فقال: هيه، قالت: فجيء بعبد الملك بن مروان فحمل عليه فما مضى عليه إلا يسير حتى انكفأ به الصراط، فهوى إلى جهنم فقال عمر: هيه، قالت: ثم جيء بالوليد بن عبد الملك فحمل عليه فما مضى إلا يسير حتى انكفأ به الصراط فهوى إلى جهنم،

فقال عمر: هيه قالت: ثم جيء بسليمان بن عبد الملك فما مضى عليه إلا يسير حتى انكفأ به الصراط فهوى كذلك، فقال عمر: هيه قالت: ثم جيء بك والله يا أمير المؤمنين: فصاح عمر رحمة الله عليه صيحة خرّ مغشيًا عليه، فقامت إليه فجعلت تنادي في أذنه: يا أمير المؤمنين، إني رأيتك والله قد نجوت إني رأيتك والله قد نجوت قال: وهي تنادي وهو يصيح ويفحص برجليه. ويحكى أنّ أويسًا القرني رحمه الله كان يحضر عند القاص فيبكي من كلامه، فإذا ذكر النار صرخ أويس ثم يقوم منطلقًا فيتبعه الناس فيقولون مجنون مجنون.

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: إنّ المؤمن لا يسكن روعه حتى يترك جسر جهنم وراءه.

وكان طاوس يفرش له الفرش فيضطجع ويتقلى كما تتقلى الحبة في المقلى، ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول: طير ذكر جهنم نوم الخائفين.

وقال الحسن البصري رحمه الله: يخرج من النار رجل بعد ألف عام، يا ليتني كنت ذاك الرجل، وإنما قال ذلك لخوفه من الخلود وسوء الخاتمة. وروي أنه ما ضحك أربعين سنة؛ قال: وكنت إذا رأيته قاعدًا كأنه أسير قد قدّم لتضرب عنقه، وإذا تكلم كأنه يعاني الآخرة فيخبر عن مشاهدتها، فإذا سكت كأنّ النار تسعر بين عينيه. وعوتب في شدّة حزنه وخوفه فقال: ما يؤمنني أن يكون الله تعالى قد اطلع فيَّ على بعض ما يكره فمقتني فقال: اذهب فلا غفرت لك؛ فأنا أعمل في غير معتمل.

وعن ابن السماك قال: وعظت يومًا في مجلس، فقام شاب من القوم فقال: يا أبا العباس، لقد وعظت اليوم بكلمة ما كنا نبالي أن لا نسمع غيرها. قلت: وما هي رحمك الله؟ قال قولك: لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين إما في الجنة أو في النار. ثم غاب عني ففقدته في المجلس الآخر فلم أره، فسألت عنه فأخبرت أنه مريض يعاد، فأتيته أعوده فقلت: يا أخي ما الذي أرى بك؟ فقال: يا أبا العباس ذلك من قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين إما في الجنة أو في النار.

قال: ثم مات رحمه الله فرأيته في المنام فقلت: يا أخي ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ورحمني وأدخلني الجنة. قلت: بماذا؟ قال: بالكلمة.

فهذه مخاوف الأنبياء والأولياء والعلماء والصالحين، ونحن أجدر بالخوف منهم، لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكمال المعرفة، وإلا فليس أمننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا، بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدّتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا وقسوتنا، فلا قرب الرحيل ينبهنا، ولا كثرة الذنوب تحرّكنا، ولا مشاهدة أحوال الخائفين تخوّفنا، ولا خطر الخاتمة يزعجنا، فنسأل الله تعالى أن يتدارك بفضله وجوده أحوالنا فيصلحنا، إن كان تحريك اللسان بمجرّد السؤال دون الاستعداد ينفعنا.

ومن العجائب أنا إذا أردنا المال في الدنيا زرعنا وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبراري وخاطرنا، وإن أردنا طلب رتبة العلم فقهنا وتعبنا في حفظه وتكراره وشهرنا، ونجتهد في طلب أرزاقنا ولا نثق بضمان الله لنا ولا نجلس في بيوتنا فنقول: اللهم ارزقنا، ثم إذا طمعت أعيننا نحو الملك الدائم المقيم قنعنا بأن نقول بألسنتنا: اللهم اغفر لنا وارحمنا، والذي إليه رجاؤنا وبه اعتزازنا ينادينا ويقول: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم:٣٩] ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان:٣٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار:٦] ثم كل ذلك لا ينبهنا ولا يخرجنا عن أودية غرورنا وأمانينا، فما هذه إلا محنة هائلة إن لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح يتداركنا بها ويجيرنا، فنسأل الله تعالى أن يتوب علينا، بل نسأله أن يشوّق إلى التوبة سرائر قلوبنا، وأن لا يجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حظنا فنكون ممن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل، إذا سمعنا الوعظ بكينا، وإذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصينا فلا علامة للخذلان أعظم من هذا؛ فنسأل الله تعالى أن يمن علينا بالتوفيق والرشد بمنه وفضله.

ولنقتصر من حكاية أحوال الخائفين على ما أوردناه فإنّ القليل من هذا يصادف القلب القابل فيكفي، والكثير منه وإن أفيض على القلب الغافل فلا يغني. ولقد صدق الراهب الذي حكى عنه عيسى بن مالك الخولاني ــ وكان من خيار العباد ــ أنه رآه على باب بيت المقدس واقفًا كهيئة المحزون من شدّة الوله ما يكاد يرقأ دمعه من كثرة البكاء، فقال عيسى: لما رأيته هالني منظره، فقلت: أيها الراهب أوصني بوصية أحفظها عنك، فقال: يا أخي بماذا أوصيك، إن استطعت أن تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام فهو خائف حذر يخاف أن يغفل فتفترسه السباع أو يسهو فتنهشه الهوام فهو مذعور القلب وجل، فهو في المخافة ليله وإن أمن المغترون، وفي الحزن نهاره وإن فرح البطالون. ثم ولى وتركني فقبلت: لو زدتني شيئًا عسى أن ينفعني؟ فقال الظمآن يجزيه من الماء أيسره، وقد صدق فإنّ القلب الصافي يحرّكه أدنى مخافة، والقلب الجامد تنبو عنه كل المواعظ، وما ذكره من تقديره أنه احتوشته السباع الهوام فلا ينبغي أن يظن أنه تقدير بل هو تحقيق؛ فإنك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرأيته مشحونًا بأصناف السباع وأنواع الهوام مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها، وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك إن غفلت عنها لحظة، إلا أنك محجوب العين عن مشاهدتها؛ فإذا انكشف الغطاء ووضعت في قبرك عاينتها وقد تمثلت لك بصورها وأشكالها الموافقة لمعانيها، فترى بعينك العقارب والحيات وقد أحدقت بك في قبرك وإنما هي في صفاتك الحاضرة الآن قد انكشفت لك صورها، فإن أردت أن تقتلها وتقهرها وأنت قادر عليها قبل الموت فافعل، وإلا فوطّن نفسك على لدغها ونهشها لصميم قلبك فضلًا عن ظاهر بشرتك، والسلام.

كتاب الفقر والزهد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تسبح له الرمال، وتسجد له الظلال، وتتدكدك من هيبته الجبال، خلق الإنسان من الطين اللازب والصلصال، وزين صورته بأحسن تقويم وأتم اعتدال، وعصم قلبه بنور الهداية عن ورطات الضلال، وأذن له في قرع باب الخدمة بالغدوّ والآصال، ثم كحل بصيرة المخلص في خدمته بنور العبرة حتى لاحظ بضيائه حضرة الجلال، فلاح له من البهجة والبهاء والكمال، ما استقبح دون مبادي إشراقه كل حسن وجمال، واستثقل كل ما صرفه عن مشاهدته وملازمته غاية الاستثقال، وتمثل له ظاهر الدنيا في صورة امرأة جميلة تميس وتختال، وانكشف له باطنها عن عجوز شوهاء عجنت من طينة الخزي وضربت في قالب النكال، وهي متلفلفة بجلبابها لتخفي قبائح أسرارها بلطائف السحر والاحتيال، وقد نصبت حبائلها في مدارج الرجال، فهي تقتنصهم بضروب المكر والاغتيال، ثم لا تجتزىء معهم بالخلف في مواعيد الوصال، بل تقيدهم مع قطع الوصال بالسلاسل والأغلال، وتبليهم بأنواع البلايا والأنكال، فلما انكشف للعارفين منها قبائح الأسرار والأفعال، زهدوا فيها زهد المبغض لها فتركوها وتركوا التفاخر والتكاثر بالأموال، وأقبلوا بكنه هممهم على حضرة الجلال، واثقين منها بوصال ليس دونه انفصال، ومشاهدة أبدية لا يعتريها فناء ولا زوال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأنبياء وعلى آله خير آل.

أما بعد: فإنّ الدنيا عدوّة لله عز وجل بغرورها ضل من ضل، وبمكرها زل من زل، فحبها رأس الخطايا والسيئات، وبغضها أم الطاعات وأس القربات. وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها وذم الحب لها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات، ونحن الآن نذكر فضل البغض لها والزهد فيها فإنه رأس المنجيات، فلا مطمع في النجاة بالانقطاع عن الدنيا والبعد منها لكن مقاطعتها إما أن تكون بانزوائها عن العبد ويسمى ذلك فقرًا، وإما بانزواء العبد عنها ويسمى ذلك زهدًا، ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادات وحظ في الإعانة على الفوز والنجاة. ونحن الآن نذكر حقيقة الفقير والزهد ودرجاتهما وأقسامهما وشروطهما وأحكامهما ونذكر الفقر في شطر من الكتاب والزهد في شطر آخر منه، ونبدأ بذكر الفقر فنقول:

وفيه بيان حقيقة الفقر، وبيان فضيلة الفقير مطلقًا، وبيان خصوص فضيلة الفقراء، وبيان فضيلة الفقر على الغني، وبيان أدب الفقير في فقره، وبيان أدبه في قبوله العطاء، وبيان تحريم السؤال بغير ضرورة، وبيان مقدار الغني المحرّم للسؤال، وبيان أحوال السائلين، والله الموفق بلطفه وكرمه.

بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميه:

اعلم أنّ الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج إليه، أما فقد ما لا حاجة إليه فلا يسمى فقرًا، وإن كان المحتاج إليه موجودًا مقدورًا عليه لم يكن المحتاج فقيرًا، وإذا فهمت هذا لم تشك في أنّ كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لأنه محتاج إلى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام وجود مستفاد من فضل الله تعالى وَجُوده، فإن كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفاد له من غيره فهو الغني المطلق، ولا يتصوّر أن يكون مثل الموجود إلا واحدًا، فليس في الوجود إلا غني واحد، وكل من عداه فإنهم محتاجون إليه ليمدّوا وجودهم بالدوام، وإلى هذا الحصر الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد:٣٨] هذا معنى الفقر مطلقًا، ولكنا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص، وإلا ففقر العبد بالإضافة إلى أصناف حاجاته لا ينحصر؛ لأنّ حاجاته لا حصر لها. ومن جملة حاجاته ما يتوصل إليه بالمال، وهو الذي نريد الآن بيانه فقط، فنقول: كل فاقد للمال فإنا نسميه فقيرًا بالإضافة إلى المال الذي فقده إذا كان ذلك المفقود محتاجًا إليه في حقه، ثم يتصوّر أن يكون له خمسة أحوال عند الفقر. ونحن نميزها ونخصص كل حال باسم لنتوصل بالتمييز إلى ذكر أحكامها:

الحالة الأولى: وهي العليا. أن يكون بحيث لو أتاه المال لكرهه وتأذى به وهرب من أخذه مبغضًا له ومحترزًا من شره وشغله وهو الزهد، واسم صاحبه الزاهد.

الثانية: أن يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح لحصوله ولا يكرهه كراهة يتأذى بها ويزهد فيه لو أتاه، وصاحب هذه الحالة يسمى راضيًا.

الثالثة: أن يكون وجود المال أحب إليه من عدمه لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته أن ينهض لطلبه، بل إن أتاه صفوًا عفوًا أخذه وفرح به، وإن افتقر إلى تعب في طلبه لم يشتغل به، وصاحب هذه الحالة نسميه قانعًا، إذ قنع نفسه بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة.

الرابعة: أن يكون تركه الطلب لعجزه، وإلا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيلًا إلى طلبه ولو بالتعب لطلبه، أو هو مشغول بالطلب وصاحب هذه الحالة نسميه بالحريص.

الخامسة: أن يكون ما فقده من المال مضطرًا إليه كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب، ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرًا كيفما كانت رغبته في الطلب إما ضعيفة وإما قوية، وقلما تنفك هذه الحالة عن الرغبة، فهذه خمسة أحوال: أعلاها الزهد والاضطرار إن انضم إليه الزهد وتصوّر ذلك فهو أقصى درجات الزهد كما سيأتي بيانه، ووراء هذه الأحوال الخمسة حالة هي أعلى من الزهد وهي أن يستوي عنده وجود المال وفقده؛ فإن وجده لم يفرح به ولم يتأذ، وإن فقده فكذلك، بل حاله كما كان حال عائشة رضي الله تعالى عنها إذ

أتاها مائة ألف درهم من العطاء فأخذتها وفرّقتها من يومها فقالت خادمتها: ما استطعت فيما فرّقت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحمًا نفطر عليه، فقالت: لو ذكرتيني لفعلت، فمن هذا حاله لو كانت الدنيا بحذافيرها في يده وخزائنه لم تضره، إذ هو يرى الأموال في خزانة الله تعالى لا في يد نفسه، فلا يفرق بين أن تكون في يده أو في يد غيره، وينبغي أن يسمى صاحب هذه الحالة المستغني، لأنه غني عن فقد المال ووجوده جميعًا، وليفهم من هذا الاسم معنى يفارق اسم الغني المطلق على الله تعالى وعلى كل من كثر ماله من العباد، فإنّ من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير إلى بقاء المال في يده، وإنما هو غني عن دخول المال في يده لا عن بقائه، فهو إذن فقير من وجه، وأما هذا الشخص فهو غني عن دخول المال في يده وعن بقائه في يده وعن خروجه من يده أيضًا، فإنه ليس يتأذى به ليحتاج إلى إخراجه، وليس يفرح به ليحتاج إلى بقائه. وليس فاقدًا له ليحتاج إلى الدخول في يديه فغناه إلى العموم أميل، فهو إلى الغنى الذي هو وصف الله تعالى أقرب، وإنما قرب العبد من الله تعالى بقرب الصفات لا بقرب المكان، ولكنا لا نسمي صاحب هذه الحالة غنيًا بل مستغنيًا، ليبقى الغني اسمًا لمن له الغنى المطلق عن كل شيء. وأما هذا العبد فإن استغنى عن المال وجودًا أو عدمًا فلم يستغن عن أشياء أخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله له ليبقى استغناؤه الذي زين الله به قلبه، فإنّ القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغني عنه حرّ، والله تعالى هو الذي أعتقه من هذا الرق فهو محتاج إلى دوام هذا العتق، والقلوب متقلبة بين الرق والحرّية في أوقات متقاربة؛ لأنها بين أصبعين من أصابع الرحمن، فلذلك لم يكن اسم الغني مطلقًا عليه مع هذا الكمال إلا مجازًا.

واعلم أن الزهد درجة هي كمال الأبرار وصاحب هذه الحالة من المقرّبين، فلا جرم صار الزهد في حقه نقصانًا، إذ حسنات الأبرار سيئات المقربين، وهذا لأن الكاره للدنيا مشغول بالدنيا، كما أن الراغب فيها مشغول بها، والشغل بما سوى الله تعالى حجاب عن الله تعالى، إذ لا بعد بينك وبين الله تعالى يكون البعد حجابًا، فإنه أقرب إليك من حبل الوريد، وليس هو في مكان حتى تكون السماوات والأرض حجابًا بينك وبينه، فلا حجاب بينك وبينه إلا شغلك بغيره، وشغلك بنفسك وشهواتك شغل بغيره، وأنت لا تزال مشغولًا بنفسك وبشهوات نفسك فكذلك لا تزال محجوبًا عنه، فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله تعالى، والمشغول ببغض نفسه أيضًا مشغول عن الله تعالى بكل ما سوى الله، مثاله مثال الرقيب الحاضر في مجلس يجمع العاشق والمعشوق، فإن التفت قلب العاشق إلى الرقيب وإلى بغضه واستثقاله وكراهة حضوره فهو في حال اشتغال قلبه ببغضه مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه، ولو استغرقه العشق لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت إليه، فكما أن النظر إلى غير المعشوق لحبه عند حضور المعشوق شرك في العشق ونقص فيه فكذا النظر إلى غير المحبوب

لبغضه شرك فيه ونقص، ولكن أحدهما أخف من الآخر، بل الكمال في أن لا يلتفت القلب إلى غير المحبوب بغضًا وحبًا، فإنه كما لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة فلا يجتمع أيضًا بغض وحب في حالة واحدة؛ فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله كالمشغول بحبها، إلا أن المشغول بحبها غافل وهو في غفلته سالك في طريق البعد، والمشغول ببغضها غافل وهو في غفلته سالك في طريق القرب، إذ يرجى له أن ينتهي حاله إلى أن تزول هذه الغفلة وتتبدل بالشهود؛ فالكمال له مرتقب؛ لأن بغض الدنيا مطية توصل إلى الله فالمحب والمبغض كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها وتسييرها، ولكن أحدهما مستقبل الكعبة والآخر مستدبر لها، فهما سيان بالإضافة إلى الحال في أن كل واحد منهما محجوب عن الكعبة ومشغول عنها، ولكن حال المستقبل محمود بالإضافة إلى المستدبر إذ يرجى له الوصول إليها، وليس محمودًا بالإضافة إلى المعتكف في الكعبة الملازم لها الذي لا يخرج منها حتى يفتقر إلى الاشتغال بالدابة في الوصول إليها، فلا ينبغي أن تظنّ أن بغض الدنيا مقصود في عينه، بل الدنيا عائق عن الله تعالى، ولا وصول إليه إلا يدفع العائق، ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: من زهد في الدنيا واقتصر عليه فقد استعجل الراحة، بل ينبغي أن يشتغل بالآخرة؛ فبين أن سلوك طريق الآخرة وراء الزهد كما أن سلوك طريق الحج وراء دفع الغريم العائق عن الحج، فإذن قد ظهر أن الزهد في الدنيا إن أريد به عدم الرغبة في وجودها وعدمها فهو غاية الكمال، وإن أريد به الرغبة في عدمها فهو كمال بالإضافة إلى درجة الراضي والقانع والحريص، ونقصان بالإضافة إلى درجة المستغني، بل الكمال في حق المال أن يستوي عندك المال والماء، وكثرة الماء في جوارك لا تؤذيك بأن تكون على شاطىء البحر، ولا قلته تؤذيك إلا في قدر الضرورة، مع أن المال محتاج إليه كما أن الماء محتاج إليه فلا يكون قلبك مشغولًا بالفرار عن جوار الماء الكثير ولا يبغض الماء الكثير، بل تقول: أشرب منه بقدر الحاجة وأسقي منه عباد الله بقدر الحاجة ولا أبخل به على أحد، فهكذا ينبغي أن يكون المال؛ لأن الخبز والماء واحد في الحاجة، وإنما الفرق بينهما في قلة أحدهما وكثرة الآخر، وإذا عرفت الله تعالى ووثقت بتدبيره الذي دبر به العالم، علمت أن قدر حاجتك من الخبز يأتيك لا محالة ما دمت حيًا كما يأتيك قدر حاجتك من الماء، على ما سيأتي بيانه في كتاب التوكل إن شاء الله تعالى.

قال أحمد بن أبي الحواري: قلت لأبي سليمان الداراني: قال مالك بن دينار للمغيرة: اذهب إلى البيت فخذ الركوة التي أهديتها لي فإن العدوّ يوسوس لي أن اللص قد أخذها، قال أبو سليمان: هذا من ضعف قلوب الصوفية: قد زاده في الدنيا ما غلبه من أخذها، فبين أنّ كراهية كون الركوة في بيته التفات إليها سببه الضعف والنقصان.

فإن قلت: فما بال الأنبياء والأولياء هربوا من الماء ونفروا منه كل النفار؟ فأقول: كما

هربوا من الماء على معنى أنهم ما شربوا أكثر من حاجتهم ففرّوا عما وراءه ولم يجمعوه في القرب والروايا يديرونه مع أنفسهم، بل تركوه في الأنهار والآبار والبراري للمحتاجين إليه، لا أنهم كانت قلوبهم مشغولة بحبه أو بغضه وقد حملت خزائن الأرض إلى رسول الله ﷺ وإلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها [(١)]، إذ كان يستوي عندهم المال والماء والذهب والحجر، وما نقل عنهم من امتناع فإما أن ينقل عمن خاف أن لو أخذه أن يخدعه المال ويقيد قلبه فيدعوه إلى الشهوات، وهذا حال الضعفاء، فلا جرم البغض للمال والهرب منه في حقهم كمال؛ وهذا حكم جميع الخلق؛ لأن كلهم ضعفاء إلا الأنبياء والأولياء، وإما أن ينقل عن قوي بلغ الكمال ولكن أظهر الفرار والنفار نزولًا إلى درجة الضعفاء ليقتدوا به في الترك؛ إذ لو اقتدوا به في الأخذ لهلكوا، كما يفرّ الرجل المعزم بين يدي أولاده من الحية لا لضعفه عن أخذها ولكن لعلمه أنه لو أخذها أخذها أولاده إذا رأوها فيهلكون، والسير بسير الضعفاء ضرورة الأنبياء والأولياء والعلماء، فقد عرفت إذن أن المراتب ست وأعلاها رتبة المستغني ثم الزاهد ثم الراضي ثم القانع ثم الحريص. وأما المضطرّ فيتصوّر في حقه أيضًا الزهد والرضى والقناعة ودرجة تختلف بحسب اختلاف هذه الأحوال، واسم الفقير يطلق على هذه الخمسة. أما تسمية المستغني فقيرًا فلا وجه لها بهذا المعنى؛ بل إن سمي فقيرًا فبمعنى آخر وهو معرفته بكونه محتاجًا إلى الله تعالى في جميع أموره عامة وفي بقاء استغنائه عن المال خاصة، فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية وأقرّ بها؛ فإنه أحق باسم العبد من الغافلين. وإن كان اسم العبد عامًّا للخلق فكذلك اسم الفقير عام، ومن عرف نفسه بالفقر إلى الله تعالى فهو أحق باسم الفقير، فاسم الفقير مشترك بين هذين المعنيين، وإذا عرفت هذا الاشتراك فهمت أن قول رسول الله ﷺ: «أَعُوذُ بِكَ مِنَ الفَقْرِ» [(٢)]، وقوله عليه السلام: «كَادَ الفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا» [(٣)]، لا يناقض قوله ﷺ: «أَحْيِنِي

---

(١) صحيح: حديث: إن خزائن الأرض حملت إلى رسول الله ﷺ وإلى أبي بكر وعمر فأخذوها ووضعوها في مواضعها هذا معروف. وقد تقدم في آداب المعيشة من عند البخاري تعليقا مجزوما به من حديث أنس: أتى النبي ﷺ بمال من البحرين وكان أكثر مال أتى به، فخرج رسول الله ﷺ إلى الصلاة ولم يلتفت إليه، فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه، فقلما كان يرى أحدا إلا أعطاه. ووصله عمر بن محمد البحيري في صحيحه من هذا الوجه. وفي الصحيحين من حديث عمرو بن عوف: «قدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدومه... الحديث» [البخاري: ٣١٥٨، ومسلم: ٢٩٦١]، ولهما من حديث جابر: «لو جاءنا مال البحرين أعطيتك هكذا ثلاثا» [البخاري: ٢٢٩٦، ومسلم: ٢٣١٤]، فلم يقدم حتى توفى رسول الله ﷺ، فأمر أبو بكر مناديا فنادى: من كان له على رسول الله ﷺ عدة أودين فليأتنا، فقلت: إن النبي ﷺ وعدني، فحثا لي ثلاثا. [أخرجه البخاري تعليقاً عقب حديث: ٤٢١، ولم أره موصولاً].

(٢) صحيح: حديث «أعوذ بك من الفقر». تقدم في الأذكار والدعوات. [البخاري: ٦٣٦٨، ومسلم: ٥٨٩ عن عائشة].

(٣) ضعيف: حديث «كاد الفقر أن يكون كفرا». تقدم في ذم الحسد. [انظر ضعيف الجامع: ٤١٤٨].

مِسْكِينًا وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا» [(١)]، إذ فقر المضطرّ هو الذي استعاذ منه، والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار إلى الله تعالى هو الذي سأله في دعائه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء.

بيان فضيلة الفقر مطلقًا:

أما من الآيات: فيدل عليه قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ [الحشر:٨]الآية. وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة:٢٧٣]ساق الكلام في معرض المدح، ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والإحصار، وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر.

وأما الأخبار في مدح الفقر فأكثر من أن تحصى: روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟» فقالوا: موسر من المال يعطي حق الله من نفسه وماله. فقال: «نعم الرجل هذا وليس به» قالوا: فمن خير الناس يا رسول الله؟ قال: «فَقِيرٌ يُعْطِي جُهْدَهُ» [(٢)]، وقال ﷺ لبلال: «الْقَ اللَّهَ فَقِيرًا وَلَا تَلْقَهُ غَنِيًّا» [(٣)] وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الفَقِيرَ المُتَعَفِّفَ أَبَا العِيالِ» [(٤)]، وفي الخبر المشهور: «يَدْخُلُ فُقَرَاءُ أُمَّتِي الجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهَا بِخَمْسِمِائَةِ عَامٍ» [(٥)]، وفي حديث آخر «بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا» [(٦)]، أي أربعين سنة، فيكون المراد به تقدير تقدّم الفقير الحريص على الغني الحريص، والتقدير بخمسمائة عام تقدير تقدّم الفقير الزاهد على الغني الراغب، وما ذكرناه من اختلاف درجات الفقر يعرّفك بالضرورة تفاوتًا بين الفقراء في درجاتهم، وكأن الفقير الحريص على درجة من خمس وعشرين درجة

---

(١) **حسن لغيره**: حديث «اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا». رواه الترمذي من حديث أنس وحسنه، وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد وقد تقدم. [الترمذي: ٢٣٥٢، وابن ماجه: ٤١٢٦، وانظر صحيح الترغيب: ٣١٩٢].

(٢) **موضوع**: حديث ابن عمر أنه ﷺ قال لأصحابه: أي الناس خير؟ فقالوا: موسر من المال. أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف مقتصرا على المرفوع منه دون سؤاله لأصحابه وسؤالهم له. [انظر السلسلة الضعيفة: ٣٥٦٨].

(٣) **ضعيف**: حديث: قال لبلال «الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا». أخرجه الحاكم في كتاب علامات أهل التحقيق من حديث بلال. ورواه الطبراني من حديث أبي سعيد بلفظ «مت فقيرا ولا تمت غنيا» وكلاهما ضعيف. [انظر ضعيف الترغيب: ٥٤٣].

(٤) **ضعيف**: حديث «إن يحب الفقير المتعفف أبا العيال». أخرجه ابن ماجه من حديث عمران بن حصين، وقد تقدم. [ابن ماجه: ٤١٢١، وانظر السلسلة الضعيفة: ٥١].

(٥) **صحيح**: حديث «يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام». أخرجه الترمذي من حدث أبي هريرة وقال: حسن صحيح وقد تقدم. [الترمذي: ٢٣٥٤، وانظر صحيح الترغيب: ٣١٨٩].

(٦) **صحيح**: حديث: دخولهم قبلهم بأربعين خريفا. أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو، إلا أنه قال: فقراء المهاجرين، والترمذي من حديث جابر وأنس. [مسلم: ٢٩٧٩، والترمذي: ٢٣٥٥، وانظر صحيح الترغيب: ٣١٨٦].

من الفقير الزاهد، إذ هذه نسبة الأربعين إلى خمسمائة، ولا تظنن أن تقدير رسول الله ﷺ يجري على لسانه جزافًا وبالاتفاق، بل لا يستنطق إلا بحقيقة الحق فإنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وهذا كقوله ﷺ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ» (١)، فإنه تقدير تحقيق لا محالة، لكن ليس في قوة غيره أن يعرف علة تلك النسبة إلا بتخمين، فأما بالتحقيق فلا، إذ يعلم أن النبوة عبارة عما يختص به النبي ﷺ ويفارق به غيره، وهو يختص بأنواع من الخواص:

أحدها: أن يعرف حقائق الأمور المتعلقة بالله وصفاته والملائكة والدار الآخرة، لا كما يعلمه غيره بل مخالفًا له بكثرة المعلومات وبزيادة اليقين والتحقيق والكشف.

والثاني: أن له في نفسه صفة بها تتم له الأفعال الخارقة للعادات كما أن لنا صفة بها تتم الحركات المقرونة بإرادتنا وباختيارنا وهي القدرة وإن كانت القدرة والمقدور جميعًا من فعل الله تعالى.

والثالث: أن له صفة بها يبصر الملائكة ويشاهدهم كما أن للبصير صفة بها يفارق الأعمى حتى يدرك بها المبصرات.

والرابع: أن له صفة بها يدرك ما سيكون في الغيب إما في اليقظة أو في المنام إذ بها يطالع اللوح المحفوظ فيرى ما فيه من الغيب، فهذه كمالات وصفات يعلم ثبوتها للأنبياء ويعلم انقسام كل واحد منها إلى أقسام، وربما يمكننا أن نقسمها إلى أربعين وإلى خمسين وإلى ستين، ويمكننا أيضًا أن نتكلف تقسيمها إلى ستة وأربعين بحيث تقع الرؤيا الصحيحة جزءًا واحدًا من جملتها ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات الممكنة لا يمكن إلا بظن وتخمين فلا ندري تحقيقًا أنه الذي أراده رسول الله ﷺ أم لا، وإنما المعلوم مجامع الصفات التي بها تتم النبوة وأصل انقسامها، وذلك لا يرشدنا إلى معرفة علة التقدير، فكذلك نعلم أن الفقراء لهم درجات كما سبق، فأما لم كان هذا الفقير الحريص مثلًا على نصف سدس درجة الفقير الزاهد حتى لم يبق له التقدم بأكثر من أربعين سنة إلى الجنة واقتضى ذلك التقدم بخمسمائة عام فليس في قوة البشر غير الأنبياء الوقوف على ذلك إلا بنوع من التخمين ولا وثوق به، والغرض التنبيه على منهاج التقدير في أمثال هذه الأمور، فإن الضعيف الإيمان قد يظن أن ذلك يجري من رسول الله ﷺ على سبيل الاتفاق، وحاشا منصب النبوّة عن ذلك ولنرجع إلى نقل الأخبار فقد قال ﷺ أيضًا: «خَيْرُ هذِهِ الأُمَّةِ فُقَرَاؤُهَا وَأَسْرَعُها تَضَجُّعًا فِي الجَنَّةِ

---

(١) صحيح: حديث «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة». أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد، ورواه هو ومسلم من حديث أبي هريرة وعبادة بن الصامت وأنس بلفظ «رؤيا المؤمن جزء... الحديث» وقد تقدم. [البخاري: ٦٩٨٩ عن أبي سعيد، والبخاري: ٦٩٨٨، ومسلم: ٢٢٦٣ عن أبي هريرة، والبخاري: ٦٩٨٣، ومسلم: ٢٢٦٤ عن أنس، والبخاري: ٦٩٨٧، ومسلم: ٢٢٦٤ عن عبادة بن الصامت].

ضُعَفَاؤُهَا»[(١)]، وقال ﷺ: «إنَّ لِي حِرْفَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ فَمَنْ أَحبهما فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي: الفَقْرُ وَالجِهَادُ»[(٢)]، وروي أن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد. إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول: «أَتُحِبُّ أَنْ أَجْعَلَ هذِهِ الجِبَالَ ذَهَبًا»[(٣)] وتكون معك أينما كنت، فأطرق رسول الله ﷺ ثم قال: «يَا جِبْرِيلُ، إنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لا دَارَ لَهُ وَمَالُ مَنْ لا مَالَ لَهُ وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لا عَقْلَ لَه» فقال له جبريل: يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت.

وروي أن المسيح مر في سياحته برجل نائم ملتف في عباءة، فأيقظه وقال: يا نائم قم فاذكر الله تعالى، فقال ما تريد مني؟ إني قد تركت الدنيا لأهلها، فقال له قم إذن يا حبيبي.

ومر موسى برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متزر بعباءة، فقال: يا رب عبدك هذا في الدنيا ضائع، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى أما علمت أني إذا نظرت إلى عبد بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها.

وعن أبي رافع أنه قال: ورد على رسول الله ﷺ ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه، فأرسلني إلى رجل من يهود خيبر وقال: «قُلْ لَهُ يَقُولُ لَكَ مُحَمَّدٌ أَسْلِفْنِي أَوْ بِعْنِي دَقِيقًا إِلَى هِلالِ رَجَبٍ» قال فأتيته فقال: لا والله إلا برهن، فأخبرت رسول الله ﷺ بذلك فقال: «أَمَا واللَّهِ إنِّي لأَمِينٌ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ أَمِينٌ فِي أَهْلِ الأَرْضِ وَلَوْ بَاعَنِي أَوْ أَسْلَفَنِي لأَدَّيْتُ إِلَيْهِ، اذْهَبْ بِدِرْعِي هذَا إِلَيْهِ فَارْهَنْهُ، فَلَمَّا خَرَجْتُ نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [طه: ١٣١][(٤)]» الآية، وهذه الآية تعزية لرسول الله ﷺ عن الدنيا، وقال ﷺ: «الفَقْرُ أَزْيَنُ بِالمُؤْمِنِ مِنَ العذَارِ الحَسَنِ عَلَى خَدِّ الفَرَسِ»[(٥)]، وقال ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًى فِي جِسْمِهِ آمِنًا فِي سِرْبِهِ عِنْدَهُ قوتُ يَوْمِه؛ فَكَأَنَّمَا حيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا»[(٦)].

---

(١) لا أصل له: حديث «خير الأمة فقراؤها، وأسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها». لم أجد له أصلا. [انظر السلسلة الضعيفة: ٥٦٧].

(٢) لا أصل له: حديث «إن لي حرفتين اثنتين». لم أجد له أصلا. [انظر السلسلة الضعيفة: ٥٦٦].

(٣) ضعيف: حديث: أن جبريل نزل فقال: إن الله يقرأ عليك السلام ويقول: أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا». هذا ملفق من حديثين فروى الترمذي من حديث أبي أمامة «عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا، قلت: لا يا رب، ولكن أشبع يوما وأجوع يوما» [الترمذي: ٢٣٤٧، وانظر ضعيف الترغيب: ١٨٦٥] الحديث وقال. حسن ولأحمد من حديث عائشة «الدنيا دار من لا دار له... الحديث» [أحمد: ٢٣٨٩٨، وانظر ضعيف الترغيب: ١٨٨٤] وقد تقدم في ذم الدنيا.

(٤) حديث أبي رافع: ورد على رسول الله ﷺ ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه، فأرسلني إلى رجل من يهود خيبر. أخرجه الطبراني بسند ضعيف.

(٥) ضعيف: حديث «الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس». رواه الطبراني من حديث شداد بن أوس بسند ضعيف والمعروف أنه من كلام عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم، رواه ابن عدي في الكامل هكذا. [انظر السلسلة الضعيفة: ٥٦٤].

(٦) حسن لغيره: حديث «من أصبح منكم معافى في جسمه». أخرجه الترمذي وقد تقدم. [الترمذي: ٢٣٤٦،

وقال كعب الأحبار: قال الله تعالى لموسى عليه السلام: يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلًا فقل مرحبًا بشعار الصالحين.

وقال عطاء الخراساني: مر نبي من الأنبياء بساحل فإذا هو برجل يصطاد حيتانًا، فقال: بسم الله وألقى الشبكة فلم يخرج فيها شيء، ثم مرَّ بآخر فقال باسم الشيطان وألقى شبكته فخرج فيها من الحيتان ما كان يتقاعس من كثرتها. فقال النبي: يا رب ما هذا وقد علمت أن كل ذلك بيدك، فقال الله تعالى للملائكة اكشفوا لعبدي عن منزلتيهما، فلما رأى ما أعد الله تعالى لهذا من الكرامة ولذاك من الهوان قال: رضيت يا رب.

وقال نبينا ﷺ: «اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الأَغْنِيَاءَ وَالنِّسَاءَ» وفي لفظ آخر: «فَقُلْتَ أَيْنَ الأَغْنِيَاءُ؟ فَقِيلَ حَبَسَهُمْ الجَدّ» وفي حديث آخر: «فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ النِّسَاءَ فَقُلْتُ مَا شَأْنُهُنَّ؟ فقيل شَغَلَهُنَّ الأَحْمَرَانِ الذَّهَبُ وَالزَّعْفَرَانُ» (١)، وقال ﷺ: «تُحْفَةُ المُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا الفَقْرُ» (٢)، وفي الخبر: «آخِرُ الأَنْبِيَاءِ دُخُولًا الجَنَّةَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِما السَّلامُ لِمَكَانِ مُلْكِهِ وَآخِرُ أَصْحَابِي دُخُولًا الجَنَّةَ عَبْدُ الرَّحْمنِ بْنُ عَوْفٍ لأَجْلِ غِنَاهُ» (٣)، وفي حديث آخر: «رَأَيْتُهُ يَدْخُلُ الجَنَّةَ زَحْفًا» (٤).

وقال المسيح: بشدة يدخل الغني الجنة.

وفي خبر آخر عن أهل البيت رضي الله عنهم أنه ﷺ قال: «إذا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا ابْتَلاهُ، فَإذا أَحَبَّهُ الحُبَّ البَالِغَ افْتَنَاهُ قيلَ: وَمَا افْتَنَاهُ؟ قالَ: لَمْ يَتْرُك لَهُ أَهْلًا وَلا مَالًا» (٥).

وفي الخبر: «إذا رأيت الفقر مقبلًا فقل مرحبًا بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنى مقبلًا فقل ذنب عجلت عقوبته» (٦).

وانظر صحيح الترغيب: ٨٣٣].

(١) ضعيف جداً: حديث «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء». تقدم في آداب النكاح مع الزيادة التي في آخره. [انظر ضعيف الترغيب: ١٢٥٥].

(٢) ضعيف: حديث «تحفة المؤمن في الدنيا الفقر». رواه محمد بن خفيف الشيرازي في شرف الفقر، وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ بن جبل بسند لا بأس به، ورواه أبو منصور أيضا فيه من حديث ابن عمر بسند ضعيف جدا. [انظر السلسلة الضعيفة: ٣٣٩٢].

(٣) حديث «آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر أصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لأجل غناه». تقدم، وهو في الأوسط للطبراني بإسناد فرد، وفيه نكارة.

(٤) حديث «رأيته - يعني عبد الرحمن بن عوف - يدخل الجنة زحفا». تقدم وهو ضعيف. [أحمد: ٢٤٣٢١].

(٥) حديث «إذا أحب الله عبدا ابتلاه». أخرجه الطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني.

(٦) حديث «إذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته». أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية مكحول عن أبي الدرداء ولم يسمع منه قال: قال رسول الله ﷺ «أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: يا موسى... الحديث» فذكره بزيادة في أوله. ورواه أبو نعيم في الحلية من قول كعب الأحبار غير مرفوع بإسناد ضعيف.

وقال موسى عليه السلام: يا رب من أحباؤك من خلقك حتى أحبهم لأجلك؟ فقال: كل فقير فقير؛ فيمكن أن يكون الثاني للتوكيد، ويمكن أن يراد به الشديد الضر.

وقال المسيح صلوات الله عليه وسلامه: إني لأحب المسكنة وأبغض النعماء، وكان أحب الأسامي إليه صلوات الله عليه أن يقال له يا مسكين. ولما قالت سادات العرب وأغنياؤهم للنبي ﷺ: اجعل لنا يومًا ولهم يومًا يجيئون إليك ولا نجيء، ونجيء إليك ولا يجيئون، يعنون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وأبي ذرّ وخباب بن الأرت وعمار ابن ياسر وأبي هريرة وأصحاب الصفة من الفقراء رضي الله عنهم أجمعين أجابهم النبي ﷺ إلى ذلك، وذلك لأنهم شكوا إليه التأذي برائحتهم وكان لباس القوم الصوف في شدّة الحر؛ فإذا عرقوا فاحت الروائح من ثيابهم، فاشتدّ ذلك على الأغنياء منهم الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم، فأجابهم رسول الله ﷺ أن لا يجمعهم وإياهم مجلس واحد؛ فنزل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف:٢٨] يعني الفقراء. ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف:٢٨] يعني الأغنياء ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف:٢٨] يعني الأغنياء إلى قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩] (١) الآية.

واستأذن ابن أم مكتوم على النبي ﷺ وعنده رجل من أشراف قريش، فشق ذلك على النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝﴾ [عبس:١-٤] يعني ابن أم مكتوم. ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ [عبس:٥-٦] (٢) يعني هذا الشريف.

وعن النبي ﷺ أنه قال: «يُؤْتَى بِالعَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَعْتَذِرَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ كَمَا يَعْتَذِرُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ فِي الدُّنْيَا فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلالِي ما زَوَيْتُ الدُّنْيَا عَنْكَ لِهَوَانِكَ عَلَيَّ وَلكِنْ لِمَا أَعْدَدْتُ لَكَ مِنَ الكَرَامَةِ وَالفَضِيلَةِ، اخْرُجْ يا عَبْدِي إِلَى هذِهِ الصُّفُوفِ، فَمَنْ أَطْعَمَكَ فِيَّ أَوْ كَسَاكَ فِيَّ بِذَلِكَ يُرِيدُ وَجْهِي فَخُذْ بِيَدِهِ فَهُوَ لَكَ، وَالنَّاسُ يَوْمَئِذٍ قَدْ أَلْجَمَهُم العَرَقُ فَيَتَخَلَّلُ الصُّفُوفَ وَيَنْظُرُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ وَيُدْخِلُهُ الجَنَّةَ» (٣).

---

(١) صحيح: حديث: قال سادات العرب وأغنياؤهم للنبي ﷺ: اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون إليك ولا نجيء، ونجيء إليك ولا يجيئون. تقدم من حديث خباب، وليس فيه أنه كان لباسهم الصوف ويفوح ريحهم إذا عرقوا، وهذه الزيادة من حديث سلمان. [ابن ماجه: ٤١٢٧، وانظر صحيح ابن ماجه].

(٢) صحيح: حديث استئذان ابن أم مكتوم على النبي ﷺ وعنده رجل من أشراف قريش ونزول قوله تعالى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [عبس: ١] أخرجه الترمذي من حديث عائشة وقال غريب. قلت: ورجاله رجال الصحيح. [الترمذي: ٣٣٣١، وانظر صحيح الترمذي].

(٣) حديث «يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله إليه كما يعتذر الرجل إلى الرجل في الدنيا». أخرجه أبو الشيخ في

وقال عليه السلام: «أَكْثِرُوا مَعْرِفَةَ الفُقَرَاءِ وَاتَّخِذُوا عِنْدَهُمْ الأَيَادِي فَإِنَّ لَهُمْ دَوْلَةً» قالوا: يا رسول الله، وما دولتهم؟ قال: «إذا كَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ قِيلَ لَهُم انْظُروا مَنْ أَطْعَمَكُمْ كِسْرَةً أَوْ سَقَاكُمْ شَرْبَةً أَوْ كَسَاكُمْ ثَوْبًا فَخُذُوا بِيَدِهِ ثُمَّ امْضُوا بِهِ إِلَى الجَنَّةِ»(١)، وقال ﷺ: «دَخَلْتُ الجَنَّةَ فَسَمِعْتُ حَرَكَةً أَمَامِي فَنَظَرْتُ فَإِذا بِلالٌ، وَنَظَرْتُ فِي أَعْلاهَا فَإِذا فُقَرَاءُ أُمَّتِي وَأَوْلادُهُمْ، وَنَظَرْتُ فِي أَسْفَلِهَا فَإِذا فِيهِ مِنَ الأَغْنِيَاءِ وَالنِّسَاءِ قَلِيلٌ؛ فَقلْتُ: يا رَبِّ ما شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: أَمَّا النِّسَاءُ فَأَضَرَّ بِهُنَّ الأَحْمَرَانِ الذَّهَبُ وَالحَرِيرُ، وَأَمَّا الأَغْنِيَاءُ فَاشْتَغَلُوا بِطُولِ الحِسَابِ، وَتَفَقَّدْتُ أَصْحَابِي فَلَم أَرَ عَبْدَ الرَّحْمنِ بْنَ عَوْفٍ، ثُمَّ جَاءَنِي بَعْدَ ذَلِكَ وَهُوَ يَبْكِي، فَقُلْتُ: مَا خَلَّفَكَ عَنِّي؟ قَالَ: يا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ مَا وَصَلْتُ إِلَيْكَ حَتَّى لَقِيتُ المُشَيِّبَات وَظَنَنْتُ أَنِّي لا أَرَاكَ، فَقُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: كُنْتُ أُحَاسَبُ بِمَالِي»(٢).

فانظر إلى هذا وعبد الرحمن صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله وهو من العشرة المخصوصين بأنهم من أهل الجنة(٣)، وهو من الأغنياء الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «إلاّ مَنْ قَالَ بِالمَالِ هكَذَا وَهَكَذَا»(٤)، ومع هذا فقد استضر بالغنى إلى هذا الحدّ.

ودخل رسول الله ﷺ على رجل فقير فلم ير له شيئًا فقال: «لَوْ قُسِمَ نُورُ هذا عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ لَوَسِعَهُمْ»(٥).

وقال ﷺ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِمُلُوكِ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: كُلُّ ضَعِيفٍ

كتاب الثواب من حديث أنس بإسناد ضعيف «يقول الله عز وجل يوم القيامة أدنوا مني أحبائي، فتقول الملائكة: ومن أحباؤك؟ فيقول: فقراء المسلمين، فيدنون منه فيقول: أما إني لم أزو الدنيا عنكم لهوان كان بكم علي ولكن أردت بذلك أن أضعف لكم كرامتي اليوم، فتمنوا علي ما شئتم اليوم... الحديث» دون آخر الحديث، وأما أول الحديث فرواه أبو نعيم في الحلية، وسيأتي في الحديث الذي بعده.

(١) موضوع: حديث «أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادي فإن لهم دولة». أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث الحسين بن علي بسند ضعيف «اتخذوا عند الفقراء أيادي، فإن لهم دولة يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة نادى مناد: سيروا إلى الفقراء، فيعتذر إليهم كما يعتذر أحدكم إلى أخيه في الدنيا». [انظر ضعيف الجامع: ٩٤ مختصراً].

(٢) منكر جداً: حديث «دخلت الجنة فسمعت حركة أمامي، فنظرت فإذا بلال، ونظرت إلى أعلاها فإذا فقراء أمتي وأولادهم». أخرجه الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف نحوه، وقصة بلال في الصحيح من طريق آخر. [الحديث انظر السلسلة الضعيفة: ٥٣٤٦، وأما قصة بلال فعند البخاري: ١١٤٩، ومسلم: ٢٤٥٨ عن أبي هريرة].

(٣) صحيح: حديث: إن عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المخصوصين بأنهم من أهل الجنة. رواه أصحاب السنن الأربعة من حديث سعيد بن زيد، قال الترمذي: حسن صحيح. [أبو داود: ٤٦٤٩، والترمذي: ٣٧٤٧، وابن ماجه: ١٣٤، وانظر السلسلة الصحيحة: ٨٧٥].

(٤) صحيح: حديث «إلا من قال بالمال هكذا وهكذا». متفق عليه من حديث أبي ذر في أثناء حديث تقدم. [البخاري: ٢٣٨٨، ومسلم: ٩٩٠].

(٥) حديث: دخل على رجل فقير ولم ير له شيئا فقال «لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم». لم أجده.

مُسْتَضْعَفٍ أَغْبَرَ أَشْعَثَ ذِي طِمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ»(١) .

وقال عمران بن حصين: كانت لي من رسول الله ﷺ منزلة وجاه، فقال: «يا عمْرَانُ، إنَّ لَكَ عِنْدَنا مَنْزِلَةً وَجَاهًا، فَهَلْ لَكَ في عِيَادَةِ فَاطِمَةَ بِنْت رَسُولِ اللَّهِ ؟» قلت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة، فقرع الباب وقال: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَأَدْخُلُ؟» فقالت: ادخل يا رسول الله. قال: «أَنَا وَمَنْ مَعِي؟» قالت: ومن معك يا رسول الله؟ قال: «عِمْرَانُ» فقالت فاطمة: والذي بعثك بالحق نبيًا ما عليَّ إلا عباءة. قال: «اصْنَعِي بِها هكَذَا وَهكَذَا» وأشار بيده، فقالت: هذا جسدي قد واريته فكيف برأسي؟ فألقى إليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال: «شدّي على رأسك» ثم أذنت له فدخل فقال: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا ابْنَتَاهُ، كَيْفَ أَصْبَحْتِ؟» قالت: أصبحت والله وجعة وزادني وجعًا على ما بي أني لست أقدر على طعام آكله فقد أضر بي الجوع، فبكى رسول الله ﷺ وقال: «لا تَجْزَعِي يا ابْنَتَاهُ فَوَاللَّهِ ما ذُقْتُ طَعَامًا مُنْذُ ثَلاثٍ، وَإِنِّي لأَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْكِ، وَلَوْ سَأَلْتُ رَبِّي لأَطْعَمَنِي وَلكِن آثَرْتُ الآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا» ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها: «أَبْشِرِي فَوَاللَّهِ إِنَّكِ لَسيدةُ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ» قالت: فأين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران؟ قال: «آسِيَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ عَالمها، وَمَرْيَمَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ عَالمها، وَأَنْتِ سَيِّدَةَ نِسَاءِ عَالمكِ، إِنَّكُنَّ فِي بُيُوتٍ مِنْ قَصَبٍ لا أَذَى فِيها وَلا صَخَبَ وَلا نَصَبَ» ثم قال لها: «اقْنَعِي بِابْن عَمِّكِ فَوَاللَّهِ لقد زوجتك سيدًا في الدنيا وسيدًا في الآخرة»(٢) .

وروي عن علي كرم الله وجهه أنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا أَبْغَضَ النَّاسُ فُقَرَاءَهُمْ وَأَظْهَرُوا عَمَارَةَ الدُّنْيَا وَتَكالَبُوا عَلَى جَمْعِ الدَّرَاهِمِ رَمَاهُم اللَّهُ بِأَرْبَعِ خِصَالٍ: بالْقَحْطِ مِنَ الزَّمَانِ، وَالجَوْرِ مِنَ السُّلْطَانِ، وَالخِيَانَةِ مِنَ وَلاةِ الأَحْكَامِ، وَالشَّوْكَةِ مِنَ الأَعْدَاءِ»(٣) .

وأما الآثار: فقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه: ذو الدرهمين أشدّ حبسًا أو قال أشدّ حسابًا من ذي الدرهم.

وأرسل عمر رضي الله عنه إلى سعيد بن عامر بألف دينار، فجاء حزينًا كئيبًا فقالت امرأته: أحدث أمر؟ قال: أشدّ من ذلك، ثم قال: أريني درعك الخلق فشقه وجعله صررًا وفرقه، ثم قام

---

(١) حديث «ألا أخبركم بملوك أهل الجنة؟». [البخاري: ٤٩١٨، ومسلم: ٢٨٥٣] متفق عليه من حديث حارثة بن وهب مختصرا ولم يقل «ملوك» وقد تقدم، ولابن ماجه بسند جيد من حديث معاذ «ألا أخبركم عن ملوك الجنة... الحديث» [ابن ماجه: ٤١١٥، وانظر ضعيف الترغيب: ١٨٦٠] دون قوله «أغبر أشعث».

(٢) حديث عمران بن حصين: كانت لي من رسول الله ﷺ منزلة وجاه، فقال «يا عمران، إن لك عندنا منزلة وجاها». تقدم.

(٣) منكر: حديث «إذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا». أخرجه أبو منصور الديلمي بإسناد فيه جهالة، وهو منكر. [انظر السلسلة الضعيفة: ١٥٢٨ بلفظ«علماءهم» بدلًا من «فقراءهم» ولم أقف عليه بلفظ «فقراءهم»].

يصلي ويبكي إلى الغداة، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَدْخُلُ فُقَرَاءُ أُمَّتِي الجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمِائَةِ عَامٍ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ مِنَ الأَغْنِيَاءِ يَدْخُلُ فِي غِمَارِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِيَدِهِ فَيُسْتَخْرَجُ» (١).

وقال أبو هريرة: ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب: رجل يريد أن يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه، ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين، ورجل دعا بشرابه فلا يقال له أيها تريد.

وقيل: جاء فقير إلى مجلس الثوري رحمه الله فقال له: تخطّ، لو كنت غنيًا لما قربتك، وكان الأغنياء من أصحابه يودون أنهم فقراء لكثرة تقريبه للفقراء وإعراضه عن الأغنياء. وقال المؤمل: ما رأيت الغني أذل منه في مجلس الثوري، ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري رحمه الله.

وقال بعض الحكماء: مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعًا، ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بهما جميعًا، ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعًا.

وقال ابن عباس: ملعون من أكرم بالغنى وأهان بالفقر.

وقال لقمان عليه السلام لابنه: لا تحقرنّ أحدًا لخلقان ثيابه فإن ربك وربه واحد.

وقال يحيى بن معاذ: حبك الفقراء من أخلاق المرسلين، وإيثارك مجالستهم من علامة الصالحين، وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين.

وفي الأخبار عن الكتب السالفة: أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه عليهم السلام. احذر أن أمقتك فتسقط من عيني فأصب الدنيا عليك صبًا.

ولقد كانت عائشة رضي الله عنها تفرّق مائة ألف درهم في يوم واحد يوجهها إليها معاوية وابن عامر وغيرهما، وإنّ درعها لمرقوع، وتقول لها الجارية: لو اشتريت لك بدرهم لحمًا تفطرين عليه وكانت صائمة، فقالت: لو ذكرتيني لفعلت، وكان قد أوصاها رسول الله ﷺ وقال: «إِنْ أَرَدْتِ اللُّحُوقَ بِي فَعَلَيْكِ بِعَيْشِ الفُقَرَاءِ، وَإِيَّاكِ وَمُجَالَسَةَ الأَغْنِيَاءِ، وَلا تَنْزَعِي دِرْعَكِ حَتَّى تَرْقَعِيه» (٢).

وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم، فأبى عليه أن يقبلها، فألح عليه الرجل،

---

(١) حديث سعيد بن عامر «يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام». وفي أوله قصة أن عمر بعث إلى سعيد بألف دينار فجاء كئيبا حزينا وفرقها، وقد روى أحمد في الزهد القصة إلا أنه قال «تسعين عاما» وفي إسناده يزيد بن أبي زياد تكلم فيه، وفي رواية له «بأربعين سنة» وأما دخولهم قبلهم بخمسمائة عام فهو عند الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه وقد تقدم. [حديث سعيد بن عامر، وحديث أبي هريرة عند الترمذي: ٢٣٥١، وانظر صحيح الترغيب: ٣١٨٩].

(٢) ضعيف جداً: حديث: قال لعائشة «إن أردت اللحوق بي فعليك بعيش الفقراء». أخرجه الترمذي وقال غريب، والحاكم وصححه نحوا من حديثها، وقد تقدم. [الترمذي: ١٧٨٠، وانظر ضعيف الترغيب: ١٨٧٨].

فقال له إبراهيم: أتريد أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم؟ لا أفعل ذلك أبدًا. رضي الله عنه.

بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين:

قال رسول الله ﷺ: «طُوبى لِمَنْ هُدِيَ إِلَى الإِسْلاَمِ وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وقَنِعَ بِهِ» (١) وقال ﷺ: «يا مَعْشَرَ الفُقَرَاءِ أَعْطُوا اللَّهَ الرِّضَا مِنْ قُلُوبِكُمْ تظفرُوا بِثَوَابِ فَقْرِكُمْ وإلاَّ فَلاَ» (٢)، فالأوّل القانع وهذا الراضي، ويكاد يشعر هذا بمفهومه: أنّ الحريص لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل على أنّ له ثوابًا كما سيأتي تحقيقه، فلعل المراد بعدم الرضا هو الكراهة لفعل الله في حبس الدنيا عنه، وربّ راغب في المال لا يخطر بقلبه إنكار على الله تعالى ولا كراهة في فعله، فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر.

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مِفْتَاحًا وَمِفْتَاحُ الجَنَّةِ حُبُّ المَسَاكِينِ وَالفُقَرَاءِ لِصَبْرِهِمْ، هُمْ جُلَسَاءُ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ» (٣).

وروي عن علي كرم الله وجهه عن النبي ﷺ أنه قال: «أَحَبُّ العِبَادِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الفَقِيرُ القَانِعُ بِرِزْقِهِ الرَّاضِي عَنِ اللَّهِ تَعَالَى» (٤). وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ قُوتَ آلِ مُحَمَّدٍ كَفَافًا» (٥). وقال ﷺ: «ما مِنْ أَحَدٍ غَنِيٍ ولا فقِير إلاَّ وَدَّ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنَّه كَانَ أُوتِيَ قُوتًا فِي الدُّنْيَا» (٦)، وأوحى الله تعالى إلى إسماعيل عليه السلام: اطلبني عند المنكسرة قلوبهم. قال: ومن هم؟ قال: الفقراء الصادقون. وقال ﷺ: «لاَ أَحَدَ أَفْضَلُ مِنَ الفَقِيرِ إِذَا كَانَ رَاضِيًا» (٧)، وقال ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ: أَيْنَ صَفْوَتِي مِنْ خَلْقِي؟ فَتَقُولُ المَلاَئِكَةُ: وَمَنْ هُمْ يَا رَبَّنَا؟ فَيَقُولُ: فُقَرَاءُ المُسْلِمِينَ القَانِعُونَ بِعَطَائِي الرَّاضُونَ بِقَدَرِي، أَدْخِلُوهُمُ الجَنَّةَ. فَيَدْخُلُونَهَا وَيَأْكُلُونَ

---

(١) صحيح: حديث «طوبى لمن هدي للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به». رواه مسلم، وقد تقدم. [مسلم: ١٠٥٤].

(٢) حديث «يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا». رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة، وهو ضعيف جدا، فيه أحمد بن الحسن بن أبان المصري متهم بالكذب ووضع الحديث.

(٣) موضوع: حديث «إن لكل شيء مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين». رواه الدارقطني في غرائب مالك وأبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق، وابن عدي في الكامل، وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر. [انظر السلسلة الضعيفة: ١٣٩٤].

(٤) ضعيف: حديث «أحب العباد إلى الله الفقير القانع برزقه الراضي عن الله». لم أجده بهذا اللفظ، وتقدم عند ابن ماجه حديث «إن الله يحب الفقير المتعفف».[ابن ماجه: ٤١٢١، وانظر السلسلة الضعيفة: ٥١].

(٥) صحيح: حديث «اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، وهو متفق عليه بلفظ «قوتا» وقد تقدم. [بلفظ «كفافاً» عند مسلم: ١٠٥٥، وبلفظ «قوتاً» عند البخاري: ٦٤٦٠، ومسلم: ١٠٥٥].

(٦) ضعيف جداً: حديث «ما من أحد غني ولا فقير إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتي قوتا في الدنيا». أخرجه ابن ماجه من حديث أنس، وقد تقدم. [ابن ماجه: ٤١٤٠، وانظر ضعيف الترغيب: ١٨٨١].

(٧) حديث «لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضيا». لم أجده بهذا اللفظ.

وَيَشْرَبُونَ وَالنَّاسَ فِي الحِسَابَ يَتَرَدَّدُونَ»[١] ، فهذا في القانع والراضي. وأما الزاهد فسنذكر فضله في الشطر الثاني من الكتاب إن شاء الله تعالى.

وأما الآثار: في الرضا والقناعة فكثيرة، ولا يخفى أنّ القناعة يضادها الطمع. وقد قال عمر رضي الله تعالى عنه: إن الطمع فقر واليأس غنى، وإنه من يئس عما في أيدي الناس وقنع استغنى عنهم.

وقال أبو مسعود رضي الله تعالى عنه: ما من يوم إلا وملك ينادي من تحت العرش: يا ابن آدم! قليل يكفيك خير من كثير يطغيك.

وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: ما من أحد إلا وفي عقله نقص، وذلك أنه إذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرحًا مسرورًا والليل والنهار دائبان في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك، ويح ابن آدم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص.

وقيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال: قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك.

وقيل: كان إبراهيم بن أدهم من أهل النعم بخراسان؟ فبينما هو يشرف من قصر له ذات يوم إذ نظر إلى رجل في فناء القصر وفي يده رغيف يأكله، فلما أكل نام، فقال لبعض غلمانه: إذا قام فجئني به، فلما قام جاء به إليه، فقال إبراهيم: أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع؟ قال: نعم. قال: فشبعت؟ قال: نعم، قال: ثم نمت طيبًا؟ قال: نعم. فقال إبراهيم في نفسه، فما أصنع أنا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر.

ومرّ رجل بعامر بن عبد القيس وهو يأكل ملحًا وبقلًا، فقال له: يا عبد الله أرضيت من الدنيا بهذا؟ فقال: ألا أدلك على من رضي بشر من هذا؟ قال: بلى. قال: من رضي بالدنيا عوضًا عن الآخرة.

وكان محمد بن واسع رحمة الله عليه يخرج خبزًا يابسًا فيبله بالماء ويأكله بالملح ويقول: من رضي من الدنيا بهذا لم يحتج إلى أحد.

وقال الحسن رحمه الله: لعن الله أقوامًا أقسم لهم الله تعالى ثم لم يصدّقوه، ثم قرأ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ۝ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢-٢٣].

وكان أبو ذرّ رضي الله عنه يومًا جالسًا في الناس فأتته امرأته فقالت له: أتجلس بين هؤلاء؟ والله ما في البيت هفة ولا سفة، فقال: يا هذه، إن بين أيدينا عقبة كئودًا لا ينجو منها إلا كل مخف، فرجعت وهي راضية.

وقال ذو النون رحمه الله: أقرب الناس إلى الكفر ذو فاقة لا صبر له.

---

(١) حديث «يقول الله تعالى يوم القيامة: أين صفوتي من خلقي؟». رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس.

وقيل لبعض الحكماء: ما مالك؟ فقال: التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس.

وروي أنّ الله عز وجل قال في بعض الكتب السالفة المنزلة: يا ابن آدم، لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت، فإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا محسن إليك.

وقد قيل في القناعة:

اضرعْ إلى الله لا تضرع إلى الناس ... واقنعْ بيأسٍ فإن العزَّ في الياسِ
واستغنِ عن كل ذي قربى وذي رحمٍ ... إنَّ الغني من استغنى عن النَّاسِ

وقد قيل في هذا المعنى أيضًا:

يا جامعًا مانعًا والدهر يرمقه ... مقدرًا أي باب منه يغلقُه
مفكرًا كيف تأتيه منيته ... أغاديًا أم بها يسري فتطرقُه
جمعت مالًا فقل لي هل جمعت له ... يا جامعَ المالِ أيامًا تفرّقُه
المال عندك مخزونٌ لوارثهِ ... ما المالُ مالك إلا يوم تنفقُه
أرفه ببال فتى يغدو على ثقة ... أنّ الذي قسم الأرزاق يرزقُه
فالعِرْضُ منه مصون ما يدنسه ... والوجهُ منه جديدٌ ليس يخلقه
إن القناعةَ من يحلل بساحتها ... لم يبقَ في ظلها هَمٌّ يؤرِّقُه

بيان فضيلة الفقر على الغنى:

اعلم أنّ الناس قد اختلفوا في هذا، فذهب الجنيد والخوّاص والأكثرون إلى تفضيل الفقر. وقال ابن عطاء: الغني الشاكر القائم بحقه أفضل من الفقير الصابر. ويقال إن الجنيد دعا على ابن عطاء لمخالفته إياه في هذه فأصابته محنة، وقد ذكرنا ذلك في كتاب الصبر وبينا أوجه التفاوت بين الصبر والشكر، ومهدنا سبيل طلب الفضيلة في الأعمال والأحوال وأنّ ذلك لا يمكن إلا بتفصيل.

فأما الفقر والغنى إذا أخذا مطلقًا لم يسترب من قرأ الأخبار والآثار في تفضيل الفقر، ولا بدّ فيه من تفصيل فنقول إنما يتصوّر الشك في مقامين.

أحدهما: فقير صابر ليس بحريص على الطلب، بل هو قانع أو راض بالإضافة إلى غني منفق ماله في الخيرات ليس حريصًا على إمساك المال.

والثاني: فقير حريص مع غني حريص، إذ لا يخفى أنّ الفقير القانع أفضل من الغني الحريص الممسك، وأن الغني المنفق ماله في الخيرات أفضل من الفقير الحريص، أما الأوّل فربما يظن أن الغني أفضل من الفقير؛ لأنهما تساويا في ضعف الحرص على المال، والغني

متقرب بالصدقات والخيرات والفقير عاجز عنه، وهذا هو الذي ظنه ابن عطاء فيما نحسبه، فأما الغني المتمتع بالمال وإن كان في مباح فلا يتصورّ أن يفضل على الفقير القانع، وقد يشهد له ما روي في الخبر: أنّ الفقراء شكوا إلى رسول الله ﷺ سبق الأغنياء بالخيرات والصدقات والحج والجهاد، فعلمهم كلمات في التسبيح، وذكر لهم أنهم ينالون بها فوق ما ناله الأغنياء، فتعلم الأغنياء ذلك فكانوا يقولونه، فعاد الفقراء إلى رسول الله فأخبروه، فقال عليه السلام: «ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» (١).

وقد استشهد ابن عطاء أيضًا لما سئل عن ذلك فقال: الغني أفضل لأنه وصف الحق، أما دليله الأوّل ففيه نظر؛ لأنّ الخبر قد ورد مفصلًا تفصيلًا يدل على خلاف ذلك: وهو أنّ ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغني، وأنّ فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء، فقد روى زيد بن أسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بعث الفقراء رسولًا إلى رسول الله ﷺ فقال: إني رسول الفقراء إليك؛ فقال: «مَرْحَبًا بِكَ وَبِمَنْ جِئْتَ مِنْ عِنْدِهِمْ قَوْمٌ أَحِبُّهُمْ» قال: قالوا: يا رسول الله إنّ الأغنياء ذهبوا بالخير يحجون ولا نقدر عليه، ويعتمرون ولا نقدر عليه، وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم؛ فقال النبي ﷺ: «بَلِّغْ عَنِّي الفُقَرَاءَ أَنَّ لِمَنْ صَبَرَ وَاحْتَسَبَ مِنْكُمْ ثَلاثَ خِصَالٍ لَيْسَتْ لِلأَغْنِيَاءِ. أَما خَصْلَةً وَاحِدَةً: فإِنَّ فِي الجَنَّةِ غُرَفًا يَنْظُرُ إِلَيْهَا أَهْلُ الجَنَّةِ كَمَا يَنْظُرُ أَهْلُ الأَرْضِ إِلَى نُجُومِ السَّمَاءِ، لا يَدْخُلُها إِلاَّ نَبِيٌّ فَقِيرٌ، أَوْ شَهِيدٌ فَقِيرٌ، أَوْ مُؤْمِنٌ فَقِيرٌ، وَالثَّانِيَةُ: يَدْخُلُ الفُقَرَاءُ الجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ وَهُوَ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَالثَّالِثَةُ: إِذَا قَالَ الغَنِيُّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرِ، وَقَالَ الفَقِيرُ مِثْلَ ذلِكَ لَمْ يَلْحَقِ الغَنِيَّ بِالفَقِيرِ وَلَوْ أَنْفَقَ فِيها عَشَرَةَ آلافِ دِرْهَمٍ، وَكَذلِكَ أَعْمَالُ البِرِّ كُلُّها» فرجع إليهم فأخبرهم بما قال رسول الله ، فقالوا: رضينا رضيناً (٢) فهذا يدل على أنّ قوله «ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» أي مزيد ثواب الفقراء على ذكرهم.

وأما قوله : إنّ الغني وصف الحق، فقد أجابه بعض الشيوخ فقال: أترى أنّ الله تعالى غني بالأسباب والأعراض، فانقطع ولم ينطق، وأجاب آخرون فقالوا: إنّ التكبر من صفات الحق فينبغي أن يكون أفضل من التواضع، ثم قالوا: بل هذا يدل على أنّ الفقر أفضل لأن صفات

---

(١) صحيح: حديث: شكى الفقراء إلى رسول الله ﷺ سبق الأغنياء بالخيرات والصدقات». متفق عليه من حديث أبي هريرة نحوه. [البخاري: ٨٤٣، ومسلم: ٥٩٥].

(٢) ضعيف: حديث زيد بن أسلم عن أنس: بعث الفقراء رسولا إلى رسول الله ﷺ فقال: إني رسول الفقراء إليك، فقال «مرحبا بك وبمن جئت من عندهم قوم أحبهم».لم أجده هكذا بهذا السياق، والمعروف في هذا المعنى ما رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر: اشتكى فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ ما فضل الله به عليهم أغنياءهم، فقال «يا معشر الفقراء ألا أبشركم إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم خمسمائة عام» وإسناده ضعيف. [ابن ماجه: ٤١٢٤، وانظر ضعيف ابن ماجه].

العبودية فضل للعبد كالخوف والرجاء، وصفات الربوبية لا ينبغي أن ينازع فيها، ولذلك قال تعالى فيما روى عنه نبينا ﷺ: «الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَصَمْتُهُ»(١).

وقال سهل: حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها لأنهما من صفات الرب تعالى؛ فمن هذا الجنس تكلموا في تفضيل الغنى والفقر، وحاصل ذلك تعلق بعمومات تقبل التأويلات وبكلمات قاصرة لا تبعد مناقضتها، إذ كما يناقض قول من فضل الغني بأنه صفة الحق بالتكبر، فكذلك يناقض قول من ذم الغني لأنه وصف للعبد بالعلم والمعرفة فإنه وصف الرب تعالى، والجهل والغفلة وصف العبد، وليس لأحد أن يفضل الغفلة على العلم، فكشف الغطاء عن هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر: وهو أن ما لا يراد لعينه بل يراد لغيره فينبغي أن يضاف إلى مقصوده، إذ به يظهر فضله، والدنيا ليست محذورة لعينها ولكن لكونها عائقة عن الوصول إلى الله تعالى، ولا الفقر مطلوبًا لعينه لكن لأنّ فيه فقد العائق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه، وكم من غني لم يشغله الغنى عن الله عز وجل مثل سليمان عليه السلام وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما، وكم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد، وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله تعالى والأنس به، ولا يكون ذلك إلا بعد معرفته، وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن، والفقر قد يكون من الشواغل كما أن الغنى قد يكون من الشواغل، وإنما الشاغل على التحقيق حب الدنيا، إذ لا يجتمع معه حب الله تعالى في القلب، والمحب للشيء مشغول به سواء كان في فراقه أو في وصاله، وربما يكون شغله في الفراق أكثر، وربما يكون شغله في الوصال أكثر، والدنيا معشوقة الغافلين، المحروم منها مشغول بطلبها، والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها؛ فإذن إن فرضت فارغين عن حب المال بحيث صار المال في حقهما كالماء استوى الفاقد والواجد، إذ كل واحد غير متمتع إلا بقدر الحاجة، ووجود قدر الحاجة أفضل من فقده، إذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفة. وإن أخذت الأمر باعتبار الأكبر فالفقير عن الخطر أبعد؛ إذ فتنة السراء أشدّ من فتنة الضراء، ومن العصمة أن لا يقدر، ولذلك قال الصحابة رضي الله تعالى عنهم: بلينا بفتنة الضراء فصبرنا، وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر. وهذه خلقة الآدميين كلهم إلا الشاذ الفذ الذي لا يوجد في الأعصار الكثيرة إلا نادرًا.

ولما كان خطاب الشرع مع الكل لا مع ذلك النادر - والضراء أصلح للكل دون ذلك النادر - زجر الشرع عن الغنى وذمه، وفضل الفقر ومدحه، حتى قال المسيح عليه السلام: لا

---

(١) صحيح: حديث «قال الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدا منهما قصمته». تقدم في العلم وغيره. [مسلم: ٢٦٢٠].

تنظروا إلى أموال أهل الدنيا فإن بريق أموالهم يذهب بنور إيمانكم.

وقال بعض العلماء: تقليب الأموال يمص حلاوة الإيمان.

وفي الخبر: «إنّ لكل أمة عجلًا وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم» (١)، وكان أصل عجل قوم موسى من حلية الذهب والفضة أيضًا، واستواء المال والماء، والذهب والحجر إنما يتصوّر للأنبياء عليهم السلام والأولياء؛ ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله تعالى بطول المجاهدة، إذ كان النبي ﷺ يقول للدنيا: «إِلَيْكِ عَنِّي» (٢). إذ كانت تتمثل له بزينتها. وكان علي كرم الله وجهه يقول: يا صفراء غرّي غيري، ويا بيضاء غري غيري، وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادىء الاغترار بها لولا أن رأى برهان ربه، وذلك هو الغنى المطلق، إذ قال عليه الصلاة والسلام: «لَيْسَ الغِنَى مِنْ كَثْرَةِ العَرَضِ إنَّما الغِنَى غِنَى النَّفْسِ» (٣)، وإذا كان ذلك بعيدًا فإذن الأصلح لكافة الخلق فقد المال وإن تصدّقوا به وصرفوه إلى الخيرات، لأنهم لا ينفكون في القدرة على المال عن أنس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستشعار راحة في بذلها، وكل ذلك يورث الأنس بهذا العالم، وبقدر ما يأنس العبد بالدنيا يستوحش من الآخرة؟ وبقدر ما يأنس بصفة من صفاته سوى صفة المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه، ومهما انقطعت أسباب الأنس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها، والقلب إذا تجافى عما سوى الله تعالى وكان مؤمنًا بالله انصرف لا محالة إلى الله، إذ لا يتصوّر قلب فارغ، وليس في الوجود إلا الله تعالى وغيره، فمن أقبل على غيره فقد تجافى عنه ومن أقبل عليه تجافى عن غيره، ويكون إقباله على أحدهما بقدر تجافيه عن الآخر، وقربه من أحدهما بقدر بعده من الآخر، ومثلهما مثل المشرق والمغرب فإنهما جهتان، فالمتردد بينهما يقدر ما يقرب من أحدهما يبعد عن الآخر، بل عين القرب من أحدهما هو عين البعد من الآخر، فعين حب الدنيا هو عين بغض الله تعالى، فينبغي أن يكون مطمح نظر العارف قلبه في عزوبه عن الدنيا وأنسه بها، فإذن فضل الفقير والغني بحسب تعلق قلبيهما بالمال فقط، فإن تساويا فيه تساوت درجتهما، إلا أن هذا مزلة قدم وموضع غرور، فإنّ الغني ربما يظنّ أنه منقطع القلب عن المال، ويكون حبه دفينًا في باطنه وهو لا يشعر به، وإنما يشعر به إذا فقده، فليجرّب نفسه بتفريقه أو إذا سرق منه، فإن وجد لقلبه إليه التفاتًا فليعلم أنه كان مغرورًا، فكم من رجل باع سرية له لظنه أنه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار التي كانت مستكنة فيه، فتحقق إذن أنه كان

(١) حديث «لكل أمة عجل، وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم». رواه أبو منصور الديلمي من طريق أبي عبد الرحمن السلمي من حديث حذيفة بإسناد فيه جهالة.

(٢) ضعيف: حديث: كان يقول للدنيا «إليك عني». رواه الحاكم مع اختلاف. وقد تقدم. [انظر ضعيف الترغيب: ١٩١٧].

(٣) صحيح: حديث «ليس الغني عن كثرة العرض إنما الغني غني النفس». متفق عليه من حديث أبي هريرة، وقد تقدم. [البخاري: ٦٤٤٦، ومسلم: ١٠٥١].

مغرورًا، وأنّ العشق كان مستكنًّا في الفؤاد استكنان النار تحت الرماد، وهذا حال كل الأغنياء إلا الأنبياء والأولياء، وإذا كان ذلك محالاً أو بعيدًا فلنطلق القول بأنّ الفقر أصلح لكافة الخلق وأفضل؛ لأنّ علاقة الفقير وأنسه بالدنيا أضعف وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته، فإنّ حركات اللسان ليست مرادة لأعيانها بل ليتأكد بها الأنس بالمذكور، ولا يكون تأثيرها في إثارة الأنس في قلب فارغ من غير المذكور كتأثيرها في قلب مشغول، ولذلك قال بعض السلف: مثل من تعبد وهو في طلب الدنيا مثل من يطفىء النار بالحلفاء ومثل من يغسل يده من الغمر بالسمك.

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى: تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها، أفضل من عبادة غني ألف عام.

وعن الضحاك قال: من دخل السوق فرأى شيئًا يشتهيه فصبر واحتسب، كان خيرًا له من ألف دينار ينفقها كلها في سبيل الله تعالى.

وقال رجل لبشر بن الحارث رحمه الله: ادع الله لي فقد أضرّ بي العيال فقال: إذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله لي في ذلك الوقت، فإنّ دعاءك أفضل من دعائي. وكان يقول: مثل الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة، ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر في جيد الحسناء. وقد كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الأغنياء. وقد قال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: اللهم إني أسألك الذل عند النصف من نفسي، والزهد فيما جاوز الكفاف. وإذا كان مثل الصدّيق رضي الله عنه في كماله يحذر من الدنيا ووجودها فكيف يشك في أنّ فقد المال أصلح من وجوده هذا، مع أن أحسن أحوال الغني أن يأخذ حلالاً وينفق طيبًا، ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامة ويطول انتظاره، ومن نوقش الحساب فقد عذب، ولهذا تأخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة إذ كان مشغولاً بالحساب كما رآه رسول الله ﷺ، ولهذا قال أبو الدرداء رضي الله عنه: ما أحب أنّ لي حانوتًا على باب المسجد ولا تخطئني فيه صلاة وذكر وأربح، كل يوم خمسين دينارًا وأتصدّق بها في سبيل الله تعالى. قيل: وما تكره؟ قال: سوء الحساب، ولذلك قال سفيان رحمه الله: اختار الفقراء ثلاثة أشياء، واختار الأغنياء ثلاثة أشياء.

اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب، واختار الأغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدّة الحساب. وما ذكره ابن عطاء من أن الغنى وصف الحق فهو بذلك أفضل فهو صحيح، ولكن إذا كان العبد غنيًّا عن وجود المال وعدمه جميعًا بأن يستوي عنده كلاهما، فأما إذا كان غنيًّا بوجوده ومفتقرًا إلى بقائه فلا يضاهي غناه غنى الله تعالى؛ لأن الله تعالى غني بذاته لا بما يتصوّر زواله والمال يتصوّر زواله بأن يسرق، وما ذكر من الرد عليه بأن الله ليس غنيًّا بالأعراض والأسباب صحيح في ذم غني يريد بقاء المال، وما ذكر من أن صفات الحق لا

تليق بالعبد غير صحيح، بل العلم من صفاته وهو أفضل شيء للعبد، بل منتهى العبد أن يتخلق بأخلاق الله تعالى، وقد سمعت بعض المشايخ يقول: إن سالك الطريق إلى الله تعالى قبل أن يقطع الطريق تصير الأسماء التسعة والتسعون أوصافًا له: أي يكون له من كل واحد نصيب، وأما التكبر فلا يليق بالعبد، فإن التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله تعالى، وأما التكبر على من يستحقه كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع على العاصي فيليق به. نعم قد يراد بالتكبر الزهو والصلف والإيذاء وليس ذلك من وصف الله تعالى، وإنما وصف الله تعالى أنه أكبر من كل شيء وأنه يعلم أنه كذلك، والعبد مأمور به بأنه يطلب أعلى المراتب إن قدر عليه، ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتلبيس، فعلى العبد أن يعلم أن المؤمن أكبر من الكافر، والمطيع أكبر من العاصي، والعالم أكبر من الجاهل، والإنسان أكبر من البهيمة والجماد والنبات، وأقرب إلى الله تعالى منها فلو رأى نفسه بهذه الصفة رؤية محققة لا شك فيها لكانت صفة التكبر حاصلة له ولائقة به وفضيلة في حقه، إلا أنه لا سبيل له إلى معرفته فإن ذلك موقوف على الخاتمة، وليس يدري الخاتمة كيف تكون وكيف تتفق؟ فلجهله بذلك وجب أن لا يعتقد لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر؛ إذ ربما يختم للكافر بالإيمان، وقد يختم له بالكفر، فلم يكن ذلك لائقًا به لقصور علمه عن معرفة العاقبة ولما تصوّر أن يعلم الشيء على ما هو به كان العلم كمالًا في حقه لأنه في صفات الله تعالى، ولما كانت معرفة بعض الأشياء قد تضره صار ذلك العلم نقصانًا في حقه إذ ليس من أوصاف الله تعالى علم يضره، فمعرفة الأمور التي لا ضرر فيها هي التي تتصوّر في العبد من صفات الله تعالى، فلا جرم هو منتهى الفضيلة وبه فضل الأنبياء والأولياء والعلماء، فإذن لو استوى عنده وجود المال وعدمه فهذا نوع من الغنى يضاهي بوجه من الوجوه الغنى الذي يوصف به الله سبحانه وتعالى فهو فضيلة، أما الغني بوجود المال فلا فضيلة فيه أصلًا، فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع إلى حال الغني الشاكر.

ولنفرض هذا في شخص واحد هو طالب للمال وساع فيه وفاقد له ثم وجده، فله حالة الفقد وحالة الوجود، فأي حالتيه أفضل؟ فنقول: ننظر فإن كان مطلوبه ما لا بدّ منه في المعيشة وكان قصده أن يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه فحال الوجود أفضل، لأنّ الفقر يشغله بالطلب، وطالب القوت لا يقدر على الفكر والذكر إلا قدرة مدخولة بشغل؛ والمكفي هو القادر، ولذلك قال ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ قُوتَ آلِ مُحَمَّدٍ كَفَافًا» وقال ﷺ: «كاد الفقر أن يكون كفرًا» أي الفقر مع الاضطرار فيما لا بدّ منه، وإن كان المجلوب فوق الحاجة أو كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين؛ فحالة الفقر أفضل وأصلح، لأنهما استويا في الحرص وحب المال، واستويا في أنّ كل واحد منهما ليس يقصد به الاستعانة على طريق الدين، واستويا في أن كل واحد منهما ليس يتعرّض

لمعصية بسبب الفقر والغنى؛ ولكن افترقا في أنّ الواجد يأنس بما وجده فيتأكد حبه في قلبه ويطمئن إلى الدنيا، والفاقد المضطر يتجافى قلبه عن الدنيا وتكون الدنيا عنده كالسجن الذي يبغي الخلاص منه، ومهما استوت الأمور كلها وخرج من الدنيا رجلان أحدهما أشدّ ركونًا إلى الدنيا؛ فحاله أشدّ لا محالة؛ إذ يلتفت قلبه إلى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر تأكد أنسه بالدنيا، وقد قال ﷺ: «إِنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي: أَحْبِبْ مَنْ أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ» (١)، وهذا تنبيه على أن فراق المحبوب شديد، فينبغي أن تحب من لا يفارقك وهو الله تعالى، ولا تحب ما يفارقك وهو الدنيا، فإنك إذا أحببت الدنيا كرهت لقاء الله تعالى، فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه، وفراقك لما تحبه؛ وكل من فارق محبوبًا فيكون أذاه في فراقه بقدر حبه وقد أنسه وأنس الواحد للدنيا القادر عليها أكثر من أنس الفاقد لها وإن كان حريصًا عليها، فإذن قد انكشف بهذا التحقيق أن الفقر هو الأشرف والأفضل والأصلح لكافة الخلق إلا في موضعين:

أحدهما: غني مثل غنى عائشة رضي الله عنها يستوي عنده الوجود والعدم، فيكون الوجود مزيدًا له؛ إذ يستفيد به أدعية الفقراء والمساكين وجمع همهم.

والثاني: الفقر عن مقدار الضرورة فإن ذلك يكاد أن يكون كفرًا، ولا خير فيه بوجه من الوجوه إلا إذا كان وجوده يبقي حياته ثم يستعين بقوّته وحياته على الكفر والمعاصي؛ ولو مات جوعًا لكانت معاصيه أقل؛ فالأصلح له أن يموت جوعًا ولا يجد ما يضطرّ إليه أيضًا، فهذا تفصيل القول في الغنى والفقر. ويبقى النظر في فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له هم سواه، وفي غني دونه في الحرص على حفظ المال، ولم يكن تفجعه بفقد المال لو فقده كتفجع الفقير بفقره، فهذا في محل النظر، والأظهر أن بعدهما عن الله تعالى بقدر قوّة تفجعهما لفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفجعهما بفقده؛ والعلم عند الله تعالى فيه.

بيان آداب الفقير في فقره:

اعلم أنّ للفقير آدابًا في باطنه وظاهره ومخالطته وأفعاله ينبغي أن يراعيها.

فأما أدب باطنه: فأن لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر، أعني أنه لا يكون كارهًا فعل الله تعالى من حيث إنه فعله ــ وإن كان كارهًا للفقر ــ كالمحجوم يكون كارهًا للحجامة لتألمه بها ولا يكون كارهًا فعل الحجام ولا كارهًا للحجام، بل ربما يتقلد منه منة، فهذا أقل درجاته وهو واجب، ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر، وهو معنى قوله عليه السلام: «يا مَعْشَرَ الفُقَرَاءِ أَعْطُوا اللَّهَ الرِّضَا مِنْ قُلُوبِكُمْ تَظْفَرُوا بِثَوَابِ فَقْرِكُمْ وَإِلاَّ فَلاَ»

---

(١) حسن لغيره: حديث «إن روح القدس نفث في روعي: أحبب من أحببت فإنك مفارقه تقدم. [انظر صحيح الترغيب: ٦٢٧].

وأرفع من هذا أن لا يكون كارهًا للفقر بل يكون راضيًا به، وأرفع منه أن يكون طالبًا له وفرحًا به لعلمه بغوائل الغنى، ويكون متوكلًا في باطنه على الله تعالى واثقًا به في قدر ضرورته أنه يأتيه لا محالة ويكون كارهًا للزيادة على الكفاف. وقد قال علي كرّم الله وجهه: إنّ لله تعالى عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر؛ من علامات الفقر إذا كان مثوبة أن يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو حاله، ويشكر الله تعالى على فقره، ومن علاماته ــ إذا كان عقوبة ــ أن يسوء عليه خلقه ويعصي ربه بترك طاعته ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء، وهذا يدل أنّ كل فقير فليس بمحمود، بل المحمود الذي لا يتسخط ويرضى أو يفرح بالفقر ويرضى لعلمه بثمرته، إذ قيل: ما أعطى عبد شيئًا من الدنيا إلا قيل له: خذه على ثلاث أثلاث: شغل وهم وطول حساب.

وأما أدب ظاهره: فأن يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر، بل يستر فقره ويستر أنه يستره ففي الحديث: «إنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ الفَقِيرَ المُتَعَفِّفَ أَبا العِيالِ» وقال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة:٢٧٣] وقال سفيان: أفضل الأعمال التجمل عند المحنة. وقال بعضهم: ستر الفقر من كنوز البر.

وأما في أعماله فأدبه: أن لا يتواضع لغني لأجل غناه، بل يتكبر عليه. قال علي كرّم الله وجهه: ما أحسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله تعالى، وأحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله عز وجل، فهذه رتبة، وأقل منها أن لا يخالط الأغنياء ولا يرغب في مجالستهم لأن ذلك من مبادىء الطمع. قال الثوري رحمه الله: إذا خالط الفقير الأغنياء فاعلم أنه مراء، وإذا خالط السلطان فاعلم أنه لص. وقال بعض العارفين: إذا خالط الفقير الأغنياء انحلت عروته، فإذا طمع فيهم انقطعت عصمته، فإذا سكن إليهم ضل. وينبغي أن لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للأغنياء وطمعًا في العطاء.

وأما أدبه في أفعاله: فألاّ يفتر بسبب الفقر عن عبادة، ولا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه، فإنّ ذلك جهد المقل، وفضله أكثر من أموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى. روى زيد بن أسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «دِرْهَمٌ مِنَ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ مائةِ أَلْفِ دِرْهَم» . قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «أَخْرَجَ رَجُلٌ مِنْ عَرْضِ مَالِهِ مائَةَ أَلْفِ دِرْهَم فَتَصَدَّقَ بِهَا، وَأَخْرَجَ رَجُلٌ دِرْهَمًا مِنْ دِرْهَمَيْنِ لا يَمْلِكُ غَيْرَهُمَا طَيِّبَةً بِهِ نَفْسُهُ، فَصَارَ صَاحِبُ الدِّرْهَمِ أَفْضَلَ مِنْ صَاحِبِ المائَةِ أَلف»[1] ، وينبغي ألاّ يدّخر مالًا بل يأخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي وفي الادخار ثلاث درجات.

---

(١) حسن: حديث زيد بن أسلم «درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف درهم». أخرجه النسائي من حديث أبي هريرة متصلا، وقد تقدم في الزكاة، ولا أصل له من رواية زيد بن أسلم مرسلا. [النسائي: ٢٥٢٧، وانظر صحيح الترغيب: ٨٨٣].

إحداها: أن لا يدّخر إلا ليومه وليلته وهي درجة الصدّيقين.

والثانية: أن يدّخر لأربعين يومًا فإنّ ما زاد عليه داخل في طول الأمل، وقد فهم العلماء ذلك من ميعاد الله تعالى لموسى عليه السلام ففهم منه الرخصة في أمل الحياة أربعين يومًا. وهذه درجة المتقين.

والثالثة: أن يدّخر لسنته وهي أقصى المراتب وهي رتبة الصالحين، ومن زاد في الادخار على هذا فهو واقع في غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية، فغنى الصالح الضعيف في طمأنينة قلبه في قوت سنته، وغنى الخصوص في أربعين يومًا، وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة، وقد قسم النبي ﷺ نساءه على مثل هذه الأقسام. فبعضهن كان يعطيها قوت سنة عند حصول ما يحصل، وبعضهن قوت أربعين يومًا وبعضهن يومًا وليلة وهو قسم عائشة وحفصة.

بيان آداب الفقير في قبول العطاء اذا جاءه بغير سؤال:

ينبغي أن يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلاثة أمور: نفس المال، وغرض المعطي، وغرضه في الأخذ.

أما نفس المال، فينبغي أن يكون حلالًا خاليًا عن الشبهات كلها، فإن كان فيه شبهة فليحترز من أخذه، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب.

وأما غرض المعطي؛ فلا يخلو: إما أن يكون غرضه تطييب قلبه وطلب محبته وهو الهدية، أو الثواب وهو الصدقة والزكاة، والذكر والرياء والسمعة إما على التجرّد، وإما ممزوجًا ببقية الأغراض.

أما الأوّل: وهو الهدية فلا بأس بقبولها فإن قبولها سنة رسول الله ﷺ (١) ولكن ينبغي ألاّ يكون فيها منة، فإن كان فيها منة فالأولى تركها، فإن علم أن بعضها مما تعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض؛ فقد أهدي إلى رسول الله ﷺ سمن وأقط وكبش، فقبل السمن والأقط ورد الكبش (٢)، وكان يقبل من بعض الناس ويرد على بعض (٣)، وقال ﷺ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَلاَّ

(١) صحيح: حديث: أن قبول الهدية سنة. تقدم أنه ﷺ كان يقبل الهدية. [البخاري: ٢٥٨٥ عن عائشة، والبخاري: ٢٥٧٦، ومسلم: ١٠٧٧ عن أبي هريرة].

(٢) حديث: أهدي إلى النبي ﷺ سمن وأقط وكبش فقبل السمن والأقط ورد الكبش. أخرجه أحمد في أثناء حديث ليعلى بن مرة: وأهدت إليه كبشين وشيئا من سمن وأقط، فقال النبي ﷺ «خذ الأقط والسمن وأحد الكبشين ورد عليها الآخر» وإسناده جيد. وقال وكيع: مرة عن يعلى بن مرة عن أبيه. [أحمد: ١٧٠٩٨].

(٣) صحيح: حديث: كان يقبل من بعض الناس ويرد على بعض. رواه أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة «وايم الله لا أقبل بعد يومي هذا من أحد هدية إلا أن يكون مهاجريا... الحديث» فيه محمد بن إسحاق ورواه بالعنعنة. [أبو داود: ٣٥٣٧، والترمذي: ٣٩٤٦، وانظر صحيح أبي داود].

أَتَّهِبَ إِلاَّ مِنْ قُرَشِي أَوْ ثَقَفِي أَوْ أَنْصَارِي أَوْ دَوْسِي» (١)، وفعل هذا جماعة من التابعين. وجاءت إلى فتح الموصلي صرة فيها خمسون درهمًا فقال: حدّثنا عطاء عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ أَتَاهُ رِزْقٌ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ فَرَدَّهُ فَإِنَّما يَرُدُّهُ عَلَى اللَّهِ» (٢)، ثم فتح الصرة فأخذ منها درهمًا ورد سائرها. وكان الحسن يروي هذا الحديث أيضًا ولكن حمل إليه رجل كيسًا ورزمة من رقيق ثياب خراسان، فرد ذلك وقال: من جلس مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله عز وجل يوم القيامة وليس له خلاق. وهذا يدل على أنّ أمر العالم والواعظ أشدّ في قبول العطاء. وقد كان الحسن يقبل من أصحابه. وكان إبراهيم التيمي يسأل من أصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه ويعرض عليه غيرهم المئين فلا يأخذها. وكان بعضهم إذا أعطاه صديقه شيئًا يقول: اتركه عندك وانظر إن كنت بعد قبوله في قلبك أفضل مني قبل القبول فأخبرني حتى آخذه وإلا فلا، وأمارة هذا أن يشق عليه الرد لو رده ويفرح بالقبول ويرى المنة على نفسه في قبول صديقه هديته، فإن علم أنه يمازجه منه فأخذه مباح ولكنه مكروه عند الفقراء الصادقين.

وقال بشر: ما سألت أحدًا قط شيئًا إلا سريا السقطي لأنه قد صح عندي زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء من يده ويتبرم ببقائه عنده فأكون عونًا له على ما يحب. وجاء خراساني إلى الجنيد رحمه الله بمال وسأله أن يأكله فقال: أفرّقه على الفقراء، فقال: ما أريد هذا. قال: ومتى أعيش حتى آكل هذا؟ قال: ما أريد أن تنفقه في الخل والبقل بل في الحلاوات والطيبات، فقبل ذلك منه، فقال الخراساني: ما أجد في بغداد أمنّ علي منك، فقال الجنيد: ولا ينبغي أن يقبل إلا من مثلك.

الثاني: أن يكون للثواب المجرّد وذلك صدقة أو زكاة، فعليه أن ينظر في صفات نفسه هل هو مستحق للزكاة؟ فإن اشتبه عليه فهو محل شبهة، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب أسرار الزكاة. وإن كانت صدقة وكان يعطيه لدينه فلينظر إلى باطنه، فإن كان مقارفًا لمعصية في السر يعلم أن المعطي لو علم ذلك لنفر طبعه ولما تقرّب إلى الله بالتصديق عليه، فهذا حرام

---

(١) صحيح: حديث «لقد هممت أن لا أتهب إلا من قرشي أو ثقفي أو أنصاري أو دوسي». أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال: روى من غير وجه عن أبي هريرة، قلت: ورجاله ثقات. [الترمذي: ٣٩٤٥، وانظر صحيح الترمذي].

(٢) حديث عطاء مرسلا «من أتاه رزق من غير مسألة فرده فإنما يرد على الله عز وجل». لم أجده مرسلا هكذا، ولأحمد وأبي يعلى والطبراني بإسناد جيد من حديث خالد بن عدي الجهني «من بلغه معروف من أخيه من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله ولا يرده فإنما هو رزق ساقه الله عز وجل إليه» [أحمد: ١٧٤٧٧، وانظر صحيح الترغيب: ٨٤٨] ولأحمد وأبي داود الطيالسي من حديث أبي هريرة «من آتاه الله من هذا المال شيئًا من غير أن يسأله فليقبله» [أحمد: ٧٨٦١، وانظر صحيح الترغيب: ٨٤٩، وقال الألباني صحيح لغيره] وفي الصحيحين من حديث عمر «ما أتاك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه... الحديث» [البخاري: ٧١٦٤، ومسلم: ١٠٤٥].

أخذه كما لو أعطاه لظنه أنه عالم أو علوي ولم يكن، فإنّ أخذه حرام محض لا شبهة فيه.

الثالث: أن يكون غرضه السمعة والرياء والشهرة، فينبغي أن يرد عليه قصده الفاسد ولا يقبله، إذ يكون معينًا له على غرضه الفاسد. وكان سفيان الثوري يرد ما يعطى ويقول: لو علمت أنهم لا يذكرون ذلك افتخارًا به لأخذت. وعوتب بعضهم في رد ما كان يأتيه من صلة فقال: إنما أَرُدُّ صلتهم إشفاقًا عليهم ونصحًا لهم لأنهم يذكرون ذلك ويحبون أن يعلم به فتذهب أموالهم وتحبط أجورهم.

وأما غرضه في الأخذ فينبغي أن ينظر: أهو محتاج إليه فيما لا بدّ منه أو هو مستغن عنه، فإن كان محتاجًا إليه وقد سلم من الشبهة والآفات التي ذكرناها في المعطي فالأفضل له الأخذ، قال النبي ﷺ: «ما المُعْطِي مِنْ سَعَةٍ بِأَعْظَمَ أَجْرًا مِنَ الآخِذِ إذا كَانَ مُحْتَاجًا» (١)، وقال ﷺ: «مَنْ أَتَاهُ شَيْءٌ مِنْ هذا المَالِ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلا اسْتِشْرَافٍ فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ» (٢)، وفي لفظ آخر: «فلا يرده». وقال بعض العلماء: من أعطي ولم يأخذ سأل ولم يعط. وقد كان سري السقطي يوصل إلى أحمد بن حنبل رحمة الله عليهما شيئًا فرده مرة، فقال له السري: يا أحمد، احذر آفة الرد فإنها أشدّ من آفة الأخذ، فقال له أحمد: أعد عليّ ما قلت فأعاده، فقال أحمد: ما رددت عليك إلاّ لأنّ عندي قوت شهر، فاحبسه لي عندك، فإذا كان بعد شهر فأنفذه إليّ، وقد قال بعض العلماء: يخاف في الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع أو دخول في شبهة أو غيره؛ فأما إذا كان ما أتاه زائدًا على حاجته فلا يخلو: إما أن يكون حاله الاشتغال بنفسه أو التكفل بأمور الفقراء والإنفاق عليهم لما في طبعه من الرفق والسخاء، فإن كان مشغولًا بنفسه فلا وجه لأخذه وإمساكه إن كان طالبًا طريق الآخرة، فإنّ ذلك محض اتباع الهوى، وكل عمل ليس لله فهو سبيل الشيطان أو داع إليه، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ثم له مقامان:

أحدهما: أن يأخذ في العلانية ويرد في السر، أو يأخذ في العلانية ويفرّق في السر، وهذا مقام الصديقين؛ وهو شاق على النفس لا يطيقه إلا من اطمأنت نفسه بالرياضة.

والثاني: أن يترك ولا يأخذ ليصرفه صاحبه إلى من هو أحوج منه، أو يأخذ ويوصل إلى من هو أحوج منه، فيفعل كليهما في السر أو كليهما في العلانية؛ وقد ذكرنا هل الأفضل إظهار الأخذ أو إخفاؤه؟ في كتاب أسرار الزكاة مع جملة من أحكام الفقر فليطلب من موضعه. وأما امتناع أحمد بن حنبل عن قبول عطاء سري السقطي رحمهما الله، فإنما كان لاستغنائه عنه،

---

(١) ضعيف: حديث «ما المعطى من سعة بأعظم أجرا من الآخذ إذا كان محتاجا». رواه الطبراني من حديث ابن عمر، وقد تقدم في الزكاة. [انظر ضعيف الترغيب: ٥٠٥].

(٢) حديث «من أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فإنما هو رزق ساقه الله إليه» وفي لفظ آخر «فلا يرده». تقدما قبل هذا بحديث. [سبق تخريجه قريباً].

إذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه أن يشتغل بأخذه وصرفه إلى غيره، فإنّ في ذلك آفات وأخطارًا، والورع يكون حذرًا من مظانّ الآفات إذ لم يأمن مكيدة الشيطان على نفسه.

وقال بعض المجاورين بمكة: كانت عندي دراهم أعددتها للإنفاق في سبيل الله، فسمعت فقيرًا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي: أنا جائع كما ترى عريان كما ترى، فما ترى فيما ترى يا من يَرَى ولا يُرَى، فنظرت فإذا عليه خلقان لا تكاد تواريه، فقلت في نفسي: لا أجد لدراهمي موضعًا أحسن من هذا؛ فحملتها إليه، فنظر إليها ثُم أخذ منها خمسة دراهم وقال: أربعة ثمن مئزرين، ودرهم أنفقه ثلاثًا فلا حاجة بي إلى الباقي فرده. قال: فرأيته الليلة الثانية وعليه مئزران جديدان، فهجس في نفسي منه شيء، فالتفت إليّ فأخذ بيدي، فأطافني معه أسبوعًا كل شوط منها على جوهر من معادن الأرض يتخشخش تحت أقدامنا إلى الكعبين: منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر، ولم يظهر ذلك للناس، فقال: هذا كله قد أعطانيه فزهدت فيه وآخذ من أيدي الخلق لأنّ هذه أثقال وفتنة، وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة، والمقصود من هذا: إن الزيادة على قدر الحاجة إنما تأتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله إليك ماذا تعمل فيه، وقدر الحاجة يأتيك رفقًا بك، فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف:٧]وقد قال ﷺ «لا حَقَّ لابْنِ آدَمَ إلاَّ في ثَلاثٍ: طَعَامٍ يُقِيمُ صُلْبَهُ وَثَوْبٍ يُوَارِي عَوْرَتَهُ، وَبَيْتٍ يُكِنُّهُ، فَمَا زَادَ فَهُوَ حِسَابٌ»(١)، فإذن أنت في أخذ قدر الحاجة من هذه الثلاث مثاب، وفيما زاد عليه إن لم تعص الله متعرّض للحساب، وإن عصيت الله فأنت متعرّض للعقاب.

ومن الاختبار أيضًا: أن تعزم على ترك لذة من اللذات تقرّبًا إلى الله تعالى وكسرًا لصلة النفس فتأتيك عفوًا صفوًا لتمتحن بها قوّة عقلك، فالأولى الامتناع عنها فإن النفس إذا رخص لها في نقض العزم ألفت نقض العهد وعادت لعادتها ولا يمكن قهرها، فردّ ذلك مهم وهو الزهد، فإن أخذته وصرفته إلى محتاج فهو غاية الزهد، ولا يقدر عليه إلا الصدّيقون: وأما إذا كانت حالك السخاء والبذل والتكفل بحقوق الفقراء وتعهد جماعة من الصلحاء فخذ ما زاد على حاجتك فإنه غير زائد على حاجة الفقراء، وبادر به إلى الصرف إليهم ولا تدّخره، فإن إمساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة واختبار، فربما يحلو في قلبك فتمسكه فيكون فتنة عليك وقد تصدّى لخدمة الفقراء جماعة اتخذوها وسيلة إلى التوسع في المال والتنعم في المطعم والمشرب وذلك هو الهلاك ومن كان غرضه الرفق وطلب الثواب به فله أن يستقرض على

---

(١) ضعيف: حديث «لا حق لابن آدم إلا في ثلاث: طعام يقيم صلبه، وثوب يواري عورته، وبيت يكنه فما زاد فهو حساب». أخرجه الترمذي من حديث عثمان بن عفان وقال «وجلف الخبز والماء» بدل قوله «طعام يقيم صلبه» وقال صحيح. [الترمذي: ٢٣٤١، وانظر ضعيف الترغيب: ١٨٧٦].

حسن الظنّ بالله لا على اعتماد السلاطين الظلمة، فإن رزقه الله من حلال قضاه، وإن مات قبل القضاء قضاه الله تعالى عنه وأرضى غرماءه، وذلك بشرط أن يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يغر المقرض ولا يخدعه بالمواعيد بل يكشف حاله عنده ليقدم على إقراضه على بصيرة، ودين مثل هذا الرجل واجب أن يقضى من مال بيت المال ومن الزكاة، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق:٧] قيل معناه: ليبع أحد ثوبيه. وقيل معناه: فليستقرض بجاهه، فذلك مما آتاه الله. وقال بعضهم: إن لله تعالى عبادًا ينفقون على قدر بضائعهم، ولله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى. ومات بعضهم فأوصى بماله لثلاث طوائف: الأقوياء، والأسخياء، والأغنياء، فقيل: من هؤلاء؟ فقال: أما الأقوياء فهم أهل التوكل على الله تعالى، وأما الأسخياء فهم أهل حسن الظنّ بالله تعالى، وأما الأغنياء فهم أهل الانقطاع إلى الله تعالى، فإذن مهما وجدت هذه الشروط فيه وفي المال وفي المعطي فليأخذه، وينبغي أن يرى ما يأخذه من الله لا من المعطي؛ لأنّ المعطي واسطة قد سخر للعطاء، وهو مضطرّ إليه بما سلط عليه من الدواعي والإرادات والاعتقادات. وقد حكي أن بعض الناس دعا شقيقًا في خمسين من أصحابه، فوضع الرجل مائدة حسنة، فلما قعد قال لأصحابه: إن هذا الرجل يقول: من لم يرن صنعت هذا الطعام وقدّمته فطعامي عليه حرام، فقاموا كلهم وخرجوا إلا شابًا منهم كان دونهم في الدرجة، فقال صاحب المنزل لشقيق: ما قصدت بهذا؟ قال: أردت أن أختبر توحيد أصحابي كلهم. وقال موسى عليه السلام: يا رب جعلت رزقي هكذا على أيدي بني إسرائيل يغديني هذا يومًا ويعشيني هذا ليلة فأوحى الله تعالى إليه هكذا أصنع بأوليائي، أجري أرزاقهم على أيدي البطالين من عبادي ليؤجروا فيهم. فلا ينبغي أن يرى المعطي إلا من حيث إنه مسخر مأجور من الله تعالى، نسأل الله حسن التوفيق لما يرضاه.

بيان تحريم السؤال من غير ضرورة، وآداب الفقير المضطر فيه:

اعلم أنه قد وردت مناهٍ كثيرة في السؤال وتشديدات، وورد فيه أيضًا ما يدل على الرخصة إذ قال ﷺ: «لِلسَّائِلِ حَقٌّ وَلَوْ جَاءَ عَلَى فَرَسٍ» (١)، وفي الحديث: «رُدُّوا السَّائِلَ وَلَوْ بِظِلْفٍ مُحَرَّقٍ» (٢)، ولو كان السؤال حرامًا مطلقًا لما جاز إعانة المتعدّي على عدوانه والإعطاء

(١) ضعيف: حديث «للسائل حق ولو جاء على فرس». رواه أبو داود من حديث الحسين بن علي، ومن حديث علي وفي الأول يعلى بن أبي يحيى جهله أبو حاتم ووثقه ابن حبان، وفي الثاني شيخ لم يسم وسكت عليهما أبو داود، وما ذكره ابن الصلاح في علوم الحديث أنه بلغه عن أحمد بن حنبل قال: أربعة أحاديث تدور في الأسواق ليس لها أصل منها «للسائل حق... الحديث» فإنه لا يصح عن أحمد، فقد أخرج حديث الحسين بن علي في مسنده. [أبو داود: ١٦٦٥، وأحمد: ١٧٣٢، وانظر السلسلة الضعيفة: ١٣٧٨].

(٢) صحيح: حديث «ردوا السائل ولو بظلف محرق». رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح، والنسائي واللفظ له من حديث أم يجيد. وقال ابن عبد البر. حديث مضطرب. [أبو داود: ١٦٦٧، والترمذي: ٦٦٥، والنسائي: ٢٥٦٥، وانظر صحيح الجامع: ٣٥٠٢، والظلف: اسم لقدم البقر أو الغنم].

إعانة، فالكاشف للغطاء فيه أن السؤال حرام في الأصل وإنما يباح بضرورة أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة، فإن كان عنها بدّ فهو حرام، وإنما قلنا إن الأصل فيه التحريم لأنه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرمة.

الأول: إظهار الشكوى من الله تعالى، إذ السؤال إظهار للفقر وذكر لقصور نعمة الله تعالى عنه وهو عين الشكوى، وكما أن العبد المملوك لو سأل لكان سؤاله تشنيعًا على سيده، فكذلك سؤال العباد تشنيع على الله تعالى، وهذا ينبغي أن يحرم ولا يحل إلا لضرورة كما تحل الميتة.

الثاني: أن فيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى وليس للمؤمن أن يذل نفسه لغير الله، بل عليه أن يذل نفسه لمولاه فإن فيه عزه، فأما سائر الخلق فإنهم عباد أمثاله فلا ينبغي أن يذل لهم إلا لضرورة، وفي السؤال ذل للسائل بالإضافة إلى المسئول.

الثالث: أنه لا ينفك عن إيذاء المسئول غالبًا؛ لأنه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيب قلب منه، فإن بذل حياء من السائل أو رياء فهو حرام على الآخذ، وإن منع ربما استحيا وتأذى في نفسه بالمنع إذ يرى نفسه في صورة البخلاء، ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه، وكلاهما مؤذيان، والسائل هو السبب في الإيذاء والإيذاء حرام إلا بضرورة، ومهما فهمت هذه المحذورات الثلاث فقد فهمت قوله ﷺ: «مَسْأَلَةُ النَّاسِ مِنَ الفَوَاحِشِ ما أحِلَّ مِنَ الفَوَاحِشِ غَيْرُهَا» (١)، فانظر كيف سماها فاحشة، ولا يخفى أن الفاحشة إنما تباح لضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيره. وقال ﷺ: «مَنْ سَأَلَ عَنْ غِنًى فَإِنَّمَا يَسْتَكْثِرُ مِنْ جَمْرِ جَهَنَّمَ» (٢)، «وَمَنْ سَأَلَ وَلَهُ مَا يُغْنِيهِ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَوَجْهُهُ عَظْمٌ يَتَقَعْقَعُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ لَحْمٌ» وفي لفظ آخر: «كانَتْ مَسْأَلَتُهُ خُدُوشًا وَكُدُوحًا فِي وَجْهِهِ» (٣)، وهذه الألفاظ صريحة في التحريم والتشديد. وبايع رسول الله ﷺ قومًا على الإسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال لهم كلمة خفية: «ولا تسألوا الناس شيئًا» (٤)، وكان ﷺ يأمر كثيرًا

---

(١) حديث «مسألة الناس من الفواحش، وما أحل الله من الفواحش غيرها». لم أجد له أصلا.

(٢) حديث «من سأل عن غني فإنما يستكثر من جمر جهنم». [أبي داود: ١٦٢٩، وانظر صحيح الترغيب: ٨٠٥] رواه أبو داود وابن حبان من حديث سهل ابن الحنظلية مقتصرا على ما ذكر منه وتقدم في الزكاة، ولمسلم من حديث أبي هريرة «من يسأل الناس أموالهم تكثرا فإنما يسأل جمرا... الحديث» [ملم: ١٠٤١]. وللبراز والطبراني من حديث مسعود بن عمر «ولا يزال العبد يسأل وهو غني يخلق وجهه» [انظر ضعيف الترغيب: ٤٨٨] وفي إسناده لين وللشيخين من حديث ابن عمر «ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس على وجهه مزعة لحم» [البخاري: ١٤٧٥، وعند مسلم: ١٠٤٠] وإسناده جيد.

(٣) صحيح: حديث «من سأل وله ما يغنيه كانت مسألته خدوشا وكدوحا في وجهه». رواه أصحاب السنن من حديث ابن مسعود، وتقدم في الزكاة. [أبو داود: ١٦٢٦، والترمذي: ٦٥٠، والنسائي: ٢٥٩٢، وابن ماجه: ١٨٤٠، وانظر السلسلة الصحيحة: ٤٩٩].

(٤) صحيح: حديث: بايع قوما على الإسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة». أخرجه مسلم من حديث عوف

بالتعفف عن السؤال ويقول: «مَنْ سَأَلَنَا أَعْطَيْنَاهُ وَمَنِ اسْتَغْنَى أَغْنَاهُ اللَّهُ، وَمَنْ لَمْ يَسْأَلْنَا فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيْنَا» (١)، وقال ﷺ: «اسْتَغْنُوا عَنِ النَّاسِ وَمَا قَلَّ مِنَ السُّؤَالِ فَهُوَ خَيْرٌ» قالوا: ومنك يا رسول الله؟ قال: «وَمِنِّي» (٢)، وسمع عمر رضي الله عنه سائلًا يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه: عشِّ الرجل، فعشاه ثم سمعه ثانيًا يسأل فقال: ألم أقل لك عش الرجل؟ قال: قد عشيته، فنظر عمر فإذا تحت يده مخلاة مملوءة خبزًا فقال: لست سائلًا ولكنك تاجر، ثم أخذ المخلاة ونثرها بين يدي إبل الصدقة وضربه بالدرّة، وقال: لا تعد. ولولا أنّ سؤاله كان حرامًا لما ضربه ولا أخذ مخلاته، ولعل الفقيه الضعيف المنة الضيق الحوصلة يستبعد هذا من فعل عمر ويقول: أما ضربه فهو تأديب وقد ورد الشرع بالتعزير، وأما أخذه ماله فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة بأخذ المال فكيف استجازه؟ وهو استبعاد مصدره القصور في الفقه، فأين يظهر فقه الفقهاء كلهم في حوصلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واطلاعه على أسرار دين الله ومصالح عباده؟ أفترى أنه لم يعلم أنّ المصادرة بالمال غير جائزة أو علم ذلك ولكن أقدم عليه غضبًا في معصية الله وحاشاه، أو أراد الزجر بالمصلحة بغير طريق شرعها نبي الله ﷺ وهيهات فإن ذلك أيضًا معصية، بل الفقه الذي لاح له فيه أنه رآه مستغنيًا عن السؤال، وعلم أن من أعطاه شيئًا فإنما أعطاه على اعتقاد أنه محتاج، وقد كان كاذبًا فلم يدخل في ملكه بأخذه مع التلبيس وعسر تمييز ذلك ورده إلى أصحابه، إذ لا يعرف أصحابه بأعيانهم، فبقي مالًا لا مالك له، فوجب صرفه إلى المصالح، وإبل الصدقة وعلفها من المصالح، ويتنزل أخذ السائل مع إظهار الحاجة كاذبًا كأخذ العلوي بقوله: إني علوي وهو كاذب. فإنه لا يملك ما يأخذه، كأخذ الصوفي الصالح الذي يعطى لصلاحه وهو في الباطن مقارف لمعصية لو عرفها المعطي لما أعطاه ــ وقد ذكرنا في مواضع أن ما أخذوه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد إلى مالكه ــ فاستدل بفعل عمر رضي الله عنه على صحة هذا المعنى الذي يغفل عنه كثير من الفقهاء، وقد قرّرناه في مواضع، ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر.

فإذا عرفت أن السؤال يباح لضرورة، فاعلم أن الشيء، إما أن يكون مضطرًا إليه، أو محتاجًا إليه حاجة مهمة أو حاجة خفيفة. أو مستغنى عنه؛ فهذه أربعة أحوال.

أما المضطرّ إليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتًا أو مرضًا وسأل العاري وبدنه

ابن مالك الأشجعي. [مسلم: ١٠٤٣].

(١) حديث «من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله». أخرجه ابن أبي الدنيا في القناعة، والحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري، وفيه حصن بن هلال لم أر من تكلم فيه، وباقيهم ثقات.

(٢) حديث «استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير» [صحيح التغيب: ٨١٨] قالوا: ومنك يا رسول الله؟ قال «ومني». أخرجه البزار والطبراني من حديث ابن عباس «استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك، وإسناده صحيح، وله في حديث «فتعففوا ولو بحزم الحطب» وفيه من لم يسم، وليس فيه: وما قل من السؤال... إلخ.

مكشوف ليس معه ما يواريه، وهو مباح مهما وجدت بقية الشروط في المسئول بكونه مباحًا، والمسئول منه بكونه راضيًا في الباطن، وفي السائل بكونه عاجزًا عن الكسب، فإن القادر على الكسب وهو بطال له السؤال إلا إذا استغرق طلب العلم أوقاته، وكل من له خط فهو قادر على الكسب بالوراقة.

وأما المستغني فهو الذي يطلب شيئًا وعنده مثله وأمثاله، فسؤاله حرام قطعًا، وهذان طرفان واضحان.

وأما المحتاج حاجة مهمة فكالمريض الذي يحتاج إلى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكن لا يخلو عن خوف، وكمن له جبة لا قميص تحتها في الشتاء وهو يتأذى بالبرد تأذيًا لا ينتهي إلى حدّ الضرورة، وكذلك من يسأل لأجل الكراء وهو قادر على المشي بمشقة، فهذا أيضًا ينبغي أن تسترسل عليه الإباحة لأنها أيضًا حاجة محققة ولكن الصبر عنه أولى وهو بالسؤال تارك للأولى ولا يسمى سؤاله مكروهًا مهما صدق في السؤال وقال: ليس تحت جبتي قميص والبرد يؤذيني أذى أطيقه ولكن يشق عليّ، فإذا صدق فصدقه يكون كفارة لسؤاله إن شاء الله تعالى.

وأما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قميصًا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه ليستر الخروق من ثيابه عن أعين الناس، وكمن يسأل لأجل الأدم وهو واجد للخبز، وكمن يسأل الكراء لفرس في الطريق وهو واجد كراء الحمار، أو يسأل كراء المحمل وهو قادر على الراحلة، فهذا ونحوه إن كان فيه تلبيس حال بإظهار حاجة غير هذه فهو حرام، وإن لم يكن وكان فيه شيء من المحذورات الثلاثة من الشكوى والذل وإيذاء المسئول فهو حرام، لأنّ مثل هذه الحاجة لا تصلح لأن تباح بها هذه المحذورات، وإن لم يكن فيها شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة.

فإن قلت: فكيف يمكن إخلاء السؤال عن هذه المحذورات؟ فاعلم أن الشكوى تندفع بأن يظهر الشكر لله والاستغناء عن الخلق ولا يسأل سؤال محتاج، ولكن يقول: أنا مستغن بما أملكه ولكن تطالبني رعونة النفس بثوب فوق ثيابي وهو فضلة عن الحاجة وفضول من النفس، فيخرج به عن حدّ الشكوى وأما الذل فبأن يسأل أباه أو قريبه أو صديقه الذي يعلم أنه لا ينقصه ذلك في عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله، أو الرجل السخي الذي قد أعدّ ماله لمثل هذه المكارم فيفرح بوجود مثله ويتقلد منه منة بقبوله فيسقط عنه الذل بذلك، فإنّ الذل لازم للمنة لا محالة. وأما الإيذاء فسبيل الخلاص عنه أن لا يعين شخصًا بالسؤال بعينه بل يلقي الكلام عرضًا بحيث لا يقدم على البذل إلا متبرع بصدق الرغبة، وإن كان في القوم شخص مرموق لو لم يبذل لكان يلام، فهذا إيذاء، فإنه ربما يبذل كرهًا خوفًا من الملامة، ويكون الأحب إليه في الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير الملامة، وأما إذا كان يسأل شخصًا معينًا فينبغي ألاّ يصرح بل يعرض تعريضًا يبقى له سبيلًا إلى التغافل إن أراد فإذا لم يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته

تلك الألوان والأحجار فظهر نتن رائحتها فصارت مع كونها مضيقة عليه مؤذية له بنتنها ووحشتها. فلم يجد حيلة إلا أن ألقاها في البحر هربًا منها، وقد أثر فيه ما أكل منها فلم ينته إلى الوطن إلا بعد أن ظهرت عليه الأسقام بتلك الروائح فبلغ سقيمًا. مدبرًا. ومن رجع قريبًا ما فاته إلا سعة المحل فتأذى بضيق المكان مدة، ولكن لما وصل إلى الوطن استراح، ومن رجع أوّلًا وجد المكان الأوسع ووصل إلى الوطن سالمًا. فهذا مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمورهم. وما أقبح من يزعم أنه بصير عاقل أن تغرّه أحجار الأرض وهي الذهب والفضة وهشيم النبت وهي زينة الدنيا، وشيء من ذلك لا يصحبه عند الموت بل يصير كلًا ووبالًا عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه. وهذه حال الخلق كلهم إلا من عصمه الله عز وجل.

مثال آخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف إيمانهم: قال الحسن رحمه الله: بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَلَكُوا مَفَازَةً غَبْرَاءَ، حَتَّى إذا لَمْ يَدْرُوا، ما سَلَكُوا مِنْهَا أَكْثَرُ أَمْ ما بقي؟ أَنْفَدُوا الزَّادَ وَخَسِرُوا الظَّهْرَ وَبَقُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيِ المَفَازَةِ ولا زَادَ وَلا حَمُولَةَ فَأَيْقَنوا بِالهَلَكَةِ، فَبَيْنَا هُمْ كَذلِكَ إِذْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ فِي حُلَّةٍ تَقْطُرُ رَأْسَهُ، فَقَالُوا: هذا قَرِيبُ عَهْدٍ بِرِيفٍ وَمَا جَاءَكُمْ هذا إلاّ مِنْ قَرِيبٍ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ قالَ: يا هؤلاءِ: فَقَالُوا: يا هذا فَقَالَ عَلامَ أَنْتُمْ؟ فَقَالُوا: عَلَى ما تَرَى، فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ هَدَيْتُكُمْ إِلَى مَاءٍ رَوَاءٍ وَرِياضٍ خُضْرٍ ما تَعْمَلُونَ؟ قَالُوا: لا نَعْصِيكَ شَيْئًا، قالَ: عُهُودَكُمْ وَمَوَاثِيقَكُمْ بِالله، فَأَعْطَوْهُ عُهُودَهُمْ وَمَوَاثِيقَهُمْ بِالله لا يَعْصُونَهُ شَيْئًا قالَ: فَأَوْرَدَهُمْ مَاءً رَوَاءً وَرِياضًا خُضْرًا فَمَكَثَ فِيهِمْ ما شَاءَ الله ثُمَّ قالَ: يا هؤلاءِ قَالُوا: يا هذا قالَ: الرَّحِيلُ قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى مَاءٍ لَيْسَ كَمَائِكُمْ وَإِلَى رِياضٍ لَيْسَتْ كَرِياضِكُمْ، فَقَالَ أَكْثَرُهُمْ: وَالله ما وَجَدْنا هذا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّا لَنْ نَجِدَهُ وَما نَصْنَعُ بِعَيْشٍ خَيْرٍ مِنْ هذا؟ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ ، وَهُمْ أَقَلُّهُمْ ، أَلَمْ تُعْطُوا هذا الرَّجُلَ عُهُودَكُمْ وَمَوَاثِيقَكُمْ بِالله لا تَعْصُوهُ شَيْئًا وَقَدْ صَدَقَكُمْ فِي أَوَّلِ حَدِيثِهِ فَوَالله لَيَصْدُقَنَّكُمْ فِي آخِرِهِ؟ فَرَاحَ فِيمَنْ اتَّبَعَهُ وَتَخَلَّفَ بَقِيَّتُهُمْ فَبَدَرَهُمْ عَدُوٌّ فَأَصْبَحُوا بَيْنَ أَسِيرٍ وَقَتِيلٍ»(١).

مثال آخر لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها: اعلم أنّ مثل الناس فيما أعطوا من الدنيا مثل رجل هيأ دارًا وزينها وهو يدعو إلى داره على الترتيب قومًا، واحدًا بعد واحد، فدخل واحد داره فقدّم إليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه، لا ليتملكه ويأخذه، فجهل رسمه وظن أنه قد وهب ذلك فتعلق به قلبه لما ظن أنه له، فلما استرجع منه ضجر وتفجع، ومن كان عالمًا برسمه انتفع به وشكره ورده بطيب قلب وانشراح صدر، وكذلك من

(١) حديث الحسن: بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه «إنما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء .. الحديث». أخرجه ابن أبي الدنيا هكذا بطوله، لأحمد والبزار والطبراني من حديث ابن عباس: أن رسول الله ﷺ أتاه فيما يرى النائم ملكان. الحديث وفيه «فقال أي أحد الملكين إن مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى مفازة». فذكر نحوه أخصر منه وإسناده حسن.

عرف سنّة الله في الدنيا علم أنها دار ضيافة سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزوّدوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعواري، ولا يصرفون إليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها. فهذه أمثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها نسأل الله تعالى اللطيف الخبير حسن العون بكرمه وحلمه.

بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد:

اعلم أنّ معرفة ذم الدنيا لا تكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي؟ وما الذي ينبغي أن يجتنب منها وما الذي لا يجتنب؟ فلا بد وأن نبين الدنيا المذمومة المأمور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ما هي؟ فنقول: دنياك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك، فالقريب الداني منها يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت، والمتراخي المتأخر يسمى آخرة وهو ما بعد الموت، فكل ما لك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك إلا أنّ جميع ما لك إليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هو ثلاثة أقسام.

القسم الأول: ما يصحبك في الآخرة وتبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيئان: العلم والعمل فقط؛ وأعني بالعلم: العلم بالله وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت أرضه وسمائه، والعلم بشريعة نبيه، وأعني بالعمل. العبادة الخالصة لوجه الله تعالى، وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير ذلك ألذ الأشياء عنده فيهجر النوم والمطعم والمنكح في لذته لأنه أشهى عنده من جميع ذلك فقد صار حظًا عاجلًا في الدنيا. ولكنا إذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا أصلًا بل قلنا إنه في الآخرة، وكذلك العابد قد يأنس بعبادته فيستلذها بحيث لو منع عنها لكان ذلك أعظم العقوبات عليه، حتى قال بعضهم: ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل، وكان آخر يقول: اللهم ارزقني قوّة الصلاة والركوع والسجود في القبر. فهذا قد صارت الصلاة عنده من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنوّ، ولكنا لسنا نعني بالدنيا المذمومة ذلك، وقد قال ﷺ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلاثٌ: النِّسَاءُ والطِّيبُ وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ» (١)، فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا. وكذلك كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا، والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود إنما يكون في الدنيا فلذلك أضافها إلى الدنيا إلا أنا لسنا في هذا الكتاب نتعرض إلا للدنيا المذمومة، فنقول هذه ليست من الدنيا.

القسم الثاني: وهو المقابل له على الطرف الأقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة أصلًا، كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الحاجات،

---

(١) صحيح: حديث «حبب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة». أخرجه النسائي والحاكم من حديث أنس دون قوله «ثلاث» وتقدم في النكاح [النسائي: ٣٩٣٩، انظر صحيح الجامع: ٣١٢٤، صحيح النسائي].

والضرورات الداخلة في جملة الرفاهية والرعونات، كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث والغلمان والجواري والخيول والمواشي والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الأطعمة، فحظ العبد من هذا كله هي الدنيا المذمومة وفيما يعدّ فضولًا أو في محل الحاجة نظر طويل، إذ روي عن عمر رضي الله عنه أنه استعمل أبا الدرداء على حمص فاتخذ كنيفًا أنفق عليه درهمين، فكتب إليه عمر: من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عويمر، قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي به عن عمران الدنيا حين أراد الله خرابها، فإذا أتاك كتابي هذا فقد سيرتك إلى دمشق أنت وأهلك. فلم يزل بها حتى مات. فهذا رآه فضولًا من الدنيا فتأمل فيه.

القسم الثالث: وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على أعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن، وكل ما لا بد منه ليتأتى للإنسان البقاء والصحة التي بها يتوصل إلى العلم والعمل. وهذا ليس من الدنيا كالقسم الأول، لأنه معين على القسم الأول ووسيلة إليه. فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولًا للدنيا ولم يصر به من أبناء الدنيا، وإن كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا. ولا يبقى مع العبد عند الموت إلا ثلاث صفات: صفاء القلب؛ أعني طهارته من الأدناس، وأنسه بذكر الله تعالى، وحبه لله عز وجل. وصفاء القلب وطهارته لا يحصلان إلا بالكف عن شهوات الدنيا والأنس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله تعالى والمواظبة عليه، والحب لا يحصل إلا بالمعرفة. ولا تحصل معرفة الله إلا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات المسعدات بعد الموت.

أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا؛ فهي من المنجيات إذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله، كما ورد في الأخبار: «إِنَّ أَعْمَالَ العَبْدِ تُنَاضِلُ عَنْهُ فَإِذَا جَاءَ العَذَابُ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ جَاءَ قِيامُ اللَّيْلِ يَدْفَعُ عَنْهُ؛ وَإِذا جَاءَ مِنْ جِهَةِ يَدَيْهِ جَاءَتِ الصَّدَقَةُ تَدْفَعُ عَنْهُ»[1]، الحديث.

وأما الأنس والحب؛ فهما من المسعدات وهما موصلان العبد إلى لذة اللقاء والمشاهدة، وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت إلى أن يدخل أوان الرؤية في الجنة، فيصير القبر روضة من رياض الجنة، وكيف لا يكون القبر عليه روضة من رياض الجنة ولم يكن له إلا محبوب واحد؟ وكانت العوائق تعوقه عن دوام الأنس بدوام ذكره ومطالعة جماله، فارتفعت العوائق وأفلت من السجن وخلى بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورًا سليمًا من الموانع آمنًا من العوائق؟ وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبًا ولم يكن له محبوب إلا الدنيا وقد غصب منه وحيل

---

(١) حديث: «إن أعمال العبد تناضل عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه .. الحديث». أخرجه الطبراني من حديث عبد الرحمن بن سمرة بطوله وفيه خالد بن عبد الرحمن المخزومي ضعفه البخاري وأبو حاتم ولأحمد من حديث أسماء بنت أبي بكر «إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمنا أحزبه عمله الصلاة والصيام... الحديث» وإسناده صحيح.

لسنة فسؤاله حرام، فإن ذلك غاية الغنى وعليه ينزل التقدير بخمسين درهمًا في الحديث، فإن خمسة دنانير تكفي المنفرد في السنة إذا اقتصد، أما المعيل فربما لا يكفيه ذلك وإن كان يحتاج إليه قبل السنة، فإن كان قادرًا على السؤال ولا تفوته فرصته فلا يحل له السؤال لأنه مستغن في الحال وربما لا يعيش إلى الغد فيكون قد سأل ما لا يحتاج فيكفيه غداء يوم وعشاء ليلة، وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر.

وإن كان يفوته فرصة السؤال ولا يجد من يعطيه لو أخر فيباح له السؤال، لأنّ أمل البقاء سنة غير بعيد فهو بتأخير السؤال خائف أن يبقى مضطرًا عاجزًا عما يعينه، فإن كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفًا وكان ما لأجله السؤال خارجًا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهية، وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطرار وخوف الفوت وتراخي المدّة التي فيها يحتاج إلى السؤال، وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله تعالى، فيستفتي فيه قلبه ويعمل به إن سالكًا طريق الآخرة، وكل من كان يقينه أقوى وثقته بمجيء الرزق في المستقبل أتم وقناعته بقوت الوقت أظهر فدرجته عند الله تعالى أعلى، فلا يكون خوف الاستقبال وقد آتاك الله قوت يومك لك ولعيالك إلا من ضعف اليقين والإصغاء إلى تخويف الشيطان، وقد قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥] وقال عز وجل: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة:٢٦٨] والسؤال من الفحشاء التي أبيحت بالضرورة، وحال من يسأل لحاجة متراخية عن يومه وإن كان مما يحتاج إليه في السنة أشدّ من حال من ملك مالًا موروثًا، وادخره لحاجة وراء السنة، وكلاهما مباحان في الفتوى الظاهرة ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول الأمل وعدم الثقة بفضل الله، وهذه الخصلة من أمهات المهلكات، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه.

بيان احوال السائلين:

كان بشر رحمه الله يقول الفقراء ثلاثة: فقير لا يسأل وإن أُعطي لا يأخذ، فهذا مع الروحانيين في عليين. وفقير لا يسأل وإن أُعطي أَخذ، فهذا مع المقرّبين في جنات الفردوس. وفقير يسأل عند الحاجة، فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمين.

فإذن قد اتفق كلهم على ذم السؤال وعلى أنه مع الفاقة يحط المرتبة والدرجة.

قال شقيق البلخي لإبراهيم بن أدهم حين قدم عليه من خراسان: كيف تركت الفقراء من أصحابك؟ قال: تركتهم إن أُعطوا شكروا، وإن مُنعوا صبروا، وظن أنه لما وصفهم بترك السؤال قد أثنى عليهم غاية الثناء، فقال شقيق: هكذا تركت كلاب بلخ عندنا، فقال له إبراهيم: فكيف الفقراء عندك يا أبا إسحاق؟ فقال: الفقراء عندنا إن مُنعوا شكروا، وإن أُعطوا آثروا. فقبّل رأسه وقال: صدقت يا أستاذ.

فإذن درجات أرباب الأحوال في الرضا والصبر والشكر والسؤال كثيرة، فلا بدّ لسالك طريق الآخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها واختلاف درجاتها، فإنه إذا لم يعلم لم يقدر على الرقي من حضيضها إلى قلاعها، ومن أسفل سافلين إلى أعلى عليين، وقد خلق الإنسان في أحسن تقويم، ثم رد إلى أسفل سافلين، ثم أمر أن يترقى إلى أعلى عليين، ومن لا يميز بين السفل والعلو لا يقدر على الرقي قطعًا، وإنما الشك فيمن عرف ذلك، فإنه ربما لا يقدر عليه، وأرباب الأحوال قد تغلبهم حالة تقتضي أن يكون السؤال مزيدًا لهم في درجاتهم ولكن بالإضافة إلى حالهم فإنّ مثل هذه الأعمال بالنيات، وذلك كما روي أنّ بعضهم رأى أبا إسحاق النوري رحمه الله يمدّ يده ويسأل الناس في بعض المواضع، قال: فاستعظمت ذلك واستقبحته له، فأتيت الجنيد رحمه الله فأخبرته بذلك فقال: لا يعظم هذا عليك، فإنّ النوري لم يسأل الناس إلا ليعطيهم، وإنما سألهم ليثيبهم في الآخرة فيؤجرون من حيث لا يضرهم وكأنه أشار به إلى قوله ﷺ: «يَدُ المُعْطِي هِيَ العُلْيَا» (١).

فقال بعضهم: يد المعطي هي يد الآخذ للمال لأنه يعطي الثواب والقدر له لا لما يأخذه، ثم قال الجنيد: هات الميزان، فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فألقاها على المائة ثم قال: احملها إليه، فقلت في نفسي: إنما يوزن الشيء ليعرف مقداره، فكيف خلط به مجهولًا وهو رجل حكيم؟ واستحييت أن أسأله، فذهبت بالصرة إلى الثوري فقال: هات الميزان، فوزن مائة درهم وقال: ردها عليه وقل له: أنا لا أقبل منك أنت شيئًا وأخذ ما زاد على المائة قال: فزاد تعجبي، فسألته فقال: الجنيد رجل حكيم، يريد أن يأخذ الحبل بطرفيه: وزن المائة لنفسه طلبًا لثواب الآخرة، وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل، فأخذت ما كان لله تبارك وتعالى ورددت ما جعله لنفسه.

قال: فرددتها إلى الجنيد فبكى وقال: أخذ ماله ورد مالنا الله المستعان، فانظر الآن كيف صفت قلوبهم وأحوالهم وكيف خلصت لله أعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد منهم قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان ولكن بتشاهد القلوب، وتناجي الأسرار، وذلك نتيجة أكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والإقبال على الله تعالى بكنه الهمة، فمن أنكر ذلك قبل تجربة طريقه فهو جاهل، كمن ينكر مثلًا كون الدواء مسهلًا قبل شربه. ومن أنكره بعد أن طال اجتهاده حتى بذل كنه مجهوده ولم يصل فأنكر ذلك لغيره كان كمن شرب المسهل فلم يؤثر في حقه خاصة لعلة في باطنه فأخذ ينكر كون الدواء مسهلًا، وهذا وإن كان في الجهل دون الأول ولكنه ليس خاليًا عن حظ واف من الجهل، بل البصير أحد رجلين: إما رجل سلك

---

(١) **صحيح**: حديث «يد المعطي هي العليا». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة. [مسلم: ١٠٤٢ عن أبي هريرة وليس فيه أنها «يد المعطي»، مسلم: ١٠٣٣ عن ابن عمر وفيه «اليد العليا المنفقة» ولفظ الحديث عند النسائي: ٢٥٣٢، وانظر صحيح النسائي].

وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد: ٢٠] والأعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة: يجمعها قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤] ، فقد عرفت أنّ كل ما هو لله فليس من الدنيا، وقدر ضرورة القوت وما لا بدّ منه من مسكن وملبس هو لله إن قصد به وجه الله، والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله. وبين التنعم والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة. ولها طرفان وواسطة: طرف يقرب من حدّ الضرورة فلا يضر فإنّ الاقتصار على حدّ الضرورة غير ممكن، وطرف يزاحم جانب التنعم ويقرب منه وينبغي أن يحذر منه، وبينهما وسائط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

والحزم في الحذر والتقوى والتقرّب من حدّ الضرورة ما أمكن اقتداء بالأنبياء والأولياء عليهم السلام؛ إذ كانوا يردون أنفسهم إلى حدّ الضرورة حتى أن أويسًا القرني كان يظن أهله أنه مجنون لشدة تضييقه على نفسه، فبنوا له بيتًا على باب دارهم فكان يأتي عليهم السنة والسنتان والثلاث لا يرون له وجهًا، وكان يخرج أوّل الأذان ويأتي إلى منزله بعد العشاء الآخرة، وكان طعامه أن يلتقط النوى، وكلما أصاب حشفة خبأها لإفطاره وإن لم يصب ما يقوّته من الحشف باع النوى واشترى بثمنه ما يقوّته، وكان لباسه مما يلتقط من المزابل من قطع الأكسية فيغسلها في الفرات ويلفق بعضها إلى بعض ثم يلبسها، فكان ذلك لباسه وكان ربما مرّ الصبيان فيرمونه ويظنون أنه مجنون، فيقول لهم يا إخوتاه إن كنتم ولا بد أن ترموني فارموني بأحجار صغار، فإني أخاف أن تدموا عقبي، فيحضر وقت الصلاة ولا أصيب الماء، فهكذا كانت سيرته.

ولقد عظم رسول الله ﷺ أمره فقال: «إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن إشارة إليه رحمه الله» (١)، ولما ولي الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: أيها الناس من كان منكم من العراق فليقم، قال: فقاموا. فقال: اجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة، فجلسوا، فقال: اجلسوا إلا من كان من مراد، فجلسوا فقال: اجلسوا إلا من كان من قرن، فجلسوا كلهم إلا رجلًا واحدًا فقال له عمر: أقرني أنت؟ فقال: نعم. فقال: أتعرف أويس بن عامر القرني؟ فوصفه له، فقال: نعم وما ذاك تسأل عنه يا أمير المؤمنين والله ما فينا أحمق منه ولا أجن منه ولا أوحش منه ولا أدنى منه، فبكى عمر رضي الله تعالى عنه ثم قال: ما قلت ما قلت إلا لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر» (٢)، فقال هرم بن حيان:

---

(١) صحيح بلفظ: «. . . نفس الرحمن من هنا - يشير إلى اليمين»: حديث «إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن». أشار به إلى أويس القرني تقدم في قواعد العقائد لم أجد له أصلا، [ذكره الألباني في الصحيحة: ٣٣٦٧ بلفظ: «من هنا يشير إلى اليمين»].

(٢) ضعيف: حديث عمر «يدخل الجنة في شفاعته مثل ربيعة ومضر». يريد أويسًا، [انظر ضعيف الجامع: ٣٣١٢]، ورويناه في جزء ابن السماء من حديث أبي أمامة » يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر» وإسناده حسن، وليس فيه ذكر لأويس بل في آخره: فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان [وهو صحيح، انظر صحيح الترغيب: ٣٦٤٧، الصحيحة: ٢١٧٨].

لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لي هم إلا أن أطلب أويسًا القرني وأسأل عنه، حتى سقطت عليه جالسًا على شاطىء الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه، قال: فعرفته بالنعت الذي نعت لي، فإذا رجل لحيم شديد الأدمة محلوق الرأس كث اللحية متغير جدًا كريه الوجه متهيب المنظر قال: فسلمت عليه فردَّ عليَّ السلام ونظر إليَّ، فقلت: حياك الله من رجل ومددت يدي لأصافحه فأبى أن يصافحني، فقلت: رحمك الله يا أويس وغفر لك كيف أنت رحمك الله؟ ثم خنقتني العبرة من حبي إياه ورقتي عليه إذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى، فقال: وأنت فحياك الله يا هرم بن حيان كيف أنت يا أخي ومن دلك عليَّ؟ قال: قلت الله. فقال: لا إله إلا الله سبحان الله ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء :١٠٨] قال: فعجبت حين عرفني ولا والله ما رأيته قبل ذلك ولا رآني فقلت: من أين عرفت اسمي واسم أبي وما رأيتك قبل اليوم؟ ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [التحريم :٣] وعرفت روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك، إن الأرواح لها أنفس كأنفس الأجساد، وإنّ المؤمنين ليعرف بعضهم بعضًا ويتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا، يتعارفون ويتكلمون وإن نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل، قال: قلت حدّثني رحمك الله عن رسول الله ﷺ بحديث أسمعه منك. قال: إني لم أدرك رسول الله ﷺ ولم تكن لي معه صحبة بأبي وأمي رسول الله، ولكن رأيت رجالًا قد صحبوه وبلغني من حديثه كما بلغك ولست أحب أن أفتح على نفسي هذا الباب أن أكون محدثًا أو مفتيًا أو قاضيًا في نفسي شغل عن الناس يا هرم بن حيان فقلت:

يا أخي اقرأ عليَّ آية من القرآن أسمعها منك وادع لي بدعوات وأوصني بوصية أحفظها عنك، فإني أحبك في الله حبًا شديدًا، قال: فقام وأخذ بيدي على شاطىء الفرات ثم قال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم بكى. ثم قال: قال ربي والحق قول ربي وأصدق الحديث حديثه وأصدق الكلام كلامه، ثم قرأ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان :٣٨-٣٩] حتى انتهى إلى قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الدخان :٤٢] فشهق شهقة ظننت أنه قد غشي عليه ثم قال: يا ابن حيان مات أبوك حيان ويوشك أن تموت فإما إلى جنة وإما إلى نار، ومات أبوك آدم، وماتت أمك حوّاء، ومات نوح، ومات إبراهيم خليل الرحمن، ومات موسى نجي الرحمن، ومات داود خليفة الرحمن، ومات محمد ﷺ وعليهم وهو رسول رب العالمين، ومات أبو بكر خليفة المسلمين، ومات عمر بن الخطاب أخي وصفيي، ثم قال: يا عمراه يا عمراه، قال: فقلت رحمك الله إن عمر لم يمت، قال: فقد نعاه إلي ربي ونعى إلي نفسي ثم قال: أنا وأنت في الموتى كأنه قد كان، ثم صلى على النبي ﷺ، ثم دعا بدعوات خفيات، ثم قال: هذه وصيتي إياك يا هرم بن حيان كتاب الله ونهج الصالحين المؤمنين فقد نعيت إلي نفسي ونفسك، عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت، وأنذر قومك إذا رجعت إليهم وانصح للأمة جميعًا، وإياك أن تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق دينك وأنت لا تعلم فتدخل النار يوم القيامة،

إلى هذا القدر، وهو أن الآخرة خير وأبقى وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا، إما لضعف علمه ويقينه، وإما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهورًا في يد الشيطان، وإما لاغتراره بمواعيد الشيطان في التسويف يومًا بعد يوم إلى أن يختطفه الموت ولا يبقى معه إلا الحسرة بعد الفوت: وإلى تعريف خساسة الدنيا الإشارة بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء:٧٧] وإلى تعريف نفاسة الآخرة الإشارة بقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ [القصص:٨٠] فنبه على أن العلم بنفاسة الجوهر هو المرغب عن عوضه، ولما لم يتصوّر الزهد إلا بمعاوضة ورغبة عن المحبوب في أحب منه قال رجل في دعائه: اللهم أرني الدنيا كما تراها، فقال له النبي ﷺ: «لا تَقُلْ هكَذَا وَلكِنْ قُلْ: أَرِنِي الدُّنْيَا كَمَا أَرَيْتَهَا الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكَ» (١) ، وهذا لأن الله تعالى يراها حقيرة كما هي، وكل مخلوق فهو بالإضافة إلى جلاله حقير.

والعبد يراها حقيرة في نفسه بالإضافة إلى ما هو خير له، ولا يتصور أن يرى بائع الفرس وإن رغب عنه فرسه كما يرى حشرات الأرض مثلًا؛ لأنه مستغن عن الحشرات أصلًا وليس مستغنيًا عن الفرس، والله تعالى غني بذاته عن كل ما سواه، فيرى الكل في درجة واحدة بالإضافة إلى جلاله، ويراه متفاوتًا بالإضافة إلى غيره، والزاهد هو الذي يرى تفاوته بالإضافة إلى نفسه لا إلى غيره، وأما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك واحد لأنه بيع ومعاملة واستبدال للذي هو خير بالذي هو أدنى، فكما أن العمل الصادر من عقد البيع هو ترك المبيع وإخراجه من اليد وأخذ العوض، فكذلك الزهد يوجب ترك المزهود فيه بالكلية وهي الدنيا بأسرها مع أسبابها ومقدّماتها وعلائقها، فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات ويخرج من العين واليد ما أخرجه من القلب يوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات، وإلا كان كمن سلم المبيع ولم يأخذ الثمن، فإذا وفى بشرط الجانبين في الأخذ والترك فليستبشر ببيعه الذي بايع به؛ فإن الذي بايعه بهذا البيع وفى بالعهد، فمن سلم حاضرًا في غائب وسلم الحاضر وأخذ يسعى في طلب الغائب سلم إليه الغائب حين فراغه من سعيه إن كان العاقد ممن يوثق بصدقه وقدرته ووفائه بالعهد، وما دام ممسكًا للدنيا لا يصح زهده أصلًا، ولذلك لم يصف الله تعالى إخوة يوسف بالزهد في بنيامين وإن كانوا قد قالوا: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾ [يوسف:٨] وعزموا على إبعاده كما عزموا على يوسف حتى تشفع فيه أحدهم فترك، ولا وصفهم أيضًا بالزهد في يوسف عند العزم على إخراجه، بل عند التسليم والبيع، فعلامة الرغبة الإمساك، وعلامة الزهد الإخراج، فإن أخرجت عن اليد بعض

(١) حديث: قال رجل: اللهم أرني الدنيا كما تراها، فقال له «لا تقل هكذا، ولكن قل: أرني الدنيا كما أريتها الصالحين من عبادك». ذكره صاحب الفردوس مختصرا «اللهم أرني الدنيا كما تريها صالح عبادك» من حديث أبي القصير ولم يخرجه ولده.

الدنيا دون البعض فأنت زاهد فيما أخرجت فقط ولست زاهدًا مطلقًا، وإن لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا دون البعض فأنت زاهد فيما أخرجت فقط ولست زاهدًا مطلقًا، وإن لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد؛ لأن ما لا يقدر عليه لا يقوى على تركه، وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل إليك أن الدنيا وإن لم تأتك فأنت زاهد فيها، فلا ينبغي أن تتدلى بحبل غروره دون أن تستوثق وتستظهر بموثق غليظ من الله، فإنك إذا لم تجرّب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها، فكم من ظان بنفسه كراهة المعاصي عند تعذرها، فلما تيسرت له أسبابها من غير مكدّر ولا خوف من الخلق وقع فيها، وإذا كان هذا غرور النفس في المحظورات، فإياك أن تثق بوعدها في المباحات، والموثق الغليظ الذي تأخذه عليها، أن تجرّبها مرة بعد مرة في حال القدرة، فإذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والأعذار ظاهرًا وباطنًا فلا بأس أن تثق بها وثوقًا ما، ولكن تكون من تغيرها أيضًا على حذر، فإنها سريعة النقص للعهد، قريبة الرجوع إلى مقتضى الطبع.

وبالجملة، فلا أمان منها إلا عند الترك بالإضافة إلى ما ترك فقط وذلك عند القدرة.

قال ابن أبي ليلى لابن شبرمة: ألا ترى إلى ابن الحائك هذا لا نفتي في مسألة إلا رد علينا ــ يعني أبا حنيفة ــ فقال ابن شبرمة: لا أدري أهو ابن الحائك أم ما هو؟ لكن أعلم أن الدنيا غدت إليه فهرب منها، وهربت منا فطلبناها، وكذلك قال جميع المسلمين على عهد رسول الله ﷺ: إنا نحب ربنا ولو علمنا في أي شيء محبته لفعلناه حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء:٦٦] (١). قال ابن مسعود رحمه الله: قال لي رسول الله ﷺ: «أَنْتَ مِنْهُمْ» - يعني من القليل - قال: وما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران:١٥٢] (٢). واعلم أنه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والفتوّة وعلى سبيل استمالة القلوب وعلى سبيل الطمع، فذلك كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لشيء منه في العبادات، وإنما الزهد أن تترك الدنيا لعلمك بحقارتها بالإضافة إلى نفاسة الآخرة، فأما كل نوع من الترك فإنه يتصوّر ممن لا يؤمن بالآخرة؛ فذلك قد يكون مروءة وفتوة وسخاء وحسن خلق، ولكن لا يكون زهدًا؛ إذ حسن الذكر وميل القلوب من حظوظ العاجلة وهي ألذ وأهنأ من المال، وكما أن ترك المال على سبيل السلم طمعًا في العوض ليس من الزهد، فكذلك تركه طمعًا في الذكر والثناء والاشتهار بالفتوة

---

(١) حديث قال المسلمون: إنا نحب ربنا ولو علمنا في أي شيء محبته لفعلناه، حتى نزل قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء:٦٦] الآية: لم أقف له على أصل.

(٢) حديث ابن مسعود: ما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران:١٥٢] الآية . أخرجه البيهقي في دلائل النبوة بإسناد حسن.

وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت أشغال الدنيا عليهم، واتصل بعضها ببعض وتداعت إلى غير نهاية محدودة، فتاهوا في كثرة الأشغال ونسوا مقاصدها.

ونحن نذكر تفاصيل أشغال الدنيا، وكيفية حدوث الحاجة إليها، وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى تتضح لك أشغال الدنيا، كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف أنستهم عاقبة أمورهم؟ فنقول: الأشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والأعمال التي ترى الخلق منكبين عليها. وسبب كثرة الأشغال هو أن الإنسان مضطر إلى ثلاث: القوت، والمسكن، والملبس. فالقوت: للغذاء والبقاء. والملبس: لدفع الحرّ والبرد. والمسكن: لدفع الحرّ والبرد، ولدفع أسباب الهلاك عن الأهل والمال. ولم يخلق الله القوت والمسكن والملبس مصلحًا بحيث يستغني عن صنعة الإنسان فيه.

نعم. خلق ذلك للبهائم، فإن النبات يغذي الحيوان من غير طبخ، والحر والبرد لا يؤثر في بدنه فيستغني عن البناء ويقنع بالصحراء، ولباسها شعورها وجلودها، فتستغني عن اللباس.

والإنسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك إلى خمس صناعات هي أصول الصناعات، وأوائل الأشغال الدنيوية، وهي الفلاحة، والرعاية، والاقتناص، والحياكة، والبناء. أما البناء فللمسكن. والحياكة وما يكتنفها من أمر الغزل والخياطة فللملبس. والفلاحة للمطعم. والرعاية للمواشي والخيل أيضًا للمطعم والمركب. والاقتناص نعني به تحصيل ما خلقه الله من صيد أو معدن أو حشيش أو حطب فالفلاح يحصل النبات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها، والمقتنص يحصل ما نبت ونتج بنفسه من غير صنع آدمي، وكذلك يأخذ من معادن الأرض ما خلق فيها من غير صنعة آدمي، ونعني بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات وأشغال عدّة. ثم هذه الصناعات تفتقر إلى أدوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص، والآلات إنما تؤخذ إما من النبات وهو الأخشاب، أو من المعادن كالحديد والرصاص وغيرهما، أو من جلود الحيوانات. فحدثت الحاجة إلى ثلاث أنواع أخر من الصناعات: النجارة، والحدادة، والخز، وهؤلاء هم عمال الآلات، ونعني بالنجار؛ كل عامل في الخشب كيفما كان. وبالحدّاد، كل عامل في الحديد وجواهر المعادن حتى النحاس والإبري وغيرهما. وغرضنا ذكر الأجناس فأما آحاد الحرف فكثيرة. وأما الخراز؛ فنعني به كل عامل في جلود الحيوانات وأجزائها، فهذه أمهات الصناعات.

ثم إن الإنسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر إلى الاجتماع مع غيره من أبناء جنسه وذلك لسببين:

أحدهما: حاجته إلى النسل لبقاء جنس الإنسان، ولا يكون ذلك إلا باجتماع الذكر والانثى وعشرتهما.

والثاني: التعاون على تهيئة أسباب المطعم والملبس ولتربية الولد، فإن الاجتماع يفضي إلى الولد لا محالة، والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة أسباب القوت. ثم ليس يكفيه

الاجتماع مع الأهل والولد في المنزل بل لا يمكنه أن يعيش كذلك ما لم تجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة. فإنّ الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج إلى آلاتها، وتحتاج الآلة إلى حدّاد ونجار، ويحتاج الطعام إلى طحان وخباز، وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر إلى حراسة القطن وآلات الحياكة والخياطة وآلات كثيرة؟ فلذلك امتنع عيش الإنسان وحده وحدثت الحاجة إلى الاجتماع. ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة لتأذوا بالحرّ والبرد والمطر واللصوص فافتقروا إلى أبنية محكمة ومنازل ينفرد كل أهل بيت بها وبما معه من الآلات والأثاث والمنازل تدفع الحرّ والبرد والمطر وتدفع أذى الجيران من اللصوصية وغيرها، لكن المنازل قد تقصدها جماعة من اللصوص خارج المنازل، فافتقر أهل المنازل إلى التناصر والتعاون والتحصن وبسور يحيط بجميع المنازل، فحدثت البلاد لهذه الضرورة.

ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد وتعاملوا تولدت بينهم خصومات، إذ تحدث رياسة وولاية للزوج على الزوجة، وولاية للأبوين على الولد لأنه ضعيف يحتاج إلى قوام به، ومهما حصلت الولاية على عاقل أفضى إلى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم، إذ ليس لها قوّة المخاصمة وإن ظلمت. فأما المرأة فتخاصم الزوج، والولد يخاصم الأبوين. هذا في المنزل.

وأما أهل البلد أيضًا فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها، ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا، وكذلك الرعاة وأرباب الفلاحة يتواردون على المراعي والأراضي والمياه وهي لا تفي بأغراضهم فيتنازعون لا محالة. ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى أو مرض أو هرم وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضائعًا لهلك، ولو وُكِلَ تفقده إلى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له.

فحدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخرى. فمنها صناعة المساحة التي بها تعرف مقادير الأرض لتمكن القسمة بينهم بالعدل. ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم.

ومنها صناعة الحكم والتوصل لفصل الخصومة، ومنها الحاجة إلى الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي أن يضبط به الخلق، ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى في المعاملات وشروطها. فهذه أمور سياسية لا بدّ منها ولا يشتغل بها إلا مخصوصون بصفات مخصوصة من العلم والتمييز والهداية، وإذا اشتغلوا بها لم يتفرّغوا لصناعة أخرى ويحتاجون إلى المعاش، ويحتاج أهل البلد إليهم إذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الأعداء مثلًا تعطلت الصناعات، ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس واستضر الناس، فمست الحاجة إلى أن يصرف إلى معايشهم وأرزاقهم الأموال الضائعة التي لا مالك لها إن كانت، أو تصرف الغنائم إليهم إن كانت العداوة مع الكفار، فإن كانوا أهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من أموال المصالح، وإن أرادوا التوسع

قالوا: إنا لنستحيي منه تعالى، فقال: «لَيْسَ كَذلِكَ تَبْنُونَ ما لا تَسْكنُونَ، وَتَجْمَعُونَ مَا لا تَأْكلُونَ» (١) ، فبين أن ذلك يناقض الحياء من الله تعالى، ولما قدم عليه بعض الوفود قالوا: إنا مؤمنون.

قال: «وَمَا عَلاَمَةُ إيمَانِكُمْ؟» فذكروا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة إذا نزلت بالأعداء، فقال عليه الصلاة والسلام: «إنْ كُنْتُمْ كَذَلِكَ فَلاَ تَجْمَعُوا مَا لاَ تَأْكُلُونَ وَلاَ تَبْنُوا مَا لاَ تَسْكِنُونَ، وَلاَ تَنَافَسُوا فِيمَا عَنْهُ تَرْحَلُونَ» (٢) ، فجعل الزهد تكملة لإيمانهم. وقال جابر رضي الله عنه: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «مَنْ جَاءَ بِلاَ إله إلاَّ اللَّهُ لا يَخْلِطَ بِهَا غَيْرَها وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ» ، فقام إليه علي كرّم الله وجهه، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما لا يخلط بها غيرها؟ صفه لنا فسره لنا، فقال: «حُبُّ الدُّنْيَا طَلَبًا لَهَا وَاتِّبَاعًا لَهَا، وَقَوْمٌ يَقُولُونَ قَوْلَ الأَنْبِيَاءِ وَيَعْمَلونَ عَملَ الجَبَابِرَةِ، فَمَنْ جَاءَ بِلا إلهَ إلاَّ اللَّهُ لَيْسَ فِيها شَيْءٌ مِنْ هذَا وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ» (٣) وفي الخبر: «السَّخَاءُ مِنَ اليَقِينِ وَلا يَدْخُلُ النَّارَ مُوقِنٌ، وَالبُخْلُ مِنَ الشَّكِّ وَلا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ شَكَّ» (٤) ، وقال ﷺ أيضًا: «السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار» (٥) ، والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا، والسخاء ثمرة الزهد. والثناء على الثمرة ثناء على المثمر لا محالة.

وروي عن ابن المسيب عن أبي ذرّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا أَدْخَلَ اللَّهُ الحِكْمَةَ قَلْبَهُ فَأَنْطَقَ بِها لِسَانَهُ وَعَرَّفَهُ دَاءَ الدُّنْيَا وَدَوَاءَهَا وَأَخْرَجَهُ مِنْها سَالِمًا إلى دَارِ السَّلاَمِ» (٦) ، وروي أنه ﷺ مرّ في أصحابه بعشار من النوق حفل وهي الحوامل وكانت

---

(١) حديث «استحيوا من الله حق الحياة». رواه الطبراني من حديث أم الوليد بنت عمر بن الخطاب بإسناد ضعيف. [الشطر الأول عند الترمذي: ٢٤٥٨، وانظر صحيح الترغيب: ١٧٢٤، وقال الألباني: حسنٌ لغير، والشطر الثاني «تبنون مالا . . . .» هو جزء من الحديث التالي، وقال الألباني: منكر كما سيأتي، ولم أقف عليه كاملًا، ولم أقف عليه عند الطبراني].

(٢) منكر: حديث: لما قدم عليه بعض الوفود قالوا: إنا مؤمنون. قال «وما علامة إيمانكم؟». رواه الخطيب وابن عساكر في تاريخهما بإسناد ضعيف من حديث جابر. [انظر كتاب الإيمان لابن تيمية، وقال الألباني: منكر].

(٣) حديث جابر «من جاء بلا إله إلا الله لا يخلط معها شيئا وجبت له الجنة». لم أره من حديث جابر، وقد رواه الترمذي الحكيم في النوادر من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف.

(٤) حديث السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن». ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء ولم يخرجه ولده في مسنده.

(٥) ضعيف: حديث «السخي قريب من الله». أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة، وقد تقدم. [الترمذي: ١٩٦١، وانظر ضعيف الترغيب: ١٥٥٥].

(٦) ضعيف: حديث أبي ذر «من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه». لم أر من حديث أبي ذر، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا من حديث صفوان بن سليم مرسلا، ولابن عدي في الكامل من حديث أبي موسى الأشعري «من زهد في الدنيا أربعين يوما وأخلص فيها العبادة أجرى الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» وقال

من أحب أموالهم إليهم وأنفسها عندهم لأنها تجمع الظهر واللحم واللبن والوبر، ولعظمها في قلوبهم قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾[التكوير:٤] قال: فأعرض عنها رسول الله ﷺ وغض بصره، فقيل له: يا رسول الله هذه أنفس أموالنا لم لا تنظر إليها؟ فقال: «قَدْ نَهَانِي اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ» ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ﴾[طه:١٣١] الآية[(١)] . وروى مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله؛ ألا تستطعم الله فيطعمك؟ قالت: وبكيت لما رأيت به من الجوع؟ فقال: «يا عائشة؛ والذي نفسي بيده لو سألت ربي أن يجري معي جبال الدنيا ذهبًا لأجراها حيث شئت من الأرض؛ ولكن اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها، يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد، يا عائشة إن الله لم يرض لأولي العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها، ثم لم يرض لي إلا أن يكلفني ما كلفهم، فقال: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[الأحقاف:٣٥] ، والله ما لي بد من طاعته وإني والله لأصبرنّ كما صبروا بجهدي ولا قوّة إلا بالله»[(٢)] .

وروي عن عمر رضي الله عنه: أنه حين فتح عليه الفتوحات قالت له ابنته حفصة رضي الله عنها: البس ألين الثياب إذا وفدت عليك الوفود من الآفاق، ومر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضر، فقال عمر: يا حفصة، ألست تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته؟ فقالت: بلى.

قال: ناشدتك الله، هل تعلمين أن رسول الله ﷺ لبث في النبوّة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوة إلا جاعوا عشية ولا شبعوا عشية إلا جاعوا غدوة، وناشدتك الله، هل تعلمين أن النبي ﷺ لبث في النبوّة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو وأهله حتى فتح الله عليه خيبر؟ وناشدتك الله، هل تعلمين أن رسول الله ﷺ قرّبتم إليه يومًا طعامًا على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه أمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك أو وضع على الأرض؟ وناشدتك الله، هل تعلمين أنّ رسول الله ﷺ كان ينام على عباءة مثنية

حديث منكر. وقال الذهبي باطل: ورواه أبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية مختصرا من حديث أبي أيوب «من أخلص لله» وكلها ضعيفة. [انظر ضعيف الجامع: ٥٣٦٩].

(١) حديث مر في أصحابه بعشار من النوق حفل» ثم تلا قوله تعالى ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ﴾ [الحجر: ٨٨] الآية». لم أجد له أصلا.

(٢) حديث مسروق عن عائشة قلت يا رسول الله، ألا تستطعم ربك فيطعمك، قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع، فقال يا عائشة». أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي عبد الرحمن السلمي من رواية عباد بن عباد عن مجالد عن الشعبي عن مسروق مختصرا «يا عائشة إن الله لم يرض من أولي العزم من الرسل إلا الصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ثم لم يرض إلا أن كلفني ما كلفهم، فقال تعالى ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] ومجالد مختلف في الاحتجاج به.

والبطالة فلا يعطى شيئًا، فافتقروا إلى حيلة في استخراج الأموال وتمهيد العذر لأنفسهم في البطالة، فاحتالوا للتعلل بالعجز إما بالحقيقة كجماعة يعمون أولادهم وأنفسهم بالحيلة ليعذروا بالعمى فيعطون، وإما بالتعامي والتفالج والتجانن والتمارض وإظهار ذلك بأنواع من الحيل مع بيان أن تلك محنة أصابت من غير استحقاق، ليكون ذلك سبب الرحمة، وجماعة يلتمسون أقوالًا وأفعالًا يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها، فيسخوا برفع اليد عن قليل من المال في حال التعجب، ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم.

وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة والشعبذة والأفعال المضحكة، وقد يكون بالأشعار الغريبة والكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت. والشعر الموزون أشدّ تأثيرًا في النفس لا سيما إذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كأشعار مناقب الصحابة وفضائل أهل البيت، أو الذي يحرك داعية العشق من أهل المجانة كصنعة الطبالين في الأسواق، وصنعة ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات، والحشيش الذي يخيل بائعه أنها أدوية فيخدع بذلك الصبيان والجهال، وكأصحاب القرعة والفأل من المنجمين. ويدخل في هذا الجنس الوعاظ والمكدون على رؤوس المنابر إذا لم يكن وراءهم طائل علمي وكان غرضهم استمالة قلوب العوام وأخذ أموالهم بأنواع الكدية، وأنواعها تزيد على ألف نوع وألفين. وكل ذلك استنبط بدقيق الفكرة لأجل المعيشة. فهذه هي أشغال الخلق وأعمالهم التي أكبوا عليها، وجرهم إلى ذلك كله الحاجة إلى القوت والكسوة ولكنهم نسوا في أثناء ذلك أنفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآبهم فتاهوا وضلوا، وسبق إلى عقولهم الضعيفة بعد أن كدّرتها زحمة الاشتغالات بالدنيا خيالات فاسدة، فانقسمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدّة أوجه:

فطائفة غلبهم الجهل والغفلة فلم تنفتح أعينهم للنظر إلى عاقبة أمورهم فقالوا: المقصود أن نعيش أيامًا في الدنيا فنجتهد حتى نكسب القوت ثم نأكل حتى نقوى على الكسب، ثم نكسب حتى نأكل، فيأكلون ليكسبوا ثم يكسبون ليأكلوا، وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم في الدنيا ولا قدم في الدين؛ فإنه يتعب نهارًا ليأكل ليلًا ويأكل ليلًا ليتعب نهارًا، وذلك كسير السواني فهو سفر لا ينقطع إلا بالموت.

وطائفة أخرى زعموا أنهم تفطنوا الأمر وهو أنه ليس المقصود أن يشقى الإنسان بالعمل ولا يتنعم في الدنيا؛ بل السعادة في أن يقضي وطره من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن والفرج، فهؤلاء نسبوا أنفسهم وصرفوا هممهم إلى اتباع النسوان وجمع لذائذ الأطعمة يأكلون كما تأكل الأنعام، ويظنون أنهم إذا نالوا ذلك فقد أدركوا غاية السعادة فشغلهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر.

وطائفة ظنوا أنّ السعادة في كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز، فأسهروا ليلهم وأتعبوا نهارهم في الجمع، فهم يتعبون في الأسفار طول الليل والنهار ويترددون في الأعمال الشاقة ويكتسبون، ويجمعون ولا يأكلون إلا قدر الضرورة شحًا وبخلًا عليها أن تنقص، وهذه لذتهم،

وفي ذلك دأبهم وحركتهم إلى أن يدركهم الموت؛ فيبقى تحت الأرض أو يظفر به من يأكله في الشهوات واللذات؛ فيكون للجامع تعبه ووباله وللآكل لذته. ثم الذين يجمعون ينظرون إلى أمثال ذلك ولا يعتبرون.

وطائفة ظنوا أن السعادة في حسن الاسم وانطلاق الألسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروءة؛ فهؤلاء يتعبون في كسب المعاش ويضيقون على أنفسهم في المطعم والمشرب ويصرفون جميع مالهم إلى الملابس الحسنة والدواب النفيسة، ويزخرفون أبواب الدور وما يقع عليها أبصار الناس حتى يقال إنه غني وإنه ذو ثروة ويظنون أن ذلك هو السعادة، فهمتهم في نهارهم وليلهم في تعهد موقع نظر الناس.

وطائفة أخرى ظنوا أن السعادة في الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير، فصرفوا هممهم إلى استجرار الناس إلى الطاعة بطلب الولايات وتقلد الأعمال السلطانية لينفذ أمرهم بها على طائفة من الناس، ويرون أنهم إذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا سعادة عظيمة، وأن ذلك غاية المطلب. وهذا أغلب الشهوات على قلوب الغافلين من الناس، فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر في آخرتهم ومعادهم.

ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد على نيف وسبعين فرقة، كلهم قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل، وإنما جرّهم إلى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن ونسوا ما تراد له هذه الأمور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها، وانجرّت بهم أوائل أسبابها إلى أواخرها، وتداعى بهم ذلك إلى مهاوٍ لم يمكنهم الرقي منها، فمن عرف وجه الحاجة إلى هذه الأسباب والأشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض في شغل وحرفة وعمل إلا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه، وأن غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك، وذلك إن سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الأشغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهمة إلى الاستعداد له، وإن تعدّى به قدر الضرورة كثرت الأشغال وتداعى البعض إلى البعض وتسلسل إلى غير نهاية، فتتشعب به الهموم ومن تشعبت به الهموم في أودية الدنيا فلا يبالي الله في أي واد أهلكه منها. فهذا شأن المنهمكين في أشغال الدنيا. وتنبه لذلك طائفة فأعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان ولم يتركهم، وأضلهم في الإعراض أيضًا حتى انقسموا إلى طوائف.

فظنت طائفة أن الدنيا دار بلاء ومحنة، والآخرة دار سعادة لكل من وصل إليها سواء تعبد في الدنيا أو لم يتعبد، فرأوا أن الصواب في أن يقتلوا أنفسهم للخلاص من محنة الدنيا، وإليه ذهب طوائف من العباد من أهل الهند فهم يتهجمون على النار ويقتلون أنفسهم بالإحراق، ويظنون أن ذلك خلاص لهم من محن الدنيا.

وظنت طائفة أخرى أن القتل لا يخلص بل لا بد أولًا من إماتة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكلية، وأنّ السعادة في قطع الشهوة والغضب، ثم أقبلوا على المجاهدة وشدّدوا على

رسول الله ﷺ: «أَمَرَ اللَّهُ القِيَامَةَ أَنْ تَقُومَ؟ قَالَ: لا وَلَكِنْ هَذَا إِسرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ قَدْ نَزَلَ إِلَيْكَ حِينَ سَمِعَ كَلامَكَ، فَأَتَاهُ إِسْرَافِيلُ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَمِعَ ما ذَكَرْتَ فَبَعَثَنِي بِمَفَاتِيحِ الأَرْضِ وَأَمَرَنِي أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ أُسَيِّرَ مَعَكَ جِبَالَ تِهَامَةَ زُمُرُّدًا وَيَاقُوتًا وَذَهَبًا وَفِضَّةً فَعَلْتُ، وَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلِكًا، وَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا عَبْدًا، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ أَنْ تَوَاضَعْ لِلَّهِ فَقَالَ: «نَبِيًّا عَبْدًا» ثلاثًا (١).

وقال ﷺ: «إِذا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا زَهَّدَهُ فِي الدُّنْيَا وَرَغَّبَهُ فِي الآخِرَةِ وَبَصَّرَهُ بِعُيُوبِ نَفْسِهِ (٢).

وقال ﷺ لرجل: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ» (٣).

وقال صلوات الله عليه: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يُؤْتِيهِ اللَّهُ عِلْمًا بِغَيْرِ تَعَلُّمٍ وَهُدًى بِغَيْرِ هِدَايَةٍ فَلْيَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا» (٤)، وقال ﷺ: «مَن اشْتَاقَ إِلَى الجَنَّةِ سَارَعَ إِلَى الخَيْرَاتِ، وَمَنْ خَافَ مِنَ النَّارِ لَهَا عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَمَنْ تَرَقَّبَ المَوْتَ تَرَكَ اللَّذَاتِ، وَمَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا هَانَتْ عَلَيْهِ المُصِيبَاتُ» (٥).

ويروى عن نبينا وعن المسيح عليهما السلام: «أَرْبَعٌ لا يُدْرَكْنَ إِلاَّ بِتَعَب: الصَّمْتُ وَهُوَ أَوَّلُ العِبَادَةِ، وَالتَّوَاضُعُ، وَكَثْرَةُ الذِّكْرِ، وَقِلَّةُ الشَّيْءِ» (٦)، وإيراد جميع الأخبار الواردة في مدح بغض الدنيا وذم حبها لا يمكن، فإنّ الأنبياء ما بعثوا إلا لصرف الناس عن الدنيا إلى الآخرة وإليه يرجع أكثر كلامهم مع الخلق، وفيما أوردناه كفاية والله المستعان.

وأما الآثار: فقد جاء في الأثر: لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن العباد سخط الله عز وجل ما لم يسألوا ما نقص من دنياهم. وفي لفظ آخر: ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم، فإذا فعلوا ذلك وقالوا: لا إله إلا الله قال الله تعالى: كذبتم، لستم بها صادقين.

وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال: تابعنا الأعمال كلها فلم نر في أمر

---

(١) **منكر**: حديث ابن عباس: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم وجبريل معه فصعد على الصفا». تقدم مختصرا. [انظر ضعيف الترغيب: ١٩٠٨].

(٢) **ضعيف**: حديث «إذا أراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعيوب نفسه». رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس دون قوله «ورغبه في الآخرة» وزاد «فقهه في الدين» وإسناده ضعيف. [انظر ضعيف الجامع: ٣٣٥].

(٣) **حسن لغيره**: حديث «ازهد في الدنيا يحبك الله». تقدم. [ابن ماجه: ٤١٠٢، وانظر صحيح الترغيب: ٣٢١٣].

(٤) حديث «من أراد أن يؤته الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا». لم أجد له أصلا.

(٥) **ضعيف**: حديث «من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات». رواه ابن حبان في الضعفاء من حديث علي بن أبي طالب. [انظر السلسلة الضعيفة: ٤٥٥٠].

(٦) **موضوع**: حديث «أربع لا يدركن إلا بتعب: الصمت وهو أول العبادة». رواه الطبراني والحاكم من حديث أنس وقد تقدم. [انظر ضعيف الترغيب: ١٧١١].

الآخرة أبلغ من زهد في الدنيا.

وقال بعض الصحابة لصدر من التابعين: أنتم أكثر أعمالًا واجتهادًا من أصحاب رسول الله ﷺ وكانوا خيرًا منكم. قيل: ولم ذلك؟ قال: كانوا أزهد في الدنيا منكم.

وقال عمر رضي الله عنه: الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد.

وقال بلال بن سعد: كفى به ذنبًا أنّ الله تعالى يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها.

وقال رجل لسفيان: أشتهي أن أرى عالمًا زاهدًا، فقال: ويحك: تلك ضالة لا توجد.

وقال وهب بن منبه: إنّ للجنة ثمانية أبواب، فإذا صار أهل الجنة إليها جعل البوّابون يقولون: وعزة ربنا لا يدخلها أحد قبل الزاهدين في الدنيا العاشقين للجنة.

وقال يوسف بن أسباط رحمه الله: إني لأشتهي من الله ثلاث خصال: أن أموت حين أموت وليس في ملكي درهم، ولا يكون عليّ دين ولا على عظمي لحم فأعطي ذلك كله.

وروي أن بعض الخلفاء أرسل إلى الفقهاء بجوائز فقبلوها، وأرسل إلى الفضيل بعشرة آلاف فلم يقبلها، فقال له بنوه: قد قبل الفقهاء وأنت ترد على حالتك هذه فبكى الفضيل وقال: أتدرون ما مثلي ومثلكم؟ كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها، فلما هرمت ذبحوها لأجل أن ينتفعوا بجلدها، كذلك أنتم أردتم ذبحي على كبر سني، موتوا يا أهلي جوعًا خير لكم من أن تذبحوها فضيلًا.

وقال عبيد بن عميرة كان المسيح ابن مريم عليه السلام يلبس الشعر ويأكل الشجر، وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدّخر لغد، أينما أدركه المساء نام.

وقالت امرأة أبي حازم لأبي حازم: هذا الشتاء قد هجم علينا ولا بدّ لنا من الطعام والثياب والحطب فقال لها أبو حازم: من هذا كله بدّ، ولكن لا بدّ لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله تعالى ثم الجنة أو النار.

وقيل للحسن: لم لا تغسل ثيابك؟ قال: الأمر أعجل من ذلك.

وقال إبراهيم بن أدهم: قد حجبت قلوبنا بثلاثة أغطية، فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب: الفرح بالموجود، والحزن على المفقود، والسرور بالمدح، فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص، وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط والساخط معذب، وإذا سررت بالمدح فأنت معجب والعجب يحبط العمل.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ركعتين من زاهد قلبه خير له وأحب إلى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبدًا سرمدًا.

وقال بعض السلف: نعمة الله علينا فيما صرف عنا أكثر من نعمته فيما صرف إلينا، وكأنه التفت إلى معنى قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُ كَمَا تَحْمُونَ

فصلًا إن شاء الله تعالى وهو: بيان ذم المال، ثم مدحه، ثم تفصيل فوائد المال وآفاته، ثم ذم الحرص والطمع، ثم علاج الحرص والطمع. ثم فضيلة السخاء. ثم حكايات الأسخياء، ثم ذم البخل، ثم حكايات البخلاء. ثم الإيثار وفضله. ثم حد السخاء والبخل. ثم علاج البخل. ثم مجموع الوظائف في المال. ثم ذم الغنى ومدح الفقر؛ إن شاء الله تعالى.

بيان ذم المال وكراهة حبه

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥﴾ [التغابن: ١٥] فمن اختار ماله وولده على ما عند الله فقد خسر وغبن خسرانًا عظيمًا. وقال عز وجل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾ [هود: ١٥] الآية. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧﴾ [العلق: ٦-٧] فلا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم وقال تعالى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١].

وقال رسول الله ﷺ: «حُبُّ المَالِ وَالشَّرَفِ يُنْبِتَانِ النِّفَاقَ فِي القَلْبِ كَمَا يُنْبِتُ المَاءُ البَقْلَ» (١)، وقال ﷺ: «ما ذِئْبَانِ ضَارِيَانِ أُرْسِلا فِي زَرِيبَةِ غَنَمٍ بِأَكْثَرَ إِفْسَادًا فِيها مِنْ حُبِّ الشَّرَفِ وَالمَالِ وَالجَاهِ فِي دِينِ الرَّجُلِ المُسْلِمِ» (٢)، وقال ﷺ: «هَلَكَ المُكْثِرُونَ إلا مَنْ قالَ بِهِ فِي عِبادِ الله هكَذا وَهكَذا وَقَلِيلٌ مَا هُمْ» (٣)، وقيل: يا رسول الله أي أمتك شر؟ قال: «الأغنياء» (٤)، وقال

---

*٢*كتاب ذم البخل وحب المال

(١) حديث «حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل». لم أجده بهذا اللفظ وذكره بعد هذا بلفظ «الجاه» بدل «الشرف» [لم أجده بهذا اللفظ، انظر الحديث الآتي].

(٢) صحيح بلفظ: «والشرف في دين . . .»: حديث «ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم». أخرجه الترمذي والنسائي في الكبرى من حديث كعب بن مالك وقالا «جائعان» مكان «ضاريان» ولم يقولا «في زريبة» وقالا «الشرف» بدل «الجاه» قال الترمذي حسن صحيح، [الترمذي: ٢٣٧٦، انظر صحيح الجامع: ٥٦٢٠، وصحيح الترغيب: ١٧١٠]، وللطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد «ما ذئبان ضاريان في زريبة غنم... الحديث» وللبزار من حديث أبي هريرة «ضاريان جائعان» وإسناد الطبراني فيهما ضعيف [انظر صحيح الترغيب: ٣٢٥١، المشكاة: ٥١٨١].

(٣) حسن صحيح دون قوله: «في عباد الله»: حديث «هلك المكثرون إلا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم». أخرجه الطبراني من حديث عبد الرحمن بن أبزي بلفظ «المكثرون» ولم يقل «في عباد الله»، [انظر صحيح الترغيب: ٣٢٦١]، ورواه أحمد من حديث أبي سعيد بلفظ «المكثرون» وهو متفق عليه من حديث أبي ذر بلفظ «هم الأخسرون» فقال أبو ذر: من هم؟ فقال «هم الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا... الحديث» [البخاري: ٦٦٣٨، مسلم: ٩٩٠].

(٤) حديث: قيل يا رسول الله أي أمتك شر؟ قال «الأغنياء». غريب لم أجده بهذا اللفظ وللطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث عبد الله بن جعفر «شرار أمتي الذين ولدوا في النعيم وغذوا به يأكلون من الطعام ألوانا» وفيه أصرم بن حوشب ضعيف، [قال الألباني: حسن لغيره. انظر صحيح الترغيب: ٢١٤٩]، ورواه هناد بن السري في الزهد له من رواية عروة بن رويم مرسلا، [ضعفه الألباني، انظر ضعيف الجامع: ٢٨٦٦] وللبزار من حديث أبي هريرة بسند ضعيف «إن من شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم وتنبت عليه أجسامهم» [قال الألباني: حسن لغيره. انظر صحيح الترغيب: ٢١٤٧].

ﷺ: «سَيَأْتِي بَعْدَكُمْ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ أَطَايِبَ الدُّنْيَا وَأَلْوَانَهَا وَيَرْكَبُونَ فُرْهَ الخَيْلِ وَأَلْوَانَهَا وَيَنْكِحُونَ أَجْمَلَ النِّسَاءِ وَأَلْوَانَها وَيَلْبَسُونَ أَجْمَلَ الثِّيَابِ وَأَلْوَانَهَا، لَهُمْ بُطُونٌ مِنَ القَلِيلِ لا تَشْبَعُ وَأَنْفُسٌ بِالكَثِيرِ لا تَقْنَعُ، عَاكِفُونَ عَلَى الدُّنْيَا يَغْدُونَ وَيَرُوحُونَ إِلَيْهَا، اتَّخَذُوهَا آلِهَةً مِنْ دُونِ إِلهِهِمْ وَرَبًّا دُونَ رَبِّهِمْ، إِلَى أَمْرِها يَنْتَهُونَ وَلِهَوَاهُمْ يَتْبَعُونَ، فَعَزِيمَةٌ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله لِمَنْ أَدْرَكَهُ ذلِكَ الزَّمَانُ مِنْ عَقِبِ عَقِبِكُمْ وَخَلَفِ خَلَفِكُمْ أن لا يُسَلِّمْ عَلَيْهِمْ وَلا يَعُودَ مَرْضَاهُمْ وَلا يَتْبَعَ جَنَائِزَهُمْ وَلا يُوَقِّرَ كَبِيرَهُمْ، فَمَنْ فَعَلَ ذلِكَ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الإِسْلامِ» (١)، وقال ﷺ: «دَعُوا الدُّنْيَا لأَهْلِها، وَمَنْ أَخَذَ مِنَ الدُّنْيَا فَوْقَ ما يَكْفِيهِ أَخَذَ حَتْفَهُ وَهُوَ لا يَشْعُرُ» (٢)، وقال ﷺ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مالِي مالِي وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إلاّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟» (٣)، وقال رجل: يا رسول الله مالي لا أحب الموت فقال: «هَلْ مَعَكَ مِنْ مَالٍ؟» قال: نعم يا رسول الله؛ قال: «قَدِّم مَالَكَ فإنَّ قَلْبَ المُؤْمِنِ مَعَ مَالِهِ، إنْ قَدَّمَهُ أَحَبَّ أَنْ يَلْحَقَهُ وَإِنْ خَلَّفَهُ أَحَبَّ أَنْ يَتَخَلَّفَ مَعَهُ» (٤)، وقال ﷺ: «أَخلاءُ ابْنِ آدَمَ ثَلاثَةٌ. وَاحِدٌ يَتْبَعُهُ إِلَى قَبْضِ رُوحِهِ، وَالثَّانِي إِلَى قَبْرِهِ، وَالثَّالِثُ إِلَى مَحْشَرِهِ. فَالَّذِي يَتْبَعُهُ إِلَى قَبْضِ رُوحِهِ فَهُوَ مَالُهُ، وَالَّذِي يَتْبَعُهُ إِلَى قَبْرِهِ فَهُوَ أَهْلُهُ، وَالَّذِي يَتْبَعُهُ إلى مَحْشَرِهِ فَهُوَ عَمَلُهُ» (٥).

وقال الحواريون لعيسى عليه السلام: ما لك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك؟ فقال لهم؛ ما منزلة الدينار والدرهم عندكم؟ قالوا: حسنة، قال: لكنهما والمدر عندي سواء. وكتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما: يا أخي إياك أن تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُجَاءُ بِصَاحِبِ الدُّنْيَا الَّذِي أَطَاعَ الله فِيهَا وَمَالُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ كُلَّمَا تَكَفَّأَ بِهِ الصِّرَاطُ قالَ لَهُ مَالُهُ امْضِ فَقَدْ أَدَّيْتَ حَقَّ الله فِيَّ، ثُمَّ يُجَاءُ بِصَاحِبِ الدُّنْيَا الَّذِي لَمْ يُطِعِ الله فِيها وَمَالُهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ كُلَّما تَكَفَّأَ بِهِ الصِّرَاطُ قَالَ لَهُ مَالُهُ وَيْلَكَ أَلاَ أَدَيْتَ حَقَّ

---

(١) حديث «سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها ويركبون فره الخيل وألوانها وينكحون أجمل النساء .. الحديث». بطوله أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط من حديث أبي أمامة «سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب يتشدقون في الكلام أولئك شرار أمتي» وسنده ضعيف [حسنه الألباني، انظر صحيح الجامع: ٣٦٦٣، صحيح الترغيب: ٢٠٨٨]، ولم أجد لباقيه أصلا.

(٢) ضعيف: حديث «دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر». أخرجه البزار من حديث أنس وفيه هانئ بن المتوكل ضعفه ابن حبان. [انظر ضعيف الجامع: ٢٩٨٠، الضعيفة: ١٦٩١].

(٣) صحيح: حديث «يقول ابن آدم: مالي! مالي! .. الحديث». أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن الشخير وأبي هريرة وقد تقدم [مسلم: ٢٩٥٨، ٢٩٥٩ على الترتيب].

(٤) حديث: قال رجل يا رسول الله ما لي لا أحب الموت .. الحديث». لم أقف عليه.

(٥) حديث «أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه، والثاني إلى قبره .. الحديث». أخرجه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث النعمان بن بشير بإسناد جيد نحوه، ورواه أبو داود الطيالسي وأبو الشيخ في كتاب الثواب والطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند جيد أيضا وفي الكبير من حديث سمرة بن جندب وللشيخين من حديث أنس «يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد... الحديث» [البخاري: ٦٥١٤، مسلم: ٢٩٦٠].

يحصل بمجرّد العدم.

الدرجة الثانية: أن يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه واللذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها، وهذا زهد الراجين؛ فإنّ هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الألم بل طمعوا في وجود دائم ونعيم سرمد لا آخر له.

الدرجة الثالثة: وهي العليا. أن لا يكون له رغبة إلا في الله وفي لقائه، فلا يلتفت قلبه إلى الآلام ليقصد الخلاص منها ولا إلى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها، بل هو مستغرق الهم بالله تعالى؛ وهو الذي أصبح وهمومه هم واحد؛ وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى؛ لأن من طلب غير الله فقد عبده، وكل مطلوب معبود؛ وكل طالب عبد بالإضافة إلى مطلبه، وطلب غير الله من الشرك الخفي، وهذا زهد المحبين وهم العارفون لأنه لا يحب الله تعالى خاصة إلا من عرفه، وكما أنّ من عرف الدينار والدرهم وعلم أنه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب إلا الدينار، فكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر إلى وجهه الكريم وعرف أنّ الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالحور العين والنظر إلى نقش القصور وخضرة الأشجار غير ممكن، فلا يحب إلا لذة النظر ولا يؤثر غيره، ولا تظنن أنّ أهل الجنة عند النظر إلى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور والقصور متسع في قلوبهم، بل تلك اللذة بالإضافة إلى لذة نعيم أهل الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الأرض ورقاب الخلق بالإضافة إلى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به، والطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك، وذلك لقصوره، عن إدراك لذة الملك لا لأنّ اللعب بالعصفور في نفسه أعلى وألذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق.

وأما انقسامه بالإضافة إلى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الأقاويل، ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول فلا نشتغل بنقل الأقاويل، ولكن نشير إلى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح أنّ أكثر ما ذكر فيه قاصر عن الإحاطة بالكل. فنقول: المرغوب عنه بالزهد له إجمال وتفصيل، ولتفصيله مراتب بعضها أشرح لآحاد الأقسام وبعضها أجمل للجمل. أما الإجمال في الدرجة الأولى: فهو كل ما سوى الله، فينبغي أن يزهد فيه حتى يزهد في نفسه أيضًا، والإجمال في الدرجة الثانية: أن يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة، وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها. وفي الدرجة الثالثة: أن يزهد في المال والجاه وأسبابهما إذ إليهما ترجع جميع حظوظ النفس. وفي الدرجة الرابعة: أن يزهد في

أخرجه أحمد من حديث ابن عباس «التقى مؤمنان على باب الجنة: مؤمن غني، ومؤمن فقير... الحديث، وفيه: «إني حبست بعدك محبسا فظيعا كربها ما وصلت إليك حتى سال مني العرق ما لو ورده ألف بعير أكلة حمض لصدرت عنه رواء» وفيه دريد غير منسوب يحتاج إلى معرفته قال أحمد: حديثه مثله. [أحمد: ٢٧٦٦، وانظر ضعيف الترغيب: ١٨٥٢].

العلم والقدرة والدينار والدرهم والجاه إذ الأموال وإن كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وإن كثرت أسبابه فيرجع إلى العلم والقدرة وأعني به كل علم وقدرة مقصودها ملك القلوب، إذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها، كما أنّ معنى المال ملك الأعيان والقدرة عليها فإن جاوزت هذا التفصيل إلى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر. وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [آل عمران: ١٤] ثم رده في آية أخرى إلى خمسة فقال عز وجل: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد: ٢٠] ثم رده تعالى في موضع آخر إلى اثنين فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: ٣٦] ثم رد الكل إلى واحد في موضع آخر فقال: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠-٤١] فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا، فينبغي أن يكون الزهد فيه. وإذا فهمت طريق الإجمال والتفصيل عرفت أنّ البعض من هذه لا يخالف البعض وإنما يفارقه في الشرح مرة والإجمال أخرى.

فالحاصل أنّ الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها، ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا فقصر أمله لا محالة، لأنه إنما يريد البقاء ليتمتع ويريد التمتع الدائم بإرادة البقاء؛ فإنّ من أراد شيئًا أراد دوامه، ولا معنى لحب الحياة إلا حب دوام ما هو موجود أو ممكن في هذه الحياة، فإذا رغب عنها لم يردها، ولذلك لما كتب عليهم القتال: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ﴾ [النساء: ٧٧] فقال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧] أي لستم تريدون البقاء إلا لمتاع الدنيا، فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين. أما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا في سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص وانتظروا إحدى الحسنيين، وكانوا إذا دعوا إلى القتال يستنشقون رائحة الجنة ويبادرون إليه مبادرة الظمآن إلى الماء البارد حرصًا على نصرة دين الله أو نيل رتبة الشهادة، وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة، حتى أنّ خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه لما احتضر للموت على فراشه كان يقول: كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعًا في الشهادة وأنا الآن أموت موت العجائز، فلما مات عدّ على جسده ثمانمائة ثقب من آثار الجراحات، هكذا كان حال الصادقين في الإيمان رضي الله تعالى عنهم أجمعين. وأما المنافقون، ففرّوا من الزحف خوفًا من الموت فقيل لهم: ﴿إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ﴾ [الجمعة: ٨] فإيثارهم البقاء على الشهادة استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦]

سعادة الآخرة التي هي النعيم الدائم والملك المقيم. والقصد إلى هذا دأب الكرام والأكياس، إذ قيل لرسول الله ﷺ: من أكرم الناس وأكيسهم؟ فقال: «أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا وَأَشَدُّهُمْ لَهُ اسْتِعْدادًا» (١).

وهذه السعادة لا تنال إلا بثلاث وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية، كالعلم وحسن الخلق، والفضائل البدنية: كالصحة والسلامة، والفضائل الخارجة عن البدن: كالمال وسائر الأسباب. وأعلاها النفسية، ثم البدنية، ثم الخارجة.

فالخارجة أخسها والمال من جملة الخارجات، وأدناها الدراهم والدنانير، فإنهما خادمان ولا خادم لهما، ومرادان لغيرهما. ولا يرادان لذاتهما؛ إذ النفس هي الجوهر النفيس المطلوب سعادتها، وأنها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الأخلاق لتحصلها صفة في ذاتها، والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والأعضاء، والمطاعم والملابس تخدم البدن. وقد سبق أن المقصود من المطاعم إبقاء البدن. ومن المناكح إبقاء النسل، ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق. ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه، وأنه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس الذي هو خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصده واستعمله لتلك الغاية ملتفتًا إليها غير ناس لها فقد أحسن وانتفع، وكان ما حصل له الغرض محمودًا في حقه، فإذًا المال آلة ووسيلة إلى مقصود صحيح، ويصلح أن يتخذ آلة ووسيلة إلى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة عن سعادة الآخرة وتسدّ سبيل العلم والعمل. فهو إذًا محمود مذموم، محمود بالإضافة إلى المقصد المحمود، ومذموم بالإضافة إلى المقصد المذموم. فمن أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حتفه وهو لا يشعر (٢) كما ورد به الخبر.

ولما كانت الطباع مائلة إلى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلًا لها وآلة إليها، عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الأنبياء من شره حتى قال نبينا عليه الصلاة والسلام: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ قُوتَ آلِ مُحَمَّدٍ كَفَافًا» (٣)، فلم يطلب من الدنيا إلا ما يتمحض خيره وقال: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ» (٤)، واستعاذ

---

(١) حسن: حديث: من أكرم الناس وأكيسهم؟ قال «أكثرهم للموت ذكرا .. الحديث». أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ: أي المؤمنين أكيس؟ ورواه ابن أبي الدنيا في الموت بلفظ المصنف وإسناده جيد [ابن ماجه: ٤٢٥٩، انظر صحيح الجامع: ٣٣٣٥، الصحيحة: ١٣٨٤].

(٢) ضعيف: حديث «من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه». تقدم قبله بتسعة أحاديث وهو بقية «احذروا الدنيا» [انظر ضعيف الجامع: ١٠٦، الضعيفة: ١٦٩١].

(٣) صحيح: حديث «اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا». متفق عليه من حديث أبي هريرة [البخاري: ٦٤٦٠، مسلم: ١٠٥٥ بلفظ: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا» وفي رواية لمسلم: ١٠٥٥ بلفظ: «كفافًا»].

(٤) صحيح: حديث «اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا». أخرجه الترمذي من حديث أنس [الترمذي: ٢٣٥٢]، وابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث أبي سعيد وقد تقدم [ابن ماجه: ٤١٢٦، وانظر صحيح الجامع: ١٢٦١، الصحيحة: ٣٠٨].

إبراهيم فقال: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] وعنى بها هذين الحجرين الذهب والفضة، إذ رتبة النبوّة أجل من أن يخشى عليها أن تعتقد الإلهية في شيء من هذه الحجارة، إذ قد كفي قبل النبوّة عبادتها مع الصغر، وإنما معنى عبادتهما حبهما والاغترار بهما والركون إليهما قال نبينا ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَتَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ تَعِسَ وَلا انْتَعَشَ وَإِذا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ»(١)، فبين أن محبهما عابد لهما ومن عبد حجرًا فهو عابد صنم. بل كل من كان عبدًا لغير الله فهو عابد صنم، أي قطعه ذلك عن الله تعالى أداء حقه فهو كعابد صنم، وهو شرك إلا أن الشرك شركان: شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقلما ينفك عنه المؤمنون فإنه أخفى من دبيب النمل، وشرك جلي يوجب الخلود في النار نعوذ بالله من الجميع.

بيان تفصيل آفات المال وفوائده:

اعلم أن المال مثل حية فيها سم وترياق، ففوائده ترياقه، وغوائله سمومه. فمن عرف غوائله وفوائده أمكنه أن يحترز من شره ويستدر من خيره.

أما الفوائد: فهي تنقسم إلى دنيوية ودينية: أما الدنيوية فلا حاجة إلى ذكرها فإن معرفتها مشهورة مشتركة بين أصناف الخلق، ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها. وأما الدينية فتنحصر جميعها في ثلاثة أنواع.

النوع الأول: أن ينفقه على نفسه إما في عبادة أو في الاستعانة على عبادة. أما في العبادة: فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فإنه لا يتوصل إليهما إلا بالمال، وهما من أمهات القربات والفقير محروم من فضلهما. وأما فيما يقويه على العبادة: فذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة فإن هذه الحاجات إذا لم تتيسر كان القلب مصروفًا إلى تدبيرها فلا يتفرغ للدين، وما لا يتوصل إلى العبادة إلا به فهو عبادة، فأخذ الكفاية من الدنيا لأجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية. ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجة فإن ذلك من حظوظ الدنيا فقط.

النوع الثاني: ما يصرفه إلى الناس، وهو أربعة أقسام: الصدقة، والمروءة، ووقاية العرض، وأجرة الاستخدام.

أما الصدقة: فلا يخفى ثوابها وإنها لتطفىء غضب الرب تعالى، وقد ذكرنا فضلها فيما تقدم.

وأما المروءة: فنعني بها صرف المال إلى الأغنياء والأشراف في ضيافة وهدية وإعانة وما يجري مجراها، فإن هذه لا تسمى صدقة، بل الصدقة ما يسلم إلى المحتاج إلا أن هذا من

---

(١) صحيح دون قوله: «ولا انتعش»: حديث «تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم .. الحديث». أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ولم يقل «وانتقش» [البخاري: ٢٨٨٧، وليس فيه: «ولا انتعش . . . إلخ»] وإنما علق آخره بلفظ «تعس وانتكس» ووصل ذلك ابن ماجه والحاكم [ابن ماجه: ٤١٣٦، وانظر صحيح الجامع: ٢٩٦٢، صحيح الترغيب: ١٢٢٥].

دفع المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشتغلًا بغير الله؛ فإنّ ما لا يتوصل إلى الشيء إلا به فهو منه؛ فالمشتغل بعلف الناقة وبسقيها في طريق الحج ليس معرضًا عن الحج، ولكن ينبغي أن يكون بدنك في طريق الله مثل ناقتك في طريق الحج، ولا غرض لك في تنعم ناقتك باللذات، بل غرضك مقصور على دفع المهلكات عنها حتى تسير بك إلى مقصدك، فكذلك ينبغي أن تكون في صيانة بدنك عن الجوع والعطش المهلك بالأكل والشرب، وعن الحرّ والبرد المهلك باللباس والمسكن، فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد التلذذ بل التقوى على طاعة الله تعالى، فذلك لا يناقض الزهد، بل هو شرط الزهد، وإن قلت: فلا بدّ وأن أتلذذ بالأكل عند الجوع؛ فاعلم أن ذلك لا يضرك إذا لم يكن قصدك التلذذ، فإنّ شارب الماء البارد قد يستلذ الشرب ويرجع حاصله إلى زوال ألم العطش، ومن يقضي حاجته قد يستريح بذلك ولكن لا يكون ذلك مقصودًا عنده ومطلوبًا بالقصد، فلا يكون القلب منصرفًا إليه؛ فالإنسان قد يستريح في قيام الليل بتنسم الأسحار وصوت الأطيار، ولكن إذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة فما يصيبه من ذلك بغير قصد لا يضره، ولقد كان في الخائفين من طلب موضعًا لا يصيبه فيه نسيم الأسحار خيفة من الاستراحة به وأنس القلب معه، فيكون فيه أنس بالدنيا ونقصان في الأنس بالله بقدر وقوع الأنس بغير الله، ولذلك كان داود الطائي له جب مكشوف فيه ماؤه فكان لا يرفعه من الشمس، ويشرب الماء الحارّ ويقول: من وجد لذة الماء البارد شق عليه مفارقة الدنيا، فهذه مخاوف المحتاطين والحزم في جميع ذلك الاحتياط، فإنه وإن كان شاقًّا فمدّته قريبة والاحتماء مدّة يسيرة للتنعم على التأبيد، لا يثقل على أهل المعرفة القاهرين لأنفسهم بسياسة الشرع المعتصمين بعروة اليقين في معرفة المضادة التي بين الدنيا والدين، رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة:

اعلم أن ما الناس منهمكون فيه ينقسم إلى فضول وإلى مهم؛ فالفضول كالخيل المسوّمة مثلًا، إذ غالب الناس إنما يقتنيها للترفه بركوبها وهو قادر على المشي والمهم كالأكل والشرب، ولسنا نقدر على تفصيل أصناف الفضول فإن ذلك لا ينحصر، وإنما ينحصر المهم الضروري، والمهم أيضًا يتطرّق إليه فضول في مقداره وجنسه وأوقاته، فلا بدّ من بيان وجه الزهد فيه، والمهمات ستة أمور: المطعم، والملبس، والمسكن، وأثاثه، والمنكح، والمال. والجاه يطلب لأغراض. وهذه الستة من جملتها، وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الاحتراز منه في كتاب الرياء من ربع المهلكات، ونحن الآن نقتصر على بيان هذه المهمات الستة.

الأول المطعم: ولا بدّ للإنسان من قوت حلال يقيم صلبه ولكن له طول وعرض، فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد؛ فأما طوله فبالإضافة إلى جملة العمر، فإن من يملك

طعام يومه فلا يقنع به، وأما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله؛ أما طوله فلا يقصر إلا بقصر الأمل، وأقل درجات الزهد فيه الاقتصار على قدر دفع الجوع عند شدّة الجوع وخوف المرض، ومن هذا حاله فإذا استقل بما تناوله لم يدّخر من غذائه لعشائه، وهذه هي الدرجة العليا.

الدرجة الثانية: أن يدّخر لشهر أو أربعين يومًا.

الدرجة الثالثة: أن يدّخر لسنة فقط، وهذه رتبة ضعفاء الزهاد، ومن ادخر لأكثر من ذلك فتسميته زاهدًا محال؛ لأن من أمل بقاء أكثر من سنة فهو طويل الأمل جدًّا فلا يتم منه الزهد إلا إذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الأخذ من أيدي الناس، كداود الطائي فإنه ورث عشرين دينارًا فأمسكها وأنفقها في عشرين سنة؛ فهذا لا يضاد أصل الزهد إلا عند من جعل التوكل شرط الزهد، وأما عرضه فبالإضافة إلى المقدار، وأقل درجاته في اليوم والليلة نصف رطل، وأوسطه رطل، وأعلاه مدّ واحد: وهو ما قدره الله تعالى في إطعام المسكين في الكفارة، وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن والاشتغال به، ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب، وأما بالإضافة إلى الجنس فأقله كل ما يقوت، ولو الخبز من النخالة، وأوسطه خبز الشعير والذرة، وأعلاه خبز البر غير منخول، فإذا ميز من النخالة وصار حواري فقد دخل في التنعم وخرج عن آخر أبواب الزهد فضلًا عن أوائله.

وأما الأدم: فأقله الملح أو البقل والخل، وأوسطه الزيت أو يسير من الأدهان أي دهن كان، وأعلاه اللحم أي لحم كان، وذلك في الأسبوع مرة أو مرتين، فإن صار دائمًا أو أكثر من مرتين في الأسبوع خرج عن آخر أبواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهدًا في البطن أصلًا، وأما بالإضافة إلى الوقت فأقله في اليوم والليلة مرة وهو أن يكون صائمًا، وأوسطه أن يصوم ويشرب ليلة ولا يأكل، ويأكل ليلة ولا يشرب، وأعلاه أن ينتهي إلى أن يطوي ثلاثة أيام أو أسبوعًا وما زاد عليه، وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرهه في ربع المهلكات، ولينظر إلى أحوال رسول الله ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم في كيفية زهدهم في المطاعم وتركهم الأدم.

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: كانت تأتي علينا أربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله ﷺ مصباح ولا نار.

قيل لها: فبم كنتم تعيشون؟ قالت: بالأسودين التمر والماء[1].

وهذا ترك اللحم والمرقة والأدم.

---

(١) حديث عائشة: كان تأتي أربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله ﷺ مصباح ولا نار. أخرجه ابن ماجه من حديث عائشة: «كان يأتي على آل محمد الشهر ما يرى في بيت من بيوته دخان... الحديث» [ابن ماجه: ٤١٤٥، وانظر صحيح ابن ماجه، وقال الألباني: حسن صحيح]. وفي رواية له: ما يوقد فيه بنار. ولأحمد: «كان يمر بنا هلال وهلال ما يوقد في بيت من بيوته نار» [مسلم: ٢٩٧٢، وأحمد: ٢٤٠٤٠]. وفي رواية له: ثلاثة أهلة.

إلى الكثير أو طول أمله فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص، وجرّه الحرص والطمع إلى مساوئ الأخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروءات، وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة. قال رسول الله ﷺ: «لَوْ كانَ لابْنِ آدَمَ وَادِيانِ مِنْ ذَهَبٍ لابْتَغَى لَهُمَا ثَالِثًا وَلاَ يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إلاَّ التُّرَابُ وَيَتُوبُ الله عَلَى مَنْ تَابَ» (١)، وعن أبي واقد الليثي: قال: كان رسول الله ﷺ إذا أوحى إليه أتيناه يعلمنا مما أوحي إليه، فجئته ذات يوم فقال: «إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: إنَّا أَنْزَلْنَا المَالَ لإقامِ الصَّلاةِ وَإيتاءِ الزَّكاةِ، وَلَوْ كَانَ لابْنِ آدَمَ وَادٍ مِنْ ذَهَبٍ لأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ ثانٍ وَلَوْ كَانَ لَهُ الثَّانِي لأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُمَا ثَالِثٌ وَلاَ يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إلاَّ التُّرَابُ وَيَتُوبُ الله عَلَى مَنْ تَابَ» (٢).

وقال أبو موسى الأشعري: نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها: إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى واديًا ثالثًا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» (٣). وقال ﷺ: «مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعَانِ: مَنْهُومُ العِلْمِ وَمَنْهُومُ المَالِ» (٤)، وقال ﷺ: «يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَيَشُبُّ مَعَهُ اثْنَتَانِ: الأَمَلُ وَحُبُّ المَالِ» أو كما قال (٥).

ولما كانت هذه جبلة للآدمي مضلة وغريزة مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله على القناعة، فقال ﷺ: «طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ لِلإسْلامِ وَكانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنِعَ بِهِ» (٦)، وقال ﷺ: «ما مِنْ أَحَدٍ فَقِيرٍ وَلاَ غَنِيَ إلاَّ وَدَّ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنَّهُ كَانَ أُوتِيَ قُوتًا فِي الدُّنْيَا» (٧)، وقال ﷺ: «لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ

---

(١) صحيح: حديث «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا .. الحديث». متفق عليه من حديث ابن عباس وأنس [البخاري: ٦٤٣٦، ٦٤٣٩، مسلم: ١٠٤٩، ١٠٤٨ على الترتيب].

(٢) صحيح: حديث أبي واقد الليثي «إن الله عز وجل يقول: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة .. الحديث». أخرجه أحمد والبيهقي في الشعب بسند صحيح، [انظر صحيح الجامع: ١٧٨١، الصحيحة: ١٦٣٩].

(٣) صحيح دون قوله: إن الله يؤيد هذا . . . لهم»: حديث أبي موسى: نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها «إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم لو أن لابن آدم واديين من مال .. الحديث». أخرجه مسلم مع اختلاف دون قوله «إن الله يؤيد هذا الدين»[مسلم: ١٠٤٨، من قوله: «لو أن لابن آدم . . . إلخ»] ورواه بهذه الزيادة الطبراني وفيه علي ابن زيد متكلم فيه [انظر الصحيحة: ٢٩١٢].

(٤) صحيح: حديث «منهومان لا يشبعان .. الحديث». أخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود بسند ضعيف [انظر صحيح الجامع: ٦٦٢٤، المشكاة: ٢٦٠].

(٥) صحيح: حديث «يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان .. الحديث». متفق عليه من حديث أنس [البخاري: ٦٤٢١، مسلم: ١٠٤٧].

(٦) صحيح: حديث «طوبى لمن هدي للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به». أخرجه الترمذي وصححه والنسائي في الكبرى من حديث فضالة بن عبيد [الترمذي: ٢٣٤٩، انظر صحيح الجامع: ٣٩٣١، صحيح الترغيب: ٨٣٠]، ولمسلم من حديث عبد الله بن عمر «وقد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنّعهُ الله بما آتاه» [مسلم: ١٠٥٤].

(٧) ضعيف جدًا: حديث «ما من أحد غني ولا فقير إلا ود يوم القيامة إنه كان أوتي في الدنيا قوتا». أخرجه ابن ماجه من رواية نفيع بن الحارث عن أنس، ونفيع ضعيف [ابن ماجه: ٤١٤٠، انظر ضعيف الجامع: ٥١٤٧، ضعيف الترغيب: ١٨٨١، الضعيفة: ٤٨٦٩].

العَرَضِ إِنَّمَا الغِنَى غِنَى النَّفْسِ»[(١)]، ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال: «أَيُّها النَّاسُ أَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِعَبْدٍ إلاَّ ما كُتِبَ لَهُ وَلَنْ يَذْهَبَ عَبْدٌ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيهِ ما كُتِبَ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»[(٢)].

وروي أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال: أي عبادك أغنى؟ قال: أقنعهم مما أعطيته، قال: فأيهم أعدل؟ قال: من أنصف من نفسه. وقال ابن مسعود: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا فَاتَّقُوا الله وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ»[(٣)]. وقال أبو هريرة: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أَبَا هُرَيْرَةَ إذا اشْتَدَّ بِكَ الجُوعُ فَعَلَيْكَ بِرَغِيفٍ وَكُوزٍ مِنْ مَاءٍ وَعَلَى الدُّنْيَا الدَّمَارُ» وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنِعًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ ما تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا»[(٤)]، ونهى رسول الله ﷺ عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الأنصاري: أَنَّ أعرابيًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله عظني وأوجز فقال: «إذا صَلَّيْتَ فَصَلِّ صَلاةَ مُوَدِّعٍ وَلا تَحَدَّثَنَّ بِحَدِيثٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ غَدًا، وَأَجْمِعِ اليَأْسَ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ»[(٥)]، وقال عوف بن مالك الأشجعي: كنا عند رسول الله ﷺ، تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال: «أَلا تُبَايِعُونَ رَسُولَ الله» قلنا: أو ليس قد بايعناك يا رسول الله؟ ثم قال: «أَلا تُبَايِعُونَ رَسُولَ الله» فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا: قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك؟ قال: «أَنْ تَعْبُدُوا الله وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَتُصَلُّوا الخَمْسَ، وَأَنْ تَسْمَعُوا وَتُطِيعُوا» وأسر كلمة خفية «ولا تسألوا الناس شيئًا»[(٦)]، قال: فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحدًا أن يناوله إياه.

الآثار: قال عمر رضي الله عنه: إنّ الطمع فقر وإنّ اليأس غنى وإنه من ييأس عما في أيدي

---

(١) صحيح: حديث «ليس الغنى عن كثرة العرض، وإنما الغنى غنى النفس». متفق عليه من حديث أبي هريرة [البخاري: ٦٤٤٦، مسلم: ١٠٥١].

(٢) صحيح: حديث «ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له». أخرجه الحاكم من حديث جابر بنحوه وصحح إسناده، وقد تقدم في آداب الكسب والمعاش [انظر صحيح الجامع: ١٥٧، صحيح الترغيب: ١٦٩٩، الصحيحة: ٨٩٨].

(٣) صحيح: حديث ابن مسعود «إن روح القدس نفث في روعي إن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها .. الحديث». أخرجه ابن أبي الدنيا في القناعة والحاكم مع اختلاف وقد تقدم فيه، [انظر صحيح الجامع: ٢٠٨٥، صحيح الترغيب: ١٧٠٠، الصحيحة: ٢٨٦٦].

(٤) صحيح: حديث أبي هريرة «كن ورعا تكن أعبد الناس .. الحديث». أخرجه ابن ماجه وقد تقدم [ابن ماجه: ٤٢١٧، انظر صحيح الجامع: ٤٥٨٠، صحيح الترغيب: ١٧٤١].

(٥) صحيح: حديث أبي أيوب «إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه وأجمع اليأس مما في أيدي الناس». أخرجه ابن ماجه وتقدم في الصلاة وللحاكم نحوه من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح الإسناد [انظر صحيح الجامع: ٧٤٢، الصحيحة: ٤٠١].

(٦) صحيح: حديث عوف بن مالك: كنا عند رسول الله ﷺ - سبعة أو ثمانية أو تسعة - فقال «ألا تبايعون .. الحديث» وفيه «ولا تسألوا الناس». أخرجه مسلم من حديثه ولم يقل: «فقال قائل» ولا قال: «تسمعوا». وقال: سوط أحدهم [مسلم: ١٠٤٣]. وهي عند أبي داود وابن ماجه كما ذكرها المصنف [أبو داود: ١٦٤٢، ابن ماجه: ٢٨٦٧، انظر صحيح الترغيب: ٨٠٩].

من جنس واحد، وربما كان يلبس بردين يمانيين أو سحوليين من هذه الغلاظ. وفي الخبر: كان قميص رسول الله ﷺ كأنه قميص زيات [(١)]. ولبس رسول الله ﷺ يومًا واحدًا ثوبًا سيراء من سندس قيمته مائتا درهم [(٢)] فكان أصحابه يلمسونه ويقولون يا رسول الله: أنزل عليك هذا من الجنة تعجبًا، وكان قد أهداه إليه المقوقس ملك الإسكندرية، فأراد أن يكرمه بلبسه، ثم نزعه وأرسل به إلى رجل من المشركين وصله به، ثم حرم لبس الحرير والديباج. وكأنه إنما لبسه أولًا تأكيدًا للتحريم، كما لبس خاتمًا من ذهب يومًا ثم نزعه [(٣)]، فحرم لبسه على الرجال، وكما قال لعائشة في شأن بريرة: «اشترطي لأهلها الولاء» [(٤)]، فلما اشترطته صعد عليه السلام المنبر فحرّمه، وكما أباح المتعة ثلاثًا ثم حرّمها لتأكيد أمر النكاح [(٥)] وقد صلى رسول الله ﷺ في خميصة لها علم، فلما سلم قال: شغلني النظر إلى هذه، اذهبوا بها إلى أبي جهم وائتوني بأنبجانيته [(٦)] يعني كساءه، فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم، وكان شراك نعله قد أخلق فأبدل بسير جديد فصلى فيه، فلما سلم قال: «أَعِيدُوا الشِّرَاكَ الخَلَقَ وَانْزَعُوا هذا الجَدِيدَ فَإِنِّي نَظَرْتُ إِلَيْهِ فِي الصَّلاَةِ» ولبس خاتمًا من ذهب ونظر إليه على المنبر نظرة فرمى به فقال: «شَغَلَنِي هذا عَنْكُمْ، نَظْرَةٌ إِلَيْهِ وَنَظْرَةٌ إِلَيْكُمْ» [(٧)]، وكان قد احتذى مرة

لبسه الحلة ففي الصحيحين من حديث البراء: رأيته في حلة حمراء [البخاري: ٥٨٤٨، ومسلم: ٢٣٣٧]. ولأبي داود من حديث ابن عباس حين خرج إلى الحرورية وعليه أحسن ما يكون من حلل اليمن وقال: «رأيت على رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحلل» [أبو داود: ٤٠٣٧، وحسنه الألباني]. وفي الصحيحين من حديث عائشة: «أنه ﷺ قبض في ثوبين أحدهما إزار غليظ مما يصنع باليمن» [البخاري: ٣١٠٨، ومسلم: ٢٠٨٠]، وتقدم في آداب المعيشة. ولأبي داود والترمذي والنسائي من حديث أبي رمثة: «وعليه بردان أخضران» [أبي داود: ٤٢٠٦، والترمذي: ٢٨١٢، والنسائي: ١٥٧٢، وانظر صحيح أبي داود]، سكت عليه أبو داود واستغربه الترمذي. وللبزار من حديث قدامة الكلابي: «وعليه حلة حبرة» [قال سفيان - أحد الرواة X نراه حبرة] وفيه عريف بن إبراهيم لا يعرف، قاله الذهبي.

(١) **ضعيف**: حديث: كان قميصه كأنه قميص زيات. أخرجه الترمذي من حديث أنس بسند ضعيف: كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته حتى كأن ثوبه ثوب زيات. [انظر الشمائل: ٢٦، وضعفه الألباني].

(٢) حديث: لبس يوما واحدا ثوبا سيراء من سندس قيمته مائتا درهم أهداه له المقوقس ثم نزعه. [مسلم: ٢٠٧٠ عن جابر، وفيه «أرسل به إلى عمر... وقال: نهاني عنه جبريل..... فباعه عمر بألفي درهم»، ولم أقف على إرساله لرجل من المشركين].

(٣) **صحيح**: حديث: لبس يوما خاتما من ذهب ثم نزعه. متفق عليه وقد تقدم. [البخاري: ٦٦٥١، ومسلم: ٢٠٩١ عن ابن عمر].

(٤) **صحيح**: حديث قال لعائشة في شأن بريرة «اشترطي لأهلها الولاء». متفق عليه من حديثها. [البخاري: ٢١٦٨، ومسلم: ١٥٠٤].

(٥) **صحيح**: حديث: أباح المتعة ثلاثا ثم حرمها. أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع. [مسلم: ١٤٠٥].

(٦) **صحيح**: حديث: صلى رسول الله ﷺ في خميصة لها علم. متفق عليه، وقد تقدم في الصلاة. [البخاري: ٣٧٣، ومسلم: ٥٥٦ عن عائشة].

(٧) **صحيح**: حديث: لبس خاتما فنظر إليه على المنبر فرمى به وقال «شغلني هذا عنكم، نظرة إليه ونظرة إليكم». تقدم. [النسائي: ٥٢٨٩، وانظر السلسلة الصحيحة: ١١٩٢].

نعلين جديدين؛ فأعجبه حسنهما، فخر ساجدًا وقال: «أَعْجَبَنِي حُسْنُهُمَا فَتَوَاضَعْتُ لِرَبِّي خَشْيَةَ أَنْ يَمْقُتَنِي» ثم خرج بهما فدفعهما إلى أول مسكين رآه (١).

وعن سنان بن سعد قال: حيكت لرسول الله ﷺ جبة من صوف أنمار وجعلت حاشيتها سوداء فلما لبسها قال: «انْظُرُوا مَا أَحْسَنَهَا ومَا أَلْيَنَهَا» قال: فقام إليه أعرابي فقال يا رسول الله هبها لي، وكان رسول الله إذا سئل شيئًا لم يبخل به، قال: فدفعها إليه وأمر أن يحاك له واحدة أخرى، فمات وهي في المحاكة (٢).

وعن جابر قال دخل رسول الله ﷺ على فاطمة رضي الله تعالى عنها وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الإبل، فلما نظر إليها بكى وقال: «يا فَاطِمَةُ؛ تَجَرَّعِي مَرَارَةَ الدُّنْيَا لِنَعِيمِ الأَبَدِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥] (٣) وقال ﷺ «إِنَّ مِنْ خِيَارِ أُمَّتِي فِيمَا أَنْبَأَنِي المَلأُ الأَعْلَى قَوْمًا يَضْحَكُونَ جَهْرًا مِنْ سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَبْكُونَ سِرًّا مِنْ خَوْفِ عَذَابِهِ، مُؤْنَتُهُمْ عَلَى النَّاسِ خَفِيفَةٌ وَعَلَى أَنْفُسِهِمْ ثَقِيلَةٌ يَلْبَسُونَ الخُلْقَانَ وَيَتَّبِعُونَ الرُّهْبَانَ؛ أَجْسَامُهُمْ فِي الأَرْضِ وَأَفْئِدَتُهُمْ عِنْدَ العَرْشِ (٤)، فهذه كانت سيرة رسول الله ﷺ في الملابس وقد أوصى أمته عامة باتباعه، إذ قال: «مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيَسْتَنَّ بِسُنَّتِي» (٥)، وقال ﷺ «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ» (٦).

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وأوصى رسول الله ﷺ عائشة رضي الله عنها خاصة وقال: «إِنْ أَرَدْتِ اللُّحُوقَ بِي فَإِيَّاكِ وَمُجَالَسَةَ الأَغْنِيَاءِ وَلا تَنْزَعِي ثَوْبًا حَتَّى تَرْقَعِيهِ» (٧) وعدّ على قميص عمر رضي الله عنه اثنتا عشرة رقعة بعضها من أدم. واشترى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ثوبًا بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلافة

---

(١) حديث: احتذى نعلين جديدين فأعجبه حسنهما ثم خرج بهما فدفعهما إلى أول مسكين رآه. تقدم.

(٢) حديث سنان بن سعد: حيكت لرسول الله ﷺ جبة صوف من صوف أنمار». رواه أبو داود الطيالسي والطبراني من حديث سهل بن سعد دون قوله: وأمر أن يحاك له أخرى، فهي عند الطبراني فقط، وفيه زمعة بن صالح ضعيف، ويقع في كثير من نسخ الإحياء: سيار بن سعد وهو غلط.

(٣) حديث جابر: دخل ﷺ على فاطمة وهي تطحن بالرحى. أخرجه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق بإسناد ضعيف.

(٤) حديث إن من خيار أمتي فيما آتاني العلى الأعلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله تعالى، ويبكون سرا من خوف عذابه. تقدم، وهو عند الحاكم والبيهقي في الشعب وضعفه.

(٥) **ضعيف**: حديث «من أحبني فليستن بسنتي». تقدم في النكاح. [انظر السلسلة الضعيفة: ٢٥٠٩].

(٦) **صحيح**: حديث «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ». رواه أبو داود والترمذي وصححه، وابن ماجه من حديث العرباض بن سارية. [أبو داود: ٤٦٠٧، والترمذي: ٢٦٧٦، وابن ماجه: ٤٢، وانظر صحيح الترغيب: ٣٧].

(٧) **ضعيف جداً** حديث قال لعائشة «إن أردت اللحوق بي فإياك ومجالسة الأغنياء». أخرجه الترمذي وقال غريب، والحاكم وصححه من حديث عائشة، وقد تقدم. [الترمذي: ١٧٨٠، وانظر ضعيف الترغيب: ١٨٧٨].

الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مدّة التمتع وتوقع الزوال. وقال عبد الواحد بن زيد: مررت براهب فقلت له: من أين تأكل؟ قال: من بيدر اللطيف الخبير، الذي خلق الرحا يأتيها بالطحين، وأومأ بيده إلى رحا أضراسه ، فسبحان القدير الخبير.

بيان علاج الحرص والطمع، والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة

اعلم أنّ هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان: الصبر والعلم والعمل، ومجموع ذلك خمسة أمور:

الأول : وهو العمل؛ الاقتصاد في المعيشة والرفق في الإنفاق، فمن أراد عز القناعة فينبغي أن يسدّ عن نفسه أبواب الخروج ما أمكنه ويردّ نفسه إلا ما لا بدّ منه، فمن كثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة، بل إن كان وحده فينبغي أن يقنع بثوب واحد خشن، ويقنع بأي طعام كان؛ ويقلل من الإدام ما أمكنه، ويوطن نفسه عليه وإن كان له عيال فيردّ كل واحد إلى هذا القدر؛ فإن هذا القدر يتيسر بأدنى جهد. ويمكن معه الإجمال في الطلب والاقتصاد في المعيشة وهو الأصل في القناعة؛ ونعني به الرفق في الإنفاق وترك الخرق فيه، قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ» (١)، وقال ﷺ: «ما عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ» (٢)، وقال ﷺ: «ثَلاثٌ مُنْجِيَاتٌ؛ خَشْيَةُ الله فِي السِّرِّ وَالعَلاَنِيَةِ، وَالقَصْدُ فِي الغِنَى والفَقْرِ، وَالعَدْلُ فِي الرِّضَا وَالغَضَبِ» (٣)، وروي أن رجلاً أبصر أبا الدرداء يلتقط حبًا من الأرض وهو يقول: إن من فقهك رفقك في معيشتك. وقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: قال النبيّ ﷺ: «الاقْتِصَادُ وَحُسْنُ السَّمْتِ وَالهَدْيُ الصَّالِحُ جُزْءٌ مِنْ بِضْعٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ» (٤).

وفي الخبر: «التَّدْبِيرُ نِصْفُ المَعِيشَةِ» (٥)، وقال ﷺ: «مَنِ اقْتَصَدَ أَغْنَاهُ الله، وَمَنْ بَذَّرَ أَفْقَرَهُ الله، وَمَنْ ذَكَرَ الله عَزَّ وَجَلَّ أَحَبَّهُ الله» (٦)، وقال ﷺ: «إذا أَرَدْتَ أَمْرًا فَعَلَيْكَ بِالتُّؤَدَةِ حَتَّى يَجْعَلَ

---

(١) صحيح : حديث «إن الله يحب الرفق في الأمر كله». متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم [البخاري: ٦٠٢٤، مسلم: ٢١٦٥].

(٢) ضعيف : حديث «ما عال من اقتصد». أخرجه أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود ورواه من حديث ابن عباس بلفظ »مقتصد« [انظر ضعيف الجامع: ٥١٠٠، ٥١٠١، الضعيفة: ٤٤٥٩].

(٣) حسن : حديث «ثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب». أخرجه البزار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف [انظر صحيح الجامع: ٣٠٣٩، صحيح الترغيب: ٤٥٣، الصحيحة: ١٨٠٢].

(٤) حسن : حديث ابن عباس «الاقتصاد وحسن السمت والهدى الصالح». أخرجه أبو داود من حديث ابن عباس مع تقديم وتأخير وقال «السمت الصالح» وقال «من خمسة وعشرين» [أبو داود: ٤٧٧٦، انظر صحيح الجامع: ١٩٩٣] ورواه الترمذي وحسنه من حديث عبد الله بن سرجس وقال «التؤدة» بدل «الهدى الصالح» وقال «من أربعة» [الترمذي: ٢٠١٠، انظر صحيح الجامع: ٣٦٩٢، صحيح الترغيب: ١٦٩٦].

(٥) موضوع : حديث «التدبير نصف المعيشة». رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس، وفيه خلاد بن عيسى، جهله العقيلي، ووثقه ابن معين [انظر ضعيف الجامع: ٢٢٨٦، والضعيفة: ١٥٧].

(٦) ضعيف : حديث «من اقتصد أغناه الله .. الحديث». أخرجه البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله

الله لَكَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا» (١) والتؤدة في الإنفاق من أهم الأمور.

الثاني أنه إذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب لأجل المستقبل، ويعينه على ذلك قصر الأمل، والتحقق بأن الرزق الذي قدّر له فلا بدّ وأن يأتيه وإن لم يشتد حرصه، فإن شدّة الحرص ليست هي السبب لوصول الأرزاق، بل ينبغي أن يكون واثقًا بوعد الله تعالى إذ قال عز وجل: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] وذلك لأن الشيطان يعده الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول: إن لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج إلى احتمال الذل في السؤال، فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفًا من الفقر، ويضحك عليه في احتماله التعب نقدا مع الغفلة عن الله لتوهم تعب في ثاني الحال وربما لا يكون.

وفي مثله قيل:

مَنْ ينفقِ السَّاعات في جمع ... مالهِ مخافة فقرٍ فالذي فعل الفقر

وقد دخل ابنا خالد على رسول الله ﷺ فقال لهما: «لا تَيْأَسا مِنَ الرِّزْقِ ما تَهَزْهَزَتْ رُؤُوسُكُمَا فَإِنَّ الإِنْسَانَ تَلِدُهُ أُمُّهُ أَحْمَرَ لَيْسَ عَلَيْهِ قِشْرٌ ثُمَّ يَرْزُقُهُ الله تَعَالَى» (٢) ومرّ رسول الله ﷺ بابن مسعود وهو حزين فقال له: «لا تُكْثِرْ هَمَّكَ ما قُدِّرَ يَكُنْ وَمَا تُرْزَقْ يَأْتِكَ» (٣) وقال ﷺ «أَلا أَيُّها النَّاسُ أَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِعَبْدٍ إلاّ ما كُتِبَ لَهُ وَلَنْ يَذْهَبَ عَبْدٌ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَهُ ما كُتِبَ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ» (٤) ولا ينفك الإنسان عن الحرص إلا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى في تقدير أرزاق العباد، وأن ذلك يحصل لا محالة مع الإجمال في الطلب، بل ينبغي أن يعلم أن رزق الله للعبد من حيث لا يحتسب أكثر. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣] فإذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي أن يضطرب قلبه لأجله، وقال ﷺ «أَبَى الله أَنْ يَرْزُقَ عَبْدَهُ المُؤْمِنَ إلاّ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ» (٥) وقال سفيان: اتق الله فما رأيت تقيًا محتاجًا. أي لا يترك التقي فاقدًا

«ومن ذكر الله أحبه الله» وشيخه فيه عمران بن هارون البصري قال الذهبي: شيخ لا يعرف حاله أتى بخبر منكر أي هذا الحديث، ولأحمد وأبي يعلى في حديث لأبي سعيد «ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله».

(١) ضعيف: حديث «إذا أردت أمرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله فيه فرجا ومخرجا». رواه ابن المبارك في البر والصلة وقد تقدم [انظر ضعيف الجامع: ٣٤٨، الضعيفة: ٢٣٠٧].

(٢) ضعيف: حديث «لا تيأسا من الرزق ما تهززت رؤوسكما .. الحديث». رواه ابن ماجه من حديث: حَبَّة وسَوَاءِ ابني خالد، وقد تقدم [ابن ماجه: ٤١٦٥، انظر ضعيف الجامع: ٦٢٨١، ضعيف ابن ماجه].

(٣) ضعيف: حديث «لا تكثر همك ما قدر يكن وما ترزق يأتك». قاله لابن مسعود أخرجه أبو نعيم من حديث خالد بن رافع وقد اختلف في صحبته ورواه الأصفهاني في الترغيب والترهيب من رواية مالك بن عمرو المغافري مرسلا [انظر ضعيف الجامع: ٦٢٦٤].

(٤) صحيح: حديث «ألا أيها الناس أجملوا في الطلب .. الحديث». تقدم قبل هذا بثلاثة عشر حديثا [انظر صحيح الجامع: ٢٧٤٢، ١٥٧، صحيح الترغيب: ١٦٩٩].

(٥) ضعيف: حديث «أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب». أخرجه ابن حبان في الضعفاء

في المسكن؛ فاختلاف جنس البناء بأن يكون من الجص أو القصب أو بالطين أو بالآجر، واختلاف قدره بالسعة والضيق، واختلاف طوله بالإضافة إلى الأوقات بأن يكون مملوكًا أو مستأجرًا أو مستعارًا، والزهد مدخل في جميع ذلك. وبالجملة كل ما يراد للضرورة فلا ينبغي أن يجاوز حدّ الضرورة، وقدر الضرورة من الدنيا آلة الدين ووسيلته، وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من المسكن دفع المطر والبرد ودفع الأعين والأذى، وأقل الدرجات فيه معلوم، وما زاد عليه فهو الفضول والفضول كله من الدنيا وطالب الفضول والساعي له بعيد من الزهد جدًّا، وقد قيل: أوّل شيء ظهر من طول الأمل بعد رسول الله ﷺ التدريز والتشييد، يعني بالتدريز: كف دروز الثياب فإنها كانت تشل شلًا والتشييد: هو البنيان بالجص والآجر، وإنما كانوا يبنون بالسعف والجريد(١) .

وقد جاء في الخبر : «يأتي على الناس زمان يوشون ثيابهم كما توشى البرود اليمانية» وأمر رسول الله ﷺ العباس أن يهدم علية كان قد علا بها(٢) . ومرَّ عليه السلام بجنبذة معلاة فقال: «لمن هذه؟» قالوا لفلان، فلما جاءه الرجل أعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسأل الرجل أصحابه عن تغيير وجهه فأخبر، فذهب فهدمها؛ فمر رسول الله ﷺ بالموضع فلم يرها. فأخبر بأنه هدمها فدعا له بخير(٣) .

وقال الحسن : مات رسول الله ﷺ ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة(٤) . وقال النبي ﷺ: «إِذا أَرَادَ اللَّهِ بِعَبْدٍ شَرًّا أَهْلَكَ مَالَهُ فِي المَاءِ وَالطِّينِ(٥) ، وقال عبد الله بن

---

(١) حديث: كانت الثياب تشل شلا، وكانوا يبنون بالسعف والجريد أماشل الثياب من غير كف. فروى الطبراني والحاكم: «أن عمر قطع ما فضل عن الأصابع من غير كف وقال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ». وأما البناء ففي الصحيحين من حديث أنس في قصة بناء مسجد المدينة: «فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه الحجارة... الحديث» [البخاري: ١٨٦٨، ومسلم: ٥٢٤]، ولهما من حديث أبي سعيد: «كان المسجد على عريش فوكف المسجد» [البخاري: ٢٠٢٧، ومسلم: ١١٦٧، وكف: سال من سقفه المطر].

(٢) **ضعيف مرسل** : حديث: أمر رسول الله ﷺ العباس أن يهدم علية له كان قد علاها. رواه الطبراني من رواية أبي العالية أن العباس بنى غرفة فقال له النبي ﷺ «اهدمها... الحديث» وهو منقطع. [انظر ضعيف الترغيب: ١١٧٧].

(٣) **حسن صحيح** : حديث: مر بجنبذة معلاة فقال «لمن هذه؟» قالوا: لفلان، فلما جاءه الرجل أعرض عنه. أخرجه أبو داود من حديث أنس بإسناد جيد بلفظ: فرأى قبة مشرفة الحديث، والجنبذة القبة. [أبو داود: ٥٢٣٧، وانظر صحيح الترغيب: ١٨٧٤]. (بجنبذة معلاة: قبة مرتفعة)

(٤) **ضعيف** : حديث الحسن: مات رسول الله ﷺ ولم يضع لبنة على لبنة. رواه ابن حبان في الثقات، وأبو نعيم في الحلية هكذا مرسلا. وللطبراني في الأوسط من حديث عائشة «من سأل عني أو سره أن ينظر إلي فلينظر إلى أشعث شاحب مشمر لم يضع لبنة على لبنة... الحديث» وإسناده ضعيف. [انظر ضعيف الترغيب: ١٨٩٦ عن عائشة].

(٥) **ضعيف** : حديث «إذا أراد الله بعبد شرا أهلك ماله في الماء والطين». رواه أبو داود من حديث عائشة بإسناد جيد «خضر له في الطين واللبن حتى يبني». [انظر ضعيف الجامع: ٣٣٦ عن جابر، قلت: ولم أره عند أبي داود ولا عن عائشة].

عمر: مرَّ علينا رسول الله ﷺ ونحن نعالج خصًّا، فقال: «ما هذا؟» قلنا خص لنا قد وهى فقال: «أَرَى الأَمْرَ أَعْجَلُ مِنْ ذلِكَ» (١)، واتخذ نوح عليه السلام بيتًا من قصب، فقيل له: لو بنيت؟ فقال: هذا كثير لمن يموت.

وقال الحسن: دخلنا على صفوان بن محيريز وهو في بيت من قصب قد مال عليه، فقيل له: لو أصلحته؟ فقال: كم من رجل قد مات وهذا قائم على حاله.

وقال النبي ﷺ: «مَنْ بَنَى فَوْقَ ما يَكْفِيهِ كُلِّفَ أَنْ يَحْمِلَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ» (٢)، وفي الخبر: «كُلُّ نَفَقَةٍ لِلْعَبْدِ يُؤْجَرُ عَلَيْهَا إلاَّ مَا أَنْفَقَهُ فِي المَاءِ وَالطِّينِ» (٣)، وفي قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص :٨٣] إنه الرئاسة والتطاول في البنيان.

وقال ﷺ: «كُلُّ بِنَاءٍ وَبَالٌ عَلَى صَاحِبِهِ يَوْمَ القِيامَةِ إلاَّ مَا أَكَنَّ مِنْ حَرٍّ أَوْ بَرْدٍ» (٤)، وقال ﷺ للرجل الذي شكا إليه ضيق منزله: «اتَّسِعْ فِي السَّمَاءِ» (٥)، أي في الجنة، ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام إلى صرح قد بني بجص وآجر، فكبَّر وقال: ما كنت أظنّ أن يكون في هذه الأمة من يبني بنيان هامان لفرعون؛ يعني قول فرعون ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ [القصص :٣٨] يعني به الآجر، ويقال: إنّ فرعون هو أوّل من بني له بالجص والآجر، وأوّل من عمله هامان، ثم تبعهما الجبابرة، وهذا هو الزخرف، ورأى بعض السلف جامعًا في بعض الأمصار فقال: أدركت هذا المسجد مبنيًا من الجريد والسعف، ثم رأيته مبنيًّا من رهص، ثم رأيته الآن مبنيًا باللبن، فكان أصحاب السعف خيرًا من أصحاب الرهص، وكان أصحاب الرهص خيرًا من أصحاب اللبن.

وكان في السلف من يبني داره مرارًا في مدة عمره لضعف بنائه وقصر أمله وزهده في إحكام البنيان، وكان منهم من إذا حج أو غزا نزع بيته أو وهبه لجيرانه، فإذا رجع أعاده، وكانت بيوتهم من الحشيش والجلود وهي عادة العرب الآن ببلاد اليمن، وكان ارتفاع بناء

---

(١) صحيح: حديث عبد الله بن عمر: مر علينا رسول الله ﷺ ونحن نعالج خصا لنا قد وهى». رواه أبو داود والترمذي وصححه ابن ماجه. [أبو داود: ٥٢٣٦، والترمذي: ٢٣٣٥، وابن ماجه: ٤١٦٠، وانظر صحيح أبي داود].

(٢) ضعيف جداً: حديث «من بنى فوق ما يكفيه كلف يوم القيامة أن يحمله». رواه الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد فيه لين وانقطاع. [انظر ضعيف الترغيب: ١١٧٦].

(٣) صحيح: حديث «كل نفقة العبد يؤجر عليهم إلا ما أنفقه في الماء والطين». رواه ابن ماجه من حديث خباب بن الأرت بإسناد جيد بلفظ: إلا في التراب أو قال في البناء. [ابن ماجه: ٤١٦٣، وانظر صحيح الجامع: ٤٥٦٦].

(٤) حسن صحيح: حديث «كل بناء وبال على صاحبه إلا ما أكن من حر أو برد». رواه أبو داود من حديث أنس بإسناد جيد بلفظ «إلا ما لا» يعني ما لا بد منه. [أبو داود: ٥٢٣٧، وانظر صحيح الترغيب: ١٨٧٤].

(٥) حديث قال للرجل الذي شكى إليه ضيق منزله «اتسع في السماء» قال المصنف: أي في الجنة. رواه أبو داود في المراسيل من اليسع بن المغيرة قال: شكى خالد بن الوليد فذكره، وقد وصله الطبراني فقال عن اليسع بن المغيرة عن أبيه عن خالد بن الوليد، إلا أنه قال: ارفع إلى السماء واسأل الله السعة، وفي إسناده لين.

السقف قامة وبسطة. قال الحسن: كنت إذا دخلت بيوت رسول الله ﷺ ضربت بيدي إلى السقف. وقال عمرو بن دينار: إذا أعلى العبد البناء فوق ستة أذرع ناداه ملك: إلى أين يا أفسق الفاسقين؟ وقد نهى سفيان عن النظر إلى بناء مشيد وقال: لولا نظر الناس لما شيدوا فالنظر إليه معين عليه. وقال الفضيل: إني لم أعجب ممن بنى وترك، ولكني أعجب ممن نظر إليه ولم يعتبر. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: يأتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين، يصلون إلى قبلتكم ويموتون على غير دينكم.

المهم الرابع: أثاث البيت، وللزهد فيه أيضًا درجات:

أعلاها: حال عيسى المسيح صلوات الله عليه وسلامه وعلى كل عبد مصطفى، إذ كان لا يصحبه إلا مشط وكوز فرأى إنسانًا يمشط لحيته بأصابعه، فرمى بالمشط، ورأى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى بالكوز، وهذا حكم كل أثاث، فإنه إنما يراد لمقصود، فإذا استغنى عنه فهو وبال في الدنيا والآخرة. وما لا يستغنى عنه فيقتصر فيه على أقل الدرجات وهو الخزف في كل ما يكفي فيه الخزف ولا يبالي بأن يكون مكسور الطرف إذا كان المقصود يحصل به.

وأوسطها: أن يكون له أثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد، كالذي معه قصعة يأكل فيها ويشرب فيها ويحفظ المتاع فيها، وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة في أشياء للتخفيف.

وأعلاها: أن يكون له بعدد كل حاجة آلة من الجنس النازل الخسيس، فإن زاد في العدد أو في نفاسة الجنس خرج عن جميع أبواب الزهد وركن إلى طلب الفضول، ولينظر إلى سيرة رسول الله ﷺ وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فقد قالت عائشة رضي الله عنها: كان ضجاع رسول الله ﷺ الذي ينام عليه وسادة من أدم حشوها ليف [(١)]. وقال الفضيل: ما كان فراش رسول الله ﷺ إلا عباءة مثنية ووسادة من أدم حشوها ليف [(٢)].

وروي: أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على رسول الله ﷺ وهو نائم على سرير مرمول بشريط، فجلس، فرأى أثر الشريط في جنبه عليه السلام، فدمعت عينا عمر، فقال له النبي ﷺ: «مَا الَّذِي أَبْكَاكَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ؟» قال: ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من

---

(١) **صحيح**: حديث عائشة: كان ضِجَاعُ رسول الله ﷺ الذي ينام عليه وسادة من أدم حشوها ليف. رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح، وابن ماجه. [أبو داود: ٤١٤٧، والترمذي: ٢٤٦٩، وانظر صحيح أبي داود، والضجاع: الوسادة].

(٢) حديث: ما كان فراش رسول الله ﷺ إلا عباءة مثنية [انظر السلسلة الصحيحة: ٢٤٨٤ عن عائشة] ووسادة من أدم حشوها ليف [بنحو الحديث السابق]. رواه الترمذي في الشمائل من حديث حفصة بقصة العباءة، وقد تقدم، ومن حديث عائشة بقصة الوسادة وقد تقدم قبله بعض طرقه.

الملك، وذكرتك وأنت حبيب الله وصفيه ورسوله نائم على سرير مرمول بالشريط؟ فقال ﷺ: «أَمَا تَرْضَى يا عُمَرُ أَنْ تَكُونَ لَهُم الدُّنْيَا وَلَنَا الآخِرَةُ» قال: بلى يا رسول الله؟ قال: «فذلك كذلك» (١)، ودخل رجل على أبي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال: يا أبا ذر، ما أرى في بيتك متاعًا ولا غير ذلك من الأثاث فقال: إن لنا بيتًا نوجه إليه صالح متاعنا، فقال: إنه لا بدّ لك من متاع ما دمت هاهنا، فقال: إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه.

ولما قدم عمير بن سعيد أمير حمص على عمر رضي الله عنهما قال له: ما معك من الدنيا؟ فقال: معي عصاي أتوكأ عليها وأقتل بها حية إن لقيتها، ومعي جرابي أحمل فيه طعامي، ومعي قصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي وثوبي. ومعي مطهرتي أحمل فيها شرابي وطهوري للصلاة، فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي، فقال عمر: صدقت رحمك الله، وقدم رسول الله ﷺ من سفر فدخل على فاطمة رضي الله عنها فرأى على باب منزلها سترًا وفي يديها قلبين من فضة، فرجع، فدخل عليها أبو رافع وهي تبكي، فأخبرته برجوع رسول الله ﷺ فسأله أبو رافع فقال: «مِنْ أَجْلِ السِّتْرِ وَالسِّوَارَيْنِ» فأرسلت بهما بلالًا إلى رسول الله ﷺ، وقالت: قد تصدّقت بهما فضعهما حيث ترى، فقال ﷺ: «اذْهَبْ فَبِعْهُ وَادْفَعْهُ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ» فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدّق بهما عليهم، فدخل عليها فقال: «بِأَبِي أَنْتَ قَدْ أَحْسَنْتَ» (٢)، ورأى رسول الله ﷺ على باب عائشة سترًا فهتكه وقال: «كُلَّمَا رَأَيْتُهُ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا أَرْسِلِيهِ إِلَى آلِ فُلانٍ» (٣)، وفرشت له عائشة ذات ليلة فراشًا جديدًا وقد كان ينام على عباءة مثنية؛ فما زال يتقلب ليلته، فلما أصبح قال لها: «أَعِيدِي العَبَاءَةَ الخَلَقَةَ وَنَحِّي هذا الفِرَاشَ عَنِّي قَدْ أَسْهَرَنِي اللَّيْلَةَ» (٤)، وكذلك أتته دنانير خمسة أو ستة ليلًا فبيتها، فسهر ليلته

---

(١) حسن صحيح: حديث دخل عمر على رسول الله ﷺ وهو نائم على سرير مرمول بشريط النخل فجلس فرأى أثر الشريط في جنبه عليه السلام». متفق عليه من حديثه، وقد تقدم. [البخاري: ٢٤٦٨، ومسلم: ١٤٧٩ بنحوه، والأدب المفرد: ١١٦٣وللفظ له].

(٢) ضعيف: حديث: قدم من سفره فدخل على فاطمة فرأى على باب منزلها ستر وفي يديها قلبين من فضة فرجع». لم أره مجموعا ولأبي داود وابن ماجه من حديث سفينة بإسناد جيد: أنه ﷺ جاء فوضع يديه على عضادتي الباب فرأى القرام قد ضرب في ناحية البيت فرجع، فقالت فاطمة لعلي: أنظر فأرجعه... [أبي داود: ٣٧٥٥، وابن ماجه: ٣٣٦٠، وانظر صحيح أبي داود، وحسنه الألباني]. الحديث رواه النسائي من حديث ثوبان بإسناد جيد قال: جاءت ابنة هبيرة إلى النبي ﷺ وفي يدها فتخ من ذهب... الحديث. [النسائي: ٥١٤١، وانظر صحيح الترغيب: ٧٧١، قلت: والحديث بلفظ قريب عند أبي داود: ٤٢١٣ عن ثوبان، وانظر ضعيف أبي داود، وقال الألباني: ضعيف الإسناد منكر]. وفيه: أنه وجد في يد فاطمة سلسلة من ذهب. وفيه «يقول الناس فاطمة بنت محمد في يدها سلسلة من نار» وأنه خرج ولم يقعد، فأمرت بالسلسلة فبيعت فاشترت بثمنها عبدًا فأعتقه، فلما سمع قال «الحمد لله الذي نجى فاطمة من النار».

(٣) صحيح: حديث: رأى على باب عائشة سترا فهتكه. أخرجه الترمذي وحسنه، والنسائي في الكبرى من حديثها. [الترمذي: ٢٤٦٨، وانظر صحيح الترمذي].

(٤) صحيح: حديث: فرشت له عائشة ذات ليلة فراشا جديدا وقد كان ﷺ ينام على عباءة مثنية». رواه ابن

حتى أخرجه من آخر الليل. قالت عائشة رضي الله عنها: فنام حينئذ حتى سمعت غطيطه ثم قال: «مَا ظَنُّ مُحَمَّدٍ بِرَبِّهِ لَوْ لَقِيَ اللَّه وَهذِهِ عِنْدَهُ»(١) ، وقال الحسن: أدركت سبعين من الأخيار ما لأحدهم إلا ثوبه وما وضع أحدهم بينه وبين الأرض ثوبًا قط: كان إذا أراد النوم باشر الأرض بجسمه وجعل ثوبه فوقه.

المهم الخامس: المنكح، وقد قال قائلون: لا معنى للزهد في أصل النكاح ولا في كثرته، وإليه ذهب سهل بن عبد الله وقال: قد حبب إلى سيد الزاهدين النساء فكيف نزهد فيهن؟ ووافقه على هذا القول ابن عيينة وقال: كان أزهد الصحابة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان له أربع نسوة وبضع عشرة سرية.

والصحيح ما قاله أبو سليمان الداراني رحمه الله إذ قال: كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشئوم، والمرأة قد تكون شاغلًا عن الله.

وكشف الحق فيه: أنه قد تكون العزوبة أفضل في بعض الأحوال كما سبق في كتاب النكاح، فيكون ترك النكاح من الزهد، وحيث يكون النكاح أفضل لدفع الشهوة الغالبة فهو واجب، فكيف يكون تركه من الزهد وإن لم يكن عليه آفة في تركه ولا فعله ولكن ترك النكاح احترازًا عن ميل القلب إليهن والأنس بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله فترك ذلك من الزهد، فإن علم أن المرأة لا تشغله عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازًا من لذة النظر والمضاجعة والمواقعة فليس هذا من الزهد أصلًا، فإنّ الولد مقصود لبقاء نسله، وتكثير أمة محمد ﷺ من القربات، واللذة التي تلحق الإنسان فيما هو من ضرورة الوجود لا تضره، إذ لم تكن هي المقصد والمطلب، وهذا كمن ترك أكل الخبز وشرب الماء احترازًا من لذة الأكل والشرب وليس ذلك من الزهد في شيء؛ لأن في ترك ذلك فوات بدنه، فكذلك في ترك النكاح انقطاع نسله، فلا يجوز أن يترك النكاح زهدًا في لذته من غير خوف آفة أخرى، وهذا ما عناه سهل لا محالة، ولأجله نكح رسول الله ﷺ. وإذا ثبت هذا فمن حاله حال رسول الله ﷺ في أنه لا

حبان في كتاب أخلاق النبي ﷺ من حديثها قالت: دخلت علي امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله ﷺ عباءة مثنية فانطلقت فبعثت إلي بفراش حشوه صوف، فدخل علي رسول الله ﷺ فقال «ما هذا... الحديث» وفيه: أنه أمرها برده ثلاث مرات فردته، وفيه مجالد بن سعيد مختلف فيه، والمعروف حديث حفصة المتقدم ذكره من الشمائل. [انظر السلسلة الصحيحة: ٢٤٨٤].

(١) حديث: أتته دنانير خمسة أو ستة عشاء فبيتها، فسهر ليله وفيه «ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده». أخرجه أحمد من حديث عائشة بإسناد حسن أنه قال في مرضه الذي مات فيه «يا عائشة، ما فعلت بالذهب» [أحمد: ٢٣٧٠٢، وانظر السلسلة الصحيحة: ٢٦٥٣] فجاءت ما بين الخمسة إلى الثمانية إلى التسعة فجعل يقلبها بيده ويقول «ما ظن محمد... الحديث» وزاد «أنفقيها» وفي رواية: سبعة أو تسعة دنانير، وله من حديث أم سلمة بإسناد صحيح: «دخل على رسول الله ﷺ وهو شاهم الوجه، قالت: فحسبت ذلك من وجع، فقلت: يا نبي الله، ما لك شاهم الوجه؟ فقال «من أجل الدنانير السبعة التي أتتنا أمس أمسينا وهي في خصم الفراش» [أحمد: ٢٥٩٧٥، ٢٦١٣٢] وفي رواية «أمسينا ولم ننفقها».

يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب بإصلاحهن والإنفاق عليهن [١] فلا معنى لزهده فيهن حذرًا من مجرّد لذة الوقاع والنظر، ولكن أنى يتصوّر ذلك لغير الأنبياء والأولياء، فأكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان، فينبغي أن يترك الأصل إن كان يشغله، وإن لم يشغله وكان يخاف من أن تشغله الكثرة منهن أو جمال المرأة فلينكح واحدة غير جميلة وليراع قلبه في ذلك.

قال أبو سليمان: الزهد في النساء: أن يختار المرأة الدون أو اليتيمة على المرأة الجميلة والشريفة.

وقال الجنيد رحمه الله: أحب للمريد المبتدىء أن لا يشغل قلبه بثلاث وإلا تغير حاله: التكسب، وطلب الحديث والتزوّج. وقال: أحب للصوفي أن لا يكتب ولا يقرأ لأنه أجمع لهمه؛ فإذا ظهر أن لذة النكاح كلذة الأكل فما شغل عن الله فهو محذور فيهما جميعًا.

المهم السادس: ما يكون وسيلة إلى هذه الخمسة، وهو المال والجاه: أما الجاه فمعناه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل به إلى الاستعانة في الأغراض والأعمال، وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته وافتقر إلى من يخدمه افتقر إلى جاه لا محالة في قلب خادمه؛ لأنه إن لم يكن له عنده محل وقدر لم يقم بخدمته، وقيام القدر والمحل في القلوب هو الجاه؛ وهذا له أول قريب ولكن يتمادى به إلى هاوية لا عمق لها، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، وإنما يحتاج إلى المحل في القلوب إما لجلب نفع أو لدفع ضر أو لخلاص من ظلم، فأما النفع فيغني عنه المال فإن من يخدم بأجرة يخدم وإن لم يكن عنده للمستأجر قدر، وإنما يحتاج إلى الجاه في قلب من يخدم بغير أجرة، وأما دفع الضر فيحتاج لأجله إلى الجاه في بلد لا يكمل فيه العدل، أو يكون بين جيران يظلمونه ولا يقدر على دفع شرهم إلا بمحل له في قلوبهم أو محل له عند السلطان، وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لا سيما إذا انضم إليه الخوف وسوء الظن بالعواقب، والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك، بل حق الزاهد أن لا يسعى لطلب المحل في القلوب أصلًا فإن اشتغاله بالدين والعبادة يمهد له من المحل في القلوب ما يدفع به عند الأذى ولو كان بين الكفار، فكيف بين المسلمين، فأما التوهمات والتقديرات التي تحوج إلى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي أوهام كاذبة، إذ من طلب الجاه، أيضًا لم يخل عن أذى في بعض الأحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر أولى من علاجه بطلب الجاه فإذن طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه أصلًا، واليسير منه داع إلى الكثير، وضراوته أشد من ضراوة الخمر فليحترز من قليله وكثيره.

وأما المال فهو ضروري في المعيشة أعني القليل منه، فإن كان كسوبًا فإذا اكتسب حاجة يومه فينبغي أن يترك الكسب، كان بعضهم إذا اكتسب حبتين رفع سفطه وقام، هذا شرط

---

(١) حديث: كان لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب بإصلاحهن والإنفاق عليهن. تقدم في النكاح.

الزهد؛ فإن جاوز ذلك إلى ما يكفيه أكثر من سنة فقد خرج عن حدّ ضعفاء الزهاد وأقويائهم جميعًا، وإن كانت له ضيعة ولم يكن له قوّة يقين في التوكل فأمسك منها مقدار ما يكفي ريعه لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر عن الزهد بشرط أن يتصدّق بكل ما يفضل عن كفاية سنته، ولكن يكون من ضعفاء الزهاد، فإن شرط التوكل في الزهد كما شرطه أويس القرني رحمه الله، فلا يكون هذا من الزهاد.

وقولنا: إنه خرج من حدّ الزهاد نعني به أن ما وعد للزاهدين في الدار الآخرة من المقامات المحمودة لا يناله، وإلا فاسم الزهد قد لا يفارقه بالإضافة إلى ما زهد فيه من الفضول والكثرة، وأمر المنفرد في جميع ذلك أخف من أمر المعيل، وقد قال أبو سليمان: لا ينبغي أن يرهق الرجل أهله إلى الزهد بل يدعوهم إليه، فإن أجابوا وإلا تركهم وفعل بنفسه ما شاء: معناه أن التضييق المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه. كل ذلك في عياله، نعم لا ينبغي أن يجيبهم أيضًا فيما يخرج عن حدّ الاعتدال، وليتعلم من رسول الله ﷺ: إذ انصرف من بيت فاطمة رضوان الله عليها بسبب ستر وقلبين؛ لأنّ ذلك من الزينة لا من الحاجة، فإذًا ما يضطرّ الإنسان إليه من جاه ومال ليس بمحذور، بل الزائد على الحاجة سم قاتل، والمقتصر عن الضرورة دواء نافع، وما بينهما درجات متشابهة، فما يقرب من الزيادة وإن لم يكن سمًّا قاتلًا فهو مضر، وما يقرب من الضرورة فهو وإن لم يكن دواء نافعًا لكنه قليل الضرر والسم محظور شربه، والدواء فرض تناوله، وما بينهما مشتبه أمره، فمن احتاط فإنما يحتاط لنفسه، ومن تساهل فإنما يتساهل على نفسه، ومن استبرأ لدينه وترك ما يريبه إلى ما لا يريبه ورد نفسه إلى مضيق الضرورة فهو الآخذ بالحزم، وهو من الفرق الناجية لا محالة. والمقتصر على قدر الضرورة والمهم لا يجوز أن ينسب إلى الدنيا، بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لأنه شرط الدين والشرط من جملة المشروط.

ويدل عليه ما روي أنّ إبراهيم الخليل عليه السلام أصابته حاجة فذهب إلى صديق له يستقرضه شيئًا فلم يقرضه، فرجع مهمومًا، فأوحى الله تعالى إليه: لو سألت خليلك لأعطاك، فقال: يا رب عرفت مقتك للدنيا فخفت أن أسألك منها شيئًا، فأوحى الله تعالى إليه: ليس الحاجة من الدنيا. فإذن قدر الحاجة من الدين، وما وراء ذلك وبال في الآخرة، وهو في الدنيا أيضًا كذلك يعرفه من يخبر أحوال الأغنياء وما عليهم من المحنة في كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال الذل فيه، وغاية سعادته به أن يسلم لورثته فيأكلونه، وربما يكونون أعداء له، وقد يستعينون به على المعصية فيكون هو معينًا لهم عليها، ولذلك شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز لا يزال ينسج على نفسه حيًّا ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصًا فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه، فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فإنما يحكم على قلبه بسلاسل تقيده بما يشتهيه حتى تتظاهر عليه السلاسل فيقيده المال والجاه والأهل والولد

وشماتة الأعداء ومراءاة الأصدقاء وسائر حظوظ الدنيا، فلو خطر له أنه قد أخطأ فيه فقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيدًا بسلاسل وأغلال لا يقدر على قطعها، ولو ترك محبوبًا من محابه باختياره كاد أن يكون قاتلًا لنفسه وساعيًا في هلاكه إلى أن يفرق ملك الموت بينه وبين جميعها دفعة واحدة. فتبقى السلاسل في قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها فهي تجاذبه إلى الدنيا، ومخالب ملك الموت قد علقت بعروق قلبه تجذبه إلى الآخرة، فيكون أهون أحواله عند الموت أن يكون كشخص ينشر بالمنشار ويفصل أحد جانبيه عن الآخر بالمجاذبة من الجانبين، والذي ينشر بالمنشار إنما ينزل المؤلم ببدنه ويؤلم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث أثره، فما ظنك بألم يتمكن أوّلًا من صميم القلب مخصوصًا به لا بطريق السراية إليه من غيره، فهذا أوّل عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرة فوت النزول في أعلى عليين وجوار رب العالمين، فبالنزوع إلى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى، وعند الحجاب تتسلط عليه نار جهنم، إذ النار غير مسلطة إلا على محجوب. قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾ [المطففين:١٥-١٦] فرتب العذاب بالنار على ألم الحجاب، وألم الحجاب كاف من غير علاوة النار، فكيف إذا أضيفت العلاوة إليه؟ فنسأل الله تعالى أن يقرّر في أسماعنا ما نفث في روع رسول الله ﷺ، حيث قيل له: أحبب من أحببت فإنك مفارقه (١) وفي معنى ما ذكرناه من المثال قول الشاعر:

كَدُوْدٌ كَدُودِ القز ينسج دائمًا ... ويهلك غما وسط ما هو ناسجُهْ

ولما انكشف لأولياء الله تعالى أنّ العبد مهلك نفسه بأعماله واتباعه هوى نفسه إهلاك دود القز نفسه: رفضوا الدنيا بالكلية، حتى قال الحسن: رأيت سبعين بدريًّا كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرّم الله عليكم. وفي لفظ آخر: كانوا بالبلاء أشدّ فرحًا منكم بالخصب والرخاء لو رأيتموهم قلتم مجانين، ولو رأوا خياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق، ولو رأوا أشراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب، وكان أحدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول: أخاف أن يفسد على قلبي، فمن كان له قلب فهو لا محالة يخاف من فساده والذين أمات حب الدنيا قلوبهم فقد أخبر الله عنهم إذ قال تعالى: ﴿وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾[يونس:٧] وقال عز وجل: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[الكهف:٢٨] . وقال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾[النجم:٢٩-٣٠] فأحال ذلك كله على الغفلة وعدم العلم، ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام: احملني معك في سياحتك، فقال: أخرج مالك والحقني.

---

(١) حسن لغيره: حديث: نفث في روعه أحبب من أحببت فإنك مفارقه. تقدم. [انظر صحيح الترغيب: ٦٢٧].

فقال: لا أستطيع، فقال عيسى عليه السلام: بعجب يدخل الغني الجنة - أو قال بشدة -.

وقال بعضهم: ما من يوم ذر شارقه إلا وأربعة أملاك ينادون في الآفاق بأربعة أصوات: ملكان بالمشرق وملكان بالمغرب، يقول أحدهم بالمشرق: يا باغي الخير هلم، ويا باغي الشر أقصر، ويقول الآخر: اللهم أعط منفقًا خلفًا وأعط ممسكًا تلفًا. ويقول اللذان بالمغرب، أحدهما: لدوا للموت وابنوا للخراب. ويقول الآخر: كلوا وتمتعوا لطول الحساب.

بيان علامات الزهد:

اعلم أنه قد ظنّ أن تارك المال زاهد، وليس كذلك؛ فإنّ ترك المال وإظهار الخشونة سهل على من أحب المدح بالزهد، فكم من الرهابين من ردوا أنفسهم كل يوم إلى قدر يسير من الطعام ولازموا ديرًا لا باب له، وإنما مسرة أحدهم معرفة الناس حاله ونظرهم إليه ومدحهم له، فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة، بل لا يعدّ من الزهد في المال والجاه جميعًا حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعي جمال الزهد مع لبس الأصواف الفاخرة والثياب الرفيعة، كما قال الخوّاص في وصف المدعين إذ قال: وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموّهون بذلك على الناس ليهدى إليهم مثل لباسهم، لئلا ينظر إليهم بالعين التي ينظر بها إلى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما تعطى المساكين، ويحتجون لنفوسهم باتباع العلم وأنهم على السنة، وأن الأشياء داخلة إليهم وهم خارجون منها وإنما يأخذون بعلة غيرهم. هذا إذا طولبوا بالحقائق وألجئوا إلى المضايق، وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية أسرارهم ولا بتهذيب أخلاق نفوسهم، فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها حالًا لهم، فهم مائلون إلى الدنيا متبعون للهوى. فهذا كله كلام الخواص رحمه الله؛ فإذن معرفة الزهد أمر مشكل، بل حال الزهد على الزهد مشكل.

وينبغي أن يعوّل في باطنه على ثلاث علامات:

العلامة الأولى: أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود، كما قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣] بل ينبغي أن يكون بالضدّ من ذلك: وهو أن يحزن بوجود المال ويفرح بفقده.

العلامة الثانية: أن يستوي عنده ذامه ومادحه، فالأوّل علامة الزهد في المال والثاني علامة الزهد في الجاه.

العلامة الثالثة: أن يكون أنسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة إذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة إما محبة الدنيا وإما محبة الله، وهما في القلب كالماء والهواء في القدح، فالماء إذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان، وكل من أنس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره، ولذلك قيل لبعضهم: إلى ماذا أفضى بهم الزهد؟ فقال: إلى الأنس بالله؛ فأما الأنس

بالدنيا وبالله فلا يجتمعان.

وقد قال أهل المعرفة: إذا تعلق الإيمان بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة جميعًا وعمل لهما، وإذا بطن الإيمان في سويداء القلب وباشره أبغض الدنيا فلم ينظر إليها ولم يعمل لها، ولهذا ورد في دعاء آدم عليه السلام: اللهم إني أسألك إيمانًا يباشر قلبي.

وقال أبو سليمان: من شغل بنفسه شغل عن الناس - وهذا مقام العاملين. ومن شغل بربه شغل عن نفسه - وهذا مقام العارفين. والزاهد لا بدّ وأن يكون في أحد هذين المقامين، ومقامه الأوّل أن يشغل نفسه بنفسه، وعند ذلك يستوي عنده المدح والذم والوجود والعدم، ولا يستدل بإمساكه قليلًا من المال على فقد زهده أصلًا.

قال ابن أبي الحواري: قلت لأبي سليمان: أكان داود الطائي زاهدًا؟ قال: نعم. قلت: قد بلغني أنه ورث عن أبيه عشرين دينارًا فأنفقها في عشرين سنة، فكيف كان زاهدًا وهو يمسك الدنانير؟ فقال: أردت منه أن يبلغ حقيقة الزهد، وأراد بالحقيقة الغاية، فإنّ الزهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس. ولا يتم الزهد إلا بالزهد في جميعها فكل من ترك من الدنيا شيئًا مع القدرة عليه خوفًا على قلبه وعلى دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه، وآخره أن يترك كل ما سوى الله حتى لا يتوسد حجرًا كما فعله المسيح عليه السلام، فنسأل الله تعالى أن يرزقنا من مبادئه نصيبًا وإن قلّ، فإن أمثالنا لا يستجرىء على الطمع في غاياته وإن كان قطع الرجاء عن فضل الله غير مأذون فيه. وإذا لاحظنا عجائب نعم الله تعالى علينا علمنا أن الله تعالى لا يتعاظمه شيء فلا بعد في أن نعظم السؤال اعتمادًا على الجود المجاوز لكل كمال.

فإذن علامة الزهد استواء الفقر والغنى والعز والذل والمدح والذم، وذلك لغلبة الأنس بالله. ويتفرّع عن هذه العلامات علامات أخرى لا محالة: مثل أن يترك الدنيا ولا يبالي من أخذها.

وقيل: علامته أن يترك الدنيا كما هي فلا يقول: أ بني رباطًا أو أعمر مسجدًا.

وقال يحيى بن معاذ: علامة الزهد: السخاء بالموجود.

وقال ابن خفيف: علامته وجود الراحة في الخروج من الملك. وقال أيضًا: الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف.

وقال أبو سليمان: الصوف علم من أعلام الزهد فلا ينبغي أن يلبس صوفًا بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم.

وقال أحمد بن حنبل وسفيان رحمهما الله: علامة الزهد قصر الأمل. وقال سري: لا يطيب عيش الزاهد إذا اشتغل عن نفسه. ولا يطيب عيش العارف إذا اشتغل بنفسه.

وقال النصرآباذي: الزاهد غريب في الدنيا، والعارف غريب في الآخرة.

وقال يحيى بن معاذ: علامة الزهد ثلاث: عمل بلا علاقة، وقول بلا طمع، وعز بلا رئاسة. وقال أيضًا: الزاهد لله يسعطك الخل والخردل، والعارف يشمك المسك والعنبر. وقال

له رجل: متى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزهد وأقعد مع الزاهدين؟ فقال: إذا صرت من رياضتك لنفسك في السر إلى حدّ لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف في نفسك، فأما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك أن تفتضح وقال أيضًا: الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها، والعارف يشتغل بالله تعالى ولا يلتفت إليها. وقال السري: مارست كل شيء من أمر الزهد فنلت منه ما أريد إلا الزهد في الناس فإني لم أبلغه ولم أطقه.

وقال الفضيل رحمه الله: جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا، وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا.

فهذا ما أردنا أن نذكره من حقيقة الزهد وأحكامه وإذا كان الزهد لا يتم إلا بالتوكل فلنشرع في بيانه إن شاء الله تعالى.

* * *

كتاب التوحيد والتوكل

الحمد لله مدبر الملك والملكوت، المنفرد بالعزة والجبروت. الرافع للسماء بغير عماد، المقدر فيها أرزاق العباد. الذي صرف أعين ذوي القلوب والألباب، عن ملاحظة الوسائط والأسباب إلى مسبب الأسباب، ورفع هممهم عن الالتفاف إلى ما عداه والاعتماد على مدبر سواه، فلم يعبدوا إلا إياه علمًا بأنه الواحد الفرد الصمد الإله وتحقيقًا بأن جميع أصناف الخلق عباد أمثالهم لا يبتغي عندهم الرزق، وأنه ما من ذرّة إلا إلى الله خلقها، وما من دابة إلا على الله رزقها؛ فلما تحققوا أنه لرزق عباده ضامن وبه كفيل توكلوا عليه فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل.

والصلاة على محمد قامع الأباطيل، الهادي إلى سواء السبيل، وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فإن التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين، بل هو من معالي درجات المقرّبين وهو في نفسه غامض من حيث العلم، ثم هو شاق من حيث العمل، ووجه غموضه من حيث الفهم أنّ ملاحظة الأسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد، والتثاقل عنها بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع، والاعتماد على الأسباب من غير أن ترى أسبابًا تغيير في وجه العقل. وانغماس في غمرة الجهل، وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والنقل والشرع في غاية الغموض والعسر، ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدّة الخفاء إلا سماسرة العلماء الذين اكتحلوا من فضل الله تعالى بأنوار الحقائق فأبصروا وتحققوا ثم نطقوا بالإعراب عما شاهدوه من حيث استنطقوا. ونحن الآن نبدأ بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة ثم نردفه بالتوحيد في الشطر الأول من الكتاب ونذكر حال التوكل وعمله في الشطر الثاني.

بيان فضيلة التوكل:

أما من الآيات: فقد قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[المائدة:٢٣] وقال عز وجل: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾[إبراهيم:١٢] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾[الطلاق:٣] وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾[آل عمران:١٥٩] وأعظم بمقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه، ومضمون بكفاية الله تعالى ملابسه، فمن الله تعالى حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم، فإنّ المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب. وقال تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾[الزمر:٣٦] فطالب الكفاية من غيره والتارك للتوكل: هو المكذب لهذه الآية. فإنه سؤال في معرض استنطاق بالحق، كقوله تعالى: ﴿هَلۡ

أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩] أي عزيز لا يذل من استجار به، ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجأ إلى ذمامه وحماه، وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤] بين أنّ كل ما سوى الله تعالى عبد مسخر حاجته مثل حاجتكم فكيف يتوكل عليه. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٧] وقال عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧] وقال عز وجل: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣] وكل ما ذكر في القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الأغيار والتوكل على الواحد القهار.

وأما الأخبار: فقد قال ﷺ فيما رواه ابن مسعود: «أريت الأمم في الموسم فرأيت أمتي قد ملئوا السهل والجبل فأعجبتني كثرتهم وهيئاتهم»، فقيل لي: أرضيت؟ قلت: «نعم»، قيل: ومع هؤلاء سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب. قيل: من هم يا رسول الله، قال: «الَّذينَ لا يَكْتَوُونَ وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ وَلا يَسْتَرْقُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فقام عكاشة وقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ» فقام آخر فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال ﷺ: «سَبَقَكَ بِها عُكاشَةُ» (١)، وقال ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا» (٢) وقال ﷺ: «مَن انْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ مُؤْنَةٍ وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَنْ انْقَطَعَ إِلَى الدُّنْيَا وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا» (٣) وقال ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بِمَا عِنْدَ اللَّهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدَيْهِ» (٤) ويروى عن رسول الله ﷺ: أنه كان إذا أصاب أهله خصاصة قال: «قُومُوا إِلَى الصَّلاةِ» ويقول: «بِهذَا أَمَرَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ» قال عز وجل: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ

---

(١) حسن صحيح: حديث ابن مسعود «أريت الأمم في الموسم فرأيت أمتي قد ملأوا السهل والجبل». رواه ابن منيع بإسناد حسن واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس. [انظر الأدب المفرد: ٩١١ واللفظ له، وحديث ابن عباس عند البخاري: ٥٧٠٥، ومسلم: ٢٢٠].

(٢) صحيح: حديث «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا». أخرجه الترمذي والحاكم وصححاه من حديث عمر، وقد تقدم. [الترمذي: ٢٣٤٤، وابن ماجه: ٤١٦٤، وانظر السلسلة الصحيحة: ٣١٠].

(٣) ضعيف: حديث «من انقطع إلى الله كفاه الله تعالى كل مؤونة». أخرجه الطبراني في الصغير وابن أبي الدنيا، ومن طريقه البيهقي في الشعب من رواية الحسن عن عمران بن حصين ولم يسمع منه، وفيه إبراهيم بن الأشعث تكلم فيه أبو حاتم. [انظر ضعيف الترغيب: ١٠٦١].

(٤) حديث «من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يده». رواه الحاكم والبيهقي في الزهد من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف.

عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢] (١) الآية. وقال ﷺ: «لَمْ يَتَوَكَّلْ مَنْ اسْتَرْقَى وَاكْتَوَى» (٢).

وروي أنه لما قال جبريل لإبراهيم عليهما السلام وقد رمي إلى النار بالمنجنيق: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، وفاء بقوله: حسبي الله ونعم الوكيل، إذ قال ذلك حين أخذ ليرمى، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ [النجم: ٣٧].

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود، ما من عبد يعتصم بي دون خلقي فتكيده السموات والأرض إلا جعلت له مخرجًا.

وأما الآثار: فقد قال سعيد بن جبير: لدغتني عقرب فأقسمت على أمي لتسترقين، فناولت الراقي يدي التي لم تلدغ.

وقرأ الخوّاص قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] إلى آخرها، فقال: ما ينبغي للعبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله تعالى.

وقيل لبعض العلماء في منامه: من وثق بالله تعالى فقد أحرز قوته. وقال بعض العلماء: لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا إلا ما قد كتب الله لك.

وقال يحيى بن معاذ: في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على أنّ الرزق مأمور بطلب العبد.

وقال إبراهيم بن أدهم: سألت بعض الرهبان: من أين تأكل؟ فقال لي: ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربي من أين يطعمني؟.

وقال هرم بن حيان لأويس القرني: أين تأمرني أن أكون؟ فأومأ إلى الشام. قال هرم: كيف المعيشة؟ قال أويس: أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة.

وقال بعضهم: متى رضيت بالله وكيلًا وجدت إلى كل خير سبيلًا. نسأل الله تعالى حسن الأدب.

---

(١) ضعيف: حديث: كان إذا أصاب أهله خصاصة قال «قوموا إلى الصلاة» ويقول «بهذا أمرني ربي» قال تعالى ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]. رواه الطبراني في الأوسط من حديث محمد بن حمزة عن عبد الله بن سلام قال: كان النبي ﷺ إذا نزل بأهله الضيق أمرهم بالصلاة ثم قرأ هذه الآية. ومحمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام إنما ذكروا له روايته عن أبيه عن جده فيبعد سماعه من جد أبيه. [انظر السلسلة الضعيفة: ٢٧٦٠].

(٢) صحيح: حديث «لم يتوكل من استرقي واكتوى». أخرجه الترمذي وحسنه والنسائي في الكبير والطبراني واللفظ له، إلا أنه قال: أو من حديث المغيرة بن شعبة، وقال الترمذي «من اكتوت أو استرقي فقد برئ من التوكل» وقال النسائي: ما توكل من اكتوى أو استرقي. [الترمذي: ٢٠٥٥، وابن ماجه: ٣٤٨٩، وانظر صحيح الجامع: ٦٠٨١].

بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل:

اعلم أن التوكل من أبواب الإيمان، وجميع أبواب الإيمان لا تنتظم إلا بعلم وحال وعمل، والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الأصل و عمل هو الثمرة و حال هو المراد باسم التوكل.

فلنبدأ ببيان العلم الذي هو الأصل وهو المسمى إيمانًا في أصل اللسان إذ الإيمان هو التصديق، وكل تصديق بالقلب فهو علم، وإذا قوي سمي يقينًا، ولكن أبواب اليقين كثيرة، ونحن إنما نحتاج منها إلى ما نبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) والإيمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك: (له الملك) والإيمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك: (وله الحمد) فمن قال: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) تم له الإيمان الذي هو أصل التوكل، أعني أن يصير معنى هذا القول وصفًا لازمًا لقلبه غالبًا عليه، فأما التوحيد فهو الأصل والقول فيه يطول، وهو من علم المكاشفة؛ ولكن بعض علوم المكاشفات متعلق بالأعمال بواسطة الأحوال، ولا يتم علم المعاملة إلا بها، فإذن لا نتعرض إلا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة، وإلا فالتوحيد هو البحر الخضم الذي لا ساحل له، فنقول: للتوحيد أربع مراتب، وينقسم إلى لب، وإلى لب اللب، وإلى قشر، وإلى قشر القشر. ولنمثل ذلك تقريبًا إلى الأفهام الضعيفة بالجوز في قشرته العليا فإنّ له قشرتين، وله لب، وللب دهن هو لب اللب.

فالرتبة الأولى من التوحيد: هي أن يقول الإنسان بلسانه (لا إله إلا الله) وقلبه غافل عنه أو منكر له كتوحيد المنافقين.

والثانية: أن يصدّق بمعنى اللفظ قلبه كما صدّق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام.

والثالثة: أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقرّبين، وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار.

والرابعة: أن لا يرى في الوجود إلا واحدًا، وهي مشاهدة الصدّيقين وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد؛ لأنه من حيث لا يرى إلا واحدًا فلا يرى نفسه أيضًا، وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقًا بالتوحيد كان فانيًا عن نفسه في توحيده، بمعنى أنه فني عن رؤية نفسه والخلق؛ فالأوّل موحد بمجرّد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان. والثاني موحد بمعنى أنه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفساح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب في الآخرة إن توفي عليه ولم تضعف بالمعاصي عقدته، ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة، وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصد بها أيضًا إحكام هذه العقدة وشدّها على القلب وتسمى كلامًا، والعارف به يسمى متكلمًا، وهو في مقابلة المبتدع

ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام، وقد يخص المتكلم باسم الموحد من حيث إنه يحمي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تنحل عقدته. والثالث موحد بمعنى أنه لم يشاهد إلا فاعلًا واحدًا إذا انكشف له الحق كما هو عليه. ولا يرى فاعلًا بالحقيقة إلا واحدًا وقد انكشفت له الحقيقة كما هي عليه، لا أنه كلف قلبه أن يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فإنّ تلك رتبة العوام والمتكلمين، إذ لم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد بل في صنعة تلفيق الكلام الذي به حيل المبتدع عن تحليل هذه العقدة. والرابع موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد، فلا يرى الكل من حيث إنه كثير بل من حيث إنه واحد، وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد؛ فالأوّل كالقشرة العليا من الجوز، والثاني كالقشرة السفلى، والثالث كاللب، والرابع كالدهن المستخرج من اللب. وكما أنّ القشرة العليا من الجوز لا خير فيها بل إن أكل فهو مرّ المذاق، وإن نظر إلى باطنه فهو كريه المنظر، وإن اتخذ حطبًا أطفأ النار وأكثر الدخان، وإن ترك في البيت ضيق المكان فلا يصح إلا أن يترك مدّة على الجوز للصون ثم يرمى به عنه فكذلك التوحيد بمجرّد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن؛ لكنه ينفع مدّة في حفظ القشرة السفلى إلى وقت الموت، والقشرة السفلى هي القلب والبدن. وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف الغزاة فإنهم لم يؤمروا بشق القلوب، والسيف إنما يصيب جسم البدن وهو القشرة وإنما يتجرّد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده، وكما أن القشرة السفلى ظاهرة النفع بالإضافة إلى القشرة العليا فإنها تصون اللب وتحرسه عن الفساد عند الادخار، وإذا فصلت أمكن أن ينتفع بها حطبًا لكنها نازلة القدر بالإضافة إلى اللب، وكذلك مجرّد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالإضافة إلى مجرّد نطق اللسان ناقص القدر بالإضافة إلى الكشف والمشاهدة التي تحصل بانشراح الصدر وانفساحه وإشراق نور الحق فيه، إذ ذاك الشرح هو المراد بقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام:١٢٥] وبقوله عز وجل: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر:٢٢] وكما أنّ اللب نفيس في نفسه بالإضافة إلى القشر وكله المقصود، ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالإضافة إلى الدهن المستخرج منه، فكذلك توحيد الفعل مقصد عال للسالكين لكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفاف إلى الكثرة بالإضافة إلى من لا يشاهد سوى الواحد الحق.

فإن قلت: كيف يتصوّر أن لا يشاهد إلا واحد وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة: فكيف يكون الكثير واحدًا؟

فاعلم أنّ هذه غاية علوم المكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب، فقد قال العارفون: إفشاء سر الربوبية كفر، ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة، نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك ممكن. وهو أنّ الشيء قد يكون كثيرًا بنوع مشاهدة واعتبار، ويكون واحدًا بنوع

آخر من المشاهدة والاعتبار، وهذا كما أنّ الإنسان كثير إن التفت إلى روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه، وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد إذ نقول إنه إنسان واحد؛ فهو بالإضافة إلى الإنسانية واحد، وكم من شخص يشاهد إنسانًا ولا يخطر بباله كثرة أمعائه وعروقه وأطرافه وتفصيل روحه وجسده وأعضائه، والفرق بينهما أنه في حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفريق وكأنه في عين الجمع، والملتفت إلى الكثرة في تفرقة، فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة، فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد، وباعتبارات أخر سواه كثير، وبعضها أشدّ كثرة من بعض، ومثاله الإنسان وإن كان لا يطابق الغرض ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدًا، ويستبين بهذا الكلام ترك الإنكار والجحود لمقام لم تبلغه وتؤمن به إيمان تصديق، فيكون لك من حيث إنك مؤمن بهذا التوحيد نصيب، وإن لم يكن ما آمنت به صفتك كما أنك إذا آمنت بالنبوّة وإن لم تكن نبيًا كان لك نصيب منه بقدر قوّة إيمانك. وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الأكثر، والدوام نادر عزيز وإلى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخوّاص يدور في الأسفار فقال: فيماذا أنت؟ فقال: أدور في الأسفار لأصحح حالتي في التوكل وقد كان من المتوكلين؛ فقال الحسين: قد أفنيت عمرك في عمران باطنك، فأين الفناء في التوحيد؟ فكأنّ الخوّاص كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد، فطالبه بالمقام الرابع، فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الإجمال.

فإن قلت: فلا بدّ لهذا من شرح بمقدار ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه

فأقول: أما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه، وليس التوكل أيضًا مبنيًا عليه، بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث. وأما الأوّل: وهو النفاق فواضح، وأما الثاني: وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين، وطريق تأكيده بالكلام ودفع حيل المبتدعة فيه مذكور في عالم الكلام، وقد ذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه. وأما الثالث: فهو الذي يبنى عليه التوكل، إذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط التوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله أمثال هذا الكتاب.

وحاصله: أن ينكشف لك أن لا فاعل إلا الله تعالى، وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقر إلى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم فالمنفرد بإبداعه واختراعه هو الله عز وجل لا شريك له فيه، وإذا انكشف لك هذا لم تنظر إلى غيره، بل كان منه خوفك وإليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك، فإنه الفاعل على الانفراد دون غيره، وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرّة من ملكوت السموات والأرض، وإذا انفتحت لك أبواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحًا أتم من المشاهدة بالبصر، وإنما يصدّك الشيطان عن هذا

التوحيد في مقام يبتغي به أن يطرق إلى قلبك شائبة الشرك بسببين: أحدهما الالتفات إلى اختيار الحيوانات. والثاني:الالتفات إلى الجمادات، وأما الالتفات إلى الجمادات فكاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه، وعلى الغيم في نزول المطر، وعلى البرد في اجتماع الغيم، وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها: وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بحقائق الأمور، ولذلك قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥] قيل: معناه أنهم يقولون: لولا استواء الريح لما نجونا. ومن انكشف له أمر العلم كما هو عليه علم أنّ الريح هو الهواء والهواء لا يتحرّك بنفسه ما لم يحرّكه محرّك، وكذلك محرّكه، وهكذا إلى أن ينتهي إلى المحرك الأوّل الذي لا محرّك له ولا هو متحرك في نفسه عز وجل؛ فالتفات العبد في النجاة إلى الريح يضاهي التفات من أخذ لتحز رقبته فكتب الملك توقيعًا بالعفو عنه وتخليته، فأخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذي به كتب التوقيع يقول: لولا القلم لما تخلصت، فيرى نجاته من القلم لا من محرّك القلم وهو غاية الجهل. ومن علم أنّ القلم لا حكم له في نفسه وإنما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت إليه ولم يشكر إلا الكاتب، بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك والكاتب من أن يخطر بباله القلم والحبر والدواة والشمس والقمر والنجوم والمطر والغيم والأرض، وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة كتسخير القلم في يد الكاتب، بل هذا تمثيل في حقك لاعتقادك أنّ الملك الموقع هو الكاتب التوقيع، والحق أنّ الله تبارك وتعالى هو الكاتب لقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧] .

فإذا انكشف لك أنّ جميع ما في السموات والأرض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائبًا وأيس عن مزج توحيدك بهذا الشرك، فأتاك في المهلكة الثانية وهي الالتفات إلى اختيار الحيوانات في الأفعال الاختيارية ويقول: كيف ترى الكل من الله وهذا الإنسان يعطيك رزقك باختياره فإن شاء أعطاك وإن شاء قطع عنك؟ وهذا الشخص هو الذي يحز رقبتك بسيفه وهو قادر عليك إن شاء حز رقبتك وإن شاء عفا عنك، فكيف لا تخافه؟ وكيف لا ترجوه وأمرك بيده وأنت تشاهد ذلك ولا تشك فيه؟ ويقول له أيضًا نعم إن كنت لا ترى القلم لأنه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له، وعند هذا زل أقدام الأكثرين إلا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان اللعين فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرًا مضطرًا، كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرًا، وعرفوا أنّ غلط الضعفاء في ذلك كغلط النملة مثلًا لو كانت تدب على الكاغد فترى رأس القلم يسوّد الكاغد، ولم يمتدّ بصرها إلى اليد والأصابع فضلًا عن صاحب اليد فغلطت وظنت أنّ القلم هو المسوّد للبياض، وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة رأس القلم لضيق حدقتها، فكذلك من لم ينشرح بنور الله تعالى صدره للإسلام قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والأرض

ومشاهدة كونه قاهرًا وراء الكل فوقف في الطريق على الكاتب وهو جهل محض، بل أرباب القلوب والمشاهدات قد أنطق الله تعالى في حقهم كل ذرة في السموات والأرض بقدرته التي بها نطق كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله تعالى وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان ذلق تتكلم بلا حرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون، ولست أعني به السمع الظاهر الذي لا يجاوز الأصوات، فإنّ الحمار شريك فيه، ولا قدر لما يشارك فيه البهائم، وإنما أريد به سمعًا يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي.

فإن قلت: فهذه أعجوبة لا يقبلها العقل فصف لي كيفية نطقها وأنها كيف نطقت وبماذا نطقت، وكيف سبحت وقدّست، وكيف شهدت على نفسها بالعجز؟

فاعلم أنّ لكل ذرّة في السماوات والأرض مع أرباب القلوب مناجاة في السر، وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى، فإنها كلمات تستمدّ من بحر كلام الله تعالى الذي لا نهاية له: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾ [الكهف:١٠٩] الآية، ثم إنها تتناجى بأسرار الملك والملكوت، وإفشاء السر لؤم، بل صدور الأحرار قبور الأسرار، وهل رأيت قط أمينًا على أسرار ملك قد نوجي بخفاياه فنادى بسره على ملأ من الخلق، ولو جاز إفشاء كل سر لنا لما قال ﷺ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» (١)، بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكوا ولا يضحكوا. ولما نهى عن إفشاء سر القدر (٢) ولما قال ﷺ: «إِذا ذُكِرَ النُّجُومُ فَأَمْسِكُوا وَإِذا ذُكِرَ القَدَرُ فَأَمْسِكُوا، وَإِذا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا» (٣)، ولما خص حذيفة رضي الله عنه ببعض الأسرار (٤). فإذن عن حكايات مناجاة ذرّات الملك والملكوت لقلوب أرباب المشاهدات مانعان:

أحدهما: استحالة إفشاء السر.

والثاني: خروج كلماتها عن الحصر والنهاية، ولكنا في المثال الذي كنا فيه ــ وهي حركة القلم ــ نحكي من مناجاتها قدرًا يسيرًا يفهم به على الإجمال كيفية ابتناء التوكل عليه؛ ونرد كلماتها إلى الحروف والأصوات وإن لم تكن حروفًا وأصواتًا، ولكن هي ضرورة التفهيم فنقول: قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغد وقد رآه اسود وجهه بالحبر: ما

---

(١) صحيح: حديث «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا». تقدم غير مرة. [البخاري: ١٠٤٤، ومسلم: ٩٠١ عن عائشة].

(٢) حديث: النهي عن إفشاء سر القدر. رواه ابن عدي وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر «القدر سر الله فلا تفشوا لله عز وجل سره» [انظر ضعيف الجامع: ٤١٣١] لفظ أبي نعيم، وقال ابن عدي «لا تكلموا في القدر فإنه سر الله... الحديث» [انظر ضعيف الجامع: ٣٧٠٩، وقال الألباني: موضوع] وهو ضعيف، وقد تقدم.

(٣) صحيح: حديث «إذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا». أخرجه الطبراني وابن حبان في الضعفاء، وتقدم في العلم. [انظر صحيح الجامع: ٥٤٥].

(٤) صحيح: حديث: أنه خص حذيفة ببعض الأسرار. تقدم. [مسلم: ٢٧٧٩].

بال وجهك كان أبيض مشرقًا والآن قد ظهر عليه السواد؟ فلم سودت وجهك؟ وما السبب فيه؟ فقال الكاغد: ما أنصفتني في هذه المقالة فإني ما سوّدت وجهي بنفسي ولكن سل الحبر فإنه كان مجموعًا في المحبرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلمًا وعدوانًا فقال: صدقت، فسأل الحبر عن ذلك؟ فقال: ما أنصفتني فإني كنت في المحبرة وادعًا ساكنًا عازمًا على أن لا أبرح منها، فاعتدى علي القلم بطمعه الفاسد، واختطفني من وطني وأجلاني عن بلادي وفرق جمعي وبدّدني كما ترى على ساحة بيضاء، فالسؤال عليه لا عَلَيَّ فقال صدقت، ثم سأل القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه وإخراجه الحبر من أوطانه فقال: سل اليد والأصابع فإني كنت قصبًا نابتًا على شط الأنهار متنزهًا بين خضرة الأشجار، فجاءتني اليد بسكين فنحت عني قشري ومزقت عني ثيابي واقتلعتني من أصلي وفصلت بين أنابيبي، ثم برتني وشقت رأسي؛ ثم غمستني في سواد الحبر ومرارته وهي تستخدمني وتمشيني على قمة رأسي، ولقد نثرت الملح على جرحي بسؤالك وعتابك، فتنح عني وسل من قهرني، فقال: صدقت، ثم سأل اليد عن ظلمها وعدوانها على القلم واستخدامها له، فقالت اليد: ما أنا إلا لحم وعظم ودم، وهل رأيت لحمًا يظلم أو جسمًا يتحرّك بنفسه؟ وإنما أنا مركب مسخر ركبني فارس يقال له القدرة والعزة، فهي التي ترددني، وتجول بي في نواحي الأرض، أما ترى المدر والحجر والشجر لا يتعدّى شيء منها مكانه ولا يتحرّك بنفسه إذ لم يركبه مثل هذا الفارس القوي القاهر، أما ترى أيدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم والدم، ثم لا معاملة بينها وبين القلم، فأنا أيضًا من حيث أنا لا معاملة بيني وبين القلم، فسل القدرة عن شأني فإني مركب أزعجني من ركبني، فقال: صدقت.

ثم سأل القدرة عن شأنها في استعمالها اليد وكثرة استخدامها وترديدها، فقالت: دع عنك لومي ومعاتبتي، فكم من لائم ملوم، وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك أمري؟ وكيف ظننت أني ظلمت اليد لما ركبتها وقد كنت لها راكبة قبل التحريك، وما كنت أحرّكها ولا استسخرها، بل كنت نائمة ساكنة نومًا ظنّ الظانون بي أني ميتة أو معدومة، لأني ما كنت أتحرّك ولا أحرّك حتى جاءني موكل أزعجني وأرهقني إلى ما تراه مني، فكانت لي قوّة على مساعدته، ولم تكن لي قوّة على مخالفته، وهذا الموكل يسمى الإرادة، ولا أعرفه إلا باسمه وهجومه وصياله، إذ أزعجني من غمرة النوم وأرهقني إلى ما كان لي مندوحة عنه لو خلاني ورأيي، فقال صدقت، ثم سأل الإرادة ما الذي جرّأك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها إلى التحريك وأرهقتها إليه إرهاقًا لم تجد عنه مخلصًا ولا مناصًا، فقالت الإرادة: لا تعجل عليَّ فلعل لنا عذرًا وأنت تلوم، فإني ما انتهضت بنفسي ولكن أنهضت وما انبعثت ولكني بعثت بحكم قاهر وأمر جازم، وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد عليّ من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالإخاص للقدرة فأشخصتها

باضطرار فإني مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل، ولا أدري بأي جرم وقفت عليه وسخرت له وألزمت طاعته، لكني أدري أني في دعة وسكون ما لم يرد علي هذا الوارد القاهر، وهذا الحاكم العادل أو الظالم وقد وقفت عليه وقفًا وألزمت طاعته إلزامًا، بل لا يبقى لي معه مهما جزم حكمه طاقة على المخالفة، لعمري ما دام هو في التردد مع نفسه والتحير في حكمه، فأنا ساكنة لكن مع استشعار وانتظار لحكمه، فإذا انجزم حكمه أزعجت بطبع وقهر تحت طاعته وأشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه، فسل العلم عن شأني ودع عني عتابك، فإني كما قال القائل:

متى ترحلت عن قومٍ وقد قَدِروا أن لا تفارقهم فالراحلون هُمُ

فقال صدقت، وأقبل على العلم والعقل والقلب مطالبًا لهم ومعاتبًا إياهم على استنهاض الإرادة وتسخيرها لإشخاص القدرة، فقال العقل: أما أنا فسراج ما اشتعلت بنفسي ولكن أشعلت، وقال القلب: أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكني بسطت، وقال العلم: أما أنا فنقش نقشت في بياض لوح القلب لما أشرق سراج العقل وما انخططت بنفسي، فكم كان هذا اللوح قبل خاليًا عني، فسل القلم عني لأنّ الخط لا يكون إلا بالقلم، فعند ذلك تتعتع السائل ولم يقنعه جواب وقال: قد طال تعبي في هذا الطريق وكثرت منازلي ولا يزال يحيلني من طمعت في معرفة هذا الأمر منه على غيره، ولكني كنت أطيب نفسًا بكثرة الترداد لما كنت أسمع كلامًا مقبولًا في الفؤاد وعذرًا ظاهرًا في دفع السؤال: فأما قولك: إني خط ونقش، وإنما خطني قلم فلست أفهمه فإني لا أعلم قلمًا إلا من القصب، ولا لوحًا إلا من الحديد أو الخشب، ولا خطًا إلا بالحبر، ولا سراجًا إلا من النار، وإني لأسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا أشاهد من ذلك شيئًا: أسمع جعجعة ولا أرى طحنًا فقال له القلم: إن صدقت فيما قلت فبضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف، واعلم أن المهالك في الطريق التي توجهت إليها كثيرة: فالصواب لك أن تنصرف وتدع ما أنت فيه، فما هذا بعشك، فادرج عنه فكل ميسر لما خلق له، وإن كنت راغبًا في استتمام الطريق إلى المقصد فألق سمعك وأنت شهيد.

واعلم أنّ العوالم في طريقك هذا ثلاثة: عالم الملك والشهادة أوّلها، ولقد كان الكاغد والحبر والقلم واليد من هذا العالم، وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة، والثاني عالم الملكوت وهو ورائي؛ فإذا جاوزتني انتهيت إلى منازله وفيه المهامة والفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة، ولا أدري كيف تسلم فيها، والثالث وهو عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت، ولقد قطعت منها ثلاث منازل في أوائلها منزل القدرة والإرادة والعلم، وهو واسطة بين عالم الملك والشهادة والملكوت؛ لأنّ عالم الملك أسهل منه طريقًا، وعالم الملكوت أوعر منه منهجًا، وإنما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه

السفينة التي هي في الحركة بين الأرض والماء، فلا هي في حدّ اضطراب الماء، ولا هي في حدّ سكون الأرض وثباتها، وكل من يمشي على الأرض يمشي في عالم الملك والشهادة؛ فإن جاوزت قوّته إلى أن يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت؛ فإن انتهى إلى أن يمشي على الماء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تتعتع؛ فإن كنت لا تقدر على المشي على الماء فانصرف فقد جاوزت الأرض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك إلا الماء الصافي.

وأوّل عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم في لوح القلب وحصول اليقين الذي يمشي به على الماء، أما سمعت قول رسول الله ﷺ في عيسى عليه السلام «لَوْ ازْدَادَ يَقِينًا لمشى عَلَى الهَوَاءِ» (١)، لما قيل له إنه كان يمشي على الماء، فقال السالك السائل: قد تحيرت في أمري واستشعر قلبي خوفًا مما وصفته من خطر الطريق، ولست أدري أطيق قطع هذه المهامه التي وصفتها أم لا؟ فهل لذلك من علامة؟ قال: نعم، افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدّقه نحوي فإن ظهر لك القلم الذي به أكتب في لوح القلب فيشبه أن تكون أهلًا لهذا الطريق، فإن كل من جاوز عالم الجبروت وقرع بابًا من أبواب الملكوت كوشف بالقلم، أما ترى أنّ النبي ﷺ في أول أمره كوشف بالقلم إذ أنزل عليه: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾ [العلق: ٣-٥] فقال السالك: لقد فتحت بصري وحدقته، فوالله ما أرى قصبًا ولا خشبًا، ولا أعلم قلمًا إلا كذلك، فقال العلم: لقد أبعدت النجعة، أما سمعت أنّ متاع البيت يشبه رب البيت، أما علمت أنّ الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات، فكذلك لا تشبه يده الأيدي ولا قلمه الأقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط، وهذه أمور إلهية من عالم الملكوت، فليس الله تعالى في ذاته بجسم ولا هو في مكان بخلاف غيره، ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الأيدي، ولا قلمه من قصب، ولا لوحه من خشب، ولا كلامه بصوت وحرف، ولا خطه رقم ورسم، ولا حبره زاج وعفص، فإن كنت لا تشاهد هذا هكذا فما أراك إلا مخنثًا بين فحولة التنزيه وأنوثة التشبيه، مذبذبًا بين هذا وذا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فكيف نزهت ذاته وصفاته تعالى عن الأجسام وصفاتها؟ ونزهت كلامه عن معاني الحروف والأصوات وأخذت تتوقف في يده وقلمه ولوحه وخطه؟ .

فإن كنت قد فهمت من قوله ﷺ: «إنَّ الله خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبهًا مطلقًا، كما يقال: كن يهوديًّا صرفًا وإلا فلا تلعب بالتوراة، وإن فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالبصائر لا بالأبصار فكن منزهًا صرفًا ومقدّسًا فحلًا، واطوِ الطريق فإنك بالواد المقدّس طوى، واستمع بسر قلبك لما يوحى، فلعلك تجد على النار هدى،

---

(١) منكر: حديث: قيل له إن عيسى يمشي على الماء، قال «لو ازداد يقينا لمشى على الهواء». تقدم. [انظر السلسلة الضعيفة: ٤٣٥٧].

ولعلك من سرادقات العرش تنادي بما نودي به موسى ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه :١٢] فلما سمع السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وأنه مخنث بين التشبيه والتنزيه، فاشتعل قلبه نارًا من حدّة غضبه على نفسه لما رآها بعين النقص، ولقد كان زيته الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار، فلما نفخ فيه العلم بحدّته اشتعل زيته فأصبح نورًا على نور، فقال له العلم: اغتنم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك لعلك تجد على النار هدى، ففتح بصره فانكشف له القلم الإلهي، فإذا هو كما وصفه العلم في التنزيه: ما هو من خشب ولا قصب، ولا له رأس ولا ذنب، وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم أصناف العلوم، وكأن له في كل قلب رأسًا ولا رأس له، فقضى منه العجب وقال: نعم الرفيق العلم، فجزاه الله تعالى عني خيرًا، إذ الآن ظهر لي صدق أنبائه عن أوصاف القلم؛ فإني أراه قلمًا لا كالأقلام؛ فعند هذا ودع العلم وشكره وقال: قد طال مقامي عندك ومرادتي لك، وأنا عازم على أن أسافر إلى حضرة القلم وأسأله عن شأنه، فسافر إليه وقال له: ما بالك أيها القلم تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبعث به الإرادات إلى إشخاص القدر وصرفها إلى المقدورات؟ فقال: أو قد نسيت ما رأيت في عالم الملك والشهادة وسمعت من جواب القلم إذ سألته فأحالك على اليد؟ قال: لم أنس ذلك. قال: فجوابي مثل جوابه.

قال: كيف وأنت لا تشبهه؟ قال القلم: أما سمعت أنّ الله تعالى خلق آدم على صورته؟ قال: نعم. قال: فسل عن شأني الملقب بيمين الملك فإني في قبضته، وهو الذي يرددني وأنا مقهور مسخر؛ فلا فرق بين القلم الإلهي وقلم الآدمي في معنى التسخير، وإنما الفرق في ظاهر الصورة. فقال: فمن يمين الملك؟ فقال القلم: أما سمعت قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر :٦٧] ؟ قال: نعم. قال: والأقلام أيضًا في قبضة يمينه هو الذي يرددها، فسافر السالك من عنده إلى اليمين حتى شاهده ورأى من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم ولا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه، بل لا تحوي مجلدات كثيرة عشر عشير وصفه، والجملة فيه أنه يمين لا كالأيمان، ويد لا كالأيدي، وأصبع لا كالأصابع؛ فرأى القلم محرّكًا في قبضته، فظهر له عذر القلم، فسأل اليمين عن شأنه وتحريكه للقلم؟ فقال: جوابي مثل ما سمعته من اليمين التي رأيتها في عالم الشهادة وهي الحوالة على القدرة، إذ اليد لا حكم لها في نفسها وإنما محرّكها القدرة لا محالة، فسافر السالك إلى عالم القدرة ورأى فيه من العجائب ما استحقر عندها ما قبله وسألها عن تحريك اليمين فقالت: إنما أنا صفة فاسأل القادر، إذ العمدة على الموصوفات لا على الصفات، وعند هذا كاد أن يزيغ ويطلق بالجراءة لسان السؤال، فثبت بالقول الثابت ونودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء :٢٣] فغشيته هيبة الحضرة، فخر صعقًا يضطرب في غشيته، فلما أفاق قال: سبحانك ما أعظم شأنك تبت إليك وتوكلت عليك وآمنت بأنك الملك الجبار

الواحد القهار، فلا أخاف غيرك ولا أرجو سواك ولا أعوذ إلا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك، وما لي إلا أن أسألك وأتضرع إليك وأبتهل بين يديك، فأقول: اشرح لي صدري لأعرفك واحلل عقدة من لساني لأثني عليك؛ فنودي من وراء الحجاب: إياك أن تطمع في الثناء وتزيد على سيد الأنبياء، بل ارجع إليه فما آتاك فخذه وما نهاك عنه فانته عنه، وما قاله لك فقله؛ فإنه ما زاد في هذه الحضرة على أن قال: «سُبْحَانَكَ لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ» (١)، فقال: إلهي، إن لم يكن للسان جراءة على الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك، فنودي: إياك أن تتخطى رقاب الصدّيقين، فارجع إلى الصدّيق الأكبر فاقتد به؛ فإن أصحاب سيد الأنبياء كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم، أما سمعته يقول: العجز عن درك الإدراك إدراك؛ فيكفيك نصيبًا من حضرتنا أن تعرف أنك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا؛ فعند هذا رجع السالك واعتذر عن أسئلته ومعاتباته وقال لليمين والقلم والعلم والإرادة والقدرة وما بعدها: اقبلوا عذري فإني كنت غريبًا حديث العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة، فما كان إنكاري عليكم إلا عن قصور وجهل، والآن قد صح عندي عذركم وانكشف لي أنّ المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار، فما أنتم إلا مسخرون تحت قهره وقدرته، مرددون في قبضته وهو الأوّل والآخر والظاهر والباطن؛ فلما ذكر ذلك في عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل له: كيف يكون هو الأوّل والآخر وهما وصفان متناقضان؟! وكيف يكون هو الظاهر والباطن؟! فالأول ليس بآخر، والظاهر ليس بباطن، فقال: هو الأوّل بالإضافة إلى الموجودات، إذ صدر منه الكل على ترتيبه واحدًا بعد واحد، وهو الآخر بالإضافة إلى سير السائرين إليه فإنهم لا يزالون مترقين من منزل إلى منزل إلى أن يقع الانتهاء إلى تلك الحضرة، فيكون ذلك آخر السفر، فهو آخر في المشاهدة أوّل في الوجود، وهو باطن بالإضافة إلى العاكفين في عالم الشهادة الطالبين لإدراكه بالحواس الخمس، ظاهر بالإضافة إلى من يطلبه في السراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت، فهكذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في الفعل: أعني من انكشف له أنّ الفاعل واحد.

فإن قلت: قد انتهى هذا التوحيد إلى أنه يبتني على الإيمان بعالم الملكوت، فمن لم يفهم ذلك أو يجحده فما طريقه؟

فأقول: أما الجاحد فلا علاج له إلا أن يقال له: إنكارك لعالم الملكوت كإنكار السمنية لعالم الجبروت، وهم الذين حصروا العلوم في الحواس الخمس، فأنكروا القدرة والإرادة والعلم لأنها لا تدرك بالحواس الخمس، فلازموا حضيض عالم الشهادة بالحواس الخمس، فإن

---

(١) صحيح: حديث «سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك». تقدم. [مسلم: ٤٨٦].

قال: وأنا منهم فإني لا أهتدي إلا إلى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا أعلم شيئًا سواه، فيقال: إنكارك لما شاهدناه مما وراء الحواس الخمس كإنكار السوفسطائية للحواس الخمس، فإنهم قالوا: ما نراه لا نثق به، فلعلنا نراه في المنام. فإن قال: وأنا من جملتهم فإني شاك أيضًا في المحسوسات فيقال: هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه، فيترك أيامًا قلائل، وما كل مريض يقوى على علاجه الأطباء: هذا حكم الجاحد. وأما الذي لا يجحد ولكن لا يفهم، فطريق السالكين معه أن ينظروا إلى عينه التي يشاهد بها عالم الملكوت، فإن وجدوها صحيحة في الأصل وقد نزل فيها ماء أسود يقبل الإزالة والتنقية اشتغلوا بتنقيته اشتغال الكحال بالأبصار الظاهرة، فإذا استوى بصره أرشد إلى الطريق ليسلكها كما فعل ذلك ﷺ بخواص أصحابه؛ فإن كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه أن يسلك الطريق الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه أن يسمع كلام ذرّات الملك والملكوت بشهادة التوحيد كلموه بحرف وصوت وردوا ذروة التوحيد إلى حضيض فهمه فإنّ في عالم الشهادة أيضًا توحيدًا، إذ يعلم كل أحد أنّ المنزل يفسد بصاحبين، والبلد يفسد بأميرين، فيقال له على حدّ عقله. إله العالم واحد والمدبر واحد، إذ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، فيكون ذلك على ذوق ما رآه في عالم الشهادة، فينغرس اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر عقله، وقد كلف الله الأنبياء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم، ولذلك نزل القرآن بلسان العرب على حدّ عادتهم في المحاورة.

فإن قلت: فمثل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح أن يكون عمادًا للتوكل وأصلًا فيه؟

فأقول: نعم؛ فإن الاعتقاد إذا قوي عمل عمل الكشف في إثارة الأحوال إلا أنه في الغالب يضعف ويتسارع إليه الاضطراب والتزلزل غالبًا، ولذلك يحتاج صاحبه إلى متكلم يحرسه بكلامه، أو إلى أن يتعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة التي تلقنها من أستاذه أو من أبويه أو من أهل بلده. وأما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك بل لو كشف الغطاء لما ازداد يقينًا وإن كان يزداد وضوحًا، كما أنّ الذي يرى إنسانًا في وقت الإسفار لا يزداد يقينًا عند طلوع الشمس بأنه إنسان ولكن يزداد وضوحًا في تفصيل خلقته، وما مثال المكاشفين والمعتقدين إلا كسحرة فرعون مع أصحاب السامري؛ فإن سحرة فرعون لما كانوا مطلعين على منتهى تأثير السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم رأوا من موسى عليه السلام، ما جاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الأمر فلم يكترثوا بقول فرعون: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ [الأعراف: ١٢٤] بل ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٢] فإنّ البيان والكشف يمنع التغيير. وأما أصحاب السامري لما كان إيمانهم عن النظر إلى ظاهر الثعبان، فلما نظروا إلى عجل السامري وسمعوا خواره تغيروا وسمعوا قوله: ﴿هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٨] ونسوا أنه

لا يرجع إليهم قولًا ولا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا: فكل من آمن بالنظر إلى ثعبان يكفر لا محالة إذا نظر إلى عجل؛ لأنّ كليهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير. وأما عالم الملكوت فهو من عند الله تعالى فلذلك لا تجد اختلافًا وتضادًّا أصلًا.

فإن قلت: ما ذكرته من التوحيد ظاهر مهما ثبت أنّ الوسائط والأسباب مسخرات، وكل ذلك ظاهر إلا في حركات الإنسان فإنه يتحرّك إن شاء ويسكن إن شاء، فكيف يكون مسخرًا؟

فاعلم أنه لو كان مع هذا يشاء إن أراد أن يشاء، ولا يشاء إن لم يرد أن يشاء، لكان هذا مزلة القدم وموقع الغلط، ولكن علم أنه يفعل ما يشاء إذا شاء أن يشأ أم لم يشأ فليست المشيئة إليه، إذ لو كانت إليه لافتقرت إلى مشيئة أخرى وتسلسل إلى غير نهاية، وإذا لم تكن المشيئة إليه فمهما وجدت المشيئة التي تصرف القدرة إلى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل إلى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة متحرّكة ضرورة عند انجزام المشيئة. فالمشيئة تحدث ضرورة في القلب. فهذه ضرورات ترتب بعضها على بعض. وليس للعبد أن يدفع وجود المشيئة ولا انصراف القدرة إلى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة للقدرة، فهو مضطر في الجميع.

فإن قلت: فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار، وأنت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبورًا مختارًا؟

فأقول: لو انكشف الغطاء لعرفت أنه في عين الاختيار مجبور، فهو إذن مجبور على الاختيار، فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار، فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحًا وجيزًا يليق بما ذكر متطفلًا وتابعًا فإنّ هذا الكتاب لم نقصد به إلا علم المعاملة، ولكني أقول لفظ الفعل في الإنسان يطلق على ثلاثة أوجه، إذ يقال: الإنسان يكتب بالأصابع ويتنفس بالرئة والحنجرة ويخرق الماء إذا وقف عليه بجسمه فينسب إليه الخرق في الماء والتنفس والكتابة، وهذه الثلاثة في حقيقة الاضطرار والجبر واحدة، ولكنها تختلف وراء ذلك في أمور فأعرب لك عنها بثلاث عبارات: فنسمي خرقه للماء عند وقوعه على وجهه فعلًا طبيعيًا، ونسمي تنفسه فعلًا إراديًا، ونسمي كتابته فعلًا اختياريًا، والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لأنه مهما وقف على وجه الماء أو تخطى من السطح للهواء انخرق الهواء لا محالة وقد يكون الخرق بعد التخطي ضروريًا، والتنفس في معناه فإنّ نسبة حركة الحنجرة إلى إرادة التنفس كنسبة انخراق الماء إلى ثقل البدن؛ فمهما كان الثقل موجودًا وجد الانخراق بعده، وليس الثقل إليه، وكذلك الإرادة ليست إليه، ولذلك لو قصد عين الإنسان بإبرة طبق الأجفان اضطرارًا، ولو أراد أن يتركها مفتوحة لم يقدر مع أنّ تغميض الأجفان اضطرارًا فعل إرادي، ولكنه إذا تمثل صورة الإبرة في مشاهدته بالإدراك حدثت الإرادة بالتغميض ضرورة، وحدثت الحركة بها، ولو أراد أن يترك ذلك لم يقدر عليه مع أنه فعل بالقدرة والإرادة، فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في

كونه ضروريًا. وأما الثالث ــ وهو الاختياري ــ فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق، وهو الذي يقال فيه إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، لأنّ داعية الإرادة مسخرة بحكم العقل والحس، والقدرة مسخرة للداعية، والحركة مسخرة للقدرة، والكل مقدّر بالضرورة فيه من حيث لا يدري، فإنما هو محل ومجرى لهذه الأمور، فأما أن يكون منه فكلا ولا، فإذن معنى كونه مجبورًا أن جميع ذلك حاصل فيه من غيره لا منه، ومعنى كونه مختارًا أنه محل لإرادة حدثت فيه جبرًا بعد حكم العقل بكون الفعل خيرًا محضًا موافقًا وحدث الحكم أيضًا جبرًا فإذا هو مجبور على الاختيار، ففعل النار في الإحراق مثلًا جبر محض، وفعل الله تعالى اختيار محض، وفعل الإنسان على منزلة بين المنزلتين فإنه جبر على الاختيار، فطلب أهل الحق لهذا عبارة ثالثة، لأنه لما كان فنًّا ثالثًا وائتموا فيه بكتاب الله تعالى فسموه كسبًا وليس مناقضًا للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه، وفعل الله تعالى يسمى اختيارًا بشرط أن لا يفهم من الاختيار إرادة بعد تحير وتردد، فإنّ ذلك في حقه محال، وجميع الألفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن أن تستعمل في حق الله تعالى إلا على نوع من الاستعارة والتجوز، وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم ويطول القول فيه.

فإن قلت: فهل تقول إن العلم ولد الإرادة، والإرادة ولدت القدرة، والقدرة ولدت الحركة، وأن كل متأخر حدث من المتقدّم؟ فإن قلت ذلك فقد حكمت بحدوث شيء لا من قدرة الله تعالى، وإن أبيت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض؟ فاعلم أن القول بأن بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض، سواء عبر عنه بالتولد أو بغيره بل حوالة جميع ذلك على معنى الذي يعبر عنه بالقدرة الأزلية، وهو الأصل الذي لم يقف كافة الخلق عليه إلا الراسخون في العلم فإنهم وقفوا على كنه معناه، والكافة وقفوا على مجرّد لفظه مع نوع تشبيه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق، وبيان ذلك يطول، ولكن بعض المقدورات مترتب على البعض في الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا تصدر من القدرة الأزلية إرادة إلا بعد علم ولا علم إلا بعد حياة ولا حياة إلا بعد محل الحياة، وكما لا يجوز أن يقال الحياة تحصل من الجسم الذي هو شرط الحياة فكذلك في سائر درجات الترتيب، ولكن بعض الشروط ربما ظهرت للعامة وبعضها لم يظهر إلا للخواص المكاشفين بنور الحق وإلا فلا يتقدّم متقدّم ولا يتأخر متأخر إلا بالحق واللزوم، وكذلك جميع أفعال الله تعالى، ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثًا يضاهي فعل المجانين ــ تعالى الله عن قول الجاهلين علوًّا كبيرًا ــ وإلى هذا أشار قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦] وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[الدخان:٣٨-٣٩] فكل ما بين السماء والأرض حادث على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور أن يكون إلا كما حدث، وعلى هذا الترتيب الذي وجد فما تأخر متأخر إلا لانتظار شرطه، والمشروط قبل الشرط

محال، والمحال لا يوصف بكونه مقدورًا، فلا يتأخر العلم عن النطفة إلا لفقد شرط الحياة، ولا تتأخر عنها الإرادة بعد العلم إلا لفقد شرط العلم، وكل ذلك منهاج الواجب وترتيب الحق، ليس في شيء من ذلك لعب واتفاق، بل ذلك بحكمة وتدبير، وتفهيم ذلك عسير، ولكنا نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثالًا يقرب مبادىء الحق من الأفهام الضعيفة، وذلك بأن نقدّر إنسانًا محدثًا قد انغمس في الماء إلى رقبته، فالحدث لا يرتفع عن أعضائه وإن كان الماء هو الرافع وهو ملاق له، فقدر القدرة الأزلية حاضرة ملاقية للمقدورات متعلقة بها ملاقاة الماء للأعضاء ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء انتظارًا للشرط وهو غسل الوجه، فإذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل الماء في سائر أعضائه وارتفع الحدث، فربما يظن الجاهل أنّ الحدث ارتفع عن اليدين برفعه عن الوجه لأنه حدث عقيبه، إذ يقول: كان الماء ملاقيًا ولم يكن رافعًا والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل، بل حصل ارتفاع الحدث عن اليدين عند غسل الوجه، فإذن غسل الوجه هو الرافع للحدث عن اليدين وهو جهل يضاهي ظن من يظن أن الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالإرداة والإرادة بالعلم.

وكل ذلك خطأ بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالماء الملاقي لها لا بغسل الوجه، والماء لم يتغير واليد لم تتغير ولم يحدث فيهما شيء، ولكن حدث وجود الشرط فظهر أثر العلة، فهكذا ينبغي أن تفهم صدور المقدّرات عن القدرة الأزلية مع أن القدرة قديمة والمقدورات حادثة، وهذا فرع باب آخر لعالم آخر من عوالم المكاشفات، فلنترك جميع ذلك فإنّ مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل، فإنّ الفاعل بالحقيقة واحد فهو المخوف والمرجو وعليه التوكل والاعتماد ولم نقدر على أن نذكر من بحار التوحيد إلا قطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد، واستيفاء ذلك في عمر نوح محال، كاستيفاء ماء البحر بأخذ القطرات منه، وكل ذلك ينطوي تحت قول لا إله إلا الله، وما أخف مؤنته على اللسان وما أسهل اعتقاد مفهوم لفظه على القلب وما أعز حقيقته ولبه عند العلماء الراسخين في العلم فكيف عند غيرهم.

فإن قلت: فكيف الجمع بين التوحيد والشرع: ومعنى التوحيد: أن لا فاعل إلا الله تعالى، ومعنى الشرع: إثبات الأفعال للعباد؛ فإن كان العبد فاعلًا فكيف يكون الله تعالى فاعلًا؟ وإن كان الله تعالى فاعلًا فكيف يكون مرددًا بينهما لم يتناقض، كما يقال: قتل الأمير فلانًا، ويقال: قتله الجلاد، ولكن الأمير قاتل بمعنى، والجلاد قاتل بمعنى آخر؛ فكذلك العبد فاعل بمعنى، والله عز وجل فاعل بمعنى آخر؛ فمعنى كون الله تعالى فاعلًا أنه المخترع الموجد. ومعنى كون العبد فاعلًا أنه المحل الذي خلق فيه القدرة بعد أن خلق فيه الإرادة بعد أن خلق فيه العلم، فارتبطت القدرة بالإرادة، والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط، وارتبط بقدرة

الله ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع، وكل ماله ارتباط بقدرة فإن محل القدرة يسمى فاعلًا له كيفما كان الارتباط، كما يسمى الجلاد قاتلًا والأمير قاتلًا؛ لأنّ القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين، فلذلك سمي فعلًا لهما، فكذلك ارتباط المقدورات بالقدرتين، ولأجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الأفعال في القرآن مرة إلى الملائكة ومرة إلى العباد، ونسبها بعينها مرة أخرى إلى نفسه، فقال تعالى في الموت: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السجدة:١١] ثم قال عز وجل: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر:٤٢] وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة:٦٣] أضاف إلينا ثم قال تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا﴾ [عبس:٢٥-٢٨].

وقال عز وجل: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم:١٧] ثم قال تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء:٩١] وكان النافخ جبريل عليه السلام، وكما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٨] قيل في التفسير: معناه إذا قرأه عليه جبريل. وقال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة:١٤] فأضاف القتل إليهم والتعذيب إلى نفسه، والتعذيب هو عين القتل، بل صرح وقال تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال:١٧] وقال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧] وهو جمع بين النفي والإثبات ظاهرًا، ولكن معناه: وما رميت بالمعنى الذي يكون الرب به راميًا إذ رميت بالمعنى الذي يكون العبد به راميًا، إذ هما معنيان مختلفان.

وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:٤-٥] ثم قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرحمن:١-٢] وقال: ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن:٤] وقال: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٩] وقال: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الواقعة:٥٨-٥٩] ثم قال رسول الله ﷺ في وصف ملك الأرحام: «إِنَّهُ يَدْخُلُ الرَّحِمَ فَيَأْخُذُ النُّطْفَةَ فِي يَدِهِ ثُمَّ يُصَوِّرُها جَسَدًا، فَيَقُولُ: يا رَبِّ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى، أَسَوِيٌّ أَمْ مُعْوَجٌ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ما شَاءَ وَيَخْلُقُ المَلَكُ» (١)، وفي لفظ آخر: «وَيُصَوِّرَ المَلَكُ ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ بِالسَّعَادَةِ أَوْ بِالشَّقَاوَةِ». وقد قال بعض السلف: إنّ الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الأرواح في الأجساد، وأنه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من أنفاسه روحًا يلج في جسم، ولذلك سمي روحًا، وما ذكره في مثل هذا الملك وصفته فهو حق شاهده أرباب القلوب ببصائرهم فأما كون الروح عبارة عنه

---

(١) حديث: قال ﷺ في وصف ملك الأرحام «إنه يدخل الرحم فيأخذ النطفة في يده ثم يصورها جسدا». رواه البزار وابن عدي من حديث عائشة «إن الله تبارك وتعالى حين يريد أن يخلق الخلق يبعث ملكا فيدخل الرحم فيقول: يا رب ماذا... الحديث» وفي آخره «فما من شيء إلا وهو يخلق معه في الرحم» وفي سنده جهالة. وقال ابن عدي: إنه منكر، وأصله متفق عليه من حديث ابن مسعود بنحوه. [انظر صحيح الجامع: ٧٩٧ عن حذيفة بن أسيد ولم أقف عليه عن عائشة، وأصله عند البخاري: ٣٢٠٨، ومسلم: ٢٦٤٣].

فلا يمكن أن يعلم إلا بالنقل والحكم به دون النقل تخمين مجرّد، وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن من الأدلة والآيات في الأرض والسموات، ثم قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣] وقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران:١٨] فبين أنه الدليل على نفسه وذلك ليس متناقضًا بل طرق الاستدلال مختلفة، فكم من طالب عرف الله تعالى بالنظر إلى الموجودات، وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله تعالى كما قال بعضهم: عرفت ربي بربي، ولولا ربي لما عرفت ربي، وهو معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣].

وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه المحيـــي والمميت، ثم فوّض الموت والحياة إلى ملكين، ففي الخبر «أنّ ملكي الموت والحياة تناظرا، فقال ملك الموت: أنا أميت الأحياء، وقال ملك الحياة، أنا أحيـــي الموتى، فأوحى الله تعالى إليهما: كونا على عملكما وما سخرتكما له من الصنع، وأنا المميت والمحيـــي لا يميت ولا يحيـــى سواي» (١)، فإذن الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تتناقض هذه المعاني إذا فهمت، ولذلك قال ﷺ للذي ناوله التمرة: «خُذْهَا لَوْ لَمْ تَأْتِها لأَتَتْكَ» (٢)، أضاف الإتيان إليه وإلى التمرة، ومعلوم أنّ التمرة لا تأتي على الوجه الذي يأتي الإنسان إليها وكذلك لما قال التائب: أتوب إلى الله تعالى ولا أتوب إلى محمد، فقال ﷺ «عَرَفَ الحَقَّ لأَهْلِهِ» (٣)، فكل من أضاف الكل، إلى الله تعالى فهو المحقق الذي عرف الحق والحقيقة ومن أضافه إلى غيره فهو المتجوّز والمستعير في كلامه وللتجوّز وجه كما أنّ للحقيقة وجهًا، واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع، ولكن ظن أنّ الإنسان مخترع بقدرته فسماه فاعلًا بحركته وظن أنه تحقيق، وتوهم أنّ نسبته إلى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل إلى الأمير فإنه مجاز بالإضافة إلى نسبته إلى الجلاد فلما انكشف الحق لأهله عرفوا أن الأمر بالعكس وقالوا إن الفاعل قد وضعته أيها اللغوي للمخترع فلا فاعل إلا الله، فالاسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز. أي تتجوّز به عما وضعه اللغوي له، ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الأعراب قصدًا أو اتفاقًا صدّقه رسول الله ﷺ فقال: «أَصْدَقُ بَيْتٍ قَالَهُ الشَّاعِرَ قَوْلُ لَبِيدٍ: «أَلَا كُلُّ شَيْءٍ ما خَلا اللَّهَ بَاطِلُ» (٤) أي كل ما لا قوام له بنفسه ـــ

---

(١) حديث «إن ملكي الموت والحياة تناظرا فقال ملك الموت: أنا أميت الأحياء». لم أجد له أصلا.

(٢) صحيح: حديث: قال للذي ناوله التمرة «خذها لو لم تأتها لأتتك». أخرجه ابن حبان في كتاب روضة العقلاء من رواية هذيل بن شرحبيل، ووصله الطبراني عن هذيل عن ابن عمر ورجاله رجال الصحيح. [انظر صحيح الترغيب: ١٧٠٥].

(٣) ضعيف: حديث إنه قال للذي قال أتوب إلى الله ولا أتـوب إلى محمد «عرف الحق لأهله».تقدم في الزكاة. [انظر السلسلة الضعيفة: ٣٨٦٢].

(٤) صحيح: حديث «أصدق بيت قالته العرب بيت لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل. متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ «قال الشاعر» وفي رواية لمسلم «أشعر كلمة تكلمت بها العرب».[البخاري: ٣٨٤١، ومسلم: ٢٢٥٦].

وإنما قوامه بغيره ـــ فهو باعتبار نفسه باطل، وإنما حقيته وحقيقته بغيره لا بنفسه، فإذن لا حق بالحقيقة إلى الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء، فإنه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته، فهو الحق وما سواه باطل، ولذلك قال سهل: يا مسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون، فلما كنت اليوم صرت تقول أنا وأنا: كن الآن كما لم تكن فإنه اليوم كما كان.

فإن قلت :فقد ظهر الآن أن الكل جبر، فما معنى الثواب والعقاب والغضب والرضا، وكيف غضبه على فعل نفسه؟.

فاعلم أن معنى ذلك قد أشرنا إليه في كتاب الشكر فلا نطول بإعادته، فهذا هو القدر الذي رأينا الرمز إليه من التوحيد الذي يورث حال التوكل ولا يتم هذا إلا بالإيمان بالرحمة والحكمة، فإن التوحيد يورث النظر إلى مسبب الأسباب، والإيمان بالرحمة وسعتها هو الذي يورث الثقة بمسبب الأسباب، ولا يتم حال التوكل كما سيأتي إلا بالثقة بالوكيل وطمأنينة القلب إلى حسن نظر الكفيل، وهذا الإيمان أيضًا باب عظيم من أبواب الإيمان وحكاية طريق المكاشفين فيه تطول، فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقادًا قاطعًا لا يستريب فيه. وهو أن يصدّق تصديقًا يقينًا لا ضعف فيه ولا ريب أن الله عز وجل لو خلق الخلق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وأفاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى لوصفها، ثم زاد مثل عدد جميعهم علمًا وحكمة وعقلًا ثم كشف لهم عن عواقب الأمور وأطلعهم على أسرار الملكوت وعرّفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر، ثم أمرهم أن يدبروا الملك والملكوت بما أعطوا من العلوم والحكم، لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه أن يزاد فيما دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولا أن ينقص منها جناح بعوضة، ولا أن يرفع منها ذرّة ولا أن يخفض منها ذرّة، ولا أن يدفع مرض أو عيب أو نقص أو فقر أو ضر عمن بلي به، ولا أن يزال صحة أو كمال أو غنى أو نفع عمن أنعم الله به عليه، بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والأرض ـــ إن رجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر ـــ ما رأوا فيها من تفاوت ولا فطور، وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وإيمان وكفر وطاعة ومعصية، فكله عدل محض لا جور فيه، وحق صرف لا ظلم فيه، بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي، وليس في الإمكان أصلًا أحسن منه ولا أتم ولا أكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يتفضل بفعله لكان بخلًا يناقض الجود وظلمًا يناقض العدل، ولو لم يكن قادرًا لكان عجزًا يناقض الإلهية، بل كل فقر وضر في الدنيا فهو نقصان من الدنيا وزيادة في الآخرة وكل نقص في الآخرة بالإضافة إلى شخص فهو نعيم بالإضافة إلى غيره، إذ لولا الليل لما عرف قدر النهار، ولولا المرض لما تنعم الأصحاء بالصحة، ولولا النار لما عرف أهل الجنة قدر النعمة، وكما أن فداء أرواح الإنس بأرواح

البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم، بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل، فكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على أهل النيران، وفداء أهل الإيمان بأهل الكفران عين العدل، وما لم يخلق الناقص لا يعرف الكامل، ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الإنس، فإنّ الكمال والنقص يظهر بالإضافة، فمقتضى الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعًا، وكما أن قطع اليد إذا تآكلت إبقاء على الروح عدل لأنه فداء كامل بناقص، فكذلك الأمر في التفاوت الذي بين الخلق في القسمة في الدنيا والآخرة، فكل ذلك عدل لا جور فيه وحق لا لعب فيه، وهذا الآن بحر آخر عظيم العمق واسع الأطراف مضطرب الأمواج قريب في السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين، ولم يعلموا أن ذلك غامض لا يعقله إلا العالمون، ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الأكثرون ومنع من إفشاء سره المكاشفون.

والحاصل أن الخير والشر مقضيّ به، وقد كان ما قضي به واجب الحصول بعد سبق المشيئة فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وأمره، بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر، وما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

ولنقتصر على هذه المرامز من علوم المكاشفة التي هي أصول مقام التوكل، ولنرجع إلى علم المعاملة إن شاء الله تعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الشطر الثاني من الكتاب في أحوال التوكل وأعماله

وفيه بيان حال التوكل، وبيان ما قاله الشيوخ في حدّ التوكل، وبيان التوكل في الكسب للمنفرد والمعيل، وبيان التوكل بترك الادخار وبيان التوكل في دفع المضارّ، وبيان التوكل في إزالة الضرر بالتداوي وغيره، والله الموفق لرحمته.

بيان حال التوكل:

قد ذكرنا أنّ مقام التوكل ينتظم من: علم، وحال، وعمل. وذكرنا العلم.

فأما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه، وإنما العلم أصله والعمل ثمرته، وقد أكثر الخائضون في بيان حدّ التوكل واختلفت عباراتهم، وتكلم كل واحد عن مقام نفسه وأخبر عن حدّه كما جرت عادة أهل التصوّف به، ولا فائدة في النقل والإكثار، فلنكشف الغطاء عنه ونقول:

التوكل مشتق من الوكالة، يقال: وكّل أمره إلى فلان أي فوّضه إليه واعتمد عليه فيه، ويسمى الموكول إليه وكيلًا، ويسمى المفوض إليه متكلًا عليه ومتوكلًا عليه مهما اطمأنت إليه نفسه ووثق به ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزًا وقصورًا، فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده. ولنضرب للوكيل في الخصومة مثلًا فنقول: من ادعي عليه دعوى باطلة بتلبيس فوكل للخصومة من يكشف ذلك التلبيس لم يكن متوكلًا عليه ولا واثقًا

به ولا مطمئن النفس بتوكيله إلا إذا اعتقد فيه أربعة أمور: منتهى الهداية، ومنتهى القوّة، ومنتهى الفصاحة، ومنتهى الشفقة، أما الهداية فليعرف بها مواقع التلبيس حتى لا يخفى عليه من غوامض الحيل شيء أصلًا وأما القدرة والقوّة فليستجري على التصريح بالحق فلا يداهن ولا يخاف ولا يستحي ولا يجبن، فإنه ربما يطلع على وجه تلبيس خصمه فيمنعه الخوف أو الجبن عليه أو الحياء أو صارف آخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به: وأما الفصاحة فهي أيضًا من القدرة إلا أنها قدرة في اللسان على الإفصاح عن كل ما استجرأ القلب عليه وأشار إليه: فلا كل عالم بمواقع التلبيس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدة التلبيس.

وأما منتهى الشفقة فيكون باعثًا له على بذل كل ما يقدر عليه في حقه من المجهود، فإنّ قدرته لا تغني دون العناية به إذا كان لا يهمه أمره ولا يبالي به ظفر خصمه أو لم يظفر هلك به حقه أو لم يهلك؛ فإن كان شاكًّا في هذه الأربعة أو في واحدة منها أو جوّز أن يكون خصمه في هذه الأربعة أكمل منه لم تطمئن نفسه إلى وكيله، بل بقي منزعج القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذره من قصور وكيله وسطوة خصمه ويكون تفاوت درجة أحواله في شدّة الثقة والطمأنينة بحسب تفاوت قوّة اعتقاده لهذه الخصال فيه، والاعتقادات والظنون في القوّة والضعف تتفاوت تفاوتًا لا ينحصر، فلا جرم تتفاوت أحوال المتوكلين في قوّة الطمأنينة والثقة تفاوتًا لا ينحصر إلى أن ينتهي إلى اليقين الذي لا ضعف فيه، كما لو كان الوكيل والد الموكل وهو الذي يسعى لجمع الحلال والحرام لأجله، فإنه يحصل له يقين بمنتهى الشفقة والعناية فتصير خصلة واحدة من الخصال الأربعة قطعية وكذلك سائر الخصال يتصور أن يحصل القطع به، وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الأخبار بأنه أفصح الناس لسانًا وأقدرهم بيانًا وأقدرهم على نصرة الحق بل على تصوير الحق بالباطل والباطل بالحق فإذا عرفت التوكل في هذا المثال فقس عليه التوكل على الله تعالى، فإن ثبت في نفسك بكشف أو باعتقاد جازم أنه لا فاعل إلا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العناية والعطف والرحمة بجملة العباد والآحاد وأنه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة، اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت إلى غيره بوجه ولا إلى نفسه وحوله وقوّته، فإنه لا حول ولا قوّة إلا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة، فإنّ الحول عبارة عن الحركة، والقوة عبارة عن القدرة، فإن كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسببه أحد أمرين: إما ضعف اليقين بإحدى هذه الخصال الأربعة، وإما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن وانزعاجه بسبب الأوهام الغالبة عليه، فإن القلب قد ينزعج تبعًا للوهم وطاعة له عن غير نقصان في اليقين، فإنّ من يتناول عسلًا فشبه بين يديه بالعذرة ربما نفر طبعه وتعذر عليه تناوله، ولو كلف العاقل أن يبيت مع الميت في قبر أو فراش أو بيت نفر طبعه عن ذلك وإن كان متيقنًا

بكونه ميتًا وأنه جماد في الحال وأنّ سنة الله تعالى مطردة بأنه لا يحشره الآن ولا يحييه وإن كان قادرًا عليه، كما أنها مطردة بأن لا يقلب القلم الذي في يده حية ولا يقلب السنور أسدًا وإن كان قادرًا عليه، ومع أنه لا يشك في هذا اليقين ينفر طبعه عن مضاجعة الميت في فراش أو المبيت معه في البيت ولا ينفر عن سائر الجمادات، وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قلما يخلو الإنسان عن شيء منه وإن قل، وقد يقوى فيصير مرضًا حتى يخاف أن يبيت في البيت وحده مع إغلاق الباب وإحكامه، فإذن لا يتم التوكل إلا بقوة القلب وقوة اليقين جميعًا، إذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته، فالسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] فالتمس أن يكون مشاهدًا إحياء الميت بعينه ليثبت في خياله فإن النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في ابتداء أمرها إلى أن تبلغ بالآخرة إلى درجة النفس المطمئنة؛ وذلك لا يكون في البداية أصلًا، وكم من مطمئن لا يقين له كسائر أرباب الملل والمذاهب، فإنّ اليهودي مطمئن القلب إلى تهوّده، وكذا النصراني ولا يقين لهم أصلًا، وإنما يتبعون الظنّ وما تهوى الأنفس، ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين، إلا أنهم معرضون عنه، فإذن الجبن والجراءة غرائز ولا ينفع اليقين معها، فهي أحد الأسباب التي تضاد حال التوكل، كما أنّ ضعف اليقين بالخصال الأربعة أحد الأسباب، وإذا اجتمعت هذه الأسباب حصلت الثقة بالله تعالى؛ وقد قيل: مكتوب في التوراة: ملعون من ثقته إنسان مثله، وقد قال ﷺ: «من استعز بالعبيد أذله الله تعالى»[1]، وإذا انكشف لك معنى التوكل وعلمت الحالة التي سميت توكلًا فاعلم أنّ تلك الحالة لها في القوّة والضعف ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: ما ذكرناه؛ وهو أن يكون حاله في حق الله تعالى والثقة بكفالته وعنايته كحاله في الثقة بالوكيل.

الثانية: وهي أقوى. أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه فإنه لا يعرف غيرها ولا يفزع إلى أحد سواها ولا يعتمد إلا إياها، فإذا رآها تعلق في كل حال بذيلها ولم يخلها، وإن نابه أمر في غيبتها كان أول سابق إلى لسانه: يا أماه، وأول خاطر يخطر على قلبه أمه فإنها مفزعه، فإنه قد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها ثقة ليست خالية عن نوع إدراك بالتمييز الذي له، ويظن أنه طبع من حيث إنّ الصبي لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر على تلقين لفظه ولا على إحضاره مفصلًا في ذهنه، ولكن كل ذلك وراء الإدراك، فمن كان باله إلى الله

---

(١) ضعيف: حديث «من استعز بالعبيد أذله الله». أخرجه العقيلي في الضعفاء، وأبو نعيم في الحلية من حديث عمر، أورده العقيلي في ترجمة عبد الله بن عبد الله الأموي وقال: لا يتابع على حديثه، وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال: يخالف في روايته. [انظر السلسلة الضعيفة: ٢١٢٠].

عز وجل ونظره إليه واعتماده عليه كلف به كما يكلف الصبي بأمه فيكون متوكلًا حقًّا، فإنّ الطفل متوكل على أمه. والفرق بين هذا وبين الأول: أن هذا متوكل وقد فني في توكله عن توكله إذ ليس يلتفت قلبه إلى التوكل وحقيقته، بل إلى المتوكل عليه فقط، فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه. وأما الأوّل فيتوكل بالتكلف والكسب وليس فانيًا عن توكله لأنّ له التفاتًا إلى توكله وشعورًا به، وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده، وإلى هذه الدرجة أشار سهل حيث سئل عن التوكل: ما أدناه؟ قال: ترك الأماني. قيل: وأوسطه؟ قال: ترك الاختيار، وهو إشارة إلى الدرجة الثانية. وسئل عن أعلاه فلم يذكره وقال: لا يعرفه إلا من بلغ أوسطه.

الثالثة: وهي أعلاها، أن يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه إلا في أنه يرى نفسه ميتًا تحرّكه القدرة الأزلية كما تحرك يد الغاسل الميت، وهو الذي قوي يقينه بأنه مجري للحركة والقدرة والإرادة والعلم وسائر الصفات، وأن كلًّا يحدث جبرًا فيكون بائنًا عن الانتظار لما يجري عليه، ويفارق الصبي فإنّ الصبي يفزع إلى أمه ويصيح ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها، بل هو مثل صبي علم أنه وإن لم يزعق بأمه فالأم تطلبه وأنه وإن لم يتعلق بذيل أمه فالأم تحمله، وإن لم يسألها اللبن فالأم تفاتحه وتسقيه، وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته، وأنه يعطي ابتداء أفضل مما يسأل، فكم من نعمة ابتدأها قبل السؤال والدعاء وبغير الاستحقاق، والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال منه وإنما يقتضي ترك السؤال من غيره فقط.

فإن قلت: فهذه الأحوال هل يتصور وجودها؟.

فاعلم أن ذلك ليس بمحال ولكنه عزيز نادر، والمقام الثاني والثالث أعزها، والأوّل أقرب إلى الإمكان، ثم إذا وجد الثالث والثاني فدوامه أبعد منه، بل يكاد لا يكون المقام الثالث في دوامه إلا كصفرة الوجل، فإنّ انبساط القلب إلى ملاحظة الحول والقوّة والأسباب طبع وانقباضه عارض، كما أنّ انبساط الدم إلى جميع الأطراف طبع وانقباضه عارض. والوجل عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة إلى الباطن حتى تنمحي عن ظاهر البشرة الحمرة التي كانت ترى من وراء الرقيق من ستر البشرة، فإنّ البشرة ستر رقيق تتراءى من ورائه حمرة الدم، وانقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم، وكذا انقباض القلب بالكلية عن ملاحظة القول والقوّة وسائر الأسباب الظاهرة لا يدوم، وأما المقام الثاني فيشبه صفرة المحموم فإنه قد يدوم يومًا ويومين، والأول يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد أن يدوم ولا يبعد أن يزول.

فإن قلت: فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالأسباب في هذه الأحوال؟.

فاعلم أنّ المقام الثالث ينفي التدبير رأسًا ما دامت الحالة باقية، بل يكون صاحبها كالمبهوت. والمقام الثاني ينفي كل تدبير إلا من حيث الفزع إلى الله بالدعاء والابتهال

كتدبير الطفل في التعلق بأمه فقط.

والمقام الأول لا ينفي أصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات كالمتوكل على وكيله في الخصومة فإنه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي أشار إليه وكيله به أو التدبير الذي عرفه من عادته وسننه دون صريح إشارته، فأما الذي يعرفه بإشارته بأن يقول له: لست أتكلم إلا في حضورك فيشتغل لا محالة بالتدبير للحضور، ولا يكون هذا مناقضًا توكله عليه، إذ ليس هو فزعًا منه إلى حول نفسه وقوّته في إظهار الحجة ولا إلى حول غيره، بل من تمام توكله عليه أن يفعل ما رسمه له؛ إذ لو لم يكن متوكلًا عليه ولا معتمدًا له في قوله لما حضر؛ فقوله: وأما المعلوم من عادته واطراد سنته: فهو أن يعلم من عادته أنه لا يحاج الخصم إلا من السجل، فتمام توكله إن كان متوكلًا عليه: أن يكون معولًا على سنته وعادته ووافيًا بمقتضاها: وهو أن يحمل السجل مع نفسه إليه عند مخاصمته؛ فإذن لا يستغني عن التدبير في الحضور وعن التدبير في إحضار السجل، ولو ترك شيئًا من ذلك كان نقصًا في توكله فكيف يكون فعله نقصًا فيه، نعم بعد أن حضر وفاء بإشارته وأحضر السجل وفاء بسنته وعادته وقعد ناظرًا إلى محاجته فقد ينتهي إلى المقام الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمبهوت المنتظر لا يفزع إلى حوله وقوّته إذ لم يبق له حول ولا قوّة.

وقد كان فزعه إلى حوله وقوّته في الحضور وإحضار السجل بإشارة الوكيل وسنته، وقد انتهى نهايته فلم يبق إلا طمأنينة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري، وإذا تأملت هذا اندفع عنك كل إشكال في التوكل وفهمت أنه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وأنّ كل تدبير وعمل لا يجوز أيضًا مع التوكل بل هو على الانقسام وسيأتي تفصيله في الأعمال، فإذا فزع المتوكل إلى حوله وقوّته في الحضور والإحضار لا يناقض التوكل لأنه يعلم أنه لولا الوكيل لكان حضوره وإحضاره باطلًا وتعبًا محضًا بلا جدوى؛ فإذن لا يصير مفيدًا من حيث إنه حوله وقوّته بل من حيث إنّ الوكيل جعله معتمدًا لمحاجته، وعرّفه ذلك بإشارته وسنته، فإذن لا حول ولا قوّة إلا بالوكيل، إلا أن هذه الكلمة لا يكمل معناها في حق الوكيل لأنه ليس خالقًا حوله وقوته، بل هو جاعل لهما مفيدين في أنفسهما ولم يكونا مفيدين لولا فعله، وإنما يصدق ذلك في حق الوكيل الحق وهو الله تعالى إذ هو خالق الحول والقوّة كما سبق في التوحيد وهو الذي جعلهما مفيدين إذ جعلهما شرطًا لما سيخلقه من بعدهما من الفوائد والمقاصد، فإذن لا حول ولا قوة إلا بالله حقًا وصدقًا، فمن شاهد هذا كله كان له الثواب العظيم الذي وردت به الأخبار فيمن يقول لا حول ولا قوّة إلا بالله [(١)]، وذلك قد

(١) - أحاديث ثواب قول لا حول ولا قوة إلا بالله. تقدمت في الدعوات. [منها عند البخاري: ٤٢٠٥، ومسلم: ٢٧٠٤ عن أبي موسى].

يستبعد فيقال: كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب بمفهوم لفظها؟ وهيهات فإنما ذلك جزاء على هذه المشاهدة التي ذكرناها في التوحيد، ونسبة هذه الكلمة وثوابها إلى كلمة (لا إله إلا الله) وثوابها كنسبة معنى إحداهما إلى الأخرى، إذ في هذه الكلمة إضافة شيئين إلى الله تعالى فقط وهما الحول والقوة، وأما كلمة لا إله إلا الله فهو نسبة الكل إليه.

فانظر إلى التفاوت بين الكل وبين شيئين لتعرف به ثواب (لا إله إلا الله) بالإضافة إلى هذا، وكما ذكرنا من قبل أن للتوحيد قشرين ولبين، فكذلك لهذه الكلمة ولسائر الكلمات، وأكثر الخلق قيدوا بالقشرين وما طرقوا إلى اللبين، وإلى اللبين الإشارة بقوله ﷺ: «مَنْ قالَ لا إله إلاّ اللّهُ صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ مُخْلِصًا وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ» (١)، وحيث أطلق من غير ذكر الصدق والإخلاص أراد بالمطلق هذا المقيد كما أضاف المغفرة إلى الإيمان والعمل الصالح في بعض المواضع، وأضافها إلى مجرد الإيمان في بعض المواضع، والمراد به المقيد بالعمل الصالح، فالملك لا ينال بالحديث وحركة اللسان حديث وعقد القلب أيضًا حديث ولكنه حديث نفس، وإنما الصدق والإخلاص وراءهما، ولا ينصب سرير الملك إلا للمقرّبين وهم المخلصون، نعم لمن يقرب منهم في الرتبة من أصحاب اليمين أيضًا درجات عند الله تعالى وإن كانت لا تنتهي إلى الملك، أما ترى أن الله سبحانه لما ذكر في سورة الواقعة المقربين السابقين تعرض لسرير الملك فقال: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ﴾ [الواقعة: ١٥-١٦] ولما انتهى إلى أصحاب اليمين ما زاد في ذكر الماء والظل والفواكه والأشجار والحور العين، وكل ذلك من لذات المنظور والمشروب والمأكول والمنكوح، ويتصور ذلك للبهائم على الدوام، وأين لذات البهائم من لذة الملك؟ والنزول في أعلى عليين في جوار رب العالمين؟ ولو كان لهذه اللذات قدر لما وسعت على البهائم ولما رفعت عليها درجة الملائكة، أفترى أنّ أحوال البهائم ــ وهي مسيبة في الرياض متنعمة بالماء والأشجار وأصناف المأكولات متمتعة بالنزوان والسفاد ــ أعلى وألذ وأشرف وأجدر بأن تكون عند ذوي الكمال مغبوطة ــ من أحوال الملائكة في سرورهم بالقرب من جوار رب العالمين في أعلى عليين، هيهات هيهات ما أبعد عن التحصيل من إذا خير بين أن يكون حمارًا أو يكون في درجة جبريل عليه السلام فيختار درجة الحمار على درجة جبريل عليه السلام وليس يخفى أنّ شبه كل شيء منجذب إليه، وأنّ النفس التي نزوعها إلى صنعة الأساكفة أكثر من نزوعها إلى صنعة الكتابة، فهو بالأساكفة أشبه في جوهره منه بالكتاب، وكذلك من نزوع نفسه إلى نيل لذات

---

(١) صحيح: حديث «من قال لا إله إلا الله صادقا مخلصا من قلبه وجبت له الجنة». رواه الطبراني من حديث زيد بن أرقم، وأبو يعلى من حديث أبي هريرة، وقد تقدم. [انظر صحيح الجامع: ٨٥١].

البهائم أكثر من نزوعها إلى نيل لذات الملائكة، فهو بالبهائم أشبه منه بالملائكة لا محالة، وهؤلاء هم الذين يقال فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وإنما كانوا أضل لأن الأنعام ليس في قوّتها طلب درجة الملائكة، فتركها الطلب للعجز. وأما الإنسان ففي قوته ذلك، والقادر على نيل الكمال أحرى بالذم وأجدر بالنسبة إلى الضلال مهما تقاعد عن طلب الكمال. وإذا كان هذا كلامًا معترضًا فلنرجع إلى المقصود فقد بيّنا معنى قوله: (لا إله إلا الله) ومعنى قول: (لا حول ولا قوة إلا بالله) وأن من ليس قائلًا بهما عن مشاهدة فلا يتصور منه حال التوكل.

فإن قلت: ليس في قولك (لا حول ولا قوة إلا بالله) إلا نسبة شيئين إلى الله، فلو قال قائل: السماء والأرض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه؟

فأقول: لا؛ لأن الثواب على قدر درجة المثاب عليه ولا مساواة بين الدرجتين ولا ينظر إلى عظم السماء والأرض وصغر الحول والقوة إن جاز وصفهما بالصغر تجوزًا، فليست الأمور بعظم الأشخاص بل كل عامي يفهم أن الأرض والسماء ليستا من جهة الآدميين بل هما من خلق الله تعالى، فأما الحول والقوة فقد أشكل أمرهما على المعتزلة والفلاسفة وطوائف كثيرة ممن يدعي أنه يدقق النظر في الرأي والمعقول حتى يشق الشعر بحدّة نظره، فهي مهلكة مخطرة، ومزلة عظيمة هلك فيها الغافلون إذ أثبتوا لأنفسهم أمرًا وهو شرك في التوحيد وإثبات خالق سوى الله تعالى، فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله تعالى إياه فقد علت رتبته وعظمت درجته فهو الذي يصدق قول لا حول ولا قوّة إلا بالله، وقد ذكرنا أنه ليس في التوحيد إلا عقبتان:

إحداهما: النظر إلى السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والغيم والمطر وسائر الجمادات.

والثانية: النظر إلى اختيار الحيوانات وهي أعظم العقبتين وأخطرهما وبقطعهما كمال سر التوحيد فلذلك عظم ثواب هذه الكلمة أعني ثواب المشاهدة التي هذه الكلمة ترجمتها؛ فإذا رجع حال التوكل إلى التبري من الحول والقوّة والتوكل على الواحد الحق، وسيتضح عند ذكرنا تفصيل أعمال التوكل إن شاء الله تعالى.

بيان ما قاله الشيوخ في أحوال التوكل:

ليتبين أنّ شيئًا منها لا يخرج عما ذكرنا ولكن كل واحد يشير إلى بعض الأحوال، فقد قال أبو موسى الديلي: قلت لأبي يزيد: ما التوكل؟ فقال: ما تقول أنت؟ قلت: إن أصحابنا يقولون: لو أن السباع والأفاعي عن يمينك ويسارك ما تحرّك لذلك سرك. فقال أبو يزيد: نعم هذا قريب ولكن لو أن أهل الجنة في الجنة يتنعمون وأهل النار في النار يعذبون ثم وقع بك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل، فما ذكره أبو موسى فهو خبر عن أجل أحوال التوكل

وهو المقام الثالث، وما ذكره أبو يزيد عبارة عن أعز أنواع العلم الذي هو من أصول التوكل وهو العلم بالحكمة، وأن ما فعله الله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين أهل النار وأهل الجنة بالإضافة إلى أصل العدل والحكمة وهذا أغمض أنواع العلم ووراءه سر القدر، وأبو يزيد قلما يتكلم إلا عن أعلى المقامات وأقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن الحياة شرطًا في المقام الأوّل من التوّكل؛ فقد احترز أبو بكر رضي الله عنه في الغار إذ سدّ منافذ الحيات [1] إلا أن يقال فعل ذلك برجله ولم يتغير بسببه سره، أو يقال: إنما فعل ذلك شفقة في حق رسول الله ﷺ لا في حق نفسه، وإنما يزول التوّكل بتحرّك سره وتغيره لأمر يرجع إلى نفسه، وللنظر في هذا مجال، ولكن سيأتي بيان أن أمثال ذلك وأكثر منه لا يناقض التوّكل، فإنّ حركة السر من الحيات هو الخوف، وحق المتوكل أن يخاف مسلط الحيات، إذ لا حول للحيات ولا قوة لها إلا بالله، فإن احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير.

وسئل ذو النون المصري عن التوكل؟ فقال: خلع الأرباب وقطع الأسباب، فخلع الأرباب إشارة إلى علم التوحيد، وقطع الأسباب إشارة إلى الأعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وإن كان اللفظ يتضمنه فقيل له: زدنا فقال: إلقاء النفس في العبودية وإخراجها من الربوبية، وهذا إشارة إلى التبري من الحول والقوة فقط.

وسئل حمدون القصار عن التوكل؟ فقال: إن كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانق دين لم تأمن أن تموت ويبقى دينك في عنقك، ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وفاء لا تيأس من الله تعالى أن يقضيها عنك، وهذا إشارة إلى مجرّد الإيمان بسعة القدرة، وأن في المقدورات أسبابًا خفية سوى هذه الأسباب الظاهرة.

وسئل أبو عبد الله القرشي عن التوكل؟ فقال: التعلق بالله تعالى في كل حال، فقال السائل: زدني فقال: ترك كل سبب يوصل إلى سبب حتى يكون الحق هو المتولي لذلك، فالأوّل عام للمقامات الثلاث، والثاني إشارة إلى المقام الثالث خاصة، وهو مثل توكل إبراهيم ﷺ إذ قال له جبريل عليه السلام: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، إذ كان سؤاله سببًا يفضي إلى سبب وهو حفظ جبريل له، فترك ذلك ثقة بأن الله تعالى إن أراد سخر جبريل لذلك، فيكون هو المتولي لذلك، وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بالله تعالى فلم ير معه غيره، وهو حال عزيز في نفسه، ودوامه إن وجد أبعد منه وأعز.

وقال أبو سعيد الخراز: التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب، ولعله يشير إلى

---

(١) حديث: إن أبا بكر سد منافذ الحيات في الغار شفقة على النبي ﷺ. تقدم. [انظر المشكاة: ٦٠٢٥، وقال الألباني: لم تتم دراسته].

المقام الثاني، فسكونه بلا اضطراب: إشارة إلى سكون القلب إلى الوكيل وثقته به، واضطراب بلا سكون: إشارة إلى فزعه إليه وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيديه إلى أمه وسكون قلبه إلى تمام شفقتها.

وقال أبو علي الدقاق: التوكل ثلاث درجات: التوكل، ثم التسليم، ثم التفويض، فالمتوكل يسكن إلى وعده، والمسلم يكتفي بعلمه، وصاحب التفويض يرضى بحكمه. وهذا إشارة إلى تفاوت درجات نظره بالإضافة إلى المنظور إليه، فإنّ العلم هو الأصل، والوعد يتبعه، والحكم يتبع الوعد، ولا يبعد أن يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شيء من ذلك، وللشيوخ في التوكل أقاويل سوى ما ذكرناه فلا نطول بها فإن الكشف أنفع من الرواية والنقل، فهذا ما يتعلق بحال التوكل، والله الموفق برحمته ولطفه.

بيان أعمال المتوكلين:

اعلم أن العلم يورث الحال، والحال يثمر الأعمال، وقد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة وكاللحم على الوضم وهذا ظن الجهال، فإنّ ذلك حرام في الشرع، والشرع قد أثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين، بل نكشف الغطاء عنه ونقول إنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعلمه إلى مقاصده، وسعي العبد باختياره إما أن يكون لأجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب، أو لحفظ نافع هو موجود عنده كالادّخار، أو لدفع ضارّ لم ينزل به كدفع الصائل والسارق والسباع، أو لإزالة ضارّ قد نزل به كالتداوي من المرض، فمقصود حركات العبد لا تعدو هذه الفنون الأربعة وهو جلب النافع أو حفظه، أو دفع الضارّ أو قطعه، فلنذكر شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقرونًا بشواهد الشرع.

الفن الأوّل: في جلب النافع: فنقول فيه: الأسباب التي بها يجلب النافع على ثلاث درجات: مقطوع به، ومظنون ظنًّا يوثق به، وموهوم وهمًا لا تثق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن إليه.

الدرجة الأولى: المقطوع به، وذلك مثل الأسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطًا مطردًا لا يختلف، كما أنّ الطعام إذا كان موضوعًا بين يديك وأنت جائع محتاج ولكنك لست تمدّ اليد إليه وتقول أنا متوكل، وشرط التوكل ترك السعي ومدّ اليد إليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالأسنان وابتلاعه بإطباق أعالي الحنك على أسافله، فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء، فإنك إن انتظرت أن يخلق الله تعالى فيك شبعًا دون الخبز، أو يخلق في الخبز حركة إليك، أو يسخر ملكًا ليمضغه لك ويوصله إلى معدتك: فقد جهلت سنة الله تعالى، وكذلك لو لم تزرع الأرض وطمعت في أن يخلق الله تعالى نباتًا من غير بذر،

أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام. فكل ذلك جنون وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن إحصاؤه، فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم. أما العلم: فهو أن تعلم أن الله تعالى خلق الطعام واليد والأسنان وقوّة الحركة وأنه هو الذي يطعمك ويسقيك.

وأما الحال: فهو أن يكون سكون قلبك واعتمادك على فعل الله تعالى لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف في الحال وتفلج؟ وكيف تعول على قدرتك وربما يطرأ عليك في الحال ما يزيل عقلك ويبطل قوة حركتك؟ وكيف تعول على حضور الطعام، وربما يسلط الله تعالى من يغلبك عليه أو يبعث حية تزعجك عن مكانك وتفرّق بينك وبين طعامك. وإذا احتمل أمثال ذلك ولم يكن لها علاج إلا بفضل الله تعالى فبذلك فلتفرح وعليه فلتعول، فإذا كان هذا حاله وعلمه فيلمدّ اليد فإنه متوكل.

الدرجة الثانية: الأسباب التي ليست متيقنة ولكن الغالب أنّ المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدًا، كالذي يفارق الأمصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس إلا نادرًا ويكون سفره من غير استصحاب زاد، فهذا ليس شرطًا في التوكل، بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الأوّلين، ولا يزول التوكل به بعد أن يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق، ولكن فعل ذلك جائز. وهو من أعلى مقامات التوكل ولذلك كان يفعله الخوّاص.

فإن قلت: فهذا سعي في الهلاك وإلقاء النفس في التهلكة.

فاعلم أنّ ذلك يخرج عن كونه حرامًا بشرطين:

أحدهما: أن يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدها وسوّاها على الصبر عن الطعام أسبوعًا وما يقاربه بحيث يصبر عنه بلا ضيق قلب وتشوّش خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى.

والثاني: أن يكون بحيث يقوى على التقوت بالحشيش وما يتفق من الأشياء الخسيسة؛ فبعد هذين الشرطين لا يخلو في غالب الأمر في البوادي في كل أسبوع عن أن يلقاه آدمي أو ينتهي إلى حلة أو قرية أو إلى حشيش يجتزىء به فيحيا به مجاهدًا نفسه. والمجاهدة عماد التوكل، وعلى هذا كان يعول الخوّاص ونظراؤه من المتوكلين. والدليل عليه أنّ الخواص كان لا تفارقه الإبرة والمقراض والحبل والركوة ويقول: هذا لا يقدح في التوكل. وسببه أنه علم أنّ البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الأرض، وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البئر بغير دلو ولا حبل ولا يغلب وجود الحبل والدلو في البوادي كما يغلب وجود الحشيش، والماء يحتاج إليه لوضوئه كل يوم مرات ولعطشه في كل يوم أو يومين مرة؛ فإنّ المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وإن صبر عن الطعام، وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرّق فتنكشف عورته ولا يوجد المقراض والإبرة في البوادي غالبًا عند كل صلاة، ولا يقوم

مقامهما في الخياطة والقطع شيء مما يوجد في البوادي، فكل ما في معنى هذه الأربعة أيضًا يلتحق بالدرجة الثانية؛ لأنه مظنون ظنًّا ليس مقطوعًا به؛ لأنه يحتمل أن لا يتخرّق الثوب أو يعطيه إنسان ثوبًا أو يجد على رأس البئر من يسقيه، ولا يحتمل أن يتحرّك الطعام ممضوغًا إلى فيه، فبين الدرجتين فرقان ولكن الثاني في معنى الأوّل، ولهذا نقول: لو انحاز إلى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلًا، فهو آثم به ساع في هلاك نفسه، كما روي أنّ زاهدًا من الزهاد فارق الأمصار وأقام في سفح جبل سبعًا وقال: لا أسأل أحدًا شيئًا حتى يأتيني ربي برزقي، فقعد سبعًا فكاد يموت ولم يأته رزق، فقال: يا رب إن أحييتني فائتني برزقي الذي قسمت لي وإلا فاقبضني إليك، فأوحى الله جل ذكره إليه. وعزتي لا لأرزقنك حتى تدخل الأمصار وتقعد بين الناس. فدخل المصر وقعد، فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب، فأكل وشرب وأوجس في نفسه من ذلك، فأوحى الله تعالى إليه. أردت أن تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا أما علمت أني أرزق عبدي بأيدي عبادي أحب إليّ من أن أرزقه بيد قدرتي، فإذن التباعد عن الأسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الأسباب لا يناقض التوكل كما ضربناه مثلًا في الوكيل بالخصومة من قبل، ولكنّ الأسباب تنقسم إلى ظاهرة وإلى خفية، فمعنى التوكل الاكتفاء بالأسباب الخفية عن الأسباب الظاهرة مع سكون النفس إلى مسبب السبب لا إلى السبب.

فإن قلت: فما قولك في القعود في البلد بغير كسب، أهو حرام أو مباح أو مندوب؟.

فاعلم أن ذلك ليس بحرام لأن صاحب السياحة في البادية إذا لم يكن مهلكًا نفسه فهذا كيف كان لم يكن مهلكًا نفسه حتى يكون فعله حرامًا، بل لا يبعد أن يأتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتأخر عنه، والصبر ممكن إلى أن يتفق، ولكن لو أغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لأحد إليه ففعله ذلك حرام، وإن فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة فالكسب والخروج أولى له، ولكن ليس فعله حرامًا إلا أن يشرف على الموت: فعند ذلك يلزمه الخروج والسؤال والكسب، وإن كان مشغول القلب بالله غير مستشرف إلى الناس ولا متطلع إلى من يدخل من الباب فيأتيه برزقه، بل تطلعه إلى فضل الله تعالى واشتغاله بالله، فهو أفضل، وهو من مقامات التوكل؛ وهو أن يشتغل بالله تعالى ولا يهتم برزقه، فإنّ الرزق يأتيه لا محالة، وعند هذا يصح ما قاله بعض العلماء: وهو أنّ العبد لو هرب من رزقه لطلبه، كما لو هرب من الموت لأدركه، وأنه لو سأل الله تعالى أن لا يرزقه لما استجاب وكان عاصيًا، ولقال له: يا جاهل، كيف أخلقك ولا أرزقك؟ ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: اختلف الناس في كل شيء إلا في الرزق والأجل، فإنهم أجمعوا على أن لا رازق ولا مميت إلا الله تعالى. وقال ﷺ: «لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو

خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا وَلَزَالَتْ بِدُعَائِكُمْ الجِبَالُ» (١)، وقال عيسى عليه السلام: انظروا إلى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يومًا بيوم؛ فإن قلتم نحن أكبر بطونًا فانظروا إلى الأنعام كيف قيض الله تعالى لها هذا الحق للرزق. وقال أبو يعقوب السوسي: المتوكلون تجري أرزاقهم على أيدي العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون. وقال بعضهم: العبيد كلهم في رزق الله تعالى، لكن بعضهم يأكل بذل كالسؤال، وبعضهم بتعب وانتظار كالتجار، وبعضهم بامتهان كالصناع، وبعضهم بعز كالصوفية يشهدون العزيز فيأخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة.

الدرجة الثالثة: ملابسة الأسباب التي يتوهم إفضاؤها إلى المسببات من غير ثقة ظاهرة، كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب ووجوهه، وذلك يخرج بالكلية عن درجات التوكل كلها، وهو الذي فيه الناس كلهم: أعني من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابًا مباحًا لمال مباح، فأما أخذ الشبهة أو اكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الأسباب، فلا يخفى أن ذلك يبطل التوكل وهذا مثل الأسباب التي نسبتها إلى جلب النافع مثل نسبة الرقية والطير والكي بالإضافة إلى إزالة الضارّ، فإن النبي وصف المتوكلين بذلك ولم يصفهم بأنهم لا يكتسبون ولا يسكنون الأمصار ولا يأخذون من أحد شيئًا، بل وصفهم بأنهم يتعاطون هذه الأسباب، وأمثال هذه الأسباب التي يوثق بها في المسببات مما يكثر فلا يمكن إحصاؤها. وقال سهل في التوكل: إنه ترك التدبير وقال: إنّ الله خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه، وإنما حجابهم بتدبيرهم، ولعله أراد به استنباط الأسباب البعيدة بالفكر فهي التي تحتاج إلى التدبير دون الأسباب الجلية، فإذن قد ظهر أن الأسباب منقسمة إلى ما يخرج التعلق بها عن التوكل وإلى ما لا يخرج، وأن الذي يخرج ينقسم إلى مقطوع به وإلى مظنون، وأن المقطوع به لا يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الأسباب، فالتوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل. وأما المظنونات فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعًا، والمتوكلون في ملابسة هذه الأسباب على ثلاثة مقامات:

الأوّل: مقام الخواص ونظرائه، وهو الذي يدور في البوادي بغير زاد ثقة بفضل الله تعالى عليه في تقويته على الصبر أسبوعًا وما فوقه، أو تيسير حشيش له أو قوت، أو تثبيته على الرضا

---

(١) حديث «لو توكلتم على الله حق توكله». [الترمذي: ٢٣٤٤، وانظر صحيح الترمذي] وقد تقدم قريبا دون هذه الزيادة، فرواها الإمام محمد بن نصر في كتاب تعظيم قدر الصلاة من حديث معاذ بن جبل بإسناد فيه لين «لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال» [انظر السلسلة الضعيفة: ٤٣٥٧، وقال الألباني: منكر ضعيف الإسناد] ورواه البيهقي في الزهد من رواية وهيب المكي مرسلا دون قوله «لمشيتم على البحور» وقال: هذا منقطع.

بالموت إن لم يتيسر شيء من ذلك، فإن الذي يحمل الزاد قد يفقد الزاد أو يضل بعيره ويموت جوعًا، فذلك ممكن مع الزاد كما أنه يمكن مع فقده.

المقام الثاني: أن يقعد في بيته أو في مسجد ولكنه في القرى والأمصار، وهذا أضعف من الأوّل، ولكنه أيضًا متوكل لأنه تارك للكسب والأسباب الظاهرة، معول على فضل الله تعالى في تدبير أمره من جهة الأسباب الخفية، ولكنه بالقعود في الأمصار متعرّض لأسباب الرزق، فإن ذلك من الأسباب الجالبة، إلا أن ذلك لا يبطل توكله إذا كان نظره إلى الذي يسخر له سكان البلد لإيصال رزقه إليه لا إلى سكان البلد، إذ يتصور أن يغفل جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله تعالى بتعريفهم وتحريك دواعيهم.

المقام الثالث: أن يخرج ويكتسب اكتسابًا على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب، وهذا السعي لا يخرجه أيضًا عن مقامات التوكل إذا لم يكن طمأنينة نفسه إلى كفايته وقوّته وجاهه وبضاعته، فإن ذلك ربما يهلكه الله تعالى جميعه في لحظة، بل يكون نظره إلى الكفيل الحق بحفظ جميع ذلك وتيسير أسبابه له، بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالإضافة إلى قدرة الله تعالى كما يرى القلم في يد الملك الموقع، فلا يكوّن نظره إلى القلم بل إلى قلب الملك أنه بماذا يتحرّك؟ وإلى ماذا يميل؟ وبم يحكم؟ ثم إن كان هذا المكتسب مكتسبًا لعياله أو ليفرّق على المساكين فهو ببدنه مكتسب وبقلبه عنه منقطع؛ فحال هذا أشرف من حال القاعد في بيته، والدليل على أن الكسب لا ينافي حال التوكل إذا روعيت فيه الشروط وانضاف إليه الحال والمعرفة كما سبق أن الصدّيق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة أصبح آخذًا الأثواب تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادي، حتى كرهه المسلمون وقالوا: كيف تفعل ذلك وقد أقمت لخلافه النبوّة؟ فقال: لا تشغلوني عن عيالي فإني إن أضعتهم كنت لما سواهم أضيع حتى فرضوا له قوت أهل بيت من المسلمين، فلما رضوا بذلك رأى مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين أولى، ويستحيل أن يقال: لم يكن الصديق في مقام التوكل فمن أولى بهذا المقام منه؟ فدل على أنه كان متوكلًا لا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات إلى قوته وكفايته ولعلم بأن الله هو ميسر الاكتساب ومدبر الأسباب وبشروط كان يراعيها في طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار ومن غير أن يكون درهمه أحب إليه من درهم غيره، فمن دخل السوق ودرهمه أحب إليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب لها، ولا يصح التوكل إلا مع الزهد في الدنيا، نعم يصح الزهد دون التوكل فإن التوكل مقام وراء الزهد. وقال أبو جعفر الحداد ــ وهو شيخ الجنيد رحمة الله عليهما وكان من المتوكلين: أخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق: كنت أكتسب في كل يوم دينارًا ولا أبيت منه دانقًا ولا أستريح منه إلى قيراط أدخل به الحمام، بل أخرجه كله قبل الليل.

وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرته وكان يقول: أستحي أن أتكلم في مقامه وهو حاضر عندي. واعلم أن الجلوس في رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل، فإن لم يكن معلوم ووقف وأمروا الخادم بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل إلا على ضعف، ولكن يقوى بالحال والعلم، كتوكل المكتسب؛ وإن لم يسألوا بل قنعوا بما يحمل إليهم فهذا أقوى في توكلهم، لكنه بعد اشتهار القوم بذلك فقد صار لهم سوقًا، فهو كدخول السوق، ولا يكون داخل السوق متوكلًا إلا بشروط كثيرة كما سبق.

فإن قلت: فما الأفضل أن يقعد في بيته، أو يخرج ويكتسب؟.

فاعلم أنه إن كان يتفرّغ بترك الكسب لفكر وذكر وإخلاص واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لا تستشرف نفسه إلى الناس في انتظار من يدخل عليه فيحمل إليه شيئًا بل يكون قوي القلب في الصبر والاتكال على الله تعالى، فالقعود له أولى. وإن كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف إلى الناس فالكسب أولى؛ لأن استشراف القلب إلى الناس سؤال بالقلب، وتركه أهم من ترك الكسب، وما كان المتوكلون يأخذون ما تستشرف إليه نفوسهم: كان أحمد بن حنبل قد أمر أبا أبا بكر المروزي أن يعطي بعض الفقراء شيئًا فضلًا عما كان استأجره عليه، فرده، فلما ولّى قال له أحمد: الحقه وأعطه فإنه يقبل، فلحقه وأعطاه فأخذه، فسأل أحمد عن ذلك؟ فقال: كان قد استشرفت نفسه فرد، فلما خرج انقطع طمعه وأيس فأخذ. وكان الخواص رحمه الله إذا نظر إلى عبد في العطاء أو خاف اعتياد النفس لذلك لم يقبل منه شيئًا. وقال الخواص بعد أن سئل عن أعجب ما رآه في أسفاره: رأيت الخضر ورضي بصحبتي ولكني فارقته خيفة أن تسكن نفسي إليه فيكون نقصًا في توكلي، فإذن المكتسب إذا راعى آداب الكسب وشروط نيته كما سبق في كتاب الكسب وهو أن لا يقصد به الاستكثار ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته كان متوكلًا.

فإن قلت: فما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية؟.

فأقول: علامته أنه إن سرقت بضاعته أو خسرت تجارته أو تعوّق أمر من أموره كان راضيًا به ولم تبطل طمأنينته ولم يضطرب قلبه، بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحدًا، فإنّ من لم يسكن إلى شيء لم يضطرب لفقده، ومن اضطرب لفقد شيء فقد سكن إليه، وكان بشر يعمل المغازل فتركها، وذلك لأنّ البعادي كاتبه قال: بلغني أنك استعنت على رزقك بالمغازل، أرأيت إن أخذ الله سمعك وبصرك الرزق على من؟ فوقع ذلك في قلبه فأخرج آلة المغازل من يده وتركها. وقيل: تركها لما نوهت باسمه وقصد لأجلها. وقيل: فعل ذلك لما مات عياله، كما كان لسفيان خمسون دينارًا يتجر فيها، فلما مات عياله فرّقها.

فإن قلت: فكيف يتصور أن يكون له بضاعة ولا يسكن إليها وهو يعلم أنّ الكسب بغير بضاعة لا يمكن؟.

فأقول: بأن يعلم أنّ الذين يرزقهم الله تعالى بغير بضاعة فيهم كثرة، وأنّ الذين كثرت بضاعتهم فسرقت وهلكت فيهم كثرة، وأن يوطن نفسه على أنّ الله لا يفعل به إلا ما فيه صلاحه، فإن أهلك بضاعته فهو خير له فلعله لو تركه كان سببًا لفساد دينه وقد لطف الله تعالى به، وغايته أن يموت جوعًا، فينبغي أن يعتقد أنّ الموت جوعًا خير له في الآخرة مهما قضى الله تعالى عليه بذلك من غير تقصير من جهته، فإذا اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة وعدمها، ففي الخبر: «إنَّ العَبْدَ لَيَهُمُّ مِنَ اللَّيْلِ بِأَمْرٍ مِنْ أُمُورِ التِّجَارَةِ مِمَّا لَوْ فَعَلَهُ لكانَ فِيهِ هَلاكُهُ فينظر اللَّهُ تعالى إِلَيْهِ مِنْ فَوْقِ عرشِهِ فيصرفه عنه فيصبح حَزِينًا يَتَطَيَّرُ بجاره وابن عمه: مَنْ سَبَقَنِي؟ مِنْ دَهَانِي؟ وما هِيَ إلاّ رَحْمَةٌ رحمه اللَّهُ بها»[1]، ولذلك قال عمر رضي الله عنه: لا أبالي أصبحت غنيًّا أو فقيرًا، فإني لا أدري أيهما خير لي، ومن لم يتكامل يقينه بهذه الأمور لم يتصوّر منه التوكل؛ ولذلك قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الحواري: لي من كل مقام نصيب إلا من هذا التوكل المبارك فإني ما شممت منه رائحة، هذا كلامه مع علوّ قدره، ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال: ما أدركته، ولعله أراد إدراك أقصاه، وما لم يكمل الإيمان بأن لا فاعل إلا الله ولا رازق سواه وأن كل ما يقدّره على العبد من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه العبد؛ لم يكمل حال التوكل؛ فبناء التوكل على قوة الإيمان بهذه الأمور ــ كما سبق ــ وكذا سائر مقامات الدين من الأقوال والأعمال تنبني على أصولها من الإيمان. وبالجملة؛ التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعي قوة القلب وقوة اليقين، ولذلك قال سهل: من طعن على التكسب فقد طعن على السنة، ومن طعن على ترك التكسب فقد طعن على التوحيد.

فإن قلت: فهل من دواء ينتفع به في صرف القلب عن الركون إلى الأسباب الظاهرة وحسن الظنّ بالله تعالى في تيسير الأسباب الخفية؟.

فأقول: نعم، هو أن تعرف أنّ سوء الظن تلقين الشيطان، وحسن الظن تلقين الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة:٢٦٨] فإنّ الإنسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف الشيطان، ولذلك قيل: الشفيق بسوء الظن مولع، وإذا انضم إليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلين على الأسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظن وبطل التوكل بالكلية، بل رؤية الرزق من الأسباب الخفية أيضًا تبطل التوكل، فقد حكي عن عابد أنه عكف في مسجد ولم يكن له معلوم، فقال له الإمام: لو اكتسبت لكان أفضل لك، فلم يجبه حتى أعاد عليه ثلاثًا، فقال في الرابعة: يهودي

---

(١) حديث «إن العبد ليهم من الليل بأمر من أمور التجارة». أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف جدا نحوه، إلا أنه قال «إن العبد ليشرف على حاجة من حاجات الدنيا... الحديث» بنحوه.

في جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين، فقال: إن كان صادقًا في ضمانه فعكوفك في المسجد خير لك، فقال: يا هذا لو لم تكن إمامًا تقف بين يدي الله وبين العباد مع هذا النقص في التوحيد كان خيرًا لك إذ فضلت وعد يهودي على ضمان الله تعالى بالرزق، وقال إمام المسجد لبعض المصلين: من أين تأكل؟ فقال: يا شيخ اصبر حتى أعيد الصلاة التي صليتها خلفك ثم أجيبك.

وينفع حسن الظن بمجيء الرزق من فضل الله تعالى بواسطة الأسباب الخفية: أن تسمع الحكايات التي فيها عجائب صنع الله تعالى في وصول الرزق إلى صاحبه، وفيها عجائب قهر الله تعالى في إهلاك أموال التجار والأغنياء وقتلهم جوعًا، كما روي عن حذيفة المرعشي وقد كان خدم إبراهيم بن أدهم، فقيل له: ما أعجب ما رأيت منه؟ فقال: بقينا في طريق مكة أيامًا لم نجد طعامًا، ثم دخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خراب، فنظر إليّ إبراهيم وقال: يا حذيفة، أرى بك الجوع، فقلت: هو ما رأى الشيخ، فقال: عليّ بدواة وقرطاس، فجئت به إليه فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، أنت المقصود إليه بكل حال، والمشار إليه بكلّ معنى، وكتب شعرًا:

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر ... أنا جائع أنا ضائع أنا عاري
هي ستة وأنا الضمين لنصفها ... فكن الضمين لنصفها يا باري
مدحي لغيرك لهب نار خضتها ... فأجر عبيدك من دخول النار

ثم دفع إليّ الرقعة فقال: اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى، وادفع الرقعة إلى أول من يلقاك، فخرجت فأول من لقيني كان رجلًا على بغلة. فناولته الرقعة فأخذها، فلما وقف عليها بكى وقال: ما فعل صاحب هذه الرقعة؟ فقلت: هو في المسجد الفلاني، فدفع إليّ صرة فيها ستمائة دينار، ثم لقيت رجلًا آخر فسألته عن راكب البغلة فقال: هذا نصراني، فجئت إلى إبراهيم وأخبرته بالقصة فقال: لا تمسها فإنه يجيء الساعة، فلما كان بعد ساعة دخل النصراني وأكب على رأس إبراهيم يقبله وأسلم.

وقال أبو يعقوب الأقطع البصري: جعت مرة بالحرم عشرة أيام فوجدت ضعفًا، فحدثتني نفسي بالخروج فخرجت إلى الوادي لعلي أجد شيئًا يسكن ضعفي، فرأيت سلجمة مطروحة فأخذتها، فوجدت في قلبي منها وحشة وكأنّ قائلًا يقول لي: جعت عشرة أيام وآخره يكون حظك سلجمة متغيرة، فرميت بها ودخلت المسجد وقعدت، فإذا أنا برجل أعجمي قد أقبل حتى جلس بين يدي ووضع قمطرة وقال: هذه لك، فقلت كيف خصصتني بها؟ قال: اعلم أنا كنا في البحر منذ عشرة أيام وأشرفت السفينة على الغرق، فنذرت إن خلصني الله تعالى أن أتصدق بهذه على أول من يقع عليه بصري من المجاورين، وأنت أول من لقيته، فقلت: افتحها، ففتحها فإذا فيها سميد مصري ولوز مقشور وسكر كعاب، فقبضت قبضة من ذا

وقبضة من ذا وقلت رد الباقي إلى أصحابك هدية مني إليكم، وقد قبلتها، ثم قلت في نفسي: رزقك يسير إليك من عشرة أيام وأنت تطلبه من الوادي.

وقال ممشاد الدينوري: كان عليَّ دين فاشتغل قلبي بسببه، فرأيت في النوم كأن قائلًا يقول: يا بخيل، أخذت علينا هذا المقدار من الدين، خذ عليك الأخذ وعلينا العطاء، فما حاسبت بعد ذلك بقالًا ولا قصابًا ولا غيرهما.

وحكي عن بنان الحمال قال: كنت في طريق مكة أجيء من مصر ومعي زاد؛ فجاءتني امرأة وقالت لي: يا بنان، أنت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم أنه لا يرزقك، قال: فرميت بزادي ثم أتى عليَّ ثلاث لم آكل، فوجدت خلخالًا في الطريق فقلت في نفسي: أحمله حتى يجيء صاحبه فربما يعطيني شيئًا فأرده عليه، فإذا أنا بتلك المرأة فقالت لي: أنت تاجر تقول: عسى يجيء صاحبه فآخذ منه شيئًا ثم رمت لي شيئًا من الدراهم وقالت: أنفقها، فاكتفيت بها إلى قريب من مكة.

وحكي أن بنانًا احتاج إلى جارية تخدمه، فانبسط إلى إخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا: هو ذا يجيء النفير فنشتري ما يوافق، فلما ورد النفير اجتمع رأيهم على واحدة وقالوا: إنها تصلح له، فقالوا لصاحبها: بكم هذه؟ فقال: إنها ليست للبيع، فألحوا عليه فقال: إنها لبنان الحمال أهدتها إليه امرأة من سمرقند، فحملت إلى بنان وذكرت له القصة.

وقيل: كان في الزمان الأول رجل في سفر ومعه قرص فقال: إن أكلته مت، فوكَّل الله عز وجل به ملكًا وقال: إن أكله فارزقه وإن لم يأكله فلا تعطه غيره، فلم يزل القرص معه إلى أن مات ولم يأكله وبقي القرص عنده.

وقال أبو سعيد الخراز: دخلت البادية بغير زاد فأصابتني فاقة، فرأيت المرحلة من بعيد فسررت بأن وصلت ثم فكرت في نفسي أني سكنت واتكلت على غيره وآليت أن لا أدخل المرحلة إلا أن أحمل إليها، فحفرت لنفسي في الرمل حفرة وواريت جسدي فيها إلى صدري، فسمعت صوتًا في نصف الليل عاليًا: يا أهل المرحلة، إن لله تعالى وليًا حبس نفسه في هذا الرمل فألحقوه، فجاء جماعة فأخرجوني وحملوني إلى القرية.

وروي أنّ رجلًا لازم باب عمر رضي الله عنه فإذا هو بقائل يقول: يا هذا هاجرت إلى عمر أو إلى الله تعالى؟ اذهب فتعلم القرآن فإنه سيغنيك عن باب عمر، فذهب الرجل وغاب حتى افتقده عمر، فإذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة، فجاءه عمر فقال له: إني قد اشتقت إليك فما الذي شغلك عني؟ فقال: إني قرأت القرآن فأغناني عن عمر وآل عمر، فقال عمر: رحمك الله فما الذي وجدت فيه، فقال وجدت فيه: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] فقلت: رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض، فبكى عمر وقال: صدقت، فكان عمر بعد ذلك يأتيه ويجلس إليه.

وقال أبو حمزة الخراساني: حججت سنة من السنين فبينا أنا أمشي في الطريق إذ وقعت في بئر فنازعتني نفسي أن أستغيث، فقلت: لا والله لا أستغيث، فما استتممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان، فقال أحدهما للآخر: تعال حتى نسدّ رأس هذا البئر لئلا يقع فيه أحد، فأتوا بقصب وبارية وطموا رأس البئر، فهممت أن أصيح فقلت في نفسي: إلى من أصيح هو أقرب منهما وسكنت، فبينا أنا بعد ساعة إذ أنا بشيء جاء وكشف عن رأس البئر وأدلى رجله وكأنه يقول: تعلق بي في همهمة له كنت أعرف ذلك، فتعلقت به فأخرجني، فإذا هو سبع، فمرّ وهتف بي هاتف: يا أبا حمزة أليس هذا أحسن، نجيناك من التلف بالتلف، فمشيت وأنا أقول:

نهاني حيائي منك أن أكشفَ الهوى ... وأغنيتني بالفهم منك عن الكشفِ
تلطفت في أمري فأبديت شاهدي ... إلى غائبي واللطف يدرك باللطفِ
تراءيت لي بالغيب حتى كأنما ... تبشرني بالغيب أنك في الكفِ
أراك وبي من هيبتي لك وحشة ... فتؤنسني باللطف منك وبالعطفِ
وتحيـــي محبًا أنت في الحب حتفه ... وذا عجب كون الحياة مع الحتفِ

وأمثال هذه الوقائع مما يكثر، وإذا قوي الإيمان به وانضم إليه القدرة على الجوع قدر أسبوع من غير ضيق صدر، وقوي الإيمان بأنه إن لم يسق إليه رزقه في أسبوع فالموت خير له عند الله عز وجل ولذلك حبسه عنه: تم التوكل بهذه الأحوال والمشاهدات، وإلا فلا يتم أصلًا.

بيان توكل المعيل:

اعلم أن من له عيال فحكمه يفارق المنفرد؛ لأنّ المنفرد لا يصح توكله إلا بأمرين:

أحدهما: قدرته على الجوع أسبوعًا من غير استشراف وضيق نفس.

والآخر: أبواب من الإيمان ذكرناها، من جملتها: أن يطيب نفسًا بالموت إن لم يأته رزقه، علمًا بأنّ رزقه الموت والجوع، وهو إن كان نقصًا في الدنيا فهو زيادة في الآخرة، فيرى أنه سيق إليه خير الرزقين له: وهو رزق الآخرة، وأنّ هذا هو المرض الذي به يموت ويكون راضيًا بذلك وأنه كذا قضي وقدّر له، فبهذا يتم التوكل للمنفرد، ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع، ولا يمكن أن يقرّر عندهم الإيمان بالتوحيد وأنّ الموت على الجوع رزق مغبوط عليه في نفسه إن اتفق ذلك نادرًا، وكذا سائر أبواب الإيمان، فإذن لا يمكنه في حقهم إلا توكل المكتسب وهو المقام الثالث، كتوكل أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه إذ خرج للكسب، فأما دخول البوادي وترك العيال توكلًا في حقهم أو القعود عن الاهتمام بأمرهم توكلًا في حقهم فهذا حرام، وقد يفضي إلى هلاكهم ويكون هو مؤاخذًا بهم، بل التحقيق أنه

لا فرق بينه وبين عياله، فإنه إن ساعده العيال على الصبر على الجوع مدّة وعلى الاعتداد بالموت على الجوع رزقًا وغنيمة في الآخرة، فله أن يتوكل في حقهم ونفسه أيضًا عيال عنده، ولا يجوز له أن يضيعها إلا أن تساعده على الصبر على الجوع مدّة، فإن كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه وتتشوّش عليه عبادته لم يجز له التوكل، ولذلك روي أنّ أبا تراب النخشبي نظر إلى صوفي مدّ يده إلى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة أيام.

فقال له: لا يصلح لك التصوّف. الزم السوق أي لا تصوّف إلا مع التوكل. ولا يصح التوكل إلا لمن يصبر عن الطعام أكثر من ثلاثة أيام، وقال أبو علي الروذباري: إذا قال الفقير بعد خمسة أيام: أنا جائع فألزموه السوق ومروه بالعمل والكسب، فإذن بدنه عياله وتوكله فيما يضر ببدنه كتوكله في عياله؛ وإنما يفارقهم في شيء واحد: وهو أن له تكليف نفسه الصبر على الجوع وليس له ذلك في عياله، وقد انكشف لك من هذا أن التوكل ليس انقطاعًا عن الأسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدّة والرضا بالموت إن تأخر الرزق نادرًا وملازمة البلاد والأمصار أو ملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجري مجراه، فهذه كلها أسباب البقاء ولكن مع نوع من الأذى، إذ لا يمكن الاستمرار عليه إلا بالصبر، والتوكل في الأمصار أقرب إلى الأسباب من التوكل في البوادي، وكل ذلك من الأسباب إلا أن الناس عدلوا إلى أسباب أظهر منها فلم يعدّوا تلك أسبابًا، وذلك لضعف إيمانهم وشدّة حرصهم وقلة صبرهم على الأذى في الدنيا لأجل الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم بإساءة الظن وطول الأمل، ومن نظر في ملكوت السموات والأرض انكشف له تحقيقًا أن الله تعالى دبر الملك والملكوت تدبيرًا لا يجاوز العبد رزقه وإن ترك الاضطراب. فإن العاجز عن الاضطراب لم يجاوزه رزقه، أما ترى الجنين في بطن أمه لما أن كان عاجزًا عن الاضطراب كيف وصل سرته بالأم حتى تنتهي إليه فضلات غذاء الأم بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين، ثم لما انفصل سلط الحب والشفقة على الأم لتتكفل به شاءت أم أبت اضطرارًا من الله تعالى إليه بما أشعل في قلبها من نار الحب، ثم لما لم يكن له سن يمضغ به الطعام جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج إلى المضغ، ولأنه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف فأدّر له اللبن اللطيف في ثدي الأم عند انفصاله على حسب حاجته، أفكان هذا بحيلة الطفل أو بحيلة الأم فإذا صار بحيث يوافقه الغذاء الكثيف أنبت له أسنانًا قواطع وطواحين لأجل المضغ، فإذا كبر واستقل يسر له أسباب التعلم وسلوك سبيل الآخرة، فجبنه بعد البلوغ جهل محض لأنه ما نقصت أسباب معيشته ببلوغه بل زادت، فإنه لم يكن قادرًا على الاكتساب، فالآن قد قدر فزادت قدرته، نعم كان المشفق عليه شخصًا واحدًا وهي الأم أو الأب وكانت شفقته مفرطة جدًّا فكان يطعمه ويسقيه في اليوم مرة أو مرتين وكان إطعامه بتسليط الله تعالى الحب والشفقة على قلبه، فكذلك قد سلط الله الشفقة والمودة والرحمة والرقة على قلوب المسلمين بل أهل

البلد كافة، حتى أن كل واحد منهم إذا أحس بمحتاج تألم قلبه ورق عليه وانبعث له داعية إلى إزالة حاجته، فقد كان المشفق عليه واحدًا والآن المشفق عليه ألف وزيادة، وقد كانوا لا يشفقون عليه لأنهم رأوه في كفالة الأم والأب وهو مشفق خاص فما رأوه محتاجًا، ولو رأوه يتيمًا لسلط الله داعية الرحمة على واحد من المسلمين أو على جماعة حتى يأخذونه ويكفلونه، فما رئي إلى الآن في سني الخصب يتيم قد مات جوعًا مع أنه عاجز عن الاضطراب وليس له كافل خاص، والله تعالى كافله بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده فلماذا ينبغي أن يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل في الصبا وقد كان المشفق واحدًا والمشفق الآن ألف، نعم كانت شفقة الأم أقوى وأحظى ولكنها واحدة، وشفقة آحاد الناس وإن ضعفت فيخرج من مجموعها ما يفيد الغرض، فكم من يتيم قد يسر الله تعالى له حالًا هو أحسن من حال من له أب وأم فينجبر ضعف شفقة الآحاد بكثرة المشفقين وبترك التنعم والاقتصار على قدر الضرورة، ولقد أحسن الشاعر حيث يقول:

جَرَى قَلَمُ القضاءِ بما يكون ... فسيَّان التحرّك والسكونُ

جنون منك أن تسعى لرزقٍ ... ويرزق في غشاوته الجنينُ

فإن قلت: الناس يكفلون اليتيم لأنهم يرونه عاجزًا بصباه، وأما هذا فبالغ قادر على الكسب فلا يلتفتون إليه ويقولون: هو مثلنا فليجتهد لنفسه؟.

فأقول: إن كان هذا القادر بطالًا فقد صدقوا فعليه الكسب ولا معنى للتوكل في حقه فإنّ التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرّغ لله تعالى؛ فما للبطال والتوكل؛ وإن كان مشتغلًا بالله ملازمًا لمسجد أو بيت وهو مواظب على العلم والعبادة فالناس لا يلومونه في ترك الكسب ولا يكلفونه ذلك، بل اشتغاله بالله تعالى يقرّر حبه في قلوب الناس حتى يحملون إليه فوق كفايته، وإنما عليه أن لا يغلق الباب ولا يهرب إلى جبل من بين الناس، وما رئي إلى الآن عالم أو عابد استغرق الأوقات بالله تعالى وهو في الأمصار فمات جوعًا ولا يرى قط، بل لو أراد أن يطعم جماعة من الناس بقوله لقدر عليه، فإن من كان لله تعالى كان الله عز وجل له، ومن اشتغل بالله عز وجل ألقى الله حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الأم لولدها، فقد دبر الله تعالى الملك والملكوت تدبيرًا كافيًا لأهل الملك والملكوت. فمن شاهد هذا التدبير وثق بالمدبر واشتغل به وآمن ونظر إلى مدبر الأسباب لا إلى الأسباب، نعم ما دبره تدبيرًا يصل إلى المشتغل به الحلو والطيور السمان والثياب الرقيقة والخيول النفيسة على الدوام لا محالة، وقد يقع ذلك أيضًا في بعض الأحوال لكن دبره تدبيرًا يصل إلى كل مشتغل بعبادة الله تعالى في كل أسبوع قرص شعير أو حشيش يتناوله لا محالة، والغالب أنه يصل أكثر منه بل يصل ما يزيد على قدر الحاجة والكفاية، فلا سبب لترك التوكل إلا رغبة النفس في التنعم على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الأغذية اللطيفة، وليس ذلك من

طريق الآخرة، وذلك قد لا يحصل بغير اضطراب، وهو في الغالب أيضًا ليس يحصل مع الاضطراب وإنما يحصل نادرًا، وفي النادر أيضًا قد يحصل بغير اضطراب: فأثر الاضطراب ضعف عند من انفتحت بصيرته، فلذلك لا يطمئن إلى اضطرابه بل إلى مدبر الملك والملكوت تدبيرًا لا يجاوز عبدًا من عباده رزقه وإن سكن إلا نادرًا ندورًا عظيمًا يتصور مثله في حق المضطرب؛ فإذا انكشفت هذه الأمور وكان معه قوة في القلب وشجاعة في النفس أثمر ما قاله الحسن البصري رحمه الله إذ قال: وددت أن أهل البصرة في عيالي، وأن حبة بدينار. وقال وهيب بن الورد: لو كانت السماء نحاسًا والأرض رصاصًا واهتممت برزقي لظننت أني مشرك، فإذا فهمت هذه الأمور فهمت أنّ التوكل مقام مفهوم في نفسه ويمكن الوصول إليه لمن قهر نفسه، وعلمت أن من أنكر أصل التوكل وإمكانه أنكره عن جهل، فإياك أن تجمع بين الإفلاسين: الإفلاس عن وجود المقام ذوقًا، والإفلاس عن الإيمان به علمًا؛ فإذن عليك بالقناعة بالنزر القليل والرضا بالقوت فإنه يأتيك لا محالة وإن فررت منه، وعند ذلك على الله أن يبعث إليك رزقك على يدي من لا تحتسب، فإن اشتغلت بالتقوى والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣] الآية، إلا أنه لم يتكفل له أن يرزقه لحم الطير ولذائذ الأطعمة؛ فما ضمن إلا الرزق الذي تدوم به حياته، وهذا المضمون مبذول لكل من اشتغل بالضامن واطمأنّ إلى ضمانه؛ فإن الذي أحاط به تدبير الله من الأسباب الخفية للرزق أعظم مما ظهر للخلق، بل مداخل الرزق لا تحصى ومجاريه لا يهتدى إليها، وذلك لأن ظهوره على الأرض وسببه في السماء. قال الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] وأسرار السماء لا يطلع عليها، ولهذا دخل جماعة على الجنيد فقال: ماذا تطلبون؟ قالوا: نطلب الرزق، فقال: إن علمتم في أي موضع هو فاطلبوه. قالوا: نسأل الله. قال: إن علمتم أنه ينساكم فذكروه، فقالوا: ندخل البيت ونتوكل وننظر ما يكون. فقال: التوكل على التجربة شك قالوا فما الحيلة؟ قال: ترك الحيلة. وقال أحمد بن عيسى الخرّاز: كنت في البادية فنالني جوع شديد فغلبتني نفسي أن أسأل الله تعالى طعامًا، فقلت: ليس هذا من أفعال المتوكلين، فطالبتني أن أسأل الله صبرًا، فلما هممت بذلك سمعت هاتفًا يهتف بي ويقول:

ويزعم أنه منا قريب ... وأنّا لا نضيع من أتانا
ويسألنا على الإقتار جهدًا ... كأنا لا نراه ولا يرانا

فقد فهمت أنّ من انكسرت نفسه وقوي قلبه ولم يضعف بالجبن باطنه وقوي إيمانه بتدبير الله تعالى، كان مطمئن النفس أبدًا واثقًا بالله عز وجل؛ فإنّ أسوأ حاله أن يموت، ولا بد أن يأتيه الموت كما يأتي من ليس مطمئنًا فإذن تمام التوكل بقناعة من جانب ووفاء بالمضمون من جانب، والذي ضمن رزق القانعين بهذه الأسباب التي دبرهُ صادق، فاقنع وجرّب تشاهد

صدق الوعد تحقيقًا بما يرد عليك من الأرزاق العجيبة التي لم تكن في ظنك وحسابك، ولا تكن في توكلك منتظرًا للأسباب بل لمسبب الأسباب، كما لا تكون منتظرًا لقلم الكاتب بل لقلب الكاتب فإنه أصل حركة القلم، والمحرّك الأول واحد فلا ينبغي أن يكون النظر إلا إليه، وهذا شرط توكل من يخوض البوادي بلا زاد أو يقعد في الأمصار وهو خامل. وأما الذي له ذكر بالعبادة والعلم فإذا قنع في اليوم والليلة بالطعام مرة واحدة كيف كان وإن لم يكن من اللذائذ، وثوب خشن يليق بأهل الدين فهذا يأتيه من حيث يحتسب ولا يحتسب على الدوام، بل يأتيه أضعافه، فتركه التوكل واهتمامه بالرزق غاية الضعف والقصور، فإن اشتهاره بسبب ظاهر يجلب الرزق إليه أقوى من دخول الأمصار في حق الخامل مع الاكتساب، فالاهتمام بالرزق قبيح بذوي الدين وهو بالعلماء أقبح لأنّ شرطهم القناعة والعالم القانع يأتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة وإن كانوا معه إلا إذا أراد أن لا يأخذ من أيدي الناس ويأكل من كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل الذي سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن، فإنّ الكسب يمنع عن السير بالفكر الباطن، فاشتغاله بالسلوك مع الأخذ من يد من يتقرّب إلى الله تعالى بما يعطيه أولى لأنه تفرغ لله عز وجل وإعانة للمعطي على نيل الثواب، ومن نظر إلى مجاري سنة الله تعالى علم أنّ الرزق ليس على قدر الأسباب، ولذلك سأل بعض الأكاسرة حكيمًا عن الأحمق المرزوق والعاقل المحروم فقال: أراد الصانع أن يدل على نفسه، إذ لو رزق كل عاقل وحرم كل أحمق لظن أنّ العقل رَزَقَ صاحبه، فلما رأوا خلافه علموا أن الرازق غيرهم ولا ثقة بالأسباب الظاهرة لهم، قال الشاعر:

ولو كَانَتِ الأرزَاقُ تجري على الحِجَا هَلَكْنَ إذن من جهلهنَّ البهائِمُ

بيان أحوال المتوكلين في التعلق بالأسباب بضرب مثال:

اعلم أن مثال الخلق مع الله تعالى مثل طائفة من السؤال وقفوا في ميدان على باب قصر الملك وهم محتاجون إلى الطعام فأخرج إليهم غلمانًا كثيرة ومعهم أرغفة من الخبز وأمرهم أن يعطوا بعضهم رغيفين رغيفين وبعضهم رغيفًا رغيفًا ويجتهدوا في أن لا يغفلوا عن واحد منهم، وأمر مناديًا حتى نادى فيهم أن اسكنوا ولا تتعلقوا بغلماني إذا خرجوا إليكم، بل ينبغي أن يطمئن كل واحد منكم في موضعه فإن الغلمان مسخرون وهم مأمورون بأن يوصلوا إليكم طعامكم فمن تعلق بالغلمان وآذاهم وأخذ رغيفين فإذا فتح باب الميدان وخرج أتبعته بغلام يكون موكلًا به إلى أن أتقدم لعقوبته في ميعاد معلوم عندي ولكن أخفيه، ومن لم يؤذ الغلمان وقنع برغيف واحد أتاه من يد الغلام وهو ساكن فإني أختصه بخلعة سنية في الميعاد المذكور لعقوبة الآخر، ومن ثبت في مكانه ولكنه أخذ رغيفين فلا عقوبة عليه ولا خلعة له، ومن أخطأه غلماني فما أوصلوا إليه شيئًا فبات الليلة جائعًا غير متسخط للغلمان ولا قائلًا ليته أوصل إلي رغيفًا فإني غدًا أستوزره وأفوّض ملكي إليه فانقسم السؤال إلى أربعة أقسام: قسم غلبت عليهم

بطونهم فلم يلتفتوا إلى العقوبة الموعودة؛ وقالوا: من اليوم إلى غد فرج ونحن الآن جائعون فبادروا إلى الغلمان فآذوهم وأخذوا الرغيفين، فسبقت العقوبة إليهم في الميعاد المذكور فندموا ولم ينفعهم الندم، وقسم تركوا التعلق بالغلمان خوف العقوبة ولكن أخذوا رغيفين لغلبة الجوع فسلموا من العقوبة وما فازوا بالخلعة، وقسم قالوا: إنا نجلس بمرأى من الغلمان حتى لا يخطئونا ولكن نأخذ إذا أعطونا رغيفًا واحدًا ونقنع به؛ فلعلنا نفوز بالخلعة ففازوا بالخلعة؛ وقسم رابع اختفوا في زوايا الميدان وانحرفوا عن مرأى أعين الغلمان وقالوا: إن اتبعونا وأعطونا قنعنا برغيف واحد، وإن أخطئونا قاسينا شدّة الجوع الليلة، فلعلنا نقوى على ترك التسخط فننال رتبة الوزارة ودرجة القرب عند الملك، فما نفعهم ذلك، إذ اتبعهم الغلمان في كل زاوية وأعطوا كل واحد رغيفًا واحدًا، وجرى مثل ذلك أيامًا حتى اتفق على الندور أن اختفى ثلاثة في زاوية ولم تقع عليهم أبصار الغلمان وشغلهم شغل صارف عن طول التفتيش، فباتوا في جوع شديد، فقال اثنان منهم: ليتنا تعرّضنا للغلمان وأخذنا طعامنا فلسنا نطيق الصبر، وسكت الثالث إلى الصباح فنال درجة القرب والوزارة، فهذا مثال الخلق، والميدان هو الحياة في الدنيا، وباب الميدان الموت، والميعاد المجهول يوم القيامة، والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة للمتوكل إذا مات جائعًا راضيًا من غير تأخير ذلك إلى ميعاد القيامة؛ لأنّ الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، والمتعلق بالغلمان هو المعتدي في الأسباب، والغلمان المسخرون هم الأسباب، والجالس في ظاهر الميدان بمرأى الغلمان هم المقيمون في الأمصار في الرباطات والمساجد على هيئة السكوت، والمختفون في الزوايا هم السائحون في البوادي على هيئة التوكل والأسباب تتبعهم والرزق يأتيهم إلا على سبيل الندور، فإن مات واحد منهم جائعًا راضيًا فله الشهادة والقرب من الله تعالى، وقد انقسم الخلق إلى هذه الأقسام الأربعة، ولعل من كل مائة تعلق بالأسباب تسعون وأقام سبعة من العشرة الباقية في الأمصار متعرّضين للسبب بمجرّد حضورهم واشتهارهم، وساح في البوادي ثلاثة، وتسخط منهم اثنان، وفاز بالقرب واحد، ولعله كان كذلك في الأعصار السالفة، وأما الآن فالتارك للأسباب لا ينتهي إلى واحد من عشرة آلاف.

الفن الثاني في التعرّض لأسباب الادخار: فمن حصل له مال بإرث أو كسب أو سؤال أو سبب من الأسباب، فله في الادخار ثلاثة أحوال:

الأولى: أن يأخذ قدر حاجته في الوقت فيأكل إن كان جائعًا، ويلبس إن كان عاريًا، ويشتري مسكنًا مختصرًا إن كان محتاجًا، ويفرق الباقي في الحال، ولا يأخذه ولا يدّخره إلا بالقدر الذي يدرك به من يستحقه ويحتاج إليه فيدّخره، على هذه النية، فهذا هو الوفي بموجب التوكل تحقيقًا وهي الدرجة العليا.

الحالة الثانية: المقابلة لهذه المخرجة له عن حدود التوكل: أن يدّخر لسنة فما فوقها،

فهذا ليس من المتوكلين أصلًا؛ وقد قيل: لا يدّخر من الحيوانات إلا ثلاثة: الفأرة، والنملة، وابن آدم.

الحالة الثالثة: أن يدّخر لأربعين يومًا فما دونها، فهذا: هل يوجب حرمانه من المقام المحمود الموعود في الآخرة للمتوكلين؟ اختلفوا فيه: فذهب سهل إلى أنه يخرج عن حدّ التوكل. وذهب الخواص إلى أنه لا يخرج بأربعين يومًا ويخرج بما يزيد على الأربعين. وقال أبو طالب المكي: لا يخرج عن حدّ التوكل بالزيادة على الأربعين أيضًا، وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجويز أصل الادخار، نعم يجوز أن يظن ظان أنّ أصل الادخار يناقض التوكل، فأما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له، وكل ثواب موعود على رتبة فإنه يتوزّع على تلك الرتبة، وتلك الرتبة لها بداية ونهاية، ويسمى أصحاب النهايات السابقين، وأصحاب البدايات أصحاب اليمين، ثم أصحاب اليمين أيضًا على درجات، وكذلك السابقون، وأعالي درجات أصحاب اليمين تلاصق أسافل درجات السابقين، فلا معنى للتقدير في مثل هذا؛ بل التحقيق أنّ التوكل بترك الادخار لا يتم إلا بقصر الأمل؛ وأما عدم آمال البقاء فيبعد اشتراطه ولو في نفس، فإنّ ذلك كالممتنع وجوده؛ أما الناس فمتفاوتون في طول الأمل وقصره، وأقل درجات الأمل يوم وليلة فما دونه من الساعات، وأقصاه ما يتصوّر أن يكون عمر الإنسان، وبينهما درجات لا حصر لها، فمن لم يؤمل أكثر من شهر أقرب إلى المقصود ممن يؤمل سنة، وتقييده بأربعين لأجل ميعاد موسى عليه السلام بعيد، فإنّ تلك الواقعة ما قصد بها بيان مقدار ما رخص الأمل فيه، ولكن استحقاق موسى لنيل الموعود كان لا يتم إلا بعد أربعين يومًا لسر جرت به وبأمثاله سنة الله تعالى في تدريج الأمور، كما قال عليه السلام: «إنَّ الله خَمَّرَ طِينَةَ آدَمَ بِيَدِهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا»[1]؛ لأنّ استحقاق تلك الطينة التخمر كان موقوفًا على مدّة مبلغها ما ذكر، فإذن ما وراء السنة لا يدّخر له إلا بحكم ضعف القلب والركون إلى ظاهر الأسباب، فهو خارج عن مقام التوكل غير واثق بإحاطة التدبير من الوكيل الحق بخفايا الأسباب، فإنّ أسباب الدخل في الارتفاعات والزكوات تتكرّر بتكرّر السنين غالبًا، ومن ادخر لأقل من سنة فله درجة بحسب قصر أمله، ومن كان أمله شهرين لم تكن درجته كدرجة من أمل شهرًا ولا درجة من أمل ثلاثة أشهر، بل هو بينهما في الرتبة، ولا يمنع من الادخار إلا قصر الأمل، فالأفضل أن لا يدّخر أصلًا، وإن ضعف قلبه فكلما قل ادخاره كان فضله أكثر، وقد روي في الفقير الذي أمر ﷺ عليًا كرّم الله وجهه وأسامة أن يغسلاه فغسلاه وكفناه ببردته، فلما دفنه قال لأصحابه: «إِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَجْهُهُ كَالقَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَلَوْلا خَصْلَةٌ كَانَتْ فِيهِ لَبُعِثَ وَوَجْهُهُ كَالشَّمْسِ

(١) حديث «خمر طينة آدم بيده أربعين صباحا». رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود وسلمان الفارسي بإسناد ضعيف جدا وهو باطل.

الصَّاحِيَةِ» قلنا: وما هي يا رسول الله؟ قال: «كانَ صَوَّامًا قَوَّامًا كَثِيرَ الذِّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا جَاءَ الشِّتَاءُ ادَّخَرَ حُلَّةَ الصَّيْفِ لِصَيْفِهِ، وَإِذا جَاءَ الصَّيْفُ ادَّخَرَ حُلَّةَ الشِّتَاءِ لِشِتَائِهِ، ثم قال ﷺ: بَلْ أَقَلُّ مَا أُوتِيتُمُ الْيَقِينُ وَعَزِيمَةُ الصَّبْرِ»[(١)]. الحديث، وليس الكوز والشفرة وما يحتاج إليه على الدوام في معنى ذلك، فإنّ ادخاره لا ينقص الدرجة، وأما ثوب الشتاء فلا يحتاج إليه في الصيف، وهذا في حق من لا ينزعج قلبه بترك الادخار ولا تستشرف نفسه إلى أيدي الخلق بل لا يلتفت قلبه إلا إلى الوكيل الحق، فإن كان يستشعر في نفسه اضطرابًا يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر فالادخار له أولى، بل لو أمسك ضيعة يكون دخلها وافيًا بقدر كفايته وكان لا يتفرّغ قلبه إلا به فذلك له أولى؛ لأنّ المقصود إصلاح القلب ليتجرّد الذكر لله، ورب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه، والمحذور ما يشغل عن الله عز وجل، وإلا فالدنيا في عينها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها، ولذلك بعث رسول الله ﷺ إلى أصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون وأهل الحرف والصناعات، فلم يأمر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا أمر التارك لهما بالاشتغال بهما، بل دعا الكل إلى الله تعالى وأرشدهم إلى أنّ فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا إلى الله تعالى، وعمدة الاشتغال بالله عز وجل القلب، فصواب الضعيف ادخار قدر حاجته، كما أنّ صواب القوي ترك الادخار، وهذا كله حكم المنفرد؛ فأما المعيل فلا يخرج عن حدّ التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرًا لضعفهم وتسكينًا لقلوبهم، وادخار أكثر من ذلك مبطل للتوكل؛ لأنّ الأسباب تتكرّر عند تكرّر السنين؛ فادخاره ما يزيد عليه سببه ضعف قلبه، وذلك يناقض قوّة التوكل، فالمتوكل عبارة عن موحد قوي القلب مطمئن النفس إلى فضل الله تعالى، واثق بتدبيره دون وجود الأسباب الظاهرة. وقد ادخر رسول الله ﷺ لعياله قوت سنة[(٢)]، ونهى أم أيمن وغيرها أن تدّخر له شيئًا لغد[(٣)]، ونهى بلالًا عن الادخار في كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها، فقال ﷺ: «أَنْفِقْ بِلالا ولا تَخْشَ مِنْ ذِي العَرْشِ إقلالا»[(٤)]، وقال ﷺ: «إذا سُئِلْتَ فَلا تَمْنَعْ وَإذا أُعْطَيْتَ فَلا تَخْبَأْ»[(٥)]، اقتداء بسيد المتوكلين، وقد كان قصر أمله بحيث كان إذا

---

(١) حديث: أنه قال في حق الفقير الذي أمر عليا أو أسامة فغسله وكفنه ببردته: أنه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر». لم أجد له أصلا، وتقدم آخر الحديث قبل هذا.

(٢) صحيح: حديث: ادّخرَ لعياله قوت سنة. متفق عليه، وتقدم في الزكاة. [البخاري: ٥٣٥٧، ومسلم: ١٧٥٧ عن مالك بن أوس عن عمر].

(٣) حديث: نهى أم أيمن وغيرها أن تدخر شيئا لغد. تقدم نهيه لأم أيمن وغيرها.

(٤) صحيح لغيره: حديث: نهى بلالا عن الادخار وقال «أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش إقلالا». رواه البزار من حديث ابن مسعود وأبي هريرة وبلال: دخل عليه النبي ﷺ وعنده صبر من تمر، فقال ذلك. وروى أبو يعلى والطبراني في الأوسط حديث أبي هريرة، وكلها ضعيفة. وأما ما ذكره المصنف من أنه ادخر كسرة خبز، فلم أره. [انظر صحيح الترغيب: ٩٢١].

(٥) ضعيف: حديث قال لبلال «إذا سئلت فلا تمنع، وإذا أعطيت فلا تخبأ». رواه الطبراني والحاكم من حديث

بال تيمم مع قرب الماء ويقول: «ما يُدْرِيني لَعَلِّي لا أَبْلُغُهُ» (١) ، وقد كان لو ادخر لم ينقص ذلك من توكله إذ كان لا يثق بما ادخره، ولكنه عليه السلام ترك ذلك تعليمًا للأقوياء من أمته، فإنّ أقوياء أمته ضعفاء بالإضافة إلى قوّته، وادخر عليه السلام لعياله سنة لا لضعف قلب فيه وفي عياله، ولكن ليسن ذلك للضعفاء من أمته، بل أخبر: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عَزَائِمُهُ» (٢) ، تطييبًا لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهي بهم الضعف إلى اليأس والقنوط فيتركون الميسور من الخير عليهم بعجزهم عن منتهى الدرجات، فما أرسل رسول الله ﷺ إلا رحمة للعالمين كلهم على اختلاف أصنافهم ودرجاتهم، وإذا فهمت هذا علمت أن الادخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضر، ويدل على ما روى أبو أمامة الباهلي: أن بعض أصحاب الصفة توفي فما وجد له كفن، فقال ﷺ: «فَتِّشُوا ثَوْبَهُ» فوجدوا فيه دينارين في داخل إزاره فقال ﷺ: «كَيَّتَانِ» (٣)، وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف أموالًا ولا يقول ذلك في حقه، وهذا يحتمل وجهين لأن حاله يحتمل حالين:

أحدهما: أنه أراد كيتين من النار، كما قال تعالى: ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٥] وذلك إذا كان حاله إظهار الزهد والفقر والتوكل مع الإفلاس عنه فهو نوع تلبيس.

والثاني: أن لا يكون ذلك عن تلبيس، فيكون المعنى به النقصان عن درجة كماله كما ينقص من جمال الوجه أثر كيتين في الوجه، وذلك لا يكون عن تلبيس، فإن كل ما يخلفه الرجل فهو نقصان عن درجته في الآخرة، إذ لا يؤتى أحد من الدنيا شيئًا إلا نقص بقدره من الآخرة. وأما بيان أن الادخار مع فراغ القلب عن المدّخر ليس من ضرورته بطلان التوكل، فيشهد له ما روي عن بشر، قال الحسين المغازلي من أصحابه: كنت عنده ضحوة من النهار، فدخل عليه رجل كهل أسمر خفيف العارضين، فقام إليه بشر، قال: وما رأيته قام لأحد غيره، قال: ودفع إلي كفًا من دراهم وقال: اشتر لنا من أطيب ما تقدر عليه من الطعام الطيب، وما قال لي قط مثل ذلك، قال: فجئت بالطعام فوضعته فأكل معه وما رأيته أكل مع غيره، قال: فأكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير، فأخذه الرجل وجمعه في ثوبه وحمله معه وانصرف، فعجبت من ذلك وكرهته له، فقال لي بشر: لعلك أنكرت فعله؟ قلت: نعم أخذ

أبي سعيد وهو ثقة. [انظر ضعيف الترغيب: ٥٤٣].

(١) صحيح: حديث أنه ﷺ بال وتيمم مع قرب الماء ويقول «ما يدريني لعلي لا أبلغه». أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل من حديث ابن عباس بسند ضعيف. [انظر السلسة الصحيحة: ٢٦٢٩].

(٢) صحيح: حديث «إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصة كما يحب أن تؤتى عزائمه». أخرجه أحمد والطبراني والبيهقي من حديث ابن عمر وقد تقدم. [أحمد: ٥٨٣٢ بنحوه، وانظر صحيح الترغيب: ١٠٦٠].

(٣) صحيح لغيره: حديث أبي أمامة: تُوفي بعض أصحاب الصفة فوجدوا دينارين في داخلة إزاره، فقال ﷺ «كَيَّتان». رواه أحمد من رواية شهر بن حوشب عنه. [أحمد: ٧٩٠، وانظر صحيح الترغيب: ٩٣٥].

بقية الطعام من غير إذن، فقال: ذاك أخونا فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل فإنما أراد أن يعلمنا أنّ التوكل إذا صح لم يضر معه الادخار.

الفن الثالث في مباشرة الأسباب الدافعة للضرر المعرّض للخوف: اعلم أنّ الضرر قد يعرض للخوف في نفس أو مال وليس من شروط التوكل ترك الأسباب الدافعة رأسًا؛ أما في النفس فكالنوم في الأرض المسبعة أو في مجاري السيل من الوادي أو تحت الجدار المائل والسقف المنكسر. فكل ذلك منهي عنه، وصاحبه قد عرّض نفسه للهلاك بغير فائدة، نعم تنقسم هذه الأسباب إلى مقطوع بها، ومظنونة، وإلى موهومة فترك الموهوم منها من شرط التوكل وهي التي نسبتها إلى دفع الضرر نسبة الكي والرقية؛ فإنّ الكي والرقية قد يقدم به على المحذور دفعًا لما يتوقع، وقد يستعمل بعد نزول المحذور للإزالة، ورسول الله ﷺ لم يصف المتوكلين إلا بترك الكي والرقية والطيرة، ولم يصفهم بأنهم إذا خرجوا إلى موضع بارد لم يلبسوا جبة، والجبة تلبس دفعًا للبرد المتوقع، وكذلك كل ما في معناها من الأسباب، نعم. الاستظهار بأكل الثوم مثلًا عند الخروج إلى السفر في الشتاء تهييجًا لقوّة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعمق في الأسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب من الكي بخلاف الجبة، ولترك الأسباب الدافعة وإن كانت مقطوعة وجه إذا ناله الضرر من إنسان، فإنه إذا أمكنه الصبر وأمكنه الدفع والتشفي فشرط التوكل الاحتمال والصبر، قال الله تعالى: ﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [المزمل: ٩-١٠] وقال تعالى: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢] وقال عز وجل: ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٤٨] وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وقال تعالى: ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ۝ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝﴾ [العنكبوت: ٥٨-٥٩] وهذا في أذى الناس، وأما الصبر على أذى الحيات والسباع والعقارب، فترك دفعها ليس من التوكل في شيء إذ لا فائدة فيه، ولا يراد السعي ولا يترك السعي لعينه بل لإعانته على الدين، وترتب الأسباب هاهنا كترتبها في الكسب وجلب المنافع فلا نطول بالإعادة، وكذلك في الأسباب الدافعة عن المال، فلا ينقص التوكل بإغلاق باب البيت عند الخروج ولا بأن يعقل البعير، لأن هذه أسباب عرفت سنة الله تعالى إما قطعًا وإما ظنًا، ولذلك قال للأعرابي لما أن أهمل البعير وقال توكلت على الله: «اعقلها وتوكل»[1]، وقال تعالى: ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١] وقال في كيفية صلاة الخوف: ﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢] وقال سبحانه: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠] وقال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿فَأَسْرِ

(١) حسن: حديث «اعقلها وتوكل». أخرجه الترمذي من حديث أنس، قال يحيى القطان: منكر. ورواه ابن خزيمة في التوكل، والطبراني من حديث عمرو بن أمية الضمري بإسناد جيد «قيدها».[الترمذي: ٢٥١٧، وانظر صحيح الترمذي].

بِعِبَادِى لَيْلًا﴾ [الدخان:٢٣] والتحصن بالليل اختفاء عن أعين الأعداء ونوع تسبب، واختفاء رسول الله ﷺ في الغار اختفاء عن أعين الأعداء دفعًا للضرر (١)، وأخذ السلاح في الصلاة ليس دافعًا قطعًا كقتل الحية والعقرب فإنه دافع قطعًا، ولكن أخذ السلاح سبب مظنون، وقد بينا أن المظنون كالمقطوع، وإنما الموهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه.

فإن قلت: فقد حكي عن جماعة أن منهم من وضع الأسد يده على كتفه ولم يتحرّك.

فأقول: وقد حكي عن جماعة أنهم ركبوا الأسد وسخروه فلا ينبغي أن يغرّك ذلك المقام؛ فإنه وإن كان صحيحًا في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق التعلم من الغير، بل ذلك مقام رفيع في الكرامات وليس ذلك شرطًا في التوكل، وفيه أسرار لا يقف عليها من لم ينته إليها.

فإن قلت: وهل من علامة أعلم بها أني قد وصلت إليها؟

فأقول: الواصل لا يحتاج إلى طلب العلامات، ولكن من العلامات على ذلك المقام السابقة عليه: أن يسخّر لك كلب هو معك في إهابك يسمى الغضب، فلا يزال يعضك ويعض غيرك، فإن سخر لك هذا الكلب بحيث إذا هيج وأشلى لم يستشل إلا بإشارتك وكان مسخرًا لك، فربما ترتفع درجتك إلى أن يسخر لك الأسد الذي هو ملك السباع، وكلب دارك أولى بأن يكون مسخرًا لك من كلب البوادي، وكلب إهابك أولى بأن يتسخر من كلب دارك، فإذا لم يسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع في استسخار الكلب الظاهر.

فإن قلت: فإذا أخذ المتوكل سلاحه حذرًا من العدوّ وأغلق بابه حذرًا من اللص وعقل بعيره حذرًا من أن ينطلق، فبأي اعتبار يكون متوكلًا؟

فأقول: يكون متوكلًا بالعلم والحال، فأما العلم فهو أن يعلم أن اللص إن اندفع لم يندفع بكفايته في إغلاق الباب، بل لم يندفع إلا بدفع الله تعالى إياه؛ فكم من باب يغلق ولا ينفع، وكم من بعير يعقل ويموت أو يفلت، وكم من آخذ سلاحه يقتل أو يغلب؛ فلا تتكل على هذه الأسباب أصلًا بل على مسبب الأسباب، كما ضربنا المثل في الوكيل في الخصومة فإنه إن حضر وأحضر السجل فلا يتكل على نفسه وسجله بل يتكل على كفاية الوكيل وقوّته، وأما الحال فهو أن يكون راضيًا بما يقضي الله تعالى به في بيته ونفسه ويقول: اللهم إن سلطت على ما في البيت من يأخذه فهو في سبيلك وأنا راض بحكمك، فإني لا أدري أن ما أعطيتني هبة فلا تسترجعها، أو عارية ووديعة فتستردها، ولا أدري أنه رزقي أو سبقت مشيئتك في الأزل بأنه رزق غيري، وكيفما قضيت فأنا راض به، وما أغلقت الباب تحصنًا من قضائك وتسخطًا له، بل جريًا على مقتضى سننك في ترتيب الأسباب، فلا ثقة إلا بك يا مسبب الأسباب، فإذا

---

(١) **صحيح:** حديث: اختفى رسول الله ﷺ عن أعين الأعداء دفعا للضرر. تقدم في قصة اختفائه في الغار عند إرادة الهجرة. [البخاري: ٣٩٠٦ عن عائشة].

كان هذا حاله وذلك الذي ذكرناه علمه لم يخرج عن حدود التوكل بعقل البعير وأخذ السلاح وإغلاق الباب، ثم إذا عاد فوجد متاعه في البيت فينبغي أن يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله تعالى، وإن لم يجده بل وجده مسروقًا نظر إلى قلبه، فإن وجده راضيًا أو فرحًا بذلك عالمًا أنه ما أخذ الله تعالى منه إلا ليزيد رزقه في الآخرة فقد صح مقامه في التوكل وظهر له صدقه، وإن تألم قلبه به ووجد قوّة الصبر فقد بان له أنه ما كان صادقًا في دعوى التوكل؛ لأنّ التوكل مقام بعد الزهد، ولا يصح الزهد إلا ممن لا يتأسف على ما فات من الدنيا ولا يفرح بما يأتي، بل يكون على العكس منه، فكيف يصح له التوكل؟ نعم، قد يصح له مقام الصبر إن أخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه في الطلب والتجسس، وإن لم يقدر على ذلك حتى تأذى بقلبه وأظهر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب ببدنه، فقد كانت السرقة مزيدًا له في ذنبه من حيث إنه ظهر له قصوره عن جميع المقامات وكذبه في جميع الدعاوى؛ فبعد هذا ينبغي أن يجتهد حتى لا يصدّق نفسه في دعاويها ولا يتدلى بحبل غرورها؛ فإنها خدّاعة أمارة بالسوء مدعية للخير.

فإن قلت: فكيف يكون للمتوكل مال حتى يؤخذ؟

فأقول: المتوكل لا يخلو بيته من متاع كقصعة يأكل فيها وكوز يشرب منه وإناء يتوضأ منه وجراب يحفظ به زاده وعصا يدفع بها عدوّه وغير ذلك من ضرورات المعيشة من أثاث البيت، وقد يدخل في يده مال وهو يمسكه ليجد محتاجًا فيصرفه إليه، فلا يكون ادخاره على هذه النية مبطلًا لتوكله، وليس من شرط التوكل إخراج الكوز الذي يشرب منه والجراب الذي فيه زاده، وإنما ذلك في المأكول وفي كل مال زائد على قدر الضرورة؛ لأنّ سنة الله جارية بوصول الخير إلى الفقراء المتوكلين في زوايا المساجد، وما جرت السنة بتفرقة الكيزان والأمتعة في كل يوم ولا في كل أسبوع، والخروج عن سنة الله عز وجل ليس شرطًا في التوكل، ولذلك كان الخوّاص يأخذ في السفر الحبل والركوة والمقراض والإبرة دون الزاد، لكن سنة الله تعالى جارية بالفرق بين الأمرين.

فإن قلت: فكيف يتصوّر أن لا يحزن إذا أخذ متاعه الذي هو محتاج إليه ولا يتأسف عليه، فإن كان لا يشتهيه فلم أمسكه وأغلق الباب عليه، وإن كان أمسكه لأنه يشتهيه لحاجته إليه فكيف لا يتأذى قلبه ولا يحزن وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه؟

فأقول: إنما كان يحفظه ليستعين به على دينه إذ كان يظن أن الخيرة له في أن يكون له ذلك المتاع، ولولا أن الخيرة له فيه لما رزقه الله تعالى ولما أعطاه إياه، فاستدل على ذلك بتيسير الله عز وجل وحسن الظن بالله تعالى مع ظنه أن ذلك معين له على أسباب دينه ولم يكن ذلك عنده مقطوعًا به، إذ يحتمل أن تكون خيرته في أن يبتلي بفقده ذلك حتى ينصب في تحصيل غرضه ويكون ثوابه في النصب والتعب أكثر؛ فلما أخذه الله تعالى منه بتسليط

اللص تغير ظنه؛ لأنه في جميع الأحوال واثق بالله حسن الظن به، فيقول: لولا أنّ الله عز وجل علم أنّ الخيرة كانت لي في وجودها إلى الآن والخيرة لي الآن في عدمها لما أخذها مني، فبمثل هذا الظن يتصوّر أن يندفع عنه الحزن، إذ به يخرج عن أن يكون فرحه بأسباب من حيث إنها أسباب، بل من حيث إنه يسرها مسبب الأسباب عناية وتلطفًا، وهو كالمريض بين يدي الطبيب الشفيق يرضى بما يفعله، فإن قدّم إليه الغذاء فرح وقال: لولا أنه يعرف أنّ الغذاء ينفعني وقد قويت على احتماله لما قرّبه إليّ، وإن أخر عنه الغذاء بعد ذلك أيضًا فرح وقال: لولا أنّ الغذاء يضرني ويسوقني إلى الموت لما حال بيني وبينه، وكل من لا يعتقد لطف الله تعالى ما يعتقده المريض في الوالد المشفق الحاذق لعلم الطب فلا يصح منه التوكل أصلًا. ومن عرف الله تعالى وعرف أفعاله وعرف سنته في إصلاح عباده لم يكن فرحه بالأسباب، فإنه لا يدري أي الأسباب خير له، كما قال عمر رضي الله عنه: لا أبالي أصبحت غنيًا أو فقيرًا؛ فإني لا أدري أيهما خير لي؛ فكذلك ينبغي أن لا يبالي المتوكل يسرق متاعه أو لا يسرق فإنه لا يدري أيهما خير له في الدنيا أو في الآخرة، فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الإنسان وكم من غني يبتلى بواقعة لأجل غناه يقول يا ليتني كنت فقيرًا

بيان آداب المتوكلين اذا سرق متاعهم:

للمتوكل آداب في متاع بيته إذا خرج عنه:

الأوّل: أن يغلق الباب ولا يستقصي في أسباب الحفظ كالتماسه من الجيران الحفظ مع الغلق، وكجمعه أغلاقًا كثيرة؛ فقد كان مالك بن دينار لا يغلق بابه ولكن يشدّه بشرط ويقول: لولا الكلاب ما شددته أيضًا.

الثاني: أن لا يترك في البيت متاعًا يحرّض عليه السراق فيكون هو سبب معصيتهم أو إمساكه يكون سبب هيجان رغبتهم، ولذلك لما أهدى المغيرة إلى مالك بن دينار ركوة قال: خذها لا حاجة لي إليها. قال: لم؟ قال: يوسوس إلى العدوّ أن اللص يأخذها، فكأنه احترز من أن يعصي السارق؛ ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقتها، ولذلك قال أبو سليمان: هذا من ضعف قلوب الصوفية هذا قد زهد في الدنيا فما عليه من أخذها.

الثالث: أن ما يضطرّ إلى تركه في البيت ينبغي أن ينوي عند خروجه الرضا بما يقضي الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول: ما يأخذه السارق فهو منه في حل أو هو في سبيل الله تعالى، وإن كان فقيرًا فهو عليه صدقة، وإن لم يشترط الفقر فهو أولى، فيكون له نيتان لو أخذه غني أو فقير.

إحداهما: أن يكون ماله مانعًا من المعصية، فإنه ربما يستغني به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصيانه بأكل الحرام لما أن جعله في حل.

والثانية: أن لا يظلم مسلمًا آخر فيكون ماله فداء لمال مسلم آخر، ومهما ينوي حراسة مال غيره بمال نفسه أو ينوي دفع المعصية عن السارق أو تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامتثل قوله ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» (١)، ونصر الظالم: أن تمنعه من الظلم، وعفوه عنه إعدام للظلم ومنع له، وليتحقق أنّ هذه النية لا تضره بوجه من الوجوه إذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الأزلي. ولكن يتحقق بالزهد نيته، فإن أخذ ماله كان له بكل درهم سبعمائة درهم لأنه نواه وقصده، وإن لم يؤخذ حصل له الأجر أيضًا، كما روي عن رسول الله ﷺ فيمن ترك العزل فأقرّ النطفة قرارها أن له أجر غلام ولد له من ذلك الجماع وعاش فقتل في سبيل الله تعالى وإن لم يولد له (٢)؛ لأنه ليس أمر الولد إلا الوقاع، فأما الخلق والحياة والرزق والبقاء فليس إليه، فلو خلق لكان ثوابه على فعله، وفعله لم ينعدم، فكذلك أمر السرقة.

الرابع: أنه إذا وجد المال مسروقًا فينبغي أن لا يحزن بل يفرح إن أمكنه ويقول: لولا أن الخيرة كانت فيه لما سلبه الله تعالى، ثم إن لم يكن قد جعله في سبيل الله عز وجل، فلا يبالغ في طلبه وفي إساءة الظن بالمسلمين؛ وإن كان قد جعله في سبيل الله فيترك طلبه. فإنه قد قدّمه ذخيرة لنفسه إلى الآخرة، فإن أعيد عليه، فالأولى أن لا يقبله بعد أن كان قد جعله في سبيل الله عز وجل، وإن قبله فهو في ملكه في ظاهر العلم؛ لأن الملك لا يزول بمجرّد تلك النية، ولكنه غير محبوب عند المتوكلين.

وقد روي أنّ ابن عمر سرقت ناقته فطلبها حتى أعيا، ثم قال: في سبيل الله تعالى، فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين فجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن، إنّ ناقتك في مكان كذا فلبس نعله وقام، ثم قال: أستغفر الله وجلس، فقيل له: ألا تذهب فتأخذها فقال: إني كنت قلت في سبيل الله.

وقال بعض الشيوخ: رأيت بعض إخواني في النوم بعد موته فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وأدخلني الجنة وعرض علي منازلي فيها فرأيتها، قال: وهو مع ذلك كئيب حزين فقلت: قد غفر لك ودخلت الجنة وأنت حزين فتنفس الصعداء ثم قال: نعم إني لا أزال حزينًا إلى يوم القيامة. قلت: ولم؟ قال إني لما رأيت منازلي في الجنة رفعت لي مقامات في عليين ما رأيت مثلها فيما رأيت، ففرحت بها، فلما هممت بدخولها نادى منادي من فوقها اصرفوه عنها فليست هذه له إنما هي لمن أمضى السبيل، فقلت وما إمضاء السبيل؟ فقيل لي كنت تقول

---

(١) صحيح: حديث «انصر أخاك ظالما أو مظلوما». متفق عليه من حديث أنس، وقد تقدم. [البخاري: ٢٤٤٣ عن أنس، ومسلم: ٢٥٨٤ عن جابر بنحوه، ولم أقف عند مسلم عن أنس].

(٢) حديث «من ترك العزل فأقر النطفة قرارها». لم أجد له أصلا.

للشيء إنه في سبيل الله ثم ترجع فيه، فلو كنت أمضيت السبيل لأمضينا لك.

وحكي عن بعض العباد بمكة أنه كان نائمًا إلى جنب رجل معه هميانه، فانتبه الرجل ففقد هميانه فاتهمه به، فقال له كم كان في هميانك؟ فذكر له، فحمله إلى البيت ووزنه من عنده، ثم بعد ذلك أعلمه أصحابه أنهم كانوا أخذوا الهميان مزحًا معه، فجاء هو وأصحابه معه وردوا الذهب، فأبى وقال خذه حلالًا طيبًا، فما كنت لأعود في مال أخرجته في سبيل الله عز وجل، فلم يقبل، فألحوا عليه، فدعا ابنه وجعل يصره صررًا ويبعث به إلى الفقراء حتى لم يبق منه شيء.

فهكذا كانت أخلاق السلف، وكذلك من أخذ رغيفًا ليعطيه فقيرًا فغاب عنه كان يكره رده إلى البيت بعد إخراجه فيعطيه فقيرًا آخر، وكذلك يفعل في الدراهم والدنانير وسائر الصدقات.

الخامس: وهو أقل الدرجات أن لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالأخذ، فإن فعل بطل توكله ودل ذلك على كراهته وتأسفه على ما فات، وبطل زهده، ولو بالغ بطل أجره أيضًا فيما أصيب به؛ ففي الخبر: «من دعا على ظالمه فقد انتصر» (١). وحكي أنّ الربيع بن خثيم سرق فرس له وكان قيمته عشرين ألفًا وكان قائمًا يصلي، فلم يقطع صلاته ولم ينزعج لطلبه، فجاءه قوم يعزونه فقال: أما إني قد كنت رأيت وهو يحله. قيل: وما منعك أن تزجره؟ قال: كنت فيما هو أحب إليّ من ذلك ــ يعني الصلاة ــ فجعلوا يدعون عليه فقال؛ لا تفعلوا وقولوا خيرًا فإني قد جعلتها صدقة عليه.

وقيل لبعضهم في شيء قد كان سرق له: ألا تدعو على ظالمك قال: ما أحب أن أكون عونًا للشيطان عليه. قيل: أرأيت لو رد عليك؟ قال: لا آخذه ولا أنظر إليه لأني كنت قد أحللته له.

وقيل لآخر: ادع الله على ظالمك، فقال: ما ظلمني أحد، ثم قال: إنما ظلم نفسه، ألا يكفيه المسكين ظلم نفسه حتى أزيده شرًا.

وأكثر بعضهم شتم الحجاج عند بعض السلف في ظلمه، فقال: لا تغرق في شتمه، فإنّ الله تعالى ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينتصف منه لمن أخذ ماله ودمه.

وفي الخبر: «إنّ العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتص له من المظلوم» (٢).

السادس: أن يغتم لأجل السارق وعصيانه وتعرّضه لعذاب الله تعالى، ويشكر الله تعالى إذ جعله مظلومًا ولم يجعله ظالمًا وجعل ذلك نقصًا في دنياه لا نقصًا في دينه، فقد شكا بعض

---

(١) ضعيف: حديث «من دعا على ظالمه فقد انتصر». تقدم. [الترمذي: ٣٥٥٢، وانظر السلسلة الضعيفة: ٤٥٩٣].

(٢)حديث «إن العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتص له من المظلوم». تقدم.

الناس إلى عالم أنه قطع عليه الطريق وأخذ ماله فقال: إن لم يكن لك غم أنه قد صار في المسلمين من يستحل هذا أكثر من غمك بمالك فما نصحت للمسلمين.

وسرق من علي بن الفضيل دنانير وهو يطوف بالبيت، فرآه أبوه وهو يبكي ويحزن، فقال: أعلى الدنانير تبكي؟ فقال: لا والله ولكن على المسكين أن يسأل يوم القيامة ولا تكون له حجة.

وقيل لبعضهم: ادع على من ظلمك، فقال: إني مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه؛ فهذه أخلاق السلف رضي الله عنهم أجمعين.

الفن الرابع: في السعي في إزالة الضرر كمداواة المرض وأمثاله: اعلم أنّ الأسباب المزيلة للمرض أيضًا تنقسم إلى مقطوع به كالماء المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع، وإلى مظنون كالفصد والحجامة وشرب الدواء المسهل وسائر أبواب الطب. أعني معالجة البرودة بالحرارة والحرارة بالبرودة وهي الأسباب الظاهرة في الطب، وإلى موهوم كالكي والرقية. أما المقطوع فليس من التوكل تركه، بل تركه حرام عند خوف الموت. وأما الموهوم فشرط التوكل تركه إذ به وصف رسول الله ﷺ المتوكلين، وأقواها الكي، ويليه الرقية، والطيرة آخر درجاتها، والاعتماد عليها والاتكال إليها غاية التعمق في ملاحظة الأسباب، وأما الدرجة المتوسطة وهي المظنونة كالمداواة بالأسباب الظاهرة عند الأطباء ففعله ليس مناقضًا للتوكل بخلاف الموهوم، وتركه ليس محظورًا بخلاف المقطوع، بل قد يكون أفضل من فعله في بعض الأحوال وفي بعض الأشخاص فهي على درجة بين الدرجتين، ويدل على أنّ التداوي غير مناقض للتوكل فعل رسول الله وقوله وأمره به؛ أما قوله فقد قال ﷺ «مَا مِنْ دَاءٍ إِلاَّ وَلَهُ دَوَاءٌ عَرَفَهُ مَنْ عَرَفَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ إِلاَّ السَّام» (١)، يعني الموت. وقال عليه السلام: «تَدَاوَوا عِبَادَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ» (٢). وسئل عن الدواء والرقى هل ترد من قدر الله شيئًا؟ قال: «هي من قدر الله» (٣)، وفي الخبر المشهور: «ما مررت بملأ من الملائكة إلا قالوا مُرْ

---

(١) حديث «ما من داء إلا له دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله إلا السام». [أحمد: ٣٩١٢ بدون لفظ «إلا السام»، وهو بلفظ «إلا السام» انظر صحيح الجامع: ١٨٠٩، ومختصراً عند ابن ماجه: ٣٤٣٨، وانظر صحيح ابن ماجه، وبلفظ «إلا الهرم» عند الترمذي: ٢٠٣٨، وانظر صحيح الجامع: ٢٩٣٠] رواه أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود دون قوله «إلا السام» وهو عند ابن ماجه مختصرا دون قوله «عرفه... إلى آخره» وإسناده حسن، وللترمذي وصححه من حديث أسامة بن شريك «إلا الهرم» وللطبراني في الأوسط والبزار من حديث أبي سعيد الخدري والطبراني في الكبير من حديث ابن عباس وسندهما ضعيف، والبخاري من حديث أبي هريرة «ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء» [البخاري: ٥٦٧٨] ولمسلم من حديث جابر «لكل داء دواء» [مسلم: ٢٢٠٤].

(٢) **صحيح**: حديث تداووا عباد الله». رواه الترمذي وصححه، وابن ماجه واللفظ له من حديث أسامة بن شريك. [الترمذي: ٢٠٣٨، وابن ماجه: ٣٤٣٦، وانظر صحيح الترمذي].

(٣) **ضعيف**: حديث: سئل عن الدواء والرقي هل يرد من قدر الله فقال «هي من قدر الله». أخرجه الترمذي

أمتك بالحجامة» [١]، وفي الحديث أنه ﷺ أمر بها وقال: «احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم» [٢]، فذكر أنّ تبيغ الدم سبب الموت وأنه قاتل بإذن الله تعالى، وبين أنّ إخراج الدم خلاص منه، إذ لا فرق إلا بين إخراج الدم المهلك من الإهاب وبين إخراج العقرب من تحت الثياب وإخراج الحية من البيت، وليس من شرط التوكل ترك ذلك، بل هو كصب الماء على النار لإطفائها ودفع ضررها عند وقوعها في البيت، وليس من التوكل الخروج عن سنة الوكيل أصلًا. وفي خبر مقطوع: «من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة» [٣]، وأما أمره ﷺ فقد أمر غير واحد من الصحابة بالتداوي وبالحمية [٤]، وقطع لسعد بن معاذ عرقًا [٥] أي فصده، وكوى سعد ابن زرارة [٦]، وقال لعلي رضي الله عنه وكان رمد العين: «لا تَأْكُلْ مِنْ هَذَا» يعني الرطب «وَكُلْ مِنْ هذَا فَإِنَّهُ أَوْفَقُ لَكَ» [٧]، يعني سلقًا قد طبخ بدقيق شعير. وقال لصهيب وقد رآه يأكل التمر وهو وجع العين: «تأكل تمرًا وأنت أرمد» فقال: «إني آكل من الجانب الآخر،

وابن ماجه من حديث أبي خزامة، وقيل عن أبي خزامة عن أبيه، قال الترمذي: وهذا أصح. [الترمذي: ٢٠٦٥، وابن ماجه: ٣٤٣٧، وانظر ضعيف الترمذي].

(١) صحيح: حديث «ما مررت بملأ من الملائكة إلا قالوا مر أمتك بالحجامة». رواه الترمذي من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب، ورواه ابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف. [الترمذي: ٢٠٥٢، وابن ماجه: ٣٤٧٩، وانظر صحيح الترمذي].

(٢) حديث «احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين». [انظر السلسلة الضعيفة: ١٨٦٤، وقال الألباني: ضعيف جداً] أخرجه البزار من حديث ابن عباس بسند حسن موقوفا، ورفعه الترمذي بلفظ «إن خير ما تحتجمون فيه سبع عشرة... الحديث» [الترمذي: ٢٠٥٣، وانظر صحيح الترغيب: ٣٤٦٣] دون ذكر التَبَيُّغ، وقال: حسن غريب، وقال البزار: إن طريقه المتقدمة احسن من هذا الطريق، ولابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف «من أراد الحجامة فليتحر سبعة عشر... الحديث» [ابن ماجه: ٣٤٨٦ وانظر صحيح ابن ماجه].

(٣) ضعيف: حديث «من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة». رواه الطبراني من حديث معقل بن يسار، وابن حبان في الضعفاء من حديث أنس وإسنادهما واحد اختلف على راويه في الصحابي، وكلاهما فيه زين العمى وهو ضعيف. [انظر ضعيف الجامع: ٥٣٤٧].

(٤) صحيح: حديث أمره بالتداوي لغير واحد من الصحابة. أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أسامة بن شريك أنه قال للأعراب حين سألوه «تداووا... الحديث» وسيأتي في قصة علي وصهيب في الحمية بعده. [الترمذي: ٢٠٣٨، وابن ماجه: ٣٤٣٦، وانظر صحيح الترمذي].

(٥) صحيح: حديث: قطع عرقا لسعد بن معاذ. أخرجه مسلم من حديث جابر قال: رمي سعد في أكحله فحسمه النبي ﷺ بيده بمشقص... الحديث. [مسلم: ٢٢٠٨، والأكحل: عرق في وسط الذراع، والحسم: الكي بالنار لوقف الدم، والمشقص: سهم بطرف حاد عريض].

(٦) صحيح: حديث أنه كوى أسعد بن زرارة. رواه الطبراني من حديث سهل بن حنيف بسند ضعيف. ومن حديث أبي أسامة بن سهل بن حنيف دون ذكر سهل. [الترمذي: ٢٠٥٠ عن أنس].

(٧) حسن: حديث قال لعلي وكان رمد العين «لا تأكل من هذا». رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن غريب، وابن ماجه من حديث أم المنذر. [أبو داود: ٣٨٥٦، وابن ماجه: ٣٤٤٢، والترمذي: ٢٠٣٧، وانظر صحيح الترمذي].

فتبسم ﷺ»[١]، وأما فعله عليه الصلاة والسلام فقد روي في حديث من طريق أهل البيت أنه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة[٢] وقيل: السنا المكي. وتداوى ﷺ غير مرة من العقرب وغيرها[٣]. وروي أنه كان إذا نزل عليه الوحي صدع رأسه فكان يغلفه بالحناء[٤]. وفي خبر: أنه كان إذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء، وقد جعل على قرحة خرجت به ترابًا[٥]، وما روي في تداويه وأمره بذلك كثير خارج عن الحصر، وقد صنف في ذلك كتاب وسمي طب النبي ﷺ. وذكر بعض العلماء في الإسرائيليات؛ أن موسى عليه السلام اعتل بعلة فدخل عليه بنو إسرائيل فعرفوا علته؛ فقالوا له: لو تداويت بكذا لبرئت، فقال: لا أتداوى حتى يعافيني هو من غير دواء، فطالت علته فقالوا له: إن دواء هذه العلة معروف مجرّب، وإنا نتداوى به فنبرأ، فقال: لا أتداوى، وأقامت علته، فأوحى الله تعالى إليه: وعزتي وجلالي لا أبرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك، فقال لهم: داووني بما ذكرتم، فداووه فبرأ، فأوجس في نفسه من ذلك، فأوحى الله تعالى إليه: أردت أن تبطل حكمتي بتوكلك على من أودع العقاقير منافع الأشياء غيري؟.

وروي في خبر آخر أنّ نبيًّا من الأنبياء عليهم السلام شكا علة يجدها، فأوحى الله تعالى إليه. كل البيض. وشكا نبي آخر الضعف، فأوحى الله تعالى إليه: كل اللحم باللبن فإن فيهما القوّة، قيل: هو الضعف عن الجماع.

---

(١) حسن: حديث قال لصهيب وقد رآه يأكل التمر وهو وجع العين «تأكل تمرا وأنت أرمد». تقدم في آفات اللسان. [ابن ماجه: ٣٤٤٣، وانظر صحيح ابن ماجه].

(٢) موضوع: حديث من طريق أهل البيت أنه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة. أخرجه ابن عدي من حديث عائشة وقال: إنه منكر، وفيه سيف بن محمد كذبه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين. [وانظر السلسلة الضعيفة: ٤٢٨٦].

(٣) حديث أنه تداوى غير مره من العقرب وغيرها. رواه الطبراني بإسناد حسن من حديث جبلة بن الأزرق أن رسول الله ﷺ لدغته عقرب فغشي عليه فرقاه الناس... الحديث [لم أقف عليه، ولكن انظر المشكاة: ٤٥٦٧ عن علي، وفيه ﷺ لدغ فرقى نفسه ولعن العقرب، وصححه الألباني]، وله في الأوسط من رواية سعيد بن ميسرة وهو ضعيف. عن أنس أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى تقمح كفا من شونيز ويشرب عليه ماء وعسلا [انظر السلسلة الضعيفة: ٤١٧١، وقال الألباني: موضوع]، ولأبي يعلى والطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن جعفر أن النبي ﷺ احتجم بعد ما سم [انظر المشكاة: ٤٥٧٢، وقال الألباني: لم تتم دراسته]، وفيه جابر الجعفي ضعفه الجمهور.

(٤) صحيح: حديث: كان إذا نزل عليه الوحي صدع رأسه فيغلفه بالحناء. أخرجه البزار وابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة، وقد اختلف في إسناده على الأحوص ابن حكيم: كان إذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء، رواه الترمذي وابن ماجه من حديث سلمى، قال الترمذي: غريب. [الترمذي: ٢٠٥٤، وابن ماجه: ٣٥٠٢، وانظر صحيح الترمذي].

(٥) صحيح: حديث: جعل على قرحة خرجت بيده ترابا. رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة: كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه أو كانت قرحة أو جرح قال النبي ﷺ بيده هكذا، ووضع سفيان بن عيينة الراوي سبابته بالأرض ثم رفعها وقال «بسم الله تربة أرضنا وريقة بعضنا يشفي سقيمنا».[البخاري: ٥٧٤٥، ومسلم: ٢١٩٤ واللفظ له].

وقد روي أنّ قومًا شكوا إلى نبيهم قبح أولادهم، فأوحى الله تعالى إليه: مرهم أن يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فإنه يحسن الولد ويفعل ذلك في الشهر الثالث والرابع، إذ فيه يصور الله تعالى الولد، وقد كانوا يطعمون الحبلى السفرجل، والنفساء الرطب.

فبهذا تبين أن مسبب الأسباب أجرى سنته بربط المسببات بالأسباب إظهارًا للحكمة، والأدوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الأسباب، فكما أن الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش فالسكنجبين دواء الصفراء، والسقمونيا دواء الإسهال لا يفارقه إلا في أحد أمرين:

أحدهما: أن معالجة الجوع والعطش بالماء والخبز جلي واضح يدركه كافة الناس، ومعالجة الصفراء بالسكنجبين يدركه بعض الخواص، فمن أدرك ذلك بالتجربة التحق في حقه بالأول.

والثاني: أن الدواء يسهل، والسكنجبين يسكن الصفراء بشروط أخر في الباطن وأسباب في المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها، وربما يفوّت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الإسهال. وأما زوال العطش فلا يستدعي سوى الماء شروطًا كثيرة، وقد يتفق من العوارض ما يوجب دواء العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر واختلال الأسباب أبدًا ينحصر في هذين الشيئين، وإلا فالمسبب يتلو السبب لا محالة مهما تمت شروط السبب، وكل ذلك بتدبير مسبب الأسباب وتسخيره، وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته، فلا يضر المتوكل استعماله مع النظر إلى مسبب الأسباب دون الطبيب والدواء؛ فقد روي عن موسى أنه قال: يا رب، ممن الداء والدواء؟ فقال تعالى: مني. قال: فما يصنع الأطباء؟ قال: يأكلون أرزاقهم ويطيبون نفوس عبادي حتى يأتي شفائي أو قضائي؛ فإذن معنى التوكل مع التداوي التوكل بالعلم والحال، كما سبق في فنون الأعمال الدافعة للضرر الجالبة للنفع، فأما ترك التداوي رأسًا فليس شرطًا فيه.

فإن قلت: فالكي أيضًا من الأسباب الظاهرة النفع.

فأقول: ليس كذلك، إذ الأسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب المسهل وسقي المبردات للمحرور. وأما الكي فلو كان مثلها في الظهور لما خلت البلاد الكثيرة عنه، وقلما يعتاد الكي في أكثر البلاد، وإنما ذلك عادة بعض الأتراك والأعراب؛ فهذا من الأسباب الموهومة كالرقى، إلا أنه يتميز عنها بأمر وهو أنه احتراق بالنار في الحال مع الاستغناء عنه فإنه ما من وجع يعالج بالكي إلا وله دواء يغني عنه ليس فيه إحراق، فالإحراق بالنار جرح مخرّب للبنية محذور السراية مع الاستغناء عنه، بخلاف الفصد والحجامة فإن سرايتهما بعيدة ولا يسدّ مسدهما غيرهما، ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن الكي دون الرقى [(١)]. وكل واحد منهما

(١) صحيح: حديث: نهى رسول الله ﷺ عن الكي دون الرقي. رواه البخاري من حديث ابن عباس «وأنهى

بعيد عن التوكل. وروي أنّ عمران بن الحصين اعتل فأشاروا عليه بالكي فامتنع، فلم يزالوا به وعزم عليه الأمر حتى اكتوى، فكان يقول: كنت أرى نورًا وأسمع صوتًا وتسلم عليّ الملائكة، فلما اكتويت انقطع ذلك عني، وكان يقول اكتوينا كيات فوالله ما أفلحت ولا أنجحت، ثم تاب من ذلك وأناب إلى الله تعالى، فرد الله تعالى عليه ما كان يجد من أمر الملائكة. وقال لمطرف بن عبد الله: ألم تر أن الملائكة التي كان أكرمني الله بها قد ردها الله تعالى عليّ بعد أن كان أخبره بفقدها؛ فإذن الكي وما يجري مجراه هو الذي لا يليق بالمتوكل لأنه يحتاج في استنباطه إلى تدبير، ثم هو مذموم، ويدل ذلك على شدّة ملاحظة الأسباب وعلى التعمق فيها، والله أعلم.

بيان أن ترك التداوي قد يصمد في بعض الأحوال ويدل على قوة التوكل وأن ذلك لا يناقض فعل رسول الله :

اعلم أنّ الذين تداووا من السلف لا ينحصرون، ولكن قد ترك التداوي أيضًا جماعة من الأكابر، فربما يظن أنّ ذلك نقصان، لأنه لو كان كمالًا لتركه رسول الله ﷺ، إذ لا يكون حال غيره في التوكل أكمل من حاله.

وقد روي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قيل له: لو دعونا لك طبيبًا؟ فقال: الطبيب قد نظر إلي وقال: إني فعال لما أريد. وقيل لأبي الدرداء في مرضه: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي. قيل: فما تشتهي؟ قال: مغفرة ربي. قالوا: ألا ندعو لك طبيبًا؟ قال: الطبيب أمرضني.

وقيل لأبي ذرّ وقد رمدت عيناه: لو داويتهما؟ قال: إني عنهما مشغول؛ فقيل: لو سألت الله تعالى أن يعافيك فقال: أسأله فيما هو أهم عليّ منهما.

وكان الربيع بن خثيم أصابه فالج، فقيل له لو تداويت؟ فقال: قد هممت ثم ذكرت عادًا وثمود وأصحاب الرس وقرونًا بين ذلك كثيرًا وكان فيهم الأطباء، فهلك المداوي والمُداوَى، ولم تغن الرقى شيئًا.

وكان أحمد بن حنبل يقول: أحب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوي من شرب الدواء وغيره وإن كان به علل فلا يخبر المتطبب بها أيضًا إذا سأله.

وقيل لسهل: متى يصح للعبد التوكل؟ قال: إذا دخل عليه الضرر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت إليه شغلًا بحاله وينظر إلى قيام الله تعالى عليه.

فإذا منهم من ترك التداوي وراءه، ومنهم من كرهه، ولا يتضح وجه الجمع بين فعل رسول الله ﷺ وأفعالهم إلا بحصر الصوارف عن التداوي. فنقول: إن لترك التداوي أسبابًا.

أمتي عن الكي» [البخاري: ٥٦٨٠] وفي الصحيحين من حديث عائشة: رخص رسول الله ﷺ في الرقية من كل ذي حمى [البخاري: ٥٧٤١، ومسلم: ٢١٩٣].

السبب الأوّل: أن يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف بأنه انتهى أجله وأن الدواء لا ينفعه، ويكون ذلك معلومًا عنده تارة برؤيا صادقة، وتارة بحدس وظنّ، وتارة بكشف محقق، ويشبه أن يكون ترك الصديق رضي الله عنه التداوي من هذا السبب، فإنه كان من المكاشفين، فإنه قال لعائشة رضي الله عنها في أمر الميراث: إنما هنّ أختاك، وإنما كان لها أخت واحدة ولكن كانت امرأته حاملًا فولدت أنثى، فعلم أنه كان قد كوشف بأنها حامل بأنثى، فلا يبعد أن يكون قد كوشف أيضًا بانتهاء أجله، وإلا فلا يظن ربه إنكار التداوي وقد شاهد رسول الله ﷺ تداوى وأمر به.

السبب الثاني: أن يكون المريض مشغولًا بحاله وبخوف عاقبته واطلاع الله تعالى عليه، فينسيه ذلك ألم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوي شغلًا بحاله، وعليه يدل كلام أبي ذرّ إذ قال: إني عنهما مشغول وكلام أبي الدرداء إذ قال: إنما أشتكي ذنوبي، فكان تألم قلبه خوفًا من ذنوبه أكثر من تألم بدنه بالمرض، ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من أعزته، أو كالخائف الذي يحمل إلى ملك من الملوك ليقتل إذا قيل له: لا تأكل وأنت جائع؟ فيقول: أنا مشغول عن ألم الجوع، فلا يكون ذلك إنكارًا لكون الأكل نافعًا من الجوع ولا طعنًا فيمن أكل، ويقرب من هذا اشتغال سهل حيث قيل له: ما القوت؟ فقال: هو ذكر الحي القيوم، فقيل: إنما سألناك عن القوام؟ فقال: القوام هو العلم. قيل: سألناك عن الغذاء؟ قال: الغذاء هو الذكر. قيل: سألناك عن طعمة الجسد؟ قال: مالك وللجسد دع من تولاه أولًا يتولاه آخرًا: إذا دخل عليه علة فرده إلى صانعه، أما رأيت الصنعة إذا عيبت ردوها إلى صانعها حتى يصلحها.

السبب الثالث: أن تكون العلة مزمنة والدواء الذي يؤمر به بالإضافة إلى علته موهوم النفع جار مجرى الكي والرقية، فيتركه المتوكل؛ وإليه يشير قول الربيع بن خثيم إذ قال: ذكرت عادًا وثمود وفيهم الأطباء فهلك المداوي والمداوى. أي أن الدواء غير موثوق به، وهذا قد يكون كذلك في نفسه، وقد يكون عند المريض كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة تجربته له، فلا يغلب على ظنه كونه نافعًا، ولا شك في أنّ الطبيب المجرّب أشدّ اعتقادًا في الأدوية من غيره، فتكون الثقة والظنّ بحسب الاعتقاد، والاعتقاد بحسب التجربة، وأكثر من ترك التداوي من العباد والزهاد، هذا مستندهم لأنه يبقي الدواء عنده شيئًا موهومًا لا أصل له، وذلك صحيح في بعض الأدوية عند من عرف صناعة الطب، غير صحيح في البعض. ولكن غير الطبيب قد ينظر إلى الكل نظرًا واحدًا، فيرى التداوي تعمقًا في الأسباب كالكي والرقى، فيتركه توكلًا.

السبب الرابع: أن يقصد العبد بترك التداوي استبقاء المرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى، أو ليجرّب نفسه في القدرة على الصبر. فقد ورد في ثواب المرض ما يكثر ذكره. فقد قال ﷺ: «نَحْنُ مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ أَشَدُّ النَّاسِ بَلاَءً ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ يُبْتَلَى

العَبْدُ عَلَى قَدْرِ إِيمَانِهِ فَإِنْ كَانَ صُلْبَ الإِيمَانِ شُدِّدَ عَلَيْهِ البَلاءُ. وَإِنْ كَانَ فِي إِيمَانِهِ ضَعْفٌ خُفِّفَ عَنْهُ البَلاءُ» (١) ، وفي الخبر: «إِنَّ اللَّهَ يُجَرِّبُ عَبْدَهُ بِالبلاَءِ كَمَا يُجَرِّبُ أَحَدُكُمْ ذَهَبَهُ بِالنَّارِ فمنهم من يخرجُ كالذَّهَبِ الإبريزِ، لا يزبد، ومنهم دُونَ ذَلِكَ ومِنْهُمْ مَنْ يَخْرُجَ أَسْوَدَ مُحْتَرِقًا» (٢) ، وفي حديث من طريق أهل البيت: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إذا أَحَبَّ عَبْدًا ابْتَلاهُ، فإِنْ صَبَرَ اجْتَبَاهُ، فإِنْ رَضِيَ اصْطَفَاهُ» (٣) ، وقال ﷺ: «تُحِبونَ أَنْ تَكُونُوا كَالحُمُرِ الضَّالَّةِ لا تَمْرَضُونَ وَلا تَسْقَمُونَ» (٤) ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه، تجد المؤمن أصح شيء قلبًا وأمرضه جسمًا، وتجد المنافق أصح شيء جسمًا وأمرضه قلبًا، فلما عظم الثناء على المرض والبلاء أحب قوم المرض واغتنموه لينالوا ثواب الصبر عليه، فكان منهم من له علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب ويقاسي العلة ويرضى بحكم الله تعالى ويعلم أنّ الحق أغلب على قلبه من أن يشغله المرض عنه، وإنما يمنع المرض جوارحه، وعلموا أنّ صلاتهم قعودًا مثلًا مع الصبر على قضاء الله تعالى أفضل من الصلاة قيامًا مع العافية والصحة، ففي الخبر: «إن الله تعالى يقول لملائكته: اكتبوا لعبدي صالح ما كان يعمله فإنه في وثاقي إن أطلقته أبدلته لحمًا خيرًا من لحمه ودمًا خيرًا من دمه، وإن توفيته توفيته إلى رحمتي» (٥) ، وقال ﷺ: «أَفْضَلُ الأَعْمَالِ ما أُكْرِهَتْ عَلَيْهِ النُّفُوسُ» (٦) ، فقيل: معناه ما دخل عليه من الأمراض والمصائب، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦] وكان سهل يقول: ترك التداوي وإن ضعف عن الطاعات وقصر عن الفرائض أفضل من التداوي لأجل الطاعات. وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها، وكان يداوي الناس منها، وكان إذا رأى العبد يصلي من قعود ولا يستطيع أعمال البر من الأمراض، فيتداوى للقيام إلى الصلاة والنهوض إلى

---

(١) صحيح: حديث «نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل». رواه أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه على شرط مسلم نحوه مع اختلاف، وقد تقدم مختصرا، ورواه الحاكم أيضا من حديث سعد بن أبي وقاص وقال: صحيح على شرط الشيخين. [الترمذي: ٢٣٩٨، وأحمد: ١٥٥٨، وانظر صحيح الترغيب: ٣٤٠٢].

(٢) ضعيف جداً: حديث «إن الله تعالى يجرب عبده بالبلاء». رواه الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف. [انظر ضعيف الترغيب: ١٩٨٩].

(٣) حديث: من طريق أهل البيت: إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه. ذكره صاحب الفردوس من حديث علي ولم يخرجه ولده في مسند، وللطبراني من حديث أبي عنبة «إذ أراد الله بعبد خيرا ابتلاه، وإذا ابتلاه اقتناه لا يترك له مالا ولا ولدا» وسنده ضعيف.

(٤) حسن: حديث «تحبون أن تكونوا كالحمر الضالة لا تمرضون ولا تسقمون». أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، وأبو نعيم وابن عبد البر في الصحابة، والبيهقي في الشعب من حديث أبي فاطمة، وهو صدر حديث «إن الرجل تكون له المنزلة عند الله... الحديث، وقد تقدم. [انظر صحيح الجامع: ١٦٢٥].

(٥) حسن: حديث «إن الله يقول للملائكة: اكتبوا لعبدي صالح ما كان يعمله فإنه في وثاقي». أخرجه الطبراني من حديث عبد الله بن عمر، وقد تقدم. [انظر صحيح الترغيب: ٣٤٣١].

(٦) حديث «أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس». تقدم ولم أجده مرفوعا.

الطاعات يعجب من ذلك ويقول: صلاته من قعود مع الرضا بحاله أفضل من التداوي للقوّة والصلاة قائمًا، وسئل عن شرب الدواء فقال: كل من دخل في شيء من الدواء فإنما هو سعة من الله تعالى لأهل الضعف، ومن لم يدخل في شيء فهو أفضل؛ لأنه إن أخذ شيئًا من الدواء ولو كان هو الماء البارد يسأل عنه لم أخذه؟ ومن لم يأخذ فلا سؤال عليه. وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لعلمهم بأنّ ذرّة من أعمال القلوب: مثل الصبر والرضا والتوكل أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح، والمرض لا يمنع من أعمال القلوب إلا إذا كان ألمه غالبًا مدهشًا. وقال سهل رحمه الله علل الأجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة.

السبب الخامس: أن يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف منها عاجز عن تكفيرها، فيرى المرض إذا طال تكفيرًا فيترك التداوي خوفًا من أن يسرع زوال المرض فقد قال ﷺ: «لا تَزَالُ الحُمَّى وَالمَلِيلَةُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى الأَرْضِ كَالبَرَدَةِ ما عَلَيْهِ ذَنْبٌ ولا خَطِيئَةٌ»(١)، وفي الخبر: «حُمَّى يَوْمٍ كَفَّارَةُ سَنَةٍ»(٢)، فقيل لأنها تهدّ قوّة سنة وقيل للإنسان ثلاثمائة وستون مفصلًا فتدخل الحمى في جميعها ويجد من كل واحد ألمًا فيكون كل ألم كفارة يوم. ولما ذكر ﷺ كفارة الذنوب بالحمى، سأل زيد بن ثابت ربه عز وجل أن لا يزال محمومًا فلم تكن الحمى تفارقه حتى مات رحمه الله، وسأل ذلك طائفة من الأنصار فكانت الحمى لا تزايلهم(٣) ولما قال ﷺ: «مَنْ أَذْهَبَ اللَّهُ كَرِيمَتَيْهِ لَمْ يَرْضَ لَهُ ثَوَابًا دُونَ الجَنَّةِ»(٤)، قال فلقد

---

(١) حديث «لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى يمشي على الأرض كالبردة ما عليه خطيئة». [انظر ضعيف الترغيب: ٢٠٠١]. أخرجه أبو يعلى وابن عدي من حديث أبي هريرة، والطبراني من حديث أبي الدرداء نحوه وقال «الصداع» بدل «الحمى» وللطبراني في الأوسط من حديث أنس «مثل المريض إذا صح وبرأ من مرضه كمثل البردة تقع من السماء في صفائها ولونها» [الترمذي: ٢٠٨٦، وانظر ضعيف الترمذي، وقال الألباني: ضعيف جداً] وأسانيده ضعيفة.

(٢) حسن: حديث «حمى يوم كفارة سنة». رواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث ابن مسعود بسند ضعيف وقال «ليلة» بدل «يوم». [انظر صحيح الترغيب: ٣٤٤١، وفيه «كفارة لما مضى»].

(٣) حديث لما ذكر رسول الله ﷺ كفارة الذنوب بالحمى سأل زيد بن ثابت ربه عز وجل. أخرجه أحمد وأبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد جيد: «أن رجلا من المسلمين قال: يا رسول الله: أرأيت هذه الأمراض تصيبنا ما لنا فيها قال «كفارات» قال أبي: وإن قلت؟ قال «فإن شوكة فما فوقها» قال: فدعا أبي أن لا يفارقه الوعك حتى يموت... الحديث» [أحمد: ١٠٧٩٩، وانظر صحيح الترغيب: ٣٤٣٣، وقال الألباني: حسن صحيح]، وللطبراني في الأوسط من حديث أبي بن كعب أنه قال: «يا رسول الله ما جزاء الحمى؟ قال: تجري الحسنات على صاحبها ما اختلج عليه قدم أو ضرب عليه عرق، فقال: اللهم إني أسألك حمى لا تمنعني خروجا في سبيلك ولا خروجا إلى بيتك ولا لمسجد نبيك... الحديث» [انظر صحيح الترغيب: ٣٤٤٤، وحسنه الألباني]، والإسناد مجهول، قاله علي بن المديني.

(٤) صحيح: حديث «من أذهب الله كريمتيه لم يرض له ثوابا دون الجنة». تقدم المرفوع منه دون قوله: فلقد كان في الأنصار من يتمنى العمى... الحديث. [انظر صحيح الترغيب: ٣٤٥٠].

كان من الأنصار من يتمنى العمى. وقال عيسى عليه السلام: لا يكون عالمًا من لم يفرح بدخول المصائب والأمراض على جسده وماله لما يرجو في ذلك من كفارة خطاياه. وروي أنّ موسى عليه السلام نظر إلى عبد عظيم البلاء فقال: يا رب ارحمه فقال تعالى: كيف أرحمه فيما به أرحمه ــ أي به أكفر ذنوبه ــ وأزيد في درجاته.

السبب السادس: أن يستشعر العبد في نفسه مبادىء البطر والطغيان بطول مدّة الصحة فيترك التداوي خوفًا من أن يعاجله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر والطغيان، أو طول الأمل والتسويف في تدارك الفائت وتأخير الخيرات، فإنّ الصحة عبارة عن قوّة الصفات وبها ينبعث الهوى وتتحرّك الشهوات وتدعو إلى المعاصي، وأقلها أن تدعو إلى التنعم في المباحات، وهو تضييع الأوقات وإهمال للربح العظيم في مخالفة النفس وملازمة الطاعات، وإذا أراد الله بعبد خيرًا لم يخله عن التنبه بالأمراض والمصائب، ولذلك قيل: لا يخلو المؤمن من علة أو قلة أو زلة. وقد روي «أن الله تعالى يقول: الفقر سجني والمرض قيدي أحبس به من أحب من خلقي» فإذا كان في المرض حبس عن الطغيان وركوب المعاصي فأي خير يزيد عليه ولم ينبغ أن يشتغل بعلاجه من يخاف ذلك على نفسه فالعافية في ترك المعاصي، فقد قال بعض العارفين لإنسان: كيف كنت بعدي؟ قال: في عافية، قال: إن كنت لم تعص الله عز وجل فأنت في عافية وإن كنت قد عصيته فأي داء أدوأ من المعصية؟ ما عوفي من عصى الله. وقال علي كرّم الله وجهه لما رأى زينة النبط بالعراق في يوم عيد: ما هذا الذي أظهروه؟ قالوا: يا أمير المؤمنين هذا يوم عيد لهم، فقال: كل يوم لا يعصى الله عز وجل فيه فهو لنا عيد.

وقال تعالى: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران: ١٥٢] قيل العوافي: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: ٦-٧] وكذلك إذا استغنى بالعافية. قال بعضهم: إنما قال فرعون: أنا ربكم الأعلى لطول العافية، لأنه لبث أربعمائة سنة لم يصدع له رأس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ــ لعنه الله ــ ولو أخذته الشقيقة يومًا لشغلته عن الفضول فضلًا عن دعوى الربوبية.

وقال ﷺ: «أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ» (١)، وقيل: الحمى رائد الموت فهو مذكر له ودافع للتسويف.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦] قيل: يفتنون بأمراض يختبرون بها. ويقال: إنّ العبد إذا مرض مرضتين ثم لم يتب قال له ملك الموت: يا غافل جاءك مني رسول بعد رسول فلم تجب.

---

(١) حسن صحيح: حديث «اكثروا ذكر هاذم اللذات». أخرجه الترمذي وقال: حسن غريب، والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة وقد تقدم. [الترمذي: ٢٣٠٧، والنسائي: ١٨٢٤، وابن ماجه: ٤٢٥٨، وانظر صحيح الترغيب: ٣٣٣٣].

وقد كان السلف لذلك يستوحشون إذا خرج عام ولم يصابوا فيه بنقص في نفس أو مال. وقالوا: لا يخلو المؤمن في كل أربعين يومًا أن يروّع روعة أو يصاب ببلية حتى روي أنّ عمار بن ياسر تزوّج امرأة فلم تكن تمرض فطلقها، وأنّ النبي ﷺ: «عرض عليه امرأة فحكي من وصفها حتى همّ أن يتزوّجها، فقيل وإنها ما مرضت قط، فقال: لا حاجة لي فيها» (١)، وذكر رسول الله ﷺ الأمراض والأوجاع كالصداع وغيره، فقال رجل: وما الصداع ما أعرفه؟ فقال ﷺ: «إِلَيْكَ عَنِّي مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هذا وَهذا» (٢)؛ لأنه ورد في الخبر: «الحُمَّى حَظُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ» (٣).

وفي حديث أنس وعائشة رضي الله عنهما: قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم؟ فقال: «نَعَمْ مَنْ ذَكَرَ المَوْتَ كُلَّ يَوْمٍ عِشْرِينَ مَرَّةً» (٤) وفي لفظ آخر: «الَّذِي يَذْكُرُ ذُنُوبَهُ فَتُحْزِنُهُ» ولا شك في أن ذكر الموت على المريض أغلب، فلما أن كثرت فوائد المرض رأى جماعة ترك الحيلة في زوالها إذ رأوا لأنفسهم مزيدًا فيها لا من حيث رأوا التداوي نقصانًا؟ وكيف يكون نقصانًا وقد فعل ذلك؟.

بيان الرد على من قال: ترك التداوي أفضل بكل حال:

فلو قال قائل: إنما فعله رسول الله ﷺ ليسنّ لغيره وإلا فهو حال الضعفاء، ودرجة الأقوياء توجب التوكل بترك الدواء؟ فيقال: ينبغي أن يكون من شرط التوكل الحجامة والفصد عند تبيغ الدم.

فإن قيل: إنّ ذلك أيضًا شرط فليكن من شرطه أن تلدغه العقرب أو الحية فلا ينحيها عن نفسه، إذ الدم يلدغ الباطن والعقرب تلدغ الظاهر فأي فرق بينهما؟. فإن قال: وذلك أيضًا شرط التوكل؟ فيقال: ينبغي أن لا يزيل لدغ العطش بالماء ولدغ الجوع بالخبز ولدغ البرد بالجبة وهذا لا قائل به.

ولا فرق بين هذه الدرجات فإن جميع ذلك أسباب رتبها مسبب الأسباب سبحانه وتعالى

---

(١) حديث: عرضت عليه امرأة فذكر من وصفها حتى هم أن يتزوجها، فقيل: فإنها ما مرضت قط، فقال «لا حاجة لي فيها». أخرجه أحمد من حديث أنس بنحوه بإسناد جيد. [أحمد: ١٢١٧٠].

(٢) ضعيف: حديث: ذكر رسول الله ﷺ الأمراض والأوجاع كالصداع وغيره، فقال رجل: وما الصداع، ما أعرفه؟ فقال «إليك عني». رواه أبو داود من حديث عامر البرام أخي الخضر بنحوه، وفي إسناده من لم يسم. [أبو داود: ٣٠٨٩، وانظر ضعيف الترغيب: ١٩٩٩].

(٣) صحيح لغيره: حديث «الحمى حظ كل مؤمن من النار». رواه البزار من حديث عائشة، وأحمد من حديث أبي أمامة والطبراني في الأوسط من حديث أنس، وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود، وحديث أنس ضعيف وباقيها حسان. [أحمد: ٢١٦٦١، وانظر صحيح الترغيب: ٣٤٤٧].

(٤) حديث أنس وعائشة: قيل يا رسول الله، هل يكون الشهداء يوم القيامة غيرهم؟ فقال «نعم من ذكر الموت». لم أقف له على إسناد.

وأجرى بها سنته. ويدل على أنّ ذلك ليس من شرط التوكل ما روي عن عمر رضي الله عنه وعن الصحابة في قصة الطاعون، فإنهم لما قصدوا الشام وانتهوا إلى الجابية بلغهم الخبر أن به موتًا عظيمًا ووباء ذريعًا، فافترق الناس فرقتين، فقال بعضهم: لا ندخل على الوباء فنلقي بأيدينا إلى التهلكة، وقالت طائفة أخرى: بل ندخل ونتوكل ولا نهرب من قدر الله تعالى ولا نفرّ من الموت فنكون كمن قال الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾[البقرة:٢٤٣] فرجعوا إلى عمر فسألوه عن رأيه، فقال: نرجع ولا ندخل على الوباء، فقال له المخالفون في رأيه: أنفرّ من قدر الله تعالى، قال عمر: نعم نفرّ من قدر الله إلى قدر الله، ثم ضرب لهم مثلًا، فقال: أرأيتم لو كان لأحدكم غنم فهبط واديًا له شعبتان: إحداهما مخصبة: والأخرى مجدبة، أليس إن رعى المخصبة رعاها بقدر الله تعالى وإن رعى المجدبة رعاها بقدر الله تعالى؟ فقالوا: نعم، ثم طلب عبد الرحمن بن عوف ليسأله عن رأيه ــ وكان غائبًا ــ فلما أصبحوا جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك، فقال: عندي فيه يا أمير المؤمنين شيء سمعته من رسول الله ﷺ، فقال عمر: الله أكبر، فقال عبد الرحمن: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِالوَبَاءِ فِي أَرْضٍ فَلا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ وَإِذا وَقَعَ فِي أَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِها فَلا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ»(١) ، ففرح عمر رضي الله عنه بذلك وحمد الله تعالى إذ وافق رأيه، ورجع من الجابية بالناس. فإذن كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من أعلى المقامات إن كان أمثال هذا من شروط التوكل؟.

فإن قلت: فلم نهي عن الخروج من البلد الذي فيه الوباء، وسبب الوباء في الطب الهواء، وأظهر طرق التداوي الفرار من المضر، والهواء هو المضر فلم يرخص فيه؟. فاعلم أنه لا خلاف في أن الفرار عن المضر غير منهى عنه إذ الجحامة والفصد فرار من المضر وترك التوكل في أمثال هذا مباح، وهذا لا يدل على المقصود. ولكن الذي ينقدح فيه ــ والعلم عند الله تعالى ــ أن الهواء لا يضر من حيث إنه يلاقي ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له، فإنه إذا كان فيه عفونة ووصل إلى الرئة والقلب وباطن الأحشاء أثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوباء على الظاهر إلا بعد طول التأثير في الباطن، فالخروج من البلد لا يخلص غالبًا من الأثر الذي استحكم من قبل، ولكن يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقى والطيرة وغيرهما، ولو تجرّد هذا المعنى لكان مناقضًا للتوكل ولم يكن منهيًا عنه، ولكن صار منهيًا عنه لأنه انضاف إليه أمر آخر وهو أنه لو رخص للأصحاء في الخروج لما بقي في البلد إلا المرضى الذين أقعدهم الطاعون فانكسرت قلوبهم وفقدوا المتعهدين، ولم يبق في البلد من

---

(١) **صحيح:** حديث عبد الرحمن بن عوف «إذا سمعتم بالوباء في أرض فلا تقدموا عليه». وفي أوله قصة خروج عمر بالناس إلى الجابية وأنه بلغهم أن بالشام وباء... الحديث، رواه البخاري. [البخاري: ٥٧٢٩، ومسلم: ٢٢١٩].

يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرتهما بأنفسهم فيكون ذلك سعيًا في إهلاكهم تحقيقًا، وخلاصهم منتظر كما أنّ خلاص الأصحاء منتظر؛ فلو أقاموا لم تكن الإقامة قاطعة بالموت، ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعًا بالخلاص وهو قاطع في إهلاك الباقين، والمسلمون كالبنيان يشدّ بعضه بعضًا والمؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى إليه سائر أعضائه. فهذا هو الذي ينقدح عندنا في تعليل النهي وينعكس هذا فيمن لم يقدم بعد على البلد فإنه لم يؤثر الهواء في باطنهم ولا بأهل البلد حاجة إليهم. نعم لو لم يبق بالبلد إلا مطعونون وافتقروا إلى المتعهدين وقدم عليهم قوم فربما كان ينقدح استحباب الدخول هاهنا لأجل الإعانة، ولا ينهى عن الدخول لأنه تعرّض لضرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن بقية المسلمين، وبهذا شبه الفرار من الطاعون في بعض الأخبار بالفرار من الزحف[1] لأنّ فيه كسرًا لقلوب بقية المسلمين وسعيًا في إهلاكهم. فهذه أمور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر إلى ظواهر الأخبار والآثار يتناقض عنده أكثر ما سمعه، وغلط العباد والزهاد في مثل هذا كثير وإنما شرف العلم وفضيلته لأجل ذلك.

فإن قلت: ففي ترك التداوي فضل كما ذكرت فلم لم يترك رسول الله ﷺ التداوي لينال الفضل؟ فنقول: فيه فضل بالإضافة إلى من كثرت ذنوبه ليكفرها، أو خاف على نفسه طغيان العافية وغلبة الشهوات، أو احتاج إلى ما يذكره الموت لغلبة الغفلة، أو احتاج إلى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين والمتوكلين، أو قصرت بصيرته عن الاطلاع على ما أودع الله تعالى في الأدوية من لطائف المنافع حتى صار في حقه موهومًا كالرقى، أو كان شغله بحاله يمنعه عن التداوي وكان التداوي يشغله عن حاله لضعفه عن الجمع؛ فإلى هذه المعاني رجعت الصوارف في ترك التداوي، وكل ذلك كمالات بالإضافة إلى بعض الخلق ونقصان بالإضافة إلى درجة رسول الله ﷺ، بل كان مقامه أعلى من هذه المقامات كلها إذ كان حاله يقتضي أن تكون مشاهدته على وتيرة واحدة عند وجود الأسباب وفقدها، فإنه لم يكن له نظر في الأحوال إلا إلى مسبب الأسباب.

ومن كان هذا مقامه لم تضره الأسباب كما أنّ الرغبة في المال نقص، والرغبة عن المال كراهية له وإن كانت كمالًا فهي أيضًا نقص بالإضافة إلى من يستوي عنده وجود المال وعدمه، فاستواء الحجر والذهب أكمل من الهرب من الذهب دون الحجر، وكان حاله استواء المدر والذهب عنده، وكان لا يمسكه لتعليم الخلق مقام الزهد فإنه منتهى قوتهم لا لخوفه

---

(١) **صحيح:** حديث: تشبيه الفرار من الطاعون بالفرار من الزحف. رواه أحمد من حديث عائشة بإسناد جيد، ومن حديث جابر بإسناد ضعيف، وقد تقدم. [أحمد: ٢٤٠٠٦ عن عائشة، ١٤٠٦٩عن جابر، وانظر صحيح الجامع: ٤٢٧٦].

على نفسه من إمساكه، فإنه كان أعلى رتبة من أن تغرّه الدنيا وقد عرضت عليه خزائن الأرض فأبى أن يقبلها [(١)]، فكذلك يستوي عنده مباشرة الأسباب وتركها لمثل هذه المشاهدة، وإنما لم يترك استعمال الدواء جريًا على سنّة الله تعالى وترخيصًا لأمته فيما تمس إليه حاجتهم مع أنه لا ضرر فيه بخلاف ادخار الأموال فإنّ ذلك يعظم ضرره. نعم التداوي لا يضر إلا من حيث رؤية الدواء نافعًا دون خالق الدواء وهذا قد نهي عنه، ومن حيث إنه يقصد به الصحة ليستعان بها على المعاصي وذلك منهي عنه، والمؤمن في غالب الأمر لا يقصد ذلك، وأحد من المؤمنين لا يرى الدواء نافعًا بنفسه بل من حيث إنه جعله الله تعالى سببًا للنفع كما لا يرى الماء مُرويًا ولا الخبز مُشبعًا، فحكم التداوي في مقصوده كحكم الكسب، فإنه إن اكتسب للاستعانة على الطاعة أو على المعصية كان له حكمها، وإن اكتسب للتنعم المباح فله حكمه، فقد ظهر بالمعاني التي أوردناها أن ترك التداوي قد يكون أفضل في بعض الأحوال، وأن التداوي قد يكون أفضل في بعض، وأن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والنيات، وأن واحدًا من الفعل والترك ليس شرطًا في التوكل إلا ترك الموهومات كالكي والرقى، فإن ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق بالمتوكلين.

بيان أحوال المتوكلين في اظهار المرض وكتمانه:

اعلم أن كتمان المرض وإخفاء الفقر وأنواع البلاء من كنوز البر وهو من أعلى المقامات؛ لأن الرضا بحكم الله والصبر على بلائه معاملة بينه وبين الله عز وجل فكتمانه أسلم عن الآفات.

ومع هذا فالإظهار لا بأس به إذا صحت به النية والمقصد. ومقاصد الإظهار ثلاثة:

الأول: أن يكون غرضه التداوي فيحتاج إلى ذكره للطبيب، فيذكره لا في معرض الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدرة الله تعالى. فقد كان بشر يصف لعبد الرحمن المطبب أوجاعه، وكان أحمد بن حنبل يخبر بأمراض يجدها ويقول: إنما أصف قدرة الله تعالى فيَّ.

الثاني: أن يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدى به وكان مكينًا في المعرفة، فأراد من ذكره أن يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر بأن يظهر أنه يرى أن المرض نعمة فيشكر عليها، فيتحدّث به كما يتحدّث بالنعم. قال الحسن البصري: إذا حمد المريض الله تعالى وشكره ثم ذكر أوجاعه لم يكن ذلك شكوى.

الثالث: أن يظهر بذلك عجزه وافتقاره إلى الله تعالى، وذلك يحسن ممن تليق به القوّة

---

(١) صحيح: حديث: أنه عرضت عليه خزائن الأرض فأبى أن يقبلها. تقدم، ولفظه: عرضت عليه مفاتيح خزائن السماء وكنوز الأرض فردها. [النسائي: ٣٠٨٧، وانظر صحيح الجامع: ٢٤٥٦].

والشجاعة ويستبعد منه العجز، كما روي أنه قيل لعلي في مرضه رضي الله عنه كيف أنت؟ قال: بشرّ، فنظر بعضهم إلى بعض كأنهم كرهوا ذلك وظنوا أنه شكاية، فقال: أتجلد على الله؟ فأحب أن يظهر عجزه وافتقاره مع ما علم به من القوّة والضراوة وتأدب فيه بأدب النبي ﷺ إياه حيث مرض علي كرّم الله وجهه فسمعه عليه السلام وهو يقول: اللهم صبرني على البلاء، فقال له ﷺ: «لَقَدْ سَأَلْتَ الله تَعَالَى البَلاءَ فَسَلِ اللَّهَ العَافِيَةَ» (١).

فبهذه النيات يرخص في ذكر المرض، وإنما يشترط ذلك لأن ذكره شكاية والشكوى من الله تعالى حرام ــ كما ذكرته في تحريم السؤال على الفقراء إلا بضرورة ــ ويصير الإظهار شكاية بقرينة السخط وإظهار الكراهة لفعل الله تعالى، فإن خلا عن قرينة السخط وعن النيات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بأن الأولى تركه؛ لأنه ربما يوهم الشكاية، ولأنه ربما يكون فيه تصنع ومزيد في الوصف على الموجود من العلة، ومن ترك التداوي توكلاً فلا وجه في حقه للإظهار لأن الاستراحة إلى الدواء أفضل من الاستراحة إلى الإفشاء، وقد قال بعضهم: من بث لم يصبر، وقيل في معنى قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ٨٣] لا شكوى فيه. وقيل ليعقوب عليه السلام: ما الذي أذهب بصرك؟ قال: مُر الزمان وطول الأحزان فأوحى الله تعالى إليه. تفرّغت لشكواي إلى عبادي، فقال: يا رب أتوب إليك. وروي عن طاوس ومجاهد أنهما قالا: يكتب على المريض أنينه في مرضه، وكانوا يكرهون أنين المرض لأنه إظهار معنى يقتضي الشكوى حتى قيل: ما أصاب إبليس لعنه الله من أيوب عليه السلام إلا أنينه في مرضه، فجعل الأنين حظه منه.

وفي الخبر: «إذا مرض العبد أوحى الله تعالى إلى الملكين انظرا ما يقول لعوّاده فإن حمد الله وأثنى بخير دعوا له وإن شكا وذكر شرًّا قالا كذلك تكون» (٢)، وإنما كره بعض العباد العيادة خشية الشكاية وخوف الزيادة في الكلام، فكان بعضهم إذا مرض أغلق بابه فلم يدخل عليه أحد حتى يبرأ فيخرج إليهم، منهم: فضيل ووهيب وبشر، وكان فضيل يقول: أشتهي أن أمرض بلا عوّاد، وقال: لا أكره العلة إلا لأجل العواد. رضي الله عنه وعنهم أجمعين.

كمل كتاب التوحيد والتوكل بعون الله وحسن توفيقه. يتلوه إن شاء الله تعالى: كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا والله سبحانه وتعالى الموفق.

* * *

(١) **ضعيف**: حديث: مرض علي فسمعه رسول الله ﷺ وهو يقول: اللهم صبرني على البلاء، فقال «لقد سألت الله البلاء فسل الله العافية». تقدم مع اختلاف. [الترمذي: ٣٥٢٧، وانظر ضعيف الترمذي].

(٢) **حسن لغيره**: حديث «إذا مرض العبد أوحى الله إلى الملكين انظرا ما يقول لعواده». تقدم. [انظر صحيح الترغيب: ٣٤٣١].

كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا

وهو الكتاب السادس من ربع المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين

الحمد لله الذي نزه قلوب أوليائه عن الالتفات إلى زخرف الدنيا ونضرته، وصفى أسرارهم من ملاحظة غير حضرته، ثم استخلصها للعكوف على بساط عزته، ثم تجلى لهم بأسمائه وصفاته حتى أشرقت بأنوار معرفته، ثم كشف لهم عن سبحات وجهه حتى احترقت بنار محبته، ثم احتجب عنها بكنه جلاله حتى تاهت في بيداء كبريائه وعظمته، فكلما اهتزت لملاحظة كنه الجلال غشيها من الدهش ما اغبر في وجه العقل وبصيرته، وكلما همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرًا أيها الآيس عن نيل الحق بجهله وعجلته، فبقيت بين الرد والقبول والصدّ والوصول غرقى في بحر معرفته، ومحترقة بنار محبته، والصلاة على محمد خاتم الأنبياء بكمال نبوّته، وعلى آله وأصحابه سادة الخلق وأئمته، وقادة الحق وأزمته وسلم كثيرًا.

أما بعد: فإنّ المحبة لله هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات، فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والأنس والرضا وأخواتها، ولا قبل المحبة مقام إلا وهو مقدّمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها، وسائر المقامات إن عز وجودها فلم تخل القلوب عن الإيمان بإمكانها، وأما محبة الله تعالى فقد عز الإيمان بها حتى أنكر بعض العلماء إمكانها وقال: لا معنى لها إلا المواظبة على طاعة الله تعالى وأما حقيقة المحبة فمحال إلا مع الجنس والمثال. ولما أنكروا المحبة أنكروا الأنس والشوق ولذة المناجاة وسائر لوازم الحب وتوابعه. ولا بدّ من كشف الغطاء عن هذا الأمر.

ونحن نذكر في هذا الكتاب: بيان شواهد الشرع في المحبة، ثم بيان حقيقتها وأسبابها، ثم بيان أن لا مستحق للمحبة إلا الله تعالى، ثم بيان أنّ أعظم اللذات لذة النظر إلى وجه الله تعالى، ثم بيان سبب زيادة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا، ثم بيان الأسباب المقوّية لحب الله تعالى، ثم بيان السبب في تفاوت الناس في الحب، ثم بيان السبب في قصور الأفهام عن معرفة الله تعالى، ثم بيان معنى الشوق، ثم بيان محبة الله تعالى للعبد، ثم القول في علامات محبة العبد لله تعالى، ثم بيان معنى الأنس بالله تعالى، ثم بيان معنى الانبساط في الأنس، ثم القول في معنى الرضا وبيان فضيلته، ثم بيان حقيقته، ثم بيان أنّ الدعاء وكراهة المعاصي لا تناقضه وكذا الفرار من المعاصي، ثم بيان حكايات وكلمات للمحبين متفرقة، فهذه جميع بيانات هذا الكتاب.

بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى:

اعلم أنّ الأمة مجمعة على أنّ الحب لله تعالى ولرسوله ﷺفرض، وكيف يفرض ما لا وجود له وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته؟ فلا بدّ وأن يتقدّم الحب ثم بعد ذلك يطيع من أحب. ويدل على إثبات الحب لله تعالى قوله عز وجل: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤]وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]وهو دليل على إثبات الحب وإثبات التفاوت فيه. وقد جعل رسول الله ﷺالحب لله من شرط الإيمان في أخبار كثيرة؛ إذ قال أبو رزين العقيلي: يا رسول لله ما الإيمان؟ قال: «أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِمَّا سِوَاهُمَا» (١)، وفي حديث آخر «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا» (٢)، وفي حديث آخر: «لا يُؤْمِنُ العَبْدُ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» (٣) وفي رواية: «وَمِنْ نَفْسِهِ» كيف وقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ [التوبة:٢٤]الآية. وإنما أجرى ذلك في معرض التهديد والإنكار. وقد أمر رسول الله ﷺبالمحبة فقال: «أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللَّهِ إِيَّايَ» (٤)، ويروى أنّ رجلًا قال: يا رسول الله إني أحبك، فقال ﷺ «استعدّ للفقر» فقال إني أحب الله تعالى، فقال: «اسْتَعِدَّ لِلْبَلاءِ» (٥)، وعن عمر رضي الله عنه قال: نظر النبي ﷺإلى مصعب بن عمير مقبلًا وعليه إهاب كبش قد تنطق به، فقال النبي ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى هذا الرَّجُلِ الَّذِي نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ لَقَدْ رَأَيْتُهُ بَيْنَ أَبَوَيْهِ يغذوَانِهِ بِأَطْيَبِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَدَعَاهُ حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى ما تَرَوْنَ» (٦).

---

(١) حديث أبي رزين العقيلي: أنه قال رسول الله ﷺ ما الإيمان؟ قال «أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما». أخرجه أحمد بزيادة في أوله وفيه انقطاع. [أحمد: ١٥٧٦١].

(٢) صحيح: حديث «لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما». متفق عليه من حديث أنس بلفظ، لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى أكون أحب إليه من أهله وماله» وذكره بزيادة. [البخاري: ١٦، ومسلم: ٤٣].

(٣) صحيح: حديث «لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين» [البخاري: ١٥، ومسلم: ٤٤] وفي رواية «ومن نفسه». متفق عليه من حديث أنس، واللفظ لمسلم دون قوله «ومن نفسه» وقال البخاري «من والده وولده» وله من حديث عبد الله بن هشام: قال عمر يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي، فقال «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك» فقال عمر: فأنت الآن والله أحب إلي من نفسي، فقال «الآن يا عمر» [البخاري: ٦٦٣٢].

(٤) ضعيف: حديث «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة». أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس وقال حسن غريب. [الترمذي: ٣٧٨٩، وانظر ضعيف الجامع: ١٧٦].

(٥) ضعيف: حديث إن رجلا قال يا رسول الله إني أحبك، فقال ﷺ «استعد للفقر». أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن مغفل بلفظ «فأعد للفقر تجفافا » دون آخر الحديث وقال حسن غريب. [الترمذي: ٢٣٥٠، وانظر ضعيف الترمذي].

(٦) ضعيف: حديث عمر قال: نظر النبي ﷺ إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تنطق به». أخرجه أبو نعيم في الحلية. [انظر ضعيف الترغيب: ١٢٧٠].

وفي الخبر المشهور: «إن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت إذ جاءه لقبض روحه: هل رأيت خليلًا يميت خليله؟ فأوحى الله تعالى إليه: هل رأيت محبًا يكره لقاء حبيبه؟ فقال يا ملك الموت الآن فاقبض» (١) ، وهذا لا يجده إلا عبد يحب الله بكل قلبه فإذا علم أن الموت سبب اللقاء انزعج قلبه إليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت إليه.

وقد قال نبينا ﷺ في دعائه: «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ أَحَبَّكَ وَحُبَّ ما يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ وَاجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ المَاءِ البَارِدِ» (٢) ، وجاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: «ما أَعْدَدْتَ لَهَا» (٣) فقال: ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله فقال له رسول الله ﷺ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» ، قال أنس: فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بذلك. وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: من ذاق من خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر. وقال الحسن: من عرف ربه أحبه، ومن عرف الدنيا زهد فيها، والمؤمن لا يلهو حتى يغفل فإذا تفكر حزن. وقال أبو سليمان الداراني: إن من خلق الله خلقًا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا؟.

ويروى أن عيسى عليه السلام مرَّ بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم فقال لهم: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ فقالوا: الخوف من النار، فقال: حق على الله أن يؤمن الخائف. ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فإذا هم أشدّ نحولًا وتغيرًا فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ قالوا: الشوق إلى الجنة، فقال: حق على الله أن يعطيكم ما ترجون، ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فإذا هم أشد نحولًا وتغيرًا كأن على وجوههم المرائي من النور، فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ قالوا: نحب الله عز وجل، فقال أنتم المقرّبون أنتم المقرّبون أنتم المقرّبون. وقال عبد الواحد بن زيد: مررت برجل قائم في الثلج فقلت أما تجد البرد؟ فقال من شغله حب الله لم يجد البرد. وعن سري السقطي: تدعى الأمم يوم القيامة بأنبيائها عليهم السلام فيقال يا أمة موسى ويا أمة عيسى ويا أمة محمد غير المحبين لله تعالى فإنهم ينادون يا أولياء الله هلموا إلى الله سبحانه، فتكاد قلوبهم تنخلع فرحًا.

---

(١) حديث: إن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت إذ جاءه لقبض روحه: هل رأيت خليلا يميت خليله؟». لم أجد له أصلا.

(٢) صحيح: حديث «اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك». تقدم. [الترمذي: ٣٢٣٥ عن معاذ، وانظر المشكاة: ٧٤٨].

(٣) صحيح: حديث قال أعرابي: «يا رسول الله متى الساعة؟ قال ما أعددت لها». متفق عليه من حديث أنس ومن حديث أبي موسى وابن مسعود بنحوه. [البخاري: ٣٦٨٨، ومسلم: ٢٦٣٩ عن أنس، والبخاري: ٦١٧٠، ومسلم: ٢٦٤١ عن أبي موسى، والبخاري: ٦١٦٩، ومسلم: ٢٦٤١ عن ابن مسعود].

وقال هرم بن حيان: المؤمن إذا عرف ربه عز وجل أحبه وإذا أحبه أقبل إليه، وإذا وجد حلاوة الإقبال إليه لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بعين الفترة وهي تحسره في الدنيا وترؤحه في الآخرة.

وقال يحيى بن معاذ: عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه؟ ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه؟ وحبه يدهش العقول فكيف وده؟ ووده ينسى ما دونه فكيف لطفه؟ وفي بعض الكتب: عبدي: أنا وحقك لك محب فبحقي عليك كن لي محبًا. وقال يحيى بن معاذ: مثقال خردلة من الحب أحب إلي من عبادة سبعين سنة بلا حب. وقال يحيى بن معاذ: إلهي إني مقيم بفنائك مشغول بثنائك، صغيرًا أخذتني إليك وسربلتني بمعرفتك وأمكنتني من لطفك ونقلتني في الأحوال وقلبتني في الأعمال سترًا وتوبة وزهدًا وشوقًا ورضًا وحبًا تسقيني من حياضك وتهملني في رياضك ملازمًا لأمرك ومشغوفًا بقولك، ولما طرّ شاربي ولاح طائري فكيف أنصرف اليوم عنك كبيرًا وقد اعتدت هذا منك صغيرًا، فلي ما بقيت حولك دندنة وبالضراعة إليك همهمة لأني محب وكل محب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف.

وقد ورد في حب الله تعالى من الأخبار والآثار ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك أمر ظاهر، وإنما الغموض في تحقيق معناه فلنشتغل به.

بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى:

اعلم أنّ المطلب من هذا الفصل لا ينكشف إلا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها، ثم معرفة شروطها وأسبابها، ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى: فأوّل ما ينبغي أن يتحقق، أنه لا يتصور محبة إلا بعد معرفة وإدراك، إذ لا يحب الإنسان إلا ما يعرفه، ولذلك لم يتصورّ أن يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية الحي المدرك. ثم المدركات في انقسامها تنقسم إلى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذه، وإلى ما ينافيه وينافره ويؤلمه، وإلى ما لا يؤثر فيه بإيلام وإلذاذ. فكل ما في إدراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك، وما في إدراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب ألم ولذة لا يوصف بكونه محبوبًا ولا مكروهًا. فإذن كل لذيذ محبوب عند الملتذ به، ومعنى كونه محبوبًا أن في الطبع ميلًا إليه، ومعنى كونه مبغوضًا أن في الطبع نفرة عنه. فالحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء الملذ، فإن تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقًا. والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب، فإذا قوي سمي مقتًا فهذا أصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته.

الأصل الثاني: أن الحب لما كان تابعًا للإدراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل حاسة إدراك لنوع من المدركات، ولكل واحد منها لذة في بعض المدركات، وللطبع بسبب تلك اللذة ميل إليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم.

فلذة العين في الإبصار وإدراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة، ولذة الأذن في النغمات الطيبة الموزونة، ولذة الشم في الروائح الطيبة، ولذة الذوق في الطعوم، ولذة اللمس في اللين والنعومة.

ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذة كانت محبوبة، أي كان للطبع السليم ميل إليها حتى قال رسول الله ﷺ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثلاثٌ: الطِّيبُ وَالنِّسَاءُ وَجُعِلَ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ»[1]، فسمى الطيب محبوبًا ومعلوم أنه لا حظ للعين والسمع فيه؛ بل للشم فقط، وسمى النساء محبوبات ولا حظ فيهنّ إلا للبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع، وسمى الصلاة قرّة عين وجعلها أبلغ المحبوبات ومعلوم أنه ليس تحظى بها الحواس الخمس، بل حس سادس مظنته القلب لا يدركه إلا من كان له قلب. ولذات الحواس الخمس تشارك فيها البهائم الإنسان، فإن كان الحب مقصورًا على مدركات الحواس الخمس ــ حتى يقال إن الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال فلا يحب ــ فإذن قد بطلت خاصية الإنسان وما تميز به من الحس السادس الذي يعبر عنه إما بالعقل أو بالنور أو بالقلب أو بما شئت من العبارات، فلا مشاحة فيه وهيهات، فالبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر، والقلب أشدّ إدراكًا من العين، وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للأبصار، فتكون لا محالة لذة القلب بما يدركه من الأمور الشريفة الإلهية التي تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ، فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح إليه أقوى، ولا معنى للحب إلا الميل إلى ما في إدراكه لذة ، كما سيأتي تفصيله ، فلا ينكر إذن حب الله تعالى إلا من قعد به القصور في درجة البهائم فلم يجاوز إدراك الحواس أصلًا.

الأصل الثالث: أنّ الإنسان لا يخفى أنه يحب نفسه ولا يخفى أنه قد يحب غيره لأجل نفسه، وهل يتصوّر أن يحب غيره لذاته لا لأجل نفسه؟ هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون أنه لا يتصوّر أن يحب الإنسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ إلى المحب سوى إدراك ذاته. والحق أنّ ذلك متصوّر وموجود، فلنبين أسباب المحبة وأقسامها، وبيانه أنّ المحبوب الأوّل عند كل حي: نفسه وذاته، ومعنى حبه لنفسه أن في طبعه ميلًا إلى دوام وجوده، ونفرة عن عدمه وهلاكه؛ لأن المحبوب بالطبع هو الملائم للمحب، وأي شيء أتم ملاءمة من نفسه ودوام وجوده؟ وأي شيء أعظم مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه؟ فلذلك يحب الإنسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل، لا لمجرّد ما يخافه بعد الموت ولا لمجرّد الحذر من سكرات الموت، بل لو اختطف من غير ألم وأميت من غير ثواب ولا عقاب لم يرض به وكان

---

(١) **حسن صحيح**: حديث «حبب إلى من دنياكم ثلاث». أخرجه النسائي من حديث أنس دون قوله «ثلاث» وقد تقدم. [النسائي: ٣٩٣٩، وانظر صحيح النسائي].

كارهًا لذلك، ولا يحب الموت والعدم المحض إلا لمقاساة ألم في الحياة. ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء، فإن أحب العدم لم يحبه لأنه عدم بل لأنّ فيه زوال البلاء، فالهلاك والعدم ممقوت ودوام الوجود محبوب. وكما أنّ دوام الوجود محبوب فكمال الوجود أيضًا محبوب لأن الناقص فاقد للكمال، والنقص عدم بالإضافة إلى القدر المفقود وهو هلاك بالنسبة إليه. والهلاك والعدم ممقوت في الصفات. وكمال الوجود كما أنه ممقوت في أصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب، كما أن دوام أصل الوجود محبوب. وهذه غريزة في الطباع بحكم سنة الله تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٦٢].

فإذن المحبوب الأوّل للإنسان ذاته، ثم سلامة أعضائه، ثم ماله وولده وعشيرته وأصدقاؤه. فالأعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة؛ لأن كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها، والمال محبوب لأنه أيضًا آلة في دوام الوجود وكماله وكذا سائر الأسباب. فالإنسان يحب هذه الأشياء لا لأعيانها بل لارتباط حظه في دوام الوجود وكماله بها، حتى إنه ليحب ولده وإن كان لا يناله منه حظ بل يتحمل المشاق لأجله، لأنه يخلفه في الوجود بعد عدمه، فيكون في بقاء نسله نوع بقاء له، فلفرط حبه في بقاء نفسه يحب بقاء من هو قائم مقامه وكأنه جزء منه لما عجز عن الطمع في بقاء نفسه أبدًا. نعم لو خير بين قتله وقتل ولده ، وكان طبعه باقيًا على اعتداله ، آثر بقاء نفسه على بقاء ولده؛ لأن بقاء ولده يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاءه المحقق، وكذلك حبه لأقاربه وعشيرته يرجع إلى حبه لكمال نفسه فإنه يرى نفسه كثيرًا بهم قويًّ بسببهم متجملاً بكمالهم، فإنّ العشيرة والمال والأسباب الخارجة كالجناح المكمل للإنسان، وكمال الوجود ودوامه محبوب بالطبع لا محالة. فإذن المحبوب الأوّل عند كل حي ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كله، والمكروه عنده ضدّ ذلك فهذا هو أوّل الأسباب.

السبب الثاني: الإحسان؛ فإن الإنسان عبد الإحسان، وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها، وقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيَّ يَدًا فَيُحِبَّهُ قَلْبِي» (١) ، إشارة إلى أن حب القلب للمحسن اضطرارًا لا يستطاع دفعه، وهو جبلة وفطرة لا سبيل إلى تغييرها. وبهذا السبب قد يحب الإنسان الأجنبي الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة. وهذا إذا حقق رجع إلى السبب الأوّل، فإن المحسن من أمدّ بالمال والمعونة وسائر الأسباب الموصلة إلى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ التي بها يتهيأ الوجود، إلا أنّ الفرق أن أعضاء الإنسان محبوبة لأن بها كمال وجوده وهي عين الكمال المطلوب، فأما المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببًا له كالطبيب يكون سببًا

(١) حديث «اللهم لا تجعل لكافر علي يدا فيحبه قلبي». رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس: من حديث معاذ بن جبل بسند ضعيف منقطع، وقد تقدم.

في دوام صحة الأعضاء، ففرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذي هو سبب للصحة، إذ الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب لا لذاته؛ بل لأنه سبب للصحة وكذلك العلم محبوب والأستاذ محبوب، ولكن العلم محبوب لذاته والأستاذ محبوب لكونه سبب العلم المحبوب. وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوبة، لكن الطعام محبوب لذاته والدنانير محبوبة لأنها وسيلة إلى الطعام. فإذن يرجع الفرق إلى تفاوت الرتبة، وإلا فكل واحد يرجع إلى محبة الإنسان نفسه. فكل من أحب المحسن لإحسانه فما أحب ذاته تحقيقًا بل أحب إحسانه وهو فعل من أفعاله لو زال زال الحب مع بقاء ذاته تحقيقًا، ولو نقص نقص الحب ولو زاد زاد، ويتطرّق إليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الإحسان ونقصانه.

السبب الثالث: أن يحب الشيء لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته، بل تكون ذاته عين حظه، وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه، وذلك كحب الجمال والحسن، فإن كل جمال محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال؛ لأنّ إدراك الجمال فيه عين اللذة، واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها. ولا تظنن أن حب الصور الجميلة لا يتصوّر إلا لأجل قضاء الشهوة، فإن قضاء الشهوة لذة أخرى قد تحب الصور الجميلة لأجلها، وإدراك نفس الجمال أيضًا لذيذ فيجوز أن يكون محبوبًا لذاته، وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري محبوب لا ليشرب الماء وتؤكل الخضرة أو ينال منها حظ سوى نفس الرؤية؟ وقد كان رسول الله ﷺ يعجبه الخضرة والماء الجاري [(١)] والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر إلى الأنوار والأزهار والأطيار المليحة الألوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل، حتى إن الإنسان لتنفرج عنه الغموم والهموم بالنظر إليها لا لطلب حظ وراء النظر. فهذه الأسباب ملذة وكل لذيذ محبوب، وكل حسن وجمال فلا يخلو إدراكه عن لذة، ولا أحد ينكر كون الجمال محبوبًا بالطبع، فإن ثبت أن الله جميل كان لا محالة محبوبًا عند من انكشف له جماله وجلاله كما قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ وَيُحِبُّ الجَمَالَ» [(٢)].

الأصل الرابع: في بيان معنى الحسن والجمال؛ اعلم أن المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن أنه لا معنى للحسن والجمال إلا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون، وكون البياض مشربًا بالحمرة وامتداد القامة إلى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الإنسان، فإنّ الحسن الأغلب على الخلق حسن الإبصار، وأكثر التفاتهم إلى صور الأشخاص فيظن أن ما ليس مبصرًا ولا متخيلًا ولا متشكلًا ولا متلونًا مقدّر فلا يتصوّر حسنه،

---

(١) **ضعيف**: حديث: كان يعجبه الخضرة والماء الجاري. أخرجه أبو نعيم في الطب النبوي من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ كان يحب أن ينظر إلى الخضرة وإلى الماء الجاري، وإسناده ضعيف. [انظر السلسلة الضعيفة: ٣٤٣٧]

(٢) **صحيح**: حديث «إن الله عز وجل جميل يحب الجمال». رواه مسلم في أثناء حديث لابن مسعود. [مسلم: ٩١]

وإذا لم يتصوّر حسنه لم يكن في إدراكه لذة فلم يكن محبوبًا. وهذا خطأ ظاهر فإنّ الحسن ليس مقصورًا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالحمرة. فإنا نقول هذا خط حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن، بل نقول هذا ثوب حسن وهذا إناء حسن، فأي معنى لحسن الصوت والخط وسائر الأشياء إن لم يكن الحسن إلا في الصورة؟ ومعلوم أنّ العين تستلذ بالنظر إلى الخط الحسن، والأذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة. وما من شيء من المدركات إلا وهو منقسم إلى حسن وقبيح، فما معنى الحسن الذي تشترك فيه هذه الأشياء؟ فلا بدّ من البحث عنه. وهذا البحث يطول، ولا يليق بعلم المعاملة الإطناب فيه، فنصرح بالحق ونقول: كل شيء فجماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له، فإذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال، وإن كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر، فالفرس الحسن هو الذي جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كرّ وفرّ عليه، والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها، ولكل شيء كمال يليق به وقد يليق بغيره ضدّه، فحسن كل شيء في كماله الذي يليق به. فلا يحسن الإنسان بما يحسن به الفرس، ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت، ولا تحسن الأواني بما تحسن به الثياب، وكذلك سائر الأشياء.

فإن قلت: فهذه الأشياء وإن لم تدرك جميعها بحس البصر مثل الأصوات والطعوم فإنها لا تنفك عن إدراك الحواس لها فهي محسوسات، وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات، ولا ينكر حصول اللذة بإدراك حسنها، وإنما ينكر ذلك في غير المدرك بالحواس؟

فاعلم أنّ الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات إذ يقال: هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه أخلاق جميلة، وإنما الأخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروءة وسائر خلال الخير، وشيء من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة، وكل هذه الخلال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته، وآية ذلك -- وأنّ الأمر كذلك - أنّ الطباع مجبولة على حب الأنبياء صلوات الله عليهم وعلى حب الصحابة رضي الله تعالى عنهم مع أنهم لم يشاهدوا، بل على حب أرباب المذاهب مثل الشافعي وأبي حنيفة ومالك وغيرهم؛ حتى أنّ الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حدّ العشق فيحمله ذلك على أن ينفق جميع ماله في نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في إمامه ومتبوعه، فكم من دم أريق في نصرة أرباب المذاهب، وليت شعري من يحب الشافعي مثلًا فَلِمَ يحبه ولَمْ يشاهد قط صورته؟ ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته، فاستحسانه الذي حمله على إفراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة، فإنّ صورته الظاهرة قد انقلبت

ترابًا مع التراب، وإنما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والإحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لإفادة علم الشرع ولنشره هذه الخيرات في العالم، وهذه أمور جميلة لا يدرك جمالها إلا بنور البصيرة، فأما الحواس فقاصرة عنها. وكذلك من يحب أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه ويفضله على غيره، أو يحب عليًا رضي الله تعالى عنه ويفضله ويتعصب له، فلا يحبهم إلا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره، فمعلوم أنّ من يحب الصدّيق رضي الله تعالى عنه مثلًا ليس يحب عظمه ولحمه وجلده وأطرافه وشكله إذ كل ذلك زال وتبدّل وانعدم، ولكن بقي ما كان الصدّيق به صديقًا وهي الصفات المحمودة التي هي مصادر السير الجميلة، فكان الحب باقيًا ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور. وتلك الصفات ترجع جملتها إلى العلم والقدرة إذا علم حقائق الأمور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته، فجميع خلال الخير يتشعب على هذين الوصفين، وهما غير مدركين بالحس، ومحلهما من جملة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة. وليس للجزء الذي لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى يكون محبوبًا لأجله فإذن الجمال موجود في السير، ولو صدرت السيرة الجميلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حبًا فالمحبوب مصدر السير الجميلة، وهي الأخلاق الحميدة والفضائل الشريفة، وترجع جملتها إلى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس، حتى أن الصبي المخلى وطبعه إذا أردنا أن نحبب إليه غائبًا أو حاضرًا حيًا أو ميتًا لم يكن لنا سبيل إلا بالإطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الحميدة.

فمهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه ولم يقدر أن لا يحبه، فهل غلب حب الصحابة رضي الله تعالى عنهم وبغض أبي جهل وبغض إبليس لعنه الله إلا بالإطناب في وصف المحاسن والمقابح التي لا تدرك بالحواس؟ بل لما وصف الناس حاتمًا بالسخاء ووصفوا خالدًا بالشجاعة أحبتهم القلوب حبًا ضروريًا، وليس ذلك عن نظر إلى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهم، بل إذا حكي من سيرة بعض الملوك في بعض أقطار الأرض العدل والإحسان وإفاضة الخير غلب حبه على القلوب مع اليأس من انتشار إحسانه إلى المحبين لبعد المزار ونأي الديار. فإذن ليس حب الإنسان مقصورًا على من أحسن إليه، بل المحسن في نفسه محبوب وإن كان لا ينتهي قط إحسانه إلى المحب؛ لأن كل جمال وحسن فهو محبوب، والصورة ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما، وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة؛ فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل إليها، ومن كانت البصيرة الباطنة أغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة أكثر من حبه للمعاني الظاهرة، فشتان بين من يحب نقشًا مصوّرًا على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبيًا من الأنبياء لجمال صورته الباطنة.

السبب الخامس: المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب، إذ رب شخصين تتأكد المحبة بينهما لا بسبب جمال أو حظ ولكن بمجرّد تناسب الأرواح كما قال ﷺ: «فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ» (١)، وقد حققنا ذلك في كتاب آداب الصحبة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه لأنه أيضًا من عجائب أسباب الحب فإذن ترجع أقسام الحب إلى خمسة أسباب: وهو حب الإنسان وجود نفسه وكماله وبقائه، وحبه من أحسن إليه فيما يرجع إلى دوام وجوده ويعين على بقائه ودفع المهلكات عنه، وحبه من كان محسنًا في نفسه إلى الناس وإن لم يكن محسنًا إليه، وحبه لكل ما هو جميل في ذاته؛ سواء كان من الصور الظاهرة أو الباطنة، وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن. فلو اجتمعت هذه الأسباب في شخص واحد تضاعف الحب لا محالة، كما لو كان للإنسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن إلى الخلق ومحسن إلى الوالد كان محبوبًا لا محالة غاية الحب، وتكون قوّة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوّة هذه الخلال في نفسها، فإن كانت هذه الصفات في أقصى درجات الكمال كان الحب لا محالة في أعلى الدرجات.

فلنبين الآن أن هذه الأسباب كلها لا يتصوّر كمالها واجتماعها إلا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة إلا الله سبحانه وتعالى.

بيان أن المستحق للمحبة هو الله وحده:

وأن من أحب غير الله لا من حيث نسبته إلى الله فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله تعالى، وحب الرسول ﷺ محمود لأنه عين حب الله تعالى، وكذلك حب العلماء والأتقياء، لأن محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب ومحب المحبوب محبوب، وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل فلا يتجاوزه إلى غيره، فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصائر إلا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه. وإيضاحه بأن نرجع إلى الأسباب الخمسة التي ذكرناها، ونبين أنها مجتمعة في حق الله تعالى بجملتها ولا يوجد في غيره إلا آحادها، وأنها حقيقة في حق الله تعالى، ووجودها في حق غيره وهم وتخيل وهو مجاز محض لا حقيقة له، ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذي بصيرة ضدّ ما تخيله ضعفاء العقول والقلوب من استحالة حب الله تعالى تحقيقًا، وبان أن التحقيق يقتضي أن لا تحب أحدًا غير الله تعالى.

فأما السبب الأوّل: وهو حب الإنسان نفسه وبقاءه وكماله ودوام وجوده، وبغضه لهلاكه وعدمه ونقصانه وقواطع كماله فهذه جبلة كل حي، ولا يتصوّر أن ينفك عنها، وهذا يقتضي غاية المحبة لله تعالى فإن من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعًا أنه لا وجود له من ذاته وإنما

---

(١) صحيح: حديث «فما تعارف منها ائتلف». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، وقد تقدم في آداب الصحبة. [مسلم: ٢٦٣٨]

وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله وإلى الله وبالله، فهو المخترع الموجد له وهو المبقي له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الأسباب الموصلة إليه وخلق الهداية إلى استعمال الأسباب، وإلا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته، بل هو محو محض وعدم صرف لولا فضل الله تعالى عليه بالإيجاد، وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالإبقاء، وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته. وبالجملة فليس في الوجود شيء له بنفسه قوام إلا القيوم الحي الذي هو قائم بذاته، وكل ما سواه قائم به، فإن أحب العارف ذاته ووجود ذاته مستفاد من غيره، فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمديم له إن عرفه خالقًا موجدًا ومخترعًا مبقيًا وقيومًا بنفسه ومقوّمًا لغيره، فإن كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه وبربه، والمحبة ثمرة المعرفة فتنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوّتها، ولذلك قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها. وكيف يتصوّر أن يحب الإنسان نفسه ولا يحب ربه الذي به قوام نفسه؟ ومعلوم أن المبتلى بحرّ الشمس لما كان يحب الظل فيحب بالضرورة الأشجار التي بها قوام الظل، وكل ما في الوجود بالإضافة إلى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالإضافة إلى الشجر والنور بالإضافة إلى الشمس فإنّ الكل من آثار قدرته، ووجود الكل تابع لوجوده، كما أن وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشجر، بل هذا المثال صحيح بالإضافة إلى أوهام العوام إذ تخيلوا أنّ النور أثر الشمس وفائض منها وموجود بها، وهو خطأ محض إذ انكشف لأرباب القلوب انكشافًا أظهر من مشاهدة الأبصار أن النور حاصل من قدرة الله تعالى اختراعًا عند وقوع المقابلة بين الشمس والأجسام الكثيفة، كما أن نور الشمس وعينها وشكلها وصورتها أيضًا حاصل من قدرة الله تعالى، ولكن الغرض من الأمثلة التفهيم فلا يطلب فيها الحقائق. فإذن إن كان حب الإنسان نفسه ضروريًا فحبه لمن به قوامه أوّلًا ودوامه ثانيًا في أصله وصفاته وظاهره وباطنه وجواهره وأعراضه أيضًا ضروري، إن عرف ذلك كذلك، ومن خلا عن الحب هذا فلأنه اشتغل بنفسه وشهواته وذهل عن ربه وخالقه فلم يعرفه حق معرفته وقصر نظره على شهواته ومحسوساته، وهو عالم الشهادة الذي يشاركه البهائم في التنعم به والاتساع فيه دون عالم الملكوت الذي لا يطأ أرضه إلا من يقرب إلى شبه من الملائكة، فينظر فيه بقدر قربه في الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه إلى حضيض عالم البهائم.

وأما السبب الثاني: وهو حبه من أحسن إليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه وأمدّه بمعونته وانتدب لنصرته وقمع أعداءه وقام بدفع شر الأشرار عنه وانتهض وسيلة إلى جميع حظوظه وأغراضه في نفسه وأولاده وأقاربه فإنه محبوب لا محالة عنده، وهذا بعينه يقتضي أن لا يحب إلا الله تعالى فإنه لو عرف حق المعرفة لعلم أنّ المحسن إليه هو الله تعالى فقط، فأما أنواع إحسانه إلى كل عبيده فلست أعدّها إذ ليس يحيط بها حصر حاصر كما قال تعالى: ﴿وَإِن

تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤] وقد أشرنا إلى طرف منه في كتاب الشكر، ولكنا نقتصر الآن على بيان أنّ الإحسان من الناس غير متصوّر إلا بالمجاز، وإنما المحسن هو الله تعالى. ولنفرض ذلك فيمن أنعم عليك بجميع خزائنه ومكنك منها لتتصرف فيها كيف تشاء فإنك تظن أنّ هذا الإحسان منه، وهو غلط فإنه إنما تم إحسانه به وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال إليك، فمن الذي أنعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق إرادته وداعيته ومن الذي حببك إليه وصرف وجهه إليك وألقى في نفسه أنّ صلاح دينه أو دنياه في الإحسان إليك؟ ولولا كل ذلك لما أعطاك حبة من ماله. ومهما سلط الله عليه الدواعي وقرّر في نفسه أنّ صلاح دينه أو دنياه في أن يسلم إليك ماله كان مقهورًا مضطرًا في التسليم لا يستطيع مخالفته، فالمحسن هو الذي اضطرّه لك وسخره وسلط عليه الدواعي الباعثة المرهقة إلى الفعل، وأما يده فواسطة يصل بها إحسان الله إليك وصاحب اليد مضطرّ في ذلك اضطرار مجرى الماء في جريان الماء فيه، فإن اعتقدته محسنًا أو شكرته من حيث هو بنفسه محسن لا من حيث هو واسطة كنت جاهلًا بحقيقة الأمر، فإنه لا يتصوّر الإحسان من الإنسان إلا إلى نفسه، أما الإحسان إلى غيره فمحال من المخلوقين؛ لأنه لا يبذل ماله إلا لغرض له في البذل إما آجل وهو الثواب وإما عاجل وهو المنة والاستسخار أو الثناء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم أو جذب قلوب الخلق إلى الطاعة والمحبة، وكما أنّ الإنسان لا يلقي ماله في البحر إذ لا غرض له فيه فلا يلقيه في يد إنسان إلا لغرض له فيه، وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده، وأما أنت فلست مقصودًا بل يدك آلة له في القبض حتى يحصل غرضه من الذكر والثناء أو الشكر أو الثواب بسبب قبضك المال، فقد استسخرك في القبض للتوصل إلى غرض نفسه فهو إذن محسن إلى نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضًا هو أرجح عنده من ماله، ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لأجلك أصلًا ألبتة. فإذن هو غير مستحق للشكر والحب من وجهين:

أحدهما: أنه مضطرّ بتسليط الله الدواعي عليه فلا قدرة له على المخالفة، فهو جار مجرى خازن الأمير فإنه لا يرى محسنًا بتسليم خلعة الأمير إلى من خلع عليه؛ لأنه من جهة الأمير مضطرّ إلى الطاعة والامتثال لما يرسمه ولا يقدر على مخالفته، ولو خلاه الأمير ونفسه لما سلم ذلك، فكذلك كل محسن لو خلاه الله ونفسه لم يبذل حبة من ماله حتى سلط الله الدواعي عليه وألقى في نفسه أنّ حظه دينًا ودنيا في بذله فبذله لذلك.

والثاني: أنه معتاض عما بذله حظًّا هو أوفى عنده وأحب مما بذله، فكما لا يعد البائع محسنًا لأنه بذل بعوض هو أحب عنده مما بذله، فكذلك الواهب اعتاض الثواب أو الحمد والثناء أو عوضًا آخر، وليس من شرط العوض أن يكون عينًا متمولًا بل الحظوظ كلها أعواض تستحقر الأموال والأعيان بالإضافة إليها، فالإحسان في الجود، والجود هو بذل المال من غير

عوض وحظ يرجع إلى الباذل، وذلك محال من غير الله سبحانه فهو الذي أنعم على العالمين إحسانًا إليهم ولأجلهم لا لحظ وغرض يرجع إليه فإنه يتعالى عن الأغراض فلفظ الجود والإحسان في حق غيره كذب أو مجاز، ومعناه في حق غيره محال وممتنع امتناع الجمع بين السواد والبياض، فهو المنفرد بالجود والإحسان والطول والامتنان، فإن كان في الطبع حب المحسن، فينبغي أن لا يحب العارف إلا الله تعالى، إذ الإحسان من غيره محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده، وأما غيره فيستحق المحبة على الإنسان بشرط الجهل بمعنى الإحسان وحقيقته.

وأما السبب الثالث: وهو حبك المحسن في نفسه وإن لم يصل إليك إحسانه. وهذا أيضًا موجود في الطباع. فإنه إذا بلغك خبر ملك عابد عادل عالم رفيق بالناس متلطف بهم متواضع لهم وهو في قطر من أقطار الأرض بعيد عنك وبلغك خبر ملك آخر ظالم متكبر فاسق متهتك شرير وهو أيضًا بعيد عنك؛ فإنك تجد في قلبك تفرقة بينهما إذ تجد في القلب ميلًا إلى الأوّل وهو الحب، ونفرة عن الثاني وهو البغض، مع أنك آيس من خير الأوّل وآمن من شر الثاني لانقطاع طمعك عن التوغل إلى بلادهما، فهذا حب المحسن من حيث إنه محسن فقط لا من حيث إنه محسن إليك، وهذا أيضًا يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي أن لا يحب غيره أصلًا إلا من حيث يتعلق منه بسبب، فإنّ الله هو المحسن إلى الكافة والمتفضل على جميع أصناف الخلائق؛ أولًا: بإيجادهم، وثانيًا: بتكميلهم بالأعضاء والأسباب التي هي من ضروراتهم، وثالثًا: بترفيههم وتنعيمهم بخلق الأسباب التي هي في مظانّ حاجاتهم وإن لم تكن في مظانّ الضرورة، ورابعًا: بتجميلهم بالمزايا والزوائد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضروراتهم وحاجاتهم.

ومثال الضروري من الأعضاء: الرأس والقلب والكبد، ومثال المحتاج إليه: العين واليد والرجل. ومثال الزينة: استقواس الحاجبين وحمرة الشفتين وتلون العينين إلى غير ذلك مما لو فات لم تنخرم به حاجة ولا ضرورة.

ومثال الضروري من النعم الخارجة عن بدن الإنسان: الماء والغذاء. ومثال الحاجة: الدواء واللحم والفواكه ومثال المزايا والزوائد: خضرة الأشجار وحسن أشكال الأنوار والأزهار ولذائذ الفواكه والأطعمة التي لا تنخرم بعدمها حاجة ولا ضرورة.

وهذه الأقسام الثلاثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل صنف من أصناف الخلق من ذروة العرش إلى منتهى الفرش. فإذن هو المحسن؛ فكيف يكون غيره محسنًا وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته؟ فإنه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الإحسان وخالق أسباب الإحسان، فالحب بهذه العلة لغيره أيضًا جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه العلة إلا الله تعالى.

وأما السبب الرابع: وهو حب كل جميل لذات الجمال لا لحظ ينال منه وراء إدراك الجمال: فقد بينا أن ذلك مجبول في الطباع، وأن الجمال ينقسم إلى جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين الرأس وإلى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة، والأول يدركه الصبيان والبهائم، والثاني يختص بدركه أرباب القلوب ولا يشاركهم فيه من لا يعلم إلا ظاهرًا من الحياة الدنيا. وكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال، فإن كان مدركًا بالقلب فهو محبوب القلب. ومثال هذا في المشاهدة حب الأنبياء والعلماء وذوي المكارم السنية والأخلاق المرضية، فإن ذلك متصور مع تشوّش صورة الوجه وسائر الأعضاء وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه. نعم يدرك بحسن آثاره الصادرة منه الدالة عليه، حتى إذا دل القلب عليه مال القلب إليه فأحبه، فمن يحب رسول الله ﷺ أو الصدّيق رضي الله تعالى عنه أو الشافعي رحمة الله عليه فلا يحبهم إلا لحسن ما ظهر له منهم، وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن أفعالهم، بل دل حسن أفعالهم على حسن الصفات التي هي مصدر الأفعال إذ الأفعال آثار صادرة عنها ودالة عليها، فمن رأى حسن تصنيف المصنف وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه الأفعال صفاتها الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث إلى العلم والقدرة، ثم كلما كان المعلوم أشرف وأتم جمالًا وعظمة كان العلم أشرف وأجمل، وكذا المقدور كلما كان أعظم رتبة وأجل منزلة كانت القدرة عليه أجل رتبة وأشرف قدرًا. وأجل المعلومات هو الله تعالى، فلا جرم أحسن العلوم وأشرفها معرفة الله تعالى، وكذلك ما يقاربه ويختص به فشرفه على قدر تعلقه به.

فإذن جمال صفات الصدّيقين الذين تحبهم القلوب طبعًا ترجع إلى ثلاثة أمور:

أحدها: علمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائع أنبيائه.

والثاني: قدرتهم على إصلاح أنفسهم وإصلاح عباد الله بالإرشاد والسياسة.

والثالث: تنزههم عن الرذائل والخبائث والشهوات الغالبة الصارفة عن سنن الخير الجاذبة إلى طريق الشر، وبمثل هذا يحب الأنبياء والعلماء والخلفاء والملوك الذين هم أهل العدل والكرم فأنسب هذه الصفات إلى صفات الله تعالى.

أما العلم: فأين علم الأوّلين والآخرين من علم الله تعالى الذي يحيط بالكل إحاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرّة في السموات ولا في الأرض؟ وقد خاطب الخلق كلهم فقال عز وجل: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] بل لو اجتمع أهل الأرض والسماء على أن يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق نملة أو بعوضة لم يطلعوا على عشر عشير ذلك: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] . والقدر اليسير

الذي علمه الخلائق كلهم فبتعليمه علموه كما قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾[الرحمن:٣-٤] فإن كان جمال العلم وشرفه أمرًا محبوبًا وكان هو في نفسه زينة وكمالًا للموصوف به فلا ينبغي أن يحب بهذا السبب إلا الله تعالى. فعلوم العلماء جهل بالإضافة إلى علمه، بل من عرف أعلم أهل زمانه وأجهل أهل زمانه استحال أن يحب بسبب العلم الأجهل ويترك الأعلم وإن كان الأجهل لا يخلو عن علم ما تتقاضاه معيشته. والتفاوت بين علم الله وبين علم الخلائق أكثر من التفاوت بين علم أعلم الخلائق وأجهلهم؛ لأن الأعلم لا يفضل الأجهل إلا بعلوم معدودة متناهية يتصوّر في الإمكان أن ينالها الأجهل بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله تعالى على علوم الخلائق كلهم خارج عن النهاية إذ معلوماته لا نهاية لها ومعلومات الخلق متناهية.

وأما صفة القدرة: فهي أيضًا كمال والعجز نقص، فكل كمال وبهاء وعظمة ومجد واستيلاء فإنه محبوب وإدراكه لذيذ، حتى إنّ الإنسان ليسمع في الحكاية شجاعة علي وخالد رضي الله عنهما وغيرهما من الشجعان وقدرتهما واستيلاءهما على الأقران فيصادف في قلبه اهتزازًا وفرحًا وارتياحًا ضروريًّا بمجرّد لذة السماع فضلًا عن المشاهدة ويورث ذلك حبًا في القلب ضروريًّا للمتصف به فإنه نوع كمال، فانسب الآن قدرة الخلق كلهم إلى قدرة الله تعالى، فأعظم الأشخاص قوّة وأوسعهم ملكًا وأقواهم بطشًا وأقهرهم للشهوات وأقمعهم لخبائث النفس وأجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره ، ما منتهى قدرته؟ وإنما غايته أن يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض أشخاص الإنس في بعض الأمور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتًا ولا حياة ولا نشورًا ولا ضرًّا ولا نفعًا، بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى ولسانه من الخرس وأذنه من الصمم وبدنه من المرض، ولا يحتاج إلى عدّ ما يعجز عنه في نفسه وغيره مما هو على الجملة متعلق قدرته، فضلًا عما لا تتعلق به قدرته من ملكوت السموات وأفلاكها وكواكبها والأرض وجبالها وبحارها ورياحها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيواناتها وجميع أجزائها، فلا قدرة له على ذرّة منها.

وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق أسبابه والممكن له من ذلك. ولو سلط بعوضًا على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لأهلكه، فليس للعبد قدرة إلا بتمكين مولاه كما قال في أعظم ملوك الأرض ذي القرنين إذ قال: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[الكهف:٨٤] فلم يكن جميع ملكه وسلطنته إلا بتمكين الله تعالى إياه في جزء من الأرض، والأرض كلها مدرة بالإضافة إلى أجسام العالم وجميع الولايات التي يحظى بها الناس من الأرض غبرة من تلك المدرة، ثم تلك الغبرة أيضًا من فضل الله تعالى وتمكينه، فيستحيل أن يحب عبدًا من عباد الله تعالى لقدرته وسياسته وتمكينه واستيلائه وكمال قوته ولا يحب الله تعالى لذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي

العظيم فهو الجبار القاهر والعليم القادر، السموات مطويات بيمينه والأرض وملكها وما عليها في قبضته وناصية جميع المخلوقات في قبضة قدرته، إن أهلكهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرّة. وإن خلق أمثالهم ألف مرة لم يعي بخلقها ولا يمسه لغوب ولا فتور في اختراعها، فلا قدرة ولا قادر إلا وهو أثر من آثار قدرته فله الجمال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء، فإن كان يتصوّر أن يحب قادر لكمال قدرته فلا يستحق الحب بكمال القدرة سواه أصلًا.

وأما صفة التنزه عن العيوب والنقائص والتقدّس عن الرذائل والخبائث، فهو أحد موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصور الباطنة، والأنبياء والصدّيقون وإن كانوا منزهين عن العيوب والخبائث فلا يتصوّر كمال التقدّس والتنزه إلا للواحد الحق الملك القدّوس ذي الجلال والإكرام.

وأما كل مخلوق فلا يخلو عن نقص وعن نقائص بل كونه عاجزًا مخلوقًا مسخرًا مضطرًا هو عين العيب والنقص، فالكمال لله وحده وليس لغيره كمال إلا بقدر ما أعطاه الله، وليس في المقدور أن ينعم بمنتهى الكمال على غيره فإنّ منتهى الكمال أقل درجاته أن لا يكون عبدًا مسخرًا لغيره قائمًا بغيره وذلك محال في حق غيره، فهو المنفرد بالكمال المنزه عن النقص المقدّس عن العيوب. وشرح وجوه التقدّس والتنزه في حقه عن النقائص يطول وهو من أسرار علوم المكاشفات فلا نطوّل بذكره. فهذا الوصف أيضًا إن كان كمالًا وجمالًا محبوبًا فلا تتم حقيقته إلا له، وكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقًا بل بالإضافة إلى ما هو أشدّ منه نقصانًا، كما أنّ للفرس كمالًا بالإضافة إلى الحمار وللإنسان كمالًا بالإضافة إلى الفرس. وأصل النقص شامل للكل وإنما يتفاوتون في درجات النقصان.

فإذن الجميل محبوب والجميل المطلق هو الواحد الذي لا ندّ له، الفرد الذي لا ضدّ له، الصمد الذي لا منازع له، الغني الذي لا حاجة له، القادر الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه، العالم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرّة في السموات والأرض، القاهر الذي لا يخرج عن قبضة قدرته أعناق الجبابرة ولا ينفلت من سطوته وبطشه رقاب القياصرة، الأزلي الذي لا أول لوجوده الأبدي الذي لا آخر لبقائه، الضروري الوجود الذي لا يحوم إمكان العدم حول حضرته، القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به، جبار السموات والأرض، خالق الجماد والحيوان والنبات، المنفرد بالعزة والجبروت، والمتوحد بالملك والملكوت، ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال، الذي تتحير في معرفة جلاله العقول وتخرس في وصفه الألسنة، الذي كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوّة الأنبياء الإقرار بالقصور عن وصفه، كما قال سيد الأنبياء صلوات الله

عليه وعليهم أجمعين: «لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»(١) ، وقال سيد الصدّيقين رضي الله تعالى عنه: العجز عن درك الإدراك إدراك. سبحان من لم يجعل للخلق طريقًا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته، فليت شعري من ينكر إمكان حب الله تعالى تحقيقًا ويجعله مجازًا؟ أينكر أن هذه الأوصاف من أوصاف الجمال والمحامد ونعوت الكمال والمحاسن أن ينكر كون الله تعالى موصوفًا بها أو ينكر كون الكمال والجمال والبهاء والعظمة محبوبًا بالطبع عند من أدركه؟ فسبحان من احتجب عن بصائر العميان غيرة على جماله وجلاله أن يطلع عليه إلا من سبقت له منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون، وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم يترددون؛ يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون. الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون.

فالحب بهذا السبب أقوى من الحب بالإحسان لأنّ الإحسان يزيد وينقص. ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: إنّ أود الأوداء إلى من عبدني بغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها. وفي الزبور: من أظلم ممن عبدني لجنة أو نار لو لم أخلق جنة ولا نارًا ألم أكن أهلًا أن أطاع. ومرّ عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد نحلوا فقالوا: نخاف النار ونرجو الجنة فقال لهم: مخلوقًا خفتم ومخلوقًا رجوتم. ومرّ بقوم آخرين كذلك فقالوا: نعبده حبًا له وتعظيمًا لجلاله فقال: أنتم أولياء الله حقًا معكم أمرت أن أقيم. وقال أبو حازم: إني لأستحيي أن أعبده للثواب والعقاب فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل، وكالأجير السوء إن لم يعط لم يعمل.

وفي الخبر: «لا يَكُونَنَّ أَحَدُكُمْ كَالأَجِيرِ السُّوءِ إِنْ لَمْ يُعْطَ أَجْرًا لَمْ يَعْمَلْ، وَلا كَالْعَبْدِ السُّوءِ إِنْ لَمْ يَخَفْ لَمْ يَعْمَلْ»(٢) .

وأما السبب الخامس للحب فهو المناسبة والمشاكلة لأن شبه الشيء منجذب إليه والشكل إلى الشكل أميل. ولذلك ترى الصبي يألف الصبي والكبير يألف الكبير، ويألف الطير نوعه وينفر من غير نوعه، وأنس العالم بالعالم أكثر منه بالمحترف، وأنس النجار بالنجار أكثر من أنسه بالفلاح. وهذا أمر تشهد به التجربة وتشهد له الأخبار والآثار كما استقصيناه في باب الأخوّة في الله من كتاب آداب الصحبة فليطلب منه. وإذا كانت المناسبة سبب المحبة فالمناسبة قد تكون في معنى ظاهر كمناسبة الصبي الصبي في معنى الصبا، وقد يكون خفيًا حتى لا يطلع عليه كما ترى من الاتحاد الذي يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال أو طمع في مال أو غيره كما أشار إليه النبي ﷺ إذ قال: «الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا

---

(١) صحيح: حديث «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك». تقدم. [مسلم: ٤٨٦ عن عائشة]
(٢) حديث «لا يكونن أحدكم كالأجير السوء إن لم يعط أجرا لم يعمل». لم أجد له أصلا.

ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْها اخْتَلَفَ» فالتعارف هو التناسب، والتناكر هو التباين، وهذا السبب أيضًا يقتضي حب الله تعالى لمناسبة باطنة لا ترجع إلى المشابهة في الصور والأشكال بل إلى معان باطنة، يجوز أن يذكر بعضها في الكتب وبعضها لا يجوز أن يسطر بل يترك تحت غطاء الغبرة حتى يعثر عليه السالكون للطريق إذا استكملوا شرط السلوك.

فالذي يذكر هو قرب العبد من ربه عز وجل في الصفات التي أمر فيها بالاقتداء والتخلق بأخلاق الربوبية، حتى قيل تخلقوا بأخلاق الله، وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي من صفات الإلهية من العلم والبر والإحسان واللطف وإفاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وإرشادهم إلى الحق ومنعهم من الباطل، إلى غير ذلك من مكارم الشريعة. فكل ذلك يقرّب إلى الله سبحانه وتعالى لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات.

وأما ما لا يجوز أن يسطر في الكتب من المناسبة الخاصة التي اختص بها الآدمي فهي التي يومىء إليها قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[الإسراء:٨٥] إذ بيَّن أنه أمر رباني خارج عن حدّ عقول الخلق.

وأوضح من ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾[الحجر:٢٩] ولذلك أسجد له ملائكته. ويشير إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾[ص:٢٦] إذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى إلا بتلك المناسبة وإليه يرمز قوله ﷺ: «إنّ الله خلق آدم على صورته»(١)، حتى ظن القاصرون أن لا صورة إلا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس فشبهوا وجسموا وصوّروا، تعالى الله رب العالمين عما يقول الجاهلون علوًّا كبيرًا. وإليه الإشارة بقوله تعالى لموسى عليه السلام: «مرضت فلم تعدني فقال: يا رب وكيف ذلك؟ قال: مرض عبدي فلان فلم تعده ولو عدته وجدتني عنده»(٢)، وهذه المناسبة لا تظهر إلا بالمواظبة على النوافل بعد إحكام الفرائض كما قال الله تعالى: «لا يزال يتقرّب العبد إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به»(٣). وهذا موضع يجب قبض عنان القلم فيه فقد تحزب الناس فيه إلى قاصرين مالوا إلى التشبيه الظاهر وإلى غالين مسرفين جاوزوا حدّ المناسبة إلى الاتحاد وقالوا بالحلول، حتى قال بعضهم: أنا الحق. وضل النصارى في عيسى عليه السلام فقالوا: هو الإله، وقال آخرون منهم تذرع الناسوت باللاهوت، وقال آخرون: اتحد به. وأما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة

---

(١) صحيح: حديث «إن الله خلق آدم على صورته». تقدم. [البخاري: ٦٢٢٧، ومسلم: ٢٨٤١]

(٢) صحيح: حديث قوله تعالى «مرضت فلم تعدني، فقال: وكيف ذاك!». تقدم. [مسلم: ٢٥٦٩ عن أبي هريرة]

(٣) صحيح: حديث قوله تعالى «لا يزال يتقرب العبد إلي بالنوافل حتى أحبه». أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة وقد تقدم. [البخاري: ٦٥٠٢]

الاتحاد والحلول واتضح لهم مع ذلك حقيقة السر فهم الأقلون. ولعل أبا الحسن النوري عن هذا المقام كان ينظر إذا غلبه الوجد في قول القائل:

لا زلت أنزل من ودادك منزلًا تتحير الألباب عند نزوله

فلم يزل يعدو في وجده على أجمة قد قطع قصبها وبقي أصوله حتى تشققت قدماه وتورّمتا ومات من ذلك. وهذا هو أعظم أسباب الحبّ وأقواها وهو أعزها وأبعدها وأقلها وجودًا. فهذه هي المعلومة من أسباب الحب وجملة ذلك متظاهرة في حق الله تعالى تحقيقًا لا مجازًا وفي أعلى الدرجات لا في أدناها، فكان المعقول المقبول عند ذوي البصائر حب الله تعالى فقط كما أن المعقول الممكن عند العميان حب غير الله تعالى فقط، ثم كل من يحب من الخلق بسبب من هذه الأسباب يتصور أن يحب غيره لمشاركته إياه في السبب، والشركة نقصان في الحب وغض من كماله. ولا ينفرد أحد بوصف محبوب إلا وقد يوجد له شريك فيه، فإن لم يوجد فيمكن أن يوجد، إلا الله تعالى فإنه موصوف بهذه الصفات التي هي نهاية الجلال والكمال ولا شريك له في ذلك وجودًا، ولا يتصور أن يكون ذلك إمكانًا، فلا جرم لا يكون في حبه شركة فلا يتطرّق النقصان إلى حبه كما لا تتطرّق الشركة إلى صفاته. فهو المستحق، إذ الأصل المحبة، ولكمال المحبة استحقاقًا لا يساهم فيه أصلًا.

بيان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم وأنه لا يتصور أن لا يؤثر عليها لذة أخرى من حرم هذه اللذة:

اعلم أن اللذات تابعة للإدراكات، والإنسان جامع لجملة من القوى والغرائز، ولكل قوّة وغريزة لذة ولذتها في نيلها المقتضي طبعها الذي خلقت له فإن هذه الغرائز ما ركبت في الإنسان عبثًا بل ركبت كل قوة وغريزة لأمر من الأمور هو مقتضاها بالطبع. فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبعها. وغريزة شهوة الطعام مثلًا خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم لذتها في نيل هذا الغذاء الذي هو مقتضى طبعها، وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الإبصار والاستماع والشم، فلا تخلو غريزة من هذه الغرائز عن ألم ولذة بالإضافة إلى مدركاتها. فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الإلهي لقوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر:٢٢] وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الإيمان واليقين، ولا معنى للاشتغال بالأسامي فإنّ الاصطلاحات مختلفة، والضعيف يظنّ أن الاختلاف واقع في المعاني لأن الضعيف يطلب المعاني من الألفاظ وهو عكس الواجب، فالقلب مفارق لسائر أجزاء البدن بصفة بها يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة، كإدراكه خلق العالم أو افتقاره إلى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات إلهية، ولنسم تلك الغريزة عقلًا بشرط أن لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة، فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا

ذمه بعض الصوفية، وإلا فالصفة التي فارق الإنسان بها البهائم وبها يدرك معرفة الله تعالى أعز الصفات فلا ينبغي أن تذم، وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقائق الأمور كلها فمقتضى طبعها المعرفة والعلم وهي لذتها كما أن مقتضى سائر الغرائز هو لذتها وليس يخفى أن في العلم والمعرفة لذة حتى أن الذي ينسب إلى العلم والمعرفة ولو في شيء خسيس يفرح به، والذي ينسب إلى الجهل ولو في شيء حقير يغتم به، وحتى أن الإنسان لا يكاد يصبر عن التحدّي بالعلم والتمدح به في الأشياء الحقيرة.

فالعالم باللعب بالشطرنج على خسته لا يطيق السكوت فيه عن التعليم وينطلق لسانه بذكر ما يعلمه، وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته به، فإن العلم من أخص صفات الربوبية وهي منتهى الكمال، ولذلك يرتاح الطبع إذا أثنى عليه بالذكاء وغزارة العلم لأنه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وكمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به، ثم ليست لذة العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك وتدبير أمر الخلق، ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وملكوت السموات والأرض، بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف المعلوم، حتى أن الذي يعلم بواطن أحوال الناس ويخبر بذلك يجد له لذة وإن جهله تقاضاه طبعه أن يفحص عنه، فإن علم بواطن أحوال رئيس البلد وأسرار تدبيره في رئاسته كان ذلك ألذ عنده وأطيب من علمه بباطن حال فلاح أو حائك، فإن اطلع على أسرار الوزير وتدبيره وما هو عازم عليه في أمور الوزارة فهو أشهى عنده وألذ من علمه بأسرار الرئيس، فإن كان خبيرًا بباطن أحوال الملك والسلطان الذي هو المستولي على الوزير كان ذلك أطيب عنده وألذ من علمه بباطن أسرار الوزير، وكان تمدّحه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشدّ وحبه له أكثر لأن لذته فيه أعظم.

فبهذا استبان أن ألذ المعارف أشرفها، وشرفها بحسب شرف المعلوم، فإن كان في المعلومات ما هو الأجل والأكمل والأشرف والأعظم فالعلم به ألذ العلوم لا محالة وأشرفها وأطيبها. وليت شعري هل في الوجود شيء أجل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الأشياء كلها ومكملها ومزينها ومبدئها ومعيدها ومدبرها ومرتبها؟ وهل يتصور أن تكون حضرة في الملك والكمال والجمال والبهاء والجلال أعظم من الحضرة الربانية التي لا يحيط بمبادىء جلالها وعجائب أحوالها وصف الواصفين؟ فإن كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي أن تشك في أن الاطلاع على أسرار الربوبية والعلم بترتب الأمور الإلهية المحيطة بكل الموجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات وألذها وأطيبها وأشهاها، وأحرى ما تستشعر به النفوس عند الاتصاف به كمالها وجمالها، وأجدر ما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار، وبهذا تبين أنّ العلم لذيذ، وأن ألذ العلوم العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وتدبيره في مملكته، من منتهى عرشه إلى تخوم الأرضين ، فينبغي أن يعلم أنّ لذة المعرفة أقوى من سائر

اللذات أعني لذة الشهوة والغضب ولذة سائر الحواس الخمس، فإنّ اللذات مختلفة بالنوع أوّلًا، كمخالفة لذة الوقاع للذة السماع، ولذة المعرفة للذة الرئاسة.

وهي مختلفة بالضعف والقوّة كمخالفة لذة الشبق المغتلم من الجماع للذة الفاتر للشهوة، وكمخالفة لذة النظر إلى الوجه الجميل الفائق الجمال للذة النظر إلى ما دونه في الجمال. وإنما تعرف أقوى اللذات بأن تكون مؤثرة على غيرها، فإن المخير بين النظر إلى صورة جميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة إذا اختار النظر إلى الصورة الجميلة علم أنها ألذ عنده من الروائح الطيبة، وكذلك إذا حضر الطعام وقت الأكل واستمرّ اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الأكل، فيعلم به أنّ لذة الغلبة في الشطرنج أقوى عنده من لذة الأكل. فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فنعود ونقول:

اللذات تنقسم إلى ظاهرة كلذة الحواس الخمس، وإلى باطنة كلذة الرئاسة والغلبة والكرامة والعلم وغيرها، إذ ليست هذه اللذة للعين ولا للأنف ولا للأذن ولا للمس ولا للذوق، والمعاني الباطنة أغلب على ذوي الكمال من اللذات الظاهرة، فلو خير الرجل بين لذة الدجاج السمين واللوزينج وبين لذة الرئاسة وقهر الأعداء ونيل درجة الاستيلاء، فإن كان المخير خسيس الهمة ميت القلب شديد النهمة اختار اللحم والحلاوة، وإن كان على الهمة كامل العقل اختار الرئاسة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت أيامًا كثيرة. فاختياره للرئاسة يدل على أنها ألذ عنده من المطعومات الطيبة. نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبي، أو كالذي ماتت قواه الباطنة كالمعتوه لا يبعد أن يؤثر لذة المطعومات على لذة الرئاسة وكما أنّ لذة الرئاسة والكرامة أغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبا والعته فلذة معرفة الله تعالى ومطالعة جمال حضرة الربوبية والنظر إلى أسرار الأمور الإلهية ألذ من الرئاسة التي هي أعلى اللذات الغالبة على الخلق، وغاية العبارة عنه أن يقال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[السجدة:١٧] وأنه أعدّ لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهذا الآن لا يعرفه إلا من ذاق اللذتين جميعًا، فإنه لا محالة يؤثر التبتل والتفرّد والفكر والذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرئاسة ويستحقر الخلق الذين يرأسهم لعلمه بفناء رئاسته وفناء من عليه رئاسته، وكونه مشوبًا بالكدورات التي لا يتصوّر الخلو عنها، وكونه مقطوعًا بالموت الذي لا بدّ من إتيانه مهما أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها فيستعظم بالإضافة إليها لذة معرفة الله ومطالعة صفاته وأفعاله ونظام مملكته من أعلى عليين إلى أسفل السافلين، فإنها خالية من المزاحمات والمكدرات متسعة للمتواردين عليها لا تضيق عنهم بكبرها، وإنما عرضها من حيث التقدير السموات والأرض، وإذا خرج النظر عن المقدّرات فلا نهاية لعرضها، فلا يزال العارف بمطالعتها في جنة عرضها السموات والأرض يرتع في رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع من حياضها وهو آمن من انقطاعها، إذ

ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة، ثم هي أبدية سرمدية لا يقطعها الموت، إذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى ومحلها الروح الذي هو أمر رباني سماوي، وإنما الموت بغير أحوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخليها من حبسها فأما أن يعدمها فلا. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠] الآية. ولا تظنن أنّ هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فإن للعارف بكل نفس درجة ألف شهيد وفي الخبر: «إنّ الشهيد يتمنى في الآخرة أن يردّ إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وإن الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء» (١).

فإذن جميع أقطار ملكوت السموات والأرض ميدان العارف يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة إلى أن يتحرّك إليها بجسمه وشخصه، فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والأرض. وكل عارف فله مثلها من غير أن يضيق بعضهم على بعض أصلًا، إلا أنهم يتفاوتون في سعة منتزهاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم، وهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم، فقد ظهر أن لذة الرئاسة وهي باطنة أقوى في ذوي الكمال من لذات الحواس كلها، وأن هذه اللذة لا تكون لبهيمة ولا لصبي ولا لمعتوه، وأن لذة المحسوسات والشهوات تكون لذوي الكمال مع لذة الرئاسة ولكن يؤثرون الرئاسة، فأما معنى كون معرفة الله وصفاته وأفعاله وملكوت سمواته وأسرار ملكه أعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفته من نال رتبه المعرفة وذاقها، ولا يمكن إثبات ذلك عند من لا قلب له لأن القلب معدن هذه القوة، كما أنه لا يمكن إثبات رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان، ولا رجحانه على لذة شم البنفسج عند العنين، لأنه فقد الصفة التي بها تدرك هذه اللذة، ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة شمه أدرك التفاوت بين اللذتين، وعند هذا لا يبقى إلا أن يقال من ذاق عرف. ولعمري طلاب العلوم وإن لم يشتغلوا بطلب معرفة الأمور الإلهية فقد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التي قوي حرصهم على طلبها، فإنها أيضًا معارف وعلوم وإن كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الإلهية، فأما من طال فكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من أسرار ملك الله ولو الشيء اليسير فإنه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به، ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره، وهذا مما لا يدرك إلا بالذوق، والحكاية فيه قليلة الجدوى. فهذا القدر ينبهك على أنّ معرفة الله سبحانه ألذ الأشياء

---

(١) حديث «إن الشهيد يتمنى في الآخرة أن يرد إلى الدنيا». متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم، وليس فيه «وإن الشهداء يتمنون أن يكونوا علماء... الحديث». [حديث «إن الشهيد يتمنى...» عند مسلم: ١٨٨٧ عن ابن مسعود، ولم أره عند البخاري، وحديث «إن الشهداء يتمنون...».

وأنه لا لذة فوقها.

ولهذا قال أبو سليمان الداراني: إن لله عبادًا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله؟ ولذلك قال بعض إخوان معروف الكرخي له: أخبرني يا أبا محفوظ أي شيء هاجك إلى العبادة والانقطاع عن الخلق؟ فسكت فقال: ذكر الموت، فقال: وأي شيء الموت؟ فقال: ذكر القبر والبرزخ، فقال: وأي شيء القبر؟ فقال: خوف النار ورجاء الجنة، فقال: وأي شيء هذا؟ إن ملكًا هذا كله بيده إن أحببته أنساك جميع ذلك وإن كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا. وفي أخبار عيسى عليه السلام: إذا رأيت الفتى مشغوفًا بطلب الرب تعالى فقد ألهاه ذلك عما سواه. ورأى بعض الشيوخ بشر بن الحارث في النوم فقال: ما فعل أبو نصر التمار وعبد الوهاب الوراق؟ فقال: تركتهما الساعة بين يدي الله تعالى يأكلان ويشربان، قلت: فأنت؟ قال: علم الله قلة رغبتي في الأكل والشرب فأعطاني النظر إليه. وعن علي بن الموفق قال: رأيت في النوم كأني أدخلت الجنة، فرأيت رجلًا قاعدًا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو يأكل، ورأيت رجلًا قائمًا على باب الجنة يتصفح وجوه الناس فيدخل بعضًا ويرد بعضًا، قال: ثم جاوزتهما إلى حديقة القدس فرأيت في سرادق العرش رجلًا قد شخص ببصره ينظر إلى الله تعالى لا يطرف، فقلت لرضوان: من هذا؟ فقال: معروف الكرخي عبد الله لا خوفًا من ناره ولا شوقًا إلى جنته بل حبًا له فأباحه النظر إليه إلى يوم القيامة. وذكر أن الآخرين: بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل. ولذلك قال أبو سليمان: من كان اليوم مشغولًا بنفسه فهو غدًا مشغول لنفسه، ومن كان اليوم مشغولًا بربه فهو غدًا مشغول بربه. وقال الثوري لرابعة: ما حقيقة إيمانك؟ قالت: ما عبدته خوفًا من ناره ولا حبًا لجنته فأكون كالأجير السوء، بل عبدته حبًا له وشوقًا إليه وقالت في معنى المحبة نظمًا:

أحبك حبين حب الهوى ... وحبًا لأنك أهلٌ لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى ... فشغلي بذكرك عمن سواكا
وأما الذي أنت أهلٌ له ... فكشفك لي الحجب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ... ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ولعلها أرادت بحب الهوى: حب الله لإحسانه إليها وإنعامه عليها بحظوظ العاجلة، وبحبه لما هو أهل له: الحب لجماله وجلاله الذي انكشف لها؛ وهو أعلى الحبين وأقواهما، ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبر عنها رسول الله ﷺ حيث قال حاكيًا عن ربه تعالى: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»[1] ،

(١) صحيح: حديث قال ﷺ حاكيا عن ربه تعالى «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت». أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة. [البخاري: ٣٢٤٤، ومسلم: ٢٨٢٤]

وقد تعجل بعض هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه إلى الغاية، ولذلك قال بعضهم: إني أقول: يا رب يا الله فأجد ذلك على قلبي أثقل من الجبال لأن النداء يكون من وراء حجاب، وهل رأيت جليسًا ينادي جليسه؟ وقال: إذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة، أي يخرج كلامه عن حدّ عقولهم فيرون ما يقوله جنونًا أو كفرًا. فمقصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط، فهي قرّة العين التي لا تعلم نفس ما أخفي لهم منها، وإذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقًا بنعيمها، فلو ألقي في النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت إليه لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية، وليت شعر من لم يفهم إلا حب المحسوسات كيف يأمن بلذة النظر إلى وجه الله تعالى وماله صورة ولا شكر؟ وأي معنى لو عدّ الله تعالى به عباده وذكره أنه أعظم النعم؟ بل من عرف الله عرف أنّ اللذات المفرقة بالشهوات المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللذة كما قال بعضهم:

كانت لقلبي أهواء مفرقةٌ ... فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي
فصار يحسدني من كنت أحسده ... وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم ... شغلًا بذكرك يا ديني ودنيائي

ولذلك قال بعضهم:

وهجره أعظم من ناره ... ووصله أطيب من جنته

وما أرادوا بهذا إلا إيثار لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الأكل والشرب والنكاح، فإنّ الجنة معدن تمتع الحواس، فأما القلب فلذته في لقاء الله فقط.

ومثال أطوار الخلق في لذتهم ما نذكره: وهو أن الصبي في أوّل حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو، حتى يكون ذلك عنده ألذ من سائر الأشياء، ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها لذة اللعب، ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول إليها، ثم تظهر لذة الرئاسة والعلو والتكاثر، وهي آخر لذات الدنيا وأعلاها وأقواها كما قال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ﴾[الحديد: ٢٠] الآية. ثم بعد هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها، فكل متأخر فهو أقوى، وهذا هو الأخير، إذ يظهر حب اللعب في سنّ التمييز، وحب النساء والزينة في سنّ البلوغ، وحب الرئاسة بعد العشرين، وحب العلوم بقرب الأربعين، وهي الغاية العليا، وكما أن الصبي يضحك على من يترك اللعب ويشتغل بملاعبة النساء وطلب الرئاسة؛ فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرئاسة ويشتغل بمعرفة الله تعالى. والعارفون يقولون: ﴿إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ۝٣٨ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[هود: ٣٨-٣٩] .

بيان السبب في زيادة النظر في لذة الآخرة على المعرفة في الدنيا:

اعلم أن المدركات تنقسم إلى ما يدخل في الخيال: كالصور المتخيلة والأجسام المتلونة والمتشكلة من أشخاص الحيوان والنبات، وإلى ما لا يدخل في الخيال: كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والإرادة وغيرها. ومن رأى إنسانًا ثم غض بصره وجد صورته حاضرة في خياله كأنه ينظر إليها، ولكن إذا فتح العين وأبصر أدرك تفرقة بينهما، ولا ترجع التفرقة إلى اختلاف بين الصورتين لأن الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة، وإنما الافتراق بمزيد الوضوح والكشف، فإن صورة المرئي صارت بالرؤية ثم انكشافًا ووضوحًا، وهو كشخص يرى في وقت الإسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم رؤي عند تمام الضوء؛ فإنه لا يفارق إحدى الحالتين الأخرى إلا في مزيد الانكشاف. فإذن الخيال أول الإدراك والرؤية هو الاستكمال لإدراك الخيال وهو غاية الكشف، وسمي ذلك رؤية لأنه غاية الكشف لا لأنه في العين، بل لو خلق الله هذا الإدراك الكامل المكشوف في الجهة أو الصدر مثلًا استحق أن يسمى رؤية.

وإذا فهمت هذا في المتخيلات فاعلم أن المعلومات التي لا تتشكل أيضًا في الخيال لمعرفتها وإدراكها درجات إحداهما: أولى. والثانية: استكمال لها. وبين الأولى والثانية من التفاوت في مزيد الكشف والإيضاح ما بين المتخيل والمرئي، فيسمى الثاني أيضًا بالإضافة إلى الأول مشاهدة ولقاء ورؤية. وهذه التسمية حق لأن الرؤية سميت رؤية لأنها غاية الكشف، وكما أن سنة الله تعالى جارية بأن تطبيق الأجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابًا بين البصر والمرئي، ولا بدّ من ارتفاع الحجب لحصول الرؤية، وما لم ترتفع كان الإدراك الحاصل مجرّد التخيل فكذلك مقتضى سنة الله تعالى أن النفس ما دامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وما غلب عليها من الصفات البشرية، فإنها لا تنتهي إلى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال، بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الأجفان عن رؤية الأبصار. والقول في سبب كونها حجابًا يطول ولا يليق بهذا العلم. ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣] وقال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] أي في الدنيا، والصحيح أن رسول الله ﷺ ما رأى الله تعالى ليلة المعراج [(١)] ، فإذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا، غير منفكة

(١) صحيح: حديث: أنه ﷺ ما رأى الله تعالى ليلة المعارج في الصحيح. هذا الذي صححه المصنف هو قول عائشة، ففي الصحيحين: أنها قالت من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب. ولمسلم من حديث أبي ذر: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قال «نور أنى اراه» وذهب ابن عباس وأكثر العلماء إلى إثبات رؤيته له، وعائشة لم ترو ذلك عن النبي ﷺ، وحديث أبي ذر قال فيه أحمد: ما زلت له منكرا، وقال ابن خزيمة: في القلب من صحة إسناده شيء، مع أن في رواية لأحمد في حديث أبي ذر «رأيته نورا أنى اراه» ورجال إسنادها رجال الصحيح.

عنها بالكلية وإن كانت متفاوتة، فمنها ما تراكم عليه الخبث والصدأ فصار كالمرآة التي فسد بطول تراكم الخبث جوهرها فلا تقبل الإصلاح والتصقيل، وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم أبد الآباد ، نعوذ بالله من ذلك ، ومنها ما لم ينته إلى حد الرين والطبع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصقيل فيعرض على النار عرضًا يقمع منه الخبث الذي هو متدنس به، ويكون العرض على النار بقدر الحاجة إلى التزكية، وأقلها لحظة خفيفة وأقصاها في حق المؤمنين ، كما وردت به الأخبار ، سبعة آلاف سنة [(١)] ولن ترتحل نفس عن هذا العالم إلا ويصحبها غبرة وكدورة ما وإن قلّت، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم :٧١-٧٢] فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدور عنها، فإذا أكمل الله تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب أجله ووقع الفراغ عن جملة ما وعد به الشرع من الحساب والعرض وغيره ووافى استحقاق الجنة ، وذلك وقت مبهم لم يطلع الله عليه أحدًا من خلقه فإنه واقع بعد القيامة؛ ووقت القيامة مجهول ، فعند ذلك يشتغل بصفائه ونقائه عن الكدورات حيث لا يرهق وجهه غبرة ولا قترة لأنّ فيه يتجلى الحق سبحانه وتعالى، فيتجلى له تجليًا يكون انكشاف تجلية بالإضافة إلى ما علمه كانكشاف تجلي المرآة بالإضافة إلى ما تخيله.

وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية، فإذن الرؤية حق، بشرط أن لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصوّر مخصوص بجهة ومكان، فإن ذلك مما يتعالى عنه رب الأرباب علوًا كبيرًا، بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل وتصوّر وتقدير شكل وصورة، فتراه في الآخرة كذلك. بل أقول: المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة، ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة، والمعلوم في الدنيا اختلاف إلا من حيث زيادة الكشف والوضوح، كما ضربناه من المثال في استكمال الخيال بالرؤية. فإذا لم يكن في معرفة الله تعالى إثبات صورة وجهة فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح إلى غاية الكشف أيضًا جهة وصورة؛ لأنها هي بعينها لا تفترق منها إلا في زيادة الكشف، كما أن الصورة المرئية هي المتخيلة بعينها إلا في زيادة الكشف، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم :٨] إذ تمام النور لا يؤثر إلا في زيادة الكشف،

[حديث «من حدثك أن محمد . . .» عند البخاري: ٣٢٣٤، ومسلم: ١٧٧، وحديث «هل رأيت ربك . . .» عند مسلم: ١٧٨، وحديث «رأيته نورا . . .» عند أحمد: ٢٠٨٠٦].

(١) موضوع: حديث «إن أقصى المكث في النار في حق المؤمنين سبعة آلاف سنة». أخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث أبي هريرة «إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتي... الحديث» وفيه «وأطولهم مكثا فيها مثل الدنيا من يوم خلقت إلى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة» وإسناده ضعيف. [انظر السلسلة الضعيفة: ٥٣٨١]

ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية إلا العارفون في الدنيا، لأن المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة والحب زرعًا، ومن لا نواة في أرضه كيف يحصل له نخل؟ ومن لم يزرع الحب فكيف يحصل الزرع، فكذلك من لم يعرف الله تعالى في الدنيا فكيف يراه في الآخرة؟ ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي أيضًا على درجات متفاوتة، فاختلاف التجلي بالإضافة إلى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالإضافة إلى اختلاف البذر، إذ تختلف لا محالة بكثرتها وقلتها وحسنها وقوّتها وضعفها، ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ يَتَجَلَّى لِلنَّاسِ عَامَّةً وَلِأَبِي بَكْرٍ خَاصَّةً»(١) ، فلا ينبغي أن يظنّ أنّ غير أبي بكر ممن هو دونه يجد من لذة النظر والمشاهدة ما يجده أبو بكر، بل لا يجد إلا عشر عشيره إن كانت معرفته في الدنيا عشر عشيره، ولما فضل من الناس بسر وقر في صدره فضل لا محالة بتجل انفرد به، وكما أنك ترى في الدنيا من يؤثر لذة الرئاسة على المطعوم والمنكوح؛ وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف مشكلات ملكوت السموات والأرض وسائر الأمور الإلهية على الرئاسة وعلى المنكوح والمطعوم والمشروب جميعًا؛ فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر إلى وجه الله تعالى على نعيم الجنة، إذ يرجع نعيمها إلى المطعوم والمنكوح، وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفنا من إيثار لذة العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على لذة المنكوح والمطعوم والمشروب؛ وسائر الخلق مشغولون به. ولذلك لما قيل لرابعة: ما تقولين في الجنة؟ فقالت: الجار ثم الدار. فبينت أنه ليس في قلبها التفات إلى الجنة بل إلى رب الجنة.

وكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يراه في الآخرة، وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظرة في الآخرة، إذ ليس يستأنف لأحد في الآخرة ما لم يصحبه من الدنيا، ولا يحصد أحد إلا ما زرع، ولا يحشر المرء إلا على ما مات عليه، ولا يموت إلا على ما عاش عليه، فما صحبه من المعرفة هو الذي يتنعم به بعينه فقط، إلا أنه ينقلب مشاهدة بكشف الغطاء فتتضاعف اللذة به؛ كما تتضاعف لذة العاشق إذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤية صورته فإنّ ذلك منتهى لذته، وإنما طيبة الجنة أن لكل أحد فيها ما يشتهي، فمن لا يشتهي إلا لقاء الله تعالى فلا لذة له في غيره، بل ربما يتأذى به. فإذن نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله تعالى بقدر معرفته؛ فأصل السعادات هي المعرفة التي عبر الشرع عنها بالإيمان.

فإن قلت: فلذة الرؤية إن كان لها نسبة إلى لذة المعرفة فهي قليلة وإن كان أضعافها؛ لأنّ

---

(١) حديث «إن الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة». أخرجه ابن عدي من حديث جابر. وقال باطل بهذا الإسناد وفي الميزان للذهبي أن الدارقطني رواه عن المحاملي عن علي بن عبدة وقال الدارقطني أن علي بن عبدة كان يضع الحديث ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق وابن الجوزي في الموضوعات من حديث جابر وأبي بردة وعائشة.

لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضاعفها إلى حدّ قريب لا ينتهي في القوّة إلى أن يستحقر سائر لذات الجنة فيها؟.

فاعلم أن هذا الاستحقار للذة المعرفة صدر من الخلو عن المعرفة، فمن خلا عن المعرفة كيف يدرك لذتها؟ وإن انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلائق الدنيا فكيف يدرك لذتها؟ فللعارفين في معرفتهم وفكرتهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلًا عنها لم يستبدلوا بها لذة الجنة، ثم هذه اللذة مع كمالها لا نسبة لها أصلًا إلى لذة اللقاء والمشاهدة، كما لا نسبة للذة المعشوق إلى رؤيته، ولا لذة استنشاق روائح الأطعمة الشهية إلى ذوقها، ولا للذة اللمس باليد إلى لذة الوقاع.

وإظهار عظم التفاوت بينهما لا يمكن إلا بضرب مثال فنقول: لذة النظرة إلى وجه المعشوق في الدنيا تتفاوت بأسباب:

أحدها: كمال جمال المعشوق ونقصانه، فإنّ اللذة في النظر إلى الأجمل أكمل لا محالة.

والثاني: كمال قوّة الحب والشهوة والعشق؛ فليس التذاذ من اشتدّ عشقه كالتذاذ من ضعفت شهوته وحبه.

والثالث: كمال الإدراك، فليس التذاذه برؤية المعشوق في ظلمة أو من وراء ستر رقيق أو من بعد كالتذاذه بإدراكه على قرب من غير ستر وعند كمال الضوء، ولا إدراك لذة المضاجعة مع ثوب حائل كإدراكها مع التجرّد.

والرابع: اندفاع العوائق المشوشة والآلام الشاغلة للقلب؛ فليس التذاذ الصحيح الفارغ المتجرّد للنظر إلى المعشوق كالتذاذ الخائف المذعور أو المريض المتألم أو المشغول قلبه بمهم من المهمات.

فقدّر عاشقًا ضعيف العشق ينظر إلى وجه معشوقه من وراء ستر رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حالة اجتمع عليه عقارب وزنابير تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه، فهو في هذه الحالة لا يخلو عن لذة ما من مشاهدة معشوقه، فلو طرأت على الفجأة حالة انهتك بها الستر وأشرق بها الضوء واندفع عنه المؤذيات وبقي سليمًا فارغًا وهجمت عليه الشهوة القوية والعشق المفرط حتى بلغ أقصى الغايات، فانظر كيف تتضاعف اللذة حتى لا يبقى للأولى إليها نسبة يعتدّ بها، فكذلك فافهم نسبة لذة النظر إلى لذة المعرفة. فالستر الرقيق مثال البدن والاشتغال به، والعقارب والزنابير مثال الشهوات المتسلطة على الإنسان من الجوع والعطش والغضب والغم والحزن، وضعف الشهوة، والحب مثال لقصور النفس في الدنيا ونقصانها عن الشوق إلى الملأ الأعلى والتفاتها إلى أسفل السافلين وهو مثل قصور الصبي عن ملاحظة لذة الرياسة والتفاته إلى اللعب بالعصفور، والعارف وإن قويت في الدنيا معرفته فلا يخلو عن هذه

المشوّشات ولا يتصوّر أن يخلو عنها ألبتة. نعم قد تضعف هذه العوائق في بعض الأحوال ولا تدوم، فلا جرم يلوح من جمال المعرفة ما يبهت العقل وتعظم لذته بحيث يكاد القلب يتفطر لعظمته، ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقلّما يدوم؛ بل يعرض من الشواغل والأفكار والخواطر ما يشوّشه وينغصه، وهذه ضرورة دائمة في هذه الحياة الفانية فلا تزال هذه اللذة منغصة إلى الموت، وإنما الحياة الطيبة بعد الموت وإنما العيش عيش الآخرة: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٦٤] وكل من انتهى إلى هذه الرتبة فإنه يحب لقاء الله تعالى فيحب الموت، ولا يكره إلا من حيث ينتظر زيادة استكمال في المعرفة فإنّ المعرفة كالبذر وبحر المعرفة لا ساحل له، فالإحاطة بكنه جلال الله محال، فكلما كثرت المعرفة بالله وبصفاته وأفعاله وبأسرار مملكته وقويت؛ كثر النعيم في الآخرة وعظم، كما أنه كلما كثر البذر وحسن، كثر الزرع وحسن، ولا يمكن تحصيل هذا البذر إلا في الدنيا، ولا يزرع إلا في صعيد القلب، ولا حصاد إلا في الآخرة. ولهذا قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ السَّعَادَاتِ طُولُ العُمْرِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ» (١)، لأنّ المعرفة إنما تكمل وتكثر وتتسع في العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبة على المجاهدة والانقطاع عن علائق الدنيا والتجرّد للطلب، ويستدعي ذلك زمانًا لا محالة، فمن أحب الموت أحبه لأنه رأى نفسه واقفًا في المعرفة بالغًا إلى منتهى ما يسر له، ومن كره الموت كرهه لأنه كان يؤمل مزيد معرفة تحصل له بطول العمر ورأى نفسه مقصرًا عما تحتمله قوّته لو عمر، فهذا سبب كراهة الموت وحبه عند أهل المعرفة.

وأما سائر الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا إن اتسعت أحبوا البقاء وإن ضاقت تمنوا الموت. وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة. فالجهل والغفلة مغرس كل شقاوة. والعلم والمعرفة أسباب كل سعادة فقد عرفت بما ذكرناه معنى المحبة، ومعنى العشق فإنه المحبة المفرطة القوية، ومعنى لذة المعرفة، ومعنى الرؤية، ومعنى لذة الرؤية، ومعنى كونها ألذ من سائر اللذات عند ذوي العقول والكمال وإن لم تكن كذلك عند ذوي النقصان، كما لم تكن الرئاسة ألذ من المطعومات عند الصبيان.

فإن قلت: فهذه الرؤيا محلها القلب أو العين في الآخرة؟.

فاعلم أنّ الناس قد اختلفوا في ذلك وأرباب البصائر لا يلتفتون إلى هذا الخلاف ولا

---

(١) حديث «أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله». أخرجه إبراهيم الحربي في كتاب ذكر الموت من رواية ابن لهيعة عن ابن الهاد عن المطلب عن أبيه عن النبيﷺ قال «السعادة كل السعادة طول العمر في طاعة الله» ووالد المطلب عبد الله بن حوطب مختلف في صحبته ولأحمد من حديث جابر «أن من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الإنابة» والترمذي من حديث أبي بكرة: أن رجلا قال يا رسول الله أي الناس خير؟ قال «من طال عمره وحسن عمله» قال هذا حديث حسن صحيح وقد تقدم. [حديث «السعادة كل السعادة...» انظر السلسلة الضعيفة: ٢٤٠٧، وحديث «إن من سعادة المرء...» عند أحمد: ١٤١٥٤، وانظر ضعيف الترغيب: ١٨٢٨، حديث «من طال عمره...» عند الترمذي: ٢٣٢٩، وانظر صحيح الترغيب: ٣٣٦٣، وقال الألباني: صحيح لغيره]

ينظرون فيه، بل العاقل يأكل البقل ولا يسأل عن المبقلة، ومن يشتهي رؤية معشوقه يشغله عشقه عن أن يلتفت إلى أن رؤيته تخلق في عينه أو جبهته، بل يقصد الرؤية ولذتها سواء كان ذلك بالعين أو غيرها، فإن العين محل وظرف لا نظر إليه ولا حكم له، والحق فيه أنّ القدرة الأزلية واسعة فلا يجوز أن نحكم عليها بالقصور عن أحد الأمرين، هذا في حكم الجواز، فأما الواقع في الآخرة من الجائزين فلا يدرك إلا بالسمع ، والحق ما ظهر لأهل السنة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الألفاظ الواردة في الشرع مجرى على ظاهره، إذ لا يجوز إزالة الظواهر إلا لضرورة والله تعالى أعلم[(١)] .

بيان الأسباب المقربة لحب الله تعالى:

اعلم أن أسعد الخلق حالًا في الآخرة أقواهم حبًا لله تعالى، فإن الآخرة معناها القدوم على الله تعالى ودرك سعادة لقائه، وما أعظم نعيم المحب إذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدة أبد الآباد من غير منقص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع إلا أن هذا النعيم على قدر قوّة الحب فكلما ازدادت المحبة ازدادت اللذة، وإنما يكتسب العبد حب الله تعالى في الدنيا وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لأنه لا ينفك عن أصل المعرفة، وأما قوّة الحب واستيلاؤه حتى ينتهي إلى الاستهتار الذي يسمى عشقًا فذلك ينفك عنه الأكثرون، وإنما يحصل ذلك بسببين.

أحدهما: قطع علائق الدنيا وإخراج حب غير الله من القلب، فإنّ القلب مثل الإناء لا يتسع للخل مثلًا ما لم يخرج منه الماء: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب :٤] وكمال الحب في أن يحب الله عز وجل بكل قلبه. وما دام يلتفت إلى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره، فبقدر ما يشغل بغير الله ينقص منه حب الله، وبقدر ما يبقي من الماء في الإناء ينقص من الخل المصبوب فيه. وإلى هذا التفريد والتجريد الإشارة بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ﴾ [الأنعام :٩١] وبقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ [فصلت :٣٠] بل هو معنى قولك: «لا إله إلا الله» أي لا معبود ولا محبوب سواه، فكل محبوب فإنه معبود، فإن العبد هو المقيد والمعبود هو المقيد به. وكل محب فهو مقيد بما يحبه. ولذلك قال الله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان :٤٣] وقال ﷺ: «أَبْغَضُ إلهٍ عُبِدَ فِي الأَرْضِ الهَوَى» ، ولذلك قال عليه السلام: «مَنْ قَالَ لا إله إلاَّ اللَّهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الجَنَّةَ»[(٢)] ، ومعنى الإخلاص أن يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه شرك لغير الله، فيكون الله محبوب قلبه

---

(١) صحيح: حديث «رؤية الله في الآخرة حقيقة». متفق عليه من حديث أبي هريرة: أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر... الحديث». [البخاري: ٧٤٣٨، ومسلم: ١٨٢]

(٢) صحيح: حديث «من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة». تقدم. [انظر صحيح الجامع: ٦٤٣٣]

ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط، ومن هذا حاله فالدنيا سجنه لأنها مانعة له من مشاهدة محبوبه وموته خلاص من السجن وقدوم على المحبوب، فما حال من ليس له إلا محبوب واحد وقد طال إليه شوقه وتمادى عنه حبسه فخلي من السجن ومكن من المحبوب وروّح بالأمن أبد الآباد، فأحد أسباب ضعف حب الله في القلوب قوّة حب الدنيا ومنه الأهل والمال والولد والأقارب والعقار والدواب والبساتين والمتنزهات حتى إن المتفرج بطيب أصوات الطيور وروح نسم الأسحار ملتفت إلى نعيم الدنيا ومتعرّض لنقصان حب الله تعالى بسببه، فبقدر ما أنس بالدنيا فينقص أنسه بالله، ولا يؤتى أحد من الدنيا شيئًا إلا وينقص بقدره من الآخرة بالضرورة، كما أنه لا يقرب الإنسان من المشرق إلا ويبعد بالضرورة من المغرب بقدره، ولا يطيب قلب امرأته إلا ويضيق به قلب ضرتها، فالدنيا والآخرة ضَرَّتَانِ وهما كالمشرق والمغرب، وقد انكشف ذلك لذوي القلوب انكشافًا أوضح من الإبصار بالعين، وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والانقياد إليهما بزمام الخوف والرجاء. فما ذكرناه من المقامات كالتوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هي مقدّمات ليكتسب بها أحد ركني المحبة وهو تخلية القلب عن غير الله، وأوّله الإيمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار، ثم يتشعب منه الخوف والرجاء، ويتشعب منهما التوبة والصبر عليهما. ثم ينجرّ ذلك إلى الزهد في الدنيا وفي المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله فقط، حتى يتسع بعده لنزول معرفة الله وحبه فكل ذلك مقدّمات تطهير القلب وهو أحد ركني المحبة. وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «الطهور شطر الإيمان» (١)، كما ذكرناه في أوّل كتاب الطهارة.

السبب الثاني: لقوة المحبة. قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلائها على القلب، وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلائقها يجري مجرى وضع البذر في الأرض بعد تنقيتها من الحشيش وهو الشطر الثاني. ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهي الكلمة الطيبة التي ضرب الله بها مثلًا حيث قال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤] وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] أي المعرفة ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] فالعمل الصالح كالجمّال لهذه المعرفة وكالخادم وإنما العمل الصالح كله في تطهير القلب أوّلًا من الدنيا ثم إدامة طهارته، فلا يراد العمل إلا لهذه المعرفة، وأما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل، فالعلم هو الأوّل وهو الآخر، وإنما الأوّل علم المعاملة وغرضه العمل، وغرض المعاملة صفاء القلب

---

(١) صحيح: حديث «الطهور شطر الإيمان». أخرجه مسلم من حديث أبي مالك من الأشعري وقد تقدم. [مسلم: ٢٢٣]

وطهارته ليتضح فيه جلية الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعتها المحبة بالضرورة، كما أن من كان معتدل المزاج إذا أبصر الجميل وأدركه بالعين الظاهرة أحبه ومال إليه، ومهما أحبه حصلت اللذة، فاللذة تبع المحبة بالضرورة، والمحبة تبع المعرفة بالضرورة، ولا يوصل إلى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب إلا بالفكر الصافي والذكر الدائم والجدّ البالغ في الطلب والنظر المستمرّ في الله تعالى وفي صفاته وفي ملكوت سمواته وسائر مخلوقاته.

والواصلون إلى هذه الرتبة ينقسمون إلى الأقوياء: ويكون أوّل معرفتهم بالله تعالى، ثم به يعرفون غيره. وإلى الضعفاء: ويكون أوّل معرفتهم بالأفعال ثم يترقون منها إلى الفاعل. وإلى الأوّل الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣] وبقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران:١٨] ومنه نظر بعضهم حيث قيل له: بم عرفت ربك؟ قال: عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي، وإلى الثاني الإشارة بقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت:٥٣] الآية. وبقوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف:١٨٥] وبقوله تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس:١٠١] وبقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك:٣-٤] وهذا الطريق هو الأسهل على الأكثرين وهو الأوسع على السالكين، وإليه أكثر دعوة القرآن عند الأمر بالتدبر والتفكر والاعتبار والنظر في آيات خارجة عن الحصر.

فإن قلت: كلا الطريقين مشكل فأوضح لنا منهما ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل به إلى المحبة؟

فاعلم أن الطريق الأعلى هو الاستشهاد بالحق سبحانه على سائر الخلق فهو غامض، والكلام فيه خارج عن حدّ فهم أكثر الخلق فلا فائدة في إيراده في الكتب، وأما الطريق الأسهل الأدنى فأكثره غير خارج عن حدّ الأفهام؛ وإنما قصرت الأفهام عنه لإعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحظوظ النفس، والمانع من ذكر هذا اتساعه وكثرته وانشعاب أبوابه الخارجة عن الحصر والنهاية، إذ ما من ذرّة من أعلى السموات إلى تخوم الأرضين إلا وفيها عجائب آيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته ومنتهى جلاله وعظمته، وذلك مما لا يتناهى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [الكهف:١٠٩] فالخوض فيه انغماس في بحار علوم المكاشفة ولا يمكن أن يتطفل به على علوم المعاملة، ولكن يمكن الرمز إلى مثال واحد على الإيجار ليقع التنبيه لجنسه فنقول:

أسهل الطريقين النظر إلى الأفعال فلنتكلم فيها ولنترك الأعلى، ثم الأفعال الإلهية كثيرة

فنطلب أقلها وأحقرها وأصغرها ولننظر في عجائبها، فأقل المخلوقات هو الأرض وما عليها، أعني بالإضافة إلى الملائكة وملكوت السموات، فإنك إن نظرت فيها من حيث الجسم والعظم في الشخص فالشمس على ما ترى من صغر حجمها هي مثل الأرض مائة ونيفًا وستين مرة، فانظر إلى صغر الأرض بالإضافة إليها، ثم انظر إلى صغر الشمس بالإضافة إلى فلكها الذي هو مركوزة فيه، فإنه لا نسبة لها إليه وهي في السماء الرابعة، وهي صغيرة بالإضافة إلى ما فوقها من السموات السبع، ثم السموات السبع في الكرسي كحلقة في فلاة، والكرسي في العرش كذلك. فهذا نظر إلى ظاهر الأشخاص من حيث المقادير، وما أحقر الأرض كلها بالإضافة إليها بل ما أصغر الأرض بالإضافة إلى البحار فقد قال رسول الله ﷺ: «الأَرْضُ فِي البَحْرِ كَالإِصْطَبْلِ فِي الأَرْضِ» (١)، ومصداق هذا عرف بالمشاهدة والتجربة، وعلم أن المكشوف في الأرض عن الماء كجزيرة صغيرة بالإضافة إلى كل الأرض، ثم انظر إلى الآدمي المخلوق من التراب، الذي هو جزء من الأرض، وإلى سائر الحيوانات وإلى صغره بالإضافة إلى الأرض، ودع عنك جميع ذلك، فأصغر ما نعرفه من الحيوانات البعوض والنحل وما يجري مجراه، فانظر في البعوض على قدر صغر قدره وتأمله بعقل حاضر وفكر صاف، فانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل الفيل الذي هو أعظم الحيوانات إذ خلق له خرطومًا مثل خرطومه، وخلق له على شكله الصغير سائر الأعضاء كما خلقه للفيل بزيادة جناحين، وانظر كيف قسم أعضاءه الظاهرة فأنبت جناحه، وأخرج يده ورجله، وشق سمعه وبصره، ودبر في باطنه من أعضاء الغذاء وآلاته ما دبره في سائر الحيوانات، وركب فيها من القوى الغاذية والجاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة ما ركب في سائر الحيوانات، هذا في شكله وصفاته، ثم انظر إلى هدايته كيف هداه الله تعالى إلى غذائه وعرّفه أنّ غذاءه دم الإنسان ثم انظر كيف أنبت له آلة الطيران إلى الإنسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو محدّد الرأس وكيف هداه إلى مسام بشرة الإنسان حتى يضع خرطومه في واحد منها ثم كيف قواه حتى يغرز فيه الخرطوم وكيف علمه المص والتجرّع للدم وكيف خلق الخرطوم مع دقته مجوّفًا حتى يجري فيه الدم الرقيق وينتهي إلى باطنه وينتشر في سائر أجزائه ويغذيه ثم كيف عرّفه أن الإنسان يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب واستعداد آلته وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف حركة اليد وهي بعد بعيدة منه فيترك المص ويهرب ثم إذا سكنت اليد يعود ثم انظر كيف خلق له حدقتين حتى يبصر موضع غذائه فيقصده مع صغر حجم وجهه.

وانظر إلى أن حدقة كل حيوان صغير لما لم تحتمل حدقته الأجفان لصغره وكانت الأجفان مصقلة لمرآة الحدقة عن القذى والغبار. خلق للبعوض والذباب يدين فتنظر إلى

(١) حديث «الأرض في البحر كالإصطبل في الأرض». لم أجد له أصلا.

الذباب فتراه على الدوام يمسح حدقتيه بيديه. وأما الإنسان والحيوان الكبير فخلق لحدقتيه الأجفان حتى ينطبق أحدهما على الآخر، وأطرافهما حادة فيجمع الغبار الذي يلحق الحدقة ويرميه إلى أطراف الأهداب، وخلق الأهداب السود لتجمع ضوء العين وتعين على الإبصار وتحسن صورة العين وتشبكها عند هيجان الغبار فينظر من وراء شباك الأهداب، واشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع الإبصار. وأما البعوض فخلق لها حدقتين مصقلتين من غير أجفان وعلمها كيفية التصقيل باليدين، ولأجل ضعف أبصارها تراها تتهافت على السراج لأنّ بصره ضعيف فهي تطلب ضوء النهار، فإذا رأى المسكين ضوء السراج بالليل ظنّ أنه في بيت مظلم وأنّ السراج كوّة من البيت المظلم إلى الموضع المضيء، فلا يزال يطلب الضوء ويرمي بنفسه إليه فإذا جاوزه ورأى الظلام ظن أنه لم يصب الكوة ولم يقصدها على السداد فيعود إليه مرة أخرى إلى أن يحترق، ولعلك تظن أن هذا لنقصانها وجهلها، فاعلم أنّ جهل الإنسان أعظم من جهلها، بل صورة الآدمي في الإكباب على الشهوات الدنيا صورة الفراش في التهافت على النار، إذ تلوح للآدمي أنوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولا يدري أنّ تحتها السم الناقع القاتل، فلا يزال يرمي نفسه عليها إلى أن ينغمس فيها ويتقيد بها ويهلك هلاكًا مؤبدًا، فليت كان جهل الآدمي كجهل الفراش فإنها باغترارها بظاهر الضوء إن احترقت تخلصت في الحال والآدمي يبقى في النار أبد الآباد أو مدة مديدة، ولذلك كان ينادي رسول الله ﷺ ويقول: «إِنِّي مُمْسِكٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَتَهَافَتُونَ فِيها تَهَافُتَ الفَرَاشِ» (١) ، فهذه لمعة عجيبة من عجائب صنع الله تعالى في أصغر الحيوانات، وفيها من العجائب ما لو اجتمع الأوّلون والآخرون على الإحاطة بكنهه عجزوا عن حقيقته ولم يطلعوا على أمور جلية من ظاهر صورته، فأما خفايا معاني ذلك فلا يطلع عليها إلا الله تعالى.

ثم في كل حيوان ونبات أعجوبة وأعاجيب تخصه لا يشاركه فيها غيره، فانظر إلى النحل وعجائبها وكيف أوحى الله تعالى إليها حتى اتخذت من الجبال بيوتًا ومن الشجر ومما يعرشون، وكيف استخرج من لعابها الشمع والعسل وجعل أحدهما ضياء وجعل الآخر شفاء، ثم لو تأملت عجائب أمرها في تناولها الأزهار والأنوار واحترازها عن النجاسات والأقذار، وطاعتها لواحد من جملتها هو أكبرها شخصًا وهو أميرها، ثم ما سخر الله تعالى له أميرها من العدل والإنصاف بينها ، حتى إنه ليقتل على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة ، لقضيت منها عجبًا آخر العجب إن كنت بصيرًا في نفسك وفارغًا من هم بطنك وفرجك

(١) صحيح : حديث «إني ممسك بحجزكم عن النار وأنتم تهافتون فيها تهافت الفراش». متفق عليه من حديث أبي هريرة «مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش يقعن فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيه» لفظ مسلم واقتصر البخاري على أوله ولمسلم من حديث جابر «وأنا آخذ بحجزكم وأنتم تفلتون من يدي». [البخاري: ٣٤٢٧، ومسلم: ٢٢٨٤ عن أبي هريرة، ومسلم: ٢٢٨٥ عن جابر]

وشهوات نفسك في معاداة أقرانك وموالاة إخوانك. ثم دع عنك جميع ذلك وانظر إلى بنائها بيوتها من الشمع، واختيارها من جملة الأشكال الشكل المسدّس، فلا تبني بيتًا مستديرًا ولا مربعًا ولا مخمسًا بل مسدّسًا، لخاصية في الشكل المسدّس يقصر فهم المهندسين عن دركها، وهو أنّ أوسع الأشكال وأحواها: المستديرة وما يقرب منها، فإنّ المربع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لا تضيع الزوايا فتبقى فارغة، ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضائعة فإنّ الأشكال المستديرة إذا جمعت لم تجتمع متراصة، ولا شكل في الأشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستدير ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى اجتماعها فرجة إلا المسدس، وهذه خاصية هذا الشكل، فانظر كيف ألهم الله تعالى النحل على صغر جرمه ولطافة قده لطفًا به وعناية بوجوده وما هو محتاج إليه ليتهنأ بعيشه، فسبحانه ما أعظم شأنه وأوسع لطفه وامتنانه.

فاعتبر بهذه اللمعة اليسيرة من محقرات الحيوانات ودع عنك عجائب ملكوت الأرض والسموات، فإنّ القدر الذي بلغه فهمنا القاصر منه تنقضي الأعمار دون إيضاحه، ولا نسبة لما أحاط به علمنا إلى ما أحاط به العلماء والأنبياء، ولا نسبة لما أحاط به علم الخلائق كلهم إلى ما استأثر الله تعالى بعلمه، بل كل ما عرفه الخلق لا يستحق أن يسمى علمًا في جنب علم الله تعالى، فبالنظر في هذا وأمثاله تزداد المعرفة الحاصلة بأسهل الطريقين، وبزيادة المعرفة تزداد المحبة، فإن كنت طالبًا سعادة لقاء الله تعالى فانبذ الدنيا وراء ظهرك، واستغرق العمر في الذكر الدائم والفكر اللازم فعساك تحظى منها بقدر يسير، ولكن تنال بذلك اليسير ملكًا عظيمًا لا آخر له.

بيان السبب في تفاوت الناس في الحب:

اعلم أنّ المؤمنين مشتركون في أصل الحب لاشتراكهم في أصل المحبة، ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا، إذ الأشياء إنما تتفاوت بتفاوت أسبابها، وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى إلا الصفات والأسماء التي قرعت سمعهم فتلقنوها وحفظوها، وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب الأرباب، وربما لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسدًا بل آمنوا بها إيمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث، وهؤلاء هم أهل السلامة من أصحاب اليمين، والمتخيلون هم الضالون، والعارفون بالحقائق هم المقرّبون. وقد ذكر الله حال الأصناف الثلاثة في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾[الواقعة:٨٨-٨٩] الآية. فإن كنت لا تفهم الأمور إلا بالأمثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثالًا فنقول: أصحاب الشافعي مثلًا يشتركون في حب الشافعي ، رحمه الله ، الفقهاء منهم والعوام؛ لأنهم مشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومجامد خصاله، ولكن العامي يعرف علمه مجملًا والفقيه يعرفه مفصلًا، فتكون معرفة الفقيه به أتم وإعجابه به وحبه

له أشدّ، فإنّ من رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله أحبه لا محالة ومال إليه قلبه، فإن رأى تصنيفًا آخر أحسن منه وأعجب تضاعف لا محالة أحبه لأنه تضاعفت معرفته بعلمه، وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر أنه حسن الشعر فيحبه، فإذا سمع من غرائب شعره ما عظم فيه حذقه وصنعته ازداد به معرفة وازداد له حبًا، وكذا سائر الصناعات والفضائل. والعامي قد يسمع أنّ فلانًا مصنف وأنه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فيكون له معرفة مجملة ويكون له بحسبه ميل مجمل، والبصير إذا فتش عن التصانيف واطلع على ما فيها من العجائب تضاعف حبه لا محالة؛ لأن عجائب الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والمصنف، والعالم بجملته صنع الله تعالى وتصنيفه، والعامي يعلم ذلك ويعتقده، وأما البصير فإنه يطالع تفصيل صنع الله تعالى فيه، حتى يرى في البعوض ، مثلًا ، من عجائب صنعه ما ينبهر به عقله ويتحير فيه لبه ويزداد بسببه لا محالة عظمة الله وجلاله وكمال صفاته في قلبه فيزداد له حبًا، وكلما ازداد على أعاجيب صنع الله اطلاعًا استدل بذلك على عظمة الله الصانع وجلاله، وازداد به معرفة وله حبًا. وبحر هذه المعرفة - أعني معرفة عجائب صنع الله تعالى ، بحر لا ساحل له، فلا جرم تفاوت أهل المعرفة في الحب لا حصر له، ومما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الأسباب الخمسة التي ذكرناها للحب، فإنّ من يحب الله مثلًا لكونه محسنًا إليه منعمًا عليه ولم يحبه لذاته ضعفت محبته، إذ تتغير بتغير الإحسان، فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في حالة الرضا والنعماء. وأما من يحبه لذاته ولأنه مستحق للحب بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فإنه لا يتفاوت حبه بتفاوت الإحسان إليه.

فهذا وأمثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة. والتفاوت في المحبة هو السبب للتفاوت في سعادة الآخرة. ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٢١].

بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه:

اعلم أن أظهر الموجودات وأجلاها هو الله تعالى، وكان هذا يقتضي أن تكون معرفته أوّل المعارف وأسبقها إلى الأفهام وأسهلها على العقول، وترى الأمر بالضدّ من ذلك، فلا بدّ من بيان السبب فيه. وإنما قلنا: إنه أظهر الموجودات وأجلاها لمعنى لا تفهمه إلا بمثال. وهو أنا إذا رأينا إنسانًا يكتب أو يخيط مثلًا كان كونه حيًا عندنا من أظهر الموجودات، فحياته وعلمه وقدرته وإرادته للخياطة أجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة، إذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه، وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته. أما حياته وقدرته وإرادته وعلمه وكونه حيوانًا فإنه جلي عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وإرادته، فإن هذه الصفات لا تحس بشيء من الحواس الخمس، ثم لا يمكن أن نعرف حياته وقدرته وإرادته إلا بخياطته وحركته، فلو نظرنا إلى كل ما في العالم سواه لم نعرفه به صفته،

فما عليه إلا دليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح، ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وأرض وكوكب وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض، بل أوّل شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا، وأظهر الأشياء في علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة، وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد، وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها، ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته. والموجودات المدركة لا حصر لها، فإن كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس لها يشهد إلا شاهد واحد وهو ما أحسسنا به من حركة يده؛ فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصوّر في الوجود شيء داخل نفوسنا وخارجها إلا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله؟ إذ كل ذرّة فإنها تنادي بلسان حالها أنه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وأنها تحتاج إلى موجد ومحرّك لها، يشهد بذلك أوّلًا تركيب أعضائنا وائتلاف عظامنا ولحومنا وأعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة، فإنا نعلم أنها لم تأتلف بأنفسها كما نعلم أنّ يد الكاتب لم تتحرّك بنفسها، ولكن لما لم يبق في الوجود شيء مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب إلا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره فانبهرت العقول ودهشت عن إدراكه.

فإن ما تقصر عن فهمه عقولنا فله سببان:

أحدهما: خفاؤه في نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثاله.

والآخر: ما يتناهى وضوحه، وهذا كما أنّ الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار، لا لخفاء النهار واستتاره ولكن لشدّة ظهوره فإن بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس إذا أشرقت، فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببًا لامتناع إبصاره فلا ترى شيئًا إلا إذا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره.

فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الإلهية في نهاية الإشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول، حتى لم يشذ عن ظهوره ذرّة من ملكوت السموات والأرض فصار ظهوره سبب خفائه، فسبحان من احتجب بإشراق نوره واختفى عن البصائر والأبصار بظهوره، ولا يتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور، فإنّ الأشياء تستبان بأضدادها وما عم وجوده حتى أن ما لا ضدّ له عسر إدراكه، فلو اختلفت الأشياء فدل بعضها دون بعض أدركت التفرقة على قرب، ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد أشكل الأمر. ومثاله: نور الشمس المشرق على الأرض، فإنا نعلم أنه عرض من الأعراض يحدث في الأرض ويزول عند غيبة الشمس، فلو كانت الشمس دائمة الإشراق لا غروب لها لكنا نظنّ أنه لا هيئة في الأجسام إلا

ألوانها وهي السواد والبياض وغيرهما، فإنا لا نشاهد في الأسود إلا السواد وفي الأبيض إلا البياض، فأما الضوء فلا ندركه وحده، ولكن لما غابت الشمس وأظلمت المواضع أدركنا تفرقة بين الحالين، فعلمنا أنّ الأجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب، فعرفنا وجود النور بعدمه، وما كنا نطلع عليه لولا عدمه إلا بعسر شديد، وذلك لمشاهدتنا الأجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور، هذا مع أنّ النور أظهر المحسوسات إذ به تدرك سائر المحسوسات، فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره، انظر كيف تصوّر استبهام أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضدّه؟ فالله تعالى هو أظهر الأمور وبه ظهرت الأشياء كلها، ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهدّت السموات والأرض وبطل الملك والملكوت، ولأدرك بذلك التفرقة بين الحالين.

ولو كان بعض الأشياء موجودًا به وبعضها موجودًا بغيره لأدركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة، ولكن دلالته عامة في الأشياء على نسق واحد ووجوده دائم في الأحوال يستحيل خلافه، فلا جرم أورثت شدّة الظهور خفاء، فهذا هو السبب في قصور الأفهام.

وأما من قويت بصيرته ولم تضعف منته فإنه في حال اعتدال أمره لا يرى إلا الله تعالى ولا يعرف غيره، يعلم أنه ليس في الوجود إلا الله. وأفعاله أثر من آثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دونه، وإنما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الأفعال كلها. ومن هذه حاله فلا ينظر في شيء من الأفعال إلا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث إنه سماء وأرض وحيوان وشجر، بل ينظر فيه من حيث إنه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزًا له إلى غيره، كمن نظر في شعر إنسان أو خطه أو تصنيفه ورأى فيها الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث أثره لا من حيث إنه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض، فلا يكون قد نظر إلى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله تعالى، فمن نظر إليه من حيث إنه فعل الله وعرفه من حيث إنه فعل الله وأحبه من حيث إنه فعل الله لم يكن ناظرًا إلا في الله ولا عارفًا إلا بالله ولا محبًا إلا له، وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى إلا الله، بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه بل من حيث إنه عبدًا لله، فهذا الذي يقال فيه إنه فني في التوحيد وإنه فني عن نفسه. وإليه الإشارة بقول من قال: كنا بنا ففنينا عنا فبقينا بلا نحن. فهذه أمور معلومة عند ذوي البصائر، أشكلت لضعف الأفهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن إيضاحها وبيانها بعبادة مفهمة موصلة للغرض إلى الأفهام، أو باشتغالهم بأنفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم مما لا يعنيهم. فهذا هو السبب في قصور الأفهام عن معرفة الله تعالى، وانضم إليه أن المدركات كلها التي هي شاهدة على الله إنما يدركها الإنسان في الصبا عند فقد العقل، ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلًا قليلًا وهو مستغرق الهم بشهواته وقد أنس بمدركاته ومحسوساته وألفها فسقط وقعها عن قلبه بطول الأنس، ولذلك إذا رأى على سبيل الفجأة حيوانًا غريبًا أو نباتًا

غريبًا أو فعلًا من أفعال الله تعالى خارقًا للعادة عجيبًا انطلق لسانه بالمعرفة طبعًا فقال: «سبحان الله» وهو يرى طول النهار نفسه وأعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة لا يحس بشهادتها لطول الأنس بها، ولو فرض أكمه بلغ عاقلًا ثم انقشعت غشاوة عينه فامتدّ بصره إلى السماء والأرض والأشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة لخيف على عقله أن ينبهر لعظم تعجبه من شهادة العجائب لخالقها.

فهذا وأمثاله من الأسباب مع الانهماك في الشهوات هو الذي سدّ على الخلق سبيل الاستضاءة بأنوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة، فالناس في طلبهم معرفة الله كالمدهوش الذي يضرب به المثل إذا كان راكبًا لحماره وهو يطلب حماره، والجليات إذا صارت مطلوبة صارت معتاصة. فهذا سر هذا الأمر فليحقق. ولذلك قيل:

فقد ظهرت فما تخفى على أحد ... إلا على أكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما أظهرت محتجبًا ... فكيف يعرف من بالعرف قد سترا

بيان معنى الشوق إلى الله تعالى:

اعلم أنّ من أنكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بدّ وأن ينكر حقيقة الشوق، إذ لا يتصورّ الشوق إلا إلى محبوب ونحن نثبت وجود الشوق إلى الله تعالى، وكون العارف مضطرًا إليه بطريق الاعتبار والنظر بأنوار البصائر وبطريق الأخبار والآثار. أما الاعتبار فيكفي في إثباته ما سبق في إثبات الحب، فكل محبوب يشتاق إليه في غيبته لا محالة، فأما الحاصل الحاضر فلا يشتاق إليه، فإن الشوق طلب وتشوف إلى أمر والموجود لا يطلب. ولكن بيانه أنّ الشوق لا يتصوّر إلا إلى شيء أدرك من وجه ولم يدرك من وجه، فأما ما لا يدرك أصلًا فلا يشتاق إليه، فإنّ من لم ير شخصًا ولم يسمع وصفه ولا يتصوّر أن يشتاق إليه، وما أدرك بكماله لا يشتاق إليه، وكمال الإدراك بالرؤية فمن كان في مشاهدة محبوبه مداومًا للنظر إليه لا يتصوّر أن يكون له شوق، ولكن الشوق إنما يتعلق بما أدرك من وجه ولم يدرك من وجه، وهو من وجهين لا ينكشف إلا بمثال من المشاهدات.

فنقول مثلًا: من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق إلى استكمال خياله بالرؤية، فلو انمحى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى نسيه لم يتصوّر أن يشتاق إليه، ولو رآه لم يتصور أن يشتاق في وقت الرؤية، فمعنى شوقه تشوق نفسه إلى استكمال خياله، فكذلك قد يراه في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق إلى استكمال رؤيته، وتمام الانكشاف في صورته بإشراق الضوء عليه.

والثاني: أن يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره مثلًا ولا سائر محاسنه فيشتاق لرؤيته، وإن لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم أن له عضوًا وأعضاء جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق إلى أن ينكشف له ما لم يره قط.

والوجهان جميعًا متصوران في حق الله تعالى، بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين، فإن ما اتضح للعارفين من الأمور الإلهية ، وإن كان في غاية الوضوح ، فكأنه من وراء ستر رقيق فلا يكون متضحًا غاية الاتضاح، بل يكون مشوبًا بشوائب التخيلات، فإنّ الخيالات لا تفتر في هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات، وهي مكدرات للمعارف ومنغصات، وكذلك ينضاف إليها شواغل الدنيا، فإنما كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام إشراق التجلي ولا يكون ذلك إلا في الآخرة، وذلك بالضرورة يوجب الشوق فإنه منتهى محبوب العارفين. فهذا أحد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحًا ما.

الثاني: أن الأمور الإلهية لا نهاية لها وإنما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى أمور لا نهاية لها غامضة. والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى، ويعلم أن ما غاب عن علمه من المعلومات أكثر مما حضر، فلا يزال متشوقًا إلى أن يحصل له أصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها أصلًا، لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة.

والشوق الأول: ينتهي في الدار الآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة، ولا يتصور أن يسكن في الدنيا. وقد كان إبراهيم بن أدهم من المشتاقين فقال: قلت ذات يوم يا رب إن أعطيت أحدًا من المحبين لك ما يسكن به قلبه قبل لقائك فأعطني ذلك فقد أضرّ بي القلق، قال: فرأيت في النوم أنه أوقفني بين يديه وقال: يا إبراهيم أما استحييت مني أن تسألني أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه فقلت يا رب تهت في حبك فلم أدر ما أقول فاغفر لي وعلمني ما أقول، فقال: قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك وأوزعني شكر نعمائك. فإن هذا الشوق يسكن في الآخرة.

وأما الشوق الثاني فيشبه: أن لا يكون له نهاية في الدنيا ولا في الآخرة، إذ نهايته أن ينكشف للعبد في الآخرة من جلال الله تعالى وصفاته وحكمته وأفعاله ما هو معلوم لله تعالى وهو محال لأن ذلك لا نهاية له. ولا يزال العبد عالمًا بأنه بقي من الجمال والجلال ما لم يتضح له فلا يسكن قط شوقه، لا سيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة، إلا أنه تشوق إلى استكمال الوصال مع حصول أصل الوصال، فهو يجد لذلك شوقًا لذيذًا لا يظهر فيه ألم ولا يبعد أن تكون ألطاف الكشف والنظر متوالية إلى غير نهاية، فلا يزال النعيم واللذة متزايدًا أبد الآباد، وتكون لذة ما يتجدّد من لطائف النعيم شاغلة عن الإحساس بالشوق إلى ما لم يحصل: وهذا بشرط أن يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل فيه كشف في الدنيا أصلًا، فإن كان ذلك غير مبذول فيكون النعيم واقفًا على حدّ لا يتضاعف ولكن يكون مستمرًا على الدوام.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم :٨] محتمل لهذا المعنى. وهو أن ينعم عليه بإتمام النور مهما تزوّد من الدنيا أصل النور، ويحتمل أن يكون المراد به إتمام النور في غير ما استنار في الدنيا استنارة محتاجة إلى مزيد

الاستكمال والإشراق، فيكون هو المراد بتمامه. وقوله تعالى: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ [الحديد:١٣] يدل على أنّ الأنوار لا بدّ وأن يتزود أصلها في الدنيا ثم يزداد في الآخرة إشراقًا، فأما أن يتجدّد نور فلا، والحكم في هذا برجم الظنون مخطر، ولم ينكشف لنا فيه بعد ما يوثق به، فنسأل الله تعالى أن يزيدنا علمًا ورشدًا ويرينا الحق حقًّا. فهذا القدر من أنوار البصائر كاشف لحقائق الشوق ومعانيه.

وأما شواهد الأخبار والآثار: فأكثر من أن تحصى، فمما اشتهر من دعاء رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ القَضَاءِ وَبَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ المَوْتِ وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الكَرِيمِ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ» (١)، وقال أبو الدرداء لكعب: أخبرني عن أخص آية، يعني في التوراة - فقال: يقول الله تعالى: طال شوق الأبرار إلى لقائي وإني إلى لقائهم لأشدّ شوقًا. قال: ومكتوب إلى جانبها: من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني، فقال أبو الدرداء: أشهد أني لسمعت رسول الله ﷺ يقول هذا. وفي أخبار داود عليه السلام: إنّ الله تعالى قال: يا داود أبلغ أهل أرضي أني حبيب لمن أحبني وجليس لمن جالسني ومؤنس لمن أنس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن أطاعني، ما أحبني عبد أعلم ذلك يقينًا من قلبه إلا قبلته لنفسي وأحببته حبًّا لا يتقدّمه أحد من خلقي، من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني؛ فارفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها وهلموا إلى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي، وائنسوا بي أؤانسكم وأسارع إلى محبتكم، فإني خلقت طينة أحبائي من طينة إبراهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد صفيي، وخلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي.

وروي عن بعض السلف: أن الله تعالى أوحى إلى بعض الصدّيقين إن لي عبادًا من عبادي يحبوني وأحبهم، ويشتاقون إليّ وأشتاق إليهم، ويذكروني وأذكرهم، وينظرون إليّ وأنظر إليهم، فإن حذوت طريقهم أحببتك وإن عدلت عنهم مقتك، قال: يا رب وما علامتهم؟ قال: يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه، ويحنون إلى غروب الشمس كما يحن الطائر إلى وكره عند الغروب فإذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الأسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا إلي أقدامهم وافترشوا لي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا إلي بإنعامي فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد، بعيني ما يتحملون من أجلي، وبسمعي ما يشتكون من حبي، أول ما أعطيهم ثلاث: أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم. والثانية: لو كانت السموات والأرض وما فيها من

---

(١) صحيح: حديث: أنه كان يقول في دعائه «اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت». أخرجه أحمد والحاكم وتقدم في الدعوات. [أحمد: ٢١١٥٨، وهو عند النسائي: ١٣٠٦، وانظر صحيح النسائي]

موازينهم لاستقللتها لهم. والثالثة: أقبل بوجهي عليهم، فترى من أقبلت عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه.

وفي أخبار داود عليه السلام: إن الله تعالى أوحى إليه: يا داود إلى كم تذكر الجنة ولا تسألني الشوق إليّ، قال: يا رب من المشتاقون إليك؟ قال: إن المشتاقين إليّ الذين صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم إلي خرقًا ينظرون إلي، وإني لأحمل قلوبهم بيدي فأضعها على سمائي، ثم أدعو نجباء ملائكتي فإذا اجتمعوا سجدوا لي، فأقول إني لم أدعكم لتسجدوا لي ولكني دعوتكم لأعرض عليكم قلوب المشتاقين إلي وأباهي بكم أهل الشوق إلي فإن قلوبهم لتضيء في سمائي لملائكتي كما تضيء الشمس لأهل الأرض، يا داود إني خلقت قلوب المشتاقين من رضواني ونعمتها بنور وجهي فاتخذتهم لنفسي محدّثي، وجعلت أبدانهم موضع نظري إلى الأرض وقطعت من قلوبهم طريقًا ينظرون به إلي يزدادون في كل يوم شوقًا، قال داود: يا رب أرني أهل محبتك، فقال: يا داود ائت جبل لبنان فإن فيه أربعة عشر نفسًا فيهم شبان وفيهم شيوخ وفيهم كهول، فإذا أتيتهم فأقرئهم مني السلام وقل لهم إن ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم ألا تسألون حاجة فإنكم أحبائي وأصفيائي وأوليائي أفرح لفرحكم وأسارع إلى محبتكم. فأتاهم داود عليه السلام فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون في عظمة الله عز وجل، فلما نظروا إلى داود عليه السلام نهضوا ليتفرّقوا عنه، فقال داود: إني رسول الله إليكم جئتكم لأبلغكم رسالة ربكم فأقبلوا نحوه وألقوا أسماعهم نحو قوله وألقوا أبصارهم إلى الأرض، فقال داود: إني رسول الله إليكم جئتكم يقرئكم السلام ويقول لكم ألا تسألون حاجة؟ ألا تنادوني أسمع صوتكم وكلامكم فإنكم أحبائي وأصفيائي وأوليائي أفرح لفرحكم وأسارع إلى محبتكم وأنظر إليكم في كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة؟ قال: فجرت الدموع على خدودهم، فقال شيخهم: سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من أعمارنا. وقال الآخر: سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك. وقال الآخر: سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك أفنجترىء على الدعاء وقد علمت أنه لا حاجة لنا في شيء من أمورنا فأدم لنا لزوم الطريق إليك وأتمم بذلك المنة علينا. وقال الآخر: نحن مقصرون في طلب رضاك فأعنا علينا بجودك. وقال الآخر: من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر في عظمتك أفيجترىء على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر في جلالك؟ وطلبتنا الدنوّ من نورك. وقال الآخر: كلت ألسنتنا من دعائك لعظم شأنك، وقربك من أوليائك، وكثرة منتك على أهل محبتك. وقال الآخر: أنت هديت قلوبنا لذكرك؛ وفرّغتنا للاشتغال بك، فاغفر لنا تقصيرنا في شكرك. وقال الآخر: قد عرفت حاجتنا إنما هي النظر إلى وجهك. وقال الآخر: كيف يجترىء العبد على سيده؟ إذ أمرتنا بالدعاء بجودك، فهب لنا نورًا نهتدي به في

الظلمات من أطباق السموات، وقال آخر: ندعوك أن تقبل علينا وتديمه عندنا. وقال الآخر: نسألك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا. وقال الآخر: لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامنن علينا بالنظر إلى جمال وجهك. وقال الآخر: أسألك من بينهم أن تعمي عيني عن النظر إلى الدنيا وأهلها وقلبي عن الاشتغال بالآخرة. وقال الآخر: قد عرفت تباركت وتعاليت أنك تحب أولياءك فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء دونك. فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: قل لهم قد سمعت كلامكم وأجبتكم إلى ما أحببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربًا فإني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى نوري وجلالي. فقال داود: يا رب بم نالوا هذا منك؟ قال: بحسن الظن والكف عن الدنيا وأهلها والخلوات بي ومناجاتهم لي وإنّ هذا منزل لا يناله إلا من رفض الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشيء من ذكرها وفرّغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي، فعند ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه وأكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى ينظر إليّ نظر الناظر بعينه إلى الشيء وأريه كرامتي في كل ساعة وأقرّبه من نور وجهي، إن مرض مرّضته كما تمرّض الوالدة الشفيقة ولدها، وإن عطش أرويته وأذيقه طعم ذكري، فإذا فعلت ذلك به يا داود عميت نفسه عن الدنيا وأهلها ولم أحببها إليه لا يفتر عن الاشتغال بي، يستعجلني القدوم وأنا أكره أن أميته لأنه موضع نظري من بين خلقي لا يرى غيري ولا أرى غيره، فلو رأيته يا داود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه وتهشمت أعضاؤه وانخلع قلبه إذا سمع بذكري أباهي به ملائكتي وأهل سمواتي يزداد خوفًا وعبادة، وعزتي وجلالي يا داود لأقعدنه في الفردوس ولأشفين صدره من النظر إليّ حتى يرضى وفوق الرضا.

وفي أخبار داود أيضًا: قل لعبادي المتوجهين إلى محبتي ما ضركم إذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إليّ بعيون قلوبكم، وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا إذا بسطت ديني لكم، وما ضركم مسخطة الخلق إذا التمستم رضائي.

وفي أخبار داود أيضًا: إن الله تعالى أوحى إليه تزعم أنك تحبني، فإن كنت تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك فإنّ حبي وحبها لا يجتمعان في قلب. يا داود خالص حبيبي مخالصة وخالط أهل الدنيا مخالطة ودينك فقلدنيه ولا تقلد دينك الرجال، أما ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به، وأما ما أشكل عليك فقلدنيه حقًّا على أني أسارع إلى سياستك وتقويمك وأكن قائدك ودليلك، أعطيك من غير أن تسألني وأعينك على الشدائد وإني قد حلفت على نفسي أني لا أثيب إلا عبدًا قد عرفت من طلبته وإرادته إلفاء كنفه بين يدي وأنه لا غنى به عني. فإذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك وأسكن الغنى قلبك فإني قد حلفت على نفسي أنه لا يطمئن عبد لي إلى نفسه ينظر إلى فعالها إلا وكلته إليها، أضف الأشياء إلي لا تضاد عملك فتكون متعنيًا ولا ينتفع بك من يصحبك ولاتجد معرفتي حدًّا فليس لها غاية،

ومتى طلبت مني الزيادة أعطك ولا تجد للزيادة مني حدًّا، ثم أعلم بني إسرائيل أنه ليس بيني وبين أحد من خلقي نسب، فلتعظم رغبتهم وإرادتهم عندي أبح لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ضعني بين عينيك وانظر إلي ببصر قلبك ولا تنظر بعينك التي في رأسك إلى الذين حجبت عقولهم عني فأمرجوها وسخت بانقطاع ثوابي عنها فإني حلفت بعزتي وجلالي لا أفتح ثوابي لعبد دخل في طاعتي للتجربة والتسويف، تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين، فلو علم أهل محبتي منزلة المريدين عندي لكانوا لهم أرضًا يمشون عليها. يا داود لأن تخرج مريدًا من سكرة هو فيها تستنقذه فأكتبك عندي جهيدًا، ومن كتبته عندي جهيدًا لا تكون عليه وحشة ولا فاقة إلى المخلوقين. يا داود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فأحجب عنك محنتي لا تؤيس عبادي من رحمتي، اقطع شهوتك لي فإنما أبحت الشهوات لضعفة خلقي ما بال الأقوياء أن ينالوا الشهوات فإنها تنقص حلاوة مناجاتي، وإنما عقوبة الأقوياء عندي في موضع التناول أدنى ما يصل إليهم أن أحجب عقولهم عني فإني لم أرض الدنيا لحبيبي ونزهته عنها. يا داود لا تجعل بيني وبينك عالمًا يحجبك بسكره عن محبتي، أولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين، استعن على ترك الشهوات بإدمان الصوم، وإياك والتجربة في الإفطار فإنّ محبتي للصوم إدمانه. يا داود تحبب إلي بمعاداة نفسك امنعها الشهوات أنظر إليك وترى الحجب بيني وبينك مرفوعة إنما أداريك مداراة لتقوى على ثوابي إذا مننت عليك به وإني أحبسه عنك وأنت متمسك بطاعتي.

وأوحى الله تعالى إلى داود: يا داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقًا إلي وتقطعت أوصالهم من محبتي. يا داود هذه إرادتي في المدبرين عني فكيف إرادتي في المقبلين عليّ. يا داود أحوج ما يكون العبد إليّ إذا استغنى عني، وأرحم ما أكون بعبدي إذا أدبر عني، وأجل ما يكون عندي إذا رجع إلي، فهذه الأخبار ونظائرها مما لا يحصى تدل على إثبات المحبة والشوق والأنس، وإنما تحقيق معناها ينكشف بما سبق.

بيان محبة الله للعبد ومعناها:

اعلم أنّ شواهد القرآن متظاهرة على أنّ الله تعالى يحب عبده فلا بدّ من معرفة معنى ذلك، ولنقدم الشواهد على محبته فقد قال الله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ [الصف:٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢] ولذلك رد سبحانه على من ادعى أنه حبيب الله فقال: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة:١٨] وقد روى أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا أَحَبَّ اللَّهُ تَعَالى عَبْدًا لَمْ يَضُرَّهُ ذَنْبٌ وَالتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لا ذَنْبَ

لَهُ: ثم تلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢] » (١) ومعناه إنه إذا أحبه تاب عليه قبل الموت فلم تضره الذنوب الماضية وإن كثرت، كما لا يضر الكفر الماضي بعد الإسلام، وقد اشترط الله تعالى للمحبة عفران الذنب فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١] وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لا يُحِبُّ وَلا يُعْطِي الإِيمَانَ إِلاَّ مَنْ يُحِبُّ» (٢) ، وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ اللَّهِ أَحَبَّهُ اللَّهُ» (٣) ، وقال عليه السلام: «قَالَ اللَّهُ تَعَالى: لا يَزَالُ العَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعَ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ بِهِ» (٤) ، الحديث. وقال زيد بن أسلم: إن الله ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول: اعمل ما شئت فقد غفرت لك. وما ورد من ألفاظ المحبة خارج عن الحصر.

وقد ذكرنا أنّ محبة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمجاز، إذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى الشيء الموافق، والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط. وقد بينا أنّ الإحسان موافق للنفس، والجمال موافق أيضًا، وأن الجمال والإحسان تارة يدرك بالبصر، وتارة يدرك بالبصيرة والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر.

فأما حب الله للعبد فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلًا، بل الأسامي كلها إذا أطلقت على الله تعالى وعلى غير الله لم تنطلق عليهما بمعنى واحد أصلًا، حتى إن اسم «الوجود» الذي هو أعم الأسماء اشتراكًا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد، بل كل ما سوى الله تعالى فوجوده مستفاد من وجود الله تعالى، فالوجود التابع لا يكون مساويًا للوجود المتبوع. وإنما الاستواء في إطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم، إذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابهة فيهما من غير استحقاق أحدهما، لأن يكون فيه أصلًا، فليست الجسمية لأحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولا لخلقه، وهذا التباعد في سائر الأسامي أظهر كالعلم والإرادة والقدرة وغيرها فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق.

---

(١) ضعيف: حديث أنس «إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له». ذكره صاحب الفردوس ولم يخرجه ولده في مسنده وروى ابن ماجه الشطر الثاني من حديث ابن مسعود وتقدم في التوبة. [الحديث كاملا انظر السلسلة الضعيفة: ٦١٥، والشطر الثاني عند ابن ماجه: ٤٢٥٠، وانظر صحيح الترغيب: ٣١٤٥، وقال الألباني: حسن لغيره]

(٢) ضعيف: حديث «إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب». أخرجه الحاكم وصحح إسناده والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود. [انظر ضعيف الترغيب: ١٠٧٦]

(٣) ضعيف جدًا: حديث «من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله». أخرجه ابن ماجه من حديث أبي سعيد بإسناد حسن دون قوله «ومن أكثر... إلى آخره» ورواه أبو يعلى وأحمد بهذه الزيادة وفيه ابن لهيعة. [الحديث مختصرًا عند ابن ماجه: ٤١٧٦ بنحوه، وأحمد: ٢٧٣٢٤، والحديث كاملا انظر السلسلة الضعيفة: ٤٨٧٥]

(٤) صحيح: حديث «قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه». أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة وقد تقدم. [البخاري: ٦٥٠٢]

وواضع اللغة إنما وضع هذه الأسامي أولًا للخلق فإنّ الخلق أسبق إلى العقول والأفهام من الخالق، فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوّز والنقل. والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملائم، وهذا إنما يتصور في نفس ناقصة فاتها ما يوافقها فتستفيد بنيله كمالًا فتلتذ بنيله، وهذا محال على الله تعالى، فإن كل كمال وجمال وبهاء وجلال ممكن في حق الإلهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول أبدًا وأزلًا، ولا يتصور تجدّده ولا زواله، فلا يكون له إلى غيره نظر من حيث إنه غيره بل نظره إلى ذاته وأفعاله فقط، وليس في الوجود إلا ذاته وأفعاله، ولذلك قال الشيخ أبو سعيد الميهني رحمه الله تعالى لما قرىء عليه قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤] فقال: بحق يحبهم فإنه ليس يحب إلا نفسه على معنى أنه الكل وأن ليس في الوجود غيره فمن لا يحب إلا نفسه وأفعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هي متعلقة بذاته، فهو إذن لا يحب إلا نفسه، وما ورد من الألفاظ في حبه لعباده فهو مؤوّل ويرجع معناه إلى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه وإلى تمكينه إياه من القرب منه وإلى إرادته ذلك به في الأزل، فحبه لمن أحبه أزلي مهما أضيف إلى الإرادة الأزلية التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طرق هذا القرب، وإذا أضيف إلى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضي له كما قال تعالى: «لا يزال عبدي يتقرّب إلي بالنوافل حتى أحبه» فيكون تقرّبه بالنوافل سببًا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه، فكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه.

ولا يفهم هذا إلا بمثال وهو أن الملك قد يقرّب عبده من نفسه ويأذن له في كل وقت في حضور بساطه لميل الملك إليه، إما لينصره بقوته أو ليستريح بمشاهدته أو ليستشيره في رأيه أو ليهيىء أسباب طعامه وشرابه، فيقال: إن الملك يحبه، ويكون معناه ميله إليه لما فيه من المعنى الموافق الملائم له. وقد يقرب عبدًا ولا يمنعه من الدخول عليه لا للانتفاع به ولا للاستنجاد به ولكن لكون العبد في نفسه موصوفًا من الأخلاق الرضية والخصال الحميدة بما يليق به أن يكون قريبًا من حضرة الملك وافر الحظ من قربه، مع أن الملك لا غرض له فيه أصلًا، فإذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال: قد أحبه، وإذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال: قد توصل وحبب نفسه إلى الملك. فحب الله للعبد إنما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الأول. وإنما يصح تمثيله بالمعنى الثاني بشرط أن لا يسبق إلى فهمك دخول تغير عليه عند تجدّد القرب، فإنّ الحبيب هو القريب من الله تعالى، والقرب من الله في البعد من صفات البهائم والسباع والشياطين، والتخلق بمكارم الأخلاق التي هي الأخلاق الإلهية، فهو قرب بالصفة لا بالمكان، ومن لم يكن قريبًا فصار قريبًا فقد تغير، فربما يظن بهذا أن القرب لما تجدّد فقد تغير وصف العبد والرب جميعًا إذ صار قريبًا بعد أن لم يكن وهو محال في حق الله

تعالى، إذ التغير عليه محال، بل لا يزال في نعوت الكمال والجلال على ما كان عليه في أزل الآزال.

ولا ينكشف هذا إلا بمثال في القرب بين الأشخاص، فإن الشخصين قد يتقاربان بتحرّكهما جميعًا، وقد يكون أحدهما ثابتًا فيتحرّك الآخر فيحصل القرب بتغير في أحدهما من غير تغير في الآخر، بل القرب في الصفات أيضًا كذلك، فإنّ التلميذ يطلب القرب من درجة أستاذه في كمال العلم وجماله والأستاذ واقف في كمال علمه غير متحرّك بالنزول إلى درجة تلميذه، والتلميذ متحرّك مترق من حضيض الجهل إلى ارتفاع العلم، فلا يزال دائبًا في التغير والترقي إلى أن يقرب من أستاذه والأستاذ ثابت غير متغير، فكذلك ينبغي أن يفهم ترقي العبد في درجات القرب، فكلما صار أكمل صفة وأتم علمًا وإحاطة بحقائق الأمور وأثبت قوّة في قهر الشيطان وقمع الشهوات وأظهر نزاهة عن الرذائل صار أقرب من درجة الكمال، ومنتهى الكمال لله وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله. نعم قد يقدر التلميذ على القرب من الأستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذلك في حق الله محال، فإنه لا نهاية لكماله، وسلوك العبد في درجات الكمال متناه ولا ينتهي إلا إلى حدّ محدود فلا مطمع له في المساواة، ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتًا لا نهاية له أيضًا لأجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال.

فإذن محبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه.

وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى درك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه فاقد له، فلا جرم يشتاق إلى ما فاته، وإذا أدرك منه شيئًا يلتذ به، والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى.

فإن قلت: محبة الله للعبد أمر ملتبس فبم يعرف العبد أنه حبيب الله؟ فأقول: يستدل عليه بعلاماته. وقد قال ﷺ: «إذا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا ابْتَلاهُ فَإِذا أَحَبَّهُ الحُبَّ البَالِغَ اقْتَنَاهُ» قيل: وما اقتناه؟ قال: «لَمْ يَتْرُكَ لَهُ أَهْلًا وَلا مَالًا»[1]، فعلامة محبة الله للعبد أن يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره.

قيل لعيسى عليه السلام: لم لا تشتري حمارًا فتركبه؟ فقال: أنا أعز على الله تعالى من أن يشغلني عن نفسه بحمار. وفي الخبر: «إذا أَحَبَّ اللَّهُ تَعَالَى عَبْدًا ابْتَلاهُ فإنْ صَبِرَ اجْتَبَاهُ فَإِنْ رَضِيَ اصْطَفَاهُ»[2] وقال بعض العلماء: إذا رأيتك تحبه ورأيته يبتليك فاعلم أنه يريد أن يصافيك. وقال بعض المريدين لأستاذه: قد طولعت بشيء من المحبة فقال: يا بني هل ابتلاك

(١) حديث «إذا أحب الله عبدا ابتلاه». أخرجه الطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني وقد تقدم.

(٢) حديث «إذا أحب الله عبدا ابتلاه فإن صبر اجتباه فإن رضي اصطفاه». ذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب ولم يخرجه ولده في مسنده.

بمحبوب سواه فأثرت عليه إياه؟ قال: لا، قال: فلا تطمع في المحبة فإنه لا يعطيها عبدًا حتى يبلوه. وقد قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ تَعَالَى عَبْدًا جَعَلَ لَهِ وَاعِظًا مِنْ نَفْسِهِ وَزَاجِرًا مِنْ قَلْبِهِ يَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ» (١)، وقد قال ﷺ: «إذا أراد الله تعالى بعبد خيرًا بصره بعيوب نفسه» (٢)، فأخص علاماته حبه لله تعالى فإنّ ذلك يدل على حب الله تعالى له.

وأما الفعل الدال على كونه محبوبًا فهو أن يتولى الله تعالى أمره ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لأمره والمزين لأخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدّد لظاهره وباطنه والجاعل همومه همًّا واحدًا والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بلذة المناجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته. فهذا وأمثاله هو علامة حب الله للعبد. فلنذكر الآن علامة محبة العبد لله تعالى فإنها أيضًا من علامات حب الله تعالى للعبد.

القول في علامات محبة العبد لله تعالى:

اعلم أنّ المحبة يدّعيها كل أحد وما أسهل الدعوى وما أعز المعنى، فلا ينبغي أن يغتر الإنسان بتلبيس الشيطان وخدع النفس مهما ادعت محبة الله تعالى ما لم يمتحنها بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين والأدلة. والمحبة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وثمارها تظهر في القلب واللسان والجوارح. وتدل تلك الآثار الفائضة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الأشجار وهي كثيرة.

فمنها: حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة في دار السلام، فلا يتصوّر أن يحب القلب محبوبًا إلا ويحب مشاهدته ولقاءه، وإذا علم أنه لا وصول إلا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت فينبغي أن يكون محبًّا للموت غير فارّ منه، فإنّ المحب لا يثقل عليه السفر عن وطنه إلى مستقر محبوبه ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول إلى المشاهدة.

قال ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ» (٣)، وقال حذيفة عند الموت: حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم. وقال بعض السلف: ما من خصلة أحب إلى الله أن تكون في العبد بعد حب لقاء الله من كثرة السجود فقدّم حب لقاء الله على السجود. وقد شرط الله سبحانه

---

(١) ضعيف: حديث «إذا أحب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه». أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أم سلمة بإسناد حسن بلفظ «إذا أراد الله بعبد خيرا». [انظر السلسلة الضعيفة: ٢١٢٤]

(٢) حديث «إذا أراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه». أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بزيادة فيه بإسناد ضعيف.

(٣) صحيح: حديث «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه». متفق عليه من حديث أبي هريرة وعائشة. [البخاري: ٦٥٠٧، ومسلم: ١٥٧ عن عائشة، ومسلم: ٢٦٨٥ عن أبي هريرة]

لحقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله، حيث قالوا إنا نحب الله فجعل القتل في سبيل الله وطلب الشهادة علامته فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا﴾ [الصف:٤] وقال عز وجل: ﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ﴾ [التوبة:١١١] وفي وصية أبي بكر لعمر رضي الله تعالى عنهما: الحق ثقيل وهو مع ثقله مريء والباطل خفيف وهو مع خفته وبيء، فإن حفظت وصيتي لم يكن غائب أحب إليك من الموت وهو مدركك، وإن ضيعت وصيتي لم يكن غائب أبغض إليك من الموت ولن تعجزه. ويروى عن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص قال: حدّثني أبي أنّ عبد الله بن جحش قال له يوم أُحد: ألا ندعو الله؟ فخلوا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال: يا رب إني أقسمت عليك إذا لقيت العدوّ غدًا فلقني رجلًا شديدًا بأسه شديدًا حرده أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني ويبقر بطني، فإذا لقيتك غدًا قلت يا عبد الله من جدع أنفك وأذنك، فأقول: فيك يا رب وفي رسولك، فتقول صدقت. قال سعد: فلقد رأيته آخر النهار وإنّ أنفه وأذنه لمعلقتان في خيط[(١)]

قال سعيد بن المسيب: أرجو أن يبر الله آخر قسمه كما أبر أوّله. وقد كان الثوري وبشر الحافي يقولان: لا يكره الموت إلا مريب؛ لأنّ الحبيب على كل حال لا يكره لقاء حبيبه. وقال البويطي لبعض الزهاد: أتحب الموت؟ فكأنه توقف فقال لو كنت صادقًا لأحببته، وتلا قوله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة:٩٤] فقال الرجل: فقد قال النبي ﷺ: «لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ»[(٢)] ، فقال: إنما قاله لضر نزل به لأنّ الرضا بقضاء الله تعالى أفضل من طلب الفرار منه.

فإن قلت: من لا يحب الموت فهل يتصوّر أن يكون محبًا لله؟ فأقول: كراهة الموت قد تكون لحب الدنيا والتأسف على فراق الأهل والمال والولد، وهذا ينافي كمال حب الله تعالى، لأنّ الحب الكامل هو الذي يستغرق كل القلب، ولكن لا يبعد أن يكون له مع حب الأهل والولد شائبة من حب الله تعالى ضعيفة، فإنّ الناس متفاوتون في الحب. ويدل على التفاوت ما روي أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لما زوّج أخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش في ذلك وقالوا: أنكحت عقيلة من عقائل قريش لمولى؟ فقال: والله لقد أنكحته إياها وإني لأعلم أنه خير منها، فكان قوله ذلك أشد عليهم من فعله، فقالوا: وكيف وهي أختك وهو مولاك؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ

---

(١) حديث إسحاق بن سعد بن أبي وقاص قال: حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد. ألا ندعو الله؟ فخلوا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال: يا رب إني أقسمت عليك إذا لقيت العدو غدا فلقّني رجلا شديدا بأسه. أخرجه الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في الحلية وإسناده جيد.

(٢) **صحيح:** حديث «لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به». متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم. [البخاري: ٦٣٥١، ومسلم: ٢٦٨٠]

يُحِبُّ اللَّهَ بِكُلِّ قَلْبِهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى سَالِمٍ» (١) ، فهذا يدل على أن من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب أيضًا غيره فلا جرم يكون نعيمه بلقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه، وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها.

وأما السبب الثاني للكراهة: فهو أن يكون العبد في ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وإنما يكره عجلته قبل أن يستعد للقاء الله، فذلك لا يدل على ضعف الحب وهو كالمحب الذي وصله الخبر بقدوم حبيبه عليه فأحب أن يتأخر قدومه ساعة ليهيىء له داره ويعد له أسبابه فيلقاه كما يهواه فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظهر عن العوائق، فالكراهة بهذا السبب لا تنافي كمال الحب أصلًا، وعلامته الدءوب في العمل واستغراق الهم في الاستعداد.

ومنها: أن يكون مؤثرًا ما أحبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه فيلزم مشاق العمل ويجتنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل، ولا يزال مواظبًا على طاعة الله ومتقربًا إليه بالنوافل وطالبًا عنده مزايا الدرجات كما يطلب المحب مزيد القرب في قلب محبوبه. وقد وصف الله تعالى المحبين بالإيثار فقال: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] ومن بقي مستقرًا على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه، بل يترك المحب هوى نفسه كما قيل:

أريدُ وصاله ويريد هجري ... فأترك ما أريد لما يريدُ

بل الحب إذا غلب قمع الهوى فلم يبق له تنعم بغير المحبوب، كما روي أن زليخا لما آمنت وتزوج بها يوسف عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت إلى الله تعالى، فكان يدعوها إلى فراشه نهارًا فتدافعه إلى الليل، فإذا دعاها ليلًا سوّفت به إلى النهار وقالت: يا يوسف إنما كنت أحبك قبل أن أعرفه فأما إذ عرفته فما أبقت محبته محبة لسواه وما أريد به بدلًا، حتى قال لها: إن الله جل ذكره أمرني بذلك وأخبرني أنه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين، فقالت: أما إذا كان الله تعالى أمرك بذلك وجعلني طريقًا إليه فطاعة لأمر الله تعالى، فعندها سكنت إليه. فإذن من أحب الله لا يعصيه، ولذلك قال ابن المبارك فيه:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في الفعال بديعُ

لو كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحبَّ لمن يحب مطيعُ

---

(١) موضوع: حديث أبي حذيفة بن عتبة: أنه لما زوج أخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش في ذلك. وفيه: فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول «من أراد أن ينظر إلى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر إلى سالم». لم أره من حديث حذيفة وروى أبو نعيم في الحلية المرفوع منه من حديث عمر «أن سالما يحب الله حقا من قلبه» وفي رواية له «أن سالما شديد الحب لله عز وجل لو لم يخف الله عز وجل ما عصاه» وفيه عبد الله بن لهيعة. [انظر السلسلة الضعيفة: ٣١٧٩]

وفي هذا المعنى قيل أيضًا:

وأترك ما أهوى لما قد هويته فأرضى بما ترضى وإن سخطت نفسي

وقال سهل رحمه الله تعالى: علامة الحب إيثاره على نفسك وليس كل من عمل بطاعة الله عز وجل صار حبيبًا، وإنما الحبيب من اجتنب المناهي. وهو كما قال؛ لأن محبته لله تعالى سبب محبة الله له كما قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤] وإذا أحبه الله تولاه ونصره على أعدائه، وإنما عدوّه نفسه وشهواته فلا يخذله الله ولا يكله إلى هواه وشهواته. ولذلك قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء:٤٥].

فإن قلت: فالعصيان هل يضاد أصل المحبة؟

فأقول: إنه يضاد كمالها ولا يضاد أصلها، فكم من إنسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة ويأكل ما يضره مع العلم بأنه يضره؟ وذلك لا يدل على عدم حبه لنفسه. ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة. ويدل عليه ما روي أنّ نعيمان كان يؤتى به رسول الله ﷺ في كل قليل فيحدّه في معصية يرتكبها إلى أن أتي به يومًا فحدّه، فلعنه رجل وقال: ما أكثر ما يؤتى به رسول الله ﷺ؟ فقال: «لا تَلْعَنْهُ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» (١)، فلم يخرجه بالمعصية عن المحبة. نعم تخرجه المعصية عن كمال الحب وقد قال بعض العارفين: إذا كان الإيمان في ظاهر القلب أحب الله تعالى حبًا متوسطًا، فإذا دخل سويداء القلب أحبه الحب البالغ وترك المعاصي. وبالجملة في دعوى المحبة خطر، ولذلك قال الفضيل: إذا قيل لك أتحب الله تعالى؟ فاسكت، فإنك إن قلت: لا، كفرت وإن قلت: نعم، فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت. ولقد قال بعض العلماء: ليس في الجنة نعيم أعلى من نعيم أهل المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب أشدّ من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشيء من ذلك.

ومنها: أن يكون مستهترًا بذكر الله تعالى لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه، فمن أحب شيئًا أكثر بالضرورة من ذكره وذكر ما يتعلق به، فعلامة حب الله: حب ذكره وحب القرآن الذي هو كلامه وحب رسول الله ﷺ وحب كل من ينسب إليه، فإنّ من يحب إنسانًا يحب كلب محلته. فالمحبة إذا قويت تعدّت من المحبوب إلى كل ما يكتنف بالمحبوب ويحيط به ويتعلق بأسبابه، وذلك ليس شركة في الحب فإنّ من أحب رسول المحبوب لأنه رسوله، وكلامه لأنه كلامه، فلم يجاوز حبه إلى غيره بل هو دليل على كمال حبه، ومن غلب حب الله على قلبه أحب جميع خلق الله لأنهم خلقه، فكيف لا يحب القرآن والرسول وعباد الله

---

(١) صحيح: حديث: أُتي بِنُعَيْمان يوماً، فَحَدَّهُ، فلعنه رجل، قال: ما أكثر ما يؤتى به؟ فقال «لا تلعنه، فإنه يحب الله ورسوله». أخرجه البخاري وقد تقدم. [البخاري: ٦٧٨٠ عن عمر]

الصالحين؟ وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب الأخوة والصحبة ولذلك قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وقال رسول الله ﷺ: «أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ وَأَحِبُّونِي لِلَّهِ تَعَالَى»(١)، وقال سفيان: من أحب من يحب الله تعالى فإنما أحب الله، ومن أكرم من يكرم الله تعالى فإنما يكرم الله. وحكي عن بعض المريدين قال: كنت قد وجدت حلاوة المناجاة في سن الإرادة فأدمنت قراءة القرآن ليلًا ونهارًا ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة قال: فسمعت قائلًا يقول في المنام؟ إن كنت تزعم أنك تحبني فلم جفوت كتابي أما تدبرت ما فيه من لطيف عتابي، قال: فانتبهت وقد أشرب في قلبي محبة القرآن فعاودت إلى حالي. وقال ابن مسعود: لا ينبغي أن يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وإن لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله. وقال سهل رحمة الله تعالى عليه: علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي ﷺ، وعلامة حب النبي ﷺ حب السنَّة، وعلامة حب السنة حب الآخرة، وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا، وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا زادًا وبلغة إلى الآخرة.

ومنها: أن يكون أنسه بالخلوة ومناجاته لله تعالى وتلاوة كتابه، فيواظب على التهجد ويغتنم هدء الليل وصفاء الوقت بانقطاع العوائق، وأقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته، فمن كان النوم والاشتغال بالحديث ألذ عنده وأطيب من مناجاة الله كيف تصح محبته؟ قيل لإبراهيم بن أدهم وقد نزل من الجبل: من أين أقبلت؟ فقال: من الأنس بالله. وفي أخبار داود عليه السلام: لا تستأنس إلى أحد من خلقي، فإني إنما أقطع عني رجلين رجل استبطأ ثوابي فانقطع ورجل نسيني فرضي بحاله، وعلامة ذلك أن أكله إلى نفسه وأن أدعه في الدنيا حيران، ومهما أنس بغير الله كان بقدر أنسه بغير الله مستوحشًا من الله تعالى ساقطًا عن درجة محبته. وفي قصة برخ - وهو العبد الأسود الذي استسقى به موسى عليه السلام - أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: إنّ برخًا نعم العبد هو لي إلا أنّ فيه عيبًا، قال: يا رب وما عيبه؟ قال: يعجبه نسيم الأسحار فيسكن إليه ومن أحبني لم يسكن إلى شيء. وروي أنّ عابدًا عبد الله تعالى في غيضة دهرًا طويلًا فنظر إلى طائر وقد عشش في شجرة يأوي إليها ويصفر عندها، فقال: لو حوّلت مسجدي إلى تلك الشجرة فكنت آنس بصوت هذا الطائر قال: ففعل، فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان قل لفلان العابد: استأنست بمخلوق لأحطنك درجة لا تنالها بشيء من عملك أبدًا. فإذن علامة المحبة كمال الأنس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به وكمال الاستيحاش من كل ما ينغص عليه الخلوة ويعوق عن لذة المناجاة.

---

(١) ضعيف: حديث «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه».تقدم. [انظر ضعيف الجامع: ١٧٦]

وعلامة الأنس مصير العقل والفهم كله مستغرقًا بلذة المناجاة، كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه، وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان في صلاته ووقع الحريق في داره فلم يشعر به، وقطعت رجل بعضهم بسبب علة أصابته وهو في الصلاة فلم يشعر به ومهما غلب عليه الحب والأنس صارت الخلوة والمناجاة قرّة عينه يدفع بها جميع الهموم، بل يستغرق الأنس والحب قلبه حتى لا يفهم أمور الدنيا ما لم تكرّر على سمعه مرارًا، مثل العاشق الولهان فإنه يكلم الناس بلسانه وأنسه في الباطن بذكر حبيبه. فالمحب من لا يطمئن إلا بمحبوبه. وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨] قال: هشت إليه واستأنست به. وقال الصدّيق رضي الله تعالى عنه: من ذاق من خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر. وقال مطرف بن أبي بكر: المحب لا يسأم من حديث حبيبه، وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: قد كذب من ادّعى محبتي إذا جنه الليل نام عني أليس كل محب يحب لقاء حبيبه؟ فها أنا ذا موجود لمن طلبني. وقال موسى عليه السلام: يا رب أين أنت فأقصدك؟ فقال: إذا قصدت فقد وصلت. وقال يحيى بن معاذ: من أحب الله أبغض نفسه. وقال أيضًا: من لم تكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب: يؤثر كلام الله تعالى على كلام الخلق، ولقاء الله تعالى على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق.

ومنها: أن لا يتأسف على ما يفوته مما سوى الله عز وجل ويعظم تأسفه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله تعالى وطاعته، فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف والاستعتاب والتوبة. قال بعض العارفين: إنّ لله عبادًا أحبوه واطمأنوا إليه فذهب عنهم التأسف على الفائت فلم يتشاغلوا بحظ أنفسهم إذ كان ملك مليكهم تامًا، وما شاء كان، فما كان لهم فهو واصل إليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم. وحق المحب إذا رجع من غفلته في لحظته أن يقبل على محبوبه ويشتغل بالعتاب، ويسأله ويقول: رب بأي ذنب قطعت برك عني وأبعدتني عن حضرتك وشغلتني بنفسي وبمتابعة الشيطان؟ فيستخرج ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب يكفر عنه ما سبق من الغفلة، وتكون هفوته سببًا لتجدّد ذكره وصفاء قلبه. ومهما لم ير المحب إلا المحبوب ولم ير شيئًا إلا منه لم يتأسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضا وعلم أنّ المحبوب لم يقدّر له إلا ما فيه خيرته، ويذكر قوله: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦].

ومنها: أن يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها ويسقط عنه تعبها كما قال بعضهم: كابدت الليل عشرين سنة. ثم تنعست به عشرين سنة. وقال الجنيد: علامة المحب دوام النشاط والدءوب بشهوة تفتر بدنه ولا تفتر قلبه. وقال بعضهم: العمل على المحبة لا يدخله الفتور. وقال بعض العلماء: والله ما اشتفى محب لله من طاعته ولو حل بعظيم الوسائل. فكل هذا وأمثاله موجود في المشاهدات، فإنّ العاشق لا يستثقل السعي في هوى معشوقه ويستلذ خدمته بقلبه وإن كان

شاقًا على بدنه. ومهما عجز بدنه كان أحب الأشياء إليه أن تعاوده القدرة وأن يفارقه العجز حتى يشتغل به، فهكذا يكون حب الله تعالى، فإن كل حب صار غالبًا قَهَرَ لا محالة ما هو دونه، فمن كان محبوبه أحب إليه من الكسل ترك الكسل في خدمته، وإن كان أحب إليه من المال ترك المال في حبه. وقيل لبعض المحبين - وقد كان بذل نفسه وماله حتى لم يبق له شيء: ما كان سبب حالك هذه في المحبة؟ فقال: سمعت يومًا محبًا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول: أنا والله أحبك بقلبي كله وأنت معرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب: إن كنت تحبني فأيش تنفق علي؟ قال: يا سيدي أملكك ما أملك ثم أنفق عليك روحي حتى تهلك فقلت: هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بعبيد لمعبود؟ فكل هذا بسببه.

ومنها: أن يكون مشفقًا على جميع عباد الله رحيمًا بهم شديدًا على جميع أعداء الله وعلى كل من يقارف شيئًا مما يكرهه كما قال الله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩] ولا تأخذه لومة لائم ولا يصرفه عن الغضب لله صارف، وبه وصف الله أولياءه إذ قال: الذين يكلفون بحبي كما يكلف الصبي بالشيء ويأوون إلى ذكري كما يأوي النسر إلى وكره، ويغضبون لمحارمه كما يغضب النمر إذا حرد فإنه لا يبالي قل الناس أو كثروا، فانظر إلى هذا المثال فإنّ الصبي إذا كلف بالشيء لم يفارقه أصلًا، وإن أخذ منه لم يكن له شغل إلا البكاء والصياح حتى يرد إليه، فإن نام أخذه معه في ثيابه، فإذا انتبه عاد وتمسك به ومهما فارقه بكى ومهما وجده ضحك، ومن نازعه فيه أبغضه ومن أعطاه أحبه. وأما النمر فإنه لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدّة غضبه أنه يهلك نفسه. فهذه علامات المحبة، فمن تمت فيه هذه العلامات فقد تمت محبته وخلص حبه فصفا في الآخرة شرابه وعَذُب مشربه، ومن امتزج بحبه حب غير الله تنعم في الآخرة بقدر حبه، إذ يمزج شرابه بقدر من شراب المقرّبين كما قال تعالى في الأبرار: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ [المطففين:٢٢] ثم قال: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝﴾ [المطففين:٢٥-٢٨] فإذا طاب شراب الأبرار لشوب الشراب الصرف الذي هو لمقرّبين. والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان، كما أن الكتاب عبر به عن جميع الأعمال فقال: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين:١٨] ثم قال: ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين:٢١] فكان أمارة علو كتابهم أنه ارتفع إلى حيث يشهده المقرّبون، وكما أنّ الأبرار يجدون المزيد في حالهم ومعرفتهم بقربهم من المقرّبين ومشاهدتهم لهم، فكذلك يكون حالهم في الآخرة: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان:٢٨] .

قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء:١٠٤] وكما قال تعالى: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٦] أي وافق أعمالهم فقوبل الخالص بالصرف من الشراب وقوبل المشوب بالمشوب. وشوب كل شراب على قدر ما سبق من الشوب في حبه وأعماله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨] ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠] ، ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] فمن كان حبه في الدنيا رجاءه لنعيم الجنة والحور العين والقصور؛ مكن من الجنة ليتبوّأ منها حيث يشاء فيلعب مع الولدان ويتمتع بالنسوان؛ فهناك تنتهي لذته في الآخرة لأنه إنما يعطى كل إنسان في المحبة ما تشتهيه نفسه وتلذ عينه.

ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك ولم يغلب عليه إلا حبه بالإخلاص والصدق أنزل: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥] فالأبرار يرتعون في البساتين ويتنعمون في الجنان مع الحور العين والولدان. والمقرّبون ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالإضافة إلى ذرّة منها فقوم بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون، وللمجالسة أقوام آخرون، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «أَكْثَرُ أَهْلِ الجَنَّةِ البُلْهُ وَعِلِّيُّونَ لِذَوِي الأَلْبَابِ» (١) ، ولما قصرت الأفهام عن درك معنى عليين عظم أمره فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ [المطففين: ١٩] كما قال تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ ۝ مَا الْقَارِعَةُ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝﴾ [القارعة: ١-٣] .

ومنها: أن يكون في حبه خائفًا متضائلًا تحت الهيبة والتعظيم، وقد يظنّ أنّ الخوف يضاد الحب وليس كذلك، بل إدراك العظمة يوجب الهيبة كما أنّ إدراك الجمال يوجب الحب ولخصوص المحبين مخاوف في مقام المحبة ليست لغيرهم، وبعض مخاوفهم أشدّ من بعض، فأوّلها خوف الإعراض، وأشدّ منه خوف الحجاب، وأشدّ منه خوف الإبعاد، وهذا المعنى في سورة هود هو الذي شيب سيد المحبين (٢) إذ سمع قوله تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ [هود: ٦٨] ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: ٩٥] وإنما تعظم هيبة البعد وخوفه في قلب من ألف القرب وذاقه وتنعم به، فحديث البعد في حق المبعدين يشيب سماعه أهل القرب في القرب، ولا يحن إلى القرب من ألف البعد، ولا يبكي لخوف البعد من لم يمكن من بساط القرب، ثم خوف الوقوف وسلب المزيد، فإنا قدّمنا أن درجات القرب لا نهاية لها وحق العبد أن يجتهد في كل نفس حتى يزاد فيه قربًا، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «مَن اسْتَوَى يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ وَمَنْ كَانَ يَوْمُهُ شَرًّا مِنْ أَمسِهِ فَهُوَ مَلْعُونٌ» (٣) وكذلك قال عليه السلام: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى

---

(١) ضعيف: حديث «أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوي الألباب». أخرجه البزار من حديث أنس بسند ضعيف مقتصرا على الشطر الأول، وقد تقدم، والشطر الثاني من كلام أحمد بن أبي الحواري ولعله أدرج فيه. [الشطر الأول انظر ضعيف الجامع: ١٠٩٦]

(٢) صحيح: حديث «شيبتني هود». أخرجه الترمذي وقد تقدم غير مرة. [الترمذي: ٣٢٩٧، وانظر صحيح الترمذي]

(٣) حديث «من استوى يوما فهو مغبون». لا أعلم هذا إلا في منام لعبد العزيز بن أبي رواد قال: رأيت النبي ﷺ في

قَلْبِي فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ حَتَّى أَسْتَغْفِرَ اللَّهَ سَبْعِينَ مَرَّةً»[١] وإنما كان استغفاره من القدم الأوّل فإنه كان بعدًا بالإضافة إلى القدم الثاني، ويكون ذلك عقوبة لهم على الفتور في الطريق والالتفات إلى غير المحبوب، كما روي أنّ الله تعالى يقول: إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوات الدنيا على طاعتي أن أسلبه لذيذ مناجاتي. فسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبة للعموم، فأما الخصوص فيحجبهم عن المزيد مجرّد الدعوى والعجب والركون إلى ما ظهر من مبادىء اللطف، وذلك هو المكر الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز منه إلا ذوو الأقدام الراسخة، ثم خوف فوت ما لا يدرك بعد فوته. سمع إبراهيم بن أدهم قائلًا يقول وهو في سياحة وكان على الجبل.

كل شيء منك مغفو ر سوى الإعراض عنا
قد وهبنا لك ما فا ت فهب لنا ما فات منا

فاضطرب وغشي عليه فلم يفق يومًا وليلة وطرأت عليه أحوال ثم قال: سمعت النداء من الجبل يا إبراهيم كن عبدًا فكنت عبدًا واسترحت.

ثم خوف السلو عنه فإن المحب يلازمه الشوق والطلب الحثيث فلا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلى إلا بلطف جديد، فإن تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه أو سبب رجعته. والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل عليه الحب من حيث لا يشعر، فإن هذه التقلبات لها أسباب خفية سماوية ليس في قوّة البشر الاطلاع عليها، فإذا أراد الله المكر به واستدراجه أخفى عنه ما ورد عليه من السلو فيقف مع الرجاء ويغتر بحسن النظر أو بغلبة الغفلة أو الهوى أو النسيان، فكل ذلك من جنود الشيطان التي تغلب جنود الملائكة من العلم والعقل والذكر والبيان، وكما أنّ من أوصاف الله تعالى ما يظهر فيقتضي هيجان الحب وهي أوصاف اللطف والرحمة والحكمة، فمن أوصافه ما يلوح فيورث السلو كأوصاف الجبرية والعزة والاستغناء، وذلك من مقدّمات المكر والشقاء والحرمان ثم خوف الاستبدال به فانتقال القلب من حبه إلى حب غيره، وذلك هو المقت والسلو عنه مقدمة هذا المقام والإعراض والحجاب مقدمة السلو وضيق الصدر بالبر وانقباضه عن دوام الذكر وملاله لوظائف الأوراد أسباب هذه المعاني ومقدماتها. وظهور هذه الأسباب دليل على النقل عن مقام الحب إلى مقام المقت ، نعوذ بالله منه ، وملازمة الخوف لهذه الأمور وشدة الحذر منها بصفاء المراقبة دليل صدق الحب، فإنّ من أحب شيئًا خاف لا محالة فقده فلا يخلو المحب عن خوف إذا كان المحبوب مما يمكن فواته. وقد قال بعض العارفين: من عبد الله تعالى بمحبة من غير خوف

النوم فقلت: يا رسول الله أوصني، فقال ذلك بزيادة في آخره. رواه البيهقي في الزهد.

(١) صحيح: حديث «إنه ليغان على قلبي». متفق عليه من حديث الأغر وقد تقدم. [مسلم: ٢٧٠٢، ولم أجده عند البخاري]

هلك بالبسط والإدلال، ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش، ومن عبده من طريق المحبة والخوف أحب الله تعالى فقرّبه ومكنه وعلمه، فالمحب لا يخلو عن خوف والخائف لا يخلو من محبة، ولكن الذي غلبت عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف إلا يسير يقال هو في مقام المحبة ويعد من المحبين، وكان شوب الخوف يسكن قليلًا من سكر الحب، فلو غلب الحب واستولت المعرفة لم تثبت لذلك طاقة البشر، فإنما الخوف يعدله ويخفف وقعه على القلب. فقد روي في بعض الأخبار: أنّ بعض الصديقين سأله بعض الأبدال أن يسأل الله تعالى أن يرزقه ذرّة من معرفته، ففعل ذلك، فهام في الجبال وحار عقله وولّه قلبه وبقي شاخصًا سبعة أيام لا ينتفع بشيء ولا ينتفع به شيء، فسأل له الصديق ربه تعالى فقال: يا رب أنقصه من الذرّة بعضها، فأوحى الله تعالى إليه إنما أعطيناه جزءًا من مائة ألف جزء من المعرفة، وذلك أنّ مائة ألف عبد سألوني شيئًا من المحبة في الوقت الذي سألني هذا، فأخرت إجابتهم إلى أن شفعت أنت لهذا، فلما أجبتك فيما سألت أعطيتهم كما أعطيته، فقسمت ذرّة من المعرفة بين مائة ألف عبد، فهذا ما أصابه من ذلك، فقال: سبحانك يا أحكم الحاكمين أنقصه مما أعطيته فأذهب الله عنه جملة الجزء، وبقي معه عشر معشاره وهو جزء من عشرة آلاف جزء من مائة ألف جزء من ذرة، فاعتدل خوفه وحبه ورجاؤه وسكن وصار كسائر العارفين، وقد قيل في وصف حال العارف:

قريبُ الوجد ذو مرمى بعيد ... عن الأحرار منهم والعبيدِ
غريب الوصف ذو علم غريب ... كأن فؤاده زبر الحديدِ
لقد عزت معانيه وجلت ... عن الأبصار إلا للشهيدِ
يرى الأعياد في الأوقات تجري ... له في كل يوم ألف عيدِ
وللأحباب أفراح بعيد ... ولا يجد السرور له بعيدِ

وقد كان الجنيد رحمه الله ينشد أبياتًا يشير بها إلى أسرار أحوال العارفين وإن كان ذلك لا يجوز إظهاره. وهي هذه الأبيات:

سرت بأناس في الغيوب قلوبهم ... فحلُّوا بقرب الماجد المتفضل
عراصًا بقرب الله في ظل قدسه ... تجول بها أرواحهم وتنقل
مواردهم فيها على العز والنهى ... ومصدرهم عنها لما هو أكمل
تروح بعز مفرد من صفاته ... وفي حلل التوحيد تمشي وترفل
ومن بعد هذا ما تدق صفاته ... وما كتمه أولى لديه وأعدل
سأكتم من علمي به ما يصونه ... وأبذل منه ما أرى الحق يبذل
وأعطي عباد الله منه حقوقهم ... وأمنع منه ما أرى المنع يفضل
على أن للرحمن سرًّا يصونه ... إلى أهله في السر والصون أجمل

وأمثال هذه المعارف التي إليها الإشارة لا يجوز أن يشترك الناس فيها، ولا يجوز أن يظهرها من انكشف له شيء من ذلك لمن لم ينكشف له، بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا، فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا، بل لو أكل الناس كلهم الحلال أربعين يومًا لخربت الدنيا لزهدهم فيها، وبطلت الأسواق والمعايش، بل لو أكل العلماء الحلال لاشتغلوا بأنفسهم ولوقفت الألسنة والأقلام عن كثير مما انتشر من العلوم، ولكن لله تعالى فيما هو شر في الظاهر أسرار وحكم، كما أن له في الخير أسرارًا وحكمًا، ولا منتهى لحكمته كما لا غاية لقدرته.

ومنها: كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقي من إظهار الوجد والمحبة تعظيمًا للمحبوب وإجلالًا له وهيبة منه وغيره على سره، فإن الحب سر من أسرار الحبيب ولأنه قد دخل في الدعوى ما يتجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء وتعظم العقوبة عليه في العقبى وتتعجل عليه البلوى في الدنيا. نعم قد يكون للمحب سكرة في حبه حتى يدهش فيه وتضطرب أحواله فيظهر عليه حبه، فإن وقع ذلك عن غير تمحل أو اكتساب فهو معذور لأنه مقهور، وربما تشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه. فالقادر على الكتمان يقول:

وقالوا: قريب، قلت: ما أنا صانع ... بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري
فما لي منه غير ذكر بخاطر ... يهيج نار الحب والشوق في صدري

والعاجز عنه يقول:

يخفى فيبدي الدمع أسراره ... ويظهر الوجدَ عليه النفسُ

ويقول أيضًا:

ومن قلبه مع غيره كيف حاله ... ومن سرّه في جفنه كيف يكتُم؟

وقد قال بعض العارفين: أكثر الناس من الله بعدًا أكثرهم إشارة به. كأنه أراد: من يكثر التعريض به في كل شيء ويظهر التصنع بذكره عند كل أحد فهو ممقوت عند المحبين والعلماء بالله عز وجل. ودخل ذو النون المصري على بعض إخوانه ، ممن كان يذكر المحبة ، فرآه مبتلى ببلاء فقال: لا يحبه من وجد ألم ضره فقال الرجل: لكني أقول لا يحبه من لم يتنعم بضره، فقال ذو النون: ولكني أقول: لا يحبه من شهر نفسه بحبه، فقال الرجل: أستغفر الله وأتوب إليه.

فإن قلت: المحبة منتهى المقامات وإظهارها إظهار للخير فلماذا يستنكر؟

فاعلم أنّ المحبة محمودة وظهورها محمود أيضًا، وإنما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيها من الدعوى والاستكبار، وحق المحب أن ينم على حبه الخفي أفعاله وأحواله دون أقواله وأفعاله. وينبغي أن يظهر حبه من غير قصد منه إلى إظهار الحب ولا إلى إظهار الفعل الدال

على الحب، بل ينبغي أن يكون قصد المحب إطلاع الحبيب فقط، فأما إرادته إطلاع غيره فشرك في الحب وقادح فيه، كما ورد في الإنجيل: إذا تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم شمالك ما صنعت يمينك. فالذي يرى الخفيات يجزيك علانية وإذا صمت فاغسل وجهك وادهن رأسك لئلا يعلم بذلك غير ربك. فإظهار القول والفعل كله مذموم إلا إذا غلب سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الأعضاء فلا يلام فيه صاحبه.

حكي أن رجلًا رأى من بعض المجانين ما استجهله فيه فأخبر ذلك معروفًا الكرخي رحمه الله فتبسم ثم قال: يا أخي له محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذي رأيته من مجانينهم. ومما يكره: التظاهر بالحب، بسبب أنّ المحب إن كان عارفًا ، وعرف أحوال الملائكة في حبهم الدائم وشوقهم اللازم الذي به يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، لاستنكف من نفسه ومن إظهار حبه وعلم قطعًا أنه من أخس المحبين في مملكته وأنّ حبه أنقص من حب كل محب لله. قال بعض المكاشفين من المحبين: عبدت الله تعالى ثلاثين سنة بأعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت أنّ لي عند الله شيئًا، فذكر أشياء من مكاشفات آيات السموات في قصة طويلة قال في آخرها: فبلغت صفًّا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شيء، فقلت: من أنتم؟ فقالوا: نحن المحبون لله عز وجل نعبده هاهنا منذ ثلاثمائة ألف سنة ما خطر على قلوبنا قط سواه ولاذكرنا غيره، قال: فاستحييت من أعمالي فوهبتها لمن حق عليه الوعيد تخفيفًا عنه في جهنم.

فإذن من عرف نفسه وعرف ربه واستحيا منه حق الحياء خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى. نعم يشهد على حبه حركاته وسكناته وإقدامه وإحجامه وترددداته؛ كما حكي عن الجنيد أنه قال: مرض أستاذنا السريّ رحمه الله فلم نعرف لعلته دواء ولا عرفنا لها سببًا، فوصف لنا طبيب حاذق. فأخذ قارورة مائه فنظر إليها الطبيب وجعل ينظر إليها مليًا ثم قال لي: أراه بول عاشق قال الجنيد: فصعقت وغشي علي ووقعت القارورة من يدي، ثم رجعت إلى السري فأخبرته، فتبسم وقال: قاتله الله ما أبصره قلت: يا أستاذ وتبين المحبة في البول؟ قال: نعم.

وقد قال السري مرة: لو شئت أقول: ما أيبس جلدي على عظمي ولا سل جسمي إلا حبه ثم غشي عليه. وتدل الغشية على أنه أفصح في غلبة الوجد ومقدّمات الغشية. فهذه مجامع علامات الحب وثمراته.

ومنها : الأنس والرضا ، كما سيأتي.

وبالجملة : جميع محاسن الدين ومكارم الأخلاق ثمرة الحب، وما لا يثمره الحب فهو اتباع الهوى وهو من رذائل الأخلاق. نعم قد يحب الله لإحسانه إليه وقد يحبه لجلاله وجماله

وإن لم يحسن إليه. والمحبون لا يخرجون عن هذين القسمين، ولذلك قال الجنيد: الناس في محبة الله تعالى عام وخاص، فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام إحسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا أن أرضوه إلا أنهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والإحسان؛ فأما الخاصة فنالوا المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرّد بالملك. ولما عرفوا صفاته الكاملة وأسماءه الحسنى لم يمتنعوا أن أحبوه إذ استحق عندهم المحبة بذلك، لأنه أهل لها ولو أزال عنهم جميع النعم، نعم من الناس من يحب هواه. وعدوّ الله إبليس - وهو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الغرور والجهل - فيظن أنه محب لله عز وجل وهو الذي فقدت فيه هذه العلامات، أو يلبس بها نفاقًا ورياء وسمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف ذلك، كعلماء السوء وقراء السوء أولئك بغضاء الله في أرضه، وكان سهل إذا تكلم مع إنسان قال: يا دوست ، أي يا حبيب ، فقيل له: قد لا يكون حبيبًا فكيف تقول هذا؟ فقال في أذن القائل سرًا: لا يخلو إما أن يكون مؤمنًا أو منافقًا: فإن كان مؤمنًا فهو حبيب الله عز وجل، وإن كان منافقًا فهو حبيب إبليس: وقد قال أبو تراب النخشبي ، في علامات المحبة ، أبياتًا:

لا تخدعنّ فللحبيب دلائل ... ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمر بلائه ... وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة ... والفقر إكرام وبر عاجل
ومن الدلائل أن ترى من عزمه ... طوع الحبيب وإن ألح العاذل
ومن الدلائل أن يرى متبسمًا ... والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلائل أن يرى متفهمًا ... لكلام من يحظى لديه السائل
ومن الدلائل أن يرى متقشفًا ... متحفظًا من كل ما هو قائل

وقال يحيى بن معاذ:

ومن الدلائل أن تراه مشمرًا ... في خرقتين على شطوط الساحل
ومن الدلائل حزنه ونحيبه ... جوف الظلام فما له من عاذل
ومن الدلائل أن تراه مسافرًا ... نحو الجهاد وكل فعل فاضل
ومن الدلائل زهده فيما يرى ... من دار ذل والنعيم الزائل
ومن الدلائل أن تراه باكيًا ... أن قد رآه على قبيح فعائل
ومن الدلائل أن تراه مسلمًا ... كل الأمور إلى المليك العادل
ومن الدلائل أن تراه راضيًا ... بمليكه في كل حكم نازل
ومن الدلائل ضحكه بين الورى ... والقلب محزون كقلب الثاكل

بيان معنى الأنس بالله تعالى:

قد ذكرنا أنّ الأنس والخوف والشوق من آثار المحبة، إلا أن هذه آثار مختلفة تختلف على

المحب بحسب نظره وما يغلب عليه في وقته، فإذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب إلى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب إلى الطلب وانزعج له وهاج إليه، وتسمى هذه الحالة في الانزعاج شوقًا وهو بالإضافة إلى أمر غائب، وإذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورًا على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت إلى ما لم يدركه بعد؛ استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره أنسًا، وإن كان نظره إلى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر إمكان الزوال والبعد تألم القلب بهذا الاستشعار فيسمى تألمه خوفًا. وهذه الأحوال تابعة لهذه الملاحظات، والملاحظات تابعة لأسباب تقتضيها لا يمكن حصرها، فالأنس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال، حتى إنه إذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرّق إليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته، ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له: أنت مشتاق؟ فقال: لا إنما الشوق إلى غائب، فإذا كان الغائب حاضرًا فإلى من يشتاق؟ وهذا كلام مستغرق بالفرح بما ناله غير ملتفت إلى ما بقي في الإمكان من مزايا الألطاف.

ومن غلب عليه حال الأنس لم تكن شهوته إلا في الانفراد والخلوة، كما حكي أنّ إبراهيم بن أدهم نزل من الجبل فقيل له: من أين أقبلت؟ فقال: من الأنس بالله، وذلك لأن الأنس بالله يلازمه التوحش من غير الله، بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من أثقل الأشياء على القلب، كما روي أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرًا لا يسمع كلام أحد من الناس إلا أخذه الغثيان؛ لأن الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ما سواه. ولذلك قال بعض الحكماء في دعائه: يا من آنسني بذكره وأوحشني من خلقه، وقال الله عز وجل لداود عليه السلام: كن لي مشتاقًا وبي متأنسًا ومن سواي مستوحشًا، وقيل لرابعة: بم نلت هذه المنزلة؟ قالت: بتركي ما لا يعنيني وأنسي بمن لم يزل. وقال عبد الواحد بن زيد: مررت براهب فقلت له يا راهب لقد أعجبتك الوحدة؟ فقال: يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت إليها من نفسك، الوحدة رأس العبادة، فقلت يا راهب ما أقل ما تجده في الوحدة؟ قال: الراحة من مداراة الناس والسلام من شرهم، قلت: يا راهب متى يذوق العبد حلاوة الأنس بالله تعالى؟ قال: إذا صفا الود وخلصت المعاملة، قلت: ومتى يصفو الود؟ قال: إذا اجتمع الهم فصار همًّا واحدًا في الطاعة، وقال بعض الحكماء: عجبًا للخلائق كيف أرادوا بك بدلًا؟ عجبًا للقلوب كيف استأنست بسواك عنك؟.

فإن قلت: فما علامة الأنس؟.

فاعلم أنّ علامته الخاصة ضيق الصدر من معاشرة الخلق والتبرم بهم واستهتاره بعذوبة الذكر، فإن خالط فهو كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في حضور مخالط بالبدن منفرد بالقلب مستغرق بعذوبة الذكر

كما قال علي كرّم الله وجهه في وصفهم: هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعر المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى، أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه. فهذا معنى الأنس بالله وهذه علامته وهذه شواهده.

وقد ذهب بعض المتكلمين إلى إنكار الأنس والشوق والحب لظنه أن ذلك يدل على التشبيه، وجهله بأن جمال المدركات بالبصائر أكمل من جمال المبصرات، ولذة معرفتها أغلب على ذوي القلوب ومنهم أحمد بن غالب، يعرف بغلام الخليل أنكر على الجنيد وعلى أبي الحسن النوري والجماعة حديث الحب والشوق والعشق حتى أنكر بعضهم مقام الرضا، وقال: ليس إلا الصبر فأما الرضا فغير متصوّر. وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين إلا على القشور فظن أنه لا وجود إلا للقشر، فإن المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال من طريق الدين قشر مجرد ووراءه اللب المطلوب، فمن لم يصل من الجوز إلا إلى قشره يظن أنّ الجوز خشب كله، ويستحيل عنده خروج الدهن منه لا محالة وهو معذور ولكن عذره غير مقبول وقد قيل:

الأنس بالله لا يحويه بطال ... وليس يدركه بالحول محتالُ
والآنسون رجال كلهم نجب ... وكلهم صفوة لله عمالُ

بيان معنى الانبساط والإدلال الذي تثمره غلبة الأنس:

اعلم أن الأنس إذا دام وغلب واستحكم ولم يشوّشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف التغير والحجاب فإنه يثمر نوعًا من الانبساط في الأقوال والأفعال والمناجاة مع الله تعالى، وقد يكون منكر الصورة لما فيه من الجرأة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن أقيم في مقام الأنس، ومن لم يقم في ذلك المقام ويتشبه بهم في الفعل والكلام هلك به وأشرف على الكفر.

ومثاله: مناجاة برخ الأسود الذي أمر الله تعالى كليمه موسى عليه السلام أن يسأله ليستسقي لبني إسرائيل؛ بعد أن قحطوا سبع سنين وخرج موسى عليه السلام ليستسقي لهم في سبعين ألفًا، فأوحى الله عز وجل إليه: كيف أستجيب لهم وقد أظلمت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويأمنون مكري، ارجع إلى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى أستجيب له، فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يعرف، فبينما موسى ذات يوم يمشي في طريق إذا بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود، في شملة قد عقدها على عنقه، فعرفه موسى عليه السلام بنور الله عز وجل فسلم عليه وقال له: ما اسمك؟ فقال: اسمي برخ، قال: فأنت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق لنا. فخرج فقال في كلامه: ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك؟ وما الذي بدا لك أنقصت عليك عيونك أم عاندت الرياح عن طاعتك أم نفد ما عندك أم اشتد غضبك على المذنبين؟ ألست كنت غفارًا قبل خلق

الخطائين؟ خلقت الرحمة وأمرت بالعطف، أم ترينا أنك ممتنع أم تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة، قال فما برح حتى اخضلت بنو إسرائيل بالقطر وأنبت الله تعالى العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب، قال: فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال: كيف رأيت حين خاصمت ربي كيف أنصفني؟ فهم موسى عليه السلام به، فأوحى الله تعالى إليه: إن برخًا يضحكني كل يوم ثلاث مرات. وعن الحسن قال: احترقت أخصاص بالبصرة فبقي في وسطها خص لم يحترق، وأبو موسى يومئذ أمير البصرة، فأخبر بذلك فبعث إلى صاحب الخص، قال: فأتي بشيخ فقال: يا شيخ ما بال خصك لم يحترق؟ قال: إني أقسمت على ربي عز وجل أن لا يحرقه، فقال أبو موسى رضي الله عنه: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَكُونُ في أُمَّتِي قَوْمٌ شَعِثَةٌ رُءوسُهُمْ، دَنِسَةٌ ثِيَابُهُمْ لَوْ أَقْسَمُوا عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُمْ»[1]، قال: ووقع حريق بالبصرة فجاء أبو عبيدة الخوّاص فجعل يتخطى النار، فقال له أمير البصرة: انظر لا تحترق بالنار، فقال: إني أقسمت على ربي عز وجل أن لا يحرقني بالنار، قال: فاعزم على النار أن تطفأ، قال: فعزم عليها فطفئت. وكان أبو حفص يمشي ذات يوم فاستقبله رستاقي مدهوش فقال له أبو حفص: ما أصابك؟ فقال: ضل حماري ولا أملك غيره، قال: فوقف أبو حفص وقال: وعزتك لا أخطو خطوة ما لم ترد عليه حماره، قال: فظهر حماره في الوقت ومرّ أبو حفص رحمه الله.

فهذا وأمثاله يجري لذوي الأنس وليس لغيرهم أن يتشبه بهم. قال الجنيد رحمه الله: أهل الأنس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم أشياء هي كفر عند العامة. وقال مرة: لو سمعها العموم لكفروهم وهم يجدون المزيد في أحوالهم بذلك.

وذلك يحتمل منهم ويليق بهم وإليه أشار القائل:

قوم تخالجهم زهو بسيدهم ... والعبد يزهو على مقدار مولاهُ
تاهوا برؤيته عما سواه له ... يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا

ولا تستبعدون رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف مقامهما، ففي القرآن تنبيهات على هذه المعاني ولو فطنت وفهمت، فجميع قصص القرآن تنبيهات لأولي البصائر والأبصار حتى ينظروا إليها بعين الاعتبار، فإنما هي عند ذوي الاعتبار من الأسماء.

فأوّل القصص، قصة آدم عليه السلام وإبليس أما تراهما كيف اشتركا في اسم المعصية والمخالفة ثم تباينا في الاجتباء والعصمة. أما إبليس فأبلس عن رحمته، وقيل إنه من المبعدين. وأما آدم عليه السلام فقيل فيه: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: ١٢١-١٢٢].

---

(١) حديث الحسن عن أبي موسى «يكون في أمتي قوم شعثة رؤوسهم دنسة ثيابهم لو أقسموا على الله لأبرهم». أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء وفيه انقطاع وجهالة.

وقد عاتب الله نبيه ﷺ في الإعراض عن عبد والإقبال على عبد، وهما في العبودية سيان ولكن في الحال مختلفان، فقال: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝﴾ [عبس :٨-١٠] وقال في الآخر: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ [عبس :٥-٦] وكذلك أمره بالقعود مع طائفة، فقال عز وجل: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام :٥٤] وأمره بالإعراض عن غيرهم، فقال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام :٦٨] حتى قال: ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام :٦٨] وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾ [الكهف :٢٨] .

فكذلك الانبساط والإدلال يحتمل من بعض العباد دون بعض. فمن انبساط الأنس قول موسى عليه السلام: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ [الأعراف :١٥٥] وقوله في التعليل والاعتذار لما قيل له: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ [طه :٢٤] فقال: ﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ﴾ [الشعراء :١٤] وقوله: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾ [الشعراء: ١٢-١٣] وقوله: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [طه :٤٥] وهذا من غير موسى عليه السلام من سوء الأدب لأن الذي أقيم مقام الأنس يلاطف ويحتمل، ولم يحتمل ليونس عليه السلام ما دون هذا لما أقيم مقام القبض والهيبة، فعوقب بالسجن في بطن الحوت ، في ظلمات ثلاث ، ونودي عليه إلى يوم القيامة: ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [القلم :٤٩] . قال الحسن: العراء هو القيامة. ونهي نبينا ﷺ أن يقتدي به. وقيل له: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم :٤٨] .

وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الأحوال والمقامات وبعضها لما سبق في الأزل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد، وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء :٥٥] وقد قال: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة :٢٥٣] فكان عيسى عليه السلام من المفضلين ولإدلاله سلم على نفسه، فقال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم :٣٣] وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الأنس.

وأما يحيى بن زكريا عليه السلام فإنه أقيم مقام الهيبة والحياء فلم ينطق حتى أثنى عليه خالقه، فقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ﴾ [مريم :١٥] .

وانظر كيف احتمل لإخوة يوسف ما فعلوه بيوسف وقد قال بعض العلماء: قد عددت من أوّل قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾ [يوسف :٨] إلى رأس العشرين من أخباره تعالى عن زهدهم فيه نيفًا وأربعين خطيئة بعضها أكبر من بعض، وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلاث والأربع، فغفر لهم وعفا عنهم ولم يحتمل العزير في مسألة واحدة سأل عنها في القدر، حتى قيل محي من ديوان النبوّة وكذلك كان بلعام بن باعوراء من أكابر العلماء

فأكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك. وكان آصف من المسرفين وكانت معصيته في الجوارح فعفا عنه. فقد روي أن الله تعالى أوحى إلى سليمان عليه السلام: يا رأس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين إلى كم يعصيني ابن خالتك آصف وأنا أحلم عليه مرّة بعد مرّة فوعزتي وجلالي لئن أخذته عصفة من عصفاتي عليه لأتركنه مثلة لمن معه ونكالاً لمن بعده، فلما دخل آصف على سليمان عليه السلام أخبره بما أوحى الله تعالى إليه فخرج حتى علا كثيبًا من رمل، ثم رفع رأسه ويديه نحو السماء وقال: إلهي وسيدي أنت أنت وأنا أنا فكيف أتوب إن لم تتب علي وكيف أستعصم؟ إن لم تعصمني لأعودنّ، فأوحى الله تعالى إليه: صدقت يا آصف أنت أنت وأنا أنا أستقبل التوبة وقد تبت عليك وأنا التواب الرحيم، وهذا كلام مدل به عليه وهارب منه إليه وناظر به إليه.

وفي الخبر: «إنّ الله تعالى أوحى إلى عبد تداركه بعد أن كان أشفى على الهلكة كم من ذنب واجهتني به غفرته لك قد أهكلت في دونه أمة من الأمم» فهذه سنة الله تعالى في عباده بالتفضيل والتقديم والتأخير على ما سبقت به المشيئة الأزلية.

وهذه القصص وردت في القرآن لتعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا من قبل، فما في القرآن شيء إلا وهو هدى ونور وتعرف من الله تعالى إلى خلقه، فتارة يتعرّف إليهم بالتقديس فيقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝﴾ [الإخلاص:١-٤] وتارة يتعرف إليهم بصفات جلاله فيقول: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر:٢٣] وتارة يتعرّف إليهم في أفعاله المخوفة والمرجوّة فيتلو عليهم سنته في أعدائه وفي أنبيائه فيقول: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ [الفجر:٦-٧] ، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [الفيل:١] .

ولا يعدو القرآن هذه الأقسام الثلاثة وهي: الإرشاد إلى معرفة ذات الله وتقديسه، أو معرفة صفاته وأسمائه، أو معرفة أفعاله وسنته مع عباده. ولما اشتملت سورة الإخلاص على أحد هذه الأقسام الثلاثة وهو التقديس وازنها رسول الله ﷺ بثلث القرآن فقال: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الإِخْلاَصِ فَقَدْ قَرَأَ ثُلُثَ القُرْآنِ» (١) ؛ لأنّ منتهى التقديس أن يكون واحدًا في ثلاثة أمور، لا يكون حاصلاً منه من هو نظيره وشبهه. ودل عليه قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ [الإخلاص:٣] ولا يكون حاصلاً ممن هو نظيره وشبهه. ودل عليه قوله: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص:٣] ولا يكون في درجته وإن لم يكن أصلاً له ولا فرعًا من هو مثله. ودل عليه قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤] ويجمع جميع ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص:١] وجملته تفصيل قول:

---

(١) **صحيح**: حديث «من قرأ سورة الإخلاص فقد قرأ ثلث القرآن». أخرجه أحمد من حديث أبي بن كعب بإسناد صحيح ورواه البخاري من حديث أبي سعيد ومسلم من حديث أبي الدرداء نحوه. [البخاري: ٥٠١٤ عن أبي سعيد، ومسلم: ٨١١ عن أبي الدرداء، وأحمد: ٢٦٩٧٦ عن أبي الدرداء، ولم أقف عليه عن أبي بن كعب]

«لا إله إلا الله» فهذه أسرار القرآن ولا تتناهى أمثال هذه الأسرار في القرآن ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩] ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه: نوّروا القرآن والتمسوا غرائبه ففيه علم الأوّلين والآخرين، وهو كما قال، ولا يعرفه إلا من طال في آحاد كلماته فكره وصفا له فهمُه حتى تشهد له كل كلمة منه بأنه كلام جبار قاهر مليك قادر وأنه خارج عن حدّ استطاعة البشر. وأكثر أسرار القرآن معبأة في طي القصص والأخبار، فكن حريصًا على استنباطها ليكشف لك فيه من العجائب ما تستحقر معه العلوم المزخرفة الخارجة عنه. فهذا ما أردنا ذكره من معنى الأنس والانبساط الذي هو ثمرته وبيان تفاوت عباد الله فيه والله سبحانه وتعالى أعلم.

القول في معنى الرضا بقضاء الله تعالى وحقيقته وما ورد في فضيلته:

اعلم أنّ الرضا ثمرة من ثمار المحبة وهو من أعلى مقامات المقرّبين وحقيقته غامضة على الأكثرين، وما يدخل عليه من التشابه والإيهام غير منكشف إلا لمن علمه الله تعالى التأويل وفهمه وفقهه في الدين، فقد أنكر منكرون تصوّر الرضا بما يخالف الهوى ثم قالوا: إن أمكن الرضا بكل شيء لأنه فعل الله فينبغي أن يرضى بالكفر والمعاصي وانخدع بذلك قوم فرأوا الرضا بالفجور والفسوق وترك الاعتراض والإنكار من باب التسليم لقضاء الله تعالى. ولو انكشفت هذه الأسرار لمن اقتصر على سماع ظواهر الشرع لما دعا رسول الله ﷺ لابن عباس حيث قال: «اللّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعلمْهُ التَّأْوِيلَ» (١)، فلنبدأ ببيان فضيلة الرضا، ثم بحكايات أحوال الراضين، ثم نذكر حقيقة الرضا وكيفية تصوّره فيما يخالف الهوى، ثم نذكر ما يظنّ أنه من تمام الرضا وليس منه كترك الدعاء والسكوت على المعاصي.

بيان فضيلة الرضا:

أما من الآيات فقوله تعالى: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة:١١٩] وقد قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن:٦٠] ومنتهى الإحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عن الله تعالى. وقال تعالى: ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة:٧٢] فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت:٤٥] فكما أنّ مشاهدة المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية مطلب سكان الجنان.

---

(١) صحيح: حديث دعائه لابن عباس «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل». متفق عليه دون قوله «وعلمه التأويل» ورواه أحمد بهذه الزيادة وتقدم في العلم. [البخاري: ١٤٣، ومسلم: ٢٤٧٧، وأحمد: ٢٣٩٣، وانظر السلسلة الصحيحة: ٢٥٨٩]

وفي الحديث «إن الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك»[(١)] ، فسؤالهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل. وأما رضا العبد فسنذكر حقيقته، وأما رضوان الله تعالى عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه في حب الله للعبد، ولا يجوز أن يكشف عن حقيقته إذ تقصر أفهام الخلق عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل بإدراكه من نفسه. وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر إليه فإنما سألوه الرضا لأنه سبب دوام النظر، فكأنهم رأوا غاية الغايات وأقصى الأماني لما ظفروا بنعيم النظر، فلما أمروا بالسؤال لم يسألوا إلا دوامه وعلموا أنّ الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب. وقال الله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق :٣٥] قال بعض المفسرين: يأتي أهل الجنة في وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين؛

إحداها : هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة :١٧] .

والثانية : السلام عليهم من ربهم، فيزيد ذلك على الهدية فضلًا وهو قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس :٥٨] .

والثالثة : يقول الله تعالى: إني عنكم راض فيكون ذلك أفضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة :٧٢] أي من النعيم الذي هم فيه. فهذا فضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا العبد.

وأما من الأخبار : فقد روي أن النبي ﷺ سأل طائفة من أصحابه: «ما أَنْتُمْ؟» فقالوا: مؤمنون، فقال: «ما عَلامَةُ إيمَانِكُمْ؟» فقالوا: نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء. فقال: «مُؤْمِنُونَ وَرَبِّ الكَعْبَةِ» [(٢)] وفي خبر آخر أنه قال: «حُكَمَاء عُلَمَاءُ كادُوا مِنْ فِقْهِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ» [(٣)] ، وفي الخبر: «طوبى لمن هدي للإسلام وكان رزقه كفافًا ورضي به» [(٤)] ، وقال ﷺ: «مَنْ رَضِيَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالقَلِيلِ مِنَ الرِّزْقِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ بِالقَلِيلِ مِنَ العَمَلِ» [(٥)] ، وقال أيضًا: «إذا أَحَبَّ اللَّهُ تَعَالَى عَبْدًا ابْتَلاهُ فَإِنْ صَبَرَ اجْتَبَاهُ فَإِنْ رَضِيَ

---

(١) حسن : حديث «إن الله يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك». أخرجه البزار والطبراني في الأوسط من حديث أنس في حديث طويل بسند فيه لين وفيه «فيتجلى لهم يقول أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي وهذا محل إكرامي فسلوني فيسألونه الرضا... الحديث» ورواه أبو يعلى بلفظ «ثم يقول ماذا تريدون فيقولون رضاك... الحديث» ورجاله رجال الصحيح. [انظر صحيح الترغيب: ٣٧٦١]

(٢) حديث: سأل طائفة من أصحابه «ما أنتم» فقالوا: مؤمنون». تقدم.

(٣) منكر : حديث: أنه قال في حديث آخر «حكماء علماء». تقدم أيضا. [انظر السلسلة الضعيفة: ٢٦١٤]

(٤) صحيح : حديث «طوبى لمن هدي للإسلام وكان رزقه كفافا ورضي به». أخرجه الترمذي من حديث فضالة بن عبيد بلفظ «وقنع» وقال صحيح وقد تقدم. [الترمذي: ٢٣٤٩، وانظر صحيح الترغيب: ٨٣٠]

(٥) ضعيف جدًا : حديث «من رضي من الله بالقليل من الرزق». رويناه في أمالي المحاملي بإسناد ضعيف من حديث علي بن أبي طالب ومن طريق المحاملي رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس. [انظر السلسلة الضعيفة: ١٥٧٣]

اصْطَفَاهُ» وقال أيضًا: «إذا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أَنْبَتَ اللَّه تَعَالَى لِطَائِفَةٍ مِنْ أُمَّتِي أَجْنِحَةً فَيَطِيرُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَى الجِنَانِ يَسْرَحُونَ فِيها وَيَتَنَعَّمُونَ فِيها كَيْفَ شَاءُوا، فَتَقُولُ لَهُمُ المَلائِكَةُ: هَلْ رَأَيْتُمُ الحِسَابَ؟ فَيَقُولُون: ما رَأَيْنَا حِسَابًا، فَتَقُولُ لَهُمْ: هَلْ جُزْتُمُ الصِّرَاطَ؟ فَيَقُولُونَ: ما رَأَيْنَا صِرَاطًا، فَتَقُولُ لَهُمْ: هَلْ رَأَيْتُمْ جَهَنَّمَ؟ فَيَقُولُونَ: ما رَأَيْنَا، فَتَقُولُ المَلائِكَة: مِنْ أُمَّةِ مَنْ أَنْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، فَتَقُولُ: نَاشَدْنَاكُمْ اللَّهَ حَدِّثُونا ما كَانَتْ أَعْمَالُكُمْ فِي الدُّنْيَا، فَيَقُولُونَ: خَصْلَتَانِ كَانَتَا فِينا فَبَلَغْنَا هذِهِ المَنْزِلَةَ بِفَضْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَيَقُولُونَ: وَما هُمَا؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا إذا خَلَوْنَا نَسْتَحِي أَنْ نَعْصِيه وَنَرْضَى بِاليَسِيرِ مِمَّا قُسِمَ لَنَا، فَتَقُولَ المَلائِكَةُ: يَحِقُّ لَكُمْ هذا»[(١)]، وقال ﷺ: «يا مَعْشَرَ الفُقَرَاءِ أَعْطُوا اللَّهَ الرِّضا مِنْ قُلُوبِكُمْ تَظْفَرُوا بِثَوَابِ فَقْرِكُمْ وإلاَّ فَلاَ»[(٢)].

وفي أخبار موسى عليه السلام؛ إن بني إسرائيل قالوا له: سل لنا ربك أمرًا إذا نحن فعلناه يرضى به عنا، فقال موسى عليه السلام: إلهي قد سمعت ما قالوا، فقال: يا موسى قل لهم يرضون عني حتى أرضى عنهم. ويشهد لهذا ما روي عن نبينا ﷺ أنه قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ ما لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلْيَنْظُرْ ما لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ فإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُنْزِلُ العَبْدَ مِنْهُ حَيْثُ أَنْزَلَهُ العَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ»[(٣)].

وفي أخبار داود عليه السلام: ما لأوليائي والهم بالدنيا، إن الهم يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم، يا داود إن محبتي من أوليائي أن يكونوا روحانيين لا يغتمون.

وروي أنّ موسى عليه السلام قال: يا رب دلني على أمر فيه رضاك حتى أعمله، فأوحى الله تعالى إليه: إن رضاي في كرهك وأنت لا تصبر على ما تكره، قال: يا رب دلني عليه، قال: فإنّ رضاي في رضاك بقضائي. وفي مناجاة موسى عليه السلام: أي رب أي خلقك أحب إليك؟ قال: من إذا أخذت منه المحبوب سالمني، قال: فأي خلقك أنت عليه ساخط؟ قال: من ستخيرني في الأمر فإذا قضيت له سخط قضائي. وقد روي ما هو أشدّ من ذلك وهو أنّ الله تعالى قال: «أنا الله لا إله إلا أنا من لم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمتي ولم يرض بقضائي فليتخذ ربًا سواي»[(٤)]، ومثله في الشدّة قوله تعالى فيما أخبر عنه نبينا ﷺ أنه قال: «قَالَ اللَّهُ

---

(١) موضوع: حديث «إذا كان يوم القيامة أنبت الله لطائفة من أمتي أجنحة». رواه ابن حبان في الضعفاء وأبو عبد الرحمن السلمي من حديث أنس مع اختلاف، وفيه حميد بن علي القيس ساقط هالك والحديث منكر مخالف للقرآن، وللأحاديث الصحيحة في الورود وغيره. [انظر السلسلة الضعيفة: ٥٠٧]

(٢) حديث «أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا». تقدم.

(٣) ضعيف: حديث «من أحب أن يعلم ما له عند الله عز وجل». أخرجه الحاكم من حديث جابر وصححه بلفظ «منزلته» و «منزلة الله». [انظر ضعيف الترغيب: ٩١٨]

(٤) ضعيف جدًا: حديث قال الله تعالى« أنا الله لا إله إلا أنا من لم يصبر على بلائي». أخرجه الطبراني في الكبير وابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هند الداري مقتصرًا على قوله «من لم يرض بقضائي ويصبر على بلائي فليلتمس ربا سواي» وإسناده ضعيف. [انظر السلسلة الضعيفة: ٥٠٥]

تَعَالَى قَدَّرْتُ المَقَادِيرَ وَدَبَّرْتُ التَّدْبِيرَ وَأَحْكَمْتُ الصُّنْعَ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا مِنِّي حَتَّى يَلْقَانِي وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخط مني حَتَّى يَلْقَانِي»[(١)] ، وفي الخبر المشهور: «يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه، وويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يديه، وويل ثم ويل لمن قال: لِمَ وكيف»[(٢)] .

وفي الأخبار السالفة أن نبيًّا من الأنبياء شكا إلى الله عز وجل الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما أجيب إلى ما أراد، ثم أوحى الله تعالى إليه كم تشكو، أهكذا كان بدؤك عندي في أم الكتاب قبل أن أخلق السموات والأرض وهكذا سبق لك مني وهكذا قضيت عليك قبل أن أخلق الدنيا، أفتريد أن أعيد خلق الدنيا من أجلك؟ أم تريد أن أبدل ما قدّرته عليك؟ فيكون ما تحب فوق ما أحب ويكون ما تريد فوق ما أريد، وعزتي وجلالي لئن تلجلج هذا في صدرك مرة أخرى لأمحونك من ديوان النبوّة. وروي أنّ آدم عليه السلام كان بعض أولاده الصغار يصعدون على بدنه وينزلون ، يجعل أحدهم رجله على أضلاعه كهيئة الدرج فيصعد إلى رأسه، ثم ينزل على أضلاعه كذلك وهو مطرق إلى الأرض لا ينطق ولا يرفع رأسه ، فقال له بعض ولده: يا أبت أما ترى ما يصنع هذا بك لو نهيته عن هذا؟ فقال: يا بني إني رأيت ما لم تروا، وعلمت ما لم تعلموا، إني تحرّكت حركة واحدة فأهبطت من دار الكرامة إلى دار الهوان ومن دار النعيم إلى دار الشقاء، فأخاف أن أتحرك أخرى فيصيبني ما لا أعلم. وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته، ولا لشيء لم أفعله لم لا فعلته، ولا قال في شيء كان ليته لم يكن، ولا في شيء لم يكن ليته كان، وكان إذا خاصمني مخاصم من أهله يقول دعوه لو قضي شيء لكان[(٣)] . ويروى أنّ الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: يا داود إنك تريد وأريد وإنما يكون ما أريد، فإن سلمت لما أريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد.

وأما الآثار: فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما. أوّل من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله تعالى على كل حال. وقال عمر بن عبد العزيز: ما بقي لي سرور إلا في مواقع القدر، وقيل له: ما تشتهي؟ فقال: ما يقضي الله. وقال ميمون بن مهران: من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء. وقال الفضيل: إن لم تصبر على تقدير الله لم تصبر على تقدير

---

(١) حديث «قال الله تعالى قدرت المقادير ودبرت التدبير». لم أجده بهذا اللفظ، وللطبراني في الأوسط من حديث أبي أمامة «خلق الله الخلق وقضى القضية وأخذ ميثاق النبيين... الحديث» وإسناده ضعيف.

(٢) **ضعيف جدًا:** حديث يقول الله خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه». أخرجه ابن شاهين في شرح السنة عن أبي أمامة بإسناد ضعيف. [انظر السلسلة الضعيفة: ٢٤٢٩ بنحوه]

(٣) **صحيح:** حديث أنس: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته. متفق عليه وقد تقدم. [البخاري: ٦٠٣٨، ومسلم: ٢٣٠٩]

نفسك. وقال عبد العزيز بن أبي رواد: ليس الشأن في أكل خبز الشعير والخل ولا في لبس الصوف والشعر، ولكنّ الشأن في الرضا عن الله عز وجل. وقال عبد الله بن مسعود: لأن ألحس جمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب إليّ من أن أقول لشيء كان ليته لم يكن أو لشيء لم يكن ليته كان. ونظر رجل إلى قرحة في رجل محمد بن واسع، فقال: إني لأرحمك من هذه القرحة، فقال: إني لأشكرها منذ خرجت إذ لم تخرج في عيني.

وروي في الإسرائيليات: أن عابدًا عبد الله دهرًا طويلًا فأري في المنام؛ فلانة الراعية رفيقتك في الجنة؛ فسأل عنها إلى أن وجدها فاستضافها ثلاثًا ينظر إلى عملها، فكان يبيت قائمًا وتبيت نائمة ويظل صائمًا وتظل مفطرة. فقال: أما لك عمل غير ما رأيت؟ فقالت: ما هو والله إلا ما رأيت لا أعرف غيره، فلم يزل يقول: تذكري، حتى قالت: خصيلة واحدة هي فيّ؛ إن كنت في شدّة لم أتمنّ أن أكون في رخاء، وإن كنت في مرض لم أتمن أن أكون في صحة، وإن كنت في الشمس لم أتمن أن أكون في الظل، فوضع العابد يده على رأسه وقال: أهذه خصيلة؟ هذه والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد.

وعن بعض السلف: إن الله تعالى إذا قضى في السماء قضاء أحب من أهل الأرض أن يرضوا بقضائه. وقال أبو الدرداء: ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر. وقال عمر رضي الله عنه: ما أبالي على أي حال أصبحت وأمسيت من شدّة أو رخاء. وقال الثوري يومًا عند رابعة: اللهم ارض عني، فقالت: أما تستحي من الله أن تسأله الرضا وأنت عنه غير راض؟ فقال: أستغفر الله، فقال جعفر بن سليمان الضبعي: فمتى يكون العبد راضيًا عن الله تعالى؟ قالت: إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة. وكان الفضيل يقول: إذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضي عن الله تعالى، وقال أحمد بن أبي الحواري: قال أبو سليمان الداراني: إنّ الله عز وجل من كرمه قد رضي من عبيده بما رضي العبيد من مواليهم قلت: وكيف ذاك؟ قال: أليس مراد العبد من الخلق أن يرضى عنه مولاه؟ قلت: نعم، قال: فإن محبة الله من عبيده أن يرضوا عنه.

وقال سهل: حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله عز وجل. وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِحِكْمَتِهِ وَجَلالِهِ جَعَلَ الرَّوحَ وَالفَرَحَ فِي الرِّضَا وَاليَقِينِ، وَجَعَلَ الغَمَّ وَالحُزْنَ فِي الشَّكِّ وَالسَّخَطِ» (١).

بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى:

اعلم أنّ من قال: ليس فيما يخالف الهوى وأنواع البلاء إلا الصبر فأما الرضا فلا يتصوّر؟

---

(١) موضوع: حديث «إن الله عز وجل بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين». أخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود إلا أنه قال «بقسطه» وقد تقدم. [انظر ضعيف الترغيب: ١٠٦٤]

فإنما أتى من ناحية إنكار المحبة، فأما إذا ثبت تصوّر الحب لله تعالى واستغراق الهم به فلا يخفى أنّ الحب يورث الرضا بأفعال الحبيب، ويكون ذلك من وجهين.

أحدهما: أن يبطل الإحساس بالألم حتى يجري عليه المؤلم ولا يحس، وتصيبه جراحة ولا يدرك ألمها. ومثاله: الرجل المحارب فإنه في حال غضبه أو في حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بألم ذلك لشغل قلبه. بل الذي يحجم أو يحلق رأسه بحديدة كآلة يتألم به، فإن كان مشغول القلب بمهم من مهماته فرغ المزين والحجام وهو لا يشعر به. وكل ذلك لأنّ القلب إذا صار مستغرقًا بأمر من الأمور مستوفى به لم يدرك ما عداه، فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه أو بحبه قد يصيبه ما كان يتألم به أو يغتمّ له لولا عشقه، ثم لا يدرك غمه وألمه لفرط استيلاء الحب على قلبه. هذا إذا أصابه من غير حبيبه فكيف إذا أصابه من حبيبه؟ وشغل القلب بالحب والعشق من أعظم الشواغل، وإذا تصور هذا في ألم يسير بسبب حب خفيف تصوّر في الألم العظيم بالحب العظيم، فإنّ الحب أيضًا يتصوّر تضاعفه في القوّة كما يتصوّر تضاعف الألم، وكما يقوى حب الصور الجميلة المدركة بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة، وجمال حضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال، فمن ينكشف له شيء منه فقد يبهره بحث يدهش ويغشى عليه فلا يحس بما يجري عليه. فقد روي أن امرأة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت، فقيل لها: أما تجدين الوجع؟ فقالت: إن لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه. وكان سهل رحمه الله تعالى به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه، فقيل له في ذلك فقال: يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع.

وأما الوجه الثاني: فهو أن يحس به ويدرك ألمه ولكن يكون راضيًا به بل راغبًا فيه مريدًا له، أعني بعقله، وإن كان كارهًا بطبعه، كالذي يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فإنه يدرك ألم ذلك إلا أنه راض به وراغب فيه ومتقلد من الفصاد به منة بفعله، فهذا حال الراضي بما يجري عليه من الألم. وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة سفره طيب عنده مشقة السفر وجعله راضيًا بها. ومهما أصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين بأن ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه وأحبه وشكر الله عليه. هذا إن كان يلاحظ الثواب والإحسان الذي يجازى به عليه، ويجوز أن يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب في مراد محبوبه ورضاه لا لمعنى آخر وراءه، فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبًا عنده ومطلوبًا، وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد تواصفها المتواصفون في نظمهم ونثرهم، ولا معنى له إلا ملاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر، فإن نظر إلى الجمال فما هو إلا جلد ولحم ودم مشحون بالأقذار والأخباث بدايته من نطفة مذرة ونهايته جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة. وإن نظر إلى المدرك للجمال فهي العين

الخسيسة التي تغلط فيما ترى كبيرًا، فترى الصغير كبيرًا والكبير صغيرًا والبعيد قريبًا والقبيح جميلًا، فإذا تصوّر استيلاء هذا الحب فمن أين يستحيل ذلك في حب الجمال الأزلي الأبدي الذي لا منتهى لكماله المدرك بعين البصيرة التي لا يعتريها الغلط ولا يدور بها الموت بل تبقى بعد الموت حية عند الله فرحة برزق الله تعالى مستفيدة بالموت مزيد تنبيه واستكشاف؟ فهذا أمر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار، ويشهد لذلك الوجود وحكايات أحوال المحبين وأقوالهم.

فقد قال شقيق البلخي: من يرى ثواب الشدّة لا يشتهي المخرج منها. وقال الجنيد: سألت سريًّا السقطي هل يجد المحب ألم البلاء؟ قال: لا. قلت: وإن ضرب بالسيف قال: نعم وإن ضرب بالسيف سبعين ضربة. ضربة على ضربة، وقال بعضهم: أحببت كل شيء يحبه حتى لو أحب النار أحببت دخول النار. وقال بشر بن الحارث: مررت برجل وقد ضرب ألف سوط في شرقية بغداد ولم يتكلم ثم حمل إلى الحبس، فتبعته فقلت له: لم ضربت؟ فقال: لأني عاشق، فقلت له: ولم سكت؟ قال لأنّ معشوقي كان بحذائي ينظر إليّ، فقلت: فلو نظرت إلى المعشوق الأكبر قال: فزعق زعقة خرّ ميتًا. وقال يحيى بن معاذ الرازي - رحمه الله تعالى: إذا نظر أهل الجنة إلى الله تعالى ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة النظر إلى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع إليهم، فما ظنك بقلوب وقعت بين جماله وجلاله؟ إذا لاحظت جلاله هابت وإذا لاحظت جماله تاهت.

وقال بشر: قصدت عبادان في بدايتي فإذا برجل أعمى مجذوم مجنون قد صرع والنمل يأكل لحمه، فرفعت رأسه فوضعته في حجري وأنا أردد الكلام، فلما أفاق قال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي لو قطعني إربًا إربًا ما ازددت له إلا حبًّا؟ قال بشر: فما رأيت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين ربه فأنكرتها. وقال أبو عمرو محمد بن الأشعث: إنّ أهل مصر مكثوا أربعة أشهر لم يكن لهم غذاء إلا النظر إلى وجه يوسف الصدّيق عليه السلام، كانوا إذا جاعوا نظروا إلى وجهه فشغلهم جماله عن الإحساس بألم الجوع. بل في القرآن ما هو أبلغ من ذلك وهو قطع النسوة أيديهنّ لاستهتارهنّ بملاحظة جماله حتى ما أحسسن بذلك. وقال سعيد بن يحيى: رأيت بالبصرة في خان عطاء بن مسلم شابًّا وفي يده مدية وهو ينادي بأعلى صوته والناس حوله وهو يقول:

يومُ الفراق من القيامة أطولُ ... والموتُ من ألم التفرق أجملُ
قالوا الرحيل فقلت لست براحلٍ ... لكن مهجتي التي تترحلُ

ثم بقر بالمدية بطنه وخرّ ميتًا، فسألت عنه وعن أمره فقيل لي: إنه كان يهوى فتى لبعض الملوك حجب عنه يومًا واحدًا. ويروى أنّ يونس عليه السلام قال لجبريل: دلني على أعبد أهل الأرض. فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره، فسمعه وهو يقول: إلهي

متعتني بهما ما شئت أنت، وسلبتني ما شئت أنت، وأبقيت لي فيك الأمل يا بر يا وصول. ويروى عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه اشتكى له ابن فاشتدّ وجده عليه حتى قال بعض القوم: لقد خشينا على هذا الشيخ إن حدث بهذا الغلام حدث، فمات الغلام فخرج ابن عمر في جنازته وما رجل أشدّ سرورًا أبدًا منه، فقيل له في ذلك، فقال ابن عمر: إنما كان حزني رحمة له، فلما وقع أمر الله رضينا به.

وقال مسروق: كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك، فالديك يوقظهم للصلاة والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خباءهم والكلب يحرسهم، قال: فجاء الثعلب فأخذ الديك، فحزنوا له وكان الرجل صالحًا فقال: عسى أن يكون خيرًا، ثم جاء ذئب فخرق بطن الحمار فقتله فحزنوا عليه فقال الرجل: عسى أن يكون خيرًا، ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال: عسى أن يكون خيرًا، ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا فإذا قد سبي من حولهم وبقوا هم، قال: وإنما أخذوا أولئك لما كان عندهم من أصوات الكلاب والحمير والديكة، فكانت الخيرة لهؤلاء في هلاك هذه الحيوانات كما قدّره الله تعالى. فإذن من عرف خفيّ لطف الله تعالى رضي بفعله على كل حال. ويروى أنّ عيسى عليه السلام مرّ برجل أعمى أبرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام، وهو يقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرًا من خلقه، فقال له عيسى: يا هذا أي شيء من البلاء أراه مصروفًا عنك؟ فقال: يا روح الله أنا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته، فقال له: صدقت هات يدك، فناوله يده فإذا هو أحسن الناس وجهًا وأفضلهم هيئة وقد أذهب الله عنه ما كان به، فصحب عيسى عليه السلام وتعبد معه. وقطع عروة بن الزبير رجله من ركبته ، من أكلة خرجت بها ثم قال: الحمد لله الذي أخذ مني واحدة ولئن كنت أخذت لقد أبقيت، ولئن كنت ابتليت لقد عافيت، ثم لم يدع ورده تلك الليلة. وكان ابن مسعود يقول: الفقر والغنى مطيتان ما أبالي أيتهما ركبت؟ إن كان الفقر فإنّ فيه الصبر وإن كان الغنى فإن فيه البذل. وقال أبو سليمان الداراني: قد نلت من كل مقام حالًا إلا الرضا فما لي منه إلا مشام الريح. وعلى ذلك لو أدخل الخلائق كلهم الجنة وأدخلني النار كنت بذلك راضيًا. وقيل لعارف آخر: هل نلت غاية الرضا عنه؟ فقال: أما الغاية فلا، ولكن مقام الرضا قد نلته، لو جعلني جسرًا على جهنم يعبر الخلائق عليّ إلى الجنة ثم ملأ بي جهنم ، تحلة لقسمه وبدلًا من خليقته ، لأحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه. وهذا كلام من علم أنّ الحب قد استغرق همه حتى منعه الإحساس بألم النار، فإن بقي إحساس فيغمره ما يحصل من لذته في استشعاره حصول رضا محبوبه بإلقائه إياه في النار. واستيلاء هذه الحالة غير محال في نفسه وإن كان بعيدًا من أحوالنا الضعيفة، ولكن لا ينبغي أن يستنكر الضعيف المحروم أحوال الأقوياء ويظنّ أنّ ما هو عاجز عنه يعجز عنه الأولياء. وقال الروذباري: قلت لأبي عبد الله بن الجلاء الدمشقي قول فلان: وددت أنّ

جسدي قرض بالمقاريض وأن هذا الخلق أطاعوه ما معناه؟ فقال: يا هذا إن كان هذا من طريق التعظيم والإجلال فلا أعرف وإن كان هذا من طريق الإشفاق والنصح للخلق فأعرف، قال: ثم غشي عليه. وقد كان عمران بن الحصين قد استسقى بطنه فبقي ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد ، قد نقب له في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته ، فدخل عليه مطرف وأخوه العلاء فجعل يبكي لما يراه من حاله، فقال: لم تبكي؟ قال: لأني أراك على هذه الحالة العظيمة قال: لا تبك فإنّ أحبه إلى الله تعالى أحبه إليّ ثم قال: أحدّثك شيئًا لعل الله أن ينفعك به، واكتم عليّ حتى أموت، إنّ الملائكة تزورني فآنس بها وتسلم علي فأسمع تسليمها فأعلم بذلك أن هذا البلاء ليس بعقوبة إذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة فمن يشاهد هذا في بلائه كيف لا يكون راضيًا به؟ قال: ودخلنا على سويد بن متعبة نعوده، فرأينا ثوبًا ملقى فما ظننا أن تحته شيئًا حتى كشف، فقالت له امرأته: أهلي فداؤك ما نطعمك. ما نسقيك؟ فقال: طالت الضجعة ودبرت الحراقيف وأصبحت نضوًا لا أطعم طعامًا ولا أسيغ شرابًا منذ كذا، فذكر أيامًا، وما يسرني أني نقصت من هذا قلامة ظفر. ولما قدم سعد بن أبي وقاص إلى مكة ، وقد كان كف بصره ، جاءه الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له، فيدعو لهذا ولهذا - وكان مجاب الدعوة - قاله عبد الله بن السائب: فأتيته وأنا غلام فتعرّفت إليه فعرفني وقال: أنت قارىء أهل مكة؟ قلت: نعم، فذكر قصة قال في آخرها: فقلت له: يا عم أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك فتبسم وقال: يا بني قضاء الله سبحانه عندي أحسن من بصري. وضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة أيام لم يعرف له خبر، فقيل له: لو سألت الله تعالى أن يرده عليك، فقال: اعتراضي عليه فما قضى أشدّ علي من ذهاب ولدي.

وعن بعض العباد أنه قال: إني أذنبت ذنبًا عظيمًا فأنا أبكي عليه منذ ستين سنة ، وكان قد اجتهد في العبادة لأجل التوبة من الذنب ، فقيل له: وما هو؟ قال: قلت مرة لشيء كان ليته لم يكن.

وقال بعض السلف: لو قرض جسمي بالمقاريض لكان أحب إلي من أن أقول لشيء قضاه الله تعالى سبحانه ليته لم يقضه. وقيل لعبد الواحد بن زيد: هاهنا رجل قد تعبد خمسين سنة، فقصده فقال له: يا حبيب أخبرني عنك هل قنعت به؟ قال: لا، قال أنست به؟ قال: لا، قال: فهل رضيت عنه؟ قال: لا، قال: فإنما مزيدك منه الصوم والصلاة؟ قال: نعم، قال: لولا أني أستحي منك لأخبرتك بأن معاملتك خمسين سنة مدخولة ومعناه أنك لم يفتح لك باب القلب فتترقى إلى درجات القرب بأعمال القلب، وإنما أنت تعدّ في طبقات أصحاب اليمين؛ لأن مزيدك منه في أعمال الجوارح التي هي مزيد أهل العموم. ودخل جماعة من الناس على الشبلي رحمه الله تعالى في مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة، فقال: من أنتم؟ فقالوا: محبوك، فأقبل عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال: ما بالكم ادعيتم محبتي إن صدقتم

فاصبروا على بلائي

وللشبلي رحمه الله تعالى:

إن المحبةَ للرحمن أسكرني وهل رأيت محبًا غير سكران؟

وقال بعض عباد أهل الشام: كلكم يلقى الله عز وجل مصدّقًا ولعله قد كذبه، وذلك أن أحدكم لو كان له أصبع من ذهب ظل يشير بها، ولو كان بها شلل ظل يواريها؛ يعني بذلك أن الذهب مذموم عند الله والناس يتفاخرون به، والبلاء زينة أهل الآخرة وهم يستنكفون منه. وقيل: إنه وقع الحريق في السوق، فقيل للسري: احترق السوق وما احترق دكانك فقال الحمد لله، ثم قال: كيف قلت الحمد لله على سلامتي دون المسلمين فتاب من التجارة وترك الحانوت بقية عمره توبة واستغفارًا من قوله الحمد لله.

فإذا تأملت هذه الحكايات عرفت قطعًا أن الرضا بما يخالف الهوى ليس مستحيلًا بل هو مقام عظيم من مقامات أهل الدين. ومهما كان ذلك ممكنًا في حب الخلق وحظوظهم كان ممكنًا في حق حب الله تعالى وحظوظ الآخرة قطعًا. وإمكانه من وجهين.

أحدهما: الرضا بالألم لما يتوقع من الثواب الموجود كالرضا بالفصد والحجامة وشرب الدواء انتظارًا للشفاء.

والثاني: الرضا به لا لحظ وراءه بل لكونه مراد المحبوب ورضا له، فقد يغلب الحب بحيث ينغمر مراد المحب في مراد المحبوب، فيكون ألذ الأشياء عنده سرور قلب محبوبه ورضاه ونفوذ إرادته ولو في هلاك روحه. كما قيل:

وقد روي عن عمرو بن الحارث الرافعي قال: كنت في مجلس بالرقة عند صديق لي، وكان معنا فتى يتعشق جارية مغنية، وكانت معنا في المجلس فضربت بالقضيب وغنت:

علامة ذل الهوى على العاشقين البُكَا
ولا سيما عاشق إذا لم يجد مُشْتَكَى

فقال لها الفتى: أحسنت والله يا سيدتي أفتأذنين لي أن أموت فقالت: مت راشدًا قال: فوضع رأسه على الوسادة وأطبق فمه وغمض عينيه، فحركناه فإذا هو ميت. وقال الجنيد: رأيت رجلًا متعلقًا بكم صبي وهو يتضرع إليه ويظهر له المحبة، فالتفت إليه الصبي وقال له: إلى متى ذا النفاق الذي تظهر لي؟ فقال: قد علم الله أني صادق فيما أورده، حتى لو قلت لي مت لمت، فقال: إن كنت صادقًا فمت، قال: فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتًا. وقال سمنون المحب: كان في جيراننا رجل وله جارية يحبها غاية الحب، فاعتلت الجارية فجلس الرجل ليصلح لها حيسًا، فبينا هو يحرّك القدر إذ قالت الجارية: آه قال فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل يحرّك في القدر بيده حتى سقطت أصابعه فقالت الجارية: ما هذا؟ قال: هذا مكان قولك ، آه.

وحكي عن محمد بن عبد الله البغدادي قال: رأيت بالبصرة شابًا على سطح مرتفع وقد أشرف على الناس وهو يقول:

من مات عشقًا فليمت هكذا لا خيرَ في عشق بلا موت

ثم رمى بنفسه إلى الأرض؛ فحملوه ميتًا. فهذا وأمثاله قد يصدق به في حب المخلوق والتصديق به في حب الخالق أولى؛ لأن البصيرة الباطنة أصدق من البصر الظاهر، وجمال الحضرة الربانية أو في كل جمال، بل كل جمال في العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال. نعم الذي فقد البصر ينكر جمال الصور، والذي فقد السمع ينكر لذة الألحان والنغمات الموزونة، فالذي فقد القلب لا بد وأن ينكر أيضًا هذه اللذات التي لا مظنة لها سوى القلب.

بيان أن الدعاء غير مناقض للرضا:

ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا، وكذلك كراهة المعاصي ومقت أهلها ومقت أسبابها والسعي في إزالتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يناقضه أيضًا. وقد غلط في ذلك بعض البطالين المغترين وزعم أن المعاصي والفجور والكفر من قضاء الله وقدره عز وجل فيجب الرضا به، وهذا جهل بالتأويل وغفلة عن أسرار الشرع.

فأما الدعاء فقد تعبدنا به، وكثرة دعوات رسول الله ﷺ وسائر الأنبياء عليهم السلام، على ما نقلناه في كتاب الدعوات، تدل عليه. ولقد كان رسول الله ﷺ في أعلى المقامات من الرضا. وقد أثنى الله تعالى على بعض عباده بقوله: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء:٩٠] وأما إنكار المعاصي وكراهتها وعدم الرضا بها فقد تعبد الله به عباده وذمهم على الرضا به فقال: ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ [يونس:٧] وقال تعالى: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة:٨٧] وفي الخبر المشهور: «من شهد منكرًا فرضي به فكأنه قد فعله» وفي الحديث: «الدال على الشر كفاعله» (١)، وعن ابن مسعود: إن العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه وقيل: وكيف ذلك؟ قال: يبلغه فيرضى به. وفي الخبر: «لو أن عبدًا قتل بالمشرق ورضي بقتله آخر بالمغرب كان شريكًا في قتله» (٢). وقد أمر الله تعالى بالحسد والمنافسة في الخيرات وتوقي الشرور فقال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦] وقال النبي ﷺ: «لا حَسَدَ إلاّ فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَبُثُّها فِي النَّاسِ وَيُعَلِّمُهَا

(١) حديث «الدال على الشر كفاعله». أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بإسناد ضعيف جدا.

(٢) ضعيف: حديث «لو أن رجلا قتل بالمشرق». لم أجد له أصلا بهذا اللفظ ولابن عدي من حديث أبي هريرة «من حضر معصية فكرهها فكأنما غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكأنما حضرها» وتقدم في كتاب الأمر بالمعروف. [حديث «من حضر معصية...» انظر السلسلة الضعيفة: ٤٥٨٨]

وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ» (١)، وفي لفظ آخر: «وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ القُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آناء اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فَيَقُولُ الرَّجُلُ لَوْ آتَانِي اللَّهُ مِثْلَ ما آتى هذا لَفَعَلْتُ مِثْل ما يَفْعَلُ».

وأما بغض الكفار والفجار والإنكار عليهم ومقتهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والأخبار لا يحصى مثل قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٢٨] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة:٥١] وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾ [الأنعام:١٢٩] وفي الخبر: «إن الله تعالى أخذ الميثاق على كل مؤمن أن يبغض كل منافق وعلى كل منافق أن يبغض كل مؤمن» (٢)، وقال عليه السلام: «المرء مع من أحب» (٣)، وقال: «مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا وَوَالاهُمْ حُشِرَ مَعَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ» (٤)، وقال عليه السلام: «أَوْثَقُ عُرَى الإيمانِ الحُبُّ فِي اللَّهِ وَالبُغْضُ فِي اللَّهِ» (٥). وشواهد هذا قد ذكرناها في بيان الحب والبغض في الله تعالى من كتاب آداب الصحبة، وفي كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- فلا نعيده.

فإن قلت: فقد وردت الآيات والأخبار بالرضا بقضاء الله تعالى (٦) فإن كانت المعاصي بغير قضاء الله تعالى فهو محال وهو قادح في التوحيد، وإن كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله تعالى، وكيف السبيل إلى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد؟.

فاعلم أن هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على أسرار العلوم، وقد التبس

---

(١) صحيح: حديث «لا حسد إلا في اثنتين». أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ومسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم. [البخاري: ٥٠٢٦، ومسلم: ٨١٦]

(٢) حديث «إن الله أخذ الميثاق على كل مؤمن أن يبغض كل منافق». لم أجد له أصلا.

(٣) صحيح: حديث «المرء مع من أحب». تقدم. [البخاري: ٦١٦٩، ومسلم: ٢٦٤١ عن ابن مسعود]

(٤) موضوع: حديث «من أحب قوما ووالاهم حشر معهم». أخرجه الطبراني من حديث أبي قرصافة وابن عدي من حديث جابر «من أحب قوما على أعمالهم حشر في زمرتهم» زاد ابن عدي «يوم القيامة» وفي طريقه إسماعيل بن يحيى التميمي ضعيف. [انظر السلسلة الضعيفة: ٤٥٣٦]

(٥) حسن لغيره: حديث «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله». رواه أحمد وتقدم في آداب الصحبة. [أحمد: ١٨٠٥٣، وانظر صحيح الترغيب: ٣٠٣٠]

(٦) - الأخبار الواردة في الرضا بقضاء الله. رواها الترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص «من سعادة ابن آدم رضاه بما قسم الله عز وجل... الحديث» وقال غريب وتقدم حديث «ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس» وحديث «إن الله بقسطه جعل الروح والفرح في الرضا» وتقدم في حديث الاستخارة «واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به» وحديث «من رضي من الله بالقليل من الرزق رضي منه بالقليل من العمل وحديث «أسألك الرضا بالقضاء... الحديث» وغير ذلك. [حديث «من سعادة...» عند الترمذي: ٢١٥١، وانظر ضعيف الترمذي، وحديث «ارض بما قسم...» عند الترمذي: ٢٣٠٥، وانظر صحيح الترغيب: ٢٣٤٩، وقال الألباني: حسن لغيره، حديث «إن الله بقسطه...» انظر ضعيف الترغيب: ١٠٦٤ بنحوه، حديث «واقدر لي...» عند البخاري: ١١٦٦ عن جابر، وحديث «من رضي بالقليل...» انظر السلسلة الضعيفة: ١٥٧٣، وقال الألباني: ضعيف جدًا، وحديث «أسألك الرضا بالقضاء...» عند النسائي: ١٣٠٦، وانظر صحيح النسائي]

على قوم حتى رأوا السكوت عن المنكر مقامًا من مقامات الرضا وستره حسن الخلق وهو جهل محصن، بل نقول: الرضا والكراهة يتضادان إذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد، فليس من التضاد في شيء واحد أن يكرهه من وجه ويرضى به من وجه؛ إذ قد يموت عدوّك الذي هو أيضًا عدوّ بعض أعدائك وساع في إهلاكه، فتكره موته من حيث إنه مات عدوّ عدوّك وترضاه من حيث إنه مات عدوّك.

وكذلك المعصية لها وجهان: وجه إلى الله تعالى من حيث إنه فعله واختياره وإرادته؛ فيرضى به من هذا الوجه تسليمًا للملك إلى مالك الملك ورضا بما يفعله فيه، ووجه إلى العبد من حيث إنه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتًا عند الله وبغيضًا عنده حيث سلّط عليه أسباب البعد والمقت، فهو من هذا الوجه منكر ومذموم. ولا ينكشف هذا لك إلا بمثال:

فلنفرض محبوبًا من الخلق قال بين يدي محبيه: إني أريد أن أميز بين من يحبني ويبغضني، وأنصب فيه معيارًا صادقًا وميزانًا ناطقًا وهو أني أقصد إلى فلان فأؤذيه وأضربه ضربًا يضطره ذلك إلى الشتم لي. حتى إذا شتمني أبغضته واتخذته عدوًّا لي، فكل من أحبه أعلم أيضًا أنه عدّوي، وكل من أبغضه أعلم أنه صديقي ومحبّي، ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض وحصل البغض الذي هو سبب العداوة. فحق على كل من هو صادق في محبته وعالم بشروط المحبة أن يقول: أما تدبيرك في إيذاء هذا الشخص وضربه وإبعاده وتعريضك إياه للبغض والعداوة. فأنا محب له وراض به فإنه رأيك وتدبيرك وفعلك وإرادتك وأما شتمه إياك فإنه عدوان من جهته إذ كان حقه أن يصبر ولا يشتم. ولكنه كان مرادك منه؛ فإنك قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت، فهو من حيث إنه حصل على وفق مرادك وتدبيرك الذي دبرته فأنا راض به، ولو لم يحصل لكان ذلك نقصانًا في تدبيرك وتعويقًا في مرادك، وأنا كاره لفوات مرادك، ولكنه من حيث إنه وصف لهذا الشخص وكسب له وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جمالك إذ كان ذلك يقتضي أن يحتمل منك الضرب ولا يقابل بالشتم، فأنا كاره له من حيث نسبته إليه ومن حيث هو وصف له لا من حيث هو مرادك ومقتضى تدبيرك، وأما بغضك له بسبب شتمك فأنا راض به ومحب له لأنه مرادك وأنا على موافقتك أيضًا مبغض له؛ لأن شرط المحب أن يكون لحبيب المحبوب حبيبًا ولعدوّه عدوًّا. وأما بغضه لك فإني أرضاه من حيث إنك أردت أن يبغضك إذ أبعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعي البغض، ولكني أبغضه من حيث إنه وصف ذلك المبغض وكسبه وفعله وأمقته لذلك، فهو ممقوت عندي لمقته إياك، وبغضه ومقته لك أيضًا عندي مكروه من حيث إنه وصفه وكل ذلك من حيث إنه مرادك فهو مرضي. وإنما التناقض أن يقول: هو من حيث إنه مرادك مرضي ومن حيث إنه مرادك مكروه، وأما إذا كان مكروهًا لا من حيث إنه فعله ومراده بل من حيث إنه وصف غيره وكسبه فهذا لا تناقض فيه، ويشهد لذلك

كل ما يكره من وجه ويرضى به من وجه، ونظائر ذلك لا تحصى.

فإذن تسليط الله دواعي الشهوة والمعصية عليه حتى يجرّه ذلك إلى حب المعصية ويجرّه الحب إلى فعل المعصية يضاهي ضرب المحبوب للشخص الذي ضربناه مثلًا؛ ليجرّه الضرب إلى الغضب والغضب إلى الشتم.

ومقت الله تعالى لمن عصاه وإن كانت معصيته بتدبيره، يشبه بغض المشتوم لمن شتمه وإن كان شتمه إنما يحصل بتدبيره واختياره لأسبابه، وفعل الله تعالى ذلك بكل عبد من عبيده ، أعني تسليط دواعي المعصية عليه ، يدل على أنه سبقت مشيئته بإبعاده ومقته. فواجب على كل عبد محب لله أن يبغض من أبغضه الله ويمقت من مقته الله ويعادي من أبعده الله عن حضرته ، وإن اضطّره بقهره وقدرته إلى معاداته ومخالفته ، فإنه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة، وإن كان بعيدًا بإبعاده قهرًا ومطرودًا بطرده واضطراره. والمبعد عن درجات القرب ينبغي أن يكون مقيتًا بغيضًا إلى جميع المحبين. موافقة للمحبوب بإظهار الغضب على من أظهر المحبوب الغضب عليه بإبعاده.

وبهذا يتقرر جميع ما وردت به الأخبار من البغض في الله والحب في الله والتشديد على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث إنه قضاء الله عز وجل. وهذا كله يستمد من سر القدر ، الذي لا رخصة في إفشائه ، وهو أنّ الشر والخير كلاهما داخلان في المشيئة والإرادة، ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضيّ به. فمن قال: ليس الشر من الله، فهو جاهل وكذا من قال: إنهما جميعًا منه ، من غير افتراق في الرضا والكراهة ، فهو أيضًا مقصر. وكشف الغطاء عنه غير مأذون فيه؛ فالأولى السكوت والتأدب بأدب الشرع فقد قال ﷺ: «القَدَرُ سِرُّ اللَّهِ فَلا تَفْشُوهُ» (١) ، وذلك يتعلق بعلم المكاشفة. وغرضنا الآن بيان الإمكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضا بقضاء الله تعالى ومقت المعاصي مع أنها من قضاء الله تعالى، وقد أظهر الغرض من غير حاجة إلى كشف السر فيه.

وبهذا يعرف أيضًا أنّ الدعاء بالمغفرة والعصمة من المعاصي وسائر الأسباب المعينة على الدين غير مناقض للرضا بقضاء الله تعالى، فإن الله تعبد العباد بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع، ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحًا للكشف وسببًا لتواتر مزايا اللطف. كما أنّ حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضًا للرضا بقضاء الله تعالى في العطش، وشرب الماء طلبًا لإزالة العطش مباشرةً سببٌ رتبه مسبب الأسباب فكذلك الدعاء سبب رتبه الله تعالى وأمر به. وقد ذكرنا أن التمسك بالأسباب جريًا على سنة الله تعالى لا

---

(١) ضعيف: حديث «القدر سر الله فلا تفشوه». أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر وابن عدي في الكامل من حديث عائشة وكلاهما ضعيف. [انظر ضعيف الجامع: ٤١٣١]

يناقض التوكل ، واستقصيناه في كتاب التوكل ، فهو أيضًا لا يناقض الرضا لأن الرضا مقام ملاصق للتوكل ويتصل به نعم إظهار البلاء في معرض الشكوى، وإنكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا، وإظهار البلاء على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض. وقد قال بعض السلف: من حسن الرضا بقضاء الله تعالى أن لا يقول هذا يوم حار ، أي في معرض الشكاية ، وذلك في الصيف فأما الشتاء فهو شكر، والشكوى تناقض الرضا بكل حال وذم الأطعمة وعيبها يناقض الرضا بقضاء الله تعالى لأن مذمة الصنعة مذمة للصانع، والكل من صنع الله تعالى. وقول القائل: الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب والاحتراف كدّ ومشقة، كل ذلك قادح في الرضا، بل ينبغي أن يسلم التدبير لمدبره والمملكة لمالكها ويقول ما قاله عمر رضي الله عنه: لا أبالي أصبحت غنيًا أو فقيرًا فإني لا أدري أيهما خير لي.

بيان أن الفرار من البلاد التي هي مظانّ المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضا:

اعلم أنّ الضعيف قد يظن أن نهي رسول الله ﷺ عن الخروج من بلد ظهر به الطاعون [(١)] يدل على النهي عن الخروج من بلد ظهرت فيه المعاصي؛ لأن كل واحد منهما فرار من قضاء الله تعالى وذلك محال؛ بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون أنه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الأصحاء وبقي فيه المرضى مهملين لا متعهد لهم فيهلكون هزالًا وضرًا، ولذلك شبهه رسول الله ﷺ في بعض الأخبار بالفرار من الزحف [(٢)] ولو كان ذلك للفرار من القضاء لما أذن لمن قارب في البلدة في الانصراف ، وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل، وإذا عرف المعنى ظهر أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فرارًا من القضاء بل من القضاء الفرار مما لا بدّ من الفرار منه. وكذلك مذمة المواضع التي تدعو إلى المعاصي والأسباب التي تدعو إليها؛ لأجل التنفير عن المعصية ، ليست مذمومة. فما زال السلف الصالح يعتادون ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بغداد وإظهارهم ذلك وطلب الفرار منها، فقال ابن المبارك: قد طفت الشرق والغرب فما رأيت بلدًا شرًا من بغداد قيل: وكيف؟ قال: هو بلد تزدرى فيه نعمة الله وتستصغر فيه معصية الله. ولما قدم خراسان قيل له: كيف رأيت بغداد؟ قال: ما رأيت إلا شرطيًا غضبان أو تاجرًا لهفان أو قارئًا حيران ولا ينبغي أن تظن أن ذلك من الغيبة؛ لأنه لم يتعرّض لشخص بعينه حتى يستضر ذلك الشخص به وإنما قصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج إلى مكة ، وقد كان مقامه ببغداد ، يرقب استعداد القافلة ستة عشر

---

(١) صحيح : حديث: النهي عن الخروج من بلد الطاعون. تقدم في آداب السفر. [البخاري: ٥٧٢٩، ومسلم: ٢٢١٩ عن ابن عباس].

(٢) صحيح : حديث: إنه شبه الخروج من بلد الطاعون بالفرار من الزحف. تقدم فيه. [انظر صحيح الجامع: ٤٢٧٦].

يومًا، فكان يتصدّق بستة عشر دينار لكل يوم دينار كفارة لمقام.

وقد ذم العراق جماعة: كعمر بن عبد العزيز وكعب الأحبار. وقال ابن عمر رضي الله عنهما لمولى له: أين تسكن؟ فقال: العراق، قال: فما تصنع به؟ بلغني أن ما من أحد يسكن العراق إلا قيض الله له قرينًا من البلاء. وذكر كعب الأحبار يومًا العراق فقال: فيه تسعة أعشار الشر، وفيه الداء العضال. وقد قيل: قسم الخير عشرة أجزاء؛ فتسعة أعشاره بالشام وعشره بالعراق، وقسم الشر عشرة أجزاء، على العكس من ذلك. وقال بعض أصحاب الحديث: كنا يومًا عند الفضيل بن عياض فجاءه صوفي متدرع بعباءة فأجلسه إلى جانبه وأقبل عليه ثم قال: أين تسكن؟ فقال: بغداد. فأعرض عنه وقال: يأتينا أحدهم في زي الرهبان فإذا سألناه أين تسكن؟ قال: في عش الظلمة؟ وكان بشر بن الحارث يقول: مثال المتعبد ببغداد مثال المتعبد في الحش. وكان يقول: لا تقتدوا بي في المقام بها من أراد أن يخرج فليخرج. وكان أحمد بن حنبل يقول: لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد آثر في نفسي قيل: وأين تختار السكنى؟ قال: بالثغور. وقال بعضهم وقد سئل عن أهل بغداد: زاهدهم زاهد وشريرهم شرير.

فهذا يدل على أنّ من بلي ببلدة تكثر فيها المعاصي ويقل فيها الخير فلا عذر له في المقام بها، بل ينبغي أن يهاجر، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ [النساء:٩٧] فإن منعه عن ذلك عيال أو علاقة فلا ينبغي أن يكون راضيًا بحاله مطمئن النفس إليه، بل ينبغي أن يكون منزعج القلب منها قائلًا على الدوام: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء:٧٥] وذلك لأن الظلم إذا عم نزل البلاء ودمر الجميع وشمل المطيعين قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال:٢٥] فإذن ليس في شيء من أسباب نقص الدين ألبتة رضا مطلق إلا من حيث إضافتها إلى فعل الله تعالى، فأما هي في نفسها فلا وجه للرضا بها بحال.

وقد اختلف العلماء في الأفضل من أهل المقامات الثلاث رجل يحب الموت شوقًا إلى لقاء الله تعالى، ورجل يحب البقاء لخدمة المولى، ورجل قال: لا أختار شيئًا بل أرضى بما اختاره الله تعالى؛ ورفعت هذه المسألة إلى بعض العارفين، فقال: صاحب الرضا أفضلهم لأنه أقلهم فضولًا. واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن أسباط، فقال الثوري: كنت أكره موت الفجأة قبل اليوم، واليوم وددت أني مت، فقال له يوسف: لم؟ قال: لما أتخوّف من الفتنة، فقال يوسف: لكني لا أكره طول البقاء، فقال سفيان: لم؟ قال: لعلي أصادف يومًا أتوب فيه وأعمل صالحًا، فقيل لوهيب: إيش تقول أنت؟ فقال: أنا لا أختار شيئًا، أحب ذلك إليّ أحبه إلى الله سبحانه وتعالى، فقبله الثوري بين عينيه وقال: روحانية ورب الكعبة.

بيان جملة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم:

قيل لبعض العارفين: إنك محب، فقال: لست محبًا إنما أنا محبوب والمحب متعوب. وقيل له أيضًا: الناس يقولون إنك واحد من السبعة؟ فقال: أنا كل السبعة. وكان يقول: إذا رأيتموني فقد رأيتم أربعين بدلًا، قيل: وكيف وأنت شخص واحد؟ قال: لأني رأيت أربعين بدلًا وأخذت من كل بدل خلقًا من أخلاقه. وقيل له: بلغنا أنك ترى الخضر عليه السلام؟ فتبسم وقال: ليس العجب ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر أن يراه فيحتجب عنه.

وحكي عن الخضر عليه السلام أنه قال: ما حدّثت نفسي يومًا قط أنه لم يبق ولي لله تعالى إلا عرفته إلا ورأيت في ذلك اليوم وليًا لم أعرفه. وقيل لأبي يزيد البسطامي مرة: حدّثنا عن مشاهدتك من الله تعالى، فصاح ثم قال: ويلكم لا يصلح لكم أن تعلموا ذلك قيل: فحدّثنا بأشد مجاهدتك لنفسك في الله تعالى، فقال: وهذا أيضًا لا يجوز أن أطلعكم عليه. قيل: فحدّثنا عن رياضة نفسك في بدايتك، فقال: نعم، دعوت نفسي إلى الله فجمحت عليّ فعزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لي بذلك.

ويحكى عن يحيى بن معاذ أنه رأى أبا يزيد ، في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر ، مستوفزًا على صدور قدميه رافعًا أخمصيه مع عقبيه عن الأرض ضاربًا بذقنه على صدره شاخصًا بعينيه لا يطرف، قال: ثم سجد عند السحر فأطاله ثم قعد فقال: اللهم إنّ قومًا طلبوك فأعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهواء فرضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك، وإن قومًا طلبوك فأعطيتهم طي الأرض فرضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك، وإن قومًا طلبوك فأعطيتهم كنوز الأرض فرضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك، حتى عدّ نيفًا وعشرين مقامًا من كرامات الأولياء، ثم التفت فرآني فقال: يحيى فقلت: نعم يا سيدي، فقال: منذ متى أنت هاهنا؟ قلت: منذ حين، فسكت، فقلت: يا سيدي حدّثني بشيء فقال: أحدّثك بما يصلح لك، أدخلني في الفلك الأسفل فدوّرني في الملكوت السفليّ وأراني الأرضين وما تحتها إلى الثرى، ثم أدخلني في الفلك العلوي فطوّف بي في السموات وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش، ثم أوقفني بين يديه فقال: سلني أي شيء رأيت حتى أهبه لك؟ فقلت: يا سيدي ما رأيت شيئًا استحسنته فأسألك إياه فقال: أنت عبدي حقًا تعبدني لأجلي صدقًا لأفعلن بك ولأفعلن فذكر أشياء. قال يحيى: فهالني ذلك وامتلأت به وعجبت منه فقلت: يا سيدي لم لا سألته المعرفة به؟ وقد قال لك ملك الملوك سلني ما شئت، قال: فصاح بي صيحة وقال: اسكت ويلك غرت عليه مني حتى لا أحب أن يعرفه سواه.

وحكي أنّ أبا تراب النخشبي كان معجبًا ببعض المريدين فكان يدنيه ويقوم بمصالحه

والمريد مشغول بعبادته ومواجدته فقال له أبو تراب يومًا: لو رأيت أبا يزيد؟ فقال: إني عنه مشغول، فلما أكثر عليه أبو تراب من قوله: لو رأيت أبا يزيد، هاج وجد المريد فقال: ويحك ما أصنع بأبي يزيد قد رأيت الله تعالى فأغناني عن أبي يزيد؟ قال أبو تراب: فهاج طبعي ولم أملك نفسي، فقلت: ويلك تغتر بالله عز وجل لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة قال: فبهت الفتى من قوله وأنكره فقال: وكيف ذلك؟ قال له: ويلك أما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك وترى أبا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره؟ فعرف ما قلت، فقال: احملني إليه، فذكر قصة قال في آخرها: فوقفنا على تل ننتظره ليخرج إلينا من الغيضة ، وكان يأوي إلى غيضة فيها سباع ، قال: فمرّ بنا وقد قلب فروة على ظهره فقلت للفتى: هذا أبو يزيد فانظر إليه فنظر إليه الفتى فصعق، فحركناه فإذا هو ميت، فتعاونا على دفنه فقلت لأبي يزيد: يا سيدي نظره إليك قتله، قال: لا ولكن كان صاحبكم صادقًا واستكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه، فلما رآنا انكشف له سر قلبه فضاق عن حمله؛ لأنه في مقام الضعفاء المريدين، فقتله ذلك.

ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الأنفس ونهبوا الأموال اجتمع إلى سهل إخوانه فقالوا: لو سألت الله تعالى دفعهم؟ فسكت ثم قال: إنّ لله عبادًا في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الأرض ظالم إلا مات في ليلة واحدة؛ ولكن لا يفعلون، قيل: لم؟ قال: لأنهم لا يحبون ما لا يحب، ثم ذكر من إجابة الله تعالى أشياء لا يستطاع ذكرها، حتى قال: ولو سألوه أن لا يقيم الساعة لم يقمها. وهذه أمور ممكنة في أنفسها فمن لم يحظ بشيء منها، فلا ينبغي أن يخلو عن التصديق والإيمان بإمكانها، فإن القدرة واسعة والفضل عميم وعجائب الملك والملكوت كثيرة، ومقدورات الله تعالى لا نهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له. ولذلك كان أبو يزيد يقول: إن أعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة إبراهيم فاطلب ما وراء ذلك، فإنّ عنده فوق ذلك أضعافًا مضاعفة، فإن سكنت إلى ذلك حجبك به، وهذا بلاء مثلهم ومن هو في مثل حالهم لأنهم الأمثل فالأمثل. وقد قال بعض العارفين: كوشفت بأربعين حوراء رأيتهن يتساعين في الهواء، عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرت إليهن نظرة فعوقبت أربعين يومًا، ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال، وقيل لي: انظر إليهن، قال: فسجدت وغمضت عيني في سجودي لئلا أنظر إليهن وقلت: أعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهذا، فلم أزل أتضرع حتى صرفهن الله عني.

فأمثال هذه المكاشفات لا ينبغي أن ينكرها المؤمن لإفلاسه عن مثلها، فلو لم يؤمن كل واحد إلا بما يشاهده من نفسه المظلمة وقلبه القاسي لضاق مجال الإيمان عليه، بل هذه أحوال تظهر بعد مجاوزة عقبات ونيل مقامات كثيرة أدناها الإخلاص وإخراج حظوظ النفس

وملاحظة الخلق عن جميع الأعمال ظاهرًا وباطنًا، ثم مكاتمة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى متحصنًا بحصن الخمول. فهذه أوائل سلوكهم وأقل مقاماتهم وهي أعز موجود في الأتقياء من الناس. وبعد تصفية القلب عن كدورة الالتفات إلى الخلق يفيض عليه نور اليقين وينكشف له مبادىء الحق، وإنكار ذلك دون التجربة وسلوك الطريق يجري مجرى إنكار من أنكر إمكان انكشاف الصورة في الحديدة إذا شكلت ونقيت وصقلت وصورت بصورة المرآة، فنظر المنكر إلى ما في يده من زبرة حديد مظلم قد استولى عليه الصدأ والخبث وهو لا يحكي صورة من الصور فأنكر إمكان انكشاف المرئي فيها عند ظهور جوهرها، وإنكار ذلك غاية الجهل والضلال.

فهذا حكم كل من أنكر كرامات الأولياء إذ لا مستند له إلا قصوره عن ذلك وقصور من رآه، وبئس المستند ذلك في إنكار قدرة الله تعالى، بل إنما يشم روائح المكاشفة من سلك شيئًا ولو من مبادي الطريق، كما قيل لبشر: بأي شيء بلغت هذه المنزلة؟ قال: كنت أكاتم الله تعالى حالي. معناه أسأله أن يكتم عليَّ ويخفي أمري. وروي أنه رأى الخضر عليه السلام فقال له: ادع الله تعالى لي، فقال: يسر الله عليك طاعته، قلت:زدني، قال: وسترها عليك. فقيل: معناه سترها عن الخلق، وقيل: معناه سترها عنك حتى لا تلتفت أنت إليها. وعن بعضهم أنه قال: أقلقني الشوق إلى الخضر عليه السلام فسألت الله تعالى مرة أن يريني إياه ليعلمني شيئًا كان أهم الأشياء عليَّ، قال: فرأيته فما غلب على همي ولا همتي إلا أن قلت له: يا أبا العباس علمني شيئًا إذا قلته حجبت عن قلوب الخليقة فلم يكن لي فيها قدر ولا يعرفني أحد بصلاح ولا ديانة، فقال: قل اللهم أسبل عليَّ كثيف سترك وحط عليَّ سرادقات حجبك واجعلني في مكنون غيبك واحجبني عن قلوب خلقك، قال: ثم غاب فلم أره ولم أشتق إليه بعد ذلك، فما زلت أقول هذه الكلمات في كل يوم، فحكي أنه صار بحيث كان يستذل ويمتهن ، حتى كان أهل الذمة يسخرون به ويستسخرونه في الطرق يحمل الأشياء لهم لسقوطه عندهم وكان الصبيان يلعبون به ، فكانت راحته ركود قلبه، واستقامة حاله في ذله وخموله. فهكذا حال أولياء الله تعالى، ففي أمثال هؤلاء ينبغي أن يطلبوا، والمغرورون إنما يطلبونهم تحت المرقعات والطيالسة وفي المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرئاسة، وغيرة الله تعالى على أوليائه تأبى إلا إخفاءهم كما قال تعالى: أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري. وقال ﷺ: «رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لأَبَرَّهُ» (١) .

وبالجملة : فأبعد القلوب عن مشام هذه المعاني القلوب المتكبرة المعجبة بأنفسها

---

(١) حسن صحيح : حديث «رب أشعث أغبر ذي طمرين». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم. [الترمذي: ٣٨٥٤ عن أنس، وانظر صحيح الترغيب: ٢٠٨٣، ولم أره عند مسلم].

المستبشرة بعملها وعلمها. وأقرب القلوب إليها القلوب المنكسرة المستشعرة ذل نفسها استشعارًا إذا ذل واهتضم لم يحسس بالذل، كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولاه، فإذا لم يحس بالذل ولم يشعر أيضًا بعدم التفاته إلى الذل، بل كان عند نفسه أخس منزلة من أن يرى جميع أنواع الذل ذلًا في حقه بل يرى نفسه دون ذلك، حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاته. فمثل هذا القلب يرجى له أن يستنشق مبادىء هذه الروائح، فإن فقدنا مثل هذا القلب وحرمنا مثل هذا الروح فلا ينبغي أن يطرح الإيمان بإمكان ذلك لأهله، فمن لا يقدر أن يكون من أولياء الله فليكن محبًا لأولياء الله مؤمنًا بهم فعسى أن يحشر مع من أحب. ويشهد لهذا ما روي أن عيسى عليه السلام قال لبني إسرائيل: أين ينبت الزرع؟ قالوا: في التراب، فقال: بحق أقول لكم لا تنبت الحكمة إلا في قلب مثل التراب.

ولقد انتهى المريدون لولاية الله تعالى في طلب شروطها بإذلال النفس إلى منتهى الضعة والخسة، حتى روي أن ابن الكريبي وهو أستاذ الجنيد دعاه رجل إلى طعام ثلاث مرات، ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع إليه بعد ذلك حتى أدخله في المرّة الرابعة، فسأله عن ذلك، فقال: قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرمى له عظم فيعود، ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لأجبت. وعنه أيضًا أنه قال: نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح، فتشتت علي قلبي، فدخلت الحمام وعدلت إلى ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت، وجعلت أمشي قليلًا قليلًا. فلحقوني فنزعوا مرقعتي وأخذوا الثياب وصفعوني وأوجعوني ضربًا، فصرت بعد ذلك أعرف بلص الحمام فسكنت نفسي.

فهكذا كان يروضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر إلى الخلق ثم من النظر إلى النفس، فإن الملتفت إلى نفسه محجوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب له، فليس بين القلب وبين الله حجاب بعد وتخلل حائل، وإنما بعد القلوب شغلها بغيره أو بنفسها وأعظم الحجب شغل النفس. ولذلك حكي أن شاهدًا عظيم القدر من أعيان أهل بسطام كان لا يفارق مجلس أبي يزيد، فقال له يومًا: أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر لا أفطر وأقوم الليل لا أنام ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئًا وأنا أصدّق به وأحبه، فقال أبو يزيد: ولو صمت ثلاثمائة سنة وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذرّة قال: ولم؟ قال: لأنك محجوب بنفسك، قال: فلهذا دواء؟ قال: نعم، قال: قل لي حتى أعمله، قال: لا تقبله، قال: فاذكره لي حتى أعمل، قال: اذهب الساعة إلى المزين فاحلق رأسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزًا، واجمع الصبيان حولك وقل: كل من صفعني صفعة أعطيته جوزة، وادخل السوق وطف الأسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك وأنت على ذلك، فقال الرجل: سبحان الله تقول لي مثل هذا.

فقال أبو يزيد: قولك: سبحان الله شرك، قال: وكيف؟ قال: لأنك عظمت نفسك فسبحتها وما سبحت ربك فقال: هذا لا أفعله ولكن دلني على غيره فقال: ابتدىء بهذا قبل كل شيء.

فقال: لا أطيقه، قال: قد قلت لك إنك لا تقبل؟. فهذا الذي ذكره أبو يزيد هو دواء من اعتل بنظره إلى نفسه ومرض بنظر الناس إليه، ولا ينجي من هذا المرض دواء سوى هذا وأمثاله، فمن لا يطيق الدواء فلا ينبغي أن ينكر إمكان الشفاء في حق من داوى نفسه بعد المرض أو لم يمرض بمثل هذا المرض أصلًا. فأقل درجات الصحة الإيمان بإمكانها، فويل لمن حرم هذا القدر القليل أيضًا.

وهذه أمور جلية في الشرع واضحة وهي مع ذلك مستبعدة عند من يعدّ نفسه من علماء الشرع، فقد قال ﷺ: «لا يَسْتَكْمِلُ العَبْدُ الإيمانَ حَتَّى تَكُونَ قِلَّةُ الشيْءِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَثْرَتِهِ وَحَتَّى يَكُونَ أَنْ لا يُعْرَفَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُعْرَفَ»(١)، وقد قال عليه السلام: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ: لا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لائِمٍ، وَلا يُرَائِي بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ، وَإِذا عُرِضَ عَلَيْهِ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا لِلدُّنْيا وَالآخَرُ لِلآخِرَةِ آثَرَ أَمْرَ الآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيا»(٢)، وقال عليه السلام: «لا يَكْمِلُ إِيمانُ عَبْدٍ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ ثَلاثُ خِصال: إِذا غَضِبَ لَمْ يُخْرِجْهُ غَضَبُهُ عَنِ الحَقِّ، وَإِذا رَضِيَ لَمْ يُدْخِلْهُ رِضَاه فِي بَاطِلٍ، وَإِذا قَدرَ لَمْ يَتَناوَلْ ما لَيْسَ لَهُ»(٣)، وفي حديث آخر: «ثَلاثٌ مَنْ أُوتِيَهُنَّ فَقَدْ أُوتِيَ مِثْلَ ما أُوتِيَ آلُ دَاوُدَ: العَدْلُ فِي الرِّضا وَالغَضَبِ، وَالقَصْدُ فِي الغِنَى وَالفَقْرِ، وَخَشْيَةُ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالعَلانِيَةِ»(٤)، فهذه شروط ذكرها رسول الله ﷺ لأولي الإيمان، فالعجب ممن يدّعي علم الدين ولا يصادف في نفسه ذرّة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله أن يجحد ما لا يكون إلا بعد مجاوزة مقامات عظيمة عليه وراء الإيمان؛ وفي الأخبار أنّ الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه: إنما أتخذ لخلتي من لا يفتر عن ذكري ولا يكون له هم غيري ولا يؤثر عليَّ شيئًا من خلقي وإن حرق بالنار لم يجد لحرق النار

---

(١) حديث «لا يستكمل عبد الإيمان حتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرته وحتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف». ذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طلحة، وعلى هذا فهو معضل فعلي بن أبي طلحة إنما سمع من التابعين ولم أجد له أصلًا.

(٢) ضعيف: حديث «ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه: لا يخاف في الله لومة لائم». أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وفيه سالم المرادي ضعفه ابن معين والنسائي ووثقه ابن حبان واسم أبيه عبد الواحد. [انظر السلسلة الضعيفة: ٣٤٤٥].

(٣) موضوع: حديث «لا يكمل إيمان العبد حتى يكون فيه ثلاث خصال». أخرجه الطبراني في الصغير بلفظ «ثلاث من أخلاق الإيمان» وإسناده ضعيف. [انظر السلسلة الضعيفة: ٥٤١].

(٤) حسن: حديث «ثلاث من أوتيهن فقد أوتي ما أوتي آل داود: العدل في الرضا والغضب». غريب بهذا اللفظ، والمعروف «ثلاث منجيات» فذكرهن بنحوه وقد تقدم. [انظر صحيح الجامع: ٣٠٣٩].

وجعًا وإن قطع بالمناشير لم يجد لمس الحديد ألمًا. فمن لم يبلغ إلى أن يغلبه الحب إلى هذا الحد فمن أين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات؟ وكل ذلك وراء الحب والحب وراء كمال الإيمان، ومقامات الإيمان وتفاوته في الزيادة والنقصان لا حصر له.

ولذلك قال عليه السلام للصديق رضي الله تعالى عنه: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَعْطَاكَ مِثْلَ إِيمانِ كُلِّ مَنْ آمَنَ بِي مِنْ أُمَّتِي وَأَعْطَانِي مِثْلَ إِيمانِ كُلِّ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ وَلَدِ آدَمَ» (١)، وفي حديث آخر: «إِنَّ للَّهِ تَعَالَى ثَلاثَمِائَةَ خُلُقٍ مَنْ لَقِيَهُ بِخُلُقٍ مِنْهَا مَعَ التَّوْحِيدِ دَخَلَ الجَنَّةَ» فقال أبو بكر: يا رسول الله هل فيَّ منها خلق؟ فقال: «كُلُّها فِيكَ يا أبا بَكْرٍ وَأَحَبُّها إِلَى اللَّهِ تَعَالَى السَّخَاءِ» (٢)، وقال عليه السلام: «رَأَيْتُ مِيزَانًا دُلِّيَ مِنَ السَّمَاءِ فَوَضِعْتُ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ أُمَّتِي فِي كِفَّةٍ فَرَجَحْتُ بِهِمْ وَوَضِعَ أَبُو بَكْرٍ فِي كِفَّةٍ وَجِيءَ بِأُمَّتِي فَوُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ فَرَجَحَ بِهِمْ» (٣)، ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله ﷺ بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال: «لَوْ كُنْتَ مُتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلًا لاتَّخَذْتُ أبا بَكْرٍ خَلِيلًا وَلكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ تَعَالَى» (٤) يعني نفسه.

خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة ينتفع بها:

قال سفيان: المحبة اتباع رسول الله ﷺ: وقال غيره: دوام الذكر، وقال غيره: إيثار المحبوب. وقال بعضهم: كراهية البقاء في الدنيا. وهذا كله إشارة إلى ثمرات المحبة فأما نفس المحبة فلم يتعرّضوا لها. وقال بعضهم: المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب عن إدراكه وتمتنع الألسن عن عبارته. وقال الجنيد: حرّم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة. وقال: كل محبة تكون بعوض فإذا زال العوض زالت المحبة. وقال ذو النون: قل لمن أظهر حب الله احذر أن تذلّ لغير الله. وقيل للشبلي رحمه الله: صف لنا العارف والمحب؛ فقال: العارف إن تكلم هلك، والمحب إن سكت هلك، وقال الشبلي رحمه الله:

---

(١) حديث: إنه قال للصديق «إن الله قد أعطاك مثل إيمان كل من آمن بي من أمتي». أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية الحارث الأعور عن علي مع تقديم وتأخير والحارث ضعيف.

(٢) حديث «إن لله تعالى ثلاثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة». أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أنس مرفوعا عن الله «خلقت بضعة عشر وثلاثمائة خلق من جاء بخلق منها مع شهادة أن لا إله إلا الله دخل الجنة» ومن حديث ابن عباس «الإسلام ثلاثمائة شريعة وثلاثة عشر شريعة» وفيه وفي الكبير من رواية المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده نحوه بلفظ «الإيمان» وللبزار من حديث عثمان بن عفان «إن الله تعالى مائة وسبعة عشر شريعة... الحديث» وليس فيها كلها تعرض لسؤال أبي بكر وجوابه وكلها ضعيفة.

(٣) صحيح: حديث «رأيت ميزانا دلي من السماء فوضعت في كفة ووضعت أمتي في كفة فرجحت بهم». أخرجه أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف. [أحمد: ١٩٩٣٢ وصححه الألباني في صحيح الترمذي من حديث أبي بكرة: ٢٢٨٧]

(٤) صحيح: حديث «لو كنت متخذًا من الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكن صاحبكم خليل الله تعالى». متفق عليه وقد تقدم.

يا أيُّها السيِّدُ الكريمُ حبّك بين الحشا مقيمُ
يا رافعَ النومِ عن جفوني أنت بما مرّ بي عليمُ

ولغيره:

عجبت لمن يقول ذكرت إلفي وهل أنسى فأذكر ما نسيتُ
أموت إذا ذكرتك ثم أحيا ولولا حسن ظني ما حييتُ
فأحيا بالمنى وأموت شوقًا فكم أحيا عليك وكم أموتُ
شربت الحبَّ كأسًا بعد كأسٍ فما نفدَ الشراب وما رويت؟
فليت خياله نصب لعيني فإن قصرت في نظري عميتُ

وقالت رابعة العدوية يومًا: من يدلنا على حبيبنا، فقالت خادمة لها: حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه. وقال ابن الجلاء رحمه الله تعالى: أوحى الله إلى عيسى عليه السلام: إني إذا اطلعت على سر عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي وتوليته بحفظي. وقيل: تكلم سمنون يومًا في المحبة فإذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الأرض حتى سال الدم منه فمات. وقال إبراهيم بن أدهم: إلهي إنك تعلم أنّ الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة في جنب ما أكرمتني من محبتك وآنستني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك، وقال السري - رحمه الله: من أحب الله عاش، ومن مال إلى الدنيا طاش، والأحمق يغدو ويروح في لاش، والعاقل عن عيوبه فتاش. وقيل لرابعة: كيف حبك للرسول ﷺ؟ فقالت: والله إني لأحبه حبًّا شديدًا ولكن حب الخالق شغلني عن حب المخلوقين. وسئل عليه السلام عن أفضل الأعمال فقال: الرضا عن الله تعالى والحب له.

وقال أبو يزيد: المحب لا يحب الدنيا ولا الآخرة إنما يحب من مولاه مولاه. وقال الشبلي: الحب دهش في لذة وحيرة في تعظيم.

وقيل: المحبة أن تمحو أثرك عنك حتى لا يبقى فيك شيء راجع منك إليك، وقيل: المحبة قرب القلب من المحبوب بالاستبشار والفرح. وقال الخوّاص: المحبة محو الإرادات واحتراق الصفات والحاجات. وسئل سهل عن المحبة فقال: عطف الله بقلب عبده لمشاهدته بعد الفهم للمراد منه.

وقيل: معاملة المحب على أربع منازل: على المحبة والهيبة والحياء والتعظيم، وأفضلها التعظيم والمحبة لأنّ هاتين المنزلتين يبقيان مع أهل الجنة في الجنة ويرفع عنهم غيرهما.

وقال هرم بن حبان: المؤمن إذا عرف ربه عز وجل أحبه، وإذا أحبه أقبل عليه، وإذا وجد حلاوة الإقبال عليه لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بعين الفترة، وهي تحسره في الدنيا وتروّحه في الآخرة، وقال عبد الله بن محمد: سمعت امرأة من المتعبدات تقول - وهي باكية والدموع على خدها جارية: والله لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت

الموت يباع لاشتريته شوقًا إلى الله تعالى وحبًا للقائه، قال: فقلت لها: فعلى ثقة أنت من عملك؟ قالت: لا ولكن لحبي إياه وحسن ظني به أفتراه يعذبني وأنا أحبه؟ وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقًا إليّ وتقطعت أوصالهم من محبتي، يا داود هذه إرادتي في المدبرين عليّ فكيف إرادتي في المقبلين عليّ، يا داود أحوج ما يكون العبد إليّ إذا استغنى عني وأرحم ما أكون بعبدي إذا أدبر عني وأجل ما يكون عبدي إذا رجع إليّ، وقال أبو الصفار: لقي نبي من الأنبياء عابدًا فقال له: إنكم معاشر العباد تعملون على أمر لسنا معشر الأنبياء نعمل عليه، أنتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق.

وقال الشبلي رحمه الله: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود ذكري للذاكرين، وجنتي للمطيعين، وزيارتي للمشتاقين، وأنا خاصة للمحبين، وأوحى الله تعالى إلى آدم عليه السلام يا آدم من أحب حبيبًا صدّق قوله ومن أنس بحبيبه رضي فعله ومن اشتاق إليه جدّ في مسيره. وكان الخوّاص رحمه الله يضرب على صدره ويقول: واشوقاه لمن يراني ولا أراه.

وقال الجنيد رحمه الله: بكى يونس عليه السلام حتى عمي، وقام حتى انحنى، وصلى حتى أقعد، وقال وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك بحر من نار لخضته إليك شوقًا مني إليك.

وعن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه قال: سألت رسول الله ﷺ عن سنته فقال: «المَعْرِفَةُ رَأس مَالِي وَالعَقْلُ أَصْلُ دِينِي وَالحُبُّ أَسَاسِي وَالشَّوْقُ مَرْكَبِي وَذِكْرُ اللَّهِ أَنِيسِي وَالثِّقَةُ كَنْزِي وَالحُزْن رَفِيقِي وَالعِلْمُ سِلاَحِي وَالصَّبْرُ رِدَائِي وَالرِّضَا غَنِيمَتِي وَالعَجْزُ فَخْرِي وَالزهْدُ حِرْفَتِي وَاليَقِين قُوتِي وَالصِّدْقُ شَفِيعِي وَالطَّاعَةُ حُبِّي وَالجِهَادُ خُلُقِي وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ»(١)

وقال ذو النون: سبحان من جعل الأرواح جنود مجندة فأرواح العارفين جلالية قدسية فلذلك اشتاقوا إلى الله تعالى، وأرواح المؤمنين روحانية فلذلك حنوا إلى الجنة، وأرواح الغافلين هوائية فلذلك مالوا إلى الدنيا. وقال بعض المشايخ: رأيت في جبل اللكام رجلًا أسمر اللون ضعيف البدن وهو يقفز من حجر إلى حجر ويقول:

الشوق والهوى صيراني كما ترى

ويقال: الشوق نار الله أشعلها في قلوب أوليائه حتى يحرق بها ما في قلوبهم من الخواطر والإرادات والعوارض والحاجات، فهذا القدر كاف في شرح المحبة والأنس والشوق والرضا، فلنقتصر عليه والله الموفق للصواب.

تم كتاب المحبة والشوق والأنس، يتلوه كتاب النية والإخلاص والصدق.

---

(١) حديث علي: سألت رسول الله ﷺ عن سنته فقال: «المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني». ذكره القاضي عياض من حديث علي بن أبي طالب ولم أجد له إسنادًا.

الفهرس

كتاب التوبة.....٣
الركن الأول في نفس التوبة.....٤
بيان وجوب التوبة وفضلها:.....٥
بيان أن وجوب التوبة على الفور:.....١٠
الركن الثاني فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغائرها وكبائرها.....٢١
بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات العبد.....٢١
بيان كيفية توزع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا:.....٣٠
بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب:.....٤٣
الركن الثالث في تمام التوبة وشروطها ودوامها إلى آخر العمر.....٤٦
والحق فيه أن الذي انقطع نزوع نفسه له حالتان:.....٥٥
بيان أقسام العباد في دوام التوبة:.....٥٨
بيان ما ينبغي أن يبادر إليه التائب إن جرى عليه ذنب إما عن قصد وشهوة غالبة أو عن إلمام بحكم الاتفاق:.....٦٢
والمقصود أن للتوبة ثمرتين:.....٦٥
الركن الرابع في دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الإصرار.....٦٧
كتاب الصبر والشكر.....٨٢
بيان فضيلة الصبر:.....٨٢
بيان حقيقة الصبر ومعناه:.....٨٤
بيان كون الصبر نصف الإيمان:.....٨٩
بيان الأسامي التي تتجدد للصبر بالإضافة إلى ما عنه الصبر:.....٩٠
بيان مظانّ الحاجة إلى الصبر وأن العبد لا يستغني عنه في حال من الأحوال:....٩٤
بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه:.....١٠٣

باعث الشهوة فسبيل تضعيفه ثلاثة أمور:.....١٠٣
تقوية باعث الدين فإنما تكون بطريقين:.....١٠٤
وعمله في ثلاثة أمور:.....١٠٩
الشطر الثاني من الكتاب في الشكر.....١١٠
الركن الأول في نفس الشكر.....١١٠
بيان حدّ الشكر وحقيقته:.....١١٢
بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى:.....١١٧
بيان تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه:.....١٢٣
الركن الثاني من أركان الشكر، ما عليه الشكر.....١٣٦
بيان حقيقة النعمة وأقسامها:.....١٣٦
والأسباب المعينة واللذات المسماة نعمة نشرحها بتقسيمات:.....١٣٦
الطرف الخامس: في نعم الله تعالى في الأسباب الموصلة للأطعمة إليك:.....١٦١
الطرف السادس: في إصلاح الأطعمة:.....١٦٢
الطرف السابع: في إصلاح المصلحين:.....١٦٣
الطرف الثامن: في بيان نعمة الله تعالى في خلق الملائكة عليهم السلام:.....١٦٤
بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر:.....١٦٨
الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط أحدهما بالآخر.....١٧٤
بيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد:.....١٧٤
بيان فضل النعمة على البلاء:.....١٨٣
بيان الأفضل من الصبر والشكر:.....١٨٥
كتاب الخوف والرجاء.....١٩٤
بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه:.....١٩٧

بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء ويغلب:.....١٩٩
بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف:.....٢١٤
بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يخاف منه:.....٢١٦
بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه:.....٢١٩
بيان أنُ الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما:.....٢٢٤
بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف:.....٢٢٨
بيان معنى سوء الخاتمة:.....٢٣٧
بيان أحوال الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام في الخوف:.....٢٤٦
بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف والصالحين في شدة الخوف: ٢٥٠
كتاب الفقر والزهد.....٢٥٨
بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميه:.....٢٥٩
بيان فضيلة الفقر مطلقًا:.....٢٦٣
بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين:.....٢٧١
بيان فضيلة الفقر على الغنى:.....٢٧٣
بيان آداب الفقير في فقره:.....٢٧٩
بيان آداب الفقير في قبول العطاء إذا جاءه بغير سؤال:.....٢٨١
بيان تحريم السؤال من غير ضرورة، وآداب الفقير المضطر فيه:.....٢٨٥
بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال:.....٢٩٠
بيان أحوال السائلين:.....٢٩٢
الشطر الثاني من الكتاب في الزهد.....٢٩٤
بيان حقيقة الزهد:.....٢٩٤
بيان فضيلة الزهد:.....٢٩٨
بيان درجات الزهد وأقسامه :.....٣٠٦

بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة:.....٣١٢
بيان علامات الزهد:.....٣٢٨
وينبغي أن يعوّل في باطنه على ثلاث علامات:.....٣٢٨
كتاب التوحيد والتوكل.....٣٣١
بيان فضيلة التوكل:.....٣٣١
بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل:.....٣٣٤
الشطر الثاني من الكتاب في أحوال التوكل وأعماله.....٣٥١
بيان حال التوكل:.....٣٥١
بيان أعمال المتوكلين:.....٣٥٩
بيان توكل المعيل:.....٣٦٨
بيان آداب المتوكلين إذا سرق متاعهم:.....٣٨٠
بيان أن ترك التداوي قد يحمد في بعض الأحوال ويدل على قوة التوكل وأن ذلك لا يناقض فعل رسول الله :.....٣٨٧
بيان الرد على من قال: ترك التداوي أفضل بكل حال:.....٣٩٢
بيان أحوال المتوكلين في إظهار المرض وكتمانه:.....٣٩٥
كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا.....٣٩٧
بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى:.....٣٩٨
بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى:.....٤٠٠
بيان أن المستحق للمحبة هو الله وحده:.....٤٠٦
بيان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم وأنه لا يتصور أن لا يؤثر عليها لذة أخرى من حرم هذه اللذة:.....٤١٥
بيان السبب في زيادة النظر في لذة الآخرة على المعرفة في الدنيا:.....٤٢١
بيان الأسباب المقوية لحب الله تعالى:.....٤٢٦

بيان السبب في تفاوت الناس في الحب:.....٤٣١
بيان معنى الشوق إلى الله تعالى:.....٤٣٥
بيان محبة الله للعبد ومعناها:.....٤٤٠
القول في علامات محبة العبد لله تعالى:.....٤٤٤
بيان معنى الانبساط والإدلال الذي تثمره غلبة الأنس:.....٤٥٨
القول في معنى الرضا بقضاء الله تعالى وحقيقته وما ورد في فضيلته:.....٤٦٢
بيان فضيلة الرضا:.....٤٦٢
بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى:.....٤٦٦
بيان أن الدعاء غير مناقض للرضا:.....٤٧٢
بيان أن الفرار من البلاد التي هي مظانّ المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضا:.....٤٧٦
بيان جملة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم:.....٤٧٨
خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة ينتفع بها:.....٤٨٣

* * *

The Soul's Journey After Death

An Abridgement of

Ibn Al-Qayyim's Kitabar-Ruh

With Commentary by

LAYLA MABROUK

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

Bismi Allahi Alrrahmani Alrraheemi

In the name of Allah, the most Beneficent, the most Merciful

The Soul's Journey After Death

An Abridgement of

Ibn Al-Qayyim's Kitabar-Ruh

MASJID-AL-NOOR
Islamic Community of Northern California
P.O. Box 410186
San Francisco, CA 94141-0186

With Commentary by

LAYLA MABROUK

Kalamullah.Com

'Every soul will taste death.'

(Qur'an 2:185)

CONTENTS

Introduction 1

From One World to Another! 5

The Meaning and Truth of Death 11

The Bliss of the Interspace between the Two Worlds 15

The Punishment of the Interspace 21

How can a Man save Himself from the Punishment of the Grave before it is too late? 27

What can the Living do to Rescue the Dead Person from Punishment? 31

Glossary 39

INTRODUCTION

'They will ask you about the spirit. Say, "The spirit is at the behest of your Lord. You have been given only a little knowledge."'[1]

'The living go on and the dead do not.' ... Allah! What an extraordinary expression and what an even stranger position to take. When somebody dies, our sorrow and tears, our weeping and mourning soon cease. The funeral rites, the Thursday ceremony and finally the forty-day ceremony are held and then all is forgotten. We say to ourselves, 'The living go on and the dead do not,' and put the dead person out of mind on the premise that he is dead and at rest. We forget or pretend to forget that he is in fact in even greater need of us than the living. He faces the future all alone, hidden away in the domain of the earthworms, buried under the earth in a desolate grave. He was in the light and now he is in darkness. He was surrounded by beauty and spaciousness and now he is enclosed in narrowness and gloom. He was in bliss and he now is in torment.

All this, however, is measured by criteria which are completely different from those that we, the living, use. We cannot perceive these things with our eyes or our inner senses or even our ears. The dead person is completely aware of them, but according to the criteria of the Next World. What are those criteria? What is death? What is life in the Next World...the world after death? Questions, many questions come to mind.

[1] Al-Isra (17): 85

I have read more than one book on this subject, but I consider my basic source in what I say here to be the *Kitab ar-Ruh* by Ibn al- Qayyim which is based on the Qur'an, the *Sunna*, Traditions and what the greatest scholars have said. However, before reading Ibn al- Qayyim, we must first know who Ibn al-Qayyim was, and whether he is a reliable source.

I will here present some of what I have read about Ibn al-Qayyim al-Jawziyya in a magisterial thesis submitted to Azhar University by Dr. Husayni 'Ali Ridwan. In it he points out that Ibn al-Qayyim's real name was Muhammad b. Abi Bakr b. Sa'id b. Hariz az-Zar'i, and then ad-Dimashqi. His title was Shamsu'd-din, and his *kunya* was Abu 'Abdullah. How then did he come by the name Ibn al-Qayyim al-Jawziyya? His father was the director of a school called al-Jawziyya which was located in the Damascus Wheat Market and for that reason he was called "Ibn al-Qayyim al-Jawziyya" or "Ibn al-Qayyim". He is not the same as Ibn al- Qayyim al-Jawzi who died in Baghdad in 597 A.H.

Ibn al-Qayyim al-Jawziyya was born into a scholarly and virtuous family in 691 A.H./1292 A.D. At that time Damascus was a centre of literature and thought. Many schools were located there and he studied and graduated under the protection, direction and sponsorship of his father. He was particularly influenced by his Shaykh and teacher Ahmad b. Taymiyyah, and also by Ibn ash-Shirazi amongst others.

When he had reached maturity and had become a scholar of weight and reputation, he started to teach at al-Jawziyya and had many students, including Ibn Kathir. He was looked to as a model in both youth and middle-age, by reason of the fact that he went out of his way to pass on to others the knowledge he had been given by those who came before him.

From his youth onwards he was constantly striving, tireless in his examination of everything around him, brilliant. Throughout his life, he remained an example of

humility. He was calm and convivial, constant in worship, getting right to the core of the *deen*, a living example of the meaning of scrupulousness. He was courageous about stating the truth, no matter what the consequences.

I have put together all these qualities by which his personality was distinguished and the effect they must have had is clear when we look at the impact of his character on history and his unique achievement in the various fields of knowledge, literature and culture.

After memorizing the Noble Qur'an, he set about memorizing *hadith* and then turned to poetry, studying language through the different periods of poetic development. Then he immersed himself in the field of Islamic culture, paying particular attention to legal judgements. He collected books and extracted all that could be extracted from them. He took a long time over the books he wrote, taking great pains in his research and accuracy so that he would produce definitive, appropriate, coherent works for people from which nothing had been left out. For that reason people were hungry for his words and his books were widely read.

Our forbears considered him, after his teacher Ibn Taymiyyah, as the Greatest Scholar, the Shaykh of Islam and the Muslims, the Seal of the Certain, the heir of the knowledge of the *mujtahids*, the leader of the intellectual renaissance in the 8th century and the saviour of the Islamic world.

*The meaning of italicised Arabic terms can be found in the Glossary.

FROM ONE WORLD TO ANOTHER!

'Why, but when the soul reaches the throat of the dying and at that moment you are watching - and We are nearer to him than you, but you do not see Us.'[1]

When someone dies, the Angel of Death comes to take his soul, no matter where he is. The dying person sees him, hears him, and speaks to him, but not with his eyes, his ears, or his tongue. How then? I do not know exactly. All I do know is that when he begins to move to another world, he sees, hears, and speaks, by some means which we, the living, do not perceive. Many instances of this have been recorded:

Ibn Abi'd-Dunya mentions that on the day 'Umar b. 'Abdu'l-'Aziz died, he said to those with him, 'Sit with me.' When they sat down next to him, he said, 'I am the one You commanded and I failed you. You forbade me and I rebelled.' He said this three times. Then he said, 'But there is no god but Allah.' Then he lifted his head and stared. They said, 'You are looking very intently, Amir al-Mu'minin.' He replied, 'I see a presence which is neither man nor jinn.' Then he died.

Fadala b. Dinar said, 'I was with Muhammad b. Wasi' when he was very near to death. He began to say, "Welcome to my Lord's angels! There is no strength nor power except by Allah!" I smelled the sweetest fragrance that I had ever smelled. Then his eyes glazed over and he died.'

Why do I need to look so far into the past, to the days of the first Muslims? I myself was present at the moment of

[1] Al- Waqi'a (56): 83-85

someone's death in our own time. I was with my grandmother when she was dying. It was at the time of the Dawn Prayer. She was in pain and gasping for breath, moaning from the intensity of the pain but in spite of that, she kept repeating with great joy, 'Allah! Death is sweet!' and saying the *shahada* over and over for several minutes. Then it was all over. This is where our job, those of us who are still alive, begins.

After the soul is taken, if it is a pure soul and has relatives in the Next World who are people of the Garden, they come to meet the soul with yearning and great joy. They ask it about the condition of those who are still alive in this world.

The angels then bear the soul from one heaven to the next until it comes into the presence of Allah, glory be to Him and may He be exalted! Then it returns and sees the washing of the body, its shrouding, and the funeral procession. It says either, 'Take me forward! Take me forward!' or 'Where are you taking me?' The people there cannot hear this.

When the corpse has been placed in the grave, the soul inserts itself between the body and the shroud so that the questioning can take place. Then the soul hears the receding footfall of the last of the people who followed the funeral and the earth is levelled over him. The earth, however, does not prevent the angels from reaching him. Even if a stone had been hollowed out for him and he had been placed into it and the opening sealed over with lead, it still would not stop the angels from reaching him. These dense substances cannot prevent the passage of souls. They do not even stop the *jinn*. Allah - glory be to Him! - made stone and earth the same for the angels as air is for birds.

The Grave expands and stretches for the soul, and as a result for the body as well. The body is in a grave of the narrowest dimensions and yet it expands, because of the soul, as far as the eye can see.

For details and confirmation of what I have said I will quote a sound *hadith* of the Messenger of Allah, may Allah bless him and grant him peace. He said,

> 'When the believer is about to depart from this world and go forward into the Next World, angels with faces as bright as the sun descend from the heavens and sit around him in throngs stretching as far as the eye can see. Then the Angel of Death comes and sits at his head and says, "Good soul, come out to forgiveness and pleasure from Allah!" Then his soul emerges like a drop of water flows from a water-skin and the angel takes hold of it. When he has grasped it, the other angels do not leave it in his hand even for the twinkling of an eye. They take it and place it in a perfumed shroud and a fragrance issues from it like the sweetest scent of musk found on the face on the earth.
>
> 'Then they bear it upwards and whenever they take it past a company of angels, they ask, "Who is this good soul?" and the angels with the soul reply, "So-and-so the son of so-and-so," using the best names by which people used to call him in this world. They bring him to the lowest heaven and ask for the gate to be opened for him. It is opened for him and angels who are near Allah from each of the heavens accompany him to the subsequent heaven until he reaches to the heaven where Allah the Great is. Allah, the Mighty and Majestic, says, 'Register the book of My slave in '*Illiyun* and take him back to earth. I created them from it and I return them to it and I will bring them forth from it again."
>
> 'His soul is then returned to his body and two angels come to him. They make him sit up and say to him, "Who is your Lord?" He replies, "My Lord is Allah." They ask him, "What is your religion?" He replies, "My religion is Islam." They ask him, "Who is this man who was sent among you?" He replies, "The Messenger of

Allah." They ask him, "How did you come to know these things?" He replies, "I read the Book of Allah, believed it, and declared it to be true." Then a Voice from on high declares, "My slave has spoken the truth, so spread out carpets from the Garden for him and open a gate of the Garden for him!" Then some of its fragrance and perfume comes to him, his grave is expanded for him as far as the eye can see, and a man with beautiful garments and a fragrant scent comes to him and says, "Rejoice in what delights you for this is the day which you were promised." He asks, "Who are you? Yours is a face which presages good." He replies, "I am your good actions." Then he says, "O Lord, let the Last Hour come soon so that I may rejoin my family and my property!"

'When an unbeliever is about to depart from this world and go forward into the Next World, angels with black faces descend from the heavens carrying rough hair- cloth and sit around him in throngs stretching as far as the eye can see. Then the Angel of Death comes and sits at his head and says, "Foul soul, come out to the wrath and anger of Allah!" Then his soul divides up in his body and it is dragged out like a skewer is pulled out of wet wool. Then the angel takes hold of it. When he has grasped it, the other angels do not leave it in his hand even for the twinkling of an eye. They take it and wrap it in the rough hair-cloth and a stench comes out of it like the worst stench of a corpse on the face of the earth.

'Then they take it up and whenever they take it past a company of angels, they ask, "Who is this foul soul?" and the angels with the soul reply, "So-and-so the son of so-and-so," using the worst names by which people used to call him in this world. They bring him to the lowest heaven and ask for the gate to be opened for him. It does not get opened.'

The Messenger of Allah, may Allah bless him and grant him peace, then recited, '*The gates of heaven will not be opened to them nor will they enter the Garden until the camel passes through the eye of the needle.*'[2]

'Then Allah, the Mighty and Majestic, will say, "Register his book in *Sijjin* in the lowest earth." Then his soul is flung down.'

The Prophet then recited, '*Whoever associates anything with Allah, it is as though he has fallen from heaven and the birds snatch him away or the wind sweeps him headlong into a place far away.*'[3]

'Then his soul is returned to his body and two angels come and say to him, "Who is your Lord?" He replies, "Alas, alas, I do not know!" Then a voice calls from on high, "My slave has lied, so spread out carpets from the Fire for him and open a gate of the Fire for him!" Then a hot blast from it comes to him, his grave is made so narrow for him that his ribs are pressed together, and a man with a hideous face and clothing and a foul odour comes to him and says, "Grieve on account of what has brought you disgrace for this is the day which you were promised." He asks, "Who are you? Yours is a face which presages evil." He replies, "I am your bad actions." Then he says, "O Lord, do not let the Last Hour come!"

Allah the Exalted says in His Mighty Book regarding the words used by the two angels who question the dead person in the grave, '*Allah confirms those who believe with the firm word, in the life of this world and in the Next World. Allah leads astray the wrongdoers, and Allah does whatever He will.*'[4]

[2] Al-A'raf (7): 40

[3] Al-Hajj (22): 31

[4] Ibrahim (14): 27

THE MEANING AND TRUTH OF DEATH

'Every soul will taste death.'[1]

What is death? Is it total annihilation? Or is it simply the severing of the soul from the body? When the soul is separated from the body, what happens to each of them? What happens to man himself, the owner of this transient body and eternal soul? Does his consciousness come to an end when his body dies? Or does his awareness continue to live on in his eternal soul? Do the dead feel enjoyment and pain the way the living do? Can the awareness of a living man whose soul is locked in his body compare with the awareness of a dead man whose soul has been released from his body?

Naturally the answer to this last question is, No! The living are aware and the dead are aware. But there is a difference and there is no way to compare them. Death is not pure annihilation. It is merely movement from one world to another. When the dead man feels the bliss or punishment of the grave, it does not mean that he is alive in his grave, needing food, clothes and so on. Nor does it mean that his soul permeates all the parts of his body as it did when he was in this world. The soul returns to the body again in a way which is not the same as in this world so that the dead man can be questioned and tested in the grave.

We can get some idea of this by likening death to sleep which is the 'lesser death', even though there is of course a natural disparity between the two. In sleep, a man's soul

[1] Al Imran (2): 185

comes out though his nostrils and travels until it comes into the presence of the Lord of the Throne. If the sleeper is in a state of purity, his soul prostrates before its Creator. Then it may encounter the world of dreams or meet with the souls of people who have died, but what it is in fact faced with is a page of Allah's knowledge of the Unseen containing the good or evil He has decreed for this particular human being. If the sleeper is truthful, generous, and pure, and someone who does not concern himself with stupid things during the time he is awake, then when his soul returns to him it conveys to his heart the truth of what Allah, the Great and Majestic, has let him see. When this happens, it is called a 'truthful dream'. In sleep, the soul can also move freely about the world and meet with the souls of people who are still alive and gain knowledge from them. Some of what it learns is true and some false. The false part is the normal dream or the chatter of the soul.

If the sleeper is a liar and likes what is false, his soul still rises to heaven during sleep, moves freely about the world, meets with other souls and learns true information about the Unseen. However while the soul is returning to the body, it meets *Shaytan* in mid-air and he mixes the true with the false like he does when a person is awake. Then when he wakes up, the person is confused and muddled about what Allah the Mighty and Majestic has let him see and consequently does not understand it, only remembering what *Shaytan* showed him. Those are confused dreams.

In confirmation of these things, we will mention what Allah the Great has said in the *sura, az-Zumar, "Allah takes the souls at the time of their death, and that which has not died, in its sleep. He withholds that against which He has decreed death, but looses the other until a stated term."*[2]

In the sleeping state, the soul does not completely leave the body as it does in the case of death, but remains inside the body not leaving it to move freely through the heavens. We can liken it to a ray or a thread whose end remains connected to the body. The ray of this soul stretches out to

[2] Az-Zumar (39): 42

the heavens and then returns again to the body when the sleeper wakes up. It is like the rays of the sun. The orb of the sun is in the heaven but its rays are on the earth. The two cases are not exactly the same, but it is a way of making the meaning clearer.

In the case of death, the body remains in the ground while the soul is in the interspace between the two worlds. An 'interspace' is something which separates two things: heaven and earth, or this world and the Next World. In other words, it is the period between death and resurrection. The bliss or punishment of the *Interspace* is not the same as the bliss and punishment of the Next World. It is something that happens between this world and the Next World. Despite the fact that the soul is in the interspace between the two worlds and the body is inside the earth, the two are still connected. Consequently, the bliss or punishment happens to both of them.

We have likened this condition to the sleeping state, but naturally there is a distinction. In sleep, the soul subsists fundamentally in the body. It emerges as something like a ray to the heavens so that the sleeper has a dream in which he feels either happy or miserable. He experiences either bliss or punishment in his sleep.

In death, the soul subsists fundamentally in the *Interspace*, not in the body. When Allah the Great desires bliss or punishment for the soul, He connects it to the body. It is in Heaven, but at the same time it looks at and is connected to the body in the ground. The soul is diffused in more than one place at the same time. The proof of this is that the Messenger, peace and blessings be upon him, saw Musa, peace and blessing be upon him, on the night of the Night Journey standing in prayer in his grave and he also saw him in the sixth and seventh heavens.

In spite of that, bliss or punishment happen at times to both body and soul simultaneously. At other times, it happens only to the soul. The dead person can lose aware-

ness for a time but then the bliss or punishment continues. That is dependent on the will of Allah the Great and dependent on a man's own actions.

One of the people of earlier times thought that if his body were burned to ashes and then some of the ashes were cast into the sea and some onto dry land on a very windy day, he would be saved from the punishment of the grave. He therefore told his children to do that. However Allah commanded the sea to collect together the ashes that had been thrown into it and the land to do likewise and then said, 'Get up!' and the man found himself standing before Allah. Allah questioned him, asking 'What made you do what you did?' He replied, 'I feared You, my Lord, but You are the one who knows best.' Because of that Allah forgave him.

Doing that could not eliminate the punishment and the bliss of the Grave which affect those parts which no longer exist. If a righteous man were to be buried in a fiery furnace, his portion of bliss would still reach his soul and body and Allah would make the fire cool and peaceful for him. For the wrongdoer, the cool air becomes fire and hot wind. The elements and the matter of the universe obey their Lord, Originator and Creator. He makes them behave in whatever way He wills. None of them are able to do anything except what He wills. Everything obeys His will in humble submission to His decree.

THE BLISS OF THE INTERSPACE BETWEEN THE TWO WORLDS

'O soul at peace, return unto your Lord, well-pleased and well- pleasing! Enter among My slaves! Enter My Garden!'[1]

'The Grave'...the Grave is a word that inspires fear. We are pained when it is mentioned. We are not aware of the delight it can contain. Indeed, the bliss of the Grave is better than any delight that this world can offer. The Messenger, blessings and peace be upon him, said, 'When the believer is near to death, angels of mercy come to him. When his soul is taken, they place it in a piece of white silk and bear it to the gate of Heaven. They say, "We have never smelled a sweeter fragrance than this!" His soul is asked, "How is so-and-so? How is so- and-so?" It will be said, "Let him rest. He has just come from the suffering of the world!" '

The Grave or the *Interspace* is the third stage of human existence. The first is the domain of the mother's womb with all the constriction and the three darknesses it contains. The second is the domain of this world in which we grow up, which we are familiar with and from which we acquire good and evil and the means to happiness or misery. The third is the domain of the *Interspace* which is wider and vaster than the domain in which we now live - the domain of this world. The fourth and final stage is the Everlasting Domain which comprises the Garden and the Fire. There is no domain after it for it is the Domain of Eternity.

[1] Al-Fajr (89): 27-30.

What we are at present concerned with is the third stage, the domain of the interspace between the worlds. It is the first of the stages of the Next World. In it the souls are divided into two groups: one group is punished and imprisoned, distracted by its punishment from everything else - such as visiting or meeting each other. The other group is in bliss, and it is this second group that we are concerned with here.

The liberated souls of those who are in bliss visit each other and discuss what happened in the world they have left and the people of that world. Every soul keeps company with those of his friends who acted in a similar way to him. Many people have had dreams showing this. One such dream was recorded by Salih b. Bashir who said, 'I saw 'Ata' as-Sulami in a dream after he died and said to him, "May Allah have mercy on you! You suffered for a long time in this world!" He replied, "By Allah, that has been followed by long-lasting joy and unending delight." I asked, "What is your station?" He replied, "With those whom Allah has blessed among the prophets, the sincere, the martyrs and the righteous." '

Allah the Great says, '*Whoever obeys Allah and the Messenger, they are with those whom Allah has blessed, the prophets, the sincere, the martyrs, and the righteous. Very excellent companions they are!*'[2]

The souls who are in bliss enjoy this state from the moment of death. We have already made that clear in great detail and corroborated it with a sound *hadith.* When the believer is dying, the angels come to him and speak to him and he speaks to them without the people present being aware of this. The soul yearns to meet its Lord and leaves the body with ease. Then the angels bear it to the heavens and a sweet fragrance diffuses from it which is perceived by all the angels and the pure, liberated souls in the heavens. They ask each other about this sweet fragrance. His relatives and dearest friends who were with him in the world hasten to him. They advance before him to the next world, crowding

[2] An-Nisa' (4): 69

round him and asking him for news of the world and those who are in it. Then the angels take the soul up from heaven to heaven and every angel in every heaven he passes through prays for blessings on him. He is delighted by the sweetest and most beautiful good tidings. Then the soul comes to a standstill before the Almighty King, may His majesty be exalted! He says to the soul, 'Welcome to this good soul and to the body which it left.' When the Lord, the Mighty and Majestic, makes something welcome, then everything welcomes it and every constriction departs from it. Then He says, 'Show him his place in the Garden and display before him the honour and blessing I have prepared for him.' Then the angels take him back down to the earth so that he can see his body being washed and they carry on a conversation although the living cannot hear it.

The angels pray for the soul of the believer in the heavens just as people pray over his body on the earth. Finally, the body is buried and the soul returns to between the body and the shroud. This return does not imply the same connection that the soul had to the body in this world. It is not even the same connection which it had in the sleeping state nor the connection which it has when it is in its resting place. This return is a special return for the questioning as we have already clarified.

Then, as we have already mentioned, the two angels, Munkar and Nakir, come down and question him. After that a door onto the Fire is opened for him and he is told, "Look! This would have been your place in the Fire if you had rebelled against Allah and Allah had exchanged your place in the Garden for it." Then that door is locked and another door onto the Garden is opened and he sees his place there. This door will remain open until the Day of Rising. Some of the sweetness and fragrance of the Garden reaches him and his grave is made spacious. He sleeps in peace just as if he were in one of the meadows of the Garden.

This spaciousness, light and greenery in which the believer remains from the time of his death until the Day of Rising is

not the same as we know in our world. If a living person were to open a grave, he would not find any expanse, light or greenness there. He would not find an open door through which he could see the Garden. He does not see bliss or torment. It is only the dead person who is aware of these things and sees them. Allah, through His wisdom, has the power to veil this from the living.

The proof that this is so is shown by the fact that there are other creatures like the *jinn* who live with us on the earth. They converse in raised voices among us but we do not see or hear them. There were angels who fought with the believers [at Badr] and struck down the unbelievers and shouted at them, but the Muslims did not see or hear them. *Jibril* came to the Messenger, blessings and peace be upon him, in the midst of the people and they did not see or hear him.

When a man is near death, the angel stretches out his hand to the soul and seizes it, speaks to it and then it comes out. A light like the sun's ray and a sweet fragrance come out to the soul. Then it ascends amid rows of angels, but those who are there cannot see or smell this. He is questioned, punished, beaten, and wails and cries out. All this happens while he is lying dead and his family are around him, but they neither hear nor see it. The sleeper dreams and enjoys his dream or is tormented by it, while someone awake at his side is not able to perceive what is going on at all.

Allah - glory be to Him and may He be exalted! - has given inanimate objects awareness and perception by which they glorify their Lord. The stones fall down out of fear of Him. The mountains and trees prostrate. The pebbles, water and plants glorify Him. All this is going on but we are not aware of it. Allah the Great said, *"There is nothing which does not glorify His praise, but you do not understand their glorification."*[3] The Companions heard the food that was being eaten glorifying Allah. That was because the Companions had a transparency of heart that does not now exist among us. All these things are part of our world and yet we are in

[3] Al-Isra' (17): 44

complete ignorance of them. It is not too much of an extrapolation to extend this to our being unaware of the things of the Next World.

An illustration of the bliss of the interspace between the two worlds is found in the words of the Messenger of Allah, may Allah bless him and grant him peace, regarding martyrdom. He said,

> 'The martyr receives six good things from Allah: He forgives him as soon as his blood is spilled and shows him his place in the Garden, He protects him from the punishment of the grave, He gives him security from the *Greatest Terror*, He places on his head a crown of dignity, a single ruby of which is more valuable than this world and all that it contains, He marries him to seventy-two dark-eyed houris, and He intercedes for seventy of his relatives.'

He also said,

> 'When any of your brothers is struck down (in battle), Allah puts their souls in the crops of green birds which go to the rivers of the Garden, eat its fruits and shelter in golden lamps in the shade of the Throne. When they have experienced the sweetness of their food and drink and their excellent reception, they say, "If only our brothers knew what Allah has done for us they would never abandon *jihad* nor talk about profane war instead." Allah, the Mighty and Majestic says, "I will relay this to them from you." '

Then Allah the Great revealed to His Messenger, may Allah bless him and grant him peace, '*Do not reckon those killed in the way of Allah as dead. They are alive with their Lord, provided for.*'[4]

[4] Al Imran (3): 169

THE PUNISHMENT OF THE INTERSPACE

'If you could only see when the wrongdoers are in the agonies of death, and the angels are stretching out their hands, 'Bring out your souls! Today you will be repaid with the punishment of humiliation.'[1]

The Grave is unknown territory. Outwardly it is quiet, but inwardly it contains secrets and terrors which an ordinary man cannot perceive. They can only be perceived by someone who has been given a high degree of belief and inner sight.

It is a strange fact that animals are able to hear the punishment in the Grave while human beings as a general rule cannot. The Prophet, may Allah bless him and grant him peace, said, 'They are punished and the animals hear it.'

Thabit al-Bunani said regarding this, 'Once I was walking among the graves and I heard a voice behind me, saying, "Thabit! Do not be deceived by their stillness. How many people in them are suffering!" I turned around, but did not see anyone.'

Al-Hasan passed a graveyard and said, 'What a host of people are here! How silent they are! How many there are among them who are suffering!'

We have already made it clear in the previous section that a dead person is either in a state of bliss or punishment, from the moment they die until the moment the two angels question them. We reached the point where a door onto the

[1] Al-An'am (6): 93

Garden is opened for the unbeliever and he is told to look at what his place would have been in the Garden if he had obeyed Allah. Then it is locked and another door is opened and he is told to look at his place in the Fire. It stays open and the blast of hot air from it continues to reach him until the Day of Rising. Then the earth presses in on him and he is crushed to the point that his ribs split apart. Then various forms of punishment rain down on him according to the type of wrong actions he committed.

Many statements have come down to us showing us the reality of the punishment of the Grave, or what we might also call the punishment of the interspace between the two worlds. The Prophet, may Allah bless him and grant him peace, said,

> 'I passed Badr and saw a man come out of the ground. Another man hit him with a stick until he vanished back into the earth. Then that happened again.'

The Messenger of Allah, may Allah bless him and grant him peace, went on to say,

> 'That was Abu Jahl b. Hisham who will be punished in that way until the Day of Rising.'

One of the early Muslims said, 'We passed by a certain watering-place on the way to Basra. We heard the braying of a donkey and asked the people there what the braying was. They replied that it was one of the men who used to be with them whose mother had asked him for something and he had told her to bray like a donkey. Since his death, this braying had been heard every night from his grave.'

'Amr b. Dinar said, 'The sister of one of the men of Madina died and he buried her. When he came back from the burial, he remembered that he had left something in the grave. He asked one of his companions to help him. His companion related that they had dug up the grave and found what they were looking for. Then the man said, "Let us dig further and

find out what has happened to my sister." He lifted up one of the stones covering the burial cavity and found the grave filled with fire. He replaced it and filled in the grave again. Then he returned to his mother and asked, "What was my sister really like?" She replied, "Why do you ask about her when she is dead?" He said, "Tell me." She said, "She used to delay the prayer and she also used to go to our neighbours' doors, put her ear to them and then tell other people what they said!" '

There are also the *hadiths* of the Messenger, may Allah bless him and grant him peace, about the Night Journey which contain descriptions of the many types of punishment he saw in the interspace between the two worlds. We will give a summary of them here.

There are those who are driven like cattle and forced to eat herbage more bitter than aloes and the bitter fruit of *zaqqum* and driven on to the hot stones of *Jahannam* because they did not purify their property by paying *zakat.* There are those who have to eat foul putrid meat because they fornicated. There are those whose lips are cut with iron scissors because they rose to speak and address people during times of civil strife. Some of them have bellies as big as houses and whenever one of them gets up, he is knocked down and says, "O Allah, do not let the Hour come!" They are in the path of the people of Pharaoh who come and trample them while they can do nothing but scream. These are people who devoured usury.

Some of them are screaming with their mouths gaping open while they devour hot coals which come out of their anuses. These are people who consumed the property of orphans. Some of them cut pieces from their own sides and eat their own flesh. They are the slanderers and those about whom the Prophet, peace and blessings be upon him, said,

> 'We saw people cutting flesh from their sides and eating it. It was said, "As you used to consume the flesh of your brother!" I asked, "Who are they?" and I was told, "Those of your community who slandered." '

Some of them have brass nails with which they scratch their faces and chests. They are those who were backbiters and maligned people's honour.

Part of the *hadith* of the Night Journey is...

> 'Some people were cracking open their heads with a stone. Every time they did this, their heads were restored to what they were like in the first place. This went on and on without stopping. I said, "Jibril, who are they?" Jibril replied, "They are people who turned away from the prayer." '

One of the Prophet's dreams - and the dreams of the Prophets are true and a part of revelation which gets right to the heart of the matter - was related as follows. He said,

> 'Last night, I saw two men who came to me and took me by the hand and brought me to the Holy Land. I could see one man sitting and another man standing holding an iron hook which he stuck into the side of the sitting man's mouth so that it came out at the back of his neck. Then he did the same to the other side. After his mouth had healed itself and gone back to normal, he did the same thing all over again. I asked what this was and they told me to go on.
>
> 'We went on until we came to a man lying on his back. Another man was standing at his head with a stone or a rock with which he smashed it. When he hit the head, the stone rolled away and he went to recover it. He did not get back to the man until his head had mended and returned to normal, then he smashed it again. I asked what this was and they told me to go on.
>
> 'We came to a hole like a furnace which was narrow at the top and wide at the bottom. There was a fire burning under it and there were naked men and women in it. The flames leapt up to them from underneath. When the fire came near, they rose up

until they almost came out. When it abated, they went back into it again. I asked what this was and they told me to go on.

We went on until we came to a river of blood with a man standing in it. On the bank of the river there was a man with some stones in front of him. The man in the river came forward and when he was about to get out, the man threw a stone at him and he went back to where he had been before. Every time he went to come out, the man threw a stone at him and he went back to where he had been before. I asked what this was and they told me to go on.

'We went on until we came to a green garden with an enormous tree in it, under which there was an old man and some children. Near the tree there was a man kindling a fire in front of him. They took me up the tree and into a house more beautiful than any I had ever seen. There were old men and youths in it. Then they took me up and brought me into another house which was even more beautiful. I said to my companions, "You have been with me for the whole night, so now tell me about what I have seen."

'They replied, "Certainly! The man you saw whose mouth was being pierced was the originator of a lie, which spread from him to all parts of the earth. He will suffer like that until the Day of Rising. The one whose head was being smashed was a man who had learned the Qur'an but had spent his nights asleep and did not act according to it during the daytime. He will suffer like that until the Day of Rising. The people in the hole were fornicators. The man you saw in the river devoured usury. The old man at the foot of the tree was Ibrahim and the children around him were mankind's children. The one kindling the fire was Malik, the Guardian of the Fire. The first house was that of the ordinary believers and this house is the house of the martyrs. I am *Jibril* and this is *Mika-'il.*"

'He lifted his head and I did likewise. I saw a castle like a cloud and they told me that it was my dwelling. I asked them to let me enter my dwelling. They replied that my life was not yet completed, but that when my life had come to an end, I would enter my dwelling." '

The Prophet, may Allah bless him and grant him peace, said regarding seeking refuge from the punishment of the Interspace or the Grave,

'When any of you finishes the final *tashahhud*, he should seek refuge with Allah from four things: from the punishment of *Jahannam*, the punishment of the Grave, the trials of the living and the dead, and the trials of the *Dajjal*.'

All of this shows that the punishment of the Grave is true beyond any doubt. We will add what Allah says about the two punishments - the punishment of the *Interspace* and the punishment of the Day of Rising:

'...the Fire, to which they will be exposed morning and evening, and on the day when the Hour comes, 'Admit the people of Pharaoh to the most severe punishment!'[2] and also *'Whoever turns away from My remembrance will have a life of narrowness and We shall gather him blind on the Day of Rising.'*[3]

[2] Ghafir (40): 46

[3] Taha (20): 124

HOW CAN A MAN SAVE HIMSELF FROM THE PUNISHMENT OF THE INTERSPACE BEFORE IT IS TOO LATE?

'Race to forgiveness from your Lord, and a Garden whose breadth is like the breadth of the heaven and the earth.'[1]

Outwardly the Grave is stillness while inwardly it is either punishment or bliss. The intelligent man is the one who protects himself against the evil of this punishment before it is too late. Such a man knows with certainty that sooner or later his day will come, and that this moment is known only to the Almighty Creator. It might come without warning. When it comes a man leaves behind all the wealth he has amassed and moves to another world. Only there will he feel regret, but regret then will not do him any good. In that place, only good actions are of any use. They alone will be useful currency on that critical day. Only with them will he be able to purchase a magnificent mansion in the Garden with all the luxuries and blessings it contains, an everlasting mansion, not one which disappears as things do in this world.

The intelligent man is the one who acts for this world as if he were going to live forever and acts for the Next World as if he were going to die tomorrow. To confirm what I have said, I will recall a dream of the Messenger, remembering that all the dreams of the prophets are true. He had a dream in which he saw one of the muslims. The Angel of Death came

[1] Al-Hadid (57): 21

to take his soul but his correct behaviour towards his parents came and drove the Angel of Death away from him. He saw another of the Muslims surrounded by shaytans. Then his remembrance of Allah came and made the shaytans fly from him. Then he saw a third muslim surrounded by the angels of punishment. His prayer came and rescued him from their hands. The tongue of a fourth muslim was lolling out from thirst and whenever he approached a pool of water, he was stopped and driven away. Then his fasting of Ramadan came and gave him water to drink. He saw another man and the prophets sitting in circles. Everytime the muslim approached one of the circles, he was stopped and driven away. His ghusl for janaba came, took hold of his hand, and sat him down in the circle. Another muslim had darkness in front of him, behind him, on his right, on his left and above him. He was completely lost in it. Then his hajj and 'umra came and led him out of the darkness into the light. Another muslim was being pursued by flames and sparks of fire. His sadaqa formed a veil between him and the fire and shaded his head. Another muslim was speaking to a group of believers who would not speak to him. His upholding of kinship came and told the group of believers that he had maintained ties of kinship and ordered them to speak to him. Then the believers spoke to him and shook hands with him. Another muslim was surrounded by the *Zabaniyya* (angels of *Jahannam*). His commanding the right and forbidding the wrong came and rescued him from them and put him among the angels of mercy. Another muslim was kneeling with a veil between him and Allah. His good character came, took his hand and Allah let him enter His presence. Another muslim had received his book in his left hand. His fear of Allah came and took his book and placed it in his right hand. The scales of another muslim were light in the balance. Those of his children who had died young came and made the scales level. Another muslim was standing on the brink of *Jahannam*. His hope in Allah came and rescued him from it, and he withdrew from it. Another muslim had fallen into the Fire. The tears that he had wept out of fear of

Allah came and rescued him from it. Another muslim was standing on the *Sirat* trembling like a leaf in a strong wind. His good opinion of Allah came and his terror was allayed and he was able to go on. Another muslim was crawling on the Sirat, sometimes creeping and sometimes just clinging on. His prayer came and put him on his feet and rescued him. Another muslim reached the gates of the Garden but they were locked against him. His testimony that there is no god but Allah came and opened the gates for him and let him into the Garden.

The Prophet also said regarding the *sura, al-Mulk,*

> 'This sura has thirty ayats which intercede for anyone who knows them until they receive forgiveness, *"Blessed be He in whose hand is the Kingdom."* '[2]

Among the dreams of the early muslims is one related by Yazid b. Nu'ama who said, 'A girl died in the al-Jarif plague. Her father met her in a dream after her death and asked her to tell him about the Next World. She replied, "My father, this is a big subject you have raised. We know but cannot act. You can act but do not know. By Allah, one or two acts of glorification and one or two rak'ats of the prayer in the book of my actions are preferable to me than the world and all it contains." '

The Grave has an embrace from which neither believer or unbeliever can escape. Afterwards, the believer is relieved of its pressure while the unbeliever remains in punishment. The Messenger of Allah, may Allah bless him and grant him peace, said,

> 'The Grave has a pressure and if anyone were to be saved from it, it would be Sa'd b. Mu'adh.'

The wisdom of the pressure and embrace of the Grave is in what Ibn Abi'd-Dunya related from Muhammad at-Taymi. He said that the people say that the earth is their mother. They were created from it and they were away from it for a long time. Then when they return to it, it embraces them as a

[2] Al-Mulk (67): 1

mother embraces her child when it has been away for a long time and then returns to her. Whoever obeyed Allah is embraced with compassion and tenderness. Whoever disobeyed Allah is embraced with harshness because the earth is angry with him for the sake of its Lord.

When 'Abdu'l-'Aziz b. Sulayman al-'Abid died, one of his companions saw him in a dream wearing a green garment with a crown of pearls on his head. He asked him how he was and what the experience of the taste of death was like and what things were like where he was. He replied, 'Do not ask about the intensity of the grief and sorrow of death! However, Allah's mercy concealed all our faults and we encountered nothing but His bounty.'

The Prophet, peace and blessings be upon him, said,

> 'Allah has forbidden the earth to consume the bodies of the prophets.'

He also said,

> 'No-one prays for peace on me without Allah addressing my soul so that I return the greeting to him.'

He also said,

> 'Whenever any man visits the grave of his brother and sits with him, he is keeping company with him until he gets up to go.'

He taught his community to say when they visit people's graves,

> 'Peace be upon you, people who dwell here, both believers and Muslims. If Allah wills, we will join you. May Allah have mercy on those who have gone ahead and those who have stayed behind. We ask Allah for well-being for both you and us.'

WHAT CAN THE LIVING DO TO RESCUE THE DEAD PERSON FROM PUNISHMENT?

'To Allah belongs the intercession altogether. To Him belongs the kingdom of the heavens and the earth.'[1]

We will refer back to the first sentence in the first section: 'The living go on and the dead do not.'

A man is living in our midst. Suddenly death snatches him from us. We wail and wear black. We set up the funeral tents and so forth. In short, we do what is necessary. Then we forget him on the premise that 'The living go on and the dead do not.' Or else we continue to remember him and abandon ourselves to our grief, living a life of constant anguish, claiming to be faithful to the dead. So our life is spent either in forgetfulness or grief. However, life is short. There is no time in it for either forgetfulness or grief. Real life does not consist of forgetfulness. Real fidelity is not to persist in grief.

Let us consider together how we can help the dead person who has left us. How can we support him in that severe trial? He is in fact in greater need of us than the living. He is now alone, buried in a grave inside the earth. The possibility of action is now finished for him. His subterfuges have come to an end. However, the benefit he can derive from actions which the living perform on his behalf have not come to an end, provided that Allah gives permission, since Allah said in His Mighty Book, '*Who will intercede with Him except by His permission?*'[2]

[1] Az-Zumar (39): 44

[2] Al-Baqara (2): 255

The Messenger of Allah, may Allah bless him and grant him peace, said,

> 'When a man dies, his actions cease except for three things: a sadaqa which goes on, knowledge which continues to benefit people or a righteous son who makes supplication for him.'

There are many things which the living can do to rescue the dead. They include supplication for them, asking forgiveness for them, acts of generosity, *hajj*, fasting and other sorts of worship. These can be attributed to the dead person with Allah's permission.

Even more important than all these is to settle the dead person's debts, whether that debt be financial or spiritual - debts to other living persons or debts of worship owed to Allah the Great.

When someone who is alive intercedes for a dead person who is being punished, his punishment is halted, even if only for a time. When he intercedes for the person enjoying bliss, that person is raised a degree.

Ibn Abi'd-Dunya mentioned that one of his companions said, 'My brother died and I saw him in a dream. I said, "How was it when you were placed in your grave?" He replied, "Someone brought me a fiery flame and if it had not been that someone else made supplication for me, I think he would have hit me with it." '

Bashar b. Ghalib said, 'I saw Rabi'a, on whose behalf I used to make frequent supplication, in a dream. She said to me, "Bashar b. Ghalib! Your gifts have been brought to me on plates of light, covered in silken cloths." I asked, "How can that be?" She replied, "That is what the supplication of living believers is like. When they make supplication for a dead person, that supplication is answered for them on plates of light, veiled in silken cloths. Then they are brought to the dead person for whom the supplication was said and they are told, 'This is the gift of so-and-so to you.' " '

'Amr b. Jarir said that when one of Allah's servants supplicates for his dead brother, an angel takes this supplication to him in his grave and says, "You stranger in the grave! Here is a gift from a brother who feels compassion for you!" '

The Messenger of Allah, may Allah bless him and grant him peace, said,

> 'After he has died, the believer only gets the benefit of the following actions and good deeds: knowledge which he has taught and passed on, a righteous son he leaves behind, a copy of the Qur'an which he has bequeathed, a mosque he has built, a house he has built for the traveller, a water channel he has dug, or an act of charity which he spent out of his property when he was alive and in good health and which comes to him after his death.'

The Qur'an says, '*Those who have come after them say, "Our Lord, forgive us and our brothers who preceded us in belief.*'[3] Allah - glory be to Him! - praised them for asking for forgiveness for the believers before them. He indicated that they are helped when the living ask for forgiveness for them.

The Prophet, may Allah bless him and grant him peace, said,

> 'When you pray over a dead person, make sincere supplication for him.'

In his supplication he would say,

> 'O Allah! So-and-so the son of so-and-so is in Your custody and near to You. Protect him from the trial of the Grave and the punishment of the Fire. You are worthy of fidelity and truth, so forgive him and show mercy to him. You are Forgiving, Merciful.'

When the Prophet, blessings and peace be upon him,

[3] Al-Hashr (59): 10

finished burying someone who had died, he stood over him and said,

> 'Ask forgiveness for your brother. Ask for him to be made firm. He is being questioned now.'

He also said,

> 'Teach your dead the words, "There is no god but Allah." '

There is a report from Abu Hurayra, may Allah be pleased with him, about the reward of acts of charity reaching the dead.

> Abu Hurayra said that a man said to the Prophet, may Allah bless him and grant him peace, 'My father has died and left some property, but he did not leave a will. Will he be rewarded if I make an act of charity on his behalf?' He replied, 'Yes.'

The Prophet, peace and blessings be upon him, said about the reward of fasting reaching the dead person,

> 'If someone dies and owes some days of fasting, then his heir should fast on his behalf.'

He also said,

> 'If someone dies and owes a month's fast, his heir should feed a poor person for him for every day he owes.'

As regards the reward of the *hajj* reaching a dead person,

> Ibn 'Abbas, may Allah be pleased with him, said, 'A man asked, "Prophet of Allah! My father has died and has not done the *hajj*. Shall I do it on his behalf?" He replied, "Do you not think that if your father had a debt, you would pay it for him?" He replied, "Yes." The Prophet said, "A debt that is owed to Allah is even more worthy of being paid." '

The Muslims are agreed about paying debts for which a dead person is still responsible, even if the person who pays it is a stranger and the money does not come out of the inheritance. This is indicated in the *hadith* of Abu Qatada.

> Abu Qatada said he would pay two dinars on behalf of a particular dead person. When he had paid them, the Prophet, may Allah bless him and grant him peace, said to him, 'Now his skin is cool.'

They are agreed that when someone who is alive has a claim against a dead person, any muslim is allowed to help him and discharge the debt as they would if the debt was owed by a living person.

The Messenger, blessings and peace be upon him, said,

> 'Recite the *sura, Yasin* when your people die.'

This can be taken to mean that it should be recited to the person when he is near death and it can also be taken to mean that it should be recited at his grave. The first possibility is more likely because the dying person benefits from the *tawhid*, the good news that the people of tawhid go to the Garden and the delight of the person who dies in upholding the knowledge of tawhid that this sura contains. It says, *'Ah, would that my people knew that my Lord has forgiven me and that He has placed me among the honoured.'*[4] The soul rejoices at this and desires to meet Allah as Allah desires to meet it. This sura is the heart of the Qur'an and something wonderful occurs when it is recited in the presence of a dying person.

Speaking in general terms, recitation of the Qur'an is one of the acts of worship whose reward reaches the dead person, provided that the reciter first intercedes with Allah on his behalf. Allah might or might not accept it, as is the case with all other acts of worship. He might accept one man's *hajj*, but not that of another man. He might accept the prayer of one man and not that of another man. What

[4] Yasin (36): 26-27

counts is the sincere intention to do the action for the sake of Allah the Great alone.

Let us imagine a group of Muslims who have gathered together to remember someone who was dear to them and has died. They are still wearing black and their grief is still fresh. They have gathered for the sake of the love and comradeship that exists between them to remember Allah and to intercede with Him on behalf of their loved one.

This gathering might take place anywhere, but let it be the home of one of them. Each of them is holding a copy of the Qur'an whose recitation they have divided up between themselves. They begin the recitation with the intention of directing its reward to the dead person. This does not diminish the reward that any of them receive in any way, but the reward also reaches the dead person in his grave if Allah so wills. There is a reward for both the living and the dead.

Included among those people might be a son or grandson of the dead person. This is an extension of his actions and a result of his efforts in this world, for he left a righteous son there and consequently righteous descendants. There might be a brother, a father, a relative or a friend among them which is an indication of his good behaviour with other people, otherwise they would not mention him in their supplication, or remember him or intercede on his behalf with the Lord of Might and Majesty. This is also the result of the dead man's own actions.

A righteous son or daughter is a true treasure for a man and profits him during his lifetime and after his death. Every father or mother should try as hard as they possibly can to bring up righteous children. Every son should try to obey his parents during their lifetime and after their death. It must be realised that a dead person knows what his living relatives and brothers are doing. It is said that a man in his grave delights in the righteousness of his children after him.

We could go on and on. Discussion about the soul, the dead and the Next World is unending. It is a subject which has been thoroughly studied for hundreds of years. In spite of that, we still have not plumbed its depths. We have only skimmed the surface of real knowledge of it. Only Allah - glory be to Him and may He be exalted! - has complete knowledge of it.

Whoever says, 'I know', is ignorant. I have discovered from my own experience that whenever someone increases in knowledge, they discover how much greater their ignorance is.

The words of Allah are true when He says, '*They will ask you about the spirit. Say, 'The spirit is at the behest of your Lord. You have been given but little knowledge.*" '[5]

[5] Al-Isra' (17): 85

GLOSSARY

Ayat	A verse of the Noble Qur'an.
Dajjal	The false Messiah whose appearance marks the imminent end of the world.
Deen	The religion of Islam, stressing its all-inclusive nature.
Hadith	A report of what the Messenger of Allah, Muhammad, peace and blessings be upon him, said, did, or allowed to be done.
Hajj	The annual pilgrimage to Makka and the rites connected with it.
'Illiyun	One of the highest levels of paradise.
Jahannam	A general name for Hellfire.
Jibril	The Archangel Gabriel.
Jihad	Struggle, particularly warfare to defend and establish Islam.
Jinn	Unseen beings who co-habit the earth together with mankind.
Kunya	Cognomen used with both affection and respect.
Mika'il	The Archangel Michael.
Mujtahid	Scholar who is qualified to the extent of being able to make new precedents in the implementation of Islamic law.

Sadaqa	Voluntary charity given to gain Divine pleasure.
Shahada	The testimony that there is no god but Allah and that Muhammad is the Messenger of Allah.
Shaytan	Satan, the Devil.
Sijjin	One of the depths of Hellfire.
Sirat	A path, particularly the narrow bridge that passes over Hellfire, which all those destined to enter Paradise must cross.
Sunna	The practice of the Messenger of Allah and what he approved for his Companions.
Sura	A chapter of the Qur'an.
Tashahhud	What is said in the sitting position in the final part of the prayer.
Tawhid	The doctrine of the Divine Unity.
'Umra	A visit to Makka combined with certain prescribed rites.
Zakat	Wealth tax payable yearly as a religious duty.
Zaqqum	A tree in Hellfire, bearing fruit of extreme bitterness.

İBN KAYYİM el-CEVZİYYE

Kitâbu'r-Rûh

İZ YAYINCILIK

Kitâbu'r-Rûh

İBN KAYYİM el-CEVZİYYE

İBN KAYYİM EL-CEVZİYYE: Tam adı Şemseddîn Ebû Abdullah Muhammed b. Ebî Bekr İbn Kayyim el-Cevziyye'dir. 691/1299'da Dımaşk'ta doğmuş, 751/1351'de aynı yerde vefat etmiş büyük bir İslâm âlimidir. Bu kente nisbeti yüzünden ed-Dımaşkî olarak da anılmıştır. Döneminin birçok ünlü âliminden çeşitli sahalarda öğrenim gördü. En ünlü hocası büyük Hanbelî düşünür İbn Teymiyye'dir (691/1292-751/1350). Nitekim onun başlattığı fikrî geleneği sebat ve muvaffakiyetle sürdürmüş, henüz İbn Teymiyye hayattayken fikirleri yüzünden baskıya maruz kalmış, hatta hapse atılmıştır. Eserleri İbn Teymiyye'ye ait özgün yaklaşımın derin izlerini taşımaktadır. Bazıları Türkçe'ye çevrilmiş eserleri arasında *İ'lâmu'l-muvakkîn, İctimâu'l-cuyûşi'l-İslâmiyye, Hâdi'l-ervâh, Zâdu'l-meâd, Uddetu's-sâbirîn, İgâsâtu'l-lehfân, Medâricu's-sâlikîn, Kitâbu'r-Rûh* gibi başlıcaları sayılabilir. Tercümesini sunduğumuz *Kitabu'r-Rûh*, insanın hayat, ölüm ve ölümden sonraki manevî tecrübelerine esas olan ruhî varlığını, onun rûhânî varlıklarla ilişkisini etraflı şekilde ele almaktadır.

KİTÂBU'R-RÛH

İBN KAYYİM el-CEVZİYYE

Türkçesi:
Dr. ŞABAN HAKLI

İZ YAYINCILIK

© İz Yayıncılık Limited Şirketi, 2007

İZ YAYINCILIK: 060
İslam klasikleri dizisi: 09
ISBN 975-355-034-0
3. Baskı, İstanbul, 2007

Özgün adı:
(KİTÂB) ER-RÛH
Dâr u nehri'n-Nîl, Kahire ts.

Çatalçeşme Sokağı No: 27/2 Cağaloğlu 34110 İstanbul
telefon: (212) 5207210
faks: (212) 5115791
www.izyayincilik.com
e-posta: bilgi@izyayincilik.com

kapak: Medine Efe

Basıldığı yer: Şenyıldız Matbaası; Gümüşsuyu Caddesi No:3 Topkapı-İstanbul

İçindekiler

MUKADDİME 7

BİRİNCİ MESELE:
ÖLÜLER, ZİYARETÇİLERİNİ VE ONLARIN KENDİLERİNE VERDİKLERİ SELAMLARI BİLEBİLİRLER Mİ? 9

İKİNCİ MESELE:
ÖLÜLERİN RUHLARI BİRBİRİNE KAVUŞUP BİRBİRLERİNİ ZİYARET EDEREK MÜZAKERE EDERLER Mİ, ETMEZLER Mİ? 27

ÜÇÜNCÜ MESELE:
DİRİLERİN RUHLARI, ÖLÜLERİN RUHLARINA KAVUŞUR MU? 33

DÖRDÜNCÜ MESELE:
RUHLAR ÖLÜR MÜ? YA DA ÖLÜM YALNIZCA BEDENE Mİ MAHSUSTUR? 51

BEŞİNCİ MESELE
MUKADDİME:
BEDENLERDEN AYRILAN RUHLARIN TAŞINABİLMELERİ VE BULUŞABİLMELERİ İÇİN BİRBİRLERİNDEN AYIRTEDİLMESİ NEYLE OLUR? ÂİD OLDUĞU BEDENDEN SOYUTLANDIĞINDAN BAŞKA BİR ŞEKİL ALIR MI? BU DURUMDA DA ŞEKLİ, BAŞKA ŞEKİLLERLE KARIŞABİLİR Mİ? 57

ALTINCI MESELE:
KİŞİ KABİRDE SORGULANIRKEN RUHLAR BEDENLERİNE DÖNERLER Mİ? KABİR AZABI NEFİSLE BEDENİN İKİSİNE BİRDEN Mİ, YOKSA YALNIZCA NEFSE Mİ, YA DA YALNIZCA BEDENE Mİ? MÜKÂFAT VE AZAPTA NEFİS VE BEDEN ORTAK MI? 61

YEDİNCİ MESELE:
KABİR AZABINI, KABRİN MÜ'MİNLER İÇİN GENİŞLEMESİNİ, KÂFİRLER İÇİN DARALMASINI YA DA CEHENNEM ÇUKURLARINDAN BİR ÇUKUR YA DA CENNET BAHÇELERİNDEN BİR BAHÇE OLMASINI ÖLÜNÜN KABİRDE OTURMAMASI, BULUNMAMASINI İNKÂR EDEN ZINDIK VE MÜLHİDLERE KARŞI VERİLECEK CEVABIMIZ NEDİR? 89

SEKİZİNCİ MESELE:
KABİR AZABI, BİLİNMESİ, SAKINMAK İÇİN İNANILMASI BU KADAR ÖNEMLİ OLDUĞU HALDE, NİÇİN KUR'ÂN-I KERÎM'DE ZİKREDİLMEMİŞTİR? 107

DOKUZUNCU MESELE:
ÖLÜLER HANGİ SEBEPLERDEN DOLAYI AZAP GÖRÜRLER? 111

ONUNCU MESELE:
KABİR AZABINDAN KURTULMANİN YOLLARI 115

ONBİRİNCİ MESELE:
KABİR SUALİ MÜSLÜMAN OLSUN, MÜNÂFIK OLSUN, KÂFİR OLSUN HERKESE Mİ SORULACAKTIR, YOKSA SADECE MÜ'MİNLE MÜNAFIĞA MI? 121

ONİKİNCİ MESELE:
MÜNKER VE NEKİR MELEKLERİ SADECE BU ÜMMETİ Mİ SORGUYA ÇEKERLER, YOKSA BU SORGULAMA DİĞER ÜMMETLER İÇİN DE SÖZKONUSU MUDUR? .....

ONÜÇÜNCÜ MESELE:
ÇOCUKLAR İÇİN DE KABİR SUALİ VAR MIDIR? 129

ONDÖRDÜNCÜ MESELE:
KABİR AZABI SÜREKLİ MİDİR, YOKSA GEÇİCİ MİDİR? 133

ONBEŞİNCİ MESELE:
KIYÂMETE KADAR RUHLAR NEREDE KALACAK? GÖKTE Mİ, YERDE Mİ? CENNETTE Mİ, YOKSA BAŞKA YERDE Mİ? DÜNYADAKİ BEDENLERİN DIŞINDA BAŞKA BEDENLER İÇERİSİNDE Mİ, NİMET YA DA AZAP GÖRECEK YOKSA MÜCERRED (SOYUT) HALDE Mİ BULUNACAK? 137

ONALTINCI MESELE:
HAYATTA OLANLARIN YAPTIKLARI AMELLER, ÖLÜLERİN RUHLARINA FAYDALI OLUR MU? OLMAZ MI? 171

FASIL : ÖLÜNÜN, BAŞKALARININ SEVAPLARI ALMASINA KUR'ÂN, SÜNNET, İCMÂ VE ŞER'Î KAİDELER DELİLDİR 173

ONYEDİNCİ MESELE:
RUHLAR KADÎM MİDİR, YOKSA HÂDİS MAHLUK MUDUR? .....

ONSEKİZİNCİ MESELE:
RUHLAR MI CESETLERDEN ÖNCE YARATILMIŞ, YOKSA CESETLER Mİ RUHLARDAN ÖNCE YARATILMIŞTIR? 227

ONDOKUZUNCU MESELE:
NEFSİN GERÇEĞİ NEDİR? BEDENİN CÜZLERİNDEN BİR CÜZ MÜ, YOKSA ARAZLARDAN BİR ARAZ MI, YOKSA BİR YERE OTURTULMUŞ SAKİN CİSİM Mİ, YOKSA MÜCERRED (SOYUT) CEVHER Mİ? NEFİS, RUH MUDUR YOKSA BAŞKA BİR ŞEY MİDİR? EMMÂRE, LEVVÂME VE MUTMAİNNE TEK BİR NEFİS OLUP BÜTÜN BU ÖZELLİKLER NEFİSTE VAR MIDIR, YOKSA BUNLAR AYRI AYRI ÜÇ NEFİS MİDİR? 253

YİRMİNCİ MESELE:
RUH VE NEFİS AYNI ŞEYLER Mİ? YOKSA BİRBİRİNDEN FARKLI ŞEYLER Mİ? 303

YİRMİBİRİNCİ MESELE:
RUH BİR TANE Mİ, YOKSA ÜÇ TANE MİDİR? 309

Mukaddime

BİSMİLLAHİRRAHMANİRRAHİM

Kemal sıfatlarıyla muttasif[1], celal sıfatlarını üzerinde toplamış, şimdi ve gelecekte olacakları bilen; canlı bütün yaratıklarına ölümü takdir eden; ölümde, arzda ve semada yaşayan melik ve sultanları; zengin ile fakiri; eşraftan olan kişiyle zayıfı; âsi ile itâatkârı eşit yapan; ahirette yarattıklarına adâletle muâmele yapan ve ömrünü dünyada devamlı kalacak şekilde gerçekte dünya daima kalınacak yer değildir dünya sevdasıyla harcayanla, ahiret hayatını düzenlemek için dünyayı bir vasıta edinen güzel amellerini de ahirete götüren gemi olarak düşünen kişinin ruhunu alan Allah'a hamd olsun. Bedenden ayrılan bu iki ruhtan biri saâdet, sevinç içerisindeyken diğeri pislik mutsuzluk ve yorgunluk içerisindedir. Mutlu ruh, cennet bahçelerine çıkarak arşta asılı kandillere varır, böylece lezzet ve nîmete karışı. Mutsuz ruh ise cehennem ateşinde azap görmesi için tutulur. Şehâdet ederim ki Allah'tan başka ilah yoktur. O tektir, ortağı yoktur. Nîmetlerini, ihsanlarını kullarına sevdirdikten sonra, önce bunları herkese fark gözetmeksizin dağıttı. Hayatınızın kötü bir halde son bulmasından Allah'a sığınırız. Nîmet, fazl, yaratmak ve hükmetmek elinde olan Allah'a hamd ve şükürler olsun. Muhammed

Ruhu temiz, cesedi pâk, Allah'a kıyam, rukû ve secde eden Âdemoğullarının

1. Önsözden anlaşılacağı gibi bu ibareler İbni Kayyım'a ait değildir. Belki Bukâî'nin kaleminden sadır olmuştur. **Keşfü'z-zunûn**'da İbni Kayyım'ın **er-Rûh** adlı kitabı sözkonusu edildikten sonra "Burhaneddin İbrahim b. Ömer el-Bukâî' kitabı ihtisar ettikten sonra **Sirrü'r-rûh** adını verdi. Bukâî'nin ölümü 885 dir. Kitap "kemal sıfatlarıyla muttasıf olan Allah'a (cc) hamd olsun ibaresiyle başlamaktadır" denmektedir. **Keşfü'z-zunûn** sahibinin zannına göre İbni Kayyım'ın kitabını Bukâî' ihtisar etmiştir. Gerçekte Bukâî' sadece kitabın bu önsözünü yazmıştır. Ona göre Bukâî' kitabı "Sirrü'r-ruh" adıyla biliyormuş. İbni Kayyım'ın böyle bir isim verdiği bilinmemektedir. Meşhur ismi **er-Rûh**'tur. Çünkü kitapta ruhun sırrından çok ruhtan bahsedilmekte, böylece de bu isim kitaba verilmektedir. Allah en iyisini bilir. Ben derim ki: Bu tenbih, kitabı ilk neşredene aittir. Yani "Muhammed Ali Sabîhe" Bunu da bil.

en hayırlısıdır. Allah'ın kitabı kendisine indirilmiş, O da Allah'tan gelen herşeyi doğrulamıştır. Âyette: "Ey Habîbim! Sana ruhtan sorarlar. De ki: Ruh, Rabbimin emrindedir. Ruhla ilgili size çok az bilgi verilmiştir"[2] buyurulmaktadır. Sonra salât ve selâm, yer ve gök Allah'ın irâdesiyle son bulup insanları sorgu suale çekeceği güne kadar hidâyete ermiş en güzel nesil olan Resulullah'ın âl ve ashâbının üzerine olsun.

Bu, faydası çok, değeri büyük, tesiri fazla bir kitaptır. Bu manada böyle bir eser yazılmamıştır. Öyle ki içerdiği yeni orjinal bilgileri değerli hazineleri başka kitaplarda bulamazsın. Kur'ân'dan, Sünnetten, sahâbe ve tabiînin, alimlerin ve velilerin sözlerinden deliller getirerek ölülerin ve hayatta olanların ruhlarıyla ilgili birçok meseleyi içermektedir. Müellif, kendisinden muhtevası geniş bir eser yazması istendiğinden mi, yoksa birkaç şey soruldu da o genişçe açıklamak yapmak istediğinden mi kitabı bu kadar uzattı, bunu bilemiyorum. Tek bildiğim, kitabın ilk meselesi ölüler, dirilerin ziyaretlerini ve onların selâmlarını bilebilirler midir? Kitabın muhteviyatı arasında konuyla ilgili bir kenara atılmış düşünceler de olduğundan, araştırıcının zihnini açmak ve onu konunun orjinal fayda ve ince manalarına ulaştırmak amacıyla önemli bu kitaba başlamayı arzuladım. Yüce Allah'tan isteğimiz, bizi hata ve zellelerden koruması; sâlih niyet söz ve amelde bizi başarıya ulaştırması, kitabın müellifinin derecesini yüceltmesi ve araştırıcının bu kitaptan yararlanmasını sağlamasıdır. O, işiten ve en iyi bilendir. O, her şeye kâdirdir. İsteklere cevap verendir. O bize yeter, ne güzel vekildir.

Bildikleriyle amel eden, Kur'ân'ın tercümanı, faydalı ilimlere hâkim, İslâm âlimi, insanların en bilgilisi, seçkin Hâfız, ibarelerin lafız ve manalarına vakıf, allâme, peygamberlerin varisi, tefsircilerin reisi, müctehidlerin ileri gelenlerinden Dimeşkli Hanbeli âlimlerinden Şemseddîn Ebû Abdullah b. Şeyhü-l-İmam bilen ve bildiği ile amel eden Şerefüddîn Ebû Bekir b. Şeyhü'l-Kebir Eyyûb b. Sa'd es-Sehîr b. Kayyim el-Cevziyye der ki: "Allah ruhunu aziz, kabrini nur, cennet kapılarını da ona ve diğer seçkin tenkitçi âlimlere açık eylesin. Amin. Salat öncekilerin ve sonrakilerin efendisi Muhammed ve O'nun âl ve ashâbının üzerine olsun."

2. İsrâ Sûresi, (17/85).

BİRİNCİ MESELE

Ölüler, Ziyaretçilerini ve Onların Kendilerine Verdikleri Selâmları Bilebilirler mi?

İbn Abdü'l-Ber der ki: "Rasûlullah'tan gelen bir habere göre: 'Bir kimse dünyada tanıdığı bir kimsenin kabrinden geçerken ona selâm verirse, selamı alması için (Allah) ruhunu ona iâde eder'"[1] buyurulmuştur. Bu haber, ölünün, ziyaretçisini tanıyıp verilen selamı aldığına delildir.

es-Sahîhayn'da farklı şekillerde rivâyet edilen bir hadiste, Rasûlullah Bedir günü, müşrik ölülerinin bir kuyuya gömülmesini emretti.[2] Harp sonrasında Bedir'e gelişinde müşrik ölülerinin isimlerini de anarak fülan oğlu fülan, fülan oğlu fülan, Rabbinizin size vaîdini gerçek buldunuz mu? Ben Rabbimin bana olan vâ'dini gerçek buldum diye seslendi. Bunu duyan Hz. Ömer: "Ey Allah'ın Rasûlü, ölmüş, etleri paramparça olmuş insanlarla mı konuşuyorsun?" diye sordu. Rasûlullah da: "Beni hak üzere gönderen Allah'a yemin olsun ki, daha iyi duyamazsınız. Ama onlar cevap veremezler" buyurdu.

Bir rivâyette de mezara konulduktan sonra ölünün, ayrılan dostlarının ayak seslerini duyduğu belirtilmiştir.[3]

Rasûlullah, ümmetinin ölülere: "Ey mü'minler topluluğu! Allah'ın selamı

1. Hâfız b. Recep der ki: Hadis ya zayıftır ya da münkerdir. Şeyh Elbânî'ye göre de böyledir. **el-Âyâtü'l-beyyinât** s. 28.
2. Şeyh Nasır **Âyât-ı Beyyinât**, s. 6'da hadisi tahric ederken der ki: Hadisi, Buhârî Meğazi'de (7/240-241), Müslim (8/168) Ahmed b. Hanbel de (44/29) Katâde'den rivayet etmiştir. Katâde'nin rivayetinde şöyle bir ziyade vardır: "Allah müşrikleri duysunlar da rezil olsunlar, kahrolsunlar, alçalsınlar, zavallılığa düşüp yaptıklarına pişman olsunlar diye diriltmiştir. Hadisi, İbni Ebî Âsım farklı şekillerde rivayet etmiştir. (c.2, s. 425, 428).
3. Buhârî Cenâiz'de (28) rivayet etmiştir. Derim ki, Müslim, Ahmed b. Hanbel Ebû Dâvûd ve Nesâî de Enes'ten rivayet etmiştir. Sahîhu'l-Câmi' (1671).

üzerinize olsun (esselâmû aleyküm dâra kavmin mü'minîn)"[4] şeklinde selâmlarını alıyormuş gibi selâm vermelerini önermiştir. Haddizatında bu şekilde selâm, duyan düşünen insanlara verilir. Ölüler kendilerine verilen selamı duymamış olsalardı (ki, yokluk ve cansıza hitap olacağından) bu abes olurdu.

[Ölünün ziyaretçilerini tanıması tevatüren sabit olduğu gibi selef[5] alimleri de bu konuda müttefiktirler.]

Bekir Abdullah b. Muhammed b. Ubeyd b. Ebi'd-Dünyâ, **Kitâbü'l-Kubûr**'un ölülerin ziyaretçilerini tanıması babında der ki: Muhammed b. Avndan, o da Yahyâ b. Yemândan[6], o da Abdullah b. Sem'ândan, o da Zeyd b. Eslem'den, o da Hz. Âişe'den rivâyet ettiğine göre Rasûlullah şöyle buyurmuştur: "Bir kimse müslüman bir kardeşinin kabrine varır, kabrinin başında oturup onunla selâmlaşırsa, ölü selamını alır ve ayrılana kadar ziyaretçisiyle beraber olur."

Muhammed b. Kudâme el-Cehverî'nin[7] Ma'n b Îsâ el-Kazzâz'dan, o da Hişam b. Sa'ddan, o da Zeyd b. Eslem'den, o da Ebû Hureyre'den naklettiğine göre, Rasûlullah şöyle buyurur: "Bir kimse tanıdığı bir kişinin kabrine varıp selâm verirse ölü, onu tanıyarak selamını alır. Tanımadığı bir ölüye selâm verdiğinde ise yalnızca selamını alır."

Muhammed b. Hüseyn Yahyâ b. Bistam[8] el-Asğar'dan[9], o da Mesma'dan, o da Âli Âsım el-Cuhderiye mensub birinden naklettiğine göre ona dedim ki: "Sen hâlâ ölmedin mi?" Asım Cuhderî: "Evet öldüm" dedi. "Peki şimdi neredesin?" Asım: "Şu anda cennet bahçelerinden bir bahçedeyim. Birkaç arkadaş cuma gece ve sabahları Bekir b. Abdullah Müzenî'nin evinde toplanır, sizler hakkında bilgiler alırız" dedi. "Bedenlerinizle mi yoksa ruhlarınızla mı toplanırsınız?" Asım: "Heyhât...! Keşke bedenlerimizle bir araya gelebilsek. Ruhla-

4. Müslim, Nesâî, İbni Mâce Cenâiz'de ve İmam Ahmed **Müsned**'inde rivayet etmiştir. Ben derim ki: Şâfiî ve Mâlik de Ebû Hureyre'den rivayet etmişlerdir. **Sahîhu'l-Câmi'**, (3592).
5. Selef: Sahabe, tabiîn ve tebe-i tabiîndir. Bazıları Rasûlullah'ın asrından başlayarak ilk üç asırda yaşayanları seleften saymışlardır. Selefî, bir mezhebe bağlanmaksızın şer'î hükümlerde Kitap ve Sünnete bakan kimselerdir. Ben derim ki: Ahmed, Tayâlisî ve İbni Mâce'nin dışında Kütüb-i Sitte sahiplerinin İmran b. Husayn'dan rivayet ettikleri: "En hayırlınız, benim çağımda yaşayanlardır, sonra onu takibedenler sonra onu takibedenlerdir" hadisinde Rasûlullahın kastettiği çağlar sahabe, tabiîn ve tebe-i tabiîn çağlarıdır.
Sahîhu'l-Câmi, (2-33). Bazıları "şunu eklediler..." sözünün hiçbir anlamı yoktur, dediler. Çünkü bu hadis sahabeden, birçok farklı lafızlarla rivayet edilmiştir. **Sahîhu'l-Câmi,** (3283, 3288, 3289, 3290, 3296).
6. Birçokları Yahyâ b. Yeman'ı cerhetmiştir. Abdullah b. Kezzab ise yalancının biridir. Bkz. et-Tenzîh.
7. Ebû Dâvûd, Muhammed b. Kudâme'yi zayıf kabul etmiştir. Yahyâ b. Main ise Kudâme'nin bir mana ifade etmediğini söyler. İbni Cevzî **el-İlelu'l mütenâhiye,** c. 2, s. 429'da hadisi rivayet ettikten sonra Kudâme'nin zayıf olduğunu bildirmiştir. Hadisin tahrici için **el-İlelu'l mütenâhiye**'nin tahkikli şekline bakınız.
8. Yahyâ b. Bistam Musaffar'la ilgili olarak İbni Hibban der ki: "Bundan hadis almak helal değildir. Ayrıca Âl-i Âsım'dan rivayet eden kişi de meçhuldur.
9. Râvî'nin ismi Asgar olmayıp Musaffar'dır.

rımızla, hakkınızda bilgi alıyoruz" dedi. "Yaptığımız ziyaretlerden haberiniz oluyor mu?" Asım: "Evet, cuma akşamından cumartesi sabaha kadar yaptığınız bütün ziyaretlerden haberimiz oluyor" dedi. Diğer günler yapılan ziyaretlerden niçin haberdar olamadıklarını sorduğumda: "Bu cuma gününün fazilet ve büyüklüğündendir" dedi.

Muhammed b. Hüseyn Bekir b. Muhammed'den, o da Hasan Kassâb'tan rivâyete göre Kassâb der ki: "Cumartesi akşam yemeklerini Muhammed b. Vâsî ile beraber yer, birlikte mezara giderdik. Kabristana varınca selâm verir duamızı yaptıktan sonra da evimize dönerdik. Bir gün Muhammed b. Vâsî'ye: "Bu mezar ziyareti gününü pazartesine çevirsen" dedim. Bunun üzerine Muhammed b. Vâsî: "Rasûlullah'tan gelen bir habere göre kabirdekiler ziyaretçilerini cuma günü, cumadan bir gün önce ve bir gün sonra bilirler."[10]

Muhammed'den, o da Abdülaziz b. Eban'dan,[11] o da Süfyan-i Sevrî'den şu haberi nakletmiştir: Süfyan der ki: Dahhak'in bildirdiğine göre Rasûlullah dedi: "Kim cumartesi güneşin doğusundan önce bir kabri ziyaret ederse, ölü bu ziyaretten haberdar olur." Denildi ki: "Bu nasıl oluyor ey Allah'ın Rasûlü?" "Bu cuma gününün büyüklüğündendir" dedi.

Halid b. Haddas'tan,[12] o da Cafer b. Süleyman'dan, o da Teyah'tan şöyle rivâyet etmiştir: "Mutrif cuma akşamları yemeğini yer evden çıkardı." Ebû Teyah anlatıyor: "Bir gün fenerini aldı, atına bindi ve kabre kadar vardı. Baktı ki kabirdekiler kalkmış oturuyorlar. Birbirlerine: "Şu adam, cuma günleri gelen Mütrif'tir" dediler. Onlara sordum: "Bu günün cuma günü olduğunu bilir misiniz? Onlar: "Evet, kuşların ne dediklerini bile biliriz" dediler. "Peki ne diyorlar?" dedim. Dediler ki: "Selâm, selâm diyorlar".

Muhammed b. Hüseyn Yahyâ b. Bükeyr'den, o da Fadl[13] b. Hâl b. Süfyan b. Üyeyne'den nakleder. Uyeyne anlatıyor: Babam ölünce çok üzüldüm. Hergün kabrini ziyarete giderdim. Ama zamanla aksattım. Bir gün kabre varıp orada bir yere oturdum. Uyku bastı uyumaya başladım. Rüyamda babamın kabrinin açıldığını, kefeninden çıkarılmış olduğunu ve ölüm halinin üzerinde olduğunu gördüm.

Babamın bu halini görünce gözlerim sulandı. Babam: "Oğlum, seni benden alıkoyan nedir?" dedi. Ben de: "Geldiğimden haberin oluyor muydu?" diye sor-

10. Hasan Kassab'ın tercemesini bulamadım. Ancak el-Mîzân'da Bekir b. Muhammed ile bunun aynı isimle zikredildiği görülmektedir. Üçüncü isimse cerhle tadil arasındadır. Râvî bu kişiden bahsetmemektedir.
11. Ebû Hatim Abdulaziz b. Eban hakkında der ki: "Sevrî'den yaptığı bütün rivayetlerinde yalancıdır.
12. Hâlid b. Haddad'la ilgili çok şey söylenmiştir. Bu hadiste rivayeti kabul edilse de aslen Râfizîdir. Ebû Teyyah Mutarrif'ten bu hikayeyi duymamıştır. Allah bilir kim anlatmıştır ona!?
13. Ebû Hatim, Fadl b. Muvaffık'ı zayıf sayar. Hakkında: "O, mevzû hadisler rivayet eder" der.

dum. Babam: "Geldiğini farkeder, seninle ünsiyet kurar, arkadaşlarla beraber duâlarına sevinirdik" dedi. Bundan böyle babamı daima ziyaret ettim.

Muhammed'den, o da Yahyâ b. Bistam'dan, o da Osman b. Sevde et-Tafavî'den[14] rivâyete göre Tafav'î der ki: Annesi abidlerdendir. Rahibe diye bilinir. Ölümü yaklaşınca başını havaya kaldır ve: "Ey erkek ve kadın yakınlarım, ey hayatımda memâtımda kendilerine güvendiğim dostlarım, beni ölüme terketmeyin, çıplak vücudumu kabre koymayın" dedi. Nihayet kadıncağız öldü. Ben de her cuma kabrine gider; ona ve yanındakilere duâ ve istiğfar ederdim. Bir gün onu rüyamda gördüm. Ona dedim ki: "Nasılsın ey anne?" "Oğlum, ölüm gerçekten acıdır. Allah'a hamd olsun şimdi ben cennet kokularının hissedildiği hoş bir Berzahtayım. Haşr gününe kadar saf ipek ve yaldızlı yataklarda yatacağız." Dedim ki: "Peki bir ihtiyacın var mı?" "Var" dedi. "Nedir?" dedim. "Her zamanki gibi bizi ziyarete gel ve duâ et. Cuma günleri her gelişinde: "Ey Râhibe! iste bu gelen oğlundur" diye müjde veriyorlar. Böylece hem ben, hem de diğer ölüler seviniyoruz."

Muhammed b. Abdülaziz b Süleyman'dan, o da Bişr b. Mansur'dan rivâyet eder: Taun yılında bir adam kabristanlara gider, cenaze namazlarına katılırdı. Akşam olunca kabristan kapısında durur: "Allah günahlarınızı affetsin, ayrıldığınızdan ötürü size acısın, kötülüklerinizi kapatsın ve amellerinizi kabul etsin" der, başka demezdi. Bu şahıs anlatıyor: Yine bir gece evimden ayrıldığım halde kabristana gidemedim. Ama yine de duamı yaptım. Gece rüyamda bir grup insan geldi. Onlara dedim ki: "Siz kimsiniz, ne istiyorsunuz?" Dediler ki: "Biz kabir ehliyiz." "Peki ne istiyorsunuz?" dedim. Dediler ki: "Sen her akşam evine giderken bize bir hediye getirirdin." Onlara: "Ne hediyesi?" diye sordum. Onlar da: "Yaptığın duâlar" dediler. Bu adam[15], bundan sonra devamlı mezar ziyaretinde bulunduğunu ve hiç terketmediğini söyler.

Muhammed'den, o da Ahmed b. Sehl'den, o da Rüşd b. Sa'd'dan, o da birinden, o da Yezîd b. Habîb'den rivâyet ettiğine göre Selim b. Umeyr bir kabre uğrar. Bir ara idrarı daralır. Arkadaşları ona: "Şu mezar çukurlarından birine inip oraya bevletsene" deyince, Selim'in gözleri yaşarır ve: "Sübhanallah, canlılardan utandığım kadar ölülerden de utanırım. Ölü bunu hissetmeyecek olsaydı ondan utanmazdım" der. [16]

14. Yahyâ b. Bistam'ın mecrûh biri olduğunu söylemiştik. Osman b. Sevde'yi kaynaklarda bulamadım. el-Mîzân'da hem cerh edilen hem de tadil edilen İbni Ebî Sevda Makdisî isminde biri vardır. Zehebî aynı zamanda bu zatla hüccet getirilebileceğini söylemektedir.
15. Muhammed b. Abdulaziz'in tercemesini bulamadım. Kıssayı anlatan kişi meçhuldür. Sözkonusu dua da me'sûr dualara aykırı olduğundan dolayı bid'attır.
16. Rüşd'ün rivayet ettiği kişi meçhuldur. Rical kitaplarında İbni Sa'd olan iki Rüşd'e rastladım. et-Takrîb'de zayıf olduğu bildirilmektedir.

Bundan daha da mühimi ölünün, yakınlarının ve dostlarının yaptıklarını da bilmesidir. Abdullah b. Mübarek der ki: Süfyan b. Yezîd İbrahim'den, o da Ebû Eyyûb'dan[17] şöyle dediğini nakleder: "Dünyadakilerin fiilleri ölülere gösterilir. Ölüler, dostlarının davranışlarının iyi olduğunu görünce rahatlayıp sevinirler. Kötü fiilleri görünce de: "Ey Allahım, onu terbiye et" derler." İbn Ebî Leyla da Ahmed b. Ebî Havâri'den, o da kardeşim Muhammed'den şöyle dediğini nakleder: Abbâd b. Ubâd, Filistin'de bulunan İbrahim b. Sâlih'in yanına gider. Ona der ki: "Bana öğüt ver." İbrahim de: "Allah iyiliğini versin. Sana ne öğüt verelim? Duyduğuma[18] göre ölülere, dünyadaki yakınlarının fiilleri gösterilirmiş. İyi düşün. Sen Allah Rasûlüne hangi amelini gösterebileceksin?" deyince Abbâd, sakalları ıslanacak derecede ağladı.

İbn Ebi'd-Dünyâ, Muhammed b. Hüseyin'den, o da Hâlid b. Amr[19] el-Emevî'den, o da Sadaka b. Süleyman el-Ca'ferî'den şunu nakleder: "Çirkin bir huyum vardı. Bu huyum babamı öldürdü. Ama sonra yaptığım şeylere pişman oldum; kendi kendime serzenişte bulundum." Sadaka b. Süleyman anlatıyor: Hemen bir iyilikte bulundum. Bir gece babamı rüyamda gördüm. Bana dedi ki: "Oğlum, bizi en çok sevindiren amellerin bize sunulduğunda onları sâlihlerin amellerine benzettiğimiz davranışlarındır. Göreyim bu defa kötülüklerden oldukça uzak dur da diğer ölülerin yanında beni mahcup etme."

Sadaka b. Süleyman anlatıyor: Kûfeli eski komşum şöyle diyordu: "Samîmî bir kalble, dönmeden[20] devamlı senden istiyorum ey sâlihleri ıslah eden, sapıtmışları doğru yola sevkeden ey merhameti en çok olan Allahım."

Konuyla ilgili olarak Sahâbeden birçok hâtıra gelmiştir. Abdullah b. Ravâha'nın Ensâr'dan bir akrabası diyordu ki: "Ey Allahım! Abdullah b. Ravâha'nın yanında yüzümüzü kızartacak davranışlardan Sana sığınırım." Bu söz, Abdullah b. Ravâha'nın şehâdetinden sonra söylenmiştir.

[Kabirde yatanlar ziyaretçilerini hissettiklerinden dolayı onlara (ziyaretçilere) gerçek ziyaretçi demek yerinde olur. Ölünün, söz konusu ziyaretten haberi olmazsa buna ziyaret denmez. Her millette ziyaretin ma'kul manası budur. Selâm alamayacak kimseye selâm vermek boşuna olacağından selamı da buna dahil edebiliriz. Rasûlullah, kabir ziyaretleri esnasında ümmetine şöyle demelerini öğütlemiştir: "Ey mü'minler, müslümanlar topluluğu! İnşâallah biz de size kavuşacağız. Allah, dünyadan ayrılmış sizlere ve biz dünyadakilere rahmet etsin. Allah'tan hepimize âfiyet vermesini dileriz. (Selâmûn aleyküm ehle'd-diyâ-

17. Ebû Eyyûb da kimmiş? Vahiysiz bilinmeyecek şeyin hüccetliği de nereden çıktı?
18. Kimden gelmiş?? Haberi kendisine ulaştıran bu konuda hüccet mi?
19. Hâlid b. Amr hakkında Buhârî "hadisi münkerdir" der. Ahmet b. Hanbel: "Güvenilir bir râvî değildir." Tercemesi için el-Mîzân'a bkz.
20. Hûr: dönmek demektir; et-Tenzîlu'l-Azîz'de şöyle geçer: "Şüphesiz o dönmeyeceğini zannetti."

ri minc'l-mü'minîne ve'l-müslimîne. Ve innâ inşâallâhü biküm lâhikûn. Yerhamullahü'l-müstakdimîne minnâ ve minküm ve'l-müste'hirîn. Meselullâhe lenâ ve lekümü'l-âfiyete).[21]

Böyle bir selâm ve hitap; her ne kadar selâm veren selamının karşılığını duyamasa da duyan, karşılığını veren akıllı bir varlığa verilir.

Kabrin yakınında namaz kılınca da onu görürler, kıldığı namazı bilirler ve yaptığı ibadete gıpta ederler.

Yezîd b. Hârun Süleyman Teymî'den, o da Osman Mehdî'den rivâyete göre İbn Sâs, üzerinde hafif bir elbise olduğu halde bir cenazeye iştirak edip kabre kadar gider. Devamını İbn Sâs'tan dinleyelim: Kabre varınca iki rekat namaz kıldım ve bir tarafa sırtımı verdim. Allah'a yemin olsun ki kalbim uyanıkken kabirden şu sesi duydum: "Bana yaklaş, eziyet verme. Siz amel işlersiniz ama işin gerçeğini bilemezsiniz. Biz ise biliriz, ama artık amel işleyemeyiz. Şu kıldığın iki rekat namaz var ya, şu kadar şeyden daha sevimlidir bana." Bundan anlaşıldığına göre kabirdeki kişi İbn Sâs'ın yaşlandığını ve kıldığı namazı bilmektedir.

İbn Ebi'd-Dünyâ Hüseyn b. Ali Icli'den, o da Muhammed b. Salt'tan, o da İsmail b. Ayyâş'tan, o da Sabit b. Süleym'den, o da Kâlâbe'den nakleder. Şam'dan Basra'ya giderken bir yerde mola verdim. Abdest alıp kabristanda iki rekat namaz kılınca orada uykuya dalmışım. Uyandığımda kabirde yatan kişinin bana şikayetine şâhid oldum. Bana dedi ki: "Geceden beri bana eziyet ediyorsun." Arkasından da: "Siz amel işlersiniz, ama bilmezsiniz. Biz ise biliriz, ama amel işleyemeyiz." Kıldığım namazı kastederek: "Kıldığın iki rekat namaz, dünya ve dünyadakilerden daha hayırlıdır. Allah dünyada yaşayanlara hayırla karşılık versin. Onlara bizden selâm götür. Çünkü onların duâları sayesinde dağlar kadar nurlara kavuşmaktayız."[22]

Hüseyn Iclî'den, o da Abdullah b. Numeyr'den, o da Mâlik b. Mağut'dan, o da Mansur'dan, o ise Zeyd b. Vehb'den bildirdiğine göre Vehb der ki: "Kabristana gittim. Baktım ki bir adam mezara gelmiş, kabri düzeltiyor. Bana yöneldi ve yanıma oturdu. Ona: "Bu kabir kimindir?" diye sordum. "Kardeşimdir" de-

21. Müslim (c. 7, s. 49), Nevevî, Nesâî (c.4, s.94), İbni Mâce (c.1,s.494) ve diğerleri "Allah dünyadan ayrılmış sizlere de dünyada kalan bizlere de acısın" bölümü dışındakileri Büreyde'den rivayet etmişlerdir. Bu bölüm, Müslim, Nesâî ve Ahmed'de Hz. Âişe'den mervîdir. Hadisin başı Hz. Âişe'nin: "Ey Allah'ın Rasûlü, kabri görünce ne dersin?" diye sordum kısmıyla başlar. Bunun üzerine Rasûlullah sözü edilen hadisi söyler.
Bu hadiste, kabirlerde Kur'an okumanın meşrû olmadığına dair deliller vardır. Kur'an okumak meşrû olsaydı Rasûlullah bunu en çok sevdiği kişiye öğretir, gizlemiş olabileceği düşünülemezdi. Çünkü âyet-i celîlede: "Sana indirileni olduğu gibi tebliğ et" buyurulmaktadır.
Sözkonusu hadisin sözleri İbni Mâce'ye aittir. "Selam" lafzının dışında Hz. Âişe hadisinde geçen ziyade burada yoktur. İki hadisin karşılaştırılmasına Ahkâmu'l-cenâiz'e bkz. (s. 183-189).

22. el-Mîzân'da Sabit b. Süleym zayıf sayılmaktadır.

di. "Senin kardeşin midir?" deyince: "Rüyamda gördüğün kişi benim Allah yolunda kardeşimdir" dedi. Ona: "Demek ki alemlerin Rabbi Allah'a hamdederek yaşamış bir kişisin" deyince "Öyle mi, böyle bir şeyi söyleyebilmek dünya ve dünyadakilerden daha hayırlıdır. Beni nereye gömdüklerine baksana. Çünkü fülanca kalkti iki rekat namaz kıldı. Benim de iki rekat namaz kılabilmem dünya ve dünyadakilerden daha hayırlıdır" diye karşılık verdi.[23]

Ebû Bekir Teymî Abdullah b. Sâlih'ten, o da Leys b. Sa'd'dan, o da Hamîd et-Tavîl'den, o da Mutrif Abdullah Harşî'den bildirdiğine göre Mutrif der ki: Rebî hayattayken yanına giderdik. Cuma günleri olunca da kabristana uğrardık. Güzergâhımızda bir kabir vardı... Kabristana vardığımızda bir cenazeye şâhit olduk. Içimden şu cenazeye yetişebilsem diye geçerken nihayet yetişebildim. Kabirden biraz ötede iki rekat namaz kıldıktan sonra biraz uyumuşum. Rüyamda kabirde bulunan kişi benimle konuşuyordu. Bana dedi ki: "Namazını niçin acele kıldın?" Ben de: "Evet öyle oldu" deyince: "Siz amel işleyebilirsiniz ama bilmezsiniz. Biz ise biliriz ama amel işleyemeyiz. Senin kıldığın gibi iki rekat namaz kılabilmek, benim için dünya ve dünyadakilerden daha hayırlıdır, hayır üzereler" dedi. "Aralarında en faziletlisi kimdir?" deyince eliyle bir kabri gösterdi. O zaman kendi kendime: "Ey Allahum onu da çıkar da onunla da konuşayım" dedim. Duâm kabul edildi, kabirden bir genç çıktı. Ona sordum: "Burada bulunanların en hayırlısı sen misin?" Genç: "Evet, öyle diyorlar" dedi. "Peki bu dereceyi neyle elde ettin. Sende bu en faziletli olma yaşını göremiyorum" deyince, genç: "Uzun süre hac ve Ûmre yaparak, Allah yolunda cihadla ve güzel amelle bu dereceye ulaştım ve birçok felaketle imtihan edildim. Onlara sabrettim. Böylece de gördüğün bu dereceyi ve fazileti elde ettim" dedi.

Bunca görülen rüyalar her ne kadar bu işin böyle olduğunun delili olmazsa da çokluğunu ve sayısını Allah'tan başkasının bilememesi itibariyle belki söz konusu manaya[24] uygundur.

Rasûlullah: "Son on günde[25] yani Ramazan'ın gördüğünüz rüyalar en hayırlı rüyalarınızdır. Herhangi bir şeye mü'minlerin rüyasının uygun olması, rivâyet ve görüşlerinin o şeyin iyiliği ve kötülüğü hakkında uygun olması gibidir. Mü'minlerin güzel gördükleri Allah indinde de güzeldir. Kötü gördükleri

23. Olayı anlatan kişinin meçhullüğü dışında diğer râviler güvenilirdir. Kabristan'da namaz kılmak yasaklanmıştır. Daha geniş bilgi için Elbânî'nin **Tahrîru's-sâcid**'ine bakınız. **Not:** Ama burada muhakkıkın zannettiği gibi o kimsenin kabrin üzerinde veya hemen yanında namaz kıldığına dair bir işaret yoktur. Kabrin biraz ötesinde kılmış da olabilir. Bence bu eleştiri burada yersizdir (ç).

24. Ben derim ki: Sözkonusu rüyalarla ilgili dipnotlardan anlaşılacağı üzere bu haberlerin çoğu zayıftır. Vahiysiz bilinemeyecek şeylere rüyalarla nasıl ulaşılabilir?!

25. Buhârî, Leyle-i Kadir'de 2, Müslim, Sıyam'da 205, İmam Malik, el-Muvatta, İtikaf'ta 14, Ahmed b. Hanbel de **Müsned** 3-6 da İbni Ömer'den rivayet eder.

ise Allah indinde de kötüdür."[26] Yukarıda açıklandığı üzere bu konuda yalnızca rüyalarla karar veremeyiz, huccet ve diğer delillere ihtiyacımız vardır.

Sahîh'te şöyle bir rivâyet vardır: Ölü defnedilince, mezarına kadar gelenlerle ünsiyet kurar. Müslim de Sahîh'inde Abdurrahman b. Semmâse el-Mehrî'den[27] şunu nakleder: Semmâse der ki: Ölüm döşeğinde yatan Amr b. Âs'ın ziyaretine gittik. Bir müddet ağladı, sonra da yüzünü duvara çevirdi. Oğlu babasına: "Babacığım, niçin ağlıyorsun. Allah Rasûlü seni şöyle şöyle müjdelemedi mi?" deyince yüzünü döndü ve: "En değerli azığın *lâ ilâhe illallah Muhammeden Rasûlullah*'tır. Üç hasletim var. Kendimi bilirim ya Rasûlullaha benden daha çok buğzeden ve peşine düşüp onu öldürmek dışında hiçbir arzum yoktu. Eğer bu hal üzere ölseydim cehennemliklerden olurdum. Nihayet Yüce Allah kalbime İslâmı koyunca hemen Allah Rasûlü'ne koşup "Elini uzat da sana biat edeyim ey Allah'ın Rasûlü" dedim. Rasûlullah elini uzattı. Ben tutunca: "Ne oluyor ey Amr?" dedi. "Bir şartım vardır" deyince "Nedir o şartın?" buyurdu. Şartımın günahlarının bağışlanması olduğunu söyleyince: "Bilmez misin, İslâm geçmişte yapılan bütün günahları siler. Hac geçmişte yapılanları siler. Hicret de geçmişte yapılanları siler" dedi Allah'ın Rasûlü. Rasûllah bana böyle deyince; "Artık Onu benden daha çok seven biri yoktur. Gözlerim Onun nuruyla cilalanmıştır. Ona olan saygımdan dolayı doyasıya yüzüne bakamamışımdır. Onu anlatmamı istersen gözüm dolu olduğundan buna güç yetiremem. Böyle ölürsem umarim ki cennetliklerdenim. Bildiğiniz gibi zamanla içini bilemediğim birçok şey üstlendim. Bu halde ölürsem bana matem tutmayın, arkamdan ağlamayın. Beni defnederken üzerime toprak serpin ve bir deve kesilip parçalarına ayrılana kadar başımda bekleyin ki sizinle ünsiyet kurayım ve Rabbimin Rasûllerine nasıl müracaat edeceğimi öğreneyim" dedi. Bundan anlaşılıyor ki ölü kendini defnedenleri bilir ve onlarla beraber olmaktan dolayı sevinir.

Anlatıldığına göre Seleften[28] bir kısım insanlar defnedilirken başlarında Kur'ân okunmasını vasiyyet etmişlerdir. Abdülhak der ki: "Rivâyete göre Abdullah b. Ömer kabri başında Bakara sûresinin okunmasını istemiştir." Bu gö-

26. Abdullah b. Mes'ûd'un sözüne işaret etmektedir. İbni Mes'ûd der ki: "Yüce Allah kullarının kalplerine baktı. En iyi kalbin Muhammed'de olduğunu gördü de Onu seçerek, risaleti Ona verdi. Daha sonra diğer kulların kalbine baktı. Sahabenin kalbini en iyi durumda bulunca onları Rasûlüne, Allah yolunda savaşan vezirleri kıldı. Öyleyse müslümanların iyi gördüğü şeyler Allah'a göre de iyidir. Müslümanların kötü gördüğü şeyler Allah'a göre de kötüdür." Hadisi Bezzar, Ahmed ve Taberânî el-Kebîr'inde rivayet etmiştir. Heysemî ricali sıkadır der. **Mecmâ'u'z-zevâid**, (1-178, 179). Şeyh Elbânî de Abdullah b. Mes'ud'dan mevkûf olarak geldiğini; isnadının da hasen olduğunu bildirmektedir. Merfû olarak rivayeti asılsızdır. Daha geniş bilgi için **el-Ehâdîsu'z-zaîfe** (2-17)'ye bkz.

27. Bu hadis Müslim'dedir. Ancak râvî mana bozulmayacak derecede lafızlarını bozmuş değiştirmiştir.

28. Hüccet ,Allah ve Rasûlünden gelen şeydir. Kabirlerde Kur'ân okumakla ilgili hiçbirşey gelmemiştir; belki aksi gelmiştir. Bilgi için Elbânî'nin **Kitâbu'l-Cenâiz**'ine bkz.

rüşte olan alimlerden Muallâ b. Abdurrahman da sayılmaktadır. Ahmed b. Hanbel önceleri bunu kabul etmemişse de -bu konuda hiçbir ma'lumat yok- sonraları kabul etmiştir.

Hallâ el-Câmi'in, "Kabirlerde Kur'ân Okumak" bölümünde der ki: Abbâs b. Muhammed ed-Dûrî'den, o da Yahyâ b Maîn'den, o da Mübeşsir Halebî'den, o da Abdurrahman b. A'lâ b Cellâc'dan, o da babasından yaptığı rivâyete göre babası demiş ki: "Oğlum, ben ölünce lahde koy, bismillah ve alâ sünneti rasûlillah dedikten sonra üzerime toprak at ve başımda Fatiha sûresini oku. Çünkü ben, Abdullah b. Ömer'in böyle dediğini duydum." Abbâs Dûrî anlatıyor. Ahmed b. Hanbel'e: "kabirde Kur'ân okunur mu? diye sorduğumda: "Hayır, okunmaz" diye cevapladı. Yahyâ b. Maîn'e bunu sorunca bu hadisi getirdi.

Hallâl anlatıyor: Hasan b. Ahmed Verrâk'tan, o da arkadaşı Ali b. Mûsa Haddâd'dan şunları nakleder: Ben, Ahmed b. Hanbel ve Muhammed Kudâme el-Cevherî ile birlikte bir cenazede idik. Ölü kabre konunca âmâ biri Kur'ân okumaya başladı. Ahmed b. Hanbel adama: "Be adam, kabirde Kur'ân okumanın bid'at olduğunu bilmiyor musun?" Kabristandan ayrılınca Muhammed b. Kudâme Ahmed b. Hanbel'e dedi ki: "Ey Ebû Abdullah! Mübeşsir Halebî hakkında ne dersin?" Ahmed b. Hanbel: "O sikadır. "Ondan hadis aldım." Ahmed b. Hanbel: "Nedir o?" Kudâme: Mübeşsir, o da Abdurrahman b. A'lâ b. Cellâc'dan, o da babasından nakleder. Babası, kabre konulduktan sonra Bakara sûresinin başının ve sonunun kabrinde okunmasını oğluna vasiyyet etmiştir. Ayrıca İbn Ömer'in de böyle vasiyyet ettiğini duydum deyince, Ahmed b. Hanbel: "Mezardaki âmâ adama şöyle de Kur'ân'ını okusun."[29]

Hasan b. Sabbâh Za'ferânî[30] der ki: "İmam Şâfî'ye kabirde Kur'ân okumanın hükmünü sordum da: "Bunda bir sakınca yoktur" dedi."

Hallaf[31], Sa'bî'den şunu nakleder: Ensârdan biri ölünce ashâb kabrine varır başında Kur'ân okurdu. Ravi anlatıyor: Münekkid Ebû Yahyâ der ki: Hasan Cevrî'nin şöyle dediğini duydum: "Bir adam geldi ve kızkardeşini rüyada gördüm. Allah, Ebû Ali'ye hayırla karşılık versin. Okuduğu Kur'ân'la bana faydalı oldu" dedi. Hasan b. Heysem de: Ebû Bekir b. Etrûs b. binti Ebû Nasr b. Temmar'in şöyle dediğini duydum: "Cuma günleri bir adam annesinin kab-

29. Muhammed b. Kudâme'nin tercemesi geçti. Zayıf bir râvîdir. Bunu ve kıssanın isnadını Şeyh Elbânî Ahkâmu'l-Cenâiz'de uzunca münakaşa etmiştir (5-192, 193). Ayrıca böyle bir kıssanın Ahmed b. Hanbel'de sabit olması da şüphelidir. Olay sabit olmuş olsa da eserin İbni Ömer'den gelişi de şüphe dolu. İbni Cellâc'ın illeti böyle bir şeyi İbni Kudâme'ye sunmamasıdır. Diyelim ki bu da sabittir, ama hadis nihayetinde mevkuf olacağından şüphe olamaz.

30. Hasan Za'ferânî sikadır, ama ona ulaşan senet nerede?

31. Görüldüğü gibi burada kesiklik vardır. Ben derim ki: "Şeyh Elbânî Ahkâmu'l-Cenâiz'de (193) bunu incelemiştir. Bu, ölüm anında okunan Kur'andır. Yine de isnadı zayıftır. (Mecma'u'l-luğati'l-'arabiyye c. 3, s. 189. Kahire).

rine varır, Yâsîn[32] sûresini okurdu. Yine bir gün kabre geldi. Yâsîn sûresini okuduktan sonra: "Ey Allahım, bu sûrenin sevabını dağıtacaksan şurada yatanlara dağıt" diye duâ etti. Bir sonraki cuma bir kadın geldi ve: "Sen fülancanın kızı mısın?" dedi. "Evet" cevabını alınca anlatmaya başladı. "Bir kızım vardı, öldü. Rüyamda onu kabir kenarında otururken gördüm. Ona "Niçin burada oturuyorsun?" diye sordum. Kız: Fülanca kadının oğlu, annesinin kabrini ziyarete geldi, başında Yâsîn sûresini okudu, sevabını da bu kabirlerde yatanlara bağışladı. Nasibimizi biz de aldık, ya da biz de affedildik yahutta buna benzer bir durum." Nesâî ve diğerleri Makel b. Yesâr Mûzenî'nin, Rasûlullah'tan rivâyet ettiği şu hadisi nakleder: "Ölülerinizin yanı başında Yâsîn sûresini okuyun."[33] Bu, ölüm anında döşeğinin başında okunan Kur'ân olabilir. Bunun benzeri: "Ölülerinize lâ ilâhe illallah'ı telkin edin."[34] Bu hadisin de kabirde olması muhtemeldir. Aşağıdaki nedenler birincinin daha açık olduğunu göstermektedir.

1- Birincisi: "Ölülerinize lâ ilâhe illallah'ı telkin edin" hadisinin benzeridir.

2- Söz konusu sûrenin faydalı olması tevhîdi, meâdi, tevhid ehlinin cennete gireceğini ve bu hal üzere ölenlere gıpta edileceğini takdir etmesindendir. Zira âyette: "Keşke kavmim, Rabbimin beni affettiğini ve ikram edilenderden olduğumu bir bilseydi[35] ifadesinde ruhu müjdelemek vardır. Böylece ruh Allah'a kavuşmayı, Allah da ruha kavuşmayı arzular. Çünkü bu sûre Kur'ân'ın kalbidir, ölüm anında okunmasında acaip birçok özellik ortaya çıkar.

Ebü'l-Ferec Cevzî[36] anlatıyor. Ebü'l-Vakt Abdülevvel ölüm döşeğinde iken yanındaydık. Son beraberliğimiz olan bu anda, başını semâya kaldır ve: "Keşke kavmim, Rabbimin beni affettiğini ve ikram edilenlerden kıldığını bir bilseydi" âyetini okudu ve ruhunu teslim etti.

3- Çağlar boyunca insanların ölüm döşeğinde bulunan birinin başında Yâsîn sûresini okumaları[37] da buna delildir.

---

32. Yasîn sûresini okumakla ilgili hadis aşağıdadır. Hadis sahih olsa da bu ölüm döşeğinde olan kimse için doğrudur. Ama hadis nasıl zayıf olabilir ki? Bilgi için **İrvâu'l-galîl**'e bkz. Niza anında a.g.e. göre Gadîf b. Haris'ten mevkûfen sahihtir. Kabirlerde okunması konusunda ise asla doğru olamaz.
33. Ahmed b. Hanbel, Ebû Dâvûd, İbni Mâce, İbni Hibban ve Hakim rivayet etmiştir. **Zaîfu'l-Câmi**'de olduğu gibi Şeyh Elbânî de hadisi zayıf sayar. A.g.e. 1170. Suyûtî Nesâî'yi güçlü bulmamıştır. Muhtemel ki müellifin vehmi yoksa hadis **el-Kubrâ**'dadır.
34. Müslim, Ebû Dâvûd, Tirmîzî, Nesâî, İbni Mâce Cenâiz'de ve Ahmed b. Hanbel de Müsned'inde rivayet etmiştir. Ben derim ki, Müslim Ebû Saîd Hudrî'den; İbni Mâ-ce Ebû Hureyre'den, Nesâî ise Hz. Âişe'den rivayet etmiştir. **Sahîhu'l-Câmi** 5024.
35. Yasin Sûresi-36/263.
36. Bu zat, Ebu'l-Ferec Abdurrahman b. Ali Cevzî'dir. (V. 597). Din ve dille ilgili birçok eseri vardır. Selefin büyüklerindendir. **Funûnu efnân fî acâibi ulûmi'l-Kur'ân** (Teymuriyye kütüphanesi yazmalar bölümü 222) ve bid'atçılar için yazdığı **Telbîsu İblis** de faydalı eserlerindendir. Eseri çok olan İslâm müelliflerindendir.
37. İnsanların sayıları ne zaman şer'î delil olmuş? Allah, müellifimiz İbni Kayyım'ı affetsin. Ancak ölü-

4- Eğer Sahâbe, Rasûllahın: "Yâsîn'i ölülerinizin başında okuyun" hadisini kabirde okuyun şeklinde anlaşalardı, bunu hiç terketmezler ve de alışılmış meşhur bir emir olurdu.

5- Yâsîn sûresinin faydası, onu işitmek hayatın son döneminde asıl gâye olan kalp ve zihin huzuruna kavuşmaktır. Kabirlerde okumanın hiçbir sevabı yoktur. Çünkü sevap ya okumakla ya da dinlemekle hasıl olabilir. Ölü için hiçbirisi söz konusu değildir.

Hâfız Ebû Muhammed Abdülhak hadisi böyle yorumladıktan sonra der ki: "Anlattığına göre ölüler hayattakilerden yardım ister, hayattakilerin söz ve davranışlarından haberdar olurlarmış." Yine Ebû Ömer Abdülber'in İbn Abbâs'tan aldığı hadiste: "Bir kimse tanıdığı bir kimsenin kabrine uğrar, ona selâm verirse, ölü onu tanır ve selamını alır."[38] Ayrıu hadis Ebû Hureyre'den merfû' olarak da rivâyet edilmiştir: Farklı olarak "tanımasa da selamını alır" ibaresi vardır.

Hz. Âişe'den[39] de Rasûlullah'ın şöyle buyurduğu nakledilir: "Bir kimse kardeşinin kabrine varıp başında oturursa ayrılana kadar beraber olurlar.

Hâfız Ebû Muhammed bu konuyla ilgili olarak Ebû Dâvûd'un Sünen'inde Ebû Hureyre'den gelen şu hadisle delil getirir: Rasûlullah buyuruyor: "Bana selâm verdiğinizde Allah ruhumu geri verir, böylece selâmınızı alırım."[40] Süleyman b. Nuaym da: Rasûlullahı rüyamda gördüm. Dedim ki: "Ey Allah'ın Rasûlü! İnsanlar kabrine varıp Sana selâm veriyorlar. Acaba selâmları Sana ulaşıyor mu?" Rasûlullah: "Evet, selâmları alıyorum" dedi. Süleyman b. Nuaym: Allah Rasûlü ashâbına, kabre vardıklarında: "Es-selâmü aleyküm ehle-d-diyâri'l-hadîs" yani: "Ey yeni memleketin sakinleri! Allah'ın selamı üzerinize olsun" de-

nün hayattakilerle ünsiyet kuracağı Gadîf b. Haris'in son tartışmasında sabit olmuştur. Gadîf b. Hâris başında Yâsîn sûresini okuyacak birini istedi. Adam kırkıncı âyete gelince, Hâris öldü.

38. Hadisin zayıf olduğunu söylemiştik. **el-Âyâtu'l-Beyyinât**'a bkz.

39. Garip bir şekilde hadise başlaması, onun zayıf olduğuna herhalde yeter delildir.

40. Hadisi Ebû Dâvûd Menasik'te (100) rivayet eder. Ahmed b. Hanbel'in de buna benzer bir rivayeti vardır. İbni Kayyım ve Nevevî'ye göre hadis sahihtir. Hâfız b. Hacer, râvîlerinin sika olduğunu söyler. Ama yine de hadiste müşkiller bulunmaktadır.
Haffacî der ki: "Hadis'in lafzını zorlamadan peygamber ve şehidlerin ölmediğini, peygamberlerin ölmediğinin ise daha sarih olduğunu anlarız. "Arz elini onlara atmadıysa onlar uyuyanlar gibidirler. Uykusunda ölmeyen..." âyetinde geçtiği gibi uyanmadıkça duymayan, konuşmayanlar gibidirler. Selamı almalarından maksat irsaldir. Buna göre mana vasıta veya vasıtasız salat ve selamı duyduklarında uyanıp selamı almalarıdır. Ama bunlarınki ölülerinki gibi ruhları kabzedilerek değil. Sonra dünya ölümü gibi ruhlarına üfürülür. Böylece eski hayatlarına kavuşurlar. Çünkü ruh, sadece ruhanî bir varlıktır. Ziyaretçi açısından iş böyledir. Ölünün ruhuna ulaşamayanların selamlarını melekler alır ki bunda bir müşkil yoktur.
Gayetü'l-maksûd'da deniyor ki: "Yukarıdaki izah en güzel izahtır." Ben derim ki: "Bunda sahih hadise işaret vardır. O da: "Allah'ın seyyah melekleri vardır. Ümmetimin selamını bana ulaştırırlar." Hadisi Ahmed b. Hanbel, Nesâî ve Dârimî Ebû Mes'ûd el-Ensârî'den rivayet etmişlerdir. Âlimlerin daha geniş görüşleri için **Avnü'l-ma'bûd**'un hadisin şerhiyle ilgili bölümüne bkz. c. 6, s. 26, 31.

melerini öğretmiştir. Bu hadis de ölünün kendisine verilen selamı bildiğine ve onu aldığına delildir.

Ebû Muhammed Fadl[41] b. Muvaffik'tan nakleder: Babamın kabrini ziyarete defalarca gittim. Bir gün bir cenaze merasimine katıldım. O gün işim âcil olduğundan babamın kabrine varamadım. Gece rüyamda babamı gördüm. Bana dedi ki: "Oğlum, artık niçin gelmiyorsun?" Ben de: "Baba, sen benim ziyaretimden haberdar oluyor musun?" "Evet, vallahi haberdar oluyorum oğlum. Köprüden geçip mezarıma gelirken, başımda otururken ve ayrılıp giderken köprüyü geçene kadar hep sana bakıyorum" dedi.

Amr b. Dînar'in şöyle dediği nakledilir: "Bir kimse öldüğü zaman ailesinin kendisini yıkayacaklarını ve kefenleyeceklerini bilir, onlara bakar durur."

Mücâhid de der ki: "Kişi ölümünden sonra kabrinde oğlunun güzel amelleriyle müjdelenir."

FASIL

Çağlar boyunca insanların kabirleri başında ölülerine telkin vermeleri bunun cevâzına delildir. Ölü, şayet telkini duymayacaksa bu, hiçbir mana ifade etmeyeceğinden abestir[42]. Ahmed b. Hanbel'e telkin sorulduğunda insanların uygulamalarını delil göstererek onu güzel görmüştür.

Taberânî'nin **el-Mu'cem**'inde, Ebû Ümâme'den naklettiği zayıf bir hadise göre Ebû Ümâme der ki: Rasûlullah buyuruyor ki: "İçinizden biri ölünce kabre konulduktan sonra biri kabri başına varsın ve: "Ey fülanca kadının oğlu fülan!" Bu sesleniste çağriyi duyduğu halde karşılığını veremez. Sonra ikinci defa: "Ey fülanca kadının oğlu fülan!" desin. Bunu duyunca belini biraz doğrultur. Üçüncüsünde: "Ey fülanca kadının oğlu fülan!" diye seslenince o, "Allah sizi doğru yola iletsin" der, ama siz onu duyamazsınız. Ona deyin ki: "Dünyadan ahirete götürdüğün kelime-i şehâdeti yani, şâhidim ki Allah'tan başka ilah yoktur; Muhammed de O'nun Rasûlü'dür. Allah'ı rab, İslâmı din, Muhammed'i peygamber, Kur'ân'ı da imam olarak kabul ettiğini hatırla!" Bil ki Münker ve Nekir sana gelir ve: "Şurada oturanın yanına varalım bakalım hücceti telkin edilmiş mi?" derler. Allah ve Rasûlü bu esnada o kişinin hüccetidir. Ashâb: "Peki ya Rasûlullah, annesinin ismi bilinmiyorsa neyle telkin verelim?" diye sorunca: "Annesi Havva'ya nisbetle" buyurdu.[43]

41. Burada Fadl meçhul bir zattır. Üst tarafı da senetle zikredilmemiş!
42. Abes olmayabilir de. Müellifimiz İbni Kayyım insanların kaç tane faydasız belki zararlı fiilleriyle mücadele etmiştir?
43. Hadis zayıftır, belki de münkerdir. Hadisin tahrici için bkz. el-Ehâdîsü'z-zaîfe (599), **Sübülüs-Selâm** (2-577, 578). Sağânî der ki: Gerçekçi âlimlerin sözünden anlaşılan hadisin zayıf olması buna uymanın bidat olması ve çokca buna uyanların çokluğu ile gururlanılmaması gerektiğidir.

Bu hadis[44] doğru olmasa da çeşitli milletlerde ve devirlerde kesintisiz uygulanması bir delildir. Allah'ın koyduğu prensip de delildir. Şöyle ki doğuda ve batıda akılları oldukça gelişmiş çeşitli bilgileri öğrenmiş milletlerin, duymayan ve düşünmeyen ölülerle ilişki kurup hiçbirinin de buna karşı çıkmadığı bilinmektedir. Belki de bu öncekilerin bıraktığı, sonrakilerin de devam ettirdiği bir sünnet ve gelenektir.

Mezarda yatan kişinin söylenenleri duymadığı düşünülürse ölünün topraktan, odundan, taştan ve yokluktan farkı kalmaz. Âlimlerin çoğu bunu kötü gördükten sonra yalnızca bir âlimin güzel görmesi bir şey ifade etmez.

Ebû Dâvûd[45] güvenilir bir senetle **es-Sünen**'inde rivâyet ettiğine göre Rasûlullah bir adamın cenazesine iştirak etti. Defin işi bitince Rasûlullah: "Kardeşinize sebat dileyin; çünkü o şimdi sorgudadır" buyurur. Sorgusu şimdi yapılıyorsa bundan, ölünün telkini duymuş olacağı çıkmaktadır.[46]

Ayrıca hadiste: "Ölü, kendisini defnedenlerin ayak seslerini, mezardan ayrılırken duyar" denmektedir.[47] Abdülhak, sâlihlerden birinin şu vakasını anlatır: "Erkek kardeşim ölünce onu rüyamda gördüm. Dedim ki: "Kardeşim, seni kabre koyduğumuzda ne durumdaydın?" Dedi ki: "Elinde ateşten bir parçayla birisi yanıma geldi. Bana duâ eden biri olmasaydı helak olacaktım."

Sebîb b. Seybe anlatıyor:[48] Ölüm döşeğinde annem bana şöyle vasiyyet etti: "Oğlum, beni mezara koyunca kabrimin başında "ey Sebîb'in annesi! Allah'tan başka ilah yoktur" de." Nihayet annem ölünce onu mezara koydum ve: "Ey Sebîb'in annesi! Allah'tan başka ilah yoktur" dedim ve evime döndüm. Gece rüyamda annemi gördüm. Diyordu ki: "Ey oğlum, kelimeyi hatırlatmasaydın mahvolacaktım. İyi ki vasiyyetimi tuttun."

İbn Ebi'd-Dünyâ anlatıyor: Eyyûb b. Uyeyne'nin hanımı, Sehl'in kızı Temâzur diyor ki: "Rüyamda Süfyan b. Uyeyni'yi gördüm: "Kardeşim Eyyûb'a Allah hayırla karşılık versin. Çünkü o beni çok ziyaret ederdi. Bugün de beraberdik. Bugün kabristana gidip onun mezarına uğradım" demektedir."

Hammad b. Seleme'den[49], o da Sabit'ten, o da Sehr b. Hûseb'den rivâyet et-

44. Sağânî sözü edilen yerde der ki: Esrem anlatıyor: "Ölüyü mezara koyduktan sonra yaptığınız bu şey nedir? diye Ahmed b. Hanbel'e sordum." Dedi ki: "Şamlılardan başkasının yaptığını görmedim." O halde İbni Kayım'ın bu sözünü neye yorumlayabiliriz?
45. Sahih bir senetle Osman'dan rivayet etmiştir. Hadisin tahrici için **Ahkâmu'l-cenâiz** (156)ya bkz.
46. Bu zorunluluk da nereden çıktı?
47. Enes'ten gelen hadis müttefekun aleyhtir. İbni Abbas'tan da sahih olmuştur. bkz. **el-Âyâtül-beyyinât** 5-9 ve 34.
48. Şebîb b. Şeybe hakkında İbni Maîn der ki: "Sika biri değildir. Ebû Hatim de güçlü biri değildir" der. bkz. **et-Cerh ve't-ta'dîl**.
49. Bu zat hadis ilminde Sîbeveyh'in hocasıdır. Bir keresinde Sîbeveyh'i "Leyse Ebâ ed-Derdâ" diyeceğine "Leyse Ebû Derdâ" dediği için hocası kınamıştı. Buna cevap olarak Sîbeveyh de: "Böyle oku-

mekte. Sa'b b. Cüsame ile Avf b. Mâlik kardeştirler.[50] Sa'b Avf'a dedi ki: "Kim önce ölürse, rüyasında onu görsün." Avf : "Bu olabilir mi Sa'b?" deyince, "Evet" dedi Sa'b. Sa'b önce ölmüştü. Avf rüyasında Sa'b'in kendine doğru geldiğini görür. Avf: "Ey kardeşim" der. Sa'b: "Evet" der. "Nasıl muâmele gördün?" Sa'b: "Birçok felaketten sonra afvolunduk." Avf (boynunda siyah bir parlaklık gördüm): "Ey kardeşim boynundaki nedir?" Sa'b: "Fülanca yahûdiden ödünç aldığım on dinar. Şimdi dinarlar dolabımdadır, onları yahûdiye verin. İnanır mısın kardeşim, ölümümden sonra evimizde meydana gelen herşeyi biliyorum, bize ulaştırılıyor. Meselâ bizim kedi şu kadar gün önce öldü. Kızım da altı ay içerisinde ölecek. Ona güzel davranın. Avf (sabah olunca): "Ona muhakkak bir öğreten vardır" dedi. Hemen evlerine vardım. "Hoşgeldin Avf, böyle mi kardeşlerini memnun ediyorsun? Sa'b öleli hiç uğramıyorsun bize" dediler. Avf: "İnsanların tutulduğu bir hastalığa ben de tutuldum. Çaresini Kur'ân'da aradım. Mushafın içersinde dinarların bulunduğu cüzdanı buldum. Hemen onları yahudiye götürdüm. Yahudiye: "Sa'b'in sana borcu var mı? diye sordum. Dedi ki:[51] "Allah Sa'b'a acısın. O, Rasûlullah'ın seçkin ashâbındandı. Borcu o kadar önemli değil." "Şöyle ne kadar?" Yahûdi: "Madem söyleyeyim. On dinar borç vermiştim." "Vallahi bu aynen dediği gibi oldu." Birincisi bu.

Avf, Sa'b'in ailesine sorar. "Sa'b'in ölümünden sonra başınızdan birşey geçti mi? Evet derler. "Şu anda olay oldu." Anlatmalarını istedim. Dediler ki: "Şu kadar gün önce bir kedimiz öldü." İşte bu da ikincisi.

Avf anlatıyor: "Kız yeğenim nerede?" "Şu anda oynuyor." Çocuğun yanına vardım, başını okşadım, ateşi yüksekti. "Çocuğa iyi davranın" dedim ve çocuk altı ay içinde öldü.

İşte bu Avf'in ince zekasındandır. Sahâbe Avf, Sa'b b. Cüsâme'nin ölümünden sonra vasiyyetini yerine getirmiştir. Paranın on dinar olarak dolapta olduğuna güvenerek, Sa'b'in sözünün doğruluğuna hükmetti. Sonra yahûdiye sordu. Aldığı cevapla rüyasını destekliyordu. Durumun ciddiliğini anlayan Avf dinarları yahûdiye verdi. Bu tavır insanların en fakihi ve en bilgilisi olan kişiye yaraşır bir tavırdır. Bunlar Rasûlullah'ın sahâbileridir. Belki biri çıkar da Sa'b'in bıraktığı yetim ve veresesine ait malı Avf'in terekesinden alıp yahudiye vermeyi nasıl uygun gördüğünü yadırgayabilir.[52]

---

makta bir sakınca yok. Sana öyle bir ilim öğreteceğim ki, artık benim hata yapmadığımı anlayacaksın" dedi. bkz. Saîd Efgânî'nin Tarîhü'n-nahiv (113) Daru'l-Fikr.

50. et-Takrîb'de zikredildiği gibi meşhur birisidir. Doğrudur ama mürsel ve evhamı çok biridir. Burada olayı doğrulamayan bir işitme, açıkça belirtilmemiştir. Sa'b b. Cüsame ile Avf b. Mâlik ikisi de sahabidir.

51. Yani yahudi adam.

52. Allah'a hamd olsun ki bu rüya da doğru değil.

Buna benzer bir olay da Allah Rasûlü'nün seçkin ashâbından Sabit b. Kays b. Semmas'a ait olan olaydır. Ebû Ömer b Abdülber anlatıyor. Abdülvaris b. Süfyan, o da Kasım b. Esbağ'dan, o da Ebû Zenba' Ravh b. el-Ferec'den, o da Said b. Afîr ve Abdülaziz b. Yahyâ el-Medenî'den, o da Mâlik b. Enes'ten, o da İbn Sihâb'dan, o da İsmail b. Muhammed b. Sabit el-Ensârî'den, o da Sabit k. Kays b. Semmâs'dan rivâyet ettiğine göre Rasûlullah ona der ki: "Ey Sabit, hoş bir hayat yaşayıp şehit olarak ölüp cennete girmek ister misin?" Mâlik der ki: "Sabit b. Kays Yemâme savaşında şehit oldu."[53]

Ebû Amr der ki: Hişam b. Ammar Sadaka b. Halid'den, o da Abdurrahman b. Yezîd b. Câbir'den, o da Atâ Horasanî'den, o da Sabit b. Kays b. Semmâs'ın[54] kızından şunu nakleder: "Ey iman edenler! Sesinizi Rasûlullah'ın sesinden daha yüksek çıkarmayın"[55] âyeti inince babası evine geldi ama o kapıyı kapadı. Rasûlullah onu göremeyince durumu hakkında bilgi almak için bir adam gönderdi. Sabit dedi ki: "Ben kart sesli bir adamım. Amelimin mahvolmasından korkuyorum". Rasûlullah da: "Sen onlardan değilsin. Yaşamın da güzel olacak ölümün de" buyurdu. Sonra: "Allah böbürlenen, büyüklenen kimseleri sevmez"[56] âyeti inince kapıyı kapayıp ağlamaya başladı. Rasûlullah onu göremeyince haber saldı. "Ey Allah'ın Rasûlü, ben büyüklüğü ve kavmimin başı olmayı severim" dedi. Kays'ın sözlerini duyan Rasûlullah: "Sen onlardan değilsin. Yaşamın güzel olacak. Şehit olarak öleceksin ve de cennete gireceksin" buyurdu. Kays'ın kızı anlatıyor: "Yemâme günü Hâlid b. Velid'le, Müseyleme'yle savaşa gitti. Ordular birbirine girince bunlar belirdi. Ebû Huzeyfe'nin mevlâsı Sabit ve Kays: "Rasûlullah'la beraber savaşırken böyle değildik" dediler, herbiri birer çukur kazdı. Sebat ettiler, savaştılar; nihayet ikisi de şehit düştü. O gün Sabit'in üzerinde kıymetli bir zırh vardı. Sabit ölünce müslümanlardan biri onu aldı. Bir müslüman Sabit'in rüyasında kendine şöyle dediğini anlatır: "Sana bir vasiyyetim var. Ama bunun unutulması gereken bir düş olduğunu bilmelisin. Dün, ben öldürülünce bir müslüman geldi ve zırhımı aldı. Evi yüksek bir yerdedir. Gizlice onu alırken at boyuna kişneyip şahlanıyordu. Zırhının üzerine şimdi taş çömleği ters olarak kapamış çömleğin üzerinde de bir adam var. Halid'e git, zırhımı alması için bir adam göndermesini şöyle." Adam anlatıyor. Rasûlullah'ın halifesi Ebû Bekir'e geldiğinde Ebû Bekir'e şu kadar borcum var; kölelerimden fülanca, fülanca hürdür diyordu. Adam Halid'e vardı, olayı ona anlattı. Halid de bir adam göndererek zırhı getirtti. Ebû Bekir'e

53. İbni Ebî Hatim, İsmail b. Muhammed'i zikrederken cerh de tadil de etmemiştir. Çünkü Ebu Hatime göre bu zat meçhul birisidir. Hadisi Mu'cemu'l-müfehres'te bulamadım.
54. Ravîleri sikadır. Ama Sabit b. Kays'ın kızından sözedildiğine rastlamadığı gibi hadisin sözkonusu âyetin inişiyle ilgili kısmı sahihtir. Hadisi Buhârî, Müslim, Ahmed b. Hanbel ve İbni Cerîr rivayet etmiştir. Bilgi için İbni Kesir Tefsiri (4-206, 207) bkz.
55. Hucûrât Suresi, (49/2).
56. Lokman sûresi, (31/18).

(Ra) rüyasını anlatınca, Ebû Bekir vasiyyetini yerine getirdi ve: "Allah'ın rahmeti üzerine olsun! Sabit b. Kays'tan başka ölümünden sonra vasiyyeti yerine getirilen bir adam tanımıyoruz" dedi. Ebû Amr'in anlattıkları bu kadar.

Hâlid b Velid, Ebû Bekir ve diğer sahâbiler rüyaya uyarak Sabit'in vasiyyetini yerine getirmekte ve Kays'ın zırhını adamdan almak hususunda ittifak etmişlerdir. İşte gerçek fıkıh budur.

Ebû Hanife, Ahmed ve Mâlik birine uygun olduğu halde diğerine uygun olmayan bir hususta karı-kocadan davacı olanın sözünü kabul ediyorlarsa, bunu derhal kabul etmeliler.

Kocanın yemini ve kadında bulunan bir karineye bakarak: "Yüce Allah kadına had vurulmasını meşrû' kılmıştır. Çünkü bu kocanın doğruluğuna delâlet eden en açık delillerdendir."

Bundan da daha açığı, karşılıklı yeminleşmede (kasâme) sağlam ve zahir delillere bakarak davacıların yeminleriyle yemine konu olan kişinin öldürülmesidir.

Yüce Allah, yolda ölüp gayrı müslim iki kişiye vasiyyet eden birinin terekesi hususunda davacıların sözünün kabulunu emretmiştir. Eğer vârisler bu iki vâsînin yeminlerinde hiyanet ettiğini anlarlarsa bunları yeminleri iki vâsînin yeminlerine tercih edilir. Bu, Yüce Allah'ın işin sonunda Kur'ân'da son inen, neshedilmeyen ve de sahâbelerin amel ettiği Mâide sûresidir.

Malla ilgili konularda şüpheyle hükmedilebileceğine bu delildir. Kasâmede şüpheyle kan akıtmak mübah olunca malla ilgili konularda zahir delillerden olan şüpheli delil daha evlâdır, geçerlidir.

Adâletin temsilcisi valiler, hırsızlardan çalıntıları almıştır. Buna bile karşı çıkanların çoğu malları çalındığında her nedense buna başvurmuşlardır.

Yüce Allah Hz. Yusuf'la, kralın karısı arasında geçen olaya şâhid olan kişinin şehâdetini ve Hz. Yusuf'un haklı, kadının da yalancı olduğuna dair verdiği hükmü hikâye etmekte ve hem de bunu takrir etmektedir.

Hz. Peygamber de iki kadın arasında meydana gelen çocuk davasında Hz. Süleyman b. Dâvûd'un verdiği hükmü anlatmaktadır. Olay şu: Bir çocuğu iki kadın sahiplenmektedir. Tartışma sürerken Hz. Süleyman der ki: "Bana bir bıçak verin de çocuğu keserek aranızda paylaştırayım." Büyük kadın: "Tamam, diğer kadın tek çocuğu almasında teselli için buna razıyım" der. Genç kadınsa: "Hayır, onu kesme. Çocuk tek onun olsun" der. Bunun üzerine Hz. Süleyman kalbindeki şefkat ve merhametle çocuğunu başkasına vermeye bile razı olan ve ölmemesine çalışan genç kadına çocuğu verir.[57]

57. Bu olayı Buhârî, Müslim ve Nesâî Ebû Hureyre'den rivayet etmişlerdir. bkz. Câmiu'l-usûl (8-519).

Hükümlerin en güzeli, en âdili budur. İslâm şeriatı bunu onaylamakta ve de doğruluğunu göstermektedir. Ayrıca kıyâfet ilmiyle[58] neseb tayininde çoğu kez birbirine benzer ve gizli karineleri incelemek mümkün değil miydi?

Avf b. Mâlik'le, Sabit b. Kays'ın rüyada ileri sürdükleri deliler söz konusu delillerle de kalmamakta, salt ücretin varlığı, çocuğu kundaklamak, karı-koca meselesinde davacının mal üzerindeki selahiyeti konularındaki delillerden daha da güçlüdür. Bunda bir gizlilik yok. İnsan aklı ve düşüncesi bunun doğruluğunu göstermektedir. Başarı Allah'tandır.

Bütün bunları anlatmaktan maksat; ölü, bu gibi basit olayları ve tafsilatlarını bilebiliyorsa, hayatta bulunan birinin ziyaretini, selamını ve yaptığı davayı daha rahat bilebileceğini açıklamaktır.

58. Kıyafet ilmi : Fizyonomik özellikler ilmi. Ayak izlerini inceleyen ilim (iz sürücülük). Dış görünüş manasına da gelir.

İKİNCİ MESELE

Ölülerin Ruhları Birbirine Kavuşup Birbirlerini Ziyaret Ederek Müzakere Ederler mi?

[Bu da diğeri gibi oldukça önemli bir mes'eledir. Soruyu şöyle cevaplandırmak mümkündür. İki çeşit ruh vardır: Mutlu ruh, mutsuz ruh. Mutsuz ruh ziyaret ve görüşmeden mahrumdur. O, hakettiği azapla meşguldur. Mutlu olan ise ziyaret ve görüşmeye açıktır; dünyada olanları ve insanları ilgilendiren hususları müzakere eder. Ruhlardan herbiri, bilgide eşit olan ruhlara refâkat eder. Peygamberimizin ruhu refîki âlâdadır. Yüce Allah: "Kim Allah ve Rasûlü'ne itâat ederse işte o Allah'ın kendilerine iman ettiği nebîlerle, sıddîklarla, şehitlerle ve sâlihlerle beraberdir. Onların refakati ne de güzeldir"[1] buyurmaktadır. Âyette geçen beraberlik hem dünyada hem berzahta hem de cezâ gününde olacaktır. Bu üç merhalede kişi sevdiği ile beraberdir.]

Cerir, Mansur'dan, o da Ebî Duhâ'dan,[2] o da Mesruh'tan şöyle dediğini rivâyet eder: Muhammed'in ashâbı dedi ki: "Ya Rasûlallah, dünyada senden ayrı düşmemiz söz konusu değil, ama öldüğün zaman ruhun yükselecek biz de seni göremeyeceğiz, buna üzülüyoruz" deyince: "Kim Allah ve Rasûlü'ne itâat ederse o, Allah'ın kendilerine in'âm ettiği peygamberlerle, sıddîklarla şehitlerle ve sâlihlerle beraberdir. Onların refakati ne güzeldir" âyeti celîlesi indi.

Sa'bî[3] anlatıyor: Ensâr'dan biri ağlayarak Rasûlullah'a geldi. Peygamberimiz ona "niçin ağlıyorsun?" diye sordu. Adam: "Ey Allah'ın Rasûlü, tek olan Allah'a yemin ederim ki, sen bana, ailemden ve malımdan daha sevimlisin. Yine tek olan Allah'a yemin olsun ki nefsimden de daha sevimlisin. Seni ve ailemi

1. Nisâ sûresi, (4/69).
2. Mürsel hadistir. Senedi de sahihtir.
3. Ebû Hatim'in **Merâsîl**'inde zikredildiği bu eser de mürseldir. Çünkü İmam Şa'bî birçok sahabeden irsal etmiştir.

hatırlayınca sizi görene kadar içime bir korku düşüyor. Sonra senin ve benim ölümümü düşündüm de bu beraberliğimizden başka beraberliğimizin olmayacağını anladım. Ahirette sen peygamberlerin yanına yükseleceksin. Tabi ben cennete girsem de derecem seninkinden aşağıda olacak..." Bu sözleri duyan Rasûlullah sustu ve: "Kim Allah ve Rasûlü'ne itâat ederse o, Allah'ın kendilerine in'âm ettiği peygamberlerle, sıddîklarla, şehitlerle ve sâlihlerle beraberdirler. Onları refakati ne güzeldir... âlim olarak Allah yeter" âyetine kadar kısım inzal oldu. Ve yine Yüce Allah: "Ey huzura kavuşmuş nefis, sen Rabbinden, Rabbin de senden razı olarak O'na dön. Kullarım arasına gir ve cennetime gir"[4] buyurmaktadır. Yani ölüm anında ruha mutlu ruhların arasına katıl, onlarla beraber ol, denir.

İsrâ vakasıyla ilgili, Abdullah b. Mesud'un rivâyet ettiği hadiste anlatılmaktadır. Abdullah b. Mesud der ki: "Peygamberimiz İsrâ gecesi Hz. İbrahim'i, Hz. Mûsa'yı, Hz. İsâ'yı görmüştür. Aralarında kıyâmeti tartıştılar. Önce Hz. İbrahim'e sordular, ancak kıyâmetle ilgili Hz. İbrahim'in bir bilgisi yoktu. Sonra Mûsa'ya sordular, ancak o da bilmiyordu. Sıra Hz. İsâ'ya gelince dedi ki: "Ben de görevim olduğu halde henüz gerçekleştiremediğim Allah'ın ahdi var. Deccal çıkacak. Yeryüzüne inip onu öldüreceğim. Herkes memleketine dönecek. Her tepeden saldıran, bulduğu her suyu bitene kadar içen, vardığı yeri bozan, ifsat eden Ye'cûc ve Me'cûc'le karşılasacaksınız. Bunun üzerine beni çağıracaklar. Ben de Allah'a duâ edip onları öldüreceğim. Yer, kokusunu Allah'a şikâyet edecek, bana başvuracak. Ben de Allah'a duâ edeceğim, indirdiği yağmurla onları denize dökecektir. Sonra dağlar savrulacak, yerin altı üstüne çıkacak. Allah'ın va'di şudur ki kıyâmet, doğuracak gebe kadın gibidir; kimse onun ne zaman patlayacağını, gece mi gündüz mü olacağını bilemez." Hadisi Hakim,[5] Beyhakî ve diğerleri nakletmiştir.[6]

Bu, ruhların ilmî müzakereler yaptıklarına delildir.[7]

Allah Teâla, şehitlerin diri olduklarını ve rablerinin verdiği rızıkları yediklerini haber vermektedir. Ayrıca onlar henüz kendilerine kavuşamamış nesilleriy-

4. Fecr sûresi, (89/27).
5. İbni Mâce (6-1365, 1366) Zevâid'de der ki: Hadisin senedi sahihtir. Râvîleri sikadır. Müser b. Afâze'yi İbni Hibban sika kabul etmiştir. Diğer râvîler de sikadır. Hakim hadisi rivayet ettikten sonra "bu, senedi sahih bir hadistir" der.
6. Bunlar büyük kıyametin alametlerindendir. Hz. Mesih alametlerden bir tanesidir. Şöyle ki, Hz. İsâ kıyâmet kopmadan önce arza inecek ve Deccali, domuzu öldürecek; haçı kıracak, cizyeyi kaldıracak, o gün müslümanlara namaz kıldıracak. Hz. İsâ'nın bu özellikleri sahih hadislerde'te açıklanmıştır. Hz. Mesih'ten bahsederek: Yüce Allah: "O, kıyametin bilgisidir" (Zuhruf: 61) buyurmaktadır. Bir kıraatta da: "O, kıyametin alametidir (yani وإنه لعلم للساعة değil de وإنه لعَلَمٌ للساعة şeklinde). Yine âyeti celîlede: "Ehli kitaptan olanlar ölümünden önce Ona iman edeceklerdir" buyurulmaktadır (Nisâ: 259).
7. Ben derim ki, burada peygamber ruhlarının ilmî müzakereler yaptığına delil vardır. Diğerlerinin ruhları böyle değildir.

le[8] ve Allah'ın nîmetiyle, fazlıyla müjdelenirler. Ruhların birbirine kavuşacağını gösteren üç delil vardı. Birincisi; Allah'ın verdiği rızıkları yemeleri. Rızık yediklerine göre diridirler ve birbirlerine kavuşacaklardır demektir. İkincisi; ölünün, eş ve dostlarıyla kavuşacaklarının önceden müjdelenmesi. Üçüncüsü ise "istebsera" fiilinin lugatta, birbirini müjdelemek ve müjdeleşmek anlamına geldiğidir.

Rüyalarda görülenler de bunu ifade eder. Meselâ Sâlih b. Beşir anlatıyor: "Atâ Selimî'yi ölümünden sonra rüyamda gördüm. Ona dedim ki: "Allah sana merhamet etsin Atâ. Dünya hayatın çok kederli geçti." Atâ: "Evet, ama şimdi çok sevinçliyim, mutluyum." Ona dedim ki: "Şu anda durumun ne?" O ise: "Allah'ın kendilerine in'âm ettiği peygamberlerle, sıddîklarla, şehitlerle ve sâlihlerle beraberim" şeklinde cevap verdi.

Abdullah b. Mübârek anlatıyor:[9] "Süfyân-i Sevrî'yi rüyamda gördüm. "Allah sana ne hükmetti?" diye sordum. O da dedi ki: "Muhammed ve arkadaşlarına katıldım."

Sahr b. Raşid de: "Ölümünden sonra Abdullah b. Mübârek'i[10] rüyamda gördüm. Ona: "Abdullah, sen ölmemiş miydin?" diye sordum. "Evet" diye cevapladı. "Hakkında Allah'ın hükmü nedir?" Abdullah: "Bütün günahlarımı affetti." Sordum, "Peki ya Süfyân-i Sevrî?" Abdullah: "Ne hoş! ne hoş! Şimdi O, Allah'ın kendilerine in'âm ettiği, peygamberlerle, sıddîklarla, şehitlerle ve sâlihlerle beraberdir. Onlarla dostluk ne güzeldir" dedi.

İbn Ebi'd-Dünyâ Hammad b. Yezîd'den, o da Hişam b. Hasan'dan, o da Yakza binti Rasid'den şöyle dediğini nakleder: "Mervan Mahlemî komşumdu. Kendisi müctehid bir kâdıdır. Ölünce, ona karşı fevkalâde bir sevgi duydum. Bir gün rüyama girdi. Dedim ki: "Allah sana neyle muâmele etti?" "Beni cennete soktu" dedi. Sonra ne oldu? "Ashâb-i Yemîn'in katına çıktım." Peki sonra ne oldu? "Sonra mukarrabînin katına çıktım." Orada kimleri gördün? "Hasan'ı, İbn Sîrîn ve Meymun b. Seyyah'ı gördüm." Hammad, Hişam b. Hassan'dan, o da Basra'nın seçkin kadınlarından olan Abdullah'ın annesi anlatıyor: "Rüyamda güzel bir eve girmişim. Oradan da bahçeye. Allah'ın dilediği ölçüde onun güzelliğini hatırlıyorum. Baktım ki etrafında ellerinde kaplar bulunan hizmetçilerin bulunduğu, altından bir sedire dayalı bir adam gördüm. Bu gelen Mervan Mahlem'dir denince gördüğüm şeyin güzelliğine hayran kaldım. Mervan bir sıçradı ve sedirine oturdu." Abdullah'ın annesi anlatıyor: "Uyandım ki o saatte Mervan'ın cenazesi kapımdan geçiyordu."

8. Ben derim ki, burada da şehidlerin ruhları hakkında doğru bir kanaat vardır. Peygamberlerin ruhları nerede şehidlerin vb. ruhları nerede. Böyle bir kıyaslama doğru olur mu?
9. İbarenin aslında iki yerde Mübârek geçmektedir. Doğrusu da budur.
10. Abdullah b. Mübârek'e dayanan sened metinde zikredilmemiştir.

Sarîh sünnetlerde de ruhların birbirine kavuşması ve tanışması anlatılmaktadır. İbn Ebi'd-Dünyâ anlatıyor: Muhammed b. Abdullah b. Beziğ'den, o da Fudayl b. Süleyman b. Nümeyrî'den,[11] o da Yahyâ b Abdurrahman b. Ebî Lebîbe'den, o da dedesinden nakleder. Bişr b. Berrâ b. Ma'rûr ölünce annesi onda büyük bir vecd buldu. Annesi der ki: "Ey Allah'ın Rasûlü! Benî Seleme'nin ölüleri eksik olmaz. Ruhlar birbiriyle tanışır da Bişr'e selamımı götürürler mi?" Allah Rasûlü buyurdu: Evet, nefsim yedinde bulunan Allah'a yemin olsun ki, ruhlar ağaç tepelerinde kuşların birbirleriyle tanıştığı gibi birbirleriyle tanışırlar. Bundan böyle Benî Seleme'den biri ölünce Birr'in annesi hemen na'sa varır "Ey adamcağız. Allah'ın selamı üzerine olsun" der, o da selamını alınca: " Bişr'e de selâm şöyle" derdi.

İbn Ebi'd-Dünyâ, Süfyan'dan, o da Amr b. Dinâr'dan, o da Ubeyd b. Umeyr'den[12] nakleder. Dünya haberleri ölülere ulaşır. Kabre bir ölü gelince: "Fülancanın durumu nedir?" derler. "O sâlih biridir" der. "Pekiyi ya fülanca?" "O da sâlihtir" der. "Ya öbür adam?" Der ki: "O yanınıza gelmedi mi?" Onlar da "Hayır" derler. O zaman der ki: "Allah'tan geldik, tekrar O'na döneceğiz. O başka yere götürülmüş olmalı."

Sâlih Meri der ki: "Bana anlatıldığına göre ölüm anında ruhlar birbirine kavuşurmuş. Ölülerin ruhlarına yeni bir ruh katılınca: "Kalacağın yer nasıldır; temiz bir bedenden mi geldin yoksa kötü bir bedenden mi?" derler. Sonra ağlamaya başlar."

Ubeyd b. Umeyr anlatıyor: "Yolcu kişinin soruşturduğu gibi bir kişi öldüğü zaman ruhlar da onu soruştururlar: "Fülanca ne yaptı? Fülanca ne yaptı?" Eğer öldüğü halde önceki ruhlara katılmamışsa ruhlar derler ki: "O, annesi cehenneme gitti."

Said b. Müseyyeb anlatıyor: "Bir kimse ölünce yolcunun karşılandığı gibi babası da onu karşılar."[13]

Yine Ubeyd b. Umeyr: "Sevdiklerime kavuşma ümidimi kesseydim ölümüm bir bez parçası gibi olurdu" demektedir.

Muâviye b. Yahyâ: Abdullah b. Sêleme'den, o da Rahm Mesmaî'nin babasından, o da Ebû Eyyûb el-Ensârî'den, Rasûlullah'ın şöyle dediğini nakleder:[14] Mü'min bir kimse ölünce Allah'ın rahmet ordusu dünyada hayırla müj-

---

11. Fadayl Nemîrî hakkında et-Takrîb sahibi der ki: "Doğru bir kişidir, ama birçok hatası vardır." İbni Ebî Lebîbe hakkında da İbni Maîn: "O güvenilir değil" der. Ebû Hâtim ise: "Güçlü bir râvî değildir" der.
12. Ubeyd b. Umeyr tabiînden sika bir zattır. Fakat bu kendine nereden ulaşmış? Oysa ki bu vahiysiz bilinemez.
13. Anlatılanların hepsi haberdir. Ama doğruluğuna delil yok.
14. İbni Cerîr mürsel olarak nakleder. İbni Merdûye ise Enes hadisini nakleder. İbni Merdûye ile İbni Mübârek Ebû Eyyûb'dan naklederler. Bkz. Fethü'l-kadîr'in Kâri'a sûresinin tefsirine. Mukarib lafzı

deye kavuştuğu gibi ona kavuşurlar ve derler ki: "Kardeşinize bakın da biraz rahatlasın. Çünkü o kedere boğulmuştur." Ona hep soru sorarlar: "Fülanca ne yapıyor? Fülanca kadının durumu nasıl? Fülanca kadın evlendi mi?" Eğer kendisinden evvel ölmüş birinden sormuşlarsa: "Allah'tan geldik, O'na döneceğiz. O, annesi cehenneme atılmıştır. O ne kötü anne, ne kötü terbiyeci" derler.

Sözü geçen Yahyâ b. Bistam, Mesma b. Âsım'dan nakleder: Ölümünden iki sene sonra Âsım Cuhderî'yi rüyamda gördüm. Ona dedim ki: "Hâlâ ölmedin mi?" "Evet öldüm" dedi. "Şu anda neredesin?" "Vallahi şu anda cennet bahçelerinden bir bahçedeyim. Birkaç arkadaş her cuma gecesi ve sabahları Bekir b. Abdullah el-Müzenî'nin yanına gider, hakkınızda bilgiler toplarız" dedi. "Bizimle ilgili haberleri ruhlarınızla mı yoksa bedenlerinizle mi alırsınız? "Heyhât... Nerede bedenler...[15] Ruhlarla alırız" dedi.

ve Kitap lafzının senedi zayıftır. Abdullah b. Selmâ'dan hadis alan Muâviye b. Yahya'nın kim olduğunu öğrenemedim. Bu adla iki kişi var, ikisi de zayıf. Şeyh Elbânî ile bu hadisin senedini incelediğimizde vardığınız sonuç senedin zayıf olmasıdır.

15. Yahya b. Bistam hakkında İbni Hibban'ın: "Ondan rivayet etmek helal olmaz" sözü yukarıda geçti.

ÜÇÜNCÜ MESELE

Dirilerin Ruhları, Ölülerin Ruhlarına Kavuşur mu?

Dirilerin ruhlarıyla, ölülerin ruhlarının birbirine kavuşacağı ile ilgili delillerin sayısı Allah'tan başka kimsenin bilemeyeceği kadar çoktur. Tecrübe (his) ve bu husustaki vâk'ialar, bunun en açık delillerden sayılır. Dirilerin ruhlarının birbiriyle kavuşması gibi ölülerin ruhlarıyla dirilerin ruhları da birbiriyle kavuşurlar. Yüce Allah buyuruyor ki: "Allah, kişinin ruhunu ya ölümü anında alır ya da uykusunda. Ölümünü murad ettiği kişinin ruhunu tutarken uykudakinin ruhunu muayyen bir zamana kadar salıverir. Düşünenler için bunda birçok ibret vardır."[1]

Abdullah b. Mendeh, Ahmed b. Muhammed b. İbrahim'den, o da Abdullah b. Hasan el-Harranî'den,[2] o da dedesi Ahmed b. Abdullah b. Ebî Şuayb el-Harranî'den[3], o da Mûsâ b. A'yün'den, o da Mutrif'ten, o da Cafer b. Ebî Muğîre'den, o da Saîd b. Cübeyr'den, o da İbn Abbâs'tan âyetle ilgili şunları nakleder: "Uykuda dirilerin ruhlarıyla ölülerin ruhları birbiriyle karşılaşır, birbirlerinden malumat alırlar. Allah ölülerin ruhlarını tutar, dirilerin ruhlarıru ise bedenlerine iâde eder."[4]

İbn Ebî Hâtim tefsirinde anlatıyor: Bana Abdullah b. Süleyman, ona Hüseyn, ona Âmir, ona Esbat,[5] ona da Seddî "Uykusunda ölmeyen..." âyeti hakkında

1. Zümer sûresi, (39/42).
2. Doğrusu İbni Hüseyn'dir.
3. Doğrusu Ahmed b. Şuayb'dir.
4. Ahmed b. Muhammed'i tanımıyorum. Abdullah b. Hüseyn hakkında az laf edilmiştir. Cafer b. Ebî Muğire hakkında İbni Mendeh der ki: "Said b. Cubeyr'den yaptığı rivayetlerde güçlü biri değildir." Haber zayıftır. el-Mizân'a bkz.
5. Esbat denen zat, İbni Nasr'dır. et-Takrîb'de: "Doğru fakat hatası çok biridir, garib hadisler rivayet eder" denmektedir.

şunları nakleder: "Allah onun ruhunu uykusunda alır. Uykuda karşılasan dirinin ruhuyla ölünün ruhu birbiriyle tanışarak aralarında müzekere ederler. Sonra, dirinin ruhu eceline kadar olmak üzere dünyadaki bedenine döner. Ölünün ruhu da dönmek ister fakat bu istek, kabul edilmez."

Âyette geçen ölmek üzere bedenden ayrılmakla "uyku ölümü" hakkındaki kanâatlerden birisi budur. Anlaşıldığına göre ölünün ruhu bedenden ayrılır ve kıyâmete kadar bedenden uzakta durur. Uyuyan kimsenin ruhu ise önce bedenden ayrılır daha sonra ömrünü tamamlaması için bedene yeniden gönderilir. Bunun ölümü başka bir ölümle gerçekleşir.

İkinci kanâate göre âyette geçen hem tutulan hem de salıverilen, ruhun uyku vefatıyla olan şeklidir. Eceli tamamlanan ruh, tutulur ve yeniden bedene gönderilmez. Eceli henüz tamamlanmamış ruhsa ise geri kalan ömrünü tamamlaması için bedene gönderilir. Şeyhülislâm'a[6] göre[7] ikinci kanâat doğrudur. O der ki: "Kitab ve sünnet de buna delâlet eder; çünkü Yüce Allah ölümle vefat eden nefsin, uykuda vefatla ölen nefislerden olduğunu zikretmiştir. Ama uyku dışında ölen nefisler hakkında ise tutınak ve salıvermekten bahsetmemektedir." Üçüncü kanâat de budur.

Doğru olan kanâat birincisidir. Çünkü Allah iki vefattan bahsetmiştir: Büyük vefat, ölmek gibi; küçük vefat, uyumak gibi. Ayrıca ruhları da ikiye ayırmaktadır: Ölmesi istenen, böylece de ölümle vefat ederek bedenden ayrı tutulan ruh, diğeri ise ecelini tamamlaması için bedene yeniden salıverilen ruh. Yüce Allah önce söz konusu iki vefatı iki ayrı hüküm olarak şu tutulandır, şu da salıverilendir şeklinde koymuş sonra da ölmeyen ruhun uyku anında ölen ruh olduğunu bildirmiştir. Yüce Allah, eğer uyku ölümünü, ölüm vefatı ve uyku vefatı diye ikiye ayırsaydı: "Uykusunda ölmeyen ruh..." demezdi. Bu, ruhun ölmediğini göstermektedir. Ölmeyen ruhu haber verdikten sonra hem nasıl: "Ölümünü murad ettiği ruhu tutar" diyebilir ki?

Birinci kanâati doğru bulanlar: "Ölümünü kasdetiği ruhu tutar" âyetini, uyku ölümünden sonra kabul ederse muhtemelen doğru olabilir. Yani Allah, önce uyku ölümüyle öldürür, sonra da ona ölümle hükmeder. Gerçekte âyet her iki kısmı da içermektedir: Uyku vefatı, ölüm vefatı. Yüce Allah, uyku ölümüyle ölenlerin ruhlarını salıvereceğini, ölümle vefat edenlerin ruhlarını ise tutacağını bildirmektedir. Ayrıca uykuda olsun uyanık halinde olsun ölen her nefsi Al-

6. Ben derim ki, Şeyhu'l-İslâm'ın görüşü iki nedenden dolayı doğrudur: 1- Geçtiği üzere İbni Abbas'tan Seddî'ye kadar olan birinci sözün senedi zayıftır. 2- es-Sahîhayn'da geçen uykuyla ilgili hadis de buna şahittir. Hadiste şöyle geçer: Rasûlullah duâsında: "Ey Allahım, eğer ruhumu tutarsan ona rahmet et. Yok eğer onu salarsan salih kullarını koruduğun gibi onu da muhafaza et" demiştir.

7. Yani İbni Teymiyye. İbni Kayyım onun seçkin talebelerindendir.

lah'ın tutacağı; ölmeyen kişinin ruhunu salıvereceği; uykuda[8] veya uyanıkken[9] ölen kişinin ruhunu da tutacağı "O, ruhları ölümü anında tutar" âyetiyle bilinmektedir.

Kişinin ölüyü rüyasında görüp ölüye bilgiler vermesi, ölünün de kişinin bilmediği birşeyi bildirmesi böylece geçmişte ve gelecekte haber verilen şeyin gerçekleşmesi bazan yerini ölüden başka kimsenin bilmediği medfun bir maldan bazan da borcu olduğunu bildirmesi, dirilerin ruhlarının ölülerin ruhlarıyla birleşeceğini göstermektedir.

Daha da garibi, ölüden başka kimsenin bilmediği ve hatta şu zamanda başımıza gelecek şeyi bildirmesi de ruhların birleşeceğine delildir. Haber verilen şey gerçekleşir; bazan da ölü, insana sadece kendisinin bildiğini zannettiği bir olayı anlatır. Bunun misalini Sa'b b. Küsame kıssasında, Mâlik b. Avf'in verdiği cevapta; Sabit b. Kays b. Semmas'ın, zırhından ve başkasına olan borcundan haber vermesinde görüyoruz.

Ayrıca Sadaka b. Süleyman el Caferi olayında oğlunun yapacağı şeylerden haber vermesi; Sebîb b. Seybe olayından annesinin ölümünde verdiği telkinden dolayı: "Allah sana hayırla karşılık versin" demesi ve Fadl b. Muvaffik kıssasında Fadl'in oğlunu ve ziyaretini[10] tanıması da misal gösterilebilir.

Said[11] b. Müseyyeb[12] anlatıyor. Abdullah b. Selâm'la Selmâni Fârisî[13] birbirlerine dediler ki: "Sen, benden önce ölürsen yanına varırım. Sen de bana Rabbinin neyle muâmele ettiğini söylersin. Ben ölürsem ben de sana haber vereceğim." Aralarından biri diğerine: "Ölülerle diriler buluşabilirler mi?" diye sordu." "Evet ölülerin ruhları cennette diledikleri yere gider" diye karşılık verdi. Râvî der ki: Fülanca ölünce rüyada görülmüş. Demiş ki: "Allah'a tevekkül et ve mutlu ol. Çünkü tevekkül gibisini görmedim." Abbâs b. Abdülmattalib diyor ki: "Ömer'i rüyamda görmeyi çok arzulardım. Bir gün onu havlin yanında alnından akan terini silerken gördüm. Diyordu ki: "Şimdi en tehlikeli anlarımdır. Acıyan ve lutfeden Allah'ın rahmetine kavuşmamış olsaydım arşım yıkılacaktı."

8-9. Doğrusu سواء امات في النوم ام في اليقظة dir. Buna benzer âyeti celîle de عليهم إن الذين كفروا سواء أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (Bakara 6) geçmektedir.

10. Ben derim ki: "Bundan önce anlatmıştık. Oraya bakınız."

11. Saîd b. Müseyyeb'e kadar gelen sened nerede ki onu inceleyelim?

12. Tabiînin ileri gelenlerindendir. Tabî: Sahabeyi gördüğü halde, Rasûlullah'ı göremeyen müslüman kişidir.

13. Abdullah b. Selam: Yahudi biriydi. Rasûlullah hayattayken İslâmı seçti. Vahiy zamanında İslâmı seçen yahudilerden olması onu zikre değer kılmıştır.
Selmân-ı Fârisî, büyük bir sahabidir. Önceleri mecûsî idi. Hakkı aramaya başladı. Önce yahudilerle tanıştı, daha sonra hıristiyanlarla münasebet kurdu. Bi'set zamanı gelince İslâmı tanıdı böylece sahabilerin büyüklerinden oldu.

Süreyh b. Ubâd es-Semâlî'nin son anlarında Adîf b. Haris yanına geldi ve dedi ki: "Ey Ebû Haccac! Mümkünse öldükten sonra gördüklerini bize haber ver." Ravi der ki bu, fıkıhçıların kabul ettiği bir sözdür. Ravi anlatıyor: Adîf, bir müddet onu rüyasında göremedi. Bir gün rüyasına girdi. Ona dedi ki: "Sen ölmemiş miydin Süreyh?" "Evet." Adîf: "Ne durumdasın Süreyh?" "Allah günahlarımızı affetti. Ahradların dışında hiçbirimiz helak olmadık". Adîf: "Ahrad kimlerdir?" "Bir konuda parmakla gösterilenlerdir"[14] dedi.

Abdullah b. Abdülaziz anlatıyor. Babamı ölümünden sonra bir bahçede gördüm. Bana meyveden verdi. Meyveleri çocuk şeklinde yorumladım. Ona sordum: "Baba, hangi amelleri daha faziletli buldun? Babam: "İstiğfarı oğlum" dedi.

Mesleme b. Abdülmekil de Ömer b. Abdülaziz'i ölümünden sonra rüyasında görür. Ona der ki: "Ey mü'minlerin emiri! Ne olurdu bilincim olsaydı. Ölümünden sonra ne hallere düştün?" Ömer b. Abdülaziz: "Mesleme, şimdi dinlenmekteyim. Allah'a yemin olsun ki şimdiye kadar hiç dinlenememiştim." Mesleme: "Şimdi neredesin peki? Ömer b. Abdülaziz: "Adn cennetinde hidâyetin önderleriyle beraberim" dedi.

Sâlih Berrâd anlatıyor: Zürâre b. Evfâ'yı ölümünden sonra rüyamda gördüm. Ona dedim ki: "Allah'ın rahmeti üzerine olsun. Sana ne soruldu sen de onlara ne cevap verdin?" Fakat Zürâre buna cevap vermedi. Sonra: "Allah sana neyle hükmetti?" Zürâre: "Cûd ve keremiyle beni ağırladı." Sâlih Berrad: "Mutrif'in kardeşi Ebû A'lâ b. Yezîd'den ne haber var?" Zürâre: "O mu, oldukça yüksek derecelerdedir." Sâlih Berrad: "Size amellerden hangisi daha faydalı oldu?" "Allah'a tevekkül ve kısa emel" dedi.

Mâlik b. Dînar anlatıyor: Ölümünden sonra Müslim b. Yesâr'i rüyamda gürdüm. Selâm verdimse de selamımı her nedense almadı. Sordum: "Selamımı neden almıyorsun?" Dedi ki: "Ben ölüyüm selamı nasıl alabilirim ki?" "Ölünce neyle karşılaştın?" diye sordum. O da dedi ki: "Allah'a yemin olsun ki birçok zelzele ve korkuyla karşılaştık." "Peki sonra ne oldu? Kerim olan Allah'dan ne gördün?" "Hasenelerimiz kabul edildi, günahlarımız affedildi, eksiklerimiz de telâfi edildi." Râvî der ki: " Bunu duyan Mâlik hıçkırarak ağladı, ağız üstü yere kapandı; günlerce hasta[15] kaldıktan sonra kalp kanamasından öldü."

14. Muhtemel ki bunlar günahları çekinmeden açıkça işleyenlerdir. Ben derim ki, en-Nihâye'de: "Kötülüğü açıkça işleyenler" şeklinde yorum var. Denildi ki günahta aşırıya kaçıp kendilerini mahvedenlerdir. Yine denildi ki, tuttukları yolu değiştirenleri kasdetmektedir. Buhari, Müslim ve Taberâni'nin es-Sağîr'inde Ebû Hureyre'den rivayet ettikleri bir hadiste Rasûlullah şöyle buyuruyor: Ümmetimden günahları aşikar işleyenler hariç, herkes affedilecektir..." buyrulmaktadır. Sahihü'l-cami (4388).

15. Sıfatu's-safve'de Abdulvahid b. Zeyd tarikiyle gelen bu rüyada Malik b. Dinar'ın ölüm sebebi zikredildiği bildirilmektedir.

Hazm'ın kardeşi Süheyl de der ki: Ölümünden sonra Mâlik b. Dînâr'i rüyamda gördüm. Ona dedim ki: "Ey Ebû Yahyâ! Allah'a ne götürdün?" Dedi ki: "Birçok günah götürdüm. Ama Allah'a olan hüsnü zannımdan ötürü Allah günahlarımı affetti."

Recâ b. Hayat ölünce onu rüyasında âbid bir kadın görür. Ona der ki: "Ey Ebû Mikdâm, ne durumdasınız?" "Durumumuz iyi. Ancak sizden ayrılınca öyle korktuk ki kıyâmetin koptuğunu zannetmiştik" dedi. Kadın: "Bu nasıl oldu?" Recâ: "Cerrah ve arkadaşları yükleriyle beraber cennete girdiler. Öyle ki cennetin kapısında izdiham oluşturdular" dedi.

Cemil b. Mürre anlatıyor. Muverrik 'Iclî hem kardeşimdir hem de dostumdur. Bir gün ona dedim ki: "Hangimiz önce ölürse gelsin, başına gelenleri arkadaşına anlatsın." Müverrik önce öldü. Ailesi onu rüyasında görmüş; sanki Müverrik gerçekten gelmiş, kapıya vurmuş, ben de kapıyı açmışım. "Buyur ey Ebû Mu'temir kardeşinin evine" dedim. Dedi ki: "Eve nasıl girebilirim, ben ölmüşüm? Allah'ın bana hayırla muâmele yaptığını ve mukarrabînden kıldığını söylemek için geldim sadece" dedi.

Muhammed b. Sîrîn ölünce bazı dostları ölümüne çok üzülür. Biri onu rüyasında görür ve: "Dostum, seni bizi sevindirecek bir halde görüyorum. Ya Hasan ne durumda?" diye sordum. Muhammed b. Sîrîn, "Yetmiş derece üstümde" dedi. "Bu nasıl olur biz, seni ondan daha faziletli bilirdik? deyince "bu, onun çok hüzünlenmesindendir" dedi.

İbn Uyeyne de: Süfyani Sevrî'yi rüyamda gördüm. Bana öğüt ver, dedim. "İnsanların fazla tanımadığı kişilerden ol" karşılığını verdi.

Ammar b. Yesf anlatıyor: Hasan b. Sâlih'i rüyamda gördüm. Ona dedim ki: "Sana varmak istiyorum. Yanında ne var bana haber versene?" Dedi ki: "Müjde olsun. Allah'a karşı hüsnü zandan daha iyisini göremedim."

Âbid Dayğam ölünce dostlarından biri onu rüyasında görür. Der ki: "Cenaze namazımı kıldın mı?" "Hayır, bir mazeretim vardı" deyince "sen namazımı kılsaydın başını kurtarırdım" karşılığını vardı.

Râbia ölünce bir kadın[16] onu, rüyasında yünden bir başörtüsü ve cübbe ile kefenlendiği halde süslü bir elbise ve ipekten bir başörtüsü ile görür. Ona der ki: "Kefenin olan yün başörtüsüyle cübbeyi ne yaptın?" Râbia: "Allah'a yemin olsun ki onlar üzerimden çıkarıldı bunlar giydirildi, kefenimi dürdüm. Bunları giymem bana yasaklandı. Sonra da kıyâmet günü tam mükâfatımı almak için illiyyûn cennetine yükseltildim." "Bu halinle sen dünyada olup bitenleri bilebiliyor musun?" Râbia: "Bu, Allah'ın veli dostlarına verdiği kerametle oluyor."

16. Rüya gören kadın, Abede binti Ebî Şevval'dir. Bkz. **Sıfatu's-safve**.

"Peki Abede binti Kilâb ne durumda?" Râbia: "Heyhât! Heyhat! Çok yükseklere çıkarak vallahi bizi geçti." "Bu nasılolur? İnsanlar seni daha âbid bilirler" Râbia: "Dünyada sabahımın akşamımın nasıl geçtiği, benim için önemli değil." Kadın (Dayğam'ı kastederek): "Ebû Mâlik ne yaptı?" Râbia: "Dilediği zaman Allah'ı ziyaret etmekte." "Bişr b. Mansur ne yaptı?" Râbia: "Bak! bak! Allah'a yemin olsun ki, o umduğundan daha yüksek mertebelere ulaştı." "Bana öğüt ver. Allah'a nasıl yaklaşabilirim?" Râbia: "Allah'ı çok an ki insanlar bu durumunla sana mezarında bile gıpta etsinler" dedi.

Âbidlerden Abdülaziz b. Süleyman ölünce, dostlarından biri, onu üzerinde yeşil bir elbise, başında da inciden bir taçla görür. Ona der ki: "Bizden ayrılınca başına ne geldi. Ölümün tadını nasıl buldun. Orada işler nasıl?" Abdülaziz b. Süleyman: "Ölümün kederini gamını hele hiç sorma. Allah'ın rahmeti olmasaydı, günahlarımızı affetmeseydi fazlasıyla bizi kendisine yakınlaştırmasaydı halimiz ne olurdu" dedi.

Sâlih b. Bişr anlatıyor: Atâ Selem'i ölünce onu rüyamda gördüm. Ona dedim ki: "Sen ölüler zümresinden değil misin?" Atâ: "Evet." Sâlih b. Bişr: "Ölümden sonra ne oldun?" Atâ: "Allah'a yemin olsun ki birçok hayır ve Şekûr, Gafûr Rabbe ulaştım." Sâlih: "Sen dünyada çoğunlukla hüzn içerisinde bulunan bir kişiydin" deyince Atâ tebessüm etti ve: "Ama şimdi daimi bir rahat ve mutluluk içerisindeyim" dedi. Sâlih: "Şimdi hangi mertebedesin?" Atâ: "Allah'ın kendilerine in'âm ettiği peygamberlerle, sıddîklarla, şehitlerle ve sâlihlerle beraberim. Onlar ne güzel yaranlardır" dedi.

Âsım Cuhderî ölünce dostlarından biri onu rüyasında görür. Ona der ki: "Sen ölmemiş miydin?" Âsım: "Evet" dedi. "Peki şimdi nerdesin?" Asım: "Cennet bahçelerinden bir bahçedeyim. Ben ve bir grup arkadaş her cuma gecesi ve sabahı Bekir b. Abdullah el-Müzeni'nin yanında toplanır hakkınızda bilgiler alırız" dedi. "Bilgileri ruhlarınızla mı yoksa bedenlerinizle mi?" sorusuna da "Heyhât! Nerede bedenler? Ruhlarla buluşarak" dedi.

Fudayl b. Iyad rüyada görülmüş. Demiş ki: "Kul için Allah'tan başka hayırlı birşey göremedim."

Mürre el-Hemedânî'nin alnı secde yapmaktan yaralanmıştı. Ölünce dostlarından biri onu, rüyasında secdeden yaralanan yerinin akan yıldız gibi parladığını görmüş. Ona demiş ki: "Alnında gördüğüm iz ne izidir?" Mürre: "Alnımın yaralanan yerine nur geçirildi." "Ahiretteki merteben nedir?" Mürre: "İyi bir mertebedeyim. Oraya girenler ne oradan çıkarılırlar ne de ölürler" dedi.

Kâri Ebû Yakup anlatıyor: Rüyamda insanların peşinden gittiği uzun boylu esmer bir adam gördüm. Dedim ki: "Bu adam kimdir?" Veysel Karanî olduğunu söylediler. Hemen ben de peşine düştüm ve: "Allah'ın rahmeti üzerine ol-

sun, bana öğüt ver" dedimse de yüzünü ekşiterek kafasını çevirdi. Sonra yine: "Ey doğru yola götüren, Allah'ın rahmeti üzerine olsun, bana öğüt ver" deyince bana yöneldi ve: "Allah'ı severken rahmetini iste. Günah işlerken azâbından sakın. Hiçbir zaman O'ndan ümidini kesme" dedi ve yoluna devam etti.

İbn Semmâk anlatıyor: Musir'i rüyamda gördüm. Ona dedim ki: "Hangi amelleri daha faziletli buldun?" Musir: "Zikir meclislerinde bulunmayı. Eclah da: "Seleme b. Küheyl'i rüyamda gördüm. Ona dedim ki: "Amellerin hangisini daha yararlı buldun?" Küheyl: "Gece ibadetini" dedi. Ebû Bekir b. Ebî Meryem de Vefâ b. Bişr'i ölümünden sonra rüyamda gördüm. Ona dedim ki: "Ey Vefâ! Ne yaptın?" Vefâ: "Bütün çalışmalarımdan sonra ancak kurtulabildim." "Peki amellerin hangisini daha yararlı buldun?" Vefâ: "Allah korkusundan ağlamayı" dedi.

Leys b. Sa'd Abdullah b. Ebî Habîbe'yi ölümünden sonra rüyasında gören Mûsâ b. Verdan'dan nakleder. Abdullah b. Ebî Habîbe der ki: "Sevaplarım da günahlarım da bana gösterildi. Sevaplarım arasında yerlerden toplayıp yediğim nar taneleri de vardı. Günahlarımın arasında ise serpuşumda bulunan iki ipek iplik de vardı."

Senid b. Dâvûd kardeşinin oğlu Cuveyriyye b. Esmâ'dan nakleder. Biz Abadan'da iken bize Küfel adında âbid bir genç geldi. Sıcak bir günde ibadet ederken öldü. Biraz serinledikten sonra techizine başlayalım diye düşünürken uyumuşum. Rüyamda kabristana gittim. Orada güzelliği şimşek gibi parıldayan mücevher bir kubbe gördüm. Ona bakarken birden kubbe ikiye ayrıldı ve arasından şimdiye kadar hiç göremediğim güzel bir cariye çıktı. Bana baktı ve: "Allah'a yemin olsun ki onu öğleye kadar tutamazsın" dedi. Korkudan uyandım ve hemen techizine başladım. Rüyamda gördüğüm kubbenin yerine kabrini kazdım ve genci oraya defnettim.

Yezîd b. Harun anlatıyor. Ebü'l-A'lâ' Eyyub b. Miskin'i rüyamda gördüm. Ona dedim ki: "Rabbin sana ne yaptı?" Ebü'l-A'lâ: "Günahlarımı affetti." "Hangi amellerinden dolayı?" Dâvûd Ebü'l-A'lâ: "Namaz ve orucumdan dolayı." "Mansur b. Zadân'dan ne haber?" Ebü'l-A'lâ: "Heyhât! Köşkünü çok uzaktan görebiliyoruz" dedi.

Yezîd b. Nuâme anlatıyor: Veba salgınında bir kız çocuğu ölmüştü. Babası ölümünden sonra onu görür. Babası der ki: "Kızım. Ahiretten haber versene?" Kız: "Babacığım. Büyük bir emir tahakkuk etti. Öyle ki gerçeği biliriz ama yapamayız. Sizse yaparsınız ama bilemezsiniz. Amel defterimde bulunan bir iki rekat namaz yahut bir iki tesbih, dünya ve dünyada bulunanlardan daha hayırlıdır benim için" dedi.

Kesir b. Mürre anlatıyor: "Rüyamda cennette yüksek bir derece kazanmışım, sevincimden oradan oraya koşuyor, cennete hayran oluyordum. Baktım ki ke-

narda mescidden çıkmış kadınlar duruyor. Selâm verdim ve bu dereceye neyle ulaştıklarını sordum. Dediler ki: "Bu dereceye secde ve tekbirlerle ulaştık."

Ömer b. Abdülaziz'in mevlâsı Muzâhim Ömer b. Abdülaziz'in karısı Abdülmelik'in kızı Fâtıma'dan naklettiğine göre Fâtıma der ki: "Bir gece Ömer b. Abdülaziz uyandı ve dedi ki: "Bugün acaip bir rüya gördüm." Fâtıma: "Canım feda olsun uğruna, onu anlatsana." Ömer b. Abdülaziz: "Sabah olmadıkça anlatamam." Sabah olunca mescide gitti, namazını kıldı ve özel odasına girdi. Yalnızlığını fırsat bilerek: "Haydi gördüğün rüyayı anlat" dedi. Ömer b. Abdülaziz: "Geniş ve yeşil bir yere çıkarıldım. Orada yeşil bir bahçe içerisinde gümüsten yapılmış bir saray gördüm. Birisi saraydan kafasını çıkarmış avazının çıktığı kadar bağırıyordu: "Muhammed b. Abdullah b. Abdülmuttalip nerede? Rasûlullah nerede? Rasûlullah çıktı ve saraya girdi. Sonra biri daha çıktı. Ömer b. Hattab nerede? diye bağırdı. Hz. Ömer de saraya girdi. Sonra biri daha çıktı. Osman b. Affan nerede? Ali b. Ebî Talib nerede? diye bağırdı onlar da saraya girdiler. Birisi daha çıktı ve Ömer b. Abdülaziz nerede? diye bağırdı, bunun üzerine ben de kalktım saraya girdim. Ashâbın etrafını çevirdiği Rasûlullah'a selâm verdim. Kendi kendime nereye oturacağımı düşünürken babam Ömer b. Hattab'ın yanına oturdum. Rasûlullah'ın sağında Ebû Bekir, solunda ise Hz. Ömer oturuyordu. Dikkatlice bakınca Rasûlullah'la Ebû Bekir arasında birinin oturduğunu gördüm. Ebû Bekir'le Rasûlullah arasında oturanın kim olduğunu sordum. O, İsâ b. Meryem'miş. Gizli bir ses bana: "Ey Ömer b. Abdülaziz! Benimle onun arasında gizli bir nur vardır, bu sana engel olduğundan o bağı göremezsin" diyordu. Sonra saraydan çıkmama müsâade edildi. Saraydan çıkarken Osman b. Affân'ın: "Bize nusratını gönderen Allah'a hamd olsun" diyerek arkamdan çıktığını, Hz. Ali'nin de Osman'dan sonra: "Beni bağışlayan Allah'a hamd olsun" diyerek çıktıklarını gördüm.

Saîd b. Ebî Arûbe Ömer b. Abdülaziz'den şunu nakleder: Ebû Bekir ve Ömer'i Rasûlullah'ın yanında otururlarken gördüm. Selâm verdim ve yanlarına oturdum. Baktım ki Ali ve Muâviye bir odaya kapatılıyor. Bir müddet sonra: "Kâbe'nin Rabbi'ne hamd olsun sorgulanmam güzel geçti" diyerek Hz. Ali çıktı. Hemen arkasından da: "Kâbe'nin Rabbi'ne hamdolsun affolunduk" diyerek Muaviye çıktı.[17]

Hammad b. Ebî Hâşim anlatıyor: Adamın biri Ömer b. Abdülaziz'e geldi ve: "Sağında Ebû Bekir, solunda Ömer ve iki adamın davasına bakmak üzere seni Rasûlullah'la beraber gördüm. Rasûlullah sana dedi ki: "Haydi Ömer b. Abdü-

17. Umulur ki bu rüyada Ali b. Ebî Talib'le Muâviye b. Ebû Süfyan arasındaki çekişmeyi sona erdirmeye yönelik büyük bir işaret vardır. Yüce Allah birincisine (Hz. Ali'ye) cennetle hükmetmiş, ikincisini ise (Muâviye) affederek her ikisini de cennete sokmuştur. Âyet-i celîlede bu: "Onların göğüslerindeki kini çıkarıp atmışızdır. Şimdi onlar birbirinin kardeşleri olarak köşklerde karşı karşıya oturur, sohbet ederler" (Hicr 47) şeklinde ifade edilmiştir.

laziz, Ebû Bekir ve Hz. Ömer gibi hükmet" dedi. Ömer b. Abdülaziz böyle bir rüyayı gerçekten gördüğüne dair adamdan yemin istedi. Adam da yemin edince Ömer b. Abdülaziz ağlamaya başladı.

Abdurrahman b. Ganem anlatıyor: Muaz b. Cebel'i, ölümünden sonra üç defa gördüm. Alacalı katırlara binmiş, üzerlerinde yeşil elbiseler bulunan beyaz tenli adamların başında alacalı atı üzerinde: "Keşke kavmim Rabbimin beni affettiğini ve beni ikram edilenlerden kıldığmı bilseydi"[18] âyetini okuyordu. Sonra sağına soluna baktı: "Ey İbn Ravâha, ey İbn Mazun va'di gerçek olan, cennette dilediğimiz yeri bize hazırlayan Allah'a hamd olsun. İyi amel işleyenlerin mükâfatı ne de güzeldir"[19] âyetini okudu ve benimle musafaha ederek bana selâm verdi.

Kabîsa b. Akabe anlatıyor: Ölümünden sonra Süfyân-i Sevrî'yi rüyamda gördüm. Ona dedim ki: "Allah sana ne yaptı?" Süfyân-i Sevrî: "Allahımı şu gözümle gördüm. Hoşgeldin ey İbn Saîd, senden razıyım. Koyu karanlığın bastığı geceler kalbini bana bağlayarak mücadele ettin. Gel, istediğin sarayı seç ve beni ziyaret et. Çünkü Ben, sana yakınım" dedi.

Süfyan b. Uyeyne de: " Süfyân-i Sevrî'yi cennette bir ağaçtan hurmaya, hurmadan da ağaca uçtuğunu ve iyi amel işleyenler için bunun gibileri vardır"[20] âyetini okurken gördüm. Ona denildi ki: "Cennete hangi amelle girdin?" Süfyan b. Uyeyne: "Ver'i ile vera ile" dedi. "Peki İbn Âsım'ı gördün mü?" Süfyan: "O, yıldızlar gibiydi" dedi.

Şube b. Haccac'la Musir b. Keddam ikişi de büyük Hâfızdırlar. Ebû Ahmed Berîd der ki: "Öldüklerinde onları rüyamda gördüm. Ey Ebû Bistam, Allah sana ne yaptı?" dedim. O da: "Allah sana başarı versin. Dediklerimi iyi öğren." "Koyu karanlığın bastığı gecelerde benim dostum Allah'tı. Henüz gümüs ve cevherden açılmamış bin kap daha var. Rahman bana dedi ki: "Ey Sû'be. Sen bütün ilimlerde derinleştin. Bana yaklaşarak mükâfatını al. Ben senden de, geceleri aç ve susuz mücadele edenlerden de râzıyım. Aç ve susuz geçirdiğin gecelerin izzeti ve nîmeti her zaman beni görebilmendir. Yüzümdeki perdeyi görmen için kaldırırım. Bana ibadet edip zamanın birinde olsun nankörlük etmeyenlere verdiğim mükâfat, işte budur."

Ahmed b. Muhammed el-Lebedi anlatıyor. Ahmed b. Hanbel'i rüyamda gördüm. Ona dedim ki: "Allah sana ne yaptı?" Ahmed b. Hanbel: "Beni affetti ve benim için altmış kırbaç[21] yemedin mi?" dedi. Ben de: "Evet" deyince Yüce Allah: "İşte benim halis vechim. Haydi ona bak" dedi.

18. Yasin sûresi, (36/36).
19. Zümer sûresi, (39/74).
20. Sâffât sûresi, (37/61).
21. Mûtezilî sultan Mu'tasımbillah'ın, Ahmed b. Hanbel'e yaptığı işkenceye işaret edilmektedir. Rivayete göre Mu'tasım cellada, Ahmed b. Hanbel'e Kur'ân'ın mahluk olduğunu söyletmesi için emretmiş.

Ebû Bekir b. Muhammed b. Haccad, Tarsuslu bir adamdan şunu nakleder: "Allah'a, kabir ehlini özellikle Ahmed b. Hanbel'i göstermesi için duâ ettim. Aradan on sene geçti, rüyamda kabir ehli sanki mezarlarından kalkmışlar bana çıkışarak: "Ey adam, bizden birini görmek için ne kadar da Allah'a çok duâ ettin. İstediğin adam öldü öleli meleklerle beraber Tuba ağacının altında duruyor" dediler. Ebû Muhammed Abdülhak der ki: "Kabir ehlinin bu sözü, Ahmed b. Hanbel'in yüksek bir makamda, bir derecede olduğunu gösterir. İşte bundan dolayıdır ki onlar böyle demenin dışında onun durumunu anlatamamışlardır."

Bişr b. Hâris'in dostlarından Ebû Cafer Saka der ki: "Bişr el-Hafî ile Mârûf el-Kerhî'yi rüyamda bana gelirlerken gördüm: "Nereden geliyorsunuz?" diye sordum." Dediler ki: "Firdevs cennetinden geliyoruz. Kelimullah Mûsâ'yı ziyaretten."

Âsım Cezerî anlatıyor: Bişr b. Hâris'i rüyamda gördüm: "Ey Ebû Nasir, nereden böyle?" dedim. "Illiyyûn cennetinden" dedi. "Ahmed b. Hanbel ne yapıyor?" dedim. "Şimdi O, Allah'ın huzurunda birşeyler yiyip içiyor" dedi. "Peki ya sen?" soruma da, "Bilirsin ki yemeğe düşkünlüğüm yok. Ben de Allah'ın cemalini seyreyledim" dedi.

Ebû Câfer es-Saka anlatıyor: "Bişr b. Hâris ile Mârûf Kerhi'yi rüyamda gördüm." Dedi ki: "Ey Ebû Nasir. Allah sana ne muâmelede bulundu?" Bişr: "Lutfetti, merhamet etti ve dedi ki: "Ey Bişr, hayatın boyunca Bana secde etmiş olsan kullarının kalblerini sevginle doldurduğuma şükretmiş olmazsın" dedi. Ayrıca içerisinde serbestçe dolaşacağım şekilde cennetin yarısını bana verdi ve de cenaze namazını kılanların affedileceğini va'detti." "Ebû Nasr et-Temmar ne durumda?" Bişr: "Fakirlik ve musîbetlere sabretmesi birçoklarını geçmesine neden oldu" dedi.

Abdülhak der ki: "Bişr cennetin yarısından, nîmetlerinin yarısını kastetmiş olabilir." Çünkü cennet nîmetleri iki kısımdan ibaretir: ruhânî ve cismânî. Önce rûhânî nîmeti alırlar, ruhlar cesetlere girince rûhânî nîmete cismânî nîmet eklenir. Başkaları da: "Cennet nîmetleri, ilim ve amelden teşekkül eder. Bişr'in aldığı haz, ilim hazzında daha yetkin olan amel hazzıdır." Allah en iyisini bilir.

Sâlihlerden biri anlatıyor: Ebû Bekir Siblî'yi rüyamda *Rasate* meclisinde her zamanki yerinde oturuyor gördüm. Üzerinde güzel bir elbise vardı. Yanına vardım, selâm verdim ve oturdum. Ona dedim ki: "Dostlarından sana en yakın olan kimdir?" Ebû Bekir Siblî: "Allah'ı zikretmeye düşkün, Allah'ın hakkını koruyan ve O'nun rızası uğruna yarışta en hızlı olandır" dedi.

Ahmed b. Hanbel de: "Kur'ân yalnızca Allah'ın kitabıdır" dedikçe yediği dayaktan baygın düşer; ama yine de sözünde sabreder, sebat eder.

Ebû Abdurrahman es-Sahilî anlatıyor: Meysera b. Selimî rüyamda gördüm. Ona dedim ki: "Uzun zamandır ortada yoksun?" Meysera: "Yolculuk uzundur." Abdurrahman: "Ne durumdasın?" Meysera: "Ruhsat isteğimiz üzere ruhsat verildi bize." Abdurrahman: "Ne tavsiye edersin?" Meysera: "Sahâbe ve tâbiîne uymakla iyi insanlarla olmak, kişiyi ateşten kurtarır ve Allah'a yaklaştırır" dedi.

Ebû Cafer ed-Darîr anlatıyor: "Ölümünden sonra rüyamda İsâ b. Zadan'ı gördüm: "Allah sana ne yaptı?" dedim." Dedi ki: "Ebedî hayatımda içecek kâseleriyle mutlu olduğumu bir görsen. Birlikte kitap terennüm ediyorlar ve mükâfat yollarına doğru gidiyorlar" şiirini okudu. İbn Cureyc'in dostlarından biri der ki: "Rüyamda Mekke'deki kabristana vardım. Çoğu kabirlerin üzerlerinde çadırlar vardı. Bir kabrin üzerinde ise hem çadır hem dûm denen kıldan yapılmış küçük tente[22] ve hem de sidre ağacı vardı. Bu kabre yaklaştım ve selâm verdim. Baktım ki Müslim b. Hâlid ez-Zercî bu kabirde yatıyor. Ona selâm verdim ve: "Ne oluyor da bütün kabirlerde sadece çadır varken senin kabrinde hem çadır hem kıldan tente ve sidre ağacı var?" diye sordum." Müslim b. Hâlid: "Çünkü ben çok oruç tutardım" dedi. "İbn Cüreyc nerede? Onunla konuşmak ve ona selâm vermek istiyorum." Müslim b. Hâlid (şehâdet parmağını uzatarak): "Onun eli heyhât ne de uzak. İbn Cüreyc'in ameli onu illiyyûn cennetine uçurdu" dedi.

Hammad b. Seleme rüyasında dostlarından birini görür. Ona der ki: "Allah sana ne yaptı?" Dostu: "Allah bana dedi ki: "Dünyada kendini çok yordun. Bugün, sen ve benim yolumda yorulanların rahat etme günüdür"."[23]

Bu konunun oldukça uzun olduğu muhakkak. Söz konusu rüyaları doğru bulmuyor ve nihayetinde bunlar rüyadır diyorsan, bu masum bir söz olamaz. Düşün; birisi, dostunu yahut akrabasından birini yahutta bir başkasını rüyasında görmüş. Gördüğü kişi, buna yalnızca rüya gören kişinin bildiği bir bilgi vermiş yahut gizlediği bir malın yerini göstermiş yahut onu olacak tehlikeli bir isten sakındırmış yahutta olacak bir şeyle müjdelemiş ve bunlar da gerçekten dediği gibi olmuş yahut rüya görenin veya yakınlarından birinin şu zamanda öleceğini söylemiş; bu da gerçekleşmiş yahutta bolluktan veya kıtlıktan, düşmandan, musîbetten, hastalıktan veya bir maksadından bahsetmiş, bunlar da dediği gibi meydana gelmiş. Bu gibi hâdiselerin sayısını Allah'tan başka kimse bilemez. İnsanlar bütün bunların mümkün olduğu hususunda birleşmişlerdir. Birçokları gibi biz de bundan daha acaiplerini duyup görmüşüzdür. Şu iddia yer-

22. Fustat: Şiirin bir beyti ya da düğün ve matem günlerinde insanların toplandığı bir mekan.
23. Ben derim ki, senetsiz olarak zikredilen bütün bu rüyalar hakkında biraz düşünmeliyiz. Görülen rüyaları reddetmiyoruz. Çünkü hepsi görülmüş, hissedilmiş rüyalardır. Ancak herhangi bir rüyayı kabul etmekle buna benzer rüyaların görülebileceğini kabul etmek ayrı ayrı şeylerdir.

sizdir: "Bütün bunlar uyku anında nefsin bedenî meşğalelerden uzaklaştığında kişiye beliren nefiste zaten var olan ilim ve inançlardır." Bu iddia batılın, muhâlin ta kendisidir. Çünkü nefsin, ölünün haber verdiği şeyleri önceden asla bilmiyordu; aklından geçmiyordu, hiçbir alâmet görmediği gibi olayla ilgili hiçbir emâresi de yoktu. Yine de biz bazan kişinin, ölünün bildirdiği şeylerden haberdar olabileceğini de inkâr etmemekteyiz.

Nefsin sezgisi ve inancın sûreti rüyadan sayılır. İnsanların çoğu gördüğü şeyler, uygun ve uygun olmayan inançların sırf sûretlerinden ibarettir.

Üç çeşit rüya vardır. Bunlar: Allah'tan gelen, şeytandan gelen ve nefsin sezgisi.

Sahih rüyalar şu kısımlara ayrılır:

1- Allah'ın kulun kalbine attığı ilhamdır. Böylece kul, rüyasında Allah'la konuşur. Ubâde b. Samit de böyle demiştir.

2- Rüya ile görevli meleğin temsil ettiği rüya.

3- Yukarıda anlattığımız şekliyle uyuyan kişinin ruhunun; dostlarından, akrabasından ve ailesinden ölen kişilerin ruhlarıyla buluşması.

4- Ruhun Allah'a yaklaşması ve O'na muhatap olması.

5- Ruhun cennete girmesi ve orada görülmesi v.b. Diri ruhların ölü ruhlara kavuşması sahih rüyaların bir türüdür. Bu, insanlara göre mahsusât yani hissedilenler cinsindendir.[24]

İşte burası, insanların muztarip olduğu noktadır. Bazıları bütün ilimlerin nefiste önceden varolduğunu; nefsin duyulur alemle uğraşmasının onun bunları anlamasına engel olduğunu; uyku ile duyu aleminden soyunmakla istîdâdına göre nefsin, bu ilimleri anlayabileceğini ifade etmektedir. Buna göre nefsin, duyulur alemden ölümle soyutlanması, uykuya nazaran daha çoksa, bilgi ve ilimlere muttalî olması da o kadar çoktur demektir. Burada hak ile batıl bir arada bulunmaktadır. Bunları, bütün olarak reddetmek de kabul etmek de gerekmez.

Nefis, duyulur alemden soyutlanmakta, tecrid olmadan elde edilemeyen marifet ve bilgilere muttalî olur. Büsbütün soyutlanması halinde ise o, Yüce Allah'ın kendisiyle Rasûlünü gönderdiği ilmini; geçmiş peygamberden, milletlerden haber verdiği şeyin tafsilatını; mead, kıyâmetin şartları, emir, nehiy, isim-

24. Ben derim ki: Rasûlullah'tan rüya ile ilgili faydalarıyla, kısımlarıyla, âdâbıyla ilgili olarak o kadar çok sahih rivayetler gelmiştir, ama her nedense müellfimiz İbni Kayyım bunlara hiç göz atmamış. Söz konusu hadisler İbni Kayyım'ın zikrettiği rüyalardan daha açıktır. İmkânımız olsa bu hadislerden bir kısmını burada zikrederdim. Daha geniş bilgi için bkz. Şeyh Elbânî'nin **Câmiu'l-usûl** (3520-3530 nolu hadisler). **Câmiu'l-usûl**, c. 2, s. 515, 530. Burada İbn Esîr ilgili hadisleri topladıktan sonra tahriclerinini ve garib hadisleri de bildirmiştir. Bu kaynaklarda aradıklarını bulabilirsin.

ler, sıfatlar, fiiller ve vahiysiz bilinemeyen birçok ilmin tafsilatını anlayamaz. Ancak nefsin bedenî uğraşlardan soyutlanması bunları anlamasına yardımcı olur, kaynağından bilgiye varmak, bedenî uğraşlara dalmış nefsin elde edebileceği bilgilere nazaran hem daha kolaydır hem bu imkâna daha elverişlidir hem de daha çoktur.

Bazıları da rûyada görülenleri, Allah'ın, sebebsiz olarak önceleri nefse bağladığı ilimler olarak görmektedir. Bu, sebepleri (esbâb) ve geçerli olan hükmü inkâr edenlerin ve şeriata, akla ve fıtrata karşı olanların görüşleridir.

Bazılarına göre ise rüya, Allah'ın, kulun istîdâdı ölçüsünde rüya meleğinin elinde kula hazırladığı misallerdir. Bazan bu sadece misal olur, bazan da görülen şeyin bizzat kendisi olur yani bilgi, bilinene uygun olduğu gibi rüya da gerçeğe uygun olur.

Bu görüş ilk iki görüşe göre hakikata daha yakındır. Ancak rüya yalnızca buna ait değildir; belki başka rüya sebepleri de vardır. Mesela, ruhların birbirine kavuşması, birbirlerine bilgiler vermeleri, rüya meleğinin kalbe ve zihine bıraktığı iz ve ruhun, varlığı vasıtasız doğrudan görebilmesi.

Ebû Abdullah b. Mendeh **Kitâbu'n-nefs ve'r-ruh** adlı eserinde Muhammed b. Hamid'den, o da Abdurrahman b. Mağra ed-Devâsî'den, o da Ezher b. Abdullah el-Ezdî'den, o da Muhammed b. Aclan'dan, o da Salim b. Abdullah'tan, o da babasından şu hadisi nakleder: Ömer b. Hattab, yolda giderken Ali b. Ebî Talib'e rastgeldi. Hz. Ali'ye dedi ki: "Ey Ebü'l-Hasen. Biz oluyoruz sen olmuyorsun. Sen oluyorsun biz olmuyoruz. Eğer bilebilirsen sana üç sorum var?" Hz. Ali: "Nedir onlar?" Hz. Ömer: "Bir adam ki birini sevmekte. Ama sevdiği kişiden hiç iyilik görmemiş. Bir başkasından da hiç kötülük görmediği halde ona buğzetmekte." Hz. Ali: "Evet. Rasûlullah'ın şöyle dediğini duydum:[25] Ruhlar havada toplanmış ordulardır. Tanışanlar birbirine yaklaşır, tanışamayanlar ise birbirinden uzaklaşırlar" deyince Hz. Ömer: "Bu birincisidir" dedi. "İkincisi kişi mesela unuttuğunu söyleyerek bir hadis rivâyet eder sonra da unuttuğu kısmı hatırlar. Bunu nasıl izah edersiniz?" Hz. Ali: "Evet, Rasûlullah'ın şöyle dediğini işittim: Kalblerde öyle bir kalp vardır ki üzerine gelmiş karanlık buluttan dolayı ay, onu gösteremez. Karanlık bulut kalkınca kalp açığa çıkar ay da onu aydınlatır. Kalbin önüne bir bulut gelince kalp de onu unutur. Engel kal-

25. Hadis zayıftır. Muhammed b. Hamid'le ilgili **et-Takrîb**'de: "Zayıf bir hafızdır" denmektedir. İbni Maîn Muhamed b. Hamid'e hüsnü zan beslemektedir. Abdurrahman b. Mağra hakkında yine **et-Takrîb**'de: "O sadıktır" denmektedir. Horasanh Ezher b. Abdullah ise **el-Mizân**'da: "İbni Acla'nın hakkında konuştuğu kişidir" denir. Ukeyli de: "Hafızası güçlü biri değildir" der. Abdurrahman b. Mağra Ezher'den hadis rivayet etmiştir. Ben derim ki, hadisin manası böyledir. Rasûlullah'ın: "Ruhlar ..." diye başlayan kısmına "Ruhlar havada toplanmış ordulardır. Tanışanlar birbirine yaklaşır; tanışayamayanlar ise birbirinden uzaklaşır" lafzı delildir. Hadisi Buhari Hz. Âişe'den rivayet eder. **Sahîhü'l-camî** (2765).

kınca onu hatırlar. Bunun izahi böyledir. Üçüncüsü, kişinin gördüğü rüyalardan bazısı doğrulanır bazısı da yalanlanır. Bunun izahi nedir?" Hz. Ali: "Rasûlullah'ın şöyle dediğini duydum: Bir kimse iyice uykuya dalınca ruhu arşa çıkar. Henüz arşa varmadan uyanmayan nefsin gördüğü rüya doğru rüyadır ve doğrulanır. Ama arşa varmadan uyanan nefsin rüyası yalanlanır." Hz. Ömer der ki: "Öğrenmek istedim bu üç şeydi. Henüz hayatta iken bunları bana öğreten Allah'a hamd olsun".

Buğye b. Velid, Safvân b. Amr'dan o da Selim b. Âmir el-Hadramî'den şöyle dediğini nakleder: Ömer b. Hattab der ki: "Bir adam ki bir rüya görüyor ama rüyasını hiç hatırlamıyor, birinin elini tutmuş gibi oluyor veya bir şey görüyor, o şey gerçekte olmuyor. Ben buna şaştım." Hz. Ali der ki: "Ey mü'minlerin emiri! Yüce Allah buyuruyor ki: "Allah vâdesi gelmiş insanla uykusunda ölmeyen insanların ruhunu alır. Ölümünü murad ettiği kişinin ruhunu tutar diğerini ise belirli bir güne kadar salıverir. Uykuda ruhlar semâya çıkarılır. Semâda gördüğü rüyalar gerçektir. Ruhlar cesetlerine inerlerken şeytan musallat olur, gördükleri şeyi yalanlarlar. Bu esnada gördüğü rüyalarsa batıl rüyalardır." Ravî der ki: "Hz. Ömer, Hz. Ali'nin bu yorumuna hayran kalmıştır. Safvan b. Amr'dan gelen bu rivâyet, meşhur bir haberdir. Ebû Derdâ'dan da rivâyet edilmiştir."[26]

Taberânî, Ali b. Ebî Tâlib hadisinde Abdullah b. Abbâs'ın, Hz. Ömer'e şunu sorduğunu nakleder: "Ey mü'minlerin emiri! Sana soracaklarım var." Hz. Ömer: "İstediğini sorabilirsin." İbn Abbâs: "Ey mü'minlerin emiri, insan hangi rüyayı hatırlar, hangisini unutur, hangi rüya doğrulanır hangisi yalanlanır?" Hz. Ömer: "Ayın önünde bulut olduğu gibi kalbin de bir bulutu vardır. Bulut, kalbi kapamışsa insanoğlu rüyayı unutur; bulut açılınca unuttuğunu hemen hatırlar. Hangi rüyaların doğrulanacağı hangilerinin yalanlanacağı hususuna gelince Yüce Allah buyuruyor ki: "Allah kişinin ruhunu ya ölümünde ya da uykusunda alır.[27] Uykusunda melekler âlemine giren kimsenin rüyası doğrulanır. Ama melekler âleminin altında kalanların rüyası ise yalanlanır."

İbn Lühey'a Osman b. Nu'aym Raînî'den, o da Osman Esbahî'den, o da Ebû Derdâ'dan nakleder: "Kişi uyuduğu zaman ruhuyla arşa kadar çıkarılır. Bu esnada temizse secde etmesine müsâade edilir. Yok eğer cünüpse secde etmesine müsâade edilmez."[28]

---

26. Buğye b. Velid hakkında et-Takrîb'de: "Adil bir kimsedir ama zayıf râvîlerden birçok tedlisi vardır" denmektedir. Selim b. Amir Hz. Ömer'e yetişemediğinden hadis mürsel ve zayıftır. Ayrıca Ebû Derdâ'dan da rivayet edilmiştir demesi hadisin zayıflığını gösterir.
27. Zümer sûresi, (39/42).
28. İbni Luheya'nın Abâdile'den yani dört meşhur Abdullah'tan rivayet ettikleri makbul; diğerlerinden yaptığı rivayetler makbul değildir. Sadık bir râvî olmakla birlikte kitapları yandıktan sonra râvîleri karıştırmıştır. Osman b. Naim için et-Takrib'de: "O meçhul biridir" denmektedir.

Ca'fer b. Avn İbrahim Hicrî'den, o da Ebû Ahvas'tan, o da Abdullah b. Mes'ûd'dan şöyle dediğini nakleder: "Ruhlar toplanmış ordulardır. Katırın huysuzluğu gibi huysuzlaşırlar. Tanışan ruhlar birbirine alışır; birbirini yadırgayanlar[29] ise anlaşamazlar.

Geçmişten zamanımıza kadar insanlar buna inanır, böyle görür. Cemil b. Mamer el-Azerî der ki: "Gündüzün havada asılı kaldı. Gece uykuda ruhumla onun ruhu ne de olsa birleşecek."

Bir soru: Bazan insan rüyasında ölmemiş bir kişiyle konuşur onunla muhatap olur. Bazan da aralarında uzun mesafeler olur. Görülen kişi aynı zamanda ruhu bedeninden ayrılmamış şekilde uyanık olur. Bedendeki ruhla bedenden ayrılmamış ruhun birleşmesi nasıl olur?

Cevap: Bu ya rüya meleğinin görülen kimsenin sûretine girecek kişiyle muhatap olması şeklindedir ya da bedenî uğraşlardan soyunmuş nefsin sezgilerindendir. Konuyla ilgili Habîb b. Evs bir şiirinde: "Nefsin başka şeylerle meşgulken sezgin, ziyaretçi dostlarını lutfunla sulamıştır."

Şayet iki ruh, birbirine uygun olup aralarındaki alaka güçlü olursa her bir ruh, dostu ruhun başına gelenleri hissedebilir. Meğer ki aralarındaki aşırı bu bağ başka ruhlardan onları habersiz bıraksa da bu böyledir. Nitekim birçok insan bu hususla ilgili enteresan olaylar müsâhede etmiştir.

Bunları anlatmaktaki amacımız, ölülerin ruhlarıyla dirilerin ruhları nasıl birbirleriyle münasebet kurabiliyorlarsa kişilerin ruhlarının da aynı şekilde birbirleriyle alaka kurabileceklerini anlatmaktır. Selef ulemâsından nakledildiğine göre ruhlar havada karşılaşırlar birbirleriyle tanışıp aralarında müzâkere ederler. İşte bu esnada hayır ve şerri getiren rüya meleği hazır bulunur." Selef anlatmaya devam ediyor: "Yüce Allah sâdik rüyalar için insana herşeyin biaynihî ismini, dininde ve dünyasındaki değişmeleri, tabiatını ve hata şüphe ihtimali olmaksızın bütün bilgileri öğretmesi, insanın kalbine ilham etmesi için bir meleği vekil tayin eder. İnsana dünyasında ve dininde başına gelecek hayır ve şerri içeren Kur'ân'la ilgili Allah'ın gayb bilgisini ihtivâ eden bir nusha getirir. Adeti üzere misal ve şekiller ortaya kor. Bazan yaptığı veya yapacağı iyi bir amelle müjdeler bazan da yaptığı veya yapmayı düşündüğü bir masiyetten alıkor. Sebepleri beliren bir kötülükten başka sebepler göstererek meneder. Bunca hikmet ve faydaları bir tarafa Yüce Allah rüyayı bir nîmet, rahmet, hatırlama ve öğretme vesilesi yapmıştır. Söz konusu yollardan biriyle ruhlar birbirine kavuşabil-

29. Haber zayıftır. Râvîlerinden İbrahim b. Müslim Hicrî hakkında et-Takrib'de: "Hadiste gevşektir, mevkuf hadisleri ref eder merfû diye rivayet eder. Bu hadisin katırın huysuzluğu gibi huysuzlaşırlar kısmı hariç diğer yerleri az önce Hz. Âişe'den sahih olarak rivayet ettiğimiz hadise uygundur. Burası ise zayıftır.

mişler, birbirleriyle tanışıp müzakere edebilmişlerdir. Nice insanlar vardır ki tevbesi, salâhı ve ahirete meyli, gördüğü bir rüya ile olmuştur. Ve niceleri de saklı hazinelere rüyalarında ulaşabilmiştir.

Ebû Bekir, Ahmed b. Mervân el-Mâlikî **Kitâbu'l-Mücâlese** adlı kitabında İbn Kuteybe'den, o da Ebû Hatim'den, o da Esmaî'den, o da Mu'temir b. Süleyman'dan, o da rivâyet ettiği kişiden şunu nakletmektedir: "Üç arkadaş yolculuğa çıktık. Yolda arkadaşlardan biri uyudu. Baktık ki burnundan fener ışığına benzer bir ışık çıkıyor yakında bulunan bir mağaraya düşüyor, oradan da aynı ışık yeniden burnuna giriyor. Bir müddet sonra arkadaşımız eliyle yüzünü sıvazlayarak uyandı ve: "Acaip bir rüya gördüm. Şu mağarada şunlar şunlar var" dedi. Mağaraya girdik ki orada külçe külçe altınlar var."[30]

O Abdülmuttalib değil midir ki zemzem kuyusunu rüyasında buldu. Kuyuyu eşerken de defineye rastladı.

Ümeyr b. Vehb'e rüyasında: "Eviyin şurasını kaz, orada babana ait mal bulacaksın" denmemiş miydi? Ümeyr'in babası vasiyyet edemeden ölmüş, söz konusu yere malını defnetmişti. Umeyr uyandı ve babasının gösterdiği yeri eserek orada onbin dirhemle birçok külçe altın buldu. Bu paralarla borcunu ödedi. Kendinin ve ailesinin geçimi rahatladı. Bu olay Umeyr'in müslüman oluşundan kısa bir zaman sonra olmuştur. Küçük kızı ona der ki: "Babacığım, bizi diniyle yaşatan Allah, Hübel ve Uzzâ'dan daha hayırlıdır. Eğer müslüman olmasaydık bu malı, sana miras bırakmazdı. Sen, Allah'a daha birkaç gündür ibadet ediyorsun."

Ali b. Ebi Talib el-Kayrevâni'l-Âbir der ki: "Ümeyr hadisesi ve rüyasında mal bulması şehrimizde gördüğümüz Ebû Muhammed Abdullah et-Te'ayisî olayına nazaran o kadar da garip değil. Ebû Muhammed Abdullah sâlih bir kişidir. Ölüleri rüyasında görmek, onlara gaybla ilgili sorular sormak, gördüklerini de ölünün eş ve dostlarına duyurmakla meşhurdur. Meselâ, biri gelir vasiyyetsiz ölen dostunun mallarını nereye gizlediği bilemediğinden şikayet eder, Abdullah da hayır va'dederek o gece görmek için Allah'a duâ eder, söz konusu ölü ona gösterilir, o da ölüden gerekli bilgileri alır."

Nâdir olaylardan biri de şudur: Sâlihlerden yaşlı bir kadın ölür. Ölmeden önce bir kadın ona yedi dinar emanet vermiş. Emanet sahibi kadın Ebû Muhammed gelir yaşlı kadını ismiyle vererek başına gelenlerden şikayetlenir. Ebû Muhammed kadının şikayetini dinler ve bir gün sonra gelmesini söyler. Ertesi gün kadın gelir. Ebû Muhammed anlatır. Yaşlı kadın sana diyor ki: "Evimin tavanında yedinci tahtanın arasında yün bir hırka içerisinde yedi dinarı bulabilirsin." Hemen eve gittim. Tarif edilen yerde yedi dinarı buldum.

30. Birinci muhaddis rüyayı göreni bilmemektedir.

Yalan söyleyeceğini hiç sanmadığım[31] biri bana şunu anlattı: Bir kadın evinin yıkılması, sonra da yeniden yapılması için muayyen bir ücret karşılığında tuttu. Yıkmaya başladım. Birden kadın ve etrafındakiler gocunmaya başladılar. Kadına dedim ki: "Ne oluyor?" Kadın: "Allah'a yemin olsun ki bu evi yıkmamın bir amacı yok. Olayı sana anlatayım. Çok zengin bir babam vardı. Geçenlerde öldü. Ama fazla malıru bulamadık. Durum böyle olunca malının gömülü olacağını düşündüm, acaba bulamaz mıyım diye gördüğün gibi evi yıktırmaya karar verdim" dedi. Orada bulunanlar kadının anlattıklarını duyunca: "Malı bulmanın daha kolay yolunu denedin mi?" dediler. Kadın: "Hangi yol" diye sordu. Adamlar: "Fülanca adama git, gece başından geçenleri ona anlat, umulur ki babanı görür de yorulmadan külfete girmeden malın yerini öğrenirsin." Bu teklif üzerine kadın gitti, merâmını adama anlattı, geri döndü. Kadın adamın kendi ismiyle babasının ismini yazdığını zannediyor. Ertesi gün ise erken başladım. Bir müddet sonra kadın adamın yanından geldi. Bana dedi ki: "Adam diyor ki: "Babanı gördüm. Malın, evdeki tümseğin altında olduğunu söylüyor." Hemen tümseği genişçe kazmaya başladım. Biraz derinde içerisinde mal bulunan bir çömlek çıktı. Bu duruma ben hayret ederken kadın bulduğum şeyin çok az ve yetersiz olduğunu, "Babamın malı daha çoktu" diyerek küçümsüyordu.

Kadın dedi ki: "O adama yeniden gideyim." Adama vardı ve babasıyla yeniden görüşmesini istedi. Adam bir gün sonra babasıyla görüştü ve gerekli şeyleri öğrendi. Ertesi gün kadın gelince ona olayı anlattı: Baban sana diyor ki: "Zeytinyağı deposunun hemen altındaki dört köşe havuzu kazı, mal orada." Kadın hemen döner, öğrendiklerini işçisine anlatır. Mahzeni açarlar, yan tarafta dört köşe havuzu görürler. Zoraki havuzu kazınca içerisi dolu büyük bir cam kavanoz çıkar, onu da alır. Mal sevdasına düşen kadın yeniden o adama başvurmuşsa da birşey elde edememiş. Babası adama demiş ki: "Kızım hakkına düşeni aldı. Geriye kalan malımın üzerine ise kurnaz bir cin oturdu, hakkına düşeni aşırdı." Bu konuda gerçekten daha birçok misal sayılabilir.

Rüyasında tavsiye edilen ilaçları kullanarak şifâ bulanların sayısı da gerçekten çoktur. Birçok insanın bana anlattığına göre İbn Teymiyye karşıtı birçok kişi ölümünden sonra onu rüyasında görüp ferâiz ve başka konularda sorular sormuşlar; İbn Teymiyye de onların doğru cevaplarını vermiştir.[32]

Velhasıl bu gerçeği sadece ruhları, hükümlerini ve durumlarını bilmeyen insanlar kabul etmezler. Başarı Allah'tandır.

31. Bu ve bundan önceki rüyanın senetleri nerede. Senetleri görelim ki ona göre hükmedelim. Yine ravilerin tercemesi nerede. Bunları tanıyalım da ona göre gördükleri rüyaların doğruluğuna inanalım?
32. Anlaşıldığına göre bu kitap Şeyhu'l-İslâm'ın vefatından sonra telif edilmiş.

DÖRDÜNCÜ MESELE

Ruhlar Ölür mü? Ya da Ölüm Yalnızca Bedenlere mi Mahsustur?

Bu konuda farklı görüşler ileri sürülmüştür. Bir kısım ülemâ der ki: "Ruh, nefis olduğundan ölür ve ölümü tadar. Çünkü her nefis, ölümü tadacaktır."

Bunu şöyle açıklıyorlar: Allah'tan başka hiçbir şeyin bâkî olmayacağını gösteren deliller vardır. Meselâ: "Celal ve ikram sahibi Rabbinden başka herşey yok olacaktır"[1] ve "Allah'ın vechi dışında herşey yok olacaktır"[2] âyetleri buna örnektir. Ayrıca melekler de öleceğine göre beşerî ruhların ölmesi daha normaldir. Yüce Allah cehennemliklerin ağzından: "Ey Rabbimiz, bizi iki defa öldürdün, iki defa da dirilttin.[3] Birinci ölüm bedenin ölümü, ikincisi ise ruhun ölümüdür."

Bazıları da ruhların bâkî kalacak şekilde yaratıldığından ruhların ölmeyeceğini, ölümün yalnızca bedenler için söz konusu olduğunu ileri sürmüşlerdir. Ruhun ölmeyeceğine, ruhların bedenden ayrıldıktan sonra yeniden Allah tarafından bedenlere dönene kadar nîmetlendirileceğine ya da azaplandırılacağını belirten hadisler birer delildir. Gerçekten ruhlar ölselerdi nîmet ve azaptan uzak olurlardı. Âyet-i celîlede: "Allah yolunda öldürülenleri sakın ölüler sanmayın. Onlar gerçekte diridirler. Rablarının verdiği rızıktan yerler. Allah'ın fazlından kendilerine verdiği şeye sevinirler ve henüz kendilerine kavuşamamış dostlarını müjdelerler"[4] buyurulmaktadır. Âyet, kesinlikle ruhların bedenlerden ayrılmak sûretiyle bedenlerin öleceğine delildir.

Öyleyse şöyle denmelidir: Nefislerin ölümü demek, ait oldukları bedenlerden ayrılıp çıkmaları demektir. Ruhun ölmesinden kastedilen bu ise ruh da ölü-

1. Rahman sûresi, (55/27).
2. Kasas sûresi, (28/88).
3. Gâfir sûresi, (40/11).
4. Âl-i İmrân sûresi, (3/169).

mü tadar. Yok eğer yok olması, çözülme ile yokluğa gitmesi ise bu şekil ölüm, ruh için söz konusu değildir. Yaratıldıktan sonra ruh -ileride inşâallah anlatılacaktır- ya nîmet içerisinde ya da azap içerisinde ta ki Allah yeniden bedenlerine iâde edene kadar kalırlar. Ahmed b. Hüseyn el-Kindî bu ihtilafı şiirinde şöyle anlatmaktadır: "İnsanlar rûh konusunda ihtilafa düşmüştür. Gürültü yapmak ve sonrakilerin de gürültüye katılması dışında hiçbir şeyde anlaşamamışlardır. Ruhun bozulmadan salim olarak kurtulacağı da söylendi; bedenle beraber bozulacağı da."

Denirse ki: "Sûra üfürüldüğünde ruhlar aynen kalır mi? Yoksa ölür sonra yeniden mi dirilir?" Şöyle cevaplanır: Yüce Allah buyuruyor ki: "Sûra üfürülmüştür. Allah'ın dilediği dışında yerde ve gökte kim varsa hepsi helak olmuştur."[5] Allah Teâlâ görüldüğü gibi yerde ve gökte bulunan bazı kişileri, bu ölümden istisnâ etmektedir.

Denildi ki: "Ölümden istisnâ edilenler şehitlerdir." Bu, Ebû Hureyre İbn Abbâs ve Saîd b. Cübeyr'in görüşüdür.

Denildi ki: "Bunlar Cebrâil, Mikâil, İsrâfil ve Azrâil'dir." Bu söz de Mukâtil ve diğerlerine aittir.

Yine denildi ki bunlar cennette iri gözlü hûriler ve başkaları, cehennemden de azâba çarpılmışlar ve onların yakınlarıdır. Bu görüş de Hanbelîlerden Ebû Ishâk b. Sakila'nındır.

Ahmed b. Hanbel'e göre sûra üfürüldüğünde iri gözlü hurilerle hizmetçi çocuklar ölmezler. Allahû Teâlâ cennetliklerden bahsederken: "Birinci ölüm dışında orada başka bir ölüm tatmazlar"[6] buyurmaktadır. Bundan anlaşılan, cennetliklerin birinci ölüm dışında ölmeyecekleridir. Ölecekleri düşünülse, bu durumda da iki ölüm tatmış olacaklardır ki âyette bu reddedilmektedir. Bir de kafirlerin: "Ey Rabbimiz, bizi iki defa öldürdün, iki defa da dirilttin" sözleri vardır ki bunun izahi Bakara sûresinde yapılmıştır. Âyette şöyle geçmektedir: "Siz ölüyken sizi dirilttik, sonra yeniden öldünüz biz de yeniden dirilttiğimiz halde siz Allah'a nasıl nankörlük edersiniz?"[7] Yani önce babalarının bellerinde ve annelerinin rahimlerinde nutfe idiler, bundan Allahû Teâlâ onları yarattı. Sonra onları öldürdü ve haşr günü onları yeniden diriltti. Burada kıyâmetten önce ruhların öldürüleceğine dair birşey yoktur. Eğer ruhların kıyâmet öncesi öldürüleceğine dair bir delil olsaydı o takdirde üç ölüm olurdu. Sûra üfürüldüğünde

5. Zümer sûresi, (39/68).
6. Duhan sûresi, (44/56).
7. Bakara sûresi, (2/28). Tûr günü Hz. Mûsâ'nın baygın düşmesi Kur'ân-ı Kerîm'de şöyle bildirilmiştir: Mûsâ dedi ki: "Rabbim, bana kendini göster de sana bakayım, dedi. Yüce Allah buyurdu: 'Sen beni göremezsin. Fakat dağa bak, eğer o yerinde durursa sen de beni göreceksin.' Rabbi dağa tecelli edince darmadağan etti ve Mûsâ baygın düştü." (A'râf 143).

ruhların bozulmasından, onların öleceği anlamı çıkmaz. Sahih bir hadiste şöyle buyrulmaktadır: "Kıyâmet günü insanlar öleceklerdir. Ölümden ilk ayılan, dirilen ben oldum. Baktım ki Mûsâ Arş'a tutunmuş. Mûsâ benden önce mi ayıldı yoksa Tur günündeki ölümü mü bu ölüme sayıldı bilemiyorum."[8]

Bu bozulma kıyâmet günü Allah hükmünü icrâ edeceği, arz nuruyla aydınlandığı zaman olur. Bozulmada, bütün yaratıklar ortaktır. Yüce Allah: "Öldürülecekleri güne kadar onları bırak, ey habîbim"[9] buyurmaktadır. Âyette geçen ölme-çarpılma gerçek ölme olsaydı, o zaman bu başka bir ölüm olurdu. Buna dikkat çeken âlimlerden Ebû Abdullah Kurtubî der ki: "Hadisten anlaşıldığına göre bu kıyâmet günü olacak gizli bir çarpılmadır. Sûra üfürülmekle meydana gelen ölüm değildir." Üstadlarımızdan Ahmed b. Amr da: "Hadisin zahirinden bu çarpılmanın ikinci nefhadan yani diriliş nefhasından sonradır. Kur'ân'ın ifadesinde de istisnanın, çarpılma ve bozulma sûrundan sonra olduğu anlaşılmaktadır. Bu izahtan hareketle bazı âlimler: "Mûsâ'nın ölüm tatmayan peygamberlerden olması muhtemeldir" demişlerse de bu görüş, doğru değildir. Kadi Iyad da: "Bundan maksadın arz ve semâ yarılırken meydana gelen nesiden sonraki korku çarpılması olması da muhtemeldir. Ayrıca yalnızca çarpılma konusunda, hadis ve eserler de bulunmaktadır" demektedir. Ebü'l Abbâs Kurtubî, Kadi Iyad'a itiraz ederek der ki: "Sahih hadiste geçenler, Iyad'in görüşlerini çürütmektedir. Rasûlullah kabrinden çıkarken Hz. Mûsâ'yı Arş'ın sütununa tutunmuş olarak görür. Öyleyse bu olay korku sûru esnasında meydana gelmiş demektir."

Ebû Abdullah anlatıyor: Üstadımız Ahmed b. Amr der ki: "Ölümün, yok olmamak ve bir halden başka bir hale dönüşmek olması, bu müskülü ortadan kaldırır. Şehitlerin diri olarak Allah'ın verdiği rızıklardan yemeleri, sevinçli ve müjdeleyici olmaları da bunu destekler. Halbuki şehitlerin yaptıkları, dünyada insanların yaptıkları şeylerdir. Şehitler böyle olunca peygamberler için bu söz konusu bile edilmezler." Hadiste de: "Arz, peygamberlerin cesetlerini yemez.[10] Rasûlullah, İsrâ gecesi Beyti Makdis'te[11] semâda başta Hz. Mûsâ[12] olmak üzere toplan-

8. Müslim Ebû Hureyre hadisini zikretmiştir. Nevevî şerhi, c. 15, s. 133-134. Baygın düşme hadisinin tahrici biraz sonra Elbânî'nin Tahavî şerhinde uzunca zikredilecektir.
9. Tûr sûresi, (52/45).
10. Ben derim ki, cuma gününün fazileti konusunda Ebû Dâvûd uzunca bir hadis rivayet eder. **Sahîhü'l-camî**'in yanında Ahmed, Nesâî, ibni Mâce İbni Hibban ve Evs b. Evs'ten Hakim de rivayet eder. **Mu'cemu'l-müfehres**'te Dârimî'nin de; Şeyh Nasır Ali Suyûtî İbni Huzeyme'nin de rivayet ettiğini söyler.
11. Rasûlullah'ın peygamberlerle buluşup onlara namaz kıldırması hakkında bkz. Müslim, Nevevî Ebû Hureyre'den c. 2, s. 233; Bezzar, Ebû Yâ'lâ ve Taberânî İbni Mes'ûd'dan naklederler. **Mecma'u'z-zevâid**'de "râvîleri güvenilirdir" denmektedir. **Cem'u'l-fevâid**, c. 2, s. 464. İbni Kesir'in tefsirinde bildirdiğine göre İbni Ebî Hatim de rivayet etmiş. Buna göre Rasulullah'ın peygamberlere namaz kıldırması en yüksek semâya çıkıp ikinci inişinden sonradır. Rasûlullah'ın Hz. Mûsâ ile görüşmesi ise İsrâ hadislerinin çoğunda geçmektedir. Hâfız İbni Kesir hadisin bütün rivayet yollarını cemetmiştir. c. 3, s. 2 ve 24. Ayrıca hadiste Rasûlullah'ın, farz namazla ilgili olarak Yüce Allah'a başvurusu da geç-

mışlardır. Ayrıca peygamberimiz: "Kendisine selâm veren müslümanın selamını alacak kadar Allah'ın ona ruhunu iâde edeceğini de bildirmektedir. Bütün bunlardan çıkarılacak sonuç, peygamberlerin ölümü demek, onları bizim idrak edemeyeceğimiz ölçüde ortadan kaybolmaları demektir. Her ne kadar onlar mevcut da olsalar meleklerde olduğu gibi diri olurlar ancak görülmezler. Peygamberlerin diri oldukları anlaşılınca çarpılma sûruna üfürüldüğünde Allah'ın diledikleri hariç arzda ve semâda kim varsa hepsi ölüme çarpılacaktır. Peygamberlerin çarpılması, ortadan kaybolup görünmemeleri; diğerlerininki ise ölümdür. Dirilme sûruna üfürüldüğünde de ölü olanlar dirilir; gizlenenler ise açığa çıkıp ayılır. Sahih bir hadiste Rasûlullah bunu şöyle açıklar: "Kıyâmet günü ilk ayılan ben olacağım. Kabrinden ilk çıkacak kişi de Hz. Mûsâ'dır." Buradaki problem şudur: Hz. Mûsâ baygınlıktan ayılan ilk kişi midir, yoksa Tur günü çarpıldığından eski hali üzere ayık mı bulunuyordu? Bu, Hz. Mûsâ'nın faziletinden kaynaklanmakta. Yalnızca bir konuda Hz. Mûsâ'nın peygamberimizden üstün olması her konuda üstün olmasını gerektirmez. Çünkü küçük bir şey büyük şeyi de gerektirmez.[13]

Ebû Abdullah Kurtubî der ki[14]: "Hadis, kıyâmet günü mahlukatın çarpılması anlamına alınırsa bunda bir problem yok. Sûra üfürüldüğünde gerçekleşen ölüm, çarpılinası anlamına alınırsa, kıyâmet gününün anlatımından onun başlangıcı kastediliyor demektir. O zaman mana şöyle olur: İkinci sûra üfürüldüğünde başını ilk kaldıran ben oldum. Baktım ki Mûsâ Arş sütunlarından birine tutunmuş. Benden önce mi ayıldı yoksa Tur çarpılmasından mı kalma bilmiyorum."

Ben derim ki: Rasûlullah, Hz. Mûsâ'nın kendisinden önce mi dirildiği ya da korkuya çarpılmadığı belki de Tûr günü çarpılmasından sonra aynen kaldığı konusunda tereddütlü olduğundan, hadis bu manaya hamledilemez. Rasûlullah'ın "bilmiyorum" demesi, çarpıldı mı yoksa çarpılmadı mı anlamınadır. Hadiste geçen: "İlk ayılan ben olacağım" ifadesi, Rasûlullah'ın da çarpılanlardan olduğuna delildir. Mûsâ hakkındaki tereddüt, onun çarpılıp Peygamberimizden önce mi ayıldığı yahut da hiç çarpılmadığı mı noktasındadır. Maksat ölüm çarpılması ise Rasûlullah, kendi ölümünü kesin bilirken Hz. Mûsâ için öldü mü yoksa ölmedi mi diye tereddüt ederdi. Oysa ki birçok yönden bu yorumun da doğru olmadığı açıktır. Öyleyse peygamberler için olan çarpma, ölüm çarpması değil, korku çarpmasıdır. Buna göre âyet, bütün

mektedir. **Câmi'u'l-usûl**, c. 11, s. 31'de Rasûlullah'ın Hz. Mûsâ'yı kabrinde namaz kılarken görmesini Müslim ve Nesâî de rivayet eder.

12. Hadisin sahihliğini söylemiştik. Ebû Dâvûd ve Ahmed rivayet eder.

13. Bkz. **Tezkiretu'l-kurtubî** s. 166-171. İbni Kayyım'ın sözünü ettiği ibare burada da vardır. Ama manaya zarar vermese de birçok lafız metne uymamaktadır.

14. Bu da **et-Tezkire**'de zikredilen ibarenin aynısı değil, manasıdır. Ayrıca bu söz Kurtubî'nin olmayıp Hüleymî'nindir. Allah en iyisini bilir.

ruhların birinci nefha ile öleceğine delâlet etmez. Evet. Âyeti celîle önceden ölümü tatmayan ruhların birinci nefha ile öleceğini belirtmektedir. Ölen ya da ölmesi mukadder olmayan ruhların ikinci defa öleceği âyette belirtilmemektedir. Allah en iyisini bilir.

Denilirse ki hadiste: "Kıyâmet günü insanlar ölüm çarpıntısına uğradıklarında, arzdan çıkan ilk kişi ben olurum. Hz. Mûsâ'yı da arş sütununa tutunmuş olarak buldum" geçmektedir. Buradaki çarpılmadan ne anlıyorsunuz? Denir ki: Hâdisin lafız bakımından sorunlu olduğu şüphesizdir. Ancak ravî iki hadisi birbirine giydirmiş, böylece lafız bu hal almıştır. Halbu ki birbirlerine geçirilen hadisler şöyledir:

Birincisi: "Kıyâmet günü insanlar ölüme çarpıldıklarında ilk ayılan ben olacağım."

İkincisi: "Kıyâmet günü yerin çıkardığı ilk kişi benim." Tirmizî ve diğerlerinde Ebû Saîd el-Hudrî'den Rasûlullah'ın şöyle dediği rivâyet edilmiştir: "Kıyâmet günü Âdemoğullarının efendisi benim. Bunda övünülecek birşey yok. Âdem ve bütün peygamberler Livaü'l-hamd bayrağımın altında olacaklar. Yerin ilk çıkardığı kişi de ben olacağım. Bunda da övünülecek birşey yok."[15] Tirmîzî der ki: "Hadis, hasen ve sahihtir."[16]

Râvî[17] bu hadisle diğer bir hadisi birbirine girdirmiştir. Üstadımız Ebü'l-Haccac der ki: Rasûlullah'ın: "Hz. Mûsâ benden önce mi ayıldı yoksa o, Allah'ın

---

15. Şeyh Elbânî Tahâvî şârihinin İbni Kayyım'm sözünü naklettiği hadisle ilgili koyduğu dipnotta der ki: "Bu doğrudur. Buhârî, Kitâb-ı Husûmatta hadisi tahric etmiştir. 3412 nolu hadis. c. 3, s. 89. Ayrıca Vehib'den 3318; 4238, 6919, 7917 ve 7427 nolu hadislerde de birbirine yakın lafızlarla da zikretmiştir. Amr b. Yahyâ babasından o da Saîd Hudrî'den bir sahabenin yahudi birini dövmesiyle ilgili kıssada merfû olarak şu ifadeyi nakleder: "Peygamberleri birbirinden üstün tutmayın. Kıyâmet günü insanlar bayılınca, arzın çıkardığı ilk ayılan kişi ben olurum. Bakarım ki, Mûsâ arşın sütunlarından birine tutunmuş. Hz. Mûsâ da bayılmış mı yoksa ilk bayılması mı Buhârî'de ilk bayılma şeklindedir bu bayılmanın yerine geçmiş bilmiyorum.
Müslim de 2374 nolu hadisin birazını Sufyan b. Ömer b. Yahyâ'dan rivayet eder. Ahmed b. Hanbel hadisin tamamını (3-23) bu senedle: "kıyâmet günü arzın ilk çıkaracağı kişi ben olurum. Ayılınca Mûsâ'yı... şeklinde bulurum" ifadesiyle nakleder. Müslim de Ebû Hureyre'den 2373 nolu hadise şöyle başlar: "Allah'ın peygamberlerini birbirinden üstün tutmayın. Sura üfürülünce Allah'ın dilediklerî hariç, yerde ve gökte kim varsa çarpılıp bayılacaktır. Diğer sura üfürülünce ilk dirilen ben olacağım. Bu zaman bakarım ki Mûsâ arşa tutunmuş. Bilmiyorum O, Tur baygınlığı ile mi muhasebe edildi yoksa benden önce mi dirildi."
Bu iki hadisten ikinci bayılmanın, âyet-i celîlede zikredilen diriliş baygınlığı olup İbni Kayyım'a uyan Tahâvî şarihinin dediği gibi hüküm verme muaheze baygınlığı olmadığı açığa çıkar. Hadisi böyle yorumlarsak bir müşkil kalmaz. Allah en iyisini bilir.
16. Tirmizî, İsrâ sûresinin tefsirinde uzunca, Menâkıb'ın başında ise muhtasar olarak rivayet etmiştir. Ayrıca İbni Kayyım'ın aksine her iki yerde de hasen hadis olduğunu söylüyor. Tirmîzî'nin matbû nushasının hamişi **Tuhfetu'l-usuleyn**'de böyledir. Hadisi Ahmed b. Hanbel İbni Mâce de rivayet eder; Şeyh Elbânî de **Câmi'u'l-usûl ve'l-ehâdîsu's-sahîha** da hadisleri doğruladıktan sonra "İbni Hibban da Abdullah b. Selam'dan rivayet etmiştir" der.
17. Bu zat, Şam muhaddislerinden Cemaluddin el-Mezî'dir.

çarpılmadan müstesnâ ettiği kimselerden midir, bunu bilmiyorum" sözü hakkında ne dersiniz? Bilindiği üzere Allah'ın müstesnâ ettiği kişiler, kıyâmet gününün çarpmasından ziyade nefhanın çarpmasından müstesna olan kimselerdir. Çünkü âyeti celîlede: "Sûra üfürüldü ve Allah'ın dilediği kimseler hariç, yerde ve gökte kim varsa ölüm nefhasına çarpıldı"[18] buyurulmaktadır. Burada yaratıklar kıyâmet gününün çarpmasından istisna edilmemiştir." Şöyle cevaplarız: Allah bilir ya bu rivâyet o kadar kuvvetli değildir. Bu, olsa olsa bazı râvîlerin vehmidir. Doğrusu, sahih rivâyetlerin birbirine uygun olanıdır. Yani: "Hz. Mûsâ benden önce mi ayıldı yoksa Tur günündeki çarpma ile mi yetinildi bilmiyorum" şeklindedir. Âlimlerden bir kısmı bu çarpmanın nefha çarpması olduğunu ve Hz. Mûsâ'nın da bu çarpmalardan istisna edilenlerden olduğunu zannetmişlerdir. Halbuki bu, kesinlikle hadisin siyâkına uygun düşmemektedir. Buradaki ayılma, diriliş ayılması olunca Rasûlullah nasıl: "Benden önce mi dirildi yoksa, Tur günü dirilmesiyle mi yetinildi bunu bilmiyorum" diyebilmektedir, bunu iyice düşün. Her ne kadar kıyâmet günü mahlûkâtin çarpılması farklı olsa da Yüce Allah, kulları arasında hüküm vermek için gelir ve insanlara tecellî eder. Hz. Mûsâ'ya gelince her ne kadar insanlarla beraber çarpılmasa da Allah dağa tecellî edip onu paramparça ettiğinde çarpılması, kıyâmet çarpılmasının yerine geçmektedir. Bu yoruma dikkat et. Hadisi açmak dışında soruyu cevaplayabilmek oldukça zordur. Bu durumda hakiki cevap bulunur ve azı dişlerle konu isirilır. Hamd ve şükür Allah'adır. Başarı O'ndandır.

18. Zümer sûresi, (39/68).

BEŞİNCİ MESELE

Bedenlerden Ayrılan Ruhların Tanışabilmeleri ve Buluşabilmeleri İçin Birbirlerinden Ayırt Edilmesi Neyle Olur? Âit Olduğu Bedenden Soyutlandığından Başka Bir Şekil Alır mı? Bu Durumda Şekli Başka Şekillerle Karışabilir mi?

Bu, hakkında konuşanların oldukça az olduğu bir konudur. Kimse bu konuda bir başarı sağlayamamıştır. Özellikle ruhun tanımında: "O, maddeden tamamen soyutlanmış, âlemin ne içindedir ne de dışındadır; şekli, miktarı ve şahsı yoktur" diyenler, prensiplerinde soruya cevap verecek bir yan bulamazlar.

Aynı şekilde: "Ruh, bedenin arazlarındandır. Diğerlerinden ayrıldığı nokta, bedende bulunma şartıdır. Ölümden sonra ruhun temyizi olmaz" diyenlerin prensiplerinde de ruhun varlığı yoktur. Bedenin bozulmasıyla canlının diğer sıfatları yok olduğu gibi ruh da yok olur. Öyleyse Kur'ân, Sünnet, eserler, itibar (kıyas) ve akıl ölçülerine dayanan ehli sünnet yolu dışında bu hususa cevap bulmak imkânsızdır. Ehli sünnete göre ruh: "Binefsihî kâim, yükselen, alçalan; birleşen-dağılan, çıkan, giden-gelen; hareket eden ve sâkin olan varlıktır." Ehli sünnetten ruh telakkilerinin doğru olduğuna hacimli kitabımız: *"Ruh ve Nefsin Bilinmesi"*nde yüzden fazla delil getirdik. Buna aykırı anlayışların yanlışlığını da birçok yönüyle ortaya koyduk. Bundan başka bir görüşü olan, nefsini bilmiyor demektir.

Yüce Allah nefsi; giren, çıkan, tutulan, ölen, dönen, semâya yükselen; semâ kapıları kendisine açılan ve kapanan nefisler diye vasıflandırmıştır. O, âyeti celîlede: "Ölüm sarhoşluğunda olan zâlimleri melekler ellerini uzatıp: "Haydi canlarını kurtarın dediğinde bir görsen."[1] Yine bedenden ayrılan nefse: "Ey

1. En'am sûresi, (6/93).

mutmain olan nefis! Sen Rabbinden, Rabbin de senden razı olarak O'na dön. Kullarım arasına katıl ve cennetime gir"[2] denir. Yüce Allah bedeni düzenlediği gibi nefsi de düzenlediğini haber vererek: "Nefse ve onu düzenleyene, ona iyiliğini ve kötülüğünü öğretene..."[3] ve: "Seni yaratıp düzene koyduktan sonra sana veren Allah" âyetinde de insan bedeni gibi nefsini de düzenlediğini bildirmiştir. Bu düzenleme beden kalıbına uygun olarak nefsin düzenlenmesidir. O halde bedenin düzenlenmesi nefsinkine bağlıdır. Nefsin düzenlenmesinde beden, bir kalıp gibi ölçüdür.

Bundan şu çıkar: Ruh, diğer ruhlardan ait olduğu bedenden aldığı bir suretle ayrılır. Nasıl ki beden ruhtan etkilenip ondan ayrılırsa ruh da bedenden etkilenir ve ondan ayrılır. Böylece beden, iyiliği ve kötülüğü, nefsin iyilik ve kötülüğünden kazanır. Aynı şekilde ruh da iyilik ve kötülüğü bedenden kazanır. Varlıklar arasında birbirinden en çok etkilenip birbirine en uygun varlıklar ruh ve bedendir. Bundan dolayı bedenden ayrılırken ruha: "Ey güzel bedende bulunan güzel nefis, artık bedenden ayrıl" ve: "Ey kötü bedende bulunan kötü nefis![4] Artık sen de bedenden ayrıl" denir.

Yüce Allah: "Allah, ruhları ölüm anında ve uykusunda alır. Ölümünü murad ettiği kişinin ruhunu tutarken diğerini belirli bir zamana kadar salıverir." Burada O,: "Nefsin girmesi, çıkması, dönmesi ve düzenlenmesi y almak, tutmak ve salıvermek gibi özelliklerden de bahsetmiştir. Rasûlullah: "Kişi öldüğü zaman gözün nefse uyduğunu[5] ve melek ruhu aldığında melekler elinden tuttuğunu, bu durumda nefislerin ya yerin üstünde kalmış misk gibi kokan kokular ya da yer üstünde kalmış leş kokuları gibi olduklarını da bildirmiştir."[6]

Halbuki arazların –nefsin araz olduğu görüşüne eleştiri- kokusu olmadığı gibi tutulma ve elden ele dolaştırılma gibi özellikleri yoktur.

Râsûlullah, ruhların semaya yükseldiğini arz ve sema arasında bulunan her meleğin Allah için ruhlara salat-ü selâm getirdiğini, Allah'ın bulunduğu kata çıkana kadar o kattan bu kata geçtiğini, Allah'ın huzuruna varıp ismini cennetliklerin yahut cehennemliklerin kütüğüne yazmakla emrolunduğunu sonra arza

2. Fecr sûresi, (89/27-30).
3. Şems sûresi, (91/8).
4. Burada hadisin sıyakından metinden anlaşıldığına göre mutlak nefis değil de ölüm anında gözünü yukarı çevirmiş nefistir. Ben derim ki: Bu, kabir azabıyla ilgili ileride zikredilecek sahih Berâ hadisinin bir kısmıdır. Anlaşılan İbni Kayyım lafızdan çok manaya sarılmış burada.
5. Hadisi Ahmed b. Hanbel, Müslim ve İbni Mâce Rasûlullah'ın hanımı Ümmü Seleme'den rivayet ederler. Ben derim ki: Beyhakî de İbni Mâce'nin rivayetinden daha geniş rivayet etmiştir (3/334). Bilgi için bkz. **Ahkâmu'l-cenâiz**, s. 12, İbni Mâce **es-Sünen**, c. 1, s. 467.
6. Ahmed b. Hanbel **Müsned**'inde rivayet eder (4/287). Ben derim ki, Ahmed b. Hanbel'in rivayeti de Berâ hadisinin bir bölümüdür.

yeniden döndüğünü; kafir kişinin ruhunun da atılarak sorgulama için bedeni ile beraber kabre konulduğu bildirmektedir.[7]

Peygamberimiz, mü'minin ruhunun, cennet ağaçları arasında Allah yeniden bedenine girdirene kadar uçacağını bildirmiştir.[8]

Şehit ruhların ise semâda uçtuktan sonra cennet ırmaklarına konup cennet meyvelerinden yediğini[9] ve ruhların Berzah'a kıyâmete kadar nîmetlendirileceğini ya da azaplandırılacağını da bildirmektedir.

Allah Teâlâ, Firavn kavmi ruhlarının kıyâmete kadar sabah akşam cehenneme sürüldüklerini, şehit ruhlarının ise canlı ve Allah'ın verdiği rızıklardan yediklerini bildirmektedir. Şehitlerin canlı olması ruhlarının canlılığı ve rızıklandırılmasıdır. Çünkü bedenler artık dağılmıştır. Rasûlullah bu canlılığı, ruhların, arşa asılı kandilleri olan yeşil kuşun karnında olması, cennette dilediği gibi dolaşarak söz konusu kandillere yeniden dönerek Allahû Teâlâ'nın bunlara tecellî etmesidir, şeklinde yorumlamıştır. Allah, tecellî ettiği bu kişilere sorar: "Arzu ettiğiniz bir şey var mı? Derler ki cennette dilediğimiz gibi dolaşırken daha ne isteyelim." (Bu sual üç defa sorulur.) "Arzu ettiğiniz birşey var mı?" dendikçe sonunda: "Ruhlarımızın bedenlerimize bir daha Allah yolunda öldürülmemiz için iâde edilmesini arzularız."[10]

Rasûlullah'tan: "Şehitlerin ruhlarının cennet meyvesinden yemek üzere yeşil bir kuş üzerinde olduğu rivâyet edilmiştir."

İbn Abbâs, Rasûlullah'ın şöyle dediğini rivâyet etmektedir: "Uhud günü şehit olan kardeşlerinizin ruhlarını Yüce Allah, cennet akarsularının etrafında dolaşarak cennet meyveleri yiyen ve arşın gölgesinde altından kandillere uğrayan yeşil kuşların karınlarına yerleştirmiştir. Cennetin güzel yiyecek, içecek ve sözlerini duyarlar ve: "Keşke kardeşlerimiz Allah'ın bize verdiği mükâfatları bilselerdi de cihaddan vazgeçip harpten kaçmasalardı" derler. Allahû Teâlâ da cennetteki bu Uhud şehitlerinin isteklerini yerine getireceğini va'dederek: "Allah yolunda öldürülenleri sakın ha ölülerden kabul etmeyin. Bilakis onlar Rablerinin verdiği rızıktan yiyerek yaşamaktadırlar" buyurur. Hadisi, Ahmed[11] b. Hanbel rivâyet eder.

---

7. Ahmed b. Hanbel **Müsned**'inde (4/287) rivayet eder. Berâ hadisinde gelecek.
8. Nesâî Cenâiz'de (117), İbni Mace **Kitâbu'z-zühd**'de (32), İmam Mâlik **el-Muvatta** Bâbu'l-Cenâiz'de ve Ahmed b. Hanbel de **Müsned**'inde (3/455) rivayet ederler. Ben derim ki, İbni Hibban da dahil hepsi Ka'b b. Malik'ten rivayet etmişlerdir. Bkz. **Sahîhu'l-camî**, 2369.
9. Tirmîzî Fazâil-i Cihad 13'te; Dârimî **es-Sünen**'inde Bâbu'l-Cihad'ın 18 nolu hadisinde ve Ahmed b. Hanbel **Müsned** 6/386 da rivayet etmişlerdir. Ben derim ki, Tirmîzî der ki: "Hadis sahihtir, hasendir." Ka'b b. Mâlik'ten rivayet etmişlerdir. Bkz. **Ehâdi-su's-sahîha** (995).
10. Müslim İmare 121'de, Tirmîzi tefsir-i sûre 3/19 da İbni Mâce de Cihad 16 da rivayet eder. Ben derim ki, Müslim'de İbni Mes'ûd'dan gelen hadis: "Allah yolunda öldürülenleri ölüler sanmayın" âyetinden sorulduğunda varid olmuştur.
11. Ebû Dâvûd ve Hakim rivayet eder. Elbânî de hadisi doğrular. Bkz. **Sahîhü'l-câmî** (5081). Elbâni'nin zikrettiği hadisin lafzında az bir farklılık vardır.

Şehitlerin yemeleri, içmeleri, hareket, dolaşma ve konuşmaları hadis-i şerifte açıkça belirtilmektedir. Ileride daha geniş açıklamalar yapacağız.

Ruhların durumu böyle olunca bedenden ayrılan ruhların seçilmesi bedenlerin seçilmesine göre daha da kolaydır. Çünkü bedenler birbirine çok benzerlerken ruhlarda bu benzeme, çok azdır.

Şu da açıktır ki peygamberlerin, sahâbe ve ashâbın vücutlarını görmediğimiz halde ruhlarını kolayca ayırt edebiliriz. Her ne kadar beden özelliklerinin ruh üzerinde tesirleri olduğu bilinse de ruhlarını tanıyabilmek yalnızca bedenlerine bağlı değildir. Belki ruhları, bildiğimiz ve tanıdığımız özellikleriyle tanımak mümkündür. Bu durumda bir ruhu özelliklerine bakarak diğer bir ruhtan ayırmak bir bedeni, özellikleriyle diğer bir bedenden ayırmaktan daha zordur. Görmez misin bazan kafir ve mü'min birbirlerine çok benzeyebildiği halde ruhlarında derin farklılıklar vardır. Yine ana-baba bir kardeş, iki kişinin birbirine çok benzediği halde ruhlarının son derece birbirine zıt olduğunu da müşâhede etmişimdir. Bu takdirde söz konusu iki ruhu bedenlerinden soyutlamakla daha iyi tanıyabiliriz.

Birşey daha söyleyeyim: Beden ve ruhlara bir bak. Kötü ve çirkin bir bedenin kendine uygun mânası, bir ruhunun olduğunu; bedende bulunan bir âfetin, ruhta bulunan âfete münasip ve uygun olduğunu rahatlıkla görürsün. Bu anlayışla ferâsetli kişiler insanların ruhlarını beden yapı ve hallerinden anlarlar. Çoğu kez de isâbet ederler.

İmam Şâfî (ra)den de bu konuda garip şeyler hikâye edilmektedir.

Aynı şekilde güzel ve yakışıklı bir bedenin de kendine uygun bir ruhunu görebilirsin. Bir şartla ki genel ruh-yapı münasebetini bozan öğretim, alıştırma ve alışkanlık olmamalıdır. (Yani yetiştirme ile çirkin bir vücudun güzel bir ruhu; yetiştirmeme ile de güzel bir vücudun çirkin bir ruhu olabilir.

Yüksek ruhlar meleklerin ruhları cisme bağlı kalmaksızın birbirinden rahatlıkla ayırtedilebiliyorsa cinler için de aynı durum söz konusudur. Beşerî ruhların birbirinden ayırt edilebilmesi daha da kolaydır.

ALTINCI MESELE

Kişi Kabirde Sorgulanırken Ruhlar, Bedenlerine Dönerler mi?

Rasûlullah, ruhun ölü bedene dönmesiyle ilgili olarak bizlere yeterince bilgi vermiştir. Berâ b. Âzib anlatıyor: Bakî el Garbad'da bir cenazede idik. Rasûlullah geldi ve biz de sanki başımızda kuş varmış gibi onun ölü defnetmesini seyrediyorduk. Üç defa: "Kabir azâbından Allah'a sığınırız" buyurdu ve: "Kul dünyadan ayrılıp ahirete göçerken yüzleri güneş gibi parlayan melekler semâdan inerler ve görebildiği kadar çok melek etrafına çevrilir. Sonra ölüm meleği gelir ve: "Ey hoş nefis, Allah'ın mağfiret ve rızasıyla bedenden çık" der. Ruhun bedenden ayrılışı, kaptan suyun damlaması gibi kolay olur. Ruhu bedenden alınınca hemen diğer melekler de gelerek bedeninin bulunduğu misk gibi kokan kefenin içerisine korlar. Şimdi ölü, yerin üzerinde misk gibi kokan bir koku kaynağıdır. Bunu alıp semâya çıkartırlarken onu gören melekler: "Bu güzel kokulu ruh nedir?" derler. Melekler de dünyada bilinen en güzel ismiyle: "Fülancanın oğlu fülancadır" derler. Dünya semâsına varınca semâ kapıları açılır. Allah'ın seçkin melekleri her semâda onu karşılarlar. Bu şekilde Allah'ın bulunduğu semâya kadar çıkar. Mutlu bir ruhun geldiğini gören Yüce Allah: "Bunu illiyyun cennetine girecekler arasına yazın. Sonra da arza gönderin. İnsanları arzdan yarattım, oraya göndereceğim, sonunda da oradan yeniden alacağım" der. Ruh bedene dönünce iki melek gelir ve: "Rabbin kimdir?" derler. Adam: "Rabbim Allah'tır." Melekler: "Dinin nedir?" Adam: "Dinim İslâm." Melekler: "Bu adam hakkında ne biliyorsun?" Adam: "Allah'ın kitabını okudum. Ona iman ederek onu doğruladım" der. Karşılıklı bu kısa bir konuşmadan sonra biri, semâdan çağırmaya başlar: "Kulum beni doğrulamıştır. Onun için cennetten bir köşe döşeyin ve cennetin bir kapısını ona açın."

Sonra cennetten misk gibi kokular getirilir ve kabri gözünün görebileceği son noktaya kadar genişletilir. Güzel yüzlü, güzel elbiseli ve hoş kokulu bir

adam gelerek: "Va'dolunduğun bu günkü mutluluğunu müjdelerim" der. Adam sorar: "Sen kimsin. Yüzünde hayırlı bir kişilik var" der. Gelen kişi: "Ben senin güzel amelinim" der demez ölü: "Allah'ım, kıyâmeti kopar da ehlime ve malıma döneyim" der. Kâfir bir kimse dünyadan ayrılıp âhirete intikal edeceği zaman da yanlarında keçe[1] kilimler bulunan siyah yüzlü melekler gelip etrafını kuşatırlar. Sonra ölüm meleği gelir ve: "Ey pis nefis! Allah'ın gazâbıyla bedenden çık" der. Cesedi yarılır, ıslak şişin yünden çıkarıldığı gibi nefsini bedeninden çıkarır. Nefsi keçe kilim içerisine korlar. Nefisten, yeryüzündeki lesten çıkan pis kokulara benzer kokular yayılır. Nefsi yukarı çıkarırken onu gören melekler: "Bu pis ruh kimin?" derler. Dünyada tanınan en kötü ismiyle fülanca oğlu fülancadır" denir. Dünya semâsına çıkan nefis biraz daha çıkmak istese de semâ kapıları açılmaz." Buraya kadar nefsin karşılasacağı hususları anlattıktan sonra Rasûlullah şu âyeti okur: "Onlara semâ kapıları açılmaz ve deve ignenin deliğinden geçene kadar cennete giremezler."[2]

Allah Teâlâ bu ruhun cehennemliklerden yazılmasını emreder. "Ruh çok uzaklara atılır" dedikten sonra da: "Kim Allah'a şirk koşarsa sanki o gökten düşmüş de kuşlar kapışıyor ya da rüzgâr onu uzak yerlere götürüyor"[3] âyetini okur. Ruh bedene dönünce iki melek gelir ve: "Rabbin kim?" derler. Adam: "hi... hi...[4], bilmiyorum onu" der. Melekler: "Peki size peygamber olarak gelen şu adamı tanıyor musun?" derler. Adam da "hi... hi... onu da bilmiyorum" deyince biri, semâdan çağırır: "Kulumu yalanlayan şu adama cehennemden bir köşe verin, cehennemden bir kapı açın kabrine." Cehennemin sıcak ve ateşi kabrine ulaşır, vücud kemikleri birbirine girecek derecede kabri daralır. Çirkin yüzlü, pis elbiseli ve pis kokulu biri gelerek: "Vaîd olunduğun bu kötü günle seni müjdelerim" der. Kabirdeki: "Sen kimsin? Yüzünde kötü bir haber getiren kişilik okunuyor." O: "Ben senin kötü amelinim" deyince kabirdeki: "Allah'ım, kıyâmeti koparma" diye haykırır. Hadisi Ahmed b. Hanbel'le, Ebû Dâvud rivâyet etmiştir. İbn Mâce ile Nesâî yalnızca baş tarafını rivâyet eder. Ebû Avâne İsferâîni de Sahih'inde zikreder.[5] Ehli Sünnet ûlemâsı bu hadisi şerifin ortaya koyduğu prensipleri kabul etmiştir. Ebû Muhammed b. Hazm **el-Fasl fi'l-milel ve'l-ehvâ ve'n-nihal** adlı eserinde der ki: "Kıyâmetten önce ölünün, kabrinde yaşaması ile ilgili kanâat yanlıştır. Çünkü âyeti celîleler bunu reddeder. Meselâ:

1. Mesûh'dur. Elbise kıldan yapılmış kalın elbise. Rahiplerin giydiği elbiseye de denir. Kelime aslen farsçadır.
2. Araf sûresi, (7/40).
3. Hac sûresi, (22/31).
4. Gülerken, tekrarlarken ve acınma halinde söylenen bir kelimedir. Uygun mana budur. Bilgi için bkz. **Ahkâmü'l-cenâiz**, s. 159.
5. Bkz. Elbânî'nin **Ahkâmü'l-cenâiz**, s. 156-159. Bu kitapta Elbânî hadisin senetlerini, ziyadelerini ve bir manada birleştirilmesini gerçekleştirmiş; hadisi tahric edenlerle, yapılan ziyadeleri ortaya koyarak hadisin sıhhatine hükmetmiştir.

"Dediler ki: "Ey Rabbimiz, bizi iki defa öldürdün, iki defa da dirilttin"[6] ve yine: "Siz ölüydünüz diriltti, sonra sizi öldürdü, sonra yeniden sizi dirilttiği halde Allah'a nasıl küfredersiniz?"[7] âyetleri bunu göstermektedir. Ölünün kabrinde yaşadığını kabul edersek Allah'ın üç defa öldürdüğünü ve üç defa yaşattığını kabul edemeyiz ki bu yanlıştır. Kur'ân'a aykırıdır. Ama Allah'ın dilediği peygamberleri kabirlerinde yaşatması mümkündür. "Ölüm korkusuyla binlerce kişinin yurtlarından çıktıklarını görmedin mi ey habîbim? Allah onlara: "Ölün" dedi ve öldüler. Sonra onlara yeniden hayat verdi."[8] "Ya da binalarının çatıları çökmüş bir köye uğrayarak şöyle dediğini duymadın mı?"[9] Yine: "Allah insanın ruhunu ya ölümünde ya da uykusunda alır. Ölmesini istediği kişinin ruhunu tutarken, uykudakinin ruhunu belirli bir zamana kadar salıverir."[10] Kur'ân âyetlerinden istisnâ edilenlerin dışındaki ruhların, belirli bir zaman olarak kabul edilen kıyâmete kadar bedenlerine gönderilmeyecekleri anlaşılmaktadır. Rasûlullah da İsrâ gecesi dünya semâsında, mutlu kişilerin ruhlarının Hz. Âdem'in sağında, bedbaht kişilerin ruhlarının da solunda bulunduğunu bildirmiştir. Bedir günü de henüz ölüler kabirlerine konulmadan Rasûlullah'ın, konunun başında zikri geçen hitabını duymuslar, "onların bedenleri dağılmıştır, onlar duymazlar" diyen sahâbeye çıkışmadan, bedenleri dağılsa da sözlerini duyduklarını Allah Rasûlü ashâba öğretmiştir. Rasûlullah'ın Bedir günü ölülere karşı yaptığı konuşma şüphesiz ruhlaradır. Bedenler öldüğünden zaten duyamaz. Yüce Allah bunu: "Kabirde olanların konuşmalarını sen duyamazsın"[11] şeklinde açıklayarak kabirlerde bulunan cesetlerin duyma özelliği olmadığını bildirmiştir. Müslüman, Allah Teâlâ'nın duyamacağını bildirdiği kişilerin, Rasûlullah'ın duyacağını bildirdiği kişilerden ayrı kişiler olduğunda şüphe etmemelidir.

Rasûlullah'ın sorgulama anında ruhların cesetlerine döneceğine dair hiçbir sözü sahih haberlerde gelmemiştir. Gelseydi biz de kabul ederdik. Ruhların kabirlerde yatan cesetlere iâdesiyle ilgili olarak bir ziyadeyi yalnızca Minhal b. Amr rivâyet etmişti. Minhal ise güçlü bir râvî kabul edilmemektedir. Şu'be ve diğerleri hadisini metruk kabul etmekte. Büyük imamlardan olan Muğîre b. Muksim ed-Dabiy der ki: "Minhal b. Amr'in bu ve diğer sabit haberler konusunda hiçbir şehâdeti kabul edilmemiştir." Kabirde ruhun bedene dönüp dönmemesiyle ilgili sahâbeden nakledilen söz de budur.[12]

---

6. Gâfir sûresi, (40/11).
7. Bakara sûresi, (2/28).
8. Bakara sûresi, (2/243).
9. Bakara sûresi, (2/259).
10. Zümer sûresi, (39/42).
11. Fâtır sûresi, (35/22). Biraz ileride müellif işitmenin manasını âyet ve hadiste gösterecek.
12. İbni Hazm'ın bu sözü, lafızlar manayı bozmayacak şekilde farklı da olsa el-Fasl'da mevcuttur. Bkz. c. 4, s. 88, 89. İbni Kayyım, burada hafızasında kalanı mı söylüyor yoksa elinde fazladan cümlelerin

Sonra Uyeyne yoluyla Mansur b. Safiyye'den o da annesi Safiyye binti Seybe'den şöyle dediğini nakleder: "İbn Ömer mescide girdi, henüz kabre konulmamış İbn Zübeyre biraz dertli baktı. İbn Ömer'e: "İşte Ebû Bekir'in kızı Esmâ, İbn Ömer ona meyletmiş ve hakkında övgüyle bahsetmiş" denince İbn Ömer: "Bu gördüğünüz bedenler bir değer taşımaz. Değerli ruhlar Allah'ın yanındadır" dedi. Bunun üzerine annesi: "Bana engel olmaz. Görmez misin Yahyâ b. Zekeriyya başını, İsrâiloğullarından birinin bir arzusu üzerine feda etmişti" dedi.

Ben derim ki: "Ebû Muhammed'in anlattıkları bir açıdan doğru bir açıdan da yanlıştır. "Ölünün kabrinde yaşayacağını zanneden kişi hata etmiştir" sözü mücmeldir. Bundan, dünyadaki mukadder yaşamını, ruhun bedende iken düşünmesini; tasavvurunu; yemeğe, içmeye ve giyinmeye olan gereksinimini kastediyorsa bu gerçekten hatadır. Nass bunu kabul etmediği gibi akıl ve tecrübe de bunu kabul etmez.

Yok bundan başka bir hayatı kastediyorsa; kabrinde sorgulanmak için ruhun dünyadaki bedene iâde edilmesinden ayrı olarak yeniden kabirde ruh verilmesi ise bu gerçektir, buna karşı çıkmak ise hatadır. Çünkü Rasûlullah'tan gelen açık haberde bu şöyle belirtilmektedir: "Ruh cesede döner[13]. Hadisi zayıf görenlere karşı cevabımız ileride gelecektir."

"Derler ki: Ey Rabbimiz. Bizi iki defa öldürdün iki defa da dirilttin"[14] âyeti ruhun cesede yeniden dönmesi hususuna aykırı değildir. Nitekim İsrâiloğullarından öldürülen kişiye Allah yeniden hayat vermiş sonra da bu geçici hayat sorgulanmasına hazırlık olarak değil de bilgi için olmuştur. Kısa bir zaman yaşayan bu adam: "Fülanca beni öldürmüştür" der demez hemen düşüp ölmüştür. Bu manada Rasûlullah'ın: "Ruhu cesedine iâde edilir" hadisi kalıcı ve daimi bir hayata delâlet etmez, belki bedene ruhun dönebileceğine; onunla ilişki kurabileceğine ve beden çürüyüp dağılsa da ruhun bedenle olan ilişkisinin devam edeceğine delâlet eder.

Ruh bedenle birbirinden farklı beş şekilde temas kurar:

1- Anne karnında cenin iken olan ilişkisi.

2- Doğduğu andaki ilişkisi.

3- Uykudayken ilişkisi. Uyku halinde ruh, bir açıdan bedenle ilişki halindedir. Başka bir açıdan da ondan ayrıdır.

---

bulunduğu başka bir nüsha mı var, bunu bilmiyorum. Nitekim aynı şeyi Kurtubî için de yapmıştı. Derim ki: Sözkonusu yeri kaleme aldıktan sonra hocam Elbânî'ye başvurdum. İbni Kayyım'ın bu gibi hususları hafızasından yazdığını söyledi.

13. Sahih Berâ hadisinde geçti.

14. Gâfir sûresi, (40/11).

4- Berzahdaki[15] ilişkisi. Her ne kadar ruh berzahta bedenden ayrılıp ondan soyutlansa da aralarındaki münâsebet tamamen kesilecek derecede değildir. Mü'minin ölüye selâm verdiğinde ruhunun iâde edileceğine dair hadisler ve âsâr ışığında buna gerekli cevabı verdik[16]. Ruhun buradaki iâdesi özel bir iâdedir. Bu, kıyâmetten önce bedenin yaşayacağını gerektirmez.

5- Diriliş günündeki münâsebeti, bedenle olan en mükemmel ilişkisidir. Önce ruh-beden ilişkilerinin bunun yanında bir değeri yoktur. Çünkü onlarda bedende ölüm, uyku ve bozulmak gibi özellikler aranmamaktadır.

"Allah ruhları ya ölüm anlarında ya da uykularında alır. Ölmesini murad ettiği bedenlerin ruhlarını tutarken diğerlerini belirli bir zamana kadar salıverir"[17] âyetindeki ölümü istenen kişi ruhunun tutulması, dünyada yeniden yaşamasını gerektirmeyen ama muayyen bir zamanda ruhun bedene iâde edilmesine aykırı değildir.

Ruhu bedeninde olarak uyuyan kişi hayattadır. Ama bu hayat uyumayan kişininkine benzemez. Çünkü uyku, ölümün benzeridir. Aynı şekilde ruhu bedenine giren ölü de, diri ile bedene ruh girmemiş ölü arasındadır. Bu, uyuyan kişinin, ölü ile diri arasında olması gibi. Bu misali düşünürsen umulur ki birçok şüphen yok olur.

Rasûlullah'ın İsrâ gecesinde gördüğü peygamberlerle ilgili bir kısım hadiscilerin kanâatleri şöyledir: Rasûlullah peygamberlerin karaltı ve ruhlarını görmüştür. Çünkü onlar Allah'ın indinde yaşamaktadırlar. Hz. İbrahim'i sırtını Beyt-i Ma'mure dayalı, Hz. Mûsâ'yı kabrinden kalkmış namaz kılarken görmüştür. Peygamberlerle ilgili söylediği özellikler karaltılarının özellikleridir. Hz. Mûsâ'yı esmer, vücutça zayıf ve uzun boylu, yakışıklı bir kişi olarak görmüştür. Hz. İsâ'yı, başından Dimas'tan[18] çıkmış suyun damladığını, Hz. İbrahim'i ise kendisine benzer bir şekilde görmüştür.[19]

Bir kısım hadisciler de buna karşı çıkarak: "Rasûlullah'ın peygemberleri görmesi bedenlerini değil de ruhlarını görmüş olmasıdır. Bedenler yeryüzünden tamamen ayrılmıştır. Diriliş günü dışında bedenler hayat bulmayacaktır. Diriliş gününden önce bedenlerin hayat bulacağı kabul edilirse kıyâmet gününden önce arz yarılıp sûra üfürüldüğünde üçüncü ölümü tatmış olacaktır ki bu kesin-

15. Berzah: İki şey arasında engel demektir. Coğrafya biliminde iki deniz arasında kalan dar sınırlı olan ya da iki mekan arasında kalan arazi. Dini manası dünya ile ahiret arasında kalan ya da ölümle diriliş arasındaki dar, mekandır. Kişi ölünce önce Berzah'a girer. Kur'ân-ı Kerîm'de: "Arkalarında dirilecekleri güne kadar kalacakları berzah vardır" buyurulmaktadır (Mü'minûn, 100).
16. Yukarılarda da açıklandığı gibi bu konudaki hadisler zayıftır. Rasulullahla ilgili olanları ise sahihtir.
17. Zümer sûresi, (39/42).
18. دِمَاس : Arz'da bulunan bir ev. Burada gaye, yeraltının suyun ve pınarların kaynağı olmasıdır.
19. Rasûlullah'ın rüyalarının hepsi sabittir, doğrudur. Daha geniş bilgi için bkz. İbni Kesir Tefsiri, c. 3, s 2 vd.

likle yanlıştır. Kabirlerde bulunan cesetlerin diriltilmesi durumunda ise Allah ruhları bedenlere sokmaz. Çünkü ruhlar cennettedir. Rasûlullah'tan gelen sahih bir hadiste: "Hz. Peygamber cennete girmeden Allah, hiçbir peygamberi cennete girdirmeyecektir. Cennet kapısının[20] açılmasını ilk isteyen o olacaktır. Kesinlikle[21] yer yarılmasında çıkacak ilk kişi, O olacaktır. Ondan önce kimseye yer yarılmayacaktır" buyrulmaktadır.

Kesinlikle bilinmektedir ki Rasûlullah'ın bedeni toprakta çürümemiş bir vaziyette durmaktadır. Ashâb-i Kirâm: "Salat-ü selâmlarımız çürümüs bedenine nasıl ulaşır? diye sorduklarında Rasûlullah: "Peygamberlerin bedenlerini toprağın çürütmesini Allah yasaklamıştır"[22] buyurmuştur.

Rasûlullah'ın bedeni şayet çürüyecek olsaydı böyle cevap vermezdi.

Rasûlullah'tan bildirildiğine göre Allah, bazı melekleri, yapılan salat-ü selâmları peygamberimize ulaştırmak için görevlendirmiştir.[23]

Yine Rasûlullah'ın Ebû Bekir'le Ömer'in arasından dünyadan ayrıldığını ve "Üçümüz böylece de haşrolunacağız"[24] dediği rivâyet edilmektedir.

Şu da kesindir ki Rasûlullah'ın ruhu peygamberlerin ruhuyla beraber illiyyûn cennetinin en üstünde refikî âlâdadır.

Yine Rasûlullah'tan bildirildiğine göre O, İsrâ gecesi Hz. Mûsâ'yı altıncı ya da yedinci katta kabrinden kalkmış namaz kılıyorken görmüştür. Yedinci katta bulunan ruh, hem kabirde bulunan ruhla görüşüyor ona hürmet ediyor hem de Refiki âlâda iken kendisine verilen selâmları alarak kabirde namaz kılanın ruhuyla da irtibat kuruyor.

Ruhlarla bedenlerin özellikleri birbirinden farklı olduğundan bunları garip karşılama. Meselâ, birbirine oldukça yakın ve tutkun iki ruhu (kişiyi) düşün. Aralarında doğu ile batı kadar fark da olsa bunların birbirlerine olan yakınlığını bilirsin. Yine birbirine yapışık çok yakın iki ruh (kişiyi) düşün. Aralarında uyumsuzluk olduğundan bunların da birbirlerinden çok uzak olduğunu görürsün.

---

20. Ahmed b. Hanbel'le Müslim, Rasûlullah'ın şu sözünü de naklederler: "Cennetin kapısına varınca bekçi: Sen kimsin? dedi. Ben de: Muhammed dedim. Bunun üzerine bekçi: Senden başkasına kapıyı açmamam emredildi dedi." **Sahîhü'l-cami'** (1). Taberânî'nin **el-Evâil**'i s. 28, 29 bkz.
21. Hadis sahihtir. Taberânî **Evâil**'de İbni Abbas'tan Rasûlullah'ın şu sözünü nakleder: "Kıyâmet günü yerin dışarı çıkardığı ilk kişi ben olacağım." İbni Ömer'den, Enes'ten ve Ebû Hureyre'den gelen hadisler de bunu destekler. Bkz. **el-Evâil** s. 27, **el-hâdî sü's-sahîha**, c. 4, s. 100 ve **Sahîhü'l-cami'** (1480).
22. Ebû Dâvûd Salat'ta (201), Nesâî Cuma'da (5), İbni Mâce Cenâiz'de (65), Dârimî Salat'ta (206) Ahmed de Müsned'inde 8/4'de rivayet ederler. Derim ki: Tahricinden hadisin sahih olduğu anlaşılmaktadır.
23. İbni Mes'ûd'dan gelen rivayette şu ziyade vardır: "Allah'ın yeryüzünde ümmetimin selamını alan ulaştıran sezgin melekleri vardır." Bkz. Ahmed, Nesâî, İbni Hibban, Hakim ve **Sahîhü'l-cami'** /2170.
24. Tirmizî, İbni Mâce ve Hakim İbni Ömer'den zayıf bir senetle rivayet eder. Bkz. **Zaîfu'l-cami** (6102).

Ruhun inmesi, yükselmesi, uzaklaşması ve yakınlaşması beden gibi değildir. Ruh, bedenden farklı olarak kısa bir zaman içerisinde nasıl ki bedenden ayrılılıp beden kabre konuluyorsa aynı şekilde yine kısa bir zaman içerisinde de bedene geri döner. Bir kısım âlimler ruhu, güneş ve ışığına benzetmiştir. Güneş semâda olduğu halde ışığı yerde olmaktadır. Hocam[25] der ki; Bu, uygun bir misal değildir. Çünkü yere inen, güneşin kendisi değildir. Işığı ise ne güneştir ne de güneşin bir özelliğidir. Belki ışık, güneşin bir arazıdır. Ancak karşısında bulunan bir semâvî cisme göre ışıktan bahsedilebilir."

Oysa ki semâya yükselip yeniden arza inen, ruhun bilfiil kendisidir. Ölülerin konuşulanları duyduğu ashâba bildirildiği halde Bedir ölüleri hakkında ashâbı kirâmın: "Bedenleri parçalanarak cîfe haline gelmiş insanları nasıl muhatap alabiliriz?" şeklindeki sözleri, ruhların bedenlere tekrar dönmesine mûnâfî değildir. Çünkü bedenleri dağılsa da söylenenleri duyacakları bildirilmiştir. Bu durumda ölülere hitaptan maksat, bedenlere bağlı söz konusu ruhlara hitaptır.

"Kabirde olanlara sözlerini duyuramazsın"[26] âyeti celîlesinin siyâkından kâfir bir kimsenin faydasına olacak bir biçimde hayatta olanın sözünü duyamaması anlaşılmaktadır. Nitekim kabirde bulunanlarda söylenenler işlerine yarayacak biçimde duyamazlar. Ancak Yüce Allah, ölülerin hiçbir şey duyamayacaklarını ifade etmemiştir. Bilakis ölülerin ziyaretçilerinin ayak seslerini duyduklarını;[27] Bedir ölülerinin[28] Rasûlullah'ın konuşmasını duyduğunu bildirmekte ve de yaşayan birine hitap ediyormuşcasına onlara da hitap edilmesini meşrû saymıştır. Bu nedenle de mü'min kardeşine selâm veren kişinin selamının alınacağı da haber verilmiştir.[29]

Bu âyetin bir benzeri de şudur: "Sen, ölülere duyuramazsın. Arkalarını dönmüş kaçarken sağırlara da davetini işittiremezsin".[30] Ölülerle birlikte sağırların da daveti duyamaması her ikisinin de davete ehil kimseler olmadığına delildir. Bu iki kısım insan ölü ve sağır olunca, bunlara birşey duyurup anlatabilmek imkansızdır demektir. Bu görüş doğrudur ama, ölümden sonra bir ölçüde bedenle alakasını kesmemiş ruhlara kötü durumlarını, alçaklıklarını[31] duyurmanın imkansızlığını ifade etmemektedir. Allah en iyisini bilir.

---

25. Yani İmam İbni Teymiyye.
26. Fâtır sûresi, (35/22).
27. Hadisin tahrici geçti.
28. Kitabın başında tahrici geçti.
29. Zayıf hadis olduğunu söylemiştik.
30. Neml sûresi, (27/80).
31. Ben derim ki, evet, Yüce Allah kâfirleri azarlamak, Rasûlullah'ın yanında küçük düşürmek için Rasûlullah'ın sözlerini onlara duyurmuştur. Bkz. Nu'man Alusi'nin, Şeyh Elbânî tarafından tahkiki yapılan el-Âyâtü'l-beyyinât'ı.

İbn Hazm'ın:[32] "Minhal b. Amr, hadis rivâyetinde tek kaldığı ve güçlü bir râvî olmadığı için hadis sahih değildir" sözü de onun ölçüsüzlüğündendir. Çünkü Za'dan dışında daha birçokları Adiy b. Sabit, Muhammed b. Akabe ve Mücâhid gibi hadisi Berâ b. Azib'den rivâyet etmiştir.

Hâfız Ebû Abdullah b. Hendek: **er-Rûh ve'-n-Nefs** kitabında anlatıyor: Muhamed b Yakup b.Yusuf'tan, o da Muhammed b. Ishâk Saffar'dan, o da Ebû Nadr Hâşim b. Kasım'dan, o da Îsâ b. Müseyyeb'den,[33] o da Adiy b. Sabit'ten, o da Berâ b. Âzib'dan nakleder. Âzib der ki: "Rasûlullah'la beraber Ensârdan birinin cenazesinde bulunduk. Cenazeyi kabre koyunca hep beraber oturduk. Sanki omuzlarımızda büyük kaya parçaları, kafalarımızda da kuşlar varmış gibi kimse konuşmuyordu. Bu yorucu kısa sessizlikten sonra Rasûlullah buyurdu ki: "Mü'min bir kimse dünyadan ayrılıp ahirete giderken ölüm meleği[34] ile beraber yanlarında cennet kefeni ve kokuları olan birçok melek[35] gelir. Ölüm meleği mü'min kişinin yani başına diğerleri ise etrafına otururlar." Ölüm meleği seslenir: "Ey Mutmain nefis, çık. Allah'ın rahmetiyle, rızasıyla çık" der. Kaptan suyun damladığı gibi ruhu çıkar. Sakaleyn'den[36] başka yerde ve gökte ne varsa ona salat-ü selâm getirir. Önce birinci kat semâya çıkarılır. Sonra semâ görevlileri arş semâsına çıkana kadar ikinci, üçüncü, dördüncü, beşinci, altıncı ve yedinci semâlarda onu uğurlarlar. Arşta bu ruh, illiyyûn cennetliklerinden yazılır ve Yüce Allah: "Kulumu yerine, arza götürün artık. Çünkü ben onu topraktan yarattım, oraya göndereceğim ve sonunda ruhunu da oradan alacağım" buyurur. Ruh yerine dönünce, azı dişleriyle yerin altıru üstüne getiren, saçlarıyla da arzı didik didik arayan Münker ve Nekir[37] gelir ve sorgulamaya başlarlar: "Ey adam, Rabbin kim?" Adam: "Rabbim Allah" deyince "doğrusunu söyledin" derler. "Dinin nedir?" derler. Adam: "Dinim İslâmdır" deyince tamam bu da doğrudur" derler. "Peki peygamberin kimdir?" sorusuna da "Allah'ın Rasûlü Muhammed'dir" deyince "hepsi doğrudur" derler. Bunun üzerine kabri genişletilir.

Güzel yüzlü, hoş kokulu ve güzel elbiseli bir adam gelip; "Allah sana hayırla karşılık versin. Bildiğim kadarıyla vallâhi sen Allah'a itâatte aceleci, O'na asî

---

32. Yani İbni Hazm.
33. İsâ b. Müseyyeb Becelî zayıf bir râvîdir. Bkz. **el-Mîzan, el-Cerh ve't-ta'dîl.** Ancak Berâ hadisinde sahih rivayeti ve tahrici hakkındaki zayıflık iddialarını yokeder.
34. Bu, Azrâil'dir. Ben derim ki, ölüm meleğine verilen bu isim Kur'ân ve sünnette geçmemektedir. İsrailiyyattan olması muhtemeldir.
35. Rahmet melekleri olabilir. Çünkü ralunet melekleri mü'min kişinin ruhunu taşıyıp onu cennetle müjdelemekle görevlendirmişlerdir. Azab melekleri de, kâfir ya da fasık kişinin ruhunu taşımak ve onu cehennemle korkutmak için gönderilmiştir.
36. Sakaleyn: İnsan ve cinler.
37. Kişi ölüp mezara konduktan sonra kabrinde onu sorgulamakla görevli meleklerden iki grup. Ben derim ki, bu iki meleğe Münker ve Nekir denmesi Tirmîzî'nin Ebû Hureyre'den, İbni Mâce'nin de İbni Ebî Âsım'dan rivayet ettiği hadiste geçmektedir. Bkz. **el-Ehâdîsü's-sahîha** (1391).

olmada yavaştın" der. Bu sözleri kimin söylediğini öğrenmek için: "Allah sana da hayırlar versin. Peki sen kimsin?" diye sorar. Adam: "Ben senin güzel amelinim" der. Sonra kıyâmete kadar içerisinde kalacağı cennetin kapısı açılır.

Kâfir biri de dünyadan ayrılıp ahirete gideceği zaman ölüm meleği, yanlarında cehennem kefenî ve pis kokusu bulunan meleklerle[38] yanına gelir. Ölüm meleği seslenir: "Ey pis nefis çık. Allah'ın gazabıyla, kahrıyla çık." Ruhundan cesedine doğru benzeri görülmeyen bir pis koku yayılır. Ruhunun bedeninden çıkışı, yas yünün içersinde tırtırlı şişin çıkması gibidir. Ruhu bedeninden ayrılan bu kâfire insan ve cin dışında yerde ve gökte ne varsa hepsi lanet eder. Dünya semâsından yukarı çıkınasına izin verilmeyen ruha Yüce Allah seslenir: "Kendisinden insanı yarattığım sonra ona dönderip yeniden alacağım yere toprağa gönderin kulumu." Bunun üzerine ruh, geldiği yere götürülür. Biraz sonra şimşek gibi parlayan, gök gürültüsü gibi ses çıkaran Münker ve Nekir melekleri azı dişleriyle toprağı yararak saçlarıyla da arzı didik didik ederek gelirler. Adama: "Ey fülanca, Rabbin kimdir?" Adam: "Bilmiyorum ki" deyince kabrin bir tarafından: "Demek bilmiyorsun" diye seslenilir ve melekler adama öyle bir balyoz vururlar ki doğudaki ve batıdaki tüm insanlar bir araya gelseler balyozu durduramazlar. Bulunduğu kabir, kemikleri birbirine geçecek derecede daraltılır. Yüzü çirkin ve elbisesi pejmürde üzeri pis pis kokan biri gelir ve: "Allah seni kahretsin. Allah'a yemin olsun ki sen iyiliklerden kaçan, kötülüklere de koşan bir adamdın" der. Kabirde yatan bakar ve "sen necisin?" diye sorar. Adam: Ben senin kötü amelinim" der. Bunun üzerine kabrinden kıyâmet gününe kadar cehennemde kalacağı yeri görmesi için bir kapı açılır." Hadisi Ahmed, Mahmud b. Gaylan ve diğerleri Ebû Nadr'dan rivâyet etmişlerdir. Hadisi şeriften ayrıca ruhların kabre döneceği ve iki meleğin gelip ölüyle konuşacakları da anlaşılmaktadır.

İbn Mendeh, Muhammed b. Seleme yoluyla Hasif Cezerî'den,[39] o da Mücâhid'den, o da Berâ b. Âzib'den nakleder: "Rasûlullah'la beraber, Ensârdan bir sahâbenin cenazesinde bulunuyorduk. Rasûlullah buyurdu ki: Mü'min bir kimse öleceği vakit ölüm meleği güzel bir şekilde üzerinden hoş kokular yayılarak gelir. Ruhunu almak için başına gelir. Bu ara biraz öteye ellerinde cennet kefeni ve kokusu bulunan iki melek daha gelir. Ölüm meleği ruhunu sezdirmeden alınca hemen iki melek gelir cennet kefenine sarip üzerine cennet kokusu sürer ve ruhu cennete doğru çıkarır. Semâ kapıları açılır. Bütün melekler onu müjdeleyerek: "Bunca semâ kapıları üzerine açılan bu ruh acaba kimdir? diyerek dün-

38. Azap melekleri olabilir.
39. Hasif Cezerî hakkında el-Muğnî'de tabiînden müksirû'l-hadistir denmektedir. Ayrıca Muhakkık Hafız İbni Hacer'in: "Doğru birisidir, ama haftzası zayıftır. Ahirete göçmüş, hor görülmüştür" sözünü nakleder.

yada bilinen en güzel ismiyle çağırırlar. "Bu fülancanın ruhudur" denince ruhu semâlara çıktıkça Allah'ın huzuruna varıncaya kadar her semanın görevlileri bu kişiyi ağırlarlar. Ameli illiyyûna çıkan bu şahsa Yüce Allah, semâ görevlilerine bakarak: "Şâhit olun ki ben bu şahsı affettim" der. Amel defteri onaylanınca illiyyûn cennetine götürülür. Bunun üzerine Yüce Allah: "Kulumun ruhunu va'dim üzere arza gönderin" buyurur. Rasûlullah bunu anlattıktan sonra: "Sizi topraktan yarattık. Ölümünüzden sonra tekrar toprağa döndüreceğiz, sonra yeniden topraktan alacağız"[40] âyetini okur. Mü'min kabre konunca önüne cennete götüren bir kapı açılır. Ona: "Allah'ın sana va'dettiği mükâfata bak" denir. Yukarısından da cehennem kapısı açılır: "Allah'ın seni koruduğu azâba bak" denir. Daha sonra da: "Haydi rahatça uyu" denir. Mü'min kişinin kabirde en çok sevdiği şey, bir an önce kıyâmetin kopmasıdır" ve Rasûlullah konuşmasının devamında: "Mü'min kabre konunca arz ona der ki: "Madem ki sen dostumdun öyleyse nasıl üzerimde yaşarken içime girdin. Sana ne yapacağımı göstereceğim." Bunun üzerine kabri iyice genişler."

Rasûlullah anlatıyor: "Kâfir bir kişi de ölünce Münker ve Nekir melekleri gelir ve ona sorarlar: "Rabbin kimdir?" Adam: "Bilmiyorum" der. "Demek bilmiyorsun" diyerek adama öyle vururlar ki adam kül olur." Yeniden eski haline dönüştürüldükten sonra: "Şu adam hakkında ne diyorsun?" denir. Adam: "Hangi adamdan bahsediyorsunuz?" Melekler: "Muhammed'den" deyince, "İnsanlar Onun Allah Rasûlu olduğunu söylüyorlar" der. Bunun üzerine meleklerin dövmesi ile yeniden kül olur.

Bu hadis, birçok hâfız tarafından doğrulanmış sâbit, meşhûr ve müstefîd bir hadistir. Hiç kimsenin hadis aleyhine konuştuğunu bilmiyoruz. Büyük imamlar kitaplarında zikretmişler, kabul etmişler ve kabir azâbı, nîmeti, Münker ve Nekir'in sorgulaması, ruhların alınması ve Allah'ın huzuruna çıkarılmasıyla ilgili olarak dinin temel prensipleri ile ilgili konularda bu hadisi, asıl kabul etmişlerdir. Ebû Muhammed'in: "Zazan'dan başkası rivâyet etmemiştir" görüşü bir vehimdir. Çünkü Zazan'dan başka Bera'dan, Adiy b. Sabit, Mücâhid b. Cübeyr, Muhammed b. Akabe ve diğerleri'de rivâyet etmiştir. Hadis senetlerini Darakutnî **Musannef-i Müfret**'te toplamıştır. Zazan ise sika bir ravî olup Hz. Ömer gibi büyük sahabilerden hadis rivâyet etmiş, Müslim de **Sahih**'inde ondan hadis almıştır. Yahyâ b. Maîn der ki: O sikadır. Hamid b. Hilal'e Zazan'dan sorulduğunda: "O sikadır. Böyle kişilerin sikalığı sorulmaz" der. İbn Adiy'se: "Sika ravîlerden rivâyet ettiğinde hadislerinde bir kusur yoktur" der.

"Ruhu cesedine geri gönderilir" kısmı için "Minhâl sikadır" derken Aclî de: "Kûfe'nin sika râvîsidir" demiştir. Minhâl'in evinden müzik sesi geldiği duyul-

40. Tâhâ sûresi, (20/55).

muştur ki bu rivâyet de cerhi gerektirmez. İbn Hazm'ın Minhâl'i zayıf görmesine aldanmamalıdır.[41]

Çünkü rivâyetinde tek kalması dışında zayıflığına dair hiç bir sebep göstermemiştir. "Sonra ruhu bedenine gönderilir" kısmının daha bir çokları tarafından rivâyet edildiğini açıklamıştık. Bazı rivâyetlerde bu fazlalık, daha belîğ şekilde gelmiştir. Meselâ "ruhu ona geri gönderilir", "kabrine varıp oturur" ve "melekler onu oturturlar"... gibi. Bütün bu rivâyetler sahihtir. Bunlarda kapalı hiçbir nokta yoktur. Bu hadis başka bir sebeple cerhedilmiş, Zâzân'ın Berâ'dan hadis almadığı söylenmiştir. Bu illet, batıldır. Çünkü Ebû Avâne el-İsferâînî es-Sahîh'inde şöyle bir senet zikreder. "... Amr Zâzân el-Kindî'den rivâyet etti. Zâzân der ki: "Berâ b. Âzib'den şöyle bir hadis duydum."

Hâfiz Ebû Abdullah Mendeh hadis hakkında bu, senedi bitişik muttasıl bir hadistir. Berâ'dan bir çokları bu hadisi rivâyet etmiştir.

Berâ'dan gelen hadisi kabul etmesek de bu konuda diğer sahih hadisler oldukça açıktır. Mesela, İbn Ebi Ze'bin Muhammed b. Amr b. Atâ'dan, o da Saîd b. Yesar'dan, o da Ebû Hüreyre'den rivâyetine göre Rasûlullah şöyle buyurmuştur: "Kişi ölünce melekler başına toplanır. Sâlih bir kişi ise melek der ki: "Ey hoş vücutta bulunan hoş nefis çık. Övgüyle, müjdeyle, neşe, güzel kokuyla ve öfkeli olmayan Rabbin izniyle çık." Ruh çıkana kadar böyle denir.

Ruh bedenden ayrılınca semâya çıkarılır. Semâ kapıları açılırken: "Kimdir o?" derler. "Fülancadır"[42] denince: "Hoş geldin ey güzel bedenin hoş ruhu. Övgüyle, müjdeyle neşe, güzel koku ve öfkesiz Rabbin izniyle gir" derler. Yüce Allah'ın bulunduğu kata çıkana kadar hep aynı güzel muâmeleyi görür. Yok eğer ölen kişi kötü biriyse ölüm meleği: "Ey pis bedende bulunan pis nefis çık. Yerilerek çık. Cehennemle, ağır pis kokularla ve kendine uygun kanlarla müjdelerim seni." Nefis bedenden ayrılana kadar böyle derler. Ruh bedenden ayrılınca semâya çıkartılır. Semâ kapısı vurulur. Semâ nöbetçileri: "Kim o?" diye sorarlar. "Gelen fülancadır" denince: "Ey pis bedenden çıkmış pis nefis! Sen hoş gelmedin. Rezilliğinle geri dön. Zira semâ kapıları sana açılmayacaktır; semâ ile arz arasında gidip gelirken yeniden kabrine döneceksin" derler. Rasûlullah anlatıyor: "Sâlih kişi kabrinde rahatça ve ürpermeden oturur. Melek gelir ve: "İs-

41. Garip olan şu ki İbni Hazm şarkıcılarla ilgili bütün hadislerin cerh konusu olabileceğini ifade eder. Buhârî senediyle beraber zikredilen hadis dahil bunlardan hiçbiri sahih olmamıştır. Bu açıdan İbni Hazm hadisi nasıl zayıf saymakta bunu bilemiyoruz. Zikre değer olması âlimlerin İbni Hazm'ın peşine düşüp hadisi zayıf görmesinden dolayı onu hatalı bulmuşlardır. Ayrıca Buhârî'nin rivayetini sahih kabul etmişlerdir. Bunlardan biri de sahih hadisler silsilesinde Nasıru'd-din Elbânî'dir. Ben derim ki, Buhârî'den gelen hadis muallaktır, başkalarından gelen ise mavsul ve sahihtir. Bkz. el-Ehâdîsüs-sahîha (91).

42. Bir diğer nüshada da Fülan b. Fülan geçmektedir. Ebû Dâvûd Teyalîsi'ye bakarak müellifin uslubundan da bu anlaşılmaktadır.

lâm hakkında ne dersin, şu adam kimdir?" diye sorar. O da: "O, Allah'ın Rasûlu Muhammed'dir. Bize, Allah tarafından açıkça delillerle geldi. Biz de iman edip tasdik ettik" der. Hadis böyle devam edip gider.

Hâfız Ebû Nuaym der ki: "Bu hadisin râvîlerinin adâletli kişiler olduğu ittifakla sabittir. Bu konuda iki imam, yani Muhammed b. İsmail el-Buharî ile Müslim b. Haccac İbn Ebî Ze'b ve Muhammed b. Amr b. Atâ ve Saîd b. Yesar'dan rivâyette müttefiktirler. Çünkü bu üç ravi de şartlarına uymaktadır. İbn Ebî Ze'b'den İbn Ebî Fudeyk ve Abdurrahim b. İbrahim gibi mütekaddiminin büyük âlimleri de rivâyet etmişlerdir.[43] Kısacası İbn Ebi Ze'b'den rivâyet edenlerin sayısı az değildir.

Ebû Abdullah b. Mendeh, ruhun bedene dönmesi konusunda şöyle bir delil getirmektedir: Muhammed b. Hüseyn b. Hasan'dan[44] o da Muhammed b. Zeyd Nisâbûrî'den, o da Hammad b. Kurat'tan, o da Muhammed b. Fadl'dan, o da Yezid b. Abdurrahman es-Sâ'iğ Belhî'den, o da Dahhak b. Muzâhim'den, o da İbn Abbâs'tan şöyle dediğini rivâyet eder: İbn Abbâs der ki: Bir gün Rasûlullah'la beraberken şu âyeti okudu: "Zâlimlerin ölüm sarhoşluğu içerisindeyken ve meleklerin de kendilerine pençelerini uzattıklarında onları bir görmelisin ey Habîbim."[45] Arkasından da: "Muhammed'in nefsi yedinde olan Allah'a yemin olsun ki dünyadan ayrılan her nefis cennette veya cehennemde kalacağı yeri görecektir" dedi. Ve devamında: "Yüzleri güneş gibi parlayan iki saf melek doğu ile batı arasında dizilirler. Kabirde bulunan kişi başka şey göremeyeceğinden onlara bakar durur. Her bir meleğin yanında kefen ve koku vardır. Eğer ölü, mü'min ise cennetle müjdelerler ve: "Ey güzel nefis. Allah'ın rızasına, cennetine girmek için bedenden çık. Çünkü Allah sana, dünya ve dünyadakilerden çok daha hayırlı ikramlar hazırlamıştır" derler. Meleklerin müjdesi böyle devam eder. Taltif ve merhametleri annenin çocuğuna olan merhametinden fazladır. Sonra ruhunu, her kemik ve eklem altından çıkarırlar, uzuvları birer birer ölür. Ölüm bu kişiye kolay gelir. Ama siz sanki çenesine şamar atılmış gibi ölümü çok zor görürsünüz. Ruhun cesetten çıkışının sevimsizliği çocuğun rahimden çıkarkenki sevimsizliğinden daha belirgindir. Her bir melek mü'min kişinin ruhunu almak için çekişir fakat bu işi, sonunda ölüm meleği üstlenir. Sonra Rasûlullah: "Ey Habîbim, de ki: Görevli ölüm meleği cınınızı alacak sonra da yine Rabbinize döneceksiniz"[46] âyetini okudu.

---

43. İbni Mâce, Ebû Hureyre'den rivayet etmiştir. Şeyh Elbânî de hadisi sahih kabul etmiştir (1964).
44. Hafız b. Kesir Tefsiri'nde der ki, İbni Merdûye Dahhak'tan, o da İbni Abbas'tan merfû olarak garip bir yolla uzun bir hadis rivayet etmiştir. c. 2, s. 157.
Ben derim ki, bu senedde Hammad b. Kırat vardır. el-Mîzan'da hakkında denir ki, Ebû Zur'a bunun sözünü sıhhatsiz sayardı. İbni Hibban da: "Bundan hadis rivayet etmek caiz olmaz..." İbni Adiy ise "Çoğu yaptığı rivayetler şüphelidir. Bu hadisinin de zayıf olduğunu anlıyoruz." Allah en iyisini bilir.
45. En'âm sûresi, (6/93).
46. Secde sûresi, (32/11).

Daha sonra beyaz kefenlere sarılır ama o kefeni kucağında toplar. Çünkü bu kimse böyle bir beze, çocuk doğuran kadından daha çok muhtaçtır. Üzerine misk kokuları sürülür. Kendisinden yayılan güzel kokuları alan melekler: "Güzel erkek ruhla, güzel dişi ruha merhabalar olsun. Ey Allah'ım hem bu ruha hem de ait olduğu bedene salat-ü selâm olsun" derler. Sonra bunu semâya doğru çıkarırlar. Sayısını Allah'tan başkasının bilmediği melekler ordusu ruhtan yayılan güzel kokuyu alınca ona salat ederler ve Allah'ın huzuruna çıkana kadar her semâ katında karşılaştığı melekler, O'nu salat ve selâm ile ağırlarlar. Yüce Allah ruha seslenerek: "Hoşgeldin ey güzel nefis, hoşgeldin ey ruhu taşıyan beden" buyurur. Allahû Teâlâ birşeye merhaba dedi mi herşey mübarek olur ve bütün sıkıntılar ondan uzaklaşır. Sonra Yüce Allah ruh için: "Bunu cennete götürün. Cennetteki yerini gösterin. Ona vereceğim nîmet ve ikramlarımı ona sunun. Sonra da arza götürün. Çünkü va'dettim ki ben insanı topraktan yarattım. Ölünce tekrar ona döndüreceğim ve sonunda yine oradan alacağım." Rasûlullah der ki: "Nefsim yedinde olan Allah'a yemin olsun ki, buradan çıkışı, bedeninden ayrılışından-çıkışından daha sevimsizdir." Ruh seslenir: "Nereye götürüyorsunuz beni? Yoksa çıktığım bedene mi? Melekler de: "Böyle yapmakla görevlendirildik, buna razı olmalısın" derler. İşte ölünün yıkanıp kefenlenmesi gibi kısa bir zaman içerisinde bunca yerleri gezerek meleklerce ait olduğu bedene yeniden sokulur.

Bu hadisten, ruhun beden ve kefene döneceği; bu dönüşün de dünyada ruhun bedenle olan normal ilgisinden, uyku halindeki alâkasından ve normal münasebetlerinden farklı olduğu ve dönüşün yalnızca sorguya çekilmek için olduğu anlaşılmaktadır.

Şeyhü'l-İslâm[47] der ki: Sorgulama anında ruhun bedene döneceğine mütevâtir sahih hadisler delâlet etmektedir. Ruh olmadan sadece bedenin sorguya çekileceği bazılarınca ifade edilmişse de çoğunluk buna karşı çıkmıştır. Buna mukabil bazıları da: "İbn Mürre ve İbn Hazm'ın söylediği ifade edilen, sualin yalnızca ruh için olmasını doğru saymamakta, sahih hadislerin bunu reddettiğini söylemektedirler. Diyorlar ki: "Eğer sorgulama, sadece ruh içinse ruhun, kabirde bulunmasının hiçbir anlamı yoktur."

47. Ben derim ki: Delillerden anlaşılacağı üzere hak olan budur.

Kabir Azâbı Nefisle Bedenin İkisine Birden mi, Yoksa Yalnızca Nefse mi, Ya da Yalnızca Bedene mi? Mükâfat ve Azapta, Nefis ve beden Ortak mı?

Şeyhü'l-İslâm bu soruyu şöyle cevaplamaktadır: "Ehli sünnet ve cemaata göre mükâfat ve cezâ, beden ve nefsin ikisine birden tatbik olunur. Nefis bedensiz mükâfatlandırılır ya da cezâlandırılır. Bedenle birlikte cezâlandırılır ki bunda beden, nefse ortaktır. Bu durumda mükâfat ve cezâ yalnızca ruh için olduğu gibi hem ruha hem de bedene şamil olmuş olurlar. Öyleyse ruh olmadan yalnızca beden için mükâfat ve cezâdan bahsedilebilir mi? Cevap mahiyetinde kelamcı ve hadisçilerden iki rivâyet gelmiştir. Ayrıca ehli sünnetle ilgisi olmayan sâz ve itibar edilmemesi gereken cevaplar da vardır. Mesela: "Mükâfat veya cezâ yalnızca ruh içindir. Beden için nîmet ve azaptan bahsedilemez." Bedenin dirilişini inkâr eden felsefecilerin görüşü budur. Onlar, bütün müslümanların icmasıyla kâfirdirler. Yine "bedenin dirilişini kabul eden ancak nîmet ve azap Berzahta olmaz. Belki kabirlerden kalkarken bunlardan sözedilebilir"[48] diyen Mûtezile ve çoğu kelâmcının sözüdür. Bunlar sadece Berzah'ta bedenin cezâ görmesini kabul etmemektedirler. Diyorlar ki: "Berzahta mükâfat gören ya da azap gören yalnızca ruhtur. Kıyâmet günü gelince beden ruhla birlikte cezâlandırılacaktır." Kelamcı ve hadisçi birçok müslüman âlim de bu kanâattedir. İbn Hazm ve İbn Mürre'nin görüşleri de bu doğrultudadır. Bu kanâati, sâz üç cevaptan saymamaktayız. Kabir azâbını, kıyâmet gününü, ruh ve bedenlerin dirilişini destekler mahiyette kabul etmekteyiz. Kabir azâbıyla ilgili üç görüş vardır. Bunlar:

1- Kabir azâbı sadece ruh içindir.

2- Ruha ve ruh vasıtasıyla bedenedir.

3- Yalnızca beden içindir.

Bu üçüncü görüş, kabir azabını kabul edip ruhu hayat sayan ve bedenin azaplandırılmasıyle kesinlikle ruhun azaplandırılmasını inkâr eden görüşü sâz sayan ikinci görüşe dahil edilebilir.

Sâz görüşün üç olduğunu söylemiştik. İkinci sâz görüş: "Ruh tek başına cezâlandırılılıp mükâfatlandırılmaz. Çünkü ruh, hayattan ibarettir" diyen Mûte-

48. Buraya kadar söyledikleri fetva kitaplarına uygundur. Bundan sonrası ise İbni Hazm ve Kurtubî'nin sözlerini nakilde olduğu gibi uygun değildir. Bilgi için bkz. **Mecmû'u'l-fetâvâ** c. 4, s. 282. Ancak İbni Kayyım sözünün çoğunluğunu nakletmiştir. Bu bir ihtimal. Diğer bir ihtimalde ibni Kayyım'm elindeki fetva kitabı belki de elimizdeki fetvâ kitabından farklıdır. Allah en iyisini bilir.

zile ve Kadi Ebû Bekir gibi bazı Eş'arîlerin görüşleridir. İddialarına göre bedenden ayrılan ruh baki kalmaz. Bu batıl iddiayı Ebûl Meâlî Cüveynî ve başkaları reddetmişlerdir. Kitap ve sünnette, bedenden ayrılan ruhun bâkî kalacağı veya mükâfatlandırılacağı ya da cezâlandırılacağı açıkça bildirilmiştir. Bunlar, bedenlerin dirilişini inkâr eden ilahiyatçı filozofların aksine bedenlerin dirilişini kabul ediyorlar ama bedenler olmaksızın ruhların dirilişini, azaplandırılmasını ya da mükâfatlandırılmasını inkâr ediyorlar. Her iki grubun görüşleri de hatalı ve sapıklıktır. Ama yine de felsefecilerin görüşü, kendini müslümanlığa bağlı sayan ya da kendisini marifet, tasavvuf, tahkîk ve kelam ehlinden sayan kimselerin görüşlerinden daha da uzaktır.

Üçüncü sâz görüş: Büyük kıyâmet kopana kadar Berzah'ta nîmet ve azaptan bahsedilemez. Bu görüş, bedenden ayrılan ruhun baki kalmayacağını, dolayısıyla beden için nîmet ve azaptan bahsedilemeyeceğine binâen kabir azâbını ve nîmetini inkâr eden Mûtezile ve diğerlerinin görüşleridir. Bunlar en azından kıyâmet gerçeğini kabul etmekle felsefecilerden daha iyi durumda olmakla birlikte Berzah konusunda dalâlettedirler.

FASIL

Bu anlatılan batıl görüşleri kavradıktan sonra selefin görüşünü de bilmelisin: Kişi öldüğü zaman ya nîmet içerisinde ya da azap içerisinde bulunur. Nîmet ve azap, ruh ve bedene verilir; bedenden ayrılan ruh nîmet veya azap içerisinde olur. Bazan da nîmet ve azâbı ruh, bedenle birlikte çeker. Kıyâmet günü ruhlar, bedenlerine Allah'ın izniyle döndürülür. O halde bedenlerin dirilişini Müslümanlar, Yahudi ve Hıristiyanlar ortak olarak kabul etmektedirler.

FASIL

Kabir azâbı ve Münker Nekir meleklerinin kişiyi sorgulaması ile ilgili birçok mütevâtir hadis vârid olmuştur. Bunlardan biri Sahihayn'da İbn Abbâs'tan rivâyet edilmektedirler. İbn Abbâs der ki: Rasûlullah iki kabre uğradı: "Şimdi bunlar azap içerisindedirler; azap olunmalarının nedeni küçük günahlardan sakınmamalarıdır. Birinci günahları idrardan sakınmamaları diğeri ise yeryüzünde insanlar arasında laf götürüp getirmeleridir" buyurdu. Sonra eline yaş bir hurma çubuğu aldı. Onu ikiye ayırdıktan sonra birer tane kabirlerin üzerine

dikti ve: "Bunlar kuruyana kadar umulur ki gördükleri azap biraz hafifler"[49] buyurdu.

Sahîhu'l-Müslim Zeyd b. Sabit'ten şöyle bir haber nakledilir: Rasûlullah, atı üzerinde Neccar oğullarına ait bir üzüm tarlasına girdi. Biz de onunla beraberdik. At bir ara yolunu değiştirince altı tane veya beş veyahutta dört tane mezar karşısına çıkı. Rasûlullah: "Bu kabirlerde yatanların kim olduğunu bilen var mı?" diye sordu. Adamın biri: "Ben biliyorum" deyince "bunlar ne zaman öldüler?" diye sordu. Adam: "Şirk zamanı, şirk üzere öldüler" deyince Rasûlullah buyurdu ki: "Bunlar şimdi kabirlerinde sorguya çekiliyorlar. Gömülmüş olmasalardı da Allah'a duâ edip benim duyduğum gibi siz de çektikleri kabir azâbını bir duysaydınız." Sonra bize yöneldi ve: "Cehennem ateşinden Allah'a sığının" dedi. Biz de: "Cehennem azâbından Allah'a sığınırız" dedik. "Kabir azâbından Allah'a sığının" dedi. Biz de: "Kabir azâbından Allah'a sığınırız' dedik. "Gizli ve açık fitnelerden Allah'a sığının" dedi. Biz de: "Gizli ve açık fitnelerden Allah'a sığınırız" dedik. Sonunda: "Deccal'in fitnesinden Allah'a sığının" dedi. Biz de: "Deccal'in fitnesinden Allah'a sığınırız" dedik.[50]

Sahîhu'l-Müslim ve diğer Sünenlerde Ebû Hüreyre'den Rasûlullah'ın şöyle dediği rivâyet edilir: "Son teşehhüdü bitiren kişi, dört şeyden Allah'a sığınsın: "Cehennemin azâbından, kabir azâbından, ölü ve dirilerin fitnesinden ve Mesih Deccalin fitnesinden."[51]

Yine **Sahîhu'l-Müslim** ve diğerlerinde İbn Abbâs'tan rivâyet edildiğine göre, Rasûlullah Kur'ân'dan sûre öğrettiği gibi ashâbına şu duâyı öğretmiştir: "Allah'ım, cehenemin azâbından sana sığınırım. Kabir azâbından sana sığınırım. Ölü ve dirilerin fitnesinden sana sığınırım. Mesih Deccal'in fitnesinden sana sığınırım."[52]

es-Sahihayn'da Ebû Eyyûb'dan nakledilir: "Rasûlullah güneş battıktan sonra evinden çıkınca bir ses duydu. Bunun üzerine: "Yahudiler, kabirlerinde azap görüyorlar"[53] buyurdu.

---

49. Ahmed ve **Kütüb-ü Sitte** sahipleri İbni Abbas'tan rivayet etmişlerdir. Yine Ahmed Emâme'den ve Ahmed'den rivayet etmiştir. İbni Mâce Tayalisî, İbni Ebî Şeybe ve **el-Kâmil**'de İbni Adiy zikretmiştir. Bir farkla ki "koğuculuğun" yerine gıybeti zikretmiştir. Bkz. **Sahîhü'l-cami'** (3436-3437).
50. Ahmed ve Müslim, İbni Hibban ve Zeyd b. Sabit'ten rivayet etmiştir. Bkz. **el-Ehâdîsu's-Sahîha** (159). Orada hadisin garibliği ve yeni hadisten anlaşılan bir istinbat bulacaksınız. Ehemmiyyetine binaen onu oku. Ayrıca Acirî daha güzel bir şekilde hadisi rivayet eder. s. 360-361.
51. Bu hadis böyledir. Fakat hadisi Tirmîzî rivayet etmemiştir. Rivayet edenler Ebû Avâne, Dârimî, İbni Cârûd, Serrac, Ahmed ve Beyhakî'dir. Hepsinin senedi sahihtir. Bkz. **İrvâu'l-galîl** c. 2, s. 66.
52. "Onlara Kur'ân'dan sûre öğretiyor" ifadesi Müslim c. 5, s. 88, 89, Nevevî ve Beyhakî "Kabir azabmm gerçekliği babında" zikretmiştir. s. 119.
53. Buhârî, Müslim ve Nevevî rivayet etmiştir. Bilgi için bkz. **Câmiu'l-usûl** c. 11, s. 172 ve Acirî s. 361.

es-Sahihayn'da Hz. Âişe'den şöyle bir rivâyet nakledilir: Hz. Âişe der ki: "Yaşlı bir Yahudi kadın geldi ve "kabirde yatanlar şu anda kabirlerinde azap çekiyorlar" dedi. Ben de onu yalanladım, içimden hiç doğrulamak geçmedi. Rasûlullah gelince dedim ki: "Ey Allah'ın Rasûlü, Medine yahudilerinden yaşlı bir kadın geldi, kabirde yatanların şu anda azap çektiklerini söyledi." Sözlerimi dinledikten sonra: "Evet şimdi onlar azap görüyorlar. Onların çığlıklarını bütün hayvanlar duyar" buyurdu. Hz. Âişe anlatıyor: "Bundan sonra Rasûlullah'ın her namazdan sonra kabir azâbından Allah'a sığındığını gördüm."[54]

İbn Hibban da **es-Sahîh**'inde Ümmü Mübeşşir'den şunu nakleder: Rasûlullah: "Kabir azâbından Allah'a sığının" diyerek yanıma geldi. Dedim ki: "Ey Allah'ın Rasûlü, kabirde de azap var mı?" Rasûlullah: "Şimdi onlar kabirlerinde azap görüyorlar. Çığlıklarını hayvanlar duyar."[55]

Bazı âlimler şöyle demiştir: "İşte bu nedenle insanlar, Mısır ve Şam ahalisinden olan Ubeyd oğullarından Karamıta, Nusayrî ve İsmailîler gibi hıristiyan, yahudi ve münâfıkların mezarlarına otla beraber toprak yiyip karınları sancılanan hayvanları götürürlerdi. Çünkü suvari milletler, atlarını yahudi ve hıristiyanların kabirlerine sürerler. At, kabirde azap görünce korkar ve karın hastalığını gideren bir hararete tutulur".

Abdülhak İşbilî anlatıyor: İlim ve amel erbabından fakih Ebû'l-Hakem b. Barhan'ın bana anlattığına göre: "Işbiliyye'nin kuzeyinde bulunan köylerine bir ölü defnederler. Ölüyü mezara koyduktan sonra aralarında konuşurlarken bakarlar ki bir hayvan suratlice kabre koşar, sanki mezarda olup bitenleri duyuyormuş gibi kulağını kabre kor. Sonra süratlice kaçar. Sonra yeniden gelir. Yine sanki mezarda olup bitenleri duyuyurmuşcasına kulağını verir ve yine kaçar. Aynı işi hayvan defalarca yapar. Ebû'l-Hakem der ki: "Bu olup bitenleri görünce kabir azâbını ve Rasûlullah'ın kabirde yahudilerin hıristiyanların azap gördüklerine ve azâbın şiddetinden attıkları çığlıkları hayvanların duyduğuna dair hadisi aklıma geldi."

Bu hikaye bize anlatıldığında biz Müslim'de Rasûlullah'ın: "Onlar azap çekiyorlar. Çığlıklarını havyanlar duyar" bölümünü okuyorduk.

Azap çekenlerin seslerinin duyulması bir gerçektir. Hannad b. Sûrâ **Kitâbu'z-Zühd**'de der ki: "Bana Vekî, o da A'mes'ten, o da Bakîk'ten, o da Hz. Âi-

---

54. Hadis **es-Sahihayn**'dadır. Fakat bir yaşlı kadın değil de iki yaşlı kadın ifadesi geçmektedir. bkz. **Câmiu'l-usûl** c. 11, s. 166. Beyhakî de "Kabir azabının gerçekliği" babında s. 110-112, Aciri ise s. 359, 360'da rivayet eder.

55. bkz. Acırî s. 363. Buna benzer bir şekilde Taberâni, İbni Mesud'dan rivayet eder. bkz. **et-Tergîb** Senedinde Hasan Münzirî var. Önceki kısım da buna delildir. Ebî Âsım'ın da rivayeti var. (875). Üstadımız Elbânî der ki Senedi Müslim'in şartına uygundur. Ahmed ve İbni Hibban da rivayet etmiştir. bkz. **el-Mevârid** s. 200.

şe'den nakleder: "Yahudi bir kadın geldi, kabir azâbını anlattı da onu yalanladım. Sonra Rasûlullah çıkageldi. Yahudi kadının dediklerini O'na anlatınca buyurdu ki: "Nefsim yedinde bulunan Allah'a yemin olsun ki onlar, kabirlerinde azap görüyorlar. Öyle ki çığlıklarını hayvanlar duyar."[56]

Ben derim ki: Kabir suali ile ilgili olarak es-Sahîhayn ve Sünenlerde Berâ b. Âzib'den birçok hadis gelmiştir. Rasûlullah buyuruyor ki: "Müslüman bir kimse kabirde sorguya çekilirken şehâdet ederim ki Allah'tan başka ilah yoktur, Muhammed de Allah'ın Rasûlüdür" derse bu, Allah Teâlâ'nın: "Allah iman edenlere dünya hayatında da ahirette de o sabit sözlerinde (kelimeyi şehâdetlerinde) sebat etmeyi ihsan eder"[57] âyetini manalandırmış olur. Bundan önceki âyetlerde[58] ise kabir azâbından bahsedilmektedir. Kişiye sorarlar. Rabbin kimdir: "Rabbim Allah, Muhammed ise tabi olduğum peygamberdir" deyince Yüce Allah'ın: "Allah, iman edenleri dünya hayatında ve ahirete de o sabit bir söz üzerinde (kelimeyi şehâdette) dâim olmalarını ihsan eder" kavli şerifi yerini bulmuş olur.

Yukarıdaki hadis, sünen ve müsnetlerde uzunca anlatılmıştır.

Hadisi şerif'ten, ruhun bedene iâde edileceğini, kabir sıkmasından kemiklerin birbirine geçeceğini ve azâbın hem ruha hem de bedene olacağını anlamaktayız.

Berâ b. Âzib hadisinde geçen ruhun alınması, sorguya çekilme, mükâfatlandırılma veya azaplandırmaya benzer bir hadisi de Ebû Hureyre nakleder. Hadis **Müsned**'te ve Ebû Hatim'in **es-Sahîh**'inde geçmektedir." Rasûlullah buyurur ki: "Ölü, mezara konulduktan sonra evlerine dönen dostlarının ayak seslerini duyar. Ölünün mü'min olması halinde namaz tepesinden, oruç sağından, zekât solundan, sadaka, sıla-i rahim, iyilik gibi güzel amelleri de ayaklarından gelir. Önce tepesinden namaz gelir ve "giriş bu taraftandır" der. Sağından oruç gelir: "Giriş bu taraftandır" der. Sol tarafından zekât gelir: "Giriş bu taraftandır" der. En sonunda da verdiği sadaka, sılayı rahim iyilik ve ihsan da ayakları tarafından gelir" giriş bu taraftandır" der. Sonra oturması istenir. Güneş gibi parlayarak sonra da batmaya yüz tutarak oturur. Ona sorulur: "Uzun zaman aranızda kalmış şu adam hakkında ne dersin? Ona nasıl şâhit olursunuz?" denir. O da: "Bırakın da namazımı kılayım" der. O zaman melekler: "Namaz kılacağını biliyoruz. Sen sorumuza cevap ver. Şöyle bakalım beraber olduğunuz şu adam hakkında ne diyorsun?" dediklerinde ölmüş kişi: "O Muhammed'dir. Şehâdet ederim ki, O Allah'ın yanından hak üzere gelmiş bir Rasûldür" der. Bunu du-

56. Sened, sahih olmakla birlikte başka bir yerde bulamadım.
57. İbrahim sûresi, (14/27).
58. Yani önceki âyet.

yan melekler: "Bu inanç üzere yaşadın, bu inanç üzere öldün, inşâallah bu inanç üzere de haşrolacaksın" derler. Cennetin kapıları açılır. Ona denir ki: "İşte burası kalacağın yerdir. Allah sana çok şey hazırlamıştır: Gıpta ve gurur..." Kabir yetmiş zira' genişler. İçerisi aydınlanır ve ruhu ait olduğu temiz bedene iâde edilir. Onun ruhu cennet ağaçları arasında uçan bir kuştur. Rasûlullah buyuruyor: "Bu durum Yüce Allah'ın: "Allah iman edenleri dünyada da ahirette de sabit bir söz üzerinde (kelimeyi şehâdet) kalmasını ihsan eder"[59] âyetinin gerçekleşmesidir." Kâfirin durumunun tam tersine olduğunu anlatır ve "sonra kabri onu öyle daraltır ki kemikleri birbirine geçer. Böyle bir hayatsa Yüce Allah'ın: "Onun için kabirde sıkıntılı bir hayat vardır. Kıyâmet günü de kör olarak haşredeceğiz"[60-61] buyurduğu sıkıntılı bir hayattır."

es-Sahihayn'da Hz. Enes'ten, Katâde rivâyet ediyor. Rasûlullah der ki[62]: "Ölü kabre konulunca dostları başından ayrılırken o, ayak seslerini duyar. İki melek gelir ve ona sorarlar: "Muhammed hakında ne diyorsun?" Ölü mü'minse: "Şehâdet ederim ki O, Allah'ın kulu ve Rasûlüdür" der. Ona denir ki: "Bak, şurası senin cehennemdeki yerindi. Sonra Allah, seni cennetlik yaptı." Rasûlulah: "Mü'min ölünün cehennemdeki yerini de sonra Allah'ın verdiği cennetteki yerini de göreceğini bildirmiştir. Katâde der ki: "Bize anlatıldığına göre bu kimsenin kabri yetmişe yetmiş zira' genişletilip yeşillendirilerek kıyâmete kadar burada kalır." Bu fazlalığı anlattıktan sonra Katâde, Enes hadisine döner. "O iki melek eğer ölü kâfir ya da münâfıksa "şu adam hakkında ne diyorsun?" diye sorarlar. Kâfir ya da münâfık: "Bilmiyorum, insanların Onun hakkında söylediklerini söylüyorum" deyince "demek bilmiyorsun" derler ve boynuna cehennemin demir topunu öyle vururlar ki adamın attığı çığlığı, insanlar ve cinler dışında bütün canlılar duyar.

Ebû Hatim es-Sahih'inde Ebû Hureyre'den nakleder: Ebû Hureyre anlatıyor: Rasûlullah dedi ki: "Sizden biri kabre konunca, birine Münker diğerine Nekir denilen siyah ve mavi yüzlü iki melek gelir. Adama sorarlar: "Muhammed hakkında ne diyorsun? Adam da diyeceğini der. Eğer kişi mü'minse: "O, Allah'ın kulu ve Rasûlüdür. Şehâdet ederim ki Allah'tan başka ilah yoktur. Muhammed de O'nun kulu ve Rasûlüdür" der. Bunu duyan melekler: "Senin böy-

---

59. İbrahim sûresi, (14/27).
60. Tâhâ sûresi, (20/124).
61. İbni Hibban el-Mevârid'de (781), Hakim (1/379), Taberânî el-Evsat'ta Beyhakî İtikatta s. 220-222'de rivayet etmiştir. Kitabı tahkik eden kişi: "Kabir azabının gerçekliği babında s. 61, 62; kabir azabının gerçekliği" babının muhakkiki da hadisi hasen saymıştır. Hadis râvîlerinden Muhammed b. Amr'la ilgili et-Takrib'de şöyle denmektedir: "Doğru birisidir, ama çok vehimlidir." Hakim ve Taberânî'nin senedle ilgili kanaatlarını bulamadım. Derim ki: Hadisi Müsned'de bulamadım. Allah en iyisini bilir."
62. Şeyhayn, Ebû Dâvûd ve Nesâî rivayet etmiştir. bkz. Camiu'l usûl, c. 11, s. 173-175. Buradaki ifade Buhârî'ninkine yakındır. Ayrıca İbni Ebî Âsım (363). Acırî s. 365-366'da farklı yollarla rivayet etmiştir.

le diyeceğini bilmiyorduk" derler. Sonra kabri yetmişe yetmiş zira genişletilir. İçerisi aydınlatıldıktan sonra "uyu" denir. Adam der ki: "Bırakın da evime, çocuklarıma döneyim. Başıma gelenleri onlara anlatayım" der. O zaman melekler: "Yakınlarından en sevdiği kişiden başkasının uyandıramadığı yeni damat gibi sen de Allah kaldırana kadar uyu" derler. Eğer münâfık biriyse: "Gerçekte bilmiyorum. Sadece insanların Onun hakkında söylediklerini duydum, be de duyduğumu söyleyebilirim" der. "Senin böyle söyleyeceğini biliyorduk" der Melekler. Sonra arza adamı sıkması söylenir. Arz öyle daralır ki adamın kemikleri birbirine girer. Kıyâmet günü Allah haşredene kadar bu azâbı çeker durur."[63] Bu hadiste, bedenin de azap göreceği daha açıkır.

Ebû Hureyre Rasûlullah'tan şunu nakleder: "Mü'min biri öleceği vakit melekler ipek bir kumaş getirirler. Ruha seslenerek: "Ey hoş, güzel ruh! Neşeyle, güzel kokuyla, öfkesiz bir Rabbin izniyle sen O'ndan O da senden razı olarak çık." derler. Ruh bedenden ayrılınca üzerinden etrafa yayılan misk gibi kokuyla elden ele semanın kapısına kadar getirirler. Bu güzel kokuyu hisseden melekler: "Yeryüzünden getirdiğiniz bu koku ne de güzel bir kokuymuş" diyerek taltif ederler. Oradan da mü'min ruhların arasına katarlar... Mü'min bir ruhun kendilerine kavuştuğunu gören bu ruhlar, gurbetten gelen dostunuza sevindiğinizden daha çok sevinirler. "Fülanca ne yaptı, fülanca ne yaptı?" diye sorarlar, ama melekler: "Onu bırakın da biraz rahat etsin, dünya kederini bir tarafa atsın" derler. Gelen bu mü'min ruh: "Sorduğunuz kişi size gelmişti" deyince diğer ruhlar: "Buraya gelmediğine göre o, cehenneme gitmiş demektir" derler. Yok eğer ölüm döşeğinde yatan kâfir biriyse melekler ellerinde çulla gelirler. Ruha seslenerek: "Allah'ın azâbı üzerine olasıca ruh, çık" derler. Bedenden ayrılan ruhtan yayılan leş kokusuyla arzın kapısına (dünya semâsına) kadar getirirler. Pis kokusundan tiksinen melekler: "Bu, ne kadar da pis kokan bir ruhmuş"[64] derler. Oradan da kâfirlerin ruhlarına katarlar."[65] Bu hadisi Nesâî ve Bezzar rivâyet etmiştir. Müslim ise muhtasaran rivâyet etmiştir.

Ebû Hatim es-Sahîh'inde Rasûlullah'tan nakleder: "Mü'minin ölümü yaklaşınca rahmet melekleri gelir, ruhunu beyaz ipek bir bez parçasının içerisine ko-

---

63. Hadis hasendir. İbni Ebî Âsım es-Sünne'de (864) hadisi hasen saymıştır. bkz. **Camiu'l usûl**, c. 11, s. 176. Üstadımız Elbânî ve Abdulkadir Arnâut da hasen saymışlardır. Aciri **eş-Şerî'a**'da s. 365 rivayet eder.

64. **Sünenü'n-Nesâî**'de yerine kullanılmıştır. Derim ki: Bu kitapta bulunan hadislerde böyle hatalar ne kadar da çok. Bu kadarla yetinerek, hataları olduğu gibi bıraktım, inşaallah önsözde bunları açıklayacağım.

65. Nesâî, Hakim sonra da İbni Hibban rivayet etmiştir. Müslim ise bir kısmını rivayet etmektedir. Şeyh Elbânî hadisleri sahih kabul etmiştir. bkz. **el-Ehâdîsu's-sahîha** (1309) ve **Camiu'l-usûl**, c. 11, s. 85, 87. Nesâî'nin muhakkiki Nesâî'nin senedini hasen sayarak "Ahmed ve diğerleri de rivayet etmiştir." Hiçbir otorite de Bezzar hadisini aziz kabul etmemiştir."

yarak onu semâya çıkarırlar. Mü'min ruhtan yayılan kokuyu alan ruhlar: "Bundan daha hoş kokan bir koku bilmiyoruz" derler. Ona: "Fülan adam ne yaptı, fülan kadın ne yaptı?" diye sorarlar. Melekler müdahale ederek: "Bırakın da biraz dinlensin. Arkadaşınızın üzerinde dünya üzüntüsü var" derler. Kâfirin ruhu alınınca da onu arza götürürler. Arz görevlileri: "Bundan daha pis kokan bir koku görmedik" derler. Oradan da yerin en altına atılır."[66]

Nesâî, **es-Sünen**'inde; Abdullah b. Ömer'den Rasûlullah'ın şöyle buyurduğunu nakleder: "Onun ölümüyle arş sallandı, semâ kapıları açıldı. Cenazesine yetmiş bin melek katıldı. Yine de kabir onu iyice sıktıktan sonra kurtuldu."[67]Nesâî der ki: "Bu kişi, Sa'd b. Muaz'dır."

Hz. Âişe'den de Rasûlullah'ın: "Kabir sıkar. Kabir sıkmasından biri kurtulacak olsaydı o Sa'd b. Muaz[68] olurdu" buyurduğunu Şu'be hadisinden nakleder.

Hennad b Sürâ Muhammed b. Fuday'dan o da babasından o da İbn Ebî Melîke'den Rasûlullah'ın şöyle buyurduğunu nakleder: "Kabir sıkmasından ne dünya ve dünyadakilerden daha hayırlı mendili olan Sa'd b. Muaz, ne de bir başkası kurtulabilmıştır."[69]

Abede, Ubeydullah b. Ömer'den o da Nafi'den şöyle dediğini nakleder: "Anlatıldığına göre Sa'd b. Muaz'ın cenazesine yetmiş bin melek katılmış ama hiçbirisi yere inmemiş. Bana Rasûlullah'ın: "Arkadaşınızı bile kabir öyle bir sıktı ki" dediği nakledildi."[70]

Ali b. Mabed Ubeydullah'tan, o da Zeyd b. Enîse'den, o da Cabir'den, o da Nafi'den şöyle dediğini nakleder: "Ebû Ubeyd'in kızı Abdullah b. Ömer'in de karısı Safiyye korkarak geldi: "Sana ne oldu?" dedik. Safiyye de: "Rasûlullah'ın hanımlarından birinin yanından geliyorum. Rasûlullah'ın şöyle dediğini bana anlattı: "Eğer bir kimsenin kabir azâbından kurtulduğunu görseydim onun Sa'd b. Muaz olduğunu bilirdim. Ama kabir onu bile sıkmıştır."[71]

Mervan b. Muaviye A'lâ b. Müseyyeb'den, o da Muaviye Abesî'den, o da Zazan b. Amr'den[72] şöyle dediğini nakleder: "Rasûlullah kızını gömünce kabri ba-

---

66. Ben derim ki: "Buraya kadar olanlar İbni Kayyım Cevziyye'nin hocası İbni Teymiyye'den **Mecmû'u fetâvâ**'nın sınırlarında kalan fetvaya uygun olarak yaptığı nakillerdir. Yaptığı alıntılara işaret yaptım.
67. Şeyh Elbânî **Camiu'l-usûl**'de (1695) hadisi sahih kabul ettikten sonra, rivayet ve râvîlerini de zikretmiştir. **Camiu'l-usûl** muhakkiki de aynı şekilde hadisi sahih kabul eder. c. 11, s. 172.
68. bkz. **el-Ehâdîsu's-sahîha** (1695).
69. Ben derim ki: Birinci kısmın doğruluğu, öncekilerden anlaşılmaktadır. İkinci kısımsa Buharî, Müslim, Tirmizi ve diğerlerinin Bera' b. Azıb hadisinde mevcuttur. bkz. **Camiu'l-usûl**, c. 8, s. 59, 61.
70. Son kısım hariç hadis munkatidir. bkz. **Tenzihu'ş-şeri'a**, c. 2, s. 371. Nesâî'ye göre son kısmın sahihliğinin delilleri vardır. **Camiu'l-usûl** Muhakkiki hadisi sahih kabul etmiştir. c. 11, s. 172.
71. Ben derim ki: Öncekiler de buna delildir.
72. Bu Zâzân b. Amr'dan olmayıp belki Zâzân'dan o da Amr'dandır. Ben derim ki: **el-İlelü'l-mütenâhiye**'de Zâzân'dan o der Ömer'den şeklinde geçmektedir.

şına oturdu. Bir ara yüzünün rengi değişti, sonra tebessüm etmeye başladı. Bu hali gören Ashâb: "Ey Allah'ın Rasûlü, baktık ki yüzünüz bir anda değişti, sonra tebessüme başladınız" deyince Rasûlullah:[73] "Kızımı, vücudunun zayıflığını ve kabir azâbının şiddetini hatırladım. Allah'a duâ ettim de Allah kabir azâbından onu kurtardı. Allah'a yemin olsun ki kabir, kızımı öyle sıkmıştı ki doğuda ve batıda olan herşey onun çığlığını duymuştu."

Şuayb, İbn Dînâr'dan, o da İbrahim Ganevî'den, o da birinden nakleder: "Ben Hz. Âişe'nin yanında iken küçük bir erkek çocuk cenazesi geçti. Bunu gören Hz. Âişe ağlamaya başlayınca: "Seni ağlatan nedir ey mü'minlerin annesi?" diye sorunca Hz. Âişe: "Bu çocuğu da kabir sıkacağından ona olan şefkatimden ağladım"[74] dedi.

Bütün bunların, ruh vasıtasıyla bedene olduğu bilinmektedir.

FASIL

Ehli Sünnet âlimleri, sahih hadislerden hareketle kabir azâbının hak olduğu konusunda birleşmişlerdir. Mervezî der ki: "Ebû Abdullah der ki: "Kabir azâbı haktır. Bunu, sapıtmış ve sapıtandan başkası inkâr etmez. Ahmed b. Hanbel de: Ebû Abdullah'a kabir azâbından sordum. Dedi ki: "Bu konudaki hadisler sahihtir. Böylece inanır ve kabul ederiz. Rasûlullah'tan gelen her yeni hadisi onaylarız. Rasûlullah'ın haber verdiklerini onaylamaz reddererseк Allah'ın hükmünü reddetmiş oluruz. Çünkü âyeti celîlede: "Rasûlün getirdiği şeyleri alın."[75] Abdullah'a: "Kabir azâbı hak mi?" diye sordum. O da: "Evet haktır. Kabirlerinde azaplandırılırlar" dedi. Ayrıca Ebû Abdullah'ın: "Kabir azâbına, Münker ve Nekir'e, kulun kabrinde sorgulanacağına inanırız. Âyette: Allah, iman edenleri dünyada da ahirette de sabit bir söz üzerinde kalmalarını ihsan eder" buyurulmaktadır.[76]

Ahmed b. Kasım der ki: "Ey Ebû-Abdullah, Münker ve Nekir'i, kabir azâbıyla ilgili rivâyetleri kabul ediyor musun?" diye sordum. Ebû Abdullah: "Subhânallah, evet bunu kabul ediyoruz, onaylıyoruz" dedi. "Münker ve Nekir'i, lafzını ya da iki meleği mi kastediyorsun?" Ebû Abdullah: "Evet, Münker ve Nekir'i

73. Ben derim ki: Zâzân'la ilgili olarak el-Mîzan'da çok laf edilmiştir. İbni Cezerî el-İlelü'l-mütenâhiye'de der ki: Bu, bütün rivayet yollarıyla sahih olmayan bir hadistir. Hadisin tahrici ve ileri sürülen kanatlar için bkz. Tenzîhu'ş-Şerî'a, c. 2, s. 371.
74. Derim ki: Hz. Âişe'nin yanında bulunan adam bilinmemektedir. Ancak kabir sıkması, bu iki zayıf hadis ve eser dışında diğer sahih hadislerle sabit olduğu bilinmektedir.
75. Haşr sûresi, (59/7).
76. İbrahim sûresi, (14/27).

kabul ediyorum." Dedim ki: "Söylediklerine göre Münker ve Nekir hadislerde geçmemekteymiş." Ebû Abdullah: "O iki melek Münker ve Nekir'dir."

Bid'atci ve sapıkların sözleriyle ilgili olarak Ebû'l Huzeyl ve Merîsî der ki: "İman alâmetlerinden soyunan kimse iki nefha arasında azaplandırılacaklardır. Kabir suali bu anda gerçekleşecektir."

Cübbâî ile oğlu Belhî, prensipleri itibariyle kabir azâbını kabul ettikleri halde cehennemde ebedî kalacaklarla fasıklar dışında mü'minler için söz konusu olmadığını ifade ediyorlar.

Mûtezile'nin çoğu da Allah'ın meleklerine Münker ve Nekir demek doğru olmaz. Münker sorgulama anında kişiyi gevelettiren, Nekir ise serzenişte bulunduran meleklerdir.

Sâlihî anlatıyor: "Mü'mine kabir azâbı, ruhları cesetlerine dönderilmeden verilir. Ruh olmadan da ölü elem çekebilir, acıyı hissedebilir." Bu görüş Kerâmîlerden bir gruba aittir.

Bir kısım Mûtezile de: "Allah, ölüleri kabirlerinde azaplandırır. Onlara acı verir, ama onlar hissetmezler. Haşrolununca azâbı duyarlar ve acıyı hissederler." Diyorlar ki: "Ölüleri cezâlandırmak sarhoş ve baygınları cezâlandırmaya benzer. Sarhoş kimseyi dövseniz hiçbir acı hissetmez. Ama sarhoşluktan kurtulunca dayağın acısını duyar."

Mûtezile'den Dirar b. Amr, Yahyâ b. Kâmil gibi bazıları kabir azâbını temelden kabul etmezler. Bu görüş, Merîsî'ye aittir. Gerçekte bu gibi görüşler, haktan ayrılmış sapıklara aittir.

FASIL

Kabir azâbından maksat, Berzah'da görülen azaptır; her ölen kişi ister gömülsün ister gömülmesin ister onu yırtıcı hayvanlar yesin ister yakılarak kül olsun ister çürüyüp havada savrulsun isterse sertlessin veya denizde boğulsun her hâlükarda ruhu bedenine girerek hak ettiği azâbı kabirde çekecektir.

Sahîh'ül-Buhârî'de Semre b. Cendeb'den şöyle bir hadis rivâyet edilir:[77] "Rasûlullah, namazını kılınca bize döner ve: "Bu gece rüya gören var mı?" diye sorardı. Eğer rüya gören varsa anlatır: "Allah'ın dilediği olur" derdi. Bir gün yi-

77. Buhârî, **es-Sahîh**'inin birçok yerinde rivayet etmekte; Müslim ve Tirmizi'de de vardır. İbni Esir, Cami Usul'de hadisin rivayet yollarını toplamıştır. **Camiu'l-usûl**, c. 2, s. 530, 535. Kitabı tahkik eden kişi de râvîlerine göre hadisin yerlerini göstermiştir. Oraya bkz.

ne: "Bu gece rüya göreniniz var mı?" diye sordu. Biz de "yok" deyince: "Bu gece de ben rüya gördüm" diyerek anlatmaya başladı.

İki kişi yanıma geldi ve elimden tutarak mukaddes yere götürdüler. Baktım ki biri oturmuş diğeri de elinde demirden bir mahmuz[78] avurtundan başlayarak kafasına kadar yırtıyor. Sonra diğer avurtunu da aynı şekilde yırttıktan sonra avurtları yeniden iyileşiyor; aynı şeyi tekrar tekrar yapıyordu. Adamlara: "Bu kim?" diye sordum. Dediler ki: "Haydi gidelim." Biraz ilerleyince baktım ki adamın biri kafasi üzerine duruyor diğeri de kaya parçası ya da taşla adamın kafasını yarıyor; düşen taşı yeniden eline alıyor başı iyileşince kafasına tekrar vuruyor. "Bu adam kim?" diye sordum. Dediler ki: "Haydi gidelim." Biraz ilerledikten sonra tandır gibi ağzı dar ve altı geniş bir deriye rastladım. Altı yanan bu derinin içerisinde çıplak kadınlar ve erkekler vardı. Ateşin alevi ayaklarının altından vuruyordu. Alev arttikça onlar derinin ağzından çıkacak kadar yükseliyor, sakinleşince de eski haline dönüyorlardı. "Bu da nedir?" diye sordum. Dediler ki: "Haydi gidelim." Biraz daha ilerledik. Baktım ki kan nehri var. İçerisinde bir adam ayakta, biri de nehrin ortasında elinde taş var. Nehirde ayakta duran kişi çıkmaya yeltenince diğeri ağzındaki taşı adama atıyor, adam da her çıkmak istediğinde taşı atarak çıkmasına engel oluyordu. "Bu da nedir?" diye sordum. "Haydi gidelim" dediler. Biraz daha ilerleyince baktım ki yeşil bir bahçede büyük bir ağacın gövdesinde yaşlı bir adamla çocuklar duruyor. Ağaca yakın bir adam elinde ateşle ağacı tutuşturuyor. Ağaca tırmandık. Oradan da benzerini görmediğim bir eve götürdüler. Evde yaşlılar ve gençler vardı. Oradan da daha güzel bir eve götürdüler..."

Sonunda dedim ki: "Gece boyunca geziyoruz. Haydin gördüklerimi anlatın. Onlar da bu teklifimi kabul edip anlatmaya başladılar. Avurtu yırtılan adam yalancının biridir. Yalan konuşur, konuştuğu yalan her tarafa yayılır. Kıyâmete kadar o, gördüğün gibi azap görecektir. Başı yarılan adam da Allah'ın kendisine Kur'ân'ı öğrettiği halde geceleri uyuyan, gündüzleri de onunla amel etmeyen kişidir. Kıyâmete kadar azâbı böyledir. Deride gördüğüm kişiler zina edenler; nehirde gördüklerin faiz yiyenlerdir. Ağacın gövdesindeki yaşlı adam Hz. İbrahim'dir. Etrafındaki çocuklarsa halkın çocuklarıdır. Ateş yakan kişi cehennem bekçisi; gördüğün ilk ev, mü'minlerin geneline ait bir evdir. Şu ev ise şehitler evidir. Ben Cebrâil'im. Şu da Mikâil'dir. Başını kaldır." Başımı kaldırın baktım ki bulutlar kadar yüksekte bir köşk: "Bu da senin evin" dediler. Evim olduğunu öğrenince: "Bırakın evime gireyim" dedimse de kabul etmediler ve: "henüz geride kalan daha ömrün var. Onu da bitirince evine girersin" dediler.

---

78. Ucunda eğri demir bulunan değnek. Ben derim ki: **Camiu'l-usûl**'de başı çengel gibi olan uzun demir parçası diye tabir edilmektedir.

Berzah'ta azâbın varlığına bu delildir. Çünkü peygamberlerin rüyası, konuya uygun vahiy kabul edilmektedir.

İmam Tahavî de İbn Mesûd'dan Rasûlullah'ın şu sözünü nakletmektedir: "Allah'ın bir kuluna kabrinde yüz değnek vurulur. Dövülen kişi duâ eder, Allah'tan cezâsının kaldırılmasını ister de böylece yüz değnek bire iner. Bu halde bile kabri ateşle dolar. Cezâsı kalkınca kişi ayılır ve: "Niçin dövüyorsunuz?" der. Melekler de: "Abdestsiz namaz kıldığından ve bir mazluma uğradığın halde ona yardım etmediğinden dolayı" derler.[79]

İmam Beyhakî, Rebî b. Enes'ten, o da Ebû'l Âliye'den, o da Ebû Hureyre'den,[80] o da Rasûlullah'tan: "Bir gece kulunu gece yürüten Allah'ı noksanlıklardan tenzih ederim"[81] âyetiyle ilgili olarak şunu nakleder: Rasûlullah'a bir burak getirildi. O, buraka bindi. Rasûlullah anlatıyor: "At, gözünün görebildiği son noktaya adımını atardı. Rasûlullah burak üzerinde Cebrâil'le giderken bir günde toprağı eken aynı günde de mahsul kaldıran bir topluma rastgeldiler. Öyle ki mahsulu alır almaz diğer mahsul peşinden yetişiyordu. Rasûlullah merakla Cebrâil'e: "Ey Cebrâil, kimdir bunlar?" Cebrail: "Bunlar Allah yolunda cihad edenlerdir. Allah sevaplarını yediyüz kat artırdı" dedi ve "birşey infak ettiniz mi o peşinizden gelir. Allah rızık verenlerin en hayırlısıdır"[82] âyetini okudu. Biraz ilerledikten sonra başları taşlarla parçalanan, sonra başları tekrar eski haline dönüp tekrar tekrar parçalanan bir topluma rastgeldiler. Rasûlullah: "Peki bunlar da kim oluyor ey Cebrâil?" diye sordu. Cebrâil de: "Bunlar, namazlarına karşı gevşek davrananlar ve üşenenlerdir" dedi. Biraz daha yol alınca karşılarına önlerinde ve arkalarında boş araziler olan ve de oralarda hayvanların cehennemde darî (hurmaya benzer bir ağaç, dikeni olur), zakkum, cehennemin kızgın kayaları ve taşları üzerinde gezdikleri gibi istedikleri gibi dolaşan insanlar çıktı. Rasûlullah: "Bunlar nedir ey Cebrâil?" diye sordu. Cebrâil de: "Bunlar mallarının sadakalarını vermeyenlerdir. Allah onlara zulmetmemiştir. Ve Allah kuluna zulmeden de değildir" dedi. Biraz

---

79. Müşkilü'l-asâr sahibi (c. 4, s .231) der ki: Bize Fahd b. Süleyman o da Amr b. Avn Vasıtî'den, o da Cafer b. Süleyman'dan, o da Âsım'dan o da Şakîk'tan o da İbni Mes'ûd'dan, o da Rasûlullahtan hadisi nakleder. Ben derim ki: Zayıfını kuvvetlisinden ayırmak için elimdeki rical kitaplarını incelemek kolay olmuyor. İnşaallah bundan sonra herhalde kolaylaşır. Bu hadisi Tahavî'den başkasının rivayet ettiğini göremedim.

80. Taberî, Beyhakî ve Hakim'in rivayet ettiği bu hadis, gerçekten uzun bir hadistir. İbni Kesir hadisi uzunca alıp senetleriyle beraber râvîlerini zikrettikten sonra der ki: Râvîlerden olan Ebû Cafer Razi hakkında Hafız Ebû Zura: "O hadiste çokca vehmeden biridir" der. Bunun yanında diğerleri de onu zayıf sayarken, sika olduğunu söyleyenler de olmuştur. Açık olan şu ki o, hafızası zayıf bir kişidir. Özellikle rivayette tek kaldığı hadislerde hafıza zayıflığı daha belirgindir. Bu hadisin bazı lafızlarında da garabet; şiddetli münker dikkati çeker. Semr'den rivayet edilen rüya hadisi de İsrâ vakası dışında bazı diğer farklı hadis ve rüyalardan özetlenmiş olabilir.

81. İsrâ sûresi, (17/2).

82. Sebe sûresi, (34/39).

daha ilerleyince bir elinde tavada güzelce pişmiş et, diğer elinde ise pis et olan insanlara rastladılar. Bunlar güzel ve taze etleri bırakmışlar pis etten yiyorlar. Rasûlullah: "Bunlar kim peki?" Cebrâil: "Bunlar, nikâhları altında güzel helal kadınlar olduğu halde pis kadınlarla geceleyenlerdir" dedi. Sonra yola konmuş bir tahta parçası. Bu parçayı yolda kim gördü ise onu parçalıyor.[83] Yüce Allah buyuruyor: "Ve siz, her caddenin başında inananları tehdit ederek, korkutarak oturmayın."[84] Biraz ötede de adamın biri büyük bir paket yapmış onu taşıyamadığı halde daha da üzerine yenilerini ekliyor. Rasûlullah: "Bu nedir ey Cebrâil?" Cebrâil: "Bu senin ümmetinden bir adam. Aldığı emanetleri sahiplerine veremediği halde yeni emanetler alıyor." Biraz daha ötede demir makaslarla dudakları kırpılan insanlar gördüler. Dudakları kırpılıyor sonra iyileşiyor sonra yeniden tekrar tekrar kırpılıyor. "Bunlar kim oluyor ey Cebrâil?" Cebrail: "Bunlar fitnenin elebaşlılarıdır" dedi. Biraz daha ileride ise küçük bir mağaradan büyük bir nur çıkıyor, bu nur çıktığı yere tekrar girmek istediği halde bunu başaramıyor. Rasûlullah: "Bu da ne ey Cebrâil?" Cebrâil: "Bu, bir adamdır ki ağzından bir kelime çıkıyor. Sonra buna pişman oluyor. Sözünü almak için uğraşsa da bunu başaramıyor" dedi. Beyhakî hadisin devamını zikreder.

Yine Beyhakî, İsrâ hadisiyle ilgili olarak Ebû Saîd Hudrî'den nakleder: Rasûlullah anlatıyor:[85] "Cebrâil ile birlikte semâya yükseldik. Cebrâil semâ kapısını vurdu. Kapı açılınca Hz. Adem'i Allah'ın onu yarattığı ilk şekliyle gördüm. Kendine uyan mü'min ruhlar, Ona gösterildikçe: "Mutlu ruh, mutlu nefis! Bunu illiyyûn cennetine yazın" diyordu. Bedbaht ruhlar gösterildiğinde de: "Mutsuz ruh, mutsuz nefis! Bunu da Siccîne (cehennemin vadisine) yazın"[86] diyordu. Buradan uğurlandıktan sonra baktım ki içerisinde bozulmuş, etrafa pis kokular yayan et bulunan tepsi etrafına bir takım insanlar toplanmış etten yiyorlar. Cebrâil'e dedim ki: "Bunlar kimlerdir? Cebrail de dedi ki: "Bunlar helali bırakıp haram yiyenlerdir." Buradan da uğurlandıktan sonra karınları evler gibi sismiş insanlar gördüm. Aralarından biri kalkıyor ama her kalkma tesebbüsünden sonra yüzüstü düşüyor ve "Allah'ım, kıyâmeti koparma" diyordu. "Bunlar

83. Kırdı, kesti demektir. Bu rivayette bir eksiklik var. O da: "Üzerine aldığı her elbiseyi yırtar, önüne geleni parçalardı. Rasûlullah sordu. Ey Cebrâil, bu nedir? Cebrâil: Bu, ümmetinden yol kenarlarına oturarak yol kesen insanlara benzer" dedi.

84. A'raf sûresi, (7/86).

85. Beyhakî Delâil'de, İbni Cerîr Tefsir'de ve İbni Ebî Hatim rivayet etmiştir. İbni Kesir Tefsirinde hadisi senetleriyle beraber zikreden bundan başka Ebû Harun Abdî'nin Ammare b. Cuveyn olduğunu söyleyerek bu zat hakkında âlimlerin "zayıftır" dedikleri kanaatlarını aktarır. bkz. İbni Kesir. c. 3, s. 11, 13. Ben derim ki: İmamların bu zat hakkındaki görüşleri ve tercemesi için önerime binaen el-Mîzan'a bkz. Hadis eğer mevzû değilse en azından zayıftır. Ancak İbni Kesir, Kitabında mazeret bildirerek der ki: Aynı zamanda başkaları için de bunda deliller vardır."

86. Siccîn: Cehennemde bir vadi. Derim ki: en-Nihâye'de "cehennem isimlerinden biridir" denmektedir.

Firavn'ın çiğnenmiş yolundan[87] gidenlerdir. Bu yoldan geçerken onları çiğnersen bağırırlar." Cebrâil'e sordum: "Bunlar kim oluyor?" Cebrâil dedi ki: "Bunlar "Riba yiyenler, kabirlerinden şeytan çarpmış kişi gibi kalkarlar"[88] âyetinde zikredilen faizcilerdir." Buradan da uğurlandıktan sonra, dudakları deve dudağına benzer insanlar gördüm. Ağızlarını açıyorlar yuttukları kor ateş dübürlerinden çıkıyor. Bunların çığlıklarını duydum. Cebrâil'e: "Bunlar da kimler oluyor?" diye sordum. Cebrâil dedi ki: "Bunlar, haksız yere yetim mallarını yiyenlerdir."

Buradan da ayrılınca göğüslerinden asılmış kadınların çığlıklarını duydum. Cebrâil'e: "Bunlar kimlerdir?" diye sordum. Cebrâil de: "Zina eden kadınlar" dedi. Buradan da ayrılınca yan taraflarından kesilmiş etleri yiyen insanlar gördüm. Onlara deniyordu ki: "Haydi kardeşinin etini yediğin gibi kendi etini de ye." Cebrâil'e bunların kim olduğunu sordum. O da: "Ümmetinin gammazlarıdır"[89] dedi. Beyhakî hadisi uzunca zikreder.

Ebû Dâvûd'un **es-Sünen**'inde, Enes b. Mâlik'ten Rasûlullah'ın şöyle dediği nakledilir: "Semâya çıkarılınca bakırdan tırnaklarıyla yüzlerini ve göğüslerini tırmalayan bir takım insanlar gördüm. Cebrâil'e: "Bunlar kimlerdir?" diye sordum. Cebrâil: "İnsanların etlerini yiyip, mallarına konan insanlardır"[90] dedi.

Ebû Dâvûd Tayalisi, **Müsned**'inde anlatıyor: Bana Şu'be, A'mes'ten, o da Mücahid'ten, o da İbn Abbâs'tan nakleder: "Rasûlullah iki mezara uğradı ve: "Bunlar büyük olmayan günahlarından ötürü şimdi azap çekiyorlar. Günahlarından biri, insanların etlerini yemeleri diğeri ise koğucu olmalarıdır." Eline yaş bir hurma çubuğu aldı. İkiye ayırdıktan sonra kabirlerin üzerlerine birer tane dikti ve: "Bunlar kuruyana kadar umulur ki azapları hafifler"[91] buyurdu.

Azap gören bu iki kişinin kâfir mi yoksa mü'min mi olduğu konusunda âlimler ihtilaf etmişler. Bir kısmına göre kâfirdiler. Çünkü "azapları büyük günahtan değil" ifadesi küfür ve şirke nispetledir... Bu görüşlerini desteklemek için bundan anlaşıldığına göre azapları kalkmamış sadece hafifletilmiştir. Bu da hurma çubuğunun kurumasına kadar. Aynı şekilde bunlar mü'min olsalardı Rasûlullah onlara şefâat edip duâ ederdi. Böylece şefâatiyle azaptan kurtulabilirlerdi. Bazı hadislerin metinlerinde de "kâfir iki kişi" ibaresi geçmektedir. An-

---

87. Gidilen yol. Ben derim ki: Hadiste bu manada kullanılmamaktadır. En yakın manası kibirdir. Yani kibirleri, günahları demektir. bkz. **en-Nihâye.**
88. Bakara sûresi, (2/275).
89. الهمازون:müfredi; الهماز ya da الهمزة dir. Gammaz ya da kusur araştıran manasına gelir. Kur'ân-ı Kerîm'de: "Mü'minleri diliyle çekiştiren, kaş ve gözle alay edenlerin vay haline" buyurulmaktadır. (Hümeze sûresi 1).
90. Hadis sahihtir. Ahmed, ve Ebû Dâvûd Enes'ten rivayet etmiştir. bkz. **el-Ehâdîsu's-sahîha** (533).
91. Buhârî ve Müslim'de rivayet edildiği söylenmiştir. Bunlardan başka Acirî (s. 361-363) ve Beyhakî "kabir azabının gerçekliği" (s. 86, 90) babında rivayet etmiştir.

laşılan şu ki onların azap çekmesi küfür ve hatalarından dolayı çektikleri azâbın fazlalaşmasıdır. Öyleyse kâfir hem küfründen dolayı hem de günahlarından dolayı azap görür. Ebû'l-Hakem Barhan'ın görüşü budur.

Denildi ki: "Hayır, onlar müslümandırlar. Çünkü burada Rasûlullah, azâbın iki büyük günah dışındaki bir günahtan dolayı olduğunu belirtmektedir. Rasûlullah'ın: "Büyük günahtan dolayı azaplanmaz" sözündeki büyük günahlar kesinlikle küfür ve şirktir. Ayrıca işlediği bir suçtan dolayı kabrinde azap gören herkese Rasûlullah'ın şefâat etmesi de icap etmez. Cihadda öldürülmüş, üzerinde yün elbise bulunan[92] kişinin kabrinde müslüman ve mücahid olduğu halde ateş yanması nasıl izah edilebilir? Ben hiçbir yerde "onlar kâfirdiler"[93] ibaresine rastlamadım. Bu söz doğru olsa da ki olamaz muhtemelen ravilerden birinin sözüdür. Allah en iyisini bilir. Ebû Abdullah Kurtubî'nin görüşü de budur.[94]

92. Yün elbise ya da manası gizli veya lefif şiir. Ben derim ki: Ashab-ı Şemle hadisini İbni Mâce'nin dışında **Kütüb-ü Sitte** ve el-**Muvatta**'da rivayet edilmiştir. bkz. **Camiu'l-usûl**, c. 3, s. 718.

93. Ben derim ki: Bu lafzı, hadisin hiçbir rivayetinde bulamadım.

94. Bkz. **et-Tezkire**, c. 1, s. 136, 137. Ben derim ki: Tercih edilen de budur. Allah en iyisini bilir.

YEDİNCİ MESELE

Kabir Azâbını, Kabrin Mü'minler İçin Genişlemesini, Kâfirler İçin Daralmasını Ya da Cehennem Çukurlarından Bir Çukur Ya da Cennet Bahçelerinden Bir Bahçe Olmasını Ölünün Kabirde Oturmaması ve Bulunmamasını İnkar Eden Zındık ve Mülhidlere Karşı Verilecek Cevabımız Nedir?

Bu konu, bu soruları soran kişiye cevaptır.

Mülhid ve zındıklar diyorlar ki: "Kabirlerde, ellerinde demirden topuzlar bulunan kör ve sağır melekler göremiyoruz. Ayrıca kabirlerde yılanlar, çıyanlar ve tutuşmuş ateşler de yok. Defalarca kabirlere gidip geliyoruz hiçbir değişikliğe rastlamıyoruz. Ölünün kabir hayatını öğrenmek için gözlerine civa, göğsüne de hardal koyuyoruz, bakıyoruz ki koyduğumuz gibi duruyor. Kazdığımız mezarda küçülme ve büyüme olmadığı halde mezar nasıl son derece genişleyebiliyor ya da daralabiliyor? Yahutta ölüyle ünsiyet kuran veya ona azap eden melekleri, suretleri alacak kadar kabrin genişlemesi nasıl oluyor? "Aynı düşüncede olan bid'at ve dalâlete düşmüşler de akla ve tecrübeye aykırı görünen şeyleri söyleyen kişi kesinlikle görüşünde hatalıdır" dedikten sonra "uzunca bir zaman kabirde yatan kemikleşmiş vücuda bakıyoruz, ona ne bir sual sorulmuş ne de cevap istenmiş. Beden atıl vaziyette olduğu gibi onu yakan ateş de yok. Meselâ yırtıcı hayvanların parçaladığı, kuşların delik deşik ettiği bir kimsenin uzuvları yırtıcı hayvanların, kuşların ve yılanların karınlarında rüzgârın da önünde savrulmuşken dağılmiş bu parçalar, nasıl birleştirilerek sorguya çekilebilecek? Yine vücudu paramparça olmuş bir kimseye iki sual meleğinin gelmesi nasıl düşünülebilir? Söz konusu kabir nasıl cennet bahçelerinden bir bahçe ya da cehennem çukurlarından bir çukur olabilir? Ölünün kemiklerini birbirine geçirecek kadar kabrin daralması nasıl olur? İşte bu konu, söz konusu sorulara cevap olacaktır.

FASIL

Birinci Mesele: Hiçbir peygamber, aklın imkansız gördüğü ve meydana gelmesini kesinlikle muhal olabileceğine hükmettiği şeylerden haber vermemiştir. Getirdikleri şu iki kısma uygundur:

1- Akıl ve fıtrat, getirilen vahyi doğrular.

2- Berzah, kıyâmet günüyle ilgili açıklamalar, sevap ve azâbın mahiyetleri gibi konularda mücerret akılla kavranamayacak gaybla ilgili haberler. Haddizatında akıl, bu şekildeki haberleri muhal saymaz. Akıl tarafından muhal görülen haber, şu iki şeyden uzak değildir: Ya akla gösterilen haber, peygamberlerin getirdiği söylenen yalan bir haberdir. Ya da akıl, fâsit yani selim değildir. Yani kendini akıllı gören birinin hayal ve şüphesidir. Konuyla ilgili Yüce Allah buyuruyor ki: "Rabbin tarafından sana indirilen ilme sahip olanlar Kur'ân'ın hak bir söz olduğunu bilirler; Aziz ve Hamid olan Allah'ın doğru yolunu gösterirler."[1] Yine "Kur'ân'ın Allah tarafından hak ile indirildiğini bilen, âmâ bir kişi gibi midir?"[2] Yine "Kendilerine kitap verdiğimiz kimseler sana indirdiğimiz kitap ile sevinirler. Ama bunların içinde Kur'ân'ın birazını kabul etmeyenler de vardır."[3] Oysa ki nefis, muhal şeyden dolayı sevinmez.

Yine âyeti celîlede: "Ey insanlar, Rabbinizden size bir öğüt, gönüllerde olan dertlere şifâ, mü'minler içinse bir rahmet ve hidâyet gelmiştir. De ki: "Bütün bunlar Allah'ın fazlıyla ve rahmetiyledir. İşte bundan dolayı sevinsinler"[4] Aklen imkansız görülen şey, şifâ veren olmadığı gibi hidâyet, rahmet ve kendisiyle sevinilecek bir şey de değildir. Kalbi hakka ısınmamış, ayağı da İslâm üzere sabit olmayan kişinin yapacağı şey, zaten şek ve şüphedir.

FASIL

İkinci Mesele: İfrat ve tefrite kaçmadan, Rasûlullah'ın ne kastettiğini anlamak. Rasûlullah'ın sözü, aklın imkansız gördüğü şeye hamledilmemeli, bir yere bağlanmadan onun, hidâyet ve hakikat olduğunu anlamalıdır.

Bu gerçeği ihmal etmek, batıldan da haktan da yüz çevirerek yalnızca Allah'ın bilebileceği bir hususa göz dikmek yanlışın kaynağıdır. Ayrıca kötü ve yanlış anlayışın Allah ve Rasûlü'nden geldiğine inanmak, İslâm'da ortaya çık-

1. Sebe' sûresi,(34/6).
2. Ra'd sûresi,(13/19).
3. Ra'd sûresi,(13/36).
4. Yûnus sûresi,(10/57-58).

mış bütün bid'at ve sapıklıkların temelidir. Usulde ve furuda her yanlışın da temelidir bu. Bir de buna kötü amacı eklerseniz görürsünüz ki bazı hususlarda âlimde güzel niyetine rağmen, kötü anlayış olabileceği gibi âlime uyan kimsede, kötü niyet bulunabilmektedir. Müslümanların içine düştüğü bu meşakkat nedir? Allah'ın yardımı beklenir.

Kaderiyye,[5] Mürcie,[6] Hariciyye,[7] Mûtezile,[8] Cehmiyye,[9] Rafıziyye[10] ve diğer bid'atçi mezheplerin bid'atı, Allah ve Rasûlü hakkındaki kötü anlayışlarından kaynaklanmaktadır. Öyle ki din böyle batıl anlayışları olan insanların ellerine düşmüştür. Sahâbe ve tabiînin Allah ve Rasûlü'ne uygun anlayışları ise bir kenara atılmış, kimsenin kafasını kaldırıp da bunlara baktığı bile yoktur. Bununla ilgili misalleri teker teker anlatacak olursak binlercesi karşımıza çıkar. Bunlarla uğraşmaktan, Allah ve Rasûlü'ne uygun anlayış sahibini bulamayız.

Dediğimiz gayeyi, önce insanların düşüncelerini bilip onu, Peygamberlerin getirdiği gerçeklere vuran insanlar bilebilir. Yok eğer peygamberin bildirdiğini kendi inancına vurur, en müsâit zanna uyarak meseleyi tahlile girişirse ona söylenecek bir şey bulunmaz. Onu kendi bildiği ve tabi olduğu şeyle başbaşa bırakmak dışında çare yoktur. Yüce Allah'tan dalâlete düşenlerin bozuk anlayışlardan seni uzak tutmasını temennî ederim.[11]

FASIL

Üçüncü Mesele: Yüce Allah, üç tane dâr (yurt) yaratmıştır: Dâr-i Dünya, Dâr-i Berzah ve Dâr-i Karar. Her dârla ilgili bir takım hükümler koymuştur. İnsanoğlunu, beden ve nefisten mürekkep yaratarak dünya ile ilgili hükümleri, dil ve uzuvlardan, nefsin isteklerine karşı da olsa meydana gelen fiilere göre ayarlamıştır. Berzah'la ilgili hükümler ise bedenlere uyan, ruhlaradır. Dünyada

5. Kaderiyye: Kaderi inkâr ederek "insan fiilinin yaratıcısıdır" diyerek şirke düşenler.
6. Mürcie: Müslümanlar hakkında hiçbirşey söylemeyen, hükmü kıyâmete bırakan İslâmî bir fırkadır. Sözlerinden birisi "imanla beraber masiyet; küfürle beraber itaat bir mana ifade etmez"dir.
7. Haricîler: Hakem olayından dolayı Muâviye'nin tarafına geçip Sıffîn savaşında Ali b. Ebî Talib'e karşı olanlar.
8. Mü'tezile: Ehli Sünnet karşıtı kelam fırkalarının en büyüğüdür. Kur'ân'ın mahluk olduğunu, aklın nakilden önce geldiğini söylerler.
9. Cehmiyye: Cehm b. Safvan'a bağlı Allah'a benzeşme ve cisimlik isnat eden fırkadır. Ben derim ki: Hayır, tam aksine Cehmiyye "Allahın güzel sıfatlarına saldıranlardır." bkz. **el-Fasl**'ın hamişinde bulunan **el-Milel ve'n-nihâl**.
10. Rafiziyye: Kendilerini Hz. Ebû Bekir ve Hz. Ömer'e sövmekten meneden Zeyd b. Ali'den uzaklaşan sahabeye söven şii fırkalarından biridir.
11. Ben derim ki: Bu, Rasûlullahın mûsibet rüyasında bize öğrettiği şeydir. Tirmizî, Ebû Hureyre'den hasen bir senetle nakleder. Rasûlullah buyuruyor: "Kim rüyasında bir mûsibete uğramış birini görürse: 'Başına gelen mûsibetten beni kurtararak böyle bir mûsibetle imtihan edilmemiş yaratıklar arasında beni üstün kılan Allah'a hamd olsun' desin." Bkz. **Sahîhu'l-câmî** (6124).

nasıl ki ruhlar bedenlere uyarak bedenlerin sevinciyle sevinip elemiyle üzülmüş ise aynı şekilde Berzah'ta da nîmet ve azâba muhatap olan nîmet ve azap nedenlerini hazırlayan ruhlara, bedenler uyarak nîmet ve azapta müsterek olurlar. Bu takdirde, Berzah'ta nîmet veya azap içine olan, ruhlardır. Bedenler zahirdir ama ruhlar ise hafîdir. Beden bir manada ruhun kabridir. Berzah'ta ise ruhlar, bedenlerin kabri olmakta bu nedenle de Berzah'la ilgili hükümler, doğrudan ruha uygulanmakta, nîmet ve azap daha sonra ruhlardan bedenlere geçmektedir. Nitekim dünyada iyilik ve kötülük bedene yapılmakta bedenden de ruha geçmektedir. Bu hususu iyice anlayarak içten ve dıştan gelecek şüphelerini böylece gidermen gerekmektedir.

Yüce Allah'tan dünya hayatında bize misaller göstermesi için lütfuyla rahmeti ve hidâyetiyle duâ ettik. O da uykudaki kişiyi bize hatırlattı. Uykudaki sevinme ve üzülme hakikatta ruha yöneliktir, beden ise ruha tabidir. Rüyada etkilenme o kadar belirginleşir ki beden de bunu hisseder. Rüyasında yediği bir dayaktan dolayı bağırır ve yaranın izi vücudunda görülebilir. Bazan da rüyasında yeyip içtiği şeyin tadını ağzında duyar, açlık ve susuzluğu gidebilir.

Bundan daha da garibi rüyasında ayağa kalkar, birini döver, birini yakalar ya da kendini savunur. Oysa ki uykudaki kişi şuursuzdur, normalde bunları yapamaz. Yani burada ruha yapılan bir işleme, hariçten beden de iştirak eder. Bilfiil bedenin, ruha yapılan işlemlere rüyada katılması durumunda beden uyanır ve hisseder.

Ruh acı çeker veya sevinir; bu durumda ruha uymakla acı ve sevinç bedene geçince Berzah'ta bu daha belirgin olur. Çünkü Berzah'ta ruh bedenden uykuya nisbetle daha da uzaktır. Bedenle ilgisi olmakla birlikte ondan tamamen irtibatını kesmez. Haşr günü gelip insanlar kabirlerinden kalkınca azap da nîmet de ebedî olarak hem ruha hem de bedene birden uygulanır.

Meseleyi bu konuma getirince Rasûlullah'ın kabir azâbı, kabirde nîmet ya da azap görmeyi, kabrin genişliğini ve darlığını cehennem çukurlarından bir çukur ya da cennet bahçelerinden bir bahçe olmasıyla ilgili haberlerin akla uygun olup şüphe götürmeyecek derecede gerçek olduğunu, bu konuda şüphe edenlerin kötü anlayış ve bilgi eksikliğinden şüphe ettiğini anlarsın. Bu konuda şâir: "Çoğu insanların, doğru görüşleri kusurlu görmesi, eksik anlayışlarındandır" demiştir.

Bundan daha garibi aynı yatakta yatan iki kişinin durumudur. Birinin ruhu nîmetler içinde olur. Uyanınca bu nîmet ferahlığı bedenine vurur. Diğerinin ruhu ise azap içinde olur. Uyanınca bu da azâbın korkusunu bedeninde hisseder. Birbirlerinin ne yaptığının farkına varmamaları, önemli bir noktadır. Rüyada bu kadar garip olaylar olabiliyorsa Berzah'ta, daha acâibinin olması normaldir.

FASIL

Dördüncü Mesele: Yüce Allah, ahiretle ilgili ilimleri gayb ilminden sayarak dünyada mükelleflerin akıllarından gizlemiştir. Bu sayededir ki Allah'ın kemâl hikmeti belirmiş, mü'minler gayba imanla da diğer insanlardan ayrılmıştır. Gayb ilminin ilk safhası, meleklerin ölüm döşeğinde olan kişinin yanına gelmesi ve kişinin onları gözleriyle görmesidir. Cennetten ya da cehennemden getirdikleri kefen ve kokularla gelen melekler, yanıbaşında konuşurlar ve etrafında bulunan kişilerin hayr-şer duâlarından korurlar. Ölüm halindeki kişiye selâm verirler; ölü bazan konuşarak bazan işaretle, bazan da konuşma ve işaret olmaksızın kalbiyle selâmlarını alır.

Ölüm halinde olan kişiden "ehlen ve sehlen" ve "merhaba" gibi sözler duyulduğunu bir kısım insanlar nakletmişlerdir.

Şeyhimizin anlatığına göre biri -ki şahsı tanıyıp tanımadığmı bilmiyorum- ölüm döşeğindeki kişinin şu sözlerini duymuş: "Aleyke selâm. Buyur, şuraya otur. Ve aleyke selâm sen de şuraya otur."

Hayrun Nessac kıssası meşhurdur. Ölüm anında demiş ki: "Sabret. Allah sana âfiyet versin. Sana bir görev verildi mi onu ihmal etmezsin. Bana bir görev verilince ben ihmal ederim." Sonra bir miktar su istedi. Abdestini aldıktan sonra: "Vazifeni yap" dedi ve öldü.

İbn Ebi'd-Dünyâ anlatıyor: "Ömer b. Abdülaziz, ölmeden önce dedi ki: Oturtturun beni, oturtturun onu." Sonra üç defa: "Verdiğin vazifeyi tam yapmadım. Yasakladığın şeye de uymadım" dedikten sonra: "Ama kelimeyi tevhid lailaheillallah var ya" dedi, gözlerini bir yere dikti. Sordular: "Ey Emirulmü'minîn, çok sert bakıyorsunuz." Ömer b. Abdülaziz de: "İnsan ve cinlerin dışında bana gelenleri görüyorum" dedi ve hemen ruhunu teslim etti.

Mesleme b. Abdülmelik de: "Ömer b. Abdülaziz'in ölümü yaklaştığında yakınında bir çadırda oturuyorduk. Îmâ ile çadırdan çıkınamızı emretti. Biz de çadırdan çıkıp kenarına oturduk. Çadırda Ömer b. Abdülaziz'le birlikte sadece hizmetçisi vardı. Ömer b. Abdülaziz'in şu âyeti okuduğunu duyduk: "Ahiret yurdunu yeryüzünde büyüklük taslamayan ve fesat da çıkarmayanlara tahsis ettik. Akıbet müttekilerindir."[12] Arkasından da siz ne insanlarsınız ne de cinlersiniz" dedi. Kısa bir zaman sonra hizmetçi çıktı ve içeri girmemiz için işaret etti. İçeri girdiğimizde Ömer b. Abdülaziz'i, ruhunu teslim etmiş bulduk.

Füdâle b. Dînâr anlatıyor: "Ölüm döşeğinde ölümü bekleyen Muhammed b. Vâsî'nin yanına vardım. Diyordu ki: "Ey Rabbimin gönderdiği melekler. Mer-

12. Kasas sûresi,(28/82)

haba sizlere. Güç ve kuvvet yalnız Allah'a mahsustur." Muhammed'in vücudunda öyle güzel bir koku hissediliyordu ki onun gibisini görmedim. Sonra gözünü belerterek öldü.

Bu konuyla ilgili sayılmayacak kadar çok misaller bulmak mümkündür.[13]

Hepsinden daha belirgini (yeterlisi) şu âyet-i celîledir: "Can bogaza gelince siz görürsünüz. Biz ona sizden yakınız, ama göremezsiniz"[14] Yani melek ve Rasûllerimiz sizden yakın oldukları halde sizler onları göremezsiniz. Bu dünyada görüp müşâhede edemedeğimiz gayb aleminin ilk safhası burasıdır."

Yine ölüm meleği elini uzatıp ruhu aldığı halde orada bulunanlar, bunu ne görebilirler ne de duyabilirler. Sonra nâstan güneşin ziyasına benzer nur çıkar, misk kokusundan daha keskin kokular yayılır. Orada bulunanlar bu nuru göremezler ve bu kokuyu alamazlar.

Buradan iki saf melek arasından semâya çıkarılır ama insanlar, bunu da göremezler.

Semâya yükselen ruh döner ve ait olduğu bedenin yıkanmasına, kefenlenmesine ve taşınmasına baktıkça "bırakın beni, bırakın beni" ya da "nereye götürüyorsunuz beni?" der.[15] Ama insanlar bu sesi duyamazlar. Ölü kabre konup üzerine toprak atılınca bile melekler onunla irtibatını devam ettirirler. Ölünün üzerine büyük işlenmiş kayalar örtülse, kalayla da kenarları lehimlense bu meleklerin ölüyle olan ilişkisine engel olamaz. Çünkü bu yoğun cisimler, ruhların bedenlere girmesine engel olmaz. Bu, cinler için bile engel değildir. O halde taş ve toprak, kuş için hava neyse melek için de odur. Kabrin genişlemesi ruh için bizzatken beden için ruha bağlı olarak söz konusudur. Yani bedenin bulunduğu birkaç zira' büyüklüğünde dar mezar, ruha uyarak gözün görebildiği kadar genişlemektedir. Ölülerin kemiklerinin birbirine girercesine kabir tarafından sıkılmasını ne tecrübe ne akıl ne de fıtrat reddedebilir. Nebbaşın biri (kefen soyan) mezarı açsa da ölüyü gömüldüğü gibi bulsa bu, ölünün kemikleri birbirine girecek kadar sıkılmamış olmasına delil olmaz. Kabir sıkınasından sonra kemiklerin aynı eski yerlerine gelmesi mümkündür. Kısacası zındık ve mülhidlerin yapmak istedikleri şey, Rasûlullah'ı yalancı çıkarmaktır.

Dostlardan birinin anlattığına göre bir adam üç tane mezar kazar. Dinlenmek için oturduğunda uyuyakalır. Rüyasında iki melek gelmiş mezarlardan bi-

---

13. Ben derim ki: "İleri sürdüğü eserlerin senetleri sahiplerini bulmuyor ki araştırarak hadislerin sıhhatine hükmedelim. Şimdiye kadar incelediğimiz delillerden Allah ve Rasûlü dışında kimsenin sözünün hüccet olmayacağını anlamış olduk.
14. Vâkı'a sûresi, (56/83-85).
15. Buhârî, Nesâî, Ahmed ve Beyhakî'nin Ebû Saîd el-Hudrî'den rivayet ettiği hadiste bu sabit olmuştur. bkz. Ahkâmü'l-cenaiz s. 72..

rinin başında biri diğerine sesleniyor: "Bire bir fersah yaz." İkinci mezarın başına varıyorlar: "Bir mile bir mil yaz." Üçüncünün başında da: "Bir fitre bir fitr yaz" dedi. (Fitr, baş parmakla şehâdet parmağı arasındaki uzunluk.) Uyandığında bakar ki tanımadığı garip biri birinci mezara; başka biri ikinci mezara; üçüncü mezara ise etrafında birçok insan bulunan bol nîmet ve rahat hayat içerisinde azmış kadını gömdüler. Mezarların en darı olan üçüncü mezar: "Bir fitre bir fitr" diyordu.

FASIL

Beşinci Mesele: Kabirde bulunan ateş ile yeşil bahçe, dünya ateşi ve dünya yeşilliği değildir. Dünyadaki ateş ve yeşilliği görenler, kabirdekini de görür. Ahiretin ateşi ve yeşilliği dünyadakine nazaran çok daha şiddetli olur; dünyadakiler bunu hissedemezler. Çünkü Yüce Allah, altına ve üstüne toprak ve taşlar koyarak dünya ateşinden daha sıcak olan ateşi, insanların hissetmelerine engel olmuştur. Bundan daha dikkata şayan olanı yanyana gömülen iki kişinin durumudur. Bunlardan biri cehennem çukurlarından bir çukurda bulunduğu halde yanındakine bu sıcaklık ulaşmaz. Diğeri de cennet nîmetleri arasında olduğu halde ruhu ve cennetin nîmetleri cehennemlik olana ulaşmaz.

Allah'ın gücü bunlardan da yücedir. O, daha mühim birçok kudret delillerini göstermiştir, ama Allah'ın yardımı ve koruması dışında bulunanlar, ilmen kavrayamadığı için bunları yalanlamaya meyletmişlerdir.

Kâfir kişinin kabrine ateşten iki levha konur. Tandırın yandığı gibi kâfirin kabri de yanar. Yüce Allah dilerse bazı kullarına bunu gösterir, diğerlerine göstermez. Herkes kabir azâbının şiddetini görse sorumluluk ve gayba imanın hiçbir anlamı kalmaz. Nitekim es-Sahîhayn'da gelen bir rivâyete göre Rasûlullah (SAV): "Eğer sizler de bu kabirlere girmeyecek olsaydınız Allah'a duâ eder kabirlerden duyduğum azâbın şiddetini, sizin de duymanızı isterdim."[16]

Hayvanların kabir azâbını duymaması söz konusu değildir. Yukarıda geçen bir hadiste Rasûlullah'ın kısrağı, yolunu değiştirerek azap gören bir adamın kabrine uğradığını görmüştük.[17]

Dostumuz Ebû Abdullah Muhammed b. Razîz el-Harrânî, ikindiden sonra evinden çıkar ve bir tarlanın kenarına oturur. Ebû Abdullah anlatıyor: "Güneş batarken kabristanın ortasına vardım. Baktım ki kabrin birinde cam

16. Enes b. Malik'ten, Müslim ve Nesâî rivayet eder. bkz. **Câmiu'l-usûl**, c. 11, s. 172. Buhârî'ye ulaşmamış bir hadistir. Allah iyisini bilir.
17. Müslim, Zeyd b. Sabit'ten uzun bir hadis rivayet etmiştir.

bardağa benzer bir kor ateş çıkıyor, tam ortasına da birisi oturmuş. Gördüğüme inanamayarak gözlerimi sildim ve uykuda mıyım yoksa uyanık mıyım? diyordum kendi kendime. Uyumadığımı anlamak için şehrin surlarına baktım ve Allah'a yemin olsun ki uyumamışım, dedim. Korku içinde evime döndüm. Yemek hazırladılarsa da yiyemedim. Hemen şehre indim ve kabirde yatanın kim olduğunu halka sordum. Dediklerine göre bugün ölmüş bir gümrük memuru imiş.

Kabirde yanan bu ateşi görmek, Allah'ın dilediği bazı kimselere, melekleri ve cinleri göstermesi gibidir.[18]

İbn Ebî'd-Dünya, **Kitâb'ül-Kubûr**'unda Sa'bî'den yaptığı bir rivâyette bir adam Rasûlullah'a der ki: "Bedir'e gittim. Bir adam topraktan çıkıyor, diğeri de elindeki demir kamçıyla adama vuruyor, böylece adam toprağa yeniden giriyordu. Adam kafasını topraktan her çıkardığında, aynı kamçıyı yiyordu." Adamın anlattıklarını dinledikten sonra Rasûlullah: "O adam, kıyâmete kadar böyle azap görecek Ebû Cehl b. Hişam'dır" dedi.[19]

Hammâd b. Seleme hadisinde Amr b. Dînar'dan, o da Sâlim b. Abdullah'tan, o da babasından şöyle dediği nakledilir: "Bir gece binek üzerinde yarımda su tulumuyla Mekke'den Medine'ye gidiyordum. Bir mezara uğradım. Baktım ki boynunda zincirle bağlı ve kabrinden ateşlerin alevlendiği bir adam çıktı ve bana: "Ey Abdullah! Ne olur biraz su ver. Ey Abdullah! Ne olur biraz su ver" diye seslendi. İsmimin Abdullah olduğunu bildiğinden mi böyle çağırdı, yoksa Allah'ın kulu manasına insanların kullanımına benzer bir şekilde mi çağırdı bunu bilemiyorum. Diğer adam da: "Ey Abdullah! Hayır, su verme. Ey Abdullah! Hayır, su verme" dedikten sonra adamı boynundaki zincirden çekerek yeniden kabrine soktu."[20]

İbn Ebî'd-Dünyâ anlatıyor: Babam, Mûsâ b. Dâvud'dan, o da Hammad b. Seleme'den, o da Hişam b. Urve'den, o da babasından şöyle bir olay nakleder: Bir gece Hişam b. Urve'nin babası, Mekke'den Medine'ye giderken bir kabre uğrar. Bakar ki ateşin içinde demire bukağılanmış bir adam var. Adam Hişam'ın babasına: "Ey Allah'ın kulu, biraz su ver. Ey Allah'ın kulu, biraz su ver" der. Diğer bir adam da: "Ey Allah'ın kulu, ona su verme. Ey Allah'ın kulu, ona su verme" diye seslenir. Hişam'ın babası gördüklerinden korkarak hemen bineğine sıçrar ve onu tepeye sürer. Ravî der ki: "Bu olay üzerine Hişam'ın babasının sa-

---

18. İleri sürdüğü deliller Kur'ân ve Sünnetin dışında birtakım hikaye ve rüyalardan ibarettir. Bunlar doğru olsa da doğrulanması gerekmez; hüccet de ancak vahiy olur.
19. Senedinde zayıflar vardır.
20. Hadis zayıftır. Râviler arasında bulunan Amr b. Dînar el-Basrî hakkında Nesâî "sika biri değildir, Salim'den münker hadisten rivayet etmiştir. Mürre de zayıf olduğunu söylemektedir. Diğer görüşler için **et-Tehzîb**'e bkz.

çı ağarmıştı." Osman'a bu olay anlatılınca kişinin tek başına sefere çıkmasını yasakladı.[21]

Süfyân, Dâvud b. Sâbûr'dan, o da Ebû Kuzâ'dan şöyle dediğini nakleder: "Basra ile memleketimiz arasındaki sulak yerlerde gezerken bir eşek anırması duyduk. Halka sorduk: "Bu eşek anırması nereden geliyor?" Dediler ki: "Bizden birinden geliyor. Bu şahıs, annesi birşey dedi mi annesine: "Eşek gibi anır" derdi. Bundan dolayı, adam öldü öleli kabrinden her gece, bu anırma sesi gelir."

Amr b. Dinâr'in da şöyle dediği nakledilir: "Medineli bir adamın, Medine civarında oturan hasta bir kızkardeşi vardı. Devamlı onu ziyarete giderdi. Kızkardeşi ölünce onu mezara gömdü. Eve dönünce kızkardeşinin kabrinde birşeyini unuttuğunu hatırladı. Birkaç arkadaşıyla beraber kabre vardılar. Devamını adam şöyle anlatıyor: "Kabri biraz esince kaybettiğim şeyi bulduk. Arkadaşıma dedim ki: "Kabrin birkaç taşını kaldır da kızkardeşimin ne hal üzere olduğunu göreyim." Arkadaş mezarın üzerini biraz açınca kabirde yanan bir ateş gördüm. Korkumuzdan hemen kabri kapatıp üzerini tesviye ettik. Sonra eve döndük. Anneme: "Kızkardeşime ne oldu?" diye sordum. Annem de: "Sorma oğlum, kardeşin helak oldu" dedi. Anneme: "Anlatsana ne oldu?" deyince anlatmaya başladı. "Namazını geciktirirdi. Zannıma göre kıldıklarını da abdestsiz kılardı. Komşuların kapılarına kulağını verir duyduklarını etrafa yayardı." [22]

Husayn el-Esedî'den şu nakledilir. Husayn der ki: "Mürsed b. Hûseb anlatıyor. Yusuf b. Ömer'in bir yanında ben, diğer yanında da yüzü demir tarakla yırtılmış bir adam oturuyordu. Yusuf ona dedi ki: "Mürsed'e başından geçenleri anlat." Adamı anlatmaya başladı. "Gençliğimde birçok kötülük işledim. Taûn senesi kendi kendime şu dağ geçitlerinden birine gideyim, dedim. Oraya varınca kabir açmak aklıma geldi. Bir gece akşam ile yatsı arasında kabrin birini açtım, diğer kabrin üstüne de dayanarak oturdum. Bu arada bir cenaze daha geldi, bu bölgeye gömüldü. Adamlar ayrılınca batıdan, deve kadar büyük iki tane beyaz kuş geldi. Biri başı üzerine, diğeri de ayakları üzerine yere indiler, yeni gömülen adama saldırdılar. Kuşlardan biri kabre indi diğeri de kenarında bekliyordu. Ben de vardım kabrin bir köşesine oturdum. Kendimi bilirim ya öyle kolay kolay karnım doymaz. Kabirden şöyle bir ses geliyordu: "Üzerinde hafif iki sırmalı[23] elbiseyle, böbürlenerek yürüyerek akrabasını ziyaret eden sen değil misin?" Dedim ki: "Ben bu kadar zengin değilim." Râvî anlatıyor: "Bunun üzerine kabre öyle bir

21. Kıssayı anlatan kişi meçhul olduğundan zayıftır.
22. Üç sebepten ötürü bu hikâye de zayıftır: 1. Amr b. Dînar zayıflığı söylendi. 2. Medine'li adam meçhul, 3. Kıssayı anlatan kişi meçhul.
23. Kırmızıya boyanmış hafif bir elbise. Bu elbiselerin giyinilmesini Rasûlullah yasaklamıştır. Çünkü bunu cahiliyye döneminde, uğursuz sayılan kibirli insanlar giyerdi.

vurdu ki kabirden, su ve yağ fışkırmaya başladı. Sonra aynı şeyleri söyleyerek üç defa daha vurdu, her vuruşunda kabirden su ve yağ fışkırıyordu." Adam anlatıyor: Sonra bana baktı ve: "Bak, o nerede oturuyor. Allah onu sustursun" dedi. Arkasından da yüzüme bir şamar attı ve yüzüm bu hale geldi. Sabaha kadar orada bekledim. Sabah olunca baktım ki kabir olduğu gibi duruyor.

Kabirde görülen su ve ateş, rüya görenin gözünde öyledir. Yani bunlar ölüye hazırlanan tutuşmuş ateştir. Nitekim Rasûlullah, Deccal'den bahsederken: "Bir elinde ateş, bir elinde ise suyla gelir. Gördüğünüz ateş soğuk sudur, şu ise alevlenmiş ateştir" buyurmaktadır.

İbn Ebî'd-Dünyâ anlatıyor: Adamın biri Ebû Ishâk el-Fezzârî'den: "Kefen soyan kişinin tevbesi kabul edilir mi?" diye sordu. Ebû Ishâk da: "Evet, eğer niyeti doğruysa, Allah da niyetinin doğru olduğunu bilirse kabul edilir" dedi. Adam anlatıyor: "Ben kabirleri açıp kefen soyan bir kişiyim. Birçok insanın yüzünün kıbleden çevrilmiş olduğunu gördüm. Ama Ebû Ishâk el-Fezzârî'nin yüzü kıbleye yönelikti." Bu adam Evzâî'ye bir mektup yazarak gördüklerini anlatır. Evzâî de cevabında: "Niyeti doğru ise Allah da kalbinin doğru olduğunu biliyorsa tevbesini kabul eder. Yüzü kıbleden çevrilmiş insanlara gelince onlar sünnet üzere ölmeyenlerdir" demiştir.

İbn Ebî'd-Dünyâ anlatıyor: "Bana Abdülmü'min b. Abdullah b. Îsâ el-Kîsî anlattı. Tevbe etmiş kefen soyan birine denilmiş ki: "Kefen soyarken karşılaştığın en dikkat çeken olay hangisidir?" Adam: "Bir adamın kefenini soyarken baktım ki adam, vücudunun birçok yerinden yere çivilenmiş. Büyük bir çivi kafasına diğeri de ayaklarına çakılmış" dedi.

Başka bir kefen soyana: "Kefen soyarken gördüklerin arasında seni en çok şaşırtan olay nedir?" diye sorulmuş da kefen soyan: "İçerisinde kurşun dökülmüş insan kafatası gördüm" demiş.

Allah'ın sâlih kullarından, devamlı hakkı arayan dostumuz Ebû Abdullah Muhammed b. Mûsâb es-Selâmî der ki: "Bağdat'ta demirciler çarşısına bir adam geldi. Küçük çiviler satıyordu. Sattığı çiviler iki başlıydı. Tüccarın biri bu çivileri satın aldı, düzeltmek için ateşe koyduysa da onu bir türlü dövecek kadar yumuşatamadı. Çiviyi satın aldığı adama: "Bu çiviler eline nereden geçti?" diye sordu. Adam: "Bir yerden buldum" dediyse de tüccarın ısrarından sonra anlatmaya başladı. Dediğine göre o, açık bir mezar bulur. İçerisinde de bu çivilerle çivilenmiş insan kemikleri. Adam der ki: "Çivileri kemiklerden çıkarmak içip epey uğraştımsa da bunu beceremedim. Baktım ki olmayacak, elime bir taş aldım, kemikleri kırarak çivilerini topladım." Ebû Abdullah der ki: "Bu çivileri ben de gördüm." Ebû Abdullah'a: "Çiviler nasıldı?" diye sorunca dedi ki: "İki başlı küçük çiviydi."

İbn Ebî'd-Dünyâ babasından o da Ebû'l-Harîs'ten, o da annesinden şöyle nakleder: "Kûfe vadisine Ebû Ca'fer gömülünce insanlar ölülerinin yerlerini değiştirdiler. Değiştirilenler arasında ağzıyla iki elini ısırmış bir genç gördüm."

Semmak b. Harb der ki: "Ebü'd-Derdâ kabirler arasında dolaşırken kabre seslenerek: "İçinde ve dışında meydana gelen felâketler, ne de sakin" der.

Sabit el-Benânî anlatıyor: "Kabristan'da yürürken arkamdan bir ses geliyordu: "Ey Sabit. Kabristanda gördüğün bu sakinlik ve sessizlik seni aldatmasın. Kabirlerinde şimdi nice gamlı insanlar var." Sesin sahibini görebilmek için arkama baktımsa da kimseyi göremedim.

Rivâyete göre Hasan, bir kabre uğrar ve: "Bunlara ne oluyor da bunca yiğitlerine ve bunca kederlerine rağmen sakin sakin duruyorlar" der.

İbn Ebî'd-Dünyâ'nın anlattığına göre bir gün Ömer b. Abdülaziz Mesleme b. Abdülmelik'e der ki: "Mesleme, babanı kim defnetti?" Mesleme: "Fülanca adam." Ömer b. Abdülaziz: "Bana anlatılan bir şeyi sana anlatayım. Baban ve Velid gömüldükten sonra kefen bağı çözülmek için kabristana varılır. Her ikisinin yüzü de kıbleden çevrilmiş bulunur. Bak Mesleme, ben ölünce yüzüme dikkat et. Onların başına gelen benim de başıma gelmiş mi yoksa af mı olunmuşum?" Mesleme der ki: "Ömer b. Abdülaziz ölünce yüzünü kontrol ettim, baktım ki kıbleye dönük duruyor."

İbn Ebî'd-Dünyâ, Selef'ten birinin şu hikâyesini nakleder: Selefî anlatıyor: "Kızım ölünce onu kabrine koydum. Kısa bir zaman sonra yakasını düzeltmek için kabrine vardım ki kızımın yönü, kıbleden çevrilmiş. Bu duruma çok üzüldüm. Aynı gece kızımı rüyamda gördüm, diyordu ki: Babacığım, gördüğün şey seni üzdü mü? Etrafımda bulunan çoğu insanın yüzü kıbleden çevrilmiş durumda." Adam diyor ki: "Herhalde yüzü çevrilenlerden, büyük günahlarda ısrar edenleri kastediyor kızım."

Amr b. Meymûn der ki: "Ömer b. Abdülaziz'in şöyle dediğini duydum: "Velîd b. Abdülmelik'i kabrine ben koydum. İki omuzu boynuna kilitlenmişti." Bir gün Velîd'in oğlu şöyle dedi: "Ka'be'nin Rabbine yemin olsun ki babam, güzel bir hayat geçirdi." Bunu duyan Ömer b. Abdülaziz: "Ka'be'nin Rabbine yemin olsun ki babanın ölümü, erken oldu" dedi. Bu, Ömer b. Abdülaziz'in, Velîd'in oğluna öğüdüdür.

Ömer b. Abdülaziz, Irak halkına olmadık isler yapan Yezid b. Mühelleb'e der ki: "Ey Yezid, Allah'tan kork. Velîd'i kabrine koyduğumda, kefeni içinde ayaklarıyla tepindiğini gördüm."

Yezid b. Harun der ki: "Hişam b. Hassan, o da Ebû Uyeyne'nin mevlâsı Vâsil'dan, o da Ömer b. Zühdüm'den, o da Abdü'l-Hamîd b. Mahmud'dan şöyle

dediğini nakleder: "İbn Abbâs'la otururken bir grup insan geldi ve "bir arkadaşımızla birlikte hacca gitmiştik. Giderken arkadaşımız Saffâh yolda öldü. Yıkayıp kefenledikten sonra bir lahd kazdık. Baktık ki kabirde korkunç bir karaltı var. Burayı bıraktık, başka bir kabir kazdık, kabri dolduran karaltı buradan da çıktı. Bunu da bıraktık ama her kazdığımız kabir böyleydi" dediler. Bunun üzerine İbn Abbâs: "Bu, dünyada iken insanlara kazdığı çukurdur (yani başkalarını aldatmasıdır). Haydi götürün, bir mezar daha kazın, bunu da bir kenara gömün. Allah'a yemin olsun ki bütün yeryüzünü kazsanız o karaltıyı yine görürsünüz" dedi. İbn Abbâs'ın yanından ayrıldık. Bir mezar daha kazdık, arkadaşımızı da bir kenarına gömdük. Yanımızdaki mallarını ailesine vermek için evine vardık. Hanımına dedik ki: "Kocan ne işle meşguldü?" Kadın: "Kocam, gıda maddesi satardı. Günlük yemek miktarını ayırdıktan sonra kalanını, verdiğinden fazla olmak şartıyla ödünç verir (yani arta kalan on kilo buğdayı varsa bunu on iki kilo karşılığında ödünç verirdi), fazlasını da alır, böylece hayat sürerdi" dedi.

İbn Ebî'd-Dünyâ Muhammed b. Hüseyn'den, o da Sât sahibi Ebû Ishâk'tan şunu nakleder: "Ölmüş birini yıkamam istendi. Ölünün yüzünden elbiseyi açınca baktım ki bir yılan boynuna sarılmış. Bunu görünce yıkamaktan vazgeçtim. Anlattıklarına göre bu adam, Sahâbeye küfredermiş."

İbn Ebî'd-Dünyâ Saîd b. Halid b. Yezid el-Ensârî'den,[24] o da Basra'da kabir kazan birinden nakleder. Adam der ki: "Bir gün bir mezar kazdım. Dinlenmek için kafamı mezara yakın bir yere koydum. Orada uyumuşum. Rüyamda iki kadın gördüm. Biri diyordu ki: "Ey Allah'ın kulu, Allah için senden birşey istiyoruz. Şu kadını buradan uzaklaştır, bize yaklaştırma." Korkumdan uyanınca baktım ki bir kadını daha buraya gömecekler." "Kabristan öte tarafta" diyerek buraya yaklaşmalarına engel oldum. Gece rüyamda o iki kadından biri diyordu ki: "Bize yaptığın iyilikten dolayı Allah sana hayırla karşılık versin. Büyük bir şerri bizden uzaklaştırdın." Kadına dedim ki: "Senin konuştuğun gibi yanındaki arkadaşın niye konuşmuyor?" Kadın: "Bu kadın, vasiyyetini yazmadan ölmüş. Vasiyyetsiz ölen birinin kıyâmete kadar konuşamaması hakkıdır" dedi.

Allahû Teâlâ'nın bazı kullarına kafalarındaki gözleriyle gösterdiği kabir azâbı ya da nîmeti, ferahlığı ile ilgili olaylar kitabımızın alamayacağı ölçüde çoktur.

Bu konudaki rüyalarsa ciltlerce kitap ister. Daha geniş bilgi almak isteyenler şu kitaplara müracaat etmelidir: İbn Ebî'd-Dünyâ, **Kitâb'ül-Menâmât**; Gayru-

24. Kıssayı anlatan kişi meçhul olduğundan bu hikâye zayıftır.

vânî **Kitâb'ül-Büstân**, vb. Mülhid ve zındıklarına gelince bilgileri bu gerçekleri kuşatmadığından bunları yalanlamaktan başka birşey bilmezler.[25]

Yedinci Mesele: Allahû Teâlâ, bu dünyada birtakım ilginç hadiselerin oluşmasına imkân vermiştir. Mesela, Cebrail (AS) insan suretinde Rasûlullah'a (SAV) gelip vahiy getirirdi. Rasûlullah'la aralarında geçen konuşmaları peygamberimizin etrafındakiler duyamaz, Cebrail'i de göremezlerdi. Bu durum diğer peygamberler için de söz konuşudur. Bazan Cebrail vahyi zilin çalması[26] şeklinde getirirdi, sesini ise kimse duymazdı. Aramızda yaşayan cinler birbirleriyle çok yüksek sesle konuşmalarına rağmen biz onların konuşmalarını duyamayız. Melekler, kâfirleri kamçılayıp boyunlarını vururlar, bu yüzden kâfirler çığlık atarlar, ama orada bulunan müslümanlar, melekleri göremezler, seslerini de duyamazlar. Öyleyse Yüce Allah dünyada meydana gelen bazı hadiseleri insanoğlundan gizlemiştir. Cebrail (AS)'in Rasûlullah'a Kur'ân öğrettiği halde, Rasûlullah'la birlikte olanların bunu duymamaları da buna misaldir.[27]

Allah'ı ve yüce kudretini tanıyan bir kimse, nasıl olur da Allahû Teâlâ'nın, hikmet ve rahmetine binâen bazı kullarından gizleyerek birtakım gerçekleri yaratmasını yadırgayabilir. Zira insanoğlu hadiseyi göremez ve duyamaz. Kul, kabir azâbını duyup görmekten acizdir. Allah Taâlâ'nın bu gerçekleri görmesine müsâade ettiği birçok kimse, baygın düşmüş, sonraki yaşamları da hiçbir zaman faydalı olmamıştır. Bazılarının da gerçekleri görmesine engel olan kalp perdeleri kaldırılınca gerçekler karşısında dayanamayıp ölmüşlerdir. O halde ilâhî hikmet gereği, iki mükellef insan arasında ya da insanla olay arasında bulunan perdeyi, Allah'ın kaldırmasıyla kulların, gerçekleri gözleriyle görmesi nasıl inkâr edilebilir?

Sonra kişi ölünün gözünden ve göğsünden, civa ile hardalı yok edebilir. Ama bunlar hemen yeniden gelirler. Melek bu işi nasıl yapamasın? Herşeye kâdir olan Allah, buna nasıl kâdir olamasın? Civa ve hardalın yok olmayacak şekilde ölünün iki gözünde ve göğsünde kalmasını Allah (cc) istese yapamaz mı? Berzah hayatını, görülen şu dünya hayatına benzetmek cehaletin, sapıklığın tâ kendisi; en doğruyu söyleyen Rasûl'ün yalanlanması, Yüce Allah'ın da aciz kabul edilmesi değil midir? Buna inanmak, son derece câhillik ve zulümdür.

---

25. Ben derim ki: "Allah ve Rasûlüne inanan kimseye bu ve diğer kitaplar da bildirilenler kabir azabının gerçekliğine inanması için kafidir. Hikâye ve rüyaların çoğu senedi itibariyle zayıftır. Belki bunlar kulakları bu bilgilere alıştırmada faydalı ise de vahiyden başkası hüccet olamaz."
26. Hz. Âişe'den gelen hadis müttefekün aleyhtir. bkz. **el-Lü'lü'ü v'el-mercân** c. 3, s. 106. Ayrıca Nesâî, Tirmizî ve Ahmed de rivayet etmiştir. bkz. **Mu'cem'ül-müfehres.**
27. Ben derim ki: Rasûlullah'ın vefat yılı, Kur'ân-ı Kerîm'i Cebrâil'e arzetmesi doğrudur. Buhârî, Hz. Fatıma'dan bunu almıştır. Ancak burada Rasûlullahın Cebrâil'e Kur'ân'ı arzetmesinin insanların önünde olduğu bildirilmemektedir. Hadise, şerh ve rivayetleri için bkz. **el-Feth**, c. 9, s. 43...

Meselâ bir insan, arzu etmediği insanlardan habersiz on zira' eninde yüz zira' boyunda veya enini, boyunu, derinliğini daha geniş alarak geniş bir kabir yapabilirse Yüce Allah'ın, kabri, dilediği kadar genişletmesi, insanoğluna genişletilen bu kabri göstermemesi böylece de insanların küçük gördüğü kabri, geniş, güzel kokulu ve aydınlık yapması mümkün değil mi?

Meselenin özü şudur: Burada kabrin genişlemesi, daralması, içerisinin aydınlanması, cennet bahçelerinden bir bahçe ya da cehennemin çukurlarından bir çukur olması, dünyada bilinen şekliyle değildir. Yüce Allah, insanoğluna dünyada olan bazı şeyleri göstermiştir. Ahirette olanları ise mutluluklarına sebep olan iman ve ikrârın oluşması için gizlemiştir. Perde kalkınca insanlar ahiret işlerini görebilirler. Ayrıca ölünün insanların yanında olması, meleklerin gelip ölüyü, onlardan habersiz sorguya çekmesine, onlar duymadan cevablarını almasına ve insanlardan habersiz günahkâr ölüye azap etmesine engel değildir. Buna benzer olaylara, yaşantınızda rastlayabiliriz. Meselâ bir kimse, (ders çalışan) arkadaşının yanında uyur. Rüyasında işkence görür, dövülür ve acı çeker. Hatta bazan da çektiği acı ile yediği sopanın izi vücudunda belli olur ama (ders çalışan) arkadaşının bunlardan haberi hiç olmaz.

Meleğin arzı ve taşı yarmasını imkânsız görmek de büyük câhiliklerdendir. Zira Allahû Teâlâ, kuş için hava neyse melek için de arz ve taşı öylece yapmıştır. Tabi, kesîf cisimlerin bu gerçeklere kapalı olması, latîf ve temiz ruhların da kapalı olmasını gerektirmez. Bu şekilde yapılan karşılaştırmalar, en kötü karşılaştırma değil mi? Bu ve benzeri konularda inançsızlar, bütün peygamberlerin bildirdiklerini yalanlamışlardır.

FASIL

Sekizinci Mesele: Katılaşmış, suda boğulmuş ve yanmış cesede ruhun dönmesi imkânsız değildir. Ruhun bu dönüşünü biz farkedemeyiz. Çünkü bu, bilinenin dışında bir dönüştür. Burada baygın, suskun ve şaşkın olan cesedin, canlı ruhlarla beraber oldukları halde sen hissedemezsin. Cesedi paramparça olmuş bir kişiyi gerek uzakta olan gerekse yakında olan ruhuyla birleştirmek, herşeye kâdir olan Allah'a zor değildir. Birleştirilen bu vücut azalarında, duruma göre bir nevî elem ya da lezzet bilinci bulunur. Cansız varlıklarda Allah'ı zikredecek ölçüde idrak ve şuur olursa; taş, Allah korkusundan düşerse; dağlar, ağaçlar O'na secde ederse ayrıca ufak taşlar sular ve bitkiler O'nu tesbih ederse ruhtan ayrılmış cesedin elem ve lezzet bilincine vâkif olması çok daha normaldir. Cansız varlıkların tesbihi ile ilgili olarak Yüce Allah: "Yerde ve gökte ne varsa hepsi hamd ederek Allah'ı tesbih ederler. Ama siz onların tesbihlerini an-

layamazsınız"[28] buyurmaktadır. Burada tesbihten maksat sadece yaratıcısına delâlet etmek olsaydı: "Fakat siz, onların tesbihlerini anlayamazsınız" denmezdi. Zaten aklı olan kişi, bunların Allah'a delâlet ettiğini bilip anlamaktadır. Başka bir âyette: "Biz dağları ona musahhar kıldık. Sabah akşam Allah'ı tesbih ederler"[29] buyurulmaktadır. Allah'a delâlet etmek anlaşıldığına göre yalnızca bu iki vakte mahsus değildir. Yine: "Ey dağlar, O'nunla birlikte yankılanın"[30] âyeti de (Hz. Dâvud'la) beraberlik şartıyla yankılanmaya mahsus değildir. Şöyle diyen kişi Allah'ı yalanlanuştır: "Yankılanmak, aksi sadâdır. (Yani sözün bir cepheye vurup geri dönmesidir -ç.) Çünkü yankılanmak Hz. Dâvûd'un sesinden başka diğer sesler için de söz konusudur. Diğer bir âyette: "Görmez misin Allah'a yerde ve gökte kim varsa ve güneş, ay, yıldızlar, dağlar, ağaçlar, havyanlar ve birçok insan secde eder"[31] buyurulmaktadır. Burada da Allah'a delâlet etmek yalnızca birçok insana mahsus değildir. Diğer bir âyeti celîlede ise: "Görmez misin göklerde ve yerde kimler varsa onlar ve kanatlarını çırparak uçan kuşlar, Allah'ı tesbih ederler. Hepsi duâ ve tesbihini bilmektedir"[32] buyurulur. Bu gerçek bir duâ ve tesbihtir, Allah bunu bilir. İsterse câhiller ve yalancılar bu gerçeği inkâr etsinler. Yüce Allah, bazı taşların yerlerinden ayrılarak Allah korkusundan düştüğünü ve yer ile göğün kelâmını işitmek için kendisinden izin istediğini; Allah'ın da bunlara olumlu cevap verdiğini şu âyetle bildirmiştir: "Yüce Allah göğe ve arza hitaben: "isteyerek veya istemeyerek (emrime) gelin" dedi de onlar da: "İsteyerek geldik" dediler."[33] Ayrıca Ashâb-i kirâm,[34] yedikleri yemeğin çektiği tesbihi ve mescitte[35] bulunan kuru hurma kütüğünün iniltisini de duymuştur. Cansız bunca cisimler hissedip farkedebiliyorsa içerisinde ruh ve hayatın bulunduğu cisimler öncelikle hissedip farkeder. Bunun yanında Yüce Allah, bu dünyada, ruhtan ayrılan bedene, yeniden tam bir hayat verdiğini, böylece bu bedenin konuştuğunu, yürüdüğünü, yediğini içtiğini ve evlenip çocuk sahibi olduğunu da göstermiştir. Âyeti celîlede: "Binlerce kişi oldukları halde ölüm korkusuyla yurtlarından çıkan şu adamları görmedin mi? Allah önce onlara: "Ölün" dedi sonra yine kendisi diriltti"[36] ve: "Yahut şu kim-

28. İsrâ sûresi,(17/44)
29. Sâd sûresi,(38/18)
30. Sebe' sûresi,(34/10)
31. Hac sûresi, (22/18).
32. Nûr sûresi, (24/41).
33. Fussilet sûresi, (41/11).
34. Buhârî c. 4, s. 172; Tirmizî c. 10, s. 111, rivayet etmiştir.
35. Buhârî ile Nesâî hurma kütüğünün inlemesini Cabir'den rivayet etmişlerdir. Hadis ve rivayet yolları için bkz. **Câmiu'l-usûl** c. 11, s. 232-233. Buhârî ile Müslim, İbni Ömer'den de rivayet etmişlerdir. Aynı kaynağa bkz. Kâdı Iyaz **eş-Şifâ**'da hadisin mütevatir olduğunu söylemiştir. Daha geniş bilgi için bkz. **eş-Şifâ** c. 1, s. 199.
36. Bakara sûresi, (2/243).
Kur'ân'da da böyle geçer. Bakara Sûresi (2/72-73) وإذ قتلتم نفسا فادارئتم فيها

se gibisini görmedin mi ki duvarları, çatıları üstüne yıkılmış, issiz bir kasabaya uğramıştı da Allah bu böyle öldükten sonra nasıl diriltecek?" demişti. Bunun üzerine Allahû Teâlâ da kendisini yüz sene öldürüp sonra diriltti: "Ne kadar kaldın?" dedi. "Bir gün ya da bir günün birazı kadar kaldım, dedi"[37] buyurulmaktadır. İsrâiloğullarından kâtilin aranması,[38] Hz. Mûsâ'ya: "Allah'ı açıkça görene kadar sana inanmayız"[39] diyenleri Allah önce öldürüp sonra diriltmiştir; Ashâb-i Kehf[40] ve Hz. İbrahim'in dört kuş kıssası[41] hepsi bedenden ayrılıp sonra bedene dönen ruhla, hayatla ilgili dünyada görülen şeylerdir. Dünyada bu olunca Yüce Allah'ın ölümünden sonra bedeni diriltip sorguya çekmesi ve ameline göre azaplandırması ya da mükâfatlandırması Yüce kudretine niye zor gelsin ki?! Bu gerçekleri inkâr etmek, yalanlamak, küfürde inat etmek ve direnmekten başka bir şey değildir. Başarı Allah'tandır.

FASIL

Dokuzuncu Mesele: Şunu iyi bilmeli ki kabir azâbı ve nîmetinden maksat, dünya ile ahiret arasındaki Berzah'ta görülen nîmet ve azaptır. Yüce Allah: "Aralarında, dirilecekleri güne kadar kalacakları Berzah vardır"[42] buyurmaktadır. İnsanlar, dünyaya ve ahirete buradan uğurlanmaktadır. Berzah'a kabir azâbı ya da cennet nîmeti denerek cennet bahçesi veya cehennem çukuru olması, görülecek muâmelenin türündendir. Vücudu katılaşmış, ateşte yanmış, suda boğulmuş ve yırtıcı hayvanlar veya kuşlar tarafından yenmiş olanlar da amellerine göre her ne kadar mükâfat ve cezânın sebep ve keyfiyetleri farklı farklı olsa da Berzah'ta hak ettikleri azâbı ya da mükâfatı göreceklerdir. Geçmişte bazı insanlar ceset, ateşte yanıp kül olursa yahut rüzgârın şiddetli olduğu bir günde bazı azalar suya atılır bazıları da toprakta kalırsa Berzah'ta görülen azaptan kurtulunacağını zannederek çocuklarına öldükten sonra böyle yapmalarını vasiyyet etmiştir. Bunun üzerine Allah, denize emretmiş, deniz kendisine atılan uzuvları getirmiş; yere emretmiş o da içine gömülen ve dağıtılan uzuvları getirmiştir. Uzuvlarını birleştirdikten sonra Yüce Allah adama: "Kalk" der, adam da kalkıp hemen Allah'ın huzuruna koşar. Ona sorar: "Niçin böyle yaptın?" Adam da: "Rabbim, sen daha iyi bilirsin, senin korkundan dolayı böyle yaptım" der.

37. Bakara sûresi, (2/259).
38. Bakara sûresinde geçen şu âyete işaret eder: "Hani bir adam öldürmüştünüz de katili hakkında birbirinizle atı
39. Bakara sûresi, (2/55).
40. Kıssa için bkz. İbni Kesir Tefsir'i c. 3, s. 73-80.
41. Yüce Allah'ın "Hani İbrahim: 'Rabbim ölüleri nasıl diriltirsin bana göster' demişti de" âyetine işaret etmektedir. (Bakara, 260). bkz. İbni Kesir Tefsir'i c. 1, s. 315.
42. Mü'minûn sûresi, (23/100).

Allah ona merhamet etse de bundan kurtulamaz.[43] Çeşitli yerlere atılmış uzuvlar, isterse fırtınalı bir günde ağaçların tepelerine asılmış olsun beden, hakettiği azâbı ya da mükâfatı, Berzah'ta alacaktır. Yine Sâlih bir kimse kor ateşin içine gömülse, Allah bu ateşi ona serinlik ve selâmet yapar, böylece Berzah'ta göreceği nîmet ve hazzı alır. Bu şartlarda dilerse Allah, havayı beden için ateş ve zehir yapar.

Âlemde bulunan unsur ve maddeler, Rablerine boyun eğmiştir. Yaratan ve yönlendiren Allah bunları dilediği gibi kullanır. Hiçbirisi de O'nun irâdesinden çıkmaz. Hatta bunlar, irâde ve kudretine boyun eğmiş varlıklardır. Kim bunu inkâr ederse âlemlerin Rabbini inkâr etmiştir. O'na küfrederek Rabliğine karşı gelmiştir.

FASIL

Onuncu Mesele: Ölüm, ilk meâd ve ilk diriliştir. Yüce Allah, insanoğlundan günahkârların cezâlandırılacağı, sâlihlerin ise mükâfatlandırılacağı iki meâd ve iki de diriliş tahsis etmiştir.

İlk diriliş ruhun bedenden ayrılması, ilk cezâ yurduna gitmesidir.

İkinci diriliş ise Allah 'in, bedenlere ruhu vererek onların, kabirlerinden cennete yahut cehenneme gitmeleridir. Buna ikinci haşr diyoruz. Bu husus hadiste: "Diğer dirilişe de iman edersin"[44] şeklinde açıklanmıştır. İlk dirilişi, her ne kadar birçok insan burada görülen nîmeti ya da azâbı kabul etmese de kimse inkâr etmemektedir. Yüce Allah, büyük ve küçük denen bu iki kıyâmeti; Mü'minûn, Vâkia', Kıyâmet, Mutaffifîn, Fecr ve diğer sûrelerde açıklamış; adâleti ve hikmeti gereği her iki yurdu da gerek iyiler gerekse kötülerin, yaptıklarının karşılığını alacağı yer olarak bildirmiştir. Ancak amellerin tam karşılığı daimi yurtta yani meâd günü verilecektir. Nitekim âyette: "Her nefis ölümü tadacaktır. Kıyâmet günü mükâfatlarınız size tam olarak verilecektir"[45] geçmektedir.

Adâleti gereği, güzel isimleri (esmayı hüsnâ) gereği, velî kullarının bedenleri ve ruhları mükâfatlandırılırken düşmanlarının beden ve ruhları ise cezâlandırılacaktır. İtâatkâr kişinin hem bedeni hem de ruhu hakettiği nîmetin zevkini al-

43. Buhârî, Ebû Saîd'den rivayet etmiştir. c. 4, s. 151 ve diğer yerler. Ayrıca Nesâî, İbni Mâce, Malik ve Ahmed'de rivayet etmiştir. bkz. **Mu'cemü'l-müfehres**. c. 2, s. 33. Haşiye maddesi.

44. bkz. Buhârî, Iman (37); İbni Mâce, Mukaddime (9); Malik el-Muvatta'da 'Bâbiül-Itk"ta (9) Ahmed de Müsned'de (1072) rivayet eder. Ben derim ki: Ebû Hureyre'nin rivayet ettiği Cibrîl hadisinde geçen lafız, Müttefekun aleyhtir. bkz. **Câmiu'l-usûl** c. 1, s. 213, 214; el- **Lü'lü'ü v'el-mercân** c. 1, s. 2. Ayrıca İbni Mâce de Ebû Hureyre'den rivayet eder.

45. Âl-i İmrân sûresi, (3/185).

malı; fâcir ve âsî kişinin de hem bedeni hem de ruhu hakettiği azâbı görmelidir. Allahû Teâlâ'nın adâleti, hikmeti ve mukaddes kemâli bunu gerektirmektedir. Bu dünya sorumluluk ve imtihan dünyası olup amellerin değerlendirildiği dünya olmadığından bu durum, dünyada görülmez. Berzah ise cezâ yurdunun ilk safhasıdır, gerekli herşey ortaya çıkar, hikmet de her şeyin ortaya çıkmasını gerektirir. Kıyâmet günü olunca da itâatkârlara ve âsîlere, hak ettikleri beden ve ruh nîmeti veya azâbı tam olarak verilir. Berzah'ta verilen nîmet veya azap, ahirette verilecek nîmet ile azâbın ilk safhasını oluşturur. Nîmet ve azâbın Berzah'ta bulunanlara ulaşacağı, Kur'ân'da ve sahih birçok hadiste belirtilmiştir. Mesela bir hadiste Rasûlullah der ki: "Mü'min kişinin kabrinden cennete bir kapı açılır. Oradan cennetin güzel kokusu ve nîmeti gelir. Fâcirin de kabrinden cehenneme bir kapı açılır. Oradan cehennemin sıcaklığı ve zehiri gelir."[46] Ruhun bu kapıdan aldığı hazzı, bedenin de aldığı kesinlikle bilinmektedir. Kıyâmet günü olunca da bu kapıdan içerdeki yerine girer. Bu dünyada kula, bu iki kapıdan üzeri meşgalelerde, hissedilen perde ve bir takım ârızalarla kapalı gizli bir işaret gelir. Çoğu insan sebebini bilmese de gördüğü şeyi yorumlayamasa da bunu hisseder. (Yani rüyada yapılan tenbihler ç.)

Bir şeyin varlığını bilmekle onu hissetmek ve yorumlamak ayrı ayrı şeylerdir. Kişi ölünce, kapıdan gelen bu işarete biraz daha yaklaşır.[47] Dirildiğinde de bu işarete tamamen kavuşmuş olur. Allah'ın hikmeti gereği işaretler bu üç yurtta, (dünya-berzah ve kıyâmet) güzelce sıralanmıştır.

46. Kabir azabıyla ilgili uzun Berâ hadisinin bir kısmı budur. Hadisin tahrici geçti.
47. Bu söz müellifin yaptığı bir istinbattır. Hiçbir delil anmadığı gibi buna delalet edecek bir delili ben de bulamadım. Bu gibi itikadi konularda vahiy olmadan birşeyler demek caiz olmaz.

SEKİZİNCİ MESELE

Kabir Azâbı, Bilinmesi, Sakınmak İçin İnanılması Bu kadar Önemli Olduğu Halde Niçin Kur'an-ı Kerim'de Zikredilmemiştir?

Bu soruyu icmalî (genel) ve tafsîlî (ayrıntılı) olmak üzere iki şekilde cevaplandırırız.

İcmâlî Cevap: Bilindiği gibi Yüce Allah, Rasûlü'ne iki tane vahiy göndermiş, kullarının da bu vahiylere inanmasını ve bunlarla amel etmesini istemiştir. Bunlar Kur'ân ve Hikmet'tir. Âyet-i celîlelerde: "Allah sana Kitâbi ve Hikmeti indirmiştir"[1]. "O Allah ki kendilerinden olan ümmî birini onlara Allah'ın âyetlerini okuyan, onları yücelten ve onlara Kitab ve hikmeti öğreten bir elçi gönderdi"[2]ve "sizin evlerinizde okunan Allah âyetlerini ve hikmetini hatırlayın"[3] buyurulmaktadır.

Selef âlimleri Kitaptan maksadın Kur'ân, hikmetten maksadın sünnet olduğunda ittifak etmişlerdir. Rasûlullah'ın dilinden, Allah'ın bildirdiği şeylere inanmak ve doğrulamak ne kadar gerekli ise Rasûlullah'ın Allah'tan bildirdiği şeylere de (sünnet-hadis yoluyla) o derece inanmak ve doğrulamak gereklidir. Bu husus, gayrı müslimler dışında bütün mü'minler tarafından kabul edilmiş bir gerçektir. Nitekim Allahû Teâlâ: "Bir Kitap bir de O'nun gibisini verdim"[4] buyurmaktadır.

Tafsîlî Cevap: Berzah'ta görülecek nîmet yahut azapla ilgili bir çok âyet bulunmaktadır. Mesela: "O zalimler ölüm dalgaları içinde, melekler de ellerini

---

1. Nisâ sûresi, (4/113).
2. Cum'a sûresi, (62/2).
3. Ahzab sûresi, (33/34).
4. Ebû Dâvûd ve Ahmed b. Hanbel rivayet etmiştir. bkz. **Müsned**, 4/131. Derim ki: Mikdam b. Ma'dikerib'den gelen rivayet sahihtir. bkz. **Sahîhu'l-câmi'** (2640).

uzatmış: "Haydi canlarınızı çıkarın, Allah'a gerçek olmayanı söylemenizden ve O'nun âyetlerine karşı büyüklük taslamanızdan ötürü, bugün alçaklık azâbıyla çarpılacaksınız" derken onların halini bir görecektin."[5] Zalimlere bu, ölüm anlarında söylenmiştir. Melekler de zalimlerin bugün korkunç bir azap göreceklerini doğru olarak bildirmişlerdir. Dünya hayatının bitimine kadar (kıyâmete kadar) azapları gecikmiş olsaydı onlara: "Bugün cezâlandırılacaksınız" denmezdi.

Bir başka âyette: "Allah onu, onların kurdukları tuzakların kötülüklerinden korudu ve Firavn ailesini, azâbın en kötüsü kuşattı. Kıyâmete kadar ateş, sabah akşam onlara sunulur. Kıyâmet kopunca da: "Firavn ailesini, azâbın en şiddetlisine sokun" denir.[6] Her iki yurtta da azap olacağını Yüce Allah, açıkça bildirmiştir.

Bir başka âyette: "Korkudan bayılacakları günlerine kadar bırak onları. O gün, tuzakları kendilerine hiçbir fayda sağlamaz ve onlara yardım da edilmez. Zulmedenlere bundan başka bir azâb daha vardır. Fakat çokları bunu bilmezler"[7]. Dünyadaki öldürülme cezâları veya daha büyük bir ihtimalle Berzah'ta görecekleri azâb kastedilmiş olabilir bundan. Çünkü çoğu zalim, dünyada azâb görmeden ölmektedir. Daha açık bir ifadeyle şöyle de denilebilir: Zalimlerden ölenler, Berzah'ta azaplarını görürler, ölmeyenler ise öldürülmek vb. şeylerle dünyada azaplarını görürler. O zaman bu âyet, zalimlere dünyada ve Berzah'ta görecekleri azâbı bildirmektedir.

Diğer bir âyette: "Belki dönüp gelirler diye mutlaka onlara büyük azaptan ayrı olarak daha yakın azâbı tattıracağız"[8] buyurulmaktadır. Başta Abdullah b. Abbâs[9] olmak üzere bazı âlimler, bu âyetle kabir azâbına delil getirmişlerdir. Kabir azâbına bu âyetin delâleti biraz uzaktır. Çünkü bu, küfürden dönüp İslâma dönmek için dünyada verilen bir azaptır. Bu gerçeğin Kur'ân'ın tercümanı ve ümmetin en bilgilisi olan kişiden gizli olması ihtimal dışıdır. Ancak Kur'ân'la ilgili ince tefekkürü ve hassassiyeti nedeniyle bunun kabir azâbı olabileceğini anlamıştır. Âyeti celîleler de yakın ve büyük iki azâbın olduğu; yakın azâbın tevbe edip dönmeleri için tattırılacağı bildirilmiştir. Bundan da dünya azâbının dışında başka yakın bir azâbın olabileceği sonucunu çıkarmıştır. Bu sebepten âyette: "Yakın azaptan tattıracağız" buyurulmuş, "yakın azâbı tattıracağız" denmemiştir. Bunu, iyi düşün.

---

5. En'âm sûresi, (6/93).
6. Gâfir sûresi; (40/45).
7. Tûr sûresi, (52/45-46-47).
8. Secde sûresi, (32/21).
9. Ben derim ki: **Tefsîr-i İbni Kesir**, c. 3, s. 460'da Abdullah b. Abbas'a ait olmayan iki rivayet vardır. Birinci rivayet: Dünyada başa gelen mûsibetler, ikinci rivayet ise, onlara had cezalarının uygulanması ile ilgilidir. Âyeti kabir azabı olarak yorumlayanlar Berâ' b. Âzib, Mücâhid ve Ebû Ubeyde'dir. bkz. a.e.

Rasûlullah'ın şu sözü de bu anlayışa benzerdir: "Kabrinden cehenneme bir kapı açılır; buradan kabre, cehennemin harâret ve zehirinden gelir."[10] Ama şöyle dememiştir: "Cehennemin hararet ve zehiri gelir." Çünkü cehennemden gelen azap oldukça azdır, azâbın çoğu daha cehennemdedir. Allah düşmanlarının dünyada gördükleri azap, çoğunluğu cehennemde olan azâbın sadece bir miktarıdır.

Bir başka âyette: "Ya can bogaza dayandığı zaman? İşte o zaman bakar durursunuz. Biz ona sizden daha yakınız fakat siz göremezsiniz. Eğer öldükten sonra cezâlandırılmayacak iseniz çıkmakta olan canınızı geri döndersenize! O can Allah'a yaklaştıranlardan ise ona rahatlık, güzel rızık ve nîmet cenneti var. Eğer o, defteri sağ tarafından verilen sağcılardan ise sana sağcılardan selâm var. Ama yalanlayıcı sapıklardan ise kaynar sudan bir ziyafet ile cehenneme atılma var. Kesin gerçek budur işte. Öyleyse büyük Rabb'inin adını tesbih et"[11] buyurulmaktadır. Burada Yüce Allah, ölüm anındaki ruhların durumunu anlatmıştır. Sûrenin başında ise önemine binâen "büyük dönüşte" (me'âd'i ekber) ruhların durumunu zikretmiştir. Buna göre ahirette ruhu üç kısma ayırdığı gibi ölürken de üç kısma ayırmıştır.

Diğer bir âyette ise: "Ey mutmain olan nefis, Rabbine, sen O'ndan O da senden razı olarak dön. Kullarım arasına katıl ve cennetime gir"[12] buyurulmaktadır. Selefî âlimler, ruha bu hitabın ne zaman yapılacağı hususunda ihtilaf etmişler. Bir kısmı der ki: "Ölüm anında denecektir." Lafzin zahirinden, bedenden ayrılan ruha deneceği anlaşılmaktadır. Berâ ve başkalarından rivâyet edilen hadislerde Rasûlullah bu âyeti: "Sen ondan razı olarak o da senden razı olmuş olarak çık[13] denir" şeklinde yorumlamıştır. Ruhların Berzah'ta yeri konusunda bu meseleyi inşâallah anlatacağız. Ayrıca "kullarının arasına katıl" âyeti, Rasûlullah'ın "Ey Allah'ım, yüce dosta" hadisine de uygundur.[14]

Kabir azâbı ve nîmeti ile ilgili hadisleri incelediğinde Kur'ân'ın ifadesine uygun olduğumu görürsün. Başarı Allah'tandır.

---

10. Bu, uzunca rivayet edilen sahih Berâ hadisinin bir bölümüdür.
11. Vâkı'a sûresi, (56/83-96).
12. Fecr sûresi, (89/27).
13. Geçen Ebû Hureyre hadisi de bunu destekler.
14. Buhârî, Merdâ (1-9) ve Fedâilu's-Sahâbe (5)de; Müslim Selâm (46) ve Fedâilu's-Sahâbe (85)de; Tirmizî, Deavât (76)da; İbni Mâce, Cenâiz (64) de; İmam Malik; el-Muvatta, Bab'ül-Cenâiz (46) de; Ahmed'de Müsned 6/45'de rivayet etmiştir. Derim ki: Muhaddislerin hepsi, Hz. Âişe'den "yüce dosta beni de ulaştır" lafzıyla rivayet etmiştir. Kitapta geçen lafzı, İmam Malik Hz. Âişe'den açıkça rivayet etmiştir. İlk lafız, bunun da doğruluğuna şahittir.

DOKUZUNCU MESELE

Ölüler Hangi Sebeplerden Dolayı Azap Görürler?

Cevabını iki şekilde veririz: Mücmel (genel) cevap, mufassal (ayrıntılı) cevap. Mücmel cevap şudur. Kabirdekiler, Allah'ı bilmeyip emrine uymadıklarından ve yasakladığından kaçınmadıklarından dolayı azap görürler. Allah'ı tanıyan, seven, emirlerine uyan ve nehiylerinden de kaçınan ruhu ve bedini asla azaplandırmaz. Çünkü gerek kabir azâbı gerekse ahiret azâbı, Allah'ın kuluna kızmasının bir neticesidir. Bu dünyada, Allah'ı kızdıran kişi, tevbe etmeden ölürse Allah'ın gazabi ölçüsünde, Berzah azâbı görür. Allah gazap ettikten sonra günahın azlığı ya da çokluğu, kişinin doğrulayıcı ya da yalanlayıcı olması farketmez.

Mufassal cevab ise şöyledir: Rasûlullah, biri insanlar arasında koğuculuk yapan, diğeri de idrardan sonra istibrâ yapmayan iki kişinin kabirlerinde azap gördüklerini haber vermiştir.[1] Istibra yapmayan, zorunlu temizliği terketmiş olduğundan; koğucu ise sözlerinde doğru da olsa insanlar arasına düşmanlık atmış olacağından günahkârdırlar. Burada insanları yalan, iftirâ ve bühtanla birbirine düşürmenin çok daha büyük günah olacağına işaret vardır. İdrardan sonra istibrâyı terketmekte de istibrâ yaptıktan sonra namaz kılarken, namazın bir kısım vaciplerini ve şartlarını terketmenin daha çok günah olacağına işaret vardır. Şu'be hadisinde: "Birincisi, insanların etini yeyip gıybet etmektedir. İşte bu kimse nemmâmdır(koğucu)" şeklinde geçerken İbn Mes'ûd'dan gelen bir hadiste: "Abdestsiz bir vakit namaz kıldığı ve zulmedilen birini görüp ona yardıma koşmadığı için kabrine öyle şiddetli vurulur ki içerisi, ateşle dolar" buyurularak koğuculuk ve istibrâ anlatılmıştır.

---

1. Buhârî ve diğerleri rivayet etmiştir. Hadis yukarıda geçti.

Buhârî'de, Semra'dan[2] gelen bir hadiste yalan söyledikten sonra yalanı her tarafa yayılan kimseyle Kur'ân'ı öğrendiği halde geceleri uyuyan, gündüzleri de Kur'ân'la amel etmeyen; zina eden erkeklerle kadınların ve de faiz yiyenlerin azap görecekleri bildirilmiştir. Hadiste geçen kişilerin çektiği azâbı Rasûlullah, Berzah'ta görmüştür.

Namaza üşenerek kalkanların başlarının taşla yarılması; mallarının zekâtlarını vermeyenlerin, zakkumlu cehennemin dikenli ağaçların etrafında dolaşmaları; zina yapanların pis kokulu leş etler yemeleri ve sözle fitne çıkaranların ağızlarının, demir makaslarla kesilmesi Ebû Hureyre'den gelen bir hadiste yukarıda anlatılmıştır.[3]

Büyük günah işleyenlerin uğrayacağı akıbet Ebû Saîd hadisinde geçmiştir.[4] Mesela faiz yiyenlerin karınları, evler kadar şişmekte ve onlar, Firavn'ın yolu üzerinde bulunmaktadırlar. Yetim malı yiyenlerin ağızlarından aldıkları kor ateş, altlarından ve ayaklarından çıkmaktadır. Zina eden kadınlar, göğüslerinden asılmaktadır. Gıybet edenler, yan uzuvlarından kesilen etleri yemektedirler. İnsanların ırzlarında gözü olanların yüz ve göğüsleri, bakır tırnaklarla tırmalanmaktadır.

Rasûlullah, ganîmet mallarından aşıran kimsenin kabrinde ateşin yandığını bildirmiştir.[5] Oysa ki bu adamın elde edilen ganîmetlerde hakkı olduğu halde başkalarının hakkına tecâvüz etmekle bu cezâyı hak etmiştir. Kabir azâbını görecekler kalbiyle, gözüyle, kulağıyla, ağzıyla, diliyle, karnıyla, ferciyle, eliyle, ayağıyla ve bedeniyle günah işleyenler, koğuculuk yapanlar, yalanı çok söyleyenler, gıybet edenler, yalan yere şâhitlik edenler, namuslu kadına iftirâ edenler, fitne çıkartanlar, bid'at şeylere çağıranlar, bilmediği bir konuda Allah ve Rasûlü adına konuşanlar, sözünde aşırı olanlar, faiz ve yetim malı yiyenler, rüşvet alanlar, haksız olarak müslüman kardeşinin ya da anlaşmalı müste'menin malını yiyenler, içki içenler, lanetlenmiş ağacın meyvesini yiyenler, zina ve livata edenler, hırsızlık yapanlar, hainler, ahdini bozanlar, aldatanlar, müslümanara tuzak kuranlar, faizi alanlar, verenler ve bunlara şâhitlik edenler, hulle yapanlarla hulle yaptıranlar, Allah'ın emirlerini düşürmek, haramlarını işlemek için çareler arayanlar, müslümanlara eziyet ederek hanımlarının peşine düşenler, Allah'ın hükmü dışında birşeyle hükmedenler, Allah'ın şeriatı dışında bir kanunla fetva verenler, günah ve düşmanlığın yayılmasına yardım edenler, Allah'ın yasakladığı cana kıyanlar, Allah'ın yasaklarını tanımayanlar, Allah'ın sıfat ve isimlerinin gerçeğini tesirsiz sayanlar, Rasûlullah'ın sünnetine bakmadan görüş, siyaset ve anlayış ileri sürenler,

2. Hadis yukarıda geçti.
3. Hadis zayıftır. Yukarıda geçti.
4. Hadis gerçekten zayıftır. Yukarıda geçti.
5. Hadis sahihtir. Yukarıda geçti.

ölmüş birine saç baş yolarak ağlayanlar ve bu ağıtlara kulak verenler, Allah ve Rasûlü'nün yasakladığı cehennem ağıtçıları olan şarkıcılar ve onların söylediği sarkıları dinleyenler, kabirlere mescid yaparak üzerinde kandiller lambalar yakanlar,[6] satarken eksik tartan, alırken ise tam ölçekle alan esnaflar, zorbalar, büyüklük taslayanlar, gösteris yapanlar, kaslarıyla gözleriyle insanlarla alay edip onların kusurlarını araştıranlar, selefî alimlere küfredenler, kâhinlere, müneccimlere ve ibtidâî doktorlara giderek onlara soru sorup, onları tasdîk edenler, ahiretlerini dünya karşılığında satmış zalimlere yardım edenler, Allah'ın azâbı ve ismi anılınca O'ndan korkmadığı halde kendisi gibi bir yaratık korkuttuğu zaman korkan, çekinen, yapılması istenmeyen şeyi terkedenler, Allah ve Rasûlü'nün sözüne çağrıldığında onlara gitmeyip de sözü doğru da yalan da olabilecek hüsnü zan beslediği birinin peşinden gidip ona övgüler yağdırarak hiç karşı gelmeyenler, okunan Kur'ân'dan etkilenmeyenler belki de sıkılanlar, Şeytan'ın Kur'ân'ı okunduğunda, zina meclisi kurulduğunda veya münafıklık olunca içi sevinçle dolu vecde, heyecana ve nes'eye gelip şarkıcının devamlı şarkı söylemesini isteyenler, silahının veya sevdiği bir yaşlının veya yakın akrabasının yahut genç kızların döşeklerinin veya sevdiği bir kişinin hayatının yahutta muteber saydığı bir kimsenin adına yemin ederken yalan söylemezken, Allah adına yemin ettiğinde yalan söyleyenler, yaptığı günahlarla övünen, onları eşinin dostunun yanında açıktan açığa çokça işleyenler, malından ve ırzından emin olmadığın kimseler, çirkin ve kötü sözlerinden dolayı insanların kendisinden uzaklaştığı kimseler, namazını vaktin sonuna kadar geciktirdikten sonra acele acele kılanlar, Allah'ı çok az ananlar, gönül hoşluğuyla mallarının zekâtını vermeyenler, hac yapabilecek durumda iken hac yapmayanlar, gücü yettiği halde ödemesi gereken hakları ödemeyenler, vaktine, sözüne, yiyeceğine ve attığı adımına dikkat etmeyenler, elde ettikleri malın helaline haramına bakmayı önemsemeyenler, miskine, muhtaç birine, yetime ve hayvana acıyıp merhamet etmedikleri gibi yetimi boğanlar, yemeğine de miskinleri çağırmayanlar, kendinin günahı, kusuru varken insanların kusur ve günahlarıyla uğraşanlar ve gerek az olsun gerek çok olsun gerek küçük günah olsun gerek büyük günah olsun bu suçları işleyenler yaptıkları günah ölçüsünde kabirlerinde azap göreceklerdir.[7]

İnsanların çoğu bu günahları işliyor olunca mezarlarda yatanların çoğu da azap görüyor demektir. Azaptan kurtulanlar çok azdır. Dış görünüşüne bakılır-

---

6. والصرح ifadesi dışında hadis sahih liğayrihîdir. Şeyh Elbânî'nin görüşleri için bkz. **el-Ehâdîsu'z-za'îfe**, (225) ve **Tahzîrü's-sâcid**, s. 62-63.

7. Ben derim ki: Müellifin anlattığı her günahın kaynaklarını göstermem gerekir, ama sözü fazla uzatmak istemiyorum. Bu günahların haramlık nedenlerini öğrenmek isteyenler için bkz. İbni Hacer el-Heysemî, **ez-Zevâcir**; Muhammed b. Abdülvehhâb, **el-Kebâir**. Sonuncusunda zayıf hadis çok azdır. Yüce Allah'tan, bütün mü'min kardeşlerimi kabir ve cehennem azabına maruz bırakacak günahlardan korumasını isterim. Âmîn.

sa kabirlerin dışı toprakken içerisinde ateşler yanmaktadır. Dıştan azap görmek toprak ve nakışlı taşlarla olur, içerisinde ise tencerenin içerisinde bulunan yiyecekleri kaynattığı gibi insanları kaynatan belâ ve felâketler vardır. Allah'a yemin olsun ki verilen öğütlerden hiçbirini tutınayarak, aklıyla şehveti arasında kalanlar bu azâbı hak etmişlerdir. Ey dünya yurdunu güzelleştirenler! Sizinle beraber yok olacak yurdu güzelleştirirken her an gidebileceğiniz ahiret yurdunu harâb ediyorsunuz. Başkalarının oturup faydalanacağı evleri yaparken sizden başkasının oturamayacağı ahiret evlerini harâb ediyorsunuz. Burası ebediyyet yurdu, amellerinin karşılığı alınan ekinlerin biçildiği bir yurttur. Burası ibret alınacak bir yer olup, ya cennet bahçelerinden bir bahçedir ya da cehennem çukurlarından bir çukurdur.

ONUNCU MESELE

Kabir Azâbından Kurtulmanın Yolları

Kabir azâbından kurtulmanın mücmel (genel) ve mufassal (ayrıntılı) olmak üzere iki izah tarzı vardır:

Mücmel İzah: Kabir azâbını gerektiren günahlardan sakınmakla mümkündür. En faydalısı, kişi Allah için bir müddet uyuyacağı zaman o günkü kâr ve zararının muhasebesini yapar, nasûh tevbesini yeniler ve uyandığında bir daha günah işlememeye azmederek uyur. Bunu her gece yapar. Bu halde ölse tevbesini yapmıştır; yoksa uyanırsa ecelinin geciktiği sevinciyle güzel ameller işlemeye devam eder. Rabbine yönelerek daha önce yapamadıklarını da yapar. Bütün bunların yanında Rasûlullah'tan gelmiş duâ ve zikirleri yaparak uyumaktan daha faydalısı da yoktur. Allah, hayır murad ettiği kişiye bu hususta yardım eder. Güç ve kudret O'ndandır.

Mufassal İzah: Kabir azâbıyla ilgili Rasûlullah'tan gelen hadisle konuyu açacağız.

Müslim, **es-Sahih**'inde Süleyman'dan şöyle dediğini nakleder: "Rasûlullah'ın şöyle dediğini duydum: "Bir gün, bir gece Allah'a gönül bağlamak, bir ay gündüzleri oruç tutmaktan, geceleri de ibadet etmekten daha hayırlıdır. Bu hal üzere ölen kişiye ameli arz olunur, rızkı verilir ve kabir azâbıdan emin kılınır."[1]

Tirmîzî'nin **el-Camî**'inde, Fudâle b. Ubeyd'den Rasûlullah'ın şöyle dediği rivâyet edilir: "Gönlü Allah'a bağlı olanların dışında kim varsa hepsinin amel defteri kapanır. Gönlü Allah'ta olan kişinin ameli kıyâmete kadar çoğalır ve kabir azâbından da bu kişi korunur."[2] Tirmîzî der ki: "Hadis, hasen ve sahihtir."

---

1. Müslim, c. 13, s. 63; Nesâî, c. 6, s. 39; Tirmizî, c. 5, s. 305-306. Hadisi hasen sayar. bkz. **İrvâü'l-galîl** (1200).
2. Hadis sahihtir. Tirmizi, Tühfe c. 5, s. 250'de; Ebû Dâvûd ise Avn'da c. 7, s. 177'de rivayet eder. bkz. **Ahkâmü'l-cenâiz**, s. 42.

Sünen-i Nesâî'de ashâbdan, Rüşdeyn b. Sa'd'den şöyle bir rivâyet nakledilir: Adamın biri Rasûlullah'a gelerek: "Ey Allah'ın Rasûlü, ne oluyor da şehitlerden başka diğer mü'minler kabirlerinde azap görüyorlar?" deyince Rasûlullah buyurdu ki: "Allah yolunda savaşırken kılıçların kafalarında kırılması azap olarak şehide yeter."[3]

Mikdâm b. Ma'dîkerib der ki: Rasûlullah şöyle dedi: "Şehitin Allah katında altı özelliği vardır: Önce kanına[4] bedel, günahları affedilir. Cennette kalacağı yer gösterilir. Kabir azâbından korunarak büyük korkudan (cehennemden) kurtulur. Dünya ve içindekilerden çok daha hayırlı yâkut bir tâc kafasına konur. Cennet hûrilerinden yetmişiki tanesiyle evlenir. Yakınlarından da yetmişiki kişiye şefâat eder."[5] İbn Mâce ve Tirmîzî aynı lafızlarıyla rivâyet eder. Tirmîzî der ki: "Hadis, hasen ve sahihtir."

İbn Abbâs'tan rivâyet edilir: "Ashâb-i Kiram'dan biri çadırını bilmeden bir kabrin üzerine kurar. Çadırda otururken kabirde yatan ölünün Mülk sûresini baştan sona okuduğunu duyar, doğrudan Rasûlullah'a gelerek: "Ey Allah'ın Rasûlü, bilmeden çadırımı bir kabrin üzerine kurmuştum. Baktım ki kabirde yatan kişi Mülk sûresini baştan sona okudu" dedi. Rasûlullah da: "Mülk sûresi kabir azâbını engeller.[6] Yine o, kişiyi kabir azâbından kurtarır" buyurdu. Tirmîzî der ki: "Hadis, hasen ve garîbdir."

Abd b. Hamîd'in **Müsned**'inde İbrahim b. Hakem'den, o da babası İkrime'den, o da İbn Abbâs'tan nakleder. İbn Abbâs bir adama: "Sevineceğin bir hadis söyleyeyim mi?" dedi. Adam da "evet" deyince İbn Abbâs: "Tebâreke sûresini oku, ezberle. Ayrıca ailene, senin ve komşunun çocuklarına da öğret. Çünkü bu sûre, kendisini okuyan kimsenin kıyâmet günü ateşten korunması için Allah'a başvurur; ezbere bilen kimsenin de kabir azâbından da korunmasını Allah'tan ister. Bu hususta Rasûlullah: "Ümmetimden herkesin bu sûreyi ezbere bilmesini çok isterdim"[7] buyurmaktadır" dedi.

Ebû Ömer b. Abd'ül-Ber der ki: "Rasûlullah'tan geldiğine göre, otuz âyetli bir sûre, kendisini ezbere bilip okuyan kimse affedilene kadar şefâat eder"[8] buyurulmaktadır. Yani Mülk sûresi.

---

3. Hadisin senedi sahihtir. bkz. **Ahkâmü'l-cenâiz**, s. 36.
4. Bu rivayet Tirmizî'ye değil de başkalarına aittir.
5. Tirmizî c. 5, s. 303'te rivayet eder. Tühfe de der ki: Hadis, hasendir, sahihtir ve garibtir. Bundan başka İbni Mâce ve Ahmed de rivayet etmişlerdir. Ahmed'in rivayeti Ubâde b. Sâmit ve Kays el-Cüzzamî yoluyladır. Bilgi için bkz. **Ahkâmü'l-cenâiz**, s. 35-36.
6. bkz. **Zaîfü'l-câmî** (6114).
7. Hadis zayıftır. Râvîlerden İbrahim b. Hakem hakkında **el-Mîzan**'da "ona katılıp, yolunda yürüyenler oldukça azdır. Babasından rivayet ettiği mürsel hadisleri muttasıl olarak rivayet etmiştir" denmektedir. İbni Kesîr'de c. 4, s. 690. "Bu hadis garibtir. İbrahim b. Hakem zayıftır" der. İbni Kesir, hadisi, Taberânî'nin de İbrahim yoluyla rivayet ettiğini bildirir.
8. Ahmed b. Hanbel, Sünen'ül-Erbea müellifler: İbni Hibban ve Hakim rivayet etmiştir. Sahihü'l-câmî'de (2087) hadis hasen kabul edilmektedir. bkz. İbni Kesîr Tefsir'i, c. 4, s. 395.

Sünen-i İbn Mâce'de Ebû Hureyre'den merfû' olarak şöyle bir hadis rivâyet edilir: "Hastalıktan ölen kişi şehittir. O, kabir azâbından korunur. Sabah akşam rızkı cennetten getirilir."[9]

Sünenü'n-Nesâî'de nakledildiğine göre Câmî b. Seddad der ki: "Abdullah b. Yeskür'ün şöyle dediğini duydum: "Süleyman b. Sard ve Halid b. Arfûte ile otururken bir ara karın ağrısından ölen bir adamın cenazesine gitmek istediklerini söylediler. O zaman biri diğerine: "Rasûlullah, 'karın ağrısından ölen kişi kabir azabi görmez' demedi mi?" dedi.

Ebû Dâvûd et-Teyâlisi **Müsned'inde** Şu'be'den, o da Ahmed b. Câmî' b. Seddâd'dan bundan önceki hadisle ilgili olarak babasının şu ziyadeyi yaptığını nakleder: Diğeri de "evet, öyle"[10] dedi.

Tirmîzî'de Rebîa b. Seyf, Abdullah b. Amr'dan nakleder. Rasûlullah şöyle buyuruyor: "Cum'a günü veya gecesi ölen mü'mini Allah, kabir azâbından korur." Hadis hakkında Tirmîzî: "Hasen ve garibdir. Isnadi muttasıl değildir. Rebîa b. Seyf, sadece Abû Abdurrahman el-Hablî ile Abdullah b. Amr'dan hadis rivâyet eder. Rebîa b. Seyf'in Abdullah b. Amr'dan hadis duyduğu bilinmemektedir" der.

Rebîa b. Seyf hadisini, Hâkim Tirmîzî Iyad b. Akabe el-Fehrî yoluyla Abdullah b. Amr'dan rivâyet eder.

Aynı hadisi Hâfız Ebû Nuaym, Muhammed b. Münkedir'den, o da Câbir'den merfû' olarak şöyle rivâyet eder: "Cuma gecesi veya cuma günü ölen kişi, kabir azâbından korunur, kıyâmet günü de başında şehitlerin tacı olduğu halde gelir." Bu rivâyette Amr b. Mûsa el-Vecîhî tek kalmıştır. O, zayıf ve güçsüz bir râvîdir.[11]

Rasûlullah'ın: "Kılıçların kafasında şakırdaması şehide azap olarak yeter" sözü, başında kılıçlar döndüğü halde kaçmamakla imanı, nifaktan ayrılmıştır manasınadır. Münâfık kimse onca kılıçların başında şakırdamasına sabretmez. Demek ki Allah'a imanı sayesinde canını O'nun uğruna atabiliyor; kalbi Allah'ın ve Rasûlü'nün gazabına uğramamak, O'nun dinini açıkça anlatarak Allah'ın adını yüceltme aşkıyla coşuyor. Böylece kalbindeki iman ve sıdkı açığa vuran şehit, kabir azâbından da emin olmuş oluyor.[12]

---

9. Hadis zayıftır. c. 1, s. 515-516. Sünen muhakkiki, Suyûtî ve Busayrî'nin hadis hakkında zayıftır dediklerini nakleder. Hadisin zayıflığı ile ilgili bilgi için bkz. **Zaîfü'l-câmî** (5862)
10. Hadis sahihtir. Nesâî, Tirmizî, İbni Hibban, Teyalisî ve Ahmed b. Hanbel rivayet etmişlerdir. bkz. **Ahkâmü'l-cenâiz**, s. 38.
11. **Ahkâmü'l-cenâiz** adlı kitapta özetle; "Bu hadisi Ahmet ve Tirmizî rivayet etmişlerdir. Hadisin bütün rivayetleri hasen veya sahihtir. (s. 35) **Câmiu'l-usûl** muhakkiki hadisi hasen sayar. (c. 9, s. 272).
12. **Ahkâmü'l-cenâiz** 'in Muhtasarında (s. 35) denmektedir ki: Hadisi, Ahmed ve tirmizi de rivayet etmiştir. Buna şahitler de vardır. Hadis bütün yollarıyla sahihtir, hasendir" **Câmiü'l-usûl** muhakkiki (c. 9, s. 272) hadisi hasen sayar.

Ebû Abdullah el-Kurtubî der ki: "Şehit kimse kabir azâbı görmeyecekse ondan daha değerli, sevabı daha çok olan, ismi Kur'ân'da şehitlerden önce anılan sıddîkların hiç kabir azâbı görmemesi" gerekir. Yine şehâdet mertebesine ulaşamayan murâbıtlar (gönlü Allah'la olanlar) kabir azâbı görmeyince, şehitten mertebesi üstün olan sıddîkın hiç görmemesi gerekir.[13]

es-Sahîhayn'da geçen hadislerde sıddîkların diğer insanlar gibi sorguya çekileceği bildirilmektedir. Bunların başında Ömer b. Hattâb gelmektedir. Rasûlullah, kişinin kabrinde sorguya çekileceğini söyleyince Ömer b. Hattâb: "Orada da bu durumda olacağım" der; Rasûlullah'da: "evet, öyle"[14] diye karşılık verir.

Peygamberlerin kabirlerinde sorguya çekilmesi konusunda farklı iki görüş beyan edilmiştir. Ahmed b. Hanbel'den de iki ayrı görüş gelmiştir. Şehitlere mahsus bu özelliğe, kendilerinde daha yüksek derecede olan sıddîkların da katılması gerekmez. Zaten şehitlerin en büyük özelliği kendilerinden dereceleri daha yüksek olanları geçmek ve onları geride bırakmaktır.

İbn Mâce'nin: "Hastalıktan ölen şehittir. Kabir azâbından kurtulur"[15] hadisi O'nun rivâyette tek kaldığı hadislerdendir. İfrâdında garib hatta münker hadisler bile vardır. Böyle hadisler üzerinde hemen karar verip Rasûlullah'a isnad etmemeli. Eğer hadis sahihse bu, karın ağrısıyla ilgili hadisle kayıtlıdır. Rasûlullah'tan "karın ağrısından ölenler, şehittir"[16] şeklinde gelen hadis doğruysa mutlak hastalık, bu mukayyede hamledilir. Allah iyisini bilir.

Kabir azâbından kurtaran ameller konusuda önemli bir hadis Ebû Mûsa el-Medînî, **et-Tergîb ve'-t-Terhîb** adlı eserinde serh mahiyetinde illetinini de beyan ederek zikretmiştir. Ferec b. Füdâle'den, o da Hilal b. Ebû Cebele'den, o da Saîd b. Müseyyeb'den, o da Abdurrahman b. Semre'den nakleder. Semre anlatıyor: "Medine'nin bir yerinde otururken Rasûlullah çıkageldi. Bize dedi ki: "Dün gece acaip bir rüya gördüm. Ümmetimden birine ölüm meleği ruhunu almak için geldi. Bu arada anne-babasına yaptığı iyilik gelerek ölüm meleğini uzaklaştırdı. Bir adama da şeytanlar tasallut etmişti. Allah'a yaptığı zikirler gelince şeytanlar uçup gittiler. Yine ümmetinden biri, su içmek için havuza her yaklaştığında kovuluyor engelleniyordu. Baktım ki Ramazan orucu geldi, onu suya kandırdı. Ümmetimden bir adam da halka halka oturmuş peygamberlerin yanına yaklaşmak istiyordu, ama her vardığında engelleniyordu. Cenâbetten

13. bkz. **et-Tezkire**, s. 152.
14. Beyhakî, Kabir azabının gerçekliğinde (s. 222) ve itikad'da (s. 223'de) rivayet eder. İtikad Kitabı'nın muhakkinin hasen saydığı hadisi İbni Hibban da rivayet etmiştir.
15. Müellifin de dediği gibi hadis zayıftır.
16. Ben derim ki: Hadis sahihtir. Müslim ve Ahmed Ebû Hüreyre'den naklettikleri uzun bir hadiste rivayet ederler. Hakim ve Beyhakî de bir babda Ömer'den rivayet etmişlerdir. bkz. **Ahkâmü'l-cenâiz**, s. 36-37.

dolayı yaptığı gusul abdesti geldi ve onu benim yanıma oturttu. Yine ümmetimden birinin önünde karanlık, arkasında karanlık, sağında karanlık, solunda karanlık, tepesinde karanlık olduğunu ve şaşkn şaşkn dolaştığını gördüm. Baktım ki yaptığı hac ve umre geldi ve onu karanlıklardan çıkararak nûra soktu. Yine ümmetimde biri ateş içinde yanarken verdiği sadakanın geldiğini, onunla ateş arasında engel olup ona gölgelik yaptığını gördüm. Yine ümmetimden birinin mü'minlerle konuştuğu halde mü'minlerin onunla konuşmadığını gördüm. Yaptığı akraba ziyareti geldi ve: "Ey mü'minler topluluğu, bu adam sıla-i rahim yapardı. Onunla konuşun" dedi. Bunun üzerine mü'minler onunla konuşup musâfaha etmeye başladılar. Yine ümmetimden birinin, zebanîlerin eline düştüğünü gördüm. İyilikle emretmesi, kötülükten sakındırması geldi, adamı zebanîlerin elinden kurtararak rahmet meleklerine teslim etti. Yine ümmetimden bir adamın Allah ile arasında olan perdeden dolayı dizi üzerine oturmuş olduğunu gördüm. Güzel ahlaki geldi ve onu Allah'ın huzuruna çıkardı. Yine ümmetimden birinin amel defterinin solundan verildiğini gördüm. Allah korkusu geldi ve amel defterini onun önüne koydu. Yine ümmetimden birinin terazisi hafif gelirken Allah için yetiştirdiği hayırlı çocuklarının gelip terazisini ağırlaştırdıklarını gördüm. Allah korkusundan akıttığı gözyasları geldi ve onu cehennemden kurtardı. Yine ümmetimden birinin sırat köprüsü üzerinde fırtınalı bir havada, kuru hurma yaprağının sallandığı gibi sallandığını gördüm. Allah'a karşı beslediği hüsnü zanni geldi ve onun köprü üzerinde sallanmadan karşıya geçmesini sağladı. Yine ümmetimden biri elleri ve karnı üzerine sırat üzerinde sürünürken kıldığı namazın geldiğini onu ayağa kaldırdığını ve sırat geçirdiğini gördüm. Ümmetimden biri, cennetin kapına vardığı halde kapılar yüzüne kapanmış, Allah'tan başka ilah yoktur inancı gelerek kapıları açtırmış ve onu cennete sokmuş olduğunu gördüm." Hâfız Ebû Mûsa der ki: "Bu hadis gerçekten hasendir. Râvî Semre, Saîd b. Müseyyeb'den,[17] Ömer b. Zerr'den ve Ali b. Zeyd b. Cüd'ân'dan rivâyet etmiştir."

Rasûlullah'ın rüya hadisi hakkında[18]: "Peygamberlerin rüyası vahiydir; zahirine itibar edilir. Ama bu, Rasûlullah'tan gelen: [19] "Kılıcımm kırıldığını gördüm, bunu şuna şuna yorumladım. Boğazlanan bir inek gördüm.[20] Akabe b. Ra-

17. Hadis zayıftır. Taberânî, Hakîm Tirmizî Abdurrahman b. Semre'den rivayet ederler. Suyûtî el-Camî'de hadise zayıf notu düşmüştür. Munâvî de Üstad Elbânî gibi hadisi zayıf sayar. bkz. **Feyzü'l-Kadîr**, c. 3, s. 25-26.
18. Buhârî ve Müslim Hz. Âişe'den uzunca rivayet ettikleri bir hadiste rivayet ederler. Hadisin başı şöyledir: "Rasûlullah'a ilk gelen vahiy, uykusunda gördüğü sâlih rüyadır. bkz. **el-Lü'lü'ü ve'l-mercân**, c. 1, s. 32.
19. Buhârî ve Müslim uzun bir hadis içerisinde rivayet ederler. İbni Mâce de Ebû Mûsâ'dan rivayet eder. bkz. **Sahîhü'l-câmî** (3470).
20. Bir önceki hadisin bölümüdür. Ahmed, Nesâî, Ziya Cabir'den rivayet ederler. bkz. **Sahîhü'l-câmî** (3466)

fî'nin evinde de bir şiddet ve telaş gördüm" [21] şeklindeki rivâyete benzemez denilmektedir.

Sahih'te Semre'den rivâyet edilen hadisle Ali ve Ebû Ümâme'den rivâyet edilen hadisler,[22]

21. Ahmed Müslim, Ebû Dâvûd ve Nesâî Enes'ten rivayet etmişlerdir. Bilgi için bkz. **Sahîhü'l-câmî** (3470).
22. Semre'den gelen hadiste hadisin tahrici geçti. Ali ile Ebû Ümâme'den gelen rivayeti **Kütüb ü Sitte** ve **el-Muvatta** da bulamadım. Bunu nereden aldılar, hadisin sıhhati nedir? Umulur ki Yüce Allah çalışmamı kolaylaştırır. Ama her halükârda Semre'den gelen hadis bize yeterlidir.

ONBİRİNCİ MESELE

Kabir Suali Müslüman, Münafık ve Khafir Herkese mi Sorulacaktır Yoksa Sadece Mü'minle Münafığa mı?

Ebû Ömer b. Abdü'l-Ber, **Kitâbu't-Tehmîd**'de der ki: "Bize kadar gelen delillerden, kabir sualinin, ehli kıbleye mensup ve kelimeyi şehâdeti getirenlere yani müslüman ve münâfıklara sorulacağı anlaşılmaktadır. Bâtıl inançlı ve inkârcı kâfire ise Rabbinden, dininden ve peygamberinden sorulmaz. Bu sorular müslümanlara mahsustur. Allah, iman edenlere imanlarında sebat kılmaları için yardım eder. Bâtıl yolda olanların ise ayaklarını kaydırır".[1]

Kur'an ve sünnet ise bu iddianın aksine kabir sorgusunun hem kâfire hem de mü'mine olacağını bildirmiştir. Bununla ilgili olarak Allah: "Allah, iman edenlere, dünyada ve ahirette daima sabit bir söz üzerinde kalmaları için sebat ihsan eder, zalimleri ise hak yoldan saptırır. Allah dilediğini yapar"[2] buyurmaktadır. **es-Sahîh**'de, bu âyetin: Rabbin kimdir, dinin nedir, peygamberin kimdir? diye sorulduğunda kabir azabıyla ilgili olarak nâzil olduğu bildirilmektedir.[3]

es-Sahîhayn'da Enes b. Malik'ten Rasûlullah'ın şöyle dediği nakledilir: "Kul kabre konunca, başından ayrılan dostlarının ayak seslerini duyar..". Buhârî'de şu ziyade vardır: "Kâfir ve münafığa gelince ona sorulur: Şu adam hakkında ne dersin? Münafık ya da kâfir: Bilmiyorum. Ben de insanların buna söylediğini söylüyorum" der. Bunun üzerine "demek bilmiyorsun?" denir ve demir tokmakla kafasına öyle vurulur ki çığlığını, insan ve cin dışında herşey duyar". Bu-

---

1. Buraya kadar olan kısım İbni Abd'ül-Berr'e aittir. Buradan sonrası da İbni Kayyım'ın kâfirlerin kabir azabı göreceklerine dair İbni Abd'ul-Berr'e yaptığı itirazlardır.
2. İbrahim sûresi, (14/27)
3. Buhârî, Müslim ve diğerleri rivayet etmişlerdir. Hadisin lafız ve rivayet yolları için bkz. İbni Kesir Tefsiri, c. 2, s. 531; **İsbâtü azâbi'l-kabr**, s. 27-32.

hârî'de geçen hadis böyledir.[4] .. وأما المنافق والكافر ifadesi hadiste vav harfiyle başlar. Bu hadisi, Ebû Saîd el-Hûdrî'den (İbn Mâce ve Ahmed b. Hanbel de rivayet etmiştir.[5] Ebû Saîd el-Hûdrî der ki: "Rasûlullah'la beraber bir cenazeye katılmıştık. Rasûlullah dedi ki: "Ey insanlar. Bu ümmet, kabirlerinde azap ve cezâ görmektedirler. Kişi kabre konup dostları başından ayrılınca ölüm meleği elinde demir tokmakla gelir ve: "Şu adam hakkında ne diyorsun?" der. Kabirde yatan kişi mü'min bir kimse ise "şehâdet ederim ki Allah'tan başka bir ilah yoktur. O'nun ortağı yoktur. Yine şehâdet ederim ki Muhammed Allah'ın kulu ve Rasûlü'dür" der. Melek de: "Doğrusunu söyledin" der ve kabirden cehenneme bir kapı açarak: "Rabbine küfretseydin kalacağın yer burası olacaktı" der. Yok eğer kabirde yatan kâfir veya münafık ise meleğin: "Şu adam kimdir?" sorusuna, "bilmiyorum ki" der. O zaman: "Demek bilmiyorsun, doğruyu bulamamışsın" denir ve kabrinden cennete bir kapı açılarak: "Rabbine iman etseydin burada kalacaktın. Ama O'na küfrettin. O da sana burayı yasak etti" denir. Sonra cehenneme bir kapı açılar. Melek, bu kişinin kafasına bir tokmak öyle vurur ki insan ve cinden başka herşey onun çığlığını duyar". Rasûlullah bunları anlattıktan sonra sahâbeden biri: "Ey Allah'ın Rasûlü, ölüm meleği kimin başına gelse o kişi korkup titrer" deyince Allah Rasûlü: "Allah, iman edenleri, dünyada da ahirette de sağlam sözde sabit kılar. Zalimleri de saptırır. Allah, dilediğini yapar" âyetini okudu.

Kabir azabı, uzunca olan Berâ b. Âzıb[6] hadisinde şöyle anlatılır: "Kâfir bir kimse dünyadan ayrılıp ahirete gideceği zaman ellerinde demir çengeller olan melekler gelir". Berâ, bu hadisi: "Sonra ruhu kabirdeki bedenine gönderilir" bölümüne kadar rivayet eder. Başka bir rivayette "kişi kâfir ise ölüm meleği gelip başına oturur" şeklinde geçmektedir. Bu rivayet şöyle devam eder: "Bu kötü ruh kime aittir? der. En kötü ismini kullanarak, "fülanca adamdır" derler. Ruh dünya semasına varınca, semanın kapısı kapanır ve kafasına gökten taş atılır". Rasûlullah, bu kısmı anlatınca şu âyeti okudu: "Kim Allah'a ortak koşarsa o, sanki gökten düşmüş de kendisini kuş kapıyor veya rüzgâr onu uzak bir yere sürüklüyor gibidir".[7] Bu âyeti okuduktan sonra Allah Rasûlü sözünü şöyle sürdürür: "Ruhu, cesedine gönderilir. Azarlayıcı iki tane korkunç melek gelir ve azarlayarak yanı başına otururlar. Adama sorarlar: "Rabbin

4. Ahmed, Buhârî, Müslim, Ebû Dâvûd ve Nesâî Enes'ten rivayet etmişlerdir. bkz. **Sahîhü'l-câmî**.
5. İbni Mâce'de hadisi bulamadım. Ahmed b. Hanbel'in senediyle rivayet ettiği hadis hakkında Hafız İbni Kesîr der ki: "Bu senette bir sakınca yoktur. Abbad b. Raşid et-Temîmî'den bazıları zayıf görmekle beraber Buhârî, muttasıl rivayet etmiştir. **İbni Kesîr Tefsiri**, c. 2, s. 533. Ben derim ki: "İbni Hacer, **et-Takrîb**'de Abbad hakkında "doğru birisi olmakla beraber vehimleri vardır" der. Bundan önceki hadise bakılacak olursa Abbad b. Râşid'in durumu iyidir. Allah iyisini bilir.
6. Hadis sahihtir.
7. Hac sûresi, (22/31).

kim? Adam: "Ne? Bilmiyorum ki" der. Melekler de: "Demek bilmiyorsun" derler. İkincisinde: "Size gönderilen şu peygamber necidir peki?" diye sorarlar. Adam da: "İnsanların O'na peygamber dediklerini duydum. Fakat ben bilmiyorum" deyince melekler: "Demek bunu da bilmiyorsun?" derler. Adamın verdiği cevaplar: 'Allah, zalimleri saptırır. Allah dilediğini yapar' âyetinin gerçekleşmesidir" buyurur.

Kur'ân ve sünnet literatüründe fâcir terimi, kesinlikle kâfiri de içine alır. Meselâ âyette: "Salihler, nimeti çok olan cennettedirler. Fâcirler ise pek kızgın cehennemdedirler"[8] ve "hayır, fâcirlerin kitaplarında cehennem derecesine gidecekleri yazılıdır"[9] buyurulmaktadır. Berâ hadisinin bir rivayetinde de: "Kâfir dünyadan ayrılıp ahirete gideceği zaman, yanlarında ateşten elbiseler ile katrandan gömlekler olan kızgın korkunç melekler gelirler ve ona kızarlar. Adamın ruhunu, ıslak yünden, çok dikenli şişin çıkarıldığı gibi bedeninden çıkarırlar. Yerde ve gökte bulunan bütün melekler, adama lanet ederler".

Hadis, şöyle de rivayet edilir: "Kabre konan kişi, mezarından ayrılanların ayak seslerini duyar. Kabirde adama şunlar sorulur: "Rabbin kim, dinin nedir, peygamberin kimdir?" Buna cevap olarak: "Bilmiyorum" deyince melekler: "Demek bilmiyorsun" derler. Hadis böyle sürüp gider. Bunu, Hammâd b. Seleme, Yûnus b. Habbâb'dan, o da Minhal b. Amr'dan, o da Zâzân'dan, o da Berâ'dan rivayet etmiştir.

İsâ b. Müseyyeb,[10] Adiy b. Sabit'ten, o da Berâ'dan rivayet ettiği bir hadiste şöyle anlatılır: "Rasûlullah'la birlikte Ensar'dan birinin cenazesine katıldık..". Bu uzun hadisi şöyle sürdürür: "Kâfir bir kimse dünyadan ayrılıp ahirete gideceği zaman yanlarında cehennem kefeni ve tabutu olan bir grup melek ruhunu almak için gelir". Bu kısmı da rivayet ettikten sonra devamında: "Ruhu, cesedine gönderilir. Sonra tırnaklarıyla yeri didik didik eden, saçlarıyla arzı iyice karıştıran, sesi şiddetli gök gürültüsünü, gözleri ise göz kamaştıran şimşek gibi Münker ve Nekir adında iki melek gelir. Kabirde yatan adama: "Rabbin kimdir?" derler. Adam da: "Bilmiyorum ki" deyince kabirden bir ses gelir: "Demek bilmiyorsun?" Sonra kafasına demir çubuk vurulur. Doğu ve batıda bulunanlar bir araya gelseler, buna engel olamazlar. Ayrıca kemikler birbirine girecek ölçüde kabri de daraltılır". Ve hadisin devamı.

Ahmed b. Hanbel Müsned'inde, Ebû'n-Nadr Hâşim b. Kâsım, İsâ b. Müseyyeb[11] yoluyla aynı hadisi rivayet etmektedir.

---

8. İnfitâr sûresi, (82/13).
9. Mutaffifîn sûresi, (83/7).
10. İsâ b. Müseyyeb'in zayıf bir râvî olduğu geçti.
11. İsâ b. Müseyyeb burada da zayıftır.

Muhammed b. Seleme, Hasîf, Mücâhid ve Berâ yoluyla gelen bir hadiste de: "Ensar'dan bir adamın cenazesinde iken Rasûlullah çıkageldi". Berâ, hadisi şuraya kadar getirir: "Rasûlullah dedi ki: Kâfir bir kimse kabre konunca Münker ve Nekir adında iki melek gelir. Adama sorarlar: "Rabbin kimdir?" Adam: "Bilmiyorum" deyince melekler: "Demek bilmiyorsun?"[12] derler. Ve hadisin devamını zikreder.

Özetli Berâ b. Âzib'dan gelen çoğu rivayette kesinlikle: "Kâfire gelince" ibaresi geçmektedir. "Fâcire gelince münafık ve henüz imandan şüpheli olana gelince" şeklinde rivayetler olsa da bu, bazı râvîlerin şüphesidir. Çünkü onlar hadiste, Rasûlullah'ın böyle dediğini bilmiyorum, demişlerdir.

Hadiste geçen, "kâfir ya da fâcir" ifadelerini her hangi bir şüpheye düşmeden nakledenlerin rivayeti, -ki böyle rivayet edenler çoktur- şüpheli rivayet edenlere tercih edilir. Ayrıca bu iki rivayet arasında bir çelişki de yoktur. Zira, kâfir gibi münafık da sorguya çekilecektir. Allah, iman edenlere sebat verirken kâfir ve münafık zalimleri saptıracaktır.

Ebû Saîd el-Hüdrî, Âmir Akdi'nin Abbad b. Râsid'den, o da Dâvud b. Ebî Hind'den, o da Ebû Nadra'dan rivayet ettiği hadiste, her iki rivayeti de birleştirmiştir. Ebû Saîd el-Hüdrî der ki: "Rasûlullah'la bir cenazeye katıldık ettik"[13] kısmını zikrettikten sonra şunu nakleder: "Eğer kabirde yatan kişi kâfir ya da münafık ise: "Şu adam hakkında ne diyorsun?" diye sorulur. O da: "Bilmiyorum" der. Anlaşıldığı üzere buradaki sual, kâfir ve münafığa sorulmaktadır. Ebû Ömer'in: "İnkarcı ve bâtıla düşmüş kâfirden, Rabbi ve dini sorulmaz" iddiasına şöyle cevap veririz: "Bu iş böyle değil. Belki de sorguya çekilecekler arasında en önde gelenler bunlardır".

Kur'ân'da Allah, kâfirin de sorguya çekileceğini bildirmiştir. O gün onlara seslenerek: "Rasûllerin davetine neyle karşılık verdiniz" denir.[14] Diğer bir âyette: "Rabbine yemin olsun ki hepsine yaptıklarından sual soracağız".[15] ve: "Kendilerine Rasûller, gönderilenlere ve Rasûllere soracağız"[16] buyurulmaktadır. Kıyamet günü sorguya çekilecekler, yattıkları kabirlerde nasıl sorguya çekilmesinler. Bu işler, Ebû Ömer'in dediği gibi değildir.

---

12. Râvî Hasif hakkındaki kanaatlar yukarıda geçti. Ben derim ki Berâ hadisi sahihtir. Şeyh Elbânî hadisin sahih ziyadelerini bir yerde toplamıştır. bkz. **Ahkâmü'l-cenâiz**, s. 156.
13. Hadisin tahrîci geçti. Hasen bir hadistir. İyisini Allah bilir.
14. Kasas sûresi, (28/65).
15. Hicr sûresi, (15/92).
16. A'râf sûresi, (7/6).

ONİKİNCİ MESELE

Münker ve Nekir Melekleri Sadece Bu Ümmeti mi Sorguya Çekerler Yoksa Bu Sorgulama, Diğer Ümmetler İçin de Söz Konusu mudur?

Bu hususta, birkaç görüş ileri sürülmüştür. Ebû Abdullah et-Tirmîzî der ki: "Kabir suali, sadece bu ümmete mahsustur. Çünkü bizden önceki ümmetlere Rasûller gönderilmiş. Getirilen daveti kabul etmeyince onlardan yüz çevirmişler ve azaplarının bu dünyada olmasını istemişlerdir. Nihayet: "Seni âlemlere rahmet olarak gönderdik"[1] âyetinin gereği olarak insanlara rahmet olarak Rasûlullah gelince azabı, onlardan engellemiş ve İslâm dinini tanıtıncaya kadar onlara kılıçla karşılık vermiştir. Kılıç korkusundan müslüman olanların imanları, kalplerine yerleşene kadar da onlara mühlet vermiştir. O halde münafıklar, küfürlerini gizleyip imanlarını ilan ederek müslümanlar arasında engel olmaktadırlar. Öldükleri zaman melekler, münafıkların içinde gizlediklerini açığa vurmak için onları sorguya çekerler. Bu konuda Allah: "Allah, iyilerle kötüleri birbirinden ayırır. Allah, iman edenlere dünya ve ahirette imanda kalmaları için sebat verir. Allah zalimleri ise saptırır. Allah dilediğini yapar"[2] buyurmaktadır.

Kurtubî ve İşbîlî gibi bazı alimler buna karşı çıkarak: "Kabir suali hem bu ümmet hem de diğer ümmetler için söz konusudur" demektedirler.

Ebû Ömer b. Abdü'l-Berr'de kesin bir görüş beyan etmeyerek Zeyd b. Sabit'in Rasûlullah'tan yaptığı: "Bu ümmet, kabirlerinde sorguya çekilecektir" şeklindeki rivayeti, kabir azabının yalnızca bu ümmete mahsus olduğunu göstermektedir. Ama bu kesindir denemez, demektedir.[3]

---

1. Enbiyâ sûresi, (78/107).
2. İbrahim sûresi,(71/27).
3. bkz. Kurtubî, *Tezkire*, s. 149.

Kabir sualinin sadece bu ümmete ait olduğunu söyleyenler, Rasûlullah'ın şu sözünü buna delil getirirler: "Bu ümmet, kabirlerinde sorguya çekilecektir ve kabrinizde sorguya çekileceğiniz bana vahyedildi".[4] Bundan, sualin bu ümmete mahsus olduğu anlaşılmaktadır. Münker ve Nekir meleklerinin: "Size gönderilen şu adam hakkında ne dersiniz?" sorusuna mü'min kişinin: "Şehâdet ederim ki O, Allah'ın kulu ve Rasûlüdür" demesi de bunun, yalnızca Rasûlullah için olduğuna delildir. Diğer hadiste geçen: "Size, benden sorulacak, bana da sizden" sözü de delil olarak kullanılabilir.

Bazı âlimler de der ki: "Bu, kabir sualinin diğer ümmetler dışında yalnızca bu ümmete mahsus olduğuna delil olmaz. Çünkü hadiste geçen "bu ümmet" ifadesi insanlık anlamına da gelebilir. Nitekim Kur'ân'da "Yerde olan bütün hayvanlar, havada iki kanadıyla uçan bütün kuşlar da ancak sizin gibi bir ümmettir"[5]buyurulmaktadır. Bu açıdan, hayvan türünün her bir bölümüne "ümmet" denebilir. Hadiste de: "Eğer köpekler de ümmetlerden bir ümmet olmasaydı, öldürülmelerini emrederdim"[6] buyurulmaktadır. Başka bir hadiste[7] de anlatıldığına göre Rasûlullah'ı bir karınca ısırır. Bunun üzerine peygamberimiz, o bölgede bulunan bütün karıncalarının toplatılıp yakılmasını emreder. Rasûlullah'ın bu davranışı vahiyle düzeltilir: Habibim, seni ısıran tek bir karıncaydı. Sen ise Allah'ı tesbih eden ümmetlerden bir ümmeti toptan yakıyorsun".

Kabir suali, Rasûlullah'ın gönderildiği yalnızca bu ümmetle ilgili olmadığından dolayı diğer ümmetlerin sorgulanmayacağına dair bir bilgi gelmemiştir. Belki de geçmiş ümmetlerin kabirlerinde sorguya çekildiği bildirilmiş, bu ümmetin diğer ümmetlere olan üstünlüğü nedeniyle sorguya çekilmenin yalnızca geçmiş ümmetlere ait olmadığı bildirilmiştir.

---

4. Müslim'in, bâb'ül-Cennet'te (67), Ahmed'in de **Müsned**'inde (3/233) Rasûlullah'tan rivayet ettikleri şu hadis de buna şahittir: "Bu ümmet, kabrinde sorguya çekilecektir." Derim ki: "İbni Abdü'l-Berr'in sözünde işaret edilen hadis Zeyd'den gelen hadistir. "Bana vahyolundu..." lafzıyla başlayan hadisi kaynaklarda bulamadım. Yukarıdaki hadis bu manada olduğundan ona ihtiyaç yoktur. Ahmed b. Hanbel, Deccal ve Kabir azabıyla ilgili Hz. Âişe'den uzunca bir hadis rivayet etmiştir. Senedini Elbânî hasen saymaktadır. Bilgi için bkz. **Sahîhü'l-câmî** (1374).
5. En'âm sûresi, (63/38).
6. Hadisin devamı şöyledir: "Bunlardan her siyah hayvanı öldürün. Eve bağlanmış her köpek, sahibinin amelinden hergün bir kırat azaltır. Av köpeği, tarla köpeği ve çoban köpeği bundan hariçtir. Ahmed b. Hanbel **Müsned**'inde, Tirmizî, Nesâî, İbni Mâce, Ebû Dâvûd Abdullah b. Mağfel'den rivayet etmişlerdir. Aynı hadisi Suyûtî de **el-Fethu'l-Kebîr**'de zikreder. Ben derim ki: Ebû Dâvûd, -hayvanlafzının geçtiği yere kadar olan kısmı muhtasar olarak rivayet etmiştir. Tirmizî'nin rivayeti diğerleri gibi, Ebû Dâvûd'un rivayetine benzemektedir. Suyûtî'nin de rivayetinin olduğunu söylemek hatadır. Çünkü o râvî değildir, toplayan, birleştirendir. Doğrusu: "Suyûtî hadisi zikretmiştir" demektir. **el-Fethu'l-kebîr**'de zikretmesi de hatadır. Çünkü bu eser Nebbhânî'nin olup Suyûtî'nin değildir. Hadisi, Hocamız Elbânî sahih kabul eder. bkz. **Sahîhü'l-câmî** (5198).
7. **Kütüb-ü Sitte** müellifleri Ebû Hureyre'den rivayet etmişlerdir. Hadisin rivayet ve açıklanması için bkz. **Avnu'l-ma'bûd**, c. 14, s. 177-178.

Rasûlullah'ın: "Kabirlerinizde sizin de sorguya çekileceğiniz bana vahiyle bildirildi" sözü de bunu gösterınektedir.

Münker ve Nekir'in: "Size gönderilen bu adam necidir?" sualleri de buna delildir. Allah bilir ya bu, ümmete kabirde, sorgulamanın olduğunu haber vermekten ibaretir. Her peygamber, kabirde olacağı bildirebilir. Nasıl ki kıyâmet günü, sorgulama ve suç ispatından sonra günahkârlar azap göreceklerse aynı şekilde kabirlerinde de sorgulama ve suç ispatından sonra azap göreceklerdir.[8] Allah en iyisini bilir.

8. Ben derim ki: Burada doğru olan görüş Kurtubî'nin: "Kabir suali bu ve diğer ümmetler için umumdur" görüşüdür. Daha geniş bilgi için bk: **Isbâtü azâbi'l-kabr**, s. 33-34. Allah en iyisini bilir.

ONÜÇÜNCÜ MESELE

Çocuklar İçin de Kabir Suali Var mıdır?

Bu konuda Ahmed b. Hanbel'den iki görüş gelmiştir. Tartışmalar bu görüşler etrafında dönmektedir.

Kabir sualinin çocukları da içine alacağını söyleyenlerin delili, çocukların cenaze namazlarını kılıp onlara duâ etmenin meşrû olmasıdır. Malik'in **Muvatta**'ında Ebû Hureyre yoluyla gelen bir hadiste Rasûlullah, bir çocuğun cenazesini kıldıktan sonra: "Allah'ım, onu kabir azabından koru"[1] diye duâ ettiği rivayet edilir. Kabir azabından ve sualinden koruması Allah'a duâ etmek, onun da sual vereceğine delildir.

Diğer bir delil Ali b. Ma'bed'in Hz. Âişe'den rivayet ettiği hadistir. Rivayete göre Hz. Âişe, küçük bir çocuğun cenazesini görür ve ağlamaya başlar. Denir ki: "Ey mü'minlerin annesi, niçin ağlıyorsun?" Hz. Âişe cevaben: "Kabrin sıkacağı şu çocuğa olan şefkatimden dolayı ağlıyorum"[2] der.

Diğer bir delil de Hennad b. Sürâ'nın Ebû Muaviye'den, onun da Yahya b. Saîd'den, onun da Saîd b. Müseyyeb'den, onun da Ebû Hureyre'den naklettiği olaydır. "Rasulullah, hayatında hiç günah işlememiş bir çocuğun cenaze namazını kıldıktan sonra: "Allahım, onu kabir azabından koru" diye duâ etmiştir.

Diyorlar ki: "Allah, çocukların durumlarını bilmeleri için onları olgunlaştırır ve sorulan sorulara cevap vermeleri için onlara ilham verir".

---

1. Ben derim ki: Saîd b. Müseyyeb, Ebû Hureyre'nin arkasında cenaze namazını kılınca Ebû Hureyre'nin böyle dua ettiğini duymuştur. Senedi sahih olmakla beraber Ebû Hureyre'den sen bulduğundan mevkûf bir hadistir. Hadisin tahrici için bkz. **el-Muvatta, Tenvîru'l-havâlik**, c. 1, s. 221-227.
2. Hadisi Kurtubî **et-Tezkire**'de (S.100) zikrettikten sonra der ki: "Aynı şekilde Ebû Ali b. Ma'bed İbrahim Ganevî'den o da bir adamdan rivayet etmiştir...) Ben derim ki: Ganevî'nin hadis aldığı kişi meçhul olduğundan dolayı hadis zayıftır.

Şu delil de onlara aittir: Rasûlullah'tan gelen birçok hadis, çocukların ahirette sorguya çekileceklerini ifade etmektedir. İmam Eş'ari Ehli Sünnetten bu görüşü naklettikten sonra: "Ahirette sorguya çekilmeleri, kabirlerinde de sorguya çekilmelerine engel değildir"[4] der.

Birinci görüşü kabul etmeyenler de şöyle demişlerdir: Sual sorulacak kişinin, insanlara peygamber olarak gönderilen Rasûlü, kavrayabilecek bir seviyede olması gerekir ki "Rasûle iman edip ona itâat etti mi, yoksa etmedi mi?" diye sorulsun. Zira, "Size peygamber olarak gönderilen şu adam hakkında ne diyorsun?" denildiğinde çocuk bundan birşey anlayamayacaktır. O halde: "Size peygamber olarak gönderilen şu adam hakkında ne diyorsun?" diye çocuğa nasıl sorulabilir: Kabirde çocuğa akıl verilse de bilip öğrenmediği birşeyden sormanın hiçbir anlamı yoktur. Ahirette imtihan edilmesi ise bundan farklıdır.[5] Allah, onlara Rasûl göndermiş, akılları olduğundan, gönderilen Rasûle uymalarını emretmiştir. Kim Rasûle tabî olursa onu kurtarır. Asî olanı ise cehenneme atar. Buradaki sorgulama, o anda yapmaları gereken bir işten dolayıdır. Bu, Münker ve Nekir meleklerinin kabirde yaptığı gibi dünyada yapmış oldukları itâattan ya da isyandan dolayı yaptıkları sorgulama değildir.

Ebû Hureyre'den gelen rivayette, çocuğun dünyada yaptığı iyilik veya kötülüğün karşılığını görmesi, kabir azabı demek değildir. Çünkü Yüce Allah günahsız kimseleri cezâlandırmayacaktır. Belki kabir azabından, işlediği bir suçun günahı yoksa başka bir sebepten dolayı duyulan acı kastedilmektedir. Mesela bir hadiste: "Ölü, ehlinin arkasından ağlamasından dolayı azap görür" buyurulmaktadır. Yani işlediği bir günahtan değil de ehlinin ağlamasından dolayı

---

3. Merfû' olarak da mevkûf olarak da rivayet edilmiştir. bkz. **İsbâtü azâbi'l-kabr**, s. 105, 133, 134. Mevkûf rivayet, yukarıda geçen Malik yoluyla gelen hadise şahittir. Merfû' olarak gelişini henüz anlayamadım. Beyhakî'nin ibaresi şöyle: Merfû' olarak rivayet etmiştir. Diğeri de Zâzân'ın amcasından mevkûf olarak rivayet etmiştir". Allah bilir ya merfû' olması biraz uzakbr. Mevkûf olmalıdır.
4. Kıyâmet günündeki sorgulama ile ilgili hadisleri İbni Kayyım **Tarîk'ul-hicreteyn**'de (s. 397-400) rivayet yollarıyla beraber zikretmiştir.
5. Ben derim ki: Sağırlar, fetret devrinde yaşayanlar ve diğerlerinin kıyamet günü sorguya çekilecekler, sabit birçok hadislerde açıklanmıştır. Müslüman ailelerin çocuklarına gelince bunlar babalarına tabidirler. Âyeti celîlede: "Onları zürriyetlerine ilhak ettik..." buyurulmaktadır. Bu konuda sahih bir hadis de gelmiştir. bkz. Beyhakî *itikat*, s. 164, 170. ibarenin sonu şöyledir: "Müslümanların çocuklarından kim kıyamet günü anne-babasına mümin olarak ulaşamazsa bunlar, ahirette sorguya çekileceklerdir.
6. Buhârî, Müslim ve Ahmed b. Hanbel İbni Ömer'den metinde geçen şekliyle rivayet etmişlerdir. Rivayetler; yolları ve tahrici için bkz. **Ahkâmü'l-cenâiz**, s. 38-39. Bu kitapta müellif hadisi yorumlarken İbni Kayyım'ın ve cumhurun görüşünü naklettikten sonra, İbni Kayyım'ınkini tercih etmiştir. Elbânî der ki: Bu hadis, ölümünden sonra arkasından ağlanılmasını emredenle, adette ölülere ağladığını bildiği için arkasından ağlanmamasını vasiyet etmeyen kimseye hamledilir." Abdullah b. Mübarek de der ki: "Yakınlarını, ölümünden sonra arkalarından ağlamasından o (Ebû Hureyre) menetmiştir. Yok bu yasağa uymayıp ağlarlarsa, bunun ona bir zararı olmaz." Ashab-ı Kiram, azabdan ikabı kastetmişlerdir. Diğer açıklamalar için bkz. a.g.e.

acı çeker. Âyette bu husus: "Kimse, kimsenin günahını yüklenmez"[7] şeklinde açıklanmaktadır.

Rasûlullah'ın: "Yolculuk, azaptan bir cüz'dür" sözü de buna benzer. Buna göre azap "ukûbet"ten daha geniş bir manayı ifade eder. Şüphesiz kabirde acı, keder ve ateş vardır. Bunlar çocuk için söz konusu değil ki çocuk acı çeksin. İşte çocuğun cenaze namazının kılınması Allah'ın bu çeşit azaptan koruması içindir. Allah en iyisini bilir.

7. En'âm sûresi, (6/164).

ONOÜRDÜNCÜ MESELE

Kabir Azabı Sürekli midir Yoksa Geçici midir?

Bu soru iki şekilde cevaplandırabiliriz. **Birinci şekil cevap:** Bazı hadislerde iki nefha arasında azaplarının hafifletileceği bildirilmiştir. Kabirlerinden kalkınca: "Vah bize, yattığımız yerden bizi kim kaldırdı?"[1] derler. Bu âyette azabın sürekli olduğu bildirilmiştir. "Ateş, sabah akşam onlara sunulur".[2] Buhârî'nin Semre yoluyla Rasûlullah'ın rüyası ile ilgili hadis de bu manadadır, yani: "Kıyâmete kadar böyle azap görürler".[3]

İki yaş hurma çubuğunun, kuruyana kadar iki ölünün azabını hafifletmesinin umulmasıyla ilgili İbn Abbas'tan gelen hadis de azabın sürekliliğini gösterir. Hurma çubukları yaş olduğu müddetçe, azap hafifletilmektedir.[4]

Rebî b. Enes'in Ebu'l-Âliye yoluyla Ebû Hureyre'den rivayet ettiği hadiste: "Sonra, başları taşla yarılan bir kavme rastladım. Kafası yarıldıkça yeniden iyileşiyor. Onlara bu cezâ sürekli verilecektir".[5] es-Sahîh'te de: "Giydiği iki hırkayla böbürlenerek yürüyen kişiyi Allah'ın yere batırdığı, bu cezânın da kıyâmete kadar süreceği" rivayet edilmiştir.[6]

---

1. Yâsîn sûresi, (36/52).
2. Gâfir sûresi, (40/46).
3. Ben derim ki: İbni Kesîr Tefsir'inde şöyle denmektedir: (Ubey b. Ka'b, Mücâhid, Hasen ve Katâde'ye göre ölüler, dirilişten önce bir defa uyuyacaklardır. Katâde der ki: Bu uyku, iki sûra üfleme arasındadır. İşte o zaman "bizi yerimizden kim kaldırdı" diyecekler. Bunlara karşı mü'minler de cevap vereceklerdir. Birçok selefin görüşü budur. İbni Kesîr'in gafletinden mi, yoksa İbni Kayyım'ın gafletinde mi olacak bunu bilmiyorum, bu konuda hiç merfû' hadis zikretmeden mevkûf hadisleri merfû gibi zikrediyorlar. Ya da Ubey b. Ka'b'ın vahiyden öğrendiği şeyi merfû'dur zannediyorlardır. Ayrıca İbni Kesîr sözkonusu mevkûf hadislerin senetlerini olsun zikretseydi de inceleseydik, araştırsaydık bkz. **İsbâtü azâbi'l-kabr**, 8-128. Orada, müfessir İbni Habib yoluyla İbni Abbas'tan bu manada senetsiz bir eser daha nakledilmiştir. Beyhakî bu eserinde hiç merfû' hadis zikretmemiştir. Eğer merfû bir hadis bilmiş olsaydı, asla senetsiz olarak başkasından mevkûf bir hadis rivayet etmezdi. Allah en iyisini bilir.
4. Hadis sahihtir. Rivayeti yukarıda geçti.
5. Zayıf bir hadistir. Rivayeti yukarıda geçti.
6. Hadis sahihdir. Yukarıda rivayeti geçti.

Berâ b. Âzib hadisinde kâfir anlatılırken: "Sonra kabrinden cehenneme bir kapı açılır. Kıyâmet kopana kadar buradan, cehennemdeki yerlerine bakar" buyurulmaktadır. Bunu Ahmed b. Hanbel rivayet eder. Bazı rivayetlerde de: "Kabrinden cehenneme bir delik açılır. Kıyâmete kadar bu delikten ona, cehennem hüznü ve dumanı gelir".[7]

İkinci şekil cevap: Azap, bir müddet gördükten sonra kesilir. Günahlarıyla terazisi hafif gelen bazı günahkâr müslümanların, günahları ölçüsünde azap gördükten sonra hafifletilmesi, bu kısım azabı oluşturur. Nitekim günahkâr müslümanlar, cehennemde günahları ölçüsünde yandıktan sonra azaptan kurtulacaklardır.

Akraba ve dostlarının yaptığı duâ, verdiği sadaka, istiğfar, gönderdiği Hac ve Kur'ân okuma sevapları da günahkâr mü'mini azaptan kurtarır. Nitekim, dünyada yapılan şefâat sayesinde de kişi azaptan kurtulabilir. Ama bu şefâat, bazan şefâat olunan kişinin iznine bağlı olmayabilir. İzin vermeden kimsenin şefâat etmesine Allah müsâade etmez. Yani şefâat olunacak kişiye, Allah merhamet etmek isteyince kişiye şefâat hakkı verir. Verilen bu şefâat hakkından dolayı kişi başka bir şeyle gururlanmamalıdır. Çünkü bu, şirktir ve bâtıldır. Âyetlerde: "Allah'ın izni olmadan kimse şefâat edemez",[8] "Allah'ın razı olduğu kişiler dışında kimseye şefâat edemezler"[9], "Şefâat edecek kişi ancak O'nun izninden dolayı şefâat eder",[10] "Allah'ın izni olmadan kimsenin şefâatı faydalı olmaz"[11] ve: "De ki, bütün şefâat Allah'ındır. Göklerin ve yerin mülkü de O'nundur" buyurulmaktadır.[12]

İbn Ebî'd-Dünyâ, Muhammed b. Mûsâ yoluyla Abdullah b. Nâfî'den şunu nakleder: "Medine'li bir adam ölünce, biri onu rüyasında cehennemlikler arasında görür. Haliyle buna çok üzülür. Aradan birkaç saat geçince bunda da onu cennetlikler arasında görür. Ölen kişi sorar: "Sana ne oldu?" Dedim ki: "Seni cehennemlikler arasında gördüm". Dedi ki: "Evet, cehennemliktim. Ama bizimle beraber salihlerden bir adam gömüldü. O da yakınlarından kırk kişiye şefâat eti. Ben de bunlardandım".

İbn Ebî'd-Dünyâ Ahmed b. Yahya yoluyla bir dostundan nakleder: "Ölen kardeşimi rüyamda gördüm. Ona dedim ki: "Kabre konulunca başından ne geç-

7. Ahmed b. Hanbel'in rivayet ettiği hadisin tahrici yukarıda geçti. Hadis zayıftır. İşaret edilen ikinci tahricine rastlamadım. Ama sahih sayılan bir hadiste, Rasûlullah olayı şöyle anlatır: "(Azab görecek kişi için) ona ateşten bir döşek hazırlayın. Kabrinden cehenneme bir kapı açın da oradan cehennemin sıcaklığı, pis kokusu girsin... vd." denir. Hadisin tahrici yukarıda geçti.
8. Bakara sûresi, (2/255).
9. Enbiyâ sûresi, (21/28).
10. Yûnus sûresi, (10/3).
11. Sebe' sûresi, (34/23).
12. Zümer sûresi, (39/44).

ti?" Dedi ki: "Elinde cehennem topuzu bulunan biri yanıma geldi. Birinin yaptığı duâ olmasaydı onu bana vuracaktı".

Ömer b. Cerîr anlatıyor: "Kişi ölmüş bir kardeşine duâ edince bir melek bu duâyı adamın kabrine götürür ve: "Ey kabirde yatan garib insan. Al, bu kardeşinin sana hediyesidir" der.

Beşşâr b. Gâlib der ki: "Kendisine çok duâ ettiğim Rabia'yı rüyamda gördüm. Bana dedi ki: "Ey Gâlib oğlu Beşşâr, gönderdiğin hediyeler, ipek mendillere sarılmış nur gibi tabaklar içinde bize sunuldu". Ona dedim ki: "Bu nasıl olur?" Dedi ki: "Hayattaki mü'minlerin duâsı böyledir. Ölülere duâ ettikleri zaman duâları kabul edilir. Bu duâlar, ipek mendillere sarılı olarak nurdan tabaklar içinde ölülere sunulur ve "al, bu fülancanın sana hediyesidir" denir.

İbn Ebî'd-Dünyâ, Ebû Ubeyd b. Bahîr yoluyla bazı dostlarından nakleder: "Ölümünden sonra bir kardeşimi rüyamda gördüm. Dedim ki: "Hayatta olanların duâsı size ulaşıyor mu?" Dedi ki: "Evet, Allah'a yemin olsun ki duâlar, nur gibi yükselerek adamı sarar".[13]

İnşâallah bu sorunun uzun cevabını, ölülerin, hayatta olanların hediyelerinden faydalanması kısmında zikredeceğiz.

13. Kabul edilen şer'î kaynaklar, bildiğim kadarıyla dört tanedir. Bunlar Kitap, Sünnet, İcma-ı Ümmet ve Kıyas'tır. Rüyaların hüccet olabileceğini alimlerden kimse söylememiştir. İbni Kayyım'a ne oluyor da ravileri bilinmeyen zayıf üç rüya ile istidlal ediyor? Güvenilir ravilere dayanarak bunlar sahih olsa bile rüya hüccet olmaz ki. Sana ne oluyor ey imamımız İbni Kayyım, Allah sana merhamet etsin -gerek burada gerekse başka yerde durumu musavî olan bu rüyalara sarılıyorsun? Her yiğidin kendine göre bir kıyafeti vardır (Türkçemizde her yiğidin bir yoğurt yeyişi vardır şeklinde kullanılır.) Her alimin de bir kusuru vardır. İnşallah İbni Kayyım'ın kusuru ilim denizinde kaybolur gider.

ONBEŞİNCİ MESELE

Ruhlar Kıyamete Kadar Nerede Kalacaklar? Gökte mi Yerde mi Cennette mi Yoksa Başka Yerde mi? Onlar, Dünyaraki Bedenlerin Dışında Başka Bedenlerde mi Mükafat Ya da Azap Görecekler Yoksa Mücerred (Soyut) Bir Halde mi Bulunacaklar?

Alimler, önemli olan böyle bir konuda, farklı görüşler ileri sürmüşlerdir. Oysa ki buna, ancak vahiyle ulaşılabilir. Bazıları, şehitlerden olsun veya olmasın mü'minlerin ruhlarının, eğer büyük günah ya da ödemeleri gereken borçları yoksa Allah'ın huzurunda ve cennette olduklarını söylemişlerdir. Bu, büyük günah ve din dışındaki günahlarını Rabb'leri affedip onlara merhamet etmesiyle gerçekleşir. Ebû Hureyre ile Abdullah b. Ömer'in görüşü budur.

Bazıları, mü'minlerin ruhlarının, cennetin kapısına yakın bir yerde olduklarını, cennetten de nimet ve rızıklarının geldiğini ileri sürmüştür.

Bazıları da, bu ruhların kabirlerinin ucunda olduğunu ileri sürmüştür.

İmam Malik der ki: "Bana ulaştığına göre ruh salıverilmiştir. İstediği yere gider".

Ahmed b. Hanbel, oğlu Abdullah'ın haber verdiğine göre demiş ki: "Kâfirlerin ruhları cehennemdedir. Mü'minlerin ruhları ise cennettedir".[1]

Ebû Abdullah b. Mendeh, sahâbe ve tabiînden bazılarının şu görüşlerini nakleder: "Mü'minlerin ruhları Allah katındadır". Sahâbe ve tabiîn bu kadarla

---

1. Ben derim ki: Taberânî, Ahmed ve İbni Mâce'nin Ka'b b. Malik ile Ümmü Mübeşşir'den rivayet ettikleri bir hadiste, Rasûlullah (SAV) şöyle buyurur: "Allah (cc) kıyâmet günü ruhları bedenlerine gönderince mü'minlerin ruhları da yeşil renkli kuşların vücutlarına aşılarak, cennet ağaçlarının meyvelerinden yerler" bkz. Sahîh'ul-câmî' (925) Bu hadisin metni Ahmed b. Hanbel'in mü'minlerin ruhlarıyla ilgili rivayetlerinin aynısıdır.

yetinip daha fazlasını söylememiştir. Ebû Abdullah b. Mendeh der ki: "Sahâbe ve tabiînden bazılarının şöyle dedikleri nakledilir: Mü'minlerin ruhları cennet havuzlarındadır. Kâfirlerin ruhları ise Hadramevt'te bulunan Berhut kuyusundadır".

Safvan b. Amr anlatıyor: "Yeman'ın babası Âmir b. Abdullah'a "mü'minlerin ruhları bir araya gelebilir mi?" diye sordum da: "Arz hakkında Yüce Allah Tevrat'tan sonra Zebur'da da: "Arza mutlaka iyi kullarım varis olacak diye yazmıştık"[2] buyurmaktadır. İşte Allah'ın zikrettiği bu arzda, diriliş gününe kadar mü'min ruhlar toplanacaktır" dedi. Dediklerine göre bu arz, dünyada Allah'ın salih kullarına varis kılacağı arzdır. Ka'b der ki: "Mü'minlerin ruhları yedinci kat semâda yani illiyyûndadır. Kâfirlerin ruhları ise yedi kat yerin altında, şeytan ordusunun altındaki vadidedir".

Bazıları da: "Mü'minlerin ruhları zemzem kuyusundadır. Kâfirlerin ruhları ise (Hadramevt'te bulunan) Berhût kuyusundadır" demiştir.

Selmânî Farisî der ki: "Mü'minlerin ruhları yerde bir berzahtadır. Dilediklerî yere giderler. Kâfirlerin ruhları ise cehennemin vadisindedir. O'ndan gelen başka bir ifadede: "Mü'minlerin ruhları Hz. Adem'in sağındadır. Kâfirlerin ruhları ise sol tarafındadır".

Bundan başka İbn Hazm gibi bazıları da: "Ruhlar, bedenler yaratılmadan önce nerede iseler bedenden ayrıldıktan sonra da yeniden oraya giderler" demiştir.

İbn Hazm bunu şöyle açıklar: "Ruhların yeri konusunda söylediklerimiz Allah ve Rasûlü'nün söylediklerîdir; başkası değil. En açık burhan (kanıt) budur. Allah, âyetlerde: "Rabbin, Âdem oğullarından, onların bellerinden zürriyetini almış ve: "Ben sizin Rabbiniz değil miyim?" diye onları kendilerine şahit tutmuştur. "Evet, buna şahidiz" dediler. Kıyâmet günü biz bundan gafildik diyemezsiniz"[3] ve "sizi yarattık. Sonra size biçim verdik ve meleklere: Ademe secde edin dedik"[4]buyurulmaktadır. Allah'ın, ruhları bütün olarak yarattığı, bu ayetlerden anlaşılmaktadır. Rasûlullah'tan gelen haberler de bu doğrultudadır: "Ruhlar,[5] toplanmış askerlerdir. Tanışanlar birleşirler, tanışamayanlar ise ayrılır" hadisi, bunlardan biridir. Allah, meleklere Âdem'e secde etmelerini emretmeden önce biçimlendirilmiş akıllı yaratık olan ruha, ubûbiyyetine şahit tutarak ondan söz almıştır. Bu durumda ruh, henüz bedene girmemiştir. Bedenler su ile toprak arasındadır. Sonra kişinin ölümünden sonra döneceği Berzah'ta o,

2. Enbiyâ sûresi ,(21/105).
3. A'râf sûresi, (7/172).
4. A'râf sûresi, (7/11).
5. Buhârî, Hz. Âişe'den; Ahmed, Müslim ve Ebû Dâvûd Ebû Hureyre'den; Taberânî İbni Mes'ûd'dan; İbni Vehb el-Câmî'de, Hakim de Sahîhu'l câmî'de (2765) rivayet etmişlerdir.

Allah'ın rubûbiyyetini ikrâr etmiştir. Sonra Allah, sürekli grup grup ruhlar gönderir, spermden doğan bedenlere bu ruhları üfürür". Açıklamalarının sonunda şöyle der: "Anlaşıldığı üzere ruhlar, kendilerinin birbiriyle tanışma ve birbirlerinden ayrılma özelliklerini taşıyan bedenlerdir. Gerçekte ruhlar, bilen ve ayırandır. Bu nedenle Allah, onu dünyada dilediği gibi dener; sonra onu öldürür. Bedenden ayrılan ruh, Rasûlullah'ın İsrâ gecesi dünya semâsında mutlu ruhları Âdem'in sağında, bedbaht ruhları ise solunda gördüğü yer olan Berzah'a döner. Bu, unsurlar dağılırken olur. (Yani anâsırı erbaa denen temel dört esas özelliklerini kaybettiğinde. Bunlar toprak, su, ateş ve havadır. ç.) Cennete ilk girecek ruhlar, peygamberlerin ve şehitlerin ruhlarıdır.

Muhammed b. Nasır el-Mervezî de, İshak b. Râhûye'den sözünü ettiğimiz şeyin aynısını nakletmiştir. Alimler bu konuda icma etmiştir.

İbn Hazm der ki: Tüm müslümanların görüşü bu olduğu gibi Allah'ın âyeti de bu manadadır. Bu âyetler şunlardır: "Amel defterleri sağ taraflarından verilenler ne mutludurlar. Amel defterleri sollarından verilenlerse ne mutsuz insanlardır. Ve o amelde inançta ileri gidenler de. İşte o Allah'a yaklaştırılanlar, nimet cennetlerindedirler. Çoğu öncekilerden, birazı da o sonrakilerden altın ve cevherlerle işlenmiş tahtlar üzerindedirler"[6] ve "eğer o can, Allah'a yaklaştıranlardan ise O'na rahatlık, güzel rızık ve nimet cenneti vardır".[7] Ruhlar, bedenlere üfürüldükten sonra, yeniden Berzah'a dönen bütün ruhlar gelene kadar burada kalırlar. Kıyamet kopunca Yüce Allah, ruhları tekrar ait oldukları bedenlere gönderir. İşte insanların hesap verdiği ikinci hayat budur. Hesaptan sonra bir kısmı ebedî olarak cennete, bir kısmı da ebedî olarak cehenneme gider.[8]

Ebû Ömer Abdü'l-Berr der ki: "Şehitlerin ruhları cennettedir. Çoğu mü'minlerin ruhları ise kabirlerinin uç noktasındadır". Onun bu görüşünü delilleriyle birlikte ileride açıklayacağız.

İbn Mübârek, kendisine mücahitlerin ruhlarından sorulan İbn Cüreyc'in şu sözünü nakleder: "Mücahitlerin ruhları cennette değildir. Ama onlar, cennet meyvelerinden yer ve cennet kokularını koklarlar".

Muâviye b. Salih anlatıyor: İbn Şihâb, Saîd b. Süveyd'e[9] mü'minlerin ruhlarından sorar. Muâviye b. Salih der ki: "Bana ulaştığına göre şehitlerin ruhları arşta uçan yeşil renkli kuşlar gibidir. Sabah akşam cennet bahçelerine giderler ve hergün Rabb'lerinden selam alırlar".

---

6. Vâkı'a sûresi, (56/8-15).
7. Vâkı'a sûresi, (56/88-89).
8. bkz. el-Fasl, c. 4, s. 91-92.
9. Râvî Saîd b. Suveyd hakkında el-Mîzan'da Buhârî der ki: Hadisine uyulmaz."

Ebû Ömer b. Abdü'l-Berr, İbn Ömer'den[10] gelen hadisin yorumunda der ki: "Biriniz ölünce, eğer cennetliklerdense sabah akşam cennette kalacağı yer ona gösterilir. O cennetliklerden olur. Yok eğer cehennemliklerden ise cehennem ehliyle beraber olur ve "burası, kıyamet günü Allah seni diriltene kadar kalacağın yerdir" denir. Abdü'l-Berr der ki: "Ruhların kabir uçlarında olduğunu söyleyenler bu haberle istidlal etmişlerdir. En doğru kanaat da budur. Allah en iyisini bilir. Konuyla ilgili hadisler arasında nakli, en sağlam olanı budur".

Kanâatime göre ruhların kabirlerin kenarında olması, belirli zamanlar için söz konusudur. Bu, onlar, her zaman zorunlu olarak kabirleri ucunda olacaklar ve oradan hiç ayrılmayacaklar anlamına değildir. Nitekim İmam Malik de: "Bize ulaştığına göre ruhlar, istedikleri gibi dolaşacaklardır" demektedir.

Mücâhid de şöyle der: "Ölüler mezara konulduktan sonra ruhlar, yedi gün kabir uclarında beklerler. Buradan ayrılmazlar". Allah, iyisini bilir.

Bazıları da şöyle demiştir: "Ruhun yeri, sadece yok olmaktır". Bu, "ruh, canlılık ve idrak gibi bedenin arazlarındandır. Bedenin ölmesiyle beraber varlığı bedene bağlı diğer arazlar gibi ruhlar da ölür" diyenlerin görüşüdür. İleride inşâallah açıklayacağımız gibi bu, Kur'ân ve sünnet nasları yanında sahâbe ile tabiînin icmâ'ına da aykırıdır. Sapkın bu fırkaya göre ölümden sonra ruhlar, yok olacaklardır.

Şöyle diyenler de olmuştur: "Bedenden ayrılan ruhlar, dünya hayatında kazandığı özelliklerine ve ahlakına uygun olan bedenlere giderler. Böylece her ruh, kendini şekillendiren hayvanların bedenlerine girer. Dolayısıyla yırtıcılık özelliğine sahip ruhlar, yırtıcı hayvanların bedenlerine, köpek ruhuna uygun olan ruhlar köpeklere, behîmî ruhlar behîmî hayvanlara, alçak ve sefil ruhlar da haşerelerin bedenlerine girer". Bu, ahiretin (meâd) gerçekliğini inkâr eden tenâsuhçuların (reenkarnasyon) görüşüdür. Bu, müslüman âlimlerin görüşlerinden oldukça uzaktır.

Ölümle birlikte bedenlerden ayrılan ruhların gidecekleri yer konusunda kısaca bildiklerim bunlardır. Bütün bunları başka bir kitapta toplamak kolay olmadı. Şimdi her görüşün dayandığı delili, bu görüşlerden Kitap ve Sünnete en uygun ve en doğru olanı açıklayacağım. Allah'tan yardım etmesini isterim. Başarı Allah'tandır.

---

10. Buhârî, Müslim, Malik, Tirmizî ve Nesâî İbni Ömer'den rivayet etmişlerdir. bkz. Câmiu'l-usûl, c. 11, s. 168.

FASIL

Bedenden ayrılan ruhun, cennette olduğunu söyleyenler buna, şu âyeti delil gösterirler: "Eğer o can Allah'a yaklaştıranlardan ise ona, rahatlık, güzel rızık ve nimet cenneti vardır".[11] Allah, ölümle bedenden ayrılan ruhu böyle anlatmıştır. Ayrıca ruhu üç kısıma ayırmıştır. Bunlardan biri nimet cennetinde olup Allah'a yaklaştıran ruhlar. Diğeri, sağ tarafta olanlar (amel defteri sağ tarafından verilenler). Bunların müslüman olduğu doğrulanmış ve kabir azabından kurtulmuşlardır. Sonuncusu ise yalanlayan, sapıtmış ruhlar. Bu ruhlar ise kaynar su içirildikten sonra Cahîm cennetine atılacaklardır. Diyorlar ki: Bu, kesinlikle ruhun bedenden ayrılmasından sonra olacaktır. Çünkü Allah, sûrenin başında (Vakıa sûresinin başında) bu ruhların kıyamet günü ne halde olacaklarını bildirdikten sonra ölümden ve dirilişten sonra ne halde olacaklarını da bildirmiştir.

İleri sürdükleri delil, şu âyettir: "Ey mutmain olan nefis! Rabbin seriden, sen de O'ndan razı olarak O'na dön. Kullarımın arasına katıl ve cennetime gir".[12] Sahâbe ve tabiînden birçokları, bu hitabın ruha dünyadan ayrılırken söyleneceğini, ölüm meleğinin de kişiyi bununla müjdeleyeceğini ifade etmiştir. Bu, "ruha kıyamet günü bu hitap yapılacaktır" diyen kişinin sözüne aykırı değildir. Çünkü hitap, hem ölüm hem de diriliş anında yapılacaktır. Müjdeleme ile ilgili olarak Allah şöyle buyurur: "Rabbimız Allah'tır deyip sonra doğru olanların üzerine melekler iner: "Korkmayın, üzülmeyin, size va'dolunan cennetle sevinin" derler".[13] Meleklerin bu inişi ölüm anında, kabirde ve dirilirken olur. Ama ahiretle ilgili ilk müjde, ölüm anında olur.

Berâ b. Âzib hadisinde, kişinin ruhunu alırken meleğin: "Seni, rahatlıkla, güzel rızıkla (cennet rızkıyla) müjdelerim" dediği yukarıda geçti.

İkinci delilleri, imam Malik'in **el-Muvatta**'ında İbn Şihâb yoluyla Abdurrahman b. Ka'b b. Malik'ten gelen rivayettir. Abdurrahman b. Ka'b, babası Ka'b. Malik'den Rasûlullah'ın şöyle dediğini nakleder: "Mü'min kişinin ruhu, cennet ağacına konmuş bir kuştur. Allah, diriliş günü onu yeni bir hayata döndürene kadar orada durur".[14] Ebû Ömer der ki: "İmam Malik'in bu rivayetinde söz konusu hadisi Zührî'nin, Abdurrahman b. Ka'b b. Malik'ten duyduğu açıklanmaktadır. Aynı şekilde Yunus da Zuhrî'den şöyle dediğini nakleder: Abdurrahman b. Ka'b b. Malik'in, babasından şu hadisi naklettiğini duydum. Yine Evzaî'de, Zührî'nin Abdurrahman b. Ka'b'dan duydum dediğini nakleder: Mu-

---

11. Vâkı'a sûresi, (56/88-89).
12. Fecr sûresi, (89/27-30).
13. Fussilet sûresi ,(41/30).
14. Hadis sahihtir. Malik, Ahmed, Nesâî Tirmizî ve İbni Mâce Ka'b'dan rivayet etmişlerdir. bkz. **el-Ehâdisü's-sahîha** (995).

hammed b. Yahya ez-Zühelî bu hadisi, Şuayb b. Ebû Hamza, Zühri'nin kardeşi Muhammed ve Salih b. Keysar'ın Zührî yoluyla Abdurrahman b. Ka'b b. Malik ve dedesi Malik'ten rivayet ettiğini ve hadisteki inkıtâdan dolayı illetli saymış, hadisi münkati kabul etmiştir.[15] Salih b. Keysan, İbn Şihâb yoluyla Abdurrahman'dan şunu nakleder: "Bana ulaştığına göre Ka'b b. Malik hadis rivayet ederdi". Zühelî der ki: "Bizim bildiğimiz bu hadis, Salih'in Şuayb yoluyla Zührî'nin yeğeninden rivayet ettiği hadise benzemektedir". Zühelî, bu konuda Malik ve Evzaî'yi haklı bulan diğer muhaddislere karşıdır. Ebû Ömer der ki: "Bu hadisi, Zührî'nin Abdurrahman b. Ka'b b. Malik yoluyla babasından rivayet ettiği konusunda İmam Malik, Yunus b. Yezid ve Evzaî aynı görüştedirler. Tirmizî ve diğerleri de bunu sahih saymışlardır.

Ebû Ömer der ki: "Muhammed b. Yahya'nın bu sözü, bence birşey ifade etmez. Elinde hiçbir delil yoktur. İmam Malik'in, Yunus b. Yezid'in, Evzaî ve Muhammed b. İshak'ın ittifak ettikleri görüş, daha doğrudur. Bunların görüş ve rivayetleri akla daha yatkındır. Söz konusu hadiste onların hafıza ve güvenirlikleri, bunlara karşı olanların hafızalarıyla kıyaslanamaz". Muhammed Zühelî der ki: Ali b. Medînî'den duydum: "Ka'b'ın beş çocuğu var. Bunlar; Abdullah, Ubeydullah, Ma'bed, Abdurrahman ve Muhammed'dir. Zuhelî der ki: "Babasının gözü kör olunca onu gezdiren Abdullah b. Ka'b'dan, Zührî hadis duymuştur. Abdurrahman b. Abdullah b. Ka'b'dan da hadis duymuş; Beşîr b. Abdurrahman b. Ka'b'dan da rivayet etmiştir. Abdurrahman'dan hadis duyduğuna katılmıyorum". Eğer Zührî, İmam Malik'in de aynı görüşte olanların dediği gibi Abdurrahman'ın babasından rivayet ettiği hadisi duymuşsa bunda bir anlaşmazlık yoktur. Yok eğer Şuayb ve beraberinde olanların dediği gibi Abdurrahman, hadisi dedesinden alınış ise bu durumda da söz konusu senetle hadis, mürseldir; diğer yolla ise mevsûldur. Bunu mevsûl hadis sayanların sayısı mürsel sayanlardan az olmadığına göre her ne kadar Buhârî ve Müslim[16] rivayet etmemiş olsalar da hadis, sahih hadislerdendir.

Ebû Amr der ki: Rasûlullah'ın: "Mü'minin nesemesi" sözünden maksadı burada ruhtur. Rasûlullah'ın aynı hadîsi buna delil olur. Buyuruyor ki: "Allah, diriliş günü onu (ruhu) bedenine döndürene kadar..".[17] Denildi ki: "Neseme ruhtur, nefis ise bedendir". Bu kelimenin asıl manası "insanın zâtı"dır. Ruha, neseme denmesinin nedeni -Allah en iyisini bilir- insan hayatının ruha bağlı olmasıdır. Ruh bedenden ayrılınca beden, yok olur veya yok kabul edilir. Nesemeden maksadın bizzat insan olduğunu Rasûlullah'ın: "Kim mü'min bir nesemeyi (in-

15. Münkatî zayıf hadislerden sayılır. bkz. **Mustalhu'l-hadîs.**
16. İki büyük imam olan Buhârî ve Müslim kastedilmektedir.
17. Ben derim ki: Konunun başında zikredilen (Müminlerin ruhları...) diye başlayan hadis de buna delalet eder. Belki de bu hadis meselenin en önemli kaynağıdır.

sanı) azat ederse" sözü göstermektedir. Bu manada Hz. Ali de: "Taneyi başağından çıkaran, insana da şifa veren..". demiştir. Şair de der ki:

فأ عظم منك تقى فى الحساب إذا النسمات نفضن الغبارا

"İnsanlar üzerlerindeki tozları çırparken hesap gününden korkman ne büyük şeydir". Yani insanlar kıyamet günü kabirlerinden kalkarlarken senin hesaptan korkman büyük bir şeydir. Halil b. Ahmed der ki: "Neseme, insan manasınadır". Başka bir sözünde de: "Neseme, ruhtur. Nesim ise rüzgârın esmesidir". Rasûlullah'ın تعلق من شجر الجنة kavlindeki تعلق lafzının lâm'ı çoğunlukla fetha okunmuştur. Zammeli okunması halinde de aynı manaya gelmekte. Yani yemek ve otlanmak. Mesela şöyle denir: تأكل من ثمار الجنة وتسرح بين اشجارها (cennet meyvelerinden yeyip ağaçları arasında gezersin). العلوقة ve العلوق yemek ve otlanmak manasına gelir. Mesela arab birine dersin ki: ما ذاق اليوم علوقا (Bugün ne yedin.) Rebî' b. Ziyad, atı şöyle anlatır:

وخنبات ما يزقن علوقة يمصغن بالمهرات والامهار

"At sürüleri, ahırlarında yem yememişler ki dişi ve erkek yavrularına yeterince süt versinler".

A'şâ'da

وفلاة كأنها ظهرترسي ليس فيها الا الرجيع علاق

"Çöller, kalkanın sırtı gibi verimsizdir. Hayvanların yediği bitki yaprakları terslerinden başka orada birşey yoktur".

Ben derim ki: "Hz. Âişe'nin sözü de buna misal olabilir. Hz. Âişe der ki:

والنساء إذ ذاك خفاف لم يغشهن اللحم ويأكلن العلقة من الطعام

Yani "Kadınlar zayıf iken henüz et, onları kapamamış (çünkü) onlar yalnızca seçkin yemeklerden yiyorlardı". العلقة lafzının aslı التعلق tur. Bu ise nefis ile kalbi gıda ile birbirine bağlayan şeydir.

Rasûlullah'ın şu hadisinin ne manaya geldiği hususunda farklı görüşler ileri sürülmüştür: "Gerek şehitlerden olsunlar gerek şehitlerden olmasınlar, bütün mü'minlerin ruhları[18] eğer cennete girmelerini engelleyecek büyük günahları ya da borçları[19] yoksa cennette Allah katında bulunurlar. Allah'ın affı ve merhameti onlar üzerine olur".

---

18. Nitekim ganimet malından aşıran kimsenin azablanmasıyla ilgili sahih hadis de bunu gösterir. Hadisin rivayeti Buhârî'dedir. Bilgi için bkz. **İsbât-ü azâb'il-kabr**, s. 292.

19. Ahmed'in, Tirmizî'nin, İbni Mâce'nin ve Hakim'in, Ebû Hureyre'den rivayet ettikleri hadiste de bu kelime geçmiştir. Elbânî, **Sahîhü'l câmî**'de (6655) hadisi sahih saymıştır. Hadis şöyledir: "Mü'min kişinin ruhu alınana kadar borcuna bağlıdır." Ben derim ki: "Hadisi Beyhakî de, **İsbatü azâbi'l-kabr** adlı kitabının 93. sahifesinde zikretmiştir.

Bu hadisten şehitlerle, şehit olmayanların, cennette birbirinden farksız olduklarını çıkarmışlardır.

Ebû Hureyre'den rivayet edilen: "Salih kimselerin ruhları illiyyûndadır. Fâcirlerin ruhları ise cehennem vadisindedir" hadisiyle de mü'min ruhların cennette olacağına delil getirmişlerdir. Buna benzer bir hadis de Abdullah b. Amr'dan rivayet edilmiştir. Ebû Amr der ki: "Bu görüş, sahihliğine dil uzatılamayacak bir hadise karşıdır. Hadis şudur: "Sizden biri ölünce, sabah akşam kalacağı yer ona gösterilir. Eğer cennet ehlinden ise cennet ehline, yok eğer cehennemliklerden ise cehennemliklerin arasına katılır. Ona denir ki: "Kıyamet günü Allah seni oraya gönderene kadar kalacağın yer burasıdır".[20]

Bazı âlimler de şöyle demiştir: "Bu hadisin manası yalnızca şehitlerle ilgilidir. Kur'ân ve sünnet bunu desteklemektedir. Meselâ âyette: "Allah yolunda öldürülenleri ölüler sanma, hayır onlar Rabbleri katında rızıklanmaktadırlar. Allah'ın fazlıyla kendilerine verdiklerinden sevinçli olarak..."[21] buyurulmaktadır.

Diğer delillere gelince: "Bakiye b. Muhlid[22] yoluyla Ebû Saîd el-Hüdrî'den merfû olarak rivayet edilen şu hadis: "Şehitler sabah akşam (Rabbleri katında) rızıklandırılırlar. Sonra kalacakları yer, arşa asılı kandillerdir". Allah onlara der ki: "Size verdiğim bu nimetten daha büyük bir nimet biliyor musunuz?" Onlar da: "Hayır. Ama, Senin yolunda bir daha savaşıp öldürülmemiz için ruhlarımızı bedenlerimize göndermeni arzularız" derler.[23] Râvî bu hadisi, Hennad'dan İsmail b. el-Muhtar yoluyla Atiyye'den de rivayet etmiştir.

İbn Abbas'tan gelen hadis şöyle sürer: İbn Abbas der ki: "Rasûlullah şöyle buyurmaktadır: Uhud günü öldürülen kardeşlerinizin ruhlarını Allah, yeşil renkli kuşların karınlarına kor ve böylece cennet nehirlerine uğrar; cennet meyvelerinden yer ve arşın gölgesinde yumuşak altından yapılmış kandillere inerler. Yediklerinin, içtiklerinin ve konuşmalarının tadını çıkarınca: "Cihadı bırakmamaları ve harpten yüz çevirmemeleri için şu anda cennette rızıklandığımızı, hayatta olan kardeşlerimize kim ulaştırır" derler. O zaman Allah: "Sizin bu haberinizi ben ulaştırırım" dedi ve şu âyeti indirdi: "Allah yolunda öldürülenleri sakın ölüler sanma. Hayır, onlar Rabbleri katında rızıklanmaktadırlar".[24] Bu hadis, Ahmed'in Müsned'i ile Ebû Dâvud'un es-Sünen'inde vardır.

---

20. Buhârî, Müslim, Nesâî ve İbni Mâce İbni Ömer'den rivayet etmişlerdir. bkz. Sahîhu'l-câmî' (804) Ben derim ki: "Bu hadis, "mü'minlerin ruhları..." diye başlayan hadisle çelişmez. Çünkü birincisi sadece ruhun yeriyle ilgili, ikincisi ise hem ruhun hem de bedenin yeriyle ilgilidir. Allah (cc) en iyisini bilir.
21. Âl-i İmrân sûresi, (3/169).
22. Bakiye b. Muhlid, Endülüs hafızlarındandır.
23. Bu senetle hadis zayıftır. Râvîlerinden İsmail b. Muhtar hakkında İbni Adiy der ki: "Tanınmış bir râvî değildir. "Buhârî de: "Hadisi münkerdir" der. bkz. el-Mizân.
24. Hadis sahihtir. Ahmed, Ebû Dâvûd ve Hakim İbni Abbas'tan rivayet etmişlerdir. bkz. Sahîhü'l-câmî (5081).

A'meş'in Abdullah b. Mürre yoluyla Mesrûk'tan rivayet ettiği hadis de böyledir. Mesrûk anlatıyor: Abdullah b. Mes'ûd'a Allah'ın: "Allah yolunda öldürülenleri sakın ölüler sanma. Hayır, onlar Rabbleri katında rızıklandırılmaktadırlar" âyetinden soruldu da o şöyle dedi: "Aynı şeyi biz de Rasûlullah'a sormuştuk da O şöyle demişti: Mü'minlerin ruhları, cennette dilediği gibi dolaşan sonra da şu kandillere varan yeşil renkli kuşun karnındadırlar. Allah bunu bildiği için bu ruhlara: "Arzuladığınız başka bir şey var mı?" diye sorar. Ruhlar der ki: "Cennette dilediğimiz gibi dolaştıktan sonra daha neyi arzulayalım" Bu sual üç defa tekrarlanıp onlar sualden kurtulamayacaklarını anlayınca: "Ey Rabbimiz, ruhlarımızı bedenlerimize göndersen de senin uğrunda bir daha savaşıp öldürülsek" derler. Allah cennetle ilgili bir istekleri olmadığını anlayınca onları bırakır". Hadis, Müslim'de mevcuttur.[25]

Ben derim ki: "Enes'ten gelen bir hadiste, Berâ'nın kızı Ümmü Harise bint Sürâke diye bilinen Ümmü'r-Rebî Rasûlullah'a gelerek: "Ey Allah'ın Rasûlü, bana Harise'den haber vermez misin? (Harise Bedir günü, aldığı siyah bir ok yarasından ölmüştü.) Eğer şimdi O cennette ise ne yapayım, sabrederim. Yok eğer başka bir yerde ise durmadan ağlarım" der. Bunun üzerine Rasûlullah: "Bak Ümmü Harise o cennettedir. Oğlun ise Firdevs-i â'lâ-dadır" buyurdu.[26]

Bakiye b. Mühlid yoluyla Yahya b Abd'ül-Hamid'den, o da İbn Uyeyneden, o da Ubeydullah b. Ebî Yezid'den şu hadis nakledilir: "Ubeydullah, İbn Abbas'ın şöyle dediğini duyar: Şehitlerin ruhları, yeşil renkli kuşların karnında, cennet meyvelerinden yiyerek dolaşır".[27]

Ma'mer, Katâde'den şunu nakleder: "Bize ulaştığına göre şehitlerin ruhları, beyaz kuş suretinde cennet meyvelerinden yerler".

---

25. Hadis, manayı bozmayacak ölçüde bazı lafızlar değişik olsa da Nevevî'nin şerhettiği **Sahîhü'l-Müslim**'dedir. c. 13, s. 31-33. Tirmizî, c. 8, s. 361-362 de, ve İbni Mâce, c. 2, s. 936-937'de rivayet ederler. Tirmizî'nin rivayetinde şurası fazladır. (Arzuladığınız birşey var mı? Sualinin kesilmeyeceğini anladıklarında "ruhlarımız bedenlerimize gönderilsin. Dünyaya gidelim de senin yolunda bir daha savaşıp öldürülelim" dediler.) Tirmizî der ki: "Hadis, hasen ve sahihtir." Ben derim ki: **el-Camiü's-sağîr**'de hadisin sadece Müslim ve Tirmizî tarafından rivayet edildiği belirtilmektedir. Şeyh Elbânî bu hususa temas etmemiştir. bkz. **el-Camiü's-sağîr** (1554). Mübârekfûrî **et-Tuhfe**'de hadisi anlattıktan sonra, "Müslim Nesâî ve İbni Mace'de rivayet etmişlerdir" der. Ben derim ki: Nesâî'nin cenâiz ve Cihad kitaplarında bunu bulamadım. **Câmiü'l-usûl**'de de (c., 9, s. 499) hadisin orada bulunduğu bildirilmemektedir. Hadisin Kübrî'da olması muhtemeldir. Beyhakî aynı hadisî **İsbâtü azâbi'l-kabr**, (s. 68)'de rivayet etmiştir.

26. Buhârî, Ahmed Enes'ten; İbni Sa'd, İbni Hüzeyme, İbni Hibban ve Tirmizî rivayet etmişlerdir. Tirmizî'nin rivayetinde şu fazlalık vardır. (Firdevs, cennetin ortasında güzel bir tepedir). Bu ziyade sahihtir. bkz. **Sahihü'l-câmî** (7730).

27. Râvîlerden Yahya b. Abdülhamîd hakkında **et-Takrîb**'de "kendisi hafızdır, ama hadis çalmakla suçlanır" denmiştir. İmam Zehebî de el-Muğnî'de "hâfız birisidir, ama hadisi münkerdir' der. Yahya b. Abdülhamîd'in terçemesi için bkz. **el-Mîzân** *ve* **et-Tehzîb**. Ben derim ki: Yukarıda geçen hadisler bu eserin sahihliğine şahittir.

Ebû Âsım en-Nebil, Sevr b. Yezid'den, o da Halid b. Ma'dân'dan, o da Abdullah b. Ömer'den şöyle dediğini nakleder: "Şehitlerin ruhları, sığırcık kuşlarına benzer kuşlar olarak birbirleriyle tanışırlar ve cennet meyvelerinden yerler".[28]

Ebû Ömer der ki: "Bütün bu eserler, bu ruhların sadece şehit ruhları olduğunu göstermektedir. Anlaşıldığına göre bir kısmı kuş suretinde, bir kısmı kuşların karnında, bir kısmı ise yeşil renkli kuşlar gibidir. Allah en iyisini bilir ya bana doğru gelen görüş, Ka'b b. Malik'in hadisinde geçen: "Mü'minin ruhu, uçan bir kuş gibidir" hadisine uygun olan, kuş gibidir ya da kuş suretindedir, diyen kimsenin görüşüdür. Çünkü Rasûlullah, ruhların kuşların karnında olacağını bildirmemiştir.

Îsâ b. Yunus İbn Mes'ûd'dan gelen hadisi A'meş, Abdullah b. Mürre'den, o da Mesrûk'tan, o da Abdullah'tan: "Yeşil renkli kuş gibidir" şeklinde rivayet etmiştir.

Ben derim ki: "Sahîhü'l-Müslim'de de: "Şehitlerin ruhları, yeşil renkli kuşların karınlarındadır" ibaresi geçmektedir.[29]

Ebû Ömer der ki: "Bu yoruma göre Rasûlullah'ın sözü şöyle olmaktadır: Şehit olarak ölen mü'minlerin ruhu, cennet meyvelerinden yiyen kuşlardır".

Ben derim ki: Rasûlullah'tan gelen: "Mü'minin ruhu, cennet meyvelerinden yiyen kuşlardır" sözüyle: "Sizden biri ölünce sabah-akşam ona kalacağı yer gösterilir. Eğer cennetliklerden ise cennetliklerin arasına, yok eğer cehennemliklerden ise cehennemliklerin arasına katılır" sözü arasında bir tutarsızlık yoktur. Bu hitap, yatağında ölen kişi ve şehidi içine almaktadır. Nitekim: "Mü'minin ruhu, cennet ağaçlarından yiyen kuşlardır" hadisi de hem mü'mine hem de şehide şamildir. Sabah-akşam kalacağı yer gösterilince, ruhun cennet nehirlerinde dolaşarak cennet meyvelerinden yiyeceği ortaya çıkmaktadır.

Mü'mine hazırlanmış özel yere kişi, ancak kıyâmet günü girebilir. Aynı şekilde şehitler için Allah'ın hazırladığı ev ve köşkler, kesinlikle Berzah'ta kaldığı kandillerden farklı yerlerdir. Arşta asılı kandillerden şehitler cennette kalacakları evlere bakarlar. Hazırlanmış evlere tam giriş, kıyamet günü olacaktır. Ruhların Berzah'ta cennete girmesi ise kıyamete girmesinden farklıdır.

Bedbaht kimseler de buna benzer. Ruhlarına, sabah-akşam cehennemdeki kalacakları yer gösterilir. Kıyamet olunca da Berzah'ta gösterilen yerlerine girerler.

---

28. Râvîlerden Hâlid b. Ma'dân hakkında **et-Takrîb**'de: "Güvenilir birisidir, bir çok mürsel hadisler rivayet etmiştir" denmektedir. Bu kaynakta Hâlid'in İbni Amr'dan hadis duyduğu belirtilmemiştir. Yine **et-Tehzîb**'de, **el-Cerh ve't-ta'dîl**'de de İbni Amr'dan hadis duyduğu belirtilmediğine göre bu eser de mürsel olmalıdır. Dilersen sen de buna mürsel dersin dilersen şehidlerle ilgili bu manada gelen rivayet ve eserlere bakarsın. Daha geniş bilgi için bkz. **Tefsîr-i İbni Kesîr**, c. 1, s. 426-427.
29. Müslim'in Nevevî şerhinde "yeşil renkli kuşun karnında" ibaresi geçmektedir.

Dolayısıyla ruhların Berzah'ta cennet nimetlerinden faydalanması ayrı şeydir, kıyamet günü ait oldukları bedenlerle cennete girmeleri ise ayrı bir şeydir. Yani yalnızca ruhun Berzah'ta nimet görmesi, diriliş günü bedenle nimet görmesinden ayrı bir husustur. Bu nedenle Rasûlullah: "Cennet ağacından yer" buyurmuştur. Ama gerçek yemek, içmek, giyinmek ve faydalanmak, kıyamet günü ruhların bedenlerine dönmesinden sonra olacaktır. Bundan da anlaşılıyor ki söz konusu hadisler, birbiriyle çelişmemekte belki de birbirini desteklemektedir.

Şu görüşe gelince: Ka'b'ın sadece şehitlerle ilgili rivayet ettiği hadis, lafzın delâleti dışında kalanları tahsis etmektedir. Yani umum (genel) lafzı, ihtiva ettiği manaların en azına hamletmektedir. Şehitler, mü'minlere nazaran küçük bir gruptur. Bu nedenle Rasûlullah, gerektiği şekilde iman özelliğini bu küçük gruba vermiş, şehâdet özelliğini vermemiştir. Görmez misin Mikdâm b. Ma'di keribe hadisinde, şehitlere mahsus hüküm şehâdet özeliklerinden dolayı verilmiştir. Söz konusu hadis şöyledir: "Allah katında şehidin altı özelliği vardır: Önce kanına bedel günahları affedilir, cennette kalacağı yer gösterilir, iman elbisesi giydirilir, hûr-i Îyn'le evlendirilir, kabir azabından korunur, büyük korkudan emin olur, hûrîlerden yetmiş iki kadınla evlendirilir ve akrabasından yetmiş kişiye şefâat etme hakkı tanınır".[30] Hadiste Rasûlullah, "şehit" için demiştir, mü'min için dememiştir. Kays el-Cüzâmî hadisinde de bu manada "şehidin altı özelliği vardır" buyurulmuştur. Diğer hadisler ve deliller, bu mükâfatın şehitlere mahsus olduğunu göstermektedir.

İmana karşı verilen mükâfat ise şehit olsun veya olmasın her mü'mini içine alır.

Şehitlerin rızıklandırılması ve ruhlarının cennette olmasıyla ilgili bütün naslar ve bu hususta gelen rivayetler doğrudur ama bu, başta herkesin kabul ettiği gibi şehitlerden daha üstün olan sıddıklar olmak üzere diğer mü'minin ruhların cennete gireemeyeceğine delil olmaz. Bu durumda onlara şöyle demek lazımdır "Peki sıddîkların ruhları hakkında ne dersiniz? Cennette mi yoksa başka bir yerde mi?"

Eğer cennette olduğunu söylüyorlarsa -ki zaten bundan başkasını söyleyemezler- bu naslardan, mükâfâtın, sadece şehitlerin ruhları için söz konusu olmadığı açığa çıkar. Eğer cennette değildir, diyorlarsa seçkin sahabilerden Ebû Bekir es-Sıddîk'ın, Ubey b. Ka'b'ın, Abdullah b. Mes'ûd'un, Ebû Derdâ'-nın, Huzeyfe b. Yeman'ın ve diğerlerinin ruhlarının cennete olmadığını bunun aksine zamâne şehitlerin ruhlarının ise cennette olduğunu söylüyorlar demektir ki, bu görüşün sakatlığı ortadadır.

30. Hadis sahihtir. Tahrici geçti.

Eğer denirse ki bu hüküm, sadece şehitlere mahsus ise bütün bu naslarda özellikle şehitlerin anılmasına neden nedir? Ben derim ki, burada şehâdetin değerine ve derecesinin yüksekliğine işaret vardır. Bu ise sadece şehitlere mahsustur. Dolayısıyla onlara hakettikleri mükâfatı vermek gerekir. Berzah'ta görecekleri nimet, yataklarında ölenlere nazaran daha fazladır. Ama yatağında ölen kişi, şehitlerden daha yüksek bir mertebede ise diğerlerinin tadamayacağı ona mahsus bir nimet vardır demektir.

Allah'ın, şehitlerin ruhlarını yeşil renkli kuşların karınlarında kılması da bunu gösterir. Çünkü bunlar, Allah yolunda savaşırken vücutları düşmanlarca parçalanmış Allah da bu bedene bedel olarak Berzah'tan kıyamete kadar içinde kalacağı daha güzel bedenler vermiştir. Öyleyse verilen bu bedenlerle nimetleri tatmak, sadece ruhlarla nimet tatmaktan daha zevklidir. İşte bu nedenle mü'min kişinin ruhu kuş suretindedir ya da kuş gibidir; şehîdin ruhu ise kuşun karnındadır. Her iki hadîsin lafızlarını düşün. "Mü'minin ruhu, kuştur". Şehit olanla olmayan burada müşterektir. Şehitle ilgili olan şudur: "O, kuşun karnındadır". Şehit kimsenin ruhu, kuşun karnında olunca onun kuş olduğu anlaşılmış olur. Allah'ın salat ve selamı, kelamı'nı bir bir kabul edip, Allah'tan geldiğine inananların üzerlerine olsun. Hadislerin böyle birleştirilmesi, Ebû Ömer'in birleştirmesinden ve "onların (şehitlerin) ruhları, yeşil kuşlar gibidir" diye rivayet eden kimsenin rivayetini tercih etmesinden daha iyidir. Yani "O, yeşil kuş gibidir" ve "yeşil kuşların karınlarındadır" hadislerinden her ikisi de doğrudur.[31]

FASIL

Mücâhid'in "Mü'minlerin ruhları cenette değildir ama onlar, cennet meyvelerinden yiyip cennetin rahatlığıru bulurlar" şeklindeki görüşünü, Ahmed b. Hanbel'in Müsned'inde geçen, İbn İshâk'ın Âsım b. Ömer'den, onun da Mahmud b. Lebîd'den, onun da İbn Abbas'tan rivayet ettiği hadisle desteklemektedir. Bu hadiste Rasûlullah buyuruyor ki: "Şehitler cennetin kapısında yeşil bir kubbede, nehrin doğduğu yerde bulunmaktadır. Sabah akşam rızıkları ,cennetten getirilir".[32]

---

31. Ben derim ki: İbni Kayyım'ın ifade ettiği şey doğrudur. Yani bu hadisin, sahih hadislere münasib olması ve hiçbir kelime dışarıda kalmadan hadislerin cem' edilmesi. İbni Kayyım'ın bu görüşünü görmeden önce, ben de bunu Ahmed b. Hanbel'in görüşüyle ilgili dipnotlardan anlamıştım. Başarı Allah'tandır.

32. Hadis hasendir. Ahmed, Taberânî, Hakim Hibban, İbni Ebî Şeybe, Taberî ve Ziya rivayet etmişlerdir. bkz. Sahîhü'l-câmî (3636). Beyhakî, İsbâtü azâbi'l-kabr, s. 68.

Bu rivayet, şehitlerin ruhlarının cennetle olmasına aykırı değildir. Çünkü hadiste belirtilen "nehir", zaten cennetten gelmektedir. Bunun yanında rızıkları da cennetten geliyor olunca onlar, cennetteki yerlerinde olmasalar da cennettedirler demektir. Mücâhid'in kabul etmediği şey, her yönüyle tam cennete giriştir. Böyle bir ifade bunu diğerinden ayırmak için yetersizdir. En sağlam ve maksadı ortaya koyan en güçlü ifade, önce Rasûlullah'ın sonra da Ashab'ın ifadesidir. Zamanımızdan yukarı Rasûlullah'a doğru çıktıkça şifânın, hidâyetin ve nurun arttığını; yukarıdan aşağı doğru indikçe de hilekârlıkla ilmi değeri olmayan söz ve iddiaların çoğaldığını görebilirsin.

Abdullah b. Mendeh anlatıyor: Mûsa b. Ubeyde Abdullah b. Yezid yoluyla Ma'rûr'un kızı Ümmü Kebşe'den şöyle dediğini nakleder: Rasûlullah yanımıza gelince Ona bu ruhlardan sorduk. Rasûlullah, ruhun durumunu öyle anlatır ki buna dayanamayan ehli beyt ağlar. Rasûlullah'ın anlatımı şöyle: "Mü'minlerin ruhları, yeşil renkli kuşların karnında, cennet meyveleri yiyip cennet sularından içerler. Oradan arşın gölgesinde bulunan kandillere varırlar ve: "Ey Rabbimız, bizi kardeşlerimize kavuştur ve va'dettiğini bize ver" derler. Kâfirlerin ruhları ise siyah renkli kuşların karnında cehennem yemeğinden yiyip cehennem suyundan içerler, cehennemde bir kayaya vararak: "Ey Rabbimiz, bizi kardeşlerimize kavuşturma. Bize verdiğin vaîdini de tutına"[33] derler.

Taberânî anlatıyor. Ebû Zûr'a ed-Dimeşkî Abdullah b. Sâlih'ten, o da Muâviye b. Sâlih'ten, o da Zamre b. Habîb'den nakleder: "Rasûlullah'a mü'minlerin ruhlarından soruldu. O şöyle cevapladı: "Onlar, yeşil renkli kuşların içinde, cennette diledikleri gibi dolaşırlar". Dediler ki: "Peki ya kâfirlerin ruhları ne durumda?" Rasûlullah: "Onlar da Siccîn'de (cehennemde bir dere) hapsedilmişlerdir" [34] karşılığını verdi. Bu hadisi, Ebû'ş-Şeyh, Hişam b. Yunus'tan, o da Abdullah b. Salih'ten rivayet etmiştir. Bundan başka Ebü'l-Muğîre de Ebû Bekir b. Ebî Meryem yoluyla Damre b. Habîb'den rivayet etmiştir.

Ebû Abdullah b. Mendeh Gancâr, hadisini Sevrî'den, o da Sevr b. Yezid'den, o da Halid b. Ma'dân'dan, o da Abdullah b. Amr'dan şöyle dediğini nakleder: Rasûlullah buyuruyor: "Mü'minlerin ruhları, sığırcık (çekirge) kuşları gibi yeşil kuşların içerisinde cennet meyvelerini yerler".[35] Başkaları da bu hadisi, mevkûf olarak rivayet etmişlerdir.

---

33. Râvî Mûsâ b. Ubeyde hakkında Hafız **et-Takrîb**'de "zayıf birisidir." der. Diğer görüşler için bkz. **el-Cerh ve't-ta'dîl.**

34. Damre b. Habîb sika bir râvî olmakla beraber hadis mürsel olduğundan dolayı zayıftır. bkz. **et-Tehzîb, el-Cerh ve't-ta'dîl.** Damre b. Habib'in kusuru hadisi kimden duyduğunu belirtmemesidir. Râvîlerden Abdullah b. Sâlih hakkında **et-Takrîb**'de "doğru birisidir, ama galatı çok olan birisidir" denmektedir. Muâviye ise doğru biri olmakla beraber vehimlidir.

35. Ben derim ki: Hadisin mevkuf olduğu yukarıda geçti. Hâlid b. Ma'dân yoluyla rivayet edilen hadislerin her ikisi buna göre mevkuftur. Halid b. Ma'dân birçok mürsel hadis rivayet etmesi yanında İbni Amr'dan hadis de duymamıştır.

Yezid er-Rakkaşî Enes'ten, Ebû Abdullah eş-Şâmî de Temîm ed-Dârî'den Rasûlullah'ın şöyle dediğini naklederler: "Ölüm meleği, mü'minin ruhunu dünya semâsına çıkarırken başta Cebrâil olmak üzere yanlarında, ölen kişinin dostunun haberi dışında başka müjdeler getiren yetmişbin melek onu semâda karşılar. Arşa varınca da Allah'ın huzurunda hemen secdeye kapanır. Allah ölüm meleğine der ki: "Kulumun ruhunu götür, dikensiz kirazların, kökünden tepesine kadar meyva dizili muzların, uzamış gölgelerin ve fışkıran suların arasına koy". Bu hadisi Bekr b. Hüneys, Dırâr b. Amr[36] yoluyla hem Yezid'den hem de Ebû Abdullah'tan rivayet etmiştir.

FASIL

"Ruhlar, kabirlerinin ucundadır" görüşünde olanlar eğer bundan, zorunlu olarak ruhların, ebediyyen kabir uclarından ayrılamamalarını kastediyorlarsa bu, bir kısmını zikretiğimiz bir kısmını da zikredeceğimiz Kitap ve sünnet naslarında reddedilen bir görüştür.

Eğer bundan, ruhların bir zaman için kabir uclarında bulunduğunu yahut kabirde ikram görmesi açısından bir mekan olarak gösteriliyorsa bu doğrudur ama hiçbir zaman devamlı kalacağı yer, kabir uclarıdır, denemez.

Bu görüşe, Ebû Ömer b. Abd'ül-Berr meyletmiştir. İbn Ömer'den gelen "sizden biri ölünce, sabah akşam kalacağı yer ona gösterilir" hadisini yorumlarken: "Ruhların, kabir uclarında olduğuna inananların istidlâl ettiği hadis budur. Haberlerde gelen en doğru görüş de budur. Konuyla ilgili gelen hadislerin, hatta kabirlere selam vermekle ilgili hadislerin sabit ve mütevâtir olduğunu görmez misin?" demektedir.

Ben derim ki Abdü'l Berr, "mütevâtir hadis" ifadesinden yukarıda geçen İbn Ömer'le Berâb ve Âzıb hadisini kastediyor olmalıdır. Bu, Berâ hadisinde: "Burası, Allah seni diriltene kadar kalacağın yerdir" şeklinde geçmektedir. Bunun yanında Enes'ten gelen: "Kişi kabre konunca, başından ayrılan dostlarının ayak seslerini duyar". Burada kabirde yatan kişinin, cennette veya cehennemde kalacağı yeri göreceği belirtilmektedir ve "mü'minin kabri yetmiş zirâ' genişlerken kâfirin kabri daralır" hadisi; Câbir'den gelen: "Bu ümmet, kabrinde sorguya çekilecektir. Mü'min kabre konduktan sonra dostları başından ayrılınca melek gelir..". "O, cennette kalacağı yeri görünce: Bırakın da ehlimi müjdeleyeyim" der.

---

36. Hadis zayıftır. Râvî, Dırâr b. Amr hakkında Yahyâ der ki: "O, bir şey değildir". Devlanî de "bunda sakınca vardır" demektedir. İmam Zehebî Dırâr b. Amr'dan üç hadis zikretmiş; hepsinin de münker olduğunu söylemiştir.

Bu durumda da ona: "Otur, burası ebediyyen kalacağın yerdir" denir. Ayrıca kabir azabı, mükâfâtı ile ilgili daha önce geçen hadisler ve kabir ehline selam vermek, onlarla konuşmak ve ölülerin ziyaretçilerini bilmesiyle ilgili geçen bütün hadisler, Abdü'l-Berr'in mütevâtir kabul ettiği hadislerdir.[37]

Bu görüşlerin tamamı, sahih sünnetlerle haberlerde reddedilmektedir. Bunların, savunulacak bir tarafı yoktur. İzahını yukarıda yaptık. Ebû Ömer'in söz konusu yaptığı bütün deliller, ruhların naslarda belirtildiği gibi cennette ve refîki a'lâ'daki durumlarıyla ilgilidir. Ölünün cennette veya cehennemde kalacağı yeri görmesi, ruhun her zaman kabirde yahut kabir kenarında olduğunu göstermez. Belki bu, ruhun ikram göreceğini, kabir ve ucuyla ilişkisi olacağını gösterir. Yani bir ölçüde ona, kalacağı yer gösterilir. Çünkü ruhun bir başka durumu da illiyyûnun tepesinde refîk-i â'lâ'da olmasıdır. Müslüman[38] biri ölüye selam verince Allah, mele-i a'lâ'da bulunan ruhu bedene göndererek kendisine verilen selamı almasını sağlar. Çoğu insanın hataya düştüğü nokta burasıdır. Onlara göre ruh, bilinen cisimler gibidir. Bir yerde bulununca onun başka bir yerde bulunmasıru kabul etmezler. Bu, büyük bir hatadır. Tam aksine ruh, makamında dururken göklerin üzerinde bulunan illiyyûnun en üstüne çıkar. Kabre gönderilerek kendisine verilen selamı alır ve selam veren müslümanı da tanır. Rasûlullah'ın ruhu daima refîk-i a'lâda bulunurken Allah onu, kabre gönderir; kendisine verilen selamı alır ve selam verenin sesini de duyar. Nitekim Rasûlullah, Mûsâ'yı[39] altıncı veya yedinci katta kabrinde namaz kılarken görmüştür. Rasûlullah'ın Mûsâ'yı görmesi, gözün bir yere ulaşması kadar ya süratli hareketinden kaynaklanmıştır ya da kabirde veya kabir kenarında bulunan şey, güneşin ışığıun dağılması ve semâda belirmesi şeklinde olmuştur. Hadislerde, uyuyan kimsenin ruhunun yedi kat semâyı aştığı, arşta Allah'a secde ettiği sonra da bedenine gönderildiği açıkça belirtilmiştir. Aynı şekilde ölünün ruhu da yedi kat semâya çıkartılır; Allah'ın huzuruna varır ve O'na secde eder. Allah tarafından görevlendirilen melek, Allah'ın ona cennette hazırladığı yeri gösterir. Sonra arza iner. Melek bu kişinin yıkanmasına, taşınmasına ve gömülmesine şahit olur. Bu husus Berâ b. Âzıb hadisinde: "Bedenden ayrılan nefis Allah'ın huzuruna kadar çıkartılır. Allah ruhu görünce: "Kulumu, illiyyûn cennetine gireceklerden yazın sonra da arza götürün" der. Böylece ruh, semâdan kabre indirilir. Bütün bıınlar, techiz ve tedfîn müddetinde gerçekleşir. Aynı husus İbn Abbas'tan gelen hadiste de açıklanmıştır. İbn Abbas der ki: "Ölünün yıkanması

37. Ben derim ki: Sözkonusu hadislerin tahrici yukarıda geçti.
38. Ben derim ki: Bu hususun Rasûlullah hakkında doğru, diğerleri hakkında doğru olamayacağını açıklamıştık.
39. Hadis sahihtir. Müslim rivayet etmiştir.

ve kefenlenmesi bitene kadar semâya çıkarılan ruh, indirilerek yeniden yıkanmış cesede, kefene konur".[40]

Ebû Adullah b. Mendeh, Îsâ b. Abdurrahman'dan,[41] o da İbn Şihab'dan, o da Âmir b. Sa'd'dan, o da İsmail b. Talha b. Ubeydullah'tan, o da babasından şöyle dediğini nakleder: "Bir gün kabristana gitmek istedim. Kabristana vardım. Karanlık basınca Abdullah b. Ömer b. Haram'ın kabrine yaklaştım. Kabirden o kadar güzel bir Kur'ân sesi geliyordu ki hayatımda böylesini duymadım. Sabah olunca Rasûlullah'a gittim. Gördüklerimi Ona anlattım. Dedi ki: "Allah'ın onların ruhlarını aldıktan sonra onları, zümrüt ve yakût kandillerin içine koyduğunu sonra bu kandilleri cennetin ortasına astığını; gece olunca ruhlarını, fecr doğana kadar bedenlerine gönderdiğini; fecr doğunca da tekrar cennetteki yerlerine gönderdiğini bilmiyor musun?

Bu hadiste, ruhların süratli bir şekilde arştan yere indiği daha sonra da yerden arşa çıktığı belirtilmektedir. Bu nedenle İmam Malik ve bir kısım ulemâ der ki: "Ruhlar salıverilmiştir, diledikleri yere giderler. İnsanların, ölülerin ruhlarını görmesi, onların kendilerine uzak bir yerden gelmesi, çoğu insanın bilip şüphe etmediği bir gerçektir". Allah en iyisini bilir.

Kabirdekilere selam verip onlara konuşmak, ruhlarının cennette olmadığına onların, kabir kenarlarında olduklarına delil olmaz. Mesela ademoğlunun efendisinin ruhu, illiyyûnda refîki a'lâ ile beraber olduğu halde kabrine ona selam verilir o da selamı alır. Ebû Ömer de şehitlerin ruhlarının cennette olduğunu ve kabirlerine selam verilebildiğini kabul etmektedir. Nitekim Rasûlullah, bizlere kabirlere selam vermemizi öğretmiş, sahâbelerin de Uhud şehitlerine selam verdikleri bize kadar ulaşmıştır. Çünkü bu ruhlar, ifade ettiğimiz gibi cennettedirler, diledikleri yerleri gezerler. Ruhların mele-i a'lâ'da iken cennette dilediği gibi gezmesini, kabrine verilen selamı duymasını ve verilen selama karşılık verebilmesini aklınca zor görme! Ruhun, bedende olmayan başka bir özelliği daha vardır. Meselâ Rasûlullah, Cebrâil'i altıyüz kanatlı olarak görmüştür. Cebrâil'ni kanatlarından[42] ikisi doğu ile batıyı kaplayacak kadar büyüktür. Rasûlullah, dizlerini[43] Cebrâil'in dizlerinin arasına; ellerini de Cebrâil'in dizlerine koymuş-

---

40. Hadis gerçekten zayıftır. Îsâ b. Abdurrahman, Merve'nin oğludur. Hakkında **et-Takrîb**'de "metruktur" denmektedir. Bu kişinin tercemesi için bkz. **et-Tehzîb.**

41. Îsâ b. Abdurrahman zaif bir râvîdir. îsâ b. Abdurrahman, Ferve'nin oğludur. Hakkında **et-Takrîb**'de "metruktur" denmektedir. bkz. **et-Tehzîb.**

42. Hadis sahihtir. Ahmed, Buhârî, Müslim İbni Hüzeyme, **et-Tevhîd**'de ve Taberânî İbni Mes'ûd'dan rivayet etmişlerdir. bkz. **Sahîhu'l-câmî** (3408). Ancak bu rivayet "altıyüz kanatlı" bölümüne kadardır. Ziyadeyi, Ahmed yine İbni Mes'ûd'dan rivayet etmiştir. İbni Kesir de bunu hasen saymıştır. bkz. **Tefsîr-i İbni Kesîr**, c. 4, s. 251.

43. Müslim, Tirmizî, Ebû Dâvûd ve Nesâî, Ömer b. Hattab'dan rivayet etmişlerdir. bkz. **Camiü'l-usûl**, c. 1, s. 209.

tur. Rasûlullah, Cebrâil'le buluştuğunda mele-i a'lâ'da olduğunu, Cebrâil'e bu ölçüde yaklaşabildiğini kavrayabileceğini sanmıyorum. Bu gibi olayları doğrulamak, fıtratı buna uygun, anlamaya ve bilmeye alışık kalplerin işidir. Bunu kavrayamayan bir kalp, vahyi ilahî'nin[44] her gece dünya semâsına yüksek semâdan yanı arştan indiğine hiç iman edemez. Allah, herşeyden yücedir. O'nun yüceliği, zâtının gereğidir. Allah'ın akşamları ibadet edenlere yaklaşması, kıyamet günü insanları sorgulamak için gelmesi, arzın, nuruyla parlaması; arzı dilediği gibi düzeltmek, yaymak, uzatmak, genişletmek ve hazırlamak için gelmesi de böyledir. Nitekim Rasûlullah: "Rabbin arzda dolaşırken, insanların çoğu uykudayken Rabbini zikrederek sabahla" buyurmuştur. Bu, Allah, semâların ötesinde arşta iken meydana gelmektedir.

FASIL

Bilinmesi gereken hususlardan biri de, ruhların, güçlülük-zayıflık, büyüklük-küçüklük durumlarına göre farklı hallerde olmasıdır. Mesela büyük ve güçlü ruhta bulunan özellikler diğerlerinde bulunmaz. Buna benzer bir örneği dünyadaki ruhların keyfiyetlerine, kuvvetlerine, yavaşlıklarına, süratlerine ve yardımlaşmalarına göre birbirinden çok farklılıklar arzettiğinde görebilirsin. Bedenin esaretinden, ilgisi ve meşguliyyetinden kurtulan ruhun tasarrufu, kuvveti, nüfuzu, himmeti ve Allah Teâlâ'ya yükselerek O'nunla ilgilenmesi, bedenin ilgi ve meşguliyyetleri altında ezilmiş esir ruhtan çok daha ileri seviyededir. Hakikatte ruh; yüce, temiz, büyük ve yüksek himmetli bir ruh olduğu halde bedene mahbus iken böyle ise acaba bedenden ayrıldıktan sonra nasıl olabilir? O halde ruh, bedenden ayrılınca ayrı bir hale ve ayrı bir fiile dönüşür.

Bedenden ayrılan ruhların, rüyalarda bedene tekrar dönerek bir kişinin iki kişinin yahut çok az sayıda insanın, oldukça kalabalık bir topluluğu hezimete uğratmasıyla ilgili insanların gördükleri rüyalar, tevatür derecesindedir. Rasûlullah'ın, Ebû Bekir ve Ömer'in ruhlarının, mü'minlerin sayısının azlığı ve güçsüzlüklerine rağmen kendilerinden sayıları ve hazırlıkları çok olan küfür ve zulüm ordusunu yendikleri, birçok rüyada görülmüştür.

İşin acâib olan tarafı şudur: Birbirlerini tanıyıp birbirlerini seven mü'min ruhlar, hemen birbirlerine kavuşurlar. Aralarında uzun mesafeler olan ruhlar ise bu uzaklıktan ötürü üzülür, sanki birbirlerinin yakınıymış, beraber oturu-

44. Allah Teâlâ'nın gecenin son üçte birinde dünya semâsına inmesi es-Sahîhayn'da, Müsned'de, dört Sünen'de el-Acirî'nin eş-Şerîa'sında, İbni Ebî Âsım'ın es-Sünne'sinde, İbni Hüzeyme'nin et-Tevhîd'inde ve Şeyhülislâm İbni Teymiyye'nin bu hadisin şerhiyle ilgili yazdığı müstakil eserlerde sabittir. Bilgi için bu esere bakabilirsin.

yorlarmış gibi bunlar da birbirleriyle tanışırlar. Biri diğerini görünce görmeden önce onun ruhunu nasıl tanıyorsa, tanıdığı gibi çıkar.

Abdullah b. Amr der ki: "Mü'minlerin ruhları, birbirlerini hiç görmemişler de olsalar bir günlük yoldan sonra birbirlerine kavuşurlar". Bazıları bunu, Rasûlullah'tan merfû' hadis olarak rivayet etmiştir.

İkrime ve Mücâhid derler ki: "Kişi uyuduğu zaman bir şey onun ruhunu, bedenine bağlı olduğu halde alır götürür. Allah'ın dilediği kadar gider. İşte bu durumda uyku hasıl olur. Ruh tekrar bedene dönünce kişi uyanır. Bu, arza düşen güneşin ışığı gibidir. Güneş ışığı, her ne kadar arza düşse de her zaman güneşe bağlıdır". Abdullah b. Mendeh, şöyle bir görüş nakleder: "Ruh, insanın burun deliği ve cesedinden çıkar. Ama o, her zaman bedene bağlıdır. Ruhun bedenden tamamen ayrılması durumunda ışığın kaynağından ayrıldığında söndüğü gibi beden de ölür. Ateşin, fitilden yayılmasıyla ışığının oluştuğunu ve evi aydınlattığını görmez misin? Aynı şekilde ruh da uykuda insanın burun deliğinden çıkarak semâya yükselir, birçok yeri gezer ve ölülerin ruhlarıyla buluşur. Kulların ruhlarıyla görevli melek, kişinin görmek istediği şahsı ona gösterir. Uyanıkken akıllı, zeki, doğru ve hiçbir bâtıla itibar etmeyen kişinin ruhuna, rüyasında da Allah'ın, kişinin ahlakı ölçüsünde gösterdiği şeyleri doğrulaması bahşedilir. Eğer bu kimse hayatında bâtılı seven sefih bir kimse ise uyuduğunda ruhunu meyline göre Allah ona hayır ya da şer bir rüya gösterir. Şöyle ki: "Şeytanın harikalarından yahut bâtıl birşey gördüğü zaman nasıl ki uyanıkken şeytanın harikasına yahut bâtıla takılıp kalıyorsa, rüyasında da bunlara takılıp kalır. Bunun yanında gördüğü şeyleri derinlemesine düşünebilecek ölçüde kalbine birşey de gelmez. Çünkü hak ile bâtıl burada birbirine karışmıştır. Hiçbir rüya tabircisi hak ile bâtılın birbirine karıştığı bu rüyayı yorumlayamaz.

Bu konuda söylenebilecek en güzel söz budur. Bu görüşler, sahiblerinin ruhu ve hükümlerini iyice bildiklerini göstermektedir.

Meselâ bir kimsenin, yararına olan ilmi ve hikmeti öğrendikten sonra şarkı, şüphe, yalan yere şahitlik vb. gibi birtakım bâtıl ve hevâlara düştüğünü ve bu bâtıllara gönlünü açtığını görebilirsin. Bu kimse, bu bâtıllara düşmekle öğrendiği ilim ve hikmet boşa çıkar ve hak ile bâtılı birbirine karıştırır. Uyurken, ruhların durumu da böyledir. Bedende iken bâtıl inanç ve şüphelerden haz duyan bu ruhlar, bedenden ayrılınca bu inançlarından dolayı azap görürler; azaplarını, bünyelerinde bulundurdukları irâde ve şehvetler artırır. Bu azaplara bir de ruhun bedeniyle müşterek olarak yaptıkları fiilerin azabı, Allah'ın dilediği ölçüde katılır. İşte Berzah'taki zor hayat ve insanın biriktirdiği azık bunlardan ibarettir.

Bâtılı sevmeyen, bâtıla yakın şeylerle ünsiyet kurmayan yüce ve zeki nefis ise doğru inançları, nübüvvetin ışığından elde ettiği bilgileri, marifetleri, irâdeleri ve temiz gayeleri nedeniyle ikram görür. Allah da işlediği amelleri karşısında Berzah'ta nimetlerini kat kat artırır. Böylece mü'min ruhun Berzah'ı, cennet bahçelerinden bir bahçe; kâfirinki ise cehennem çukurlarından bir çukur olur.

FASIL

"Mü'minlerin ruhları Allah katındadır" görüşünde olanlar, Allah'ın: "Bilakis onlar Rabbleri katında rızıklanmaktadırlar" âyetini desteklemektedirler.

Ruhların, Allah katında olduğunu söyleyenlerin delilleri, Muhammed b. İshak es-Sâğânî'nin[45] Yahya b. Ebû Bekîr'den, onun da Muhammed b. Abdurrahmân b. Ebû Ze'b'den, onun da Muhammed b. Amr b. Atâ'dan, onun da Saîd b. Yesâr'dan, onun da Ebû Hureyre yoluyla Rasûlullah'tan rivayet ettiği şu hadistir: "Kişi ölünce ruhu, Allah'ın bulunduğu kata varana kadar semâya çıkarılır. Ruh eğer günahkar bir kimseye ait ise semâya çıkartılsa da semâ kapısı ona açılmaz, oradan kabrine döner".

Bu hadisin senedinin doğruluğundan şüphe edilmemelidir. Hadis, Ahmed b. Hanbel'in **Müsned**'inde ve diğer hadis kitaplarında vardır.

Ebû Dâvud et-Teyâlisî der ki: "Bana Hammad b. Seleme,[46] Asım b. Bühdele'den, o da Ebû Vâil'den, o da Ebû Mûsâ el-Eşarî'den şöyle dediğini nakleder: "Mü'min kişinin ruhundan misk kokusundan daha hoş bir koku çıkar. Melekler bu ruhu semâya götürünce: "Bu adam kimdir? derler. Melekler de işlediği güzel amellerini sayarak "şu şu amelleri işleyen fülancanın oğlu fülancadır" derler. O zaman: "Size de ona da selam olsun" diye karşılık verirler. Sonra amelinin yükseldiği kapıdan bir üst kapıya çıkarırlar. Bu kişinin ruhu, güneşin, semâları aydınlattığı gibi bütün semâları aydınlatır. Oradan da ta arşa götürürler. Kâfir bir kişinin ruhu alınıp semâya çıkarılınca semâ görevlileri: "Bu kimdir?" diye sorarlar. Melekler de en kötü amellerini sayarak: "Şu şu kötülüğü yapmış fülancanın oğlu fülancadır" derler. Semâdakiler bunu duyanca: "Ona selam olmasın. Derhal onu geri götürün" derler. Bunun üzerine bu ruhu, yerin en altına atarlar".

---

45. Ben derim ki: Hadisin senedi sahihtir. **Muhtasarü'l-ulûm**'da Ebû Hureyre'den bu manada bir hadis vardır. Zehebî der ki: "Hadisi Ahmed ve Hakim rivayet etmiştir." Elbânî'nin de kabul ettiği gibi bu hadis Buhârî ve Müslim'in şartlarına uygundur.
46. Hadis zayıftır. Hammad b. Seleme hakkında **et-Takrîb**'de "İnsanların miştir" denmektedir. Ebû'n-Nucûd'un oğlu Asım hakkında ise "doğru birisidir, ama vehimleri vardır" denmektedir. bkz. **et-Takrîb**.

Mülkî b. İbrahim, Dâvud b. Yezid el-Evdî[47]'den nakleder. Dâvud b. Yezid der ki: "Âmir eş-Şa'bî, Hüzeyfe b. Yeman'ın şöyle dediğini rivayet eder. "Ruhlar, Allah'ın katında dururlar. Sûra üfürülüne kadar haklarında verilecek kararları beklerler".

Süfyan b. Uyeyne,[48] Mansur b. Safıyye'den, o da annesinden nakleder: İbn Zübeyr'in öldürülmesinden sonra İbn Ömer, mescide kızgın bir şekilde girer. Esmâ'yı dövmeye başlar. Esma'ya der ki: "Allah'tan korkmanı ve sabrı tavsiye ederim. Çünkü bu bedenler birşey değildir. Allah katında olanlar ancak ruhlardır". Bunun üzerine Esmâ: "Bu, sabrıma engel değildir. Yahya b. Zekeriyya'nın başı da İsrailoğullarının bir isyanında kesilmişti" der.

Cerîr b. A'meş,[49] Şemr b. Atiyye'den, o da Hilal b. Yûsuf'tan şöyle dediğini nakleder: "Biz, Ka'b, Rebî b. Haysem ve Halid b. Ar'ara ile otururken İbn Abbas geldi ve: "Bu, peygamberimizin amcasının oğludur". Hilal b. Yûsuf anlatıyor: "İbn Abbas, bir müddet oturduktan sonra: "Ey Ka'b, Kur'ân'da bulunan dört bilgi dışında bütün bilgileri öğrendim. O dört taneyi bana öğret. Bunlar, İlliyyûn, Sidre-i müntehâ, Siccîn ve Allah'ın İdris hakkında: "Onu yüce bir mekana kaldırdık"[50] sözünün manası" dedi. Ka'b bunları şöyle cevaplar: "İlliyyûna gelince bu, mü'minlerin ruhlarını bulunduğu yedinci kat semâdır. Siccîn, kâfirlerin ruhlarının bulunduğu şeytanın cesedi altındaki yedi kat yerin altıdır. Yüce Allah'ın İdris'e karşı: "Biz onu yüce bir mekana kaldırdık" âyetinin manası da şudur: Allah, İdris'e: "Hergün seni Ademoğlunun işlediği amel kadar yücelteceğim" diye vahyetti. Bu va'dini gerçekleştirmek için meleklerden ölüm meleği ile konuştu ve İdris'in amelinin çoğalması için ecelinin uzatılmasını melekten istedi. Bunun üzerine bir melek kanatları arasına alarak, İdris'i yedinci kat semâya kadar çıkartır. Ölüm meleği, İdris'i taşıyan meleği görünce ne istediğini sorar ve "İdris nerede?" der. Melek de: "Kanatlarım arasındadır" deyince ölüm meleği: "Onun ruhunu yedinci kat semâda almakla emrolundum" dedi ve İdris'in ruhunu aldı. Sidre-i Muntehâ ise: "Arşı yüklenenlerin başında bulunan bir ağaçtır ki yaratıkların bilgisi ancak buraya kadar ulaşabilir. Ondan ötesini kimse bilmez. Bundan dolayı "Sidre-i Müntehâ" (son bilgi ağacı)denmiştir".

---

47. Hadis zayıftır. Dâvûd b. Yezid'le ilgili et-Takrîb'de "O zayıftır" denmektedir. Tercemesi ve hakkında âlimlerin görüşü için bkz. el-Mîzan.
48. Hadis sahihtir. Râvîleri de güvenilirdir.
49. İbni Kesîr'in belirttiğine göre, bu eseri İbni Cerîr rivayet etmiştir. Cerîr'in rivayet ettiği senedin "Cerîr b. Hâzım'ın A'meş'ten..." şeklinde olması gerekir. İbni Kesîr bu eseri şöyle açıklamıştır: "Bu, garib ve acaip bir eserdir". Rivayetin sonunda da: "Bütün bunlar İsrâilî haberlerin kalıntılarıdır" demektedir. Bazı nüshalarda ise bu "İsrâilî haberlerin inkârlarındandır" şeklinde geçmektedir. Allah en iyisini bilir. bkz. Tefsîr-i İbni Kesîr, c. 3, s. 126. Ben derim ki: "Hadisin rivayet zincirinde Hilal b. Yûsâf vardır. Hadis münkati olmalıdır."
50. Meryem sûresi, (13/57).

İbn Mendeh der ki: "Aynı hadisi Vehb b. Cerîr babasından; Ya'kub el-Kamî, Şemr'den;[51] Halid b. Abdullah, Avvam b. Huşeb'den, o da Kâsım b. Avf'tan,[52] o da Rebî b. Haysem'den: "Biz Ka'b'ın yanında otururken..." şeklinde rivayet etmişlerdir.

Ya'lâ b. Ubeyd, el-Eclah[53] yoluyla Dahhak'tan şöyle nakleder: "Mü'min kişinin ruhu alınınca dünya semâsına çıkartılır. Allah'a yakın meleklerin eşliğinde buradan ikinci semâya üçüncü, dördüncü, beşinci, altıncı ve yedince semâya kadar çıkarlar. Oradan da Sidre-i Müntehâ'ya varırlar. Ya'lâ der ki: "Dahhak'a niçin Sidre-i Müntehâ dedin? diye sordum da cevabında bana dedi ki: Allah'la ilgili kulun bilgileri burada son bulur. Allah daha iyi bildiği halde mü'min ruhunu melekler Allah'a arzederek: "Bu fülanca kulundur" derler. Bunun üzerine Allah bu kişiyi azaptan kurtaran mühürlü vesikayı adama gönderir. Kur'ân'da bu, şöyle anlatılır: "Hayır, iyilerin kitabı iliyyûndadır. İliyyûn da nedir? O, Allah'a yakın meleklerin şahit olduğu mühürlü bir kitaptır".[54] Bu âyette: "Ruhlar cennettedir" diyen kişinin görüşüne aykırı değildir. Çünkü cennet, Sidre-i Müntehâ ile aynı kattadır. Cennet Allah katındadır. Bu ibarelerin sahibi herhalde bu görüşleri, daha sâlim ve daha uygun bulmuştur. Allah, şehitlerin ruhlarının kendi katında olduğunu, peygamberimiz ise bu ruhların, cennette istediği gibi dolaştığını bildirmiştir.

FASIL

"Mü'minlerin ruhları, büyük bir havuzdadır. Kâfirlerin ruhları ise Hadramevt'te bulunan Berhût kuyusundadır. Ebû Muhammed b. Hazm der ki: "Bu, Rafizilerin görüşüdür". Ancak bu, İbn Hazm'ın dediği gibi değildir. Ehl-i Sünnetten de aynı görüşte olanlar vardır.

Ebû Abdullah b. Mendeh der ki: "Sahâbe ve tabiînden rivayet edildiğine göre onlar, mü'minlerin ruhlarının büyük bir havuzda olduğunu belirtmişlerdir". Bu bilgileri verdikten sonra Ebû Abdullah b. Mendeh anlatır: Bize Muhammed b. Yunus,[55] o da Ahmed b. Âsım'dan, o da Ebû Dâvud Süleyman b. Dâvud'dan, o da Hemmam'dan, o da Katâde'den,o da bir adamdan, o da Saîd b. Müsey-

51. Yakub el-Kamî hakkında **et-Takrîb**'de: "Doğru birisidir, ama tohmet altında kalmıştır" denmektedir.
52. Kâsım b. Avf'la ilgili olarak **et-Takrîb**'de: "Garib rivayetleri olan doğru bir kimsedir" denmektedir. Ben derim ki: "Bu sened, hiçbir zaman buna şahit olamayacağından dolayı haber zayıf olarak kalır."
53. Eclah'la ilgili epey şey söylenmiştir. Tercemeyi hali için bkz. **el-Mîzân**. Birçokları O'nu zayıf saymaktadır. **et-Takrîb**'de: "Şiî mezhebine bağlı doğru birisidir" denmektedir. Dahhak bu kişinin kim olduğunu bize açıklamadı. Eğer sahabeden biri ise O'ndan gelen hiçbir rivayete rastlamadım!"
54. Mutaffifîn sûresi, (83/105).
55. Saîd b. Müseyyeb'den rivayet eden kişi bilinmediğinden dolayı haber zayıftır.

yeb'den, o da Abdullah b. Amr'dan şöyle dediğini nakleder: "Mü'minlerin ruhları büyük bir havuzda toplanır. Kâfirlerin ruhları ise Hadramevt'te Berhût denilen tuzlu ve çorak bir arazîdedir".

Hammad b. Seleme,[56] Abdulcelîl b. Atiyye'den, o da Sehr b. Hûşeb'den naklettiğine göre Ka'b, Abdullah b. Amr'ı insanlar etrafında toplanmış ona soru sorarlarken görür. Onlardan birine yaklaşarak: "Abdullah b. Amr'a, mü'minlerin ve kâfirlerin ruhlarının nerede olduğunu sor!" der. Adam da bunu kabul edince, Abdullah b. Amr'a sorar. Abdullah b. Amr der ki: "Mü'minlerin ruhu büyük bir havuzdadır. Kâfirlerin ruhu ise Berhût'tadır. [Berhût, Hadramevtte kâfir ruhların içerisinde toplandığı bir kuyudur.]

İbn Mendeh der ki: "Bu hadisi Ebû Dâvud ve diğerleri Abdullah b. Celîl'den rivayet etmişlerdir. Sonra, Süfyan'ın Ferat el-Kazzaz'dan,[57] o da Ebû Tüfeyl'den, o da Hz. Ali'den rivayet ettiği hadistir. Hz. Ali der ki: "Yeryüzünde en hayırlı kuyu, zemzem kuyusudur. En şerli kuyu ise Hadramevt'te bulunan Berhût kuyusudur. Yeryüzünün en hayırlı vadisi, Mekke vadisi ve Hz. Adem'in yeryüzüne indiği Hind vadisidir. Yeryüzünün en şerli vadisi ise Hadramevt'te kâfir ruhların bulunduğu ahkâf (rüzgârın oluşturduğu kum tepe) vadisidir.

Yine İbn Mendeh, Hammâd b. Seleme[58] Ali b. Yezid'den, o da Yusuf b. Mihran'dan, o da İbn Abbas yoluyla Hz. Ali'den şöyle dediğini nakleder: "Yeryüzünün en kötü yeri Hadramevt'te içerisinde kâfirlerin ruhları bulunan, gündüzleri bile üzerine atılmış zehirden dolayı kanayan yaradan çıkan kan gibi simsiyah suyu bulunan Berhût denen bir kuyudur".

İsmail b. Ishak el-Kâdî de Ali b. Abdullah'tan, o da Süfyan'dan, o da Ebân b. Tağlib'den şöyle dediğini nakleder: Adamın biri geldi ve: "Bir gece bu bölgede Berhut vadisinde kaldım. İnsanların korkunç çığlıklar attığını ve "ey devme, ey devme" diye bağırdıklarını duydum". Ebân der ki: "Ehli kitaptan biri bana, 'devme'nin kâfirlerin ruhlarıyla görevli melek olduğunu söyledi".[59]

Süfyan de ki: "Bunu Hadramevt sâkinlerine anlattık. Bize dediler ki: "Hiç kimse orada geceleyemez".

Bu görüşle ilgili bildiğim şeyler, bunlardan ibarettir. Abdullah b. Amr, genişliğine ve güzelliğine benzeterek ruhların kalacağı yeri, câbiyeye yani büyük bir

56. Ömrünün sonunda hafızası bozulan Hammad b. Seleme nedeniyle haber zayıftır. İbni Hevşeb hakkında **et-Takrîb**'de "mürselleri ve vehmi çok olan doğru birisidir" denmektedir.
57. Ben derim ki: "Sened, Süfyan'a kadar doğru bir şekilde ulaşıyorsa eğer sahih demektir.
58. Birkaç zayıf râvî arka arkaya geldiğinden dolayı eser zayıftır. Hammâd b. Seleme'nin son zamanlarında hafızasını karıştırdığını söylemiştik. Cüd'ân'ın oğlu Ali b. Yezid hakkında **et-Takrîb**'de "zayıftır" denmektedir.
59. Kıssayı anlatan şahıs bilinmediğinden dolayı eser zayıftır. Ebân b. Tağlib ise sika olmakla beraber şiî birisidir.

havuza benzetiyorsa da bu yorum uzak değildir. Yok bundan bilfiil diğer yerler dışında sadece büyük havuzu kastediyorsa biz bunu bilemeyiz. Zaman bunu bize gösterir. Bu bilgiyi Abdullah b. Amr'ın Ehli Kitap'tan birinden almış olması muhtemeldir.[60]

FASIL

"Ruhlar yeryüzünde toplanacaktır" diyenlerin ileri sürdükleri "Tevrat'ta ve Zebûr'da yeryüzüne salih kullarımızın varis olacağını yazmıştık"[61] âyeti, bu düşüncenin hiçbir zaman kaynağı olamaz.

Âyette geçen "arz" lafzının manası konusunda farklı görüşler ileri sürülmüştür. Saîd b. Cübeyr, İbn Abbas'ın şu görüşünü nakleder: "Âyette geçen arz, cennet arzıdır". Birçok müfessir de bu görüştedir. İbn Abbas'tan gelen diğer bir görüşte de: "Allah'ın Muhammed ümmetine fethini nasip ettiği arzdır" diye belirtiniştir. Doğru olan görüş budur. Kur'ân'da Allah: "Allah, sizden iman edip salih ameller işleyenleri, yeryüzünde kendilerinden öncekileri halife bıraktığı gibi halife bırakacağını va'detmiştir"[62] buyurmaktadır. es-Sahîh'te geçen bir hadisle de Rasûlullah şöyle buyurur: "Yeryüzü doğusundan batısına kadar ne varsa hepsi bana sunuldu. Ümmetimin idarecisi, bana gösterilen bir kısım yerlere ulaşacaktır."[63]

Bazı müfessirler: "Burada söz konusu edilen yer, Beyt-i Makdis'dir" demektedir. Burası, Allah'ın salih kullarının bıraktığı arzdır. Âyet, sadece bununla ilgili değildir.

FASIL

"Mü'minlerin ruhları, yedinci kat semâda illiyyûndadır. Kâfirlerinki ise yedi kat yerin altında Siccîn'dedir" görüşüne bir kısım önceki ve sonraki âlimler de katılmışlardır. Bu manada Rasûlullah da: "Ey Allah'ım, refîki a'lâ'ya"[64] diye duâ etmiştir. Yukarıda geçen Ebû Hureyre'den gelen: "Kişi ölünce[65] ruhu, Allah'ın

60. Ben derim ki: Bundan önce geçen eserlere yazdığımız notlara bakılırsa, araştırıcı bunun da zayıf olduğunu anlar. İkincisi, böyle delilsiz ileri sürülen görüşlere hiçbir itibar yoktur. Birinci meselenin başında zikredilen deliller buna karşıdır bile.
61. Enbiyâ sûresi, (21/105).
62. Nûr sûresi, (24/155).
63. Bu hadisi Ahmed, Müsned 5/278; Müslim, el-Fiten (19); Ebû Dâvûd; el-Fiten (1); Tirmizî, el-Fiten (14) ve İbni Mâce, el-Fiten (9)da rivayet etmişlerdir.
64. Hadis sahihtir. Yukarıda geçti.
65. Hadis sahihtir. Bunun ve daha sonra gelen hadislerin tahricinden bu hadislerin sahih olduğu anlaşılmaktadır.

bulunduğu kata çıkıncaya kadar semâya doğru çıkartılır" şeklindeki hadisi de bu manadadır. Bunun yanında Ebû Mûsâ'nın: "Ruh arşa kadar çıkartılır" sözü; Huzeyfe'nin: "Ruh, Rahman'ın katında bulunmaktadır" sözü; Rasûlullah'ın: "Şehitlerin ruhları, arşın altındaki kandillere sığınırlar" sözü ve Berâ b. Âzib hadisinde zikredilen: "Ruh bir semâdan diğer semâya çıkarken o, yedinci kata varıncaya kadar Allah'a yakın melekler tarafından karşılanıp uğurlanırlar." Bir rivayette de Allah'a varıncaya kadar ifadelerin hepsi yine bu mânadadır.

Fakat bu, ruhun devamlı olarak orada kalacağın göstermez. Ayrıca ruh, Rabbine arzedilir, hakkında Allah hüküm serdikten sonra illiyyûna yahut Siccîn'e gidecekler arasında yazılır; sorgulanmak için kabre gönderilir. Sonra ayrıldığı yere yeniden döner. O halde mü'minlerin ruhları, mertebelerine göre illiyyûndadır. Kâfirlerin ruhları da kendi mertebelerine göre Siccîn'dedir.

FASIL

"Mü'minlerin ruhları, zemzem kuyusundadır" diyenlerin görüşünü destekleyebilecek ne bir kitap ne bir sünnet ne de güvenilir bir söz vardır. Çünkü bu kuyu, mü'min ruhları içine alamaz. Ayrıca bu açık sünnetlerde belirtilen: "Mü'minin ruhu[66] cennet ağacından yiyen bir kuştur" hadisine de aykırıdır.

Velhasıl bu görüş, ruhların büyük havuzda olduğunu söyleyen görüşlere nazaran çok daha kötü ve bozuktur. Hiç olmazsa büyük havuzun oturduğu alan, küçük dar bir kuyudan daha büyük ve daha geniştir.

FASIL

"Mü'minlerin ruhları, arzda bir berzahtadır, dilediği yere gider" görüşüne gelince bu, Süleyman el-Farisî'den de rivayet edilmiştir. Berzah'ın manası iki şey arasında engeldir. Bu açıdan Süleyman el-Farisi de Berzah'tan, dünya ile ahiret arasındaki ruhun, dilediği gibi dolaştığı arzı kastetmiş olabilir. Bu görüş güçlüdür. Çünkü dünyadan ayrıldığı halde ahirete sokmamakta, ikisinin arasında, Berzah'ta olduğunu belirtmektedir. Bu durumda mü'minlerin ruhu rahatlık, huzur ve nimetin bulunduğu geniş bir Berzah'tadır. Kâfirlerin ruhları ise gam ve azabın bulunduğu dar bir Berzah'tadır. Yüce Allah buyuruyor: "Onların arkasında, diriliş gününe kadar kalacakları Berzah vardır."[67] Burada berzah-

66. Hadis sahihtir. Yukarıda geçti.
67. Mü'minûn sûresi, (23/100).

tan, dünya ile ahiret arasındaki yer kastedilmektedir. Fakat lügat manası itibariyle iki şey arasında engele, Berzah denmektedir.[68]

FASIL

"Mü'minlerin ruhları Adem'in sağında, kâfirlerin ruhları ise Adem'in solunda bulunur." Allah'a yemin olsun ki Rasûlullah'tan gelen İsrâ hadisinde bu manada bir söz vardır. Rasûlullah, bu ruhları yukarıdaki gibi gördüğünü bildirmektedir. Ancak bu, ruhların devamlı Adem'in sağında ve solunda olduğunu göstermez. Hadisteki manası, Hz. Adem'in sağında yücelik ve genişliğin olması, solunda ise zindan ve alçaklığın olmasıdır.

Ebû Muhammed b. Hazm demiş ki: "Rasûlullah İsrâ gecesi dünya semâsına çıkarıldığında Berzah'ı görmüştür. Burası dört unsurun dağılma yeridir" ve "bu, Berzah'ın, semânın altında olduğuna ve unsurların dağılmasına delâlet eder." Dört unsur su, toprak, ateş ve havadır.[69]

İbn Hazm, adeti gereği delilsiz konuşanı her zaman kınamaktadır. Peki kendisinin bu görüşünü Kitap ve Sünnetten delili nedir? İnşâallah, bu konudan sonra doyurucu açıklamalar yapacağız.

Eğer denirse ki haberde, şehitlerin ruhlarının arşın gölgesinde olduğu, arşın da yedinci kat semânın üzerinde bulunduğu bildirilmişken mü'minlerin ruhları, nasıl Adem'in sağında, Adem de nasıl dünya semâsında olabiliyor ve Rasûlullah da bu ruhu, dünya semâsında görebiliyor? Bunu şu şekillerde cevaplarız.

1- Yücelik açısından: Ruhların Adem'in sağında olması muhtemeldir. Nitekim kâfirlerin ruhları da alçaklık açısından Adem'in solundadır.

2- Ruhların karargâhı başka yer olmakla birlikte dünya semâsında Rasûlullah'a arzolunmuş olabilecekleri uzak değildir.

3- Rasûlullah, bütün mü'minlerin ruhlarını burada gördüğünü belirtmemiştir. Konuyla ilgili olarak O: "Baktım ki Adem'in sağında büyük bir karaltı, solunda da büyük bir karaltı[70] var" demiştir. Hz. İbrahim'le Hz. Mûsâ'nın ruhlarının altıncı ve yedinci semâda olduğu; refîki a'lâ'nın bundan da üstte olduğu; mutlu ruhların da kazandıkları mertebelere göre üst üste olmaları ve mutsuz

68. Ben derim ki: Berzah'tan, her hangi bir zamanı kastediyorsa bu doğrudur. Yok eğer bundan bir mekan kastediyorsa, ruhların cennette olmasıyla ilgili sahih hadislere bu karşıdır.

69. Bu görüş, Aristo'ya aittir. Aynısını birçok Arab felsefecisi ve kelamcısı da söylemiştir. İlim bu görüşün yanlışlığını ortaya koymaktadır. Şöyle ki: Su bir unsurdur, ama iki hidrojenle bir oksijenden meydana gelmiştir. Hava ise unsur değildir, ama oksijen ve azottan oluşmuş bir gazdır. Bu bileşim böyle bölünür gider. O halde unsurlar dört olmayıp doksan küsür tanedir. (Şimdi ise 110'u geçmiştir. ç.)

70. İbareden de anlaşılacağı gibi karaltı lafzından büyük bir kalabalığı kastetmektedir.

ruhların da aynı şekilde günahlarının çokluğuna göre alt alta olmaları kesinlikle bilinmektedir. Allah en iyisini bilir.

FASIL

İbn Hazm'ın: "Ruhların yeri, ait olduğu cesetler yaratılmadan önce neresi ise bedenden ayrıldıktan sonra da orasıdır" sözü, ruhların cesetlerden önce yaratılışını kabul etmesinin bir neticesidir. Ruhların, bedenlerden önce yaratılması konusunda iki görüş vardır. Çoğunluk ilim adamlarına göre ruhlar, bedenlerden sonra yaratılmıştır. Bu görüşte olanlar diyorlar ki: "Ruhlar, bedenlerden önce yaratıldı" diyenlerin görüşünü destekleyen ne Kitap'ta ne Sünnette ne naslardan çıkartılan icmâda ne de sahih hadislerde İbn Hazm'ın hüccet getirdigi gibi bir delil vardır. İleri sürülen âyetler şunlardır: Yüce Allah buyuruyor ki: "Hani Rabbin Ademoğlunun zürriyetinin sırtlarından söz aldı ve kendisine onları ben sizin Rabbiniz değil miyim? diye şahit tutmuştu. Onlar da: "Evet sen bizim Rabbimizsin" demişlerdi"[71] ve "Sizi yarattıktan sonra size sûret ve düzen verdik. Sonra meleklere: "Adem'e secde edin" dedik de onlar da secde ettiler."[72] İbn Hazm der ki: "Görülüyor ki Allah, önce nefis denen ruhları tamamen yaratmıştır." Bu manada Rasûlullah da: "Ruhlar, havada toplanmış ordulardır. Birbirleriyle tanışanlar birbirine alışırlar. Tanışmayanlar ise ayrılır" diye buyurmuştur.[73] Yüce Allah, Rabbliğine ruhları şahit tuttuğunda ruhlar, henüz bedenlere girmemişti ve meleklere, Ademoğullarına secde etmeleri emredilmemişti. Ve akıllı, düzenli (musavvar, formal) bir yaratıktı. Bedenler ise henüz daha topraktı." İbn Hazm devam ediyor: "Çünkü Yüce Allah, ruhu bir sözle yarattıktan sonra zorunlu bir gelecek ve mühlet vermiştir. Sonra da onu öldükten sonra yeniden döneceği Berzah'a koymuştur."

Bu konuyu, *Ruhlar, bedenlerden önce mi yaratıldı yoksa bedenlerle beraber mi yaratıldı?* meselesini tartışırken sorulu-cevaplı olarak ele alacağız. Burada anlatmaya çalıştığımız şey, ölümden sonra ruhların yeridir. İbn Hazm'ın: "Ruhlar, cesetler yaratılmadan önce bulunduğu Berzah'tadır" görüşü, bu anlayışın bir ürünüdür. "Mutlu ruhların Hz. Adem'in sağında, mutsuz ruhların ise Hz. Adem'in solunda olınasıyla ilgili görüşü doğrudur. Rasûlullah'tan da bu, böyle bildirilmiştir. Ancak Berzah'ta bulunuşun, unsurların dağılmasından sonra olacağı görüşü ise Kitap, Sünnet ve İslâm alimlerinin her hangi bir görüşüyle desteklenmemektedir. Tam tersine sahih hadisler, ruhların unsurların üstünde cen-

71. A'râf sûresi, (7/172).
72. A'râf sûresi, (7/11).
73. Hadis sahihtir. Yukarıda geçti.

nette Allah katında olduğunu belirtmektedir. Kur'ân'da bulunan deliller de bu yöndedir. Ebû Muhammed, şehitlerin ruhlarının cennette olduğunu kabul etmektedir. Sıddîklar da şehitlerden daha üstün olduğuna göre Ebû Bekir'in, Abdullah b. Mesûd'un, Ebû Derdâ'nın, Hüzeyfe b. Yeman'ın ve bu seviyede olan sahabilerin ruhu, unsurların bozulmasıyla bozulup felek altı dünyada, dünya semâsında kalırken zamâne şehitlerin ruhu unsurların ötesinde, semâların üzerinde mi olsun?

İbn Hazm'ın: "Muhammed b. Nasr el-Mervezî'nin, Ishak b. Râhûye'den naklettiğine göre o, bizim söylediğimizi aynen söylemiştir" sözü ve "ilim ve İslâm ehlinin görüşleri budur" sözüne gelince:

Ben derim ki: Muhammed b. Nasr el-Mervezî: "Rabbin Ademoğlunun zürriyetinin sulbünden söz aldı ve onları kendisine: 'Ben sizin Rabbiniz değil miyim?' diyerek şahit tutmuştur" âyetinin[74] tefsirinde İbn Kuteybe'yi reddederken, "Selef ulemâsının Ademoğlunun zürriyetinin, Adem'in sulbünden çıktığına, Allah'ın onlardan söz aldıktan sonra sulblerine tekrar gönderdiğine, Allah'ın onları zerreler gibi yaratmasına, ruhları mutlu ve mutsuz kısımlara ayırarak rızıklarını ve hayır ve şerle ilgili ecellerinin yazılmasına dair bilgileri verdikten sonra der ki: "Ishâk der ki: "İlim erbabı, bu açılardan bakarak cesetler yaratılmadan önce ruhların konuşturulduğunda icma etmişlerdir. Bu, âyette: "Onları kendilerine şahit tutarak: 'Ben sizin Rabbiniz değil miyim?' demişti de onlar: "Evet, biz sana şahidiz" diyerek kıyâmet günü biz bunlardan habersizdik yahut babalarımız da daha önceleri şirk koşmuşlardı diyerek mazeret göstermelerini engellemiştir"[75] Muhammed b. Nasr'ın görüşü budur. Görüldüğü gibi ruhların bir yerde istikrarının, unsurların dağılmasından sonra olacağına dair Ebû Muhammed'den hiçbir görüş gelmemiştir. Belki de bu sözler, bedenler yaratılmadan önce ruhların varlığına; Allah Teâlâ ruhları çıkardıktan sonra onlara hitap ettiğine, daha sonra da ruhu Ademoğlunun sulbüne gönderdiğine delildir. Buna meyleden selef ve haleften bir kısım âlim varsa da doğru olan görüş bu değildir. İnşâallah bu konuya ileride döneceğiz. Zira burada maksadımız, ruhların bedenlerden önce yaratılmış olup olmaması değildir. Ebû Muhammed'ten gelen bütün görüşler kabul edilse de hiçbir zaman burada, ruhların yerinin unsurların dağılmasıyla olacağına ve bu yerin, ruhun ilk karargâhı olacağına dair bir delil yoktur.

---

74. A'râf sûresi, (7/172).
75. A'râf sûresi, (7/172-173).

FASIL

"Ruhlar, mahza yok olacaktır" görüşü "ruhu, hayat olarak gören ve bedenin arazlarından sayan" görüşün bir neticesidir. Bu, İbn Bakillânî ve buna uyanların görüşüdür. Ebü'l-Hüzeyl el-Allâf da: "Nefis, arazlardan bir arazdır" diyerek Bakillânî gibi bunun hayat olduğunu açıklamamışsa da aynı görüşü savunmuş ve "bedenin arazları neyse bu da öyle bir arazdır" demiştir.

Bunlara göre cismin ölmesiyle beraber hayata bağlı arazlar gibi ruh da ölür. Bazıları, Eş'arîler gibi arazı "o, iki zamanda kalmayan" diye tanımlamıştır. Bazıları da "insanın taşıdığı şu ruh, bundan önceki ruhu değildir. Önce bir ruh gelir, sonra bozulur, bir başkası gelir o da bozulur, derken bir saat ya da daha az bir sürede beden, bin tane ruh değiştirebilir. Bu duruma göre beden ölünce ruh semâya yükselmez; sonra kabre dönmez, melekler tarafından alınıp semâ kapılarına götürülmez ve nimet-azap görmez. Eğer Allah bir kişiyi nimetlendirmek ya da azaplandırmak isterse onu, bedene hayat vererek nimetlendirir ya da azaplandırır. Yoksa ruh, bedende daima varolmaz.

Bu görüşte olanlardan bir kısmı da: "Hayat çürümeyen kemiğe[76] yani acbü'z-zenb'e, günahının cezâsını çekmek için gönderilir. Böylece gerekli cezâyı veya mükâfatı alır" demektedir.[77]

Kitap, sünnet, sahâbenin icmâ'ı, akıl, fikir ve fıtrat delilleri bu görüşün hatalı olduğunu göstermektedir. Bu görüşte olanlar, başkalarının ruhu bir tarafa kendi ruhlarını bile tanıyamamış insanlardır. Çünkü Yüce Allah, nefse, dönmeyi, girmeyi, çıkmayı emretmiş; açık sahih nasslarda ruhun yükseleceği, ineceği, tutulacağı, alınacağı, salıverileceği; semâ kapılarının ruha açılacağı, ruhun secde edeceği, konuşacağı, suyun damladığı gibi ruhun çıkıp akacağı; cennet yahut cehennem kefeniyle, tabutuyla kefenlenip tabutlanacağı; ölüm meleğinin, ruhu eliyle alıp diğer meleklere vereceği; ruhun, misk kokusu gibi güzel kokuları yahut leş gibi kokan pis kokuları koklayacağı; semâlara çıkarıldıktan sonra meleklerle arza ineceği; bedenden ruh ayrılınca dıştaki gözün onu gözüyle takip edeceği belirtilmiştir. Kur'an'da da ruhun, bir yerden bir yere gideceği sonunda Yutak'a ulaşacağı açıklanmıştır. Ruhların birbiriyle karşılaşması, tanışması ve havada toplanmış ordular olmasıyla ilgili bütün söz konusu deliller, öldükten sonra ruhun, yeniden öleceğini ileri süren görüşü çürütmektedir. Nitekim Rasûlullah, İsrâ gecesi ruhların, Hz. Adem'in sağında ve solunda bulunduğunu

---

76. Acbün: Kuyruk sokumu kemiği. Cemisi "Ucûbün"dür.
77. Ben derim ki: Buhârî'nin, Ebû Dâvûd ve İbni Mâce'nin Ebû Hüreyre'den rivayet ettikleri şu hadise işaret etmektedir. Rasûlüllah buyuruyor ki: "İnsanoğlunun kendisinden yaratılıp bedeninin giydirildiği kuyruk sokumu dışında kalan yerlerini toprak yer". bkz. Sahîhu'l-câmî (4383). Ancak bu hadis cesetle ilgilidir. Ruhlarla ilgili olan hadis yukarıda geçti.

görmüş; mü'min kişinin ruhunun cennet ağacından yiyen kuş olduğunu; şehitlerin ruhlarının ise yeşil renkli kuşların havzalarında olduğunu bize bildirmiştir. Yüce Allah Kur'ân'da Âl-i Firavn'ın ruhlarının sabah-akşam cehenneme arzolunduğunu da bildirmiştir.[78]

İbn Bakillânî düşüncesini ısrarla savunarak: "Bundan iki şey ortaya çıkar. Ya ruh, cismin bir arazı gibi hayatın başlangıcı olan bir arazdır, yahutta söz konusu hayat, nimet ve cezâ için ayrı bir ceset yaratılır" demektedir.

Bu görüş, insan ruhunu, bedenin arazlarından bir araz kabul eden ve bir saat içerisinde binlerce ruhun değişeceğini söyleyen; bedenden ruh arazı ayrılınca da ruhun mükâfat yahut azap görmeyeceğini söyleyen ve ruhun yükselmeyeceğini, arza inmeyeceğini, tutulmayacağını, salıverilmeyeceğini söyleyen görüşten son derece daha bozuktur. Bunun yanında akla, Kitap, sünnet ve fıtrat nasslarına da aykırıdır. Bu görüş, ancak kendisini tanımayan birine ait olabilir. Yeri gelince bu görüşlerin yanlışlığını gösteren bütün delilleri, ayrıntılarıyla açıklayacağız. Böyle bir sözü selef, sahâbe tabiîn ve İslâm âlimlerinden hiç kimse söylememiştir.

FASIL

"Bedenden ayrılan ruhun yeri, ait olduğu bedenden ayrı bir bedendir" diyenlerin görüşünde bir açıdan doğru başka bir açıdan ise yanlıştır.

Bu görüşlerin içinde en doğru olanı hiç şüphesiz Rasûlullah'ın: "Şehitlerin ruhları, yeşil renkli kuşların havsalarında kuş yuvalarına benzeyen, arşa asılı kandillere sığınırlar" sözüyle "Allah, mü'minlerin ruhlarını yeşil renkli kuşların karınlarına koymuştur" sözüdür.

Rasûlullah'ın: "Mü'minin, ruhu cennet ağaçlarından yiyen bir kuştur" hadisinde geçen kuşun, beden gibi ruhun taşıyıcısı olabilir ki bu, bir kısım mü'minler ve şehitler için söz konusudur veya ruh, kuş sûretinde olabilir. Muhammed b. Hazm'la, Ebû Ömer b. Abdülberr'in görüşü budur. Ebû Ömer'in görüşü ile ilgili tartışma yukarıda geçti. İbn Hazm ise diyor ki: "Rasûlullah'ın: "Mü'minin ruhu cennette ağaçlardan yiyen bir kuştur" sözü, câhillerin anlayışı bir tarafa bırakılırsa zahiri itibarıyla mü'min kişinin cennette uçtuğu ve kuş suretine girmediği anlaşılmaktadır. Eğer النسمة lafzı müennestir denilirse, deriz ki: "Fasîh bir arab: أتتك كتابي فاستخففت بها " "Sana gelen kitabımı niçin küçük gördün?" demiş de " الكتاب " lafzını müennes mi okuyorsun? diye itiraz edilmiş. O da cevabın-

78. Hadislerin tahrici yukarıda geçti. Hepsi de sahîhtir.

da: " أوليس صحيفة؟ " "o da bir sahife değil mi? demiş. Aynı şekilde النسمة lafzını da müzekker okumak gerekir. İbn Hazm devamında: "Ruhların yeşil renkli kuşların havsalasında olmasıyla ilgili fazlalık, kuşların sığındığı kandillerin bir sıfatıdır. Bu durumda bu iki hadis, tek bir hadis olmaktadır." İbn Hazm'ın bu görüşü, lafız ve mana itibariyle son derece bozuktur. Çünkü: "Mü'minin ruhu cennet ağacından yiyen bir kuştur" hadisi: "Şehitlerin ruhları yeşil renkli kuşların havsalalarındadır" hadisinden başkadır. İbn Hazm'ın ileri sürdüğü ihtimal, birinci hadis için söz konusu olabilir. İkinci hadis için ise asla. Şu nedenle ki Rasûlullah: "Şehitlerin ruhlarının, kuşların havzalasında olduğunu" bildirmiştir. Diğer bir rivayette: "Yeşil renkli kuşların karınlarındadır" şeklinde geçmekte, başka bir rivayette ise: "Bu kuş cennette dolaşır, cennet meyvelerinden yer, nehirlerinden su içer sonra da kuş yuvasına benzer arşın altında duran kandillere sığınırlar" şeklinde geçer. İbn Hazm'ın: "Kuşların havsaları, sığındıkları kandillerin sıfatıdır" yorumu, kesinlikle yanlıştır. Belki kandiller, bu kuşların sığınağı manasınadır. Hadisten üç şey anlıyoruz: Ruhlar, karınlarında ruh bulunan kuşlar ve kuşların sığınağı olan kandiller. Kandiller, arşın altında sabit varlıklardır dolayısıyla cennette dolaşamaz. Kuş, gezer, gider ve gelir. Ruhlar ise bu kuşların karnındadır.

Denilirse ki: "Hangi sûrette Allah dilediği üzere seni bir bedene bindirdi"[79] âyetinde ve İbn Ebî Şeybe'nin Ebû Muâviye'den, onun da A'meş'ten, onun da Abdullah b. Mürre'den, onun da Abdullah'tan rivayet ettiği hadiste: "Onların ruhları yeşil renkli kuş gibidir"[80] manasının dışında bir kuşun suretine girmesi de mümkündür.

Ebû Ömer der ki: "Ruhun kuş gibi yahut kuş sûretinde olduğunu söyleyen görüş, Ka'b b. Malik'ten: "Mü'minin ruhu..." şeklinde rivayet ettiğimiz hadislere uygun olması nedeniyle bana daha doğru geliyor.

Cevabımız şudur: Söz konusu hadis, her iki lafızla da rivayet edilmiştir. Müslim'in **es-Sahîh**'inde, Mesrûk yoluyla Ameş'ten rivayet ettiği hadis ise lafızlarında herhangi bir farklılık olmaksızın "yeşil renkli kuşun karınlarındadır" şeklinde geçmektedir.[81]

Osman b. Ebû Şeybe[82] Abdullah b. İdris'ten, o da Muhammed b. Ishak'tan, o da İsmail b. Ümeyye'den, o da Saîd b. Cubeyr'den, o da İbn Abbas'tan rivayet ettiği hadiste, Rasûlullah şöyle buyurmuştur: "(Uhud günü) ölen kardeşlerinizin ruhlarını Yüce Allah cennet ırmaklarında gezen, cennet meyvelerinden yi-

79. İnfitâr sûresi, (82/8).
80. Hadisin senedi sahihtir.
81. Ancak Müslim'de A'meş b. Mesrûk'tan gelen hadisin lafzı أرواحهم كطير خضر şeklinde olmayıp أنها في أجواف طير خضر şeklindedir.
82. Hadis sahihtir. Yukarıda geçti.

yen ve arşın gölgesinde dizilmiş altın kandillere varan yeşil renkli kuşların karınlarına koymuştur. Ruhlar, bu güzel yiyecekleri, içecekleri ve konuşmaları gördüklerinde: "Kim dünyadaki kardeşlerimize şu anda cennette rızıklandığımızı söyleyecek? Bunu duysunlar da harpten yüz çevirip cihadı terketmesinler" derler. O zaman Yüce Allah: "Bunu ben bildiririm" buyurarak şu âyeti indirmiştir: "Allah yolunda öldürülenleri sakın ölülerden sanma. Şimdi onlar hayattadırlar ve Rabb'leri katmda rızıklanmaktadırlar."[83]

es-Sünen'ül-Erba'a'da, Ahmed b. Hanbel'in Müsned'inde ve sözleri Tirmîzî'ye ait Ka'b b. Malik'ten gelen şu hadise gelince Rasûlullah buyuruyor ki: "Şehitlerin ruhları cennet meyvelerinden yiyen" bir rivayette de "cennet ağacından yiyen kuşların içindedir."[84] Tirmîzî bununla ilgili olarak "sahih ve hasen bir hadistir." demektedir. Bu hadisin, manası açıktır. Şeriatm hiçbir kuralına aykırı olmadığı gibi ne Kur'ân'a ne de Rasûlullah'tan gelen bir habere de aykırıdır. Bu, Allah'ın, nimetini, şehit kullarına tam verebilmek için ruhlarını taşıyan bedenlerinden daha hayırlı bir beden vererek onlara ikram etmesinden ibarettir. Tabi kıyamet günü gelince Allah, ruhlarını, dünyadaki bedenlerine tekrar verecektir.

Eğer denilse ki: "Bu, tenâsüh ve ruhların, dünyadaki bedenlerinden başka bedenlere hulûl etmesidir. O halde şöyle cevaplarız: Sarih sünnette böyle bir mana vardır. Buna inanmalı ve sünnette belirtilen hususa tenâsüh denmemelidir. Nitekim Allah'ın, akılla da nakille de bilinen sıfatlarını ve esmâ-ı hüsnâsının hakikatlarını kabul etmek gerekir, dinsizlerin tabirleriyle bu sıfatlara cismiyyet ve terkib isnat edilmemelidir. Aynı şekilde hem aklen hem de naklen sabit olan Allah'ın fiilleri, irâdesiyle konuşması, her gece dünya semâsına inmesi ve kullarını yargılamak için kıyamet günü gelmesi gerçek kabul edilmeli; hiçbir zaman bu, dinsizlerin tabiri ile hadiselere girmesi olarak anlaşılmamalıdır. Nitekim yine akıl ve nakille Allah'ın kullarından üstünlüğü, onlara benzememesi, arşa inmesi, meleklerin ve ruhun Allah'a yükselmesi ve kendi katından yere inmesi, Hz. Mûsa'nın Allah'ın huzuruna çıkması, Rasûlunü kendine iki yay uzunluğu kadar veya daha az ölçüde yaklaştırması ve bu konuda gelen bütün naslar kabul edilmelidir. Cehmiyye fırkasının dediği gibi bu, Allah için bir mekan, yön ve cisimlik olarak anlaşılmamalıdır.

Ahmed b. Hanbel der ki: "Allah'ın hiçbir sıfatı, alçakların rüsvaylıklarından dolayı inmemiştir." Bid'atçıların çirkinliği buradadır. Ehli sünnet taraftarlarını câhillerin bile hoşlanmadığı haşevilik, terkibçilik ve cismiyyetle vasıflandıranlar bunlardır. Yüce Allah'ın kullarından üstünlüğünü, arşa inmesini inkâr etmek amacıyla, O'na çıkan ve yön isnad etmektedirler. Bu amaçla Rafizîler, Ra-

83. Âl-i İmrân sûresi, (3/169).
84. Hadis sahihtir. Yukarıda geçti.

sûlullah'a olan sevgilerini, Rasûlullah'ın da onlara duâ etmesini makam sevdasıyla; mecûsî Kaderîler de kaderi, zorlayıcı olarak yorumlamışlardır. Oysa ki lafızlara itibar etmemeli onların hakikatlarına bakmalıdır. Rasûlullah'ın hadislerinde şehitlerin ruhlarının yeşil renkli kuşların karınlarında olmalarıyla ilgili sarih ifadelere tenâsüh denmesi bu manaya zarar vermez. Bâtıl tenâsüh, Rasûllerin düşmanı dinsizlerin ve meadı inkâr edenlerin: "Bedenlerden ayrılan ruhlar şeklen kendilerine münasip olan hayvanların, kuşların ve haşerelerin bedenlerine girerler. Ruh bedenden ayrılınca söz konusu hayvanların bedenlerine girer, azabını yahut mükâfatını orada görür. Sonra buradan da ayrılarak ahlak ve davranış itibariyle yapısına uygun gelen daha başka hayvanların sûretine girer ve bu böyle sürüp gider" şeklindeki tenâsühtür. Bunlara göre ruhun meâdı, azap yahut nimet içinde kalması böyledir; başka bir meâd görüşleri yoktur. Rasûllerin, Peygamberlerin ittifakla kabul ettikleri gerçeğe ters düşen tenâsüh, işte budur. Böyle bir inanç, Allah'ı ve Ahiret gününü inkâr etmektir. Bunlar diyorlar ki: "Bedenlerden ayrılan ruhlar, kendilerine uygun hayvanların bedenlerine girerler." Ne kadar da çirkin ve bâtıl bir söz! Arkasından da şöyle diyorlar: "Ölüm ve azap bedenin bütün azalarına yahut kuyruk sokumu gibi bir azasına tattırılır. Böylece Yüce Allah, bir görüşe göre ya bu uzva hayat vererek lezzet veya acıyı tattırır. Diger bir görüşe göre ise hayat vermeksizin lezzet ve acıyı tattırır. Bunlara göre Berzah'ta yalnızca bedenler için azap vardır. Bu görüşün karşıtları da: "Ruh, hiç bir sûrette bedene dönüp onunla birleşmez. Azap ve nimet, sadece ruh içindir." Sarih, mütevâtir sünnetler, onların da bunların da sözlerini reddetmekte ve azabın ya da nimetin ruh ile bedene hem birden hem de ayrı ayrı tattırılacağını açıklamaktadır.

Denildi ki Berzah'ta ruhlar, çok farklı yerlerde bulunurlar. *Birincisi:* Mele-i a'lâ'da illiyyûn tepesinde bulunan ruhlar. Peygamberlerin ruhları buradadır. Rasûlullah'ın İsrâ'da da gördüğü gibi bunlar da derecelerine göre farklı mertebelerdedirler.

İkincisi: Yeşil renkli kuşların karınlarında cennette diledikleri gibi dolaşan ruhlar. Bunlar bir kısım şehitlerin -hepsinin değil- ruhlarıdır. Yukarıda bazı şehit ruhların, üzerlerindeki borçlar nedeniyle tutulduğu bildirilmiştir. Müsned'de Muhammed b. Abdullah b. Cahş'den rivayet edildiğine göre bir adam Rasûlullah'a gelir ve: "Ey Allah'ın Rasûlü, Allah yolunda öldürülürsem bana ne var?" diye sorar. Peygamberimiz de: "Cennet vardır" buyurur. Adam, ısrarla sorusunu tekrarlayınca Rasûlullah: "Biraz önce Cebrâil'in bana gösterdiği kişi dışında" (ödemesi gereken borcuyla ölen şehit cennete giremez) buyurmuştur.[85]

85. Ben derim ki: Müsned'de Muhammed b. Abdullah b. Cahş'tan rivayet edilen hadisin lafzı böyle değildir. Sözkonusu hadis şudur: "Muhammed'in nefsi yedi kudretinde olan Allah'a yemin olsun ki, bir kimse ödemesi gereken borcu olduğu halde Allah yolunda öldürülüp yeniden yaşasa (bunu üç

Üçüncüsü: Cennetin kapısında ruhun mahbus olduğunu söyleyenler. Nitekim, hadiste: "Arkadaşınızı, cennetin kapısında mahbus gördüm" buyurulmaktadır.[86]

Dördüncüsü: Ruhun kabirde hapsedildiğini söyleyenler. Ganîmet malından aşırdıktan sonra şehit düşen kişi hakkında insanlar: "O, cennete huzur içinde girmiştir" deyince, Rasûlullah: "Nefsim yedi kudretinde olan Allah'a yemin olsun ki ganîmet malından aşıranın kabrinde alevli bir ateş yanmaktadır" demiştir.[87]

Beşincisi: Ruhun, cennet kapısında olduğunu söyleyenler. İbn Abbas'tan gelen bir hadiste Rasûlullah şöyle buyurmuştur: "Şehitler, cennetin kapısından doğan bir nehirde, yeşil bir kubbede bulunurlar. Sabah akşam rızıkları cennetten gelir".[88] Hadisi, Ahmed b. Hanbel rivayet eder. Ancak bu, Allah'ın Cafer b. Ebî Talib'e iki kanat vererek cennette dilediği gibi uçmasıyla ilgili hadise aykırıdır.

Altıncısı: Ruhun, arzda hapsedilip Mele-i a'lâ'ya çıkmadığını söylenler. Bunlara göre ruh, arza layık süflî bir varlıktır. Arza bağlı nefisler, dünyada semâvî nefislerle birleşemediği gibi bedenden ayrıldıktan sonra da birleşemez. Dünya hayatında Rabbini tanımayan, O'nu sevip zikretmeyen, O'nunla ünsiyet kurup O'na yaklaşamayan nefisler, arza layık sûflî nefislerdir. Bedenden ayrıldıktan sonra da aynen burada kalırlar. Nitekim dünya hayatında Allah'ı seven, O'nu çokça anıp O'nunla ünsiyet kurmakla O'na yaklaşan nefisler de ait oldukları bedenlerden ayrıldıklarında da kendilerine münâsip yüce ruhlarla beraber olurlar. O halde gerek Berzah'ta, gerekse Kıyamet gününde kişi sevdiği ile beraberdir. Yüce Allah da Berzah'ta ve meâd'da nefisleri birbiriyle birleşirecektir. Nitekim hadiste: "Yüce Allah, mü'min kişinin ruhunu, güzel ruhlarla beraber kılar. Yani tabiatına uygun ruhların arasına katar, buyurulmaktadır. Demek ki ruhlar bedenlerden ayrılınca kendilerine uygun ve amelleri bir olan ruhların arasına katılarak onlarla beraber olurlar.

Yedincisi: Zina eden kadın ve erkeklerin bulunduğu tandırlarda bulunan ruhlar.[89] Bunlar, kan nehrinde yüzerler ve cehennem taşlarını yerler. Mutlu ve mutsuz ruhların birlikte kalacakları bir yer yoktur. Birisi illiyyûnun tepesinde iken diğeri arzın altında bulunur ve yerden çıkamaz.

---

defa tekrar etmiştir) yine de cennete giremez". Ancak, râvîlerden olan Alâ b. Abdurrahman'dan dolayı hadis zayıftır. et-Takrîb'de: "Doğru birisidir. Ama bazan vehimlidir" denmektedir. Züheyr b. Muhammed hakkında ise Ebû Hakim oğlunun el-Cerh adlı kitabında bildirildiğine göre "hafızası kötüdür" demiştir.

86. Hadis sahihtir. İmam Ahmed, Semre'den (C.5, S.20), Ebû Dâvûd, Nesâî, Hakim ve Beyhâkî rivayet etmişlerdir. Şeyh Elbânî hadislerin lafızlarını Ahkâmü'l-Cenâiz (s. 15)'de cem etmiştir. Ahmed b. Hanbel'in rivayet ettiği hadisin, kitabın lafzına daha yakın olduğu unutulmamalıdır.
87. Hadis sahihtir. Yukarıda geçti.
88. Hadis sahihtir. Yukarıda geçti.
89. Hadis sahihtir. Bu, yukarıda Semre b. Cendeb'den rivayet edilen uzunca hadisin bir bölümüdür.

Ruhun yeri hususunda en doğru kaynak, bize kadar ulaşan sünnetler, sahâbe ve tâbiîn sözleridir. Sahih rivayetler arasında çelişkiler bulunduğu fikrine inanma; çünkü bunların hepsi birbirini doğrulamaktır. Yapman gereken şey ruhu anlamak, nefsi ve hükümlerini bilmek; bedenden ayrılan ruhun bedendeki durumundan daha farklı bir durumda olduğunu, cennette olmakla beraber semâda ve kabrin ucuna gelerek bedenle birleşebileceğini, harekette, gidişte, semâya çıkışta ve inişte çok süratli olduğunu, salıverilen, tutulan, ulvî ve süflî kısımlarına ayrıldığını; bedende iken var olan sıhhatinin, hastalığının, lezzetinin, nimet ve emelinin, bedenden ayrıldıktan sonra daha çok olduğunu; bedenden ayrılınca tutulacağını, elem ve azap çekip hastalanacağını ve üzüleceğini veya lezzet, rahatlık, nimet ve hürriyet bulacağını ve bedende bulunan ruhun, annesinin karnında bulunan çocuğa, bedenden ayrıldıktan sonra da bu dünyaya ayak basan çocuğun durumuna benzediğini anlamaktır.

Ruhlar, birbirinden, büyük dört yurtta (yer) bulunurlar:

Birinci Yurt: Anne karnı. Sıkışma, daralma, gam ve üç karanlık yeri burasıdır.

İkinci Yurt: Doğup geliştiği, hayır-şer gibi mutluluk ve mutsuzluk sebeplerinin kazanıldığı yurttur (yani dünya).

Üçüncü Yurt: Berzah'tır. Dünya'dan daha geniştir. Dünya yurdu, anne karnından ne kadar genişse burası da o ölçüde, dünyadan geniştir.

Dördüncü Yurt: Karar yurdudur. Ya cennettir ya da cehennemdir. Yüce Allah merhale merhale bu ruhları, yaratılış amacı ve o amaca ulaştıran amellerin emredildiği bu yurda (cennete yahut cehenneme) ulaştırır ki orada başkalarının kalması mümkün değildir. Her yurdun kendine mahsus durumu ve hükmü vardır. Ruhları yaratan, doğurtan, öldüren, dirilten, mesud ya da bedbaht kılan Allah, nasıl ki onların bilgilerini, amellerini, güçlerini ve ahlaklarını farklı farklı yapmışsa aynı şekilde onları, mutluluk ve bedbahtlıkta da farklı mertebelerde kılmıştır. Gerektiği gibi bunları bilen kimse, Allah'ın tek olup O'ndan başka ilahın olmadığını, O'nun ortağı bulunmadığını; her türlü hükümranlığın O'nun elinde olduğunu, bütün hamdlerin O'na olduğunu; her çeşit hayrın O'nun elinde olduğunu ve tüm işlerin O'na döneceğini; her türlü güç ve kudretin, izzet ve hikmetin bütün yönleriyle O'nda olduğunu bilmelidir. Bunun yanında nefsini, Rasûl ve peygamberlerin doğruluğunu, akıl ve fıtrat gereği Rasûllerin getirdiklerinin doğru, bunlara uymayanların ise bâtıl olduğunu da bilmesi gerekmektedir. Başarı Allah'tandır.

ONALTINCI MESELE

Hayatta Olanların Yaptıkları Ameller, Ölülerin Ruhlarına Faydalı Olur mu Olmaz mı?

Dünyadakilerin amelleri, ölülerin ruhlarına iki sebepten dolayı faydalı olur. Bu hususta ehli sünnet fakîhleri, hadisçiler ve tefsirciler icmâ etmişlerdir.

Birincisi, ölünün hayatta iken yaptığı şeylerden kaynaklanır.

İkincisi ise müslümanların, ölüye duâ ve istiğfar etmeleridir. Ölmüş kişi için verilen sadaka ile onun adına yapılan haccın sevabı konusu tartışmalıdır. Çoğu âlimlere göre yapılan amelin bizzat sevabı ulaşırken bazı hanefîlere göre sadece infâk sevabı ulaşmaktadır.

Dinî ibadetlerden oruç, namaz, Kur'ân okumak ve zikir gibi ibadetlerin ölüye ulaşacağı tartışmalıdır. Ahmed b. Hanbel ve çoğu Selef'e göre bu ibadetlerin sevabı ölüye ulaşır. Hanefîlerden bu görüşte olanlar da vardır. Ahmed b. Hanbel yapılan ibadetlerin ölüye ulaşacağı ile ilgili olarak Muhammed b. Yahya el-Kehhâl'dan şunu nakleder: "Ebû Abdullah'a denildi ki: "Bir kimse, namaz ve sadaka gibi hayırlı bir ibadet yapıp sevabının yarısını annesine yahut babasına gönderebilir mi? Ebû Abdulah da bir rivayette: "Böyle olacağını umarım" derken diğer bir rivayette ise: "Sadaka gibi hayırlı ameller ölüye ulaşır" dedikten sonra üç defa Ayet'el-Kürsi'yi, üç defa da İhlas sûresini okumuş ve: "Allahım, kabirde yatanlara bunu fazlınla ver" demiştir.

Malikî ve Şafîlerin meşhur görüşü, bunların ölüye ulaşmamasıdır.

Kelamcı bir kısım bid'atçılara göre duâ vb. amellerden hiçbirisi ölüye ulaşmaz.

Ölünün, hayatında sebep olduğu birşeyden faydalanmasının delili, Müslim'in es-Sahîh'inde Ebû Hureyre'den rivayet ettiği hadistir. Rasûlullah şöyle buyuruyor: "İnsan ölünce üç şey dışında ameli kesilir: Bunlar cârî sadaka, fay-

dalı ilim ve kendisine duâ eden evlattır."[1] Bu üç amelin istisnâ edilmesi bunların o kişiye ait olduğun gösterir. Çünkü söz konusu amellerin işlenmesi o adam sayesinde gerçekleşmiştir.

İbn Mâce'nin **es-Sünen**'inde, Ebû Hureyre'den rivayet ettiği hadiste de Rasûlullah: "Mü'min kişi öldükten sonra şu güzel amelleri defterine yazılır. Başkalarına öğretip yaydığı ilim, arkasından bıraktığı sâlih evlat, miras bıraktığı Mushaf, yaptığı mescid, yolda kalmışlara yaptığı han, akıttığı nehir ve hayatında sıhhatli iken malından verdiği sadaka ölümünden sonra bunlar ona ulaşır."[2]

Diğer bir delil **Sahîhü'l-Müslim**'de Cerîr b. Abdullah'tan gelen şu hadistir. Rasûlullah buyuruyor ki: "Kim İslâm'da güzel bir çığır açarsa o, açtığı çığırın sevabı yanında kendisinden sonra o çığırdan gidenlerin aldığı sevaptan da eksiksiz olarak alır. Kim de İslâm'da kötü bir çığır açarsa, açtığı çığırın günahı yanında o çığırdan gidenlerin aldığı günahlardan da eksiksiz olarak alır."[3]

Bu manadaki hadis, Rasûlullah'tan birçok şekilde sahih ve hasen olarak rivayet edilmiştir.

Müsned'de de Huzeyfe'den şöyle bir hadis rivayet edilir: Rasûlullah hayattayken bir adam dilencilik yapıyordu. Fakat kimse ona birşey vermedi. Biri bir şey verince diğerleri de verdi. Bunun üzerine Rasûlullah: "Kim iyi bir çığır açıp o çığırdan giderse, açtığı çığırın sevabı yanında o çığırdan gidenlerin aldıkları sevapları azalmaksızın bir o kadar daha sevap alır. Kim de kötü bir çığır açarsa, açtığı çığırın günahı yanında o çığırdan gidenlerin günahları azalmaksızın bir o kadar daha günah alır"[4] buyurmuştur.

---

1. Müslim, Buharî, el-Edebü'l-müfred'de; Ebû Dâvûd, Nesâî, Tahavî, el-Müşkil'de; Beyhâkî ve Ahmed rivayet etmişlerdir. bkz. **Ahkâmü'l-cenâiz**, s. 176.
2. İbni Mâce rivayet etmiştir. (c. 1, s. 88.) Muhakkik der ki: "İbni Münzir, senedi hasendir" demektedir. ez-Zevâid'de "senedi gariptir" denmekte, Merzûk ise "tartışmalı bir kişidir". Aynı zamanda İbni Hüzeyme de Muhammed b. Yahya ez-Züheli'den es-Sahih'inde rivayet etmiştir. Ben derim ki: Hafız İbni Hacer, Merzük hakkında "hadisi gevşektir" demektedir. Zehebi de el-Muğnî'de: "İbni Hibban der ki: "Merzûk, Zührî'den münker hadisleri rivayet etmekte tek kalnuştır" denmektedir. Dahîm de "sahih hadis rivayet eder" der. Ebû Hâtim ise "doğru birisidir" der. Ben derim ki: "Sözkonusu hadis Zührî'den rivayet edilen hadistir. Bu nedenle hadisi hasenlikten düşürmek daha iyi olur. Şeyh Elbânî, hadisi hasen sayar. bkz. **Ahkâmü'l-cenâiz**, s. 177; **Sahihü't-tergîb**, c. 1, 39-46. Ben derim ki: "Lafzı İbni Mâce'ye ait olan hadiste o kadar çok birbiriyle çelişen sözler var ki, konumuzun dağılması korkusundan dolayı düzeltmeye girişmedim. Dileyen Sünen'lere baksın.
3. Müslim, Nesâî, Dârimî, Tahavî, el-Müşkil de; Beyhakî, Ahmed, İbni Ebî Hatim. Tirmizî ve İbni Mâce rivayet etmişlerdir. bkz. **Ahkâmü'l-cenâiz**, s. 177-178. Bu kitapta Elbânî, hadislerin tahriclerine göre yerlerini, hadislerde gelen sahih fazlalıkların siyaktaki yerini Berâ' hadisinde yaptığı gibi göstermiştir. Allah (cc) Ona hayırla karşılık versin. Bu ümmet adına Allah onu cennete soksun.
4. Ahmed ve Hakim rivayet eder. Hakim der ki: "Senedi sahihtir." Bu Elbanî'nin de görüşüdür. bkz. **Sahîhü't-tergîb**, c. 1, s. 29.

Rasûlullah'ın: "Bir canı haksız yere öldürme. Aksi takdirde akıtılan kanın günahı Hz. Adem'in ilk oğluna da gider" sözü de bu anlamdadır.[5] Çünkü ilk öldürme çığırını açan Hz. Adem'in ilk oğludur. Azap ve cezâda iş, böyle olunca sevap ve fazilette öncelikle böyledir demektir.

FASIL

Ölünün, başkalarının sebep olduğu sevapları almasına Kur'ân, sünnet, icmâ ve şer'î kaideler delildir.

Kur'ân'dan delil, şudur: "Onlardan sonra gelenler derler ki: "Rabbimiz, bizi ve bizden önce inanan kardeşlerimizi bağışla."[6] Bu âyette Yüce Allah, sonrakileri kendilerinden önceki inananlara istiğfarlarından dolayı övmektedir. Demek ki hayatta olanların istiğfarları, ölülere fayda vermektedir.

Şöyle de denebilir: Önce inananlar, sonrakilere iman yolunu açtıkları için sonrakilerin istiğfarları onlara faydalı oluyor. İman konusunda sonrakiler, öncekilere uyunca da öncekiler, sonrakilerin imanlarının oluşmasında çığır açanlar olmuş oluyorlar. [Fakat âlimler, cenaze namazında yapılan duâdan, ölünün faydalanacağı konusunda icma etmişlerdir.]

es-Sünen'de Ebû Hureyre'den gelen bir hadiste, Rasûlullah şöyle buyurmuştur: "Ölünün cenaze namazını kıldığınızda, ihlasla ona duâ edin."[7]

Sahîhü'l-Müslim'de Avf b. Mâlik'ten gelen bir hadiste Avf der ki: Rasûlullah'ın cenaze namazını kılarken şu duâyı okuduğunu öğrendim: "Ey Allah'ım, ona mağfiret et, rahmet et, afiyet vererek onu bağışla. İneceği yeri güzel kıl, gireceği yeri de geniş yap. Onu kar ve soğuk suyla yıkayarak beyaz elbisedeki pisliği temizlediğin gibi onu da hatalardan temizle. Yurdundan daha hayırlı bir yurt, ehlinden daha hayırlı bir ehil, eşinden daha hayırlı bir eş vererek onu cennete sok ve kabir ve cehennem azabından onu koru."[8] Sünen'de Vâile b. Eska'dan nakledilir: "Rasûlullah'ın, mü'minlerden birinin cenaze namazını kılarken şöyle dediğini duydum: "Ey Allah'ım, fülancanın oğlu fülanca, senin zimmetinde sana yaklaşmaktadır. Onu, kabrin fitnesi ve cehennemin azabından ko-

5. Buharî, Cenâiz'de (33); Müslim, Kasâme'de (27), Tirmizî, İlim'de (14); Nesâî; Tahrîm'de (1); İbni Mâce, Diyât'ta (1); Ahmed ise **Müsned**'inde (1/383) rivayet ederler.
6. Haşr sûresi, (59/10).
7. Hasendir. Ebû Dâvûd, İbni Mâce, İbni Hibban ve Beyhakî rivayet etmişlerdir. Şeyh Elbanî der ki: "İbni İshak, İbni Hibban'dan hadis aldığını açıklamıştır. Ben derim ki: "Yani böylece hadiste tedlîs şüphesi kalkmış oluyor. Çünkü İbni İshak müdellis biridir. bkz. **Ahkâmü'l-cenâiz**, s. 123; **Sahîhü'l-câmî** (682).
8. Müslim, Nesâî, İbni Mâce, İbni Carûd, Beyhakî, Tayâlisî ve Ahmed rivayet etmişlerdir. bkz. **Ahkâmü'l-cenâiz**, s. 123.

ru. Sen, vefa ve hak ehlindensin. Onu bağışla ve ona merhamet et. Şüphesiz Sen, bağışlayan ve merhamet edensin."[9]

Cenaze namazını kılmak ve gömüldükten sonra da ona duâ etmekle ilgili birçok hadis nakledilmiştir.

es-Sünen'de Osman b. Affân'dan nakledilir: Rasûlullah, ölüyü mezara koyduktan sonra durur ve: "Kardeşiniz için mağfiret dileyin. Onun hak sözde kabit kılmasını isteyin. Çünkü şimdi o, sorgulanmaktadır"[10] derdi.

Kabirde yatanları ziyaret esnasında onlara yapılan duâ da böyledir. Sahîhü'l-Müslim'de Berîde b. Hasîb'den şöyle nakledilir: Rasûlullah insanlara, kabirleri ziyaret ettiklerinde şöyle duâ etmelerini öğretmiştir: "Ey mü'minler ve müslümanlar yurdunun sâkinleri! Allah'ın selamı üzerine olsun. İnşallah biz de size katılacağız. Size de bize de Allah'tan afiyet dileriz."[11]

Sahîhü'l-Müslim'de de Hz. Âişe'den nakledilir: Hz. Âişe der ki: "Rasûlullah'a kabir ehlini ziyaret ettiğinde onlara nasıl istiğfar edersin?" diye sordum. Rasûlullah dedi ki: "Ey mü'minler ve müslümanlar diyârının sâkinleri, Allah'ın selâmı üzerinize olsun. Allah bizden önce gidenlere de bizden sonra gidenlere de merhamet etsin. İnşâallah biz de size kavuşacağız" de.[12]

Yine es-Sahîh'te rivayet edildiğine göre aynı gecenin sonuna doğru Rasûlullah el-Bakî mezarlığına varır ve: "Ey mü'minler diyârının sâkinleri, Allah'ın selamı üzerinize olsun. Va'dolunan şey, size yarın gelecektir. İnşâllah biz de size katılacağız. Ey Allah'ım, Bâkî'ül-Garkıd (ağaçlı geniş Bâkî mezarlığı) ehlini mağfiret et"[13] der.

Rasûlullah'ın bilfiil ölülere duâ etmesi ve mü'minlere öğütlemesi sahâbe ve tabiînden başlayarak müslümanların çağlar boyu ölülere yaptıkları duâlar inkâr edilemeyecek kadar çoktur. Hadiste geldiği üzere, yapılan duâlar, mü'min kulun cennetteki derecesini artırır. Cennette derecesinin arttığını gören kişi: "Derecem niye bu kadar yükseldi?" diye sorar. Ona denir ki: "Arkandan bıraktığın çocuğunun, sana yaptığı duâ sayesinde derecen yükseldi."

---

9. Ebû Dâvûd, İbni Mâce, İbni Hibban es-Sahih'inde ve Ahmed sahih bir senetle rivayet etmişlerdir.
10. Ebû Dâvûd, Hakim, Beyhakî ve Abdullah b. Ahmed, Zevâidü'z-zühd'de rivayet etmişlerdir. Hakim der ki: "İsnadı sahihtir: "Zehebî de aynı kanaattedir. Nevevî ise "isnadı yenidir" der. bkz. Ahkâmü'l-cenâiz, s. 156.
11. Müslim, Nesâî, İbni Mâce, İbni Ebî Şübrüme, İbni Sinnî Beyhakî ve Ahmed rivayet etmişlerdir. bkz. Ahkâmü'l-cenâiz, s. 190.
12. Müslim uzunca bir hadis olarak rivayet eder. Bundan başka Nesâî ve Ahmed de rivayet etmişlerdir. Hadisin uzun şekli için bkz. Ahkâmü'l-cenâiz, s. 181-183.
13. Müslim, Nesâî, İbni Sinnî, Beyhakî ve Ahmed rivayet etmişlerdir. Fakat Ahmed'in rivayetinde yakın akrabasına duâ ettiği geçmemektedir.

FASIL

Ölü adına verilen sadaka sevabının, ölüye ulaşması hakkında **es-Sahîhayn**'da Hz. Âişe'den şöyle bir hadis gelmiştir. Hz. Âişe anlatıyor: "Adamın biri Rasûlullah'a geldi ve: "Ey Allah'ın Rasûlü, ölüm anneme ansızın geldi ve vasiyyet edemeden öldü. Eğer ömrünü tamamlamış olsa sadakasını verecekti. Onun adına ben sadaka versem ona ulaşır mı?" diye sordu. Rasûlullah da: "Evet" karşılığını verdi.[14]

Sahîhü'l-Buhârî'de Abdullah b. Abbas'tan gelen bir hadiste, annesinin ölümüne yetişemeyen Sa'd b. Ubâde Rasûlullah'a gelir ve "ey Allah'ın Rasûlü, ben burada değilken annem ölmüş. Onun adına sadaka versem faydasını görür mü? der. Rasûlullah da: "Evet" deyince Sa'd b. Ubade: "Öyleyse sana şehâdet ederim ki ey Allah'ın Rasûlü, meyveli tarlamı annem adına sadaka veriyorum" dedi.[15]

Sahîhü'l-Müslim'de Ebû Hureyre'den gelen bir hadiste, bir adam Rasûlullah'a gelerek: "Babam öldü, geride mal bıraktı, ama hiçbir vasiyyet yapmadı. Babam adına bu maldan tasadduk etsem faydasını görür mü?" diye sorunca Rasûlullah: "Evet görür" cevabını verdi.[16]

es-Sünen ve Ahmed b. Hanbel'in **Müsned**'inde rivayet edildiğine göre Sa'd b. Ubâde Rasûlullah'a gelir ve: "Ey Allah'ın Rasûlü, Sa'd'ın annesi öldü. Hangi sadaka daha faydalıdır?" diye sorar. Rasûlullah da: "Su" cevabını verir. Bunun üzerine Sa'd, bir kuyu kazar ve: "Bu Sa'd'ın annesinin kuyusudur"[17] der.

Abdullah b. Amr'dan rivayet edildiğine göre câhiliyye döneminde Âs b. Vâil yüz deve, Hişam b. Âs ise ellibeş deve kesmeye nezrederler. Amr Rasûlullah'a gelir ve adak olayını anlatır. Bunun üzerine Rasûlullah: "Babana gelince eğer tevhîdi kabul etmişse, onun adına tuttuğun oruç ve verdiğin sadaka faydalı olur" dedi. Hadisi, İmam Ahmed rivayet eder.[18]

---

14. Buharî, Müslim, Mâlik, Ebû Dâvûd, Nesâî, İbni Mâce, Beyhakî ve Ahmed rivayet etmişlerdir. bkz. **Ahkâmü'l-cenâiz**, s. 172.
15. Buhârî, Ebû Dâvüd, Nesâî, Tirmizî, Beyhakî ve Ahmed rivayet etmişlerdir. bkz. **Ahkâmü'l-cenâiz**, s. 172.
16. Müslim, Nesâî, İbni Mâce, Beyhakî ve Ahmed rivayet etmişlerdir. bkz. *a.e.*
17. Bu hadisi, Ebû Dâvûd, Nesâî, İbni Mâce, İbni Hüzeyme, Ahmed, İbni Hibban ve Hakim ya Hasen yoluyla ya da Saîd b. Müseyyeb yoluyla rivayet etmişlerdir ki her ikisi de Sa'd b. Ubâde'ye yetişememişlerdir. Ebü Dâvûd'un rivayetinde ise Ebû İshak es-Seb'î bir adamdan o da Sa'd'dan şeklinde geçmektedir ki her halükarda rivayette kesiklik vardır. Münzîrî'nin görüşü bu İbni Hüzeyme'de es-Sahih'inde buna şöyle işaret eder: "ya haber sahih ise **"Câmiü'l-usûl** muhakkikinin görüşü de bu Şeyh Elbânî de **Sahîhu't-Terğîb**'de (c. 1, s. 400) hadisi sahih kabul eder, ama ne yönden sıhhatine hükmettiğini bilemiyorum." bkz. **İbni Hüzeyme**, c. 4, s. 123; **Câmiü'l-usûl**, c. 6, s. 484.
18. Ebû Dâvûd, Beyhakî ve Ahmed hasen sened'le rivayet etmişlerdir. bkz. **Ahkâmü'l-cenâiz**, s. 173.

FASIL

Oruç sevabının ölüye ulaşması, es-Sahîhayn'da Hz. Âişe'den gelen bir hadiste de belirtilmiştir. Rasûlullah bu konuda: "Kim üzerinde oruç borcu bulunarak ölürse velisi, onun yerine tutar" buyurmaktadır.

Yine es-Sahîhayn'da İbn Abbas'tan nakledilir. Bir adam Rasûlullah'a gelerek: "Ey Allah'ın Rasûlü, bir ay oruç borcu olan annem öldü. Onun yerine ben tutabilir miyim?" dedi. Rasûlullah da: "Evet, Allah'a olan borç, ödenmeye daha layıktır" karşılığını verdi.[19]

Bir rivayette de, bir kadın Rasûlullah'a gelir ve: "Ey Allah'ın Rasûlü! Adak orucu olan annem öldü. Onun yerine ben tutabilir miyim?" der. Rasûlullah da: "Peki, annenin borcunu sen ödersen o, borçtan kurtulmaz mı?" diye kadına sordu. Kadın da: "Evet borçtan kurtulur" karşılığını verince: "Öyleyse annenin orucunu da tut" buyurdu. Hadisin lafzı, muallak olarak sadece Buhârî'ye aittir.[20]

Berîde anlatıyor. Rasûlullah'la beraber otururken bir kadın geldi ve: "Annem adına bir cariye tasaddük ettim ve şimdi annem öldü" dedi. Rasûlullah da: "O halde sevabını aldı ve miras sana döndü" dedi. Kadın dedi ki: "Ey Allah'ın Rasûlü, annemin tutamadığı bir aylık orucu var. Onun adına tutabilir miyim?" Rasûlullah: "Onun adına tut" karşılığını verdi. Yine kadın: "O, hiç hac yapmadı, haccını da yapabilir miyim?" deyince Rasûlullah: "Onun adına haccını da yap"[21] karşılığını verdi. Hadisi, Müslim rivayet etmiştir. Hadisin bir rivayetinde: "Tutamadığı iki ay orucu var" şeklinde geçmektedir.

İbn Abbas'tan rivayet edildiğine göre gemide bulunan bir kadın, Allah eğer onu bundan kurtarırsa bir ay oruç tutmaya nezreder. Allah onu kurtarır, ama kadın orucunu tutamadan ölür. Bu kadının kızı ve kızkardeşi, Rasûlullah'a gelip olayı anlatırlar. Rasûlullah da kadın adına oruç tutmalarını emreder.[22] Hadisi, Sünen sahipleriyle İmam Ahmed rivayet etmişlerdir. Yine İbn Abbas'tan:

---

19. Buhârî, Müslim, Ebû Dâvûd senedinde Beyhakî de var. Tahavî, **el-Müşkil**'de; ve Ahmed rivayet etmişlerdir. bkz.**Ahkâmü'l-cenâiz**, s. 169.
20. Ben derim ki: "Sözkonusu hadisi Buhârî, Muttasıl olarak rivayet etmiştir. Fakat bu rivayet lafızla olmayıp mana itibariyledir. bkz. **Sahîhü'l-Buhârî**,. c. 2, s. 240. Şeyh Elbânî de Buhârî'de bulunan lafızların rivayetlerini Buhârî'yi ihtisar ederken bir sistem üzerinde toplamıştır. bkz. **Muhtasar-u Buhârî**, c. 1, s. 459. Ayrıca Müslim, Tirmizî de rivayet etmişler, İbni Mâce de hadisi sahih saymıştır. Daha düzenli olarak Ebû Dâvûd rivayet etmiştir. Bunlardan başka Nesâî, Tahavî, Beyhakî, Tayâlisî ve Ahmed rivayet etmişlerdir. bkz. **Ahkâmü'l-cenâiz**, s. 169-170.
21. Müslim, Ebû Dâvûd ve Tirmizî rivayet etmişlerdir. bkz. **Câmiü'l-usûl** c. 6, s. 418-419. Ancak bu kitapta "iki ay" ifadesi geçmemektedir. Bu, **es-Sahih**'te vardır. bkz. Nevevî'nin **es-Sahih şerhi**, c. 8, s. 25.
22. Bu, biraz önce geçen hadisin aynısıdır, ama burada bir nisbet fazlalığı vardır. Buna da yukarıdaki hadisin tahricinde "daha düzenli olarak Ebû Dâvûd rivayet etmiştir..." şeklinde işaret edilmiştir. *bkz.* **Câmiü'l-usûl**, c. 6, s. 418.

"Oruç yerine (muhtaçlara) yemek yedirmenin sevabının da ölüye ulaşacağı" rivayeti de gelmiştir.

es-Sünen'de İbn Ömer'den gelen bir hadiste Rasûlullah şöyle buyurmuştur: "Üzerinde bir aylık oruç borcuyla ölen kimse adına, her gününe karşılık bir miskine yemek yedirilsin."[23] Bu hadisi, Tirmizî ve İbn Mâce rivayet etmişlerdir. Tirmizî der ki: "Bu rivayetin dışında, hadisin merfû' olarak Rasûlullah'tan geldiğini bilmiyoruz. İbn Ömer'den sahih olarak gelen hadisin, mevkûf olması gerekir.

Ebû Dâvud'un **es-Sünen**'inde İbn Abbas'tan şöyle bir hadis daha nakledilir: "Bir kimse Ramazan ayında hastalanır, oruç tutamazsa orucuna karşılık yemek yedirilir, orucunun kazası gerekmez. Eğer nezretmişse velisi, onun adına orucunu tutar."[24]

FASIL

Hac sevabının ölüye ulaşması, Buhârî'nin İbn Abbas'tan rivayet ettiği bir hadiste açıklanmaktadır. Rivayete göre Cüheyne kabilesine mensub bir kadın Rasûlullah'a gelir ve: "Annem hac yapmayı nezretti, ama hac yapamadan öldü. Onun adına ben hac yapabilir miyim?" diye sorar. Rasûlullah da: "Onun adına hac yap. Anneyin bir borcu olsa sen onu ödeyebilir misin? O halde Allah'a olan borcunuzu ödeyin. Şüphesiz ki Allah'a olan borcu ödemek, daha evlâdır."[25]

Berîde hadisinde de: "Annem hiç hac yapmadı. Onun adına yapabilir miyim?" diyen kadına Rasûlullah: "Annen adına hac yap" dediği yukarıda geçti.

İbn Abbas anlatıyor: "Cühenî kabilesine mensub Sinan b. Seleme'nin hanımı Rasûlullah'a: "Annesinin hac yapamadan öldüğünü, annesi adına hac yapıp yapamayacağını sorar. Buna karşılık Rasûlullah: "Evet. Annesinin borcu-

---

23. Hadisi, Tirmizî, **Tühfe şerhi** c. 4, s. 405-406'da, İbni Mâce ise c. 1, s. 558'de rivayet etmişlerdir. el-Hubeyr'in özetinde İbni Kayyım'ın naklettiği Tirmizî'nin sözü zikredildikten sonra: "İbni Mâce böylece rivayet etmiştir. Kendinden, yahut hocasından kaynaklanan bir hatadan dolayı Muhammed b. Abdurrahman yerine Muhammed b. Sirîn denmiştir. Dârakutnî de: "Doğrusu, hadisin İbni Ömer de kalmasıdır" (mevkûf hadis) demektedir. Beyhakî de aynı görüştedir. c., 2, s. 209.) denmektedir. **Nasbü'r-râye**'de ise, Abdulhakk'ın Eş'as ve İbni Leylâ hakkındaki görüşüne itibar edilerek hadisin zayıf olduğu belirtilmiştir. Bundan başka, Beyhakî'nin **el-Ma'rife**'sinden naklen, İbni Ebî Leylâ'nın çok vehimli biri oluşu nedeniyle hadisin zayıf olduğu belirtilmiştir. bkz. **Nasbü'r-râye**, c. 2, s. 464. Ben derim ki: "Bundan şu çıkar: Hadis merfû' olarak zayıftır; İbni Ömer'den mevkûf olarak ise sahihtir. Şeyh Elbânî de zayıf olduğu kanaatındadır. bkz. **Zaîfü'l-câmî** (5865)

24. Ebû Dâvûd (**Avn** şerhinde c. 7, s. 36) rivayet etmiştir. İmam Şevkânî der ki: "İbni Abbas'tan gelen haberi Hafız sahih görmüş; Dârakutnî, Said b. Mansûr Beyhakî ve Abdurrazzak da muttasılan rivayet etmiş, Buhârî ise muallak olarak rivayet etmiştir." bkz. **en-Nübül**, c. 4; s. 262.

25. Buhârî (c. 2, s. 219-220) ve Nesâî (c. 5, s. 116) rivayet etmişlerdir. Bilgi için bkz. **İrvâü'l-galîl**, c. 4, s. 70; **Nasbu'r-râye**, c. 3, s. 108-109.

nu ödemiş olsa bu onun yerine geçmez mi?" buyurur. Hadisi Nesâî rivayet etmiştir.[26]

Yine İbn Abbas'tan gelen bir rivayette bir kadın, hac yapmadan ölen oğlunun durumunu Rasûlullah'a arzeder. Rasûlulah da: "Oğlun adına hac yap"[27] karşılığını verir.

İbn Abbas'tan gelen bir rivayette de bir adam Rasûlullah'a gelir ve: "Ey Allah'ın Rasûlü, babam hac yapamadan öldü. Onun yerine hac yapabilir miyim?" dedi. Rasûlullah da: "Babanın bir borcu olsa onu öder misin?" diye sordu. Adam da: "Evet öderim" deyince: "Allah'a olan borç ödenmeye daha layıktır" buyurdu.[28] Müslümanlar, borcun ödenmesi halinde bunun ölünün zimmetinden düşeceği konusunda icma etmişlerdir. İster bu terekesinden ödensin isterse başka bir yerden farketmez. Katâde hadisinde Katâde, ölü adına iki dinarlık borcu ödediğinde Rasûlullah ona: "İşte şimdi bedenine soğukluk vurmaya başladı" demiştir.[29] Bu hadis de buna delildir.

Yine hayatta olan bir kimse ölünün zimmetinde bulunan bir haktan vazgeçerse, hayatta olan kimsenin zimmetinden düştüğü gibi ölünün de zimmetinden düştüğü ve ölünün bundan faydalanarak sevineceği konusunda icma etmişlerdir.

Ödeme imkânı olduğu halde bir hak, icmâ ve nass ile hayatta olan birinin zimmetinden düşüyorsa ödeme durumunda olmayan ölünün zimmetinden, vazgeçme yoluyla düşmesi daha öncelikle olur. İbra (borcundan kurtarmak) ve ıskat ölüye faydalı olduğu gibi bağış ve hediye de faydalıdır. Bu ikisinin sevabı arasında bir fark yoktur.

Rasûlullah, Allah'tan başka kimsenin bilmediği kalbin niyeti ve yemeyi içmeyi terketmekten ibaret olan orucun sevabının ölüye ulaşacağını bildirmiştir. Aynı şekilde Kur'ân okumanın sevabı da dil tarafından okunmasından, kulağın duymasından ve gözün görmesinden dolayı ölüye ulaşıyor değildir. Konuyu biraz açarsak oruç, mahza bir niyyetten ve nefsi, yiyecek ve içeceklerden engellemekten ibarettir. Yüce Allah, bunun sevabını ölüye ulaştırdığı halde amel ve niyetten ibaret olan Kur'ân okumanın sevabını niye ulaştırmasın? Haddizâtın-

---

26. Nesâî (c. 5, s. 116) rivayet etmiştir. bkz. **Camiü'l-usûl**, c. 3, s. 421.
27. İbni Kayyım'ın kaynak olarak ileri sürdüğü bu hadisi, teşvik manasında biryerde bulamadım. Allah bilir ya hadis zayıf olmalıdır.
28. Hubeyr'in özetinde: "Şatî ve Nesâî rivayet etmiştir" denmektedir. Ben derim ki: "Nesâî de (c. 5, s. 186) geçen hadiste "bir kadın babasından sordu" denmektedir ki soran kişi erkek olmayıp kadındır. Sözkonusu rivayetle hadisin **el-Kübrâ**'da olması muhtemeldir. Sözü edilen sahih hadislerin rivayetleri de doğruluğuna sahihtir.
29. Hakim, Beyhakî, Tayâlîsî ve Ahmed Heysemî'nin bildirdiğine göre hasen bir senedle rivayet etmişlerdir. Hakim ise der ki: "Senedi sahihtir." Zehebî de bu görüştedir. bkz. **Ahkâmü'l-cenâiz**, s. 16.

da Kur'ân okumak için niyet etmek gerekmemektedir. Şu halde orucun sevabının ölüye ulaşması, diğer amellerin de ulaşacağını tenbih etmektir.

İbadetler iki kısımdır: Malî, bedenî. Şeriat, sadakanın sevabının ölüye ulaşacağını bildirmekle diğer malî ibadetlerin ulaşacağını da bildirmiştir. Oruç sevabının ölüye ulaşacağını bildirmekle de diğer bedenî ibadetlerin de ulaşacağını ortaya koymuştur. Bunun yanında hem malî hem de bedenî ibadet olan haccın da ölüye ulaşacağını haber vermiştir. Bu üç kısım ibadet nass ve kıyasla sabittir. Başarı Allah'tandır.

Ölünün arkasından yapılan amellerin ölüye ulaşamayacağını söyleyenler şu âyetleri delil olarak ileri sürmektedirler: "İnsan için ancak kendi kazandığı vardır."[30], "Yaptıklarınız dışında başka bir şeyle yargılanmayacaksınız"[31] ve "nefsin yaptığı iyilik kendi yararına, yaptığı kötülük ise kendi zararınadır."[32] Bunun yanında Rasûlulah'tan şöyle bir hadis gelir: "Kişi ölünce üç şey dışında amel defteri kapanır. Bunlar; carî sadaka, kendisine duâ eden salih bir çocuk ve geriye kalanların faydalanacakları ilim."[33] Bu hadiste, hayatında sebep olduğu iyiliklerin faydasını göreceği, diğerlerinin ise kesileceği bildirilmiştir.

Yukarıda geçen Ebû Hureyre hadisi de böyledir. Orada: "Ölünün peşini, güzel amelleri arasında yer alan, insanlara öğrettiği[34] ilim takip eder" buyurulmakta. Demek ki bir iyilik, dünyada o kişi sayesinde var oluyorsa bunun faydasını görecektir.

Hz. Enes'in, Rasûlullah'tan merfû' olarak rivayet ettiği şu hadis de buna delildir: "Kul, yedi şeyin sevabını ölümünden sonra kabrinde bulur. Bunlar; ilim öğreten, bir akarsuyu (müslümanlar için) kiralayan veya su için kuyu yapan, hurma ağacı diken, mescid yapan, geride mushaf bırakan ve ölümünden sonra kendisine istiğfar eden salih bir çocuk bırakan kimselerdir."[35]

Yapılacak diğer amellerin sevabının ölüye ulaşmayacağı bu hadiste belirtilmektedir. Diğer ameller de ulaşacak olsaydı bunları özellikle zikretmenin hiçbir anlamı olmazdı.

---

30. Necm sûresi, (53/39).
31. Yâsîn sûresi, (36/64).
32. Bakara sûresi, (2/286).
33. Müslim, Ebû Hureyre'den rivayet etmiştir. Tahrici geçti.
34. İbni Mâce, **es-Sünen**'inde rivayet etmiştir. Ben derim ki "Yukarıda geçtiği üzere İbni Münzir ve Elbânî hasen saymışlardır. Aynı şekilde **et-Tergîb** de el-Münzirî de hasen kabul etmiş, ama ben yukarıda söylediğim gibi hasen olma hususunda mutmain değilim.
35. Bezzar ve Semûye Enes'ten rivayet etmişler, Elbânî de hasen kabul etmiştir. bkz. **Sahîhü'l-câmî** (3596).

Diyorlar ki hediye etmek, havale etmektir. Havale ise ancak zorunlu bir hakla olur. Amel yapmak sevap almayı gerektirmez. Amel karşılığında bir sevap almıyorsa bu, sadece Allah'ın fazlından ve ihsanındandır. Öyleyse Allah için zorunlu olmayan mücerret bir fazıl ve ihsandan dolayı kulun durumu nasıl değişebilir? Allah dilerse verir, dilerse vermez. Bu, yardım uman bir fakirin havalesine benzer. Buna benzer hediye ve bağışlar, meliklerden elde etmek amacı olmaksızın umulan hediyelere kıyaslanamayacağından dolayı doğru olmaz.

Yine diyorlar ki sevabın sebeplerini aramak mekruhtur. Bu da yakınlaşmayı istemektir. Sevabı kazandıran vesileyi aramak mekruh olunca bizzat gaye olan sevabı istemek öncelikle mekruh olur.

Bu manada Ahmed b. Hanbel, birinci saftan geri kalmayı ve sevaba sebep olduğundan dolayı bu safı başkalarına bırakmayı mekruh görmüştür. Hanbel'den gelen bir rivayette Ahmed'e birinci saftaki yerini babasına veren bir adamdan soruldu da o dedi ki: "Şaşılacak şey. Babasına daha başka bir iyilik yapabilirdi."

Yine diyorlar ki: "Ölüye sevap göndermek câizse, hayatta olanlara da sevap bağışlayıp sevap nakletmek câiz olurdu."

Yine eğer bu câizse, sevabın yarısını, dörtte birini, bir kıraatını göndermek de câiz olmuş olurdu.

Yine eğer bu câiz görülüyorsa, kendisi için yaptığı ameli ölüye bağışlaması da câiz olurdu. Demiştiniz ki amel işlemeden önce ölüye sevabını bağışlamaya niyet etmiş olmalıdır. Niyet etmemişse bu ölüye ulaşmaz. O halde sevap vermek câizse fiilden önce niyet etmekle fiilden sonra niyet etmek arasında ne fark vardır?

Yine eğer bu câizse nafile ibadetlerin sevabını bağışlamak gibi vacip olan ibadetlerin hayatta olan kimseye bağışlanması da câiz olurdu.

Diyorlar ki sorumluluklar, imtihan ve denenme içindir. Değişimi kabul etmez. Çünkü imtihandan gaye, emre ve nehye muhatap olan mükelleftir. Bu konuda denenen mükellefin yerine bir başkası geçemez. Gaye de bu mükellef kişinin bilfiil Allah'a itâat edip O'na kulluk yapmasıdır. Amel işlemeksizin başkalarının bağışlarından kişi fayda görseydi, bundan en çok en şerefli insan (Muhammed (AS) nasip alırdı. Oysa ki Yüce Allah, kulun kendi yaptıkları dışında hiçbir şeyden fayda görmeyeceğini bildirmiştir. Yüce Allah'ın emir ve şeriatında insanlara gösterdiği yol, bu konuda da tayin ettiği yoldur. Çünkü hastanın içmesi gereken ilacı başkalarının içmesiyle hasta iyi olmaz. Aç, susuz ve çıplak kişinin yerine, başkalarının yemesi, içmesi ve giyinmesi, ona hiçbir fayda sağla-

maz. Diyorlar ki: "Başkalarının yaptığı amel onlara faydalı olsaydı, tevbelerinin de ona faydası dokunurdu."

Diyorlar ki: "Bundan dolayı Yüce Allah, birinin onun adına müslüman olmasını da namaz kılınasını da kabul etmemektedir. Temel ibadetlerin sevabı, ölüye hediye edilemiyorsa diğerlerininki nasıl edilsin?"

Yine diyorlar ki: "Duâya gelince bu, ölüye Yüce Allah'ın fazlıyla karşılık vermesini ona müsamaha ederek affetmesini istemekten ibarettir. Bu ise hayatta olan kişinin yaptığı amelin sevabını, ona hediye etmektir.

Sadaka ve hac gibi kişinin niyetine bağlı ibadetlerin, ölülere ulaşacağını kabul edenler diyorlar ki: "İki kısım ibadet vardır. Bunlardan biri, hiçbir şekilde niyete bağlı değildir. Müslüman olmak, namaz kılmak, Kur'ân okumak ve oruç tutmak gibi. Bu kısım ibadetlerin sevabı, yapan kimseye aittir; hayatta olan kişi adına bunları yapmak nasıl câiz olmazsa ölmüş biri adına da yapmak da câiz olmaz.

Diğeri ise niyete bağlı olan ibadetlerdir. Emanetleri geri vermek, borçları ödemek, sadaka ve haccı yerine getirmek gibi. Niyete bağlı bu kısım ibadetlerin sevabı ölüye ulaşır. Çünkü bunları, bir kimse hayatta iken olsun ölümünden sonra olsun bir başkası adına yapabilmektedir.'

Diyorlar ki: "Bir kimse üzerinde oruç borcu olduğu halde ölürse yerine velisi tutar"[36] hadisine şöyle cevaplar veririz.

Birinci cevap: İmam Malik'in **el-Muvatta**'nda: "Bir kimse, başkası adına oruç tutamaz"[37] şeklindeki hadisten sonra "bize göre bu, üzerinde icma edilmiş bir konudur, burada ihtilaf yoktur" sözüdür.

İkincisi: İbn Abbas'ın ölü adına oruç tutmakla ilgili rivayet ettiği hadistir. Nesâî'nin rivayetine göre o, Muhammed b. Abdü'l-A'lâ'dan, o da Yezid b. Zerî'den, o da Haccac el-Ahvel'den, o da Eyyûb b. Mûsâ'dan, o da Atâ' b. Rebah'tan, o da İbn Abbas'tan, şöyle rivayet eder: "Bir kimse başkası adına namaz kılamaz."[38]

Üçüncüsü: Yukarıda delil olarak ileri sürülen hadisin senedinde ihtilaf vardır. Müslim'in şerhini yapan **Müfhem** sahibi böyle demektedir.

---

36. Hadis sahihtir. Buharî, Müslim ve diğerleri rivayet etmişlerdir.
37. Muvatta'ın **Tenvîrü'l-havalik** (c. 1, s. 282) şerhinde İbni Ömer'den gelen "oruç tutamaz..." şeklindeki söz varken "bu üzerinde icma edilmiş bir husustur" sözünü bulamadım. Allah en iyisini bilir.
38. Senedi sahih olmakla beraber, Nesâî'nin **es-Sünen**'inde bulamadım; **el-Kübrâ**'sında olabilir.

Dördüncüsü: Bu, Kur'ân'ın nassına da aykırıdır. Âyette: "Kişi için ancak kazandığı vardır."

Beşincisi: Bu, Nesâî'nin İbn Abbas'tan rivayet ettiği hadise de aykırıdır. Hadiste Rasûlullah şöyle buyurmaktadır: "Bir kimse başkası adına namaz kılamaz. Bir kimse başkası adma oruç tutamaz. Ama tutamadığı her gün için bir müd buğday ekmeği yedirebilir."[39] (Bir müd, yaklaşık onsekiz kg.)

Altıncısı: Bu, Muhammed b. Abdurrahman b. Ebû Leylâ'nın, Nâfî yoluyla İbn Ömer'den rivayet ettiği hadise de aykırıdır. Rasûlullah: "Üzerinde Ramazan orucu borcu olduğu halde ölen kimse adına yemek yedirilir."[40]

Yedincisi: "Bu; namaz kılmak, müslüman olmak ve tevbe etmeye kıyas edilen celî (açık) kıyasa da aykırıdır. Çünkü kimse, bunları başkası adına yapamaz. İmam Şafî, İbn Abbas'tan gelen haberi incelerken ne İbn Abbas'ın ne de Sa'd'ın: "Eğer adak ise" ifadesini kullanmadığını belirtmiştir.

Bunun hac, umre ve sadaka nezri olması muhtemeldir ki bu takdirde kazasını yapmasını emretmiştir. Eğer bir kimse namaz kılmaya yahut oruç tutmaya adadıktan sonra ölürse, orucuna karşı keffâret verilir, onun yerine tutulmaz. Namazı ise ne kılınır ne de karşılığında keffâret verilir. Devamında diyor ki, eğer denilirse ki: "Rasûlullah'tan, bir adamın başkası adına oruç tutmasıyla ilgili bir rivayet var mı?" Denir ki: "Evet. İbn Abbas Rasûlullah'tan böyle bir hadis rivayet etmiştir. Yine: "O halde onunla niçin amel etmiyorsun?" denirse şöyle karşılık verilir. Zührî'nin, Ubeydullah yoluyla İbn Abbas'tan rivayet ettiği hadis nezirle ilgilidir. Ancak Zührî, Ubeydullah'ın İbn Abbas'la uzun bir dönem münasebetinin olduğunu bildiği halde adını anmamıştır. Başkası da bu hadisi, "bir adamın İbn Abbas'tan rivayetine" şeklinde rivayet etmiş, Ubeydullah'tan gelen hadise benzememesi nedeniyle bu, sağlamlıktan çıkmıştır. Yine: "Bu hadisi rivayet eden kişinin İbn Abbas'tan galat rivayette bulunmasını bilebilir misin?" denirse, "evet, İbn Abbas'ın dostları kendisinden hadis almışlardır. İbn Abbas, İbn Zübeyre der ki: "Zubeyr, hac mut'asını (hacc-ı temettu')helal görmekte." Oysa ki bu, İbn Abbas'tan: "Kadınlar mut'ası" şeklinde rivayet edilmiştir ki, bu çirkin bir hatadır."

Oruç hakkında verilen cevap bu. Hac ibadetinde ise sadece ölü adına yapılan infak sevabı ulaşır. Nafile ibadetler ise namaz gibidir ve bunun sevabı, ancak kılana aittir. Hayatta yapılan ibadet sevaplarının ölüye ulaşacağını söyle-

39. Senedi zayıftır. Namaz kılmak, yemek yedirmekle ilgili Mü'cemü'l-müfehres maddelerine baktımsa da Nesâî'de bulamadım. el-Kübrâ'da olabilir.
40. Yukarıda geçti. Merfû' şekli zayıftır. Mevkûf şekli ise sahihtir.

yenler diyorlar ki: "Zikrettiğimiz hiçbir şey Kitap'ta, sünnette, selef âlimlerinin icmaında ve şeriatın temel kaidelerindeki delillere aykırı değildir. Adil ve insaflı bir şekilde iddialarınıza cevap vereceğiz.

"Kişi için ancak kazandığı vardır"[41] âyetine gelince bu âyetten, ne kastedildiği konusu tartışılmalıdır. Bazıları âyette geçen insandan, kâfir kişinin kastedildiği görüşündedir. Mü'min kişi için ise hem kendi kazandığı, hem de zikrettiği vardır." Diyorlar ki: "Eğer bir delil varsa, insan lafzını böyle tahsis etmek (kâfir kişi manasına) câizdir."

Bu, olduça zayıf bir cevaptır. Bu gibi umum lafızlarda, yalnızca kâfir kimse kastedilmez. Belki hem kâfir hem de müslüman kişi kastedilebilir. Buna benzer bir umum lafız da "hiçbir günahkar başkasının günahını yüklenmez"[42] âyetinde geçmektedir.

Baştan sona âyetler incelendiğinde siyâkın umum bir mana ifade ettiği açığa çıkar. Âyette:"(Kulun) çalışması yakında görülecektir. Sonra ona eksiksiz karşılığı verilecektir."[43] buyurulmaktadır. Âyet, kesinlikle hayrı da şerri de kapsamakta; iyiyi, fâciri, mü'min ve kâfiri de içine almaktadır. Mesela: "Kim zerre kadar bir iyilik yaparsa onu görür. Kim de zerre kadar bir kötülük işlerse onu da görür"[44] âyeti umûmîdir. Kudsî bir hadiste de: "Ey kullarım, şu gördükleriniz sizlerin amelleridir. Onların karşılığını vereceğim. Kim iyi bir karşılık görürse Allah'a hamd etsin. Kim de kötü bir karşılık görürse kendinden başka kimseyi kınamasın" buyurulmaktadır.[45] Buna benzer bir âyet de: "Ey insan, sen Rabbine varan yolda çabalayıp durmaktasın. Nihayet O'na kavuşacaksın."[46] Müfessirlerin, "insan" lafzı geçen âyetlerin tefsirinde burada gelen "Ebû Cehil'dir; burada geçen Akabe b. Ebî Muayf'tır, burada geçen ise Velid b. Muğîre'dir" gibi sözleri seni yanıltmasın. Kur'ân'ın kapsamı bunları çok aşmaktadır. O halde âyetlerde geçen "insan" lafızları, belirli bir kişi olmayıp genel manada bir insandır. Nitekim âyetlerde: "Muhakkak insan hüsrandadır."[47] "İnsan Rabbine karşı nankördür."[48] "Muhakkak ki insan, hırslı bir varlık olarak yaratılmıştır."[49] "İnsan kendini zengin gördüğü için azar."[50] "Muhakkak ki insan çok zâlim ve nan-

41. Necm sûresi, (53/39).
42. Necm sûresi, (53/38).
43. Necm sûresi, (53/40-41).
44. Zelzele sûresi, (99/8-9).
45. Müslim rivayet etmiştir. Buna kudsî hadis de denmiştir. Ben derim ki: Bu "ey kulların, ben zulmü yasakladım" kudsî hadisinin bir kısmıdır. Müslim, Ebû Zerr'den, Ahmed de birçok yerlerde rivayet etmiştir. bkz. Sahihü'l-câmî (4221).
46. İnşikâk sûresi, (84/6).
47. Asr sûresi, (103/2).
48. Âdiyât sûresi, (100/6).
49. Me'âric sûresi, (70/19).
50. Alak sûresi, (96/6).

kördür" [51] ve: "O emaneti insan yüklendi. Doğrusu o, çok zâlim ve câhildir"[52] geçmektedir ki bu, insanın zatından ve nefsinden gelen bir özelliktir. Âyette zikredilen sıfatlardan kurtulmak ise kişinin zatından dolayı değil Allah'ın fazlından, yardımından ve minnetinden dolayıdır. İnsanın kendi başına özelliği, âyetlerde geçtiği gibidir. Yok eğer insanda bir nimet görülüyorsa bu Allah'tandır. O Allah ki kuluna imanı sevdirdi; kalbini onunla süsledi ve ona nankörlüğü, fasıklığı ve isyanı kötü gösterdi. Kulunun kalbine imanı yazdı. Rasûllerinin, peygamber ve veli kullarının dininde sebat etmesini sağladı ve onları kötülük ve çirkinliklerden korudu. Bir gün Rasûlullah'ın yanında şu şiir okunmuştur:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

"Allah'a yemin olsun ki eğer Allah olmasaydı, ne hidâyet bulurduk ne zekât verir ne de namaz kılardık."[53]

Yüce Allah: "Allah'ın izni olmadan bir can iman edemez"[54], "Allah dilemedikçe, onlar öğüt almazlar"[55] ve: "Âlemlerin Rabbi Allah dilemedikçe siz dileyemezsiniz"[56] buyurmaktadır ki O, bütün âlemlerin Rabbidir. O, âlemde bulunan bütün insanların, fiil ve hallerin de Rabbidir.

Bazıları da şöyle demektedir: "Söz konusu âyet, bizden önceki şeriattan haber vermektedir. Bizim şeriatımız ise kişi için hem kendi kazandığı hem de başkalarının kazandığının olacağını bildirmiştir." Bu, önceki görüşten daha zayıftır. Çünkü Allah bu âyette, hüccet olan kabul edilmiş bir vak'adan haber vermektedir. Bâtıl bir şeyi anlatmıyor ki. Nitekim: "Yoksa İbrahim'in sahifelerinde bulunan, kendisine haber mi verilmedi"[57] buyurulmaktadır. Önceki şeriatlar bu şeriatla boşa çıkarılmış olsadı hüccet olarak Allah, bunu niye getirsin ki.

Bazıları da şöyle der, " الانسان " lafzındaki lam, 'alâ harfi cerri manasınadır. O zaman mana "insan ne kadar kötülük yaparsa ancak o kadar cezâ görür" olmaktadır. Bu görüş, ilk iki görüşten daha sakattır. Çünkü bu görüşe göre söz, anlaşılan mananın zıddına hamledilmektedir ki bu asla câiz olmaz, arap dilinde de böyle bir ihtimal yoktur. Meselâ âyette: " ولهم اللعنة " buyurulmaktadır. Yani onların nasipleri ve haz duyacakları şey manasınadır. Yine arap dilinde " لى درهم " (benim dirhemim var) denir ki bu " على درهم " manasınadır. Yani ödemem gereken borç.

---

51. İbrâhîm sûresi, (14/34).
52. Ahzâb sûresi, (33/72).
53. Ben derim ki: "Bu, Rasûlullah'ın Hendek günü söylediği Abdullah b. Revâha'nın şiiridir? Buhârî, Berâ hadisinde, c. 5, s. 47 ve Müslim, (Nevevî Şerhi c. 12, s. 171) rivayet etmişlerdir.
54. Yâsîn sûresi, (36/100).
55. Müddessir sûresi, (74/156).
56. Tekvîr sûresi, (81/29).
57. Necm sûresi, (53/36).

Bazıları da " وأن ليس للانسان الا ما سعى " âyetinde " أو سعى له " kısmının mahzuf olduğunu söylemektedir ki bunun, bir önceki görüşten hiç farkı yoktur. Çünkü siyâktan anlaşılmayan şey burada hazfedilmiştir. Gerçekte bu Allah ve Kitab'ı hakkında câhilâne konuşmaktan başka birşey değildir.

Bazıları da şöyle görüş beyan ediyor: "Bu âyet, Allah'ın şu sözüyle neshedilmiştir: "Öyle mü'minler ki, imanda kendilerine uyan zürriyetlerini de kendilerine katmışızdır."[58] Bu görüş, İbn Abbas'tan nakledilmekle beraber zayıftır. İbn Abbas ya da başka birinin âyete mensûh demesiyle âyetin hükmü asla kalkmaz. İki âyeti birleştirmek ne zordur ne de imkânsızdır. Şöyle ki, dünyada çocuklar babalarına nasıl uyuyorlarsa ahirette de öylece uyarlar. Ahirette çocukların atalarına uyması, ataların kereminden ve elde ettikleri sevaplardan ötürüdür. Çocukların babalarına, dereceleri aynı olarak kavuşmaları ise çalışmalarından dolayı değildir. Dolayısıyla onların başarısı sayılmaz. Belki bu cennette zürriyetlerinin kendisine kavuşmasını Allah'tan isteyen çocukların da olmayan bir şeyle Allah'ın fazlını arayan babalardandır. Nitekim iki çocuğa Allah hûri'l-'iyn'i verıniştir. Bunun yanında amel işlemeden cennete girecek nice mahluklar yaratmış; yaptıkları güzel bir amel elde ettikleri bir hayır olmaksızın yine cennete girecek toplumlar yaratmıştır. "Kişi, başkasının günahını yüklenmez"[59] ve "insan için ancak kazandığı vardır"[60] âyetleri ise muhkem âyetlerdir. Allah'ın adâletini, hikmet ve tam kudsîliğini ifade etmektedir. Akıl ve fıtrat da bu âyetleri desteklemektedir. Birinci âyet kişinin amel ve kazandıklarıyla kurtulacağını belirtmektedir. Yine ilk âyet, kulun başkasının yükünü taşımayacağına garanti -dünyada sultanların verdiği garanti gibi- verirken ikincisi, atalarının, geçmişinin ve hocalarının yaptıklarıyla kurtulacağı ümidini -yersiz kurtuluş ümidi bekleyenlerin ümidini kırdığı gibi- kırınaktadır.. Her iki âyetin böyle güzelce birleştirilmesini iyice düşün.

Şu âyet de buna benzer: "Kim hidâyete ererse kendisi için ermiştir. Kim de, dalâlete düşerse kendisi için düşmüştür. Bir kimse diğerinin günahını yüklenmez"[61], "Rasûl göndermedikçe kimseyi cezâlandıracak değiliz".[62] Bu âyetlerde Yüce Allah, düşmanlarına, birbirinden güzel dört hüküm getirmiştir.

Birincisi: Kulların, iman ve salih amelle hidâyet bulması, kendisi için olup başkası için değildir.

---

58. Tûr sûresi, (52/21).
59. Necm sûresi, (53/38).
60. Necm sûresi, (53/39).
61. İsrâ sûresi, (17/15).
62. İsrâ sûresi, (17/15).

İkincisi: Kişinin, iman ve ameli salihten yüz çevirmesinin zararı, kendisine ait olup başkasına değildir.

Üçüncüsü: Kimse, başkasının günahından dolayı yargılanmaz.

Dördüncüsü: Rasûlleriyle hüccet göndermeden önce Yüce Allah, kimseyi azaplandırmayacaktır. Allah'ın hikmet, adâlet ve fazlıru gösteren; gurur ve yersiz ümitler peşinde koşanları ve Allah'ın isim ve sıfatlarına câhillikle saldıranları reddeden bu dört hükmü iyi kavra.

Bazıları da diyor ki. Ayette geçen insan, hayatta olan insandır. Ölmüş kimse değildir. Bu görüş de tamamen sakattır.

Bütün bunlar, umum bir lafızdan gereksiz tasarruflarda bulunmaktan kaynaklanmaktadır. Çünkü lafzı yorumlayan kişi bu tasarrufu, lafzın delâlet ettiği manalara riâyet ettirmiyor, vaz'edilen mananın zıttına ve zihne ilk gelen manaya hamletmiyor. Cümlenin siyâkı, kıyas ve şeri kaideler, bunların delilleri ve örfü; bu tasarrufun, kesinlikle yanlış olduğunu göstermektedir. Yanlış tasarrufta bulunmanın sebebi şudur: Kişi önce birşeye inanıyor sonra karşısına çıkan her delilden dolayı sonra onu reddediyor. İnandığı şeye muhalif her delil bu adama göre inancını öldürücüdür. Niçin onu reddettiği aklına gelmemektedir. Halbuki gerçek delliler hiçbir zaman birbirine karşı olup birbiriyle çelişmez. Belki birbirini destekler.

Bazıları da diyorlar ki: "Bu, Ebü'l-Vefâ b. Ukeyl'in verdiği cevaptır. Ukeyl der ki: "Bence daha iyi cevap şöyle verilebilir. İnsan; çalışmasıyla, güzel müaşeretiyle dostlar kazanır, çocuklar yetiştirir, kadınlarla evlenir, hayra temayül eder ve insanlarla dostluk kurar. Dolayısıyla bu kişiler, söz konusu kişiye rahmet dileyip yaptıkları ibadetlerden ona bağışlarlar. Demek ki bu bağışlar, sözünü ettiğimiz kişinin bir uğraşısı sonucu yapılmıştır. Nitekim Rasûlullah da: "Kişinin yediği en hayırlı şey, kendi eliyle kazandığı ve yetiştirdiği çocuğun kazandığı şeydir"[63] buyurmuştur. Bir başka hadiste de: "Kişi ölünce üçü hariç amelleri kesilir. Bunlar; geride bıraktığı faydalı ilim, sadakayı câriye ve arkasından duâ edecek salih bir çocuk"[64] buyurulmuştur. İmam Şafî de bu manada: "Bir kimse babası adına hac ibadetini yaparsa bu, haccın üzerine vacib olmasına neden olur. Öyle ki yaptığı hacla adeta hac için harcayacağı parası artar. Yabancı birinin, başkası adına hac yapması ise böyle değildir" demektedir.

---

63. Buharî, et-Tarih'te; Tirmizî, Nesâî ve İbni Mâce Hz. Âişe'den rivayet etmişlerdir. Ben derim ki: "Hadis sahihtir. "(İbni Kesir c. 4, s. 258) ile Şeyh Elbânî Sahihü'l-câmi'de (1562) sahih kabul etmişlerdir.
64. Müslim, es-Sahîh'inde rivayet etmiştir.

İşte bu, açılması gereken orta bir cevaptır. Mesela kul, Allah'a ve Rasûlü'ne olan imanı nedeniyle, çalışması sonucu kendi amelinin yanında mü'min kardeşlerinin amellerinden de faydalanır. Aynı faydayı, kendi ameliyle beraber kardeşlerinin de amelinden, dünya hayatında görmektedir. Çünkü mü'minler, namaz gibi müşterek olarak yaptıkları amellerde birbirlerine faydalı olurlar. Bu nedenle ki beraber namaz kılmaları, onların herbirinin namazının yirmi yedi defa daha artırmaktadır. O halde, yaptığı amel, başkasının sevabının artmasına nasıl sebep oluyorsa aynı şekilde başkasının yaptığı amel de kendi sevabının artmasına neden olmaktadır. Şöyle de denebilir: "Namaz kılanların sayısı kadar, namazın sevabı da artar. Mü'minlerin cihadda, hacda, iyiliği emredip kötülüğü nehyetmede, iyilik ve takva üzerine yardımlaşmada da beraber olmaları, sevaplarını aynı şekilde artırmaktadır. Rasûlullah buyuruyor ki: "Bir mü'minin diğer bir mü'mine olan bağlılığı, birbirine kenetlenmiş bina gibidir." Rasûlullah böyle derken parmaklarını birbirine geçirmiştir."[65] Şu da bilinmektedir ki bu, dünyaya ait din işlerindendir. Müslümanın, İslâm inancında İslâm cemaatına karışması, hayatında olsun ölümünden sonra olsun müslümanların birbirine olan faydalarının ulaşmasının en büyük nedenlerindendir. Öyleyse müslümanların duâsı peşlerinden gitmektedir. Buna delil olarak Yüce Allah, arşı yüklenenlerle etrafındakilerin mü'minler için istiğfar edip duâ ettiklerini; Nuh (AS), İbrahim (AS) ve Muhammed (AS) gibi peygamberlerin de mü'minler adına istiğfar ettiklerini haber vermiştir. Demek ki kul, imanı nedeniyle adeta çalışmasının sonucu olarak bu duâların kendisine ulaşmasına sebep olmuştur. Şöyle de açıklanabilir: Yüce Allah, kişinin imanını, mü'min kardeşlerinin duâsından ve gayretlerinden faydalanmasına sebep kılmıştır. Kula duâ yapıldığı zaman da bunu, kendisine ulaştıran bir sebep sayar. Rasûlullah'ın, Amr b. Âs'a söylediği şey de bu anlamdadır: "Eğer baban tevhidi ikrâr etmiş olsaydı bu, ona yararlı olurdu."[66] Yani Amr b. Âs'ın babası adına azât ettiği kölenin sevabı, babasına ulaşırdı. Sebep tahakkuk etseydi, köle azât etmenin sevabını ölüye ulaştıran amel de kazanılmış olurdu. Bu, latîf, hoş ve güzel bir açıklamadır.

Bazıları da şöyle demektedir: "Kur'ân, başkalarının kazandığı şeyin kişiye faydalı olacağını reddetmemektedir. Kur'ân'ın asıl reddettiği şey, kazancı olmadan bir şeye malik olmaktır. Bu ikisi arasındaki fark gizli değildir. Allahû Teâlâ, kulun ancak kazandığı şeye malik olacağını belirtmiştir. Başkalarının kazancı ise kazanan ve yapana aittir. Dilerse bunu dostuna bağışlar dilerse kendine saklar. Hiçbir zaman Alahû Teâlâ, ancak kendi kazandığı şeyin fay-

65. Buhârî ve Müslim, sahihlerinde; Tirmizî ile Nesâî de Sünen'lerinde rivayet etmişlerdir. Ben derim ki: "Ebû Mûsâ'dan gelen hadisi, İbni Ebî Şeybe de, el-İman'da rivayet etmiştir. bkz. Sahîhü'l-câmî (6530).

66. Hasendir. İzahı yukarıda geçti.

dasını görür dememiştir." Hocam[67] Şeyhülislâm İbn Teymiyye de bu görüşü tercih etmiştir.

FASIL

"Kişinin kazandığı iyilik, kendi yararına kazandığı kötülük de kendi zararınadır"[68] ile "ancak yaptıklarınızın karşılığını göreceksiniz"[69] âyetleri, siyâkından da anlaşılacağı gibi kişinin başkasının yaptığı suçtan dolayı cezâlandırılmasını ve onun günahını yüklenmesini reddetmektedir. Çünkü Yüce Allah: "Bugün kimseye hiçbir şekilde zulmedilmez. Siz de ancak yaptıklarınızın karşılığını göreceksiniz"[70] âyetinde, kişinin günahları artırılmak yahut sevapları azaltılmak yahutta başkalarının yaptıklarından dolayı cezâ çektirilmek sûretiyle zulüm yapılmayacağını belirtirken karşılık olarak değil de başkalarının yaptığı amelden fayda görmeyi nefyetmemiştir. Çünkü kendisine karşı yapılan hediyeler, amelinin karşılığı değildir. Allah için kendi adına verilmiş ve lutfedilmiş bir sadakadır ki bunda onun, hiçbir katkısı yoktur. Belki bu, bazı kullarının elinden, amellerine karşılık olmaksızın Allah'ın verdiği bir hediyedir.

FASIL

Rasûlullah'ın: "Kul ölünce ameli kesilir" sözüyle ileri sürdüğünüz delile gelince bundan böyle bir sonuç çıkarmak doğru değildir. Çünkü Rasûlullah, amelin faydasının kesileceğini söylememiştir. Bildirdiği şey, amelinin kesilmesidir. Başkalarının ameli ise kendilerine aittir. Eğer bunlar, amellerini sevabını ölüye hediye ederlerse ölüye ulaşan sevap, kendi amelinin sevabı değil de hediye eden kimsenin amel sevabıdır. Demek ki ölen kişinin amelinin kesilmesi ile ona sevabın ulaşması ayrı ayrı şeylerdir. Aynı şekilde: "Ölüye ulaşan iyilikleri ve ameli..." hadisi de başkalarının yaptığı iyiliklerin ve amellerin, ona ulaşacağını nefyetmemektedir.

67. İbni Kayyım şeyhimiz lafzından İbni Teymiyye'yi kastediyor.
68. Bakara sûresi, (2/286).
69. Yâsîn sûresi, (36/54).
70. Yâsîn sûresi, (36/54).

FASIL

"Sevap, hediye etmek, havale etmektir. Havale ise ancak zorunlu bir hak olur" görüşünüz, bir insanın başka birine yaptığı havaledir.

İnsanın, yaratıcısına yaptığı havale, insanlar arasında yapılan havalelere asla kıyaslanamaz. Böyle bir kıyas yapılıyorsa bu, kıyasların en kötüsü, en bozuğu değil midir? İcmâ ile reddedilen şey, ölünün başkasının dini vecîbelerinden faydalanmasıdır. Sahibi olduğu haklar, ölünün zimmetinde bulunan borçların ibrası, onun adına sadaka vermek ve hacca gitmek gibi amellerin, ölüye ulaşacağı nassla belirtildiği için reddedip kabul etmemenin bir amacı yoktur. Oruç da bu amellerden sayılabilir. O halde bozuk bu kıyaslar, şeriatın nass ve kurallarına asla muârız olmaz.

FASIL

Sevabı başkasına tercih etmek mekruhtur. Bu, yakınlaşma amacıyla yapılan tercihtir. Bu durumda bizzat amaç olan sevabın başkası adına tercihi nasıl mümkün olabilir? Bu, değişik şekillerde cevaplandırılmıştır.

Birinci Cevap: Hayatta olan kişinin irtidat (dinden dönme) etmesi mümkün olduğu için hayatın, bizzat hayırla son bulacağına güvenilemez. Dolayısıyla ameli başkasına tercih etmek, kişinin yapacağı bir iş değildir. En azından ölü, bu dünyadan ayrılmakla emin bir sonu yakalamıştır. Denirse ki haddizâtında ölünün de İslâm üzere ölmemiş olması mümkündür. Bu nedenle de kendisine bağışlanan sevaplardan faydalanamaz. Bu, son derece sakat bir sorudur. Çünkü ölüye bağışlananlar, salat getirmek, istiğfâr ve duâ etmek cinsinden ibadetlerdir. Eğer sevaba ehil biri ise o, bu sevabı alır. Yoksa, sevaptan duâ eden kişi faydalanır.

İkinci Cevap: Allah'a yakınlık için amelde başkasını tercih etmek ibadete olan rağbetin azalıp amelin gecikmesine neden olur. Amelde başkasını tercih etmek câiz olsaydı bu, kişiyi tembelliğe, yavaştan almaya ve ibadete kalkınamaya sevkederdi. Sevabı kendine saklamak bundan farklıdır. Çünkü amel eden kişi, kendisinin ya da mü'min kardeşinin sevabından faydalanması için yaptığı amelde daha hırslı olur ki bu öncekinden farklıdır.

Üçüncü Cevap: Yüce Allah, kendisine ibadette insanların birbirleriyle yarışmasını arzu etmiştir. Kullukta aranan da budur. Aynı şekilde sultanlar da hal-

kının kendisine itâatte yarışmalarını arzulamaktadırlar. Bu açıdan başkaları adına ameli tercih etmek kulluğa aykırıdır. Çünkü Allahû Teâlâ, kuluna vaciplerle ya da müstehaplarla kendisine yaklaşılmasını emretmiştir. İşte başkası adına ameli tercih edince Allah'ın emrini terketmiş olup işini başkasına vermiş olur. Ancak bu, emredilen itâatı, yakınlığı sağlayan sevabını da müslüman kardeşine gönderen kişiden farklıdır. Âyetlerde şöyle buyurulmaktadır: "Rabbinizin mağfiretine, eni yer ve göğün eni kadar olan cennete girmek için birbirinizle yarışınız"[71] ve "hayırda birbirinizle yarışın."[72] Âyetlerden anlaşıldığı gibi başkası adına amel etmek, yarışı ve yarıştaki aceleciliğe aykırıdır.

Ashab-ı Kiram Allah'a yaklaşmak için birbirleriyle yarışırken hiçbir zaman başkası adına amel etmemiştir. Hz. Ömer der ki: "Allah'a yemin olsun ki Ebû Bekir'le yaptığımı her yarışta o beni geçti..." ve: "Ey Ebû Bekir, Allah'a yemin olsun ki bir daha seninle hayırda yarışmayacağım."[73]

Âyette:"Bu konuda yarışmacılar, birbirleriyle musâbaka etsinler"[74] ifadesi geçmektedir. Mesela yarışarak bir şeye ulaşmak istendiğinde "şu şeyi elde etmek için başkalarıyla yarıştım (nâfese fiili ile) denir." "Nefîs şey", sözü de böyledir. Yani aranan, onu ulaşmak için yarışılan şey demektir. Bu en nefîs malımdır demek en sevimlisi demektir. "Fülanca beni şu konuda ileri sürdü" (enfese fiili ile) demek, "onu benim almamı istedi" demektir. Bütün bunlar, başkaları adına amel edip sevap işlemenin zıddına olan şeylerdir.

FASIL

"Ölüye sevap hediye etmek câiz ise hayatta olan kimseye hediye etmek de câiz olmalıdır" iddianız iki şekilde cevaplandırılır.

Birinci Cevap: Ahmed b. Hanbel'in arkadaşlarından bir kısım fakihler de bu görüşe temayül etmişlerdir. Kadî der ki: "Ahmed b. Hanbel'in sözü bunun sadece ölüye mahsus olduğunu gerektirmez. Çünkü Ahmed b. Hanbel diyor ki: "Hay-

71. Hadîd sûresi, (57/21).
72. Bakara sûresi, (2/148).
73. Hz. Ömer, sadaka verme konusundan Ebû Bekir'le yarıştıktan sonra böyle demiştir. Allah yolunda Hz. Ömer, malının yarısını getirirken, Hz. Ebû Bekir, tamamını getirmiştir. Bu esnada da Hz. Ömer, (artık seninle hiç yarışmayacağım) demiştir. Kıssayı Ebû Dâvûd (Avn şerhi, c. 5, s. 94) ve Tirmizî (Tühfe şerhi c.1, s. 161) rivayet etmişlerdir. Tirmizî "hadis, hasen ve sahihtir" demektedir. Ben derim ki: "Hadisin senedinde Zeyd b. Eslem yoluyla Hişam b. Sa'd vardır. et-Takrîb'de "Hişam, doğru, ama çok vehmi olan birisidir"; el-Mîzan'da ise: "Ebû Dâvûd der ki: "O, Zeyd b. Eslem hakkında insanların en sağlamıdır. Be nedenle hadisin senedi hasendir" denmektedir. Ben derim ki Câmiü'l-usûl (c. 8, s. 591) muhakkiki da senedi hasen kabul etmiştir.
74. Mutaffifîn sûresi, (83/26).

rı işler. Sevabının yarısını kendine diğer yarısını ise fark gözetmeksizin anne ve babasına gönderir." Ebü'l-Vefâ b. Akîl bu görüşe itiraz ederek der ki: "Bundan sonrası ne olacaktır? Bu, şeriatla alay etmektir. Allah'ın emanetinde tasarruf yaparak birinin yaptığı sevabı başkasına vermektir. Ölümden sonra ise ölüye istiğfar ve duâ gibi amellerin ulaşması için Yüce Allah, bir yol göstermiştir.

Sonra Ebü'l-Vefâ kendi kendine şöyle bir soru yöneltir: "Borcun kazası olur mu, borcun tamamı ölümden sonra ödendiği gibi hayatta da ödenir mi? Hayatta ödemekle ölümden sonra ödemek aynı olduğundan borcu, hangisinin bitireceği bilinmemektedir. Gerek ölümden sonra gerekse hayatta ödenen borçlar sahiplerini buluyorsa bağışlanan sevapların da hem hayatta hem de ölümden sonra kişiye ulaşacağını kabul edin.

Ebü'l-Vefâ bunu şöyle cevaplar: Eğer bu doğru ise hayatta olan kişinin tevbesiyle günahların silinmesi de söz konusudur. Başkalarının yaptığı amel ve istiğfarla ahiret günahları böylece silinmelidir.

Ben derim ki bu iş böyle değildir. Tam aksine bu, başkasının yaptığı duâdan istiğfardan, adına yapılan tasadduktan ve borçlarının ödenmesinden hayatta olan kişinin faydalanacağını ifade etmektedir. Bu manada aciz ve hareketten düşmüş kişi adına, hac farîzasının edâ edebilmesi konusunda Rasûlullah izin vermiştir.[75]

Şöyle de cevaplandırılmıştır: Yaptığı amelin sevabını bağışlayan kimse, ömrünün sonunda irtidat etme (dinden dönme) korkusu olduğundan dolayı bağışladığı sevap ölüye fayda vermez.

İbn Akîl der ki: "Hayatta olan kimsenin hediyesiyle ilgili bu görüşte ileri sürülen neden bâtıldır. Şüphesiz kişi, irtidat etmekten emin olmadan ölür. Zaten irtidat etmesi halinde, ölüye bağışladığı bütün sevaplar da boşa çıkacaktır.

Ben derim ki: Nasslar ve icmâ bu anlayışa karşıdır. Çünkü Rasûlullah ölü adına oruç tutup hac yapmaya izin vermiştir.[76] Söz konusu irtidat ihtimali olmakla birlikte hayatta olan kişinin ölmüş kişiden olan alacağından vazgeçmesi halinde borcun, zimmetten düşeceği, icmâ edilen bir konudur.

Doğru cevap şudur: Kişinin, ölüye bağışladığı güzel amelleri, ölünün mülkiyetine geçmekte böylece de mülkiyetten çıkan bu amellerin, kişinin irtidadı ile boşa çıkması söz konusu değildir. Nitekim irtidattan önce köle azadı ve verdiği keffaret gibi tasarrufları da irtidattan sonra da geçerli sayılmaktadır. Yine bir kimse

---

75. Bu manadan birçok hadisler gelmiştir. Sahîhayn'da Sahamî bir kadından İbni Abbas'ın rivayet ettiği en sahihidir. bkz. **İrvâü'l-galîl**, c. 9, s. 70; **Nasbu'r-râye**, c. 3, s. 154-158.

76. Ben derim ki: Konuyla ilgili birçok hadisler gelmiştir. Ama bunlar, herhangi bir hac, oruç yahut, ölü gibi mutlak ifadelerle gelmemiştir. Hepsi belirli durumlarla ilgili mukayyed ifadelerdir. Burada hepsini teker teker açıklama imkânımız yok. Daha geniş bilgi için bkz. **Ahkâmü'l-cenâiz.**

hasta biri adına hac farîzasını ifa ettikten sonra irtidat etse özürlü kimsenin, hac farizasını yeniden yaptırmak için başka birine müracaat etmesi gerekmez. Çünkü hac için göndereceği ikinci ve üçüncü şahsın da irtidat etmesinden emin olmaz.

Diri ile ölü arasındaki fark açıktır. Hayatta olan kimsenin ihtiyacı, ölününki gibi değildir. Yaptığı amelin aynısını ve benzerini bir daha yapabilir. Öyleyse ölünün aksine kendi için sevap kazanmaya gayret göstermelidir.

İleri sürülen iddianın bir sakatlığı da bu, hayatta olanları, vekâlet yoluyla insanları kiralamaya sevkeder ki bu çok yanlış bir iştir. Zenginler, bunu anlayıp öğrenirlerse üzerlerine düşen farzları yaptırmak için adamlar kiralarlar. Böylece ibadetler, bedel karşılığında yapılmaya başlar. Bunun yanında ibadet ve nafilelerin düşmesi, Allah'a yaklaştıran şeylerin artık insanlara yaklaştıran şeyler olması gibi bir takım neticeler doğurur ki ihlas kalkacağından ibadeti yapan da yaptıran da ibadetin sevabını alamaz.

Allah'a yaklaştıran ibadetler karşılığında ücret almayı asla kabul etmiyoruz. Kaza, fetva, ilim öğretmek, namaz kıldırmak ve Kur'ân okutmak gibi ibadetler karşılığında ücret almanın, bunları boşa çıkaracağını ifade ediyoruz. Allah'ın rızası için ihlasla yapılanlar dışında Allah bunlara sevap vermez. Ücret amacıyla ibadet yaparsa yapan da yaptıran da bunun mükâfatını alamaz. Ayrıca sırf Allah rızası için yapılan ve şeriatın güzelliklerinden olan ibadetler, böylece o dünyevî kazançların sağlandığı, alış-veriş haline dönüşecektir. O halde borçları ödemek ve sahibine vermek, bunlardan farklıdır. Borç, insanların birbirlerine nâib olabildiği kul haklarındandır. Bu nedenle, yaşayan kişinin de ölmüş kişinin de borcunu ödemek câizdir.

FASIL

"Ölüye sevabın bağışlanması câizse sevabın yarısının yahut dörtte birinin de bağışlanması câizdir" görüşünüze iki şekilde karşılık veririz.

Birincisi: Sevabın tamamını hediye etmek câizdir diye yarısını yahut çeyreğini de hediye etmek câizdir diye bir zorunluluk yoktur. İddia dışında ileri sürdüğünüz hiçbir delil yok.

İkincisi: Muhammed b. Yahya el-Kahhâl'den gelen bir rivayete göre Ahmed b. Hanbel bunun, bağlayıcılığı konusunda söz etmiştir. Açıklaması şöyle: Sevap, kişinin mülkiyetindedir. Tamamını da bir kısmını da hediye edebilir. Diğer bir açıklaması da; mesela bir kimse aldığı sevabı, dört ölüye hediye etse her biri, nasibine düşeni alır. Çeyreğini ölülere dağıtıp geri kalanını kendine bıraksa - başkasına hediye ettiğinde câiz olduğu gibi- bu da câiz olur.

FASIL

Şu görüşünüze gelince: "Eğer ölüye sevap hediye etmek câizse, kendisi için yaptığı amelin de sevabını göndermek câizdir." Oysa ki siz, sevabın ulaşmasında fiili yaparken ölüye hediye etmeye niyet etmesi gerektiğini; aksi takdirde sevabın ulaşmasının söz konusu olmadığını söylemiştiniz.

Cevabımız şudur. Böyle bir görüş, İmam Ahmed'den nakledilmemiştir. Ayrıca ileri sürülen şart da İmam Ahmed'in mütekaddîminden olan arkadaşlarının sözünde yoktur. Bu, Kâdî ve tabilerinin söz konusu ettiği bir meseledir.

İbn Akîl der ki: "Bir kimse sevabını müslüman kardeşine hediye etmek amacıyla namaz kılsa, oruç tutsa, Kur'ân okusa, ibadetten önce veya ibadet ederken hediye etmeye niyet şartıyla bunların sevabı, ölüye ulaşır."

Ebû Abdullah b. Hamdân, **er-Riâye**'sinde der ki: "Bir kimse Allah'a yaklaştıran bedenî veya malî ibadetlerinden sadaka verse, namaz kılsa, oruç tutsa, hac ya da umre yapsa, Kur'ân okusa, köle azat etse vb. aldığı sevapların tamamını veya bir kısmını müslüman bir ölüye verse -ki bu Rasûllullah da olabilir- ona istiğfar edip duâ etse yahutta şer'î bir hakkını ya da nâibliği kabul eden bir vecîbeyi ona verse bunların, ölüye faydası olur, sevabı da ölüye ulaşır. Denildi ki: "Amel işlerken hediye edeceğine niyet etmiş ise bu ölüye ulaşır. Aksi taktirde ulaşmaz."

Konunun sırrı şuradadır: Sevabı elde etmenin ilk şartı, önce niyetin, hediye edilecek kişi adına yapılmasıdır. Ancak niyet, önce amel edene yönelik olup sonra başkasına da dönebilir. Sevabın ulaşmasını, amelden önce ya da hemen amelden sonra yapılacak niyete bağlayanlar diyorlar ki: "Ölü adına niyet edilmemişse bunun sevabı yapana aittir ve de bu kişinin sevabının başkasına geçmesi de kabul edilmez. Çünkü sevap, eserin müessire terettüp etmesi gibi amele terettüp etmektedir. Mesela bir kimse kendi adına bir köle azât etse bunun velâyeti kendine ait olur. Ama köleyi azat ettikten sonra velayetini başkasına devrederse bu, devredilmiş olmaz. Başkası adına köle azat ettiğinde ise velayet, adına köle azat ettiği kişi olacağından dolayı yukarıdakine benzemez. Aynı şekilde bir kimse borcunu ödedikten sonra bunu başkasının borcuna saysa, kendi borcu zimmetinde kalır. Yine yaptığı haccı veya tuttuğu orucu yahutta kıldığı namazı başkasına verse bunlar üzerinde hiçbir hakkı kalmaz. Bunu destekleyen bir başka delil de şudur: Rasûlullah' a bu hususta soru soranlar, işlenen amelin sevabının ölüye hediye edilmesini de sormamışlar; ölü adına yaptıkları amelleri sormuşlardır. Mesela Sa'd: "Onun adına verdiğimiz sadaka ona faydalı olur mu?" diye sormuşken "kendi adıma yaptığım sadakanı, sevabını ona hediye edebilir miyim?" diye sormamıştır. Bir kadın da: "Onun adına hac yapabilir mi-

yim?" diye sormuş. Bir başka adam da: "Babam adına hac yapabilir miyim?" diye sormuştur. Rasûlullah da ölü adına amel edilmesine izin vermiştir ama, kendi adlarına yapmış oldukları amellerin sevaplarının ölülerine hediye edilmesine izin vermemiştir." Ancak bu gibi sualler Rasûlullah'a hiç sorulmuş mu bu bilinmemektedir. Yine sahâbeden birinin böyle birşey yaptığı da: "Ey Allahım, yaptığım amelin sevabını ya da kendi adıma yaptığım amelin sevabını fülancaya ver" dediği de bilinmemektedir.

Niyet şartını koşmanın sırrı işte budur. Bu, akla daha yatkındır. Şart ileri sürmeyenler ise diyorlar ki: "Gönlünden koparak amelinin sevabını başkasına vermesi, malından hediye vermesi gibidir."]

FASIL

[Şu sözünüze gelince: "Eğer ölüye sevap hediye etmek câiz olsaydı, hayatta olan kimseye vacip olan vecîbelerin sevaplarını da hediye etmek câiz olurdu." Cevabımız şudur: Sevabın ölüye ulaşması için amelde niyet etme şartı esasına göre bu zorunluluk, muhaldir. Çünkü vacip, başkası adına yapılamayan şeydir. Yapan kişiye bu vacip olunca da Allah'a yaklaşmak amacıyla niyet etmesi gerekmektedir.]

Başkası adına amel işlerken niyeti şart koşmayanlar herhangi bir farz ibadetin sevabını da ölüye bağışlamayı acaba câiz görüyorlar mı? Bu konuda iki görüş vardır. Ebû Abdullah b. Hamdân der ki: "Denildi ki namaz ve oruç gibi herhangi bir farz ibadetin sevabını bağışlarsa bu câizdir. İbadeti yapan kişi de mükâfatını alır."

Ben derim ki: Bir grup insandan nakledildiğine göre onlar gerek nafile olsun gerekse farz olsun yaptıkları amellerin sevabını müslümanlara hediye ediyorlarmış arkasından da: "Biz Allah'a fakirlik içerisinde, iflas etmiş insanlar olarak kavuşacağız. Şeriat bunu yasaklamamaktadır. Mükâfat, ameli işleyenindir. Dilerse bunu başkasına verebilir, buna bir engel yok" demişler. Allah en iyisini bilir.

FASIL

[Şu sözünüze gelince: "Dînî sorumluluklar, bir imtihandır.Bu nedenle bedeli kabul etmez. Sorumlulukların ana hedefi, amel işleyen mükelleftir..."

Buna verilecek cevabımız şudur: Yüce Allah, müslüman bir kimsenin yaptığı amelden kardeşinin faydalandırmasını engellememektedir. Belki de bu

Rabb'i Teâlâ'nın kullarına ihsanının, rahmetinin kemâl bulması; temeli adâlete, ihsan ve tanışıp yardımlaşmaya dayalı bu şeriatın yetkin özelliklerindendir. Bu nedenle Yüce Allah, meleklerini ve arşı taşıyanları, mü'min kullarına duâ edip istiğfâr etmeye ve onların günahlarının affedilmesi için Allah'a yalvarmaya çağırmıştır. Son peygamberine de mü'min erkek ve kadınlar için istiğfar etmesini; sünnetine, prensiplerine uyan âsî mü'minlere şefâat etmesi için, kıyamet günü makam-ı mahmûdü kurmasını emretmiştir. Yine Rasûlü'ne, yaşayan ve ölmüş ashabına duâ etmesini emretmiş, bu nedenle de Rasûlullah ashabının kabirleri başına varıp onlara duâ etmiştir. Şeriatın koyduğu prensiplerden biri şudur: Farzı kifâye olan amelleri terketme durumunda bütün mü'minler sorumludur. Ama bir kişi de olsa onu yaparsa, hepsi günahtan kurtulur. Meselâ Yüce Allah, derisi kızararak zayıf düşen bir kişiyi, dünyadaki borcunun biri tarafından ödenmesi halinde onu, kabir ateşinden kurtarır. Borcun, bilfiil mükellef bir kimsenin sınanması olması, birşey değiştirmez. Rasûlullah, her ne kadar ölünün sorumluluklarından olsa da ölü adına oruç tutup hacca gitmeye izin vermiştir. Yine imamın namazı sahih olması halinde cemaattan, sehiv secdesini kaldırmış; imamın okuduğu fâtiha, cemaat için de geçerli sayılmıştır. Yani imamın açıktan veya gizli olarak okuduğu Kur'ân, arkasında bulunan cemaatin de kıraatı yerine geçmekte, cemaattan birinin yaptığı sehiv kalkmaktadır. Öyleyse mükellef bir kimseye bağışlanan sevap, Allah'ın ihsanının esası değil midir? Allah, ihsanda bulunanları sever.

Yaratıklar, Allah'ın iyâlidir.[77] Allah'ın iyâline en faydalı olan kimse Allah'ın en çok sevdiği kimsedir. Allah'ın iyâline; bir yudum suyla, bir bardak sütle, bir parça ekmekle faydalı olanı seviyorsa amel defterleri kapanmış, gönderilecek hediyelere oldukça muhtaç, fakirlik ve güçsüzlükle mücadele edenlere faydalı olanları sevmez mi? Demek ki Allah'ın en çok sevdiği kişiler, bu hale düşmüş iyâline yardım edenlerdir.

Seleften birinden nakledildiğine göre kim hergün yetmiş defa:

رب اغفرلي ولوالدي وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات

Yani "Allah'ım, beni, annemi, babamı, müslüman erkeklerle müslüman kadınları, mü'min erkeklerle mü'min kadınları bağışla" derse müslüman, mü'min erkek ve kadınların sayısı kadar sevap alır demiştir.[78] Bunu imkansız görme.

---

77. İyâl: kişinin bakmakla yükümlü olduğu aile halkı. Hadisi Taberânî, el-Kebîr'de ve el-Evsat'ta; Ebû Nuaym, el-Hilye'de; Beyhakî ise İbni Mes'ûd'dan merfû' olarak eş-Şuab'da rivayet etmişlerdir. el-Askerî der ki: Bu, mecazî manada genişlik içindir." Ben derim ki: "Hadis gerçekten zayıftır. Ebû Yalâ ve Bezzar Enes'ten; Taberanî ise el-Kebîr'de İbni Mes'ûd'dan rivayet etmişlerdir. bkz. Zaîfû'l-câmî (2945). Ancak yukarıdaki rivayetin kimden rivayet edildiğini bilmiyorum. bkz. Feyzü'l-kadîr, c. 3, s. 506. Bu kitapta muhaddislerin hadis aleyhinde, zayıflığı ile ilgili görüşleri nakledilmiştir.

78. İbni Kayyım'ın garipliklerinden biri de budur: O, bize ibadetlerin tevkîfî olduğunu söylemişti. Zikir-

Çünkü kardeşlerine istiğfar eden kişi, onlara ihsân etmiş demektir ki Allah, asla ihsan edenlerin mükâfâtını boşa çıkarmaz.

FASIL

Şu sözünüze gelince: "Başkasının işlediği amel ölüye faydalı olsaydı onun adına yaptığı tevbe ve müslümanlık da fayda verirdi."

Bu şüphenin iki kaynağı vardır:

Birincisi, iki şey arasındaki zorunluluğu ifade eder. Sonra lazımın kaldırılmasıyla lazımın neticesinin de kalktığını açıklar. Şöyle ki başkasının yaptığı amel ölüye fayda sağlıyorsa adına yapılan tevbenin de müslümanlığın da faydalı olması gerekir. Ancak ölü adına yapılan tevbe ve müslümanlık faydalı olmadığına göre yapılan amel de faydalı değildir.

İkincisi, ölü adına yapılan tevbe ve müslümanlık ona fayda vermeyeceğinden dolayı adına kılınan namaz, tutulan oruç ve okunan Kur'ân da ona fayda vermez.

Bu iki şey arasındaki zorunluk ve yakınlığın bâtıl olduğu kesinlikle bilinmektedir. Şöyle ki: 1- Bu, naslardan ve ümmetin icmasından elde ettiğimiz bir kıyastır. 2- Bu, Allah'ın dağıttığı şeyleri toplamaktır. Çünkü Allahû Teâlâ, başkası adına yapılan müslümanlıkla, onun adına verilen sadaka, yapılan hac ve köle azadını birbirinden ayırmıştır. Bu durumda bu iki şey arasında yapılan eşitleme kıyası; faizin alış-verişe; pâk olarak ölenin, murdar olarak ölene kıyaslamalarına benzer bir kıyastır. 3- Yüce Allah, gerek hayatta gerekse ölümden sonra İslâmı, müslümanların birbirleriyle yardımlaşmasına sebep kılmıştır. Müslümanın, amelden faydalanmasına sebep olan şey ortada yoksa fayda ortaya çıkmaz. Nitekim Rasûlullah, Amr b. Âs'a bu manada şöyle demiştir: "Baban, tevhîdi ikrâr etmiş olsaydı, adına tuttuğun orucun, verdiğin sadakanın ona faydası olurdu." Kulun, yaptığı güzel amellerden faydalanmasını da Yüce Allah müslümanlığına bağlamıştır. Bu sebebin kalkması durumunda yaptığı hiçbir hayırlı amel kişiye fayda vermez, ameli kabul görmez. Bundan başka Allah Teâlâ, amelde ihlas ve devamlılığı da amelerin kabul edilmesine sebep kılmıştır. Aksi takdirde ameller kabul görmez. Bir diğer misal de abdest ve diğer namaz şartlarını, namazın sıhhatine bir sebep kılmasıdır. Bu şart yerine gelmezse, namazın sıhhati de ortadan kalkar. Şerî, aklî ve hissî sebeplerin, sonuçlarıyla olan

---

ler de bu babtandır. Rasûlullah'ın öğrettiği dualar dışında muayyen bir duaya sarılmak caiz değildir. Sana ne oluyor da vahiy dışında bir prensiple bilinmesi, uyulması mümkün olmayan şeylere bağlanma karşılığında bir mükafat takdir edebiliyorsun! Allah büyüğümüz İbni Kayyım'ı affetsin! Ama, her yiğit atın bir kisvesi her âlimin de bir zellesi vardır. Konunun sonunda inşallah bunu açıklayacağım.

ilişkisi böyledir. Sebep ile sonuç arasındaki sebebin varlığı ile yokluğunu eşit gören kimsenin yaptığı kıyas bâtıldır.

Bu tür bir deliliğin diğeri de şöyle demektir: "Âsîlere yapılan sefâat kabul edilirse müşrikler için de şefâatın kabul edilmesi gerekir. Muvahhidlerden büyük günah işleyenler cehennemden çıkacaklarsa, cehennemde bulunan kâfirlerin de çıkması gerekir." Bu ve buna benzer kıyaslar yapanların, kalplerinin pisliği, anlayışlarının kötülüğü ortadadır.

Bilcümle, ilim ehline yakışan, bu gibi hezeyanlar atmaktan sakınmak, böylece de hem kendi amel defterini hem de başkalarınınkini karartmaktan uzak kalmaktır.

FASIL

Şu sözünüze gelince: "İbadetler iki kısımdır. Birincisi, niyâbete (yerine yapılabilenler) elverişli olanlar. Bunlardan bağışlananlar ölüye ulaşır. İkincisi ise niyâbete elverişli olmayanlar dolayısıyla ölüye ulaşamayan ibadetlerdir."

İşte asıl dava, asıl mesele budur. Bunu nereden çıkartıyorsunuz? Bu farkı nereden buldunuz? Hangi Kitap hangi sünnet ya da kıyas sizi söz konusu görüşe sevketti?

Her ne kadar oruç, niyabete elverişli olmasa da Rasûlullah, ölü adına oruç tutulmasını meşru saymıştır. Farzı kifâyelerin edâsında, ümmetin birbirine niyabet edebileceğini; bir kimsenin yapması halinde diğerlerinden hem ibadetin hem de günahın düşeceği bildirilmiştir. Niyabet yaşına gelmemiş bir çocuğu, kendi adına ihram ve hac farîzalarını yapmak için hacca göndermeyi meşrû görmüş; naib çocuğun yaptığı amelin sevabını bu kişiye vermiştir.

Ebû Hanîfe demiş ki: "Hac yaparken bayılan kimse adına refîkî ihrama girer." Hanefîler, refîkîn ihrama girmesini, bayılan kişinin ihramı menzilesinde görmüşlerdir. Aynı şekilde Yüce Allah, ebeveynin müslümanlığını, çocuklarının müslümanlığı menzilesinde kılmıştır. Düşmanı esir alanla, ona malik olanın müslümanlığı da nasstan anlaşıldığı üzere esirin müslümanlığı menzilesindedir. Bir zamanlar kâmil şeriatın, güzel fiileri, işleyen kimseden başkasına nasıl dönderdiğine şaşırmıştım. Kulun ebeveynine faydasının dokunmasını ve çoğu vakitler müslüman kardeşleri için Allah'tan rahmet dilemesini; onların muhtaç oldukları iyi ve güzel amelleri işleyip sevaplarını onlara göndermesini engellemek şeriata yakışır mı? Kul, kendine tanınan geniş hakkı nasıl daraltabilir ya da işlediği amelin sevabını, kendinin istediği Allah'ın da bir mahsur görmediği bir müslümana hediye etmeyi nasıl imkânsız görür? Şu bilinmeli ki hac, sadaka ve köle azât etmenin se-

vabını ulaştıran şey, oruç, namaz, kırâat ve i'tikâdın sevabını ulaştıran şeyin aynısıdır. Yani bağışta bulunulan kişinin müslümanlığı bağışta bulunanın ise teberrû ve ihsanı, Allah'ın da bu ihsanı engelememesi. Allah'ın böyle bir ihsanı engellemesi şöyle dursun onu her yönüyle teşvik bile etmiştir. Ölülerin, kendilerine hediye edilen Kur'ân, namaz, sadaka, hac gibi ibadetlerin kendilerine ulaşması ile ilgili bilgiler mü'minlerin rüyalarında o kadar çok görülmüş ki tevatür derecesine çıkmıştır. Konuyla ilgili geçmişte olanları, bize ulaştığı kadarıyla çağımız insanlarından naklettsek söz oldukça uzar. Rasûlullah da şöyle demiştir: "Ramazan ayının son on gününde birbirine uygun olarak gördüğümüz rüyalar en iyi rüyalarınızdır"[79] Demek ki müşahede ettikleri bir olayı birbirine uygun olarak rivayet etmeleri ne kadar muteberse, Rasûlullah da bunların birbirine uygun olan rüyalarını muteber saymıştır. Çünkü onlar, uygunluk sağlandıktan sonra ne rivayetlerinde ne de rüyalarında yalan söylerler.

FASIL

Rasûlullah'tan gelen: "Kim üzerinde oruç olarak ölürse, velîsi onun yerine tutar" hadisini reddetmenize gelince naklettiğiniz hadisin Rasûlullah'ın hadisi olduğunu ortaya koyup her yönüyle sahih hadislere uygunluğunu açıklayacağız. Bâtıllığına gelince bunun, doğruluğundan şüphe edilmeyen, karşı gelmeye bir neden olmayan, işitmek itâat etmek, boyun eğip kabul etmekten başka yolu olmayan açık sahih bir hadise karşı olması bâtılığına yeter delildir. Önümüzde sahih bir hadis varsa bizim için muhayyerlik yoktur. Muhayyerlik, doğuda batıda bulunan bütün insanlar karşı da olsa hadise teslim olup ona inanmaktır.

"Söz konusu hadisi İmam Malik'in el-Muvatta'ında geçen: 'Bir kimse başkası adma oruç tutamaz' hadisiyle reddediyoruz" demenize gelince. Muarızlarınız da diyorlar ki: "Biz de İmam Malik'in Rasûlulah'tan rivayet ettiği hadisi reddediyoruz. Haydin bakalım, bunlardan hangisi daha doğru, hangisi reddedilmeye daha müsâit?

İmam Malik'in: "Bu bize göre üzerinde icmâ edilmiş ihtilafsız bir husustur" sözüne gelince Malik, böyle bir icmâyı ne doğuda yaşayanlardan ne de batıda yaşayanlardan nakletmiştir. Naklettiği görüş Medinelilerin görüşüdür ki ona, aralarındaki hilaf ulaşmamıştır. İmam'ın ihtilaflara muttalî olamaması, Rasûlullah'ın hadisini geçersiz kılmaz. Hatta Medinelilerin tamamı bu konuda icma etmiş oldukları varsayılsa masum ümmetin uyduğu hadise uymak, ümmetle bir

79. Malik, Ahmed, Buharî ve Müslim rivayet etmişlerdir. bkz. Sahîhü'l-câmî (880). Bu kitapta "son on günde" ifadesi fazladır. Hadisin rivayetleri için bkz. Sahîhü'l-câmî, c. 9, s. 234-235.

olmadıkça masumluktan uzak Medinelilerin sözüne uymaktan daha evlâdır. Çünkü ne Allahû Teâlâ ne de O'nun Rasûlü, ihtilaf halinde Medinelilerin görüşlerini hüccet sayıp diğerlerini reddetmenin gerekliliğini belirtmiştir. Bakın âyette nasıl geçiyor: "Allah'a ve ahiret gününü inanıyorsanız aranızda bir anlaşmazlık çıktığında onu Allah ve O'nun Rasûlü'ne götürün. Bu sizin için daha hayırlı, sonuç itibariyle daha güzeldir."[80]

Eğer İmam Malik ve Medineliler: "Bir kimse başkası adına oruç tutamaz" demişlerse, Hakem b. Uteybe de, Seleme b. Küheyl'den, o da Saîd b. Cübeyr yoluyla (Medine'li) İbn Abbas'ın: "Ramazan orucunun kazası için ölü adına yemek yedirilmesine, eğer nezir orucu ise onun adına oruç tutulmasına fetva vermiştir" şeklindeki sözünü nakletmiştir.

Ahmed b. Hanbel, birçok muhaddis ve Ebû Ubeyd bu görüştedir. Ebû Sevr de: "Nezir orucu olsun başka oruç olsun orucu tutulur" derken Hasan b. Salih, nezir orucu ise "velîsi onun adına tutar" demiştir.

FASIL

İbn Abbas, "Ölü adına oruç tutmakla ilgili hadisin râvîsi olmakla beraber "bir kimse başkası adına oruç tutamaz" diye fetva da vermiştir" sözünüze gelince. Anlaşıldığına göre bir sahâbe, rivayet ettiği hadisin hilafına fetva verebilir. Ancak bu, onun rivayetine zarar vermez. Çünkü, her ne kadar verdiği fetva masûm olmasa da rivayet ettiği hadis ma'sûmdur. Fetvayı verirken hadis, aklına gelmemiş olabilir veya tevîl etmiş olabilir veya hadisi zannına göre doğru olan bir şeye karşı olarak inanabilir yahutta daha başka sebepler söz konusudur. Buna rağmen İbn Abbas'ın verdiği fetva hadise aykırı değildir. Çünkü o, Ramazan orucu hakkında "bir kimse başkası adına oruç tutamaz" diye fetva verirken nezir hakkında "başkası adına oruç tutabilir" diye fetva vermiştir. Yani verdiği fetva hadisle çelişmemekte söz konusu hadis, nezir orucuna hamledilmektedir.

Ayrıca "kim üzerinde oruç borcu olarak ölürse velîsi, onun yerine oruç tutar" hadisi Hz. Âişe'nin rivayetinde de sabittir. Düşün ki İbn Abbas hadise karşı oldu, peki ne yapmalı? İbn Abbas'ın hadise muhalefet etmesi, Ümm'ül-Mü'minîn'den gelen rivayeti de sakatlamaz ya. O halde, İbn Abbas'ın fetvasını Hz. Âişe'den gelen rivayetle reddetmek, kendi rivayetiyle reddetmekten daha evlâdır.

---

80. Nisâ sûresi, (4/59).

Bunun yanında, İbn Abbas'tan gelen hadiste de ihtilaf söz konusudur. O'ndan iki rivayet gelmiştir. İbn Abbas'ın hadise muhalif sözüyle hadisi düşürmek, hadise muhalif başka bir hadisle düşürmekten daha evlâ olamaz.

FASIL

"Söz konusu hadisin senedinde ihtilaf edilmiştir" iddianız, kabul edilmeyecek kadar yersizdir. Tam aksine hadis sahihtir. Buhârî ile Müslim hadisin sahihliğinde ittifak etmişlerdir, senedinde ise ihtilaf olmamıştır.

İbn Abdü'l-Berr der ki: "Rasûlullah'tan şöyle dediği sabit olmuştu: "Kim üzerinde oruç borcu olarak ölürse velîsi, adına orucunu tutar." İmam Ahmed, hadisi sahih kabul etmekte, o da bu görüşe meyletmektedir. İmam Şâfî de hadisin sıhhatine hükmederek şöyle demiştir: "Ölü adına oruç tutmakla ilgili Rasûlullah'tan bir hadis rivayet edilmiştir. Eğer bu rivayet sabitse, ölü adına hac yapıldığı gibi oruç da tutulabilir. Şüphesiz böyle bir rivayet de sabit olmuştur." İmam Şafî'nin görüşü de budur. Aynı şeyi, ashabından birçokları da söylemiştir. İmam Beyhakî, Şafî'nin bu görüşünü hikaye ettikten sonra "Saîd b. Cübeyr'in, Mücahid'in ve Atâ'nın rivayetlerinde, ölünün tutamadığı oruçların, kaza edilmesinin câiz olduğu sabit olmuştur. Aynı şey İkrime'den, İbn Abbas'tan da gelmiştir. Birçoğu "bir kadın sordu" şeklinde rivayet etmiştir ki bu, Sa'd'ın annesiyle ilgili kıssadan ayrı olmalıdır. Bazı rivayetlerde ise kadına hitaben: "Annen adına oruç tut" şeklinde geçmektedir. Bunun geniş izahı inşâallah, cevap verirken yapılacaktır.

"Bu, 'insan için ancak kazandığı vardır'[81] âyetine aykırıdır" sözünüz, edepsiz, mana itibariyle ise büyük bir hatadır. Yüce Allah, Rasûlünü, sünnetinin Kur'ân nasslarına aykırı olmasından korumuş; Rasûlünü nasslara yardımcı ve müeyyid kılmıştır. Allah için bak. Taassub ve taklide yardım etmek düşüncesi, insana neler yaptırıyor. Oysa ki yukarıda geçen âyet bu hususta yeterlidir. Hiçbir sûrette Kur'ân nassının, Rasûlullah'ın sünnetine aykırı olmadığını; aykırı gibi görünen kısımların da kötü anlayıştan kaynaklandığı defalarca açıkladık. O halde Kur'ân'la sünnet arasındaki aykırılık olduğu düşüncesi tehlikeli ve bozuk bir görüştür; Kur'ân'a uygun olarak varid olmakta Kur'ân'dan doğmuş olması, O'nun getirdiklerini aynen alması manasınadır ki bu durumda sünnet, Kur'ân'ın açıklamasıdır. O'nun getirdiklerini inkâr edici değildir.

"Bu, Nesâî'nin Rasûlullah'tan naklettiği "bir kimse başkası adına namaz kılamaz. Kimse başkası adına oruç da tutamaz. Ama tutamadığı her bir gün için

81. Necm sûresi, (53/39).

bir mûd (takriben 18 litrelik bir ölçek) yemek verir" hadisine aykırıdır" sözünüz, çirkin bir hatadır. Çünkü Nesâî'nin rivayeti şöyledir: "Muhammed b. Abdü'l-A'lâ Yezid b. Zerî'den, o da Haccac el-Ahvel'den, o da Eyyûb b. Mûsâ'dan, o da Atâ b. Ebî Rabah yoluyla İbn Abbas'tan rivayet edildiğine göre o şöyle demiştir. "Bir kimse başkası adına namaz kılamaz. Kimse başkası adına oruç tutamaz. Ama tutamadığı her günün yerine bir mûd (18 litrelik ölçü) buğday ekmeği yedirilir."[82] Görüldüğü gibi bu söz, Rasûlullah'a ait olmayıp İbn Abbas'ın sözüdür. O halde Rasûlullah'ın sözü nasıl İbn Abbas'ın sözüyle çelişir. Sonra da Rasûlullah'ın söylemediği bir sözle İbn Abbas'ın sözünün çeliştiği nasıl söylenebilir? es-Sahîhayn'da: "Kim üzerinde oruç borcu olduğu halde ölürse, onun yerine velisi tutar" hadisi varken bu görüşleri nasıl ileri sürebilir? Müslim'in es-Sahîh'inde: Bir kadın Rasûlullah'a: "Bir aylık oruç borcu olan annem öldü, deyince Rasûlullah: "Annen adına oruç tut' demiştir"[83] hadisi varken bunu nasıl söyleyebilir? Müslim bu hadisi, Büreyde'den rivayet etmiştir.

Bu, İbn Ömer'den gelen: "Kim üzerinde oruç borcu olarak ölürse, onun adına yemek verilir" hadisine de aykırıdır, sözünüz de yukarıdakinin ayrısıdır. Bu, Rasûlullah'a isnad edilmiş batıl bir hadistir.

Beyhâkî der ki: Muhammed b. Abdurrahman b. Ebî Leylâ'dan Nâfî yoluyla İbn Ömer'den, onun da Rasûlullah'tan rivayet ettiği: "Üzerinde Ramazan orucu varken ölen bir kimse adına, yemek verilir" hadisi,[84] sahih değildir. Ravî Muhammed b. Abdurrahman çok vehimli biridir. Hadisi yalnızca Nâfî'nin dostları, Nâfî yoluyla İbn Ömer'den rivayet etmiştir."

"Bu, bir kimsenin başkası adına yapamadığı namaz kılmaya, müslüman olmaya ve tevbe etmeye karşı yapılan celî kıyasa da aykırıdır" sözünüze gelince Allah'ın verdiği ömre yemin olsun ki söz konusu kıyasınız, Rasûlullah'ın hadisini reddeden bâtıl, bozuk celî bir kıyastır. Hadisler, bunun bâtıl olduğunu göstermektedir. Ölmüş bir kâfir adına müslüman olmanın kabulü ile müslüman bir kimsenin kendi gibi bir müslümanın kendine hediye ettiği oruç, sadaka ve namaz gibi ibadetlerin sevabından faydalanmasının birbirinden farklı olduğunu izah etmiştik. Allah'a yemin olsun ki aralarındaki fark, oldukça açıktır. O halde ölmüş bir müslümanın, kendisi gibi bir müslümanın yaptığı amellerin sevabından faydalanması, ölmüş bir kâfir adına müslüman olmaya ya da ölmüş bir mücrime yapılan tevbenin kabul edilmesine kıyaslanması, en bozuk ve en sakat bir kıyas değil mi?

---

82. Hadis yukarıda geçti. İbni Abbas'tan mevkûf şekliyle sahihtir; merfû' rivayeti ise İbni Kayyım'ın da dediği gibi zayıftır.
83. Hadis sahihtir. Yukarıda geçti.
84. Müellifin de dediği gibi hadis zayıftır. Beyhakî'den nakledilen söz Kitâbu'l-ma'rife'dedir.

FASIL

"İmam Şafî'nin, İbn Abbas'tan rivayet edilen "Sa'd'ın annesi oruç adamıştı" sözünün ravîsini zayıf görmesine gelince; ona en güzel cevabı, arkadaşlarından en çok yardım gördüğü İmam Beyhakî vermiştir. Beyhakî'nin sözünü **Kitâbü'l-Ma'rife**'den aynen alıyoruz: "Ölü adına orucun kaza edilebileceği, Saîd b. Cübeyr'in, Mücahid'in, Atâ' ve İkrime'nin İbn Abbas'tan rivayet ettiği hadislerle sabittir. Çoğunun rivayetinde geçen "bir kadın sordu" ifadesi Sa'd'ın annesiyle ilgili kıssadan farklıdır. Bazılarının rivayetinde ise "annen adına oruç tut" ifadesi geçmektedir. Hadisin sıhhatine, Abdullah b. Atâ' el-Medenî'nin rivayeti de delildir. O, Abdullah b. Ubeyde el-Eslemî'nin babasından rivayet ettiği hadiste şöyle geçer: Rasûlullah'la beraber iken bir kadın geldi ve: "Ey Allah'ın Rasûlü, anneme genç bir câriye vermiştim. Şimdi annem öldü, câriye kaldı" dedi. Rasûlullah şöyle cevap verdi: "Sevabını aldın ve annenin mirasından o sana yeniden döndü." Yine kadın "annem, üzerinde bir aylık oruç olduğu halde öldü?" sorusuna da "annen adına oruç tut" buyurdu. Yine kadın: "O, haccını da yapmadan öldü?" deyince Rasûlullah: "Onun adına hac da yap" karşılığını verdi. Müslim, bu hadisi Abdullah b. Atâ'dan çeşitli şekillerde rivayet etmiştir.

Ben derim ki: Ebû Bekir b. Şeybe, Ebû Muaviye'den, o da A'meş'ten, o da Müslim el-Bıttîn'den, o da Saîd b. Cübeyr yoluyla İbn Abbas'tan da rivayet etmiştir. Rivayet şöyledir: Bir adam Rasûlullah'a geldi ve: "Ey Allah'ın Rasûlü. Annem, üzerinde bir ay oruç borcu varken öldü. Onun adına orucunu kaza edebilir miyim?" diye sordu. Rasûlullah ona: "Peki, annenin bir adama borcu olsa onu öder misin?" dedi. Adam da: "Evet, öderim" karşılığını verince "Allah'a olan borç ödenmeye daha layıktır"[85] buyurdu.

Hadisi; Ebû Hayseme, Muaviye b. Amr'dan, o da Zaide yoluyla A'meş'ten de rivayet etmiştir.

Bundan başka Nesâî de Kuteybe b. Sa'd'dan, o da Abser yoluyla A'meş'ten de rivayet etmiştir.

Görüldüğü gibi bu hadis, hem metin hem de sened itibariyle Saîd'in annesiyle ilgili hadisten farklıdır. Sa'd'ın annesiyle ilgili kıssayı, İmam Malik, Zührî'den, o da Ubeydullah b. Abdullah b. Atabe'den, o da İbn Abbas'tan rivayet etmiştir. Kıssaya göre Sa'd b. Ubâde Rasûlullah'tan fetva isteyerek: "Annem, bir adağını yerine getiremeden öldü" diye sorunca Rasûlullah: "Onu, adına kaza et" cevabını vermiştir. es-Sahîhayn'da da bu şekilde rivayet edilmiştir.

---

85. Senedi sahihtir. Bu manada birçok hadisler gelmiştir.

Diyelim ki bu hadiste ismi belirtilmemiş mutlak bir nezir söz konusudur. Peki, A'meş'in Müslim el-Bıttîn yoluyla Saîd b. Cubeyr'den rivayet ettiği hadiste, Rasûlullah Sa'd'dan söz konusu nezrin namaz mı sadaka mı yoksa oruç mu olduğunu niçin sormamıştır? Çünkü insan, istediği şeyi adayabilir. Bu bile, nezredilmiş orucun kazası ile nezredilmiş namazın kazası arasında fark olmadığına delildir. Nezirler arasında fark olsaydı Rasûlullah: "Neye nezretmiş?" diye sorardı. Eğer ki nezir; ölü adına kazası kabul edilen ve kabul edilmeyen kısımlarına ayrılmış olsaydı açıklama istemenin hiçbir anlamı olmazdı.

FASIL

Ölü adına oruç tutmakla ilgili İslâm âlimlerinin görüşlerini de zikredelim ki meselenin hilafına icma olduğu zannedilmesin.

Abdullah b. Abbas der ki: "Ölünün nezredilmiş bir orucu varsa o tutulur; Ramazan orucunun kazasında ise yemek verilir." Ahmed b. Hanbel'in de görüşü budur.

Ebû Sevr de: "Nezir ve farz oruçları tutulur." Ebû Dâvud ve ashabı da "farz olsun nezir olsun orucu tutulur" demektedirler.

Evzâî de: "Tutamadığı oruç yerine, velîsi sadaka verir. Sadaka verecek bir şey bulamazsa bu takdirde orucunu tutar" demektedir. Süfyan-ı Sevrî'den gelen bir rivayet de böyledir.

Ebû Ubeyd'ül-Kâsım b. Selam da: "Nezrini tutamadan ölen kişi adına oruç tutulur. Farz oruçları için ise yemek verilir" demektedir.

Hasen ise: "Üzerinde bir aylık oruç borcu olarak ölen bir kimse adına otuz kişi, birer gün tutarsa bu câizdir" demektedir.

FASIL

"Ölünün yapamadığı hac yerine, infakta bulunulursa bunun sevabı ölüye ulaşır, ama ölü adına yapılan haccın sevabı ona ulaşmaz" sözünüz, sünnetin reddettiği, delilsiz boş bir görüştür. Çünkü Rasûlullah: "Baban adına oruç tut"[86] buyur-

86. Hadis, oldukça zayıftır. İbni Mâce İbni Abbas'tan, Husayn b. Avf yoluyla rivayet etmiştir. Râvîlerden Muhammed b. Kerîb hakkında İmam Ahmed "hadisi münkerdir. Husayn b. Avf'tan garib şeyler nakleder" demektedir. Buhârî de "hadisi münkerdir" demektedir. bkz. İbni Mace, es-Sünen, c. 2, s. 970-97). Ben derim ki: Fakat İbni Mâce (Sünen, c. 2, s. 969) sözkonusu hadisi İbni Abbas'tan diğer bir tarikle rivayet etmiştir ki bu rivayet sahihtir. Hadisin metni şudur: "Evet, baban adına hac yap. O, fazla hayır yapmamışsa fazla şer de yapmamıştır" ez-Zevâid'de hadis, sahih görülmüştür. Ben de-

muş, bir kadına da: "Annen adına oruç tut"[87] demiştir. Yani Rasûlullah, ölü adına bizzat hac yapılmasını belirtmiş: "Yapılacak infak, haccına geçer" denmemiştir.

Bir keresinde de Rasûlullah, Sübrüme adına telbiye getiren bir adamı duyunca: "Önce kendi haccını yap sonra da Sübrüme adına hac yap" demiştir.[88]

Bir kadın da yanındaki çocuğa işaret ederek: "Bunun için de hac var mıdır?" diye sormuş da Rasûlullah: "Evet" demiştir.[89] İnfak sevabının ona olacağını söylememiştir. Her ne kadar hac yapmamakla beraber çocuk için de hac yapmak gerektiğini; hac vecîbelerinde velîsinin ona naib olabileceğini belirtmiştir.

Ayrıca ölünün naibi, bazan mûkîmken vermiş olduğu nafaka dışında hac için hiçbir infakta bulunmayabilir. O halde, mûkîmken verilen nafakanın sevabını ölüye ulaştıran şey nedir? Oysa ki bu kimse, hac için bir infakta bulunmamış; yaptığı infak, mükîmken veya yolculuk halindeyken yaptığı infaktır. Sünnet ve kıyas bu görüşü reddetmektedir. Allah en iyisini bilir.

FASIL

Eğer denilirse ki: "Sevabın ölüye ulaşmasında, hediye yapan kişinin, bizzat ölünün adını anmasını mı şart koşuyorsunuz yoksa mücerred olarak başkası adına amel yaptığına niyet etmesini kâfi mi görüyorsunuz?

Denir ki: "Herhangi bir hadiste, hediye yaparken ölünün adının anılması şart koşulmamıştır. Aksine Rasûlullah, oruç, hac ve sadaka gibi ibadetlerde yalnızca başkası adına amel etmeyi kafi görmüş; sevab bağışlayan kimsenin: "Allahım, bunu, fülancanın oğlu fülanca adına yapıyorum" demesini ifade etmemiştir. Yüce Allah, amel işleyen kişinin amaç ve gayesini bilir. Fakat bağışladığı ölünün adını anarsa bu câizdir. Eğer ölünün adını zikretmemişse sevabın ulaşmasında, amaç ve gayesi yeterlidir. Ayrıca: "Allahım, yarın fülancanın oğlu fülanca adına oruç tutacağım" demesi gerekmez. Bu nedenle -Allah daha iyi-

---

rim ki: "Diğer bir hadiste Rasûlullah şöyle karşılık vermiştir: "Baban adına hac yap, umre yap" Bu hadisi Tirmizî, Nesâî, İbni Mâce ve Hâkim, Ebû Razîn'den rivayet etmişlerdir. bkz. **Sahîhü'l-câmî** (3122).

87. Hadis sahihtir. Yukarıda geçti.

88. Ebû Dâvûd İbni Abbas'tan (c. 5, s. 270); İbni Mâce (c. 2, s. 969); Dârakutnî (c. 2, s. 267-269); bundan başka **et-Telhîs** (c. 2, s. 223-224); Beyhakî, İbni Hibban rivayet etmişler; Elbânî de **Sahîhü'l-câmî**'de (3123) hadisi sahih saymıştır. Ben derim ki: "Suyûtî hadisi sadece Ebû Dâvûd'un rivayet ettiğini söylemiştir! Elbânî her nedense bu konuda birşey dememiş, fakat **İrvâü'l-galîl**'de (c. 4, s. 171) biraz hadis aleyhinde konuşarak, rivayet yollarını nakletmiş, yukarıda zikrettiklerimiz dışında İbni Cârûd, Taberânî ve Beyzâ' gibi muhaddislerin de rivayetleri bulunduğunu belirtmiştir.

89. Müslim, Mâlik, Şâfi'î Ebû Dâvûd, Nesâî, Tahâvî, İbni Cârûd, Beyhakî ve Ahmed rivayet etmişlerdir. bkz. **İrvâü'l-galîl**, c. 4, s. 155.

sini bilir- ibadetten önce başkası adına amel etme niyetini şart koşanlar, amelin ölü adına yapıldığını belirtmek için böyle bir şart ileri sürmüşlerdir.

Ancak ibadetini yaptıktan sonra sevabının başkasına ulaşması için niyet ederse sırf niyet sebebiyle sevap ulaşmaz. Nitekim hibe etmeye yahut köle azat etmeye yahutta sadaka vermeye niyet etmekte böyledir; sadece niyetle amaca ulaşılamaz.

Bunu şöyle bir misalle de açıklayabiliriz: Bir kimse mescid yahut medrese yahutta su deposu niyetiyle bir bina yapsa mücerred niyetiyle bu, vâkıf olmuş olur; ayrıca zikretmeye gerek kalmaz.

Yine zekât niyetiyle bir fakire mal verse, zekâtı zikretmese de zekât vecîbesi ondan düşer.

Yine hayatta yahut ölmüş birinin borcunu ödese her ne kadar bunların ismini anmasa da zimmetlerinden borçları düşer.

Denilirse ki: "Ey Allahım, şu ameli kabul ettiysen beni bunda daim kıl, sevabını da fülancaya ver. Yoksa verme" demek sûretiyle, bağışı, bir şarta bağlamakla tahsis etmek olabilir mi?

Denir ki: "İfade olarak da amaç olarak da bir tahsis yapılmış olmaz. Böyle bir şartın anlamı da yoktur. Çünkü Allah, şart koşulsun ya da koşulmasın gerekeni yapar. Yüce Allah şart olmadığında başka şey yapacak olsaydı belki şart sürmenin bir anlamı olurdu.

Fakat "Allahım, beni bunda sabit kılarsan, sevabını fülancaya ver" sözünde ise sevap önce kişiye gelir, sonra da hediye edilen kişiye geçer" iddiası böyle değildir. Tam aksine fülanca adına diye niyet etmişse başkası adına köle azat etmekte olduğu gibi bunun sevabı önce kimin adına yapılmışsa ona gider. Çünkü köle azat etme velayetinin, önce azat edene, daha sonra da adına azat edilene geçtiğini söyleyemeyiz. Başarı Allah'tandır.

Eğer denilse ki: "Ölüye sevap bağışlamak isteyen kişi için en uygun yol nedir? Denir ki: "Kendi adına amel işlemesi daha faziletlidir. Yani ölü adına yapılan köle azadı veya verilen sadaka oruç tutmaktan daha faziletlidir. Sadakanın faziletlisi de sadaka verilen kişinin ihtiyacına uygun olan şeyleri devamlı olarak vermektir. Bu manada Rasûlullah: "En faziletli sadaka, başkalarının faydalanacağı su kanalı yahut su kuyusu açmaktır" buyurmuştur.[90] Yani bu, suyun az olduğu susuzluk çekilen bölgeler için söz konusudur. Gıda maddelerinin çok gerekli olduğu yerlerde su kanalı yahut su kuyusu açmak, yemek yedirmekten daha faziletli olamaz. Ölü, duâ eden kimseden, ihlasla, tazarrû ile kendisine duâ

90. Hadis hasendir. Ahmed, Ebû Dâvûd, Nesâî, İbni Mâce, İbni Hibban ve Hâkim Sa'd b. Ubâde'den; Ebû Ya'lâ da, Müsned'de İbni Abbas'tan rivayet etmişlerdir. bkz. Sahîhü'l-câmi (1124).

ve istiğfar edilmesini istiyorsa yerine göre duâ ve istiğfar, sadaka vermekten daha faziletli olur. Kişinin, ölünün cenaze namasına iştirak edip kabri başında da duâ etmesi böyledir.

Özetle ölüye gönderilecek en büyük hediye, köle azat etmek, sadaka vermek, istiğfar etmek, duâ etmek ve onun adına hac yapmaktır.

Kur'ân okumak ve ücretini almadan gönül rızasıyla ölüye bağışlamanın sevabı da oruç ve haccın sevapları ulaştığı gibi ona ulaşır.

Eğer denilirse ki: "Bu anlattıklarınız, selef âlimlerinde görülmemektedir. Hayra çok düşkün olmalarına rağmen kimse Kur'ân okumakla ilgili birşey nakletmemiştir. Rasûlullah da onlara bunu anlatmamış; onları duâya, istiğfara, sadakaya, hac ve oruca teşvik etmiştir. Eğer Kur'ân okumanın sevabı da ölülere ulaşacak olsaydı Rasûlullah bunu onlara anlatır, onlar da böyle yaparlardı.

Cevabımız şudur: "Bu iddianın sahipleri, hac, oruç, duâ ve istiğfar sevaplarının ölülere ulaşacağını itiraf ediyorlarsa onlara denir ki: "Ne sebeple Kur'ân sevabının ölüye ulaşacağını reddederken bu amellerin sevaplarının ulaşacağının kabul ediyorsun? Bu, benzer şeyler arasında ayırımı yapmaktan başka ne olabilir? Yok eğer bu amellerin sevaplarının ölülere ulaşacağını itiraf etmiyorlarsa -ki bu olamaz- bu; Kitap, sünnet, icmâ ve şer'î prensiplerde sabit olmuştur.

İşin Kur'ân'la olan sebebine gelince bu, selef âlimlerinde görülmemiştir. Çünkü onlar, bir kimsenin Kur'ân okumasına ya da sevabını ölülere bağışlamasına karşı olmamışlar; haddizâtında bunun üzerine düşmemişlerdir. Zamane insanların yaptıkları gibi sırf Kur'ân okumak için kabristana gitmemişlerdir.[91] Bunun yanında hiçbir selefî, okuduğu Kur'ân'ı hatta verdiği sadakayı, tuttuğu orucu fülanca ölüye bağışlayan bir adama rastlamamıştır.

Kur'ân okuma sevabının ölüye ulaşmasına karşı olana sonra şöyle denir: "Seleften birinden: "Allahım, şu orucun sevabını fülancaya ver" dediğini zorlamayla nakletmiş olsan bunu ispatlamada yetersiz kalırsın. Çünkü onlar, salih amelleri gizlemeye çok düşkündürler. Ayrıca kazandıkları sevapları ölülerine ulaştırmak için Allah'ı da şâit tutmamışlardır.

Eğer denilirse ki: "Allah'ın O Rasûlü ki ashabına bunlardan başlatmamıştır." Meselenin cevabı çok açıktır. Meselâ biri ölü adına hac yapmaktan sormuş O da buna izin vermiş. Bir diğeri ölü adına oruç tutmayı sormuş, o da buna izin vermiş. Bir başkası da ölü adına sadaka vermeyi sormuş. O ise buna da izin vermiş; ama ölü adına yapılabilecek diğer şeylerden menetmemiştir.

Mücerred niyetten ve imsaktan (yemek, içmek, aile ilişkisi gibi orucu bozan

91. Ben derim ki: "Eser zayıftır. İbni Kayyım'ın burada unutkanlığı inşallah gerçeğe uygun olmuştur."

şeylerden) ibaret olan orucun sevabının ulaşmasıyla Kur'ân okumak ve zikir çekmenin sevaplarının ulaşması arasında ne fark vardır?

Aynı zamanda seleften kimse böyle birşey yapmamıştır diyen kimse de bilmediği bir konudan konuşuyordur. Bu ise bilmediği şeyin nefyine şehâdet eder. Selef ulemâsından gelen bazı bilgileri olsa da buna hemen bir delil bulamazlar. O halde, gayıblar âlemiyle ilgili bilgileri en iyi bilen Allah, onların niyetlerini, amaçları hususunda özellikle de bağışlama niyetini dile getirmede, kafîdir.

Meselenin sırrı şudur. Sevap, amel eden kişinin mülküdür. Gönül rızasıyla müslüman kardeşine bağışlayınca, Allah sevabı bu kimseye ulaştırır. Öyleyse Kur'an okuma sevabını diğer sevapladan ayırıp kulun kardeşine göndermesine engel nedir? İnkârcılar da içinde olmak üzere çeşitli asırlarda birçok beldelerde insanlar böyle amel etmişler; ulemâdan hiç kimse de buna karşı olmamıştır.

Eğer denirse ki: "Rasûlullah'a bağışlamak hakkında ne diyorsun? Cevap şudur: Mateahhirîn fakîhlerinden bazıları bunu müstehab görürken bazıları müstehap görmemiş, bunu bid'at saymıştır. Çünkü Sahâbe-i Kiram böyle şeyler yapmamıştır. Rasûlullah'a ümmetinden iyi bir amel işleyenin ameli kadar hiçbir azalma olmaksızın sevap vardır. Çünkü Rasûlullah, her türlü hayırda ümmetine önderlik yapmış; onları irşad ederek Hakka çağırmıştır. Bir hadiste: "Kim insanları doğru yola çağırırsa[92] kendi ecri yanında, sözüne uyup hidâyet bulanların ecri kadar daha ecir alır. Hidâyet bulanların ecrinden de birşey eksilmez" buyurulmuştur.[93] Her hidâyet, her ilim, ümmete O'nun elinden geçtiğinden dolayı, kurtulsun ya da kurtulmasın kendisine uyanların aldığı ecir kadar, Rasûlullah da ecir alır.[94]

---

92. (Hayra delalet eden onu yapan gibidir) hadisine işaret etmektedir. Hadisi, Bezzar, İbni Mes'ûd'dan; Taberânî ise Sehl b. Sa'd ile İbni Mes'ûd'dan rivayet etmişlerdir. Diğer rivayetler için bkz. Sahîhü'l-câmî (3393).

93. Birinci bölüm, Ahmed'in, Müslim'in, dört Sünen sahibinin, Dârimî'nin ve İbni Ebî Âsım'ın Ebû Hureyre'den rivayet ettikleri sahih bir hadisin bir bölümüdür. bkz. Sahîhü'l-câmî (6110)

94. Ben derim ki: "Allah İbni Kayyım'a rahmet etsin. Bu hususta o, kıyası gereğinden fazla geniş tutarak hadiste gelmeyen şeyi hadiste bildirilene kıyaslamıştır. Rasûlullah'tan sabit olan herşeye cevaz vermemekle beraber ona karşı da gelmeyiz. Ancak bir haberle bu kayıtlanmışsa başka. Bu takdirde Rasûlullah'tan sabit olan şeye diyeceğimiz yok. Meselâ, ölü adına nezir orucu tutmak sabit olduğu şekliyle caizdir. Aynı şey ölünün velisi için de sözkonusudur, yine ebeveynden biri adına çocuklardan birinin hac yapması caizdir. Her çocuk için ayrı ayrı hac yapmak gerekmez. Duâ ve istiğfarda ise ölü ile diri arasında fark yoktur. Mesele, yapılan duânın kişi için kabul edilmesine bağlıdır. Kişi adına bir amel işlenmesi ya da başkasının işlediği amelden faydalanması önemli değil. Hafız İbni Kesir "insanoğlu için ancak kendi kazancı vardır" âyetini yorumlarken der ki: "Bu âyet-i kerimeden İmam Şafi'î ve arkadaşları, Kur'ân okuma sevabının ölülere ulaşmayacağı hükmünü çıkarmışlardır. Çünkü bu, ne onların amelleridir ne de kazançlarıdır. Bu nedenle Rasûlullah ümmetine bunu hoş görmemiş; ümmetini buna teşvik ederek onlara bir nassla yahut ima ile bir tavsiyede bulunmamıştır. Ayrıca bu, hiçbir sahabeden nakledilmemiştir de. Hoş görülen birşey olsaydı, önce onlar yaparlardı. Anlaşıldığı gibi, ibadetler naslarla tayin edilir; kıyas ve reylerin burada önemi yoktur. Dua etmek, sadaka vermeye gelince hem bunların sevaplarının ölülere ulaşacağı konusunda icma vardır, hem de şeriatın

nassıyla bunlar sabittir." Sonra İbni Kesir "Ademoğlu ölünce..." hadisine işaret eder; hadiste belirtilen üç ibadetin gerçekte, insanın çalışması, kazanması yapması şeklinde olduğunu açıklamıştır. Kişinin önceden yapmış olduğu amellerin çoğu da böyledir. Yani çocukların işlediği ameller babalarına ulaşır. Bu durum, sahih bir hadiste "kişinin yediği en güzel rızık kendi kazandığı ve kazancının ürünü olarak çocuğunun kazandığıdır" şeklinde belirtilmiştir. Sözkonusu âyetin manası bu açıdan bakıldığında, hadislerde, eserlerde beyan edilen hususlarla asla çelişmez. Daha geniş bilgi için bkz. **Ahkâmü'l-cenâiz** (ölünün faydalanacağı şeyler maddesi), s. 168-178; İstanbul'lu Mahmud Mehdînin tahkikini yaptığı, Muhammed b. Abdüsselam eş-Şakîrî'nin- **Hükmü'l-kırâati 'ale'l-mevtâ** risalesi; **Tefsîrü'l-Menâr**, c. 8, s. 254-270. Menar sahibi "kimse, kimsenin yükünü taşımaz" âyetini yorumlarken oldukça güzel açıklamalarda bulunmuştur. Umulur ki Yüce Allah, Menar tefsirinden bu bölümü tahkikli ve dipnotlu olarak çıkartıp insanların faidesine sunmayı kolaylaştırır inşaallah.

ONYEDİNCİ MESELE

Ruhlar Kadîm midir, Yoksa Hâdis midir?

Ruhlar, Allah'ın emrinde olmakla yaratılmış yani hadis olunca, Allah'ın emri, nasıl yaratılmış olabilir? Yüce Allah, Âdemoğluna kendi ruhundan üflediğini bildirmiştir. İnsan ruhunun, Allah'ın ruhuna izafe edilmesi onun kadîmliğine delâlet eder mi etmez mi? Allah'ın ruhuyla kulun ruhu arasındaki izafet nedir? Yüce Allah Hz. Âdem'i kendi eliyle yarattığıru,ona kendi ruhundan üflediğini bildirerek yaratan elini ve kulun ruhunu bir yönüyle kendisine izafe etmiştir.

Bu, bilgi sahiplerinin hataya düştüğü, birçok insanın sapıttığı bir meseledir. Rasûlü'ne uyanları Yüce Allah, hidâyete erdirerek apaçık gerçeğe ve belirmiş doğrulara erdirmiştir. Rasûllerin hepsi ruhların, hadis, düzene konmuş ve terbiye altına alınmış olduğu konusunda icmâ etmişlerdir. Rasûllerin getirdikleri dinlerden, zorunlu olarak bu anlaşılır. Yine onların dinleri, âlemin hâdis olduğunu ve bedenlere girişlerinin zorunluluğunu da bildirmiştir. Tek başına Yüce Allah, yaratandır. O'nun dışında kalanlar ise O'nun yarattıklarıdır. En hayırlı neslin üç halkasını oluşturan Sahâbe, Tabiîn ve Tebe'ü Tabiîn nesli, aralarında ihtilaf olmaksızın ruhun hadis ve yaratılmış olduğunda birleşmişlerken Kur'ân ve sünneti yeterince anlayamayan bir grup insan çıkmış, Allah'ın emrinin, yaratılmış olamayacağından hareketle ruhun da yaratılmamış, kadîm olduğunu ileri sürmüştür. İddiaya göre Allah ruhu, ilmini, Kitab'ını, kudretini, işitmesini, görmesini ve elini kendisine nisbet ettiği gibi onu da kendisine nisbet etmiştir. Bazıları da konuyla ilgili hiçbir görüş belirtmeyerek: "Ruha, yaratılmış da yaratılmamış da diyemeyiz" demişlerdir.

Bu soru, Isbahan hafızı Ebû Abdullah b. Mendeh'e soruldu da o şöyle dedi: "Adamın biri, Allah tarafından yaratıklara, bedenlere güç kaynağı olarak verilen ruhtan sordu. Bu adamın anlattığına göre bir kısım insanlar, ruhun yaratılmamış olduğuna kanî imişler. Bazıları da sadece kûdsî ruhların yaratılmadığı-

na, onların Allah'ın zatından geldiğine kanî imişler. Şimde ben mütekaddimîn ulemânın farklı görüşlerini zikredip bunlardan Kur'ân'a, sünnete, Sahâbenin, Tabiîn ve ilim ehlinin görüşlerine uygun olanları belirteceğim. Daha sonra da Kur'ân ve sünnette zikredilen ruhun kısımlarını anlatıp bilgisizce ruhtan konuşanların hatalarını ve bu görüşlerin cehm[1] ve taraftarlarının görüşlerine uygun olduğunu belirteceğim. Başarı Allah'tandır. Ruhların bilinmesi ve nefisteki yeri hususunda da farklı görüşleri ileri sürülmüştür.

Birinci Görüş: Ruhların tamamı yaratılmıştır. Ehli sünnetin görüşü budur. Delilleri de Rasûlullah'tan gelen şu hadistir: "Ruhlar, toplanmış ordulardır. Tanışanlar birbirlerine yaklaşırlar. Tanışmayanlar ise birbirinden ayrılırlar"[2]. Ruhların toplanmış ordular olması, onların yaratılmış olduklarına delildir.

İkinci Görüş: Ruhlar Allah'ın emrindedir. Yüce Allah ruhun hakikat ve ilmini insanlardan gizli tutmuştur. "De ki, ruh Rabbimin emrindedir"[3] âyeti bunu gösterir.

Üçüncü Görüş: Ruhlar, Allah'ın nurlarından bir nur, hayatından bir hayattır. Rasûlullah bir hadiste: "Allah, ruhu karanlıkta yarattı sonra onların üzerlerine nurunu indirdi."[4] Bu üç görüşten sonra Abdullah b. Mendeh ruhlarla ilgili diğer farklı görüşleri zikreder: Ruhlar ölür mü ölmez mi? Bedenlerdeki ruhlar Berzah'ta ve ölümden sonra da kalacağı yerde azap görürler mi? Ruh nefis midir yoksa nefisten ayrı bir şey midir?

Muhammed b. Nasr el-Mervezî de kitabının bir yerinde der ki: "Zındık ve Rafîzilerden bir grup, Hıristiyanlar nasıl Hz. Îsâ'nın ruhunu yorumlamışlar bazıları da nasıl ruhun, Allah'ın zatından ayrılarak mü'min olduğunu söylemişlerse aynı şekilde bunlar da Hz. Âdem'in ruhunu öyle yorumlamışlardır. Bazı Hıristiyanlar hem Îsâ'ya hem de Meryem'e tapar. Çünkü onlara göre Îsâ, Allah'ın, Meryem'de bulunan ruhudur, dolayısıyla yaratılmamıştır.

Zındık ve Rafîzîlerden bazıları da: "Hz. Âdem'in ruhu da böyledir, yaratılmamıştır" demektedir. "Ona ruhumdan üfledim"[5] ve "sonra onu düzeltti ve ruhundan üfledi"[6] âyetlerini böyle yorumlayarak Hz. Âdem'in ruhunun yaratılmadığı-

1. Yani Cehm b. Safvân Bidatçılardan olan Mücessime ve Müşebbihe fırkalarının büyüklerindendir. Cehmiyye ise bu adama nisbet edilir. Ben derim ki; "Yukarıda da belirtildiği gibi Cehm b. Safvan Müşebiheden olmayıp muattıladandır. (Allah'ın sıfatlarını selbedenlerden).
2. Hadis sahihtir. Yukarıda geçti.
3. İsrâ sûresi, (17/85).
4. Tirmizî, İman (18); İmam ahmed, **Müsned** (2/176) rivayet etmişlerdir. Ben derim ki: "Hâkim ve İbni Hibban da İbni Ömer'den rivayet etmişlerdir. Hadisin tamamı şöyledir. "Allah, onlara kendi nurundan ulaştırdı. İşte o gün, nur kime isabet etmişse hidayet bulmuştur. Nurdan nasibini alamayanlar ise sapmıştır. Hadisin burası da sahihtir. bkz. **Sahîhü'l-câmî** (1760).
5. Hicr sûresi, (15/29); es-Sa'd (38/72).
6. Secde sûresi, (32/9).

nı zannetmişlerdir. Şu yorum da buna benzer: "Nur, Rabb'den gelir, yaratılmamıştır" iddialarını şöyle sürdürüyorlar: "Hz. Âdem'den sonra insanlar onun vâsîsi oldular. Her bir peygamberin bir vasîsi bulunur. Nihayet bu vâsîlik Hz. Ali'ye sonra Hasan ve Hüseyn'e geçerek bunlara bağlı imam ve vâsîlere geçer. Bu bakımdan Şii imamlar her şeyi bilirler, kimseden birşey öğrenmeye ihtiyaç duymazlar."

Hz. Âdem'in ruhuyla Hz. Îsâ'nın ve diğer insanoğlunun ruhları arasında fark olmadığında hepsinin yaratılmış olduğunda; Yüce Allah yarattıktan, meydana getirip şekil verdikten sonra diğer ruhlar gibi bunların ruhunu da kendisine izafe ettiği konusunda müslümanlar arasında ihtilaf yoktur. Çünkü âyette: "Yerde ve gökte ne varsa hepsini bir lütuf olarak size boyun eğdirdi"[7] buyurulmaktadır.

Şeyhü'l-İslâm İbn Teymiyye der ki: "Selef âlimleri ve ehli sünnet imamları, ruhun yaratılmış olduğunda ittifak etmişlerdir." Alimlerin, ruhun yaratıldığı konusunda icma ettiklerini, birçokları haber vermiştir. Çağının icma ve ihtilaflarını en iyi bilen meşhur âlim Muhammed b. Nasr el-Mervezî ve Ebû Muhammed b. Kuteybe bunlardandır. İbn Kuteybe **Kitâbü'l-Lafız**'da ruhtan bahsederken der ki: "Nesim, ruh demektir. Alimler, Yüce Allah'ın deneyi başağından çıkaran ve nesemeyi de yani ruhu da yaratan olduğunda icma etmişlerdir." Ebû Ishâk b. Şakilâ da ruhla ilgili görüşlerini açıklarken: "Allah sana rahmet etsin. Ruh yaratıldı mı yoksa yaratılmadı mı?" diye soruyorsun? Şüphesiz gerçeğe en uygun olanı, ruhun yaratılmış varlıklardan olmasıdır. Ruh meselesinde, önemli büyük âlimler görüşlerini açıklamışlar; ruhun mahluk olmadığına inananların görüşlerini reddetmişlerdir" demektedir. Hafız Ebû Abdullah b. Mendeh, ruhla ilgili hacimli bir eser yazmış; daha önceleri ise Muhammed b. Nasr el-Mervezî, Şeyh Ebû Saîd el-Harrâz, Ebû Yakup en-Nehrücevrî ve Kâdı Ebû Ya'lâ gibi birçokları bu konuyu işlemişlerdir. Seçkin âlimler, Îsâ b. Meryem'in ruhunu, diğer ruhlardan farklı görenlere şiddetle karşı gelmişlerdir. Bunu zındıklara ve Cehmiyyeye reddiye yazan İmam Ahmed haber vermektedir. Cehmiyye'nin bir iddiası da şudur: "Yüce Allah'ın "Meryem oğlu Îsâ Mesih, Allah'ın elçisi, O'nun Meryem'e attığı kelimesi ve O'ndan bir ruhtur"[8] âyetinden, Kur'ân'ın mahluk olduğunu anlıyoruz. Çünkü İsâ mahluktur." Onlara şöyle karşılık veririz: "Allah'ın Kur'ân'ını anlayamamuşsın. Çünkü Hz. Îsâ hakkında söyledikleri Kur'ân'da yoktur. O, doğrulmuştur, çocuktur, oğlandır; yemek yer, su içer; buyruk ve yasağa muhataptır; müjde ve korku O'nun için de geçerlidir. Sonra O, Hz. Nuh'un, Hz. İbrahim'in zürriyetindendir. O halde Kur'ân'ın söylemediğini bizim Hz. Îsâ hakkında söylememiz doğru olmaz. Onların Hz.b Îsâ hakkında söylediklerini acaba Kur'ân da söylemiş mi? "Meryem oğlu Îsâ Mesih, Allah'ın Rasûlüdür. O'nun Meryem'e attığı kelime-

7. Câsiye sûresi, (45/13).
8. Nisâ sûresi, (4/171).

dir ve O'ndan da bir ruhtur" âyetinde sözü edilen "kelime", Hz. Îsâ'ya "ol" demesi sonucu onun olmasıdır. Yoksa Îsâ "ol" yani kendi kendine olan değildir, "ol" emriyle olmuştur. "Ol" hitabı, Allah'ın sözüdür. Bu, yaratıkların "ol" demesi değildir. Îsâ'nın yaratılması hususunda Hıristiyanlar ve Cehmiyye Allah'a yalan isnat etmektedirler. Cehmiyye diyor ki: "O, Allah'ın ruhu ve kelimesidir, fakat Allah'ın kelimesi mahluktur." Hıristiyanlar ise: "Îsâ, Allah'ın ruhu ve zatıun kelimesidir" demektedirler. Bunlara göre "bu bez, şu elbisenindir" sözüyle "Allah'ın kelimesi" ayıu manayadır. Biz de diyoruz ki: "Îsâ'nın Allah'ın kelimesi olması, yaratılışı itibariyledir. Yoksa O, kelimenin kendisi değildir. Asıl kelime, "ol" buyruğudur. "Allah'tan da bir ruhtur" âyetinde ruh, emri manasınadır. Aynı mana "şu âyette de vardır." O, gökte ve yerde ne varsa hepsini, kendisinden bir lütuf olarak size boyun eğdirdi."[9] Kendisinden lütuf olması demek, emriyle manasınadır. "Allah'ın ruhu" ifadesinin tefsiri, Allah yaratırken yalnızca emretme sîgasıdır. Buna benzer bir kullanılış da: "Allah'ın kulu, Allah'ın semâsı, Allah'ın arzı" ifadeleridir. Yüce Allah, Mesih'teki ruhun mahluk olduğunu bildirince diğer ruhlar niye mahluk olmasın? Kulu ve Rasûlü olan Îsâ'nın ruhunu, kendine nisbet eden Yüce Allah'ın o ruhu Meryem'e göndermesi, O'nun kadîm olup mahluk olmadığına delil olmaz. Yüce Allah buyuruyor ki: "Biz de ruhumuzu O'na gönderdik. O, ona düzgün bir insan şeklinde göründü. Meryem dedi ki: "Ben senden, çok esirgeyen Rahman'a sığınırım. Ruh dedi ki: "Ben, sadece Rabb'inin elçisiyim. Sana tertemiz bir çocuğu hediye edeyim diye geldim."[10] İşte burada sözü edilen ruh, Allah'ın kulu ve elçisi olan Allah'ın ruhudur.[11]

İnşâallah ileride Allah'a nispet edilen şeylerin kısımlarını; izafe edilen şeylerin Allah'ın kadîm sıfatı olmadığını ve Allah'ın sıfatlarının da yaratılmamış olduğunu açıklayacağız.

FASIL

Ruhun yaratılmış olduğunun delilleri:

Birincisi: "Allah, herşeyin yaratıcısıdır"[12] âyetidir. Yaratına lafzı, umumdur, hiçbir sûrette tahsis yoktur. Sıfatları, ismiyle müsemmasına ait olduğundan dolayı bu lafzın içine girmez. Allah kemal sıfatlarıyla muttasıftır; ilmi, kudreti, hayatı, irâdesi, işitmesi, duyması ve diğer sıfatları isminin müsemmasına ait olup hiç-

9. Câsiye sûresi, (45/13).
10. Meryem sûresi, (19/17-19).
11. İbni Teymiyye'nin sözü buraya kadar. Nakil yaparken mana dışında bazı lafızlarda değişiklik yapmak İbni Kayyım'ın adetlerindendir. Sözkonusu fetva, daha da uzundur. Daha geniş bilgi için bkz. **Mecmûü'l-fetâvâ**, c. 4, s. 216-231.
12. Ra'd sûresi,(13/16); Zümer sûresi, (39/26).

bir sûrette zatı yaratılmış şeylerden olmadığı gibi sıfatları da yaratılmış değildir. Allah hem zatıyla hem de sıfatlarıyla yaratandır, O'nun dışındakiler mahluktur.

Buna göre ruh, ne Allah'ın zatıdır ne de sıfatlarından biridir. Allah'ın yarattığı şeylerdendir. Meleklerin, cin ve insanların yaratılması nasılsa ruhun yaratılması da öyledir.

İkincisi: Hz. Zekeriyya hakkında Yüce Allah'ın: "Daha önce sen hiçbir şey değilken Ben seni yarattım"[13] âyetidir. Bu hitap, Hz. Zekeriyya'nın hem ruhuna hem bedenine yönelik olup sadece bedenine yönelik değildir. Çünkü beden, tek başına ne bu sözü muhatap olabilir ne bunu anlayabilir ne de düşünebilir. Öyleyse bu, anlayan, düşünen ve söze muhatap olan ruhtur.

Üçüncüsü: "Oysa sizi de yaptıklarınızı da Allah yaratmıştır"[14] âyeti.

Dördüncüsü: "Sizi yarattık, sonra size şekil verdik, sonra da meleklere: Âdem'e secde edin dedik"[15] âyeti. Cumhur âlimlerin de dediği gibi bu haber, ya ruhlarla beraber bedenleredir ya da henüz bedenler yaratılmadan önce sadece ruhlaradır. Her iki durumda da ruhların yaratıldığı burada açıklanmaktadır.

Beşincisi: Nasslardan, Allah'ın hem bizim hem bizden önceki atalarımızın hem de herşeyin Rabbi olduğunu anlamaktayız. Allah'ın bu Rabbliği bedenlerimizle birlikte ruhlarımıza da şamildir. Bedenlerin O'nun Rabbliğinin terbiye ve idaresinde olduğu gibi ruhlar da terbiye ve idaresindedir. Bu takdirde terbiye ve idare altında bulunan herşey, mahluktur.

Altıncısı: Kur'ân'ın ilk sûresi olan Fatiha'da ruhların yaratıldığı belirtilmektedir. "Âlemlerin Rabbi olan Allah'a hamd olsun"[16] Ruhlar, âlemdendir ve Allah, ruhların da Rabbidir. Fatiha sûresinin ilk âyeti bu. İkinci âyet: "Yalnız Sana ibadet eder, yalnız senden yardım dileriz"[17] âyetidir. Demek ki ruhlar da ibadet edip yardım dilemektedir. Ruhlar yaratılmamış olsalardı ne ibadet ederlerdi ne de yardım dilerlerdi.

Yine bu sûrede ruhların, yaratıcısına, Rabbine muhtaç olduğu, Allah'tan kendilerini doğru yola götürmesini istedikleri belirtilmektedir.

Yine bu sûrede, rahmetiyle ruhlara nimet verdiği, sapıtarak, bedbaht yaparak da ruhlara gadap ettiği belirtilmektedir. Bu ise kadîm olanın değil aksine yaratılmış, terbiye ve hüküm altında olan şeyin özelliğidir.

Yedincisi: Nasslardan, insanın yalnızca kul olduğunu; kulluğunun ise ruh olmadan sadece bedene mahsus olmadığını anlamaktayız. Kullukta ruh asıldır.

---

13. Meryem sûresi, (19/9).
14. Saffât sûresi, (37/96).
15. A'râf sûresi, (7/11).
16. Fâtiha sûresi, (1/2).
17. Fâtiha sûresi, (1/5).

Beden ise diğer hükümlerde olduğu gibi ruha bağlıdır. Bedeni hareket ettirip kullanan ruh olunca, kullukta da bedenin, ruha uyması gerekir.

Sekizincisi: "İnsanın üzerinden, henüz kendisinin anılan birşey olmadığı uzun bir süre geçmedi mi?"[18] âyetidir. İnsan ruhu kadîmse, onun da önceden anılan bir şeyinin olması gerekir. Şâirin de dediği gibi insan, bedeniyle değil ruhuyla insandır. Şair der ki:

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

"Ey hizmetçi beden. Ruha hizmette ne kadar da çok hata ettin. Senin insanlığın, bedenle değil ruhla olur."

Dokuzuncusu: Nasslardan, Allah varken hiçbir şeyin olmadığını anlıyoruz. **Sahîhü'l- Buhârî'de** İmran b. Husayn'dan gelen bir rivayette Yemenliler Rasûlullah'a dediler ki: "Ey Allah'ın Rasûlü, dini senden öğrenip müslüman olmak için ne gerektiğini sormak için geldik." Rasûlullah onlara: "Allah vardır. Başkası yoktur. Arşı, suyun üzerindedir. O, olacak herşeyi levh-i mahfuza yazmıştır" karşılığını verdi.[19] Bundan anlıyoruz ki var oluşta Allah kadar ezelî ruhlar yoktur. O, bundan yücedir. O, tek başına ilktir. Öncelikte hiçbir şekilde başkaları O'na ortak değildir.

Onuncusu: Yine nasslar meleklerin de yaratıldığını belirtmektedir. Melekler var olmak için bedene muhtaç değildirler. İnsan bedeni ve ruhu yaratılmadan önce melekler yaratılmıştı. Âdemoğlunun bedenine ruhu üfleyen melek yaratılmış olunca, üfürülme ile yaratılan ruh nasıl kâdim olabilir? Bu safsatacılar zannediyorlar ki elçinin, giyinmek için insana elbise göndermesi gibi melek de ezelî bir üfürüşle henüz cenîn halinde olan insana ezelî bir ruh gönderiyor. Bu iddia, sapıklıktır, hatadır. Gerçekte Yüce Allah, meleği insana gönderiyor; meleğin nefhasıyla ruh meydana geliyor. Dolayısıyla bu üfürüş, ruhun oluşmasının sebebi olmaktadır. Nitekim cimada meni akıtmak insan bedeninin oluşmasının sebebi, gıda almak da bu bedenin gelişmesinin nedenidir. Öyleyse ruhun maddesi, meleğin üfürmesidir; bedenin maddesi ise rahme atılan sudur. Maddelerden biri semâdan diğeri ise yerden gelmektedir. Bazı insanların semâdan gelen maddesi çok olur; böylece ruhları da meleklerinki gibi yüce ve şerefli olur. Bazılarının maddesi ise yerden daha çok gelir, böylece alçak ruhlarınki gibi bu ruhlar alçak, toprak cinsinden ve değersiz olur. Yani melek, ruhun babasıdır, toprak ise bedenin, cismin...

Onbirincisi: Sahîhü'l-Buhârî ve diğerlerinde Ebû Hureyre'den gelen şu hadistir. Rasûlullah buyuruyor ki: "Ruhlar, toplanmış ordulardır. Tanışanlar bir-

18. İnsân sûresi, (76/1).
19. Hadisin ravisi Buhârî'dir. c. 8, s. 175. Buhârî'de geçen diğer hadisler, bunun tamamlayıcısı niteliğindedir.
20. Hadis sahihtir. Yukarıda geçti.

birine yaklaşır. Tanışamayanlar ise birbirinden uzaklaşır."[20] Toplanan ordular ancak yaratılmış olur. Bu hadisi Rasûlulah'tan Ebû Hureyre, mü'minlerin annesi Âişe, Selmanî el-Farîsî, Abdullah b. Abbas, Abdullah b. Mes'ûd, Abdullah b. Amr, Ali b. Ebî Talib ve Amr b. Abese rivayet etmişlerdir.]

Onikincisi: Ruhun vefat etme, kabzedilme, tutulma ve salıverilme gibi özellikleri vardır. Bu özellikler ise yaratılmış ve terbiye altındaki varlıklara aittir. Yüce Allah bu konuda şöyle buyurur: "Allah ölmekte olan canları alır; ölmeyenleri de uykularında alır. Sonra ölümüne hükmettiğini yanında tutar, ötekilerini ise belli bir süreye kadar salıverir. Şüphesiz bunda düşünen bir toplum için ibretler vardır."[21] Âyette geçen can, kesinlikle ruhtur. **es-Sahîhayn** da Abdullah b. Ebî Katâde el-Ensarî'nin babasından şu rivayeti nakledilir: "Bir gece Rasûlullah'la beraber sefere çıktık. "Ey Allah'ın Rasûlü, dinlenmemiz için biraz bize mola versen" dedik. Dedi ki: "İyi ama uyumanızdan korkuyorum." Dedi ki: "Bizi namaza kim kaldıracak?" Habeşi Bilal: "Ben kaldırırım" deyince Rasûlullah, onlara istirahat verdi. İnsanlar uyumaya başladılar. Bilal, bir ara bineğine yaslandı, o da uykuya daldı. Güneş yeni çıkmıştı ki Rasûlullah uyandı ve: "Bilal nerede, bize verdiğin söz ne oldu?" diye Bilal'e sordu. Bilal de: "Seni hak üzere gönderen Allah'a yemin olsun ki hayatımda böyle uyku basmamıştı" karşılığını verdi. Bunun üzerine de Rasûlullah: "Allah dilediği zaman ruhunuzu alır, dilediği zaman da verir" buyurmuştur.[22] Allah, kişinin ölmesini isteyince bu ruhu tutar, ölümünü istemediğini ise uykuda ölüm meleği tutar. Ölüm meleği, insanları öldürmekle görevli Allah'ın elçileridir. Önce ölecek kimsenin başına varır, ruhu bedenden zorla çıkarır, cennet veya cehennem kefeniyle kefenlendikten sonra onu seminâya zorla çıkarır. Semâda melekler ona salat okurlar veya lanet ederler. Oradan Rabbinin huzuruna götürürler. Allah, hakkında hüküm verdikten sonra da yeniden arza indirilerek ölülerin arasına, bedenine konur. Burada sorguya çekilir, denenir. Duruma göre ya azap görür ya da nimet. Salih ruh, yeşil renkli kuşların karınlarına konur, böylece o cennet nimetlerinden yiyip içer. Âsî ruh ise sabah akşam ateşe atılır. Demek ki iman eden, küfreden, itâat ve isyan eden ruhtur. Kötülüğü emreden ruhtur. Kendini kınayan ruhtur. Rabbiyle, buyruğu ve zikriyle sükun bulan da ruhtur. Azap çeken, nimet gören; mutlu olan, mutsuz olan; tutulan, salıverilen; sıhhatli olan, hasta olan; tadan, acı çeken; korkan, hüzünlenen de ruhtur ki bütün bu sıfatlar yaratılmış, sonradan olmuş şeylerin isimleridir. Yaratılan şeylerin özellikleri ve Barî'sinin, yaratıcısının meydana getiricisinin irâdesi altında, idare edilen, yönlendirilen, terbiyeye tâbi tutulan varlıkların özellikleridir. Rasû-

21. Zümer sûresi ,(39/42).
22. Buhârî Mevâkît (35); et-Tevhîd (31) Ebû Davûd, es-Salât (11); Nesâî, el-İmâme (47); Ahmed, el-Müsned (5/307) de rivayet etmişlerdir. Ben derim ki: "Şahit göstermeksizin hadisi, Müslim de rivayet etmiştir. c. 5, s. 181-188."

lullah uyuyacağı zaman şöyle duâ ederdi: "Allahım, ruhumu yaratan da alan da sensin. Onu öldürmek ve yaşatmak senin elindedir. Eğer onu tutarsan ona merhamet et. Eğer onu salıverirsen salih kullarının ruhlarını koruduğun gibi onu da koru."[23] Yani bedenleri yaratan nasıl Allah ise ruhları yaratan da O'dur. Âyette şöyle buyurulmaktadır: "Ne yerde ne de canlarınızda meydana gelen hiçbir musîbet yoktur ki biz onu yaratmadan önce yazılmış ezelî bilgimizde sabit olmuş olmasın. Doğrusu bu Allah'a kolaydır."[24] Âyetin yorumlanmasında şu görüşleri ileri sürüldü. a) Yani müsîbeti yaratmadan önce yazmıştık. b) Yeryüzünü yaratmadan önce c) Ruhları yaratmadan önce. Bu üçüncüsü daha doğrudur. Her üçü de yani müsîbeti, yeryüzünü ve ruhları yaratmadan önce yazılmıştır şeklinde söylenseydi daha iyi olurdu.

Ruh, nasıl yaratıcıya muhtaç olmadan kadîm olabilmektedir? Ruhların muhtaçlığı, gereksinmesi ve zorunluluğu, onların yaratılmış ve terbiye altında olduğuna; zat, sıfat ve fiillerinin varlığı Rabbine, yaratıcısına bağlı olduğuna; tek başlarına ise hiçbir şey olmadıklarına güzel bir delildir. Ruh, bizzat kendine ne zarar verebilir ne de fayda; ne ölüm ne hayat ne de yeniden kendi kendine dirilebilir. Allah'ın dilediği dışında hayra ulaşamaz. Allah'ın koruması ölçüsü dışında kötülükten uzak duramaz. O'nun hidâyeti olmadan kendini düzeltemez. Öğrettiğinin dışındakileri bilemez. Kalbine ilham ettiği dışındakilere muttalî olamaz. Ruhu yaratan, düzelten ve ona isyanı da korunmayı[25] da ilham eden Allah'tır. Yüce Allah, ruhu, iyi ve kötü fiilleriyle beraber yarattığını belirtmiştir.[26] Bu şu görüşlerin karşısındadır. "Ruhlar yaratılmış değillerdir" ve "ruhlar her ne kadar yaratılmış olsalar da Allah, ruhların fiillerini yaratan değildir. Ruhlar fiillerini kendileri yaratırlar." Bu görüşler sapıklara aittir.[27]

Şu da bilinmektedir ki eğer ki ruh kadîm olup yaratılmamış olsaydı, varlığında sıfat ve kemâlinde kendi kendine yeterli olurdu. Ruhun kadîmliğini söylemek bu itibarla çok yanlıştır. Çünkü ruhun Yüce Allah'a var oluşta, kemâlde ve ıslahta muhtaç olması zatının gereğidir; bir illetle muallel değildir. Çünkü bu iş, zatî bir iştir. Yaratıcısına, meydana getiricisine nasıl muhtaçsa bu da zatının

23. Buhârî, Tevhid; ed-Dârimî, el-İstizan (51); Ahmed, el-Müsned (2/246)'da rivayet etmişlerdir. Ben derim ki "Bu hadis iki hadisten oluşmuştur. Hadisin "ve onu yaşatan" kısmına kadar olan bölümü, Müslim İbni Ömer'den rivayet etmiştir. Geri kalan kısım ise Buharî ve Müslim'in ortak rivayetleridir. Ebû Dâvûd, Tirmizî ve Dârimî de Ebû Hüreyre'den rivayet etmişlerdir. Sonuncuların rivayetinde ..... Yani, eğer onu yanında tutarsan ona merhamet et" kısmı Yani, "eğer nefsimi yanında tutarsan ona merhamet et" şeklinde geçmektedir. bkz. **Sahîhü'l-camî** (400), (1281); **Sahîhü'l-kelimi't-tayyib**, s...

24. Hadîd sûresi, (57/22).

25. Yani Allah, nefiste hayra ve şerre meyletme kabiliyeti yarattı.

26. Çünkü Allah, her şeyin yaratıcısıdır. Hayrı yarattı; hayra uymamızı emretti. Şerri yarattı; ondan sakınmamızı emretti.

27. Yani Kaderiyye ve Mûtezile gibi bid'atçı fırkalar.

gereklerinden olarak O'na muhtaçtır; bir illetle illetlenmiş değildir. Müstağni olan bizzat Allah'tır, O'na muhtaç olan da bizzat ruhtur. Ezelîlik, rububiyet ve tam hakimiyette Allah'ın ortağı bulunmadığı gibi müstağnî olmada da O'nun ortağı yoktur. Öyleyse ruhların yaratıldığını gösteren deliller aynı zamanda bedenlerin yaratıldığınını da göstermektedir.

Yüce Allah şöyle buyurmaktadır: "Ey insanlar, siz Allah'a muhtaçsınız. Allah ise zengin ve hamde layıktır."[28] Bu âyet Allah'a yalnızca bedenlerin muhtaç olmadığını hem bedenlerin hem de ruhların muhtaç olduğunu belirtmektedir. Allah, mutlak zengindir, başkaları O'na ortak olamaz. Kulların kendisine muhtaç olacağını şu âyetlerde güzelce açıklamaktadır: "Ya can boğaza dayandığı zaman, siz can çekişen kimseye bakar durursunuz. Biz ona sizden daha yakınız, ama siz göremezsiniz. Eğer öldükton sonra cezâlandırılmayacak iseniz, sözünüzde doğru iseniz bu ölen canı geri döndürün."[29] Yani siz, mülk terbiye altında olmayıp amellerinizin karşılığını görmeyecek iseniz, can boğaza gelince ruhları bedenlere haydi geri dönderin. Yahutta siz ruhların cezâlandırılıp yaptıklarından sorguya çekileceğini bilmiyorsunuz?

Yukarıda da belirtildiği gibi bu cevapta, ruhların hükümleri, durumları ve öldükten sonraki yerleri belirtilmektedir. Bu, aynı zamanda ruhun yaratıldığına, terbiye altında olup kadîm olmadığına da delildir.

Bazı tasavvufçıların, bi'dat ehlinin ve Allah'ın Kitabı'nı, Rasûlullah'ın sünnetini anlayamayıp delilsiz olarak konuşanların sapıtınaları olmasaydı, bu konu delil göstermek gerekmeyecek kadar açıktı. Ama bunlar, nefisleri ve ruhlarıyla ilgili konuşmalarında, insanların en câhilleri olduklarını gösterdiler. Aklın kolayca kavrayabileceği bir konuyu, insanın nefsi, sıfatları, fiilleri, uzuvları da şahitken nasıl inkâr edebilir. Bırakın bunları, yerde ve gökte bulunan bütün yaratıklar, ruhun da yaratıldığını göstermektedir. Kısacası, Allah'm dışmda bulunan bütün varlıklar, ruhun yaratılmış olduğuna, Allah'ın da onun yaratıcısı, Rabbi, Barîsi ve maliki olduğuna delildir. Kim bunu inkâr ederse görüşünü delillendirmesi gerekir.

FASIL

Sözü edilen fırkaların Kur'ân'ın muhkem âyetlerini bir kenara bırakıp da müteşâbih âyetler getirerek deliller getirmelerine gelince bu, her çeşit dalâlet ve bid'atın temelidir.

---

28. Fâtır sûresi, (35/15).
29. Vâkı'a sûresi, (56/83-85).

Kur'ân'ın başından sonuna kadar içerisinde bulunan bütün muhkem âyetler, Allah'ın ruhların da yaratıcısı olduğuna delâlet etmektedir.

Yüce Allah'ın şu sözüne gelince: "De ki, ruh Rabbimın emrindedir."[30] Burada emirden maksat, kesinlikle konuşma kısımlarından olan talep ve istek manasına değildir. Eğer emir, kelam manasına gelseydi ruhun, Allah tarafından emredilen kelâm olması gerekirdi. Emirden maksat, emredilen şeydir. Gerek arap dilinde gerekse Kur'ân'da böyle kullanılışlar çoktur. Mesela, "Allah'ın emri geldi"[31] âyetindeki emir, kaderi, kazası ve ruha "ol" deyip ruhun olmasıdır. Diğer bir âyette de: "Rabbinin emri geldiği zaman Allah'tan başka yalvardıkları tanrıları kendilerine hiçbirşey savamadı"[32] buyurulmuştur. Burada geçen emir de onların helak olmasına yönelik emirdir yani emredilen şeydir. Yine "O kıyametin emri (işi), bir göz açıp yumma gibidir"[33] âyeti de böyledir. Bundan başka Allah'ın cennete "sen rahmetimin eserisin" dediği gibi halk, mahluk, yaratılmış manasına da gelir. "De ki, ruh Rabbimin emrindedir" âyetinde ise hiçbir sûrette ruhun, kadîm olduğuna bir delil yoktur. Bu nedenle seleften bazıları bu âyeti şöyle yorumlamıştır: "Allah'ın emri, yaratıkların bedenlerine varır, O'nun kudretiyle bedende yer bulur."

Âyette geçen ruhu, insan ruhu olarak alırsak durum budur Âyette geçen ruhun anlaşılmasında selefle halefin anlayış farkı vardır. Çoğu selefe hatta hepsine[34] göre âyette geçen ruh, Âdemoğlunun ruhları olmayıp ruhlardan sorumlu olan ruhtur. Yani Allah'ın Kitabı'nda haber verdiği, kıyamet günü meleklerle birlikte kalkacak ruhtur yani büyük melektir.[35] Bu, es-Sahîh'te Ameş'in İbrahim'den onun da Alkame yoluyla Abdullah'tan rivayet ettiği hadiste sabit olmuştur. Abdullah anlatıyor: "Sıcak bir günde Rasûlullah'la beraber yürüyor-

30. İsrâ sûresi, (17/85).
31. Nahl sûresi, (16/1).
32. Hûd sûresi, (11/101).
33. Nahl sûresi, (16/77).
34. Ben derim ki: "Allah Teâlâ'nın Nebe' sûresinde sözünü ettiği ruhun, manası üzerinde ittifak yoktur. Nafız İbni Kesir Tefsirinde (c. 4, s. 465) sözkonusu ruhla ilgili altı görüş nakletmiştir. Görüşlerden dördü, âyette geçen ruhun Cebrail olduğudur. Bu görüşler, Şabî, Saîd b. Cübeyr ve Dahhâka aittir. Âyette geçen ruhun Cebrail olduğunu "Emin ruhu indirdi" âyetiyle istidlal etmişlerdir. İbni Kayyım'ın Selefin tamamına nisbet ettiği görüşü ise İbni Kesir iki yerde zikreder. Birincisi Nebe sûresinde ikinci yer ise İsrâ sûresinde (c. 3, s. 61) İbni Kesir, her iki yerde de bu görüşün sadece bir kaç sahabeden nakledildiğini söyler. Bunun yanında, her iki yerde de bu görüşün zayıf olduğunu; İbni Abbas'tan sahih olarak gelmediyse bu görüşü İsrâiliyattan sayar. Bu durumda İbni Kayyım'ın "bu çoğu hatta bütün selefin görüşüdür" demesinin anlamı ne oluyor? İsrâ sûresinde geçen ruhla ilgili, İbni Kesir çeşitli görüşler rivayet etmiştir. ilki: "O, Adem oğullarının ruhlarıdır". İmam Şevkânî tefsirinde (c. 3, s. 254) der ki: "Kıyamet günü sorgulanacak ruh konusunda insanlar ihtilaf etmişlerdir. Denildi ki: "Bu, bedeni idare ederek ona canlılık veren ruhtur." Çoğu müfessirlerin görüşü de budur. Ben derim ki: Ayet-i celîleyi okuduğumuzda zihne ilk gelen mana da budur. Sözkonusu âyetin sebebi nuzûlü, kitapta geçmektedir. Allah (cc) en iyisini bilir.
35. "O gün ruh ve melekler saf saf dururlar. Rahman'ın izin verdiğinden başkası konuşamaz. Konuşmasına izin verilen ise doğruyu söyler" (Nebe' sûresi,78/38) âyetine işaret etmektedir.

dum. Bir ara O, hurma dalına yorgunluktan yaslanmıştı. Biz otururken bir grup yahudi yanımızdan geçti. Birbirleri arasında "O'na ruhtan sorun" diye konuşuyorlardı. Bazıları: "Aman O'na ruhtan sormayın. Belk ki sevmediğiniz bir şeyden haber verir" dedilerse de "yine soracağız" dediler. Aralarından biri öne atılarak: "Ey Ebû Kâsım, ruh nedir?" diye sordu. Rasûlullah susup cevap vermeyince kendisine vahiy geldiğini anladım, biraz yanından öteye çekildim. Vahyedilen âyet şudur: "Sana ruhtan sorarlar. De ki; ruh, Rabbimin emrindedir. Size ilimden pek az bir şey verilmiştir."[36]

Ayrıca ruhlar, vahiysiz bilinemeyecek bir emirden sorgulanacaklardır. Bu ise Allah katındaki insanlara öğretilmeyen ruhtur.

Âdemoğullarının ruhlarına gelince bu, gaybdan değildir. Çeşitli milletlerden birçok insan, bu konuda görüş açıklamıştır. Bu ruhların durumlarını bilmek de nübüvvetin özelliklerinden değildir.[37]

Eğer denirse ki: "Ebü'ş-Şeyh der ki: Bize Hüseyin b. Muhammed b. İbrahim İbrahim b. Hakem'den, o da babasından, o da Seddiî'den, o da Ebû Malik yoluyla İbn Abbas'tan şöyle dediğini nakleder: "Kureyş, Ukbe b. Ebî Muayt'la Abdullah b. Ebî Ümeyye b. Muğîre'yi Rasûlullah'ın peygamberliği hakkında bilgi almak için Medine yahudilerine gönderir. Yahudilere vardıklarında derler ki: "Aramızdan, kendinin peygamber olduğunu söyleyen bir adam çıktı. O, ne bizim dinimiz üzeredir ne de sizin dininiz üzere." Yahudiler dediler ki: "Ona uyanlar kimler?" Ukbe ve Muğîre: "Güçsüzlerimiz, zayıflarımız, kölelerimiz ve hali vakti yerinde olmayanlardır. Kavminin eşrafı ise O'na uymamaktadırlar" karşılığını verdiklerinde Yahudiler dediler ki: "Bu zaman peygamber beklenen bir zamandır. Dediğinize göre bu kişi o adam olmalıdır. Gidin, O'na üç şeyden sorun. Eğer cevaplarını verirse bilin ki O, doğru bir peygamberdir. Eğer cevaplarını vermezse yalancılardandır. Allah'ın Hz. Âdem'e üflediği ruhtan sorun. Eğer "Allah'tandır" derse "kendisinden olan bir şeyi Allah nasıl cezâlandırır?" diye sorun. Rasûlullah, Cebrail'den Allah'tan bu konularda bilgi getirmesini isteyince şu âyet indi. "Senden ruhu sorarlar. De ki; ruh, Rabbimin emrindedir."[38] Bunun üzerine Rasûlullah, "ruh, Allah'ın bir yaratığıdır. Allah'tan değildir" buyurdu...

---

36. İsrâ sûresi, (17/85). Ben derim ki: "Konuyla ilgili hadise gelince; Buharî, Müslim, Tirmizî (bkz. **Camiü'l-usûl**, c. 2, s. 216-217) ve İmam Ahmed rivayet etmişlerdir. bkz. **Tefsîr-i İbni Kesir**, c. 3, s. 60-61; İbni Ebî Asım, **es-Sünne**, c. 1, s. 263-265.

37. Ben derim ki: "Ruhun özellikleri, ilgili hükümleri bilinmektedir. Zatı ve künhü ise Yüce Allah bildirmediği için bilinmemektedir. Ayrıca ilk bilgi temelini oluşturan hadis ilmi de bundan hiç bahsetmemektedir. Çünkü Rasûlullah'a ait hadisler de Allah'ın denetimindedir. Bize göre insan ölünce ruhu bedeninden ayrılır. Elimizdeki bilimsel en ince ilmi cihazlarla ölen insanı incelersek, ruhuyla ilgili hiçbir şeyi öğrenemeyiz. Ruh ayrıldıktan sonra bedeni tartsak bile, bedenin hiç hafiflemediğini görürüz! O halde, sorguya çekilecek ruh, vücut canlılığının sırrıdır. Ruhla ilgili bilgiyi Yüce Allah sadece kendine tahsis etmiştir.

38. İsrâ sûresi, (17/85).

Böyle bir senetle gelen hadisle hüccet olunmaz denmiştir. Çünkü bu Seddî'nin Ebû Malik'ten naklettiği bir yorumdur. İçerisinde münker şeyler vardır. Sahihlerde müsnetlerde söz konusu bilgi istemekle ilgili rivayetlerin hepsi Seddî'den gelen rivayetlere muhaliftir. Hadisi A'meş'le[39] Muğîre b. Muksim İbrahim'den o da Alkame'den, o da Abdullah'dan da rivayet etmişlerdir. Abdullah der ki: "Rasûlullah'la birlikte yürürken Yahudi bir topluluğa rasgeldik. Rasûlullah'a ruhtan sordular." Abdullah anlatıyor: "Rasûlullah, bir müddet sustu. Bu esnada O'na vahiy geldiğini sandım. Şu âyet indi: "Sana ruhtan sorarlar. De ki; ruh, Rabbimin emrindedir. Size ilimden çok azı verilmiştir."[40]

Aynı şey Abdullah'ın kırâatında da vardır. Yahudiler dediler ki: "Ruhun Allah'ın emrinde olduğunu aynı şekilde Tevrat'ta da bulmaktayız." Cevr b. Abdülhamid ve başkaları Müğîre'den rivayet etmişlerdir.

Yahya b. Zekeriyya b. Ebû Zâide Dâvud b. Ebû Hind'den, o da İkrime yoluyla İbn Abbas'tan şöyle dediğini nakleder: "Yahudiler Rasûlullah'a geldiler ve ruhtan sordular. Rasûlullah onlara hiç karşılık vermeyince Yüce Allah şu âyeti indirdi: "Sana ruhtan sorarlar. De ki; ruh, Rabbimin emrindedir. Size ilimden çok azı verilmiştir."[41]

Bu hadis, Seddî'den gelen Yahudilerin Mekke'de Rasûlullah'a ruhtan sual sormasıyla ilgili olan hadisin zayıflığını gösterir. Gerek bu hadis gerekse Abdullah b. Me'sûd'dan gelen hadis, Medine'de Yahudilerin doğrudan Rasûlullah'a sual sorduklarını ifade etmektedir. Yahudiler aynı şeyi Mekke'de de sormuş olsalardı Rasûlullah susmaz, Allah'ın kendine vahyettiği şeyi hemen onlara bildirirdi.

Âyetin yorumunda İbn Abbas'tan gelen rivayetler oldukça muzdariptir. Bu zayıflık, ya ravîlerden ya da İbn Abbas'ın sözlerinden kaynaklanmaktadır. Bunu yukarıda zikrettik. Seddî'nin Ebû Malik'ten rivayeti, Dâvud b. Ebû Hind'den yaptığ rivayete muhaliftir. Dâvud b. Ebû Hind'in rivayetinde zayıflık vardır. Mesrûk b. Merzibân ile İbrahim b. Ebû Talib'in Yahya b. Zekeriyya'dan rivayet ettikleri hadiste ise: "Yahudiler Rasûlullah'a geldiler..." şeklinde geçmektedir.

Muhammed b. Nasr el-Mervezî İshâk'tan, o da Yahya b. Zekeriyyâ'dan, o da Dâvud b. Ebû Hind'den, o da İkrime yoluyla İbn Abbas'tan şöyle dediğini nakleder: "Kureyş, Yahudilere dedi ki: Birşey söyleyin de onu şu adamdan sora-

39. Hadis sahihtir. Yukarıda geçti.

40. ..... şeklindeki kıraat Abdullah b. Mesûd'a aittir. Bu büyûk sahabi ile ilgili Rasûlullah şöyle buyurmuştur: "Kur'an'ı dört kişiden öğrenin. Bunlar, Abdullah b. Mes'ûd, Sâlim, Mûaz b. Cebel ve Übey b. Ka'b'dır." (Hadis müttefekun aleyhtir.)

41. İbni Ebî Âsım rivayet etmiştir. (c. 1, s. 264). Bu hadisi zikrettikten sonra Şeyh Elbânî der ki: "Hadis sahihtir." Elbânî'nin daha geniş açıklaması için oraya bakınız.

lım." Yahudiler de: "O'na ruhtan sorun" deyince "sana ruhtan sorarlar" âyeti indi.

Bu, hem İbn Abbas'tan gelen diğer rivayete hem de İbn Mes'ûd'un hadisine aykırıdır.

İbn Abbas'tan üçüncü bir rivayet daha gelmiştir. Heşîm anlatıyor. Bana Ebû Bişr, Mücahid yoluyla İbn Abbas'ın şöyle dediğini söyledi: "De ki, ruh Allah'ın emrindedir. O, Allah'ın yarattığı şeylerdendir. Âdemoğlunun sûretine benzer sûreti vardır. Semâdan bir melek indi mi muhakkak yanında bir ruh olur."[42] Bu hadis, âyette geçen ruhun, Âdemoğlunda bulunan ruhtan ayrı olduğun göstermektedir.

İbn Abbas'tan gelen dördüncü rivayette de: "İbn Mendeh anlatıyor: Abdullah b. Selam b. Harb Hasîf'ten, o da Mücahid yoluyla İbn Abbas'tan şöyle nakleder: "Sana ruhtan sorarlar. De ki; ruh, Rabbimin emrindedir." Sonra Hasîf'in, İkrime yoluyla İbn Abbas'tan gelen rivayeti nakleder. İbn Abbas dört şey hakkında yorum yapmazdı. Bunlar; ashab-rakîm (Kehf ashabının isimlerinin bulunduğu kitabe ya da yanlarındaki köpeklerin adı), gıslîn (cehennemliklerin vücudundan akan cerahat), ruh ve "kendisinden bir lütuf olarak yerde ve gökte bulunan herşeyi size boyun eğdirdi"[43] âyetidir.

Cuveybir'in, Dahhâk yoluyla İbn Abbas'tan rivayet ettikleri şu hadis de beşincisidir: "Yahudiler, Rasûlullah'a ruhtan sordular. O zaman şu âyet indi: "De ki: Ruh, Rabbimin emrindedir." Yani yarattıklarımdan biridir. "Size ilimden pek azı verilmiştir." Yani nefislerinizin yaratılışından, yiyecek ve içeceğin alınıp sonra vücuttan atılmasında sorsanız bile bunları size tam açıklayıp gerçek özelliklerini gösteremem.

İbn Abbas'tan gelen altıncı rivayet ise şöyledir: "Abdü'l-Ganî b. Saîd, Mûsâ b Abdurrahman'dan, o da İbn Cüreyc'den, o da Atâ yoluyla İbn Abbas'tan; ayrıca Mukâtil de Dahhak yoluyla İbn Abbas'tan: "Sana ruhtan sorarlar" âyeti hakkında şu sözünü naklederler: "Kureyş bir gün bir araya gelince kendi kendilerine: "Allah'a yemin olsun ki Muhammed asla yalan söylemez. Doğruluğu ve emanete riâyeti ile bilinen bir kişidir" dediler. Sonra Muhammed hakkında bilgi almak için Yahudilere bir grup adam gönderdiler. Bu zamanda Kureyşliler ise peygamberin geleceği ile müjdelenmişler, gelecek peygamberden çokca bahsediyorlar; Onun nübüvvetinden konuşuyorlardı. Ayrıca gelecek peyambere yardım etmeyi umuyorlardı. Böylece peygamber kendilerine hicret eder de O'nun yardımcılarından olurlardı. Bu amaçla Yahudilerden bilgi istediler. Ya-

42. Bu rivayet zayıftır. Şu'be, Ebû Bişr Ca'fer b. Evvâm'ın Mücâhid'den rivayetini zayıf saymaktadır. bkz. et-Tehzîb.
43. Câsiye sûresi, (45/13).

hudiler dediler ki: Ona üç şeyden sorun. O'na ruhtan sorun. Şöyle ki Tevrat'ta ruh isminden başka ne kıssası ne de yorumu vardır. Bunun üzerine: "Sana ruhtan sorarlar. De ki: Ruh, Rabbimin emrindedir" âyeti indi. Yani onu Rabbim yarattı demek istemektedir.

Kur'ân'da ruh, çeşitli manalarda kullanılmıştır.

Birincisi: Vahiy manasına. Mesela:

وكذالك أوحينا إليك روحا من أمرنا

"İşte Sana da böyle emrimizden bir ruh (bir kitap) vahyettik"[44] ve

يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده

Yani "Allah, emrinde olan ruhu (kitabı) kullarından dilediğine indirir."[45] Yüce Allah vahye ruh ismini vermiştir. Çünkü böylece kalp ve ruhların canlılığı sağlanır.

İkincisi: Kuvvet, sebat ve yardım manasınadır ki Allah, mü'min kularından dilediğini böyle destekler. Mesela:

أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه

Yani "Allah, onların kalplerine iman yazmış ve onları kendinden bir ruh ile (kuvvet ve sebatla) desteklemiştir."[46]

Üçüncüsü: Cebrail manasına. Mesela:

نزل به الروح الأمين على قلبك

Yani "Onu, güvenilir ruh (Cebrail) kalbine indirmiştir."[47] Diğer bir âyette,

" من كان عدوا لجبريل فإ نه نزله على قلبك بإذن الله "

Yani "Kim, Allah'ın izniyle Kur'an'ı kalbine indiren ruha (Cebrâil'e) düşman olursa"[48] ve "قال نزله روح القدس " "De ki; onu, Rûhü'l-Kudüs (Cebrail) indirmiştir"[49] âyetlerinde olduğu gibi.

Dördüncüsü: Yahudilerin Rasûlullah'tan sordukları, Rasûlullah'ın da: "O Allah'ın emrindedir" dediği ruh, şu âyette de vardır:

يوم يقوم الروح والملا ئكة صفا لا يتكلمون

Yani "O gün ruh ve melekler sıra sıra dururlar"[50] ve:

تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم

44. Şûrâ sûresi, (42/52).
45. Mü'min sûresi, (40/15).
46. Mücâdele sûresi, (58/22).
47. Şu'arâ sûresi, (26/193).
48. Bakara sûresi, (2/97).
49. Nahl sûresi, (16/102).
50. Nebe' sûresi, (78/38).

Yani "Rabblerinin izniyle o gece melekler ve ruh inerler."[51]

Beşincisi: "Meryem oğlu Mesih manasına:

انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله و كلمته ألقاها الى مريم و روح منه

Yani "Meryem'in oğlu Îsâ Mesih, sadece Allah'ın elçisi, O'nun Meryem'e attığı kelimesi ve O'ndan bir ruhtur."[52] İnsanoğlunun ruhu ise Kur'ân'da nefis olarak bildirilmiştir. Bununla ilgili âyetler şunlardır:

يا أيتها النفس المطمئنة

"Ey sükuna ermiş nefis (ruh)"[53]

ولا أقسم بالنفس اللوامة

"Yok, daima kendini kınayan nefse (ruha) and içerim";[54]

إن النفس لأمارة بالسوء

"Muhakkak ki nefis (ruh) kötülüğü emredendir."[55]

أخرجوا انفسكم

"Nefislerinizi çıkarın"[56]

ونفس وما سواها فألهمها فجورها و تقواها

Nefse (ruha) ve onu şekillendirene, onun bozulduğunu ve korunmasını ilham edene yemin olsun ki"[57] ve

كل نفس ذائقة الموت

"Her nefis (can) ölümü tadacaktır."[58] Sünnette ise insan ruhu, nefis ve ruh lafızlarıyla gelmiştir.

Bunları anlatmaktaki gaye, ruhun Allah'ın emrinde olması ve bunun kadîm olmadığını göstererek, mahlûk olduğunu belirtmektir.[59]

---

51. Kadir sûresi, (97/4).
52. Nisâ sûresi, (4/171).
53. Fecr sûresi, (89/27).
54. Kıyâmet sûresi, (75/2).
55. Yûsûf sûresi, (12/53).
56. En'âm sûresi, (6/93).
57. Şems sûresi, (91/7).
58. Âl-i İmrân sûresi, (3/185).
59. Ben derim ki: "Senden ruhtan sorarlar..." âyetinde geçen ruhun, ölüm anında bedenden ayrılan ruh olduğu bilinmektedir. Bu ruhun, beden canlılığının sırrı olması, İbni Kayyım'ın mahluk olması ile ilgili ileri sürdüğü manaya aykırı değildir.

FASIL

Ruhun, "Ona ruhumdan üfledim"[60] âyetiyle Allah'a izafe edilmesine gelince; bilinmelidir ki Allah'a izafe edilenler iki kısımdır.

Birincisi: Sıfatlardır. Sıfatlar, tek başlarına bulunamazlar. İlim, kudret, kelam, işitme ve görme gibi. Bunlar, mevsûfa sıfatların izafesidir. Allah'ın ilmi, kelâmı, irâdesi, kudreti ve hayatı O'nun sıfatlarındandır; mahluk değillerdir. Allah'ın eli ve yüzü de böyledir.

İkincisi: Allah'a ilişmeyen bir takım eşyaların izafe edilmesi. Ev, deve, kul, rasûl ve ruh izafeleri böyledir. Bunlar, hâliki tarafından yaratılmış, mûcidi tarafından icad edilmiştir, ama bunlar izafetle benzerlerinden şereflenme ve özelleştirilme ile ayrılmıştır. Mesela bütün evler Allah'ın mülkü olmakla beraber Beytullah (Allah'ın evi) bu konumdadır. Yine bütün develer Allah'ın mülküdür, ama nâkatüllah (Allah'ın devesi) bir başkadır. Fakat bu gibi izafelerin Allah'ın ulûhiyyetine yapılması, O'nun bunları yaratmış olmasını gerektirir. Umûmî izafetler, yaratmayı, husûsi izafetler ise seçmeyi ifade eder. Allah dilediğini yaratır, yarattıklarından dilediğini de seçer. Nitekim âyette: "Rabbin dilediğini yaratır, dilediğini de seçer"[61] buyurulmaktadır. Ruhun Allah'a izafe edilmesi de husûsî izafetlerden olup umumî izafetlerden ve sıfatların kendine izafe edilmesi babından değildir. Bu hususu iyi anla da Allah'ın birçok insanı koruduğu sapıklıklardan seni de korusun. Denirse ki: Peki "Ona ruhumdan üfledim" âyeti hakkında ne dersiniz? Burada Allah, üfürmeyi kendi nefsine izafe etmiştir. Bu ise: "Onu elimle yarattım"[62] âyetinde olduğu gibi Allah'la doğrudan buluşmayı gerektirmektedir. Bu nedenle sahih bir hadiste bunların arası, Hz. Âdem'e gelirler ve: "Sen beşeriyetin babası Âdem'sin. Allah seni eliyle yarattı, Sana ruhundan üfledi, meleklerini sana secde ettirdi ve herşeyin ismini sana öğretti"[63] şeklinde açılmıştır. Burada melekler, sadece Hz. Âdem'e mahsus dört özelliği saymışlardır. Hz. Âdem'deki ruh eğer meleğin üflediği ruhsa Hz. Mesîh menzilesinde belki de O'nun nesli menzilesinde olacak Hz. Âdem'in hiçbir özelliği olmayacaktı. Çünkü insanların ruhu, meleğin üfürmesiyle meydana gelmiştir. Halbuki Allah Teâlâ: "Ona şekil verip ona ruhumdan

60. Hicr sûresi, (15/29); es-Sâd (38/72).
61. Kasas sûresi, (28/68).
62. Sâd sûresi, (38/75).
63. Buhârî, et-Tevhid (37); Müslim, el-İmân (327) Tirmizî, el-Kıyâmet (10); İmam Ahmed, Müsned (1/4) rivayet etmişlerdir. Ben derim ki: "Nesâî, İbni Mâce, İbni Ebî Âsım, İbni Hüzeyme ve Ebû Avâne Enes'ten rivayet etmişlerdir. bkz. Sahîhü'l-câmî (7882). Ben derim ki: "Tirmizî'nin rivayeti ise Enes'ten rivayet edilenden biraz farklıdır. Ebû Hüreyre hadisinde "her şeyin ismini sana öğretti" ifadesini, Tirmizî almamıştır. Hadisin sonunda Tirmizî der ki: "Hadis hasen ve sahihtir."

üflediğimde"[64] buyurmuştur. Öyleyse Allah, eliyle insanı düzelten ve ona ruhundan üfleyen değil mi? Cevabımız şudur: "Bu görüşte olanların bunları söylemelerinin nedeni, ruhun kadîm olduğuna inanmalarındandır. Bu konuda susup, Kur'ân'ın gayesini anlayamayanlar da vardır. Yukarıda da açıkladığımız gibi Allah'a izafe edilen ruh, mahluktur. Allah'ın bunu kendine izafe etmesiyle ruh, şeref ve ayrıcalık kazanmıştır. Üfürmeye gelince Hz. Meryem hakkında şöyle buyurmuştur: Yüce Allah: "O ırzını korumuş olanı (Meryem'i de) an, ona ruhumuzdan bir çocuk üfledik".[65] Başka bir yerde de Meryem'e meleği gönderdiği ve meleğin onun fercine üfürdüğünü belirtmektedir.[66] O halde Allah'a izafe edilen üfürme bir emir, bir izindir, Rasûle olan ise doğrudandır.

Burada iki şey geriye kalıyor.

Birincisi: Şöyle demek. Hz. Meryem'e ruhu üfüren melek ise diğer insanların ruhlarına üfüren de melek oluyor. Bu takdirde Mesih'e Ruhullah denmesinin nedeni nedir? Eğer diğer insanların ruhu bu ruhtan oluşmuşsa bu durumda ise Hz. Mesih'in özelliği nedir?

İkincisi: Şöyle demek. Hz. Âdem'de bulunan ruh, bu ruha üfürülme vasıtasıyla mı ilgilidir. Yani ruh buna, Allah'ın izniyle meleğin Hz. Meryem'e üfürdüğü gibi mi üfürülmüş yoksa Âdem'i eliyle yaratığı gibi O'na kendi ruhundan mı üflemiş? Soruların cevapları şöyle: Allah'a yemin olsun, gerçekten her iki soru da önemlidir! Birincinin cevabı şu: Hz. Meryem'e üflenen ruh, Allah'ın kendine izafe edip kendine seçtiği ruhtur. Diğer ruhlardan bu, farklıdır. Bu, gerek mü'minlerden gerekse kâfirlerden hamile kadınların karınlarına üflemekle görevli meleğin üfürmesi değildir. Çünkü Yüce Allah cenîn halindeki çocuğa ruh üflemek için bir melek görevlendirmiştir. Melek ruhu üflemenin yanında çocuğun rızkını, ecelini, amelini, mutluluğunu veya mutsuzluğunu da yazmakla da görevlidir.

Hz. Meryem'e gönderilen ruh ise Allah'ın kendi seçtiği ruhullahtır. Bir bakıma Hz. Îsâ'ya göre baba gibidir. Çünkü Allah'ın üflemesi, Meryem'in fercine girmekte, bu ise cima olmaksızın erkeğin kadınla birleşmesi gibidir. Hz. Âdem için seçtiği ruh ise başkadır. Çünkü Îsâ'yı anneden yarattığı gibi O'nu da anneden yaratmamıştır. Yine Allah'ın Ona üflediği ruh da meleğin diğer insanlara üflediği ruh değildir. Eğer aynı ruh üflenmiş olsaydı Hz. Âdem'in bir özelliği kalmazdı. Hz. Âdem'e mahsus özellikler bir hadiste dört tane olarak belirtilmiş-

64. Hicr sûresi, (15/29).
65. Enbiyâ sûresi, (21/91).
66. "Biz de ruhumuzu ona gönderdik. O, ona düzgün bir insan şeklinde göründü" (Meryem sûresi, 19/17) âyetine işaret etmektedir. Ruhla ilgili diğer âyetler için aynı sûrenin 23. âyetine kadar bakınız.

tir. Bunlar; Allah, Onu eliyle yaratmıştır. O'na kendi ruhundan üflemiştir. O'na meleklerini secde ettirmiştir. Ve herşeyin ismini O'na öğretmiştir. Ona kendi ruhundan üflemesi; üfürenin, üfürülmenin ve kendi ruhundan üfürülenin varolmasını gerektirir. Kendi ruhundan üfürülen Allah'a izafe edilen ruhtur. Hz. Âdem'in çamuruna, üfürmenin geçmesi de böyledir. Allah, Âdem'in yaratıldığı çamura söz konusu ruhtan üfürendir. Buna nass da delâlet eder. Üfleme işinin, Hz. Âdem'i kendi eliyle doğrudan yarattığı gibi olması ya da Meryem'de olduğu gibi emriyle olması hususları delile muhtaçtır. Allah'ın Hz. Âdem'i eliyle yaratınasıyla Ona ruhundan üflemesi arasındaki fark, el mahluk değilken ruhun mahluk olmasıdır. Yaratmak, Allah'ın fiillerindendir. Üfürmeye gelince: Bu, zatıyla kâim olan fiilerinden midir yoksa zatından ayrı, başkalarıyla kaim varlıkların mıdır? Bu husus, delile gereksinim duymaz. Çünkü bu, Meryem'in fercine üfürmekten ayrı bir şeydir. Yani Allah'ın yaptırdığı ve onu kendisine izafe ettiği mefullerdendir. Her ne kadar burada yapan başkası ise de bu, O'nun izin ve emriyle olmaktadır. Bundan başka Hz. Âdem'e üfürmesi kendi fiili midir yoksa başkasına yaptırdığı fiil midir? Şurası gerçek ki Hz. Âdem'e üflenen ruh, mahluktur, kadîm değildir. Bu, Hz. Âdem'in ruhunun maddesidir. Doğru olan, Hz. Âdem'in ruhunun, yaratılmış olmasıdır. Kastedilen mana işte budur.

ONSEKİZİNCİ MESELE

Ruhlar mı Cesetlerden Önce Yaratılmıştır Yoksa Cesetler mi Ruhlardan Önce Yaratılmıştır?

Şeyhü'l-İslâm ve diğerleri bu mesele ile ilgili bilinen iki görüş nakletmişlerdir. Ruhun bedenden önce yaratıldığı görüşünde olanlar Muhammed b. Nass el-Mervezî ve Muhammed b. Hazm'dır. İbn Hazm bu konuda icmâ olduğunu da nakleder. Şimdi her iki fırkanın delillerini zikredip hangisinin doğruya daha yakın olduğunu belirteceğiz.

Ruhun bedenden önce yaratıldığını söyleyenlerin delilleri şunlardır. Yüce Allah şöyle buyurmaktadır: "Sizi yarattık, sonra size şekil verdik sonra da meleklere: "Âdem'e secde edin" dedik de onlar da secde ettiler"[1] Diyorlar ki: "Bu âyetten sonra sırasıyla zaman zaman diğer uzuvlar yaratılmıştır. Âyet, ruhların Allah meleklere Âdem'e secde edin emrinden daha önce yaratıldıklarını belirtmektedir. Şu kesindir ki bedenlerimiz bu emirden sonra yaratılmıştır. Dolayısıyla âyette söz konusu olan şey ruhlardır. Şu âyet de buna delildir. "Rabbin Âdemoğullarından, onların bellerinden zürriyetlerini almış ve "Ben sizin Rabbiniz değil miyim?" diye onları kendilerine şahit tutmuştu. Onlar da: "Evet, buna şahitiz" demişlerdi"[2] Diyorlar ki: "Bu zamanda henüz bedenler olmadığından dolayı Allah'la konuşturulanlar, O'nun Rabbliğine şahit olanlar ruhlardır. **el-Muvatta**'da şöyle bir hadis vardır. İmam Malik Zeyd b. Ebî Enîse'den, o da Abdulhamid b. Abdurrahman b. Zeyd b. Hattab'dan, o da Müslim b. Yesâr el-Cüheni'den naklettiğine göre Ömer b. Hattab'a: "Rabbin Âdemoğullarından, onların bellerinden zürriyetlerini alınış" âyetinden sorulmuş da o şöyle demiştir: "Aynı şey Rasûlullah'a da soruldu da O, şöyle cevapladı: "Allah, Âdem'i ya-

1. A'râf sûresi, (7/11).
2. A'râf sûresi, (7/172).

rattı. Sonra sırtını sağ eliyle sıvazladı da sırtından Âdem'in zürriyetini çıkardı ve: "Bunları cehennemliklerden, cehennem ehlinin amellerini işlerler olarak yarattım" dedi. Adamın biri: "Ey Allah'ın Rasûlü, hangi amelden bahsediyorsunuz?" deyince Rasûlullah şöyle karşılık verdi: "Allah bir kimseyi cennetliklerden yaratınca ona cennet ehlinin amelini işletir, ölene kadar da cennet ehlinin amelini işler, böylece Allah, onu cennete sokar. Bir kulu cehennemliklerden yaratınca da ona cehennem ehlinin fiilerini işletir; ölene kadar cehennem ehlinin ameli üzerinde olan bu kulu, böylece cehenneme atar."[3] Hakim der ki: "Bu, Müslim'in şartına uygun bir hadistir. Yine Hakim Hişam b. Saîd yoluyla Zeyd b. Eslem'den, o da Ebû Salih'ten, o da Ebû Hureyre'den merfû olarak şu hadisi rivayet etmiştir.[4] "Allah, Âdem'i yaratınca sırtını sıvazladı böylece sırtından kıyâmete kadar yaratacağı küçük karınca büyüklüğünde ruhlar düştü. Sonra her insanın iki gözü arasına nurdan bir yaldız koydu. Sonra bunları Âdem'e gösterdi. Hz. Âdem bunları görünce: "Bunlar kimlerdir ey Rabbim?" diye sordu. Yüce Allah da: "Bunlar senin zürriyetindir" karşılığını verdi. Hz. Âdem baktı ki birinin gözleri arasında parlak bir yaldız var. Hayretle: "Bu kim ey Rabbim?" dedi. Yüce Allah da: "O, sonraki milletlere gelecek oğlun Dâvud'dur" der. Hz. Âdem: "Ona ne kadar ömür verdin?" diye sorar. Yüce Allah: "Altmışsene" der. O zaman Hz. Âdem: "Ey Rabbim ömrünü kırk sene daha uzat" dedi. Bunun üzerine Yüce Allah: "Birşey yazılıp mühürlendi mi bir daha değişmez" karşılığını verir. Hz. Âdem'in ömrü bitince ölüm meleği gelir. Ölüm meleğine der ki: "Daha ömrümden kırk sene yok mu?" Melek: "Sen kırk seneyi oğlun Dâvud'a istememiş miydin?" der. Allah: "O, bunu inkâr etti, ben de zürriyetini inkâr ettim. O, bunu unuttu, ben de zürriyetini unuttum. O, hata etti, ben de zürriyetine karşı hata ettim" demiştir. Hakim der ki: "Bu, Müslim'in şartına uygundur." Tirmizi de hadisi rivayet ettikten sonra: "Bu, hasen ve sahih bir hadistir" demiştir. İmam Ahmed ise İbn Abbas'tan şöyle rivayet eder: "Borç âyeti inince Rasûlullah şöyle demiştir: "Bunu ilk inkâr eden Âdem'dir."[5] Muhammed b. Sa'd şu-

---

3. İbni Abdulberr, **et-Temhîd**'de hadisi zikrettikten sonra der ki: "Hadis, bu senetle munkatı'dır. Çünkü ravî, Müslim b. Yesâr Ömer b. Hattab'a yetişmemiştir. Müslim b. Yesâr'la Ömer b. Hattab arasında Nuaym b. Rebia vardır. Rebîa'nın bulunduğu senetle de hadis hüccet olmaz. Ayrıca Müslim b. Yesâr meçhul râvîdir. Medine'li Müslim b. Yesar olup Basra'lı Müslim b. Yesâr olmadığı söylenmiştir. "Daha geniş bilgi için bkz. **et-Temhîd**, c. 6, s. 1-14; **Şerhü's-sünne**, c. 1, s. 88-89. Ben derim ki: "İbni Abdulberr ve diğerlerine ait sözleri İbni Kayyım anlatacaktır."
4. Hadis sahihtir. Râvîlerden Hişam b. Sa'd hakkında **et-Takrîb**'de: "Doğru birisidir, ama vehimleri vardır" dense de Ebû Davûd hakkında şöyle söylemiştir: "Zeyd b. Eslem'den gelen hadislerde insanların en sağlamlarındandır". Hadisi Tirmizî rivayet etmiştir. **Tühfe**, c. 9, s. 304-306. Tirmizi der ki: "Bu senetle hadis hasen de garibdir." **Câmiü'l-usûl**'de (c. 4, s. 33). Muhakkik der ki: "Hâkim hadisi sahih kabul etmektedir. Zehebî'nin görüşü de budur." Gerçekten hadis onların dediği gibi sahihtir. Ben derim ki: "**Sahîhü'l-câmî**'de (5084) hadise sahih denmektedir. Ayrıca İbni Hibban ve İbni Ebî Âsım râvîlerinden sayılmıştır. Fakat İbni Ebî Âsım hadisi bu tamlıkta rivayet etmemiştir.
5. Ahmed'in İbni Abbas'tan yaptığı rivayette ziyade vardır. c. 1, s. 251, 299, 377. İbni Kesir hadisteki fazlalıkları tefsirinde (c. 1, s. 334) zikrettikten sonra: "Hadis gerçekten garibdir. Ali b. Zeyd b. Cüdan'ın

nu ilave eder: "Sonra Allah, Âdem'e bin sene, Dâvud'a da yüz sene daha ilave etmiştir."

Hakim'in es-Sahîh'inde Ebû Ca'fer er-Razî'den şöyle bir hadis nakleder: Rebî b. Enes Ebü'l-Âliye'den, o da Ubey b. Ka'b'dan: "Allah, Âdemoğullarının bellerinden zürriyetlerini almış"[6] âyeti hakkında şöyle dediğini nakleder."[7] Kıyâmete kadar geleceklerin tamamını O'nun için toplamış; onları, ruhlar kıldıktan sonra şekillendirmiş; onları konuşturarak onlardan ahd ve mîsâkı "Ben sizin Rabbinizin değil miyim?" diye onları kendilerine şahit tutmuştu. Onlar da: "Evet buna şahitiz" dediler. Kıyâmet günü: "Biz bundan habersizdik" diyemezsiniz" şeklinde almıştı. Allah Teâlâ: "Burada size yedi kat semayı ve yedi kat arzı şahit tuttuk; ayrıca babanız Âdem'i de şahit getirdik, kıyâmet günü, 'biz bundan habersizdik' diyemezsiniz. Bana hiçbir şeyi ortak koşmayın. Çünkü ben elçilerimi, ahdimi ve mîsâkımı size hatırlatmak için gönderdim. Size kitaplarımı indirdim." Bunun üzerine ruhlar: "Şehâdet ederiz ki Sen, bizim Rabbimizsin. Bizim Sen'den başka Rabbimiz yoktur" dediler. Size kitaplarımı indirdim. Bunun üzerine ruhlar: "Şehâdet ederiz ki Sen bizim Rabbimizsin. Bizim Sen'den başka Rabbimiz yoktur" dediler. Babaları Âdem, biraz yükseklerine çıkartıldı. O aralarında zengin, fakir, güzel yüzlü ve başkalarını gördü. Bunun üzerine: "Ey Rabbim, kullarını eşit halde yapsaydın" ve: "Sana şükretmeyi arzularım" dedi. Sonra Yüce Allah, risaletten ve nübüvvetten de özel mîsâk aldı. "Peygamberlerden mîsâklarını almıştık. Sen'den de Nuh'tan da"[8] buyurulmuştur. Sonra Yüce Allah: "Sen yüzünü Allah'ı birleyici olarak doğruca dine çevir. Allah'ın yaratma kanununa dön ki O, insanları ona göre yaratmıştır. Allah'ın yaratması değiştirilemez".[9] "Bu da ilk uyarıcılar gibi bir uyarıcıdır"[10] ve "Onların çocuklarını yoldan çıkmış bulduk, ama çoklarında sözde durma diye birşey bulmadık"[11] buyurmuştur. İşte Hz. İsa'nın ruhu, kendilerinden mîsâk alınan ruhlardandır. Hz. Meryem, ehlinden uzaklaşıp doğu tarafına çekilince bu ruhu, Allah Ona gönderdi." Hadisin senedi sahihtir.

---

hadislerinde, münkerlik vardır" demiştir. Ben derim ki: "Ancak diğer hadisler bu rivayetin sahihliğini gösterir. Fazlalık ise zayıf olarak kalır" bkz. İbni Ebî Asım, es-Sünne, c. 1, s. 88-91.

6. A'râf sûresi, (7/172).
7. Hadis zayıftır. Râvîlerden Ebû Cafer er-Râzî doğru biri olmakla birlikte hafızası yetersizdir. Rebî ise doğrudur ama vehimleri vardır. İbni Kesîr tefsirinde der ki: "Hadisi, Abdullah b. İmam Ahmed, İbni Ebî Hâtim, İbni Hadîd, İbni Merdûye İbni Cafer er-Razî yoluyla tefsirlerinde rivayet etmişlerdir. Her nedense İbni Cafer er-Razî burada Ebû Cafer er-Razî şeklinde gelmiştir. Doğrusu Ebû Caferdir. Ama hadisin siyakında buna değinmemiştir. bkz. Tefsîr-i İbni Kesîr, c. 2, s. 263-264.
8. Ahzâb sûresi, (33/7).
9. Rûm sûresi, (30/30).
10. Necm sûresi, (53/56).
11. A'râf sûresi, (7/102).

İshâk b. Rahûye[12] anlatıyor. Buğye b. Velîd Muhammed b. Velîd ez-Zebîdî'den, o da Râşid b. Sa'd'dan, o da Abdurrahman b. Katâde el-Basrî'den, o da babasından, o da Hişam b. Hakîm b. Hüzzam'dan[13] naklettiğine göre bir adam şöyle demiştir: "Ey Allah'ın Rasûlü, insanların işleyecekleri âmeller önceden başladı mı yoksa hüküm yerini mi buldu?" Rasûlullah şöyle karşılık verdi: "Yüce Allah, Âdem'in belinden zürriyetini çıkarınca onları kendilerine şahit tuttu. Sonra iki eli arasında onlara şöyle hükmetti. Bunlar cennetliklerdendir. Şunlar ise cehennemliklerdendir. Cennetlikler, cennet ehlinin amellerini işlerler. Cehennemlikler ise cehennem ehlinin amelini işler."[14]

İshâk anlatıyor: Bize Nadr ve Ebû Ma'şer Saîd el-Makberî ve Zübeyr'in mevlâsı Nâfî yoluyla Ebû Hureyre'den şu hadisi nakleder: "Allah, Âdem'i yaratmak isteyince Hz. Âdem'in yaratılışını anlattı ve: "Ey Âdem, hangi elim sana daha sevimlidir. Bunu bilirsen sana zürriyetini gösteririm" der. Hz. Âdem de: "Sağ elin, Rabbimin her iki eli de sağdır" deyince Yüce Allah, iki elini açtı. Baktı ki kendi zürriyeti orada. Kıyâmete kadar yaratacağı her şey orada. Sağlıklılar, orada da sağlıklı hastalar ise orada da hasta. Peygamberler de, orada da peygamber. Hz. Allah dedi ki: "Onların hepsine afiyet vereyim mi? Bunun üzerine Hz. Âdem: "Rabbim, Sana şükretmeyi arzulardım"[15] dedi. Hadis böyle devam ediyor.

Muhammed b. Nasr anlatıyor: Muhammed b. Yahya Saîd b. Ebî Meryem'den, o da Leys b. Sa'd'dan, o da İbn Aclân'dan, o da Sa'd b. Ebî Saîd el-Makberî'den, o da babasından, o da Abdullah b. Selam'dan şu hadisi nakleder: "Yüce Allah, Âdem'i yarattı... Sonra Âdem, Allah'ın ellerinden tuttu. Yüce Allah: "Haydi, ikisinden birini seç" dedi. Hz. Âdem de: "Sağ elini seçtim. Rabbimin her iki eli de sağdır" deyince Yüce Allah, ellerini açtı. Hz. Âdem zürriyetini orada görünce: "Rabbim, bunlar kimlerdir?" dedi. Yüce Allah da: "Zürriyetinden kıyâmete kadar cennetliklerden yazdığım kimselerdir"[16] dedi.

Ishâk Ca'fer b. Avn'dan, o da Hişam b. Sa'd'dan, o da Zeyd b. Eslem'den, o da Ebû Hureyre'den şu hadisi nakleder: Rasûlullah şöyle buyurur: "Allah, Âdem'i yaratınca sırtını sıvazladı. Âdem'in sırtından, kıyâmete kadar zürriyetinden yaratacağı bütün ruhlar düştü."[17]

Ishâk ve Amr b. Zürâre İsmail'den, o da Gülsüm b. Cebr'den, o da Saîd b. Cübeyr yoluyla İbn Abbas'tan: "Rabbin, Âdemoğlunun belinden zürriyetlerini

12. Buhârî'nin hocalarından büyük bir zattır.
13. Sahabenin erdemli, değerli bir zatıdır, bkz. *el-İsâbe*, c. 3, s. 603.
14. Hadisin senedi zayıftır. Abdurrahman b. Katâde ve babası **el-Cerh ve't fa'dil**'de sözkonusu edilmiş, ama haklarında cerh ve ta'dil yapılmamıştır. Dolayısıyla her ikisi de meçhûl râvîlerdendir.
15. Zayıftır. Râvîlerden Ebû Ma'şer Nucayh b. Abdurrahman hakkında **et-Takrîb**'de (altıncı kuşaktan zayıf râvîdir. Hafızası sonraları bozulmuştur" denmektedir.
16. Zayıftır. Saîd b. Ebû Saîd el-Makberî hakkında **et-Takrîb** sahibi "gevşek hadislidir" demektedir.
17. Bu sened hasendir.

almıştır"[18] âyeti hakkında şöyle dediğini nakleder: "Rabbin, Âdem'in sırtını sıvazlayınca, sırtından kıyâmete kadar Allah'ın yaratacağı bütün ruhlar çıkmıştır." Bu kısmı Nu'mân yoluyla Arfe rivayet etmiştir" ve onlardan: "Ben sizin Rabbiniz değil miyim?" Onlar da: "Evet, Sen bizim Rabbimizsin, buna şahitiz"[19-20] âyetiyle mîsâklarını almıştır.

Bunlardan başka bu hadisi Ebû Cemre ez-Zab'î, Mücahit, Habîb b. Ebî Sabit, Ebû Salih ve diğerleri İbn Abbas'tan rivayet etmişlerdir. Ishâk der ki: "Bize Cerîr Mansûr'dan, o da Mücahit'den, o da Abdullah b. Amr'dan bu âyet hakkındaki şöyle dediğini nakleder: "Kafadaki saçtan tarağın çıkartıltığı gibi onları çıkartır."[21]

Haccâc İbn Cüreyc, Zübeyr b. Mûsâ'dan, o da Sâid b. Cübeyr yoluyla İbn Abbas'tan nakleder: "Allah Âdem'in sağ omuzuna vurdu da cennet için yaratılmış ak ve temiz bütün nefisler omuzundan çıktı ve "bunlar cennetliklerdir" buyurdu. Sonra sol omuzuna vurdu. Buradan da cehennem için yaratılmış siyah bütün nefisler çıktı ve "bunlar da cehennemlikler" buyurdu. Sonra bütün Âdemoğullarından, kendisine iman edilmesi, tanınması ve emrine uyulması hususunda söz aldı; onlara kendilerin şahit tuttu. Böylece onlar iman ettiler tasdîk ettiler. Allah'ı bilip O'nun Rabbliğini ikrâr ettiler."[22]

Muhammed b. Nasr, Seddî'nin tefsirinde Ebû Malik ve Ebû Salih'ten, onların da İbn Abbas'tan onun da Mürre el-Hemedânî'den, onun da İbn Mes'ûd'dan, onun da Rasûlulah'ın bir kısım ashabının: "Rabbin Âdemoğlundan aldı" âyeti hakkındaki sözlerini nakletmiştir. "Yüce Allah, semadan indirilmeden önce Âdem'i cennetten çıkarınca Âdem'in sağ sırt tarafının sıvazladı da oradan inci gibi paklak karıncalara benzeyen zürriyetler çıkardı ve onlara: "Rahmetimle cennete girin" dedi. Sonra Âdem'in sırtının sol tarafını sıvazladı da oradan karıncalara benzeyen siyah zürriyetler çıkardı ve onlara: "Cehenneme girin. Buna aldırmam" dedi. İşte bu Allah'ın şu sözleriyle olmuştur: "Sağ tarafta olanlar[23] ve sol tarafta olanlar.[24] Sonra onlardan "Ben sizin Rabbiniz değil

18. A'râf sûresi, (7/172).
19. A'râf sûresi, (7/172).
20. Bu hadis mevkûf olaraksahihtir. Merfû olarak da sahih olmuştur. Hadisi, Ahmed, İbni Cerir, İbni Ebi Asım, Hâkim ve Beyhakî rivayet etmişlerdir. Hâkim der ki: "Hadisin senedi sahihtir" Zehebî ve Şeyh Elbânî de (**el-Ehâdîsü's-sahiha**, 1623) aynı görüştedirler. Şeyh Elbânî hadisi rivayet ederken sözü oldukça azaltmakta, manasının doğruluğunu ortaya koyup İbni Kayyım'ın yorumlarını reddetmektedir. Ve: "Anlaşılacağı üzere hadis sahihtir. Belki de manası yukarıda da geçtiği gibi mütevâtirdir..." demektedir. bkz. **el-Ehâdîsü's-sahiha**.
21. İbni Amr'dan rivayet sahihtir. bkz. İbni Kesîr, c. 2, s. 262.
22. Râvî Haccac, İbni Muhammed el-Masîsî'dir. Sıkı ve sağlamdır. Ancak son zamanlarında hafızası karışmıştır. İbni Cüreyc hakkında **et-Takrîb** sahibi "müdlistir" demektedir. Ancak bu eserde Haccac'ın İbni Cüreyc'den hadis duyduğu belirtilmemiştir. Fakat daha önceki rivayetler hadis duymuş olduğunu gösterir.
23. Vâkı'a sûresi, (56/27).
24. Vâkı'a sûresi, (56/41).

miyim?" dedi. Onlar da: "Evet, Sen bizim Rabbimizsin" dediler" âyetiyle söz aldı. Bazıları bu suâle isteyerek karşılık vermişken bazıları da kendilerini temize çıkarmak amacıyla istemeyerek karşılık vermişler. Bu ve melekler: "kıyâmet günü 'biz bundan habersizdik' diyemezsiniz. Yahut 'ne yapalım, daha önce babalarımız da Allah'a ortak koştu. Biz de onlardan sonra gelen nesiliz' demelerine şahit tuttuk" buyurulmuştur. Hz. Âdem'in hiçbir çocuğu Allah'ı Rabb tanımamazlık edemez. "Babalarımızı bir din üzere bulduk" diyerek de O'na şirk koşamaz. Bu âyetler ve yerde olanların hepsi, ister istemez O'na teslim olmuştur"[25] ve "Allah için "hüccetü'l-bâliğa" (üstün delil) vardır. Allah dileseydi, hepinizi hidâyete erdirirdi".[26] Yani onlardan söz aldığı gün, dileseydi hepsini hidâyete erdirirdi.

Ishâk anlatıyor: "Ravh b. Ubâde Mûsâ b. Ubeyde er-Rebzi'den nakleder. Muhammed b. Ka'b el-Karzi'nin: "Rabbin Âdemoğullarından aldı" âyeti hakında şöyle dediğini duydum: "Onlar Allah'a iman edip O'nu ikrâr etmişlerdir. Ruhlar, henüz bedenler yaratılmadan önce buna muhatap olmuşlardır."

Fadl b. Mûsâ da Abdülmelik yoluyla Atâ'nın âyet hakkındaki şu görüşünü nakleder: "Allah, onlardan Mîsâkı alınca Âdem'in sulbünden çıkardı, sonra anları Âdem'in sulbüne tekrar gönderdi."

Ishak der ki: "Ali b. Echal, Dahhak'tan şunu nakleder: "Allah, Âdem'i yarattığı gün O'nun sırtından kıyâmete kadar gelecek bütün nesilleri zerreler misali çıkardı ve "Ben sizin Rabbiniz değil miyim?" dedi. Onlar da: "Evet, Sen bizim Rabbimizsin" dediler. Melekler ise: "Kıyâmet günü biz bundan habersizdik diyemezsiniz, buna biz şahitiz" dediler. Sonra sağ elini tuttu: "Bunlar cennetliklerdir" dedi. Sonra sol elini tuttu: "Bunlar cehennemliklerdir" dedi.

Ishak anlatıyor: "Ebû Amir el-Akdi ve Ebû Naîm el-Melcei, Hişam b. Sa'd'dan, o da Yahya'dan–ki bu, Saîd'in oğlu Yahya değildir- naklederler: Yahya der ki: "İbn Hişam'a sordum. Azil hakkında ne dersin? İbn Müseyyeb şöyle karşılık verdi: "Dilersen sana sahih bir hadis nakledeyim. Allah, Âdem'i yaratınca O'na öyle bir keramet göstermiştir ki mahlûkattan kimseye o gösterilmemiştir. Sözü edilen kerâmet, kıyâmete kadar zürriyetinden yarattığı kimseleri göstermesidir. Kim bundan fazlasını ya da azını naklederse bil ki o yalancıdır. Velev ki bunda yetmiş tane hatâm olsun."

İbn Üyeyne'nin **Tefsiri**'nde Rebî b. Enes yoluyla Ebû Aliye'nin: "Göklerde ve yerde ne varsa ister istemez O'na teslim olmuştur"[27] âyeti hakkında: "Bu Allah'ın mîsâk aldığı gündür" dediği nakledilir.

---

25. Âl-i İmrân sûresi, (3/83).
26. En'âm sûresi, (6/149).
27. Âl-i İmrân sûresi, (3/83).

Ishak diyor ki: "Bu zamanda onlar Allah'ı ikrâr etmişlerdir. Bu şöyle olmuştur. Yüce Allah: "Ben, sizin Rabbiniz değil miyim?" dedi. Onlar da : "Evet, Sen bizim Rabbimizsin dediler"[28] buyurmuştur. Yüce Allah, hitabını anlayamayacak kişiye hitap etmez, ancak sualin anlaşılmasıyla buna cevap verir. Allah'a sözleriyle icabet etmeleri, onları suali anladıklarına ve kendilerini Allah'a şahit tutmalarına delildir. "Ben sizin Rabbiniz değil miyim?" sorusuna, ağlayıp düşünerek: "Evet, Sen bizim Rabbimizsin" karşılığını verdiler ve O'nun Rabbliğini ikrâr ettiler.[29]

FASIL

Ebû Abdullah b. Mendeh'in rivayet ettiği şöyle bir hadisle de hüccet getirmişlerdir. Bize Muhammed b. Sâbır el-Buhârî o da Münzir b. Sa'd el-Hürevî'den, o da Ca'fer b. Muhammed b. Harun el-Masîsî'den, o da Utbe b. Sükn'den, o da Ertât b. Münzir'den, o da Atâ b. Aclân'dan, o da Yunus b. Halbes'ten, o da Amr b. Abese'den şöyle rivayet etmiştir: Rasûlullah'ın şöyle dediğini işittim: "Allah kullarını yaratmadan bin sene önce onların ruhlarını yaratmıştır. Onlardan tanışanlar birbirlerine yaklaşır. Tanışamayanlar ise birbirinden ayrılır."[30] İleri sürdükleri hadisin bir bölümü budur.

Diğerleri de şöyle demişlerdir: Bu konu, iki şekilde tartışılabilir. İlki ruhların, bedenlerin yaratıldığından sonra yaratıldığına delil getirmek, ikincisi ise ileri sürdüğünüz delili cevaplamak.

Birincisi ile ilgili şu ayetler bulunmaktadır. "Ey insanlar, biz sizi bir erkekle bir kadından yarattık."[31] "Ey insanlar, sizi bir candan yaratan Rabbinizden korkun ki O, tek candan zevceni yaratmış, o ikisinden de birçok erkek ve kadın çıkarmıştır. Allah'tan korkun"[32] Bu âyet, insan türünün, insan aslının yaratılmasından sonra yaratıldığını göstermektedir.

Eğer denirse ki: "Söz konusu delilerden, her ne kadar cesetlerin Hz. Âdem'in yaratılmasından sonra yaratıldığını çıkarsak da bu âyet, ruhların bedenlerden önce yaratıldığına aykırı değildir."

Şöyle denir: "Söz konusu haberlerin, ruhların cesetlerden önce yaratıldığını açıkca ifade ettiğini inşâallah açıklayacağız. Nihayetinde sahih ve sabit haber-

28. A'râf sûresi, (7/172).
29. Ben derim ki: "Sözü edilen sahih hadisler ve bu eserler aynı manayı ifade etmektedir. Aynı manada olan hadisler için de bkz. **Sahîhü'l-camî** (1698-1754-1755-1756) numaralı hadis maddeleri.
30. Hadis gerçekten zayıftır. Râvî Atâ b. Aclan hakkında **et-Takrîb** sahibi "metrûktur" demektedir. İbni Maîn ve Ferrâs da yalancı olduğunu söylemiştir. İbni Kayyım sözü açacaktır.
31. Hucurât sûresi, (49/13).
32. Nisâ sûresi, (4/1).

ler, Yüce Allah'ın ruhu şekillendirdiğine, onun yaratılışını, ecel ve amellerini takdir ettiğine delâlet etmektedir. Bu, sûretleri maddesinden çıkarttığını sonra onu yeniden oraya gönderdiğini, her bir yaratılan ruhun, tayin edilen vakitte ortaya çıkacağını göstermektedir. Ancak bu, Ebû Muhammed b. Hazm'ın dediği gibi ruhların devamlı yaratıldığına sonra bilen ve konuşan olarak sürekli bir yerde canlı bir şekilde var olduklarına ve sonra ruhların grup grup bedenlere gönderildiğine delâlet etmemektedir. Bize ulaşan haberleri, böyle bizi aşan manalara hamledebilir miyiz? Evet. Yüce Allah, ruhları önce takdire uygun olarak grup grup yaratır sonra da ilk takdire uygun olarak dış yaratmayı gerçekleştirir. Aynı şeyi Allah'ın bütün yaratıkları için söyleyebiliriz. Çünkü önce onların kaderlerini ecellerini, özelliklerini ve durumlarını takdir etmiş sonra da bu ilk takdire uygun olarak bunları, varlık âlemine getirmiştir. Varlık âlemine gelirken ilk takdirde, eksiklik ve fazlalık bulunmaz.

Öyleyse yukarıda sözünü ettiğimiz deliller, sadece ilk kaderin varlığını ıspatlamaktadır. Bir kısmı da Allah'ın onların benzerlerini yarattığına, onlara sûret verip sâadete ereceklerle bedbaht olacakları birbirinden ayırdığına delâlet eder. Ruhları Allah'ın karşısına alıp onlarla konuşup kendi rubûbiyyetini ikrâr ettirmesi ve onları kendilerine rubûbiyyetinde şahit tutmasına gelince; Seleften bazıları bu görüştedir bu, ruhların âyeti anlamalarına göredir. Ancak âyet buna delâlet etmez; belki tam aksine delâlet eder.

Malik'ten gelen hadise gelince bu konuda Ebû Amr der ki: "Munkatî bir hadistir. Müslim b. Yesâr, Ömer b. Hattab'a yetişememiştir. İkisinin arasında Naîm b. Rebîa vardır. Bundan başka hadis bu senetle huccet olmaz. Müslim b. Yesâr'ın kim olduğu bilinmemektedir. Onun, Medineli Müslim olup Basralı Müslim olmadığı söylenmekle yetinilmiştir. İbn Ebî Haysem şöyle demiştir: "Yahya b. Maîn'e Zeyd b. Ebî Enîse'den İmam Malik'in rivayet ettiği hadisi okudum da "Müslim b. Yesar hakkında eliyle 'bilinmeyen biridir' ibaresini yazdığını gördüm."

Sonra Ebû Ömer, Nesâî yoluyla şu senetle gelen hadisi zikreder. Bize Muhammed b. Vehb, o da Muhammed b. Seleme'den, o da Ebû Abdurrahim'den, o da Zeyd b. Enîse'den, o da Abdulhamid b. Abdurrahman'dan, o da Müslim b. Yesâr yoluyla Naîm b. Rebîa'dan rivayet etmiştir.

Sonra Sahbara yoluyla da rivayet eder. Bize Ahmed b. Abdulmelik b. Vâkid, o da Muhamed b. Seleme'den, o da Ebû Abdurrahîm'den, o da Zeyd b. Enîse'den, o da Abdulhamid'den, o da Müslim yoluyla Naîm'den rivayet etmiştir. Ebû Amr der ki: "Bu senede Naîm b. Rebîa'nın getirilmesi hüccet değildir. Naim'i senette zikretmeyenler daha hafızdır, zikredenler ise sağlam hafızdır."

Özetle, hadisin senedine dayanmak imkânsızdır. Çünkü Müslim b. Yesâr ve Naîm b. Rebîa gibi raviler, ilim (hadis nakliyle) taşımakla bilinen kişiler değil-

lerdir. Ancak hadisin manası Ömer b. Hattab ve diğerlerinden uzunca, birçok şekilde gelmiştir.

Ebû Ömer'den amacı, ilk kaderle ilgili hadislerdir. Çünkü bu hadisleri, daha sonra zikretmiş arkasından da kaderle ilgili Abdulah b. Ömer hadisini zikretmiştir. Hadisin sonunda der ki: "Müzeyne ya da Cüheyne kabilesine mensub bir adam geldi ve "ey Allah'ın Rasûlü, hangi amellerde?" diye sordu. Rasûlullah da: "Cennet ehli, cennet ehlinin amellerini, cehennem ehli de cehennem ehlinin amellerini hazırlar"[33] karşılığını verdi.

Kaderle ilgili bu manada Rasûlullah'tan Ali b. Ebî Tâlib, Ubey b. Ka'b, Abdullah b. Abbas, İbn Ömer, Ebû Hureyre, Ebû Saîd, Ebû Serîha el-Gaffârî, Abdullah b. Mes'ûd Abdullah b. Amr, Imrân b. Husayn, Âişe, Enes b. Malik Süraka b. Ca'şem, Ebû Mûsâ el-Eş'arî ve Ubâde b. Samit rivayet etmişlerdir. Çoğu rivayetlerinde farklı yolları vardır. Ebû Ömer, çoğu bu hadisleri senetleriyle beraber zikreder.[34]

Ebû Salih'in Ebû Hureyre'den yaptığı rivayete gelince[35] bu, sadece zürriyetin çıkacağına ve bunların zerre sûretlerine benzeyeceğine delâlet eder. Bu ruhların arasında aydınlatıcı ve karartıcı ruhlar vardı. Yüce Allah da bedenlerden önce ruhları yaratıp bir yerde onları toplayıp bunlardan her bir ruhu ait olduğu bedene göndermemiştir. Bu bedene ait ruhu yaratmasına, yarattıktan sonra onu bedenden uzak-âtıl bir yere koymasına; bedeni yaratınca da ruhu buradan alıp bedene göndermesine bu hadislerden hiçbiri asla delâlet etmez. Bu hususu iyi düşün.

Ubey b. Ka'b hadisine gelince[36] bu, Rasûlullah'ın sözlerinden değildir. İster sahih olsun isterse sahih olmasın bu, Ubey'in sözüdür. Bu senetle, gerek merfû gerekse mevkûf münker birçok hadis rivayet edilmiştir. Ebû Ca'fer er-Razî bir yönüyle güvenlidir bir yönüyle zayıftır. Ali b. Medînî onun hakkında "sika biridir" de demiştir, "hadisleri karıştırır" da demiştir. Yahya b. Maîn: "sika biridir" de "hadisini hatalı yazar" da demiştir. İmam Ahmed der ki: "Hadisinde sağlam biri değildir." Yine "o, düzgün hadis rivayet eder" de demiştir. Fellâs: "Bozuk hafızalı"; Ebû Zûr'a "çok vehmeder"; İbn Hibban da: "Meşhûrlardan, münker hadisler rivayet etmektedir" demişlerdir.[37]

Bu hadiste kabul edilmeyen hususlardan biri de İsa'nın ruhunu, kendisinden söz alınan ruhlardan olduğunu; Hz. Meryem doğuda bir köşeye çekildiğinde

---

33. Hadis sahihdir. Ebû Dâvûd sahih senetle rivayet eder. Avn, c. 13. s. 464. Râvîleri sikadır. Müslim'in râvîleridir. Nevevî, c. 1, s. 161. Ebû Dâvûd'un hadis aldığı râvîler Buhârî'de de vardır. bkz. **Sahîhü'l-câmî** (2024)
34. bkz. **et-Temhîd** c. 6, s. 7-14; **Câmiü'l-usûl**, c. 10, s. 107-113
35. Hadis sahihtir. Yukarıda geçti.
36. Müellifin de dediği gibi zayıftır.
37. Diğer görüşler için bkz. **el-Mizân.**

bu ruhu O'na göndermesi ve ruhun Meryem'in ağzından girmesini söylemesidir. Mesih'in ruhunun Meryem'e gönderilen ruh olmadığı aksine üfürülmek sûretiyle Mesih'i, Meryem'in taşıdığı bilinmektedir. Yüce Allah şöyle buyuruyor: "Biz de ruhumuzu O'na gönderdik, O'na düzgün bir insan şeklinde göründü. Meryem dedi ki: "Ben, senden çok esirgeyen Allah'a sığınırım. Eğer Allah'tan korkuyorsan bana dokunma." Ruh da: "Ben sadece Rabbinin elçisiyim. Sana tertemiz bir erkek çocuğu hediye edeyim diye geldim" dedi.[38] Mesih'in kendi ruhuyla bu şekilde kesinlikle muhatap olamayacağı açıktır. Ebû Ca'fer hadisinin bazı rivayetlerinde, Mesih'in ruhu kendisiyle muhatap ve Meryem'e kendisini gönderen olarak da gelmiştir.

Burada dört nokta vardır:

Birinci Nokta: Yüce Allah, onların sûretlerini ve benzerlerini çıkardıktan sonra bedbahtlarını mutlularından, sağlıklılarını da hastalarından ayırmıştır.

İkinci Nokta: Bu anda Yüce Allah, onlara hüccet getirdi. Rabbliğine, kendilerini şahit tuttu. Melekler de buna şahit oldular.

Üçüncü Nokta: Bu, şu âyetin yorumudur: "Allah, Âdemoğullarının bellerinden zürriyetlerini almıştır."[39]

Dördüncü Nokta: Yüce Allah, bellerden alınan bütün bu ruhları bir yere yerleştirerek yaratma işini bitirdi. Ancak her vakit grup grup bu ruhları, ait oldukları bedenlere gönderdi.

Birinci nokta gerek merfû gerekse mevkûf haberlerde açıklanmıştır.

İkinci nokta, müfessirlerin âyetten anladıklarıdır. Zannlarına göre âyetin yorumu da budur. Hadisçi olun çoğu tefsircinin görüşü de budur. Ebû Ishâk der ki: "Allah Teâlâ'nın zerreler kadar çıkardığı zürriyetlere düşünebilecek bir anlayış vermesi mümkündür. Nitekim âyette: "Karınca; ey karıncalar, yuvalarınıza girin dedi"[40] buyurulmuştur. Yani Allah, Dâvud'a o kadar güç vermiştir ki dağlar ve kuşlar onunla beraber Allah'ı tesbih etmişlerdir.

İbnü'l-Enbârî der ki: Bu âyetle ilgili hadisçilerin ve ilim ehlinden ileri gelenlerin görüşü, Yüce Allah'ın Âdem'in sulbunden neslini ve zerre şeklinde olan çocuklarını da çıkardığıdır. Kendilerini yaratanın Allah olduğuna onların yaratılmış olduğuna Allah söz aldı, onlar da bunu itiraf ederek bunu kabul ettiler. Bu, kendilerine sunulan şeyleri anlayacak akıl verildikten sonra olmuştur. Nitekim Allah'a muhatap olması için dağa da akıl vermişti, secde

38. Meryem sûresi, (19/17-18).
39. A'râf sûresi, (7/172).
40. Neml sûresi, (27/18).

eden yük devesine ve çağrıldığında duyması, boyun eğmesi için hurmaya da akıl verilmişti.

Cürcanî der ki; Rasûlullah'ın: "Allah, Âdem'in sırtını sıvazladı da sırtından züriyetini çıkardı" sözüyle âyet arasında -Allah'a hamd olsun- bir çelişki yok. Çünkü Yüce Allah, onları Âdem'in belinden çıkardığında zürriyetinin bellerinden de kendilerini çıkarmış olmaktadır. Şöyle ki Hz. Âdem'in zürriyeti sonra gelen zürriyetinin zürriyeti olmakta, birbirlerinin zürriyeti sayılmaktadır. "Kıyâmet günü; "biz bundan habersizdik" diyemezsiniz" yani kendilerinden alınmış sözden dönemezsiniz, demektir. Böyle deseler bile melekler, verdikleri söze şahittirler. Durum böyle olunca Allah'ın meleklere: "Şahit olun" demesi, onların da: "Şahit olduk" demeleriyle ilgili âyetin yorumunda getirilen rivayete delil vardır. Bir kısım ilim adamları, sözün ruhlardan alınıp bedenlerden alınmadığını zannetmişlerdir. İddiaya göre düşünen, anlayan, sevap veya azap karşısında olan, ruhlardır. Bedenler ise ölüdürler, düşünüp anlamazlar. Ishâk b. Râhûye de bu manaya meyletmiş olduğunu ayrıca Ebû Hureyre'nin görüşünün de bu olduğunu zikretmiştir. Ishâk der ki: "İlim ehli, söz konusu hitabın, konuşturma ve şahit tutmanın bedenler yaratılmadan önce ruhlara olduğunda icmâ etmişlerdir." Cürcanî de der ki. Şu âyetle delil getirmişlerdir: "Sakın Allah yolunda öldürülenleri ölüler sanma, onlar diridirler."[41] Bedenler toprağın altında çürüyüp dağılmıştır. Ruhlar ise rızıklanıp ferahlanır. Tadan, acı duyan, sevinen, hüzünlenen, tanıyan ve reddeden de ruhtur. Ruhun bu özelliğini diğer şeylerde de görebiliriz. Meselâ bir insan, sabahladığında, sevinç mutluluğunun veya hüzün acısının izini, ruhuna gelen bedenine değil bir şeyden dolayı duyar. Demek ki Yüce Allah, kendilerinden söz alınan ruhlara ister ulaşsın isterse ulaşmasın her nefse bir hüccet getirmiştir. Ruhlar âlemindeki söze katılanlara fazladan olarak âyetlerini, zatında ve âlemde diktiği delillerini, müjdeleyici ve korkutucu olarak kendilerine gönderilen Rasûllerini ve haberleri kendilerine ulaşan geçmiş milletlerin öğütlerini hüccet olarak getirmiştir. Şu kadar var ki hiç kimseden, kendisine gösterilen hüccetin gereğinden fazla itâat istememiştir. Onlara kudret vermiş, bir takım deliller göstermiştir. Ayrıca buyruk ve yasak yaşına ulaşmış kişilerin kimler olduğunu açıklamış; amel etme yaşına ulaşmamışların bilgisini bizden gizlemiştir. Buna rağmen bildiğimiz birşey vardır; o da hükmünde Allah'ın hiçbir zaman adâletten ayrılmayacağıdır. O hikmet sahibidir, yapacaklarını atlamaz. Herşeye kâdîrdir, yaratıklardan kimse O'nun yaptığından soramaz. Âlemlerin Rabbi olan Allah, her şeyden yücedir.

41. Âl-i İmrân sûresi, (3/169).

FASIL

Bunlar ve başkaları, âyetin böyle yorumlanmasında farklı görüşler ileri sürmüşlerdir. Diyorlar ki: "Hani Rabbin Âdemoğlunun belinden zürriyetlerini almıştı"[42] âyetinin manası budur. Yani onlar, babalarının bellerinde, nutfe halinde iken varlık sırasına göre onları dünyaya çıkarmıştır. Ve onları, Rabbleri ve yaratıcıları olduğunu bilmelerini gerektiren âyet ve burhanlarıyla şahit tutmuştur. Kimse yoktur ki o sadece Rabbinin bir sanatı, yaratığı, hakkında yegane hüküm veren O'dur. İşte onlar bunu bildiklerinde, gördükleri her şeye onları çağırarak onları kendisini doğrulamada şahit tuttuğunda onlar kendilerine karşı şahitler ve şahit gösterilenler olmaktadırlar. Nitekim başka bir âyette: "Nefislerinin küfrünü göre göre"[43] şeklinde belirtilmiştir. Her ne kadar biz kâfirleriz demeseler de Allah onları şahitler konumuna getirmiştir. Aynı durum, bildiğin bir şeyi anlatırken: "Uzuvlarım da buna şahittir" sözünde vardır. Sanki burada uzuvlarım şahit olsaydı konuşarak şehâdet ederdi demektesin. Bu şekil bir itiraf ve tenbih şu âyette de vardır: "Allah şahittir ki kendisinden başka hiçbir ilah yoktur"[44] Yani bil ve anla demek istiyor. Buna benzer bir durum da hakimlerin önünde şehâdet edenin şahitliğinde de vardır. İbnü'l-Enbarî'nin sözü buraya kadardır.

Cürcânî, ilim adamlarından nakillerde bulunarak sözü, şöyle açar: "Yüce Allah, mahlûkâtı yarattı; olmuş ve ileride olacaklarla ilgili bilgisini uygulamıştır. Henüz olmamışlar, olmuş gibidir. İlminin hemen bunun olmasına engel oluşu, varoluştan ayrı bir şeydir. Arapların mecazî kullanışlarında henüz olmadığı halde olması beklenenleri, önceden olacağını bildiği için olmuş gibi göstermek yaygındır. Aynı şey Allah Teâlâ'nın şu âyetlerinde de vardır: "Cehennem ashabı nida etti",[45] "Cennet ashabı nida etti"[46] ve "A'râf sahipleri nidâ etti."[47] Bu durumda "Rabbin aldı"[48] âyeti, "Rabbin alacaktır" manasına, "Onları kendilerine şahit tuttu"[49] da onlara yüklenen akla, bunun sayesinde de anlayışlarına; sevabı ve azabı gerektirenlere, doğacaklara şahit olacaklar; Allah'ın iyiyi ve kötüyü bildireceğine; va'd ve vaîdi; sevap ve azabı anlatacağına, böylece onlara verdiği akıl, gönderdiği âyetler ve insanın yaratıldığına deliller ile Zât'ının bir olduğuna dair onları kendilerine şahit tutacaktır demektir. Allah'ın, kendi zatını ya-

42. A'râf sûresi, (7/172).
43. Tevbe sûresi, (9/17).
44. Âl-i İmrân sûresi, (3/18).
45. A'râf sûresi, (7/50).
46. A'râf sûresi, (7/44).
47. A'râf sûresi, (7/48).
48. A'râf sûresi, (7/172).
49. A'râf sûresi, (7/172).

ratmış olması düşünülemez. Aksi taktirde hâşâ, O'nu da yaratan biri olması gerekirdi. Oysa ki O'nun dengi hiç birşey yoktur. Bu seviyeye ulaşabilecek hiçbir yaratık bulunmaz. Bu anlayışa hiç bir şey, menfî bir tesir etmez. Ancak Allah'tan sakındıracak birşey başını semaya kaldırdığında ona yardım eder, yaratıcısı olan Allah'ın, fevkinde bulunduğuna, Allah'tan bir ilim olarak parmaklarıyla işaret ederse bu müstesnâdır. Allah'ın verdiği anlama yetisi ve anlayış onu, sözünü ettiğimiz şeyleri bilmeye götürür ve buna da kılavuz olursa bu seviyeye ulaşan herkesten ahit ve mîsâk alınmıştır demektir. Yüce Allah'ın da: "Göklerde ve yerde ne varsa, ister istemez Allah'a secde eder"[50] buyurduğu gibi bu kimse için ikrâr etti, boyun eğdi ve müslüman oldu demek câizdir.

İleri sürdükleri delillerden biri de şudur. Rasûlullah şöyle buyurur: "Üç kimseden kalem kaldırılmıştır: İhtilam olana kadar çocuktan, akıllanana kadar deliden ve uyanana kadar uyuyandan".[51] Bir âyette de: "Biz emaneti, göklere, yere ve dağlara sunduk; onu yüklenmekten kaçındılar, onun sorumluluğundan korktular" buyurulmuş hemen arkasından "onu, insan yüklenmiştir"[52] denmiştir. Burada emanetten maksat, ahit ve mîsâktır. Göklerin, yerin ve dağların bu emaneti yüklenmekten kaçınmaları, anlayışı gerektiren akıldan yoksun olduklarındandır. İnsanın yüklenmesi ise aklı nedeniyledir. Bu manada arapların birçok şiiri vardır. Bunlardan bazıları şunlardır:

ضمن القناة لفقعس بشباتها إن القنا لفقعس لا يأتلى [53]

Böyle söyleyen kişi Allah Teâlâ'nın şu kavlinde: "Kıyâmet günü; 'biz bundan habersizdik' veya 'bizden önce babalarımız Allah'a şirk koşmuştu. Biz de onların zürriyetleriyiz' diyemezsiniz."[54] Söz konusu te'vîlin doğruluğuna delil vardır. Allah en iyi bilir ya onlardan söz almak, kıyâmet günü, biz bundan habersizdik, diyememeleri içindir. Habersiz olmak, burada iki manayadır. Ya kıyâmet gününden habersiz olmak ya da söz alındığından habersiz olmak. Kıyâmet gününde diriliş ve hesap bilgisi ile ilgili Allah Teâlâ'nın onlardan söz aldığı Yüce Kitabında belirtilmemiştir. Sadece bunların bilinmesi Kur'ân'da sözedilir. Alınan sözden habersiz olmaya gelince muhaliflerin de dediği gibi eğer çocuk-

---

50. Ra'd sûresi, (13/157.
51. Hadis, **Sahihü'l-câmî**'de (3506-3507-3508) numaraları ile ayrı ayrı üç defa rivayet edilmiştir. Ancak hadislerin hiçbirinde uyanana kadar uyuyandan ifadesi bulunmamaktadır. Ancak her üç hadisin incelemelerinde manayı bozmayan bu ziyade getirilmiştir. Sözün uzaması endişesi olmasaydı, rivayet eden sahabenin ismini, hadisin diğer râvîlerini teker teker zikrederdim. Daha geniş bilgi isteyenler bkz. **Sahîhü'l-câmî**, 3506-3507 ve 3508 nolu hadislere.
52. Ahzâb sûresi, (33/72).
53. Bu beyit, Nâbiğa'nın Divan'ında ve **Lisanü'l-arab**'da vardır.
"Rabbini kaybeden Haris-u cevlan ağladı. Havrân ise itaat edip boyun eğmiştir. Yâkût el-Hamevî el-**Mu'cemü'l-büldân**'da der ki: "Haris, Dimeşk civarında bulunan bir kasabadır. Harisü'l-Cevlan diye bilinir.
54. A'râf sûresi, (7/172-173).

lardan hastalardan da söz alınmış ise kendilerinden söz alındıktan sonra onlara bir tebliğci ulaşmamış olacağından dolayısıyla da verilen sözden habersiz olacaklarından dolayı bunu inkâr edip reddederler. Bunlar, ne zaman verdikleri sözü unutmuşlar. Yüce Allah, hiçbirini olmayan birşeyle yargılamaz. O halde câiz olmayanı, meydana gelmeyeni zikretmek muhal değil midir? "Bizden önce babalarınız Allah'a ortak koşmuşlardı. Biz de onların zürriyyetiyiz, diyemezsiniz" âyeti ise yargılanmaları nedeni olan şirkin, kendilerinden yahut da babalarından kaynaklandığını belirtmektedir. Eğer bu şirk kendilerinden ise ki bu mümkün değildir. Çünkü şirk, buluğ çağına ulaştıktan ve kendilerine huccet geldikten sonra olabilir. Bazıların şirk koşması mümkünken özellikle çocukların şirke düşmesi asla mümkün olamaz. İslâm ümmeti: "Kimse bir başkasının günahını yüklenmez" âyetinin gereğinde icmâ etmiştir.[55]

Ancak bu, Rasûlullah'tan rivayet edilen: "Allah, Âdem'in sırtını sıvazlayınca sırtından zürriyetini çıkardı ve onlardan söz aldı"[56] hadisine de aykırı değildir. Çünkü Rasûlullah, Allah'ın âyetini anlatmakta, âyete benzer bir şekilde geçmiş zaman sîgasını, gelecek zaman sîgası yerinde kullanmaktadır. Rasûlullah'ın bu anlatımı, şu âyete benzer: "Allah, peygamberlerden şöyle söz almıştı; bakın, size Kitap ve hikmet verdim. Şimdi yanınızda bulunanları doğrulayıcı bir peygamber geldiğinde mutlaka O'na inanacaksınız."[57] Yüce Allah bu âyette, peygamberlere gönderilen Kitap ve hikmeti, sonraki gelen milletler için bir söz olarak belirtmiştir. Şu âyetler de buna işaret eder: "Sonra size, yanınızda olan Kitapları doğrulayıcı bir Rasûl gelmiştir. Ona inanın ve Ona yardım edin";[58] insanlara hitaben de: "Bunu kabul ettiniz mi? Ve bu hususta ağır ahdimi üzerinize aldınız mı? demişti. Onlar da: "Kabul ettik" dediler. O halde şahit olun, Ben de sizinle beraber şahit olanlardanım" dedi.[59] Bu âyette ise peygamberlere inen Kitabı bilmelerini de ikrârları saymıştır.

Ben derim ki şu âyetler de buna benzer: "Allah'ın size olan nimetini ve O'na verdiğiniz sözü hatırlayın. Hani siz: "İşittik, itâat ettik" demiştiniz."[60] Bu söz, Rasûllerini onlara iman ve tasdîk için gönderdikten sonra onlardan aldığı sözdür. Bir başka âyette: "Allah'a verdikleri sözde durup, sözden caymayanlar..."[61] ve: "Ey Âdemoğulları, şeytana tapmayın. O sizin için apaçık düşmandır. Bana

55. Necm sûresi, (53/38).
56. Hadis sahihtir. Yukarıda geçti.
57. Âl-i İmrân sûresi, (3/81).
58. Âl-i İmrân sûresi, (3/81).
59. Âl-i İmrân sûresi, (3/81).
60. Mâide sûresi, (5/7).
61. Ra'd sûresi, (13/20).

tapın. Doğru olan yol budur" diye sizden söz almamış mıydı?"[62] Bu âyette ise Rasûllerinin diliyle onlardan söz alındığı belirtilmektedir. İsrailoğularına hitap eden şu ayetler de böyledir: "Bana verdiğiniz sözü tutun ki Ben de size verdiğim sözü tutayım".[63] "Hani Allah, Ehli Kitaptan; "O'nu insanlara açıklayacaksınız, gizlemeyeceksiniz"[64] diye söz almıştık" ve "Biz peygamberlerden, ahitlerini almıştık; Sen'den, Nuh'tan, İbrahim'den, Mûsâ'dan ve Meryem oğlu İsa'dan da sapasağlam söz almıştık."[65] Nasıl ki insanlardan sözü, peygamberlerin onları Allah'ın azabıyla korkutmalarından sonra almışsa, peygamberlerden de gönderildiklerinden sonra söz almıştır. İşte Yüce Allah, verilen bu sözü bozanlara lanet etmekte onları, şu âyetle cezâlandıracağını belirtmektedir: "Sözlerini bozdukları için onları lanetledik ve kalplerini katılaştırdık."[66] Yani Rasûllerinin diliyle onlardan söz aldıktan sonra bu sözlerini bozanlar cezâlandıralacaktır. Bu, şu âyette de belirtilmektedir: "Bir zaman da sizin sözünüzü almış, üzerinize dağı kaldırmıştık. Size verdiğimizi kuvvetle tutun, içinde olanı hatırlayın ki azaptan korunasınız demiştik."[67] Bu ve benzerî âyetler Medine'de nâzil olmuş bir sûrededir. Bu sözle,Ehli Kitabın da içinde bulunduğu insanlara hatırlatma vardır. Ayrıca bu, Allah'ın rubûbiyyetini, vahdaniyyetini ve O'na şirk koşmayı kötü olarak ikrâr eden bütün mükelleflere şamildir. Böyle bir mîsâk ve şahit tutma ile onlara hüccet gösterilmiş olmakta, özür kapısı kapanmış olmakta, artık cezâ vermek mümkün olup karşı çıkanları helak etmek hak olmaktadır. Öyleyse bu durumda olan insanların, verdikleri sözü hatırlayıp bilmeleri gerekir. Ayrıca bu, Allah'ın Rabbliğine ikrâr etmede, onların fıtratlarına da uygundur. Allah onların Rabbleri ve yaratıcısıdır. Onlar ise mahluk ve terbiye altındadırlar. Bundan başka, fıtrat ve akıllarına uygun olan şeyleri insanlara hatırlatmak Allah'ın onlar üzerindeki hakkını, buyruğunu, yasağını, azap ve mükâfatını öğretmek için Allah, onlara Rasûller de göndermiştir.

Âyet, bu yönüyle birkaç manaya işaret eder:

Birincisi: Yüce Allah şöyle buyurur: "Hani Rabbin Âdemoğullarından almıştı." Âdem'den aldı, dememiştir. Çünkü Âdemoğulları, Âdem'den daha geneldir.

İkincisi: "Bellerinden" buyurmuştur. "Belinden" dememiştir. Bu, azı kullanarak çoğu kasdetmek ya da geniş manalı kullanımdır.

Üçüncüsü: "Zürriyetlerinden" dedi, "zürriyetinden" demedi.

---

62. Yâsîn sûresi, (36/60).
63. Bakara sûresi, (2/40).
64. Âl-i İmrân sûresi, (3/187).
65. Ahzâb sûresi, (33/7).
66. Mâide sûresi, (5/13).
67. Bakara sûresi, (2/63).

Dördüncüsü: "Onları kendilerine şahit tuttu." Yani onları, kendilerine şahit yaptı. Kişi bir şeye şahit olunca şahit olduğu şeyi hatırlamalıdır. İnsan ise sadece bu dünyaya geldikten sonraki şehâdetini hatırlamakta, önceki şahitliğini hatırlamamaktadır.

Beşincisi: Yüce Allah, şahit tutmaktaki hikmetin, kıyâmet günü, biz bundan habersizdik, demelerine karşı bir hüccet olduğunu belirtmiştir. Hüccet ise onlarla Rasûller göndermekle ve fıtratlarına uygun şeyleri sunmakla olur. Nitekim âyette bu: "Bunları, müjdeleyici ve uyarıcı elçiler olarak gönderdik ki elçiler geldikten sonra insanların, Allah'a karşı bahâneleri kalmasın"[68] şeklinde açıklanmaktadır.

Altıncısı: Böyle hatırlatılmalarındaki amaç, kıyâmet günü: "Biz bundan habersizdik" diyememeleri içindir. Şu da bilinmektedir ki Hz. Âdem'in belinden çıkartılmakla, hepsi verdikleri sözü ve yaptıkları şahitliği unutmakta ve kimse bundan birşey hatırlayamamaktadır.

Yedincisi: "Yahutta önceden babalarımız Allah'a ortak koşmuşlardı. Biz de onların zürriyetleriyiz, dememeleri için" âyetinde ise göstermek ve şahit tutmak şeklinde iki hikmet zikredilmiştir. Bunlardan biri onların gaflete düşmemeleri, ikincisi ise taklide düşmemeleri. Gafil kimsede bilinç olmaz. Taklitçi ise taklit ederek başkalarına uymaktadır.

Sekizincisi: "Bizi aramızdaki bozguncuların yaptıklarından dolayı mı helak edeceksin?"[69] Yani eğer Allah, onları inkâr ve şirklerinden dolayı cezâlandırırsa böyle diyecekler. Allah Teâlâ ise onları, sadece elçilerine karşı gelip yalanlamalarından dolayı helak edecektir. Rasûllerle, onlara hüccet getirilmeden, babalarının Allah'a şirk koşmalarına katıldıkları için onları helak edecek olsa aralarındaki bozguncuların yaptıklarından dolayı ya da babalarının yaptıkları şeyin yanlış olduğu ile ilgili bilgiden gafil oldukları için onları helak ederdi. Halbuki Yüce Allah, gerçeklerden habersiz olan köy sâkinlerini, haksız olarak helak etmeyeceğini, ancak uyarma ve tebliğden sonra helak edeceğini belirtmektedir.

Dokuzuncusu: Yüce Allah her şeye, kendisinin Rabbi olduğuna dair Kur'ân'dan birçok hüccet göstermiştir. Mesela: "Onlara, gökleri ve yeri kim yarattı diye sorsan, Allah derler. O halde haktan nasıl yüz çeviriyorlar."[70] Yani Allah Teâlâ'yı Rabbleri, yaratıcısı olarak ikrâr ettikten sonra tevhîdden nasıl yüz

68. Nisâ sûresi, (4/165).
69. A'râf sûresi, (7/173).
70. İbarede tercemesini sunduğumuz âyeti celîlenin metni böyle değildir: Müellif müteşabih âyetleri birbirine karıştırmış. Konuyla ilgili âyetler şöyledir:
(43/87)
(31/25)
(39/38)

çeviriyorlar? Böyle misaller Kur'ân'da çoktur. İşte bu âyetler, Yüce Allah'ın, insanları kendi nefislerine şahit tuttuğu hüccetlerdir. Rasûlleri vasıtasıyla bunlara: "Göklerin ve yerin yaratıcısı Allah'tan şüphe mi ediyorsunuz?"[71] şeklinde insanlara hatırlatmışlar. Yani Rasûllerinin diliyle, ikrâr ve marifeti onlara hatırlatmıştır. Yoksa onlara, yaratıldıklarında yaptıkları ikrârı hatırlatıp bu hususta onlara hüccetler getirmemişlerdir.

Onuncusu: Yüce Allah bu konuda medlûlünü zorunlu kılacak açık âyetler indirmiştir. Şöyle ki: Âyetler, daima muayyen medlûlleri manasınadır. Allah'ın âyetleri, hep böyledir. Yani zorunlu ilmi gerektirecek biçimde, belirli bir isteğe karşı getirilmiş belirli delillerdir. Allah Teâlâ: "Böylece âyetlerimizi açıklarız"[72] buyurmakta, yani âyetlerimizi bu kadar açık ve belirgin olarak açıklarız ki belki onlar şirkten tevhide, küfürden de imana dönerler. Kur'ân'da açıklanan bu âyetler, yaratılışın çeşitli yönlerine yöneliktir. Bu âyetler, hissî ve zihnî (aklî) âyetlerdir. Bunlar, kendilerine, zatlarına ve yaratılışlarına alamettir. Çeşitli iklim ve bölgelerde yarattığı şeyler de O'nun varlığına, birliğine, Rasûllerinin doğruluğuna, meâd ve kıyâmetin gerçekliğine delâlet etmektedir. Yaratıklardan herbiri için getirdiği en açık delil, hiç şüphesiz onların Rabbi, yaratıcısı ve icatcısı olması; onların da hiçbir şey değilken varedilmeleri, yaratılıp terbiye edilmesidir. Birşeyin mühdisi olmadan hadis olması yahut bizzat kendinin muhdisi olması muhaldir. Bu takdirde, hiçbir şeye benzemeyen bir yaratıcının olması zorunludur. Sözü edilen âyetlerdeki bu ikrâr ve şahit tutmalar, Allah'ın nefse verdiği bir fırsattır, kazanılmış değildir. Meselâ "Rabbin Âdemoğullarının bellerinden nesillerini almıştı"[73] âyeti, "her doğan, fıtrat üzere doğar"[74] hadisine ve "sen, yüzünü Allah'ı birleyici olarak doğruca dine çevir, Allah'ın fıtratına dön ki insanları O, fıtrat üzere yaratmıştır. Allah'ın yaratması değiştirilemez. İşte doğru olan din budur. Fakat insanların çoğu bunu bilmez"[75] âyetine de uygundur.

Zemahşerî gibi bazı müfessirler sadece bu görüşe meyletmişlerken bazıları da sadece birinci görüşü seçmişlerdir. İbn Cevzî, Vahitî ve Maverdî gibi kendilerinden her iki görüş de rivayet edilenler vardır.

Hasen b. Yahya el-Cürcânî der ki; biri çıkıp da "Allah, Âdem'in sırtını sıvazladı da onun belinden neslini çıkarttı; onlardan söz aldıktan sonra yeniden

---

71. İbrahim sûresi, (14/10).
72. En'âm sûresi, (6/55); el-A'râf, (7/174).
73. A'râf sûresi, (7/172).
74. Hadis sahihtir. Ebû Ya'lâ ve Taberânî bu lafızla Esved b. Serî'den rivayet etmişlerdir. Aynı lafızla rivayet edenlerden biri de Cabir'den Ahmed'dir. bkz. **Tefsîr-i İb-ni Kesîr**, c. 3, s. 433; **Sahihü'l-câmi** (4435). Yine ما بال أقوام ifadesiyle başlayan كل نسمة تولد ibaresinin de içerisinde bulunduğu hadisi Esved b. Serî'den Ahmed, Nesâî ve Hâkim rivayet etmişlerdir. ما من مولود ifadesiyle başlayan hadisi ise Buhârî, Müslim ve Ebû Dâvûd Ebû Hureyre'den rivayet etmişlerdir. bkz. **Sahîhü'l-câmî** (5660).
75. Rûm sûresi, (30/30).

beline gönderdi" hadisini ileri sürerek: "Âdem'in belinden çıkarılan zürriyetin, yeniden beline döndürülmesinin mümtenî oluşu, söz konusu te'vîlinizi boşa çıkarır. Çünkü Allah, onlardan sözü, buluğ çağına vardıklarında, akılları olgunlaştığında almıştır" derlerse deriz ki: "Sonra onları Âdem'in beline gönderdi ve onları Âdem'in beline gönderecek demek, yukarıda da açıkladığımız gibi Allah'ın nesli olacağı manasına olan nesli olması gibi ölümleriyle onları, Âdem'in beline yeniden döndürüleceği manasınadır. Çünkü ölen insanlar defnedilmek üzere yere gönderilir. Yer ise Âdem'in hem kendinden yaratıldığı sonra yine ona döndürüleceği şeydir. Âdem'in beline döndürülmesi ise Âdem'e döndürülmesi demektir. Belden maksat Âdem olunca zürriyeti ondan yaratılacak sonra yine ona döndürülecektir.Yahutta nesil, Hz. Âdem'in bir parçasıdır. Bu açıdan meseleye bakılırsa hadisle ilgili zahîrî yorumunuz, Kur'ân'da belirtilen ifadeye aykırıdır. Hadisin, gerçek yorumu budur. Çünkü âyette: "Hani, Rabbin Âdemoğulları-nın bellerinden zürriyetlerini çıkarmıştı" buyurulmuşken, yalnızca Âdem'-den dememiştir. Yani söz konusu zürriyetin Hz. Âdem'in nesli çocukları olduğunu belirtmek için zürriyeti, Hz. Âdem'e izafe etmiştir. Hadiste ise sadece Âdem'in sırtının sıvazlanması bahsedilmektedir. Öyleyse Kur'ân ve Sünnette açıklanan hükmü, bizim yorumumuz dışında tesadüfe bırakmak doğru olmaz.

Cürcanî der ki: "Ben de derim ki: "Bizim görüşümüz de âyette Rasûlullah'tan rivayet edilen hükme ve Selef-i Salih'ten olan ehli ilmin kabul ettiği, kendilerine yakın görüp meylettiği şeye yöneliktir. Başarıya ulaşmak Allah'tandır. O, en güzel dost ve doğru yola götürendir. Ehli Sünetten bazı âlimler, söz konusu nazımda zorlama ve itme olmaksızın kolayca anlaşılacak arap mecazında câiz ve muhtemel olan manaya dayanarak bu görüşü redde yeltenmişlerdir. Şöyle ki, "Hani Rabbin Âdemoğlundan almıştı" âyeti mübtedâdır. Allah'ın onlardan almuş olduğu sözden haber vermesidir. Bu durumda cevap; dediler ki: "Evet, sen bizim Rabbimizsin" âyeti olmakta, vak'anın bütünlüğü içinde haber, mübtedâdan kesilmektedir. Sonra Allah Teâlâ, müşriklerin kıyâmet günü diyecekleri: "Dediler ki; "siz buna şahit olduk" sözünü haber vererek başlamıştır ki bu; "biz buna şahitiz" demeleri gibidir. Nitekim Şair Hatîe de:

شهد الحطيئة حين يلقى ربه أن الوليد أحق بالعذر

Yani Hatîe Rabbine kavuşurken kölenin özre daha layık olduğuna şahit olmuştur" demektedir. Yani Hatîe şahit olacaktır demektir. Yani Allah Teâlâ: "Kıyâmet günü biz bundan habersizdik diyeceksiniz" demektedir. Yani sorgulanmaktan, nankörlükle muaheze olmaktan habersizdik diyeceksiniz. Sonra Allah Teâlâ, kendine başka bir haberi izâfe etmekte "yahutta diyeceksiniz" buyurmaktadır. Buradaki أو تقولوا kelimesi, çünkü ya da vav-ı nesak manasınadır. Mesela bir âyette de: "Onlardan günahkâr ve nankör olana itâat et-

me."[76] Bunun izahı şudur: Kıyâmet günü: "Babalarımız bizden önce Allah'a ortak koştular, biz ise onların nesilleriyiz"[77] diyeceğinize şahitiz. Yani: "Onlar Allah'a ortak koştular. Henüz bizler çocuklar iken bizleri de şirklerine kattılar. Biz de onların yollarından gidip onlara uyduk. Onlara uyduğumuz için bizim hiçbir suçumuz yoktur. Şirk konusunda suç onlarındır" diyeceksiniz. Bu husus şöyle açıklanır: "Babalarımızı bir din üzerine bulduk. Biz de onların yollarından gittik"[78] Yine: "Aramızdaki bozguncuların yaptıklarından ötürü bizi helak mi edeceksin?"[79] Yani "bizleri şirke iten onlardır." Bu durumda birinci kıssa, bütün yaratıklardan söz olmakla ilgilidir. İkincisi ise müşriklerin kıyâmet günü özür beyan etmeleriyle ilgilidir.

Cürcânî devam ediyor: "Böyle bir iddia Kitap ile Sünnet arasında bir tefâvüttür. Çünkü bunların lafızları farklıdır. Kabul edilmesi benzerlerine bakarak karşıtlarını destekleyen sözlere kıyasla mümkündür. Rasûlullah'-ın: "Allah Âdem'in sırtını sıvazladı" sözü, Kur'ân'da Allah'ın belirttiği habere kısmen ziyadedir. Rasûlullah, Kur'ân'da belirtilen bilginin tamamını zikretmemiştir. Allah'ın bildirdiği ölçüde bu ziyadeyi Rasûlullah haber vermiş olsaydı bunun, söz alındığı zamanda olma ihtimalini de beraberinde getirirdi ki bu durum, Kur'ân'da sözedilmemiştir. Ayrıca Kur'ân ve Sünnet ifadelerinde farklılık olsa da ayrılık yoktur, bilakis bu ziyade faydalıdır. Lafızlar da böyledir. Bizzat lafızlar da farklılık olduğu zaman işin temeline inilir. Bu farklılık, çelişki olduğu anlamına gelmez. Nitekim Allah Teâlâ Hz. Âdem'in yaratılmasından bahsederken bir yerde O'nu topraktan yarattığını belirtirken diğer yerlerde ise değişken çamurdan, sıkışmış çamurdan ve kiremit gibi pişmiş kupkuru çamurdan yarattığını belirtmiştir. Görüldüğü gibi insanın yaratıldığı şeylerle ilgili lafızlar farklıdır, hatta ifade etti manaları da farklıdır. Pişmiş kupkuru çamur, değişken çamurdan; değişken çamur da topraktan ayrı şeydir. Ancak bütün bu maddelerin tek kaynağı vardır ki o da toprak cevheridir. İşte topraktan tedrîcen bu maddeler çıkmaktadır.

Yüce Allah'ın: "Hani Rabbin Âdemoğullarının bellerinden nesillerini almıştı" âyeti ile Rasûlullah'ın: "Allah, Âdem'in sırtını sıvazladı da oradan neslini çıkardı" sözü aslında aynı manadadır. Şu kadar farkla ki Rasûlullah'ın sözünde: "Allah, Âdem'in sırtını sıvazladı" fazlalığı vardır ki bu, Allah'ın bildirdiği hususa ziyadedir. Allah'ın Âdem'in sırtını sıvazlayıp oradan neslini çıkarması, Allah'ın bildirdiği gibi, Âdemoğlunun sırtının sıvazlanması ve oradan nesillerinin çıkarılmasıyla aynı şeylerdir. Çünkü Âdem'in bütün neslinin, O'nun belinden çıkarıl-

76. İnsân sûresi, (76/24).
77. A'râf sûresi, (7/172).
78. Zuhruf sûresi, (43/23).
79. A'râf sûresi, (7/173).

madığını bilmekteyiz. Yani önce Âdem, O'nun belinden ikincisi; ikincisinin belinden üçüncüsü çıkmak suretiyle bütün nesillerin Hz. Âdem'e bağlanması mümkündür. Çünkü nesiller furû'dur. Hz. Âdem ise onların aslı ve atasıdır.

Bundan başka Allah Teâlâ'nın, Hz. Âdem'in sulbü yoluyla, Âdem neslinin sulblerinden insanı çıkarması mümkünse Rasûlullah'ın bildirdiği, Âdem'in nesli yoluyla insanı Âdem'in sulbünden çıkarması da câizdir. Çünkü asıl ile fe'rî aynı şeylerdir. Aynı şekilde Allah Teâlâ'nın, nesli, Hz. Âdem'e nisbet etmesi hakkındaki haberi, hem Âdem'den hem de nesilden haber vermek manasına olması da muhtemeldir. Nitekim Yüce Allah: "... boyunları ona eğilir"[80] buyurmaktadır. Yani Allah Teâlâ, isimlerden kinaye olan sıfattan, boyunlardan bahsetmektedir ki bu,[81] ait oldukları insanlar demektir. Burada Hz. Âdem, kendisine nisbet edilmektedir. Zahirde hadiste kastedilenler sadece Hz. Âdem'in sulbünden gelenler değildir. Aynı şekilde: "Boyunları eğilir" âyeti de böyle bir manaya gelmez. Çünkü gerçekte bütün boyunlar eğilmiştir. Şairin şu sözü de böyledir:

تشرق بالقول الذى قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدم

Yani "Mızrağın ucu kanla parladığı gibi sarfettiğin sözler de öylece parlamıştır." Şiirde geçen "sadr" kelimesi müzekker olduğu halde "şarrakat" fiili, "sadr"ın lafzının "kanat"a izafesinden dolayı müennes gelmiştir.

FASIL

Selef ve halef ulümâsının bazı görüşleri bunlardır. Her halükârda bu, ruhların bedenlerden önce istikrarlı bir şekilde yaratıldığına delil olamaz. Belki bu konudaki hadisler doğru ise ruhların, zerreler misalinde sûretinde çıkarıldığına, konuşturulduktan sonra da sulblerine gönderildiğine delâlet eder. Sahih haberler, ilk kaderin varlığını; insanların mutlu ve şakî kısımlarına ayrılacaklarını belirtir. İbn Hazın'ın: "Sizi yarattık, sonra sizi şekillendirdik sonra da meleklere: "Âdem'e secde edin" dedik"[82] âyetiyle istidlâl etmesine gelince âyette yaratılma, şekil verilme ve secde ile emredilme sırasına bakarak böyle bir istidlal yapmak doğru olmaz. Âyetteki hitap, ruh ve bedenden mürekkep olan insanadır. Ruhların yaratılması ise Hz. Âdem'in yaratılışından sonra gelir. Bu nedenle İbn Abbas der ki: "Sizi yarattık"tan maksat, Âdem'i yarattık; "sonra sizi şekillendirdik"ten murad ise O'nun neslinin yaratıldığı manasınadır. Mücâhid'in yorumu da böyledir. "Sizi yarattık" yani Âdem'i; "sizi şekillendirdik" yani

80. Şu'arâ sûresi, (26/4).
81. Yani sıfat
82. A'râf sûresi, (7/11).

Âdem'in belinde, demektir. "Sizi yarattık" âyeti, çoğuldur. Âdem kastedilmektedir. Mesela: "Sizi dövdük"ten maksat da yalnızca efendilerinin dövüldüğü anlamına gelmektedir.

Bu âyetin yorumunda Ebû Ubeyd Mücâhid'in görüşünü tercih etmektedir. Çünkü Yüce Allah en sonunda: "Sonra meleklere; secde edin, dedik"[83] buyurmaktadır. Allah'ın meleklere secde edin demesi Hz. Âdem neslinin yaratılması ve rahimlerde şekillenmesinden öncedir. "Sümme" ise yani "sonra", hem tertibi hem de zaman içinde oluşumu ifade eder. Âyette geçen yaratma ve şekilendirmeyi Âdem neslinin rahimlerde yaratılıp şekillenmesi manasına alanlar "sümme" lafzının tertîb için olduğuna hükmetmiş olmaktadırlar. Ancak burada Ahfeş'in[84] sözüne uyulmalıdır. Çünkü O diyor ki: Âyette geçen "Sümme" lafzı, atıf "vav"ı manasınadır. Zeccâc[85] da "bu, Halîl,[86] Sibeveyh[87] ve ilmine güvenilen nahivcilerin cevaz vermediği bir hatadır" demektedir. Ebû Ubeyd ise der ki: Mücâhid: "Allah, Âdemoğlunu yarattı, Âdem'in belinde onlara şekil verdi sonra meleklere secde ile emretti" hadisini naklettikten sonra "bu hadis, Allah Teâlâ'nın, Hz. Âdem neslini, zerrelere benzer bir şekilde Âdem'in belinden çıkarılacağını belirtmektedir.

Ben derim ki; Kur'ân âyetleri birbirini açıklar. Mesela, buna benzer bir âyet de şudur: "Ey insanlar, öldükten sonra dirilmekten kuşkuda iseniz biliniz ki biz sizi önce topraktan sonra nutfeden... yarattık."[88] Yani onların yaratılışı topraktan olmuştur. Topraktan yaratılan ise ataları Hz. Âdem'dir. Yüce Allah'ın hitabı bütün varlıklaradır, ama maksat şu âyette de olduğu gibi insanların atalarınadır. Âyette: "Hani siz: Ey Mûsâ, biz Allah'ı açıkça görmedikçe sana inanmayız demiştiniz de derhal sizi yıldırım yakalamıştı; siz de bunu görüyordunuz"[89] buyurulmaktadır. Diğer âyetlerde de: "Hani siz: "Ey Mûsâ, biz bir yemeğe dayanamayacağız"[90] yine: "Hani siz bir adam öldürmüştünüz de onun katili ha-

83. A'râf sûresi, (7/11).
84. Büyük Ahfeş. Ebû'l-Hattâb, Abdülhamîd b. abdülmecid'dir. Arap dilinde önderdir. Arapçayı, fasih araplardan öğrenmiştir. Ebû Amr b. Alâ hocalarındandır. Sibeveyh, Kisâî, Yunûs ve Ebû Ubeyde öğrencileri arasındadır. (V, 177 h.)
85. Zeccâc: Ebû İshâk İbrahim b. Muhammed b. Sera ez-Zeccâc, Müberred'in kıraat talim ettiği ileri öğrencilerindendir. (s. 310 h.) **Tefsîru Kitâbi câmi'i'n-nutk; Şerhü ebyât-ı Sîbeveyh, Me'ânü'l-Kur'ân ve Fa'altü ef'altü**, eserleri arasındadır.
86. Halîl: Halîl b. Ahmed el-Feraheydî'dir. Arap ilimlerinde çağın en ileri bilginidir. Arûz ilmini geliştirerek uzun zaman badiyede kalmıştır. Arap dilini, fasih araplardan öğrenmiştir. Kûfe ve Basra medreselerinin büyük üstadları ondan ders almışlardır. Arapçada ilk lügat kabul edilen **Mu'cemü'l-ayn** ona nisbet edilir. (V. 175 h.)
87. Sîbeveyh: Amr b. Osman b. Kanber'dir. Tartışmasız büyük nahiv bilginidir. Halîl'den ders okumuştur. İlmi oldukça genişlemiştir. Sibeveyh'in kitabını okumak isteyenlere Müberred, tazim olsun diye "hiç denizde yüzdün mü? diye sorarmış. (v. 180 h.)
88. Hac sûresi, (22/5).
89. Bakara sûresi, (2/55).
90. Bakara sûresi, (2/61).

kında birbirinizle atışmıştınız"[91] ve: "Hani sizin sözünüzü almıştık da dağı üzerinize kaldırmıştık."[92] Buna benzer âyetler, Kur'ân'da çoktur. Hepsinde muhatap olan kişiler, insanların atalarıdır. "Sizi yarattık, sonra size şekil verdik"[93] âyetinde de hitap, aynen insanların atalarınadır.

Yüce Allah, bazan da tek bir şahsı zikrederek insan türünü kastetmiştir. Mesela: "İnsanı biz çamurdan bir süzmeden yarattık. Sonra onu, bir nutfe olarak sağlam bir karar yerine koyduk."[94] Çamurdan bir süzmeden yaratılan Hz. Âdem'dir. Sağlam bir karar yerine konan nütfe ise Âdem'in neslidir.

Ruhların cesetlerden iki bin sene önce yaratıldığına dair olan hadise gelince bunun senedi sahih değildir. Ravîlerden Utbe b. Sekn hakkında Dârâkutnî: "Metruktur"; Ertâet b. Münzir hakkında İbn Adiy ise: "Bir kısım hadislerinde galat vardır" demektedir.

FASIL

Ruhların bedenlerden sonra yaratıldığını gösteren deliller şunlardır.

Birinci delil: İnsanlığın atası Hz. Âdem'in yaratılması böyledir. Şöyle ki Yüce Allah, Cebrail'i arza gönderdi. Yerden bir avuç toprak aldı. Onu yoğurarak hamur haline getirdi. Sonra ona şekil vererek ruhuna üfledi. Ruh, çamura girince çamur et oldu, kan oldu, hayat bularak konuştu." Ebû Malik ve Ebû Salih'in İbn Abbas, Mürre İbn Mes'ûd ve bir kısım ashab yoluyla Rasûlullah'tan gelen: "Yüce Allah, yaratma işini bitirince arşa istivâ etmeyi istedi. İblisi, dünya semâsının meleği yaptı. Bundan önce İblis, cin denilen bekçi meleklerdendi. Cin denmesinin nedeni, cennetliklerin bekçileri olmalarındandır. İblis, bekçiliği yanında melekti de. Aklına şu düştü: "Allah, bana bundan (meleklik) başka -diğer bir rivayette ise meleklerden üstün olan- bir meziyyet vermedi." Allah, iblisteki bu büyüklenmeyi görünce meleklerine: "Ben yeryüzünde bir halife yaratacağım"[95] dedi. Melekler de: "Ey Rabbimiz, yaratacağın halifenin durumu nedir, onlar yeryüzünde ne yapacaklar?" dediler. Yüce Allah da: "Yaratacağım halifenin yeryüzünde bozgunculuk yapan, birbirleriyle çekişip, birbirlerini öldüren nesli olacak" deyince melekler: "Orada bozgunculuk yapacak, kan dökecek birini mi yaratacaksın? Oysa biz seni öve-

91. Bakara sûresi, (2/72).
92. Bakara sûresi, (2/63).
93. A'râf sûresi, (7/11).
94. Mü'minûn sûresi, (23/12-13).
95. Bakara sûresi, (2/30).

rek tesbih ediyor, seni takdîs ediyoruz" dediler. Rabbin da: "Ben sizin bilmediklerini bilirim" karşılığını verdi.[96] Yani İblis'in durumunu ben bilirim. Bir miktar çamur getirmesi için Cebrail'i yere gönderdi. Yer, Cebrail'e dedi ki: "Benden toprak alman hususunda Allah'a sığınırım." Bunun üzerine Cebrail toprağı alamadan geri döndü ve: "Toprak sana sığındı, ben de bıraktım" dedi. Sonra Mikâil'i gönderdi. Arz yine toprak götürmesinden Allah'a sığındı. Sonra ölüm meleğini gönderdi. Bundan da Allah'a sığınınca ölüm meleği: "Ben de emrini yerine getirmeden O'na dönmekten Allah'a sığınırım" dedi. Yerin çeşitli yerlerinden kırmızı, beyaz ve siyah topraklar alarak bunları karıştırdı. Böylece Âdemoğlu yaratıldı. Sonra karıştırdığı bu toprağı Allah katına çıkardı. Dönüşünde birbirine tutuşmuş çamur olmuştu. Bunun üzerine Yüce Allah meleklere karşı: "Ben çamurdan bir insan yaratacağım. Onu biçimlendirip ona ruhumdan üflediğim zaman hemen ona secdeye kapanın"[97] demiştir. İblis'in büyüklenmesi ve ona: "Kendi elimle yarattığım şeye karşı büyükleniyorsun. Elimle yarattığım halde ben büyüklenmedim" demesi için Âdem'i, Yüce Allah kendi eliyle yaratmıştır. Allah, onu beşer olarak yarattı. Kırk sene çamur ceset halinde kaldı. Meleklere gösterilince başta İblis olmak üzere bütün melekler korktular. Âdem'in cesedi böyle gösterildikçe kiremitin çıkardığı gibi pişmiş çamurdan ses çıkıyordu. Bu âyette: "Kiremit gibi pişmiş çamur"[98] ifadesiyle belirtilmektedir. Sonra: "Seni bir sebepten ötürü yarattım" dedi. Ağzından girdi, dübüründen çıktı. Sonra meleklere: "Bundan korkmayın. Çünkü Rabbiniz Samet'dir"[99] (yani ihtiyaçlarda kendine başvurulandır) dedi. "Şimdi bunun içi boştur. İstesem bunu bozarım." Yüce Allah, Âdem'in bedenine ruhu üfleyeceği zaman meleklere hitaben: "Ona ruhumdan üfleyince derhal secdeye kapanın" dedi. Cesede üflenen ruh, kafadan beden girince aksırmaya başladı. Bunun üzerine melekler: "Elhamdülillah de" dediler. Ruh: "Elhamdülillah" deyince Yüce Allah da: "Yerhamüke Rabbeke" (Rabbin sana rahmet etsin) dedi. Bedene giren ruh gözlere varınca cennet meyvelerini gördü. Karına girince, henüz ayaklara varmadan yemek yemeyi arzuladı. Ayaklara girer-girmez de derhal cennet meyvelerine uzandı. İşte "insan aceleden yaratılmıştır"[100] âyetinin manası budur. Hadis böyle devam etmektedir.

---

96. Bakara sûresi, (2/31-32).
97. Sâd sûresi, (38/71-72).
98. Rahmân sûresi, (55/14).
99. "Samede" lafzından türemiştir. Sabit olmak, devam etmek manasınadır. Yani yönelmek demektir. Yüksekçe yer. Ayrıca Samed Allah'ın esmâ-ı hüsnâsındandır. Âyet-i celîlede "De ki Allah tektir. O Samed'dir..." buyurulmaktadır. (112/1-2) Yani ihtiyaçların giderilmesinde kendisine yönelinen demektir. İçi boş şeye denir.
100. Enbiyâ sûresi, (21/37).

Yunus b. Abdü'l-A'lâ der ki: "İbn Vehb, İbn Zeyd yoluyla bize şunu nakletti: "Allah, cehennemi yaratınca melekler son derece korktular. Ve: "Rabbimiz, bu cehennemi niçin yarattın? Kim için yarattın?" dediler. Yüce Allah da: "Yarattıklarımdan bana âsî olanlar için yarattım" karşılığını verdi.[101]

Bu zamanda melekler ise boş arzın dışında Allah henüz birşey yaratmamıştı. Bunlardan sonra ise Âdem'i yarattı. Sonra şu âyeti okur: "İnsana, zamandan henüz sözü edilmeyen bir an geldi mi?"[102] Ömer b. Hattab der ki: "Ey Allah'ın Rasûlü, keşke bu zaman olsaydı." Hadis şöyle devam eder: "Melekler dediler ki: Artık sana âsî olacağımız zaman mı geldi? Allah'ın bunlardan başka yarattığı birşey yoktu. Allah Teâlâ da: "Hayır, yeryüzünde birini yaratacağım. Onu orada halife kılacağım" karşılığını verdi..." İbn Ishak der ki: "Allah bilir ya şöyle denebilir; Allah, Âdem'i yaratınca henüz ruhunu üfleyip kiremit gibi kurumuş bir çamur olup ateş ona vurmadan önce ona bakmak için kırk sene bıraktı. Allah bilir ya ruhunu başından üfleyince Hz. Âdem aksırdı ve "elhamdülillah" dedi..." v.d.

Kur'ân, Hadis ve eserler, Allah Teâlâ'nın bedenini yarattıktan sonra Âdem'e kendi ruhundan üflediğine işaret etmektedir. İşte üfürülen bu nefhadan, ruh oluşmuştur. Âdem ve neslinin ruhları, bedenlerinden önce yaratılmış olsalardı, melekler, Âdem'in yaratılışına şaşırmazdı; cehennemin yaratılması karşısında şaşkına dönüp: "Niçin bunu yarattın?" demezlerdi. Bundan başka melekler, Âdemoğullarının ruhları arasında mü'min, kâfir; temiz ve kirli ruhların olduğunu görmüşlerdir.

Bu açıdan kâfirlerin bütün ruhları İblis'e tabîdir; ayrıca kâfir ruhların yaratılması, küfürlerinin yaratılmasından öncedir. Çünkü Yüce Allah, Âdem ve ruhunu yarattıktan sonra kâfir insana küfürle hükmetmiştir. Halbuki İblis'ten önce hiç kâfir yoktu. Bu zamanda İblis'ten başka hiç kâfir yokken, ruhlar nasıl kâfir ve mü'min kısımlarına ayrılabilir? Ruhların nankörlüğü, onlara küfür güzel gösterilip sapmaları nedeniyle değil midir? O halde kâfir ruhların oluşu, küfreden insanların oluşundan sonradır. Öyleyse şöyle denebilir: "Önce, bütün ruhlar mü'mindi sonra kendi nedeniyle inancını terketmiştir." Bu hadis, ruhların bedenlerden önce yaratıldığı iddiasına aykırıdır.

Ebû Hureyre[103] hadisinde ise âlemin yaratılmasından bahsedilirken âlemdeki unsurların, cuma günü yaratılan Âdem'den sonra yaratıldığı belirtilmektedir.

101.İbni Zeyd'e ulaşan Sened sahihtir. Söz ona ait olsa da hüccet olamaz. Her ne kadar Rasûlullah'a hadis ref' edilse de gerçekte hadis münkati'dir. Yani her halükarda hüccet değildir. "Ömer b. Hattâb dedi ki" sözü bile münkati'dir.

102.İnsân sûresi, (76/1).

103.Müslim ve diğerleri rivayet etmişlerdir. bkz. Müslim şerhi Nevevî, c. 17., s. 133-134. Bazı âlimler hadisin zayıf olduğunu söyleseler de hadis sahihtir. Hadis için bkz. **el-Ehâdisu's-sahîha** (1833); **Muhtasarü'l-uluvvi**, s. 111-112; **Umdetü't-tefsîr**, c., 1, s. 128 ve **Câmiü'l-usûl**, c. 4, s. 2576.

Ruhların yaratılması bedenlerden önce ise bütün âlemlerin altı gün içerisinde yaratılmış olması gerekir. Söz konusu bu günlerde âlemlerin yaratıldığından bahsedilmemesi, bunların Hz. Âdem'in neslinin yaratılmasından sonra yaratıldığını gösterir. Hz. Âdem'in tek başına yaratılması işte bu altı gün içerisindedir. O'nun neslinin yaratılması ise şimdi müşâhede edip bildiğimiz gibidir.

Eğer ki ruhun diri, bilgili ve konuşur olarak varlığı bedenden önce ise ruhun bu âlemi hatırlaması, bir yönüyle olsun bunu bilmesi gerekirdi.

Ruhlar âleminde iken diri, bilgili, konuşan ve Rabbini bilen bir ruhun, bedene girdikten sonra bundan hiçbir şeyi hatırlayamaması imkansızdır.

Ayrıca bedenden ayrılan ruhun bedendeki durumunu bilmesi -ki bedendeki ruh, birçok şeyi anlamaktan mahrumdur- mümkün olunca birinci metodla bu ruhun ilk halini ve durumunu da bilmesi mümkündür. Çünkü ruhu, bedeni bazı şeylerden alıkoyduğu gibi hiçbir şey onu anlayıştan alıkomaz. Ancak "Ruhun bedenle olan ilişkisi bedeni düzenlemekle uğraşması, onun ilk halini anlamasına engeldir" denirse şöyle karşılık verilir: "Düşün ki bedenle olan ilişki, ruhun ilk halini tam anlamasına engeldir. Peki, henüz bedene girmeden önceki halini hiç mi hatırlayamaz? Ruhun bedenle olan ilişkisinin ruhu, bedende iken ilk halini anlamasına engel olmadığı bilindiğine göre bedenden önceki durumunu hatırlamasına nasıl mani olabilir?

Yine ruh, bedenden önce var ise bilgili, diri, konuşan ve âlim olması da gerekir. Ruh bedene girince bütün bu özellikleri bir tarafa iter. Sonra ona, zaman içerisinde şuur, akıl ve ilim verilir. Eğer bu böyle ise ruhun önce kâmil ve akıllı olup sonra nâkıs, güçsüz ve bilgisiz olması; daha sonra da yeniden aklmı ve gücünü kazanması gibi faaliyetleri çok tuhaf olur ki akıl, nakil ve fıtrat, bunu doğru bulmaz. Yüce Allah şöyle buyuruyor: "Allah, sizi hiç bir şey bilmezlerken annelerinizin karınlarından çıkardı ve size şükredersiniz diye kulak, gözler ve kalpler verdi."[104] Görülüyor ki ilk yaratılışımız bu durumdadır. İlim, akıl, marifet ve güç ise yok iken sonradan bize verilmiştir ki bundan önce hiçbir şeyi bilmiyorduk; bilecek, akledecek bir varlığımız yoktu.

Yine ruhlar bedenlerden önce yaratılmış olsalardı yani şimdiki iyilik-kötülük, iman-küfür ve hayır-şer gibi durumlarında, amel işlenmeden ve kazanılmadan sabit olmaları gerekirdi. Halbuki ruh bu ameleri, irâdesiyle, bedenden yardım isteyerek işlemiştir. Dolayısıyla henüz bedenlere gelmemiş ruhlara bu amelleri izafe etmek böyle nitelemek asla doğru olmaz.

Ruhlar yaratılmadan ve dünyaya gönderilmeden kader altına alınıyorsa ki bu durumda Kitab'ı ve Allah'tan gelen ilk kaderi inkâr ediyoruz demektir. Ön-

104. Nahl sûresi, (16/78).

ONDOKUZUNCU MESELE

Nefsin Nedir? O, Bedenin Cüzlerinden Bir Cüz mü Yoksa Arazlardan Bir Araz mı[1] Yoksa Bir Yere Oturtulmuş Sâkin Cisim mi Yoksa Mücerred (Soyut) Cevher midir?[2] Nefis, Ruh mudur Yoksa Başka Şey midir? Emmare, Levvame ve Mutmainne Tek Bir Nefis Olup Bütün Bu Özellikler Nefiste Var mıdır Yoksa Bunlar Ayrı Üç Nefis midir?

Çeşitli görüşlere mensup birçok insan, bu konuda konuşmuş, görüşleri haktan uzaklaşarak hataları çoğalmıştır. Ancak Yüce Allah, Rasûlullah'a uyan ehli sünnet alimlerini doğru yolda kılarak tartışmalarını sağlamıştır. O, dilediğini doğru yola iletir. Şimdi konuyla ilgili aleyhte ve leyhte olan görüşleriv e doğru olanlarını açıklamaya başlıyoruz.

Ebü'l-Hasen el-Eş'arî **Makâlât**'ında der ki: "İnsanlar ruh, nefis ve hayat konusunda tartışmışlardır. Ruh hayat mı yoksa başka bir şey mi; ruh cisim mi yoksa başka şey mi? Nazzâm[3]der ki: "Ruh, cisimdir. O nefistir." Nazzâm, bizzat ruhun diri olduğunu sanarak hayat ve güç manalarının diri ve güçlü olma manasından ayrı olduğunu inkâr etmiştir. Bazıları da: "Ruh, bir arazdır" demişlerdir.

Ca'fer b. Harb ve bazıları: "Ruhun cevher ya da araz olduğunu bilmiyoruz"[4] diyerek şu âyetle delil getirmişlerdir: "Sana ruhtan sorarlar. De ki; ruh, Rabbi-

---

1. Araz: Felsefe ve Kelâm ıstılahında kendi başına kaim olamayan şey demektir. Renk, koku ve uzunluk gibi.
2. Cevher: Felsefe ve Kelâm ıstılahında kendi başına kaim olabilen manasınadır. Arazın zıddıdır.
3. Nazzam: Mûtezile'nin ileri gelen adamlarındandır.
4. Bu söz İbni Kayyım'e aittir. Cafer b. Haib'in sözü değildir.

min emrindedir."[5] Görüldüğü gibi bu âyette, ruhun cevher ya da araz olması ile ilgili hiçbir işaret yoktur. O halde zannıma göre Ca'fer, canlılığı ruhtan farklı görerek canlılığın araz olduğunu belirtmiştir."

Cübbâî'nin[6]görüşü de ruhun cisim olduğu yöndedir. Ruh hayattan ayrıdır. Çünkü hayat arazdır. İleri sürdüğü delil şudur. Dilciler: "İnsanın ruhu çıktı" derler. Cübbai hayatın arazlarından sayılamayacağını zannetmiştir.

Bir başka görüş: "Ruh, dört tabi unsurun birbirleriyle olan dengesi kadar dengeli değildir." Her nedense bunlar dengeli[7] ifadesi yerine hiç "dengeleyen" ifadesini kullanmamışlardır. Dünyadaki bütün varlıklar şu dört unsurdan oluşur: Sıcaklık, soğukluk, yaşlık ve kuruluk.

Diğer bir görüş: Ruhun, dört unsur dışında beşinci bir manası vardır. Dünyada dört unsur ve ruhtan başka hiç birşey yoktur. Bu görüş sahipleri, ruhun fiilleri konusunda ihtilaf etmişlerdir. Bazıları bu fiileri tabiî ve sıradan (âdî) sayarken bazıları ise ihtiyarî saymıştır.

Bazıları da: "Ruh, kokma ve çürümeden uzak saf kandır" demişlerdir. Kuvveti de böyle açıklamışlardır.

Bir başka görüş: "Ruh tabiî sıcaklıktır." Şimdiye kadar ruh hakkında görüşlerini naklettiğimiz kişiler, ruhu canlılıktan ibaret sayan tabiatçılardır.

Es'am, ceset olmadan hayat ve ruh için bir varlık tanımayarak: "Uzun, enli ve derin olan şu gördüğümüz, müşahede ettiğimiz cesetten daha akıllı birşey yoktur. Nefis, bizzat bu bedendir, başkası değildir" demektedir. Meselenin gerçeğini açıklamak ve desteklemek açısından böyle bir konuşma cereyan etmiştir.Dolayısıyla ruh, bedenle ilişkili bir gerçekliktir.

Ayrıca Aristo'nun:[9] "Nefis; dairevî olmayan, tedbir, neş'et ve müsibet altında meydana gelen oluşumun yükselmesi manasınadır.[10] Ruh, âlemde bütün hayvanlardan ameller ve tedbir yoluyla çıkan basît (bileşik olmayan) bir cevherdir. Ruh için azlık çokluk olmaz. Ruhun, âlemdeki bu bileşik olmayan özelliği, hem zat hem de bünye açısındandır. Bu anlamıyla o, âlemde bulunan her hayvanda bulunmaktadır.

Bazıları da: "Aksine nefis; sınırları, rükunleri, boyu, eni ve derinliği olan

5. İsrâ sûresi, (17/85).
6. Cübbâî: Mûtezilenin mühim bilginlerindendir.
7. Bu ilaveler Ebû'l-Haşen el-Eş'arî'nin Mâkâlât'ından alınmıştır.
8. Cisimlerle ilgili özellikler sayılamayacak kadar çoktur. Bu dört özellikle sınırlandırmanın bir anlamı yoktur.
9. Büyük Yunan felsefecisidir. Eflatun'un öğrencisi, Makedonya'lı Büyük İskender'in ise hocasıdır. Muallim-i Evvel diye bilinir. Avrupa felsefecilerine tesiri olduğu gibi Fârâbî, İbni Sînâ ve İbni Rüşd başta olmak üzere İslam felsefecilerini de etkilemiştir.
10. Makâlât'tan alınmıştır.

mevcut bir şeydir. Bu âlemden, uzunluğu, genişliği ve derinliği olan bir şeyin, öte dünyaya intikâli söz konusu değildir. Çünkü bu özellikler, nefsin sınır ve alanını oluşturmaktadır. (Mesaniye denen bir kısım seneviyyenin (dualist) yani iki tanrıya inananların görüşü budur.)

Bazıları da: "Nefis, sözünü ettiğimiz ilim adamlarının saymış oldukları sınırlara ve özelliklere sahip olan şeydir. Bir farkla ki nefsin, canlılık özelliği bulunmayan bir şeye geçmesi imkânsızdır. (Bu görüş de Deysâniyye'ye aittir.)[11] Harîrî, Ca'fer b. Mübeşşir'den şöyle dediğini nakleder: "Nefis cevherdir. Ancak o, ne bu cisimdir ve ne de cisimdir. Cevher ile cisim arasında karşıtlık vardır.

Bazıları da: "Nefis, ruhtan ayrı şeylerdir. Ruh, canlılık değildir. Buna göre (Ebü'l-Hûzeyl'e) canlılık ise bedenin bir arazıdır. Bu, uykusu halinde insanın, ruhu çıkarken canlılığının devam ettiğini sanmıştır. Delil olarak da: "Allah nefisleri ölümü anında vefât ettirir. Uykusunda ölmeyenler ise..."[12] ayetini getirmiştir.

Ca'fer b. Harb de: "Nefis, bu cisimde bulunan arazlardan biridir. Sıhhat ve selâmet gibi fiil durumundaki insanın kendisinden faydalandığı şeydir. Nefsin, cevher ve cisimlerin hiçbir özelliğini taşımaz. Eş'arî'den hikâye edilenler bu kadardır.

Bazıları da: "Nefis, teneffüs yapmakla vücuda girip çıkan nesîm (ruh) dir" demektedirler. Ruh hakkındaki görüşleri ise: "Ruh bir arazdır, yani canlılıktır ve nefisten ayrı bir şeydir" şeklindedir. Kâdı Ebû Bekr el-Bâkıllânî ve diğer Eş'arîlerin görüşü de budur.

Bazıları da: "Nefis ne cisimdir ne de arazdır. Nefsin bir yeri, boyu, eni, derinliği, rengi ve her hangi bir cüz'ü yoktur. Ayrıca o ne âlemin içindedir ne de dışındadır. Ona yakın da değildir, ona aykırı da değildir." Meşşâîlerin[13] görüşü ise budur. Eş'arî bunu, Aristo'dan hikâye etmiştir. Onlar, ruhun bedenle olan ilişkisinin, ruhun bedene girmesi, ona yakın olması, beraber bulunması, ona yapışık olması ya da karşıt olması şeklinde bulunmadığını iddiâ etmişlerdir. Ruh, sadece bedeni tedbîr edendir. Bu, Besencî'nin, Müfîd lakabıyla bilinen Muhamed b. Nu'mân'm, Ma'mer b. Ubad el-Gazzâlî'nin, İbn Sînâ ve onun peşinde gidenlerin görüşüdür. En değersiz, en bâtıl ve gerçeğe en uzak olan görüş de budur.

Muhammed b. Hazm der ki: "Diğer ehli sünnet alimleriyle meâda inanan milletler nefsin; boyu, eni, derinliği ve bir mekânı olan cisim olduğunu; beden üzerinde tasarrufta bulunan mütehayyız (yer kaplayan) bir cüsseden iba-

11. Bu ilave yine Eş'arî'nin **Makâlât**'ından alınmıştır.
12. Zümer sûresi, (39/42)
13. Geceleri dolaştıkları yerde felsefi meseleleri müzakere eden Yunan felsefecilerinden bir grup. Aristo bu grubun hocasıdır.

ret olduğunu belirtmişlerdir. Meseleye bu açıdan bakınca şöyle deriz: "Nefis ve ruh, müterâdif (eş anlamlı) isimlerdir. Her ikisi de tek bir manaya gelmektedir."

Ebû Abdullah b. Hatîb, nefisle ilgili bütün görüşleri bir araya getirmiştir. Ebû Abdullah der ki: "Her insanın kendini göstererek "ben" demesi, ya cisim olduğundan ya da cisimde bulunan araz olmasındandır. Yahutta "ben"in, ne cisim ne de cisimde bulunan araz olmasındandır. Birinci kısımda cisim olmasına gelince bu cisimden maksat, ya şu bedendir ya bu bedene göre müşterek bir cisimdir ya da bedenden ayrı bir şeydir. İkinci kısma göre ise insan nefsi, bu bedenden ayrı bir cisimdir ki bu görüşte olan kimse yoktur. Birinci kısma göre ise insan bu bedenden yani muayyen bir iskeletten ibarettir. Çoğu kelamcıların kabul ettiği görüş budur. Cumhûr-u ülemânın tercihi de bu yöndedir.

Ben derim ki. Bu, Cumhûr-u ulemânın görüşüdür. Razî, bunların sözlerini bid'at ehlinin sözlerinden; diğerlerini ise sapıtmışların görüşlerinden saymıştır. Sahâbe, Tabiîn ve hadis ehlinin görüşlerine gelince Razî'nin asla buna diyeceği yoktur. Prensipleri itibariyle bunların, konuyla ilgili bâtıl mezheplerin görüşlerini hikâye edeceklerine inanmam. O halde hak olan görüş Razî'nin bilmediği dolayısıyla sözünü etmediği Kur'ân, sünnet ve ashabın sözleridir. Razî'nin, Cumhûr-u ülemâya nisbet ettiği "insan, bu bedenden ibarettir; bunun ötesinde hiçbir şey yoktur" görüşü, bu hususta ileri sürülebilecek en sakat görüştür. İbn Sînâ ve onun peşinden gidenlerin görüşlerinden de sakattır. O halde Cumhûrun görüşü şudur: İnsan, bedenle beraber ruhtan ibarettir. Delil olması halinde insan ismi, bazan bunlardan birine de verilebilir.

İnsan kelimesiyle ilgili dört görüş vardır. Bunlar: a-İnsan sadece ruh mudur? b-Sadece beden midir? c-Hem ruh hem de beden midir? d-Bunlardan herbiri midir? Bu dört görüşün temelinde, insan lafzının kullanılışı yatmaktadır. İnsan sadece lafızdan mı ibarettir, sadece manadan mı ibarettir, hem lafızdan hem de manadan mı ibarettir yoksa bunların herbirinden mi ibarettir? Farklı bu dört görüş, insan lafzının kullanılmasından kaynaklanmıştır.

Razî der ki: "İkinci kısma göre insan, bedende bulunan muayyen bir cisimden ibarettir." Bu görüşte olanlar, söz konusu cismin nasıl bir cisim olduğunda da ihtilaf etmişlerdir.

Birincisi: Bu cisim, bedenin teşekkül ettiği dört unsurun karışmasından ibarettir.

İkincisi: Bu, kandır.

Üçüncüsü: Kalbin sol tarafından doğan latîf bir ruhtur ki sirâyet yoluyla diğer uzuvlara da geçer.

Dördüncüsü: Kalpten dimağa doğru çıkan, hafıza, düşünme ve hatırlama güçlerini kabule müsâit bir keyfiyyeti bulunan ruhtur.

Beşincisi: Kalpte, bölünmez olarak bulunan bir parçadır.

Altıncısı: Diğer cisimlerden farklı bir cisimdir. Nûranî, ûlvî, hafif, canlı ve hareketli bir cinstir ki uzuvlara geçer; onun bu geçişi suyun buza, yağın zeytine, ateşin de kömüre geçmesi gibidir. Uzuvlar, latîf bu cisimden taşan özellikleri kabul etmeye müsâit olduğu müddetçe bu latîf cisim uzuvlara karışmış olarak kalır. Latîf cismin uzuvlardaki tesirleri, onların hissetmeleri ve irâdeyle hareket etmeleridir.

Sert karışımların baskısı nedeniyle bu uzuvlar bozulup söz konusu tesirleri kabul edemez olunca ruh, bedenden ayrılarak ruhlar âlemine gider.

Konumuzla ilgili en doğru görüş budur. Bunu değiştirmek doğru olmaz. Bunun dışmdaki bütün görüşler bâtıldır. Buna Kitap, sünnet, sahâbenin icmâı, akıl ve fıtrat delildir. Şimdi bir yandan bu delilleri zikredeceğiz.

Birinci Delil: Allah Teâlâ'nın şu kavli: Allah, ölmekte olan canları alır, ölmeyenleri de bedenlerinden alır. Ölümüne hükmettiğini yanında tutar, diğerini ise belli bir süreye kadar salıverir."[14] Bu âyette üç delil vardır:

(1)Nefisleri öldüreceğinden haber vermek.

(2)Ölümüne hükmedilen nefisleri tutmak.

(3)Diğerlerini ise salıvermek.

Dördüncü Delil: Şu âyettir: "O zalimler ölüm dalgaları içinde, melekler de ellerini uzatmış; haydi canlarınızı çıkarın, bugün, Allah'a gerçek olmayanı söylemenizden ve O'nun âyetlerine karşı büyüklük taslamanızdan ötürü alçaklık azabıyla cezâlandırılacaksınız"[15] derken "onların halini bir görsen" kısmından "sizi ilk kez yarattığımız gibi yine tek olarak bize geldiniz"[16] kısmına kadar olan yer.

Bu âyetlerde ise dört delil vardır:

(4)*Birincisi:*Canları almak için meleklerin ellerini uzatmaları.

(5)*İkincisi:*Canların, çıkan ve çıkarılan diye ifade edilmesi.

(6) *Üçüncüsü:*Bugün onlara verilecek azaptan haber verme.

(7)*Dördüncüsü:*Canların, Rabblerine geleceğinden haber verme.[17]

---

14. Zümer sûresi, (39/42).
15. En'âm sûresi, (6/93).
16. En'âm sûresi, (6/94).
17. Yani ilk âyette üç delil vardır. İkinci ve üçüncü âyette ise dört delil vardır. İkisinin toplamı yedi delil yapar. Arkasından gelen âyetteki üç delille ise toplam ona çıkar. Bu böyle sürüp gider.

Sekizinci Delil: Şu âyettir: "O Allah ki geceleyin sizi öldürür (gibi uyutur), gündüzleri ne işlediğinizi bilir; sonra belirlenmiş süre geçilip tamamlansın diye sizi diriltir. Sonra dönüşünüz O'nadır"[18] kısmından "nihayet birinize ölüm gelince elçilerimiz onun canını alırlar; bu hususta onlar geri kalmazlar"[19] kısmına kadar olan yer. Üç delil de burada bulunmaktadır.

(8)*Birincisi:* Canların, geceleri öldürüleceğini bildirmek.

(9)*İkincisi:* Gündüzleri canların, bedenlere gönderileceği.

(10)*Üçüncüsü:* Ölüm anında meleklerin canı alacağı. Böylece deliller, ona çıkmıştır.

Onbirinci Delil: Şu âyettir: "Ey mutmain olan nefis. Sen Rabbindan O da senden razı olarak O'na dön. Kullarım arasına katıl ve cennetime gir"[20] üç delil de burada vardır:

(12)*Birincisi:* Nefsin dönücü olduğunu belirtmek.

(13)*İkincisi:* Cennete gireceğini belirtmek.

(14)*Üçüncüsü:* Nefisten razı olunacağını belirtmek.

Selef ulemâsı söz konusu hitabın nefse, ölüm anında mı diriliş anında mı yoksa her iki yerde mi yapılacağı konusunda ihtilaf etmişlerdir? Konuyla ilgili üç görüş vardır. Merfû bir hadiste rivayet edildiğine göre Rasûlullah Ebû Bekir'e şöyle demiştir: "Melek bunu, sana ölüm anında diyecektir."[21] Zeyd b. Eslem de: "Ölüm anında, toplanma gününde ve dirilirken cennetle müjdelenecektir" demiştir. Ebû Salih ise: "Sen Rabbinden O da senden razı olarak O'na dön hitabı ölüm anında: "Kullarım arasına katıl ve cennetime gir" hitabı da kıyamet günü yapılır" demiştir.

Onbeşinci Delil: Rasûlullah'ın şu sözüdür: "Ruh alınacağı zaman göz ona uyar."[22] Burada iki delil bulunmaktadır.

(15)*Birincisi:* Ruhun alınacağı.

(16)*İkincisi:* Alınan ruhu, gözün görmesi.

Onyedinci Delil: Nesâî'nin rivayet ettiği hadistir. Ebû Dâvud Affân'dan O da Hammâd'dan, o da Ebû Ca'fer'den, o da Ammare b. Huzeyme yoluyla babasından şöyle dediğini nakleder: "Rüyamda kendimi, Rasûlullah'ın alnına sec-

18. En'am sûresi, (6/60).
19. En'âm sûresi, (6/61).
20. Fecr sûresi, (89/27).
21. Hafız İbni Kesir bu hadisi İbni Ebî Hâtim ve İbni Cerîr'in rivayet ettiklerini söyledikten sonra: "Hadis, mürsel ve hasendir" der bkz. İbni Kesîr, c. 4, s. 510-511
22. Hadisi, İmam Ahmed, Müslim ve İbni Mâce Rasûlullah'ın hanımı Ümmü Seleme'den rivayet etmişlerdir. Ben derim ki: Aynı hadisi Beynakî ve diğerleri de rivayet etmiştir. bkz. Sahîhu'l-câmî (1620).

de eder gibi gördüm. Bunu Rasûlullah'a anlatınca başını şöyle eğerek: "Ruhlar birbirine kavuşurlar" dedi. Affân der ki: O, başını boğazına yaklaştırarak alnını Rasûlullah'ın alnına koyunca Rasûlullah, ruhların rüyada buluşabileceklerini belirtti. Ayrıca İbn Abbas'ın: "Rüyada ölülerin ruhlarıyla dirilerin ruhları buluşurlar; birbirlerinden bilgi alırlar. Sonra Allah, ölülerin ruhlarını tutar"[23] sözü de yukarıda geçti.

Onsekizinci Delil :Hz. Billal'in rivayet ettiği şu hadistir: "Allahû Teâlâ dileyince ruhlarınızı alır, sonra tekrar size gönderir."[24] İki delil de burada vardır.

(18)*Birincisi*:Ruhun tutulması.

(19)*İkincisi*:Ruhun, yeniden gönderilmesi.

Yirminci Delil: Rasûlullah'ın şu sözüdür: Mü'min kişinin ruhu, cennet ağacından yiyen bir kuştur."[25] İki delil de burada vardır:

(20)*Birincisi*:Mü'min kişinin ruhunun kuş olması.

(21)*İkincisi*:Farklı yorumlar olsa da cennet ağacından yemesi.

Yirmiikinci Delil: Şu hadistir. "Şehîdlerin ruhları yeşil renkli kuşların karınlarında, cennetle diledikleri gibi dolaşırlar, arşa asılı kandillere sığınırlar. Bu durumlarını gören Rabbin: "Ne istiyorsunuz?" diye onlara sorar..."[26] Bu hadiste altı delli vardır:

(23)*Birincisi*:Ruhların, kuşun karnında olmaları.

(24)*İkincisi*:Cennete dolaşmaları.

(25)*Üçüncüsü*:Cennet meyvelerinden yiyip, nehirlerinden su içmeleri.

(26)*Dördüncüsü*:Ruhların bu kandillere varıp orada oturmaları.

(27)*Beşincisi*:Yüce Allah'ın onlara hitap etmesi, onları konuşturup isteklerini yerine getirmesi.

---

23. İbni Adiy der ki: Affan'ın iki Hammad ve diğerlerinden muttasıl bir senetle mürsellerinden başka rivayet ettiği hiçbir hadisi bilmiyorum. Mevkûf hadisleri; merfû' olarak rivayet etmiştir. Sika ravi bazan hata edebilir. Affan'da ise bir kusur yoktur. Doğru birisidir" bkz. **et-Tehzîb** Râvî Hammad b. Seleme, hadisin sonunu değiştirmiştir. Ahmed b. Hanbel ise bu hadisi Sekn b. Râfî Ebû'l-Hasen el-Bahilî'den o da Salih'ten yani İbni Ebi'l-Ahdar'dan o da Zührî yoluyla Ammare b. Hüzeyme'den rivayet etmiştir. bkz. **Müsned**, c. 5, s. 216.
24. Buhârî, el-Mevâkit (35), et-Tevhîd (31); Nesâî, el-İmame (47), Ahmed ise el-Müsned, 5/3.7'de rivayet etmişlerdir. Ayrıca Suyutî **el-Fethü'l-kebîr**'de Ebû Dâvûd'un Ebû Hureyre'den rivayet ettiğini de söyler. Ben derim ki: "Ebû Dâvûd'un rivayeti Ebû Katâde'dendir. bkz. **Sahîhu'l-câmî** (1779) ve Ebû Dâvûd'un Avn şerhi, c. 2, s. 112-113. Ebû Dâvûd'un Ebû Hureyre'den rivayet ise muhakkık kardeşimizin bu hadisi de içine aldığına dair bir vehmidir. Sadeçe hadisteki kıssa Ebû Dâvûd'da sözedilmektedir. Böyle bir hadis yoktur. bkz. a.g.e., s. 103-104.
25. Nesâî el-Cenâiz (117)de; Malik, **Muvatta**'nın Bâbu'l-Cenâiz'inde (49), İbni Mâce, ez-Zühd (22)de ve İmam Ahmed **Müsned** 3/455'de rivayet etmişlerdir. Hadis sahihtir.
26. Hadis sahihtir. Yukarıda geçti.

(28)*Altıncısı*:Ruhların dünyaya dönmek istemeleri ki bu isteğin kabul edilmeyeceği bilinmektedir. Eğer denirse ki; bütün ruhlar, orada ruh görünümünde değil de kuş görünümünde" cevabımız şudur: Maksat, kuşun karnına girmiş ruhtur. Hatta Ebû Ömer'in tercih ettiği bir rivayette şehîdlerin ruhları kuşlar gibidir denmektedir ki bu, şüpheyi tamamen ortadan kaldırır.

Yirmidokuzuncu Delil: Talha b. Ubeydullah'tan rivayet edilen şu hadis: Talha der ki: "Kabristan'da yatan ölümüzü ziyarete gittim. Karanlık bastı. Abdullah b. Amr b. Huzâm'ın kabri yanına uzandım. Kabirden Kur'ân sesi geliyordu. Hayatımda ondan daha güzelini duymadım. Bunu Rasûlullah'a anlattım. Rasûlullah dedi ki: "O Kur'ân sesi Abdullah'ındır. Bilmez misin Yüce Allah onların ruhunu, zümrüt ve yâkûttan yapılmış kandillerin altına kor; sonra onu cennetin ortasına asar. Gece olunca onlara ruhlarını verir. Fecir doğana kadar ruhları kendilerinde kalır. Sonra yeniden geldikleri yere giderler."[27] Bu hadiste ise yukarıdakiler dışında dört delil vardır:

(29)*Birincisi*:Ruhları, kandillerin altına alması.

(30)*İkincisi*:Bir yerden bir yere göndermesi.

(31)*Üçüncüsü*:Ruhların konuşması, kabirde Kur'ân okumaları.

(32)*Dördüncüsü*:Ruhların bir yerde bulunduğunu bildirmesi.

Otuzüçüncü Delil: Yukarı da geçen Berâ b. Âzib hadisi.[28] Bu hadiste ise yirmi delil vardır:

(34)*Birincisi*:Ölüm meleğinin ona: "Ey Mütmain olan nefis. Sen Rabbinden O da senden razı olarak O'na dön"[29] demesi. Şüphesiz böyle bir söz, anlayıp düşünen varlığa söylenir.

(35)*İkincisi*:Ruhun: "Beni, Allah'ın mağfiret ve rızasına çıkarın" demesi.

(36)*Üçüncüsü*:Ruhun, dolu kaptan su damlalarının aktığı gibi akması.

(37)*Dördüncüsü*:"Onu, göz açıp kapayıncaya kadar bile olsa elinde bırakmayın, derhal alın" demesi.

(38)*Beşincisi*:"Taki onu, bu kefene sarıp bu kokuları üzerine saçana kadar..." Yani burada ölünün kefenlenip üzerine koku saçılacağı belirtilmektedir.

(39)*Altıncısı*:Sonra ruhu semaya çıkarılır" sözü.

(40)*Yedincisi*:Ruhtan, bilinen en güzel misk kokusunun yayılması.

(41)*Sekizincisi*:"Ona sema kapıları açılır" sözü.

---

27. Hadis gerçekten zayıftır. Yukarıda geçti.
28. Hadis sahîhtir. Defalarca geçti.
29. Fecr sûresi, (89/27).

(42)*Dokuzuncusu*:Allah'ın katına varıncaya kadar onu her sema katı görevlilerinin uğurlaması.

(43)*Onuncusu*:Yüce Allah'ın: "Kulumu yere götürün" demesi.

(44)*Onbirincisi*:Ruhun, cesede gönderilmesi.

(45)*Onikincisi*:Kâfir kişinin ruhunun bedenden ayrılmasından sonra bedenin onu çekmesi ve bu esnada bedenin ter ve sinire boğulması.

(46)*Onüçüncüsü*:Kâfir kişinin ruhunda, yeryüzünde bilinen en kötü kokunun belirmesi.

(47)*Ondördüncüsü*:Kâfir kişinin semadan koğulması ve atılıp yere düşmesi.

(48)*Onbeşincisi*:Ruhlar, meleklerin yanından geçirildiklerinde onların: " Bu ruh ne güzeldir" veya "Bu ruh ne kötüdür" demeleri.

(49)*Onaltıncısı*:İki melek onu oturttuktan sonra: "Şu adam hakkında ne diyorsun?" diye ruha sormaları. Bu sualin ruha olduğu açıktır. Bedene karşı olan sual ise ruhun semadan bedene dönüşünden sonradır.

(50)*Onyedincisi*:Ruhu semaya çıkarılınca "Ey adam, hangi Rabbe kulluk ettin?" denmesi.

(51)*Onsekizincisi*:Onu götürün ve ona hazırladığım ikramı ona gösterin. Bunun üzerine cennetteki ya da cehennemdeki yeri gösterilir.

(52)*Ondokuzuncusu*:Bir hadiste de: "Mü'min kişinin ruhu bedenden çıkınca gök ve yer arasındaki bütün melekler ona duâ ederler. Melekler ruhuna karşı namaz kılarlarken insanlar, bedenine karşı namaz kılarlar" buyurulması.

(53)*Yirmincisi*:Kıyamete kadar cennetteki ya da cehennemdeki kalacağı yere bakması. Bedenin çürüyüp dağılacağı malumdur. O halde makamlarını gören ruhtur.

FASIL

Ellidördüncüsü: Ebû Mûsâ'dan gelen şu hadis: "Mü'mnin kişinin ruhundan, misk kokusundan daha güzel kokan bir koku çıkar. Ruhu olan melekler onu dünya semâsı altındaki meleklere ulaştırırlar ve "bu fülancanın oğlu fülancadır." En güzel amellerini sayarak "şu şu ameli işlemiştir" derler. Semâdaki melekler de: "Size de ona da merhabâ" derler ve ruhu onlardan alarak yaptığı güzel amellerinin çıktığı ve güneş gibi gökleri aydınlattığı kapıdan arşa varana kadar götürürler. Kâfire gelince ruhu alınınca dünya semâsına çıkarılır. Oradaki melekler: "Bu kim?" derler. Ölüm melekleri de yaptığın en kötü amelleri sayarak "fülancanın oğlu fülancadır" karşılığını verirler. O zaman melekler: "Mer-

haba değil, merhaba değil. Onu geri götürün" derler. Böylece onu yerin altına, dibine indirirler. On delil de bunda vardır:

(54)*Birincisi*:Ruhun bulunması.

(55)*İkincisi*:Ruhun güzel kokması.

(56)*Üçüncüsü*:Meleklerin ruhu götürmesi.

(57)*Dördüncüsü*:Meleklerin ona selam vermesi.

(58)*Beşincisi*:Ruhu, ölüm meleklerinin elinden semâ meleklerinin alması.

(59)*Altıncısı*:Ve onu semâlara çıkarmaları.

(60)*Yedincisi*:Ruhtan yayılan ışığın gökleri aydınlatması.

(61)*Sekizincisi*:Ruhu arşa kadar götürmeleri.

(62)*Dokuzuncusu*:Meleklerin: "Bu kimdir?" demeleri. Bu soru, bizzat nefsiyle kaim bir zata, bir kişiye sorulur.

(63)*Onuncusu*:Meleklerin "bu kimdir?" demeleri. Bu soru, bizzat nefsiyle kaim bir zata, bir kişiye sorulur.

FASIL

Altmışdördüncüsü: Ebû Hureyre'den gelen şu hadis: "Mü'min kişinin ruhu çıkınca iki melek onu alıp semâya çıkarırlar. Semâdakiler: "Yeryüzünden gelmiş ey güzel ruh. Allah'ın selamı sana ve idare ettiğin bedene olsun" derler." Ruhtan yayılan hoş kokudan bahsedilir. Sonra o, Rabbin bulunduğu kata çıkarılır. Yüce Allah meleklere: Onu iki sürenin (ecelin) sonuna götürün" der.[30] Bu hadiste altı delil bulunmaktadır.

(65)*Birincisi*:Ruhu iki meleğin alması.

(66)*İkincisi*:Semâya çıkarmaları.

(67)*Üçüncüsü*:Meleklerin: "Yeryüzünden gelmiş hoş ruh" diye karşılamaları.

(68)*Dördüncüsü*:Ruha duâ etmeleri.

(69)*Beşincisi*:Ruhtan yayılan güzel koku.

(70)*Altıncısı*:Allah Teâlâ'nın huzuruna çıkarılması.

30. Hadis sahihtir. Müslim rivayet etmiştir. bkz. Nevevî Şerhi, c. 17, s. 205.

FASIL

Yetmişbirincisi: Ebû Hureyre'den rivayet edilen şu hadis:[31] "Mü'min kişi öleceği zaman melekler gelirler. Eğer bu kimse salih biri ise: "Ey güzel bedende bulunan güzel nefis çık. Allah'ı överek, rahatlık, güzel rızık ve kızgın olmayan Rabbi müjdeleyerek çık" derler. Ruh bedenden ayrılana kadar böyle derler. Ruh bedenden ayrılınca onu semâya kadar çıkartırlar. Semâ kapısının açılması istendiğinde: "O kim?" derler. "Fülancanın oğlu fülancadır" karşılığı verilince: "Güzel bedende bulunan güzel nefis, merhaba sana, överek, rahatlık, güzel rızık ve kızgın olmayan Rabbe müjdeleyerek buyur gir" derler. Allah'ın katına varıncaya kadar her katta böyle karşılanır. Eğer bu kimse kötü biri ise: "Ey pis bedende bulunan pis nefis çık. Yerilerek; kızgın terle, cehennem iriniyle ve kendi gibi eşleri müjdeleyerek çık" derler. Ruh bedenden ayrılana kadar böyle söylerler. Ruh bedenden ayrılınca semâya çıkarılır. semâ görevlileri: "O kimdir?" diye sorarlar. "Fülancanın oğlu fülancadır" karşılığını verilince: "Ey kötü bedende bulunan kötü ruh. Yerilerek geri dön" derler. Çünkü buna semâ kapıları açılınaz. Böylece o, arza indirilip kabrine götürülür." Bu hadis sahihtir. On tane de bunda delil vardır:

(72)*Birincisi*:Ruhun, güzel ya da kötü bedende bulunması. Burası ruhun yeridir.

(73)*İkincisi*:"Övülerek çık" denmesi.

(74)*Üçüncüsü*:"Rahatlığı, güzel rızkı müjdele" denmesi. Bu, bedenden ayrılan ruhun karşılacağı şeylerle müjdelenmesidir.

(75)*Dördüncüsü*:Semâya çıkarılana kadar devamlı böyle denmesi.

(76)*Beşincisi*:Ruhun girmesi için semâ kapısının açılmasını istemek.

(77)*Yedincisi*:Allah'ın bulunduğu kata kadar çıkartılması.

(78)*Sekizincisi*:Günahkâr ruha: "Yerilerek geri dön" denmesi.

(79)*Dokuzuncusu*:Semâ kapılarının buna açılmaması.

(80)*Onuncusu*:Yere indirilip kabrine konması.

---

31. Hadis sahihtir. İmam Ahmed rivayet eder, bkz. **Tefsîr-i İbni Kesîr**, c.2, s. 138. İbni Kesir, "bu garib bir hadistir" der. Ayrıca İbni Mâce daha iyi bir şekilde (c. 2, s. 1426-1427) rivayet etmiştir. **ez-Zevâid**'de "senedi sahihtir" denmektedir. Şeyh Elbânî de hadisi sahih sayar. bkz. **Sahîhu'l-câmî** (1964). Hadislerin her biri de Ebû Hureyre'den gelmiştir.

FASIL

Seksenbirincisi: Rasûlullah'ın şu kavli: "Ruhlar, toplanmış ordulardır. Tanışanlar, birbirlerine yakınlaşır. Tanışmayanlar ise birbirinden uzaklaşır."[32] Rasûlullah, ruhları, toplanmış ordular olarak vasıflandırmıştır. Ordular, nefsiyle kaim ordulardır. Tanışma ve tanışmama özellikleri vardır. Bu orduların araz olmaları, âlemin ne içinde ne de dışında olmamaları ve bütün ile parça olmamaları imkansızdır.

Seksenikincisi: İbn Mes'ûd hadisinde Rasûlullah'ın ruhlar hakkında: "Onlar birbirine kavuşur; kısrakların tepiştiği gibi tepişirler"[33] demesi.

Seksenüçüncüsü: Abdullah b. Amr hadisinde Rasûlullah'ın: "Mü'minlerin ruhları, iki günlük yaya yolunda buluşurlar. Biri diğerini hiç görmemiş olsa bile tanışırlar" sözü.

Seksendördüncüsü: Hz. Âdem'in yaratılmasıyla ilgili haberler. Ruh Hz. Âdem'in tepesinden girince Hz. Âdem, aksırır ve: "Elhamdülillah" der. Ruh, iki gözüne ulaşınca cennet meyvelerine bakar. Karnına varınca yemek yemeyi arzular. Henüz ruh, ayaklarına ulaşmadan ayağa kalkar. Ruh bedene girerken de bedenden çıkarken de yadırganır.

Seksenbeşincisi: Allah Teâlâ'nın ruhu çıkarması; mutlu ruhları şakî ruhlardan ayırması; o zaman parlaklık ve sönüklükte ruhların farklı olması ve ruhlar arasında peygamberlerin ruhlarının, kandiller gibi olmasıyla ilgili yukarıda geçen haberler.[34]

Seksenaltıncısı: Temîm ed-Dârî'nin yukarıda geçen: "Mü'min kişinin ruhu, Allah'ın huzuruna çıkarılınca huzurunda secdeye kapanır. Melekler ruha müjdeler verirler. Yüce Allah ölüm meleğine: "Kulumun ruhunu götür, şu şu yere koy' der" hadisi de deliller arasındadır.

Seksenyedincisi: Ölümden sonra ruhların yeri ve insanların bu konudaki ihtilaflarıyla ilgili haberler. Bu ihtilafların altında selefin; her ne kadar yeri konusunda anlaşamasalar da ölümden sonra ruhun, bir mekanı olduğu konusunda icmaları vardır.

Seksensekizincisi: Yukarıdaki haberlerden zorunlu olarak Rasûlullah'ın[35] bunları getirdiği bilinmektedir. Rasûlullah ümmetine, bedenlerin bitkiselleştiği-

---

32. Hadis sahihtir. Yukarıda geçti.
33. Hadis mevkûf ve zayıftır. Yukarıda geçti.
34. Bu manada birçok sahih hadis gelmiştir. Ubey b. Ka'b'dan "mü'minlerin ruhları..." diye şeklinde gelen hadis ise zayıftır.
35. Yani Rasûlullah, kıyâmet günü insanların otun topraktan çıktığı gibi çıkacağını: "Ölen insanın kuyruk sokumu dışında bütün uzuvları çürür gider. Kıyâmet günü bedeni, kuyruk sokumuna binar" şeklinde belirtmiştir. bkz. Buhârî, c. 6, s. 79; Müslim, Nevevî Şerhi, c. 18, s. 91-94.

ni; Sûr'a üflenince de her ruhun ait olduğu bedene döndüğünü; yer de yarılarak bedenin kabrinden çıktığını belirtmiştir.

Sûr hadisinde şöyle anlatılır: "İsrâfil, ruhları çağırır. Müslümanların ruhları nur olarak diğerlerinin ruhları ise karanlık olarak İsrafil'e gelirler. İsrafil onları toplayınca Sûr'a asar. Sonra ona üfürür. Bu zaman Yüce Allah der ki: "İzzetim hakkı için her ruh, bedenine dönecektir." Bunun üzerine gök ve yer etrafında toplanınış ruhlar, arıların kovanlarından dağıldığı gibi ruhlar da Sûr'dan dağılırlar. Her ruh ait olduğu bedene gelerek ona girer. Yüce Allah, yere emreder. Yer yarılır. Ruhlar, yakın bir yerden çağıran kişinin sesine koşuştukları gibi Rabblerine doğru koşuşurlar.[36] Rabblerinin huzuruna varıp bekleşirler."[37]

Rasûlullah, kesinlikle bunları belirtmiştir. Yüce Allah da insanlara, dünyadaki ruhları dışında başka ruhlar vermez. Ayrıca hayır ve şerri işleyen ruhlar bu ruhlardır. Allah bedenlerini yeniden yaratarak ruhları bedenlere gönderir.

Seksendokuzuncusu: Kıyamet günü ruh ve beden, Allah'ın huzurunda çekişecektir. Ali b. Abdülaziz[38] anlatıyor. Bize Ahmed b Yunûs, o da Ebû Bekir b. Ayyâş'tan, o da Ebû Sa'd el-Bakkâl'dan, o da İkrime yoluyla İbn Abbas'tan nakleder. İbn Abbas der ki: Kıyamet günü insanlar arasında çekişme sürüp gider. Öyle ki ruhla beden bile çekişir. Ruh der ki: "Ey Rabbim. Ben, ancak senin şu beden için yarattığın bir ruhum. Bunda benim hiç günahım yok." O zaman Allah tarafından şöyle denir. Aranızda ben hükmedeceğim. Kör bir adamla oturak bir adam üzüm tarlasına girerler. Kötürüm olan kör adama der ki: "Şurada bir meyve görüyorum. Ayaklarım olsaydı onu alırdım." Buna karşılık kör de: "Ben seni omuzuma alayım" der. Ve meyvenin yanına kadar taşır. Oturak meyveyi koparır ve birlikte yerler. Burada suç kimin? Bu sual karşısında ruh ve beden: "Suç her ikisinin" derler. Yüce Allah da: "Hakkınızdaki hükmü kendiniz verdiniz" karşılığını verir.

---

36. Yani boyunlarını çağırana doğru uzatırlar. Âyette ise şöyle geçer: "Boyunlarını çağırana doğru uzatıp koşarlarken, kâfirler: 'Bu, çetin bir gündür' derler." (el-Kamer, 54/8).
37. Hadisin çeşitli rivayetleri oldukça uzundur. Ebû Ya'la Müsned'inde rivayet ettikten sonra Hâfız İbni Kesîr yoluyla hadisi işlemiştir. bkz. **en-Nihâye**, c. 1, s. 213-224. İbni Kayyım'ın sözünü ettiği kısmı da aynı eserde bulabilirsin. (s. 217). İbni Kesir der ki: "Bu hadis, meşhurdur. Birçok muhaddis kitaplarında rivayet etmişlerdir. İbni Cerir tefsirinde, Taberânî **el-Mutavvelât**'ta ve diğerlerinde; Hâfız Beyhakî **Kitâbu'l-Ba's ve'n-nuşûr**'da; Hâfız İbni Mûsâ el-Medînî yine **el-Mutavvelât**'ta Medine kadısı İsmail b. Râfî yoluyla rivayet etmişlerdir. İbni Mûsâ el-Medînî, İsmail b. Râfî hakkında biraz sözetmiş; hadisin bazı yerlerinde münker ve farklılıklar bulmuştur. Hâfız Ebû Mûsâ bunları anlattıktan sonra: "Hadisin çoğu kısımları sabit senetlere dayanılarak yapılmıştır" der. İbni Kesir devamında: "Bu hususa teker teker değineceğiz" demiştir. Ben derim ki: "Kitapta hadisin sözünü ettiğimiz kısım (s. 240-242)'de işlenmiş; ama hiç bir delil, destek getirilmemiştir.
38. Hadis zayıftır. Ebû Sa'd el-Bakkâl ve Saîd b. el-Merzebân hakkında el-Takrib'de zayıf ve müdlis" denmektedir.

Doksanıncısı: Diriliş gününe kadar kabirde azap ya da mükâfat görmekle ilgili hadis ve eserlerden, cesedin dağılıp bozulacağı; kabir azabının ya da nimetinin devam edeceği anlaşılmaktadır. Öyleyse bunlara ruh için söz konusudur.

Doksanbirincisi: Şehîdler hakkında sahih olarak gelen doğrulanmış haberler.[39] Şehîdlere "ne istiyorsunuz?" diye sorulduğunda: "Ruhlarımızın bedenlerimize ve gönderilmesini ve tekrar senin yolunda öldürülmeyi istiyoruz" demişlerdir. Görüldüğü gibi sual cevap akıllı, konuşan, dünyaya gönderilmeyi ve çıktıkları cesetlere girmeyi isteyen zata yöneltilmiştir. Arzuları sorulanlar ve cennettte dolaşanlar, ruhlardır. Bedenleri ise toprak, dağıtıp parçalamıştır.

Doksanikincisi: Selmanî Farisî ve diğer sahabilerden sabit olan şeyler: "Mü'minlerin ruhları, Berzah'tadır. Diledikleri gibi dolaşırlar. Kâfirlerin ruhları ise Siccîn'dedir."

Doksanüçüncüsü: Rasûlullah'ın, İsrâ gecesi, insanların ruhlarını, Hz. Âdem'in sağında ve solunda görmesi. Onları muayyen bir yerde görmüştür.[40]

Doksandördüncüsü: Belirtildiği üzere peygamberlerin, kendi ruhlarını, semâlarda görmesi, onlara selam ve rahatlık dilemesi. Peygamberlerin cesetleri, bilindiği gibi yerdedir.

Doksanbeşincisi: Çocukların ruhlarını, Hz. İbrahim'in etrafında görmesi.

Doksanaltıncısı: Buhârî'nin es-Sahîh'inde Semra'dan rivayet ettiği hadiste, Rasûlullah'ın azaba layık ruhların, Berzah'ta çeşitli azaplar çektiğini görmesi. Cesetleri ise parçalanarak dağılmıştır. Azap çektiklerini gördüğü sadece onların ruhlarıdır.

Doksanyedincisi: Yüce Allah'ın, kendi yolunda öldürülenlerin diri olarak Rabbleri katında rızıklandıklarından, sevinip kardeşlerini müjdelediklerinden haber vermesi de bir delildir. Rabbleri katında olanlar, kesinlikle ruhlardır. Çünkü bedenler toprakta, diriliş günü ruhların kendilerine gönderilmesini beklemektedirler.

Doksansekizincisi: İbn Abbas hadisinde[41] geçen husus. Şimdi biz, ruhla ilgili mülhid ve bid'atçıların görüşlerindeki sakat noktaları açıklayacağız. Hadisin senedi yukarıda geçti. Hadis şu: "Bir gün Rasûlullah'la beraber otururken şu âyeti okudu: "Zalimleri ölüm dalgaları içinde boğuşurlarken bir görsen."[42] Âyeti okuduktan sonra: "Muhammed'in nefsi yedinde olan Allah'a yemin olsun ki dünyadan ayrılan her nefis, cennetteki ya da cehennemdeki yerini göre-

39. Hadis sahihtir. Yukarıda geçti.
40. Sahihtir. Bu ve bundan sonraki yukarıda geçti.
41. Zayıftır. Tartışması yapıldı.
42. En'âm sûresi, (6/93).

cektir. O an gelince yüzleri güneş gibi parlak iki saf melek dizilir. Ölüm halindeki kişi onlara bakar, başkalarını göremez. Her ne kadar onun size baktığını zannetseniz de. Her meleğin yanında kefen ve koku bulunur. Kişi mü'min biriyse onu cennetle müjdelerler: "Ey mütmain olan nefis. Allah'ın rızasına ve cennetine doğru çık. Yüce Allah sana, dünya ve dünyadakilerden daha hayırlı birçok ikram hazırlamıştır. Annenin çocuğuna taltif edip onu okşadığı gibi devamlı melekler de onu taltîf ederler. Sonra ruhu, bütün tırnak kemikleri ve eklemlerden çekip alır. Ruhu alınan her kısım teker teker ölür. Her uzuv teker teker soğuyarak size ağır gelen ceset, meleklere hafif gelir. Ruhun çeneden çıkması, çocuğun anne rahminden çıkması kadar zordur. Her melek, ruhu çeneden almak için çalışır. Sonunda alma işini bir melek yüklenir. Daha sonra Rasûlullah: "De ki; sizin canınızı almakla görevli ölüm meleği sizi öldürür. Sonra Rabbinize döneceksiniz"[43] âyetini okudu. Sonra beyaz kefenlere sarar. Kadının, çocuğunu bağrına bastığı gibi onu bağrına basar. Sonra üzerine miskten daha güzel kokan kokular serper. Güzel bir koku koklanır. Bu kokuyu melekler hissedince: "Ey güzel koku, güzel ruh, merhaba sana. Allahım, bu ruha ve bu ruhun çıktığını bedene salât olsun" derler. Ruh, semâlara doğru çıkartılır. Geçtiği yerlere, miskten daha güzel kokan kokular saçılır. Melekler buna salât getirerek onu karşılarlar. Semâ kapıları açılır. Cebbâr olan Allah'ın huzuruna varıncaya kadar uğradığı bütün melekler ona salât getirirler. Yüce Allah der ki: "Hoş geldin ey en güzel nefis. Bunu cennete götürün. Cennetteki yerini gösterin. Ona hazırladığım nimet ve ikramları sunun. Sonra onu tekrar toprağa (yere) götürün. Çünkü ben, insanı ondan yarattım, tekrar oraya göndereceğim ve tekrar oradan çıkartacağım." Muhammed'in nefsi, yedinde olan Allah'a yemin olsun ki ruhun ikinci defa bedenden çıkması, ilk bedenden çıkışından daha zordur. Bu durumdaki ruh: "Beni nereye götürüyorunuz. Ait olduğum bedene mi?" der. Melekler de: "Biz bununla emrolunduk. Böyle yapmamız gerekir" karşılığını verirler. İnsanlar henüz ölünün yıkanma işini yeni bitirdiklerinde ruhu semâdan indirerek bedene, kefeni arasına korlar." Hadisi iyi düşün de ruhla ilgili saçma sapan konuşanların sakatlığını iyi anla.

Doksandokuzuncusu: Abdü'r-Rezzak'ın Ma'mer'den, onun da Zeyd b. Estem'den, onun da Abdurrahman b. Beylemânî[44] yoluyla Abdullah b. Ömer'den rivayet ettiği hadis. Rasûlullah şöyle buyurur: "Mü'min kişi öleceği zaman yanlarında cennet kokuları ve ruhun alınacağı bez olan iki melek gönderilir. Beden-

43. Secde sûresi, (32/11).

44. Hadis zayıftır. Râvî Abdurrahman b. el-Beylemânî'yi Dârakutnî zayıf saydıktan sonra "bu hadis, hüccet olmaz" demiştir. Ezdî de "hadisi münkerdir. İbni Ömer'den münker hadisler rivayet eder" derken Ebû Hâtim "hadiste gerçek bir râvîdir" demiştir. Tercemesi için bkz. **et-Tehzîb ve'-takrîb**'de ise "zayıftır" denmektedir.

den, kişinin hayatında asla koklayamayacağı kokular çıkar. Bedenden alınan ruh, Rahmân'ın huzuruna getirilir. Önünde ve arkasında, melekler ona secde ederler. Sonra Mikâil çağrılır. O'na denir ki: "Al şu nefsi, mü'minlerin nefisleri yanına koy. Kıyamet günü sorgulanana kadar orada dursun."

Sahâbeden gelen eserlerde de mü'min kişinin ruhuna, gerek ölüm anında gerekse uyku halinde arşta bulunanların secde ettiği belirtilmiştir. Ruh, Allah'ın huzuruna çıkınca O'na en güzel selamı vererek: "Ey Allahım, selam sanadır. Selam sendendir. Celâl ve ikram sahibi olan Allahım, Sen ne mübareksin" der.[45]

Kâdı Nûreddin b. Sâiğ anlatıyor. Âbid ve sâlihlerden bir teyzem vardı. Ölümüne sebep olan hastalığında onu ziyaret ettim. Bana dedi ki: "Ruh Allah'ın huzuruna varıp önünde durunca Allah'a nasıl selam verir, O'na ne der?" Nûreddin der ki: Teyzemin bu sorusu bana çok ağır geldi. Biraz düşündükten sonra dedim ki: "Allah'ın huzuruna varınca; 'Allâhümme ente's-selâmü ve minke's-selâmü tebârekte yâ ze'l-celâli ve'l-ikrâm' dersin. Teyzem ölünce onu, rüyamda gördüm. Bana dedi ki: "Allah sana hayırla karşılık versin. Ne diyeceğimi bilemediğimden önce şaşırıp kaldım. Sonra bana söylediğin söz aklıma geldi de onu söyledim."

Yüzüncüsü: Yeryüzünde yaşayan bütün insanlar, ölülerin ruhlarına kavuşabileceğine; onlara soru sorabileceğine; ölülerin, kendilerinin bilmediği birşeyi haber verebileceklerine ve onları görebileceklerine dair bilginin doğru olduğundan birleşmişlerdir. Bununla ilgili misaller, inkar edilemeyecek kadar çoktur.

Yüzbirincisi: Uyuyan kişi rüyasında bazı şeyler elde eder. Uyanınca da onu vücudunda bulur. İşte bu bir ruhun diğer bir ruha etki etmesidir. Kayrûvânî **Kitâbü'l-Büstân**'da Selef'ten şunları nakleder:

Seleften biri anlatıyor. Ebû Bekir ve Ömer'e söven bir komşum vardı. Günün birinde sövmede ileri gitti. Karşılıklı atıştık. Baktım olmayacak, canım sıkkın bir halde evime geldim. Yatsı namazını kılmadan uyudum. Rüyamda Rasûlullah'ı gördüm. Dedim ki: "Ey Allah'ın Rasûlü, fülanca senin ashabına sövüyor." O da: "Hangilerine?" dedi. "Ebû Bekir'le Ömer'e" deyince; "al şu bıçağı, o adamı boğazla" dedi. Bıçağı aldım. Adamı yatırıp boğazladım. Elime kanı bulaşmıştı. Bıçağı bıraktım. Kanı silmek için elimi toprağa sürdüm. Uyandığımda komşumun evinden çığlık geliyordu. Bu çığlığın sebebini sordum. "Fülanca ansızın öldü" dediler. Sabah olunca gittim. Baktım ki boğazında, bıçak izi var.

İbn Ebî Dünyâ'nın **Kitâbü'l-Menâmât**'ında yaşlı bir Kureyşli'nin şöyle dediği nakledilir: "Şam'da yüzünün yarısı kararmış eliyle bu siyahlığı örten bir adam gördüm. Nedenini adam sordum. Dedi ki: "Kimsenin, bunun nedenini

45. Bunun doğruluğuna delil nedir ve kim rivayet etmiş?

sormaması için Allah'a duâ ettim. Sorduğuna göre sana anlatayım. Ali b. Ebû Talib aleyhinde çok aşırı giderdim. Bir gece uyurken rüyamda biri geldi ve "benim hakkımda çok aşırı giden sen misin?" dedi ve arkasından şu yanağıma vurdu. Daha sonra gördüğün gibi bu yüzüm simsiyah oldu" dedi.

Mes'ade anlatıyor: Hişam b. Hibbân Ebû Uyeyne'nin mevlâsı Vâsıl'dan, o da Mûsâ b. Ubeyde yoluyla Safiyye b. Şeybe'den şöyle dediğini nakleder: "Ben Hz. Âişe ile beraberken elinde kadınların çok düşkün olduğu bir şeyi saklayarak bir kadın geldi ve: "Buraya gelmemin amacı elimdekilerdir. Babam oldukça cömert bir adamdı. Rüyamda su havuzlarının içinde kendilerine verilen suyu içen erkekler gördüm. Aralarında babam da vardı. Ona sordum: "Annem nerede?" Dedi ki: "İşte bak orada." Baktım ki annemin üzerinde küçük bir bez parçası vardı. Babam dedi ki: "Kızım, annen yağlı inekler kestiği halde şu bez parçası dışında hiçbir şey tasadduk etmemiştir. Yediği ineklerin yağı vücudunda eridikçe hararetini artırmış o da "su verin" diye su istemişti. Bir kap dolusu su aldım, onu anneme içirince tepemden bir ses geldi: "Ona su verenin elini Allah kurutsun." Ondan bu zamana elim, gördüğün gibi kaldı"[46] dedi.

Haris. b Esed el-Muhâsibî, Esbağ, Halef b. Kâsım ve bir grup Saîd b. Mesleme'den şöyle naklederler: "Hz. Âişe'nin yanında bir kadın ona şöyle demişti: "Allah'a hiç birşeyi şirk koşmamak, hırsızlık yapmamak, çocuğumu öldürmemek, ellerimin ve ayaklarımın iftirasına kapılarak kimseye bühtan etmemek, yapılan bir iyiliğe karşı isyan etmemek üzere Rasûlullah'a biat ettim. Bu konularda Rabbim bana nasıl söz vermişse ben de ona öylece söz verdim. Allah'a yemin olsun ki Allah beni azaplandırmayacaktır." Bu kadına uykusunda bir melek gelir ve ona: "Hayır. Sen süsleniyorsun. Zinetini açığa çıkarıyorsun. Sana yapılan iyiliğe karşı nankörlük yapıyorsun. Komşularına eziyet ederek kocana karşı geliyorsun" der. Sonra melek beş parmağını kadının yüzüne kor ve: "İşte beşe karşılık beş. Eğer Rasûlullah'a yaptığın biat konularını artırırsan biz de senin suçlarını artırırız" der. Sabah olunca kadın, meleğin parmak izlerini yüzünde bulur."[47]

Malik'in arkadaşlarından Abdurrahman b. Kâsım der ki: "Malik'in şöyle dediğini duydum: "Yakûb b. Abdullah b. Eşec, bu ümmetin hayırlı kişilerindendir. Şehîd düştüğü gün uykusunda bir rüya görür. Dostlarına der ki: "Bugün birşey gördüm. Onu size anlatayım. Kendimi, sanki cennete girip orada süt içiriliyorınuşum gibi gördüm." Vücudunda süt birikintisinden oluşan istiskâ has-

---

46. et-Tehzib'de belirtildiğine göre râvî Mûsâ b. Ubeyde'yi birçokları zayıf gördükleri için hadis zayıftır. et-Takrîb'de "zayıf bir râvîdir" denmektedir.
47. Bu olay zayıftır. Râvîlerinden Saîd b. Mesleme hakkında Buhârî "zayıftır"; İbni Maîn "sika biri değildir" demişlerdir. Dârakutnî, Nesâî ve et-Takrîb'de Hâfız Saîd'i zayıf görmüşlerdir. Tercümesi için bkz. et-Tehzîb

talığına yakalandı. Bunun üzerine şehîd düştü. Ebû Kâsım anlatıyor: "Bu, bir yerde yapılan deniz savaşında olmuştur, orada süt yoktu." Bunu, Malik'ten başkalarından da duymuştum: "Cennete girdiğimi ve bana süt içirildiğini görmüş gibiyim." Biri ona der ki: "Senin adına yemin edebilirim ki kusmanın nedeni kesinlikle süt değildir. Çünkü gemide ne süt vardı ne de koyun." İbn Kûteybe der ki: "Bu vak'ada geçen "salade" fiili, parlamak manasına gelir Buna göre anlam, parlak süttür. İbn Ömer hadisinde mesele böyle geçer: "Doktor ona süt içirdi de yaradan, parlak, beyaz bir irin çıktı."

Kırâat imamlarından Nâfî, konuşurken ağzından etrafa misk kokusu yayılırdı. Ona denildi ki: "Niye oturup konuşurken ağzından güzel kokular yayılıyor." Şöyle karşılık verdi: "Ne koku sürünürüm ne de kokuya yaklaşırım. Ama Rasûlullah'ı rüyamda ağzımda Kur'ân okur olarak gördüm. O zamandan bu zamana ağzımdan güzel kokular yayılır."

Mes'ade rüya ile ilgili yazdığı eserde Rebî b. Rakkâşî'den şöyle dediğini nakleder: "İki adam gelip yanıma oturdu. Birinin gıybetini yapmaya başladılar. Ben de onları gıybetten menettim. Gıybet edenlerden biri daha sonra bana geldi ve "rüyamda kendimi simsiyah gördüm. İçerisinde domuz eti bulunan bir tabak getirildi. Onun gibi yağlı et hiç görmemiştim. Bana dediler ki: "Haydi ye." Ben de: "Domuz etini mi yiyeyim?" dedimse de yapılan tehdit karşısında yedim. Sabah olunca baktım ki ağzımın tadı değişmiş. Ağzımdan iki ay kokusu gitmedi.

Alâ b. Ziyad, bazı geceler ibadete kalkardı. Bir gece eşine dedi ki: "Şu vakit olunca beni uyandırın." O vakit olduğu halde eşi onu uyandırmadı. Alâ anlatıyor: Rüyamda biri bana doğru geldi ve "haydi kalk ey Alâ b. Ziyâd. Allah'ı an" dedi. Başımın ön tarafından birkaç kılı eline aldı. Artık başımın, ön kısmındaki saçlar dik durmaya başladı. Ölene kadar da bu saçların hiç yatmadı, hep dik durdu." Yahya b. Bistam der ki: "Ölümünden sonra Alâ'yı yıkayan bizdik. O saçları, hâlâ başında dik duruyordu."

İbn Ebî Dünyâ Ebû Hâtim er-Râzî yoluyla Muhammed b. Ali'den şöyle dediğini nakleder: Mekke'de Mescid-i Haram'da oturuyorduk. Yüzünün yarısı siyah, yarısı da beyaz olan bir adam kalktı ve "ey insanlar, benden ibret alın. Ben Şeyhayn'a (Ebû Bekir ve Ömer) saldırır, onlara söverdim. Bir gece rüyamda, birinin elini kaldırıp yüzüme şamar attığını gördüm. Bana dedi ki: "Ey Allah'ın düşmanı, ey fasık, Ebû Bekir'le Ömer'e söven sen misin?" Sabah uyandığımda yüzümü işte böyle gördüm.

Muhammed b. Abdullah el-Melhebî anlatıyor: "Rüyamda kendimi fülancanın arazisinde gördüm. Rasûlullah, hurma kapçıkları üzerinde oturuyordu. Hemen önünde de Ebû Bekir vardı. Ömer dedi ki: "Ey Allah'ın Rasûlü, fülanca adam bana da Ebû Bekir'e de sövüyor." Rasûlullah: "Ey Ebû Hafs, onu bana ge-

tir" dedi. Ebû Bekir'le Ömer'e sövmesiyle meşhur olmuş Amman'lı bir adam getirildi. Rasûlullah dedi ki: "Yatır onu." Ben de hemen onu yatırdım. Sonra: "Onu boğazla" dedi. Ömer de onu boğazladı. Abdullah el-Melhebî anlatıyor: Çığlık sesiyle uyandım. Kendi kendime: "Ne oluyor bana bu gördüğümü adama anlatmıyorum. Belki tevbe eder. Ammanlı adamın evine yaklaştığında içeriden şiddetli ağıtlar geliyordu. Bu ağıt nedir? diye sordum. Ammanlının, dün gece yatağında boğazlandığını söylediler. Ölen adamın yanına vardım. Boynuna doğru yaklaştım. Baktım ki bir kulağından diğer kulağına kadar pıhtılaşmış kan görünümünde bir yarık vardı."

Kayrûvânî anlatıyor: Fazilet ehlinden yaşlı biri bana anlattı: Mescid-i Nebevî'nin imamı Ebü'l-Hasen el-Muttalibî bana şunu anlattı: "Medine'de acaip birşey gördüm. Adamın biri, Ebû Bekir'le Ömer'e sövüyordu. Günlerden bir gün sabah namazından sonra gözleri dışarı çıkmış yanağına doğru sallanmış bir adam çıkageldi. Başından ne geçtiğini sorduk. Adam şöyle anlattı: Dün gece rüyamda Rasûlullah'ı, Ali, Ömer ve Ebû Bekir'le beraber gördüm. Ebû Bekir'le Ömer dediler ki: "Ey Allah'ın Rasûlü, şu adam bize eziyet edip bize sövüyor" deyince Rasûlullah bana yöneldi ve: "Ey Ebû Kays sana ne oluyor da bunlara sövüyorsun?" dedi. Ben de Ali'ye işaret ederek: "Bunun yüzünden" dedim. Bunun üzerine Ali, tekme tokat bana girişti. Orta parmağı ile küçük parmağının izi yüzümde kaldı. Gözümü çıkarmaya yeltenince ona dedim ki: Eğer yalan söyleyen sen isen Allah iki gözünü çıkarsın".İki parmağını gözüme soktu. Korkudan uyandığında gözlerimi böyle buldum." Bu adam devamlı ağlıyor, insanlara başından geçen bu olayı anlatıp aşikâre tevbe ediyordu.

Yine Kayrûvanî anlatıyor: Fazilet ehlinden yaşlı biri, fakîhin birinden şunu nakleder: "Yanımızda bir adam vardı. Peşipeşine çokca oruç tutardı. Fakat iftarını geç yapardı. Rüyasında, siyah yüzlü iki kimsenin pazısı ile koltık altlarına kadar olan kısımlarından ve üzerindeki elbisesinden kızgın bir tandıra atınak için tuttuklarını görür. Onlara der ki: "Niye böyle yapıyorsunuz?" Onlar da: "Rasûlullah'ın sünnetine aykırı davrandığın için. Çünkü o, iftarın hemen yapılmasını emrettiği halde sen geciktiriyorsun" karşılığını verirler. Kızgın ateşin alevinden adamın yüzü kararmıştı. İnsanlar arasında kapalı yüzle dolaşırdı.

Görülebilecek daha garip olaylardan biri de şudur: İnsan rüyasında açlık, susuzluk ya da acı hissediyor. Bir başkası da ona su içiriyor, yemek yediriyor ya da tedavi ediyor. Adam uyandığında bütün bu ihtiyaçlarının giderildiğine şahid oluyor. Böyle acaip olayları, birçok insan görmüştür.

İmam Mâlik, Ebü'r-Rical'den, o da Amra yoluyla Âişe'den rivayet ettiğine göre: Hz. Âişe'nin câriyesi Âişe'ye sihir yapar. Bu arada Sindî (Pakistanlı) has-

ta biri yanına gelir ve "sana sihir yapıldı" der. Hz. Âişe de "kim yaptı?" diye sorar. Sindî der ki: "Odasında bulunan çocuğun üzerine bevlettiği câriye." Bunun üzerine Hz. Âişe câriyeyi çağırır. Elbisesinde bulunan ıslaklığı yıkayınca geleceğini söyler. Câriye gelince ona: "Bana sihir yaptın mı?" diye sorar. Câriye: "Evet" cevabını verir. "Bana neden sihir yaptın?" diye sorar. Câriye ise: "Bir an önce hürriyetime kavuşmak için" karşılığını verir. Bunun üzerine Hz. Âişe, "kısa zamanda bu câriyeyi, bakımsız ve onu hoşnut etmeyecek bir araba sat" diye erkek kardeşine emreder. Câriye böylece satılır. Sonra Hz. Âişe, rüyasında suları birbirine akan üç kuyuda kendisine yıkanması emredildiği sulara dalarak sihrin etkisinden kurtulduğunu görmüştür.[48]

"Gözü kör olmuş İsmail b. Dilal el-Hadremî'ye rüyasında biri gelir şöyle söylemesini emreder: Ey duâları işiten, isteklere karşılık verip dilediğini yapan Allahım. Gözümü bana bağışla". Leys b. Sa'd der ki: "Gözünün kör olduğunu sonra tekrar görmeye başladığını gördüm."

Ubeydullah b. Ebû Ca'fer de şöyle der: "Başıma gelen bir dertten dolayı durmadan şikâyetleniyor; derdin altından kalkmak için âyetü'l-kürsîyi okuyordum. Bu esnada uyumuşum. Rüyamda iki adamın ayakta, yanımda durduklarını; birinin diğerine, içerisinde altmış dört rahmet bulunan âyeti bana okumasını ve "belki rahmetlerden biri bu zavallıya ulaşır" dediklerini gördüm. Uyandığımda kendimde rahatlık hissettim.

Semmak b. Harb'in gözleri görmez olunca rüyasında Hz. İbrahim el-Halil'i görür. Hz. İbrahim, gözlerini sıvazlar: "Fırat nehrine git. Üç defa suya dal" der. Semmâk da Fırat nehrine gider. Suya dalınca gözleri açılır.

İbn Ebî Dünyâ anlatıyor? Hayır ve salah ehlinden bir kadın mide ağrısına tutulur. Rüyasında birinin ona şöyle dediğini duyar: "Lâ ilâhe illallâh. Kaynatılmış gül suyu." Bu kadın rüyasında gördüğü gibi kaynatılmış gül suyunu içince mide ağrısından tamamen kurtulur.

Câlinûs (Galen) der ki: "Kanı çıkarmak için atar damarları yarmamın nedeni, rüyamda iki defa bununla emredilmemdir. Ben küçükken gördüğü bir rüya ile atar damarını yardıran bir insana, Allah Teâlâ'nın şifâ verdiğini gördüm."

İbn Harrâz da şöyle der: "Midesinden rahatsız olan bir adamı, muayene ediyordum. Bir ara adam bana uğramaz oldu. Sonra yolda karşılaşınca hastalığından sordum. Dedi ki: "Rüyamda abid görünüşlü bir adam, âsâsına dayanmış bana şöyle diyordu: "Sen rahatsız mısın?" Ben de "evet" karşılığını verdim. Bunun üzerine "bükâ ve celencebin kullanmalısın" dedi. Sabah olunca "bükâ"nın buhurdanlık, "celencebi"nin ise balla karışmış gül olduğunu öğrendim. Günler-

48. Senedi sahihtir. Râvîleri de sikadır.

ce böyle yapıp içtim. Böylece mide ağrısından kurtuldum. Bükâ ve celencebiyi tavsiye eden kişi, Câlinûs (Galen) idi.

Meseleyi ilgilendiren olaylar bitmeyecek kadar çoktur. Hatta biri: "Tıb ilminin temeli rüyalardır" demiştir. Şüphe yoktur ki tıp kurallarından bazıları tecrübeye bazıları kıyasa bazıları ilhama dayandığı gibi çoğu tıb kuralları da rüyaya dayanmaktadır. Daha geniş malumât sahibi olmak isteyenler şu eserleri incelesinler: **Târihü'l-Etıbbâ** ve Kayrûvânî, **Kitâbü'l-Büstân**. vd.

FASIL

Yüzikincisi: Şu âyettir: "Âyetlerimizi yalanlayıp onlara karşı büyüklenenlere semâ kapıları açılmaz."[49] Âyet, mü'minlere semâ kapılarının açılacağına işaret etmektedir. Bu açılış, yukarıda da belirtildiği gibi ölüm anında ruhlara yöneliktir. Nitekim, semâ kapısının mü'min kişinin ruhuna açılacağı, böylece ruhun Allah'ın katına kadar çıkacağı belirtilmiştir.

Kâfirin ruhuna gelince ona ne semâ kapıları açılır ne de bedenine cennet kapıları açılır.

Yüzüçüncüsü: Rasûlullah'ın şu hadisi: Ya Bilal, cennete girince yanımda senin ses çıkardığını duydum. Bu ne sesiydi? Bilal: "Gece olsun gündüz olsun her abdest aldığımda iki rekat namaz kılardım. Ses çıkaranlar bunlar olmalılar" karşılığını verdi.[50] Rasûlullah'ın duyduğu ses, hiç şüphesiz Hz. Bilal'in ruhudur. Henüz bedeni cennete girmemişti.

Yüzdördüncüsü: Kabirleri ziyaret etmek, onlara selam vermek, onlara hitap ederek, ölülerin ziyaretlerinden haberdar olmaları ve kendilerine verilen selamı almalarıyla ilgili hadisler ve eserler. Bu deliller yukarıda geçti.

Yüzbeşincisi: Çoğu ölülerin ruhlarınm yakınlarına, kendilerini rahatsız eden şeylerden şikayet etmeleri, hayatta olanların da o eziyeti bulup onu yok ettikleri bilinmektedir.

Yüzaltıncısı: Eğer ki ruh, bedenin arazlarından bir araz yahutta cisim olmayan ve değişime maruz kalmayan soyut bir cevher olsaydı, çıktım, gittim, kalktım, geldim, oturdum, sallandım, girdim, döndüm vb. diyen kimsenin bu sözleri anlamsız olmalıydı. Çünkü bu sıfatların arazlarda ve soyut varlıklarda bu-

49. A'râf sûresi, (7/40).

50. Sahabilerden birçokları bu hadisi Rasûlullah'dan rivayet etmişlerdir. Bu hadisin lafızları Tirmizî'nin (c. 10, s. 174-176) Büreyde'den rivayet ettiği hadisin lafızlarına yakındır. Suyûtî'nin dediğine göre İmam Ahmed, İbni Hibbân ve Hakim'de Büreyde'den rivayet etmişlerdir. bkz. **Sahîhü'l-câmî** (7771). Buhârî ve Müslim ise Ebû Hüreyre'den rivayet etmişlerdir. bkz. **Camiu'l-usûl**, c. 9, s. 70.

lunması imkansızdır. Aklı olan herkes bu ifadelerin doğruluğunu bilir ve kabul eder. Böyle bir konuda inkâr, safsata[51] babından birçok açık konuyu inkârdır. Velhasıl delil, insanların bu lafızları nasıl kullandıklarına bakmaktır ki bu durumda lafızların hakikat-mecaz olması muhtemeldir, denilemez. Böyle diyen kimse onların amaçları "bedenim girdi ve çıktı" demek olsa gerek. Çünkü akıl ve fıtrat delilleriyle bu lafızların manalarına bakacak olursak akıl ve tecrübeden her birinin, giren ve çıkanın, yer değiştirenin sadece beden olmadığını anlamış oluruz. Söz konusu lafızların manalarını, akıl ve hissin ruha nisbet etmeleri temel izafettir ve asıl kastedilen şeydir. Bunların, bedene nisbet edilmesi ise doğrudan olmayıp dolaylı bir şekildedir. Şurası unutulmamalıdır ki beden manasına olan ruh, kullanılış açısından yani itlakî, vazî değildir.

Yüzyedincisi: Beden merkeptir (ruhu taşıyan), nefsin tasarrufu için bir mahaldir. Dolayısıyle bedenin girmesi, çıkması, yer değiştirmesi atın yahut herhangi bir hayvanın iskeletlerinin herhangi bir yere girmesinden farksızdır. Nefsin, girme-çıkma, yer değiştirme, hareket sükûn gibi özellikleri olmasaydı bu, insan iskeletinin eve girmesi ve çıkması gibi olurdu. Yani nefis olmadan, girmek ve çıkmak gibi olurdu. Ruhsuz olarak bunun mümkün olmadığı zorunlu olarak bilinmektedir. Herkes bilir ki giren, çıkan ve yer değiştiren, kişinin ruhu ve nefsidir; bu ruh, bedeni kullanarak girme ve çıkmada bedeni kendine uydurmuştur. Bir farkla ki bedenin faaliyetleri gözle görülebilirken ruhunki ancak akıl ve ilimle bilinebilir.

Yüzsekizincisi: Eğer ki nefis bazılarının dediği gibi bedenin bir arazı olsaydı insan bir anda bin yada daha fazla ruh değiştirmiş olurdu. İnsan, ancak ruh ve nefsiyle insandır; bedeniyle değil. İnsan, bir zaman önceki insandan da bir zaman sonraki insandanda farklı bir insandır. Bu bir tür deliliktir. Eğer ruh soyut bir varlık ve bedenle olan ilişkisi, birbirine girmek yoluyla değil de ruhun bedeni idare etmesi şeklinde olsaydı, ruhun bu bedenle olan ilişkisini kesip başkalarına geçmesi mümkün olurdu. Yani ev ya da şehir mimarı, nasıl o anki işini bırakıp başka işlerle uğraşabiliyorsa ruhun da ait olduğu bedenini bırakıp başka bedenlere girmesi mümkün olurdu. Ruhun bedeni idaresi açısından şüpheye düşüyoruz. Yani Zeyd'e ait olan bu nefis önceki nefsi mi yoksa başka bir nefis mi? Ayrıca Zeyd bu adam mı yoksa bundan başka biri mi? Aklı olan kişi buna asla cevap veremez. Ruhun soyut yahut araz olması, bu şüpheyi beraberinde getirmektedir.

Yüzdokuzuncusu: Her ruh kendisinde ilim, fikir, sevgi, kin, rıza vb. nefsi özelliklerin bulunduğunu kesinlikle bilir. Ayrıca bu özelliklerin bedeninin araz-

51. Safsata: Eski Yunan felsefe ekolüdür. Bir anda, bir şeyin hem varlığının hem de yokluğunun mümkün olacağını söylerler. Yani, şu şeyin var olduğuna delil olduğu gibi aynı şeyin bizzat olmadığına dair de delil vardır, derler.

larından bir araz ya da bedene uzak, ondan yarı mücerred bir varlık olmadığını da bilir. Nasıl ki görmek, duymak, koklamak, tatmak, dokunmak, hareket etmek ve sâkin olmak gibi özellikler kesinlikle nefsine izafe edilerek binefsihî kâim olduğu biliniyorsa söz konusu idraklarında bedende bulunan bir emirden kaynaklandığını kesinlikle bilir. Bedeni ayakta tutan şey, nefis cevheridir. Ancak bu, soyut ya da araz bir ruhtan kaynaklanmamakta; bel ki âlemde yer tutmuş, bir yerden başka yere giden, hareket eden, sâkin olan, çıkan ve giren bir ruhtan kaynaklanmaktadır. O halde ruh, söz konusu bedene sirayet etmektedir. Sirayet olmasaydı bu beden, cemâddan (cansız varlıklardan) olurdu.

Yüzonuncusu: Yine ruh, soyut bir varlık ve bedenle olan ilişkisi de gemicilerin gemiyle, devecilerin deveyle olan ilişkileri gibi sadece idarî bir ilişki olsaydı gemicilerin ve devecilerin ellerindeki gemileri, develeri bırakıp başka gemi ve develerle uğraştığı gibi ruhun da bu bedeni bırakıp başka bir bedeni de idare etmesi mümkün olurdu. Bu durumda ise ruhların bedenlerden bedenlere geçmesinden (tenâsühten) bahsedilirdi. Şöyle denemez: "Nefis bedeniyle birlik olmuştur. Bu nedenle bedenden ayrılamaz. Ya da nefsin bedene karşı tabî bir aşkı, onu yönetmek için zatî bir arzusu vardır. İşte bu nedenle bedenden ayrılamaz." Biz de diyoruz ki: "Mekân tutmaz bir şeyle birlik kurmak imkansızdır. Çünkü böyle bir birlik düşünülse bile birinin sakatlığı diğerini de sakatlar. Yani birleşmeden sonra ayrı ayrı ruh ve beden kalması, ruh ve beden tekşey olmadan ya da ikisinin birleşmede kaybolup üçüncü birşeyin meydana gelmesi, birşeyde birleşme anlamına gelmez. Yine birleşmede biri kalıp diğeri yok oluyorsa yine bir anlam kalmaz. Tabî nefsin bedene aşık olmasına gelince aşık olunan şey, nefis olmalıdır. Çünkü lezzetleri alan nefistir. İstekleri elde etmekte, beden ve ruh aynı seviyede ise ruhun bedene nisbeti de aynı olmalıdır. "Muayyen nefis, muayyen bedene aşıktır" sözünüz saçmadır. Bunun misali şöyledir: Susuz bir kimse ihtiyacını karşılayacak aynı seviyede meselâ içerisi su dolu on tane kap bulsa, diğerlerini bırakıp bunlardan sadece bir tanesine aşık olması düşünülemez.

Yüzonbirincisi: İnsan nefsi ne âlemin içinde ne de âlemin dışında ne âleme bitişik ne de âlemden ayrı ne ona uygun ne de ona uygun olmayıp soyut bir cevher olsaydı zorunlu olarak onun, bu özellikleriyle varlığın bilinmesi gerekirdi. Çünkü insanın, nefsini ve sıfatlarını bilmesi, diğer şeyleri bilinmesinden daha kolaydır. Diğer şeylerin bilgisi, nefsin kendisini bilmesine bağlıdır. Bu durumun yanlışlığı açıktır. Çünkü yeryüzünde yaşayan çoğu insan, nefsin varlığını açık ya da gizli olarak ispatlamanın imkansız olduğunu bilmektedir. Kim ki gerek kendi nefsi için gerekse Rabbi için böyle söylüyorsa nefsini de Rabbini de bilmiyor demektir.

Yüzonikincisi: Müşahede edilen bu beden, nefsin küllî ve cüzî bütün idrak ve sıfatlarının yeridir. İradî hareketlerinin yeri de yine bedendir. Bu takdirde

söz konusu idrak ve sıfatların taşıyıcısı bu beden olmalıdır. Âlemin içinde de dışında da olmayan soyut bir cevherin, nefsin yeri ve mahalli olması kesinlikle yanlıştır.

Yüzonüçüncüsü: Nefis, cisimlik ve mahalde bulunmaktan soyutlanmış ise nefse ait fiillerin, fiil mahalline teması ile oluşması da imkansız olurdu. Şöyle ki bir mahalde bulunmayan birşeyin, mahalle bağlı olarak var olan şeyle irtibatlı olması imkânsızdır. İş böyle olsa bile kişinin fiili, kendisiyle fiil mahalli arasında bir bağ ve irtibata gereksinme duymaksızın, yaratma yoluyla oluyor demektir. Mesela aramızdan biri cisimlere dokunmadan veya cisme dokunanlara da dokunmadan onu hareket ettirebilir. Çünkü size göre nefis, cisim gibi bedene veya beden bitişik birşeye dokunmadan bedeni hareket ettirebilir. Bu, zorunlu olarak bâtıl bir görüştür. Nefiste, hareket mahalline yahut bu mahalle bitişen şeye dokunma şartı dışında hareket ettirme gücü yoktur. O halde cisme temas eden yahut cismin kendisine temas ettiği herşey de cisim olmalıdır. Eğer denirse ki: "Nefsin, kendi bedenini hareket ettirmedeki tesiri, dokunma şartına bağlı değildir. Ama diğer varlıkları hareket ettirmesi ise bedeniyle o cisim arasındaki dokunma şartına bağlıdır." Cevabımız şudur: Nefsin tasarruflarını bedenin kabul etmesi ve bedenle nefis arasındaki temasa bağlı olmaması, aynı şeyin diğer cisimler için de söz konusu olmasını gerektirir. Çünkü hareketi kabülde bütün cisimler birdir. Nefis açısmdan bütün cisimler, aynıdır. Yani nefis, cisim ve cisimle ilgili bağlardan soyutlandığmda onun, bütün bunlara olan münasebeti eşit demektir. Fâil olan kişinin zatının bütün bunlara nisbeti eşit olunca, faille cisim arasındaki nisbeti kabul ettiren şeylerin de fail olan kimseye eşit olması gerekir. Bu durumda da gerek bedene gerekse başka cisimlere nefsin tesiri eşit olmalıdır. Bazı şeylerde fail olan kimse fiil mahalline dokunma gereksinimi duymuyorsa tamammda da böyle bir gereksinim olmamalıdır. Bazı şaylerde fiil mahalline dokunmak zorunda olan kimse hepsinde dokunmak zorunda demektir. Denirse ki: "Nefis sadece bu bedeni arzulamaktadır. Dolayısıyla bedenine olan tesiri diğerlerinden daha güçlüdür." Şöyle cevap veririz: Şiddetli bir arzu, bedenle olan ilişkisinin ve bedendeki tasarruflarının daha güçlü olmasını gerektirir. Ama bedene böyle iken sözü edilen cisimlere nisbetle, zâtının gereği bozuluyorsa bu imkansız olmalıdır. İşte bu son derece güçlü bir delildir.

Yüzondördüncüsü: Aklı olan herkes insanın diri, konuşan, beslenen, gelişen, duyarlı ve irâdesiyle hareket eden bir varlık olduğunda ittifak etmiştir. İnsana ait bu özellikler iki kısımdır. Bir kısmı bedenine ait, bir kısmı da ruhuna yani nâtık nefsine aittir. Ruh, âlemin ne içinde ne de dışında, âleme ne bitişik ne de ondan yarı ise insanın da aynı şekilde âlemin içinde de dışında da âleme bitişik ve âlemden ayrı olmaması gerekir. Yahutta bir kısmı âlemdedir bir kısmı ise ne âlemdedir ne de âlemde değildir. Aklı olan kişi, bunun bâtıllığını derhal anlar. "İnsan,

beden ve ruhuyla âlemin içerisindedir" görüşü ise şöyle diyen kimsenin görüşünden daha bozuktur. "İnsan nefsi, mahluk olmayan kadîmdir." Buna göre insanın yarısını mahlûk yarısını ise gayr-i mahlûk sayıyorlar. Eğer denirse ki: "İnsanın, sizin söylediğiniz gibi bir varlık olduğunu kabul ediyoruz. Ancak biz bunu, söz konusu sıfatlarla insanı düzenleyen soyut bir cevher olarak biliyoruz."

Şöyle cevaplarız: Sözünü ettiğiniz cevher, insana yahut insan gerçeğine ters bir şeydir. Şu ikisinden birine karar vermelisiniz. Cevhere, insandan başka birşey diyorsanız bu sözünüz, insanı idare eden nefistir sözünüze döner. Biz diyoruz ki nefis, insanın irâdesiyle değil aksine onun, hakikatiyle ilgilidir. Çünkü insanı da bütün âlemi de düzene koyup idare eden yalnızca Allah'tır.

Yüzonbeşincisi: Aklı olan birine "insan nedir?" diye sorarsanız, şu bünyeyi ve uzuvları gösterir. Aklına bunun, bedenden ayrı bir gerçeklik olduğu ve âlemin ne içinde ne de dışında olmadığı hususu asla gelmez. Bu, zarurî bilgilerdendir. Şüpheye ve şüpheye düşürmeye müsâit değildir.

Yüzonaltıncısı: Aklı olan insanlar, Allah Teâlâ'nın hitabının, bu bünyeye ve uzuvlarına ait olduğuna hükmeder. Övülmek-yerilmek, sevap-azap, müjdeleme ve korkutma da yine bu bünye ile ilgilidir. Biri çıkıp da: "Emredilen, yasaklanan, övülen, yerilen, emre ve nehye muhatap olan ve akıllı olarak nitelenen şey, soyut cevherdir; âlemin ne içindedir ne de dışındadır, âleme bitişik de değil, ondan ayrı da değildir" dese aklı olanlar, bu kimsenin aklına gülerler, onu yalanlarlar. Akıl ve aklî izahlar tarafından bâtıllığı ortaya konmuş bir şeyin varlığına delil getirmek, imkansız muhal olan bir şeyin varlığının sıhhatine istidlâl etmektir. Başarı Allah'tandır.

FASIL

Eğer denirse ki: Ruhun cisim ve bir mekânda bulunuşu ile ilgili delillerinizi getirdiniz. Peki muhaliflerinizin ileri sürdükleri delillere ne diyeceksiniz? Onların delilleri de şunlardır:

Birincisi: Akıllı varlıklar: "Ruh, cisim, nefis ve cisim" diyerek nefsi ruhtan ayrı birşey saymaktalar. Nefis ruh olsaydı böyle demenin bir anlamı olmazdı.

İkincisi: Birincisinden daha güçlü bir delil. Şöyle ki: Bazı varlıkların bölünmeye müsâit olmadıkları -nokta, basît (bileşik olmayan) cevher ve hatta Vâcibü'l-Vucûd'un[52] Zâtı gibi- bilinmektedir İlim, bunların bölünmeye kabil olmadıkla-

52. Felsefe ve kelâmcıların ıstılahında Vacibü'l-Vücûd, Allah'tır. Temel görüşleri budur. Âyet-i celîlede: "En güzel isimler Allah'ındır. O halde O'na bu isimlerle duâ edin. İsimleri hakında eğriliğe sapanları bırakın" buyurulmaktadır. (7/180).

rını göstermektedir. Aynı şekilde bu, ilimle mevsûf mahallin de yani nefsin bölünmeye müsâit olmadığını gösterir. Nefis, eğer cisim ise bölünebilir demektir. Bir başka delil de şudur. Küllî ilimlerin mahalli, eğer cisimse ya da cismânî ise bu ilimlerin de bölünmesi gerekir. Çünkü bölende bölünme, imkansızdır. Dolayısıyla bu ilimlerin bölünmesi de imkansızdır.

Üçüncüsü: Küllî aklî sûretler, şüphesiz soyutturlar. Onların bu soyutlanması ya kendisinden alınan şey sebebiyledir ya da alma sebebiyledir. Birincisi bâtıldır. Çünkü bu, miktarları farklı, belirli bir yapı özelliği olan şahıslardan alınmıştır. O halde sûret, alma ve nefis denen aklî güç sebebiyle soyuttur.

Dördüncüsü: Âkile gücü (düşünme gücü), sonsuz fiilleri yerine getirebilir. Bunun yanında sonsuz idraklere de ulaşır. Cismânî güç (beş duyu) ise sonsuz fiilere güç yetiremez. Çünkü cismânî güçler, mahallinin bölünmesiyle bölünürler. Bu durumda, bir kısmına güç yetiren şeyin, tamamına güç yetiren şeyden daha az olması gerekir. Dolayısıyla tamamına güç getiren şeyin, bir kısmına güç yetirene göre kat kat daha fazla sonluya güç getirmesi gerekir. Sonluya eklenen sonlu da sonludur.

Beşincisi: Âkile gücü (düşünme gücü) cismânî bir âlet olsa idi, âkile gücünün daima bu âleti idrak etmesi ya da küllî olarak onu hiç idrak etmemesi gerekirdi ki her iki durum da bâtıldır. Çünkü, âkile gücünün bu âleti idrak etmesi, kendi varlığının aynısı ise ki bu muhaldir. Yok eğer kendi varlığına eşit bir sûret ise bu, âkile gücünün âlet halinde olmasıdır ki birbirine benzer iki sûret bir araya geleceğinden bu da muhaldir. Bunun da doğru olmadığı ortaya çıkınca âkile gücü, bu âleti idrak ettiğinde bu idrakin, âkile gücünde bu âletin meydana çıktığı bir nefisten ibaret olduğu sabitleşir. O halde idrakın yeterliliği ölçüsünde, idrakın daima bulunması gerekir. Yok eğer idrak oluşumu yetersizse, hiçbir vakitte idrakin oluşması mümkün değildir. Kısacası bir zaman idrak oluşup başka bir zaman oluşmuyorsa soyut olanın dışında âletin sûretini getiren başka bir sebep vardır demektir.

Altıncısı: Her insan kendini idrak eder. İdrak, bilinen birşeyin mahiyetini bilen kişiye getirmekten ibarettir. Bizim kendimizi bilmemiz, ya zatımıza zatımızın gelmesi nedeniyledir yahutta zatımızla zatımızın eşit sûretlerinin gelmesi nedeniyledir. İkinci kısım bâtıldır. Çünkü bu durumda birbirine benzer iki sûret bir araya gelmektedir. Öyleyse kendimizi bilmemiz sadece zatlarımızın, zatlarımıza gelmesidir. Bu ise ancak nefisle bulunmuş olsaydı, söz konusu mahalde hazır olması gerekirdi. Demek ki bu mana, zat ancak nefisle kâim olup bir mahalle girmekten müstağnî olduğu zaman çıkar.

Yedincisi: Ebü'l-Berekât el-Bağdâdî'nin ileri sürdüğü delil. Bu, yukarıda sözü edilen delillerden daha bozuktur. Ebü'l-Berekât der ki: İçimizden birinin, cıva

ile dolu deniz, yakuttan dağ, birçok güneş ve ay tehayyül etmesinin mümkünlüğünden şüphe etmeyiz. Hayalî bu sûretler ma'dûm olup yok değillerdir. Hayal eden kişinin gücü, bu sûretlere işaret eder; herbir sûreti diğerlerinden ayırır. Bu tahayyül zaman içinde görülen, hissedilen bir oluşuma doğru akar. Mahza yokluk ile, salt nefyin olmadığı bilinmektedir. Zorunlu olarak biliyoruz ki bu sûretler ayn olarak (mesela, birden fazla güneş) yoktur. Ama zihinlerde vardır. Buna göre diyoruz ki: "Bu sûretlerin mahalli, ya cisimdir ya cisimde bir yerdir; ya cisim değildir ya da cisimde bir yer değildir. İlk ikisi bâtıldır. Çünkü deniz ve dağın sûretleri, büyük sûretlerdir; buna karşı dimağ ve kalp küçük cisimlerdir. Büyük olan birşeyin küçük bir şeyde bulunması imkansızdır. Şu halde hayâlî bu sûretlerin mahalli, cisim olmadığı gibi cismânî de değildir.

Sekizincisi: Aklî güç cesede bağlı olmuş olsaydı, insan yaşlandıkça aklî güçlerin zayıflaması gerekirdi. Ama durum böyle değil.

Dokuzuncusu: Aklî güç, fiilerinde cisme gereksinim duymaz. Fiillerinde cisme muhtaç olmayan şeyin, zatında da cisme muhtaç olmaması gerekir. Birinci kısmın izahı şu. Aklî güç kendini idrak eder. Aklî güç ile kendi arasında bir âletin varlığı imkansızdır. Bizzat kendi bildiğini de bilir. Ama bu bilgi, dolaylı değildir. Ayrıca kendi âleti olan cismi bilirken de kendiyle âleti olan cismin arasında başka bir âlet bulunmaz. İkinci kısmın izahı ise iki şekildedir:

Birincisi: Cismânî güçler, bakan, işiten, hayal eden ve vehmeden güçler gibidir. Aklî güçler cismânî olmadığından dolayı zatlarını idrak edebilmektedir. Onun bu idraki, zatlarını idrak eder olmasındandır. Zatlarını idrak edici olması ise bu zatları taşıyan cisimlerin idrak edilmesi nedeniyledir. Âkile gücü cismânî olsaydı bu üç özelliği taşıyamazdı.

İkincisi: Fiilin kaynağı nefistir. Eğer ki nefis, güçlerinde ve varlığında cisme bağlı olsaydı, söz konusu fiiller cismin katılımı olmaksızın gerçekleşmezdi. Cismin katılımı olmadan da aklî güçler tasarruflarını yapması onların cisme muhtaç olmadıklarını gösterir.

Onuncusu: Cismânî güçler, işlerinin çokluğu nedeniyle zamanla yorulurlar. Güçlerini kaybettikten sonra eski hallerine dönemezler. Bunun sebebi açıktır. Çünkü cismânî güçler, yoğun çalışmaları sebebiyle zamanla güçsüzlük ve bitkinliğe maruz kalırlar ki bu zayıflığı gerektirir. Aklî güçler ise yoğun çalışmaları nedeniyle asla zayıf düşmez. Zayıf düştükten sonra ise gücüne güç katar. Demek ki aklî güçler, cismânî değildir.

Onbirincisi: Siyah, beyazın zıddıdır dediğimizde zihinde siyah ve beyazın mahiyetlerinin oluşması gerekir. Siyah ve beyazın, sıcaklık ve soğukluğun bir anda cisimlerde birleşmesinin imkansızlığı apaçıktır. Ancak bu aklî güçlerde oluştuğuna göre cismânî güçler olmamaları gerekir.

Onikincisi: İdrakların mahalli bir cisim olsaydı -şüphesiz her cisim bölünebilir- cismin bazı kısıınlarının bilinmesine bazı kısımlarının ise bilinmemesine engel olmazdı. Bu duruma göre insan, birinci halde birşeyi hem bilmekte hem de bilmemektedir.

Onüçüncüsü: Cismânî maddelerde belirli izlerin bulunması, diğer izlerin bulunmasına engeldir. Aklî izler ise bunun tam tersinedir. Her türlü bilgi ve idrakten uzak olan nefisleri, aklî güçleri ilim öğrenmeye sevkeder. Akıl birşeyi öğrenince bu, diğer bilgilerin öğrenilmesine yardımcı olur. Cismânî izler birbirinden ayrı ve farklı iken aklî izler birbirinin yardımcısı ve destekçisidir.

Ondördüncüsü: Eğer ki nefis cisim olsaydı, kişinin ayağını oynatmak istemesiyle ayağını oynatması arasında cismin hareketlilik ve ağırlığına göre bir zaman olması gerekirdi. Bu durumda, bedeni hareket ettirip onu harekete hazırlayan nefistir. Hareket ettiren şey eğer cisim ise bu cismin ya uzuvlarda önceden bulunması ya da dışarıdan gelmesi gerekir. Dışarıdan gelmesi, belirli bir zaman alır. Yok eğer bu, uzuvlarda önceden var ise bu durumda mesela o uzvu hareket ettiren kası kestiğimizde uzvu da hareket ettiren şey kalmaz. Hareket ettiren şey eğer nefiste var kabul edilirse uzuv kesilse de hareketin bir kısmı uzuvda kalır.

Onbeşincisi: Eğer ki nefis cisim olsaydı bölünür olmalıydı ve de tamamının bilindiği gibi bir kısmının bilinmesi gerekirdi. Dolayısıyla insan, nefsinin bir kısmını bilip diğer kısmını ise bilemeyecekti ki bu imkansızdır.

Onaltıncısı: Eğer ki nefis cisim olmuş olsaydı nefsin bedene girmesiyle bedenin ağırlaşması gerekirdi. Çünkü içerisi doldurulan boş cismin ağırlaşması onun özelliğindendir. Meselâ, tulumun suyla doldurulması halinde ağırlaşması gibi. Bu durum nefis için geçerli değildir. Bedenin en hafif olduğu an içerisinde nefsin olduğu andır. En ağır olduğu an ise nefsin bedenden ayrıldığı andır.

Onyedincisi: Eğer ki nefis cisim olsaydı cisimlere mahsus hafiflik-ağırlık, sıcaklık-soğukluk, yumuşaklık-sertlik ve siyahlık-beyazlık gibi özelliklerden uzak kalamazdı. Nefisle ilgili keyfiyetler nefsin erdemleri ve alçaklıklarıdır; cismânî keyfiyetler değildir. Bu da gösteriyor ki nefis, cisim değildir.

Onsekizincisi: Nefis eğer cisim olsaydı bütün duyularla veya bir duyuyla veya iki duyuyla yahutta daha fazla duyuyla algılanabilirdi. Çünkü biz, cisimleri, duyular yoluyla görürüz. Bazı cisimler bütün duyularla algılanabilirken bazıları da bir duyuyla ya da iki duyuyla yahutta daha fazla duyuyla algılanabilmektedir. Nefis ise algılama duyularından uzaktır. Bu delili, Cehm b. Safvân Allah Teâlâ'yı: "Eğer O var olsaydı duyulardan biriyle olsun algılanabilirdi" diyerek inkâr eden mülhidlere karşı kullanmış; onlara nefsin durumuyla karşılık vermiştir. Nefsin cisim olması, tartışmaya son vermez. Çünkü cisim olması halinde bazı duyularla algılanması söz konusu olabilirdi.

Ondokuzuncusu: Nefis cisim olsaydı eni, boyu, derinliği, yüzeyi ve şekli olurdu. Bu ölçüler, sadece maddede bulanabilir. Nefsin maddesi yine nefisse, iki nefis biraraya gelmektedir. Eğer nefis maddesi nefisten ayrı birşey ise nefsin, beden ve sûretten oluşmuş bir cesette, beden ve sûretten meydana gelen bir nefis olurdu. Bu takdirde ise bir insan iki insan olurdu.

Yirmincisi: Bölünmeye müsâit olmak cismin özelliklerindendir. Cismin küçük parçası, büyük parçası gibi değildir. Nefis de cisim gibi bölünmeyi kabul etse bunlardan her bir cüzün de yine nefis olması gerekirdi ki bu durumda insanda bir nefis olmayıp birçok nefis olurdu. Nefsin bölünmesinden oluşan parçalar, nefis olmazsa bu durumda tamamı da nefis olmamış olur. Örneğin suyun parçaları da su değilse bu parçalardan oluşan bütün de su değildir.

Yirmibirincisi: Cisim, korunmasında, bekâsında, kıvamından nefse muhtaçtır. Bundan dolayı nefsin ayrılmasıyla beden bozulup çürür. Nefis de beden gibi cisimse, başka bir nefse ihtiyaç vardır demektir. O da cisimse daha başka bir cisme ihtiyaç vardır diyerek teselsül oluşur. Bu ise imkansızdır. Çünkü bu, nefsin cisim olmasını gerektirir.

Yirmiikincisi: Nefis eğer cisimse, cisme olan alakası eğer birbirine tedâhül yoluyla ise cisimlerin tedâhülü gerekir. (Tedâhül, en az iki şey bir araya gelmesine rağmen mekan genişlemesinin olmamasıdır. Yani tek bir mekanda içi içe geçmek.) Yok eğer yapışmak, kaynaşmak yoluyla ise bir insanın, biri görünen diğeri de görünmeyen kaynaşmış iki cisimden teşekkül etmiş olması gerekir.

İşte bunlar, dalâletle boğularak alçaklığa düşmüş insanların vehimleridir. Allah'ın yardımıyla, verdiği güçle bunlara genişçe cevaplar vereceğiz.

FASIL

Birinci şüpheye cevap: Diyorlar ki: Akıl sahipleri ruh, cisim, nefis ve bedenin ayrı ayrı şeyler olduğunda ittifak etmişlerdir. Cevap: Cisim kelimesi, felsefeci ve kelamcıların ıstılahında, arap dilindekinden ve insanların kullanımlarından daha umumdur. Şöyle ki, cisim lafzını felsefeciler ağır yahut hafif yahutta görünen veya görünmeyen cinsinden olan şey biçiminde üç anlamda kullanmışlardır. Bu nedenle havaya, ateşe, suya hatta dumana, buluta ve yıldıza bile cisim demişlerdir. Arap dilinde bunlara cisim dendiği bilinmemektedir. Cisim konusunda felsefecilerin anlayışları işte budur. Lugat kitaplarında onlardan nakledilenler de bu kadardır. Cevherî der ki: Ebû Zeyd şöyle demiştir: "Cisim cesettir. Cismân ve cüsmân da aynı manaya gelir". Esmaî de: "Cisim ve cüsmân, ceset

demektir. Peltek "se" ile cüsmân ise şahıs ve kişi demektir. "وقد جسم الشيء" yani büyüdü, cüsseli oldu, manasınadır.

Biz de nefse cisim diyorsak onların ıstılahlarına, lugatlarına göre diyoruz. Aksi takdirde dil açısından nefis, cisim değildir. Nefsin cisim olmasından maksadımız, şeriatın, aklın ve hissin işaret ettiği hareket, intikâl, yükselme, inme; nimete, azaba, lezzet ve eleme doğrudan muhatap olma gibi özelliklerinin, fiil ve hükümlerinin olmasıdır. Bundan başka tutulması, salıverilmesi, alınması, bedene girip çıkma özelliklerinin varlığıdır. İşte nefiste bu manaları göstermek için her ne kadar dilciler cisim demese de biz buna cisim demekteyiz. Bâtıl bu fırkayla (Mûtezile ile) olan tartışmamız, lafız itibariyle olmayıp mana bakımındandır. Dilcilerin ruh ve cisim demeleri işte bu manadadır.

FASIL

İkinci Şüpheye Cevap: Bu şüpheleri, dayandıkları delillerin en güçlüsüdür. Burada dört öncül vardır:

Birincisi: Hiçbir şekilde bölünme kabul etmeyen varlık.[53]

İkincisi: Onu bilmek mümkün olurdu.

Üçüncüsü: Onunla ilgili bilgi de bölünmez bilgidir.

Dördüncüsü: Aynı şekilde bilginin mahalli de orası olmalıdır. Nefis cisim olsaydı bölünürdü.

Akıl sahipleri buna karşı çıkarak: "Varlıkta, gerek hissi gerekse vehmi bölünmenin olduğuna dair bir delil göstermediniz. Delil diye elinizde bulundurduklarınız temelsiz iddialardır. Vâcibü'l-Vücûd (Yüce Allah) hakkında söylediklerinizi ise birçoklarınca bilinen bâtıl anlayışlarınızdan kaynaklanmaktadır. Siz Allah Teâlâ'nın mâhiyet ve sıfatlarını inkâr ederek sıfat ve mâhiyeti olmayan bir varlık olarak görüyorsunuz. Bu görüşünüz akla, gökten indirilen kitaplara ve Rasûllerin icmâ'ına terstir. Böyle söylemekle Allah'ın ilmini, kudretini, irâdesini, işitmesini, görmesini, yaratıklarına olan üstünlüğünü, gökleri ve yeri altı günde yarattığını inkâr edip buna da tevhid inancı diyorsunuz. Ta'tîlin[54] (yani Allah'ı sıfatsız bırakma) temeli işte budur.

---

53. Bu görüşler, bir takım Yunan felsefecilerinden alınmıştır. Ancak günümüzde atom ve atom nüvelerinin yayılması, süratli hareketi anlayışıyla bu görüşler çürütülmüştür. Müellif İbni Kayyım da ilim ve ilmî gerçeğe dayanarak onların "varlıkta bölünmez bir kısım vardır" görüşünü kabul etmemiştir.

54. Ta'tîl, muattıle; Yüz, el, göz, parmak, ayak ve konuşma gibi Allah'ın kudsî sıfatlarını Allah'tan selbeden; bunları tevil ederek Allah'ı cisimlik ve teşbihten korumaya çalışmak ve çalışanlar. Bunlara göre Allah'ın yüzünden maksat zâtı, elinden maksat kudreti, gözünden maksat ise yaratıklarını idare

Akıl sahipleri diyorlar ki: "Delil olarak kullandığınız "nokta" delili de sizin dayanaklarınıza karşıdır. Çünkü nokta, bölünmez olmakla beraber o, bölünebilir bir cisimde mahaldir; bölünmez şey bölünen birşeye girmiştir. Sonra çoğu kelamcıların basît (bileşik olmayan) cevher görüşleri de ileri sürdüğünüz bu temele aykırıdır. Kelamcılar diyorlar ki: "Cevher, cisimde bir mahaldir. Ayrıca o, cisimden mürekkeptir. Bölünmez şey, bölünen şeye girmiştir." Anlaşılan basît cevheri inkâr etmedikçe, deliliniz yerine oturmayacak. Nokta, düz çizginin sonunda, ucunda, yokluğunda olan şeydir, diyorsanız o zaman nokta da yoktur. Deliliniz böylece de çürümüş olur. Yok noktanın durumunu bölünen düz çizgiye girmiş bir varlık olarak görüyorsanız, her iki duruma göre deliliniz yine boşa çıkar.

Akıl sahipleri yine diyorlar ki: "Bir tür olarak, bir akış şeklinde olmaksızın ilmin, mahallinde bir hal olması niye mümkün olmasın? Çünkü, herşeyin mahalline girişi kendine göredir; hayvanın eve girmesi, bir giriş türüdür. Arazın cisme girmesi, bir giriş türüdür. Cismin araza girmesi, bir giriş türüdür. Ruhun bedene girmesi, bir giriş türüdür. İlimlerin, nefse girmesi de daha başka bir giriş türüdür.

Yine diyorlar ki: Mesela "tek" vardır. Eğer bu, cevher ise basît bir cevherdir ki sizin delilinizi çürütür. Çünkü basît cevheri yok saymadıkça deliliniz yerini bulmaz. Yok eğer "tek"den maksadınız araz ise onun bir mahalli olmalıdır. Eğer mahalli, bölünen şey ise bölünmeyen şeyin bölünen şeyde bulunması câizdir demektir ki bu da cevherdir. Yine deliliniz sakatlanır. "Tek" dışta varlığı olmayan bir şeydir diyorsanız, bu durumda bölünmez birşeyin varlığıru kabul ediyorsunuz demektir. Bütün bunlar, dışta varlığı olmayan şeylerdir. Bu takdirde varlığı olmayan şey diye gördüğünüz Vâcibü'l-Vücûd, belki müstahîlü'l-vücûd (var olması muhal) olmalıdır.[55]

Yine diyorlar ki: Nisbetler, arızî izafetlerdir. Üstlük, altlık, sahiplik, sahip olunan gibi kısımları yoktur. Mahallin bölünmesiyle hâl de bölünseydi söz konusu nisbetlerin de bölünmesi gerekirdi. Bu durumda ise üstte bulunmak, altta bulunmak gibi nisbetlerin dörde, sekize bölünmesi gerçek olurdu. Akıl bunu, asla kabul etmez.

Yine diyorlar ki: Vehmî ve fikrî güçler, hocanız İbn Sina'ya göre cismânî güçlerdir. Bunların cüzleri, parçaları olmalıdır. Bu imkansızdır. Çünkü güçler bölü-

---

etmesidir. Ama gerçekte onlar, kaçtıkları şeye düşmüşlerdir. Çünkü insan da zat, kudret ve idare sahibidir. Eğer derlerse ki: "Ama O'nun zatı bizim zatımız gibi değil, kudreti bizim kudretimiz gibi değil, idaresi de bizim idaremiz gibi değil" deriz ki: "O halde O'nun yüzü vardır, ama bizimki gibi değil. O'nun eli vardır; ama bizimki gibi değil..." Yüce Allah buyuruyor ki: "Onun misli hiç birşey yoktur. O, işiten ve görendir" (Şûrâ sûresi, 42/11).

55. Yani, mutlak yokluk. Gerçekte varlığı yoktur. Muattıle fırkasının nihâî görüşü budur.

nürse, parçalarından herbirinin güce benzemesi gerekir. Bu durumda da parça bütüne eşit olur. Yok eğer bölünenler, bütüne eşit olmazsa bu durumda ise parçalar bütünden ayrı şeyler olur.

Yine şu kimsenin dost, şu kimsenin de düşman olması dışında vehmin hiçbir anlamı yoktur. Dostluk ve düşmanlık da bölünmeyi kabul etmez.

Yine diyorlar ki: Size göre varlık, mahiyetlere eklenmiş bir şeydir. Mahallin bölünmesiyle hâlin de bölünmesi gerekseydi mahallin bölünmesiyle de bu var oluşun da bozulması gerekirdi. Bu izah, birşeyin varlığını, mahiyetinden ayrı kılmaz.

Yine diyorlar ki: "Sayıların tabiatı, farklı mahiyetlerdir. On sayısının on olarak anlaşılması, bir sayısının ve mahiyetinin anlaşılmasıdır. Bu mahiyet, on sayısını oluşturan bütün tek sayılar için ya arazîdir ki bu muhaldir ya da mahiyet bu tek sayıların bölünmesiyle bölünmektedir ki bu da muhaldir. Çünkü on sayısının varlığının on olarak anlaşılması, bölünmeyi kabul ettirmez. Evet, sayının on olması değil de on sayısı bölünebilir. Diyorlar ki: "Görüldüğü gibi bölünemeyenler, bölünenlerden önce gelmiştir."

Yine diyorlar ki: "Daire gibi niceliklere ait özellikler, felsefecilere göre dairenin benzerinde var olan arazlardır. Eğer bu araz ise ya tamamıyla kâim olmalıdır ya da parçalarından herbiriyle kâim olmalıdır ki bu muhaldir yahutta bu araz, parçaların bölünmesiyle bölünmeli, daire çizgisini oluşturan parçalardan her birinin, bu arazın da parçaları olmalıdır ki bu da muhaldir. Çünkü daireyi oluşturan parça yine dairevî ise dairenin parçası da daire olmalıdır. Yoksa bu parça dairevî değilse parçaların birleşmesi halinde yeni bir şekil oluşmayacak dolayısıyla daire elde edilemeyecektir. Eğer parçaların birleşmesinden yeni birşey elde ediliyorsa elde edilen yeni şeyin bölünebilir olmasıyla o şey yeniden bölünecektir. Elde edilen şey bölünmez şekilde ise bu durumda da hal bölünebilirken mahal bölünemez olacaktır.

Ben derim ki bu, onları bağlamaz. Çünkü şöyle demeleri daha doğru olur. Mahalline uyarak hâl bölünür. Nitekim siyah ve beyaz gibi arazlar mahalliyle beraber kâim olan arazlardır. Boy gibi bölünmez arazların bölünmesi ise cüzlerinin birleşmesi şartına bağlı olarak bölünürler. O halde şarta bağlı olarak bölünenler, şartın yok olmasıyla yok olurlar.

Yine diyorlar ki: Bu cisimler, zatları itibariyle mümkün varlıklardır. Bu, mahiyetinden ayrı bir şekilde cismin ârizî bir özelliğidir. Madem ki mahallin bölünmesi bunların da bölünmesini gerektirmiyor ileri sürülen delil bâtıldır demektir. Yok eğer mahal bölünebiliyorsa cüzlerin, bütüne eşitliği ve teselsül gibi sakıncalar aynen kalıyor demektir.

Ben derim ki; bu da onları bağlamaz. Çünkü mümkünlük, varlığı ve yokluğu kabul eden bir mümküne delâlet etmemektedir. Bu kabul, cismin zatının ge-

reği olup (lâzım) onun ârızî bir özelliği değildir. Ancak zihin, bu kabûlü, kişinin aklından soyutlar; böylece de cismin mahiyete yönelik arazları, zihnin soyutlaması yoluyla var olur. Parçanın bütüne eşit olması iddiasında ise diğer basît[56] mahiyetlerde olduğu gibi bir muhallik yoktur. Çünkü gerek tanımda gerekse gerçeklikte su, toprak, hava gibi basîtlerde parça bütüne eşittir. Öyleyse parçanın bütüne eşit olamaması, nicelik bakımından olup hakikatin kendisi açısından değildir.

Bu şüpheyi ortadan kaldırmak şöyle olur. İlim, nefiste yer edinmiş hal şeklinde değildir. Yalnızca o görme misalinde de söylediğimiz gibi ilimle malûm arasında bir nispet ve izafettir. Görmek, bâsira gücünde (görme gücü) kişinin gözüne eşit bir sûretin uyuşmasından ibaret değildir. Gören kişi ile bâsıra gücü arasında bir nispet ile izafetin oluşması, görmenin nedenidir. Konuyla ilgili çoğu endişeleri, âlime gücünde (bilme gücü), bilinenin sûretinin uyuşmasına mebnîdir. Bir de buna bölünemez olanın, bölünürde bölüneceğini söyleyerek muhale gitmişlerdir.

Küllî bigilerin mahalli, cisim yahut cismânî olsaydı söz konusu bilgilerin de bölünmesi gerekirdi. Çünkü bölünen birşeyde bulunan da bölünendir. Bir farkla ki bunun cisim olduğunu söylemiyorlar. Şüphesiz bu öncülün delil olarak kullanılması gariptir. Çünkü ellerinde sadece bir iddia vardır. İddiaları delile ihtiyaç duyulmayacak kadar apaçık da değildir. Bu; ilim, bilen kişinin nefsinde, bilinenin mahiyetine eşit bir sûretin oluşmasından ibaret birşeydir, anlayışına dayanmaktadır ki bu, sözünü ettiğimiz açıklamaların en sakatıdır.

Bu iddianızı kabul etsek bile diğer zâhir deliller sizin görüşünüzü çürütmeye kâfidir. Çünkü sûret, düşünme gücünde bulunan bir hâl ise bu, söz konusu cüz'î nefiste yer edinmiş diğer arazlara yakın, cüz'î nefiste yer edinmiş cüz'î bir sûrettir demektir. Diğer bütün unsurlarla beraber bu sûreti kabul edersek bu durumda bu, soyut bir sûret olmaz. Belki arazlara, diğer unsurlara yakın bir sûret olur ki bütün durumlarda bu mümtenîdir.

Eğer derseniz ki sûretin küllî olmasından maksat, bundan diğer unsurları çıkarıp ona, o, ne ise o odur şekliyle küllîdir dememizdir. Cevabımız şudur: Böyle bir soyutlama câizse şöyle demek niçin câiz olmasın. Bu sûret, cismânî bir maddede, muayyen bir miktarda, muayyen bir bütünlükte yer edinmesidir. Ancak sûretten diğer unsurları soyup o ne ise o odur şeklinde kabul ettiğimizde bu, yaptığımız söz konusu sûret menzilesinde olur. O halde muayyenin karşısındaki muayyen, "o ne ise o odur"dan çıkartılmış mutlakın karşısında mutlaktır. Bu ise sağlam akılların, doğru terazisinin işaret ettiği, normalde yapılan şeylerin kendisidir. Demek ki bu, endişelerin en sakatıdır. Kül-

56. Basit, mürekkebin aksidir. Yani bölünmez en küçük parçadır.

lîleri delil göstermelerinin nedeni, çağlarının bozulması, akıllarının ve bakış açılarının da karışmasıdır. Önce dışta varlığı olmayan küllî şeyleri soyutluyorlar sonra da onlara varlıklarla ilgili hükümleri vererek bunu, varlığın temeli ve ölçüsü sayıyorlar.

Eğer onlar, bilinenlerin sûretlerini soyutlayarak onları küllî sayıyorlarsa biz de bu sûretlerin mahallerini soyutlayarak onları küllî sayarız. Muayyen cüz'îyi alırlarsa, onların mahalli de böyledir. Anlaşılan o ki, küllînin karşıtı küllî, cüz'înin karşıtı da cüz'îdir.

Diyoruz ki; zihinde küllî varlık yoktur. Zihinde olan şey, küllînin diğer cüzlerine uygun muayyen ve müşahhas sûretlerdir. Bu itibarla buna küllî diyorsanız lafızlara dalmanın bir anlamı yoktur. Her iki açıdan da bunlar, küllî ve cüz'îdirler.

FASIL

Üçüncü Şüpheye Cevap: "Aklî küllî sûretler, soyutturlar. Soyutlama sebebi ise sadece küllîleri çıkaran şey yani akıldır." Bunun cevabı şudur: "Aklî küllî sûretlerden kastınız nedir? Bununla bilinenin, bilen kişinin zatında oluşmasını mı kastediyorsunuz yoksa ilmin, bilen kişinin zatında oluştuğunu mu? Birinci şeklin muhal olduğu açıktır. İkinci şekil ise doğru olmakla birlikte bu size hiçbir mana kazandırmaz. Çünkü insanlar arasında ortak olan küllî şeyler, insanla ilgili olup insanî bilgiyle ilgili değildir. İnsanlığın, hariçte bir varlığı yoktur. Hariçte varlık, yalnızca muayyen şeylere mahsustur. İlim maluma tâbidir. Yani malum, muayyen olduğu gibi ilim de muayyendir; ama ilim, malumun birçok ferdi arasında uygun bir sûrettir. Gerek zihinde gerekse zihin dışında bölünmez bir sûret asla bulunmaz. Akılcılardan birçokları burada nice hatalara düşmüşlerdir. Hatalarının sayısını Allah'tan başkası bilmez. Nefiste var olduğunu zannettikleri küllî sûret, gerçekte şahsî arazlarla donanmış şahsî bir sûrettir. Aklî bu sûretin cisim ve cismânî olmayan bir cevherde yer edindiğini farzet. Hiçbir zaman bu cevher arazlardan soyutlanmış olamaz. "Sûretin soyutlanmış olmasından maksadımız arazlara bakmaksızın "o ne ise o odur" şeklinde sadece zihinde düşünmektir" diyorsanız deriz ki: O halde niçin cismânî bir mahalde bulunan sûretin bölünmesi câiz olmasın? Sûretin soyut olması, yalnızca arazlarına bakmaksızın "o nasılsa o öyledir" diye düşünmekle olur.

FASIL

Dördüncü Şüpheye Cevap: "Aklî güçler, sınırsız birçok fiile güç getirebilirken cismânî güçlerden hiçbiri bunu başaramaz" şüphenizi kabul edemeyiz. Çünkü aklî güçler de sınırsız fiillere güç getiremez.

"Aklî güçler, sınırsız idrakler yapabilirler. İdrakler ise fiillerdir" iddianız, yanlış iki öncülden oluşmaktadır. Çünkü aklî güçlerin idrak ettiği şeyler ne kadar çok olursa olsun sonuçta bu, sınırlıdır. Bir nefsin isterse bir milyon idraki olsun idrak hacmi sınırlıdır. Kesinlikle bilinmektedir ki idrakler, bilgiler sınırlıdır. Bu sınırı aşmak imkânsızdır. Nitekim Yüce Allah: "Her bilenin üzerinde daha iyi bilen vardır"[57] buyurarak bilginin sonunda Yüce Allah'ta, kendisinde bittiğini belirtmiştir. O Allah ki ondan başka bir ilah yoktur. O tektir. Sınırsız bilgi Yüce Allah'ın özelliklerindendir. Başkaları O'na ortak olamaz.

"Aklî güçlerin idraki bir sınırda bitiyorsa bilgiyi arttırmak mümkün olmaz; bu durumda birşeyin zatî imkân sınırlarından çıkıp, değişmesi gerekir" derseniz deriz ki: Aynen öyle. Bu doğru kabul ediliyorsa cismânî güçlerin de sınırsız fiillere güç getirebildiği de kabul ediliyor demektir. Böylece şüphe ortadan kalkarak bu görüşün sakatlığı meydana çıkıyor.

Yine görüşünüze göre cismânî güçler olarak kabullendiğiniz hayal, düşünme, hatırlama güçleri de sınırsız hayal ve hatırlamaların gerçekleşmesine güç getirebilmektir.

Aklî güçlerin, sınırsız fiillere güç getireceğini kabul etmiyoruz diyorsanız deriz ki: Muhalifleriniz, aynı şeyi âkıle gücü için de söylemektedirler.

İkinci öncülün yanlışlığına gelince idrak etmek bir fiil değildir. Dolayısıyla fiillerin sınırsız olması bu fiillerin sınırsız bir şeklide idrak edileceğini gerektirmez. Demiştiniz ki akıl, bilinenin sûretini kabul edebilir; o sûretin oluşturucusu değildir. Görünüşüze göre bir şey hem yapan hem de sûreti kabul eden olamaz. Yine demiştiniz ki cisimler için sınırsız fiillerin olması imkansızdır. Sınırsız bilinmeyenlerin işlemlerinin, cisimde bulunması ise imkansız değildir. İbn Sina konuyla ilgili şüphesini şu sualle ortaya kor: "Her ne kadar felekle ilgili hareketler sınırsız da olsa doğrudan doğruya feleği harekete geçiren felekî nefis[58] cismânî bir güç değil midir? İbn Sina buna şöyle cevap verir: "Her ne kadar felekî nefis, cismânî bir nefis olsa da bu gücün kemâle ulaş-

57. Yûsûf sûresi, (12/76).
58. Felekî nefis: Bir takım felsefecilere göre felekten doğan nefis. Yeni Eflatunculuğun feyezânla ilgili görüşü budur. Farabî, İbni Sinâ gibi daha sonraki felsefeciler bu anlayışla, aklın da vahiy gibi yanılmayacağını; çünkü her ikisinin de aynı kaynaktan nurlandığını söylemektedirler. Böylece kendileri sapıklığa düştüğü gibi başkalarını da sapıtmaktadırlar.

ması müfarak akla[59] bağlıdır. İşte bu nedenle felekî nefis, sınırsız fiiller yapabilmektedir.

Diyoruz ki: Görüşünüz bu olunca şöyle demek neden mümkün olmasın. "Nâtıka nefis, kemale ulaşır. Onun gücü ise bütün güçleri elinde bulunduran yaratıcısından (Allah'tan) gelmiş olamaz mı? Bu durumda da cismânî olmakla beraber sınırsız fiiillere güç yetirmesi mümkün değil mi? Eğer senin görüşün de bu ise Rasüllerin ve aklın bildirdiğine uyarak müslümanlar arasına katılmuş olursun. Böylece de sapıtmışlardan ayrılmış olursun.

FASIL

Beşinci Şüpheye Cevap: "Âkile gücü, cismânî bir alette bulunuyorsa daima bu aleti idrak etmiş olmalı ya da onu asla idrak edememeli." Bu görüşünüzün yanlışlığı şuradadır. İdrak, müdrike gücünde, idrak edilen şeye eşit bir sûretin oluşmasından ibarettir görüşünüzdür. Bu iddianızı kabul etsek bile bir mana çıkarmuş olamazsınız. Çünkü idrakın oluşması, sûrete bağlıdır. O halde şöyle denmeli veya demeli: "Bu sûretin oluşmasıyla, idrak aynı şeylerdir." Aklı olan kimse de böyle dememiştir. Öyleyse âkile gücü, muayyen bir cisimde bulunmaktadır. Sonra nâtıka gücü, şuur ve idrâk denen bir nisbetle âkile gücünü açığa çıkarmakta; bu durumda ise âkile gücü söz konusu aleti idrak etmektedir. Bazan nâtıka gücü ile âkile gücü arasında bir nisbet bulunmaz. Bu durumda ise âkile gücü aletten habersiz olur demek niye mümkün olmasın. Eğer bu mümkün görülüyorsa şüphe temelden kalkmış olur. Sonra diyoruz ki: "Birşeyi aklettiğimizde akılda bulunan sûretin, her yönüyle ve bütün şekilleriyle söz konusu bilinene eşittir yahutta aralarında hiçbir şekilde eşitlik yoktur diyebiliyor musunuz? Bâtıl olduğu ortada olduğu için aklı olan kimse, birincisini söyleyemez. O halde hiçbir şekilde bilgi ile bilinen arasında eşitliğin olmaması, kalpte yahut dimağda ayrı yeni bir sûret oluşarak iki benzer sûretin, kalbe ya da dimağa gelmesini gerektirmez.

Yine âkile gücü, kalp yahut dimağ cevherinde bulunmaktadır. Yeni sûret de âkile gücünde bulunmaktadır. Dolayısıyla iki sûretten birinin mahalli, âkile gücüdür. Yine mesela uzun bir mesafe ve oldukça uzak bir yere baktığımızda bu bakışta, görülen şeyin sûreti, gözümüzde mürtesim (büyüklük niceliğ ile resminin çıkması) olur mu olmaz mı? Eğer mürtesim olursa iki benzer şey, biraraya

59. Aklı müfarik ve akl-i faal- Eflâtun'un sudur nazariyesinde ikinci tabakayı oluşturur. Bunun zikre değer tarafı şudur ki hiristiyanlar, hıristiyanlıktaki teslis inancının yorumunda putperest Eflatun'un nazariyesine dayanarak teslisi tevhide bağlayarak safsataya düşmüşlerdir.

geliyor demektir. Görüşünüze göre de bâsira gücü cismânîdir; bulunduğu bir yer vardır. Hacmi ve miktarı vardır. Görülen şeyin hacmi ve miktarı gözde oluşuyorsa birbirine benzer iki şey biraraya geliyor demektir. Siz bunu mümkün görüyorsanız aynı şey, bizim meselemiz için de niçin söz konusu olmasın? Yok eğer o şeyin idrak edilmesi, kişinin gözünde görülen şeyin oluşmasına bağlı değilse bu taktirde bu görüşünüz bâtıl olmaktadır. Özetli, kalp ve dimağın kendilerini bilmesi, kalp ve dimağ sûretinin âkile gücünde oluşmasından kaynaklanmaktadır.

Yine: Aklî güç, cisimde bulunmuş olsaydı söz konusu cismi daima idrak etmesi gerekirdi. "Fakat kalp ve dimağımızı idrak etmemiz sürekli değildir" görüşünüz de böyledir. Bu, "aklî güç, kalpte ve dimağda bulunmaktadır" diyen kimseyi bağlar. "Akile gücü, muayyen bir cisimde bulunmaktadır. O da bedenle ortak olan nefistir" diyeni bağlamaz. Çünkü ikinci görüşün manası ayrıdır. Yani şöyle demek istemektedir: "Nefis, muayyen bir cisimdir. İnsan, daima kendinin muayyen bir cisim olduğunu bilir. Gaflet anları dışında bu, aklmdan hiç çıkmaz." Görüldüğü gibi ileri sürülen şüphe, her yönüyle boşa çıkmaktadır.

FASIL

Altıncı Şüpheye Cevap: "Her insan kendi nefsini idrâk eder. İdrâk, bilinenin mahiyetinin, bilen kişide belirmesinden ibarettir. Bu, nefis, bir mahalden uzak olduğu zaman ancak söz konusudur... vd."

Cevabımız şudur: Bu şüphe, "İlim, bilinene eşit bir sûretin, bilen kişinin nefsinde oluşmasından ibarettir" görüşünden kaynaklanmaktadır. İlim meselesini tartışıken belirttiğimiz gibi bu, birçok yönden bâtıldır. Bu kabul edilse bile söz konusu sûretin, ilmin oluşmasında şart olması gerekir. Çünkü sûret, ilmin bizzat kendisi olmaktadır.

Ortaya atılan bu şüplere, öncülleri bozuk da olsa lafızları yerli yerinde olmasa da gerektiği şekilde reddedilmişlerdir. Çünkü elimize bir taş ya da bir odun parçası alıp: "Bu, nefsiyle kâim bir cevhedir. Zâtı, zâtında bulunmaktadır" dediğimizde, bu cansız varlıkların da kendi zatlarını bilmiş olmaları gerekir, demiş oluruz.

Aynı şekilde bütün canlılar, kendi zatlarını idrak ederler. Birşeyin kendi zatını idrâk etmesi, zatının, soyut bir cevher olmasını gerektirir. Bu durumda ise hayvanlara ait bütün nefislerin, soyut cevherler olmaları gerekir. Fakat siz, böyle de demiyorsunuz.

FASIL

Yedinci şüpheye cevap: "Bir insan içerisi cıva dolu bir deniz ya da yâkuttan bir dağ düşünebilir." Bu şüphe Ebü'l-Berekat el-Bağdâdî'ye aittir. Bu şüphenin gerçekte gevşek bir görüş olduğu bilinmektedir. Şöyle ki bu tür hayâller, olması mümkün işlerdir ve de nefsin mahalline uyacağı biçimde bunlar da nâtık nefse uygundurlar. Şu da gerçektir ki bu tür hayaller bizzat gerçek hayaller değildir. Yalnızca zihin bunları farzetmekte ve nefse bu uymamaktadır. Çünkü haricî bilgilerin süretleri, nefse uygun olmazken gerçekte yok olan hayaller nasıl uygun olsun? Bu saçma şüpheler mutlak yoklukla izafî yokluğun birbirinden ayırd edilmesine engel değildir. Çünkü akıl, duymamayı, görmemeyi ve koklamamayı bilir ama bu, söz konusu yokların varlığını gerektirmez. Belki o, imkansız olan birtakım yokluk türlerini farkeder. Sonra deriz ki: "Her yönüyle cisimlik ve miktar ölçülerinden uzak bir hususta mesela, bir kimse şekil ve miktarı, ölçülerinin hulûlunü düşünebiliyorsa, küçük bir cisme büyük bir miktar ve sûret giydirerek onda ilmin meydana gelmesini düşünemez mi? Yine bütün yönlerden bu düşüncelerin nefse uygunsuzluğu, soyut cevhere şekil ve sûretin girmesine engel olmuyorsa, küçük cisim için büyük şekillerin nefis mahalline uymaması ve küçük bir mahalle, büyük sûretin girmesine engel olmaması daha normaldir.

Yine sizden öncekiler, soyut cevhere girmiş sûretin, nefse uygun olmasının muhal olduğuna deliller getirerek bir takım iddialar ortaya atmışlardır.

FASIL

Sekizinci şüpheye cevap: "Aklî güç, cismanî olsaydı yaşlandıkça zayıflaması gerekirdi. Ama durum böyle değil." Buna verilebilecek cevabımız birkaç yönlüdür.

Birincisi: Şu söz niçin doğrudur? Şöyle ki aklî güçlerin kemâli için bir miktar beden sağlığına ihtiyaç vardır. Sağlıklı bedenin olgunlaşması hali, aklî güçlerin olgunlaşmasında bir mana ifade etmez. Beden sağlığının, aklî güçlerin kemâline tesir ettiği düşünülürse: "İhtiyaç duyulan bu beden sağlığı, yaşlılığın sonuna kadar devam eder. Akıl da böylece kalır" demek de mümkündür.

İkincisi: Yaşlı kimsenin sağlıklı iken aklî idraklerinin devam etmesi; aklının, en son âtıl kalan bazı uzuvlarına girerek devam etmesi; bu son uzuv da bozulunca hem aklının hem de idrakinin büzülmüş olması belki mümkündür.

Üçüncüsü: Birtakım mizaçların bazı güçlere daha uygun olması mümkündür. Belki de yaşlılık durumu aklî güçlere daha uygundur. Bu nedenle aklî güçler yaşlılık anında kuvvetlenir.

Dördüncüsü: Mizaç, son derece kuvvetli ve şiddetli olunca buna bağlı olarak diğer güçler de kuvvetlidir. Dolayısıyla şehvânî ve gadabî güçler oldukça kuvvetlidir. Bu tür güçlerin gücü, aklın olgunlaşmasına engeldir. Yaşlılık ve güçsüzlük başgösterince de aklın olgunlaşmasına engel olan bu güçlerde bir güçsüzlük başgösterir. Buna bağlı olarak akıl da zayıflar. Ancak akılda oluşan bu güçsüzlük, kendi gibi olan diğer güçlere de geçerek her iki tarafta görülen kusur, zamanla dengeyi oluşturur.

Beşincisi: Yaşlı bir kimse, çeşitli ilimleri öğrenerek, birçok şeyi tecrübe edip onlarla uğraşarak ve gözden geçirerek tecrübesini artırır. Düşünce ve fikrinin çeşitli şekillerinde bu hallerin oluşması, bedeninde ve güçlerinde (yaşlanmakla) oluşacak güçsüzlük nedeniyle, zamanla noksanlaşmak şeklinde görülecektir.

Altıncısı: Kazanılmış melekelerle oluşacak birçok fiilde görülen artış, bedenin güçsüzleşmesiyle beraber söz konusu noksanlığı gerektirecektir.

Yedincisi: **Sahîhü'l-Buhârî**'de Rasûlullah'tan şöyle bir hadis rivayet edilir: "Âdemoğlu iki şeyle yaşlanır, onlarla gençleşir. Onlar: Hırs ve tûlü emeldir."[60] Hırs ve emel cismânî güçler ve hayalî özellikler olmakla beraber hadiste belirtilen husus gerçektir ve tecrübe de edilmiştir. Sonra bedendeki güçsüzlük, hadiste belirtilen iki sıfatında güçsüzleştirmesini gerektirmez. Demek ki bedenin bozulup zayıflaması, bedenî sıfatların ve özelliklerin de zayıflamasını gerektirmez.

Sekizincisi: Çoğu yaşlıların, ömürlerinin sonuna yaklaştıklarında bunadıklarını ve akıllarının işleyemez hale geldiğini görüyoruz. Bu durumu Yüce Allah şöyle belirtir: "Biraz bilgiden sonra hiçbirşey bilemez hale gelsin diye bazılarınız, en kötü ömre itilir (yani ihtiyarlığa).[61] Ömrünün en kötü zamanında yaşlı

---

60. Bu hadisi Müslim (c. 7, s. 138) rivayet eder. Enes'ten rivayet edilen bu hadiste Rasûlullah: "Âdemoğlunu iki şey hem yaşlandırır, hem de gençleştirir. Bunlar, aşırı mal hırsı, fazla yaşama hırsı" buyurmuştur. Tirmizî'nin rivayetinde ise gençleştirir ifadesi gençleşir şeklindedir. "Gençleşerek yaşamı mala tercih eder..." Tuhfe, c. 6, s. 632. Müslim'in lafzıyla İbni Mâce rivayet eder. Burada da (teşübbü) fiili (yeşübbü) şeklindedir. Buhârî de: "Âdemoğlu yaşlandıkça, yaşıyla beraber, mal ve uzun yaşam sevgisi artar" şeklinde rivayet etmiştir. Bunlardan başka Ahmed ve Ebû Ya'lâ'nın rivayetleri de vardır. Enes'in rivayetinde bulunan son kısım, Müslim, Ahmed ve diğerlerinin Ebû Hüreyre'den yaptıkları rivayette de mevcuttur. bkz. **el-Ehâdisü's-sahîha** (1906). Kitabımızda geçen hadisi ise Suyûtî Sahîhü'l-camî'de: "Ademoğlu yaşlansa bile iki şey ondan ayrılmaz. Bunlar, hırs ve emeldir" şeklinde rivayet eder. Ahmed, Buhârî, Müslim ve Nesâî'nin rivayeti Hz. Enes'ten gelmiştir. Ancak, bu lafızla hadisi, Buhârî ve Müslim'de bulamadım. İbnü'l-Esir **Camîü'l-usûl**'de (c. 3, s. 637) Buhârî, Müslim ve Nesâî'nin rivayetleri olduğunu belirtmemiştir. Hadisin Kubrâ'da olması muhtemeldir. Hülâsâ, kitabımızda geçen hadisin lafzı, birçok rivayetlerle müttefekun aleyhtir. Allah (cc) en iyisini bilir.

61. Nahl sûresi, (16/70).

çocuk gibi ya da kötü halde bulunur. Bunama hali görülmeyen yaşlılarda ise kötü ömür anı, yok demektir.

Dokuzuncusu: Bedenî güçle nefis gücü arasında, bedenî güçsüzlük ile nefsî güçsüzlük arasında bir bağlantı yoktur. Bazı insanlar vardır ki bedenleri güçlü, nefisleri zayıf olduğu halde korkak ve zayıf olurlar. Bazıları ise bünyeleri zayıf, nefisleri güçlü olur. Bünyelerinin zayıflığına rağmen cesûr ve atılımcı olurlar.

Onuncusu: Bütün söylediklerinizi kabul edilse bile bu, nefsin soyut bir cevher olup âlemin ne dışında ne de içinde ne bedende ne de bedenin dışında olmadığına delâlet eder. Çünkü eğer ki nefis, arzda bulunan cisimlerden farklı olarak semâvi, parlak saf bir cisim ise yerde bulunan cisimlerin bozulup dağıldığı gibi nefsin bozulmaması, değişip solmaması gerekir. Dolayısıyla bedende görülen solma ve dağılma, bunların, nefis cevheri için de geçerli olduğunu gerektirmez.

FASIL

Dokuzuncu şüpheye cevap: "Aklî güç, fiillerinde cisme muhtaç değildir. Fiillerinde cisme muhtaç olmayan şey, zatında da ona muhtaç değildir demektir." Cevabımız şudur: "Cismânî bir güçte bulunan bir durumun, cismânî diğer bütün güçlerde de bulunmasını gerektirmez." Sizin yaptığımız mücerred bir iddia bozuk bir kıyastır.

Sûretler ve arazlar, mahallerine muhtaçtırlar. Mahalle olan bu gereksinim, sırf zatları açısından değildir. Sözü edilen hükmü müstakil olarak alması, zatlarının da mahalden müstağni olmasını gerektirmez. Herhangi bir hükmü birşeyin tek başına alıyor olması, zatı için de mahalden müstağni olmasını zorunlu kılmaz. Allah en iyisini bilir.

FASIL

Onuncu şüpheye cevap: Cismânî güçler fiillerinin çokluğu karşısında yorulur, güçsüzleşirken sonra yeniden gücünü kazanamaz." Cevap şudur: Hayalî güçler cismânîdir. Hayalî güçler, küçük şeyleri hayal edebildiği gibi büyük şeyleri de hayal edebilir. Mesela, güneşi ve ayı hayal ettiği gibi küçük bir ışığı da hayal edebilir.

Yine büyük şeyleri görmek basit şeyleri görmeye engeldir. Şöyle deriz: "Yüce büyük akıllar, küçük ve basit ma'kûlâtı bilemez. Çünkü yer ve göklerin Rabbi'ni, isimlerini ve sıfatlarını derinlemesine kavramaya çalışan kimse tefekkürü anında, basît (bileşik olmayan) cevherin ve hakikatının varlığı aklına bile gelmez.

FASIL

Onbirinci şüpheye cevap: "Siyah, beyazın zıddıdır dediğimizde, siyah ve beyaz kavramlarının ikisinin birden zihinde hazır olması gerekir. İki zıddın bir arada bulunmasının muhal olduğu ise bedihîdir."

Şöyle cevap veririz: Bu şüphe, "mesela bir kimse bir şeyi idrak ettiğinde, idrak edenin zatında, idrak edilenin sûretine eşit bir sûret oluşur, düşüncesine dayanmaktadır. Bu ve aynada görülen sûretin bir benzerinin de aynaya bakan kişide oluşmasıyla ilgili delilleriniz bâtıldır. Çoğu felsefeci ve akılcıların dediği gibi hiçbir zaman ayna, eşyanın kalıbını almamaktadır. Aynanın, eşya kalıbını alması iddiası, bir çok yönden saçmadır. Diyoruz ki: "Siyah ve beyaz algılandığında nefiste beliren şey, onların resimleri ve misalleridir, gerçekleri değildir diyorsanız, bu eşyalara ait resimler, niçin cismânî maddelerde de bulunmaktadır?

FASIL

Onikinci şüpheye cevap: "İdrak mahalleri, cisim ve her cisim de bölünür olsaydı, cisme ait bazı uzuvlar birşeyi bilirken diğer bazısının bilmemesi mümkün olurdu. Bu durumda kişi aynı anda bir şeyi hem biliyor hem de bilmiyor olurdu." Cevabımız şöyledir: "Bu şüphe, prensiplerinize aykırıdır. Size göre şehvet, gadap ve hayal etme, cismânî hallerdir. Bunlar cismânî olduğu için mahalleri de bölünebilmektedir. Buna göre nefsin bir tarafında şehvet ve gadabın, diğer tarafında ise bunların zıtlarının bulunmasını kabul etmeniz gerekmektedir. Yani nefis, birşeyi aynı anda hem arzulamalı hem de ondan nefret etmeli, aynı anda ona karşı hem öfkelenmeli hem de öfkelenmemelidir.

FASIL

Önüçüncü şüpheye cevap: "Cismânî maddede birtakım işler oluştuğu zaman, benzer işlerin de yine orada oluşması imkânsızdır. Beşerî ruhlar ise böyle değildir..."

Cevabımız şudur: "Kapsamlı olmayan seçkin bir kıyas bile buna cevap olabilir. Bu düşünce, yakîni bırak zannî bir bilgi bile vermez. Çünkü aklî işler denen şey, ilimler ve idraklerdir. Cismânî işler ise şekiller ve sûretlerdir. İlimlerin gerçeğinin, sûret ve şekillere aykırı olacağında şüphe yoktur. Herhangi bir mahiyette bir hükmün bulunması, aynı hükmün farklı bir mahiyet türünde de olmasını gerektirmez.

FASIL

Öndördüncü şüpheye cevap: "Nefis cisim olmuş olsaydı kişinin ayağını oynatmasıyla, ayağını oynatma irâdesi arasında bir miktar zaman olurdu..."

Cevabımız şudur: Bedenle birlikte nefsin üç durumu vardır. Nefis ya elbise gibi dıştan bedeni tamamen sarmıştır ya kalp ve dimağ gibi bedenin bir tarafındadır ya da bedenin bütün uzuvlarında dolaşmaktadır. Bu üç takdire göre de insanın birşeyi oynatmayı murad etmesiyle o şeyi oynatması arasında zaman farkı yoktur. Meselâ göz, gördüğü şeyi hemen algılar. Kulak, burun ve dil de böyledir. Bir uzvun kesilmesiyle, o uzuvda bulunan nefis, bedenin içinde olsun dışında olsun uzuvla beraber kesilmez. Nefis, özelliği kaybolan uzuvdan derhal çıkar. Nefsin, kesilen uzuvdan ayrılması, içerisine su doldurulan kaptan havanın ayrılması gibidir. Nefis, bedenin herhangi bir yerinde duruyorsa bu, kesilen uzuvla beraber nefsin de çıkacağını gerektirmez. Yok eğer nefis, bedeni dıştan sarmış ise o şeyi oynatma irâdesi ile oynatma fiili arasında bir miktar zaman olması gerekmez. Tam aksine, demire temas etmeyen mıknatısın yaptığı gibi derhal o şeyi oynatıp hareket ettirir.

Diyoruz ki: "Hareket irâdesiyle, hareket arasındaki zamana ihtiyaç bulunduğu saçmalığınız, biaynihi sizin için vakîdir. Çünkü size göre nefis ne bedene bitişiktir ne bedenden ayrıdır; ne bedenin içindedir ne de bedenden ayrıdır. Düşüncenizin neticesi işte budur.

FASIL

Onbeşinci şüpheye cevap: "Nefis cisim olmuş olsaydı bölünür olması ve kısımlarından biri bilinirken diğerinin bilinmemesi gerekirdi ki bu durumda insan, bir kısım nefsini bilirken diğer kısmını bilemezdi."

Cevap şu: Bu şüphe, istisnaî ve telazümî iki öncülden oluşmaktadır. Her iki öncülde ya da birinde bir engel vardır. Nefis cisim ise bir kısmını bilmesi, diğer kısmını ise bilmemesi mümkün olurdu, hükmünü kabul edemeyiz. Çünkü nefis, basît (bileşik olmayan) bir varlıktır; ne söz konusu unsurlardan ne de farklı parçalardan oluşmuştur ki kendini anladığında, kendinden habersiz olsun. Telazümî bu öncül netice vermez.

İstisnaî öncüle gelince; nefsin bir kısmından habersizken diğer kısmını bilmesi mümkün değildir, görüşünü de kabul etmeyiz. Delil getirmek şöyle dursun, bu görüşün tutarsızlığına dair bir şüphe bile zikretmemişlerdir. İnsanın, bazen çeşitli yönlerden nefsini tanırken birçok yönden tanımadığı olur. Nefisle

ilgili bilgiler bütün insanlarda eşit değildir. Bazıları nefsini başkalarına oranla çok daha fazla tanıyabilir. Yüce Allah şöyle buyuruyor: "Allah'ı unutanlar gibi olmayın. Onlar Allah'ı unuttular, Allah da onlara nefislerini unutturdu."[62] Her yönüyle değil de bazı yönlerden özellikle nefsin olgunlaşması, mashalatı ve saadeti konusunda onlar nefislerini unuttular. Şehvet, haz ve irâde yönüyle nefislerini unutmamış olsalar bile Allah, yapmaları, elde etmeleri gereken nefislerinin maslahatlarını; sakınması, uzak durması gereken ayıp ve kusurları; Allah'ı tanıması ve bilmesi için yaratılan olgunluğu onlara unutturmuştur. Bu yönlerden onlar, her ne kadar nefisle ilgili bazı hususları bilseler de nefislerinin gerçeklerinden habersizdirler.

FASIL

Onaltıncı şüpheye cevap: "Nefis cisim olsaydı bedene girdiğinde bedenin ağırlaşması gerekirdi. Bedene birşey girdiğinde yahut yüklendiğinde ağırlaşması onun tabiatındandır."

Bu, oldukça ağır bir şüphedir. Gerekçesi ise daha da ağırdır. Üzerine konan şeyle ağırlaşmak bütün cisimlere ait bir özellik değildir. Odunu ele alalım. Üzerine ateş atılınca hafifler. Mesela bir kap içerisine hava girince hafifler. Öyleyse sözü edilen özellik, tabiatında, merkezi ve ortası bulunan ağır cisimlere mahsustur. Bunların hareketi, dokunmaya bağlıdır. Tabîatı gereği yükselen –ateş ve hava gibi- cisimler için bu, söz konusu değildir. Belki ağır bu cisimler için durum tüm aksinedir. Hatta bu tür cisimlere birşey ilave edilince hafifler. Bu manada şairin biri der ki:

ثقلت زجاجات أتتنا فرغا حتى إذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت أن تطير بما حوت وكذا الجسوم تخف بالارواح

"Boş olarak gelen cam şişeler oldukça ağırdı. İçerisine hava dolunca hafifleşti. Öyle ki içindeki hava ile uçacaktı. Aynı şekilde cisimler de ruhların girmesiyle hafifler."

FASIL

Onyedinci şüpheye cevap: "Nefis cisim olsaydı diğer cisimlerde bulunan hafiflik-ağırlık, sıcaklık-soğukluk, yaşlılık-kuruluk, yumuşaklık-sertlik gibi özellik-

62. Haşr sûresi, (59/19).

lerin nefiste de bulunması gerekirdi." Bu, bozuk bir şüphe ve saçma bir delildir. Çünkü cisimlerde bulunan bütün özelliklerin, nefiste de bulunması icap etmez. Yüce Allah cisimlere ayrı ayrı özellikler ve tabiatlar vermiştir. Bazıları gözle görülür, elle hissedilir. Bazıları ne görülür ne de elle hissedilir. Bazıları renklidir; bazıları renksizdir. Bazıları sıcaklığı, soğukluğu çeker; bazıları çekmez. Nefsin de kendine ait, bedende de bulunmayan birtakım özellikleri vardır. Kendine göre nefsin de hafifliği, ağırlığı, sıcaklığı, soğukluğu, yaşlığı ve yumuşaklığı vardır. Zayıf bünyeli olduğu halde oldukça ağır insanlar; bünyesi kaba olduğu halde oldukça hafif insanlar ve rahat yumuşak nefisle, sert tabiatlı nefisler görebilirsin. Bazılarında selîm bir his bulunur. Kokmuş leş gibi bazı nefislerin kokusunu alır. Bazılarının kokusu ise miskten daha hoş olur. Rasulullah bir yoldan geçtiği zaman, o yolda Rasulullah'ın kokusu hissedilir; yoldan geçtiği bilinirdi.[63] Yolda hissedilen koku, Rasulullah'ın nefsinin ve kalbinin kokusudur. Teri ise herşeyden daha güzel kokardı. Tükrükteki koku, nefis ve bedenindeki güzel kokuya bağlıdır.[64] Beşeriyyetin en hayırlısı Rasulullah, bedenden ayrılırken ruhtan ya yeryüzünde bulunan misk gibi en güzel kokunun çıktığını ya da yeryüzünde bulunan leş gibi kokan en kötü kokunun çıktığını haber vermiştir." Bu kokuları bastıran nezle hastalığı olmasaydı çoğu insan bu kokuları alırdı. Birçokları buna dikkat çekmiştir. Ancak doğru ve doğrulanmış birinin (Rasulullah'ın haberi, bu konuda yeterlidir. Yine Rasulullah, mü'minlerin ruhlarının beyaz, kâfirlerin ruhlarının ise siyah olduğunu belirtmiştir. Özetle, nefislerde bulunan özellikler, câhillerden başkasının inkâr edemeyeceği ölçüde açıkta ve ortadadır.

---

63. Bezzar, Muhammed b. Hişam Yoluyla Mûsâ b. Abdullah'tan o da Ömer b. Saîd'den o da Saîd'den o da Katâde yoluyla Hz. Enes'ten rivayet etmiştir. Hadisi rivayet ettikten sonra: "Senedi zayıftır" der. Ömer b. Saîd, Ebû Hafs İbni Süleyman ed-Dimeşkî'dir. Müslim bu zatı zayıf râvî sayar. Nesâî ise "bunda bir güç yoktur" der. Hâkim Ebû Ahmed "güçlü biri değildir" derken Saci, yalancı râvîlerden kabul eder. İbni Adiy ise, "Saîd'den (İbni Ebî'Arûbe'den) sağlam olmayan hadisler rivayet etmiştir" der. Tercemeyi hali için bkz. **et-Tehzîb** Ancak Bezzar, bu hadisi Muaz b. Hişam yoluyla (yani Düstüvâî) babasından o da Katâde yoluyla Hz. Enes'ten "Rasûlullah, güzel kokuyu tanırdı..." şeklinde de rivayet etmiştir. Muaz b. Hişam'la ilgili olarak **et-Takrîb**'de "doğru birisidir, ama bazan vehme düşer" denilmektedir. Hâfız İbni Kesîr **el-Bidâye**'de (c. 6, s. 25-26) ve **Cemü'l-fevâid**'de her iki senedi de zikretmiştir. Bunlardan başka Ebû Ya'lâ ve Taberânî el-Evsat'ta rivayet etmiş; muhakkıkı, Beyhakî'nin senetlerin cemî ile ilgili sözünü ve Ebû Ya'lâ'nın rivayetindeki râvîlerin sika olduğunu da belirtmiştir. Ben derim ki: "Rasûlullah'ın terinin güzel kokmasıyla ilgili, sahih birçok şahidlerle desteklenen bu yolla rivayet edilen hadisin, inşallah sahih olmasıdır. Allah en iyisini bilir."

64. Buhârî, Müslim ve Tirmizî, Hz. Enes'ten rivayet etmişlerdir. Rasûlullah'ın (SAV) yel ve terinin güzel koktuğu; terinin inci gibi alnından aktığı belirtilmiştir. Şeyhân ve Nesâî'nin rivayetinde: "Enes b. Mâlik'in annesi, sürünmek ve çocuklara ikram etmek için Rasûlullahın terini, bir şişeye toplamıştı. Rasûlullah (SAV) kadının bu davranışını takrîr buyurdular." bkz. **Camiû'l-usûl**, c. 11, s. 233-234-245-247; **el-Bidâye ve'n-nihâye**, c. 6, s. 23-26.

FASIL

Onsekizinci şüpheye cevap: "Nefis cisim olsaydı bütün duyuların ya da birkaç duyunun altında olması gerekirdi..."

Bunun cevabı şudur: Böyle bir gereklilik yoktur. Çündü delil getirmek bir tarafa, bu şüphe bile değildir. Ayrıca lazımı nefyeden şeyi de yok etmelidir. Çünkü ruh, duyularla algılanır, görülür; ruhtan yayılan güzel ya da kötü koku koklanır. Feyezan halindeki ruhlar da böyledir, ama biz onu göremeyiz. Rasulullah'ı doğrulayan bir kimsenin bununla delil getirmesi mümkün değildir. Çünkü melek, cin ve şeytanlar da latîf cisimlerdir. Bunlar duyularla algılanamaz. Bunların algılanması, cisimlerin algılanmasından farklıdır. Bazı cisimler, birçok duyu ile algılanır. Bazıları, birkaç duyu ile, bazıları ise yalnızca bir duyu algılanır. Bazılarını da muayyen durumlarda algılanmaya müsâit bir şekilde yaratılmadığından yahut algılamayı engelleyen birşeyden dolayı yahutta algılama duyularımızda o şey latif olarak bulunduğundan dolayı bazan algılayabilsek bile çoğu kez algılayamayız. Hava ve ateş gibi gözle algılanamayan cisimlerin unsurunda renk yoktur; ateş, taş parçası ve cam gibi burnumuzla koklayamadığımız cisimlerde koku yoktur; sâkin hava gibi dokunmakla algılayamadığımız cisimlerde de algılanacak şey yoktur, diyemeyiz.

Aynı şekilde ruh da aletleri vasıtası ile duyu organları tarafından algılanabilir. Nefis, hissedilen olmayıp hisseden algılayandır. Cisimler ve arazlar, hissedilen varlıklardır. Bunları hisseden ise nefistir. Cisimler, peşinden gelen kendine ait arazları kabul ettiği gibi nefis de iyilik ve kötülük gibi peşinden gelen arazları kabul eder. Nefis, bedeni, irâdesine bağlı hareketiyle zorla hareket ettirir. Bedene etki eder. Bu sayede beden acı çeker-haz duyar, sevinir-üzülür, razı olur-kızar, nimet görür-mahrum olur, sever-kötü görür, hatırlar-unutur, yukarı çıkar-aşağı iner ve tanır-tanımaz. Allah'ın fiilleri, varlığına ve kemâline delâlet ettiği gibi nefsin bu filleri de kendi varlığına delalet eder. Çünkü eserin, müessire delâleti zorunludur.

Nefislerin özellikle bedeni ilişki ve münasebetlerden uzak olduğunda birbirlerine olan tesirini, doğru his sahibi, sağlam akıllı kimse inkâr edemez. Çünkü nefsânî güçler, başta bedene karşı çıkıp iffet, şecâat, adâlet ve cömertlik gibi erdemleri taşıdığında sürekli artıp çoğalır. Kötü ahlaktan, rezîletlerden ve alçaklıklardan uzaklaşarak artışını devam ettirir. Çünkü nefsin âlemdeki etkisi, bedenin ve bedene bağlı arazların yapamayacağı ölçüde kuvvetlidir. Büyük taşa nefis baktığında onu ikiye ayırır. Cüsseli bir hayvana baktığında onu telef eder; bir nimete nazar ettiğinde ise onu yok eder. Farklı millet ve dinlere mensup birçok insan, bunu müşahede etmiştir. İsâbetül'l-ayn (göz değmesi) diye buna denir. Meydana gelen bu tesiri, göze nisbet etmektedirler. Oysa ki gerçekte bu tesir, al-

çaklık ve yücelik keyfiyetine sahip nefisten kaynaklanmaktadır. Nazar değmesi, bazan dolaylı bazan da dolaysız olur. Uzaktan bir keyfiyyet ona gösterilir, nefis de keyfiyyeti üzerine alarak o şeyi bozar. Nefsin, karşısına aldığı cisimlerde gücünü uygulayarak sarılık, kırmızılık ve parıldamak gibi özellikler oluşturduğu bilinmektedir. Bu gibi nefsanî etkiler, beden ve arazlarından ayrı tesirlerdir. Çünkü beden karşısına aldığı ve dokunduğu cisimlerden başkasına tesir edemez. Ettiği ise muayyen ölçülerdedir. Çoğu milletler, âlemde faal güçlerin tesirini görmekte; nefisten yardım umarak bu tesirlerin etkisinden korunmaktadır. Rasulullah, gözü değen kimsenin, uyluk altlarını ve orada bulunan pisliklerini yıkamasını,[65] kullanılan bu suyu göz değmesine maruz kalan şeye dökmesini emretmiştir. Dökülen bu su, tesirin yok olmasına sebeptir. Dökülen suyla sözü edilen tesirin yok olması Allah'ın hikmeti gereğidir. Çünkü emmâre nefsin, bu gibi yerlerle ilişkisi ve dostluğu vardır. Bedenden ayrılan kötü ruhlar, birbiriyle münasebet kurmak için çoğu kez bu gibi yerlerde buluşarak yardımlaşırlar. Etki altındaki eşyaya su dökülünce, kızgın demiri suyun söndürdüğü gibi bu eşyadaki ateşlilik de söner. Bu su, nazar değen insana dökülünce de gözü değen kimsenin bu kimsedeki ateşliliği söner. Tabipler, elem ve acıları yok etmek için demirin söndürüldüğü bu suyun bilindiğini belirtmişlerdir. İnsanlar, uyku anında bedenden soyutlanan ruhların birbirinden acaip haller meydana getirdiklerini müşahede etmişlerdir. Yukarıda bu rüyalardan bazılarına işare etmiştik. Ruhlar âlemi, bedenler âleminden, hükümlerinden oldukça büyük farklı bir âlemdir. Etkileri de yine bedenlerin tesirlerinden daha güçlüdür. Denebilir ki âlemde görülen isnâni bütün etkiler, beden vasıtasıyla yalnızca nefislerin etkileridir. Fiilde nefis ve beden ortak davrandıkları gibi tesir etmede birbiriyle yardımlaşırlar. Bedenin katkısı olmaksızın nefse mahsus bir takım tesirler varken, nefsin katkısı olmayan sadece bedene ait tesirler yoktur.

FASIL

Ondokuzuncu şüpheye cevap: "Nefis cisim olsaydı boyu, eni, derinliği, şekli ve tabanı olmalıydı. Bu özellikler sadece maddelerde bulunmaktadır..."

65. Bu lafızla rivayet edilen hadise rastlamadım. Ancak, İmam Ahmed ve Müslim İbni Abbas'tan şöyle rivayet ederler: "Yıkanmanız istenince yıkanın". Yani, gözü değen kimse yıkanma teklif edince yıkansın. bkz. **Sahîhü'l-câmî** (4023). Ben derim ki: Hadisi, Tirmizî de rivayet etmiştir. (**Tuhfe**, c. 6, s. 223-224) Fakat Tirmizî'nin rivayetinde nasıl yıkanılacağı belirtilmemiştir. Nesâî'nin, İmam Ahmed'in ve İbni Hibban'ın rivayetlerinde, yıkanmanın keyfiyyeti belirtilmiş; İbni Hibban ve Şeyh Elbanî **Sahîhü'l-camî**'de Nesâî'nin de rivayetleri bulunduğu belirtilmektedir. bkz. **Mevâridû'z-zam'ân**, s. 344-345. Ebû Davûd ise, Hz. Âişe'den yaptığı rivayette (**Avnû'l-ma'bûd**, c. 10, s. 363) nazar sahibinin abdest alması ve nazar olan kişiye su dökmesi belirtilmiştir.

Şöyle cevap veririz: Bu özelliklerin ancak cisimlere mahsus oluşunu kabul ediyoruz. Diyoruz ki: Nefsin maddesi varken muayyen bir şekilde sûret de ondan yaratılmışken sonra maddesine ne oldu?

Diyorsunuz ki: Nefsin maddesi yine nefis ise iki nefis bir araya gelmiş demektir. Yok eğer maddesi nefisten ayrı bir şey ise beden ve sûretten mürekkeptir, demektir.

Biz de diyoruz ki: Nefsin maddesi, nefis olamaz. Nitekim insanın maddesi insan, cinnin maddesi cin ve hayvanın maddesi de hayvan değildir.

Bu durumda nefsin, beden ve sûretten oluşması gerekirdi, görüşünüz yanlış bir öncüldür. Tam aksine bu, nefsin, muayyen bir sûreti bulunan maddeden yaratıldığını gösterir. Yani nefsin durumu herhalükârda aynıdır. Zanni ya da kesin delil getirmenin ötesinde, şüphelerinin saçmalığından hiç söz etmemişlerdir.

FASIL

Yirminci şüpheye cevap: "Bölünmek, cismin bir özelliğidir. Bölünen küçük parça, büyük parça gibi değildir. Nefis, bölünebiliyorsa bölünen her bir parça ya yine nefis olmalıdır ki bu durumda bir insanda birçok nefsin bulunması gerekirdi ya da bölünen bu parçalar nefis değildir ki bu durumda parçaların oluşturduğu bütün de nefis değildir."

Cevabımız şudur: Bundan maksadınız, hariçte bütün cisimlerin bölünebileceği ise bu, açıkça yalandır. Çünkü güneş, ay ve yıldızlar sözü edilen bölünmeye müsâit değildir. Dolayısıyla her cismin hariçte bölünüp parçalanabileceği söylenemez. Ancak basît cevheri inkâr edenler için nefis bölünebilmektedir. Basît cevheri kabul edenler nefsi, mütehayyiz (yer kaplayan) saydıklarından dolayı onda bölünme yoktur. Nefsin bölünmesini varsaysak bile bunu gerektiren şey nedir?

"Nefisten ayrılan bütün cüzler, yine nefis olsaydı bir insanda çokça nefislerin birleşmesi gerekirdi" görüşünüze cevabımız şudur: "Bu, nefsin bilfiil cüz'lere ayrılması halinde söz konusudur. Bu ise imkansızdır.

"Nefsin her bir cüz'ü, nefis değilse, nefislerin toplamı da nefis olmaz" görüşünüz, yalan ve uyumsuz bir öncüldür. Nice mahiyetler vardır ki cüzlerinin birleşmesi halinde bir hükme maruz kalır. Ev, insan ve on sayıları, cüzlerin toplanması neticesinde oluşmuştur.

FASIL

Yirmibirinci şüpheye cevap: "Cisim, varlığında, bekasında ve korunmasında başka bir cisme muhtaçtır. Bu ihtiyaç, zincirleme sürüp gider..."

Cevabımız şudur: Bedenin, kendini koruyacak nefse muhtaç olması, nefsin de kendisini koruyacak başka bir nefse muhtaç olmasıru gerektirir. Ancak bu, sakatlığı ortada, değersiz basit bir kıyasa dayanılarak mı elde edilmiştir? Çünkü her cisim, kendisini koruyacak nefse muhtaç değildir. Madenler, hava, su, ateş, toprak ve diğer cansız cisimler böyledir. Ancak bunlar, nefsin aksine nâtık canlı varlıklar değillerdir. Nefis ise nâtık ve canlıdır, derseniz deriz ki: "O halde delil aynı halde durmakta. Yani canlı, nâtık her cisim, varlığında ve devamlılığında diğer bir nefse muhtaçtır. Ancak bunlar, mücerred davalardır ve sakattır.

Aynı şekilde cin ve melekler, canlı ve nâtık olmalarına rağmen var oluşlarında diğer nefislere muhtaç değillerdirler.

Cin ve melekler konusundaki tartışmamıza gelince onlar mütehayyız (yer kaplayan) cisimler değildirler, derseniz deriz ki: "Biz, Allah'a, Rasulüne, Kitaplarına ve meleklerine inanan insanlarla tartışır, konuşuruz. Bunlara inanmayanlarla nefis konusunda tartışmak boşunadır. Çünkü böyle bir kimse, nefsi yaratana, icât edene küfretmekte; meleklere ve Rasullerin getirdiklerine karşı çıkmaktadır. Ayrıca iman delili ile ortada olan şeyi, terketmektedirler. Çünkü, âlemde görülen cin ve meleklerin tesirleri, Allah'ın izniyle olmaktadır. Bizzat bu tesirler mevcuttur. Beşeri kuvvetler, bu tür tesirlere güç yetiremezler.

FASIL

Yirmiikinci şüpheye cevap: "Nefis cisim ise nefsin bedene ittisali (birleşme) ya karşılıklı birbirine girmek şeklindedir -ki bu durumda cisimlerin birbirine girmesi sözkonudur- ya da ona yakınlaşmak ve yapışmak şeklindedir ki bu durumda bir insanın, yapışık iki cismi bulunmakta, bunlardan biri görünürken diğeri görünmemektedir.

Birkaç yönden cevaplarız:

Birincisi: Cisimlerin birbirine girmesi. Aynı yerde bulunan iki yoğun cismin, birbirine girmesi muhaldir. Ancak latif bir cismin, yoğun olan bir cisme girmesi muhal görülmez.

İkincisi: Birçok yönden bu görüş bâtıldır. Mesela suyun buluta girmesi; ateşin demire, alınan besinin vücudun her tarafına dağılınası, saralı birine cinnin

musallat olması gibi latîf bir cisim olan ruhun da bedenle kenetlenip bütün uzuvlara dağılması zor değildir.

Üçüncüsü: Nefsin yeri bedendir. Bedenin yeri ise ayrıldığı mekandır. Bu ise imkansız bir girme değildir. Nefis, bedenden ayrılınca onun yeri, başka bir yer olur. Bu durumda nefis ve beden birbirine girişmez. Tam aksine her biri için muayyen yerler olur. Özetle ruhun bedene girmesi, suyun toprağa, yağın da bedene girmesinden daha latiftir. Sakat bu gibi şüpheler, vahiy ve aklî delillerin açıkladığı şeylere karşı duramaz. Başarı Allah'tandır.

YİRMİNCİ MESELE

Ruh ve Nefis Aynı Şeyler mi Yoksa Birbirinden Farklı Şeyler mi?

Bu konuda çeşitli görüşler ileri sürülmüştür.

Çoğu alimlere göre ruh ve nefis aynı şeylerdir.

Bazılarına göre ise birbirinden farklı şeylerdir. Allah izin verirse bu konuyu iyice açalım. Nefis ismi, şu şeylere verilmektedir.

Nefis, ruhtur. Cevherî der ki: "Ruh, nefistir. Arap dilinde ölen biri için "haracet nefsühû" yani canı çıktı denir. Bu manada Ebû Harraş:

نجا سالما و النفس بشدقه ولم ينج إلا جفن سيف ومئزر

"Nefis avurdunda iken sağ salim kurtuldu. Kılıç kını ve örtüsünden başkası kurtulmadı." Kılıcın kını ve örtüsü, nefis ve kandır. Arap dilinde "sâlet nefsühû" (nefsi, canı aktı) denir. Bir hadiste de "Akıcı nefsi olmayan bir hayvan, suda ölürse suyu pis etınez." (Hadiste geçen nefis, cesettir.) Şâir de:

نبئت أن بنى تميم أدخلوا أبناءهم تامور نفس المنذر

"Temimoğullarının çocuklarını gözü değen kimsenin kanına bulaştırdıklarını haykırıyorum." Şiirde geçen "tâmûr" lafzı kan; "nefs" lafzı ise göz manasına gelir.

Ben derim ki: Şiirde geçen "nefs" kelimesi gerçekte ruh manasınadır. "Nefis" lafzının göze izafe edilmesi, manayı zenginleştirmek içindir. Çünkü nefis, gözü değen kimsenin bakışı vasıtasıyla oluşmaktadır. Kişiye değen şey ise gözü değen kimsenin nefsidir.

Ben derim ki: "Kur'an'da nefs, tamamen 'zat' manasına kullanılmıştır. Mesela: "(Eve girdiğiniz zaman) nefislerinize (sizden olan ev halkına selam verin",[1] "O

1. en-Nûr, (24/61).

gün her nefis, kendi nefsiyle mücadele ederek gelir"[2] ve: "Her nefis, kazandığı ile rehin alınmıştır".[3] Bazı âyetlerde ise yalnızca ruh manasınadır. Mesela: "Ey mutmain olan nefis (ruh)",[4] "Nefislerinizi (ruhlarınızı) çıkarın",[5] "Allah, nefse (ruha), hevâsına uymayı yasakladı"[6] ve: "Şüphesiz nefis (ruh) kötülüğü emreder."[7]

Ruh lafzı ise ne tek başına bedene ne de nefisle beraber bedene isim olarak verilebilir. Allah'ın Rasulüne vahyettiği şeye ruh da denir. Mesela: "Aynı şekilde, emrimizle sana ruh (Kur'ân, âyetler) vahyettik"[8] buyurulmaktadır.

Diğer peygamber ve rasüllere gönderilen vahye de ruh denir. Mesela: "Yüce Allah, emrinden olan ruhu (vahyi) kullarından dilediğine indirir ki buluşma gününe karşı onunla insanları uyarsın"[9] ve: "Melekleri, kullarından dilediğine, emrinden olan ruh (vahiy) ile indirir. İnsanları, benden başka ilah yoktur, benden korkun diye uyarırım."[10] Güzel hayat bununla (vahiyle) sağlandığından dolayı buna, ruh denmiştir. Vahiy gelmeden, hayatın insana hiçbir faydası olmaz. Belki behîmî hayvanın hayatı bu durumda daha hayırlı, neticesi ise daha güvenli olur.

Bedene hayat vermesi, ruh diye anılmasma neden olmuştur. Tabiatta canlılığı oluşturan rüzgâra da ruh denir. Ruh kelimesinin ikinci harfi "vav" iledir. Çoğulu "ervâh"tır. Şâir der ki:

اذا ذهبت الأرواح من نحو أرضكم وجدت لمسراها على كبدى بردا

"Ruhlar (rüzgârlar) vatanınızdan uzaklaşınca ciğerlerimde soğuk akıntıları hissederim."

Ayrıca ruh, rahatlık ve istirahat anlamlarına da gelir. Canlılığın kaynağı olan nefse de ruh denmiştir. Nefs lafzı ise birşeyin ya şerefinden nefisliğinden dolayı kullanılır yahutta vücuda alınıp verilen teneffüs manasından dolayı kullanılır. Nefs ise uyku halinde bedenden çıkan, uyanınca bedene giren şeydir. Ölüm anında ise nefis, bedenden tamamen ayrılır. Toprağa gömüldüğünde bedene tekrar döner. Sorgulandıktan sonra tekrar çıkar. Diriliş gününde ise bedene tekrar döner.

Nefis ile ruh arasındaki fark, zafla ilgili olmayıp yalnızca sıfatlar açısındandır. "Kan"a da nefis denmektedir. Çünkü, bedenden kan çıkması sonucu ölüm

2. en-Nahl, (16/111).
3. el-Müddesir, (74/38).
4. el-Fecr, (89/27).
5. el-En'âm, (6/93).
6. en-Nâziât, (79/40).
7. el-Yûsuf, (12/53).
8. eş-Şûrâ, (42/52).
9. el-Gâfir, (40/15).
10. en-Nahl, (16/2).

meydana gelir. Yani kanın çıkması nefsin çıkmasını gerektirir. Hayat ancak kan sayesinde vardır. Nitekim nefis olmadan hayat düşünülemez. Bundan dolayı şair:

تسيل على حد الظباة نفوسنا وليست على غير الظباة تسيل

"Nefislerimiz (kanlarımız) mızrakların ucundan akar. Mızrakların ucu dışında akacak kanımız yoktur."

Arap dilinde "fâzat nefsühû, haracet nefsühû, fârakat nefsühû" yani "nefsi alındı, nefsi çıktı, nefsi ayrıldı" denir. Buna benzer bir kullanım da "harecet rûhuhû ve fârakat" yani "ruhu çıktı, ayrıldı" şeklinde görülmektedir. Feyz, suratli bir şekilde bir anda almaktır. "Efâza" ise ihtiyar ve isteği ile vermek manasınadır. "Fâza" lafzı ise zorla almak demektir. Ölüm anında nefsi alan Allah'dır. Biz de O'na nefsimizi seve seve veririz.

FASIL

Hadis, fıkıh ve tasavvufçulardan bir kısmı şöyle demiştir: "Ruh, nefis değildir." Mükâtil b. Süleyman da: "Bir insanın hayatı, ruhu ve nefsi vardır. Kişi uyuduğu zaman kendisiyle eşyayı kavradığı nefsi çıkar, ama bedenden tamamen kopmaz. Bedenden çıkışı, bedene bağlı ışık saçan bir ipin çıkması gibidir. Kişi rüyayı, bedeninden ayrılan nefsiyle görür. Bu anda cesette ruh ve hayat bulunmaktadır. Bedeninde bulunan ruh ve hayatıyla nefes alıp verir. Vücudunu oynattığı an, derhal nefesi bedenine döner. Yüce Allah o kimsenin ölümünü istemişse bedenden ayrılan bu nefsi tutar. Mukâtil b. Süleyman devamında diyor ki: "Kişi uyuyunca nefsi yükseklere çıkar. Rüya görürken bedenine tekrar döner. Ruhla bilgi alış-verişinde bulunurlar. Kişinin rüyasında gördükleri şeyleri bilmesi ve hatırlaması bu durumda mümkündür.

Ebû Abdullah b. Mendeh: "Sonra alimler, ruh ve nefsin ne olduğu konusunda farklı görüşler ileri sürmüşlerdir. Bazıları nefsin ateşli çamurdan; ruhun ise ruhanî nurdan ibaret olduğunu belirtmiştir."

Bazıları da: "Ruh, ilahî bir varlıktır. Nefis ise insanî bir varlıktır. İnsanlar nefisleriyle denenirler."[11]

Nakilciler ise: "Ruh nefis, nefis de ruh değildir. Nefsin kıyamı (varlığı) ruha bağlıdır. Nefis, kulun sûretidir. Nefis hamuruna, hevâ, şehvet ve kötülüğe meyil karışmıştır. Âdemoğluna nefsinden daha düşman birşey yoktur. Nefis dün-

11. Lâhutî, Lâhûta nisbet edilmektedir. Bu lafız, hıristiyan ıstılahından alınmıştır. İlahiyat ilmi demektir. İslam'da kelam ilmini karşılar. Nâsût ise insana nisbet edilmiştir.

yadan başkasını istemez. Dünya da yalnızca nefsi arzular. Ruh ise ahireti ister, onu tercih eder. Hevâ nefse tabidir. Şeytan ise nefse ve hevâya tâbidir. Melek, akıl ve ruhla birliktedir. Yüce Allah ilhamla, tevfikle akıl ve ruhu korur" demişlerdir.

Bazıları da: "Allah'ın emrinde olan ruhların gerçeği ve bilgisi, insanlara gizlidir" der.

Bazıları ise: "Ruhlar, Allah'ın nurundan bir nur, hayatından bir hayattır" derler.[12]

Beden ve nefislerin ölümüyle ruhların da ölüp ölmeyeceği konusunda da farklı görüşler vardır. Bunlar:

Ruhlar ölmezler, denenmezler.

Ruhlar, insanlara benzer. Elleri, ayakları, gözleri, kulakları, gözleri ve dilleri vardır.

Mü'minde üç ruh bulunur. Münafık ve kâfirde ise tek ruh bulunur. Peygamberler ve sıddîkların beşer ruhu vardır.

Ruhlar, meleklerden yaratılmış ruhanî varlıklardır. Bedenden ayrılınca tekrar melekûta döner.

Ben derim ki: "Öldürülen, Allah'ın yanında tutulan ruh, tek bir ruhtur, yani nefistir."

Yüce Allah'ın velî kullarını desteklemek için verdiği ruh ise ayrı bir ruhtur. Bu hususta: "İşte onlar var ya, kalblerine imanı yazmış; kendinden bir ruh ile onları te'yîd etmiştir"[13] buyurulmaktadır. Hz. İsâ'nın te'yîd edilen ruhu da başka bir ruhtur. Nitekim: "Hani Allah: "Ey Meryemoğlu İsâ, sana ve annene verdiğim nimetimi hatırla. Hani seni Rûhü'l-Kudüsle (Cebrail'le) desteklemiştim."[14] Yine Allahû Teâlâ'nın dilediği bazı kullarına verdiği ruh da, bedende bulunan ruhtan farklıdır.

Bundan başka bedende bulunan güçlere de ruh ismi verilir. Mesela: "Bakanın ruhu, dünyanın ruhu, koklayanın ruhu." Bu tür ruhlar, bedene emanettirler. Bedenin ölmesiyle ölürler. Bu, bedenin ölmesiyle ölmeyen, bedenin yıpranmasıyla yıpranmayan ruh değildir. Ruhun daha özel manası, Allah'ı bulmaya yöneltmek gücüdür. Ruhun bu şekilde ruha nisbet edilmesi, ruhun bedene nisbet edilmesi gibidir. Söz konusu ruh, bu ruhu kaybedince, ruhunu yitiren bedene döner. Allah'ın, veli ve itâatkâr kullarını desteklediği ruh bu ruhtur. Bundan

12. Bu ibare, açık şirke, bozuk inanca götürebilir. Çünkü, Allah'ın bölünüp parçalanabileceğini ifade etmektedir. Böyle bir manası yoksa kevn ve kâinat kim oluyor?
13. el-Mücâdele, (58/22).
14. el-Mâide, (5/110).

dolayı insanlar arasında: "Fülancada ruh vardır, fülancada ruh yoktur" denir. Yani o ahmaktır,[15] o, içi boş kalmıştır.

İlmin ruhu vardır. İhsanın ruhu vardır. İhlâsın ruhu vardır. Sevginin, tevbenin ruhu vardır. Tevekkülün, doğruluşun ruhu vardır. İnsanlar bu hususlarda birbirinden oldukça farklıdırlar. Bazılarında bu tür ruhlar ağır basar, kişi ruhanî olur. Bazıları ise söz konusu ruhları tamamen veya çoğunlukla kaybeder, arza bağlı hayvanlar seviyesine düşerler. Yardım ancak Allah'tandır.

15. البرّ: İçi boş kamışa verilen isimdir. Ayrıca kül ve deve yavrusu derisine de bu isim verilir. Bu derinin içerisine saman doldurulur. Anne devenin süt vermesi için önüne yem olarak konur. Ben derim ki: Burada geçen deri, inek derisidir. Bilgi için bkz. *el-Kâmûs*.

YİRMİBİRİNCİ MESELE

Ruh Bir Tane mi Yoksa Üç Tane midir?

Âdemoğlunun üç tane nefsi olduğuna dair çokça söz edilmiştir. Bunlar, mutmain nefis, levvâme nefis ve emmare nefistir. Bazı insanlarda bu tür nefisler ağır basarken diğer bazılarında daha başka nefisler hakimdir. Üç tane nefis bulunduğuna şu âyetlerle hüccet getirmişlerdir: "Ey mutmain olan nefis."[1] Kıyâmet gününe yemin ederim, levvâme nefse de yemin ederim"[2] ve: "Şüphesiz nefis, kötülüğü emreder."[3] Gerçekte bir tane nefis vardır. Sıfatlarına göre ayrı ayrı isimler verilmiştir. Rabbine kullukta, sevgide, tevbede, tevekkülde, rıza ve O'nda sükun bulmada rahatlığa eren nefse mutmain nefis denir. Çünkü Allah korkusu ve ümidi, diğer korku ve ümitleri geride bırakır. Allah sevgisi, diğer sevgileri, Allah'a âşık olmak ve O'na kavuşma tutkusu diğer sevgi ve tutkulardan insanı müstağnî kılar. Kalbini Allah'a bağlayan kimse Allah'la beraber oturuyor. Onu duyuyor, işitiyor, O'na can atıp O'na sımsıkı tutunuyor gibi. olur.[4] Nefsinde, kalbinde, uzuvlarında, iç ve dış güçlerinde sürekli akan mutmainlik, ruhunu Allah'a çeker; cildini yumuşatarak kalp ve uzuvlarını O'na yaklaşmak uğrunda kullanır. Gerçek mutmainlik, Allah ve O'nun zikriyle ancak mümkündür. Allah'ın zikri, Rasulüne indirdiği kelamıdır. Yüce Allah: "İman edip kalpleri Allah'ı zikirle mutmain olanlar... biliniz ki kalpler, Allah'ı zikirle mütmain olur"[5] buyurmuştur. Kalbin mutmainliği, üzüntü, rahatsızlık ve ıstırabının gitmesiyle sükuna erip otur-

---

1. Fecr sûresi, (89/27).
2. Kıyâmet sûresi, (75/2).
3. Yûsuf sûresi, (12/53).
4. Müellif, Buhârî ve diğerlerinin Ebû Hüreyre'den rivayet ettikleri şu hadise işaret etmektedir. Rasûlullah (SAV) buyuruyor ki: "Kim bana dost olarak gelirse..." senedi açısından hadis hakkında sözler edilmiştir. Ama Şeyh Elbânî hadisi inceleyip diğer rivayetlerine de baktıktan sonra sahih hadislerden olduğunu açıklamıştır. bkz. el-Ehâdisü's-sahiha (1640). Bu kaynağa göz at. Önemli açıklamalar bulursun.
5. Ra'd sûresi, (13/28).

masıdır. Allah ve zikrullah olmadan kalbe mütmainlik gelmeyeceği bilinmektedir. Allah'ın dışındakilerde mutmainlik aramak boşuna; bulduğuna dayanması acizliktir. Zira Yüce Allah, kendinden başkasıyla mutmainlik arayanlara, üzüntünün, ıstırabın ve sıkıntının geleceğini sabit bir kaza ile hükmetmiştir. Fakat kul, bu halde iken kendi ilmine, ameline ve haline dayanırsa Allah'ı kalbinden atar. Kendi dışında biriyle mutmainlik arayanların nefislerine, velî ve salih kullarını bulmak için musîbet okları saplar; saplanan okların verdiği acıyı kendi dışında çözenleri bir kenara bırakır; maslahat ve amaçlarında kendinden başkasıyla mutmain olanları ise kovar, yaklaşmasını engeller.

Nefsi mutmain kılan mutmainliğin gerçeği, nefsinin ve rasullerin bildirdiği ölçüde Allah'ın isimlerini, sıfatlarını, kemâl sıfatlarını bilmek babında mütmain olarak kalbini buna teslim edip kabul etmesi, boyun eğmesi, göğsünü O'na açarak kalbini O'nunla sevindirmesidir. Çünkü bu, rasulünün lisanıyla kuluna bildirdiği hakikatlerden biridir. Bu manada, sıkıntı ve ıstıraba boğulmuş kalp, Allah'ın isimlerine, sıfatlarına ve birliğine iman ederek arşına çıkar; kalbinin nurundan fışkıran vahiyle Allah'a kavuşur. Mutmainlik kalbine, susuzluktan kavrulan birinin kalbine suyun akıtılması gibi girer. İtmi'nânın girmesiyle, huzur bulur, sevinir, rasullerin bildirdiği ölçüde emre muttalî olmuş gibi kalbini ve uzuvlarını yumuşatır. Bu durumda kalbi, öğle sıcağında güneşi çıplak gözüyle görmesi gibidir. Mutmainlikte, doğuda ve batıda olan herkes onun karşısında olsa bunlara hiç iltifat etmez. Ayrılık acısı kalbine binince de: "Büyük Siddîk da tek başına iman da mutmain olmuştu. Bu zamanda bütün insanların O'na karşı çıkması imânî tatminliğinden hiçbirşey eksiltmemiştir" der. Mutmainlik derecesinin ilk safhası budur. Sonra, Rabbinin sıfatlarını anlatan bir âyet duyunca imanı sonsuz derecede kuvvet bulur. İmanın temellerinden sayılan şey, bu şekil mutmainliktir. Sonra, ölümden sonra Berzahta ve kıyamet gününde yapılacak uygulamaları, sanki dünya gözüyle görüyormuş gibi kabul eder, kalbini sükûnete erdirir. Yüce Allah'ın gerçek yakîn olarak tanıttığı iman ehli işte bunlardır. Âyette: "Onlar, kıyamet gününe kesinlikle inanırlar."[6] Allah'ın bildirdiği hakikatlara şüphe ve boşluk hissetmeden inanmadan kıyamet gününe iman etmek oldukça zordur. Hârise hadisinde belirtilen gerçek mü'min, ahiret gününe inanan mü'mindir. Hârise der ki: "Mü'min oldum." Bunun üzerine Rasulullah: "Her hakkın bir hakikatı vardır. İmanının hakikatı nedir? Hârise: "Nefsim, dünya ve ehlinden artık vazgeçmiştir. Şimdi Rabbimin arşına açıkca bakıyor; cennet ehlinin birbiriyle muhabbetleştiklerini, cehennemliklerin ise ateşte azaplandıklarını görüyor gibiyim" karşılığını verdi. Rasulullah da: "İşte, Allah'ın kalbini nurlandırdığı kul"[7] buyurmuştur.

---

6. Bakara sûresi, (2/4).
7. Hadis zayıftır. İbni Ebî Şeybe, Malik b. Meğûl yoluyla Zebîb'den rivayet etmiştir. (İman, s. 38). Hadisin senedi mudaldir. Çünkü Zebîd sahabeden kimseyi görmemiştir. et-Takrîb'de: "Sika, sağlam râ-

FASIL

Allah'ın isim ve sıfatlarında mutmain olmak iki kısımdır. Allah'a, varlığına inanarak mutmain olmak, kulluğun gerektirdiği, zorunlu kıldığı hususlarda mutmain olmak. Bunun misali, kadere, kaderin varlığına mutmain olarak iman etmek, kulun başından atmayı düşünmediği ve atmaya da muktedir olmadığı konularda kaderin gereklerine mutmain bir şekilde iman etmeyi; kaderine razı olup buna kızmamayı, şikayette bulunmamayı, imanında sıkıntıya düçâr olup yapamadığı şeye üzülmeyip elde ettiği şeye sevinmemeyi gerektirir. Çünkü musibetler, henüz kişinin başına gelmeden ve kişi yaratılmadan takdîr edilmiştir. Nitekim Yüce Allah: "Yeryüzünde ve nefislerinizde meydana gelen hiçbir musibet yoktur ki daha önce bir kitapta takdir edilmiş olmasın. Bu Allah için kolaydır. Bir kitapta takdir edilmesi yapamadıklarınızdan ötürü üzülmemeniz, yaptıklarınızdan dolayı da sevinmemeniz içindir."[8] ve: "Hiçbir musibet Allah'ın izni olmadan gelmez. Kim Allah'a inanırsa, kalbini hidâyete götürür"[9] buyurulmaktadır. Birçok selef âlimi: "Kula bir bela gelince Allah'tan geldiğini bilir, razı olur ve kabul eder. Âlim kimsenin, Allah'ın sıfatlarıyla ilgili hükümlere ve kullarına bildirdiği şeylerin gereklerine inanması, bir mütmainliktir. Sözü edilen bilgi, inanç ve tatminkârlığını artırır. Kulak, göz, ilim, rıza, gadab ve sevgi gibi diğer sıfat ve tesirler de böyledir. İman bunlarla mutmain olur.

İhsanda mutmainlik ise Allah'ın emirlerine ihlasla severek bağlanmak sûretiyle oluşan mutmainliktir. Allah'ın emrine, kendi irâdesini, hevâsını, teassubunu tercih etmez; Allah'ın bildirdiği şeye aykırı şüphe üzerinde durmaz, emrine karşı olan şeyi arzulamaz. Karşısına böyle şüpheler çıkarsa bunları, şeytanın vesveseleri olarak görür. İhsanda mutmain kişinin, semâdan yere düşmesi, Allah'ın kanunlarını çiğnemekten daha sevimlidir. Nitekim Rasulullah buna: "İmanın en açığı, belirgini"[10] demiştir. Bu tür mutmainliğe, günahlara karşı üzülmek, kalp huzuru ile tevbe edip sızlanmak, tevbenin rahatlığını tadını almaktır. Tevbede başarıya ulaşılırsa kişi, lezzetin, tad ve sevincin değerini hemen kavrar. Günah ve karşılığında tevbe halini tatmayan, her ikisi ile ilişkisi olmayan bunun tadını alamaz. Günahta sıkıntı ve üzüntü olduğu gibi tevbede de

---

vîdir" denmektedir. Âbid bir kimsedir. Zebîd, altıncı tabakadandır. Hâfız, **Mukaddime**, s. 6'da açıkladığı şekliyle bu tabakadan kimse sahabeyi görmemiştir. Şeyh Elbânî'nin görüşleri için sözkonusu kaynağa bakınız. Ayrıca Haris b. Mâlik için de **Üsdü'l-gâbe**'ye (c. 1, s. 414) bakınız.

8. Hadîd sûresi, (57/22).
9. Teğâbûn sûresi, (64/11).
10. Rasûlullah bunu, kalblerinde buldukları şeyden korunmak amacıyla Rasûlullah'a başvuran bir grup sahabe için söylemiştir. Hadisi Müslim, Nevevî Şerhi, c. 2, s. 153; Ebû Davud, Avn şerhi, c. 14, s. 14'de Ebû Hureyre'den rivayet etmiştir. Munzirî, Nesâî'nin de rivayeti bulunduğunu söyler. Nesâî'nin rivayeti **el-Kubrâ**'da olabilir. İbni Hibban, Mevârid şerhinde, s. 41 ve Ahmed, c. 2, s. 441'de rivayet etmişlerdir.

tam aksine mutmainlik vardır. Asî kişi, kalbini bir yoklasa, orayı korkuların, sıkıntı, ıstırap ve elemlerin dolduğunu derhal görür. Ama bu sıkıntıyı gizleyen bir şey vardır: Gaflet ve şehvet sarhoşluğu. Bütün şehvetlerde alkol sarhoşluğundan daha fazla bir sarhoşluk vardır. Ayrıca öfkede de öyle bir sarhoşluk vardır ki şarabın verdiği sarhoşluktan daha fazladır. Bundan dolayı içki içen kimsenin yapamayacağı şeyleri, aşık ve öfkeli insanlar yapar. Aynı şekilde gaflet üzüntüsü, Allah'a varıp O'nda sükun bulmaya engel korkusu ve Allah'ı tatlılıkla anıp ruhunu O'nun sevgi ve bilgisiyle doldurması da böyledir. Bunlar olmaksızın ruh asla mutmainliği tadamaz. Nefsini bu tatminden soyup kalp huzurunu yitirirse, son derece üzülür, ıstırap çeker, sarsılır; ama sarhoşluk bu acıları perdeler. Perde kalkınca içinde bulunduğu halin bütün gerçeklerini görür.

FASIL

Burada gözden kaçmaması gereken bir latife vardır. Başarının temel unsurları Allah'ın yedindedir. Yüce Allah insan uzuvlarının herbirine çeşitli özellikler vermiştir. İnsan, mükemmel bu uzvunu koruyamadığında üzüntüye, ıstırap ve acıya boğulur. Azalarındaki kemâli kaybeden insanın durumu budur. Mesela, görmek için göz sağlığı, işitmek için kulak sağlığı, konuşmak için de dil sağlığı gerekmektedir. Söz konusu azaları tamamlayan güçlerin zayıflaması acı ve ıstırabı çeker. Kalbin olgunlaşması, sevinci, nimeti, hazzı ve güzelliği; Allah'ı, irâdesini, sevgisini bilip O'na iltica edip arzuyla O'nunla ünsiyet kurmaktadır. Kalpteki bu özellikler kaybolunca göz, görme duyusunu ve nurunu kaybettiğinde dil de konuşma ve tatma hassalarını yitirdiğinde üzüldüğü gibi büyük bir üzüntüye boğulur. Kalp hiçbir şekilde bunun dışındaki şeylerle mutmain olmaz. Dünyayı veya dünya ilimlerini elde etse bile Allah'ı birleyip O'nu sevmedikçe ilâhı ve ma'budu olduğunu itiraf edip bütün gayretiyle O'nu aramadıkça mutmainliği elde etmede başvurulacak tek yer olarak bilmedikçe kalp tatmin olmaz. "Ancak Sana ibadet eder, ancak Senden yardım dileriz"[11] hükmü gerçekleşmedikçe hakiki tatmine ulaşılamaz. Kalp tatminliği ile ilgili müfessirlerin görüşleri şöyledir. İbn Abbas der ki: "Mutmain olmak, doğrulamaktır." Katâde: "Allah'ın va'dettiği şeylerde gönlü mutmain olan kişi mü'mindir" der. Hasen: "Allah'ın bildirdiklerini doğrulamaktır"; Mücahid: "Allah'ın Rabb'i olduğuna nefsin kesinlikle inanması ve yapmasını emrettiği şeyleri gerçekleştirmesidir" der. Mansûr'un da şöyle dediği nakledilir: "Allah'ı yakînen Rabb bilen, emrine, itâatı uğrunda şiddetle hüzünlenen nefistir" der. İbn Ebî Nacîh de: "Mutmain nefis, Allah korkusundan huzur bulan nefistir" der. Bir başka sözü de: "Allah'a

11. Fâtiha sûresi, (1/5).

kavuşacağını kesinlile bilen nefis" demektir. Selefin mutmainlikle ilgili görüşleri iki esas üzerindedir: İlm ve amel tatmini, irâde ve amel tatmini.

FASIL

Nefis, şüpheden yakîne, bilgisizlikten ilme, gafletten zikre, hainlikten tevbeye, gösterişten ihlasa, yalancılıktan doğruluğa, düşüncesizlikten akıllılığa, sivrilikten düzlüğe, kibirden tevâzua ve futurdan amele sarılınca doğrudan mutmain ruhla buluşur. Bütün bunların temelini, uyanıklılık oluşturmaktadır. Hayır kapılarının ilki budur. Rabbi ile görüşmeye, ebedî yolculuğa hazırlanmaktan gafil kimse, uyuyan kimse gibi belki de daha kötü durumdadır. Akıllı kimse ise Allah'ın va'd ve va'îdini, emir ve nehiylerinin, hakkına yönelik hükümlerini bilir ancak, kalbindeki gaflet uykusu, gerçekleri anlamasına manî olur ve onu düşünmekten alıkor. Kalbin gaflette olması, nefsi uzun zaman uyuşturur. Önü alınmaz şehvetlerinin yolunda sükûnet buldurur, zamanla şehvetleri içinde kalması devamlı artar. Şehvet bulutlarına dalar, basit şeyler, bâtıl yolda bulunan insanların saçmalamaları üzerine biner. Vakitlerini boşa harcayanlara benzemektan hoşnut olur. Uyuşukluğu içinde bu, uyuyanlar gibi olur. Sarhoşluğunda ise içip de bayılanlar gibidir. Ne zaman ki kalbine hakkın girmesini engelleyen gaflet uykusundan uyanırsa mü'min kulunun kalbinde, Allah'ı öğütleyen kimsenin sözü yer bulur. Yahutta müsâit bir mahalde, etkisi, fikri donukluğa sebep olan şeye karşı Yüce Allah himmet eder de bu sayede kul, fikrî donukluğunu çözerek çokça Rabbine tekbir getirir. Böylece üzerinden cinnet noksanlığını yok eder. Şair der ki:

الا يا نفس ويحك ساعدينى بسعى منك فى ظلم الليالى
لعلك فى القيامة أن تفوزى بطيب العيش فى تلك العلالى

Yani: "Ey nefsim! Yazıklar olsun sana. Gecelerin karanlığında gayretinle bana yardım et. Umulur ki kıyamet gününde bunca yükseklere çıkarak tatlı bir hayat elde edersin."

İşte bu düşünce, ölümünden karar yurduna kadar başından geçecekleri, kendisi için yaratılmış şeyleri aydınlığında göreceği bir nur yayar. Böylece dünyanın geçici olduğunu, imar edene de bozana da aşıklarına da vefâkar olmadığını ve kendileri için oyun aletlerinden başka hiçbir şeyin kalmadığını derhal anlar. Bu aydınlık içinde kararlı ayakları üzerine: "Allah'ın yanında kusur edişimden dolayı vah bana"[12] diyerek basıp kalkar. Geri kalan az ömründe, yapamadığı saldırganlıktan vazgeçer. Elde edemediği durumda bütün hayırlarının boşa çıkartacak imkan ve fırsatı kollar.

12. Zümer sûresi, (39/36).

Sonra bu uyanıklık aydınlığı altında, rahmete gark oluşundan o zamana kadar Rabbinin kendine olan nimetinin tamamlanmasını gözetir. Açıktan, gizlice, gece gündüz, uykuda, uyanıkken ve içten dıştan sürekli bu aydınlık içinde hareket eder. Allah'ın kendine olan nimetlerini saymaya çalışsa bunu başaramaz. Nimetlerin en küçüğü nefis nimetidir. Allah Teâlâ'nın hergün için yüzyirmidört bin nimeti vardır. Diğer nimetleri hakkında ne düşünürsün?

Sonra bu nur altında, Allah'ın nimetlerini sayıp sınırlamakta yetersiz olduğunu, bu nimetlerin hakkını ödemekten aciz olduğunu görür. Nimeti veren, verdiği nimetin karşılığını istese, tek bir nimet bütün amellerini alır götürür. Bunu gören kul, Allah'ın afvı, rahmeti ve fazlı olmadan kurtulmanın imkansız olduğunu kavrar.

Daha sonra bu uyanıklığın aydınlığında, insan ve cinlerin[13] yaptıkları amel kadar güzel amel işlese, Allah'ın büyüklüğü, vechinin celâli ve saltanatının azamete karşısında kendi amellerini küçük görür. Tabî bu, amelleri kendi gücüyle yaptığı zaman böyledir. Mücerred Allah'ın fazlı olarak kula minnet etmesi, onu sevindirecek ihsanda bulunması, işleyeceği amelde yardım etmesi, kulu amele hazırlayıp o ameli ondan dileyerek yaratması durumunda bu ameller nasıl kulun olabilir? Allah Teâlâ bu imkânları kula tanımasa idi kul, amele gidecek yol bulamazdı. Bu durumda ise kul amelsiz olurdu. Kendi yaptığı ameli, Allah'ın kendine tevfîki, fazlı ve minneti olarak görmedikçe ve amellerin kendinden değil de Allah'dan olduğuna, nefsinin ise şer ve şer sebeplerine sahip olduğuna inanmadıkça kendi ameli olarak görürse asla kabul etmez. Kulda görülen bütün nimetler, Allah'ın kuluna verdiği bir bağıştır; hakedeceği bir sebep olmaksızın kuluna fazlı ve nedeni olmaksızın nimete ehil kılmasıdır. Böylece kul, Rabbini, dostunu ve ma'budunu her türlü hayra ehil görürken kendi nefsini bütün şerlere ehil görür. Zahir ve batın tüm güzel amellerinin esası işte budur. Kulu yüceltip kitabı sağdan verilecekler divanına yazan da O'dur.

Bunun arkasında, uyanıklık nuru içinde başka bir şimşek çakar. Şimşeğin parıltısında kusurlarını, amellerinin boyutlarını, işlediği cinayetleri, kötülükleri, çiğnediği yasakları, birçok görev ve vecîbelerinde aksattığı hususları görür. Bir de buna kendisine verilen nimetler, Allah'ın katından gelen yardımlar eklenince bakar ki kul, nimet sahibinin nimetleri, buyrukları karşısında kendisine güvenip başını kaldıracağı, kalbini ferahlatacağı hiçbir güzel ameli kalmıyor, canı parçalanır, azaları titrer. Bir tarafta Allah'ın nimetleri diğer tarafta ise yaptığı kötülükler, nefsinin kusurları, amelinin bozuklukları olduğu halde başını öne eğip: "Ya Rabbi, bana olan nimetinle sana dönüyorum. Sana, günahlarımla

13. Sakaleyn, insan ve cinler anlamınadır.

geliyorum. Beni affet. Çünkü senden baka günahları bağışlayacak kimse yoktur" der.[14] Bakar ki hiçbir güzel ameli yok. Kendini hiçbir hayra ehil göremez. Bu durumda o kişiye iki büyük iş düşer:

Birincisi: Allah'ın verdiği nimeti çok görmek.

İkincisi: Verilen nimeti, yaptığı ameller karşısında az bulmak.

Sonra bir şimşek daha çakar. Aydınlığında bulunduğu anın, hatır ve şerefinin aziz olduğunu, itâatini, mutluluğunun sermayesi olarak görür. Rabbine ulaştırmayan amellere itâatini karıştırmamak için hassas ve cimri davranır. Çünkü amellerin kaybedilmesi, hüsrandır, acıdır ve pişmanlıktır. Korunup imar edilmesi ise kâr ve mutluluk olacağından ebedî yolculukta faydası olmayan amellere onu katmamak için çaba sarfeder.

FASIL

Levvâme nefse gelince; Kur'ân'da Allahu Teâla buna yemin etmiştir: "Yoo, levvâme nefse de yemin ederim."[15] Levvâme nefsin ne olduğu hususu tartışmalıdır. Birinci görüş: "Levvâme nefis, sâbit bir halde bulunmaz." Bu görüşte olanlar levvâme lafzının "televvüm"den alındığını savunurlar. Tereddüt etmek manasına gelir. Değişimi ve renkleşmesi çok olan şey. Levvâme, Allah'ın büyük âyetlerindendir. Çünkü yaratıcısı Allah'tır. Ömürde, senede, ayda ve günde değişmesi bir tarafa bir anda bile değişerek renklileşir. Bunun neticesinde bir anda Allah'ı zikreder, O'ndan gafil olur; yönelir, vazgeçer; latîf olur; yoğun olur, Allah'a sığınır; sığınmaktan vazgeçer, sever, kızar, sevinir, üzülür, razı olur-karşı kor, itâat eder, korkar, günah işler. Kısacası her an birçok renge girerek çeşitli hallerde bulunur. Birinci görüş budur.

İkinci görüş: Levvâme lafzı "levm"den alınmıştır. Lafzın "levm'den alındığını söyleyenler, lafzın manasında anlaşamamışlar. Bir kısmı der ki: "Mü'min kişinin nefsidir. Mücerred sıfatlarındandır." Hasan el-Basrî de: "Mü'min kişinin sürekli nefsini kınadığını görürsün. Bunu yapmak istemiyordum. Bunu niçin yaptım? Diğerlerini yapmak veya şöyle söylemek daha iyi olurdu" diyerek kendini kınar.

14. Başlangıcı: "Tevbenin başı, Allahümme ente Rabbi..." şeklinde olan hadise işaret etmektedir. Buhârî, (c. 7, s. 145), Nesâî, Şeddad b. Evs yoluyla (c. 8, s. 279), Ahmed ve Hakim rivayet etmişlerdir. bkz. Sahîhü'l-camî (3568). Ayrıca İbni Mâce de Abdullah b. Berîde'nin babasından rivayet ettiği "Allahümme ente Rabbî ..." diye başlayan hadisi rivayet etmiştir. İbni Mâce, c. 2, s. 1274.

15. Kıyâmet sûresi, (75/2).

Üçüncü görüş: Günaha düşen, sonra işlediği günahtan ötürü nefsini kınayan mü'min kişinin nefsidir. Nefsin bu şekil kınanması, şakî kimsenin kınamasından farklı olarak imandan gelir. Çünkü şakî kimse, günahtan dolayı nefsini kınamaz. Bel ki günah işleyemediği için nefsini kınar.

Dördüncü görüş: Buradaki kınamanın iki şekli vardır. İyi olsun kötü olsun her insanda nefsini kınamak vardır. Mutlu kişi Allah'a itâati bırakıp günah işlediği için nefsini kınar. Şakî kimse ise zevk ve hevâsına uyamadığı için nefsini kınar.

Beşinci görüş: Bu tür kınama, kıyamet günü olacaktır. Orada her insan, nefsini kınayacaktır. Günahkâr suçlarından ötürü, salih kimse ise kusurlarından ötürü nefsini kınar.

Bu görüşlerin hepsi de gerçektir. Aralarında çelişki yoktur. Nefiste bütün bu özellikler bulunduğu için levvâme ismi verilmiştir. Ancak levvâmenin iki çeşidi vardır: Hem kınayan hem de kınanan, sadece kınayan, kınanmayan.

Sadece kınayan nefis, olanca gayretini sarfetmek sûretiyle Allah'a itâatte kusur ettiği için sahibini kınar. Ancak kınanmaz. Nefislerin en şereflisi Allah'a itâatle kendini kınayan nefistir. Şerefli bu nefis, Allah'ın rızasına çağıran kınayıcıların kınamasıiu üzerine alır; bu hususta hiçbir kişinin kınamasına aldırmaz. İşte böyle nefisler, Allah'ın kınamasından kurtulmuşlardır. Yaptığı amellerden razı olup kendini kınamayan, Allah yolunda kınayanların kınamalarına aldırmayan nefsi ise Yüce Allah kınar.

FASIL

Emmâre nefis ise her türlü kötülüğü tabiatından kaynaklanan nedenle emrettiği için Allah'ın koruyup, nefse sebat ve yardım ettiği durumlar hariç kötülenmiş nefistir. Allah'ın yardımı olmaksızın kimse nefsinin şerrinden kurtulamaz. Nitekim Yüce Allah bir kadından hikaye ederek: "Ben nefsimi temiz çıkaramam. Çünkü nefis, daima kötülüğü emredicidir. Rabbimin esirgediği nefis ise bu müstesnâ. Şüphesiz Rabbim, bağışlayan ve acıyandır"[16], "Allah'ın üzerinize fazlı ve rahmeti olmasaydı sizden hiç kimse ebediyyen temize çıkamazdı"[17] buyurmaktadır. Yaratıkları arasında en sevimli kulu için de: "Eğer biz seni sağlamlaştırmamış olsaydık onlara bir parça yaklaşacaktın"[18] buyurmuştur. Bu manada Rasulullah, ümmetine Allah'tan ihtiyaçların nasıl isteneceğini şöyle öğretmiştir: "Ey Allah'ım, Sana hamd eder, Senden yardım diler, affını isteriz. Nefislerimizin ve kö-

16. Yûsuf sûresi, (12/53).
17. Nûr sûresi, (24/21).
18. İsrâ sûresi, (17/74).

tü amellerimizin şerrinden Allah'a sığınırız. Allah kime hidâyet vermişse kimse onu sapıtamaz. Kimi de sapıtmışsa kimse onu hidâyete götüremez."[19] Kötülük nefiste gizlidir. Kötü ameller işlemek ister. Allah kulu nefsiyle başbaşa bırakırsa nefsindeki şer ve bu şerre olan kötü ameller onu helak eder. Yok eğer onu mücadelede başarılı kılar; yardım ederse, her türlü şerden kurtulur. Yüce Allah'tan, nefislerimizin ve kötü amellerimizin şerrinden bizleri korumasını isteriz.

Yüce Allah insanoğlunu, bu iki nefisle yani emmare ve levvâme nefisle sınamıştır. Seçkin nefis mütmainneye ise ikramda bulunmuştur. Nefis önce emmâre sonra levvame ve mutmainliğe dönüşerek kemâl ve salaha doğru gider. Mutmain nefsi, birçok orduyla desteklemiş; meleğini, nefse ve nefsi taşıyan kişiye göndermiştir. Gönderilen melek, nefse kılavuzluk yapar, hakkı önererek ona teşvik eder; hakkın güzel görüntüsünü açıklayarak bâtıldan alıkor; bâtıla karşı onu korur. Bâtılın çirkin suratını nefse arzeder. Kur'ân'dan, zikirlerden ve güzel amellerden öğrendiği şeyleri uygulamasında nefse yardımcı olur. Hayır elçilerini kullanarak her taraftan başarı yollarını ona açar. Meleğin bu çalışmalarına karşı nefis, hoşnut kalır, şükreder. Allah'a hamd edip herşeyde ilk halini görürse meleğin ona olan yardımı artar. Emmâre nefisle muharebede ona destek olur. Emmâre nefisle muharebe eden ruha ait askerlerin komutanı, melek olur; meliki ise iman ve yakîn olur. İslâmî bütün ordular, sancağı altında toplanır, ondan gelecek emirleri bekler. Muharebeye devam ettikçe bu ordular da yanında olur. Nefis hezîmete uğrayınca hepsi geri doğru kaçar. Bu ordunun eminleri, askerî komutanları, çeşitli türlerde bulunan amelle ilgili imanî merkezlerdir. Yani namaz, zekât,oruç, hac, cihad, iyiliği emretmek, kötülükten sakındırmak, güzel ahlâkı öğütlemek ve çeşitli şekillerde insanlara ihsanlarda bulunmak melek ordusunun komutanlarıdır. Melek ordusunun bâtınî merkezlerini ise ihlas, tevekkül, inâbe, tevbe, nefis kontrolü, sabır, hilm, tevazû', kalp huzuru, kalbi Allah ve Rasulü sevgiyle doldurmak; Allah'ın emirlerine ve haklarına saygı gösterip diğerlerini Allah için O'nun yolunda atmak; şecât, iffet, doğruluk, şefkat ve rahmet gibi kısımlar oluşturur. Samimiyet ve doğruluk, meliklik mertebesindedir. Sözünde doğru samimi kimse, sırat üzerinden uyurken geçirilir. İhlas ve doğruluğunun mahrumiyelerinden dolayı yorulmaz. Dünya hayatı, şeytanlarca yolunun kesilip çeşitli sapkınlıklara sevkedildiği yerdir. Oldukça zor bu şartlarda dilerse sıdk ve samimiyetine sarılsın dilerse bunları terketsin. Terketmesi halinde yaptığı ameller Allah'a olan yolunu uzaklaştırır. Bilcümle Allah için ve O'nunla beraber olan kişi, mutmain nefsin askerlerinden sayılır.

---

19. Rasûlullah hac hutbesini bu sözlerle
nî gibi bazı âlimler eserlerine bu sözlerle başlamayı adet edinmişlerdir. Öyle ki Elbânî bu konuda **Hutbetu'l-hace** adlı müstakil bir risale yazmış; sözkonusu hitabın altı sahabe tarafından rivayet edildiğini belirterek her bir sahabenin rivayet ettiği hadisin ravîlerini incelemiştir. Daha geniş bilgi için matbû' bu esere bakabilirsiniz.

Emmâre nefse gelince şeytan bu nefsin ve takipçisi kişinin yanına gelir; ona vaadlerde bulunur; okşar, bâtılı ona telkin edip kötülüğü süsleyerek ona kötülüğü emreder. Tûl-u emel sahibi yapar. Bâtılı, sevip kabul edeceği bir şekilde gösterir. Birtakım asılsız emanlarla, helak edici şehvetlerle birçok bâtıla düşmesine destek olur. İrâdesinde ve hevâsında nefse yardım eder. Her türlü kötülüğü nefsin kabul etmesi bu cümledendir. İnsî şeytanların da bildiği gibi şeytanın nefse yaptığı en büyük yardımlar, irâdesi ve hevâsı yönünde olanlardır. Nitekim insî şeytanlar da nefislere yaptıkları desteklerde nefsin hevâ ve irâdesini ön planda tutarlar. Şeytanın arzuladığı, sevdiği bir vaziyeti, insanlar kendi gayretleriyle arayacak hale gelince arzularıyla onun peşinden giderler, bu vaziyetin içine düşerler. Nefis, hevâ kapısını şeytanlara açarsa içeri gidip bütün değerleri talan ederler. Kötülük yaparlar, bozgunculuk çıkarırlar; içeriyi parçalarlar ve manevî değerlere söverler. Memleketlerinde idareyi ellerine almış düşmanın yapmadığını yaparlar. İman öğretilerini, Kur'ân'ı, zikri ve namazı yıkarlar. Mescidleri yıkıp yerlerine küçük büyük kiliseler, şarap satan dükkânları ve zina yurdları yaparlar. Sonra ülke yöneticisinin sarayını kuşatırlar. Onu esir alarak yönetimden uzaklaştırırlar. Rahman'a kulluk yapmaktan alıkorlar, tağut ve putperestlere kulluk yaptırırlar. Allah'a ibadet etmenin izzeti, artık günah işleme zilletine dönüşür. Rahman'a kulak asarken şeytana kulak asmaya; âlemlerin Rabbi'ne kavuşmaya hazırlanırken, şeytan kardeşleriyle kavuşmaya hazırlanır. Yani Allah'ın haklarına ve emirlerine riayet eden kişi kendini hınzırların başında çoban bulur. Azîz ve Rahîm olan Allah'ın kapısında hizmetçi olarak beklerken kendini kovulmuş şeytanların kapısında hizmetçi bulur.

Kısacası, mutmain nefsin dostu, melektir; emmâre nefsin dostu ise şeytandır. Ebü'l-Ahves'in Atâ b. Sâib'den O'nun da Mürre yoluyla Abullah'tan rivayet ettiği bir hadiste Rasulullah şöyle buyurmuştur: "Âdemoğluna şeytanın verdiği bir vesvese vardır. Meleğin verdiği bir eğilim vardır. Şeytanın verdiği vesvese, kötülüğe düşürmek ve hakkı yalanlamak. Meleğinki ise iyiliğe düşmek, hakkı doğrulamaktır. Kalbinde iyiliğe eğilim bulunan kişi bilsin ki o Allah'tandır. Allah'a sığınsın" dedi ve arkasından "Şeytan size fakrı va'deder, size kötülükleri emreder"[20] âyetini okudu." Bu hadisi Amr da Atâ b. Sâib'den rivayet etmiştir. Amr'ın hadisinde şu ziyade vardır: "Bu hadiste Rasulullahın şöyle dediğini duyduk: "Sizden biri (kalbinde) meleğin bıraktığı birşey bulursa Allah'a hamd etsin. Allah'tan bu şeyin artırılmasını istesin. Kim de (kalbinde) şeytanın bıraktığı birşey bulursa Allah'a istiğfar etsin. Şeytandan Allah'a sığınsın."[21]

---

20. Bakara sûresi, (2/268).
21. Tirmizî bu hadisi İbni Mes'ûd'dan rivayet ettikten sonra (Tuhfe şerhi, c. 8, s. 332-333) der ki: "Bu garib bir hadistir. Ebu'l-Ahvas hadisi dışında merfû' olarak başka bir rivayetini bulamazsın." İbni Hibban, Mevârid şerhinde rivayet ederken Suyûtî ve Mubârekfûrî, Nesâî'nin de rivayeti olduğunu be-

FASIL

Mutmain nefis, melek ve onun iman orduları, mutmain nefiste tevhid, ihsan, iyilik, takvâ, sabır, tevekkül, tevbe, inâbe, Allah'a yönelme, az emel, ölüme hazırlık vb. şeylerin oluşmasına çalışırlar. Şeytan ve küfür orduları ise bunun tam asine emmâre nefis için çalışırlar. Yüce Allah, kendisine yönelmeyen, yüzünü kendisine çevirip itâat etmeyen herkese şeytanı musallat etmiştir. Şeytanın tasallutundan kurtuluşu, meleğe bağlamıştır. Melek, emmâre nefsi yaptıklarından dolayı ayıplar, ona mutmain nefsin amellerini tavsiye eder. Güzel ameller, mutmain nefsin güçleridir. Mutmain nefsin bütün işi, amellerini ihlasla yapıp, hazzına, tadına ulaşmaktır. Mutmain nefse en zor gelen şey, Allah için, amellerini şeytandan ve emmâre nefisten korumaktır. Yaptığı amellerden birtanesi yerini bulsun, kul onunla kurtulur. Lakin, emmâre[22] nefisle şeytan, tek bir amelinin olsun Allah'a ulaşmaması için uğraşırlar. Nitekim ariflerden biri: "Allah'a yemin olsun ki, tek bir amelimin Allah'a ulaştığını bilsem, ailesine dönen bir gurbetçinin sevinmesinden daha çok ölümü arzularım" demiştir. Abdullah b. Amr da: "Allah'ın, bir tek secdemi kabul ettiğini bilseydim, ailesine dönen gurbetçinin sevgisi, benim ölüme olan sevgimden daha fazla olamazdı" demiştir. Allah, ancak muttakilerden (amellerini) kabul eder".[23]

FASIL

Mutmain nefsin karşısında emmâre nefis vardır. Mutmain nefis güzel bir amel işleyince, emmâre nefis buna mukabil derhal o güzel ameli bozacak kötü bir amel işler. Mutmain nefiste, iman ve tevhid yer bulunca derhal emmâre nefis imana şüpheyi, nifakı katmaya çalışır; tevhide ise şirki, Allah'tan başkasına karşı sevgi, korku ve ümidi katar. Başkalarına olan sevgi, korku ve ümit, Allah'a karşı olan sevgi korku ve ümitten önce gelmedikçe emmâre nefis yerinde durmaz. Böylece Allah'a karşı olanlar arkada, başkalarına karşı olanlar ise önde olur. Çoğu insanların durumu budur. Rasulullah'a tamamen uymaya karar veren mutmain nefis, karşısında vahye muhalif insanların görüşlerini, düşüncelerini getiren emmâre nefsi bulur. Rasulullah'a tam uymayı, sünnetini yaşayıp insanların görüşlerini kabul etmeme ile ilgili engelleyici birçok sapık şüpheler atar. Böylece her iki nefis arasında harp başlar. Zafer, Allah'ın yardımı

---

lirtmişlerdir. el-**Kubrâ**'da olması muhtemeldir. İbni Ebî Hatim'ın de rivayeti vardır. bkz. **Zaîfü'l** câmî, Elbânî (1961). Elbânî hadisi zayıf sayar.

22. Ben derim ki: "Kul, şeytanlardan kaçındığı gibi amellerin de şeytan vesveselerinden de kaçınmalıdır."

23. Mâide sûresi, (5/27).

kendine ulaşan nefsindir.[24] Mutmain nefis ihlasla, sıdkla, tevekkülle inâbe ve murakabe ile gelince emmare nefis de bunların karşıtlarıyla gelir; düzenbazlıklar yaparak gayesinin ancak iyilik ve başarı olduğuna dair Allah'a yemin eder. Oysa ki Allah, emmâre nefsin yalancı olduğunu; amacının ise sadece arzu ve hevâsına uymak, Rasul'e uymak sıkıntısından kurtulmak, isteği, arzusu ve hevâsıyla sünnete karşı gelmek olduğunu bilir. Allah'a yemin olsun ki, emmâre nefse uyan; hevâsına, irâdesine, zulmetine, vahşetine ve darlığına katlanandan başkası ondan kurtulamaz. Bu durumdaki nefis, âlemde böyle tutsaktır. Berzah'taki tutsaklığı, dünyadakinden de sıkıntılıdır. Kıyamet tutsaklığı ise her ikisinden de sıkıntılıdır.

İşin daha tuhaf olan tarafı şu: Emmâre nefis, aklı ve kalbi aldatır. En değerli, en güzel şeyleri akla kötü gösterir. İnsanların çoğu, çocuk akıllı, çocuk düşlüdür. Sütten yeni kesilmiş çocukların iyilikleri, alışkanlıkları[25] kadar bile tutkuları yoktur. Çocuklar gibi olamayınca, iki iyiyi seçip en güzelini tercih edecek, iki kötüyü birbirinden ayırdedip onlardan sakınacak akıllı ve baliğ kimsenin buluğuna ulaşamayacakları ortadadır. İşte bu nefis, güneş ve ay kadar belirgin olan tevhide soyunmayı insana alçalmak, noksanlaşmak; kendi mertebelerine birtakım büyükler dikmek ve oradan kulluk mertebesine inmek şeklinde gösterir. Nefsin tanımladığı bu kulluk, mahza miskîn, zelil, kendi başına hiçbir mülkiyeti olmayan fakirlik ve Allah'ın izni olmaksızın irâde ve şefâat hakkı bulunmayan bir kulluktur. İşte aldatıcı nefisleri, sürekli onlara noksanlıklarını, alçaklıklarını, derecelerinin düşüklüğünü ve miskinlerle fakirleri birbirinden ayırd edemediklerini telkin eder, böylece onlar tevhide soyunmaktan son derece sıkılarak: "Tanrıları tek bir tanrı mı yaptı? Bu gerçekten tuhaf bir şeydir"[26] derler. Rasulullah'a, getirdiklerine uyarak bunu insanların düşüncelerine tercih etmeyi, alimlere, görüşlerine; Allah ve Rasulünden anladıkları şeye uymanın kötü bir sonucu olarak gösterir. Haddi zatında nefsin yaptığı bu şey, âlimlere karşı yapılan kötü bir edep, onların yanında aşırılıktır. Bu, onlar hakkında kötü zanna götürür. Nefsin bu arzularına uyanlar, doğruluğu görememişlerdir. Âlimleri reddedecek gücü kendimizde nasıl bulur, onlar olmaksızın hakka nasıl nüfuz eder, nâil olabiliriz? İşte emmâre nefis bu tür şeylerden oldukça sıkılır. Kendi sözlerini uyulması gereken sağlam bir söz görürken, Rasulullah'ın sözünü kendi görüşlerine karşı müteşabih söz şeklinde görür. Biz ise âlimlerin sözlerden Rasulullah'ınkine uyanları kabul eder, uymayanları ise ya reddederiz ya te'vîl

---

24. Mezheb imamlarının görüşlerini, Rasûlullah'ın sözüne tercih edecek kadar mutaassıp olan mezhep tabilerinin durumu budur. Durum böyle olunca ne tâbî oldukları peygamber ne de taklit ettikleri imam kalıyor.
25. Katı mezhepçilik, cahillik ve kör taklidin neticesidir. İslamî naslar ve bu nasların ruhu bu duruma karşıdır.
26. Sâd sûresi, (38/5).

ederiz ya da Allah'a havale ederiz.[27] Aldatıcı nefis "Biz ancak iyilik ve başarı istiyoruz" diyerek Allah'a yemin etmekte. Böyle diyenlerin kalblerini Allah bilir.

FASIL

Aldatıcı nefis, ihlası, sakınılması gereken şey diye gösterir. Yani ihlas, hayatın, idarenin, kişinin kendisiyle aldatılıp insanlar arasında dolaşmasına neden olan aklın hükmünden çıkmaktır. Kişi, ne zaman amellerini ihlasla yapar, ihlasına kimseyi katmazsa, insanlar ondan o da insanlardan kaçar. İnsanlar ona o da insanlara öfkelenir. Birbirlerine düşman olurlar. Yolda yürürken, insanlar ondan son derece nefret ederler. Bu durumdan kurtulmak, insanlarla ilgili olmayan birkaç amelinde ihlaslı olmak, diğer amellerinde ise Allah'ın dışındakilere karşı ihlaslı olmakla mümkündür.

FASIL

Aldatıcı nefis insana Allah'ı doğrulamayı, dinine ve emrine karşı gelenlerle cihad etmeyi, insanlara olan düşmanlıktan dolayı onlara ezâ etmek, onlarla harp etmek için çalışmak şeklinde gösterir. Böylece kişi, gücünü aşan birçok müsibete maruz kalır. İnsanların attıkları okların hedefi olur. Bu ve benzerleri, aldatıcı nefsin hileleri ve hayalleridir. Aldatıcı nefis, gerçek cihadı, kişinin öldürülmesi,[28] hanımının başkalarıyla evlenmesi, çocuklarının yetim kalması ve mallarının bölünmesi şeklinde gösterir. Zekât ve sadakayı da, malm ayrılması, azalması, zekât ve sadaka verenin elinde mal kalmaması, başkalarına muhtaç olması ve hâli düzelen fakirin, kendi yerine gelmesi şeklinde gösterir. Hem kendi hem de başkaları bu sıfatları kabul etmez. Bunun yanında Allah'ı birtakım sıfatlarından sayarak ilhada düşmeyi de Allah'ı tenzih etmek O'na tazimde bulunmak şeklinde gösterir.[29]

---

27. Ümmetin mubtelâ olduğu en tehlikeli hastalıklardan biri de budur. Çünkü bu, düşünceyi, ictihad ve tenkidi boşa çıkarmaktadır. Mezhep imamının görüşünü almak için Allah'ın sözünü, Rasûlullah'ın sözünü bir kenara atmak aklî düşünceleri gayesiz kılmaktır. Onların bu tavırlarını tevil etmesek gayet açık onların şirke yaklaştıklarını söyleyebiliriz. Onların zannettikleri şey doğru olsaydı büyük imamlar büyük ihtilaflar etmezlerdi.
28. Ben derim ki: "Bu, İbni Kayyun'ın çağında söylediği sözdür. Keşke çağımızda yaşasaydı da bu ümmetin cihadı tamamen terkedip insanların şeytanlarından olan yahûdilerin eline esir düştüklerini bir görseydi. Güç ve kuvvet Allah'ındır.
29. Bu da diğeri gibi bu ümmetin mübtelâ olduğu inanç hastalığıdır. Bir müslüman Allah'ın zatının bizim zatımıza karşı, kulağının bizim kulağımıza karşı, gözünün bizim gözümüze karşı olduğuna nasıl inanıp da nasıl olur da yedinin bizim elimize; yüzünün de bizim yüzümüze karşı olduğuna nasıl inanmaz? Çünkü bu husus nassta açıkça belirtilmiştir. "O'nun misli birşey yoktur. O işitendir görendir." (eş-Şûrâ, 42/11).

İşin daha tuhaf olan tarafı, aldatıcı nefsin, Allah ve Rasulünün sevdiği özellikleri, ahlâk ve fiilleri sevmediklerine benzeterek bunlardan birini kula giydirip diğerini çıkarmasıdır. Bu tür aldatmacalardan ancak basiret sahipleri kurtulur. Çünkü fiiller, irâdelere bağlı olarak çıkarlar. Emmâre ve mutmainne olan her iki nefsin vaziyetlerinde ise zahir olurlar. Dolayısıyla bâtıl şeylerde her iki fiil de birbirine aykırı gibi görünse de zahirde birbirine benzerler. Misalleri çoğaltmak mümkündür. Mesela, idare etmek, aldatmak. İdare mutmain nefisten, aldatma ise emmâreden gelir. Bu zıt durumlara diğer misaller: İmanda huşû bulmak-nifakta huşû[30] bulmak, şerefli nefis-gururlu nefis, hamiyyet-cefa, tevazû-küçümsemek, Allah'ın emirlerinde kuvvetli olup yeryüzünde yüce olmak-Allah'ı kızdırmak, öfkelendirmek, nefsin hamiyyeti-gadabı, cömertlik-israf, küçümseme-kibir, korunma-kibir, şecaat-cüret, ihtiyatlılık-korkaklılık, iktisat-cimrilik, sakınmak-kötün zan, feraset-zan, nasîhat-gıybet, hediye-rüşvet, sabır-katılık, affetmek-zillet, kalbin selameti-rahaveti-gafleti, uyanıklık-rica-temenni, Allah'ın nimetlerini anmak-onunla övünmek, nefsin sevinci-kalbin sevinci, kalp inceliği-kalp titremesi, şikayet etmek-kin gütmek, yarışmak-haset etmek, başkanlık sevgisi-imamlık ve Allah'a davet etmek sevgisi, tevekkül-acizlik, ihtiyad-vesvese, şeytan ilhamı-melek ilhamı, sabır temkin, iktisat-taksir, ictihat-aşırılık, nasîhat-şerzenişte bulunmak, zamanında yapmak-acele etmek ve ihtiyaç ve şikayet anında durumu bildirmek.

Herhangi birşey, sûret itibariyle tek olduğu halde övülen ve yerilen iki kısma ayırabilir. Mesela, sevinç-hüzün, darılmak-öfkelenmek, başkalık-yalnız, arzusüslenmek, haset-gıbta, cüret, tahassur ve hırs, yarışmak-nimeti açığa vurmak, yemin etmek-miskin olmak, susmak zühd, verâ-yalnız kalmak, uzlet-izzet ve hamiyyet-gıybet gibi. Bir hadiste: "Allah, sakınmanın, uzak durmanın birini severken diğerini sevmez. Allah'ın sevdiği uzaklaşma, şüphelerden kaçınmaktır. Sevmediği ise şüpheli olmayan şeylerden kaçınmaktır. Allah, bazı yalnızlıkları sever. Bazılarını sevmez. Sevdiği yalnızlık tek başına kalsa da kişinin savaşmasıdır"[31] buyurulmuştur. Yine es-Sahîh'te: "İki kimseden başkasına haset olunmaz. Bunlar, Allah'ın kendisine verdiği malı hak yolunda kullanan[32] ve Allah'ın hikmet verdiği, verilen bu hikmetle yaşayan ve onu başkalarına öğretendir"[33] hadisi vardır. Yine es-Sahîh'te: "Allah yumuşaktır, yumuşaklığı sever. Yumuşak huylu

30. Münâfığın huşû'u, kalbte tesiri görülmeyen yapmacık huşûdur.
31. Ebû Dâvûd, Cihad (114); Nesâî, Zekat (66) ve Ahmed, Müsned (5/63)te rivayet etmişlerdir. Ben derim ki: İbni Hibban da Mevârid şerhinde, (s. 401) rivayet etmiştir. Bütün rivayetler Cabir b. Atîk yoluyla gelmiştir. Dârimî'de (c. 2, s. 149) muhtasar olarak rivayet etmiştir. Şeyh Elbânî de İrvâü'l-galil de hasen olarak rivayet eder. c. 7, s. 39.
32. Allah'ın rızasına uygun olarak malın tamamını infak etmek.
33. Bu hadisi Buhârî, Tevhid (45) ve Ahmed, Müsned (2/9)da rivayet etmişlerdir. Ben derim ki: "Müslim ve İbni Mâce de olmak üzere hepsi İbni Mes'ûd'dan rivayet etmişlerdir. bkz. Sahîhü'l-câmi, (7365).

kimseye verdiğini sert huylu kimseye vermez"[34] ve: "Hazzı yumuşaklıktan verilen kimsenin hazzı, hayırdan verilmiştir"[35] buyurulmuştur. Hadislerden, yumuşaklıkla, ağır davranmak ve tembelliğin başka şeyler olduğu anlaşılıyor. Mütedâmî, maslahatına uygun imkânı bulunca ağır davranan, ondan uzak duran, demektir. Yumuşak huylu kimse ise imkânı ölçüsünde arzulayarak maslahatını bulmaya nazikçe teşebbüs eder. Aynı şekilde, geçimlilik güzel bir özellik iken geçimsizlik, aldatıcılık kötü bir özelliktir. Aralarındaki fark, geçimli kişinin arkadaşına hakkı anlatmak yahut onu kötülemekten alıkoymak maksadıyla nazik davranması, geçimsiz aldatıcı kişinin ise dostunu hatasıyla destekleyip, onu hevâsıyla başbaşa bırakması dikkat çeker. Denetim, iman ehline, aldatma ise münafıklara ait birer özelliktir. Şöyle güzel bir misal anlatılır. Vücudundaki yaranın durumunu anlayan doktor, orayı yumuşatmaya başlar. Yara olgunlaşınca, kolayca incitmeden yarayı sıkar,[36] içindekileri boşaltır. Sonra mikrop kapıp etini bozmaması için yaranın üzerine ilaçlar, merhemler sürer. Yara merkezi et kaplayıncaya kadar merhem sürmeye devam eder.Yara kapanınca, üzerine nemini alacak bir bez sarar; iple onu bağlar. Yara tamamen iyi oluncaya kadar, doktor sürekli yarayı sarar. Yağcılık yapan kimse dostuna der ki: "Bundan sana bir zarar gelmez. Kusurlarını bir bez parçasıyla kapat" üzeri kapatılan kusurların, zaman içerisinde yerine oturup sürekli nefsin durumlarını oldukça güzel örneklendirir. İyi düşün. Bu yara nohut kadar büyümüş ise şehvetlerin kaynağı, her türlü fasıklığın nedeni olan kötülüğü emreden nefisten yarayı korumak mümkün mü? Şeytan nefse yaklaşmış, hileyle, yalanla ona va'dlerde bulunmakta, onu sınayarak çeşitli yönlerden aldatmaktadır. Öyle ki, nefse faydalı şey zararlı, zararlıyı faydalı, güzeli kötü, kötüyü de iyi gösterecek kadar ileri gider. Allah'a yemin olsun ki bu, nefsin aldatıldığı (büyülendiği) en büyük aldatma türlerindendir. Bundan dolayı Yüce Allah: "O halde nasıl büyüleniyorsunuz"[37] buyurmaktadır. Elçileri, büyülenmiş olmaları cihetiyle nisbet ettikleri kişi, büyülenmeyi haketmişlere, gözü isabet eden kişidir. Yoksa bu elçiler, salat ve selam üzerlerine olsun, Allah'ın elçileri değillerdir. Nitekim kâfirler Allah'ın elçilerini daha önce sapıklıkla, bozgunculukla, delilik ve sefihlikle de suçlamışlardı. Rasullerin, nebîlerin ve ümmet emirlerinin emmâ-re nefisten ve dostu ve yakını olan şeytanın şerrinden sığmmaları, her kötülüğün başı, temeli ve kaynağı olmalarındandır. Şer konusunda nefisle şeytan birbirinin yardımcısıdır. Şairin biri:

---

34. Hadis sahihtir. Buhârî, **el-Edebu'l-müfred** (204); Ebû Dâvûd, **Avn** şerhi (c. 13, s. 163); Dârimî, c. 2, s. 323'de Abdullah b. Mağfel'den; İbni Mace, c. 2, s. 1216; İbni Hibban da (s. 473) Ebû Hüreyre'den rivayet etmişlerdir. Hz. Ali, Ebû Umâme ve Enes'ten de rivayet edilmiştir. Hadisin diğer rivayetleri için bkz. **Sahîhü'l-Camî** *(1767)*.
35. Tirmizî, el-Birr'de (68) ve Ahmed, Müsned (6/159)da rivayet etmişlerdir. Ben derim ki: "Bu rivayetler Ebu'd-Derdâ'dan gelmiştir. **el-Ehâdîsüs-sahîha**'da (519-876) Şeyh Elbânî hadisi sahih saymıştır.
36. İbarede geçen yarmak, deşmek anlamınadır.
37. Mü'minûn sûresi, (23/89).

رضيعي لبان ثدى أم تقاسما بأسحم داج عرض لا نتفرق

Yani: "Süt emen iki çocuğum, iki göğsümün sütçüleridir. Ya da karanlık basınca, kendilerine sunulan göğüsleri bölüşürler. Biz de onlara farklı davranmayız" demiştir.

Yüce Allah şöyle buyurur: "Kur'ân okuyacağın zaman, kovulmuş şeytandan Allah'a sığın",[38] "Her ne zaman şeytandan gelen kötü bir düşünce seni dürtüklerse, Allah'a sığın. Çünkü Allah, işiten ve bilendir",[39] "Ve de ki: 'Rabbim, şeytanın dürtüklemelerinden Sana sığınırım. Ve Rabbim, onların bana uğramalarından da Sana sığınırım".[40] De ki: "Karanlığı yarıp sabahı çıkaran Rabb'e, yarattığı şerrinden, karanlık çökünce gecenin şerrinden, düğümlere üfleyip tüküren kadınların şerrinden ve haset ettiği zaman hasetçinin şerrinden sığınırım"[41] buyurulmuştur. Bu âyetlerde nefsin şerrinden Allah'a sığınılmaktadır. Yine: "De ki: "insanların Rabbine, insanların melikine ve insanların ilahına, insanların göğüslerine kötü düşünceler fısıldayan o sinsî vesvesecinin şerrinden ve gerek cinlerden, gerekse insanlardan olan vesvesecilerin şerrinden sığınırım".[42] Bu âyetlerde ise nefsin dostu, yakını şeytandan Allah'a sığınılmaktadır. Gerçekte bu ne kötü dost, ne kötü yakındır. Yüce Allah, peygamberine ve onu uyanlara, bozucu ve şerli bu iki yaratığın şerlerinden, kâmil Rabb'liğine sığınmalarını emretmiştir. Kalp, bu iki düşman arasındadır. Şerleri, sürekli, kalbe açılır, kalbi zor durumda bırakır. Emmâre nefisten kalbe geçen ilk hastalık şehvettir. Şehvetin peşinden sevgi, istek ve öfke geçer. Bunların peşinden de kibir, haset, zulüm ve tutku geçer. Kalpte rahatsızlık oluşturan bu hastalıkları bilen hain, aldatıcı doktor, hasta kişiyi ziyaret eder. Ona zehir ve acı veren her türlü ilacı anlatır. Gözünü büyülemesiyle, kurtuluşunun zehir ve acı veren şeylere bağlı olduğuna ikna eder. Kalbi ve nefis kuvvetini bu hastalıklarla güçsüz bırakmak için emmâre nefis ve şeytan birlikte çalışırlar. Peşi-peşine hastalığın üzerine gelirler. Nefis ve şeytanın böyle bir hastaya yardımları, hazır nakit, hemen elde edilen lezzettir. Kalbi, her taraftan biri kendine çağırır. Hevâ bu çağrının gereğini yapar. Şehvet, hevâya yardım eder. Onlara özenti duymak, onların başına gelenlerin kendi başına da gelmesine razı olmak, maruz kaldıkları belâların kendi başına gelmesine de neden olur. Kalp bunca yükler altında bunca engellere göğüs gererek iman davetçisine, cennete çağırana nasıl icabet etsin? Ancak, nefis ve şeytana karşı Allah'ın kendisine yardım ettiği kalp, rahmetiyle desteklediği, koruma ve himayesini üzerine aldığı, kalp gözünü açıp bu sayede, dünyanın ge-

38. Nahl sûresi, (16/98).
39. A'râf sûresi, (7/200).
40. Mü'minûn sûresi, (23/97-98).
41. Felak sûresi, (113).
42. Nâs sûresi, (114).

çici olduğunu gören, ehliyle fiilleriyle beraber dünyanın değişeceğini kavrayan ve daimi hayatta bunların, kendine nisbetle, bir parmağı denize sokmak gibi olacağını bilen kalp, iman davetçisine icabet edebilir.

FASIL

İmanda huşû ile nifakta huşû arasındaki fark: İmanda, huşû, Allah'a ta'zimden, celîl kılmaktan, vakar, korku ve hayadan dolayı kalbin huşûya ermesidir. Huşûya eren kalp, korkudan, mahcupluktan, sevgiden, utancından ve Allah'ın nimetleri karşısında, onların hakkını verememek nedeniyle kendisine çeki-düzen verecek şekilde kırılır. Kalpte huşû meydana gelince hemen arkasından kalbe bağlı azalarda da huşû görülür. Nifakta huşû ise kalp huşû içinde olmadığı halde, âzâlarda yapmacık bir şekilde yüksünerek görülen huşûdur. Sahâbeden bir zat: "Nifakta huşû sahibi olmaktan Allah'a sığınırım" deyince, "nifakta huşû nasıl olur?" denmiş. O da: "Cesed huşû içinde görülürken, kalbin huşû içinde görülmemesidir" karşılığını vermiştir. Allah'tan korkan kul, kalbinin şehvet ateşlerini söndürmüş, göğsünden çıkan dumanı durmuş; temizlenen göğse azamet nuru dolmuş böylece korku ve vakar karşısında nefsin şehvetleri ölmüştür. Âzâlarda görülen etkileri kalkmış, vakar içindeki kalp, Rabb'inden kendisine gönderilen huzurla, Allah ve O'nun zikriyle mutmain, mütevazi biri olmuştur. Müteva-zî, mutmain kimsedir. Herhangi bir yerin mütevazî olması, içinde su tutabilecek ölçüde çukur olmasıdır. İçerisine akan suyu tutan çukur yer gibi, mütevazî kalp de Allah'tan korkarak, mutmain olur. Tevazû'un belirtisi, Allah'a tazimle, halinin perişanlığını göstererek kulun secde etmesi, Allah'a kavuşana dek, secdeye eğdiği başını kaldırmamasıdır. Kibirli kalp ise kibirden titrer, başını kaldırır. Bu, içerisinde su tutmayan tümsek yere benzer. İmanda huşû dediğimiz şey işte budur.

Nifakta huşû ve dünyadan alakayı kesmiş gibi görünmek ise zoraki, göstermelik olarak âzâları sâkinleştirmek; içte de genç, taze şehvet ve arzularla sürekli nefsin çekmesidir. Bu kimse zahirde huşûludur. Batında ise vadî yılanı, orman aslanı her iki yanını sarmış, kişiyi parçalama anını gözetlemektedirler.

FASIL

Nefsin şerefi ise insanları boyunlarını kesen düşük şeylerden, rezîlet-lerden ve tamahkârlıklardan nefsin korunmasıdır. Kişi nefsini, bunlara yaklaşmaktan men eder. Kibir, nefsin şerefinden ayrıdır. Kendini beğenmekle başkalarını kü-

çük görmekten kaynaklanan bir huydur. Kibir bu iki şeyden doğar. Nefsin şerefi ise iki güzel huydan doğar; Nefsini aziz kılarak ona ikram etmek ve düşük, değersiz ve basit kulu olmakla sahibine, efendisine tazim etmek. Bu iki şeyden de nefsin şerefi ve korunması sağlanır. Bütün bunların temelinde nefsin hazırlanması, toparlanması, mevlâsının, velîsi-nin de ona yardım etmesi yatmaktadır. Hazırlanmayan ve yardımı kaybeden nefis, her türlü hayrı kaybetmiştir.

FASIL

Himye ile cefâ arasındaki fark. Himye, nefsin, pisliklerin, rezîletle-rin ve düşük şeylerin döküldüğü memeden kınanma sütlerini içmekten vazgeçmesidir. Göğüsten gelen bu tür sütler çoğalsa, insanlar da ona hücum etseler, ciğerleri yaralayan bu sütlere, himye (perhiz) sahiblerinin bakmaması, iltifat etmemesi gerekir. Himye sahibi olmakta dilersen acele davran. Övülürsün, teşekkür alırsın. Dilersen ağırdan al. Bu durumda sevap alamazsın. Cefâ bundan farklıdır. Cefâ, nefiste katılığın, kalpte sertliğin, tabiatında ise yoğunluğun bulunmasıdır. Cefâ, bütün bunların neticesidir.

FASIL

Tevazû ile muhânet arasındaki fark. Tevazû, Allah'ı, isimlerini, celal sıfatlarını ve diğer sıfatlarını bilmek; azametini anlamak, O'nu sevmek ve O'nun büyüklüğü karşısında eğilmekle kişinin kendi nefsini, özelliklerini, amellerinin kusurlarını ve afetlerini bilmekten doğar. İşte bütün bunlardan doğan şey tevazûdur. Tevazû, Allah için kalbin kırılması, kullarına karşı rahmet ve zayıf kanatların gerilmesi kendini kimseden üstün görmemesi, kimsede hakkını olduğuna meyletmemesidir. Bel ki insanları kendinden üstün görmek, onların kendisi üzerinde hakları olduğuna inanmak gerçek tevazûdur. Tevazû ahlâkını Yüce Allah, ancak sevdiği, ikram ettiği ve kendisine yaklaştırmayı arzuladığı kimseye verir.

Muhanet ise arzu ve hazların elde etme yolunda, nefsin kendini ortaya koymasıdır. Alçaklık, basitliktir. Ayak takımının, arzularına ulaşmak için yaptıkları tevazû, kendisine (iyilik) yapana karşı tevazû göstermek ve her türlü arzusuna ulaşmak için, arzusuna götüreceğini umduğu kişiye karşı tevazû yapmak böyledir. Aslında bunlar tevazû değil alçaklıktır. Yüce Allah, tevazû'u sever, alçaklığa, muhanete öfkelenir. es-Sahîh'te Rasulullah'tan şöyle hadis rivayet edilmiştir: "Yüce Allah, birbirinize karşı övünmemeniz ve bir-

birinize karşı zulmetmemeniz için mütevâzî olmanızı bana vahyetti".[43] İki çeşit güzel tevazû vardır.

Birincisi: Allah'ın emrine sarılarak, yasağından da kaçınarak kulun tevazû yapması. Çünkü rahatlığı arayan nefis, emrine karşı ağır davranır. Bundan da bir çeşit kulluktan kaçma, uzaklaşma, yüz çevirme ortaya çıkar. Yasaklanan şeye karşı da bir istek doğar. Allah'ın emir ve nehyine nefsini koyan kul, kullukta mütevâzî bir kuldur.

İkincisi: Allah'ın büyüklüğü azameti karşısında küçülerek, izzeti ve büyüklüğüne boyun eğmektir. Kendinde büyüklenme bulan kul, Allah'ın büyüklüğünü, O'ndan başka büyük şey olmadığını; emrine karşı çıkanlara olan şiddetli öfkesini hatırlar, böylece nefsinde tevazû oluşur. Allah'ın büyüklüğü karşısında nefsi kırılır. O'nun korkusundan mutmain olarak, sultanlığına boyun eğer. Tevazû'un son noktası işte budur. Bu ikinci kısım tevazû da birinci kısım olması gerekir. Mütevazî kimse, her iki çeşit tevazû ile Allah'ın kendisini rızıklandırdığı kimsedir. Yardım Allah'tandır.

FASIL

Allah'ın emrine uyma kuvveti de böyledir. Yani Allah'a tazim etmek, emir ve haklarına Allah onları ikame edene kadar saygı göstermek. Yeryüzünde yüce olmak, kendini büyük görmek, yönetimde tek kişi olmayı, Allah'ın emrine saygı olsun yahut ihanet olsun kendi sözünün tutulmasını arzulamaktır. Yeryüzünde yüce olmak arzusu eğer Allah'ın emrine, haklarına ve rızasına uymazsa bu durumdaki kişi, yüceliği uğruna Allah'ı ilgilendiren şeylere bakmaz, hepsini heder eder.

İzzet-i nefisle, Allah'la izzet bulmak da böyledir. Allah'la izzet bulmak, hem emre hem de emredene saygıya götürür. İzzeti nefis ise kendini büyük görerek elde edemediği hazlarına karşı öfkelenmeye sürükler. Allah için hamiyyet, Allah'ın haklarına saygıdan ötürü kulun kalbinin yanmasıdır. Allah'ın sultanlık nuru, kalbini aydınlatan ve bu nurla kalbini dolduran kulun durumu budur. Kul öfkelendiği zaman ancak Allah tarafından kalbine atılan nurdan dolayı öfkelenir. Hadiste belirtildiğine göre: "Rasulullah öfkelenince yanakları kıpkırmızı olur; gözlerinde, öfkenin arttırdığı ter belirirdi. Allah adına intikam almadıkça öfkesini hiç birşey durduramazdı".[44] Zeyd b. Eslem de babası yoluyla Mûsâ

43. Müslim, Nevevi Şerhi, c. 17, s. 200; Ebû Davûd, Avn Şerhi c., 13, s. 238 ve İbni Mâce Ebû Hureyre'den (c. 2, s. 35) rivayet etmişlerdir. İbni Mâce'nin rivayetinde "kimse kimseye zulmetmesin" kısmı yoktur. Daha geniş bilgi için bk el-Ehâdîsü's-sahîha (570).

44. Buhârî, İlim (27); Müslim, Lukata (2) Tirmizî, Kader (1); Nesâî, Mesâcid (35); İbni Mâce, Mesâcid (10)

b. İmrân'dan şunu nakleder: "Rasulullah öfkelenince, sarığını ateş tutardı". Görülüyor ki bu, izzeti nefisten farklıdır. Nefisten çıkan hararet, nefsin hazzını elde edememesi yahut onu araması nedeniyle yükselen hararettir. Çünkü fitne nefistedir. Yani nefisteki alevlenmedir. Nefis, şehvet ve öfke ateşiyle tutuşur. Kısacası gerek Allah için gerekse nefis için alevlenme, uzuvlarda kendini gösterir. Mutmain nefisteki tutuşma belirtileri, Allah'ın haklarına saygı göstermektir. Emmâre nefis için tutuşmanın belirtileri ise hazzını elde edememesinden dolayı alevlenmektir.

FASIL

Cömertlikle israf arasındaki fark: Cömert kimse, hediyeyi yerli yerince dağıtan akıllı kimsedir. İsrafçı ise savurandır. İsrafçının tasarrufları, bazan yerini bulsa da çoğu kez yerini bulmaz. Bunun izahı şu: Yüce Allah hikmeti gereği malda bir takım vecîbeler koymuştur. Haklar iki kısımdır: Vazife hakları, fazilet hakları. Vazife haklarına zekât ve bakmakla yükümlü olduğu kişilere verilen üzerine farz olan nafakaları örnek olabilir.

Fazilet hakları ise misâfirin hakkı, aldığı hediyenin karşılığını vermemek ve ırzından emin olunmayan kişilere vb. karşı haklardır. Cömert kimse gönül rızasıyla, hoşnutluğuyla, dünyada bedelini, ahirette ise sevabını umarak malına düşen bu vecîbeleri yerine getirmeye çalışan kimsedir. Dağıtılan mal, kalbini zorlamadan, nefsindeki genişlikle, göğsünün açıklıkla gerekli yerleri bulur. İsrafçı ise böyle değildir. İsrafçı kimse, hevâsıyla, şehvetiyle, maslahatı gözetmeden, sınırsız olarak ölçüsüz bir şekilde malına el atar. Malı üzerindeki tasarrufu çok az yerini bulur. Cömert kimse, münbit araziye buğday tanesi atan; attığı tohumların verimli ve münbit yerler olmasına dikkat eden kimse gibidir. Bu haliyle o, israfçı ve sefih sayılmaz. İsrafçı ise elindeki tohumu çorak ve sert yerlere atan; uygun yerlere attığını da üst üste, dağınık bir şekilde saçan kimseye benzer. Çorak ve sert yerlere atılan tohum, zayi olur. Verimli yerlere atılan ise üst üste yığılmıştır. Üst üste atılan tohumların bazı ürünlerini, kalanlarını korumak ve yerin terbiye gücünü azaltmamak için kesmelidir. Yüce Allah, son derece cömert-

---

ve Ahmed, **Müsned**, 4/116 ve 1/207'de rivayet etmişlerdir. Ben derim ki: "Sözkonusu kaynaklarda bulunan hadislerde Rasûlullah'ın öfkelendiği, bir kısmı ise öfkesinden yüzünün kıpkırmızı olduğu belirtilmektedir. Daha başka rivayetlerde ise her iki yanağının kızardığı belirtilir. Bunları bir rivayette cemetmek mümkündür. Taberânî ve Ebû'ş-Şeyh İbni Mes'ûd ve Ümmü Seleme'den şöyle rivayet etmişlerdir: "Rasûlullah (SAV) öfkelenince her iki yanağı da kızarırdı." bkz. **Sahîhu'l-camî** (4636). "Öfkesinden iki gözü arasından çıkan ter belirdi" sözü ise, Hz. Ali'nin Rasûlullah'ı anlatırken kullandığı ifadedir. Tirmizî Şemâil'de rivayet etmiştir. Ayrıca Hafız Mizzî de **Tehzîbu'l-kemâl**'de (c. 1, s. 213-217)'de rivayet etmiştir. Ancak o hadisi zayıf sayar. Çünkü râvî Şuayb zayıftır.

tir. Yani Allah'ın cömertliği yanında, ûlvî ve süflî âlemde bulunan bütün cömertler, dünya denizinde bir damla kadardırlar. Ayrıca diğer cömertler de O'nun cömertliğinin eseridir. Bununla beraber Allah'ın takdiri, cömertliği dilediği kimseye iner ki bu, O'nun hikmetiyle çekişmez. Her ne kadar çoğu insan muttalî olamasa da Allah atiyyelerini gerekli yerlere verir. Şüphesiz Allah, fazlını kime vereceğini ve hangi mahallin buna layık olacağını en iyi bilendir.

FASIL

Korku ile kibir arasındaki fark: Korku, Allah'ın azametiyle, sevgisiyle, iclâliyle kalbin dolmasının belirtisidir. Bunlarla kalp dolunca içeri nur girer, kalbe sekînet iner. Heybet nidasını çıkarır. Yüzünü halavet ve korku sarar. Kalpte toplanan bu şeylerle sevgi ve korku oluşur. Dolayısıyla kalpler ona karşı süslenir, gözler ona yönelir, kalpler onunla ünsiyet kurar. Artık konuşması nur, girişi nur, çıkışı nur ve ameli nur olur. Susunca, vakâr onu yüceltir. Konuşunca da kalp ve kulaklar ona yönelir.

Kibir ise cehalet ve zulümle dolmuş; kalpte, kendini beğenmenin, âsiliğin görülmesidir. Kulluk, ondan ayrılır. Gadabı hak eder. İnsanlara hakir gözle bakar. Toplum içinde yalnız yürür. Onlarla olan ilişkisi, başkalarını kendisine tercih etmesi yerine kendini onlardan üstün görmek şeklindedir. Onda insaf yoktur. İçinde büyüklük duyar. Karşılaştığı kişiye ilk selam veren olmaz. Verilen selamı aldığında da karşısındaki şahsa çok in'amda bulunduğu inancındadır. Onlara yüzünü döndermez. Ahlakı, insanlara hoş gelmez. Kimsenin kendinde hakkı olduğunu bilmez. İnsanlar üzerinde hakları olduğu görüşündedir. İnsanların kendinden üstün olduğu görüşünde değildir. Kendinin onlardan üstün olduğuna inanır. Bu haliyle cimri, Allah'tan daha da uzaklaşır; insanlar karşısında küçülerek öfkelerini çeker.

FASIL

Korunma ile kibirlenme arasındaki fark: Kendini koruyan kimse, pahalı, bembeyaz yeni bir elbise giyen kimseye benzer. Bu kişi, elbisesiyle kralların sarayına ve daha başka yerlere gidebilir. Lekeden, tozdan, kirden ve beyazlığını temizliğini bozacak her türlü pisliklerden onu korur. İzzet sahibi kimselerin, elbiselerinin kirlenmemesine, leke ve pisliklerin üzerine bulaşmamasına oldukça itina gösterdiklerini görmek mümkündür. Elbisesine leke bulaşınca derhal onu temizleyip yok eder, leke izini kaybettirir. Kalbini ve dinini koruyan kimse de

aynen böyledir. Elbisesini, kir ve lekelerden koruduğu gibi kalbini de korur. Kalpte bulunan lekeler beyaz temiz elbisede bulunan çirkin lekelere nazaran daha çok olmasına karşın kalp lekeleri üzerinde örtü olduğundan farkedilmez. Kirli sandığı şeylerden kaçar. İnsanlardan korunur. Dericilerin, kasapların ve aşçıların elbiselerine bulaşan şeylerin kalbinde leke bırakmaması için insanlara karışmamaya çalışır.

Kendini büyük gören bundan biraz farklıdır. Sakınına ve uzak durma hususunda her ne kadar sıyane (korunma) sahibine benzese de bu, kibriyle insanların omuzlarına çıkıp onları ayakları altına almayı arzular. İşte sıyanet rengi, işte kibir rengi.

FASIL

Şecâatle cür'et arasındaki fark: Şecaat kalpten gelir. Korkulara karşı kalbin direnmesi ve istikrarıdır. Sabır ve güzel zanndan doğan bir huydur. Kişi ne zaman başarı zannına kapılır, sabır da ona destek olursa şecaat gerçekleşir. Nitekim korkaklık da kötü zanla sabırsızlıktan doğmakta zan, güzeli yakalayamadığın durumlarda sabır tarafından desteklenmektedir. Korkaklığın aslı, kötü zan ve nefsin kötülükle vesveseye düşmesidir. Korkaklığın kaynağı ciğerdir. Zan kötü olur, nefis de kötülükle vesveseye düşerse ciğer bozulur, kalp yerinde sıkışır, yerinden koparacak derecede kalbi sıkar. Ciğerin bozulması ve kalbin daraltması nedeniyle sıkıntı ve çarpıntılar başgösterir. Bu husus İmam Ahmed'in Amr b. Âs'tan rivayet ettiği şu hadiste belirtilmiştir: Rasulullah şöyle buyurur: "Kişide bulunan en kötü şey, boş yere korkmak ve hırslı cimriliktir".[45] Korkaklık, bu hadiste (hâlî) olarak belirtilmiştir. Çünkü büyünün bozulmasıyla kalp yerini terketmektedir. Nitekim Ebû Cehil, Utbe b. Rebîa'ya: "Sihrin bozuldu" demiştir. Kalp yerinde durmayınca aklın idaresi kalkar, azalarda bozulma başlar. Artık işler yerli yerince yapılmaz. Şecaat ise kalbin harareti, öfkesi, kıyamı, dikilmesi ve sebâtıdır. Azalar kalbin bu durumunu görünce ona yardım ederler. Çünkü azalar, kalbin hizmetçileridir. Kalp geri dönünce diğer ordular da yerlerini alır.

Cür'et ise dikkatsizce, işin sonunu düşünmeden ileri atılmaktır. Yahutta atılım yapılmaması gereken yerde, nefsin başına gelecek şeyleri düşünmeden ileri çıkmasıdır. Atılımı, ya faydasına ya da zararına olur.

---

45. Ahmed (c. 2, s. 302-320); Ebû Dâvûd, Avn şerhi (c. 7, s. 187) ve İbni Hibban, Mevârid şerhi, s. 207 de Ebû Hüreyre'den rivayet etmişler; Şeyh Elbânî de el-Ehâdîsü's-sahîha'da (560) hadisi sahih saymıştır. Amr b. Âs'tan gelen rivayeti kaynaklarda bulamadım. Allah iyisini bilir ya Amr b. Âs'tan rivayet edilmesi İbni Kayyım'ın yazım hatası olabilir.

FASIL

İhtiyatlı davranmakla korkaklık arasındaki fark: İhtiyatlı kişi, birşey üzerinde irâdesini, beceri ve aklını yoğunlaştıran, durumları teker teker ölçüp bu işlerden herbirine karşı uygun şeyler hazırlayan kimsedir. Hazm (ihtiyat) kelimesi, kuvvet ve toplamak manalarına gelir. Arap dilinde (hazmetü'l-hatab) denir. Yani odun toplamak. "Hâzimürrey" ise çeşitli görüşleri toplamış; bunlardan iki hayırdan en hayırlısını, iki şerliden de en şerlisini öğrenmiş; geri durulması gereken yerde de korkaklığından güçsüzlüğünden değil de aklı ve görüşü nedeniyle geri durmuş kimsedir. Şair de:

العاجز الرأى مضياع لفرصته متى إذا فات أمر عاتب القدرا

"Kararında yetersiz kişi, eline geçen fırsatı kaçırmıştır. Öyle ki yapamadığı bir iş olunca kaderden yakınır" demiştir.

FASIL

İktisat (tutumluluk) ile cimrilik arasındaki fark: İktisatlı olmak, iki huydan doğmuş güzel bir ahlâktır. Bunlar adâlet ve hikmettir. Adâletle harcama ve elinde tutma dengelenir. Hikmetle de bunlardan her biri layık olduğu yere konur. İki kötülenmiş uç arasından, iktisad doğar. Âyetlerde: "Ellerini boynuna bağlanmış yapma, tamamen de açma. Sonra kınanır, hasret içinde kalırsın",[46] "Ve harcadıkları zaman ne israf ederler ne de cimrilik yaparlar. Harcamaları bu ikisinin arasında dengeli olur"[47] ve: "Yiyiniz, içiniz; israf etmeyiniz"[48] buyurulmuştur.

Cimrilik ise güçsüz nefisle kötü zandan doğmuş kötü bir huydur. Kişi şeytanın va'dine kanarak hırs sahibi olur. Helû,' birşeye karşı şiddetli hırslı olmak, onun şerrine katlanmaktır. Malı bitirip tüketme korkusu, cimriliğe götürür. Nitekim Yüce Allah: "Doğrusu insan hırslı yaratılmıştır. Kendine kötülük dokununca sızlanır. Kendisine hayır dokununca da onu sıkı sıkı tutar"[49] buyurmuştur.

FASIL

Sakınmakla kötü zan arasındaki fark: Sakınan kimse, malı ve bineğiyle yolculuğa çıkmış; kendi gayretiyle yol eşkiyasından ve şerli bölgelerden sakınan

46. İsrâ sûresi, (17/29).
47. Furkân sûresi, (25/67).
48. A'râf sûresi, (7/31).
49. Me'âric sûresi, (70/19-20-21).

kimseye benzer. Ayrıca o, hazırlığını yapar, tedbirini alıp kötülükten kurtaracak sebeplere de sarılır. Sakınan kişi, silahını kuşanmış, karşılaşacağı düşmana karşı zırhını giyinmiş hazırlıklı kimsedir. Bu kişinin amacı, kurtulma sebeplerini hazırlamak, düşmanla harbe hazır bulunmaktır. Kötü zan onu meşgul ederse, ona karşı çeşitli hazırlıklar yapmaya başlar.

Kötü zan ise kalbinin, insanlara beslediği kötü zanlarla dolmasıdır. Öyle ki dili ve azaları kötü zanla dolup taşmaktadır. Sürekli insanlar hakkında gammazlık yapar, yüzlerine kusurlarını vurur, onlara ta'n eder, ayıp şeyler söyler ve öfkelenir. Bu, insanlara, insanlar ise buna öfkelenip dururlar. Birbirlerine lanet yağdırırlar. Birbirlerinden kaçışırlar. Sakınan kişi, aralarına karışsa da onlardan korunur. Kötü zanlı ise onlar uzak dursa da eziyetlerinden kurtulamaz. Sakınan kimse, onlara öğüt ve ihsanla yaklaşır. Kötü zanlı ise sahtekarlıkla, kinle ve öfkeyle onlardan uzak durur.

FASIL

Ferasetle zan arasındaki fark: Zanda hata da vardır isabet de. Zan, kalbin karartısıyla nuruyla, temizliğiyle kirliliğiyle olabilir. Bundan dolayı Yüce Allah, zannın çoğundan sakınmayı emrederek, bir kısım zannın günah olduğunu belirtmiştir.[50]

Ferasete gelince Yüce Allah, feraset sahiplerinden övgüyle şu şekilde bahsetmiştir: "Şüphesiz bunda, işaretten anlayanlara nice ibretler vardır".[51] İbn Abbas ve diğerleri: "İşaretten anlayanlar, feraset sahipleridir" demişlerdir. Diğer bir âyette: "Onları tanımayan, utangaçlıklarından dolayı onları zengin sanır. Onları sîmâlarından tanırsın"[52] buyrulmuştur. Bir başka âyette de: "Biz dileseydik, onları sana gösterirdik. Sen onları sîmâlarından tanırdın ve onları sözlerinin uslûbundan tanırsın"[53] buyurulmuştur. Feraset, kalbi doğrular. Temiz ve saf olur. Pisliklerden uzak bulunur. Allah'a yakın olur. Ferasetli kimse, Allah'ın kalbine attığı nurla bakar. Tirmîzî ve diğerlerinde Ebû Saîd'den şöyle bir hadis nakledilir; Rasulullah buyuruyor: "Mü'minin ferasetinden sakının. O, Allah'ın nuruyla bakar".[54] Bu feraset, Allah'a yakınlıktan kaynaklanmıştır. Kul Allah'a yaklaşın-

50. "Ey iman edenler, çoğu zandan sakının. Zira zannın bir kısmı günahtır" (Hucurât sûresi, 12) âyetine işaret etmektedir.
51. Hicr sûresi, (15/75).
52. Bakara sûresi, (2/273).
53. Muhammed sûresi, (47/30).
54. Hadis zayıftır. Tirmizî ve Buhârî, et-Tarîh'inde Ebû Saîd'den; Hakîm Semûye ve Taberânî Kebîr'de; İbni Adiy Kâmin'de Ebû Ümâme'den, İbni Cerîr ise İbni Ömer'den rivayet etmişlerdir. bkz. Zaîfü'l-camî (127).

ca hakkı anlayıp bilmesine mani olan kötü engeller ortadan kalkar, Allah'a yakınlığı ölçüsünde, Allah'a yakın bir fener ışığı, kula ulaşır. Yakınlığına göre bu ışık onu aydınlatır. Bu nurla, Allah'tan uzak kimsenin, mahcubun (nurdan yoksun olanın) göremediği şeyleri görür. es-Sahîh'te Ebû Hureyre'den naklen, Rasullah'ın Allah'tan rivayet ettiği kudsî bir hadiste Yüce Allah şöyle der: "Kulum bana, üzerine farz kıldığım ibadetlerle yaklaştığı gibi hiçbir şeyle yaklaşamaz. Kulum bana, nafile ibadetlerle yaklaştıkça da onu severim. Kulumu sevince, duyduğu kulağı, gördüğü gözü, tuttuğu eli ve yürüdüğü ayağı olurum. Böylece o, benimle duyar, benimle görür, benimle tutar ve benimle yürür".[55] Yüce Allah bu kudsî hadiste, kendisine yaklaşan kuluna olan sevgisinin faydalı olacağını belirtmiştir. Allah kulunu sevince kulağına, gözüne, eline ve ayaklarına yaklaşır. Artık gözü Allah'la görür. Kulağı O'nunla duyar. O'nunla tutar. O'nunla yürür. Kalbi, eşyaların gerçeklerinin belirdiği saf ayna gibi olur. Ferasetinde oldukça az yanılır. Çünkü kul, Allah'la varlığa bakınca onu, olduğu gibi görür. Allah'la işitince onu olduğu gibi işitir. Ancak bu, gayb bilgisinden sayılamaz. Yüce Allah'ın, hakikatlerin sûretlerini görmeye mani olan vesvese, hayal ve bâtıl izlerden uzak, nurla kaplı, kendine yakın kulunun kalbine attığı hak ile hakikatların sûretlerini görür ve bilir. Nur kalpte çoğalınca derhal kalpten uzuvlara, göze geçer; nur ölçüsünde görme gözüyle hakikatları olduğu gibi keşfeder. Rasulullah namaz kılarken sair zamanda önünde bulunan ashabını gördüğü gibi [56] arkasında namaz kılanları da görürdü. Mekke'de iken gözü ile Beyt-i Makdis'i görmüştür.[57] Şam saraylarını, San'a kapılarını ve Kisrâ'nın şehirlerini, hendek kazarken Medine'de görmüştür.[58] Medine'de iken Mûte'de yaralanmış komutanları görmüş; yine Medine'de iken[59] Necâşî'nin ölüsünü görmüş, Musal-

55. Hadis sahihtir. Yukarıda geçti.

56. Hadisin metni şöyledir: "Saflarınızı düzgün yapın. Arkamda sizi görüyorum." Buharî, Ezan (71) ve İman'da (3); Nesâî, Tatbîk'te (60); Mâlik, el-Muvatta, Seferde (70) ve Ahmed Müsned (3/2)de rivayet etmişlerdir.

57. Buharî (c. 5, s. 224), Müslim, Nevevî şerhî (c. 2, s. 227), Tirmizî, Tuhfe şerhi (c. 8, s. 566), Nesâî ve Ahmed rivayet etmişlerdir. bkz. Sahîhu'l-camî (5091). Bütün rivayetler Cabir b. Abdillah'tan şu şekilde gelmiştir: "Kureyş beni yalanlayınca bir kenara çekildim. Bu esnada Allah Beyt-i Makdis-i bana gösterdi. Ona baka baka, özelliklerini Kureyşe anlatmaya başladım" Bu anlatım Buhârî'nin anlatımıdır.

58. Hâfız İbni Hacer el-Feth, c. 7, s. 397'de der ki: "Ahmed ve Nesâî'nin rivayetlerinde -bu rivayet el-Kübrâ'da olabilir. Hendek günü Rasûlullah'ın büyük kayaya balyoz vurma kıssasına Berâ hadisinden hasen olarak gelen bir ziyade vardır." İbni Kesir hem bu fazlalığı hem de İbni Kayyım'ın burada belirtiklerini elc alır. Hadisi Nevevî rivayet etmiştir. bkz. er-Ravzu'l-Ünüf, c. 6, s. 309; İbni Ishak münkatı senedle Selman'dan, bkz. es-Siret, c. 2, s. 130; Beyhakî ve başkaları da rivayet etmişlerdir. Sözkonusu kıssanın değişik rivayetleri için bkz. es-Bidaye, İbni Kesîr, c. 4, s. 102. Bu rivayetler en azından hasen derecesindedir. İbni Kesîr der ki: "Sözkonusu bütün rivayetler hadisi sahih derecesine çıkarmadığında hadisin durumu budur". Allah (cc) en iyisini bilir.

59. Enes'ten gelen rivayette: "Rasûlullah henüz ölüm haberleri ulaşmadan Zeyd, Ca'fer ve İbni Ravâha'nın öldüğünü insanlara anlatırken "sancağı Zeyd aldı, şehid oldu. Sonra Ca'fer aldı o da şehid oldu. Sonra İbni Ravâha aldı o da şehid oldu bu esnada gözlerinden yaş akıyordu. Sonra sancağı Allah'ın kılıçlarından bir kılıç -yani Halid b. Velid- alınca Allah onlara fethi müyesser kıldı" buyurdu. Bu rivayet Buhârî'nindir. Ben derim ki: "Ahmed ve Nesâî'de rivayet etmiştir. bkz. Sahîhu'l-camî, (221).

lâ'ya giderek gıyabında cenaze namazı kılmıştır.[60] Hz. Ömer, İran'ın Nihavend bölgesinde düşmanlarla savaşan İslâm askerlerini ve askerlerden Sâriye'yi görmüş, O'na: "Sâriye! Dağa, dağa"[61] diye nidâ etmiştir. Yine Hz. Ömer'in huzuruna içlerinde Eşter en-Nehaî'nin de bulunduğu Mezheç[62] kabilesine mensup bir grup insan girmiş Hz. Ömer başını kaldırarak Eşter'i görmüş ve onlara: "Bu adam kim?" diye sormuştur. Onlar da: "Malik b. Hâris" karşılığını verince Hz. Ömer: "Ne oluyor ona. Aşkolsun ona. Bugün müslümanların korkunç bir gün yaşadıklarını görüyorum" demiştir.[63]

Amr b. Ubeyd, Hasan'ın yanına varır. Hasan ona işaret ederek: "Eğer başına birşey gelmediyse bu gençlerin efendisidir" demiştir. Anlatıldığına göre Şafî ile Muhammed b. Hasen Mescidi Haram'da otururlarken Mescide bir adam girer. Muhammed b. Hasen: "Tahminime göre bu, marangozdur" der. Adama mesleğini sorarlar. Adam şu karşılığı verir: "Önce demirci idim, şimdi ise marangozlukla uğraşıyorum".

Ebü'l-Hasen el-Bûşencî ile demirci Hasen Ebü'l-Kâsım el-Münâvî'nin ziyaretine giderler. Hediye olarak da yoldan yarım dirhem karşılığında veresiye[64] elma satın alırlar. Evine girer girmez Ebü'l-Kâsım: "Bu zûlmet nedir?" der. Hemen çıkarlar ve: "Niçin böyle dedi anlamıyoruz. Belki elmanın parasıyla ilgili olabilir" derler, borçlarını elmacıya verip geri dönerler. Ebü'l-Kâsım onlara şöyle bir bakar ve: "İnsanın, zulmetten bu kadar kısa zamanda çıkması mümkün mü? Başınıza geleni anlatın?" der. Onlar da olayı anlatınca: "Evet, ikiniz de elmanın parasını vermek için birbirinize bakıyordunuz. Satıcı da parasını istemekten utandı" der.

---

60. Necâşî, Habeşistan kıralıdır. Önceleri hristiyan idi. Rasûlullah, Kurey'şin eziyet ettiği insanları gönderdiği ilk Habeşistan hicretinde, ashabın okuduğu Kur'ân'ı duyunca Necâşî müslüman olmuştur. Ben derim ki: "Rasûlullah'ın musallaya gidip Necâşî'nin cenaze namazını kılması, Ebû Hureyre'den gelen birçok rivayetlerde sabittir. Kütüb-ü Sitte sahipleri, Ahmed, Beyhakî ve Teyâlisî rivayet etmişlerdir. Şeyh Elbânî bu rivayetleri toplayıp tek rivayet haline getirmiş. Daha sonra da Ebû Hureyre'nin dışından gelen rivayetleri de incelemiştir. bkz. **Ahkamü'l-cenâiz**, s. 89-91. Ancak ne bu rivayette ne de öncekilerde Rasûlullah'ın Necâşî'yi gördüğü belirtilmemiştir. Ölüm haberini bilmek için görmek, güya şart değildir. Vahiyle de bilinebilir. Allâh (cc) en iyisini bilir.

61. Bu kıssa birçok şekillerde rivayet edilmiştir. Sahih olan rivayete göre: "Hz. Ömer hutbe okurken bir ara üç defa: "Seriyye, dağ tarafına" diye nida etmiştir. Rasûlullah cihaddan dönünce Hz. Ömer'in yanına gelir, o gün Hz. Ömer'in nidasını duyduklarını haber verir. Ayrıca Hz. Ömer'e uyarak dağa çekilerek zafer kazandıklarını belirtir. Hz. Ömer'e denir ki: "Seriyye dağ tarafına" diye bağıran sen miydin? Bu manada gelen hadis sahihtir. İbni Kesîr, **el-Bidâye** de (c.7, s. 131): "İsnad, hasen ve ceyyiddir" demektedir? Şeyh Elbânî ise **el-Ehâdîsü'ş-sahîha**'da (1110) hadisin mevkûf olduğunu söyler. Hz. Ömer'in orduyu görmüş olduğu hususu kaynaklarda belirtilmemiştir. Bu olayın keşifle olduğunu iddia eden tasavvufçuların görüşü böylece boşa çıkmaktadır. Reşid Rıza, **el-Fetâvâ**'sında buna benzer görüşler açıklamıştır.

62. Mezheç, bir kabile ismidir.

63. Ben derim ki: Eğer bu kıssa Hz. Ömer'den sahih olarak gelmişse doğru olup olmadığı için bkz. **el-Avasım mine'l-kavâsım**, s. 116-119).

64. Nesie: Sonradan ödenecek borç.

Ebû Zekeriyya en-Nahaşî henüz tevbe etmeden, bir kadınla aralarında mesele vardı. Bir gün Ebû Osman el-Hirî'nin başına dikildi, kadını düşünüyordu. Ebû Osman başını kaldırdı ve: "Utanmıyor musun?" dedi. Oldukça ferasetli Şah Kirmânî diyor ki: "Kim gözünü haramlara bakmaktan alıkor; nefsini şehvetlerinden korur; sürekli murâkebe ile içini, sünnete uyarak dışını tamir eder ve helal rızık yemeğe gayret gösterirse, ferasetinde isabetli olur".

Cüneyd'in dostlarından bir genç, anılardan konuşurken Cüneyd gence; "Hakkında bana anlatılan şey nedir biliyor musun? Şu anda aklımda bir hatıran var" der. Genç de: "Onu biliyorum" der. O zaman genç: "Bildiğin şey şudur o halde" der. Cüneyd: "Hayır, o değil" diyerek gencin anlattığı hatıra olmadığını söyler. Genç: "İkinci birşey aklından geçir" der. Cüneyd: "Tamam geçirdim" der. Genç: "Şunu şunu düşünüyordun" deyince Cüneyd: "Hayır, onu düşünmüyordum" karşılığını verir. Genç der ki: "Üçüncü bir şey daha düşün, bunu bileceğim" der. Cüneyd de: "Tamam, düşündüm" deyince genç: "O düşündüğün şey şudur" diye anlatır. Cüneyd buna da "Hayır" deyince genç: "Bu tuhaf birşey. Sen doğru bir kimsesin. Ben kalbimi biliyorum" der. Bunun üzerine Cüneyd: "Birincisinde de, ikincisinde de, üçüncüsünde de doğruyu bildin. Ama ben, kalbinde değişme olacak mı diye seni sınamak istedim" der.[65]

Ebû Saîd el-Harrâz anlatıyor: "Mescid-i Haram'a girdim. Arkamdan da üzerinde iki hırka bulunan bir adam girdi. O, birşeyler istiyordu. Kendi kendime: "Bunun gibileri insanları usandırıyor" dedim. Adam bana baktı ve şu âyeti okudu: "Biliniz ki Allah, içinizde olanı bilir. O'ndan sakının".[66] Âyeti duyunca içimden tevbe getirdim. Adam bana yöneldi ve derhal şu âyeti okudu: "O Allah ki, kullarının tevbesini kabul eder".[67]

İbrahim b. Havvâs anlatıyor: "Toplanma yerinde iken üzerinden güzel koku yayılan, güzel yüzlü ve saygılı bir genç içeri girdi. Yanımda bulunanlara: "Bu genç, yahudî olmalı" dedim. Tabii arkadaşlar bu sözümü yadırgadılar. Toplantı yerinden önce ben çıktım, arkamdan da o genç çıktı. Sonra içeri girer, bizim arkadaşlara sorar: "Şu yaşlı benim hakkımda ne söyledi?" Bunun üzerine utançlarından bir şey diyemezler. Genç ısrar edince: "Senin yahûdi olduğunu söyledi" derler. Hemen yanıma geldi, ellerime kapandı ve müslüman oldu. Gence dedim ki: "Müslüman olmanın sebebi nedir?" Genç: "Bizim kitabımızda sıddîkların fe-

65. Bu kıssa tuhaftır. İki münker husus var. Birincisi, gencin kalbten geçen şeyleri bildiğini iddia etmesi. Oysa ki kalbten geçenleri ancak Allah bilir, ferasetle bilinmez. İkincisi ise Cüneyd'e yalan söylemeyi mübah kılacak neden nedir? Kıssanın devamının doğruluğunu Allah bilir. Müellifimiz İbni Kayyım daha önce rüyalarla delil getirdiği gibi burada da hataya düşmüştür. Hatadan uzak olan Allah'ı bütün noksanlıklardan tenzih ederim.

66. Bakara sûresi, (2/238).

67. Şûrâ sûresi, (42/25).

rasetinde kusur olmayacağı yazılıdır" karşılığını verdi. Dedim ki: "Müslümanları bir dene". Genç, onların halini düşündüğünü söyler. Dedim ki: "Eğer aralarında özellikle şu grubun içerisinde sıddîk birisi varsa ben de size katılırım". Bu yaşlı zat, beni anlayıp ferasetiyle beni bilince, sıddîk olduğuna kâni oldum.

İşte Osman b. Affan! Hz. Osman'ın yanına gelirken yolda bir kadın görmüş onun güzelliklerini düşünmüş bir sahâbe huzura girer. Hz. Osman ona der ki: "Gözlerinde zina belirtisi olan sizden bir zat yanıma geldi". Bunu duyan sahâbe: "Rasulullah'tan sonra vahiy mi?" diyerek Hz. Osman'ın haline muttalî olmasına şaşırır. O sahâbeye Hz. Osman: "Hayır. Bu, basîret, burhan ve doğru ferasetle bilinir" karşılığını verir.

İşte feraset budur. O, Allah'ın kalbe attığı bir nurdur. Bu sayede bir şey, nasıl ise o şekilde hatıra gelir. Feraset göze geçerek başkasının göremeyeceği şeyleri görür.

FASIL

Nasîhatle gıybet arasındaki fark: Nasîhat, müslüman bir kimseyi bid'at, fitne ve karışıklıklardan korumayı amaçlar. Konuşmalarında, muâmele ve ilişkilerinde sana danışırsa ona bildiğin şeyleri söylemen nasîhattir. Kendisine dünürcü gelen Muaviye ve Ebû Cehm hakkında Rasûlullah'la müşâvere yapan Fâtıma binti Kays'a Rasûllullah: "Muaviye'ye gelince o seni doyuramaz. Ebû Cehm'in de omuzundan deynek düşmez"[68] demiştir. Bir sahâbe Rasûlullah'la sefere çıkan ashab'tan birine: "Kavminin yurdlarından uzaklaşınca, onu koru" demiştir.

Gıybet; Allah, Rasûlü ve müslüman kulları için nasîhat edâsıyla yapılırsa her çeşit güzellikleriyle Allah'a yaklaştıran şey olur. Yok eğer kardeşini kötülemek kişiliğini bozmak, etiyle eğlenmek ve insanların gözünden düşürmek için onu ayıplamak şeklinde olursa bu, müşkil bir dert olur. Ateşin odunu yediği gibi güzel amelleri yiyen ateş olur.

FASIL

Hediye ile rüşvet arasındaki fark: Yapı itibariyle her ne kadar birbirine benzese de amaç, bunda güdülen gayedir. Rüşvetçinin amacı, bir hakkı düşürmeye

68. Müslim, Nevevî şerhi, c. 10, s. 97; Ebû Dâvûd, Avn şerhi, c. 6, s. 379 ve Tirmizî, Tuhfe şerhi, c. 4, s. 217 de rivayet etmişlerdir. Nesâî (c. 6, s. 75), Malik, Tennuru'l-Havâlik, c. 2, s. 99 ve Ahmed birçok yerde (c. 6, s. 411-416) hadisi sahih sayarlar.

ya da bir bâtılı hak hale getirmeye yeltenmektir. Rüşvetçi kimse, Rasûlullah'ın lisanıyla lanetlenen kimsedir.[69] Ancak maruz kaldığ zulümden kurtulmak için rüşvet verirse bu durumda lanet, sadece rüşveti alana olur.

FASIL

Sabırla katılık arasındaki fark: Sabır, kulun sonradan kazandığı bir huydur. Korku, hırs ve şikayetlenmeye karşı nefsi hapsetmektir. Nefis öfkelenmekten, dil şikayetlenmekten uzuvlar ise yapılması gerekmeyen şeyleri yapmaktan engellenir. Sabır, kader ve dinle ilgili hükümlerde kalbin sebat etmesidir.

Katılık ise etkilenme karşısında kalpte bulunan kuruluk, musîbetlerin tesirinden koruyan katılıktır. Hiç şüphesiz kişinin, musibetlerden etkilenmemesi katılık ve sertliğindendir; sabır ve tahammülünden değildir.

Üç çeşit kalp vardır. Birincisi katı kalp. Kuru ve el kadar serttir. İkincisi maî (sıvı) kalp. İnce kalptir. Birinci kalp taş gibi olduğundan etkilenmez. İkincisi ise suya benzer. Her ikisi de kusurludur. En makbul kalp ince, saf ve sert kalptir. Saflığı ile bâtıldan hakkı ayırır; hakkın tesirinde kalır; inceliği ile hakkın peşinden akarak hakkı korur.[70] Sertliği ile de düşmanıyla harbeder. Bir hadiste: "Kalpler, Allah'ın yeryüzünde kaplarıdır. Allah'a karşı en sevimli kalp en ince, en sert ve en saf olan kalptir" denmiştir. Her üç özellik camda bulunduğundan en güzel kalp, camcının kalbidir. Allah katında en kötü kalp ise katı kalptir. Yüce Allah bazı âyetlerde: "Allah'ı anmaya karşı yürekleri katılaşmış olanlara yazıklar olsun",[71] "Sonra bunun ardından kalpleriniz yine katılaştı. Şimdi onlar taş gibi hatta daha da katıdır"[72] ve: "Şeytanın attığını, kalplerinde hastalık olanlar ve kalpleri katılaşanlar için bir imtihan yapsın (diye Allah böyle yapar)[73] buyurmuştur. Yüce Allah âyette, dengesini kaybetmiş iki kalpten bahsetmiştir. Biri hastalığından, diğeri ise katılığından. Şeytanın attığını da dengesini kaybeden bu iki kalp için imtihan yaparken şeytanın attığı ile meleğin attığını birbirinden

69. Rüşvet verenin de alanın da lanetlenmesi hadisi sahihtir. Ebû Dâvûd, Avn şerhi, c. 9, s. 495'te; Tirmizî ise Tuhfe şerhi, c. 4, s. 567'de rivayet ettikten sonra der ki: "Bu hadis, hasendir, sahihtir." İbni Mâce, c. 2, s. 775'te; Ahmed, c. 2, s. 164, 190, 194, 212'de Abdullah b. Amr'dan; Tirmizî, Tuhfe şerhi, c. 4, s. 565'te; İbni Hibbân Mevârid şerhi, s. 290'da; yine Ahmed, c. 2, s. 387-388'de (**Gayetü'l merâm**'da bildirildiğine göre Hakim (c. 4, s. 103) Ebû Hureyre'den rivayet etmişlerdir. Yine Ahmed Sevbân hadisini rivayet eder, c. 5, s. 279; İbni Raslân ise Ebû Hureyre hadisini Ceyyid hadis sayar. İbni Amr hadisini bunlardan başka Taberânî ve Dârakutnî de rivayet etmiştir. Avn şerhi, c. 9, s. 496. Şeyh Elbânî de **Gayetü'l-merâm**'da (263) hadisi hasen sayar.

70. Yani hakkı tercih ederek kabul eder.

71. Zümer sûresi, (39/22).

72. Bakara sûresi, (2/74).

73. Hac sûresi, (22/53).

ayırabilecek saflıkta olan kalp sahiplerine ise bunu rahmet kılmıştır. Rahmeti hak eden kalp, tevazûu ile hakkı kabul eder; sertliği ile de şaşkın nefislerle harbeder. Yüce Allah bunun sonunda: "Ve kendilerine ilim verilmiş olanlar da O Kur'ân'ın Rabb'inden gelen gerçek olduğunu bilsinler de ona inansınlar. Şüphesiz Allah, inananları mutlaka doğru yola götürür"[74] buyurmuştur.

FASIL

Af ile zillet arasındaki fark: Afv, cömertlik, kerem ve ihsanla intikam almaya gücün yettiği halde hakkından vazgeçmendir. İntikam hissinden vazgeçmek kişiyi ihsana ve güzel ahlaka götürür. Zillet ise böyle değildir. Çünkü zelil kimse, acizliğinden, korkusundan ve nefsinin rezaletinden dolayı intikam almaktan vazgeçer. Zillet, güzel bir huy değildir. Hak ile intikam alan kimsenin durumu, zelil kimseninkinden daha iyi olmalıdır. Bu hususta Yüce Allah: "Bir zulüm ya da saldırıya uğradıkları zaman kendilerini savunurlar"[75] buyurmuştur.

Yüce Allah, bu âyette kendilerini savunmak için yardımlaşan mü'minlerin gücünden övgüyle bahsetmiştir. Öyle ki kendilerine haksızlık edenlerin üstesinden gelip mallarını aldıklarında, düşmanlarını affedip bağışlamaya onları teşvik etmiştir. Âyette bu, şöyle açıklanır: "Kötülüğün cezâsı yine onun gibi bir kötülüktür. Kim affeder, bağışlarsa onun mükafâtı Allah'a aittir. Doğrusu O, zalimleri sevmez".[76] Bu âyette üç durum vardır: Adâletli olmak. Allahû Teâlâ bunu mübah kılmıştır. Faziletli davranmak. Buna da teşvik etmiştir. Haksızlığa karşı haksızlık yapmak ki bunu ise yasaklamıştır.

Haksızlık yapana karşı yardımlaşmakla onları affetmek birbirine zıt şeyler olduğu halde Allah onları nasıl medhedebilir? denirse, deriz ki: "Allah, intikam almalarını, onlara ağır basmalarını övmemektedir ki. Övdüğü şey, haklarını almada güç ve kuvvette yardımlaşmalarıdır. Haksızlık yapanlara güç getirecek ölçüye gelince onları afva teşvik etmiştir. Seleften biri âyetin yorumunda der ki: "Mü'minler zillete düşmeyi sevmez. Düşmanlarından daha ağır bastıklarında onları afvederler. Allah'ın mü'minleri övmesi, güç olduktan sonra afvetmeleridir. Yoksa acizliklerinden, güçsüzlükten dolayı affetmeleri değildir. Mü'minlerdeki bu durumu, Yüce Allah, kendisini medhederken de kullanmıştır. Meselâ: "Allah, afvedicidir, kudret sahibidir"[77] ve: "Allah, bağışlayan ve acıyandır"[78] âyetini buna misal

74. Hac sûresi, (22/54).
75. Şûrâ sûresi, (42/39).
76. Şûrâ sûresi, (42/40).
77. Nisâ sûresi, (4/99).
78. Bakara sûresi, (2/218).

gösterilebilir. Bilinen bir eserde de: "Arşı taşıyanlar dörttür. Bunlardan ikisi şöyle der: "Rabbimiz. Seni tenzih ederiz. İlminden sonra hilminden dolayı Sana çokca hamd ederiz". Diğer ikisi ise: "Ey Rabbimiz, Seni tenzîh eder. Kudretinden sonra afvından dolayı Sana çokca hamd ederiz" derler. Yine bu nedenle Hz. İsâ da şöyle demişti: "Eğer onlara azap edersen onlar, Senin kullarındır. Yok eğer onları bağışlarsan şüphesiz Sen, aziz ve hikmet sâhibisin".[79] Yani onları afvetmen izzetinden, kudretinin kemâlinden; hikmetinden ve ilminin kemâlindendir. Onların bildiklerini bildikten sonra afvettin ve kudretin onları kuşattı. Zirâ kul, bazan intikam alamadığı için ve suçlunun kalbinden geçeni bilemediği için afveder. Kulun afvetmesinin dışı, zulüm ve zillettir; içi ise izzet ve korkaklıktır. Aldığı intikamın dışı izzet iken içi zillettir. Allah, afveden kimsenin izzetini artırır. Kendi nefsi adına intikam alanın ise zilletini artırır. İntikam almak, afvetme izzetinden mahrum kılar. Bu nedenle Rasûlullah, nefsi adına hiç intikam almamıştır.[80] Allah'ın şu âyetini bir düşün: "Onlar, birbirlerine yardım ederek kendilerini savunurlar".[81] Bu âyetten, onların öyle güçleri vardır ki kendilerini savunamazlar ve düşmanları böylece onlara galip gelir manası nasıl anlaşılabilir. Adâletli bir şekilde yardımlaşmak, çoğu kez savunmada yetersiz kalıyorsa bu durumda Yüce Allah'ın emrini geçmeksizin tam karşılığını vermek gerekmektedir. Haksızlığa fazlasıyla karşılık vermek yasaklanmış ayrıca afvetmek de teşvik edilmiştir.

Kısacası afvetmek, mutmain nefsin huylarındandır. Zillet ise emmâre nefsin huylarındandır. Meselenin özü şudur: İntikam almakla yardımlaşmak ayrı ayrı şeylerdir. Yardımlaşmak, Allah'ın hakkı ve Allah için olur. Hevâsının tutsaklığından, hazzının zilletinden kurtulamayan kimse yardımlaşmada bulunamaz. Çünkü yardımlaşmakta, Allah'ın mü'min kullarına verdiği izzetin tadına varmak vardır. İzzet sahibi kişiye haksızlık yapılınca Allah'ın kendisine verdiği ve başkasına vermediği izzetten dolayı haksıza karşı savunur. Allah'ın izzetlendiği kişi, haksızlık ve baskı göremez. Aziz ve övgüye layık olan Allah'ın kuluna, zillet yakışmaz. İzzet sahibi mü'min, kendisine haksızlık yapana der ki: "Ben, kulunu zillete düşürmeyen ve kimsenin onu zillete düşürmesine müsâade etmeyen bir zâtın kuluyum". Bu kimsenin nefsi, emmâre olsaydı tepesine çıkar, intikam almaktan ve haksızlık yapan kimseye karşı koyup onu zelîl yapmaktan başka hiçbirşey düşünmezdi. Ama hevâsının tutsaklığından, hazzının verdiği zilletten kurtulmayı başaran nefis, tek olan Allah'ın izzetine dayanırdı. Haksızlığa uğrayınca da izzetiyle ve Allah'ın kendine olan yardımıyla savunmaya başlardı. Yani bir kimse

79. Mâide sûresi, (5/118).
80. Buhârî, c. 4, s. 166-167, c. 7, s. 101 ve c. 8, s. 16'da; Müslim, Nevevî şerhi, c. 15, s. 83'te; Ebû Dâvûd, Avn şerhi, c. 13, s. 142'de; İmam Mâlik, Tennuru'l-Havalik şerhi, c. 3, s. 95'te, İmam Ahmed ise birçok yerlerde (Meselâ, c. 6, s. 32, 114, 116'da) rivayet etmişlerdir. Hadislerin tamamı Ebû Hurcyre'den gelmiştir.
81. Şûrâ sûresi, (42/39).

gerçekte Rabb'i ve Mevlâsı için izzetini korumaktadır. Bununla ilgili toprağa bağlı iki ziraatçi köleden misal verirler. Anlatıldığına göre bu kölelerden biri, diğerini döver. Dayak yiyen köle, efendisi adına diğer köleye öğüt verir. Efendisinin, dayak atan köleyi cezâlandırmasını istemez. Daha doğrusu, kendisinin yediği dayağa karşı o kölenin efendisi tarafından cezâlandırılıp döverek huzurunun kaçırılmasını arzulamaz. Afvetme olgunluğu ile derecesini artırır. Diğer köle ise efendisinin yanına gelir. Efendisi, ona güzel ve temiz elbiseler giydirir. Onu süsler. Kölenin üzerindeki güzel elbiseleri gören bir hayvan bakıcısı (seyis), kalbinin darlığından elbisesine pislik sürer ya da bulaştırır. Şimdi bu köle, üzerine pislik bulaştıran bu adamı afvetse, efendisi onun bu bağışını hoş karşılamaz. Öyleyse seyise karşı yardımlaşmak, efendisinin rızasını alınak gerekir. Köle kendi kendine: "O bunu bana, efendimi küçük gördüğünden ve bana cüret ettiğinden dolayı yaptı" der. Eğer onu cezâlandırabilirse rezil ve kahretmiş olur. Onu eline alarak zillete düşürür, kalbini kırar. Çünkü efendisi, onu hiç cezâlandırmayı arzulamaz, ondan efendisinin hakkını alınak ister. Bu durumda kölenin savunması, kendi adına değil de sadece efendisinin hakkı adına olınuş olur.

Buna benzer bir olay da Hz. Ali'den nakledilir. Rivayete göre o, yolda giderken biri: "Şu adam hakkımı engelliyor. Onu bana vermiyor" diyerek ondan yardım ister. Hz. Ali, hakkını vermeyen adama: "Haydi, hakkını ver" der. Hz. Ali biraz uzaklaşınca haksızlık yapan kişi, adamın üzerine atılır ve hak sahibini tokatlar. Hak sahibi, çığlık atarak Hz. Ali'den yardım diler. Hz. Ali hemen geri döner: "İşte yardım geldi. O seni nasıl tokatladı ise sen de onu öyle tokatla" der. Hak sahibi: "Tamam ey mü'minlerin emiri, ben onu bağışlıyorum" der. Bunun üzerine Hz. Ali haksızlık yapana dokuz kırbaç vurdurur ve: "Tokatladığın kişi, hakkından vazgeçti. Bu kırbaçlar ise sultanın hakkıdır" der. Demek ki Hz. Ali'nin haksızlık yapan adamı cezâlandırması, Allah'ın sultanına karşı gelınesindendir.

Buna benzer bir olay da şu: Adamın biri Ebû Bekir'e gelerek: "Beni taşı. Allah'a yemin olsun ki ben hem senden hem de oğlundan daha ferasetliyim". Orada bulunan Muğire b. Şu'be elbesisenin kollarını dirseklerine kadar toplar, adamın burnuna yumruk atar. Burnundan kanlar akar. Bu adamın kabilesi daha sonra Hz. Ebu Bekir'e gelerek: "Muğire'den hakkımızı al" derler. Ebû Bekir onlara: "Allah'ın koyduğu yasakların çiğnenilmemesi için çalışanlardan mı hakkınızı alacağım. Hayır, ona birşey yapamam" karşılığını verir. Hz. Ebû Bekir bu davranışını, Muğire'yi desteklemek, Allah'ın ve Al-lah Rasûlüne bağlı halifenin izzetini korumak şeklinde yorumlamış; bu sayede güzel halifeliği ve dini uygulamak mümkün olınuştur. İşte Muğire'yi cezâlandırmaması, Allah ve kendisiyle Rasûlünü, dinini ve halifesini şereflendirdiği hakimiyyetini, Muğire'nin savunmasına bağlıdır. Görülüyor ki bunun mahiyeti başka emmâre nefsin izzeti için dövmenin mahiyeti başkadır.

FASIL

Kalp selameti ile ahmaklık ve duyarsızlık arasındaki fark: Kalp selameti, kötülüğü tanıdıktan sonra onu istememekle mümkündür. Yani kalbin selameti, kötülüğü bilip tanımak değil de onu yapmamak istememektir. Ahmaklık ve duyarsızlık ise böyle değildir. Çünkü bunlar cehalet ya da az bilginin sonuçlarıdır. Dolayısıyla bunlar kusurdurlar, övgüye layık görülmezler. İnsanların övdüğü kişi, cehaletten uzak olan kişilerdir. Kalbin olgunlaşması ise kişinin, her çeşit şerri bilmesi ve artmasından emin olmasıdır. Hz. Ömer der ki: "Ben başkalarını aldatan kimse değilim. Dolayısıyla beni hiçbir düzenbaz aldatamaz". Hz. Ömer, aldatılmayacak ölçüde akıllı, başkalarını adlatmayacak ölçüde de takvâ sahibidir. Yüce Allah: "O gün Allah'a temiz kalp getirenden başka ne mal ne de oğullar fayda verir" buyurmuştur.[82] Âyette geçen temiz kalp, kalpleri bozan âfetlerden, zanna uymayı zorunlu kılacak şüphe hastalığından ve nefislerin hevâsına uymayı zorunlu kılacak şehvet hastalığından emin olan kalptir. Yani selim kalp her çeşit hastalıklardan emindir.

FASIL

Güven ile gurur arasındaki fark: Güven, kalbi sakin kılan emâre ve delillere dayanmaktır. Emâreler ne ölçüde güçlü ise güven de o ölçüde güçlü ve sağlamdır. Özellikle tecrübe ve doğru ferasetle desteklenirse daha da güçlüdür. Allah en iyisini bilir ya güvenmek, bağ manasına gelen vesâktan gelmiştir. Kalp, güvendiği bir kimseye tevekkül ederek güzel zan besleyerek bağlanırsa onun sevgisi, muâmelesi yolunda olur; ona istinad ederek ona dayanır. Bu bağlanış, kalp, ruh ve bedenle birlikte olur. Kalp Allah'a varır, O'na olan sevgisini sürekli yaparsa kulluk bağı onu Allah'a bağlamış olur; artık o hiçbir felaketten korkmaz; tek sığınağı O olur. Felaket anında şiddeti, azığı ve hazırlığı ona karşı olur; musibet anların da O'na sığınır. İhtiyaçlarını ise O'ndan ister.

Gururlu kimse ise nefsi, şeytanı, hevâsı, Rabbini yalanlayan; emeli ile gururlanan, nefsine uyarak Allah'tan eman dileyen kimsedir. Gurur, güvenilmeyecek şeye güvenmek, huzur bulunamayacak yerden huzur aramak ve fayda gelmeyecek yerden gördüğü serabı, su zannedip peşine koşan kimse gibi fayda ummaktır. Bu hususta Yüce Allah: "Küfredenlerin amelleri, düz arazideki serap gibidir. Susayan onu su sanır, fakat yanına gelince hiçbir şey olmadığını anlar ve yanında Allah'ı bulur. Allah, onun hesabını görür. O, hesabı çabuk

82. Şu'arâ sûresi, (26/88-89).

görendir"[83] buyurmaktadır. Gururlu insanları da: "De ki: "Size yaptıkları işler bakımından en çok ziyana uğrayacakları söyleyeyim mi? Onlar, dünya hayatında bütün çabaları boşa gitmiş olan ve kendilerini de iyi iş yapmış sananlardır"[84] şeklinde anlatmıştır. Tabii, örtü kalkar ve gerçekler ortaya çıkınca hiçbir şey üzere olmadıklarını anlarlar. "Hiç hesap etmedikleri şeyler, Allah'tan karşılarına çıkmıştır".[85]

Bilinen bir eserde de: "Günah işlediğin halde Allah'ın sana olan nimetini artırdığını görürsen O'ndan sakın. Çünkü o, sana tanınan sadece bir mühlet ve azaba yaklaştırmadır".[86] Bu hadisi destekler bir de şu âyet vardır: "Kendilerin yapılan uyarıları unutunca, üzerlerine herşeyin kapılarını açtık; kendilerine verilenle sevince daldıkları sırada, ansızın onları yakaladık, onlar tüm umutlarını yitirdiler".[87] Allah'ın hoş görmediği şeylere devam ettiğin halde nimetlerin peşine peşine gelmesi, en büyük gururdur. Şeytan gururla görevlendirilmiştir. Zaten emmâre nefsin tabiatı da gururlanmaya müsâittir. Rey ve haksızlık bir araya gelince rey ihtiyaca düşer.[88] Gururlu şeytanla, gururlanan nefis arasında anlaşmazlık yoktur. Şeytanlar, Allah'a karşı gururlanmak isteyenleri gururlandırır; Allah'ı afv ve tasarrufunda öfkelendirip kızdıracak şeyleri yapmayı onlara teşvik eder. Kalp sükûneti için tevbe etmek istediklerinde ise şeytan sonra tevbe etmelerini önerecekti. Ecel gelince de onları en kötü hallerinde ölüm yakalayacaktır. Allahû Teâlâ buyuruyor ki: "Allah'ın emri gelinceye kadar (şeytanın verdiği) kuruntular sizi aldattı. O çok aldatıcı şeytan, sizi Allah'ın (afvı) ile aldattı".[89] Bir başka âyette: "Ey insanlar, Allah'ın va'di gerçektir. Dünya hayatı sizi aldatmasın. O aldatıcı şeytan, Allah'ın (yumuşak davranıp mühlet vermesine güvenderek) sizi aldatmasın"[90] buyurulmuştur. Allah'a karşı en gururlu insan, Allah'tan kendine hayr, ikram gelince: "Bu benimdir.[91] Ben buna layık, bunu haketmişim" diyen kimsedir. Sonra âyette: Kıyametin kopacağını da sanmıyorum"[92] diyeceği belirtilmiştir. Yani Allah'a küfrettiği halde verilen nimete layık ve ehil olduğunu

83. Nûr sûresi, (24/39).
84. Kehf sûresi, (18/103-104).
85. Zümer sûresi, (39/47).
86. Ben derim ki: "Bu manada, Ahmed b. Hanbel sahih bir hadis rivayet etmiştir. (c. 4, s. 145). Hadisin ravisi Akbe b. Amir'dir. Rasûlüllah şöyle buyurur: "İşlediği günahlara rağmen Yüce Allah'ın kulun arzuladığı şeyleri ona verdiğini görürsen bil ki o istidraçtır, dedikten sonra İbni Kayyım'ın zikrettiği âyeti okudu." Ayrıca Taberânî ve eş-Şuab'da Beyhakî de rivayet etmişlerdir. bkz. **Sahîhu'l-camî** (575) ve **el-Ehâdîsü's-sahîha** (414).
87. En'âm sûresi, (6/44).
88. Burada noksanlık olabilir.
89. Hadîd sûresi, (57/14).
90. Lokmân sûresi, (31/33).
91. Bu, Karûn'un Kur'ân'da zikredilen şu sözüne benzer: "Bu servet bana ancak bende olan bir ilimle verilmiştir." (el-Kasas, 28/78). Allah, onu ve yurdunu gururlanmasından dolayı yere batırmıştır. Batmaya da devam etmektedir.
92. Kehf sûresi, (18/36).

sanmakta: "O'nun yanına götürülmüş olsam bile (yani kıyamet günü Allah'ın yanına), muhakkak O'nun yanında daha güzel şeyler vardır"[93] diyerek de daha fazla gururlanmaktadır. Âyette geçen güzel şeylerden maksat, cennet ve ikramdır. Allah'a karşı gururlanmak işte böyle olur. Şeytanın gururlandırdığı kimse onun va'dine ve kuruntusuna inanan kimsedir. Dünyası ve nefsi de, gururlarını da artırır ki bu kimse kendini azap kuyularının dibinde bulur.

FASIL

Recâ (ümit) ile temennî arasındaki fark: Recâ, gayret sarfederek gücünü kullanarak, zafer ve başarı sebeplerine sarılmaktır. Temenni ise arzulanan şeye götüren sebeblere bakmaksızın nefiste oluşan bir istektir. Recâ hakkında Yüce Allah: "İman edenler ve Allah yolunda hicret edip cihad edenler (bunlarla) Allah'ın rahmetini ummaktadırlar"[94] buyurmuştur. Görüldüğü gibi Yüce Allah, büyük ümitleri, sözü edilenlerden başkasına kapamıştır. Gurur sahipleri âyetle ilgili olarak diyorlar ki: "Allah'ın rahmetini umanlar, emirlerine uymayanlar, yasaklarından kaçmayanlar, Allah'ı öfkelendirecek şeylerin peşinden koşup rızasına uygun olanları yapmayanlardır. Oysa ki rahmet umanlar, nefislerinin gururlarından, şeytanın da onları gururlandırmasından dolayı rahmet ummamaktadırlar. Kulun ümidi, kalbinin Allahla, ahiret gününe imanla dolması, Allah'ın kendisine olan va'di, ikramı ve cenneti gözlerinde canlanması dolayısıyla hırs ve aşkla kalbin onlara meyletmesidir. Bu, arzuladığı bir şeyi elde eden kimsenin o şeye boynunu uzatmasına benzer. Gerçek ümidin alameti şudur. Ümit sahibi, cennete girememekten korkan, kendisiyle cennete girmek arasında engel olmasından korkulan şeyi terketmekle cennetle ilgili hazzının yok olmasından korkan kimsedir.

Bu, şuna benzemektedir. Adamın biri, eşraftan, durumu yerinde bir ailenin kızına talip olur. Evlilik akdinin yapılacağı meclise geleceği günün akşamında toplanan değerli misâfirlerin huzuruna çıkmak, büyüklere görünüp evleneceği kadına iyi görünmek için hazırlanmaya başlar. Süslenir, güzel elbiselerini giyer. Uzun saçlarını keser, vücudunu yıkar ve hoş kokular sürünür. En güzel elbiselerini giyerek akid yapılacak meclise yönelir. Yolda giderken elbisesini çamurdan, pisliklerden hatta tozdan dumandan korur. Akid meclisine varınca ev sahibine selam verir. Kendisi için evin en güzel yerinde hazırlanmış yere, herkes tarafından görülebilecek yatak ve yastıkların üzerine çıkar. Çevreden hediyeler

93. Fussilet sûresi, (41/50).
94. Bakara sûresi, (2/218).

yağmaya başlar. Meselâ bu evlenme adayı kişi, bunca süslenmeden sonra kötü yerlere oturup, üzerine pislik, çör-çöp bulaştırsa; saçı, cildi ve elbiseleri iyice batsa, bu haliyle akit yapılacak eve yönelse, kapıda bekleyenler onu döverler, kovarlar, bağırıp çağırırak onu derhal kapıdan uzaklaştırırlar. Bu durum karşısında evlenecek genç, şaşkın ve zelil olarak geri döner. İlk misal, ümitli kişinin durumu, bu ise temennî eden kişinin durumudur. İstersen sana Melik'le iki adam hikayesini de anlatayım.

Bir Melik varmış. Farklı bir kişiliği, emanete hassasiyeti ve güzel muâmeleleri ile tanınırmış. Öyle ki kimsenin hakkı, onun yanında zayi olmazmış. İnsanlarla olan ilişkilerini, kimsenin göremeyeceği perde arkasından yaparmış. Ancak ticarî ve diğer malları, ticaretleri, köleleri ve câriyeleri herkesin göreceği şekilde ortada olurmuş. Melik'in huzuruna iki adam girer. Bunlardan biri, işlerinde doğru, emanete düşkün ve övgü sahibi. Aklından hiç aldatmak, hainlik yapıp hileli davranmak geçmeyen adam. Bu Melik, bütün mallarını o adama satar. Adam da Melik'e ait köle ve câriyelerden güvenebileceği kişilere mallarını güvenir. Bir mal yanına getirilince onlardan en güzel ve en değerlisini seçer. Birşey yapmak isteyince güzellik ve süsüne oldukça dikkat eder. Yaptığı şeyin görünmeyen iç kısmını, dışından daha güzel yapar. Melik'in yardımcı olmasını istediği kişilerin yardımından faydalanır; yapacağı şeyin miktarında, özelliğinde, durumunda, şeklinde, incelik ve diğer vasıflarında, kendisi ile Melik arasında elçilik yapan kimsenin uyarılarını dikkate alır. Diğer adam ise kendisine gönderilen malların en kötüsünü seçer. İşinde hileli davranır, uyarıları dikkate almaz. Melik'in isteklerini götüren mütercime ve Melik'le zanaatkârlar, tüccarlar arasındaki elçiye itibar etmez. Yaptığı şeyleri, kendi kafasına ve hevâsına göre yapar. Bundan başka gözüyle göremediği Melik'e, onun evinde hiyanet yapar. Melik'in bütün isteklerine karşı koyar. Melik'e saygı göstermez. Gözü Melik'in evindedir. Bütün arzusu, Melik'in evini bozmaktır. Melik'i öfkelendirecek şeyleri yapabilirse yapar. Her iki adam da böyle hayat sürerken şu ilan yapılır: "Bu gün Melik, işçilerini kontrol edecek onların hesabını görüp herkese hakkını verecek". Bu adamlardan ikisi de Melik'in huzuruna varır, her biri hak ettiği karşılığı alır. Bu iki misali iyi düşün. İkisi de layık olduğu şeyi almıştır. Ümit sahibi gerçekte, gözlerini cennete dikip onu uman, kalbiyle, gayretiyle onu elde etmek için çalışan kimsedir. Çünkü ümit, kalbin meded umması ve güzele meyletmesidir. Ümidi gerçekleştiren şey buna göre tam hazırlık, mükafatın kaybından korkmak ve ihtiyatlı olmaktır. Ümit, meyletmek anlamına gelir. Arap dilinde (recâ'l-bi'r); kuyunun kenarı, (erca's-semâ) ise uzay boşluğu anlamına gelir. Kalbin, engelleri aşarak sevgiliye ulaşması, emmâre nefsi, sebeplerini ve ona götüren şeyleri terketmesidir. İşte bu tür bağlanma, yöneliş ve korku, mutmain nefsin işidir. Çünkü basireti açılan kalp, Allah'ın ahirette itâatkâr ve âsî kullarına hazırladığı şeyleri görür,

azaptan korkarak Allah ve ahiret gününe yönelir. Tabî bundan önce kalp, nefisle mutmain olmuştur. Nefis ise şehvetlerle dünya ile mutmain olmaktadır. Kalbin üzerinden nefis perdesi kalkınca kalp hafifler, naîm cennetlerinde Azîz ve Rahîm olan Allah'ı arayarak çevresini terkeder. İşte bu anda her korku sahibi, ümitli; her ümitli ve korkulu olur. Yani birine verilen isim diğerine de verilir. Çünkü ümitli kişinin kalbi, korkulu kimsenin kalbine oldukça yakındır. Bu ümitli kişi, kalbini nefsin ve şeytanın komşuluğundan uzaklaştırarak Allah'a yönelir. Cennette adına bir alamet dikilir. Cennete hazırlanmaya başlar. Kalbini tamamen Allah'a ve cennete yöneltir. Korkulu kimse de aynı şekilde dünya hayatında nefis ve şeytan arasında tutsak kalmaktan bu tutsaklığın ölümden sonra ve kıyamet günü de devam etmesinden korkarak Allah'a iltica eder. Çünkü kişi, dünyada ve ahirette dostuyla beraberdir. Allah'ın azabını duyunca, her iki yurtta da kötülüklerden uzaklaşması nedeniyle bu kişiye "korkan kimse" denir. Ümitli denmesi ise va'di duyunca elde etme arzusu ve şevkiyle o işe yönelmesindendir. Gerek ümitlilik gerekse korkululuk birbirinden ayrılmaz yakın durumlardır. Her ümitli, umduğu şeyi kaybetmekten korkan kimsedir. Her korkan da korktuğu şeyden emin olmayı ümit eden kimsedir. Bu nedenle, her iki isim de birbirlerine verilir. Yüce Allah şöyle buyurur: "Size ne oluyor da saygının yalnız Allah'a olacağını ummuyorsunuz".[95] Bu âyetin yorumunda müfessirler: "Yani Allah'ın büyüklüğünden korkmuyorlar" demişlerdir. Yukarıda da geçtiği şekliyle ümit etmek, sadece iman edenlere, Allah yolunda hicret edip cihad edenlere mahsustur. Rasûlullah, imanı çeşitli kısımlarıyla[96] tarif etmiş, amelleri de zâhir ve bâtın diye ikiye ayırmıştır. Hicreti, Allah'ın yasakladığı şeylerden kaçmak; cihâdı ise Allah'ın zatı adına nefisle cihad etmek şeklinde belirttikten sonra: "Muhâcir, Allah'ın yasakladığı şeylerden kaçan kimsedir;[97] Mücâhid ise Allah'ın zâtı adına nefsiyle cihad eden kimsedir"[98] buyurmuştur. Kısacası Yüce Allah, ümit sahiplerini iman eden, hicret edip cihat edenlerden seçmiş, bunların dışında kalan diğer ümmetleri bunlardan ayırdetmiştir.

Arzulara gelince onlar ümit görünümünde çıkartılan iflas mallarının başıdır. Onların arzuları da budur. Emanî yani arzu, nefse ait vesveselerin baskın

95. Nûh sûresi, (71/13).

96. Rasûlullah'ın "iman, yetmiş küsür şubedir..." diye başlayan hadisini **Kütüb-ü Sitte** sahipleri Ebû Hureyre'den rivayet etmişlerdir. Ancak Buhârî'de "altmış küsûr" şeklinde geçmektedir. bkz. **Sahihül camî**, (2797).

97. Bu hadis "müslüman, müslümanın elinden, dilinden..." hadisinin ikinci bölümüdür. Buharî, Ebû Dâvûd ve Nesâî İbni Amr'dan rivayet etmişlerdir. Taberânî **es-Sağîr**'de, Teyâlisî, Ahmed ve Dârimî de rivayet etmişlerdir. bkz. **Sahîhü'l-camî** (6587).

98. Hadis sahihtir. Tirmizî ve İbni Hibban Fudale b. Abîd'den rivayet etmişlerdir. bkz. **Sahihu'l-camî** (6555). Fakat bu rivayette "zat" ifadesi geçmemektedir. İmam Ahmed, Fudalle'den daha tam rivayet etmiştir. Önceki hadis de bunda vardır. c. 6, s. 21. Birtakım lafız değişiklikleri olsa da, Şeyh Elbânî hadisi **el-Ehâdîsu's-sahîha**'da rivayet etmiştir.

bir şekilde kalpte belirmesi; dumanının ise kalbi karartmasıdır. Bu durumdaki kişi, kalbini şehvetleri doğrultusunda kullanır. Güzel akibet ve kurtuluş arzusu, kalbini kararttığı gibi afva, mağfiret ve fazilete de engel olur. Ona göre iyi insan hakkını yerine getirmez, günahlar ona zarar vermez ve de mağfiret onu noksanlaştırmaz. Buna ümit diyorlar. Oysaki bu, nefisten câhil kalbe atılan, kalbin kendisiyle rahatladığı vesvese ve boş kuruntulardır. Yüce Allah bir âyette: "İş, ne sizin kuruntularınıza göre ne de Ehl-i Kitabın kuruntularına göre olur. Kötülük yapan karşılığını görür ve kendisine Allah'tan başka ne bir dost ne de bir yardımcı bulabilir"[99] buyurmuştur. Kul Allah'ın dostluk ve yardımını bir kenara atınca, Allah da ona olan dostluğunu ve yardımını keser, o kimse kendisine Allah'tan başka dost ve yardımcı bulamaz. Allah'ın dost ve yardımını bir kenara atınca nefis ve şeytan araya girer, o kimsenin dostları olurlar. Nefsine vekaletini verir. Nefsin yardımı, Allah ve Rasûlünün yardımına bedel olur. Bu kimse Allah'ın dostluğunu nefsinin ve şeytanın dostluğu ile Allah'ın yardımını da nefsinin ve hevâsının yardımıyla değiştirmiş olur. Dolayısıyla ümit bağlanacak birşey kalmaz. Nefis sana dese ki: "Ben ümit makâmındayım. Beni burhanla ara". Ona şöyle karşılık ver: "Bunlar kuruntulardır. Eğer sözünüzde doğru iseniz haydin burhanlarınızı getirin". Akıllı kimse, güzel amelleri isteyerek sevabını ümit ederek yapar. Zavallı ahmak ise güzel ameller karşısında tembelce durur, ümit diye nitelediği bir takım kuruntuların peşine düşer. Başarıya ulaştıran Allah'tır.

FASIL

Allah'ın nimetlerinden konuşmak ile nimetlerle övünmek arasındaki fark: Allah'ın nimetlerini anan kimse, O'nun sıfatlarından, cömertliğinden ihsânından bahsediyor demektir. Bu kimse, nimetleri ortaya çıkararak Allah'a senâda bulunuyordu. Şükrederek kendisine verilen nimetlerden bahsediyor; bu nimetle, gayesine en uygun olan Allah'ın sıfatları, O'nu övmek, O'na senâda bulunmak ve sevgisiyle, ümidiyle başkalarından önce kendi nefsini Allah'ı bulmaya meyletmek özelliklerini ortaya koyuyor demektir. Böylece o kimse, Allah'ın nimetlerini açığa vurarak yayarak ve ondan bahsederek Allah'a yönelmiş olmaktadır.

Nimetlerle övünmek ise nimetle insanların üzerine uzanmak, kendisinin onlardan daha üstün daha büyük olduğunu göstermektir. Nimetle övünen kişi insanların boyunlarına biner, kalplerini çeler ve de onların kendisine saygı ve hür-

99. Nisâ sûresi, (4/123).

met göstermelerini ister. Nu'mân b. Beşîr[100] der ki: "Şeytanın birtakım tuzakları, ağları vardır. Allah'ın nimetlerini alıp, onunla Allah'ın kullarına karşı büyüklenmek ve Allah'ın kendisine verdiği ihsanlarla övünüp Allah'ın dışındaki bir amaçla başkalarını küçümsemek, şeytanın tuzak ve ağlarından birkaçıdır".

FASIL

Kalp ferahlığı ile nefis ferahlığı arasındaki fark belirgindir: Allah'la, bilgisiyle, sevgi ve kelamıyla ferahlanmak kalpte olur. Yüce Allah: "Kendilerine kitap verdiklerimiz sana indirilenle seviniyorlar"[101] buyurmuştur. Vahyin gelmesi, Ehl-i Kitabı sevindiriyorsa Allah dostları ile Rasûlüne uyanları şüphesiz daha çok sevindirecektir. Diğer bir âyette: "Bir sûre indiği vakit onlardan biri: "Bu, hanginizin imanını artırmıştır? Onlar bununla sevinirler"[102] buyurulmuştur. Bir başka âyette de: "De ki, Allah'ın fazlıyla rahmetiyle sevinin. Bu sizin toplayıp biriktirdiğinizden daha hayırlıdır"[103] buyurulmuştur. Ebû Saîd el-Hudrî der ki: "Allah'ın fazlı, Kur'ân'dır. Rahmeti ise Kur'ân ehlinden olmanızdır".[104] Hilâl b. Yesâf da: "Allah'ın fazlı ve rahmeti, hidâyet bulduğunuz İslâm ve toplayıp biriktirdiğiniz altın ve gümüşten daha kıymetli olan ve size öğretilen Kur'ân'dır" der. Bunlardan başka İbn Abbâs, Hasen, Katâde ve çoğu müfessir de: "Allah'ın fazlı İslâm, rahmeti ise Kur'ân'dır" demişlerdir. İşte kalp sevinci budur. Bu sevinç imandan gelir, kul bununla sevinir. Kulun bununla sevinmesi, ona razı olduğunu belki de rızasından da üstün olduğuna işaret eder. Sevinmek, Allah'ı sevmek ölçüsündedir. Çünkü sevinç, sadece sevileni kazanmak ve onu sevmek ölçüsünde olur ki sevdiğine ulaşınca sevinmeye başlar. Allah'ı, isimlerini, sıfatlarını, Rasûlünü, Onun sünnetlerini ve kelamını sevmek gerçek imandır, imanın halisliği ve temizliğidir. Sevgi sahibi kimsede mükemmel bir kulluk ve kalbinde ise anlatılamaz bir iman belirtisi vardır. Kalbin, Allah'a, isimlerine, sıfatlarına, kelamına ve O'nun Rasûlü-

---

100. Hadis zayıftır. Suyûtî'nin dediğine göre İbni Asâkir Numan'dan rivayet ederek **et-Tarih**'inde hadisi zikretmiştir. Munavî, İbni Asâkir'den başkasına hadisi atfetmediği için Suyûtî'ye kızmuştur. Çünkü Beyhakî de **eş-Şuab**'da rivayet etmiştir. Ravîlerden İsmail b. Ayyaş'ı Zehebî zayıflardan saymuştır. Bu konuda ihtilaf vardır. bkz. **Feyzu'l-kadîr**, c. 2, s. 499 Şeyh Elbânî hadisi zayıf sayar. bkz. **Zaifu'l-camî** (1962).

101. Ra'd sûresi, (13/36).

102. Tevbe sûresi, (9/124).

103. Yûnûs sûresi, (10/58).

104. Ebû Saîd'den mevkuf olarak rivayet etmiştir. Ayrıca Saîd b. Mansûr, İbni Ebî Şeybe, İbni Cerîr, İbni Münzir, İbni Ebî Hatim, Ebû'ş-Şeyh ve Beyhakî **eş-Şuab**'da rivayet etmişlerdir. Enes'ten de Ebû'ş-Şeyh ve İbni Merdûye rivayet etmişlerdir. c. 3, s. 454. Reşid Rıza tefsirinde der ki -İbni Kayyım sözü gecen âyetle ilgili hadisi zikretmiştir-: "Bütün bu manalar rivayetleri itibariyle değil de bizzat manaları açısından doğrudur."

ne sevgi besleyerek O'na kavuşma arzusuyla coşması, Allah'ın kula verdiği nimetten hatta en büyük nimetlerden bile daha hayırlıdır. Ahiret gününde Allah ve O'na kavuşma sevgisi, dünyadaki O'na olan sevgisi ve yakınlığı ölçüsündedir. Dolayısıyla sevgiliye ulaşma arzusu, sevginin çokluğuna ve azlığına göredir. Kalbin sevinmesi işte böyledir. Kalbe ait bir sevgi daha vardır ki o da muâmelesinde, ihlasında Allah'a tevekkülde, O'na güvenip O'ndan korkmasında kendisine yapılan yardımdır. Bu hususlarda kalp güçlendikçe ferahlık ve rahatı artar. Kalbe ait tuhaf bir başka özellik daha vardır ki isyan rahatlığı ile aralarında bir ilişki yoktur. Şöyle ki asî kul, tevbe etme lezzetinin ve rahatlığının günah işleme lezzet ve rahatlığından kat kat daha fazla olduğunu bilmiş olsaydı, günaha yaklaşmasından daha hızlı bir şekilde tevbeye koşardı.

Bu sevincin sırrına, kulun yaptığı tevbeyle oldukça sevinen Allah'ın sevincini bilen insanlar ulaşabilir. Rasûlullah, Allah'ın sevinmesiyle ilgili olarak şu misali verir:[105] Yeryüzünde en büyük sevinç, şu kimsenin sevincidir: Bir adam bineğine, yiyecek ve içeceğini kor, yolculuğa çıkar. Tehlikeli çöle gelince bineğini kaybeder. Aramaya koyulur, ama bulamaz. Bineğinden ümidini keser, oturup ölümünü beklemeye başlar. Hava kararıp ay doğunca ay ışığında bineğinin yularının bir ağaca takıldığını görür. O kadar çok sevinir ki sevincinden: "Ey Allah'ım, Sen benim kulumsun, Ben de Senin Rabbinim" diye dili sürçer. İşte Yüce Allah, kulunun tevbe etmesi halinde bineğini bulan insan kadar sevinir.

Tevbe eden kimsenin, tam sevinçten nasibini alacağı inkâr edilemez. Fakat burada açıklanması gereken bir husus var. O da şudur: Bir insan günahından ötürü üzülmemiş, musibetlere, acılara göğüs gerip vücudu bunlara dayanamaz ölçüde yıpranmamış ise bu sevgiye ulaşamaz. Bunlara sabrederse sevinç tadını alır. Yok eğer taşıyamaz hale gelir, bunlara sabretmezse hiçbir şey etmiş olmaz. Ayrıca günah işleme fırsatını ve onun sevincini tercih etmekle de diğer imkânı da ortadan kalkar böylece her iki imkânı birden kaybetmiş olur. Dolayısıyla sevgiliyi kaybetmek ve eza veren şeyin varlığından kaynaklanan, lezzetin aksine elem ve acıyı yüklenmiş olur. Herşeyden önce hüküm, Yüce Allah'ındır.

---

105. Buna benzer rivayet, tevbe eden kimse hakkında da gelmiştir. Şeyhayn ve Tirmizî, Haris b. Suveyd'den yine Şeyhayn Enes'ten, Müslim ise Numan b. Beşîr'den rivayet etmişlerdir. Sözkonusu şu hadisin başı: "Allah kulunun tevbesinden ötürü oldukça sevinir" şeklindedir. Müslim, Berâ b. Âzib'den "Bir kimsenin sevinmesi hakkında ne dersiniz..." şeklinde rivayet etmiştir. Bilgi için bkz.**Camiu'l-usûl**, c. 2, s. 508-511.

FASIL

Burada hepsinden daha büyük bir ferahlık daha vardır. Bu, Yüce Allah melekleri insana gönderip, onu Allah'a kavuşmayla müjdeledikleri an olan, dünyadan ayrıldığı, Allah'a yöneldiği andaki ferahlıktır. İnsana yaklaşan ölüm meleği der ki: "Ey güzel bedende bulunan güzeh ruh, çık. Seni rahatlıkla, rahmetle ve öfkesiz bir Rab ile müjdelerim. O senden, sen de O'ndan razı[106] olarak çık. Ey mutmain olan nefis, Sen Rabb'inden, Rabb'in de senden razı olarak O'na dön. Kullarım arasına katıl, cennetime gir"[107] der. Tevbe eden kişi sadece bu ferahlığı elde edecek olsa bile akıl ona bunu elde etmeyi söyler. Halbuki tevbekârın birçok ferahlanacağı yer vardır. Mesela yerde ve gökte bulunan meleklerin tevbe eden kimsenin ruhuna yaklaşmaları, semâ kapılarının tevbekâr ruha açılması, semâ meleklerinin kendisine duâ etmeleri, dünya semâsı görevlilerinin onu ikinci semâya kadar uğurlamaları, ikinci semâ kapısının açılması ve semâdakilerin bu kişi hakkında duâları ve yedinci kata çıkana kadar bütün katlarda uğurlanması ve hakkında duâ edilmesi, nefsin ferahlanacağı birkaç yerdir. Rabbinin, dostunun ve habibinin, huzuruna çıkmasına müsâade edilip huzurunda durması ve O'na secde etmesine müsâade edilip secde etmesi varken böyle bir nefsin ferahlığı nasıl daraltılabilir? Sonra, nefsin sesini Yüce Allah duyar ve: "Onun kitabına, illiyyûn ehlindendir" diye yazın der. Sonra oradan uzaklaştırılır ve ona, cennet, cennetteki kalacağı yer ve Allah'ın kuluna hazırladığı şeyler gösterilir. Dostlarına ve ailesine kavuşur. Durumunu gören dostları buna sevinirler. Dostlarının haline de tevbekâr nefis ferahlanır. Onun bu sevinci, ailesine döndüğünde onları en iyi şekilde bulan ve onlara misâfir kimsenin ikram edebileceği bir hayırla gelen gurbetçinin sevinmesi gibidir. Bütün bu ferahlıklar, bedenlerin dirilişi günü, arşın altında oturmak, havuz suyundan içmek, kitabını sağ tarafından alınak, terazisinin hayır tarafından ağır basması, yüzünün ağarması, insanlar karanlıkta iken saf nura gark olınak, engelsiz olarak sırat köprüsünden geçmek, cennetin kapısına varmak, Allah'a yakın bir yerde bulunmak, müjdeyle, selamla servetlerine kavuşmak ve evlerine, köşklerine, hanım ve carîyelerine varmadan önce duyulan ferahlıklardır.

Bu safhanın peşinden öyle bir ferahlık daha yaşanır ki diğer ferahlıkların yanında sözü bile edilemez. Bu ferahlık, Allahû Teâlâ'nın üst taraflarından görülebileceğine, kendilerine selam vereceğine, kendileriyle konuşacağına ve karşılıklı Allah'la konuşacaklarına inanan ehli sünnete mensup olan insanlara mahsustur.

---

106. Hadis sahihtir. Yukarıda geçti.
107. Fecr sûresi, (89/27).

وليست هذه الفرحات إلا لذي الترحات في دار الرزايا
فشمر ماستطعت الساق واجهد لعلك تفوز بذي العطايا
وصم عن لذة حشيت بلاء للذات خلصن من البلايا
ودع أمنية إن لم تنلها تعذب أوتنل كانت منايا
ولا تستبط وعداً من رسول أتى بالحق من رب البلايا
فهذا الوعد أدنى من نعيم مضى بالأس لو وفقت رايا

Yani bu ferahlıklar ancak ayıplamalar yurdunda üzüntü sahiplerine aittir. Gücün yettiği kadar uymaya çalış ve gayret et. Umulur ki bu sayede ihsanları almayı başarabilirsin. Musîbet dolmasından korktuğun lezzeti bırak da musîbetlerden uzak lezzetlere bak. Elde edemeyeceğin arzuların peşine düşme. Aksi takdirde incinir yahut ölüme gidersin. Âlemlerin Rabbi'nden hakkı getiren elçinin va'dine uymada gecikme. Çünkü bu va'd, bekler durursan dünkü geçen nimetten sana daha yakındır.

FASIL

Kalp inceliği ile endişe arasındaki fark: Endişe, nefiste görülen güçsüzlük, kalpteki korkudur. Kişiye hırs ve tamahkarlık verir. Kadere iman zayıflayınca endişe ortaya çıkar. Yoksa takdir edilen şey başa gelecek olunca endişelenmek sadece sıkıntıya düşüp ikinci bir musibete katlanmak olmaktadır. Yüce Allah bu hususta şöyle buyurur: "Ne yerde ne de kendi canlarınızda meydana gelen hiçbir musibet yoktur ki biz onu yaratmadan önce, bir kitapta tesbit edilmiş olmasın. Doğrusu bu, Allah'a kolaydır. Önceden bir kitapta tespit ettik ki elinizden çıkana üzülmeyesiniz ve Allah'ın size verdiği ile de sevinip şımarmayasınız".[108] Kul kadere inanır, görünür görünmez musîbetin mukadder olduğunu bilirse ne endişelenir ne de sevinir.

Fakat bu, kalp inceliği ile çelişmez. Çünkü kalp inceliği, olgunluğun kendisi olan rahmet sıfatından doğmuştur. Yüce Allah, kullarından ancak merhamet sahiplerine rahmet eder. Rasûlullah, insanlar arasında en ince kalpli ve endişeden en uzak biriydi. Kalp inceliği, şefkat ve merhamettir. Endişesi ise hastalık ve zayıflıktır. Dolayısıyla endişe, emmâre nefsin dumanla üzerine örttüğü, nefes borusundan tutup ahiret yollarını kendine kapadığı böylece ümitsizliklerin karanlık yolların hapishanesi olan hevâ ve nefis zindanında mahbus olan dünya ile hastalanmış kalbin durumudur. Haliyle kalp daralıp küçülürse tahammül edemeyeceği en küçük musibet karşısında endişelenip üzülür. Ama kalpte iman nuru parlar, Allah'ın va'dine bilyakîn (kesin) inanır, Allah'ın sevgisiyle büyük-

108. Hadîd sûresi, (57/22).

lüğü ile kalbini doldurursa, kalp incelir, şefkat ve merhametli olmaya başlar; böylece de bütün yakınlarına, müslümanlara karşı merhametli ve yumuşak kalpli olur. Öyle ki kendisi gibilere merhamet etmek bir tarafa yuvasındaki karıncalara ve kuşlara bile merhametli olur. Allah'a en yakın olan kalp işte bu kalptir. Hz. Enes anlatıyor. Fakirlere karşı insanların en merhametlisi, Rasûlullahtır".[109] Yüce Allah bir kuluna merhamet etmek isteyince onun kalbini şefkat ve rahmetle doldurur. Azap etmek istediğinde ise şefkat ve merhameti kalbinden yolup alır, onların yerine duyarsızlık ve katılığı kor. Bir hadiste: "Şaki (bedbaht) kimse dışında kimseden rahmet alınmaz"[110] buyurulmuştur. Yine çeşitli hadislerde: "Merhamet etmeyene, merhamet olunmaz",[111] "Yeryüzünde bulunanlara merhamet edin ki gökte bulunan da size merhamet etsin"[112] ve: "Üç kimse cennet ehlindendir: Adâletli, sadaka veren hükümdar, bütün yakın ve müslümanlara karşı yumuşak kalpli, merhametli kimse ve iffetli, iffetli olmaya çalışan muhtaç kimseler".[113] Hz. Ebû Bekir'in bu ümmetin en faziletlisi olması, sıddîklığının yanında kalbinde herkese karşı merhamet duygusunun bulunmasındandır. Kalbindeki bu merhametin belirtisi, bütün davranışlarında Bedir günü müşriklerden alınan esirler konusunda bile görülmüş esirlere[114] yapılan muâmele, onun görüşünün neticesi olmuştur. Peygamberimiz onu, Hz. İsâ ve Hz. İbrahim'de[115] temsil etmiştir. Yüce Allah, şefkat ve merhamet sahibidir. Allah'a en yakın olan kişi, en şefkatli en merhametli olan kişidir. Ondan en uzak kişi de

---

109. İbni Asâkîr Enes'ten şu lafızla rivayet eder: "Rasûlullah, çocuk ve muhtaçlara karşı insanların en merhametlisi idi." Şeyh Elbânî, Müslim ve Ebu'ş-Şeyh'in hadisine ziyade yapmıştır. Teyâlisî ise şu lafızla zikreder: "Rasûlullah, muhtaçlara karşı merhametli idi.". c. 2, s. 120. Her iki hadisi de Şeyh Elbanî sahih saymıştır. bkz. Sahîhu'l-camî (4673), (4690).

110. Tirmizî, Birr 16da, İmam Ahmed ise Müsned 2/308'de rivayet etmişlerdir. Ben derim ki: Ebû Dâvûd, İbni Hibban ve Hâkim de Ebû Hureyre'den rivayet etmiştir. Şeyh Elbânî hadisi hasen sayar. bkz. Sahîhu'l-camî (7344).

111. Buhârî, Edeb (18), Müslim, Kitabu'l-Fedâil (65); Ebû Dâvûd Bâbu'l-Edeb (145), Tirmizî, Birr (12) ve Ahmed, Müsned (2/228) de rivayet etmişlerdir. Ben derim ki: "Sözkonusu hadis Ebû Hureyre'den gelmiştir. Buhârî ve Müslim'in rivayetleri ise Cerîr'den gelmiştir. bkz. Sahîhu'l-camî (6474).

112. Ebû Dâvûd, Edeb (58) ve Tirmizî, Birr (16) da rivayet etmişlerdir. Ben derim ki: "Tirmizî, bu hadis, hasen ve sahihtir, demiştir." İmam Ahmed ve Hâkim İbni Amr'dan rivayet etmişlerdir. Şeyh Elbânî de bunu sahih saymaktadır. bkz. Sahîhu'l-camî (3516).

113. Bu hadisi Müslim, Iyad b. Hammar'dan gelen uzunca hadisin içinde rivayet etmiştir. Nevevî şerhi, c. 17, s. 197-199; İmam Ahmed, c. 4, s. 162.

114. İsrâ olayı için Müslim'in İbni Abbas yoluyla Ömer b. Hattab'dan rivayet ettiği hadise bakınız. Müslim, şerhi Nevevî, c. 12, s. 84-87.

115. Misal olarak verilen bu kısmı İmam Ahmed, İbni Mes'ûd'dan rivayet etmiştir. c. 4, s. 383. Ayrıca Hakim'in de rivayeti vardır. İbni Kesîr, tefsirinde hadisi sahih sayar. c. 2, s. 325. İbni Kesîr, kitabında Tirmizî'nin de rivayeti olduğunu söyler ama hadise şahid olacak yeri göstermez. Orada aynı senedle yani Ahmed b. Hanbel'in senedi ile rivayet eder; hadisin ilk kısmını zikreder. "Rasûlullah'a (SAV) İsrâ'dan sual olundu". Bu kısmı rivayet ettikten sonra: "bu, hasen bir hadistir" der. Râvîlerden Ebû Ubeyde, babasından hadis işitmemiştir. Tühfe'de: "hadisin şahidlerine bakarak hasen zannedersin. Yok eğer şahidlerini incelemezsen hadis munkati'dir" denmektedir. c. 5, s. 273-275. Ayrıca Taberânî'de aynı senedle şahid hadisin yerini ve diğer illetleri göstererek rivayet etmiştir. bkz. Cem'u'z-zavâid, c. 2, s. 94.

Allah'ın sıfatlarıyla vasıflanmış olmayan kişidir. Bu konuya dalanlar, âlemde yalnızca seçkin insanlardır.

FASIL

Vecd ile kin arasındaki fark: Vecd, acı veren şeyi hissetmek, bilmek ve nefsin onu yok etmeye çalışmasıdır. Bu, olgunluktur. Kin ise kötülüğü gizlemek, kötülük sahiplerini görünce derhal onların arasına katılmaktır ki kalp bunun belirtisini yok edemez.

Bir başka fark da şudur: Vecd, ondan sana gelen şeydir. Kin ise senden ona giden şeydir. Vecd, onun sana eziyet etmesi, kin ise gördüğü eziyetin karşılığını derhal vermesidir. Vecd, derhal yok olurken kin yavaş yavaş yok olur. Kin, kalbin daralması ve nefis karanlığının kalbi kaplaması, dumanının onu örtmesi iken vecd, tam tersine kalbin kuvveti, dayanıklılığı nur ve duyarlılığının kuvvetidir.

FASIL

Hayırda yarışmakla haset arasındaki fark: Hayırda yarışan kimse başkasında gördüğü olgunluğa derhal koşan, yetişene kadar veya geçene kadar onunla yarış yapan kimsedir. Hayırda yarış nefsin şerefinden, yüksek hedef ve kişinin değerinin yüksekliğindendir. Yüce Allah bu hususta: "Bu hususta, hayırda yarışanlar yarışsın"[116] buyurmuştur. Hayırda yarışma manasına gelen "tenâfüs", arzulanan ve istenen manasınadır. Hayrı bulmada, her iki hayırdan birinde yarış yapılır. Hayır yolunda ortaklar bulan nefis, Rasûlullah'ın ashabı hayırda yarışıp aralarına katılanları gördüklerinde sevindikleri gibi sevinir. Hayırda yarışmanın yanında başkalarını da yarışlarına teşvik ederler. Yani bir bakıma müsabaka yaparlar. Yüce Allah: "Hayır işlerde yarışın"[117] ve: "O halde siz, Rabbinizden bir mağfirete ve genişliğe, gökle yerin genişliği gibi olup Allah'a ve elçilerine inananlar için hazırlanmış bulunan bir cennete koşuşun"[118] buyurmuştur. Hz. Ömer, Hz. Ebû Bekir'le sürekli yarışırdı, ama onu bir türlü geçemezdi. Nihayet Hz. Ebû Bekir halife de olunca: "Allah'a yemin olsun ki artık seninle hiçbir şekilde yarışmayacağım" ve: "Allah'a yemin olsun ki ne zaman ki onunla bir hayırda yarıştım, muhakkak o beni hayırda geçmiştir"[119] demiştir. Yarışan kim-

116. Mutaffifîn sûresi, (83/26).
117. Bakara sûresi, (2/148).
118. Hadîd sûresi, (57/21).
119. Hadis sahihtir. Yukarıda geçti.

seler, efendisinin sevgisini, rızasını kazanmak için efendileri huzurunda birbirleriyle yarışan iki köle gibidir. Kölelerinin bu davranışı efendinin hoşuna gider, onları bu tür yarışlara teşvik eder. Dolayısıyla kölelerden herbiri diğerini sever ve efendisinin rızasını almaya yöneltir.

Haset ise yerilmiş, alçak ve kötü bir huydur. Hasette hayra yönelik hiçbir arzu bulunmaz. Acizliğinden, gevşekliğinden dolayı hayır ve güzel fiilleri işleyerek başkalarını geçenlere haset eder, hayır işleyenin amelini almasını, amelsizlikte kendisi gibi olmasını temennî eder. Nitekim Yüce Allah: "Sizin de kendileri gibi küfretmenizi istediler ki onlarla bir olasınız"[120] "Kitap ehlinden çoğu, gerçek kendilerine besbelli olduktan sonra sırf içlerindeki kıskançlıktan ötürü, sizi imanınızdan sonra küfre döndürmek isterler"[121] buyurmuştur. Demek ki hasetçi nimet düşmanı, nimetin kendisinden gittiği gibi haset ettiği kimseden de gitmesini isteyen kimsedir. Hayırda yarışan ise nimetin tamamını hem kendine hem de yarıştığı rakibe arzulayan kişidir. Bu şu demektir. Başkasını geçmek için yarışan, ona yetişmeyi arzulayan ve fazilette onu geride bırakmayı isteyen kimsedir ve hayırda yarışan hasetçi ise kusurda aynı olmak için başkasının kendi seviyesine düşmesini ister. Erdemli ve seçkin olan çoğu nefisler, hayırda yarışın faydasını görür. Bir kimse, faziletçe üstün, ileri birini kafasına kor; onunla yarışa tutuşursa bunun çok faydasını görür. Çünkü bu kimse, faziletli kimseye benzemekte ona yetişmeyi hatta geçmeyi ummaktadır ki biz bunu kötü göremeyiz. Haset kelimesi bazan iyi şeylerde yarışma için de kullanılabilir. es-Sahîh'te Rasûlullah'ın şu hadisi zikredilir: "İki kimseden başkasına haset edilmez. Birincisi, Allah'ın kendisine verdiği Kur'ân'la gece ortalarında, gündüzün çeşitli vakitlerinde meşgul olan kimsedir. Diğeri ise Allah'ın verdiği malı hak yolunda kullanan kimsedir".[122] Hadiste zikredilen hased, kişinin üstün gayretini, nefsinin yüceliğini ve fazilet sahiplerine benzeme arzusunu gösteren yarış ve gıptadır.

FASIL

Başkanlık sevdasıyla Allah'a davet için emirlik sevgisi arasındaki fark: İkisi arasındaki fark, Allah'ın emrine saygı gösterip; ihlasla ona sarılmakla, nefse saygı gösterip nefsin arzusuna uymaktır. Allah'ı seven, O'na saygı gösterip işinde samimi olan kimse Allah'a itâat edilmesini, karşı gelinmemesini; Allah isminin en yüce isim olmasını, dinin tamamen Allah'a ait olmasını, kulların emirleri-

120. Nisâ sûresi, (4/89).
121. Bakara sûresi, (2/109).
122. Hadis sahihtir. Yukarıda geçti.

ne uymalarını, yasaklarından da kaçmasını ister. Bu kimsenin kulluğunu Allah, samimi yapar. Allah'a davet yolundaki bu ahlakını da samimi kılar. Bu özellikteki kişi, dinde önder olmayı arzular. Bundan başka o, Yüce Allah'tan kendisinin muttakilere uyduğu gibi muttakilerin de kendisine uyduğu bir imam yapmasını ister. Allah'a çağıran bu kul, insanların gözünde büyümeyi, kalplerinde heybetli olup onlarla dost olmayı, ayrıca insanların uyacakları imam olmayı ve Rasûlullah'ın izinden kendi sayesinde gitmeleri arzulamışsa bu ona zarar vermez; belki Allah'a çağırdığı, O'na itâatı arzuladığı ve O'nu birlemeye uğraştığı için övgüye layık görülür. Çünkü bu kimse, bu güzelliklerin gerçekleşmesine katkısı olacak şeylere yardım etmeyi ve Allah'a ulaşmayı arzulamaktadır. Bu nedenle aşağıdaki âyette Yüce Allah, kendisine seçtiği, Kitab'ında haklarında övgüyle bahsettiği, kavuşma gününde en güzel karşılık görecek kullarını, en güzel halleriyle, özellikleriyle şöylece anlatmıştır: "Ve Rabbimiz, bize gözler sevinci, gönüller açan eşler ve çocuklar lutfeyle ve bizi müttakilere önder kıl, derler".[123] Bu âyette mü'minler, Yüce Allah'tan gözlerinin nuru karı ve çocuklarının kendilerine uymalarını; Allah'a itâat ve kullukta muttakîleri kendilerine uydurarak kalplerini sevindirmesini istemektedirler. Çünkü imam ve cemaat itâat konusunda birbirinin yardımcısıdır. Yani Allah'tan tek istedikleri, Allah'a davet yolunda, aslı sabır ve yakîn olan dindeki emirlikle, muttakilerin O'na itâat ve rızasını almak için kendilerini desteklemeleridir. Nitekim Yüce Allah bu hususta: "Sabrettikleri ve âyetlerimize kesinlikle inandıkları zaman onların içinden, buyruğumuzla doğru yola ileten önderler yetiştirmiştik"[124] buyurmuştur. Mü'minlerin, muttakîlere önder olmayı Allah'tan istemeleri, kendilerini doğru yola iletmesini, başarılı kılmasını ve imametin ancak kendisiyle tamamlandığı, gizli açık salih amellerde ve faydalı ilimlerde kendilerine yardım etmesini istemektir. İyi düşün. Yüce Allah onları nasıl Yüce Rahman ismine nispet etmekte. Bununla da insanlara, onların bunu Allah'ın fazlıyla, cömertliği ve yardımıyla elde etiklerini öğretmiştir. Yine iyi düşün. Söz konusu âyette, onlara karşılık olarak cennette en yüksek evler olan köşkleri, dinde en yüksek rütbelerden olan imamlığa karşı olarak vereceğini belirtmiştir. Belki de bu rütbe, Allah'ın kuluna dinde verdiği en yüce rütbedir ki bunun karşılığı cennette en yüksek köşkler olacaktır.

Fakat bu, başkan olma arzusundan farklıdır. Çünkü başkanlığı elde etmek için çalışanların amacı, yeryüzünde yüksek bir mertebe kazanmak, insanların kalplerini kendilerine bağlamak, onların meylini çekmek ve insanların üstünde olarak onlara baskı uygulayarak her türlü amaçlarının gerçekleşmesinde onların yardımlarını almaktır. İş böyle olunca bu isteğin peşinden Allah'tan başkasını bilemeyeceği haksızlık haset, azgınlık, kin, zulüm, fitne, Allah'ın hakkını bir tara-

123. Furkân sûresi, (25/74).
124. Secde sûresi, (32/24).

fa atıp izzeti nefis; Allah'ın hakir gördüğü şeye saygı, Allah'ın güzel gördüğü şeyi hakir görmek gibi birçok bozukluk gelir. Bunlar olmaksızın dünyevî başkanlığın tamamlanmayacağı; bunlarsız hatta daha nice rezillikler bulunmadan başkanlığı elde etmenin imkânsız olduğu bilinmektedir. Başkanlık sevdasında olanların gözü, bu bozuklukları göremez. Gözlerinden perde kalkınca içinde bulundukları bozukluğu görürler. Onların gözü, özellikle ikinci sura üfürülüp dirildiklerinde, kıyamet ehlinin dünya hayatında başkanlık sevdasında olanların Allah'ın emirlerini küçük görüp kullarını hakir gördükleri gibi onları alçaltarak, küçülterek ve onlara ihanet ederek ayaklarıyla teptikleri zaman açılır.

FASIL

Allah için sevmekle Allah'la beraber başka şeyleri sevmek arasındaki fark: Bilinmesi gereken en önemli fark budur. İkisi arasındaki farkı her insan muhakkak bilmelidir. Allah için sevmek imanın kemâlinden olur. Allah yanında başka şeyleri de sevmekse şirkin kendisidir. Aralarındaki fark şudur: Allah için seven kişi, sevgisinde Allah sevgisine uymaktadır. Allah sevgisi kulun kalbinde yerleşince bu sevgi Allah'ın sevdiği şeyleri sevmeyi de zorunlu kılar. Dolayısıyla kişi Rabbinin dostunun sevdiğini sevince bu sevgisi Allah için olmuş olur. Allah'ın Rasûllerini, meleklerini, dostlarını Allah sevdiği için sevmek böyledir. Yine Allah'ın öfkelendiği şeylere öfkelenmek de böyledir. Allah için sevmenin ve öfkelenmenin alâmeti Allah'ın öfkelendiği şeye olan öfkesi, kendisine ihsanından, hizmetinden ve ihtiyaçlarını gidermesinden dolayı sevgiye dönüşmemesidir. Ayrıca Allah'ın sevdiği şeye karşı olan sevgisi de o kimseden hoşuna gitmeyen bir karşılık gördüğünde bilerek veya bilmeyerek, Allah'a itâat kastıyla veya te'vîl ederek, ictihat ederek, haksızlık yaparak kendisine kötülüğü geldiğinde, öfkeye dönüşmemesi de Allah için öfkelenmenin alâmetidir. O halde din, şu dört esas etrafında dönmektedir: Sevmek, öfkelenmek. Sevmek ameli, öfkelenmek ise terki gerektirir. Bu anlamda sevgisi ve öfkesi, ameli ve terki Allah için olan kimsenin imanı, olgunlaşmıştır. Öyle ki bu kul sevince Allah da sever, öfkelenince Allah da öfkelenir. Amel işleyince Allah için işler, bir şeyden uzaklaşınca da Allah için ondan uzaklaşır.[125] Bu dört esas ne ölçüde noksanla-

125. Müellif burada, Ebû Dâvûd'un Ebî Umâme'den rivayet ettiği sahih şu hadise işaret etmektedir: "Kim Allah için sever, Allah için öfkelenir, Allah için malını infâk eder ve Allah için malını başkalarına vermezse onun imanı kemâle ermiştir." Ebû Dâvûd, Avn şerhi, c. 12, s. 438. Ancak, her ne kadar Munzirî: "Hadisin senedinde Kasım b. Abdurrahman vardır. Birçokları onun aleyhinde konuşmuştur" deşe de **et-Takrîb** sahibi: "Ebû Umâme'nin arkadaşı doğru ve birçok mürselleri olan kişidir" demiştir. Bu durum, hadisi hasen mertebesinden düşürmez. Hadisi, İbni Asâkir rivayet etmiştir. Tirmizî ve Ahmed'den şahidleri de vardır. *bkz.* **el-Ehâdîsu's-sahîha** (380).

şırsa o ölçüde iman ve din de noksanlaşır. Bu anlattıklarımız Allah'ın yanında başka şeyleri sevmekten farklıdır. Bunun iki kısmı vardır. Ya tevhidin aslına yönelik olur ki bu şirktir. Yahutta ihlasın kemaline, Allah sevgisine yönelik olur ki bu kişiyi dinden çıkarınaz.

Birinci kısım sevgi, müşrikleri putlarından, ilahlarından dolayı sevmektir. Bu hususta Yüce Allah: "İnsanlardan kimi Allah'tan başka eşler tutar, Allah'ı sever gibi onları severler"[126] buyurmuştur. Âyette anlatılan müşrikler, Allah'ı sevdikleri gibi Allah'la beraber kendi putlarını, ilahlarını da sevmektedirler. Bu tür sevgiler tanrıları edinmek ve peşinden korku, ümit, kulluk ve duâ gelen dostluktur. Yine bu tür sevgiler Allah'ın asla affetmeyeceği sırf şirktir. Allah'a ortak koşulan bu eşlere düşmanlık besleyip hem bunlara hem de Allah'a eşler koşanlara öfkelenip onlarla harbetmedikçe kızışmadıkça iman asla tamamlanmaz. Yüce Allah bütün Rasûl ve kitaplarını bu müşrikler için göndermiş; şirk sevgisinde olanlara cehennemi, bunlarla harbedenlere, Allah'ın rızası için bu konuda onlara düşmanlık besleyen mü'minlere ise cenneti yaratmıştır. O halde arştan başlayarak yere kadar ikisi arasında herhangi bir şeye ibadet eden herkes, Allah'ın dışında bir ilah ve bir dost edinmiş olmakta, bütün bunları ma'bud edinerek Allah'a şirk koşmuş bulunmaktadır. Bu tür ma'budlardan en kısa zamanda kurtulmak gerekir.

İkinci kısım sevgi, Allah'm nefislere hoş gösterdiği kadınları, çocukları, altını, gümüşü, cevâd atları, hayvanları ve tarlaları sevmektir ki bu sevgi, karnı aç kimsenin, yemeği, susuz kimsenin de suyu sevmesi gibi arzulama türünden bir sevgidir. Bu sevgi üç kısımdır. Eğer kul bununla Allah'a ulaşmayı, rıza ve taatında destek olup mükâfatını almayı arzulayarak seviyorsa bu, Allah'a olan sevgi kısmındadır. Bununla Allah'a ulaşır, bunlardan faydalanma hazzını duyar. Dünyada kadınlardan ve güzel kokulardan[127] insana sevdirilen en güzel sevgiler böyle sevgilerdir. İnsanın bu iki şeye sevgi göstermesi, Allah'ı sevmesine, vahyi tebliğ etmesine ve emrine uymasına yardımcıdır.

Yok eğer bu sevgi, tabiatına, hevâ ve isteğine uygun olarak gerçekleşiyor, ayrıca bunları Allah'ın sevdiği ve razı olduğu şeylere tercih etmeden sırf tabî meyl sûretiyle seviyorsa bu mübahlar kısmmdanıdır. Sevgisinden dolayı cezâlandırılmaz, ama Allah'a ve O'nun sevdiği şeylere olan sevgisi noksanlaşır.

Yok eğer sevdiği şey, onun amacını, muradını oluşturuyor, elde etmek, kazanmak için gayretini sarfediyor ve bunu da, Allah'm sevdiği, razı olduğu şeye tercih ediyorsa bu kimse, nefsine haksızlık etmiş ve hevâsına uymuştur. O hal-

---

126. Bakara sûresi, (2/165).

127.Bu söz, Rasûlullah'tan sabit olmuştur. Nesâî, İmam Ahmed, Hâkim, Beyhakî ve Taberânî **es-Sağîr** de Enes'ten rivayet etmişlerdir. bkz. **Sahîhu'l-camî** (3119).

de birinci kısım sevgi, imanda ileri olanların sevgisi, ikinci kısım sevgi, imanda orta yolu takibedenlerin sevgisi; üçüncü kısım sevgi ise zâlimlerin sevgisidir.

Allah için sevmekle Allah ile beraber başka şeyleri sevmek arasındaki ortak ve farklı noktaları iyi düşün. Çünkü emmâre nefisle mutmain nefsin birbirleriyle harbettiği yer burasıdır. Hidâyete eren, ancak Allah'ın hidâyet verdiği kimsedir.

FASIL

Tevekkül ile acizlik arasındaki fark: Tevekkül, kalbin fiilidir. Allah'a dayanarak O'na kulluktur, güvendir, iltica ve işlerini O'na havale etmektir. Ayrıca Allah'ın kendine yeter olduğunu, sebeplere sarılıp aradığı şeyi bulmaya çalışmakla birlikte Allah'a havale edilen şeyde O'nun kulu için iyiyi, güzeli seçeceğini bildiği için O'nun hükmüne razı olmak da tevekküldür. Rasûlullah, oldukça tevekkül sahibi biridir: Ümmeti için zırhını giyinip kuşanırdı.[128] Hatta Uhud günü üzerinde iki zırh vardı.[129] Üç gün Sevr mağrasında gizlendi.[130] Kısacası o, sebebe bağlanır; sebebe bağlılıktan kaçmazdı.

Acizlik ise iki şeyde veya bunlardan birinde çaresiz kalmaktır. Acizlik ya güçsüzlüğünden dolayı sebebe bağlanmayıp bunu tevekkül sanmaktır ki bu Allah'a yemin olsun ki acizlik ve alçaklıktır. Yahutta sebebe bakıp ona dayandığı halde müsebbibden yüz çevirdiği için ondan habersiz olmaktan dolayı olur. Müsebbib aklına gelse bile kalbini Allah'a, bedenini de sebebe bağlayacak şekilde aklına geldiği şey üzerinde durup kalbini ona bağlamaz. İşte bu kimsenin tevekkülü acizlik, acizliği de tevekküldür.

Bu hususta üç görüş vardır: Bunlardan ikisi, iki uçta, diğeri ise ortadadır. İki uçta olanlardan biri tevekkülü korumak açısından sebepleri önemsiz saymıştır. Diğeri ise tam aksine sebebi korumak için tevekkülü hiçe saymıştır.

Vasat olan görüş ise şudur: Tevekkül, ancak sebebe bağlanmakla tamamlanır. Yani bizzat sebeb hususunda Allah'a tevekkül olur. Sebebi hiçe sayıp kendinin te-

---

128. İbni Hişâm ve Ahmed Câbir'den; Beyhakî ise İbni Abbas'tan Rasûlullah'a ait şu sözü rivayet etmişlerdir: "Bir peygamber üzerine zırhını giydi mi, Allah O'nunla düşmanı arasında hükmedene kadar onu çıkarması gerekmez". Hadis sahihtir. Şeyh Elbânî, Gazâlî'nin **Fıkhu's-sire**'sinde bulunan hadislerin tahricini yaparken bu hadise sahih demiştir. bkz. **Tahrîcu'l-hadîs fi'z-zâd**, c. 3, s. 193. **en-Nihaye**'de (el-emctü) kelimesinin zırh manasına geldiği belirtilmiştir. Silah manasına geldiği de söylenmiştir. Bu kelime birçok hadiste geçmektedir.

129. Ebû Dâvûd'a göre bu hadisi Sâib b. Yezîd sahabenin birinden rivayet etmiştir. Avn şerhi, c. 7, s. 253; İbni Mâce, c. 2, s. 938. **ez-Zevâid**'de: "Buhârî'nin şartına göre hadis sahihtir" denmektedir. İmam Ahmed de rivayet etmiştir. c. 3, s. 449. **Câmiu'l-usûl** muhakkiki hadisin isnadını sahih sayar. c. 8, s. 251.

130. Bu olay, Rasûlullah'ın hicreti esnasında Sevr mağarasında geçmiştir. Buhârî, Hz. Âişe'den gelen uzunca hadiste rivayet etmiştir. c. 4, s. 254. Şahid hadis de 256'dadır.

vekkül sahibi olduğunu söyleyene gelince o, gururlu, aldatılmış ve temennî sahibi kimsedir. Onun temennisi evlenmeden çocuk sahibi olmak isteyen kimseye; tarlasına tohum ekmeyip boş bırakan ve ürün alması için de tevekkül edene; birşey yemeden, içmeden doymak ve kanmak isteyen kimseye benzer. Tevekkül, ümide benzer; acizlik ise temenniye benzer. Gerçek tevekkül, kulun Allah'ı kendisine vekil edinmesi, mütevekkilin, durumunu, gücünü, samimiyetini, emanetini, tecrübesini ve güzeli tercih ettiğini bildiği bir vekile her şeyini havale ettiği gibi her işi Allah'a havale etmektir. Yüce Allah kuluna çarelere başvurmasını ve başvurduğu çarelerden kendine en uygun olanının gelmesi için kendisine tevekkül etmesini emretmiştir. Buna bağlı olarak tarlasını sürüp ekmesini; Allah'ın takdirine ve hikmetine göre rızkını bulmak için çaba sarfetmesini; bu uğurda kalbini kendisinden başkasına takmayıp kendisinden ümit etmesini; kendisinden korkmasını, kendisine güvenip tevekkül etmesini emretmiştir. Şüphesiz O, en yeterli vekil, en sağlam kefildir. İşte acizlik içinde bulunan kimse, bütün bu hususları arkasında atıp rahatlığı arayarak bolluğu umarak miskin miskin oturan kimsedir. Aciz kimsenin sözü şudur: "Ecel sahibini bulduğu gibi rızık da sahibini bulur. Zayıf olmama rağmen kaderimde olan şeyler muhakkak bana gelecektir. Gücümün üstünde olan şeylere de zaten ulaşamam. Ölümden kaçtığım gibi rızıktan da kaçsam, ölüm gibi muhakkak o da beni bulur". Aciz kimsenin bu görüşlerine karşılık olarak denir ki: "Evet, dediklerinin hepsi doğru. Biliyorsun ki senin rızkın önceden takdir edilmiştir. Ama bu rızkın sana nasıl takdir edildiğini bilmiyorsun. Kendi elinle mi yoksa başkasının eliyle mi. Kendi elinle kazanacaksan hangi sebeple ne şekilde kazanacaksın. Bütün bunlardan haberin olmadığına göre rızkının sana doğrudan yahut gayretle, peşinden koşmakla geleceğini nereden biliyorsun? Nice şeyleri elde etmek için çalışıyorsun ki o başkalarına nasib oluyor. Nice başkalarının gayretleri de vardır ki o rızık olarak sana geliyor! Bu hususları açıkça görebildiysen rızkmm tamamen başkasının gayretiyle geldiğini nereden biliyorsun? Yine verdiğim nefis misalinde, mesela o bütün sebepleri müsebbibleri ile beraber bir kenara itmeyi istiyor. Öyle ki cennete girme, ateşten korunma sebeplerine bile bakmamanı söylüyor. Nefis gibi sen de tevekkül ederek bunları bir kenara mı atarsın yoksa bu sebeplere tevekkül ederek mi sarılırsın? Yeryüzünde sürekli tevekkül eden, sabırlı, nefsini Allah'a adamış; kalbini O'na güvenle ümitle, güzel zanla doldurmuş insanlar vardır. Böyle olmakla birlikte birtakım sebeplere doğrudan sarılmakla kalbi daralmış insanlar, kalbini Allah'a bağlayarak, O'na güvenip O'nunla mutmain olarak rızıklarını elde etmede en güçlü olan sebepleri elde etmişlerdir. Hiçbir sebebi bir kenara atmamışlar, bir sebepten daha güçlü olan sebebe yönelmişlerdir. Böyle bir kulun tevekkülü, kendine göre en güçlü sebeblere bağlanmaktır. Demek ki kulun kalbini Allah'la meşgul etmesi, O'nunla sükun bulup O'na tazarru etmesi, bu güzelliklere ulaşmaya veya bunla-

ı tam elde etmeye mani olan sebeplere tutunmasından daha sevimlidir. Mü'min kişinin kalbi, Allah'a yaklaşma sebebi ile O'ndan uzaklaşma sebebini bir arada bulundurmaz, birinden diğerine geçer. Şüphesiz kulun kendisiyle kalbini doldurup meşgul ettiği en güzel hal, Rabbiyle meşgul ettiği haldir. Her iki güzel hali üzerlerinde toplamış olanlar Rasûller ve Ashâb-ı Kirâm'dır. Meselâ Zekeriyyâ (AS) marangozdu. Hz. Nuh (AS) gemi yapardı. Sahâbe arasında tevekkül ederek sebebi bir kenara atan kimse yoktu. Sebebi bir tarafa atınak şöyle dursun tevekkül ile sebebe aynı anda bağlanırlardı. Görmüyor musun ki onlar, din yolunda elleriyle dilleriyle düşmanlarla harp etmişler; gerçek tevekkülle bu uğurda çalışmışlar; ellerinde bulunan mallarını Allah yolunda en güzel şekilde kullanmışlar, salat ve selam O'nun ve âlinin üzerine olsun, tevekkül edenlerin efendisine uyarak mallarını ihtiyaç sahiplerine gerektiği kadar verip dağıtmışlardır.

FASIL

İhtiyat ile vesvese arasındaki fark: İhtiyat, sünnete, Rasûlullah'ın ve ashabının üzerinde olduğu şeye aşırılığa kaçmadan, hadde tecâvüz etmeden, ihmal ve tefrite düşmeden gerektiği şekilde uymaktır. Allah ve Rasûlünün razı olduğu ihtiyat işte bu tür ihtiyattır. Vesvese ise sünnette açıklanmamış ne Rasûlullah'ın ne de ashabının yapmadığı bir şeye uymaktır. Ki bu durumdaki kişi meşrû şeyi elde edip koruduğuna inanmaktadır. Abdeste, uzuvlarını üçer defadan fazla yıkamak, böylece abdest ve gusül suyunda israf etmek böyle bir ihtiyata örnektir. Yine birkaç defa yahut bir defa namaza niyetini açıktan söylemek, pisliği kesin bilinmeyen bir necasetten dolayı ihtiyaten elbisesini yıkamak, ihtiyaten namazını ayakkabısı ile kılmak gibi vesveseler de bu kısma girer. İhtiyat, Rasûlullah'ın yoluna ve O'nun getirdiklerine uymaktır. Rasûlullah'ın sünnetine yönelik ihtiyat sınırından çıkan kimse, ihtiyatı bırakmış en kötü yola girmiş kimsedir. Yeryüzünde bulunan çoğu insana hatta herkese karşı olsan da sünnete karşı gelmemek için ihtiyatlı davranman ihtiyatın tâ kendisidir.

FASIL

Meleğin ilhamı ile şeytanın bırakması arasındaki fark: Bunların birkaç kısmı vardır. Birincisi Allah'ın rızasına, Rasûlullah'ın getirdiklerine uygun olanlar meleğin ilhamıdır. Allah'ın rızasına uygun olmayan diğer şeyler ise şeytanın bırakmasıdır. İkincisi: Allah'a yönelişi, O'ndan yardımı, O'nu anmayı ve O'na ulaşmak için yüksek hedef meleğin ilhamıdır. Bunların dışındakilerse şeytanın bırak-

masıdır. Üçüncüsü: Kalbe ünsiyet ve nur veren, göğüste genişlik oluşturan şeyler melekten; bunun aksine olanlar ise şeytandandır. Dördüncüsü: Kalbe sükûnet, mutmainlik verenler melekten; kalbe üzüntü, ıztırap ve rahatsızlık verenler ise şeytandandır. Melekî ilhamlar, Allah'ın nuruyla aydınlanmış temiz, saf kalplerde çokca görülür. Kalp temiz olunca, ilham veren melekle kalp arasında bir münasebet bulunur. Çünkü melek temiz, hoş kokulu varlık olduğundan ancak kendine uygun kalple dostluk kurar. Böylece, meleğin kalbe bırakması şeytanınkinden daha çok olur.[131] Şehvetler ve şüpheler dumanıyla kararmış karanlık kalbe gelince bu kalbe ise şeytanın bırakması meleğinkinden daha çok olur.

FASIL

İktisat ile cimrilik arasındaki fark: İktisat, ifrat ve tefrite kaçmadan orta yolu takip etmektir. İktisat, birbirine zıt iki uçtan oluşur. Bunlar cimrilik ve savurganlıktır. Muktesit ise orta yolu takip eden aşırı iki uçtan kaçınan kimse demektir. Bu hususta Yüce Allah âyetlerinde şöyle buyurur: "Ve harcadıkları zaman ne israf ederler ne de cimrilik ederler. Harcamaları, bu ikisinin arasında dengeli olur",[132] "Ellerini boynuna bağlanmış yapma, tamamen de açma"[133] ve: "Yiyiniz, içiniz, israf etmeyiniz".[134] Yani yeme ve içmelerinde bu iki aşırı kutbun arasında olun. İslâm, diğer dinler arasında bir dindir. Sünnet, bid'atlar arasında dengedir. Allah'ın dini de aşırı yükseklikle aşırı alçaklık arasında orta bir yerdedir. Aynı şekilde ictihad da emre uymada gayret sarfetmektir. İctihatta aşırılık ise haddı aşmaktır. Yüce Allah bir şeyi emretti mi şeytanın muhakkak onda iki dürtüsü vardır. Ya aşırılığa kaçar, haddi aşar. Yahutta ihmal eder, tefrite düşer. İtikatta, amelde ve yönelişte bu iki afetten kurtulanlar sadece Rasûlullah'ın peşinden gidenler; Rasûlullah'ın getirdiklerini alıp bunun karşılığında insanların görüşlerini sözlerini terkedenlerdir. İnsanların görüşlerini sözlerini alıp Rasûlullah'ın getirdiği şeyleri terkedenler ise bu iki âfetten kurtulamazlar. Tehlikeli bu iki hastalığa çoğu insan müptelâ olmuştur. Bu nedenle selef, bu iki hastalıktan son derece sakınmış; bunlardan birine mübtelâ olanları da helak olma korkusuyla korkutmuşlardır. Bir insanda bu iki hastalık bazen birden bulunur ki çoğu insanların durumu budur, dininin bir kısım hükümlerinde hem ifrat hem de tefrite düşerler, bir kısmında ise haddi aşarlar. Hidâyete eren, Allah'ın hidâyete erdirdiği kimsedir.

---

131. Müellif burada, Tirmizî, Nesâî ve İbni Hibban'ın İbni Mes'ûd'dan rivayet ettikleri şöyle başlayan hadise işaret etmektedir: "Şeytanın, Ademoğlundan oluşan bir tayfası vardır." Hadis zayıftır. bkz. **Zaîfü'l-camî** (1961)
132. Furkân sûresi, (25/67).
133. İsrâ sûresi, (17/39).
134. A'râf sûresi, (7/31).

FASIL

Nasihat ile serzenişte bulunmak arasındaki fark: Nasihat, öğüt verdiğin kimseye, merhamet edip acıyarak ve ona farklı davranarak ihsanda bulunmandır. Yani nasihat, merhamet ve naziklikten doğan mahza ihsandır. Nasihat eden kişinin amacı, Allah'ın rızasını, rahmetini çekmek; Allah'ın kullarına ihsanda bulunmaktır. Bu amaçta olan kişi, son derece lütufkâr olur. Öğüt verdiği kimsenin eza ve kınamasına tahammül eder. Ona olan muâmelesi, maharetli, şefkatli doktorun hastasına olan muâmelesi gibidir. Doktor, hastasının kötü ahlakına, geçimsizliğine ve nefretine tahammül eder; ilacı ona içirmek için bütün yolları dener. Nasihat veren kişinin durumu da böyledir.

Serzenişte bulunan kimse ise içindeki kinini kusan, ihanet eden ve onu nasihat sûretiyle kınayıp ona serzenişte bulunana: "Ey şunu şunu yapmış adam. Ey ihaneti, kötülüğü hak etmiş adam" diyerek şefkatli ve öğüt veren konumunda bulunan kimsedir. Serzenişte bulunan kimsenin özelliği şudur: Kendisini seven, kendisinin yaptığı gibi yapan yahut kendisi gibi kötülük işleyen bir adam gördüğünde ona karşı çıkmaz, hiçbir şey demez. Birçok mazeret arkaya çıkar. Üzerine biraz varılınca da: "O, nasıl oluyor da günahsız oluyor? İnsan hata işleyebilir. Ama güzel amelleri, kötü amellerinden daha çoktur. Ayrıca Allah, çok bağışlayandır, acıyandır da.." der. Bu ne tuhaf şey ki öfkelendiği kimseye karşı değil de sevdiği kimseye karşı böyle diyebiliyor?! Öğüt vermek sûretiyle serzenişte bulunmanın hazzıyla afv ve mağfiret ummanın hazzı nasıl bir oluyor ve de çeşit çeşit mazeretler ileri sürmek nasıl mümkün olabiliyor?

Nasihat verenle serzenişte bulunan kimse arasındaki farktan biri de şudur: Nasihat veren, nasihatını kabul etmediğinde sana düşman olmaz. "İster kabul et ister kabul etme, Allah katında ben mükâfatımı aldım" der, o kimsenin arkasından duâ eder ve de insanlar arasında nasihatte bulunduğu kişinin hiç kusurlarından bahsetmez. Serzenişte bulunan kimse ise bunun tam tersidir.

FASIL

Mubâdere ile (zaman gözetlemek) acele arasındaki fark: Mubâdere, zamanında elde ettiği fırsatı ganîmet bilip onu elinden kaçırmamak; eğer kaçırmış ise peşine düşmektir. Bu özellikteki insan, işlerini ne vaktinden önce yapar ne de vaktinden sonra. Vakti gelince aslanın, avına saldırdığı gibi bu kimsede hemen işini görmeye başlar. Bu kimse, olgunlaşmış, yetişmiş meyveleri derhal toplamaya koğulan insana benzer.

Acele ise bir şeyi zamanından önce istemektir. Aşırı hırsından dolayı bu kimse henüz olgunlaşmamış meyveleri toplamaya çalışan insana benzer. O halde mübâdere, birisi tefrit ve zayî etmek diğeri ise zamanından önce bir işe yönelmek olan kötü iki huyun ortasında bulunmaktadır. Bu nedenle acele, şeytandan sayılır. Çünkü acele, kulu sebattan, vakârdan ve hilimden engelleyip işlerini yerli yerince yapmamaya mecbur eden, kulun üzerine birçok kötülüğü çekerek çeşitli güzelliklerden alıkoyan hafiflik ve sersemliktir. Tembellik, kaybetmenin elden kaçırmanın dostu olduğu gibi acele de pişmanlığın dostudur. Acele edip de pişman olmayan insan, oldukça azdır.

FASIL

İçinde bulunduğu durumu belirtmekle şikayet etmek arasıdaki fark: Yapı itibarile birbirlerine benzerlerse de aralarında fark vardır. İçinde bulunduğu durumu bildiren kimse, karşısındaki dostuna yanına gelmesinin sebebini samimî olarak bildirmek yahut dostunun kendisinden istediği bir şeyi yapamadığı için özür dilemek yahutta kendinin düştüğü duruma kardeşinin de düşmesinden sakındırmak amacını gütmektedir ki, durumunu bildirerek dostuna öğüt vermiş veya ona sabır ve teselli vermiş oluyor. Anlatıldığına göre Ahnef, kendisine şikâyette bulunan adama: "Ey kardeşimin oğlu. Şu kadar sene önce gözümün parlaklığı gitti, ama bunu daha kimseye söylemiş değilim" demiştir. Ahnef, kendisinin de başına gelen musîbeti anlatarak şikayete gelen kimseye sabır ve sükûneti tavsiye ediyor. Ancak her ikisinin şikayetlerini anlatmalarındaki maksatları farklıdır. Daha güzel misal de Hz. Aişe: "Vay başım!" dediğinde Rasûlullah'ın da: "Vay benim de başım!" diye karşılık vermesidir.[135] Yani benim başım seninkinden daha çok ağrıyor. Üzülüp şikayette bulunma. Aklıma bir yorum daha geldi. Hz. Aişe, Rasûlullah'ın dostu ve kesinlikle hanımları arasında en sevdiği hanımıdır.[136] Hz. Aişe Rasûlullah'a başından şikayette bulununca Rasûlullah, ona olan sevgisinden dolayı kendi başının ağrıdığını da söylemiştir. Kişinin, dostuna vereceği en iyi karşılık budur. Kişi, dostunun acısına acınır,

---

135. Buhârî, Merdâ (16)'da, İbni Mâce ise Cenâiz (9)da rivayet etmişlerdir.

136. İmam Buhârî rivayet etmiştir. c. 4, s. 192. Meğâzî'de [(63) c. 5, s. 113)] Amr b. Âs'tan şöyle bir rivayet zikredilir. Amr b. Âs Rasûlullah'a sorar: "İnsanlardan en çok sevdiğin kimdir? Rasûlullah: "Âişe'dir" der. Sonra Amr b. Âs: "Erkeklerden kim?" diye sorar. Rasûlullah: "Âişe'nin babası" der. Sonra kim deyince: "Ömer'dir" der. Amr der ki: Rasûlullah bir çok ashabı saydı. En sonuncuları olurum korkusuyla sormaktan vazgeçtim". Hadisi Müslim, Nevevî şerhi, Fedâilü Ebî Bekr, c. 15, s. 153; Tirmizî, Menâkıb-ı Aişe, c. 10, s. 383'te rivayet etmişlerdir. Tirmizî'nin rivayeti Hz. Ebû Bekir'de son bulmaktadır. Tirmizî hadis hakkında: "bu rivayetle hadis, hasen ve garibtir" demiştir. Ben derim ki: "Camiu'l-usûl'de sadece Tirmizî'nin rivayetine yer verilmiştir. Gerek Camiu'l-usûl müellifi gerekse muhakkiki, Şeyhayn'ın da rivayetleri olduğunu belirtmemiştir. bkz. Camiu'l-usûl, c. 9, s. 153."

sevgisine de sevinir. Öyle ki dostunun bir uzvu incinince bilfiil kişinin kendi uzvu da, ona olan gerçek sevgisinden, saf dostluğundan dolayı incinir. Birinci manadan şu anlaşılır: Şikâyette bulunma, sabret. Bak, benim de senin gibi derdim var. Sabırla, şikâyet etmeden benim halime üzül. İkinci manaya göre gerçek sevgisini azhar ederek: "Sana olan derin sevgime bak. Senin elemine nasıl üzülüp de benim de başım ağrıyor. Ben de rahatsızlık yokken sen bana acımı anlatmıyorsun. Seni ise sevindiren şey beni de sevindirdiği gibi seni üzen şey beni de üzmektedir" demiş olmaktadır. Şairin biri de:

وإن أولى البرايا أن تواسيه عند السرور الذى واساك فى الحذن

Yani "Hüzünlü anında, seni üzen sevince üzülenler insanların en hayırlısıdır" demektedir.

Şikâyette ise böyle güzel bir amaç bulunmaz. Şikâyetin kaynağı, öfke ve başındaki belayı başkalarına şikâyet etmektir. Kişi, bu şikâyetini Allah'a yaparsa bu şikâyet sayılmaz; Allah'tan şefkat, merhamet ve yardım dilemek olur. Bu konudaki misaller şunlardır: "Hz. Eyyûb diyor ki: "Bu dert bana dokundu. Sen merhametlilerin en merhametlisisin".[137] Hz. Ya'kub: "Ben üzüntü ve tasamı yalnız Allah'a arzederim"[138] demiştir. Hz. Mûsâ da: "Ey Allahım, hamd sanadır. Şikâyetler sana bildirilir, yardım senden istenir, meded senden umulur ve işler sana havale edilir. Senin gücünden başka güç ve kuvvet yoktur" demiştir. Âdemoğullarının efendisi Rasûlullah da şöyle demiştir: "Ey Allahım, kuvvetimin azaldığını, çaremin tükendiğini ve insanlar karşısında zayıf düştüğümü Sana arzederim. Sen şüphesiz güçsüzlerin Rabbisin. Sen ki Rabbim! Beni kime bırakıyorsun? Saldırıya uğramayacağım uzak yerlere mi yoksa işimi kendisine verdiğin düşmana mı bırakıyorsun. Eğer senin bana karşı herhangi bir gazabın yoksa bunlara ben aldırmam. Fakat Senin afiyetin beni kuşatmıştır. Karanlıkların aydınlandığı, dünya ve ahiret işlerinin düzenlendiği vechiyin nuruyla, üzerime gazabının veya öfkenin bana gelmesinden Sana sığınırım. Razı oluncaya dek hoşnutluk Sana olsun. Hiçbir güç ve kuvvet yoktur ki muhakkak o, Seninledir".[139] Demek ki Allah'a yapılan şikâyet hiçbir şekilde sabra münafî olmaz. Çünkü Yüce Allah: "Bu dert bana dokundu" diyerek kendisine şikâyette bulunan Hz. Eyyûb hakkında: "Gerçekten biz onu sabreden bir kul olarak bulduk. O ne güzel kuldu. Daima bize başvururdu"[140] buyurmuştur. Hz. Ya'kub da kendi kendine güzel sabır sahibi olmaya söz vermiş Rasûlullah da O'nun hakkında: "O sözünde durmuştur" demiştir. Hz. Ya'kub diyor ki: "Ben üzüntü ve ta-

137. Enbiyâ sûresi, (21/83).
138. Yûsuf sûresi, (12/86).
139. Taberânî **el-Kebîr**'de Abdullah b. Ca'fer'den İbni İshak ise senetsiz olarak rivayet etmişlerdir. c. 2, s. 48 Şeyh Elbânî ise, **Tahrîc-ü fıkhı's-sîre**'de (s. 132) hadisi zayıf saymıştır.
140. Sâd sûresi, (38/44).

samı yalnız Allah'a arzederim". Yüce Allah, onun bu sözünü sabrında kusur olarak görmemiştir. Durum böyle olunca insanların bâtıl sözlerine iltifat etmemeli. Bazıları diyor ki: "Hz. Ya'kub: "Bu dert bana dokundu" deyince Allahû Teâlâ: "Biz onu sabreden bir kul bulduk" buyurmuştur. Hz. Ya'kub, bu dert bana dokundu demesine karşı Yüce Allah da biz onu sabreden bir kul yani "sâbir" bir kul bulduk buyurmuş çok sabreden manasına "sabûr" bir kul bulduk dememiştir. Bazıları da: Hz. Ya'kub: "Bana merhamet et" dememiştir. Sadece: "Sen merhametlilerin en merhametlisisin" demiştir; içinde bulunduğu diğer halleri Allah'a arzetmemiştir demektedir. Bazıları da: Hz. Ya'kub dili tutulup Allah'ı zikredemez olunca zikir yapamamaktan şikâyetçi olmuştur. Şikâyeti kesinlikle hastalık ve elemle ilgili değildir" demiştir. Bazıları ise: "Bu ümmetin güçsüzlerine örnek olması açısından Hz. Ya'kub'un bu sözü alınmıştır" demiştir. Tabîi, bu görüşte olanlar Allah'a şikâyette bulunmanın sabra aykırı olacağını söylemiş olmaktadırlar ki bu, yapılabilecek en büyük hatadır. Sabra münafî olan şey, Allah'a değil de başkalarına yapılan şikâyettir. Bu nedenle kulunun yalvarmasını, duâsını ve şikâyetini duymak için Yüce Allah kuluna bir takım belalar verir. Allah, şiddetle sabretmeyi arzulamaz. En çok sevdiği şey kulunun kalbinin, huzurunda kırılması, kendini zelil görerek, güçsüzlüğünü, muhtaçlığını, acizliğini ve sabrının azlığını ızhar etmesidir. Zorluğa sabredebileceğini Allah'a göstermekten şiddetle sakın. Sana düşen yalvarmak, sükun bulmak, acizliği, muhtaçlığı, zillet ve güçsüzlüğü açığa vurmaktır. Allah'ın böyle bir kalbe rahmeti, elin ağza yakınlığından daha yakındır.

FASIL

Burada anlatılması gereken farklar çoktur. Kader yardım ederse konu hakkında müstakil bir eser yazarız. Burada anlattıklarımız, temel farklardır. Akıllı kimse bu kadarıyla yetinir. Dinin tamamı farklardan oluşur. Allah'ın Kitab'ı el-Furkân'dır.[141] Hz. Muhammed, insanlar arasında farklı bir kimsedir.[142] Kim Allah'tan korkarsa Allah o kimseye furkan kılar. Yüce Allah: "Ey iman edenler, Allah'tan korkarsanız O size iyi ile kötüyü birbirinden ayırıcı (furkân) anlayış verir"[143] buyurmuştur. Allah'ın dostlarının, düşmanlarından ayrıldığı gün olan

---

141. Nitekim âyet-i celîlede de: "Furkânı âlemlerin bir korkutucusu olsun diye indiren Allah'ın şanı ne yücedir" buyurulmaktadır. (el-Furkân, 25/1).

142. İmam Buhârî Câbir b. Abdillah'tan Kitabu'l-I'tisâm'da rivayet etmiştir. c. 8, s. 139-140. Sözkonusu yerde "Melekler, Rasûlullah uyurken geldiler" kısmından "Muhammed, insanları ayırdı" kısmına kadar olan yer anlatılmaktadır. Muhammed (SAV), hak ehliyle batıl ehlini birbirinden ayırdı, demektir. Hadiste birçok faideli hususlar anlatılmaktadır. Daha geniş bilgi isteyenler **Sahîhü'l-Buhârî**'ye bakabilirler.

143. Enfâl sûresi, (8/29).

Bedir gününe furkân denir.[144] Hidâyetin tamamı furkândır. Dalâletin aslı ise birleştirmektir. Nitekim müşrikler Allah'a kullukla putlara kulluğu, Allah sevgisiyle, putların sevgisini; Allah'ın sevdiği razı olduğu şey ile takdir ettiği hükmettiği şeyler arasını birleştirmişlerdir. Dolayısıyla buyruğu tek saymışlar, kazâ ve kaderiyle rızası ve sevgisine deliller bulmuşlar: "Şüphesiz alış-veriş riba gibidir"[145] diyerek alış-verişle ribayı; temiz etle, ölü hayvan etini bir saymışlar arkasından da: "Elimizle öldürdüğümüzü yerken Allah'ın öldürdüğünü niçin yemeyelim" demişlerdir. Dinlerdeki helal ve haramları kaldıranlar da: "Şu kadını da yaratan Allah'tır, bu kadını da. Şu hayvanı da yaratan O'dur bu hayvanı da. Birisi helal olup diğeri nasıl haram olabilir" diyerek Allah'ın dostlarıyla şeytanın dostlarını bir saymışlardır.

İttihadî bir fırka da çıkıp vadiyi köylere çevirmiş hepsini tek bir zatta birleştirince "İşte tek Allah budur" Bu fırkanın prensiplerini koyan birisi de "Bil ki, iş birleştirmektir, furkan değildir" diyerek şu şiiri söylemiştir.

ما الأمر ألا نسق واحد ما فيه من مدح ولا ذم
وإنما العادة قد خصصت والطبع والشارع بالحكم

Yani; "Emir sadece bir düzendir. Onda ne övgü ne de yergi vardır. Gelenekler bu emri tahsis ederken akıl ve Şarî' bu emirle hükmeder".

Kısacası basiretli kişiler furkân sahipleridirler. Şüphelere karşı insanların en furkânlısı (anlayışlısı), en basiretli olandır. Benzeşme; sözlerde, fiillerde, amellerde, durumlarda, mallarda ve insanlarda olur. Bütün bu saydıklarım benzer şeylere çoğu ilim sahipleri gelir ama Allah'ın dilediği kullarının kalbine attığı nur olmaksızın bu benzer şeyler birbirinden ayrılmaz. Bu nur sayesinde, işlerin gerçek yönleri görülür, doğrusu yanlışından, sağlamı da sakatından ayrılır: "Allah bir kimseye nur vermedikten sonra onun nuru olmaz" buyurulmuştur.[146] Bu konuyu fazla uzatmamalı, belki kitabın en faydalı bölümü olur. Bu açıklamalara çok ihtiyaç vardır. Eğer Yüce Allah bu izahlardan seni rızıklandırırsa, anlayışın seni rızıklandırırsa, anlayışın (furkânın) artar. İşte Rasûllerin tevhidi ile muattılının tevhidi arasındaki fark budur. Rasûlleri hatalardan uzak görmekle muattılları hatalardan uzak görmek arasındaki fark; Allah'ın sıfatlarının, yüceliğinin, konuşma ve konuşturmasının var oluş gerçeği ile tesbih ile temsil arasındaki fark; amel ve irâdeyle mücerred tevhid inancıyla Allah'ın kendilerine dereceler verdiği derece sahiplerine saldırmak arasındaki fark; mücerred olarak masum kişiye uymakla âlimlerin görüşlerini bir kenara atmak, onlara itibar ve iltifat etmemek arasında-

144. Nitekim âyet-i celîlede: 'İki ordunun birbirine kavuştuğu gün, hak ile batılın birbirinden ayrıldığı gün kulumuz Muhammed'e inanmışsanız..." (Enfâl sûresi, 8/41) buyurulmaktadır.
145. Bakara sûresi, (2/275).
146. Nûr sûresi, (24/40).

ki fark; bilen kişiyi taklid etmekle onun ilmi ışığı altında anlayışından faydalanarak aydınlanmak arasındaki fark; Rahman dostlarıyla şeytan dostları arasındaki fark; Rahmanî iman halinde bulunmakla şeytanî ve nefsanî küfür arasındaki fark ve Allah tarafından indirilmiş herkesin uyması gereken hükümle yalnızca zarûret anında uyulabilecek karşı çıkana fazla zararı olmayan müevvel hükme uymak arasındaki fark da anlayış ve basiret farkıdır.

FASIL

Sözünü ettiğimiz farklara kısa kısa işaret ederek kitabımıza son vereceğiz. Kısa kısa işaret etmemiz, bu farklardan her birinin büyükçe bir kitabı dolduracak kadar geniş olması nedeniyledir. Rasûllerin tevhidi ile muattılların tevhidi arasındaki fark: Rasûllerin tevhidinde, Allah'ın kemâl sıfatları, ortak koşmaksızın yalnızca O'na ibadet etmek genişçe yer tutar. Yönelişte, sevgide, korkuda, ümitte, sözde, yerinde ve adakta O'na bir eş tutulmaz. Kul Allah'a eşler koşmayı kalbinden, niyetinde, dilinden ve ibadetlerinden atar. Allah'ın gerçekte eşleri olmadığı için, kulun kalbinde ve dilinde hiç olmaması gerekir.

Muattılların tevhidi ise Allah'a ait isim ve sıfatların gerçeğini kabul etmez, bunları Allah'tan soyar. Allah'a ait sıfatları dilinden atabilenler derhal dillerinden bu sıfatları atarlar. Bunu yaparken de ne sıfatları anarlar ne bu sıfatları içeren ayetleri ağızlarına alırlar ne de Allah'a ait sıfatları açıklayan bir hadise bakarlar. Allah'ın sıfatlarını dillerinden atamayanlar ise sıfatlara silip süpürerek yaklaşırlar, sıfatların gerçek manalarını reddederek manası olmayan veya olsa bile bilmece-bulmaca cinsinden bir manası olan içi boş isimler yaparlar. Bir kimse Allah'ı sıfatlarından soymak istiyorsa nass tarafından sıfatm değiştirilen manası aynı ölçüde kendisinden sakındığı manaya eşit olması gerekir. Bu durumda eğer temsil, teşbih ya da gerçekte bir hudûs (sonradan olma) söz konusu ise nassın işaret ettiği manaya sarılması, bu hususta kendi anlayışını bırakması gerekir ki gerçekte böyle bir ilzamın olmaması daha evlâdır. Böyle bir ilzamın mümkün olmadığı bilinince bütün sıfatları soymak geriye kalıyor. Bu, sıfatlardan soyma esasına yönelik bir uğraştır. Aralarındaki fark yakındır, ama bâtılı hüküm saymak olacağından dolayı çelişkilidir. Şöyle ki kendi kabul ettiği birtakım sıfatları Allah'a vermek, geri kalanını ise kenara atmak çelişkinin kendisidir. Her ikisinde bulunan sakat lüzumluluk tektir. Gerçek lüzum ise bunların arasını açmaz.

Kısacası onlar, bu çeşit sıfat soymaya tevhid diyorlar. Bunları yaptığı sadece Allah'ın isimlerinde, sıfatlarında ilhad ve bunların gerçeklerini ta'tîl etmektir.[147]

147. Daha geniş bilgi için bkz. İbni Teymiyye, **er-Risaletü-tirmiziyye ve'l-hameviyye.**

FASIL

Allah Teâlâ'yı Rasûllerin tenzih etmesiyle dinsizlerin tenzih etmesi arasındaki fark: Rasûller, Allah'ın, kendisinden münezzeh olduğunu belirttiği kusur ve ayıplardan O'nu tenzih etmişlerdir. Bu kusur ve ayıplar Allah'ın kemâliyle, rubûbiyet ve azametinin kemâline münâfidir. Bu kusurları şöyle sıralayabiliriz: Uyuklamak, uyumak, gaflet, ölüm, yorulmak, haksızlık yapmak, kandırmak, rakip edinmek, ortağı, hanımı, çocuğu olmak, izni olmadan şefâat edebilmek, kullarını ihmal edip başı boş bırakmak, insanları amaçsız yaratmak, göklerin yerin ve aralarında bulunanları bâtıl olarak yaratmak, mükafât, azap, emir ve yasak bulunmamak, Allah'ın dostlarıyla düşmanlarını, iyiler ile fâcirleri, kâfirler ile mü'minleri eşit görmek, mülkünde dilemediği şeylerin olması, birçok yönden başkalarına muhtaç olması, bir şeye hüküm verirken başkalarının O'na ortak olması, kendisine gaflet, sehv ve unutma arız olması; va'dinden dönmesi, hükümlerinin değişmesi yahut Allah'a hem isim olarak hem vasıf olarak hem de fiil olarak kötülük nispet edilmesi vb. Gerçekte Allah'ın bütün isimleri güzeldir; bütün sıfatları kemâl derecesindedir ve bütün fiilleri de hayır, hikmet ve maslahattır. Rasûller, Rabblerini işte böyle tenzih ederler.

Dinsizlere gelince bunlar ise Allah Teâlâ'nın kendisini vasfettiği kemal sıfatlardan O'nu tenzih ediyorlar. Allah'ı tenzih ettikleri noktalar şunlardır: Allah, ne kendisi ne de başkasıyla konuşabilir. Arşa istivâ etmez. Duâ anında eller O'na kalkmaz. Güzel sözler O'na ulaşmaz. Katından hiçbir şey inmez. Melekler ve Cebrâil katına çıkmaz. Bütün kullarının ve yaratıklarının üzerindedir. Gökleri bir eliyle, yeri de diğer eliyle tutamaz. Gökleri bir parmağıyla, yeri bir parmağıyla, dağları bir parmağıyla ve ağacı bir parmağıyla tutamaz. O'nu vechi yoktur. Cennette mü'minler O'nu, gözleriyle göremezler; O, mü'minlerle konuşmaz; onlara selam vermez ve gülerek onlara tecelli etmez. Her gece dünya semasına inip: "Kim benden bağışlanmak diliyor? Onu bağışlayayım. Kim benden bir şey istiyor? Ona onu vereyim" demez. Ne semaya iner ne de birşeyler der. Yaptığı şeyi amaçlı yapmaz. Bütün fiilleri, hikmetten ve bilinen gayeden uzaktır. Dilemesi tam, irâdesi de geçerli değildir. Allah birşey diler, kulları da başka bir şey dilerse Allah'ın dilediği olmaz, kulun dilediği olur. Birşeyi dilemez, dilemediği şey olur. Dilediği şey ise olmaz. Dinsizler, Allah'ın dileği ile ilgili bu tersliklere adâlet ismini vermektedirler. Yukarıda anlattıklarımıza da tevhid dediklerini söylemiştik. Yine bunlara göre Allah ne sever ne de sevilir. Şefkatı, rahmeti, öfke ve rızası yoktur. Dinsizlerden bir grup da Allah'ın duyup işitemiyeceğini, bir başkaları da O'nun var olamayacağını savunarak diyorlar ki: "Yukarıdakiler, Allah'ı teşbih ve temsilden tenzih edince bizim de O'nun varlığını tenzih etmemiz yani var olmadığını söylememiz gerekmektedir: "Bu

son saydıklarımız dinsizlerin Allah'ı tenzih etmeleri, en başta saydıklarımız ise Rasûllerin O'nu tenzih etmeleridir.

FASIL

Allah'a ait isim ve sıfatların gerçekliklerini kabul etmekle teşbih ve temsile kayma arasındaki fark: Ahmed b. Hanbel ve ayrı görüşte olan hidâyet önderleri diyorlar ki: "Şöyle demen teşbih ve temsildir: Allah'ın eli benim elim gibi. O'nun kulağı benim kulağım gibi. O'nun gözü benim gözüm gibi... vs. Ama şöyle dersen: "Allah'ın kulağı, gözü, eli, yüzü ve arşa istivası vardır, ama bunlardan hiçbirisi insanlardaki gibi değildir, vasıflananlar arasında (Allah'la kul arasında) fark olduğu gibi sıfatlar arasında da fark vardır. Burada nasıl temsil ve teşbihten bahsedilebilir. Keşke mülhidlerin (dinsizlerin) ortalığı karıştırmaları olmasa! O halde Rasûllerin ittifakla bildirdikleri gerçek, bozmak, âtıl bırakmak, temsil ve teşbih yapmaksızın Allah'ın kendisini ve Rasûllah'ın bildirdiği sıfatlarla anlatmaktır. Yani O'na ait sıfatları doğrulamak, insanlara benzemesini reddetmek. Kim Allah'ı kuluna benzetirse küfretmiş olur. Kim, Allah'ın kendisini anlattığı sıfatların gerçekleri inkar ederse bu kimse de küfretmiş olur. Ama kim de sıfat ve isimlerinin gerçeklerini kabul eder, Allah'ı insanlara benzetmezse dosdoğru yolu bulmuş olur.

FASIL

Saf tevhidle çeşitli mertebeleri olan insanlara haksızlık etmek arasındaki fark: Tevhid'in saf olması, Allah'a ait hak ve özelliklerden hiçbirini kula vermemektir. Meselâ, kula ibadet edilmez, onun için namaz kılınmaz, ona secde edilmez, adıyla yemin edilmez, adak yapılmaz, onu tevekkül edilmez; ona kulluk yapılmaz, Allah'a onun adıyla yemin edilmez, Allah'a yaklaşmak için ona ibadet edilmez ve şöyle söyleyerek Allah'la bir tutulmaz: "Allah ve sen dilersen; bu senden ve Allah'tandır; ben, Allah ve seninleyim; ben, Allah'a ve sana tevekkül ediyorum; benim için gökte Allah yerde ise sen varsın; bu, senin ve Allah'ın ihsanlarıdır. Allah'a ve sana tevbe ediyorum. Allah ve sen bana yetersin". Bu inançta olan insan, daha sonra müşriklerin büyüklerine secde ettikleri gibi o da Allah'a eş koştuğu kimseye secde ediyor. Onun için başını tıraş ediyor. Adına yemin ediyor, adakta bulunuyor. Ölümünden sonra kabrine secde ediyor. Mühim şeylerinde ihtiyaçlarında ondan yardım umuyor. Allah'ın öfkesine rağmen ondan hoşnut olurken Allah'ın razı olduğu hususlarda ona öfkelenmiyor. Al-

lah'tan daha fazla ona yaklaşıyor. Ayrıca ona olan sevgisi, korkusu ve ümidi, Allah'a olan sevgisinden, korku ve ümidinden daha fazla veya ona denk oluyor. Bir kimse, Allah'a ait Rabblik özelliklerini O'ndan gasbedip Allah'ı, başkalarından fazla olarak kendi adına zarar-faydası, ölümü hayatı ve dirilişi olmayan kul seviyesine indirirse -müşriklere rağmen- bu, Allah'ın ne noksanlaşması olur ne de değerinden düşmesi olur. Nitekim Âdemoğullarının Efendisi şöyle der: "Hıristiyanların, Meryem oğlunda aşırıya kaçtıkları gibi siz de bana karşı aşırıya kaçmayın. Ben ancak bir kulum. Bana, Allah'ın kulu ve Rasûlü deyin",[148] "Ey insanlar, beni, mertebemden daha yükseklere çıkarmanızı arzulamam",[149] "Kabrimi, ziyaretgâh edinmeyin",[150] "Ey Allahım, kabrimi ibadet edilen put kılma",[151] "Allah ve Muhammed dilerse... demeyin".[152] Bir adam Rasûlullah'a: "Allah ve sen dilersen.." deyince Rasûlullah: "Yoksa beni Allah'a eş mi koşuyorsun?"[153] demiştir. Günah işleyen bir adam da: "Ey Allahım, Sana tevbe ediyorum. Muhammed'e etmiyorum" deyince Rasûlullah: "Hakkı ehline bil" karşılığını vermiştir.[154] Yüce Allah da bazı âyetlerinde şöyle buyurur: "Senin için emirden birşey yoktur",[155] "De ki: Emrin tamamı Allah'ındır",[156] "De ki: Ben kendime dahi, Allah'ın dilediğinden başka ne bir zarar ne de bir yarar verme gücüne sahibim"[157] ve: "De ki: Ben size, ne zarar ne de akıl verme gücüne sahibim. De ki: "Allah bana bir kötülük dilerse, Allah'tan başka kimse kurtaramaz ve O'ndan başka sığınacak kimse de bulamam".[158] Yani O'ndan başka sığınıp

---

148. Buhârî, el-Enbiyâ (48); Dârimî, Rikâk (68); İmam Ahmed ise **Müsned** (1/23)'te rivayet etmişlerdir. Ben derim ki: "Hadisin rivayetleri Hz. Ömer'den gelmiştir. el-Camî'de Suyûtî, Buhârî'nin de rivayeti olduğunu söylerken, Şeyh Elbânî birşey dememiştir.

149. İmam Ahmed, Hz. Enes'ten (c. 3, s. 153, 24) ve Buhârî et-**Tarîhu's-sağîr**'de rivayet etmişlerdir. Şeyh Elbânî der ki: Bu sened Müslim'in şartlarına uygundur. bkz. **el-Ehâdîsu's-sahîha** (1572).

150. Ebû Dâvûd, el-Menâsık (96) ve İmam Ahmed, **Müsned** (2/367) rivayet etmişlerdir. Ben derim ki: "Hadis Ebû Hureyre'den rivayet edilmiştir. **Avnu'l-ma'bud**'da belirtildiğine göre İbni Teymiyye hadisi sahih saymıştır. Ayrıca Elbânî de aynı görüştedir. bkz. **Sahîhu'l-camî** (7103).

151. Mâlik, **el-Muvatta**, Bâbu's-Sefer (85) ve İmam Ahmed, **Müsned** (2/246) rivayet etmişlerdir. Ben derim ki: Mâlik'in rivayeti Atâ b. Yesâr'dan mürsel olarak rivayet edilmişken İmam Ahmed'inki Ebû Hureyre'dendir ve sahihtir. bkz. **Tahzîru's-sacid**, s. 25-26.

152. Hadis sahihtir. İmam Ahmed Tufeyl b. Sahbere'den rivayet etmiştir. (c. 5, s. 72) Hadis "Tufeyl bir rüya görür... Allah dilerse, Muhammed dilerse demeyin" şeklinde sürmektedir. Hadisin doğruluğunu Ebû Dâvâd'un Huzeyfe'den, Ahmed, Tahavî ve Beyhakî'in rivayetleri şahidtir. bkz. **el-Ehâdîsu's-sahîha** (137-138).

153. Buhârî, **el-Edebu'l-müfred**'de (s. 344) İbni Abbas'tan şu hadisi nakleder: Adam'ın biri Rasûlullah'a gelerek: "Allah ve Sen dilersen" demişti de Rasûlullah: "Allah'a ortak mı kılıyorsun? Doğrusu yalnızca Allah dilersedir" karşılığını vermiştir. İmam Ahmed, İbni Mâce, Nesâî **el-Kübrâ**'da, Tahavî, Dârimî ve Taberânî rivayet etmişlerdir. Şeyh Elbânî hadisi sahih sayar. bkz. **el-Ehadisu's-sahiha** (139).

154. Hadis zayıftır. İmam Aluned ve Hakim el-Esved b. Serî'den rivayet etmişlerdir. **Zaîfu'l-camî** (3707). bkz. **el-Beyan ve't-ta'rif**, c. 3, s. 8.

155. Âl-i İmrân sûresi, (3/128).

156. Âl-i İmrân sûresi, (3/154).

157. Yûnus sûresi, (10/49).

158. Cin sûresi, (72/21-22).

dayanacağım kimse yoktur. Bir keresinde Rasûlullah kızı Fatıma'ya, amcası Abbas ve halası Safiyye şöyle demiştir: "Allah katında, sizin için hiçbir salahiyetim yoktur".[159] es-Sahîh'te ise: "Allah'tan size hiçbir fayda veremem" şeklinde geçer. "Fakat müşriklerin yaşlılarına ve ilahlarına karşı bu tür istekte bulunmaları çokca görülmüştür. Allah'tan istemeyi bırakarak kendi ilahlarına yaşlılarına yönelmişler; kendi ilahlarının böyle tasarrufları olmadığını söylemekle kişinin onları mertebelerinden düşüreceğini ve noksanlaştıracağını zannetmişlerdir. Yani ilahî özelliklere son derece haksızlık etmişler şu âyette belirtilen nasiplerini almışlardır: "Onların tanrılarından ayrı olarak Allah tek başına anıldığı zaman ahirete inanmayanların kalpleri ürker. Ama O'ndan başka tanrılar da anılınca hemen sevinirler".[160]

FASIL

Günahlardan ma'sum Rasûlullah'a gerektiği şekilde uymakla âlimlerin görüşlerin reddetmek ve boş çıkarmak arasındaki fark: Rasûlullah'a gerektiği şekilde uymak hiçbir kimsenin sözünü, görüşünü O'nun getirdikleri önüne almamandır. Ya, önce hadisin sahihliğine bakarsın. Hadis sahihse ikinci olarak manasını incelersin. Her ikisi de doğru olunca doğu ile batı arasında bulunan herkes sana karşı olsa da hadisten vazgeçmezsin. Rasûlullah'ın Allah'tan getirdiği şeyin tam karşısında olan bir hususta ümmetin ittifak etmesinden Allah'a sığınırız. Fakat âlimler arasında Rasûlullah'ınkine uymayan bazı görüşler ileri sürenler olabilir. Eğer sen böyle bir kimseyi tanımıyorsan bilgisizliğin nedeniyle o kimsenin sözünü Allah ve Rasûlüne karşı huccet edinme. Doğrudan naslara git. Nassı küçük görme. Bilmelisin ki nassa uygun olan şeyi muhakkak biri söylemiştir, ama o sana ulaşmamıştır. Nasları bilmek, dinin korunmasında, zabtında âlimlerin mertebelerini korumak, onlarla dost olup onlara saygı ve emanet ve ictihadlarına inanmakla mümkündür. Çünkü onlar bir ecir iki ecir ve bağışlanma dairesi etrafından dönmektedirler.[161] Ancak bu, o senden daha iyi bi-

159. İmam Müslim "en yakın akrabalarını, Allah'ın âyetleriyle korkut" (eş-Şuarâ (42/214) âyeti münasebetiyle hadisi hem iki lafzıyla beraber el-İman'da rivayet etmiştir. (Nevevî Şerhi, c. 3, s. 79-81). Ayrıca Nesâî, er-Rasâyâ'da (c. 6, s. 248-249); İmam Tirmizî ilk lafızla et-Tefsîr'de (Tuhfe Şerhi, c. 9, s. 41-42); İmam Ahmed, Buhârî'nin rivayetinin ilk lafzıyla el-Vasâyâ'da (c. 3, s. 190-191), Dârimî, er-Rekâik'te (c. 2, s. 305) rivayet etmişlerdir. Yine Müslim Hz. Âişe'den ilk lafızla (Nevevî Şerhi, c. 3, s. 80-81); Tirmizî (Tuhfe şerhi, c. 9, s. 41) ve Nesâî, Hz. Âişe'den gelen ikinci lafızla (c. 6, s. 250) rivayet etmişlerdir.

160. Zümer sûresi, (39/45

161. Rasûlullah'ın şu kavline işaret etmektedir: "Hüküm sahibi biri ictihad ederek hükmedip doğruya isabet ederse iki sevap; ictihadıyla yaptığı hükümde hata ederse bir sevap alır". Buhârî, Müslim, Tirmizî'nin dışında diğer sünen sahipleri Amr b. Âs'tan rivayet etmişlerdir. Ebû Hureyre'den ise Kütub-ü Sitte sahipleri ve İmam Ahmed rivayet etmişlerdir. bkz. Sahîhu'l-camî (507)

liyor endişesiyle nassları bir kenara atmayı ve herhangi bir âlimin görüşünü nasslara tercih etmeyi gerektirmez. Senden daha iyi biliyor endişesiyle nassları bırakıp âlimin görüşünü alırsan nassları senden daha iyi bilen âlimin çıkardığı hükümler senin bulduklarına uygun olmamalı mıydı? Her nedense âlimlerin görüşlerini nasslara vuran, nasslarla görüşlerin durumunu ölçen, nassa karşı çıkan görüş bulunca da o görüşten vazgeçmeyen yani âlimin görüşünü heder edeceğine nassı heder eden insanlar olmuştur. Bunlara göre insanlar âlimlerin görüşlerine uymakla emrolunmuştur. Âlimlerin gerçek takipçisi de onlara tamamen uyan hiç karşı gelmeyendir. Kısacası elde muhalif bir nass bulunduğunda onların görüşlerine karşı çıkmak, nassların kendi görüşlerine tercih edileceğini ifade ettikleri küllî kaidelerde, onlara karşı çıkmaktan daha kolaydır. Burada, âlimin her dediğini taklid edenle âlimin anlayışından ve ilminin ziyasından yardım eden kişi arasındaki fark ortaya çıkıyor. Taklitçi kimse, âlimin görüşünü araştırmada, Kitap'tan ve sünnetten deliline bakmadan alıp boynuna geçirilen bir iple âlimi takip eden, onun her dediğine uyan kimse gibidir. Mukallid denmesinin nedeni işte budur. Fakat salat ve selam üzerine olsun Rasûlullah'a ulaşmak için âlimin anlayış ve ilim nuruyla aydınlanarak ondan faydalanmak böyle değildir. Çünkü bu kimse, âlimlerin delillerini ilk delile götüren bir vasıta olarak bilir. İlk delile ulaşınca da başka delillerle istidlal yapmaz. Bu, kıbleyi bulmak için yıldıza bakan kişiye benzer. Kıblesini kesinlikle bilince yıldıza bakmanın bir anlamı kalmaz. İmam Şafî der ki: "Rasûlullah'ın sünnetini bulan kimsenin, herhangi bir kimsenin görüşünden dolayı onu bırakamayacağı hususunda insanlar icma etmişlerdir".[162]

FASIL

Rahman'ın dostlarıyla şeytanın dostları arasındaki fark: Rahman'ın dostları için: "Ne bir korku vardır ne de onlar hüzünlenirler".[163] Onlar: "İman edip korunurlardı".[164] Rahman'ın dostları Bakara suresinin başından: "Onlar felaha ermişlerdir"[165] kısmına kadar olan yerde anlatılmaktadır. Bakara suresinin orta yerlerinde ise: "Asıl iyilik o kimsenin iyiliğidir ki Allah'a, ahiret gününe ... inandı.[166] İşte doğru olanlar onlardır. Allah'ın azabından korunanlar da onlardır"[167] buyu-

162. Buna benzer bir görüş için İmam Şafî'nin Risalesinin ikinci fıkrasına bakınız. (Şakire matbaası, s. 539-541-598-599 ve 667). Aynı görüşü Şeyh Elbanî İbni Kayyım'ın el-İ'lâm'ından, Fellanî'nin de İkâzu'l-himem'inden nakletmiştir. Ayrıca üç İmamdan da buna benzer oldukça güzel görüşler nakletmiştir. Söz konusu yere bakınız.
163. Yûnus sûresi, (10/62).
164. Yûnus sûresi, (10/63).
165. Bakara sûresi, (2/5).
166. Bakara sûresi, (2/177).

rulmaktadır. el-Enfal sûresinin başından: "... onlara Rabblerinin katından[168] dereceler, bağışlanma ve tükenmez rızık vardır"[169] buyurulur. Müminûn sûresinin başından: "... onlar orada devamlı kalırlar"[170] kısmına kadar olan yerde de Rahman'ın dostları anlatılır. Yine el-Furkân sûresinin sonunda: "Şüphesiz mü'min erkekler ve kadınlar...",[171] "İyi bil ki, Allah'ın dostlarına korku yoktur ve onlar üzülmeyeceklerdir. Onlar ki, inandılar ve azaptan korunurlardı",[172] "Kim ki Allah ve Rasûlüne itâat eder, Allah'tan korkar ve O'nun azabından korunursa, işte kurtuluşa erenler onlardır",[173] "Onlar ki namazlarını aksatmadan sürekli kılarlar.[174] ... işte onlar cennetlerde ağırlanırlar"[175] ve: "Tevbe eden, ibadet eden, hamdeden..."[176] gibi âyetlerde Rahman dostları anlatılmıştır.

Bu âyetler, Rahman dostlarının ihlasla Allah'a varanlar ve haram ve helal konusunda sünneti bulunca başkalarını bir kenara atıp başkalarını alıp sünneti bir kenara atınayanlar olduğu belirtilmiştir. Bu kimseler, bid'atçılık yapmazlar, bid'ata düşmezler. Allah, Rasûlü ve O'nun ashabı dışında hiçbir topluluğa üye olmazlar. Dinlerini oyun ve eğlence yapmazlar. Kur'an'ı dinlemek varken şeytanı dinlemeyi arzulamazlar. Azgınlarla konuşmayı Rahman'ın hoşnut olduğu kimselerle konuşmaya; çalgı aletleri ile mesnevîleri (veya tambur sazını) Seb'i mesâniye (âyet sayısı yüzden fazla olan ve hâmîm, elif lâm ve tâsinle başlayan yedi büyük sûreye) tercih etmezler. Şair de:

برئنا إلى من معشر — بهم مرض مورد للضنا
وكم قلت يا قوم أنتم على — شفا جرف من سماع الغنا
وهل يستجيب لداعى الهدى — غوى أصار الفناديد نا ؟
فعشنا على ملة المصطفى — وماتوا على تاتنا تنتنا

Rahman'ın dostları şeytanın dostlarına benzemez. Şeytanın dostları basiret ve imanı kaybetmiş kimselerdir. Allah'ın Kitabı'na, doğru yoluna, Rasûlüne, başka şeylere muhalif olan sünnetine ve dostlarına karşı gelenler, karşı gelmeye nasıl cüret gösterip elçisinin doğru yolundan ve izinde ayrılıyorlar anlamıyoruz. "Onlar, Allah'ın dostları olamazlar. Allah'ın dostları, ancak O'nun azabından korunanlardır. Fakat onların çoğu bunu bilmezler".[178]

---

167. Bakara sûresi, (2/177).
168. Ayette geçen عند lafzı, orjinal metinde ضد şeklindedir.
169. Enfâl sûresi, (8/4).
170. Mü'minûn sûresi, (23/11).
171. Ahzâb sûresi, (33/35).
172. Yûnus sûresi, (10/62-63).
173. Nûr sûresi, (24/52).
174. Me'âric sûresi, (70/23).
175. Me'âric sûresi, (70/35).
176. Tevbe sûresi, (9/112).
177. İbni Kayyım'ın sözünü ettiği şiirin bazı lafızları İgâsetü'l-lehfân'da (c. 1, s. 226) biraz farklıdır.
178. Enfâl sûresi, (8/34).

Rahman'ın dostları, kendisine çağıran dostlarının sevgisine bürünmüş ve dostlarının yolunda çıkanlarla harbeden kimselerdir. Şeytanın dostları ise dostlarının sevdiği iş ve söze sarılan, dostlarını arayan ve kendilerini dostlarından ayırmaya çalışanlarla harbeden insanlardır. Şeytanî şeyleri dinlemeyi, şeytana çağıranları ve şeytanın kardeşlerini seven ve insanları, şirk, bi'dat ve günah gibi şeytanın seveceği şeylere çağıran bir insan görürsen bil ki o, şeytanın dostudur. Bunu anlamak için bir kimsenin şu üç yönüne bak: Namazına, sünneti ve ehli sünneti sevip sevmediğine ve Allah ve Rasûlü yoluna çağırmasına, tevhide sarılıp, sünnete uymasına. Bir insanı anlamak istersen muhakkak bu yönlerine bak. Haline, keşfine, harika işlerine hatta suda yürüyüp havada uçmasına bile bakma.[179]

FASIL

Yukarıda saydığımız üç şeyle imanî hal ve şeytanî hal arasındaki fark bilinir. İmanî hal, Rasûlullah'a uymanın, amelde samîmi olmanın ve tam tevhide inanmanın bir meyvesidir. Neticesi ise din ve dünyalarında müslümanlara faydalı olmaktır. Bunun, ancak dosdoğru sünnete uymakla, buyruk ve yasakları bilmekle olacağı açıktır.

Şeytanî hal ise ya şirke ya da günaha uymaktır. Şeytanlara yakın olup onlarla birleşip onlara benzemekten doğar. Putçuların, hıristiyanların, ateşperest ve şeytanların durumu böyledir. Şeytanî halde bulunan kişi şeytana ibadet edince imanı ve aklı zayıf olan insanları avladığı çengelini o adama atar, Allah'tan başka ilah yoktur, neticede nice insanlar böyle helak olur gider. "... hem kendilerini mahvetsinler hem de dinlerini karıştırıp bozsunlar. Allah dileseydi bunu yapamazlardı".[180] O halde kişiyi Kitab'ın ve Rasûlün getirdiği şeyin hükmünden çıkaran hal, ne olursa olsun şeytanî haldir. Sihirbazların, ateşperestlerin, hristiyanların ve zahiren İslâma girmiş birçok müslümanın halini, işittim gördüm ki bunlar gerçekte İslâmdan uzak kimselermiş. Şeytana yakınlığı ve Rahman'a düşmanlığı ölçüsünde böyle bir kimsenin muhakkak şeytanî halden nasibi vardır. Kişi, bazan doğru olur, ama bilgisizliğinden dolayı karıştırılır ve bozulur. Bu durumda ise zühdüne, ibadet ve ihlasma rağmen hali şeytanî olur. Fakat şeytanların, meleklerin işlerini tam bilememesi ve iman gerçeklerinden habersiz olması nedeniyle karışmasına gelince bu durumda olmayan nice insanlar çok şeyler anlatmışlardır. Belki de bu kimse kendisini başkasına benzeten hayalleri, acaip işleri olan bir kimsedir. Onlarla bunların arasını açamadıklarından

179. Sözkonusu mana için bkz. İbni Teymiyye, **el-Furkân beyne evliyâi'r-Rahmân ve evliyâi'ş-şeytân** ve İbni Kayyım el-Cevziyye, **İğâsetu'l-lehfân.**
180. En'âm sûresi, (6/137).

dolayı insanlar belaya düşmüş öyle ki her siyahın hurma ve her beyazın da yağ olduğunu sanmışlar. Furkân (anlayış) âlemde bulunan en değerli şeydir. Bunu, kulunun kalbine Allah, hak ile bâtılı ayırması, iyi, kötü, bâtıl ve fâsık işleri bununla ölçmesi için atmıştır. O halde furkânı (anlayışı) olmayan kimse, şeytanın ortakları arasına düşmüştür. Yardım Allah'tan umulur. İşler O'na havale edilir.

FASIL

Allah tarafından indirilmiş uyulması vacip olan hüküm ile nihayetinde uyulması câiz olan müevvel hüküm arasındaki fark: Münzel hüküm, Allah'ın Rasûlüne indirdiği ve kulları arasında kendisiyle hükmettiği hükümdür. Bu, Allah'ın hükmüdür, başkalarının Rasûlullah'a indirdiği bir hüküm yoktur.

Müvvel hüküm ise uyulması vacip olmayan, karşı çıkanların fasık olmadığı, küfre düşmediği müctehidlerin farklı görüşleridir. Çünkü müctehitler görüşleri için: "Bu, Allah ve Rasûlünün hükmüdür" dememişler tam aksine: "Reyimizle ictihad ettik. Dileyen kabul eder, dileyen kabul etmez" diyerek ümmeti kendi görüşlerine bağlamamışlardır. Hatta Ebû Hanîfe: "Bu, benim reyimdir. Kim daha iyisini getirirse onu kabul ederiz" demiştir. Ebû Hanîfe'nin ictihadları bizzat Allah'ın hükmü olmuş olsaydı bu konularda Ebû Yusuf ve Muhammed'in O'na karşı gelmemeleri gerekirdi. İmam Malik de böyle. Harun Reşid, ümmete **Muvatta**'da bulunan şeylerle hükmetmeyi teklif edince İmam Malik O'nu bundan menederek: "Rasûlullah'ın ashabı çeşitli ülkelere dağılmıştı. Öyle ki bir kavmin yanında bulunan bilgi diğer kavimlerde yoktu" demiştir. İşte Şafî, öğrencilerine kendisini taklit etmelerini yasaklamış, ictihadına karşı bir hadis bulduklarında kendi görüşünü bırakmalarını tavsiye etmiştir.[181] İşte İmam Ahmed! Fetvâlarını yazıp tedvin eden kişiye karşı çıkar ve: "Ne beni, ne fülancayı ne de fülancayı taklid et. Onlar nerelerden almışlarsa sen de oradan al" demiştir.[182] Bu müctehitler, kendi görüşlerini uyulması gerekir görüşler olarak bilselerdi, öğrencilerinin kendilerine karşı çıkmalarını yasaklayıp herhangi bir konuda kendi ictihadlarına uymayan fetvalar vermelerine müsâade etmezlerdi. Bu müctehidlerden biri bir görüş açıklıyor, sonra açıkladığı görüşün aksine fetvâ veriyor. Dolayısıyla bir meselede bir müctehitten bir iki ve daha fazla görüş geliyor. Rey ve ictihada uymak uyulabilecek en güzel şeylerdir. İndirilmiş hüküm ise böyle değildir. Böyle bir hükme karşı gelmek ve bu hükümden çıkmak hiçbir müslümana helâl olmaz.

---

181. Misal olarak İbni Ashakîr'e (15/1/3) el-Herevî'ye (3/47/1) ve Nevevî'ye (el-m .ecmû' 1/63) bakınız.

182. bkz. İbnu'l-Cevzî, el-Mesâkib (192), el-Fellânî (113) ve İbni Kayyım, el-İ'lâm (2/ 302) Ben derim ki; "Ayrıca Elbânî'nin Evâilü sıfati's-salât'ına da bakınız.

Değiştirilmiş hüküm ise Allah'ın kendisiyle hükmetmediği hükümdür ki bunu uygulamak, bununla amel etmek ve buna uymak asla helal olmaz. Buna uyan kimse küfür, fısk ve zulüm arasındadır.

Vurgulamak istediğimiz konu mutmain, levvâme ve emmâre nefsin bazı durumlarını bildirmektir. Her üç nefiste ortak olarak bulunan şeyler, bir nefsi diğerinden ayıran özellikler, herbir nefsin fiilleri, farklılıkları, amaçları ve niyetleri nelerdir gibi hususlar. Şuna da işaret etmemiz gerekiyor. Bu üç nefis aslında tek bir nefistir. Bazan emmâre olur. Bazan levvâme olur. Bazan da mutmainne olur. Çoğu insanlarda bulunan nefis, emmâre nefistir. Mutmainne nefis ise beşerî nefislerde sayıca oldukça azdır. Derecesi ise Allah katında en yüksektir. Mutmain nefis için Yüce Allah: "Sen Rabbinden, O da senden razı olarak O'na dön. Kullarım arasına katıl ve cennetime gir"[183] buyurmuştur.

Yüce Allah'tan istediğimiz, ümidimiz, O'na bağlanarak, O'ndan korkarak, katında olanı arzulayarak nefislerimizi kendisine mutmain kılması; nefislerimizin şerlerinden, kötü amelerimizden bizleri koruması; kalpleri Allah'ı zikirden gafil olmuş, hevâsına uymuş ve işi de haddini aşmak olmuş olanlardan kılınaması ve: "Dünya hayatında bütün çabaları boşa gitmiş olan ve kendileri de iyi iş yaptıklarını sanan kimselerdir"[184] âyetinde belirtilenlerden kılmamasıdır. Muhakkak ki O, duâları ve ümid ehlini işitendir. O bize yeter. O ne güzel dosttur.

183. Fecr sûresi, (89/29).
184. Kehf sûresi, (18/104).

Kitâbu'r-Rûh

İBN KAYYİM el-CEVZİYYE

İbn Kayyim el-Cevziyye İslam ilim geleneğindeki selefi akımın verimli ve çok yönlü temsilcilerinden biridir. Çeşitli kitapları dilimize çevrilmiş ve ülke okuyucusu tarafından ilgiyle izlenmiştir. Elinizdeki **Kitâbu'r-Rûh** adlı eseri de ünlüdür ve yaygın biçimde okunmuştur. Eserin oldukça geniş bir kapsamı vardır. Nitekim ruh gerçeği etrafında akla gelebilecek neredeyse her soruya bir cevap sunmaktadır. Tahmin olunacağı gibi müellif Kitap ve sünnetle gelen bilgileri esas alarak kendisine ulaşan İslam düşüncesi birikimini değerlendirmekte ve bir sonuca bağlamaktadır.

Eserde ele alınan meselelerden bazıları şunlar: Ruh bedenden bağımsız bir varlık mı yoksa bedenin bir niteliği, bir fonksiyonu mudur? Ruh-beden ilişkileri nasıldır? Nefs ve ruh kavramları farklı varoluş biçimlerini mi ifade etmektedir? İnsan türünden hiç bir ferdin kaçamayacağı ölüm gerçeği nasıl bir hadisedir? Ölümden sonraki hayatın farklı aşamaları nelerdir ve nasıl yaşanacaktır? Özellikle kabir hayatına ilişkin temel bilgiler nelerdir? Kabir hayatını kimler, nasıl algılayacaktır? Ruhlar arasında iletişim söz konusu mudur? Bedeni terkeden ruh geri dönüp başka bir bedene girer mi? Kabir ziyaretinden ruhlar haberdar olur mu? Çocukların ruhlarını nasıl bir akibet beklemektedir?

Dr. Şaban Haklı'nın Türkçesi ve yeniden gözden geçirdiği şekliyle okuyacağınız bu klasik eser sayesinde, hayatın en önemli gerçeği olan ruh, ölüm ve ötesi hakkında temel bilgilere ulaşacaksınız.

3. BASKI

ISBN 975-355-034-0

9 789753 550345

İZ YAYINCILIK 060

İSLAM KLASİKLERİ DİZİSİ

مثنوی معنوی

مناسبت هفتصد و پنجاهمین سال ولادت

مولانا جلال الدین محمد بلخی رومی

در سال ۱۳۱۶ هجری قمری چاپ شده

بقلم خاور

مثنوی معنوی

مولانا جلال الدین محمد بلخی رومی

شرح حال مولانا ملخصی از آثار مولانا، کتاب مجالس سبعه مولانا، شرح ابیات مشکله مثنوی، ذیل صفحات، دفتر هفتم منسوب بمولانا، کشف الابیات جامع، لطائف اللغات

مرحوم حاجی علی اصغر رمضانی کتابفروش

روز ۱۲ مهر ۱۲۵۰ هجری شمسی بدنیا آمد و شب ۲۰ آذر ۱۳۱۶ هجری شمسی دنیا را بدرود گفت

بپاس سی و سه سال عمری که برای تربیت من بنده صرف کرد

پنج سال زحمتی که برای تصحیح و مقابله و چاپ مثنوی کشیده‌ام

بروان پاکش تقدیم میدارم

و آرزو دارم توفیق یابم سی و سه جلد کتاب نفیس اخلاقی و دینی بنام او چاپ نموده تقدیم دوستداران اخلاق و دین و فرهنگ بنمایم

محمد رمضانی

مثنوی معنوی

مولانا جلال الدین محمد بلخی رومی

شرح حال مولانا ملخصی از آثار مولانا، کتاب مجالس سبعه مولانا، شرح ابیات مشکله مثنوی و ذیل صفحات، دفتر هفتم منسوب بمولانا، کشف الابیات جامع، لطائف اللغات

تصحیح و مقابله و همت

محمد رمضانی

دارندهٔ کلالهٔ خاور

از سال ۱۳۱۵ تا سال ۱۳۱۹ در تهران چاپ شد

بها صد ریال

چاپخانهٔ خاور «تهران»

تصویر مولانا محفوظ در تکیه یکی قاپو اسلامبول

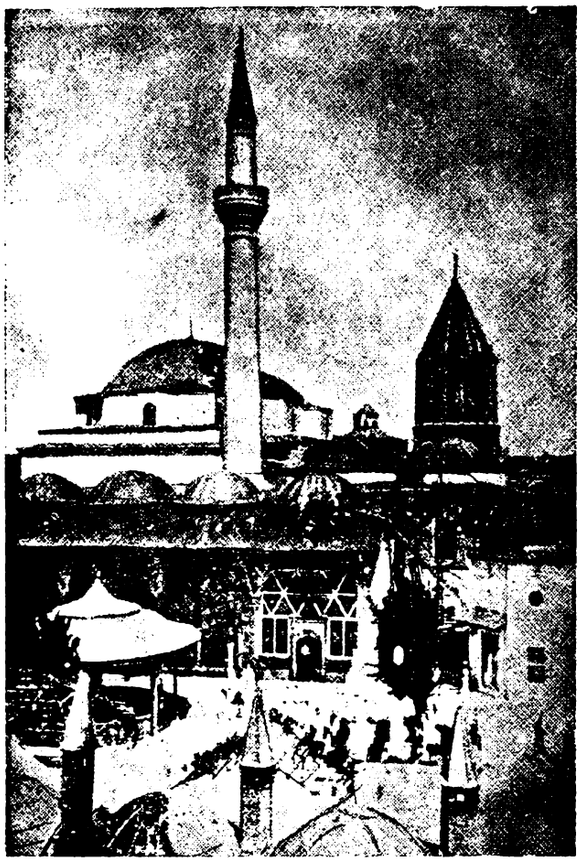

قبه خضرا و تربت شریف مولانا و یاران

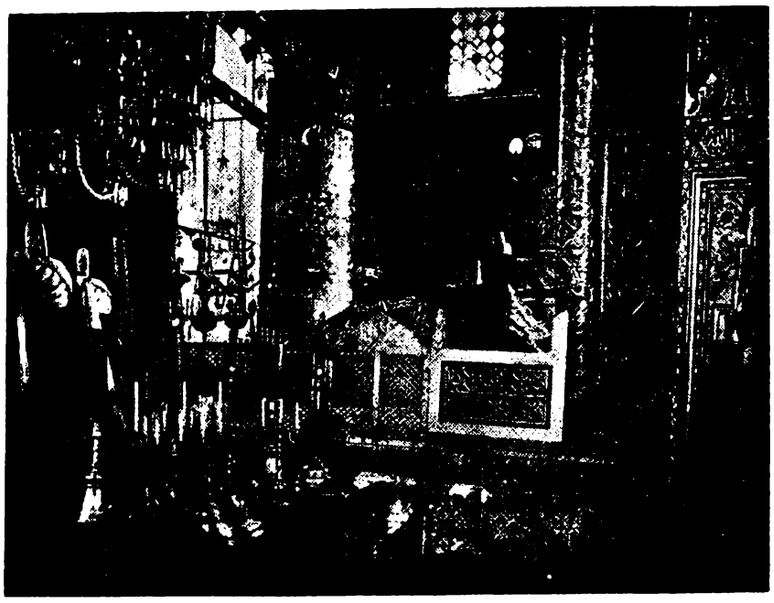

تربت مولانا

سر آغاز

کم کسیست که بادبیات پارسی و شعر و عرفان آشنائی داشته باشد و عارف نامی جلال الدین محمد بلخی مشهور بمولانای، روم قدس سره سرایندهٔ مثنوی معنوی را که یکی از بزرگترین نوابغ ایران و درخشنده ترین ستارهٔ فروزان مشرق است نشناسد. و کمتر کتاب تاریخ و تذکره ایست که از حالات و جذبات مولانا در آن ذکری نشده باشد

در مقدمهٔ بیشتر چاپهای مثنوی ترجمهٔ مختصری که حاجی زین العابدین مستعلیشاه شروانی در بستان السیاحه خود نگاشته نقل شده است و آن خلاصه و عصارهٔ کلیهٔ شروحی است که پیشینیان از احوال این بزرگترین مردان رسیدهٔ راه حقیقت نوشته اند

خوشبختانه در سالهای اخیر سه رساله ذیقیمت در ترجمهٔ حال و تتبع شخصیت مولانا بخامهٔ نویسندگان دانشمند معاصر طبع و نشر شده است :

(۱) ولدنامه یا مثنوی ولدی اثر شیخ بهاء الدین محمد معروف به سلطان ولد فرزند روحانی و جسمانی مولانا با مقدمه و تعلیقات آقای جلال همائی که در حدود ده هزار بیت و قدیمترین و صحیحترین سند تاریخی است که از خصوصیات زندگانی مولانا جلال الدین و پدرش بهاء الدین محمد ملقب بسلطان العلماء و یاران برگزیدهٔ وی سید برهان الدین محقق ترمدی و شمس الدین محمد تبریزی و صلاح الدین فریدون قونیوی و حسام الدین حسن چلبی و اصحاب و مریدان او بحث میکند

سلطان ولد برسر هر فصل و عنوان منظومهٔ ولدنامه نثرهای شیرینی نوشته است که اگر آنهارا جمع کنند رسالهٔ بسیار ساده و فصیحی در مطالب عرفانی و تاریخی و خلاصهٔ طریقهٔ مولویه که بیشتر آداب و رسوم قدیمش مولود خود اوست فراهم خواهد شد

(۲) شخصیت مولوی نگارش آقای حسین شجره که در ۲۳۸ صفحه با قلمی شیوا از اصل و منشأ تصوف و نبوغ عقل از نظر عرفان و نفوذ تصوف ایران در شرق و غرب و حالات مولانا و تدوین مثنوی معنوی و معنی و مفهوم اشعار مولوی و گفتار و نظریات مستشرقین و فضلای غرب در بارهٔ مولانا و مثنوی بحث کرده اند

(۳) رساله در تحقیق احوال و زندگانی مولانا جلال الدین محمد مشهور بمولوی و مشایخ و یاران و مریدان و معاصرین او نگارش محققانهٔ آقای بدیع الزمان فروزانفر با ۱۵ گراور و یک شجره نامه در ۲۳۲ صفحه که علاوه بر تتبعات دانشمندانهٔ خود از ده منبع قدیمی بسیار معتبر و از مجموعهٔ یادداشتهائی که آقای کاظم زادهٔ ایرانشهر در برلن از گفتهٔ بازماندگان و معتقدان مولانا گرد آورده استفاده کرده اند

اگرچه با انتشار این سه رساله احتیاج بنوشتن شرح حال در مقدمهٔ مثنوی خود نداشتیم ولی برای کسانیکه دسترسی بمطالعهٔ آثار نامبرده نداشته باشند اختصاری از ولد نامه و عین مقالهٔ بستان السیاحه و خلاصه ای از تحقیقات آقای فروزانفر را در رساله زندگانی مولانا با مراجعه بشرح حال مولانا بقلم سپهسالار بترتیب مینویسیم و در خاتمه از آثار مولانا و مزایای مثنوی حاضر بحث نموده و بفهرست جامعی از مطالب مثنوی گفتار خود را خاتمه میدهیم

محمد رمضانی

از کتاب ولدنامه

مرید شدن سید برهان الدین محقق مولانا بهاء الدین را و خواب دیدن مفتیان پیغمبر را

گفت برهان دین محقق حق — سبق برده ز سابقان بسبق
سخنش را هر آنکه بشنودی — دایم اورا بصدق بستودی
در جوانی ببلخ چون آمد — خواست کان جایگاه آرامد
جد مارا چو دید آن طالب — که بر و بود عشق حق غالب
لقبش بد بهاء دین ولد — عاشقانش گذشته از عد و حد
جمله اجداد او شیوخ کبار — همه در علم و در عمل مختار
اصل اورا نسب ابوبکری — زانچو صدیق داشت او صدری
مثل او کس نبود در فتوی — از فرشته گذشته در تقوی
بود اندر همه فنون استاد — حق بوی علم را تمام بداد
خوانده سلطان عالمان اورا — مصطفی قطب انبیاء خدا
مفتیان بزرگ اندر خواب — دیده یك خیمهٔ کشیده طناب
مصطفی اندرون خیمه بناز — زده تکیه بصد هزار اعزاز
ناگهانی بهاء دین ولد — از در خیمه اندرون آمد
مصطفی چون بدید جست از جا — پیش رفت و گرفت دستش را
برد پهلوی خویش بنشاندش — زان ملاقات گشت بیحد خوش
گفت از آنپس بمفتیان اینرا — که از امروز این شه دینرا
جمله سلطان عالمان گوئید — در رکابش بجان و دل پوئید
بامدادان باتفاق همه — از سر صدق بی نفاق همه
بر درش آمدند تا گویند — سر آن خواب را ازو جویند
پیش از آنی که دم زنند او گفت — خوابشانرا و سر نکرد نهفت
دادشان از مقام و حال نشان — وقعه را کرد بالتمام بیان
جمله پیشش فغان بر آوردند — بی دف و نای شورها کردند
گشت سید مریدش از دل و جان — تا روانرا کند ز شیخ روان
در مریدی رسید او بمراد — زانکه شیخش عطای بیحد داد
چشمهٔ عشق از دلش جوشید — جان او بادهٔ بقا نوشید
جمله غمهاش ذوق و شادی شد — سوی عشقش چو شیخ هادی شد
خار هجرش ز وصل گلشن گشت — شب تارش چو روز روشن گشت
مس جانش ز نار عشق گداخت — گشت زر چون به کیمیا در ساخت
عاقبت قطب گشت در عالم — سجده گاه ملك شد و آدم

رنجیدن سلطان العلماء از بلخیان و هجرت گزیدن از خراسان

چونکه از بلخیان بهاء ولد — گشت دلخسته آن شه سرمد
ناگهش از خدا رسید خطاب — کای یگانه شهنشه اقطاب
چون ترا این گروه آزردند — دل پاك ترا زجا بردند
بدر آ از میان این اعدا — تا فرستیمشان عذاب و بلا
چونکه از حق چنین خطاب رسید — رشتهٔ خشم را دراز تنید
کرد از بلخ عزم سوی حجاز — زانکه شد کار گر در او آن راز
بود در رفتن و رسید خبر — که از آن راز شد پدید اثر
کرد تاتار قصد آن کشور — منهزم گشت شاه شوم اختر
بلخ را بستد و بزاری زار — کشت از آن قوم بیحد و بسیار
نتوان گفت در ره آن سلطان — که چها داده با کهان و مهان
چه کرامانها که در هر شهر — مینمود آن عزیز روزبهٔ دهر
گر شوم من بشرح آن مشغول — فوت گردد از آن سخن مأمول
آمد از کعبه در ولایت روم — تا شوند اهل روم ازو مرحوم
از همه ملک روم قونیه را — برگزید و مقیم شد آنجا
رو نهادند سوی او خلقان — از زن و مرد و طفل و پیر و جوان
آشکارا کرامتش دیدند — زو چه اسرارها که بشنیدند
چند روزی بر این نسق چو گذشت — که و مه مرد و زن مریدش گشت
گشت سلطان علاء دین چون دید — روی اورا بعشق و صدق مرید
چونکه وعظش شنید شد حیران — کرد اورا مقام در دل و جان
دید بسیار ازو کرامت ها — یافت در خویش ازو علامتها
گفت دل لرزدم ز هیبت او — می هراسم بگاه رؤیت او
هیبتی میزند ازو بر من — که از آن لرزه می فتد در تن
شد یقینم که او ولی خداست — در جهان نادر است و بیهمتاست
دائماً با خواص این گفتی — روز و شب در مدح او سفتی

مردن سلطان العلماء و نشستن مولانا جلال الدین بجای پدر

بعد دو سال آن ولی خدا — سر ببالین نهاد او ز عنا
شاه شد از عنای او محزون — هیچ از این غصه اش نماند سکون
چون بهاء ولد نمود رحیل — شد ز دنیا بسوی رب جلیل
نار در شهر قونیه افتاد — از غمش سوخت بنده و آزاد
در جنازه اش چو روز رستاخیز — مرد و زن گشته اشك خونین ریز
علما سر برهنه و میران — جمله پیش جنازه با سلطان
شه ز غم هفت روز بر ننشست — دل چون شیشه اش ز درد شکست
هفته ای خوان نهاد در جامع — تا بخوردند قانع و طامع
تعزیه چون تمام شد پس از آن — خلق گرد آمدند پیر و جوان

همه کردند رو بفرزندش که توئی در جمال مانندش
شیخ مازین سپس توخواهی بود از توخواهیم جمله مایه وسود
شست برجای وی جلال الدین روبدو کرد خلق روی زمین
مفتی شرق وغرب گشت بعلم از جهان جهل درنوشت بعلم
رایت شرع احمدی افراخت هرکه دین داشت خواجه را بشناخت
بیقراران شدند ازاوساکن همه در ظل او زخوف ایمن

آمدن سید برهان الدین محقق ترمدی بقونیه

مدتی چون بماند در هجران طالب شیخ خویش شد برهان
گشت بسیارو اندر آخر کار داد با وی خبر یکی زکبار
گفت شیخت بدان که درروم است نیست پنهان بجمله معلوم است
آمداز عشق شیخ خودتازان با هزاران تبختر و نازان
گشته ازشیخ پرچوجام ازمی همچنان کز شکر شود پرنی
چونکه شادان بقونیه برسید شیخ خودرا ازشهریان پرسید
همه گفتند آنکه میجوئی هرطرف بهر او همی پوئی
هست سالی که رفت از دنیا رخت خودرا کشید درعقبی
جسم خاکیش رفت اندرخاك جان پاکش گذشت ازافلاك
گفت سید که شیخ اندرماست همچوروغن نهان شده درماست
عین شیخم زمن نماند اثر هیچ دیدی شکرجدا زشکر
آب اگر درمز رکوزه بود عاقل از کوزه ها زره نرود
آب جوید زکوزه تابخورد تشنه درنقش کوزه کی نگرد
خلق راپس بخویش دعوتکرد گشت ازجان غلام اوزن ومرد
شهر جمله مرید او گشتند در درون تخم مهر او کشتند

مرید شدن مولانا جلال الدین بسید و رسیدن بمقام قطبیت

گفت سید بشه جلال الدین گرچه درعلم نادری وگزین
لیك بدوالدتو صاحب حال جوی آنرا و درگذر ازقال
قال اورا گرفته ای بدودست همچومن شوزحال اوسرمست
وارث والدی تو اندرپوست مغزمن برده ام نگردردوست
از مرید پدر چو آن بشنید گشت جان و بگرد تن نتنید
شد مریدش زجان وسربنهاد همچو مرده به پیش او افتاد
بود در خدمتش بهم نه سال تاکه شد مثل او بقال وبحال
همسرو سر شدند در معنی زانکه یکدل بدند در معنی
ناگهان سید از جهان فنا کرد رحلت سوی سرای بقا
ماند بی او جلال دین تنها روزوشب کردروی سوی خدا
خواب وخورراد رآنهوس بگذاشت علم جستجوی را افراشت
پنج سال این چنین ریاضت کرد ازسرصدق و سوزوناله ودرد
عمل و دردراچو کرد قرین رفت همچون ملك بچرخ برین
خاص وعامش مریدوبنده شدند چون نبات از بهار زنده شدند
ده هزارش مرید بیش شدند گرچه اول زصدق دور بدند
وعظ گفتی همیشه برمنبر گرم وگیرا چو وعظ پیغمبر
صیت خوبش گرفت عالم را کرد زنده روان آدم را

رسیدن مولانا جلال الدین بشمس تبریزی و تغییر حال او

ناگهان شمس دین رسیدبوی گفت انی ز تاب نورش فی
از ورای جهان عشق آواز برسانید بی دف و بی ساز
گفت اگرچه بباطنی تو گرو باطن باطنم من این بشنو
دعوتش کرد در جهان عجب که ندید آن بخواب ترك وعرب
نزد یزدان چو بود مولانا از همه خاصتر بصدق و صفا
خضرش بود شمس تبریزی آنکه با او اگر در آمیزی
هیچکس را بیك جوی نخری برده های ظلام را بدری
بعد بس انتظار رویش دید گشت سرها براوچوروز پدید
شد براو عاشق وبرفت ازدست گشت پیشش یکی بلندی وپست
دعوتش کردسوی خانهٔ خویش گفت بشنو شها ازین درویش
پس از آن هردوخوش روانه شدند شادوخندان بسوی خانه شدند
شیخ استاد گشت نو آموز درس خواندی بخدمتش شب وروز
گرچه درعلم فقر کامل بود علم نو بود کان بسوی بنمود

حسدبردن مریدان مولانا برشمس

یکزمانی بهم همی بودند مدت یک دو سال آسودند
غیرت حق در آمدو ناگاه فج فج افتاد در همه افواه
در شناعت در آمدند همه آن مریدان بیخبر چورمه
گفته باهم که شیخ ما زچه رو پشت برما کند زبهر چه او
ما همه عاشقیم در ره شیخ بندهٔ صادقیم در ره شیخ
شده ما را یقین که مظهر حق اوست بی شك وزاو بریم سبق
چه کس است اینکه شیخ ما را او برداز جا چو یك کهی راجو
کرد اورا زجمله خلق نهان می نیابد کسی زجاش نشان
ساحراست این مگر بسحروفسون کردبرخویش شیخ را مفتون
همه درفکر این که کی ازشهر رود او یا فنا شود از قهر
جمله گشته بخون او تشنه ساخته بهر کشتنش دشنه
چون غلوشان براوزحد بگذشت دشمنیشان زحدوعد بگذشت
شمس تبریز رفت سوی دمشق تاشود پردمشق وشام زعشق
چون حزین شد زهجر مولانا گشت معرض زجمله آن دانا
دوستی را از آن نفر ببرید مرغ مهرش زلانه شان بپرید
چونکه آن رایشان نیامد راست عکس شد آنچه هریکی میخواست
گفته بودند اگر رود زینجا ماند آن شاه ما بما تنها
باردیگر زپندهای خوشش بجهیم ازجهان و پنج وششش
آنگروهی که بودشان غفلت کرده بودند از سفه جرأت
پیش شیخ آمدند لابه کنان که ببخشا مکن دگر هجران
توبهٔ ما بکن زلطف قبول گرچه کردیم جرمها ز فضول

فرستادن مولانا بهاء الدین ولدرا

بود شه را عنایتی بولد در نهان اندرون برون از خد
خواند اورا وگفت رو تورسول ازبرم پیش آن شه مقبول
ببر این سیم را بپایش ریز گویش از من که ایشه تبریز
آن مریدان که جرمها کردند زانچه کردند جمله واخوردند
همه سازند از دل و ازجان جانشان را فدای آن سلطان
رنجه کن اینطرف قدم را باز چند روزی بیا و با ما ساز
آنچه ازما سزیدا گر کردیم همچوخار خلنده سر کردیم
همچنین زین نمط بوی میگو دل او را بلابه ها میجو
باشد این گر بودمرا آن بخت نرم گردد نگیرد این را سخت
دهدم باز وصل از سرلطف بهلد هجر و بگذرد از عنف
پس ولد سر نهاد والد را شکر کرد اوخدای واحد را
گشت ازجان روان بسوی دمشق راه را میبرید از سر عشق
چون رسید او بنزد شمس الدین آن شه اولیای با تمکین
در سخن آمد و درر بارید در دل و سینه عشق نو کارید
سر سر حدیث وقرآن گفت کرد پیدا سری که بود نهفت
بی پرش بر فلك بپرانید بی تنش گرد عرش گردانید
حجب از پیش چشم دل برداشت شب تاریك را نمود چوچاشت
ظلمت از تن ببرد و ازدل وجان تاروان گشت همچو سیل روان

بازگشت ولد بقونیه در رکاب شمس الدین

چون شنید از ولد رسالت را خوش پذیرفت آن مقالت را
باز گشت ازدمشق جانب روم تا رسد در امام خود مأموم
شد ولد در رکاب او پویان نزضرورت ولی زصدق وزجان
در ره از وی هزار سربشنید صدجهان از ورای چرخ بدید
چون رسیدند پیش مولانا نوش شد جمله نیش مولانا
وانجماعت که منکران بودند منکر قطب آسمان بودند
جمله شان جانفشان باستغفار سر نهادند کای خدیو کبار
از سر صدق روی آوردیم توبه کاریم از آنچه ما کردیم
بعداز آن جمله ازوضیع وشریف حلقه گشتند گرد شاه ظریف
پهلوی شه نشسته مولانا چون دوخور که زنند سرزسما
شمس تبریز در سخن آمد زنده شد آنکه فهم کن آمد
هریکی زان سخن بعشق پرید هر یکی از خودی تمام برید

از امیر و توانگر و درویش هریکی قدر وسع وطاقت خویش
بخشش آورد و میهمانی کرد تا شود یار مهربانی کرد
مدتی این چنین گذشت زمان در حضور شهان هردو جهان
آن دو شه چون بهار وایشان دشت همه را تازه گشته زیشان کشت
شاخ و برگ درونشان پربار رسته بیخار هر طرف گلزار
درچنین عیش و درچنین وصلت همه پر نورو غرق در رحمت

گستاخی مریدان و ناپدید گشتن شمس الدین

باز شیطان بصورتی دیگر زد درایشان کدورتی دیگر
رخت اعمال جمله را دزدید هر یکی زاعتقاد برگردید
باز گشتند همچو اول بار می ومستی گذشت وماند خمار
روشنی شد بدل به تاریکی صحت تن به رنج باریکی
باز چون شمس دین بدانست این که شدند آن گروه پر از کین
گفت او باولد که دیدی باز چون شدند از شقا همه دمساز
که مرا از حضور مولانا که چو او نیست هادی ودانا
فکنندم جدا و دور کنند بعد من جملگان سرور کنند
خواهم این بار آنچنان رفتن که نداند کسی کجایم من
همه گردند در طلب عاجز ندهد کس زمن نشان هرگز
ناگهان گم شد از میان همه تا رهد از دل و زبان همه
یکدو روز او چو گشت ناپیدا کرد افغان زدرد مولانا
هیچ از وی کسی نداد خبر نی بکس بورسید ازاو نه اثر
شیخ گشت از فراق او مجنون بی سرو پا زعشق چون ذوالنون

استغراق و بیقراری مولانا از فراق شمس الدین

شیخ مفتی ز عشق شاعر شد گشت خمار اگر چه زاهد بد
نی زخمری که او بود زانگور جان نوری نخورد جز می نور
روز وشب در سماع رقصان شد برزمین همچو چرخ گردان شد
بانگ و افغان او بعرش رسید ناله اشرا بزرگ و خرد شنید
غلغله اوفتاد اندر شهر شهر چه بلکه در زمانه ودهر
کاین چنین قطب ومفتی اسلام کوست اندر زمانه شیخ وامام
شورها میکند چو شیدا او گاه پنهان و گه هویدا او
خلق ازوی زشرع ودین گشتند همگان عشق را رهین گشتند
حافظان جمله شعرخوان شده اند به سوی مطربان دوان شده اند
عاشقی شد طریق ومذهبشان غیر عشق است پیششان هذیان

رفتن مولانا درجستجوی شمس الدین بجانب شام

باچنان مستی و چنین جوشش باچنان عشق و باچنان کوشش
کرد آهنگ ورفت جانب شام در پیش شد روانه پخته و خام
چون رسید اندر آن سفر بدمشق خلق را سوخت او ز آتش عشق
همه گشتند عاشقش ازجان دیده در درد او دوصد درمان
جمله ازجان مرید و بنده شدند همچو سایه پیش فکنده شدند
شامیان هم شدند واله او کاینچنین فاضل پیمبر خو
ازچه گشته است عاشق ومجنون کاندرو مدرج است صدذوالنون
شمس تبریز خود چه شخص بود تا پیش این چنین یگانه رود
گفت اگرچه به تن ازو دوریم بی تن و روح هر دو یکنوریم
هردو باهم بدیم بی تن وجان پیش از آن کاین فلك شود گردان
بی زمین و زمان بهم بودیم از وجود جهان نیفزودیم
حالت ما بهم نمی ماند کیست کاحوال ما عیان داند
شمس تبریز را بشام ندید در خودش دید همچو ماه پدید
کرد رجعت بروم باز آمد رفت چون کبك وهمچو باز آمد
قطره اش چون فزود دریا شد بود عالی ز عشق اعلی شد
مطربانرا بخواند از سر او بی سر و پا ببام و بر در او
روز وشب یکدمش قرار نبود بی قدح خمر عشق می پیمود
حیرت خلق شد در او افزون کاین چه شور است واینچگونه جنون
چندسالی نشست وباز زعشق رفت با جمله خلق سوی دمشق
باز آنجا فکند صد غوغا جمله گفته عجب زهی سودا
ماهها در دمشق ساکن شد عاشقی کی ز عشق ساکن شد

بازگشتن مولانا بقونیه وبرگزیدن صلاح الدین زرکوب قونوی

بعداز آن باز گشت جانب روم تا زند بر جبین شیر رقوم
سرزد از چرخ روح آنخورشید تاسها را کند پر از ناهید
گفت چون من ویم چه میجویم عین اویم کنون زخود گویم
وصف حسنش که میفزودم من خودهمان حسن ولطف بودم من
درچنین جوش یک مرید از او یافت قربت سوار گشت نکو
لقبش بود شه صلاح الدین قطب هفت آسمان وهفت زمین
چون ورا دید شیخ صاحب حال برگزیدش ززمرهٔ ابدال
روبدو کرد وجمله را بگذاشت غیر او را خطا وسهو انگاشت
گفت از روی مهر بایاران نیست پروای کس مرا بجهان
سرشیخی چو نیست درسر من نبود هیچ مرغ همپر من
پس ازین جمله سوی او پوئید همه ازجان وصال او جوئید
پس ولدرا بخواند آنحق بین گفت بنگر رخ صلاح الدین
نظرش کیمیاست بر تو فتد رحمت کبریاست بر تو فتد
برهاند ترا ز مرگ و فنا برساند به تخت ملك بقا
کندت بر علوم سر دانا جمله اسرار ازو شود پیدا

آرام گرفتن مولانا با صلاح الدین از طلب شمس وحسد بردن مریدان

شورش شیخ گشت ازو ساکن وآنهمه رنج و گفتگو ساکن
زانکه بد نوع دیگر ارشادش بیشتر بود از همه دادش
آنچه از اولیا نبردی کس سالها میرسید ازو بنفس
شیخ با او چنانکه باآن شاه شمس تبریز خاص خاص اله
نظر شیخ جمله بروی بود غیر او نزد شیخ لاشی بود
ننشستی بهیچکس جز او چشم را بر نداشتی زان رو
باز در منکران غریو افتاد سخت درهم شدند اهل فساد
باز آغاز کرد جوش حسد زانکه بودند غرق نفس وجسد
گفته باهم کز آن یکی رستیم چون نگه میکنیم درشستیم
کاش کان اولینه بودی باز شیخ مارا رفیق و هم دمساز
نبداز قونیه بد از تبریز بود جان پرورونبد خونریز
همه این مرد را همیدانیم همه هم شهریم و هم خوانیم
نی وراخط وعلم ونی گفتار بر ما خود نداشت او مقدار
دائما در دکان بدی زرکوب همه همسایگان ازو در کوب
آنکسانیکه منکران بودند از ازل کور وهم کران بودند
ازخود او را بنقص کرده نظر جان جانرا شمرده چون پیکر
که چسان ترهات میگفتند از غم و غصه شب نمی خفتند
پیش ازین جاش بود صف نعال فخر کردی زما میان رجال
چون شود اینکه او را اکنون شیخ خوانیم بل زشیخ افزون
زین نمط فحشهای زشت ودرشت گاه گفته بروش و گه پس پشت
جمله را رأی اینچنین افتاد که چو زاسب مراد زین افتاد
سر ببازیم و زنده اش نهلیم چون ازو جان فکار وخسته دلیم
یك مریدی برسم طنازی شد از ایشان و کرد غمازی
درهمان لحظه نزد مولانا آمد و گفت این حکایت را
پس رسید این بشه صلاح الدین نورچشم و چراغ هر ره بین
خوش بخندید و گفت آنکوران که ز گمراهیند بی ایمان
نیستند اینقدر زحق آگاه که بجز زامر او نجنبد کاه
چون تواند کسی مرا کشتن یا بخاك و بخونم آغشتن
می برنجید ازاینکه مولانا کرد مخصوصم از همه تنها
خودندانسته اینکه آینه ام نیست نقشی مرا معاینه ام
درمن او روی خویش می بیند خویشتن را چگونه نگزیند
گشت واقف زراز شیخ علیم خشمگین شد بر آنگروه لئیم
راه بربست دیگر ایشانرا آن لئیمان کوربینان را
همه گشتند سرزد از آن گرمی رویشان سخت شد زبیشرمی
روزشان گشت همچو شب تاریك گردن جمله شد زغم باریك
هریکی دست خود همی خائید از دلش غصه ها همی زائید
گفته باهم اگرچنین ماند چه شود حال ما خدا داند

پیش از آنکه رویم جمله زدست چاره سازیم تا رهیم ز شست
سوی ایشان شویم توبه کنان وصل جوئیم تا رود هجران
همه جمع آمدند بر در او می‌نهادند بر زمین سر و رو
گریه زارشان چورفت ازحد بانگ و افغانشان گذشت ازحد
چون شنیدند آن دو زاریرا ساز کردند چنگ یاری را
در گشادند و راهشان دادند قفل های ببسته بگشادند

در گذشتن صلاح‌الدین ورسیدن خلافت به‌چلبی حسام‌الدین

شیخ بااو چودر دوتن یکجان بود آسوده و خوش‌وشادان
مست از همدگر شده ده‌سال داشته بی خمار هجر وصال
جمع یاران بگردشان زده صف آندوچون بحروباقیان چون کف
همه چون اختران وآندوچوماه همه چون بندگان و آندوچوشاه
درچنین عیش‌ودولت ونزهت در چنین جاه‌و ملکت و زینت
ناگهان شدصلاح‌دین رنجور گشت از صحبت بدن مهجور
شیخ فرمود در جنازهٔ من دهل آرید و کوس بادف زن
سوی گورم برید رقص کنان خوش‌وشادان‌ومست‌ودست‌افشان
تا بدانند کاولیای خدا شاد و خندان روند سوی لقا
کردچشمان فرازو رفت‌بناز ناز نازان بصد هزار اعزاز
اولیا را بود زمرگ حیات زانکه در مرگ دیده‌اند نجات
جسم پاك ورا چواندر خاك بنهادند رفت پاک بپاک
بود راضی‌شه از حسام‌الدین داده بودش هزار گنج گزین
مرشد جمله بود مولانا آن خدیو یگانهٔ والا
رتبت هر یکی براو روشن گشته همچون میان‌روح وبدن
شیخ گفت ای حسام‌حق آئین چونکه‌رفت‌ازجهان‌صلاح‌الدین
بعدازین نایب وخلیفه توئی زانکه اندر میانه نیست دوئی
آن یکی باز گفت مولانا زین سه مهتر کدام بود اعلی
گفتش اندرجواب کای‌همراه شمس چون‌مهربد صلاح چوماه
چون‌ستاره‌است‌شه‌حسام‌الحق زانکه گشته‌است باملك ملحق
شیخ اینرا بجای آن بنشاند بر سرش نور ها نثار افشاند
گفت اصحاب‌را که سربنهید پیش او عاجزانه پر بنهید
همه امرش ز دل بجا آرید مهر او در درون جان کارید

مصاحبت شیخ حسام‌الدین تاپایان زندگانی مولانا ومستفیدشدن یاران بی‌حدازهردو

بود با شیخ در زمانهٔ شیخ همدل و همنشین بخانهٔ شیخ
در صفاو وفابهم همدم همه اصحاب شادمان بیغم
بخشش هردو برهمه شامل همه از هر دو عالم و عامل
خوش‌بهم‌بوده مدت ده‌سال پاك و صافی مثال آب زلال
بعداز آن نقل کرد مولانا زین جهان کثیف پر زغنا
سال هفتاد و دو بده بعدد ششصد از عهد هجرت‌احمد
چشم‌زخمی‌چنین‌رسیدبخلق سوخت‌جانها زصدمت‌آن‌برق
لرزه افتاد در زمین آندم گشت نالان فلك در آن ماتم
مردم شهر از صغیرو کبیر همه اندر فغان وآه‌و نفیر
بجنازه همه شده حاضر از سر مهر و عشق نز پی‌بر
قوم هر ملتی براو عاشق اهل هر مذهبی براو صادق
عیسوی گفته‌اوست‌عیسی‌ما موسوی گفته‌اوست موسی ما
مسلمش‌خوانده‌سرونورر‌سول گفته هست‌اوعظیم‌بحر نقول
همه کرده‌زغم گریبان‌چاك همه از سوز کرده برسرخاك
آنفغان و خروش کانجابود کس‌ندیده‌است‌زیرچرخ کبود
همچنان‌این کشیدتاچل‌روز هیچ ساکن‌نشد دمی‌تف‌وسوز
روزوشب‌بودگفتشان‌همه‌این که‌شد آن گنج زیرخاك‌دفین
ذکراحوال‌وزندگانی او ذکر افوال‌و در فشانی او
ذکرعشق‌خداو تجریدش ذکرمستی‌و صدق‌و توحیدش
ذکرلطف‌وتواضع‌وکرمش ذکرحال وسماع چون ارمش
ذکرتذکیرووعظو گرمی‌او ذکر مهر و وفا و نرمی او
ذکراسرارولطف‌انوارش ذکر آن کشفها ز دیدارش
ذکرتقوی وحلم‌ورحمت‌او ذکر فتوی وعلم‌و حکمت او

از کتاب بستان‌السیاحه

برضمایر مهرمآثراولوالابصار مخفی ومستور نماند که ولادت باسعادت‌مولانا در قبة‌الاسلام بلخ من‌بلاد خراسان‌درششم‌ربیع‌الاول سنه ٦٠٤ ششصدو چهار هجری روی نمود

همان شراب کش بادهٔ خم‌جبروت همان همای‌بلند آشیان‌عرش‌نشین
رموز گوی‌ازل‌مولوی‌که‌دادنجات مقیدان هوا را زقید این سجین
زجلدهای کتابش‌که‌مینوشت‌گرفت جهات سته به پیرایهٔ ابد تزیین
سخن‌زمرتبهٔ‌شعراونه‌حدمنست که‌همچوعرش‌بلنداست‌وهمچوشرع‌متین

گویند آنجناب در پنج سالگی بهر سه چهار روز یکبار افطار میفرمود و در نسب از نسل ابوبکربن ابی‌قحافه خلیفهٔ اول بود بدین ترتیب :

هوابن بهاءالدین محمدبن حسین‌بن احمدالخطیب بن محمود بن ثابت بن مسیب بن مطهر بن‌حماد بن عبدالرحمن بن ابوبکر

ابأعن‌جدازعلماء نامدار عالیمقدار و از فضلاء کبار آندیار بودند و شیخ‌احمدالخطیب بلخی مریدقطب‌العارفین شیخ‌احمدغزالیست و فرزند ارجمند او شیخ حسین که‌جد مولاناست بغایت متقی و پرهیزکار و اسباب دنیوی در نظرش بیمقدار بود نقل است که در واقعه حضرت رسالت پناه صلعم خوارزمشاهرا فرمود که ما دختر ترا بشیخ حسین عقدکردیم تو نیز قبول کن و ایضاً وزیر خوارزمشاه همان خوابرا مشاهده نمود و شیخ حسین نیز درهمان شب خواب میبیند که حضرت رسول صلعم میفرماید که ماصبیهٔ خوارزمشاهرا بتو تزویج نمودیم خوارزمشاه بفرمودهٔ آنحضرت عمل نموده دختر پاکیزه گوهر خودرا بنکاح‌شیخ حسین درآورد و بهاءالدین محمد از آن عفیفهٔ مکرمه بوجود آمد چون بسن‌رشد و تمیز رسید بتحصیل علوم مشغول شده در اندك زمانی دراکثر علوم ماهر گردید و نیز در عنفوان شباب بعد از اکتساب علوم و آداب اولا تلقین ذکر از والد خود گرفته و او از پدرش امام احمد خطیب و بدینواسطه سلسلهٔ بهاء الدین متصل بشیخ احمد غزالیست بعداز آن صحبت شیخ‌الشیوخ نجم‌الدین کبری‌را دریافته است و از روی ریاضت و مجاهده با علی قلل مشاهده شتافته و مقبول همهٔ دلها شده و در بلخ متمکن میبوده و بدرس و فتوی نیز اشتغال مینموده‌و طالبانرا بکشف حقایق و معارف راهنمائی میکرده‌و از برای ارشاد عوام عقد مجالس نصایح و مواعظ می ساخته و بحال همهٔ طوایف میپرداخته و سلطان محمدخوارزمشاه از جملهٔ مریدان و معتقدان بوده و سید برهان‌الدین الترمدی که ازجملهٔ اقطاب بود ازمریدان آنجناب بشمار است که باتابکی‌مولانا جلال‌الدین محمدرومی اشتغال مینمود

آورده اند که شبی سیصد دانشمند مفتی از مشاهیر بلخ که از جملهٔ منکران بودند در خواب سیدکاینات را دیدند که درخیمهٔ سبز نشسته بود و مولانا بهاءالدین‌بازبدهٔ ممکنات صلی‌الله‌علیه‌وآله همنشین وحضرت‌رسول‌صلعم مولانارا نوازشها نموده‌وفرمودماترا سلطان‌العلماء لقب‌نهادیم آنجماعت چون‌بیدارشدندروی‌بخدمت‌مولانا نهادند وچون‌درراه‌بایکدیگر ملاقی‌شدند وازخواب‌دوشینه حکایت میکردند متعجب ومتحیر میماندندومولاناسلطان‌العلماء بعداز اداء صلوة‌واذکار بربام رفته بود و اینجماعت ازهیبت اینحال امکان در کوفتن‌ومجال‌اخبار نداشتند آخرالامرسراز بام فرو کرده‌فرمود : تاحضرت‌سیدالمرسلین‌علیه‌افضل‌الصلوات‌ازحال‌درویشان‌وروش‌ایشان اخبار نفرمودشمازنارانکارازمیان‌نگشودیدآنجماعت استغفار کردند ومریدومعتقدشدند.سلطان‌محمدبعداز استماع‌این‌کلام‌درخدمت‌اهتمام بیشتربتقدیم‌رسانیدوامام‌فخرالدین‌رازی‌نیز به‌تبعیت‌میآمدچه که‌معلم سلطان‌بود وجناب مولانا در اثنای موعظت مذمت مذهب حکمای یونان میفرمود و میگفت: جمعی که کتب آسمانی را در پس پشت انداخته و اقاویل وعقاید فلاسفه پیش گرفته اند چگونه امید نجات داشته باشند

امام‌فخرالدین ازاینمعنی عرق حسدش میجنبید ودائماً بگردسعایت وفساد میگردید امافرصت‌نمیدید اتفاقاًروزی سلطان‌بزیارت‌مولانا آمده‌بود کثرتی عظیم باشکوه بیش‌از پیش دید وفخرالدین‌رازی راخطاب کرده و گفت بیحد کثرتی مشاهده میشود وی‌فرصت‌یافته گفت اگر بتدبیر دفع این کثرت‌نشود بیم‌است که‌در ارکان‌سلطنت خلل افتد بواسطهٔ آنکه طباع برحسد مجبولست این‌سخن واهی برسلطان اثر کرده فرمود که‌تدبیر باید نمود درجواب گفت‌صواب آنست که کلید خزائن و قلاع را بخدمتش بفرستیم و بگوئیم که امروزجمعیت و کثرت آنحضرت راست وبواسطهٔ‌استیلای مریدان وشوکت معتقدان وهنی درامور مملکت ظاهر گشته و بجز کلید دردست‌ماراختیاری نمانده‌یا کلیدهاراقبول کنند یا ازدارالسلطنه بیرون روند وازمملکت‌هر کجا خواهند متمکن شوند چون‌براین سیاق عمل کردند دمار ازدودمان خویش‌برآوردند ازاستماع این سخن‌مولاناسخت‌برنجید وقسم‌یاد کرد که‌تامحمد خوارزمشاه‌پادشاه خراسان باشد بدانجا نیاید مثنوی

تادل مردخدا نامد بدرد هیچ قومی‌را خدا رسوا نکرد

گویند باعث انقراض دولت خوارزمشاهیان و تسلط چنگیزیان برمملکت‌ایشان نخست قتل مجدالدین‌بغدادی‌شد واومریدنجم‌الدین خوارزمی و مرشد شیخ فریدالدین عطار قدس الله اسرارهم بود وتفصیل احوال‌آن‌بزرگوار درکتب تواریخ مسطور است‌ودیگر رنجش خاطرمولانا بهاءالدین‌است.

نقلست که مولانا روز دیگر در میان مجلس گفت فردا عزم سفر دارم هر کرا ارادت درویشان‌است آماده‌باشدروزدیگر ازمریدان و معتقدان سیصد نفر درخدمتش روانه شدند درآنوقت‌مولانا جلال الدین بسن شش ساله بود و مولانا بهاءالدین در نیشابور باجناب شیخ فریدالدین عطار قدس سره ملاقات کرد وجناب شیخ کتاب اسرار نامه‌را که یکی از مؤلفات خودبودبمولانا جلال‌الدین‌عنایت نمود وببهاءالدین گفت که‌این فرزندرا گرامی‌بدار زودباشد که از نفس گرم آتش‌برافسردگان عالم زند مولانا بهاءالدین جناب‌شیخ را وداع‌نموده عازم بیت‌الله‌الحرام گردید و چون‌بدارالسلام بغداد رسید اکابرواعاظم و بزرگان مولانارا تعظیم تمام کردند و لوازم احترام نسبت‌بآن‌بزرگوار بجای‌آوردند مدت‌یکماه تفسیر بسم‌الله فرمود چنانکه‌تقریراول‌بثانی نسبت نداشت جمعی ازطرف سلطان علاءالدین کیقباد سلجوقی از کشور روم بدارالخلافه بغداد آمده بودند آن‌تقریردلپذیرازمولاناستماع نمودند وچون‌بروم‌باز گشتند دراثنای حکایات‌درحضرت سلطان از مناقب مولانا آنچه مشاهده کرده‌بودند عرضه داشتند سلطانرا درغیبت‌اعتقادی عظیم‌راسخ‌شد و دائماً تمنای ملاقات صوری‌داشت تا از تقدیر کردگار مولانارا عزیمت حجازافتاد وازحجازبطرف‌شام‌عبورفرموده‌ودرآنجامولانا برهان‌الدین ترمدی‌رحلت‌نمود آنجناب در حین‌وفات خدمت‌مولانا وصیت کرد که‌باید شما بطرف روم عزیمت نمائید که جهت شما در آن‌دیار فتوحی خواهد بود بنا بفرمودهٔ آن بزرگوار مولانا بمدینهٔ ارزنجان آمده در خانقاه عصمتیه تاج ملك خاتون که عمهٔ‌سلطان علاءالدین بود نزول نمود خاتون سعادت مقرون خدمات پسندیده بجای آورد و التماس کرد که آنجا متمکن شود قبول نفرمود وبزودی از آنجا عزیمت آنشهر نمود و فصل زمستان‌در آنجا اقامت کرد بعداز آن بطرف روم نهضت فرمود سلطان را معلوم شد که قرب منازل حاصل شده است قاصدان بخدمتش فرستاد استعجال حرکت مولانا نمود ملتمس سلطان باجابت لاحق شد چون بصحرای قونیه رسید سلطان باجمیع اکابروارکان‌دولت مولانارااستقبال نمود سلطان بعداز اظهار اخلاص و ارادت استر شمام نام که در گام‌زدن پیك باد شمال بود برسم نیاز پیشکش‌نمود وچندگام در رکاب مولانا پیاده رفت مولاناچندانکه مبالغه‌فرمود که سوار شود سلطان بر تواضع وفروتنی می افزود و میگفت جهت‌مزید دولت‌وسعادت خویش این‌عبودیت بتقدیم میرسانم‌آنگاه در منزلی که‌لایق آنجناب‌بود فرود آورد وچندان‌خدمات‌ومراعات نمود که عشر عشیرآن بشرح و بیان در نیاید در آن اوان مولینا جلال الدین بسن چهارده سالگی بود و در آن صغر سن از روی علوم وحکم عالمی بزرگ شده بود چون والد بزرگوارش در سنه ۶۳۱ هجری رحلت نمود مولانا بموجب وصیت والد بر مسند افاده قدم گذاشت ولوای نشر علوم و درس فنون وامر معروف و نهی منکر برافراشت

آورده اند که مولانا بعداز تحصیل‌علوم رسمی و اصطلاحی از اقسام علوم آنچه سیدبرهان‌الدین ازشیخ خود از حقایق مکتوم معلوم کرده‌بود مولانارا تعلیم‌و تلقین میکرد چون‌ذات‌ملك صفات اورا بریاضات و مجاهدات مکاشفات ومشاهدات دست داد و قابل اسرار احدی و محرم رموز کنوز احمدی شد بصحبت حضرت خضرعلی نبیناوعلیه السلام مشرف گشت و جمعی کثیر ازعرفای عصر را ملاقات نمود آخرالامر بخدمت تاج العارفین مولانا شمس‌الدین تبریزی رسیدوارادت آن‌جنابرا ازدل وجان‌برگزید ونسبت طریقت شمس‌الدین بجناب قطب الاولیاء و زبدت‌الاصفیاء علی‌بن موسی‌الرضاعلیه‌آلاف‌التحیة و الثناء میرسد براین‌موجب: شمس‌الدین مرید باباکمال جندی بود و او مرید شیخ نجم‌الدین خوارزمی و او مرید شیخ‌عمار بدلیسی واومرید شیخ نجیب‌الدین سهروردی و او مرید شیخ احمد غزالی واو مرید شیخ ابوبکر نساج واومریدشیخ ابوالقاسم کورکانی (و او مرید شیخ ابوعمران مغربی و او مرید شیخ ابو علی رودباری) و او مرید شیخ جنید بغدادی‌واومرید شیخ‌سری سقطی و او مرید شیخ معروف کرخی و او مرید و دربان علی‌بن موسی‌الرضا علیه التحیة والثناء بود

آورده‌اند که‌شمس‌الدین ولد علاءالدین‌بوداز نژاد کیا بزرگ‌امید گویندپدروی‌ترک‌مذهب‌اسمعیلی کرده شعار اسلام ظاهر نمود و در نهانی ولدخود شمس‌الدین‌را بخواندن علم به تبریز فرستاد و در آنجا علم وادب آموخت و انواع فضائل اندوخت جامی‌صاحب نفحات‌الانس آورده که شمس الدین از خاندان اسمعیلیان نیست بلکه‌او تبریزی‌الاصل پسربزازیست‌وبعضی‌گفته‌اند که‌اصل‌شمس‌الدین ازخراسان بوده وخود درشهر تبریز تولدنموده ودراین باب روایت دیگر نیزوارداشت راقم گوید شاخ گل هرجا که‌میروید گل‌است

نقلست که‌چون شمس‌الدین درعالم طلب سیاحت میکرد تا آنکه بخدمت باباکمال‌الدین جندی قدس‌سره رسید و به‌هزار جان ودل مریدش گردیدوقتی باباکمال جمعی از مریدانرا که‌ازآنجمله‌شیخ بهاءالدین زکریا و شیخ فخرالدین عراقی و امیر حسین هروی بودند در خلوت نشاند وشمس‌الدین را نیز بریاضت و خلوت امر کردشیخ فخرالدین عراقی لوایح اسرار را بصورت لوامع و اشعاراملا نموده بعرض شیخ کمال‌الدین‌رسانیدوشمس‌الدین اظهار اینمعانی نمیکرد روزی آن بزرگوار فرمود فرزند شمس‌الدین از حقایق و اسرار که فرزند فخرالدین باظهار آن قیام مینماید برتوهیچ لایح نمیشود عرض‌نمود بیش‌از آن حقایق مشاهده‌می‌افتد او از جهت‌اشتغال‌بمصطلحات‌علوم‌بعبارتی‌مناسب کشف‌بعضی‌اسرار مکتوب‌میتواند کرد ومرا دست‌نمیدهدشیخ‌فرمود که‌باریتعالی ترا مصاحبی‌روزی کند که‌معارف‌وحقایق‌اولین‌وآخرین‌را بنام‌تواظهار کندوینابیع‌حکمت‌ازدل‌اوبرزبانش‌جاری‌شودوهمهٔ آن کسوت‌مقالات مطرزبنام‌تو باشدبعداز آن‌باباکمال‌فرمود که‌ترابطرف‌روم‌بایدرفتن‌ودر آنجاسوخته‌ایست‌میبایداورامشتعل کردن‌شمس‌الدین‌بموجب‌فرمودهٔ وی عمل‌نموده متوجه روم گردیدودرحین گردش آن‌مرزوبوم‌بشهر قونیه‌رسیدودرکاروانسرای‌شکرفروشان‌منزل گزید

روزی‌دربازارمولاناجلال‌الدین براستری‌سواربکوکبهٔ تمام‌عبور مینمود و شمس‌الدین اورا دیده بفراست مطلوب‌را شناخت و در رکابش روان‌شده پرسید که‌غرض‌از مجاهده و دانستن علوم‌چیست

مولانا گفت روش سنت و آداب شریعت است شمس الدین فرمود این خود ظاهر است مولانا گفت ورای آن چیست شمس الدین گفت که علم آنست که ترا بمعلوم رساند و بشاهراه حقیقت کشاند و این بیت سنائی را برخواند

علم کز تو ترا نه بستاند جهل از آن علم به بود بسیار

مولانا از استماع این سخن متأثر و متحیر گشته مرید شمس الدین گردید و بروایت دیگر چون شمس الدین بقونیه رسید مولانا را ملاقات نمود در حالتی که مولانا در کنار حوض نشسته بود و کتابی چند پیش خود نهاده شمس الدین از مولانا پرسید که این چه مصاحفست مولانا جواب داد که این را قیل و قال گویند ترا بآن چه کار است شمس الدین فی الحال کتابها را در آب انداخت و مولانا را متحیر ساخت مولانا از روی تأسف فرمود که ای درویش بعضی فواید والا بود که دیگر یافت نمیشود دیوانگی کردی وضایع ساختی شمس الدین دست دراز کرد یکان یکان همهٔ کتابها را بیرون آورد که آب در آنها اثر نکرده بود مولانا پرسید که این چه سر بود که بظهور پیوست شمس الدین فرمود که این از ذوق و حال است ترا از آن چه خبر بعد از آن باهمدگر صحبت بسیار داشتند و مولانا فرجی و وضع دستار مشابه او ساخت و طریقهٔ سماع آموخت و بیمن تربیت او علم معرفت بر سر عالم افراخت چنانکه میفرماید

هزاران درج در دارد بناگوش ضمیر من از آن الفاظ وحی آسای شکربار شمس الدین
ز عقل و روحها بگذر حجاب عقل برهم در دو سه منزل از آنسو تر ببین بازار شمس الدین

منقولست که چون مولانا ربودهٔ شمس الدین گردید مدت شش ماه در خلوت با او مینشست و می آرامید موالی مولانا شور و غوغا بر آوردند و بر شمس الدین طعن و تشنیع آغاز کردند که سر و پا برهنهٔ و شکم گرسنهٔ ظهور نمود و مقتدای مسلمانان را گمراه کرده است شمس الدین بالضرورد بصوب تبریز روان گردید و مولانا را سوز عشق زبانه کشید و در فراق شمس الدین شعر های سوزناك گفتن گرفت آخر الامر طاقتش طاق شده سوی تبریز شتافت و بعد از زحمات بسیار مطلوب را دریافت در مثنوی از زبان وامدار بر اینمعنی اشارت نموده

ساربانا بار بگشا زاشتران شهر تبریز است و کوی دلستان
فر فردوس است این پالیزرا شعشعهٔ عرش است این تبریزرا
هر زمانی فوج روح انگیز جان از فراز عرش بر تبریزیان

مولانا و شمس الدین پس از چندی با یکدیگر بروم آمدند و چند گاه خالی از اغیار مشغول صحبت شدند باردگر دوستان مولانا که در حقیقت دشمنان بودند حسد و حقد آغاز نمودند

خدای تخم حسود از جهان براندازد اگر حسود نباشد جهان گلستانست

این بار شمس الدین بطرف شام فرار کرد و مدت دو سال در نواحی شام اقامت فرمود مولانا در آن مدت از فراق شمس الدین میسوخت و غزلهای عاشقانه میساخت و عشق شمس الدین بنیاد صبر مولانا را یکباره برانداخت آرام و قرار ازو گم گردید عاقبت مبلغ هزار دینار زر به پسر خود بهاء الدین ولد داده و گفت بزودی بسوی شام بخرام و شمس الدین را در مقام صالحیه خواهی دریافت که با فرنگی زادهٔ شطرنج میبازد زینهار بخاطر خطرهٔ میار که آن پسر یکی از مردانست و از این راه آگاهش میسازد و این زر را بعتبهٔ شمس الدین ایثار کن و کفش آنحضرت را بسوی روم گردان و این ابیات را بخوان

بروید ای حریفان بکشید یار ما را بمن آورید حالی صنم گریزپا را
اگر او بوعده گوید که دم دگر بیاید مخورید مکر او را بفریبد او شما را

از این غزل بهمین دو بیت اکتفا نمود بهاء الدین بحکم والد بشام رفته آنچه از والد شنیده بود دید و آنچه فرموده بود بانجام رسانید و شمس الدین بصوب روم مصمم گردید در آنسفر بهاء الدین در رکاب شمس الدین مسافت یکماهرا پیاده طی نمود هر چند آنجناب مبالغه کرد که سوار شود بهاء الدین قبول نکرد و گفت شاه سوار شود و بنده سوار چگونه خواهد بود

آفرین خدای بر پدری که تو پرورد و مادری که تو زاد

چون شمس الدین بقونیه رسید مولانا بشرف مواصلت مشرف گردید آنجناب در اثنای صحبت اظهار بهجت از بهاء الدین میفرمود و گفت من ازو راضی شدم مرا سری بود و سری سر بتو دادم و سر به پسرت بخشیدم اگر بهاء الدین ولد را هزار سال عمر بودی و همه را در راه طلب رضای خدا صرف نمودی آنچه در این سفر اورا حاصل گشت هزار یك آن حاصل نشدی

نقل است که شبی شمس الدین با مولانا در خلوت صحبت میداشت و اعلام طریقت بر فراز حقیقت می افراشت ناگاه کسی از بیرون در بشمس الدین اشارت کرد مولانا گفت کیست آنجناب فرمود بقتلم میخوانند چون بیرون رفت مولانا صیحهٔ شنیده بیرون دوید چون نظر کرد قطرهٔ خون ریخته دید از آنزمان تاحال از شمس الدین چون عنقا نامیست بعضی گویند بمولانا در عالم واقعه شمس الدین گفت که مرا کشته بچاه انداختند چون مولانا از خواب بیدار شد بسر چاه رسید وجسد آن یوسف مصر ولایت را از چاه بیرون کشید و در مقام مناسب دفن نمود

راقم گوید اینقول بصحت اقربست چنانکه اکنون مزار آن بزرگوار در آن دیار مطاف طائف خلق روزگار است در نفحات مسطور است که باعث هلاك شمس الدین علاء الدین محمد که به تیرانه لیس من اهلك نشانه شده پسر ناخلف مولانا بود و علاء الدین بعد از اقدام بر آن امر شنیع بمرضی مزمن گرفتار گشته بسرای دیگر انتقال نمود و مولانا بجنازهٔ او حاضر نگشت

مخفی نماناد که در کیفیت ملاقات شمس الدین با مولانا اخبار متعدده وارد است که از طول کلام اندیشیده از تذکار آن عنان قلم باز کشید شهادت شمس الدین در سنه ٦٦١ هجری روی نمود

آورده اند که مولانا جلال الدین بعد از واقعهٔ هایلهٔ شمس الدین همواره غمگین میبود و علی الدوام زاری و بیقراری مینمود و آخر الامر خاطر حزین و دل اندوهگین خود را بصحبت و تربیت حسام الدین چلبی المعروف بابن اخی ترك تسلی فرمود نسب وی بدان کس میرسد که فرمود امسیت کردیاً واصبحت عربیا حسام الدین در حجر تربیت مولانا نشوونما یافته و مهر شفقت و مرحمت مولانا بروجنات حال وی تافته و محبوب و منظور مولانا بوده و بحسن طاعت و انقیاد بدرجهٔ عالی ترقی نموده است و کتاب مثنوی که مشهور در السنهٔ صغار و کبار مذکور است باستدعای حسام الدین مولانا بسلك نظم کشیده الحق کتابی بدین نظم و نسق بزبان فارسی چشم زمانه ندیده و گوش روزگار نشنیده است بمرتبهٔ مقبول و مطبوع عرفا گردیده که شیخ بهاء الدین عاملی با آنهمه فضل و کمال در تعریف آن میفرماید

من نمیگویم که آن عالیجناب هست پیغمبر ولی دارد کتاب
مثنوی معنوی مولوی هست قرآنی بلفظ پهلوی
مثنوی او چو قرآن مدل هادی بعضی و بعضی را مضل

در نزد محققان هر قوم پسندیده است چنانکه راقم در جمیع بلاد اقالیم سبعه دیده و شروحی بسیار بزبان فارسی و عربی و ترکی و هندی بر آن نوشته اند

نقلست که حسام الدین شبی اندیشه نمود که در خدمت مولانا استدعا نماید که بوزن منطق الطیر شیخ فرید الدین عطار قدس سره کتابی بنظم آورد و در صبح آنشب بنیت مذکور بخدمت مولانا مشرف گشته مرکوز خاطر را عرضه داشت مولانا بعد از استماع سخن حسام الدین کاغذی از دستار خود بیرون آورده بدست وی داد و فرمود که دیشب وقتیکه از خاطر تو گذشت بر من وارد گشت که اینگونه کتابی منظوم شود و انجام رسد لهذا این ابیات همانوقت از خاطر من سر زد

بشنو از نی چون حکایت میکند وز جدائیها شکایت میکند

اولین شعر کتاب مثنوی تا

درنیابد حال پخته هیچ خام پس سخن کوتاه باید والسلام

بعد از آن مولانا بگفتن مثنوی مشغول گشت از اول شب مولانا نظم نمودی و آخر شب حسام الدین بآواز بلند در حضور مولانا خواندی و بسمع مجلسیان رساندی نوبتی حسام الدین بخدمت مولانا معروض داشت که در وقت خواندن مثنوی گویا میبینم از غیب شمشیرها

کشیده اند و گردن منکران را میزنند مولانا تصدیق نموده گفت نیك دیدی چنانچه درمثنوی بدان اشارت نموده

دشمن اینحرف ایندم درنظر — شدممثل سرنگون اندرسقر
ای ضیاء الحق تودیدی حال او — حق نمودت پاسخ احوال او
دیدهٔ غیبت چوغیبت اوستاد — کم مباداز این جهان این دیدوداد

چون جلداول مثنوی بانجام رسید زوجهٔ مکرمهٔ حسام الدین بسرای جاوید خرامید بدانسبب یا بسبب دیگر اختلال دراحوال حسام الدین ظاهر گردید مدت دوسال [تنظیم مثنوی] بتعویق افتاد ومولانا بگفتن مثنوی لب نگشاد بعداز انقضای مدت مذکوره باردیگر حسام الدین ازخدمت مولانا اتمام مثنوی استدعا نمود چنانچه در اول جلد دوم اشاره برین فرموده

مدتی این مثنوی تأخیر شد — مهلتی بایست تاخون شیرشد
تا نزاید بخت تو فرزند نو — خون نگردد شیر شیرین خوش شنو
چون ضیاء الحق حسام الدین عنان — باز گردانید زاوج آسمان
چون بمعراج حقایق رفته بود — بی بهارش غنچها نشکفته بود
مثنوی که صیقل ارواح بود — باز گشتش روز استفتاح بود
مطلع تاریخ این سوداوسود — سال اندر ششصدوشصت ودوبود

آنگاه بجدتمام وسعی مالا کلام باتمام مثنوی قیام فرمود جلد ششم بپایان نرسیده عارضهٔ بربدن شریفش روی نمود ودرآن بیماری ازجهان فانی بعالم جاودانی انتقال فرمود چنانکه بهاء الدین ولد در آخر مثنوی برآن ایمائی مینماید

مدتی زین مثنوی چون والدم — شد خمش گفتش وراکای زنده دم
از چه رودیگر نمیگوئی سخن — بهر چه بستی در علم لدن
گفت نطقم چون شتر زین پس بخفت — نیستش باهیچکس تاحشر گفت
همچو اشتر ناطقه اینجا بخفت — او بگوید من دهان بستم ز گفت
قصهٔ شهزادگان نامد بسر — ماند نا سفته در سیم پسر
باقی این گفته آید بیزبان — با درون آنکه دارد زنده جان
فهم میگوید شتر چون خفت او — وقت رحلت آمد و جستن زجو
گفتگو آخر رسیدو عمر هم — مژده کامد وقت کز تن وارهم
درجهان جان کنم جولان همی — نگذرم زین نم در آیم دریمی

فقیر گوید ازمحققان ملک روم و دانشمندان آنمرز وبوم بکرات استماع نمود واز ثقات دیار مصر و شام مکررشنود که مولانا از آن مرض صحت یافته دفتر دیگر برمثنوی افزوده آنرا هفت جلد فرموده است چنانچه شیخ اسماعیل قیصری که عالم معالم سخن پروریست درحدود هزار واند هجری شرحی بردفتر هفتم نوشته ودر عنوان آن کتاب مدعیست که ناظم جلدهفتم جناب مولویست وازملحقات نیست چون بعداز تدوین جلد ششم گفته شده لهذا بغیراز کشور شام وروم شهرت نیافته است والله اعلم بحقایق الامور گویند این اشعار از جلدهفتم است

ای ضیاء الحق حسام الدین سعید — دولتت پاینده فقرت بر مزید
چونکه ازچرخ ششم کردی گذر — بر فراز چرخ هفتم کن مقر
سعد اعداداست هفت ای خوش نفس — زانکه تکمیل عدد هفت است وبس

شیخ نجیب الدین رضا تبریزی الاصل اصفهانی المسکن که در زمان شاه سلیمان صفوی پایهٔ سلسلهٔ ذهبیه بوده و کتاب سبع المثانی را ببحرمثنوی تألیف نموده درعنوان آن کتاب فرموده که درعالم واقعه مولانا بمن خطاب کرده فرمود که جلد هفتم مثنوی را توباتمام رسان بنابفرموده مولانا کتاب سبع المثانی را بنظم آوردم فقیر گوید آنچه نزد درویشان روم وشام وعربستان درخصوص جلد هفتم بصحت اقربست قول اولست (آندفتر درآخر همین کتاب مسطوراست) اصحاب معرفت بعداز دقت معلوم میکنند که ناظم آن جناب مولوی بوده یانبوده

معاصرین مولانا ـ آورده اند که درعصر مولانا جلال الدین قدس سره درکشور روم وایران وغیره عرفای عظام ومشایخ کرام بسیار بوده از آنجمله شیخ اوحدالدین کرمانی وشیخ بهاء الدین زکریاء ملتانی وشیخ نجم الدین رازی وشیخ مصلح الدین سعدی شیرازی وشیخ محی الدین الاعرابی وشیخ صدرالدین قونیوی وشیخ مؤیدالدین جندی وشیخ ابوالحسن مغربی الشاذلی وشیخ ابوالعباس المرسی وابن الفارس الحموی المصری وشیخ عزیزالدین نسفی وشیخ ابوالحسن علی الصعیدی المعروف بابن صباغ وشیخ فخرالدین عراقی وشیخ نجیب الدین بزغش شیرازی و شیخ برهان الدین ترمدی وشیخ نورالدین عبدالرحمن اسفراینی و شیخ جمال الدین جوزقانی وشیخ رضی الدین علی لالا غزنوی وشیخ سیف الدین باخرزی وشیخ سعدالدین حموی وشیخ ابومحمد عبدالله المغربی وشیخ یاسین المغربی و شیخ عفیف الدین سلیمان قلمانی وشیخ ابوالغیث الیمنی وشیخ صلاح الدین زرکوب وشیخ موسی سدرانی وشیخ صدرالدین فرغانی وعین الزمان جمال الدین وحاجی بکتاش ولی قدس الله اسرارهم که اکثر آن بزرگوارانرا در شهر قونیه وغیره ملاقات نموده وطریق معاشرت پیموده

در شهور سنه ٦٧٢ هجری درهمان دیاربدارالقرار انتقال نمودمزارفیض مدارش درغایت اشتهاروزیارتگاه ابنای روزگاراست (وفات خواجه نصیرالدین طوسی هم در اینسال اتفاق افتاده)

از ملوك زمان که معاصر آنجناب بودند هلاکوخان وآباقاآن خان در ایران وبندوقدار درمصروشام وعلاءالدین کیقبادسلجوقی درکشورروم وناصرالدین ایلتمش در هندوستان حکومت مینمودند وازفرقهٔ حکما محقق طوسی معاصر آن بزرگوار بوده

روزی اصحاب راخطاب کرده فرمود: اوصیکم بتقوی الله فی السروالعلانیه و بقلة الطعام وقلة المنام وهجران المعاصی والآثام و مواظبة الصیام ودوام القیام وترك الشهوات علی الدوام واحتمال الجفاء من جمیع الانام وترك مجالسة السفهاء والعوام ومصاحبة الصالحین والکرام وان خیرالناس ماینفع الناس وخیرالکلام ماقل ودل

پوشیده نماناد که سلسلهٔ مولوی دربلاد روم ومصروشام وعرب وجزایربحرروم ودیار روم ایلی وعراق عرب جاری و معمولست ودر نزدخوردو کلان واعیان ودانا ونادان وحاجب وسلطان مقبولست لباسی خاص مخصوص درویشان آن سلسله است وتاج نمدی بیدرز برسر گذارند ومشایخ ایشان عمامهٔ نیز برآن تاج بیندند وذکروفکر ومراقبت اورادوسماع وحلقهٔ ذکرجلی درمیان ایشان متداولست ودرهنگام سماع نی ودف میزنند درآن سلسله قانون است که چون خواهد کسی در آن طریقه درآید باید که مدت هزارویکروز خدمت نماید براینموجب که چهل روز خدمت چهارپایان کند وچهل روز خدمت فقرا نماید و چهل یوم آب کشی وچهل یوم فراشی وچهل یوم هیزم کشی وچهل یوم طباخی وچهل یوم حوائج ازبازار آوردوچهل یوم خدمات مجلس درویشان کند وچهل یوم نظارت نماید برین نسق تامدت مقرره تمام شود اگر چنانچه یکروز ازآنمدت ناقص گردد باید که خدمت را ازسر گیرد و چون تمام کند آنکس را غسل توبه دهند ازجمیع محرمات و کسوت از سرکارخانقاه بوشانند وتلقین اسم جلاله براو کنند وحجره جهت آسایش وعبادت بوی دهند وطریق ریاضت ومجاهده تعلیم وی نمایند وآنکس برآن قاعده وقانون مشغول شود تاآنکه صفائی درباطن او ظاهر گردد

مخفی نماند که صوفیه گفته اند که مولانا رامذهب شیعه بوده وبر طریقهٔ حقه عمل مینموده وبر اینمطلب شواهد بسیاراست والله اعلم

خلاصه شرح حال مولانا

مولانا جلال الدین محمدبلخی مشهوربه مولانای روم درششم ماه ربیع الاول سال ٦٠٤ هجری قمری در قبة الاسلام بلخ (یکی از چهار شهربزرگ خراسان که پیش ازهجوم مغول منتهای آبادی راداشته) متولدشده در سال ششصدونودونه بمعیت پدربزرگوارش ازخراسان بآسیای صغیر مهاجرت گزیده وهم آنجا درپنجم جمادی الاخرهٔ ششصدو هفتادوسه بریاض خلدخرامیده وپهلوی ضریح پدرش مدفون شده است

مولانا درشعر چنانکه دربسیاری از غزلهایش بطریق تلمیح آورده است خاموش تخلص میکرده و اورا علاوه بر جلال الدین بلقب خداوندگار نیزمیخوانده اند و اطلاق خداوندگار بمناسبت سلطنت وحکومت ظاهری وباطنی اقطاب برمریدان خود دراعتقادصوفیان تناسب تام دارد. شهرتش برومی یامولانای روم بواسطهٔ طول اقامت

در آسیای صغیر بوده . وچون سلجوقیان آن خطه‌را از امپراتوری روم شرقی منتزع کرده بودند شاخه‌ای ازسلسلهٔ سلجوقی که در آنجا استقرار یافت معروف بسلاجقهٔ روم شد . ولی لقب مولوی تازه‌است

نسب مولانا به‌دو واسطه به‌ابوبکر صدیق می‌پیوندد ومطابق تحقیقات آقای کاظم‌زادهٔ ایرانشهر بدین ترتیب است : جلال‌الدین محمدبن بهاءالدین محمدبن‌حسین‌بن احمدبن محمودبن مودودبن ثابت‌بن مسیب‌بن مطهربن حمادبن عبدالرحمن‌بن ابی‌بکرالصدیق

نیای مولانا حسین‌بن‌احمدخطیبی از افاضل خطهٔ‌خراسان‌بشمار میآمده از خاندان علم وعرفان وپدربرپدرازمشایخ کبار بلخ‌بوده بروایت شمس‌الدین احمد افلاکی درمناقب‌العارفین امام‌رضی‌الدین نیشابوری از اجلهٔ فقهای قرن ششم درمحضروی تلمذ کرده.جدهٔ مولاناازخاندان‌جلیل‌خوارزمشاهیان‌وظاهراً دختر قطب‌الدین‌محمدبوده

پدر مولانا بهاءالدین محمدبن‌حسین ملقب بسلطان العلماء مشهوربه‌بهاءالدین‌ولد معروف‌به مولانای‌بزرگ ازبزرگان‌صوفیان ایران‌تربیت‌یافتهٔ شیخ‌اجل‌ابوالجناب نجم‌الدین‌احمدبن‌عمرخوارزمی معروف به کبری بوده و خرقه‌اش به‌سبب عماریا سر و ابوالنجیب سهروردی‌به‌شیخ‌احمدغزالی‌میپیوسته.بروایت‌فریدون سپهسالار(از یاران‌مولانا که‌رساله‌ای‌درسوانح‌زندگانی‌مولانا گردآورده)شهرت‌علمی سلطان‌العلماء،باندازه‌ای،بودکه‌ازاقصای‌خراسان‌فتاوای‌مشکل‌رابحضرت او آوردندی ودرشهر بلخ مسند افاضت و ارشاد داشته خواص و عوام آن‌خطه اوراعظیم معتقدبودندپیوسته بامر معروف ونهی‌از منکراشتغال‌داشت‌وهرگاه که‌مجلس میگفتی گروه بیشماری از هر طبقه درپای منبر وعظش گرد میآمدند واوبرهمهٔ دلها مشرف‌بود

مسلك تصوف ازقرن‌پنجم هجری باینطرف درمیان مسلمین رونق و عظمت تمام‌یافته ازخواص گذشته در تودهٔ عوام هم منتشر شده‌بود . اقطاب مشایخ‌روش‌خویش‌را بدین ومذهب‌نزدیك ساخته سخنان‌ومجالس خودرابذکرخداورسول وآیات‌واحادیث‌میآراستند و در دورهٔ که بیشتر علماء فقه وحدیث بواسطهٔ تصدی شغل قضا آلایش مادی پیدا کرده حدود شرع را مهمل میگذاشتند رؤسای صوفیه به‌ترك‌دنیا و اعراض ازامراء و عزلت و انقطاع ظواهر حال خودرا میآراستند

بواسطهٔ‌مخالفتی که میان صوفیه و حکما بود سلطان‌العلماء علناً در محضر وبرسرمنبر بآنان بد میگفته وپیروان فلسفهٔ‌یونانرا گمراه و مبتدع میخوانده خصوصاً بامام فخرالدین محمدبن عمر رازی از بزرگان حکماو متکلمین‌عصر که‌در آن اوقات درخوارزم اقامت داشته استاد و مصاحب‌سلطان علاءالدین محمد خوارزمشاه بوده است تعریض میکرده

بروایت افلاکی سلطان العلماء درنتیجهٔ دسته‌بندی علماءمعقول ومنقول ومکدرساختن صفای آئینه خاطر خوارزمشاه نسبت بوی‌از سلطان‌ومردم بلخ رنجیده تصمیم بمهاجرت داد (از جملهٔ ساعیان‌نام امام‌فخروقاضی‌زین‌فزاری ورشیدقبائی‌ذکرشده‌است)سلطان‌العلماء در نیشابورشیخ عطارراملاقات نمود که‌اسرار نامه‌را بمولانا که‌در آنوقت پنجساله بود بخشیدواز آنجا بعزم‌حج بیت‌الله‌الحرام رهسپار بغداد شدوبروایت‌نورالدین‌عبدالرحمن‌جامی درنفحات‌الانس‌روزیکه باخانواده‌ومریدان بدارالسلام درآمد جمعی‌پرسیدند که : اینان‌چه طائفه‌اند ، ازکجا میآیندوبکجامیروند؟ گفت : من‌الله والی‌الله‌ولا قوة الاباالله . این سخن‌را بسمع‌عارف مشهورشیخ‌شهاب‌الدین‌عمربن محمد سهروردی‌رسانیدندفرمود:ماهذاالابهاءالدین البلخی؟وموکب سلطان‌العلماء را استقبال کرد

باحسن‌پذیرائی شیخ واقبال‌خواص اهل‌عرفان سلطان‌العلماء سه‌روز بیشتر دربغدادنمانده‌روزچهارم ازمرکزخلافت‌اسلامی روانهٔ حجازشد وپس ازگزاردن مناسك حج وتشرف بمدینهٔ طیبه بعزم بیت‌المقدس وزیارت‌مزارسایرانبیاءعظام‌ازحجازرهسپارشام گردید، اهل‌شام‌خواستند اورا نگاهدارند نپذیرفت وبطرف‌ارزنجان‌رفت و چهارسال‌در آن‌خطه‌رحل‌اقامت‌افکندوازفخرالدین‌بهرامشاه‌حکمران ارزنجان‌وپسرش‌علاءالدین‌داودشاه‌اقبالهادیدمولانادرهیجده‌سالگی درشهرلارنده بفرمان‌پدر گوهرخاتون دختر خواجه‌لالای‌سمرقندی را بهمسری اختیار کرد وبهاءالدین محمدمعروف بسلطان‌ولد و علاءالدین‌محمد ازین اقتران بوجودآمدند بروایت افلاکی‌سلطان العلماء،پس‌ازچهارسال اقامت‌درملاطیه وهفت‌سال‌درلارنده‌بخواهش علاءالدین کیقباد دوازدهمین پادشاه سلجوقی روم بشهر قونیه که دارالملك‌بودرفت. شاه‌وامیران‌بزیارتش آمدند و ازسرصدق دست ارادت دردامانش‌زده درمراعات‌جانب‌او لوازم‌اهتمام بعمل‌میآوردند وپای‌وعظش‌می‌نشستند واهل‌روم ازجان‌ودل بوی گرویدند .

ازانتقال‌سلطان‌العلماء به‌قونیه‌بیش‌ازدوسال نگذشته‌بود که‌تن بربستر ناتوانی‌نهاده درسنهٔ ششصدوبیست‌وهشت زندگانی‌رابدرود گفت.مردم‌شهردرعزای‌اورستخیزعظیم‌برپا کردند.سلطان‌علاءالدین یکهفته درمسجدجامع‌خوان‌نهاد ومالهابفقرابخش کرد.چون‌پدرسر درحجاب‌خاك کشیدمولانا که‌در آنهنگام‌بیست‌وچهارساله‌بودبخواهش پادشاه وامراء والحاح‌مریدان‌برجای‌وی برمسندوعظ وافادت‌نشست ویکسال‌تمام‌دورازطریقت،مفتی‌شریعت‌بود که‌سیدبرهان‌الدین‌محقق ترمدی ازشاگردان سابق‌سلطان‌العلماءوخواص‌اولیاء صوفیه‌بقونیه رسیدو درآنشهربساط‌ارشاد ودستگیری‌خلایق بگسترد ومولانارا در علوم ظاهری بیازمود و گفت : پدربزرگوارت راهم علم قال بکمال‌بود وهم‌علم‌حال چون درعلوم شریعت وفتوی‌جانشین‌اوشدی میخواهم که درعلم‌حال‌هم سلوکها کنی تاخلف‌صدق‌پدرباشی‌اگر مریدشوی مرادیابی وآنچه ازاو بمن رسیده دیدنیست نه آموختنی مولانا برغبت تمام براوبگروید وبروایت‌سپهسالار مدت نه‌سال‌سرو کارش باسیدبرهان‌الدین بودوبراهنمائی آنعارف کامل طریق‌سیر وسلوك‌میپیمود .بروایت افلاکی مولانا دوسال‌پس‌ازمرگ‌سلطان العلماء باشارت سید باچندنفرازمریدان پدربجانب‌شام عزیمت کرد تامرتبهٔ کمال خودرا درعلوم ظاهر باکملیت رساند . ابتدا درشهر حلب بمدرسهٔ حلاویه‌نزول فرمود و از حوزهٔ درس‌مدرس‌دانشمند آن‌مدرسه‌کمال‌الدین‌ابوالقاسم‌عمربن‌احمدمعروف‌بابن‌العدیم‌استفادها برد وپس‌از آنکه سه‌سال درحلب به‌تحصیل علوم‌اسلامی پرداخت رهسپاردمشق‌شد.علماومعارف‌شهرمقدمش‌را گرامی‌داشته‌درمدرسهٔ قدسیه فرودش‌آوردند وخدمات‌شایان بتقدیم‌رسانیدند .

مولانا چهارسال در کرسی‌شام که در آنهنگام مرکزبزرگان و مجمع‌علم‌وعرفان‌بودبه‌زهدوریاضت‌تمام‌درتکمیل‌معارف‌دینی‌کوشیدو هدایه‌را که‌کتاب‌جامعیست درفقه حنفی دارای شروح وتعلیقات و حواشی بسیارتألیف شیخ‌الاسلام برهان‌الدین‌علی‌بن‌ابی‌بکرمرغینانی نزداساتیدفن بدقت‌دیدوهم درین شهربفیض صحبت عارف مشهور محی‌الدین العربی وبزرگان‌دیگرنائل گردید

مولانا پس‌از هفت‌سال مسافرت بقونیه‌بازگشت و بدستور سیدبرهان‌الدین بریاضت‌پرداخته‌سه‌چلهٔ‌متوالی‌برآوردتانقدوجودش بی‌غش‌وتمام‌عیار بلکه سراپا نور گردید . چون‌جان‌پاك‌سیددرسنهٔ ۶۳۸ ازخاکدان‌تن بقرب قدس‌انتقال یافت مولانا در دارالملك قونیه برمسند ارشاد وتدریس متمکن گردیده به‌تربیت مستعدان همت گماشت‌مریدان‌بسیار بروی گردآمدند وپروانه‌وارپیرامن‌شمع وجودش‌میگردیده‌حضرتش‌را پیشوای‌دین‌ومفتی‌شریعت وراهنمای طریقت میشناختند

مولانا نزدیك‌پنج‌سال بسنت جدوپدرهم درمدرسه‌بتدریس فقه ودیگرعلوم‌اسلامی‌میپرداخت وهم‌برسم‌زهدپیشگان‌آنزمان‌مجلس وعظوتذکیرمنعقدساخته ومردم‌را تبشیر وتنذیرمیکرد. همه‌روزه طالبان علم که بگفتهٔ دولتشاه‌سمرقندی عده‌شان بچهارصد میرسید متناوباً درمدرس‌ومحضرش برای‌استفاده‌حاضر میشدندوصیتش در اطراف جهان‌منتشر گردید .

مولاناسرگرم تدریس وقیل‌وقال مدرسه‌بود فتوای شرعی

مینوشت وازیجوزولایجوز سخن‌میراند وخاق بعلوم‌ظاهر وزهدو ریاضت اوفریفته شده‌بخدمت‌ودعای وی‌تبرك‌میجستند که ناگهان آفتاب عشق‌وشمس‌حقیقت پرتوی‌بر آن‌جان‌پاک افکند. آن‌طوفان عظیم که‌این‌اقیانوس آرام‌را‌متلاطم‌ساخت شمس‌الدین‌محمدتبریزی ژولیده پیری‌از پیران‌صوفیه بود که نفسی گرم و جاذبه‌ای قوی و بیانی مؤثر داشت

بروایت افلاکی شمس‌الدین محمدبن‌علی‌بن‌ملك‌دادتبریزی (که گویندپدرش اصلا ازباوردخراسان‌بوده وبتجارت به آذربایگان رفته) ابتدادست ارادت بدامان‌شیخ ابوبکرزنبیل‌باف که‌در کشف القلب‌یگانهٔ‌زمان‌خودبود زده چون‌درسیروسلوك درجهٔ کمال یافت درطلب‌کاملتری سفری‌شد وسالها گردبلادوامصاربر آمده ازشهری بشهری راه‌میپیمودوبااهل راز وریاضت‌انس والفت مینمود پیوسته نمدسیاه میپوشیدوهمه‌جادرکاروانسرای منزل‌میکردوبخدمت‌چندین ابدال واوتاد و اقطاب رسیده اکابرصورت ومعنی‌رادریافته‌بود

شمس‌تبریز بامداد روزدوشنبهٔ ۲۶ جمادی‌الاخره سال۶۴۲ بقونیه‌رسیده درخان‌شکر ریزان نزول کرد . ودریك مجلس چنان مولانارا مجذوب وفریفتهٔ‌خودساخت که منبر ومحراب وحوزهٔ‌درس ومسند ارشادرا رهاکرده حلقهٔ‌بندگی‌اورا بگوش کشید !

آفتاب‌دیدارشمس چنان‌برروان‌مولانابتافت‌وآتش درخرمن هستی اوزد که‌هرچه جزمعشوق‌باقی‌بسوخت

چگونگی‌دیدارپیرتبریزی را بامولاناباختلاف‌ذکر کرده‌اند محی‌الدین عبدالقادر مصری مؤلف الکواکب المضیئه فی‌طبقات الحنفیه درسبب‌تجرد وانقطاع مولانا مینویسد که: روزی درحجره نشسته‌بودو کتابی چند پیرامون خودنهاده وطالب علمان بروی‌گرد آمده‌بودند شمس‌الدین‌قلندروار درآمد وسلام‌گفت ودرصف نعال بنشست واشارت‌بکتب کرده پرسید : این‌چیست ؟ مولانافرمود تو این‌ندانی‌هنوزاین‌سخن بانجام‌نرسانیده‌بودکه آتش‌در کتابهاو کتابخانه افتاد ! مولاناپرسید این‌چه‌باشد؟شمس گفت‌تونیزاین‌ندانی!برخاست وبرفت‌مولانامجردواربر آمدوترك‌مدرسه و یاران‌وفرزندان گفت.

مطابق روایت سلطان ولدپسرمولانادر ولدنامه:عشق مولانا بشمس‌الدین مانند جستجوی موسی‌است ازخضر که بامقام شامخ رسالت ورتبهٔ کلیم اللهی‌بازهم مردان خداراطلب میکرده .

مولانا که‌تا آنروز خلقش‌بی‌نیازمیشمردند نیازمندواربدامن شمس که از مستوران قباب‌عزت‌بود درآویخته یکجا اسیرعشق و جذبهٔ‌وی گردید ومطلوب‌را بخانه‌برده‌بااوبخلوت‌نشست ودربرآشنا وبیگانه ببست و آتش استغنا در محراب‌ومنبرزده ترك‌مسندفتوی‌و تدریس و کرسی‌وعظ وتذکیربگفت وباهمهٔ‌استادی درخدمت معلم عشق‌زانو زده نوآموز گشت

بروایت افلاکی‌این‌خلوت‌بچهل‌روزیاسه‌ماه کشید

شمس‌الدین‌بمولانا چه‌آموخت وچه‌فسون‌ساخت که‌او ازهمه‌چیز وهمه کس گذشته خودرا نیز درقمار محبت‌باخت برمامجهول‌است . ولی کتب مناقب وآثاربرین متفقند که‌مولانا پس‌ازین خلوت روش خودرا بدل‌ساخت ، وبجای‌قیل‌وقال‌مدرسه واهل بحث وجدل گوش به نغمهٔ‌جانسوز نی وترانهٔ دلنوازرباب نهاد، بااینکه قبلاشب‌تابصبح درنمازبود وهرسه‌روزیکبار روزه‌میگشاد ـ وچیزیکه‌مولانارا از همهٔ رسیدگان‌جهان ممتازمیسازد همین تحول‌روحانی است که در پیوستن‌به پیر تبریزی برای‌اوپیش آمد

برشاگردان ویاران‌مولانا که‌باچشمهای‌غرض‌آمیز بشمس‌الدین مینگریستند تمکین‌او که شیخ‌وشیخ‌زاده ومفتی‌ومدرس ومذکربود نسبت بمردیکه بنظرشان لاابالی وبیرون ازاطوار معرفت میآمد سخت گران‌وناگوارمینمود.مریدان نیز شکایت وتشنیع آغاز کردند فقها وزهادحتی عوام قونیه‌هم ازتغییر روش مولانا خشمگین شدند

بالاخره‌شمس پس‌از شانزده‌ماه ازگفتارورفتار ایشان که اورا ساحر وجادو میخواندند رنجیده بیخبرسرخویش گرفت و برفت .

مولانا درطلب اوبقدم جد ایستاد وپس‌از جستجوی بسیار خبریافت که گمشدهٔ‌او دردمشق شام‌است . نامه وپیام متواتر کرد وپیك‌درپیك‌پیوست ، غزلهای سوزناك سروده بخدمت شمس‌الدین فرستاد آن‌نامه های‌منظوم که‌قدیمترین اشعار تاریخی مولاناست‌در دل شمس اثربخشیده متمایل گردید که‌باردیگرعنان مهر بسوی‌آن عاشق دلسوخته بتابد . مریدان ویاران مولاناهم که‌در نتیجهٔ‌غیبت شمس‌الدین و پژمردگی ودلتنگی مولانا ازفیض دیدار وحلاوت گفتار وذوق تربیت‌اوبی‌بهره مانده موردبی‌عنایتی شیخ‌خود واقع گردیده‌بودند از کرده‌پشیمان گشته دست انابت دردامن غفران وی زدند . مولاناعذرشان‌پذیرفته‌فرزندخودسلطان‌ولدرابدمشق‌فرستاد

سلطان‌ولد نقودچندی نثارقدم‌شمس کردوبندگیها نموده پیغامهای پدررا برسانید دریای مهرشمس جوشیدن گرفت و گوهر های حقایق‌برسلطان ولدافشانده رهسپار قونیه گردید وسلطان‌ولد بیش‌ازیکماه ازسرصدق ونیاز پیاده درركابش راه میپیمود

مولاناازرسیدن شمس‌خاطرش چون گل ازنسیم‌صباشکفت مریدان‌ویاران‌پوزشها کردند وهریك‌باندازهٔ‌وسع‌خویش‌خوان‌نهاده وسماع دادند ـ مولاناچندی باپیر تبریزی تنگاتنگ‌صحبت داشته درخلوت بروی غیر ببستند ،گاهی‌هم بااوبصحرا رفته وخوش‌شور وغوغائی داشتند ولی‌رفته‌رفته بازمریدان ویاران مولانا وخواص وعوام‌قونیه درخشم آمده بدگوئی وشناعت‌آغاز کردند مولانارا دیوانه وشمس‌الدین را جادو خواندند

ظاهراً علت تشنیع فقها وزهاد و هیجان عوام آن بود که مولانا پس از اتصال به‌شمس ترك وعظ و تدریس گفته بسماع و رقص نشست وجامه ودستار فقیهانه‌را به فرجی هندباری و کلاه‌پشم عسلی بدل کرد وفرمود رباب‌را که ازقدیم‌العهد عرب چهارسوبود شش‌خانه ساختند وشب و روز بوجدوسماع‌پرداختند

مولانا مریدان قدیم‌خالص داشت که‌بعضی ازبلخ‌دررکاب‌پدرش بقونیه آمده‌بودند وعدهٔ‌هم دربلاد آسیای‌صغیربدین خاندان پیوسته بودند و اورا عالم ربانی وپیشوای بحق وشیخ‌راستین وقطب‌زمان میدانستند پس‌از آمدن‌شمس‌الدین وانقلاب حال‌مولانا دستشان‌از دامان شیخ‌خود کوتاه ماندتشنیع فقها وزهادهم مقوی این کدورت گشته آنانرابدشمنی‌شمس وامیداشت،احتمال قوی میرود که‌دسته‌ای ازخویشان وبستگان مولانا نیز که‌ازشکست کارخود نگران بودند با این گروه در آزار شمس‌الدین‌همدست‌شدند

بروایت سلطان‌ولد چون مریدان و یاران وبستگان مولانا بکین شمس کمربستند پیر تبریز دل‌ازقونیه برکند و مصمم‌شد که چنان رود که دیگر خبرش‌هم بدورو نزدیك نرسد . این سخن‌را با سلطان ولد در بین نهاد و ناگهان از میان همه گم‌شد و انجام کارش معلوم نشد !

چون‌شمس‌حقیقت‌درزیر ابراسرار ناپدید شد اخبار واراجیف که‌شایدبعضی‌از آنراهم دشمنان‌برای رنجش‌خاطرمولانا میساختند ازهم نمیگسست ، خبرمرگ وقتل وحیات شمس‌الدین همه‌روزه بگوش میرسید ، مولانادرجوش و خروش ومیان امید ونومیدی سرگردان بود و بروایت دولتشاه در آرزوی شمس میسوخت و قوالان رامیفرمود تاسرودعاشقانه‌میگفتندوشب وروزبسماع اشتغال داشتند وبیشتر غزلیاتش درفراق‌شمس‌الدین‌است .

چون ازمجموع اخبار مستفادشد که مشرق‌آفتاب عشق دمشق شام‌است وتشنیع فقیهان وجنبش‌عوام قونیه‌هم خاطر مولانارا سخت افسرده بود درطلب یار گمشده رهسپار شام گردید وخلقی بسیار درپی اوروان گشتند.مولانا دردمشق‌همچنان مجلس سماع ورقص ساز کردوپیوسته بافغان وزاری شمس‌تبریزی‌راازهرکوی وبرزن میجست‌ونمی‌یافت وازشدت اشتیاق ناله‌های پرسوز ازدل‌برمیآورد و اشعار غم‌انگیز میسرود . دمشقیانی که اهل دیدبودند بمولانا گرویده مال‌وخواسته در قدمش‌نثار میکردند وبرخی دیگر که‌از

سر کار آگهی نداشتند از حالاتش در شگفتی میماندند و میگفتند آن کیست که این بزرگ مردرا چنین فریفته و دلباختهٔ خود ساخته است.

چون کوشش مولانا در طلب شمس الدین بجائی نرسید ناچار باجمع مریدان بقونیه باز آمد و سماع بنیاد کرد و پس از سالی چند باز عشق شمس سر از گریبان جانش در آورده بار دیگر روی بدمشق نهاده ماهها درشام بجستجو گذرانید لکن این بار نومیدی تمام بحصول پیوست. ولی بقول سلطان ولد اگرچه مولانا شمس را بصورت در دمشق نیافت ولی بمعنی درخود یافت - پس از آنکه مولانا از وصول بشمس الدین نومید شد بقونیه باز گشته بتربیت و اصلاح خلق پرداخت و بجدی تمام به تکمیل ناقصان و ارشاد سالکان مشغول شد

مولانا که در علم و عرفان بمقام بلندی رسیده بود نظر باستغراقی که خود در کمال مطلق و جلوات جمال ربوبیت داشت پیوسته یکی از یاران گزین را بدستگیری و ارشاد طالبان برمیگماشت. نخستین بار صلاح الدین فریدون زرکوب قونوی را منصب شیخی و پیشوائی داد . یاران و مریدان که در آتش عشق نگداخته و در بوتهٔ ریاضت و سلوك از غش هوی و وهم پاك برنیامده بودند بجز مولانا هیچکس را قبول نمیکردند و شیخ صلاح الدین را که بروایت افلاکی مردی بیسواد و در بازار قونیه بزرکوبی روزگار میگذرانید برای دستگیری و راهنمائی سزاوار نمیدیدند بار دیگر سراز فرمان مولانا پیچیده بدشمنی صلاح الدین برخاستند و سخنان گزنده درحقش گفته بر آن شدند که اورا ازمیان بردارند مولانا علی رغم منکران حسود دیده بر شیخ صلاح الدین گماشت و عنایت و لطف را نسبت باو بحدی رسانید که پیوستگان و فرزندان خودرا فرمان داد تا دست نیاز در دامن وی زنند و از فرط علاقه فاطمه خاتون دختر صلاح الدین را برای سلطان ولد عقد بست ولی پس از دو سال صحبت بی انقطاع ناگهان شیخ صلاح الدین رنجور شد و بیماریش سخت دراز کشیده درسنهٔ ۶۵۷ در گذشت

بعد از مرگ صلاح الدین توجه مولانا بحسام الدین حسن چلبی معروف به ابن اخی ترك معطوف شد و اورا منصب شیخی داد حسام الدین از نخبهٔ مریدان مولانا بود که در زهد و تقوی و معرفت دارای مقامی رفیع و در رعایت دقایق شریعت بی نهایت مراقب بود

دوستی مولانا نسبت به چلبی بجائی رسید که لحظه ای خاطرش بی او نمیشکفت و اورا برفرزندان خود ترجیح داده و آنچه از زخارف دنیوی برایش میرسید فوراً بحسام الدین میفرستاد و یاران و مریدانهم که در طول مدت مهذب و مؤدب شده بودند پیشوائی چلبی را با کمال میل پذیرفته در پیشگاه او سر تمکین نهادند

بهترین یادگار ایام صحبت مولانا با شیخ حسام الدین نظم مثنوی معنویست که یکی از شاهکارهای ادبی ایران و بزرگترین و عالیترین اثر متصوفهٔ اسلام می باشد

سبب افاضهٔ این فیض از وجود مولانا چلبی بوده که چون میدید یاران بیشتر بقرائت آثار شیخ فریدالدین عطار نیشابوری و شیخ ابوالمجد مجدود سنائی غزنوی مشغولند شبی در خلوت از مولانا درخواست کرد کتابی بطرز منطق الطیر عطار یا الهی نامه سنائی (حدیقه) بنظم آرد مولانا فی الحال از سر دستار خود برگی که هجده بیت از آغاز دفتر نخستین مثنوی بر آن نوشته بود بیرون آورده بدست او داد

جذب و کشش حسام الدین بار دیگر دریای طبع مولانا را بجنبش در آورد و شور و شوق دیگر داد . شبها حسام الدین در محضرش می نشست مولانا ببدیههٔ خاطر شعر میسرود و رموز و اشارات عالم غیب را بشیوهٔ سخن گستری بیان میکرد و او مینوشت . چون دفتر نخستین مثنوی بانجام رسید همسر حسام الدین در گذشت و شیخ را پراکنده دل و غرق سکوت کرد طبع مواج مولانا هم که مشتری نمیدید از تلاطم افتاد دو سال تمام در نظم مثنوی تأخیر شد تا بار دیگر تفرق خاطر چلبی بجمعیت مبدل و خواهان انجام مثنوی شد

صحبت مولانا با شیخ حسام الدین پانزده سال امتداد یافت و یاران و مریدان از اثر صحبت آندو فوائد بیشمار میبردند و به ارادت تمام بخدمت آنان مسابقت میورزیدند مولانا از زحمت ناقصان تاحدی آسوده خاطر و در صحبت چلبی بود و یاران پروانه وار گرد شمع وجودش میگردیدند که ناگاه آن توانای عالم معنی به حمای محرق در بستر ناتوانی بیفتاد ، هرچه طبیبان بمداوا کوشیدند سودی نبخشیده مقارن غروب روز یکشنبه پنجم ماه جمادی الاخرهٔ سال ۶۷۲ در سن شصت و هشت سالگی روح پرفتوحش بریاض قدس اتصال یافت. بروایت افلاکی در شب آخر که مرض مولانا سخت شده بود خویشان و پیوستگان اضطراب عظیم داشتند و سلطان ولد هم هردم بیتابانه بسر پدر می آمد مولانا این غزل آتشین را نظم فرمود :

روسر بنه ببالین تنها مرا رها کن ترك من خراب شب گرد مبتلا کن

مسلمین قونیه از خورد و بزرگ در تشییع جنازهٔ مولانا حاضر شدند یهود و نصارای آنشهر نیز که صلح جوئی و نیکخواهی ویرا آزموده بودند بهمدردی اهل اسلام شیون و افغان میکردند . بروایت محمود مثنوی خوان در ثواقب مسلمین از یهود و نصاری پرسیدند که : شمارا با مولانا چه تعلق بوده است ؟ گفتند: اگر مسلمانان را بجای محمد بود ما را هم موسی و عیسی بود و اگر شمارا پیشوا و مقتدی بود ما را هم همان بود که قلب و فؤاد ماداند ؛ شیخ صدرالدین ابوالمعالی محمد بن اسحاق قونوی از بزرگان علماء تصوف و مشاهیر شاگردان شیخ محی الدین عربی بر مولانا نماز گزارد و از شدت بیخودی و درد پس از سلام شهقهٔ زده از هوش برفت جنازه را بحرمت تمام برگرفته در ارم باغچه نزد ضریح منور پدرش (سلطان العلماء) مدفون ساختند

بروایت افلاکی قاضی سراج الدین ابوالثنا محمد بن ابوبکر ارموی از اجلهٔ علماء عصر در برابر تربت مولانا این بیتها برخواند

کاش آنروز که در پای تو شد خار اجل دست گیتی بزدی تیغ هلاکم برسر
تا درین روز جهان بی تو ندیدی چشمم این منم بر سر خاك تو که خاکم برسر

مدت چهل روز یاران و مردم قونیه تعزیت مولانا میداشتند و با ناله و گریه برفوت آن سعادت آسمانی دریغ و حسرت میخوردند

علم الدین قیصر که بروایت افلاکی از اکابر قونیه بود باسرمایهٔ سی هزار درم همت بست که بنائی بر سر تربت مقدس مولانا بنیاد کند وزیر معین الدین سلیمان بن علی مشهور به پروانه اورا به هشتاد هزار درم نقد و پنجاه هزار درم دیگر حواله مساعدت فرمود و قبهٔ موسوم به خضراء بر مرقد مبارك تأسیس یافت علی الرسم چندقاری و مثنویخوان در سر تربت مولانا بودند. سلطان العلماء پدرش و پنجاه تن از اولاد و جانشینان مولانا آنجا مدفونند .

آثار مولانا

آنمقدار از آثار مولانا را که باقی مانده بدو قسمت منثور (فیه مافیه - مجالس سبعه - مکاتیب) و منظوم (غزلیات - رباعیات - مثنوی) میتوان تقسیم کرد

۱ - فیه مافیه - مجموعهٔ تقریرات مولانا است که در مجالس خود بیان فرموده و پسرش سلطان ولد یا دیگری از مریدان یادداشت کرده و بصورت کتاب در آمده - موضوع فصول و مجالس و نتیجهٔ آنها مسائل اخلاق و طریقت و نکات تصوف و عرفان و شرح و تبیان آیات قرآن و احادیث نبوی و کلمات مشایخست، بسال ۱۳۳۳ هجری قمری در تهران و بعد در هندوستان و شیراز چاپ شده است و ما برای نمونه پارهٔ از موضوعات مختلف آنرا در صفحهٔ ۳۳ آثار مولانا نقل کرده ایم

۲ - مجالس سبعه که عبارت از ۷ مجلس از مواعظ مولانا است که بر سر منبر بیان فرموده و نسخهٔ خطی آن در اسکدار در کتابخانه سلیم آقا محفوظ بوده و سه سال قبل با اجازهٔ آقای ولد چلبی افندی و بسعی آقای محمد فریدون نافذ در استانبول چاپ شده است و ما برای آنکه همه بتوانند بآن دسترسی داشته باشند عین آنرا جزء آثار مولانا نقل کرده ایم

۳ - مکاتیب مولانا - مجموعهٔ مراسلات او بمعاصرین است که اخیراً در استانبول بسعی آقای فریدون نافذ چاپ شده و ما ۷ مکتوب آنرا جزء آثار مولانا انتخاب کرده ایم

۴ - غزلیات - که بنام دیوان شمس معروفست و دوبار در هندوستان چاپ شده در حدود پنجاه هزار بیت میباشد که قسمتی از آثار دیگرانهم با اشعار مولانا مخلوط گردیده - اکثر غزلیات مولانا

باشور وبیقراری ازعشق وارادتیکه بشمس‌داشته ساخته‌شده و بنام شمس‌تبریزی تخلص کرده بقسمی که اگر کسی آگاه نباشد تصور میکند شمس‌شاعری‌بوده که اینهمه‌غزل را بنظم آورده(قریب صد غزل بنام صلاح‌الدین‌وحسام‌الدین وقریب‌دویست‌غزل هم نام خمش یاخاموش درمقطع آن‌ذکرشده) مابرای‌آنکه خوانندگان بسبك غزلیات مولانا آشناباشند ۲۳ غزل گلچین نموده‌درصفحات ۳٤ و ۳۵ چاپ کرده‌ایم.منتخب دیوان شمس که‌بوسیلهٔ‌رضاقلیخان هدایت انتخاب شده چندین‌مرتبه‌درتهران‌چاپ شده‌است

۵ـ رباعیات‌مولانا ـ درمطبعهٔ اختراستانبول‌بسال ۱۳۱۲هجری قمری‌چاپ‌شده متضمن ۱٦۵۹ رباعی‌است که قسمتی از آن بیشك متعلق بمولاناست وقسمتی‌مشکوك میباشد وبرای‌نمونه ۵٤رباعی درصفحه ۳٦ نقل شده‌است

٦ ـ مثنوی چنانکه سابقاً ذکر شد مثنوی را مولانا بخواهش حسام‌الدین چلبی‌شروع فرموده وازسال ٦۵۷ تا ٦٦۰ دفتر اول آنرا برشتهٔ نظم کشید وپس‌ازفترت دوساله‌به‌نظم‌دفتردوم‌پرداخت. تا انتهای دفتر ششم که از جهت مطلب بریده ومقطوع‌ماندو قصه شهزادگان‌بسرنیامده‌مولاناجان‌تسلیم فرمود وسوای ۱۸ بیت آغاز دفتراول که‌بخط مولانا نوشته‌شده بقیه‌را میفرموده‌و حسام‌الدین و سایرمریدان مینوشتند وبعد برای‌مولانا میخواندند اما دفترهفتم با یك‌مراجعهٔ اجمالی‌بابیات آن‌ازحیث‌طرزشعر و الفاظ غریب واعتقاد صاحب‌اسرار بامام‌فخررازی وغیره‌واضحست که‌ازمولانا نیست وما برای اینکه خوبی واستحکام اشعار مولانا واضح گردد بچاپ‌دفتر هفتم بدون‌شرح‌مبادرت ورزیده‌ایم تابدانند که هر که مثنوی‌ساخت مولانانمیشود.مثنوی قریب‌صد مرتبه‌درایران‌وهند واروپاو مصر و ترکیه‌چاپ‌شده‌وملاحسین کاشفی آنراملخص‌وبحسب‌مرام‌مرتب‌ساخته لب‌ولباب‌نامیده‌وچندین‌نفردیگرهم‌قسمتی‌از آنرابنام‌مثنوی‌الاطفال‌و خلاصة‌المثنوی ومنتخبات مثنوی وغیره گلچین نموده‌چاپ کرده‌اند

مثنوی حاضر

این‌بنده دردیماه‌سال۱۳۱٤درصددچاپ‌مثنوی‌برآمده‌وبرآنشدم که‌نسخهٔ‌چاپ‌مرحوم میرزامحمود خونساری‌راکه بتصحیح میرزای جلوه ودیگران رسیده بود عیناً باکشف‌الابیات بطبع‌رسانم اتفاقاً مثنوی خطی کهنه‌ای که بسال ۸٤۳ هجری نوشته شده بدست آمد که متأسفانه‌ازاول وآخرآن چندصفحه‌افتاده‌داشت‌وپس‌ازمقابله معلوم‌شدمثنوی‌محتاج اصلاح بسیاریست،دراین‌اثناآگاه‌شدم که‌نسخهٔ نفیسی‌ازمثنوی‌دراختیارحضرت‌استادی آقای‌سرتیپ‌عبدالرزاق‌مهندس بنایری‌است که بیك‌واسطه از روی‌خط بهاءالدین‌ولد پسر مولانا نوشته شده ونسخهٔ‌خطی‌دیگری ازاستاد معظم آقای ملك‌الشعراء بهار بعاریت گرفته شد که‌مولوی‌عبداللطیف‌با ٤۸ نسخهٔ‌مثنوی‌مقابله کرده وامتیازاتی داشت‌وهمچنین بدورهٔ مثنوی چاپ‌استاد نیکلسن ونسخ‌مرغوب چاپ هند و ایران مراجعه کرده در نتیجه مقابله‌کلیه نسخ فوق‌مثنوی‌حاضربدست‌آمد وبرای‌آنکه‌ابیات ملحقه بمثنوی که درنسخ قدیمه نیست (چون‌حتماً نمیتوان گفت که درمثنوی نبوده) امتیازی‌داشته باشد باعلامت ستاره(*)در جلو آن‌را نشانه کردیم تاخوانندگان محترم بدانند که‌آن‌ابیات دردونسخه کهنه خطی ومتن نسخه‌چاپ نیکلسن‌نیست وازدفترسوم که‌کلیه‌نسخ‌فوق مهیا بودبرای مزیدفایده‌نسخه بدلهائی‌هم درذیل ابیات افزودیم . اماذیل وشرح ابیات مشکله دفترنخستین رایکی‌ازمعاصرین‌نوشته وچون‌مطلوب واقع‌نشددفاتربعدراازروی‌هفت شرح‌مثنوی قدیم که‌حاجی‌سبزواری ومولوی‌عبداللطیف‌وغیرهم‌نوشته‌بودند گردآوردیم که‌همگانرابکارآید دفترهفتم‌را ازاین‌رو چاپ کردیم‌تاپارهٔ کوتاه‌فکران که‌تصورمیکنند مثنوی‌از حیث شعربرجسته‌نیست‌باشتباه‌خودبرخورده‌فرق مابین‌اشعار مولاناودیگرانرا که مثنوی‌هاساخته و هیچیك نتوانسته‌اندباوبرسند ملاحظه کرده باشتباه‌خود واقف گردند وبدانند که مثنوی علاوه‌بر توجه‌بمعنی‌وحقیقت از حیث ظاهر لفظهم آراسته و پیراسته است

پس‌ازخاتمه‌چاپ‌مثنوی درصدد تهیه کشف‌الابیات‌برآمده ودراینراه چهارسال رنج‌بردم ودرنتیجه کشف‌الابیات‌حاضربدست‌آمد که‌بانسخ سابق فرق واضحی‌ازحیث ترتیب منظم وسهولت‌مراجعه ومخلوط نبودن ب و پ و ج و چ و ک و گ و غیره دارد . اما کتاب لطائف‌اللغات‌فرهنگ‌جامعی ازلغات‌مثنوی بقلم‌مولوی‌عبداللطیف میباشد که‌درنتیجه صرف‌عمری درراه مداقه درمثنوی و تدریس آن ومقابله صدهانسخه‌بایکدیگر گردآورده،سابقاً نسخهٔ‌مغلوط‌وناقصی ازآن‌درهند بچاپ‌رسیده بود که‌بامراجعه بنسخ خطی‌نفیس‌تصحیح‌و درآخر کتاب‌ضمیمه گشت.وپس‌ازچاپ‌متن کتاب‌و کشف‌الابیات‌ولغت درصدد تهیه مقدمه برآمده‌برای‌آنکه‌مثنوی کاملا جامع‌باشد علاوه بر فهرست مطالب که بابتدای کتاب افزوده شد تمام مجالس سبعه وقسمتهائی ازسایرآثار مولانا ضمیمه‌شد وعلاوه برمآخذی که‌در ابتدای‌شرح‌حال‌ذکرشده رسالهٔ‌شرح حال بقلم سپهسالار وسه‌دفتر کتاب‌ولدنامه(که‌از آقای‌الفت خریداری‌شده)ومناقب‌العارفین‌هم‌در دسترس‌استفاده قرار گرفت.چهارقطعه‌عکس‌ازمولاناوآرامگاه او از کتاب آقای‌فروزانفر برداشته‌شده‌سه‌قطعه‌درابتدای‌مقدمه وقطعه چهارم دراینجا چاپ میشود

درگاه تربت مولانا

از آقای سیدیعقوب انوار که بامراجعه‌دقیق بمثنوی حاضر بنده راباشتباهات آن‌واقف ساختندوبرای‌تهیه‌غلطنامه‌استفاده‌بسیار کردم وازآقای علی‌قویم که کمکهای‌ذیقیمتی‌نموده‌اند تشکر کرده خداراسپاسگزارم که مقابله و چاپ مثنوی باهمه اشکالاتی که پیدا کرد وموانعی که برای آن پیش‌آمدپس‌از پنج‌سال‌پایان یافت.

دراینجا بامادهٔ‌تاریخی که‌شاعرشیرین گفتارمعاصر آقای‌پژمان‌برای چاپ‌مثنوی‌ساخته‌اندمطلب‌خودراخاتمه‌میدهم۲۰ر۱۲ر۱۹ محمدرمضانی

مثنوی آنشمع یزدانی فروغ — کش‌بود خورشیدحکمت‌زیرظل
کردچون‌ازمطلع‌خاورطلوع — پرتو مهرش فرود آمد به‌دل
خواست‌پژمان‌مطلعی‌خورشیدفر — تاطلوعش را بدان بخشدسجل
لیك چشم طبع و پای دانشش — این‌بتاریکی فروشد آن به گل
یاری‌ازشیخ‌بهائی‌جست‌وخواست — مصرعی خاطر فروزوغم‌گسل
آن‌بزرگ‌آوردسردرجمع‌وگفت — مثنوی باشد چوقرآنی مدل

۱۳۵۸

دفتر اول

صفحه

حکایت عاشق‌شدن پادشاه بر کنیزك وخریدن‌او آن کنیزك‌را وبیمار شدن کنیزك ودرازی‌بیماری ـ ظاهرشدن عجزطبیبان از معالجهٔ کنیزك برپادشاه وروآوردن بدرگاه‌پادشاه حقیقی ۳
در خواستن توفیق رعایت ادب و وخامت بی‌ادبی ـ ملاقات پادشاه باآن‌طبیب الهی که درخوابش بشارت بملاقات‌او داده بودند ـ بردن پادشاه طبیب‌را برسربیمار تاحال اورا ببیند ٤
خلوت طلبیدن آن ولی از پادشاه جهت دریافتن رنج کنیزك ۵
در یافتن آن طبیب الهی رنج کنیزك را و بشاه وا نمودن ـ فرستادن پادشاه رسولان بسمرقند درطلب آن مرد زرگر ٦
در بیان آنکه کشتن‌مرد زرگر باشارهٔ‌الهی بود نه بهوای‌نفس ـ حکایت مرد بقال وطوطی و روغن ریختن طوطی در دکان ۷
داستان‌پادشاه‌جهودان که‌نصرانیان‌رامیکشت‌از بهرتعصب‌ملت خود وحکایت آن‌استادوشاگرد ـ حکایت‌وزیر پادشاه ومکراو درتفریق ترسایان تلبیس‌اندیشیدن وزیر بانصاری ومکراو ۹
جمع‌آمدن نصاری با وزیر و راز گفتن‌او باایشان ـ تمثیل‌مرد عارف و تفسیر الله یتوفی‌الانفس حین موتها الخ ۱۰
سؤال کردن خلیفه ازلیلی وجوابدادن‌لیلی اورا ـ در تحریص متابعت ولی مرشد ـ در بیان حسد کردن وزیر جهود ـ فهم کردن حاذقان نصاری مکر وزیر را ۱۱
پیغام شاه پنهانی بسوی وزیر بر تزویر ـ تخلیط وزیر در احکام انجیل و مکر آن ۱۲
در بیان آنکه‌اختلاف درصورت‌و روش‌است‌نه درحقیقت‌ـ‌بیان خسارت وزیر در این خدعه و مکر ـ‌مکر کردن وزیرودر خلوت نشستن و شورافکندن در قوم ۱۳
دفع کردن‌وزیرمریدان را ـ مکرر کردن مریدان که خلوت را بشکن ـ جواب گفتن وزیر که خلوت را نمی شکنم ـ اعتراض کردن مریدان بر خلوت وزیر بار دیگر ۱٤
نومید کردن وزیر مریدان را از نقض خلوت خود ـ فریفتن وزیر امیران را هریك بنوعی و طریقی ۱۵
کشتن وزیر خودرا درخلوت ازمریدان ـ در بیان‌آنکه جملهٔ پیغمبران حقند که لانفرق بین احد من رسله ـ در بیان آنکه انبیاء علیهم‌السلام را گفتند کلموا‌الناس علی‌قدرعقولهم زیرا که‌آنچه ندانند انکارکنند وایشانرا زیان دارد قال‌علیه‌السلام امرنا ان تنزل‌الناس منازلهم الی‌آخره ـ منازعت کردن امرا با یکدیگر در ولی عهدی ۱٦
نعت تعظیم حضرت مصطفی که درانجیل بود ـ دربیان‌حکایت پادشاه جهود دیگر که در هلاك دین عیسی جهد کرد ۱۷
آتش‌افروختن پادشاه وبت‌را در پهلوی‌آتش‌نهادن که هر که این بت سجود کنداز آتش‌برهد ـ آوردن پادشاه جهودزنی را با طفل و انداختن اوطفل را در آتش و بسخن‌آمدن طفل در میان آتش ۱۸
انداختن مردمان خود را بارادت در آتش از سر ذوق ـ کژ ماندن دهان‌آن شخص گستاخ که نام پیغمبربتمسخر برد ـعتاب کردن جهود آتش را که چرا نمیسوزی و جواب او ۱۹
قصهٔ هلاك کردن باد در عهد هود علیه‌السلا قوم عاد را ـ طنز و انکار کردن پادشاه جهود ونصیحت ناصحان اورا ۲۰
قصهٔ نخجیران و بیان توکل و ترك جهد کردن ـ جواب شیر نخجیران را و بیان خاصیت جهد ـ باز ترجیح نهادن نخجیران توکل را برجهد ـ باز ترجیح نهادن شیر جهد را بر توکل و تسلیم ـ باز ترجیح نخجیران توکل را بر جهد و کسب ـ
دیگر بار بیان کردن شیر ترجیح جهد بر توکل ۲۱
باز ترجیح نهادن نخجیران امر توکل را بر جهد ـ نگریستن عزرائیل برمردی و گریختن آنمرد درسرای حضرت سلیمان و تقریر ترجیح توکل برجهد و کوشش ـ بیان ترجیح دادن شیرجهد‌را بر توکل‌و فوائدجهدبیان کردن‌مقررشدن‌ترجیح جهدبرتوکل ۲۲
انکار کردن نخجیران وجواب خرگوش مرایشانرا مهلت خواستن خرگوش نخجیران را ـ اعتراض کردن نخجیران بر خرگوش و جوابدادن خرگوش ایشانرا ـ ذکر دانش خرگوش وبیان فضیلت ومنافع دانش ۲۳
باز جستن نخجیران سر و اندیشهٔ خرگوش را ـ منع کردن خرگوش راز را از نخجیران ـ قصهٔ مکر کردن خرگوش با شیر وبسر بردن ـ زیافت تأویل رکیك مگس رنجیدن شیر از دیر آمدن خرگوش ۲٤
هم دربیان مکر خرگوش‌و تأخیر آن در رفتن ۲۵
رسیدن خرگوش بشیر وخشم شیر بروی ـ عذرگفتن خرگوش بشیر از تأخیر ولابه کردن ـ جواب گفتن شیر خرگوش راو روان شدن با او ـ قصهٔ سلیمان وهدهد وبیان‌آنکه چون قضا آید چشمها بسته میشود ۲٦
طعنه‌زدن‌زاغ دردعوی‌هدهد‌ـ‌جواب گفتن‌هدهدطعنهٔ‌زاغ را‌ـ قصهٔ آدم علیه‌السلام وبستن‌قضا نظر او را از مراعات صریح نهی و ترك‌نهی و تأویل ۲۷
پای واپس کشیدن خرگوش ازشیرچون نزدیك چاه رسید ـ پرسیدن شیر از سبب پای واپس کشیدن خرگوش را ۲۸
مژده‌بردن خرگوش‌سوی نخجیران که شیر در چاه اوفتاد ـ جمع‌شدن نخجیران بر خرگوش و ثنا گفتن اورا ۲۹
پنددادن خرگوش نخجیران‌را که ازمردن خصم‌شاد مشوید‌ـ تفسیر رجعنا من‌الجهادالاصغر الی‌الجهادالاکبر ـ آمدن رسول قیصرروم بنزد عمربرسالت‌ـ یافتن رسول قیصر عمر را خفته‌در زیر خرمان ۳۰
سخن گفتن عمر با رسول قیصر ومکالمات‌وی ـ سؤال کردن رسول قیصر روم از عمربن‌الخطاب ۳۱
اضافت کردن‌آدم علیه‌السلام زلت خودرا بخویش که ربنا انا ظلمنا انفسنا و اضافت کردن ابلیس گناه خودرا به حق‌تعالی که رب‌بمااغویتنی ـتمثیل ـتفسیر آیهٔ وهو معکم اینما کنتم وبیان‌آن‌ـ سؤال کردن رسول ازعمر ازسبب ابتلای ارواح باین آب وگل اجساد ۳۲
دربیان‌حدیث‌من‌ارادان‌یجلس‌مع‌الله‌فلیجلس‌مع‌اهل‌التصوف ـ قصهٔ آن بازرگان که بهندوستان بتجارت میرفت وپیغام دادن طوطی محبوس بطوطیان هندوستان ۳۳
صفت اجنحهٔ طیور عقول الهی ـ دیدن خواجه طوطیان را در دشت وپیغام رسانیدن ـ تفسیرقول شیخ فریدالدین عطار قدس سره ـ تو صاحب نفسی ایغافل میان خاك خون میخور که صاحبدل اگر زهری خورد آن انگبین باشد تعظیم کردن ساحران موسی را که اول تو عصا بینداز ۳٤
باز گفتن بازرگان با طوطی آنچه در هندوستان دیده ۳۵
شنیدن‌آن‌طوطی‌حرکت‌آن‌طوطی‌راومردن‌ونوحه کردن‌خواجه ۳٦
در بیان تفسیرقول‌حکیم سنائی روح‌الله تعالی روحه ـ بهرچه از راه وامانی چه کفرآن‌حرف‌وچه ایمان ـ بهرچه ازدوست دورافتی چه زشت آن نقش‌وچه زیبا‌ـ فی معنی قول‌النبی ان سعداً لغیور و انا اغیر منه والله تعالی اغیر منی و من غیرته حرم‌الفواحش ما ظهر منها و ما بطن ۳۷
رجوع بحکایت خواجهٔ تاجر ـ بیرون انداختن مرد تاجر

صفحه

طوطی را از قفس و بریدن او - وداع کردن طوطی خواجه را
و بریدن - در بیان مضرت تعظیم خلق و انگشت‌نما شدن ۳۸
در بیان تفسیر آیهٔ ماشاءالله کان ومالم یشأ لم یکن - در بیان
تفسیر قول حکیم سنائی قدس سره در این ابیات ☆ بازرا روئی
بباید همچو ورد ☆ چون نداری گرد بدخوئی مگرد ☆ زشت
باشد روی نازیبا و ناز ☆ سخت آید چشم نابینا و درد -
داستان پیر چنگی که در عهد عمر برای خدا در گورستان چنگ میزد ۳۹
در بیان تفسیر من کان لله کان الله له و بیان آن - در معنی حدیث
ان لربکم فی ایام دهرکم نفحات الا فتعرضوا لها ۴۰
سؤال کردن عایشه از پیغمبر (ص) که باران شد و جامهٔ تو
تر نگشت و جواب آنجناب ۴۱
تفسیر بیت حکیم سنائی ☆ آسمانهاست در ولایت جان ☆
کارفرمای آسمان جهان ☆ در ره روح پست وبالاهاست ☆
کوههای بلند و صحرا هاست - در معنی حدیث اغتنموا
بردالربیع فانه یعمل بابدانکم کما یعمل باشجارکم و اجتنبوا
بردالخریف فانه یعمل بابدانکم کما یعمل باشجارکم - پرسیدن
عایشه که یا رسول‌الله سر باران امروز چه بود ۴۲
بقیهٔ قصهٔ پیر چنگی در زمان عمر و مخلص آن - در خواب
گفتن هاتف با عمر که چندین زر از بیت‌المال بآن مرد ده
که در گورستان خفته است - نالیدن ستون حنانه از فراق
پیغمبر علیه‌السلام که جماعت انبوه شدند که ما روی مبارك
ترا چون بر آن شیشهٔ نمی‌بینیم ومنبر ساختند وشنیدن رسول
خدا (ص) ناله ستون را صریح و مکالمات آنحضرت با آن ۴۳
اظهار معجزهٔ پیغمبر علیه‌السلام و بسخن آمدن سنگریزه در
دست ابوجهل و گواهی دادن برسالت آنحضرت - بقیهٔ قصهٔ
پیر چنگی و پیغام رسانیدن باو ۴۴
گردانیدن عمر نظر اورا از مقام گریه که هستی است بمقام
استغراق که نیستیست ۴۵
تفسیر دعای آن دو فرشته که هر روز برسر بازار منادی کنند
که اللهم اعط کل منفق خلفاً و کل ممسك تلفا و بیان آنکه منفق
مجاهد راه حق است نه مسرف راه هوی - قربانی کردن
سروران عرب بامید قبول افتادن - قصهٔ خلیفه که در کرم از
حاتم طائی گذشته بود - قصهٔ اعرابی درویش و ماجرا کردن
زن باو از فقر و درد ۴۶
مغرور شدن مریدان محتاج و تشبیه بمدعیان مزور و ایشان را
شیخ واصل پنداشتن ونقد را از نقل ندانستن و نیافتن - در
بیان آنکه نادر افتد که مریدی در مدعی مزور اعتقاد کند
بصدق و بمقامی رسد که شیخش بخواب ندیده باشد و آب
و آتش او را گزند نرساند و شیخش را گزند برساند ولی
نادر است - صبر فرمودن اعرابی زن خود را - نصیحت کردن
زن مر شوی را که سخن افزون از قدر ومقام خود مگو که لم
تقولون مالا تفعلون که این سخنها اگرچه راست است اما این مقام
ترا نیست وسخن فوق مقام زیان دارد ۴۷
نصیحت مرد زن را که در فقر فقیران بخواری منگر ودر کار
حق بگمان کمال نگر وطعنه مزن در فقر فقیران وشکوه مکن -
در بیان آنکه جنبیدن هر کسی از آنجاست که وبست هر کسی
از چنبرهٔ وجود خود بیند تابهٔ شیشهٔ کبود آفتاب را کبود نماید
و تابهٔ شیشهٔ سرخ سرخ و چون تابها از رنگ بیرون آید
سپید شود و از همهٔ تابهای دیگر او راستگوتر باشد ۴۸
مراعات کردن زن شورا واستغفار نمودن از گفتار خود - در
بیان حدیث انهن یغلبن العاقل ویغلبهن الجاهل ۴۹
تسلیم کردن مرد خودرا بامر زن و اعتراض اورا اشارهٔ حق
دانستن ☆ نظامی در شیرین و خسرو فرموده ☆ بنزد عقل هر

صفحه

دانندهٔ هست ☆ که با گردنده گردانندهٔ هست ☆ از آن چرخه
که گرداند زن پیر - قیاس چرخ گردونرا همی گیر - در
بیان آنکه موسی علیه‌السلام و فرعون هر دو مسخر یك
مشیت‌اند چنانکه زهر وفازهر وظلمات ونور ومناجات فرعون
باحقتعالی - سبب حرمان اشقیاء از دوجهان که خسر الدنیا والاخرة ۵۰
حقیر دیدن خصمان صالح ناقه را چون حقتعالی خواهد لشکری
را هلاك گرداند در نظر ایشان خصمان را حقیر نماید و
یقللکم فی اعینهم لیقضی الله امراً کان مفعولا ۵۱
تفسیر آیهٔ کریمهٔ مرج البحرین یلتقیان بینهما برزخ لا یبغیان ۵۲
در بیان آنکه آنچه ولی کامل کند مرید را نشاید گستاخی کردن
و همان فعل کردن که حلوا طبیب را زیان ندارد ومریض را
زیان دارد و سرما و برف انگور رسیده را زیان ندارد اما
غوره را زیان دارد که در راهست ونارسیده لیغفر لك الله ما
تقدم من ذنبك و ما تأخر صدق الله العلی العظیم - مخلص
ماجرای عرب و جفت او در فقر و شکایت - دل نهادن مرد
عرب بر التماس دلبر خویش ومبالغه نمودن که مرا در این
تسلیم حیله و امتحانی نیست ۵۳
تعیین کردن زن طریق طلب روزی شوی خود را وقبول او ۵۴
هدیه بردن آن اعرابی سبوی آب باران ازمیان بادیه سوی بغداد
نزد خلیفه و پنداشتن که آنجا قحط آبست - در نمد دوختن
زن سبوی آب را و مهر بروی نهادن از اعتقاد - در بیان آنکه
چنانکه گدا عاشق کریم است کریم هم عاشق گداست اگر
گدا را صبر بیش بود کریم بر در او آید و اگر کریم را صبر
بیش بود گدا بر در او آید اما صبر کمال گدا و نقص کریم است -
فرق میان آنکه درویش است بخدا و تشنهٔ خداست و آنکه درویش
است از خدا و تشنه است بغیر او ۵۵
پیش آمدن نقیبان و دربانان خلیفه از بهر اکرام اعرابی و
پذیرفتن هدیهٔ اورا - در بیان آنکه عاشق دنیا برمثال عاشق
دیوار بست که بر او آفتاب تافته و جهد نکرد تا فهم کند که
آن تاب از دیوار نیست از آفتابست از آسمان چهارم لاجرم
کلی دل بر دیوار نهاد وچون پرتو آفتاب بآفتاب پیوست او
محروم ماند وحیل بینهم وبین ما یشتهون ۵۶
سپردن عرب هدیهٔ خودرا بغلامان خلیفه - ماجرای مرد نحوی
در کشتی با کشتیبان - قبول کردن خلیفه هدیه را و عطای
بسیار فرمودن با کمال بی‌نیازی از آن هدیه ۵۷
در صفت پیر ومطاوعت کردن باو - وصیت کردن رسول خدا
صلعم مر علی (ع) را که چون هر کسی بنوع طاعتی تقرب
بحق جوید تو تقرب جوی بصحبت عاقل و بندهٔ خاص تا از
ایشان همه پیشقدم باشی قال النبی اذا تقرب الناس الی خالقهم
بانواع البر فتقرب الی ربك بالعقل والسر تستبقهم بالدرجات
والزلفی عند الناس فی الدنیا وعند الله فی الاخره ۵۹
کبودی زدن مرد قزوینی برشانه گاه و پشیمان شدن او بسبب
زخم سوزن - رفتن گرگ و روباه درخدمت شیر بشکار ۶۰
امتحان کردن شیر گرگ را و گفتن که این صید مارا قسمت
کن - قصهٔ آنکس که در یاری بکوفت از درون گفت کیست
گفت منم گفت چون تو توئی در نمیگشایم که کسی از یاران
را نشناسم که من باشد - خواندن آن یار یار خود را پس از
تربیت یافتن ۶۱
روی درکشیدن سخن از ملالت مستمعان - ادب کردن شیر گرگ
را بجهت بی ادبی او - تهدید کردن نوح علیه‌السلام مرقوم را
که بامن مپیچید که من روی پوشم خدایرا پس باخدا مپیچید
نه با من ۶۲
نشاندن پادشاهان صوفیان عارف را پیش روی خود تا چشمشان

صفحه

روشن شود - آمدن آشنائی از سفر بدیدن حضرت یوسف علیه‌السلام - طلب کردن یوسف علیه‌السلام ارمغان ازمهمان - گفتن مهمان یوسف علیه‌السلام را که ارمغان بهر تو آیینه آورده‌ام تا چون در آن نگری مرا یاد آوری ۶۳

مرتدشدن کاتب وحی بسبب آنکه پرتو وحی بروی زد و آن آیه را پیش از پیغمبر خواند و گفت من هم محل وحیم ۶۴

دعا کردن بلعم باعور که موسی و قومش را از این شهر که حصار داده‌اند بی مراد باز گردان ومستجاب شدن ۶۵

اعتماد کردن هاروت وماروت برعصمت خویش درهر فتنهٔ - بقیه قصهٔ هاروت و ماروت ونکال و عقوبت ایشان - بعیادت رفتن کر بخانه همسایهٔ بیمار و رنجیدن بیمار ۶۶

در بیان آنکه اول کسی که در مقابل نص صریح قیاس آورد ابلیس علیه اللعنه بود ۶۷

دربیان آنکه حال خود ومستی خود پنهان باید داشت - قصهٔ مری کردن رومیان و چینیان در صفت نقاشی ۶۸

پرسیدن پیغمبر صلعم مرزید را که امروز چونی وچگونه از خواب بر خاستی و جواب او که اصبحت مؤمناً حقا - بقیه جواب گفتن زید رسول خدا صلعم را که احوال خلق برمن پوشیده نیست و همه را میشناسم ۶۹

متهم کردن غلامان وخواجه تاشان لقمانرا که میوه‌های خوب را خورده - بقیهٔ حکایت زید با پیغمبر صلعم وجواب او بآنحضرت ۷۰

حکایت ماهیگیر ومردجوان و گمان او که ماهیگیر سلیمانست - گفتن پیغمبر صلعم مرزیدرا که این سررا فاش تر از این مکن ۷۱

آتش افتادن در شهر در ایام عمر - خدو انداختن خصم برروی امیرالمؤمنین علی علیه‌السلام وانداختن آنحضرت شمشیر را از دست ۷۲

سؤال کردن آنکافر از آنحضرت که چون برمن ظفر یافتی چرا از قتل من اعراض فرمودی و مرا نکشتی - جواب گفتن امیرالمؤمنین که سبب افکندن شمشیر چه بود در آنحالت ۷۳

گفتن پیغمبر بگوش رکابدار امیرالمؤمنین علی (ع) که هر آینه کشتن علی بدست تو خواهد بود ۷۴

تعجب کردن آدم از فعل ابلیس و عذر آوردن و توبه کردن ۷۵

بقیهٔ قصه امیرالمؤمنین علی علیه‌السلام و مسامحت و اغماض کردن او باخونی خویش - افتادن رکابدار در پای امیرالمؤمنین علی (ع) که ای امیر مرا بکش و ازین بلیه برهان - بیان آنکه فتح طلبیدن پیغمبر صلعم درمکه وغیرها جهت دوستی ملك دنیا نبود چونکه فرمود الدنیا جیفة وطالبها کلاب ۷۶

گفتن امیرالمؤمنین علیه‌السلام با قرین خود که چون خدو انداختی بر روی من نفس من جنبید واخلاص عمل نماند مانع کشتن تو آن شد - خاتمهٔ دفتر اول مثنوی معنوی مولوی ۷۷

دفتر دوم ۷۹

هلال پنداشتن آن شخص خیال را در عهد عمر وتنبیه نمودن اورا ۸۰

دزدیدن شخصی ماری را از مارگیری و گزیدن و کشتن او - التماس کردن همراه عیسی علیه‌السلام از او زنده کردن استخوانرا - اندرز کردن صوفی خادم را در تیمارداشت بهیمه ولاحول گفتن خادم - مشورت کردن خدایتعالی با فرشتگان در ایجاد خلق ۸۱

بسته شدن تقریر معنی حکایت بسبب میل مستمعان باستماع ظاهر - التزام کردن خادم تیمار بهیمه را و تخلف نمودن ۸۲

گمان بردن کاروانیان که مگر بهیمهٔ صوفی رنجور است ۸۳

یافتن پادشاه باز خویش را در خانهٔ کمپیر ومبتلا شدن ۸۴

حلوا خریدن شیخ احمد خضرویه بجهت غریمان بالهام حقتعالی ۸۵

ترسانیدن شخصی زاهدی را که کم گری تا کور نشوی - تمامی قصهٔ زنده شدن استخوانها بدعای عیسی علیه‌السلام ۸۶

خاریدن روستائی در تاریکی شیر را بظن آنکه گاو است - فروختن صوفیان بهیمهٔ صوفی مسافر را بجهت سفره و سماع ۸۷

قصهٔ آنمفلس که در زندان بود و زندانیان ازو درفغان - شکایت کردن اهل زندان پیش وکیل قاضی ازدست آنمفلس ۸۸

تتمهٔ قصهٔ مفلس زندانی باقاضی ۸۹

فی المناجات - تمثیل بر حقیقت سخن واطلاع بر کشف آن ۹۰

ملامت کردن مردمان شخصی را که مادررا بتهمت بکشت ۹۱

امتحان کردن پادشاه آن دوغلام را که نوخریده بود - براه کردن پادشاه یکی از آن دو غلام را وازدیگری احوال پرسیدن وباز گفتن او آنچه درویست ۹۲

قسم خوردن غلام برصدق خود وطهارت ظن خود ۹۳

باز پرسیدن شاه حال از غلام دیگر ۹۴

حسد بردن حشم بر آن بندهٔ خاص ۹۵

گرفتار شدن بازمیان جغدان درویرانه ۹۶

کلوخ انداختن تشنه ازسردیوار درجوی آب ۹۷

فرمودن والی آنمردرا که آن خاربن راکه نشاندهٔ برسر راه بر کن - دربیان معنی فی التاخیر آفات ۹۸

تمثیل در بیان خواندن آب ، آلودگان را بپاکی - آمدن دوستان بیمارستان جهت پرسش ذوالنون مصری ۱۰۰

فهم کردن مریدان که ذوالنون دیوانه نیست و بقصد چنین کرده - رجوع کردن بحکایت ذوالنون با مریدان - امتحان کردن خواجه زیرکی لقمانرا ۱۰۱

ظاهر شدن فضل و زیرکی لقمان پیش امتحان کنندگان ۱۰۲

تتمهٔ قصهٔ حاسدان بر غلام خاص سلطان وحقیقت آن - عکس تعظیم پیغام سلیمان دردل بلقیس ازصورت حقیر هدهد ۱۰۳

انکار فلسفی در آیه ان اصبح ماؤکم غورا ۱۰۴

مناجات کردن شبان باحقتعالی درعهد موسی علیه‌السلام ۱۰۵

عتاب کردن حقتعالی باموسی علیه‌السلام ازبهر شبان - وحی آمدن بموسی علیه‌السلام ازبهر عذر آن شبان ۱۰۶

سؤال موسی ازحقتعالی درسرغلبهٔ ظالمان ۱۰۷

رنجانیدن امیری خفتهٔ را که مار دردهانش رفته بود - حکایت آن مرد ابله که مغرور بودبرتملق خرس ۱۰۸

گفتن نابینای سائل که مزدو کوری دارم مرا رحم کنید ۱۰۹

تتمهٔ حکایت خرس و آن ابله که بوفای او اعتماد کرده بود - گفتن موسی علیه‌السلام گوساله پرست را که این خیال اندیشی تو از کجاست - ترك کردن آن مرد ناصح بعداز مبالغه پند آن مغرور خرس را ۱۱۰

تملق کردن دیوانه جالینوس را و ترسیدن جالینوس - سبب پریدن وچریدن مرغی با مرغ دیگر که جنس او نبود - تتمهٔ قصهٔ آنمردمغرور بر وفای خرس وهلاکت او ۱۱۱

رفتن رسول خدا بعیادت صحابی رنجور وبیان فائدهٔ عیادت - وحی آمدن از حقتعالی بموسی که چرا بعیادت من نیامدی - جدا کردن باغبان صوفی وفقیه وعلوی را از همدیگر ۱۱۲

رجعت بقصهٔ مریض وعیادت پیغمبر صلعم - رفتن بایزید بسطامی بکعبه ودرراه بخدمت بزرگی رسیدن و گفتن آن بزرگ که کعبه منم مرا طواف کن - حکایت پیر و مرید - دانستن پیغمبر که سبب رنجوری آنشخص از گستاخی بوده است دردعا ۱۱۳

عذر گفتن دلقك باسید که گفت چرا فاحشه بنکاح آوردی ۱۱۴

بحیلت درسخن آوردن سائل شیخ بهلول را که خود را دیوانه نمود - حمله بردن سگ بر کور گدا - خواندن محتسب مستی در بزندان وجواب گفتن او ۱۱۵

صفحه

دوم بار بسخق آوردن سائل آن بزرگ را تا حال او معلوم کند ۱۱۶
تتمه نصیحت کردن رسول مر آن بیمار را - ذکر دشواری عذاب آخرت و سختی آن - ذکر قوم موسی علیه السلام و پشیمانی ایشان ۱۱۷
مثال در بیان معنی یؤمن بالقدر خیره و شره - دعا و توبه آموختن رسول صلعم بیمار را ۱۱۸
بیدار کردن ابلیس معاویه را که وقت نماز بیگاه شد - جواب گفتن ابلیس معویه را - از تقریر کردن معویه با ابلیس مکر او را ۱۱۹
باز جواب گفتن ابلیس معاویه را - عنف کردن معویه با ابلیس نالیدن معاویه بحقتعالی از مکر ابلیس و نصرت خواستن - باز تقریر کرد ابلیس تلبیس خود را با معاویه ۱۲۰
باز الحاح کردن معاویه ابلیس را - شکایت قاضی از آفت قضا و جواب گفتن نائب قاضی مر او را - تقرار آوردن معاویه ابلیس را - راست گفتن ابلیس مکر خود را با معاویه - فضیلت حسرت خوردن آنشخص بر فوت نماز جماعت ۱۲۱
تتمهٔ اقرار ابلیس با معاویه مکر و فریب خود را - تصدیق کرد معاویه ابلیس را در آنقول - گریختن دزد از دست صاحب خانه به آواز شخص دیگر - قصهٔ منافقان و مسجد ضرار ساختن ایشان ۱۲۲
اندیشیدن یکی از اصحاب که چرا رسول خدا ستاری نمیکند - قصهٔ آنشخص که اشتر ضاله خود را میجست و میپرسید ۱۲۳
متردد شدن در میان مذاهب مختلفه و بیرون شدن و مخلص یافتن - امتحان هر چیزی تا ظاهر شود خیر و شری که در وی است - شرح فایدهٔ حکایت آنشخص شتر جوینده ۱۲۴
در بیان آنکه در هر نفسی فتنهٔ مسجد ضرار هست - حکایت آن چهار هندو که باهم جنگ میکردند و از عیب خود بیخبر بودند - قصد کردن غران بکشتن یکمردی تا آندیگر بترسد ۱۲۵
بیان حال خود پرستان و ناشکران در نعمت وجود انبیا و اولیا - شکایت کردن پیری به پیش طبیب از رنجوری خود - قصهٔ کودکی که در پیش تابوت پدر خود مینالید و سخن جوحی ترسیدن کودکی از شخص صاحب جثه و تسکین او آن کودك را - قصه تیراندازی و ترسیدن او از سواری که در بیشه میرفت - حکایت آن اعرابی و ریگ در جوال کردن و ملامت دانشمند و تعلیم کردن او را که گندم جوال را دو حصه نما که بار عدل آید ۱۲۶
کرامات ابراهیم ادهم بر لب دریا و تعجب امیر مرید - آغاز منور شدن حواس عارف بنور غیب ۱۲۷
طعنه زدن بیگانه در شان شیخی و جواب گفتن مرید شیخ او را ۱۲۸
بقیه قصهٔ ابراهیم ادهم بر لب دریا و آن امیر مرید - دعوی کردن آن شخص که خدایتعالی مرا نمیگیرد بگناه و جواب شعیب او را ۱۲۹
تتمهٔ قصه طعنه زدن آنمرد بیگانه در شیخ - گفتن عایشه پیغمبر صلعم را که تو بی مصلی چون است که همه جا نماز میگذاری ۱۳۰
کشیدن موش مهار شتر را و معجب شدن موش در خود ۱۳۱
کرامات آن درویش که در کشتی بدزدی متهمش کردند - تشنیع کردن صوفیان پیش شیخ بر آن صوفی که بسیار میگوید - عذر گفتن فقیر با شیخ خانقاه ۱۳۲
بیان آن دعوی که عین آن دعوی گواه صدق خویش است - سجده کردن مسیح و یحیی علیهما السلام در شکم مادر یکدیگر را
اشکال آوردن نادانان بر این قصه و جواب دادن ایشان را ۱۳۳
سخن گفتن بزبان حال و فهم کردن آن - پذیرا آمدن سخن باطل در دل باطلان جستن آن درخت که هر که میوهٔ آن خورد هرگز نمیرد - شرح کردن آن شیخ سر آن درخت را با آن طالب مقلد - بیان منازعت چهار کس جهت انگور باهمدگر بعلت آنکه زبان یکدیگر را نمیدانستند ۱۳۴
برخاستن مخالفت و عداوت از میان انصار ببرکت وجود مبارك پیغمبر خدا علیه السلام ۱۳۵
قصهٔ بط بچگان که مرغ خانگی میپروردشان - حیران شدن حاجیان در کرامات آنشیخ زاهد که بر روی ریگ صحرا نشسته بود ۱۳۶

دفتر سوم ۱۳۸

قصهٔ خورندگان پیل بچه از حرص و ترك نصیحت ناصح - بقیهٔ قصهٔ متعرضان پیل بچگان ۱۳۹
باز گشتن بحکایت پیل - بیان آنکه خطای محبان بهتر از صواب بیگانگان است - امر حق بموسی علیه السلام که مرا بدهانی خوان که بدان دهان گناه نکرده باشی ۱۴۰
در بیان آنکه الله گفتن نیازمند عین لبیك گفتن حق است - فریفتن روستائی شهری را و بدعوت خواندن او را بلاء و الحاح بسیار ۱۴۱
قصهٔ اهل سبا و طاغی کردن نعمت ایشان را - جمع آمدن اهل آفت هر صباحی بر در صومعهٔ عیسی علیه السلام جهت طلب شفا بدعای او ۱۴۲
باقی قصهٔ اهل سبا ۱۴۳
باقی داستان رفتن خواجه بدعوت روستائی بسوی ده - دعوت باز بطان را از آب بصحرا - رجوع بحکایت خواجه و روستائی ۱۴۴
قصهٔ اهل ضروان و حیله کردن ایشان تا بیزحمت درویشان باغها را قطاف کنند - روان شدن خواجه بسوی ده ۱۴۵
رفتن خواجه و قومش بسوی ده - نواختن مجنون آن سگی را که مقیم کوی لیلی بود - رسیدن خواجه و قومش بسوی ده و نادیده و ناشناخت آوردن روستائی ایشان را ۱۴۶
افتادن شغال در خم رنگ و رنگین شدن و دعوی طاوسی کردن میان شغالان - چرب کردن مرد لافی لب و سبلت خود را هر بامداد بپوست دنبه و بیرون آمدن میان حریفان که چنین و چنان خورده ام ۱۴۸
ایمن بودن بلعم باعور که امتحانها کرد حضرت عزت او را و از آنها روسیاه آمد - بردن گربه دنبه را و رسوا شدن پهلوان - دعوی طاوسی کردن آن شغال که در خم صباغ افتاد - تشبیه فرعون و دعوی الوهیت او بدان شغال که دعوی طاوسی میکرد - تفسیر ولتعرفنهم فی لحن القول - قصهٔ هاروت و ماروت و دلیری ایشان بر امتحان حقتعالی ۱۴۹
مستی بز از دیدن ماده و جستن او بکوه مقابل - تمنا کردن هاروت و ماروت آمدن بزمین را - قصهٔ خواب دیدن فرعون آمدن موسی علیه السلام را و تدارك اندیشیدن - بمیدان خواندن بنی اسرائیل را از برای حیلهٔ منع و لادت موسی علیه السلام - حکایت در تمثیل ۱۵۰
باز گشتن فرعون از میدان بشهر شاد بتفریق بنی اسرائیل از زنانشان در شب حمل - جمع آمدن عمران با مادر موسی و حامله شدن او - وصیت کردن عمران جفت خود را بعد از مجامعت که مرا ندیده باشی - ترسیدن فرعون از آن بانگ و غریو و غوغا - پیدا شدن ستارهٔ موسی بر آسمان و غریو منجمان در میدان ۱۵۱
خواندن فرعون زنان نوزاده را سوی میدان هم جهت مکر - بوجود آمدن موسی علیه السلام و آمدن عوانان بخانهٔ عمران و وحی آمدن بمادر موسی که وی را در آتش انداز - وحی آمدن بمادر موسی علیه السلام که در آبش افکن - حکایت مار گیری که اژدهای افسرده را مرده پنداشت و در رسنها پیچیده ببغداد آورد ۱۵۲
تهدید کردن فرعون موسی علیه السلام را - جواب موسی فرعون را در تهدیدی که میکردش - پاسخ فرعون موسی را - جواب موسی فرعون را - مهلت دادن موسی علیه السلام فرعون را تا ساحران را جمع کند از مداین ۱۵۴

صفحه

فرستادن فرعون بمدائن در طلب ساحران - خواندن آن دو ساحر
پدر را از گور و پرسیدن از روان پدر حقیقت موسی علیه السلام را ۱۵۵
جواب گفتن ساحر مرده بافرزندان خود - تشبیه کردن قرآن
مجید را بعصای موسی و وفات مصطفی علیه السلام را تشبیه
نمودن بخواب موسی و قاصدان تعبیر قرآن را به آن دو ساحر
بچه که قصد بردن عصا کردند چون موسی را خفته یافتند -
بقیهٔ حکایت موسی علیه السلام ۱۵۶
جمع آمدن ساحران از مدائن پیش فرعون و تشریفها یافتن و
دست بر سینه زدن در قهر خصم او که این برمانویس - اختلاف
کردن در چگونگی و شکل پیل - دعوت کردن نوح علیه السلام پسر
را و سر کشیدن او که بر سر کوه روم و چاره کنم و منت تو نکشم ۱۵۷
توفیق میان این دو حدیث که الرضا بالکفر کفر و حدیث دیگر
که من لم یرض بقضائی و لم یصبر علی بلائی فلیطلب ربا سوائی ۱۵۸
مثل در بیان آنکه حیرت مانع بحث و فکر تست - در بیان آنکه
در میان صحابه حافظ کسی نبود - داستان مشغول شدن عاشق
بعشق نامه خواندن و مطالعه کردن عشقنامه در حضور معشوق
خویش و معشوق آنرا ناپسند داشتن که طلب الدلیل عند حضور -
المدلول قبیح و الاشتغال بالعلم بعد الوصول الی المعلوم مذموم ۱۵۹
حکایت آنمرد که در عهد داود علیه السلام شب و روز دعا میکرد
که مرا روزی حلال ده بی رنج - دویدن گاو در خانهٔ آن دعا
کننده بالحاح قال النبی صلعم ان الله یحب الملحین فی الدعاء زیرا
همین خواست از حقتعالی و الحاح خواهنده را بهست از آنچه
میخواهد آنرا از وی و عذر گفتن ناظم یعنی مولوی و مدد خواستن او ۱۶۰
بیان آنکه علم را دو پرو گمان را یکپر است و مثال ظن و یقین
در علم - مثال رنجور شدن آدمی بوهم تعظیم خلق و رغبت
مشتریان بوی و حکایت معلم و کودکان - در بیان آنکه عقول
خلق متفاوتست در اصل فطرت و نزد معتزله متساویست و
تفاوت عقول از تحصیل علم است - در وهم افکندن کودکان استاد را ۱۶۱
بیمار شدن فرعون هم بوهم از تعظیم خلقان - رنجور شدن
استاد بوهم - در جامهٔ خواب افتادن استاد و نالیدن او بوهم رنجوری
- دوم بار بوهم افکندن کودکان استاد را که او را از قرآن
خواندن مادر درد سر افزاید - خلاص یافتن کودکان از مکتب بدین
مکر - رفتن مادران کودکان بعیادت استاد - در بیان آنکه تن
روح را چون لباسی است و این دست آستین دست روح است و
این پای موزه پای روح است ۱۶۲
حکایت آن درویش که در کوه خلوت کرده بود و بیان حلاوت
انقطاع و خلوت و داخل شدن در این منقبت که انا جلیس من ذکرنی
وانیس من استانس بی ☆ گر باهمهٔ چو بی منی بی همهٔ ور بی همهٔ چو با
منی باهمهٔ ☆ دیدن زر گر عاقبت کار را و سخن بر وفق عاقبت گفتن
بامستعیر تر از و - بقیهٔ قصه آن زاهد کوهی که نذر کرده بود که
میوهٔ کوهی از درخت باز نگیرم و درخت نیفشانم و کسی را
نگویم بصریح و کنایت که بیفشان مگر آنخورم که باد افکنده
باشد از درخت - تشبیه بند دام قضا بصورت پنهان و باثر پیدا ۱۶۳
مضطر شدن فقیر نذر کرده بکندن امرود از درخت و گوشمال
حق رسیدن بیمهلت - متهم کردن آن شیخ بادزدان و بریدن دستش
را - کرامت شیخ اقطع و زنبیل بافتن او بدو دست ۱۶۴
سبب جرئت ساحران فرعون بر قطع دست و پا - شکایت استر
پیش شتر که من بسیار در رو میافتم و تو نمی افتی الا بنادر و
جواب گفتن آن - اجتماع اجزای خر عزیر بعد از پوسیدن باذن الله
و در هم مرکب شدن پیش چشم عزیر علیه السلام - جزع نا کردن
شیخی بر مرگ فرزندان خود ۱۶۵
عذر گفتن شیخ بهر ناگریستن بر مرگ فرزندان خود - قصهٔ
خواندن شیخ ضریر مصحف را در رو و بینا شدن در وقت قرائت

صفحه

صبر کردن لقمان چون دید که داود علیه السلام حقها میساخت
از سؤال کرد با این نیت که صبر از سؤال موجب فرج باشد ۱۶۶
بقیهٔ حکایت نابینا و مصحف خواندن او - صفت بعضی از اولیا که
راضیند باحکام قضای الهی و لابه نکنند که این حکم را بگردان -
سؤال کردن بهلول آن درویش را ۱۶۷
قصهٔ دقوقی و کراماتش - باز گشتن بقصهٔ دقوقی - سر طلب کردن
موسی خضر را با کمال نبوت و قربت - باز گشتن بقصهٔ دقوقی ۱۶۸
نمودن مثال هفت شمع سوی ساحل - شدن آنهفت شمع بر مثال
یکشمع - نمودن آنشمعها در نظر آنشیخ هفت مرد - باز نمودن
آن هفت مرد هفت درخت - مخفی بودن آندرختان از چشم خلق ۱۶۹
یکدرخت شدن آن هفت درخت - هفتمرد شدن آن هفت درخت -
پیش رفتن دقوقی بامامت ۱۷۰
پیش رفتن دقوقی بامامت آن قوم - اقتدا کردن قوم از پس دقوقی
- بیان اشارت سلام سوی دست راست در قیامت از هیبت
محاسبهٔ حق و از انبیاء استعانت و شفاعت خواستن ۱۷۱
شنیدن دقوقی در میان نماز افغان اهل کشتی را در غرق شدن -
تصورات مرد حازم - دعا و شفاعت دقوقی در خلاص کشتی ۱۷۲
انکار کردن آنجماعت بر دعا و شفاعت دقوقی و پریدن ایشان و نا
پدید شدن در پردهٔ غیب و حیرانشدن دقوقی که بر هوا رفتند یا بر زمین ۱۷۳
باز شرح کردن حکایت آنطالب روزی حلال بی کسب و رنج
در عهد داود و مستجاب شدن دعای او - رفتن هر دو خصم نزد داود ۱۷۴
شنیدن حضرت داود سخن هر دو خصم را و سؤال کردن از مدعی
علیه - حکم کردن داود بر کشندهٔ گاو - تضرع آنشخص از داوری
داود علیه السلام - رفتن داود در خلوت تا آنچه حقست پیدا شود -
حکم کردن بر صاحب گاو که از سر گاو برخیز و تشنیع صاحبگاو
بر داود - حکم کردن داود بر صاحب گاو که جملهٔ مال خود را بوی ده ۱۷۵
عزم کردن داود علیه السلام بخواندن خلق بدان صحرا که راز
آشکارا کند و حجتها همه قطع کند - گواهی دادن دست و پا
و زبان بر سر ظالم هم در دنیا - بیرون رفتن خلایق بسوی آندرخت
- قصاص فرمودن داود خونی را بعد از الزام حجت بر او ۱۷۶
بیان آنکه نفس آدمی بجای آن خونی است که مدعی گاو کشته
بود و آن کشندهٔ گاو عقل است و داود حق است یا شیخ که نائب
حق است که بقوت و یاری او تواند ظالم را کشتن و توانگر
شدن بروزی بیکسب و بی حساب - مثال ۱۷۷
گریختن عیسی علیه السلام بر فراز کوه از احمقان - قصهٔ اهل
سبا و حماقت ایشان و اثر نا کردن نصیحت انبیا در احمقان -
شرح آنکور دوربین و آنکر تیز شنو و آن برهنهٔ دراز دامن ۱۷۸
صفت خرمی شهر سبا و ناشکری اهل آن - آمدن سیزده پیغمبر
بنصیحت اهل شهر سبا ۱۷۹
معجزه خواستن قوم از پیغمبران - متهم داشتن قوم انبیا را
علیهم السلام - حکایت خرگوشان که خرگوشی را برسالت پیش
فیل فرستادند که بگو من رسول ماه آسمانم در پیش تو که از این
چشمهٔ آب حذر کن چنانکه در کتاب کلیله و دمنه آمده - ۱۸۰
جواب گفتن انبیا طعن ایشانرا و مثل زدن ایشان را
بیان آنکه هر کس را نرسد مثل آوردن خاصه در کار الهی -
مثلها زدن قوم نوح را باستهزاء در زمان کشتی ساختن او -
حکایت آندزد که میپرسیدندش چه میکنی نیمشب در بن این
دیوار گفت دهل میزنم ۱۸۱
جواب آنمثل که منکران گفتند از رسالت خرگوش بپیغام پیل
را از ماه آسمان - معنی حزم و مثل مرد حازم ۱۸۲
وخامت حال آنمرغ که ترک حزم کرد از حرص و هوا - حکایت
نذر کردن سگان هر زمستان که چون تابستان آید خانه سازیم از
بهر زمستان - منع کردن منکران انبیا علیهم السلام را از نصیحت

صفحه

کردن و حجت آوردن جبریانه - جواب انبیاء علیهم السلام
جبریان را - مکرر کردن کافران حجتهای جبریانهٔ خود را ۱۸۳
باز جواب انبیاء ایشانرا - مکرر کردن قوم اعتراض ترجیه بر
انبیاء - باز جواب انبیاء علیهم السلام ۱۸۴
حکمت در آفریدن دوزخ آنجهان و زندان این جهان تا معبد
منکران گردد که اثتیاطوعاًو کرهاً - بیان آنکه حقتعالی صورت
ملوکرا سبب مسخر کردن جباران که مسخر حق نباشند ساخته
است چنانکه موسی علیه السلام باب صغیر ساخت بر ربض قدس جهت
رکوع جباران بنی اسرائیل وقت در آمدن که ادخلوا الباب سجداً
وقولوا حطة نغفر لکم - قصهٔ عشق صوفی بر سرهٔ تهی از خورش ۱۸۵
مخصوص بودن یعقوب علیه السلام بچشیدن جام حق از روی
یوسف و کشیدن بوی حق از بوی یوسف و حرمان برادران و غیر
هم از این هر دو - حکایت امیر و غلامش که نماز باره بود و انس
عظیم داشت در مناجات و نماز با حق - نومید شدن انبیا علیهم السلام
از قبول و پذیرائی منکران قوله تعالی حتی اذا استیأس الرسل الخ ۱۸۶
بیان آنکه ایمان قلد خوفست ورجا - بیان آنکه رسول صلعم
فرمود ان الله تعالی اولیاء اخفیاء - حکایت مندیل در تنور انداختن
انس بن مالك و ناسوختن - قصهٔ فریاد رسیدن رسول صلی الله
علیه و آله کاروان عرب را که از تشنگی و بی آبی در مانده
بودند ودل بر مرگ نهاده وشتران وخلق زبان بیرون انداخته ۱۸۷
مشك آن غلام از غیب بر آب کردن بمعجزه و آن غلام سیاه را
سپید رو کردن باذن الله تعالی - دیدن خواجه غلام را سپید و
ناشناختن که اوست و گفتن که غلام مرا تو کشتهٔ و خون او
ترا گرفته و خدا ترا بدست من انداخت ۱۸۸
بیان آنکه حقتعالی هرچه داد و آفرید از سموات وارض واعیان
و اعراض همه باستدعای حاجت آفرید خود را محتاج چیزی باید
کردن تا بدهد که امن یجیب المضطر اذا دعاه اضطرار گواه
استحقاق است - آمدن زن کافره باطفل شیرخواره بنزدیك
مصطفی علیه السلام و ناطق شدن طفل عیسی وار بمعجزات
رسول خدا - ربودن عقاب موزهٔ رسول علیه السلام را و بردن
برهوا و نگون کردن و از موزه ماری سیاه فرو افتادن - وجه
عبرت گرفتن از این حکایت و یقین دانستن ان مع العسر یسرا -
استدعا نمودن آنمرد از موسی زبان بهایم با طیور ۱۸۹
وحی آمدن از حقتعالی بموسی علیه السلام که بیاموزش چیز را که
استدعا میکند یا بعضی از آن - قانع شدن آنمرد طالب بتعلیم
زبان مرغ خانگی و سگ و اجابت موسی - جواب خروس سگرا -
خجل گشتن خروس پیش سگ بسبب دروغ شدن در آن سه وعده ۱۹۰
خبر کردن خروس از مرگ خواجه - دویدن آنشخص بسوی
موسی بزینهار چون از خروس خبر مرگ خود شنید - دعا
کردن موسی آنشخص را تا از دنیا بایمان رود - اجابت کردن
حقتعالی دعای موسی علیه السلام را ۱۹۱
حکایت آنزن که فرزندش نمیزیست بنالید جواب آمد که این
عوض ریاضت تست و بجای جهاد مجاهد انست ترا - در آمدن
حمزه رضی الله عنه در حرب بی زره - جواب حمزه مر خلق را ۱۹۲
حیلهٔ دفع مغبون شدن در بیع و شری - وفات یافتن بلال با شادی ۱۹۳
حکمت ویران شدن تن بمرگ - تشبیه دنیا که بظاهر فراخ
است و بمعنی تنگ و تشبیه خواب را بموت که خلاص از تنگی
است - بیان آنکه هرچه غفلت و غم و کاهلی و تاریکیست همه
از تنست که ارضی است وسفلی - تشبیه نص باقیاس ۱۹۴
آداب المستمعین والمریدین عند فیض الحکمة من لسان الشیخ
- شناختن هر حیوانی بوی عدو خود را وحذر کردن و بطالت
و خسارت آنکس که عدو کسی بود که ازو حذر ممکن
نیست و فرار ممکن نه و مقابله ممکن نه - فرق میان دانستن

صفحه

چیزی بمثال و تقیید و میان دانستن ماهیت آن چیز بتحقیق ۱۹۵
جمع و تفریق میان نفی و اثبات یك چیزی از روی نسبت
واختلاف جهت - مسئله فنا و بقای درویش کامل - قصهٔ وکیل صدر
جهان که متهم شد از بخارا گریخت از بیم جان باز عشقش کشید
رو کشان که کار جان سهل باشد عاشقانرا - پیدا شدن روح القدس
بصورت آدمی بر مریم بوقت غسل و برهنگی و پناه گرفتن بحقتعالی ۱۹۶
گفتن روح القدس مریم را که من رسول حقم بتو آشفته و
پنهان از من مشو که فرمان این است ۱۹۷
عزم کردن آنوکیل از عشق که رجوع کند ببخارا لاابالی
وار - پرسیدن معشوقی از عاشق غریب خود که از شهر ها
کدام شهر را خوشتر یافتی و انبوه تر و محتشم تر و پرنعمت
تر و دلگشاتر - منع کردن دوستان اورا از رجوع کردن ببخارا و
تهدید کردن ولاابالی گفتن عاشق ناصح و عاذل را از سر عشق ۱۹۸
رو نهادن آن بندهٔ عاشق سوی بخارا - در آمدن آنعاشق لاابالی
در بخارا و تحذیر کردن دوستان او را از پیداشدن - جواب
گفتن عاشق عاذلان و تهدید کنندگانرا ۱۹۹
رسیدن آنعاشق بمعشوق خویش چون دست از جان بشست -
صفت آنمسجد که مهمان کش بود و آن عاشق مرگ جوی
لاابالی که در آنمسجد مهمان شد - آمدن مهمان در آنمسجد
- ملامت کردن اهل مسجد مهمان عاشق را از شب خفتن در
آنجا و تهدید کردن مراو را - جواب گفتن عاشق عاذلان را ۲۰۰
بیان آنکه عشق جالینوس براین حیات دنیا بود که هنر او همین
جابکار میآید و هنری نورزیده است که در آن بازار بکار آید
آنجا خود را بعوام یکسان میبیند - ملامت کردن اهل مسجد
مهمان را از شب خفتن در آن مسجد ۲۰۱
گفتن شیطان قریش را که بجنگ احمد آئید که من یاریها
کنم و قبیله خود را بیاری خوانم و وقت ملاقات صفین گریختن او ۲۰۲
مکرر کردن عاذلان پند را بر آن مهمان مسجد مهمان کش - جواب
گفتن مهمان ایشانرا و مثل آوردن بدفع کردن حارس کشت بیانگ
دف از کشت اشتری را که کوس محمودی بر پشت او زدندی ۲۰۳
تمثیل گریختن مؤمن و بی صبری او در بلا باضطراب و بیقراری
نخود بجوش در دیگ تا بیرون جهد و منع کدبانو - تمثیل صابر
شدن مؤمن چون بر سر و منفعت بلا واقف شود - عذر گفتن کدبانو
با نخود و حکمت در جوش داشتن کدبانو نخود را ۲۰۴
باقی قصه مهمان آنمسجد مهمان کش و ثبات و صدق او - ذکر
خیال بداندیشیدن قاصر فهمان - تفسیر این خبر مصطفی علیه
السلام که ان للقرآن ظهر وبطن ولبطنه بطن الی سبعة ابطن
و فی روایة الی سبعین بطنا - بیان آنکه رفتن انبیا و اولیاء
علیهم السلام بکوهها و غار ها جهت پنهان کردن خویش
نیست وجهت خوف و تشویش خلق نیست بلکه جهت ارشاد
خلق است و تحریض بر انقطاع از دنیا بقدر ممکن ۲۰۵
تشبیه صورت اولیاء و صورت کلام اولیا بصورت عصای موسی
و صورت افسون عیسی علیهم السلام - تفسیر یا جبال اوبی معه و
الطیر - جواب طعنه زنندهٔ مثنوی از قصور فهم خود - مثل زدن
در رمیدن کره اسب از خوردن آب و سبب شخولیدن سایسان ۲۰۶
بقیهٔ ذکر آن مهمان مسجد مهمان کش - تفسیر آیه که واجلب علیهم
بخیلك ورجلك - رسیدن بانگ طلسم نیمشب مهمان مسجد را ۲۰۷
ملاقات آنعاشق باصدر جهان - جذب هر عنصری جنس خود را
که در ترکیب آدمی محتبس شده است بغیر جنس - منجذب
شدن جان نیز بعالم ارواح و تقاضا و میل او بمقر خود و منقطع
شدن از اجزای اجسام که کندهٔ پای باز روحند ۲۰۸
فسخ عزایم و نقش ها جهت اخبار کردن آدمی را از آنکه مالك
وقاهر اوست و گاهگاه عزم اورا فسخ نا کردن و نافذ داشتن

صفحه

تاطمع اورا برعزء کردن دارد تاباز عزمش را بشکند تاتنبیه بر تنبیه بود- نظر کردن پیغمبر علیه السلام باسیران و تبسم کردن و گفتن که عجبت من قوم یجرون الی الجنة بالسلاسل والاغلال - تفسیر این آیه که ان تستفتحوا فقد جائکم الفتح طاعنان می گفتند که از ما و محمد آنکه حقست فتح و نصرتش بده و این بدان میگفتند که گمان داشتند خود بر حقند و طالبحق بیغرض اکنون محمد منصور شد ۲۰۹
سر آنکه پیمرا دباز گشتن رسول علیه السلام از حدیبیه حق تعالی لقب آن فتح کرد که انا فتحنا لك فتحا مبینا بصورت غلق بود و بمعنی فتح چنانکه شکستن مشك بظاهر شکستن است و بمعنی درست کردن است مشکی اورا و تکمیل فوائد اوست- تفسیر این خبر که مصطفی (ص) فرمود لا تفضلونی علی یونس بن متی- آگاه شدن پیغمبر (ص) از طعن ایشان بر شماتت او- فهم کردن رسول علیه السلام ضمیر اسیران را ۲۱۰
بیان آنکه طاغی در عین قاهری مقهور است و در عین منصوری مأسور- جذب معشوق عاشق را من حیث لا یعلمه العاشق ولا یرجوه ولا یخطر بباله ولا یظهر من ذلك الجذب اثر فی العاشق الا الخوف الممزوج بالیأس مع دوام الطلب - رسیدن بخاری عاشق در بندگی صدر جهان ۲۱۱
دادخواستن پشه از باد بحضرت سلیمان - امر کردن سلیمان علیه السلام پشهٔ متظلم را باحضار خصم بدیوان حکم - نواختن معشوق عاشق بیهوش را تابهوش باز آید ۲۱۲
با خویش آمدن عاشق بیهوش و روی آوردن بثنا و شکر معشوق - حکایت آن عاشق دراز هجران بسیار امتحان ۲۱۳
یافتن عاشق معشوق را و بیان آنکه جوینده یابنده بود که (فمن یعمل مثقال ذرة خیراً یره) ۲۱۴

دفتر چهارم ۲۱۶

تمامی حکایت آنعاشق که از عسس گریخت در باغی مجهول خود معشوق را درباغ یافت و عسس را از شادی دعای خیر میکرد ومیگفت که عسی ان تکرهوا شیئاً وهو خیر لکم ۲۱۶
حکایت آنواعظ که هر آغاز تذکیر دعای ظالمان وسخت دلان وبی اعتقادان کردی - سؤال کردن از عیسی علیه السلام که در وجود از همهٔ صعبها صعبتر چیست - قصهٔ خیانت کردن عاشق و بانگ برزدن معشوق بروی ۲۱۷
قصهٔ صوفی که زن را بابیگانه بگرفت - دربیان آنکه حقتعالی بندهٔ را بگناه اول رسوا نکند ۲۱۸
معشوق را زیر چادر پنهان کردن جهت تلبیس و بهانه گفتن زن که ان کیدکن عظیم - گفتن زن که او دربند جهاز نیست مراد اوستر و صلاح است وجواب گفتن صوفی اینرا سر پوشیده- غرض از بصیر و سمیع و علیم گفتن خدا را - مثال دنیا چون گلخن و تقوی چون حمام ۲۱۹
قصه آن دباغ که در بازار عطاران از بوی عطر و مشك بیهوش ورنجور شد- معالجه کردن برادر دباغ دباغرا بخفیه ببوی سرگین- عذرخواستن عاشق از گناه خویش بتلبیس وروی پوش وفهم کردن معشوق آنرا نیز ۲۲۰
رد کردن معشوق عذر عاشقرا و تلبیس اورا در روی او مالیدن - گفتن جهودی علی علیه السلام را که اگر اعتماد داری بر حافظی خدا از سر این کوشك خود را در انداز و جواب آنحضرت اورا ۲۲۱
قصهٔ مسجد اقصی و خروب و عزم کردن داود علیه السلام بیش از سلیمان بر بنای آنمسجد - شرح انما المؤمنون اخوه والعلماء کنفس واحدة خاصه اتحاد داود و سلیمان و سایر انبیاء علیهم السلام که اگر یکی از ایشان را منکر شوی ایمان بهیچ نبی درست نباشد و این علامت اتحاد است که یکخانه از آن هزار خانه ویران کنی آنهمه ویران شود و یکدیوار قائم نماند که لانفرق

صفحه

بین احد من رسله والعاقل یکفیه الاشارة این خود از اشارت گذشت ۲۲۲
مثل آوردن در بیان اتحاد جانهای انبیا و اولیا و دوستان خدایتعالی بنور آفتاب که تمامت خانها و سرایها و بیابانها و کوهها و دریاها را بتابش خود روشن کند و در هر خانه و سرای و هر دشت و صحرا روشنائی دیگر دهد و همه یکنور و روشنی باشد و اختلاف جانهای مردم دیگر بنور ماه و ستارگان و نور چراغ که هر کدام نور دیگر است و چون آفتاب طلوع کند این انوار نمانند چنانکه روز حشر چون خورشید جمال و جلال حق از مشرق ازل طالع شود انوار عاریتی محو گردد- بقیهٔ قصهٔ بنای مسجد اقصی در دست سلیمان ۲۲۳
قصهٔ آغاز خلافت عثمان و خطبهٔ وی در بیان آنکه ناصح فعال بفعل به از نادح قوال قول- در بیان آنکه حکما گویند آدمی عالم صغری است و حکمای الهی گویند آدمی عالم کبری است زیرا که آنحکما را علم بر صورت آدمی مقصور بود و علم این حکما در حقیقت حقیقت آدمی موصول بود ۲۲۴
در تفسیر این حدیث که مثل اهل بیتی کمثل سفینة نوح من تمسك بها نجا و من تخلف عنها غرق- قصهٔ هدیه فرستادن بلقیس از شهر سبا سوی سلیمان علیه السلام ۲۲۵
کرامات و نور شیخ عبدالله مغربی قدس سره- باز گردانیدن سلیمان رسولان بلقیس را با آن هدیها که آورده بودند سوی بلقیس و دعوت سلیمان بلقیس را بایمان و ترك آفتاب پرستی - قصهٔ عطاری که سنگ ترازوی او گل سرشوری و دود زدیدن مشتری گلخوار از آن گل هنگام سنجیدن شکر و دیدن عطار و نادیده کردن مرورا- دلداری کردن و نواختن سلیمان علیه السلام مر آن رسولانرا و دفع وحشت و آزار از دل ایشان و عذر قبول نا کردن هدیه شرح کردن با ایشان ۲۲۶
دیدن درویشی جماعت مشایخرا در خواب و درخواست کردن روزی حلال بی مشغول شدن بکسب و از عبادت ماندن و ارشاد ایشان اورا بمیوهای تلخ و ترش کوهی بروی شیرین شدن بداد آنمشایخ- نیت کردن او که این زر بدهم بدانهیزم کش چو نمن روزی یافتم بکرامات مشایخ و رنجیدن آنهیزم کش از ضمیر و نیت او - تحریض سلیمان مر رسولانرا بتعجیل بهجرت بلقیس بهر ایمان ۲۲۷
سبب هجرت ابراهیم ادهم و ترك ملك خراسان- حکایت آنمرد تشنه که از سر جوزبن جوز در جوی آب میریخت که در گو بود و در آب نمیرسید تا بافتادن جوز بانگ آب بشنود و اورا چون سماع خوش بانگ آب در طرب میآورد - تهدید فرستادن سلیمان (ع) پیش بلقیس که اصرار میندیش بر شرك و تاخیر مکن ۲۲۸
ظاهر گردانیدن سلیمان که مرا خالصاً لامر الله جهد است در ایمان تو، یکذره غرضی نیست مرا نه در نفس تو و نه در حسن تو و نه در ملك تو، خود بینی چون چشم جان باز شود بنور الله- باقی قصهٔ ابراهیم ادهم قدس الله سره- بقیهٔ قصه اهل سبا و نصیحت وارشاد سلیمان آل بلقیس را هر یکی اندر خور و مشکلات دین و دل او و صید کردن هر جنس مرغ را بصفیر آنجنس مرغ و طعمه او ۲۲۹
آزاد شدن بلقیس از ملك و مست شدن او از شوق ایمان و التفات همت او از همه ملك منقطع شدن وقت هجرت الا از تخت - چاره کردن سلیمان علیه السلام در احضار تخت بلقیس از مبا ۲۳۰
قصهٔ یاری خواستن حلیمه از بتان چون عقیب فطام مصطفی علیه السلام را گم کرد و لرزیدن و سجدهٔ بتان و گواهی دادن ایشان بر عظمت کار مصطفی صلعم - حکایت آن پیر عرب که دلالت کرد حلیمه را بر استعانت بتان ۲۳۱
خبر یافتن جد مصطفی عبدالمطلب از گم کردن حلیمه مصطفی علیه السلام را و طالب شدن او گرد شهر و نالیدن بر در کعبه و از حق درخواستن و یافتن او محمد علیه السلام را- نشان خواستن عبدالمطلب از موضع محمد علیه السلام که کجا یابم و جواب از اندرون کعبه

صفحه

آمدن و نشانیافتن ـ بقیه‌قصهٔ دعوت سلیمان بلقیس‌را ـ مثل قانعشدن آدمی بدنیاو حرص او در طلب و غفلت‌او ازدولت روحانیانکه‌ابای جنس‌وی‌اندو نعره زنانکه‌یالیت قومی یعلمون ۲۳۲
بقیهٔ دعوت سلیمان بلقیس را که‌فرصت غنیمت است ۲۳۳
بقیهٔ‌قصهٔ‌عمارتکردن سلیمان‌علیه‌السلام‌مسجداقصی‌رابتعلیم‌ووحی خداجهت حکمتها که دراو داند و معاونت‌ملائکه ودیو وپری وآدمی آشکارا ـ قصهٔ شاعر وصله دادن شاه و مضاعف کردن آنوزیر بوالحسن نام ـ باز آمدن شاعر بعد از چند سال بامید همانصله‌وهزاردینار فرمودن شاه‌بر قاعدهٔ‌خویش‌و گفتن‌وزیر نوهم‌حسن‌نام‌شاهرا که این سخت‌بسیاراست‌و مارا خرجهاست وخزینه خالیست‌ومن اورا بده یك‌این‌زر خشنود کنم ۲۳۴
بردن شاعر شعررا سوی شاه وخسارت وزیر ـ مانستن‌بدرائی اینوزیر دون در افساد مروت شاه بوزیر فرعون یعنی هامان در افساد قابلیت‌فرعون ۲۳۵
نشستن‌دیو بر مقام سلیمان‌علیه السلام‌وتشبیه کردن اوبکارهای سلیمان و فرق ظاهر میان هر دو سلیمان ودیو خویشتنرا سلیمان‌بن داود نام کردن ـ در آمدن سلیمان هرروزدرمسجد اقصی‌بعد از تمام‌شدن جهت عبادت وارشاد عابدان ومعتکفان ورستن‌فقیر در مسجد ـ آموختن‌پیشهٔ گور کنی قابیل‌از زاغ‌پیش ازآنکه در عالم‌حرفهٔ‌گور کنی و گور بود ۲۳۶
قصهٔ صوفی که در میان گلستان‌سر برزانومراقب بودیارانش گفتند سر برآور تفرجکن بر گلستان‌و ریاحین‌ومرغان‌وآثار رحمةالله تعالی که‌فانظروا‌الی آثار رحمةالله ۲۳۷
قصهٔ رستن خروب‌در گوشهٔ‌مسجد اقصی وغمگین شدن‌سلیمان علیه‌السلام‌از آن‌چون‌بسخن‌آمد بااووخاصیت ونام خود بگفت ـ بیان آنکه حصول علم و مال وجاه مربد گوهر را فضیحت اوست‌و چون‌شمشیر است افتاده بدست راهزن ۲۳۸
بیان‌تفسیر آیهٔ شریفه‌یاایهاالمزمل ـ دربیان آنکه ترك‌الجواب جواب مقرراینسخن که‌جواب‌الاحمق سکوت ، شرح اینهردو درا ینقصه است که‌گفته میآید ـ درتفسیر اینحدیث نبوی(ص) که ان‌الله‌تعالی‌خلق الملائکة ورکب فیهم العقل و خلق‌البهائم و رکب فیها الشهوةو خلق بنی آدم و رکب فیهم‌العقل و الشهوةفمن غلب عقله علی شهوته‌فهوا علی من‌الملائکة ومن غلب شهوته علی عقله‌فهوادنی‌من البهائم ۲۳۹
تفسیر آیه و اماالذین فی قلوبهم مرض فزادتهم رجساًو قوله یضل به کثیراً و یهدی به کثیراً ـ چالیش عقل بانفس همچون تنازع مجنون‌باناقه ، میل‌مجنون‌سوی حره میل ناقه سوی کره چنانکه‌مجنون گفته☆هوی‌ناقتی‌خلفی وقدامی الهوی ☆ وانی وایاها لمختلفان ۲۴۰
نبشتن آن غلام قصهٔ شکایت نقصان اجری‌سوی پادشاه (جذبة من‌جذبات الحق‌خیر من عبادةالثقلین)ـحکایت‌آنفقیه بادستار بزرگ‌و آنکه دستارش بربودبانگ‌میزد که باز کن‌و ببین که چه میبری‌آنگاه‌ببر ـنصیحت دنیااهل‌دنیارا بزبانحال وبیوفائی خود را نمودن بوفا و طمع دارندگان از او ۲۴۱
بیان آنکه‌عارف‌راغذائیست‌ازنور حق که‌ابیت‌عندربی یطعمنی ویسقینی وقوله صلعم‌الجوع‌طعام‌الله‌یحیی به‌ابدان‌الصدیقین‌ای یصل طعام الله فی الجوع ـ خطاب بامغروران دنیاو گرفتاران نفس اماره ـ تفسیر آیهٔ فاوجس فی نفسه خیفة موسی قلنا لاتخف‌انك‌انت الاعلی ۲۴۲
زجر مدعی از دعوی وامر کردن اورا بمتابعت‌انبیا و اولیاـ بقیه قصه نوشتن آنغلام‌رقعه‌بطلب‌اجری‌خود ـ حکایت آنمداح که‌ازجهت‌ناموس شکرممدوح‌میکردو بوی‌اندودوغم‌اندرون‌او خلاقت دلق او ظاهر مینمود که آنشکر هالافست ودروغ ۲۴۳

صفحه

در یافتن طبیبان الهی أمراض دین و دارا در سیمای مرید و بیگانه‌ولحن گفتار او ورنگ وچشم اووبی اینهمه‌نیز اززاه دل که انهم‌جواسیس‌القلوب‌فجااسوهم‌با صدق ـ مژده‌دادن‌بایزید اززادن ابوالحسن خرقانی‌قدس‌الله روحهما پیش‌ازسالهاونشان صورت‌وسیرت‌اویکبیك‌ونوشتن‌تاریخ ویسان آنرا جهت‌رصد قول‌رسول صلعم که انی لاجدنفس‌الرحمن‌من قبل‌الیمن ـ زادن ابوالحسن‌خرقانی‌بعدازوفات‌بایزیدقدس‌الله‌سره ـنقصان اجرای دل‌وجازصوفی‌ازطعام‌الله‌تعالی ـباز گشتن‌بحکایت غلام که رقعه نوشت‌سوی شاه جهت کمی اجری او وبی‌التفاتی‌شاه ۲۴۴ ۲۴۵
آشفتن‌آنغلام‌ازنارسیدن‌جواب رقعه از قبل پادشاه ـ گزوزیدن باد برسلیمان‌علیه‌السلام‌بسبب زلت‌او ـشنیدن‌ابوالحسن‌خرقانی خبر دادن‌بایزید رااز بود او و احوال او ـ رقعهٔ دیگر نوشتن آنغلام پیش شاه چون جواب آنرقعهٔ اول نیافت ۲۴۶
ستودن‌پیغمبر علیه السلام عاقل را و نکوهیدن احمقرا ـ قصهٔ آنکسیکه بایکی مشورت میکرد گفتش مشورت با دیگری کن که‌من‌عدوی‌توام ـامیر گردانیدن‌رسول صلعم‌جوان هذیلی را برسریهٔ که در آن‌بیران وجنگ‌آزمودگان‌بودند ۲۴۷
اعتراض کردن‌معترض‌بررسول صلعم برامیر گردانیدن هذیلی ۲۴۸
جوابگفتن پیغمبرصلعم اعتراض کننده‌را ـقصهٔ‌سبحانی مااعظم شانی گفتن‌ابایزیدواعتراض مریدان و جواب اومرایشانرا نه بطریق گفت زبان بلکه از راه عیان ۲۴۹
بیان‌سبب نصاحت وبسیار گوئی آن‌فضول‌بخدمت‌رسول ـبیان کردن‌رسول‌صلعم سبب تفضیل و اختیار کردن‌او آن هذیلی را بامیری وسرلشکری بربیران‌وکاردیدگان ـ علامت عاقل تمام‌ونیم عاقل ومردتمام‌ونیم مرد وعلامت‌شقی مغرور لاشی ۲۵۰
قصهٔ آبگیر وصیادان‌و آن سه‌ماهی‌یکی‌عاقل ویکی‌نیم عاقل وآن دیگرمغرور ابله مغفل‌لاشیء وعاقبت آن‌هرسه ماهی ـ سرخواندن وضو کننده اورادوضو را ـ شخصی بوقت استنجا میگفت‌اللهم‌ارحنی‌رایحة‌الجنة‌بجای اللهم‌اجعلنی من‌التوابین واجعلنی من‌المتطهرین که ورداستنجاست و ورد استنجا را دروقت‌استنشاق میگفت‌عزیزی بشنید واین را طاقت نداشت ـ قصهٔ‌آنمرغ گرفته که‌وصیت کرد که برگذشته پشیمانی مخور تدارك وقت‌اندیش وروزگار مبردرپشیمانی ۲۵۱
چاره‌اندیشیدن آنماهی‌نیم‌عاقل‌وخودرا مرده کردن‌ـبیان آنکه عهد کردن احمق‌وقت گرفتاری و ندم هیچ وفائی ندارد که واوردوالعادوا لمانهوا عنه‌وانهم‌لکاذبون چون صبح کاذب‌وفا ندارد ـ دربیان آنکه‌وهم قلب‌عقلست وستیزهٔ اوست بدو ماند و او نیست ـ مجاوبات موسی علیه‌السلام که صاحب عقل بود بافرعون که صاحب‌وهم بود ۲۵۲
بیان‌آنکه‌عمارت درویرانیست‌وجمعیت درپراکندگی‌ودرستی درشکستگیست و مراددر بیمرادی ووجود درعدم‌وعلی هذا بقیةالاضدادوالازواج ـ جواب‌دادن موسی علیه‌السلام فرعون را ـ نفی کردن موسی جادوئی‌را ازخود ۲۵۳
بیان آنکه هرحس‌مدرك را از آدمی نیزمدرکاتی‌دیگراست که‌ازمدرکات‌آنحس‌دیگربیخبراست‌چنانکه‌هرپیشه‌وراستاد اعجمی کار آن استاد دیگر پیشه‌ور است و بیخبری او از آنکه‌وظیفهٔ او نیست دلیل نکند که آنمدرکات نیست اگرچه بحکم حال منکربود آنرا اما ازمنکری اواینجا جزبیخبری نمیخواهیم درین مقام ـ حمله بردن اینجهان بر آنجهانیان و تاخت‌بردن‌تاسینورذرونسل که سرحد غیب‌است‌و غفلت‌ایشان از کمین که‌چون غازی‌به‌غزا نرود کافر تاختن‌آورد ۲۵۴
بیان آنکه تن‌خاکی آدمی‌همچون آهن‌نیکو جوهرقابل‌آیینه شدن است‌تادروهم در دنیا بهشت‌و دوزخ وقیامت و غیرآن

صفحه

معاینه بنماید نه برطریق خیال- باز گفتن موسی علیه‌السلام اسرار فرعون‌را وواقعات اوراظهرالغیب تابخبیری‌حق‌ایمان آوردیا گمان برد- بیان آنکه در توبه‌باز است ۲۵۵

گفتن موسی‌علیه‌السلام مرفرعونرا که‌ازمن یك‌پندقبولکن وچهارفضیلت عوض‌بستان- شرح کردن‌موسی‌آن‌چهار فضیلت راجهت‌پایمزدایمان‌فرعون- تفسیر کنت کنزاً مخفیا فاحببت‌ان اعرف- غره‌شدن آدمی بذکاوت وتصویرات طبع‌خویشتن و طلب‌ناکردن علم غیب که‌علم انبیاعلیهم‌السلام است ۲۵۶

بیان اینخبر که کلموا الناس‌علی‌قدرعقولهم‌لاعلی‌قدرعقولکم حتی‌لایکذب‌الله ورسوله- قوله‌علیه‌السلام من‌بشرنی بخروج الصفربشرته بالجنة- مشورتکردن فرعون با آسیه درایمان آوردن بموسی‌علیه‌السلام ۲۵۷

قصهٔ باز پادشاه‌و کم‌پیرزن- قصه آنزن که‌طفل آن‌برسرناودان غژیدوخطر افتادن بودواز‌علی مرتضی‌علیه‌السلام‌چاره‌جست ۲۵۸

در بیان‌حدیث‌جریامؤمن فان‌نورك اطفا ناری‌اززبان دوزخ- مشورتکردن‌فرعون باوزیرش‌هامان درایمان آوردن‌بموسی علیه‌السلام - تزییف‌سخن هامان ۲۵۹

نومیدشدن‌موسی‌علیه‌السلام ازایمان‌آوردن‌فرعون‌و جایافتن سخن‌هامان‌دردل‌فرعون- منازعت کردن‌امیران‌عرب‌بارسول‌خدا علیه‌السلام که ملك رامقاسمه کن‌تانزاعی‌نباشدوجواب‌مصطفی صلعم که من مامورم درین امارت و بحث‌ایشان‌از طرفین - تمامی‌حدیث موسی درتقریع‌وتوبیخ‌فرعون- در بیان آنکه شناسای‌قدرت‌حقتعالی‌نپرسد که‌بهشت کجاست‌ودوزخ‌چه‌جاست ۲۶۰

جواب‌دهری که منکرالوهیتست وعالم راقدیم میگوید ۲۶۱

تفسیر آیه کریمه که‌وماخلقنا‌السموات والارض‌و مابینهما الا بالحق نیافریدمشان بهرهمین که شما میبینید بلکه بهر معنی وحکمت باقیه که شما نمی‌بینید آنرا- و حی کردن حقتعالی بموسی‌علیه‌السلام که‌ایموسی من که‌خالقم ترادوست‌میدارم ۲۶۲

خشم کردن‌پادشاه‌برندیم وشفاعتکردن شفیع آن‌مغضوب‌علیه را وازپادشاه درخواستن وپادشاه شفاعت اورا قبولکردن‌و رنجیدن ندیم از شفیع که‌چرا شفاعت کردی- گفتن جبرئیل مرخلیل‌علیه‌السلام‌را که‌هل‌لك‌حاجة جوابش‌داد که‌اما‌الیك‌فلا ۲۶۳

مطالبه کردن‌موسی‌علیه‌السلام‌ازحضرت‌عزت که‌لم‌خلقت خلقاً واهلکتهم‌و جواب‌آمدن‌ازحضرت‌عزت- بیان آنکه‌روح حیوانی وعقل‌جزوی‌ووهم‌وخیال‌برمثال‌دوغندوروح‌وحیی که‌باقی‌است دراین‌دوغ‌همچوروغن‌پنهان‌است- مثال‌دیگرهم‌دراین معنی ۲۶۴

حکایت آن پادشاه زاده که پادشاهی حقیقی‌بوی روی نمود ، یوم‌یفرالمرء‌من‌اخیه‌وامه‌وابیه نقدوقت‌اوشد، پادشاهی‌این خاك تودهٔ کودك طبعان که قلعه گیری نام کنند آن کودکی که چیره آید برسر خاك توده‌برآید ولاف‌زند که قلعه مراست کودکان دیگر بروی‌رشك‌برند که التراب ربیع الصبیان آن پادشاهزاده چون‌ازقید رنگها برست گفت من این خاکهای رنگین را همان خاک دون میگویم‌زر واطلس و اکسون نمی گویم‌من‌ازاین‌اکسون رهزن‌رستم وبیکسو جستم‌و آتیناه الحکم‌صبیاارشادحق رامرورسالها حاجت‌نیست درقدرت کن فیکون هیچکس سخن‌قابلیت نگوید ۲۶۵

عروس آوردن پادشاه فرزند خودرا ازخوف انقطاع‌نسل- اختیار کردن پادشاه دختر درویش زاهدیرا ازجهت پسر و اعتراضکردن‌اهل‌پرده‌وننگداشتن ایشان ازپیوندی درویش- مستجاب‌شدن‌دعای پادشاه‌درخلاص‌پسرش‌ازجادوی کابلی ۲۶۶

دربیان آنکه آنشهزاده آدمی‌بچه‌است خلیفهٔ‌خداست‌پدرش آدم صفی‌خلیفهٔ‌حق‌مسجودملایك‌و آنکه‌پیر کابلی‌دنیاست که آدمی بچه‌راازپدربرید‌بسحروانبیاواولیاء آن‌طبیب تدارك کننده‌اند ۲۶۷

صفحه

حکایت آنزاهدیکه درسال‌قحط‌خندان وشادبودبا مفلسی و بسیاری عیال وخلق میمردنداز گرسنگی گفتندش چه‌هنگام شادیست که‌هنگام صدتعزیتست گفت‌مرا باری‌نیست- دربیان آنکه‌مجموع‌عالم‌صورت‌عقل کل‌است‌چون‌باعقل کل کژروی جفا کردی و صورت عالم ترا غم فزاید اغلب احوال چنانکه دل‌باپدر بد کردی‌صورت پدرترا غم فزاید ونتوانی رویش‌را دیدن اگرچه پیش ازآن نوردیده بوده‌باشدوراحت جان- قصهٔ فرزندان عزیرعلیه‌السلام که از پدر احوال پدر میپرسیدند گفت آری‌ازعقب‌من‌میآیدبعضی که‌شناختندش‌بیهوش شدندوبعضی‌نشناختندمیگفتندخودمژده‌دادااین‌بیهوشی چیست ۲۶۸

تفسیراین‌حدیث که‌انی‌لاستغفرالله‌ربی‌فی کل‌یوم‌سبعین‌مرة- بیان آنکه‌عقل‌جزوی‌تابگوربیش‌نبیندودرباقی‌مقلدانبیا واولیاست بیان‌آیه کریمه یاایهاالذین آمنوالاتقدموابین‌یدی‌الله‌ورسوله صلعم☆چون‌نبی‌نیستی‌زامت‌باش☆چونکه‌سلطان‌نه‌رعیت‌باش☆ پس‌روخامشان خامش‌باش☆ وازخودی‌رای‌زحمتی متراش ۲۶۹

قصهٔ‌حکایت‌استرباشتر که‌من‌بسیار در رومی افتم در راه رفتن وتو کم‌درروی‌میآئی‌حکمت‌این‌چیست‌وجواب گفتن‌شتراورا- تصدیق کردن‌استر جواب اشتر را و اقرار آوردن بفضل‌او برخود وازو استعانت‌خواستن‌وبدو پناه گرفتن‌بصدق‌ونواختن شتر او راوراه نمودن‌ویاری‌دادن‌پدرانه وشاهانه ۲۷۰

لابه کردن قبطی‌سبطی را که یک سبو بنیت خویش ازنیل پر کن و برلب من‌نه تا بخورم بحق دوستی و برادری سبوئی که شما سبطیان‌بهرخود پر میکنید ازنیل‌آب صافست و سبو که ما قبطیان پر میکنیم خون صافست ۲۷۱

درخواستن قبطی دعای خیر و هدایت از سبطی و دعا کردن سبطی‌قبطی‌رابخیرو مستجاب‌شدن آندعا از اکرم‌الاکرمین - حکایت آنزن پلیدکار که شوهر را گفت آن خیالات ازسر امرودبن مینماید ترا که چنین‌نماید چشم را از سرامرودبن، ز سردرخت فرود آتا آنخیالات برود و اگر کسی گوید که آنچه آنمرد میدید خیال نبود جواب آنست که‌این‌مثال‌است‌نه ل در مثال همینقدر بس بود که اگر برسرامرودبن نرفتی هرگز آنهاندیدی‌خواه‌خیال خواه‌حقیقت وهمین‌کافیست ۲۷۲

باقی قصه‌موسی علیه‌السلام- سخت‌شدن کار برقبطیان‌وشفاعت کردن فرعون - دعا کردن موسی و سبز شدن کشت ۲۷۳

اطوار و منازل خلقت آدمی از ابتدا - در بیان آنکه خلق دوزخ گرسنگانند و نالانند و از حق‌خواهان که روزیهای ما را فربه گردان و زود زاد بما برسان که مارا صبر نماند ۲۷۴

فتن‌ذوالقرنین‌بکوه قاف‌ودرخواست کردن که‌ایکوه قاف‌از عظمت‌صفت‌حقتعالی‌مارابگوو گفتن کوه‌قاف که‌صفت‌عظمت‌حق بتقریردرنیاید که‌پیش‌آن‌ادراکها‌فناشودولابه کردن‌ذوالقرنین که‌ازصنایعش‌که‌درخاطرداری‌وبرتو گفتن آن آسانتربودبگو- موری‌برکاغذمیرفت‌نوشتن‌قلم‌دیدقلم‌راستودن‌گرفت‌موری‌دیگر که تیز چشم تر بود گفت ستایش‌انگشتانرا کن که اینهنراز ایشان‌میبینم‌موری‌دیگر که‌ازهردوچشم‌تیزتربود گفت‌ستایش بازو کن که انگشتان فرع ویندالی آخره -باز التماس کردن ذوالقرنین‌از کوه‌قاف تابیان صنعی ازصنایع‌حقتعالی کند ۲۷۵

نمودن جبرئیل علیه السلام خود را بمصطفی صلعم بصورت خویش و از هفتصد پراو چون یك پر ظاهر شد و افق را بگرفت آفتاب محجوب شد باهمهٔ شعاعش ۲۷۶

دفتر پنجم

تفسیر آیه کریمهٔ فخذاربعة من‌الطیر فصرهن الیك‌الخ ۲۷۹

در سبب ورود این حدیث که الکافریاکل فی سبعة امعاء والمؤمن یاکل‌فی‌معاء واحد- در حجره گشادن‌مصطفی‌صلعم ۲۷۹

صفحه

برمهمان و خودرا پنهان کردن تاخجل نشود ـ درسبب رجوع کردن آنکافر بخانهٔ مصطفی صلعم در آنساعت که مصطفی بالین ملوث اورا بدست خود میشست وخجل شدن او و جامه چاك کردن و نوحهٔ او برخود و برحال خود ۲۸۰
نواختن مصطفی صلعم مهمانراو مسلمان شدن وتسکین دادن او رااز اضطراب و ندامت ـ دربیان آنکه عمل نماز و روزه و حج وهمه چیز های براستونی گواهیم برنور اندرونی ۲۸۱
پاك کردن آب همهٔ پلیدیها را وباز پاك کردن خدایتعالی آبرا از پلیدی لاجرم قدوس آمد حقتعالی ـ استغاثت آب ازحق سبحانه و تعالی بعد از تیره شدن ـ گواهی فعل و قول بیرونی برضمیر ونوراندرونی ـ در بیان آنکه نور خودرا ازاندرون شخص منور ظاهر کندبرخلقان بی فعل وقول عارف افزون از آنکه بقول و فعل او ظاهر شود چنانکه آفتاب بلند شود بانگ خروس واعلام مؤذن حاجت نیاید بی آنکه قول وفعلی بیان کند گواهی دهد بر نور او ۲۸۲
عرضه کردن مصطفی علیه السلام شهادترا بر آن مهمان خویش ـ بیان آنکه نور که غذای جانست غذای جسم اولیا میشود تاآنکه جسم یار شود جانرا که اسلم شیطانی علی یدی ـ انکار کردن اهل تن غذای روح راو لرزیدن ایشان برغذای خسیس ۲۸۳
مناجات ـ تمثیل لوح محفوظ وادراك عقل هر کسی از آنلوح آنکه امر وقسمت و مقدر هر روزهٔ وبست همچون ادراك جبرئیل علیه السلام هرروزی از لوح محفوظ ـ تمثیل روشهای مختلف و همتهای گوناگون با ختلاف تحری متحریان در وقت نماز قبله را بوقت تاریکی وتحری غواصان درقعر بحر ـ درمعنی آیت یاحسرة علی العباد ـ سبب آنکه فرجیرا فرجی نام نهادند از اول ۲۸۴
فی المناجات ـ صفت طاوس و طبع او وسبب کشتن ابراهیم خلیل علیه السلام اورا دربیان آنکه لطف حق راهمه کس داند وقهر حق راهمه کس داند و همه از قهر حق گریزانند و بلطف حق در آویزان اما حقتعالی قهرهارا در لطف پنهان کرد و لطفها را در قهر پنهانکرد نعل باژگونه و تلبیس ومکرالله بود تااهل تمییز وینظر بنورالله ازخالی بینان وظاهربینان جدا شوند که لیبلوکم ایکم احسن عملا ۲۸۵
تفاوت عقول دراصل فطرت خلاف معتزله که ایشان گویند در اصل عقول جزوی برابرند این افزونی و تفاوت از تعلمست و ریاضت وتجربه ـ حکایت آن اعرابی که سگ او از گرسنگی میمرد وانبان او پرنان و برسگ نوحه میکرد وشعر میگفت و میگریست وبرسرورو میزد ودریغش میآمد لقمهٔ از انبان بسگ دادن ۲۸۶
در بیان آنکه هیچ چشم بد آدمی راچنان زیان ندارد که چشم پسند خویش مگر که چشم او مبدل شده باشد بنورحق که بی بصر وبی بصیرو ازخویشتن بیخویش شده باشد و معنی آیه کریمه وان یکاد الذین کفروا الخ ـ قصه آنحکیم که دید طاوسی را که پرزیبای خودرا میکند بمنقار ومیانداخت وتن خودرا کل وزشت میکرد واز تعجب پرسید که دریغت نمیاید گفت میآیه اما پیش من جان از پر عزیزتراست واین عدوی جان من است ۲۸۷
در بیان آنکه صفا و سادگی نفس مطمئنهٔ از فکرتها مشوش میشود چنانکه برروی آیینه چیزی نویسی یانقش کنی اگر چه پاك کنی داغی بماند ونقصانی ـ درمعنی حدیث لارهبانیة فی الاسلام ـ دربیان آنکه ثواب عمل عاشق ازحق هم حق است ـ در تفسیر قول رسول صلعم مامات من مات الاوتمنی ان یموت قبل مامات انکان برالیکون الی وصول البراعجل وانکان فاجرالیقل فجوره ۲۸۸
پشیمان شدن آنحکیم از آنسؤال بجهت گریه طاوس ـ دربیان آنکه عقل وروح در آب و گل محبوسند همچو هاروت ومارو ت درچاه بابل ـ جوابگفتن طاوس آنسائل را ـ بیان آنکه هنرها وزیرکیها و مال دنیا همچون پرهای طاوس عدوجانست ۲۸۹
درصفت آن بیخودان که از شرخود و هنرخود ایمن شده اند که فانی اند دربقای حق همچون ستارگان که فانی اند روزدر آفتاب وفانی راخوف آفت و خطر نباشد ـ دربیان آنکه ماسوی الله هر چیزی آکل وماکول است همچون آنمرغی که قصد صید ملخ میکرد و بصید ملخ مشغول میبود وغافل بود از باز گرسنه که ازقفای او قصد صید اوداشت اکنون ای آدمی صیاد آکل از صیاد و آکل خود ایمن مباش اگر چه نعیبینیش بنظر چشم بنظر دلیل عبرتش می بین تاچشم سرباز شدن ۲۹۰
سبب کشتن خلیل علیه السلام زاغرا که آن اشاره بقمع کدام صفت بود ازصفات مذموم مهلکه درمرید ـ مناجات ۲۹۱
دربیان حدیث نبوی صلعم ارحموا ثلاثا عزیز قوم ذل وغنی قوم افتقر و عالما یلعب به الجهال ـ قصه محبوس شدن آن آهو بچه در آخرخران طعنهٔ آنخران برآنغریب گاه بجنگ و گاه بتسخر ومبتلی گشتن او بکاه خشك که غذای او نیست واین صفت بندهٔ خاص خداست میان اهل دنیا واهل هوا وشهوت که الاسلام بدأ غریبا وسیعود کما بدا غریبا فطوبی للغرباء ـ حکایت محمد خوارزمشاه که شهر سبزوار را بجنگ بگرفت امان جان خواستند گفت آنکه امان دهم که ازاینشهر پیش من بهدیه ابوبکر نامی بیاورید ۲۹۲
بقیهٔ قصه آهودر آخرخران ۲۹۳
درمعنی آیهٔ انی اری سبع بقرات سمان یاکلهن سبع عجاف گاوان لاغررا خدابصفت شیران گرسنه آفریده بود تا آنهفت گاو فربه راباشتها میخوردند ! گرچه آنخیالاتست صورت گاوان در آینهٔ خواب بنمودند اماتو بمعنی شیر بنگر ـ بیان آنکه کشتن ابراهیم علیه السلام خروس را و مذمت او اشارت بقمع وقهر کدام صفت بود ازصفات مذمومات مهلکات درباطن مرید ـ درمعنی آیهٔ لقدخلقنا الانسان فی احسن تقویم الی آخرها و آیه ومن نعمره ننکسه فی الخلق افلایعقلون ۲۹۴
تفسیر آیهٔ الاالذین آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غیرممنون ۲۹۵
درمثال عالم نیست هست نماو عالم هست نیست نمای
دربیان معنی حدیث شریف لابدمن قرین یدفن معك و هوحی و تدفن معه وانت میت انکان کریما اکرمك وانکان لئیما اسلمك و ذلك القرین عملك فاصلحه ما استطعت صدق رسول الله صلعم ـ در معنی آیهٔ وهو معکم اینما کنتم ـ درمعنی حدیث شریف من جعل الهموم هما واحدا کفاه الله سائر همومه ومن تفرقت به الهموم لا یبالی الله فی ای وادمنها هلك ۲۹۶
درمعنی این رباعی گرراهروی راه برت بگشایند ☆ ورنیست شوی بهستیت بگرایند ور پست شوی نگنجی اندرعالم ☆ وآنگاه ترابیتو بتو بنمایند ـ قصهٔ آنشخصی که دعوی پیغمبری میکرد گفتندش چه خوردهٔ که گیج شدهٔ گفت اگرچیزی یافتمی که خوردمی نه گیج شدمی ونه یاوه گفتمی که هرسخن نیك که باغیر اهلش گویند یاوه گفته باشد اگرچه بر آن یاوه گفتن مأمور باشند ۲۹۷
سبب عداوت عام و بیگانه زیستن ایشان با اولیا که بحقشان میخوانند وبه آب حیات ابدی میکشانند ـ دربیان آنکه مرد بدکارچون متمکن دربدکاری شود واثر دولت نیکوکاران ببیند شیطان شود ومانع خیر گردد از حسد همچون شیطان خرمن سوخته همه راخرمن سوخته خواهد ارایت الذی ینهی عبدا اذا صلی ـ مناجات ۲۹۸
سؤالکردن شاه ازمدعی پیغمبری که چه وحی بتو آمده ـ حکایت آنعاشق که بامعشوق خدمتها ووفاهای خودرا میشمرد وشبهای دراز تتجافی جنوبهم عن المضاجع را وبینوائی وجگر تشنگی روزهای درازرا شرح میداد ومیگفت که من جزاین خدمت ندانم اگرخدمت دیگرهست مرا ارشاد کن که هرچه فرمائی منقادم اگردرآتش رفتنست چون خلیل علیه السلام و اگردردهان نهنگ دریافتادنست چون یونس علیه السلام واگر هفتادبار کشته شدنست چون جرجیس علیه السلام واگراز گریه نابیناشدنست چون یعقوب ووفا وجانبازی انبیارا علیهم السلام

صفحه

شمار نیست وجواب گفتن معشوق اورا ۲۹۹
یکی از عالمی پرسید که اگر کسی درنماز بگرید بآواز وآه کندونوحه کندنمازش باطل شودجوابگفت نام آن آبدیده است تاآنگوینده چه دیده است اگرشوق خدایافته یا ازپشیمانی گناه گرید نمازش تباه نشود بلکه کمال یابد که لاصلوة الا بحضور القلب واگراز رنجوری تن یافراق فرزند گوید نمازش تباه شود که اصل نماز ترک تن است وترک فرزند ابراهیم وار که فرزندرا قربان میکرداز بهر تکمیل نمازوتن رابه آتش نمرودمیسپرد وامر آمد مصطفی راعلیه السلام بدینخصال که فاتبع ملة ابراهیم ، لقد کانت لکم اسوة حسنة فی ابراهیم ـ مریدی در آمدبخدمت شیخ واز این شیخ پیردرسن نمیخواهم بلکه پیرعقل ومعرفت اگرچه عیسی است در گهواره ویحیی است درمکتب کودکان ومریدشیخ راگریاندیداونیزبموافقت بگریست چون فارغ شد وبدر آمد مریدی دیگر که ازحال شیخ واقفتر بود ازسرغیرت درعقب اوتیزبیرون آمد گفتش ای برادرمن ترا گفته باشم ئی و نگوئی که شیخ میگریست ومن نیز گریستم که سی سال ریاضت بی ریا باید کرد وازعقبات ودریاهای پرنهنگ وکوههای بلندپرشیرو پلنگ میباید گذشت تابدانگریهٔ شیخ رسی یانرسی اگررسی شکر زویت لی الارض گوئی بسیار ۳۰۰
بقیهٔ حال مرید مقلد در گریه ـ داستان آن کنیزك که باخر خاتون شهوت میراند واوراچون بزو خروس آموخته بود شهوت راندن آدمیانه وکدوئی درقضیب خرمیکردتا ازاندازه نگذردخاتون برآن وقوف یافت لکن دقیقهٔ کدوراندید کنیزك رابهانهٔ براه کرد جائی دوروباخر جمعشد بی کدو بفضیحت هلاکشد کنیزك بیگاه بازآمد ونوحه کرد که ای جانم وایچشم روشنم کیردیدی کدو ندیدی ذکردیدی آندگرندیدی، کل ناقص ملعون یعنی کل نظروفهم ناقص ملعون واگرنه ناقصان ظاهر مرحومندنه ملعون، برخوان لیس علی الاعمی حرج نفی حرج ونفی لعنت ونفی عتاب وغضب کرد ۳۰۱
تمثیل تلقین شیخ مریدان را وپیغمبر امت را که ایشان طاقت تلقین حق ندارند وباحق الفت نتوانند گرفت چنانکه طوطی با صورت آدمی الفت ندارد که ازو تلقین تواند گرفت حق سبحانه وتعالی شیخ را چون آینه پیش مریدهمچون طوطی دارد و از پس آینه تلقین میکند لاتحرك به لسانك ان هوالاوحی یوحی اینست ابتدای مسئله بی منتهی چنانکه منقار جنبانیدن طوطی اندرون آینه که خیالش میخوانی بیاختیار و تصرف اوست عکس خواندن طوطی برونی که متعلم است نه عکس آنمعلم که پس آینه است ولیکن خواندن طوطی برونی تصرف آنمعلمست پس این مثال آمدنه مثل ـ صاحبدلی درچله بخواب سگی دید حامله درشکمش آنسگ بچگان بانگ میکردنددر تعجب ماند که حکمت بانگ سگ پاسبانیست بانگ اندرون شکم مادر پاسبانی نیست ونیز بانگ جهت یاری خواستن وشیر خواستن باشدوغیره واینجاهیچ ازین فایده ها نیست وچون بخویش آمدوباحضرت مناجاتکرد ومایعلم تاویله الاالله جواب آمد که آنصورت حال قومیست از حجاب بیرون نیامده وچشم ودل باز نشده دعوی بحیرت کنند و مقالات گویند: از آن نه ایشانرا قوتی ویاری رسدونه مستمعانرا هدایتی ورشدی ۳۰۳
قصهٔ اهل ضروان وحسد ایشان بردرویشان که پدرما ازسلیمی اغلب دخل باغرا بمسکینان میداد از انگورومویز وحلوا و پالوده ودوشاب ودانه وآردونان همه عشر دادی لاجرم خدایتعالی درباغ وکشت اوبرکتی نهاد که همه محتاج اوبودند واومحتاج کس نبود فرزندان خرج وعشرمیدیدند وبرکت نه همچون آنزن که آلت خردیدو کدوندید ۳۰۴
در بیان آنکه عطای حق وقدرت اوموقوف برقابلیت نیست همچون داد خلقان که آنرا قابلیت باید زیرا که عطای حق قدیمست وقابلیت حادث عطاصفت حقست وقابلیت صفت مخلوق وقدیم موقوف حادث نباشدواگرنه حدوث محال باشد ـ درابتدای خلقت جسم آدم علیه السلام که جبرئیل علیه السلام را اشارتکرد که برو اززمین مشتی خاك برگیر وبروایتی ازهرنواحی مشت مشت برگیر ۳۰۵
فرمان آمدن بمیکائیل که ازروی زمین قبضهٔ خاك بردار جهت ترکیب و ترتیب جسم مبارك ابوالبشر خلیفة الحق مسجود الملك ومعلمهم آدم علیه السلام ـ قصهٔ قوم یونس علیه السلام بیان و برهان آنستکه تضرع وزاری دفع بلای آسمانیست و حقتعالی فاعل مختارست پس تضرع وتعظیم پیش او مفید باشد وفلاسفه گویند فاعل بطبعست وبعلت نه مختار پس تضرع طبع رانگرداند ـ فرستادن اسرافیل را علیه السلام بخاك که حفنهٔ برگیر از خاك بهرترکیب جسم آدم علیه السلام ۳۰۶
فرمان آمدن بعزرائیل بیرداشتن خاك وتضرعکردن خاك ونا شنودن و برداشتن عزرائیل باذن الله تعالی ـ در بیان آنکه مخلوقیکه ترا ازاوظلمی رسد بحقیقت او همچون آلتی است عارف آنبود که بحق رجوع کندنه به آلت واگربه آلت رجوع کند بظاهر نه ازجهل کندبلکه برای مصلحتی چنانکه بایزیدقدس سره گفت چندینسالست که من بامخلوق سخن نگفته ام واز مخلوق سخن نشنیده ام لیکن خلق چنین پندارند که با ایشان سخن میگویم واز ایشان میشنوم زیرا ایشان مخاطب اکبررا نمیبینند که ایشان چونصدایندا وراانسبت بحال من التفات مستمع عاقل بصدا نباشدچنانکه مثلست معروف قال الجدار للوتدلم تشقنی قال الوتد انظر الی من یدقنی ۳۰۷
جواب آمدن که آنکه نظراوبراسباب ومرض وزخم تیغ نیاید برکار تو عزرائیل هم نباید که توهم سببی اگرچه مخفیتری از آنسببها، وبود که برآن رنجور مخفی نباشد که وهو اقرب الیه منکم ولکن لاتبصرون ـ دربیان وخامت چرب وشیرین دنیا و مانعشدن او از طعام الله چنانکه فرمود الجوع طعام الله یحیی به ابدان الصدیقین ای فی الجوع یصل طعام الله وقوله ابیت عند ربی یطعمنی ویسقینی وقوله یرزقون فرحین ۳۰۸
جواب آنمغفل که گفت چه خوشبودی که مرگ درجهان نبودی و اینجهانرا زوال نبودی فیما یرجی من رحمة الله تعالی معطی النعم قبل استحقاقها وهوالذی ینزل الغیث منبعدما قنطوا ورب بعدیورث قربا ورب معصیة میمونة ورب سعادة یاتی من حیث یرجی النقم لیعلم ان الله یبدل سیئاتهم حسنات ۳۰۹
قصهٔ ایاز وحجره داشتن اوجهت چارق پوستین وگمان آمدن خواجه تاشانش که اورادر آنحجره دفینه ایست بسبب محکمی در وگرانی قفل ـ دربیان آنکه آنچه بیان کرده می شود صورت قصه است که در خورصورت گرانست ودر خور آئینهٔ تصویر ایشان و از قدوسی حقیقت آن نطقراشرم میآیدواز خجالت قلم سروریش دم میکند والعاقل یکفیه الاشارة ۳۱۰
حکمت نظر کردن درچارق وپوستین که فلینظر الانسان مم خلق ـ خلق الجان من مارج من نار وقوله تعالی فی حق ابلیس انه کان من الجن ففسق عن امر ربه ۳۱۱
درمعنی ارنا الاشیاء کماهی وبیان لو کشف الغطاء ما ازددت یقینا ومعنی این بیت درهر که تو ازدیده بدمینگری ☆ ازچنبرهٔ وجود خودمینگری ☆ وپایهٔ کژ کژافکند سایه ـ بیان اتحاد عاشق و معشوق ازروی حقیقت اگرچه متضادند جهت آنکه نیازضدبی نیازیست و چنانکه آینه بیصورت وساده است وبیصورتی ضد صورتست لیکن میان ایشان اتحادیست درحقیقت که شرح آن بنطق نیاید والعاقل یکفیه الاشاره ۳۱۲

صفحه

معشوقی ازعاشق پرسید که تو خودرادوستداری یامرا، گفت من ازخود مرده‌ام وبتوزنده‌ام ازخود وصفات خودنیست شده‌ام وبتوهست شده‌ام علم خودرا فراموش کرده‌ام وازعلم تو عالم شده‌ام قدرت خودرا از یادداده‌ام واز قدرت توقادر شده‌ام اگرخودرا دوست‌دارم ترادوست‌داشته باشم واگرترادوست دارم خودرا دوست‌داشته‌ام هر که‌را آینهٔ یقین باشد ☆ گرچه خودبین خدای‌بین‌باشد ☆ اخرج بصفاتی الی خلقی من رآك رآنی ومن قصدك قصدنی وعلی هذا- آمدن آن امیران تمام غماز نیمشب با سرهنگان بگشادن حجرهٔ ایازودیدن چارق وپوستین آویخته وگمانبردن که این مکر است و روپوش وخانه‌راحفره کردن بهر گوشه که گمان آمدوچاهکنان آوردن ودیوار هارا سوراخکردن وچیزی‌نیافتن وخجل ونومیدشدن چنانکه بدگمانان وخیال‌اندیشان در کارانبیاواولیا که میگفتند که ساحرند وخویشتن ساخته‌اند وتصدر میجویند بعداز تفحص خجل شوندوهیچ سود ندارد ۳۱۳

بازگشتن نمامان ازحجرهٔ ایاز بسوی شاه توبره‌تهی وخجل همچون بدگمانان درحق انبیاء علیهم‌السلام در وقت ظهور برائت وپاکی ایشان که یوم‌تبیض وجوه‌وتسود وجوه وقوله تری‌الذین کذبوا علی‌الله وجوههم‌مسودة-حواله کردن پادشاه قبول توبهٔ نمامان وحجره گشایان و سزادادن ایشان باایاز که یعنی این خیانت برعرض او رفته‌است — فرمودن شاه ایازرا که اختیار کن از عفو ومکافاتکه ازعدل و لطف هرچه کنی اینجا صوابست ودر هریکی مصلحتهاست که درعدل هزار لطف‌درج‌است ولکم‌فی‌القصاص‌حیوة آنکسکه کراهت‌میدارد قصاص‌رادراین‌یك‌حیوة قاتل‌نظرمیکندودرصدهزارحیوة که معصوم‌ومحقون خواهندشدن درحصن بیم‌سیاست نمینگرد ۳۱٤

تعجیل فرمودن پادشاه ایازرا که زود اینحکم‌را فیصل رسان و منتظر مدار و ایام بیننا مگو که الانتظار موت‌الاحمر و جوابگفتن ایاز شاه‌را-حکایت درتقریراینسخن که چندینگاه گفت‌وگورا آزمودیم مدتی صبر و خاموشی‌را بیازمائیم- دربیان کسیکه سخنی گوید که حال‌او مناسب آنسخن و آن دعوی‌نباشدچنانکه کفره‌ولئن‌سئلتهم‌من‌خلق‌السموات‌والارض لیقولن‌الله خدمت بت سنگین کردن وجان وزرنثار اونمودن چه مناسب باشد باجانیکه داند که خالق سموات وارضین و خلایق الهیست سمیع وبصیرو حاضرو مراقب وغیور ۳۱۵

رسیدن زن بخانه و جداشدن زاهد از کنیزك - دربیان توبه نصوح که چنانکه شیر از پستان بیرون‌آید باز بپستان نرود و آنکه توبهٔ‌نصوح کرد هرگزازآن گناه یاد نکند بطریق رغبت بلکه هردم نفرتش افزونباشد وآن نفرت دلیل آنبود که‌لذت قبول یافت وآن شهوت اول‌بیلذت‌شد واینلذت توبه و قبولش بجای اونشست چنانکه فرموده‌اند☆ نبرد عشق‌را جز عشق دیگر☆ چرایاری‌نگیری‌زونکوتر☆ وآنکه دلش باز بدانگناه رغبت میکند علامت آنست که لذت قبول نیافته است‌ولذت قبول‌بجای آنلذت گناه‌ننشسته‌است سنیسره‌للیسری نشده‌است لذت‌فسنیسره للعسری باقیست بروی ۳۱٦

در بیان آنکه دعای عارف واصل و درخواست او از حق همچو درخواست حقست از خویشتن که کنت‌له سمعاً و بصراً و لساناًویداً وقوله تعالی و مارمیت اذرمیت و لکن الله‌رمی و آیات و اخبار وآثار درین بسیارست وشرح سبب سازی حق تامجرمرا گوش گرفته‌بتوبهٔ نصوح آورد- نوبت جستن رسیدن بنصوح و آواز آمدن که همه‌را جستیم نصوح را بجوئید و بیهوش شدن نصوح از آنهیبت‌و گشاده شدن‌کار بعداز نهایت بستگی کما قال‌رسول‌الله صلعم اذا اصابه مرض اوهم اشتدی ازمة تتفرجی - یافته شدن گوهر و حلالی خواستن حاجبان و کنیزکان شاهزاده از نصوح ۳۱۷

بازخواندن شاهزاده نصوحرا از بهردلاکی‌بعد از استحکام توبه و قبول توبه و بهانه کردن او و دفع گفتن و نرفتن - دربیان آنکه کسی توبه کند و پشیمانشودو باز آن پشیمانیرا فراموشکند وآزموده‌را بیازماید درخسارت‌ابدافتد که من جرب‌المجرب حلت به الندامة و چون توبه اورا ثباتی و قوتی و حلاوتی و قبولی مدد ازحق‌نرسد چون درخت بی بیخ هرروز زردتر وخشکتربود نعوذبالله- تشبیه کردن‌قطب که عارف واصلست دراجری‌دادن خلق از قوت رحمت و مغفرت بر مراتبیکه حقش الهام دهد و تمثیل اجریخوار که ددان باقی‌خوار وبند برمراتب قرب ایشان‌بشیرنه قرب مکانی بلکه‌قرب صفتی وتفاصیل این بسیار استوالله‌الهادی ۳۱۸

دیدن‌خر سقائی اسبان بانوای تازیرا بر آخر خاص و تمنا بردن آندولترا در موعظه‌آنکه تمنا نباید بردن الا مغفرت و عنایت که اگر در صدگونه رنجی چون لذت مغفرت بود همه شیرینشود باقی هردولتیکه آنرا ناآزموده تمنا میبری با آنرنجی قرینست که آنرا نمیبینی ، چنانکه ازهر دامی دانه پیدا بود و فخ پنهان ، تودر این یك دام‌ماندهٔ تمنی میبری که‌کاشکی‌باآندانهارفتمی،پنداری که‌آندانهابیدامست -جوابدادن‌روباه خررا - جوابدادن‌خر روباهرا که‌امراست باکتساب و رضابقسمت ترك کسب‌نیست - جوابگفتن‌روباه خررا - بازجواب خرروباهرا ۳۱۹

در تقریر معنی توکل حکایت آنزاهد که‌توکلرا امتحان میکرد و ازاسباب منقطعشد وازشهر بیرون آمدازشوارع دور و دربن کوهی مهجور سر بر سر سنگی نهادو گفت توکل کردم بر سبب سازی و رزاقی تو واز اسباب‌منقطع شدم تابینم سببیت توکلرا-بازجواب روباه خرراوتحریض کردن بکسب-جواب‌گفتن خر روباهرا که توکل بهترین کسبهاست که‌هرکسبی محتاجست‌بتوکل که ایخدا اینکار مرا راست دار و دعا متضمن‌توکلست وتوکل کسبیست که بهیچ کسبی‌دیگر محتاج نیست‌الی‌آخره- مثل آوردن اشتر دربیان آنکه در مخبر دولتی فرو اثرآن چون نبینی جای متهم داشتن باشد که او مقلدست درآن ۳۲۰

فرق‌میان‌دعوت‌شیخ کامل‌واصل‌ومیان‌سخن ناقصان‌فاضل‌فضل تحصیلی‌برخودبسته-زبونشدن‌خردردست‌روباه‌ازحرص‌علف- حکایت آنمخنث وپرسیدن لوطی ازاو درحالت لواطه که اینخنجر از بهر چیست گفت ازبهر آنکه‌اگر کسی بامن بد اندیشد شکمش بشکافم لوطی برسراو آمد وشد می کردو می گفت‌الحمدلله که من باتو بدنیندیشم ☆ بیت‌من‌بیت نیست اقلیمست☆ هزل‌من‌هزل‌نیست‌تعلیمست☆ ان‌الله لایستحیی‌ان یضرب‌مثلامابعوضة‌فمافوقهاای‌فمافوقهافی‌تغییرالنفوس‌بالانکار ماذاارادالله بهذا مثلاو آنکه جوابفرماید که‌این خواستم یضل‌به کثیراویهدی‌به کثیرا که‌هرفتنهٔ‌همچون‌میزانست‌بسیارازاو سرخ‌روشوندوبسیار بیمراد گردند ولوتاملت فیه‌قلیلالوجدت من نتایجه‌الشریفة کثیراً فهم من‌فهم والله‌الملهم والسلام ۳۲۱

غالب‌شدن‌مکرروباه براستعصام وتعفف خرو کشیدن روبه‌خر راسوی‌شیربه بیشه- حکایت آن شخص که ازترس خویشرا به خانهٔ‌افکند روی زردچون‌زعفران لبها کبود چون‌نیل دست لرزان‌چون برگ‌درخت خداوندخانه پرسید که خیراست چه واقعه‌است گفت بیرون خرمی گیرند بسخره گفت مبارك خر می گیرند توخرنیستی چه‌میترسی گفت سخت بجد میگیرند تمییزبرخاسته‌است‌امروز ترسم که‌مراخر گیرند ۳۲۲

بردن روباه خر را پیش شیر و جستن خر از شیر و عتاب کردن روباه با شیر که هنوز خر دور بود شتابکردی و عذر گفتن و لابه کردن شیر روبه را که برود گر باره اش بفریب ـ در بیان آنکه نقض عهد و توبه موجب بلا بود بلکه باعث مسخ است چنانکه در حق اصحاب سبت و در حق اصحاب مائدهٔ عیسی که وجعل منهم القردة والخنازیر و اندرین امت مسخ دل باشد و بقیامت تن را صورت دل دهند ـ دوم بار آمدن روباه بر آنخر گریخته تا باز بفریبدش ـ جوابدادن خر روباه را ۳۲۳
پاسخ دادن روباه مر آنخر را دیگر بار ـ حکایت شیخ محمد سرزری غزنوی قدس الله سره و ریاضت او که هر شب افطار ببرگ رزمی کرد جهت ذل نفس خود ـ آمدن شیخ بعد از چندین سال از بیابان بشهر غزنین و زنبیل گردانیدن او باشارت غیبی و تفرقه کردن آنچه جمع آید بر فقراء ☆ هر که را جان زعزلبیکست ☆ نامه بر نامه پیک بر پیکست ☆ چنانکه روزن خانه باز باشد آفتاب و ماهتاب و باران ونامه وغیره منقطع نباشد ۳۲۴
درمعنی اولاك لما خلقت الافلاك ـ رفتن آنشیخ بخانه امیری بهر کدیه روزی چهار بار با زنبیل باشارت غیبی و عتاب کردن امیر اورا بدان وقاحت و عذر آوردن شیخ امیر را ۳۲۵
گریانشدن امیر از نصیحت شیخ و عکس صدق او بروی زدن و ایثار کردن مخزن بعد از گستاخی و استعصام شیخ و قبول ناکردن شیخ و گفتن که من بی اشارتی نیارم تصرف کردن ـ اشارت آمدن از غیب بشیخ که این دو سال بفرمان ما بستدی و دادی بعد ازین بده و مستان دست در زیر حصیر میکن که آنرا چون انبان ابوهریره گردانم که هرچه خواهی بیابی تا عالمیان را یقین شود که ورای این عالم عالمیست که خاك بکف بگیری زر شود مرده در آن آید زنده گردد نحس اکبر در آن آید سعد اکبر شود کفر ایمان شود زهر تریاق گردد نه داخل اینعالم است نه خارج نه فوق و نه تحت نه متصل نه منفصل بیچون و چگونه و هر لحظه او را هزار اثر و نمونه چنانکه صنعت دست با دست و غمزهٔ چشم با چشم و فصاحت زبان با زبان نه داخل است و نه خارج و نه متصل و نه منفصل و العاقل یکفیه الاشاره ـ دانستن شیخ ضمیر سائلان را بیگفتن و دانستن قدر وام و امداران بیگفتن که نشان ایشان باشد که اخرج بصفاتی الی خلقی فمن براك فقد رآنی ۳۲۶
سبب دانستن ضمیرهای خلق ـ غالب شدن مکر روباه و زبونشدن خر از حرص ـ در فضیلت جوع و احتما ـ تمثیل در صبر و قناعت ـ حکایت مریدیکه شیخ از حرص و ضمیر او آگاه شد و او را نصیحت کرد بر زبان و در ضمن نصیحت قوت توکل بخشیدش بامر حق ـ حکایت آنگاو حریص که هر روزه صحرا را بر علف بیند و بچرد تا فربه شود و تا فردا از غم روزی لاغر گردد و سالهاست که او همچنین می بیند و اعتماد نمیکند ۳۲۷
صید کردن شیر آنخر را و تشنه شدن شیر از کوشش رفت بچشمه تا آب خورد، تا باز آمدن شیر جگر بند و دل و جگر نیافت از روباه پرسید که کو دل و جگر روبه گفت اگر او را دل و جگر بودی آنچنان سیاستی دیده بود آنروز و بهزار حیله جانبرده کی بر تو باز آمدی لو کنا نسمع او نعقل ما کنا فی اصحاب السعیر ـ حکایت آنراهب که بروز روشن با شمع در طلب آدمی میگشت ـ دعوتکردن مسلمان مغیر ابدین اسلام و جوابگفتن او ۳۲۸
در بیان مثل شیطان بر در گاه رحمان ـ جواب گفتن مؤمن سنی کافر جبری را در اثبات اختیار بنده و دلیل گفتن که سنت راهیست کوفته اقدام انبیا علیهم السلام و بر یمین آنراه بیابان جبر است که خود را اختیار نبیند و امر و نهی را منکر شود و تأویل کند از منکر شدن امر و نهی لازم آید انکار بهشت و دوزخ که بهشت جزای مطیعانست و دوزخ جزای مخالفان و دیگر نگویم بچه انجامد و العاقل یکفیه الاشاره و بر یسار آن راه بیابان قدر است که قدرت خالق را مغلوب قدرت خلق داند و از آن فسادها زاید که آن مغ جبری بر شمرد ۳۲۹
در بیان آنکه درك وجدانی چون اختیار و اضطرار و خشم و اصطبار و سیری و ناهار بجای حس است که زرد از سرخ بدان فرق کنند و خرد از بزرگ و تلخ از شیرین و مشك از سرگین و درشت از نرم بحس مس و سر داز گرم و سوزان از شیر گرم و تر از خشك و مس دیوار از مس درخت معلوم کند پس منکر وجدان منکر حس باشد و زیاده که وجدان از حس ظاهر تر است زیرا که حس را توان بستن و منع کردن از احساس و بستن راه و مدخل وجدانیات ممکن نخواهد بود و العاقل یکفیه الاشاره ۳۳۰
حکایت هم در بیان تقریر اختیار خلق و بیان آنکه تقدیر و قضا سلب کنندهٔ اختیار نیست ـ حکایت هم در جواب جبری و اثبات اختیار خلق و صحت امر و نهی و بیان آنکه عذر جبری در هیچ ملتی و در هیچ دینی مقبول نیست و موجب خلاص نیست از سزای آنکار که کرده است چنانکه خلاص نیافت ابلیس جبری بآنکه گفت که بما اغویتنی و القلیل یدل علی الکثیر ـ در معنی ماشاء الله کان یعنی خواست خواست اوست و رضا رضای او و از خشم و رد دیگران تنگدل مباشید کان اگرچه لفظ ماضی است لیکن در فعل خدا ماضی و مستقبل نباشد که لیس عند ربنا صباح و لا مساء ۳۳۱
در بیان معنی جف القلم و کتب انلا یستوی الطاعة و المعصیة لا یستوی الامانة و السرقة جف القلم ان لا یستوی الشکر و الکفران، جف القلم ان الله لا یضیع اجر المحسنین ـ حکایت آندرویشکه در هری غلامان عمید خراسانی را آراسته دید و بر اسبان تازی و قباهای زربفت و کلاههای مغرق و غیر آن پرسید که اینها کدام امیرانند و چه شاهانند گفتند او را که اینها امیران نیستند اینها غلامان عمید خراسانند روی بآسمان کرد که ایخدا غلامپروردن از عمید خراسان بیاموز آنجا مستوفیرا عمید گویند ۳۳۲
باز جوابگفتن کافر جبری مؤمن سنی را که باسلام و بترك اعتقاد جبرش دعوت میکرد و دراز شدن مناظره از طرفین که مادهٔ اشکال و جواب را نبرد الا عشق حقیقی که اورا پروای آن نماند ذلك فضل الله یؤتیه من یشاء ۳۳۳
پرسیدن پادشاه قاصداً ایاز را که چندین غم و شادی با چارق و پوستین که جامه است چراست تا ایاز را درسخن آورد ـ حکایت تسلی کردن خویشان مجنون را از عشق لیلی ۳۳۴
حکایت جوحی که چادر پوشیده و در وعظ میان زنان نشسته و حرکتی کرد که زنی او را بشناخت که مرد است و نعرهٔ کشید ـ فرمودن شاه دیگر باره ایاز را که شرح چارق و پوستین آشکارا بگو تا خواجه تاشانت از آن اشارت پند گیرند که الدین نصیحة ـ حکایت کافریکه گفتندش در عهد ابایزید که مسلمان شو و جواب گفتن او ایشانرا ۳۳۵
حکایت آنمؤذن زشت آواز که در کافرستان بانگ زد از برای نماز و مرد کافر او را هدیه داد ـ حکایت آنزن که گفت شوهر را که گوشت را گربه خورد شوهر گربه را بترازو بر کشید گربه نیم من بر آمد گفت ایزن گوشت نیم من بود و افزون اگر اینگوشتست گربه کو و اگر این گربه است گوشت کو ۳۳۶
حکایت آن امیر که غلام را گفت می بیار غلام رفت و سبوی می آورد در راه زاهدی بود که امر معروف میکرد سنگی زد و سبوی او را بشکست امیر بشنید قصد گوشمال زاهد کرد این قضیه در عهد عیسی علیه السلام بود که هنوز می حرام نشده بود لیکن زاهد منع لذت و تنعم میکرد ـ در بیان حکایت ضیاء بلخ و شیخ الاسلام تاج بلخ و لطیفه گفتن ضیاء ـ در بیان خبر یافتن امیر و خشم آلوده رفتن بر سر زاهد ۳۳۷
حکایت ماتکردن دلك سیدشاه ترمد را ـ باز رجوع بحکایت امیر و زاهد و اجتماع خلق ـ در بیان یطاقتی سالکان بیش از گشاد و قصد کردن حضرت مصطفی علیه السلام افکندن خود را از کوه حرا از وحشت حجاب و نمودن جبرئیل علیه السلام خود را بوی و منع کردن و بشارت دادن ـ جوابگفتن میر مر آن شفیعانرا و قبول ناکردن شفاعت بجهت گستاخیکه کرده است و سبو را شکسته ۳۳۸
دست و پای امیر بوسیدن و دوم بار لابه کردن شفیعان و همسایگان زاهد ـ باز جواب و دفع گفتن امیر شفیعانرا ـ تفسیر این آیه که وان الدار الاخرة لهی الحیوان لو کانوا یعلمون که در و دیوار و عرصهٔ آنعالم و آب و کوزه و میوه و درخت همه زنده اند و سخنگو و سخنشنو و جهت آنفرموده حضرت مصطفی صلعم الدنیا جیفة و طالبها کلاب و اگر آخر ترا حیات نبودی آخرت هم چون دنیا جیفه بودی جیفه را نه از برای بوی زشت بل برای مردگیش جیفه خوانند ۳۳۹

صفحه

دیگر باره خطاب شاه ایاز را که تاویل کار خود و مشکل منکران را بگو وطاعنان را بحل کن که ایشان را در التباس رها کردن مروت نیست ـ تمثیل تن آدمی بمهمانخانه و تمثیل اندیشهای مختلف بمهمانان و عارف صابر در آن اندیشها چو نمرد مهمان دوست ـ حکایت مهمان و کدخدا و زن و بیان فضیلت مهمانداری ۳۴۰
تمثیل فکر هر روزینه که در دل آید بمهمان نو که از اول روز در خانه فرود آید و تحکم و بدخوئی کند و فضیلت مهمانداری و ناز مهمانکشیدن ـ دیگر بار خطاب شاه با ایاز و نواختن او ایاز را ـ وصیت کردن آن پدر دختر را که از این شوهر که تراست خود را نگاهدار تا حامله نشوی ۳۴۱
وصف ضعف دل و سستی آن صوفی سایه پروردهٔ مجاهده نا کرده داغ عشق نا کشیده و بسجده و دستبوس عام و بحرمت نظر کردن و بانگشت نمودن ایشان که امروز در زمانه صوفی اوست غره شدن و بوهم چو نمعلم کودکان رنجور شدن و بآنوهم که من مجاهدم مرا در اینراه پهلوان میدانند با غازیان بغزا رفته که بظاهر نیز هنر بنمایم جهاد را اگرچه در جهاد اکبر مستثنا ام جهاد اصغر چه محل دارد ـ نصیحت مبارزان او را که با ایندل و زهره که تو داری که بکلا پیسه شدن چشم کافر اسیر دست بسته بیهوش شوی و دشنه از دستت بیفتد زینهار که ملازم مطبخ خانقاه باش و سوی پیکار مرو تا رسوا نشوی ـ حکایت عیاضی رحمه الله تعالی که هفتاد بار بغزو رفته بود و غزاها کرده بامید شهید شدن و چون از جهاد اصغر بجهاد اکبر شتافت و خلو تگزید آواز طبل غازیان شنید نفس او را رنجه داشتی جهت غزا کردن و او نفس را در این دعوت متهم مینمود ۳۴۲
حکایت مجاهدی دیگر و جانبازی او در غزا ـ حکایت آنمجاهد که از همیان سیم هر روز یکدرم در خندق افکندی بتفاریق از بهر ستیزه با نفس حرص ورز و سرزنش نفس که چون اندازی یکبار انداز تا از ین ماجرا خلاصی یابم که الیأس احدی الراحتین و جواب او ـ رجوع بحکایت آنمجاهد در قتال ـ حکایت خلیفه مصر و شاه موصل و فرستادن لشکر بطلب کنیز و صفتکردن غمازان و نقش او بر کاغذ بستن ۳۴۳
ایثار کردن صاحب موصل کنیز را بخلیفه تا خونریزی نشود ۳۴۴
پشیمانشدن آن سرلشکر از خیانتیکه کرد و سوگند دادن او آن کنیزک را که بخلیفه باز نگوید از آنچه رفت ـ پرسیدن شخصی از بزرگی فرق میان حق و باطل را ـ در بیان ضعف عقل منکران بعث ـ آمدن خلیفه نزد آنکنیز جهت شهوترانی و جماع ـ خنده کردن آنکنیزک از ضعف شهوت خلیفه و قوت شهوت آن پهلوان و فهم کردن خلیفه حال او را و پرسیدن ۳۴۵
فاشکردن آنکنیزک راز را با خلیفه از بیم زخم شمشیر و اکراه خلیفه که راستگو سبب اینخنده را و گرنه بکشمت ـ عزم کردن شاه چو نو اقفشد بر آنخیانت که بپوشد و عفو کند و او را بوی دهد و دانستکه آن فتنه جزای قصد او بود و ظلم او بر صاحب موصل که و من اساء فعلیها و ان ربك لبالمرصاد و ترسیدن که اگر انتقام کشد آن انتقام هم بر سر او آید چنانکه اینظلم و طمع بر سرش آمد ـ خواندن خلیفه پهلوانرا و کنیزک را باو عقد کردن ۳۴۶
در بیان نحن قسمنا که یکی را قوت و شهوت خران دهد و یکی را صفا و صفوت فرشتگان ☆ تخمهائیکه شهوتی نبود ☆ بر او جز قیامتی نبود ☆ سرزهوا تافتن از سروریست ☆ ترك هوا قوت پیغمبریست دادن شاه محمود گوهر را در بزم بدست وزیر که این بچند ارزد و مبالغه کردن وزیر در قیمت و فرمودن شاه وزیر را که اینرا بشکن و گفتن وزیر که اینگوهر نفیس را چگونه بشکنم ـ رسیدن آنگوهر آخر دور بدست ایاز و کیاست ایاز و مقلد ناشدن او ایشانرا و مغرور ناشدن او بمال و خلعت و جامگی افزونکردن و مدح عقل ایشانکردن که نشاید مقلد را مسلمان دانستن اگر مسلمان باشد و نادر باشد که مقلد ثبات کند بر آن اعتقاد و مقلد از امتحانها بسلامت بیرون آید که ثبات بینایان ندارد ـ تشنیع امیران ایاز را که چرا چنین گوهر را شکستی و جواب او ۳۴۷
قصد کردن شاه بقتل امیران و شفاعتکردن ایاز آنها را که العفو اولی ـ تفسیر گفتن ساحران فرعون را در وقت سیاست که لاضیر انا الی ربنا منقلبون ۳۴۸
مجرم دانستن ایاز خود را در این شفاعتگری و عذر اینجرم خواستن و در آنعذر خواهی خود را مجرم دانستن و این شکستگی از عظمت شاه خیزد و از شناخت او که اعلمکم بالله اخشاکم من الله انما یخشی الله من عباده العلماء ۳۴۹

دفتر ششم مثنوی ۳۵۲

سؤالکردن سائلی از واعظی که مرغی بر سر بارو نشست از سر و دم او کدام فاضل تراست و جواب دادن واعظ سائلرا ۳۵۳
نکوهیدن ناموسهای پوسیده که مانع ذوق ایمان و دلیل ضعف صدقند و راهزن صدهزاران ابله نادان ۳۵۴
مناجات و پناه جستن بحق از فتنهٔ اختیار و اسباب آن و بیان شکوهیدن و ترسیدن آسمان و زمین از اختیار ـ حکایت غلام هندو که بخواجه زاده خود پنهان هوسداشت چو ندختر را باه بهتر زاده عقد کردند غلام رنجور شده میگداخت کس علت او ندانست و او زهرهٔ گفتن نداشت ۳۵۵
صبر فرمودن خواجه مادر دختر را که غلامرا زجر مکن که من او را بی زجر از این طمع باز آورم بتدبیر که نه سیخ بسوزد و نه کباب خام ماند ـ در حقیقت حکایت و بیان آنکه هر نفسی همچو آن هندو مبتلا است ۳۵۶
در بیان عموم آیه کلما اوقدوا نارا للحرب اطفاه الله ـ آتش زدن در شب و کشتن دزد آنرا و غفلت آنمرد ۳۵۷
در بیان حدیث استفت قلبك و لو افتاك المفتون ـ حسد بردن امیران بر ایاز و نمودن سلطان کیاست او را ـ مدافعهٔ امرا آنحجت را بشبههٔ جبریانه و جواب دادن شاه ایشانرا ـ حکایت آن صیاد که خود را در گیاه پیچیده بود و دسته گل و لاله کله وار بر سر نهاده تا مرغان گیاه پندارند و دانستن آن مرغ زیرك آنرا ۳۵۸
حکایت آنشخص که دزدان قوچ او را بدزدیدند و بر آنقناعت نکردند بحیله جامهایش را هم دزدیدند ـ مناظرهٔ مرغ با میاد در ترهب و در معنی ترهبیکه مصطفی صلعم نهی کرد از آن امت خود را که لا رهبانیة فی الاسلام ۳۵۹
های و هوی کردن پاسبان بعد از بردن دزدان اسباب کاروانرا ـ حواله کردن مرغ گرفتاری خود را بمکر صیاد و صیاد بحرص ۳۶۰
حکایت آنعاشق که شب بر امید وعدهٔ معشوق بیامد بدانوثاق که اشارت کرده بود و بعضی از شب را منتظر بود تا خوابش ربود معشوق آمد جیبش را پر گردکان نمود و رفت ۳۶۱
استدعای امیر ترك مخمور مطربرا بوقت صبوح و معنی حدیث ان الله تعالی شرابا اعده لاولیائه اذا شربوا سکروا و اذا سکروا طربوا الخ و قوله تعالی ان الابرار یشربون من کأس کان مزاجها کافورا ☆ می در خم اسرار از آن میجوشد ☆ تا هر که مجرد است از آن می نوشد ☆ اینمی که تو میخوری حرامست ☆ ما می نخوریم جز حلالی ☆ جهد کن تا زنیست هست شوی ☆ و از شراب خدای مست شوی ☆ آمدن ضریر بخانهٔ پیغمبر علیه السلام و گریختن عایشه و پنهانشدن ـ امتحانکردن حضرت رسول صلعم عایشه را که چرا پنهان میشوی که او ترا نمی بیند ۳۶۲
آغاز کردن مطرب اینغزل را در بزم امیر ترك ☆ گلی یا سوسنی یا سرو یا ماهی نمیدانم ☆ از ین آشفتهٔ بیدل چه میخواهی نمیدانم ☆ و خطابکردن ترك که آنچه میدانی بخوان و جواب مطرب امیر را ـ در معنی حدیث موتوا قبل ان تموتوا و تفسیر بیت حکیم سنائی بمیرای دوست پیش از مرگ اگر می زندگی خواهی ☆ که ادریس از چنین مردن بهشتی گشت بیش از ما ۳۶۳
تشبیه مغفلی که عمر ضایعکند و در نزع بیدار شود بماتم اهل

صفحه

حلب-رسیدن شاعر بحلب روز عاشورا و حال معلوم نمودن و نکته گفتن و بیانحال کردن -نکته گفتن آنشاعر جهت شیعهٔ حلب- تمثیل حریص بر دنیا بموری نابیننده رزاقی حق و خزاین رحمت اورا که بدانهٔ از خرمنی میکوشد و سعت آنخرمن را نمیبیند ۳٦٤
سحوری زدن شخص بر در سرای خالی نیمشب و اعتراض معترض و جوابدادن اورا ۳٦٥
قصهٔ بلال حبشی و شوق او و رنجانیدن خواجه او را و معلوم کردن صدیق حال اورا - باز گفتن صدیق صورت حال بلال را نزد حضرت رسول صلعم ۳٦٦
وصیتکردن حضرت مصطفی علیه السلام ابوبکر را جهت بیع بلال ۳٦۷
خندیدن جهود و پنداشتن آنکه صدیق مغبونست و ندانستن بهای بلال را-معاتبه کردن حضرت رسول صلعم باصدیق و عذر گفتن صدیق رضی الله عنه ۳٦۸
قصهٔ هلال که بندهٔ مخلص بود خدایرا صاحب بصیرت بیتقلید، پنهان شده در بندگی مخلوقان جهت مصلحت نه از عجز، چنانکه لقمان و یوسف از روی ظاهر و غیر ایشان بندهٔ سایس بود امیر را و آن امیر مسلمانبود اما کور ☆ داند اعمی که مادری دارد ☆ لیك چونی بوهم در نارد ☆ اگر با ایندانش تعظیم اینمادر کند ممکن بود که از عمی خلاص یابد که اذا اراد الله بعبد خیراً فتح عینی قلبه لیبصره بها الغیب ☆ اینراه ززندگی دل حاصل کن ☆ کاین زندگی تن صفت حیوانست-حکایت در تقریر همین سخن-رنجور شدن هلال و بیخبری خواجهٔ او از رنجوری او از تحقیر و ناشناخت و واقفشدن حضرت مصطفی صلعم و رفتن آنحضرت بعیادت او ۳٦۹
در بیان آنکه مصطفی صلعم چون شنید که عیسی علیه السلام بر روی آب رفت فرمود لو ازداد یقینه لمشی علی الهواء-در بیان حکایت کمپیر نود ساله که روی زشت خود را گلگونه میاندود و پذیرا نمیآمد ۳۷۰
دعا کردن درویش خواجهٔ گیلانیرا که خدا ترا بسلامت بخان و مان باز رساند-صفت آنعجوزه و رجوع بحکایت او-در بیان سؤال سائل از صاحبخانه و جواب او را بر سبیل طنز-رجوع بداستان آنکمپیر ۳۷۱
حکایت رنجوریکه طبیب دروی امید صحت ندید گفت هرچه خواهی کن-رجوع بقصهٔ رنجور ۳۷۲
بر تخت نشاندن سلطان محمود غلام هندو را و گریستن غلام ۳۷۳
قوله علیه السلم لیس للماضین هم الموت و انما لهم حسرت الفوت -باز گشتن بحکایت صوفی بر لب جو و قاضی ۳۷٤
رفتن صوفی سوی آنسیلی زن و بردن او را بقاضی-هم در تقریر قصهٔ قاضی و صوفی -سیلی زدن رنجور قاضیرا و سرزنش کردن صوفی قاضی را ۳۷۵
جواب باصواب قاضی صوفیرا در این ماجرا-سؤالکردن صوفی از قاضی و جواب قاضی مر اورا ۳۷٦
جوابدادن قاضی صوفی را و قصهٔ ترك و درزیرا مثل آوردن-بیان حدیث ان الله یلقن الحکمة علی لسان الواعظین بقدر همم المستمعین- شنیدن ترك حکایت دزدی درزیانرا و گروبستن که درزی ازمن چیزی نتواند بردن-مضاحک گفتن درزی و ترك را از قوت خنده بسته شدن دو چشم و فرصت یافتن درزی ۳۷۷
خطاب باهر نفسی که بمثل اینبلا مبتلاست-گفتن درزی ترکرا که اگر یکبار دیگر لاغ گویم قبایت تنگ شود-مثل در تسکین فقیران بجور روزگار و حکایت -باز مکرر کردن صوفی سؤالرا و جواب قاضی-جوابدادن قاضی صوفیرا-حکایت زن باشوهر و ماجرای ایشان ۳۷۸
پرسیدن عارفی از کشیش که تو بسال بزرگتری یا بریش ۳۷۹
باقی قصهٔ فقیر روزی طلب بیواسطهٔ کسب ۳۸۰
خوابدیدن فقیر و نشاندادن هاتف او را بگنجنامه-تمامی قصهٔ آن فقیر و نشان جای آنگنج-فاششدن خبر اینگنج و رسیدن بگوش شاه ۳۸۱
بازدادن پادشاه گنجنامه را به آنفقیر که ما از آن بگذشتیم-آمدن

صفحه

مرید شیخ ابوالحسن خرقانی بزیارت شیخ ۳۸۲
پرسیدن مرید که شیخ کجاست و جواب نافرجام شنیدن از حرم او -جواب مرید و زجر کردن آنطعانه را از کفر و بیهوده گوئی- واگشتن مرید از وثاق شیخ و پرسیدن از مردم و نشاندادن ایشان که شیخ بفلان بیشه رفته است ۳۸۳
یافتن مرید شیخرا نزدیك بیشه سوار شیری-حکمت در آیهٔ انی جاعل فی الارض خلیفه ۳۸٤
بیان معجزهٔ هود علیه السلام در تخلیص مؤمنان امت بوقت نزول باد ۳۸۵
رجوع بقصهٔ فقیر گنجطلب-انابت طالب گنج و پشیمانی او از تعجیل ۳۸٦
الهام آمدن فقیر را و کشفشدن آنمشکل بر او-داستان آنسه مسافر مسلم و جهود و ترسا که بمنزلی رفتند و لقمه یافتند ترسا و جهود سیر بودند و مسلمان صائم ۳۸۷
حکایت شتر و گاو و قوچ که بندی گیاه در راه جستند-مثل در باب صورت پرستان و شر ایشان در لباس خیر ۳۸۸
باز گشتن بقصهٔ گاو و اشتر و قوچ-رجوع بتقریر ترسا و نوبت رسیدن بمسلمان-منادی کردن سیدملك ترمد که هر که درسه روز یا چهار روز بسمرقند رود چندین خلعت و زر دهم و شنیدن دلقك و ازده تاختن بشهر ترمد بنزدیك شاه که من باری نمیتوانم رفتن ۳۸۹
قصهٔ تعلق موش باچغز و بستن پای خود بر پای او و صید کردن زاغ ایشانرا-تدبیر موش باچغز که میان ما وسیلتی باید که بوقت حاجت بر تو نمیتوانم آمدن و سخن گفتن ۳۹۱
مبالغه کردن موش در لابه و زاری و وصلت جستن از چغز آبی- لابه کردن موش مر چغزرا که بهانه میندیش و در امر من تاخیر میندار که وفی التاخیر آفات و تمثیل-رجوع بحکایت چغز و موش ۳۹۲
حکایت سلطان محمود غزنوی و رفاقت او شب بادزدان و بر احوال ایشان مطلع شدن ۳۹٤
قصهٔ چریدن گاو بحری در نور گوهر شبچراغ و ریختن تاجر خاك، بر سر گوهر تابنده و گریختن بر درخت-رجوع بقصهٔ موش و چغز و ربودن زاغ موش و چغز را ۳۹۵
بردن پریان عبدالغوث را مدتی در میان خود و بعد از آن بشهر آمدن پیش فرزندان و باز پیش پریان رفتن بحکم جنسیت معنی و همدلی او با ایشان -داستان مرد وظیفه دار از محتسب تبریز که وامها کرده بود بر امید وظیفه و بیخبر بود از وفات او و از هیچکس وام گزارده نمیشد الا از محتسب متوفی گزارده شد بیت ☆ لیس من مات فاستراح بمیت ☆ انما المیت میت الاحیاء ۳۹٦
آمدن جعفر رضی الله عنه بتنهائی بگرفتن قلعه و مشورتکردن ملك آنقلعه با وزیر در دفع او و گفتن وزیر که زنهار ملك را بوی تسلیم کن که او مؤیداست و از حق جمعیت عظیم دارد در جان خویش ۳۹۷
رجوع بحکایت مرد وامدار و آمدن بتبریز و آگاهی از فوت محتسب-استغفار کردن آنغریب از اعتماد بر مخلوق و یاد نعمتهای خالق کردن و انابت نمودن ثم الذین کفروا بربهم یعدلون ۳۹۸
مثل دو بین همچون آنغریب شهر کاشانست که عمر نامداشت که خباز بسبب این نامش بدکان دیگر حوالتکرد و او فهم نکرد که همهٔ دکانها یکیست ۳۹۹
توزیعکردن پایمرد در جملهٔ شهر تبریز و جمعشدن اندك چیزی و رفتن آنغریب بتربت محتسب بزیارت و اینقصه را بر سر گور او بطریق نوحه گفتن- گریختن گوسفند از کلیم الله و شفقت و مهربانی او ٤۰۰
دیدن خوارزمشاه در سیران در موکب خود اسبی بس نادر و تعلق او به آن اسب و سرد کردن عمادالملك آنرا از دل شاه و گزیدن شاه گفت او را بر دیدهٔ خویش چنانکه حکیم در الهی نامه گوید بیت ☆ چو نزبان حسد شود نخاس ☆ نشناسند یوسف از کرباس-از دلالی برادران یوسف علیه السلام در دل مشتریان

چندانحسن پوشیده شدکه وکانوا فیه من الزاهدین ۴۰۱
مؤاخذهٔ یوسف صدیق علیه السلام بحبس بضع سنین بسبب یاری
خواستن از غیر حق و گفتن واذکرنی عند ربك ۴۰۲
باز گشتن بحکایت غریب وامدار وخوابدیدن پای مرد ـ گفتن
خواجه در خواب به آنپایمرد وجوه وام آندوسترا که به تبریز آمده
بود و نشاندادن جای دفن آنسیم را و پیغام بوارثان که البته از آنهیچ
باز مگیرید ـ حکایت آنپادشاه و وصیت کردن سه پسر خود را که در
اینسفر در ممالك من فلانجا چنین ترتیب نهید و فلانجا چنین نواب
نصب کنید اما الله الله بفلان قلعه مروید و گرد آن مگردید ۴۰۴
بیان استمداد عارف از سرچشمهٔ حیات ابدی و مستغنی شدن او از
استمداد و انجذاب از چشمه های آبهای بیوفا که علامة ذلك التجافی
عن دار الغرور که آدمی چون بر مددهای اینچشمه ها اعتماد کند
در طلب چشمهٔ باقی دائم سست شود چنانکه حکیم راست ✿ کاریز
درون جان تو میباید ✿ کز عاریها ترا دری نگشاید ✿ یکچشمهٔ آب
از درو نخانه ✿ به ز انجوئی که از برون میآید ـ روانشدن شهزادگان
در ممالك پدر بعد از وداع و اعادتکردن شاه وقت وداع و وصیت خود را ۴۰۵
رفتن شهزادگان بجانب قلعهٔ ممنوعة عنها بحکم الانسان حریص
علی ما منع و وصیتهای پدر را فراموشکردن و در بلا افتادن و نفس
لوامه با ایشان بزبانحال گفتن الم یاتکم نذیر و گفتن ایشان در
جواب لو کنا نسمع او نعقل ما کنا فی اصحاب السعیر ✿ مابندگی خویش
نمودیم ولیکن ✿ خوی بد تو بنده ندانست خریدن ۴۰۶
دیدن آنسه پسر شاه در قصر قلعهٔ ذات الصور نقش روی دختر شاه
چین را و بیهوش شدن هر سه برادر و در فتنه افتادن و تفحص کردن
که این صورت کیست ۴۰۷
حکایت صدر جهان در بخارا و کرم او و آنکه اگر کسی بزبان از او سؤال
کردی هیچ ندادی ـ حکایت امرد و کوسه در خانقاه بالوطی و تدبیر امرد ۴۰۸
در بیان حدیث منهومان لا یشبعان طالب العلم و طالب الدنیا ـ بحث
شاهزادگان با همدیگر در آنقضیه و مقالهٔ برادر بزرگتر ـ بمجلس
کشیدن پادشاهی فقیهی را و بزخم مشت بطبع آوردن ۴۰۹
رفتن شاهزادگان بعد از اتمام ماجرا بجانب ولایت چین تا بقدر
امکان بمقصود نزدیکتر باشند اگر راه بوصل مسدود است بقدر
امکان نزدیکشدن محمود است ۴۱۰
حکایت امرؤالقیس که پادشاه عرب بود و باجمال و کمال و زنان
عرب چون زلیخا شیفتهٔ او بودند مگر دانست اینها همه تمثال
صورتی اند باید طالب معنی شد ۴۱۱
بیطاقت شدن برادر بزرگتر بعد از مدتی و متواری شدن در بلاد
چین در شهر تختگاه و گفتن که من رفتم الوداع تا خود را بر شاه
چین عرضه کنم ✿ اما قدمی تنیلنی مقصودی ✿ او القی رأسی
کفؤادی ثم ✿ یا پای رساندم بمقصود و مراد ✿ یا سر بنهم همچو دل از
دست اینجا ✿ و نصیحت برادران او را سود نداشتن ✿ یا عاذل
العاشقین دع فتة ✿ اضلها الله کیف ترشدها ۴۱۲
بیان مجاهد که دست از مجاهده باز ندارد اگرچه داند که بسطت
عطاء حق که آنمقصود است از طرف دیگر و بسبب عمل دیگر
بدو برساند که در وهم او نبوده باشد و او در اینطریق معین امید
بسته همین در میزند شاید که حق تعالی آنروزیرا از در دیگر
رساند که او آن تدبیر نکرده باشد و یرزقه من حیث لا یحتسب
العبد یدبر و الله یقدر و بود که بنده را هم بندگی بود که مرا از غیر
این در برساند اگرچه حلقهٔ این در میزنم حقتعالی او را هم از
ایندر روزی رساند فی الجمله اینهمه درهای یك سرایست ۴۱۳
حکایت مرد میراث یافته که در خرج اسراف کرده مفلس شد ـ در بیان
سبب تأخیر در اجابت دعای مؤمن از حضرت عزت ـ دیدن میراثی
بخواب که در مصر بفلان موضع گنجیست و رفتن بشهر مصر در طلب آن ۴۱۴
رسیدن آنشخص بمصر و بیرون آمدن بکوی در شب بجهت شبکوکی
و گدائی و گرفتن عسس او را و مراد او پس از رنج حاصل آمدن و عسی
ان تکرهوا شیئاً و هو خیر لکم ان مع العسر یسرا و قوله علیه السلام
اشتدی ازمة تنفرجی و جمیع القرآن و الکتب المنزله فی تقریر هذا ـ
در بیان حدیث الصدق طمانینة و الکذب ریبة ۴۱۵
گفتن عسس خواب خود را با غریب و نشان گنج دادن در خانهٔ او ـ مثل
باز گشتن غریب مصر ببغداد و یافتن گنج را در خانهٔ خود ۴۱۶
مکرر کردن برادران پند برادر بزرگ و قبول ناکردن او و بیطاقتی
او و خود را بیدستوری پدر بدربار چین رسانیدن ۴۱۷
قصهٔ زن جوحی و عشوه دادن او قاضیر او بمکر و حیله در صندوق کردن
ـ رفتن قاضی بخانهٔ زن جوحی و حلقه زدن جوحی بتندی و خشم بر در و
گریختن قاضی در صندوق ۴۱۸
آمدن نایب قاضی میان بازار و خریدار یکردن صندوق را از جوحی
ـ در بیان حدیث نبوی که من کنت مولاه فهذا علی مولاه ـ باز آمدن
زن جوحی سال دیگر نزد قاضی و شناختن قاضی او را ۴۱۹
باز آمدن بقصه شاهزاده و ملازمت او در حضرت پادشاه ـ در بیان
نوازش و احترام شاه چین شاهزادهٔ غریبرا ـ در بیان حدیث جریا
مؤمن فان نورك اطفا ناری ـ وفات یافتن برادر بزرگ آنشاهزادگان
و ملازمتکردن برادر میانه پادشاه چین را ۴۲۰
آمدن برادر میانه بجنازهٔ برادر که آنبرادر کوچك بر فراش رنجوری
بود و نواختن پادشاه او را تا ملازمشود و صدهزار از غنائم غیبی و
عینی بدو رسیدن از نظر شاه ۴۲۱
در بیان استغنا و عجب شاهزاده و زخم خوردن از باطن شاه ۴۲۲
خطاب حقتعالی بعزرائیل که ترا رحم بر که بیشتر آمد از این خلایق
که قبض روح ایشان کردی و جواب دادن او حضرت عزت را ـ ذکر
کرامات شیبان راعی و بیان معجزهٔ هود ۴۲۳
رجوع بقصهٔ پروردن حق تعالی نمرود را بشیر پلنگ ـ رجوع بقصهٔ
شاهزاده که زخم خورده از خاطر شاه پیش از استکمال فضایل دیگر
از دنیا برفت ـ مثل وصیت کردن آنشخص که سه پسر داشت که میراث او
بکاهلترین اولاد او دهند ۴۲۴
تمثیل ـ خاتمه لولده الکامل المحقق بهاء الدین ۴۲۵

خلاصه فهرست دفتر هفتم ۴۲۸

بیان آنکه فیض القدس واحد است ۴۲۸
داستان آتش پرست ـ تفسیر من عرف نفسه ـ تمثیل ادراك انسان ۴۲۹
قصهٔ خواجه که غلام را بسفر فرستاد ـ رفتن غلام بسفر بیان مبدء فطرت ۴۳۰
قصهٔ مبتلا بقحط در دیار قبچاق ـ قصهٔ خواجه یار قاضی قزوین ۴۳۱
تتمهٔ قصهٔ قبچاق ـ رسیدن غلام عریان بر ساحل ۴۳۲
استشاره کردن آنهدایت یافته در کیفیت مال حال ۴۳۳
شرح کردن مشیر چگونگی پایان کار ـ عنایت ازلی بارقهٔ انوار است ۴۳۴
رجوع بحکایت غلام پادشاه ـ فرستادن پادشاه نایبی را بشکار ـ جواب
دادن کمان عقاب را ۴۳۵
مناظره عقاب با انگشت ـ و جواب انگشت ـ دیدن عقاب التون تیاق
قصهٔ گربه که بخشم پیش شیر رفت ۴۳۶
خلاص یافتن ببر از شر شیر ۴۳۷
بیان شش مرتبهٔ ایمان ـ سؤال عقاب ـ بیان آنکه هرچه در عالم آفاقست
در عالم انفس است ـ متحیر ماندن عقاب از هیئت ترکیب نایب شاه ۴۳۸
جواب نایب شاه عقابرا ـ تفسیر شعر شیخ عطار ـ تفسیر و ضرب لنا
مثلا ـ مثل زدن درزی برای ترك ـ باز لاغ طلب کردن ترك ۴۳۹
قصهٔ آنواعظ با خادم ـ بیان امتیاز مقربان ـ آلتون تیاق نایب حضرت بود ۴۴۰
مناجات ـ تفسیر یوم یفر المرء ـ آمدن فقیر بخانقاه ابویزید ۴۴۱
بندهٔ دل بیدار غم فردا امروز خورد ـ استشاره غلام از مشیر ـ
نشاندادن مشیر مرشد تاجر انرا بطالب یقینی ۴۴۲
تفسیر من جاء بالحسنه ـ شناختن قلاوزرا ـ تفسیر ان الینا ایابهم ۴۴۳
تفسیر لهاما کسبت ـ داستان اعرابی که ببغداد آمد ـ درخواست
سلیمان از حضرت ـ رسیدن عرب بآب شیرین ۴۴۴
الموت کاس و کان الناس شاربه ـ عقل اشرف اشیاست ۴۴۵
استقبال ارکان دولت از غلام ـ تفسیر یا داود انا جعلناك خلیفه ـ
تفسیر الله الذی خلق السموات و الارض ۴۴۶
تتمه داستان بنده مطیع ـ تفسیر ثم خلقنا النطفه ـ مناجات در خاتمه ۴۴۷

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب المثنويّ المعنويّ و هو اصول اصول الدّين ، في كشف أسرار الوصول واليقين ، و هو فقه الله الاكبرُ وَشرْعُ اللهِ الازْهرَ وَبُرهانُ اللهِ الأظهرُ مثلُ نوره كمشكوةٍ فيها مِصباحٌ ، يُشرق اِشراقاً انوَر مِنَ الاصباحِ وهُوَ جنانُ الجنانِ، ذوالعيوْنِ وَالاغصانِ مِنها عينٌ تُسمى عِندَ ابناءِ هذاالسبيل سلسبيلاً ، وَعِندَ اَصحابِ المقاماتِ وَالكراماتِ خيرٌ مقاماً وَاحسنُ مقيلاً ، الاَبرارُ مِنهُ يأكلونَ وَيشربوْنَ، والاَحرار مِنهُ يفرَحونَ وَيطرَبونَ وهو كَنيل مِصر شرابٌ لِلصابرينَ وَحسرَةٌ على آلِ فِرعونَ والكافِرينَ كماقالَ يُضلُّ به كثيراً وَيهدى به كثيراً و اِنّه شِفاءُ الصدورِ و جِلاءُ الاَحزانِ و كَشافُ القرآنِ وَسعةُ الأرزاقِ و تطبيبُ الاخلاقِ بايدى سَفرَةٍ كِرامٍ بررَةٍ يمنعونَ بانْ لا يمسهُ الاَّ المطهرونَ لا يأتيه الباطلُ مِن بينِ يديهِ ولا مِن خلفه والله يُرصده ويرقبه وهو خيرٌ حافظاً وَهُوَ ارحمُ الرّاحِمين، وَلهُ القابٌ آخر لقبهُ الله تعالى بها، وَاقتصرنا على هذا القليلُ والقليل يدُلُّ على الكثيرِ وَالجرعةُ تدُلُّ على الغديرِ وَالحفنةَ تدُلُّ على البيدَرِ الكبيرِ يقولُ العبدُ الضعيفُ المحتاجُ اِلى رحمة الله تعالي محمدبن محمدبن الحسين البلخى تقبلَ الله منهُ اجتهدتُ في تطويل المنظومِ المثنوى المشتمل على الغرائِب والنوادِرِ و غُرَرِ المقالاتِ و دُرَرِ الدلالات و طريقةِ الزُّهادِ وحديقةِ العبادِ قصيرة المبانى كثيرةِ المعانى لِاستدعاء سيدى و سندى ومُعتمدى و مكانِ الرّوحِ مِن جسدى وَذخيرةِ يومى وَغدى وهو الشيخُ قدوةُ العارفين و امام اهلِ الهدى و اليقينِ مُغيثُ الورى امينُ القلوبِ والنهى وديعةُ اللهِ بين خليقته وَصفوته فى بريّته و وَصاياهُ لنبيه و خباياهُ عندَ صفيه مِفتاحُ خزائنُ العرش امين كنوزِ الفرش ابو الفضائلُ حسام الحق والدّين حسن بن محمدبن الحسن المعروف بابن اخى ترك ابو يزيدالوقت جنيدالزمان صدّيق بن الصدّيق رضى الله عنه وعنهم الارموى الاصل المنتسب اِلى الشيخ المكرّمُ بِمافال امسيتُ كردياً واصبحتُ عربياً قدّس الله روحه وارواحَ اخلافِه فنعم السلفُ وَنعم الخلف لهُ نسبٌ القتِ الشمس عليه رِدائها وَحسبٌ ارختَ النجومُ عليه اضوائها، لم يزَلَ فِنائُهم قبلةَ الاقبالِ يتوجّهُ اِليها بنو الوُلاةِ وكعبةَ الآمالِ يطوف بها وُفود العفاةِ ولا زالَ كذلكَ ما طلعَ نجمٌ و ذرَّ شارِقٌ لِيكونُ معتصماً لِاولي البصائرِ الرّبانيين الروحانيين السمائيين العرشيين النوريين السكت النظارِ، الغيب الحضار، الملوك تحت الأطمار، اشرف القبايلِ افضلُ الفضايلِ انورالدلايل آمين يا ربَّ العالمين « وهذا دُعاء لا يُردّ فانه دعاء لاصناف البرية شاملٌ »

والحمد لله وحدهُ وَصلى اللهُ على محمدٍ و آلِه و عِترته حسبنا الله وَ نِعم الوكيلُ نِعمَ المولي و نِعمَ النصيرُ

دفتر اول مثنوی

بشنو از نی چون حکایت میکند — و از جدائیها شکایت میکند ۱ — کز نیستان تا مرا ببریده اند — از نفیرم مرد و زن نالیده اند

سینه خواهم شرحه‌شرحه ازفراق — تا بگویم شرح درد اشتیاق ۲ — هرکسی‌کو دورماند ازاصل‌خویش — باز جوید روزگار وصل خویش

من بهر جمعیتی نالان شدم — جفت بدحالان و خوشحالان شدم ۳ — هرکسی از ظنّ خود شد یار من — وز درون من نجست اسرار من

سرّ من از نالهٔ من دور نیست — لیك چشم وگوش را آن نور نیست ٤ — تن زجان و جان زتن مستور نیست — لیك کس‌را دید جان دستور نیست

آتش‌است این بانگ‌نای‌ونیست باد — هرکه این آتش ندارد نیست باد ٥ — آتش عشق است کاندر نی فتاد — جوشش عشق است کاندر می‌فتاد

نی حریف هرکه از یاری برید — پردهایش پردهای ما درید ٦ — همچو نی زهری و تریاقی‌که دید — همچو نی دمساز و مشتاقی که دید

نی حدیث راه پر خون میکند — قصّهای عشق مجنون میکند ۷ — ❀ دو دهان داریم گویا همچونی — یکدهان پنهانست در لبهای وی

❀یکدهان نالان شده سوی شما — های و هوئی درفکنده در سما ۸ — ❀لیك داند هرکه اورامنظراست — کاین‌فغان‌این‌سری‌هم‌زان‌سراست

❀دمدمهٔ این نای‌ازدمهای‌اواست — های وهوی روح ازهیهای‌اواست ۹ — محرم این هوش جز بیهوش نیست — مرزبان را مشتری جزگوش نیست

❀ گر نبودی نالهٔ نی را ثمر — نی جهانرا پر نکردی از شکر ۱۰ — در غم ما روزها بیگاه شد — روزها با سوزها همراه شد

روزها گر رفت گو رو باك نیست — تو بمان‌ای‌آنکه چون‌تو پاك‌نیست ۱۱ — هرکه جز ماهی زآبش سیر شد — هرکه بی‌روزیست روزش دیرشد

در نیابد حال پخته هیچ خام — پس سخن کوتاه باید والسّلام ۱۲ — ❀باده درجوشش‌گدای‌جوش‌ماست — چرخ در گردش اسیر هوش ماست

❀باده از ما مست شد نی ما ازو — قالب از ما هست شد نی ما ازو ۱۳ — ❀بر سماع راست هرتن‌چیر نیست — طعمهٔ هر مرغکی انجیر نیست

بند بگسل باش آزاد ای پسر — چند باشی بند سیم و بند زر ۱٤ — گر بریزی بحر را در کوزهٔ — چند گنجد قسمت یك روزهٔ

کوزهٔ چشم حریصان پر نشد — تا صدف قانع نشد پر دُر نشد ۱٥ — هرکرا جامه ز عشقی چاك شد — او ز حرص و عیب کلی پاك شد

شاد باش ای‌عشق خوش سودای‌ما — ای طبیب جمله علتهای ما ۱٦ — ای دوای نخوت و ناموس ما — ای تو افلاطون و جالینوس ما

جسم خاك از عشق بر افلاك شد — کوه در رقص آمد و چالاك شد ۱۷ — عشق جان طور آمد عاشقا — طور مست و خرّ موسی صاعقا

❀سرّ پنهانست اندر زیر و بم — فاش اگر گویم جهان بر هم زنم ۱۸ — ❀آنچه نی‌میگوید اندر این‌دوباب — گر بگویم من جهان گردد خراب

با لب دمساز خود گر جفتمی — همچو نی من گفتنیها گفتمی ۱۹ — هرکه او از هم زبانی شد جدا — بینوا شد گرچه دارد صد نوا

چونکه‌گل‌رفت‌وگلستان‌درگذشت — نشنوی زان‌پس زبلبل سرگذشت ۲۰ — ❀چونکه‌گل‌رفت‌وگلستان‌شدخراب — بوی گل را ازکه جوئیم ازگلاب

بسم‌الله الرحمن الرحیم را برای دو جهت تحقیقی وتقلیدی مولوی در اول مثنوی ترك کرده اما تحقیقی چون هراسمی علامت غیبت ودر وقت غیاب صاحب اسم برده میشود نه در وقت حضور که قبیح است و مولوی دراول شروع بمثنوی البته درمقام حق‌البقین حضور قلبی بوده که حیا کرده اسم خداوند را درمقام حضور قلب ببرد. واما تقلیدی شاید تقلید ازقرآن کرده که بدون بسم‌الله اول سورهٔ نازلهٔ قرآن (اقرأ) بوده پس چون متجاوز از نصف قرآن را درمثنوی تفسیر عرفانی راجع بتوحید نفس وتحصیل ملکهٔ جمع حواس که عین توحید رب وتحصیل مقام جمع الجمعی است (که باتفاق تمام فلاسفه روحانی عالم موضوع علم الرّوح همین دوعنوان مذکور است و بس) نموده یعنی درمقابل سورهٔ اقرأ که از مادهٔ لفظی ومعنوی قرآنست بشنو فرموده که چگونه گفتهای قرآن وسایر کتب آسمانی را باسایر قصص از نی نفس ناطقه یا نی قصبةالریه یا نای حلقوم یا نی زبان یا نی قلم یا نی انگشتان که با قلم قرآن و مثنوی رامینویسد یا نی نفس کلیه الهیه یا نی عقل اول یا نی تمام حقائق تو خالی موجودات که ازطرف ذوات وتعینات وماهیات خود بمثل نی توخالی (یعنی خالی ازوجود وعدم) واز طرف‌حق توپرکه‌بمعنی‌صمداست منظماًنغمات خلقت شنیده میشود که «اذا قرأ القرآن فاستمعواوانصتواله» پس دور نیست که مقصود از نی همان آلت موسیقی که محرك رهروان و مؤثر درهر پیر وجوان حتی درحیوان است باشد که شتر از شنیدن حدی و خر از زنگوله رفع خستگی میکند پس هر مرتاضی بموسیقی که نظامش ازنظام خلقت چون حکایت میکند صاحب ملکه جمع حواس و توحید نفس و تنظیم افکار که حاکی از تنظیم عالم باشد بنظم موسیقی مینماید. اگر بگوئی یارب با این حکایت نفس ناطقه از نظام خلقت در فرد اول پس چرا تناقض گوئی وشکایت از جدائی .درفرد دویم دارد جواب میدهیم که اینگونه تناقضات قابل تحقیقات علمی درمثنوی مخصوصاً در توحید چون زیاداست شارح فعلی تمام موضوعات مشکله مثنوی و شاهکارهای مولوی در علم الروح را از شریعت و طریقت و حقیقت یا علم الیقین و عین الیقین وحق الیقین در مراتب توحید ذاتی و صفاتی و آثاری ودرعبودیت و نبوت و رسالت وخلت و ولایت و معراج واسرار قضا وقدر ومعرفت النفس وعشق واخلاق و آثار اراده از تمرکز قوا بنام معجزات وکرامات یا کیمیا و سیمیا و لیمیا یا تله‌کنزی و اسپرتیزم و مدیومیزم و هیپنوتیزم ومانیتیزم و گوئه ئیزم ومانند اینها ازآثار تمرکز مغز بعنوان شرح این فصل اول مثنوی که جامع جمیع مراتب علم الروح است با چندین تحقیقات علمی برای حل اشکال بیت اول بعنوان دیباچه و شرح حال مولوی انشاء الله خواهد نوشت ودر ابتدای مثنوی طبع خواهد شد منتظر باشید تا ملاحظه نمائید.

جمله معشوقست و عاشق پردهٔ / زنده معشوقست و عاشق مردهٔ ۱ / چون نباشد عشق را پروای او / او چو مرغی ماند بی پروای او
❀پر و بال ما کمند عشق اوست / مو کشانش میکشد تا کوی دوست ۲ / من چگونه هوش دارم پیش و پس / چون نباشد نور یارم پیش و پس
❀نور او دریمن ویسر وتحت وفوق / برسرو بر گردنم چون تاج وطوق ۳ / عشق خواهد کاین سخن بیرون بود / آینه غمّاز نبود چون بود
آینه ات دانی چرا غمّاز نیست / زآنکه زنگار ازرخش ممتاز نیست ۴ / ❀آینه کز زنگ آلایش جداست / پر شعاع نور خورشید خداست
❀رو تو زنگار از رخ او پاك کن / بعد ازآن آن نور را ادراك کن ۵ / ❀این حقیقت را شنو از گوش دل / تا برون آئی بکلی زآب وگل
❀فهم اگر دارید وجانرا ره دهید ۶ / بعد ازآن از شوق پا در ره نهید

حکایت عاشق شدن پادشاه بر کنیزك وخریدن او آن کنیزك را وبیمار شدن کنیزك ودرازی بیماری

بشنوید ای دوستان این داستان / خودحقیقت نقد حال ماست آن(۱) ۸ / ❀نقد حال خویش را گر پی بریم / هم ز دنیا هم زعقبی برخوریم
بود شاهی در زمانی پیش ازاین / ملك دنیا بودش و هم ملك دین ۹ / اتفاقاً شاه روزی شد سوار / با خواص خویش از بهر شکار
❀بهر صیدی میشد او بر کوه ودشت / ناگهان در دام عشق او صید گشت ۱۰ / یك کنیزك دید شه در شاهراه / شد غلام آن کنیزك جان شاه
مرغ جانش درقفس چون میطپید / داد مال و آن کنیزك را خرید ۱۱ / چون خرید اورا و برخوردار شد / آن کنیزك از قضا بیمار شد
آن یکی خر داشت پالانش نبود / یافت پالان گرگ خررا در ربود ۱۲ / کوزه بودش آب می نامد بدست / آبرا چون یافت خود کوزه شکست
شه طبیبان جمع کرد ازچپ وراست / گفت جان هردو در دست شماست ۱۳ / جان من سهلست جان جانم اوست / دردمند و خسته ام درمانم اوست
هرکه درمان کرد مر جان مرا / برد گنج و درّ و مرجان مرا ۱۴ / جمله گفتندش که جان بازی کنیم / فهم گرد آریم و انبازی کنیم
هریکی از ما مسیح عالمی است / هر الم را در کف ما مرهمی است ۱۵ / گر خدا خواهد نگفتند از بطر / پس خدا بنمودشان عجز بشر
ترك استثنا مرادم قسوتی است / نی همین گفتن که عارض حالتی است ۱۶ / ای بسا ناورده استثنا بگفت / جان او با جان استثناست جفت
هرچه کردند از علاج و از دوا / گشت رنج افزون و حاجت ناروا ۱۷ / آن کنیزك ازمرض چون موی شد / چشم شاه ازاشك خون چون جوی شد
❀چون قضا آید طبیب ابله شود / آن دوا در نفع خود گمره شود ۱۸ / از قضا سرکنگبین صفرا فزود / روغن بادام خشکی مینمود
از هلیله قبض شد اطلاق رفت / آب آتش را مدد شد همچو نفت ۱۹ / ❀سستی دل شد فزون وخواب کم / سوزش چشم و دل پر درد و غم
❀شربت و ادویه و اسباب او ۲۰ / از طبیبان ریخت یکسر آب رو

ظاهر شدن عجز طبیبان از معالجهٔ کنیزك بر پادشاه و رو آوردن بدرگاه پادشاه حقیقی

شه چو عجز آن طبیبان را بدید ۲۲ / پا برهنه جانب مسجد دوید
رفت درمسجد سوی محراب شد / سجده گاه از اشك شه پرآب شد ۲۳ / چون بخویش آمد ز غرقاب فنا / خوش زبان بگشاد در مدح و ثنا
کای کمینه بخششت ملك جهان / من چه گویم چون تومیدانی نهان ۲۴ / ❀حال ما واین طبیبان سر بسر / پیش لطف عام تو باشد هدر
ای همیشه حاجت ما را پناه / بار دیگر ما غلط کردیم راه ۲۵ / لیك گفتی گرچه میدانم سرت / زود هم پیدا کنش بر ظاهرت
چون برآورد از میان جان خروش / اندر آمد بحر بخشایش بجوش ۲۶ / در میان گریه خوابش در ربود / دید درخواب آنکه پیری رو نمود
گفت ای شه مژده حاجات رواست / گر غریبی آیدت فردا ز ماست ۲۷ / چونکه آید او حکیم حاذق است / صادقش دان کو امین وصادق است
در علاجش سحر مطلق را ببین / در مزاجش قدرت حق را ببین ۲۸ / ❀خفته بود آن خواب دید آگاه شد / گشته مملوك کنیزك شاه شد
چون رسید آن وعده گاه و روز شد / آفتاب از شرق اختر سوز شد ۲۹ / بود اندر منظره شه منتظر / تا بیند آنچه بنمودند سر
دید شخصی کاملی پر مایهٔ / آفتابی در میان سایهٔ ۳۰ / می رسید از دور مانند هلال / نیست بود و هست بر شکل خیال

---

(۱) در بیان فلسفه عرفانی داستان اول مثنوی (از آمدن شاهی بشکارگاه و عشق اتفاقی او بکنیزی و عشق کنیز بزرگری و رنجور شدن شاه برنجوری کنیز و ناکامی و نامرادی غالب آرزو و آمال دنیا وعجز اطبا از معالجه وترك انشاءالله و معالجه طبیب الهی) بدانکه عقلا چندان نظری براست و دروغ قصّه ندارند چه اکثر قصص بمثل کلیله ودمنه که غالباً مولوی موضوعات غیر کتب آسمانی را از او نقل مینماید دروغ بصورت راست است که هر شنوندهٔ را ممکن است که از عبارات و اشارات و تلویحات و کنایات و تأویلات و تمثیلات آنها عبرتها برگیرد و متأثر شود و نقد حال خود را دریابد . پس بنا براین مقدمه مقصود از آمدن شاه درشکارگاه آمدن شاه روح انسانی از پایتخت اسماء و صفات الهی و وطن اصلی است که علیکم بالسواد الاعظم همین است بشکارگاه اعضای بدنی برای صید معارف بدامهای حواس که (من فقد حساً فقد علما) ناگاه بکنیزك نفس امّاره (قوهٔ خیال) که هر غیر مطلوبی را بصورت مطلوب جلوه میدهد وهر پستی را بلند و بلندی را پست وسهلی را ممتنع و ممتنعی را سهل و هر خوبی را از حقائق بیدی ونیستی وهر بدی را ازظواهر بهستی معرفی مینماید بقسمیکه هر کس عشق باو یابد ناکام است چه او عشق بغیر عاشق خود یعنی بزرگردنیا (که متاع دنیا فقط بزر و زینت است) داشته و این عدم تفاوق اخلاقی بین عاشق و معشوق مخصوصاً در فضای تنگ دنیای ناقص العیش که هر گلی از او پر خار وهر نوشی پر نیش بوده موجب ابتلای شاه روح بقسمی شده که همیشه دوچار این دو قضیه در هر آرزو و آمالی شده (آن یکی خر داشت پالانش نبود الخ) (بعلاوه آنکه : از قضا سرکنگبین صفرا فزود) و مقصود از عجز اطبای بدون استثنا علمای سوء که بمشیت‌الله اختیاری چون متصل نبودند ترك انشاءالله گفتن حالی و قالی نموده و طبیب الهی که بعلاوه اتصال تکوینی چون اتصال اختیاریهم بمشیت الله داشته زبان حالش زبان انشاءالله واستثنا بوده از راه اسباب مناسب که موافق هردو مشیت است معالجهٔ کامل از کنیزك نموده و شاه روح را براحت ابدی بواسطهٔ تربیت و اصلاح نفس امّاره که قوه خیال است رسانیده نه بکشتن نفس که مرسوم بیشتر مرتاضین هند است چه هنر در تربیت و اصلاح هردزد و سرکش است نه درکشتن که خلاف تمدن است .

نیست وش باشد خیال اندر جهان (۱) تو جهانی بر خیالی بین روان ۱ بر خیالی صلحشان و جنگشان وازخیالی فخرشان وننگشان (۲)
آن خیالاتی که دام اولیاست (۳) عکس مه رویان بستان خداست ۲ آنخیالی را که شه درخواب دید در رخ مهمان همی آمد پدید
❀نور حق ظاهر بود اندر ولی نیك بین باشی اگر اهل دلی ۳ ❀آنولیّ حق چو پیدا شد زدور از سر و پایش همی میتافت نور
شه بجای حاجبان وپیش رفت پیش آنمهمان غیب خویش رفت ٤ ❀ضیف غیبی را چو استقبال کرد چون شکر گوئی که پیوست او بورد
هر دو بحری آشنا آموخته هر دو جان بی دوختن بردوخته ٥ ❀آن یکی چون تشنه واندیگر چوآب آن یکی مخمور وآن دیگر شراب
گفت معشوقم تو بودستی نه آن لیك کار از کار خیزد درجهان ٦ ای مرا تو مصطفی من چون عمر از برای خدمتت بندم کمر

درخواستن توفیق رعایت ادب و وخامت بی ادبی

از خدا جوئیم توفیق ادب بی ادب محروم ماند ازلطف رب ۸ بی ادب تنها نه خودرا داشت بد بلکه آتش در همه آفاق زد
مائده از آسمان در میرسید بی شری و بیع وبی گفت وشنید ۹ در میان قوم موسی چند کس بی ادب گفتند کو سیر و عدس
منقطع شد خوان و نان ازآسمان ماند رنج زرع و بیل و داسمان ۱۰ باز عیسی چون شفاعت کرد حق خوان فرستاد و غنیمت بر طبق
❀ مائده از آسمان شد عائده چونکه گفت انزل علینا مائده ۱۱ باز گستاخان ادب بگذاشتند چون گدایان زلها برداشتند
کرد عیسی لابه ایشان را که این دائمست و کم نگردد از زمین ۱۲ بدگمانی کردن و حرص آوری کفر باشد نزد خوان مهتری
زان گدا رویان نا دیده ز آز آن در رحمت بر ایشان شد فراز ۱۳ ❀ نان وخوان(٤)ازآسمان شدمنقطع بعد ازآن زان خوان نشدکس منتفع
ابر برناید پی منع زکات وز زنا افتد وبا اندر جهات ۱٤ هرچه برتو آید از ظلمات و غم آن زبی باکی وگستاخیست هم
هرکه بی باکی کند در راه دوست رهزن مردان شد و نامرد اوست ۱٥ از ادب پرنور گشتست این فلك واز ادب معصوم و پاك آمد ملك
بد زگستاخی کسوف آفتاب (٥) شد عزازیلی ز جرأت ردّ باب ۱٦ ❀هرکه گستاخی کند اندرطریق گردد اندر وادی حیرت غریق
❀حال شاه ومیهمان برگو تمام ۱۷ زانکه پایانی ندارد این کلام

ملاقات پادشاه با آن طبیب الهی که درخوابش بشارت بملاقات او داده بودند

❀شه چوپیش میهمان خویش رفت شاه بود او لیك بس درویش رفت ۱۹ دست بکشاد و کنارانش گرفت همچو عشق اندر دل وجانش گرفت
دست و پیشانیش بوسیدن گرفت از مقام و راه پرسیدن گرفت ۲۰ پرس پرسان میکشیدش تا بصدر گفت گنجی یافتم آخر بصبر
❀صبر تلخ آمد ولیکن عاقبت میوهٔ شیرین دهد پر منفعت ۲۱ گفت ای نور حق ودفع حرج معنی الصّبر مفتاح الفرج
ای لقای تو جواب هر سؤال مشکل ازتو حل شود بی قیل وقال ۲۲ ترجمان هرچه ما را در دل است دستگیر هرکه پایش درگل است
مرحبا یا مجتبی یا مرتضی ان تغب جاء القضا ضاق الفضا(٦) ۲۳ انت مولی القوم من لا یشتهی قد ردی کلا لئن لم ینته

بردن پادشاه طبیب را برسر بیمار تا حال اورا ببیند

چون گذشت آن مجلس وخوان کرم دست او بگرفت و برد اندر حرم ۲٥ قصهٔ رنجور و رنجوری بخواند بعد ازآن درپیش رنجورش نشاند
رنگ رو و نبض و قاروره بدید هم علاماتش هم اسبابش شنید ۲٦ گفت هر دارو که ایشان کرده‌اند آن عمارت نیست ویران کرده‌اند
بی خبر بودند از حال درون استعیذالله ممّا یفترون ۲۷ دید رنج وکشف شد بر وی نهفت لیك پنهان کرد وبا سلطان نگفت
رنجش از صفرا و از سودا نبود بوی هر هیزم پدید آید ز دود ۲۸ دید از زاریش کو زار دلست تن خوش است و او گرفتار دلست
عاشقی پیداست از زاری دل نیست بیماری چو بیماری دل ۲۹ علت عاشق ز علتها جداست عشق اصطرلاب اسرار خداست(۷)
عاشقی گرزین سروگرزان سراست(۸) عاقبت ما را بدان شه رهبراست ۳۰ هرچه گویم عشق را شرح وبیان چون بعشق آیم خجل گردم ازآن
گرچه تفسیر زبان روشنگر است لیك عشق بیزبان روشنتر است ۳۱ چون قلم اندر نوشتن میشتافت چون بعشق آمد قلم برخود شکافت
❀چون سخن دروصف اینحالت رسید هم قلم بشکست وهم کاغذ درید ۳۲ عقل درشرحش چوخر درگل بخفت شرح عشق وعاشقی هم عشق گفت
آفتاب آمد دلیل آفتاب گر دلیلت باید از وی رومتاب(۹) ۳۳ ازوی ارسایه نشانی میدهد (۱۰) شمس هر دم نور جانی میدهد

---

(۱) (اندرروان خ ل) یعنی چون خیالات بواسطه آنکه غیر محسوس بحواس ظاهر وبتبع محسوسات به آنها نظر داشتن و غیر منظم و بدون سرچشمه درمغز آناً فاناً آمدن است نیست وش یعنی مانند نیست درنظر عوام مینماید درحالتیکه تمام صنایع بشریه واخلاق اجتماعی وحیات انفرادی بنقشه‌ریزی قوهٔ خیال است (همچنین : توجهانی برخیالی بین روان) یعنی خیال عالم کبیر عالم مثال است که موجب نقشه‌ریزی عالم است.(۲) نامشان وننگشان خ ل (۳) یعنی چون خیالات انبیا و اولیاء بواسطهٔ تمرکز قوا و توحید نفس راه ببوستان احدیت یافتند ازعوالم اسماء وصفات الهیه عکسهای مه رویان حقائق وجودیه در خیالات آنان بقسمی عکس بجای خیال میاندازد که از این دام جاذبه عکوس بدام صاحب عکسها میافتند با همین دام و مکر صید دلهای طالبین را مینمایند لذادرهمین دفتر فرموده (دامهاشان مرغ گردونی گرفت الخ) (والله خیر الماکرین) (٤) من وسلوی خ ل (٥) اگرچه کسوف شمس وخسوف قمر از معصیت خلق بعقیده مولوی نیست چه این عقیده عوامانه است ولکن تحقیق مطلب را بدو معنی میتوان نمود که عقیده مولوی را در این بیت عارفانه و عالمانه جلوه دهد اول از بی ادبی نظام و انحراف حرکت دوریه اجزای منظومه شمسیه از سیر منظم خود است که موجب فصول اربعه شده کما اینکه در نجوم محقق است . دوم ممکن است مقصود مولوی مطابق این کسوف نجومی که از بی ادبی و انحراف نظام حاصل میشود کسوف روح باشد که از بی ادبی معاصی و انحراف مزاج حاصل خواهد شد . (٦) یعنی اگر معشوق از دل عاشق غیبت کند چون عاشق بغیر از معشوق چیزی ندارد فضای عالم براو تنگ خواهد شد . (۷) یعنی عشق مرض مغزی یا مزاجی و سودائی نیست که اطبا گفتند بلکه یا چون تاکنون سببش فهمیده نشده باید جنون الهی یا جنون نما گفت چه در جنون عشق همه حقائق کشف میگردد بخلاف جنون مغزی .
(۸) یعنی چون پرتو عشق بمثل جاذبه عمومی مجاز وحقیقت را گرفته اگر درمجاز استقامت بملکه جمع حواس گردد بحقیقت خواهد رسید کما اینکه گویند مجنون در آخر کار بلیلی اعتنائی نمینمود . (۹) یعنی باید در همه جا دلیل ازسنخ مدلول بمثل سنخیت هرحسی ازحواس ظاهره وباطنه بامحسوس خود باشد والا هرغیری باید باندازه غیریت طمع دلالت را ازاو برید. (۱۰) (ب) مقصود ازسایه دراینجا که دربیت بعد هم فرموده چون سمر (افسانه) خواب آورنده است ادله فلسفی ازترکیبات ماهیات امکانیه برآفتاب. حقیقت است که عالم را ازخود پرکرده وبچشم اهلش جلوه گر وشق القمر افکار است.

سایه خواب آرد ترا هم چون سمر — چون برآید شمس انشق القمر ۱ — خودغریبی درجهان چون شمس نیست — شمس جان باقی کش امس نیست(۱)
شمس در خارج اگرچه هست فرد — مثل او هم میتوان تصویر کرد ۲ — لیك شمسی که ازاو شد هست اثیر — نبودش در ذهن و درخارج نظیر
در تصوّر ذات اورا گنج کو — تا در آید در تصوّر مثل او ۳ — ❀ شمس تبریزی که نورمطلق است — آفتابست و ز انوار حق است
چون حدیث روی شمس الدین رسید — شمس چارم آسمان رو درکشید ٤ — واجب آمد چونکه بردم نام او — شرح کردن رمزی از انعام او
این نفس جان دامنم بر تافته است — بوی پیراهان یوسف یافته است ٥ — کز برای حق صحبت سالها — بازگو رمزی از آن خوش حالها
تا زمین و آسمان خندان شود — عقل و روح ودیده صدچندان شود ٦ — ❀ گفتم ای دور اوفتاده ازحبیب — همچو بیماری که دوراست ازطبیب
لا تکلفنی فانی فی الفنا — کلت افهامی فلا احصی ثنا (۲) ۷ — کل شیئی قاله غیر الفنیق — ان تکلف او تصلف لا یلیق
❀ هرچه میگوید موافق چون نبود — چون تکلف نیك نالایق نمود ۸ — من چگویم یك رگم هشیار نیست — شرح آن یاری که اورا یارنیست
❀ خود ثنا گفتن زمن ترك ثناست — کاین دلیل هستی وهستی خطاست(۳) ۹ — شرح این هجران واین خون جگر — این زمان بگذار تا وقت دگر
قال اطعمنی فانی جائع — فاعتجل فالوقت سیف قاطع (٤) ۱۰ — صوفی ابن الوقت باشد ایرفیق — نیست فردا گفتن ازشرط طریق
❀ صوفی ابن الحال باشد درمثال — گرچه هردو فارغند از ماه وسال ۱۱ — تو مگر خود مرد صوفی نیستی — هست را از نسیه خیزد نیستی
گفتمش پوشیده خوشتر سرّ یار — خود تو درضمن حکایت گوش دار ۱۲ — خوشتر آن باشد که سرّ دلبران — گفته آید در حدیث دیگران
گفت مکشوف و برهنه بی غلول — باز گو رنجم مده ای بوالفضول ۱۳ — ❀ بازگو اسرار و رمز مرسلین — آشکارا به که پنهان ذکر دین
پرده بردار و برهنه گو که من — می نگنجم با صنم در پیرهن ۱٤ — گفتم ار عریان شود او در عیان — نی تو مانی نی کنارت نی میان
آرزو میخواه لیك اندازه خواه(٥) — بر نتابد کوه را یك برگ کاه ۱٥ — آفتابی کز وی این عالم فروخت — اندکی گر بیش تابد جمله سوخت
❀ تانگردد خون دل وجان جهان — لب بدوز و دیده بربند اینزمان ۱٦ — فتنه و آشوب و خون ریزی مجو — بیش ازاین از شمس تبریزی مگو
این ندارد آخر از آغاز گو ۱۷ — رو تمام آن حکایت باز گو

خلوت طلبیدن آن ولی ازپادشاه جهت دریافتن رنج کنیزك

❀ چون حکیم ازاینسخن آگاه شد — وز درون همداستان شاه شد ۱۹ — گفت ای شه خلوتی کن خانه را — دور کن هم خویش وهم بیگانه را
کس ندارد گوش در دهلیزها — تا بپرسم از کنیزك چیزها ۲۰ — ❀ خانه خالی کرد شاه وشد برون — تا بپرسد از کنیزك او فسون
خانه خالی ماند و یك دیّار نی — جز طبیب وجز همان بیمار نی ۲۰ — نرم نرمك گفت شهر تو کجاست — که علاج اهل هرشهری جداست
واندر آن شهر از قرابت کیستت — خویشی و پیوستگی با چیستت ۲۲ — دست بر نبضش نهاد و یك بیك — باز میپرسید از جور فلك
چون کسی را خار در پایش خلد — پای خود را برسر زانو هلد ۲۳ — وز سر سوزن همی جوید سرش — ور نیابد میکند با لب ترش
خار درپا شد چنین دشوار یاب — خار در دل چون بود واده جواب ۲٤ — خار دل را گر بدیدی هر خسی — دست کی بودی غمان را بر کسی
کس بزیر دمّ خر خاری نهد — خر نداند دفع آن بر میجهد ۲٥ — خر ز بهر دفع خار از سوز ودرد — جفته می انداخت صدجا زخم کرد
❀ آن لگد کی دفع خار اوکند — حاذقی باید که بر مرکز تند ۲٦ — برجهد آن خار محکم تر کند — عاقلی باید که خاری برکند
آن حکیم خارچین استاد بود — دست میزد جابجا می آزمود ۲۷ — زان کنیزك برطریق داستان — باز میپرسید حال دوستان
با حکیم او رازها میگفت فاش — از مقام و خواجگان وشهر تاش ۲۸ — سوی قصه گفتنش میداشت گوش — سوی نبض وجستنش میداشت هوش
تاکه نبض ازنام کی گردد جهان — او بود مقصود جانش در جهان ۲۹ — دوستان شهر اورا بر شمرد — بعد از آن شهر دگر را نام برد
گفت چون بیرون شدی ازشهر خویش — در کدامین شهر میبودی تو بیش ۳۰ — نام شهری گفت و زانهم درگذشت — رنگ رو و نبض او دیگر نگشت
خواجگان و شهرها را یك بیك — باز گفت از جای واز نان و نمك ۳۰ — شهر شهر وخانه خانه قصه کرد — نی رگش جنبید ونی رخ گشت زرد
نبض او برحال خود بد بی گزند — تا بپرسید از سمرقند چو قند ۳۲ — ❀ آه سردی برکشید آن ماه روی — آب ازچشمش روان شد همچوجوی
❀ گفت بازرگانم آنجا آورید — خواجهٔ زرگر در آنشهرم خرید ۳۳ — ❀ دربرخود داشت ششماه وفروخت — چون بگفت این زاتش غم برفروخت
نبض جست و روی سرخش زردشد — کز سمرقندی زرگر فرد شد ۳٤ — چون زرنجور آن حکیم این رازیافت — اصل آن درد و بلا را باز یافت
گفت کوی او کدامست و گذر — او سر پل گفت وکوی غافر ۳٥ — ❀ گفت آنگه آن حکیم باصواب — آن کنیزك را که رستی ازعذاب
گفت دانستم که رنجت چیست زود — در علاجت سحرها خواهم نمود ۳٦ — شاد باش و فارغ و ایمن که من — آن کنم با تو که باران با چمن
من غم تو میخورم تو غم مخور — بر تو من مشفق ترم از صد پدر ۳۷ — هان وهان این رازرا باکس مگوی — گرچه شاه از تو کند بس جستجوی

---

(۱) اینچنین شمسی از عرفا که استاد طریقت مولویست بمثل خود شمس حقیقت یعنی ذات احدیّت که از غریبی وتنهائی منحصر بیکی است بمثل اینکه در حدیث وارد است که مؤمن حقیقی کمتر از کیمیاست . (۲) یعنی غیر عاشق فانی هرکس دم از عشق ولو بادق معانی بزند تکلف ورنج برده و بحقیقت معشوق هم نخواهد رسید . (۳) اگرچه خبر عاشق از معشوق بترك خبر وتعریف وثناست ولکن آنرا که خبر شد خبری باز نیامد . (٤) چون هیچ شمشیری برنده تر از وقت نیست که همیشه گذشته و آینده را از هم جدا مینماید پس باید عاشق زود غذای عشق را بکام خود برساند و بشمشیر همت و عزم و اراده هر مانعی را گردن زده و وعده وصل را از این وقت بوقت دیگر نیاندازد . (٥) سنگینی تمام زندگیهای اهل عالم برای همین است که میخواهند بوسعت لاستیکی خیال نظام مقدرات را تغییر داده وگردش منظم افلاك و روزگار را مطابق مرام و آرزو وآمال (خواه عقلانی وشدنی وخواه غیر معقول ونشدنی) خودقرار بدهند اینستکه غالب زندگانیهای عالم بمثل کوهی که فشار برکاهی میاورد برارواح مردم چه درکارهای دنیا وچه درکارهای آخرت چنان فشار آورده که یکدل خوش و راضی در عالم نیست مخصوصاً اشخاصیکه در علم الروح میخواهند حقائق مقامات عشق را بمیزان خیال و عقل مشوب که مقصود مولوی از این بیت همین است دست بیاورند اینست که بغیر از زحمت و قناعت بالفاظ و خیالات متشابه نتیجه دیگری نبرده و نخواهند برد .

*تا توانی پیش کس مگشای راز / برکسی این در مکن زنهار باز ۱ / چونکه اسرارت نهان در دل شود(۱) / آن مرادت زود تر حاصل شود
گفت پیغمبر هر آن کو سر نهفت / زود گردد با مراد خویش جفت ۲ / دانه چون اندر زمین پنهان شود(۲) / سر آن سر سبزی بستان شود
زرّ و نقره گر نبودندی نهان / پرورش کی یافتندی زیرکان ۳ / وعده ها و لطفهای آن حکیم / کرد آن رنجور را ایمن ز بیم
وعده ها باشد حقیقی دل‌پذیر / وعده ها باشد مجازی تا سه گیر ۴ / وعدهٔ اهل کرم گنج روان / وعدهٔ نا اهل شد رنج روان
*وعده را باید وفا کردن تمام / ور نخواهی کرد باشی سرد و خام

دریافتن آن طبیب الهی رنج کنیزك را وبشاه وانمودن

*آن حکیم مهربان چون راز یافت / صورت رنج کنیزك باز یافت ۷ / بعد از آن برخاست تزم شاه کرد / شاه را زان شمهٔ آگاه کرد
*شاه گفت اکنون بگو تدبیر چیست / در چنین غم موجب تاخیر چیست ۸ / گفت تدبیر آن بود کان مردرا / حاضر آریم از پی این درد را
*تا شود محبوب تو خوشدل بدو / گردد آسان این همه مشکل بدو ۹ / *قاصدی بفرست کاخبارش کنند / طالب این فضل و ایثارش کنند
مرد زرگررا بخوان زان شهردور / با زر و خلعت بده اورا غرور ۱۰ / چون ببیند سیم و زر آن بینوا / بهر زر گردد ز خان و مان جدا
*زر خردرا واله و شیدا کند / خاصه مفلس را که خوش رسوا کند ۱۱ / *زر اگرچه عقل می‌آرد ولیك / مرد عاقل یابد اورا نیك نیك

فرستادن پادشاه رسولان بسمرقند در طلب آن مرد زرگر

*چونکه سلطان از حکیم آنرا شنید / پند اورا از دل و از جان گزید ۱۳ / *گفت فرمان ترا فرمان کنم / هرچه گوئی آنچنان کن آن کنم
پس فرستاد آنطرف یکدو رسول / حاذقان و کافیان بس عدول ۱۴ / تا سمرقند آمدند آن دو امیر / پیش آن زرگر زشاهنشه بشیر
کای لطیف استاد کامل معرفت / فاش اندر شهرها از تو صفت ۱۵ / نك نلان شه از برای زرگری / اختیارت کرده زیرا مهتری
اینك این خلعت بگیر و زرّ وسیم / چون بیائی خاص باشیّ و ندیم ۱۶ / مرد مال و خلعت بسیار دید / غرّه شد از شهر و فرزندان برید
اندر آمد شادمان در راه مرد / بیخبر کان شاه قصد جانش کرد ۱۷ / اسب تازی برنشست و شاد تاخت / خونبهای خویش را خلعت شناخت
ای شده اندر سفر با صد رضا / خود بپای خویش تا سوء القضا ۱۸ / در خیالش ملك و عز و سروری / گفت عزرائیل رو آری بری
چون رسید از راه آنمرد غریب / اندر آوردش بپیش شه طبیب ۱۹ / سوی شاهنشاه بردش خوش بناز / تا بسوزد برسر شمع طراز
شاه دید اورا و بس تعظیم کرد / مخزن زر را بدو تسلیم کرد ۲۰ / *پس بفرمودش که برسازد ز زر / از سوار و طوق و خلخال وکمر
*هم ز انواع اوانی بی عدد / کانچنان در بزم شاهنشه سزد ۲۱ / *زرگرفت آنمرد وشد مشغول کار / بیخبر زاینحالت و این کار زار
پس حکیمش گفت کای سلطان مه / آن کنیزك را بدین خواجه بده ۲۲ / تا کنیزك در وصالش خوش شود / زآب وصلش دفع این آتش شود
شه بدو بخشید آن مه روی را / جفت کرد آن هردو صحبت جویرا ۲۳ / مدت ششماه می راندند کام / تا بصحت آمد آن دختر تمام
بعد از آن از بهر او شربت بساخت / تا بخورد و پیش دختر میگداخت ۲۴ / چون ز رنجوری جمال او نماند / جان دختر در وبال او نماند
چونکه زشت و ناخوش ورخ زرد شد / اندك اندك در دل او سرد شد ۲۵ / عشقهائی کز پی رنگی بود / عشق نبود عاقبت ننگی بود (۳)
کاشکی آن ننگ بودی یکسری / تا نرفتی بر وی آن بد داوری ۲۶ / خون دوید از چشم همچون جوی او / دشمن جان وی آمد روی او
دشمن طاوس آمد پرّ او / ای بسا شه را بکشته فرّ او ۲۷ / *چونکه زرگر ازمرض بد حال شد / وزگدازش شخص اوچون نال شد
گفت من آن آهویم کز ناف من / ریخت آن صیّاد خون صاف من ۲۸ / ای من آن روباه صحرا کز کمین / سر بریدندم برای پوستین
ای من آن پیلی که زخم پیلبان / ریخت خونم از برای استخوان ۲۹ / آنکه کشتستم پی مادون من / می نداند که نخسبد خون من

---

(۱) این چند بیت در حفظ اسرار از مطالب مهمه علم الروح است که نباید اغیار و ناجنسان از اسرار دستورات روحیات اطلاع یابند چه اولا فائدهٔ در اطلاع آنان نیست و ثانیاً احتمال ضرر و فتنه و سدّ راه مقاصد داده میشود و ثالثاً چون اجنبی و ناجنس است و سنخیت با روحیات نداشته و یا در افق و مقام تو چون نیست ممکن است اطلاعاتش بر اسرار تو بر خلاف واقع اتفاق افتاده و تولید سوء ظن ودشمنیهای غیر منتظره بشود وچهارم چون حسد از اوصاف طبیعی نشو وارتقاء است باید صاحب هنر تا میتواند از خود نمائی وکشف اسرار خود داری نماید تابرحسب قانون تحریکات طبیعت حسهای حسد و رقابت نسبت بهنر جسمانی یا روحانی او تحریك نشده وازاقل ضرر الکتریسیته منفی که از جان حسود بهنرهای صاحبان هنر متمرکز شده آن کار را ناقص و صاحبش را دوچار زحمت (دیر یازود) خواهد نمود محفوظ بماند. (۲) پنهانی دانه که موجب افشای سر سبزی بستان است خیلی شبیه است به پنهانی ذات احدیت که چون سرالاسرار جهان است هیچوقت ظاهر نشده و نخواهد شد کما آنکه در حدیث قدسی فرموده (کنت کنزاً مخفیا) پس اگرچه در مقام فاحببت ان اعرف که مقام ظهور مشیت‌الله است سر سبز بستان کائنات شده ولکن چنانچه دانه پنهان زیر زمین چون پنهان است موجب سرسبزی و افشا است و خود باز همان پنهانی اولیه را داشته و از دست نداده وتا عمر درخت باقی است پنهانی دانه یا ریشه هم باقی خواهد بود همچنین پنهانی ریشه کائنات (ذات غیب الغیوب) اگرچه موجب افشای همه کائنات شده ولکن تا درخت کائنات باقی و درنشو وارتقاست بموجب آن پنهانی ریشه ودانه آن هم پنهان خواهد بود بقسمیکه اگر دانه وریشه ظاهر شود درخت کائنات ازریشه درآمده ومعدوم خواهدشد پس اگر شاخها و برگها و میوها بخواهند پی باسرار ریشه ببرند بدلیل اینکه ریشه در مقام سر سبزی بستان ظاهر شده طمع خام نموده وحق این دلیل را نخواهند فهمید پس آنچه سراست محال استکه انشا شود وآنچه قابل انشا است سر نیست. (۳) مشکلی این بیت برای آنستکه منافات با این بیت گذشته مولوی دارد که درصفحه قبل فرمود (عاشقی گر زین سر وگر زان سر است * عاقبت مارا بدان شه رهبر است) چه در اینجا عشق مجازیرا ننگ وناپایدار دانسته و در آنجا بالاخره رهبر حقیقت معرفی کرده جواب در جمع بین این دو کلام آنستکه درخانه طبیعت هیچ گلی بی‌خار وهیچ گنجی بی مار و هیچ نیشی بی نوش یعنی هیچ شری بی خیر نیست کما آنکه از شرور امراض رواج بازار خیرات اطبا و از شرور دزدان رؤسای محبس و بناها واز شرور قصاص حیات و عبرت دیگران و از شرور شیطان اجر مؤمنان و اشتداد مقامات خود داران ازاطاعت شیطان واز شر شمر خیرات عزا خانها برپاست واین یکی از اسرار خلقت اشرار است پس عشق مجازی اگرچه ازجهتی ننگ است ولکن ممکن است از جهتی دیگر موجب خیرات گردد دقت نمائید تا اشتباه نشود.

این من است امروز و فردا بر وی است / خون چون من کس چنین ضایع کی است ۱ / گرچه دیوار افکند سایه دراز / باز گردد سوی او آن سایه باز
این جهان کوهست و فعل ما ندا / سوی ما آید ندا ها را صدا ۲ / این بگفت ورفت دردم زیر خاك / آن کنیزك شد زعشق ورنج پاك
زانکه عشق مردگان پاینده نیست / چونکه مرده سوی ما آینده نیست ۳ / عشق زنده در روان و در بصر / هر دمی باشد زغنچه تازه تر
عشق آن زنده گزین کو باقی است / واز شراب جانفزایت ساقی است ٤ / عشق آن بگزین که جمله انبیا / یافتند از عشق او کار و کیا
تو مگو مارا بدان شه بار نیست / با کریمان کارها دشوار نیست ٥

دربیان آنکه کشتن مرد زرگر باشارهٔ الهی بود نه بهوای نفس

کشتن آن مرد بردست حکیم (۱) / نی پی امّید بود و نی ز بیم ۷ / او نکشتش از برای طبع شاه / تا نیامد امر و الهام از اله(۲)
آن پسررا کش خضر ببرید حلق / سّر آن را در نیابد عام خلق (۳) ۸ / آنکه از حق یابد او وحی وخطاب / هرچه فرماید بود عین صواب(٤)
آنکه جان بخشد اگر بکشد رواست / نایب است ودست اودست خداست ۹ / همچو اسمعیل پیشش سر بنه / شاد وخندان پیش تیغش جان بده
تا بماند جانت خندان تا ابد / همچو جان پاك احمد با احد ۱۰ / عاشقان جام فرح آنگه کشند / که بدست خویش خوبانشان کشند
شاه آن خون از پی شهوت نکرد / تو رها کن بدگمانیّ و نبرد ۱۱ / تو گمان کردی که کرد آلودگی / در صفا غش کی هلد پالودگی
❀ بگذر از ظنّ خطا ای بدگمان / انّ بعض الظنّ اثم آخر بخوان ۱۲ / بهر آنست این ریاضت و ین جفا / تا برآرد کوره از نقره جفا
بهر آن است امتحان نیك و بد / تا بجوشد برسر آرد زر زبد (٥) ۱۳ / گر نبودی کارش الهام اله / او سگی بودی درانده نه شاه
پاك بود از شهوت و حرص وهوا / نیك کرد او لیك نیك بد نما ۱٤ / گرخضر دربحرکشتی را شکست(٦) / صد درستی درشکست خضرهست
وهم موسی با همه نور و هنر / شد ازان محجوب تو بیٌ پرمپر ۱٥ / آن گل سرخست تو خونش مخوان / مست عقل است او تو مجنونش مدان
گر بدی خون مسلمان کام او / کافرم گر بردمی من نام او ۱٦ / می بلرزد عرش از مدح شقی / بدگمان گردد ز مدحش متّقی
شاه بود و شاه بس آگاه بود / خاصه بود و خاصهٔ الله بود ۱۷ / آن کسی را که چنین شاهی کشد / سوی تخت بهترین جاهی کشد
❀ قهر خاصی ازبرای لطف عام / شرع میدارد روا بگذار کام ۱۸ / نیم جان بستاند و صد جان دهد / آنچه در وهمت نیاید آن دهد
گر ندیدی سود او در قهر او / کی شدی آن لطف مطلق قهرجو ۱۹ / طفل میترسد ز نیش احتجام / مادر مشفق در آن غم شاد کام
تو قیاس ازخویش میگیری ولیك / دور دور افتادهٔ بنگر تو نیك ۲۰ / ❀ پیشتر آ تا بگویم قصهٔ / بو که یابی از بیانم حصهٔ

حکایت مرد بقال و طوطی و روغن ریختن طوطی دردکان

بود بقالیٌ و او را طوطئی / خوش نوا و سبز و گویا طوطئی ۲۲ / بر دکان بودی نگهبان دکان / نکته گفتی با همه سوداگران
در خطاب آدمی ناطق بدی / در نوای طوطیان حاذق بدی ۲۳ / ❀ خواجه روزی سوی خانه رفته بود / بر دکان طوطی نگهبانی نمود
❀ گربهٔ برجست ناگه از دکان / بهر موشی طوطیك از بیم جان ۲٤ / جست واز صدر دکان سوئی گریخت / شیشهای روغن گل را بریخت
از سوی خانه بیامد خواجه اش / بر دکان بنشست فارغ خواجه وش ۲٥ / دید پر روغن دکان وجاش چرب / برسرش زد گشت طوطی کل زضرب
روزك چندی سخن کوتاه کرد / مرد بقال از ندامت آه کرد ۲٦ / ریش برمیکند و میگفت ای دریغ / کافتاب نعمتم شد زیر میغ
دست من بشکسته بودی آن زمان / چون زدم من برسر آن خوش زبان ۲۷ / هدیه ها میداد هر درویش را / تا بیابد نطق مرغ خویش را
بعد سه روز وسه شب حیران وزار / بر دکان بنشسته بد نومید وار ۲۸ / با هزاران غصه وغم گشته جفت / کای عجب این مرغ کی آید بگفت

---

(۱) یعنی حکیم الهی آنچه حکم نماید بی غرضانه و بدون امید و بیم های دنیوی و نفسانی است اگرچه بی غرض مطلق حکیم نخواهدبود ولکن داعی او در کارها اغراض الهیه است نه خلقی . (۲) یعنی وحی و الهام الهی در هر صاحب الهامی برای همین جهت بی غرضی است . (۳) منحصر باین سر نیست که عوام نمیفهمند بلکه تمام حکمتهای اوامر ونواهی پیغمبر وقت را نفهمیده ونباید هم بفهمند بدو جهت اول ـ برای اینکه فوقاً گفتیم که اوامر و نواهی شرع بی غرضانه یعنی بی جهت بوده پس جهت و غرضی قابل درخور فهم خلق نداشته تا در فلسفه باقی عبادات یافته شود و اغراض الهی را هم که غیر از الهی کسی نمیداند ونباید هم بداند و الا بر ضررش تمام خواهد شد . دویم ـ در هر کاری فلسفه آنرا فهمیدن خیلی خوب است الا در کارهای عبادت و بندگی خداوند چه اگر غرض وفلسفه و سّر امر و نهی هر شریعتی در عباداتش کشف شود مردم برای همان جهت فلسفه و حکمت و منافع آن عبادت خواهند نمود نه خالصاً ومخلصاً برای خدا پس افشای اسرار امر ونهی هر شریعتی ولو فلسفه و عرفان باقی احکام باشد برای موحدین شرك آور است ولکن برای ناقصین از باب تشویق گاهی چاره نیست که مولوی ذیلا در ضمن قصه موسی و خضر درکشف اسرار شکستن کشتی و سر بریدن طفل از مثل خضری که بنظر موسی غیر معقول آمده و ایراد مینموده میفرماید که برای امتحان در صبر و استقامت و تمیز هر نیك و بدی بوده . (٤) یعنی این اوامر و نواهی انبیا که از وحی و الهام و خطابات الهیه است حقیقت صواب و صدق آنها برای همین جهت بی غرضانه بودن است نه آنکه میزان خطا و صواب آنان بمیزان عقول مشوب یا مطابق و مخالف عادات و طبایع باشد لذا آنچه از انبیا بی غرضانه که ملاك وحی الهی است امر ونهی کرده شود حق و حقیقت است اگرچه بر خلاف تمام عقول بشریه و عادات و اخلاق آنها باشد ولکن این میزان فقط در تمیز انبیا رواج است نه درتمیز خطا و صواب اهل دنیا. (٥) بدانکه ریاضتهای مرتاضین اگرچه ابتداء غالباً منافی حفظ الصحه ومنافی قوانین اجتماعی است ولکن از قبول این منافات درزندگانی انفرادی برای مقاصد جلب کمالات نفسانیه که بالاخره ممکن است که بنفع جامعه تمام شود چاره نیست کما آنکه از جراحی و طبابت طبیب هم در دادن دواهای سمی و مضعف برای اصلاحات آیندهٔ مریض چاره نیست پس ایراد حکمای عصر جدید بمرتاضین قدیم که بدنهای خودرا بریاضت ضعیف میکردند باینکه روح سالم در بدن سالم است نه در بدن ضعیف مرتاض فوقاً جواب داده شد که این قضیه از باب اصلاحات مقدماتی است که عقلا و طبّاً جایز است و روح سالم در بدن سالم از نتائج و بعد از اصلاحاتست پس ایراد مغالطه است . (٦) مقصود ازشکستن کشتی شکستن کشتی پر امتعه قوای ظاهره و باطنه ابدان مرتاضین است که تا خضر وقت بریاضت نشکند طمع غصب کنندگان این کشتی که نفس امّاره و شیطان است قطع نشده وکشتی بدست اهلش که عقل باشد نخواهد افتاد .

می‌نمود آن مرغ راهرگون شگفت ❀ واز تعجب لب بدندان میگرفت ۱ ❀ دمبدم میگفت از هردر سخن تا که باشد کاندر آید در سخن
❀ بر امید آنکه مرغ آید بگفت چشم اورا باصور میکرد جفت ۲ جو لقائی سر برهنه میگذشت باسر بی‌مو چو پشت طاس و طشت
طوطی اندر گفت آمد در زمان بانگ بر درویش بر زد کاینلان ۳ از چه ای کل با کلان آمیختی تو مگر از شیشه روغن ریختی
از قیاسش خنده آمد خلق را کوچو خودپنداشت صاحب‌دلق را ۴ کارپاکان را قیاس ازخود مگیر گر چه ماند در نوشتن شیر وشیر
جمله عالم زین سبب گمراه شد کم کسی ز ابدال‌حق آگاه شد ۵ ❀ اشقیا را دیدهٔ بینا نبود نیك وبددر دیده‌شان یکسان نمود
همسری با انبیا بردا شتند اولیا را همچو خود پنداشتند ۶ گفته اینك ما بشر ایشان بشر ما وایشان بستهٔ خوابیم وخور
این ندانستند ایشان از عمی هست فرقی در میان بی منتهی ۷ هردوگون زنبور خوردند ازمحل لیك‌شد زان نیش‌وزین دیگرعسل
هردو گون آهو گیاخوردندوآب زین‌یکی‌سرگین شد وزان‌مشکناب ۸ هردونی خوردند ازیك آب خور این یکی‌خالی وآن پرازشکر
صدهزاران این چنین اشباه بین فرقشان هفتاد ساله راه بین ۹ این خورد گردد پلیدی زو جدا وآن خورد گردد همه نور خدا
این خورد زاید همه بخل وحسد وان خورد زاید همه نور احد ۱۰ این زمین‌پاك‌وآن‌شوره است وبد این‌فرشتهٔ‌پاك‌وآن دیو است ودد
هر دوصورت گربهم ماند رواست آب تلخ وآب شیرین راصفاست ۱۱ جزکه صاحب ذوق کهشناسد بیاب اوشناسدآب خوش از شوره آب
❀جزکه‌صاحب‌ذوق‌که شناسدطعوم شهد را ناخورده کی داند زموم ۱۲ سحر را با معجزه‌کردقیاس(۱) هر دو را بر مکر پندارد اساس
ساحران با موسی از استیزه را بر گرفته چون عصای او عصا ۱۳ زین‌عصاتا آن‌عصا فرقیست‌ژرف زین‌عمل تاآن عمل راهی شگرف
لعنة الله این عمل را در قفا رحمة الله آن عمل را در وفا ۱۴ کافران اندر مری بوزینه طبع آفتی آمد درون سینه طبع
هر چه مردم میکند بوزینه هم آن کند کز مرد بیند دمبدم ۱۵ اوگمان‌برده که من کردم چو او فرق را کی‌داندآن استیزه خو
این کند از امروآن بهر ستیز بر سر استیزه رویان خاك بیز ۱۶ آن منافق با موافق در نماز از پی استیزه آید نی نیاز
در نماز وروزه وحج وزکات با منافق مؤمنان در برد و مات ۱۷ مؤمنان را برد باشد عاقبت برمنافق مات اندر آخرت
گر چه هردو بر سر یکبازیند لیك با هم مروزیّ و رازیند ۱۸ هر یکی سوی مقام خود رود هر یکی بر وفق نام خود رود
مؤمنش‌گویند جانش خوش شود ور منافق تند وپر آتش شود ۱۹ نام‌آن محبوب از ذات ویست نام این مبغوض زافات ویست
میم وواووميم ونون‌تشریف‌نیست لفظ مؤمن جز پی تعریف نیست ۲۰ گر منافق خوانیش این نام دون همچو کردم می‌خلد در اندرون
گرنه این نام اشتقاق دوزخست پس چرادروی مذاق دوزخست ۲۱ زشتی این نام‌بد از حرف نیست تلخی آن آب بحر از ظرف نیست
حرف‌ظرف‌آمد دراومعنی چوآب بحر معنی عنده امّ الکتاب ۲۲ بحر تلخ وبحر شیرین در جهان در میانشان برزخ لا یبغیان
وانگه‌این هردو زیك‌اصلی‌روان درگذر زاین‌هردوروتا اصل آن ۲۳ زرّ قلب و زرّ نیکو در عیار بی محك هرگز ندانی ز اعتبار
هر کرا در جان خدا بنهد محك هر یقین را باز داند او زشك ۲۴ ❀ آنچه‌گفت استفت قلبك مصطفی آن کسی داند که پر بود ازوفا
در دهان زنده خاشاك ار جهد آنکه آرامد که بیرونش نهد ۲۵ درهزاران لقمه یك خاشاك خرد چون درآمد حسّ زنده پی ببرد
حسّ دنیا نردبان این جهان حس عقبا نردبان آسمان ۲۶ صحت این حس‌بجوئید ازطبیب صحت آن حس بجوئید ازحبیب
صحّت این حس ز معموریّ تن صحت آن حس ز تخریب بدن ۲۷ شاه جان‌مرجسم را ویران کند بعد ویرانیش آبادان کند
ای خنك جانی‌که بهرعشق وحال بذل‌کرد اوخان ومان‌وملك ومال ۲۸ کرد ویران خانه بهر گنج زر واز همان گنجش کند معمورتر
آب را ببرید و جو را پاك کرد بعداز آن درجوروان‌کردآب‌خورد ۲۹ پوست را بشکافت پیکانرا کشید پوست تازه بعد ازآتش بردمید

بیان (سحر را با معجزه کرده قیاس) بدانکه فرق بین سحر و معجزه (که‌غالباً بهمت قوی وملکه جمع حواس و ورزش ازدیاد متناطیس قلب و چشم و زبان و تصرفات در نفوس ضعیفه ویا قویه یا در اجسام خارجیّه بدون هیچگونه اسبابی یا باسباب غیر عادی و طبیعی که ظاهر باشد یا مخفی حاصل میشود) بعد از چهار مقدمه اجمالی فرق داده خواهد شد (اول) فهرست بعضی از علوم غریبه که بنام سحر غالبا خوانده شده عبارتست از سیمیا و لیمیا و ریمیا و کیمیا و هیمیا و عزائم و طلسمات و تسخیرات و مجسّمات و نیرنجات و منظریات و معالجات روحی بتلقینات و جفر و رمل و حصیات و خیوط و حقه بازی و تدلیسات و قیافه و کف شناسی و استنباط از اوضاع نشستن و راه رفتن و استیلای نفس بر ضمائر و مغیبات و استنباط احکام زیر زمینی از آثار ظاهر او و کوهها و بالجمله در هر علمی مخصوصاً در علم الروح و نجوم و طب وفیزیك و شیمی وحساب و موسیقی و فلسفه الهی و تاریخ طبیعی اسراریست مخفیه که اگر از اهلش شنیده یا عملی شود خارق العاده بنام سحر یا معجزه گفته خواهد شد و ازاین قبیل است اسرار ـ علم الروح و اسم اعظم ولیلة القدر و آب حیات واسرار قضا و قدر و اسرار بداء واسرار نبوت و رسالت و سیاست المدن وامثالها (دوم) بدانکه کلیه اشیاء باندازهٔ قرب‌وبعد نسبت بذات احدیت مرکب اند ازدو جهت علوی و سفلی یا ماهیتی و وجودی تا برسد بعوالم علوی غالب الخیر که موافق نظام عالم و عوالم سفلی غالب الشر که مخالف نظامند و هر دو در غیب این عالم ماده میباشند (سوم) و هر یك از این دو مبدء بخودی خود یا باسباب یابدرج قوای روحی و جسمی انسانی یا حیوانی یا نباتی یا عنصری بتوجیه و انقلاب بیکی از این دو عالم اثرات و تصرفات در عالم طبیعت (که بتفاوت اجزایش مرکب از دو جهت فوق الذکر اند) (بتناسب جهات متجانسه برای نفوذی که دارند) آنا فآنا می‌نمایند (چهارم) پس اگر صاحبان‌نفوس قویه که بفطرت صفای نفس‌دارندو اتصال اختیاری بیکی از این دو مبدء سفلی و علوی یا بریاضات سهله یا شاقه یافتند البته بعزم قوی بهر مقصودی که همت به بندند فوراً یا تدریجاً در نفوس ضعیفه تصرفات و تجسمات‌خواهند نمود واگر قویتر در ملکه‌تمرکز قوا باشند بمثل‌آثار طبیعیّه خارجیه اثر در هر موجودی موقتاًیا دائماً خواهند نمود نتیجه اگر صفای نفس و اتصال بمبادی عالیه فطری باشد آثارآن معجزه است و اگربریاضت کرامت است و اگر بر عکس اتصال فطری بمبادی سفلیه یا بریاضات نفسانی شیطانیه که برخلاف نظام عالم و خلاف شرایع مقدسه داشته باشند سحر وشعبده است پس اشخاصی‌که از مبادی سحر و معجزه اطلاعی ندارند و اگرهم دارند برای لطافت وتصرف نورانیت اشتراکی‌که هر دو دارند نمیتوانند امتیاز بدهند باید باین امتیاز و محك مولوی اکتفا نمایند (آنچه گفت استفت قلبك مصطفی الخ)

قلعه ویران کرد و از کافرستد بعدازآن برساختش صد برج وسد ۱ کار بیچون را که کیفیّت نهد این که گفتم هم ضرورت میدهد
گه چنین بنماید وگه ضدّ این جز که حیرانی نباشد کار دین ۲ ❀کاملان کز سرّ تحقیق آگهند بیخود و حیران ومست و واله‌اند
نه‌چنین‌حیران که‌پشتش‌سوی‌اوست بل‌چنان حیران که‌غرق‌ومست‌دوست ۳ آن یکی‌راروی او شدسوی‌دوست وین‌یکی‌راروی‌اوخودروی‌اوست
روی هریك مینگر میدار پاس بوکه‌گردی تو زخدمت روشناس ۴ ❀دیدن دانا عبادت این بود فتح ابواب سعادت این بود
چون بسی ابلیس‌آدم روی هست پس بهر دستی نشاید داد دست ۵ زانك صیاد آورد بانگ صفیر تافریبد مرغ را آن مرغ گیر
بشنودآن مرغ بانگ جنس‌خویش از هوا آید بیابد دام و نیش ۶ حرف درویشان بدزدد مرد دون تابخواند بر سلیمی زان فسون
کار مردان روشنی وگرمی است کار دونان حیله وبی شرمی است ۷ شیر پشمین از برای کد کنند بو مسیلم را لقب احمد کنند
بو مسیلم را لقب کذّاب ماند مر محمد را اولوالالباب ماند ۸ آن‌شراب حق ختامش‌مشك ناب(۱) باده را ختمش بود کند و عذاب

داستان پادشاه جهودان که نصرانیان را میکشت از بهر تعصّب ملت خود و حکایت آن استاد و شاگرد

بود شاهی در جهودان ظلم ساز دشمن عیسیٰ و نصرانی گداز ۱۰ عهد عیسی بود و نوبت آن او جان موسی او وموسی جان او
شاه احول کرد در راه خدا آن دو دمساز خدائی را جدا ۱۱ گفت استاد احولی را کاندرا روبرون آر از وثاق آن‌شیشه را
❀ چون‌درون خانه‌احول رفت‌زود شیشه پیش چشم او دو مینمود ۱۲ گفت‌احول‌زان دو شیشه من کدام پیش تو آرم بکن شرح تمام
گفت استاد آن دو شیشه نیست رو احولی بگذار وافزون بین مشو ۱۳ گفت ای استا مرا طعنه مزن گفت استا زان دو یکرا برشکن
چون یکی بشکست هردو شد زچشم مرد احول گردد از میلان‌وخشم ۱۴ شیشه یك بودو بچشمش دونمود چون شکست‌آن‌شیشه رادیگر نبود
خشم‌وشهوت مردرا احول کند(۲) ز استقامت روح را مبدل کند ۱۵ چون‌غرض آمد هنرپوشیده‌شد(۳) صد حجاب ازدل بسوی دیده‌شد
چون دهدقاضی بدل رشوت قرار کی شناسد ظالم از مظلوم زار ۱۶ شاه از حقد جهودانه چنان گشت احول‌کالامان یارب امان
صد هزاران مؤمن ومظلوم‌کشت ۱۷ که پناهم دین موسی را و پشت

حکایت وزیر پادشاه و مکر او در تفریق ترسایان

شه وزیری داشت رهزن مشوه ده کو برآب از مکر بربستی‌کره ۱۹ گفت ترسایان پناه جان کنند دین خودرا ازملك پنهان کنند
❀ باملك گفت ایشه اسرار جو کم‌کش ایشان‌راودست‌ازخون‌بشو ۲۰ کم‌کش ایشان‌راکه‌کشتن سودنیست دین ندارد بوی مشك و عودنیست
سّر پنهان است اندر صد غلاف ظاهرش باتست وباطن برخلاف ۲۱ شاه‌گفتش پس بگو تدبیر چیست چارهٔ آن مکروآن تزویر چیست
تا نماند در جهان نصرانئی ۲۲ نی هویدا دین و نی پنهانئی

تلبیس اندیشیدن وزیر با نصاری و مکر او

گفت ای شه‌گوش و دستم رابپر بینیم بشکاف ولب از حکم مر ۲۴ بعد ازآن درزیر دار آور مرا تا بخواهد یکشفاعت گر مرا
بر منادی گاه کن اینکارتو بر سر راهی که باشد چارسو ۲۵ آنگهم از خود بران تاشهردور تا در اندازم بر ایشان صد فتور
❀ چون‌شوندآنقوم‌از من‌دین پذیر کار ایشان سربسر شوریده‌گیر ۲۶ ❀ در میانشان فتنه وشور افکنم کاهنان خیره شوند اندر فنم
❀آنچه خواهم کرد با نصرانیان آن نمی آید کنون اندر بیان ۲۷ ❀ چون شمارندم امین ورازدان دام دیگر گون نهم در پیشان
❀ واز حیل بفریبم ایشان را همه واندر ایشان افکنم صد دمدمه ۲۸ ❀ تا بدست خویش خون‌خویشتن بر زمین ریزند کوته شدسخن
پس بگویم من پسر نصرانیم ایخدا ای راز دان می دانیم ۲۹ شاه واقف گشت از ایمان من واز تعصّب کرد قصد جان من
خواستم تادین زشه پنهان کنم آنچه دین اوست ظاهر آن کنم ۳۰ شاه بوئی برد از اسرار من متّهم شد پیش شه گفتار من
گفت‌گفت‌توچو در نان سوزن‌است از دل من تادل تو روزن‌است ۳۱ من از آن روزن بدیدم حال تو حال دیدم کی نیوشم قال تو
گر نبودی جان عیسی چاره ام او جهودانه بکردی پاره ام ۳۲ بهر عیسی جان سپارم سر دهم صد هزاران منتش بر جان نهم
جان دریغم نیست از عیسی ولیك واقفم بر علم دینش نیك نیك ۳۳ حیف می‌آید مرا کان دین پاك در میان جاهلان گردد هلاك

---

(۱) یعنی شراب حق که بتوحید نفس و تمرکز قوا و جمع حواس بنقطه واحده احدیت فراموشی از همه ما سوای حق و حقیقت حاصل می کند که نتیجه در هرسکری ازهر شرابی همین فراموشی‌است فرق دارد باشراب های مادی اگرچه هر دو ازجهت ایجاد فراموشی مطلوب هر طالبی است ولکن فراموشی که بقوهٔ اختیار ایجاد شده و بنقطهٔ توحید بکلی متوجه میشود چون رجوع باصل خلقت که باطن ذات واحدهٔ خود انسان است که فراموشی از غیر خود نموده و تازه آشنا بیگانگی و تنهائی خود شده طبیعی و مفید بحال روح و جسم مخصوصاً بعد از بهوش آمدن و برگشت بکثرات و نظام عقلی و اجتماعی خواهد بود ولکن شراب و مسکرات مادی اگر چه بوسائل غیر مستقیم و غیر طبیعی که یکی از آنها صعود ابخره از معده بمغز بمثل صعود ابر برای جلو گیری انوار خورشید جلوگیری از انوار احساسات روح کرده مانع از تابش طبیعی خورشید روح شده پس غیرمستقیم وغیر طبیعی‌ایجاد فراموشی قهراً وموقتاً مینماید وصاحبش ساعتی من غیرمستقیم خوش خیال شده اگر در بعضی از امزجه آنچنان را آنچنان‌تر نکند یعنی بر غم و اندوه و توسعهٔ افکار در هم و بر همش نیافزاید چون من غیرمستقیم بوده و با باطن ذات خود بتمرکز قوا آشنائی در این سکر پیدا نکرده البته وقتی که بهوش آید بخماری و سایر خسارات و مضرات سکرش برخواهد خورد (۲) از قضایای مسلمه است که در هر تمیزی حب و بغض تمیز را مطابق حال خود تبدیل و محکوم خواهد نمود (۳) قاضی باید در عدالت مثل شاهنگ ترازو نسبت بهر دوکفهٔ خود که عارض و معروض نزد شاهنگ قاضی هستند مساوی و عادل یعنی بی غرض باشد و مقصود مولوی در این دو بیت ازبی غرضی آنستکه میزان تمیز حق و باطل در هر کاری همین بی غرضی و مساوی بودن دو کفه است که ترازو دارد که بدون علم با تساوی هر سبك و سنگینی را میسنجد نه بعلم که ملاك عوام از علما است چه اگر علم ملاك تمیز باشد خود عارض و معروض بمرافعه خود عالم تر از قاضی و حاکم هستند ولکن چون عارض و معروض نسبت بیکدیگر غرض پیدا کرده اند حق پوشیده و محتاج برفتن نزد جاهل تر از خود در خصوص این مرافعه که قاضی باشد شده اند پس او باید به بی غرضی تمیز دهد نه بعلم بمثل تمام اقسام ترازو های عالم که بدون علم و کسب علم بلکه فقط با بی غرضی طبیعی همه چیز را میسنجد پس هوش قضاوت بمیزان اخلاق اوست

شکر یزدان را و عیسی‌را که ما / گشته ایم این دین حق را رهنما ۱ / واز جهود و ازجهودان رسته‌ایم / تا بزنّار این میان را بسته ایم
دور دور عیسی‌است ای مردمان / بشنوید اسرار کیش او بجان ۲ / ❀ چون شمارندم امین و مقتدا / سر نهندم جمله جوبند اهتدا
چون‌وزیر آن‌مکررا برشه شمرد / از دلش اندیشه را کلی ببرد ۳ / کرد باوی‌شاه آن کاری که‌گفت / خلق حیران مانده زان رازنهفت
❀ کرد رسوایش میان انجمن / تا که واقف شد زحالش مرد وزن ٤ / راند او را جانب نصرانیان / کرد در دعوت‌شروع او بعدازآن
❀ چون‌چنین‌دیدند ترسایانش زار / میشدند اندر غم او اشکبار ٥ / ❀حال عالم این‌چنین‌است ای‌پسر / از حسد میخیزد اینها سر بسر

جمع آمدن نصاری با وزیر و راز گفتن او با ایشان

صدهزاران مردترسا سوی او / اندك اندك‌جمع شد درکوی او ۷ / او بیان میکرد با ایشان براز / سِرّ انکلیون و زنّار و نماز
❀ او بیان میکرد با ایشان فصیح / دائماً ز افعال و اقوال مسیح ۸ / او بظاهر واعظ احکام بود / لیك در باطن صفیر و دام بود
بهر اینمعنی صحابه از رسول / ملتمس بودند مکر نفس غول ۹ / کو چه آمیزد ز اغراض نهان / در عبادتها و در اخلاص جان
فضل ظاهر را نجستندی از او / عیب باطن را بجستندی که‌کو ۱۰ / مو بمو و ذرّه ذرّه مکر نفس / میشناسیدند چون گل از کرفس
❀گفت زان‌فضلی حذیفه باحسن / تابدان شد وعظ تذکیرش حسن ۱۱ / ❀موشکافان صحابه جمله شان / خیره‌گشتندی درآن وعظ وبیان
دل بدو دادند ترسایان تمام / خود چه باشد قوّت تقلید عام ۱۲ / در درون سینه مهرش کاشتند / نایب عیسیش می پنداشتند
او بسر دجّال یك چشم لعین / ای خدا فریاد رس نعم المعین ۱۳ / صد هزاران دام ودانه است ایخدا / ما چو مرغان حریص بی نوا
دمبدم پا بستهٔ دام نویم / هر یکی گر بازوسیمرغی شویم ۱٤ / میرهانی هر دمی ما را و باز / سوی دامی میرویم ای بی‌نیاز
ما در این انبار گندم میکنیم / گندم جمع آمده‌گم می کنیم ۱٥ / می نیندیشیم آخر ما بهوش / کاین خلل‌درگندمست از مکرموش
موش تا انبار ماحفره زده‌است / وزفنش انبار ما ویران شده‌است ۱٦ / اول ای‌جان دفع شرّموش کن(۱) / وآنگه‌اندر جمع گندم جوش‌کن
بشنو از اخبار آن صدرصدور / لاصلوة تمّ الا بالحضور (۲) ۱۷ / گر نه موش دزد در انبار ماست / گندم اعمال چل ساله کجاست
ریزه ریزه صدق هرروزه چرا / جمع می ناید در این انبار ما ۱۸ / بس ستارهٔ آتش از آهن جهید / وان‌دل سوزنده پنرفت وکشید
لیك‌در ظلمت یکی‌دزدی نهان(۳) / می نهد انگشت بر استارگان ۱۹ / میکشد استارگانرا یك بیك / تا که نفروزد چراغی از فلك
چون عنایاتت شود با ما مقیم / کی بود بیمی از آن دزدلئیم ۲۰ / گر هزاران دام باشد هر قدم / چون توبا مائی نباشد هیچ غم
هر شبی از دام تن ارواح را / میرهانی می کنی الواح را ۲۱ / میرهندارواح هر شب زین‌قفس / فارغان نی حاکم و محکوم کس
شب ز زندان بیخبر زندانیان / شب ز دولت بی خبر سلطانیان ۲۲ / نی غم و اندیشهٔ سود و زیان / نی خیال این فلان و آن فلان

تمثیل مرد عارف و تفسیرالله یتوفی الانفس حین موتها الخ

حال عارف این بود بی خواب هم / گفت یزدان هم رقود زین مرم ۲٤ / خفته از احوال دنیا روز و شب / چون قلم درپنجهٔ تقلیب رب
آنکه او پنجه نبیند در رقم / فعل پندارد بجنبش از قلم ۲٥ / شمهٔ زین حال عارف وانمود / خلق‌را هم خواب حسی در ربود
رفت در صحرای بیچون جانشان / روحشان آسوده و ابدانشان ۲٦ / ❀ ترك روز آخرچو بازرّین سپر / هندوی‌شب رابه تیغ افکند سر
❀ میل هر جانی بسوی تن‌بود / هر تنی از روح آبستن بود ۲۷ / از صفیری باز دام اندر کشی / جمله را در دام و در داورکشی
چون که نور صبحدم سر بر زند / کرکس زرّین گردون پر زند ۲۸ / فالق الاصباح اسرافیل وار / جمله‌را در صورت آرد زان دیار
روح های منبسط را تن کند / هر تنی را با ز آبستن کند ۲۹ / اسب جان هاراکند عاری ز زین / شر النوم اخ الموتست این
لیك بهر آنکه روز آیند با ز / بر نهد بر پایشان بند دراز ۳۰ / تا که‌روزش واکشد زان مرغزار / و از چراگاه آردش درزیر بار
کاش‌چون اصحاب کهف آنروح‌را / حفظ کردی یا چوکشتی نوح را ۳۱ / تا ازین طوفان بیداریٔ و هوش / وارهیدی‌این ضمیروچشم وگوش
ای‌بسا اصحاب‌کهف اندرجهان(٤) / پهلوی تو پیش تو هست اینزمان ۳۲ / غار باتو یار باتو در سرود / مهربرچشمست‌وبرگوشت‌چه‌سود(٥)

---

(۱) یعنی اول ایجان دفع شیّر موش‌نفس امّاره کن وصفات آن از بخل وحسد و کینه و کبر وشقاوت و ضلالت وعداوت و غضب وشهوت‌وعادت و غفلت و غیبت و ریا و نخوت و حرص و دنائت و طمع و رعونت و ظلم و حماقت و اغفال و غباوت و طلب عنوا و جمودت و سستی وملالت و عیب جوئی و ملعنت و تدلیس و شیطنت و تملق و طلب شهرت و نفاق و آرزو و آمال و تعجیل در بدنفسی‌وکفرو کفران و مانند اینها را از خود بتذکیه و تصفیه و توحید نفس دور کن بعد از آن در جمع گندمهای علوم دیانت از توحیدونبوت و امامت و ولایت و حکمت وعرفان از تفسیر و تأویل وسایر فهم حقائق احکام دیانت گوش کن والا تا صفات رذیلهٔ فوق‌الذکر در هر انسانی کلا یا بعضاًهست‌محال است که تعلیمات دیانت و حقیقت و طریقت و شریعت در او آنچنان را آنچنان تر نکندیعنی آنچه عالمتروعاملتر دردیانت و احکام کتب آسمانی بشود حق اهل حق را غاصب تر و در تدلیسات شیطانی که نا حقی خود را بصورت حق بجانبی بعنوان پیشوائی وحق زمام دیانت داشتن‌را برای خود بنا حق اثبات و بحیله و بتدلیس متمسك شدن ماهرتر بقسمی که حالات درونیش اولاً بر خود اشتباه و ثانیاً بر عوام‌الناس هم‌مشتبه‌ومشکل با معلومات مکتسبه‌اش خواهد شد لذا مولوی اول شرط تحصیل علوم حقه را دفع اخلاق رذیله در همه جا میداند (۲) مقصود از حضور حضور قلب در نماز است که بملکهٔ جمع حواس بنقطهٔ توحید نفس حاضر نزد خداوند میشود (۳) مقصود از دزد های در ظلمت مقتضیات اخلاط فاسددرخون و در امزجه منحرفه غیر طبیعی است که تا آنها تصفیه و تعدیل نشوند مقتضیاتشان از تلقینات در روح قطع نشده روح بی مانع مشغول جمع گندم‌نخواهدشد (٤) بدانکه خواب اجمالا بر چند قسم گفته شده طبیعی که ازخستگی حاصل میشود وکیفی از تریاك و حشیش و مستی و سمی که سلولهای بدن فلج میگردد و خواب از سرما که سست میشود تا میمیرد و خوابیکه در اثر مطالعه و جمع حواس بصور مرتبه حاصل میشود و خواب هیپنتیزم و خواب اصحاب کهف و خواب اصحاب کساء زیر عبا که شیعه معتقد است وشارح این سه خواب اخیر را خواب ارادی نامیده‌که اول معمول ومدیوم اراده دیگریست و دوم بمثل اصحاب کهف که خودشان خودشانرا بارادهٔ تمرکز خوابانیدند و سیم در زیر عبا در حالت خواب ارادی باز بیدار بوده و قوای بیداری را باز ازدست نداده (و تفصیل اثرات این سه خواب را در شرح منفصل بجوئید) مقصود مولوی در اینجا کما آنکه درصفحهٔ قبل فرمود (حال عارف این‌بود بی‌خواب هم) آنستکه صاحبان این‌خواب (که مسلط ارادی بتمرکز قوای مغزی

❀ باز دان کز چیست این روپوشها ۱ ختم حق بر چشم ها و گوشها

سؤال کردن خلیفه از لیلی و جواب دادن لیلی او را

گفت لیلی را خلیفه کان توئی ۲ کز تومجنون شد پریشان وغوی ۳ از دگر خوبان توافزون نیستی گفت خامش چون تومجنون نیستی
❀دیدهٔ مجنون اگربودی تورا(۱) ۴ هر دو عالم بی خطر بودی تو را ۴ ❀ باخودی تولیك مجنون بیخوداست در طریق عشق بیداری بداست
هرکه بیدار است او در خواب تر ۵ هست بیداریش از خوابش بتر ۵ هر که در خوابست بیداریش به مست غفلت عین هشیاریش به
چون بحق بیدار نبود جان ما ۶ هست بیداری چو در بندان ما ۶ جان همه روز از لگدکوب خیال (۲) واز زیان وسود وازخوف زوال
نی صفا میماندش نه لطف وفر ۷ نی بسوی آسمان راه سفر ۷ خفته آن باشدکه او ازهرخیال (۳) دارد امید و کند بااو مقال
❀ نی چنانکه از خیال آید بحال ۸ آنخیالش گردد اورا صد وبال ۸ دیو را چون حوربیند او بخواب پس زشهوت ریزد او بادیو آب
چونکه تخم نسل رادرشوره ریخت(٤) ۹ اوبخویش آمدخیال ازوی گریخت ۹ ضعف سربیند از آن وتن پلید (٥) آه از آن نقش پلید نا پدید
مرغ بربالا پران و سایه اش ۱۰ میدود برخاك وپران مرغ وش ۱۰ ابلهی صیاد آن سایه شود می دود چندانکه بی مایه شود
بی خبر کان عکس آن مرغ هواست ۱۱ بی خبر که اصل آن سایه کجاست ۱۱ تیر اندازد بسوی سایه او ترکشش خالی شود درجست وجو
ترکش عمرش تهی شد عمررفت ۱۲ از دویدن در شکار سایه تفت ۱۲ سایه یزدان چو باشد دایه اش وا رهاند از خیال و سایه اش
۱۳ سایهٔ یزدان بود بندهٔ خدا ۱۳ مردهٔ این عالم و زندهٔ خدا

در تحریص متابعت ولیّ مرشد

دامن او گیر زوتر بی گمان ۱۵ تارهی از آفت آخر زمان ۱۵ کیف مد الظل نقش اولیاست کو دلیل نور خورشید خداست
اندرین وادی مروبی این دلیل ۱۶ لاحبّ الآفلین گو چون خلیل ۱۶ روز سایه آفتابی را بیاب دامن شه شمس تبریزی بتاب
رهندانی جانب این سوروعرس ۱۷ از ضیاء الحق حسام الدین پرس ۱۷ ور حسد گیرد ترا در ره گلو در حسد ابلیس را باشد غلو
کو ز آدم ننگ دارد از حسد ۱۸ با سعادت جنگ دارد از حسد ۱۸ عقبهٔ زین صعبتر در راه نیست ای خنك انکش حسدهمراه نیست
این جسد خانهٔ حسد آمد بدان ۱۹ کز حسد آلوده گردد خاندان ۱۹ ❀ خان ومانهااز حسد گردد خراب باز شاهی از حسد گرددغراب
گر جسد خانهٔ حسد باشدولیك ۲۰ آن جسد را پاك کرد الله نیك ۲۰ ❀ یافت پاکی از جناب کبریا جسم پر از کبر وپرحقد و ریا
طهّرایتی ببیان پاکی است ۲۱ گنج نوراست ارطلسمش خاکی است ۲۱ چون کنی بر بی حسد مکر وحسد زان حسد دل را سیاهبارسد
۲۲ خاك شو مردان حق را زیرپا ۲۲ خاك برسرکن حسد را همچوما (٦)

در بیان حسد کردن وزیر جهود

آن وزیرك از حسد بودش نژاد ۲٤ تا بباطل گوش و بینی باد داد ۲٤ بر امید آنکه از نیش حسد زهر او در جان مسکینان رسد
هر کسی کو از حسد بینی کند ۲٥ خویشتن بی گوش و بی بینی کند ۲٥ بینی آن باشد که او بوئی برد بوی او را جانب کوئی برد
هر که بویش نیست بی بینی بود ۲٦ بوی آن بویست کان دینی بود ۲٦ چونکه بوئی برد وشکر آن نکرد کفر نعمت آمد و بینیش خورد
شکرکن مرشاکران را بنده باش ۲۷ پیش ایشان مرده شو پاینده باش ۲۷ چون وزیر ازرهزنی مایه مساز خلق را تو بر مباور از نماز

فهم کردن حاذقان نصاری مکر وزیر را

ناصح دین گشته آن کافر وزیر ۲۹ کرده او از مکر در لوزینه سیر ۲۹ هرکه صاحب ذوق بود ازگفت او لذتی میدید و تلخی جفت او
نکته ها میگفت او آمیخته ۳۰ در جلاب قند زهری ریخته ۳۰ ❀هان مشو مغرورزان گفت نکو زانکه دارد صد بدی در زیر او
❀او چوباشدزشت گفتش زشتدان ۳۱ هرچه گوید مرده آنرا نیست جان ۳۱ ❀گفت انسان پارهٔ ز انسان بود پارهٔ از نان یقین که نان بود
❀زان علی فرمود نقل جاهلان(۷) ۳۲ برمزابل همچو سبزه است ایفلان ۳۲ ❀برچنان سبزه هرآن کوبرنشست بر نجاست بیشکی بنشسته است

بر خود هستند و خواب ارادی آنها (بمقتضای النوم اخ الموت) بمثل مرگ اراده ارادی آنهااست که هرگاه بخواهند بمیرندباراده خود خودرا میمیرانند) ممکن است درعالم زیاد و فعلا نزد تو باشند ولکن از باب آنکه چون دنیا غفلت خانهٔ نفوس است یا بواسطهٔ عدم سنخیت ادراك یاخدر بودن حواس از شناختن ممکن است سالهای دراز آنان را مکرر در مکرر دیده باز نشناسی (دیدهٔ خواهم که باشد شه شناس الخ) (٥) یعنی (یارجان تست ای مرد شکار ❀ از خس و خاشاك او را پاك دار) مقصود آنستکه کما آنکه مقصود ومطلوب کل اشیاء که حضرت باری تعالی است محجوب درعین ظهورست همچنین مطلوبیت جان هر کسی در عین آنکه از هر چیزیٔ نزدیکتر به آنها است بواسطهٔ حجب علائق که در این بیت تعبیر بمهر بر چشم و گوش شده بقسمی مطلوبیت جانها از صاحبان جانها دور شده که باید سالهای سال بریاضت مهرهای حجب را ازچشم و گوش قلب برداشته وبتمرکز قوا وبتوجیه نظر وبتوحید افکار هر مرتاضی خود را بجان خود که نزدیك ترین اشیاء باوست برساند لذا احدی ازخدایا ازجان خود که مظهر خداست جدا نشده تابریاضت خودرا باوبرساندپس مقصود از جدائی غفلت و مقصوداز وصال توجیه نظر و تمرکز قواست و الا مطلوب همیشه با همه هست و تو از او بتفرقه حواس و غفلت دوری

---

(۱)مقصود توجیه نظراست که نظرهای مرموده عالم را بمثل عینکهای مختلفة الالوان برخلاف واقع و مختلف نشان خواهند داد (۲)یعنی همه بدبختیهای هر انسانی بتفرقه حواس و جولان خیال است که مانند قاطر چموش صاحبش را بزیر دست وپای خود خوردمینماید(۳) مقصود تمرکز خیال وافکار است (٤) یعنی تجسمات در عالم خواب مخصوصاً دروقت مختلم شدن تجسمات خیال است که انسان با خیال مجسم شده خود جماع می نماید (٥) آه مولوی در این بیت برای آنستکه همچنانکه خیال شعبده وار پلید و ناپدید است همچنین پلیدی دنیارا در نظرما شعبده وار پدید می نماید (٦) یعنی از دست این شعبدهٔ خیال وتفرقهٔ حواس نمیتوان نجات یافت الابتمرکز و صاحبان تمرکز وتوحید نفس ورب از مردان حق تابتمرکزقوای آنان قوای ماهم ازدست جولان خیال متمرکز شود (۷) یعنی بهر عرفان و حکمت وفلسفه بافی نباید مطمئن شد که این آدم صاحب توحید نفس و ملکهٔ جمع حواس است چه همه منقولات ومعقولات با صاحبان تفرقه حواس تظاهر مینماید ولکن چون جانش ازگفتهٔ خود بی خبراست علی(ع) تعبیر بجاهل و گفته هایش را سبزه مزبله فرموده

❀بایدش خود را بشستن ازحدث تا نماز فرض او نبود عبث ۱ ظاهرش میگفت دررہ چست شو واز اثر میگفت جانرا سست‌شو
ظاهر نقره گر اسپید است و نو دست و جامه می سیه گردد ازو ۲ آتش ارچه‌سرخ رویست ازشرر تو ز فعل او سیه کاری نگر
برق اگر چه نور آید در نظر لیك هست از خاصیت دزد بصر ۳ هرکه‌جز آگاه وصاحب ذوق‌بود گفت او در گردن او طوق بود
مدت شش سال در هجران شاه شد وزیر اتباع عیسی را پناه ۴ دین ودل‌را کل بدوبسپرد خلق پیش امر و حکم او میمرد خلق

پیغام شاه پنهانی بسوی وزیر پر تزویر

در میان شاه و او پیغام ها شاه را پنهان بدو آرامها ۶ ❀آخرالامر از برای آن مراد تا دهد چون خاك ایشان‌را بباد
پیش او بنوشت شه‌کای مقبلم وقت آمد زود فارغ کن دلم ۷ ❀زانتظارم دیده و دل بر رهست زین غم آزاد کن گر وقت هست
گفت اینك اندر آن کارم شها کافکنم دردین عیسی فتنه ها ۸ قوم عیسی را بد اندر دار و گیر حاکمانشان ده امیر و دو امیر
هر فریقی مر امیری را تبع بنده گشته میر خودرا ازطمع ۹ این ده و آن دوامیر و قومشان گشته بندهٔ آن وزیر بد نشان
اعتماد جمله بر گفتار او اقتدای جمله بر رفتار او ۱۰ پیش او در وقت‌وساعت هرامیر جان بدادی گر بدو گفتی که میر
❀چون‌زبون کردآنجهودك‌جمله را فتنهٔ انگیخت از مکر و دها ۱۱ ساخت طوماری بنام هر یکی نقش هر طومار دیگر مسلکی

تخلیط وزیر در احکام انجیل و مکر آن

حکمهای هر یکی نوع دگر این خلاف آن ز پایان تابسر (۱) ۱۳ دریکی راه ریاضت را و جوع رکن توبه کرده و شرط رجوع
دریکی گفته ریاضت سود نیست اندر این ره مخلصی‌جز جودنیست ۱۴ در یکی گفته که جوع‌و جود تو شرك باشد از تو با معبود تو
جز توکل جز که تسلیم تمام درغم وراحت همه مکراست ودام ۱۵ در یکی گفته که واجب‌خدمتست ورنه اندیشهٔ توکل تهمت است
در یکی گفته که امر و نهیهااست بهر کردن نیست شرح عجزماست ۱۶ تا که عجز خود ببینیم اندرآن قدرت حق را بدانیم آن زمان
دریکی گفته که عجز خود مبین کفر نعمت کردن‌است آنعجز هین ۱۷ قدرت خودبین‌که اینقدرت ازوست قدرت‌خود نعمت اودان‌که هوست
در یکی گفته کز این دو بر گذر بت بود هر چه بگنجد در نظر ۱۸ دریکی گفته مکش این شمع را کاین نظر چون‌شمع آمد جمع‌را
❀از هوای خویش در هر ملتی گشته هر قومی اسیر ذلتی ۱۹ ازنظر چون بگذری و از خیال کشته باشی نیمشب شمع وصال
در یکی گفته بکش باکی مدار تا عوض بینی یکی‌را صد هزار ۲۰ که ز کشتن شمع جان افزون شود لیلیت از صبر چون مجنون شود
ترك دنیاهرکه کرد اززهدخویش پیش آمد پیش او دنیا و بیش ۲۱ در یکی گفته که آنچت داد حق بر تو شیرین کرد در ایجاد حق
برتو آسان کرد وخوش آنرابگیر خویشتن را در میفکن در زحیر ۲۲ در یکی گفته که بگذار آن خود کان قبول طبع تو ردّ است وبد
راههای مختلف آسان شدست هر یکی‌را ملتی‌چون جان شدست ۲۳ گر میسر کردن حق ره بدی هر جهود و گبر از او آگه شدی
در یکی گفته میسر آن بود که حیات دل غذای جان بود ۲۴ هرچه ذوق‌طبع باشدچون‌گذشت بر نیارد همچوشوره ریع وکشت
جز پشیمانی نباشد ریع او جز خسارت پیش نارد بیع او ۲۵ آن میسر نبود اندر عاقبت نام او باشد معسر عاقبت
تو معسّر از میسّر باز دان عاقبت بنگر جمال این و آن ۲۶ در یکی گفته که استادی طلب عاقبت بینی نیابی در حسب
❀چشم بر سر و ندارد ایتلاف دورشو تا یابی از حق ائتلاف ۲۷ عاقبت دیدند هر گون امتی لاجرم گشتند اسیر زلتی
عاقبت دیدن نباشد دست باف ورنه کی بودی ز دینها اختلاف ۲۸ در یکی گفته که اسناهم توئی زانکه اسنارا شناسا هم توئی
مرد باش وسخرهٔ مردان مشو رو سر خود گیر و سرگردان مشو ۲۹ در یکی گفته که این جمله (❀توئی می نگنجد در میان ما دوئی
اینهمه آغازما آخر)❀یکی‌است هرکه اودوبیند احول‌مردکی‌است ۳۰ دریکی گفته که صدیك چون‌بود اینکه اندیشد مگر مجنون بود
هر یکی قولیست ضد همدگر چون یکی باشد بگو زهروشکر ۳۱ ❀درمعانی اختلاف و در صور روزوشب بین‌خاروگل‌سنگ وگهر
تا ز زهر و ازشکر درنگذری کی تو از گلزار وحدت بوبری ۳۲ ❀وحدت‌اندروحدت‌است‌این‌مثنوی از سمك روتا سماك ای معنوی

---

(۱) بدانکه مولوی در تمام ابیات این فصل اختلافات احکام مذاهب و ادیان را با دلیل و برهان اجمالی بیان نموده بقسمی که از جهتی همه با هم مختلف واز جهت دیگر هریك بجای خود عقلا ونقلاً صحیح بنظر می‌آید بمثل اینکه خواسته اختلافات مذاهب را بمثل اختلاف سخنهای مختلفه طبی‌که همه‌نسبت بامزجه مختلفه ونسبت بحالات مختلفه یك مریض در ساعات و ایام و شهور وسالهای‌مختلفه‌یك‌مریض در عین آنکه همه صحیح است همه با یکدیگر مختلف وضد ونقیض است‌بیان‌نماید‌پس کما اینکه این توسعه اختلافات طبی بعلاوه آنکه‌دلیل خطانیست بلکه دلیل صحت وموجب توسعه حقائق طبیه است همچنین اختلافات مذاهب اگرچه همه با یکدیگر ضد و نقیض‌اند ولکن هریك بجای خود صحیح و برای اهلش مطلوب خواهد بود که خداوند در قران فرموده (لو کان من عند غیر الله لوجدوا فیه اختلافاً کثیراً) و نیز فرموده (و ما تری فی خلق‌الرحمن من تفاوت) و نیز فرموده (ولا تری فیها عوجا ولا امتا) و نیز فرموده (و ما امرنا الا واحده) و در اول اصول کافی حضرت صادق (ع) فرموده‌که هرکس برای او عقل است برای او دین خواهد بود یعنی دین هر کسی باید مطابق و باندازهٔ عقل او (که از مقتضیات محیط و مزاج و اخلاق و عادات اوست) باشد که پیغمبر فرموده ما جماعت انبیاء احکام خودمان را از نزد خدا نیاوریم و تکلم نمیکنیم مگر باندازه و مطابق عقول‌مردم و این معلوم است که در تمام رؤسای ادیان از عقلا اینقدر هستند که هریك مذاهب خودرا عقلانی و برهانی نموده بدست متلدین خود از عوام بدهند که حکما گفته اند (الطرق الی‌الله بعدد انفاس الخلائق) وعلی ع‌فرموده (او ثنیت لی الوساده لحکمت بین اهل‌التوریة بتوراتهم وبین اهل الانجیل بانجیلهم) یعنی اگر ریاست برای من دو مرتبه برمیگشت هرآینه حکم میکردم بین اهل توراة وانجیل و هر مذهبی بمقتضای حقانیت همان مذهب خودشان بعلت‌آنکه‌چون تمام مذاهب عالم محکوم وجدان وعقول و محیط خود هستند وحق بمقتضای رب العالمین (نه رب المسلمین یا رب الشیعه) و بمقتضای احاطه (اینما تولوافثم وجه‌الله) چون همه جا حاضر و ناظر است پس‌حق را از مذهب و وجدان و عقول خود آنها بیرون آورده و روح اسلام را بر گردن همه آنها میگذاشتم کما اینکه این مطلب را حق تعالی در آیهٔ نصارا و صائبین در سورهٔ بقره فرموده و در جای دیگر بمناسبت نقل و تفسیر خواهد شد ولکن این مطلب شریف فوق تا باینجا بیان مرام مولوی از این اختلافات مذاهب در تمام این‌فصل بوده نه مرام وزیر چه مقصود او از این اختلافات اختلافات شیطانیه برای اغراض نفسانیه است پس هر مطلبی باغراض مختلفه فرق خواهد کرد

در بیان آنکه اختلاف در صورت و روش است نه در حقیقت

زین نمط زین نوع ده طومار و دو — بر نوشت آن دین عیسی را عدو ۲ او ز یك رنگی عیسی بو نداشت — وز مزاج خم عیسی خو نداشت
جامهٔ صد رنگ زان خم صفا — ساده و یکرنگ گشتی چون ضیا ۳ نیست یکرنگی گرو خیزد ملال — بل مثال ماهی و آب زلال
گرچه درخشکی هزاران رنگهاست — ماهیان را با یبوست جنگهاست ٤ کیست ماهی چیست دریا در مثل — تا بدان ماند خدا عز وجل
صد هزاران بحر و ماهی در وجود — سجده آرد پیش آن دریای جود ٥ چند باران عطا باران بده — تا بدان آن بحر در افشان شده
چند خورشید کرم افروخته — تا که ابر و بحر جود آموخته ٦ ❀ چند خورشید کرم تابان بده — تابدان آن ذره سرگردان شده
پرتو ذاتش زده بر ماه وطین(۱) — تا شده دانه پذیرنده زمین ۷ خاك امین و هرچه دروی کاشتی — بی خیانت جنس آن برداشتی
این امانت زان عنایت یافته است — کافتاب عدل بر وی تافته است ۸ تا نشان حق نیارد نو بهار — خاك سر ها را نسازد آشکار
آن جوادی که جمادی را بداد — این هنرها وین امانت وین سداد ۹ ❀ آنجماد ازلطف چون جان میشود — زمهریر از قهر پنهان میشود
❀ آن جمادی گشت ازفضلش لطیف — کلشی من ظریف هو ظریف ۱۰ هر جمادی را کند فضلش خبیر — غافلان را کرده قهر او ضریر
جان و دل را طاقت این جوش نیست — با که گویم درجهان یك گوش نیست ۱۱ هرکجا گوشی بد ازوی چشم گشت — هرکجا سنگی بد از وی یشم گشت
کیمیا ساز است چبود کیمیا(۲) — معجزه بخش است چبود سیمیا ۱۲ این ثنا گفتن ز من ترك ثناست — کاین دلیل هستی و هستی خطاست
پیش هست وی بباید نیست بود — چیست هستی پیش او کور و کبود ۱۳ گر نبودی کور ازاو بگداختی — گرمی خورشید را بشناختی
ور نبودی او کبود از تعزیت — ۱٤ کی فسردی همچو یخ این ناحیت

بیان خسارت وزیر در این خدعه و مکر

همچو شه نادان و غافل بد وزیر — پنجه میزد با قدیم نا گزیر ۱٦ ❀ نا گزیر جمله کان حی قدیر — لایزال و لم یزل فرد بصیر
با چنان قادر خدائی کز عدم — صد چو عالم هست گرداند بدم ۱۷ صد چو عالم در نظر پیدا کند — چونکه چشمت را بخود بینا کند
گر جهان پیشت بزرگ و بی بنیست — پیش قدرت ذرهٔ میدان که نیست ۱۸ ❀ اینجهان خودحبس جانهای شماست — هین دوید آنسو که صحرای شماست
این جهان محدود و آن خود بیحداست — نقش صورت پیش آن معنی سداست ۱۹ صد هزاران نیزهٔ فرعون را — در شکست از موسئی با یك عصا
صد هزاران طب جالینوس بود — پیش عیسی و دمش افسوس بود ۲۰ صد هزاران دفتر اشعار بود — پیش حرف امیئی اش عار بود
با چنین غالب خداوندی کسی — چون نمیرد گر نباشد او خسی ۲۱ بس دل چون کوه را انگیخت او — مرغ زیرك با دو پا آویخت او
فهم وخاطر تیز کردن نیست راه — جز شکسته می نگیرد فضل شاه ۲۲ ای بسا گنج آکنان کنج کاو — کان خیال اندیش را شد ریش گاو
گاو کبود تا تو ریش او شوی — خاك چبود تا حشیش او شوی ۲۳ ❀ زر ونقره چیست تامفتون شوی — چیست صورت تاچنین مجنون شوی
❀ این سرا و باغ تو زندان تست — ملك ومال تو بلای جان تست ۲٤ ❀ آنجماعت را که ایزد مسخ کرد — آیت تصویر شان را نسخ کرد
چون زنی ازکار بدشد روی زرد — مسخ کرد او را خدا و زهره کرد ۲٥ عورتی را زهره کردن مسخ بود — خاك وگل گشتن چه باشد ای عنود
روح می بردت سوی چرخ برین — سوی آب وگل شدی در اسفلین ۲٦ خویشتن را مسخ کردن زین سفول — زان وجودی که بدآن رشك عقول
پس بتر زین مسخ کردن چون بود — پیش آن مسخ این بغایت دون بود ۲۷ اسب همت سوی اختر تاختی — آدم مسجود را نشناختی
آخر آدم زادهٔ ای نا خلف — چند پنداری تو پستی را شرف ۲۸ چند گوئی من بگیرم عالمی — این جهان را پرکنم ازخود همی
گر جهان پر برف گردد سربسر — تاب خور بگذاردش ازیك نظر ۲۹ وزراووزر چون او صد هزار — نیست گرداند خدا از یك شرار
عین آن تخییل را حکمت کند — عین آن زهرآب را شربت کند ۳۰ ❀ در خرابی گنجها پنهان کند — خار را گل جسمها را جان کند
آن کمان انگیز را سازد یقین — مهرها انگیزد از اسباب کین ۳۱ پرورد در آتش ابراهیم را — ایمنی روح سازد بیم را
از سبب سازیش من سودائیم — وز سبب سوزیش سوفسطائیم(۳) ۳۲ ❀ درسبب سازیش سرگردان شدم — وز سبب سوزیش هم حیران شدم

مکر کردن وزیر و در خلوت نشستن و شور افکندن در قوم

❀ چون وزیر ماکر بد اعتقاد — دین عیسی را بدل کرد از فساد ۳٤ مکر دیگرآن وزیر از خود بیست — وعظ رابگذاشت درخلوت نشست
در مریدان درفکند از شوق سوز — بود در خلوت چهل پنجاه روز ۳٥ خلق دیوانه شدند از شوق او — از فراق حال وقال و ذوق او
لابه و زاری همی کردند و او — از ریاضت گشته در خلوت دوتو ۳٦ گفته ایشان بی تو ما را نیست نور — بی عصا کش چون بود احوال کور
از سر اکرام و از بهر خدا — بیش از این مارا مدار ازخود جدا ۳۷ ما چو طفلانیم و مارا دایه تو — برسر ما گستران آن سایه تو
گفت جانم از محبان دور نیست — لیك بیرون آمدن دستور نیست ۳۸ آن امیران در شفاعت آمدند — وان مریدان در ضراعت آمدند
کاین چه بدبختی است مارا ای کریم — از دل و دین مانده ما بی تو یتیم ۳۹ تو بهانه میکنی و ما ز درد — می زنیم از سوز دل دمهای سرد

---

(۱) مقصود الکترونهای ترکیب شده از آتوم است که در دو بیت قبل از این نمره تصریح بکهکشان مرکب از چند خورشید از بیت اول وچند خورشید درذرات والکترونها در بیت ثانی نموده که همه پرتو ذات احدیت است کهدر ذرات الکترونها امروز بهآلات مخصوصه مکشوف شده است که هر آتومی آثار یك دوره منظومهٔ شمسیه را دارد . (۲) بس است درکیمیاگری و معجزه بخشی حق تعالی که اگر تمام فلاسفه عصر جدید وقدیم بلکه باتمام انبیا و اولیا وملائکه وجن بخواهند یك بال مگسی را از پیش خود بسازند عاجزاند بلکهیکدانه گندم دونیم شده و یا یکدانه باقلای دونیم شده را بخواهند بمثل اولش وصل طبیعی کرده سبز نمایند ممتنع است که بتوانند تصور اتصالات منظمهٔ طبیعی دانهگندم یاباقلای درست رابنمایند چه جای عمل پس عالم بتمام ذرات وترکیبات خود معجزه وکیمیا وسیمیای مخصوص دست قدرت خداوند یگانه است وهنوز صنعت بشر درهیچگونه از اجزای طبیعت تصرفات کیمیاگری و معجزه بخشی ننموده و نخواهد هم نمود چه هرچه کند باز استمداد از خود طبیعت کرده . (۳) مقصود از سبب سازی و سبب سوزی در این دو بیت نه نفی اسباب که بودن اشیاء بدون اسباب محال است بلکه مقصود آنستکه سالك الی الله بتمرکز حواس بجائی میرسد که بمثل سوفسطائی که همه چیز را منکر است آنهم غیر از توحید نفس و رب همه چیز را منکر میشود .

ما بگفتار خوشت خو کرده ایم ۱ الله الله این جفا با ما مکن لطف کن امروز را فردا مکن
میدهد دل مر تورا کاین بیدلان ۲ جمله در خشکی چو ماهی میطپند آبرا بگشا ز جو بردار بند
ایکه چون تو در زمانه نیست کس ۳ الله الله خلق را فریاد رس

دفع کردن وزیر مریدان را

گفت هان ای سخرگان گفتگو ۵ وعظ و گفتار زبان و گوش جو ۵ پنبه اندر گوش حس دون کنید بندحس از چشم خود بیرون کنید
پنبهٔ آن گوش سر گوش سراست ۶ تا نگردد این کرآن باطن کرست ۶ بی حس و بیگوش و بی فکرت شوید تا خطاب ارجعی را بشنوید
تا بگفت و گوی پندار اندری (۱) ۷ تو ز گفت خواب کی بوئی بری ۷ سیر بیرونیست فعل و قول ما سیر باطن هست بالای سما
حس خشکی دید کز خشکی بزاد ۸ موسی جان پای در دریا نهاد ۸ چون که عمر اندر ره خشکی گذشت گاه کوه و گاه صحرا گاه دشت
سیر جسم خشك بر خشکی فتاد ۹ سیر جان پا در دل دریا نهاد ۹ آب حیوان را کجا خواهی تو یافت موج دریا را کجا خواهی شکافت
موج خاکی فهم و وهم و فکر ماست (۲) ۱۰ موج آبی صحو و سکر است و فناست ۱۰ تا دراین فکری از آن سکری تو دور تا از این مستی از آن جامی نفور
گفت و گوی ظاهر آمد چون غبار ۱۱ مدتی خاموش خو کن هوش دار

مکرر کردن مریدان که خلوت را بشکن

جمله گفتند ای حکیم رخنه جو ۱۳ این فریب و این جفا با ما مگو
۞ ما اسیرانیم تا کی زین فریب ۱۴ بیدل و جانیم چندین این عتیب ۱۴ ۞ چون پذیرفتی تو ما را ز ابتدا مرحمت کن همچنین تا انتها
۞ ضعف و عجز و فقر ما دانستهٔ ۱۵ درد ما را هم دوا دانستهٔ ۱۵ چار پا را قدر طاقت بار نه بر ضعیفان قدر قوت کار نه
دانهٔ هر مرغ اندازهٔ ویست ۱۶ طعمهٔ هر مرغ انجیری کیست ۱۶ طفل را گر نان دهی بر جای شیر طفل مسکین را ازان نان مرده گیر
چونک دندانها برآرد بعد از آن ۱۷ هم بخود گردد دلش جویای نان ۱۷ مرغ پر نارسته چون پران شود لقمهٔ هر گربهٔ دران شود
چون برآرد پر بپرد او بخود ۱۸ بی تکلف بی صفیر نیك و بد ۱۸ دیو را نطق تو خامش میکند گوش ما را گفت توهش میکند
گوش ما هوش است چون گویا توئی ۱۹ خشك ما بحرست چون دریا توئی ۱۹ با تو ما را خاك بهتر از فلك ای سماك از تو منور تا سمك
بی تو ما را برفلك تاریکی است ۲۰ با تو ایمه این زمین تاری کیست ۲۰ ۞ با مه روی تو شب تاری کیست روز را بی نور تو تاریکیست
با تو برخاك ازفلك برهیم دست ۲۱ بر سما ما بی تو چون خاکیم پست ۲۱ صورت رفعت بود افلاك را معنی رفعت روان پاك را
صورت رفعت برای جسمها است ۲۲ جسمها در پیش معنی اسمهاست ۲۲ ۞ الله الله یك نظر بر ما فکن لا تقنطنا فقد طال الحزن

جواب گفتن وزیر که خلوت را نمی شکنم

گفت حجتهای خود کوته کنید ۲۴ پند را درجان و در دل ره کنید ۲۴ گر امینم متهم نبود امین گر بگویم آسمان را من زمین
گر کمالم با کمال انکار چیست ۲۵ ورنیم این زحمت و آزار چیست ۲۵ من نخواهم شد از این خلوت برون زانکه مشغولم باحوال درون

اعتراض کردن مریدان بر خلوت وزیر بار دیگر

جمله گفتند ای وزیر انکار نیست ۲۷ گفت ما چون گفتهٔ اغیار نیست ۲۷ اشك دیده است ازفراق تو روان آه آهست از میان جان دوان
طفل با دایه نه استیزد ولیك ۲۸ گرید اوگرچه نه بدداند نه نیك ۲۸ ما چو چنگیم و تو زخمه میزنی زاری از ما نی توزاری میکنی
ما چونائیم و نوا در ما زتست ۲۹ ما چو کوهیم وصدا در ما زتست ۲۹ ما چو شطرنجیم اندر برد و مات بر دومات مازتست ای خوش صفات
ما که باشیم ای تو مارا جان جان ۳۰ تا که ما باشیم با تو در میان ۳۰ ما عدمهائیم و هستیهای ما تو وجود مطلقی فانی نما (۳)

---

(۱) یعنی کما اینکه تا قوای بیداری برانسان غالب است قوای فعاله عالم خواب بکار نیافتاده و همه در وقت بیداری خوابند همچنین میخواهد در بیت متصل بنمره بفرماید تاقوای هوا و هوس نفسانی در کار وبیدار است قوای معنوی که در آسمانهای معنوی ازعالم ارواح وعالم عقول وعالم اسماء وصفات الهیه باید پرواز کرده وکارکند همه درخواب غفلت خواهند بود(۲) یعنی امواج دریای عدن طبیعت که عالم خاکی است فقط بوهم وخیال وفکرهای معلومه اداره میشود چه هرکس افکار واوهام وفهم زیادتر داشته باشد دریای این عالم را درقوانین اجتماعی پرامواج ترمیتواند بنماید بخلاف امواج دریای وحدت ملکوت که بتمرکز وجمع حواس و فراموشی از ما سوی الله که معنی سکراست و بفنای درتوحید نفس وصحو بعد از محو اداره میشود (۳) بدانکه این بیت چون از ابیات مشکله مثنوی است محتاج باین مقدمه علمی است که آنچه بطور کلی درادهان ازخارج میاید ازسه قسم بیرون نیست یا هستی اشیاست ویا نیستی آنها است ویا ماهیات وتعینات و امتیازات و حدود و اشکال آنهاست که ذاتاً خالی از وجود وعدم و مصداقاً قابل هر دووگاهی موجود وگاهی معدومند اما عدم که قابل اصالت نیست و اما آن دوقسم دیگررا حکما اختلاف نموده‌اند بعضی بمثل میرداماد وشیخ شهاب‌الدین سهروردی باصالت ماهیت و بعضی دیگر بمثل ملا صدرا ومولوی در تمام مثنوی باصالت وجود و اعتباریت ماهیت و کثرات وامتیازات معتقد شده و این اعتقاد را ببراهین متقنه نشر داده‌اند وکمترکسی بمثل شیخ احمد احسائی قائل باصالت هردو شده ومتأخرین حمله باو آورده‌اند که اگر هردو اصیل باشد باید هر شیئی در خارج دوشئی مستقل بنماید در حالتیکه تمام اشیاء در عین آنکه مرکب از ماهیت و وجود است باز هر یك خود را یگانگی و وحدت وجداناً معرفی مینماید و منشاء این یگانگی بین این دو (ماهیت و وجود) شدت اتحاد بایکدیگر است که از اعتباریت یکی و اصالت دیگری پیدا شده و الا اتحاد بین دو معنای مستقل و اصیل معنا ندارد لذا اسباب اشتباه و اختلاف از این شدت اتحاد یافت شده و پس از این مقدمه میگوئیم که یکی از جهات ما عدمهائیم هستیها نما تو وجود مطلقی الخ آنستکه یعنی اصالت و تحقق باوجود مطلق احاطی تست که همه ماهیات یعنی امتیازات اعتباریه ماها را احاطه نموده و انعکاس حقیقت نمائی و اشتباه باصالت داده (والا لفظ مطلق باصطلاح منطقیین از کلیات ذهنیه ودر خارج بغیر از جزئیات از کلیات چیزی محقق نیست پس لفظ مطلق بر خدا که عین حقیقت خارجی است جایز نیست الا آنکه مقصود از عرفا از اطلاق کلی برخدا و مقصود مولوی دراین بیت از تعبیر مطلق برخدا فقط احاطهٔ خداست که مناسب کلیات منطقیه از جهت سعه ذهن وخارج است) وجهت دوم مخفی بودن حق که در این بیت اشاره کرده شدت ظهور همین احاطه است چه هر ذهنی بادراك اشیاء خارج از خود وبادراکات مخفیه عادت کرده بقسمی که اشیاء محیط خودرا ازکثرت وشدت ظهور ووضوح عادت بادراك ندارند لذا انس باحق و حقیقت

ما همه شیران ولی شیر علم / حمله مان از باد باشد دمبدم ۱ حمله‌مان پیدا و نا پیداست باد / جان فدای آنکه نا پیداست باد
باد ما و بود ما از داد تست / هستی ما جمله از ایجاد تست ۲ لذت هستی نمودی نیست را / عاشق خود کرده بودی نیست‌را
دست انعام خود را وا مگیر / نقل و باده جام خودرا وامگیر ۳ ور بگیری کیست جستجو کند / نقش با نقاش چون نیرو کند
منگر اندر ما مکن در ما نظر / اندر اکرام و سخای خود نگر ۴ ما نبودیم و تقاضا مان نبود / لطف تو نا گفتهٔ ما می شنود
نقش باشد پیش نقاش و قلم / عاجز و بسته چو کودك در شکم ۵ پیش قدرت خلق جمله بارگه / عاجزان چون پیش‌سوزن کارگه
گاه نقش دیو و گه آدم کند / گاه نقش شادی و گه غم کند ۶ دست نی تا دست جنباند بدفع / نطق نی تا دم‌زند از ضرّ و نفع
تو ز قرآن باز خوان تفسیر بیت / گفت ایزد ما رمیت اذ رمیت ۷ گر بپرانیم تیر آن نی ز ماست / ما کمان وتیر اندازش خداست
این نه جبر این‌معنی جبّاری‌است / ذکر جباری برای زاری‌است ۸ زاری ما شد دلیل اضطرار / خجلت ما شد دلیل اختیار
گر نبودی اختیار این‌شرم چیست / وین دریغ و خجلت وآزرم‌چیست ۹ زجراستادان بشاگردان چراست / خاطر از تدبیرها گردان چراست
ور تو گوئی غافلست از جبر او / ماه حق پنهان شد اندر ابر او ۱۰ هست اینرا خوش‌جواب اربشنوی / بگذری ازکفر وبردین بگروی
حسرت و زاری گه بیماریست / وقت بیماری همه بیداری است ۱۱ آن زمان که میشوی بیمار تو / میکنی از جرم استغفار تو
مینماید بر تو زشتی گنه / میکنی نیت که باز آیم بره ۱۲ عهد و پیمان میکنی‌که بعدازاین / جزکه طاعت نبودم کاری گزین
پس یقین گشت آن که بیماری ترا / می ببخشد هوش و بیداری ترا ۱۳ پس بدان این‌اصل‌را ای‌اصل‌جو / هرکه را دردست او بردست بو
هرکه او بیدار تر پر درد تر / هرکه او آگاه تر رخ زردتر ۱۴ گر ز جبرش آگهی زاریت کو / جنبش زنجیر جباریت کو
بسته در زنجیر شادی چون کند / ❀ چوب اشکسته‌عادی چون‌کند ۱۵ کی اسیر حبس آزادی کند / ❀ کی گرفتار بلا شادی کند
ور تو میبینی که پایت بسته اند / برتو سرهنگان شه بنشسته اند ۱۶ پس‌تو سرهنگی مکن با عاجزان / زانکه نبود طبع وخوی عاجزآن
چون تو جبر او نمی بینی مگو / ور همی بینی نشان دید کو ۱۷ در هر آن کاری که میلست بدان / قدرت خود را همی بینی عیان
درهرآن کاری که‌میلت‌نیست‌وخواست / اندرآن‌جبری‌شوی‌کاین‌ازخداست ۱۸ انبیا در کار دنیا جبریند / کافران در کار عقبی جبریند
انبیا را کار عقبی اختیار / کافران را کار دنیا اختیار ۱۹ زانکه هرمرغی بسوی‌جنس‌خویش / میپرداو درپس‌وجان‌پیش‌پیش(۱)
کافران چون جنس سجّین آمدند / سجن دنیا را خوش آیین آمدند ۲۰ انبیا چون جنس علیین بدند / سوی علیین بجان و دل شدند
❀ ایخدا بنما تو جان راآن مقام / کاندرو بیحرف میروید کلام ۲۱ این سخن پایان ندارد لیك ما / باز گوئیم آن تمامی قصه را

نومید کردن وزیر مریدان را از نقض خلوت خود

آن وزیر از اندرون آواز داد / کای‌مریدان از من این‌معلوم باد ۲۳ که مرا عیسی چنین پیغام کرد / کز همه‌یاران وخویشان باش فرد
روی بر دیوار کن تنها نشین / وز وجود خویش‌هم خلوت گزین ۲۴ بعد ازین دستوری گفتار نیست / بعد ازین با گفتگویم کارنیست
الوداع ایدوستان من مرده ام / رخت بر چارم فلك در برده‌ام ۲۵ تا بزیر چرخ ناری چون حطب / من نسوزم در عنا و در عطب
پهلوی عیسی نشینم بعد از این ۲۶ بر فراز آسمان چارمین

فریفتن وزیر امیران را هریك بنوعی و طریقی

وانگهانی آن امیران‌را بخواند / یك بیك تنها بهریك حرف‌راند ۲۸ گفت هریك را بدین عیسوی / نایب حق و خلیفهٔ من توئی
وان امیران دگر اتباع تو / کرد عیسی جمله را اشیاع تو ۲۹ هر امیری کو کشد گردن بگیر / یا بکش یاخود همی‌دارش اسیر
لیك تا من زنده ام اینرا مگوی / تا نمیرم این ریاست را مجوی ۳۰ تا نمیرم من تو این پیدا مکن / دعوی شاهی و استیلا مکن
اینك این طومار و احکام مسیح / یك‌بیك برخوان‌تو برامّت فصیح ۳۱ هرامیری را چنین گفت اوجدا / نیست نایب جز تو در دین خدا
هر یکی را کرد اندر سّر عزیز / هرچه آنرا گفت اینرا گفت نیز ۳۲ هر یکی را او یکی طومار داد / هر یکی ضدّ دگر بد المراد
ضد همدیگر ز پایان تا بسر / شرح دادستم من این‌را ای پسر ۳۳ جملگی طومار ها بد مختلف / همچو شکل حرفها یا تا الف

حتی بانفس خودش برای همین جهت ندارد لذا حق در انظار مخفی وخلق وتعینات ظاهر گردیده پس باید عارف بتوجیه نظر روح خودرا منقلب کرده حقائق را مطابق واقع یعنی خلق را نیست هست نما وحق را هست نیست نما در همه احوال مشاهده نماید که مولوی دراین صفحه برای همین توجیه نظر چند بیت مناجات مینماید خلاصه اگر لفظ هستیهای مارا عطف برما بگیریم معنی بیت چنین میشود یعنی ما که تعینات وامتیازات باشد و هستیهای ما که وجود معلولی وربطی باشد نیست ولکن هست مینمائیم وتو در نظر ناقص ما نیست مینمائی واگر لفظ هستیهای مارا مبتداء بگیریم نه عطف معنی چنین میدهد که هستیهای ماتوئی و وجود اصیل تست که احاطه برهمه دارد .

---

(۱) بدانکه از مسلمیات علوم عصریه است که هرکسی‌بر وفق ساختمان مزاجی خود میل بهر کاری‌میکند یعنی هیچکس از تحت نفوذ علیین یا سجین یعنی ساختمان بد یا خوب خود در هرکاری (اختیاری یا غیر اختیاری) بیرون نیست پس اگر اشکال نمائی که این هفت بیت مولوی در غلبهٔ ساختمان وطینت که ملاك جبریان است منافات باهفت بیت قبل‌از نمره دارد که ادله مختارین‌است ... جواب نقضی وحلی‌میدهیم که از اینگونه تناقضات در تمام ادیان مخصوصاً در قرآن زیاد است یعنی درعین آنکه امر و نهی قرآن براختیار است چندین جای قرآن آیات جبری نازل‌شده بمثل (قل کل یعمل علی شاکلته ـ قل کل من عندالله ـ والله خلقکم وما تعملون ـ والله خالق کل شیئی ـ کل میسر لما خلق له ـ وماتشائون‌الا ان یشاءالله) وباز فرموده ـ (لیس للانسان الا ما سعی ـ و ذلك بان الله لم یك مغیراً نعمة انعمها علی قوم حتی یغیروا ما بانفسهم) ـ واما جواب حلی اوضاع تشریع وتکوین راجع بتربیت موالید ونفوس چون دوپستان مطابق یکدیگر هستند که ازیك مادر حقیقت برای تکمیل نشو و ارتقاء فطریات ناقصه وساختمان های غیر معتدله رستند نه مغیر خلق الله وفطریات که از افعال شیطانی در قرآن است بمثل اینکه باغبان باید مکمل نشو وارتقای تخمهای تلخ و شیرین باشد نه تغییر دهندهٔ در خلقت‌آنها پس افعال اختیاری وکلیهٔ تغییرات هم بمقتضای تکمیل طبیعت وانبیاء بمثل‌اطباء خادم‌الطبیعه ویا اسباب الهیه در تکمیل فطریات شقیه بسرحدّ کمال شقاوت وفطریات سعیدیه بسرحدّ کمال سعادت هستند نه‌تغییر دهندهٔ شقاوت را بسعادت : که گلیم بخت کسیرا که بافتند سیاه ـ به آب زمزم وکوثر سفید نتوان کرد

حکم این طومار ضدّ حکم آن ۱ پیش‌از این‌کردیم این ضد را بیان

کشتن وزیر خود را درخلوت از مریدان

بعد ازآن چل روز دیگر دربیست خویش‌گشت و ازوجود خودبرست ۳ چونکه خلق ازمرگ او آگاه شد بر سر گورش قیامتگاه شد
خلق چندان جمع شد برگور او موکنان جامه دران در شور او ٤ کان عدد راهم خدا داند شمرد ازعرب وز ترک واز رومی وکرد
خاك او کردند برسرهای خویش درد او دیدند درمان‌های خویش ٥ آن خلایق بر سر گورش مهی کرده خون‌را از دوچشم‌خود رهی
جمله از درد فراغش در فغان هم شهان و هم کهان وهم مهان ٦ بعد ماهی خلق گفتند ای مهان از امیران کیست برجایش نشان
تا بجای او شناسیمش امام تا که کار ما از او گردد تمام ۷ سر همه بر اختیار او نهیم دست بر دامان و دست اودهیم
چونکه‌شد خورشید ومارا‌کرد داغ چاره نبود بر مقامش ازچراغ ۸ چونکه شد از پیش‌دیده روی یار نایبی باید ازو مان یادگار
چونکه‌گل‌بگذشت‌وگلشن شدخراب بوی‌گل‌را از که جوئیم ازگلاب ۹ چون خدا اندر نیاید در عیان نایب حقند این پیغمبران (۱)
نی غلط گفتم که نایب با منوب گر دوپنداری‌قبیح آید نه خوب ۱۰ نی‌دو باشد تا توئی‌صورت پرست پیش‌او یك‌گشت گر صورت‌برست
چون‌بصورت بنگری‌چشمت دواست توبنورش درنگرکان یکتواست ۱۱ ❀لاجرم چون بر یکی‌افتد بصر آن یکی باشد دو ناید در نظر
نور هردو چشم نتوان فرق کرد ۱۲ چونکه‌درنورش نظر انداخت مرد

در بیان آنکه جملهٔ پیغمبران حقند که لا نفرق بین احد من رسله

ده چراغ ار حاضر آری درمکان هریکی باشد بصورت غیر آن ۱٤ فرق نتوان کرد نور هر یکی چون بنورش روی آری بی‌شکی
❀ اطلب‌المعنی من الفرقان وقل لا نفرق بین آحاد الرسل ۱٥ گر تو صد سیب وصدآبی بشمری صد نماند یک شود چون بفشری
در معانی قسمت و اعداد نیست درمعانی تجزیه و افراد نیست ۱٦ اتحاد یار با یاران خوش است پای معنی‌گیر صورت سرکش‌است
صورت سرکش‌گدازان کن زرنج تا به بینی زیرآن‌وحدت چوگنج ۱۷ ور تو نگدازی عنایتهای او خود گدازد ای دلم مولای او
او نماید هم بدلها خویش را او بدوزد خرقهٔ درویش را ۱۸ منبسط بودیم و یك گوهر همه بی سر و بی پا بدیم آن‌سر همه
یك گهر بودیم همچون آفتاب بی‌گره بودیم وصافی همچوآب ۱۹ چون بصورت آمد آن نورسره شد عدد چون سایهای کنگره
کنگره ویران کند از منجنیق ۲۰ تا رود فرق ازمیان این فریق

در بیان آنکه انبیاء علیهم‌السلام را گفتند کلموا الناس علی قدر عقولهم زیرا که آنچه ندانند انکار کنند و ایشان را زیان دارد قال علیه السلام امرنا ان ننزل‌الناس منازلهم الی آخره

شرح این را گفتمی من از مری لیك ترسم تا نلغزد خاطری ۲۳ نکته ها چون تیغ پولاداست تیز گر نداری توسپر واپس گریز
پیش این الماس بی اسپرمیا کز بریدن تیغ را نبود حیا ۲٤ زین سبب من تیغ کردم درغلاف تا که کژخوانی نخواند برخلاف

منازعت کردن امرا با یکدیگر در ولی‌عهدی

آمدیم اندر تمامی داستان وز وفا داری جمع راستان ۲٦ کز پس این پیشوا برخاستند بر مقامش نایبی میخواستند
یك امیری‌زان امیران پیش رفت پیش آن قوم وفا اندیش رفت ۲۷ گفت اینك نایب آن مرد من نایب عیسی منم اندر زمن
اینك این طومار برهان منست کاین نیابت بعداز او آن من است ۲۸ آن امیر دیگر آمد از کمین دعوی او در خلافت بد همین
از بغل او نیز طوماری نمود تا برآمد هردو را خشم و جحود ۲۹ آن امیران دگر یك یك قطار بر کشیده تیغ های آبدار
هریکی را تیغ وطوماری بدست در هم افتادند چون پیلان مست ۳۰ ❀ هر امیری‌داشت خیل بیکران تیغها را بر کشیدند آن زمان
صد هزاران مرد ترسا کشته شد تا ز سر های بریده پشته شد ۳۱ خون‌روانشدهمچوسیل‌ازچپ‌وراست کوه‌کوه اندر هوا زین‌گردخاست
تخمهای فتنه ها کو کشته بود آفت سرهای ایشان گشته بود ۳۲ جوزها بشکست‌وآن کان مغزداشت بعد کشتن روح پاك نغز داشت

---

(۱) یعنی‌همچنانکه خدای‌غائب ظاهراً بدردکسب‌تکالیف روحیه وشرعیات مردم ابداً نمیخورد پس باید پیغمبری ازجنس‌مردم بفرستدکه آیینهٔ دوروی‌بین خالق‌ومردم باشد همچنین پیغمبرمرده هم‌بمثل خدای غائب بازبدرد کسب تکالیف یومیهٔ خلق نمیخوردبمقتضای (کل‌یوم هوفی‌شأن) پس باید خلیفهٔ‌حقی در هر زمانی بمقتضای آن‌زمان داشته‌باشد تااحکام آن پیغمبررا حفظ ومطابق‌حال هرکسی تفسیر وموافق آن زمان نماید وهمچنین خلیفهٔ بعد ازخلیفه تا برسد بامام زمان غائب که بمثل خدای غائب چون باز بدرد تمیز احکام خلق نمیخورد ویك مسئله گوی ظاهری در مقام احتیاج خلق نه در مقام واقع‌ترجیح‌برامام غائب‌بمثل خدای غائب وپیغمبر مرده وامام مرده دارد پس‌باید عالم‌حقیقی درهرزمانی بمقتضای آن‌زمان نایب‌حق‌باشد تارفع احتیاجات روحیات مردم‌را بنماید خواه مردم از اوبشنوند و نیابتش را بشناسند یا بواسطهٔ‌غلبهٔ هوا وهوس منصرف‌شده یابکلی‌منکر شوند یا ناحقی رابجای حق بشناسند ولکن چون امتیازات این چهار نایب و منوب بسته بامتیاز عقل و وجدان پاك هرکس است که آنان را که کمتر ازگوگرد احمر هستند (و قلیل من عبادی الشکور) در هر عصری بهر لباسی که هستند بشناسند پس حجت بالغهٔ الهیه ونایب حقیقی خداوند ونایب پیغمبران در هرعصر ودرهر کسی همانا عقل بانصاف و باوجدان وغیر مخلوط باهوا و هوس اوست چه‌اهمیت هرپیغمبر و نایبی وامامی وحقی در امتیاز بامتیاز این نایب حق و پیغمبر داخلی وجدانی است که اگر این اصلاح شد همه اصلاح وامتیاز داده می‌شود والاهمه فاسد ودرهم وبرهم وصاحبش مادام‌العمر یاسرگردان دربیابان وسیع‌شك وشبهه‌یاغرق دردریای جهل مرکب خواهد شد ... (۲) چه هرنایبی‌بمثل‌نیابت اسماء الله‌واسماء هرچیزی ازجهت‌حکایت عین‌مسمی و منسوب‌عنه و ازجهت نظراستقلالی غیرمسمی است کمااینکه در حکمت ومنطق ثابت‌شده است که بایدفرق داد بین اینکه می‌گوئی‌مثلاعلی(ع)شجاع است یا علی مرکب از حروف ثلثه ع ـ ل ـ ی ـ و باز باید فرق داد بین اینکه بگوئی ـ ضرب زید ـ وگوئی ضرب فعل ماضی است ویا اینکه بگوئید زید منتسب بقیام است و بگوئید انتساب محتاج بطرفین است که در قسمت‌اول نظر حکایتی ودر دوم نظر استقلالی دارید همچنین نایب بعنوان نیابت حکم منسوب‌عنه را دارد وبعنوان استقلالی حکم خودش‌را خواهد داشت در حالتیکه بعضی‌از محققین گفته‌اندکه اسم غیر مسمی‌است درحالت حکایت برای دو بودن هر حاکی ومحکی‌است جواب فوق‌کافی از این اشکال هم میباشد.

کشتن ومردن که برنقش تن است / چون انار وسیب را بشکستن است ۱ آنچه شیرینست آن شد یار دانگ / وآنچه پوسیده‌است نبود غیربانگ
❀آنچه پرمغزاست‌چونشکست پاك / وانچه پوسیده است نبود غیرخاك ۲ آنچه با معنی است خوش پیداشود / وانچه بیمعنی‌است خودرسواشود
روبمعنی‌کوش ای‌صورت‌پرست(۱) / زانکه معنی بر تن‌صورت پر است ۳ همنشین اهل معنی باش تا / هم‌عطا یابی و هم باشی فتا
جان بیمعنی در این تن بیخلاف / هست همچون‌تیغ چوبین درغلاف ٤ تا غلاف اندر بود با قیمت است / چون‌برون‌شدسوختن‌را آلت‌است
تیغ چوبین را مبر در کار زار / بنگر اوّل تا نگردد کار زار ٥ گر بود چوبین برو دیگر طلب / ور بود الماس پیش آ باطرب
تیغ در زرّاد خانهٔ اولیاست / دیدن ایشان شمارا کیمیا است ٦ جمله دانایان همین گفته همین / هست دانا رحمة للعالمین
گر اناری میخری خندان بخر / تا دهد خنده ز دانهٔ او خبر ۷ ای‌مبارك خنده اش کو از دهان / مینماید دل چو در از درج‌جان
نار خندان باغ را خندان کند / صحبت مردانت چون مردان‌کند ۸ نا مبارك خندهٔ آن لاله بود / کز دهان او سواد دل نمود
❀ یك زمانی صحبتی با اولیا / بهتر از صد ساله طاعت بی‌ریا ۹ گر توسنگ صخره و مرمر بوی / چون بصاحب‌دل رسی‌گوهرشوی
مهر پاکان در میان جان نشان / دل مده الاّ بمهر دل‌خوشان ۱۰ کوی نومیدی مرو امید هاست / سوی تاریکی‌مرو خورشیدهاست
دل ترا در کوی اهل دل کشد / تن ترا درحبس آب وگل کشد ۱۱ هین غذای دل طلب از همدلی / رو بجو اقبال را از مقبلی
❀دست زن در ذیل صاحب‌دولتی / تا ز افضالش بیابی رفعتی ۱۲ ❀ صحبت صالح ترا صالح کند / صحبت طالح ترا طالح کند

نعت تعظیم حضرت مصطفی که در انجیل بود

بود در انجیل نام مصطفی / آن سر پیغمبران بحر صفا ۱٤ بود ذکر حلیها و شکل او / بود ذکر غزو وصوم واکل او
طایفهٔ نصرانیان بهر ثواب / چون رسیدندی بدان نام وخطاب ۱٥ بوسه دادندی بدان نام شریف / رو نهادندی بدان وصف‌لطیف
اندراین فتنه که گفتم آن گروه / ایمن از فتنه بدند و از شکوه ۱٦ ایمن از شرّ امیران و وزیر / در پناه نام احمد مستجیر
نسل ایشان نیز هم بسیار شد / نور احمد ناصر آمد یار شد ۱۷ وان‌گروه دیگر از نصرانیان / نام احمد داشتندی مستهان
مستهان و خوار گشتند از فتن / از وزیر شوم رأی شوم فن ۱۸ ❀ مستهان و خوار گشتندآن فریق / گشته محروم ازخود وشرط‌طریق
هم مخبّط دینشان و حکمشان / از پی طومار های کج بیان ۱۹ نام احمد چون چنین یاری کند / تا که نورش چون مدد کاری کند
نام‌احمد چون‌حصاری‌شدحصین(۲) / تاچه باشد ذات آن روح الامین ۲۰ بعداز این خون ریز درمان ناپذیر / کاندر افتاد از بلای آن‌وزیر

در بیان حکایت پادشاه جهود دیگر که در هلاك دین عیسی جهد کرد

یك شه دیگر ز نسل آن جهود / در هلاك قوم عیسی رو نمود ۲۲ گرخبر خواهی ازاین دیگر خروج / سوره برخوان‌والسّماذات البروج

---

(۱) در صفحهٔ قبل فرمود (اطلب المعنی من القرآن قل ـ لا تفرق بین آحاد الرسل) بدانکه اختلافات ادیان بواسطهٔ گرفتاری درصورت وظواهردین است والا اختلافات درمعانی چون مؤید وحدت وموجب اتحاداست‌نیست پس اگر تمام ادیان بمقتضای معنویات دین‌خود عمل‌مینمودند بعلاوهٔ آنکه اختلاف از بین رفته و همه متحد میشدند نزدیکترین راههای حق را که صراط مستقیم بین دو نقطهٔ قلب و بسیط الحقیقه باشد می پیمودند کما اینکه شیخ بهائی فرموده (صلح کل کردیم با کل بشرالخ) و این مطلب مهم حاصل نمی شود مگر باین دستور که بمتابعت ضروریات و وجدانیات و عقلیات هردینی(که معانی هرملت ومذهبی بقول مادیون همین عقلیات و وجدانیات وضروریات و کلیات‌است) بکوشند که هیچ احتمال خلاف وتدلیس و دروغ و رشوه خوردن وحبّ ریاست وطلب شهرت وسایر احتمالات نفسانی برای مرجع تقلید بودن در ضروریات و عقلیات راه ندارد بخلاف مرجع تقلید بودن علمای ظاهر بین که همه گونه احتمالات در بارهٔ آنها اظهر من الشمس نزد عام و خاص ظاهر شده بقسمی که نیکان هم به آنها بد نام شده اند پس چون خلایق فطری التقلید و ناچار از متابعت شخص حقی هستند و نمی توانند که یك دورهٔ عمر برای تمیز آنها وقت تلف کنند که شاید بالاخره هم باز در دام صورت حق بجانب‌ها افتند پس ناچار بنا بر قول مولوی که فرمود که : (رو بمعنی کوش ـ و فرمود معنی را از قرآن طلب کن وفرمود ـ فرقی بین ادیان و پیغمبران در متابعت نیست و فرمود اختلافات فقط در صورت است نه در معانی) پس باید مرجع تقلید ومتابعت حق را فقط معانی و روحیات و وجدانیات و عقلیات و ضروریات یعنی قدر مشترك هردینی‌که بدون هیچ احتمال خلاف‌معروف است قرار داد مخصوص در این اعصارکه امر علما برهرکس‌که مشتبه‌است برای تقلید مرجع حق ضروریات خواهد بود پس هیچ دینی‌را بدنبایدگفت بلکه باید قدری فشار بفکر وعقل آورد که این قدر مشترك مذکور را در هر دینی که کامل‌تر و نقی و اثباتش در کلمهٔ طیبهٔ توحید جامع تردید امتیازش را زیادتر وخود آن دین را محترم‌تر واعتقاد را به آن محکمتر نماید واین منافات با آیهٔ منقوله در بیت مولوی ندارد بلکه تأکید اوست والا اگر از راه اختلافات ادیان بخواهی حق را بیابی بدانکه ازاختلاف اختلاف زاید وتاقیامت سرگردان و یا عوامانه قانع وجامد ومتقاعد خواهی شد.

(۲) شرح (نام احمد چون حصاری شد حصین الخ) چه دو محمد اگر پشت بپشت یکدیگر متصل نوشته شود حصاری حصین هیکل آدمی که باین دو نام خلقت شده پدید آید (یعنی دومیم متصل شبیه بکله آدمی و دوح طرفین شبیه بدو دست و دو دال طرفین شبیه بدو پا میباشد) و اشارهٔ دیگر اعتدال این دو میم در نام محمدی که در نام احمد بااحد بیک میم جامع فرق داده شده به آنستکه یکی از میم اول ملکوت و دیگری از ملك یعنی در روح محمدیست تمام ملکوت ودربدنش تمام ملك‌ومصداق (اوتیت جوامع‌الکلم)همین‌است ونیز باین‌اعتدال مزاجی بین‌ملك وملکوت برای وساطت و رسالت قابل آن فرد دویم که روح الامین است میباشد یعنی اشخاصی که باین نام محمدی که طلسم خلقت بدن هر انسانی بهیئت یك جفت معتدل محمد حصار حصین‌شده احترام عملی نمایند البته دراین حصار حصین هیکل خود با کمال امنیت از عذاب دنیا وآخرت نوع وزیر و امیران هوا و هوس منزل کرده و مستعد اشعه آن روح الامین که منشاء این امنیت‌که درفرد دویم است روحاً خواهند شد و اگراحیاناً فتنه وزیر به آنها برسد اولا برجسم آنها رسیده نه بر روح و ثانیاً برای امتحانات و درجات مظلومیت وشهادت خواهد بود و ثالثاً از امنیت آن حصار حصین مذکور باولادهای خود ارث نیکو خواهندداد که باز بقای اینها در امنیت آن حصار حصین عین بقای آنها خواهد شد و الا همیشه در سرگردانی اختلافات نوع وزیر و امیران ادیان و در عذاب شك و شبهه و اضطراب افتاده یامنجمد درعوامیت خواهند شد.

سنت بد کز شه اوّل بزاد — این شه دیگر قدم بروی نهاد ۱ هرکه او بنهاد ناخوش سنّتی(۱) — سوی او نفرین رود هر ساعتی
❀زانکه هرچه‌این‌کند زانگون‌ستم — ز اوّلین جوید خدا بی‌پیش‌وکم ۲ نیکوان رفتند و سنتها بماند — و از لئیمان ظلم و لعنتها بماند
تا قیامت هر که جنس آن بدان — در وجود آید بود رویش بدان ۳ رگ‌رگست این‌آب شیرین‌وآب‌شور — در خلایق میرود تا نفخ صور
نیکوان‌راهست میراث از خوشاب — آنچه میراثست اورثنا الکتاب ۴ شد تتار طالبان ار بنگری — شعلها از گوهر پیغمبری
شعلها با گوهران گردان بود — شعله آن جانب رود هم کان بود ۵ نور روزن گرد خانه می دود — زانکه خور برجی ببرجی می‌رود
هرکه‌را با اختری پیوستگی است — مر و را بااختر خودهم تکی‌است ۶ طالعش گر زهره باشد در طرب — میل کلی دارد و عشق و طلب
ور بود مریخی خون ریز خو — جنگ‌وبهتان وخصومت جویداو ۷ اختراننـد از ورای اختران — کاحتراق و نحس نبود اندران
سایران در آسمانهای دگر — غیر این هفت آسمان مشتهر ۸ راسخان در تاب انوار خدا — نی بهم پیوسته نی از هم جدا
هرکه باشد طالع او زان نجوم — نفس او کفار سوزد در رجوم ۹ خشم مریخی نباشد خشم او — منقلب رو غالب مغلوب خو
نور غالب ایمن از کسف و غسق — در میان اصبعین نور حق ۱۰ حق فشاند آن نور را بر جانها — مقبلان برداشته دامان ها
و آن تتار نور هرکس یافته — روی از غیر خدا بر تافته ۱۱ هر که را دامان عشقی نابده — زان تتار نور بی بهره شده
جزوها را رویها سوی کل است — بلبلان را عشق باروی گلست ۱۲ گاو را رنگ ازبرون ومرد را — از درون جورنگ‌سرخ وزردرا
رنگهای نیك از خمّ صفاست — رنگ زشتان ازسیاه آب جفاست ۱۳ صبغة الله نام آن رنگ لطیف — لعنةالله بوی این رنگ کثیف
آنچه از دریا بدریا می رود — از همانجا کامد آنجا می رود ۱۴ از سر که سیلهای تیز رو — وزتن ما جان عشق آمیز رو

آتش افروختن پادشاه وبت را در پهلوی آتش نهادن که هر که این بت سجود کند از آتش برهد

آن جهود سگ ببین چه رای‌کرد — پهلوی آتش بتی بر پای کرد ۱۶ کانکه این بت‌را سجودآرد برهت — ور نیارد در دل آتش نشست
چون سزای این بت نفس او نداد — از بت نفسش بتی دیگر بزاد ۱۷ مادر بتها بت نفس شماست — زانکه‌آن بت‌مار واین‌بت‌اژدهاست
آهن وسنگست نفس و بت شرار — آن شرار از آب می‌گیرد قرار ۱۸ سنگ وآهن زاب کی ساکن شود — آدمی با این دوکی ایمن بود
سنگ و آهن در درون دارند نار — آبرا بر نارشان نبود گذار ۱۹ زآب چون‌نار برون کشته شود — در درون سنگ و آهن کی رود
آهن وسنگست اصل نار و دود — فرع هردو کفر ترسا و جهود ۲۰ بت سیاه آبست در کوزه نهان — نفس مر آب سیه را چشمه دان
آن بت منحوت چون سیل سیاه — نفس بت گر چشمهٔ بر شاهراه ۲۱ ❀بت درون کوزه چون آب‌گذر — نفس شومت چشمهٔ آن ای مصر
صد سبورا بشکند یک‌پاره سنگ — وآب چشمه میزهاند بی درنگ ۲۲ آب خمّ و کوزه گر فانی شود — آب چشمه تازه و باقی بود
بت شکستن‌سهل‌باشد نیك‌سهل(۲) — سهل‌دیدن نفس را جهلست جهل ۲۳ صورت نفس ار بجوئی ای پسر — قصهٔ دوزخ بخوان با هفت در
هرنفس مکری ودرهر مکر ازآن — غرقه صد فرعون با فرعونیان ۲۴ در خدای موسی وموسی گریز — آب ایمان را ز فرعونی مریز
دست رااندر احد و احمد بزن ۲۵ ای برادر واره از بوجهل تن

آوردن پادشاه جهود زنی‌را باطفل‌وانداختن‌او طفل‌را در آتش وبسخن آمدن طفل درمیان‌آتش

یك زنی با طفل آورد آن جهود — پیش آن بت وآتش اندر شعله‌بود ۲۷ ❀گفت‌ای‌زن پیش این‌بت‌سجده‌کن — ورنه در آتش بسوزی بی‌سخن

---

(۱) اشاره باین حدیث است‌کسیکه سنت حسنه گذاشت اجر همهٔ عاملین برای اوبدون نقصان ازعاملین خواهد بود و همچنین کسی که سنت سیئه گذاشت‌گناهان همهٔ عاملین بدون نقصان از آنهابرای اوخواهدبود . تا روز قیامت ـ توضیح آنکه چنانچه اعضاء وجوارح هراولادی بطور وراثت از پدر و مادر باو رسیده بقسمی که تمام سلولهای صحت و مرضهای جسمانی و روحانی از آبا و اجداد بارث تا کنون انتقال یافته دیر یا زود بعضی از آنها تا هفت الی ده نسل ممکن است بعداً ظاهر شود حتی خیالات قویه متمرکزه بد و خوب پدر و مادر مخصوصاً در وقت انعقاد نطفه کاملا اثر در اولاد مینماید پس کمتر ممکن‌است که بمقتضای محیط ویا برخوردن باضداد یابزحمت کسی‌موفق برمعالجات امراض موروثی مخصوصاً اخلاقی وروحانی بشود . چه محیط و امتداد زمان برحسب قانون نشو و ارتقا آنچنان را آنچنان تر کرده وهر بد وخوبی‌را تکمیل مینماید نه آنکه تغییر میدهد همچنین آبا و اجداد روحانی که اذا فسد العالم فسد العالم فاذا صلح صلح العالم از راه انعکاس محیط و توجه الکتریسیته اثرفساد واصلاحش بعاملی زمانی بعد زمان‌میرسد .

(۱) بدانکه اولا باید دانست که نفس امارّه کدام یك از قوای داخلی ما است که انبیا و اولیاء او را شیطان باطنی و دزد خانگی بقسمی معرفی نمودند که یا شناخته و تربیت شود اگر قابل تربیت باشد و الا دستگیر و کشته شود و صاحبش البته در دنیا و آخرت راحت ابدی خواهد شد بدون مقدمات سهل و ساده اورا برای شما معرفی بقوهٔ خیال و واهمه و تفرقه حواس وافکار درهم و برهم و صور ذهنیه غیر منظمه مینمایم چه هر انسانی بر تمام اعضا و جوارح خود در اعمال و آثار اختیاری آنها اگر مسلط شود ممکن است که چشمش مثلا باختیار باز و بسته شود و پایش باختیار دویده و آهسته و ساکن شود و زبانش باختیار هرچه میخواهد بگوید و گوشش باختیار بشنود و دستش باختیار جلب و دفع نمایدوهکذا سایر اعضای اختیاری ولکن ممکن نیست که احدی بدون ریاضت تمرکز قوا و جمع حواس بتواند بر افکار غیر منظم خود باختیار مسلط شده و خیالات درهم و برهم خودرا (که در هر کاری که قوت پیدا کرد صاحبش را باین‌سو وبه آن سو می کشاند و همیشه بدحال وغمناك ونامراد و ناکام دارد) از تفرقه و جولان بملکهٔ جمع حواس بنقطه توحید نفس کشانیده و سپس بقوه عقل (یعنی خودداری) آنها را مرتب ومنظم تحت اختیار خود بیرون بیاورد بدانکه این آخرین همت صاحبان همت در ریاضت و مقصود مولوی در تمام مثنوی است که هرکس این امر مشکل‌سهل نمارا بعزم و اراده وصبر وبرد باری بجا بیاورد گویا قلعهٔ خیبر نفس‌را کنده بلکه فتح تمام مشکلات‌را نموده و نکتهٔمهم دیگر آنکه جهت سختی‌این کار برای آنستکه هر تربیت کننده یا هر قاتل و مقتولی باید دوتا باشد ولکن در اینجا چون هردو یکیست که جان انسان ویا قوه خیال باشد تربیت ویا کشتن خیال بخود خیال ازمشکلترین مشکلات شناخته شده‌است درشرح منصل حق‌الیقین جهت علیای خیال‌را بکلمهٔ خودداری مجزای ازخود خیال برای تربیتش نموده (به‌دیباچه شرح حال مولوی مراجعه‌نمائید) تاجهت علیای خیال‌را بشناسید .)

۱ ❀بود آن زن پاکدین و مؤمنه / سجدهٔ آن بت نکرد آن مؤتنه / طفل ازو بستد در آتش در نکند / زن بترسید و دل از ایمان بکند
۲ خواست تااو سجده آرد پیش بت / بانگ زد آن طفل کانی لم‌امت / اندرآ مادر که من اینجا خوشم / گرچه در صورت میان آتشم
۳ چشم بنداست آتش از بهر حجیب / رحمت است این سر برآورده زجیب / اندرآ مادر ببین برهان حق / تا ببینی عشرت خاصان حق
۴ اندرآ و آب بین آتش مثال / از جهانی کاتش است آبش مثال / اندرآ اسرار ابراهیم بین / کو در آتش یافت ورد و یاسمین
۵ مرگ میدیدم که زادن ز تو / سخت خوفم بود افتادن ز تو / چون بزادم رستم از زندان تنگ / در جهانی خوش هوائی خوبرنگ
۶ این جهان راچون رحم دیدم کنون / چون در این آتش بدیدم این سکون / اندر این آتش بدیدم عالمی / ذرّه ذرّه اندر او عیسی دمی
۷ نك جهان نیست شکل هست ذات / وآنجهانتان هست شکل بی‌ثبات / اندرآ مادر بحق مادری / بین که این آذر ندارد آذری
۸ اندرآ مادر که اقبال آمده است / اندرآ مادر مده دولت ز دست / قدرت آن سگ بدیدی اندرا / تا ببینی قدرت و فضل خدا
۹ من ز رحمت میگشایم پای تو / کز طرب خود نیستم پروای تو / اندرآ و دیگران را هم بخوان / کاندر آتش شاه بنهاده‌است خوان
۱۰ اندرآئید ای همه پروانه وار / اندر این آتش که دارد صد بهار / اندرآئید ای مسلمانان همه / غیر عذب دین عذابست آن‌همه
۱۱ ❀ اندرآئید و ببینید این چنین / سرد گشته آتش گرم مهین / ❀اندرآئید ای همه‌مست وخراب / اندرآئید ای همه عین عتاب
۱۲ ❀اندرائید اندر این بحر عمیق / تا که گردد روح صافیّ و رقیق / ❀مادرش انداخت خودرا اندراو / دست او بگرفت طفل مهر خو
۱۳ ❀اندر آمد مادر آن طفل خرد / اندر آتش گوی دولت را ببرد / ❀مادرش همزان نسق گفتن گرفت / درّ وصف لطف حق‌سفتن گرفت
۱۴ بانگ میزد در میان آن گروه / پر همی شد جان خلقان ازشکوه / ❀ نعره میزد خلق‌را کای‌مردمان / اندر آتش بنگرید این بوستان

انداختن مردمان خود را بارادت در آتش از سر ذوق

۱۶ خلق خودرا بعد ازآن بی خویشتن / می‌فکندند اندرآتش مرد و زن / بی موکل بی کشش ازعشق‌دوست / زانکه شیرین‌کردن‌هرتلخ ازوست
۱۷ تا چنان شد کان عوانان خلق را / منع می کردند کاتش در میا / آن یهودی‌شد سیه روی و خجل / شد پشیمان ز این سبب بیمار دل
۱۸ کاندر ایمان خلق عاشق‌تر شدند / در فنای جسم صادق‌تر شدند / مکرشیطان هم درو پیچید شکر / دیو خود را هم سیه رو دید شکر
۱۹ آنچه میمالند بر روی کسان / جمع شد در چهرهٔ آن ناکس آن / آنکه میدرّید جامهٔ خلق چست / شد دریده آن او زایشان درست

کژ ماندن دهان آن شخص گستاخ که نام پیغمبر بتمسخر برد

۲۱ آن دهان کژ کرد وازتسخر بخواند / نام احمد را دهانش کژ بماند / باز آمد کای محمّد عفو کن / ای ترا الطاف علم من لدن
۲۲ من ترا افسوس میکردم زجهل / من بدم افسوس را منسوب و اهل / چون خدا خواهد که پردهٔ کس درد / میلش اندر طعنهٔ پاکان برد
۲۳ ور خدا خواهد که پوشد عیب کس / کم زند در عیب معیوبان نفس / چون خدا خواهدکه مان‌یاری کند / میل ما را جانب زاری کند
۲۴ ای خنک‌چشمی که اوگریان اوست / ای‌همایون دل که او بریان اوست / از پی هر گریه آخر خنده‌ایست / مرد آخر بین مبارك بنده‌ایست
۲۵ هر کجا آب روان سبزه بود / هر کجا اشك روان رحمت‌شود / باش چون دولاب نالان چشم تر / تا ز صحن جانت بر روید خضر
۲۶ ❀ مرحمت فرمود سید عفوکرد / چون‌زجرأت‌توبه‌کرد ازروی زرد / ❀رحم خواهی رحم کن بر اشکبار / رحم خواهی بر ضعیفان رحم آر

عتاب کردن جهود آتش را که چرا نمیسوزی و جواب او

۲۸ رو به‌آتش کرد شه کای تند خو / آن جهان سوز طبیعی خوت‌کو / چون نمیسوزی چه شد خاصیت / یا ز بخت ما دگر شد نیت
۲۹ می نبخشائی تو بر آتش پرست / آنکه نپرستد ترا او چون برست / هرگز ای آتش تو صابر نیستی / چون نسوزی چیست قادر نیستی
۳۰ چشم بنداست ای‌عجب یاهوش بند / چون نسوزاند چنین شعلهٔ بلند / جادوئی کردت کسی یا سیمیاست / یا خلاف طبع تو از بخت ماست
۳۱ گفت آتش من همانم آتشم / اندرآ تا تو به بینی تابشم / طبع من دیگر نگشت و عنصرم / تیغ حقّم هم بدستوری برم
۳۲ بر در خرگه سگان ترکمان / چاپلوسی کرده پیش میهمان / ور بخرگه بگذرد بیگانه رو / حمله بیند از سگان شیرانه او
۳۳ من ز سگ کم نیستم در بندگی / کم ز ترکی‌نیست حق در زندگی / آتش طبعت اگر غمگین کند / سوزش از امر ملیك دین کند
۳۴ آتش طبعت اگر شادی دهد / اندر او شادی ملیك دین نهد / چون که غم بینی تو استغفار کن / غم بامر خالق آمد کار کن
۳۵ چون بخواهد عین غم شادی شود / عین بند پای آزادی شود / باد و خاك و آب و آتش بنده اند / بامن و تو مرده باحق زنده‌اند
۳۶ پیش حق آتش همیشه در قیام / همچو عاشق‌روز وشب پیچان‌مدام / سنگ بر آهن زنی آتش جهد / هم بامر حق قدم بیرون نهد
۳۷ آهن و سنگ ستم بر هم مزن / کاین دومیزایند همچون مردوزن / سنگ و آهن خود سبب آمد ولیك / تو ببالاتر نگر ایمرد نیك
۳۸ کاین سبب‌را آن سبب‌آورد پیش / بی‌سبب کی‌شد سبب هرگز بخویش / این‌سبب را آن سبب عامل‌کند(۱) / باز گاهی بی پرو عاطل کند

---

(۲) بدانکه این چند بیت نظیر این بیت است که سابق گذشت (از سبب سازیش من سودائیم الخ) یعنی اگر چه معنویات بدون اسباب ظاهر یامخفیه ممکن‌نیست‌که هستی‌یابند ولکن گاهی‌بواسطهٔ سنخیت بعضی‌ازاسباب وگاهی بواسطهٔ ضدیت وغالب ومغلوبیت وگاهی بواسطهٔ تصادفات امدادی یااضدادی و گاهی بواسطهٔ مخفی بودن بعضی از اسباب و نمایش مسببات بدون اسباب و گاهی بترکیب از خفا و ظهور و مانند اینها گاهی در انظار عامه سبب سازی و گاهی سبب سوزی و گاهی عامل و گاهی عاطل میشود ولکن در انظار انبیاء که محرم اسباب غیبیه هستند هریك از این اسباب مادی که منتهی میشود باسباب مادی لطیف تر و بالاتری تا برسد در لطافت باسباب ارباب انواع تابرسد بعقول طولیه تابرسد باسماء و صفات الهیه که بهراسمی از اسماءالله نوعی از انواع این عالم ایجاد شده بدلیل آنکه سنخیت بین اسباب و مسببات مادی چون نیست باید باسباب الهی ربط پیدا کند پس انبیاء که محرم این اسبابند گاهی وسائط را با اسباب آنها از مسبب الاسباب مشاهده با چشم کثرت نوری بینی مینمایند و گاهی باچشم وحدت بینی گویند (دیدهٔ خواهم سبب سوراخ‌کن الخ) یعنی‌مسبب را بدون اسباب بمثل سبب خلق اول که بدون هیچ سببی‌خلقت شده فاعل مایشاء درکلی و موجودات مشاهده مینمایند این است معنای سبب سوزی وسوفسطائی شدن که غیراز ظهور حق همه راموهوم دانسته‌و منکر تمام اسباب عالم هستند معنی سبب سازی نسبت بنظر اول است دقت نمائید.

وان سببها کانبیا را رهبرست آن‌سببها زین سببها بر تراست ۱ این سبب را محرم آمد عقل ما وان سببها راست محرم انبیا
این سبب چبود بتازی گو رسن اندر این چه این رسن‌آمد بفن ۲ گردش چرخ این‌رسن را علت‌است چرخ گردان را ندیدن زلتست
این رسنهای سبب ها در جهان هان وهان‌زین‌چرخ‌سرگردان‌مدان ۳ تا نمانی صفر وسرگردان چو چرخ تانسوزی تو ز بیمغزی چو مرخ
باد و آتش میشود از امر حق هردو سرمست آمدند ازخمرحق ۴ آب حلم و آتش خشم ای پسر هم ز حق بینی چو بگشائی‌نظر
گر نبودی واقف ازحق جان باد ۵ فرق چون‌کردی میان قوم عاد (۱)

قصهٔ هلاك کردن باد در عهد هود علیه السلام قوم عاد را

دود گرد مؤمنان خطی کشید(۲) نرم میشد باد کانجا میرسید ۷ هرکه بیرون‌بود زان خط جمله را پاره پاره میگسست اندر هوا
هم چنین شبان راعی میکشید گرد بر گرد رمه خطی پدید ۸ چون بجمعه می‌شد او وقت نماز تا نیارد گرگ آنجا ترکتاز
هیچ گرگی در نرفتی اندران گوسپندی هم نگشتی زان نشان ۹ باد حرص گرگ وحرص گوسپند دائرهٔ مرد خدا را بود بند
همچنین باد اجل با عارفان نرم وخوش همچون نسیم بوستان ۱۰ آتش ابراهیم را دندان نزد چون گزیدهٔ حق بود چونش گزد
آتش شهوت نسوزد اهل دین باغیان را برده تا قعر زمین ۱۱ موج دریا چون بامر حق بتاخت اهل موسی‌را زقبطی واشناخت
خاك قارون‌را چوفرمان دررسید با زر وتختش بقعر خود کشید ۱۲ آب وگل چون از دم عیسی چرید بال وپر بگشاد ومرغی‌شد پدید
* از دهانت چون‌برآمد حمد حق مرغ جنت سازدش رب الفلق ۱۳ هست تسبیحت بجای آب و گل مرغ جنّت‌شد زنفخ صدق‌دل(۳)
کوه طور ازنور موسی‌شد برقص صوفئی کامل شدورست اوزنقص ۱۴ چه عجب گر کوه صوفی شد تمیز جسم موسی از کاوخی‌بود نیز
این عجائب دید آن‌شاه جهود ۱۵ جزکه طنز وجز که انکارش‌نبود

طنز و انکار کردن پادشاه جهود و نصیحت ناصحان او را

ناصحان گفتند از حد مگذران مرکب استیزه را چندین مران ۱۷ * بگذر ازکشتن مکن این‌فعل‌بد بعد از این‌آتش مزن درجان‌خود
ناصحان را دست بست وبند کرد ظلم را پیوند در پیوند کرد ۱۸ بانگ آمد کار چون اینجا رسید پای‌دار ای سگ که قهر ما رسید
بعد ازآن آتش چهل‌گز برفروخت حلقه‌گشت وآن‌جهودان‌را بسوخت ۱۹ اصل ایشان بود آتش زابتدا سوی اصل خویش‌رفتند انتها(٤)
هم ز آتش زاده بودند آن فریق جزو هارا سوی کل باشدطریق ۲۰ *هم‌زآتش زاده بودند آن خسان حرف میراندند از نار و دخان
آتشی بودند مؤمن سوز و بس سوخت خودرا آتش‌ایشان‌چوخس ۲۱ آنکه بوده است امه الهاویه هاویه آمد مر او را زاویه
مادر فرزند جویان وی است اصلها مر فرعها را در پی‌است ۲۲ آب اندر حوض اگر زندانی است باد نشفش‌میکندکار کانی‌است(٥)
میرهاند میبرد تا معدنش اندك اندك تا نبینی بردنش ۲۳ وین نفس جانهای مارا همچنان اندك اندك دزدد از حبس جهان
تا الیه یصعد اطیاب الکلم صاعداً منّا الی حیث علم ۲٤ ترتقی انفاسنا بالمنتقی متحفاً منّا الی دارالبقا
ثم تأتینا مکافات العمال ضعف ذاك رحمة من ذی‌الجلال ۲٥ ثم یلجینا الی امثالها کی ینال العبد ممّا نالها(٦)
هکذا تعرج و تنزل دائما ذا فلا زالت علیه قائما ۲٦ پارسی گوئیم یعنی این کشش زان‌طرف‌آید که آمد این چشش
چشم هر قومی بسوئی مانده است کانطرف یکروز ذوقی رانده‌است ۲۷ ذوق جنس ازجنس‌خود باشد یقین ذوق‌جزو ازکل‌خودباشد ببین(۷)

---

(۱) اشاره بتسبیحات و دانائی تمام اشیاء بظهور حق ، (۲) تصرف هر ولی‌امری در هر موجودی بواسطهٔ دو جهت فاعلی ازطرف خود وقابلی از طرف قبول اشیاء است یعنی بقوهٔ فاعلی و عزم و اراده که بتمرکز قوای مغزی آن ولی حاصل میشود راه بجهت قابلهٔ اشیاء(که دانائی اشیاء بحق باشد) یافته پس هرتصرفی‌که درهر موجودی بعنوان معجزه بمظهریت الهیه بنماید آن موجود بدانائی بسیط یامرکب خودکه ازاحاطه قیومیت حق بمثل احاطهٔ روح بر بدن باو رسیده طبعاً احساس تصرف ولی امررا باین دانائی ظلی نموده و بمثل اطاعت اعضای بدن مرروح را حاضر برای اطاعت تصرفات ولی امرمیشود . (۳) چون قانون‌خلقت اعراض وجواهرعالم دنیا وآخرت اینطورخلقت‌شده که آنچه جواهر اخروی‌است درنیا عرض‌و آنچه‌در دنیا از اعراض است درآخرت از جواهر خواهدشد پس ذکر و تسبیحات بلکه مطلق عبادات وحرکات عرضیه هرعابد و زاهدی اگرچه‌در دنیا ازاعراض و حرکات تدریجیه معدومه است ولکن بحکم قانون خلقت درآخرت‌که درحکمت عرفانی ثابت‌شده همه حکم‌جواهروحقائق متاصله بلکه بمثل حیوان و انسان صاحب جان خواهد شد لذا در اقوال صاحبان شرع از انبیاء و اولیا اخبار کثیره ظاهر شده که نماز و روزه و زکوة وحج در قیامت هر یك بشکل ملکی برای صاحبش جلوه خواهد نمود بلکه فرموده‌اند ماه رمضان ویا خواندان قرآن بشکل ملك در قیامت خواهد شد حتی فرموده‌اند از هر قطرهٔ آبیکه ازغسل حلال جدا شود ملکی خلق شده و برای صاحبش تا قیامت تسبیح خواهد نمود اینست سرّ کلیه عبادات (٤) یعنی ساختمان هرکسی بهرطوریکه باشد از طینت آتشی وآبی بسوی‌آثار همان ساختمان نشو وارتقاء خواهد نمود . (٥) این دو بیت مثال‌است از برای اینکه اگر موجبات وصال برای اهل نور که بعداً میگوید و نارکه قبلا گفت فراهم شود ناریان مرناریان را و نوریان مرنوریان را که اصل خلقت‌شده از آنهااست خواهندرسید . (٦) این‌دو بیت خلاصه معنیش آنستکه هر قدمی بمجاهده وتمرکز نفس‌بسوی خدا برویم چندین قدم‌هم خدا بسوی‌ما ظهور نموده وفطرت مارا بسوی خود جذب خواهدنمود بمثل‌اینکه بهرحرکتیکه سنگی مثلا ازآسمان بزمین فرودآید زمین‌هم بچندین‌مرتبه بجاذبه خودنسبت بجذب سنگ خواهدافزود. (۷) ازاین بیت تاپنج بیت بعد بسه‌قسم جذب جنسیت اشاره‌نمود. (اول)موافقت‌ساختمانی‌ازنیك‌وبد. (دوم) موافقت‌جزء باکل یا فردی‌باکلی خود یاظهور خالق با مخلوق خود . (سوم) موافقت جنسیت بالقوه که غالب اشیاء اگر چه بالفعل جنسیت ندارند ولکن بالقوه همه‌قابل همجنس‌شدن‌هستند بمثل جنسیت وموافقت مأکولات ازراه دهان وشکم وعروق و شرائین وخون وتمام مبصرات از راه چشم وتمام مسموعات از راه گوش و مشمومات از راه بینی وملموسات از راه لمس وموهومات و متخیلات ازراه وهم وخیال ومتفکرات ازراه فکر و معلومات ازراه قوهٔ عالمه و معقولات‌از راه عاقله وحقائق وبسائط از راه فؤاد وحقیقت الحقائق از راه بیهوشی اختیاری بتمرکز تمام احساسات فوق‌الذکر وتوحید همهٔ آنها که محرم این هوش خبر بیهوش نیست) پس کلیهٔ موجودات از عوالم مادی وروحی وعقلی و اسماء و صفاتی همه بوسیله صعود ازپله‌های نردبان حواس انسانی‌قابل جنسیت وسنخیت باجان هر انسانی دارند تا یارکه را خواهد و میلش بکه باشد .

یا مگر آن قابل جنسی بود — چون بدو پیوست جنس اوشود ۱ همچو آب و نان که جنس ما نبود — گشت جنس ما و اندر ما فزود
نقش جنسیّت ندارد آب و نان — ز اعتبار آخر آن را جنس دان ۲ ور ز غیر جنس باشد ذوق ما — آن مگر مانند باشد جنس را
آنکه مانند است باشد عاریت — عاریت باقی نماند عاقبت ۳ مرغ را گر ذوق آید از صفیر — چونکه جنس خود نیابد شد نفیر
تشنه را گر ذوق آید از سراب — چون رسد دروی گریزدجویدآب ٤ مفلسان گر خوش شوند اززرّقلب — لیك آن رسوا شود در دار ضرب
تا زر اندودیت از ره نفکند — تا خیال کز ترا چه نفکند ٥ از کلیله باز خوان این قصه را — و اندران قصه طلب کن حصه را

قصهٔ نخجیران و بیان توکل وترك جهد کردن

طایفهٔ نخجیر در وادیّ خوش — بودشان با شیر دایم کش مکش ۷ بس که آن شیراز کین درمی ربود — آن چرا بر جمله ناخوش گشته بود
حیله کردند آمدند ایشان بشیر — کز وظیفه ما ترا داریم سیر ۸ جز وظیفه در پی صیدی میا — تا نگردد تلخ بر ما این گیا

جواب شیر نخجیران را و بیان خاصیت جهد

گفت آری گر وفا بینم نه مکر — مکرها بس دیده‌ام از زید وبکر ۱۰ من هلاك فعل و مکر مردمم — من گزیده زخم مار و کژدمم
مردم نفس از درونم در کمین — از همه مردم‌بتر در مکر وکین ۱۱ گوش من لا یُلدغ المؤمن شنید — قول پیغمبر بجان و دل گزید

باز ترجیح نهادن نخجیران توکل را بر جهد

جمله گفتند ای حکیم با خبر — الحذر دع لیس یغنی عن قدر ۱۳ در حذر شوریدن شور وشراست — رو توکّل کن توکل بهتراست
باقضا پنجه مزن ای تند وتیز — تا نگیرد هم قضا با تو ستیز ۱٤ مرده باید بود پیش حکم حق — تا نیاید زخمت از ربّ الفلق

باز ترجیح نهادن شیر جهد رابر توکل و تسلیم

گفت آری گر توکل رهبر است — این سبب هم سنّت پیغمبراست ۱٦ گفت پیغمبر به آواز بلند — با توکّل زانوی اشتر ببند
رمز الکاسب حبیب الله شنو — از توکل در سبب کاهل مشو ۱۷ ❀رو توکل‌کن تو باکسب‌ای‌عمو — جهد میکن کسب میکن مو بمو
❀جهد کن جُدی نما تا وارهی ۱۸ ور تو از جهدش بمانی ابلهی

باز ترجیح نخجیران توکل را برجهد وکسب

قوم‌گفتندش‌که کسب ازضعف‌خلق — لقمهٔ تزویر دان بر قدر حلق ۲۰ ❀پس‌بدان‌که‌کسبها ازضعف‌خاست — در توکل تکیه برغیری خطاست
نیست کسبی از توکل خوبتر — چیست از تسلیم خود محبوب‌تر ۲۱ بس گریزند از بلا سوی بلا — بس جهند از مار سوی اژدها
حیله کرد انسان وحیله‌اش دام بود — آنکه‌جان پنداشت خون آشام‌بود ۲۲ در بیست ودشمن اندر خانه بود — حیلهٔ فرعون زین افسانه بود
صد هزاران طفل‌کشت آن‌کینه‌کش — وانکه او میجست اندر خانه‌اش ۲۳ دیدهٔ ماچون بسی علت دراوست — رو فنا کن دید خود دردیددوست
دید مارا دید او نعم العوض — یابی اندر دید او کلّ غرض ۲٤ طفل تاگیرا و تا پویا نبود — مرکبش جز شانهٔ بابا نبود
چون فضولی کرد ودست وپانمود — در عنا افتاد و در کور و کبود ۲٥ جانهای خلق پیش از دست وپا — میپریدند از وفا سوی صفا(۱)
چون بامر اهبطوا بندی شدند — حبس‌خشم وحرص وخرسندی‌شدند ۲٦ ما عیال حضرتیم و شیر خواه — گفت الخلقُ عیال للاله
آنکه او از آسمان باران دهد ۲۷ هم تواندکو ز رحمت نان دهد

دیگر بار بیان‌کردن شیر ترجیح جهد برتوکل

گفت شیر آری ولی ربّ العباد — نردبانی پیش پای ما نهاد ۲۹ پایه پایه رفت باید سوی بام — هست جبری‌بودن اینجا طمع خام
پای داری‌چون کنی‌خودراتولنگ — دست‌داری‌چون‌کنی پنهان‌توچنگ ۳۰ خواجه چون بیلی بدست بنده داد — بی‌زبان معلوم شد او را مراد(۲)
دست همچون‌بیل‌اشارتهای اوست — آخر اندیشی عبارت های اوست ۳۱ چون اشارتهاش را برجان نهی — در وفای آن اشارت جان‌دهی
پس اشارتهاش اسرارت دهد — بار بردارد ز تو کارت دهد ۳۲ حاملی محمول گرداند ترا — قابلی مقبول گرداند ترا
قابل امر وئی قابل شوی — وصل‌جوئی بعدازآن واصل‌شوی ۳۳ سعی شکر نعمتش قدرت بود — جبر تو انکارآن نعمت بود
شکر نعمت نعمتت افزون کند — کفر نعمت از کفت بیرون‌کند ۳٤ جبر توخفتن بود در ره‌مخسب — تا نبینی آن در و درگه مخسب

---

(۱) یعنی ارواح قبل از اینکه در دامهای نطفه‌های ملکوتی درطلسم افتند درفضای سلب علاقه آزادی مطلق در پناه وجودهای تبعی عقول کلیه و اسماء وصفات الهیه خوش و راحت ازلی بودند که ناگاه بامر اهبطوا بتقاضای دامهای نطفه‌ها برای تکمیل وسعهٔ وجودی و ریاست مطلقه در طلسمات هواوهوس بمقتضیات قوای‌بدنیه افتاده‌واکثرآنها نتیجه برعکس‌گرفته ذلیل‌وضعیف ومرئوس هواوهوس ودرحبس‌علاقهای بدنیه گرفتار شدند . شاهد این قضیه مضافات آنچه غیر من است بسوی من است (کما آنکه میگوئی اعضا وجوارح من قوا و روحیات من و عقل و نفس من وشهوت و غضب من وهیچگاه نمیگوئی من شهوت و من غضب و من بدن ومن نفس چه ما سوای من مال من است نه من مال ما سوا) پس من قبل از تعلق باین مضافات آزاد از آن مضافات بوده که بعد از تعلق بقسمی‌گرفتار واسیر آنها شده که هریك از آن مضافات داخلی‌مذکور و خارجی (از قبیل‌خانه من وزن وبچه من واعتبار من واموال‌من ومانند اینها) همه مؤثر در من‌که جان انسان است آناً فآناً شده وچنان گرفتاراین مضافات‌داخلی وخارجی شده که گاهی برحسب سابقهٔ آزادی فطرت طالب مکیّفات وتفریحات ومسکرات برای استخلاص ازقیود تن و خیال میشود وبعد ازساعتی تابهوش‌میاید باز اسیرمضافات خود میگردد . کما آنکه تمام مرتاضین بهمت ومتشرعین بعبادت واخلاقیون باعتدال اخلاق ومجذوبین بجذبهٔ عشق طالب این آزادی از چنگال مضافات بکوشش اختیاری میباشند که میگویند روح بهشت برسیدن اختیاری باین آزادی قبل از تعلق روح ببدن است (۲) یعنی اگر نباید بقول جبریها جدّ و جهد وکار و کسب وسعی وعمل بتدبیر عقل و فکر نمود پس باید این قوای‌مذکوره را حکیم علی‌الاطلاق در وجود هر انسانی لغو و بدون اثر خلقت نموده باشد پس خلقت طبیعی این قوا دلیل جد و جهد و بکار انداختن آنهاست . (۳) یعنی اگر این قوای خلقت شده سمی‌وعمل وعقل و فکررا (که نعمتهای خدا درهرانسانی بوده) هریك در کارهائی‌که برای آن خلق‌شده بکار بندی البته در نتیجه (کما اینکه فوقاً گفت حاملی محمول و قابلی مقبول ودوری واصل و در این بیت گفت افزونی این نعمتهای قوای مذکوره برای وصول به‌آن‌آزادی مطلق فوق الذکر است) درمقام نشو و ارتقا برای تو آسان خواهد شد .

هان مخسب ای جبری بی اعتبار / جز بزیر آن درخت میوه دار ۱ تا که شاخ افشان کند هر لحظه باد / بر سر خفته بریزد نقل و زاد
جبر خفتن در میان رهزنان / مرغ بی‌هنگام کی یابد امان (۱) ۲ ور اشارتهاش را بینی زنی / مرد پنداری وچون بینی زنی
اینقدر عقلی که داری گم‌شود / سرکه عقل‌از وی‌بپرّد دم‌شود(۲) ۳ زانکه بی‌شکری بود شوم وشنار / می برد بی شکر را تا قعر نار
گر توکل میکنی در کار کن / کسب‌کن پس تکیه برجبار کن(۳) ۴ ❀ تکیه برجبار کن تا وارهی / ور نه افتی در بلای گمرهی

باز ترجیح نهادن نخجیران مر توکل‌را برجهد

جمله با وی بانگها برداشتند / کان حریصان کاین سببها کاشتند ۶ صد هزار اندر هزاران مرد وزن / پس چرا محروم ماندند از زمن
صد هزاران قرن ازآغاز جهان / همچو اژدرها گشاده صد دهان ۷ مکر ها کردند آن دانا گروه / که زبن برکنده شد زان مکرکوه
❀کرده مکر وحیله آن قوم‌خبیث / ورزما باور نداری این حدیث ۸ کرد وصف مکرهاشان ذوالجلال / لتزول منه اقلال الجبال
جز که‌آن قسمت‌که رفت اندرازل / روی ننمود از سگال وازعمل ۹ جمله افتادند از تدبیر و کار / مانده کار و حکمهای کردگار
کسب جز نامی مدان ای نامدار ۱۰ جهد جز وهمی مپندار ای عیار

نگریستن عزرائیل بر مردی وگریختن آن مرد در سرای حضرت سلیمان و تقریر ترجیح توکل بر جهد و کوشش

ساده مردی چاشتگاهی در رسید / در سرا عدل سلیمان در دوید ۱۳ رویش ازغم زرد وهردولب کبود / پس‌سلیمان گفت ای‌خواجه‌چه‌بود
گفت عزرائیل در من اینچنین / یك نظر انداخت پرازخشم وکین ۱۴ گفت‌هین‌اکنون‌چه‌میخواهی بخواه / گفت فرما باد را ای جان پناه
تا مرا زینجا بهندستان برد / بوکه بنده‌کان طرف‌شد جان‌برد ۱۵ نك ز درویشی گریزانند خلق / لقمهٔ حرص و امل زانند خلق
ترس درویشی مثال آن هراس / حرص وکوشش‌را توهندستان‌شناس ۱۶ باد را فرمود تا او را شتاب / برد سوی خاك هندستان بر آب
روز دیگر وقت دیوان و لقا / شه سلیمان گفت عزرائیل را ۱۷ کان مسلمان را بخشم ازچه سبب / بنگریدی بازگو ای پیك رب
❀ای عجب این‌کرده باشی بهرآن / تاشود آواره او از خان‌ومان ۱۸ ❀گفتش ای شاه جهان بی زوال / فهم کژ کرد و نمود اورا خیال
من ورا از خشم کی کردم نظر / از تعجب دیدمش در ره گذر ۱۹ که مرا فرمودحق کامروز هان / جان او را تو بهندستان ستان
❀دیدمش اینجا وبس حیران‌شدم / در تفکر رفته سرگردان شدم ۲۰ ازعجب‌گفتم گر اورا صدپراست / زو بهندوستان شدن دوراندراست
❀چون بامر حق بهندوستان شدم / دیدمش آنجا و جانش بستدم ۲۱ تو همه کار جهان را هم چنین / کن قیاس و چشم بگشا و ببین
از که بگریزیم از خود ای محال ۲۲ ازکه برتابیم از حق این وبال

بیان ترجیح دادن شیر جهد را بر توکل وفوائد جهد بیان کردن

شیر گفت آری ولیکن هم ببین / جهد های انبیاء و مؤمنین ۲۴ ❀ سعی ابرار و جهاد مؤمنان / تا بدین ساعت ز آغاز جهان
حق تعالی جهدشان را راست‌کرد / آنچه دیدند از جفا و گرم وسرد ۲۵ حیلهاشان جمله حال آمد لطیف / کل شیئی من ظریف هوظریف
دامهاشان مرغ گردونی گرفت / نقصهاشان جمله افزونی گرفت ۲۶ جهد میکن تا توانی ای کیا / در طریق انبیا و اولیا
با قضا پنجه زدن نبود جهاد / زانکه این‌را هم قضا برما نهاد ۲۷ کافرم من گر زیان کردست کس / در ره ایمان و طاعت یکنفس
سرشکسته‌نیست این سر را مبند / یکدو روزی جهد کن باقی بخند ۲۸ بد محالی جست کو دنیا بجست / نیك‌خالی جست کو عقبی بجست
مکر ها درکسب دنیا بارد است / مکرها در ترك دنیا وارد است ۲۹ مکر آن باشدکه زندان حفره کرد / آنکه حفره بست آن‌مکریست سرد
این جهان زندان و مازندانیان / حفره‌کن زندان وخود راوارهان ۳۰ چیست دنیا از خدا غافل بدن / نی قماش و نقره و فرزند و زن
مال را گر بهر دین باشی حمول / نعم مال صالح خواندش رسول ۳۱ آب در کشتی هلاك کشتی‌است / آب اندر زیر کشتی پشتی است
چونکه مال وملك رااز دل‌براند / زان سلیمان‌خویش‌جزمسکین‌نخواند ۳۲ کوزهٔ سربسته اندر آب زفت / از دل پر باد فوق آب رفت
باد درویشی چو در باطن بود / بر سر آب جهان ساکن بود ۳۳ ❀ آب نتواند مر اورا غوطه‌داد / کش دل از نفخهٔ الهی‌گشت شاد
گرچه این جمله جهان‌ملك ویست / ملك در چشم دل اولاشی است ۳۴ پس دهان دل ببند و مهر کن / پرکنش از باد کبر من لدن
جهد حقست و دواحقست و درد / منکر اندر نفی‌جهدش جهدکرد(۴) ۳۵ ❀کسب‌کن سعیی نما و جهد کن / تا بدانی سرّ علم من لدن
❀گرچه جمله این‌جهان برجهدشد / جهد کی در کام جاهل شهد شد ۳۶ زین نمط بسیار برهان گفت شیر / کز جواب آن‌جبریان گشتند سیر

مقرر شدن ترجیح جهد برتوکل

روبه و آهو و خرگوش و شکال / جبر را بگذاشتند و قیل و قال ۳۸ عهد ها کردند با شیر ژیان / کاندر این بیعت نیفتد در زیان
قسم هر روزش بیاید بی ضرر / حاجتش نبود تقاضای دگر ۳۹ ❀عهد چون‌بستند ورفتند آن‌زمان / سوی مرعی ایمن از شیر ژیان
❀ جمع بنشستند یکجا آن وحوش / اوفتاده در میان جمله جوش ۴۰ ❀هرکسی تدبیر و رائی میزدی / هرکسی در خون هر یك میشدی

---

(۱) یعنی قوای سعی وعمل برای رسیدن به منزل آزادی فوق‌الذکر است تا نرسیدهٔ تعطیل در جد وجهد نباید کرد . (۲) یعنی تعطیل در جدّ و جهد تعطیل در قوای خدا داده طبیعی است که بالاخره ضعیف و تنبل خواهی شد (۳) یعنی توکل منافی با جد وجهد وسعی وعمل نیست چهٔ توکل برخدای وکیل که هرکاری را با اسباب مناسب خودش خلقت میکند (که از آن جمله خلقت جد و جهد وعقل است) یك امر روحانی قلبی است و هیچ مخالفتی با صورت جریان اسباب نداشته بلکه انکار جریان اسباب وتعطیل جد و جهد انکار وکالت وجدانی مسبب‌الاسباب پس‌انکار توکل است‌که عقلا نباید برخدای‌بی‌اسباب یامسبب هرج‌و مرج غیرمناسب الاسباب وکالت در امور داده وتوکل نمود پس سعی وعمل باسباب مناسب مؤید توکل بخداوند وکیل زبردست بااسباب است نه مخالف (۴) یعنی‌اگر جد وجهد حق نیست وباید بقول جبریهای تنبل در هر کاری‌که خدامیخواهد ساکت وصامت شد پس‌چرا آنها برای اثبات جبرونفی‌جد وجهداینقدر جد وجهد کرده وبرهان اقامه میکنند .

۞ عاقبت شد اتفاق جمله‌شان — تا بیاید قرعهٔ اندر میان ۱ ۞قرعه برهر کاوفتد اوطعمه‌است — بی‌سخن شیر ژیان را لقمه است
۞ هم براین‌کردند آن‌جمله قرار — قرعه آمد سر بسر را اختیار ۲ قرعه برهرک اوفتادی روز روز — سوی‌آن شیر او دویدی‌همچوبوز
چون‌بخرگوش آمد این‌ساغر بدور ۳ بانگ زد خرگوش‌کاخرچند جور

انکار کردن نخجیران وجواب خرگوش مر ایشان‌را

قوم گفتندش که چندین گاه ما — جان فدا کردیم در عهد و وفا ۵ تو مجو بد نامی ما ای عنود — تا نرنجد شیر رو رو زود زود

مهلت خواستن خرگوش نخجیران را

گفت ای یاران مرا مهلت دهید — تا بمکرم از بلا بیرون جهید ۷ تا امان یابد بمکرم جانتان — ماند این میراث فرزندانتان
هر پیمبر امتان را در جهان — همچنین تا مخلصی میخواندشان ۸ کز فلك راه برون شو دیده بود — در نظر چون مردمك پیچیده‌بود
مردمش چون مردمك دیدند خرد ۹ در بزرگی مردمك کس ره نبرد

اعتراض کردن نخجیران بر خرگوش و جواب دادن خرگوش ایشان را

قوم‌گفتندش که ای خرگوش دار — خویش را اندازهٔ خرگوش دار ۱۱ هین‌چه لافست اینکه ازتو مهتران — در نیاوردند اندر خاطر آن
معجبی یا خود قضامان دریی‌است — ورنه این‌دم لایق چون‌تو کی‌است ۱۲ گفت ای یاران حقم الهام داد — مر ضعیفی‌را قوی رائی فتاد(۱)
آنچه حق آموخت مر زنبور را — آن نباشد شیر را و گور را ۱۳ خانها سازد پر از حلوای تر — حق براو آن علم را بگشاد در
آنچه حق آموخت کرم پیله را — هیچ پیلی داند آن گون حیله را ۱۴ آدم خاکی ز حق آموخت علم — تا بهفتم آسمان افروخت علم
نام و ناموس ملك را در شکست — کوری آن‌کس که باحق درشکست ۱۵ زاهد ششصد هزاران ساله را — پوزبندی ساخت آن گوساله را
تا نتاند شیر علم دین کشید — تا نگردد گرد آن قصر مشید ۱۶ علمهای اهل حس شد پوزبند — تا نگیرد شیر ز آن علم بلند
قطرهٔ دل را یکی گوهر فتاد — کان بگردونها و دریاها نداد ۱۷ چندصورت‌آخر ای‌صورت پرست — جان بی‌معنیت ازصورت نرست(۱)
گر بصورت آدمی انسان بدی — احمد وبوجهل خودیکسان بدی(۲) ۱۸ ۞احمد و بوجهل در بتخانه رفت — زین شدن تا آن‌شدن فرقیست‌زفت
۞این درآید سر نهند آنرا بتان — وان درآید سر نهد چون امّتان ۱۹ نقش بر دیوار مثل آدمست — بنگر ازصورت چه‌چیز اوراکمست
جان کمست آن صورت بی تاب‌را — رو بجو آن گوهر کم‌یاب را ۲۰ شد سر شیران عالم جمله پست — چون‌سگ اصحاب را دادندست
چه زیانستش از آن نقش نفور — چونکه‌جانش غرق‌شد دربحر نور ۲۱ وصف صورت نیست اندر خامه‌ها — عالم و عادل بود در نامه ها
عالم و عادل همه معنیست و بس — کش نیابی در مکان وپیش وپس ۲۲ میزند برتن ز سوی لامکان — می نگنجد در فلك خورشیدجان
این سخن پایان ندارد هوش دار ۲۳ گوش سوی قصهٔ خرگوش دار

ذکر دانش خرگوش و بیان فضیلت و منافع دانش

گوش خر بفروش ودیگر گوش‌خر — کاین سخن را درنیابد گوش خر ۲۵ رو تو روبه بازی خرگوش بین — مکر و شیر اندازی خرگوش بین
خاتم ملك سلیمان است علم — جمله‌عالم صورت‌وجانست علم(۳) ۲۶ آدمی را زین هنر بیچاره گشت — خلق دریاها و خلق کوه و دشت
زو پلنگ وشیرترسان همچوموش — زو شده پنهان بدشت وکه وحوش ۲۷ زاوپری و دیو ساحلها گرفت — هر یکی در جای پنهان جاگرفت
آدمی را دشمن پنهان بسی است — آدمی با حذر عاقل کسیست ۲۸ خلق پنهان زشتشان وخوبشان — میزند بردل بهر دم کوبشان
بهر غسل ار در روی در جویبار — بر تو آسیبی زند در آب خار ۲۹ گرچه پنهان خار در آبست پست — چونکه درتومیخلد دانی که هست
خار خار حیله‌ها و وسوسه (٤) — از هزاران کس بود نی یك‌کسه ۳۰ باش تاحسهای تو مبدل شود — تا ببینیشان ومشکل حل شود (٥)

---

(۱)این‌یازده بیت(ازسطر دوم ۱۳تاسطر دوم۱۸) کلیة راجع‌به‌بیان علوم‌غریزیه وفطریهٔ تمام موجودات‌است‌که مولوی بذکربعضی‌ازمهمترین آنهاکه زنبور عسل‌وکرم پیله وبردیف آوردن علم‌حضرت آدم بمقتضای (وعلم‌آدم الاسماء کلها) اکتفا نموده ودر چندبیت آخربا علوم صوری تحصیلی اختیاری‌فرق گذاشته که علوم غریزیه را از مبادی وحی و الهام و علم لدنی و علوم اختیاری تحصیل را از مبادی علوم شیطانی وساوس نفسانی معرّفی کرده و فرموده اگر چه هردو صورتاً علم است ولکن این کجا و آن کجا پس از این بیان که ردیف نموده علم آدم را بعلم زنبور عسل و کرم پیله معلوم میشود که میخواهد بفرماید علوم لدنی انبیاء و اولیاء بعد از ریاضت و تصفیه و توحید نفس توسعه و نشو و ارتقای همین علوم غریزیه است که حیوانات طبعاً دارا بوده و هیچ محتاج بتحصیل در مدارس نبوده و کاملاً و منظماً بدون خبط وخطا نقشه ریزی هر کاری را مینمایند . و نیز از تاریخ علوم طبیعی معلوم میشود که علوم قبل از تمدن همین علوم غریزیه بوده و سپس بواسطهٔ غلبه تدریجی علوم تحصیلی اختیاری سلولهای علوم غریزیه بتدریج فلج یا درخواب ویا درشرف موت واقع شده که باید بریاضت‌آنها را معالجه یا بیدار ویا زنده نمود واینست مقصودازعلوم کشفیهٔ انبیا ومرتاضین بزرگ دنیا وبس . (۲) یعنی‌اگرچه این‌دوقسم‌علم فوق‌الذکرمخصوصاً نزداشخاصیکه ازمبادی‌علم وسرچشمهٔ آن اطلاعی ندارند هردو راعلم‌وصاحبش‌راعالم بلکه ابوجهل راابوالحکم ومحمدرا امی وعوام میگویند بایدبآنها گفت‌که‌بصورتهای متشابه نگاه نکنید بلکه بحقایق‌و مبادی مختلفهٔ آنها هم یك نظر عبرت اندازید تا بینشان فرق‌های زیاد مشاهده‌کنید که یکی‌حقیقت علم است ودیگری متشابه بعلم است (۳) یعنی علم است‌که ممالک عالم‌را از اول خلقت تاکنون منظماً اداره کرده ـ علم است‌که حیوانات را مخصوصاً درندگانرا ازانسان ترسانیده از آبادیهافراری داده ـ و باعلم‌است که هزاران حیوانات قوی‌هیکل بمثل شتر وقاطر واسب وفیل‌را یك بچه انسانی زیربار آورده اسیر مینماید ـ وعلم است که صنایع محیرالعقول عصریه را از عناصر مرده ساخته وترکیب کرده (پس خاتم و انگشتر بلکه‌آنچه‌ملك سلیمان را منظماً اداره میکرده و همه سرکشان را مطیع مینموده فقط و فقط علم بوده علم .) (٤) یعنی هر مزاجی بعدد عناصر واجزای ترکیبیه بدنش که هریك مقتضیات مخصوصی دارند بعنوان وسوسه تحریکات درخیالات صاحبش مینمایند ـ (٥) یعنی احدی از وساوس که این مقتضیات عناصر مزاجیه است نجات نخواهد یافت مگر آنکه بتمرکز قوا و توحید نفس آن وساوس را تبدیل کند .

تا سخنهای کیان رد کردهٔ ۱ تا کیان را سرور خود کردهٔ

باز جستن نخجیران سرّ و اندیشهٔ خرگوش را

بعدازآن گفتند کای خرگوش چست ۳ ای که با شیری تو در پیچیدهٔ
باز گو رائی که اندیشیدهٔ
مشورت ادراك و هشیاری دهد ۴ عقلها مر عقل را یاری دهد
گفت پیغمبر بکن ای رای زن
مشورت کالمستشارُ مؤتمن

منع کردن خرگوش راز را از نخجیران

❀ قول پیغمبر بجان باید شنود ۶ باز گوتا چیست مقصود تو زود
گفت هر رازی نشاید باز گفت
از صفا گر دم زنی با آینه ۷ تیره گردد زود با ما آینه
در بیان این سه کم جنبان لبت
کاین سه را خصمست بسیار و عدو ۸ در کمینت ایستد چون داند او
ور بگوئی با یکی گو الوداع
گرد و سه پرّنده را بندی بهم ۹ بر زمین مانند محبوس از الم
مشورت دارند سر پوشیده خوب
مشورت کردی پیمبر بسته سر ۱۰ گفته ایشانش جواب و بی‌خبر
در مثالی بسته گفتی رای‌را
او جواب خویش بگرفتی ازو ۱۱ وز سؤالش می نبردی غیر بو
❀ این‌سخن پایان ندارد بازگرد
جفت طاق آید گهی که طاق جفت
از ذهاب واز ذهب واز منهبت
کلُ سِر جاوز الاثنین شاع
در کنایت با غلط افکن مشوب
تا نداند خصم از سر پای را
سوی خرگوش دلاور تاچه کرد

قصهٔ مکر کردن خرگوش با شیر و بسر بردن

❀حاصل آن خرگوش رای خودنگفت ۱۳ مکر اندیشید باخود طاق وجفت
❀باوحوش ازنیك‌وبد نگشاد راز
سِرّ خود باجان خود میراند باز
ساعتی تأخیر کرد اندر شدن ۱۴ بعدازآن‌شد پیش‌شیر پنجه زن
زان سبب کاندرشدن وا ماند دیر
خاك را میکند و میغرّید شیر
گفت من‌گفتم که عهد آن خسان ۱۵ خام باشد خام و سست ونارسان
دمدمهٔ ایشان مرا از خر فکند
چند بفریبد مرا این دهر چند
سخت درماند امیر سست ریش ۱۶ چون‌نه پس‌بیند نه پیش‌ازاحمقیش
راه هموار است و زیرش دامها
قحط معنی در میان نامها
لفظها و نامها چون دامها است ۱۷ لفظ شیرین ریگ‌آب عمرماست
❀عمرچون آبست‌وقت اورا چوجو
خلق باطن ریگ جوی‌عمرتو(۱)
آن یکی ریگی که جوشد آب ازو ۱۸ سخت کم یابست رو آن را بجو
منبع حکمت شود حکمت طلب
فارغ‌آید او زتحصیل وسبب(۲)
هست آن ریگ ای پسر مرد خدا ۱۹ کو بحق‌پیوست وازخود شد جدا
آب عذب دین همی جوشد از او
طالبان را زان حیاتست و نمو
غیر مرد حق چوریگ خشك دان ۲۰ کاب عمرت‌را خورد اوهر زمان
طالب حکمت شو از مرد حکیم
تا از اوگردی تو بینا وعلیم(۳)
لوح حافظ لوح محفوظی شود ۲۱ عقل‌او از روح محظوظی شود
چون معلم بود عقلش ز ابتدا
بعداز آن‌شد عقل شاگردی ورا
عقل چون جبریل گوید احمدا ۲۲ گریکی گامی نهم سوزد مرا(٤)
تو مرا بگذار زین پس پیش‌ران
حدّ من این بود ای سلطان جان
هرکه ماند ازکاهلی بی شکر وصبر ۲۳ او همی داند که گیرد پای جبر
هرکه جبر آورد خود رنجور کرد
تا همان رنجوریش در گور کرد
گفت پیغمبر که رنجوری بلاغ ۲۴ رنج آرد تا ببرد چون چراغ
جبر چبود بستن اِشکسته را
یا به پیوستن رگ بگسسته را
چون در این ره‌پای خود بشکستهٔ ۲۵ بر که میخندی چو پا را بستهٔ
وانکه پایش در ره‌کوشش شکست
در رسد اورا براق وبرنشست
حامل دین بود او محمول شد ۲۶ قابل فرمان بُد او مقبول شد
تا کنون فرمان پذیرفتی ز شاه
بعد از این فرمان رساند برسپاه
تا کنون اختر اثر کردی دراو ۲۷ بعد از این باشد امیر اختر او
گر ترا اشکال آید در نظر
پس توشك داری درانشقّ القمر
تازه کن ایمان نه از گفتِ زبان ۲۸ ای هوا را تازه کرده در نهان
تاهوا تازه است ایمان تازه نیست
کاین‌هوا جز قفل آن‌دروازه‌نیست
کردهٔ تأویل حرف بکر را ۲۹ خویش‌را تأویل کن نی ذِکررا
بر هوا تأویل قرآن میکنی
پست وکژ شد از تو معنیّ سنی

زیافت تأویل رکیك مگس

ماند احوالت بدان طرفه مگس ۳۱ کو همی پنداشت خودراهست‌کس
از خودی سرمست‌گشته بی شراب
ذرهٔ خود را شمرده آفتاب
وصف بازان را شنیده در زمان ۳۲ گفته من عنقای وقتم بیگمان
آن مگس بربرگ کاه وبول خر
همچو کشتیبان همی افراشت سر
گفت من دریا و کشتی خوانده‌ام ۳۳ مدّتی در فکر آن می مانده‌ام
اینك این دریا و این کشتیّ ومن
مرد کشتیبان و اهل رای وفن
بر سر دریا همی راند او عمد ۳۴ می نمودش این قدر بیرون زحدّ
بود بیحدّ آن چمین نسبت بدو
آن نظر کو بیند آن را راست‌کو
عالمش چندان بودکش‌بینش است ۳۵ چشم چندین بحرهم چندینش‌است
صاحب تأویل باطل چون مگس
وهم او بول خر و تصویر خس
گر مگس تأویل بگذارد برای ۳۶ آن مگس را بخت گرداند همای
آن‌مگس نبود کش این عبرت بود
روح او نی درخورِ صورت بود
همچو آن خرگوش کو بر شیر زد ۳۷ روح او کی بود اندر خورد قد

رنجیدن شیر از دیر آمدن خرگوش

شیر میگفت از سر تیزیّ و خشم کز ره گوشم عدو بر بست چشم ۳۹ مکر های جبریانم بسته کرد تیغ چوبین‌شان تنم راخسته کرد

---

(۱) اگر بگوئی دراین فصل ۳ کلام مختلف است : در یك بیت ریگ آب را لفظ گفته و در بیت دیگر خلق باطنی و در بیت دیگر مرد خدا و حکیم، جمع بین این‌سه چگونه‌است- جواب‌میدهیم‌که هرسه یکی ومراتب یکدیگرندکه مرد خداباشد وُخلق ولفظ توهم که تابع مرد خدائی‌شأن اوست پس لفظ را که در بیتی موصوف بشیرین کرده چون دام معانی بلند اوستّ وخلق باطن چشمه وخود شخص‌حکیم ومرد خدا چشمهٔ علم وحکمت است (۲) حکمت باصطلاح حکماء علم باسباب حقائق اشیاء است وباصطلاح عرفا چون علم بحقیقت الحقائق‌از راه تمرکز قوا و توحید نفس ومکاشفه است برخلاف حکماء است که در فرد دوم فرموده - فارغ آید او ز تحصیل و سبب (۳) حقیقت حکمت خورده کاری و خورده بینی است و این بدون اشتباه نمیشود مگر به بصیرت قلبی و علم باطنی بریاضت و توحید نفس . (٤) در این بیت چندین اشاره دارد : (اول) مقصود از جبرئیل عقل هر پیغمبریست . (دوم) عقل اگرچه بکلیات میرسد باز عقال(یعنی پای‌بند شتر) حدود وبستهٔ نظام عالم است. (سوم) امتیاز حقیقت انسان آنستکه میتواند بتمرکز قوا وتوحید نفس عروج کرده در مقام عشق و توحید عالم وبظهور احدیت خداوند درمافوق عرش وکرسی عالم‌کثرات رسیده ومعراج به آن مقام بلند ارجمند نماید .

زین سپس من نشنوم آن دمدمه — بانگ دیوانست و غولان آن همه ۱ بردران ایدل تو ایشان‌را مایست — پوستشان بر کن کشان جز پوست نیست
پوست چبود گفتهای رنگ رنگ — چون زِره بر آب کش نبود درنگ ۲ این سخن چون پوست و معنی مغز دان — این سخن چون نقش و معنی همچو جان
پوست باشد مغز بدرا عیب پوش — مغز نیکو را ز غیرت غیب پوش ۳ چون قلم از باد بُد دفتر ز آب — هر چه بنویسی فنا گردد شتاب
نقش آبست ار وفا جوئی از آن — باز گردی دستهای خود گران ۴ باد در مردم هوا و آرزوست — چون هوا بگذاشتی پیغام هوست
خوش بود پیغامهای کردگار — کو ز سر تا پای باشد پایدار ۵ خطبهٔ شاهان بگردد وان کیا — جز کیا و خطبهای انبیا
زانکه بوش پادشاهان از هواست — بار نامهٔ انبیا از کبریاست (۱) ۶ از درمها نام شاهان برکنند — نام احمد تا قیامت بر زنند
نام احمد نام جمله انبیاست — چونکه صد آمد نودهم پیش ماست (۲) ۷ ❀ این سخن پایان ندارد ای پسر — قصهٔ خرگوش گوی و شیر نر

هم در بیان مکر خرگوش و تأخیر آن در رفتن

در شدن خرگوش بس تأخیر کرد — مکر را با خویشتن تقریر کرد ۹ در ره آمد بعد تأخیر دراز — تا بگوش شیر گوید یك دو راز
تا چه عالمهاست در سودای عقل — تاچه با پهناست این دریای عقل ۱۰ ❀ بحر بی پایان بود عقل بشر — بحر را غوّاص باید ای پسر
صورت ما اندرین بحر عذاب — میدود چون کاسها برروی آب ۱۱ تانشد پر بر سر دریا چو طشت — چون که پر شد طشت در وی غرق گشت
عقل پنهانست و ظاهر عالمی — صورت ما موج یا از وی نمی ۱۲ هرچه صورت می وسیلت سازدش — زان وسیلت بحر دور اندازدش
تا نبیند دل دهندهٔ راز را — تا نبیند تیر دور انداز را ۱۳ اسب خود را یاوه داند وز ستیز — میدواند اسب خود را راه تیز
اسب خود را یاوه داند آن جواد — و اسب خود او را کشان کرده چو باد ۱۴ درفغان و جست و جو آن خیره سر — هرطرف پُرسان وجویان در بدر
کانکه دزدیده است مارا کو و کیست — اینکه زیر ران تست ای خواجه چیست ۱۵ آری این اسب است لیك آن اسب کو — با خود آ ای شهسوار اسب جو
❀ وصفها را مستمع گوید براز — تا شناسد مرد اسب خویش باز ۱۶ جان ز پیدائی و نزدیکیست گم — چون شکم پر آب و لب خشکی چو خم
❀ در درون خود بیفزا درد را — تا ببینی سرخ و سبز و زرد را ۱۷ کی ببینی سبز و سرخ و بور را — تا نبینی پیش از این سه نور را
لیك چون در رنگ گم شد هوش تو — شد ز نور آن رنگها روپوش تو ۱۸ چونکه شب آن رنگها مستور بود — پس بدیدی دید رنگ از نور بود (۳)
نیست دید رنگ بی نور برون — همچنین رنگ خیالِ اندرون ۱۹ این برون از آفتاب و از سهاست — وان درون از عکس انوار علاست (٤)
نور نورِ چشم خود نور دل است — نورِ چشم از نور دلها حاصل است ۲۰ باز نورِ نورِ دل نورِ خداست — کو ز نور عقل وحس پاك و جداست
شب نبد نور و ندیدی رنگ را — پس بضدّ آن نور پیدا شد ترا ۲۱ ❀ شب ندیدی رنگ کان بی نور بود — رنگ چبود مهرهٔ کور و کبود
گه نظر بر نور بود آن گه برنگ — ضدّ بضدّ پیدا شود چون روم و زنگ ۲۲ دیدن نور است آنگه دید رنگ — وین بضدّ نور دانی بیدرنگ
پس بضدّ نور دانستی تو نور — ضدّ ضدّ را مینماید در صدور ۲۳ رنج وغم را حق پی آن آفرید — تا بدین ضدّ خوش‌دلی آید پدید
پس نهانیها بضدّ پیدا شود — چونکه حقّ را نیست ضدّ پنهان بود ۲۴ نور حق را نیست ضدّی در وجود — تا بضدّ او را توان پیدا نمود (٥)
لاجرم ابصارُنا لا تُدرکه — وهو یُدرك بین تو از موسی و که ۲۵ صورت از معنی چو شیر از بیشه دان — یا چو آواز وسخن ز اندیشه دان
این سخن وآواز از اندیشه خاست — تو ندانی بحر اندیشه کجاست ۲۶ لیك چون موج سخن دیدی لطیف — بحر آن دانی که هم باشد شریف
چون ز دانش موج اندیشه بتاخت — از سخن وآواز او صورت بساخت ۲۷ از سخن صورت بزاد و باز مرد — موج خود را باز اندر بحر برد
صورت از بی صورتی آمد برون — باز شد کانا الیه راجعون ۲۸ پس تو را هر لحظه مرگ و رجعتیست — مصطفی فرمود دنیا ساعتی است
فکر ما تیریست از هو در هوا — در هوا کی پایدار آید ندا ۲۹ هر نفس نو میشود دنیا و ما — بی‌خبر از نو شدن اندر بقا (٦)
عمر همچون جوی نو نو می رسد — مستمرّی می نماید در جسد ۳۰ آن ز تیزی مستمر شکل آمده است — چون شرر کش تیز جنبانی بدست (۷)
شاخ آتش را بجنبانی بساز — در نظر آتش نماید بس دراز ۳۱ این درازی مدّت از تیزی صُنع — مینماید سرعت انگیزیّ صُنع
طالبِ این سِرّ اگر علامه‌ایست — نك حسامُ الدین که سامی نامه‌ایست (۸) ۳۲ ❀ وصف او از شرح مستغنی بود — رو حکایت کن که بیگه می شود

---

(۱) یعنی عالم طبیعت چون همیشه درتغییر وتبدیل و عالم معانی که جاذبهٔ عمومی یکی از آنهاست همیشه برقرار ونسبتاً ثابت است پس اهل دنیا واحکامشان متغیّر ونابود واشخاصی که بمثل انبیاء متصل بجاذبهٔ عمومی بتمرکز قوای دماغی هستند باندازهٔ اتصال احکامشان بعد ازخودشان باقی خواهد ماند. (۲) یعنی چون احمد خاتم انبیاست وهرخاتم وآخری دارای اوّل ووسط هست بخلاف اوائل ووسائط که دارای آخر و خاتم نیستند لذا شریعت خاتم دارای کمالات تمام شرایع است که در حق وصی او گفته شده (اسدالله در وجود آمد ❀ درپس پرده هرچه بود آمد) لذا فرموده است من بودم با آدم من بودم با ابراهیم وباموسی و باعیسی کما آنکه صد اگر فرضاً بگوید من باهمهٔ اعداد مادون خود بودم راست گفته است اما اعداد مادون که مقامات سایر انبیاست حق ندارند دم از مقام احمدی بزنند . (۳) اشاره بیکی از مستکشفات جدیده است که ببعضی از آلات بمثل بلور کشف شده که رنگها از خود وجودی جداگانه بغیر از نور ندارند کما اینکه در فیزیك ثابت شده است . (٤) یعنی انوار محسوس آفتاب وغیره که از تراکم جاذبهٔ عمومی است همه عکس انوار الهی که باطن جاذبه است که الله نور السموات والارض . (٥) صاحب گلشن‌راز گوید : اگر خورشید بر یکحال بودی ـ شعاع اویك منوال بودی ـ ندانستی کسی کین پرتو از اوست ـ نکردی هیچ فرق مغز ازپوست ـ ظهور جملهٔ اشیا بضدّ است ـ ولی حق‌را نه مانند ونه ندّ است ـ چو ذاتش‌را نباشد ضدّ و همتا ـ نمیدانم چگونه دانی او را . (٦) این پنج بیت تصریح بحرکت جوهریّه و تبدّلات ذاتیه وصفاتیه وآثاریّهٔ تمام حقائق طبیعیه است که درهر آنی تمام ذرّات عالم در ضمن ترکیبات خود تجدد امثال و تغیرات بسرعت هرچه تند تر مینمایند وچون آنچه معدوم میشود وآنچه بلافاصله متصلا موجود میشود غالباً مانند یکدیگر هستند چندان تبدّلات در آنها محسوس نیست و باید تبدّلات ساعت و دقیقه و روز و شب و فصول اربعه و ماه و سال و قرن را یکی از ادلّهٔ تبدّلات آناً فآناً اجزای عالم گرفت (کما اینکه بعضی از فلاسفهٔ آلمان بعد رابع را که تبدّلات زمانی باشد جزء ابعاد ثلثهٔ مکانی گرفته) و در شرح مفصل این شارح کاملاً تحقیق شده . (۷) این دو بیت چند مثال بحرکت آب جو و قطرهٔ سائله و شعلهٔ جوّاله وبسرعت حرکت دادن چوب سرآتش گرفته را برای حرکت جوهریهٔ عالم است یعنی همینطوریکه حرکت آب جو بواسطهٔ اتصال وسرعت حرکت ومانند هم بودن محسوس نیست همچنین است حرکت جوهریّهٔ عالم (۸) یعنی احکام قیامت ورجعت فوق الذّکر را بعلامه بودن علوم اکتسابی دیده نشود بلکه باید بصفای قلبی حسام‌الدین که سامی نامه یعنی موجب این مثنوی است دید .

رسیدن خرگوش بشیر وخشم شیر بر وی

شیر اندر آتش ودر خشم وشور / دیدکان خرگوش می‌آید ز دور ۲ میدود بی دهشت و گستاخ او / خشمگین و تند و تیز و ترش رو
کز شکسته آمدن تهمت بود / و از دلیری رفع هر ریبت بود ۳ چون رسید اوپیشتر نزدیك صف / بانگ بر زد شیرهان ای ناخلف
من که گاوان را ز هم بدریده‌ام / من که گوش شیر نر مالیده‌ام ٤ نیم خرگوشی که باشد کو چنین / امر ما را افکند اندر زمین
ترك خواب و غفلت خرگوش کن ٥ غرّش این شیر ای خرگوش کن

عذر گفتن خرگوش بشیر از تأخیر و لابه کردن

گفت خرگوش الامان عذریم هست / گر دهد عفو خداوندیت دست ۷ ❀بازگویم چون تو دستوری دهی / تو خداوندی و شاهی من رهی
گفت چه عذر ای قصور ابلهان / این زمان آیند در پیش شهان ۸ مرغ بی وقتی سرت باید برید / عذر احمق را نمی باید شنید
عذر احمق بد تر از جرمش بود / عذر نادان زهر هردانش شرود ۹ عذرت ای خرگوش از دانش تهی / من نه خرگوشم که در گوشم نهی
گفت ای‌شه ناکسی را کس شمار / عذر استم دیدهٔ را گوش دار ۱۰ خاصّ از بهر زکوة جاه خود / گمرهی را تو مران از راه خود
بحر کو آبی بهر جو می دهد / هر خسی را بر سر و رو مینهد ۱۱ کم نخواهد گشت دریا زین کرم / از کرم دریا نگردد بیش و کم
گفت دارم من کرم بر جای او / جامهٔ هر کس برم بالای او ۱۲ گفت بشنو گر نباشم جای لطف / سر نهادم پیش اژدرهای عنف
من بوقت چاشت در راه آمدم / با رفیق خود سوی شاه آمدم ۱۳ بامن از بهر تو خرگوشی دگر / جفت و همره کرده بودند آن نفر
شیری اندر راه قصد بنده کرد / قصد هر دو همره آینده کرد ۱٤ گفتمش ما بندهٔ شاهنشهیم / خواجه تاشان که آن درگهیم
گفت شاهنشه که باشد شرمدار / پیش من تو نام هر ناکس میار ۱٥ هم تو را وهم شهت را بردرم / گر تو بایارت بگردید از برم
گفتمش بگذار تا یار دگر / روی شه بینم برم از تو خبر ۱٦ گفت همره را گرو نه پیش من / ورنه قربانی تو اندر کیش من
لابه کردیمش بسی سودی نکرد / یار من بستد مرا بگذاشت فرد ۱۷ ❀مانده آن همره گرو در پیش او / خون روان شد ازدل بی‌خویش او
یارم از زفتی سه چندان بدکه من / هم بلطف و هم بخوبی هم بتن ۱۸ بعد از این زان شیراین ره بسته شد / حال ما این بود کت دانسته شد
از وظیفه بعد از این آمید بر / حق همی‌گویم ترا والحقّ مر(۱) ۱۹ گر وظیفه بایدت ره پاك کن / هین بیا و دفع آن بی باك کن

جواب گفتن شیر خرگوش را و روان شدن با او

گفت بسم‌الله بیا تا او کجاست / پیش‌رو شو گر همی‌گوئی توراست ۲۱ تاسزای او وصد چون او دهم / ور دروغ است‌این سزای تودهم
اندر آمد چون قلاوزی بپیش / تا برد اورا بسوی دام خویش ۲۲ سوی چاهی کونشانش کرده بود / چاه مغ را دام جانش کرده بود
میشدند آن هردو تا نزدیك چاه / اینت خرگوشی چو آب زیرکاه ۲۳ آب کاهی را ز هامون می برد / آب کوهی را عجب چون می برد
دام مکر او کمند شیر بود / طرفه‌خرگوشی که شیری را ربود ۲٤ موسئی فرعون را تا رود نیل / میکشد با لشکر و جمع ثقیل
پشه‌ای نمرود را با نیم پر / میشکافد بی محابا مغز سر ۲٥ حال آن کو قول دشمن را شنود / بین جزای آنکه شد یار حسود
حال فرعونی که هامان را شنود / حال نمرودی که شیطان‌را ستود ۲٦ دشمن ارچه دوستانه گویدت / دام دان گرچه ز دانه گویدت(۲)
گر ترا قندی دهد آن زهر دان / گر بتو لطفی کند آن قهر دان ۲۷ چون قضا آید نه بینی غیر پوست / دشمنان را باز نشناسی ز دوست
چون چنین شد ابتهال آغاز کن / ناله وتسبیح و روزه ساز کن(۳) ۲۸ ناله میکن کای تو علاّم الغیوب / زبر سنگ مکر بد ما را مکوب
یا کریم العفو ستار العیوب / انتقام از ما مکش اندر ذنوب ۲۹ ❀آنچه‌درکونست‌زاشیا وآنچه‌هست / وا نما جان‌را بهر حالت که هست
گر سگی گردیم ای شیرآفرین / شیر را مگمار برما زین کمین ۳۰ آب خوش را صورت آتش مده / اندر آتش صورت آبی منه
از شراب قهر چون مستی دهی / نیستها را صورت هستی دهی ۳۱ چیست هستی حسها مبدل شدن / چوب گز اندر نظر صندل شدن
چیست هستی بندچشم از دیدچشم ۳۲ تا نماید سنگ گوهر پشم پشم(٤)

قصهٔ سلیمان و هدهد و بیان آنکه چون قضا آید چشمها بسته میشود

چون سلیمان را سرا پرده زدند / جمله مرغانش بخدمت آمدند ۳٤ همزبان و محرم خود یافتند / پیش او یك یك بجان بشتافتند
جمله مرغان ترك‌کرده جیك جیك / با سلیمان‌گشته افصح من‌اخیك ۳٥ همزبانی خویشی و پیوندی‌است / مرد بانامحرمان چون بندی‌است
ای بسا هندو و ترك هم زبان / ای بسا دو ترك چون بیگانگان ۳٦ پس زبان محرمی خود دیگر است / همدلی از هم زبانی بهتراست(٥)
غیر نطق و غیر ایماء و سجل / صد هزاران ترجمان خیزد زدل ۳۷ جمله مرغان هریکی اسرار خود / از هنر وز دانش واز کار خود
با سلیمان یك بیك وا می‌نمود / از برای عرضه خودرا میستود ۳۸ از تکبر نی و از هستی خویش / بهرآن تاره دهد او را به پیش
چون بیابد بردهٔ را خواجهٔ / عرضه سازد از هنر دیباجهٔ ۳۹ چونکه دارد از خریداریش ننگ / خود کند بیمار وشل وکور ولنگ
نوبت هدهد رسید و پیشه‌اش / وآن بیان صنعت و اندیشه‌اش ٤۰ گفت ای‌شه یك هنرکان کهتراست / باز گویم گفت کوته بهتر است

---

(۱) بدانکه عمدهٔ تمیز حق وباطل در هرمذهب و دیانتی همین مر و تلخ بودن احکام حقانیت آن مذهب است بمذاق نفس اماره . (۲) این چند بیت نیز اشاره بتلخ بودن حق است یعنی اگر دشمن ونفس اماره تصدیق حق را کرده واعمال حق را بجا آورده ومذاق خود را شیرین بصورت حق بنماید دام در دانه بمثل علمای سوء است که بنام حق میخواهند بمقاصد نفسانی خود نائل شوند . (۳) یعنی اگر درحق و احکام حق نفس را خوش آمد نباید بواسطهٔ خوش آمدن نفس دست ازحق کشید بلکه باید مناجات کرد که الهی مرا بروح و حقائق این حقائق که تلخ برای نفس است متصل کن تاعقل را برخلاف نفس خوش‌آمده و اشتباهات برطرف شودکه دیگر جهل مرکب را علم و وساوس را وحی والهام وفقر واحتیاج را غنی و غنای حقیقی قلبی را فقر صوری و بندگی را آزادی خیال نکند . (٤) این دو بیت تصریح به آنستکه طالب حقائق فهمی باید نظر خود را برای حقائق فهمی تبدیل بنماید نه حقائق را چه حقیقت هرشیئی چون‌برنگ هرنظری از انظار مختلفه خلق جلوه‌کرده حقائق پوشیده میشود . (٥) این چند بیت‌اشاره بتحقیق القلب یهدی الی‌القلب است یعنی روزنه های قلب های تصفیه شده بیکدیگر باز است .

گفت بر گو تا کدام است آن هُنر — گفت من آنگه که باشم اوج پر ۱ بنگرم از اوج با چشم یقین — من به بینم آب در قعر زمین
تا کجایست وجه عمقستش چه رنگ — از چه میجوشد ز خاکی یا ز سنگ ۲ ای سلیمان بهر لشکرگاه را — در سفر میدار این آگاه را
پس سلیمان گفت شو ما را رفیق — در بیابانهای بی آب ای شفیق ۳ ❁ همره ما باشی و هم پیشوا — تا کنی تو آب پیدا بهر ما
تا بیابی بهر لشکر آب را — در سفر سقّا شوی اصحاب را ۴ باش همراه من اندر روز و شب — تا نبیند از عطش لشکر تعب
بعد از آن هُدهُد بدو همراه بُود — زانکه از آب نهان آگاه بود(۱) ۵ زاغ چون بشنود آمد از حسد — با سلیمان گفت کو کج گفت و بد

طعنه زدن زاغ در دعوی هدهد

از ادب نبود بپیش شه مقال — خاصه خود لاف دروغین و محال ۷ گر مر اورا این نظر بودی مدام — چون ندیدی زیر مشتی خاک دام
چون گرفتار آمدی در دام او — چون شدی اندر قفس ناکام او ۸ پس سلیمان گفت ای هدهد رواست — کز تو در اوّل قدح این دردخاست
چون نمائی مستی ای تو خورده دوغ ۹ پیش من لافی زنی آنگه دروغ

جواب گفتن هدهد طعنهٔ زاغ را

گفت ای شه بر من عُور گدا — قول دشمن مشنو از بهر خدا ۱۱ گر ببطلان است دعوی کردنم — نك نهادم سر ببر از گردنم
زاغ کو حکم قضا را منکر است — گر هزاران عقل دارد کافر است ۱۲ در تو تا کافی بود از کافران — جای گندوشهوتی چون کاف ران
من ببینم دام را اندر هوا — گر نپوشد چشم عقلم را قضا ۱۳ چون قضا آید شود دانش بخواب — مه سیه گردد بگیرد آفتاب
از قضا این تعبیه کی نادر است ۱۴ از قضا دان کو قضا رامنکر است

قصهٔ آدم علیه السلام وبستن قضا نظر اورا از مراعات صریح نهی و ترك نهی و تأویل

بو البشر کو علّم الاسما بگیت — صد هزاران علمش اندر هر رگست ۱۶ اسم هر چیزی چنان کان چیز هست — تا بپایان جان او را داده دست
هر لقب کو داده آن مبدَل نشد — آنکه چستش خواند او کاهل نشد ۱۷ ❁ هر که را او مقبل وآزاد خواند — او عزیز و خرّم و دلشاد ماند
هر که آخر مؤمنست اوّل بدید — هر که آخر کافر او را شد پدید ۱۸ ❁ هر که آخر بین بود او مؤمنست — هر که آخور بین بود او بیدنست
اسم هر چیزی تو از دانا شنو — رمز سرّ علّم الاسما شنو ۱۹ اسم هر چیزی بر ما ظاهرش — اسم هر چیزی بر خالق سرش
نزد موسی نام چوبش بد عصا — نزد خالق بود نامش اژدها ۲۰ بُد عُمر را نام اینجا بت پرست — ایك مؤمن بود نامش درالست(۲)
آن که بُد نزدیك ما نامش منی — پیش حق این نقش بُد که بامنی ۲۱ صورتی بود این منی اندر عدم — پیش حق موجود نی بیش و نه کم
حاصل آمد آن حقیقت نام ما — پیش حضرت کان بود انجام ما ۲۲ مرد را بر عاقبت نامی نهند — نی بران کو عاریت نامی نهند
چشم آدم کو بنور پاك دید — جان و سرّ نامها گشتش پدید ۲۳ چون ملك انوارحق از وی بتافت — در سجود افتاد و درخدمت شتافت
چون ملایك نور حق دیدند ازو — جمله افتادند در سجده برو ۲۴ مدح این آدم که نامش می برم — گر ستایم تا قیامت قاصرم
این همه دانست و چون آمد قضا — دانش یك نهی شد بروی غطا(۳) ۲۵ کای عجب نهی ازپی تحریم بود — یا بتأویلی بُد و توهیم بود
در دلش تأویل چون ترجیح یافت — طبع در حیرت سوی گندم شتافت ۲۶ باغبان را خار چون دربای رفت — دزد فرصت یافت کالا برد تفت
چون ز حیرت رست و بازآمد براه — دید برده دزد رخت از کارگاه ۲۷ رَبّنا اِنّا ظلمنا گفت و آه — یعنی آمد ظلمت وگم گشت راه(٤)
این قضا ابری بود خورشید پوش — شیر و اژدرها شود زوهمچوموش ۲۸ من اگر دامی نبینم گاه حکم — من نه تنها جاهلم در راه حکم
ای خنك آن کو نکو کاری گرفت — زور را بگذاشت و زاری گرفت ۲۹ گر قضا پوشد سیه همچون شبت — هم قضا دستت بگیرد عاقبت
گر قضا صدبار قصد جان کند — هم قضا جانت دهد درمان کند ۳۰ این قضا صدبار اگر راهت زند — بر فراز چرخ خرگاهت زند
از کرم دان آن که میترساندت — تا بملك ایمنی بنشاندت ۳۱ ❁ چون بترساند ترا آگه شوی — ور نترساند ترا گمره شوی

---

(۱) اگر بگوئی که آیا این چه علمی است که مورچه و هدهد میداند و سلیمان با کمال نبوّت نمیداند کما آنکه در قصهٔ موسی و خضر گنجشك و صیاد دریائی مطالبی‌را میدانستند که خضر و موسی محتاج بدانائی آنها شدند — جواب آنست که علم حقیقی همان علوم غریزیّه است که درعموم طبایع مخصوصاً در امزجهٔ هر حیوانی باندازهٔ نقشه ریزی اعضاء و جوارح وپیش بینی برای جلب منافع و دفع مضرّات نیز بقدر احتیاجات موجود است منتهی علم بعلم غالباً نداشته وقابل نشو و ارتقاء وتکمیل بمثل انسان نیست و بواسطهٔ علوم اختیاری هر انسانی ازاین علم غریزی لدنی‌الهای محروم شدند که باید بریاضات وتمرکز افکار در غیر انبیاء وبصفای فطرت در انبیاء ازهمین علوم غریزیّه که بعنوان مکاشفه ظهور یافته ویا توسعه پیدا کرده تکمیل شود منتهی گاهی بواسطهٔ صفات اختیاری وعلوم اکتسابی که حقیقتاً در بعضی از موارد ضدّ این علم است در انبیا بمثل سلیمان و موسی وخضر بقسمی غلبه مینماید که علوم غریزیه هدهد ومورچه وگنجشك مثلاً برای سلیمان وموسی وخضر هدایت مینماید . (۲) نظربعرفای شیعه که مولوی را شیعه میدانند امثال این ابیات در تعریف خلفا از مثنوی یاحمل برتقیه یابرای آنستکه مولوی اگر شیعه بوده شیعهٔ باانصافی‌بوده که نخواسته عقائد واعمال مذهبی عمررا درسیاست پیشرفت اسلام ضایع کند یا آنکه عارف هر مذهبی‌راچون نظر بمسئولیت وجدانی‌آن مذهب حق میداند نه نظر بطلب حقائق اگر چه وجدان آنها درخطا باشد و یا آنکه نظر بجهت یلی‌الرّب است که ربوبیت خداوند چون در هر موجودی بمقتضای احاطهٔ موجود است . عارف حق دارد که هر مظهر بزرگی را عارفانه تعریف کند و در این بیت مقصود وجه آخر است (۳) یعنی حضرت آدم (بمقتضای تحقیق فوق الذکر که ملاك علوم مکاشفهٔ انبیا همان علوم غریزیه بوده پس بمقتضای غریزه مختصّ به آدمیت) علوم اوّلین و آخرین را طبعاً و مزاجاً و روحاً میدانست ولکن بواسطهٔ علوم اختیاری که مبنای آن اوائل ملاقات او باشیطان شروع شده بودقضای الهی مبرم شده نقصان در علوم غریزیه پیدا شده وقابل خبط وخطا تاکنون بقسمی شده که‌گویا هیچ اثری درغیر مرتاضین ازعموم خلق باقی نمانده وسرتاسر عالم را علوم اکتسابی باهزاران خبط وخطا فراگرفته . (٤) یعنی اگرچه آدم علم غریزه را که مبنای حقیقت تمام علوم تکوینی است اشتباه بعلم اکتسابی یعنی جهل مشابه بعلم را از شیطان بتوسط حوّا در خوردن گندم قبول نمود و سپس چون در اوائل امر و دفعهٔ اول بود بزودی متنبه شده و توبه نموده و رّبنا آنا ظلمنا گفت ولکن اثر این اشتباه‌کاری در اولاد آدم بقسمی تاکنون نموّ نموده که کاملا حق دربازار مذهب بناحق‌وناحق درآن بازار بفروش میرسد .

این سخن پایان ندارد گشت دیر ۱ گوش کن تو قصهٔ خرگوش و شیر

پای واپس کشیدن خرگوش از شیر چون نزدیك چاه رسید

شیر باخرگوش چون همراه شد پرغضب پرکینه و بد خواه شد ۳ ❀ بود پیشاپیش خرگوش دلیر ناگهان پا واکشید از پیش شیر
چونکه نزد چاه آمد شیر دید کزره‌آن خرگوش ماند وپاکشید ٤ گفت پا وا پس کشیدی تو چرا پای‌را وا پس مکش پیش اندرا
گفت کو پایم‌که دست وپای رفت جان من‌لرزید و دل ازجای‌رفت ٥ رنگ رویم را نمی بینی چو زر ز اندرون خودمیدهد رنگم خبر
حق‌چو سیمارامعرّف خوانده‌است چشم‌عارف سوی سیما مانده‌است ٦ رنگ وبو نماز آمد چون جرس ازفرس آگه کند بانگ‌فرس(۱)
بانگ هر چیزی رساند زو خبر تابدانی بانگ خراز بانگ در ۷ گفت پیغمبر بتمییز کسان مرء مخفیٌ لدی طیّ اللسان
رنگ رو از حال‌دل دارد نشان رحمتم کن مهر من در دل نشان ۸ رنگ روی سرخ‌دارد بانگ شکر رنگ روی زرد دارد صبر ونکر
در من آمد آنچه‌دروی گشت مات آدمیّ و جانور جامد نبات ۹ در من آمد آنکه دست و پا برد رنگ رو و قوّت سیما برد
آنکه در هرچه در آمد بشکند هردرخت ازبیخ و از بن برکند ۱۰ این خود اجزایند کلیات از او زرد کرده رنگ و فاسد کرده‌بو
تاجهان که صابر است وکه شکور بوستان که حله پوشد گاه عور ۱۱ آفتابی کو برآید نار گون ساعتی دیگر شود او سرنگون
اخترانی تافته بر چار طاق لحظه لحظه مبتلای احتراق ۱۲ ماه کو افزود ز اختر در جمال شد زرنج دقّ او همچون خیال
این زمین باسکون با ادب اندر آرد زلزله‌اش در لرز وتب ۱۳ ای‌بسا که زین بلای مرده‌ریگ گشته‌است‌اندرجهان‌اوخرده ریگ
این هوا باروح آمد مقترن چون قضا آید وبا گشت و عفن ۱٤ آب خوش کو روح راهمشیره شد در غدیری زرد وتلخ وتیره شد
آتشی کو باد دارد در بروت هم یکی بادی بر او خواند یموت ۱٥ خاك کو شد مایهٔ گل در بهار ناگهان بادی بر آرد زو دمار
حال دریا ز اضطراب وجوش‌او فهم کن تبدیلهای هوش او ۱٦ چرخ‌سرگردان که‌اندرجست‌وجوست حال اوچون حال فرزندان اوست
که حضیض وکه میانه گاه اوج اندر او ازسعدو نحسی فوج فوج ۱۷ ❀که شرف‌گاهی صعود و گه فرح گه وبال و گه هبوط و گه ترح
ازخود ای جزوی ز کلها مختلط فهم می کن حالت هر منبسط ۱۸ ❀چون‌نصیب مهتران دردست‌ورنج کهتران را کی تواند بود گنج
چونکه کلیات را رنجست و درد جزو ایشان‌چون نباشد روی زرد ۱۹ خاصه‌جزوی کوز اضداد است‌جمع ز آب وخاك وآتش وباداست جمع
این‌عجب که‌میش‌دل‌درگرگ‌بست(۲) ۲۰ زندگانی آشتی ضد ها است مرگ‌آن کاندرمیانشان‌جنگ‌خاست(۳)
❀صلح‌اضداداست این عُمر جهان جنگ اضداد است عُمر جاودان ۲۱ ❀ زندگانی آشتیّ دشمنان مرگ وارفتن باصل خویش دان
❀صلح دشمن دار باشد عاریت دل بسوی جنگ دارد عاقبت ۲۲ ❀ روزکی چند از برای‌مصلحت باهمند اندر وفا و مرحمت
❀عاقبت هریك بجوهر باز گشت هریکی با جنس خود انباز گشت ۲۳ ❀ لطف‌باری‌این‌پلنگ ورنگ‌را الف‌داد وبرد از ایشان جنگ را
لطف حقّ این شیررا و گوررا الف دادست این دو ضدّ دور را ۲٤ چون جهان رنجور و زندانی بود چه عجب رنجور اگر فانی بود
خواند برشیر اواز این رو بندها ۲٥ گفت من پس مانده‌ام زین بندها

پرسیدن شیر ازسبب پای واپس کشیدن خرگوش‌را

شیر گفتش تو ز اسباب مرض این سبب گو خاص‌کاینستم غرض ۲۷ پای را واپس کشیدی تو چرا مبدهی بازیچهٔ واهی مرا
گفت‌آن‌شیراندرین چه‌ساکن‌است اندر این قلعه ز آفات ایمن است ۲۸ یارمن بستد ز من در چاه برد برگرفتش از ره و بیراه برد
قعر چه بگزید هرکو عاقلست زانکه در خلوت صفاهای دلست ۲۹ ظلمت چه به که ظلمت های خلق سرنبرد آنکس که‌گیرد پای خلق
گفت پیش‌آ زخم اورا قاهراست توببین کان‌شیر درچه حاضراست ۳۰ گفت من سوزیده ام زان آتشی تو مگر اندر بر خویشم کشی
تا بیشتیّ توای کان کرم چشم بگشایم بچه در بنگرم ۳۱ من بیشتیّ تو تانم آمد ن تو نگه دارم درآن چه‌بی رسن
چونکه شیر اندر برخویشش‌کشید در پناه شیر تاچه می دوید ۳۲ چونکه درچه بنگریدند اندر آب اندرآب ازشیر واو درتافت تاب
شیر عکس‌خویش دید از آب‌تفت شکل‌شیری در برش خرگوش زفت ۳۳ چونکه خصم خویش را درآبدید مرو را بگذاشت و اندرچه جهید
در فتاد اندر چهی کو کنده بود زانکه ظلمش برسرش آینده بود ۳٤ چاه مظلم گشت ظلم ظالمان این چنین گفتند جملهٔ عالمان
هرکه ظالم تر چهش باهول تر عدل‌فرموده‌است بدتر را بتر(٤) ۳٥ ای که تو از ظلم چاهی میکنی از برای خویش دامی می تنی
❀برضعیفان گرتو ظلمی میکنی دان که اندر قعر چاه بی بُنی ۳٦ گرد خود چون کرم پیله برمتن بهر خود چه میکنی اندازه کن
مرضعیفان را تو بی‌خصمی مدان از نُبی اذ جاء نصرالله بخوان ۳۷ گر تو پیلی خصم تو از تو رمید نك جزا طیراً ابابیلت رسید

---

(۱) یعنی علم‌قیافه شناسی بطور کمال بدون اشتباه منحصر بنفوس تصفیه شده از عرفا مخصوصاً انبیاء و اولیا است . (۲) این چند بیت ذیل بیان آنستکه تمام این عالم مرکب است از عناصر متخالفهٔ متضاده بمثل اصناف مختلفه در یك مملکت و ادارات متخالفه در یك پایتخت و اعضاء وجوارح دریك بدن درعین اینکه همه با یکدیگر متخالفند لازم و ملزوم یکدیگر و رفع احتیاج هم از یکدیگر (که‌موجب بقای آنها همین صفات و آثار اختلافیه است میباشد بمثل اینکه اگر همه یکی ویك جنس و یك حقیقت بودند بمثل دو همکار که از یك جنس اند و محتاج بیکدیگر نیستند از یکدیگر بریده نظام عالم و ممالك و ابدان همه از هم میپاشیدند پس بصلح (یعنی بکمك احتیاجی) مادهٔ این عالم وآدم قائم است همچنین بجنگ یعنی برفع احتیاج آنها ازیکدیگر که موجب خرابی اجزای عالم و ابدان است روح عالم و آدم نجات یافته و قائم است (۳) پس مردن و از کشمکش اضداد نجات یافتن عجب نیست باقی بودن در اضداد عجب است (٤) یعنی عدل خدا در هر موجودی مقتضی‌آنستکه آنچنان را آنچنان تر کرده و هر شقی و سعیدی را در رتبهٔ خود کمال ترقی‌دهد پس انبیاء نیامده اند که اشقیاء کفار را سعید و مؤمن بگردانند کما اینکه در بین عوام از علما مشهور است و الا خداوند ظالم خواهد بود که صفت ذاتیهٔ ظالم را مثلا برخلاف اختیار و فطرت از او گرفته صفت ضدّ ظلم باو بدهد بلکه انبیاء بمقتضای عدالت حق مأمور آنند که هرکسیرا بسر منزل فطرت خود برسانند خواه فطرت شقی باشد خواه سعید پس هرکس هرچه کند بخود کند . گر همه نیك و بد کند

گر ضعیفی در زمین خواهد امان — غلغل افتد در سپاه آسمان ۱ گر بدندانش گزی پر خون کنی — درد دندانت بگیرد چون کنی
شیر خود را دید درچه وز غلوّ — خویش‌را نشناخت آن دم از عدوّ ۲ عکس خودرا اوعدوی خویش دید — لاجرم برخویش شمشیری کشید
ای بسا ظلمی که بینی در کسان — خوی توباشد در ایشان ای‌فلان ۳ اندر ایشان تافته هستیّ تو — از نفاق و ظلم وبد مستیّ تو
آن توئی وان زخم برخود می‌زنی — برخود آن دم تارلعنت می تنی ٤ در خود این بَد را نمی‌بینی عیان — ورنه دشمن بوده‌ای خود را بجان
حمله برخود میکنی ای ساده مرد — همچوآن شیری‌که برخودحمله‌کرد ٥ چون بقعر خوی خود اندر رسی — پس بدانی کز تو بود آن ناکسی
شیر را در قعر پیدا شد که بود — نقش او آن کش دگرکس مینمود ٦ هرکه دندان ضعیفی می کند — کار آن شیر غلط بین می کند
ای بدیده خال بد بر روی عمّ — عکس خال تست آن از عم مرم ۷ مؤمنان آیینهٔ یکدیگرند — این خبر می از پیمبر آورند
پیش چشمت داشتی شیشه کبود — زان سبب عالم کبودت می نمود ۸ گرنه‌کوری این‌کبودی دازز‌خویش — خویش‌را بدگومگوکس را تو بیش
مؤمن ار ینظر بنورالله نبود — عیب مؤمن‌را برهنه چون‌نمود(۱) ۹ چونکه تو ینظر بنار الله بدی — نیکوئی را وا ندیدی از بدی
اندك اندك نور را بر نار زن — تاشود نارتو نورای بوالحزن(۲) ۱۰ تو بزن یا ربّنا آب طهور — تاشود این نار عالم جمله نور
آب و دریا جمله در فرمان تست — آب وآتش ای خداوند آن تست ۱۱ گر توخواهی آتش‌آب‌خوش شود — ور نخواهی آب هم آتش شود
بی طلب تو این طلبهان دادهٔ — بی شمار وعدّ عطا بنهادهٔ ۱۲ باطلب چون ندهی ای حیّ ودود — کز توآمد جملگی‌جود و وجود
❀ درعدم کی‌بود مارا خودطلب — بی‌سبب کردی عطاهای عجب ۱۳ ❀جان ونان دادیّ وعمر جاودان — سایر نعمت که ناید در بیان
این طلب درما هم ازایجادتست — رستن از بیداد یارب داد تست ۱٤ ❀بی‌طلب هم میدهی گنج نهان — رایگان بخشیدهٔ جان جهان
❀ هکذا انعم الی دارالسلام ۱٥ بالنبیّ المصطفی خیر الانام

مژده بردن خرگوش سوی نخجیران که شیر در چاه اوفتاد

چونکه خرگوش‌ازرهائی شادگشت — سوی‌نخجیران روان‌شد تا بدشت ۱۷ ❀شیرراچون‌دید محوظلم خویش — سوی قوم خود دوید اوپیش‌پیش
❀ شیررا چون دیدکشتهٔ ظلم‌خود — میدوید او شادمان و با رشد ۱۸ شیررا چون دید درچه کشته زار — چرخ میزد شادمان تا مرغزار
دست‌میزدچون رهید ازدست‌مرگ — سبزورقصان‌درهواچون‌شاخ وبرگ ۱۹ شاخ‌وبرگ ازجنس خاك آزاد شد — سر برآورد و حریف باد شد
برگها چون شاخ را بشکافتند — تا ببالای درخت اشتافتند ۲۰ با زبان شطاءه شکر خدا — می سراید هر برو برگی جدا
❀ بی‌زبان هربار وبرگ وشاخها — می سراید ذکر و تسبیح خدا ۲۱ که بپرورد اصل مارا ذوالعطا — تا درخت استغلظ آمد فاستوی
جانهای بسته اندر آب و گل — چون هنداز‌آب وگل‌هاشاد دل(۳) ۲۲ درهوای عشق حق رقصان شوند — همچو قرص بدر بی نقصان شوند
جسمشان دررقص‌وجانهاخودمپرس — وانکه گردد جان ازآنها خودمپرس ۲۳ شیررا خرگوش در زندان نشاند — ننگ شیری کو ز خرگوشی بماند
در چنین ننگی وآنگه این عجب — فخردین خواهدکه گویندش‌لقب(٤) ۲٤ ای تو شیری درتك این چاه دهر — نفس چون خرگوش توکشتت بقهر
نفس خرگوشت بصحرا در چرا — تو بقعر این چه چوت و چرا ۲٥ سوی نخجیران دوید آن شیرگیر — کابشروا یا قوم اذ جاء البشیر
مژده مژده ای گروه عیش ساز — کان‌سگ دوزخ بدوزخ رفت باز ۲٦ مژده مژده کان عدوّ جانها — کند قهر خالقش دندانها
❀ مژده مژده کزقضا ظالم بچاه — اوفتاد از عدل و لطف پادشاه ۲۷ آنکه ازپنجه بسی سرها بکوفت — همچوخس‌جاروب مرگش‌هم‌بروفت
❀ آن که جزظلمش دگرکاری‌نبود — آه مظلومش گرفت وکوفت زود ۲۸ گردنش بشکست و مغزش بر درید — جان ما از قید محنت وارهید
❀گم شد ونا بود شد از فضل حق ۲۹ برمهم دشمن شما را شد سبق

جمع شدن نخجیران بر خرگوش و ثنا و مدح گفتن اورا

جمع‌گشتند آن زمان جمله وحوش — شادوخندان‌وزطرب‌درذوق‌وجوش ۳۱ حلقه کردند او چو شمعی درمیان — سجده کردندش همه صحرائیان
تو فرشتهٔ آسمانی یا پری — یا تو عزرائیل شیران نری ۳۲ هرچه هستی جان ما قربان‌تست — دست بردی دست وبازویت‌درست
راند حق این آب‌را در جوی تو — آفرین بر دست وبر بازوی تو ۳۳ بازگو تا قصه درمانها شود — بازگو تا مرهم جانها شود
باز گو تا چون سگالیدی بمکر — آن عوان‌را چون بمالیدی بمکر ۳٤ بازگو کز ظلم آن استم نما — صد هزاران زخم دارد جان ما
بازگو آن قصه کان شادی فزاست — روح ما را قوّت و دلرا دواست ۳٥ گفت تأیید خدا بود ای مهان — ور نه خرگوشی که‌باشد درجهان
قوّتم بخشید و دل را نور داد — نور دل مردست وپارا زورداد ۳٦ از بر حق میرسد تفضیلها — بازهم از حق رسد تبدیلها
حق بدور و نوبت این تأیید را ۳۷ مینماید اهل ظنّ و دید را

---

(۱) این بیت و دو بیت قبل بیان آنستکه هرکسی همچنانکه بواسطهٔ عینکهای مختلفة الالوان اشکال عالم را برنگهای عینك خود (سبز . سرخ . زرد ، سیاه و غیره) بر خلاف واقع مشاهده میکند بخلاف وقتیکه عینك بی رنگ سفید طبیعی دارد هر شکلی را بطوری که هست می بیند همچنین چشمهای قلوب و عقول علما و عقلای عالم بواسطهٔ الوان مختلفهٔ عادات وغفلات و شهوات و غضبات و طبایع و مزاجهای مختلفه وسایر صفات رذیله از بخل و حسد وکبر و طمع و مانند اینها که هریك بنوبت خود احساسات قلب هر عالم و عارف و حکیمی را بقسمی‌متلون برنگ خود نموده که حقایق را بر خلاف واقع ادراك کرده و از همهٔ آنها احکام مختلفه در بین عوام نشر کرده وجنگ های علمی و مذهبی وفلسفی وعرفانی که ازمقتضیات این عینکهای مختلفه‌است درعالم پیدا شده وروز افزون است الا آنکه عارف بالله بدون عینك یا با عینك بی‌رنگ وسفیدی بنورالله که بملکهٔ جمع حواس وتوحید نفس حاصل میشود حقائق‌را بآنطوریکه هست مشاهده می‌نماید ولکن تصدیق کنندهٔ او کمتراز خود او خواهد بود (۲) یعنی ریاضت و تحصیل نور باطنی و خاموش کردن آتش شهوات و غضبات و صفات رنگهای عینکهای فوق الذکر بدستور ملکهٔ جمع حواس تدریجی است و الا یکدفعه غالباً مزاج مریض شده و استعداد باطل خواهد شد . (۳) این‌چند بیت فوق و تحت اشاره و تصریح بآنستکه هرگاه جان سالك بمثل خرگوش از دست شیر نفس امّاره بریاضت نجات یابد بمضامین این ابیات خوشحالی خواهد نمود (٤) این سه بیت اشاره بمذمّت فخر رازی است که از علماء جدال و امام المشککین است

پنددادن خرگوش نخجیران را که از مردن خصم شاد مشوید

هین بملك نوبتی شادی مکن ای تو بستهٔ نوبت آزادی مکن ۲ آنکه ملکش بر تر از نوبت تنند برتر از هفت انجمش نوبت زنند
بر تر از نوبت ملوك باقیند دور دائم روحها را ساقیند ۳ ❀چون‌بنوبت میدهند این دولتت از چه شد پرباد آخر سبلتت
ترك این‌شرب ارنگوئی‌یك‌دوروز در کنی اندر شراب خلد پوز ٤ ❀یك‌دو روزچه که دنیاساعتی‌است هرکه ترکش کرد اندر راحتی‌است
❀ معنی الترك راحت‌گوش کن بعدازآن جام بقا را نوش‌کن(۱) ٥ ❀باسگان بگذار این مردار را خورد بشکن شیشهٔ پندار را(۲)

تفسیر رجعنا من‌الجهاد الاصغر الی‌الجهاد الاکبر

ای شهان کشتیم ما خصم برون ماند خصمی زوبتر دراندرون(۳) ۷ کشتن این‌کار عقل وهوش نیست شیر باطن سخرهٔ خرگوش نیست
دوزخست این‌نفس‌ودوزخ‌اژدهاست کو بدریا ها نگردد کم وکاست ۸ هفت دریا را در آشامد هنوز کم‌نگردد سوزش‌آن خلق‌سوز(٤)
سنگها و کافران سنگ دل اندر آیند اندر او زار وخجل ۹ هم نگردد ساکن از چندین غذا تا ز حق آید مر او را این ندا
سیر کشتی سیر گوید نی هنوز اینت آتش اینت تابش اینت سوز ۱۰ عالمی را لقمه کرد و در کشید معده‌اش نعره زنان هل من مزید
حق قدم بر وی نهد از لامکان آنکه او ساکن شود ازکن‌فکان ۱۱ چونکه‌جزودوزخ‌است این‌نفس‌ما طبع کل دارد همیشه جزو ها
این قدم حق را بود کورا کشد غیر حق خودکی کمان او کشد ۱۲ در کمان ننهند الا تیر راست این کمان را بازگو کز تیرهاست
راست‌شو چون‌تیر و واره ازکمان کزکمان هرراست بجهد بی گمان ۱۳ چونکه واگشتم ز پیکار برون روی آوردم به پیکار درون
قدرجعنا من جهاد الاصغریم با نبی اندر جهاد اکبریم ۱٤ قوتی خواهم ز حق دریا شکاف تا بناخن برکنم این کوه قاف
سهل شیری دان که صفها بشکند شیرآنرا دان که خودرا بشکند(٥) ۱٥ ❀ تاشود شیر خدا از عون او وارهد از نفس و از فرعون او
❀ در بیان این شنویك قصهٔ ۱٦ تا بری از سرّ گفتم حصهٔ

آمدن رسول قیصر روم بنزد عمر برسالت

بر عمر آمد ز قیصر یك رسول در مدینه از بیابان نقول ۱۸ گفت کو قصر خلیفه ای حشم تامن اسب و رخت را آنجا کشم
قوم گفتندش که اورا قصر نیست مر عمررا قصر جان روشنی است ۱۹ گرچه ازمیری و را آوازه‌ایست همچو درویشان مراوراکازه‌ایست
ای برادر چون بینی قصر او چونکه درچشم دلت رست‌است‌مو ۲۰ چشم دل از موی علت پاك آر وانگهان دیدار قصرش چشم دار
هرکه را هست ازهوسها جان‌پاك زود بیند حضرت و ایوان پاك ۲۱ چون محمّد پاك شد ازنار و دود هر کجا رو کرد وجه‌الله بود
چون رفیقی وسوسهٔ بد خواه را کی بدانی ثمّ وجه الله را(٦) ۲۲ هرکه را باشد زسینه فتح باب او زهر ذرّه ببیند آفتاب(۷)
حق پدیداست از میان دیگران همچو ماه اندر میان اختران ۲۳ دو سر انگشت بردو چشم نه هیچ بینی از جهان انصاف ده
ور نبینی این‌جهان معدوم نیست عیب‌جز زانگشت نفس شوم‌نیست ۲٤ تو زچشم انگشت را بردارهین وانگهانی هرچه میخواهی ببین
نوح را گفتند امت کو ثواب گفت او زانسوی استغشوا ثیاب ۲٥ روّ و سر درجامها پیچیده اند لاجرم بادیده و نادیده اند
آدمی‌دیده‌است وباقی پوست است دیده‌آنست آنکه دید دوست است ۲٦ چونکه دید دوست نبود کور به دوست‌کو باقی نباشد دور به
چون رسول روم این الفاظ تر در سماع آورد شد مشتاق تر ۲۷ دیده را بر جستن عمر گماشت رخت را واسب را ضایع‌گذاشت
هر طرف اندربی آن مرد کار می‌شدی پرسان او دیوانه وار ۲۸ کاین چنین مردی بوداندر جهان و از جهان مانند جان باشد نهان

یافتن رسول قیصر عمررا خفته در زیرخرمابن

جست اورا تا ز جان بنده شود لاجرم جوینده یابنده بود ۳۰ دید اعرابی زنی او را دخیل گفت نك خفته‌است زیرآن نخیل
زیر خرمابن ز خلقان او جدا زیر سایهٔ خفته بین سایهٔ خدا ۳۱ آمد آنجا و از او دور ایستاد مر عمر را دید و در لرزه فتاد
هیبتی زان خفته آمد بر رسول حالتی خوش کرد برجانش نزول ۳۲ مهر و هیبت هست ضدّ یکدگر این دو ضد رادید جمع اندرجگر
گفت باخود من شهان را دیده‌ام پیش سلطانان مه بگزیده‌ام ۳۳ از شهانم هیبت و ترسی نبود هیبت این مرد هوشم در ربود
رفته‌ام در بیشهٔ شیر و پلنگ روی من زایشان نگردانید رنگ ۳٤ بس شدستم در مصاف وکارزار همچو شیر آن‌دم که باشدکارزار
بس‌که خوردم بس زدم‌زخم‌گران دل قوی‌تر بوده‌ام از دیگران ۳٥ بی سلاح این‌مرد خفته بر زمین من بهفت اندام لرزان چیست‌این

---

(۱) معنی الترك باصطلاح عوام صوفیه از مدعیان ارشاد و غیره ترك دنیا است ولکن باصطلاح اولیاء حق ترك قلبی از تمام خیالات نفسانیه بتحصیل ملکهٔ جمع حواس و توحید نفس است واین منافات بادارائی دنیا ندارد و الا ترك دنیا از هرکافر وملحد و منکری قهراً در وقت مردن حساً دیده میشود ونیز در عالم خواب ترك دنیا و علاقه آن برای همه‌کس حاصل میشود وهمچنین اطفال ومجانین وجداناً علاقهٔ چندان بدنیا ندارند در حالتیکه هیچیك ازاین ترکها دلیل کمال ومقصود مولوی دراین بیت نیست . (۲) یعنی باطن دنیا جیفه و مردار است پس‌اگر جلوهٔ غیر مرداری در نزد اهل‌دنیا بنماید برحسب پندار وخیال است. (۳) یعنی تا دزدهای داخلی شناخته ودست‌گیر وتربیت یا کشته نشوندکه مقصود نفس‌آماره و قوهٔ خیال است ممکن نیست از فتنه خائنین خارجی نجات یافت . (٤) مقصود از هفت دریا درهای هفتگانه جهنم در نفس آماره ازحواس پنجگانه ودو حس شهوت و غضب یااخلاق رذیله هفتگانه از کبر و شرك و زنا وقتل وشرب خمر وحسد وظلم است . (٥) سختی و مشکلی ریاضت که بعضی محال عقلی میدانند برای همین نکته‌ایست که مولوی دراین بیت گفته که خود شکستن در خود شکستن برای خود شکستن مشکلترین‌کارهای دشوار عالم است چه شکننده و شکسته شده هردو در وجود انسان یکی است که قوهٔ خیال‌است‌که باید بخود خیال خیال را از تفرقه بتمرکز کشانیده و تربیت و منظم نمود . (٦) یعنی چون وجه‌الله که حقیقت الحقائق است در تمام موجودات ثابت و متمرکز است پس تا خیال از تفرقه و جولان ثابت و متمرکز بتحصیل ملکهٔ جمع حواس نشود سنخیت باوجه‌الله پیدا نکرده و آنرا بطور احاطه در کلیهٔ حقائق مشاهده نخواهد نمود پس مانع مکاشفات فقط وسوسه و تفرقهٔ حواس است . (۷) مقصود از آفتاب در هر ذرّه واتوم الکترون‌است که درعصر حاضر کشف شده که در هرذره وآنومی‌آثار یك دورهٔ منظومهٔ شمسیه یا کهکشان است.

هیبت حق است این ازخلق نیست — هیبت این مرد صاحب دلق نیست ۱ هرکه ترسید ازحق وتقوی گزید — ترسد ازوی جنّ وانس وهرکه دید
اندرین فکرت بحرمت دست بست — بعد یکساعت عمر از خواب جست ۲ کرد خدمت مر عمر را و سلام — گفت پیغمبر سلام آنگه کلام
پس علیکش گفت واورا پیش خواند — ایمنش کرد و بنزد خود نشاند ۳ هرکه ترسد مرو را ایمن کنند — مر دل ترسنده را ساکن کنند
لاتخافوا هست نُزل خائفان — هست درخور ازبرای خائف آن(۱) ٤ آنکه خوفش نیست چون گوئی مترس — درس چه دهی نیست اومحتاج درس

سخن گفتن عمر بارسول قیصر ومکالمات وی

آن دل از جا رفته را دلشاد کرد — خاطر ویرانش را آباد کرد ٦ بعد ازآن گفتش سخنهای دقیق — وز صفات پاك حق نعم الرّفیق
وز نوازشهای حق ابدال را — تا بداند او مقام و حال را ۷ حال چون جلوه است زان زیباعروس — وین مقام آن خلوت آمد باعروس
جلوه بیند شاه و غیر شاه نیز — وقت خلوت نیست جز شاه عزیز ۸ جلوه کرده عام وخاصان را عروس — خلوت اندر شاه باشد باعروس
هست بسیار اهل حال از صوفیان — نادرست اهل مقام اندر میان ۹ از منازلهای جانش یاد داد — وز سفرهای روانش یاد داد(۲)
وز زمانی کز زمان خالی بُدست — وز مقام قدس کاجلالی بُدست ۱۰ وز هوائی کاندر اوسیمرغ روح — پیش ازین دیده است پروازفتوح
هر یکی پروازش از آفاق بیش — وز امید و نهمت مشتاق بیش ۱۱ چون عمر اغیار رو را یار یافت — جان او را طالب اسرار یافت
شیخ کامل بود و طالب مشتهی — مرد چابك بود و مرکب در گهی ۱۲ دید آن مرشدکه او ارشادداشت — تخم پاك اندر زمین پاك کاشت

سؤال کردن رسول قیصر روم از عمربن الخطاب

مرد گفتش کای امیرالمؤمنین — جان زبالا چون درآمد در زمین ۱٤ مرغ بی اندازه چون شد در قفس — گفت حق برجان فسون خواند وقصص
برعدمها کان ندارد چشم و گوش — چون فسون خواند همی آید بجوش ۱۵ از فسون او عدمها زود زود — خوش معلق می زند سوی وجود
باز بر موجود افسونی چه خواند — زود او را در عدم دو اسبه راند ۱٦ گفت باجسم آیتی تا جان شد او — گفت باخورشید تارخشان شداو
باز در گوشش دمد نکتهٔ مخوف — در رخ خورشید افتد صدکسوف ۱۷ ❀گفت بانی تاکه شکر گشت او — گفت با آبی و گوهر گشت او
گفت درگوش گل وخندانش کرد — گفت بالعل خوش و تابانش کرد ۱۸ تا بگوش خاك حق چه خوانده است — کومراقب گشت وخامش مانده است
تا بگوش ابر آن گویا چه خواند — کوچه مشك ازدیدهٔ خوداشك راند ۱۹ در تردّد هر که او آشفته است — حق بگوش او معما گفته است
تاکند محبوسش اندر دوگمان — کان کنم کو گفت یاخود ضدّ آن ۲۰ هم ز حق ترجیح یابد یکطرف — زان دویك رابرگزیند زان کنف
گر نخواهی درتردّد هوش جان — کم فشار این پنبه اندر گوش جان ۲۱ ❀پنبهٔ وسواس بیرون کن زگوش — تا بگوشت آید ازگردون خروش
تاکنی فهم آن معماهاش را — تاکنی ادراك رمز وفاش را ۲۲ پس محلّ وحی گردد گوش جان — وحی چبود گفتن از حسّ نهان
گوش جان وچشم جان جزاین حس است — گوش عقل وچشم ظن زین مفلس است ۲۳ لفظ جبرم عشق را بی صبر کرد — وانکه عاشق نیست حبس جبر کرد
این معیّت باحق است وجبر نیست — این تجلی مه است این ابر نیست ۲٤ ور بود این جبر جبر عامه نیست — جبر آن امارهٔ خود کامه نیست
جبر را ایشان شناسند ای پسر — که خدا بگشادشان در دل بصر ۲۵ غیب وآینده برایشان گشت فاش — ذکرماضی پیش ایشان گشت لاش
اختیار جبر ایشان دیگر است — قطرها اندر صدفها گوهر است ۲٦ هست بیرون قطرهٔ خرد وبزرگ — درصدف آن درّ خرد است وسترگ
طبع ناف آهو است آن قوم را — ازبرون خون وازدرونشان مشکها ۲۷ تو مگوکاین نافه بیرون خون بود — چون رود درناف مشکی چون شود
تو مگوکاین مس برون بد محتقر — در دل اکسیر چون گشتست زر ۲۸ اختیار و جبر در تو بُد خیال — چون دریشان رفت شد نور جلال

---

(۱) اشاره باین آیه درسورهٔ سجده است (اِنّ الّذین قالوا رَبنااللهُ ثُمَ استَقاموا تتنزّل عِلیهمُ الملائِکه اَن لا تَخافوُا وَلا تحزَنوا وبشروا بالجنةالتی کنتم توعدون) یعنی استقامت درتوحید نفس که عین توحید ربّ است قوای طبایع را که معنی ملائکه است بر صاحبان استقامت نازل و همراه نموده بقسمی که همه بزبان حال بآنها میگویند دیگر ترس وحزن (که ازصفات دوزخیان است) ازشما رفته وبشارت باد شمارا باین استقامت شما ببهشت و راحت ابدی (شارح حق الیقین گوید) که این احوال از صفات قوّت قلب و عزم و اراده است که در استقامت و یك جهة شدن درکارهای ربوبیت صاحب تمرکز قوا وتوحید نفس(که عین توحید ربّ است) وبی اعتنای بخوف وحزن شده است واین آخرین درجه کمال انسانی است

(۲) معنی این ٥ بیت ردیف نمره آنستکه اشخاصی که درعالم ریاضت فقط بجذبه راه تمرکز قوا وتوحید نفس را میپیمایند (که مطلوب اکثرصوفیان از اهل حال ووجد وخوشی وسُکر وتجرّد و تمرکز بافراموشی از ما سوی الله و بدون هیچگونه تمیز از حقائق است) اگرچه خود را باین حال خوش وفراموشی(که ازلوازم طبیعی تمرکز وجمع حواس است) ازغم واندوه دنیا نجات داده اندکه درمصرع اول مولوی آنهارا تعبیر باهل حال نموده است ولکن نسبت بکمالات مفصله اهل مقام که درفرد دویم است گویا هیچ کمالی برای نجات خلق ازتمیز حقائق درمقامات علم الیقین وعین الیقین وحق الیقین ندارند بلکه همین قدر سعی نمودندکه بتمرکز وتوحید نفس خودرا نجات بدهند ودیگر از منازل وجود خود که آیات وجودات دیگران است بغلبه جذبه غفلت دارند مگر آنکه بعد ازتکمیل جذبه باز بمنازل سلوك بااختیار برگشته وازسرنو منتهی بهتراز اول یعنی بدون بعضی ازمشقتهای ریاضت که برای مبتدیان از سالکین است سلوك بامغلوبیت جذبه در ضمن اختیار بهمت استاد نموده تابتدریج در مکاشفات از منازل وجود خود یادش آید چه هرانسان پیش ازمنزل تولد درمنزل رحم وپیش از رحم همه درمنازل امزجه وخونهای آبا واجداد وپیش از این منازل درمنازل نباتات وموجودات در سر درختان بودند و پیش از آن در منازل عناصر وپیش ازآن درمنازل آتومها و الکترونها وپیش از آن درمنازل برازخ بین مادیات و روحیات و پیش از آن در منازل ارواح و قوای معنوی عالم وپیش از آن در منازل کلیات و عقول و انواع عالم وپیش از آن درمنزل مشیت الله و پیش از آن در عالم اسماء و صفات و پیش ازآن بوجود علمی مطوی شده یعنی کمون درظهور ذات احدیت بنحواعلی همه وجود ومنزل داشته اندبقسمی که نتیجهٔ ریاضات تمرکز قوای عقلانی و توحید نفس (اگر درتحت دستورات لازمه منظم باجمع آداب کشیده شود) همین میشودکه ازتمام این منازل در حین ریاضت تدریجاً یادش آمده یعنی آنچه درقوس نزول تابدنیاآمده فراموش کرده درقوس صعود بچراغ توحید نظر همه آنها کشف شده وبا یك جهان وجد درتوسعهٔ وجودی ازهمهٔ آن منازل فراموش شده درقوس نزول دراین قوس صعود اگردر ریاضت نفس احساسات عقل راخفه نکندیادش خواهد آمد

نان چو درسفره است اوباشد جماد — در تن مردم شود او روح شاد ۱ در دل سفره نگردد مستحیل — مستحیلش جان کند از سلسبیل
قوت جان است این ای راست خوان — تاچه باشد قوّت آن جان جان ۲ ❀ نانت قوت تن ولیکن درنگر — تا که قوت جان چه باشد سر بسر
گوشت پارهٔ آدمی با عقل و جان — میشکافد کوه را با بحر و کان ۳ زور جان کوه کن شقّ الحجر — زور جان جان در انشقّ القمر
گر گشاید دل سر انبان راز — جان بسوی عرش سازد ترکتاز ۴ گر زبان گوید ز اسرار نهان — آتش افروزد بسوزد این جهان
فعل حقّ و فعل ما هر دو ببین — ۵ فعل ما را هست دان پیداست این

اضافت کردن آدم علیه السلام زلت خود را بخویش که ربّنا انّا ظلمنا انفسنا واضافت کردن ابلیس گناه خود را به حق تعالی که ربّ بما اغویتنی (۱)

گر نباشد فعل خلق اندر میان — پس مگو کس را چرا کردی چنان ۸ خلق حق افعال مارا موجد است — فعل ما آثار خلق ایزد است
❀ لیك هست آن فعل ما مختار ما — زو جزا گه نار ما گه یار ما ۹ زانکه ناطق حرف بیند یاغرض — کی شود یکدم محیط دو عرض
گر بمعنی رفت شد غافل زحرف — پیش وپس یکدم نبیند هیچ طرف ۱۰ آن زمان که پیش بینی آن زمان — تو پس خود کی بینی این بدان
چون محیط حرف ومعنی نیست جان — چون بود جان خالق این هردوان ۱۱ حق محیط جمله آمد ای پسر — وا ندارد کارش ازکار دگر(۲)
❀ گفت ایزد جان مارا مست کرد — چون نداند آنکه راخود هست کرد ۱۲ گفت شیطان که بما اغویتنی — کرد فعل خود نهان دیو دنی(۳)
گفت آدم که ظلمنا نفسنا — او ز فعل حق نبد غافل چو ما ۱۳ در گنه او از ادب پنهانش کرد — زان گنه برخود زدن او بربخورد
بعد توبه گفتش ای آدم نه من — آفریدم در تو آن جرم و محن ۱۴ نی که تقدیر و قضای من بُدآن — چون بوقت عذر کردی آن نهان
گفت ترسیدم ادب بگذاشتم — گفت من هم پاس آنت داشتم ۱۵ هرکه آرد حرمت او حرمت برد — هر که آرد قند لوزینه خورد
طیبات از بهر که للطیّبین — ۱۶ یار را خوش کن مرنجان وببین

تمثیل

یك مثل ای دل پی فرقی بیار — تا بدانی جبر را از اختیار ۱۸ دست کان لرزان بود از ارتعاش — وانکه دستی را تو لرزانی زجاش
هردو جنبش آفریدهٔ حق شناس — لیك نتوان کرد این با آن قیاس ۱۹ زین پشیمانی که لرزانیدیش — چون پشیمان نیست مرد مرتعش
❀ مرتعش را کی پشیمان دیدهٔ — بر چنین جبری تو بر چسبیدهٔ ۲۰ بحث عقلست این چه عقل آن حیله گر — تاضعیفی ره برد آنجا مگر
بحث عقلی گر دُر ومرجان بود — آن دگر باشد که بحث جان بود ۲۱ بحث جان اندر مقامی دیگراست — بادهٔ جان را قوامی دیگر است
آن زمان که بحث عقلی ساز بود — این عمر با بوالحکم همراز بود ۲۲ چون عمر ازعقل آمد سوی جان — بو الحکم بوجهل شد در بحث آن
سوی عقل وسوی حسّ او کامل است — گرچه خودنسبت بجان او جاهل است ۲۳ بحث عقل وحسّ اثر دان یاسبب — بحث جانی یا عجب یا بوالعجب
ضوء جان آمد نماند ای مستضی — لازم و ملزوم و نافی مقتضی ۲۴ زانکه بینائی که نورش بازغ است — از دلیل چون عصا او فارغ است

تفسیر آیهٔ و هو معکم اینما کنتم و بیان آن

بار دیگر ما بقصه آمدیم — ما از این قصه برون خودکی شدیم ۲۶ گر بجهل آئیم آن زندان اوست — ور بعلم آئیم آن ایوان اوست
ور بخواب آئیم مستان وئیم — ور به بیداری بدستان وئیم ۲۷ ور بگرییم ابر پر زرق وئیم — ور بخندیم آن زمان برق وئیم
گربخشم وجنگ عکس قهر اوست — ور بصلح وعذر عکس مهراوست ۲۸ ما که ایم اندر جهان پیچ پیچ — چون الف اوخودچه داردهیچ هیچ
چون الف گر تو مجرّد میشوی — اندرین ره مرد مفرد میشوی ۲۹ جهد کن تا ترك غیر حق کنی — دل ازین دنیای فانی برکنی

سؤال کردن رسول از عمر از سبب ابتلای ارواح باین آب و گل اجساد

این سخن رانیست پایان ای پسر — از رسول روم بر گو وز عمر ۳۱ ازعمرچون آن رسول این راشنید — رو شنبی در دلش آمد پدید
محوشد پیشش سؤال وهم جواب — گشت فارغ از خطاء وازصواب ۳۲ اصل را دریافت بگذشت ازفروع — بهرحکمت کرد درپرسش شروع
آب صافی در گلی پنهان شده — جان صافی بستهٔ ابدان شده ۳۳ ❀فائده فرما که این حکمت چه بود — مرغ را اندر قفس کردن چه سود
گفت تو بحث شگرفی میکنی — معنیئی را بند حرفی میکنی(۴) ۳۴ حبس کردی معنی آزاد را — بند حرفی کردهٔ تو باد را
از برای فائده این کردهٔ — توکه خود از فائده در پردهٔ ۳۵ آنکه از وی فائدهٔ زائیده شد — چون نه بیند آنچه مارا دیده شد
صد هزاران فائده است وهریکی — صد هزاران پیش آن یك اندکی ۳۶ آن دم لطفش که جان جانها است — چون بود خالی زمعنی گوی راست
آن دم نطقت که جزو جزوهاست — فائده شد کلّ کل خالی چراست ۳۷ توکه جزوی کار تو بافائده است — پس چرا درطعن کل آری تودست

---

(۱) حاصل تمام ابیات ذیل آنست که جبریان چون وسعت نظر بقسمی ندارند که هم فعل حق را و هم فعل خلق را بطور تقدم علیت و تأخیر معلولیت مشاهده نمایند لابد منکر افعال خلق شده و بدون اطلاعی از جبری شدن تحقیقی غیرمنافی با اختیار خلایق بلکه از روی تقلید یا بفلسفه بافی زبانی جبری میشوند . (۲) یعنی این احاطه از مختصات حق وتابعین حق است که در عین آنکه ذات اقدسش بمثل ارواح متجردین منزه از تمام صفات خلائق است باز تصرف ایجادی در تمام ذرّات وجودیه بدون مزاحمت مینماید بخلاف صاحبان ضیق وجودی از مرتاضین که بمحض آنکه مشغول بکارهای روحی وتجرد آن میشوند ازکارهای جسمانی بازمانده بلکه درکارهای جسمانی هم ممکن نیست بایکدست دوهندوانه بردارند (۳) بدانکه همین اظهاریای متکلم وحده شیطان درعبارت بما اغویتنی دلیل بزرگیست که نتوانسته است خودرا از نسبت اغوا بخود پنهان کند بمثل اینکه اگر کسی بگوید ماهمه مجبور خدا هستیم میگویم همین لفظ ما ولفظ همه ولفظ هستیم دلالت برهستی و اختیار وخودی ما می نماید و این بزرگتر دلیل طبیعی برای وجود اختیاری وخودی هرکسی است اگرچه دراینجا مولوی متذکر باین دلیل نشده ولکن شارح ازپای اغویتنی بمناسبت متذکر شد ونیکو دلیل اختیار است .(۴) این چند بیت ردیف نمره اشاره بآنستکه همچنانکه اقوال و افعال تمام بشر بدون فوائد نیست (ولو اینکه در قصد بفائده جاهلانه و کودکانه باشد مجانین هم بدون فایدهٔ خیالی که در انظار خودشان معتبر است کار های دیوانگی را انجام نمیدهند) پس حکیم علی الاطلاق چطور میشود که تعلق ارواح رابابدان بدون فائده نموده باشد.

گفت را گر فایده نبود مگو — ور بود هل اعتراض و شکر جو ۱ شکر یزدان طوق هرگردن بود — نی جدال و روترش کردن بود(۱)
گر ترش رو بودن آمدشکروبس — همچو سرکه شکرگوئی نیست کس ۲ سرکه را گر راه یابد در جگر — گو برو سرکنگبین شو از شکر

در بیان حدیث من اراد ان یجلس مع الله فلیجلس مع اهل التصوّف

معنی اندر شعر جز باخبط نیست — چون فلاسنگست آنرا ضبط نیست ٤ آن رسول اینجا رسید و شاه شد — واله اندر قدرت الله شد
آن رسول ازخودبشد زین یکدوجام — نی رسالت یاد ماندش نی پیام ٥ سیل چون آمد بدریا بحرگشت — دانه چون آمد بمزرع کشت گشت
چون تعلق یافت نان بابوالبشر — نان مرده زنده گشت و باخبر ٦ موم و هیزم چون فدای نار شد — ذات ظلمانی او انوار شد
سنگ سرمه چونکه شد دردیدگان — گشت بینائی شد آنجا دیدبان ۷ ای خنك آن مرده کزخود رسته شد — در وجود زندهٔ پیوسته شد
وای آن زنده که با مرده نشست — مرده گشت و زندگی ازوی بجست ۸ چون تو در قرآن حق بگریختی — با روان انبیا آمیختی (۲)
هست قرآن حال های انبیاء — ماهیان بحر پاك کبریا ۹ ور بخوانی و نه قرآن پذیر — انبیا و اولیا را دیده گیر
ور پذیرائی چوبر خوانی قصص — مرغ جانت تنگ آید در قفس ۱۰ مرغ کواندر قفس زندانی است — می نجوید رستن از نادانی است
روحهائی کز قفسها رسته اند — انبیا و رهبر شایسته اند ۱۱ از برون آوازشان آید بدین — که ره رستن ترا این است این
ما بدین رستیم زین تنگین قفس — غیر این ره نیست چارهٔ این قفس ۱۲ خویش را رنجور ساز و زارزار — تا ترا بیرون کنند از اشتهار
کاشتهار خلق بندی محکمست — دره این از بندآهن کی کمست(۳) ۱۳ ❁یك حکایت بشنو ای زیبارفیق — تا بدانی شرط این بحر عمیق
❁بشنو اکنون داستانی در مثال ۱٤ تا شوی واقف بر اسرار مقال

قصه آن بازرگان که بهندوستان بتجارت می‌رفت و پیغام دادن طوطی محبوس بطوطیان هندوستان

بود بازرگانی او را طوطئی — در قفس محبوس زیبا طوطئی ۱٦ چون که بازرگان سفررا سازکرد — سوی هندستان شدن آغاز کرد
هر غلام و هر کنیزی را زجود — گفت بهر تو چه آرم گوی زود ۱۷ هریکی ازوی مرادی خواست کرد — جمله را وعده بداد آن نیك مرد
گفت طوطی راچه خواهی ارمغان — کآرمت از خطهٔ هندوستان ۱۸ گفتش آن طوطی که آنجاطوطیان — چون ببینی کن ز حال من بیان
کانفلان طوطی که مشتاق شماست — ازقضای آسمان درحبس ماست ۱۹ بر شماکرد اوسلام وداد خواست — وازشما چاره وره ارشاد خواست
گفت می‌شاید که من در اشتیاق — جان دهم اینجا بمیرم در فراق ۲۰ این روا باشد که من در بند سخت — گه شما بر سبزه گاهی بر درخت
این چنین باشد وفای دوستان — من دراین حبس و شما دربوستان ۲۱ یاد آرید ای مهان زین مرغ زار — یك صبوحی در میان مرغزار
یاد یاران یار را میمون بود — خاصه کان لیلی و این مجنون بود ۲۲ ای حریفان بابت موزون خود — من قدح ها میخورم ازخون خود
یك قدح می نوش کن بر یاد من — گر همی خواهی که بدهی دادمن ۲۳ یا بیاد این فتادهٔ خاك بیز — چون که خوردی جرعهٔ برخاك ریز
ای عجب آن عهد وآن سوگندکو — وعد های آن لب چون قندکو ۲٤ ور فراق بنده از بد بندگیست — چون توبا بد بدکنی پس فرق چیست
ای بدی که توکنی درخشم وجنگ — با طرب تر ازسماع وبانگ چنگ ۲٥ ای جفای تو ز دولت خوب تر — وانتقام تو ز جان محبوب تر
نار تو این است نورت چون بود — ماتم این تاخود که سورت چون بود ۲٦ از حلاوتها که دارد جور تو — وز لطافت کس نیابد غور تو
❁یاد آور از محبّت های ما — حق مجلسها و صحبت‌های ما ۲۷ نالم و ترسم که او باور کند — وز ترحّم جور را کمتر کند
عاشقم برلطف و بر قهرش بجّد — ایعجب من عاشق این هردوضدّ(٤) ۲۸ والله ارزین خار در بستان شوم — همچو بلبل زین سبب نالان شوم
این عجب بلبل که بگشاید دهان — تا خورد اوخار را با گلستان ۲۹ این نه بلبل این نهنگ آتشی است — جمله ناخوشهای عشق اورا خوشیست
عاشق کلّ است وخود کلّست او — عاشق خویشست وعشق خویش جو(٥) ۳۰ قصهٔ طوطی جان زینسان بود — کو کسی کو محرم مرغان بود

---

(۱) یعنی اگر بفوائد خلقت روح (که یکی ازآنها توسعهٔ وجودی و دیگری اطلاعات از قوس صعود و نزول ودیگری اشتداد لذت وصال بعد از فراق و دیگری قبول خدمت و عبادت از هربنده در غیاب سلطان یعنی در غربتخانه دنیا که بهترازبنده باحضورسلطان که شبیه متملقین است قبول میشود و مانند اینها از فوائد) برسی البته شکر این نعمتهای فوائد را در خلقت روح خواهی نمود و دیگر اعتراض و جدال ومغالطه نخواهی کرد که فایدهٔ خلقت انسان بااین همه مشقت وزحمت وناکامی ونامرادی که در دنیا دارد چیست که اگربرای رجوع بمعارف الهیه خلق شده تحصیل حاصل است چه قبل ازتعلق ارواح بابدان همهٔ ارواح نزد خداوند بوجود علمی و وجود عقلانی و بنحو اعلا موجود بودند پس خداوند را قبل از آمدن بدنیا بهتر از وقتیکه بدنیا آمدند شناخته و بندگی تکوینی بدون معصیت می نمودند و مانند این اعتراضات که در کتب حکمت کرده‌اند نمیکردی . (۲) این چند بیت ردیف فوق وتحت نمره بیان آنستکه همنشینی با انبیا و اولیا اگرچه اثرات وجودی قطعی دارد ولکن اشخاصی که دوری زمانی ومکانی از آنها دارند ودستشان بآنان نمیرسد تااز اثرات وجودی آنها در وجود خود استفاده نمایند باید با کلمات و معلومات باعمل آنان مغز را آشنا نموده تابتدریج در افق ارواح آنان واقع گردند چه اثرات وجودی آنان بمنزلهٔ آتش است که چندان حرارتش انتقال نمیابد ولکن اثرات علوم و کلمات و کتبشان بمنزلهٔ روشنائی آتش است که از فرسنگهای دور کاملاً اثر می نماید (۳) ریاست اینقدر خطردارد که جملهٔ (و للشهرة آفة وللخمول راحة) از مسلمات شده است . ولکن طلب شهرت بمقتضای(فاحببت ان اعرف) چون از صفات خداوند است بقسمی محکم وعمومی است که هرکس ترکش کرد باز برای شهرت کرد (٤) این تعجب برای غیر عاشق است که بتفرقهٔ حواس و تعدد قوا بجهات کثرات از مظاهر لطف و قهر و خار وگل دل بسته و نظری بمعشوق حقیقی و مظهریت آن الا خیالی که در ردیف سایراشیاء ادراکش مینمایند ندارند اما عاشق حقیقی که بتمرکز قوای روحی و توحید نفس سنخیت با احدیت معشوق خود یافته هیچ جای تعجب نیست که ظهور احدیت معشوق خود را در تمام مظاهر قهر و لطف از خار و گل بقسمی مشاهده کند که ابداً التفاتی بجهات کثرات از مظاهر معشوق نداشته تا از مظاهر لطف او خوش و از قهر او بدش آید بعلاوه آنکه چه بسیار از مظاهر قهراست که نتیجهٔ آن لطف وملایم عاشق است کما اینکه در دعا وارد است که چه بسیار لطف حق در قهر و قهرش در لطف است (٥) مقصود از کلی نه کلی منطقی است بلکه احاطهٔ حقیقت‌الوجود است که برای عاشق درهمه جا خیر ولذیذ وبهتر از عدم است مخصوصاً که هر وجودی چون از لوازم خلقت وجزء نظام عالم است و از محسنات جلوهٔ معشوق است پس مطلوب عاشق است

کویکی مرغی ضعیفی بی گناه ۱ واندرون او سلیمان با سپاه

صفت اجنحهٔ طیور عقول الهی

چون بنالدزار بی‌شکر وگله(۱) افتد اندر هفت گردون غلغله ۳ هردمش صد نامه صد پیك از خدا یا ربی زو شصت لبیك از خدا
زلت او به ز طاعت پیش حق نزد کفرش جمله ایمان ها خلق ۴ هر دمی اورا یکی معراج خاص بر سر تاجش نهد صد تاج خاص
صورتش برخاك وجان درلامکان لامکانی فوق وهم سالکان ۵ لامکانی نی که در وهم آیدت هر دمی در وی خیالی زایدت
بل مکان و لامکان در حکم او همچو درحکم بهشتی چارجو(۲) ۶ شرح این کوته کن ورخ زین بتاب دم مزن والله اعلم بالصواب

دیدن خواجه طوطیان را در دشت و پیغام رسانیدن

باز میگردیم ازاین ای دوستان سوی مرغ وتاجر و هندوستان ۸ مرد بازرگان پذیرفت آن پیام کورساند سوی جنس ازوی سلام
چونکه تااقصای هندستان رسید در بیابان طوطی چندی بدید ۹ مرکب استانید و پس آواز داد آن سلام و آن امانت باز داد
طوطئی‌زان طوطیان لرزید وپس اوفتاد و مرد وبگسستش نفس ۱۰ شد پشیمان خواجه از گفت خبر گفت رفتم در هلاك جانور
این‌مگرخویش است باآن‌طوطیك این مگر دوجسم بود و روح یك ۱۱ این چرا کردم چرا دادم پیام سوختم بیچاره را زین گفت خام
این‌زبان‌چون‌سنگ‌وفم‌آهن‌وشست وآنچه‌بجهدازززبان چون‌آتش‌است ۱۲ سنگ وآهن را مزن‌بر هم‌گزاف گه ز روی نقل‌و گه از روی‌لاف
زانکه تاریکست وهر سوبنبه زار در میان پنبه چون باشد شرار ۱۳ ظالم آن‌قومی‌که چشمان دوختند وز سخن ها عالمی را سوختند
عالمی را یك سخن ویران کند روبهان مرده را شیران کند ۱۴ جانها در اصل خود عیسی‌دمند یك‌زمان زخمند ودیگر مرهمند(۳)
گر حجاب از جانها بر خاستی گفت هر جانی مسیح آساستی ۱۵ گر سخن‌خواهی‌که‌گوئی چون‌شکر صبرکن ازحرص واین‌حلوا بخور
صبر باشد مشتهای زیرکان هست حلوا آرزوی کودکان ۱۶ هرکه صبر آورد گردون برود هرکه حلوا خورد واپس تر شود
صاحب دل را ندارد آن زیان گر خورد آن زهر قاتل راعیان ۱۷ زان‌که صحت‌یافت ازپرهیزرست طالب مسکین میان تب درست

تفسیر قول شیخ فرید الدین عطار قدس سره

تو صاحب نفسی ای‌غافل میان خاك خون میخور که صاحب‌دل اگر زهری خورد آن انگبین باشد

گفت پیغمبر که ای طالب جری هان مکن باهیچ مطلوبی مری ۲۰ در تو نمرودیست در آتش مرو رفت خواهی اوّل ابراهیم شو
چون نهٔ سبّاح و نی دریائئی در میفکن خویش از خودرائئی ۲۱ او ز قعر بحر گوهر آورد از زیانها سود بر سر آورد
کاملی گر خاك گیرد زر شود ناقص ار زر برد خاکستر شود ۲۲ چون قبول حق‌بود آن‌مرد راست دست او در کارها دست‌خداست
دست ناقص دست‌شیطانست و دیو زانکه‌اندر دام تلبیس‌است وریو ۲۳ جهل آید پیش او دانش شود جهل‌شد علمی که درناقص رود
هرچه گیرد علتی علت شود کفر گیرد کاملی ملت شود ۲۴ ای مری کرده پیاده با سوار سرنخواهی برد اکنون پای دار

تعظیم کردن ساحران موسی را که اوّل تو عصا بینداز

ساحران در عهد فرعون لعین چون مری کردند باموسی زکین ۲۶ لیك موسی را مقدّم داشتند ساحران او را مکرّم داشتند
زانکه گفتندش‌که فرمان‌آن تست گر تو میخواهی عصا بفکن‌نخست ۲۷ گفت نی اوّل شما ای ساحران افکنید آن مکرها را درمیان
اینقدر تعظیم ایشان را خرید وازمری آن دست‌وپاهاشان برید ۲۸ ساحران چون قدر او نشناختند دست و پا درجرم آن‌در باختند
لقمه و نکته است کامل راحلال تو نهٔ کامل مخور می باش لال ۲۹ توچو گوشی او زبان نی‌جنس تو گوشهارا حق‌بفرمود انصتوا(٤)
کودك اوّل چون‌بزاید شیر نوش مدّتی خامش بود او جمله گوش ۳۰ مدّتی میبایدش لب دوختن از سخنگویان سخن آموختن
تا نیاموزد نگوید صد یکی ور بگوید حشو گوید بی‌شکی ۳۱ ور نباشد گوش تی تی میکند خویشتن را گنگ گیتی میکند
کرّ اصلی کش نبود آغاز گوش لال باشد کی‌کند درنطق جوش ۳۲ زانکه اوّل سمع باید نطق را سوی منطق از ره سمع اندرا
ادخلوا الابیات من ابوابها و اطلبوا الارزاق من اسبابها ۳۳ نطق‌کان موقوف راه سمع نیست جز که نطق خالق بی‌طمع نیست
مبدعست و تابع استادنی مسند جمله ورا استادنی (٥) ۳٤ باقیان هم در حرف هم درمقال تابع استاد و محتاج مثال

---

(۱) چون نالیدنش حکایت است نه شکایت مزاجی یا روحی (۲) بدانکه تمام موجودات در حکم مشیت الله است و انسان کامل چون فانی در مشیت الله است پس از باب فناء و یگانگی مشیت الله همهٔ اشیاء در فرمان اوست (۳) این چند بیت فوق و تحت نمره در تأثیر کلام بزخم زبان یا بمرهم است بدانکه ملاك هر تأثیری از قوای انسانیه مخصوصاً قوهٔ زبان فقط و فقط جمع حواس در کلام پس از سکوت اختیاری است که باید هر متکلمی که میخواهد صاحب تأثیر کلام بشود بداند که یکی از موجبات مقناطیس زبان سکوت اختیاری است که بزرگان مخصوصاً بعضی از انبیاء که بعد از سکوت های طولانی بتکلم میامدند عالمی را بیك کلام برهم زده یعنی ارواح و اخلاقهای مشکله مردم را بتأثیر کلام خود تغییرات میدادند و این سکوت همان جهتی است که مولوی در تأثیر کلام فرموده که اگر حجب و علائق و قیود از نفوس برداشته شود همهٔ نفوس عیسی دم خواهند شد و یکی از موجبات مهمه رفع حجاب روح سکوت وجمع حواس بریاضت است تا تأثیر افکار درکلام متمرکز شده و ملکه حاصل شود لذا چون مشکل است در چند بیت ذیل نمره امر بصبر در ریاضت و مشقت رفع حجاب و تحصیل جمع حواس نموده تا روح بی حجابی اول خلقت خود را در یافته و تقویت شود . (٤) انصتوا اشارهٔ بآیهٔ از سورهٔ اعراف است و اذا قراء القرآن فاستمعواله و انصتوا یعنی چون خوانده شود قرآن بشنوید و خاموش باشید اشکال اینجا است که لازمهٔ شنیدن خاموشی است دیگر چرا فرموده و انصتوا دوجواب دارد یا مقصود شنیدن با توجه تام و دل دادن و دقت کردن است تاگوش قلب هم باگوش سر همراه شود و یا در بین کلام حرف نزدن و جدل نکردن است تا مضامین و مقاصد کلام واضح شود . (٥) یعنی چون تمام موجودات باسباب خلق شده اند پس نقشهٔ هر مسببی متعلق به اسباب خودش میباشد الا کلام فعلی حق که چون قبل از همه چیز است و بالاتر از فعل حق چیزی نیست تا فعل حق از آن و بآن خلق شود پس فعل حق ابداعی و اختراعی و مقدم برهمهٔ اسباب و نقشه هاست چه همه باو نه او بهمه خلق شده پس کلام فعلی حق بدون اسباب است

کتب اهدائی غلامحسین سرود

زین سخن گر نیستی بیگانهٔ — دلق واشکی گیر و جو ویرانهٔ ۱ زان که آدم زان عتاب ازاشك رست — اشك تر باشد دم توبه پرست

بهر گریه آمد آدم برزمین(۱) — تا بود گریان و نالان وحزین ۲ آدم از فردوس و از بالای هفت — پای ماچان از برای عذر رفت

گر ز پشت آدمی وز صلب او — در طلب میباش هم در طلب او ۳ ❀توچه دانی ذوق آب‌ای‌شیشه دل — زانکه همچو خرشدی توپا بگل

ز آتش دل و آب دیده نقل ساز — بوستان از ابر و خورشیداست‌تاز ٤ توچه دانی ذوق آب دیدگان — عاشق نانی تو چون نا دیدگان

گر تو این انبان زنان خالی کنی — پرز گوهرهای اجلالی کنی(۲) ٥ طفل جان ازشیر شیطان باز کن — بعد ازآنش با ملك انباز کن

تا تو تاریك و ملول و تیرهٔ — دان که با دیو لعین همشیرهٔ ٦ لقمهٔ کان نور افزود و کمال — آن بود آورده‌از کسب حلال(۳)

روغنی کاید چراغ ما کشد — آب خوانش چون چراغی‌را کشد ۷ علم وحکمت زاید از لقمهٔ حلال — عشق ورقت زاید از لقمه حلال

چون زلقمه تو حسد بینی و دام — جهل‌وغفلت زاید آنرا دان حرام ۸ هیچ گندم کاری و جو بر دهد — دیدهٔ اسبی که کرّهٔ خر دهد

لقمه تخمست و برش اندیشها — لقمه بحر و گوهرش اندیشها ۹ زاید از لقمهٔ حلال اندر دهان — میل‌خدمت عزم‌سوی‌آن جهان(٤)

❀زاید ازلقمهٔ حلال‌ای مه‌حضور — در دل پاك تو و در دیده نور ۱۰ ❀این سخن پایان ندارد ای‌کیا — بحث بازرگان و طوطی کن بیا

بازگفتن بازرگان باطوطی آنچه در هندوستان دیده

کرد بازرگان تجارت را تمام — باز آمد سوی منزل شاد کام ۱۲ هر غلامی را بیاورد ارمغان — هر کنیزك را ببخشید او نشان

گفت طوطی ارمغان بنده کو — آنچه گفتی وآنچه دیدی باز گو ۱۳ گفت نی‌من خود پشیمانم از آن — دست خودخایان وانگشتان گزان

که چرا پیغام خامی از گزاف — بردم از بیدانشی و از نشاف ۱٤ گفت‌ای خواجه پشیمانی زچیست — چیست‌آن کاین‌خشم‌وغم‌رامقتضیست

گفت گفتم آن شکایتهای تو — با گروهی طوطیان همتای تو ۱٥ آن یکی‌طوطی ز دردت بوی‌برد — زهره‌اش بدرید و لرزید و بمرد

من پشیمان‌گشتم این‌گفتن چه بود — لیك چون گفتم پشیمانی چه سود ۱٦ نکتهٔ کان جست ناگه از زبان — همچوتیری دان که‌جست‌آن‌ازکمان

وا نگردد ازره آن تیر ای پسر — بند باید کرد سیلی را ز سر ۱۷ چون گذشت ازسرجهانی‌را گرفت — گر جهان ویران کند نبودشگفت

فعل را درغیب اثرها زادنیست — وان موالیدش بحکم خلق نیست ۱۸ بی شریکی جمله مخلوق خداست — آن موالید ارچه نسبتشان بماست

زید پرّانید تیری سوی عمرو — عمرو را بگرفت تیرش همچو نمر ۱۹ مدّت سالی همی زائید درد — دردها را آفریند حق نه مرد

عمرو دائم ماند در درد و وجل — درد ها میزاید آنجا تا اجل ۲۰ زان موالید وجع چون مرد او — زید را ز اوّل سبب قتال گو

آن وجعها را بدو منسوب دار — گرچه هست‌آن جمله صنع‌کردگار ۲۱ همچنین کسب ودم و دام و جماع — آن موالید است حق را مستطاع

بسته در های موالید از سبب — چون پشیمان‌شد ولی ازدست‌رب ۲۲ اولیا راهست قدرت از اله — تیر جسته باز آرندش ز راه

گفته ناگفته کند از فتح باب — تا از آن نی‌سیخ سوزد نی‌کباب ۲۳ از همه دلها چو آن نکته شنید — آن سخن را کرد محو و ناپدید

گرت برهان باید و حجت مها — باز خوان من آیة اونسها ۲٤ آیهٔ انسوکم ذکری بخوان — قوّت نسیان نهادنشان بدان

چون بتذکیر و بنسیان قادرند — برهمه دلهای خلقان قاهرند ۲٥ چون بنسیان بست او راه نظر — کار نتوان کرد ور باشد هنر

خذتموا سخریةً اهل السمو — از نبی خوانید تا انسوکم ۲٦ صاحب ده پادشاه جسمهاست — صاحب دل شاه دلهای شماست

فرع دید آمد عمل بی‌هیچ شك — پس نباشد مردم الا مردمك ۲۷ مردمش چون مردمك دیدندخرد — در بزرگی مردمك کس پی نبرد

من تمام‌این را نیارم گفت ازآن — منع می آید ز صاحب مرکزان ۲۸ چون فراموشی خلق و یادشان — با ویست او میرسد فریادشان

صدهزاران نیك وبد را آن بهی — میکند هر شب ز دلهاشان تهی ۲۹ روز دلها را از آن پر میکند — آن صدفها را پر از در میکند

آن همه اندیشهٔ پیشانها — می شناسد از هدایت جانها ۳۰ پیشه و فرهنگ تو آید بتو — تا در اسباب بگشاید بتو

پیشهٔ زرگر بآهنگر نشد(٥) — خوی‌این‌خوش خو بدان منکر نشد ۳۱ پیشها و خلقها همچون جهیز — سوی خصم آیند روز رستخیز

❀ صورتی‌کان برنهادت غالبست — هم بران تصویر حشرت واجبست ۳۲ پیشها و خلقها از بعد خواب — وا پس آید هم بخصم خود شتاب

---

(۱) لذا هرطفلی بمحض تولد بدون یك‌لب خندی تاچندی شروع بگریه مینماید واین علامت تقدم رنج طبیعی او دردنیا وسرمایهٔ ذلت وبندگی او برای خداوند است(۲) چنانکه گرسنگی درعلم الروح برای آزادی قوا وتصفیه اخلاق وجمع حواس و توحید نفس مفید است همچنین برای رفع امراض‌جسمانی‌هم مفید خواهدبود که بعضی ازاطبای عصر جدید گفته‌اند که گرسنگی ازمعالجات بین‌المللی خواهدشد . (۳) هرشکم خواری این‌ادعا را نمی‌تواند بنماید همچنان که درجنت الوصال مثنوی نقل شده که بعضی‌از دراویش شاه نعمت اللهی یك گوسفند فربه را باجمیع لوازماتش درحین ریاضت یا بعداز تکمیل نفس میخورده و ادعای هضم ملکوتی مینموده‌اند خدا عالم تراست بحقائق . (٤) بدانکه هرانسانی بواسطهٔ ضرورت بدلهای مایتحلل ازهر غذائی‌مزاج واخلاق وروح اوبافته شده ازحرام وحلال بودن آن غذاست پس‌بعداز این‌بیان درتأثیر لقمه عرض میکنیم‌که ازبرای لقمهٔ حلال شرائط زیادی است و مجمل آن اینست که باید اول غذای حلال مطابق اصول هردیانت ویا قانون مملکتی تحصیل‌شود و دوم تجملات نداشته وغالباً ساده باشد تا وقت عزیز را صرف شکم که غایت همت حیوانات است ننماید وسوم‌شکم خودرا بنابرنصیحت علی « ع » قبرستان حیوانات از خوردن گوشت قرار ندهند . چهارم جلوچشمهای گرسنه حیوانات وهیچ انسانی‌حتی‌الامکان غذا نخورد چه ممکن‌است غذارا بنظرهای‌خودشان‌مسموم اخلاقی و جسمانی نمایند الا اینکه بآنها بخوراند . پنجم با یاد خدا و یا با یاد هر چیزی که غایت همت بلند اوست بخورد تا آن مطلوب درمزاج او با غذا بافته شده و بمطلوب او کمك دهد . ششم مطابق حفظ‌الصحه بخورد

(٦) این نه بیت اشاره بمعاد روحانی واخلاقی است یعنی هرکسی بعد از مردن موافق اخلاق مکتسبهٔ خود در دنیا از نیك و بد حشر پیدا میکند همچنان که ملکات مکتسبه هرکسی‌بعد ازبیدارشدن از خواب برای‌آن دردنیا بدون اشتباه رجوع مینماید وهمه درروز دنبال کارهای مرتبطهٔ باخلاق خود میروند همچنین ملکات اخلاقیه و روحیه هر کسی بعد از مرگ بمثل رجوع بعد از خواب رجوع بآنها بدون اشتباه مینماید و هر کسی در آن روز دنبال‌کار خود یعنی‌عقب جزای اعمال‌خود میرود پس جهنم وبهشت هرکسی درخود او واعمال وجزای اعمال او ازملکات نیك‌وبدخواهدبود

پیشها و اندیشها در وقت صبح — هم بدانجا شدکه‌بود آن‌حسن وقبح ۱ چون کبوترهای پیك از شهر ها — سوی شهر خویش آرد بهر ها
هرچه بینی سوی اصل خود رود ۲ جزو سوی کلّ خود راجع شود

شنیدن آن طوطی حرکت آن طوطی را ومردن و نوحه کردن خواجه

چون‌شنیدآن‌مرغ کان‌طوطی‌چه‌کرد — هم بلرزید اوفتاد و گشت سرد ٤ خواجه چون دیدش فتاده همچنین — برجهید و زد کله را بر زمین
چون‌بدین رنگ وبدین‌حالش‌بدید — خواجه برجست وگریبان را درید ٥ گفت‌ای‌طوطیّ خوب خوش‌حنین — هین چه‌بودت این چرا گشتی‌چنین
ای دریغا مرغ خوش آواز من — ای دریغا همدم و همراز من ٦ ای دریغا مرغ خوش الحان من — راح روح و روضهٔ رضوان من
گر سلیمان را چنین مرغی بدی — کی دگر مشغول آن مرغان شدی ۷ ای دریغا مرغ کارزان یافتم — زود روی از روی او بر تافتم
ای زبان تو بس زیانی مر مرا — چون توئی گویا چه‌گویم مرترا(۱) ۸ ای زبان هم آتش وهم خرمنی — چند این آتش دراین خرمن زنی
در نهان جان از تو افغان میکند — گرچه‌هرچه‌گوئیش آن می‌کند(۲) ۹ ای زبان هم‌گنج بی‌پایان توئی — ای‌زبان هم رنج بی درمان توئی
هم صفیر و خدعهٔ مرغان توئی — هم بلیس وظلمت کفران توئی(۳) ۱۰ هم خفیر و رهبر یاران توئی — هم انیس و وحشت هجران توئی
چند امانم می‌دهی ای بی امان — ای تو زه کرده بکین من کمان ۱۱ نك پیرّاندهٔ مرغ مرا — در چرا گاه ستم کم کن چرا
یا جواب من بگو یا داد ده — یا مرا اسباب شادی یاد ده ۱۲ ای دریغا نور ظلمت سوز من — ای دریغا صبح روز افروز من
ای دریغا مرغ‌خوش پروازمن — ز انتها پرّیده تا آغاز من(٤) ۱۳ عاشق رنج است نادان تا ابد — خیز ولا اُقسم بخوان تا فی کبد
از کبد فارغ بُدم با روی تو — وز ز بد صافی بدم در جوی تو ۱٤ این دریغها خیال دیدنست — وز وجود نقد خود ببریدنست
غیرت حق بود باحق چاره‌نیست — کو دلی‌کزحکم حقّ صدپاره نیست ۱٥ غیرت‌آن باشدکه‌آن غیرهمه‌است — آنکه افزون ازبیان‌ودمدمه است
ای دریغا اشك من دریا بدی — تا تتار دلبر زیبا شدی ۱٦ طوطی من مرغ زیرك سار من — ترجمان فکرت و اسرار من
هرچه روزی داد و ناداد آمدم — او ز اوّل گفت تا یاد آمدم ۱۷ طوطئی کاید ز وحی آواز او — پیش از آغاز وجود آغاز او
اندرون تست آن طوطی نهان — عکس اورا دیده تو براین و آن ۱۸ می برد شادیت را تو شاد ازو — میپذیری ظلم را چون داد ازو
ای که جان ازبهر تن میسوختی — سوختی جان را و تن افروختی ۱۹ سوختم من سوخته خواهد کسی — تا زمن آتش زند اندر خسی
سوخته چون قابل آتش بود — سوختهٔ بستان که آتش‌کش بود ۲۰ ای دریغا ای دریغا ای دریغ — کان چنان ماهی‌نهان شد زیرمیغ
چون زنم دم‌کاتش دل تیز شد — شیر هجر آشفته و خون ریز شد ۲۱ آنکه اوهشیار خودتندست‌ومست — چون بودچون اوقدح گیرد بدست
شیر مستی کز صفت بیرون بود — از بسیط مرغزار افزون بود ۲۲ قافیه اندیشم و دلدار من — گویدم مندیش جز دیدار من
خوش نشین ای‌قافیه اندیش من — قافیهٔ دولت توئی در پیش من ۲۳ حرف‌چبود تاتو اندیشی از آن — صوت چبود خار دیوار رزان
حرف‌وصوت و گفت رابرهم‌زنم — تا که بی این هر سه با تودم زنم ۲٤ آن دمی کز آدمش کردم نهان — با تو گویم ای تو اسرار جهان
آن دمی را که نگفتم با خلیل — وان دمی را که نداند جبرئیل(٥) ۲٥ آن دمی کز وی مسیحا دم نزد — حق ز غیرت نیز بی‌ما هم نزد
ما چه باشد در لغت اثبات نفی — من نه اثباتم منم بی ذات ونفی ۲٦ من کسی در ناکسی در یافتم — بس کسی در ناکسی در یافتم
جمله شاهان پست‌پست خویش را — جمله خلقان مست مست خویش را ۲۷ جمله شاهان بردهٔ بردهٔ خودند — جمله خلقان مردهٔ مردهٔ خودند(٦)
می‌شود صیاد مرغان را شکار — تا کند ناگاه ایشان را شکار ۲۸ دلبران را دل اسیر بیدلات — جمله مشرقان شکار عاشقان
هرکه عاشق دیدیش معشوق دان — کو بنسبت هست هم این وهم‌آن ۲۹ تشنگان گرآب جویند از جهان — آب هم جوید بعالم تشنگان(۷)
چونکه عاشق اوست‌توخاموش‌باش — او چوگوشت میدهد توگوش باش ۳۰ بندکن چون سیل سیلانی کند — ورنه رسوائی و ویرانی کند
من چه غم دارم که ویرانی بود — زیر ویران گنج سلطانی بود ۳۱ غرق‌حق خواهد که باشد غرق‌تر — همچو موج بحرجان زیر و زبر
زیر دریا خوش تر آید یا زبر — تیر او دلکش تر آید یا سپر ۳۲ بس زبون وسوسه باشی دلا — گر طرب را باز دانی از بلا
گر مرادت را مذاق شکراست — بی مرادی نی مراد دلبر است ۳۳ هر ستاره‌اش خونبهای صد هلال — خون عالم ریختن او را حلال
ما بها و خونبها را یافتیم — جانب جان باختن بشتافتیم (۸) ۳٤ ای حیات عاشقان در مردگی — دل نیابی جز که در دل بردگی
من دلش جسته بصد ناز و دلال — او بهانه کرده با من از ملال ۳٥ گفتم‌آخر غرق تست این‌عقل‌وجان — گفت رورو برمن‌این‌افسون‌مخوان
من ندانم آنچه اندیشیدهٔ — ای دو دیده دوست را چون‌دیدهٔ ۳٦ ای گران‌جان خوار دیدستی مرا — زانکه بس ارزان خریدستی‌مرا

---

(۱) چه اگر مذمتی راجع بزبان گفته شود باز از خود زبان بخود زبان است . (۲) یعنی اگر چه باطناً جان از دست زبان گله دارد ولکن چون کمالات هر جانی بتعلیمات زبان است پس گله و افغان آنهم بتلقین خود زبان است . (۳) بس‌است در وسعت زبان نسبت بهمهٔ اعضا و جوارح نورانی و ظلمانی‌که تمام احکام آنها بلکه بالاتر از آنها از ملك و ملکوت و جبروت و لاهوت باید بزبان تعلیم داده شود . (٤) اشاره به : «مرغ باغ ملکوتم نیم ازعالم خاك» که سیمرغ جان باشد لذا درتعریف انسان حیوان ناطق را آورده‌اند که مقصود ادراك کلیات در ضمن محمولات کلیه منطقیه است‌که در هر موضوعی باید محمول طبعاً لا بشرط وبطورکلی بر موضوع خود حمل شود وراحت روح باین ادراکات کلیه است نه بجزئیات مادیه دنیویه فانیه. (٥) مقصود دم عشق است که فوق عقل و نظام است چه‌جبرئیل عقل و قانون انبیاء مقید بتنظیمات عقلیه است پس آن دم‌عشق در رتبهٔ جبرئیل عقل و خلیل و مسیح در این دو بیت بیرون نیامده اگرچه در رتبهٔ تجرد محض همهٔ انبیاء از آن دم روح شرایع خودرا زنده کردند . (٦) یعنی جملهٔ شاهان غلام شهوت وغضب خود هستند در حالتیکه این دو قوه درمقام خلقت بنده فرمان بردارآنها خلق شده (۷) یعنی همینطوری که کلیه هر حسی عاشق محسوسات ملایم خود میباشد محسوسات هم عاشق حواس متعلق بخودمیباشد بلکه عشق صورت خوشگل بچشم وعشق آب‌گوارا بتشنه وعشق نغمات دلربا بگوش وعشق بوهای طیبه ببینی و ملموسات ملایمه بلمس بقسمی بیش از عشق بر عکس آنها است که گفته شده : « تا که از جانب معشوقه نباشد کششی کوشش عاشق بیچاره بجائی نرسد . » (۸) بها وخون بها برای همان سلب علاقه است که بملکهٔ جمع حواس وتوحید نفس حاصل شده که بعین این توحید بها وخونبهای توحید رب حاصل و راحت ابدی بآن بها خواهد یافت .

هرکه اوارزان خرد ارزان دهد گوهری طفلی بقرصی نان دهد ۱ غرق عشقی‌ام که غرقست اندرین عشقهای اوّلین و آخرین
مجملش گفتم نکردم من بیان ورنه هم لبها بسوزد هم دهان ۲ من چو لب گویم لب دریا بود من چولا گویم مراد الاّ بود
من ز شیرینی نشستم رو ترش من ز بسیاریّ گفتارم خمش ۳ تا که شیرینیّ ما از دو جهان در حجاب رو ترش باشد نهان
تا که در هرگوش ناید این سخن ٤ یك همی گویم ز صد سِرّ لدن

دربیان تفسیر قول حکیم سنائی روح الله تعالی روحه

بهرچه از راه وامانی چه کفرآن حرف وچه ایمان بهرچه از دوست دور افتی چه زشت آن نقش وچه زیبا

فی معنی قول النبی ان سعدألغیور و انا اغیر منه والله تعالی اغیر منیّ ومن غیرته حرّم الفواحش ما ظهر منها و ما بطن

جمله عالم زان غیور آمدکه حق برد در غیرت برین عالم سبق ۹ او چوجانست وجهان چون کالبد کالبد از جان پذیرد نیك و بد
هرکه محراب نمازش گشت عین سوی ایمان رفتنش میدان توشین ۱۰ هرکه شد مر شاه را اوجامه دار هست خسران بهرشاهش اتّجار
هرکه با سلطان شود اوهم نشین بردرش شستن بودحیف وغبین(۱) ۱۱ دست‌بوسش چون‌رسید از پادشاه گر گزیند بوس پا باشد گناه
گرچه سر بر پا نهادن خدمتست پیش آن خدمت خطا و زلتست ۱۲ شاه را غیرت بود بر هرکه او بو گزیند بعد از آن که دیدرو
غیرت حق بر مثل گندم بود کاه خرمن غیرت مردم بود ۱۳ اصل غیرتها بدانید از اله آن خلقان فرع حق بی اشتباه
شرح این بگذارم و گیرم گله از جفای آن نگار ده دله ۱٤ نالم ایرا نالها خوش آیدش از دو عالم ناله و غم بایدش
چون ننالم تلخ از دستانِ او چون نیم در حلقهٔ مستان او ۱۵ چون نباشم همچوشب بی‌روز او بی وصال روی روز افروز او
ناخوشِ‌او خوش بود درجان من جان فدای یار دل رنجان من ۱٦ عاشقم بررنج‌خویش ودردخویش بهر خشنودیّ شاه فرد خویش
خاك‌غم را سرمه سازم بهر چشم تا ز گوهر پر شود دو بحر چشم ۱۷ اشك کان ازبهر اوبارند خلق گوهرست‌واشك پندارندخلق(۲)
من ز جان جان شکایت میکنم من نیم شاکی روایت میکنم ۱۸ دل همی گوید از او رنجیده ام و از نفاق سست میخندیده ام
راستی کن ای تو فخر راستان ای‌تو صدر و من درت‌را آستان ۱۹ آستان وصدر در معنی کجاست ماومن‌کوآن طرف کان یار ماست
ای رهیده جان تو از ما و من ای لطیفهٔ روح اندر مرد و زن ۲۰ مردوزن‌چون‌یك شوندآن‌یك‌توئی چونکه یك ها محو شد آنك توئی
این من و ما بهر آن بر ساختی تاتو باخود نرد خدمت باختی(۳) ۲۱ ۞ تاتو با ما وتو یك جوهرشوی عاقبت محض چنان دلبر شوی
تامن و توها همه یکجان شوند عاقبت مستغرق جانان شوند ۲۲ این همه هست و بیا ای امرِ کن ای منزّه از بیان و از سخن
چشم جسمانه تواند دیدنت در خیال آرد غم و خندیدنت ۲۳ دل‌که او بستهٔ غم و خندیدنست تو مگو کو لایق آن دیدنست
آنکه او بستهٔ غم و خنده بود او بدین دو عاریت زنده بود ۲٤ باغ سبز عشق کو بی منتهاست جز غم‌وشادی درو بس میوهاست
عاشقی زین هر دوحالت برترست بی بهار و بی‌خزان سبز و ترست ۲۵ ده زکوة رویِ خوب ای‌خوب‌رو شرح جان شرحه شرحه باز گو
کز کرشمهٔ غمزهٔ غمازهٔ بردلم بنهاده داغ تازهٔ ۲٦ من حلالش کردم ار خونم‌بریخت من‌همی گفتم حلال او میگریخت
چون گریزانی ز نالهٔ خاکیان غم چه ریزی بردل غمناکیان ۲۷ ای‌که هرصبحی‌که ازمشرق بتافت همچو چشمهٔ مشرقت‌درجوش یافت
چه بهانه میدهی شیدات را ای بهانه شکّر لبهات را ۲۸ ای جهان کهنه را تو جانِ نو ازتن بیجان ودل افغان شنو(٤)
شرح گل بگذار از بهر خدا شرح بلبل‌گو که شد از گل جدا ۲۹ از غم وشادی نباشد جوش ما با خیال و وهم نبود هوش ما
حالت دیگر بود کان نادر است تومشومنکرکه حق‌بس‌قادراست(۵) ۳۰ توقیاس از حالت انسان مکن منزل اندر جور ودر احسان‌مکن
جورواحسان رنج وشادی‌حادثست حادثان میرند وحقشان وارث‌است ۳۱ صبح شد ای صبح را پشت‌وپناه عذر مخدومی حسام الدّین بخواه
عذر خواه عقل‌کلّ وجان توئی جان جان و تابشِ مرجان توئی ۳۲ تافت نور صبح و ما از نور تو در صبوحی بامی منصور تو
دادهٔ تو چون چنین دارد مرا باده که بود تا طرب آرد مرا ۳۳ باده درجوشش‌گدای جوش ماست چرخ درگردش اسیر هوش ماست
باده از ما مست شد نی ما ازاو قالب از ماهست شد نی ما ازاو ۳٤ ما چو زنبوریم و قالبها چو موم خانه خانه کرده قالب را چوموم
بس‌دراز است‌این‌حدیث خواجه‌گو ۳۵ تاچه شد احوال آن مرد نکو

---

(۱) این دو بیت فوق و تحت نمره اشاره بآنست که هروقت حقائق ظاهر بلکه حقیقت مطلقه مکشوف السبّحات گردد دیگرمشار و مشیر و اشاره ازحواس ظاهره وباطنه باقی نمیماند تا مشغول احکام شرایع از فروع واصول دین شده وبآنها اشاره بحقیقت بنماید یعنی‌مضمون (اذا ظهرالحقائق بطل الشرایع) را میخواهد دراین هفت بیت بفرماید چه غیرت حق غیردر میان نگذاشت ازین جهت عین‌جملهٔ اشیاء شد .
(۲) یعنی ذاتاً واصالتاً تمام اشکهای‌چشم ورنجها و غمهای خلق برای رسیدن باین مقام بلند حقیقت مکشوفه خلقت شده‌که هر چه زیاد تر گردد توسعه مکاشفه اختیاری حقیقت بیشتر و محکم تر خواهد شد لذا طفل غالباً طبعاً گریان و همیشه گرفتار رنج و ناملایمات است تا دم مردن اگر باور نداری قدمی درمریضخانها و محبسهای دنیا بلکه درهردلی در تمام دنیا قدمی بگذار تا ببینی که یك‌دل خوش وراضی از زندگانی خود نیست پس این قوای رنج را حق متعال برای مقصد فوق الذکر خلق کرده که اگر بجای خودش استعمال شود تبدیل بگنج حقیقت خواهد شد ولکن خلق قدر رنج وگریه‌های خودرا نشناخته چون درهر محل ناقابلی خرج مینمایند لابد ازمقصود دور افتاده ودر دنیا هم نتیجه بخش نخواهد شد (۳) یعنی چون خواستی با تجلیات خودت نرد خدمت و عبودیت را ببازی از پرتو ذات اقدس خودت ذوات منیتهای خلایق را ایجاد کردی ولکن بعداز توحید نفس و تمرکز حواس بخود این پرتو چنین معلوم‌شد که همه اشتباهاً باختند و همه آنها را باحاطه تو بردی لذا نام هر قماری ببازی که معنی باختن است معروف است یعنی‌کسی نمیگوید قمار برد ولکن قمارباز میگویند . (٤) معنی این بیت را افاده میدهد (بیزارم ازآن کهنه خدائی که تو داری ۞ هرلحظه مرا تازه خدای دگر استی) . (۵) بدانکه باندازهٔ این حالت ملکوتی نادراست که بعضی اسم‌اعظم وبعضی جفر جامع و بعضی لیلة القدر وبعضی سیمرغ وبعضی آب حیات وبعضی کیمیا وبعضی معرفت جان بتوحید نفس و ملکهٔ جمع حواسش گفتند .

رجوع بحکایت خواجهٔ تاجر

خواجه اندر آتش درد و حنین ۲ صد پراکنده همی گفت این چنین

گه تناقش گاه ناز و گه نیاز گاه سودای حقیقت گه مجاز ۳ مرد غرقه گشته جانی می کند دست را در هر گیاهی می زند

تا کدامش دست گیرد در خطر دست و پائی میزند از بیم سر ٤ دوست دارد یار این آشفتگی کوشش بیهوده به از خفتگی

آنکه او شاهست او بیکارنیست ناله از وی طرفه کو بیمار نیست ٥ بهر این فرمود رحمان ای پسر کل یوم هو فی شان ای پسر (۱)

اندرین ره میتراش و میخراش تا دم آخر دمی فارغ مباش ٦ تا دم آخر دمی آخر بود که عنایت با تو صاحب سر بود

هر که میکوشد اگر مرد و زنست گوش و چشم شاه جان برروزنست ۷ ❀ این سخن پایان ندارد ای عمو قصهٔ طوطی و خواجه باز گو

بیرون انداختن مرد تاجر طوطی را از قفس و پریدن او

بعد ازآنش از قفس بیرون فکند طوطیك پرّید تا شاخ بلند ۹ طوطی مرده چنان پرواز کرد کافتاب از چرخ ترکی تاز کرد

خواجه حیران گشت اندر کار مرغ بی‌خبر ناگه بدید اسرار مرغ ۱۰ روی بالا کرد وگفت ای عندلیب از بیان حال خودمان ده نصیب

او چه کرد آنجا که تو آموختی چشم ما ازمکر خود بر دوختی ۱۱ ساختی مکری و ما را سوختی سوختی ما را و خود افروختی

گفت طوطی کو بفعلم پند داد که رها کن نطق وآواز وگشاد ۱۲ زانکه آوازت ترا در بند کرد خویش او مرده پی این پندکرد

یعنی ای مطرب شده با عام وخاص مرده شو چون من که تا یابی خلاص (۲) ۱۳ دانه باشی مرغکانت بر چنند غنچه باشی کودکانت بر کنند

دانه پنهان کن بکلی دام شو غنچه پنهان کن گیاه بام شو ۱٤ هر که داد او حسن خودرا درمزاد صد قضای بد سوی او رونهاد

چشمها و خشمها و رشکها بر سرش بارد چوآب از مشکها ۱٥ دشمنان اورا ز غیرت میدرند دوستان هم روزگارش میبرند

آنکه غافل بود از کشت بهار او چه داند قیمت این روزگار ۱٦ در پناه لطف حق باید گریخت کو هزاران لطف بر ارواح ریخت

تا پناهی یابی آنگه چه پناه آب وآتش مر ترا گردد سپاه ۱۷ نوح و موسی را نه دریا یارشد نی بر اعداشان بکین قهار شد

آتش ابراهیم را نی قلعه بود تا بر آورد از دل نمرود دود ۱۸ کوه یحیی را نه سوی خویش خواند قاصدانش را بزخم سنگ راند

گفت ای یحیی بیا در من گریز ۱۹ تا پناهت باشم ازشمشیر تیز

وداع کردن طوطی خواجه را و پریدن

یك دو پندش داد طوطی بی نفاق بعد از آن گفتش سلام الفراق ۲۱ ❀ الوداع ای خواجه کردی مرحمت کردی آزادم ز قید و مظلمت

❀ الوداع ای خواجه رفتم تا وطن هم شوی آزاد روزی همچومن ۲۲ خواجه گفتش فی امان الله برو مر مرا اکنون نمودی راه نو

❀ سوی هندستان اصلی رو نهاد بعد شدت ازفرج دل گشته شاد ۲۳ خواجه باخود گفت کاین پندمن است راه او گیرم که این ره روشن است

جان من کمتر ز طوطی کی بود ۲٤ جان چنین باید که نیکو پی بود

در بیان مضرت تعظیم خلق و انگشت نما شدن

تن قفس شکل است زان شد خارجان درفریب داخلان و خارجان (۳) ۲٦ اینش گوید من شوم همراز تو وانش گوید نی منم انباز تو

اینش گوید نیست چون تودروجود درکمال وفضل و دراحسان وجود ۲۷ آنش گوید هر دو عالم آن تست جمله جانها مان طفیل جان تست

آنش خواند گاه عیش وخرّمی اینش گوید گاه نوش ومرهمی ۲۸ او چو بیند خلق را سرمست خویش از تکبر میرود از دست خویش

او نداند که هزاران را چو او دیو افکندست اندر آب جو ۲۹ لطف وسالوس جهان خوش لقمه ایست کمترش خورکان پرآتش لقمه ایست

آتشش پنهان و ذوقش آشکار دود او ظاهر شود پایان کار ۳۰ تو مگو آن مدح را من کی خرم ازطمع میگوید او من پی برم

مادحت گر هجو گوید بر ملا روزها سوزد دلت زان سوز ها ۳۱ گرچه دانی کو زحرمان گفت آن کان طمع که داشت ازتوشدزیان

آن اثر میماندت در اندرون درمدیح این حالتت هست آزمون (٤) ۳۲ آن اثر هم روز ها باقی بود مایهٔ کبر و خداع جان شود

نیك بنماید چو شیرینست مدح بد نماید زانکه تلخ افتاد قدح ۳۳ همچومطبوخست وحب کانرا خوری تا بدیری شورش و رنج اندری

ور خوری حلوا بود ذوقش دمی این اثر چون آن نمی آید همی ۳٤ چون نمی پاید همی ماند نهان هر ضدی را تو بضد آن بدان

چون شکر ماند نهان تاثیر او بعد چندی دمّل آرد نیش جو ۳٥ ورحب ومطبوخ خوردی ای ظریف اندرون شد پاك زاخلاط کثیف

نفس از بس مدحها فرعون شد کن ذلیل النفس هوناً لا تسد ۳٦ تا توانی بنده شو سلطان مباش زخم کش چون گوی شو چوگان مباش

---

(۱) چون شأن را نکره آورده نه معرفه معنی شئون غیر متناهی را میدهد چه درفارسی فرق است بین اینکه بگوئی خدا هرروزکار داردکه نکره وغیر متناهی است ویا بگوئی کاری دارد که معرفه ومحدود خواهد شد پس مضمون این آیه باکلام عرفاکه میگویند که خداکار مکرر و یاتجلی مکرر ندارد یکی است . (۲) مقصود از مرده شدن مرده شدن ارادی بتحصیل ملکهٔ جمع حواس است که انسان بتواند ایجاد فراموشی ازتمام امورزندگانی باختیار در خود بنماید این آدم آن ساعت مرده وخلاص از تمام حوادث شده است . چه اگر تمام دنیا را خون بگیرددر مغز فراموش کار اثری ندارد (۳) خلاصه مقصود مولوی در تمام این فصل آنست که هرانسانی بعدد منافذ پوست بدن ازمحیط خود وبعدد تمام دستجات سلولهای اعضاء وجوارح از داخل خود مقتضیات دغدغه در خون و تلقینات مختلفه متضاده در مغز دارد که بمقتضای آیه (و فیه شرکاء متشاکسون) هر ساعتی جان هر آدمی را (اگر اراده قوی وکار منظم ویا افکار منظم نداشته باشد) در عذاب ارادههای بیجا و تفرقهٔ حواس گرفتار خواهد نمود . (٤) یعنی اگر وساوس و خیالات غیر مشروع را بتحصیل ملکهٔ جمع حواس و تصفیه مزاج تیشه بریشه نزنی وخود را معالجه بریاضت نکنی اگرهزاران مرتبه برخلاف آن وساوس از باب مخالفت نفس رفتار و استقامت بخرج بدهی باز تاریشه کن نشود روح تو از آثار آنها که ارادههای بیجا است خالی نخواهد شد کما آنکه اگرخانه آتش بگیرد فرضاً فوراً هم خاموش گردد باز آثار دود در و دیوار وسقف باقی خواهد ماند یعنی خیالات غیر مشروع شیطانی اگر چه عملی هم نشود ولکن قلب را چرکین خواهد نمود همچنانکه در احادیث مذهبی وارد شده که از نیات غیر مشروع ولوعملی واراده هم نشود باید بقوه ایمان یعنی توحید نفس و تمرکز قوا جلوگیری نمود .

ورنه چون لطفت نماند وین جمال — از تو آید آن حریفان را ملال ۱ آن جماعت کت همی دادند ریو — چون به بینندت بگویندت که دیو
جمله گویندت چو بینندت بدر — مردهٔ از گور خود بر کرده سر ۲ همچو امرد که خدا نامش کنند — تا بدین سالوس در دامش کنند
چون بید نامی بر آمد ریش او — دیو را ننگ آید از تفتیش او ۳ دیو سوی آدمی شد بهر شر — سوی تو ناید که از دیوی بتر
تا تو بودی آدمی دیو از پیت — میدوید و میچشانید از میت ٤ چون شدی درخوی دیوی استوار — میگریزد ازتو دیو ای نابکار(۱)
آنکه اندر دامنت آویخت او ۵ چون چنین گشتی ز تو بگریخت او

در بیان تفسیر آیهٔ ماشاء الله کان وما لم یشاء لم یکن

این همه گفتیم لیك اندر بسیج — بی عنایات خدا هیچیم هیچ ۷ بی عنایات حق و خاصان حق — گر ملك باشد سیاهستش ورق
ای خدا ای قادر بی‌چندوچون — واقفی برحال بیرون و درون ۸ ای‌خدا ای فضل تو حاجت روا — با تو یاد هیچکس نبود روا
اینقدر ارشاد تو بخشیدهٔ — تا بدین بس عیب ما پوشیدهٔ ۹ قطرهٔ دانش که بخشیدی زپیش — متصل گردان بدریا های خویش
قطرهٔ علمست اندر جان من — وارهانش از هوا وز خاك تن ۱۰ پیش‌از آن کاین‌خاکها خسفش‌کنند — پیش‌ازآن‌کان بادها نشفش کنند
گرچه چون نشفش کند تو قادری — کش از ایشان واستانی واخری ۱۱ قطرهٔ‌کان درهوا شد یا که ریخت — از خزینهٔ قدرت تو کی گریخت
گر درآید در عدم یا صد عدم — چون بخوانیش‌او کند ازسر قدم ۱۲ صد هزاران ضدّ ضدّ را میکشد — بازشان حکم تو بیرون می کشد
از عدمها سوی هستی هرزمان — هست‌یارب‌کاروان‌در کاروان(۲) ۱۳ خاصه هرشب جمله افکار وعقول — نیست گردد جمله در بحر نقول
باز وقت صبح آن اللهیان — بر زنند از بحر سرچون ماهیان ۱٤ درخزان بین‌صدهزاران‌شاخ‌وبرگ — در هزیمت رفته در دریای مرگ
زاغ پوشیده سیه چون نوحه‌گر — در گلستان نوحه کرده برخضر ۱۵ باز فرمان آید از سالار ده — مر عدم را کانچه خوردی باز ده
آنچه خوردی واده ایمرگ سیاه — ازنبات و ورد و ازبرگ وگیاه ۱٦ ای برادر یکدم ازخود دورشو — با خود آی و غرق بحر نور شو
ای‌برادر عقل یکدم باخود آر(۳) — دمبدم در تو خزانست و بهار ۱۷ باغ دل را سبز و تر و تازه بین — پر ز غنچه ورد و سروویاسمین
ز انبهی برگ پنهان گشته شاخ — زانبهی گل نهان صحرا وکاخ ۱۸ این سخنهائی که ازعقل کل‌است — بوی‌آن گلزار وسرو وسنبل‌است
بوی گل دیدی‌که انجا گل نبود — جوش مل دیدی‌که انجا مل‌نبود ۱۹ بو قلاووز است و رهبر مر ترا — میبرد تا خلد وکوثر مر ترا(٤)
بو دوای چشم باشد نور ساز — شد زبوئی دیدهٔ یعقوب باز ۲۰ بوی بد مر دیده را تاری کند — بوی یوسف دیده را یاری کند
توکه یوسف نیستی یعقوب باش — همچو او باگریه و آشوب باش ۲۱ چون تو شیرین نیستی فرهادباش — چون نهٔ لیلی چو مجنون گردفاش

در بیان تفسیر قول حکیم سنائی قدس سره در این ابیات

نازرا روئی بباید همچو ورد — چون نداری گرد بدخوئی مگرد
زشت باشد روی نازیبا و ناز — سخت آید چشم نا بینا و درد

بشنو این پند از حکیم غزنوی — تا بیابی در تن کهنه نوی ۲۵ این رباعی‌را شنو ازجان ودل — تا بکل بیرون شوی از آب‌وگل
پند اورا از دل‌وجان‌گوش‌کن — هوش‌را جان سازوجان‌را هوش‌کن ۲٦ آن حکیم غزنوی شیخ کبیر — گفته است این پند نیکو یاد گیر
پیش یوسف نازش خوبی مکن — جز نیاز و آه یعقوبی مکن ۲۷ معنی مردن ز طوطی بد نیاز — درنیاز وفقر خودرا مرده ساز(۵)
تا دم عیسی ترا زنده کند — همچوخویشت خوب وفرخنده کند ۲۸ از بهاران‌کی‌شود سر سبز سنگ — خاك شو تاگل بروئی رنگ‌رنگ
سالها تو سنگ بودی دل خراش ۲۹ آزمون را یك زمانی خاك باش

داستان پیر چنگی که در عهد عمر برای خدا درگورستان چنگ میزد

دربیان این شنو یك داستان — تا بدانی اعتقاد راستان ۳۱ آن شنیدستی که در عهد عمر — بود چنگی مطربی باکرّ و فرّ
بلبل از آواز او بیخود شدی — یکطرب ز آواز خوبش صدشدی ۳۲ مجلس و مجمع دمش آراستی — وز نوای او قیامت خاستی
همچو اسرافیل کاوازش بفن — مردگانرا جان در آرد در بدن ۳۳ یار سایل بود اسرافیل را — از سماعش پر برستی فیل را
یا چو داود از خوشی نغمها — جان پراندی سوی بستان خدا ۳٤ سازد اسرافیل روزی ناله را — جان دهد پوسیدهٔ صد ساله را
اولیا را دردرون هم نغمها است — طالبان را زان‌حیات بی بها است ۳۵ نشنود آن نغمها را گوش حس — کز سخنها گوش حس باشد نجس
نشنود نغمهٔ پری را آدمی — کوبود ز اسرار پریان اعجمی ۳٦ گرچه هم نغمهٔ پری زین عالمست — نغمهٔ دل برتر از هر دو دمست

---

(۱) چون انسان ذاتاً بین رحمان وشیطان و ملك و جن و صفات نفسانی و صفات عقلانی خلقت شده وهریك از آن دو دارای یك جهت هستند پس انسان باین دو جهت خود روی بهر یك از آن دو طرف بیاورد و متمکن دریکی از آن دو (رحمانی یا شیطانی) بشود البته از آن دو در خواهد گذشت واین یکی از اسرار امتیاز انسان در خلقت‌است که بمثل « علی (ع) » و « محمد (ص) » ازجبرئیل‌در میگذرد. وبعضی مخالفین این دو از شیطان (۲) بدانکه مقصود عدم محض نیست بلکه برحسب دو مثالی‌را که شاهد آورده یاظهور وبطون است‌یا کمون و بروز ویانسبت بمثال اول اول و نسبت بدوم دویم است چه عدم محض قابل ایجاد اشیاء از او نیست. (۳) یعنی اگر بچشم عقل ملکوتی نظر بحقائق‌شود خزان و بهار یعنی خیرات و شرور را در هر موجودی تمیز داده خیرات مناسب حال خودرا از هر شیئی (ولوبظاهر شر باشد نتیجهٔ عقلانی ملکوتی) خواهد برد. (٤) یعنی‌تمیز حق وباطل وصدق وکذب دراول مرتبه برای هرطالبی باستشمام حق است مشروط باینکه بینی وجدان و عقل ملکوتی او طبعاً یا اختیاراً مذکوم بحبّ وبغض واخلاق رذیله نباشد . (۵) این چند بیت اشاره بآن است که هر حسی از حواس همچنان که مخصوص باحساس‌محسوسات خود است (یعنی هیچ‌حسی نمیتواند محسوسات دیگری را احساس نماید) حقائق ملکوتی‌را هم (بغیر از حس مخصوص بخود آن حقائق که حس بعد از تصفیه و حس توحید نفس بتحصیل ملکهٔ جمع حواس است) هیچ حسی از حواس ظاهره و باطنهٔ دیگر بادراکات آن حقائق در درون اولیاء و درون عالم نائل نخواهد شد همچنانکه ما نغمات و صدای پری و جن و ملائکه را برای عدم سنخیت ادراك نمیشنویم در حالتی‌که آیات انفسی پری وجن‌که قوهٔ خیال و واهمه درمغز هرآدمی است موجود است

که پریّ و آدمی زندانیند — هر دو در زندان این نادانیند ۱ معشرالجن سورهٔ رحمن بخوان — تستطیعوا تنفذوا را باز دان
⊛سورةالرحمن بخوان‌ای مبتدی — تا شوی بر سرّ پریان مهتدی ۲ ⊛ کار ایشانست زآن سوی‌پری — گرددت روشن چو جوئی‌رهبری
نعمهای اندرون اولیا — اوّلا گوید که ای اجزای‌لا(۱) ۳ هین زلای نفی سرها برزنید — وین خیال و وهم یکسو افکنید
ای همه پوسیده در کون وفساد — جان باقیتان نروئید و نه زاد ٤ گر بگویم شمهٔ زان زخمها — جانها سر بر زنند از دخمها
گوش را نزدیك کن کان دورنیست — لیك نقل آن بتو دستور نیست ٥ هین که اسرافیل وقتند اولیا — مرده را زایشان حیاتست‌ونما(۲)
جانهای مرده اندر گورتن — بر جهد ز آوازشان اندر کفن ٦ گوید این آواز زآواها جداست — زنده کردن کار آوازخداست(۳)
⊛ چون بصورت اولیا آگه‌شوند — از طرب گویند چون با ره شوند ۷ ما بمردیم و بکلی کاستیم — بانگ حق آمد همه بر خاستیم
بانگ حق‌اندرحجاب وبی حجیب — آن دهد کو داد مریم رازجیب ۸ ای فناتان‌نیست کرده زیرپوست — باز گردید از عدم‌ز آواز دوست
مطلق آن آواز خود از شه بود — گرچه از حلقوم عبدالله بود ۹ گفت او را من زبان وچشم تو — من حواس و من رضا و خشم تو

در بیان تفسیر من کان للّه کان‌الله له و بیان آن

روکه بی یَسمع و بی یَبصر توئی — سرتوئی چه‌جای‌صاحب سر توئی ۱۱ چون شدی من‌کان لِله از وَ له — حق ترا باشد که کان اللهُ له(٤)
گه توئی گویم ترا گاهی منم — هر چه گویم آفتاب روشنم ۱۲ هر کجا تابم ز مشکاتت دمی — حل شد آنجا مشکلات عالمی
هر کجا تاریکی آمد ناسزا — از فروغ ما شود شمس الضحی ۱۳ ظلمتی را کافتابش برنداشت — ازدم ما گردد آن‌ظلمت چوچاشت
آدمی را او بخویش اسما نمود — دیگران را ز آدم اسما می‌گشود ١٤ آب خواه ازجو بجو خواه ازسبو — کاین سبو را هم مدد باشد ز جو
نور خواه‌ازمه طلب‌خواهی ز خور — نور مه هم ز آفتابست ای‌پسر ۱٥ مقتبس شو زود چون یابی نجوم — گفت پیغمبر که اصحابی نجوم
خواه ز آدم گیر نورش خواه ازو — خواه ازخم گیر می‌خواه از کدو ۱٦ کاین کدو باخم بپیوستست سخت — نی چو توشاد آن کدوی نیك‌بخت
گفت طوبی من رآنی مصطفی — والذی یبصر لمن وجهی رای ۱۷ چون چراغی نور شمعی را کشید — هرکه دید اورا یقین آن شمع دید
همچنین تاصد چراغ ار نقل‌شد — دیدن آخر لقای اصل شد ۱۸ خواه از نور پسین بستان توان — هیچ فرقی‌نیست خواه ازشمع دان
⊛خواه نور ازاولین‌بستان بجان — خواه از نور پسین فرقی مدان ۱۹ خواه بین نور از چراغ آخرین — خواه‌بین نورش زشمع غابرین(٥)

در معنی حدیث انّ لربکم فی ایام دهرکم نفحات الا فتعرّضوا لها

گفت پیغمبر که نفحتهای حق — اندر این ایام می آرد سبق ۲۱ گوش وهش دارید این اوقات‌را — در ربائید این چنین نفحات را
نفحهٔ آمد شما را دید و رفت — هرکه‌رامیخواست‌جان‌بخشید ورفت ۲۲ نفحهٔ دیگر رسید آگاه باش — تا ازاین هم وانمانی خواجه تاش
جان آتش یافت زان آتش کشی — جان مرده یافت از وی جنبشی ۲۳ جان ناری یافت از وی انطفا — مرده پوشید از بقای او قبا
تازگی و جنبش طوبیست این — همچوجنبشهای‌خلقان نیست‌این(٦) ۲٤ گر در افتد در زمین و آسمان — زهر هاشان آب گردد در زمان
خود ز بیم این دم بی منتهی — باز خوان فا بینَ اَن یحملنها ۲٥ ورنه خود اشفقن منهاچون بُدی — گر نه ازبیمش دل که خون‌شدی
دوش دیگرگونه این میداد دست — لقمهٔ چندی در آمد ره ببست ۲٦ بهر لقمه گشته لقمانی گرو — وقت لقمانست ای لقمه برو
از هوای لقمهٔ این خار خار — از کف لقمان برون آرید خار ۲۷ درکف او خار وسایه‌اش‌نیزنیست — لیکتان از حرص آن تمیز نیست
خار دان آنرا که خرما دیدهٔ — زانکه بس نان‌کور و بس نادیدهٔ ۲۸ جان لقمان که گلستان خداست — پای جانش خستهٔ خاری چراست
اشتر آمد این وجود خار خوار — مصطفی‌زادی براین‌اشترسوار(۷) ۲۹ اشترا تنگ گلی برپشت تست — کز نسیمش در توصدگلزار رست
میل تو سوی مغیلانست و ریگ — باچه‌گل چینی ز خار مرده ریگ ۳۰ ای بگشته زین طلب تو کو بکو — چند گوئی آن گلستان کو و کو
پیش‌ازآن کاین‌خار پابیرون کنی — چشم تاریکست جولان چون‌کنی ۳۱ آدمی کومی نگنجد در جهان — درسرخاری همی گردد نهان(۸)

---

(۱) مقصود از اجزای لا منفی بودن جهات خلقیه است که در انظار خود خلائق برای شعبدهٔ خیال مثبت و در انظار اولیاء برای تمرکز خیال منفی مینماید کمااینکه در بیت بعد فرموده‌که مبدأ اشتباه همین قوهٔ خیال و واهمه است. (۲) بدانکه ارواح انسانی پنج مرتبه (روح النبات، روح الحیوان، روح الانسان، روح الایمان، روح القدس که این سه روح اخیر از ارواح ملکوتی‌است) دارد پس مقصود از مرده زنده کردن اولیاء این دو روح اخیر است که بروح الایمان تأثیر حرارت ایمانی وبروح القدس تأثیر اشعهٔ معارف انوار الهی را مینمایند. (۳) یعنی آواز اولیاء بتمرکز قوا قوه ایجادی برای خلاقیت روح الایمان در هرکس‌که بخواهند پیداکرده. (٤) مقصود از این دو بیت قصد قربت اولیاءالله است که چون هرچه میکنند و میگویند برای خدا است واز خود هیچ اختیاری در هیچ‌کاری ندارند بلکه در تمام کارها دست‌آنها بحواس‌ظاهره و باطنه آنها بیکار ودست خداوند آنها بعنوان اسماء وصفاتش (از اراده و قدرت و علم و تکلم و چشم و گوش وحیات ازلی) در آنها درکار است بمثل آهن که قرب بآتش یافته همه صفات آتش در او یافت میشود یا بمثل کواکب بی نور که ازنور خورشید درآنها یافت شده نمایش روشنائی درشب تار بعنوان خلافت از خورشید میدهند. (٥) این چند بیت بالا اشاره بآنست که عقول انبیاء بمثل چراغ یك شمعی و دوشمعی و سه شمعی و هزار شمعی و صد هزار شمعی و هکذا تا برسد به نجوم و خورشید چون متنور بانوار الهیه برای قرب معنوی‌که دارند شدند پس از هرکدام آنها که طلب روشنائی بنمائی گویا ازخود خداوند طلب روشنائی حقیقتاً نمودی تا برسد بچراغ عقل و وجدان ولو یك شمعی باشد چه این چراغ آخرین چراغ یگانه وحجت مسلم درعالم برای هربنی‌آدمی‌است‌که پیغمبر باطنی‌او است. (٦) جنبش معنوی بمثل جنبش افکار است که محسوس بحواس ظاهر نیست. (۷) مقصود از مصطفی زادی یا رادی چند معنی دارد کریم و جوان مرد شجاع و حکیم و بذال معجمه و بعضی از این معانی آمده و بعضی برای معجمه خوانده و اشاره بحدیث «امام حسن (ع)» گرفتند که بر گردن پیغمبر سوار میشده است. (۸) این دلیل سعهٔ وجودی انسان است که در عین آنکه در مقام علو روحی ازعرش معنوی میگذرد درمراتب بدنیه از هرخواری وناکامی و نامرادی باندك تصادمی متألم میشود (گهی برطارم اعلا نشینم گهی تاپیش پای خود نبینم)

مصطفی آمد که سازد همدمی — کلمّینی یا حمیرا کلمی (۱) ۱ ای حمیرا اندر آتش نه تو نعل — تاز نعل تو شود این کوه لعل
این حمیرا لفظ تانیث است وجان — نام تانیثش نهند این تازیان(۲) ۲ لیك از تانیث جان را باك نیست — روح را بامرد وزن اشراك نیست
از مؤنث واز مذکر برتراست — این نه آن جانست کز خشك وتراست ۳ این نه آن جانست کانزاید ز نان — یا گهی باشد چنین گاهی چنان(۳)
خوش کنندست وخوش وعین خوشی — بیخوشی نبود خوشی ای مرتشی(٤) ٤ چون تو شیرین ازشکرباشی بود — کان شکر گاهی ز توغایب شود
زهر محضست آنکه باشد بیوفاء — هب لنا یا ربّنا نعم الوفاء ٥ چون شکر گردی ز تأثیر وفا — پس شکر کی از شکر باشد جدا
عاشق ازحق چون غذا یابد رحیق — عقل آنجا گم شود گم ای رفیق ٦ عقل جزوی عشق را منکر بود — گرچه بنماید که صاحب سر بود(٥)
زیرك ودانا است امّا نیست نیست — تا فرشته لا نشد اهریمنی است ۷ او بقول و فعل یار ما بود — چون بحکم حال آئی لا بود
لابود چون اونشد ازهست نیست — چونکه طوعاً لانشد کرهاً بسی است ۸ جان کمالست و ندای او کمال — مصطفی گویان ارحنا یا بلال(٦)
ای بلال افراز بانگ سلسلت — زان دمی کاندر دمیدم در دلت ۹ ای بلال ای گلبنت را جان سپار — خیز و بلبل وار جان میکن نثار
زان دمی کآدم ازآن مدهوش شد — هوش اهل آسمان بیهوش شد ۱۰ مصطفی بیخویش شد زان خوب صوت — شد نمازش در شب تعریس فوت
سر ازآن خواب مبارك برنداشت — تا نماز صبحدم آمد بچاشت ۱۱ در شب تعریس پیش آن عروس — یافت جان پاك ایشان دست بوس
عشق وجان هردو نهانند و ستیر — گر عروسش خوانده ام عیبی مگیر ۱۲ از ملال یار خامش کردمی — گر همو مهلت بدادی یك دمی
لیك میگوید بگو هین عیب نیست — جز تقاضای قضای غیب نیست ۱۳ عیب باشد کو نه بیند جزکه عیب — عیب کی بیند روان پاك غیب (۷)
عیب شد نسبت بمخلوق جهول — نی به نسبت با خداوند قبول(۸) ۱٤ کفر هم نسبت بخالق حکمت است — چون بمانسبت کنی کفر آفت است
ور یکی عیبی بود با صد صفات — بر مثال چوب باشد در نبات ۱٥ در ترازو هردو را یکسان کشند — زانکه آن هردو چو جسم وجان خوشند
پس بزرگان این نگفتند ازگزاف — جسم پاکان همچو جان افتاد صاف ۱٦ گفتشان و فعلشان و ذکرشان — جمله جان مطلق آمد بی نشان
جان دشمن دارشان جسمیست صرف — چون زیاد از نزد او اسمیست صرف ۱۷ آن بخاك اندر شد وکل خاك شد — این نمك اندر شد وکل پاك شد
آن نمك کز وی محمد املح است — زان حدیث با نمك او افصح است ۱۸ این نمك باقیست از میراث او — با تو اند آن وارثان او بجو
پیش تو شسته ترا خود پیش کو — پیش هستت جان پیش اندیش کو ۱۹ گر تو خودرا پیش وپس کردی گمان — بستهٔ جسمی و محرومی ز جان
زیر وبالا پیش وپس وصف تنست — بی جهتها زاین جان روشن است ۲۰ بر گشا از نور پاك شه نظر — تا نپنداری توچون کوته نظر
که همینی در غم وشادی و بس — ای عدم کو مر عدم را پیش وپس ۲۱ ازوجود واز عدم گر بگذری — از حیات جاودانی بر خوری
روز بارانست میرو تا بشب — نی از این باران ازآن باران رب ۲۲ هست بارانها جزاین باران بدان — که نبینند ورا جز چشم جان
چشم جان را پاك کن نیکو نگر — ۲۳ تا از آن باران عیان بینی خضر

سؤال کردن عایشه از پیغمبر (ص) که باران شد و جامهٔ تو ترنگشت و جواب آنجناب

مصطفی روزی بگورستان برفت — با جنازهٔ یاری از یاران برفت ۲٥ خاك را در گور او آکنده کرد — زیرخاك آن دانه اش رازنده کرد
این درختانند همچون خاکیان — دستها برکرده اند از خاکدان ۲٦ سوی خلقان صد اشارت میکنند — وانکه گوشستش عبارت میکنند
تیزگوشان راز ایشان بشنوند — غافلان آواز ایشان نشنوند ۲۷ با زبان سبز و با دست دراز — از ضمیر خاك میگویند راز

---

(۱) اینهم یك دلیل سعهٔ وجود خاتم انبیاء است که وافی و قادر بهر دو قوهٔ ملکی و ملکوتی و دنیوی و اخروی و جسمی و روحی بقسمی بوده که شهوت رانی او با زوجات نه گانه مخصوصاً باعایشه بعلاوه آنکه مانع از ملکوت او نبوده مؤید هم بوده چه توسعه روح سالم در توسعه تکمیل وتقویت قوای بدنیّه است والا بمثل بعضی از انبیاء که رهبانیت اختیار کرده وترك زن گرفتن بکلی نمودند یابابد ناقص الخلقه باشند یا ضیق وجودی بقسمی داشتند که نتوانستند بمثل حضرت عیسی (ع) جمع بین قوای شهوت و غضب بموقع و درمحل خود با حفظ مقام ملکوتی بنمایند در حالتیکه مقصود ازخلقت آدم در دنیا آنست که باحفظ قوای شهوت کار وحدت کند. (۲) بمثل آنکه ذات اقدس خداوند با آنکه نه مذکراست ونه مؤنث ولکن بمناسبت قوّه فاعله و مؤثره که صفت مردان است در قرآن و اخبار و کتب حکمت و عرفان ضمیرهای مذکر و مرد باو اشاره بمثل هووانت مینمایند. (۳) یعنی چون ذات جان مجرد محض وبی علاقه بمادّیات بدنیه است پس بقوت وضعف بدن تقویت و ضعف پیدا نمیکند سپس این قوت وضعفی که میگویند روح سالم درتن سالم و روح مریض درتن مریض کما آنکه محسوس ومسلم است از جهت آثار روح وتعلق فعلی وصفاتی روح ببدن است نه ازجهت ذات مجرّد که نهایت وصول و آرزوی مرتاضین برسیدن باین جان مجرّد بوسیلهٔ تمرکز قواست که ابداً موقوف بمادیات و احتیاج ببدنیات نداشته و متأثر وکم وزیاد از کم و زیاد مادیات نمیشود پس همه اشتباهات مادّیون از انکار جان مجرد اشتباه تعلق و آثار اواست بخود او . (٤) مقصود از این خوشی خوشی حقیقی خالصی است که فوقاً اشاره شد که چون ذات جان فوق الذکر ملایم ترین هر موجودی بصاحب جان است و هیچ خوشی نیست مگر بادراك ملایم پس ادراك شهودی این جان بملکهٔ جمع حواس وتوحید نفس که نزدیکترین ملایمات است بالاترین خوشیهای دنیا وآخرت بلکه روح همه خوشیهاست کما اینکه غفلت از این جان روح همه ناخوشیها است . (٥) مقصود ازعقل جزئی یا عقل معاشی یا عقول فلاسفه مادی یا عقل تمام عقلا و علما و حکمای قبل از تذکیه نفس است. (٦) اشاره بتعریف حکما مرنفس را (بکمال اول لجسمٍ آلی) میباشد (۷) بمثل اینکه حواریون بحضرت عیسی (ع) راجع بمنظرهٔ زشت سگ مردهٔ که گوشتهای صورت اوگندیده وریخته بود عرض کردند که چقدر زشت است صورت این سگ حضرت عیسی فرمود (انظروا ما ابیض اسنانه) یعنی اگر عیب درشما نیست چرا تجسس نکردید که دندانهای سفید او رامشاهده کنید نه کراهت منظرهٔ اورا پس تا درانسان عیب نباشد نظر بمعایب خلق نمیکند بلکه میگردد تا محسناتش را بیابد. (۸) بدانکه این دوبیت بالا و هشت بیت پائین دو بیان تحقیقی دارد (اول) آنکه خلقت اشرار و معاصی آنان و ناملایمات روزگار اگرچه نسبت باهلش ناملایم و شرّ است ولکن نسبت بنظام احسن خلقت همه از روی حکمت ولازمهٔ خلقت است (دوم) هرعیبی که از معیوب صادر شود البته عیب است ولکن عین آن عیب اگر از شخص کامل صادر شود برای او عیب نخواهد بود بمثل اینکه خاتم انبیا هم شیطان دارد ولکن شیطان او برای اوعیب نیست چون تسلیم اوست بلکه معایب انبیاء و اولیا نسبت بخداوند منزّه از عیب است نه نسبت بما چه معایب آنان که نواقص امکانی است اگرچه بمثل قدری سرکه مستهلك در دریا باشد موجود است ولکن نمودار و منشاء اثر نیست .

همچو بطان سر فرو برده بآب / گشته طاوسان وبوده چون غراب ۱ در زمستان‌شان اگر محبوس کرد / آن غرابان را خدا طاوس کرد
در زمستانشان اگرچه داد مرگ / زنده‌شان کرد از بهارو دادبرگ ۲ منکران گویند خودهست این‌قدیم / این چرا بندیم بر ربّ کریم
جمله پندارندکاین خوددائم است / واز قدم این جمله عالم قائم است ۳ کوری ایشان درون دوستان / حق برویانید باغ و بوستان
هر گلی کاندر درون بویا بود / آن گل از اسرارکل گویا بود ۴ بوی ایشان رغم انف منکران / گرد عالم میرود پرده دران
منکران همچون جعل زان بوی گل / یا چو نازك مغز در بانگ دُهل ۵ خویشتن مشغول میسازند و غرق / چشم میدوزند از لمعان برق
چشم میدزدند و آنجا چشم نی / چشم آن باشد که بیند مأمنی ۶ چون ز گورستان پیمبر بازگشت / سوی صدّیقه شد و همراز گشت
چشم صدّیقه چو بر رویش فتاد / پیش آمد دست بر وی مینهاد ۷ برعمامه و روی او وموی او / بر گریبان و برو بازوی او
گفت پیغمبر چه میجوئی شتاب / گفت باران آمد امروز ازسحاب ۸ جامه‌هایت می بجویم در طلب / تر نمی بینم ز باران ای عجب
گفت چه برسرکشیدی از ازار / گفت کردم آن ردای تو خِمار ۹ گفت بهر آن نمود ای پاك‌جیب / چشم پاکت را خدا باران غیب
نیست آن باران از این ابر شما / هست ابری دیگر و دیگر سما ۱۰ این چنین باران ز ابردیگر است / رحمت‌حق در نزولش مضمراست
۱۱ ❁بشنو از قول سنائی در رموز / معنئی تا واقف آئی بر کنوز

تفسیر بیت حکیم سنائی

آسمانهاست‌درولایت‌جان / کار فرمای آسمان جهان / دزره روح پست‌وبالاهاست / کوههای‌بلند وصحراهاست

❁گر تو بگشائی ز باطن دیدهٔ / زود یابی سرمهٔ بگزیدهٔ ۱۴ ❁پیردانا اندر این رمزی‌که گفت / درحقیقت زین صدف درّی‌بسفت
غیب را ابریّ و آبی دیگر است / آسمان و آفتابی دیگر است ۱۵ ناید آن الاّ که برخاصان پدید / باقیان فی لبس من خلقٍ جدید
هست باران از پی پژمردگی / هست باران از پی پروردگی ۱۶ نفع باران بهاران بوالعجب / باغ را باران پائیزی چوتب
آن بهاری ناز پروردش کند / وین خزانی ناخوش وزردش کند ۱۷ همچنین سرما و باد و آفتاب / بر تفاوت دان وسر رشته بیاب
همچنین درغیب انواع است این / در زیان‌وسود ودررنج وغبین(۱) ۱۸ این دم ابدال باشد زان بهار / دردل وجان‌روید ازوی‌سبزه‌زار
فعل باران بهاری با درخت / آید از انفاسشان با نیکبخت (۲) ۱۹ گردرخت خشك باشد در مکان / عیب آن از باد جان افزا مدان
باد کار خویش کرد وبر وزید / آنکه جانی داشت برجانش گزید ۲۰ ❁وانکه‌جامد بودخود واقف نشد / وای آن جانی‌که او عارف نشد
۲۱ ❁ قول پیغمبر شنو ای جان‌من / دور کن از خویشتن انکار وظنّ

درمعنی حدیث اغتسموا بردالربیع فانه یعمل بابدانکم کما یعمل باشجارکم واجتنبوا بردالخریف فانه یعمل بابدانکم کما یعمل باشجارکم

گفت پیغمبر ز سرمای بهار / تن مپوشانید یاران زینهار ۲۴ ❁ زانکه با جان شما آن میکند / کان بهاران با درختان میکند
❁پس‌غنیمت باشد آن سرمای او / درجهان بر عارفان وقت جو ۲۵ ❁ در بهاران جامه‌از تن‌برکنید / تن برهنه جانب گلشن روید
لیك بگریزید از برد خزان / کان کند کان کرد با باغ ورزان ۲۶ راویان این را بظاهر برده‌اند / هم برآن صورت قناعت کرده‌اند
بیخبر بودند از سِرّ آن گروه / کوه را دیده ندیده کان بکوه ۲۷ آن‌خزان نزد خدانفس‌و هواست / عقل وجان‌عین بهار است وتقاست
گر ترا عقلیست جزوی در نهان / کامل العقلی بجو اندر جهان ۲۸ جزو تو از کل او کلی شود / عقل‌کل برنفس‌چون غلی‌شود(۳)
پس بتأویل آن بودکانفاس پاك / چون بهارست‌وحیات‌برگ و تاك ۲۹ از حدیث اولیا نرم و درشت / تن‌مپوشان زانکه دینت‌راست‌پشت
گرم گوید سرد گوید خوش بگیر / تاز گرم و سرد بجهی وز سعیر ۳۰ گرم و سردش نوبهار زندگیست / مایهٔ صدق و یقین و بندگیست
زانکه زان‌بستان جانهازنده است / زان‌جواهر بجردل‌آکنده است ۳۱ بردل عاقل هزاران غم بود / گر ز باغ دل خلالی کم شود

پرسیدن عایشه که یا رسول‌الله سرّ باران امروز چه بود

پس سؤالش کرد صدیقه زصدق / با خشوع وبا ادب ازجوش عشق ۳۳ کای‌خلاصهٔ هستی وزبدهٔ وجود / حکمت باران امروزین چه بود

---

(۱) یعنی آنچه درسلسلهٔ عرضیات یعنی زمانیات و مکانیات مادیه ازمنظومهای شمسیه وکهکشان و ماه و سال وشب و روز وفصول چهارگانه وموالید خلقت جمادات ونباتات وحیوانات وعناصرومواد ومانند اینها اززمین وآسمان‌موجوداست همه در سلسلهٔ طولیات یعنی درماوراء الطبیعه عالم ارواح و عقول که در غیب این عالم است بنحو اعلا موجود است بطوریکه افهام و عقول اهل دنیا بآنها نرسیده چه تا بحواس مناسب با آنها که بتمرکز این حواس مادی حاصل میشود نرسند محال است که حقائق آنها را بآنطوریکه در آنجا است ادراك نمایند لذا در بیت متصل باین بیت تعبیر بابدال از مدرکین آنها نموده چه معنویات وحقائق را باصور و خیال مناسبتی نیست . (۲) چه تأثیر انفاس صاحبان نفوس قویه فقط بقوه تمرکزاست .

(۳) بدانکه معانی لغوی عقل بقدری زیاد و مختلف است که نمیتوان قدر مشترکی برای آنها فرض کرد مگر در معنی بستن که بعضی گفتند اکثر معانی عقل بمعنی بستن و عِقال است ولکن باصطلاح عامهٔ مردم عقل را بادراکات انسانی‌که ممتاز از هرحیوانی است اطلاق میکنند وگاهی بر اخلاق معتدله نام عقل مینهند وگاهی بقوهٔ فراست و زرنگی وجودت و فطانت و سیاست نام عقل مینهند ولکن عرفا یکی از مراتب هفتگانهٔ انسان را (ازبدن ونفس و روح وعقل وسر وخفی و اخفی) نام عقل مینهند کما آنکه حکما از مراتب نفس انسانی بعقل بالقوه و عقل بالملکه و عقل بالفعل و عقل فعال تعبیر مینمایند و اما الهیون از نفس مجردکه ذاتاً وفعلا مجرد شده باشد تعبیر بعقل میکنند ولکن همهٔ این اقسام یکطرف و مقصود ازانبیاء و اولیاء که مطابق مقصود مولوی از عقل در این دو بیت است یکطرف چه مقصود مولوی از کامل العقل عبارتست از اینکه بتواند دنیا را بیك طوری اداره وجمع آوری کند که نتیجهٔ آخرت و علم الروح وصفای قلب و توحید نفس را بملکهٔ جمع حواس تحصیل کند کما آنکه در اصول‌کافی از حضرت صادق (ع) وارد است (العقل ما عبد به‌الرحمن و اکتسب به‌الجنان) و مخفی نماند که در مقابل این عقل مذکور علمای سوء وعقلای نفسانی هستند که بتدبیر عقل خود آخرت رابرعکس فوق بطوری گرفتند که نتیجهٔ دنیا راکاملا از احکام دیانتی تحصیل مینمایند و تمیز بین این دو عقل برای مجالست و اطاعت که مولوی توصیه در این چند بیت نموده خیلی مشکل است .

این ز بارانهای رحمت بود یا — بهر تهدید است و عدل کبریا ۱ این از آن لطف بهاریات بود — یا ز پائیزی پر آفات بود
گفت این از بهر تسکین غمست — کز مصیبت بر نژاد آدمست ۲ گر بر آن آتش بماندی آدمی — بس خرابی او فتادی و کمی
اینجهان ویران‌شدی اندر زمان — حرصها بیرون شدی از مردمان ۳ استن‌این عالم‌ای‌جان غفلت‌است — هوشیاری‌این جهانرا آفت‌است(۱)
هوشیاری زان جهانست و چو آن — غالب آید پست گردد این جهان ۴ هوشیاری آفتاب و حرص یخ — هوشیاری آب واین عالم وسخ
زان جهان اندك ترشح می‌رسد — تانخیزد زین‌جهان‌حرص‌وحسد(۲) ۵ ور ترشح بیشتر گردد ز غیب — نی هنرماند در این عالم نه عیب
این ندارد حد سوی آغاز رو ۶ سوی قصه مرد چنگی باز رو

بقیه قصهٔ پیر چنگی در زمان عمر و مخلص آن

مطربی کز وی جهان بدپرطرب — رسته ز آوازش خیالات عجب ۸ ازنوایش مرغ دل پران شدی — وزصدایش‌هوش جان‌حیران‌شدی
چون برآمد روزگار و پیر شد — بازجانش از عجز پشه گیر شد ۹ باز چه گر پیل باشد بیگمان — پشه‌اش سازد ضعیف و ناتوان
پشت اوخم‌گشت همچون‌پشت خم — ابروان بر چشم همچون پار دم ۱۰ گشت آواز لطیف جانفراش — ناخوش ومکروه‌وزشت ودلخراش
آن نوا که رشك زهره آمده — همچو آواز خر پیری شده ۱۱ خودکدامین‌خوش‌که آن‌ناخوش‌نشد — یا کدامین سقف کان مفرش نشد
غیر آواز عزیزان در صدور — که‌بودازعکس دمشان نفخ‌صور(۳) ۱۲ آن‌درونی‌کاین‌درونهامست‌ازاوست — نیستی‌کاین‌هستهامان هست‌ازاوست
کهربای فکر و بهر آواز از او — لذت الهام و وحی وراز از او ۱۳ چونکه‌مطرب پیرترگشت وضعیف — شد ز بی‌کسبی رهین یك رغیف
گفت عمر و مهلتم دادی بسی — لطفها کردی خدایا با خسی ۱۴ معصیت ورزیده‌ام هفتاد سال — باز نگرفتی ز من روزی نوال
نیست کسب امروز مهمان توأم — چنگ بهر تو زنم کآن توام ۱۵ چنگ را برداشت شد الله جو — تا بگورستان یثرب آه گو
گفت از حق خواهم ابریشم بها — کو بنیکوئی پذیرد قلب ها ۱۶ چنگ زد بسیار و گریان سرنهاد — چنگ بالین کرد و برگوری فتاد
خواب‌بردش‌مرغ‌جانش‌ازحبس‌رست — چنگ وچنگی را رها کرد وبجست ۱۷ گشت آزاد از تن و رنج جهان — در جهان ساده و صحرای جان
جان او آنجا سرایان ماجرا — کاندر اینجا گر بماندندی مرا ۱۸ خوش بدی‌جانم ازاین باغ وبهار — مست این صحرای غیب لاله‌زار
بی پر و بی پا سفر میکردمی — بی‌لب ودندان شکرمیخوردمی(۴) ۱۹ ذکر وفکری فارغ از رنج دماغ — کردمی با ساکنان چرخ لاغ
چشم بسته عالمی می‌دیدمی — ورد و ریحان بی کفی میچیدمی ۲۰ مرغ آبی غرق دریای عسل — عین ایوبی شراب مغتسل
که بدو ایوب از پا تا بفرق — پاك شد از رنجها چون‌نور شرق ۲۱ گربوداین‌چرخ ده‌چندین‌که‌هست — نیست نزد آن‌جهان‌جزتنگ وپست
مثنوی درحجم اگربودی‌چوچرخ — در نگنجیدی در آن جزنیم برخ ۲۲ کان زمین و آسمان بس فراخ — کرد از تنگی دلم را شاخ شاخ
و این جهانی کاندراین‌خوابم نمود — از گشایش پر و بالم را گشود ۲۳ آن جهان و راهش ارپیدا بدی — کم کسی یك لحظه دراینجا بدی
امر می آمد که هین طامع مشو — چون ز پایت خاربیرون شد برو ۲۴ مول مولی میزد آنجا جان او — در فضای رحمت و احسان او

در خواب‌گفتن هاتف باعمر که چندین زر ازبیت‌المال بان مرد ده‌که در گورستان خفته است

آن زمان‌حق برعمرخوابی گماشت — تاکه‌خویش‌ازخواب‌نتوانست‌داشت ۲۶ درعجب افتاد کاین معهود نیست — این ز غیب افتاد بی‌مقصود نیست
سرنهاد وخواب بردش خواب‌دید — کامدش از حق ندا جانش شنید ۲۷ آن ندا که‌اصل هربانگ ونواست — خودندا آنست واین‌باقی صداست
کرد و ترك وزنگ وتاجیك‌وعرب — فهم‌کرده آن ندا بی گوش و لب ۲۸ خودچه‌جای‌ترك‌وتاجیك‌است‌وزنگ — فهم‌کرداست‌آن‌ندارا چوب وسنگ
هردمی از وی همی آید الست — جوهر واعراض میگردند مست(۵) ۲۹ گر نمیآید بلی ز ایشان ولی — آمدنشان از عدم باشد بلی
آنچه‌گفتم زآگهی سنگ وچوب — ۳۰ در بیانش قصهٔ هشدار خوب

نالیدن ستون حنانه از فراق پیغمبر علیه‌السلام که جماعت انبوه شدند که ما روی مبارك ترا چون بر آن نشستهٔ نمی بینیم وعنبرساختند وشنیدن رسول خدا (ص) ناله ستون را بصریح ومکالمان آنحضرت باآن

استن حنانه از هجر رسول — ناله میزد همچو ارباب عقول ۳۳ در میان مجلس وعظ آنچنان — کزوی‌آگه گشت‌هم پیر وجوان
درتحیر مانده اصحاب رسول — کزچه مینالدستون باعرض وطول ۳۴ گفت‌پیغمبر چه خواهی ای‌ستون — گفت جانم از فراقت گشت خون
ازفراق تومراچون سوخت‌جان — چون ننالم بیتو ایجان جهان ۳۵ مسندت من بودم از من تاختی — بر سر منبر تو مسند ساختی
پس‌رسولش‌گفت‌کای‌نیکو درخت — ای شده با سر تو همراز بخت ۳۶ گر همی خواهی ترا نخلی کنند — شرقی و غربی ز تو میوه چنند

---

(۱) بدانکه مضامین این چهار بیت امثال زیاد دارد که یکی‌از آنها را بنام بازی شطرنج و نرد ذیلا اشاره مینمائیم که در عین آنکه قمار باز از روی اختیار وعلم و فکر ودقت و تدبیر از اول تا بآخر بازی میکند باز عاقبت‌کار را دربرد وباخت نمیداند و عجب آنست‌که صلاح احدی هم نیست که بداند و الاحاضر برای بازی یعنی هیچ کاری نمیشود و کار های قمار خانهٔ خلقت معوق خواهد ماند پس‌ستون قمار خانهٔ عالم طبیعت غفلت بندانستن عاقبت کار است تا آنکه هرکسی بخیال و امید منافع دویده و حرص زده وکار بکند تا دنیا آباد شود . (۲) یعنی اگرچه گاه گاهی عاقبت بعضی ازکارها برای بعضی بتدبیر صحیح از عالم غیب در افکار آنان ریزش مینماید ولکن اگر خوب ملاحظه شود معلوم گردد که این هم برای اغفال و تطبیع ارباب فکر و دیگران است که بخیال اینکه چند مرتبه بتدبیر عاقبت‌کار خود را مطابق واقع دانسته و نتیجه‌گرفته بهمان خیال و امید باز دویده و بخت و اتفاق و تصادف را ملاك حقائق دانسته و دیگران هم بحس رقابت تدبیر کار های او را ملاك کارهای خود دانسته بامید و خیال باندازهٔ حرص منافع شخصی زده بدوند تادنیا باین احوال بهتر از بهتر اداره شود .(۳) یعنی صاحبان عزت نفس بتحصیل ملکهٔ جمع حواس و توحید نفس قوهٔ فاعله و ایجادی درکلمات یافته‌اند که بهرکس باتمرکز قوا هر چه بگویند فوراً ایجاد بانفاس پاك خود مینمایند . (٤) همانطور که درحالت مستی‌که تمام حواس و سلولهای اعضا تعطیل است بدون هیچ آلتی از حواس باز احساس ادراك لذت مستی را مینماید همچنین صاحب توحید نفس بواسطهٔ یك جهت شدن روح لذائذ معنوی را بدون مدخلیت حواس‌ظاهری و باطنی میبرد . (۵) مقصود از الست بربکم همان قوهٔ ایجاد خداوند است و مقصود از شنیدن این ندا همان قبول ایجاد و جواهر و اعراض عالم است .

یا درآن عالم حقت سروی کند / تا تر و تازه بمانی تا ابد ۱ گفت آن خواهم که دایم شد بقاش / بشنو ای غافل کم از چوبی مباش
آن ستون را دفن کرد اندرزمین / تاچو مردم حشر گردد یوم دین(۱) ۲ تا بدانی هرکه را یزدان بخواند / از همه کار جهان بیکار ماند
هرکه را باشد ز یزدان کار وبار / یافت بار آنجا وبیرون شد ز کار ۳ وانکه اورا نبود از اسرار داد / کی کند تصدیق او نالهٔ جماد
گوید آری نی ز دل بهر وفاق / تا نگویندش که هست اهل نفاق ٤ گر نیندی واقفون امر کن / درجهان ردگشته بودی این سخن(۲)
صد هزاران ز اهل تقلید ونشان / افکندشان نیم وهمی در گمان(۳) ٥ که بظن تقلید و استدلالشان / قائم است و بسته پرّ و بالشان
شبهه میانگیزد آن شیطان دون / درنتند این جمله کوران سرنگون ٦ پای استدلالیان چوبین بود / پای چوبین سخت بی‌تمکین بود
غیر آن قطب زمان دیده ور / کز ثباتش کوه گردد خیره سر ۷ پای نابینا عصا باشد عصا / تا نیفتد سرنگون او برحصا(٤)
آن سواری کو سیه راشد ظفر / اهل دین را کیست سلطان بصر ۸ با عصا کوران اگرره دیده اند / در پناه خلق روشن دیده‌اند
گر نه بینایان بدندی و شهان / جمله کوران خود بمردندی عیان ۹ نی زکوران کشت آید نی درود / نی عمارت نی تجارتها و سود
گر نکردی رحمت و افضالشان / در شکستی چوب استدلالشان ۱۰ این عصا چبود قیاسات و دلیل / آن عصا که دادشان بینا جلیل
او عصاتان داد تا پیش آمدید / آن عصا از خشم هم بروی زدید ۱۱ چون عصا شد آلت جنگ ونفیر / آن عصارا خرد بشکن ای ضریر
حلقهٔ کوران بچه کار اندرید / دیدبانرا در میانه آورید ۱۲ دامن او گیر کو دادت عصا / درنگر کادم چها دید از عصی
چون عصاشد مار واستن باخبر / معجزهٔ موسی و احمد درنگر ۱۳ از عصا ماری و از استن حنین / پنج نوبت میزنند از بهر دین
گرنه نامعقول بودی این مزه / کی بدی حاجت بچندین معجزه ۱٤ هرچه معقولست عقلش میخرد / بی بیان معجزه بی جزر و مدّ
این طریق نکر نامعقول بین / در دل هر مقبلی مقبول بین ۱٥ آنچنان کز بیم آدم دیو و دد / در جزایر در رمیدند از حسد
هم ز بیم معجزات انبیا / سر کشیده منکران زیر کیا ۱٦ تا بناموس مسلمانی زیند / در تسلس تا ندانی که کیند
همچو قلابان بران نقد تباه / نقره میمالند و نام پادشاه ۱۷ ظاهر الفاظشان توحید و شرع / باطن آن همچو درآن تخم ضرع
فلسفی را زهره نی تا دم زند / دم زند دین حقش برهم زند ۱۸ دست وپای او جماد وجان او / هرچه‌گوید آن دو در فرمان او
با زبان گرچه که تهمت مینهند / دست و پاهاشان گواهی میدهند ۱۹ سنگها اندر کف بوجهل بود / گفت ای احمد بگو این چیست زود
گر رسولی چیست درمشتم نهان ۲۰ چون خبر دادی ز راز آسمان

اظهار معجزهٔ پیغمبر علیه‌السلام وبسخن آمدن سنگریزه دردست ابوجهل وگواهی دادن برسالت آنحضرت

گفت چون خواهی بگویم کان چهاست / یابگویند آنکه ماحتیم و راست ۲۲ گفت بوجهل آن دوم نادر تراست / گفت آری حق ازاین قادرتراست
گفت شش پاره حجر دردست تست / بشنو ازهریك تو تسبیحی درست(٥) ۲۳ از میان مشت او هر پاره سنگ / در شهادت گفتن آمد بی‌درنگ
لا اله گفت و الا الله گفت / گوهر احمد رسول الله سفت ۲٤ چون شنید از سنگها بوجهل این / زد ز خشم آن سنگها را بر زمین
گفت نبود مثل تو ساحر دگر / ساحران را سرتوئی و تاج سر ۲٥ چون بدید آن معجزه بوجهل تفت / گشت درخشم وبسوی خانه رفت
رهگرفت ورفت ازپیش رسول / اوفتاد اندر چه آن زشت جهول ۲٦ معجزهٔ اودید وشد بدبخت زفت / سوی کفر و زندقه سر تیز رفت
خاك بر فرقش که بد کرر ولعین / چشم او ابلیس آمد خاك بین ۲۷ این سخن رانیست پایان ای عمو / قصهٔ آن پیر چنگی باز گو
بازگرد و حال مطرب گوش دار ۲۸ زانکه عاجز گشت مطرب زانتظار

بقیه قصهٔ پیر چنگی وپیغام رسانیدن باو

بانگ آمد مر عمر راکای عمر / بندهٔ ما را ز حاجت باز خر ۳۰ بندهٔ داریم خاص و محترم / سوی گورستان تورنجه کن قدم
ای عمر برجه ز بیت‌المال عام / هفت صد دینار درکف نه تمام ۳۱ پیش او برکای توما را اختیار / اینقدر بستان کنون معذور دار
اینقدر از بهر ابریشم بها / خرج کن چون خرج شد اینجا بیا ۳۲ پس عمر زان هیبت آواز جست / تامیان را بهر آن خدمت ببست
سوی گورستان عمر بنهاد رو / در بغل همیان دوان در جستجو ۳۳ گرد گورستان دوان شد او بسی / غیر آن پیر او ندید آنجا کسی

---

(۱) اگر درحال تعجب بگوئی که چطور ممکن است ستون حنانه بمثل آدمی مرده و دفن شده و فردای قیامت ببهشت رود بعلاوه آنکه جواب بشعور غریزی وفطری درهمه موجودات حتی درآتوم والکترونها وعناصر و مواد میدهیم که فقط انبیاء واولیاء بعلم فطری وصفای نفس عالم باین شعورهای جمادات هستند و زبان اینها را آنها میدانند باز جواب میدهیم که ستون حنانه در نباتات و جمادات کمتر از سگ اصحاب کهف و خر حضرت عیسی (ع) در حیوانات و شیطان محمد (که فرمود شیطان من مسلمان در دست من شده یعنی تسلیم من است.) نیست که فردای قیامت هر چهار برای غلبهٔ ملکوت بر آنها ببهشت ملکوت خواهند رفت . (۲) یعنی اگر کسانیکه واقف باسرار طبیعت وخلقت که دانش غریزی موجودات باشد (که باین دانش غریزی امر ایجادکن را شنیده وقبول وجود ونظام خلقت را کردند) نبودند اصول کلمات انبیاء رد میشد . (۳) این چند بیت زیر بیان آنست که اشخاصیکه از فلاسفه و علمای اهل بیان خواستند به برهان و دلیل های خیالی و فکری حقائق و اسرار خلقت را دریابند بقسمی عاجز شده و از عهده بر نیامدند که از اول دنیا تاکنون هنوز نتوانستند یك مطلب علمی را بدون اختلاف بین خودشان ببرهان مسلم نمایند بلکه برای یك فیلسوف اهل برهان و بیان ممکن است چندین مرتبه عقائد علمیش باستدلالات خودش برای خودش عوض شده ودر دورهٔ تحصیلات علمی چندین مرتبه عقائد مختلفه پیدا کند واین خود سلب اطمینان کنندهٔ از هربرهانی است چه احتمال خلاف باین بیان فوق الذکر درهربرهانی برای هرفیلسوفی که منجمد درعقیده یااهل تقلید نباشد داده‌میشود. (٤) این‌چند بیت زیر نمره اشاره بآنست که براهین فلاسفه اگر چه کاشف ازحقائق (بمثل چشم قلب که طایفه تیاصوفی حس ششم مینامند) نیست ولکن بمنزلهٔ عصا برای نابینا بقدر ضرورت کار ورفع‌حاجت مینماید (٥) کما اینکه‌بدن هرانسانی‌بتبع احاطه روح احساسات غریزی‌پیدا میکند همچنین تمام ذرات‌موجودات‌بتبع‌احاطه خداوند تمام اسماء وصفات‌واحساسات خداوند راازخود بروزمیدهد منتهی پیغمبری‌باید که بقوهٔ احاطه الهی احساسات الهی‌را بعنوان تسبیح وشهادت‌توحیداز کمون اشیا ظاهروپس ازتصرف درگوشهای سامعین بایجاد وگوش ملکوتی در آنان باکمال فصاحت وبلاغت برساند .

گفت این نبود دگر باره دوید ۱ گفت حق فرموده مارا بنده ایست
پیر چنگی کی بود خاص خدا ۲ حبّذا ای سرّ پنهان حبذا
چون یقین گشتش که غیر پیر نیست ۳ گفت درظلمت دل روشن بسیست
مر عمر رادید و ماند اندر شگفت ۴ عزم رفتن کرد و لرزیدن گرفت
چون نظر اندر رخ آن پیر کرد ۵ دید او را شرمسار و روی زرد
چند یزدان مدحت خوی توکرد ۶ تا عمر را عاشق روی تو کرد
حق سلامت میکند میپرسدت ۷ چونی از رنج و غمان بیحدت
پیر لرزان گشت چون این را شنید ۸ دست میخائید و برخود می طپید
چون بسی بگریست وزحد رفت درد ۹ چنگ را زد برزمین و خُرد کرد
ای بخورده خون من هفتاد سال ۱۰ ای ز تو رویم سیه پیش کمال
داد عمری حق که هر روزی ازآن ۱۱ کس نداند قیمت آن درجهان(۱)
آه کز یاد ره و پردهٔ عراق ۱۲ رفت از یادم دم تلخ فراق
وای کز آواز این بیست وچهار ۱۳ کاروان بگذشت و بیگه شد نهار
داد خود چون من ندادم درجهان ۱۴ عمرشد هفتاد سال از من جهان
کاین منی ازوی رسد دم دم مرا ۱۵ پس ورا بینم چو این شدکم مرا
۱۶ ❀ همچنین درگریه و درناله او میشمردی جرم چندین ساله او

صافی و شایسته و فرخنده ایست
همچوآن شیر شکاری گرد دشت
بر عمر عطسه فتاد و پیر جست
محتسب بر پیرك چنگی فتاد
کِت بشارتها ز حق آورده‌ام
تا بگوشت گویم از اقبال راز
خرج کن این را وباز اینجا بیا
بس که ازشرم آب شد بیچاره پیر
ای مرا تو راهزن از شاهراه
رحم کن بر عمر رفته در جفا
در دمیدم جمله را درزیر وبم
خشك شد کِشت دل من دل بمرد
داد خواهم نی زکس از دادخواه
زانکه هست از من بمن نزدیکتر
سوی اوداری نه‌سوی خود نظر

گردانیدن عمر نظر اورا از مقام گریه که هستی است بمقام استغراق که نیستیست

پس عمر گفتش که این زاریّ تو ۱۸ هست هم آثار هشیاریّ تو
هست هشیاری زیاد ما مضی ۱۹ ماضی ومستقبلت پردهٔ خدا(۲)
تا گره با نی بود همراز نیست ۲۰ همنشین آن لب و آواز نیست
ای خبرهات از خبرده بیخبر ۲۱ توبهٔ تو از گناه تو بتر (٤)
ای تو از حال گذشته توبه جو ۲۲ کی کنی توبه از این توبه بگو
چونکه فاروق آینهٔ اسرار شد ۲۳ جان پیر از اندرون بیدار شد
حیرتی آمد درونش آن زمان ۲٤ که برون شد از زمین و آسمان
حال وقالی از ورای حال وقال ۲۵ غرق گشته در جمال ذوالجلال
عقل جزو ازکلّ پذیرا نیستی ۲٦ گر تقاضا بر تقاضا نیستی (٦)
چونکه قصهٔ حال پیر اینجا رسید ۲۷ پیر و جانش روی درپرده کشید
از پی این عیش وعشرت ساختن ۲۸ صد هزاران جان بشاید باختن
جانفشان افتاد خورشید بلند ۲۹ میشود هردم تهی پر میکنند(۷)
در وجود آدمی جان و روان ۳۰ میرسد از غیب چون آب روان
❀ بعد ازآن اورا ازان حالت براند
آتش اندر زن بهر دوتا بکی
چون بطوف خود بطوفی مرتدی
راه فانی گشته راهی دیگر است
گاه بانگ زیر را قبله کنی
همچوجان بی گریه وبی خنده شد
جستجوئی ماورای جستجو
غرقهٔ نی که خلاصی باشدش
چون تقاضا بر تقاضا میرسد
پیردامن را زگفت وگو فشاند
در شکار پشهٔ جان باز باش
جان فشان ای آفتاب معنوی
❀ هرزمان ازغیب نونو میرسد
ز اعتذارش سوی استغراق خواند
پرگره باشی از این هردو چونی
چون بخانه آمدی هم باخودی(۳)
زانکه هشیاری گناهی دیگراست
گاه گریهٔ زار را قُبله زنی
جانش رفت وجان دیگر زنده شد
من نمیدانم تو میدانی بگو
یا بجز دریا کسی بشناسدش(٥)
موج آن دریا بدینجا میرسد
نیم گفته در دهان او بماند
همچو خورشید جهان جانبازباش
مر جهان کهنه را بنما نوی
و از جهان تن برونشو میرسد

---

(۱) بدانکه قیمت هر چیزی بلزوم و کمی او است تا برسد باین که منحصر بفرد و بلاعوض و ظرف تمام ملزومات باشد که دیگر در گرانی قیمت نخواهد داشت وعمرانسان از این قبیل است چه هرچیز خوبی که ازآن بالاتر درعالم مادیات نباشد (ازقبیل مال وثروت وریاست وصنعت وشهرت و اولاد و برادر و رفیق) حتی پدر و مادر عوض دارد (چه زن پدر ممکن است ازمادر وشوهر مادر از پدر با محبت تر اتفاق افتد) اما هرساعت وثانیه که ازعمر گرانبهای آدمی میگذرد دیگر بلاعوض و محال است که مثل خصوصیات آن وکارهای لازمهٔ درآن برای صاحبش برگردد چه هرزمانی که ازعمر میگذرد مخصوص کاری است که اگر آن کار درآن زمان نشود یا اصلا آن کار فوت میشود و یاغصب اوقات آینده را درکارهای دیگر که لازمهٔ آن وقت خود است خواهد نمود بعلاوهٔ آنکه اوقات طبیعی اثر خود را در اوقات غصبی نخواهد داد پس بنا بر قول مولوی قیمت عمر را بغیر از وقت شناس احدی نمیداند . (۲) یعنی نور خداوند درتمام ازلیات و ابدیات بدون تجدد موجود است ولکن درانظار ما که زمانی هستیم بواسطهٔ گرفتاری فکری و هوشیاری بگذشته و آینده متجدد و نور خدا مخفی شده پس اگر بخواهیم بنور ثابت حق از طرف تمرکز قوا و توحید نفس برسیم باید از پرده های متجدده ماضی و مستقبل بلکه از مطلق زمانیات و مکانیات که هردو یکی در ابعاد اربعه هستند بیرون آمده و امت پیغمبر آخر الزمان شده یعنی زمان گذشته و آینده را بتحصیل ملکهٔ جمع حواس نسبت بخود آخر نمائیم تاتوحید نفس که عین توحید رب است بی‌پرده در همهٔ زمانیات ومکانیات ظاهر شود . (۳) مقصود از خودی قوهٔ خیال است که اگر در خانهٔ کعبه یعنی داخل در هرعبادتی و عملی باخیالات نفسانی بشوی مرتدی یعنی روگردان از حق و حقیقت خواهی بود ولو اینکه اول زاهد و عابد عالم درخانهٔ کعبه باشی . (٤) این دوبیت اشاره بعلما وحکمای صوری از اهل توحید است که بدون فنای در راه حق وبدون تذکیه و تصفیهٔ نفس بهر اندازه که خبر از حقائق و معارف وتوحید در تصنیفات و تألیفات خود داده‌اند لقلقهٔ زبان و جانشان بی‌خبر از حقائق بوده اگر چه در نزد بی خبران از مبادی مقبول افتاده باشد . (٥) مقصود از غرقه بی‌خلاصی ملکهٔ درفنا وعادت درتمرکز قوا بامر توحید نفس ورب است . (٦) مقصود ازعقل جزو عقل معاشی دنیوی است که محال است از عقل کل استفاده تنظیم معاش را برای معاد بقسمی بنماید که توحید نفس و تمرکز قوا حاصل شود الا بتقاضا برتقاضا یعنی ملکهٔ فوق الذکر امری است تدریجی . (۷) از این جهت فلاسفهٔ عصر جدید گفتند که زمانی خواهد آمد که خورشید بتدریج نورش تمام شده و آتشش خاکستر بمثل کرهٔ زمین خواهد انداخت .

تفسیر دعای آن دوفرشته که هرروز برسربازار منادی کنند که اللهم اعط کل مُنفق خلفاً و کلّ مُمسك تلفاً و بیان آنکه منفق مجاهد راه حق است نه مسرف راه هوی

گفت پیغمبر که دایم بهر پند ۳ دوفرشته خوش منادی‌میکنند(۱) ۳ کای خدایا منفقانرا سیر دار هردرمشان را عوض ده صدهزار
ای خدایا ممسکان را درجهان ۴ تو مده الا زیان اندر زیان ۴ ❁ ایخدایا منفقان را ده خلف ای خدایا ممسکان را ده تلف
❁منفق وممسك محل بین به بود ۵ چون محلّ باشد مؤثرمیشود(۲) ۵ ای بسا امساك کز انفاق به مال حق را جز بامر حق مده
تا عوض یابی تو مال بیکران ۶ تا نباشی از عداد کافران ۶ کامتران قربان همی کردند تا چیره گردد تیغشان بر مصطفی
امر حق را باز جو از واصلی ۷ امر حق را درنیابد هر دلی ۷ چون غلام باغئی کو عدل کرد مال شه بر باغیان او بذل کرد
طرفه‌ترکان او همی‌پنداشت عدل ۸ کز سخاوت‌کرده ام ایثار وبذل ۸ عدل این باغی ودادش نزد شاه چه نزاید دوری و روی سیاه
در نُبی انذار اهل غفلت است ۹ کان همه انفاقهاشان حسرتست

قربانی کردن سروران عرب بامید قبول افتادن

سروران مکه در حرب رسول بودشان قربان بامید قبول ۱۱ بهر این مؤمن همی گویند ز بیم در نماز اهدِ الصراط المستقیم
آن درم دادن سخی را لایق‌است جان‌سپردن‌خود سخای‌عاشق‌است ۱۲ نان دهی ازبهر حق نانت دهند جان دهی از بهرحق جانت‌دهند
گر بریزد برگهای آن چنار برگ بی‌برگیش بخشد کردگار ۱۳ گر نماند از جود دردست تومال کی کند فضل الهت پایمال
هرکه کارد گردد انبارش تهی لیکش اندر مزرعه باشد بهی ۱۴ وانکه درانبار ماند و صرفه کرد اشپش وموش وحوادثهاش خورد
اینجهان نفی‌است در اثبات جو صورتت صفر است درمعنات جو ۱۵ جان شور و تلخ پیش تیغ بر جان‌چون دریای شیرین را بخر
ور نمیتانی شدن زاین آستان ۱۶ گوش‌کن باری زمن این داستان

قصهٔ خلیفه که درکرم از حاتم طائی گذشته بود

یك خلیفه بود در ایام پیش کرده حاتم را غلام جود خویش ۱۸ رایت اکرام و جود افراشته فقر و حاجت از جهان برداشته
بحروکان ازبخششش صاف‌آمده داد او از قاف تا قاف آمده ۱۹ در جهان خاك ابر و آب بود مظهر بخشایش وهّاب بود
از عطایش بحروکان در زلزله سوی جودش قافله بر قافله ۲۰ قبلهٔ حاجت در و دروازه‌اش رفته در عالم بجود آوازه اش
همعجم همروم هم ترك وعرب مانده از جود وعطایش درعجب ۲۱ آب حیوان بود و دریای کرم زنده گشته هم عرب زو هم عجم
❁ اندر ایام چنین سلطان داد ۲۲ بشنو اکنون داستانی باگشاد

قصهٔ اعرابی درویش و ماجرا کردن زن با او از فقر و درد

یکشب اعرابی زنی مر شوی‌را گفت وازحد بردگفت‌وگوی را ۲۴ کاین همه فقر و جفا ما میکشیم جمله عالم در خوشی ما ناخوشیم
نانمان‌نی نانخورشمان درد ورشك کوزه مان نی آبمان ازدیده اشك ۲۵ جامهٔ ما روز تاب آفتاب شب نهالین و لحاف از ماهتاب
قرص مه را قرص نان پنداشته دست سوی آسمان برداشته ۲۶ ننگ درویشان ز درویشیّ ما روز وشب از روزی اندیشیّ ما
خویش وبیگانه شده از ما رمان بر مثال سامری از مردمان ۲۷ گر بخواهم ازکسی یکمشت نسك مرمراگوید خمش‌کن‌مرگ‌وجسك
مر عربرا فخر غزو است وعطا درعرب ما همچو اندرخط خطا ۲۸ ❁شب بخفتم روز باشد هیچ نه در درون جز سوزوپیچا پیچ‌نه
چه غزا ما بی غزا خود کشته‌ایم ما بتیغ فقر بی سر گشته ایم ۲۹ ❁چه خطا مابی خطا درآتشیم چه نوا ما درد و غم را مفرشیم
چه عطا ما بر گدائی می تنیم مرمگس را درهوا رگ می زنیم ۳۰ گر کسی مهمان رسد گر من منم شب بخسبد دلقش ازتن برکنم
❁ زین نمط زین ماجرا وگفتگو برد از حدّ عبارت پیش شو ۳۱ ❁ کز عنا و فقر ما گشتیم خار سوختیم از اضطراب واضطرار
❁ تا بکی‌مااین‌چنین خاری کشیم غرقه اندر بحر ژرف آتشیم ۳۲ ❁ ناگه ار روزی درآید میهمان شرمساریها بریم از وی بجان
❁ لیك مهمان گر درآید بی‌ثبوت دان‌که‌کفش میهمان سازیم قوت ۳۳ بهر این گفتند دانایان بفن میهمان محسنان باید شدن(۳)

---

(۱) مقصود از ملك در این حدیث نبوی حرکات جوهریه و تبدلات ذاتیه در ناموس نشو وارتقا است چون نبی‌کامل باچشم الهی بباطن حرکات نشو وارتقا نظر ملکوتی میکند ومی‌بیند که وجه خلقی هر طبیعت وحرکتی مقهور و مسخر و مملوك وجه الهی آنها هست ونیز باگوش ملکوتی ندای آنها را یعنی خواص آنها را شنیده از روی صدق تعبیر بندای ملك از آن وجه الهی که مالك وجه خلقی است نموده پس مقصود از دو ملك آنست‌که در هر نشو وارتقائی دوخاصیت سلبی وایجابی و نقصی وکمالی (که یکی برای ممسك و دیگری برای منفق آناً فآناً دعا میکند یعنی دو عمل متضاد مینماید) موجود است . (۲) و این مطلب مخصوص انفاق و امساك نیست بلکه هر مطلبی بطور کلی خوبی و بدیش زود نزدعقل آشکار میشود اما مصادیق وجزئیاتش در کمال دشواری و مخصوص بحقائق بینان است کما آنکه مثلا کارهای خیریه وعقلانی خوب و خلافش بد بر همه‌کس واضح است اما کدام‌کار خوب وعقلانی وکدام بد و جاهلانه است در غایت اختلاف و اشکال است و همچنین قضیهٔ ظلم بد و عدل خوب را همه‌کس میدانند اما کدام کار ظلم و کدام عدل است هنوز معلوم اتفاقی‌نزد احدی نشده بلکه هرکسی مطابق مزاج و اخلاق‌ووجدانیات مخصوص خود هر کاری را خوب و خلافش را بد میداند لذا در بیت پنجم فرمود (امر حق را باز جو از واصلی الخ) چه حقائق هر بد و خوبی نزد او مکشوف است ولکن شناختن بشخص واصل بحق درغایت اشکال است چه مدعیِ وصل زیاد و واصل از گوگرد احمر کمتراست (۳) لغت احسان باصطلاح عرفا وفرق آن بامترادفات آن از انفاق و جود وکرم وسخا وعطا وایثار وبذل وهبه وترحم و مانند اینها که انفاًمولوی ببعضی‌ازآنها اشاره نموده اجمالا آنست‌که انفاق اگر بعنوان وجوه الهیه ازقبیل خمس‌وزکوة باهلش باشدانفاق واگر بازدیاد باشد کرم واگرهیچگونه حق‌الله بردمه نداشته باشد باز هم انفاق نماید هبه است و در بعضی از موارد عطا است و اگر با احتیاجات خودش باز هم انفاق کند ایثار است و اگر بر دوست و دشمن انفاق نماید جود و اگر منفق جان خود را برای معشوق حاضر برای انفاق شود مولوی در این بیت فعلا تعبیر بسخا نموده.(جان سپردن خود سخای عاشق است) واگر مقام سالك بجائی برسد که در این انفاق وجان دادن ابداً منت هم نداشته بلکه در مقام فنای از فنا ازانفاقش ابداً یادش نماند مقام احسان است که مولوی در این بیت متذکر شده و در قرآن مجید است (والله یحب المحسنین)

مغرور شدن مریدان محتاج وتشبیه بمدّعیان مزوّر وایشان‌را شیخ‌واصل پنداشتن ونقدرا ازنقل نادانستن ونیافتن

تو مرید و میهمان آن کسی / کو ستاند حاصلت را از خسی ۲ نیست چیره چون ترا چیره کند / نور ندهد مر ترا تیره کند
چون ورا نوری نبود اندرقران / نورکی یابند از وی دیگران ۳ همچو اعمش کو کند داروی چشم / چه کشد در چشمها الاّ که پشم
حال ما این است درفقر وعنا / هیچ مهمانی مبا مغرور ما ٤ قحط ده سال ارندیدی در صور / چشمها بگشا و اندر ما نگر
ظاهر ما چون درون مدّعی / در دلش ظلمت زبانش شعشعی ٥ از خدانه بوئی او را نه اثر / دعویش افزون زشیث و بوالبشر
❁حرف درویشان بدزدیده درون / تا بخواند بر سلیمان این فنون ٦ دیو ننموده ورا هم نقش خویش / او همی گوید ز ابدالیم بیش
حرف درویشان بدزدیده بسی / تاگمان آیدکه‌هست‌اوخود کسی(۱) ۷ خرده‌گیرد در سخن بر بایزید / ننگ دارد از درون او یزید
❁هرکه داند مرو را چون بایزید / روز محشر حشر گردد با یزید ۸ بینوا از نان و خوان آسمان / پیش اونداخت‌حق یك استخوان
او ندا کرده که خوان بنهاده ام / نایب حقم خلیفه زاده ام ۹ الصّلا ساده دلان پیچ پیچ / تا خوریدازخوان جودم هیچ‌هیچ
سالوا بر وعدهٔ فردا کسان / گرد آن در گشته فردا نا رسان ۱۰ دیر باید تا که سرّ آدمی / آشکارا گردد از بیش وکمی
زیر دیوار تنش گنجیست یا / خانهٔ مار است و مور و اژدها ۱۱ ❁چونکه‌پیداگشت‌کان چیزی نبود / عمر طالب رفته آ گاهی‌چه سود

دربیان آنکه نادر افتد که مریدی در مدعی مزور اعتقاد کند بصدق وبمقامی‌رسد که شیخش بخواب ندیده باشد وآب وآتش اورا گزند نرساند و شیخش را گزند برساند ولی نادر است

لیك نادر طالب آید کز فروغ / درحق او نافع‌آید آن دروغ(۲) ۱٤ او بقصد نیك خود جائی رسد / گرچه جان پنداشت آن‌آمد جسد
چون تحرّی دردل شب قبله را / قبله نی وآن نماز اورا روا(۳) ۱٥ مدّعی‌را قحط جان‌اندر سِراست / لیك مارا قحط نان برظاهر است
ما چرا چون مدّعی پنهان‌کنیم / بهر ناموس مزوّر جان کنیم ۱٦ ❁ مرو را رو می‌نماید حالها / که ندید آن هیچ شیخش سالها

صبر فرمودن اعرابی زن خود را

شوی‌گفتش چندجوئی‌دخل‌وکشت / خودچه ماند ازعمرافزونترگذشت ۱۸ عاقل اندر بیش و نقصان ننگرد / زانکه هردو همچو سیلی بگذرد
خواه صاف و خواه سیل تیره رو / چون نمی‌پاید دمی از وی مگو ۱۹ اندر این عالم هزاران جانور / میزید خوش عیش بی‌زیر و زبر
شکر میگوید خدا را فاخته / بر درخت و برگ شب نا ساخته ۲۰ حمد میگوید خدا را عندلیب / کاعتماد رزق برتست ای مجیب
باز دست شاهرا کرده نُوید / از همه مردار بریده امید ۲۱ همچنین از پشّه گیری تا بفیل / شد عیالُ الله و حق نعمَ المعیل
این همه غمها که اندر سینهاست / از غبار گرد باد و بود ماست ۲۲ این غمان‌بیخ‌کن چون‌اساس ماست / این‌چنین‌شدوان‌چنان‌وسواس‌ماست(٤)
دان‌که‌هررنجی‌زمردن پاره‌ایست(٥) / جزومرگ‌ازخودبران‌گرچاره‌ایست ۲۳ چون زجزو مرگ نتوانی گریخت / دان‌که‌کلش برسرت‌خواهندریخت
جزومرگ ارگشت شیرین مرترا / دان که شیرین میکند کل‌را خدا ۲٤ دردها از مرگ می آید رسول / ازرسولش رو مگردان ای‌فضول
هرکه شیرین میزید او تلخ مُرد / هرکه او تن را پرستد جان نبرد ۲٥ گوسفندان را ز صحرا میکشند / آنکه فربه‌تر مر او را میکشند
شب گذشت و صبح آمد ای قمر / چند گیری این فسانه را ز سر ۲٦ تو جوان بودی و قانع تر بدی / زر طلب‌گشتی خود اوّل زربدی
زر بدی‌پرمیوه چون‌کاسد شدی / وقت میوه پختنت فاسد شدی ۲۷ میوه‌ات باید که شیرین تر شود / چون رسن تابان نه واپس‌تر رود
جفت مائی جفت باید هم صفت / تا براید کار ها با مصلحت(٦) ۲۸ جفت باید بر مثال همدگر / در دوجفت‌کفش و موزه درنگر
گریکی کفش از دو تنگ آمدیا / هر دو جفتش کار ناید مر ترا ۲۹ جفت‌این‌یك‌خرد وآن دیگر بزرگ / جفت شیر بیشه دیدی هیچ گرگ
راست ناید برشتر جفت جوال / آن یکی خالیّ وآن یك‌مال مال ۳۰ من روم سوی قناعت دل قوی / تو چرا سوی شناعت میروی
مرد قانع از سر اخلاص و سوز / ۳۱ زین نسق میگفت بازن تابروز

نصیحت کردن زن مر شوی را که سخن افزون از قدر ومقام خود مگو که لِم تقولونَ مالا تفعلون که این‌سخنها اگرچه راست است اما این مقام ترا نیست و سخن فوق مقام زیان دارد

زن براو زدبانگ‌کای‌ناموس‌کیش / من‌فسون تو نخواهم خورد بیش ۳٤ ترهات از دعوی و دعوت مجو / رو سخن از کبرو از نخوت‌مگو
چند حرف طمطراق وکار وبار / کار وحال خود ببین وشرم‌دار ۳٥ ❁نخوت ودعویّ وکبر وترّهات / دور کن از دل که تا یابی نجات
کبر زشت و از گدایان زشت تر / روز سرد وبرف وآنکه جامه‌تر ۳٦ چند آخر دعوی و باد و بروت / ای‌ترا خانه چو بیت‌العنکبوت(۷)

---

(۱) یعنی کسیکه دارای این مقام احسان نباشد اگر دم از درویشی و دعوت زند دزد درویشی است . (۲) این برای آنست که تمام مذاهب عالم مسئول حقائق باشند نه فقط وجدان ولکن بنابراین که هرکسی مسئول وجدان خود باشد اگربمقتضای وجدانیات خود عمل کند همان وظیفه اوست ولو در واقع باطل و دروغ باشد چه حقیقت حق بمقتضای احاطهٔ ربّ العالمین است نه فقط رب مذهبی وشخصی پس مقصود مولوی از ندرت آنستکه این کجا با آن کسی‌که وجدانش بمعاهدهٔ پاك شده و با حق حقیقی پاك و بیرنگ مطابقه کند . (۳) تحرّی یعنی کسی‌که مثلا در بیابان قبله را گم کرده در چهار جهت نماز بخواند بقصد آنکه یکی از چهار شاید قبله باشد (٤) این دوبیت اشاره بآنست که اگر کسی باندازهٔ احتیاجات طبیعی که کمتر از آن میمیرد جمع مال‌نماید طبیعی و زود بدست آمده و براحت زندگانی خواهد نمود ولکن اگر خواست قدری‌زیادتر از احتیاجات طبیعی حرص بزند دیگر هیچگاه خود را بواسطهٔ حرص و خیالات نا ملایم (درچکنم چکنم) خوش ندیده و در راحت ابدی را بروی خود خواهد بُست اگر چه تمام دنیا را باو بدهند باز حرص او را خوش نخواهد گذاشت وهمیشه در وسواس خیالات ناملایم برای زیادتر از احتیاجات طبیعی گرفتار خواهد شد . (٥) یعنی حقیقت مرگ گذشت ازهمه چیزاست که بسیار سخت و منفور است و معنی ریاضت مرتاضین مشق گذشت قلبی است که مردن ارادی باشد تامرگ طبیعی شیرین شود . (٦) این شش بیت تصریح بعقائد متمدنین عصریه است که زن باید از همه جهت شریك زندگانی مرد باشد . (۷) این چند بیت اشاره بادّعای دروغی مدعیان درویشی وباروحانیین است که تدلیساً بنام دیانت علماً وعملا در قلوب خلق جامینمایند .

از قناعت کی تو جان افروختی / از قناعتها تو نام آموختی ۱ گفت پیغمبر قناعت چیست گنج / گنج را تو وانمیدانی زرنج(۱)
این قناعت نیست جز گنج روان / تو مزن لاف ای غم ورنج‌روان ۲ تو مخوانم جفت و کمتر زن بغل / جفت انصافم نیم جفت دغل
از چه دم ازشاه و ازبگ میزنی / در هوا چون پشه را رگ میزنی ۳ باسگان بر استخوان در چالشی / چون نی اشکم تهی در نالشی
سوی‌من‌منگر بخواری سست سست / تا نگویم آنچه در رگهای تست ٤ عقلِ خودرا از من افزون دیدهٔ / تو منِ کم عقل را چون دیدهٔ
همچو گرگ زشت اندر ما مبه / ای ز ننگ عقل تو بی عقل به ٥ چونکه عقل تو عقیلهٔ مردم است / آن‌نه‌عقلست‌آن‌که مار وکژدم است
خصم ظلم و مکر تو الله باد / دست مکر تو ز ما کوتاه باد ٦ هم توماری هم فسون گرای‌عجب / مار گیر و ماری ای ننگ عرب
زاغ اگر زشتیّ خود بشناختی / همچو برف ازدرد وغم بگداختی ۷ مرد افسونگر بخواند چون عدو / او فسون برمار ومار افسون‌براو
گر نبودی دام او افسونِ مار / کی فسون مار را گشتی شکار ۸ مردِافسونگر زحرص‌وکسب‌وکار / در نیابد آن زمان افسونِ مار
مار گوید ای‌فسون گر هین‌وهین / آنِ خود دیدی فسون من ببین ۹ تو بنام حق فریبی مر مرا / تا کنی رسوای شور و شر مرا
نامِ حقم‌بست نی آن رایِ تو / نام حق را دام کردی وای تو ۱۰ ❀نام حق بستاند از تو داد من / من بنام‌حق سپردم جان وتن(۲)
تا بزخم من رگ جانت بُرد / یا ترا چون من بزندانت برد ۱۱ ❀زن ازاین‌گونه خشن گفتارها / خواند بر شوی خود او طومارها
❀مردچون این‌طعنهاازن شنفت ۱۲ مستمع‌شو بعد از آن بین تاچه‌گفت

نصیحت مرد زن راکه درفقر فقیران بخواری منگر و در کار حق بگمان کمال نگر و طعنه مزن در فقر فقیران و شکوه مکن

گفت ای زن تو زنی یابوالحزن / فقر فخر آمد مرا طعنه مزن ۱۵ مال وزر سررا بود همچون کلاه / کل بود آن کز کله سازد پناه
آنکه زلف و جعد رعنا باشدش / چون‌کلاهش‌رفت خوش‌تر آیدش ۱٦ مرد حق باشد بمانند بصر / پس برهنه به که پوشیده نظر
وقت عرضه کردن آن برده‌فروش / برکند از بنده جامهٔ عیب پوش ۱۷ ور بود عیبی برهنه‌اش کی کند / بل بجامه خدعهٔ باوی کند
گوید این شرمنده است ازنیك‌وبد / از برهنه کردن او از تو رمد ۱۸ خواجه‌درعیب است غرقه تا بگوش / خواجه رامالست‌ومالش عیب پوش
کز طمع عیبش نبیند طامعی / گشت دلها را طمعها جامعی ۱۹ ورگدا گوید سخن چون زرّکان / ره نیابد کالهٔ او در دکان
کار درویشی و رایِ فهم تست / سوی درویشان بمنگر سست سست ۲۰ ❀زانکه‌درویشی ورای کارهاست / دمبدم ازحق‌مرایشان راعطا است
ملك درویشان ورای ملك ومال / روزئی دارند ژرف از ذوالجلال ۲۱ حق تعالی عادلست و عادلان / کی کنند استمگری بر بیدلان
آن یکی را نعمت و کالا دهند / وین دگر را بر سر آتش نهند ۲۲ آتشش سوزد که دارد این گمان / برخدای خالق هر دو جهان
فقرُ فخری نر گزافست ومجاز / صد هزاران عزّ پنهانست و ناز ۲۳ از غضب بر من لقبها راندی / مار خوی و مارگیرم خواندی
گر بگیرم مار دندانش کنم / تا ش از سر کوفتن ایمن کنم ۲٤ زانکه‌آن‌دندان عدوی‌جان اوست / من عدورا میکنم زین علم دوست
از طمع هرگز نخوانم من فسون / این طمع را میکنم من سرنگون ۲٥ حاش‌لله طمع من از خلق نیست / از قناعت در دل من عالیست

دربیان آنکه جنبیدن هر کسی ازآنجاست که ویست هر کسی ازچنبرهٔ وجود خود بیند تابهٔ شیشهٔ کبود آفتاب را کبود نماید و تابهٔ شیشهٔ سرخ سرخ و چون تابها از رنگ بیرون آید سپید شود و از همهٔ تابهای دیگر او راستگو تر باشد

از سر امرود بُن بینی چنان / زان فرود آ تا نماند این گمان ۲۹ چونکه برگردی وسرگشته شوی / خانه را گردنده بینی آن توئی
دید احمد را ابوجهل و بگفت / زشت نقشی کز بنی هاشم شکفت ۳۰ گفت احمد مرو را که راستی / راست گفتی گرچه کار افزاستی
دید صدّیقش بگفت ای آفتاب / نی ز شرقی نی ز غربی‌خوش‌بتاب ۳۱ گفت احمد راست‌گفتی ایِ‌عزیز / ای رهیده تو ز دنیای نه چیز
حاضران گفتند ای صدرالوری / راستگو گفتی دو ضدّ گورا چرا ۳۲ گفت من آیینه‌ام مصقولِ دست / ترك وهندو درمن‌آن بیند که‌هست
❀هرکه‌را آیینه باشد پیش رو / زشت وخوب خویش رابیند در او ۳۳ ای زن ار طماع می بینی مرا / زین تحرّی زنانه برتر آ
آن طمع را ماند و رحمت بود / کو طمع آنجا که آن نعمت بود ۳٤ امتحان کن فقر را روزی دو تو / تا بفقر اندر غنا بینی‌دو تو(۳)
صبر کن بافقر و بگذار این‌ملال / زانکه در فقراست عزّ ذوالجلال ۳٥ سرکه مفروش وهزاران جان ببین / از قناعت غرقِ بحر انگبین
صد هزاران جان تلخی‌کش‌نگر / همچو گل آغشته اندر گل‌شکر ۳٦ ای دریغا مر ترا کانجا بدی / تازجانم شرح دل پیدا شدی
این سخن شیراست درپستان‌جان / بی کشنده خوش نمیگردد روان ۳۷ مستمع چون تشنه و جوینده شد / واعظ ار مرده بود گوینده شد

---

(۱) یعنی وقتی قناعت گنج است که ملکه بشود و حرص را بکشد و قلب را راضی بآنچه خدا داده است بنماید و الا صبر کردن بر فقر با عدم رضایت قلبی رنج است نه گنج . (۲) انتقام نام حق از علمای سوء که بنام حق جلب دنیا مینمایند همانا همان غفلت و کوری باطنی و خفه کردن احساسات الهی وارتداد فطری آنها است که برای چهار روزهٔ دنیا زیر بار ذلت ابدی رفته و میروند یعنی (بر سر کوریش کوریها نهند) .
(۳) در فصل سابق فقر را بعزت و ناز و اشاره بحدیث نبوی الفقرُ فخری نمود و در این دوبیت بغنا وعزّت ذی‌الجلالش خوانده در حالتیکه ظاهر فقر وفلاکت بااین صفات چهارگانه مذکوره در چهار بیت منافات دارد پس محتاج بتحقیق دفع منافات است . بدانکه فقر دو قسم است فقر بسوی خدا وفقربسوی خلق اما اول کما قال‌الله تعالی (یا ایها الناس‌انتم‌الفقرا والله هو الغنی الحمید) کشف حقیقت این آیهٔ شریفه خاصه درویشان یعنی فقیر بسوی خداوند است که باچشم قلب ذات خداوندی را غنیّ مطلق و نفس خود را محتاج مطلق (که مصداق معلولیت وعین ربط وفقر وفاقه بغنای اوست) دیده لذا احتیاجات خود را از کلیهٔ خلائق قلباً بریده اگرچه ظاهراً بمثل سلیمان دارای ملك و مکنت دنیا باشد ولکن قلباً همهٔ آنهارا امانت خدا و بتمام جهت خودرا محتاج غنی محض بقسمی در مقام تمرکز قوا و توحید نفس مشاهده میکند که از عکس صفت غنای‌حق مطلق در نفس خود خودرا دارای استغنای الهی و فخر محمدی وعز وناز ذی‌الجلال‌نیز مشاهده مینماید واین است فقر محمود که با مال دنیا ابداً منافات ندارد و اما فقر مذموم احتیاج خودرا بسوی‌خلق دیدن وپشت بحق کردن وتملق وتذلل نزد خلق محتاج نمودن اظهار احتیاج بمحتاج‌است .

مستمع چون تازه آید بی ملال / صد زبان گردد بگفتن گنگ ولال ۱ چونکه نا محرم در آید از درم / در پس پرده شوند اهل حرم
ور درآید محرمی دور از گزند / برگشایند آن ستیران روی بند ۲ هرچه‌را خوب وکش وزیبا کنند / از برای دیدهٔ بینا کنند
کی بود آواز چنگ از زیر وبم / از برای گوش بی حسّ اصمّ ۳ مشک‌راحق بیهده خوش‌دم نکرد / بهرشم کرد و بی اخشم نکرد
❀نای‌راحق بیهده خوش دم نکرد / بهر انس آمد بی اهرم نکرد ٤ حق زمین وآسمان برساخته است / در میان‌بس نارو نورافراخته‌است
این زمین را از برای خاکیان / آسمان را مسکن افلاکیان ٥ مرد سفلی دشمن بالا بود / مشتریّ هر مکان پیدا بود
ای ستیره هیچ تو بر خاستی / خویشتن را بهر کور آراستی ٦ گر جهان را پر دُر مکنون‌کنم / روزی تو چون نباشد چون کنم
ترك جنگ وسرزنش ای زن‌بگو / ور نمیگوئی بترك من بگو ۷ مر مرا چه جای جنگ نیك وبد / کاین دلم از صلحها هم میرمد
❀برسر این ریشها نیشم مزن / زخمها بر جان بی خویشم مزن ۸ گر خمش گردی وگرنه آن کنم / که همین دم ترك خان و مان کنم
پاتهی گشتن بهست از کفش‌تنگ ۹ رنج غربت به‌که اندر خانه جنگ

مراعات کردن زن شو را واستغفار نمودن از گفتار خود

زن چودید اوراکه تندوتوسن‌است / گشت گریان گریه خوددام زنست ۱۱ گفت از تو کی چنین پنداشتم / از تو من امیدّ دیگر داشتم
زن در آمد از طریق نیستی / گفت من خاك شمایم نی سَتی ۱۲ جسم وجان‌وهرچه‌هستم آن تست / حکم وفرمان جملگی فرمان‌تست
گر زدرویشی دلم از صبر جست / بهر خویشم‌نیست آن بهر تواست ۱۳ تو مرا در درد ها بودی دوا / من نمیخواهم که باشی بی نوا
جان توکز بهرخویشم‌نیست این / ازبرای تستم این بانگ و حنین ۱٤ خویش من والله که بهرخویش‌تو / هر نفس خواهد که میرد پیش تو
کاش جانت کش روان من فدی / از ضمیر جان من واقف شدی ۱٥ چون‌توبامن این چنین‌بودی بظن / هم ز جان بیزار گشتم هم زتن
خاك را برسیم و زر کردیم چون / تو چنینی با من ایجان‌را سکون ۱٦ توکه درجان و دلم جا میکنی / زین‌قدر از من تبرّا می کنی
تو تبرّا کن که هستت دستگاه / ای تبرّای ترا جان عذر خواه ۱۷ یاد میکن آن زمانی را که من / چون صنم بودم توبودی‌چون‌شمن
بنده بروفق تو دل افروخته است / هرچه گوئی بخت‌گوید سوخته‌است ۱۸ من سیاناخ تو ام هرچم پزی / یاترش‌با یا که شیرین میسزی
کفر گفتم نك بایمان آمدم / پیش حکمت از سر و جان آمدم ۱۹ خوی شاهانهٔ ترا نشناختم / پیش تو گستاخ خود در باختم
چون ز عفو تو چراغی ساختم / توبه کردم اعتراض انداختم ۲۰ مینهم پیش تو شمشیر و کفن / میکشم پیش تو گردن را بزن
از فراق تلخ میگوئی سخن / هرچه خواهی کن ولیکن این‌مکن ۲۱ درتو ازمن‌عذرخواهی هست سرّ / با تو بی من او شفیعی مستمرّ
عذر خواهم دردرونت خُلق تست / ز اعتماد اودل من جُرم جُست ۲۲ رحم‌کن پنهان زخود ای‌خشمگین / ایکه خُلقت به زصدمن انگبین
زین نسق میگفت بالطف و گشاد / در میان گریه بر روی اوفتاد ۲۳ گریه چون‌ازحدّ گذشت‌وهای‌های / ازحنینش‌مردرا دل‌شد زجای(۱)
چون قرارش ماند وصبرش بجای / زانکه بی‌گریه بد او خود دلربای ۲٤ شد از آن باران یکی برقی‌پدید / زد شراری بردل مرد وحید
آنکه بندهٔ روی خویش بود مرد / چون بود چون بندگی آغاز کرد ۲٥ آنکه از کبرش دلت لرزان بود / چون‌شوی‌چون پیش توگریان‌شود
آنکه ازنازش دل وجان‌خون بود / چونکه‌آید درنیاز او چون‌بود(۲) ۲٦ آنکه در جور وجفایش دام‌ماست / عذرماچبود چواو در عذر خاست
❀آن که جرخونریزیش کاری‌نبود / چون نهد گردن زهی سوداوسود ۲۷ ❀ آنکه جز گردن کشی‌ناید ازو / خوش درآید باتو چون باشد بگو
زَیّن للناس حق آراسته است / زانچه‌حق آراست‌چون تانند رست ۲۸ چون پی یسکن الیهاش آفرید / کی تواند آدم از حوّا برید(۳)
رستم زال ار بود وز حمزه‌بیش / هست‌درفرمان اسیرزال‌خویش(٤) ۲۹ آنکه عالم مست گفتش آمدی / کلمینی یا حُمیرا می زدی(٥)
آب غالب شد بر آتش ازنهیب / ز آتش‌اوجوشد چوباشد درحجیب ۳۰ چونکه دیگی حایل آمد هردورا / نیست کردآن آب را کردش هوا
ظاهراً بر زن چو آب ار غالبی / باطناً مغلوب و زن را طالبی ۳۱ این چنین خاصیتی درآدمی‌است / مهرحیوان‌راکست‌آن ازکمی‌است(٦)

در بیان حدیث انهن یغلبن العاقل و یغلبهنّ الجاهل

گفت پیغمبر که زن بر عاقلان / غالب آید سخت بر صاحبدلان ۳۳ باز برزن جاهلان غالب شوند / زانکه‌ایشان تند و بس‌خیره‌روند
کم بودشان رقّت ولطف و وداد / زانکه حیوانیست غالب بر نهاد ۳٤ مهر ورقّت وصف انسانی بود / خشم و شهوت وصف حیوانی‌بود
پرتوحق است وآن معشوق‌نیست ۳٥ خالق است‌آن گوئیا مخلوق نیست

---

(۱) گویا جنس زن طبعاً میداند که مرد بهر اندازه قسی‌القلب باشد میتواند بچند دانهٔ اشك چشم خود مخصوصاً با آن اوضاع مخصوصی‌که در ناز و غمزه برای دلربائی مرد دارد او را مطیع اخلاق خود و رحم دل بنماید که در بیتّ اول فصل از گریه زن تعبیر بدام نمود چه هردانهٔ اشك چشم زن قطرات بنزینیست که برآتش محبت مرد پاشیده شود ولو بجای بنزین آب پاشیده شود باز آتش خواهد گرفت (بمثل گریهٔ بیجا) . (۲) دلربائی زن برای همین دو قوهٔ ناز و نیازاست که هیچگاه تمام شدنی نیست (بخلاف محبتهای یك جهته که مخصوصاً درمادیات غالباً تمام شدنی است) حتی در روحیات هم تربیت هر سالکی بقبض و بسط قلبی و در تکوینیات نیز بجاذبه و دافعه است . (۳) یعنی سکونت جسمانی و روحانی هر مردی بعلاقهٔ بزن خود است مخصوصاً زنیکه توافق اخلاق بامرد خود داشته و بمقتضای آیهٔ (و خلق لکم من انفسکم ازواجاً) مظهر نفس اواخلاقاً گردیده و چون مرد هیچگاه از نفس خود و مظهر خود که زن آینهٔ مرد است نمیتواند برید پس لابد شهوات کاذبه بر مرد بی زن غالب شده همیشه سرگردان و بی قرار است که آیهٔ (هو الذی خلقکم من نفس واحده و جعل منها زوجها لیسکن علیها) در حق او نازل شده (٤) یعنی مرد بهر اندازه جسماً و روحاً قوی باشد باز محتاج بآینهٔ زن است که صفات نفسانی او را بصورت فعلیات لذائذ نفسانی بیرون آورده بمرد برگرداند پس زن در این باب فاعل وغالب است و مرد منفعل ومغلوب زن است . (٥) احتیاج «پیغمبر خاتم (ص)» بآینهٔ زن بمثل احتیاج ظهور حق در مقام (فاحببت ان اعرف) بآینهٔ مخلوقات صیقلی شده از ظرفا است لذا در آخر فصل آینده فرمود (پر تو حق است الخ) (٦) لذا دراشخاص قسیّ القلب که غالب‌ایلات وعشایر و غیره باشند برای نداشتن محبت های روحی کمتر عشق یافت می شود .

تسلیم کردن مرد خود را بامر زن و اعتراض اورا اشارهٔ حق دانستن نظامی در شیرین و خسرو فرموده

بنزد عقل هر دانندهٔ هست که باگردندهٔ گردانندهٔ هست از آن چرخی که گرداند زن پیر قیاس چرخ گردونرا همی گیر

مرد از آن گفتن پشیمان شدچنان کز عوانی ساعت مردن عوان ٤ گفت خصم جان جان چون آمدم برسر جان‌من لگدها چون زدم
چون قضا آید نماند فهم ورای کس نمیداند قضا را جز خدای ٥ چون قضا آید فرو پوشد بصر تا نداند عقل ما پا را ز سر
زن امام المتقین داد این خبر گفت اذا جاء القضا عمی البصر ٦ چون قضا بگذشت‌خود رامیخورد پرده بدریده گریبان میدرد
مرد گفت ای زن پشیمان میشوم گر بدم کافر مسلمان میشوم ٧ من‌گنه کار توام رحمی بکن عذر من بپذیر وبشنو این سخن
کافر پیر ار پشیمان می شود چونکه عذر آرد مسلمان میشود ٨ حضرتی پررحمت است وپرکرم عاشق اوهم وجود وهم عدم

در بیان آنکه موسی علیه السلام و فرعون هر دو مسخر یك مشیت‌اند چنانکه زهر وفازهر وظلمات ونور ومناجات فرعون با حق تعالی

کفر و ایمان عاشق آن کبریا مس و نقره بندهٔ آن کیمیا ١١ موسی و فرعون معنی را رهی ظاهر این ره دارد و آن بیرهی
روز موسی پیش حق نالان شده نیم شب فرعون گریان آمده ١٢ کاین چه غلست ای‌خدا برگردنم ور نه غل باشد که گوید من منم
زانکه موسی را منور کردهٔ مر مراهم زان مکدر کردهٔ ١٣ زانکه موسی را تو مه رو کردهٔ ماه جانم را سیه رو کردهٔ
بهتر از ماهی نمود استاره‌ام چون خسوف‌آمد چه باشد چاره‌ام ١٤ نوبتم گر رب و سلطان میزنند مه گرفت و خلق پنگان میزنند
میزنند آن طاس وغوغا می کنند ماه را از زخمه رسوا می کنند ١٥ من‌که فرعونم ز شهرت وای من زخم طاس آن ربی الاعلای من
خواجه تاشانیم امّا تیشه ات میشکاند شاخ را در بیشه ات ١٦ باز شاخی را موصل میکنی شاخ دیگر را معطل میکنی
شاخ را بر تیشه دستی هست‌نی هیچ شاخ از دست تیشه رست نی ١٧ حق آن قدرت که درتیشه‌تراست ازکرم کن این کجیهارا توراست
باز باخود گفته فرعون ای عجب من نه در یاربّنا ام جمله شب ١٨ در نهان خاکی و موزون میشوم چون بموسی میرسم چون میشوم
رنگ زر قلب ده تو میشود پیش آتش چون سیه رو میشود ١٩ نی‌که قلب وقالبم درحکم اوست لحظهٔ مغزم‌کند یك لحظه پوست
یکدمی ماهم کند یکدم سیاه خود چه باشدغیر از این‌کار اله ٢٠ سبزگردم چونکه گوید کشت‌باش زردگردم چونکه گوید زشت باش
پیش چوگانهای حکم کن فکان میدویم اندر مکان و لامکان ٢١ چونکه بیرنگی اسیر رنگ شد موسئی با موسئی درجنگ شد(١)
چون به‌بیرنگی رسی‌کان داشتی موسی و فرعون دارند آشتی ٢٢ گر ترا آید بر این گفته سؤال رنگ کی خالی بود ازقیل وقال
این‌عجب‌کین‌رنگ‌ازبیرنگ‌خاست رنگ بابیرنگ‌چون‌درجنگ‌خاست ٢٣ اصل روغن ز آب افزون میشود عاقبت با آب ضدّ چون میشود
چونکه روغن‌را زآب اسرشته‌اند آب با روغن چرا ضدّ گشته‌اند ٢٤ چون‌گل‌ازخارست‌وخارازگل‌چرا هر دو در جنگند و اندر ماجرا
یانه جنگست این‌برای‌حکمت است همچوجنگ‌خر فروشان صنعتست(٢) ٢٥ یا نه این است‌ونه آن حیرانیست گنج باید جست این ویرانیست
آنچه تو گنجش توهّم میکنی زان توهّم گنج را گم میکنی ٢٦ چون عمارت‌دان تو وهم ورایها گنج نبود در عمارت جایها
در عمارت هستی و جنگی بود نیست را از هستها تنگی‌بود(٣) ٢٧ نی‌که هست از نیستی فریاد کرد نیست خود آن هست را واداد کرد
تو مگو که من گریزانم ز نیست بلکه او از تو گریزانست ایست ٢٨ ظاهرا میخواندت او سوی خود وز درون میراندت با چوب رد
قومی اندرآتش سوزان چو ورد قومی اندر گلستان با رنج ودرد ٢٩ نعلهای باژگونه است ای سلیم نفرت فرعون را دان از کلیم

سبب حرمان اشقیاء از دوجهان‌که خسرالدنیا و الاخرة

چون حکیمك اعتقادی کرده است کاسمان‌بیضه زمین‌چون زرده‌است ٣١ گفت سائل چون‌بماند این‌خاکدان در میان این محیط آسمان
همچو قندیلی معلق در هوا نی بر اسفل میرود نی بر علا ٣٢ آن حکیمش گفت کز جذب سما از جهات شش بماند اندر هوا
چون ز مقناطیس قبه ریخته در میان ماند آهنی آویخته(٤) ٣٣ آن دگر گفت آسمان با صفا کی کشد در خود زمین تیره را

---

(١) مقصود از جنگ موسی باموسی اختلافات مراتب تشکیکیّه ذاتیه وجودیّه یا اختلافات وجودات بتبع ماهیّات است بمثل اختلافات ذاتیه انوار در مراتب شدیده و ضعیفه یا بواسطهٔ الوان و سطوح اجسام که عرضاً پیدا میشود کااینکه درجات مختلفه انبیاء و مؤمنین در عین آنکه اتحاد در حقیقت و حقانیت دارند باز همه باهم مختلف‌اند یامقصود از جنگ موسی با موسی و صلح موسی با فرعون از باب تأکید در قیود وحدود وضیق کثرات دربیت اول و تأکید در وسعت دربیت دوم که وحدت‌است میباشد چه درمرتبهٔ اسیر شدن هستی مطلق بقیود کثرات اینقدر مراتب وجود تنگ خواهد شد که دوتا همکار و هم جنس که موسی با موسی باشد یکدیگر را نمیتوانند دیده و بواسطهٔ همجنسی هر دو از یکدیگر مستغنی شده و لابد در جنگ خواهند افتاد (بمثل اینکه دو زمان دریك زمان و دو مکان در یك مکان ممکن نیست جمع بشود) ولکن در مقام بی رنگی و تمرکز قوا وتوحید نفس چنان روح آدمی بی‌رنگ گردیده و چنان فانی در مقام بی رنگی حقیقت الوجود بتوحید نظر شده که پس از برگشت بکثرات چنان بی غرضانه بتمام مراتب مختلفه نظر انداخته که همه را لازم و ملزوم یکدیگر یعنی همه را کارگر برای یکنفر محیط (حتی‌جنگهای تکوینی خلقت و جنگهای اختیاری بشر را مقدمهٔ صلح کل و موجب بقای نظام بلکه موجب نشو و ارتقای هر دو عالم) دیده که بازبان حال بمثل شیخ بهائی در نان و حلوا خواهد گفت (صلح کل کردیم با کلّ بشر تو بما خصمی کن و نیکو نگر) . (٢) جنگهای مذهبی بمثل جنگهای تکوینی چون همه برای یك صاحب و یك خدا و در یك ملك کار میکنند و همه شاخ و برگ یك درخت و نیش و نوش یك زنبور و زمستان و تابستان و بهار و پائیز یك سال و خاك و باد و آب و آتش و عناصر یك مزاج و اعضای یك بدن و قوای یك عالم و ادارات یك دولت هستند پس اختلافات وجنگهاشان مصلحتی وزرگری است اگرچه فرمان دهندگان جنگ خود ندانند که جنگ زرگری و مصلحتی است و باید هم ندانند که مصلحتاً محجوب از این دانائی طبعاً شدند و الا از حفظ حدود و کار و کوشش برای ترقیات خود و نوع خود باز میماندند (٣)مقصود ازنیستی درفرد دویم وجود مطلق است که نسبت بوجودهای محدوده نیست مینماید. (٤)اشاره بجاذبه عمومی‌است بلکه تصریح است .

بلکه دفعش میکند از شش جهات — تا بماند در میان عاصفات ۱ پس ز دفع خاطر اهل کمال — جان فرعونان بماند اندر ضلال(۱)
پس ز دفع این جهان و آن جهان — مانده‌اند این بی‌رهان بی‌این و آن ۲ سر کشی از بندگان ذوالجلال — زانکه دارند از وجود تو ملال
کهربا دارند چون پیدا کنند — کاه هستی ترا شیدا کنند ۳ کهربای خویش چون پنهان کنند — زود تسلیم ترا طغیان کنند
آن چنانکه مرتبهٔ حیوانیست — کو اسیر و سغبهٔ انسانی است ۴ مرتبهٔ انسان بدست اولیا — سُغبه چون حیوان شناسش ای کیا
بندهٔ خود خواند احمد در رشاد — جمله عالم را بخوان قُل یا عباد ۵ عقل تو همچون شتربان تو شتر — میکشاند هر طرف در حکم مُر
عقل عقلند اولیا و عقلها — بر مثال اشتران تا انتها ۶ اندر ایشان بنگر آخر ز اعتبار — یك قلاوز است جان صد هزار
چه قلاوز و چه اشتربان بیاب — دیدهٔ کان دیده بیند آفتاب ۷ نك جهان درشب بمانده میخ دوز — منتظر موقوف خورشیداست و روز
اینت خورشیدی نهان در ذرّهٔ — شیر نر در پوستین برّهٔ (۲) ۸ اینت دریائی نهان در زیر کاه — پا براین که هین منه با اشتباه
اشتباهی و گمانی در درون — رحمت حق است بهر رهنمون ۹ هر پیمبر فرد آمد در جهان — فرد بود و صد جهانش در نهان
عالم کبری بقدرت سخره کرد — کرد خود را در کهین نقشی نورد ۱۰ ابلهانش فرد دیدند و ضعیف — کی ضعیف است آنکه با شه شد حریف
ابلهان گفتند مردی بیش نیست — وای آن کو عاقبت اندیش نیست ۱۱ ❀ عاقبت دیدن بود از کاملی — دور بودن هر نفس از جاهلی

حقیر دیدن خصمان صالح ناقهٔ را چون حق تعالی خواهد لشکری را هلاك گرداند در نظر ایشان خصمان را حقیر نماید و یقللکم فی اعینهم لیقضی الله امراً کان مفعولا

❀ بشنو اکنون قصهٔ صالح روان — بگذر از صورت طلب معنی آن(۳) ۱۴ ❀ زانکه صورت بین نبیند عاقبت — عاقبت بینی بیابی عافیت
ناقهٔ صالح بصورت بد شتر — پی بریدندش زجهل آن قوم مُر ۱۵ از برای آب جو خصمش شدند — آب کور و نان کور ایشان بُدند
ناقة الله آب خورد از جوی میغ — آب حق را داشتند ازحق دریغ ۱۶ ناقهٔ صالح چو جسم صالحان — شد کمینی در هلاك طالحان
تابران امت ز حکم مرگ و درد — ناقة الله وسقیاها چه کرد ۱۷ شحنهٔ قهر خدا زیشان بجست — خونبهای اشتری شهری دُرست
❀ روح صالح برمثال اشتریست — نفس گمره مرورا چون پی بریست ۱۸ روح همچون صالح و تن ناقه است — روح اندر وصل و تن درفاقه است
روح صالح قابل آفات نیست — زخم بر ناقه بود بر ذات نیست ۱۹ روح صالح قابل آزار نیست — نور یزدان سغبهٔ کفار نیست
حق ازآن پیوست باجسمی نهان — تاش آزارند و بینند امتحان ۲۰ بیخبر کازار این آزار او است — آب این خُم متصل با آب جوست
زان تعلق کرد با جسمش اله — تا که گردد جمله عالم را پناه(٤) ۲۱ کس نیابد بر دل ایشان ظفر — بر صدف آید ضرر نی بر گهر
ناقهٔ جسم ولی را بنده باش — تاشوی با روح صالح خواجه تاش(٥) ۲۲ گفت صالح چونکه گردید این حسد — بعد سه روز از خدا نقمت رسد
بعد سه روز دگر از جانستان — آفتی آید که دارد سه نشان ۲۳ رنگ روی جمله تان گردد دگر — رنگ رنگ مختلف اندر نظر
روز اوّل رویتان چون زعفران — در دوم رو سرخ همچون ارغوان ۲٤ در سیم گردد همه روها سیاه — بعد از آن اندر رسد قهر اله
گر نشان خواهید ازمن زین وعید — کرهٔ ناقه بسوی که دوید ۲۵ ❀ کرّهٔ ناقه بسوی که دوان — شد چنانکه باد در وقت خزان
گر توانیدش گرفتن چاره هست — ورنه خود مرغ امید از دام جست ۲٦ ❀ چون شنیدند این از او جمله بتگ — در دویدند از پی اشتر چو سگ
کس نتانست اندران کرّه رسید — رفت و در کهسارها شد ناپدید ۲۷ همچو روح پاك کو از تنگ تن — میگریزد جانب ربّ المنن
گفت دیدید این قضا مُبرم شده است — صورت امیدرا گردن زده است ۲۸ کرّهٔ ناقه چه باشد خاطرش — که بجا آرید ز احسان و برش
گر بجا آید دلش رستید از آن — ور نه نومیدید و ساعد ها گزان ۲۹ ❀ چون شنیدند آن وعید منکدر — چشم بنهادند آنرا منتظر
روز اوّل روی خود دیدند زرد — میزدند از نا امیدی آه سرد ۳۰ سرخ شد روی همه روز دوّم — نوبت امید و توبه گشت گم
شد سیه روز سیم روی همه — حکم صالح راست شد بی ملحمه ۳۱ چون همه درناامیدی سر زدند — همچو اشتر در دو زانو آمدند
در نُبی آورد جبریل امین — شرح این زانو زدن را جانمین ۳۲ زانو آن دم زن که تعلیمت کنند — وز چنین زانو زدن بیمت کنند
منتظر گشتند زخم قهر را — قهر آمد نیست کرد آن شهررا ۳۳ صالح از خلوت بسوی شهر رفت — شهر دید اندر میان دود و تفت
ناله از اجزای ایشان میشنید — نوحه پیدا نوحه گویان ناپدید ۳٤ ❀ گریه چون ازحد گذشت وهایهای — گریه های جان فزای دلربای
ز استخوانهاشان شنید او نالها — اشگ خون ازجانشان چون ژالها ۳۵ صالح آن بشنید و گریه ساز کرد — نوحه بر نوحه گران آغاز کرد
گفت ای قوم بباطل زیسته — وز شما من پیش حق بگریسته ۳٦ حق بگفته صبر کن بر جورشان — پندشان ده بس نماند از دورشان

---

(۱) یعنی تنفر قلبی اقویای نفوس بقسمی در هر شخصی عکس العمل دارد که آن شخص هم بدون جهت یك مرتبه ازصاحبان نفوس قویه و زکیه قلباً متنفر شده غافل ازاینکه مبدء تنفر اینها از آنهاست . (۲) تصریح بالکترون که از مستکشفات جدیده است که درهر ذرّهٔ و آتومی آثار یك دورهٔ منظومهٔ شمسیه بلکه یك کهکشان میباشد (۳) یعنی مقصود از ه.قصه چون عبرت است پس باید دراین قصه قرآنی احکام صالح را جریان بروح و احکام شتر را ببدن و احکام کرّه را بخاطر نفس بدهی تاعبرت از این قصه ببری . (٤) این بیت یکی از علل فوائد خلقت انسان است که عالم در پناه انسان کامل خلق شده بمثل درخت که در پناه ثمرهٔ خود خلق میشود همچنین انسان کامل که ثمرهٔ درخت کائنات است هر وقت نوع این ثمره بدون هیچیك از افراد خود معدوم یعنی عالم خالی از آدم بشود قیامت عالم قیام کرده و نظام عالم ازهم خواهد پاشید ومخفی نماند که افراد کامله نوع آدم منحصر بزمین ما نیست بلکه ممکن است که اگر در اینجا بمثل قبل ازخلقت آدم مفقود شود نظام عالم ببقای آدمهای سایر کرات باقی باشد و در پناه آنها نشو و ارتقا نماید (٥) یعنی ارواح انبیاء بواسطهٔ ملکهٔ تمرکز قوا بنقطهٔ واحدهٔ توحید نفس ابداً متأثر ازبلیات و نا ملایمات (بلکه از زخمها و تیر ها و نیزها و قتل و غارت دشمنان) نمیشوند چه تألم فرع بر احساس و توجه تام است و توجهات آنان قلباً و ذاتاً بحق است نه بجهات خلقیه الا بالعرض (وگاهی) لذا ادراك ناملایم ازخلق را بطور انزجار قلبی چندان نمیکنند . (۳) همچنانکه جریان الکتریسیته بدون اتصالات آلات محسوسه ممکن نیست همچنین قرب معنوی اولیاء حق بدون اتصال صوری وعبادات و اطاعتهای ظاهری ممکن نه

من بگفته پند و شد بند از جفا — شیربند از مهر جوشد وز صفا ۱ بس که کردید از جفا برجای من — شیر پند افسرد در رگهای من
حق مرا گفته تو را لطفی دهم — بر سر آن زخمها مرهم نهم ۲ صاف کرده حق دلم راچون سما — روفته از خاطرم جور شما
در نصیحت من شده بار دگر — گفته امثال و سخنها چون شکر ۳ شیر تازه از شکر انگیخته — شیر و شهدی با سخن آمیخته
در شما چون زهرگشته این سخن — زانکه زهرستان بدید ازبیخ و بن ۴ چون شوم غمگین که غم شد سرنگون — غم شما بودید ای قوم حرون
هیچ کس برمرگ غم نوحه کند — ریش وسرچون شد کسی موبرکند ۵ روبخود کرد وبگفت ای نوحه گر — نوحه‌ات را می نیرزند این نفر
کژ مخوان ای راست‌خواننده مبین — کیف آسا خلف قوم آخرین ۶ باز اندر چشم دل او گریه یافت — رحمت بی علتی بر وی بتافت
قطره میبارید و حیران گشته بود — قطرهٔ بی علت از دریای جود ۷ عقل میگفتش که این گریه زچیست — برچنان افسوسیان شاید گریست
برچه میگرئی بگو بر فعلشان — بر سیاه کینهٔ بد نعلشان ۸ بر دل تاریك پر زنگارشان — بر زبان زهر همچون مارشان
بردم و دندان سگسارانه شان — بردهان و چشم کژدم خانه‌شان ۹ برستیز و تسخر و افسوسشان — شکر کن چون کرد حق محبوسشان
دستشان کژ پایشان کژچشم کژ — مهرشان کژ صلحشان کژخشم کژ ۱۰ از پی تقلید و از رایات نقل — پا نهاده بر جمال پیر عقل
پیر خر نی جمله گشته پیر خر — از زبان و چشم و گوش همدگر ۱۱ از بهشت آورد یزدان بردگان — تانمایدشان سقر پروردگان
اهل نار و خلد را بین همدکان ۱۲ در میانشان برزخ لا یبغیان

تفسیر آیهٔ کریمهٔ مرج البحرین یلتقیان بینهما برزخ لایبغیان

اهل نار و اهل نور آمیخته — درمیانشان کوه قاف انگیخته (۱) ۱۴ ❀ اهل نار ونور با هم درمیان — در میانشان بحر ژرفی بیکران
همچودرکان خاك وزرکرد اختلاط — در میانشان صد بیابان و رباط ۱۵ همچنانکه عقد در دُرّ و شبه — مختلط چون میهمان یك شبه
❀ صالح وطالح بصورت مشتبه — دیده بگشا که تو گردی منتبه ۱۶ بحررا نیمش شیرین چون شکر — طعم شیرین رنگ روشن چون قمر
نیم دیگر تلخ همچون زهر مار — طعم تلخ و رنگ مظلم قیروار ۱۷ هردو برهم میزنند ازتخت واوج — بر مثال آب دریاموج موج (۲)
صورت برهم زدن ازچشم تنگ — اختلاط جانها در صلح و جنگ ۱۸ موجهای صلح برهم میزنند — کینه ها از سینه ها بر میکنند
موجهای جنگ بر شکل دگر — مهر ها را میکند زیر و زبر ۱۹ مهر تلخان را بشیرین میکشد — زانکه اصل مهرها باشد رَشد
قهر شیرین را بتلخی میبرد — تلخ با شیرین کجا اندر خورد ۲۰ تلخ وشیرین زین نظر ناید پدید — از دریچهٔ عاقبت تانند دید
چشم آخر بین تواند دید راست — چشم آخربین غروراست وخطاست ۲۱ ای بسا شیرین که چون شکر بود — لیك زهر اندرشکر مضمر بود
آنکه زیرکتر بود بشناسدش — چونکه دیداز دورش اندرکشمکش ۲۲ ❀ وان دگر بشناسدش چون بوکند — وان دگر چون برلب ودندان زند
❀ وان دگر درپیش رو بوئی برد — وان دگر چون دست بنهد کردرد ۲۳ پس لبش ردُش کند پیش ازگلو — گرچه نعره میزند شیطان کلوا
وان دگر را در کلو پیدا کند — وان دگر را دربدن رسوا کند ۲۴ وان دگر را درحدث سوزش دهد — خرج آن از دخل آموزش دهد
وان دگر را بعد ایام و شهور — وان دگررا بعد مرگ از قعرگور ۲۵ ور دهندش مهلت اندرقعرگور — لابد آن پیدا شود یوم النشور
هر نبات و شکوی را در جهان — مهلتی پیداست از دور زمان ۲۶ سالها باید که تا از آفتاب — لعل یابد رنگ و رخشائی و تاب
❀ پنج سال وهفت باید تا درخت — یابد ازمیوه رسانی فرّ و بخت ۲۷ باز تا سالی گل احمر رسد — باز تا سالی گل احمر رسد
بهر این فرمود حق عزّ وجل — سورة الانعام در ذکر اجل ۲۸ این شنیدی مو بمویت گوش باد — آب حیوانست خوردی نوش باد
آب حیوان خوان مخوان اینرا سخن — جان نو بین درتن حرف کهن ۲۹ نکتهٔ دیگر تو بشنو ای رفیق — همچو جان اوسخت پیدا ورقیق
درمقامی هست این هم زهر مار — ازتصاریف خدائی خوش گوار (۳) ۳۰ درمقامی زهر و در جائی دوا — درمقامی کفر و در جائی روا
❀ درمقامی خار ودر جائی چوگل — درمقامی سرکه درجائی چو مل ۳۱ ❀ درمقامی خوف ودرجائی رجا — درمقامی بخل و در جائی سخا
❀ در مقامی فقر در جائی غنا — درمقامی قهر و در جائی رضا ۳۲ ❀ درمقامی جور ودر جائی وفا — درمقامی منع و در جائی عطا
❀ درمقامی دُرد و در جائی صفا — درمقامی خاك و در جائی گیا ۳۳ ❀ درمقامی عیب ودرجائی هنر — درمقامی سنگ ودر جائی گهر
❀ درمقامی حنظل وجائی شکر — درمقامی خشکی و جائی مطر ۳۴ ❀ درمقامی ظلم وجائی محض عدل — درمقامی جهل وجائی عین عقل
گرچه آنجا آن گزند جان بود — چون بدینجا دررسد درمان بود ۳۵ آب درغوره ترش باشد ولیك — چون بانگوری رسد شیرین ونیك
باز درخُمّ اوشود تلخ وحرام — در مقام سرکگی نعم الادام ۳۶ ❀ اینچنین باشد تفاوت درامور — مردکامل این شناسد درظهور (٤)

---

(۱) یعنی جهات خلقیه و الهیه و شرّیه وخیریه وشیطانیه ورحمانیه که جهات ماهیات ووجودات ملکی وملکوتی در اهل معصیت و عبادت تکوینی وتشریعی باشد بمثل دو دریای شور و شیرین است که بابرزخی غیر مشهود بینشان موجها بر هم میزنند (لذا ابداً مخلوط نمیشوند) همچنین تمام اضداد صوری ومعنوی این عالم با آنکه بواسطهٔ قرب مکانی و معنوی که (مبنای خلقت و ترکیب در هر موجود مرکبی همین قرب است) که دارند باز بواسطهٔ فاصلهٔ کوه قاف که کنایه از عدم سنخیت و جنسیت است محال است که مخلوط شده و ممکن نیست که بمثل زر و خاك که در بیت سیم است برحسب خاصیت اتحاد یابند . (۲) یعنی تکمیل نفس تدریجی است و اشخاصیکه بجذبه یك دفعه بمنزل مقصود میرسند چندان بهرهٔ از فوائد خلقت (و وسعت وجودی که در ضمن تکمیل تدریجی یافت میشود) ندارند پس در اهل جذبه خطر وصال کمتر وضیق وجودی زیادتر ودر اهل تدریج خطرات وصول و زحمت سلوك بیشتر ولکن ضیق وجودی کمتر خواهد بود. (۳) یعنی حقیقت الوجود بمثل آفتاب که در هر رنگی بشکل آن رنگ جلوه میکند همچنین نور هستی در حالتیکه از طرف خداوند یکسان بهمهٔ اشیاء میتابد ولکن در هرموجودی و ماهیتی بشکل آن متجلی میشود یعنی در عقل عقل ودر نفس نفس و در جسم جسم ودر ماده ماده و در جماد جماد و درنبات نبات و در حیوان حیوان و در انسان انسان خلاصه در زمین زمین و در آسمان آسمان یعنی باطن و ماهیت هر موجودی را بآن طوریکه در علم حق ثابت بوده ظاهر مینماید. (٤) یعنی مردکامل حقائق را تازه بعد ازکشف و ظهور بامتیازات اشیاء تمیز خواهد داد والا قبل ازکشف وتمیز چون در مقام بطون واندماج است غیر از ذات احدیت احدی حق تمیز ندارد کما آنکه با هزاران آلات تمیز در عصر جدید هنوز نمیتوانند اجزای گلی و خاریرا مثلا در دانه آن تمیز بدهند لذا احدی علم بحقائق غیر از ذات احدیّت قبل ازخلقت ندارد.

در بیان آنکه آنچه ولیّ کامل کند مرید را نشاید گستاخی کردن وهمان فعل کردن که حلوا طبیب را زیان ندارد و مریض را زیان دارد و سرما و برف انگور رسیده را زیان ندارد اما غوره را زیان دارد که در راهست و نا رسیده لیغفر لك الله ما تقدم من ذنبك و ما تأخر صدق الله العلیّ العظیم

گرولی زهری خورد نوشی‌شود ور خورد طالب سیه‌هوشی‌شود ٤ ربّ هب لی ازسلیمان آمده‌است که‌مده‌غیر مرا این‌ملك دست(١)
تومکن باغیرمن این‌لطف وجود این حسد را ماند امّا آن نبود ٥ نکتهٔ لاینبغی میخوان بجان سِرّ من‌بعدی زبخل او مدان
بلکه اندرملك دید اوصد خطر مو بمو ملك جهان بد بیم سر ٦ بیم سر یا بیم سِرّ یا بیم دین امتحانی نیست ما را مثل این
پس سلیمان همتی باید که او بگذرد زین‌صدهزاران رنگ‌وبو ٧ با چنان قوّت که اورا بود هم موج‌آن ملکش فرو می‌بستدم
❀ خوان‌که القینا علی کرسیه چون‌بماند ازتخت وملك خودتهی ٨ چون بروبنشست زین اندوه‌گرد بر همه شاهان عالم رحم کرد
شد شفیع وگفت این ملك ولوا با کمالی ده که دادی مر مرا ٩ هرکرا بدهیّ وبکنی آن کرم او سلیمانست وآنکس هم منم
او نباشد بعدی او باشد معی خود معی چه بود منم بی‌مدّعی ١٠ شرح‌این فرضست گفتن لیك‌من باز میگردم بقصهٔ مرد و زن

مخلص ماجرای عرب و جفت او در فقر و شکایت

ماجرای مرد و زن را مخلصی باز میجوید درون مخلصی ١٢ ماجرای مرد و زن افتاد نقل این‌مثال نفس خود میدان وعقل
این‌زن‌ومردی‌که نفس‌است وخرد نیك پابست است بهر نیك و بد ١٣ وین دو پابسته در این خاکی‌سرا روزوشب درجنگ واندر ماجرا
زن همی جوید حویج خانقاه یعنی‌آب‌روّ ونان وخوان وجاه ١٤ نفس همچون زن بی‌چاره گری گاه خاکی گاه جوید سروری
عقل خود زین فکرها آگاه‌نیست در دماغش جزغم الله نیست(٢) ١٥ گرچه سرّ قصه این‌دانه‌است ودام صورت قصه شنو اکنون تمام
گر بیان معنوی کامل شدی خلق عالم عاطل وباطل بدی(٣) ١٦ گر محبت فکرت و معنیستی صورت صوم و نمازت نیستی
هدیهای دوستان با یکدگر نیست اندر دوستی الاصور(٤) ١٧ تاگواهی داده باشد هدیه ها بر محبتهای مضمر در خفا
زانکه احسانهای ظاهر شاهدند بر محبتهای سرّ ای ارجمند ١٨ شاهدت گه راست باشد گه دروغ مست گاهی‌از می وگاهی ز دوغ
دوغ خورده مستئی پیدا کند های و هوی و سر گرانیها کند ١٩ آن مُرائی در صلوة و در صیام مینماید جدّ و جهدی بس تمام
تاگمان آید که او مست ولاست چون حقیقت بنگری غرق‌ریاست ٢٠ حاصل افعال برونی رهبر است تا نشان باشد برآنچه مضمر است
❀راهبر گه حق بود گاهی غلط گه گزیده باشد و گاهی سقط ٢١ یارب آن تمییز ده مارا بخواست تا شناسیم آن نشان کژ ز راست
حسّ را تمییز دانی چون شود آنکه حس ینظر بنورالله بود(٥) ٢٢ ور اثر نبود سبب هم مظهراست همچو خویشی کز محبت‌مخبر است
نبود آنکه نور حقش شد امام مر اثرها یا سببها را غلام ٢٣ ❀چونکه نورالله درآمد در مشام مر اثر را یا سبب نبود غلام
تا محبت در درون شعله زند زفت گردد وز اثر فارغ کند ٢٤ حاجتش نبود پی اعلام مهر چون محبت نور خود زد برسپهر
هست تفصیلات تاگردد تمام این سخن لیکن بجو تو والسلام ٢٥ گرچه شد معنی دراین‌صورت پدید صورت ازمعنی قریب است وبعید
در دلالت همچو آبند و درخت چون بماهیت روی دورند سخت ٢٦ ❀دانه بین کزآب وخاك و آفتاب چون درختی‌گشت عالم در شتاب
❀ ور بماهیت بگردانی نظر دور دورند این همه از یکدگر ٢٧ ترك ماهیات و خاصیات گو شرح‌کن‌احوال‌آن‌دو رزق‌جو(٦)

دل نهادن مرد عرب بر التماس دلبر خویش و مبالغه نمودن که مرا در این تسلیم حیله وامتحانی نیست

❀بازگو از ماجرای مرد و زن زانکه انجامی ندارد این سخن ٢٩ مردگفت اکنون‌گذشتم ازخلاف حکم‌داری تیغ برکش از غلاف
هرچه گوئی مر ترا فرمان برم ور بد ونیك آید آن را ننگرم ٣٠ در وجود تو شوم من منعدم چون مجبم حبّ یُعمی و یُصمّ
گفت زن آهنگ بِرّم میکنی یا بحیلت کشف سِرّم میکنی ٣١ گفت والله عالم السرّ و الخفی کافرید از خاك آدم را صفی
در سه‌گز قالب که دادش وانمود آنچه در الواح و در ارواح بود ٣٢ ❀ یاد دادش لوح محفوظ وجود تا بدانست آنچه در الواح بود

---

(١) اشاره باین‌آیه است (ربّ هب لی ملکالاینبغی لاحد من‌بعدی)یعنی خدایا بده ملکی‌که سزاوار نباشد احدیرا بعدازمن واین‌ازمثل سلیمانی ظاهراً سزاوار نیست‌که ازجهت بخل‌وحسد نتواند ملك خودرا درغیر بعداز خود ببیند ومقصود از تفسیر وتوجیه مولوی آنستکه یعنی‌هرکس متصف بصفات ملك‌داری من ازجهت سلب علاقه وقوهٔ گذشت‌و بی‌غرضانه بعارض ومعروض نظرکردن وهرحکمی‌را بجای خود نمودن وغرور نداشتن و مانند اینها نباشد ملك‌را درتصرف اونمیتوانم دید پس‌الهی برای خطرات ملك داری ملك‌را مختص بمن و بمتصفین بصفات سلیمانی من کن) چنانکه دربیت آخر فرموده (اونباشدبعدی‌اوباشدمعی) (٢) این‌بیت وبیت قبل‌نمره راجع بتاویل وتشبیه نفس بزن وعقل بمرداست کمااینکه این‌مضمون عقلی‌از این‌آیهٔ شریفه (خلق‌لکم‌من انفسکم‌ازواجاً) کاملا فهمیده میشود و مطابق‌است با احادیث خلقت حوّا از پهلوی چپ حضرت‌آدم چه ازبرای روح هرآدمی‌دو پهلوی‌راست‌وچپ معنوی ازعقلانی ونفسانی‌است چه هرروحی روئی بحق وملکوت داردکه نامش عقل وروئی بخلق ومزاج بدن‌خود داردکه نامش نفس است کما آنکه در اصول‌کافی وارد است (العقل ما عُبد به‌الرحمن وا کتسب به‌الجنان) پس اگر این دوپهلوی راست و چپ معنوی هر انسانی از عقل و نفس بمثل اعتدال دوپهلوی راست وچپ جسمانی (که بورزش دادن طرف چپ بیشتر ازطرف راست‌مزاج معتدل میشود آن دوپهلوی معنویهم درمقام روحانیت بتربیت وورزش دادن طرف چپ که اداره نفس اماره تحت حکومت طرف راست عقل باشد) مقام اعتدال را در شرکت زندگانی بریاضت نفس پیدا کند براحت ابدی این‌زن ومرد معنوی خواهند رسید و نزاع قطع خواهدشد والا معنای حکیمانه نداردکه حوّا ازپهلوی چپ جسمانی‌آدم خلقت شده باشد وآدم باپهلوی چپ خود نگاه‌کرده باشد. (٣) یعنی حقائق‌را برای اهل کثرات‌باید بزبان خودشان و بصورت قصه وغیره درآورد والا یانخواهد فهمید ویا دست ازکثرات برداشته عاطل وباطل خواهندشد. (٤) کما اینکه بین‌عوام معروف است که ریزش دست‌کاشف از محبت قلب بلکه موجد و مقوم و مؤید و تکمیل کنندهٔ محبت است. (٥) مقصود حس ششم است‌که ازمستکشفات تیاصوفی درکتب علم‌الروح عصر جدید شرح مفصلی مطابق علوم مثبته دارد. (٦) مقصود از ماهیات جهان امتیازیه اشیاء و اختلافات در ذوات وصفات و آثار و اشکال و حدود است.

تاابد هرچه که ازپس بود و پیش — درس کرد ازعلم الاسماءخویش(۱) ۱ تاملك بیخود شد از تدریس او — قدس دیگر یافت از تقدیس او
آن گشادیشان که آدم وا نمود — در گشاد آسمانهاشان نبود ۲ در فراخی عرصهٔ آن پاك جان — تنگ آمد عرصهٔ هفت آسمان
گفت پیغمبر که حق فرموده است — من نگنجم هیچ در بالا وپست ۳ در زمین و آسمان و عرش نیز — من نگنجم این یقین دان‌ای‌عزیز
در دل مؤمن بگنجم ای عجب — گر مرا جوئی در آن دلها طلب ٤ گفت فادخلی فی عبادی تلتقی — جنة من رؤیتی یا متقی
عرش با آن‌نور وبابهنای خویش — چون‌بدیداورا برفت‌ازجای‌خویش ٥ خود بزرگی عرش باشد بس پدید — لیك‌صورت کیست‌چون معنی رسید
هر ملك میگفت مارا پیش از این — الفتی میبود با روی زمین ٦ تخم‌خدمت در زمین می کاشتیم — زان تعلق ما عجب می داشتیم
کین تعلق چیست با این خاکمان — چون‌سرشت ما بُدست ازآسمان ۷ الف این انوار با ظلمات چیست — چون تواند نور باظلمات زیست
آدما آن الف از بوی تو بود — زانکه جسمت‌را زمین بدتار وپود ۸ جسم خاکت را از اینجا یافتند — نوریاکت را در اینجا تافتند(۲)
اینکه جان ما زروحت یافته است — پیش‌پیش‌ازخاك‌آن‌میتافته‌است(۳) ۹ در زمین بودیم و غافل از زمین — غافل‌ازگنجی‌که بُددروی‌دفین(٤)
چون سفر فرمود مارا زان مقام — تلخ شد ما را از این تحویل‌کام ۱۰ تاکه حجتها همی گفتیم ما — که بجای ماکه آید ای خدا
نور این تسبیح و این تهلیل را — میفروشی بهر قال و قیل را ۱۱ حکم حق گسترد بهر ما بساط — که بگوئید از طریق انبساط
هرچه آید بر زبانتان بی حذر — همچو طفلان یگانه با پدر ۱۲ ❁ ما همی دانیم خود راز شما — لیك میخواهیم آواز شما
زانکه این دمها اگر نالایقست — رحمت من برغضب هم‌سابق‌است ۱۳ از پی اظهاراین سبق ای ملك — در توبنهم داعیهٔ اشکال‌وشك(٥)
تا بگوئی و نگیرم بر تو من — منکر حلمم نیارد دم زدن ۱٤ صد پدر صد مادر اندرحلم ما — هر نفس زاید در افتد در فنا
حلم ایشان‌کفّ بحر حلم ماست — کف رود آید ولی دریا بجاست ۱٥ خودچه‌گویم پیش‌آن‌دُر این‌صدف — نیست‌الا کفّ کفّ کفّ کف
حقّ آن‌کفّ حق‌آن دریای‌صاف — کامتحانی‌نیست این‌گفت ونه‌لاف ۱٦ از سر مهروصفاء است و خضوع — حقّ آنکس که بدو دارم رجوع
گر بپیشت امتحانست این هوس — امتحان را امتحان کن یکنفس(٦) ۱۷ سِر میوشان تا پدید آید سِرم — امر کن تو هرچه بر وی قادرم
دل میوشان تا پدید آید دلم — تا قبول آرم هر آنچه قابلم ۱۸ چون کنم‌دردست من‌چه‌چاره‌است — در نگر تا جان من‌چه کاره‌است

تعیین کردن زن طریق طلب روزی شوی خودرا و قبول او

گفت زن نك آفتابی تافته است — عالمی زو روشنائی یافته است ۲۰ نایب رحمان خلیفهٔ کردگار — شهربغداد است ازوی چون‌بهار
گر پیوندی بدان شه شه شوی — سوی هر ادبار تاکی میروی ۲۱ دوستیّ مقبلان چون کیمیا است — چون‌نظرشان کیمیائی‌خودکجااست
چشم احمد بر ابوبکری زده — او ز یك تصدیق صدّیق آمده ۲۲ گفت من‌شه را پذیرا چون شوم — بی بهانه سوی او من چون روم
نسبتی باید مرا یا حیلتی — هیچ پیشه‌راست شد بی آلتی(۷) ۲۳ همچو مجنونی که بشنید از یکی — که مرض آمد بلیلی اندکی
گفت آوه بی بهانه چون روم — ور بمانم از عیادت چون شوم ۲٤ لیتنی کنت طبیباً حاذقاً — کنت امشی نحو لیلی شائقاً
قل تعالوا گفت حق ما را بدان — تابود شرم اشکنی ما را نشان ۲٥ شب پرانرا گر نظر وآلت بدی — روزشان‌جولان‌وخوش حالت‌بدی
گفت چون شاه کرم میدان رود — عین هر بی آلتی آلت شود ۲٦ زانکه آلت دعویست وهستی‌است — کار در بی آلتیّ و پستی است

---

(۱) چون تمام حقائق بمثل ارتباطات حلقهای زنجیر و زره بقسمی یك دیگر متصل است که اگر یك حقیقت از حقائق منکشف بتمرکز قوا و توحید نفس نه بخواندنیهای فقط بشود (چون برای هرحقیقتی مراتب است) بقدر انکشاف آن حقیقت یکمرتبه همهٔ حقائق نزد قلب روشن عارف بتوحید نفس منکشف خواهد شد و این انکشاف یکمرتبهٔ اعلای علوم غریزیه است که درهمهٔ موجودات میباشد (۲) بدانکه در این فصل ببعضی از امتیازات خلقت‌آدمی اشاره شده که مهم ترین آنها توضیح داده میشود که منجملهٔ از ترکیب بین روح و بدن بالفت تعبیر نموده در حالتیکه نور و ظلمت را الفت و اتحادی نیست پس مقصود از این الفت نه همان تنها جامعیت آدم هست که بروح خود جامع جمیع مراتب ملکوت و بجسم خود جامع جمیع اجسام و برزخ خود جامع جمیع برازخ عالم باشدکه در چندین بیت فوقاً اشاره نموده بلکه مقصود از این الفت بالاتر از این جامعیت است و آن آنستکه روح و بدن در آدم قسیم یکدیگر یعنی در عرض یکدیگر نیست که ترکیب انضمامی باشد بلکه در طول و ترکیب اتحادیست‌که تعبیر بالفت نموده یعنی روح هرآدمی جسمی است مروّح وجسم هرآدمی روحیست مجسم یعنی هیچکدام مانع ازنفوذ در یکدیگر بطور الفت و اتحاد نیست بلکه هریك صفات یکدیگر را کاملا بطور نقصان (ازطرف بدن) وبطورکمال (از طرف روح) داراست یعنی بدن عین روح است ولکن روحی است ناقص و روح عین بدن است ولکن بدنیست‌کامل کما آنکه نطفه عین‌آدم است ولکن آدمی‌است ناقص و آدم عین نطفه است ولکن نطفه ایست‌کامل و از اینجهتست که بدنهای مرتاضین بزرگ از انبیاء و اولیاء بریاضت و تمرکز قوا بقسمی لطافت یافته‌که‌کار ملکوت و ملکوت آنان‌کار بدنهای آنان را مینماید . (۳) یعنی جان هرآدمی ذاتاً مقدم از اعضای بدنیه در خلقت است ولکن ظهوراً و اثراً بقسمی مؤخر است‌که یگانه موجب اشتباه مادیون در مادی بودن روح همین تأخر ظهوری و اثری شده کما آنکه الکتریسیته ذاتاً درخلقت مقدم برآلات و ادوات‌کارخانجات است ولکن از جهت اثروظهور بقسمی مؤخر است‌که تا آلات مادی درکار خود منظماً مصنوع نگردد محال است‌که آثار الکتریسیته ظهور یابد و ممکن‌است این تقدم وتأخر ذاتی وظهوری هم موجب اشتباه الکتریسیته بآلات خودگرددکه گفته شود مبدء اثرهمانا آلات وادوات مصنوعه است نه ذات الکتریسیته . (٤) وآنچه ملائکه نفهمیده اشکال درخلقت آدم‌کرده اند برای غفلت ازخصوصیت الفت و اتحاد روح و بدن آدم بوده که فوقاً شرح شد چه برای خصوصیت این الفت است‌که هیچ روحی بروح آدمی و هیچ جسمی ببدن آدمی نمیماند چه هرروح وبدنی مثل نور وظلمت با یکدیگر ضدّ است و بغیر از آدمی زیر بار جمع بین ضدین نرفته و نخواهد هم رفت لذا مقام آدم مقام مجمع‌الاضداد (که صفت مختص خداوندی در جمع بین کثرات خلقیه و ظهور وحدت الهیه است) میباشد که ملائکه از این مقام اختصاصی آدم غافل بوده واشکال و ایراد درخلقت آدم مینمودند . (٥) یعنی چون رحمت من برغضب من سبقت دارد ای ملائکه بحلم من شما جرئت اشکال در خلقت آدم نمودید . (٦) یعنی هر ترازوئی را از حواس ظاهره و باطنه باید اولا تصفیه و میزان نمود سپس سایر اشیاء را باو سنجید . (۷) یعنی تا سنخیت و نسبت باولیاء بمحبت و اسباب مناسب پیدا نکنی از آنها در تو اثری پیدا نخواهد شد

گفت کی بی آلتی سودا کنم تا نه من بی آلتی پیدا کنم ۱ پس گواهی بایدم بر مفلسی تاشهم رحمی کند در مفلسی
توگواهی غیر گفت و گو ورنگ وا نما تا رحم آرد شاه شنگ ۲ کین گواهی که ز گفت ورنگ بُد نزد آن قاضی‌القضاة آن جرح شد
❁ پس گواهی زاندرون میبایدم نی گواهی برون میبایدم ۳ صدق میباید گواه حال او تا بتابد نور او بی قال او
گفت زن صدق آن بود کز بود خویش ۴ پاك برخیزی تو ازمجهود خویش

هدیه بردن آن اعرابی سبوی آب باران ازمیان بادیه‌سوی بغداد نزد خلیفه و پنداشتن که آنجا قحط آبست

آب بارانست ما را در سبو ملکت و سرمایه و اسباب تو ۶ این سبوی آب را بردار و رو هدیه ساز و پیش شاهنشاه شو
گوکه‌مارا غیر ازاین اسباب نیست درمفازه هیچ به زین آب نیست ۷ گرخزانه‌اش پر ز دُرّ فاخراست این‌چنین آبش نباشد نادر است
چیست آن کوزه تن محصور ما اندر آن آب حواس شور ما ۸ ای خداوند این خُم وکوزهٔ مرا در پذیر از فضل الله اشتری
کوزهٔ با پنج لوله پنج حسّ پاك دار این آب رااز هرنجس ۹ تاشود زین کوزه منفذ سوی بحر تا بگیرد کوزهٔ ما خوی بحر
تاچو هدیه پیش سلطانش بری پاك بیند باشدش شه مشتری ۱۰ بی نهایت گردد آبش بعد از آن پر شود از کوزهٔ ما صد جهان
لولها بر بند و پُر دارش زخُم گفت غُضوا عن هوی ابصارکم ۱۱ ریشْ او پرباد کاین هدیه کراست لایق چونان شهی این‌است‌راست
وآن نمیدانست کانجا برگذر هست جاری دجلهٔ همچون شکر ۱۲ در میان شهر چون دریا روان پُر ز کشتیها و شست ماهیان
رو بر سلطان وکار و بار بین حسّ تجری تحتها الانهار بین ۱۳ اینچنین حسها و ادراکات ما قطرهٔ باشد در آن بحر صفا
❁باز جوی و باز بین و بازیاب ۱۴ از که از من عنده امّ الکتاب

درنمد دوختن زن سبوی آب را ومهر بر وی نهادن ازاعتقاد

مرد گفت آری سبو را سربند هین که‌این‌هدیه است ماراسودمند ۱۶ در نمد در دوز تو این کوزه را تاگشاید شه بهدیه روزه را
کین چنین اندر همه آفاق نیست جز رحیق و مایهٔ اذواق نیست ۱۷ زانکه ایشان زآبهای تلخ وشور دائماً پُر عاقند و نیم کور
مرغ کاب شور باشد مسکنش او چه داند جای آب روشنش ۱۸ ایکه اندر چشمهٔ شور است جات توچه دانی شطّ وجیحون وفرات
ای تو نارسته از این فانی رباط توچه دانی‌صحو و سکر وانبساط ۱۹ وربدانی نقلت ازآبٌ وجداست پیش‌تو این نامها چون ابجداست
ابجد وهوّز چه فاش‌است وپدید بر همه طفلان و معنی بس بعید ۲۰ پس سبو برداشت آن مرد عرب در سفرشد میکشیدش روز وشب
برسبو لرزان بُد از آفات دهر هم کشیدش از بیابان تا بشهر ۲۱ زن مصلی باز کرده از نیاز ربّ سلم وِرد کرده در نماز
که نگهدار آب ما را از خسان یارب این گوهر بدان دریا رسان ۲۲ گرچه شویم آگهست وپرفن است لیك گوهررا هزاران‌دشمن است
خود چه باشدگوهر آب‌کوثر است قطرهٔ زان آب‌کاصل گوهر است ۲۳ از دعا هـای زن و زاریّ او وز غم مرد و گران باریّ او
سالم ازدزدان و ازآسیب سنگ برد تا دارالخلافه بیدرنگ ۲۴ دید درگاهی پر از انعامها اهل حاجت گسترده دامها
دمبدم هر سوی صاحب حاجتی یافته زان در عطا و خلعتی ۲۵ بهر گبر و مؤمن وزیبا و زشت همچوخورشید ومطربل‌چون‌بهشت
دید قومی در نظر آراسته قوم دیگر منتظر بر خاسته ۲۶ خاص و عامه از سلیمان تا بمور زنده‌گشته چون جهان‌ازنفخ‌صور
اهل صورت چون جواهر یافته اهل معنی بحر نادر یافته ۲۷ آنکه بی همت چه با همت شده وانکه باهمّت چه بانعمت‌شده(۱)

در بیان آنکه چنانکه گدا عاشق کریم است کریم هم عاشق گداست اگر گدا را صبر بیش بود کریم بر در او آید و اگر کریم را صبر بیش بود گدا بر در او آید اما صبر کمال گدا و نقص کریم است

بانگ می آید که ای طالب بیا جود محتاج گدایان چون گدا (۲) ۳۰ ❁جود محتاج‌است وخواهد طالبی همچنانکه توبه خواهد تایبی
جود میجوید گدایان و ضعاف همچو خوبان کاینه جویند صاف ۳۱ روی خوبان ز آینه زیبا شود روی احسان از گدا پیدا شود
چون گدا آینهٔ جود است هان دم بود بر روی آئینه زیان ۳۲ پس ازاین‌فرمود حق دروالضحی بانگ کم زن ای محمد بر گدا
آن یکی جودش گدا آرد پدید وین دگر بخشد گدایان را مزید ۳۳ پس گدایان آینهٔ جود حقند وانکه باحقند جود مطلق‌اند(۳)
وانکه‌جزاین‌دواست‌اوخودمرده‌است ۳۴ او براین درنیست نقش‌پرده‌است

فرق میان انکه درویش است بخدا و تشنهٔ خداست و انکه درویش‌است از خدا و تشنه است بغیر او

❁لیك درویشی که‌آن‌تشنهٔ خداست هست دایم ازخدایش‌کار راست ۳۶ ❁لیك درویشی که تشنهٔ غیر شد او حقیر و ابله و بی خیر شد
نقش درویش‌است اونی اهل‌جان نقش سگ راتو بینداز استخوان ۳۷ فقر لقمه دارد او نی فقر حق پیش نقش مردهٔ کم نه طبق
ماهی خاکی بود درویش نان شکل ماهی لیك از دریا رمان ۳۸ ❁ نقش ما هی‌کی بود درویش‌آب آن ز بی آبی نمیگردد خراب

---

(۱) یعنی همت وعزم و اراده تقویت اختیاری (که مبدء هر نعمتی است) نخواهد شد مگر بترك همتهای مادی کوچك چه همت در ترك همت قوی تر از عمل همت های غیر منظم است و الا در ظاهر این بیت تناقض است (۲) بدانکه در این بیت مولوی اشکال علمیست که از مثل مولوی دور است که از جود حق برای گدا و مستحق تعبیر باحتیاج نماید اگر چه نظر مولوی بآنستکه جود از امور اضافیه و هر دو طرف اضافه محتاج بیکدیگر مثل خود اضافه محتاج بطرفین است ولکن اضافات الهیه از اضافه اشراقیه است که طرف آور است (نه مقوله که محتاج بطرفین است) پس این اشکال حل نخواهد شد الا بتحقیق و تعبیر ذیل که بگوئیم هر گدا و مستحقی بلکه جمله خلائق در حقیقت‌الوجود مصداق محتاج بجود خالق هستند ولکن از طرف خالق جود در ظهور محتاج بمظاهر است نه درذات چه اضافهٔ اشراقیه طرف آور است نه محتاج بطرف کما آنکه انوار و الوان در ظهور محتاج بسطوح و اجسام است نه در ذات بخلاف اجسام‌که در ذوات وجودی خود محتاج بتراکم و تکاثف انوار معنویست که تراکم الکتریسیته و اتر باشد کما اینکه گفته شده ظهور تو بمن است و جود من از تو فلست تظهر لولای لم اکن لولاك (۳) چون جمادات غالباً خود نما ولکن آینه غیر نما و تو نماست یعنی هرگاه گدای در خانه خدا از خود نمائی بمثل آینه صیقلی شده و حق‌نما گردیده جود واحسان مطلق حق‌را ازخود ظاهر خواهد ساخت والا جود خلقی عدد گدایان را زیاد خواهد نمود.

مرغ خانه است او نه سیمرغ هوا لوت نوشد اونوشد از خدا(۱) ۱ عاشق حقّ است او بهر نوال نیست جانش عاشق حسن وجمال
گر توّهم میکند او عشق ذات ذات نبود وهم اسماء صفات(۲) ۲ وهم مخلوقست ومولود آمده است حق نزائیده‌است واولم یولداست
عاشق تصویر و وهم خویشتن کی بود از عاشقان ذوالمنن ۳ عاشق آن وهم اگر صادق بود آن مجازش تاحقیقت میرود
شرح میخواهد بیان این سخن لیك میترسم ز افهام کهن ۴ فهم های کهنهٔ کوته نظر صد خیال بد در آرد در فکر
بر سماع راست هرکس چیرنیست لقمهٔ هر مرغکی انجیر نیست ۵ خاصه مرغ مردهٔ پوسیدهٔ پُر خیالی اعمی بی دیدهٔ
نقش ماهی را چه دریا وچه‌خاك رنگ‌هندو راچه‌صابون وچه‌زاك ۶ نقش اگر غمگین نگاری برورق او ندارد از غم و شادی سبق
صورتش غمگین واوفارغ از آن صورتش خندان واوزان بی‌نشان ۷ وین‌غم وشادی‌که اندر دل‌خفیست پیش آن‌شادیّ وغم‌جزنقش‌نیست
صورت خندان نقش از بهرتست تاازان صورت شود معنی‌درست ۸ ❀صورت غمگین نقش‌ازبهرماست تاکه ما را یاد آید راه راست
نقشهائی کاندرین گرمابهاست از برون جامه کن‌چون جامهاست ۹ تا برونی جامها بینیّ و بس جامه بیرون کن درآ ای همنفس
زانکه‌باجامه درآن‌سو راه نیست ۱۰ تن‌زجان جامه زتن آگاه نیست(۳)

پیش آمدن نقیبان و دربانان خلیفه از بهر اکرام اعرابی و پذیرفتن هدیهٔ اورا

باز میگردم سوی قصهٔ عرب از بیان راز و سِرّ بوالعجب ۱۲ آن عرابی از بیابان بعید بر در دارالخلافه چون رسید
پس نقیبان پیش اعرابی شدند بس‌گلاب لطف برویش زدند ۱۳ حاجت او فهمشان شد بی‌مقال کارایشان بد عطا پیش ازسؤال
پس بدو گفتند یا وجه العرب ازکجائی چونی ازراه و تعب ۱۴ گفت وجهم گر مرا وجهی دهید بی وجوهم چون پس پشتم نهید
ای‌که‌در روتان نشان مهتریست فرّتان خوشتر ز زرّ جعفریست ۱۵ ای‌که یك‌دیدارتان دیدار ها ای تنار دیده تان دینار ها
ای همه ینظر بنورالله شده از برحق بهر بخشش آمده(٤) ۱۶ تا زنید آن کیمیاهای نظر بر سر مسهای اشخاص بشر
من غریبم از بیابان آمدم بر امید لطف سلطان آمدم ۱۷ بوی لطف او بیابانها گرفت ذرهای ریگ هم جانها گرفت
تا بدینجا بهر دینار آمدم چون رسیدم مست دیدار آمدم ۱۸ بهرنان شخصی سوی نانوا دوید داد جان‌چون حسن نانوارا بدید
بهر فرجه شد یکی تا گلستان فرجهٔ او شد جمال باغبان ۱۹ همچو اعرابی‌که آب ازچه‌کشید آب حیوان از رخ یوسف چشید
رفت موسی کاتشی آرد بدست آتشی دید اوکه از آتش برست ۲۰ جست عیسی تا رهد ازدشمنان بردش آن جستن بچارم آسمان
دام آدم دانهٔ گندم شده تا وجودش خوشهٔ مردم شده ۲۱ باز آمد سوی دام از بهر خور ساعد شه یافت او باصد خطر
طفل شد مکتب پی‌کسب هنر بر امید مرغ و یا لطف پدر ۲۲ پس زمکتب‌آن یکی‌صدری شده ماهیانه داده و بدری شده
آمده عباس حرب از بهرکین بهر قمع احمد و استیز دین ۲۳ گشت دین را تا قیامت پشت ورو در خلافت او و فرزندان او
❀ آمده عمرّ بحرب مصطفی تیغ در کف بسته بس میثاقها ۲٤ ❀گشته اندرشرع امیرالمؤمنین پیشوا و مقتدای اهل دین
❀آن علف‌کش‌سوی‌ویرانها شده بیخبر بر گنج ناگه پا زده ۲۵ تشنه آمد سوی جوی آب در دید اندر جوی خود عکس قمر
من براین در طالب چیزآمدم صدر گشتمّ چون بدهلیز آمدم ۲۶ آب آوردم بتحفه بهر نان بوی نانم برد تا صدر جهان
نان برون بردآدمی را ازبهشت نان مرا اندر بهشتی در سرشت ۲۷ رستم از آب و زنان همچون ملك بیغرض‌گردم بر این در چون فلك
بیغرض نبود بگردش در جهان ۲۸ غیر جسم و غیر جان عاشقان

در بیان آنکه عاشق دنیا بر مثال عاشق دیواریست که بر او آفتاب تافته و جهد نکرد تا فهم کند که آن تاب از دیوار نیست از آفتابست از آسمان چهارم لاجرم کلیّ دل بر دیوار نهاد وچون پرتو آفتاب بافتاب پیوست او محروم ماند وحیل بینهم و بین مایشهون

عاشقان کل نه این عشاق جزو ماند ازکل هرکه شد مشتاق جزو ۳۲ چونکه جزوی‌عاشق جزوی شود زود معشوقش بکلّ خود رود
ریش گاو و بندهٔ غیر آمد او غرقه شدکف درضعیفی درزد او ۳۳ نیست حاکم تاکند تیمار او کار خواجهٔ خود کند یاکار او

---

(۱) همچنانکه تخم مرغ خانگی و آبی و هوائی را در زیر بال یك مرغ ممکن است تربیت کرد تا جوجه گشته بیرون آید و لکن عاقبت هریك باصل خود پرواز خواهند نمود همچنان درویش نان و درویش خدا و علمای سوء و حقیقی عاقبت جدا خواهند شد. (۲) این چهار بیت کاملا رد بر تمام صوفیه ودراویش باطله است که ادعای وصول بذات احدیت را بریاضت نمودند و دم از (انا الله ولیس فی‌جبتی سوی‌الله ومانند اینها زدند) و چون مولوی فوقاً مثال مرتاض را بآینه زده شارح هم ازهمین مثال استدلال مینمایدکه احدی بذات احدیت محال است برسد ولو آنکه بهر اندازه ریاضت بکشد و آینه نفس را صیقلی بنماید چه آینه بهر اندازه صیقلی شود باز محالست‌که از مرتبهٔ معدنی و سنگی خارج شده وبمقام خورشیدی یاسایر صاحبان عکوس برسد ولکن چون اشتباهات در تمام مراتب ریاضت هست‌که در قرآن وارد است (وللمخلصین فی خطر عظیم) ممکن بلکه واقع است که هر مرتاضی اگر نزد استادکاملی مشغول بریاضت نشود بعد از تصفیه ناقص‌که قابل ظهور اشعهٔ ملکوتی میشود بمثل آینه که قابل شعاع خورشیدی شده البته آن شعاع و عکس آن خورشید را در خود توهم خود خورشید نموده و در حالت غفلت و مستی معنوی تمیز بین عکس و صاحب عکس نداده ادعای خورشیدی مینماید در حالتیکه ممکن‌است فرسنگها هنوز از صفات خورشید دور باشد چه جای ذات خورشید لذا بعضی زبان ملامت باز کرده وگویند یاللعجب خدائی را که هنوز وجودش مسلم کل ملل نشده بلکه عدهٔ از حکماء منکر و عدهٔ مشکوك وعدهٔ مجهول‌الکنه دانسته وعدهٔ ازمثبتین اینقدر اختلافات دراسماء و صفاتش نمودندکه تاکنون یك مطلب مسلم ازصفات خدا دست نیامده چطور این طایفه بنای دیانت خودرا عشق بازی با ذات مجهول‌الهویه دانسته اند لذا مولوی در بیت سیم و چهارم تصریح میفرماید که مرتاضین اگر صادق درریاضت و عشق‌ورزی با خدا باشند تازه عشق ورزی با موهوم خود نموده‌اند بقسمیکه اگر استقامت در این موهوم بخرج بدهند بحقیقت (یعنی بذات خود بتمرکز قوا) خواهند رسید (نه بذات الله). (۳) یعنی جان وتن‌که فعلا علم بعلم بیکدیگر ندارند اگر خلع جامه یعنی اوصاف رذیله و سلب علاقه نمایند مربوط بیکدیگر بطور علم بعلم خواهند شد. (٤) یعنی آخرین منزل هرمرتاضی از اولیاء حق رسیدن بنورالله است نه بذات الله‌که فوقاً تحقیق شد.

فازن بالحرّه پی این شد مثل — فاسرق‌الدره بدین شد منتقل(۱) ۱ بنده سوی خواجه‌شد او ماندزار — بوی گل شد سوی گل اوماندخار
همچو آن ابله که تاب آفتاب — دید بردیوار وحیران شد شتاب ۲ عاشق‌دیوارشدکاین باضیا است — بیخبر کاین‌عکس‌خورشید سماست
چون‌باصل‌خویش‌پیوست‌آنضیا — دید دیوار سیه مانده بجا ۳ او بمانده دوراز مطلوب خویش — سعی ضایع رنج باطل پای ریش
همچو صیّادی که گیرد سایهٔ — سایه کی گردد ورا سرمایهٔ ۴ سایهٔ مرغی گرفته مرد سخت — مرغ حیران گشته برشاخ درخت
کاین مدمّغ برکه میخندد عجب — اینت باطل اینت پوسیده سبب ۵ ور تو گوئی جزو پیوستهٔ گلست — خار میخور خار مقرون گلست
جزو یکرو نیست پیوسته بکل — ورنه خودباطل‌بدی‌بعث رسل(۲) ۶ چون رسولان از پی پیوستن‌اند — پس‌چه پیوندندشان‌چون یکتن‌اند
این سخن پایان ندارد ایغلام ۷ زانکه جرّی سخت‌داردا‌ین‌کلام

سپردن عرب هدیهٔ خود را بغلامان خلیفه

شرح کن حال‌عرب ای‌بانظام — روز بیگه شد حکایت کن تمام ۹ بانقیبان حال خودرا آن عرب — چون بگفت او دید هنگام طلب
آن سبوی آبرا در پیش داشت — تخم خدمت‌را درآنحضرت بکاشت ۱۰ گفت این هدیه بر سلطان‌برید — سائل شه را ز حاجت واخرید
آب شیرین و سبوی سبز و نو — زاب بارانی که جمع آمد بگو ۱۱ خنده می‌آمد نقیبان را از آن — لیك پذرفتند آن را همچو جان
زانکه لطف شاه خوب با خبر — کرده بود اندر همه ارکان اثر ۱۲ خوی شاهان در رعیّت جا کند — چرخ اخضر خاك را خضرا کند
شه چوحوضی‌دان‌حشم چون‌لولها — آب از لوله رود در کولها ۱۳ چونکه‌آب‌جمله ازحوضی‌است پاك — هریکی آبی دهد خوش ذوق‌ناك
وردرآن‌حوض‌آب‌شوراست وپلید — هر یکی لوله همان آرد پدید ۱۴ زانکه پیوسته‌است‌هرلوله بحوض — خوش کن در معنی این‌حرف‌خوش
لطف شاهنشاه جان بی وطن — چون اثرکرده است اندر کلّ تن ۱۵ لطف عقل خوش نهاد خوش نسب — چون‌همه تن‌را در آرددر ادب(۳)
عشق شنگ بی قرار بی سکون — چون درآرد کلّ تن را درجنون ۱۶ لطف‌آب بحرکو چون کوثراست — سنگ‌ریزه‌اش‌جمله درّ وگوهراست
هرهنرکاستا بدان معروف شد — جان شاگردش بدان‌موصوف شد ۱۷ پیش استاد اصولی هم اصول — خواندآن شاگرد چست باحصول
پیش استاد فقیه آن فقه خوان — فقه خواند نی‌اصول و نی بیان ۱۸ پیش استادی که آن نحوی بود — جان شاگردش از آن نحوی‌شود
باز استادی که آن محوره است — جان‌شاگردش ازان‌محوشه است ۱۹ زین‌همه انواع دانش روز مرگ — دانش فقر است ساز راه وبرگ

ماجرای مرد نحوی در کشتی با کشتیبان

آن یکی نحوی بکشتی درنشست — روبکشتیبان نمود آن خود پرست ۲۱ گفت‌هیچ ازنحو خواندی گفت‌لا — گفت نیم عمر تو شد بر فنا
دل‌شکسته گشت کشتیبان ز تاب — لیك آندم‌گشت خاموش از جواب ۲۲ باد کشتی را بگردابی فکند — گفت کشتیبان بدان نحوی بلند
هیچ دانی آشنا کردن بگو — گفت نی ازمن تو سبّاحی مجو ۲۳ گفت‌کلّ‌عمرت ای نحوی فناست — زانکه کشتی‌غرق درگردابهاست
محو میباید نه نحو اینجا بدان — گر تو محوی بی‌خطر درآب ران ۲۴ آب دریا مرده را بر سر نهد — ور بود زنده زدریا کی رهد
چون بمردی تو ز اوصاف بشر — بحر اسرارت نهد بر فرق سر ۲۵ ایکه خلقان را تو خر میخواندهٔ — این زمان‌چون خربراین یخ‌ماندهٔ
گر تو علامهٔ زمانی در جهان — نك فنای اینجهان بین اینزمان ۲۶ مرد نحوی را از آن در دوختیم — تا شما را نحو محو آموختیم
فقه فقه ونحونحو وصرف صرف — در کم آمدیابی‌ای یار شگرف(۴) ۲۷ آن سبوی آب دانشهای ماست — وان خلیفه دجلهٔ علم خداست
ما سبوها پر بدجله میبریم — گرنه خردانیم ما خود را خریم ۲۸ آن عرب باری بدان معذور بود — کو ز دجله غافل وبس دور بود
گر زدجله با خبر بودی چو ما — او نبردی آن سبو را جا بجا ۲۹ بلکه از دجله اگر واقف بدی — آن سبو را بر سر سنگی زدی
آن‌سبوی تنگ پرناموس ورنگ ۳۰ شد حجاب بحر آنرا زن بسنگ

قبول کردن خلیفه هدیه را و عطای بسیار فرمودن با کمال بی‌نیازی از آن هدیه

---

(۱) یعنی اگر زنا میکنی با خوشگلی باشد واگر ننگ دزدی برخود مینهی مروارید غلطانی بدزدکه کنایه ازهمت عالی در هرکاریست (۲) یعنی هر موجودی دو روی بحق و خلق دارد ولکن اکثر خلائق روی بحق را علم بعلم ندارند بلکه برای غفلت از روی بحق روی بخلق را هم غالباً غافلند (کما آنکه طبیعت علم بخود ندارد چه جای علم‌بصانع خود) بمثل مریضی که پشت گردن خود دمل دارد و نمیتواند سر خود را بلند کرده بخورشید نظرکند پس‌لابد روشنائی دیواررا ابلهانه ازطرف‌خود دیوار(مخصوصاً اگر خورشید ثابت‌یازمین بلاحرکت باشد) میداند پس رسولان مبعوث شدند تا اولا موانع نفوس‌را کرده سپس سرعقل‌آنها را باصل روشنائی که خورشید است بلند نمایند یعنی قلوب‌را باصل انوار الهی که همه پیوند تکوینی دارند پیوند تشریعی یعنی اختیاری هم بنماید . (۳) یعنی اگر فعلیت وحقیقت عقل یا عشق در انسان غالب بر سایر ملکات و فعلیات بشود همه مغلوبین مملکت وجود آدمی تحت حکومت عقل یا عشق بیرون خواهد آمد کما اینکه این مضمون در قرآن وارد است (لیکفرالله عنهم اسؤالذی عملواو یجزیهم اجرهم باحسن الذّی کانوا یعملون) یعنی بدترین اعمال محکوم بحکم بهترین اعمال بمثل آیهٔ دیگر (یبدل‌الله سیأتهم حسنات) خواهدشد بمثل‌آنکه همه قوای‌عنصری درجمادات محکوم بحکم جمادات ودرنباتات محکوم بنباتات ودرحیوانات محکوم بحیوانیت وهمه‌اینها درانسان‌محکوم باحکام انسانیت‌است همچنین تمام مراتب انسانیت ازبدنیات وروحیات درعاقل وعاشق محکوم باحکام عقل وعشق میباشد (چه قل‌کلٌ یعمل‌علی‌شاکلته) (۴) مقصود از فقه ونحو وصرف اول معنی لغوی واز دویم معنی اصطلاحی است (درکم‌آمد یابی) اصطلاح بعضی از مرتاضین است که از دم مرگ ارادی یاطبیعی تعبیر به کم آمد نمایند و در اینجا یعنی بی حقیقتی علوم صوریه دم مرگ معلوم خواهد شد چه هر علمی را از علوم دنیوی و اخروی و حکمتی وعرفانی وصنعتی و اجتماعی را اگر از راه خواندنیها وارد در مغز نمائی و خوشحال و مغرور و راضی بآنها باشی بدانکه تا دم مرگ بیشتر با تو همراه نخواهد بود چه هر علمیکه از راه صفحه تحتانی نفس که تعلق بمزاج وبسلولهای مغز دارد وارد روح گردیده‌وبحفظ مغز و سلامتی آن محفوظ در لوح حافظه میشود البته پس از مرگ که مغز متلاشی میشود دیگر محلی برای محفوظات این‌علوم بعینها نخواهد ماند مگر نتائج از ملکات آنها وفقط علم توحید است که عالم‌را تکویناً پرکرده ولکن در انسان تشریعاً موقوف است بتذکیه وتصفیه اختیاری‌که بتوحید نفس و ملکهٔ جمع حواس‌نفس‌آرام گرفته قابل عکس توحید که مبدء هر علمیست خواهد شد.

چون خلیفه دید واحوالش شنید — آن سبو را پر ز زر کرد ومزید ۱ داد بخششها و خلعتهای خاص — آن عرب را کرد از فاقه خلاص
پس نقیبی را بفرمود آن قباد — آن جهان بخشش وآن بحر داد ۲ که بوی ده این سبوی پر ز زر — چونکه وا گردد سوی دجله اش ببر
ازره خشك آمده است وآن سفر — از ره دجله اش بود نزدیکتر ۳ چون بکشتی درنشیند رنج راه — خود فراموشش شود آنجایگاه
❀ همچنان کردند ودادندش سبو — پر زر و بردند تا دجله دوتو ٤ چون بکشتی درنشست ودجله دید — سجده میکرد از حیا و میخمید
کای عجب لطف آن شه وهاب را — وین عجب تر کو ستد آن آب را ٥ چون پذیرفت ازمن آن دریای جود — آنچنان جنس دغل را زود زود
کل عالم را سبو دان ای پسر — کان بود از لطف وخوبی تابسر ٦ قطرهٔ از دجلهٔ خوبی اوست — کان نمیگنجد زپری زیر پوست
گنج مخفی بُد ز پری چاك کرد — خاك را تابان تر از افلاك کرد ۷ گنج مخفی بد زپری جوش کرد — خاك را سلطان اطلس پوش کرد
ور بدیدی قطره از دجله خدا — آن سبو را او فنا کردی فنا ۸ وانکه دیدندش همیشه بیخودند — بیخودانه بر سبو سنگی زدند
ای زغیرت برسبو سنگی زده — آن سبو زاشکست کاملتر شده ۹ خُم شکسته آب ازان ناریخته — صد درستی زین شکست انگیخته
جزوجزو خُم برقص است وبحال — عقل جزوی را نموده این محال(۱) ۱۰ نه سبو پیدا در اینحالت نه آب — خوش ببین والله اعلم بالصواب
چون در معنی زنی بازت کنند — پر فکرت زن که شهبازت کنند(۲) ۱۱ پر فکرت شدگل آلود و گران — زانکه گل خواری ترا گل شد چونان
نان گلست وگوشت کمتر خور ازاین — تا نمانی همچو گل اندرزمین(۳) ۱۲ ❀ خاك می خوردیم عمری درغذا — خاك مارا خورد آخر در جزا
چون گرسنه میشوی سگ میشوی — تند و بد پیوند وبد رگ میشوی ۱۳ چون شدی توسیر مرداری شوی — بیخبر چون نقش دیواری شوی
پس دمی مردار و دیگر دم سگی — چون کنی درراه شیران هم تگی ۱٤ آلت اشکار خود جزسگ مدان — کمترك انداز سگ را استخوان(٤)
زانکه سگ چون سیر شد سرکش شود — کی سوی صید شکاری خوش رود ۱٥ آن عرب زا بی نوائی میکشید — تابدان درگاه وآن دولت رسید
درحکایت گفته ایم احسان شاه — در حق آن بینوای بی پناه ۱٦ هرچه گوید مرد عاشق بوی عشق — ازدهانش میجهد در کوی عشق(٥)
گر بگوید فقه فقر آید همه — بوی فقر آید ازآن خوش دمدمه ۱۷ ور بگوید کفر آید بوی دین — آید ازگفت شکش بوی یقین
ور بگوید کژ نماید راستی — ای کژی که راست را آراستی ۱۸ کف کژ کز بحر صافی خاسته است — اصل صاف آن فرع را آراسته است
آن کفش را صافی ومحقوق دان — همچو دشنام لب معشوق دان ۱۹ گشت این دشنام نامطلوب او — خوش زبهر عارض محبوب او
از شکر گر شکل نانی میزی — طعم قندآید نه نان چون میزی ۲۰ گر بت زرین بیابد مؤمنی — کی هلد اورا پی سجده کنی
❀ چون بیابد مؤمنی زرین وثن — می بنگذارد ورا بهر شمن ۲۱ بلکه گیرد اندر آتش افکند — صورت عاریتش را بشکند
تا نماند بر ذهب نقش وثن — چونکه صورت مانع است وراهزن ۲۲ ذات زرش داد ربانیت است — نقش بت برنقد زر عاریت است
بهر کیکی تو گلیمی رامسوز — وز صداع هرمگس مگذار روز ۲۳ بت پرستی گر بمانی در صور — صورتش بگذار و در معنی نگر
مرد حجی همره حاجی طلب — خواه هند وخواه ترك ویا عرب ۲٤ منگر اندر نقش واندر رنگ او — بنگر اندر عزم ودر آهنگ او
گر سیاهست وهم آهنگ تواست — توسپیدش دان که همرنگ تواست ۲٥ ❀ ورسفیداست وورا آهنگ نیست — زو بیرکز دل مراورا رنگ نیست
این حکایت گفته شد زیروزبر — همچو فکر عاشقان بی پا و سر ۲٦ سرندارد کز ازل بوده است پیش — پاندارد باابد بوده است خویش(٦)
بلکه چون آبست وهر قطره ازان — هم سراست ویا وهم بی هردوان ۲۷ حاش لله این حکایت نیست هین — نقدحال ما وتست این خوش ببین
پیش هرصوفی که او با فر بود — هرچه آنماضی است لا یُذکر بود(۷) ۲۸ ❀ چون بود فکرش همه مشغول حال — ناید اندر ذهن او فکر مآل
هم عرب ماهم سبو ما هم ملك — جملهٔ ما یؤفك عنه من افك(۸) ۲۹ عقل را شودان وزن این نفس وطمع — این دوظلمانی و منکر عقل شمع(۹)
بشنو اکنون اصل انکار ازچه خاست — زانکه کل را گونه گونه جزوهاست ۳۰ جزوکل نی جزو ها نسبت بکل — نی چو بوی گل که باشد جزو گل(۱۰)

---

(۱) مقصود ازعقل جزئی عقول فلاسفه مادی یاعقل معاش درتدابیر دنیاست .(۲) یعنی درمعانی جمع پرهای افکار در نقطهٔ توحیدنفس است که ماده خاقت شهباز نفس ناطقه است ولکن با استقامت . (۳) مضرات گوشت خواری مخصوصاً برای مرتاضین درکتب عصرجدید از بدیهیات و مسلمیات گردیده مراجعه نمائید . (٤) یعنی هرسگی بدادن نان رام میشود الا سگ نفس که هرچه باو بدهی سرکش تر میشود . (٥) این پانزده بیت اشاره بآنست که آنچه اولیاء حق بنمایند حق وحقیقت است ولوآنکه صورتا و درنزد عقول ناقصه بد نماید بمثل اینکه سیاهی خال صورت محبوب وکجی ابرو وشمشیر وکمان برای اهلش مطلوب وزینت است (٦) کما اینکه درحق کاملترین این انسان «محمد ص» گفته شده (منم معلول بی علت که علت گشت پیوندم ازل فرزند من باشد ابد فرزند فرزندم) لذا «محمد(ص)» را پیغمبر آخرالزمان از طرف طول گفته اند یعنی زمان نسبت باو آخر و او از زمان مجرد و فوق زمان بلکه فوق دهر وسرمد وازل بقسمی واقع شده که تمام ازلیات وابدیات فرزند ظلی اواست. (۷) یعنی چون مشغول تمرکز قوا وتوحید نفس حالی بقسمی شده که قهراً از زمان ماضی ومستقبل بی خبر وباندازهٔ بی خبری مصداق پیغمبر آخرالزمان شده است. (۸) یعنی (وفی انفسکم افلاتبصرون) جمله ما فارسی است یعنی انسان کامل مصداق این بیت است (ای نسخهٔ نامهٔ الهی که توئی ❀ ای آینه جمال شاهی که توئی ❀ بیرون زتو نیست هرآنچه درعالم هست ❀ ازخود بطلب هرآنچه خواهی که توئی) (یؤفك عنه من افك) ضمیرعنه راجع برسول یاقرآن است واین آیه راجع بمنکرین قرآن است که در علم ازلی چون انکار علمی داشتند در اینجا هم انکار حق را نمودند . (۹) این بیت اشاره بمثال ابیات فوق است که فرمود هرقصه وحکایتی نقد حال ما است باین معنا که آنچه جهات خیریه وسعادت وهدایت است منطبق با عقل خدا شناسی ودانستن معرفت نفس است و آنچه جهات شرور و شقاوت و ضلالت و غفلت است منطبق با نفس و طبع است که هردو طبعاً منکر عقلیات و نقلیات است مشروط باینکه منکر را مضاف بعقل وشمع را سمع بخوانیم . (۱۰) یعنی هر جزوی از اجزای کل مجموعی یا کل طبیعی غیرکل خود وغیرجزوهای دیگر است (چه هر محدودی غیر محدود دیگر وغیر محیط بخود است) کما اینکه تمام اجزای عالم غیر یکدیگر و غیر احاطه حقیقت الوجود است بمثل غیریت اعضا و جوارح از یکدیگر که نیز هریك غیر روح محیط است ومخفی نماند که این غیریت از طرف اجزا و اعضا وتجلیات وشئون محدوده است نه از طرف کل و روح و حقیقت الوجود چه محیط را هیچ مانعی دراحاطه نیست کما اینکه در قرآن فرموده (هو معکم) ونفرموده (انتم معه) واین است سر اینکه نسبت بین حق و خلق مثل نسبت بین روح و بدن یا کلی و جزئی مخصوصاً کلی طبیعی مجهول الادراك است یعنی بر عقل سنگین است که یك نسبت را از طرفی بی حجاب و از طرف دیگر باحجاب تصور نماید .

کتابخانه خصوصی

لطف سبزه جزو لطف گل بود — بانگ قمری جزو آن بلبل بود(۱) ۱ گر شوم مشغول اشکال وجواب — تشنگانرا کی توانم داد آب
ور تو اشکالی بکلی و حرج — صبر کن کالصبرُ مفتاح الفرج ۲ احتما کن احتمی ز اندیشها — زانکه شیرانند در این بیشها (۲)
احتما ها مر دواها را سراست — هضم دار و علت نو دیگر است ۳ احتما ها بر دواها سرور است — زانکه خاریدن فزونیّ گراست
❀ احتما اصل دوا آمد یقین — احتما کن قوت جانت ببین ٤ قابل این گفتها شو گوش وار — تا که اززر سازمت من گوشوار
گوشواره چه که کان زر شوی — تا بماه و تا ثریا بر شوی ٥ اولا بشنو که خلق مختلف — مختلف جانند از با تا الف
درحروف مختلف شور وشکی است — گرچه ازیکروز سرتا پا یکی است ٦ از یکی رو ضدّ و یکرو متحدّ — ازیکی روهزل واز یکروی جدّ
پس قیامت روزعرض اکبراست — عرض اوخواهدکه بازیب وفراست ۷ هرکه چون هندوُ بد وسودائیست — روز عرضش نوبت رسوائیست
چون ندارد روی همچون آفتاب — او نخواهد جزشب همچون نقاب ۸ برگ یک گل چون ندارد خار او — شد بهاران دشمن اسرار او
وانکه سرتاپا گلست وسوسن است — پس بهاراورا دوچشم روشن است ۹ خار بیمعنی خزان خواهد خزان — تا زند پهلوی خود با گلستان
تا بپوشد حسن آن و ننگِ این — تا نبینی ننگ آن و رنگ این ۱۰ پس خزان او را بهارست وحیات — یك نماید سنگ و یاقوت زکات
باغبان هم داند آنرا در خزان — لیك دیدِ یك به از دید جهان ۱۱ خودجهان آن یك کسست واوشه است — هرستاره برفلك جزو مه است
خود جهان آن یك کس است وباقیان — جمله اتباع و طفیلند ای فلان ۱۲ ❀ اوجهان کامل است ومفرداست — نسخهٔ کل وجود او را بداست
پس همی گویند هرنقش ونگار — مژده مژده نك همی آید بهار ۱۳ تا بود تابان شکوفه چون زره — کی کنند آن میوه ها پیدا گره
چون شکوفه ریخت میوه سرکند — چونکه تن بشکست جان سربرکند ١٤ میوه معنیّ و شکوفه صورتش — آن شکوفه مژده میوه نعمتش
چون شکوفه ریخت میوه شد پدید — چونکه آن کم شد شد این اندرمزید ١٥ تا که نان نشکست قوّت کی دهد — ناشکسته خوشها کی می دهد
تا هلیله نشکند با ادویه — کی شود خود صحت افزا درریه ١٦ ایضاء الحق حسام الدین بگیر — یکدو کاغذ برفزا دروصف پیر

در صفت پیرو مطاوعت کردن با او

گرچه جسمت نازکست وبس نزار — بر نمی آید جهانرا بی توکار ١٨ گرچه جسم نازکت رازور نیست — لیك بی خورشید مارا نور نیست
گر چه مصباح و زجاجه گشتهٔ — لیك سرخیل دل و سر رشتهٔ ١٩ چون سررشته بدست وکام تست — درّهای عقد دل ز انعام تست
برنویس احوال پیر راه دان — پیر را بگزین وعینِ راه دان ٢٠ پیر تابستان و خلقان تیر ماه — خلق مانند شبند و پیر ماه
کردهام بخت جوان را نام پیر — کو زحق پیراست نز ایّام پیر(۳) ٢١ او چنان پیراست کش آغاز نیست — با چنان دُرّ یتیم انباز نیست
خود قوی تر میبود خمر کهن — خاصه آن خمری که باشد من لدن ٢٢ ❀خود قوی تر میشود خمر قدیم — این کهن تر بهتر ایشیخ علیم
پیر را بگزین که بی پیر این سفر — هست بس پرآفت وخوف وخطر ٢٣ آن رهی که بار ها تو رفتهٔ — بی قلاوز اندر آن آشفتهٔ
پس رهی را که نرفتستی توهیچ — هین مرو تنها ز رهبر سر مپیچ ٢٤ ❀ هرکه او بی مرشدی درراه شد — او ز غولان گمره ودر چاه شد
گر نباشد سایهٔ پیر ای فضول — بس تراسرگشته داود بانگ غول ٢٥ غولت از راه افکند اندر گزند — ازتوداهی تر دراین ره بس بُدند
از نُبی بشنو ضلال رهروان — کهچسان کردآن بلیس بد روان ٢٦ صد هزاران ساله راه ازجاده دور — بردشان و کردشان ز ادبار عور
استخوانهاشان ببین و مویشان — عبرتی گیر و مران خر سویشان ٢٧ گردن خر گیر و سوی راه کش — سوی رهبانان و رهدانان خوش
هین مهل خررا ودست ازوی مدار — زانکه عشق اوست سوی سبزه زار ٢٨ گر یکی دم تو بغفلت واهلیش — او رود فرسنگها سوی حشیش
دشمن راهست خرمستِ علف — ای بسا خربنده کزوی شد تلف ٢٩ گر ندانی رهر آنچه خربخواست — عکس آنرا کن که هست آن راه راست
شاوروهنّ پس آنکه خالفوا — انّ مَن لم یعصهن تالفُ ٣٠ با هوا و آرزو کم باش دوست — چون یُضلك عن سبیل الله اوست
این هوا را نشکند اندر جهان ٣١ هیچ چیزی همچو سایهٔ همرهان

وصیت کردن رسول خدا صلعم مرعلی (ع) را که چون هرکسی بنوع طاعتی تقرب بحق جوید توتقرب جوی بصحبت عاقل و بندهٔ خاص تا ازایشان همه پیش قدم باشی قال النبی اذا تقرّب الناس الی خالقهم بانواع البرّ فتقرب الی ربك با العقل والسرِ تستبقهم بالدرجات والزلفی عندالناس فی الدنیا و عندالله فی الآخره

گفت پیغمبر علی را کای علی — شیر حقیّ پهلوانی پُر دلی ٣٥ لیك بر شیری مکن هم اعتمید — اندرآ در سایهٔ نخل امید
❀ هرکسی گرطاعتی پیش آورند — بهر قرب حضرت بیچون و چند ٣٦ ❀تو تقرّب جو بعقل وسرّ خویش — نی چو ایشان برکمال وبرّ خویش
اندرا در سایهٔ آن عاقلی — کش نتاند برد از ره ناقلی ٣٧ ❀ پس تقرب جو بدو سوی اله — سر مپیچ از طاعت او هیچ گاه
❀زانکه او هرخار را گلشن کند — دیدهٔ هر کور را روشن کند ٣٨ ظلّ او اندر زمین چون کوه قاف — روح او سیمرغ بس عالی طواف
❀ دستگیر و بندهٔ خاص اله — طالبان را میبرد تا پیشگاه ٣٩ گر بگویم تا قیامت نعت او — هیچ آنرا غایت و مقطع مجو

---

(۱) این چند مثال برای حلّ مسئله فوق است یعنی اگر جزوی بخواهد پی بکلی خود یابی بنسبت بین خود و کلی ببرد باید (بمثل بوی گل وگل ولطف سبزه و لطف گل و بانگ قمری وبلبل که هردو ازیك اصل وسنخیت است سنخیت باکلی بگذشت ازصفات جزئیت وفنای درکلی احاطی خود که حقیقت الوجود است بتمرکز قوا پیدا کند و الا این در مسدود وطلب مردود است . (۲) یعنی یگانه راه ریاضت و تکمیل نفس پرهیز از اندیشهای درهم و برهم و افکار غیر منظمه بمشق تمرکز افکار است چه هر فکری در بیشه اندیشه شیری است که جان را بتفرقهٔ حواس پاره پاره کرده سرمایهٔ عمر آدمی را میخورد (کما اینکه درطب پرهیز در معالجه مؤثر تر از خوردن دوا است زیرا خوردن دوا تحمیل بر معده و هضم دیگری لازم دارد) همچنین در معالجات روحی اعتبار در پرهیز یعنی ملاك سلب علاقه مطلق است لا غیر چه هر چه غیراین سلب باشد باز گرفتاری و قید وحجاب معشوق بی قید و منزه است . (۳) یعنی مقصود از پیر پیرروحی ارشاداست که بهر اندازه ازطرف روبرو یعنی ازطرف دنیا وتفرقهٔ حواس مرده باشد از طرف پشت سر که (دهریات و سرمدیات وازلیات است) عمر روحانیش طولانی شده ویاد از همه آنها بعنوان مکاشفه داده برای مریدان بعنوان هدایت بیان مینماید اگرچه صورتاً جوان باشد .

❀ آفتاب روح نی آن فلك — که ز نورش زنده‌اند انس و ملك ۱ در بشر روپوش گشتست آفتاب — فهم کن والله اعلم بالصواب
یا دلی از جملهٔ طاعات راه — برگزین تو سایهٔ خاص اله(۱) ۲ هرکسی در طاعتی بگریختند — خویشتن را مخلصی انگیختند
تو برو در سایهٔ عاقل گریز — تا رهی زان دشمن پنهان ستیز(۲) ۳ ازهمه طاعات اینت لایق است — سبق یابی برهرانکو سابق است
چون گرفتی پیر هین تسلیم شو — همچو موسی زیر حکم خضر رو ۴ صبرکن برکار خضرای بی نفاق — تا نگوید خضر رو هذا فراق
گرچه کشتی بشکند تو دم مزن — گرچه طفلی را کشد تو مو مکن ۵ دست اوراحق چودست خویش خواند — پس یدالله فوق ایدیهم براند
دست حق میرد ش زنده‌اش کند — زنده چبود جان پاینده‌اش کند ۶ ❀ یار باید راه را تنها مرو — از سر خود اندراین صحرا مرو
هرکه تنها نادرا این ره برید — هم بعون همت پیران رسید ۷ دست پیر از غایبان کوتاه نیست — دست او جز قبضهٔ الله نیست
غائبان راچون چنین خلعت دهند — حاضران از غائبان لاشك بهند ۸ غائبان را چون نواله می دهند — پیش مهمان تا چه نعمتها نهند
کو کسی که پیش شه بندد کمر — تا کسی که هست از بیرون در ۹ ❀فرق بسیار است وناید درحساب — آن زاهل کشف واین زاهل حجاب
جهد میکن تا رهی یابی درون — ورنه‌مانی حلقه‌وار از در برون ۱۰ چون گزیدی پیر نازك دل مباش — سست وریزیده چوآب وگل مباش
ور بهر زخمی تو پر کینه شوی ۱۱ پس کجا بی صیقل آیینه شوی

کبودی زدن مرد قزوینی بر شانه گاه وپشیمان شدن او بسبب زخم سوزن

این حکایت بشنو ازصاحب بیان — در طریق و عادت قزوینیان ۱۳ برتن ودست و کتفها بی درنگ — میزدند از صورت شیر و پلنگ
بر چنان صورت پیاپی بی گزند — از سر سوزن کبودیها زنند ۱۴ سوی دلاکی بشد قزوینئی — که کبودم زن بکن شیرینئی
گفت چه‌صورت زنم ای پهلوان — گفت برزن صورت شیر ژیان ۱۵ طالعم شیر است نقش شیر زن — جهد کن رنگ کبودی سیر زن
گفت برچه موضعت صورت‌زنم — گفت برشانه کهم زن آن رقم ۱۶ تا شود پشتم قوی در رزم و بزم — با چنین شیر ژیان در عزم حزم
چونکه اوسوزن فروبردن گرفت — درد آن در شانگه مسکن گرفت ۱۷ پهلوان در ناله آمد کای سنی — مر مرا کشتی چه صورت میزنی
گفت آخر شیر فرمودی مرا — گفت از دمگاه آغازیده‌ام ۱۸ گفت از چه عضو کردی ابتدا — گفت دم بگذار ای دو دیده‌ام
از دم و دمگاه شیرم دم گرفت — دمگه او دمگهم محکم گرفت ۱۹ شیر بی دم باش گو ای شیرساز — که دلم سستی گرفت از زخم گاز
جانب دیگر گرفت آن شخص زخم — بی محابا بی مواسائی و رحم ۲۰ بانگ زد اوکاین چه اندامست ازاو — گفت اوگوش است این ای نیکخو
گفت تاگوشش نباشد ای همام — گوش را بگذار وکوته کن کلام ۲۱ جانب دیگر خلش آغاز کرد — باز قزوینی فغان را ساز کرد
کاین سیم جانب چه اندامست نیز — گفت این‌است اشکم شیرای عزیز ۲۲ گفت گو اشکم نباشد شیر را — خود چه اشکم باید این ادبیر را
❀دردافزون گشت کم زن زخمها — اشکم چه شیر را بهر خدا ۲۳ خیره شددلاك وبس حیران بماند — تا بدیر انگشت بر دندان بماند
بر زمین زد سوزن آندم اوستاد — گفت در عالم کسی را این فتاد ۲۴ شیربی دم وسر و اشکم که دید — این چنین شیری خدا کی آفرید
❀ چون نداری طاقت سوزن‌زدن — از چنین شیر ژیان پس دم مزن ۲۵ ای برادر صبر کن بردرد نیش — تارهی از نیش نفس گبر خویش
کان گروهی که رهیدند ازوجود — چرخ ومهر و ماهشان آرد سجود ۲۶ هرکه مرد اندر تن او نفس گبر — مرورا فرمان برد خورشید وابر
چون دلش آموخت شمع افروختن — آفتاب او را نیارد سوختن ۲۷ گفت حق در آفتاب منتجم — ذکر تزاور کذا عن کهفهم
خفتگانی کز خدا بد کارشان — میل کردی آفتاب از غارشان ۲۸ خار جمله لطف چون گل میشود — پیش جزوی کو بر کل میشود
چیست تعظیم خدا افراشتن — خویشتن راخوار و خاکی داشتن ۲۹ چیست توحید خدا آموختن — خویشتن را پیش واحد سوختن
گرهمی‌خواهی که‌بفروزی چوروز — هستی همچون شب‌خود را بسوز ۳۰ هستیت در هست آن هستی نواز — همچو مس در کیمیا اندر گداز
درمن وما سخت کردستی دودست ۳۱ هست این جمله خرابی ازدوهست

رفتن گرگ و روباه در خدمت شیر بشکار

شیر وگرگ و روبهی بهر شکار — رفته بودند از طلب در کوهسار ۳۳ کان سه باهم اندرآن صحرای ژرف — صیدها گیرند بسیار و شگرف
تا بیشت همدگر از صید ها — سخت بربندند بار و قید ها ۳۴ گرچه ز ایشان شیر نر راننگ بود — لیك کرد اکرام و همراهی نمود
این‌چنین شه را ز لشکر زحمتست — لیك همره شد جماعت رحمتست ۳۵ همچنین مه را ز اختر ننگهاست — او میان اختران بهر سخاست
امر شاورهم پیمبر را رسید — گرچه رایش راند رائی مزید(۳) ۳۶ در ترازو جو رفیق زرشده‌است — نی‌ازآنکه‌جوچوزر گوهر شده است
روح‌قالب‌را کنون‌همره شده‌است — مدتی سگ حارس درگه شده است ۳۷ چونکه رفتند آن‌جماعت سوی کوه — در رکاب شیر با فر و شکوه
گاوکوهی و بز و خرگوش زفت — یافتند و کار ایشان پیش رفت ۳۸ هرکه باشد در پی شیر حراب — کم نیاید روز و شب او را کباب

---

(۱) یعنی چون هر راهی را براه دارش سپردند پس پایه محکم تمام هفت وادی بقول مرتاضین وهفتاد و دو عقبه بقول متشرعین و صحت اصول دیانت بقول متکلمین بسته بشناختن بدون اشتباه عالم وقت (در فن علم الرّوح است) بقسمی‌که اگر در این اشتباه بشود ومدّعیان کاذب رااز خاصان اله تمیز ندهد درهمهٔ آنها اشتباه خواهد شد چه در حقائق و روحیات اشتباه در مدّعی عین اشتباه درمدّعا است. (۲) یعنی یکی از علائم حقیقت عالم وقت‌قوهٔ عاقله او است که باید ازعهدهٔ معقولات این راه تعلیم و تربیت نفس در هرمذهب وملتی مطابق عقول آنان برآید چه مهمترین اصول پنج‌گانه دیانت ازتوحید ونبوت وامامت وخضر وقت شناسی وعقل همین اصل پنجم است کمااینکه دراول اصول‌کافی از « حضرت صادق (ع) » وارد است (من‌کان له عقل‌کان له دین) یعنی اهل هر مذهبی که‌عقل دارند دین دارند چه هر کسی مسئول عقل و وجدان خود است نه حقائق پس‌مقصود مولوی در این بیت آنست‌که اگرمیخواهی تقلید نمائی از عقل خود ویا ازعاقلی که تقویت و تربیت عقل تورا بعقل بنماید تقلید کن .
(۳) اشاره بآیهٔ (و شاورهم فی‌الامرو اذا عزمت فتوکل علی‌الله) بدانکه عزم واراده بامشورت وتوکل ظاهراً منافات دارد کما اینکه در فرددوم اشاره باستقلال عزم ختمی مرتبت نموده اما باطناً مؤید و دلیل سعهٔ عزم است چه توکل که راضی شدن بنفی و اثبات مقصد و انجام و عدم انجام عزم است البته عزم را در مقام بسط قلب تقویت خواهد نمود (بخلاف عزم محدود ومقید بانجام فقط) که البته مضطرب است چه هر اندازه عزم قوی باشد باز احتمال شدن ونشد دارد واین دلیل اضطراب عزم است واما مشورت پیغمبربرای تشویق اصحاب‌است و این مؤید عزم است .

چون ز که دریشه آوردندشان — کشته ومجروح و اندر خون‌کشان ۱ گرگ و روبه را طمع بد اندرآن — که زود قسمت بعدل خسروان
عکس طمع هر دوشان برشیر زد — شیر دانست آن طمعها را سند ۲ هرکه باشد شیر اسرار و امیر — او بداند هرچه اندیشد ضمیر
هین نگه دار ای دل اندیشه‌خو — دل ز اندیشهٔ بدی در پیش او ۳ داند و خررا همی راند خموش — بر رخت خندد برای روی پوش
شیرچون دانست آن وسواسشان — وانگفت و داشت آن‌دم پاسشان ٤ لیك با خود گفت بنمایم سزا — مر شما را ای خسیسان گدا
مر شما را بس نیامد رای من — ظنتان این است در اعطای من ٥ ای وجود رایتان از رای من — از عطاهای جهان آرای من
نقش بانقاش چه اسگالد دگر — چون سگالش اوش بخشید ونظر ٦ این چنین ظنّ خسیسانه بمن — مر شما را بود ننگان زمن
ظانین بالله ظنّ السوء را — گر نبرّم سر بود عین خطا ۷ وارهانم چرخ را از تنگتان — تا بماند در جهان این داستان
شیر با این فکرمیزد خنده فاش — بر تبسمهای شیر ایمن مباش ۸ مال دنیا شد تبسمهای حق — کرده‌مارا مست وهم مغرور خلق
فقر و رنجوری بهستت ای سند ۹ کان تبسم دام خود را برکند

امتحان کردن شیر گرگ را وگفتن که این صید ها را قسمت کن

گفت شیر ای‌گرگ‌این‌رابخش کن — معدلت‌را نوکن ای گرگ کهن ۱۱ نایب من باش در قسمت گری — تا پدید آید که تو چه گوهری
گفت ای‌شه‌گاو وحشی بخش‌تست — آن‌بزرگ وتوبزرگ وزفت‌وچست ۱۲ بزمرا که بز میانه است و وسط — روبها خرگوش بستان بی غلط
شیرگفت‌ای‌گرگ چون‌گفتی بگو — چونکه من باشم تو گوئی ما وتو ۱۳ گرگ‌خودچه‌سگ بودکوخویش دید — پیش‌چون من‌شیر بی‌مثل و ندید
گفت پیش‌آ کس‌خری‌چون‌تو‌ندید — پیشش آمد پنجه زد او را درید ۱٤ چون ندیدش مغز و تدبیر رشید — در سیاست پوستش از سرکشید
گفت چون دیدمنت ازخود نبرد — این چنین جان را بباید زارمرد ۱٥ چون نبودی فانی اندر پیش من — فرض آمد مر ترا گردن زدن
گرچه‌غالب دارم اندربذل‌فضل — گاه گاهی هم کنم از عدل فضل ۱٦ کل شیئی هالك جز وجه او — چون نهٔ در وجه او هستی مجو
هر که اندر وجه ما باشد فنا — کل شئی هالك نبود ورا (۱) ۱۷ زانکه در الاست او ازلاگذشت — هرکه در الا است‌او فانی‌نگشت
هرکه بر در او من و مامیزند ۱۸ ردّ بابست او و برلا میتند

قصهٔ آنکس که در یاری بکوفت از درون گفت کیست گفت منم گفت چون تو توئی در نمیگشایم که کسی ازیاران را نشناسم که من باشد

آن یکی آمد در یاری بزد — گفت یارش کیستی ای معتمد ۲۱ گفت من‌گفتش برو هنگام نیست — بر چنین خوانی مقام خام نیست
خام را جز آتش هجر و فراق — که پزد که وارهاند از نفاق ۲۲ چون توئی تو هنوز ازتو نرفت — سوختن باید ترا در نار تفت
رفت آن مسکین وسالی در سفر — در فراق یار سوزید از شرر ۲۳ پخته‌گشت‌آن‌سوخته پس باز گشت — باز گرد خانهٔ انباز گشت
حلقه زد بر در بصد ترس وادب — تا بنجهد بی ادب لفظی ز لب ۲٤ بانگ زدیارش‌که بردر کیست آن — گفت بردرهم توئی ای دلستان
گفت اکنون‌چون‌منی ای‌من‌درا — نیست‌گنجائی دو من در یك سرا ۲٥ چون‌یکی‌باشد همه نبود دوئی — هم منی برخیزد آنجا هم‌توئی(۲)
نیست سوزن را سر رشته دو تا — چونکه‌یکتائی در این سوزن درآ ۲٦ رشته را باسوزن آمد ارتباط — نیست‌درخورباجمل سمّ‌الخیاط(۳)
کی شود باریك هستیّ جمل — جز بمقراض ریاضات و عمل ۲۷ دست حق باید مر آنرا ای فلان — کان بود برهر محالی کن فکان
هر محال از دست او ممکن شود — هر حرون ازبیم او ساکن شود ۲۸ اکمه و ابرص چه باشد مرده نیز — زنده گردد از فسون آن عزیز
وآن عدم کز مرده مرده‌تر بود — در کف ایجاد او مضطر بود ۲۹ کل یوم هو فی شان‌را بخوان — مرورا بی‌کاروبی فعلی مدان(٤)
کمترین کارش بهرروز آن بود — کوسه لشکر را روانه میکند ۳۰ لشکری ز اصلاب سوی امّهات — بهر آن تا در رحم روید نبات
لشکری ز ارحام سوی خاکدان — تا ز نرّ و ماده پر گردد جهان ۳۱ لشکری از خاکدان سوی اجل — تا ببیند هر کسی حسن عمل
باز بی‌شك بیش‌ازآنها میرسد — آنچه ازحق‌سوی‌جانها میرسد(٥) ۳۲ وآنچه از جانها بدلها میرسد — و آنچه از دلها بگلها میرسد
اینت لشکرهای حق بیحدّ ومر — ازپی این گفت ذکری للبشر ۳۳ این سخن پایان‌ندارد هین بتاز — سوی آن دویار پاك پاك باز

خواندن آن یار یار خود را پس از تربیت یافتن

گفت یارش کاندرآ ای جمله‌من — نی مخالف چون گل و خار چمن ۳٥ رشته یکتا شد غلط کم شد کنون — گر دوتابینی حروف کاف و نون
کاف‌ونون‌همچون‌کمندآمد جذوب — تاکشاند مرعدم‌را درخطوب(٦) ۳٦ پس دوتا باید کمند اندر صور — گرچه یکتا باشد آن دو در اثر

---

(۱) مقصود از وجه‌الله حقیقت‌الوجود است‌که چون نقیض هرعدمی است محال استکه فنا گردد پس هرکس بمشق جمع حواس و مراقبه تامّه فانی در اوگردد بعلاوه آنکه هیچ‌گاه ذاتاً و روحاً فانی نخواهد شد همه هستیهای اشیاء مطابق نظام عالم‌که مظهر الهست از او شده و او وجه‌الله الباقی در همه اشیاء خواهد شد . (۲) یعنی من و تو چون از امور اضافیه وبدون یکدیگر نمیشود و نیز درقلب واحد نمیگنجد پس هریك از بین برود هردو از بین رفته وصاحب قلب ازکشمکش هردو نجات یافته و بوحدت وجود که فوق هردو است رسیده و راحت ابدی خواهد شد پس مقصود از من وتو خیال وتفرقهٔ حواس است‌که حجاب راحت ابدی ومعشوق ازلی است (۳) اشاره باین آیه است (لا یدخلون‌الجنة حتی یلج‌الجمل فی سمّ‌الخیاط) یعنی داخل جنت ملکوت و جنت اسماء و صفات حق و جنت سلب علاقه‌که راحت ابدیست نخواهند شد تا آنکه بدنهای آنان (که بمنزله شتر بارکش روح است) بمقراض ریاضت در مقام تمرکز قوا و جمع حواس بمثل رشتهٔ باریك قابل سوزن نشود اگرچه این آیه درشان کفار وتعلیق برمحال است ولکن با محال عادی‌بودن ریاضات تامه در تحصیل توحید نفس مشترك است که مولوی فرموده (هرمحال از دست او ممکن شود) یعنی با توجهات استاد کامل ممکن‌شود . (٤) نکره بودن شان دلالت برشئون غیر متناهی مینماید : (٥) یعنی چون ذرعوالم غیبیه حجاب نیست بر حسب قانون افاضات اشراقیه برنفوس مجرده از نورالانوار و سایر اشعه بواسطه ویا بلا واسطه اشراقات غیر متناهیه بمثل عکوس غیر متناهیه در آینه های متقابله خواهد شد . (٦) مقصود از خطاب کن وحقیقت ایجاد است که چون هر ایجادی دو روی بحق وخلق دارد در عالم الفاظ تعبیر ازاین ایجاد بدو حرف کاف ونون شده والا درحقیقت یکیست .

گر دوپا گر چارپا ره را بُرد / همچو مقراض دو تا یکتا بُرد ۱ آن دو انبازان گازر را ببین / هست در ظاهر خلاف آن واین
آن یکی کرباس درجو میزند / وان دگر انباز خشکش میکند ۲ باز او آن خشك را تر میکند / گوئیا ز استیزه ضد بر می تند
لیك آن دو ضدّ استیزه نما / یك دل و یك کار باشند ای‌فتی ۳ هزنبیّ وهرولی‌را مسلکی است / لیك تا حق میبرد جمله یکیست (۱)
چونکه جمع مستمع را خواب‌برد ۴ سنگهای آسیا را آب برد

روی درکشیدن سخن از ملالت مستمعان

رفتن این آب فوق آسیاست / رفتنش در آسیا بهر شماست ۶ چون شمارا حاجت طاحون نماند / آب‌را در جوی اصلی‌باز راند(۲)
ناطقه سوی دهان تعلیم راست / ورنه خودآن آبراجوئی‌جداست(۳) ۷ میرود بی بانگ و بی تکرارها / تحتها الانهار تا گلزار ها
ای خدا جان را تو بنما آن مقام / کاندران بی حرف میروید کلام ۸ تا که سازد جان پاك از سرقدم / سوی عرصهٔ دور پهنای عدم
عرصهٔ بس باگشاد و با فضا / وین خیال و هست زو یابد نوا ۹ تنگ تر آمد خیالات از عدم / زان سبب باشد خیال اسباب غم
باز هستی تنگ تر بود از خیال / زآن‌شود در وی‌قمر همچون‌هلال ۱۰ باز هستیّ جهان حسّ و رنگ / تنگ تر آمد که زندانیست تنگ
علت تنگی است ترکیب و عدد / جانب ترکیب حسها می کشد ۱۱ زان سوی حسّ عالم توحیددان / گر یکی خواهی بدانجانب بران
امرکن‌یك فعل بود ونونْ وکاف / در سخن افتاد و معنی بود صاف ۱۲ این سخن پایان ندارد باز گرد / تاچه شد احوال گرگ اندر نبرد

ادب کردن شیر گرگ را بجهة بی ادبی او

گرگ را برکند سر آن سرفراز / تا نماند دو سریّ و امتیاز ۱۴ فانتقمنا منهم‌است ای گرگ پیر / چون نبودی مرده در پیش امیر
بعد از آن رو شیر با روباه کرد / گفت‌این را بخش‌کن ازبهرخورد ۱۵ سجده کرد وگفت‌کاین‌گاو سمین / چاشت خوردت باشدای شاه مهین
وین بز از بهر میانه روز را / یخنئی باشد شه پیروز را ۱۶ وآن دگر خرگوش بهر شام هم / شبچره ای شاه با لطف و کرم
گفت ای روبه توعدل افروختی / این چنین قسمت ز که آموختی ۱۷ از کجا آموختی این‌ای بزرگ / گفت ای شاه جهان ازحال گرگ
گفت‌چون درعشق ماگشتی‌گرو / هر سه را برگیر و بستان وبرو ۱۸ روبها چون جملگی ما را شدی / چونت آزاریم چون تو ما شدی
ما ترا و جمله اشکاران ترا / پای بر گردون هفتم نه برآ ۱۹ چون گرفتی‌عبرت از گرگ ذنی / پس تو روبه نیستی شیر منی
عاقل آن باشد که عبرت گیرداز / مرگ یاران در بلای محترز ۲۰ روبه‌آن دم برزبان صد شکر راند / که مرا شیر ازپس‌آن گرگ‌خواند
گرمرا اوّل بفرمودی که تو / بخش‌کن‌این‌را که بردی جان‌ازاو ۲۱ پس سپاس اورا که مارا درجهان / کرد پیدا از پس پیشینیان
تا شنیدیم آن سیاستهای حق / بر قرون ماضیه اندر سبق ۲۲ تا که ما از حال آن گرگان پیش / همچو روبه پاس‌خود داریم پیش
امت مرحومه زین رو خواندمان / آن رسول حقّ وصادق در بیان ۲۳ استخوان و پشم آن‌گرگان عیان / بنگرید و پند گیرید ای مهان
عاقل از سر بنهداین هستیّ وباد / چون شنید انجام فرعونان و عاد ۲۴ ورنه بنهد دیگران از حال او / عبرتی گیرند از اضلال او

تهدید کردن نوح علیه السلام مر قوم را که بامن میپیچید که من روی پوشم خدایرا پس با خدا می پیچید نه با من

❀ گفت‌نوح اندر نصیحت قوم‌را / در پذیرید از خدا آخر عطا ۲۷ بنگرید ای سرکشان من من نیم / من ز جان مردم بجانان میزیم
چون ز جان مردم بجانان زنده‌ام / نیست مرگم تا ابد پاینده‌ام ۲۸ چون بمردم از حواس بوالبشر / حق مرا شد سمع وادراك وبصر
چونکه من‌من‌نیستم این‌دم‌زهوست / پیش این‌دم‌هرکه دم‌زدکافر اوست ۲۹ هست اندر نقش این روباه شیر / سوی این روبه نشاید شد دلیر
گر زروی صورتش می نگروی / غرّش شیران از او می نشنوی ۳۰ گر نبودی نوح را از حق یدی / پس جهانی را چسان‌بر هم‌زدی
صد هزاران شیر بود اندر تنی / ❀ هر دوعالم را همی دید ارزنی ۳۱ او برون رفته بُد از ما ومنی❀ / او چو آتش بود و عالم خرمنی
چونکه‌خرمن پاس‌عشر اونداشت / او چنان شعله‌بران خرمن گماشت ۳۲ هرکه او در پیش این شیر نهان / بی ادب چون‌گرگ بگشایدهان
همچوگرگ شیر آن بر درّاندش / فانتقمنا منهمُ بر خواندش ۳۳ زخم‌یابد همچوگرگ ازدست شیر / پیش شیر ابله بود کو شد دلیر
کاشکی آن زخم بر جسم آمدی / تا بُدی کایمان و دل سالم بدی ۳۴ قوّتم بگسست چون اینجا رسید / چون توانم کردن‌این‌سرّ را پدید
❀لیك هم رمزی بگویم با شما / بوکه دریابید و گردید آشنا ۳۵ همچو آن روبه کم اشکم کنید / پیش او روباه بازی کم کنید
جمله ما و من بپیش او نهید / ملك ملك اوست ملك اورا دهید ۳۶ چون فقیر آئید اندر راه راست / شیر وصید شیرخود آن شماست
زانکه‌اوپاکست‌وسبحان‌وصف‌اوست / بی‌نیازاست او ز مغز نغز وپوست ۳۷ هر شکار وهر کراماتی که هست / از برای بندگان آن شه است
❀ گفت الیس الله بکافٍ عبده / تا نگردد بنده هر سو حیله جو ۳۸ ❀هرکه او برحق توکل میکند / او بجای خود تفضل میکند
نیست‌شه راطمع‌وبهر خلق ساخت / این همه دولت خنك آنکو شناخت ۳۹ آنکه دولت آفرید و دو سرا / ملك و دولتها چکار آید ورا

---

(۱) یعنی چون مقصود همهٔ انبیاء و اولیاء ازهمه اجزای شرایع این سه اصل است (توحید ربکه مبدء است و توحید نفس بلکه جمع حواس که معاداست وعمل صالح‌که برای خدا نه برای نفس باشد) یعنی هرکس باینّ سه اصل عمل نماید اهل نجات است کما قال الله تعالی (ان‌الذین آمنوا والذین هادوا والنصاری والصائبین من آمن بالله والیوم‌الاخر وعمل‌صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم الخ) پس‌چون تمام مذاهب بقول مولوی یکی‌وجمع در حقانیت بودند درآخرآیه هم ضمیرهای آنان بااختلافاتی‌که داشتند تعبیربجمع شده‌است پس نظر بظاهر این‌آیه خصوص مذهبی مدخلیت درنجات ندارد

(۲) یعنی اگر شما احتیاج بآسیای دهان انبیاء و اولیاء (که مطالب الهی را از عوالم غیب تنزل داده و نرم‌کرده و مطابق عقول شما در دهان ارواح شما جویده و گذاشته تا خوب فهمیده و هضم نمائید) نداشته باشید‌یعنی شمارا از شنیدن خواب غفلت بگیرد که در بیت سابق اشاره باین خواب نمود آب آسیا که حقیقت‌الوجود است بنهر های خود که جویهای اسماء و صفات تحت جنت ذات است (که اصل آب علم انبیاء همانا از آنجا است) باصل خود برگشته یعنی دهان آنها از سخن بسته خواهد شد .

(۳) یعنی بادراك کلیات که فصل ممیز نفس ناطقه است‌که تجلی در دهان برای اتصال‌جزئیات خلقیه بکلیات الهیه نموده لذاباید محمولات قضایای ملفوظه بکلیات لابشرط مقسمی‌باشد والاحمل برموضوعات نخواهدشد

پیش سبحان بس نگهدارید دل — تا نگردید از گمان بد خجل ۱ کو ببیند سرّ وفکر و جستجو — همچو اندر شیر خالص تار مو
آنکه اوبی نقش وساده سینه‌شد — نقشهای غیب را آینه شد ۲ سرّ مارا بی گمان موقن شود — زانکه مؤمن آینهٔ مؤمن بود
❀مؤمنی او مؤمنی تو بی‌گمان — در میان هر دو فرقی بیکران(۱) ۳ چون زند این نقد مارا برمحك — پس یقین را باز داند او ز شك
چون شود جانش محكّ نقدها ۴ پس ببیند نقد را و قلب را

نشاندن پادشاهان صوفیان عارف را پیش‌روی خود تا چشمشان روشن شود

پادشاهان را چنین عادت بود — این شنیده باشی اریادت بود ۶ دست چپشان پهلوانان ایستند — زانکه دل پهلوی چپ باشد بیند
مشرف واهل قلم بردست راست — زانکه‌علم‌ثبت‌وخط‌آن‌دست راست ۷ صوفیان را پیش رو موضع دهند — کاینهٔ جانند و ز آینه بهند
❀حاجبان این صوفیانند ای‌پسر — ساده و آزاده و افکنده سر ۸ سینها صیقل زده از ذکر وفکر — تا پذیرد آینهٔ دل نقش بکر
هرکه اوازصلب فطرت‌خوب زاد — آینه در پیش او باید نهاد ۹ عاشق آینه باشد روی خوب — صیقل جان آمد از تقوی‌القلوب
هر که دارد روی خوب بانظام — طالب آینه باشد والسلام ۱۰ بشنو اکنون یك مثال معنوی — تا تو دیگر قول صورت نشنوی

آمدن آشنائی از سفر بدیدن حضرت یوسف علیه‌السلام

آمد از آفاق یار مهربان — یوسف صدّیق را شد میهمان ۱۲ کاشنا بودند وقت کودکی — بر وسادهٔ آشنائی متکی
یاد دادش جور اخوان و حسد — گفت آن زنجیر بود وما اسد ۱۳ عار نبود شیر را از سلسله — نیست ما را ازقضای حق گله
شیر را بر گردن ار زنجیر بود — بر همهٔ زنجیر سازان میر بود ۱۴ گفت چون‌بودی تودرزندان‌وچاه — گفت همچون در محاق‌وکاست‌ماه
در محاق ار ماه نو گردد دوتا — نی در آخر بدر گردد بر سما ۱۵ گرچه دُر دانه بهاون کوفتند — نورچشم ودل شد و دفع گزند
گندمی را زیر خاك انداختند — پس ز خاکش خوشها برساختند ۱۶ بار دیگر کوفتندش ز آسیا — قیمتش افزود و نان شد جانفزا
باز نانرا زیر دندان کوفتند — گشت عقل و جان وفهم هوشمند ۱۷ بازآن جان‌چونکه‌محو عشق‌گشت — یعجب الزّراع آمد بعد گشت
باز آن جان چون بحق‌اومحوشد — باز ماند از سکر وسوی صحوشد ۱۸ ❀عالمی را زان صلاح آمد ثمر — قوم دیگر را فلاح منتظر
این سخن پایان ندارد باز گرد ۱۹ تاکه بایوسف چه‌گفت آن نیکمرد

طلب کردن یوسف علیه‌السلام ارمغان ازمهمان

بعد قصه‌گفتنش گفت ایفلان — هین چه‌آوردی تو مارا ارمغان ۲۱ بر درِ یاران تهی دست آمدن — هست بی‌گندم سوی‌طاحون‌شدن
حقتعالی خلق را گوید بحشر — ارمغان کو ازبرای روز نشر ۲۲ جئتمونا و فرادی بینوا — هم بدانسان که خلقنا کم کذا
هین چه آوردید دست‌آویز را — ارمغان روز رستاخیز را ۲۳ یا امید بازگشتنتان نبود — وعدهٔ امروز باطلتان نمود
وعدهٔ مهمانیش را منکری — پس‌زمطبخ خاك‌وخاکستر بری ۲۴ ورنهٔ منکر چنین دست تهی — بردر آن دوست پاچون مینهی
اندکی صرفه بکن‌ازخواب وخور — ارمغان بهر ملاقاتش ببر ۲۵ شو قلیل‌النوم مما یهجعون — باش در اسحار ازیستغفرون(۲)
اندکی جنبش بکن همچون جنین — تا ببخشندت حواس نوربین ۲۶ وزجهان چون‌رحم بیرون‌روی — اززمین در عرصهٔ واسع شوی
آنکه ارض‌الله واسع گفته اند — عرصهٔ دان‌کانبیا در رفته اند ۲۷ دل نگردد تنگ زانعرصهٔ فراخ — نخل تر آنجا نگردد خشك شاخ
حاملی تو مر حواست را کنون — کند وماندهٔ میشویّ وسرنگون ۲۸ چونکه محمولی‌نه‌حامل وقت‌خواب — ماندگی رفت و شدی بی‌پیچ وتاب
چاشنیّ دان توحال خواب را — پیش محمولیّ حال اولیا ۲۹ اولیا اصحاب کهفند ایعنود — در قیام و در تقلب هُم رقود
میکشدشان بی‌تکلف در فعال — بیخبر ذات الیمین ذات الشمال ۳۰ چیست آن ذات‌الیمین فعلِ حسن — چیست آن‌ذات الشمال اشغال تن
❀ گرتوبینی‌شان‌بدشواری درون — نیستشان خوفی ولاهم یحزنون ۳۱ ❀ میرود این‌هردو ازمردم پدید — بیخبر زین هردو ایشان در مزید
میرود این هردوکار از انبیا — بیخبر زین هردو ایشان چون‌صدا ۳۲ گر صدایت بشنواند خیر وشرّ — ذات که باشد ز هر دو بیخبر

گفتن مهمان یوسف علیه السلام را که ارمغان بهر تو آینه آورده ام تا چون در آن نگری مرا یاد آوری

گفت یوسف هین بیاور ارمغان — او زشرم این تقاضا در فغان ۳۴ گفت من‌چند ارمغان جستم ترا — ارمغانی در نظر نامد مرا

---

(۱) یعنی بنابر تشکیك ذاتی وجود که درهر مرتبه و ماهیتی ظهوری دارد غیراز ظهورات دیگری پس ذات هر مؤمنی و پیغمبری چون مخصوص بمرتبهٔ از مراتب مختلفه وجود است انتهی درجه صعود هر مؤمن و پیغمبری بمرتبه و ذات خود است یعنی هیچ مؤمنی و پیغمبری ممکن نیست که از ذات خود گذشته بذات و مرتبهٔ دیگری برسد چه جای بذات اقدس خدا لذا عدد مؤمنین و پیغمبران بعدد مراتب تشکیکیّه حقیقت الوجود است که مولوی در این فصل مثال‌رابآئینه زده یعنی همینطوریکه آینه بصفای خود حکایت ازصفات اشعّه خورشید (بدون اینکه ازجمادیّت خود بالا رفته بذات خورشید برسد) مینماید همچنین محال‌استکه هر انسانی از انسانیت خود بالا رفته بانسانیت دیگری یابذات خداوند برسد بلکه بمثل آینه باید درمرتبهٔ خود بتمرکز قوا وتوحید نفس صیقلی شده تا نزول اشعه خداوندی را درخود باندازه سعه وضیق یا بقدر صیقلی حکایت بنماید.

(۲) اسرار طبیعی والهی سحرخیزی اما طبیعی چون الکتریسیته مخصوصاً درثلث آخر شب نزدیکتر بسطح زمین و در روز برای تابش آفتاب بالاتر میرودکه غالباً تلگرافات دور را در شب مینمایند پس صاحبان علم‌الروح اگر میخواهند ازنزول الکتریسیته برای جمع افکار خود استفاده نمایند باید سرشب خوابیده وکمتر غذا و آب میل نموده تا خواب سبك شده ثلث آخر شب بیدار شده مشغول استغفار از تفرقه حواس بشوند و امّا جهت الهی چون ملکوت بمثل دنیا دو جهت شب و روز دارد یعنی جهتیکه بخورشید حقیقت (الله نورالسموات والارض) داردکه روز آنها است فیض حقائق را گرفته و بجهتیکه بطبایع ظلمانی داردکه شب آنها است فیض خلقت را در این شب یعنی در این جهت تحتانی بطبایع میرساند پس چون شبهای حسی مظهر شبهای غیبی و روز های حسی مظهر روز های غیبی است عبّاد و زهاد و مخصوصاً صاحبان علم‌الرّوح را مناسب آنستکه درشب مخصوصاً درسحرکه محلّ نزول ملائکه برای فیض‌بخشی‌است مشغول تمرکز افکار واستغفار ازتفرقهٔ حواس ومتوجه باذکار قلبی برای توحید نفس بشوند تا ازتوجهات تحتانی ملکوت بهتر از روز استفاده نمایند.

حبّهٔ را جانب کان چون برم / قطرهٔ را سوی عمان چون برم ۱ زیره را من سوی کرمان آورم / گر به‌پیش تو دل وجان آورم
نیست تخمی کاندر این انبار نیست / غیرحسن تو که آنرا یار نیست ۲ لایق آن دیدم که من آینهٔ / پیش تو آرم چو نور سینهٔ
تا ببینی روی خوب خود درآن / ای توچون خورشید شمع آسمان ۳ آینه آوردمت ای روشنی / تا چوبینی روی خود یادم کنی
آینه بیرون کشید او از بغل / خوب را آیینه باشد مشتغل ٤ آینهٔ هستی چه باشد نیستی / نیستی بگزین گر ابله نیستی(۱)
هستی اندر نیستی بتوان نمود / مالداران بر فقیر آرند جود ٥ آینهٔ صافیّ نان خودگرسنه است / سوخته هم آینهٔ آتش زنه است
نیستیّ ونقص هرجائی که خاست / آینهٔ خوبیّ جمله هستهاست ٦ ❀ بهرآنکه نیستی پالودگی است / وآنچه این‌هستی همه آلودگی‌است
چونکه جامه چست ودوزیده بود / مظهر فرهنگ درزی کی شود ۷ ناتراشیده همی باید جذوع / تا دروگر اصل سازد یا فروع
خواجهٔ اشکسته بند آنجا رود / که در آنجا پای اشکسته بود ۸ کی‌شود چون‌نیست رنجور ونزار / آنجمال صنعت طبّ آشکار
خواری و دونیّ مسها بر ملا / گر نباشد کی نماید کیمیا ۹ نقصها آینهٔ وصف کمال / وان حقارت آینه عزّ و جلال
زانکه ضدّ را ضدّ کندپیدایقین / زانکه با سرکه پدیدست انگبین ۱۰ هرکه نقص‌خویش‌را دیدوشناخت / اندراستکمال خود دواسبه تاخت
زان نمیبرّد بسوی ذوالجلال / کو گمانی میبرد خود را کمال ۱۱ علتی بدتر ز پندار کمال / نیست اندر جانت ایمغرور ضال
ازدل و ازدیده‌ات بس خون‌رود / تا زتو این معجبی بیرون شود ۱۲ علت ابلیس آنا خیر بُدست / وین‌مرض‌درنفس‌هرمخلوق‌هست(۲)
گرچه خودرا بس شکسته بیند او / آب صافی دان وسرگین زیرجو ۱۳ چون بشورانی مراورا زامتحان / آب سرگین رنگ گردد درزمان
در تک جو هست سرگین ایفتی / گرچه جو صافی نماید مر ترا ۱٤ هست بیر راه دان پر فطن / باغهای نفس کل را جوی کن
جوی خودرا کی تواند پاک‌کرد / نافع ازعلم خدا شد علم مرد ۱٥ آب جو سرگین نتاند پاک‌کرد / جهل نفسش را نروبد علم مرد
کی تراشد تیغ دستهٔ خویش را / رو بجرّاحی سپار این‌ریش را ۱٦ برسر هر ریش جمع‌آید مگس / تا نبیند قبح ریش خویش کس
وانمگس اندیشها و امال تو / ریش تو آن‌ظلمت احوال تو ۱۷ ور نهد مرهم‌دران ریش توبیر / آن‌زمان ساکن شود درد ونفیر
تا نه پنداری که صحّت یافته‌است / پرتو مرهم بر آنجا تافته است ۱۸ هین‌زمرهم‌سرمکش ای‌پشت‌ریش / وآن زپرتودان‌مدان‌ازاصل‌خویش
❀این‌سخن پایان ندارد ای‌جوان ۱۹ بشنو اکنون قصهٔ درضمن آن

مرتد شدن کاتب‌وحی بسبب آنکه پرتو وحی بروی زد وآن آیه را پیش ازپیغمبر خواند وگفت‌من‌هم محلّ وحیم

پیش از عثمان یکی نسّاخ بود / کو بنسخ وحی جدّی می نمود ۲۱ چون‌نبی ازوحی فرمودی سبق / او همانرا وانوشتی بر ورق
پرتو آن وحی بر وی تافتی / او درون خویش حکمت یافتی ۲۲ عین آن حکمت‌بفرمودی رسول / زین قدر گمراه شدآن بوالفضول
کانچه میگوید رسول مستنیر / مرمرا هست‌آن حقیقت درضمیر ۲۳ پرتو اندیشه اش زد بررسول / قهرِ حق آورد بر جانش نزول
❀ پرتوِ آن ناگهش بردل بتافت / در درون خویشتن حرفی نیافت ۲٤ هم زنسّاخی برآمد هم ز دین / شد عدوی مصطفی از روی‌کین
مصطفی فرمود کای گبر عنود / چون‌سیه‌گشتی اگرنور ازتو بود ۲٥ گر تو ینبوع الهی بوده ای / این چنین آب سیه نگشوده ای
اندرون میسوختش‌هم زین سبب / توبه کردن می نیارست ای عجب ۲٦ تا که ناموسش به‌پیش ابن وآن / نشکند بربست از توبه دهان
آه میکرد و نبودش آه سود / چون در آمد تیغ و سر را در ربود ۲۷ کرده حق ناموس‌را صدمن حدید / ای بسا بسته به بند ناپدید
کبرو کفرآنسان ببست آن راه را / کو نیارد کرد ظاهر آه را ۲۸ گفت اغلالا فهم به مقمحون / نیست آن اغلال مارا از برون
خلفهم سداً فاغشیناهم / می نبیند بند را پیش وپس او ۲۹ رنگ‌صحرادارد آنسدّی که خاست / او نمیداند که آن سدّ قضاست
شاهد تو سدّ روی شاهد است / مرشد تو سدّ گفت مرشد است ۳۰ ای بسا کفار را سودای دین / بندشان ناموس و کبر و آن واین
بند پنهان لیك از آهن بتر(۳) / بند آهن را کند پاره تبر ۳۱ بند آهن را توان کردن جدا / بند غیبی را نداند کس دوا

---

(۱) یعنی حقیقت آینه که غیرخودرا مینماید برای آنستکه ازخودنمائی گذشته و بمثل سایراجسام معدنی و اجسام کثیفه بزبان حال‌من من نمیزند یعنی خودرا نشان نمیدهد لذا بمثل هوای صافی وآب زلال چون از خودنمائی گذشته همیشه غیر خود رانشان میدهد ونیز بمثل نور چون خود نما نیست همهٔ الوان و اشکال واجسام غیر خودرا نشان میدهد واگر تو بگوئی که من بالحس والعیان نور را می بینم که خودرا نشان میدهد جواب میدهم که تو آنچه از نور مشاهده میکنی رنگ‌زردی وشکل‌گردی خورشید وضوبری شعله‌است نه حقیقت نور ونیز بمثل جاذبهٔ عمومی وملکوت آن چون از خودنمائی درنزد حواس گذشته و ذاتاً پنهان شده همهٔ ترکیبات اجسام‌را بآثار وصفات نشان‌میدهد مثال بالا تراز همهٔ اینها ذات غیب الغیوب‌است که چون با حدی تاکنون خود نمائی نکرده و نخواهد هم کرد توانسته که همهٔ خلق را ظاهر نماید بقسمی که اگر بنای خودنمائی بهر موجودی مینمود آن‌موجود فوراً معدوم‌میشد پس‌خلق درآینه حق مشاهده میشود (چون مابه‌النظر است حق محسوس نیست) لذا صلاح‌عالم درغیبت حق‌است‌پس چون ظرف حقائق هستیها فضای نیستی است (والا هستی بر هستی تسلسل یادور محال لازم آید) پس نتیجه این دو صفحه ابیات مولوی درترك خودنمائی بمثال‌آینه غیرنما برای‌هرطالبی‌که میخواهد بحقائق (یا بعلم‌صوری یافلسفی یاعرفانی یابمکاشفه وبریاضت) برسد چنین‌میشود که تااز خودنمائی (که‌جولان‌خیال‌است) بمشق تمرکز وتوحیدنفس نگذرد وبمثل‌آینهٔ صیقلی یابمثل آب بی‌لجن وهوای بی‌غبار یعنی‌اخلاق بی‌رذیله وبمثل‌ملکوت بی‌علاقه بدنیا و بمثل ذات غیب الغیوب منزه از ما سوی الله نشود ممکن نیست که از مراتب خودنمائی گذشته و آینه حقائق نما بشود چه بدون این‌گذشت کلی این در مسدود و این طلب مردود است . (۲) فلسفه خودنمائی ابلیس واشتباه آن‌در تکبربدانکه ذره بین در مقابل آفتاب چون از خودآفتاب سوزنده‌تر است اگر شعور واختیار داشت ممکن‌بود اشتباه براو شده مقام خودرا ازآفتاب بمثل ابلیس ازآدم بالاتر بداند چه ازباب کبر وحسادتی که بآدم داشته فقط نظر بطین و جسم آدم نموده نه بروح او در حالتی که سوزندگی آتش خلقت او که در قرآن است از ماوراء ذره‌بین خیال آدم بوده که ازتابش خورشید روح آدم در قوهٔ خیال که نفس امّاره او باشد آتش خلقت اویافت شده و ابلیس از این نکته غفلت داشته که تکبر نموده (وانا خیر منه و خلقتنی من نار و خلقته من طین گفته) . (۳) مقصود از این بندها در آیهٔ ابیات فوق که درسورهٔ یس است بندهای ده‌گانه حواس ظاهره وباطنه است که علاقهٔ مادی بمراتب هفت‌گانه حب ریاست درانسان و علاقهٔ بصفات حیوانیه و نباتیه و معدنیه و عنصریه وجسمیه ومطلق مواد دنیویه بنام دیانت یا خدمت بجامعه وطلب نام نیك‌وناموس یافته که بچشم اهل دنیا پنهان و بچشم اهل آخرت محسوس‌خواهد شد

مرد را زنبور اگر نیشی زند — طبع او آن‌لحظه بر دفعی تند ۱ زخم نیش اماچو ازهستیّ تست — غم قوی باشد نگردد درد سست
شرح این ازسینه بیرون میجهد — لیك میترسم که نومیدی دهد ۲ نی مشونومید وخودرا شاد کن — پیش آن فریاد رس فریاد کن
کای محبّ عفو ازما عفو کن — ای طبیب رنج ناسور کهن ۳ عکس حکمت آن‌شقی‌را یاوه‌کرد — خود مبین تا برنیارد از تو گرد
ای‌برادر برتوحکمت جاریه‌است — آن زابدالست وبرتو عاریه‌است ٤ گرچه درخودخانه نوری‌تافته‌است — آن ز همسایهٔ منوّر یافته است
شکر کن غرّه مشو بینی مکن — گوش دار وهیچ خودبینی‌مکن ۵ صد دریغ و درد کاین عارّیتی — معجبانرا دور کرد از اُمّتی
من غلام آنکه او در هر رباط — خویش‌را واصل نداند برسماط ٦ بس رباطی که بباید ترك کرد — تا بمسکن در رسد یکروز مرد
گرچه آهن سرخ‌شد اوسرخ نیست — پرتو عارّیت آتش زنیست ۷ گر شود پرنور روزن یا سرا — تومدان روشن مگر خورشیدرا
ور در و دیوار گوید روشنم — پرتو غیری ندارم این منم ۸ پس بگوید آفتاب ای نارشید — چونکه من غارب شوم آید پدید
سبزها گویند ما سبز از خودیم — شاد و خندانیم و بس زیبا خدیم ۹ فصل تابستان بگوید کای امم — خویش را بینیدچون من بگذرم
تن همی نازد بخوبیّ و جمال — روح پنهان‌کرده فرّ و پرّ وبال ۱۰ گویدش کای مزبله تو کیستی — یکدو روز از پرتو من زیستی
غنج ونازت می‌نگنجد درجهان — باش تا که من شوم از تو جهان ۱۱ گرم دارانت تورا گوری کنند — ❀کشکشانت در تك‌گور افکنند
تا که‌چون درگور یارانت کنند❀ — طعمهٔ موران و مارانت کنند ۱۲ بینی ازگند توگیرد آن کسی — که به‌پیش تو همی مردی بسی
پرتو روح‌است‌نطق وچشم‌وگوش — پرتو آتش بود در آب جوش ۱۳ آنچنانکه پرتو جان برتن‌است — پرتو ابدال بر جان من است
جان‌جان‌چون‌وا کشد یارا زجان — جان‌چنان‌گرددکه بیجان تن بدان ۱٤ سر ازان رو می‌نهم من برزمین — تا گواه من بود در یوم دین
یوم دین که زلزلت زلزالها — این زمین باشد گواه حالها ۱۵ کو تحدّث جهرة اخبارها — در سخن‌آمد زمین و خار ها(۱)
فلسفی گوید ز معقولات دون — عقل از دهلیز میماند برون ۱٦ فلسفی منکر شود درفکر وظن — گو برو سررا برآن دیوار زن
نطق‌آب ونطق خاك ونطق‌گل — هست محسوس حواس اهل دل ۱۷ فلسفی کو منکر حنانه است — از حواس انبیا بیگانه است
گوید اوکه پرتو سودای خلق — بس خیالات آورد دررای خلق ۱۸ بلکه عکس‌آن فساد وکفر او — این خیال منکری‌را زد براو
فلسفی مر دیو را منکر شود — در همان دم سخرهٔ دیوی بود ۱۹ گر ندیدی دیورا خودرا ببین — بی جنون نبود کبودی بر جبین
هرکه را دردل‌شك وبیجانی‌است — درجهان او فلسفی پنهانی‌است ۲۰ مینماید اعتقاد او گاه گاه — آن رگ فلسف‌کند رویش سیاه
الحذر ایمؤمنان کان در شماست — در شما بس عالم بی منتهاست ۲۱ جمله هفتاد و دوملت در تواست — وه‌که‌آن‌روزی برآرد ازتو دست
هرکه اورا برگ این ایمان بود — همچو برگ ازبیم اولرزان بود ۲۲ بر بلیس و دیو زان خندیدهٔ — که تو خود را نیك مردم دیدهٔ
چون‌کند جان بازگونه پوستین — چند واویلا برآید ز اهل دین ۲۳ بردکان‌هرزرنما خندان شده‌است — زانکه سنگ‌امتحان پنهان‌شده‌است
پرده ای ستار از ما وامگیر — باش اندر امتحان مارا مجیر ۲٤ قلب پهلو میزند با زر بشب — انتظار روز میدارد ذهب
با زبان حال زرگوید که باش — ای مزوّر تا برآید روز فاش ۲۵ صدهزاران سال ابلیس لعین — بود ز ابدال و امیر مؤمنین
پنجه زد با آدم ازنازی‌که داشت — گشت‌رسواهمچوسرگین‌وقت‌چاشت ۲٦ پنجه بامردان‌مزن ای بوالهوس — برتر از سلطان چه میرانی فرس

دعا کردن‌بلعم‌با عور که‌موسی وقومش‌را از این شهر که حصار داده‌اند بی مراد باز گردان و مستجاب شدن

بلعم باعور را خلق جهان — سغبه شد مانند عیسیّ زمان ۲۸ سجده ناوردند کس را دون او — صحت رنجور بود افسون او
پنجه زد با موسی از کبر وکمال — آن چنان شدکه شنیدستی توحال ۲۹ صد هزار ابلیس وبلعم در جهان — همچنین بوده است پیدا و نهان
این دورا مشهور گردانید اله — تا که باشند این دو برباقی گواه ۳۰ ❀رهزنان رادر بیابان‌چون‌کشند — یك‌دوتن را سوی‌ده زایشان کشند
❀تا ببینند اهل ده گیرند پند — رؤیت ایشان بودشان همچو بند ۳۱ این دو دزد آویخت بردار بلند — ورنه اندر شهر بس دزدان بدند
این دورا پرچم بسوی شهر برد — کشتگان قهر را نتوان شمرد ۳۲ نازنینی تو ولی در حدّ خویش — الله الله پامنه ز اندازه بیش
گر زنی بر نازنین تر از خودت — در تك هفتم زمین زیر آردت ۳۳ قصهٔ عاد و ثمود از بهر چیست — تا بدانی کانبیا را نازکیست
این نشان خسف و قذف وصاعقه — شد بیان عزّ نفس ناطقه ۳٤ جمله حیوان را پی انسان بکش — جمله‌انسان رابکش ازبهرهش(۲)
هش‌چه باشد عقلّ کل ای‌هوشمند — عقل جزوی هش بود امّا نژند ۳۵ جمله حیوانات وحشی زآدمی — باشد از حیوان انسی درکمی
خون آنها خلق را باشد سبیل — زانکه وحشی‌اند از عقل جلیل ۳٦ ❀ خون ایشان‌خلق‌را باشد روا — زانکه انسان وا نیند ایشان سزا
عزّت‌وحشی بدان ساقط‌شده‌است — کام انسان را مخالف آمده‌است ۳۷ پس چه عزّت باشدت ای نادره — چون شدی تو حمر مستنفره
خر نشاید کشت از بهر صلاح — چون بود وحشی‌شودخونش مباح ۳۸ گر چه خر را دانش زاجر نبود — هیچ معذورش نمیدارد ودود

---

(۱) این‌دوبیت اشاره بیکی ازاسرار خلقت است‌که هروقت نوع بشر تمام اخبار زمین‌طبیعت را بحواس خود برای سعهٔ وجودی خودجوهر کشی نمود بقسمی‌که دیگر برای عالم‌خبری وجوهری ازعبرت وصنعت نماند قیامت بزرگ‌تکمیل شده وتمام عالم‌ازهم خواهد پاشید وباید خداوندمتعال عالم دیگری باز برای دیگران ابداع واختراع نماید . تا تعطیل در فیض نشود . (۲) این چند بیت اشاره بفلسفه مجاهده بدلیل قانون نشو وارتقای نظام عالم طبیعت است که تاآنکه طبیعت برای اصلح غیر اصلح را از بین نبرد محال‌است که ترقی وتنظیم نماید همچنین درنظامات اجتماعی تاضعفای عقول فدای اقویا نشوند محال است که اقویا تقویت یافته مدنیت اجتماعی‌را ترقی دهند وهمچنین درزندگانی انفرادی برای ریاضات روحانی و سعهٔ عقلانی‌تاقوای‌جاهلانه نفسانیه درمملکت بدن‌بثمرکزقوا کشته نگشته یابمخالفت نفس ضعیف‌نشود محال‌است‌که قوای بعداز تمرکز تنظیم یافته دست‌تصرف روی‌کشتها ویاضعفای قوای نفسانی خود گذاشته آنهارا برای سعهٔ عقل خود زنده وتربیت‌نماید پس اشخاصی که بمرتاضین هوای نفس کش‌که قوای بدن خودرا بریاضت تحلیل میبرند باین‌قضیه که (روح سالم باید دربدن‌سالم باشد) حمله میاورند مولوی جواب فرموده که روح‌جاهل در بدن جاهل چون مریض بامراض مهلکه مسریه است باید بریاضت تحلیل رفته تاسرایت باغیار در زندگانی انفرادی برای معالجه نکند و پس از اصلاح و صحت در جامعه آمده روح سالم در بدن سالم را که از نتائج است نه از مقدمات عملا و اخلاقاً ترویج نماید .

پس چووحشی شد ازان دم آدمی — کی بود معذور ای یار سمیّ ۱ لاجرم کفار را خون شد مباح — همچووحشی پیش نُشاب ورماح(۱)
جفت و فرزندانشان جمله سبیل — زانکه بی‌عقلند ومطرود و ذلیل ۲ باز عقلی کو رمد از عقل عقل — کرد از عقلی بحیوانات نقل

اعتماد کردن هاروت و ماروت بر عصمت خویش در هر فتنهٔ

همچو هاروت وچو ماروت شهیر — از بطر خوردند زهر آلوده تیر ٤ اعتمادی بودشان بر قدس خویش — چیست بر شیر اعتماد گاومیش
گرچه او با شاخ صد چاره کند — شاخ شاخش شیر نر پاره کند ٥ گر شود پرشاخ همچون خاریشت — شیر خواهد گاو را ناچارکشت
باد صرصر کو درختان میکند — باگیاه پست احسان میکند ٦ بر ضعیفیّ گیاه آن باد تند — رحم کرد ای‌دل تو ازقوّت ملند
تیشه را ز انبوهی شاخ درخت — کی هراس آید ببرّد لخت لخت ۷ لیك بر برگی نکوبد خویش را — جز که بر ریشه نکوبد نیش را
شعله را ز انبوهی هیزم چه غم — کی رمد قصّاب ز انبوهی غنم ۸ پیش معنی چیست‌صورت‌بس‌زبون — چرخ را معنیش میدارد نگون
تو قیاس از چرخ دولابی بگیر — گردشش ازکیست ازعقل‌منیر(۲) ۹ گردش این قالب همچون سپر — هست از روح مسترّ ای پسر
گردش این باد از معنیّ اوست — همچو چرخی‌کو اسیر آب‌جوست ۱۰ جز رومد دخل وخرج این نفس — ازکه باشد جز زجان پرهوس (۳)
گاه جیمش میکند که حا و دال — گاه صلحش میکند گاهی جدال ۱۱ گه یمینش میبرد گاهی یسار — گه گلستان میکند گاهیش خار
❀همچنین این آب‌را یزدان پاك — کرد بر فرعون خون سهمناك ۱۲ همچنین این باد را یزدان ما — کرده بُد برعاد همچون اژدها
باز هم آن باد را بر مؤمنان — کرده بُد صلح ومراعات وامان ۱۳ گفت المعنی هو الله شیخ دین — بحر معنیهاست ربّ العالمین
جمله اطباق زمین و آسمان — همچو خاشاکی برآن بحر روان ۱٤ حملها و رقص خاشاك اندر آب — هم ز آب آمد بوقت اضطراب
چونکه‌ساکن خواهدش‌کرداز مرا — سوی ساحل افکند خاشاك را ۱٥ چون‌کشد از ساحلش درموجگاه — آن کند با او که آتش باگیاه
این حدیث آخر ندارد باز ران ۱٦ جانب هاروت‌و ماروت ای‌جوان

بقیه قصهٔ هاروت و ماروت و نکال وعقوبت ایشان

چون‌گناه وفسق خلقان جهان — میشدی روشن بایشان آن زمان ۱۸ دست خائیدن گرفتندی زخشم — لیك عیب خود ندیدندی بچشم
خویش‌درآئینه دید آن زشت مرد — رو بگردانید از آن وخشم کرد ۱۹ خویش بین‌چون‌ازکسی جُری‌بدید — آتشی در وی ز دوزخ شد پدید
حمیت دین خواند اوآن کبر را — ننگرد در خویش نفس گبر را ۲۰ حمیت دین را نشانی دیگر است — که ازآن‌آتش جهانی اخضراست
گفت حق‌شان گرشما روشن‌گرید — در سیه کاران مغفل منگرید ۲۱ شکر گوئید ای سپاه و چاکران — رسته‌اید از شهوت وازچاك ران
گر ازان معنی نهم من برشما — مر شما را پیش نپذیرد سما ۲۲ عصمتی گر مرشما را در تن است — آن‌زعکس‌عصمت‌وحفظ‌من‌است(٤)
آن زمن بینید نز خود هین وهین — تا نچربد بر شما دیو لعین ۲۳ آن چنان کان‌کاتب وحی رسول — دید درخود حکمت و نور وصول
خویش را هم‌لحن مرغان خدا — میشمردآن بُد صفیری چون صدا ۲٤ لحن مرغان را اگر واصف‌شوی — بر ضمیر مرغ کی واقف شوی
گر بیاموزی صفیر بلبلی — تو چه دانی‌کو چه گوید باگلی ۲٥ ور بدانی از قیاس و از گمان — ❀باشد آن برعکس‌آن ای‌ناتوان
باشد آن تصویر تو درامتحان❀ ۲٦ چون زلب جنبان گمانهای کران

بعیادت رفتن کر بخانه همسایهٔ بیمار و رنجیدن بیمار

آن کری را گفت افزون مایهٔ — که ترا رنجور شد همسایهٔ ۲۸ گفت باخود کر که باگوش‌گران — من چه‌دریابم ز گفت‌آن جوان
خاصه رنجور وضعیف آواز شد — لیك باید رفت آنجا نیست بُد ۲۹ چون ببینم کان لبش‌جنبان شود — من قیاسی گیرم آن را ازخرد
چون بگویم‌چونی ای محنت‌کشم — او بخواهد گفت نیکم یاخوشم ۳۰ من بگویم شکر چه خوردی ابا — او بگوید شربتی یا ماشبا
من بگویم صحّ نوشت کیست آن — از طبیبان پیش تو گوید فلان ۳۱ من بگویم بس مبارك پاست او — چونکه او آید شود کارت نکو
پای او را آزمودستیم ما — هر کجا شد میشود حاجت روا ۳۲ این جوابات قیاسی راست کرد — عکس آن واقع شد ای آزادمرد
❀گوئیا رنجور راخاطر ز کر — اندکی رنجیده بود ای پرهنر ۳۳ ❀ کر درآمدپیش رنجور ونشست — برسر او خوش همی مالید دست
گفت چونی‌گفت مُردم‌گفت شکر — شد ازاین رنجور پر آزارونکر ۳٤ کاین‌چه‌شکراست‌این‌عدوی‌ما بُدست — کر قیاسی کرد وآن کژ آمدست

---

(۱) فلسفهٔ کشتن پیغمبر کفار را برای همین مطلب بوده که انکار توحید فطری بمقتضای آیهٔ (فطرةالله التی فطرالناس علیها) و (افی‌الله شك) نمودند و انکار مقتضیات فطرت انکار حق و حقیقت واضحه بدون احتیاج ببرهان و معجزه است و چون این انکار توحید فطری مرضیست مسری وروحانی بدون‌هیچ محاکمهٔ انسان کامل حق‌دارد که اگرقابل هدایت نیستند آنها را برای کفر و شرکشان بکشد. (۲) این چند بیت اشاره بجاذبهٔ عمومی‌است که بذات خود غیب وبآثار مطابق عقول سلیمه تنظیم کرات و سایر اجزای عالم را مینماید (۳) کما آنکه مادهٔ کلمات و حروف نفس (بفتح) انسانی است که (از جنس هوای لطیف و غایب و واحد است) و بتوسط مخارج سی‌ودو گانه دهان حروف و ترکیبات کلمات را با اثر های انقلابی دریك جامعه بلکه در یك عالم بشریت بطور اختلافات نفی و اثباتی با معانی لطیفه و عقلیه ظاهر ازیگانه نفس (باسکون وفتح) خود میسازد همچنین نفس الرحمن از حقیقت الوجود بتوسط مخارج تعینات و ماهیات ترکیبات غیر متناهیه کلمات تکوینیه را ظاهر میسازد.
(٤) این‌چندبیت درفلسفه مدعیان باطل برخلاف مشیت وعصمت عکسی خداونداست درحالتیکه اگر اشکال‌نمائی‌که‌بمقتضای‌آیهٔ (وماتشاؤن الاان‌یشاء الله) و آیهٔ (والله غالب علی امره) و بمقتضای عموم عصمت و قدرت ومشیت واراده و استقلال و سلطنت و عزت و علو و استغنا و منیت و تکبر و علم و اختیار و احاطه سایر صفات خداوند نباید بمثل شیطان و تابعین‌آن در مقابل اقتدار عمومی واحاطه صفات قاهر او اظهار مخالفت و تکبر نماید ودر دنیا هم ظاهراً پیش برده وتاقیامت مهلت بگیرند مولوی از این اشکال جواب داده که همهٔ صفات کمالیه درهر مخلوقی از عکس صفات خداوند و عصمت وحفظ اوست که‌هرکس فرق بین عکس و اصل داده وهمه را ازحق دانست دیو لعین (یعنی شیاطین) براو نخواهد چرید وهر کس فرق بین عکس واصل نداده وهمه عکوس حق را از صفات فوق‌الذکر اشتباهاً از خود دانست البته صفات دیوی بر او خواهد چرید اگرچه خود خداوند برای سعهٔ وجودی خود از این عکسهای متکبره که عکس تکبر واستغنای خود او است لذت برده (فاحببت ان اعرف) فرموده

بعدازآن گفتش چه خوردی گفت زهر — گفت نوشت باد افزون گشت قهر ۱ بعد از آن گفت از طبیبان کیست او — که همی آید بچاره پیش تو
گفت عزرائیل می آید برو — گفت پایش بس مبارك شاد شو ۲ ❀این زمان از نزد او آیم برت — گفتم او را تا که گردد غمخورت
کر برون آمد بگفت او شادمان — شکر کش کردم مراعات این زمان ۳ ❀خودگمانش از کری معکوس بود — این زیان محض را پنداشت سود
❀رو بره میگفت با خود از عمی — شکر که کردم عیادت جار را ٤ گفت رنجور این عدوی جان ماست — ما ندانستیم کو کاین جفاست
خاطر رنجور جویان صد سقط — تا که پیغامش کند از هر نمط ٥ چون کسی که خورده باشد آش بد — می بشوراند دلش تا قی کند
کظم غیظ اینست آنرا قی مکن — تا بیابی در جزا شیرین سخن ٦ چون نبودش صبر می پیچید او — کاین سگ زن روسبیّ حیز کو
تا بریزم بر وی آنچه گفته بود — کان زمان شیر ضمیرم خفته بود ۷ چون عیادت بهر دل آرامی است — این عیادت نیست دشمن کامی است
تا ببیند دشمن خود را نزار — تا بگیرد خاطر زشتش قرار ۸ بس کسان کایشان عبادتها کنند — دل برضوان و ثواب آن نهند
خود حقیقت معصیت باشد خفی — بس کدرکان را تو پنداری صفی ۹ همچوآن کر کو همی پنداشته است — که نکوئی کرد وآن خودبدُ بده است
اونشسته خوش که خدمت کرده‌ام — حقّ همسایه بجا آورده‌ام ۱۰ بهر خود او آتشی افروخته است — دردل رنجور وخودراسوخته است
فاتقوا النار التی اوقدتمُ — انکم فی المعصیة ازددتمُ ۱۱ گفت پیغمبر بیك صاحب ریا — صلّ انك لم تُصلّ یا فتی
از برای چارهٔ این خوفها — آمد اندر هر نمازی اهدنا (۱) ۱۲ کاین نمازم را میامیز ای خدا — با نماز ضالین و اهل ریا
ازقیاسی که بکرد آن کر گزین — صحبت ده ساله باطل شد بدین ۱۳ خواجه پندارد که طاعت میکند — بیخبر کز معصیت جان میکند
❀این قیاس خویش را روترك کن — کز قیاس تو شود ریشت کهن ۱٤ خاصه ای خواجه قیاس حسّ دون — اندران وحیی که شد ازحد برون
گوش حسّ تو بحرف اردرخوراست ۱٥ دانکه گوش عیب گیر تو کراست

در بیان آنکه اول کسی که در مقابل نصّ صریح قیاس آورد ابلیس علیه اللعنه بود

اول آنکس کاین قیاسکها نمود — پیش انوار خدا ابلیس بود(۲) ۱۷ گفت نار ازخاك بی‌شك بهتر است — من زنار واو زخاك اکدراست(۳)
پس قیاس فرع بر اصلش کنیم — او ز ظلمت ما ز نور روشنیم ۱۸ گفت حق نی بلکه لاانساب شد — زهدوتقوی فضل را محراب شد(٤)
این نه میراث جهان فانی است — که بر انسابش بپایی جانی است ۱۹ بلکه این میراث های انبیاست — وارث این جانهای اتقیاست
پور آن بوجهل شد مؤمن عیان — پور آن نوح نبی از گمرهان ۲۰ زادهٔ خاکی منوّر شد چو ماه — زادهٔ آتش توئی ای رو سیاه
این قیاسات و تحرّی روز ابر — یا بشب مرقبله را کرده‌است حبر ۲۱ لیك با خورشید وکعبه پیش رو — این قیاس و این تحرّی را مجو
کعبه نادیده مکن رو زو متاب — از قیاس الله اعلم بالصّواب ۲۲ چون صفیری بشنوی ازمرغ حق — ظاهرش را یاد گیری چون سبق
وانگهی از خود قیاساتی کنی — مر خیال محض را ذاتی کنی ۲۳ اصطلاحاتی است مرا بدال را — که نباشد زان خبر غفّال را
منطق الطیری بصوت آموختی — صد قیاس و صد هوس افروختی ۲٤ همچو آن رنجور دلها ازتوخست — تو به پندار اصابت گشته مست
کاتب آن وحی زان آواز مرغ — برده ظنی که منم انباز مرغ ۲٥ مرغ پرّی زد مر اورا کورکرد — نك فرو بردش بقعر مرگ ودرد
هین بظنّی یا بعکسی هم شما — در مپتید از مقامات سما ۲٦ گرچه هاروتید و ماروت وفزون — از همه بر بام نحنُ الصّافّون
بر بدی‌های بدان رحمت کنید — بر منیّ وخویش بینی کم تنید ۲۷ هین مبادا غیرت آید از کمین — سر نگون افتید در قعر زمین
هردوگفتند ای‌خدا فرمان تراست — بی امان تو امانی خود کجاست ۲۸ این همی گفتند و دلشان میطپید — بد کجا آید ز ما نعم العبید
خار خار دو فرشته می نهشت — تا که تخم خویش بینی را نکشت ۲۹ پس همی گفتند کای ارکانیان — بیخبر از پاکی روحانیان
ما بر این گردون تتقها می تنیم — بر زمین آئیم و شادروان زنیم ۳۰ ❀هردوشان گفتندمارا باك نیست — که سر شت ما زآب و خاك نیست
عدل ورزیم و عبادت آوریم — باز هرشب سوی گردون بر پریم ۳۱ تا شویم اعجوبهٔ دور زمان — تا نهیم اندر زمین امن وامان
این قیاس حال گردون برزمین ۳۲ راست ناید فرق دارد در کمین

---

(۱) چون هرکاری ممکنست هم برای خداوهم برای ریا باشد پس اعتباری بظواهر عبادات عباد وزهاد وعلم علماء ودعاوی انبیاء واولیانیست (الا بهدایت خداوند که روی قلب آنها را از خلق بحق در همهٔ اعمال و احوال و صفات روحی وجسمی میگرداند) ونیز اینهم امریست قلبی که علامات صوری عمومی ندارد الابازبهدایت خصوصی خداوند که فرمود (ان‌الله یهدی من‌یشاء) مشروط باینکه ضمیر یشاء بمن برگردد که نزدیك است نه بالله که دوراست. ونیز اختلاف اختیاراست (۲) اگر بگوئی که اگرقیاس ابلیس بداست پس‌چرا خودمولوی قیاس‌جهال‌را بقیاس ابلیس‌قیاس کرده کمااینکه حضرت‌صادق(ع) در قیاسات ابوحنیفه فرموده (اول من قاس ابلیس) جواب اجمالی آنکه عکوس حق در هر باطلی کماآنکه انعکاس باطل میدهد البته عکس‌باطل هم در هر حقی انعکاس حق خواهد داد پس تاقیاس‌کننده چه نفسی باشد و برای چه مقصدی قیاس کند . (۳) در حالتیکه اگر این قیاسات‌دلیلیت برای ابلیس داشته باشد خاك میتواند برای خود برعکس او قیاس نماید چه خاك آتش را میکشد و آتش در خاك اثری ندارد لذا (ظهور آدم ریاست روحانی ابلیس را باطل کرد و او در آدم چندان اثری ننمود) و نیز خاك اگر یکدانه را بخورد هزاران دانها میرویاند پس امین و بدون ضرر است بخلاف آتش و نیز تاکرات آتشی در کهکشان تبدیل بخاك تدریجاً نشود قابل خلقت موالید و ظهور ارواح در اجسام‌نخواهدشد (٤) این پنج بیت اشاره بفلسفه این‌آیه (واذا نفخ فی‌الصور فلا انساب بینهم ویومئذٍ ولایتسائلون) واشاره باین‌حدیث نبوی است (کل نسب و سبب منقطع یوم القیمةالانسبی وسببی) بدانکه چون اثرات باید عقلا همیشه ازعالی بدانی واز روح بجسم یعنی‌از علت به معلول باشد نه بالعکس (الا در قوس صعود که بطور انعکاس نه علیت ازدانی در مبادی عالیه یعنی در مراتب نازله آنها اثرات منعکس میشود که احکام شرایع‌وصدقات و ادعیه معقول شده است و الا همهٔ آنها لغو میشد) پس احکام مادیات از انساب و غیره در مبادی عالیه که یوم القیامه است بطور علیت و معلولیت منقطع است الا قوم و خویشی روحانی که وارث اخلاق انبیا بتقوای از مادیات بدون خلط انساب میتوان باشند ولکن در انساب جسمانی عرضی ممکن است خلط و اشتباه بقسمی بشود که از ابوجهل پسر مؤمن و ازنوح پسر گمراه واز نور ظلمت وازظلمت نور ظاهر شود .

دربیان آنکه حال خود ومستی خود پنهان باید داشت

بشنو الفاظ حکیم بُردهٔ — سر همانجا نه که باده خوردهٔ(۱) ۲ چونکه ازمیخانه مستی ضال شد — تسخر و بازیچهٔ اطفال شد
می‌فتد او سو بسو در هر رهی — در گِل و میخندش هر ابلهی ۳ او چنین و کودکان اندر پیش — بیخبر از مستی وذوق میش(۲)
خلق اطفالند جز مست خدا — نیست بالغ جز رهیده از هوا ٤ گفت دنیا لعب ولهو است وشما — کودکید و راست فرماید خدا
از لعب بیرون نرفتی کودکی — بی‌زکات روح کی باشی زکی ٥ چون جماع‌طفل دان این شهوتی — که همی رانند اینجا ای فتی
این جماع طفل چبود با زنی — با جماع رستمیّ و غازنی ٦ جنگ خلقان همچوجنگ کودکان — جمله بیمعنیّ و بیمغز و مُهان
جمله با شمشیر چوبین جنگشان — جمله در لاینفعی آهنگشان ۷ جمله شان گشته سواره برنئی — کاین براق ماست یادلدل پئی
حاملند و خود ز جهل افراشته — راکب و محمول ره پنداشته ۸ باش تاروزی که محمولان حق — اسب تازان بگذرند از نه طبق
یعرج الرّوح الیه و الملك — من عروج الروح یهتزّ الفلك ۹ همچو طفلان جملتان دامن سوار — گوشهٔ دامن گرفته اسب وار
از حق ان الظنّ لایغنی رسید — مرکب ظنّ بر فلك هاکی دوید ۱۰ اغلب الظنین فی الترجیح ذا — لا تماری الشمس فی توضیحها
آفتاب حق چو گردد مستوی — در قیامت بر رشید و بر غوی ۱۱ آنگهی بینید مرکب‌های خویش — مرکبی سازیده اید ازپای‌خویش
وهم وحسّ وفکر وادراکات ما — همچو نی دان مرکب کودك هلا ۱۲ علمهای اهل دل حمالشان — علمهای اهل تن احمالشان
علم چون بردل زند یاری‌شود — علم چون برتن زند باری شود ۱۳ گفت ایزد یحمل اسفاره — بار باشد علم کان نبود ز هو
علم کان نبود زهو بیواسطه — آن نیاید همچو رنگ ماشطه ۱٤ لیك چون این باررا نیکوکشی — باربرگیرند و بخشندت خوشی(۳)
هین مکش بهرهوا آن‌بار علم — تا شوی راکب تو بررهوارعلم ۱٥ هین بکش بهرخدا این بارعلم — تا بینی در درون انبار علم
تا که بر رهوارعلم آئی سوار — آنگهان افتد ترا از دوش بار ۱٦ از هواها کی رهی بی‌جام هو — ای ز هو قانع شده با نام هو
ازصفت وز نام چه زاید خیال — وانخیالش هست دلال وصال ۱۷ دیدهٔ دلال بی مدلول هیچ — تا نباشد جاده نبود غول هیچ
هیچ نامی بی حقیقت دیدهٔ — یا زگاف و لام گل گل چیدهٔ ۱۸ اسم خواندی رو مسمی‌را بجو — مه ببالا دان نه اندر آب جو
گرز نام‌وحرف خواهی بگذری — پاك‌کن‌خودرا زخود هان یکسری ۱۹ همچو آهن زآهنی بیرنگ شو — در ریاضت آینهٔ بی زنگ شو
خویش‌راصافی‌کن‌ازاوصاف‌خویش — تا به‌بینی ذات پاك صاف‌خویش ۲۰ بینی اندر دل علوم انبیا — بی کتاب و بی معید و اوستا
گفت پیغمبر که هست از امّتم — که بود هم گوهر و هم همّتم ۲۱ مرمرا زان نور بیند جانشان — که من‌ایشان را همی بینم بدان
بی‌صحیحین واحادیث و روات — بلکه اندر مشرب آب حیات ۲۲ سرّ امسینا لکردیّا بدان — راز اصبحنا عرابیّا بخوان
سرّ امسینا و اصبحنا تو را — میرساند جانب راه خدا ۲۳ ورمثالی خواهی از علم نهان — قصه گو از رومیان و چینیان

قصهٔ مری کردن رومیان وچینیان درصفت نقاشی

چینیان گفتند ما نقاش تر — رومیان گفتند مارا کرّ وفرّ ۲٥ گفت‌سلطان امتحان‌خواهم دراین — کز شما خودکیست دردعوی‌گزین
چینیان گفتند خدمتها کنیم — رومیان گفتند در حکمت تنیم ۲٦ اهل چین و روم دربحث آمدند — رومیان در علم واقف تر بدند
چینیان گفتند یك خانه بما — خاص بسپارید و یك آن شما ۲۷ بود دو خانه مقابل در بدر — زان یکی چینی ستد رومی دگر
چینیان صدرنگ ازشه خواستند — پس خزینه باز کرد آن ارجمند ۲۸ هر صباحی از خزینه رنگها — چینیانرا راتبه بود و عطا
رومیان گفتند نه‌نقش ونه رنگ — درخور آیدکار را جز دفع زنگ ۲۹ در فرو بستند و صیقل میزدند — همچوگردون صافی وساده شدند
ازدوصدرنگی به‌بیرنگی رهیست — رنگ‌چون‌ابراست وبیرنگی‌مهیست ۳۰ هرچه اندر ابرضو بینیّ وتاب — آن زاختر دان و ماه و آفتاب
چینیان چون ازعمل فارغ شدند — از پی شادی دهلها میزدند ۳۱ شه در آمد دید آنجا نقشها — میربود آن عقل را و فهم را
بعد از ان آمد بسوی رومیان — پرده را بالا کشیدند از میان ۳۲ عکس آن تصویر وآن‌کردار ها — زد براین صافی شده دیوار ها
هرچه آنجا بود اینجا به نمود — دیده را از دیده خانه میربود ۳۳ رومیان آن صوفیانند ای پسر — نی زتکرار وکتاب و نی هنر
لیك صیقل کرده اند آن سینها — پاك از آز وحرص وبخل وکینها ۳٤ سینها صیقل زده در ذکر وفکر — از پی اظهار آن معنیّ بکر
آن صفای آینه وصف دلست — صورت بی‌منتها را قابل است ۳٥ صورت بی صورت بیحدّ غیب — زآینهٔ دل تافت برموسی زجیب
گرچه اینصورت نگنجد درفلك — نی بعرش وفرش ودریا وسمك ۳٦ زانکه محدوداست‌ومعدوداست‌آن — آینه دل را نباشد حدّ بدان
عقل اینجا ساکت آید یامضل — زانکه دل‌بااوست یا خوداوست‌دل ۳۷ عکس هر نقشی نتابد تا ابد — جز زدل هم با عدد هم بیعدد
تا ابد نونو صور کاید بر او — مینماید بی حجابی اندر او ۳۸ اهل‌صیقل رسته انداز بو ورنگ — هر دمی بینند خوبی بی درنگ
نقش وقشر علم را بگذاشتند — رایت عینُ الیقین افراشتند ۳۹ رفت فکر و روشنائی یافتند — برّ و بحر آشنائی یافتند
مرگ‌کازوی جمله اندر وحشتند — میکنند آنقوم بر وی ریشخند ٤۰ کس نیابد بر دل ایشان ظفر — چون صدف‌گشتند ایشان پرگهر
گرچه نحو وفقه را بگذاشتند — لیك محو و فقر را برداشتند ٤۱ تانقوش هشت جنت ثافته است — لوح دلشان‌را پذیرا یافته است
برترند ازعرش وکرسیّ و خلا — ساکنان مقعد صدق خدا ٤۲ صدنشان دارند ومحو مطلق‌اند — چه نشان بل عین دیدار حق‌اند

---

(۱) یعنی در هرکجا که وجدان و عقلت بی اختیار متوجه شد فوراً باختیار سر تسلیم (چون قوه خیال در سر ونیز خودش سر است) فرودآر تا چون حکیم بُردهٔ (یعنی مجذوب حق) شوی . (۲) مقصود از اطفال نوع بشراست که گویند در زمان آدم بمنزلهٔ نطفه و نوح علقه وابراهیم مضغه و موسی عظام و عیسی لحم ومحمد روح (که انشاناه خلقا آخر) وزمان علی تولد شده (که اسدالله دروجود آمد درپس پرده هرچه بود آمد) و در زمان ائمه شیر خواره و زمان مولوی تاکنون بمثل اطفال مشغول لهو ولعب دنیا بنام تمدن هستند وبنابر قانون نشو وارتقا هنوز نوع بحد بلوغ نرسیده تاقابل احکام حقیقی‌شده ومعلم حقائق ظاهرشود ولکن دراین‌اثنا ممکن‌است که بعضی ازافراد بحدّ بلوغ عقل رهیدهٔ از هوا بتمرکز قوا وتنظیم افکار برسند . (۳) یعنی بمقتضای علم و وجدان خود عمل نماید تا بالغ شود .

پرسیدن پیغمبر صلی‌الله علیه وآله وسلم مرزید راکه امروز چونی وچگونه ازخواب برخاستی و جواب اوکه اصبحتُ مومناً حقا

گفت پیغمبر صباحی زید را — کیف اصبحت ای رفیق با صفا ۳
گفت عبداً مومناً باز اوش‌گفت — کو نشان ازباغ ایمان گر شکفت
گفت تشنه بوده ام من روزها — شب نخفتستم زعشق وسوز ها ٤
تا ز روز وشب گذرکردم‌چنان — که ز اسپر بگذرد نوك سنان(۱)
که ازآنسو جملهٔ ملت یکیست — صدهزاران سال ویکساعت‌یکیست ٥
هست ازل را وابد را اتّحاد — عقل را ره نیست آنسو زافتقاد
گفت ازین ره کو ره‌آوردی‌بیار — درخور فهم و عقول این دیار ٦
گفت خلقان چون به‌بینند آسمان — من به‌بینم عرش را با عرشیان
هشت‌جنت هفت دوزخ پیش من — هست پیدا همچو بت پیش شمن ۷
یك بیك وامیشناسم خلق را — همچو گندم من ز جو درآسیا
که بهشتی که و بیگانه کیست — پیش من پیدا چومار وماهیست ۸
❀روززادن روم‌وزنگ‌وهرگروه — یوم تبیضّ و تسودّ وجوه
❀ این‌زمان پیدا شده براین‌گروه — ازحبش بودند یا از چین گروه ۹
پیش‌ازاین‌هرچندجان پرعیب‌بود — در رحم بود و زخلقان غیب‌بود
الشقیّ من شقی فی بطن ام — من سمات الجسم یعرف حالهم ۱۰
تن چو مادر طفل جان‌را حامله — مرگ درد زادنست و زلزله(۲)
جمله جانهای گذشته منتظر — تا چگونه زاید این جان بطر ۱۱
زنگیان گویند خود ازماست او — رومیان گویند بس زیباست او
چون بزاید‌درجهان جان و جود — پس نماید اختلاف بیض وسود ۱۲
گر بود زنگی برندش زنگیان — ور بود رومی کشندش رومیان
تا نزاد او مشکلات عالم است — آنکه نازاده شناسد اوکم‌است ۱۳
او مگر ینظر بنورالله بود — کاندرون پوست اورا ره بود
اصل آب نطفه اسپیداست‌وخوش — لیك عکس جان رومیّ وحبش ۱٤
میدهد رنگ احسنُ التقویم را — تا باسفل میبرد این نیم را
یوم تبیضّ و تسودّ وجوه — ترك‌وهندو شهره‌گردد زین‌گروه ۱٥
❀ فاش گردد که‌توکاهی یا که کوه — هندوئی یا ترك پیش هرگروه
در رحم پیدا نگردد هندوترك — چونکه زاید بیندش خرد وبزرگ ۱٦
این سخن پایان ندارد باز راح — تا نمانیم از قطار کاروان

بقیه جواب گفتن زید رسول خدا صلی‌الله علیه وآله راکه احوال خلق برمن پوشیده نیست و همه را میشناسم

جمله را چون روز رستاخیز من — فاش می‌بینم عیان ازمرد وزن ۱۸
هین بگویم یا فرو بندم نفس — لب گزیدش مصطفی یعنی‌که بس
یا رسول‌الله بگویم سرّ حشر — درجهان پیدا کنم امروز نشر ۱۹
هِل مرا تا پرده ها را بر درم — تا چو خورشیدی بتابد گوهرم
تا کسوف آید زمن خورشید را — تا نمایم نخل را و بید را ۲۰
وانمایم راز رستاخیز را — نقد را و نقد قلب آمیز را
دستها ببریده اصحاب شمال — وانمایم رنگ کفر و رنگ آل ۲۱
وا گشایم هفت سوراخ نفاق — در ضیای ماه بی خسف ومحاق
وانمایم من پلاس اشقیا — بشنوانم طبل و کوس انبیا ۲۲
دوزخ و جنات و برزخ درمیان — پیش چشم کافران آرم عیان
وانمایم حوض کوثر را بجوش — کاب‌برروشان زند بانگش بگوش ۲۳
وانکسانکه تشنه برگردش دوان — گشته اند ایندم نمایم من عیان
❀ وانکه تشنه گرد کوثر میدوند — یك بیك را نام گویم که کیند ۲٤
❀وانکسانکه تشنه گردش میزیند — یك بیك را وانمایم تا کیند
می بساید دوششان بردوش من — نعره‌هاشان میرسد در گوش من ۲٥
اهل جنت پیش چشمم ز اختیار — درکشیده یکدگر را درکنار
دست همدیگر زیارت میکنند — واز لبان هم بوسه غارت میکنند ۲٦
کرشد این گوشم ز بانگ آه آه — از حنین و نعرهٔ واحسرتاه
این اشارتهاست گویم ازنقول — لیك می ترسم ز آزار رسول ۲۷
همچنین‌میگفت سرمست وخراب — داد پیغمبر گریبانش بتاب
گفت‌هین درکش‌که اسبت‌گرم‌شد — عکس‌حق لایستحیی زد شرم شد ۲۸
آینهٔ تو جست بیرون از غلاف — آینه و میزان کجا گوید خلاف
آینه و میزان کجا بندد نفس — بهر آزار و حیای هیچ کس ۲۹
آینه و میزان محکها ای سنی — گر دوصد سالش تو خدمتها کنی
کز برای من بپوشان راستی — بل فزون بنما و منما کاستی ۳۰
اوت‌گوید ریش وسبلت برمخند — آینه ومیزان وانکه ربو و بند
چون خدا مارا برای آن‌فراخت — که بما بتوان حقیقت را شناخت ۳۱
این نباشد ما چه ارزیم ایجوان — کی شویم آیین روی نیکوان
لیك درکش در بغل آینه را — گر تجلی کرد سینا سینه را ۳۲
گفت آخر هیچ‌گنجد در بغل — آفتاب حقّ و خورشید ازل

---

(۱) یعنی زید نامی‌که چون از امتان خصوصی پیغمبر آخرالزمان بوده زمان را بریاضت آخر کرده از اسپر افلاك و کرات (که بحرکات دوریه و جوهریه مبدء زمان و روز و شب است) بنوك سنان یعنی بیاریك شدن جمع حواس و افکار از ازمنه محدوده شب وروز و ابعاد سه‌گانه اجسام و امکنه محدوده در مقام توحید نفس بیرون رفته یعنی زمان چون نسبت باو آخر شده او امت پیغمبر آخرالزمان در مقام تمرکز قوا و صیقلی روح گردیده سپس درمقام برگشت‌بکثرات دربعد چهارم زمان که محیط بتمام ابعاد ثلاثه مکان وفضای عالم است واقع شده وباندازهٔ خروج از زمان و مکان هر موجودی را در حدود و ازمنهٔ خودش از جهات الهیه طولیه که جهات قیامت است با چشم قلب‌که حس ششم است مشاهده نموده خبر از گذشته و آینده زمانی و دهری و سرمدی و ازلی برای پیغمبر داده کما آنکه از یکی از فلاسفه آلمان (انشتین) مضمون این مثال ذیل را دربعضی ازکتب علم‌الروح نقل کرده اند که این وقایع نیست که از زیر چشمهای ما میگذرد بلکه چشم ماست که از روی وقایع میگذرد و الا حوادث در حدود و ازمنه خود ازلا و ابداً بدون تغییر موجودند (۲) بدانکه چون دنیا محل حرکات طبیعیه است درنشو وارتقا و ورزش خانه هرسعادت وشقاوتی باختیار مختص بانسان است پس میتواند هر بد و خوبی را (بآسانی یا بزحمت) (دیر یا زود) یعنی (موافق ساختمان شکم مادر یا مخالف آن) تدریجاً بورزش تحصیل نماید حتی تمام مقدرات و فطریات انسان موقوف بحرکات اختیاری خوب یا بد او است کما آنکه حکیم سبزواری در منظومه حکمت فرموده (اذخمرت طینتنا بالملکه و تلك فینا حصلت بالحرکة) و الا اگر شقاوت و سعادت ذاتی و بدون اختیار بودی شرایع و قوانین لغو بودی لذا ذیلا فرمود (تا نزاد او مشکلات عالم است الخ) پس مقصود از شکم مادر یا عقلیات و وجدانیات است یا ولایت و نبوت که فرمودند (انا وعلی ابوا هذه‌الامه) چه هرکس بحسن اختیار خود قبول احکام آنهارا بنماید سعید و الا شقی است و این منافات با سعادت و شقاوت ازلی که درشکم مادر علم فعلی یاصفاتی یا ذاتی حق تمیز یافته ندارد چه سوابق ازلیه روح‌زمانیاتست که ذاتاً مقدم و ظهوراً مؤخر و با اختیار ما همراه بلکه مؤید است لذا فوقاً فرمود (هست ازل را وابد را اتحاد الخ). (۳) یعنی ادعای (اناالله ولیس فی‌جبتی سوی‌الله) از بعضی صوفیها غلط ومحال است.

هم دغل را هم بغل را بردرد ... نی‌جنون ماند به پیشش نی خرد
۱ گفت یك‌اصبع چو برچشمی نهی ... بینی از خورشید عالم را تهی
یك سرانگشت پردهٔ ماه شد ... وین نشان ساتری الله شد
۲ تا بپوشاند جهان را نقطهٔ ... مهر گردد منکسف از سقطهٔ
لب به بند وغور دریائی نگر ... بحر را حق کرد محکوم بشر
۳ همچو چشمهٔ زنجبیل و سلسبیل ... هست در حکم بهشتی جلیل
چارجوی جنت اندرحکم ماست ... این نه زور ما زفرمان خداست
۴ هرکجا خواهیم داریش روان ... همچو سحر اندر مراد ساحران
همچو این دوچشمهٔ چشم روان ... هست درحکم دل وفرمان جان
۵ گر بخواهد رفت سوی زهرمار ... ور بخواهد رفت سوی اعتبار
گر بخواهد سوی محسوسات شد ... ور بخواهد سوی ملبوسات شد
۶ گر بخواهد سوی کلیّات راند ... ور بخواهد حبس جزئیات ماند
همچنین هرپنج حس چون نایزه ... بر مراد امر دل شد جایزه
۷ هر طرف‌که دل اشارت‌کردشان ... میدود هر پنج حس دامن‌کشان
دست وپا درامر دل اندر ملا ... همچو اندر دست موسی آن‌عصا
۸ دل بخواهد پا در آید زو برقص ... یا گریزد سوی افزونی ز نقص
دل بخواهد دست آید درحساب ... یا اصابع تا نویسد او کتاب
۹ دست دردست نهانی مانده است ... اودرون تن برون بنشانده است
گر بخواهد برعدو ماری شود ... وربخواهد بر ولی یاری شود
۱۰ گر بخواهد کفچهٔ درخوردنی ... ور بخواهد همچو گرز ده منی
دل چه میگوید بدیشان ای‌عجب ... طرفه وصلت طرفه پنهانی سبب
۱۱ دل مگر مهر سلیمان یافته است ... که مهار پنج حس برتافته است
پنج‌حسّی ازبرون مأسور اوست ... پنج‌حسّی ازدرون مأمور اواست
۱۲ ده حس‌است وهفت اندام ودگر ... آنچه اندر گفت ناید میشمر(۱)
چون سلیمانی دلا در مهتری ... بر پری و دیو زن‌انگشتری(۲)
۱۳ گر درین ملکت بری‌باشی زریو ... خاتم از دست تو نستاند سدیو
بعد ازان عالم بگیرد اسم تو ... دوجهان محکوم تو چون‌جسم‌تو(۳)
۱۴ ور ز دستت دیو خاتم را ببرد ... پادشاهی فوت شد بختت بمرد
بعد ازان یا حسرتاً شد للعباد ... بر شما مختوم تا یوم التّناد
۱۵ ور تو دیو خویشتن را منکری ... ❀چون روی‌آنجا توروشن‌بنگری
مکر خودرا گر تو انکارآوری❀ ... از ترازو و آینه کی جان بری
۱۶ ❀این‌سخن پایان‌ندارد چون‌کنم ... بعد از این بر قصهٔ لقمان تنم

متهم‌کردن غلامان و خواجه تاشان لقمانرا که میوه های خوب را خورده

بود لقمان پیش خواجهٔ خویشتن ... در میان بندگانش خوار تن
۱۸ میفرستاد او غلامان را بباغ ... تا که میوه آیدش بهر فراغ
بود لقمان درغلامان چون طفیل ... پر معانی تیره صورت همچولیل
۱۹ آن غلامان میوه های جمع را ... خوش بخوردند از نهیب طمع را
خواجه راگفتند لقمان خوردآن ... خواجه برلقمان‌ترش‌گشت وگران
۲۰ چون تفحص‌کرد لقمان از سبب ... در عتاب خواجه اش بگشاد لب
گفت لقمان سیّدا پیش خدا ... بندهٔ خائن نباشد مرتجی
۲۱ ❀ امتحان را کار فرما ای کیا ... شربت گرم آب ده بهر نما
امتحان‌کن جمله مارا ای‌کریم ... سیرمان در ده تو از آب حمیم
۲۲ بعد از آن مارا بصحرای‌کلان ... تو سواره ما پیاده بردوان
آنگهان بنگر تو بد کردار را ... صنعهای کاشف الاسرار را
۲۳ گشت خواجه ساقی از آب حمیم ... مر غلامان‌را وخوردند آن ز بیم
بعد ازآن می راندشان دردشتها ... میدویدندی میان کشتها
۲۴ قی در افتادند ایشان از عنا ... آب می‌آورد ز ایشان میوه ها
چونکه لقمانرا درآمد قی زناف ... می درآمد از درونش آب صاف
۲۵ حکمت لقمان چو تاند این نمود ... پس چه باشد حکمت ربّ‌الوجود
یوم تُبلی السرآئر کلها ... بانَ منکم کامِن لایُشتهی
۲۶ چون سُقوا ماءً حمیماً قُطعت ... جملة الاستارِ ما افضحت
نار ازآن آمد عذاب کافران ... که حجر را نار باشد امتحان
۲۷ این‌دل چون سنگ‌را تاچند چند ... پند گفتیم و نمی پذرفت پند
ریش بد را داروی بدیافت رگ ... مر سر خر را سزد دندان سگ
۲۸ للخبیثات الخبیثین حکمت است ... زشت را هم زشت جفت وبابتست
پس تو هرجفتی‌که میخواهی برو ... محو و همرنگ صفات جفت شو
۲۹ نور خواهی مستعد شو نور گیر ... محو او باش و صفاتش را پذیر
ور رهی‌خواهی ازاین‌سجن‌خرب ... سرمکش ازدوست واسجدواقترب
۳۰ ❀سرکشانراین سراسردرعذاب ... سر بنه والله اعلم بالصواب
این سخن پایان ندارد خیز زید ... بر براق ناطقه بربند قید
۳۱

بقیهٔ حکایت زید با پیغمبر صلی‌الله علیه و آله وجواب اوبه آنحضرت

ناطقه چون فاضح آمد عیب را ... میدراند پرده های غیب را
۳۳ غیب مطلوب حق آمد چندگاه ... این دهل زن‌را بران بربند راه
تک مران درکش عنان مستوربه ... هرکس از پندار خود مسرور به
۳۴ حق همی‌خواهد که نومیدان او ... زین عبادت هم نگردانند رو
❀ هم مشرف در عبادتهای او ... مشتغل گشته بطاعتهای او
۳۵ هم بامیدی مشرّف میشوند ... چند روزی در رکابش میدوند
خواهد آن‌رحمت بتابد برهمه ... بر بد و نیك از عموم مرحمه
۳۶ حق همی‌خواهدکه هر میرواسیر ... با رجا و خوف باشند وحذیر
این رجاء و خوف درپرده بود ... تا پس این پرده پرورده بود
۳۷ چون دریدی‌پرده کوخوف ورجا ... غیب‌را شد کرّ و فرّی برملا(٤)

---

(۱) مقصود از اندام اعضاء وجوارح نیست بلکه ازباب عرض اندام است که بمعنی‌استقلال اراده‌است(۲) مقصود ازپری ودیو وانگشتر در مملکت سلیمان روح عبارت از کثرت اراده های متضاده کوچك و بزرگ درهم وبرهم اواست چه ازهزاران اراده‌های اجباری اویکی عملی نشده وهمیشه سلیمان روح را بکثرت امواج اراده های درهم و برهم و پست و بلند که چون هیچیك بمثل کثرت امواج خیالات درهم و برهم تحت اختیار و قدرت او نیست بعذاب ابدی گرفتاردارد الا آنکه سلیمان روح باید باراده بزرگ قوی خود همه اراده های اجباری را از تفرقه بجمع اختیاری بکشاند وبمثل ملکهٔ جمع حواس انگشتر و مهر توحید نفس را بآن زده تا تحصیل قدرت باندازهٔ اراده شده و اراده ها اختیاری گردیده و سلیمان روح در تخت سلطنت قلب خود که عرش الرحمن است فاعل ما یشاء نشسته حکم رانی نماید . (۳) بدانکه از چندین استشهاد مولوی در ابیات فوق درباب استقلال اراده که استشهاد بنفوذ اراده در اعضاء وجوارحیکه قابل فرمان بردن اراده است نموده چنین‌معلوم میشود که میخواهد بفرماید انسان‌کامل الاراده آن شخصی است که اراده و قدرت و علم وعمل را بمثل خداوند (که فاعل مایشاء است) مساوی داشته باشد یعنی (بداند آنچه را که میتواند و بتواند آنچه را که میداند) همچنانکه (مورچه پردار قبل ازروئیدن پرهایش اراده پریدن ابداً نمیکند وهرحیوانی چنین است) بخلاف انسان عادی‌که چون زیادتی اراده برقدرت وعلم برعمل دارد ناقص است مگر انسان فوق‌العاده سلیمان صفت‌که بمهر سلیمانی فوق‌الذکر میتواند این اعتدال‌را یافته تدریجاً قدرت را بورزش توسعه دهد (٤) مقصود از ابیات این فصل آنستکه عالم شهادت دنیا باید بخوف و رجا اداره شود .

حکایت ماهی‌گیر و مرد جوان وگمان او که ماهی گیر سلیمانست

بر لب جو برد ظنّی یك فتا ۱ که سلیمانست ماهی گیر ما ۲ گرویست این ازچه فردست وخفیست ورنه سیمای سلیمانیش چیست
اندرین اندیشه می بود او دو دل ۳ تا سلیمان گشت شاه مستقل ۳ دیو رفت ازتخت وملك‌اوگریخت تیغ بختش خون آن‌شیطان بریخت
کرد در انگشت خود انگشتری ۴ جمع آمد لشکر دیو و پری ۴ آمدند از بهر نظاره رجال درمیانشان آنکه بد صاحب‌خیال
چون در انگشتش بدید انگشتری ۵ رفت اندیشه و تحرّی یکسری ۵ وهم آنگاهست کو پوشیده است این‌تحرّی از پی نادیده‌است(۱)
بد خیال غایب اندر سینه زفت ۶ چونکه‌شد حاضر خیال او برفت ۶ گر سمای نور بی باریدنی است هم زمین تار بی بالیده‌نیست
گرچه هست اظهار کردن هم‌کمال ۷ میرهاند جانها را از خیال ۷ یؤمنون بالغیب میباید مرا زان بیستم روزن فانی سرا
لیك یك در صد بود ایمان بغیب ۸ نیك‌دان و بگذر ازتردید وریب ۸ چون شکافم آسمان را درظهور چون بگویم هل‌تری فیها فطور
تا در این ظلمت تحرّی گسترند ۹ هرکسی رو جانبی می آورند ۹ مدتی معکوس باشد کار ها شحنه را دزد آورد بردارها(۲)
تا که بس سلطان وعالی همتی ۱۰ بندهٔ بندهٔ خود آید مدتی ۱۰ بندگی درغیب آمد خوب و کش حفظ غیب آید دراستبعاد خوش
کو که مدح شاه گوید پیش او ۱۱ تا که در غیبت بود او شرم رو ۱۱ قلعه داری کز کنار مملکت دور از سلطان و سایهٔ سلطنت
پاس دارد قلعه را از دشمنان ۱۲ قلعه نفروشد بمال بیکران ۱۲ غایب از شه در کنار ثغر ها همچو حاضر اونگه دارد وفا
نزد شه بهتر بود از دیگران ۱۳ که بخدمت حاضرند وجانفشان ۱۳ پس بغیبت نیم ذرّه حفظ کار به‌که اندر حاضری زان صدهزار
طاعت و ایمان کنون محمود شد ۱۴ بعد مرگ اندر عیان مردود شد ۱۴ چونکه غیب وغایب و روپوش به پس دهان بر بسته لب‌خاموش به
ای برادر دست وادار ازسخن ۱۵ خود خدا پیدا کند علم لدُن ۱۵ پس بود خورشیدرا رویش گواه. ای شیئی اعظم الشاهد اله
نی بگویم چون قرین شد بربیان ۱۶ هم خدا و هم ملك هم عالمان ۱۶ یشهدالله و الملك و اهل العلوم انه لا ربّ الا من یدوم
چون گواهی‌داد حق که بود ملك ۱۷ تا شود اندر گواهی مشترك ۱۷ زانکه شعشاع و حضور آفتاب برنتابد چشم و دلهای خراب
چون خفاشی کوتف خورشید را ۱۸ بر نتابد بگسلد امید را ۱۸ پس ملایك را چو ماهان بازدان جلوه گر خورشید را برآسمان
کاین ضیا ما زافتابی یافتیم ۱۹ چون خلیفه بر ضعیفان تافتیم ۱۹ چون مه نو یا سه روزه یاکه بدر مرتبهٔ هریك ملك در نور قدر
ز اجنحهٔ نور ثلاث او رباع ۲۰ برمراتب هرملك را آن شعاع ۲۰ همچو پر های عقول انسیان که بسی فرقستشان اندر میان
پس قرین هر بشر درنیك و بد ۲۱ آن ملك باشد که مانندش بود(۳) ۲۱ چشم اعمش نورخور چون برنتافت اختر اورا شمع‌شد تا ره بیافت

گفتن پیغمبر صلی‌الله علیه وآله مر زید را که این سرّ را فاش تر از این مکن

گفت پیغمبر که اصحابی نجوم ۲۳ رهروان‌راشمع وشیطان‌را رجوم ۲۳ هرکسی‌را گرُبدی آن‌چشم وزور که گرفتی ز آفتاب چرخ نور
کی ستاره حاجتستی ای ذلیل ۲۴ که بود بر نور خورشید او دلیل ۲۴ هیچ ماه و اختری حاجت نبود که بود بر آفتاب حق شهود
ماه میگوید با بر و خاك وفی ۲۵ من بشر بودم ولی یوحی الی ۲۵ چون شما تاریك بودم از نهاد وحی خورشیدم چنین نوری بداد
ظلمتی دارم بنسبت با شموس ۲۶ نور دارم بهر ظلمات نفوس ۲۶ زان ضعیفم تا تو تابی آوری که نه مرد آفتاب انوری
همچو شهد و سرکه درهم بافتم ۲۷ تا سوی رنج جگر ره یافتم ۲۷ چون زعلت وا رهیدی ابرهین سرکه را بگذار میخور انگبین
تخت دل معمور شد پاك از هوا ۲۸ بروی الرحمن‌علی‌العرش استوی ۲۸ حکم بردل بعد ازاین بی واسطه حق کند چون یافت دل این‌رابطه
این سخن پایان ندارد زید کو ۲۹ تا دهم پندش که رسوائی مجو ۲۹ نیست حکمت‌گفتن این اسرار را چون قیامت میرسد اظهار را
زید را اکنون نیابی کو گریخت ۳۰ جست از صفّ نعال ونعل‌ریخت ۳۰ توکه باشی زید هم خودرا نیافت همچو اخترکه براو خورشیدتافت
نی از او نقشی بیابی نه نشان ۳۱ نی کهی یابی نه راه کهکشان ۳۱ شد حواس و نطق بی پایان ما محو نور دانش سلطان ما
حسّها عقلهاشان در درون ۳۲ موج در موج لدینا محضرون ۳۲ چون بیامد شام و وقت بار شد ابخم پنهان شده بر کار شد
۞خلق عالم جملگی بیهش‌شوند ۳۳ پردها بر رو کشند و بغنوند ۳۳ ۞صبح چون‌دم‌زدعلم‌برداشت‌خور هر تنی از خوابگه برداشت سر
بیهشان را وا دهد حق هوشها ۳۴ حلقه حلقه حلقها در گوشها ۳۴ پای کوبان دست افشان در ثنا ناز نازان ربنا احییتا

---

(۱) مقصود از ابیات ذیل آنستکه قوهٔ واهمه و خیال در غیبت سلیمان روح چون دیوست که تدلیساً بجای او نشسته و مشغول تحرّی و شك و خوف و رجا شده اگر چه در ظهور سلیمان روح همه این صفات از وهم وخیال میزود ولکن برای سعهٔ وجودی وتربیت اختیاری که بتمرکز خیال و وهم حاصل میشود امر بایمان بغیب و طاعت در غیبت حق که در ظلمت خانه دنیاست باین دو شده تا یك بصد بلکه هزاران مرتبه ترقی نماید و خلیفه سلیمان روح بحق گردد ولکن بدانکه دیو موهومات و متخیلات مطلقاً (مطابق محسوسات یا غیر مطابق) چون از مراتب نازله سلیمانی روح بعنوان خلافت برای آبادی دنیای بشریت خلقت شده ناچار درعین آنکه ازجنس مراتب نازله او است چون پشت باو و روی بعالم اجتماعیات دنیویه دارد البته بآسانی ایمان بغیبت سلیمان روح نخواهد آورد ولو آنکه‌از باب سنخیت در خلقت ظاهراً مؤمن شود ولکن باطناً در مقام عمل منکر خواهد شد(کما قال‌الله تعالی و ما یؤمن اکثرهم الاوهم مشرکون) (۲) این دوبیت اشاره بفلسفه تحرّی درغیبت است که بمعکوس چیدن حروف طابع در مطبعهٔ طبیعت بقسمی حقائق معکوس میشود که ابا یزید بسطامی فرموده که سیصد مدعی کاذب را در حالت تحرّی و کوشش خدمت کردم تابهمت خود بصادقی رسیدم (۳) ملائکه نیك وبد را که قرین انسان معرُفی نموده کرام‌الکاتبین است‌که بدو جهت خلقی وربیّ تمام اعمال نیك و بد را باین دوجهت مینویسد یعنی اگر اعمال از ارتباط جان انسان بربوبیت ناشی شود ملك نیك و اگر از ارتباط ببدن و هوای نفس ناشی شود ملك بد در این دوصفحهٔ فوقانی و تحتانی عین آن اعمال را یا آثار و لوازم آنها را منقش مینمایند کما آنکه مقصود از پر های مذکورهٔ در ابیات که نقل از سورهٔ فاطر شده همین دو جهت مذکوره است یعنی پر های طرف راست که ارتباط بربوبیت صعود در آسمانهای ملکوة و به پر های چپ که ارتباط بجهات خلقیه است نزول بزمینهای طبیعت برای وساطت فیوض تکوینی و تشریعی مینمایند پس کثرت این پرها بعدد غیر متناهی مراتب حقائق وجودیه‌است یعنی ذکر دو و سه وچهار پردر ابیات مولوی از باب تکثیر است نه تعیین عدد.

آن جلود وآن عظام ریخته — فارسان گشته غبار انگیخته ۱ حمله آرند از عدم سوی وجود — در قیامت هم شکوروهم کنود
سرچه می پیچی کنون نادیدهٔ — در عدم ز اول نه سر پیچیدهٔ ۲ در عدم افشرده بودی پای‌خویش — که مرا که برکند از جای‌خویش
می نبینی صنع ربانیت را — چون کشید او موی پیشانیت را ۳ تاکشیدت اندر این انواع حال — که نبودت در گمان و در خیال
آن عدم اورا هماره بنده است — کارکن دیوا سلیمان زنده‌است(۱) ٤ دیو میسازد جفان کالجواب — زهره نی تا دفع گوید یا جواب
خویش رابین‌چون‌همی‌لرزی زبیم — مر عدم‌را نیز لرزان بین مقیم ۵ ور تو دست اندر مناصب میزنی — هم ز ترسست آنکه جانی میکنی
هرچه جز عشق‌خدای‌احسن‌است — گرشکرخواریست‌آن‌جان‌کندنست ٦ چیست‌جان‌کندن سوی‌مرگ‌آمدن — دست در آب حیاتی نا زدن
خلق را دو دیده در خاك ممات — صد گمان دارند در آب حیات ۷ جهد کن تا صد گمان گردد نود — شب برو ورنه بخسبی شب رود
در شب تاریك جو آن روز را — پیش کن آن عقل ظلمت سوزرا ۸ درشب بدرنگه بس نیکی بود — آب حیوان جفت تاریکی بود
سر ز خفتن کی توان برداشتن — باچنین خشخاش غفلت کاشتن ۹ خواب مرده لقمه مرده یار شد — خواجه خفت و دزد شب‌درکارشد
تو نمیدانی که خصمانت کیند — ناریان خصم وجود خاکیند ۱۰ نار خصم آب و فرزندان اوست — همچنانکه آب خصم جان اوست
آب آتش را کشد زیرا که او — خصم فرزندان آبست و عدو ۱۱ بعداز آن این نار نار شهوتست — کاندر او اصل گناه وزلت است
❀ نار بیرونی بآبی بفسرد — نار شهوت تا بدوزخ میبرد ۱۲ ❀ نار شهوت می نیارامد بآب — زانکه دارد طبع دوزخ در عذاب
نار شهوت را چه چاره نور دین — نور کم اطفاء نار الکافرین ۱۳ چه کشد این نار را نور خدا — نور ابراهیم را ساز اوستا
تا ز نار نفس چون نمرود تو — وارهد این جسم همچون‌عود تو ۱٤ ❀ نار پاکان‌را ندارد خودزیان — کی ز خاشاکی شود دریا نهان
❀هرکه تریاق خدائی رابخورد — گر خورد زهری مگویش‌که بمرد ۱۵ ❀خود کند رنجور را رنجورتر — وانکه معمور است ازاو معمورتر
❀گر طبیبت‌گوید ای رنجور زار — از عسل پرهیز کن هین هوشدار ۱٦ گرجوابش گوئی ازجهل ای‌سقیم — که چرا تو میخوری بی‌ترس وبیم
گویدت در دل حکیم نکته دان — کج قیاسی کردهٔ چون ابلهان ۱۷ آب چشمه‌بین ز ریزش شدفزون — آب‌خم‌بین‌که زخوردن شد نگون
در تو علت میفروزد همچو نار — هین مکن با نار هیزم را تو یار ۱۸ ❀زین دوآتش‌خانه‌ات‌ویران شود — قالب زنده از آن بیجان شود
❀درمن‌ارناریست‌هست‌آن‌همچونور — نار صحت در تن افزاید سرور ۱۹ ❀نارصحت چون فروزد دروجود — بیزبان زو تن برد صدگونه سود
شهوت ناری براندن کم نشد — آن بماندن کم شود بی هیچ بد ۲۰ تا که هیزم مینهی بر آتشی — کی بمیرد آتش از هیزم کشی
چونکه هیزم باز گیری نار مرد — زانکه تقوی آب‌سوی نار برد ۲۱ کی سیه گردد بآتش روی خوب — کو نهد گلگونه از تقوی‌القلوب

آتش افتادن در شهر در ایام عمر

آتشی افتاد در عهد عمر — همچوچوب خشک‌میخورد اوحجر ۲۳ در فتاد اندر بنا و خانها — تا زد اندر پرّ مرغ و لانها
نیم شهر از شعلها آتش گرفت — آب میترسید از آن و میشکفت ۲٤ مشکهای آب و سرکه میزدند — بر سر آتش کسان هوشمند
آتش از استیزه افزودی لهب — میرسید اورا مدد از صنع رب ۲۵ میرسید او را مدد از بیحدی — آتش از استیزه افزون میشدی
خلق آمد جانب عمّر شتاب — کاتش مامی نمیرد هیچ از آب ۲٦ گفت این آتش زآیات خداست — شعلهٔ از آتش بخل شماست
آب بگذارید و نان قسمت کنید — بخل بگذارید اگر آن منید ۲۷ خلق گفتندش که در بگشوده ایم — ما سخیّ و اهل فتوت بوده‌ایم
گفت نان بر رسم وعادت‌داده‌اید — از برای حق دری نگشاده‌اید ۲۸ بهر فخر و بهر بوش و بهر ناز — نز برای ترس و تقوی و نیاز
مال تخم است و بهر شوره منه — تیغ را دردست هر رهزن مده ۲۹ اهل دین را بازدان ازاهل کین — همنشین حق بجو با او نشین
هرکسی بر قوم خود ایثار کرد ۳۰ کاغه پندارد که او خودکارکرد

خدو انداختن خصم بر روی امیرالمؤمنین علی علیه السلام و انداختن آن حضرت شمشیر را ازدست

از علی آموز اخلاص عمل — شیر حق را دان منزّه از دغل ۳۲ در غزا بر پهلوانی دست یافت — زود شمشیری برآورد و شتافت
اوخدو انداخت بر روی علی — افتخار هر نبیّ و هر ولی(۲) ۳۳ او خدو انداخت بر روئی‌که ماه — سجده‌آرد پیش‌اودرسجده‌گاه(۳)
در زمان انداخت شمشیرآن علی — کرد او اندر غزایش کاهلی ۳٤ گشت حیران آن‌مبارز زین عمل — وز نمودن عفو ورحم بی محلّ

---

(۱) مقصود ازعدم عدم اضافی است چه عدم مطلق قابل وجود نیست و مقصود ازسلیمان خدا است بدلیل موی پیشانی‌که اشاره به‌آیه (مامن دابّة الا هوآخذ بناصیتها) است (۲) بدانکه (افتخار هر نبیّ وهرولی) بولایت علی (ع) بدون هیچ استثنائی (حتی خاتم انبیاء ٤) بولایت نوعی علی است که پیغمبر مفتخراً فرموده یاعلی تو باهمه انبیاء بطور سرّی بودی و با من علنی آمدی یعنی بمقتضای آیهٔ (ان‌الله خلق‌السموات والارض فی‌ستة ایام ثم‌استوا علی العرش) از باب تطبیق خلقت تشریعاً یا تکویناً باید بعد از خلقت و نزول احکام سماوی و ارضی شرایع بشش روز یعنی بمبعوث شدن شش پیغمبر اولوالعزم از (آدم و نوح و ابراهیم و موسی و عیسی و محمد) خود خدا بصفت رحمانیت که درهمهٔ ادیان بطور سری بوده علناً درعرش خود که قلب علی‌است جلوس فرموده اسرار ادیان را بمرکز قوا و توحید نفس که عین توحید رب‌الارباب است مطابق علوم مثبته تکویناً بیان شافی و کافی بمثل نهج البلاغه در حدیث ماالحقیقة و غیره بنماید لذا در هیچ دینی مخصوصاً بنام ولایت علی ٤ اسرار علم‌الروح باندازهٔ دین محمد افشا نشده پس اگر نگوئیم مقصود ازسرّ ولایت علم بعلم نداشتن انبیاء ویا باندازهٔ جزئی داشتن آنها باسرار ولایت بوده ومقصود ازعلنی بودن بامحمد علم کمالی بعلی داشته البته خواهند گفت که برفرض علم بعلم داشتن انبیاء مامور بافشا نبودند که آیه (وما انزل من قبلك) بمعنی مای نافیه نازل شده ولکن محمد مامور بافشا بوده که آیهٔ (بلغ ما انزل الیك) نازل شده چه افتخار هرنبی و ولی در اخلاص عمل علی به قوه تمرکز است که قدرت جلوگیری و خودداری از خیالات واراده های درهم و برهم خود درهرمقامی که سرمایهٔ تمام افتخارات است دارد یعنی هرنبی و ولی بچنین آدمیکه نتیجهٔ همه ادیان است افتخار خواهد نمود و هیچ پیغمبری بمثل محمد قوه جذب چنین افتخاری را از عالم غیب بسوی مادیات در محل مناسبی چون علی نداشت (۳) افتخار هر نبیّ وهر ولی صفت علی است که فرمود کنت مع جمیع الانبیاء سراً و مع خاتمهم جهراً نه صفت خیو وخدو چه صبر علی درمخالفت نفس سرمایه افتخار همه انبیاء واولیاء است

گفت بر من تیغ تیز افراشتی — از چه افکندی مرا بگذاشتی ۱ — آن چه دیدی بهتر از پیکار من — تاشدی توسست در اشکار من
آن‌چه دیدی که‌چنین خشمت نشست — تا چنان برقی نمود و باز جست ۲ — آن چه دیدی که‌مرازان عکس‌دید — در دل و جان شعلهٔ آمد پدید
آن‌چه دیدی برتر از کون‌ومکان — که به از جان بود وبخشیدیم جان ۳ — در شجاعت شیر ربّانیستی — در مروت خود که داند کیستی
در مروّت ابر موسائی به تیه — کامدازوی خوان‌ونان بی‌شبیه(۱) ۴ — ابرها گندم دهد کانرا بجهد — پخته وشیرین کند مردم چو شهد
ابر موسیّ پرّ رحمت بر گشاد — پخته و شیرین وبی زحمت بداد ۵ — از برای پخته خواران کرم — رحمتش افراخت در عالم علم
تاچهل سال آن وظیفه وآن عطا — کم نشد یك روز از آن اهل‌رجا ۶ — تاهم ایشان از خسیسی خاستند — گندنا و ترّه و خس خواستند
❀جملگی گفتند با موسی زآز — بقل و قثاء و عدس سیر و پیاز ۷ — ❀زان‌گدا روئیّ وحرص‌وآزشان — منقطع شد منّ وسلوی زآسمان
امّت احمد که هستند از کرام — هست باقی تا قیامت آن طعام ۸ — چون ابیت عند ربّی فاش شد — یطعم‌ویسقی کنایت‌زاش شد(۳)
هیچ بی تأویل این را در پذیر — تادرآید در گلوچون شهد وشیر ۹ — زانکه تأویل است وا داد عطا — چونکه بیند آن حقیقت را خطا
آن خطادیدن زضعف عقل‌اوست — عقل کل‌مغز است وعقل‌جزوپوست ۱۰ — خویش را تأویل کن نه اخبار را — مغز را بد گوی نی گلزار را
ای علی که جمله عقل و دیدهٔ — شمهٔ وا گو از آنچه دیدهٔ(۳) ۱۱ — تیغ حلمت جان ما را چاك کرد — آب علمت خاك ما را پاك کرد
باز گو دانم که این اسرارهوست — زانکه بی‌شمشیر کشتن کاراوست ۱۲ — صانع بی آلت و بی جارحه — واهب این هدیهای رایحه
❀صد هزاران میچشاند روح را — که خبر نبود دهان را ای فتی ۱۳ — صد هزاران روح بخشدهوش را — که خبر نبود دو چشم وگوش را
باز گو ای‌باز عرش خوش‌شکار — تاچه دیدی این زمان ازکردگار ۱۴ — چشم تو ادراك غیب آموخته — چشمهای حاضران بر دوخته
آن یکی ماهی همی بیند عیان — وان یکی تاریك می بیند جهان ۱۵ — وان یکی سه ماه می بیند بهم — این سه‌کس‌بنشسته یك‌موضع‌نعم(٤)
چشم هرسه بازو گوش هرسه تیز — در تو آویزان و از من درگریز ۱۶ — سحرعین‌است‌این‌عجب‌لطف‌خفیست — بر تو نقش‌گرگ‌وبرمن‌یوسفی‌است
عالم ار هژده هزار است‌وفزون — هرنظر را نیست این هژده زبون ۱۷ — راز بگشا ای علیّ مرتضی — ای پس سوء القضا حسن القضا
یا تو واگو آنچه عقلت یافته است — یا بگویم آنچه بر من تافته است ۱۸ — ❀ازتوبرمن‌تافت چون‌داری‌نهان — میفشانی نور چون مه بی زبان
از توبرمن تافت پنهان چون‌کنی — بی زبان چون ماه پرتو میزنی ۱۹ — لیك اگر درگفت آید قرص ماه — شب روان را زودتر آرد براه
از غلط ایمن شوند و از ذهول — بانگ مه‌غالب شود بر بانگ غول ۲۰ — ماه بی گفتن چو باشد رهنما — چون بگوید شد ضیا اندر ضیا
چون تو بابی آن مدینهٔ علم را — چون شعاعی آفتاب حلم را ۲۱ — باز باش ای باب بر جویای باب — تارسد از تو قشور اندر لباب
باز باش ای باب رحمت تاابد — بارگاه ماله کفواً احد ۲۲ — هر هوا و ذرّه خود منظریست — ناگشاده کی گود آنجا دریست
تا بنگشاید دری را دیدبان — در درون هرگز نگنجد این‌گمان ۲۳ — چون گشاده‌شد دری حیران‌شود — مرغ آمید و طمع پرّان شود
غافلی ناگه بویران گنج یافت — سوی هرویرانه‌زان پس‌میشتافت ۲٤ — تا ز درویشی نیابی تو گهر — کی گهر جوئی ز درویشی دگر
سالها گر ظن دود باپای‌خویش — نگذرد ز اشکاف بینهای‌خویش ۲۵ — تابینی نایدت از غیب بو — غیر بینی هیچ می بینی بگو

سؤال کردن آن کافر از آن حضرت که چون بر من ظفر یافتی چرا از قتل من اعراض فرمودی و مرا نکشتی

پس بگفت آن نو مسلمان ولی — از سر مستی و لذّت با علی ۲۸ — که بفرما یا امیرالمؤمنین — تا بجنبد جان بتن درچون جنین
هفت اختر هر جنین را مدتی — میکند ای جان بنوبت خدمتی ۲۹ — چونکه‌وقت آیدکه جان گیردجنین — آفتابش آن زمان گردد معین
چون جنین را نوبتِ تدبیر رو — از ستاره سوی خورشید آید او ۳۰ — این جنین درجنبش آید ز آفتاب — کافتابش جان همی بخشد شتاب
از دگر انجم بجز نقشی نیافت — این جنین تا آفتابش بر تافت ۳۱ — از کدامین ره تعلق یافت او — در رحم با آفتاب خوب رو
از ره پنهان‌که دور از حسّ ماست — آفتاب چرخ را بس راههاست ۳۲ — آن رهی که زر بیابد قوت ازو — وان‌رهی که سنگ‌شد یاقوت ازو
آن رهی که سرخ سازد لعل را — وآن‌رهی که برق بخشد نعل را ۳۳ — آن رهی که پخته سازد میوه را — وان رهی که دل دهدکالیوه را
باز گو ای باز پر افروخته — با شه و باساعدش آموخته ۳٤ — باز گو ای باز عنقا گیر شاه — ای سپاه اشکن بخود نی با سپاه
امت وحدی یکیّ وصد هزار — باز گو ای بنده بازت را شکار ۳۵ — درمحلّ قهر این رحمت زچیست — اژدها را دست دادن راه کیست

جواب گفتن امیرالمؤمنین که سبب افکندن شمشیر چه بود در آن حالت

گفت من تیغ از پی حق میزنم — بندهٔ حقم نه مأمور تنم ۳۷ — شیر حقّم نیستم شیر هوا — فعل من بر دین من باشد گوا
من چو تیغم و آن زننده آفتاب — ما رمیتَ اذ رمیتُ در حِراب ۳۸ — رخت خودرا من ز ره برداشتم — غیر حق را من عدم انگاشتم
من چو تیغم پرگهر های وصال — زنده گردانم نه کشته در قتال ۳۹ — سایه‌ام من کدخدایم آفتاب — حاجبم من نیستم‌او راحجاب(۵)
خون نپوشد گوهر تیغ مرا — باد از جاکی برد میغ مرا ٤۰ — که نیم کوهم ز صبر وحلم و داد — کوه را کی در رباید تند باد
آنکه‌ازبادی رود ازجاخسی است — زانکه باد ناموافق خودبسی‌است ٤۱ — باد خشم و باد شهوت باد آز — برد او را که نبود اهل نیاز

---

(۱) مقصود از تیه وادی اوّل از هفت وادی سلاك‌است‌که ممکن است تا چهل سال در وادی تفرقهٔ حواس بمثل بنی اسرائیل سرگردان بماند ولو علامهٔ دهر باشد تا تدریجاً بولایت علی جمع حواس کرده بارض مقدس توحید نفس برسد . (۲) یعنی بواسطهٔ سعهٔ وجودی طعامهای الهی را که همه در روز قیامت میخورند من درشب دنیای ظلمانی خورده ومقام عندّیت‌را دریافتم که تعبیر به بیتوته نموده والا (لیس‌عند ربنا صباح ولامساء) مخفی نماند که مقصود از این طعام معنویات است که منافی با روزهٔ وصال نیست : (۳) اشاره بحدیث علوی است که فرمود (لم اعبدربّاً لم‌اره) (٤) مقصود از سما دیدن ماه وحدت در کثرت و ماه کثرت در وحدت و ماه معتدل است که علی در حق چشم خود این‌سه مرتبه را فرموده (مارأیتُ شیئاً الا و رأیتُ‌الله قبله وبعده ومعه) (۵) اگر بگوئی که خود علی درخطبهٔ فرموده منم حجاب اعظم خدا جواب آنستکه درون خانه از ماورای حجاب محجوب است نه از خود حجاب و این رتبهٔ حاجب است که مولوی اشاره کرده

* باد کبر و باد عجب وباد خلم — برد او را که نبود از اهل علم ۱ کوهم و هستیّ من بنیاد اوست — ور شوم چون‌کاه بادم باد اوست
جز بباد او نجنبد میل من — نیست جز عشق احد سرخیل من ۲ خشم بر شاهان شه و مارا غلام — خشم را من بسته‌ام زیر لگام
تیغ حلمم گردن خشمم زده است — خشم‌حق برمن‌چو رحمت‌آمده‌است ۳ غرق نورم گرچه سقفم‌شد خراب — روضه گشتم گرچه هستم بوتراب
چون در آمد غلتی اندر قزا — تیغ را دیدم نهان کردن سزا ٤ تا اَحب لله آید نام من — تا که ابغض لله آید کام من
تا که اعطا لله آید جود من — تا که امسك لله آید بود من ٥ بخل من لله عطا لله و بس — جمله لله‌ام نیم من آن کس
و آنچه لله میکنم تقلید نیست — نیست تخییل وگمان جز دیدنیست ٦ ز اجتهاد و از تحرّی رسته‌ام — آستین بر دامن حق بسته‌ام
گر همی پرّم همی بینم مطار — ور همی گردم همی بینم مدار ۷ ور کشم باری بدانم تا کجا — ماهم و خورشید پیشم پیشوا
پیش‌ازاین‌باخلق گفتن‌روی نیست — بحر را گنجائی اندر جوی‌نیست ۸ پست میگویم باندازهٔ عقول — عیب نبود این بود کار رسول
ازغرض حرّم گواهی حرّ شنو — که گواهی بندگان نرزد دوجو ۹ در شریعت مر گواهی بنده‌را — نیست قدری وقت دعوی و قضا
گر هزاران بنده باشندت گواه — شرع نپذیرد گواهیشان بکاه ۱۰ بندهٔ شهوت بتر نزدیك حق — از غلام و بندگان مسترق
کاین‌بیك‌لفظی‌شود ازخواجه‌حرّ — وآن زید شیرین ومیردسخت مُر ۱۱ بندهٔ شهوت ندارد خود خلاص — جز بفضل ایزد و انعام خاص
درچهی افتادگان را غور نیست — وان گناه اوست جبر وجورنیست ۱۲ در چهی انداخت اوخودرا که من — در خور قعرش نمی یابم رسن
* چون‌گناه‌اوست‌ای‌جان‌چون‌کنم — که ورا از قعر چه بیرون کنم ۱۳ بس‌کنم‌گر این سخن افزون‌شود — خود جگر چبود که‌خاراخون شود
این‌جگرها خون نشدازسختی‌است — غفلت و مشغولی و بدبختی است ۱٤ خون‌شودروزی‌که‌خونش‌سودنیست — خون‌شوآنوقتی‌که خون‌مردودنیست
چون گواهی بندگان مقبول‌نیست — عدل اوباشد که بنده غول نیست ۱٥ گفت ارسلناك شاهد در نذر — زانکه‌شد از کون اوحرّ بن حرّ
چونکه حرّم خشم کی بندد مرا — نیست آنجا جز صفات حق درا ۱٦ اندرا کازاد کردت لطف حق — زانکه‌رحمت داشت‌برخشمش‌سبق
اندرآ اکنون که رستی ازخطر — سنگ بودی کیمیا کردت گهر ۱۷ رستهٔ از کفر و خارستان او — چون گلی بشکفته در بستان هو
تو منیّ ومن تو با تو من خوشم — توعلی بودی علی را چون کشم ۱۸ معصیت کردی به از هر طاعتی — آسمان پیمودهٔ در ساعتی(۱)
بس خجسته معصیت‌کان مرد کرد — نی ز خاری بردمد اوراق ورد ۱۹ نی عمر را قصد آزار رسول — میکشیدش تا بدرگاه قبول
نی بسحر ساحران فرعونشان — میکشید و گشت دولت عونشان ۲۰ گر نبودی سحرشان و آن جحود — کی کشیدیشان بفرعون عنود
کی بدیدندی عصا و معجزات — معصیت طاعت شد ای‌قومُ عصات ۲۱ ناامیدی را خدا گردن زدست — چون گنه مانند طاعت آمدست
چون مبدل میکند او سیّآت — عین طاعت‌میکندرغم‌وشَتات(۲) ۲۲ زین شود مرجوم شیطان رجیم — واز حسد او بطرقد گردد دو نیم
او بکوشد تاگناهی آورد — زان گنه ما را بچاهی آورد ۲۳ چون ببیند کان گنه شد طاعتی — گردد او را نامبارك ساعتی
اندرآ من در گشادم مر ترا — تُف زدی وتحفه دادم مرترا(۳) ۲٤ چون جفاگر را چنینها میدهم — پیش پای چپ ز جان سر مینهم
پس وفا گر را چه بخشم توبدان — گنجها و ملکهای جاودان ۲٥ * جاودانه پادشاهی بخشمش — آنچه اندر وهم ناید بدهمش
من چنان‌مردم که برخونیّ خویش — نوش لطف من‌نشد در قهر نیش ۲٦

گفتن پیغمبر بگوش رکابدار امیرالمؤمنین علی(ع) که هر آینه کشتن علی بدست تو خواهد بود

گفت پیغمبر بگوش چاکرم — کو بُرد روزی ز گردن این سرم ۲۸ کردآ که آن‌رسول‌ازوحی دوست — که هلاکم عاقبت بر دست اوست
اوهمی گوید بکش پیشین مرا — تا نیاید از من این منکر خطا ۲۹ من همیگویم چو مرگ من‌زتست — با قضا من چون توانم حیله‌جست
اوهمی افتد به پیشم کای کریم — مر مراکن از برای حق دو نیم ۳۰ تا نیاید بر من این انجام بد — تا نسوزد جان من برجان خود
من همیگویم برو جفّ القلم — زان قلم بس سرنگون گردد علم ۳۱ هیچ بغضی نیست در جانم ز تو — زانکه این را من نمیدانم ز تو
آلت حقی تو فاعل دست حق — چون زنم برآلت حقّ طعن ودق ۳۲ گفت‌اوپس‌این قصاص‌ازبهرچیست — گفت‌هم ازحقّ وآن سرّ خفیست
گر کند برفعل خود او اعتراض — ز اعتراض خود برویاند ریاض ۳۳ اعتراض او را رسد برفعل خود — زانکه‌درقهر است درلطف اواحد
اندر این شهرحوادث میر اوست — در ممالك مالك تدبیر اوست ۳٤ آلت خود را اگر او بشکند — آن شکسته گشته را نیکو کند
رمز ننسخ آیة اوننسها — نات خیراً درعقب میدان مها(٤) ۳٥ هر شریعت را که‌حق منسوخ‌کرد — او گیا برد و عوض آورد ورد

---

(۱) بدانکه معصیت اهل حق چون بقصد فرمان بردن حق است خصوصاً که بر خلاف نفس باشد از هر طاعتی که مخصوصاً موافق عادات و نفس باشد بهتر بلکه روح همهٔ عبادات ظاهره و باطنه است . (۲) بدانکه تبدیل تمام سیئات‌که مفاد جمع مضاف در آیهٔ تبدیل است بحسنات ممکن نیست الا به‌پیوند ولایت‌علی که بجمع حواس نشووارتقا نموده وتمام تلخیهای‌درخت وجود آدمی‌را تبدیل بشیرینی معارف بمحض عبور از پیوند مینماید اگر قویاً گرفته باشد و الا محو بدون تبدیل یا تکفیر بدون محو یا غفران بدون تکفیر بعضی یا همه سیئات میشود و الا با تفرقهٔ حواس در خبط اعمال معذّب بعذاب خواهد شد (۳) بدانکه جزای دشمن‌را باحسن دادن بغیر از مانند علی شخصی از همه کس و در همه جا مطلوب نیست الا آنکه تحفه را از علی بدشمن خود اضافی معنا نمائیم کما قال الله تعالی (ادفع بالتیّ هی احسن السیئه) که مخاطب محمد و مجزی علی است یعنی اشخاصیکه هنوز مغلوب نفس هستند جزای احسن آنها نسبت بدشمن خود خود داری از زیادی مکافات است که طبعاً چون میل بزیاده دارند باید خود داری کرده بقصد قصاص و اجرای حکم بمقتضای آیهٔ (ان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم) معاقبه نمایند و اشخاصیکه بملکه تمرکز خیالات و ارادات قدرت برکظم غیظ دارند جزای احسن آنها کظم غیظ و حلم و کوشش کردن بربا کی دل خود از دشمن وعفو وصفح است و اشخاصیکه قدرت بر احسان بمثل علی بر دشمن خود دارند باید احسان باحسن یعنی (ولو بصورت قصاص باشد) بنمایند تا موجب طغیان دشمن و احساس تملق از احسان و تحفه علی نکرده خود را حق و طرف را باطل نداند و الا بمقتضای آیهٔ فوق الذکر جزای باحسن نخواهد بود . (٤) اشاره بقانون نشو و ارتقاء است که طبیعت بزرگ بمثل خدا حق دارد که برای قصد تکمیل طبیعت بزرگتری و برای حفظ نظام عالم، طبایع ضعیفه را قربانی حفظ نظام عالم بنماید و این یگانه علت ریاضت مرتاضین است که قوای حیوانیه و بدنیه خود را بریاضت درهم می شکنند تا زمام نفس‌دست‌آمده و مطیع عقل گردد

شب کند منسوخ شغل روز را / دان جمادی آن خرد افروز را ۱ باز شب منسوخ‌شد از نور روز / تاجمادی سوخت زان آتش فروز
گرچه ظلمت آمد آن نوم وسبات / نی درون ظلمت است آب حیات ۲ نی‌در آن ظلمت خردها تازه‌شد / سکتهٔ سرمایهٔ آوازه شد
که ز ضد ها ضدّ ها آید پدید / در سویدا روشنائی آفرید ۳ جنگ پیغمبر مدار صلح شد / صلح این آخرزمان زان جنگ‌بد
صد هزاران سربرید آن دلستان / تا امان یابد سر اهل جهان ۴ باغبان زان میبرد شاخ خضر / تا بیابد نخل قامتها و بر
میکند از باغ دانا آن حشیش / تا نماید باغ و میوه خرّمیش ۵ میکند دندان بد را آن طبیب / تارهد از درد و بیماری حبیب
بس زیادتها درون نقصهاست / مرشهیدان را حیات اندر فناست ۶ چون‌بریده گشت‌حلق رزق خوار / یرزقون فرحین شد خوشگوار
حلق حیوان‌چون بریده شد بعدل / حلق‌انسان رست وافزائید فضل ۷ حلق‌انسان چون ببرّد هین ببین / تاچه زاید کن قیاس آن براین
حلق ثالث زاید و تیمار او / شربت حق باشد و انوار او ۸ حلق ببریده خورد شربت ولی / حلق از لا رسته مرده در بلی
بس کن ای دون همت کوته بنان / تا کیت باشد حیات جان بنان ۹ زان نداری میوهٔ مانند بید / کابرو بردی پی نان سپید
گر ندارد صبر زین نان جان‌حسّ / کیمیارا گیر و زرگردان تو مس ۱۰ جامه شوئی کرد خواهی ای‌فلان / رو مگردان از محلهٔ گازران
گرچه نان بشکست مر روزهٔ ترا / در شکسته بند پیچ و بر تر آ ۱۱ چون شکسته بند آمد دست او / پس رفو باشد یقین اشکست او
گر تو آنرا بشکنی گوید بیا / تو درستش کن نداری دست‌وپا ۱۲ پس شکستن حقّ او باشد که او / مر شکسته گشته را داند رفو
آنکه داند دوخت او تاند درید / هرچه او بفروخت نیکوتر خرید ۱۳ ❀خانه‌را کندوچوجنت ساخت او / پست کرد و بر فلك افراخت او
خانه را ویران کند زیر و زبر / پس بیکساعت کند معمور تر ۱۴ گر یکی سر را ببرد از بدن / صدهزاران سر برآرد در زمن
گر نفرمودی قصاصی برُجنات / یا نگفتی فی‌القصاص آمد حیات ۱۵ خود کرا زهره بدی تااو زخود / بر اسیر حکم حق تیغی زند
زانکه داندهرکه چشمش‌را گشود / کان کشنده سخرهٔ تقدیر بود (۱) ۱۶ هرکه را آنحکم بر سر آمدی / بر سر فرزند خود تیغی زدی
رو بترس و طعنه‌کم زن بربدان / پیش دام حکم عجز خود بدان ۱۷ ❀پیش‌حکم حق بنه‌گردن زجان / تسخر وطعنه مزن بر گمرهان

تعجب‌کردن آدم از فعل ابلیس و عذر آوردن و توبه‌کردن

روزی آدم بربلیسی‌کو شقی است / از حقارت وز زیافت بنگریست ۱۹ خویش‌بینی‌کرد و آمد خودگزین / خنده زد بر کار ابلیس لعین
بانگ برزد غیرت حق‌کی صفیّ / تو نمیدانی ز اسرار خفی ۲۰ پوستین را باژگونه گر کند / کوه را ازبیخ و از بن برکند
پردهٔ صد آدم آن دم بر درد / صد بلیس نو مسلمان آورد ۲۱ گفت آدم توبه‌کردم زین نظر / این چنین گستاخ نندیشم دگر
❀ یارب‌این‌جرأت زبنده عفوکن / توبه‌کردم می نگیرم زین سخن ۲۲ یا غیاث المستغیثین اهدنا / لا افتخار بالعلوم و الغنی
لاتزغ قلباً هدیت بالکرم / واصرف السوء الذی خطّ القلم ۲۳ بگذران از جان ما سوءالقضا / وامبر ما را ز اخوان الصفا
❀ایخدا ایفضل تو حاجت روا / با تو یاد هیچکس نبودُ روا ۲۴ تلخ‌تر ازفرقت تو هیچ نیست / بی پناهت غیر پیچا پیچ نیست
رخت ماهم رخت مارا راهزن / جسم ما مرجان مارا جامه کن ۲۵ دست ماچون پای مارا میخورد / بی امان توکسی چون جان برد
وربرد جان زین‌خطرهای عظیم / برده باشد مایهٔ ادبار و بیم ۲۶ زانکه جان‌چون واصل‌جانان‌نبود / تا ابد با خویش کورست و کبود
جون‌توندهی‌راه جان‌خود برده‌گیر / جان‌که بی‌تو زنده باشد مرده‌گیر ۲۷ گر تو طعنه میزنی بر بندگان / مر ترا آن میرسد ای کامران
ور تو ماه ومهر را گوئی جفا / ور تو قدّ سرو را گوئی دوتا ۲۸ ورتو چرخ وعرش‌را گوئی‌حقیر / ور توکان و بحر را گوئی فقیر
آن بنسبت با کمال تو رواست / ملك واقبال و غنا ها مرتراست ۲۹ که تو پاکی ازخطر وز نیستی / نیستانرا موجد و مغنیستی
آنکه رویانید تاند سوختن / وانکه بدریده است داند دوختن ۳۰ می بسوزد هرخزان مرباغ را / باز رویاند گل صباغ را
کای بسوزیده برون آ تازه شو / باردیگر خوب وخوش آوازه شو ۳۱ چشم نرگس‌کورشد بازش بساخت / حلق نی‌ببرید وبازش‌خود نواخت
ما چو مصنوعیم وصانع نیستیم / جز زبون و جزکه قانع نیستیم ۳۲ ما همه نفسی و نفسی میزنیم / گر نخواهی ما همه اهریمنیم
زان ز اهریمن رهیدستیم ما / که خریدی جان مارا از عمی ۳۳ توعصا کش هرکه را کهزندگیست / بی‌عصا و بی‌عصا کش کور چیست
غیرتوهرچه‌خوش‌است‌وناخوشست / آدمی سوزاست و عین آتشست ۳۴ هرکه را آتش پناه و پشت شد / هم مجوسی‌گشت وهم‌زردشت شد
کل شیئی ما خلا الله باطل / ان فضل الله غیم هاطل ۳۵ باز رو سوی علیّ و خونیش / وان‌کرم با خونی و افزونیش

---

(۱) بدانکه تمام اسرار قضا و قدر را از خلقت اشرار و مصالح آن اگر از مثال ذیل فهمیدید تمام ابیات این فصل را راجع باین موضوع خواهید دانست مثلا اگر پدر کشته بدون قصد قصاص قاتل پدر خودرا بقصد رزالت وُ عادت بآدم کشی کشت بدون آنکه او را بشناسد که یك وقتی قاتل پدرش بوده اگر چه حکم تقدیر قضا و قدر را بدون قصد قصاص اجرا کرده ولکن صوابی از این اجرا چون بقصد قصاص نکرده نخواهد برد پس کما اینکه این عمل اگرچه نسبت بخدا قصاص و حکمت لازمهٔ نظام عالم و آلت حق است و لکن نسبت بقصد بد مجری عمل معصیت و خودش مورد ملامت و قصاص است لذا در یکی از احادیث معصومین وارد است که اگر سرّ قدر بر همهٔ خلائق آشکار میشد احدی احدی‌را ملامت نمیکرد چه (جهان چون چشم وخال و زلف وابروست❀ که هرچیزی بجای خویش نیکوست) بمثل آنکه همانطور که شر نسبت بخیر شراست خیرهم نسبت بشر شراست پس هرکه برای خود خیر ونسبت بدیگری ضد وشراست پس ملامت شرعی و قانونی اشرار یکی برای همین محجوبیت اسرار قضا و قدر و مصالح الهی است که مولوی ذیلا تعبیر به پوستین واژگونه که بمعنی طبع و طبیعت وارونه است نموده و دیگری برای عدم نیات خیریه است که چون بمقاصد خود خواهی اجرای احکام قضا و قدر را نمودند عقلاً و وجداناً مسئول شدند یعنی ولو آنکه رفع حجاب میشد باز مأمور باجرای عین همین اعمال خودشان مطلقا میشدند ولکن البته بعد از رفع حجاب بمقاصد الهی اجرا میشد نه نفسانی خلاصه پس اگر آدم صفی بمثل علی نظر بدشمن خود شیطان کرده و میگفت (آلت حقی و فاعل دست حق الخ) مورد ملامت الهی واقع نمیشد که در این فصل مولوی این مطلب را بیان نموده .

بقیهٔ قصه امیرالمؤمنین علی علیه السلام و مسامحت و اغماض کردن او با خونی خویش

گفت دشمن را همی بینم بچشم / روزوشب بروی ندارم هیچ خشم ۲ زانکه مرگم همچوجان خوش آمده است / مرگ من در بعث چنگ اندر زده است
مرگ بی مرگی بود ما را حلال / برگ بی برگی بود ما را نوال ۳ ❀برگ بی برگی ترا چون برگ شد / جان باقی یافتی ومرگ شد(۱)
ظاهرش مرگ و بباطن زندگی / ظاهرش ابتر نهان پایندگی ٤ از رحم زادن جنین را رفتن است / درجهان اورا زنو بشکفتن است
❀آنکه مردن پیش جانش تهلکه است / حکم لاتلقوا نگیرد او بدست(۲) ٥ چون مراسوی اجل عشق وهواست / نهی لا تلقوا بایدیکم مراست
زانکه نهی از دانهٔ شیرین بود / تلخ را خود نهی حاجت کی شود ٦ دانهٔ کش تلخ باشد مغز وپوست / تلخی و مکروهیش خود نهی اوست
دانهٔ مردن مرا شیرین شده است / بل هم احیاء بی من آمده است ۷ اقتلونی یا ثقاتی لائماً / انّ فی قتلی حیوتی دائماً
انّ فی موتی حیوتی یا فتی / کم افارق موطنی حتی متی ۸ فرقتی لولم تکن فی ذا السکوت / لم یقل انا الیه راجعون
راجع آن باشد که بازآید بشهر / سوی وحدت آید ازتفریق دهر ۹ ❀این سخن پایان ندارد چا کرم / چون شنید این سر زسید گشت خم

افتادن رکابدار در پای امیرالمؤمنین علی علیه‌السلام که ای امیر مرا بکش و ازین بلیه برهان

باز آمد کای علی زودم بکش / تا نه بینم آندم و وقت ترش ۱۱ من حلالت میکنم خونم بریز / تا نه‌بیند چشم من آن رستخیز
گفتم ار هر ذرهٔ خونی شود / خنجر اندر کف بقصد تو بود ۱۲ یکسر مو از تو نتواند برید / چون قلم برتو چنان خطی کشید
لیك بی غم شو شفیع تو منم / خواجهٔ روحم نه مملوك تنم ۱۳ پیش من این تن ندارد قیمتی / بی تن خویشم فتی ابن الفتی
خنجر وشمشیر شد ریحان من / مرگ من شد بزم ونرگسدان من ۱٤ آنکه اوتن را بدینسان بی‌کند / حرص میری وخلافت کی کند(۳)
زان بظاهر کوشد اندرجاه وحکم / تا امیران را نماید راه وحکم ۱٥ ❀ تا بیاراید بهر تن جامهٔ / تا نویسد او بهر کس نامهٔ
تا امیری را دهد جان دگر / تا دهد نخل خلافت را ثمر ۱٦ ❀ میری اوبینی اندر آن جهان / فکرت پنهانیت گردد عیان
❀هین گمان بد مبر ای ذولباب ۱۷ با خود آ والله اعلم بالصواب

بیان آنکه فتح طلبیدن پیغمبر صلی‌الله علیه وآله درمکه وغیرها جهة دوستی ملك دنیا نبود چونکه فرمود الدنیا جیفة وطالبها کلاب

جهد پیغمبر بفتح مکه هم / کی بود در حبّ دنیا متهم ۲۰ آنکه او ازمخزن هفت آسمان / چشم ودل بربست روزامتحان(٤)
از پی نظاره اش حور جنان / کرده پر آفاق هر هفت آسمان ۲۱ ❀قدسیان افتاده برخاك رهش / صد چوبوسف اوفتاده در چهش

---

(۱) بدانکه مرگ ارادی فقط بقطع علاقه از دنیا حاصل نمیشود که بعضی گمان کرده اند چه بسیار از علاقه مندان بدنیا (که در حالت خواب طبیعی یا مصنوعی بوسیلهٔ مخدرات وغیره موقتاً طبعاً قطع علاقه عملی ازدنیا مینمایند) که فراموشی ازهمه چیز برای آنها نیزموقتاً حاصل میشود در حالتی که ابداً قدرت برمرگ ارادی ندارند پس مقصود از این مرگ که یگانه حیات ابدی و راحت سرمدی بآنست تحصیل تدریجی ملکهٔ جمع حواس و افکار و تمرکز تمام اراده‌های کوچك و بزرگ روحانی و جسمانی است که بهمت صاحبان همت و ارادهٔ قوی خود طالب بر ترك جمیع اراده های غیر اختیاری و جمیع آرزو ها و آمال مراتب هفتگانه روح انسانی، بریاضت تدریجی حاصل میشود که مولوی تعبیر به برگ بی برگی مطلق نموده چه از این بی برگی تمام آرزوهای نفس، صفای قلب پیدا شده علم بعلم شهودی باتصال معنوی بجان باقی عالم کبیر (که ظهور حیات ذاتی حق است) پیدا خواهد شد چه اتصال تکوینی بجان عالم کبیر همه اعضاء و اجزای عالم دارند و لکن هنر در تحصیل اتصال ارادی و اختیاری است که اگر ملکهٔ اتصال بعلم شهودی بواسطه تمرکز یابد مصداق این بیت گردد (هرگز نمیرد آنکه دلش زنده‌شد بعشق ❀ ثبت است بر جریدهٔ عالم دوام او) و مقصود مولوی ازجان باقی این است . (۲) یعنی محجوبین از مشاهدهٔ ملکوت چون از زمان طفولیت بتمام حواس ظاهره و باطنه انس بدنیا وعادت بعلائق آن تدریجاً یافتند البته هیچگاه بهلاکت وفنای دنیا راضی نمیشوند که نهی (لاتلقوا بایدیکم الی التهلکه) شامل حال آنان گردد پس این نهی قرآنی که حق فرموده که خود را در دنیا بهلاکت و فنای محض نیندازید فقط شامل اشخاصی میشود که تدریجاً قطع علاقه قلبی از همه چیز نموده و بتمرکز قوا انس تدریجی بملکوت یا بجذبه یکمرتبه اتصال بجان عالم کبیر بقسمی یافتند که هر ساعتی میل بتخلیه روح از بدن خود مینمایند کمااینکه از مرتاضین هند نقل شده که هرگاه ارادهٔ مردن میکنند یکدیگر را خبرکرده بمثل اشخاصیکه رو بسفر پر منفعتی میروند در گوشهٔ جمع شده پس رو بقبله جسمانی و روحانی خود خوابیده سپس باتمرکز اراده قوی باختیار خودرا میمیرانند و چون این قسم مردن (ولو آنکه بخوشی و باراده و اختیار جان میدهند) منافات با مصالح الهی دارد آیهٔ (لا تلقوا) در حق آنان نازل شده چه حکمت الهی چنین تقاضا نموده که باید ارواح بتوسط ابدان در حیات دنیا اگر ناقصند تکمیل شود و یا اگر کاملند سعهٔ وجودی یابند (بعلاوه آنکه باید دنیا بحیات اجتماعی آنها اداره و نیز ناقصین بآنها کامل و تربیت شوند) که مرگ را بر عامهٔ خلائق بقسمی تلخ قرار داده که هر کسی از مقدمات مرگ ترسیده و فرار مینماید و اما اشخاصی که بمثل (علی«ع») انس بمرگ بتوحید نفس و علاقه بملاقات خدای خود دارند (که فرموده انس من بمرگ از انس طفل به پستان مادرش زیادتر است) ونیز در وقت مرگ فرموده (فزت برب الکعبه) بنهی‌آیه (لاتلقوا الخ) آنهارا ازاقدام برمرگ ارادی خود ترسانیده بدلیل آنکه مولوی فرموده (زانکه نهی از دانهٔ شیرین بود) (۳) بدانکه دراین چند بیت‌مولوی میخواهد بفرمایدکه علی(ع) درعین آنکه ترك خلافت صوری را کرده خلافت معنوی را دارا بوده که علی (ع) باین‌ترك خلافت صوری مخصوصاً بمقتضای آیهٔ (لا اکراه فی‌الدین) خواسته باهل عالم بفهماند که حقیقت دین باید درتمام دنیا آزاد باشد تا هر کسی باختیار خود (که نتیجهٔ خلقت آدمی دردنیا همین دین اختیاری‌است) امتحان داده قبول یاردش بنمایند که مکررخودش فرموده من‌وصی پیغمبرم باینکه معارضه وجنگ با احدی نکنم و درخانه نشسته و دست روی دست بگذارم چه جنگهائیکه لازم بود پیغمبر کرده پس علی وصی آزاد گذاشتن مردم و دین آنها است والبته چون این وصایت را احدی غصب نکرده مولوی اظهار حسن ظن بخلفا هم مینماید ❀(٤) مقصود از مخزن خزائن اسماء وصفات خداست و مقصود از هفت آسمان (که بمعنی مطلق علو است) عوالم هفتگانه غیبیه عالم کبیر از برزخ ومثال و ملکوت جزئی و روح کلی و عقل کلی و فیض مقدس و اقدس است .

خویشتن آراسته از بهر او — خود ورا پروای غیر دوست کو ۱ آنچنان پرگشته از اجلال حق — کاندر اوهم ره نیابد آل حق(۱)
لایسع فینا نبی مرسل — والملك والروح ایضاً فاعقلوا ۲ گفت ما زاغیم همچون زاغ نی — مست صباغیم مست باغ نی
چونکه مخزنهای افلاك وعقول — چون خسی آمد برچشم رسول ۳ پس چه باشد مکه وشام وعراق — که نماید او نبرد و اشتباق
آن گمان بروی ضمیری بدکند — کوقیاس ازجهل وحرص خودکند ۴ زابگینه زرد چون سازی نقاب — زرد بینی جمله نور آفتاب
بشکن آتشیشهٔ کبود و زرد را — تا شناسی گرد را و مرد را ۵ گرد فارس گرد سر افراشته — گرد را تو مرد حق پنداشته
گردید ابلیس وگفت این فرع طین — چون فزاید بر من آتش جبین ۶ تا تو می بینی عزیزان را بشر — دانکه میراث بلیس است آن نظر
گر نه فرزند بلیسی ای عنید — پس بتومیراث آن سگ چون رسید ۷ من نیم سگ شیرحقم حق پرست — شیرحق آنست کز صورت برست
شیردنیا جوید اشکاری وبرگ — شیر مولی جوید آزادی ومرگ ۸ چونکه اندرمرگ بیند صدوجود — همچو پروانه بسوزاند وجود
شد هوای مرگ طوق صادقان — که جهودان را بُد اندم امتحان ۹ در نُبی فرمود کایقوم یهود — صادقان را مرگ باشد برگ وسود
همچنانکه آرزوی سود هست — آرزوی مرگ بردن زان به است ۱۰ ای جهودان بهر ناموس کسان — بگذرانید این تمنا بر زبان
یك جهودی آنقدر زهره نداشت — چون محمد این علم را برفراشت ۱۱ گفت اگر رانید این را برزبان — یك یهودی خود نماند در جهان
پس یهودان مال بردند وخراج — که مکن مارا تو رسوا ای سراج ۱۲ ❀جزیه پذرفتند و میبودند شاد — همچنان والله اعلم بالرشاد
این سخن را نیست پایانی پدید — دست با من ده چوچشمت دوست دید ۱۳ ❀ اندرآ درگلستان از مزبله — چونکه درظلمت بدیدی مشعله
❀ بی توقف زود تر در نه قدم — زین چه بی بن سوی باغ ارم ۱۴ ❀ هم نبردش گفت ازبهرخدا — شرح کن این را که پذیرم هلا

گفتن امیرالمؤمنین علیه السلام با قرین خود که چون خدو انداختی بر روی من نفس من جنبید و اخلاص عمل نماند مانع کشتن تو آن شد

گفت امیرالمؤمنین با آن جوان — که بهنگام نبرد ای پهلوان ۱۷ چون خدو انداختی برروی من — نفس جنبید و تبه شد خوی من
نیم بهر حق شد و نیمی هوا — شرکت اندرکار حق نبود روا ۱۸ تو نگاریدهٔ کف مولیستی — آن حقی کردهٔ من نیستی
نقش حق را هم بامر حق شکن — بر زجاجهٔ دوست سنگ دوست زن ۱۹ گبر این بشنید ونوری شد پدید — در دل او تا که زنّارش برید
گفت من تخم جفا میکاشتم — من ترا نوعی دیگر پنداشتم ۲۰ تو ترازوی احد بودهٔ — بل زبانهٔ هر ترازو بودهٔ
تو تبار واصل و خویشم بودهٔ — تو فروغ شمع کیشم بودهٔ ۲۱ من غلام آن چراغ شمع خو — که چراغت روشنی پذرفت از او
من غلام موج آن دریای نور — کو چنین گوهر درآرد درظهور ۲۲ عرضه کن برمن شهادت را که من — مر ترا دیدم سر افراز زمن
قرب پنجه کس زخویش وقوم او — عاشقانه سوی دین کردند رو ۲۳ او بتیغ حلم چندین خلق را — واخرید ازتیغ چندین حلق را
تیغ حلم از تیغ آهن تیز تر ۲۴ بل زصد لشکر ظفر انگیزتر(۲)

خاتمهٔ دفتر اول مثنوی معنوی مولوی

ایدریغا لقمهٔ دو خورده شد — جوشش فکرت ازآن افسرده شد ۲۶ گندمی خورشید آدم را کسوف — چون ذنب شعشاع بدری را خسوف
اینت لطف دل که از یکمشت گل — ماه او چون میشود پروین گسل ۲۷ نان چومعنی بودوخوردش سودبود — چونکه صورت گشت انگیزدجحود
همچو خار سبز کاشتر میخورد — زان خورش صدنفع ولذّت میبرد ۲۸ چونکه آن سبزیش رفت وخشك گشت — چون همانرا میخورد اشتر بدشت
میدراند کام و لنجش ای دریغ — کان چنان ورد مربّی گشت تیغ ۲۹ نان چومعنی بود بود آن خار سبز — چونکه صورت شد کنون خشکست وگبز
توبدان عادت که اورا پیش ازین — خورده بودی ای وجود نازنین ۳۰ برهمان بومیخوری این خشك را — بعد ازآن کامیخت معنی با ثری
گشت خاك آمیز وخشك وگوشت بر — زان گیاه اکنون بپرهیز ای شتر ۳۱ سخت خاك آلود می آید سخن — آب تیره شد سر چه بند کن
تا خدایش باز صاف وخوش کند — آنکه تیره کرد هم صافش کند ۳۲ صبر آرد آرزو را نی شتاب — صبر کن والله اعلم بالصواب

تمّ المجلد الاوّل من المثنوی المعنوی

---

(۱) مقصود مقام فنای از فنا است که مظهر (کنت کنزاً مخفیاً) میباشد که چون آل حق بمقام بقاء بعد الفناء برگشته فعلا خبری از آن مقام احدیت که مختص بخاتم (ص) است ندارند و الا در حدیث نبوی (لی مع الله وقت لایسعنی ملك مقرب ولا نبی مرسل) آل حق و ولی حق را استثنا نکرده لذا در کتب احادیث این قدریکه از آل حق و ائمهٔ هدی (ع) اظهار (نحن صفات الله العلیا و نحن اسماء الله الحسنی و امثالها) رسیده از خاتم انبیاء (ص) نرسیده چه او مظهر ذات است و آنها مظاهر اسماء و صفات که دون ذات است نه فوق خاتم (ص).

(۲) بدانکه جهت طبیعی آنکه در حکمت اخلاقی از مذهبی و فلسفی و عرفانی حلم را از صفات علم و زینت آن وعالم بی حلم را بمثل عالم بی عمل معرفی کرده‌اند برای چندین جهت است که اجمالا بعضی از آنها را تذکر میدهیم اول آنکه علم حقیقی که از نتائج تمرکز قوا و تنظیم افکار در عقلاء و علمای حقه بمثل علی (ع) یافت شده چون موجب اعمال جدی و عزم و اراده و استقامت و ثبات قدم (و عدم علاقهٔ بدنیا و اهل دنیا) میشده و خلق البته چون متنفر از اخلاق آنها شده و بالاخره محروم از استفاده از معلومات شهودی و فلسفی آنان میگردیدند لذا خالق بشر از علم حقیقی آنها صفت حلم را مشتق کرده تا ببرد باری آنان عموم خلایق بدون تکبر و تنفر استفاده نموده و متنبه بمقامات معنوی آنها شده و قلباً حاضر و راضی برای عمل بعلم الروح و تسلیم بمثل عمروابن عبدود برای علی (ع) بشوند پس بقول مولوی تیغ حلم بالاترین تیغها است که خداوند در قرآن از صفات خود شمرده (والله غفور حلیم والله غنی حلیم و کان الله علیماً حلیما) و دنیا را بحلم خود مهلت خانه تمام صاحبان اختیار قرار داده تاهرکسی با اختیار خود هرچه میخواهد ازصفات ممکنه تحصیل نماید.

اینك شرح مختصر دفتر اول بتوفیق الله تمام شد — س ح ن

مثنوی معنوی

مناسبت هفتصد و پنجاهمین سال ولادت

مولانا جلال الدین محمد بلخی رومی

در سال ۱۳۱۶ هجری قمری چاپ شده

بقلم خاور

مثنوی معنوی

مولانا جلال الدین محمد بلخی رومی

شرح حال مولانا ملخصی از آثار مولانا، کتاب مجالس سبعه مولانا، شرح ابیات مشکله مثنوی، ذیل صفحات، دفتر هفتم منسوب بمولانا، کشف الابیات جامع، لطائف اللغات

مرحوم حاجی علی اصغر رمضانی کتابفروش

روز ۱۲ مهر ۱۲۵۰ هجری شمسی بدنیا آمد و شب ۲۰ آذر ۱۳۱۶ هجری شمسی دنیا را بدرود گفت

بپاس سی و سه سال عمری که برای تربیت من بنده صرف کرد

پنج سال زحمتی که برای تصحیح و مقابله و چاپ مثنوی کشیده‌ام

بروان پاکش تقدیم میدارم

و آرزو دارم توفیق یابم سی و سه جلد کتاب نفیس اخلاقی و دینی بنام او چاپ نموده تقدیم دوستداران اخلاق و دین و فرهنگ بنمایم

محمد رمضانی

مثنوی معنوی

مولانا جلال الدین محمد بلخی رومی

شرح حال مولانا ملخصی از آثار مولانا، کتاب مجالس سبعه مولانا، شرح ابیات مشکله مثنوی و ذیل صفحات، دفتر هفتم منسوب بمولانا، کشف الابیات جامع، لطائف اللغات

تصحیح و مقابله و همت

محمد رمضانی

دارندهٔ کلالهٔ خاور

از سال ۱۳۱۵ تا سال ۱۳۱۹ در تهران چاپ شد

بها صد ریال

چاپخانهٔ خاور «تهران»

تصویر مولانا محفوظ در تکیه یکی قاپو اسلامبول

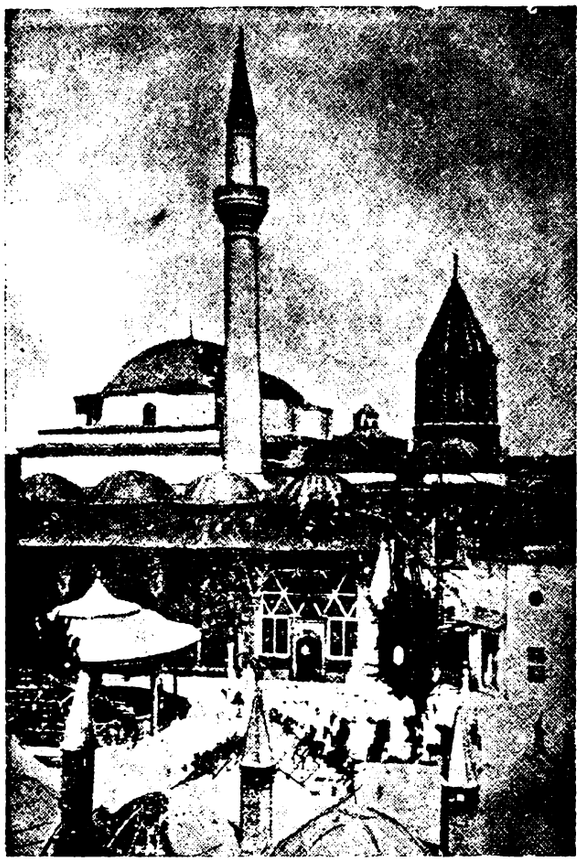

قبه خضرا و تربت شریف مولانا و یاران

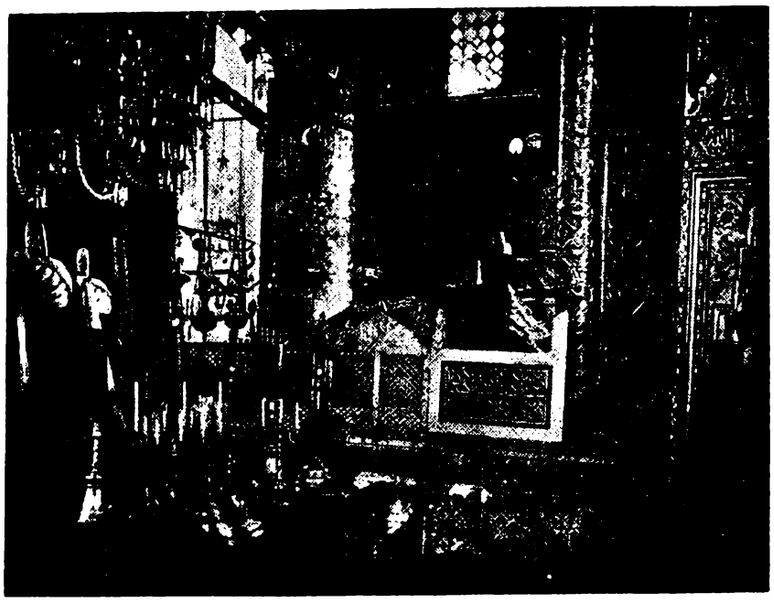

تربت مولانا

سر آغاز

کم کسیست که بادبیات پارسی و شعر و عرفان آشنائی داشته باشد و عارف نامی جلال الدین محمد بلخی مشهور بمولانای، روم قدس سره سرایندهٔ مثنوی معنوی را که یکی از بزرگترین نوابغ ایران و درخشنده ترین ستارهٔ فروزان مشرق است نشناسد. و کمتر کتاب تاریخ و تذکره ایست که از حالات و جذبات مولانا در آن ذکری نشده باشد

در مقدمهٔ بیشتر چاپهای مثنوی ترجمهٔ مختصری که حاجی زین العابدین مستعلیشاه شروانی در بستان السیاحه خود نگاشته نقل شده است و آن خلاصه و عصارهٔ کلیهٔ شروحی است که پیشینیان از احوال این بزرگترین مردان رسیدهٔ راه حقیقت نوشته اند

خوشبختانه در سالهای اخیر سه رساله ذیقیمت در ترجمهٔ حال و تتبع شخصیت مولانا بخامهٔ نویسندگان دانشمند معاصر طبع و نشر شده است :

(۱) ولدنامه یا مثنوی ولدی اثر شیخ بهاء الدین محمد معروف به سلطان ولد فرزند روحانی و جسمانی مولانا با مقدمه و تعلیقات آقای جلال همائی که در حدود ده هزار بیت و قدیمترین و صحیحترین سند تاریخی است که از خصوصیات زندگانی مولانا جلال الدین و پدرش بهاء الدین محمد ملقب بسلطان العلماء و یاران برگزیدهٔ وی سید برهان الدین محقق ترمدی و شمس الدین محمد تبریزی و صلاح الدین فریدون قونیوی و حسام الدین حسن چلبی و اصحاب و مریدان او بحث میکند

سلطان ولد برسر هر فصل و عنوان منظومهٔ ولدنامه نثرهای شیرینی نوشته است که اگر آنهارا جمع کنند رسالهٔ بسیار ساده و فصیحی در مطالب عرفانی و تاریخی و خلاصهٔ طریقهٔ مولویه که بیشتر آداب و رسوم قدیمش مولود خود اوست فراهم خواهد شد

(۲) شخصیت مولوی نگارش آقای حسین شجره که در ۲۳۸ صفحه با قلمی شیوا از اصل و منشأ تصوف و نبوغ عقل از نظر عرفان و نفوذ تصوف ایران در شرق و غرب و حالات مولانا و تدوین مثنوی معنوی و معنی و مفهوم اشعار مولوی و گفتار و نظریات مستشرقین و فضلای غرب در بارهٔ مولانا و مثنوی بحث کرده اند

(۳) رساله در تحقیق احوال و زندگانی مولانا جلال الدین محمد مشهور بمولوی و مشایخ و یاران و مریدان و معاصرین او نگارش محققانهٔ آقای بدیع الزمان فروزانفر با ۱۵ گراور و یک شجره نامه در ۲۳۲ صفحه که علاوه بر تتبعات دانشمندانهٔ خود از ده منبع قدیمی بسیار معتبر و از مجموعهٔ یادداشتهائی که آقای کاظم زادهٔ ایرانشهر در برلن از گفتهٔ بازماندگان و معتقدان مولانا گرد آورده استفاده کرده اند

اگرچه با انتشار این سه رساله احتیاج بنوشتن شرح حال در مقدمهٔ مثنوی خود نداشتیم ولی برای کسانیکه دسترسی بمطالعهٔ آثار نامبرده نداشته باشند اختصاری از ولد نامه و عین مقالهٔ بستان السیاحه و خلاصه ای از تحقیقات آقای فروزانفر را در رساله زندگانی مولانا با مراجعه بشرح حال مولانا بقلم سپهسالار بترتیب مینویسیم و در خاتمه از آثار مولانا و مزایای مثنوی حاضر بحث نموده و بفهرست جامعی از مطالب مثنوی گفتار خود را خاتمه میدهیم

محمد رمضانی

از کتاب ولدنامه

مرید شدن سید برهان الدین محقق مولانا بهاء الدین را و خواب دیدن مفتیان پیغمبر را

گفت برهان دین محقق حق — سبق برده ز سابقان بسبق
سخنش را هر آنکه بشنودی — دایم اورا بصدق بستودی
در جوانی ببلخ چون آمد — خواست کان جایگاه آرامد
جد مارا چو دید آن طالب — که بر و بود عشق حق غالب
لقبش بد بهاء دین ولد — عاشقانش گذشته از عد و حد
جمله اجداد او شیوخ کبار — همه در علم و در عمل مختار
اصل اورا نسب ابوبکری — زانچو صدیق داشت او صدری
مثل او کس نبود در فتوی — از فرشته گذشته در تقوی
بود اندر همه فنون استاد — حق بوی علم را تمام بداد
خوانده سلطان عالمان اورا — مصطفی قطب انبیاء خدا
مفتیان بزرگ اندر خواب — دیده یك خیمهٔ کشیده طناب
مصطفی اندرون خیمه بناز — زده تکیه بصد هزار اعزاز
ناگهانی بهاء دین ولد — از در خیمه اندرون آمد
مصطفی چون بدید جست از جا — پیش رفت و گرفت دستش را
برد پهلوی خویش بنشاندش — زان ملاقات گشت بیحد خوش
گفت از آنپس بمفتیان اینرا — که از امروز این شه دینرا
جمله سلطان عالمان گوئید — در رکابش بجان و دل پوئید
بامدادان باتفاق همه — از سر صدق بی نفاق همه
بر درش آمدند تا گویند — سر آن خواب را ازو جویند
پیش از آنی که دم زنند او گفت — خوابشانرا و سر نکرد نهفت
دادشان از مقام و حال نشان — وقعه را کرد بالتمام بیان
جمله پیشش فغان بر آوردند — بی دف و نای شورها کردند
گشت سید مریدش از دل و جان — تا روانرا کند ز شیخ روان
در مریدی رسید او بمراد — زانکه شیخش عطای بیحد داد
چشمهٔ عشق از دلش جوشید — جان او بادهٔ بقا نوشید
جمله غمهاش ذوق و شادی شد — سوی عشقش چو شیخ هادی شد
خار هجرش ز وصل گلشن گشت — شب تارش چو روز روشن گشت
مس جانش ز نار عشق گداخت — گشت زر چون به کیمیا در ساخت
عاقبت قطب گشت در عالم — سجده گاه ملك شد و آدم

رنجیدن سلطان العلماء از بلخیان و هجرت گزیدن از خراسان

چونکه از بلخیان بهاء ولد — گشت دلخسته آن شه سرمد
ناگهش از خدا رسید خطاب — کای یگانه شهنشه اقطاب
چون ترا این گروه آزردند — دل پاك ترا زجا بردند
بدر آ از میان این اعدا — تا فرستیمشان عذاب و بلا
چونکه از حق چنین خطاب رسید — رشتهٔ خشم را دراز تنید
کرد از بلخ عزم سوی حجاز — زانکه شد کار گر در او آن راز
بود در رفتن و رسید خبر — که از آن راز شد پدید اثر
کرد تاتار قصد آن کشور — منهزم گشت شاه شوم اختر
بلخ را بستد و بزاری زار — کشت از آن قوم بیحد و بسیار
نتوان گفت در ره آن سلطان — که چها داده با کهان و مهان
چه کرامانها که در هر شهر — مینمود آن عزیز روزبهٔ دهر
گر شوم من بشرح آن مشغول — فوت گردد از آن سخن مأمول
آمد از کعبه در ولایت روم — تا شوند اهل روم ازو مرحوم
از همه ملک روم قونیه را — برگزید و مقیم شد آنجا
رو نهادند سوی او خلقان — از زن و مرد و طفل و پیر و جوان
آشکارا کرامتش دیدند — زو چه اسرارها که بشنیدند
چند روزی بر این نسق چو گذشت — که و مه مرد و زن مریدش گشت
گشت سلطان علاء دین چون دید — روی اورا بعشق و صدق مرید
چونکه وعظش شنید شد حیران — کرد اورا مقام در دل و جان
دید بسیار ازو کرامت ها — یافت در خویش ازو علامتها
گفت دل لرزدم ز هیبت او — می هراسم بگاه رؤیت او
هیبتی میزند ازو بر من — که از آن لرزه می فتد در تن
شد یقینم که او ولی خداست — در جهان نادر است و بیهمتاست
دائماً با خواص این گفتی — روز و شب در مدح او سفتی

مردن سلطان العلماء و نشستن مولانا جلال الدین بجای پدر

بعد دو سال آن ولی خدا — سر ببالین نهاد او ز عنا
شاه شد از عنای او محزون — هیچ از این غصه اش نماند سکون
چون بهاء ولد نمود رحیل — شد ز دنیا بسوی رب جلیل
نار در شهر قونیه افتاد — از غمش سوخت بنده و آزاد
در جنازه اش چو روز رستاخیز — مرد و زن گشته اشك خونین ریز
علما سر برهنه و میران — جمله پیش جنازه با سلطان
شه ز غم هفت روز بر ننشست — دل چون شیشه اش ز درد شکست
هفته ای خوان نهاد در جامع — تا بخوردند قانع و طامع
تعزیه چون تمام شد پس از آن — خلق گرد آمدند پیر و جوان

همه کردند رو بفرزندش که توئی در جمال مانندش
شیخ مازین سپس توخواهی بود از توخواهیم جمله مایه وسود
شست برجای وی جلال الدین روبدو کرد خلق روی زمین
مفتی شرق وغرب گشت بعلم از جهان جهل درنوشت بعلم
رایت شرع احمدی افراخت هرکه دین داشت خواجه را بشناخت
بیقراران شدند ازاوساکن همه در ظل او زخوف ایمن

آمدن سید برهان الدین محقق ترمدی بقونیه

مدتی چون بماند در هجران طالب شیخ خویش شد برهان
گشت بسیارو اندر آخر کار داد با وی خبر یکی زکبار
گفت شیخت بدان که درروم است نیست پنهان بجمله معلوم است
آمداز عشق شیخ خودتازان با هزاران تبختر و نازان
گشته ازشیخ پرچوجام ازمی همچنان کز شکر شود پرنی
چونکه شادان بقونیه برسید شیخ خودرا ازشهریان پرسید
همه گفتند آنکه میجوئی هرطرف بهر او همی پوئی
هست سالی که رفت از دنیا رخت خودرا کشید درعقبی
جسم خاکیش رفت اندرخاك جان پاکش گذشت ازافلاك
گفت سید که شیخ اندرماست همچوروغن نهان شده درماست
عین شیخم زمن نماند اثر هیچ دیدی شکرجدا زشکر
آب اگر درمز رکوزه بود عاقل از کوزه ها زره نرود
آب جوید زکوزه تابخورد تشنه درنقش کوزه کی نگرد
خلق راپس بخویش دعوتکرد گشت ازجان غلام اوزن ومرد
شهر جمله مرید او گشتند در درون تخم مهر او کشتند

مرید شدن مولانا جلال الدین بسید و رسیدن بمقام قطبیت

گفت سید بشه جلال الدین گرچه درعلم نادری وگزین
لیك بدوالدتو صاحب حال جوی آنرا و درگذر ازقال
قال اورا گرفته ای بدودست همچومن شوزحال اوسرمست
وارث والدی تو اندرپوست مغزمن برده ام نگردردوست
از مرید پدر چو آن بشنید گشت جان و بگرد تن نتنید
شد مریدش زجان وسربنهاد همچو مرده به پیش او افتاد
بود در خدمتش بهم نه سال تاکه شد مثل او بقال وبحال
همسرو سر شدند در معنی زانکه یکدل بدند در معنی
ناگهان سید از جهان فنا کرد رحلت سوی سرای بقا
ماند بی او جلال دین تنها روزوشب کردروی سوی خدا
خواب وخورراد رآنهوس بگذاشت علم جستجوی را افراشت
پنج سال این چنین ریاضت کرد ازسرصدق و سوزوناله ودرد
عمل و دردراچو کرد قرین رفت همچون ملك بچرخ برین
خاص وعامش مریدوبنده شدند چون نبات از بهار زنده شدند
ده هزارش مرید بیش شدند گرچه اول زصدق دور بدند
وعظ گفتی همیشه برمنبر گرم وگیرا چو وعظ پیغمبر
صیت خوبش گرفت عالم را کرد زنده روان آدم را

رسیدن مولانا جلال الدین بشمس تبریزی و تغییر حال او

ناگهان شمس دین رسیدبوی گفت انی ز تاب نورش فی
از ورای جهان عشق آواز برسانید بی دف و بی ساز
گفت اگرچه بباطنی تو گرو باطن باطنم من این بشنو
دعوتش کرد در جهان عجب که ندید آن بخواب ترك وعرب
نزد یزدان چو بود مولانا از همه خاصتر بصدق و صفا
خضرش بود شمس تبریزی آنکه با او اگر در آمیزی
هیچکس را بیك جوی نخری برده های ظلام را بدری
بعد بس انتظار رویش دید گشت سرها براوچوروز پدید
شد براو عاشق وبرفت ازدست گشت پیشش یکی بلندی وپست
دعوتش کردسوی خانهٔ خویش گفت بشنو شها ازین درویش
پس از آن هردوخوش روانه شدند شادوخندان بسوی خانه شدند
شیخ استاد گشت نو آموز درس خواندی بخدمتش شب وروز
گرچه درعلم فقر کامل بود علم نو بود کان بسوی بنمود

حسدبردن مریدان مولانا برشمس

یکزمانی بهم همی بودند مدت یک دو سال آسودند
غیرت حق در آمدو ناگاه فج فج افتاد در همه افواه
در شناعت در آمدند همه آن مریدان بیخبر چورمه
گفته باهم که شیخ ما زچه رو پشت برما کند زبهر چه او
ما همه عاشقیم در ره شیخ بندهٔ صادقیم در ره شیخ
شده ما را یقین که مظهر حق اوست بی شك وزاو بریم سبق
چه کس است اینکه شیخ ما را او برداز جا چو یك کهی راجو
کرد اورا زجمله خلق نهان می نیابد کسی زجاش نشان
ساحراست این مگر بسحروفسون کردبرخویش شیخ را مفتون
همه درفکر این که کی ازشهر رود او یا فنا شود از قهر
جمله گشته بخون او تشنه ساخته بهر کشتنش دشنه
چون غلوشان براوزحد بگذشت دشمنیشان زحدوعد بگذشت
شمس تبریز رفت سوی دمشق تاشود پردمشق وشام زعشق
چون حزین شد زهجر مولانا گشت معرض زجمله آن دانا
دوستی را از آن نفر ببرید مرغ مهرش زلانه شان بپرید
چونکه آن رایشان نیامد راست عکس شد آنچه هریکی میخواست
گفته بودند اگر رود زینجا ماند آن شاه ما بما تنها
باردیگر زپندهای خوشش بجهیم ازجهان و پنج وششش
آنگروهی که بودشان غفلت کرده بودند از سفه جرأت
پیش شیخ آمدند لابه کنان که ببخشا مکن دگر هجران
توبهٔ ما بکن زلطف قبول گرچه کردیم جرمها ز فضول

فرستادن مولانا بهاء الدین ولدرا

بود شه را عنایتی بولد در نهان اندرون برون از خد
خواند اورا وگفت رو تورسول ازبرم پیش آن شه مقبول
ببر این سیم را بپایش ریز گویش از من که ایشه تبریز
آن مریدان که جرمها کردند زانچه کردند جمله واخوردند
همه سازند از دل و ازجان جانشان را فدای آن سلطان
رنجه کن اینطرف قدم را باز چند روزی بیا و با ما ساز
آنچه ازما سزیدا گر کردیم همچوخار خلنده سر کردیم
همچنین زین نمط بوی میگو دل او را بلابه ها میجو
باشد این گر بودمرا آن بخت نرم گردد نگیرد این را سخت
دهدم باز وصل از سرلطف بهلد هجر و بگذرد از عنف
پس ولد سر نهاد والد را شکر کرد اوخدای واحد را
گشت ازجان روان بسوی دمشق راه را میبرید از سر عشق
چون رسید او بنزد شمس الدین آن شه اولیای با تمکین
در سخن آمد و درر بارید در دل و سینه عشق نو کارید
سر سر حدیث وقرآن گفت کرد پیدا سری که بود نهفت
بی پرش بر فلك بپرانید بی تنش گرد عرش گردانید
حجب از پیش چشم دل برداشت شب تاریك را نمود چوچاشت
ظلمت از تن ببرد و ازدل وجان تاروان گشت همچو سیل روان

بازگشت ولد بقونیه در رکاب شمس الدین

چون شنید از ولد رسالت را خوش پذیرفت آن مقالت را
باز گشت ازدمشق جانب روم تا رسد در امام خود مأموم
شد ولد در رکاب او پویان نزضرورت ولی زصدق وزجان
در ره از وی هزار سربشنید صدجهان از ورای چرخ بدید
چون رسیدند پیش مولانا نوش شد جمله نیش مولانا
وانجماعت که منکران بودند منکر قطب آسمان بودند
جمله شان جانفشان باستغفار سر نهادند کای خدیو کبار
از سر صدق روی آوردیم توبه کاریم از آنچه ما کردیم
بعداز آن جمله ازوضیع وشریف حلقه گشتند گرد شاه ظریف
پهلوی شه نشسته مولانا چون دوخور که زنند سرزسما
شمس تبریز در سخن آمد زنده شد آنکه فهم کن آمد
هریکی زان سخن بعشق پرید هر یکی از خودی تمام برید

از امیر و توانگر و درویش هریکی قدر وسع وطاقت خویش
بخشش آورد و میهمانی کرد تا شود یار مهربانی کرد
مدتی این چنین گذشت زمان در حضور شهان هردو جهان
آن دو شه چون بهار وایشان دشت همه را تازه گشته زیشان کشت
شاخ و برگ درونشان پربار رسته بیخار هر طرف گلزار
درچنین عیش و درچنین وصلت همه پر نورو غرق در رحمت

گستاخی مریدان و ناپدید گشتن شمس الدین

باز شیطان بصورتی دیگر زد درایشان کدورتی دیگر
رخت اعمال جمله را دزدید هر یکی زاعتقاد برگردید
باز گشتند همچو اول بار می ومستی گذشت وماند خمار
روشنی شد بدل به تاریکی صحت تن به رنج باریکی
باز چون شمس دین بدانست این که شدند آن گروه پر از کین
گفت او باولد که دیدی باز چون شدند از شقا همه دمساز
که مرا از حضور مولانا که چو او نیست هادی ودانا
فکنندم جدا و دور کنند بعد من جملگان سرور کنند
خواهم این بار آنچنان رفتن که نداند کسی کجایم من
همه گردند در طلب عاجز ندهد کس زمن نشان هرگز
ناگهان گم شد از میان همه تا رهد از دل و زبان همه
یکدو روز او چو گشت ناپیدا کرد افغان زدرد مولانا
هیچ از وی کسی نداد خبر نی بکس بورسید ازاو نه اثر
شیخ گشت از فراق او مجنون بی سرو پا زعشق چون ذوالنون

استغراق و بیقراری مولانا از فراق شمس الدین

شیخ مفتی ز عشق شاعر شد گشت خمار اگر چه زاهد بد
نی زخمری که او بود زانگور جان نوری نخورد جز می نور
روز وشب در سماع رقصان شد برزمین همچو چرخ گردان شد
بانگ و افغان او بعرش رسید ناله اشرا بزرگ و خرد شنید
غلغله اوفتاد اندر شهر شهر چه بلکه در زمانه ودهر
کاین چنین قطب ومفتی اسلام کوست اندر زمانه شیخ وامام
شورها میکند چو شیدا او گاه پنهان و گه هویدا او
خلق ازوی زشرع ودین گشتند همگان عشق را رهین گشتند
حافظان جمله شعرخوان شده اند به سوی مطربان دوان شده اند
عاشقی شد طریق ومذهبشان غیر عشق است پیششان هذیان

رفتن مولانا درجستجوی شمس الدین بجانب شام

باچنان مستی و چنین جوشش باچنان عشق و باچنان کوشش
کرد آهنگ ورفت جانب شام در پیش شد روانه پخته و خام
چون رسید اندر آن سفر بدمشق خلق را سوخت او ز آتش عشق
همه گشتند عاشقش ازجان دیده در درد او دوصد درمان
جمله ازجان مرید و بنده شدند همچو سایه پیش فکنده شدند
شامیان هم شدند واله او کاینچنین فاضل پیمبر خو
ازچه گشته است عاشق ومجنون کاندرو مدرج است صدذوالنون
شمس تبریز خود چه شخص بود تا پیش این چنین یگانه رود
گفت اگرچه به تن ازو دوریم بی تن و روح هر دو یکنوریم
هردو باهم بدیم بی تن وجان پیش از آن کاین فلك شود گردان
بی زمین و زمان بهم بودیم از وجود جهان نیفزودیم
حالت ما بهم نمی ماند کیست کاحوال ما عیان داند
شمس تبریز را بشام ندید در خودش دید همچو ماه پدید
کرد رجعت بروم باز آمد رفت چون کبك وهمچو باز آمد
قطره اش چون فزود دریا شد بود عالی ز عشق اعلی شد
مطربانرا بخواند از سر او بی سر و پا ببام و بر در او
روز وشب یکدمش قرار نبود بی قدح خمر عشق می پیمود
حیرت خلق شد در او افزون کاین چه شور است واینچگونه جنون
چندسالی نشست وباز زعشق رفت با جمله خلق سوی دمشق
باز آنجا فکند صد غوغا جمله گفته عجب زهی سودا
ماهها در دمشق ساکن شد عاشقی کی ز عشق ساکن شد

بازگشتن مولانا بقونیه وبرگزیدن صلاح الدین زرکوب قونوی

بعداز آن باز گشت جانب روم تا زند بر جبین شیر رقوم
سرزد از چرخ روح آنخورشید تاسها را کند پر از ناهید
گفت چون من ویم چه میجویم عین اویم کنون زخود گویم
وصف حسنش که میفزودم من خودهمان حسن ولطف بودم من
درچنین جوش یک مرید از او یافت قربت سوار گشت نکو
لقبش بود شه صلاح الدین قطب هفت آسمان وهفت زمین
چون ورا دید شیخ صاحب حال برگزیدش ززمرهٔ ابدال
روبدو کرد وجمله را بگذاشت غیر او را خطا وسهو انگاشت
گفت از روی مهر بایاران نیست پروای کس مرا بجهان
سرشیخی چو نیست درسر من نبود هیچ مرغ همپر من
پس ازین جمله سوی او پوئید همه ازجان وصال او جوئید
پس ولدرا بخواند آنحق بین گفت بنگر رخ صلاح الدین
نظرش کیمیاست بر تو فتد رحمت کبریاست بر تو فتد
برهاند ترا ز مرگ و فنا برساند به تخت ملك بقا
کندت بر علوم سر دانا جمله اسرار ازو شود پیدا

آرام گرفتن مولانا با صلاح الدین از طلب شمس وحسد بردن مریدان

شورش شیخ گشت ازو ساکن وآنهمه رنج و گفتگو ساکن
زانکه بد نوع دیگر ارشادش بیشتر بود از همه دادش
آنچه از اولیا نبردی کس سالها میرسید ازو بنفس
شیخ با او چنانکه باآن شاه شمس تبریز خاص خاص اله
نظر شیخ جمله بروی بود غیر او نزد شیخ لاشی بود
ننشستی بهیچکس جز او چشم را بر نداشتی زان رو
باز در منکران غریو افتاد سخت درهم شدند اهل فساد
باز آغاز کرد جوش حسد زانکه بودند غرق نفس وجسد
گفته باهم کز آن یکی رستیم چون نگه میکنیم درشستیم
کاش کان اولینه بودی باز شیخ مارا رفیق و هم دمساز
نبداز قونیه بد از تبریز بود جان پرورونبد خونریز
همه این مرد را همیدانیم همه هم شهریم و هم خوانیم
نی وراخط وعلم ونی گفتار بر ما خود نداشت او مقدار
دائما در دکان بدی زرکوب همه همسایگان ازو در کوب
آنکسانیکه منکران بودند از ازل کور وهم کران بودند
ازخود او را بنقص کرده نظر جان جانرا شمرده چون پیکر
که چسان ترهات میگفتند از غم و غصه شب نمی خفتند
پیش ازین جاش بود صف نعال فخر کردی زما میان رجال
چون شود اینکه او را اکنون شیخ خوانیم بل زشیخ افزون
زین نمط فحشهای زشت ودرشت گاه گفته بروش و گه پس پشت
جمله را رأی اینچنین افتاد که چو زاسب مراد زین افتاد
سر ببازیم و زنده اش نهلیم چون ازو جان فکار وخسته دلیم
یك مریدی برسم طنازی شد از ایشان و کرد غمازی
درهمان لحظه نزد مولانا آمد و گفت این حکایت را
پس رسید این بشه صلاح الدین نورچشم و چراغ هر ره بین
خوش بخندید و گفت آنکوران که ز گمراهیند بی ایمان
نیستند اینقدر زحق آگاه که بجز زامر او نجنبد کاه
چون تواند کسی مرا کشتن یا بخاك و بخونم آغشتن
می برنجید ازاینکه مولانا کرد مخصوصم از همه تنها
خودندانسته اینکه آینه ام نیست نقشی مرا معاینه ام
درمن او روی خویش می بیند خویشتن را چگونه نگزیند
گشت واقف زراز شیخ علیم خشمگین شد بر آنگروه لئیم
راه بربست دیگر ایشانرا آن لئیمان کوربینان را
همه گشتند سرزد از آن گرمی رویشان سخت شد زبیشرمی
روزشان گشت همچو شب تاریك گردن جمله شد زغم باریك
هریکی دست خود همی خائید از دلش غصه ها همی زائید
گفته باهم اگرچنین ماند چه شود حال ما خدا داند

پیش از آنکه رویم جمله زدست چاره سازیم تا رهیم ز شست
سوی ایشان شویم توبه کنان وصل جوئیم تا رود هجران
همه جمع آمدند بر در او می‌نهادند بر زمین سر و رو
گریه زارشان چورفت ازحد بانگ و افغانشان گذشت ازحد
چون شنیدند آن دو زاریرا ساز کردند چنگ یاری را
در گشادند و راهشان دادند قفل های ببسته بگشادند

در گذشتن صلاح‌الدین ورسیدن خلافت به‌چلبی حسام‌الدین

شیخ بااو چودر دوتن یکجان بود آسوده و خوش‌وشادان
مست از همدگر شده ده‌سال داشته بی خمار هجر وصال
جمع یاران بگردشان زده صف آندوچون بحروباقیان چون کف
همه چون اختران وآندوچوماه همه چون بندگان و آندوچوشاه
درچنین عیش‌ودولت ونزهت در چنین جاه‌و ملکت و زینت
ناگهان شدصلاح‌دین رنجور گشت از صحبت بدن مهجور
شیخ فرمود در جنازهٔ من دهل آرید و کوس بادف زن
سوی گورم برید رقص کنان خوش‌وشادان‌ومست‌ودست‌افشان
تا بدانند کاولیای خدا شاد و خندان روند سوی لقا
کردچشمان فرازو رفت‌بناز ناز نازان بصد هزار اعزاز
اولیا را بود زمرگ حیات زانکه در مرگ دیده‌اند نجات
جسم پاك ورا چواندر خاك بنهادند رفت پاک بپاک
بود راضی‌شه از حسام‌الدین داده بودش هزار گنج گزین
مرشد جمله بود مولانا آن خدیو یگانهٔ والا
رتبت هر یکی براو روشن گشته همچون میان‌روح وبدن
شیخ گفت ای حسام‌حق آئین چونکه‌رفت‌ازجهان‌صلاح‌الدین
بعدازین نایب وخلیفه توئی زانکه اندر میانه نیست دوئی
آن یکی باز گفت مولانا زین سه مهتر کدام بود اعلی
گفتش اندرجواب کای‌همراه شمس چون‌مهربد صلاح چوماه
چون‌ستاره‌است‌شه‌حسام‌الحق زانکه گشته‌است باملك ملحق
شیخ اینرا بجای آن بنشاند بر سرش نور ها نثار افشاند
گفت اصحاب‌را که سربنهید پیش او عاجزانه پر بنهید
همه امرش ز دل بجا آرید مهر او در درون جان کارید

مصاحبت شیخ حسام‌الدین تاپایان زندگانی مولانا ومستفیدشدن یاران بی‌حدازهردو

بود با شیخ در زمانهٔ شیخ همدل و همنشین بخانهٔ شیخ
در صفاو وفابهم همدم همه اصحاب شادمان بیغم
بخشش هردو برهمه شامل همه از هر دو عالم و عامل
خوش‌بهم‌بوده مدت ده‌سال پاك و صافی مثال آب زلال
بعداز آن نقل کرد مولانا زین جهان کثیف پر زغنا
سال هفتاد و دو بده بعدد ششصد از عهد هجرت‌احمد
چشم‌زخمی‌چنین‌رسیدبخلق سوخت‌جانها زصدمت‌آن‌برق
لرزه افتاد در زمین آندم گشت نالان فلك در آن ماتم
مردم شهر از صغیرو کبیر همه اندر فغان وآه‌و نفیر
بجنازه همه شده حاضر از سر مهر و عشق نز پی‌بر
قوم هر ملتی براو عاشق اهل هر مذهبی براو صادق
عیسوی گفته‌اوست‌عیسی‌ما موسوی گفته‌اوست موسی ما
مسلمش‌خوانده‌سرونورر‌سول گفته هست‌اوعظیم‌بحر نقول
همه کرده‌زغم گریبان‌چاك همه از سوز کرده برسرخاك
آنفغان و خروش کانجابود کس‌ندیده‌است‌زیرچرخ کبود
همچنان‌این کشیدتاچل‌روز هیچ ساکن‌نشد دمی‌تف‌وسوز
روزوشب‌بودگفتشان‌همه‌این که‌شد آن گنج زیرخاك‌دفین
ذکراحوال‌وزندگانی او ذکر افوال‌و در فشانی او
ذکرعشق‌خداو تجریدش ذکرمستی‌و صدق‌و توحیدش
ذکرلطف‌وتواضع‌وکرمش ذکرحال وسماع چون ارمش
ذکرتذکیرووعظو گرمی‌او ذکر مهر و وفا و نرمی او
ذکراسرارولطف‌انوارش ذکر آن کشفها ز دیدارش
ذکرتقوی وحلم‌ورحمت‌او ذکر فتوی وعلم‌و حکمت او

از کتاب بستان‌السیاحه

برضمایر مهرمآثراولوالابصار مخفی ومستور نماند که ولادت باسعادت‌مولانا در قبة‌الاسلام بلخ من‌بلاد خراسان‌درششم‌ربیع‌الاول سنه ٦٠٤ ششصدو چهار هجری روی نمود

همان شراب کش بادهٔ خم‌جبروت همان همای‌بلند آشیان‌عرش‌نشین
رموز گوی‌ازل‌مولوی‌که‌دادنجات مقیدان هوا را زقید این سجین
زجلدهای کتابش‌که‌مینوشت‌گرفت جهات سته به پیرایهٔ ابد تزیین
سخن‌زمرتبهٔ‌شعراونه‌حدمنست که‌همچوعرش‌بلنداست‌وهمچوشرع‌متین

گویند آنجناب در پنج سالگی بهر سه چهار روز یکبار افطار میفرمود و در نسب از نسل ابوبکربن ابی‌قحافه خلیفهٔ اول بود بدین ترتیب :

هوابن بهاءالدین محمدبن حسین‌بن احمدالخطیب بن محمود بن ثابت بن مسیب بن مطهر بن‌حماد بن عبدالرحمن بن ابوبکر

ابأعن‌جدازعلماء نامدار عالیمقدار و از فضلاء کبار آندیار بودند و شیخ‌احمدالخطیب بلخی مریدقطب‌العارفین شیخ‌احمدغزالیست و فرزند ارجمند او شیخ حسین که‌جد مولاناست بغایت متقی و پرهیزکار و اسباب دنیوی در نظرش بیمقدار بود نقل است که در واقعه حضرت رسالت پناه صلعم خوارزمشاهرا فرمود که ما دختر ترا بشیخ حسین عقدکردیم تو نیز قبول کن و ایضاً وزیر خوارزمشاه همان خوابرا مشاهده نمود و شیخ حسین نیز درهمان شب خواب میبیند که حضرت رسول صلعم میفرماید که ماصبیهٔ خوارزمشاهرا بتو تزویج نمودیم خوارزمشاه بفرمودهٔ آنحضرت عمل نموده دختر پاکیزه گوهر خودرا بنکاح‌شیخ حسین درآورد و بهاءالدین محمد از آن عفیفهٔ مکرمه بوجود آمد چون بسن‌رشد و تمیز رسید بتحصیل علوم مشغول شده در اندك زمانی دراکثر علوم ماهر گردید و نیز در عنفوان شباب بعد از اکتساب علوم و آداب اولا تلقین ذکر از والد خود گرفته و او از پدرش امام احمد خطیب و بدینواسطه سلسلهٔ بهاء الدین متصل بشیخ احمد غزالیست بعداز آن صحبت شیخ‌الشیوخ نجم‌الدین کبری‌را دریافته است و از روی ریاضت و مجاهده با علی قلل مشاهده شتافته و مقبول همهٔ دلها شده و در بلخ متمکن میبوده و بدرس و فتوی نیز اشتغال مینموده‌و طالبانرا بکشف حقایق و معارف راهنمائی میکرده‌و از برای ارشاد عوام عقد مجالس نصایح و مواعظ می ساخته و بحال همهٔ طوایف میپرداخته و سلطان محمدخوارزمشاه از جملهٔ مریدان و معتقدان بوده و سید برهان‌الدین الترمدی که ازجملهٔ اقطاب بود ازمریدان آنجناب بشمار است که باتابکی‌مولانا جلال‌الدین محمدرومی اشتغال مینمود

آورده اند که شبی سیصد دانشمند مفتی از مشاهیر بلخ که از جملهٔ منکران بودند در خواب سیدکاینات را دیدند که درخیمهٔ سبز نشسته بود و مولانا بهاءالدین‌بازبدهٔ ممکنات صلی‌الله‌علیه‌وآله همنشین وحضرت‌رسول‌صلعم مولانارا نوازشها نموده‌وفرمودماترا سلطان‌العلماء لقب‌نهادیم آنجماعت چون‌بیدارشدندروی‌بخدمت‌مولانا نهادند وچون‌درراه‌بایکدیگر ملاقی‌شدند وازخواب‌دوشینه حکایت میکردند متعجب ومتحیر میماندندومولاناسلطان‌العلماء بعداز اداء صلوة‌واذکار بربام رفته بود و اینجماعت ازهیبت اینحال امکان در کوفتن‌ومجال‌اخبار نداشتند آخرالامرسراز بام فرو کرده‌فرمود : تاحضرت‌سیدالمرسلین‌علیه‌افضل‌الصلوات‌ازحال‌درویشان‌وروش‌ایشان اخبار نفرمودشمازنارانکارازمیان‌نگشودیدآنجماعت استغفار کردند ومریدومعتقدشدند.سلطان‌محمدبعداز استماع‌این‌کلام‌درخدمت‌اهتمام بیشتربتقدیم‌رسانیدوامام‌فخرالدین‌رازی‌نیز به‌تبعیت‌میآمدچه که‌معلم سلطان‌بود وجناب مولانا در اثنای موعظت مذمت مذهب حکمای یونان میفرمود و میگفت: جمعی که کتب آسمانی را در پس پشت انداخته و اقاویل وعقاید فلاسفه پیش گرفته اند چگونه امید نجات داشته باشند

امام‌فخرالدین ازاینمعنی عرق حسدش میجنبید ودائماً بگردسعایت وفساد میگردید امافرصت‌نمیدید اتفاقاًروزی سلطان‌بزیارت‌مولانا آمده‌بود کثرتی عظیم باشکوه بیش‌از پیش دید وفخرالدین‌رازی راخطاب کرده و گفت بیحد کثرتی مشاهده میشود وی‌فرصت‌یافته گفت اگر بتدبیر دفع این کثرت‌نشود بیم‌است که‌در ارکان‌سلطنت خلل افتد بواسطهٔ آنکه طباع برحسد مجبولست این‌سخن واهی برسلطان اثر کرده فرمود که‌تدبیر باید نمود درجواب گفت‌صواب آنست که کلید خزائن و قلاع را بخدمتش بفرستیم و بگوئیم که امروزجمعیت و کثرت آنحضرت راست وبواسطهٔ‌استیلای مریدان وشوکت معتقدان وهنی درامور مملکت ظاهر گشته و بجز کلید دردست‌ماراختیاری نمانده‌یا کلیدهاراقبول کنند یا ازدارالسلطنه بیرون روند وازمملکت‌هر کجا خواهند متمکن شوند چون‌براین سیاق عمل کردند دمار ازدودمان خویش‌برآوردند ازاستماع این سخن‌مولاناسخت‌برنجید وقسم‌یاد کرد که‌تامحمد خوارزمشاه‌پادشاه خراسان باشد بدانجا نیاید مثنوی

تادل مردخدا نامد بدرد هیچ قومی‌را خدا رسوا نکرد

گویند باعث انقراض دولت خوارزمشاهیان و تسلط چنگیزیان برمملکت‌ایشان نخست قتل مجدالدین‌بغدادی‌شد واومریدنجم‌الدین خوارزمی و مرشد شیخ فریدالدین عطار قدس الله اسرارهم بود وتفصیل احوال‌آن‌بزرگوار درکتب تواریخ مسطور است‌ودیگر رنجش خاطرمولانا بهاءالدین‌است.

نقلست که مولانا روز دیگر در میان مجلس گفت فردا عزم سفر دارم هر کرا ارادت درویشان‌است آماده‌باشدروزدیگر ازمریدان و معتقدان سیصد نفر درخدمتش روانه شدند درآنوقت‌مولانا جلال الدین بسن شش ساله بود و مولانا بهاءالدین در نیشابور باجناب شیخ فریدالدین عطار قدس سره ملاقات کرد وجناب شیخ کتاب اسرار نامه‌را که یکی از مؤلفات خودبودبمولانا جلال‌الدین‌عنایت نمود وببهاءالدین گفت که‌این فرزندرا گرامی‌بدار زودباشد که از نفس گرم آتش‌برافسردگان عالم زند مولانا بهاءالدین جناب‌شیخ را وداع‌نموده عازم بیت‌الله‌الحرام گردید و چون‌بدارالسلام بغداد رسید اکابرواعاظم و بزرگان مولانارا تعظیم تمام کردند و لوازم احترام نسبت‌بآن‌بزرگوار بجای‌آوردند مدت‌یکماه تفسیر بسم‌الله فرمود چنانکه‌تقریراول‌بثانی نسبت نداشت جمعی ازطرف سلطان علاءالدین کیقباد سلجوقی از کشور روم بدارالخلافه بغداد آمده بودند آن‌تقریردلپذیرازمولاناستماع نمودند وچون‌بروم‌باز گشتند دراثنای حکایات‌درحضرت سلطان از مناقب مولانا آنچه مشاهده کرده‌بودند عرضه داشتند سلطانرا درغیبت‌اعتقادی عظیم‌راسخ‌شد و دائماً تمنای ملاقات صوری‌داشت تا از تقدیر کردگار مولانارا عزیمت حجازافتاد وازحجازبطرف‌شام‌عبورفرموده‌ودرآنجامولانا برهان‌الدین ترمدی‌رحلت‌نمود آنجناب در حین‌وفات خدمت‌مولانا وصیت کرد که‌باید شما بطرف روم عزیمت نمائید که جهت شما در آن‌دیار فتوحی خواهد بود بنا بفرمودهٔ آن بزرگوار مولانا بمدینهٔ ارزنجان آمده در خانقاه عصمتیه تاج ملك خاتون که عمهٔ‌سلطان علاءالدین بود نزول نمود خاتون سعادت مقرون خدمات پسندیده بجای آورد و التماس کرد که آنجا متمکن شود قبول نفرمود وبزودی از آنجا عزیمت آنشهر نمود و فصل زمستان‌در آنجا اقامت کرد بعداز آن بطرف روم نهضت فرمود سلطان را معلوم شد که قرب منازل حاصل شده است قاصدان بخدمتش فرستاد استعجال حرکت مولانا نمود ملتمس سلطان باجابت لاحق شد چون بصحرای قونیه رسید سلطان باجمیع اکابروارکان‌دولت مولانارااستقبال نمود سلطان بعداز اظهار اخلاص و ارادت استر شمام نام که در گام‌زدن پیك باد شمال بود برسم نیاز پیشکش‌نمود وچندگام در رکاب مولانا پیاده رفت مولاناچندانکه مبالغه‌فرمود که سوار شود سلطان بر تواضع وفروتنی می افزود و میگفت جهت‌مزید دولت‌وسعادت خویش این‌عبودیت بتقدیم میرسانم‌آنگاه در منزلی که‌لایق آنجناب‌بود فرود آورد وچندان‌خدمات‌ومراعات نمود که عشر عشیرآن بشرح و بیان در نیاید در آن اوان مولینا جلال الدین بسن چهارده سالگی بود و در آن صغر سن از روی علوم وحکم عالمی بزرگ شده بود چون والد بزرگوارش در سنه ۶۳۱ هجری رحلت نمود مولانا بموجب وصیت والد بر مسند افاده قدم گذاشت ولوای نشر علوم و درس فنون وامر معروف و نهی منکر برافراشت

آورده اند که مولانا بعداز تحصیل‌علوم رسمی و اصطلاحی از اقسام علوم آنچه سیدبرهان‌الدین ازشیخ خود از حقایق مکتوم معلوم کرده‌بود مولانارا تعلیم‌و تلقین میکرد چون‌ذات‌ملك صفات اورا بریاضات و مجاهدات مکاشفات ومشاهدات دست داد و قابل اسرار احدی و محرم رموز کنوز احمدی شد بصحبت حضرت خضرعلی نبیناوعلیه السلام مشرف گشت و جمعی کثیر ازعرفای عصر را ملاقات نمود آخرالامر بخدمت تاج العارفین مولانا شمس‌الدین تبریزی رسیدوارادت آن‌جنابرا ازدل وجان‌برگزید ونسبت طریقت شمس‌الدین بجناب قطب الاولیاء و زبدت‌الاصفیاء علی‌بن موسی‌الرضاعلیه‌آلاف‌التحیة و الثناء میرسد براین‌موجب: شمس‌الدین مرید باباکمال جندی بود و او مرید شیخ نجم‌الدین خوارزمی و او مرید شیخ‌عمار بدلیسی واومرید شیخ نجیب‌الدین سهروردی و او مرید شیخ احمد غزالی واو مرید شیخ ابوبکر نساج واومریدشیخ ابوالقاسم کورکانی (و او مرید شیخ ابوعمران مغربی و او مرید شیخ ابو علی رودباری) و او مرید شیخ جنید بغدادی‌واومرید شیخ‌سری سقطی و او مرید شیخ معروف کرخی و او مرید و دربان علی‌بن موسی‌الرضا علیه التحیة والثناء بود

آورده‌اند که‌شمس‌الدین ولد علاءالدین‌بوداز نژاد کیا بزرگ‌امید گویندپدروی‌ترک‌مذهب‌اسمعیلی کرده شعار اسلام ظاهر نمود و در نهانی ولدخود شمس‌الدین‌را بخواندن علم به تبریز فرستاد و در آنجا علم وادب آموخت و انواع فضائل اندوخت جامی‌صاحب نفحات‌الانس آورده که شمس الدین از خاندان اسمعیلیان نیست بلکه‌او تبریزی‌الاصل پسربزازیست‌وبعضی‌گفته‌اند که‌اصل‌شمس‌الدین ازخراسان بوده وخود درشهر تبریز تولدنموده ودراین باب روایت دیگر نیزوارداشت راقم گوید شاخ گل هرجا که‌میروید گل‌است

نقلست که‌چون شمس‌الدین درعالم طلب سیاحت میکرد تا آنکه بخدمت باباکمال‌الدین جندی قدس‌سره رسید و به‌هزار جان ودل مریدش گردیدوقتی باباکمال جمعی از مریدانرا که‌ازآنجمله‌شیخ بهاءالدین زکریا و شیخ فخرالدین عراقی و امیر حسین هروی بودند در خلوت نشاند وشمس‌الدین را نیز بریاضت و خلوت امر کردشیخ فخرالدین عراقی لوایح اسرار را بصورت لوامع و اشعاراملا نموده بعرض شیخ کمال‌الدین‌رسانیدوشمس‌الدین اظهار اینمعانی نمیکرد روزی آن بزرگوار فرمود فرزند شمس‌الدین از حقایق و اسرار که فرزند فخرالدین باظهار آن قیام مینماید برتوهیچ لایح نمیشود عرض‌نمود بیش‌از آن حقایق مشاهده‌می‌افتد او از جهت‌اشتغال‌بمصطلحات‌علوم‌بعبارتی‌مناسب کشف‌بعضی‌اسرار مکتوب‌میتواند کرد ومرا دست‌نمیدهدشیخ‌فرمود که‌باریتعالی ترا مصاحبی‌روزی کند که‌معارف‌وحقایق‌اولین‌وآخرین‌را بنام‌تواظهار کندوینابیع‌حکمت‌ازدل‌اوبرزبانش‌جاری‌شودوهمهٔ آن کسوت‌مقالات مطرزبنام‌تو باشدبعداز آن‌باباکمال‌فرمود که‌ترابطرف‌روم‌بایدرفتن‌ودر آنجاسوخته‌ایست‌میبایداورامشتعل کردن‌شمس‌الدین‌بموجب‌فرمودهٔ وی عمل‌نموده متوجه روم گردیدودرحین گردش آن‌مرزوبوم‌بشهر قونیه‌رسیدودرکاروانسرای‌شکرفروشان‌منزل گزید

روزی‌دربازارمولاناجلال‌الدین براستری‌سواربکوکبهٔ تمام‌عبور مینمود و شمس‌الدین اورا دیده بفراست مطلوب‌را شناخت و در رکابش روان‌شده پرسید که‌غرض‌از مجاهده و دانستن علوم‌چیست

مولانا گفت روش سنت و آداب شریعت است شمس الدین فرمود این خود ظاهر است مولانا گفت ورای آن چیست شمس الدین گفت که علم آنست که ترا بمعلوم رساند و بشاهراه حقیقت کشاند و این بیت سنائی را برخواند

علم کز تو ترا نه بستاند جهل از آن علم به بود بسیار

مولانا از استماع این سخن متأثر و متحیر گشته مرید شمس الدین گردید و بروایت دیگر چون شمس الدین بقونیه رسید مولانا را ملاقات نمود در حالتی که مولانا در کنار حوض نشسته بود و کتابی چند پیش خود نهاده شمس الدین از مولانا پرسید که این چه مصاحفست مولانا جواب داد که این را قیل و قال گویند ترا بآن چه کار است شمس الدین فی الحال کتابها را در آب انداخت و مولانا را متحیر ساخت مولانا از روی تأسف فرمود که ای درویش بعضی فواید والا بود که دیگر یافت نمیشود دیوانگی کردی وضایع ساختی شمس الدین دست دراز کرد یکان یکان همهٔ کتابها را بیرون آورد که آب در آنها اثر نکرده بود مولانا پرسید که این چه سر بود که بظهور پیوست شمس الدین فرمود که این از ذوق و حال است ترا از آن چه خبر بعد از آن باهمدگر صحبت بسیار داشتند و مولانا فرجی و وضع دستار مشابه او ساخت و طریقهٔ سماع آموخت و بیمن تربیت او علم معرفت بر سر عالم افراخت چنانکه میفرماید

هزاران درج در دارد بناگوش ضمیر من از آن الفاظ وحی آسای شکربار شمس الدین
ز عقل و روحها بگذر حجاب عقل برهم در دو سه منزل از آنسو تر ببین بازار شمس الدین

منقولست که چون مولانا ربودهٔ شمس الدین گردید مدت شش ماه در خلوت با او مینشست و می آرامید موالی مولانا شور و غوغا بر آوردند و بر شمس الدین طعن و تشنیع آغاز کردند که سر و پا برهنهٔ و شکم گرسنهٔ ظهور نمود و مقتدای مسلمانان را گمراه کرده است شمس الدین بالضرورد بصوب تبریز روان گردید و مولانا را سوز عشق زبانه کشید و در فراق شمس الدین شعر های سوزناك گفتن گرفت آخر الامر طاقتش طاق شده سوی تبریز شتافت و بعد از زحمات بسیار مطلوب را دریافت در مثنوی از زبان وامدار بر اینمعنی اشارت نموده

ساربانا بار بگشا زاشتران شهر تبریز است و کوی دلستان
فر فردوس است این پالیزرا شعشعهٔ عرش است این تبریزرا
هر زمانی فوج روح انگیز جان از فراز عرش بر تبریزیان

مولانا و شمس الدین پس از چندی با یکدیگر بروم آمدند و چند گاه خالی از اغیار مشغول صحبت شدند باردگر دوستان مولانا که در حقیقت دشمنان بودند حسد و حقد آغاز نمودند

خدای تخم حسود از جهان براندازد اگر حسود نباشد جهان گلستانست

این بار شمس الدین بطرف شام فرار کرد و مدت دو سال در نواحی شام اقامت فرمود مولانا در آن مدت از فراق شمس الدین میسوخت و غزلهای عاشقانه میساخت و عشق شمس الدین بنیاد صبر مولانا را یکباره برانداخت آرام و قرار ازو گم گردید عاقبت مبلغ هزار دینار زر به پسر خود بهاء الدین ولد داده و گفت بزودی بسوی شام بخرام و شمس الدین را در مقام صالحیه خواهی دریافت که با فرنگی زادهٔ شطرنج میبازد زینهار بخاطر خطرهٔ میار که آن پسر یکی از مردانست و از این راه آگاهش میسازد و این زر را بعتبهٔ شمس الدین ایثار کن و کفش آنحضرت را بسوی روم گردان و این ابیات را بخوان

بروید ای حریفان بکشید یار ما را بمن آورید حالی صنم گریزپا را
اگر او بوعده گوید که دم دگر بیاید مخورید مکر او را بفریبد او شما را

از این غزل بهمین دو بیت اکتفا نمود بهاء الدین بحکم والد بشام رفته آنچه از والد شنیده بود دید و آنچه فرموده بود بانجام رسانید و شمس الدین بصوب روم مصمم گردید در آنسفر بهاء الدین در رکاب شمس الدین مسافت یکماهرا پیاده طی نمود هر چند آنجناب مبالغه کرد که سوار شود بهاء الدین قبول نکرد و گفت شاه سوار شود و بنده سوار چگونه خواهد بود

آفرین خدای بر پدری که تو پرورد و مادری که تو زاد

چون شمس الدین بقونیه رسید مولانا بشرف مواصلت مشرف گردید آنجناب در اثنای صحبت اظهار بهجت از بهاء الدین میفرمود و گفت من ازو راضی شدم مرا سری بود و سری سر بتو دادم و سر به پسرت بخشیدم اگر بهاء الدین ولد را هزار سال عمر بودی و همه را در راه طلب رضای خدا صرف نمودی آنچه در این سفر اورا حاصل گشت هزار یك آن حاصل نشدی

نقل است که شبی شمس الدین با مولانا در خلوت صحبت میداشت و اعلام طریقت بر فراز حقیقت می افراشت ناگاه کسی از بیرون در بشمس الدین اشارت کرد مولانا گفت کیست آنجناب فرمود بقتلم میخوانند چون بیرون رفت مولانا صیحهٔ شنیده بیرون دوید چون نظر کرد قطرهٔ خون ریخته دید از آنزمان تاحال از شمس الدین چون عنقا نامیست بعضی گویند بمولانا در عالم واقعه شمس الدین گفت که مرا کشته بچاه انداختند چون مولانا از خواب بیدار شد بسر چاه رسید وجسد آن یوسف مصر ولایت را از چاه بیرون کشید و در مقام مناسب دفن نمود

راقم گوید اینقول بصحت اقربست چنانکه اکنون مزار آن بزرگوار در آن دیار مطاف طائف خلق روزگار است در نفحات مسطور است که باعث هلاك شمس الدین علاء الدین محمد که به تیرانه لیس من اهلك نشانه شده پسر ناخلف مولانا بود و علاء الدین بعد از اقدام بر آن امر شنیع بمرضی مزمن گرفتار گشته بسرای دیگر انتقال نمود و مولانا بجنازهٔ او حاضر نگشت

مخفی نماناد که در کیفیت ملاقات شمس الدین با مولانا اخبار متعدده وارد است که از طول کلام اندیشیده از تذکار آن عنان قلم باز کشید شهادت شمس الدین در سنه ٦٦١ هجری روی نمود

آورده اند که مولانا جلال الدین بعد از واقعهٔ هایلهٔ شمس الدین همواره غمگین میبود و علی الدوام زاری و بیقراری مینمود و آخر الامر خاطر حزین و دل اندوهگین خود را بصحبت و تربیت حسام الدین چلبی المعروف بابن اخی ترك تسلی فرمود نسب وی بدان کس میرسد که فرمود امسیت کردیاً واصبحت عربیا حسام الدین در حجر تربیت مولانا نشوونما یافته و مهر شفقت و مرحمت مولانا بروجنات حال وی تافته و محبوب و منظور مولانا بوده و بحسن طاعت و انقیاد بدرجهٔ عالی ترقی نموده است و کتاب مثنوی که مشهور در السنهٔ صغار و کبار مذکور است باستدعای حسام الدین مولانا بسلك نظم کشیده الحق کتابی بدین نظم و نسق بزبان فارسی چشم زمانه ندیده و گوش روزگار نشنیده است بمرتبهٔ مقبول و مطبوع عرفا گردیده که شیخ بهاء الدین عاملی با آنهمه فضل و کمال در تعریف آن میفرماید

من نمیگویم که آن عالیجناب هست پیغمبر ولی دارد کتاب
مثنوی معنوی مولوی هست قرآنی بلفظ پهلوی
مثنوی او چو قرآن مدل هادی بعضی و بعضی را مضل

در نزد محققان هر قوم پسندیده است چنانکه راقم در جمیع بلاد اقالیم سبعه دیده و شروحی بسیار بزبان فارسی و عربی و ترکی و هندی بر آن نوشته اند

نقلست که حسام الدین شبی اندیشه نمود که در خدمت مولانا استدعا نماید که بوزن منطق الطیر شیخ فرید الدین عطار قدس سره کتابی بنظم آورد و در صبح آنشب بنیت مذکور بخدمت مولانا مشرف گشته مرکوز خاطر را عرضه داشت مولانا بعد از استماع سخن حسام الدین کاغذی از دستار خود بیرون آورده بدست وی داد و فرمود که دیشب وقتیکه از خاطر تو گذشت بر من وارد گشت که اینگونه کتابی منظوم شود و انجام رسد لهذا این ابیات همانوقت از خاطر من سر زد

بشنو از نی چون حکایت میکند وز جدائیها شکایت میکند

اولین شعر کتاب مثنوی تا

درنیابد حال پخته هیچ خام پس سخن کوتاه باید والسلام

بعد از آن مولانا بگفتن مثنوی مشغول گشت از اول شب مولانا نظم نمودی و آخر شب حسام الدین بآواز بلند در حضور مولانا خواندی و بسمع مجلسیان رساندی نوبتی حسام الدین بخدمت مولانا معروض داشت که در وقت خواندن مثنوی گویا میبینم از غیب شمشیرها

کشیده اند و گردن منکران را میزنند مولانا تصدیق نموده گفت نیك دیدی چنانچه درمثنوی بدان اشارت نموده

دشمن اینحرف ایندم درنظر — شدممثل سرنگون اندرسقر
ای ضیاء الحق تودیدی حال او — حق نمودت پاسخ احوال او
دیدهٔ غیبت چوغیبت اوستاد — کم مباداز این جهان این دیدوداد

چون جلداول مثنوی بانجام رسید زوجهٔ مکرمهٔ حسام الدین بسرای جاوید خرامید بدانسبب یا بسبب دیگر اختلال دراحوال حسام الدین ظاهر گردید مدت دوسال [تنظیم مثنوی] بتعویق افتاد ومولانا بگفتن مثنوی لب نگشاد بعداز انقضای مدت مذکوره باردیگر حسام الدین ازخدمت مولانا اتمام مثنوی استدعا نمود چنانچه در اول جلد دوم اشاره برین فرموده

مدتی این مثنوی تأخیر شد — مهلتی بایست تاخون شیرشد
تا نزاید بخت تو فرزند نو — خون نگردد شیر شیرین خوش شنو
چون ضیاء الحق حسام الدین عنان — باز گردانید زاوج آسمان
چون بمعراج حقایق رفته بود — بی بهارش غنچها نشکفته بود
مثنوی که صیقل ارواح بود — باز گشتش روز استفتاح بود
مطلع تاریخ این سوداوسود — سال اندر ششصدوشصت ودوبود

آنگاه بجدتمام وسعی مالا کلام باتمام مثنوی قیام فرمود جلد ششم بپایان نرسیده عارضهٔ بربدن شریفش روی نمود ودرآن بیماری ازجهان فانی بعالم جاودانی انتقال فرمود چنانکه بهاء الدین ولد در آخر مثنوی برآن ایمائی مینماید

مدتی زین مثنوی چون والدم — شد خمش گفتش وراکای زنده دم
از چه رودیگر نمیگوئی سخن — بهر چه بستی در علم لدن
گفت نطقم چون شتر زین پس بخفت — نیستش باهیچکس تاحشر گفت
همچو اشتر ناطقه اینجا بخفت — او بگوید من دهان بستم ز گفت
قصهٔ شهزادگان نامد بسر — ماند نا سفته در سیم پسر
باقی این گفته آید بیزبان — با درون آنکه دارد زنده جان
فهم میگوید شتر چون خفت او — وقت رحلت آمد و جستن زجو
گفتگو آخر رسیدو عمر هم — مژده کامد وقت کز تن وارهم
درجهان جان کنم جولان همی — نگذرم زین نم در آیم دریمی

فقیر گوید ازمحققان ملک روم و دانشمندان آنمرز وبوم بکرات استماع نمود واز ثقات دیار مصر و شام مکررشنود که مولانا از آن مرض صحت یافته دفتر دیگر برمثنوی افزوده آنرا هفت جلد فرموده است چنانچه شیخ اسماعیل قیصری که عالم معالم سخن پروریست درحدود هزار واند هجری شرحی بردفتر هفتم نوشته ودر عنوان آن کتاب مدعیست که ناظم جلدهفتم جناب مولویست وازملحقات نیست چون بعداز تدوین جلد ششم گفته شده لهذا بغیراز کشور شام وروم شهرت نیافته است والله اعلم بحقایق الامور گویند این اشعار از جلدهفتم است

ای ضیاء الحق حسام الدین سعید — دولتت پاینده فقرت بر مزید
چونکه ازچرخ ششم کردی گذر — بر فراز چرخ هفتم کن مقر
سعد اعداداست هفت ای خوش نفس — زانکه تکمیل عدد هفت است وبس

شیخ نجیب الدین رضا تبریزی الاصل اصفهانی المسکن که در زمان شاه سلیمان صفوی پایهٔ سلسلهٔ ذهبیه بوده و کتاب سبع المثانی را ببحرمثنوی تألیف نموده درعنوان آن کتاب فرموده که درعالم واقعه مولانا بمن خطاب کرده فرمود که جلد هفتم مثنوی را توباتمام رسان بنابفرموده مولانا کتاب سبع المثانی را بنظم آوردم فقیر گوید آنچه نزد درویشان روم وشام وعربستان درخصوص جلد هفتم بصحت اقربست قول اولست (آندفتر درآخر همین کتاب مسطوراست) اصحاب معرفت بعداز دقت معلوم میکنند که ناظم آن جناب مولوی بوده یانبوده

معاصرین مولانا ـ آورده اند که درعصر مولانا جلال الدین قدس سره درکشور روم وایران وغیره عرفای عظام ومشایخ کرام بسیار بوده از آنجمله شیخ اوحدالدین کرمانی وشیخ بهاء الدین زکریاء ملتانی وشیخ نجم الدین رازی وشیخ مصلح الدین سعدی شیرازی وشیخ محی الدین الاعرابی وشیخ صدرالدین قونیوی وشیخ مؤیدالدین جندی وشیخ ابوالحسن مغربی الشاذلی وشیخ ابوالعباس المرسی وابن الفارس الحموی المصری وشیخ عزیزالدین نسفی وشیخ ابوالحسن علی الصعیدی المعروف بابن صباغ وشیخ فخرالدین عراقی وشیخ نجیب الدین بزغش شیرازی و شیخ برهان الدین ترمدی وشیخ نورالدین عبدالرحمن اسفراینی و شیخ جمال الدین جوزقانی وشیخ رضی الدین علی لالا غزنوی وشیخ سیف الدین باخرزی وشیخ سعدالدین حموی وشیخ ابومحمد عبدالله المغربی وشیخ یاسین المغربی و شیخ عفیف الدین سلیمان قلمانی وشیخ ابوالغیث الیمنی وشیخ صلاح الدین زرکوب وشیخ موسی سدرانی وشیخ صدرالدین فرغانی وعین الزمان جمال الدین وحاجی بکتاش ولی قدس الله اسرارهم که اکثر آن بزرگوارانرا در شهر قونیه وغیره ملاقات نموده وطریق معاشرت پیموده

در شهور سنه ٦٧٢ هجری درهمان دیاربدارالقرار انتقال نمودمزارفیض مدارش درغایت اشتهاروزیارتگاه ابنای روزگاراست (وفات خواجه نصیرالدین طوسی هم در اینسال اتفاق افتاده)

از ملوك زمان که معاصر آنجناب بودند هلاکوخان وآباقاآن خان در ایران وبندوقدار درمصروشام وعلاءالدین کیقبادسلجوقی درکشورروم وناصرالدین ایلتمش در هندوستان حکومت مینمودند وازفرقهٔ حکما محقق طوسی معاصر آن بزرگوار بوده

روزی اصحاب راخطاب کرده فرمود: اوصیکم بتقوی الله فی السروالعلانیه و بقلة الطعام وقلة المنام وهجران المعاصی والآثام و مواظبة الصیام ودوام القیام وترك الشهوات علی الدوام واحتمال الجفاء من جمیع الانام وترك مجالسة السفهاء والعوام ومصاحبة الصالحین والکرام وان خیرالناس ماینفع الناس وخیرالکلام ماقل ودل

پوشیده نماناد که سلسلهٔ مولوی دربلاد روم ومصروشام وعرب وجزایربحرروم ودیار روم ایلی وعراق عرب جاری و معمولست ودر نزدخوردو کلان واعیان ودانا ونادان وحاجب وسلطان مقبولست لباسی خاص مخصوص درویشان آن سلسله است وتاج نمدی بیدرز برسر گذارند ومشایخ ایشان عمامهٔ نیز برآن تاج بیندند وذکروفکر ومراقبت اورادوسماع وحلقهٔ ذکرجلی درمیان ایشان متداولست ودرهنگام سماع نی ودف میزنند درآن سلسله قانون است که چون خواهد کسی در آن طریقه درآید باید که مدت هزارویکروز خدمت نماید براینموجب که چهل روز خدمت چهارپایان کند وچهل روز خدمت فقرا نماید و چهل یوم آب کشی وچهل یوم فراشی وچهل یوم هیزم کشی وچهل یوم طباخی وچهل یوم حوائج ازبازار آوردوچهل یوم خدمات مجلس درویشان کند وچهل یوم نظارت نماید برین نسق تامدت مقرره تمام شود اگر چنانچه یکروز ازآنمدت ناقص گردد باید که خدمت را ازسر گیرد و چون تمام کند آنکس را غسل توبه دهند ازجمیع محرمات و کسوت از سرکارخانقاه بوشانند وتلقین اسم جلاله براو کنند وحجره جهت آسایش وعبادت بوی دهند وطریق ریاضت ومجاهده تعلیم وی نمایند وآنکس برآن قاعده وقانون مشغول شود تاآنکه صفائی درباطن او ظاهر گردد

مخفی نماند که صوفیه گفته اند که مولانا رامذهب شیعه بوده وبر طریقهٔ حقه عمل مینموده وبر اینمطلب شواهد بسیاراست والله اعلم

خلاصه شرح حال مولانا

مولانا جلال الدین محمدبلخی مشهوربه مولانای روم درششم ماه ربیع الاول سال ٦٠٤ هجری قمری در قبة الاسلام بلخ (یکی از چهار شهربزرگ خراسان که پیش ازهجوم مغول منتهای آبادی راداشته) متولدشده در سال ششصدونودونه بمعیت پدربزرگوارش ازخراسان بآسیای صغیر مهاجرت گزیده وهم آنجا درپنجم جمادی الاخرهٔ ششصدو هفتادوسه بریاض خلدخرامیده وپهلوی ضریح پدرش مدفون شده است

مولانا درشعر چنانکه دربسیاری از غزلهایش بطریق تلمیح آورده است خاموش تخلص میکرده و اورا علاوه بر جلال الدین بلقب خداوندگار نیزمیخوانده اند و اطلاق خداوندگار بمناسبت سلطنت وحکومت ظاهری وباطنی اقطاب برمریدان خود دراعتقادصوفیان تناسب تام دارد. شهرتش برومی یامولانای روم بواسطهٔ طول اقامت

در آسیای صغیر بوده . وچون سلجوقیان آن خطه‌را از امپراتوری روم شرقی منتزع کرده بودند شاخه‌ای ازسلسلهٔ سلجوقی که در آنجا استقرار یافت معروف بسلاجقهٔ روم شد . ولی لقب مولوی تازه‌است

نسب مولانا به‌دو واسطه به‌ابوبکر صدیق می‌پیوندد ومطابق تحقیقات آقای کاظم‌زادهٔ ایرانشهر بدین ترتیب است : جلال‌الدین محمدبن بهاءالدین محمدبن‌حسین‌بن احمدبن محمودبن مودودبن ثابت‌بن مسیب‌بن مطهربن حمادبن عبدالرحمن‌بن ابی‌بکرالصدیق

نیای مولانا حسین‌بن‌احمدخطیبی از افاضل خطهٔ‌خراسان‌بشمار میآمده از خاندان علم وعرفان وپدربرپدرازمشایخ کبار بلخ‌بوده بروایت شمس‌الدین احمد افلاکی درمناقب‌العارفین امام‌رضی‌الدین نیشابوری از اجلهٔ فقهای قرن ششم درمحضروی تلمذ کرده.جدهٔ مولاناازخاندان‌جلیل‌خوارزمشاهیان‌وظاهراً دختر قطب‌الدین‌محمدبوده

پدر مولانا بهاءالدین محمدبن‌حسین ملقب بسلطان العلماء مشهوربه‌بهاءالدین‌ولد معروف‌به مولانای‌بزرگ ازبزرگان‌صوفیان ایران‌تربیت‌یافتهٔ شیخ‌اجل‌ابوالجناب نجم‌الدین‌احمدبن‌عمرخوارزمی معروف به کبری بوده و خرقه‌اش به‌سبب عماریا سر و ابوالنجیب سهروردی‌به‌شیخ‌احمدغزالی‌میپیوسته.بروایت‌فریدون سپهسالار(از یاران‌مولانا که‌رساله‌ای‌درسوانح‌زندگانی‌مولانا گردآورده)شهرت‌علمی سلطان‌العلماء،باندازه‌ای،بودکه‌ازاقصای‌خراسان‌فتاوای‌مشکل‌رابحضرت او آوردندی ودرشهر بلخ مسند افاضت و ارشاد داشته خواص و عوام آن‌خطه اوراعظیم معتقدبودندپیوسته بامر معروف ونهی‌از منکراشتغال‌داشت‌وهرگاه که‌مجلس میگفتی گروه بیشماری از هر طبقه درپای منبر وعظش گرد میآمدند واوبرهمهٔ دلها مشرف‌بود

مسلك تصوف ازقرن‌پنجم هجری باینطرف درمیان مسلمین رونق و عظمت تمام‌یافته ازخواص گذشته در تودهٔ عوام هم منتشر شده‌بود . اقطاب مشایخ‌روش‌خویش‌را بدین ومذهب‌نزدیك ساخته سخنان‌ومجالس خودرابذکرخداورسول وآیات‌واحادیث‌میآراستند و در دورهٔ که بیشتر علماء فقه وحدیث بواسطهٔ تصدی شغل قضا آلایش مادی پیدا کرده حدود شرع را مهمل میگذاشتند رؤسای صوفیه به‌ترك‌دنیا و اعراض ازامراء و عزلت و انقطاع ظواهر حال خودرا میآراستند

بواسطهٔ‌مخالفتی که میان صوفیه و حکما بود سلطان‌العلماء علناً در محضر وبرسرمنبر بآنان بد میگفته وپیروان فلسفهٔ‌یونانرا گمراه و مبتدع میخوانده خصوصاً بامام فخرالدین محمدبن عمر رازی از بزرگان حکماو متکلمین‌عصر که‌در آن اوقات درخوارزم اقامت داشته استاد و مصاحب‌سلطان علاءالدین محمد خوارزمشاه بوده است تعریض میکرده

بروایت افلاکی سلطان العلماء درنتیجهٔ دسته‌بندی علماءمعقول ومنقول ومکدرساختن صفای آئینه خاطر خوارزمشاه نسبت بوی‌از سلطان‌ومردم بلخ رنجیده تصمیم بمهاجرت داد (از جملهٔ ساعیان‌نام امام‌فخروقاضی‌زین‌فزاری ورشیدقبائی‌ذکرشده‌است)سلطان‌العلماء در نیشابورشیخ عطارراملاقات نمود که‌اسرار نامه‌را بمولانا که‌در آنوقت پنجساله بود بخشیدواز آنجا بعزم‌حج بیت‌الله‌الحرام رهسپار بغداد شدوبروایت‌نورالدین‌عبدالرحمن‌جامی درنفحات‌الانس‌روزیکه باخانواده‌ومریدان بدارالسلام درآمد جمعی‌پرسیدند که : اینان‌چه طائفه‌اند ، ازکجا میآیندوبکجامیروند؟ گفت : من‌الله والی‌الله‌ولا قوة الاباالله . این سخن‌را بسمع‌عارف مشهورشیخ‌شهاب‌الدین‌عمربن محمد سهروردی‌رسانیدندفرمود:ماهذاالابهاءالدین البلخی؟وموکب سلطان‌العلماء را استقبال کرد

باحسن‌پذیرائی شیخ واقبال‌خواص اهل‌عرفان سلطان‌العلماء سه‌روز بیشتر دربغدادنمانده‌روزچهارم ازمرکزخلافت‌اسلامی روانهٔ حجازشد وپس ازگزاردن مناسك حج وتشرف بمدینهٔ طیبه بعزم بیت‌المقدس وزیارت‌مزارسایرانبیاءعظام‌ازحجازرهسپارشام گردید، اهل‌شام‌خواستند اورا نگاهدارند نپذیرفت وبطرف‌ارزنجان‌رفت و چهارسال‌در آن‌خطه‌رحل‌اقامت‌افکندوازفخرالدین‌بهرامشاه‌حکمران ارزنجان‌وپسرش‌علاءالدین‌داودشاه‌اقبالهادیدمولانادرهیجده‌سالگی درشهرلارنده بفرمان‌پدر گوهرخاتون دختر خواجه‌لالای‌سمرقندی را بهمسری اختیار کرد وبهاءالدین محمدمعروف بسلطان‌ولد و علاءالدین‌محمد ازین اقتران بوجودآمدند بروایت افلاکی‌سلطان العلماء،پس‌ازچهارسال اقامت‌درملاطیه وهفت‌سال‌درلارنده‌بخواهش علاءالدین کیقباد دوازدهمین پادشاه سلجوقی روم بشهر قونیه که دارالملك‌بودرفت. شاه‌وامیران‌بزیارتش آمدند و ازسرصدق دست ارادت دردامانش‌زده درمراعات‌جانب‌او لوازم‌اهتمام بعمل‌میآوردند وپای‌وعظش‌می‌نشستند واهل‌روم ازجان‌ودل بوی گرویدند .

ازانتقال‌سلطان‌العلماء به‌قونیه‌بیش‌ازدوسال نگذشته‌بود که‌تن بربستر ناتوانی‌نهاده درسنهٔ ششصدوبیست‌وهشت زندگانی‌رابدرود گفت.مردم‌شهردرعزای‌اورستخیزعظیم‌برپا کردند.سلطان‌علاءالدین یکهفته درمسجدجامع‌خوان‌نهاد ومالهابفقرابخش کرد.چون‌پدرسر درحجاب‌خاك کشیدمولانا که‌در آنهنگام‌بیست‌وچهارساله‌بودبخواهش پادشاه وامراء والحاح‌مریدان‌برجای‌وی برمسندوعظ وافادت‌نشست ویکسال‌تمام‌دورازطریقت،مفتی‌شریعت‌بود که‌سیدبرهان‌الدین‌محقق ترمدی ازشاگردان سابق‌سلطان‌العلماءوخواص‌اولیاء صوفیه‌بقونیه رسیدو درآنشهربساط‌ارشاد ودستگیری‌خلایق بگسترد ومولانارا در علوم ظاهری بیازمود و گفت : پدربزرگوارت راهم علم قال بکمال‌بود وهم‌علم‌حال چون درعلوم شریعت وفتوی‌جانشین‌اوشدی میخواهم که درعلم‌حال‌هم سلوکها کنی تاخلف‌صدق‌پدرباشی‌اگر مریدشوی مرادیابی وآنچه ازاو بمن رسیده دیدنیست نه آموختنی مولانا برغبت تمام براوبگروید وبروایت‌سپهسالار مدت نه‌سال‌سرو کارش باسیدبرهان‌الدین بودوبراهنمائی آنعارف کامل طریق‌سیر وسلوك‌میپیمود .بروایت افلاکی مولانا دوسال‌پس‌ازمرگ‌سلطان العلماء باشارت سید باچندنفرازمریدان پدربجانب‌شام عزیمت کرد تامرتبهٔ کمال خودرا درعلوم ظاهر باکملیت رساند . ابتدا درشهر حلب بمدرسهٔ حلاویه‌نزول فرمود و از حوزهٔ درس‌مدرس‌دانشمند آن‌مدرسه‌کمال‌الدین‌ابوالقاسم‌عمربن‌احمدمعروف‌بابن‌العدیم‌استفادها برد وپس‌از آنکه سه‌سال درحلب به‌تحصیل علوم‌اسلامی پرداخت رهسپاردمشق‌شد.علماومعارف‌شهرمقدمش‌را گرامی‌داشته‌درمدرسهٔ قدسیه فرودش‌آوردند وخدمات‌شایان بتقدیم‌رسانیدند .

مولانا چهارسال در کرسی‌شام که در آنهنگام مرکزبزرگان و مجمع‌علم‌وعرفان‌بودبه‌زهدوریاضت‌تمام‌درتکمیل‌معارف‌دینی‌کوشیدو هدایه‌را که‌کتاب‌جامعیست درفقه حنفی دارای شروح وتعلیقات و حواشی بسیارتألیف شیخ‌الاسلام برهان‌الدین‌علی‌بن‌ابی‌بکرمرغینانی نزداساتیدفن بدقت‌دیدوهم درین شهربفیض صحبت عارف مشهور محی‌الدین العربی وبزرگان‌دیگرنائل گردید

مولانا پس‌از هفت‌سال مسافرت بقونیه‌بازگشت و بدستور سیدبرهان‌الدین بریاضت‌پرداخته‌سه‌چلهٔ‌متوالی‌برآوردتانقدوجودش بی‌غش‌وتمام‌عیار بلکه سراپا نور گردید . چون‌جان‌پاك‌سیددرسنهٔ ۶۳۸ ازخاکدان‌تن بقرب قدس‌انتقال یافت مولانا در دارالملك قونیه برمسند ارشاد وتدریس متمکن گردیده به‌تربیت مستعدان همت گماشت‌مریدان‌بسیار بروی گردآمدند وپروانه‌وارپیرامن‌شمع وجودش‌میگردیده‌حضرتش‌را پیشوای‌دین‌ومفتی‌شریعت وراهنمای طریقت میشناختند

مولانا نزدیك‌پنج‌سال بسنت جدوپدرهم درمدرسه‌بتدریس فقه ودیگرعلوم‌اسلامی‌میپرداخت وهم‌برسم‌زهدپیشگان‌آنزمان‌مجلس وعظوتذکیرمنعقدساخته ومردم‌را تبشیر وتنذیرمیکرد. همه‌روزه طالبان علم که بگفتهٔ دولتشاه‌سمرقندی عده‌شان بچهارصد میرسید متناوباً درمدرس‌ومحضرش برای‌استفاده‌حاضر میشدندوصیتش در اطراف جهان‌منتشر گردید .

مولاناسرگرم تدریس وقیل‌وقال مدرسه‌بود فتوای شرعی

مینوشت وازیجوزولایجوز سخن‌میراند وخاق بعلوم‌ظاهر وزهدو ریاضت اوفریفته شده‌بخدمت‌ودعای وی‌تبرك‌میجستند که ناگهان آفتاب عشق‌وشمس‌حقیقت پرتوی‌بر آن‌جان‌پاک افکند. آن‌طوفان عظیم که‌این‌اقیانوس آرام‌را‌متلاطم‌ساخت شمس‌الدین‌محمدتبریزی ژولیده پیری‌از پیران‌صوفیه بود که نفسی گرم و جاذبه‌ای قوی و بیانی مؤثر داشت

بروایت افلاکی شمس‌الدین محمدبن‌علی‌بن‌ملك‌دادتبریزی (که گویندپدرش اصلا ازباوردخراسان‌بوده وبتجارت به آذربایگان رفته) ابتدادست ارادت بدامان‌شیخ ابوبکرزنبیل‌باف که‌در کشف القلب‌یگانهٔ‌زمان‌خودبود زده چون‌درسیروسلوك درجهٔ کمال یافت درطلب‌کاملتری سفری‌شد وسالها گردبلادوامصاربر آمده ازشهری بشهری راه‌میپیمودوبااهل راز وریاضت‌انس والفت مینمود پیوسته نمدسیاه میپوشیدوهمه‌جادرکاروانسرای منزل‌میکردوبخدمت‌چندین ابدال واوتاد و اقطاب رسیده اکابرصورت ومعنی‌رادریافته‌بود

شمس‌تبریز بامداد روزدوشنبهٔ ۲۶ جمادی‌الاخره سال۶۴۲ بقونیه‌رسیده درخان‌شکر ریزان نزول کرد . ودریك مجلس چنان مولانارا مجذوب وفریفتهٔ‌خودساخت که منبر ومحراب وحوزهٔ‌درس ومسند ارشادرا رهاکرده حلقهٔ‌بندگی‌اورا بگوش کشید !

آفتاب‌دیدارشمس چنان‌برروان‌مولانابتافت‌وآتش درخرمن هستی اوزد که‌هرچه جزمعشوق‌باقی‌بسوخت

چگونگی‌دیدارپیرتبریزی را بامولاناباختلاف‌ذکر کرده‌اند محی‌الدین عبدالقادر مصری مؤلف الکواکب المضیئه فی‌طبقات الحنفیه درسبب‌تجرد وانقطاع مولانا مینویسد که: روزی درحجره نشسته‌بودو کتابی چند پیرامون خودنهاده وطالب علمان بروی‌گرد آمده‌بودند شمس‌الدین‌قلندروار درآمد وسلام‌گفت ودرصف نعال بنشست واشارت‌بکتب کرده پرسید : این‌چیست ؟ مولانافرمود تو این‌ندانی‌هنوزاین‌سخن بانجام‌نرسانیده‌بودکه آتش‌در کتابهاو کتابخانه افتاد ! مولاناپرسید این‌چه‌باشد؟شمس گفت‌تونیزاین‌ندانی!برخاست وبرفت‌مولانامجردواربر آمدوترك‌مدرسه و یاران‌وفرزندان گفت.

مطابق روایت سلطان ولدپسرمولانادر ولدنامه:عشق مولانا بشمس‌الدین مانند جستجوی موسی‌است ازخضر که بامقام شامخ رسالت ورتبهٔ کلیم اللهی‌بازهم مردان خداراطلب میکرده .

مولانا که‌تا آنروز خلقش‌بی‌نیازمیشمردند نیازمندواربدامن شمس که از مستوران قباب‌عزت‌بود درآویخته یکجا اسیرعشق و جذبهٔ‌وی گردید ومطلوب‌را بخانه‌برده‌بااوبخلوت‌نشست ودربرآشنا وبیگانه ببست و آتش استغنا در محراب‌ومنبرزده ترك‌مسندفتوی‌و تدریس و کرسی‌وعظ وتذکیربگفت وباهمهٔ‌استادی درخدمت معلم عشق‌زانو زده نوآموز گشت

بروایت افلاکی‌این‌خلوت‌بچهل‌روزیاسه‌ماه کشید

شمس‌الدین‌بمولانا چه‌آموخت وچه‌فسون‌ساخت که‌او ازهمه‌چیز وهمه کس گذشته خودرا نیز درقمار محبت‌باخت برمامجهول‌است . ولی کتب مناقب وآثاربرین متفقند که‌مولانا پس‌ازین خلوت روش خودرا بدل‌ساخت ، وبجای‌قیل‌وقال‌مدرسه واهل بحث وجدل گوش به نغمهٔ‌جانسوز نی وترانهٔ دلنوازرباب نهاد، بااینکه قبلاشب‌تابصبح درنمازبود وهرسه‌روزیکبار روزه‌میگشاد ـ وچیزیکه‌مولانارا از همهٔ رسیدگان‌جهان ممتازمیسازد همین تحول‌روحانی است که در پیوستن‌به پیر تبریزی برای‌اوپیش آمد

برشاگردان ویاران‌مولانا که‌باچشمهای‌غرض‌آمیز بشمس‌الدین مینگریستند تمکین‌او که شیخ‌وشیخ‌زاده ومفتی‌ومدرس ومذکربود نسبت بمردیکه بنظرشان لاابالی وبیرون ازاطوار معرفت میآمد سخت گران‌وناگوارمینمود.مریدان نیز شکایت وتشنیع آغاز کردند فقها وزهادحتی عوام قونیه‌هم ازتغییر روش مولانا خشمگین شدند

بالاخره‌شمس پس‌از شانزده‌ماه ازگفتارورفتار ایشان که اورا ساحر وجادو میخواندند رنجیده بیخبرسرخویش گرفت و برفت .

مولانا درطلب اوبقدم جد ایستاد وپس‌از جستجوی بسیار خبریافت که گمشدهٔ‌او دردمشق شام‌است . نامه وپیام متواتر کرد وپیك‌درپیك‌پیوست ، غزلهای سوزناك سروده بخدمت شمس‌الدین فرستاد آن‌نامه های‌منظوم که‌قدیمترین اشعار تاریخی مولاناست‌در دل شمس اثربخشیده متمایل گردید که‌باردیگرعنان مهر بسوی‌آن عاشق دلسوخته بتابد . مریدان ویاران مولاناهم که‌در نتیجهٔ‌غیبت شمس‌الدین و پژمردگی ودلتنگی مولانا ازفیض دیدار وحلاوت گفتار وذوق تربیت‌اوبی‌بهره مانده موردبی‌عنایتی شیخ‌خود واقع گردیده‌بودند از کرده‌پشیمان گشته دست انابت دردامن غفران وی زدند . مولاناعذرشان‌پذیرفته‌فرزندخودسلطان‌ولدرابدمشق‌فرستاد

سلطان‌ولد نقودچندی نثارقدم‌شمس کردوبندگیها نموده پیغامهای پدررا برسانید دریای مهرشمس جوشیدن گرفت و گوهر های حقایق‌برسلطان ولدافشانده رهسپار قونیه گردید وسلطان‌ولد بیش‌ازیکماه ازسرصدق ونیاز پیاده درركابش راه میپیمود

مولاناازرسیدن شمس‌خاطرش چون گل ازنسیم‌صباشکفت مریدان‌ویاران‌پوزشها کردند وهریك‌باندازهٔ‌وسع‌خویش‌خوان‌نهاده وسماع دادند ـ مولاناچندی باپیر تبریزی تنگاتنگ‌صحبت داشته درخلوت بروی غیر ببستند ،گاهی‌هم بااوبصحرا رفته وخوش‌شور وغوغائی داشتند ولی‌رفته‌رفته بازمریدان ویاران مولانا وخواص وعوام‌قونیه درخشم آمده بدگوئی وشناعت‌آغاز کردند مولانارا دیوانه وشمس‌الدین را جادو خواندند

ظاهراً علت تشنیع فقها وزهاد و هیجان عوام آن بود که مولانا پس از اتصال به‌شمس ترك وعظ و تدریس گفته بسماع و رقص نشست وجامه ودستار فقیهانه‌را به فرجی هندباری و کلاه‌پشم عسلی بدل کرد وفرمود رباب‌را که ازقدیم‌العهد عرب چهارسوبود شش‌خانه ساختند وشب و روز بوجدوسماع‌پرداختند

مولانا مریدان قدیم‌خالص داشت که‌بعضی ازبلخ‌دررکاب‌پدرش بقونیه آمده‌بودند وعدهٔ‌هم دربلاد آسیای‌صغیربدین خاندان پیوسته بودند و اورا عالم ربانی وپیشوای بحق وشیخ‌راستین وقطب‌زمان میدانستند پس‌از آمدن‌شمس‌الدین وانقلاب حال‌مولانا دستشان‌از دامان شیخ‌خود کوتاه ماندتشنیع فقها وزهادهم مقوی این کدورت گشته آنانرابدشمنی‌شمس وامیداشت،احتمال قوی میرود که‌دسته‌ای ازخویشان وبستگان مولانا نیز که‌ازشکست کارخود نگران بودند با این گروه در آزار شمس‌الدین‌همدست‌شدند

بروایت سلطان‌ولد چون مریدان و یاران وبستگان مولانا بکین شمس کمربستند پیر تبریز دل‌ازقونیه برکند و مصمم‌شد که چنان رود که دیگر خبرش‌هم بدورو نزدیك نرسد . این سخن‌را با سلطان ولد در بین نهاد و ناگهان از میان همه گم‌شد و انجام کارش معلوم نشد !

چون‌شمس‌حقیقت‌درزیر ابراسرار ناپدید شد اخبار واراجیف که‌شایدبعضی‌از آنراهم دشمنان‌برای رنجش‌خاطرمولانا میساختند ازهم نمیگسست ، خبرمرگ وقتل وحیات شمس‌الدین همه‌روزه بگوش میرسید ، مولانادرجوش و خروش ومیان امید ونومیدی سرگردان بود و بروایت دولتشاه در آرزوی شمس میسوخت و قوالان رامیفرمود تاسرودعاشقانه‌میگفتندوشب وروزبسماع اشتغال داشتند وبیشتر غزلیاتش درفراق‌شمس‌الدین‌است .

چون ازمجموع اخبار مستفادشد که مشرق‌آفتاب عشق دمشق شام‌است وتشنیع فقیهان وجنبش‌عوام قونیه‌هم خاطر مولانارا سخت افسرده بود درطلب یار گمشده رهسپار شام گردید وخلقی بسیار درپی اوروان گشتند.مولانا دردمشق‌همچنان مجلس سماع ورقص ساز کردوپیوسته بافغان وزاری شمس‌تبریزی‌راازهرکوی وبرزن میجست‌ونمی‌یافت وازشدت اشتیاق ناله‌های پرسوز ازدل‌برمیآورد و اشعار غم‌انگیز میسرود . دمشقیانی که اهل دیدبودند بمولانا گرویده مال‌وخواسته در قدمش‌نثار میکردند وبرخی دیگر که‌از

سر کار آگهی نداشتند از حالاتش در شگفتی میماندند و میگفتند آن کیست که این بزرگ مردرا چنین فریفته و دلباختهٔ خود ساخته است.

چون کوشش مولانا در طلب شمس الدین بجائی نرسید ناچار باجمع مریدان بقونیه باز آمد و سماع بنیاد کرد و پس از سالی چند باز عشق شمس سر از گریبان جانش در آورده بار دیگر روی بدمشق نهاده ماهها درشام بجستجو گذرانید لکن این بار نومیدی تمام بحصول پیوست. ولی بقول سلطان ولد اگرچه مولانا شمس را بصورت در دمشق نیافت ولی بمعنی درخود یافت - پس از آنکه مولانا از وصول بشمس الدین نومید شد بقونیه باز گشته بتربیت و اصلاح خلق پرداخت و بجدی تمام به تکمیل ناقصان و ارشاد سالکان مشغول شد

مولانا که در علم و عرفان بمقام بلندی رسیده بود نظر باستغراقی که خود در کمال مطلق و جلوات جمال ربوبیت داشت پیوسته یکی از یاران گزین را بدستگیری و ارشاد طالبان برمیگماشت. نخستین بار صلاح الدین فریدون زرکوب قونوی را منصب شیخی و پیشوائی داد . یاران و مریدان که در آتش عشق نگداخته و در بوتهٔ ریاضت و سلوك از غش هوی و وهم پاك برنیامده بودند بجز مولانا هیچکس را قبول نمیکردند و شیخ صلاح الدین را که بروایت افلاکی مردی بیسواد و در بازار قونیه بزرکوبی روزگار میگذرانید برای دستگیری و راهنمائی سزاوار نمیدیدند بار دیگر سراز فرمان مولانا پیچیده بدشمنی صلاح الدین برخاستند و سخنان گزنده درحقش گفته بر آن شدند که اورا ازمیان بردارند مولانا علی رغم منکران حسود دیده بر شیخ صلاح الدین گماشت و عنایت و لطف را نسبت باو بحدی رسانید که پیوستگان و فرزندان خودرا فرمان داد تا دست نیاز در دامن وی زنند و از فرط علاقه فاطمه خاتون دختر صلاح الدین را برای سلطان ولد عقد بست ولی پس از دو سال صحبت بی انقطاع ناگهان شیخ صلاح الدین رنجور شد و بیماریش سخت دراز کشیده درسنهٔ ۶۵۷ در گذشت

بعد از مرگ صلاح الدین توجه مولانا بحسام الدین حسن چلبی معروف به ابن اخی ترك معطوف شد و اورا منصب شیخی داد حسام الدین از نخبهٔ مریدان مولانا بود که در زهد و تقوی و معرفت دارای مقامی رفیع و در رعایت دقایق شریعت بی نهایت مراقب بود

دوستی مولانا نسبت به چلبی بجائی رسید که لحظه ای خاطرش بی او نمیشکفت و اورا برفرزندان خود ترجیح داده و آنچه از زخارف دنیوی برایش میرسید فوراً بحسام الدین میفرستاد و یاران و مریدانهم که در طول مدت مهذب و مؤدب شده بودند پیشوائی چلبی را با کمال میل پذیرفته در پیشگاه او سر تمکین نهادند

بهترین یادگار ایام صحبت مولانا با شیخ حسام الدین نظم مثنوی معنویست که یکی از شاهکارهای ادبی ایران و بزرگترین و عالیترین اثر متصوفهٔ اسلام می باشد

سبب افاضهٔ این فیض از وجود مولانا چلبی بوده که چون میدید یاران بیشتر بقرائت آثار شیخ فریدالدین عطار نیشابوری و شیخ ابوالمجد مجدود سنائی غزنوی مشغولند شبی در خلوت از مولانا درخواست کرد کتابی بطرز منطق الطیر عطار یا الهی نامه سنائی (حدیقه) بنظم آرد مولانا فی الحال از سر دستار خود برگی که هجده بیت از آغاز دفتر نخستین مثنوی بر آن نوشته بود بیرون آورده بدست او داد

جذب و کشش حسام الدین بار دیگر دریای طبع مولانا را بجنبش در آورد و شور و شوق دیگر داد . شبها حسام الدین در محضرش می نشست مولانا ببدیههٔ خاطر شعر میسرود و رموز و اشارات عالم غیب را بشیوهٔ سخن گستری بیان میکرد و او مینوشت . چون دفتر نخستین مثنوی بانجام رسید همسر حسام الدین در گذشت و شیخ را پراکنده دل و غرق سکوت کرد طبع مواج مولانا هم که مشتری نمیدید از تلاطم افتاد دو سال تمام در نظم مثنوی تأخیر شد تا بار دیگر تفرق خاطر چلبی بجمعیت مبدل و خواهان انجام مثنوی شد

صحبت مولانا با شیخ حسام الدین پانزده سال امتداد یافت و یاران و مریدان از اثر صحبت آندو فوائد بیشمار میبردند و به ارادت تمام بخدمت آنان مسابقت میورزیدند مولانا از زحمت ناقصان تاحدی آسوده خاطر و در صحبت چلبی بود و یاران پروانه وار گرد شمع وجودش میگردیدند که ناگاه آن توانای عالم معنی به حمای محرق در بستر ناتوانی بیفتاد ، هرچه طبیبان بمداوا کوشیدند سودی نبخشیده مقارن غروب روز یکشنبه پنجم ماه جمادی الاخرهٔ سال ۶۷۲ در سن شصت و هشت سالگی روح پرفتوحش بریاض قدس اتصال یافت. بروایت افلاکی در شب آخر که مرض مولانا سخت شده بود خویشان و پیوستگان اضطراب عظیم داشتند و سلطان ولد هم هردم بیتابانه بسر پدر می آمد مولانا این غزل آتشین را نظم فرمود :

روسر بنه ببالین تنها مرا رها کن ترك من خراب شب گرد مبتلا کن

مسلمین قونیه از خورد و بزرگ در تشییع جنازهٔ مولانا حاضر شدند یهود و نصارای آنشهر نیز که صلح جوئی و نیکخواهی ویرا آزموده بودند بهمدردی اهل اسلام شیون و افغان میکردند . بروایت محمود مثنوی خوان در ثواقب مسلمین از یهود و نصاری پرسیدند که : شمارا با مولانا چه تعلق بوده است ؟ گفتند: اگر مسلمانان را بجای محمد بود ما را هم موسی و عیسی بود و اگر شمارا پیشوا و مقتدی بود ما را هم همان بود که قلب و فؤاد ماداند ؛ شیخ صدرالدین ابوالمعالی محمد بن اسحاق قونوی از بزرگان علماء تصوف و مشاهیر شاگردان شیخ محی الدین عربی بر مولانا نماز گزارد و از شدت بیخودی و درد پس از سلام شهقهٔ زده از هوش برفت جنازه را بحرمت تمام برگرفته در ارم باغچه نزد ضریح منور پدرش (سلطان العلماء) مدفون ساختند

بروایت افلاکی قاضی سراج الدین ابوالثنا محمد بن ابوبکر ارموی از اجلهٔ علماء عصر در برابر تربت مولانا این بیتها برخواند

کاش آنروز که در پای تو شد خار اجل دست گیتی بزدی تیغ هلاکم برسر
تا درین روز جهان بی تو ندیدی چشمم این منم بر سر خاك تو که خاکم برسر

مدت چهل روز یاران و مردم قونیه تعزیت مولانا میداشتند و با ناله و گریه برفوت آن سعادت آسمانی دریغ و حسرت میخوردند

علم الدین قیصر که بروایت افلاکی از اکابر قونیه بود باسرمایهٔ سی هزار درم همت بست که بنائی بر سر تربت مقدس مولانا بنیاد کند وزیر معین الدین سلیمان بن علی مشهور به پروانه اورا به هشتاد هزار درم نقد و پنجاه هزار درم دیگر حواله مساعدت فرمود و قبهٔ موسوم به خضراء بر مرقد مبارك تأسیس یافت علی الرسم چندقاری و مثنویخوان در سر تربت مولانا بودند. سلطان العلماء پدرش و پنجاه تن از اولاد و جانشینان مولانا آنجا مدفونند .

آثار مولانا

آنمقدار از آثار مولانا را که باقی مانده بدو قسمت منثور (فیه مافیه - مجالس سبعه - مکاتیب) و منظوم (غزلیات - رباعیات - مثنوی) میتوان تقسیم کرد

۱ - فیه مافیه - مجموعهٔ تقریرات مولانا است که در مجالس خود بیان فرموده و پسرش سلطان ولد یا دیگری از مریدان یادداشت کرده و بصورت کتاب در آمده - موضوع فصول و مجالس و نتیجهٔ آنها مسائل اخلاق و طریقت و نکات تصوف و عرفان و شرح و تبیان آیات قرآن و احادیث نبوی و کلمات مشایخست، بسال ۱۳۳۳ هجری قمری در تهران و بعد در هندوستان و شیراز چاپ شده است و ما برای نمونه پارهٔ از موضوعات مختلف آنرا در صفحهٔ ۳۳ آثار مولانا نقل کرده ایم

۲ - مجالس سبعه که عبارت از ۷ مجلس از مواعظ مولانا است که بر سر منبر بیان فرموده و نسخهٔ خطی آن در اسکدار در کتابخانه سلیم آقا محفوظ بوده و سه سال قبل با اجازهٔ آقای ولد چلبی افندی و بسعی آقای محمد فریدون نافذ در استانبول چاپ شده است و ما برای آنکه همه بتوانند بآن دسترسی داشته باشند عین آنرا جزء آثار مولانا نقل کرده ایم

۳ - مکاتیب مولانا - مجموعهٔ مراسلات او بمعاصرین است که اخیراً در استانبول بسعی آقای فریدون نافذ چاپ شده و ما ۷ مکتوب آنرا جزء آثار مولانا انتخاب کرده ایم

۴ - غزلیات - که بنام دیوان شمس معروفست و دوبار در هندوستان چاپ شده در حدود پنجاه هزار بیت میباشد که قسمتی از آثار دیگرانهم با اشعار مولانا مخلوط گردیده - اکثر غزلیات مولانا

باشور وبیقراری ازعشق وارادتیکه بشمس‌داشته ساخته‌شده و بنام شمس‌تبریزی تخلص کرده بقسمی که اگر کسی آگاه نباشد تصور میکند شمس‌شاعری‌بوده که اینهمه‌غزل را بنظم آورده(قریب صد غزل بنام صلاح‌الدین‌وحسام‌الدین وقریب‌دویست‌غزل هم نام خمش یاخاموش درمقطع آن‌ذکرشده) مابرای‌آنکه خوانندگان بسبك غزلیات مولانا آشناباشند ۲۳ غزل گلچین نموده‌درصفحات ۳٤ و ۳۵ چاپ کرده‌ایم.منتخب دیوان شمس که‌بوسیلهٔ‌رضاقلیخان هدایت انتخاب شده چندین‌مرتبه‌درتهران‌چاپ شده‌است

۵ـ رباعیات‌مولانا ـ درمطبعهٔ اختراستانبول‌بسال ۱۳۱۲هجری قمری‌چاپ‌شده متضمن ۱٦۵۹ رباعی‌است که قسمتی از آن بیشك متعلق بمولاناست وقسمتی‌مشکوك میباشد وبرای‌نمونه ۵٤رباعی درصفحه ۳٦ نقل شده‌است

٦ ـ مثنوی چنانکه سابقاً ذکر شد مثنوی را مولانا بخواهش حسام‌الدین چلبی‌شروع فرموده وازسال ٦۵۷ تا ٦٦۰ دفتر اول آنرا برشتهٔ نظم کشید وپس‌ازفترت دوساله‌به‌نظم‌دفتردوم‌پرداخت. تا انتهای دفتر ششم که از جهت مطلب بریده ومقطوع‌ماندو قصه شهزادگان‌بسرنیامده‌مولاناجان‌تسلیم فرمود وسوای ۱۸ بیت آغاز دفتراول که‌بخط مولانا نوشته‌شده بقیه‌را میفرموده‌و حسام‌الدین و سایرمریدان مینوشتند وبعد برای‌مولانا میخواندند اما دفترهفتم با یك‌مراجعهٔ اجمالی‌بابیات آن‌ازحیث‌طرزشعر و الفاظ غریب واعتقاد صاحب‌اسرار بامام‌فخررازی وغیره‌واضحست که‌ازمولانا نیست وما برای اینکه خوبی واستحکام اشعار مولانا واضح گردد بچاپ‌دفتر هفتم بدون‌شرح‌مبادرت ورزیده‌ایم تابدانند که هر که مثنوی‌ساخت مولانانمیشود.مثنوی قریب‌صد مرتبه‌درایران‌وهند واروپاو مصر و ترکیه‌چاپ‌شده‌وملاحسین کاشفی آنراملخص‌وبحسب‌مرام‌مرتب‌ساخته لب‌ولباب‌نامیده‌وچندین‌نفردیگرهم‌قسمتی‌از آنرابنام‌مثنوی‌الاطفال‌و خلاصة‌المثنوی ومنتخبات مثنوی وغیره گلچین نموده‌چاپ کرده‌اند

مثنوی حاضر

این‌بنده دردیماه‌سال۱۳۱٤درصددچاپ‌مثنوی‌برآمده‌وبرآنشدم که‌نسخهٔ‌چاپ‌مرحوم میرزامحمود خونساری‌راکه بتصحیح میرزای جلوه ودیگران رسیده بود عیناً باکشف‌الابیات بطبع‌رسانم اتفاقاً مثنوی خطی کهنه‌ای که بسال ۸٤۳ هجری نوشته شده بدست آمد که متأسفانه‌ازاول وآخرآن چندصفحه‌افتاده‌داشت‌وپس‌ازمقابله معلوم‌شدمثنوی‌محتاج اصلاح بسیاریست،دراین‌اثناآگاه‌شدم که‌نسخهٔ نفیسی‌ازمثنوی‌دراختیارحضرت‌استادی آقای‌سرتیپ‌عبدالرزاق‌مهندس بنایری‌است که بیك‌واسطه از روی‌خط بهاءالدین‌ولد پسر مولانا نوشته شده ونسخهٔ‌خطی‌دیگری ازاستاد معظم آقای ملك‌الشعراء بهار بعاریت گرفته شد که‌مولوی‌عبداللطیف‌با ٤۸ نسخهٔ‌مثنوی‌مقابله کرده وامتیازاتی داشت‌وهمچنین بدورهٔ مثنوی چاپ‌استاد نیکلسن ونسخ‌مرغوب چاپ هند و ایران مراجعه کرده در نتیجه مقابله‌کلیه نسخ فوق‌مثنوی‌حاضربدست‌آمد وبرای‌آنکه‌ابیات ملحقه بمثنوی که درنسخ قدیمه نیست (چون‌حتماً نمیتوان گفت که درمثنوی نبوده) امتیازی‌داشته باشد باعلامت ستاره(*)در جلو آن‌را نشانه کردیم تاخوانندگان محترم بدانند که‌آن‌ابیات دردونسخه کهنه خطی ومتن نسخه‌چاپ نیکلسن‌نیست وازدفترسوم که‌کلیه‌نسخ‌فوق مهیا بودبرای مزیدفایده‌نسخه بدلهائی‌هم درذیل ابیات افزودیم . اماذیل وشرح ابیات مشکله دفترنخستین رایکی‌ازمعاصرین‌نوشته وچون‌مطلوب واقع‌نشددفاتربعدراازروی‌هفت شرح‌مثنوی قدیم که‌حاجی‌سبزواری ومولوی‌عبداللطیف‌وغیرهم‌نوشته‌بودند گردآوردیم که‌همگانرابکارآید دفترهفتم‌را ازاین‌رو چاپ کردیم‌تاپارهٔ کوتاه‌فکران که‌تصورمیکنند مثنوی‌از حیث شعربرجسته‌نیست‌باشتباه‌خودبرخورده‌فرق مابین‌اشعار مولاناودیگرانرا که مثنوی‌هاساخته و هیچیك نتوانسته‌اندباوبرسند ملاحظه کرده باشتباه‌خود واقف گردند وبدانند که مثنوی علاوه‌بر توجه‌بمعنی‌وحقیقت از حیث ظاهر لفظهم آراسته و پیراسته است

پس‌ازخاتمه‌چاپ‌مثنوی درصدد تهیه کشف‌الابیات‌برآمده ودراینراه چهارسال رنج‌بردم ودرنتیجه کشف‌الابیات‌حاضربدست‌آمد که‌بانسخ سابق فرق واضحی‌ازحیث ترتیب منظم وسهولت‌مراجعه ومخلوط نبودن ب و پ و ج و چ و ک و گ و غیره دارد . اما کتاب لطائف‌اللغات‌فرهنگ‌جامعی ازلغات‌مثنوی بقلم‌مولوی‌عبداللطیف میباشد که‌درنتیجه صرف‌عمری درراه مداقه درمثنوی و تدریس آن ومقابله صدهانسخه‌بایکدیگر گردآورده،سابقاً نسخهٔ‌مغلوط‌وناقصی ازآن‌درهند بچاپ‌رسیده بود که‌بامراجعه بنسخ خطی‌نفیس‌تصحیح‌و درآخر کتاب‌ضمیمه گشت.وپس‌ازچاپ‌متن کتاب‌و کشف‌الابیات‌ولغت درصدد تهیه مقدمه برآمده‌برای‌آنکه‌مثنوی کاملا جامع‌باشد علاوه بر فهرست مطالب که بابتدای کتاب افزوده شد تمام مجالس سبعه وقسمتهائی ازسایرآثار مولانا ضمیمه‌شد وعلاوه برمآخذی که‌در ابتدای‌شرح‌حال‌ذکرشده رسالهٔ‌شرح حال بقلم سپهسالار وسه‌دفتر کتاب‌ولدنامه(که‌از آقای‌الفت خریداری‌شده)ومناقب‌العارفین‌هم‌در دسترس‌استفاده قرار گرفت.چهارقطعه‌عکس‌ازمولاناوآرامگاه او از کتاب آقای‌فروزانفر برداشته‌شده‌سه‌قطعه‌درابتدای‌مقدمه وقطعه چهارم دراینجا چاپ میشود

درگاه تربت مولانا

از آقای سیدیعقوب انوار که بامراجعه‌دقیق بمثنوی حاضر بنده راباشتباهات آن‌واقف ساختندوبرای‌تهیه‌غلطنامه‌استفاده‌بسیار کردم وازآقای علی‌قویم که کمکهای‌ذیقیمتی‌نموده‌اند تشکر کرده خداراسپاسگزارم که مقابله و چاپ مثنوی باهمه اشکالاتی که پیدا کرد وموانعی که برای آن پیش‌آمدپس‌از پنج‌سال‌پایان یافت.

دراینجا بامادهٔ‌تاریخی که‌شاعرشیرین گفتارمعاصر آقای‌پژمان‌برای چاپ‌مثنوی‌ساخته‌اندمطلب‌خودراخاتمه‌میدهم۲۰ر۱۲ر۱۹ محمدرمضانی

مثنوی آنشمع یزدانی فروغ — کش‌بود خورشیدحکمت‌زیرظل
کردچون‌ازمطلع‌خاورطلوع — پرتو مهرش فرود آمد به‌دل
خواست‌پژمان‌مطلعی‌خورشیدفر — تاطلوعش را بدان بخشدسجل
لیك چشم طبع و پای دانشش — این‌بتاریکی فروشد آن به گل
یاری‌ازشیخ‌بهائی‌جست‌وخواست — مصرعی خاطر فروزوغم‌گسل
آن‌بزرگ‌آوردسردرجمع‌وگفت — مثنوی باشد چوقرآنی مدل

۱۳۵۸

دیباچهٔ دفتر دوم مثنوی

بیان بعضی از حکمت تأخیر این مجلد دویم که اگر جملهٔ حکمت الهی بنده را معلوم شود در فواید آن کار بنده از آن کار فرو ماند و حکمت بی پایان حقتعالی ادراك او را ویران سازد و بدان کار نپردازد پس حقتعالی شمهٔ ازآن حکمت بی پایان مهار بینی او کند و اورا بدان کار کشد و اگر اورا ازآن فایده هیچ خبر نکند هیچ نجنبد زیرا که ویرا جنبانیدن از بهرآنست که ازبهرآن مصلحت آفریده شده است و اگر حکمت آن بر وی فرو ریزد هم نتواند جنبیدن چنانکه در بینی شتر اگر مهار نبودنرودواگر مهارسخت بزرگ بود هم نرود و فرو خسبد و اِنْ من شیئٍ الاّ عندنا خزائنه وما نُنزله الابقدرٍ معلوم خاك بی آب کلوخ نشود وچون آب بسیار بود هم کلوخ نشود والسماء رَفعها و وَضع المیزان بمیزان دهد هر چیز را نه بی‌میزان وبی حساب الا کسانی را که از عالم خلق مبدّل شده اند و تَرْزُقُ مَنْ تشاءُ بغیرِ حساب گشته‌اند وَمَنْ لَمْ یَذُق لَم بدرِ

پرسید یکی که عاشقی چیست ☆ گفتم که چو ما شوی بدانی

عشق و محبت بیحسابست جهة آن گفته اند که صفات حقست بحقیقت و نسبت او به بنده مجاز است یحبهم تمامست یحبونه کدامست والحمد لله حق حمده والصلوة علی محمدٍ و آله

دفتر دوّم مثنوی

مدّتی این مثنوی تأخیر شد (۱) مهلتی بایست تا خون شیر شد (۲) ۱ تا نزاید بُخت تو فرزند نو خون نگردد شیر شیرین خوش شنو

چون ضیاءالحقّ حسام‌الدین عنان باز گردانید ز اوج آسمان ۲ چون بمعراج حقایق رفته بود بی بهارش غنچها نشکفته بود

چون ز دریا سوی ساحل بازگشت چنگ شعر مثنوی با ساز گشت ۳ مثنوی که صیقل ارواح بود بازگشتش روز استفتاح بود (۳)

مطلع تاریخ این سودا و سود سال هجرت ششصد و شصت و دو بود ۴ بلبلی زینجا برفت و باز گشت بهر صید این معانی باز گشت

ساعد شه مسکن این باز باد تا ابد بر خلق این در باز باد ۵ آفت این در هوا و شهوتست ورنه اینجا شربت اندر شربت است

این دهان بر بند تا بینی عیان چشم بند آن جهان خلق و دهان ۶ ای دهان تو خود دهان دوزخی وی جهان تو بر مثال برزخی

نور باقی پهلوی دنیای دون شیر صافی پهلوی جوهای خون ۷ چون درو گامی زنی بی احتیاط شیر تو خون میشود از اختلاط

یك قدم زد آدم اندر ذوق نفس شد فراق صدر جنت طوق نفس ۸ همچو دیو از وی فرشته میگریخت بهر نانی چند آب از چشم ریخت

گرچه یك مو بُد گنه کو جسته بود لیك آن مو در دو دیده رُسته بود ۹ بود آدم دیدهٔ نور قدیم موی در دیده بود کوه عظیم

گر در آنحالت بکردی مشورت در پشیمانی نگفتی معذرت ۱۰ زانکه با عقلی چو عقلی جفت شد مانع بد فعلی و بد گفت شد

نفس با نفس دگر چون یار شد عقل جزوی عاطل و بیکار شد ۱۱ چون ز تنهائی تو ناهیدی شوی زیر ظلّ یار خورشیدی شوی

رو بجو یار خدائی را تو زود چون چنان کردی خدا یار تو بود ۱۲ آن که بر خلوت نظر بردوختست آخر آنرا هم ز یار آموختست

خلوت از اغیار باید نی ز یار پوستین بهر دی آمد نی بهار ۱۳ عقل با عقل دگر دو تا شود نور افزون گشت و ره پیدا شود

نفس با نفس دگر خندان شود ظلمت افزون گشت و ره پنهان شود ۱۴ یار چشم تست ای مرد شکار از خس و خاشاك اورا پاك دار

هین بجاروب زبان گردی مکن چشم را از خس ره‌آوردی مکن ۱۵ چونکه مؤمن آینهٔ مؤمن بود روی او زآلودگی ایمن بود (٤)

یار آیینه است جان را در حزن بر رخ آیینه ای جان دم مزن ۱۶ تا نپوشد روی خود را از دمت دم فرو بردن بباید هر دمت

کم زخاکی چون که خاکی یار یافت از بهاری صد هزار انوار یافت ۱۷ آن درختی کو شود با یار جفت از هوای خوش زسر تا پا شکفت

درخزان چون دید او یار خلاف در کشید او رو و سر زیر لحاف ۱۸ گفت یار بد بلا آشفتن است چونکه او آمد طریقم خفتن است

پس بخسبم باشم از اصحاب کهف به ز دقیانوس باشد خواب کهف (٥) ۱۹ یقظه شان مصروف دقیانوس بود خوابشان سرمایهٔ ناموس بود

خواب بیداریست چون با دانش است وای بیداری که با نادان نشست ۲۰ چون که زاغان خیمه در گلشن زدند بلبلان پنهان شدند و تن زدند

زانکه بی گلزار بلبل خامش است غیبت خورشید بیداری کش است ۲۱ آفتابا ترك این گلشن کنی تا که تحت الارض را روشن کنی

آفتاب معرفت را نقل نیست مشرق او غیر جان و عقل نیست ۲۲ خاصه خورشید کمالی کان سریست روز و شب کردار او روشن گریست

مطلع شمس آی اگر اسکندری بعد از آن هرجا روی نیکوفری ۲۳ بعد از آن هرجا روی مشرق شود شرقها بر مشرقت عاشق شود

حسّ خفاشت سوی مغرب دوان حسّ دُرباشت سوی مشرق روان ۲٤ راه حس راه خرانست ای سوار ای خران را تو مزاحم شرم دار

پنج حسی هست جز این پنج حسّ آن چو زرّ سرخ و این حسها چو مس ۲٥ اندران بازار کایشان ماهرند حسّ مس را چون حس زرکی خرند

حسّ ابدان قوت ظلمت میخورد حسّ جان از آفتابی میچرد ۲٦ ای ببرده رخت حسها سوی غیب دست چون موسی برون آور ز جیب

ای صفاتت آفتاب معرفت و آفتاب چرخ بندهٔ یك صفت ۲۷ گاه خورشید و گهی دریا شوی گاه کوه قاف و گه عنقا شوی

---

(۱) در نفحات الانس مذکور است که بعد از آنکه مولانا بالتماس حسام الدین شروع در نظم مثنوی نمود و جلد اول باتمام رسید حرم حسام الدین وفات یافت درمیانه فترتی واقع شد بعد از دو سال حسام‌الدین بخدمت، نیازمندی بتقدیم رسانیده بقیهٔ مثنوی را استدعا نمود و بعد از آن شروع بنظم بقیه مثنوی نمودند تا آخر کتاب مولانا میفرمودند و حسام الدین مینوشت (۲) اشاره بآیهٔ ٦٨ درسورهٔ نحل (اِنّ لکم فی الانعام لعبرة تسقیکم مما فی بطونه من بین فرث و دم لبناً خالصاً سائغاً للشاربین) (۳) روز استفتاح پانزدهم رجب است وبجهت گشودن درهای آسمان و درهای بهشت یا درهای کعبه این نام بر این روز نهادند (٤) اشاره است بحدیث المؤمن مرآت المؤمن یعنی مؤمن آئینهٔ مؤمن است که حقیقت خویش را در وی بیند (٥) دقیانوس پادشاه و قیصر روم بوده که مردم را دعوت بپرستش خود و بت پرستی میکرد و اصحاب کهف معاصر و چاکر او بودند که فطرت توحید آنها را بدین اندیشه انداخت که اوخود مخلوقست وخدای یگانه را باید پرستید و یکدل و یك زبان ازو روی بگردانیده از شهر بیرون رفته با شبانی که در راه رفیق ایشان شد و سگ او بغار رفته مدت سیصد و نه سال در غار خواب رفتند چنانکه در قرآن و کتب تواریخ مسطور است .

تو نه این باشی نه آن در ذات خویش ای فزون از وهمها و زبیش بیش ۱ روح با علمست و با عقلست یار روح را با تازی و ترکی چه کار
از تو ای بی نقش با چندین صور هم مشبّه هم موّحد خیره سر ۲ گه مُشبه را مُوّحد میکند گه موّحد را صور ره میزند
گه ترا گوید ز مستی بوالحسن یا صغیرالسّن و یا رطب البدن(۱) ۳ گاه نقش خویش ویران میکند از پی تنزیه جانان میکند
چشم حسّ راهست مذهب اعتزال دیدهٔ عقلست سُنّی در وصال(۲) ٤ سخرهٔ حسّ اند اهل اعتزال خویش را سنی نمایند از ضلال
هر که درحسّ ماند او معتزلیست گر چه گوید سنی‌ام از جاهلیست ٥ هر که بیرون شد زحسّ او سنی است اهل بینش چشم حسّ خویش بست
❀ هر که ازحسّ خدا دید آیتی در بر حق داشت بهتر طاعتی ٦ گر بدیدی حسّ حیوان شاه را پس بدیدی گاو وخر الله را
گر نبودی حسّ دیگر مر ترا جز حس حیوان ز بیرون هوا ۷ پس بنی آدم مُکرّم کی بُدی کی بحسّ مشترك محرم شدی(۳)
نا مصوّر یا مصوّر گفتنت باطل آمد بی ز صورت رستنت ۸ نامصوّر یا مصوّر پیش اوست کوهمه مغزست وبیرون شد زپوست
گر تو کوری نیست بر اعمی حرج ور نه رو کالصّبر مفتاح الفرج ۹ پردهای دیده را داروی صبر هم بسوزد هم بسازد شرح صدر
آینهٔ دل چون شود صافیّ وپاك نقشها بینی برون از آب و خاك ۱۰ هم به‌بینی نقش وهم نقّاش را فرش دولت را وهم فرّاش را
چون خلیل آمد خیال یار من صورتش بت معنی او بت شکن ۱۱ شکر یزدان‌را که چون اوشد پدید درخیالش جان خیال خود بدید
خاك در گاهت دلم را میفریفت خاك بروی کو زخاکت میشکیفت ۱۲ گفتم ار خوبم پذیرم این ازو ورنه خود خندید برمن زشت رو
چاره آن باشد که خودرا بنگرم ور نه او خندد مرا من کی خرم ۱۳ او جمیلست و یحبّ للجمال کی جوان نو گزیند پیر زال(٥)
طیبات از بهر که للطیبین خوب خوبی را کند جذب ازیقین ۱٤ ❀ درهرآنچیزی که تو ناظرشوی میکند با جنس سیر ای معنوی
درجهان هرچیزچیزی جذب کرد گرم گرمی را کشید و سرد سرد ۱٥ قسم باطل باطلان را میکشد باقیانرا میکشند اهل رشد
ناریان مر ناریان را جاذبند نوریان مر نوریان را طالبند ۱٦ ❀صاف را هم‌صافیان طالب‌شوند درد را هم تیرگان جاذب بوند
❀ زنگ را هم زنگیان باشند یار روم را با رومیان افتاد کار ۱۷ ❀چشم چون بستی‌ترا تاسه‌گرفت نور چشم ازنور روزن کی شکفت
چشم چون بستی‌ترا جان کندنیست چشم را ازنور روزن صبرنیست ۱۸ تاسهٔ تو جذب نور چشم بود تا به پیوندد بنور روز زود
چشم باز ار تاسه گیرد مر ترا دان که چشم دل ببستی بر گشا ۱۹ آن تقاضای دو چشم دل شناس کو همی جوید ضیاء بی قیاس
چون فراق آن دو نور بی ثبات تاسه آوردت گشادی چشمهات ۲۰ پس فراق آن دو نور پایدار تاسه می آرد مرآن را پاس دار
او چومیخواند مرا من بنگرم لایق جذبم و یا بد پیکرم ۲۱ گر لطیفی زشت را در پی کند تسخری باشد که او بر وی کند
کی به بینم روی خود را ای‌عجب تاچه رنگم همچو روزم یا چوشب ۲۲ نقش جان خویش میجستم بسی هیچ می ننموده نقشم از کسی
گفتم آخر آینه از بهر چیست تابداند هر کسی که جنس کیست ۲۳ آینهٔ آهن برای لونهاست آینه سیمای جان سنگین بهاست
آینهٔ جان نیست الاّ روی یار روی‌آن یاری که باشد زان دیار ۲٤ گفتم ایدل آینهٔ کل را بجو رو بدریا کار بر ناید ز جو
زین طلب بنده بکوی تو رسید درد مریم را بخرمابن کشید(٤) ۲٥ دیدهٔ تو چون دلم را دیده شد صد دل نا دیده غرق دیده شد
آینهٔ کلی بر آوردم ز دود دیدم اندر آینه نقش تو بود ۲٦ آینه کلی ترا دیدم ابد دیدم اندر چشم تومن‌نقش خود
گفتم آخر خویش را من یافتم در دو چشمش راه روشن یافتم ۲۷ گفت‌وهمم کان خیال تست هان ذات خودرا از خیال خود بدان
نقش من از چشم تو آواز داد که منم تو تو منی در اتحاد ۲۸ اندرین چشم منیر بی زوال ازحقایق راه کی یابد خیال
در دو چشم غیر من تونقش خود گر به بینی آن خیالی دان و ردّ ۲۹ آنکه سرمهٔ نیستی در می کشد باده از تصویر شیطان میچشد
چشم او خانهٔ خیالست و عدم نیستها را هست بیند لاجرم ۳۰ چشم من چون سرمه‌دید ازذوالجلال خانهٔ هستی است نی خانهٔ خیال
تا یکی مو باشد ازتو پیش چشم در خیالت کوهری باشد چو یشم ۳۱ یشم را آنکه شناسی از گهر کز خیال خود کنی کلی عبر

هلال پنداشتن آن شخص خیال را در عهد عمر و تنبیه نمودن اورا

یك حکایت بشنو ای گوهرشناس تا بدانی تو عیان را از قیاس ۳۳ ماه روزه گشت در عهد عمر بر سر کوهی دویدند آن نفر
تا هلال روزه را گیرند فال آن یکی گفت ای عمر اینك هلال ۳٤ چون عمر بر آسمان مه را ندید گفت این مه از خیال تو دمید
ورنه من بیناترم افلاك را چون نمی بینم هلال پاك را ۳٥ گفت ترکن دست وبر ابرو بمال آنگهان تو بر نگر سوی هلال
چون که او تر کرد ابرو مه ندید گفت ای شه نیست مه شد ناپدید ۳٦ گفت آری موی ابرو شد کمان سوی تو افکند تیری از گمان

---

(۱) از بوالحسن مقصود مرد عارف و کامل است و رطب البدن بمعنی تر و تازه تن (۲) معتزله منکر رؤیت اند و میزان اقدام ایشان در این مسئله دو چیز است یکی تمسك بقول خدا که لا تدرکه الابصار و دیگری قیاس آخرت بر دنیا و اما محققان اهل سنت درجواب معتزله گویند که رؤیت دیگر است و ادراك دیگر رؤیت ممکنست و ادراك متعذر جرم آفتاب توان دید اما ادراك نتوان کرد و درجواب مطلب دوم میگویند باقی را با فانی نسبتی نیست و این ابیات مولوی مؤید این مطلب است که چشم حس مذهب اعتزال دارد و از رؤیت حق محروم است و دیدهٔ عقل دروصال سنی‌است یعنی قایل ومایل برؤیت (۳) اشاره باین آیه است (ولقد کرّمنا بنی آدم وحملناهم فی‌البر والبحر) و در اینجا مقصود ازحس مشترك حواس پنجگانه ظاهره است نه آن حس مشترك مصطلح که ازحواس باطنه (که عبارتند ازحس مشترك ، خیال ، وهم ، حافظه ، متفکره که آنرا متفرقه گویند) شمرده میشود (٤) معنی این دو بیت اینستکه نامصور یعنی ذات باری تعالی یا امور نا محسوس غیبی را که ازچشم ظاهر پنهان مستور است بعالم حس و شهادت آوردن و بر آئینه مقال تصویر نمودن باطل است بلی از صورت رفتن یا رستن تو یعنی تا تو از ورطات عالم صورت نگذری و مانند مغز از پوست طبیعت و عادت برنیائی ذات حق یا امور غیبی نامحسوس را نمیتوانی مصور ومحسوس خود و دیگران ساخت (٥) اشاره بحدیث نبویست یعنی حق تعالی جمیل حقیقی است و مظاهر متنوعه و حجابی متعدد جمال خودرا دوست میدارد و جمال کمال اسماء وصفات را مشاهده میفرماید (٦) اشاره باین آیه است در سورهٔ مریم (فاجائها المخاض الی جذع النخله) .

❀ چون یکی موکژ شد از ابروی او — شکل ماه نو نمود آن موی او ۱ موی کژ چون پردهٔ گردون شود — چون همه اجزات کژ شد چون بود
چونکه موئی کژ شد اورا راه زد — تا بدعوی لاف دید ماه زد ۲ راست کن اجزات را از راستان — سرمکش از راست رو زان آستان (۱)
هم ترازو را ترازو راست کرد — هم ترازو را ترازو کاست کرد ۳ هرکه با ناراستان هم سنگ شد — در کمی افتاد و عقلش دنگ شد
رو اشدّاء علی الکفار باش (۲) — خاك بر دلداری اغیار باش ٤ بر سر اغیار چون شمشیر باش — هین مکن روباه بازی شیر باش
تا ز غیرت از تو یاران نگسلند — زانکه آن خاران عدوی این گلند ٥ آتش اندرزن بگرگان چون سپند — زانکه این گرگان عدوی یوسفند
جان بابا گویدت ابلیس هین — تا بدم بفریبدت دیو لعین ٦ اینچنین تلبیس با بابات کرد — آدمی را آن سیه دل مات کرد
برسر شطرنج چست است این غراب — تو مبین بازی بچشم نیم خواب ۷ زانکه فرزین بند ها داند بسی — کو بگیرد در گلویت چون خسی
در گلو ماند خس او سالها — چیست آن خس مهر جاه و مالها ۸ مال خس باشد چو هست آن بی ثبات — در گلویت مانع از آب حیات
گر برد مالت عدوّی پر فنی ۹ رهزنی را بُرده باشد رهزنی

دزدیدن شخصی ماری را از مارگیری و گزیدن و کشتن او

دزدکی از مارگیری مار برد — ز ابلهی آن را غنیمت میشمرد ۱۱ وارهید آن مارگیر از زخم مار — مار کشت آن دزد خودرا زارزار
مارگیرش دید و پس بشناختش — گفت از جان مار من پرداختش ۱۲ در دعا میخواستی جانم از او — کش بیابم مار بستانم از او
شکر حق را کان دعا مردود شد — من زیان پنداشتم آن سود شد ۱۳ بس دعاها کان زیانست و هلاك — وز کرم می نشنود یزدان پاك
❀ مصلح است و مصلحت را داند او — کان دعا را باز میگرداند او ۱٤ ❀ وان دعا گوینده شاکی میشود — میبرد ظنّ بد و آن بد بود
❀ می نداند کو بلای خویش خواست ۱٥ وز کرم حق آن بدو ناورد راست

التماس کردن همراه عیسی علیه‌السلام از او زنده کردن استخوان را

گشت با عیسی یکی ابله رفیق — استخوانها دید در گور عمیق ۱۷ گفت ایروح الله آن نام سنیّ — که بدان تو مرده زنده میکنی
مر مرا آموز تا احسان کنم — استخوانها را بدان با جان کنم ۱۸ گفت خامش کن که این کار تو نیست — لایق انفاس و گفتار تو نیست
کان نفس خواهد زباران پاکتر — وزفرشته در روش چالاکتر ۱۹ عمرها بایست کادم پاك شد — تا امین مخزن افلاك شد
خودگرفتی این عصا دردست راست — دست را دستان موسی ازکجاست ۲۰ گفت اگرمن نیستم اسرار خوان — هم تو برخوان نام را براستخوان
گفت عیسی یارب این اسرار چیست — میل این ابله دراین گفتار چیست ۲۱ چون غم خود نیست این بیمار را — چون غم جان نیست این مُردار را
مُردهٔ خود را رها کردست او — مُردهٔ بیگانه را جوید رفو ۲۲ گفت حق ادبار گر ادبارجوست — خار روئیده جزای کشت اوست
آنکه تخم خار کارد در جهان — هان وهان اورا مجو درگلستان ۲۳ گر گلی گیرد بکف خاری شود — ور سوی یاری رود ماری شود
کیمیای زهر مار است آن شقی — بر خلاف کیمیای متّقی ۲٤ ❀ هین مکن برقول وفعلش اعتمید — کو ندارد میوهٔ مانند بید

اندرز کردن صوفی خادم را در تیمار داشت بهیمه و لاحول گفتن خادم

صوفئی میگشت در دور افق — تا شبی در خانقاهی شد قُنق ۲٦ یك بهیمه داشت درآخُر ببست — او بصدر صُفه با یاران نشست
پس مراقب گشت با یاران خویش — دفتری باشد حضور یار بیش ۲۷ دفتر صوفی سواد و حرف نیست — جزدل اسپید همچون برف نیست
زاد دانشمند آثار قلم — زاد صوفی چیست انوار قدم ۲۸ همچو صیادی سوی اشکار شد — گام آهو دید و بر آثار شد
چند گاهش گام آهودر خوراست — بعد ازآن خود ناف آهورهبراست ۲۹ چونکه شکر گام کرد و ره برید — لاجرم زان گام در کامی رسید
رفتن یکمنزلی بر بوی ناف — بهتر ازصد منزل گام و طواف ۳۰ ❀ سیر زاهد هر مهی تا پیشگاه — سیر عارف هر دمی تا تخت شاه
آن دلی کو مطلع مهنابها است — بهر عارف فتحت ابوابهاست (۳) ۳۱ با تودیواراست وبا ایشان دراست — با توسنگ و با عزیزان گوهراست
آنچه تو در آینه بینی عیان — پیر اندر خشت بیند بیش از آن ۳۲ پیر ایشانند کاین عالم نبود — جان ایشان بود دردریای جود (٤)
پیش از این تن عمرها بگذاشتند — پیشتر از کشت بر برداشتند ۳۳ پیشتر از نقش جان پذرفته اند — پیشتر از بحر دُرها سفته اند

مشورت کردن خدای تعالی با فرشتگان در ایجاد خلق

مشورت میرفت در ایجاد خلق — جانشان دربحر قدرت تا بحلق ۳٥ چون ملایك مانع آن میشدند — برملایك خفیه خنبك (٥) می‌زدند
مطلع بر نقش هر چه هست شد — پیش ازآن کاین نقش کل پابست شد ۳٦ پیشتر ز افلاك کیوان دیده اند — پیشتر از دانها نان دیده اند

---

(۱) اشاره باین آیه شریفه است کونوا مع الصادقین یعنی با راست گویان باشید میفرماید اجزای ظاهره و باطنه خود را ازراستان راست کن و از آستان راستان سرمکش زیرا که جز راست نتواند ترا راست آموزد و براه راست برد و بدین تمثل جوید که ترازو ازترازو راست شود اگر آن ترازو راست بود و کژ شود اگر کژ باشد بدین آیت استدلال کند که خدایتعالی در صفت مؤمنان فرماید اشداء علی الکفار رحماء بینهم (۲) اشاره به آیهٔ واقعه درسورهٔ فتح است (محمد رسول‌الله والذین معه اشداء علی‌الکفار رحماء بینهم تریهم رکعاً سجداً) یعنی محمد پیغمبر خداست و کسانیکه با اویند سخت گیرند برکافران و رحم کننده اند میان خود می بینی ایشانرا دائماً راکع و ساجد هستند در عبادت (۳) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ زمراست حتی‌اذا جاؤها وفتحت ابوابها یعنی‌چون مؤمنان بیایند ببهشت بسعادت دولت آن فایزگردند وگشاده باشد درهای آن پیش‌از رسیدن ایشان تا ایشان انتظارنکشند (٤) از جان ایشان مراد صور علمیه است و دریای جود که گفته بحرعلم خواسته که ذوات ذریات آدم را که همان صور علمیه باشد از آن بر آورد و بایشان فرمود الست بربکم قالوا بلی و این بلی را بحکم تکوین همه گفتند ولکن فراموش کردند مگر اقلّ قلیلی که بخاطر آوردند و بدان عهد وفا کردند و مقصود مولوی در این مقام همان شرذمهٔ قلیله است که بر سر عهد الست پایندگی نمودند و بمقام پیری ودستگیری گمگشتگان وادی حیرت رسیدند (٥) برهم زدن کفهای دست را با اصول مخصوص خنبك گویند ودرمجالس طرب این عمل غالباً معمول است .

بی دماغ و دل پر از فکرت بدند / بی سپاه و جنگ بر نصرت زدند ۱ آن عیان نسبت بایشان فکرتست / ورنه خود نسبت بدوران رؤیتست(۱)
❀ فکرچه آنجاهمه نوراست پاك / بهرتست این لفظ فکر ای فکرناك ۲ فکرت از ماضیّ و مستقبل بود / چون ازیندو رست مشکل حل شود
دیده چون بی کیف هر با کیف را / دیده پیش از کان صحیح و زیف را(۲) ۳ پیشتر از خلقت انگور ها / خورده می ها و نموده شور ها
در تموز گرم می بینند دی / در شعاع شمس می بینند فی ۴ در دل انگور می را دیده اند / در فنای محض شی را دیده اند
روح از انگور می را دیده است / روح ازمعدوم شی را دیده است ۵ آسمان در دورایشان جرعه نوش / آفتاب از جودشان زربفت پوش
چون از ایشان مجتمع بینی دو یار / هم یکی باشند وهم ششصدهزار ۶ بر مثال موجها اعدادشان / در عدد آورده باشد بادشان
مفترق شد آفتاب جانها / در درون روزن ابدانها (۳) ۷ چون نظر بر قرص داری خود یکیست / آنکه شد محجوب ابدان درشکیست
تفرقه در روح حیوانی بود / نفس واحد روح انسانی بود (۴) ۸ چونکه حق رشّ علیهم نوره / مفترق هرگز نگردد نور او
❀ روح انسانی کنفس واحده است / روح حیوانی سفال جامده است ۹ ❀ عقل جز از رمز این آگاه نیست / واقف این سر بجز الله نیست
❀ عقل را خود باچنین سودا چکار / کرّ مادر زاد را سُرنا چکار ۱۰ یکزمان بگذار ای همره ملال / تا بگویم وصف خالی زان جمال
در بیان ناید جمال خال او / هردوعالم چیست عکس خال او(۵) ۱۱ چون که من از خال خویش دم زنم / نطق میخواهد که بشکافد تنم
همچوموری اندراین خرمن خوشم / تا فزون از خویش باری میکشم ۱۲ کی گذارد آنکه رشك روشنی است / تا بگویم آنچه فرش وگفتنی است

بسته شدن تقریر معنی حکایت بسبب میل مستمعان باستماع ظاهر

بحر کف پیش آرد وسدّی کند / جر کند از بعد جر مدّی کند ۱۴ این زمان بشنوچه مانع شد مگر / مستمع را رفت دل جای دگر
خاطرش شد سوی صوفیّ قُنق / اندران سودا فرو شد تا عنق ۱۵ لازم آمد باز رفتن زین مقال / سوی آن افسانه بهر وصف حال
صوفی صورت مپندار ای عزیز / همچوطفلان تا کی ازجوزومویز ۱۶ جسم ماجوز ومویزاست ای پسر / گر تو مردی زین دوچیزاندرگذر
ور تو اندر نگذری اکرام حق / بگذراند مر ترا از نه طبق ۱۷

التزام کردن خادم تیمار بهیمه را و تخلف نمودن

بشنو اکنون صورت افسانه را / لیك هین از که جدا کن دانه را ۱۹ حلقهٔ آن صوفیان مُستفید / چونکه دروجد وطرب آخررسید
خوان بیاوردند بهر میهمان / از بهیمه یاد آورد آن زمان ۲۰ گفت خادم را که در آخُر برو / راست کن بهر بهیمه کاه و جو
گفت لاحول این چه افزون گفتن است / ازقدیم این کارها کارمن است ۲۱ گفت ترکن آن جوش را از نخست / کان خرك پیراست ودندانهاش سست
گفت لاحول این چه میگوئی مها / از من آموزند این ترتیبها ۲۲ گفت پالانش فرو نه پیش پیش / داروی منبل بنه بر پشت ریش(۶)
گفت لاحول آخر این حکمت گزار / جنس تو مهمانم آمد صد هزار ۲۳ جمله راضی رفته اند از پیش ما / هست مهمان جان ما و خویش ما
گفت آبش ده ولیکن شیر گرم / گفت لاحول ازتوام بگرفت شرم ۲۴ گفت اندر جو تو کمتر کاه کن / گفت لاحول اینسخن کوتاه کن
گفت جایش را بروب از سنگ و پُشك / وربود تر ریز بروی خاك خشك ۲۵ گفت لاحول ای پدر لاحول کن / با رسول اهل کمتر گو سخن
گفت بستان شانه پشت خر بخار / گفت لاحول ای پدر شرمی بدار ۲۶ ❀ گفت دم افسار را کوته ببند / تا ز غلطیدن نیفتد او ببند
❀ گفت لاحول ای پدر چندین منال / بهر خرچندین مرو اندر جوال ۲۷ ❀ گفت بر پشتش فکن جل زودتر / زانکه شب سرماست ای کان هنر
❀ گفت لاحول ای پدر چندین مگو / استخوان در شیر نبود تو مجو ۲۸ ❀ من ز تو استاترم در فن خود / میهمان آید مرا از نیك و بد
❀ لایق هرمیهمان خدمت کنم / من زخدمت چون گل وچون سوسنم ۲۹ خادم این گفت ومیان بربست چست / گفت رفتم کاه و جو آرم نخست
رفت و از آخُر نکرد اوهیچ یاد / خواب خرگوشی بدان صوفی فتاد ۳۰ رفت خادم جانب او باش چند / کرد بر اندرز صوفی ریشخند
صوفی ازره مانده بود وشد دراز / خوابها میدید با چشم فراز ۳۱ کان خرش درچنگ گرگی مانده بود / پار ها از پشت و رانش میربود

---

(۱) ضمیر بایشان راجع بملایك و ضمیر بدینها راجع بجان پیران است و اگر بدوران خوانده شود معنی چنین است که آن عیان نسبت بجان پیران بمنزلهٔ فکرتست یعنی مرتبهٔ دون و نسبت بآنها که دورند رؤیت است یعنی مرتبهٔ اعلا است (۲) زیف زر و سیم ناسره است و مقصود مولوی ازاین ابیات وصف حال پیر ومرشد واولیای حق باشد وایشان را برفرشتگان ومقرّبان عالم بالارجحان دهد چنانکه درابیات فوق میخواهد بفرماید ملایك بیخبر بودند که منع مینمودند و ولیّ کامل و پیر و مرشد بیش از آنکه بیاید همه چیز را میدانست (۳) دراین بیت و بیت بعد میخواهد بفرماید که ارواح در عالم خود که عالم بیرنگی باشد امر واحد بودند چون درون ابدان شدند از یکدیگر جدا گشتند وارواح مؤمنان در این عالم نیز مثل نفس واحده باشند که روح انسان و انسان کاملند و آنکه این مقام ندارد درصورت انسان و در معنی حیوانست و روح وی از تجرّد و یگانگی خارج و مانند سفال خشك است (۴) یعنی تفرقه و کثرت در روح حیوانیست و روح انسانی واحد است چه روح حیوانی جرمی است لطیف و بخاری که متولد میشود از لطایف اخلاط و منبعث میگردد از تجویف ایسر قلب و این بمقتضای ترکیب امتزاج عناصر و اخلاط طبیعی در نفس افراد انسانی مغایر یکدیگر و روح انسانی که جوهریست مجرّد از ماده بوساطت روح حیوانی که مطیهٔ تصرفات اوست تعلق پذیر و تصرف ببدن دارد واحد است و در مادهٔ نفس ناطقه متکلمین و حکماء و صوفیه با هم اختلاف دارند متکلمین مطلقاً منکرند و حکما بکثرت افرادش قائلند و صوفیه از عالم وجود مطلق نفس را واحد میدانند و میگویند بحسب تعلق بروح حیوانی و ارتباطی که بوسیلهٔ آن ببدن حاصل نموده کثرت پیدا کرد و مولوی در این مقام بمذهب صوفیه رفته و بیت ثانی را که حدیث انّ الله خلق الخلق ثُمّ رشّ علیهم من نوره در طی آن مندرج است دلیل واحد بودن روح انسانی ساخته و بیت ثالث مؤید اولست وتشبیه سفال جامد بروح حیوانی بجهت مطیه بودن اوست مر نفس ناطقه را که بمنزلهٔ ظرف شمرده اند و در دفتر چهارم در شرح انما المؤمنون اخوه شرح این معنی مبسوطاً بیان میکند (۵) خال اول باصطلاح صوفیه بمعنی کون باشد که عبارت از اعتبار حسّ وجود است چنانچه شمس الدین محمد مغربی گوید « الکون خال قد بدا من خدّه لقد تجلی خده من خاله و خال ثانی بمعنی تعیین حق است و اگر بحاء مهمله خوانده شود بارادهٔ معنی شأن نیز صحیح است (۶) داروی منبل گیاهیست که از برای بهبودی جراحت و زخم تازه بکار برند.

گفت لاحول این چه مالیخولیاست ای عجب آن خادم مشفق کجاست ۱ باز میدید آن خرش در راهرو گه بچاهی میفتاد و گه بگو
گونه گون میدید ناخوش واقعه فاتحه میخواند با القارعه ۲ گفت چاره چیست یاران جسته اند رفته اند و جمله درها بسته اند
باز میگفت ای عجب کان خادمك نی که باما گشت هم نان ونمك ۳ من نکردم باوی الا لطف ولین او چرا با من کند برعکس کین
هر عداوت را سبب باید سند ورنه جنسیّت وفا تلقین کند ۴ بازمیگفت آدم با لطف و جود کی بران ابلیس جوری کرده بود
آدمی مر مار وکژدم را چه کرد که همی‌خواهند اورا مرگ ودرد ۵ گرگ‌راخود خاصیت بدریدن‌است کاین‌حسد درخلق آخرروشن‌است
باز میگفت این گمان بد خطاست بربرادر اینچنین ظنم چراست ۶ بازگفتی‌حزم سوء الظّن‌تست(۱) هرکه بد ظن‌نیست‌کی ماندرست
صوفی‌اندر وسوسه و ان‌خرچنان که چنان بادا جزای دشمنان ۷ آن خرمسکین میان خاك وسنگ کز شده پالان دریده پالهنگ
خسته از ره جملهٔ شب بی‌علف گاه در جان کندن وگه در تلف ۸ خرهمه شب ذکرگویان کای اله جو رها کردم کم ازیکمشت‌کاه
با زبان حال میگفت ای شیوخ رحمتی‌که سوختم زین خام شوخ ۹ آنچه آن‌خر دید ازرنج و عذاب مرغ خاکی بیند اندر سیل آب
پس بپهلو گشت آن شب تا سحر آن خر بیچاره از جوع البقر ۱۰ ❀ ناله میکرد ازفراق کاه وجو مستمند از اشتیاق کاه و جو
❀ همچنین‌درمحنت ودردرد وسوز نالها میکرد از شب تا بروز ۱۱ روز شد خادم بیامد بامداد زود پالان جست و برپشتش نهاد
خرفروشانه دوسه زخمش بزد(۲) کرد با خر آنچه باسگ می سزد ۱۲ خر جهنده گشت از تیزی نیش کوزبان تا خر بگوید حال خویش

گمان بردن کاروانیان که مگر بهیمهٔ صوفی رنجور است

چونکه صوفی برنشست وشد روان رو در افتادن گرفت او هر زمان ۱۴ هر زمانش خلق بر میداشتند جمله رنجورش همی پنداشتند
آن یکی‌گوشش همی پیچید سخت واندگر درزیرکامش جست لخت ۱۵ وان‌دگر درنعل‌او میجست سنگ وان دگر درچشم او میدید رنگ
بازمیگفتند ای شیخ این زچیست دی نمیگفتی‌که شکراین خرقویست ۱۶ گفت‌آن خرکو بشب لاحول خورد جز بدین شیوه نباشد راه برد
چونکه قوت خر بشب لاحول بود شب مسبّح بود وروز اندرسجود ۱۷ ❀ چون نداردکس غم تو ممتحن خویش کار خویش باید ساختن
آدمی خوارند اغلب مردمان از سلام علیکشان کم جو امان ۱۸ خانهٔ دیو است دلهای همه کم پذیر از دیو مردم دمدمه
ازدم دیو آنکه او لاحول خورد همچوآن‌خر درسرآید درنبرد(۳) ۱۹ هرکه در دنیا خورد تلبیس دیو وزعدوی دوست روتعظیم وریو
در ره اسلام و بر پول صراط درسرآیدهمچوآن‌خر از خُباط(٤) ۲۰ عشوه های یار بد مینوش هین دام بین ایمن مرو تو بر زمین
صد هزار ابلیس لاحول آربین آدما ابلیس را در مار بین ۲۱ دم دهدگوید ترا ایجان ودوست تاچوقصّابی‌کشد از دوست پوست
دم دهد تا پوستت بیرون کشد وای آن‌کز دشمنان افیون چشد ۲۲ سرنهد بر پای تو قصّاب وار دم دهد تاخونت ریزد زار زار(۵)
همچوشیران‌صید خودراخویش‌کن ترك عشوهٔ اجنبیّ و خویش کن ۲۳ همچو خادم دان مراعات خسان بیکسی بهتر ز عشوهٔ ناکسان
در زمین مردمان خانه مکن کار خود کن کار بیگانه مکن ۲٤ کیست بیگانه تن خاکیّ تو کز برای اوست غمناکیّ تو
تا توتن‌را چرب وشیرین میدهی جوهر جان را نبینی فربهی ۲۵ گر میان مشك تن را جا شود روز مردن گند او پیدا شود
مشك را برتن مزن بر دل بمال مشك چه بود نام پاك ذو الجلال ۲٦ آن منافق مشك بر تن مینهد روح را بر قعرگلخن می نهد
بر زبان نام حق و بر جان او گند ها از کفر بی ایمان او ۲۷ ذکربا اوهمچوسبزهٔ‌گلخن‌است(٦) برسرمبرزگل‌است وسوسن است
آن نبات آنجا یقین عاریت است جای‌آن‌گل‌مجلس‌است وعشرتست ۲۸ طیّبات آمد بسوی طیبین مرخبیثین را خبیثاتست هین(۷)
کین مدار آنها که از کین گمرهند گورشان پهلوی کین داران نهند ۲۹ اصل‌کینه دوزخ است وکین تو جزو آن کلّ است وخصم‌دین‌تو
چون توجزو دوزخی‌هین‌هوشدار جزو سوی کل خودگیرد قرار ۳۰ ❀ ورتو جزو جنتی ای نامدار عیش تو باشد چو جنت پایدار
تلخ با تلخان یقین ملحق شود کی دم باطل قرین حق شود ۳۱ ای برادر تو همان اندیشهٔ ما بقی تو استخوان و ریشهٔ
گرگلست اندیشهٔ تو گلشنی ور بود خاری تو هیمهٔ گلخنی ۳۲ گر گلابی بر سرو جیبت زنند ورتو چون بولی برونت افکنند
طبلها در پیش عطاران ببین جنس را باجنس خودکرده قرین ۳۳ ❀ تورهائی جو ز ناجنسان بجد صحبت ناجنس گور است ولحد
جنسها با جنسها آمیخته زین تجانس زینتی انگیخته ۳٤ گر درآمیزند عود و شکرش برگزیند یك یك از همدیگرش
طبلها بشکست و جانها ریختند نیك و بد در همدگر آمیختند ۳۵ ❀ حق فرستاد انبیا را بهر این تاجدا گردد ازایشان‌کفرودین(۸)
حق فرستاد انبیا را با ورق تا گزید این دانها را برطبق ۳٦ ❀ مؤمن وکافر مسلمان و جهود پیش ازایشان جمله‌یکسان می‌نمود
پیش‌ازایشان ما همه یکسان بدیم کس ندانستی که ما نیك و بدیم ۳۷ بود نقد و قلب در عالم روان چون‌جهان‌شب‌بودوماچون‌شب‌روان
تا بر آمد آفتاب انبیا گفت ای غش دور شو صافی بیا ۳۸ چشم داند فرق کردن رنگ را چشم داند لعل را و سنگ را
چشم داند گوهر و خاشاك را چشم را زان میخلد خاشاکها ۳۹ دشمن روزند این قلابکان (۹) عاشق روزند این زرهای کان

---

(۱) اشاره بحدیث نبویست که فرمودند الحزم سوءالظن یعنی دوراندیشی بدگمانیست (۲) یعنی مانند کسانیکه کسب آنها خر فروشی است خرهای کند رو را هنگام عرضه بمشتری زخمی زده وبترسانند که تند رود ومشتری‌را فریب دهند وبهای تمام بفروشند (۳) دراینجا مقصود ازنبردنورد است که راه بریدن باشد (٤) خُباط بمعنی گام زدن بلغزش است (۵) یعنی با تو همدم وهم نفس شود وبصورت دوستان در آمده دشمنی کند وترا هلاك نماید (٦) اشارهٔ بکلام امیرالمؤمنین است که فرمودند نعمةالجاهل کروضة فی مزبله یعنی نعمت برجاهل نادان چون باغی است که در مزبله رسته است (۷) این آیه در سورهٔ نور است الخبیثات للخبیثین والخبیثون للخبیثات والطیبات للطیبین والطیبون للطیبات سخنان ناشایسته و ناپاك ازناپاکان ظاهر گردد وبدان متکلم گردند و پلیدان نیز شایسته اند سخنان پلید را زیرا طبایع ایشان بآن مایل است و از خبیث خباثت و از مردان پاك کلمات پاکیزه سرایت کند وپاکیزگان نیز درخورنه (۸) اشاره بآیه درسوره بقره است کان الناس امة واحده فبعث الله النبیین مبشرین ومنذرین یعنی مردم با هم‌آمیخته ویك طایفه بودند خداوند انبیا را فرستاد تا امتیاز نیك وبد دهند ومژده دهند نیکان وبترسانند بدان را (۹) از قلابکان مقصود کسانیست که زر وسیم مغشوش ناسره را سکه زده وبقلابی رواج دهند وکاف برای تصغیر وتحقیر اضافه شده است .

زانکه روز است آینهٔ تعریف او — تا ببیند اشرفی تشریف او ۱ حق‌قیامت را لقب زان روز کرد — روز بنماید جمال سرخ و زرد
پس حقیقت روز سرّ اولیاست — روزپیش‌مهرشان چون سالهاست ۲ عکس راز مرد حق دانید روز — عکس ستاریش شام چشم دوز
زان سبب فرمود یزدان والضحی — والضحی نور ضمیر مصطفی(۱) ۳ قول‌دیگر کاین‌ضحی‌راخواست‌دوست — ازبرای آنکه اینهم عکس اوست
ورنه برفانی قسم خوردن خطاست — خود فنا چه لایق گفت‌خداست ۴ از خلیلی لا اُحب الآفلین — پس‌فناچون‌خواست‌ربّ‌العالمین(۲)
❀ لااحب‌الآفلین گفت آن خلیل — کی فنا خواهد ازین ربّ جلیل ۵ باز و اللیل است ستاریّ او — وین تن خاکیّ زنگاری او
آفتابش چون برآمد زان فلك (۳) — باشب تن‌گفت‌هین ماودّعك (٤) ۶ وصل پیدا گشت از عین بلا (٥) — زان حلاوت شد عبارت ماقلی
هر عبارت خود نشان حالتیست — حال‌چون دست و عبارت آلتیست ۷ آلت زرگر بدست کفش گر — همچو دانهٔ کشت کرده ریگ در
والت اسکاف پیش برزگر — پیش‌سگ‌که استخوان درپیش‌خر ۸ بود انا الحق درلب منصور نور — بود اناالله در لب فرعون زور
شد عصا اندر کف موسی گوا — شد عصا اندر کف ساحر هبا ۹ زین‌سبب عیسی‌بدان همراه خود — در نیاموزید آن اسم صمد
کو نداند نقص بر آلت نهد — سنگ برگل زن توآتش کی جهد ۱۰ دست‌وآلت‌همچوسنگ‌وآهن‌است — جفت باید جفت شرط زادن‌است
آن‌که بی‌جفت‌است وبی‌آلت‌یکیست — درعددشکست‌وآن‌یك‌بی‌شکیست(٦) ۱۱ آنکه‌دوگفت‌وسه‌گفت‌وبیش‌ازاین — متفق باشند در واحد یقین
احولی‌چون رفع شد یکسان‌شوند — آن دوسه گویان یکی گویان‌شوند ۱۲ گر یکی گوئی تو در میدان ِاو — گرد بر میگرد از چوگان او
گوی آنکه راست وبی‌نقصان‌شود — کوززخم دست ِ شه رقصان شود ۱۳ گوش‌دارای‌احول اینهارا بهوش — داروی دیده بکش از راه گوش
بس کلام پاك در دلهای کور — می نیاید میرود تا اصل نور ۱٤ وان فسون دیو در دلهای کژ — میرود چون کفش کژ درپای‌کژ
گرچه حکمت را بتکرار آوری — چون تونا اهلی شود از توبری ۱۵ ور چه بنویسی نشانش میکنی — ور چه میلافی بیانش میکنی
او زتو رو درکشد ای پرستیز — بند ها را بگسلد بهر گریز ۱۶ ور نخوانیّ و به بیند سوز ِتو — علم باشد مرغ دست آموز تو
او نیاید پیش هر نا اوستا — ۱۷ همچو باز شه بخانهٔ روستا

یافتن پادشاه باز خویش را در خانهٔ کمپیر و مبتلا شدن

علم‌آن بازیست کو از شه‌گریخت — سوی آن کمپیرکو می‌آرد بیخت ۱۹ تا که تُتماجی پزد اولاد را — دید آن بازخوش وخوش زاد را
پایکش بست و پرش کوتاه کرد — ناخنش ببرید و قوتش کاه کرد ۲۰ گفت نا اهلان نکردندت بساز — پر فزود ازحدّ وناخن شد دراز
دست هر نا اهل بیمارت کند — سوی ما درآ که تیمارت کند ۲۱ مِهر جاهل را چنین‌دان ای‌رفیق — کژ رود جاهل همیشه در طریق
❀جاهل ار با تو نماید همدلی — عاقبت زخمت زند از جاهلی ۲۲ روز شه در جستجو بیگاه شد — سوی آن کمپیر وآن خرگاه‌شد
دید ناگه باز را در دود و گرد — شه براوبگریست زار ونوحه‌کرد ۲۳ گفت هرچند این جزای کارتست — که نباشی در وفای ما درست
چون کنی ازخلد در دوزخ قرار — غافل ازلایستوی اصحاب نار(۷) ۲٤ این سزای آن که از شاه خبیر — خیره بگریزد بخانهٔ گنده پیر
❀گنده پیرجاهل این‌دنیا دنی‌است — هرکه مایل‌شد بدوخواروغبی‌است ۲۵ ❀ هست دنیاجاهل وجاهل‌پرست — عاقل‌آن باشدکه زین جاهل‌برست
❀ هرکه باجاهل بود همراز باز — آن رسد با او که باآن شاهباز ۲۶ باز مبمالید پر بر دست شاه — بی زبان میگفت من کردم گناه
پس کجا نالد کجا زارد لئیم — گرتونپذیری بجز نیك ای کریم ۲۷ ❀ سرکجا بنهد ظلوم شرمسار — جز بدرگاه تو ای آمرزگار
لطف شه جان را جنایت جوکند — زانکه شه هر زشت را نیکوکند ۲۸ رو مکن زشتی که نیکیهای ما — زشت آید پیش آن زیبای ما
خدمت خود را سزا پنداشتی — تولوای جرم ازان افراشتی ۲۹ چون ترا ذکر و دعا دستور شد — زان دعا کردن دلت مغرور شد
هم سخن دیدی تو خودرا باخدا — ای بسا کس زین گمان افتد جدا ۳۰ گر چه شه با تو نشیند بر زمین — خویشتن بشناس و نیکوتر نشین
باز گفت ای شه پشیمان میشوم — توبه کردم نو مسلمان میشوم ۳۱ آنکه تو مستش کنی و شیر گیر — گر زمستی کژ رود عذرش پذیر
گرچه ناخن رفت چون باشی مرا — بر کنم من پرچم خورشید را ۳۲ ور چه پرّم رفت چون بنوازیم — چرخ بازی کم کند در بازیم
گر کمر بخشیم ُکه را بر کنم — ور دهی ِکلکی ِدلها بشکنم ۳۳ آخر از پشّه نه کم باشد تنم — ُملك نمرودی پیر برهم زنم

---

(۱) سورهٔ والضحی دوقسم تفسیر شده بعضی ضحی را همین بامداد صوری ظاهری گرفته‌اند و بعضی حقیقت نبوی و نور محمدی که این ابیات آنرا مشعر است (۲) اشارهٔ بآیهٔ واقعهٔ در سورهٔ انعام است در قصهٔ خلیل فلما افل قال لا احب الآفلین یعنی چون ابراهیم غروب کردن ستاره را دید گفت غروب کنندگان را دوست ندارم (۳) یعنی چون آفتاب حقیقت یا روح انور محمدی از فلك مبدعه برآمده وجودعینی خارجی گرفت با شب تن که طلوع آفتاب مستلزم نفی ظلمت اوست حق تعالی گفت‌که ترك نکرده است ترا پروردگار تو یعنی‌ذات مقدس محمدی که جامع نشئهٔ وحدت و کثرت است و استعلاء و استیلای آفتاب حقیقتش ماحی ظلمت‌کثرت نیست (٤) اشاره بآیهٔ واقعهٔ در سورهٔ والضحی است که فرموده والضحی واللیل اذاسجیّ ما وَدّعك رُبك وماقلی یعنی قسم بیامدادان وشب وقتی‌که فرو گیرد و تاریك شود که پروردگار تو وانگذاشته ترا و ایمن نداشته (٥) یعنی از عین بلا که متعین شدن حقیقت باین وجود عینی باشد باختلاط روح با جسد وصل پیدا گشت یعنی کمالات صوری و معنوی که حصول آن موقوف باختلاط روح بابدن بود حاصل آمد و از آن حلاوت وصل ماقلی یاما ابغضك عبارت شد واگرباینطریق گفته شود هم تواند بود که آفتاب روح محمدی ازحضیض تن باوج فلك حقیقت عروج نمود باشب تن گفت که ترك نکرده است ترا پروردگار تو یعنی این انتقال از دوری بداریست نه موت بل جسد مقدس از جمله احیاست و ازعین بلا مرگ صوریست و یوصل الحبیب الی الحبیب در آن ماده وارد شده وصل پیدا گشت (٦) در عدد شکست : از آن روی گوید که درعدد اول خلاف کرده‌اند زیرا که جمعی عدد آنرا دانند که نیمهٔ دوطرف خود باشد چون دو که نیمهٔ یك و سه بود و بدین تعریف یك را از عدد شماره نکنند و برخی‌گویند عدد یك است وهرچه از یك ترکیب‌کنند مأخذ دو که ازدو یکی‌مرکب شود وهمچنین الی‌مالایتناهی وبدین تعریف یك عدد اول اعداد بود پس درعدد شك کرده‌اند ودرآن یك که یگانهٔ مطلق است شك نبود (۷) لایستوی اشاره بآیهٔ واقعه در سورهٔ حشر است لایستوی اصحاب النار و اصحاب الجنة واصحاب الجنة هم الفایزون یعنی اصحاب دوزخ بابهشت یکسان نیستند و رستگار بهشتیانند .

در ضعیفی تو مرا بابیل گیر (۱) — هر یکی خصم مرا چون پیل گیر ۱ — قدر فندق افکنم گردد خریق(۲) — بندقم در فعل صد چون منجنیق
گرچه سنگم هست مقدار نخود — لیك در هیجا نه سرماند نه خود ۲ — موسی آمد در وغا با یك عصاش — زد بر آن فرعون و بر شمشیرهاش
هر رسولی یکتنه کان درزده است — بر همه آفاق تنها بر زده است ۳ — نوح چون شمشیر در خواهیدازو — موج طوفان گشت ازو شمشیر خو
احمدا خود کیست اسپاه زمین — ماه بین برچرخ وبشکافش جبین ۴ — تا بداند سعد و نحس بیخبر — دور تست این دور نی دور قمر
دورتست ایرا که موسیّ کلیم(۳) — آرزو می بردزین دورت مقیم ۵ — چونکه موسی رونق دور تو دید — کاندرو صبح تجلی میدمید
گفت یارب این چه دوررحمت است — آن گذشت ازرحمت اینجا رؤیت است ۶ — غوطه ده موسیّ خود را در بحار — از میان دورهٔ احمد برآر
گفت یا موسی بدان بنمودمت — راه آن خلوت بدان بگشودمت ۷ — که توزان دوری دراین دورای کلیم — پابکش زیرا دراز است این گلیم
من کریمم نان نمایم بنده را — تا بگریاند طمع آن زنده را ۸ — بینی طفلی بمالد مادری — تا شود بیدار و واجوید خوری
کو گرسنه خفته باشد بیخبر — وان دو پستان میخلد ازمهر در ۹ — کنتُ کنزاً رَحمةً مَخفیَّة (٤) — فانبعثت اُمّة مَهدیّةً
هر کراماتی که میجوئی بجان — او نمودت تا طمع کردی در آن ۱۰ — چند بُت بشکست احمد در جهان — تاکه یا رب گوی گشتند اُمتان
گر نبودی کوشش احمد تو هم — می پرستیدی چو اجدادت صنم ۱۱ — این سرت وارست از سجدهٔ صنم — تا بدانی حقّ او را بر اُمم
گر توانی شکر این رستن بگو — کز بت باطن همت برهاند او ۱۲ — مرسرت را چون رهانید از بتان — هم بدان قوّت تودل را وارهان
سر ز شکر دین از آن بر تافتی — کز پدر میراث ارزان یافتی ۱۳ — مرد میراثی چه داند قدر مال — رستمی جان کند ومجان یافت زال
چون بگریانم بجوشد رحمتم — آن خروشنده بنوشد نعمتم ۱٤ — گر نخواهم داد خود ننمایمش — چونش کردم بسته دل بگشایمش
رحمتم موقوف آن خوش گریهاست — چون گرست ازبهر رحمت موج خاست ۱۵ — تا نگرید ابر کی خندد چمن — تا نگرید طفل کی جوشد لبن

حلوا خریدن شیخ احمد خضرویه بجهة غریمان بالهام حقتعالی

بود شیخی دائماً او وام‌دار — ازجوانمردی که بود آن نامدار ۱۷ — ده هزاران وام کردی از مهان — خرج کردی بر فقیران جهان
هم بوام او خانقاهی ساخته — خان و مان و خانقه در باخته ۱۸ — احمد خضرویه بودی نام او — خدمت عشاق بودی کام او
وام او را حق ز هرجا میگزارد — کرد حق بهر خلیل ازریگ آرد ۱۹ — گفت پیغمبر که در بازارها — دو فرشته میکند دائم ندا
کای خدا تو منفقان راده خلف — وی خدا تومسکان را ده تلف ۲۰ — خاصه آن منفق که جان انفاق کرد — حلق خود قربانی خلاق کرد
حلق پیش آورد اسمعیل وار — کارد برحلقش نیارد کردگار ۲۱ — پس شهیدان زنده زین رویند وخوش — تو بدان قالب بمنگر گبروش
چون خلف دادستشان جان بقا — جان ایمن از غم و رنج و شقا ۲۲ — شیخ وامی سالها این کار کرد — می ستد میداد همچون پای مرد
تخمها میکاشت تا روز اجل — تا بود روز اجل میر اجل ۲۳ — چونکه عمر شیخ در آخر رسید — در وجود خود نشان مرگ دید
وام خواهان گرد او بنشسته جمع — شیخ برخود خوش گدازان همچو شمع ۲٤ — وام خواهان گشته نومید و ترش — درد دلها یار شد با درد شُش
شیخ گفت این بدگمانان را نگر — نیست حق را چار صد دینار زر ۲۵ — کودکی حلوا ز بیرون بانگ زد — لاف حلوا بر امید دانگ زد
شیخ اشارت کرد خادم را بسر — که برو آن جمله حلوا را بخر ۲٦ — تا غریمان چون که آن حلوا خورند — یك زمانی تلخ در من ننگرند
در زمان خادم برون آمد ز در — تا خرد آن جمله حلوا زان پسر ۲۷ — گفت اورا کاین همه حلوا بچند — گفت کودك نیم دینارست واند(۵)
گفت نی ازصوفیان افزون مجو — نیم دینارت دهم دیگر مگو ۲۸ — او طبق بنهاد اندر پیش شیخ — تو ببین اسرار سر اندیش شیخ
کرد اشارت با غریمان کاین نوال — نك تبرّك خوش خورید این راحلال ۲۹ — بهر فرمان جملگی حلقه زدند — خوش همی خوردند حلوا همچوقند
چون طبق خالی شد آن کودك ستد — گفت دینارم بده ای با خرد ۳۰ — شیخ گفتا از کجا آرم درم — وام دارم میروم سوی عدم
کودك ازغم زد طبق را برزمین — ناله و گریه بر آورد و حنین ۳۱ — ناله میکرد و فغان و های های — کای مرا بشکسته بودی هردوپای
کاشکی من گرد گلخن گشتمی — بر در این خانقه نگذشتمی ۳۲ — صوفیان طبل خوار لقمه جو — سگدلان همچو گربه روی شو
از غریو کودك آنجا خیر و شر — گرد آمد گشت بر کودك حشر ۳۳ — پیش شیخ آمد که ای شیخ درشت — تو یقین دان که مرا استاد کشت
گر بر استا روم دست تهی — او مرا بکشد اجازت میدهی ۳٤ — وان غریمان هم بانکار و جُحود — رو بشیخ آورده کاین بازی چه بود
مال ما خوردی مظالم میبری — ازچه بود این ظلم دیگر برسری ۳۵ — تا نماز دیگر آن کودك گریست — شیخ دیده بست وبروی ننگریست
شیخ فارغ از جفا و از خلاف — درکشیده روی چون مه درلحاف ۳٦ — بااجل خوش با ازل خوش شادکام — فارغ از تشنیع وگفت خاص وعام
آنکه جان درروی او خندد چوقند — از ترش روئیّ خلقش چه گزند ۳۷ — آن که جان بوسه دهد بر چشم او — کی خورد غم ازفلك وز خشم او
در شب مهتاب مه را بر سماك — ازسگان و عوعو ایشان چه باك ۳۸ — سگ وظیفهٔ خود بجا می‌آورد — مه وظیفهٔ خود برخ میگسترد

---

(۱) ابابیل مرغی است که ابرهه و سپاهی که اوبرای خرابی خانهٔ خدا بمکه آورده بود وپیلان که همراه داشت بوسیلهٔ آن مرغ هلاك گشت در قرآن مجید در سورهٔ فیل همین حکایت آورده که فرماید الم تر کیف فعل ربك باصحاب الفیل تا آخر سوره و مولوی در این چند بیت باین حکایت نظر دارد و باین قصه تمثل نماید (۲) خریق درّاننده و پاره کننده است و باد سرد سخت وزنده را هم خریق گویند و هردو معنی با بندق که گلوله سنگ وگل باشد و اصحاب فیل بدان هلاك شدند مناسب است (۳) در این بیت بدین معنی اشارت کند که ارباب تنجیم گویند هرچند زمان یکی از کواکب سبعهٔ سیاره مربی این جهانند و از زحل گرفته سرازیر بقمر آید و باز از سرگیرد وزمان بعثت حضرت رسول (ص) الی زماننا هذا دور تربیت با قمر بوده و هست و مقصود مولوی اینست که ارباب علم نجوم که مربی کلّ قمر و سایر کواکب را دانند و دور را بدان نسبت دهند بر خطا رفته اند و دور دور تواست و مربّی کل توئی و حضرت موسی چون در حالت مراقبت و بوحی ازجانب حق وعلم لدنّی پیغمبری دور ترا بدید و بدانست آرزوی آن میبرد که کاش در دور تو بودی واز امت توشدی و این آرزوی موسی بشرح مبسوط در حدیث وارد است (٤) اقتباس از حدیث قدسی است که کنت کنزاً مخفیا فاحببت ان اعرف فخلقت خلقاً لکی اعرف یعنی بودم گنج رحمت پنهانی پس دوست داشتم که شناخته شوم و آفریدم خلق را که شناخته گردم . (۵) اند در فارسی مانند بضع در عربی عدد مبهمست در میان دو تانه و در جزء نیز استعمال میشود چنانکه مولوی گوید نیم دینار و اند یعنی جزئی از نیم دینار

کارَکِ خود میگزارد هرکسی / آب نگذارد صفا بهر خسی ۱ خس خسانه میرود بر روی آب / آب صافی میرود بی اضطراب
مصطفی مه میشکافد نیم شب / ژاژ میخاید ز کینه بولهب (۱) ۲ آن مسیحا مرده زنده میکند / و آن جهود از خشم سبات میکند
بانگ سگ هرگز رسد درگوش ماه / خاصه ماهی کو بود خاص اله ۳ می خورد شه برلب جو تا سحر / در سماع از بانگ چغزان بیخبر
هم شدی توزیع کودك دانگ چند / همت شیخ آن سخا را کرد بند ٤ تا کسی ندهد بکودك هیچ چیز / قوّت پیران ازآن بیش است نیز
شد نماز دیگر آمد خادمی / یك طبق برکف ز پیش حاتمی ٥ صاحب مالیّ و حالی پیش پیر / هدیه بفرستاد کز وی بُد خبیر
چارصد دینار بر گوشهٔ طبق / نیم دینار دگر اندر ورق ٦ خادم آمد شیخ را اکرام کرد / وان طبق بنهاد پیش شیخ فرد
چون طبق را ازغطا وا کرد رو / خلق دیدند آن کرامت را ازو ۷ آه و افغان از همه برخاست زود / کای سرشیخان وشاهان این چه بود
این چه سرّ است این چه سلطانیست باز / ای خداوند خداوندان راز ۸ ما ندانستیم ما را عفو کن / بس پراکنده که رفت ازماسخن
ما که کورانه عصا ها می زنیم / لاجرم قندیلها را بشکنیم ۹ ما چوکرّان ناشنیده یك خطاب / هرزه گویان ازقیاس خود جواب
ما ز موسی پند نگرفتیم کو / گشت از انکار خضری زرد رو ۱۰ با چنان چشمی که بالا میشتافت / نور چشمش آسمان را میشکافت
کرده با چشمت تعصب موسیا / از حماقت چشم موش آسیا ۱۱ شیخ فرمود آن همه گفتار و قال / من بحل کردم شما را آن جدال
سِرّ این آن بودکزحق خواستم / لاجرم بنمود راه راستم ۱۲ گفت این دینار اگر چه اندکست / لیك موقوف غریو کودکست
تا نگرید کودك حلوا فروش / بحر بخشایش نمی آید بجوش ۱۳ ای برادر طفل طفل چشم تست / کام خود موقوف زاریّ دان نخست
❀ کام تو موقوف زاریّ دلست / بی تضرع کامیابی مشکل است (۲) ۱٤ ❀ گرهمی خواهی که مشکل حل شود / خار محرومی بگل مبدل شود
گرهمی خواهی که آن خلعت رسد / پس بگریان طفل دیده بر جسد ۱٥

ترسانیدن شخصی زاهدی را که کم گری تا کور نشوی

زاهدی را گفت یاری در عمل / کم گری تا چشم را ناید خلل ۱۷ گفت زاهد ازدوبیرون نیست حال / چشم بیند یا نبیند آن جمال
گر ببیند نور حق خود چه غمست / دروصال حق دو دیده چه کمست ۱۸ ورنخواهد دید حق را گو برو / این چنین چشم شقی گو کور شو
غم مخور ازدیدگان عیسی تراست / چپ مروتابخشدت دوچشم راست ۱۹ عیسی روح تو با تو حاضراست / نصرت ازوی خواه کوخوش ناصراست
لیك پیکار تن پر استخوان / بر دل عیسی منه تو هر زمان ۲۰ همچو آن ابله که اندر داستان / ذکر او کردیم بهر راستان
زندگیّ تن مجو از عیسیت / کام فرعونی مخواه از موسیت ۲۱ بر دل خود کم نه اندیشهٔ معاش / عیش کم نایدتو بردرگاه باش (۳)
این بدن خرگاه آمد روح را / یا مثال کشتئی مر نوح را ۲۲ ترك چون باشد بیابد خرگهی / خاصه چون باشد عزیز درگهی

تمامی قصهٔ زنده شدن استخوان ها بدعای عیسی علیه السلام

❀ چونکه عیسی دیدکان ابله رفیق / جز که استیزه نمیداند طریق ۲٤ ❀ می نگیرد پند او از ابلهی / بخل می پندارد او از گمرهی
خواند عیسی نامِ حق براستخوان / از برای التماس آن جوان ۲٥ حکم یزدان از پی آن خام مرد / صورت آن استخوان را زنده کرد
از میان بر جست یك شیر سیاه / پنجه بر زد کرد نقشش را تباه ۲٦ کله اش برکند ومغزش ریخت زود / همچو جوزی کاندر اومغزی نبود
گر ورا مغزی بدی زاشکستنش / خود نبودی نقص الا بر تنش ۲۷ گفت عیسی چون شتابش کوفتی / گفت زان رو که تو زو آشوفتی
گفت عیسی چون نخوردی خون مرد / گفت درقسمت نبودم رزق خورد ۲۸ ای بسا کس همچو آن شیر ژیان / صید خود ناخورده رفته ازجهان
قسمتش کاهی نه وحرصش چوکوه / جسته بی وجهی وجوه ازهرگروه ۲۹ ❀ جمع کرده مال ورفته سوی گور / دشمنان در ماتم او کرده سور
ای میسر کرده ما را در جهان / سخره و پیکار از ما وارهان ۳۰ طعمه بنموده بما وان بوده شست / آنچنان بنمابما آن را که هست (٤)
گفت آن شیرای مسیحا این شکار / بود خالص از برای اعتبار ۳۱ گر مرا روزی بدی اندر جهان / خود چه کارستی مرا با مردگان
این سزای آنکه یابد آب صاف / همچوخر درجوبمیزدازگزاف (٥) ۳۲ گر بداند قیمت آن جوی خر / او بجای پا نهد در جوی سر
او بیابد آنچنان پیغمبری / میر آبی زندگانی پروری ۳۳ چون نمیرد پیش او کز امر کن / ای امیر آب ما را زنده کن
هین سگ این نفس را زنده مخواه / کو عدوّ جان تست ازدیرگاه (٦) ۳٤ خاك بر سراستخوانی را که آن / مانع این سگ بود از صید جان
سگ نهٔ براستخوان چون عاشقی / دیوچه وارازچه برخون عاشقی (۷) ۳٥ آن چه چشمست آنکه بینائیش نیست / زامتحانها جز که رسوائیش نیست
سهو باشد ظنها را گاه گاه (۸) / این چه ظنست اینکه کور آمد براه ۳٦ کردهٔ بر دیگران نوحه گری / مدّتی بنشین و بر خود میگری
زابر گریان شاخ سبز و تر شود / نور شمع ازگریه روشن ترشود ۳۷ هرکجا نوحه کنند آنجا نشین / زانکه تو اولیتری اندر حنین

---

(۱) اشاره بمضمون این آیه است که در سورهٔ بنی اسرائیل واقع شده قل کل یعمل علی شاکلته بگوهرکس عمل میکند عمل میکند بر طریقه‌ای که مشاکل احوال او باشد از خیر و شر و رستگاری و ضلالت از شبلی قدس سره پرسیدند که کدام آیه درقرآن امید وارتر است این آیه را فرمود پرسیدند درین آیه کریمه ازرجا چه چیزاست فرمودند ازبنده جفا وخطا وهرچه ازلئیمی شاید وازخدا عطا ووفا وهرچه ازکریمی سزد (۲) اشاره باین آیهٔ سورهٔ اعرافست ادعوا ربکم تضرعاً و خفیة یعنی بخوانید پروردگار را بطریق انکسار و ازروی ترس (۳) اشاره است بآیهٔ کریمه در سورهٔ طه « وأمر اهلك بالصلوة و اصطبر علیها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك و العاقبة للتقوی (٤) اشاره است بحدیث صحیح مروی از رسول اللهم ارنا الاشیاء کماهی یعنی بارخدایا بنما بما اشیارا یعنی تعینات وجودیه را چنانچه هست آن اشیاء یعنی چون حقایق اشیاء منکشف شود حقیقت ظهور وجود در مظاهر بروی محقق گردد شیخ عطار درین معنی فرماید اگر اشیا همین بودی که پیداست ❀ دعای مصطفی کی آمدی راست که با حق مهتر دین گفت الهی ❀ بمن بنمای اشیارا کماهی (٥) خوی خرانست که چون درجوی آب درآیند پیشاب کنند و بمیزد همین معنی را میدهد (٦) اشاره باین حدیث است اعدا عدوّك نفسك التی بین جنبیك یعنی بدترین دشمنان تو نفس است که در توواقعست (۷) ازدیوچه مقصود ذالو است که آنرا برتن آدمی چسبانند که خون فاسد را بخورد (۸) اشاره است بمضمون این آیه که در سورهٔ سجده است ظننتم ان الله لایعلم کثیراً مما تعملون و ذلکم ظنکم الذی ظننتم بربکم اردیکم فاصبحتم من الخاسرین .

زانکه ایشان در فراق فانیند — غافل از لعل بقای کانیند ۱ زانکه بردل نقش تقلید است بند — رو بآب چشم بندش را برند
زانکه تقلید آفت هر نیکوئیست — که بود تقلید اگر کوه قویست ۲ گر ضریری لمتر است وتیزخشم — گوشت پاره‌اش دان که اورانیست چشم
گر سخن گوید ز مو باریك تر — آن‌سرش را زان‌سخن نبود خبر ۳ مستئی دارد ز گفت خود ولیك — از بر وی تا بمی راهیست نیك
همچو جویست او نه‌آبی میخورد — آب ازو بر آب خواران بگذرد ٤ آب در جو زان نمیگیرد قرار — زانکه آن جونیست تشنه وآب‌خوار
همچو نائی نالهٔ زاری کند — لیك پیکار خریداری کند ٥ نوحه گر باشد مقلد در حدیث — جز طمع نبود مراد آن خبیث
نوحه گر گوید حدیث سوزناك — لیك کو سوز دل و دامان چاك ٦ از محقق تا مقلد فرقهاست — کاین چوداوداست وآن دیگر صداست
منبع گفتار این سوزی بود — وان مقلد کهنه آموزی بود ۷ هین مشو غرّه بدان گفت حزین — بار بر گاو است وبرگردون حنین
هم مقلد نیست محروم از ثواب — نوحه گر را مزد باشد درحساب ۸ کافر و مؤمن خدا گویند لیك — در میان هردو فرقی هست نیك
آن گدا گوید خدا از بهر نان — متقی گوید خدا از عین جان ۹ ❁ الله الله میزنی از بهر نان — بی طمع پیش آی والله رایخوان
گر بدانستی گدا از گفت خویش — پیش‌چشم او نه‌کم ماندی نه‌بیش ۱۰ سالها گوید خدا آن نان خواه — همچوخرمصحف کشداز بهر کاه (۱)
گر بدل در تافتی گفت لبش — ذرّه ذرّه گشته بودی قالبش ۱۱ نام دیوی ره برد در ساحری — تو بنام حق پشیزی میبری

خاریدن روستائی در تاریکی شیر را بظنّ آنکه گاو است

روستائی گاو در آخر ببست — شیر گاوش‌خورد وبرجایش‌نشست ۱۳ روستائی شد در آخرسوی گاو — گاو را میجست‌شب آن کنج کاو
دست میمالید بر اعضای شیر — پشت و پهلو گاه بالا گاه زیر ۱٤ گفت شیر ارروشنی افزون بدی — زهره‌اش بدریدی ودل‌خون شدی
اینچنین گستاخ زان میخاردم — کو در این شب گاو می پنداردم ۱٥ حق همی‌گوید که ای مغرور کور — نی ز نامم پاره پاره گشت طور
که لو انزلنا کتاباً للجبل (۲) — لاصدع ثم انقطع ثم ارتحل ۱٦ از من ار کوه احد واقف بدی — پاره گشتی و دلش پرخون شدی
از پدر وز مادر این بشنیدهٔ — لاجرم غافل در این پیچیدهٔ ۱۷ گرتو بی‌تقلید ازآن واقف شوی — بی‌نشان بی‌جای چون هاتف‌شوی

فروختن صوفیان بهیمهٔ صوفی مسافر را بجهة سفره وسماع

بشنو این قصه بی تهدید را — تا بدانی آفت تقلید را ۱۹ صوفئی در خانقاه از ره رسید — مرکب خود برد و در آخرکشید
آبکش داد وعلف ازدست‌خویش — نی‌چوآن صوفی که ما گفتیم پیش ۲۰ احتیاطش کرد از سهو و خباط — چون قضا آید چه سود ازاحتیاط
صوفیان درویش بودند و فقیر — کاد فقر انْ یکن کفراً یبیر (۳) ۲۱ ای توانگرتوکه سیری هین‌مخند — بر کژیّ آن فقیر دردمند
از سر تقصیر آن صوفی رمه — خر فروشی در گرفتند آن همه ۲۲ کزضرورت هست مرداری مباح(٤) — بس فسادی کزضرورت شدصلاح
هم درآن دم آن خرك بفروختند — لوت آوردند و شمع افروختند ۲۳ ولوله افتاد اندر خانقه — کامشبان لوت و سماع است وواه
چندازاین‌صبروازاین‌سه روزه‌چند — چندازاین‌زنبیل‌واین دریوزه‌چند ۲٤ ماهم از خلقیم و جان داریم ما — دولت امشب میهمان داریم ما
تخم باطل را از آن میکاشتند — کانکه‌آن‌جان‌نیست جان پنداشتند ۲٥ وان مسافر نیز از راه دراز — خسته بود و دید آن اقبال و ناز
صوفیانش یك بیك بنواختند — نرد خدمتهاش خوش میباختند ۲٦ ❁ آن یکی‌پایش همی‌مالید ودست — وآن یکی پرسیدش ازجای‌نشست
❁ وآن یکی‌افشاندگرد ازرخت‌او — وان یکی بوسید دستش را و رو ۲۷ گفت چون مبدید میلانشان بوی — گر طرب امشب نخواهم کردکی
لوت خوردند و سماع آغاز کرد — خانقه تاسقف شد پر دود وگرد ۲۸ دود مطبخ گرد آن پا کوفتن — ز اشتیاق و وجد جان آشوفتن
گاه دست افشان قدم میکوفتند — گه بسجده صفه را میروفتند ۲۹ دیر یابد صوفی آز از روزگار — زان سبب صوفی بود بسیارخوار
جز مگر آنصوفئی کز نور حق — سیرخورد اوفارغست ازتنگ دق ۳۰ از هزاران اندکی زین صوفیند — باقیان در دولت او میزیند
چون سماع آمد ز اول تا کران — مطرب آغازید یك ضرب گران ۳۱ خر برفت و خر برفت آغاز کرد — زین حراره جمله را انباز کرد
زین‌حراره پای‌کوبان تاسحر(٥) — کف‌زنان‌خررفت‌وخررفت‌ای‌پسر ۳۲ از ره تقلید آن صوفی همین — خر برفت آغاز کرد اندر حنین
چون‌گذشت‌آن‌جوش‌ونوش‌وآن‌سماع — روز گشت و جمله گفتند الوداع ۳۳ خانقه خالی شد و صوفی بماند — گرد از رخت آن مسافرمیفشاند
رخت از حجره برون آورد او — تا بخر بر بندد آن همراه جو ۳٤ تا رسد در همرهان او میشتافت — رفت درآخر خر خودرا نیافت
گفت آن خادم بآبش برده است — زانکه‌خردوش‌آب‌کمترخورده‌است ۳٥ خادم آمدگفت صوفی‌خر کجاست — گفت‌خادم‌ریش‌بین‌جنگی‌بخاست(٦)
گفت من خر را بتو بسپرده ام — من ترا بر خر موکل کرده ام ۳٦ بحث با توچیه کن حجت میار — آنچه‌من بسپردمت واپس سپار
از تو خواهم آنچه من دادم بتو — باز ده آنچه فرستادم بتو ۳۷ گفت پیغمبر که دستت هرچه برد — بایدش در عاقبت واپس سپرد (۷)

---

(۱) اشاره است به آیه واقعه در سوره جمعه کمثل الحمار یحمل اسفارا (۲) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ مجادله است لو انزلنا هذا القرآن‌علی جبل لرأیته خاشعاً متصدعاً من خشیة الله یعنی اگر این قرآن را برکوهی میفرستادیم میدیدی آن کوه را ترسنده و شکافته شده از بیم خدا واز هیبت وعیدی که در اوست و دلهای کافران از آن متأثر نمیشود و در سورهٔ رعد هست ولو ان قرآنا سیرت به الجبال اوقطعت به الارض او کلم به الموتی بل الله الامر جمیعا و اگر کتابی بودی که درین عالم زنده شدی بوی کوهها یعنی در وقت خواندن آن ازموضع خود حرکت کردی وشکافته شدی بآن زمین وقتیکه براو میخواندند یا از برکت تلاوت آن مردگان بسخن آمدندی هرآینه آن قرآن مجید بودی که درغایت اعجاز است و خدا قادر است بر تمام کارها و اوست آمر همه (۳) در حدیث نبویست که کاد الفقران یکون کفرا یعنی نزدیکست که فقر و درویشی کافرکیشی‌گردد ودر این بیت این حدیث را اقتباس کرده ولفظ یبیر برآن افزوده است و معنی آن باشد که نزدیك است درویشی کفری باشد که درویش را هلاك کند (٤) الضرورات تبیح المحظورات ای الممنوعات (٥) حراره ترانه و آوازیست که از چند ساز و چند حلق یکمرتبه برآید و باصطلاح امروز تصنیف میگویند (٦) این‌عبارت را مردم فرومایه بازاری از روی تسخر وافسوس بایکدیگر گویند درمقامی که ناملائمی دیده یا شنیده باشند و این از آن گویند که ریش دراز را دلیل حمق دانسته‌اند ریش بین یعنی حمق ونادانی نگر (۷) در خبر وارد است از حضرت رسول الامانة مؤداة .

ورنهٔ از سرکشی راضی باین / نك من و تو خانهٔ قاضیّ دین
تو جگر بندی میان گربگان / اندر اندازیّ وجوئی زان نشان
گفت گیرم کز تو ظلماً بستدند / قاصد جان من مسکین شدند
تا خر از هرکه برد من واخرم / ورنه توزیمی‌کنند ایشان زرم(۱)
من کرا گیرم که را قاضی برم / این قضا خود از تو آمد برسرم
گفت والله آمدم من بارها / تا ترا واقف کنم زین کارها
بازمیگشتم‌که او خود واقف است / زین‌قضاراضیست‌مرد عارف‌است
مر مرا تقلید شان بر باد داد / که دوصد لعنت براین تقلید باد
عکس ذوق آنجماعت میزدی / وین دلم زان‌عکس‌ذوقین میشدی
عکس کاوّل زد تو آن تقلیددان / چون بیابی شد شود تحقیق آن
صاف خواهی چشم عقل وسمع را / بر دران تو پردهای طمع را
❀ زانکه‌صوفی‌راطمع بردش زراه / ماند درخسران وکارش شد تباه
گر طمع در آینه برخاستی / در نفاق آن آینه چون ماستی
❀گفت‌گیرم کز طمع‌قارون شوی / آخرالامر اندراین هامون شوی
من دلیلم حق شما را مشتری / داد حق دلاّلیم هردو سری
چیست مزدکار من دیدار یار / گرچه خود بوبکربخشد چل‌هزار
یك حکایت گویمت بشنو بهوش / تا بدانی که طمع شد بند گوش
پیش چشم او خیال جاه و زر / همچنان باشدکه موی اندر بصر
هرکه از دیدار برخوردار شد / این جهان در چشم اومردار شد
صدحکایت بشنود مدهوش‌حرص / در نیاید نکتهٔ در گوش حرص

۱ گفت من مغلوب بودم صوفیان / حمله آوردند و بودم بیم جان
۲ در میان صد گرسنه گردهٔ / پیش صد سگ گربهٔ پژمردهٔ
۳ تو نیائیّ و نگوئی مر مرا / که خرت را میبرند ای بینوا
۴ ❀ صدتدارك‌بودچون حاضربدند / این زمان هر یك باقلیمی شدند
۵ چون نیائیّ‌و نگوئی ای غریب / پیش آمد اینچنین ظلمی مهیب
۶ توهمی‌گفتی‌که خر رفت ای پسر / از همه گویندگان با ذوق تر
۷ گفت آنرا جمله میگفتند خوش / مرمرا هم ذوق آمد گفتنش
۸ خاصه تقلید چنین بی حاصلان / کاب رو را ریختند از بهر نان
۹ عکس‌چندان باید ازیاران خوش / که شوی از بهر بی عکس‌آبکش
۱۰ تا نشد تحقیق از یاران مبر / از صدف مگسل نگشته قطرهٔ در
۱۱ زانکه‌آن تقلید صوفی از طمع / عقل او بر بست از نور لمع
۱۲ طمع لوت وطمع آن ذوق وسماع / مانع آمد عقل اورا ز اطلاع
۱۳ گر ترازو را طمع بودی بمال / راست‌کی‌گفتی ترازو وصف‌حال
۱۴ هر نبی میگفت با قوم از صفا / من نخواهم مزد پیغام از شما (۲)
۱۵ ❀ هست مزد کار مر دلال را / مزد باید داد تا گوید سزا
۱۶ چل هزار او نباشد مزد من / کی بود شبه شبه درّ عدن
۱۷ هرکه‌را باشد طمع الکن شود / با طمع کی چشم دل روشن‌شود
۱۸ جز مگر مستی که از حق پر بود / گر چه بدهی گنجها او حرّ بود
۱۹ لیك آن صوفی ز مستی دور بود / لاجرم از حرص او بی نور بود
۲۰ در نیاید نکتهٔ در گوش حرص

قصهٔ آن مفلس که در زندان بود و زندانیان ازو در فغان

بود شخصی مفلسی بیخان و مان / مانده در زندان و بند بی امان
زهره نی‌کس را که لقمه‌نان‌خورد / زانکه آن لقمه ربا چابك برد
مر مروّت را نهاده زیر پا / گشته زندان دوزخی زان‌نان ربا
هیچ‌کنجی بی دد وبی دام نیست / جز بخلوتگاه حق آرام نیست
والله ار سوراخ موشی در روی / مبتلای گربه چنگالی شوی
ور خیالاتش نماید ناخوشی / میگدازد همچو موم از آتشی
مار وکژدم مر ترا مونس شود / کان خیالت کیمیای مس شود
آن فرح آید ز ایمان در ضمیر / ضعف ایمان نا امیدیّ و زحیر
گفت پیغمبر خداش ایمان نداد / هرکه‌را نبود صبوری در نهاد
زانکه درچشمت خیال کفر اوست / وانخیال مؤمنی در چشم دوست
نیم او مؤمن بود نیمش گبر / نیم او حرص آوری نیمش صبر
همچو گاوی نیمهٔ جلدش سیاه / نیمهٔ دیگر سپید و همچو ماه
از جمال یوسف اخوان در نفور / لیك اندر دیدهٔ یعقوب نور
چشم ظاهر سایهٔ آن چشم دان / هرچه آن بیند بگردد این بدان
تو مکانی اصل تو در لا مکان / این‌دکان بربند وبگشا آن‌دکان
❀این‌سخن‌رانیست حدّ زندانیان

۲۲ لقمهٔ زندانیان خوردی گزاف / بردل‌خلق ازطمع چون‌کوه قاف
۲۳ هرکه دور از رحمت رحمان بود / او گدا چشم است اگرسلطان بود
۲۴ گر گریزی بر امید راحتی / زان طرف هم پیشت آید آفتی
۲۵ کنج زندان جهان ناگزیر / نیست بی‌پامزد وبی‌دقّ‌الحصیر(۳)
۲۶ آدمی را فربهی هست از خیال / گر خیالاتش بود صاحب جمال
۲۷ در میان مار وکژدم گر ترا / با خیالات خوشان دارد خدا
۲۸ صبرشیرین ازخیال خوش شدست / کان فرح وان تازگی پیش‌آمدست
۲۹ صبر از ایمان بیابد سر کله / حیث لاصبر فلا ایمان له (٤)
۳۰ آن یکی در چشم تو باشد چو مار / هم وی اندر چشم آن دیگر نگار
۳۱ کاندرین یکشخص هردوفعل هست / گاه ماهی باشد او و گاه شست
۳۲ گفت یزدانت فمنکم مؤمن (٥) / باز منکم کافر گبر کهن
۳۳ هرکه این نیمه به بیند ردکند / هرکه آن نیمه ببیند کد کند
۳۴ از خیال بد مر اورا زشت دید / چشم فرع و چشم اصلی نا پدید
۳۵ ❀ سایهٔ اصلست فرع اما کجا / سایه با خورشید پا دارد بجا
۳۶ شش جهت مگریز زیرا درجهات / ششدرست وشش‌دره ماتست مات
۳۷ مضطرند از دست آن خرقلتبان

شکایت کردن اهل زندان پیش وکیل قاضی از دست آن مفلس

با وکیل قاضی ادراك مند / اهل زندان در شکایت آمدند
کاندرین زندان بماند او مستمر / یاوه‌تازوطبل‌خواراست‌ومضر(٦)

۳۹ که سلام ما بقاضی بر کنون / باز گو آزار ما زین مرد دون
۴۰ مرد زندانی نیابد لقمهٔ / ور بصد حیلت گشاید طعمهٔ

---

(۱) توزیع حدیث نبویست‌که فرمودند علی الید ماأخذت حتی تؤدی یعنی برذمت دست بود هرچه بگیرد تا آنکه ادا نماید (۲) درسورهٔ شوری است قل لا اسئلکم علیه اجراً الاالمودة فی‌القربی بگو نمیخواهم از شما برای رسانیدن پیغام مزدی و هیچ پیغمبر نیز برای دعوت مزد نخواسته مگر مودت ودوست داشتن خویشان من از ابن عباس مروی است که صحابه بعد از نزول این آیه گفتند یارسول‌الله خویشان شما کیستند فرمود علی وفاطمه ودو پسرایشان ودرسورهٔ هود وارد شده ویا قوم لا اسئلکم علیه مالا ان اجری الا علی‌الله ای گروه من از شما نمیخواهم درمقابل تبلیغ رسالت مزدی که مزد مرا خدای عزّ وجل خواهد داد وباین مضمون آیات زیادی در خصوص انبیاء هست (۳) چون کسی خانه ای سازد و ولیمه دهد و فرش‌اندازد وحصیر نو پهن کند آن ولیمه را بعربی دقّ‌الحصیر و بپارسی بوریا کوبی گویند و مراد اینجا زحمت و مشقت است (٤) حدیث نبوی است من لا صبر له لا ایمان له و نیز پیغمبر فرموده اند که ایمان دو نصف است نصفی صبر ونصفی شکر (٥) اشاره به‌آیهٔ واقعه در سورهٔ تغابن است وهوالذّی خلقکم فمنکم کافر ومنکم مؤمن (٦) طبل خوار رمیدن است میفرماید بی‌فایده بهرسو بتازد و بی جنبش دست رمیدن گیرد وزیان رساند .

درزمان پیش آید آن دوزخ گلو — حجتش اینکه خدا گفته کلوا(۱) ۱ ❀ چون مگس حاضر شود در هر طعام — از وقاحت بی صلا و بی سلام
❀ پیش او هیچست لوت شصت کس — کر کند خودرا اگر گوئیش بس ۲ زین چنین قحط سه ساله داد داد — ظلّ مولانا ابد پاینده باد
گو ز زندان تا رود این گاومیش — یا. وظیفه کن زوقفی لقمه ایش ۳ ای زتوخوش هم ذکور وهم اناث — داد کن المستغاث المستغاث
سوی قاضی شد وکیل با نمك — گفت با قاضی شکایت یك بیك ۴ خواند اوراقاضی اززندان به پیش — پس تفحّص کرد از اعیان خویش
گشت ثابت پیش قاضی آن همه — که نمودند از شکایت آن رمه ۵ گفت قاضی خیز زین زندان برو — سوی خانهٔ مُرده ریگ خویش شو
گفت خان ومان من احسان تست — همچو کافر جنتم زندان تست ۶ گر ز زندانم برانی تو برّد — خود بمیرم من ز درویشیّ و کد
همچو ابلیسی که میگفت ای سلام — رب انظرنی الی یوم القیام(۲) ۷ کاندرین زندان دنیا من خوشم — تا که دشمن زادگان را میکشم
هر که اورا قوت ایمانی بود — وز برای زاد ره نانی بود ۸ میستانم گه بمکر و گه بریو — تا بر آرند از پشیمانی غریو
گه بدرویشی کنم تهدیدشان — گه بزلف وخال بندم دیدشان (۳) ۹ قوت ایمانی درین زندان کمست — وآنچه هست از قصد این سگ درخمست
از نماز و صوم و صد بیچارگی — قوت ذوق آید برو یکبارگی ۱۰ استعیذالله من شیطانه — قد هلکنا آه من طغیانه
یك سگست و در هزاران میرود — هر که دروی رفت او آن میشود ۱۱ هر که سردت کرد میدان کودراوست — دیو پنهان گشته اندر زیر پوست
چون نیابد صورت آید در خیال — تا کشاند آن خیالت در وبال ۱۲ ❀ از خیالات تو میآید بلا — چون خیالت فاسد آمد جا بجا
گه خیال فرجه و گاهی دکان — گه خیال علم و گاهی خان ومان ۱۳ ❀ گه خیال مکسب و سودا گری — گه خیال ماجرا و داوری
❀ گه خیال نقره و فرزند و زن — گه خیال بوالفضول و بوالحزن ۱۴ ❀ گه خیال کاله و گاهی قماش — گه خیال مفرش و گاهی فراش
❀ گه خیال آسیا و باغ و راغ — گه خیال میغ و ماغ ولیغ ولاغ ۱۵ ❀ گه خیال آشتیّ و جنگها — گه خیال نامها و ننگها
❀ هین برون کن ازسر این تخیلها — هین بروب از دل چنین تبدیلها ۱۶ هان بگو لا حولها اندر زمان — از زبان تنها نه بل از عین جان

تتمهٔ قصهٔ مفلس زندانی با قاضی

گفت قاضی مفلسی را وانما — گفت اینك اهل زندانت گوا ۱۸ گفت ایشان متهم باشند چون — میگریزند از تو میگریند خون
وز تو میخواهند تا هم وارهند — زین غرض باطل گواهی میدهند ۱۹ جمله اهل محکمه گفتند ما — هم بر ادبار و بر افلاسش گوا
هر که را پرسید قاضی حال او — گفت مولا دست ازین مفلس بشو ۲۰ گفت قاضی کش بگردانید فاش — گرد شهر او مفلس است وبس تلاش
کو بکو اورا منادی ها کنید — طبل افلاسش عیان هرجا زنید ۲۱ هیچکس نسیه نفروشد بدو — قرض ندهد هیچکس اورا تسو
هر که دعوی آردش اینجا بفن — هیچ زندانش نخواهم کرد من ۲۲ پیش من افلاس اوثابت شده است — نقد و کالا نیستش چیزی بدست
آدمی در حبس دنیا زان بود — تا بود کافلاس او ثابت شود ۲۳ مفلسیّ دیو را یزدان ما — هم منادی کرد در قرآن ما
کو دغا ومفلس است و بد سخن — هیچ با او شرکت و سودا مکن ۲۴ ور کنی اورا بهانه آوری — مفلس است اوصرفه ازوی کی بری
حاضر آوردند چون فتنه فروخت — اشتر کردی که هیزم میفروخت ۲۵ کرد بیچاره بسی فریاد کرد — هم موکل را بدانگی شاد کرد
اشترش بردند از هنگام چاشت — تا بشب وافغان اوسودی نداشت ۲۶ بر شتر بنشست آن قحط گران — صاحب اشتر پی اشتر دوان
سو بسو و کو بکو می تاختند — تا همه شهرش عیان بشناختند ۲۷ پیش هر حمّام و هر بازار گه — کرده مردم جمله در شکلش نگه
ده منادی گر بلند آوازیان — ترك و کرد ورومیان و تازیان ۲۸ ❀ جملگان آواز ها بر داشته — کاین همه تخم جفا ها کاشته
❀ بینوائی بد ادائی بی وفا — نان ربائی نر گدائی بیحیا ۲۹ مفلس است این ندارد هیچ چیز — قرض ندهد کس مر اورا یك پشیز
ظاهر و باطن ندارد حبّهٔ — مفلسی قلبی دغائی دبّهٔ ۳۰ هان وهان با او حریفی کم کنید — چونکه او آید گره محکم زنید
ور بحکم آرید این پژمرده را — من نخواهم کرد زندان مرده را ۳۱ خرش دمست اووگلویش بس فراخ — با شعار نو دثار شاخ شاخ (٤)
گر بپوشد بهر مکر آن جامه را — عاریه است آن تا فریبد عامه را ۳۲ حرف حکمت بر زبان ناحکیم — حُلهای عاریت دان ای سلیم
گر چه دزدی جامهٔ پوشیده است — دست تو چون گیرد آن ببریده دست ۳۳ چون شبانگه از شتر آمد بزیر — کُردگفتش منزلم دوراست ودیر
بر نشستی اشترم را از پگاه — جو رها کردم کم از اخراج کاه ۳٤ گفت تا اکنون چه میگردیم پس — هوش تو کو نیست اندرخانه کس
طبل افلاسم بچرخ سابعه — رفت و تو نشنیدهٔ این واقعه ۳۵ گوش تو پربوده است ازطمع خام — پس طمع کر میکند گوش ای غلام
تا کلوخ و سنگ بشنید این بیان — مفلس است ومفلس است این قلتبان ۳٦ تا بشب گفتند و در صاحب شتر — بر نزد کو از طمع پر بود پر
هست برسمع وبصر مُهر خدا (٥) — درحجب بس صورت است وبس صدا ۳۷ آنچه او خواهد رساند آن بچشم — از جمال و از کمال و از کرشم
وآنچه اوخواهد رساند آن بگوش — از سماع واز بشارت وز خروش ۳۸ گرچه تو هستی کنون غافل از آن — وقت حاجت حق کند آن را عیان

---

(۱) اشاره است به آیه واقعه درسورهٔ انعام کلوا مما رزقکم‌الله (۲) درسورهٔ حجراست ربّ فانظرنی الی یوم یبعثون ابلیس گفت ای پروردگار من پس مرا مهلت ده تا روزی که برانگیخته شوند مردم غرض ابلیس آن بود که نمیرد چه میدانست که بعد از بعث مرگ نیست حق سبحانه قبول نکرد (۳) اشاره به آیهٔ سورهٔ بقره انّ الشیطان یعدکم‌الفقر و یأمرکم بالفحشاء والله مغفرة منه و فضلا بدرستی که ابلیس وعده میکند شمارا فقر و احتیاج یعنی میترساند در وقت انفاق از درویشی ومحتاجی وشمارا وامیدارد ببخل وامساك ومنع صدقات وخدای وعده میدهد بشما آمرزش گناهانتان را در آخرت و افزونی روزی و مکافات بخیر را در دنیا (٤) یعنی جامهٔ روئی نو است که مردم‌را بفریبد و آنچه در زیر پوشیده پاره پاره است (٥) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ بقره ختم الله علی قلوبهم وعلی‌سمعهم وعلی‌ابصارهم غشاوة ولهم عذاب الیم یعنی مُهر کرد خدا دلهای ایشان را و برگوشهای ایشان وبرچشمهای ایشان پردها است وبرای ایشان شکنجهٔ دردناکی در روز قیامت میباشد و نیز در سورهٔ مطففین آمده کلابل رآن علی قلوبهم ماکانوا یکسبون کلا انهم عن ربهم یومئذ لمحجوبون نه چنانست که میگویند بلکه غشاوة غرور وغفلت پوشانیده است دردلهای ایشان بدانچه بودند که میکردند از گناهان یعنی بشئامت آن بدیها دلهای ایشان زنگ خورده و بیحاصل شده و در خبر آمده است که هرگاه بنده گناهی کند نقطهٔ سیاهی در دل او پدید آید تا بجائی رسد که هم دل او سیاه گردد حتا که ایشان از کرامت ورحمت پروردگار در حجاب ومحرومند .

گفت پیغمبر که یزدان مجید / از پی هردرد درمان آفرید (۱) ۱ ❀ گرچه‌درمان جوئی وگوئی بجان / کی خدا درمان کار من رسان
لیك زان درمان نبینی رنگ وبو / بهر درد خویش بی فرمان او ۲ ❀ کون‌پرچاره‌است‌وهیچت‌چاره‌نی / تا که نگشاید خدایت روزنی
چشم‌را ای چاره جو در لامکان / هین‌بنه‌چون‌چشم‌کشته‌سوی‌جان(۲) ۳ این‌جهان ازبی‌جهت پیداشده است / که زبیجائی‌جهان را جاشده‌است
باز گرد از هست سوی نیستی / گر تو از جان طالب مولیستی ۴ جای دخلست این عدم ازوی‌مرم / جای‌خرج‌است‌این وجودبیش‌وکم
کارگاه صنع حق چون نیستیست ۵ جز معطل درجهان هست کیست

فی‌المناجات

❀ ای‌خدای پاك بی انباز و یار / دستگیر و جرم ما را درگذار ۷ یاد ده ما را سخنهای رقیق / که ترا رحم آورد آن ای رفیق
هم دعا از تو اجابت هم ز تو / ایمنی از تو مهابت هم ز تو ۸ گر خطا گفتیم اصلاحش تو کن / مصلحی تو ای تو سلطان سخن
کیمیا داری که تبدیلش کنی / گرچه جوی خون بود نیلش‌کنی ۹ این چنین میناگریها کار تست / اینچنین اکسیر ها ز اسرار تست
آب را و خاك را بر هم زدی / زآب و گل نقش تن آدم زدی ۱۰ نسبتش دادی بجفت و خال و عم / با هزار اندیشهٔ شادیّ و غم
باز بعضی را رهائی دادهٔ / زین غم و شادی جدائی دادهٔ ۱۱ بردهٔ ازخویش و پیوند و سرشت / کردهٔ در چشم او هر خوب زشت
هر چه محسوس است او رد میکند / و انچه نا پیداست مسند میکند ۱۲ عشق او پیدا و معشوقش نهان / یار بیرون فتنهٔ او در جهان.
هین رها کن عشقهای صورتی / عشق برصورت نه برروی ستی ۱۳ آنچه معشوقست صورت نیست آن / خواه عشق اینجهان خواه‌آن‌جهان
آنچه بر صورت تو عاشق گشتهٔ / چون‌برون شد جان‌چرایش‌هشتهٔ ۱۴ صورتش‌برجاست‌این‌سیری‌زچیست / عاشقا واجو که معشوق تو کیست
آنچه محسوس‌است‌اگرمعشوقه‌است / عاشقستی هرکه اورا حس هست ۱۵ چون وفا آن عشق افزون میکند / کی‌وفا صورت دگرگون میکند (۳)
پر تو خورشید بر دیوار تافت / تابش عاریّتی دیوار یافت ۱۶ بر کلوخی دل چه بندی ای سلیم / وا طلب اصلی که پاید او مقیم
ای‌که توهم عاشقی برعقل خویش / خویش‌برصورت‌پرستان دیده‌بیش ۱۷ پرتو عقل است آن بر حسّ تو / عاریت میدان ذهب برمسّ تو
چون زراندود است خوبی‌دربشر / ورنه چون شد شاهد تو پیرخر ۱۸ چون فرشته بود و همچون دیوشد / کان ملاحت اندرو عاریّه بد
اندك اندك میستاند آن جمال / اندك اندك خشك میگردد نهال ۱۹ رو نُعمره نُنکسه بخوان (٤) / دل‌طلب‌کن دل منه براستخوان
کان جمال دل جمال باقی است / دولبش ازآب حیوان ساقی‌است ۲۰ خود هم‌اوآب وهم‌اوساقیّ ومست / هرسه یك شد چون‌طلسم‌توشکست
آن یکی را تو ندانی از قیاس / بندگی کن ژاژ کم خا ناشناس ۲۱ معنی تو صورتست و عاریت / بر مناسب شادی و بر قافیت
معنی آن باشد که بستاند ترا / بی نیاز از نقش گرداند ترا ۲۲ معنی‌آن نبود که کور و کرکند / مر ترا برنقش عاشقتر کند
کور را قسمت خیال غم فزاست / بهرهٔ چشم این خیالات فناست ۲۳ حرف قرآن را ضریران معدنند / خر نه بینند و بپالان برزنند
چون تو بینائی پی‌خرروکه جست / چند پالان دوزی‌ای‌پالان پرست ۲٤ خر چو هست آید یقین پالان ترا / کم‌نگردد نان چو باشد جان ترا
❀ خر چو باشدکم نیاید ای عمو / خود پیشتش رو نهد پالان او ۲۵ پشت‌خردکان مال و مکسب است / جان تو سرمایهٔ صد قالب است
خر برهنه بر نشین ای بوالفضول / خربرهنه نی‌که راکب شدرسول ۲٦ النبیّ قد رکب معروریا / والنبیّ قیل سافر ماشیا (٥)
❀ بلکه‌آن شه بس‌پیاده رفته‌است / بار این و آن بسی پذرفته است ۲۷ شد خر نفس تو برمیخش بیند / چند بگریزد زکار و بار چند
بار صبر و شکر اورا بردنیست / خواه درصدسال‌خواهی‌سی‌وبیست ۲۸ هیچ وازر وزر غیری برنداشت / هیچ‌کس‌ندرود تاچیزی‌نکاشت(٦)
طمع خامست آن مخورخام‌ای پسر / خام خوردن علت آرد در بشر ۲۹ کان فلانی یافت گنجی ناگهان / من‌هم‌آن خواهم چرا جویم‌دکان
کاربخت است آن وآن‌هم‌نادرست / کسب باید کرد تا تن قادرست ۳۰ کسب‌کردن گنج را مانع کی است / پامکش ازکارآن خود دربی‌است
تا نگردی تو گرفتار اگر / که اگراین‌کردمی یا آن دگر(۷) ۳۱ کز اگر گفتن رسول با وفاق / منع‌کرد وگفت هست‌آن از نفاق
کان منافق در اگر گفتن بمرد / وز اگر گفتن بجز حسرت نبرد ۳۲ ❀ای بسا کس‌مرده دربوك ومگر / از جمال عافیت ناخورده بر
❀ ورنمیبابی تو نقصان اگر ۳۳ این سخن بشنو که دریابی مگر

تمثیل بر حقیقت سخن و اطلاع بر کشف آن

یك غریبی خانه میجست از شتاب / دوستی‌بردش سوی‌خانهٔ خراب ۳۵ گفت او این را اگر سقفی بدی / پهلوی من مرترا مسکن شدی

---

(۱) از رسول خدا مرویست‌که فرمودند لکل داء دواء فاذا اصیب دواء الداء برء باذن الله تعالی یعنی برای هردردی ومرضی دوائی است و چون دوا به بیمار برسد بفرمان و اذن خدا شفا یابد (۲) اقتباس است از مضمون این حدیث : اذا خرج‌الروح تبعه البصر (۳) یعنی چون عشق وفا را زیاده میکند ومقرراین بوده که ازجانب معشوق هرچند جفا واقع شود عاشق در وفا می افزاید چون این صفت لازمهٔ عشق‌است پس وفا کی صورت دگرگون میکند یعنی دگرگونی صورت تعشق کار وفا نیست پس معلوم شد که دراصل عشق برصورت نبوده چه اگرعشق بر صورت می بود وفا صورت دگرگون نمیکرد (٤) اشاره به آیه واقعه در سورهٔ یس است و من نُعمرهُ نُنکسهُ فی الخلق افلا یعقلون یعنی هرکه را عمر دراز دهیم نقصان میگردانیم در خلقت او پس همیشه زیاد میشود ضعف او و نقصان می پذیرد قوت او پس آیا تعقل نمیکنید و تفکر نمی نمائید تا کمال قدرت مارا بیابید (٥) یعنی پیغمبر سوار شده اند مرکبی را که برهنه بوده یا اینکه‌گویند سفرکرده اند در حالت پیادگی ومعنی معروری راکب مرکب برهنه پشت میباشد و مقصود از این بیت آنستکه در غزوهٔ بدر که اصحاب و همراهان پیغمبر اکرم ۳۱۳ نفربودند در لشکر ایشان فقط یك اسب وچند شتر بود ولشکریان اکثر پیاده بودندوگاهی دو نفر ۳ نفر بنوبه سوار میشدند و آنجناب هم مانند دیگران در سواری و پیادگی نوبت میکردند وگاهی در بعضی سفرها یکی را هم ردیف خود سوار میکردند و بسیاروقت هم برخر برهنه سوارمیشدند (٦) اشارهٔ بآیه واقعه درسوره ملائکه است ولاتزر وازرة وزراخری یعنی برندارد ونکشد هیچ نفس گناه کننده‌ای گناه دیگریرا (۷) درحدیث نبویست ایاك ولو فان لومن‌الشیطان یعنی از اگر گفتن زبان خودرا نگاهدار که اگر گفتن از اعمال شیطان است که همه‌کارش از روی تردید است یعنی مگوکه اگر چنین میکردم چنان میشد و اگر چنین نمیکردم چنان نمی شد بلکه نظر بتقدیر انداز و بغیر حق مپرداز و در ویرانهٔ اگر خانه مساز .

هم عیال تو بیاسودی اگر / در میانه داشتی حجرهٔ دگر ۱ ❀ وررسیدی میهمان روزی ترا / هم بیاسودی اگر بودیت جا
❀ کاشکی معمور بودی این سرا / خانهٔ تو بودی این معمور جا ۲ گفت آری پهلوی یاران خوش است / لیك ای جان در اگر نتوان نشست
این همه عالم طلبکار خوشند / وز خوش تدویر اندر آتشند ۳ طالب زر گشته جمله پیر و خام / لیك قلب از زر نداند چشم عام
پرتوی بر قلب زد خالص ببین / بی‌محك زررا مکن ازظن گزین ۴ گر محك داری گزین کن ورنه‌رو / نزد دانا خویشتن را کن گرو
پس محك باید میان جان خویش / ورندانی ره مرو تنها تو پیش ۵ بانگ غولان هست بانگ آشنا / آشنائی کو کشد سوی فنا
بانگ میداردکه هان ای کاروان / سوی من آئید نك نام و نشان ۶ نام هر یك میبرد غول ای فلان / تا کند آن خواجه را از آفلان
چون‌رسد آنجا به بیندگرگ وشیر / عمر ضایع راه دور و روز دیر ۷ چه بود آن بانگ غول ای نیکخو / مال خواهم جاه خواهم وآب رو
از درون خویش این آواز ها / منع کن تا کشف گردد راز ها ۸ ذکرحق‌کن بانگ غولان را بسوز / چشم نرگس را ازاین‌کرکس‌بدوز
صبح صادق را زکاذب واشناس / رنگ‌می‌را واشناس ازرنگ‌کاس ۹ تا بود کز دیدگان هفت رنگ / دیدهٔ پیدا کند صبر و درنگ
رنگها بینی بجز این رنگها / گوهران بینی بجای سنگها ۱۰ گوهر چه بلکه دریائی شوی / آفتاب چرخ پیمائی شوی
کارکن در کارگه باشد نهان / تو برو در کارگه بینش عیان ۱۱ کار چون برکار کن پرده تنید / خارج آن کار نتوانیش دید
کارگه چون جای باش‌عامل است / آنکه بیرون جست‌ازوی‌غافل‌است ۱۲ پس درآ در کارگه یعنی عدم / تا ببینی صنع و صانع را بهم
کارگه چون‌جای روشن دیدگیست / پس برون کارگه پوشیدگیست ۱۳ رو بهستی داشت فرعون عنود / لاجرم از کارگاهش کور بود
لاجرم میخواست تبدیل قدر / تا قضا را باز گرداند ز در ۱۴ خود قضا بر سبلت آن حیله مند / زیر لب میکرد هر دم ریشخند
صد هزاران طفل‌کشت او بی‌گناه / تا بگردد حکم و تقدیر اله ۱۵ تا که موسیٰ نبی ناید برون / کرد برگردن هزاران‌ظلم وخون
آن‌همه خون‌کرد وموسی زاده شد / وز برای قهر او آماده شد ۱۶ گر بدیدی کارگاه لا یزال / دست و پایش‌خشك‌گشتی زاحتیال
اندرون خانه اش موسی معاف / وز برون میکشت‌طفلان‌را گزاف ۱۷ همچو صاحب نفس کو تن پرورد / برد گر کس ظنّ حقدی میبرد
کاین عدوّ وآن‌حسود دشمن‌است / خود حسود دشمن اوآن تن‌است ۱۸ او چو موسیٰ و تنش فرعون او / او به بیرون میدود که کو عدو
نفس او در خانهٔ تن نازنین ۱۹ برد گرکس دست میخاید بکین

ملامت کردن مردمان شخصی راکه مادر را بتهمت بکشت

آن یکی از خشم مادر را بکشت / هم بزخم خنجر وهم زخم مشت ۲۱ آن یکی‌گفتش‌که از بدگوهری / یاد ناوردی تو حقّ مادری
هی تو مادر را چرا کشتی بگو / او چه‌کرد آخر بتوای زشت خو ۲۲ ❀هیچکس‌کشته‌است‌مادر ای عنود / می نگوئی کو چه‌کرد آخر چه بود
گفت کاری کردکان عار ویست / کشتمش کان خاك ستّار ویست ۲۳ ❀ متهم شد بایکی زان کشتمش / غرق خون درخاك گور آغشتمش
گفت‌آنکس را بکش ای محتشم / گفت پس هرروز مردی را کشم ۲۴ کشتم اورارستم از خونهای خلق / نای او بُرّم به است ازنای خلق
نفس تواست آن مادر بد خاصیت / که فساد اوست در هر ناحیت ۲۵ پس بکش او را که بهر آن دنی / هر دمی قصد عزیزی میکنی
ازوی‌این‌دنیای‌خوش برتست‌تنگ / از پی‌او باحق و با خلق جنگ ۲۶ نفس کشتی باز رستی ز اعتذار / کس ترا دشمن نماند در دیار
گر شکال آرد کسی بر گفت ما / از برای انبیا و اولیا ۲۷ کانبیا رانی که نفس کشته بود / پس‌چراشان دشمنان بود وحسود
گوش نه تو ای طلب‌کار صواب / بشنو این‌اشکال وشبهت‌را جواب ۲۸ دشمن خود بوده‌اند آن منکران / زخم برخود میزدند ایشان چنان
دشمن آن باشد که قصد جان‌کند / دشمن‌آن‌نبود که خود جان‌میکند ۲۹ نیست خفّاشك عدوی آفتاب / او عدوّ خویش آمد درحجاب
تابش خورشید اورا میکشد / رنج او خورشید هرگز کی‌کشد ۳۰ دشمن‌آن باشد کزوآید عذاب(۱) / مانع آید لعل را از آفتاب
مانع خویشند جمله کافران / از شعاع جوهر پیغمبران ۳۱ کی حجاب چشم آن فردند خلق / چشم خودرا کور وکژکردند خلق
چون غلام هندوئی کوکین کشد / از ستیزهٔ خواجه خودرا میکشد ۳۲ سر نگون میافتد از بام سرا / تا زیانی کرده باشد خواجه را
گر شود بیمار دشمن باطبیب / ور کند کودك عداوت با ادیب ۳۳ در حقیقت رهزن جان خودند / راه عقل وجان‌خودرا خود زدند
گازری گر خشم گیرد زافتاب / ماهئی گر خشم میگیرد ز آب ۳۴ تو یکی بنگر کرا دارد زیان / عاقبت‌که بود سیاه اختر از آن
گر ترا حق آفریده زشت رو / هان مشو هم‌زشت‌رو هم‌زشت‌خو ۳۵ ور بود کفشت مرو درسنگلاخ / وردو شاخست مشو تو چارشاخ
تو حسودی کز فلان من کمترم / میفزاید کمتری در اخترم ۳۶ خود حسد نقصان وعیب دیگراست / بلکه از جمله کمیها بدتر است
خویشتن افکند در صد ابتری / از حسد میخواست تا بالا بود ۳۷ خود چه بالا بلکه خون پالا بود
آن بلیس از ننگ وعار کمتری / وز حسد خودرا ببالا میفراشت ۳۸ بوالحکم نامش بد و بوجهل شد / ای بسا اهل ازحسد نااهل شد
ان ابوجهل از محمد ننگ داشت / هیچ اهلیت به از خوی نکو ۳۹ انبیا را واسطه زان کرد حق / تا پدید آید حسد ها در قلق
من ندیدم در جهان جستجو / کارخدمت دارد وخلق حسن(۲) ۴۰ زانکه‌کس را از خدا عاری نبود / حاسد حق هیچ دیّاری نبود
❀ درگذرازفضل وازچستیّ وفن / زان سبب بااو حسد برداشتی ۴۱ چون مقرر شد بزرگیّ رسول / پس‌حسد ناید کسی‌را از قبول
آنکسی کش مثل خود پنداشتی / تا قیامت آزمایش دائمست ۴۲ هرکه را خوی نکو باشد برست / هرکسی کوشیشه دل باشد شکست
پس بهر دوری ولیی قائمست / خواه از نسل عمر خواه ازعلیست ۴۳ مهدی وهادی ویست ای راه جو / هم نهان وهم نشسته پیش رو
پس امام حی قائم آن ولی است / آنولی‌کم ازاو قندیل اوست (۳) ۴۴ وانکه زین قندیل کم مشکوة ماست / نور را در مرتبت ترتیبهاست
اوچونوراست وخرد جبریل‌اوست / پردهای نور دان چندین طبق ۴۵ از پس هر پرده قومی را مقام / صف صفند این پردهاشان تاامام
زانکه هفتصد پرده دارد نور حق

---

(۱) مفهوم این آیه است و ما ظلمونا و لکن کانوا انفسهم یظلمون (۲) در مادهٔ حسن خلق احادیث بسیاری ازحضرت رسول منقولست ویکی از آنجمله‌که مناسب‌این‌مقامست ذکرمیشود عن‌ابی‌اسامة بن‌شریك قال شهدت‌الاعاریب یسألون النبی‌صلی‌الله علیه وآله یقولون ماخیر مااعطی‌العبد قال حسن الخلق (۳) ولی ادنی نسبت بولیّ اعلی از حیث مرتبه حکم قندیل دارد وآنکه ازاوادونست حکم چراغ دارد که نسبت بآنها باریکیست وقس علیهذا

اهل صف آخرین از ضعف خویش — چشمشان طاقت ندارد نور پیش ۱ وان صف پیش از ضعیفی بصر — تاب نارد از شعاعی بیشتر
روشنی کو حیات اول است — رنج جان و فتنهٔ این احولست ۲ احولیها اندك اندك کم شود — چون زهفتصدبگذرد اویم شود
آتشی کاصلاح آهن یا زر است — کی صلاح آبی وسیب تراست ۳ سیب و آبی خامئی دارد خفیف — نی چوآهن تابشی خواهد لطیف
لیك آهن را لطیف آن شعلهاست — کو جذوب تابش آن اژدهاست ٤ هست آن آهن فقیر جور کش — زیر پتك وآتش است اوسرخ وخوش
حاجب آتش بود بی واسطه — در دل آتش رود بی رابطه ٥ بی حجابی آب و فرزندان آب — پختگی زاتش نیابند و خطاب
واسطه دیگی بود یا تابهٔ — همچو پا را در روش پاتابهٔ ٦ یامکانی در میان تا آن هوا(۱) — میشود سوزان و می آرد نما
پس فقیرآنست کو بی‌واسطه است — شعله هارا باوجودش رابطه است ۷ ❀ پس‌فقیرآنست کو خودرا دهد — آب حیوانی که ماند تا ابد
پس دل عالم ویست ایرا که تن — میرسد از واسطهٔ این دل بفن ۸ دل‌نباشد تن چه داند گفت‌وگو — دل نجوید تن چه‌داند جست‌وجو
پس‌نظرگاه شعاع آن آهن است — پس نظرگاه خدا دل نی‌تن‌است ۹ باز این‌دلهای جزوی چون‌تنست — با دل صاحب دلی کو معدنست
بس مثال و شرح خواهد اینکلام — لیك ترسم تا نلغزد فهم عام ۱۰ تا نگردد نیکوئی ما بدی — اینکه‌گفتم هم نبد جز بیخودی
پای کژ را کفش کژ بهتر بود ۱۱ مر گدا را دستگه بر در بود

امتحان کردن پادشاه آن دو غلام را که نو خریده بود

پادشاهی دو غلام ارزان خرید — با یکی زان دوسخن‌گفت وشنید ۱۳ یافتش زیرك دل وشیرین جواب — از لب شکر چه زاید شکرآب
آدمی مخفیست در زیر زبان (۲) — این‌زبان پرده‌است بردرگاه‌جان ۱٤ چونکه بادی پرده را درهم‌کشید — سر صحن خانه شد برما پدید
کاندر آن خانه گهریا گندم است — گنج زریا جمله ماروکژدم است ۱٥ یا درآن‌گنج است وماری برکران — زانکه نبود گنج زر بی پاسبان
بی تأمل او سخن گفتی چنان — کز پس پانصد تأمل دیگران ۱٦ گفتی اندر باطنش دریاستی — جمله دریا گوهر گویاستی
نور هر گوهر که زو تابان شدی — حق وباطل را ازاوفرقان شدی ۱۷ نور فرقان فرق‌کردی بهرما(۳) — ذره ذره حق و باطل را جدا
نور گوهر نور چشم ما شدی — هم سؤال وهم جواب ما بدی ۱۸ چشم کژکردی دو دیدی قرص ماه — چون سؤالست این‌نظر در اشتباه
راست گردان چشم را درماهتاب — تا یکی‌بینی تو مه را نك جواب ۱۹ فکرتت را کژ مبین نیکو نگر — هست هم نور وشعاع آن گهر
هر جوابی کان زگوش آید بدل — چشم گفت ازمن شنو آنرا بهل ۲۰ گوش دلالست وچشم اهل وصال — چشم‌صاحب‌حال وگوش اصحاب‌قال
در شنود گوش تبدیل صفات — در عیان دید ها تبدیل ذات ۲۱ زاتش ارعلمت یقین شد از سخن — پختگی جو در یقین منزل مکن
تا نسوزی نیست آن عین الیقین — این یقین‌خواهی درآتش درنشین ۲۲ گوش چون نافذ بود دیده شود — ورنه قل درگوش پیچیده شود
این سخن پایان ندارد بازگرد ۲۳ تا که شه با آن غلامانش چه کرد

براه کردن پادشاه یکی از آن دو غلام را و از دیگری احوال پرسیدن و باز گفتن اوآنچه در ویست

آن غلامك را چودید اهل ذکا — آن دگر را کرد اشارت که بیا ۲٥ کاف رحمت‌گفتمش تصغیر نیست — جد چو گوید طفلکم تحقیر نیست
چون بیامد آن دوم درپیش شاه — بود او گنده دهان دندان سیاه ۲٦ گر چه شه ناخوش شد ازدیدار او — جست‌وجوئی‌کرد هم زاسرار او
گفت با این شکل واین‌گنده‌دهان — دور بنشین لیك زان سوترمران ۲۷ که تو زاهل نامه ورقعه بدی(٤) — نی جلیس ویار و هم بقعه بدی
تا علاج آن دهان تو کنیم — تو مریض و ما طبیب پر فنیم ۲۸ بهر کیکی نو گلیمی سوختن — نیست لایق از تو دیده دوختن
با همه بنشین دو سه دستان بگو — تا ببینم صورت عقلت نکو ۲۹ آن ذکی را پس فرستاد او بکار — سوی حمامی که رو خودرا بخار
وین دگر را گفت تو چه زیرکی — صد غلامی در حقیقت نی یکی ۳۰ ❀ بازقابل‌تر بدی زان یار خود — نزد ما آ که تو به زان یار بد
آن نه که خواجه تاش تو نمود — ازتوما را سرد میکرد آن حسود ۳۱ گفت‌اودزد وکژاست‌وکژنشین(٥) — حیز و نامرد و چنانست و چنین
گفت پیوسته بدست او راستگو — راست گوئی من ندیدستم چو او ۳۲ ❀ راستی و نیکخوئی و حیا — حلم و دینداری واحسان وسخا
راستگوئی در نهادش خلقت است — هرچه‌گوید من نگویم تهمت است ۳۳ کژنگویم آن نکو اندیش را — متهم دارم وجود خویش را
باشد او در من ببیند عیبها — من نبینم در وجود خود شها ۳٤ هرکسی‌گرعیب خود دیدی زپیش — کی‌بدی فارغ وی ازاصلاح‌خویش
غافلند این خلق و ازخود بیخبر — لاجرم گویند عیب همدگر ۳٥ من نبینم روی خودرا ای شمن — من نبینم روی تو تو روی من
آن کسی که او ببیند روی‌خویش — نور او از نور خلقانست بیش ۳٦ گر بمیرد نور او باقی بود — زانکه دیدش دید خلاقی بود
نور حسی نبود آن نوری که او — روی خود محسوس بیند پیش رو ۳۷ گفت اکنون عیبهای او بگو — آنچنان که گفت او از عیب تو
تا بدانم که تو غمخوار منی — کد خدای ملکت و کار منی ۳۸ گفت ای شه من بگویم عیبهاش — گرچه‌هست‌اومرمراخوش‌خواجه‌تاش
عیب او مهر و وفا و مردمی — عیب او صدق و ذکا و همدمی ۳۹ کمترین عیبش جوانمردی و داد — آن جوانمردی‌که جان را هم‌بداد
صد هزاران جان خدا کرده پدید — چه جوانمردی بود کان را ندید ٤۰ ور بدیدی کی بجان بخلش بدی — بهر یکجان‌کی چنین غمگین‌شدی
بر لب جو بخل آب آن را بود — کو ز جوی آب نا بینا بود ٤۱ گفت پیغمبر که هر کس از یقین — داند او پاداش خود در یوم دین
که یکی را ده عوض می‌آیدش(٦) — هرزمان جودی دگرگون زایدش ٤۲ جود جمله از عوضها دیدنست — پس عوض دیدن ضد ترسیدنست

---

(۱) مراد از یا مکانی تنور است که هوای مجاور آن بجهت حرارتی که از آتش کسب نموده مورث نما و پختگی نان میشود (۲) اشاره باین حدیث است که از حضرت امیرالمؤمنین منقولست که فرمود المرء مخبو تحت لسانه یعنی آدمی پنهانست در زیر زبان چون سخن گوید ظاهر گردد (۳) فرقان‌که دو بار دراین بیت و بیت قبل تکرار شده از بیت قبل جدا کننده و از این بیت قرآن مقصود است (٤) مقصود از اهل نامه ورقعه یعنی تولایق پیغام ورقعه فرستادن هستی ولایق صحبت نیستی (٥) مقصود اینست‌که پادشاه اززبان غلام خوب صورت این نسبتها را بغلام بد صورت میدهد (٦) اشاره است به آیهٔ کریمه که درآخر سورهٔ انعام است من‌جاء بالحسنة فله عشر امثالها یعنی هرکه بیاید بسوی نیکوئی برای اوده بارمانند آن یعنی نیکوئی است

بخل نا دیدن بود اعواض را — شاد دارد دید دُرخوّاض را (۱) ۱ پس بعالم هیچکس نبود بخیل — زانکه کس چیزی نبازد بی بدیل
پس سخا از چشم آید نی زدست — دید دارد کار جز بینا نرست ۲ عیب دیگر آنکه خود بین نیست او — هست او در هستی خود عیب‌جو
عیب جوی وعیب‌گوی خودُ بدست — باهمه نیکوو با خود بد بُدست ۳ گفت شه جلدی مکن در مدح یار — مدحِ خود در ضمن مدح او مبار
زانکه من درامتحان آرم ورا ۴ شرمساری آیدت از ماورا

قسم خوردن غلام برصدق خود وطهارت ظنّ خود

گفت نی والله بالله العظیم — مالك الملك رحمن رحیم ۶ آن خدائی که فرستاد انبیا — نی بحاجت بل بفضل وکبریا
آن خداوندی‌که از خاك ذلیل — آفرید او شهسواران جلیل ۷ پاکشان کرد از مزاج خاکیان — بگذرانید از تگ افلاکیان
برگرفت ازنار ونور صاف ساخت — وانگه او برجملهٔ انوار تاخت ۸ آن سنا برقی‌که‌برارواح تافت(۲) — تا که آدم معرفت زآن راه یافت
آن کزآدمُ رست ودست شیث چید — پس خلیفه‌اش کرد آدم کان بدید ۹ نوح ازان‌گوهر چو برخوردارشد — در هوای بحر جان دُربار شد
جان ابراهیم ازان انوار زفت — بیحذر در شعلهای نار رفت ۱۰ چون که اسمعیل در جویش فتاد — پیش دشنهٔ آبدارش سر نهاد
جان داود از شعاعش‌گرم شد — آهن اندر دست‌بافش نرم شد ۱۱ چون سلیمان‌شد وصالش‌را رضیع — دیو گشتش بنده فرمان و مطیع
در قضا یعقوب چون بنهاد سر — چشم روشن کرد از بوی پسر ۱۲ یوسف مه رو چو دید آن آفتاب — شد چنان بیدار در تعبیر خواب
چون‌عصا ازدست موسی آب‌خورد — ملکت فرعون‌را یك لقمه کرد ۱۳ ❀جان‌جرجیس‌ازفرش‌چون‌رازیافت — هفت نوبت جان فشاند و بازیافت
❀ چون که‌زکریا زعشقش دم‌زدی — کرد درجوف درختش جان فدی ۱۴ ❀چونکه یونس‌جرعهٔ زان‌جام‌یافت — در درون ماهی او آرام یافت
❀چونکه‌یحیی‌مست‌گشت‌ازشوق‌او — سر بطشت زرنهاد ازذوق او ۱۵ ❀چون شعیب‌آگاه شد زین‌ارتقا — چشم را در باخت از بهر لقا
❀ شکر کرد ایوب صابرهفت‌سال — در بلا چون دید آثار وصال ۱۶ ❀خضروالیاس‌ازمیش‌چون‌دم‌زدند — آب حیوان یافتند و کم زدند
نردبانش عیسی مریم چو یافت — بر فراز چرخ چارم بر شتافت ۱۷ چون محمّد یافت آن ملك و نعیم — قرص مه را کرد او دردم دونیم
چون ابابکر آیت توفیق شد — با چنان شه صاحب وصدّیق شد ۱۸ چون عمر شیدای آن معشوق شد — حقّ وباطل را چو دل‌فاروق‌شد
چونکه عثمان آن عیان‌راعین‌گشت — نور فایض بود و ذوالنورین‌گشت ۱۹ چون زرویش مرتضی‌شد درفشان — گشت او شیر خدا در مرج جان
❀ روشن‌ازنورش‌چوسبطین‌آمدند — عرش‌را دُرّین‌وُقرطین‌آمدند(۳) ۲۰ ❀چونکه‌سبطین‌از سرش فارغ بدند — گوشوار عرش ربانی شدند
❀ آن یکی‌اززهر جان کرده‌نثار — وان سرافکنده براهش‌مست وار ۲۱ چون جنید ازُجند اودید آن مدد — خود مقاماتش فزون شد ازعدد
بایزید اندر مزیدش ره چو دید — نام قطب العارفین از حق شنید ۲۲ چونکه‌کرخی‌کرخ‌اوراشدحرس(۴) — شد خلیفهٔ عشق وربّانی نفس
پور ادهم مرکب آن‌سو راند شاد — گشت او سلطانِ سلطانان داد ۲۳ وان‌شقیق ازشقّ آن راه شگرف — گشت‌اوخورشیدرای‌وتیزطرف(۵)
❀ شدفضیل‌ازرهزنی‌ره‌بیرراه(۶) — چون‌بلحظهٔ لطف شد ملحوظ‌شاه ۲۴ ❀ بشرحافی را مبشر شد ادب — سر نهاد اندر بیابان طلب
❀چونکه‌ذوالنون‌ازغمش‌دیوانه‌شد — مصرجان‌را همچو شکر خانه شد ۲۵ ❀ چون‌سری بیسرشداندرراه‌او — بر سریر سروران شد جاه او
صد هزاران پادشاهان نهان — سر فرازانند زانسوی جهان ۲۶ نامشان ازرشك حق پنهان بماند — هرگدائی نامشان را بر نخواند
❀رحمت ورضوان حق‌درهرزمان — باد بر جان و روان پاکشان ۲۷ حقّ آن نور و حق روحانیان — کاندرآن بحرند همچون ماهیان
بحر جان و جان بحر ار گویمش — نیست لایق نام نو میجویمش ۲۸ حق‌آن‌آنی‌که این وآن از اوست — مغز ها نسبت بدو باشند پوست
که صفات خواجه تاش و یارِ من — هست صد چندان‌که این‌گفتارمن ۲۹ آنچه میدانم زوصف آن ندیم — باورت ناید چه گویم ای کریم
شاه‌گفت اکنون ازانِ خودبگو — چند گوئی آنِ این و آن او ۳۰ توچه داریّ وچه حاصل کردهٔ — از تگ دریا چه دُر آوردهٔ
روزمرگ این حسّ توباطل‌شود — نورجان داری که یارِ دل شود ۳۱ درلحدکاین چشم‌را خاك‌آگند — هستت آنچه گور را روشن کند
آن‌زمان‌کاین دست وپایت بردرد — پرّ و بالت هست تاجان بر پرد ۳۲ ❀ نوردل‌ازجان بود ای یار غار — مُستعار اورا مدان ای مست عار
آن زمان کاین جان حیوانی‌نماند — جان باقی بایدت بر جا نشاند ۳۳ شرطِ من‌جابالحسن‌نی‌کردنست(۷) — بل‌حسن را سوی یزدان بردنست
جوهری داری ز انسان یا خری — این عرضها که فنا شد چون‌بری ۳۴ این عرضهای نماز و روزه را — چونکه لایبقی زمانین انتفی(۸)
نقل نتوان کرد مر اعراض را — لیك از جوهر برند امراض را ۳۵ تامبدّل گشت جوهر زین عرض — چون زپرهیزی‌که زایل‌شد مرض
گشت پرهیز عرض جوهر بجهد — شد دهان تلخ از پرهیز شهد ۳۶ از زراعت خاکها شد سُنبله — داروی مو کرد مورا سلسله
آن نکاح زن عرض بد شد فنا — جوهر فرزند حاصل شد ز ما ۳۷ جفت‌کردن اسب واشتر را عرض — جوهر کُرّه بزائیدن غرض
هست‌آن بستان نشاندن هم‌عرض — گشت جوهر میوه‌اش اینك غرض ۳۸ هم عرض دان کیمیا بردن بکار — جوهری زان کیمیا گرشد بیار
صیقلی کردن عرض باشد شها — زین عرض جوهر همی یابد صفا ۳۹ پس مگو که من عملها کرده ام — دخل آن اعراض را بنما مرم
این صفت‌کردن عرض باشد خمش — سایهٔ بُز را پی قربان مکش ۴۰ گفت شاها بی قنوط عقل نیست — گرتوفرمائی‌عرض را نقل‌نیست(۹)
پادشاها جز که یأس بنده نیست — هرعرض کان‌رفت بازآینده‌نیست ۴۱ گرنبودی مرعرض را نقل وحشر — فعل بودی باطل و اقوال قشر

---

(۱) ازخوّاض غواص مقصود است (۲) اشارهٔ بآیهٔ وافی هدایهٔ « یکاد سنابرقه یذهب بالابصار » یعنی نزدیك است تابش برق او نورچشمهارا زایل کند (۳) قُرطین تثنیه قرطه است یعنی دو گوشواره اشارهٔ بحدیثیست که حسن وحسین دو گوشوارهٔ عرشند (۴) کرخ نام موضعیست در بغداد که شاپور ذوالاکتاف آنرا بنانهاده واینجا مطلق ده وقریه مرادست همچنین میگویند ازنواحی بلخ بوده (۵) طرف معانی بسیار دارد ولی در اینجا اسب مقصود است (۶) فضیل عیاض در اول حال دزد وراهزن بود و بعدها تائب شده گوشه گیری اختیار نمود و بمقامات عالیه رسید (۷) یعنی حسنه فقط برای بجاآوردن نیست بلکه همراه خود بردنست پس باید قابل بردن کرد تا شرمندگی حاصل نشود (۸) الاعراض لا تبقی زمانین این مسئله درنزد بعضی از علما وحکما محققست ـ جوهرممکنی است‌که دروجود محتاج بموضوع ومحل قائم بخود نباشد وعرض ممکنی است که محتاج بموضوع بود چون سواد وحرارت وحلاوت و امثالها وآنچه متفق علیه حکماست گویند اعراض در دو زمان باقی نماند بلکه عرضی رود ودیگری بجای آن آید (۹) غلام گفت ای پادشاه از این سخن که تو میفرمائی اعراض را نقل نیست عقل ناامید میشود .

این عرضها نقل شد لون دگر — حشر هرفانی بود کون دگر ۱ نقل هر چیزی بود هم لایقش — لایق گله بود هم سایقش
روزمحشرهرعرض‌راصورتیست(۱) — صورت‌هریك عرض را نوبتیست ۲ بنگر اندرخود نه تو بودی عرض — جنبش جفتی و جفتی با غرض
بنگر اندر خانه و کاشانها — در مهندس بود چون افسانها ۳ کان فلان خانه‌که ما دیدیم‌خوش — بود موزون صُفه وسقف ودرش
از مهندس آن عرض و اندیشها — آلت آورد و درخت از بیشها ٤ چیست اصل و مایهٔ هر پیشهٔ — جزخیال وجز عرض و اندیشهٔ
جمله اجزای جهان را بی غرض — درنگر حاصل نشد جز از عرض ٥ اول فکر آخر آمد درعمل (۲) — بُنیت عالم چنان دان در ازل
میوها در فکر دل اوّل بود — در عمل ظاهر بآخر میشود ٦ چون عمل کردی شجر بنشاندی — اندر آخر حرفِ اوّل خواندی
گرچه شاخ وبیخ وبرگش‌اول‌است — آنهمه از بهر میوه مُرسل است ۷ پس سِری‌که مغزآن افلاك بود — اندر آخر خواجهٔ لولاك بود
نقل‌اعراض است این بحث‌ومقال — نقل‌اعراض است این شیروشغال ۸ جملهٔ عالم خود عرض بودند تا — اندرین معنی بیامد هل‌اتی (۳)
آن عرضها از چه زاید از صور — وین صُورها از چه زاید از فکر ۹ این جهان یك فکرتست ازعقل کل — عقل‌چون شاهست وصورتها رُسل
عالم اوّل جهان امتحان — عالم ثانی جزای این و آن ۱۰ چاکرت شاها جنایت میکند — آن عرض زنجیر و زندان میشود
بنده‌ات چون خدمت شایسته کرد — آن عرض نی خلعتی شد در نبرد ۱۱ این‌عرض‌اجوهرآن‌بیضه‌است‌وطیر — این ازآن وآن ازاین زاید بسیر
گفت شاهنشه چنین گیر المراد — این عرضهای تویك جوهر نزاد ۱۲ گفت مخفی داشتست آنرا خرد — تابود غیب این‌جهان را نیك وبد
زانکه گر پیدا شدی آشکال فکر — کافر و مؤمن نگفتی جز که ذکر ۱۳ ❀ پس‌عیان‌بودی‌نه‌غیب ای‌شاه‌این — نقش‌دین وکفر بودی بر جبین
کی درین عالم بُت و بتگر بدی — چون کسیرا زهرهٔ تسخر بدی ۱٤ پس قیامت بودی این دنیای ما — در قیامت که کند جُرم و خطا
گفت شه پوشید حق‌پاداشِ‌بد(٤) — لیك از عامه نه از خاصانِ خود ۱٥ گر بدامی افکنم من یك امیر — از امیران خفیه دارم نزوزیر
حق بمن بنمود پس پاداشِ کار — در صورهای عملها صد هزار ۱٦ تو نشانی ده که من دانم تمام — ماه را بر من نمی پوشد غمام
گفت پس‌ازگفتِ من‌مقصودچیست — چون تومیدانی‌که آنچه بود چیست ۱۷ گفت شه حِکمت در اظهار جهان — آنکه دانسته برون آید عیان
آنچه میدانست تا پیدا نکرد — بر جهان ننهاد رنج طلق و درد ۱۸ یك زمان بیکار نتوانی نشست — تا بدی یا نیکئی از تو نجست
این تقاضاهای کار از بهر آن — شد موکل تا شود سِرّت عیان ۱۹ ❀ ورنه کی گیرد گلابهٔ تن قرار — چون ضمیرت میکشد آنرا بکار
❀ تاسهٔ توآن کشش را شد نشان — هست بیکاری چوجان کندن عیان ۲۰ پس گلابهٔ تن کجا ساکن شود — چون سر رشتهٔ ضمیرت میکشد
تاسهٔ تو شد نشان آن کشش — برتوبیکاری بود چون جان‌کنش ۲۱ این‌جهان و آن جهان زاید ابد — هرسبب مادر اثر از وی ولد
چون اثر زائید آن‌هم شد سبب — تا بزائید او اثر های عجب ۲۲ این سببها نسل برنسل‌است لیك — دیدهٔ باید منور نیك نیك
شاه با او در سخن اینجا رسید — تا بدید از وی نشانی یا ندید ۲۳ گر بدید آن شاه جویا دور نیست — لیك ما را ذکر آن دستور نیست

باز پرسیدن شاه حال ازغلام دیگر

چون ز گرمابه بیامد آن غلام — سوی خویشش‌خواند آن‌شاه همام ۲٥ گفت صحاً لك نعیم دائمُ — بس لطیفی وظریف و خوب رو
❀ پس‌سوی‌کاری فرستادآن دگر — تا ازاین دیگر شود او با خبر ۲٦ ❀ پیش‌بنشاندش بصد لطف وکرم — بعدازآن‌گفت ای چوماه اندر ظلم
❀ ماه روئی جعد موئی مشکبو — نیکخوئی نیکخوئی نیکخو ۲۷ ای دریغا گر نبودی در تو آن — که همی گوید برای تو فلان
شاد گشتی هر که رویت دیدئی — دیدنت ملك جهان ارزیدئی ۲۸ گفت رمزی زان بگو ای‌پادشاه — کز برای من بگفت آن‌دین تباه
گفت اوّل وصف دو روئیت کرد — کاشکارا تو دوائی خفیه درد ۲۹ خبث یارش را چو ازشه‌گوش‌کرد — درزمان دریای خشمش جوش‌کرد
کف برآورد آن غلام وسرخ‌گشت — تاکه موج هجو او ازحدگذشت ۳۰ کاو زاوّل دم‌که بامن یار بود — همچوسگ درقحط‌سرگین خوار بود
چون دمادم‌کرد هجوش چون‌جرس — دست برلب زد شهنشاهش‌که‌بس ۳۱ گفت دانستم ترا از وی بدان — از توجان‌گنده‌است وازیارت دهان

---

(۱) اشاره بمضمون این‌آیه است‌که درسورهٔ والنجم‌است « وان سعیه سوف یری‌ثم یجزیه الجزاء الاوفی » یعنی وهرآینه سعی خودرا (یعنی‌عملی که درآن سعی نموده‌آید) زود باشدکه درمیزان عدل درروز قیامت ببیندکه پاداش میدهند او را پاداشی تمام اِنّ خیراً فخیرا و اِنّ شرّاً فشرّا

(۲) اوّل الفکر آخرالعمل کلمهٔ جامعهٔ اوایل فیلسوفان وقاعدهٔ مقرره اکابر حکماست که گویند هرصانع وعاملی نخست نتیجه وغایت عمل را منظور کند و اندیشهٔ خود را در آن بکار برد آنگاه بدان کار پردازد و همان اول فکر اوست که در آخر بکار آید چنانکه نجار اول جلوس برسریر را بیندیشد آنگاه شروع بساختن سریر کند و حکما میگویند که علت غائی که عمدهٔ علل است پس از فاعل در فکر پیش از سایر علل است و در وجود پس از آن

(۳) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ دهر است هل اتی علی‌الانسان حین من الدهر لم یکن شیئاً مذکورا یعنی بتحقیق که آمد بر آدمی روزگاری که نبود چیز یاد کرده شده یعنی چهل سال میان مکه و طایف افتاده بود قبل از نفخ روح و کسی بانسانیت او را یاد نمیکرد چون نطفه و عناصر نمیدانست که نام او چیست و فایدهٔ خلقت او چه خواهد بود و این معنی معلوم نداشتند که استاد قدرت آینهٔ میسازد که مظهر اشعهٔ مفاتیح الغیب باشد و در اقصای مراتب ظهور مرتبهٔ خلافت کبری را شاید و عین مقصود و منتها غایات او بود و همهٔ نهایتها بوجود او آشکارا شود

(٤) خلاصه مضمون این چند بیت آنست که شاه از آن غلام بد ظاهر نیك باطن پاداش کار را عیان میخواهد و غلام میگوید که هرگاه تو میدانی و میگوئی که از خاصان پوشیده نیست پس ازین گفتن من مقصود چیست شاه باو میگوید که حق سبحانه و تعالی هم عالم بپاداش و آخر کار جمیع مخلوقات بود پس حکمت در اظهار جهان همین است که دانستهٔ اوعیان شود و آنچه میدانست تا پیدا نکرد (یعنی تا نخواست که پیدا شود و این عبارت از عالم امرالله کان مفعولا است که از غایت تیقن در وقوع اراده را بصورت فعل مذکور ساخته اند) رنج طلق و درد بر جهان ننهاد چنانچه تا بدی و نیکوئی از تو ظاهر نشود بیکار نمیتوانی نشست و این تقاضای درونی ترا در افعال حسنه و قبیحه برای همین برتو موکل ساخته تا سِرّ سعادت و شقاوت تو عیان شود وگرنه چون ضمیر تو گلابه (کلافهٔ نخ) تن ترا میکشد تا از تو فعلی بظهور نیاید کی قرار میگیرد پس تاسهٔ (بیقراری واضطراب) تو نشان آن کشش باطنی است پس مطلب من که سلطانم همین‌است که بمقتضای حکمت ایزدی دانسته بعالم عیان آید.

پس نشین ای گنده جان ازدورتو / تا امیر او باشد و مأمور تو ۱ ❀ بهراین گفتند اکابر درجهان / راحة‌الانسان فی‌حفظ اللسان(۱)
در حدیث آمد که تسبیح از ریا / همچو سبزهٔ گولخن دان ای کیا ۲ پس بدان که صورت خوب نکو / با خصال بد نیرزد یك تسو
ور بود صورت حقیر و نا پذیر / چون بود خلقش نکودر پاش‌میر ۳ چند بازی عشق با نقش سبو / بگذر از نقش سبو وآب جو
❀ چند باشی عاشق صورت بگو / طالب معنی شو و معنی بجو ۴ صورت ظاهر فنا گردد بدان / عالم معنی بماند جاودان
صورتش دیدی ز معنی غافلی / از صدف دُررا گزین گر عاقلی ۵ این صدفهای قوالب در جهان / گرچه جمله زنده‌اند از بحر جان
لیك اندر هر صدف نبود گهر / چشم بگشا در دل هر یك نگر ۶ کان‌چه‌دارد وین‌چه دارد میگزین / زانکه کمیابست آن دُرّ ثمین
گر بصورت بنگری کوهی بشکل / دربزرگی‌هست صد چندان‌که لعل ۷ هم بصورت دست و پا وپشم تو / هست صد چندان‌که نقش چشم‌تو
لیك پوشیده نباشد بر تو این / کز همه اعضا دوچشم آمد گزین ۸ از یك اندیشه که آید در درون / صد جهان گردد بیکدم سر نگون
جسم سلطان گر بصورت یك بود / صد هزاران لشگرش در تك بود ۹ باز شکل و صورت شاه صفی / هست محکوم یکی فکر خفی
خلق بی پایان ز یك اندیشه بین / گشته چون سیلی روانه بر زمین ۱۰ هست آن اندیشه پیش خلق خُرد / لیك چون‌سیلی‌جهان‌را خورد وبرد
❀خلق‌عالم‌چون‌رمه‌است‌وحق‌شبان / میدواند جمله را روز و شبان ۱۱ پس چو می بینی که از اندیشهٔ / قائم است اندر جهان هر پیشهٔ
خانها و قصر ها و شهر ها / کوهها و دشت ها و نهرها ۱۲ هم زمین وبحر وهم مهر وفلك / زنده ازوی همچو از دریا سمك
پس چرا از ابلهی پیش تو کور / تن سلیمانست و اندیشه چو مور ۱۳ مینماید پیش چشمت که بزرگ / هست اندیشه چومیش وکوه‌گرگ
عالم اندر چشم تو هول و عظیم / زابروبرق ورعد داری لرزو بیم ۱۴ وز جهان فکرتی ای کم ز خر / این و غافل چو سنگی بیخبر
زانکه نقشی وز خرد بی بهرهٔ / آدمی خو نیستی خر کرّهٔ ۱۵ ❀ جهل محضی وزخرد بیگانهٔ / بو نداری وز خدا دیوانهٔ
سایه را تو شخص میبینی ز جهل / شخص‌ازآن شد نزدتوبازیٔ وسهل ۱۶ ❀ نك زغیبت یك‌نمودآرایش‌است / کزلطافت چون هوای دلکش‌است
❀ تابجسمی در نمی پیچد کثیف / آگهی نبود بصر را زان لطیف ۱۷ ❀ باز افزونست هنگام اثر / از هزاران تیشه و تیغ و تبر
باش تا روزی که آن فکروخیال / بر گشاید بی حجابی پرّ و بال ۱۸ کوههابینی‌شده چون پشم نرم(۲) / نیست گشته این‌زمین‌سردوگرم (۳)
نه سما بینی نه اختر نه وجود / جز خدای واحد حیّ ودود ۱۹ یك فسانه راست آمد یا دروغ / تا دهد مر راستیها را فروغ

حسد بردن حشم بر آن بندهٔ خاص

پادشاهی بندهٔ را از کرم / بر گزیده بود بر جملهٔ حشم ۲۱ جامگیّ او وظیفهٔ چل امیر / ده یك قدرش ندیدی صد وزیر
از کمال طالع و اقبال و بخت / او ایازی بود وشه محمود وقت ۲۲ روح اوبا روح شه دراصل‌خویش / پیش‌ازین‌تن‌بود هم پیوند وخویش
کار آن داردکه پیش ازتن بُدست / بگذر ازاینها که نو حادث‌شدست ۲۳ چشم عارف راست‌گو نی‌احولست / چشم او بر کشتهای اول است
آنچه گندم کاشتندش و انچه جو / چشم او آنجاست روز وشب‌گرو ۲۴ آنچه‌آبست‌است‌شب‌جزآن نزاد(٤) / حیلها و مکر ها بادست باد
کی شود دل خوش بحیلتهای کش / زانکه بیند حیلهٔ حق بر سرش ۲۵ او درون دام دامی مینهد / جان تو نه زان جهد نه‌زین‌جهد
گر بروید ور بریزد صد گیاه / عاقبت بر روید آن کشتهٔ اله ۲۶ کشت نوکارند بر کشت نخست / این‌دوم فانی‌است وان‌اوّل درست
تخم اول کامل و بگزیده است / تخم ثانی فاسد و پوسیده است ۲۷ افکن این تدبیرخودرا پیش دوست / گرچه تدبیرت هم از تدبیر اوست
کار آن داردکه حق افراشتست / آخر آن روید که اوّل کاشتست ۲۸ هرچه کاری از برای او بکار / چون اسیر دوستی ای دوستدار
گرد نفس دزد و کار او مپیچ / هرچه آن‌نی‌کارحق هیچست هیچ ۲۹ پیش ازآن‌کت روز دین پیدا شود / نزد مالك دزد شب رسوا شود
رخت دزدیده بتدبیر و فنش / مانده روز داوری بر گردنش ۳۰ صد هزاران عقل با هم برجهند / تا بغیر دام او دامی نهند
دام خودرا سخت تر یابند و بس / کی نماید قوّتی با باد خس ۳۱ ❀ ورنداری باور ازمن رو ببین / در نُبی والله خیرالماکرین(٥)
گر تو گوئی فائدهٔ هستی چه بود / در سؤالت فایده هست ای عنود ۳۲ گر ندارد این سؤالت فائده / چه شنویم این را عبث بی‌عائده
❀ ورسؤالت فایده دارد یقین / پس جهان بیفایده نبود ببین ۳۳ گرسؤالت را بسی فائده هاست / پس جهان بیفایده آخر چراست
ورجهان از یکجهت بی‌فایده‌است / از جهتهای دگر پر عایده است ۳٤ فائدهٔ تو گر مرا فایده نیست / مراتراچون‌فایده‌است‌ازوی‌مایست
❀ فایده تو گر مرا نبود مفید / چون تراشد فایده گیر ای مرید ۳۵ ❀ ورمنم زان فائده حرّ بن حر / مرترا چون فائده است ازوی‌مبر
حسن یوسف عالمی را فایده / گر چه بر اخوان عبث بد زایده ۳٦ لحن داودی چنان محبوب بود / لیك بر محروم بانگ چوب بود
آب نیل از آب حیوان بُد فزون / لیك بر قبطیّ منکر بود خون ۳۷ هست بر مؤمن شهیدی زندگی / بر منافق مُردنست و ژندگی
چیست در عالم بگو یك نعمتی / که نه محرومند از وی امتی ۳۸ گاو وخر را فایده چه درشکر / هست هرجان را یکی قوت دگر
لیك‌اگرآن قوت بروی عارضیست / پس‌نصیحت کردن اورا رایضیست ۳۹ چونکسی‌کوازمرض‌گل‌داشت‌دوست / گرچه پندارد که‌آن‌خود قوت اوست
قوت اصلی را فرامش‌کرده است / روی در قوت مرض آورده‌است ٤۰ نوش را بگذاشته سمّ خورده است / قوت علت همچو چوبش‌کرده است
قوت اصلیّ بشر نور خداست / قوت حیوانی مر اورا ناسزاست ٤۱ لیك ازعلت در این افتاد دل / که خورد اوروز وشب‌ازآب وگل

---

(۱) اشاره بکلام معجزنظام حضرت امیرالمؤمنین علی‌بن ابی‌طالب علیه‌السلام است من‌سکت نجی وراحة‌الانسان فی‌حفظ‌اللسان یعنی هرکه سکوت‌کرد رستگارشد وآسایش آدمی درنگاهداشتن زبان است (۲) اشاره بآیهٔ کریمه واقعه درسوره القارعه‌است وتکون الجبال‌کالعهن‌المنفوش یعنی‌روزقیامت ازهول‌کوه‌ها چون پشم رنگین زده شده میشود چه رنگ مرپشم را سست‌کند ودر زمان زدن‌زود متفرق ومنتشرمیشود (۳) اشاره بآیه‌کریمه است که درسورهٔ ابراهیم واقع‌شده یوم تبدل‌الارض غیرالارض درروزی‌که بدل‌کرده می‌شود زمین بزمین دیگر (٤) یعنی آنچه درتقدیراست همان خواهد شد ودیگر هیچ وآبست مخفف آبستن است (٥) اشاره باین آیه که درسورهٔ آل عمران است و مکروا و مکرالله والله خیرالماکرین یعنی کفار و منافقین درمقام مکر وحیلت شدند وخدای تعالی نیز با آنها از درمکر برآمد وخدا بهترین مکرکنندگانست.

روی زرد وپای سست ودل‌سبك — کوغذای و السما ذات الحبك(۱) ۱ آن غذای خاصگان دولت است — خوردن آن بی‌گلو وآلت است
شد غذای آفتاب از نور عرش — مر حسود ودیو را از دود فرش ۲ در شهیدان یرزقون‌فرمودحق(۲) — آن غذارا نه دهان بُد نه طبق
دل ز هر یاری غذائی میخورد — دل ز هر علمی صفائی می برد ۳ صورت هرآدمی چون کاسه‌ایست — چشم از معنیّ او حساسه‌ایست
از لقای هر کسی چیزی خوری — واز قران هر قرین چیزی بری ٤ چون ستاره باستاره شد قرین — لایق هردو اثر زاید یقین
از قران مرد و زن زاید بشر — وز قران سنگ و آهن هم شرر ٥ وز قران خاك با بارانها — میوها و سبزها ریحانها
وز قران سبزها با آدمی — دلخوشیّ و بیغمیّ و خرّمی ٦ وز قران خُرّمی باجان ما — می بزاید خوبی و احسان ما
قابل خوردن شود اجسام ما — چون بر آید از تفرّج کام ما ۷ سرخ روئی ازقران خون بود — خون‌زخورشید خوش گلگون بود
بهترین رنگها سُرخی بود — وان زخورشیدست‌وازوی‌می‌رسد ۸ هرزمینی کان قرین شد بازحل — شوره‌گشت وکِشت‌را نبود محل
قوّت اندر فعل آید ز اتفاق — چون قران دیو با اهل نفاق ۹ این معانی راست از چرخ نهم — بی همه طاق وطرم طاق وطرم
خلق را طاق وطرم عاریتی‌است — امر را طاق وطرم ماهیّتی‌است ۱۰ از پی طاق وطرم خواری کشند — برامید عزّ در خواری خوشند
بر امید عزّ ده روزه خدوك — گردن خودکرده‌اند ازغم چودوك ۱۱ چون نمی آیند اینجا که منم — کاندرین عزّ آفتاب روشنم
مشرق خورشید بُرج قیر گون — آفتاب ما ز مشرقها برون ۱۲ مشرق او نسبت ذرّات او — نی بر آمد نی فرو شد ذات او
ما که وا پس مانده ذرّات وئیم — در دو عالم آفتاب بی فئیم ۱۳ باز گِرد شمس میگردم عجب — هم ز فرّ شمس باشد این سبب
شمس باشد بر سببها مُطلع — هم ازو حبل سببها منقطع ۱٤ صد هزاران بار ببریدم امید — ازکه ازشمس این شما باورکنید
تو مرا باور مکن کز آفتاب — صبر دارم من و یا ماهی ز آب ۱٥ ور شوم نومید نومیدیّ من — عین صنع آفتابست ای حسن
عین صنع ازنفس صانع چون بُرد — عین هست ازغیر هستی چون‌چرد ۱٦ جمله هستیها از این روضه چرند — گر براق و تازیان ورخودخرند
❀ لیك اسب کور کورانه چرد — می نبیند روضه را زانست ردّ ۱۷ وانکه گردشها از این دریا ندید — هردم آرد رو بمحراب جدید
او ز بحر عذب آب شور خورد — تا که آب شور اورا کور کرد ۱۸ بحر میگوید بدست راست خور — زاب من ای کور تا یابی بصر
هست دست راست‌اینجاظنّ راست — کو بداند نیك و بد را کزکجاست ۱۹ نیزه گردانیست ای نیزه که تو — راست میگردی گه و گاهی‌دوتو
ما ز عشق شمس دین بی ناخنیم — ورنه ما آن کور را بینا کنیم ۲۰ هان ضیاءالحق حسام‌الدین توزود — دارویش کن کوری چشم حسود
توتیای کبریائی تیز فعل — داروی ظلمت‌کش و استیز فعل ۲۱ آنکه گر بر چشم اعمی بر زنـد — ظلمت صد ساله را زو بر کند
❀جمله‌کوران را دوا کن ای‌قمر — ای نهال میوه دار افشان ثمر ۲۲ جمله‌کوران را دوا کن جز حسود — کز حسودی بر تو میآرد جحود
مر حسودت را اگر چه آن منم — جان مده تا همچنین جان میکنم ۲۳ آن که او باشد حسود آفتاب — کور میگردد ز بود آفتاب
اینت درد بیدوا کو راست آه — اینت افتاده ابد در قعر چاه ۲٤ نفیِ خورشید ازل بایستِ او — کی بر آید این مراد او بگو
باز آن باشد که باز آید بشاه ۲٥ باز کورست آنکه شدگم‌کرده راه

گرفتار شدن باز میان جغدان در ویرانه

❀ باز در ویرانه بر جغدان فتاد — راه را گم کرد و درویران فتاد ۲۷ او همه نورست از نور رضا — لیك کورش کرد سرهنگ قضا
خاك در چشمش زد واز راه برد — در میان جغد و ویرانش سپرد ۲۸ بر سری جغدانش بر سر میزنند — پرّ و بـال نازنینش میکنند
ولوله افتاد در جغدان که ها — باز آمد تا بگیرد جای ما ۲۹ چون سگان کوی پرخشم ومهیب — اندر افتادند در دلق غریب
باز گوید من چه در خوردم بجغد — صد چنین ویران رهاکردم بجغد ۳۰ من نخواهم بود اینجا میروم — سوی شاهنشاه راجع میشوم
خویشتن مکشید ای جغدان‌که من — نی مقیمم میروم سوی وطن ۳۱ این خراب آباد در چشم شماست — ور نه مارا ساعد شه بازجاست
جغد گفتا باز حیلت میکند — تاز خان ومان شما را برکند ۳۲ خانهای مـا بگیرد او بمکر — برکند ما را بسالوسی ز وکر
می‌نماید سیری این حیلت پرست — والله ازجملهٔ حریصان بدتر است ۳۳ اوخوردازحرص‌طین‌راهمچو دِبس — دنبه مسپارید ای یاران بخرس
لاف از شه میزند وز دست شاه — تا برد او ما سلیمان را ز راه ۳٤ خود چه جنس شاه باشد مرغکی — مشنوش گر عقل داری اندکی
جنس شاهست اوو یا جنس وزیر — هیچ باشد لایق لوزینه سیر ۳٥ آنچه میگوید ز مکر و فعل وفن — هست سلطان با حشم جویای من
اینت مالیخولیای نا پذیر — اینت لاف خام و دام گول گیر ۳٦ هرکه این باور کند از ابلهیست — مرغك لاغر چه درخورد شهیست
کمترین جغد ار زند بر مغز او — مرو را یاری گری از شاه کو ۳۷ گفت باز ار یك پر من بشکند — بیخ جغدستان شهنشه بر کند
جغد چبود خود اگر بازی مرا — دل برنجاند کند با من جفا ۳۸ شه کند توده بهر شیب و فراز — صدهزاران خرمن ازسرهای باز
پاسبان من عنایات ویست — هرکجا که من روم شه درپیست ۳۹ در دل سلطان خیال من مقیم — بی خیال من دل سلطان سقیم
چون بپرّاند مرا شه در روش — می‌پرم براوج دل چون پرتوش ٤۰ همچو ماه و آفتابی می پرم — پرد های آسمانها می درم
روشنیّ عقلها از فکرتم — انفطار آسمان از فطرتم ٤۱ بازم و در من شود حیران هما — جغد کبود تا بداند سِرّ ما
شه برای من ز زنـدان یاد کرد — صد هزاران بسته را آزاد کرد ٤۲ یکدمم با جغد ها دمساز کرد — از دم من جغد ها را باز کرد
ای خنك جغدی‌که در پرواز من — فهم کرد از نیکبختی راز من ٤۳ در من آویزید تا بازان شوید — گر چه جغدانید شهبازان شوید

---

(۱) اشاره بآیه درسوره والذاریات است والسماء ذات‌الحبك یعنی سوگند بآسمان که خداوند شدت واستحکام است یا بازینت تمام یابصورت نیکو خوش‌آینده یاخداوند راهها است یعنی طرق کواکب‌که مسیر ایشان‌است واین را بآسمان هفتم تعبیر نموده‌اند (۲) اشاره بآیه واقعه درسوره آل عمران است ولاتحسبنّ الذین قتلوا فی‌سبیل‌الله امواتاً بل احیاء عند ربهم یرزقون یعنی مپندارآنان را که بصدق نیت کشته شدند در راه خدا که ایشان مردگانند بلکه ایشان زنده‌اند بنزد خدا و روزی داده میشوند ازمیوه‌های بهشت در حالتیکه شادند بدان چیزی که خدا عطا نموده است برایشان از فضل خویش که آن دولت خوشنودی حق است وعطائی ورای آن متصور نیست

آن که باشد با چنان شاهی حبیب / هر کجا افتد چرا باشد غریب ۱
هر که باشد شاه دردش را دوا / گر چو نی نالد نباشد بی نوا
مالك مُلکم نیم من طبل خوار / طبل بازم می زند شه از کنار ۲
طبلِ باز من ندای ارجعی (۱) / حق گواه من برغم مدّعی
من نیم جنس شهنشه دور از او / لیك دارم در تجلّی نور از او ۳
نیست جنسیت زروی شکل وذات / آب جنس خاك آمد در نبات
باد جنس آتش آمد در قوام / طبع راجنس آمدست آخر مدام ٤
جنس ما چون نیست جنس شاه ما / مای ما شد بهر مای او فنا
چون فنا شد مای ما اوماند فرد / پیش پای اسب او گردم چوگرد ٥
خاك شد جان و نشانهای او / هست بر خاکش نشان پای او
خاك پایش شو برای این نشان / تا شوی تاج سر گردن کشان ٦
تا که نفریبد شما را شکل من / نُقل من نوشید پیش از نقل من
ای بساکس‌را که‌صورت‌راه‌زد(۲) / قصدِ صورت کرد و بر الله زد ۷
آخراین جان با بدن پیوسته است / هیچ این جان با بدن مانسته‌است
تاب نور چشم با پیه است جفت / نور دل در قطرهٔ خونی نهفت ۸
شادی اندر گرده و غم در جگر / عقل چون شمعی درون مغز سر
❀ رایحه درانف ومنطق‌درلسان / لهو در نفس و شجاعت در جنان ۹
این‌تعلقهانه بیکیف‌است وچون(۳) / عقلها در دانش چونی زبون
جان کل با جان جزو آسیب کرد / جان ازو دُرّی ستد درجیب کرد ۱۰
همچو مریم جان ازآن آسیب‌جیب / حامله شد از مسیح دل فریب
آن مسیحی نه‌که برخشك و ترست / آن مسیحی کزمساحت برترست ۱۱
پس زجان جان‌چوحامل‌گشت جان / از چنین جانی شود حامل جهان
پس جهان زاید جهان دیگری / این حشر را وا نماید محشری ۱۲
تا قیامت گر بگویم بشمرم / من ز شرح این قیامت قاصرم
❀ تاقیامت این قیامت را اگر / شرح گویم قاصر آیم ای پسر ۱۳
این سخنها خود بمعنی یاربی‌است / حرفها دام دم شیرین لبی است
چون‌کند تقصیر پس چون‌تن‌زند / جونکه لبیکش ز یارب میرسد(٤) ۱٤
هست لبیکی که نتوانی شنید / لیك سر تا پای بتوانی چشید
❀ یك مثل آوردمت تا پی بری / وز چنین لبیك پنهان برخوری ۱٥

کلوخ انداختن تشنه از سر دیوار در جوی آب

برلب جو بود دیواری بلند / بر سر دیوار تشنهٔ دردمند ۱۷
❀ تشنه ای مستسقئی زار ونزار / عاشقی مستی غریبی بی قرار
مانعش از آب آن دیوار بود / از پی‌آب او چوماهی زار بود ۱۸
❀ شد حجاب آب او دیوار او / بر فلك میشد فغان زار او
ناگهان انداخت او خشتی درآب / بانگِ آب‌آمدبگوشش‌چون‌خطاب ۱۹
چون خطاب یار شیرین و لذیذ / مست‌کرد آن بانگ آبش‌چون نبیذ
از صفای بانگ آب آن ممتحن / گشت خشت انداز وزانجاخشت‌کن ۲۰
آب میزد بانگ یعنی هی ترا / فایده چه زین زدن خشتی مرا
تشنه گفت آبا مرا دوفایده است / من ازاین صنعت‌ندارم هیچ‌دست ۲۱
فائده اول سماع بانگ آب / کو بود مرتشنگان را چون سحاب
بانگ او چون بانگ اسرافیل‌شد / مُرده را زین زندگی تحویل شد ۲۲
یا چو رعد آیام بهار / باغ می یابد ازو چندین نگار
یا چو بر درویش آیام زکات / یا چو بر محبوس پیغام نجات ۲۳
چون دم رحمان بود کان ازیمن / میرسد سوی محمّد بی دهن
یا چو بوی احمد مرسل بود / کان بعاصی در شفاعت میرسد ۲٤
یا چو بوی یوسف خوب لطیف / می زند بر جان یعقوب نحیف
❀ یا نسیم روضهٔ دار السّلام / سوی عاصی میرسد بی انتقام ۲٥
❀ یا سوی مسّ سیه از کیمیا / میرسد پیغام کای ابله بیا
❀ یا زلیلی بشنود مجنون کلام / یا فرستد ویس رامین را پیام ۲٦
فایده دیگر که هر خشتی کزین / بر کنم آیم سوی ماء معین
کز کمیّ خشت دیوار بلند / پست تر گردد بهردفعه که کند ۲۷
پستی دیوار قُربی میشود / فصل او درمان وصلی می بود
سجده آمد کندن خشت لزب / موجب قُربی که واسجد واقترب ۲۸
تا که این دیوار عالی گردنست / مانع این سر فرود آوردنست
سجده نتوان کرد برآب حیات / تا نیابی زین تن خاکی نجات ۲۹
بر سر دیوار هر کو تشنه تر / زود تر بر میکند خشت و مَدر
هرکه عاشق تر بود بربانگ آب / او کلوخ زفت تر کند ازحجاب ۳۰
او ز بانگ آب پر می تا عنق / نشنود بیگانه جز بانگ بُلق
ای خنك آنرا که او آیام پیش / مغتنم دارد گزارد وام خویش ۳۱
اندر آن ایّام کش قدرت بود / صحت و زور دل و قوت بود
وان جوانی همچو باغ سبز وتر / میرساند بی دریغی بار و بر ۳۲
چشمهای قوّت و شهوت روان / سبز میگردد زمین تن بدان
خانهٔ معمور و سقفش بس بلند / معتدل ارکان وبی تخلیط و بند ۳۳
❀ نور چشم و قوت ابدان بجا / قصر محکم خانه روشن پر صفا
❀ هین‌غنیمت‌دان جوانی‌ای پسر / سر فرود آور بکن خشت و مدر ۳٤
پیش از آن کایام پیری در رسد / گردنت بندد بحبلِ من مَسد
خاك شوره‌گردد وریزان وُسست / هرگز ازشوره نبات خوش نرست ۳٥
آب زور و آب شهوت منقطع / او ز خویش و دیگران نا منتفع
ابروان چون پارُدم زیر آمده / چشم رانم آمده تاری شده ۳٦
از تشنج رو چو پشت سوسمار / رفته نطق و طعم ودندانهاز کار
❀ پشت دوتا گشته دل‌سست‌وطپان / تن‌ضعیف‌ودست‌وپا چون ریسمان ۳۷
❀ برسرره زادکم مرکوب سست / غم قویّ و دل تنك تن نا دُرست
❀ خانه ویران‌کار بی‌سامان شده / دل زافغان همچو نای انبان شده ۳۸
❀ عمرضایع سعی باطل راه‌دور / نفس کاهل دل سیه جان ناصبور
❀ موی‌برسرهمچوبرف‌ازبیم‌مرگ / جمله اعضا لرزلرزان همچوبرگ ۳۹
روز بیگه لاشه لنگ و ره دراز / کارگه ویران عمل رفته ز ساز
بیخهای خوی بد محکم شده / قوّت بر کندن آن کم شده ٤۰
همچوآن شخص‌درشت خوش‌سخن / در میان ره نشاند او خار بن

---

(۱) از طبل باز مقصود طبلی است که چون باز دور واز نظر غایب شود مینوازند تابهوای آن باز گردد وارجعی اشاره است به آیهٔ واقعه در سورهٔ فجر که یا ایتهاالنفس‌المطمئنه ارجعی الی ربّك راضیة مرضیه یعنی ای‌جان آرام یافته وساکن شده برگرد بسوی پروردگارخود راضی‌ورضا شده (۲) حاصل معنی بیت آنستکه بساکس‌که اورا صورت راه زد یعنی از راه راست باز داشته چنانکه عابدان اصنام که منکر انبیااند وبساکس که قصد صورت کرده وبخدا رسیده چنانچه مؤمنان و مقرّان بصدق رسل علیهم‌السلام چه اقرار صورت وظاهر شرایع موجب تصدیق قلبی وقبول باطنی است وانکار ظاهر وباطن است پس بآنطریق اقرار صورت قاطع سبیل رشاد وباین‌طریق موصل الی‌الله واگرمعنی مصراع ثانی باینطریق گفته شودکه ای بساکس‌که قصد صورت‌کرد یعنی قصد ایذای صورت بتصورآنکه صورتست کرد بر الله زد یعنی درحقیقت ایذای آن صورت ایذای حق بوده و آزار حق کرده (۳) معنی‌این بیت بطریق استفهام درست میشود زیرا این تعلقها مجهول‌الکیفیة است (٤) یعنی ازیارب گفتن بنده جواب لبیك از حق می‌آید پس از یارب گفتن چرا کوتاهی کند .

فرمودن والی آن مرد را که آن خاربن را که نشاندهٔ بر سر راه بر کن

ره گذریانش ملامت گر شدند بس بگفتندش بکن آنرا نکند ۲ هر دمی آن خاربن افزون شدی پای خلق از زخم آن پرخون شدی
جامهای خلق بدریدی ز خار پای درویشان بخستی زار زار ۳ ❀ چونکه حاکم را خبر شد زین حدیث یافت آگاهی ز فعل آن خبیث
چون بجد حاکم بدو گفت این بکن گفت آری بر کنم روزیش من ٤ مدتی فردا و فردا وعده داد شد درخت خار او محکم نهاد
گفت روزی حاکمش ایوعده کژ پیش آ در کار ما وا پس منژ ٥ گفت الایام یا عم بیننا (۱) گفت عجل لا تماطل دیننا
تو که میگوئی که فردا این بدان که بهر روزی که می آید زمان ٦ آن درخت بد جوان تر میشود وین کننده پیر و مضطر میشود
خاربن در قوت و بر خاستن خار کن در سستی و در کاستن ۷ خاربن هر روز وهر دم سبزوتر خار کن هر روز زار و خشکتر
او جوانتر میشود تو پیر تر زود باش و روزگار خود مبر ۸ خار بن دان هر یکی خوی بدت بارها در پای خار آخر زدت
❀ بارها از فعل بد نادم شدی بر سر راه ندامت آمدی ۹ بارها از خوی خود خسته شدی حس نداری سخت بی‌حس آمدی
گر ز خسته گشتن دیگر کسان که ز خلق زشت توهست آن رسان ۱۰ غافلی باری ز زخم خود نهٔ تو عذاب خویش و هم بیگانهٔ
یا تبر بردار و مردانه بزن توعلی‌وار این درخیبر بکن (۲) ۱۱ ❀ ورنه چون صدیق وفاروق مهین هین طریق دیگران را برگزین
یا بگلبن وصل کن این خار را وصل کن با نار نوریار را (۳) ۱۲ تا که نور او کشد نار ترا وصل او گلبن کند خار ترا
تو مثال دوزخی او مؤمن است کشتن آتش بمؤمن ممکن است ۱۳ مصطفی فرمود از گفت جحیم کو بمؤمن لابه گر گردد ز بیم
گویدش بگذر زمن ای شاه زود هین که نورت سوزنار مرا ربود (٤) ۱٤ پس هلاك نار نور مؤمن است زانکه بی‌ضد دفع ضد لایمکن است
نار ضد نور باشد روز عدل کان زقهر انگیخته شد این زفضل ۱٥ گر همی خواهی تو دفع شر نار آب رحمت بر دل آتش گمار
چشمهٔ آن آب رحمت مؤمن است آب حیوان روح پاك محسن است ۱٦ پس گریزان است نفس تو ازو زانکه تو از آتشی او ز آب جو
زاب آتش زان گریزان میشود کاتشش از آب ویران میشود ۱۷ حس و فکر تو همه از آتش است حس شیخ وفکر او نورخوش است
آب نور او چو بر آتش چکد چکچك از آتش برآید برجهد ۱۸ چون کند چکچك تو گویش مرگ و درد تا شود این دوزخ نفس تو سرد
تا نسوزد او گلستان ترا پشت نکند عدل و احسان ترا ۱۹ ❀ یك شرر ازوی هزاران گلستان از یکی نه نام ماند نه نشان
بعد از آن چیزی که کاری بردهد لاله و نسرین و سیسنبر دهد ۲۰ باز پهنا میرویم از راه راست بازگرد ای خواجه راه ما کجاست
اندر آن تقریر بودیم ای خسور که خرت لنگست ومنزل دوردور ۲۱ ❀ بار تو باشد گران درراه چاه کج مرو رو راست اندر شاهراه
❀ سال شصت آمد که درشستت کشد راه دریا گیر تا یابی رشد ۲۲ ❀ آنکه عاقل بود در دریا رسید شد خلاص ازدام واز آتش رهید
❀ چونکه بیگه گشت وآن فرصت گذشت مرده گرد ورو سوی دریا زدشت ۲۳ ❀ ورنه در تابه شوی بریان بسی اینچنین هرگز کند بر خود کسی
حال آن سه ماهی و آن جویبار گفته شد اینجا برای اعتبار ۲٤ فانتبه ثم اعتبر ثم انتصب واستعن بالله ثم اجهد تصب (٥)
سال بیگه گشت وقت کشت نی جز سیه روئی و فعل زشت نی ۲٥ کرم در بیخ درخت تن فتاد بایدش بر کند و بر آتش نهاد
هین وهین ای راه رو بیگاه شد آفتاب عمر سوی چاه شد ۲٦ این دوروز کرا که روزت هست زود پر افشانی بکن از راه جود
❀ اینقدر تخمی که ماندستت بکار تا درآخر بینی آنرا برگ و بار ۲۷ اینقدر عمری که ماندستت بباز تا بروید زین دو دم عمر دراز
تا نمردست این چراغ با گهر هین فتیله‌اش ساز وروغن زودتر ۲۸ هین مگو فردا که فرداها گذشت تا بکلی نگذرد ایام کشت

در بیان معنی فی التاخیر آفات

پند من بشنو که تن بند قویست کهنه بیرون کن گرت میل نویست ۳۰ لب ببند و کف پر زر بر گشا بخل تن بگذار و پیش آور سخا
ترك شهوتها و لذتها سخاست هر که درشهوت فروشد برنخاست ۳۱ این سخا شاخیست از سرو بهشت (٦) وای او کز کف چنین شاخی بهشت
عروة الوثقی است این ترك هوا (۷) بر کشد این شاخ جان را برسما ۳۲ تا برد شاخ سخا ای خوب کیش مر ترا بالا کشان تا اصل خویش
یوسف حسنی تو این عالم چو چاه وین رسن صبر است بر امراله ۳۳ یوسفا آمد رسن در زن دودست از رسن غافل مشو بیگه شده است
حمد لله کاین رسن آویختند فضل و رحمت را بهم آمیختند ۳٤ ❀ دررسن زن دست و بیرون روز چاه تا ببینی بارگاه پادشاه
تا ببینی عالم جان جدید عالمی بس آشکارا نا پدید ۳٥ این جهان نیست چون هستان شده وآن جهان هست بس پنهان شده

---

(۱) ای الایام حال بیننا یا والی مقولا فی شانك عم یعنی روزها حایل شدند میان ما و کندن درخت خار بن ای حاکم که گفته شده است درشأن تو این دعا که عم صباحا بالعمة (میگویند این جمله در جاهلیت میان افراد بجای تحیت بود همانطور که دراسلام سلام علیکم رایج است و این ترکیب یاعم ازقبیل الایا اسجدواست ای الایاقوم اسجدوا وآنچه بتحقیق پیوسته درجاهلیت بین اعراب انعم الله صباحاً کلمهٔ تحیت بوده) شاید که تقدیر ترکیب اینطور بوده که الایام یا عم حال بیننا یعنی ای عمو و بزرگ روزها حایل شد میان من و اطاعت امر تو برین تقدیر تخفیف و بجای یاعم لفظ باعد نیز درست است (۲) یعنی تو علی وار در خیبر که عبارت از قلعهٔ نفس و چهار دیوار بدنست برکن (۳) یعنی خار خود را بگلبن مرشد کامل وصل کن ونار خودرا بنوریار ملحق گردان تا نور او نار طبیعت وآتش شهوت ترا بکشد ووصل خارنفسانی وخاشاك جسمانی را بگلبن مبدل سازد (٤) اشاره بحدیث است که فرمود جر یا مؤمن فان نورك اطفا ناری یعنی چون مؤمنی ازجهنم عبورکند دوزخ باو بگوید که زود بگذر ای مؤمن زیرا که نورایمان توخاموش کرد وفرونشانید آتش مرا (٥) یعنی بیدارشو وعبرت گیر و پابرجا وثابت قدم باش ویاری طلب ازخدا وجهد وسعی نما تابمطلوب برسی وحال آن ۳ ماهی اشاره است بقصهٔ آبگیر و صیادان وآن ۳ ماهی یکی عاقل و یکی نیم عاقل وآن دیگری مغرور ابله و عاقبت کار آنها در دفتر چهارم ذکر خواهد شد (٦) در حدیث نبویست که السخاء شجرة من اشجار الجنة اغصانها مستدلیات فی الدنیا من أخذ غصناً منها قادة ذلك الغصن الی الجنة یعنی سخا درختی است از درختهای بهشت وشاخهای او فروهشته در دنیا هرکه بگیرد یکی از آن شاخها را میکشد اورا آن شاخه بسوی بهشت (۷) عروة الوثقی یعنی بند محکم چنانچه درآیة الکرسی در سورهٔ بقره واقع شده فمن یکفر بالطاغوت ویؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقی.

کتابخانه خصوصی
غلامحسین - سرود

خاك بر بادست و بازی میکند — کژ نمائی پرده سازی میکند ۱ خاك همچون آلتی در دست باد — باد را دان عالی و عالی نژاد
چشم خاکی را بخاك افتد نظر — بادبین چشمی بود نوعی دگر ۲ اینکه برکارست بیکارست وپوست — وانکه پنهانست مغز و اصل اوست
اسب داند اسب راکو هست یار — هم سواری داند احوال سوار ۳ چشم حسّ اسب است و نور حقّ سوار — بی سوار این اسب خود ناید بکار
پس ادب کن اسب را ازخوی بد — ورنه پیش شاه باشد اسب رد ٤ چشم اسب از چشم شه رهبر بود — چشم او بی چشم شه مضطر بود
چشم اسبان جزگیاه و جز چرا — هرکجا خوانی بگوید نی چرا ٥ نور حق بر نورحس راکب شود — آنگهی جان سوی حق راغب شود
اسب بی راکب چه داند رسم راه — شاه باید تا بداند شاهراه ٦ سوی حسی رو که نورش راکب است — حسّ را آن نور نیکو صاحب است
نور حس را نورحق تزیین بود — معنی نور علی نور این بود(۱) ۷ نور حسی میکشد سوی ثری — نور حقش میبرد سوی علا
زانکه محسوسات دونتر عالمیست — نورحق دریا وحس چون شبنمیست ۸ لیك پیدا نیست آن راکب برو — جز بآثار و بگفتار نکو
نورحسی کو غلیظ است وگران — هست پنهان در سواد دیدگان ۹ چونکه نور حسّ نمیبینی ز چشم — چون به بینی نور آن دنبی زچشم
نور حس با این غلیظی مختفیست — چون خفی نبود ضیائی کان صفیست ۱۰ اینجهان چون خس بدست باد غیب — عاجزی پیشه گرفت از داد غیب
گه ببحرش میبرد گاهیش بر — گاه خشکش میکند گاهیش تر ۱۱ دست پنهان و قلم بین خطگزار — اسب در جولان و نا پیدا سوار
گه بلندش میکند گاهیش پست — گه درستش میکند گاهی شکست ۱۲ گه یمینش میبرد گاهی یسار — گه گلستانش کند گاهیش خار
تیر پرّان بین و نا پیدا کمان — جانها پیدا و پنهان جان جان ۱۳ تیر را مشکن که این تیر شهی است — نیست پرتابی زشصت آگهی است(۲)
مارمیت اذرمیت گفت حق (۳) — کار حق برکارها دارد سبق ۱٤ خشم خود بشکن تو مشکن تیررا — چشم خشمت خون نماید شیر را
بوسه ده بر تیر و پیش شاه بر — تیر خون آلوده از خون توتر ۱٥ آنچه پیدا عاجز و پست و زبون — وانچه نا پیدا چنان تندو حرون
ما شکاریم اینچنین دامی کراست — گوی چوگانیم چوگانی کجاست ۱٦ میدرد میدوزد این خیاط کو — میدمد میسوزد این نفاط کو
ساعتی کافر کند صدیق را — ساعتی زاهد کند زندیق را ۱۷ زانکه مخلص درخطر باشد مدام(٤) — تا ز خود خالص نگردد او تمام
زانکه درراهست ورهزن بیحدست — آن رهد کو در امان ایزدست ۱۸ آینهٔ خالص نگشت او مخلص است — مرغ را نگرفته است اومقنص است
چونکه مخلص گشت مخلص بازرست(٥) — درمقام امن رفت و بُرد دست ۱۹ هیچ آینه دگر آهن نشد — هیچ نانی گندم خرمن نشد
هیچ انگوری دگر غوره نشد — هیچ میوهٔ پخته با کوره نشد ۲۰ پخته گرد و از تغیر دور شو — رو چوبرهان محقق نور شو(٦)
چون زخود رستی همه برهان شدی — چون که گفتی بنده ام سُلطان شدی ۲۱ ورعیان خواهی صلاح الدین نمود(۷) — دیدها را کرد بینا و گشود
فقر را از چشم و از سیمای او — دید هر چشمی که دارد نور هو ۲۲ شیخ فعّالست بی آلت چو حق — با مریدان داده بی گفتی سبق
دل بدست او چو موم نرم رام — مُهر او گه ننگ سازد گاه نام ۲۳ مهر مومش حاکی انگشتریست — باز آن نقش نگین حاکیّ کیست
حاکی اندیشهٔ آن زرگر است — سلسلهٔ هر حلقه اندر دیگر است ۲٤ این صدا در کوه دلها بانگ کیست — که پراست ازبانگ این کُه گه تهی است
هرکجاهست او حکیم است اوستاد — بانگ او زین کوه دل خالی مباد ۲٥ هست کُه کآوا مثنا میکند — هست کُه که کاواز صد تا می کند
می زهاند کوه ازان آواز و قال — صد هزاران چشمهٔ آب زلال ۲٦ چون زکُه آن لطف بیرون میشود — آبهای چشمها خون میشود
زان شهنشاه همایون نعل بود — که سراسر طور سینا لعل بود ۲۷ جان پذیرفت و خرد اجزای کوه — ما کم از سنگیم آخر ای گروه
نی بدن از سبز پوشان میشود — نی صدای بانگ مشتاقی درو ۲۸ نی صفای جرعهٔ ساقی درو
کو حمیت تاز تیشه وز کلند — اینچنین کُه را بکلی برکنند ۲۹ بو که بر اجزای او تابد مهی — بو که در وی تاب مه یابد رهی
چون قیامت کوهها را بر کند — پس قیامت این کرم کی میکند ۳۰ این قیامت زان قیامت کی کمست — آن قیامت زخم واین چون مرهمست
هرکه دید آن مرهم اززخم ایمنست — هربدی کین حسن دید او محسنست ۳۱ ای خنك زشتی که خوبش شد حریف — وای گل روئی که جفتش شد خریف
نان مُرده چون حریف جان شود — زنده گردد نان و عین آن شود ۳۲ هیزم تیره حریف نار شد — تیرگی رفت و همه انوار شد
در نمکسار ار خر مُرده فتاد — آن خرّی و مُردگی یکسو نهاد ۳۳ صبغة الله هست رنگ خمّ هو(۸) — پیسها یك رنگ گردد اندرو
چون درآن خم افتد وگوئیش قم — از طرب گوید منم خم لاتلم ۳٤ آن منم خم خود اناالحق گفتن است — رنگ آتش دارد الا آهن است
رنگ آهن محو رنگ آتش است — زآتشی میلافد و خامش وش است ۳٥ چون بسرخی گشت همچون زرّ کان — پس اناالنار است لافش بی زبان
شد ز رنگ و طبع آتش محتشم — گوید او من آتشم من آتشم ۳٦ آتشم من گر ترا شکست و ظن — آزمون کن دست را برمن بزن
آتشم من بر تو گر شد مشتبه — روی خود برروی من یکدم بنه ۳۷ آدمی چون نور گیرد از خدا — هست مسجود ملایك زاجتبا

---

(۱) اشاره است بآیه واقعهٔ در سورهٔ نور یکاد زیتها ولو لم یمسسه نار نور علی نور یهدی الله لنوره من یشاء یعنی نزدیکست بافروختن روغن آن اگرچه آتش بآن نرسد نور بر نور است راه مینماید خدا بنور خود هرکه را میخواهد (۲) یعنی پرتابی نیست که از روی هوا و خواهش بی معنی باشد بلکه شخص آگاهی اورا پرانیده (۳) اشارهٔ بآیه شریفه است که مارمیت اذرمیت ولکن الله رمی یعنی تو نمی افکنی تیررا چون می اندازی بلکه خدا می افکند (٤) مضمون این حدیث است المخلصون فی خطر عظیم یعنی مخلصان درگاه خداوندی در خطر بزرگند تا از خود خالص نگردیده بمرتبهٔ مخلص نرسند وبه نتیجهٔ اخلاص که برگزیدگی حقست فایزنگردند ازخطر ایمن نیستند (٥) اشاره است به آیه واقعه در سورهٔ حجر (قال ربّ بما اغویتنی لازینن لهم الارض ولاغوینهم اجمعین الاعبادك منهم المخلصین گفت ابلیس که ای آفریدگار من سوگند میخورم با غوای تو مرا که هر آینه بیارایم برای آدمیان گناه را در دنیا وگمراه سازم همهٔ ایشان مگر بندگان تو از ایشان که خالص باشند از شوائب شرك جلی وخفی که مکر وفریب را درایشان اثرنباشد (٦) مقصود از برهان محقق سید برهان المحققین ترمدیست که خلیفهٔ بزرگ سلطان بهاءالدین والد بزرگوار مولوی بوده ومولوی ازو تربیتها یافته (۷) صلاح الدین زرکوب از مشایخ ومرید برهان الدین است (۸) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ بقره « صبغة الله ومن احسن من الله صبغة » یعنی بجوئید رنگ خودرا که مراد ایمانست وکیست که رنگ او از رنگ خدا بهتر باشد در بارهٔ نصاراست که اطفال خود را بآب معموریه غسل میدادند .

نیز مسجود کسی کو چون ملك / رسته باشد جانش ازطغیان وشك ۱ آتش چه آهن چه لب بیند / ریش تشبیه و مشبه را بخند
پای در دریا منه کم گو از آن / برلب دریاخمش کن لب گزان ۲ گرچه صد چون‌من ندارد تاب بحر / لیك من نشکیبم از غرقاب بحر
جان و عقل من فدای بحر باد / خونبهای عقل وجان این بحرداد ۳ تا که پایم میرود رانم درو / چون نماند پا چو بطانم درو
بی‌ادب حاضر زغایب خوشتراست / حلقه گرچه‌کژ بود نی بردر است ۴ ای تن آلوده بگرد حوض گرد / پاك کی گردد برون حوض مرد
پاك کو از حوض مهجور اوفتاد / او زطهر خویش هم دوراوفتاد ۵ پاکی این حوض بی پایان بود / پاکی اجسام کم میزان بود
زانکه دل‌حوضی‌است لیکن‌درکمین / سوی دریا راه پنهان دارد این ۶ پاکی محدود تو خواهد مدد / ور نه اندر خرج کم گردد عدد

تمثیل در بیان خواندن آب ، آلودگان را بپاکی

آب گفت آلوده را در من شتاب / گفت آلوده که دارم شرم ازآب ۸ گفت‌آب این شرم بی من‌کی رود / بی من این آلوده زایل کی شود
ز آب هر آلوده کو پنهان شود / الحیاء یمنع الایمان بود (۱) ۹ دل ز پایهٔ حوض تن گلناك شد / تن ز آب حوض دلها پاك شد
گرد پایهٔ حوض دل گردای پسر / هان ز پایهٔ حوض تن‌میکن حذر ۱۰ بحر تن بر بحر دل برهم زنان / در میانشان برزخ لایبغیان
گرتو باشی راست ور باشی‌توکژ / پیشتر می غژ بدو وا پس مغژ ۱۱ پیش شاهان گر خطر باشد بجان / لیك نشکیبند عالی همتان
شاه چون شیرین تراز شکر بود / جان بشیرینی رود خوشتر بود ۱۲ ای ملامت گو سلامت مر ترا / وی سلامت جورها کن تو مرا
جان‌من‌کوره‌داست وباآتش‌خوشست / کوره را این‌بس‌که خانهٔ آتش‌است ۱۳ همچو کوره عشق را سوزیدنیست / هرکه او زین‌کور باشد کودنیست
برگ بی‌برگی ترا چون برگ شد / جان باقی یافتی و مرگ شد ۱۴ چون زغم شادیت افزودن گرفت / روضهٔ جانت گل وسوسن گرفت
آنچه خوف دیگران‌آن امن تست / بط قوی ازبحر ومرغ خانه سست ۱۵ باز دیوانه شدم من ای طبیب / باز سودائی شدم من ای حبیب
حلقهای سلسلهٔ تو ذو فنون / هر یکی‌حلقه دهد دیگرجنون(۲) ۱۶ داد هر حلقه فنونی دیگرست / پس مرا هردم جنونی دیگرست
پس‌جنون باشد فنون این‌شدمثل / خاصه در زنجیر این میر اجل ۱۷ آنچنان دیوانگی بگسست بند / که همه دیوانگان پندم دهند (۳)

آمدن دوستان بیمارستان جهة پرسش ذو النون مصری

این‌چنین ذوالنون مصری‌را فتاد / کاندرو شور و جنون نو بزاد ۱۹ شور چندان شد که تا فوق فلك / می رسید ازوی جگر ها را نمك
هین‌منه‌توشورخود ای‌شوره خاك / پهلوی شور خداوندان پاك ۲۰ خلق را تاب جنون او نبود / آتش او ریشهاشان میربود
چونکه درریش عوام آتش فتاد / بند کردندش بزندان المراد ۲۱ نیست امکان واکشیدن این لجام / گر چه زین ره تنگ می‌آیند عام
دیده این‌شاهان زعامه خوف جان / کاین گره کورندوشاهان‌بی‌نشان ۲۲ چون‌که حکم اندرکف‌رندان بود / لاجرم ذوالنون در زندان بود
یك سواره میرود شاه عظیم / در کف طفلان چنین دُرّ یتیم ۲۳ دُر چه دریای نهان در قطرهٔ / آفتابی مخفی اندر ذرّهٔ
آفتابی خویش را ذرّه نمود / و اندك‌اندك‌روی‌خودرا برگشود ۲۴ جملهٔ ذرّات در وی محو شد / عالم از وی مست‌گشت وصحوشد
چون قلم در دست غدّاری بود / لاجرم منصور برداری بود ۲۵ چون سفیهان راست این‌کار وکیا / لازم آمد یقتلون الانبیا (٤)
انبیا را گفته قوم راه گم / ازسفه اِنا تطیرنا بکم (٥) ۲۶ جهل ترسابین امان انگیخته / زان خداوندی که گشت آویخته
چون بقول اوست مصلوب جهود / پس مرو را امرکی تاند نمود ۲۷ چون دل آن‌شاه زیشان خون‌بود / عصمت و انت فیهم چون بود(٦)
زرّ خالص را و زرگر را خطر / باشد از قلّاب خاین بیشتر ۲۸ یوسفان از رشك زشتان مخفبند / کز عدو خوبان در آتش میزیند
یوسفان از مکر اخوان درچهند / کازحسد یوسف بگرگان میدهند ۲۹ ازحسد بر یوسف مصری چه‌رفت / این حسد اندر کمین‌گرگیست‌زفت
لاجرم زین گرگ یعقوب حلیم / داشت بریوسف همیشه خوف وبیم ۳۰ گرگ ظاهرگرد یوسف خودنگشت / این حسد درفعل ازگرگان‌گذشت
زخم کرد این‌گرگ وز عذر لبق / آمده کانا ذهبنا نستبق(۷) ۳۱ صدهزاران‌گرگ رااین مکرنیست / عاقبت رسوا شود این‌گرگ‌بایست
زانکه حشر حاسدان روز گزند / بیگمان بر صورت گرگان کنند ۳۲ حشر پر حرص خس مردار خوار / صورت خوکی بود روز شمار
زانیان را گنده اندام نهان / خمر خوارانرا بود گند دهان ۳۳ گند مخفی‌کان بدلها می‌رسید(۸) / گشت اندر حشر محسوس و پدید
پیشهٔ آمد وجود آدمی / برحذر شو زین وجودار آدمی ۳٤ ❀ ظاهر و باطن اگر باشد یکی / نیست کس را درنجات او شکی
دروجود ما هزاران گرگ‌وخوك / صالح ونا صالح وخوب وخشوك ۳٥ حکم‌آن خوراست کو غالب ترست / چونکه‌زربیش‌ازمس‌آمدآن زرست
سیرتی کان در وجودت غالبست / هم برآن تصویر حشرت واجبست ۳٦ ساعتی گرگی در آید در بشر / ساعتی یوسف رخی همچون قمر
میرود از سینها در سینها / از ره پنهان صلاح و کینها ۳۷ بلکه خود از آدمی در گاو وخر / میرود دانائی و علم و هنر

---

(۱) در حدیث است الحیاء یمنع الایمان یعنی حیا باز میدارد از ایمان (۲) در مثل است الجنون فنون یا للجنون فنون یعنی دیوانگی اقسام دارد (۳) یعنی دیوانگی چنان غالب آمد که دیوانگان دیگر مرا نصیحت می‌کنند . (٤) اشاره است بآیهٔ واقعه درسورهٔ آل عمران «ویقتلون الانبیاء بغیر حق ذلك بما عصوا و کانوا یعتدون یعنی و میکشتند کافران پیغمبران را بناسزا بدون هیچ جرمی و این بسبب سرکشی و طغیانست (٥) اشاره بآیه واقعه درسوره یس‌قالوا اناتطیرنا بکم لئن لم‌تنتهولنرجمنکم ولیمسنکم مناعذاب الیم یعنی‌کفارمیگویند به پیغمبران‌که ما فال بدگرفتیم بآمدن شما ازوقتی‌که بدین شهر آمده اید باران نیامده ومزروعات ماخشك شده اگر ازدعوی خود باز نایستید شمارا سنگسار میکنیم و بشما از ما عذاب های درد ناك خواهد رسید (٦) در سورهٔ انفال است وماکان الله لیعذبهم وانت فیهم یعنی خداوند عذاب نمیکند قومی را که تو درمیان ایشان باشی زیرا سنت الهی برآن جاری شده که خدا مستأصل نمیگرداند قومی را که پیغبرشان درمیانشان باشد خصوصاً پیغمبر آخرالزمان که رحمت عالمیانست (۷) در سورهٔ یوسف (وجاؤا اباهم عشاء یبکون قالوا یا ابانا انّا ذهبنا نستبق وترکنا یوسف عند متاعنا فاکله الذئب) یعنی برادران یوسف آمدند شامگاه گریان نزد پدرشان و گفتند ای پدر ما رفتیم به تیراندازی در صحرا و بر یکدیگر در دویدن پیشی‌گرفتیم ویوسف را تنها بر سر رخت و بارهای خود گذاشتیم و گرگ او را بخورد (۸) یعنی در دنیا گند مخفی بر کاملان معلوم و ظاهر است و در قیامت علانیه و برهمه کس آشکار .

اسب سُکسك میشود رهوارورام ... خرس بازی میکند بُز هم سلام ۱ رفت درسگ زآدمی حرص وهوس ... یا شبان شد یا شکاری یا حرس
درسگ اصحاب خوئی زان رُقود(۱) ... رفت تا جویای رحمن گشته بود ۲ هر زمان در سینه نوعی سر کند ... گاه دیو و گه ملك گه دام ودد
زان عجب بیشه که هرشیر آگهست ... تا بدام سینها پنهان رهست ۳ دزدئی کن از دُر ومرجان جان ... ای کم از سگ از درون عارفان
چونکه دزدی باری آن دُرّ لطیف ... چونکه حامل میشوی باری شریف ۴ ❀ چونکه ذوالنون سوی زندانرفت شاد ... بند بر پا دست برسر زافتقاد(۲)
❀ دوستان ازهرطرف بنهاده رو ۵ بهر پرسش سوی زندان نزد او

فهم کردن مریدان که ذوالنون دیوانه نیست و بقصد چنین کرده

دوستان در قصهٔ ذوالنون شدند ... سوی زندان و درآن رائی زدند ۷ کاین مگر قاصد کند یا حکمتیست ... کو در این دین قبلهٔ و آیتیست
دور دور ازعقل چون دریای او ... تا جنون باشد سفه فرمای او ۸ حاش لله از کمال جاه او ... کابر بیماری بپوشد ماه او
او ز شرّ عامه اندر خانه شد ... او ز ننگ عاقلان دیوانه شد ۹ او ز عار عقل کُند تن پرست ... قاصدا رفتست و دیوانه شدست
که به بندم ای فتی وز ساز گاو ... برسر و پشتم بزن وین رامکاو ۱۰ تا ز زخم لخت یابم من حیات ... چون قتیل ازگاو موسی ای ثقات
تا ززخم لخت گاوی خوش شوم ... همچوکشتهٔ گاو موسی کش شوم ۱۱ زنده شد کشته ز زخم دُمّ گاو ... همچو مسّ از کیمیا شد زرّ ساو
کشته برجست و بگفت اسرار را ... وا نمود آن زمرهٔ خون خواررا ۱۲ گفت روشن کاین جماعت کشته‌اند ... تخم این آشوب ایشان کشته اند
چونکه کشته گردد این جسم گران ... زنده گردد هستی اسرار دان ۱۳ جان او بیند بهشت و نار را ... باز داند جملهٔ اسرار را
وا نماید خونیان دیو را ... وا نماید دام خدعه وریو را ۱۴ گاوکشتن هست از شرط طریق ... تا شود اززخم دُمّش جان مُفیق
گاونفس خویش را زوتر بکش(۳) ... تاشود روح خفی زنده وبهش ۱۵ ❀ این سخن رامقطع وپایان مجو ... حال ذوالنون با مریدان باز گو

رجوع کردن بحکایت ذوالنون با مریدان

چون رسیدند آن نفر نزدیك او ... بانگ بر زد هی کیانید اتقوا ۱۷ با ادب گفتند ما از دوستان ... بهر پرسش آمدیم اینجا بجان
چونی ای دریای عقل ذو فنون ... این چه بهتانست بر عقلت جنون ۱۸ دود گلخن کی رسد در آفتاب ... چون شود عنقا شکسته از غراب
وا مگیر از ما بیان کن این سخن ... ما مجبّانیم با ما این مکن ۱۹ مر مُجبانرا نشاید دور کرد ... یا برو پوش ودغل مغرور کرد(٤)
❀ راز را اندرمیان نه با مجب ... ایکه بحر علم و عقلی استجب ۲۰ راز را اندر میان آور شها ... رو مکن در ابر پنهانی مها
ما محبّ صادق و دلخسته ایم ... در دو عالم دل بتو در بسته ایم ۲۱ ❀ رازرا از دوستان پنهان مکن ... در میان نه راز وقصد جان مکن
❀ چونکه ذوالنون اینسخن زایشان شنید ... جز طریق امتحان مخلص ندید ۲۲ فحش آغازید و دشنام از گزاف ... گفت او دیوانگانه زی وقاف
برجهیدوسنگ پرّان کرد وچوب ... جملگان بگریختند از بیم کوب ۲۳ قهقهه خندید و جنبانید سر ... گفت باد ریش این یاران نگر
دوستان بین کو نشان دوستان ... دوستان را رنج باشد همچو جان ۲٤ کی کران گیرد زرنج دوست دوست ... رنج مغز و دوستی آن را چوپوست
نی نشان دوستی شد سر خوشی ... در بلا و آفت و محنت کشی ۲۵ ❀ رنج برخود گیرگر تو دوستی ... رو مگردان گر تو نیکو خوستی
دوست همچون زربلاچون آتش است ۲٦ زرّ خالص دردل آتش خوش است(٥)

امتحان کردن خواجه زیرکی لقمان را

نی که لقمان را که بندهٔ پاك بود ... روز وشب دربندگی چالاك بود ۲۸ خواجه اش میداشتی درکار پیش ... بهترش دیدی ز فرزندان خویش
زانکه لقمان گرچه بنده زاده بود ... خواجه بود وازهوا آزاده بود ۲۹ گفت شاهی شیخ را اندر سخن ... چیزی ازبخشش زمن درخواست کن
گفت ای شه شرم ناید مر ترا ... که چنین گوئی مرازین برترآ ۳۰ من دو بنده دارم و ایشان حقیر ... وآن دو بر تو حاکمانند و امیر
گفت شه آن دوچه‌اند این زلّتست ... گفت آن یك خشم ودیگرشهوتست ۳۱ شاه آن دان کو زشاهی فارغست ... بی مه و خورشید نورش بازغست
مخزن آن دارد که مخزن عاراوست ... هستی آن دارد که هستی را عدوست ۳۲ خواجهٔ لقمان بظاهر خواجه وش ... در حقیقت بنده لقمان خواجه‌اش
در جهان بازگونه زین بسیست ... درنظرشان گوهری کم از خسیست ۳۳ مر بیابان را مفازه (٦) نام شد ... نام و ننگی عقلشان را دام شد
یك کُرُه راخودمعرّف جامه‌است ... در قبا گویند کو از عامه است ۳٤ یك کُرُه را ظاهرا سالوس زهد ... نور باید تا بود جاسوس زهد
نور باید پاك از تقلید وعول ... تاشناسد مرد را بی‌فعل و قول ۳۵ در رود در قلب او از راه عقل ... نقد او بیند نباشد بند نقل
بندگان خاص علاّم الغیوب ... درجهان جان جواسیس القلوب(۷) ۳٦ در درون دل درآید چون خیال ... پیششان مکشوف باشد سرّ حال
درتن گنجشك چبود برگ و ساز ... که شود پوشیده آن بر عقل باز ۳۷ آنکه واقف گشت بر اسرار هو ... سرّ مخلوقات چبود پیش او
آنکه برافلاك رفتارش بود ... بر زمین رفتن چه دشوارش بود ۳۸ در کف داود کاهن گشت موم ... موم چبود در کف او ای ظلوم
بود لقمان بنده شکلی خواجهٔ ... بندگی بر ظاهرش دیباجهٔ ۳۹ چون رود خواجه بجائی ناشناس ... بر غلام خویش پوشاند لباس
او بپوشد جامهای آن غلام ... مر غلام خویش را سازد امام ٤۰ درپیش چون بندگان درره شود ... تا نباید زو کسی آگه شود

---

(۱) رقود جمع راقد بمعنای خوابست و مقصود از اصحاب اصحاب کهف است (۲) مقصود ازافتقاد در اینجا گم کردن عقل است (۳) اشاره است به آیه واقعهٔ در سوره بقره که قال ان الله یأمرکم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اکون من الجاهلین چون عامیل در یهود مقتول شد از موسی از قاتل او پرسیدند این آیت در آن مقام است که گفت بکشید گاوی را که خدا امر کرده و بعضی اجزای آن را بر مقتول زنید زنده شود و خود بگوید گفتند آیا بما استهزا میکنی گفت پناه بخدا میبرم که از نادانان واستهزاء کنندگان باشم (٤) بوش بالفتح گروه آدمی که از هر جنس بهم آمیخته باشند و پوش بالضم آوازهٔ یك شور و آوازهٔ بد و در اینجا مقصود همین است (٥) البلاء للولاء کالمهب للذهب یعنی بلا محك ومعیار امتحان برای دوستی است چنانچه آتش برای طلا (٦) مفازه محل رستگاری است ولی برسبیل تفال نام بیابان مهلك را نهاده اند (۷) کماورد فی حقهم احذروهم فانهم جواسیس القلوب یعنی بیندیشید از پاکان و اهل معرفت که جاسوس دلهایند و از همه دل آگاه.

گوید ای بنده تو رو بر صدر شین(۱) من بگیرم کفش چون بندهٔ کمین ۱ تو درشتی کن مرا دشنام ده مر مرا تو هیچ توقیری منه
ترکِ خدمت خدمت تو داشتم تا بغربت تخم حیلت کاشتم ۲ خواجگان این بندگیها کرده اند تا گمان آید که ایشان برده اند
چشم پر بودند وسیر از خواجگی کارها را کرده اند آمادگی ۳ وین غلامان هوا بر عکس آن خویشتن بنموده خواجهٔ عقل وجان
آید از خواجه ره افکندگی ناید از بنده بغیر بندگی ٤ پس از آن عالم بدین عالم چنان تعبیتها هست بر عکس این بدان
خواجهٔ لقمان ازین حال نهان بود واقف دیده بود ازوی نشان ٥ راز می‌دانست خوش میراند خر از برای مصلحت آن راهبر
مرو را آزاد کردی از نخست لیك خوشنودیِ لقمان را بجست ٦ زانکه لقمان را مراد این بود تا کس نداند سِرّ آن شیر فتی
چه عجب گر سِر زبد پنهان کنی(۲) این عجب که سِرّ زخود پنهان کنی ۷ کار پنهان کن تو از چشمان خود تا بود کارت سلیم از چشم بد
خویش را تسلیم کن بردار مزد وانکه ازخود بی‌زخودچیزی بدزد ۸ میدهند افیون بمرد زخم مند تا که پیکان ازتنش بیرون کنند
وقت مرگ ازرنج اورا می درند او بدان مشغول شد جان میبرند ۹ چون بهر فکری که دل‌خواهی سپرد از تو چیزی درنهان خواهندبرد
هر چه اندیشیّ و تحصیلی کنی می‌درآید دزد زانسو کایمنی ۱۰ پس‌بدان مشغول‌شوکان بهتراست تا ز تو چیزی برد کان کهتراست
بار بازرگان چو در آب اوفتد کشتی مالش بغرقاب اوفتد ۱۱ دست اندر کالهٔ بهتر زند هر چه نازلتر بدریا افکند
چونکه چیزی فوت‌خواهدشد درآب ترك کمتر گوی وبهتر را بیاب ۱۲ ❀ نقد ایمان‌را بطاعت‌گوش‌دار(۳) تا ز روی حق نگردی شرمسار
❀ چونکه نقدت را نگهداری کنی ۱۳ حرص و غفلت را برد دیو دنی

ظاهر شدن فضل و زیرکی لقمان پیش امتحان کنندگان

❀ خواجهٔ لقمان چو لقمان‌را شناخت بنده بود اورا وبا اوعشق‌باخت ۱۵ هر طعامی کاوریدندی بوی کس سوی لقمان فرستادی ز پی
تا که لقمان دست سوی آن برد قاصدا تاخواجه پس‌خورده‌ش‌خورد ۱٦ سؤر او خوردیّ و شورانگیختی هر طعامی کو نخوردی ریختی
ور بخوردی بی دل وبی‌اشتها این بود پیوستگی بی منتها ۱۷ خربزه آورده بودند ارمغان ❀ لیك غایب بود لقمان‌آن زمان
گفت خواجه باغلامی کایفلان ❀ زود رو فرزند لقمان را بخوان ۱۸ ❀ چونکه‌لقمان‌آمد وپیشش نشست خواجه پس بگرفت سکینی بدست
چون برید و داد اورایك بُرین همچو شکر خوردش وچون‌انگبین ۱۹ ازخوشی که خورد داد اورا دوم تا رسید آن کرجها تا هفدهم
ماند کرجی‌گفت اینرا من‌خورم(٤) تا چه شیرین‌خربزه‌است این بنگرم ۲۰ او چنین خوش میخوردکزذوق‌او طبعها شد مشتهیّ و لقمه جو
چون بخورداز تلخیش‌آتش‌فروخت هم‌زبان کرد آبله هم‌حلق سوخت ۲۱ ساعتی بیخود شد از تلخیّ آن بعد از آن‌گفتش‌که ای‌جان جهان
نوش چون‌کردی توچندین زهررا لطف چون انگاشتی این قهر را ۲۲ این‌چه‌صبرست‌این‌صبوری‌ازچه‌روست یامگر پیش توابن جانت عدوست
چون نیاوردی بحیلت حجّتی که مرا عذریست بس‌کن ساعتی ۲۳ گفت من از دست نعمت بخش‌تو خورده‌ام چندان‌که از شرمم‌دوتو
شرمم‌آمد که یکی تلخ از کفت می ننوشم ای تو صاحب معرفت ۲٤ چون همه اجزایم از انعام تو رُسته اند وغرق دانه و دام تو
گر زیك تلخی کنم فریاد و داد خاك صد ره بر سر اجزام باد ۲٥ لذت دست شکر بخشت‌که داشت اندرین بطبخ تلخی کی گذاشت
از محبّت تلخها شیرین شود از محبت مسّها زرّین شود ۲٦ از محبت دُردها صافی شود وز محبت دردها شافی شود
❀ از محبت خارها گُل میشود وز محبت سرکها مُل میشود ۲۷ ❀ از محبت دار تختی میشود وز محبت بار بُختی میشود
❀ ازمحبت سجن گلشن میشود بی محبت روضه گلخن میشود ۲۸ ❀ از محبت نار نوری میشود وز محبت دیو حوری میشود
❀ از محبت سنگ روغن میشود بی محبت موم آهن میشود ۲۹ ❀ از محبت حزن شادی میشود وز محبت غول هادی میشود
❀ از محبت نیش نوشی میشود وز محبت شیر موشی میشود ۳۰ ❀ از محبت سقم صحت میشود وز محبت قهر رحمت میشود
از محبت مرده زنده میشود وز محبت شاه بنده میشود ۳۱ این محبت هم نتیجهٔ دانش است کی گزافه بر چنین تختی نشست
دانش ناقص کجا این عشق زاد عشق زاید ناقص اما بر جماد ۳۲ بر جمادی رنگ مطلوبی چو دید از صفیری بانگ محبوبی شنید
دانش ناقص نداند فرق را لاجرم خورشید داند برق را ۳۳ چونکه ملعون‌خواند ناقص‌رارسول بود در تأویل نقصان عقول
زانکه ناقص‌تن بود مرحوم رحم نیست برمرحوم لایق لعن وزحم ۳٤ نقص عقلست آنکه بد رنجوریست موجب لعنت سزای دوریست
زانکه تکمیل خردها دور نیست لیك تکمیل بدن مقدور نیست ۳٥ کفر و فرعونیّ هر گبر عنید جمله از نقصان عقل آمد پدید
بهرِ نقصان بدن آمد فرج در نُبی که ماعلی‌الاعمی‌حرج(٥) ۳٦ برق آفل باشد و بس بی وفا آفل از باقی ندانی بی صفا
برق خندد بر که میخندد بگو بر کسی که دل نهد بر نور او ۳۷ نور های برق بیریده پی است آن‌چولاشرقی‌ولاغربی‌کی‌است(٦)
برق‌خودرایخطف‌الابصاردان(۷) نور باقی را همه ابصار دان ۳۸ بر کف دریا فرس را راندن نامه را در نور برقی خواندن
از حریصی عاقبت نادیدنست بر دل و برعقل خود خندیدنست ۳۹ عاقبت بین است عقل از خاصیت نفس باشد کو نبیند عاقبت

---

(۱) شین مخفف نشین است (۲) یعنی افعال خود را درنظر نیاری (۳) یعنی نقد ایمان‌را بطاعت نگاه‌دار وحفظ کن (٤) کرج قطعه ای از خربوزه و هندوانه را گویند با گاف هم نویسند (٥) اشاره بآیه واقعهٔ در سورهٔ فتح که لیس علی الاعمی حرج ولا علی الاعرج حرج‌ولا علی المریض حرج یعنی بر نابینا ولنگ ومریض در تخلف ازجهاد جرمی وحرجی نیست وآنها معذورند (٦) این آیه درسورهٔ نور واقع شده الله نورالسموات والارض مثل نوره کمشکوة فیها مصباح المصباح فی زجاجة الزجاجة کانها کوکب درّی توقد من شجرة مبارکة زیتونة لاشرقیة ولاغربیة خدا نور آسمانها و زمین است و نور نامیست از نامهای حقتعالی صفت نوری که منسوب است باو مانند روزنی است در دیواری که نهایت او بخارج راه ندارد چون طاقی‌که درآن طاق چراغی افروخته ونیك روشن باشد وآن چراغ افروخته درقندیل ازآبگینه وآن آبگینه از غایت صفا ولطافت گوئی ستاره ایست درخشنده چون زهره و مشتری و آن آبگینه یعنی چراغی که دردست افروخته شده است در ابتدا از روغن درخت با برکت پر نفع زیتون که در زمین مقدس رسته وهفتاد کس برو دعای برکت خوانده اند و از جملهٔ آنها ابراهیم خلیل است نه در جانب شرق است و نه غرب (۷) اشاره بآیهٔ واقعه در سورهٔ بقره یکاد البرق یخطف ابصارهم یعنی نزدیك باشدکه روشنائی برق برباید بینائیهای ایشان‌را

عقل کو مغلوب نفس او نفس شد — مشتری مات زحل شد نحس شد ۱ هم درین نحسی بگردان این نظر — در کسی که کرد نحست در نگر
آن نظر که بنگرد این جزر ومدّ — او زنحسی سوی سعدی نقب زد ۲ زان همی گرداندت حالی بحال — ضدّ بضدّ پیدا کنان در انتقال
❁ تا که از عسری نبینی خوفها — کی زیسری باز یابی لطفها ۳ تا که خوفت زاید از ذات‌الشمال — لذت ذات‌الیمین یرجی‌الرجال(۱)
تا دو پر باشی که مرغ یك پره — عاجز آید از پریدن یکسره ٤ یارها کن تا نیایم در کلام — یا بده دستور تا گویم تمام
ورنه‌این‌خواهی‌نه‌آن فرمان‌تراست — کس چه داند مرترا مقصدکجاست ٥ جان ابراهیم باید تا بنور — بیند اندر نار فردوس و قصور
پایه پایه بر رود بر ماه و خور — تا نماند همچو حلقه بندِ در ٦ چون خلیل از آسمان هفتمین — بگذرد که لا اُحبّ الآفلین
این جهان تن غلط انداز شد ۷ جزمر آن را کو زشهوت بازشد

تتمه قصهٔ حاسدان بر غلام خاص سلطان و حقیقت آن

قصهٔ شاه و امیران و حسد — بر غلام خاص و سلطان خرد ۹ دور ماند از جرّ جرّ ارکلام(۲) — باز باید گشت و کرد آن را تمام
باغبان ملك با اقبال و بخت — چون درختی را نداند از درخت ۱۰ آن درختی را که تلخ و ردّ بود — و آن درختی‌که یکش هفصد بود
کی برابر دارد اندر مرتبت — چون ببیند شان بچشم عاقبت ۱۱ کان درختان را نهایت چیست‌بر — گر چه یکسانند این دم در نظر
شیخ‌کو ینظر بنورالله شد (۳) — ازنهایت وز نخست آگاه شد ۱۲ چشم آخر بین بیست از بهرحق — چشم آخر بین گشاد اندر سبق
آن حسودان بد درختان بوده‌اند — تلخ گوهر شوربختان بوده‌اند ۱۳ ازحسد جوشان وکف می‌ریختند — در نهانی مکر می انگیختند
تا غلام خاصّ را گردن زنند — بیخ اورا از زمانه برکنند ۱٤ چون شود فانی چوجانش شاه‌بود — بیخ او در عصمت الله بود
شاه ازآن اسرار واقف آمده — همچو بوبکر ربابی تن زده(٤) ۱٥ در تماشای دل بد گوهران — میزدی خُنبك برآن کوزه گران
مکر میسازند قومی حیله مند — تاکه شه را در فقاعی افکنند ۱٦ پادشاهی بس عظیم و بی کران — در فقاعی کی بگنجد ای خران
از برای شاه دامی دوختند — آخر این تدبیر ازو آموختند ۱۷ نحس شاگردی که با استادخویش — همسری آغازد و آید به پیش
با کدام استاد استاد جهان — پیش او یکسان هویدا و نهان ۱۸ چشم او ینظر بنور الله شده — پرد های جهل را خارق بده
از دل سوراخ چون کهنه گلیم — پردهٔ بندد به پیش آن حکیم ۱۹ پرده میخندد برو با صد دهان — هر دهانی گشته اشکافی بر آن
گوید آن استاد مر شاگرد را — ای‌کم ازسگ نیستت بامن وفا ۲۰ خود مرا استا مگیر آهن گسل — همچو خود شاگرد گیر و کور دل
نزمنت یاریست در جان وروان — بی منت آبی نمیگردد روان ۲۱ پس دل من کارگاه بخت تست — چه اشکنی اینکارگاه ای‌نادرست
گوئیش پنهان زنم آتش زنه — نی بقلب از قلب باشد روزنه ۲۲ آخر از روزن ببیند فکر تو — دل گواهی میدهد زین ذکر تو
لیك در رویت نمالد ازکرم (٥) — هرچه گوئی خندد و گوید نعم ۲۳ او نمی خندد ز ذوق مالشت — او همی خندد بر آن اسکالشت
پس خداعی را خداعی شد جزا — کاسه زن‌کوزه‌بخور اینك‌سزا(٦) ۲٤ گر بدی با تو ورا خنده رضا — صد هزاران گل شکفتی مر ترا
❁چون دل او در رضاآرد عمل — آفتابی دان که آید در حمل ۲٥ زو بخندد هم نهار و هم بهار — در هم آمیزد شکوفه و سبزه زار
چون ندانی توخزان را از بهار — چون بدانی رمز خنده درثمار ۲٦ صد هزاران بلبل و قمری نوا — افکند اندر جهان بی نوا
چونکه برگ روح‌خودزرد وسیاه — می نبینی چون ندانی خشم شاه ۲۷ آفتاب شاه در برج عتاب — میکند روها سیه همچون کتاب
آن‌عطارد را ورقهاجان‌ماست(۷) — آن سپیدی وان سیه میزان‌ماست ۲۸ باز منشوری نویسد سرخ و سبز — تا رهند ارواح از سودا و عجز
سرخ و سبز افتاد نسخ نوبهار — چون خط قوس وقزح دراعتبار ۲۹ ❁ اندر این معنی شنو تو قصهٔ — تا بیابی از معانی حصهٔ

عکس تعظیم پیغام سلیمان در دل بلقیس ازصورت حقیر هدهد

رحمت صد تو بر آن بلقیس باد — که خدایش عقل صدّ مرده بداد ۳۱ هد هدی نامه بیاورد ونشان — از سلیمان چند حرفی با بیان
خواند او آن نکتهای با شمول — وز حقارت ننگرید اندر رسول ۳۲ چشم هد هد دید وجان‌عنقاش‌دید — حسّ چوکفیّ دید ودل‌دریاش دید
عقل با حس زین‌طلسمات دورنگ — چون محمد با ابو جهلان بجنگ ۳۳ کافران دیدند احمد را بشر — چون ندیدند از وی انشقّ القمر
خاك زن دردیده حس‌بین خویش — دیدهٔ حس دشمن عقلست و کیش ۳٤ دیدهٔ حس‌را خدا اعماش خواند — بت‌پرستش‌گفت وضدّ ماش خواند
زانکه او کف دید و دریاراندید — زانکه حالی دید و فردا را ندید ۳٥ خواجهٔ فردا و حالی پیش او — او نمی‌بیند ز گنجی یك تسو
ذرّهٔ زآن آفتاب آرد پیام — آفتاب آن ذرّه را گردد غلام ۳٦ قطرهٔ کز بحرِ وحدت شد سفیر — هفت بحرآن قطره را باشد اسیر
گر کف خاکی شود چالاك او — پیش خاکش سر نهد افلاك او ۳۷ خاكِ آدم چونکه شد چالاك حق — پیش خاکش سرنهند املاك حق
السماءانشقت آخر از چه بود(۸) — از یکی چشمی که خاکی برگشود ۳۸ خاك از دُردی نشیند زیر آب — خاك بین‌کزعرش بگذشت ازشتاب

---

(۱) یعنی از فعلهای بد و کارهای ننگین هراس میزاید و لذت افعال نیك امیدواری میدهد مرد را (۲) اشاره است بمثل الکلام یجرّ الکلام یعنی کلام و سخن میکشد سخن دیگری را (۳) اشاره است بحدیث اتقوا من فراسة المؤمن فانه ینظر بنور الله یعنی پرهیز کنید از فراست مؤمن زیرا که مؤمن می بیند بنور حق سبحانه و تعالی (فراست را دو معنی است یکی معنای ظاهری و آن چیزی است‌که می‌اندازد حق بدل دوستان خویش پس میدانند بدان القا وایقاع احوال بعضی مردم را بنوعی از کرامات و اصابة ظن وحدس و دوم نوعی است ازعلم‌که میخوانند و بدلایل خلقت و صورت و بشکل و هیئت هریك از اعضا و با خلق استدلال می‌کنند براحوال مردم و بتجارب اهل تجربه بصحت پیوسته‌است) (٤) ابوبکر ربابی یکی ازمشایخ مجذوب الحال بوده‌که مدت هفت سال خاموشی اختیارکرده وبا کس سخن نگفته است (٥) یعنی ازروی بزرگی و کرم بروی تو نمی آورد (٦) لحن کاسه گر یا کاسه زن یکی از الحان موسیقی است که کاسهٔ چینی چند را بترتیب‌که دارند درون یکدیگر گذارند و با سر انگشتان نوعی ساز نوازند که خِرَد خُرده بینان حیران بماند و کوزه خوردن کنایه از شراب خواری باشد و از این‌هردوآن خواهد که اگر بعیش کوشی سزای آن بخواهی دید (۷) از عطارد در این بیت مقربان خدا مقصود است (۸) اشاره به آیهٔ واقعه در سورهٔ انشقت است اذا السماء انشقت و اذنت لربها و حقت یعنی روزی که آسمان شکافته شود جهت نزول ملایك و بشنود و فرمان برد مر پروردگار خود را و سزاوار شده است آسمان بفرمان برداری و انقیاد امر خدایتعالی .

آن لطافت پس بدان کز آب نیست — جز عطای مبدع وهّاب نیست ۱ گر کند سفلی هوا و نار را — ور ز گُل او بگذراند خار را
حاکمست و یفعل الله ما یشاء (۱) — کو ز عین درد انگیزد دوا ۲ گر هوا و نار را سفلی کند — تیرگی و دُردی و ثفلی کند(۲)
ور زمین وآب را علوی کند — راه گردون را بیا مطوی کند ۳ ❀ نیست کس را زهره تا گوید که چون — بس جگرها کاندر این ره گشت خون
پس یقین شد که تُعز من تشاء (۳) — خاکئی را گفت پر ها بر گشا ۴ آتشی را گفت رو ابلیس شو — زیر هفتم خاك با تلبیس شو
آدم خاکی برو تو بر سما — ای بلیس آتشی رو تا ثری ۵ چار طبع و علت اولی نیم(۴) — در تصرّف دائماً من باقیم
کار من بی علت است و مستقیم — نیست تقدیرم بعلت ای سقیم ۶ عادت خود را بگردانم بوقت — این غبار از پیش بنشانم بوقت
بحر را گویم که هین پر نار شو — گویم آتش را که رو گلزار شو ۷ کوه را گویم سبك شو همچو پشم — چرخ را گویم فرو رو پیش چشم
گویم ای خورشید مقرون شو بماه — هر دو را سازم چو دو ابر سیاه ۸ چشمهٔ خورشید را سازیم خشك — چشمهٔ خون را بفن سازیم مشك
آفتاب و مه چو دو گاو سیاه ۹ یوغ برگردن بینددشان اله (۵)

انکار فلسفیّ درآیه اِن اَصبح ماؤکم غوراً

مقرئی میخواند از روی کتاب — ماؤکم غوراً زچشمه بندم آب (۶) ۱۱ آب را در غور ها پنهان کنم — چشمها را خشك و خشکستان کنم
آب را در چشمه که آرد دگر — جز من بیمثل با فضل و خطر ۱۲ فلسفیّ منطقیّ مستهان — می گذشت ازسوی مکتب آن زمان
چونکه بشنید آیت او از ناپسند — گفت آریم آب را ما با کلند ۱۳ ما بزخم بیل و تیزیّ تبر — آب را آریم از پستی زبر
شب بخفت ودید او یك شیر مرد — زدطپانچه هردوچشمش کور کرد(۷) ۱۴ گفت زین دوچشمهٔ چشم ای شقی — با تبر نوری بر آر ار صادقی
روز برجست ودو چشمش کوردید — نور فایض از دو چشمش ناپدید ۱۵ گر بنالیدی و مستغفر شدی — نور رفته از کرم ظاهر شدی
لیك استغفار هم در دست نیست — ذوق توبه نُقل هرسرمست نیست ۱۶ زشتی اعمال و شومیّ جُحود — راه توبه بر دل او بسته بود
از نیاز و اعتقاد آن خلیل — گشت ممکن امر صعب مستحیل ۱۷ همچنین بر عکس آن انکار مرد — مس کند زر را و صلحی رانبرد
دل بسختی همچوروی سنگ گشت — چون شکافد توبه آن را بهرکشت ۱۸ چون شعیبی کو که تا او از دعا — بهر کِشتن خاك سازد کوه را
از نیاز و اعتقاد آن خلیل — گشت ممکن امر صعب مستحیل ۱۹ یا بدریوزهٔ مقوقس از رسول — سنگلاخی مزرعی شد با وصول(۸)
هم چنین برعکس آن انکارمرد — مس کند زر را و صلحی را نبرد ۲۰ کهربای مسخ آمد این دغا — خاك قابل را کند سنگ وحصی
هردلی راسجده هم دستور نیست(۹) — مزد رحمت قسم هر مزدور نیست ۲۱ هین بپشتی آن مکن جرم وگناه — که کنم توبه در آیم در پناه
می بباید تاب و آبی توبه را — شرط شد برق و سحابی توبه را ۲۲ آتش و آبی بباید میوه را — واجب آمد ابروبرق این شیوه را
تا نباشد برق دل وابر دوچشم — کی نشیند آتش تهدید و خشم ۲۳ ❀ تا نباشد گریهٔ ابر از مطر — تا نباشد خندهٔ برق ای پسر
کی بروید سبزهٔ ذوق وصال — کی بجوشد چشمها زآب زلال ۲۴ کی گلستان راز گوید با چمن — کی بنفشه عهد بندد با سمن
کی چناری کف گشاید در دعا — کی درختی سرفشاند در هوا ۲۵ کی شکوفه آستین پُر نثار — بر فشاندن گیرد ایّام بهار
کی فروزد لاله را رخ همچوخون — کی گل از کیسه برآرد زر برون ۲۶ کی بباید بلبل و گل بو کند — کی چو طالب فاخته کو کو کند
کی بگوید لکلك آن لك لك بجان — لك چه باشد مُلك لك ای مستعان ۲۷ کی نماید خاك اسرار ضمیر — کی شود چون آسمان بستان منیر
از کجا آورده اند این حُلّتها — مِن کریمٍ مِن رحیم کلّها ۲۸ آن لطافتها نشان شاهدیست — آن نشان پای مرد عابدیست(۱۰)
آن شود شاد از نشان کو دید شاه — چون ندید او را نباشد انتباه ۲۹ روح آن کس کو بهنگام الست — دیدربّ خویش وشد بیخویش ومست
اوشناسد بوی می کو می بخورد — چون نخورد اومی چه داند بوی کرد ۳۰ زانکه حکمت همچو ناقهٔ صالح است(۱۱) — همچو دلالان شهان را دالّ است
تو ببینی خواب در یك خوش لقا — کو دهد وعده و نشانی مر ترا ۳۱ که مراد تو شود اینك نشان — که به پیش آید ترا فردا فلان
یك نشانی آنکه او باشد سوار — یك نشانی که ترا گیرد کنار ۳۲ یك نشانی که بخندد پیش تو — یك نشان که دست بندد پیش تو
یك نشانی اینکه این خواب ازهوس — چون شود فردا نگوئی پیش کس ۳۳ زان نشان با والد یحیی بگفت — که نیائی تا سه روز اصلا بگفت
تا سه شب خامش کن این نیك وبدت — این نشان باشد که یحیی آیدت(۱۲) ۳۴ دم مزن سه روز ازاین ای نیکخو — کین سکوتست آیت مقصود تو

---

(۱) در سورهٔ ابراهیم واقعشده یفعل الله مایشاء میکند خدا هرچه بخواهد از تثبیت قومی واخلال جمعی و این موضوع در جاهای دیگر قرآن هم هست (۲) ثفل دُرد و ته نشین هرچیزی است (۳) درسورهٔ آل عمران واقع شده تعزمن تشاء وتذل من تشاء بیدك الخیر انك علی کل شیٔ قدیر یعنی عزیز میکنی وارجمند میسازی هرکه را بخواهی وذلیل میکنی و خوار وبیمقدار میگردانی هرکه را بخواهی بدست تست خوبیها و بقدرت تو تحصیل همهٔ نیکیها از اعطاء ملك واعزاز مؤمنان و بدرستی که تو بر همه چیز از اعطاء وانتزاع وعزیز گردانیدن و ذلیل گردانیدن قادر وتوانائی (۴) چهار طبع عناصر اربعه است وحق میفرماید که چهار طبع وعلت اولی که عقل اوست من نیستم (۵) یوغ چوبی است که در موقع شیار وخویش کردن برگردن گاو بندند (۶) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ ملك قل ان اصبح ماءکم غوراً فمن یاتیکم بماءٍ معین یعنی اگر بگردد آب شما برزمین فرو رونده کیست که آب گوارا بیاورد (۷) طپانچه آنست که دست را پهن بدارند وبرروی کس زنند وسیلی آن باشد که انگشتان را بهم نهند و دست را بعرض بر پس گردن زنند شاعر گوید تا شد از سنگ صعقه و سیلی ❀ گردن شیر خوارگان نیلی (۸) مقوقس یکی از سلاطین مصر است که ترسا بود ومسلمان شد وبدعای حضرت رسول سنگلاخ مزرع شده (۹) با اینکه سجده بسرمقرر است مولوی هردلی فرموده واین اشعار است بآنکه نزد ارباب حقیقت بی حضور دل سجدهٔ سر معتبر نیست (۱۰) یعنی این نشان را مرد عارف پی میبرد که روز الست نشان محبوب را دیده است (۱۱) اشاره است بحدیث الحکمة ضالة المؤمن یعنی حکمت ودانش گمشدهٔ مؤمن است وچنانکه مرد اعرابی ناقهٔ گمشده خودرا از هرجا بجوید دست باز نمیدارد مؤمن نیز علم ودانش را ازهرجا بیابد گمشده خود داند وازدست ندهد (۱۲) این شعر اززکریا وولادت پسر او یحیی حکایت میکندکه چون زکریا بسن شیخوخیت رسید فرزندی نداشت که وارث علم وحکمت او باشد ازخدایتعالی درخواست نمود که فرزندی باو کرامت کند که در خوراین وراثت باشد وگفت رب هب لی من لدنك ولیا یرثنی ویرث من آل داود یعنی خدایا مرا وارثی

هین میاور این‌نشان را توبگفت وین سخن را دار اندر دل نهفت ۱ این نشانها گویدت همچون شکر این چه باشد صد نشانهای دگر
این نشان آن بود کان‌ملك وجاه که همی جوئی بیابی از اله ۲ آنکه میگرئی بشبهای دراز وانکه میسوزی سحرگه درنیاز
آنکه بی آن روز تو تاریك شد همچو دوکی گردنت باریك شد ۳ وانکه دادی‌آنچه داری درزکات چون زکات پاکبازان رختهات
رختها دادی وخواب ورنگ رو سر فدا کردی و گشتی همچومو ٤ چند در آتش نشستی همچو عود چند پیش تیغ رفتی همچو خود
زین چنین بیچارگیها صد هزار خوی عشاقست و ناید در شمار ٥ ❀ چونکه اندرخواب دیدی‌حالها آنکه بودی آ رزویش سالها
چونکه‌شب‌این‌خواب دیدی روزشد از امیدآن دلت پیروز شد ٦ چشم‌گردان‌کردهٔ برچپ و راست کان نشان وآن علامتها کجاست
بر مثال برگ میلرزی که وای گر رود روز و نشان ناید بجای ۷ می‌دوی درکوی و بازار و سرا چون کسی‌کو گم کند گوساله را
خواجه خیرست این دوادوچیست گم شده اینجا که داری کیستت ۸ گوئیش خیرست لیك این خیرمن کس نشاید که بداند غیر من
گر بگویم یك نشانم فوت شد چون نشان‌شد فوت وقت‌موت‌شد ۹ بنگری در روی هر مرد سوار گویدت منگر مرا دیوانه وار
گوئیش من صاحبی گم کرده ام رو بجست وجوی او آورده ام ۱۰ دولتت پاینده بادا ای سوار رحم کن بر عاشقان معذور دار
چون‌طلب‌کردی‌بجد آمد نظر(۱) جد خطا نکند چنین آمد خبر ۱۱ ناگهان آمد سواری نیکبخت پس‌گرفت اندرکنارت سخت‌سخت
تو شدی بیهوش و افتادی بطاق بیخبر گفت اینت سالوس ونفاق ۱۲ اوچه می‌بیند درو این شورچیست او نداند کان نشان وصل کیست
این نشان در حق او باشدکه دید آن دگر را کی نشان آید پدید ۱۳ هر زمان کز وی نشانی میرسد شخص را جانی بجانی میرسد
ماهی آواره را پیش آمد آب این نشانها تلك آیاتُ الکتاب(۲) ۱٤ پس نشانها که اندر انبیاست خاصّ آن جان را بودکوآشناست
این سخن ناقص بماند و بی قرار دل ندارم بی دلم معذور دار ۱٥ ذرّهارا کی تواند کس شمرد خاصه آن‌کوعشق ازوی عقل‌برد
میشمارم برگهای باغ را میشمارم بانگ کبك و زاغ را ۱٦ در شمار اندر نیاید لیك من میشمارم بهر رُشدِ ممتحن
نحس کیوان یا که سعد مشتری ناید اندر حصر گر چه بشمری ۱۷ لیك هم بعضی ازین هر دو اثر شرح باید کرد بهر نفع وضرّ
تا شود معلوم آثار قضا شمهٔ مر اهل سعد و نحس را ۱۸ طالع آنکس که باشد مشتری شاد گردد ازنشاط و سروری
وانکه را طالع زحل ازهرشرور احتیاطش لازم آید در امور ۱۹ گر نگویم آن زحل استاره را زاتشش سوزد مر آن بیچاره را
❀ بس‌کن‌ای بیهوده تازان آفتاب آتشی ناید بیکباره بتاب ۲۰ ❀ از کواکب در سپهر بیکران در دمی نی نور ماند نیّ نشان
❀ آنچه بردارد بدان مشغول شو وز دگر گفتار ها معزول شو ۲۱ ❀ جنبش اختر نیاید جز عقیم برندارد جز که آن لطف عمیم
اذکروا الله شاه ما دستور داد(۳) اندر آتش دید ما را نور داد ۲۲ گفت اگرچه پاکم از ذکر شما نیست لایق مر مرا تصویر ها
لیك هرگز مست تصویر و خیال در نیابد ذات ما را بی مثال ۲۳ ذکر جسمانه خیال ناقص است وصف شاهانه از آنها خالص‌است
شاه را گوید کسی جولاه نیست ۲٤ این‌چه‌مدحست این‌مگرآگاه‌نیست

مناجات کردن شبان با حقتعالی در عهد موسی علیه‌السلام

دید موسی یك شبانی را براه کو همی گفت ای کریم وای اله ۲٦ تو کجائی تا شوم من چاکرت چارُقت دوزم کنم شانه سرت
❀ای خدای من فدایت جان من جمله فرزندان و خان ومان من ۲۷ ❀ تو کجائی تا که خدمتها کنم جامه‌ات را دوزم و بخیه زنم
جامه ات شویم شپشهایت کشم شیر پیشت آورم ای محتشم ۲۸ ❀ ور ترا بیمارئی آید به پیش من‌ترا غمخوارباشم همچو خویش
دستکت بوسم بمالم پایکت وقت خواب آید برویم جایکت ۲۹ ❀گربدانم خانه‌ات را من مُدام روغن و شیرت بیارم صبح وشام
❀ هم پنیر و نانهای روغنین خُمر ها چغراتهای نازنین ۳۰ ❀ سازم وآرم به‌پیشت‌صبح‌وشام از من‌آوردن زتو خوردن تمام
ای فدای تو همه بُز های من ای بیادت هی هی و هیهای من ۳۱ زین‌نمط بیهوده میگفت آن شبان گفت موسی با کیستت ای فلان
گفت با آنکس که ما را آفرید این زمین و چرخ ازو آمد پدید ۳۲ گفت موسی های خیره‌سر شدی خود مسلمان ناشده کافر شدی
این‌چه‌ژاژاست‌این‌چه‌کفراست‌وفشار پنبهٔ اندر دهان خود فشار(٤) ۳۳ گند کفر تو جهان‌را گنده کرد کفر تودیبای دین را ژنده کرد
چارق و پا تا به لایق مرتراست آفتابی را چنین هاکی رواست ۳٤ گرنبندی زین سخن توحلق را آتشی آید بسوزد خلق را
آتشی‌گرنامده است این‌دود چیست جان سیه‌گشته روان‌مردود چیست ۳٥ گر همی دانی‌که یزدان داوراست ژاژ وگستاخی‌ترا چون باور است

بیخش که میراث برد از من و آل داود در جواب آمد که یا زکریا انا نبشرك بغلام اسمه یحیی یعنی ای زکریا ما مژده میدهیم ترا به پسری که نام او یحیی باشدگفت رب‌اجعل‌لی آیة خدایا برای من قرار بده نشانی‌که بدانم کدام وقت عنایت خواهد شد قال‌آیتك ان لاتکلم الناس ثلث لیال سویا یعنی نشان تو آن باشد که با مردم سخن نگوئی سه شبانه روزتمام ومولوی دراینجا بمضمون همین‌آیت آخراشارت‌کند وازخود نشانهای دیگرنیزگوید

---

(۱) اشاره بحدیث نبویست که فرموده من طلب شیئاً وجدّ و جد یعنی هر که بجوید چیزی را و سعی و کوشش کند می یابد (۲) مقصود المر تلك آیات‌الکتاب المبین اول سورهٔ یوسف است (علما را در حروف مقطعه اقاویل بسیار است جمعی بر آنند که مطلقا در این باب سخن‌گفتن نشاید و بعضی گفته اند هر حرفی اشارهٔ باسمی است چنانچه الف اشارهٔ باسم اله است و لام باسم جبرئیل و راء باسم رسول) و این آیتهای قرآن روشن است یا بیان کننده حق از باطل و گفته اند کتاب وقرآن یکی است اما بدو نام مذکورشده‌که هر نام دلالت برمعنیی دارد و تنکیر قرآن بجهت تعظیم است (۳) اشاره است بآیه واقعهٔ در سورهٔ احزاب « یا ایها الذین آمنوا اذکروا الله ذکراً کثیرا و سبحوه بکرة واصیلا یعنی ای کسانیکه گرویده‌اید یاد کنید خدای را یاد کردنی بسیار و تسبیح بگوئید اورا در هر صبح و شام یعنی درغالب اوقات یابانواع ذکر (از تهلیل و تحمید و تکبیر و تسبیح) فرمودند مراد از ذکر ذکر دل است چه دوام ذکر بدل بود بزبان ممکن نیست امر ذکر بکثیر اشارت است بمحبت حق یعنی او را دوست بدارید چه مقرر است که من احبّ شیئا اکثر ذکره نشانهٔ دوستی ذکر فراوان است ودوستی نگذارد که زبان او از ذکر دوست یا دل او از ذکر خالی بماند (٤) از فشار در سطر اول که باضم حرف اول است بیهوده و از دومی که بکسراول است فشردن مقصود است .

دوستی بیخرد خود دشمنی است / حقتعالی زین چنین خدمت غنی است ۱ / با که میگوئی تو این باعم وخال / جسم وحاجت درصفات ذوالجلال
شیر او نوشد که درنشو ونماست / چارق او پوشد که او محتاج پاست ۲ / ور برای بنده است این گفت وگو / آنکه حق گفت او منست ومن خود او
آنکه گفت انی مرضت لم تعد (۱) / من شدم رنجور او تنها نشد ۳ / آنکه بی یسمع وبی یبصر شده است / درحق آن بنده این هم بیهده است
بی ادب گفتن سخن با خاص حق / دل بمیراند سیه دارد ورق ۴ / گر تو مردی را بخوانی فاطمه / گرچه یك جنسند مرد و زن همه
قصد خون تو کند تا ممکنست / گرچه خوش خوی وحلیم وساکنست ۵ / فاطمه مدحست در حق زنان / مرد را گوئی بود زخم سنان
دست وپا درحق ما استایش است / در حق پاکی حق آلایش است ۶ / لم یلد لم یولد اورا لایق است / والد و مولود را او خالق است
هرچه جسم آمد ولادت وصف اوست / هرچه مولود است اوزین سوی جوست ۷ / زانکه ازکون وفساد است ومهین / حادثست و محدثی خواهد یقین
گفت ای موسی دهانم دوختی / وز پشیمانی تو جانم سوختی ۸ / جامه را بدرید و آهی کرد وتفت / سر نهاد اندر بیابان و برفت

عتاب کردن حقتعالی با موسی علیه‌السلام از بهر شبان

وحی آمد سوی موسی از خدا / بندهٔ مارا ز ما کردی جدا ۱۰ / تو برای وصل کردن آمدی / نی برای فصل کردن آمدی
تا توانی پا منه اندر فراق / ابغض الاشیاء عندی الطلاق(۲) ۱۱ / هر کسی را سیرتی بنهاده ایم / هر کسی را اصطلاحی داده ایم
درحق او مدح ودر حق تو ذم / درحق او شهد ودر حق تو سم ۱۲ / ❀ درحق او نور و در حق تو نار / در حق او ورد و در حق تو خار
❀ درحق او نیك ودر حق تو بد / درحق او قرب ودر حق تو رد ۱۳ / ما بری از پاك و نا پاکی همه / از گران جانی و چالاکی همه
من نکردم خلق تا سودی کنم / بلکه تا بربندگان جودی کنم ۱۴ / هندیانرا اصطلاح هند مدح / سندیانرا اصطلاح سند مدح
من نکردم پاك از تسبیحشان / پاك هم ایشان شوند و درفشان ۱۵ / ما برون را ننگریم و قال را / ما درون را بنگریم و حال را
ناظر قلبیم اگر خاشع بود / گرچه گفت لفظ نا خاضع بود ۱۶ / زانکه دل جوهر بود گفتن عرض / پس طفیل آمد عرض جوهر غرض
چند ازین الفاظ واضمار ومجاز / سوز خواهم سوز با آن سوزساز ۱۷ / آتشی از عشق در جان بر فروز / سر بسر فکر و عبارت را بسوز
موسیا آداب دانان دیگرند / سوخته جان و روانان دیگرند ۱۸ / عاشقان را هر نفس سوزیدنیست / برده ویران خراج و عشر نیست
گر خطا گوید ورا خاطی مگو / گر شود پر خون شهیدان را مشو ۱۹ / خون شهیدان را زآب اولیتراست / این خطا ازصدصواب اولیتراست
در درون کعبه رسم قبله نیست / چه غم ارغواص را پاچیله نیست ۲۰ / تو ز سر مستان قلاوزی مجو / جامه چاکانرا چه فرمائی رفو
ملت عشق از همه دینها جداست / عاشقان را مذهب و ملت خداست ۲۱ / لعل را گر مهر نبود باك نیست / عشق در دریای غم غمناك نیست

وحی آمدن بموسی علیه‌السلام از بهر عذر آن شبان

بعد ازآن در سر موسی حق نهفت / رازهائی کان نمی آید بگفت ۲۳ / بر دل موسی سخنها ریختند / دیدن و گفتن بهم آمیختند
چند بیخودگشت و چند آمد بخود / چند پرید از ازل سوی ابد ۲۴ / بعدازین گرشرح گویم ابلهی است / زانکه شرح این ورای آگهی است
ور بگویم عقلها را بر کند / ور نویسم بس قلمها بشکند ۲۵ / ❀ ور بگویم شرحهای معتبر / تا قیامت باشد آن بس مختصر
❀ لاجرم کوتاه کردم من زبان / گرتوخواهی ازدرون خود بخوان ۲۶ / چونکه موسی این عتاب ازحق شنید / در بیابان در پی چوپان دوید
بر نشان پای آن سر گشته راند / گرد از پرهٔ بیابان بر فشاند ۲۷ / گام پای مردم شوریده خود / هم زگام دیگران پیدا بود
یك قدم چون رخ زبالا تا نشیب / یك قدم چون پیل رفته بر اریب ۲۸ / گاه چون موجی برافرازان علم / گاه چون ماهی روانه برشکم
گاه بر خاکی نوشته حال خود / همچو رمالی که رملی بر زند ۲۹ / ❀ گاه حیران ایستاده گه دوان / گاه غلطان همچوگوی ازصولجان
عاقبت در یافت اورا و بدید / گفت مژده ده که دستوری رسید ۳۰ / هیچ آدابی و ترتیبی مجو / هرچه میخواهد دل تنگت بگو
کفر تو دینست و دینت نورجان / ایمنی وز تو جهانی در امان ۳۱ / ای معاف یفعل الله ما یشاء / بی محابا روزبان را بر گشا
گفت ای موسی از ان بگذشته ام / من کنون در خون دل آغشته ام ۳۲ / من ز سدرهٔ منتهی بگذشته ام / صد هزاران ساله زانسو رفته ام
تازیانه بر زدی اسبم بگشت / گنبدی کرد وزگردون برگذشت(۳) ۳۳ / محرم ناسوت ما لاهوت باد / آفرین بر دست و بر بازوت باد
حال من اکنون برون ازگفتن است / آنچه میگویم نه احوال من است ۳۴ / نقش می بینی که در آیینه ایست / نقش تست آن نقش آن آیینه نیست
دم که مرد نائی اندر نای کرد / درخورنای است نی درخورد مرد ۳۵ / هان وهان گرحمد گوئی گرسپاس / همچو نا فرجام آن چوپان شناس
حمد تونسبت بدان گر بهتر است / لیك آن نسبت بحق هم ابتراست ۳۶ / چند گوئی چون غطا برداشتند / دین نبوده آنچه می پنداشتند
این قبول ذکر تو ازرحمت است / چون نماز مستحاضه رخصت است ۳۷ / با نماز او بیالوده است خون / ذکر تو آلودهٔ تشبیه و چون
خون پلید است و بآبی میرود / لیك باطن را نجاستها بود ۳۸ / کان بغیر آب لطف کردگار / کم نگردد از درون مرد کار
در سجودت کاش روگردانیی / معنی سبحان ربی دانیی(٤) ۳۹ / کای سجودم چون وجودم ناسزا / مر بدی را تو نکوئی ده جزا

---

(۱) اشاره است باین خبر که حضرت رسول فرمودند که خدا درروز قیامت میفرماید ای فرزند آدم من چون مریض شدم تو چرا مرا عیادت نکردی گوید ای پروردگار چگونه تو بیمار شوی و حال آنکه پروردگار عالمیانی ندا رسد که آیا ندانستی که فلان بنده ما بیمار بود اگر اورا عیادت کردی هرآینه مرا آنجا یافتی (۲) عن معاذ ابن جبل قال قال رسول الله (ص) یامعاذ ماخلق شیئا علی وجه الارض احب الیه من العتاق ولاخلق الله شیئا علی وجه الارض ابغض الیه من الطلاق معاذ بن جبل روایت میکند که رسول خدا فرمود که ای معاذ نیافرید خدای تعالی هیچ چیز را بر روی زمین که محبوب تر باشد نزد حق تعالی از آزاد کردن بنده و نیافرید خدایتعالی هیچ چیزی را بر روی زمین مبغوض تر بسوی حق تعالی از طلاق (۳) گنبدی کرد یعنی جست و از گردون گذشت (٤) مراد آنست که در سجود خود اگر از غیر حق روی بگردانی ومعنی سبحان ربی الاعلی را بدانی پس خواهی گفت که سجود های من چون وجود من نا سزا بوده است آنگاه عذرخواهی آورد که من بد کرده‌ام توسزای نیکی ده از کرم خود اگر کسی گوید بجای بدی چگونه نیکی دهد جواب در بیت بعد است که زمین هم که ادنی مخلوق است چنین صفت دارد که قاذورات و کثافات دروی میافتد در عوض گل و سنبل میدهد اگر حقتعالی عوض بدی نیکی دهد بعید نیست .

این زمین از حلم حق دارد اثر — تا نجاست بُرد و گلها داد بر ۱ تا بپوشد آن پلیدیهای ما — درعوض بر روید از وی غنچها
پس چو کافردیدکو در داد وجود — کمتر و بیمایه تر از خاك بود ۲ از وجود او گل و میوه نرُست — جز فساد جملهپاکی ها نجست
گفت واپس رفته ام من در ذهاب — حسرتا یا لیتنی کنتُ تراب (۱) ۳ کاش از خاکی سفر نگزید می — همچو مرغان دانهٔ میچیدمی
چون سفر کردم مرا راه آزمود — زین‌سفرکردن ره آوردم چه بود ٤ زان همه میلش‌سوی خاکست کو — در سفر سودی نبیند پیش رو
روی واپس‌کردنش از حرص وآز — در ره او هیچ نه صدق و نیاز ٥ هر گیاراکش بود میل عُلا — در مزید است وحیات ودر نما
چونکه گردانید سر سوی زمین — در کمیّ و خشکی ونقص وغبین ٦ میل روحت چون سوی بالا بود — در تزاید مرجعت آنجا بود
ور نگونساری سرت سوی زمین ۷ آفلی حق لا یحبّ الافلین

سؤال موسی از حقتعالی در سِرّ غلبهٔ ظالمان

گفت موسی ای کریم کار ساز — ای که یکدم ذکر تو عمر دراز ۹ نقش کژ مژ دیدم اندرآب وگل — چون ملایك اعتراضی کرد دل
که چه مقصود است نقشی ساختن — و اندر آن تخم فساد انداختن ۱۰ آتش ظلم و فساد افروختن — مسجد و سجده کنان‌راسوختن
مایهٔ خونابه و زردابه را — جوش دادن از برای لابه را ۱۱ من یقین‌دانم‌که عین حکمت است — لیك مقصودم عیان و رؤیت است
آن یقین میگویدم خاموش کن — حرص رؤیت گویدم نی جوش‌کن ۱۲ مرملایك را نمودی سِرّ خویش — کاین چنین نوشی‌همی‌ارزد به‌نیش
عرضه کردی نور آدم را عیان — بر ملایك گشت مشکلها بیان ۱۳ حشرتوگویدکه سِرّ مرگ چیست — میو ها گویند سِرّ برگ چیست
سِرّ خون و نطفهٔ حسن آدمیست — سابق هر بیشئی آخر کمیست ۱٤ لوح را اوّل بشوید بی وقوف — آنگهی بروی نویسد او حروف
خون‌کند دل را زاشك مستهان — بر نویسد بر وی اسرارآنگهان ۱٥ وقت شستن لوح را باید شناخت — که مرآن‌را دفتری‌خواهند ساخت
چون اساس خانهٔ می افکنند — اوّلین بنیاد را بر میکنند ۱٦ گِل برآرند اوّل از قعر زمین — تا بآخر برکشی ماء معین
از حجامت کودکان گریند زار — که نمیدانند ایشان سِرّ کار ۱۷ مرد خود زر میدهد حجّام را — می‌نوازد نیش خون آشام را
میدود حمال زی بار گران — می رباید بار را از دیگران ۱۸ جنگ حمالان برای باربین — اینچنین است اجتهاد کاربین
چون‌گرانیهااساس راحت‌است(۲) — تلخهاهم پیشوای نعمت است ۱۹ حُفّت الجنه بمکروهاتنا (۳) — حُفّت‌النیران من شهواتنا (۳)
تخم مایهٔ آتشت شاخ تراست — سوختهٔ آتش‌قرین‌کوثر است (٤) ۲۰ هرکه درزندان قرین محنتی‌است — آن جزای لقمهٔ و شهوتی است
هرکه درقصری قرین دولتی است — آن‌جزای کارزار ومحنتی است ۲۱ هرکه را دیدی بزرّ و سیم فرد — دان که اندرکسب‌کردن صبر کرد
آنکه بیرون ازطبایع جان اوست — منصب خرق سببها آن اوست ۲۲ بی‌سبب بیند چو دیده شد گذار — توکه درحسی سبب را گوش‌دار
بی سبب بیند نه از آب وگیا(٥) — چشمه چشمه معجزات انبیا ۲۳ این‌سبب همچون‌طبیب‌است وعلیل — این‌سبب همچون‌چراغ‌است وفتیل
شب چراغت را فتیلی نو بتاب — پاك دان زینها چراغ آفتاب ۲٤ رو توکهگل ساز بهرسقف خان — سقف‌گردون را زکهگل پاك دان
وه که چون دلدارما غم سوز شد — خلوت‌شب‌درگذشت‌وروزشد (٦) ۲٥ جز بشب جلوه نباشد ماه را — جز بدرد دل مجو دل خواه را
ترك عیسی کرده خر پروردهٔ — لاجرم چون خر برون پردهٔ ۲٦ طالع عیسی است علم و معرفت — طالع خر نیست ای تو خر صفت
نالهٔ خر بشنوی رحم آیدت — پس ندانی خر خری فرمایدت ۲۷ رحم برعیسی کن وبر خر مکن — طبع را بر عقل خود سرور مکن
طبع را هِل تا بگرید زار زار — تو ازو بستان ووام جان گزار ۲۸ سالها خر بنده بودی بس بود — زانکه خربنده زخر واپس بود
زاخرّ وُهنّ مرادش نفس‌تست(۷) — کو بآخر باید و عقلت نخست ۲۹ هم مزاج خرشدت این‌عقل پست — فکرش‌اینکه چون علف‌آرد بدست
آن خر عیسی مزاج دل گرفت — در مقام عاقلان منزل گرفت ۳۰ زانکه غالبِ‌عقل بود وخر ضعیف — از سوار زفت گردد خر نحیف
وز ضعیفی عقل تو ای خربها — این‌خر پژمرده گشته است اژدها ۳۱ گر ز عیسی گشتهٔ رنجور دل — هم ازو صحت رسد اورا مهل
ای مسیح خوش نفس چونی‌زرنج — که نبود اندر جهان بیرنج گنج ۳۲ چونی ای عیسی ز دیدار یهود — چونی ای یوسف زاخوان حسود
تو شب وروز از پی اینقوم غُمر — چون‌شب‌وروزی مدد بخشای‌عمر ۳۳ آه ازین صفرائیان بی هنر — چه هنر زاید ز صفرا درد سر
توهمان‌کن که‌کند خورشید شرق — بانفاق وحیله ودزدیّ وزرق(۸) ۳٤ توعسل ما سرکه در دنیا ودین — دفع این صفرا بود سر کنگبین
سر که افزودیم ما قوم زحیر — تو عسل بفزا کرم را وا مگیر ۳٥ این‌سزید از ما چنین آمد ز ما — ریگ اندرچشم چه افزاید عِمی
آن سزد از تو ایا کُحل عزیز — که بیابد از تو هر نا چیز چیز ۳٦ زاتش این ظالمانت دل کباب — ازتو جمله‌اهدقومی بُد خطاب(۹)
کان عودی در تو گر آتش زنند — این جهان‌ازعطروریحان آگنند ۳۷ تو نه آن عودی کزآتش‌کم شود — تو نه آن روحی‌کاسیر غم شود

---

(۱) در آخر سوره عم واقع شده است یوم ینظر المرء ما قدّمت یداه و یقول الکافر یا لیتنی کنت ترابا یعنی روزی که می بیند مرد آنچه کسب کرده و عمل کرده بدست خود و کافر میگوید که کاشکی خاك بودم وموجود نشده بودم (۲) اقتباس از این آیه شریفه است ان مع العسر یسرا (۳) اشاره است باین حدیث که فرموده اند حفت الجنة بالمکاره وحفت النار بالشهوات یعنی بسته و پیچیده شده است بهشت بمکروهات و بسته وپیچیده شده است دوزخ درکامرانیهای ما (٤) اشاره بحدیث مروی از رسول است که فرمودند روزقیامت چون اهل بهشت ببهشت در آیند و اهل دوزخ در دوزخ از حقتعالی ندا رسد که در آورند از آتش هر که را در دل ازایمان بقدر حبهٔ ارزنی باشد پس بیرون آرند اهل نار را درحالتیکه سوخته باشند وایشان را درکوثراندازند (٥) درموضوع لازم و ملزوم بیان میکند چنانچه بیمار را طبیب و چراغرا فتیله میباید همچنین‌اهل دنیارا سبب لازمست واهل باطن را هیچ سبب لازم‌نیست (٦) مراد آنست‌که چون معشوق غمخوارماشد شب ما روزگردید (۷) اشاره است باین حدیث که حضرت رسول فرمود الخمر جماع الاثم و النساءحبائل الشیطان وحبّ الدنیا رأس کل‌خطیئة وهمچنین فرمود اخرّوا النساء حیث اخرهن الله تعالی یعنی شراب مجمع همهٔ گناهانست و زنها دامهای شیطان و دوستی دنیا سر آمد هر گناهی است و همچنین پیغمبر فرموده است زنها را در صفوف نماز مؤخر اندازید از جهت اینکه خدایتعالی در ذکر ایشان را مؤخر ذکرفرموده (۸) مولانا باخدای خویش مناجات میکند که همانطورکه‌خورشید شرق با منافق وحیله گر ودزد ومکار یکسان است توهم که یکی‌هستی بانیك وبد مساوی باش (۹) اشاره است‌بقول حضرت رسول که فرمود-اللهم‌اهد قومی فانهم لا یعلمون حضرت هرچه ازمنافقین جور میدیدند میفرمودند خدایا قوم مرا هدایت کن که نادانند.

عود سوزد کان عود ازسوزد ور بادکی حمله برد بر اصل نور ۱ ای ز تو مر آسمانها را صفا ای جفای تو نکوتر از وفا
زانکه از عاقل جفائی گر رود از وفای جاهلان آن به بود ۲ ❀ عاقل آرد معرفت را درمیان جاهل آرد معرفت را بر زیان
گفت پیغمبر عداوت از خرد بهتر از مهری که از جاهل رسد ۳ ❀ دوستی با مردم دانا نکوست دشمن دانا به‌از نادان دوست (۱)

رنجانیدن امیری خفتهٔ را که مار در دهانش رفته بود

عاقلی بر اسب می آمد سوار در دهان خفتهٔ میرفت مار ۵ آن سوار آن را بدید ومیشتافت تا رماند مار را فرصت نیافت
چونکه ازعقلش فراوان بُد مدد چند دُبوسی قوی بر خفته زد ۶ ❀ خفته‌ازخواب‌گران‌چون برجهید یکسوار ترك با دبوس دید
❀ خفته‌زان‌ضرب‌گران‌برجست‌زود گشت حیران گفت آیا این‌چه بود ۷ ❀ بیمحابا ترك دبوسی گران چونکه‌افزون‌کوفت‌اوشد زو روان
بُرد اورا زخم آن دُبوس سخت زو گریزان تا بزیر یك درخت ۸ سیب پوسیده بسی بُد ریخته گفت ازین خورای بدرد آویخته
سیب چندان مرد رادرخورد داد کز دهانش باز بیرون می فتاد ۹ بانگ می‌زدکای امیر آخر چرا قصد من کردی چه کردم مر ترا
گر ترا ز اصلست با جانم ستیز تیغ زن یکبارگی خونم بریز ۱۰ شوم ساعت که شدم بر تو پدید ای خنك آنرا که روی تو ندید
بی جنایت بی گنه بی بیش و کم مُلحدان جایز ندارند این ستم ۱۱ میجهد خون از دهانم با سخن ای خدا آخر مکافاتش تو کن
هر زمان میگفت او نفرین نو اوش میزد کاندرین صحرا بدو ۱۲ زخم دُبوس و سوارِ همچو باد می دوید و باز بر رو میفتاد
ممتلی و خوابناك و سست بُد پا ورویش صد هزاران زخم‌شد ۱۳ تا شبانگه میکشید و میگشاد تا ز صفراقی شدن بر وی فتاد
زو بر آمد خوردها زشت ونکو مار باآن‌خورده بیرون‌جست ازو ۱۴ چون‌بدید ازخود برون آن ماررا سجده آورد آن نکو کردار را
سهم آن مار سیاه زشت زفت چون‌بدید آن دردها ازوی برفت ۱۵ گفت تو خود جبرئیل رحمتی یا خدائی که ولیّ نعمتی
ای مبارك ساعتی که دیدیم مُرده بودم جان نو بخشیدیم ۱۶ ای خنك آنرا که بیند روی تو یا در افتد ناگهان در کوی تو
تو مرا جویان مثال مادران من گریزان از تو مانند خران ۱۷ خر گریزد از خداوند از خری صاحبش در پی زنیکو گوهری
نز پی سود و زیان میجویدش لیك تا گرگش ندرّد یا ددش ۱۸ ای روان پاك بستوده ترا چندگفتم ژاژ وبیهوده ترا (۲)
ای خداوند و شهنشاه و امیر من نگفتم جهل من‌گفت آن‌مگیر ۱۹ شمهٔ زین حال اگر دانستمی گفتن بیهوده کی تانستمی
بس ثنایت‌گفتمی ای خوش خصال گر مرا یك رمز میگفتی ز حال ۲۰ لیك خامش کرده می آشوفتی خامشانه بر سرم میکوفتی
شد سرم کالیوه عقل‌ازسر بجست خاصه این سررا‌که مغزش‌کمترست ۲۱ عفوکن‌ای خوب روی وخوب‌کار آنچه گفتم ازجنون اندر گذار
گفت اگرمن گفتمی رمزی ازآن زهرهٔ تو آب گشتی آن زمان ۲۲ گر ترا من گفتمی اوصاف مار ترس از جانت بر آوردی دمار
مصطفی فرمود گر گویم براست شرح آن دشمن‌که درجانِ شماست ۲۳ زهرِهای پُر دلان بر هم درد نی‌رود ره نی غم کاری خورد
نی دلش را تاب ماند در نیاز نی تنش را قوّت صوم و نماز ۲۴ همچو موشی پیش گربه لا شود همچو میشی پیش‌گرگ ازجا رود
اندرو نی حیله ماند نی روش پس کنم ناگفته تان من پرورش ۲۵ همچو بوبکر ربابی تن زنم دست چون داود درآهن زنم
تا محال از دست من حالی شود مرغ پر بر کنده را بالی شود ۲۶ چون یدُالله فوق ایدیهم بود(۳) دست مارا دست خود فرمود احد
پس مرا دست دراز آمد یقین بر گذشته ز آسمان هفتمین ۲۷ دست من بنمود برگردون هنر مقریا برخوان که انشقّ القمر
این‌صفت هم بهرضعف عقلهاست با ضعیفان شرح قدرت‌کی رواست ۲۸ خود بدانی‌چون‌برآری سرزخواب ختم شد والله اعلم بالصّواب
❀ گرترا من گفتمی این ماجرا آن دم از تو جان تو گشتی جدا ۲۹ مر ترا نی قوّت خوردن بدی نی ره و پروای قی کردن بدی
می شنیدم فحش و خر میراندم ربّ یسر زیر لب میخواندم ۳۰ از سبب گفتن مرا دستور نه ترك تو کردن مرا مقدور نه
هر زمان میگفتم از درد درون اِهدِ قومی انهم لا یعلمون ۳۱ سجدها میکرد آن رسته زرنج کای‌سعادت وی مرا اقبال وگنج
از خدا یابی جزاهای شریف قوّت شکرت ندارد این ضعیف ۳۲ شکر حق گوید ترا ای پیشوا آن لب و چانه ندارم وان نوا
دشمنیّ عاقلان زین سان بود زهر ایشان ابتهاج جان بود ۳۳ دوستیّ ابلهان رنج و ضلال این حکایت بشنو از بهر مثال

حکایت آن مرد ابله که مغرور بود بر تملّق خرس

اژدهائی خرس را در می‌کشید شیر مردی رفت وفریادش رسید ۳۵ شیر مردانند در عالم مدد آن زمان کافغان مظلومان رسد
بانگ مظلومان ز هرجا بشنوند آن‌طرف چون رحمت حق‌می‌دوند ۳۶ آن ستونهای خللهای جهان آن طبیبان مرضهای نهان
محض مهر و داوریّ و رحمتند همچو حق بی‌علت و بی رشوتند ۳۷ این چه یاری میکنی‌یکبارگیش(٤) گوید از بهر غم و بیچارگیش
مهربانی شد شکار شیر مرد در جهان دارو نجوید غیر درد ۳۸ هر کجا دردی دوا آنجا رود هر کجا فقری نوا آنجا رود
❀ هرکجامشکل جواب آنجا رود هرکجا پستی است آب آنجا دود ۳۹ ❀ آب کم جوتشنگی‌آور بدست تا بجوشد آبت از بالا و پست
❀ تاسقاهم ربّهم آید خطاب(٥) تشنه باش الله اعلم بالصواب ٤۰ آب رحمت بایدت رو پست شو وانگهان خورخمررحمت مست‌شو
رحمت اندر رحمت آمد تا بسر بر یکی رحمت فرو ما ای پسر ٤۱ چرخ را درزیر پا آر ای شجاع بشنو از فوق فلك بانگ سماع

---

(۱) این‌شعردرگلستان سعدی هم هست ونظامی هم درمخزن الاسرار باین‌مضمون فرموده است ـ دشمن دانا که بی جان بود ـ بهتر ازآن دوست که نادان بود (۲) ژاژ گیاهیست سفید در نهایت بی مزگی و ناگواری که شتر هرچند آنرا بخاید نرم نشود و از بی مزگی آنرا فرو نبرد و ژاژ خائیدن بی معنی گفتن است (۳) اشاره است بآیهٔ واقعهٔ در سورهٔ فتح که ان الذین یبایعون الله یدالله فوق ایدیهم یعنی بدرستیکه آنانکه با تو بیعت کردند ای محمّد با خدا بیعت کردند دست خدا بالای دستهای ایشانست (٤) سؤال در تقدیر است از شیر مردان (٥) این آیه در سورهٔ هل اتی واقع شده و سقاهم ربّهم شراباً طهورا یعنی بیاشاماند مر ایشانرا پروردگارشان شراب طهور گویند طهور چشمه ایست بر در بهشت هرکه ازآن بیاشامد در دل او حقد و حسد بلکه هیچ صفت بد نماند و گفته اند پاك کند دل اورا از میل بماسوی الله تا التذاذ یابد بلقای او و باقی گردد ببقای او .

پنبهٔ وسواس بیرون کن ز گوش — تا بگوشت آید از گردون خروش ۱ پاک کن دوچشم را از موی عیب — تا ببینی باغ وسروستان غیب
دفع کن از مغز و از بینی زکام — تا که ریح الله در آید در مشام ۲ هیچ مگذار از تب و صفرا اثر — تا بیابی از جهان طعم شکر
داروی مردی کن و عنین مپوی — تا برون آیند صدگون خوب روی ۳ کندهٔ تن راز پای جان بکن — تا کند جولان بگرد آن چمن
غلّ بخل ازدست وگردن دور کن(۱) — بخت نو دریاب از چرخ کهن ٤ ور نمیتانی بکعبهٔ لطف پر — عرضه کن بیچارگی بر چاره گر
زاری و گریه قوی سرمایه ایست — رحمت کلی قوی تر دایه ایست ٥ دایه و مادر بهانه جو بود — تا که کی آن طفل گریان میشود
طفل حاجات شما را آفرید — تا بنالید و شود شیرش پدید ٦ گفت ادعوا الله بی‌زاری مباش(۲) — تا بجوشد شیر های مهر هاش
های وهوی باد و شیر افشان ابر — در غم مایند یکساعت تو صبر ۷ فی‌السماء رزقکم نشنیدهٔ (۳) — اندرین پستی چه بر چفسیدهٔ
ترس و نومیدیت دان آواز غول — می کشد گوش تو تا قعر سفول ۸ هر ندائی که ترا بالا کشید — آن ندائی دان که از بالا رسید
هر ندائی که ترا حرص آورد — بانگ گرگی دان که او مردم درد ۹ این بلندی نیست ازروی مکان — این بلندیهاست سوی عقل وجان
هر سبب بالا تر آمد از اثر — سنگ و آهن فایق آمد بر شرر ۱۰ آن فلانی فوق آن سرکش نشست — گرچه در صورت بپهلویش نشست
فوقی آنجاست از روی شرف — جای دور ازصدر باشد مستخف ۱۱ سنگ وآهن زینجهت که سابقند — در عمل هنگام فوقی لایقند
وان شرر ازروی مقصودی خویش — زآهن وسنگست زین رو پیش پیش ۱۲ سنگ و آهن اول و پایان شرر — لیك این هردوتنند و جان شرر
آن شرر گردرزمان واپس ترست — درصفت از سنگ و آهن برترست ۱۳ درزمان شاخ از ثمر سابق ترست — در هنر از شاخ او فایق ترست
چونکه مقصود از شجر آمد ثمر — پس ثمر اول بود آخر شجر ۱٤ ❀ سوی خرس واژدها گردیم باز — زانکه طولی دارد اضمار و مجاز
خرس چون فریاد کرد از اژدها — شیر مردی کرد از چنگش رها ۱٥ حیلت و مردی بهم دادند پشت — اژدها را او بدین قوّت بکشت
❀ اژدها را او بدین حیلت بیست — تا که آن خرس ازهلاك تن برست ۱٦ اژدها را هست قوّت حیله نیست — لیك فوق حیلهٔ توحیله ایست(٤)
❀ ماکران بسیار لیکن باز بین — در نبی والله خیر الماکرین(٥) ۱۷ حیلهٔ خودرا چو دیدی باز رو — کز کجا آمد سوی آغاز رو
هر چه در پستیست آمد از علا — چشم را سوی بلندی نه هلا ۱۸ روشنی بخشد نظر اندر علا — گرچه اول خیرگی آرد بلا
چشم را در روشنائی خوی کن — گر نه خفاشی نظر آن سوی کن ۱۹ عاقبت بینی نشان نور تست — شهوت حالی حقیقت گور تست
عاقبت بینی که صد بازی بدید — مثل آن نبود که یك بازی شنید ۲۰ زان یکی بازی چنان مغرور شد — کز تکبر ز اوستادان دور شد
سامری وارآن هنر درخود چودید — او ز موسی از تکبر سر کشید ۲۱ او زموسی آن هنر آموخته (٦) — وز معلم چشم را بر دوخته
لاجرم موسی دگر بازی نمود — تا که آن بازی او جانش ربود ۲۲ ای بسا دانش که اندر سر دود — تا شود سرور بدان خود سررود
سر نخواهی که رود تو پای باش — در پناه قطب صاحب رای باش ۲۳ گرچه شاهی خویش فوق اومبین — گرچه شهدی جز نبات او مچین
فکر تونقش است وفکر اوست جان — نقد تو قلب است ونقد اوست کان ۲٤ او توئی خودرا بجو در اوی او — کو وکو گو فاخته سان سوی او
ور ترش می آیدت قند رضا — همچو خرسی در دهان اژدها ۲٥ ور نخواهی خدمت ابنای جنس — در دهان اژدهائی همچو خرس
بو که استادی رهاند مر ترا — وز خطر بیرون کشاند مر ترا ۲٦ زارئی میکن چوزورت نیست هین — چونکه کوری سرمکش ازراه بین
تو کم از خرسی نمی نالی زدرد — خرس رست ازدرد چون فریاد کرد ۲۷ ای خدا این سنگ دل را موم کن — ناله‌اش را توخوش ومرحوم کن

گفتن نابینای سائل که من دو کوری دارم مرا رحم کنید

بود کوری که همی گفت الامان — من دوکوری دارم ای اهل زمان ۲۹ پس دو باره رحمتم آرید هان — چون دوکوری دارم ومن درمیان
❀ از تعجب مردمان گفتند لیك — این دوکوری را بیان کن نیك نیك ۳۰ زانکه یك کوریت می بینیم ما — آن دگر کوری چه باشد وانما
گفت زشت آوازم و ناخوش صدا — زشت آوازی و کوری شد دوتا ۳۱ بانگ زشتم مایهٔ غم می‌شود — مهرخلق ازبانگ من کم می‌شود
زشت آوازم بهر جا که رود — مایهٔ خشم و غم و کین میشود ۳۲ بر دوکوری رحم را دو تا کنید — اینچنین نا گنج را گنجا کنید
کرد نیکو چون بگفت این رازرا — لطف آواز دلش آواز را ۳۳ ❀ زشتی آواز کم شد زین گله — خلق شد با وی برحمت یکدله
وانکه آواز دلش هم بد بود — آن سه کوری زشتی سرمد بود ۳٤ لیك وهّابان که بی علت دهند — بو که دستی بر سر زشتش نهند
چونکه آوازش خوش ومظلوم شد — زودل سنگین دلان چون موم شد ۳٥ نالهٔ کافر چوزشت است وشهیق(۷) — زان نمیگردد اجابت را رفیق
اخسؤا برزشت آواز آمدست(۸) — کوزخون خلق چون سگ بودمست ۳٦ چونکه نالهٔ خرس رحمت کش بود — نالهٔ تو نبود این ناخوش بود

---

(۱) مضمون آیه واقعه در سورهٔ بنی اسرائیل است ولا تجعل یدك مغلولة الی عنقك ولا تبسطها کل البسط فتقعد ملوماً محسورا یعنی مسازدست خودرا بسته بگردن خود تا بربساط آن توانا باشی (بربستن دست کنایت است از امساك) ومگشای دست خودرا همه گشادن (بسط ید عبارت است از عطا وکل البسط اشاره است باسراف) یعنی اسراف مکن که بنشینی ملامت کرده شده و در مانده و محتاج (۲) اشاره است بآیه واقعهٔ درسورهٔ بنی اسرائیل « قل ادعوا الله وادعوا الرحمن ایاماً تدعوفله الاسماء الحسنی » یعنی بگو بخوانید خدا را یا رحمن را بهرچه بخوانید پس از برای ذات واحد او نامهای نیکوست (۳) درسورهٔ والذاریات است وفی السماء رزقکم وما توعدون یعنی روزیهای شما وآنچه وعده داده شده‌اید بآن در آسمان و لوح ثابت است (٤) مفهوم این آیه است که در سورهٔ یوسف است وفوق کل ذی علم علیم یعنی بالای هر خداوند دانشی دانائیست که درجهٔ او بلند تراست (٥) در سورهٔ آل عمران است ومکروا ومکرالله والله خیرالماکرین یعنی یهودان مکر کنند و خدای تعالی جزای مکر ایشان دهد و خدا دانا تراست بمکر آنها (٦) از موسی شنیده بود که هرکه خاك سم اسب جبرئیل را در صورت ساختهٔ خود اندازد آنصورت بسبب آن خاك صاحب روح شود وبسخن درآید (۷) اشاره بآیه ایست که درسورهٔ هود واقع است « فاماالذین شقوا ففی النار لهم فیها زفیر وشهیق » فاما آنانکه بدبخت شدند پس در آتش دوزخند وایشان راست درآن آتش فریاد سخت و نالهٔ زار (زفیر صوت شدید را گویند وشهیق بانگ خررا) (۸) اشارهٔ بآیهٔ واقعه درسورهٔ مؤمنون است که قال اخسئوا فیها ولا تکلمون یعنی خدای تعالی درجواب اهل دوزخ وجزع ایشان فرماید بخزید درآتش وبا من سخن مگوئید در خروج یا رفع عذاب که شما را بیرون نمیبرم یا عذاب از شما برنمیدارم .

دان که با یوسف تو گرگی کردهٔ باز خون بی‌گناهی خوردهٔ ۱ توبه کن وز خورده استفراغ کن ورجراحت کهنه شد رو داغ کن
❀ بازگرد از گرگی ای روباه پیر ۲ نصرت از حق میطلب نعم‌النصیر

تتمهٔ حکایت خرس و آن ابله که بوفای او اعتماد کرده بود

خرس هم ازاژدها چون وارهید وان کرم زان مرد مردانه بدید ٤ چون سگ اصحاب کهف آن خرس زار شد ملازم در پی آن بردبار
آن مسلمان سر نهاد از خستگی خرس حارس گشت ازدل بستگی ٥ آن یکی بگذشت وگفتش حال چیست ای برادر مرترا این خرس کیست
قصه واگفت و حدیث اژدها گفت بر خرسی منه دل ابلها ٦ دوستی زابله بتر ازدشمنی است او بهر حیله که دانی راندنیست
گفت والله از حسودی گفتی این ورنه خرسی چه انگری این مهربین ٧ گفت مهر ابلهان عشوه ده است این حسودی من ازمهرش به است
هی بیا با من بران این خرس را خرس را مگزین مهل توجنس را ٨ گفت رو رو کارخودکن ای حسود گفت کارم این بد و بختت نبود
من کم ازخرسی نباشم ای شریف ترك اوکن تا منت باشم حریف ٩ بر تو دل می لرزدم ز اندیشهٔ با چنین خرسی مرو در بیشهٔ
این دلم هرگز نلرزید از گزاف نورحق است این نه دعوی ونه لاف ١٠ مؤمنم ینظر بنورالله شده هان و هان بگریز ازین آتشکده
این همه گفت وبگوشش درنرفت بدگمانی مرد را سدّیست زفت ١١ دست اوبگرفت ودست ازوی کشید گفت رفتم چون نهٔ یار رشید
گفت روبرمن تو غمخواره مباش بوالفضولا معرفت کمتر تراش ١٢ باز گفتش من عدوّ تو نیم لطف بینی گر بیائی در پیم
گفت خواب آمد مرا بگذار و رو گفت آخر یار را منقاد شو ١٣ تا بخسبی در پناه عاقلی در جوار دوستی صاحب دلی
در خیال افتاد مرد از جدّ او خشمگین شد رو بگردانید زو ١٤ کاین مگر قصد من آمد خونی است یا طمع دارد گدا و تونی است
یا گرو بسته است با یاران بدین که بترساند مرا زین همنشین ١٥ ❀ یا حسد دارد ز مهر یار من کاینچنین جد میکند در کار من
خود نیامد هیچ از خبث سرش یك گمان نیك اندر خاطرش ١٦ ظنّ نیکش جملگی بر خرس بود اومگر مرخرس را هم جنس بود
❀ بدگمان و ابله و نا اهل بود وز شقاوت او مطیع جهل بود ١٧ ❀ بدرگ وخودرای وبدبخت ابد گمره ومغرور وکور وخوار ورد
❀ خرس را بگزید برصاحب کمال روسیهٔ حاصل تبه فاسد خیال ١٨ عاقلی را از خری تهمت نهاد خرس را دانست اهل مهر وداد

گفتن موسی علیه‌السلام گوساله پرست را که این خیال اندیشی تو از کجاست

گفت موسی با یکی مست خیال کای بداندیش ازشقاوت وزضلال ٢٠ صد گمانت بود در پیغمبریم با چنین برهان و این خلق کریم
صد هزاران معجزه دیدی ز من صد خیالت میفزود و شكّ وظن ٢١ از خیال و وسوسه تنگ آمدی طعن بر پیغمبری ام میزدی
گرد از دریا برآوردم عیان تا رهیدید از شر فرعونیان ٢٢ زآسمان چل سال کاسه وخوان رسید وزدعایم جوی ازسنگی دوید (١)
❀ چوب شد در دست من نراژدها آب خون شد بر عدوی نا سزا ٢٣ ❀ شد عصا مار وکفم شد آفتاب آفتاب ازعکس نورم شدشهاب (٢)
این وصدچندین وچندین گرم وسرد ازتوای سرد آن توهم کم نکرد ٢٤ بانگ زد گوسالهٔ از جادوی سجده کردی که خدای من توئی
آن توهمهات را سیلاب برد زیرکی باردت را خواب برد ٢٥ چون نبودی بدگمان در حقّ او چون نهادی سرچنان ای زشتخو
چون خیالت نامد از تزویر او وز فساد سحر احمق گیر او ٢٦ سامری خود که باشد ای سگان که خدائی بر تراشد در جهان
چون درین تزویر او یکدل شدی وز همه اشکالها عاطل شدی ٢٧ گاو می شاید خدائی را بلاف دررسولی ام توچون کردی خلاف
پیش گاوی سجده کردی ازخری گشت عقلت صید سحر سامری ٢٨ چشم دزدیدی ز نور ذوالجلال اینت جهل وافر و عین ضلال
شه (٣) برآن عقل وگزینش که تراست چون توکان جهل راکشتن سزاست ٢٩ گاو زرین بانگ کرد آخرچه گفت کاحمقان را اینهمه رغبت شگفت
زان عجب تر دیدهٔ از من بسی لیك حق را کی پذیرد هرخسی ٣٠ باطلان را چه رباید باطلی عاطلان را چه خوش آید عاطلی
زانکه هرجنسی رباید جنس خود گاو سوی شیر نرکی رو نهد ٣١ گرگ بر یوسف کجا عشق آورد جز مگر از مکر تا اورا خورد
چون ز گرگی وارهد محرم شود چون سگ کهف ازبنی آدم شود ٣٢ ❀ چون محمد را ابوبکر نکو دید صدقش گفت هذا صادق
چون ابوبکر از محمد برد بو گفت هذا لیس وجه کاذب ٣٣ چون نبد بوجهل ازاصحاب درد دید صد شق قمر باور نکرد
درد مندی کش ز بام افتاد طشت زونهان کردیم حق پنهان نگشت ٣٤ وانکه اوجاهل بد از دردش بعید چند بنمودیم و او آنرا ندید
آینهٔ دل صاف باید تا در او ٣٥ واشناسی صورت زشت از نکو

ترك کردن آن مرد ناصح بعد از مبالغه پند آن مغرور خرس را

آن مسلمان ترك آن ابله گرفت زیر لب لاحول گویان ره گرفت ٣٧ گفت چون ازجد وپند وازجدال در دل او بیش می زاید خیال
پس ره پند و نصیحت بسته شد امراعرض عنهم پیوسته شد (٤) ٣٨ چون دوایت میفزاید درد پس قصه با طالب بگو برخوان عبس (٥)
چونکه اعمی طالب حق آمدست بهر فقر اورا نشاید سینه خست ٣٩ تو حریصی بر رشاد مهتران (٦) تا بیاموزند علم از سروران
احمدا دیدی که قومی از ملوك مستمع گشتند وگشتی خوش که بوك ٤٠ این رئیسان یار دین گردند خوش بر عرب اینها سرند و بر حبش

---

(١) اشاره است بآیه فانفجرت منه اثنتا عشرة عینا که در اوایل سوره بقره واقع شده (٢) شهاب ستارگان تابنده است که در شبها از هوا فرومیآیند وطبیعیین میگویند از سائیدن ابرها بشدت بریکدیگر پیدا شود وآنرا برق گویند وآوازی که ازآن برآید رعد خوانند (٣) شه بضم اول کلمه ایست که در محل نفرت و کراهت گویند (٤) اشاره است بآیهٔ واقعه درسوره سجده فاعرض عنهم وانتظر فانهم منتظرون یعنی پس روی بگردان محمد بطریق اهانت ازایشان ومنتظر باش نصرت الهی را بدرستی که ایشان نیزاز الهٔ خود منتظرآنند که غلبه کنند برتو وحق سبحانه و تعالی ترا غالب گرداند نه ایشان را (٥) اشاره است بآیه عبس و تولی ان جائه الاعمی در بعضی از روایات نقل شده که حضرت رسول بابعضی از صنادید قریش مکالمه میفرمود ابن ام مکتوم که نابینا بود برآنحضرت وارد شده بعلت نابینائی سخن در میان آورد و سخن آنحضرت را قطع نمود حضرت ملول شد ومتغیر الحال گشت این آیه نازل شد که روی در هم کشید و اعراض نمود وقتی که نا بینا آمد اورا (٦) تو میخواهی بسرداران علم بیاموزی و از آنها دیگران تعلیم شوند.

بگذرد این صیت از بصره وتبوك — زانکه الناسُ علی دین‌الملوك(۱) ۱ زین سبب تو از ضریر [illegible]
کاندرین فرصت کم افتداین مُناخ — تو ز یارانی و وقت تو فراخ ۲ مزدحم می گردیم در وقت تنگ — این نصیحت [illegible] ترخشم و جنگ
احمدا نزد خدا این یك ضریر — بهتر ازصدقیصرست وصد وزیر ۳ یاد الناس معادن هین بیار (۲) — معدنی باشد فزون از صدهزار
معدن لعل و عقیق مکتنس — بهترست ازصدهزاران کان مس ٤ احمدا اینجا ندارد مال سود — سینه باید پُر زعشق ودرد ودود
اعمی روشن دل آمد در مبند — پند اورا ده که حقّ اوست پند ٥ گر دو سه ابله ترا منکر شوند — تلخ کی گردی چوهستی کان قند
گر دو سه احمق ترا تهمت نهد — حق برای تو گواهی میدهد ٦ گفت از اقرار عالم فارغم — آنکه حق باشدگواه اورا چه غم
گرخفاشی رازخورشیدی خوریست — آن دلیل‌آمدکه آن خورشید نیست ۷ نفرتِ خفاشکان باشد دلیل — که منم خورشید تابان جلیل
گر گلابی را جعل راغب شود — آن دلیل نا گلابی می بود ۸ گر شود قلبی خریدار محك — در محکّ اش درآید نقص‌و شك
دزدشب خواهدنه روزاین‌رابدان — شب نیم روزم که تابم در جهان ۹ فارقم فاروقم و غربال وار — تا که کاه از من نمی یابد گذار
آرد را پیدا کنم من از سبوس — تا نمایم کین نقوشست آن نفوس ۱۰ من چو میزان خدایم در جهان — وا نمایم هر سبك را از گران
گاو را داند خدا کوسالهٔ (۳) — خر خریداریّ و درخور کالهٔ ۱۱ من نه گاوم تا که گوساله‌ام خرد — من نه خارم کاشتری از من چرد
اوگمان داردکه‌با من جورکرد (٤) ۱۲ بلکه از آینهٔ من روفت گرد

تملق کردن دیوانه جالینوس را و ترسیدن جالینوس

گفت جالینوس با اصحاب خود — مرمرا تا آن فلان دارو دهد ۱٤ پس‌بدوگفت‌آن یکی‌کای ذوفنون — این دوا خواهند از بهر جنون
دور از عقل تو این دیگر مگو — گفت در من کرد یك دیوانه رو ۱٥ ساعتی درروی من خوش بنگرید — چشمکم زد آستین من درید
گر نه جنسیّت بدی در من ازو — کی رخ آوردی بمن‌آن زشت‌رو ۱٦ گرنه‌دیدی جنس خود کی آمدی — کی بغیر جنس خود را برزدی
چون دوکس‌برهم زند بی‌هیچ‌شك — درمیانشان هست قدرمشترك (٥) ۱۷ کی پرد مرغی بجز با جنس خود — صحبت نا جنس گورست و لحد

سبب پریدن و چریدن مرغی با مرغ دیگر که جنس او نبود

آن حکیمی گفت دیدم هم تگی — در بیابان زاغ را با لگلگی ۱۹ در عجب ماندم بجستم حالشان — تا چه قدر مشترك یابم نشان
چون‌شدم نزدیك من‌حیران‌ودنگ — خود بدیدم هردوان بودند لنگ ۲۰ خاصه شهبازی که او عرشی بود — با یکی‌جغدی‌که او فرشی بود(٦)
آن یکی خورشید علّیین بود — وین دگر خفاش کز سجین بود ۲۱ آن یکی نوری ز هر عیبی بری — وین یکی کوری گدای هر دری
آن یکی ماهی که بر پروین زند — وین یکی کرمی که برسرگین تند ۲۲ آن یکی یوسف رخی‌عیسی نفس — وین دگر گرگی ویا خر یا جرس
آن یکی پرّان شده در لامکان — وین‌یکی‌در کاهدان همچون‌سگان ۲۳ آن یکی سلطان عالی مرتبت — وین یکی در گلخنی در تعزیت
آن یکی خلقی ز اکرامش خجل — وین دگر از بینوائی منفعل ۲٤ آن یکی‌سرور شده زاهل زمان — وین‌دگر درخاك خواری بس‌نهان
بلبلان را جای میزیبد چمن — مرجعل را در چمین خوشتروطن ۲٥ با زبان معنوی گل با جُعل — این همی گوید که ای گنده بغل
گر گریزانی ز گلشن بی گمان — هست آن نفرت کمال گلستان ۲٦ غیرت من بر سر تو دور باش — میزندکای خس‌ازاین دردورباش
ور بیامیزی تو با من ای دنی — این گمان آید که از کان منی ۲۷ ❁ گر درآمیزد زنقصان من‌است — زانکه پندارندکو زان من است
❁ گردرآمیزد بمن آن زهر ناك — موش و دریا باشد وماهیّ وخاك ۲۸ حق‌مرا چون‌ازپلیدی پاك‌داشت — چون سزد برمن پلیدی‌را گماشت
یك رگم زیشان بُدوآنرابرید(۷) — درمن‌آن بد رگ‌کجاخواهد رسید ۲۹ یك‌نشان آدم آن بود از ازل — که ملایك سر نهندش از محل
یك نشان دیگر آنکه آن بلیس — ننهدش سر که منم شاه ورئیس ۳۰ پس اگر ابلیس هم ساجد شدی — او نبودی آدم او غیری بُدی
هم سجود هر ملك میزان اوست — هم جحود آن عدوبرهان اوست ۳۱ هم گواه اوست اقرار ملك — هم گواه اوست کفران سگك
❁این‌سخن پایان ندارد باز گرد — ۳۲ تا چه‌کرد آن‌خرس باآن شیرمرد

تتمه قصه آنمرد مغرور بروفای خرس وهلاکت او

شخص خفت وخرس‌میراندش‌مگس — وز ستیز آمد مگس زوباز پس ۳٤ چند بارش راند از روی جوان — آن مگس پس باز می‌آمد دوان
خشمگین شد با مگس‌خرس‌وبرفت — برگرفت ازکوه سنگی سخت‌زفت ۳٥ سنگ آورد و مگس را دید باز — بر رخ خفته گرفته جایِ ساز
بر گرفت آن آسیا سنگ و بزد — برمگس تا آن مگس واپس خزد ۳٦ سنگ روی خفته‌را خشخاش کرد — این مثل بر جمله عالم فاش کرد
مهر ابله مهر خرس آمد یقین — کین اومهر است ومهراوست‌کین ۳۷ عهداوسست‌است وویران‌وضعیف — گفتِ او زفت و وفای او نحیف
گر خورد سوگند هم باور مکن — بشکند سوگند مرد کج سخن ۳۸ چونکه بی‌سوگندگفتش بُد دروغ — تو میفت ازعهد سوگندش بدوغ
نفس او میراست و عقل اواسیر — صدهزاران‌مصحفش‌خودخورده‌گیر ۳۹ چونکه بی سوگند پیمان بشکند — گر خورد سوگند زان بدتر کند

---

(۱) در حدیث است که الناس علی دین ملوکهم یعنی مردم برروش شاهان خودند (۲) اشاره است باین حدیث که الناس معادن کمعادن الذهب والفضه یعنی آدمیان معادنند مثل معادن طلا و نقره (۳) یعنی گاو را گوساله پرست خدا میداند بلی او چون خراست جنس‌موافق خود خریده است وگرنه گاوکی خدا میشود (٤) اهل‌کمال میگوید معاند که بامن جورکرد واذیت رسانید مرا درجهٔ حاصل شد و گرد از رویم روفته گردیده پاك شدم (٥) قدر مشترك آن کلی است که گفته شود درجواب امور مختلفةالحقائق مفهوم آن کلی قدر مشترك باشد چون امکان که قدر مشترك است فیمابین جوهر وعرض وحیوان‌که قدرمشترکست فیمابین انسان وسایر حیوانات چون اسب وغیره (٦) مراد آنست که بدون مجانست ومشارکت موافقت نمیشود پس بین‌شهباز وجغد چگونه موافقت‌آید (۷) مقصود آنست که خداوند عالم مرا شرح صدر عنایت فرموده و این مقوله شهباز عرش یا کلیست که عبارت ازانسان کامل باشد واینجا مراد ذات مقدس محمد صلی الله علیه وآله ودیگر انبیاء است‌که دراصل خلقت جمیع لوازم بشری باایشان هست وآخررفع‌آن میشود وقصهٔ شق صدر پیغمبر واسلم شیطانی علی‌یدی امریست مشهور واگرمطلق‌گفته شود که درهرچیزی رگی از شر هست وآن بعبادت حق تعالی بریده میشود هم گنجایش دارد .

زانکه نفس آشفته‌تر گردد ازآن(۱) که کنی بندش بسوگند گران ۱ چون اسیری بند برحاکم نهد حاکم آنرا بر درد بیرون جهد
بر سرش کوبد ز خشم آن بندرا هم زند بر روی او سوگند را ۲ تو زاوفوا بالعقودش دست‌شو(۲) احفظوا ایمانکم با وی مگو(۳)
هر که او گوید بنزد ما دروغ در نگیرد گفت سوگندش فروغ ۳ وانکه داند عهد با که میکند تن کند چون تار و گرد او تند

رفتن رسول خدا بعیادت صحابی رنجور و بیان فائدهٔ عیادت

از صحابه خواجهٔ بیمار شد واندر آن بیماری اوچون تارشد ۵ مصطفی آمد عیادت سوی او چون همه لطف و کرم بُدخوی او
در عیادت رفتن تو فایده است فایدهٔ آن باز بر تو عایده است ۶ فائده اوّل که آن شخص علیل بو که قطبی باشد و شاه جلیل
چون توچشم دل نداری ای عنود که نمیدانی تو هیزم را ز عود ۷ چونکه گنجی هست درعالم مرنج هیچ ویران را مدان خالی‌زگنج
قصد هر درویش میکن بیگزاف چون‌نشان یابی‌بجد میکن طواف ۸ چون‌ترا آن چشم باطن‌بین نبود گنج می پندار اندر هر وجود
ور نباشد قطب یار ره بود شه نباشد فارس اسپه بود ۹ پس صلهٔ یاران ره لازم شمار هر که باشد گر پیاده ور سوار
ورعدو باشدهم‌این‌احسان نکوست که باحسان بس‌عدوگشتست‌دوست ۱۰ ور نگردد دوست کینش کم شود زانکه احسان کینه را مرهم شود
بس فواید هست غیر این ولیك از درازی خائفم ای یار نیك ۱۱ حاصل این آمد که یار جمع باش همچو بت گراز حجر یاری‌تراش
زانکه انبوهیّ و جمع کاروان ۱۲ رهزنان را بشکند پشت و سنان

وحی آمدن از حقتعالی بموسی که چرا بعیادت من نیامدی

آمد ازحق سوی‌موسی این‌عتیب کای طلوع ماه تو دیده زجیب ۱۴ مُشرقت کردم ز نور ایزدی من حقم رنجور گشتم نامدی
گفت سبحانا تو پاکی از زیان این‌چه‌رمزست این‌بکن یارب بیان ۱۵ باز فرمودش که در رنجوریم چون نپرسیدی تو از روی‌کرم
گفت یا رب نیست نقصانی ترا عقل گم شد این گره را بر گشا ۱۶ گفت آری بندهٔ خاص گزین گشت رنجور او منم نیکو ببین
هست معذوریش معذوریّ من هست رنجوریش رنجوریّ من ۱۷ هر که خواهد همنشینی با خدا او نشیند در حضور اولیا
از حضور اولیا گر بگسلی تو هلاکی زانکه جزو بی کلی ۱۸ هرکه را دیو از کریمان وا بُرد بیکسش یابد سرش را او خورد
یك‌بدست(٤) ازجمع‌رفتن‌یك زمان ۱۹ مکر شیطان باشد این نیکو بدان

جدا کردن باغبان صوفی وفقیه وعلوی را ازهمدیگر

باغبانی چون نظر در باغ کرد دید چون‌دزدان بباغ خود سه‌مرد ۲۱ یك فقیه و یك شریف و صوفئی هر یکی شوخی‌فضولی یوفئی(۵)
گفت بااینها مراصد حُجّت‌است لیك‌جمعند وجماعت‌رحمت‌است(٦) ۲۲ بر نیایم یك تنه با سه نفر پس بیرّمشان نخست از یکدگر
هر یکی را من بسوئی افکنم چونکه تنها شد سبالش برکنم ۲۳ حیله کرد و کرد صوفی را براه تا کند یارانش را با او تباه
گفت صوفی را برو سوی وثاق یك گلیم آور برای این رفاق ۲۴ رفت صوفی گفت خلوت با دویار تو فقیهی وین شریف نامدار
ما بفتوای تو نانی میخوریم ما بیرّ دانش تو می پریم ۲۵ وین دگرشه زاده وسلطان ماست سید است ازخاندان‌مصطفی‌است
کیست‌آن صوفی‌شکم‌خوارخسیس تا بود باچون شما شاهان جلیس ۲٦ چون بیاید مرورا بینه کنید(۷) هفتهٔ بر باغ و راغ من تنید
باغ چبود جان من آن شما است ای شمابوده مراچون‌چشم‌راست ۲۷ وسوسه کرد ومرایشان را فریفت آه کز یاران نمی باید شکیفت
چون بره‌کردند صوفی را و رفت خصم‌شد اندر پیش باچوب زفت ۲۸ گفت ای سگ صوفئی‌کواز ستیز اندر آید باغ مردم تیز تیز
این جُنیدت ره نمود و با یزید ازکدامین شیخ وپیرت این رسید ۲۹ کوفت صوفی را چو تنها یافتش نیم کشتش کرد و سر بشکافتش
گفت صوفی‌آن من بگذشت لیك ای رفیقان پاس خود دارید نیك ۳۰ مر مرا اغیار دانستید هان نیستم اغیار تر زین قلتبان
آنچه من‌خوردم شمارا خورد نیست اینچنین ضربت جزای هردنیست ۳۱ رفت برمن برشماهم رفتنیست چوب قهرش مرشمارا خوردنیست
چون صدا هم باز آید سوی تو چون ز صوفی گشت فارغ باغبان ۳۲ یك بهانه کرد زان پس‌جنس آن
این‌جهان‌کوهست وگفت وگوی‌تو که ز بهر چاشت پختم من رُقاق ۳۳ بر در خانه بگو قیماز را تا بیارد آن رقاق و قاز را
کای شریف من برو سوی وثاق تو فقیهی ظاهرست این و یقین ۳٤ او شریفی میکند دعویّ سرد مادر اورا که داند تا چه کرد
چون بره‌کردش بگفت ایمرد دین عقل ناقص وانگهانی اعتمید ۳۵ خویشتن را بر علیّ و بر نبی بسته است اندر زمانه بس غبی
بر زن و برفعل زن دل مینهید این بسرد ظن در حق ربّانیان ۳٦ هرکه برگردد سرش ازچرخها(۸) همچو خود گردنده بیند خانه را
هرکه باشد از زنا وز زانیان حال او بُد دور ز اولاد رسول ۳۷ گر نبودی او نتیجهٔ مرتدان کی چنین گفتی برای خاندان
آنچه گفت آن باغبان بوالفضول در پیش رفت آن ستمکار سفیه ۳۸ گفت‌ای خراندرین باغت‌که خواند دزدی از پیغمبرت میراث ماند
خواند افسونها شنید آن را فقیه تو به پیغمبر چه میمانی بگو ۳۹ با شریف آن‌کرد آن دون‌ازکجی که کند با آل یاسین خارجی
شیر را بچه همی ماند بدو چون یزید وشمر با آل رسول ۴۰ شد شریف ازظلم‌آن ظالم خراب با فقیه او گفت با چشم پر آب
تا چه کین دارند دائم دیو وغول چون دُهل‌شوزخم‌میخور برشکم ۴۱ گر شریف و لایق و همدم نیم از چنین ظالم ترا من کم نیم
پای‌داراکنون که ماندی‌فرد وکم احمقی کردی ترا بئس العوض ۴۲ شد ازو فارغ بیامد کای فقیه چه فقیهی ای تو ننگ هر سفیه

---

(۱) نفس از سوگند خوردن آشفته میگردد گویا تو اورا بند کردهٔ چرا که کار او شکستن عهد است و کار عقل ایفای وعده (۲) در سوره مائده‌است یاایهاالذین‌آمنوا اوفوا بالعقود ای کسانیکه گرویده‌اید بعهدها که بایکدیگر می‌کنید وبعقود شرعیه چون عقد شرکت ونکاح و بیع و امثال آن وفانمائید (۳) درسورهٔ مائده‌است واحفظوا ایمانکم ونگاهدارید سوگند خودرا ازشکستن یادراصل‌خودرانگاهدارید وسوگند مخورید (٤) مقصود یك وجب است (۵) یوفئی چنانکه دربعضی حواشی مسطوراست لاف زن وهرزه‌گو ومنسوب بیوف است که کلمه تقریع است (٦) در حدیث نبوی است که الجماعة رحمة ویدالله مع‌الجماعه (۷) بینه یعنی نرم ساختن وپرا کنده کردن وگریزانیدن ومحوکردن (۸) یعنی هرکس سرش از بسیار گردیدن بدور خود بگردد

فتویت اینست ای ببریده دست — کاندر آئی و نگوئی امر هست ۱ ❀ بو حنیفه داد این فتوی ترا — شافعی گفت است این ای ناسزا
این چنین رخصت بخواندی در وسیط — یا بُدست این مسئله اندر محیط(۱) ۲ ❀ این بگفت ودست بروی برگشاد — دست او کین دلش را داد داد
گفت حقست بزن دستت رسید — این سزای آنکه از یاران برید ۳ ❀ من سزاوارم باین وصد چنین — تا چرا ببریدم از یاران بکین
گوش کردم خدمته و افسوس تو — میزنم بر سر که شد ناموس تو ٤ زد ورا القصه بسیار و بخست — کرد بیرونش ز باغ و در ببست
❀ هر که تنها ماند ازیاران خود — اینچنین آید مر اورا جمله بد ٥ پس عیادت از برای این صله است(۲) — وین صله ازصد محبت حامله است

رجعت بقصهٔ مریض و عیادت پیغمبر صلی الله علیه وآله

در عیادت شد رسول بی ندید — آن صحابی را بحال نزع دید ۷ چون شوی دور از حضور اولیا — در حقیقت گشتهٔ دور از خدا
چون نتیجهٔ هجر همراهان غمست — کی فراغ روی شاهان زان کمست ۸ سایهٔ شاهان طلب هر دم شتاب — تا شوی زان سایه بهتر زافتاب
❀ رو بخسب اندر پناه مقبلی — بو که آزادت کند صاحب دلی ۹ گر سفرداری بدین نیت برو — ور حضر باشد ازین غافل مشو
❀ فاخته‌سان روزوشب کوکوتوکو — گنج پنهانی ز درویشی بجو ۱۰ ❀ در بدر میگرد ومیرو کو بکو — جستجو کن جستجو کن جستجو
تا توانی ز اولیا رو بر متاب ۱۱ جهد کن والله اعلم بالصواب

رفتن بایزید بسطامی بکعبه ودرراه بخدمت بزرگی رسیدن وگفتن آن بزرگ که کعبه منم مرا طواف کن

سوی مکه شیخ اُمت با یزید — از برای حج و عمره می دوید ۱۳ او بهر شهری که رفتی ازنخست — مرعزیزان را بکردی باز جست
گرد میگشتی که اندر شهر کیست — کو برارکان بصیرت متکیست ۱٤ گفت حق کاندر سفر هرجاروی — باید اوّل طالب مردی شوی
قصدگنجی کن که این سود و زیان — در تبع آید تو آنرا فرع دان ۱٥ هر که کارد قصد گندم باشدش — کاه خود اندر تبع می آیدش
که بکاری بر نیاید گندمی — مردمی جو مردمی جو مردمی ۱٦ قصد کعبه کن چو وقت حج بود — چونکه رفتی مکه هم دیده شود
قصد در معراج دید دوست بود — در تبع عرش وملایك هم نمود ۱۷ ❀ سیدالاعمال بالنیات گفت(۳) — نیت خیرت بسی گلها شکفت
❀ نیت مؤمن بود به از عمل ۱۸ این چنین فرمود سلطان دول

حکایت پیر و مرید

خانهٔ نو ساخت روزی نو مرید — پیر آمد خانهٔ او را بدید ۲۰ گفت شیخ آن نومرید خویش را — امتحان کرد آن نکو اندیش را
روزن از بهرچه کردی ای رفیق — گفت تا نور اندرآید زین طریق ۲۱ گفت آن فرعست این باید نیاز — تا ازین ره بشنوی بانگ نماز
❀ نور خود اندر تبع می‌آیدت — نیت آنرا کن که آن می بایدت ۲۲ بایزید اندر سفر جستی بسی — تا بیابد خضر وقت خود کسی
دید پیری با قدی همچون هلال — دید دروی فرّ و گفتار رجال ۲۳ دیده نا بینا و دل چون آفتاب — همچو پیلی دیده هندستان بخواب
چشم بسته خفته بیند صد طرب — چون گشاید آن نبیند ای عجب ۲٤ بس عجب درخواب روشن میشود — دل درون خواب روزن میشود
وانکه بیدارست وبیندخواب خوش — عارفست او خاك اودر دیده کش ۲٥ ❀ بایزید اورا چوازاقطاب یافت — مسکنت بنمود و در خدمت شتافت
پیش او بنشست ومی‌پرسید حال — یافتش درویش وهم صاحب عیال ۲٦ گفت عزم تو کجا ای بایزید — رخت غربت را کجا خواهی کشید
گفت قصد کعبه دارم ازوله — گفت هین باخودچه داری زاد ره ۲۷ گفت دارم از درم نقره دویست — نك ببسته سخت بر گوشهٔ ردیست
گفت طوفی کن بگردم هفت بار — وین نکو تراز طواف حج شمار ۲۸ وان درمها پیش من نه ای جواد — دان که حج کردی وحاصل شدمراد
عُمره کردی عمر باقی یافتی — صاف گشتی بر صفا بشتافتی ۲۹ حقّ آن حقی که جانت دیده است — که مرا بربیت خود بگزیده است
کعبه هر چندی که خانهٔ برّ اوست — خلقت من نیزخانهٔ سرّ اوست (٤) ۳۰ تابکرد آن خانه را در وی نرفت — واندرین خانه بجز آن حی نرفت
چون مرا دیدی خدا را دیدهٔ — گرد کعبهٔ صدق بر گردیدهٔ ۳۱ خدمت من طاعت وحمد خداست — تا نپنداری که حقّ ازمن جداست
چشم نیکو باز کن در من نگر — تا ببینی نور حق اندر بشر ۳۲ ❀ کعبه را یکبار بیتی گفت یار — گفت یا عبدی مرا هفتاد بار
❀ بایزیدا کعبه را دریافتی — صد بها و عزّ وصد فر یافتی ۳۳ بایزید آن نکتها را هوش داشت — همچوزرّین حلقه‌اش درگوش داشت
آمد از وی بایزید اندر مزید ۳٤ منتهی در منتها آخر رسید

دانستن پیغمبر که سبب رنجوری آن شخص از گستاخی بوده است در دعا

چون پیمبر دید آن بیمار را — خوش نوازش کرد یار غار را ۳٦ زنده شد او چون پیمبر را بدید — گوئی آندم حق مر اورا آفرید
گفت بیماری مرا این بخت داد — کامد این سلطان بر من بامداد ۳۷ تا مرا صحّت رسید و عافیت — از قدوم این شه پر خاصیت
ای خجسته رنج و بیماریّ وتب — ای مبارك درد و بیخوابیّ شب ۳۸ نك مرا در پیری از لطف وکرم — حق چنین رنجورئی داد و سقم
درد پشتم داد تامن هم ز خواب — برجهم هر نیمشب لابُد شتاب ۳۹ تا نخسبم جمله شب چون گاومیش — دردهابخشید حق ازلطف خویش
زین شکستن رحم شاهان جوش کرد — دوزخ از تهدید من خاموش کرد ٤۰ رنج گنج آمد که رحمتهادروست — مغز تازه شد چوبخراشید پوست
ای برادر موضع تاریك و سرد — صبر کردن برغم و سستیّ ودرد ٤۱ چشمهٔ حیوان و جام مستی است — کان بلندیها همه در پستی است
آن بهاران مضمراست اندرخزان — دربهارست آن خزان مگریزازآن ٤۲ همره غم باش و با وحشت بساز — می طلب درمرگ خود عمردراز
آنچه گوید نفس توکاینجا بدست — مشنوش چون کار او ضد آمدست ٤۳ تو خلافش کن که از پیغمبران — اینچنین آمد وصیت در جهان

---

(۱) وسیط ومحیط دو کتاب فقه است (۲) از عیادت هم همین اتفاق بایکدیگر مراد است (۳) در حدیث نبویست که (انماالاعمال بالنیات) یعنی عملها بسته است بقصدها وایضاً ازآنحضرت مرویست که نیةالمؤمن خیر من عمله وعمل المنافق خیرُ من نیته یعنی نیت مؤمن ازعملش بهتراست ونیت او خیر است وعمل منافق از نیتش بهتر است (٤) اشاره باین حدیث قدسی است که الانسان سِرّی وانا سرّه یعنی آدمی سرّ من است ومن سِرّ اویم بعبارت دیگر انسان سِرّ من ومظهر صفات منست ومن باطن آن انسانم من حیث الوجوه که او هستی را از من یافته وایضاً در حدیث نبوی است که لا یسعنی ارضی ولاسمائی ولکن یسعنی قلب عبدی المؤمن یعنی آسمان وزمین جای من نشد ودل بندهٔ مؤمن مرا جای آمد

مشورت در کارها واجب شود تا پشیمانی در آخر کم بود ۱ سعیها کردند بسیار انبیا تا که گردان شد برین سنگ‌آسیا
نفس میخواهد که تا ویران کند خلق را گمراه و سرگردان کند ۲ گفت امت مشورت با که کنیم انبیا گفتند با عقل امیم
گفت اگر کودك درآید یا زنی کو ندارد عقل و رای روشنی ۳ گفت با اومشورت‌کن وانچه‌گفت تو خلاف آن کن و در راه افت
نفس خودرا زن‌شناس وزان بتر زانکه زن‌جزویست ونفست‌کل‌شر ٤ مشورت با نفس خود گر میکنی هر چه گوید کن خلاف آن دنی
گر نماز و روزه میفرمایدت (۱) نفس مکارست مکری زایدت ٥ مشورت با نفس خود اندر فعال هر چه گوید عکس آن باشدکمال
بر نیائی با وی و استیز او رو بر یاری بگیر آمیز او ٦ عقل قوّت گیرد از عقل دگر پیشه گر کامل شود از پیشه گر
من ز مکر نفس دیدم چیز ها کو برد از سحر خود تمییز ها ۷ وعد ها بدهد ترا تازه بدست کو هزاران بار آنها را شکست
عمر اگرصد ساله خود مهلت دهد اوت هر روزی بهانهٔ نو نهد ۸ گرم گوید وعدهای سرد را جادوی مردی به بندد مرد را
ای ضیاء الحق حسام الدین بیا که نروید بی تو از شوره گیا ۹ از فلك آویخته شد پردهٔ از پی نفرین دل آزردهٔ (۲)
این قضا را هم قضا داند علاج عقل‌خلقان درقضا گیجست و کاج ۱۰ اژدها گشتست آن مار سیاه آن که کِرمی بود افتاده براه
اژدها و مار اندر دست تو شد عصا ای‌جان موسی مست تو ۱۱ حکمُ خذها لاتخف دادت خدا(۳) تا بدستت اژدها گردد عصا
هین ید بیضا نما ای پادشاه صبح نو بنما ز شبهای سیاه ۱۲ دوزخی افروخت بروی دم فسون ای دم تو از دم دریا فزون
بحر مکار است و بنموده‌کفی(٤) دوزخست از مکر بنموده تفی ۱۳ زان نماید مختصر در چشم تو تا زبون بیش و جنبد خشم تو
همچنانکه لشکر انبوه بود مر پیمبر را بچشم اندك نمود ۱٤ تا بریشان زد پیمبر بی خطر ور فزون دیدی ازان‌کردی حذر
آن عنایت بود و فضل ایزدی احمدا ورنه تو بد دل میشدی ۱٥ کم نمود اورا و اصحاب ورا(٥) آن‌جهاد ظاهر و باطن خدا
تا میسر کرد یُسری را برو تا زعسری او نگردانید رو ۱٦ کم نمودن مر ورا پیروز بود زان نمودن روز او نوروز بود
آنکه حق پشتش نباشد در ظفر دان که خرگوشش نماید شیر نر ۱۷ ❀ کم نمودن بس خجسته روز بود که حقش یارو طریق آموزبود
وای اگرصد را یکی بیند ز دور تا بچالش اندر آید از غرور ۱۸ زان نماید ذوالفقاری حربهٔ زان نماید شیر نر چون گربهٔ
تا دلیر اندر فتند احمق بجنگ واندرآردشان بدین حیلت بچنگ ۱۹ تا بپای خویش باشند آمده آن فلیوان جانب آتشکده
کاه برگی مینماید تا تو زود پف کنی کورا برانی از وجود ۲۰ هان‌که‌آن کهکوهها برکنده‌است زوجهان گریان واو درخنده‌است
می نماید تا بکعب این آب جو صد چوعوج بن عنق شد غرق‌او ۲۱ مینماید موج خونش تلّ مشك می نماید قعر دریا خاك خشك
خشك‌دید آن بحررا فرعون کور تا درو راند از سر مستیّ وزور ۲۲ چون در آمد در تگ دریا بود دیدهٔ فرعون کی بینا بود
دیده بینا از لقای حق شود حق کجا همراز هر احمق شود ۲۳ قند بیند خود شود زهر قتول راه بیند خود بود آن بانگ غول
ای فلك در فتنهٔ آخر زمان تیز میگردی بده آخر زمان ۲٤ خنجر تیزی تواندر قصد ما نیش زهر آلودهٔ در فصد ما
ای فلك از رحم حق آموز رحم بر دل موران مزن چون‌مارزخم ۲٥ حقّ آنکه چرخهٔ چرخ ترا کرده گردان بر فراز این سرا
که دگرگون گردی و رحمت کنی پیش ازین کز بیخ ما را برکنی ۲٦ حق آنکه دایگی کردی نخست تا نهال ما ز آب و خاك رُست
حق آن‌شه که ترا صاف آفرید کرد چندان مشعله در تو پدید ۲۷ آن چنان معمور و باقی داشتت تا که دهری از ازل پنداشتت
شکر دانستیم آغاز ترا انبیا گفتند آن راز ترا ۲۸ آدمی‌داند که خانه حادث‌است(٦) عنکبوتی نه که در وی عابث‌است
پشه کی داندکه این‌باغ‌ازکی‌است کوبهاران زاد ومرگش‌دردی‌است ۲۹ کرم کاندرچوب زاید سست حال کی بداند چوب را وقت نهال
ور بداند کرم از ماهیتش عقل باشد کرم باشد صورتش ۳۰ عقل خودرا مینماید رنگها(۷) چون‌پری دورست ازآن‌فرسنگها
از ملك بالاست چه جای پری تو مگس پرّی به پستی میپری ۳۱ گر چه عقلت سوی بالا میپرد مرغ تقلیدت بپستی میچرد
علم تقلیدی و بال جان ماست عاریه است ومانشسته کان ماست ۳۲ زین خرد جاهل همی باید شدن دست در دیوانگی باید زدن
هرچه بینی‌سود خود زان‌می‌گریز زهر نوش و آب حیوان را بریز ۳۳ هر که بستاید ترا دشنام ده سود و سرمایه بمفلس وام ده
ایمنی بگذار و جای خوف باش بگذر از ناموس ورسوا باش‌فاش ۳٤ آزمودم عقل دور اندیش را بعد ازین دیوانه سازم خویش‌را

عذرگفتن دلقك با سید که گفت چرا فاحشه بنکاح آوردی

گفت با دلقك شبی سید اجل قحبهٔ را خواستی تو از عجل ۳٦ با من این را باز میبایست گفت تات میکردم بیك مستوره جفت

---

(۱) مراد آنست که بهوای نفس کاری نباید کرد چه نفس اماره هرگز دلالت خیر بانسان نمیکند و اگر کند جهت تقویت فسادیست که در نظر دارد چنانکه در بیدارکردن ابلیس معویه را در همین دفتر ذکر خواهد شد حاصل آنکه از مکر نفس ایمن نابوده و خالصاً لوجه الله عمل را باید بتقدیم رسانید نه آنکه مستمسك باین معنی گشته و ترك اعمال صالحه نمایند (۲) چون کسی کسی را بیازارد در حق آزارنده حجاب از غیب پیدا میشود و از مقامات عالیه نزول نموده گرفتار خواهد شد (۳) اشاره است به آیه واقعهٔ در سورهٔ طه که بموسی امر شده در حین افکندن عصا واژدها شدن وترسیدن موسی قال خذها ولاتخف سنعید ها سیرتها الاولی یعنی بگیر این عصا را ومترس که بر می‌گردانیم اورا بخلقت اول (٤) مضمون این بیت وابیات بعد اشاره باین آیه است که در سورهٔ انفال است و اذیریکم‌الله فی منامکم قلیلا ولو اریکم کثیرا لفشلتم ولتنازعتم فی‌الامر و لکن‌الله یسلم انه علیم بذات‌الصدور (٥) این بیت اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ انفال واذ یریکموهم اذاالتقیتم فی اعینهم قلیلاً و یقللکم فی اعینهم لیقضی‌الله امرا کان مفعولا یعنی و یاد کنید که اندك بنمود خدا دشمنان شمارا در چشمهای شما تا دل شما قوی شد و اندك نمود شمارا درچشمهای آنان تا دلیر شدند تا براند خدا حکمی راکه او درعلم بودنیست (٦) آدمی‌که خانه را بنا کرده میداند که این خانه تازه بنا شده ولی‌عنکبوت در آن خانه مسکن گزیده ودر آنجا بازیگر است این خانه را قدیم میداند (۷) مراد از عقل دراین بیت عقل جزویست که عبارت از عقل معاش باشد و بحقیقت کار نمیرسد و اعراض و التفات است از عقل کل که در بیت اول مراد است بعقل جزوی وابیات مابعد مؤید اینمعنی است .

گفت نه مستور صالح خواستم قحبه گشتند وز غم تن کاستم ۱ خواستم این قحبه را با معرفت تا به بینم چون شود این عاقبت
عقل را هم آزمودم من بسی ۲ زین سپس جویم جنون‌را مغرسی

بحیلت در سخن آوردن سائل شیخ بهلول را که خودرا دیوانه نمود

آن یکی میگفت خواهم عاقلی مشورت آرم بدو در مشکلی ٤ آن یکی گفتش که اندر شهر ما نیست عاقل غیر آن مجنون نما
بر نئی گشته سواره نك فلان میدواند در میان کودکان ٥ ❀ گوی میبازد بروزان و شبان در جهان گنج نهان جان جهان
صاحب رایست و آتش پارهٔ آسمان قدرست واختر بارهٔ (۱) ٦ فرّ او کرّ وبیان را جان شدست او درین دیوانگی پنهان شدست
لیك هردیوانه‌را جان نشمری سرمنه گوساله را چون سامری ۷ چون ولیی آشکارا با تو گفت صد هزاران غیب و اسرار نهفت
مر ترا آن فهم وآن دانش نبود واندانستی تو سرگین را ز عود ۸ ازجنون‌خودراولی‌چون‌برده‌ساخت مرورا ای‌کورکی خواهی شناخت
گر ترا بازست آن دیدهٔ یقین زیر هرسنگی یکی سرهنگ بین ۹ پیش‌آن چشمی که باز و رهبرست هر کلیمی را گلیمی در برست
مر ولی را هم ولی شُهره کند هرکه را او خواست باپهره‌کند ۱۰ کس نداند از خرد اورا شناخت چونکه‌اومرخویش‌رادیوانه ساخت
چون بدزدد دزد بینا رخت کور هیچ یابد دزد را او در عبور ۱۱ کور نشناسد که دزد او که بود گر چه خود بروی زند دزدعنود

حمله بردن سگ بر کور گدا

چون‌گزد سگ کورصاحب ژنده را کی شناسد آن سگ درّنده را ۱۳ یك سگی در کوی بر کور گدا حمله می آورد چون شیر وغا
سگ کند آهنگ درویشان بخشم درکشد مه خاك درویشان بچشم ۱٤ کور عاجز شد زبانگ و بیم سگ اندر آمد کور در تعظیم سگ
کای امیر صید وی شیر شکار دست‌دست تست دست ازمن‌بدار ۱٥ کز ضرورت دُمّ خررا آن‌حکیم کرد تعظیم ولقب دادش کریم
گفت او هم ازضرورت‌کای اسد از چومن لاغر شکارت چه‌رسد ۱٦ گور میگیرند یارانت بدشت کور میگیری تو درکوچه بگشت
گور میجویند یارانت بصید کور میجوئی تو در کوچه بکید ۱۷ آن سگ عالم شکار گور کرد وین سگ بیمایه قصد کور کرد
علم‌چون‌آموخت‌سگ‌رست‌ازضلال میکند در بیشها صید حلال ۱۸ سگ‌چوعالم‌گشت‌شدچالاك وزهف سگ‌چوعارف‌گشت‌شدزاصحاب‌کهف
سگ شناسا شدکه مبرصید کیست ای‌خدا آن‌نورراشناسنده چیست(۲) ۱۹ کور نشناسد نه ازبی چشمی است بلکه این‌زانست‌کز جهلست‌مست
نیست‌خود بی‌چشم‌ترکور از زمین این زمین ازفضل‌حق‌شد خصم‌بین ۲۰ نور موسی دید وموسی‌را نواخت خسف‌قارون‌کردوقارون‌راگداخت
رجف کرد اندر هلاك هر دعی فهم‌کرد ازحق‌که یاارض‌ابلعی(۳) ۲۱ آب و خاك و باد و نار باشرر بیخبر از ما و از حق با خبر
ما بعکس آن ز غیر حق خبیر بیخبر از حق و با چندین نذیر ۲۲ لاجرم اشفقن‌منها جمله شان (٤) کندشدزآمیزحیوان‌حمله‌شان(٥)
گفت بیزاریم جمله زین حیات کو بود با خلق حی باحق موات ۲۳ چون بماند از خلق گردد او یتیم انس حق را قلب میباید سلیم
چون زکوری دزد دزدد کالهٔ میکند آن کور عیبا نالهٔ ۲٤ تا نگوید دزد او را کان منم کز تو دزدیدم که دزد پر فنم
کی شناسد کور دزد خویش را چون ندارد نورچشم وآن ضیا ۲٥ چون بگوید هم‌بگیراورا تو سخت تابگوید او علامتهای رخت
پس جهاد اکبر آمد عصر دزد تابگوید که چه برد آن زن بمزد ۲٦ اولا دزدید کحل دیده ات چون ستانی باز یابی تبصرت
کالهٔ حکمت‌که گم کردهٔ دلست(٦) پیش‌اهل‌دل یقین‌آن حاصل‌است ۲۷ کور دل باسمع و با جان و بصر می‌نداند دزد شیطان را اثر
زاهل دل جو ازجمادآن را مجو که جماد آمد خلایق پیش او ۲۸ باز میگردیم سوی راز جو تا شود هم مشورت با رازگو
مشورت جوینده آمد نزد او کای اب‌کودك شده رازی بگو ۲۹ گفت‌روزین حلقه‌کاین درباز نیست بازگرد امروز روز راز نیست
گر مکان را ره بدی در لامکان ۳۰ همچوشیخان بودمی من بردکان(۷)

خواندن محتسب مستی را بزندان وجواب گفتن او

محتسب در نیمشب جائی رسید در بُن دیوار مردی خفته دید ۳۲ گفت هی مستی‌چه خوردستی بگو گفت‌ازآن‌خوردم‌که هست‌اندرسبو
گفت‌آخر درسبو واگو که چیست گفت‌ازآن‌که‌خورده‌ام‌گفت‌آن‌خفیست ۳۳ گفت‌آنچه خوردهٔ خود چیست آن گفت آن‌کاندر سبو مخفیست آن
دورمیشد این سؤال واین‌جواب ماندچون‌خرمحتسب اندرخلاب(۸) ۳٤ گفت اورا محتسب هین آه کن مست هو هو کرد هنگام سخن

---

(۱) باره بمعنی دوست وطرز وروش واسب ومعانی دیگریست ولی در اینجا طرز وروش انسب است (۲) سگ شکاری شکار میگیرد و نگاه میدارد تا صاحبش بیاید و آن صید را بگیرد حق تعالی او را نور شناسائی داده (۳) اشاره است باین آیه که قیل یا ارض ابلعی مائك و یاسماء اقلعی و غیض‌الماء و قضی‌الامر واستوت علی‌الجودی وقیل بُعداً للقوم‌الظالمین این آیت برای طوفان نوح و هلاك قوم او فرود آمد میفرماید گفته شد ای زمین آب خودرا که بیرون فرستاده بودی فروخور وای آسمان تو نیز آن آب که فرو فرستادی بازکش وآنگاه آب فروشد وامر هلاك قوم ونجات مؤمنان بگذشت وکشتی برجودی راست بایستاد وگفته شد که دوری از رحمت بهرهٔ گروه تبه کار باشد مقصود مولوی این است که آسمان وزمین حیات ودانش دارند که خدای تعالی ایشان را مخاطب فرمود وامر خدای را پذیرفتار شدند (٤) اشاره به آیه واقعهٔ در سوره احزاب انّا عرضنا‌الامانة علی‌السموات والارض والجبال فابین ان یحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه کان ظلوماً جهولا یعنی مانمودیم امانت خودرا که عشق وجذب حق باشد برآسمانها وزمینها وکوهها پس‌سرباز زدند ازاینکه قبول‌کنند وترسیدند وقبول کرد آنرا انسان که ظلم‌کننده بود برنفس خود ونادان بود (٥) حمله زمین وآسمان وکوه‌که منفرداً ازحق خبیر بودند بواسطهٔ آمیزش حیوان که وجودش ازعناصراربعه مرکبست‌کند شد واختلاط وترکیب خاك وغیره باجنون موجب بیخبری‌آنها گردید (٦) اشاره‌است بحدیث نبوی‌که الحکمة ضالة المؤمن یعنی‌حکمت ودانش‌گمشدهٔ مؤمن‌است که باید آن را بجوید ودریابد ودراینجا لطیفه‌ایست وآن اینست که نفوس وارواح مؤمنان را درجهان بیرنگی سیر وتماشا و احاطت و دانش بوده که دراین نشئه اورا فراموش نموده است که گمشدهٔ اوست وباید آنرا بجوید ولی چندانکه در این عالم وگرفتار هرگونه رنگ باشد آن گمشده را نتواند یافت وهرچند رو بعالم بی رنگی کند بهمان اندازه‌گمشدهٔ خودرا بیابد (۷) دراین بیت بطریق طنزسائل را جواب میدهد که من مکانیم در لامکان مرا راه نیست این معنی را از مشایخ بپرس (۸) دور باصطلاح اهل منطق وحکما آنست‌که چیزی برچیزی موقوف ومحتاج باشد که آن نیز براین اول محتاج باشد وخلاب زمین گلناك را می‌گویند .

گفت گفتم آه کن هو میکنی / گفت من شادم تو ازغم دم زنی ۱ آه از درد و غم و بیدادیست / هوی هوی می‌خوران ازشادیست
محتسب گفت این ندانم خیز خیز / معرفت متراش وبگذاراین ستیز ۲ گفت رو تو از کجا من از کجا / گفت مستی خیز و تا زندان بیا
گفت مست ای‌محتسب بگذارورو / از برهنه کی توان بردن گرو ۳ گر مرا خود قوّت رفتن بدی / خانهٔ خود رفتمی وین کی شدی
من اگر با عقل و با امکانمی / همچو شیخان بر سر دکانمی ٤ ❁ گرمرا رائی و تدبیری بدی / همچو شیخان جاه وتوقیری‌بدی
❁ هم مرا زنبیل و دریوزه بدی / هم نذورات همه روزه بدی ٥ ❁ بگذرازمن‌زانکه گم کردی‌توراه / باز جو ریش بزرگ و خانقاه

دوم بار بسخن‌آوردن سائل‌آن بزرگ را تا حال او معلوم کند

گفت آن طالب‌که آخر یك نفس / ای‌سواره‌برنی این‌سو ران فرس ۷ راند سوی او که هین زوتربگو / کاسب من‌بس‌توسن‌است وتندخو
تا لگد بر تو نکوبد زود باش / ازچه میپرسی بیان‌کن‌خواجه فاش ۸ او مجال راز دل گفتن ندید / زو برون شوکرد ودرلاغش‌کشید
گفت می‌خواهم دراین‌کوچه زنی / کیست لایق از برای چون منی ۹ گفت سه‌گونه زنند اندرجهان(۱) / آن دو رنج واین یکی‌گنج روان
آن‌یکی‌راچون‌بخواهی کُل‌تراست / واین دگر نیمی ترا نیمی جداست ۱۰ وان سوم هیچ اوترا نبود بدان / این شنیدی دور شو رفتم روان
تا ترا اسبم نپرّاند لگد / که بیفتی برنخیزی تا ابد ۱۱ شیخ راند اندر میان کودکان / بانگ زد بار دگر اورا جوان
که بیا آخر بگو تفسیر این / این‌زنان سه نوع گفتی برگزین ۱۲ راند سوی اووگفتش بکر خاص / کل ترا باشد ز غم یابی خلاص
وان که نیمی آن تو بیوه بود / وانکه هیچست آن عیال باولد ۱۳ چون ز شوی اولش کودك بود / مِهر و کُلّ خاطرش‌آن‌سو رود
دور شو تا اسب نندازد لگد / سمّ اسب توسنم بر تو رسد ۱٤ های و هوئی‌کرد شیخ وباز راند / کودکان‌را بازسوی خویش‌خواند
باز بانگش کرد سائل که بیا / یك سؤالم ماند ای شاه کیا ۱٥ بازراند این‌سو بگو زو ترچه بود / که ز میدان آن بچه گویم ربود
گفت ای شه باچنین عقل وادب / این‌چه‌شیدست‌این‌چه‌فعلست‌ای‌عجب ۱٦ تو ورای عقل کلی در بیان / آفتابی در جنون چونی نهان
گفت این اوباش رائی می‌زنند / تا در این شهر خودم قاضی‌کنند ۱۷ دفع می گفتم مرا گفتند نی / نیست چون توعالمی صاحب فنی
با وجود تو حرام است و خبیث / که کم ازتو در قضا گوید حدیث ۱۸ در شریعت نیست دستوری که ما / کمتر از توشه کنیم و پیشوا
زین ضرورت گیج ودیوانه شدم / ❁ زین‌گروه ازعجز بیگانه شدم ۱۹ ظاهرا شوریده و شیدا شدم ❁ / لیك . در باطن همانم که بدم
عقل من‌گنجست و من ویرانه ام / گنج اگر پیدا کنم دیوانه ام ۲۰ اوست دیوانه که دیوانه نشد / این عسس را دید و درخانه نشد
دانش من جوهرآمد نی‌عرض(۲) / آن بهائی‌نیست بهر هرغرض (۳) ۲۱ کان قندم نیستان شکرم / هم‌زمن‌می‌روید ومن می‌خورم(٤)
علم تقلیدی و تعلیمیست آن / کز نفور مستمع دارد فغان ۲۲ چون پی دانه نه بهر روشنیست / همچو طالب علم دنیای دنیست
طالب علم است بهرعام و خاص / نی که تا یابد از ین عالم خلاص ۲۳ همچوموشی هرطرف سوراخ کرد / چونکه نورش راند ازدرگشت‌سرد
❁ همچوموشی‌هرطرف سوراخها / میکند غافل ز انوار خدا ۲٤ چونکه سوی‌دشت ونورش ره‌نبود / هم دران ظلمات جهدی می‌نمود
گر خدایش بر دهد پرّ خرد / برهد ازموشی وچون مرغان پرد ۲٥ ور نجوید پر بماند زیر خاك / نا امید از رفتن راه سماك
علم گفتاری که آن بیجان بود / عاشق روی خریداران بود ۲٦ گرچه‌باشد وقت بحث‌این‌علم زفت / چون خریدارش‌نباشد مُرد ورفت
مشتریّ من خدایست و مرا / میکشد بالا که الله اشتری (٥) ۲۷ خون بهای من جمال ذوالجلال / خونبهای خود خورم کسب حلال
این خریداران مفلس را بهل / چه خریداری کند یکشمت گِل ۲۸ گل مخرگل‌را مخورگل را مجو / زانکه گل‌خواراست دائم زردرو
دل‌بخور(٦) تا دائماً باشی جوان / از تجلی چهره‌ات چون ارغوان ۲۹ ❁ طالب دل باش تاباشی چومل / تا شوی‌شادان وخندان همچوگل
❁ دل‌نباشد آنکه مطلوب گلست / این‌سخن‌را روی باصاحب دلست ۳۰ یارب‌این بخشش‌نه حدّ کارماست / لطف‌تولطف خفی‌را خودسزاست
دستگیر از دست ما ما را بخر / پرده را بردار و پردهٔ ما مدر ۳۱ باز خرما را ازین نفس پلید / کاردش تا استخوان ما رسید
ازچوما بیچارگان این بند سخت / که گشاید جز توای سلطان بخت ۳۲ این چنین قفل گران‌را ای ودود / که تواند جز که فضل تو گشود
ما ز خود سوی تو گردانیم سر / چون توئی از ما بما نزدیکتر (۷) ۳۳ ❁ با چنین نزدیکئی دوریم دور / در چنین تاریکئی بفرست نور
این دعا هم بخشش و تعلیم‌تست / ورنه درگلخن‌گلستان ازچه رُست ۳٤ درمیان‌خون‌وروده فهم وعقل(۸) / جز ز اکرام تو نتوان کرد نقل
از دوپاره پیه این نور روان / موج نورش میرود بر آسمان ۳٥ گوشت پارهٔ که زبان آمد ازو / می رود سیلاب حکمت همچو جو
سوی سوراخی‌که نامش‌گوشهاست / تا بباغ‌جان‌که میوه‌اش هوشهاست ۳٦ شاه راه باغ جانها شرع اوست / باغ و بستانهای عالم فرع اوست
اصل وسرچشمهٔ خوشی‌آنست آن / زود تجری تحتها الانهار خوان ۳۷ ❁ قصهٔ رنجور گو با مصطفی / زانکه لطف حق ندارد منتهی
❁ شکر نعمت‌چون‌کنی‌چون‌شکر تو / نعمت تازه بود ز احسان او ۳۸ ❁ عجز تو ازشکرشکر آمد تمام / فهم کن دریاب قد تمّ الکلام

---

(۱) اشاره باین حدیث است که النساء ثلثة واحدة لك وواحدة علیك وواحدة لك وعلیك واما التی لك فهی المرأةالبکر فقلبها وحبهالك واما التی علیك فالمتزوجة ذات ولد تاکل مالك وتبکی علی‌الزوج‌الاول واما التی لك و علیك‌المتزوجة التی لا ولد لهافان کنت لها خیراً من‌الاول فهی لك والافهی‌علیك (۲) دانش من جوهر است و عرض‌نیست وجائی نیست که عقل را داده وجنون را عوض‌آن خریده باشم بلکه عقل خود قائم است و جنون‌همهمراه اوست (۳) عرض اگر باشد بمعنی متاع است ولی دراکثر نسخ غرض است ومعنی هم دارد (٤) مراد آنست که لذت مجویت ازمن پیدامیشود وهم اورا میخورم (٥) اشاره است بآیه واقعه درسوره توبه که ان الله اشتری من المؤمنین انفسهم واموالهم بان لهم الجنة یعنی خدا خرید از گروندگان جان و مالهای ایشان را که عوض آن بهشت را بایشان بدهد (٦) کنایه از محنت و مشقت و ریاضت است (۷) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ ق و نحن اقرب‌الیه من حبل‌الورید یعنی‌ومانزدیکتریم بانسان‌ازرگ جان وی بوی (این نزدیکی بعلم وقدرت است نه بمکان ومسافت) (۸) چون طعام درروده می‌آید وپس‌ازآن خون میشود پس آن خون بدماغ میرود و دماغ هم که محل فهم وعقل است میفرماید حاصل اینکه عقل و فهم جز بعنایت تودر آدمی نمی آید .

تتمه نصیحت کردن رسول مرآن بیمار را

گفت پیغمبر مرآن بیمار را — چون عیادت کرد یار زار را ۲ که مگر نوعی دعائی کردهٔ — از جهالت زهربائی (۱) خوردهٔ
یاد آور چه دعا می گفتهٔ — چون ز مکر نفس می‌آشفتهٔ ۳ گفت یادم نیست الاهمّتی — دار با من یادم آید ساعتی
از حضور نور بخش مصطفی — پیش خاطر آمد او را آن دعا ۴ همت پیغمبر روشن کده — پیش خاطر آمدش آن گم‌شده
تافت زان روزن که ازدل تادلست — روشنی کان فرق حقّ وباطل است ۵ گفت اینك یادم آمد ای رسول — آن دعا که گفته ام من بوالفضول
چون گرفتار گنه می آمدم — همچو غرقه دست و پائی میزدم ۶ ❀ پر گنه باب گشایش میزند — غرقه دست اندرحشایش میزند (۲)
از تو تهدید و وعیدی میرسید — مجرمان را از عذاب بس شدید ۷ مضطرب میگشتم و چاره نبود — بند محکم بود و قفل ناگشود
نی مقام صبر و نه راه گریز — نی امید توبه نه جای ستیز ۸ ❀ نی بغیر حقتعالی یار من — این چنین دشوار آمد کار من
همچوهاروت وچوماروت ازحزن — آه میکردم که ای خلّاق من ۹ از خطرهاروت و ماروت آشکار — چاه بابل را بکردند اختیار

ذکر دشواری عذاب آخرت و سختی آن

تا عذاب آخرت اینجا کشند — گربزند و عاقل و ساحر وشند ۱۱ نیك کردند و بجای خویش بود — سهل تر باشد ز آتش رنج دود
حدّ ندارد وصف رنج آن جهان — سهل باشد رنج دنیا پیش آن ۱۲ ای خنك آن‌کو جهادی میکند — بر بدن زجری و دادی میکند
تا ز رنج آن جهانی وا رهد — بر خود این رنج عبادت می نهد ۱۳ من همی‌گفتم که یارب آن عذاب — هم درین عالم بران برمن شتاب
تا در آن عالم فراغت باشدم — در چنین درخواست حلقه میزدم ۱۴ اینچنین رنجورئی پیدام شد — جان من از رنج بی آرام شد
مانده ام از ذکر واز اورادخود — بی خبرگشتم ز خویش ونیك وبد ۱۵ گر نمیدیدم کنون من روی تو — ای خجسته وی مبارك خوی تو
می‌شدم از دست من یکبارگی — کردیم شاهانه این غمخوارگی ۱۶ گفت هی هی ایندعا دیگر مکن — برمکن توخویش را از بیخ وبن
توچه طاقت داری ای مورنژند — که نهد بر تو چنان کوه بلند ۱۷ گفت توبه کردم ای‌سلطان‌که من — از سر جلدی نلافم هیچ فن
این جهان تیه‌است وتوموسیّ وما — از گنه در تیه مانده مبتلا ۱۸ سالها ره می‌رویم و در اخیر — همچنان در منزل اوّل اسیر
❀ قوم موسی راه می پیموده‌اند ۱۹ آخر اندر گام اول بوده اند

ذکر قوم موسی علیه‌السلام و پشیمانی ایشان

❀ راز میگفتند پیدا و نهان — جملگی مرد وزن وپیر وجوان ۲۱ گر دل موسی ز ما راضی بدی — تیه را راه وکران پیدا شدی
ور بکل بیزار بودی او ز ما — کی‌رسیدی‌من وسلوی ازسما(۳) ۲۲ کی‌زسنگی‌چشمها جوشان‌شدی(٤) — در بیابان مان امان جان شدی
بل بجای خوان‌خود آتش آمدی — اندرین منزل لهب بر ما زدی ۲۳ چون دودل شد موسی‌اندر کارما — گاه خصم ماست گاهی یار ما
خشمش آتش میزند در رخت ما — حلم او رد میکند تیر بلا ۲٤ کی بود که حلم گردد خشم نیز — نیست این نادر زلطفت ای عزیز
مدح حاضر وحشتست از بهراین — نام موسی میبرم قاصد چنین ۲۵ ورنه موسی‌کی روا دارد که من — پیش تو یاد آورم از هیچ تن
عهد ما بشکست صد بار و هزار — عهد تو چون کوه ثابت بر قرار ۲٦ عهد ما کاه و بهر بادی زبون — عهد تو کوه وزصد که هم فزون
حقّ آن قوّت‌که برتلوین‌ما (۵) — رحمتی کن ای امیر لونها ۲۷ خویش‌را دیدیم ورسوائی خویش — امتحان ما مکن ای شاه بیش
تا فضیحتهای دیگر را نهان — کرده باشی ای کریم مستعان ۲۸ بیحدی تو در جمال و در کمال — در کژی ما بیحدیم و در ضلال
بیحدیّ خویش بگمار ای کریم — بر کژی بیحد مشتی لئیم ۲۹ هین‌که ازتقطیع ما یك تار ماند — مصر بودیم و یکی دیوار ماند
البقیه البقیه ای خدیو — تا نگردد شاد کلی جان دیو ۳۰ بهر مانی بهر آن لطف نخست — که تو کردی گمرهان را بازجست
چون نمودی قدرتت بنمای رحم — ای نهاده رحمها در شحم ولحم ۳۱ این دعا گر خشم افزاید ترا — تو دعا تعلیم فرما مهترا
آنچنان کادم بیفتاد از بهشت — رجعتش‌دادی‌که رست ازدیوزشت ۳۲ دیو کبود کو زآدم بگذرد — برچنین نطعی ازو بازی برد
در حقیقت نفع آدم شد همه — لعنت حاسد شده آن دمدمه (٦) ۳۳ بازئی دید و دو صد بازی ندید — پس ستون خیمهٔ خود را برید
آتشی زد شب بکشت دیگران — باد سوی کشت او کردش روان ۳٤ چشم بندی بود لعنت دیورا (۷) — تازیان خصم دید آن ریو را
❀ هم زیان جان او شد ریو او — خود تو گوئی بود آدم دیو او ۳۵ لعنت این باشدکه کژ بینش کند — حاسد و خود بین وپر کینش کند
تا بداند که هر آن کو بد کند — عاقبت باز آید و بر وی زند ۳٦ جمله فرزین بندها بیند بعکس — مات بروی گردد ونقصان و وکس
زانکه گر او هیچ بیند خویش را — مهلك و ناسور بیند ریش را ۳۷ درد خیزد زین چنین‌دیدن درون — درد اورا از حجاب آرد برون
تا نگیرد مادران را درد زه — طفل در زادن نیابد هیچ ره ۳۸ این‌امانت‌دردل‌وجان‌حامله‌است(۸) — این نصیحتها مثال قابله است
قابله گوید که زن را درد نیست — درد باید درد کودك را رهیست ۳۹ آنکه او بی‌درد باشد رهزن‌است — زانکه بیدردی اناالحق‌گفتن است
آن انابی وقت گفتن لعنت است — وین انا دروقت‌گفتن رحمت‌است ٤۰ آن انا منصور رحمت شد یقین — وان انا فرعون لعنت شد بیین

---

(۱) آش زهر (۲) حشایش جمع حشیش است و این شعر اشاره است بمثل معروف الغریق یتشبث بکل‌الحشیش یعنی کسیکه در آب فروشده و در حال غرق است بهرخس وخاشاکی چنگ زده ومتشبث میشود (۳) اشاره‌است بآیه و ظللنا علیکم المن والسلوی که در سوره بقره واقع شده (٤) اشاره است بآیه در سوره بقره فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عیناً (۵) تلوین رنگ کردن است ولی درینجا مقصود از بیرنگی بعالم رنگ آوردن است (٦) مراد آنست که فریب شیطان باعث لعنت او شد و مراد ازبازئی دید در شعر بعد این‌است که یعنی شیطان یك بازی دید که آدم را فریب داده از بهشت بیرون میکنم و آن دو صد فائده آنرا معلوم نکرد که از بهشت بیرون آمدن‌در حق آدم بهتر خواهد بود و ستون خیمه شیطان خواهد افتاد (۷) مراد آنست که لعنتی که از طرف حق برشیطان شده بود وگویا همان لعنت چشم بند شیطان شده بود که آنچه در حق حضرت آدم زیان پنداشته بود نفع او شد و در حق شیطان زیان گردید و هم اشاره است بمعنی آیهٔ ان‌علیك لعنتی الی یوم‌الدین که درآخر سورهٔ ص‌واقع شده است (۸) استعداد بیرون آمدن از حجاب صفات رذیله واین امانت بمنزله کودکست و جان بمنزلهٔ حامله است پس‌سلامتی این امانت برقابله موقوف است که عبارت ازنصیحت است وبرآوردن قابله کودك را موقوف بدرد است پس ظهور استعداد بیرون آمدن از حجاب صفات رذیله موقوف بدرد است .

لاجرم هر مرغ بی هنگام را — سر بریدن واجب است اعلام را ۱ سر بریدن چیست کشتن نفس را — در جهاد و ترک گفتن لمس را
آن چنان که نیش کژدم بر کنی — تا که یابد او ز کشتن ایمنی ۲ بر کنی دندان پر زهری زمار — تا رهد مار از بلای سنگسار
هیچ نکشد نفس را جز ظلّ پیر — دامن آن نفس کش را سخت گیر ۳ چون بگیری سخت آن توفیق هوست — در توهر قوّت که آید جذب اوست
مارمیت اذ رمیت راست دان — هرچه دارد جان بود ازجان جان ۴ دست گیرنده ویست و بردبار — دم بدم آن دم ازو امید دار
نیست غم گر دیر بی او ماندهٔ — دیر گیر و سخت گیرش خواندهٔ ۵ دیر گیرد سخت گیرد رحمتش — یکدمت غایب ندارد حضرتش
گر توخواهی شرح این وصل وولا — ازسراندیشه میخوان والضحی(۱) ۶ ور توگوئی هم بدیهااز وی است — لیك آن نقصان فضل او کیست
آن بدی دادن کمال اوست هم ۷ من مثالی گویمت ای محتشم

مثال در بیان معنی یؤمن بالقدر خیره و شره

کرد نقاشی دو گونه نقشها — نقشهای صاف و نقش بی صفا ۹ نقش یوسف کرد و حور خوش سرشت — نقش ابلیسان و عفریتان زشت
هر دوگونه نقش زاستادیّ اوست — زشتی او نیست آن رادیّ اوست ۱۰ زشت را در غایت زشتی کند — جمله زشتیها بگردش برتند
حسّ عالم چاشنی از وی چشد ۱۱ تا کمال دانشش پیدا شود — منکر استادیش رسوا شود
خوب را درغایت خوبی کشد — ور نتاند زشت کردن ناقص است ۱۲ پس ازین رو کفر وایمان شاهدند — بر خداوندیش هر دو ساجدند
زین سبب خلاق گبر ومخلص است — زانکه جویای رضا و قاصد است ۱۳ هست کرهاً گبرهم یزدان پرست — لیك قصد او مراد دیگراست
لیك مؤمن دان که طوعاً ساجداست — لیك دعویّ امارت میکند ۱۴ گشته یاغی تا که مُلك او بود — عاقبت خود قلعه سلطانی شود
قلعهٔ سلطان عمارت میکند — میکند معمور نی از بهر جاه ۱۵ زشت گوید ای شه زشت آفرین — قادری بر خوب وبرزشت مهین
مؤمن آن قلعه برای پادشاه — پاك گردانیدیم از عیبها ۱۶ حمدلك والشکرلك یا ذالمنن — حاضریّ و ناظری بر حال من
خوب گوید ای شه حسن و بها — خوب را وزشت را چون خار وورد ۱۷ اوست بر هر پادشاهی پادشا — کار ساز یفعل الله ما یشا
حاصل آنکه اوهر آنچه خواست کرد

دعا و توبه آموختن رسول صلی الله علیه و آله بیمار را

گفت پیغمبر مر آن بیمار را — این بگو کای سهل کن دشواررا(۲) ۱۹ آتنا فی دار دنیانا حسن — آتنا فی دار عقبانا حسن(۳)
راه را برما چو بستان کن لطیف — مقصد مالطف خودساز ای شریف ۲۰ مؤمنان درحشر گویند ای ملك — نی که دوزخ بود راه مشترك
مؤمن وکافر بران یابدگذار(٤) — ماندیدیم اندرین ره دود و نار ۲۱ نك بهشت و بارگاه ایمنی — پس کجا بود آن گذرگاه دنی
پس ملك گوید که آن روضهٔ خضر — کانفلان جا دیده اید اندر گذر ۲۲ دوزخ آن بود و سیاستگاه سخت — بر شما شد باغ وبستان و درخت
چون شما این نفس دوزخ خوی را — آتشیّ گبر فتنه جوی را ۲۳ جهد ها کردید تا شد پر صفا — نار را کشتید از بهر خدا
آتش شهوت که شعله میزدی — سبزهٔ تقوی شد و نور هدی ۲٤ آتش خشم از شما هم حلم شد — ظلمت جهل از شما هم علم شد
آتش حرص از شما ایثار شد — وآن حسد چون خار بدگلزارشد ۲۵ چون شما این جمله آتشهای خویش — بهر حق کشتید جمله پیش پیش
نفس ناری را چو باغی ساختید — اندرو تخم وفا انداختید ۲٦ بلبلان ذکر و تسبیح اندرو — خوش سرایان درچمن برطرف جو
داعی حق را اجابت کرده اید — وز جحیم نفس آب آورده اید ۲۷ ازجنان سوی جنان کردید باب — از حمیم نفس آوردید آب
دوزخ ما نیز در حقّ شما — سبزه گشت وگلشن و برگ ونوا ۲۸ چیست احسان رامکافات ای پسر(۵) — لطف و احسان و ثواب معتبر
نی شما گفتید ما قربانیم — پیش اوصاف بقا ما فانیم ۲۹ ما اگر قلاش و گر دیوانه ایم — مست آن ساقیّ و آن پیمانه ایم
بر خط و فرمان اوسر می نهیم — جان شیرین را گروگان میدهیم ۳۰ تا خیال دوست دراسرار ماست — چاکریّ و جان سپاری کارماست
هر کجا شمع بلا افروختند — صد هزاران جان عاشق سوختند ۳۱ عاشقانی کز درون خانه اند — شمع روی یار را پروانه اند
ایدل آنجا رو که با تو روشنند — وز بلاها مر ترا چون جوشنند ۳۲ در میان جان ترا جا میکنند — تا ترا پر باده چون جامی کنند
در میان جان ایشان خانه گیر — در فلك خانه کن ای بدر منیر ۳۳ چون عطارد دفتر دل وا کنند — تا که بر تو سرّها پیدا کنند
پیش خویشان باش چون آوارهٔ — بر مه کامل زن ار مه پارهٔ ۳٤ جزورا ازکلّ خود پرهیز چیست — با مخالف اینهمه آمیز چیست
جنس را بین نوع گشته درروش — عیبها بین گشته عین از پرتوش ۳۵ تاچو زن عشوه خری ای بی خرد — از دروغ و عشوه کی یابی مدد
چاپلوس ولفظ شیرین وفریب(٦) — می ستانی مینهی چون زر بجیب ۳٦ مر ترا سیلی و دشنام شهان — بهتر آید از ثنای گمرهان
صفع شاهان خورمخورشهد خسان — تا کسی گردی ز اقبال کسان ۳۷ زانکه ز ایشان خلعت ودولت رسد — در پناه روح جان گردد جسد
هر کجا بینی برهنه و بینوا — دان که او بگریختست از اوستا ۳۸ تا چنان گردد که میخواهد دلش — آن دل کور بد بی حاصلش

---

(۱) اشاره است بآیهٔ واقعه درسورهٔ والضحی که میفرماید ماودّعك ربك وماقلی یعنی خدا نه ترا وا گذاشته ای محمد ونه دشمنی باتوکرده (۲) این تعلیم کرد که بگو بار خدایا سهل کن دشوار مرا (۳) درسورهٔ بقره است ربّنا آتنا فی الدنیا حسنة وفی الآخرة حسنة وقنا عذاب النار یعنی ایخدا بده مارا در دنیا نیکوئی (یعنی صحت وکفاف معیشت وتوفیق طاعت) و درآخرت نیکوئی (یعنی ثواب و رحمت و امنیت) ونگاهدار مارا از عذاب آتش دوزخ (٤) اشاره بآیهٔ شریفه است که درسورهٔ مریم واقع شده وان منکم الا واردها کان علی ربك حتماً مقضیاً یعنی ونیست ازشما قطعی وجزمی ووعده ایست که حتماً واقع خواهد شد ودرآن خلاف نیست (۵) اشاره است بآیه کریمه واقعه درآخر سورهٔ الرحمن « هل جزاء الاحسان الا الاحسان » (٦) مراد مولوی از جنس ماهیات مطلقه وصور علمیه حق است که درعالم اطلاق ووحدت صرف که عبارت از تعین اول است همه یکی بود وبقید فصل ونوع درنیامده ودر عالم امکان همان ماهیات از مرتبه تعین اول بمرتبهٔ تعدد و تمیز رسیده وجود عینی خارجی گرفت و همین جنس بود که نوع شد چنانچه همان حیوانست که بواسطهٔ نطق اطلاق انسان برو کرده میشود و همینطور همان عینها یعنی ماهیات مطلقه است که از اطلاق بعالم تقید آمده وبعین مقول میگردد ومحض اعتباراتست والا در اصل حقیقت همی یکی است .

گر چنان گشتی که اُستا خواستی خویش را و خویش را آراستی ۱ هر که از اُستا گریزد در جهان او ز دولت میگریزد این بدان
پیشهٔ آموختی در کسب تن چنگ اندر پیشهٔ دینی بزن ۲ در جهان پوشیده گشتی و غنی(۱) چون برون آئی ازاینجا چون کنی
پیشهٔ آموز کاندر آخرت اندر آید دخل کسب مغفرت ۳ آن جهان شهریست پربازار وکسب تانپنداری که کسب اینجاست حسب
حقتعالی گفت کاین کسب جهان(۲) پیش آن کسب است لعب کودکان ٤ همچو آن طفلی که بر طفلی تند شکل صحبت کن مساسی میکند
❀ آن مساس طفل چبود بازئی با جماع رستمیّ و غازئی ٥ کودکان سازند در بازی دکان سود نبود جزکه تعطیل زمان
شب شود در خانه آید گرسنه کودکان رفته بمانده یك تنه ٦ این جهان بازیگهست ومرگ شب باز گردی کیسه خالی پر تعب
❀سوی خانهٔ گور تنها مانندهٔ با فغان واحسرتا بر خواندهٔ ۷ کسب دین عشقست وجذب اندرون قابلیت نور حق دان ای حرون
کسب فانی خواهدت این نفس خس چند کسب خس کنی بگذار بس ۸ نفس خس گر جویدت کسب شریف حیله و مکری بود آنرا ردیف

بیدار کردن ابلیس معاویه را که وقت نماز بیگاه شد

در خبر آمد که آن معاویه خفته بُد در قصر در یك زاویه ۱۰ قصر را از اندرون در بسته بود کز زیارتهای مردم خسته بود
ناگهان مردی ورا بیدار کرد چشم چون بگشاد پنهان گشت مرد ۱۱ گفت اندر قصر کس را ره نبود کیست کاین گستاخی وجرأت نمود
گرد بر گشت وطلب کرد آن زمان تا بیابد زان نهان گشته نشان ۱۲ از پس در مدبری را دید کو در پس پرده نهان میکرد رو
گفت هی تو کیستی نام توچیست گفت نامم فاش ابلیس شقیست ۱۳ گفت بیدارم چرا کردی بجدّ راست گوبا من مگو برعکس وضد
گفت هنگام نماز آخر رسید سوی مسجد زود میباید دوید ۱٤ عجلوا الطاعات قبل الفوت گفت مصطفی چون دُرّ وحدت را بسفت
گفت نی نی این غرض نبود ترا که بخیری رهنما باشی مرا ۱٥ دزد آید از نهان در مسکنم گویدم که پاسبانی میکنم
من کجا باور کنم آن دزد را دزد کی داند ثواب و مزد را ۱٦ ❀خاصه دزدی چون توقطاع الطریق(۳) ازچه روگشتی چنین برمن شفیق

جواب گفتن ابلیس معویه را

گفت ما اوّل فرشته بوده ایم راه طاعت را بجان پیموده ایم ۱۸ سالکان راه را محرم بدیم ساکنان عرش را همدم بدیم
پیشهٔ اول کجا از دل رود مِهر اوّل کی ز دل زایل شود ۱۹ در سفر گر روم بینی یا ختن از دل تو کی رود حُبّ الوطن
ما هم از مستان این می بوده ایم عاشقان درگه وی بوده ایم ۲۰ ناف ما بر مهر او بریده اند عشق او در جان ما کاریده اند
روز نیکو دیده ایم از روزگار آب رحمت خورده ایم از جویبار ۲۱ نی که مارا دست فضلش کاشتست از عدم ما را نه او بر داشتست
ای بسا کز وی نوازش دیده ایم در گلستان رضا گردیده ایم ۲۲ بر سر ما دست رحمت مینهاد چشمهای لطف بر ما میگشاد
درگه طفلی که بودم شیر جو گاهوارم را که جنبانید او ۲۳ از که خوردم شیر غیر شیر او که مرا پرورد جز تدبیر او
خوی کان با شیر رفت اندر وجود کی توان آن را زمردم واگشود ۲٤ گر عتابی کرد دریای کرم بسته کی کردند درهای کرم
اصل نقدش لطف وداد وبخشش است قهر بروی چون غباری ازغش است ۲٥ از برای لطف عالم را بساخت ذرّها را آفتاب وی نواخت
فرقت از قهرش اگر آبستن است بهر قدر وصل او دانستن است ۲٦ میدهد جان را فراقش گوشمال تا بداند قدر ایام وصال
گفت پیغمبر که حق فرموده است قصد من ازخلق احسان بوده است ۲۷ آفریدم تا ز من سودی کنند تا زشهدم دست آلودی کنند
نی برای آنکه من سودی کنم وز برهنه من قبائی بر کنم ۲۸ چند روزی گر زپشم رانده است چشم من درروی خوبش مانده است
کز چنان روئی چنین قهر ایعجب(٤) هر کسی مشغول گشته درسبب(٥) ۲۹ من سبب را ننگرم کان حادثست زانکه حادث حادثی را باعث است
لطف سابق را نظاره میکنم هرچه آن حادث دو پاره میکنم ۳۰ ترك سجده ازحسد گیرم که بود آن حسد ازعشق خیزد نز جحود
هر حسد از دوستی خیزد چنین که شود با دوست غیری همنشین ۳۱ هست شرط دوستی غیرت پزی همچو شرط عطسه گفتن دیرزی
چونکه برنطعش جز این بازی نبود(٦) گفت بازی کن چه دانم درفزود ۳۲ آن یکی بازی که بد من باختم خویشتن را در بلا انداختم
در بلا هم میچشم لذات او مات اویم مات اویم مات او ۳۳ چون رهاند خویشتن را ای سره هیچکس درشش جهت زین شش دره
جزو شش ازکل شش چون وارهد خاصه که بیچون مراورا کژ نهد ۳٤ هر که درشش او درون آتش است اوش برهاند که خلاق شش است
خود اگر کفر است وگر ایمان او ۳٥ دست باف حضرتست و آن او

باز تقریر کردن معویه با ابلیس مکر او را

گفت امیراورا که اینها راستست لیك بخش تو از اینها کاستست ۳۷ صد هزاران چون مراتوره زدی حفره کردی در خزینه آمدی

---

(۱) یعنی درجهان بطمطراق وفرّ ودارائی زندگی نمودی (۲) چون اختلافست دراینکه انسان را بعداز مفارقت نشئهٔ دنیوی کسب هست یا نیست بعضی برین رفته اند که کسب منحصر در همین نشئه است وبرخی میگویند بعد از مفارقت این نشئه هم کسب شریف و دخل لطیف است مولانا تأیید فرقهٔ دوم را نموده میفرماید در آن جهان هم کسب ودخل هست و در این باب احادیث نبوی بسیار وارد گشته از جمله این حدیث است ان رسول‌الله صلی‌الله علیه وآله قال من اهل‌الجنة استاذن ربه فی‌الزرع فقال له الست فیما شئت قال بلی ولکن احب ان ازرع فبذر فباذرالطرف نباته واستواه واستحصاده فکان امثال‌الجبال یعنی رسول خدا فرمود مردی از اهل بهشت اذن خواهد گرفت از پروردگار خود درکشت وزراعت کردن پس حق تعالی خواهد فرمود اورا که نیستی تو درآنچه میخواهی خواهد گفت بلی ولکن من دوست میدارم زراعت را پس تخم خواهد ریخت وروئیده خواهد شد پیش از چشم زدن روئیدگی وکمالیت و درووه خواهد شد بعد از آن توده های آن زراعت برابر کوهها خواهد بود و این حدیث دلیل است برتحقیق کسب (کسب یعنی طلب روزی) آنجهان (۳) قطاع‌الطریق راه زن باشد که در راه از جلوی رونده بیرون آید وراه را برو ببرد وقطع کند واو مقابل دزد شب است که درنهانی خانه را ببردازد وشیطان همان قطاع‌الطریق است که راه هدایت وراستی را قطع وآدمی را براه ضلالت وغوایت برد (٤) یعنی اگر چنان کریم ورحیمی چنین قهر بکند تعجب است (٥) میفرماید که بسبب سجده نکردن بحضرت آدم شیطان رانده شده است (٦) یعنی چون خلاف تقدیر او ممکن نبود .

آتشی از تو بسوزم چاره نیست / کیست کز دست تو جامه پاره نیست ۱ طبعت ای آتش چو سوزانید نیست / تا نسوزانی تو چیزی چاره نیست
لعنت این باشد که سوزانت کند / اوستاد جمله دزدانت کند ۲ با خدا گفتی شنیدی روبرو / من چه باشم پیش مکرت ای عدو
معرفتهای تو چون بانگ صفیر / بانگ مرغانست لیکن مرغ گیر ۳ صدهزاران مرغ را آن رهزده است / مرغ غرّه کاشنائی آمده است
در هوا چون بشنود بانگ صفیر / از هوا آید شود اینجا اسیر ۴ قوم نوح از مکر تو در نوحه اند / دل کباب و سینه شرحه شرحه اند
عاد را تو باد دادی در جهان / در فکندی در عذاب و اندُهان ۵ از تو بود آن سنگسار قوم لوط / در سیاه آبه ز تو خوردند غوط
مغز نمرود از تو آمد ریخته / ای هزاران فتنها انگیخته ۶ عقل فرعون ذکیّ فیلسوف / کور گشت از تو نیابید او وقوف
بو لهب هم از تو نا اهلی شده / بوالحکم هم از تو بو جهلی شده ۷ ای بر این شطرنج بهر یاد را / مات کرده صد هزار استاد را
ای ز فرزین بندهای مشکلت / سوخته جانها سیه گشته دلت ۸ بحرِ مکری تو ز خلقان قطرهٔ / تو چو کوهی وین سلیمان ذرّه
که رهد از مکر تو ای مختصم / غرق طوفانیم الاّ من عُصم(۱) ۹ بس ستارهٔ سعد از تو محترق / بس سیاه جمع از تو مفترق
❀ بس مسلمان کز تو دین درباخته / سرنگون تا قعر دوزخ تاخته ۱۰ ❀ بس چو بلعم از تو نومید آمده / بس چو برصیصا ز تو کافر شده

بازجواب گفتن ابلیس معاویه را

گفت ابلیسش گشا این عقد را / من محکّم قلب را و نقد را ۱۲ امتحان شیر و کلبم کرد حق / امتحان نقد وقلبم کرد حق
قلب را من کی سیه رو کرده ام / صیرفی ام قیمت او کرده ام ۱۳ نیکوان را رهنمائی میکنم / مر بدان را پیشوائی میکنم
❀ صالحان را پیشوا و مأمنم / طالحان را نیز یاری میکنم ۱۴ ❀ باغبانم شاخ تر می پرورم / شاخهای خشك را هم می برم
این علفها می‌نهم از بهر چیست / تا پدید آید که حیوان جنس کیست ۱۵ سگ چو از آهو بزاید کودکی / در سگی و آهوئی دارد شکی
تو گیاه و استخوان پیش بریز / تا کدامین سو کند او گام تیز ۱۶ گر بسوی استخوان آید سگست / ور گیا خواهد یقین آهو رگست
قهر و لطفی جفت شد با همدگر / زاد ازاین هردو جهان خیر و شر ۱۷ تو گیاه و استخوان را عرضه کن / قوتِ نفس وقوتِ جانرا عرضه کن
گر غذای نفس جوید ابتر است / ور غذای روح خواهد سرورست ۱۸ گر کند او خدمت تن هست خر / ور رود در بحر جان یابد گهر
گرچه این دو مختلف خیر و شرند(۲) / لیك این هردو بیك کار اندرند ۱۹ انبیا طاعات عرضه میکنند / دشمنان شهوات عرضه میکنند
نیك را چون بدکنم یزدان نیم / داعیم من خالق ایشان نیم ۲۰ زشت را و خوب را آیینه ام / خوب را من زشت سازم ربّ نه ام
آینه انداخت هندو درد را / کین سیه رو مینماید مرد را ۲۱ گفت آیینه گنه از من نبود / جُرم اورا نه که روی من زدود
او مرا غمّاز کرد و راست گو / تا بگویم زشت کو و خوب کو ۲۲ من گواهم برگوا زندان کجاست / زاهل زندان نیستم یزدان گواست
هر کجا بینم نهال میوه دار / تربیتها میکنم من دایه وار ۲۳ هرکجا بینم درخت تلخ و خشك / می ببرّم تا رهد از پُشك مشك
خشك گوید باغبان را کای فتی / مر مرا چه میبری سر بی خطا ۲۴ باغبان گوید خمش ای زشت خو / بس نباشد خشکی تو جرم تو
خشك گوید راستم من کز نیم / تو چرا بی جرم می بُرّی پیم ۲۵ باغبان گوید اگر مسعودئی / کاشکی کژ بودی و تر بودئی
جاذب آب حیاتی گشتهٔ / اندر آب زندگی آغشتهٔ ۲۶ تخم تو بد بوده است واصلِ تو / با درخت خوش نبوده وصل تو
شاخ تلخ ار با خوشی وصلت کند / آن خوشی اندر نهادش بر زند ۲۷ ❀ گر ترا بیدار کردم بهر دین / خوی اصل من همین است وهمین

عنف کردن معویه با ابلیس

گفت امیرای راهزن حجت مگو / مر ترا ره نیست درمن ره مجو ۲۹ رهزنی تو من غریب و تاجرم / هر لباساتی که آری کی خرم
گرد رخت من مگرد ازکافری / تو نهٔ رخت کسی را مشتری ۳۰ مشتری نبود کسی را راهزن / ور نماید مشتری مکرست و فن

نالیدن معاویه بحقتعالی از مکر ابلیس و نصرت خواستن

تا چه دارد این حسود اندر کدو / ای خدا فریاد مارس زین عدو ۳۲ گر یکی فصلِ دگر در من دمد / در رباید ازمن این رهزن نمد
این حدیثش همچو دود است ای اله / رحم کن ور نه گلیمم شد سیاه ۳۳ من بحجّت بر نیایم بابلیس / کوست فتنهٔ هرشریف وهرخسیس
آدمی کو علم الاسماء بگست (۳) / درتك چون برق این سگ بی تگست ۳۴ از بهشت انداختش برروی خاك / چون سمك درشست او شد از سماك
نوحهٔ انا ظلمنا می زدی (٤) / نیست دستان وفسونش راحدی ۳۵ اندرون هر حدیث او شر است / صدهزاران سحر دروی مضمراست
مردی مردان به بندد در نفس / در زن و در مرد افروزد هوس ۳۶ ای بلیس خلق سوز فتنه جو / بر چیم بیدار کردی راست گو
❀ زانکه حجت در نگنجد بامنی ۳۷ هین غرض را درمیان نه بی فنی

باز تقریر کردن ابلیس تلبیس خودرا با معاویه

گفت هر مردی که باشد بدگمان / نشنود او راست را با صدنشان ۳۹ هر درونی که خیال اندیش شد / چون دلیل آری خیالش بیش شد
چون سخن دروی رود علت شود / تیغ غازی دزد را آلت شود ۴۰ پس جواب او سکوتست وسکون / هست با ابله سخن گفتن جنون
❀ توزحق ترس وازوجوقطع نفس / که تواز شرّش بماندستی بحبس ۴۱ تو زمن با حق چه نالی ای علیم / رو بنال از شرّ آن نفس لئیم
تو خوری حلوا ترا دُمّل شود / تب بگیرد طبع تو مختل شود ۴۲ بی گنه لعنت کنی ابلیس را / چون نبینی از خود آن تلبیس را

---

(۱) اشاره است بآیه واقعه درسورهٔ هود که فرمود لاعاصم الیوم لامرالله الامن رحم یعنی نیست پناه دهندهٔ درامرخدا مگرکسی که خدا برورحم کند
(۲) مراد ازین دوخدمت تن کردن ودربحر جان رفتن است (۳) درمقام دیگر بوالبشر ودراینجا آدمی گوید زیرا که درآنجا آدم مقصود است ودر اینجا نوع انسان زیرا که از معانی آیه وعلّم آدم الاسماء کلها که جمعیت ومظهریت اسماء و صفات باشد راجع بنوع انسان ومانند خطابات قرآنی است که راجع بعموم مردم میشود واما این آیه شریفه درسورهٔ بقره واقع شده ومعنی آن اینست که خدا آموخت به آدم تمام اسماء اشیاء را وبیك لقبست ودر اینجا بطریق تکریم وتعظیم ذکر شده (٤) اشاره است بآیه واقعه درسورهٔ اعراف ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفرلنا وترحمنا لنکونن من الخاسرین

نیست از ابلیس ازتست ای‌غوی — که چو روبه سوی دنبه می‌روی ۱ چونکه در سبزه ببینی دنبه را — دام باشد این ندانی روبها
زان ندانی کت زدانش دورکرد — میل دنبه چشم عقلت کور کرد ۲ حُبك الاشیاء یعمیك یصم — نفسك السودا جنت لاتختصم(۱)
تو گنه بر من منه کژ مژ مبین — من ز بد بیزارم وازحرص‌وکین ۳ ❀حرص وکین‌هست‌ازطباع‌مختلف — مرمرا برچارضد شد مکتنف(۲)
من بدی کردم پشیمانم هنوز — انتظارم تا شبم آید بروز ۴ ❀ هم امیدی‌می‌بزم با دردوسوز — تا مگر این دی مهم گردد تموز
متهم گشتم میان خلق من — فعل خود برمن نهد هرمردوزن ۵ گرگ بیچاره اگر چه‌گرسنه است — متهم باشد که او درطنطنه است
ازضعیفی چون نتاند راه رفت ۶ خلق گوید تخمه‌است ازلوت زفت

باز الحاح کردن معاویه ابلیس را

گفت غیر راستی نرهاندت — داد سوی راستی می‌خواندت ۸ راست‌گو تا وارهی ازچنگ من — مکر ننشاند غبار جنگ من
گفت چون دانی‌دروغ وراست‌را — ای خیال اندیش پر اندیشها ۹ گفت پیغمبر نشانی داده است — قلب و نیکو را محك بنهاده‌است
گفته‌است(۳)الکذب ریب فی‌القلوب — باز الصدق طمانین طروب (٤) ۱۰ دل نیارامد ز گفتار دروغ — آب و روغن هیچ نفروزد فروغ
در حدیث راست آرام دلست — راستیها دانهٔ دام دلست ۱۱ دل مگر رنجور باشد بد دهان — کو نداند چاشنی این و آن
چون‌شود از رنج وعلت دل‌سلیم — طعم صدق وکذب را باشد علیم ۱۲ حرص آدم چون سوی‌گندم فزود — از دل آدم سلیمی را ربود
پس‌دروغ وعشوه‌ات راگوش‌کرد — غرّه گشت و زهرقاتل نوش‌کرد ۱۳ کژدم از گندم ندانست آن نفس — می پرد تمییز از مست هوس
خلق مست آرزویند و هوا — زان پذیرایند دستان ترا ۱٤ هرکه خودرا ازهوا خوباز کرد — گوش خود را آشنای راز کرد
همچنان که در حکایت گفته اند ۱۵ بشنو آنرا تا گشاید بسته بند

شکایت قاضی از آفت قضا و جواب گفتن نائب قاضی مر اورا

قاضئی بنشاندند و میگریست — گفت نایب قاضیا گریه ز چیست ۱۷ این نه وقت گریه و فریاد تست — وقت شادیٔ و مبارك باد تست
گفت آه چون حکم راند بی‌دلی — در میان آن دو عالم جاهلی(۵) ۱۸ آن دوخصم ازواقعهٔ خود واقفند — قاضی مسکین چه داند زان دوبند
جاهلست و غافلست از حالشان — چون رود در خونشان و مالشان ۱۹ گفت خصمان عالمند و علتی — جاهلی تو لیك شمع ملتی
زانکه تو علت نداری در میان — آن فراغت هست نور دیدگان ۲۰ وان دوعالم‌را غرض‌شان‌کورکرد — علمشان را علت اندر گور کرد
جهل را بی علتی عالم کند — علم را علت کژ و ظالم کند ۲۱ تا تو رشوت نستدی بینندهٔ — چون طمع کردی ضریر و بندهٔ
از هوا من خوی را واکرده ام — لقمهای شهوتی کم خورده ام ۲۲ چاشنی گیر دلم شد با فروغ — راست را داند حقیقت از دروغ

باقرار آوردن معاویه ابلیس را

ای سگ ملعون جواب من بگو — راستی گو و دروغی را مجو ۲٤ تو چرا بیدار کردی مر مرا — دشمن بیدارئی تو ای دغا
همچو خشخاشی همه خواب آوری — همچوخمری عقل ودانش رابری ۲۵ چار میخت کرده‌ام هین راست گو — راست را دانم تو حیلتها مجو
❀ من زهرکس‌آن‌طمع دارم‌که‌او — صاحب‌آن باشد اندر طبع وخو ۲٦ من ز سرکه می نجویم شکری — مر مخنّث را نگیرم لشگری
همچوگبران می نجویم از بتی — کو بود حق یا ز حق او آیتی ۲۷ من زسرگین می‌نجویم بوی‌مشك — من در آب جو نجویم خشت‌خشك
من نجویم پاسبانی را ز دزد — کار ناکرده نجویم هیچ مزد ۲۸ من زشیطان این نجویم‌کوست‌غیر — که مرا بیدار گرداند بخیر

راست گفتن ابلیس مکر خود را با معاویه

گفت بسیار آن بلیس ازمکروغدر — میرازو نشنید وکرد استیز و نکر ۳۰ از بُن دندان (٦) بگفتش بهر آن — کردمت بیدار میدان ای فلان
تا رسی اندر جماعت در نماز — از پی پیغمبر دولت فراز ۳۱ گر نماز از وقت رفتی مر ترا — این جهان تاریك گشتی بی ضیا
از غبین و درد رفتی اشکها — از دو چشم تو مثال مشکها ۳۲ آن غبین و درد بودی صد نماز — کو نماز و کو فروغ آن نیاز
ذوق دارد هر کسی در طاعتی ۳۳ لاجرم نشکیبد از وی ساعتی

فضیلت حسرت خوردن آن شخص برفوت نمازجماعت

آن یکی میرفت در مسجد درون — مردم از مسجد همی آمد برون ۳۵ گشت پرسان‌که جماعت‌را چه بود — که ز مسجد می برون آیند زود
آن یکی گفتش که پیغمبر نماز — با جماعت کرد وفارغ شد ز راز ۳٦ توکجا درمی‌روی ای مرد خام — چونکه پیغمبر بدادست السلم
گفت آه ودود از آن آمد برون — آه او میداد از دل بوی خون ۳۷ آن یکی از جمع گفت این‌آه‌را — تو بمن ده آن نماز من تو را
گفت دادم آه و بذرفتم نماز — او ستد آن آه را با صد نیاز ۳۸ ❀ با نیاز و با تضرع باز گشت — باز بود و در پی شهباز گشت(۷)
شب بخواب اندر بگفتش هاتفی — که خریدی آب حیوان و شفی ۳۹ حرمت این اختیار و این دخول — شد نماز جملهٔ خلقان قبول

---

(۱) یعنی دوستی تو اشیاء را ترا کور کرده و جان تیره تو گناه کرده باوی کینه جوئی مکن و نفس سودائی تو جنایت کرد بدون دشمنی (۲) ممکن است این حرص که بسبب طبایع مختلف اربعه عناصر که درآدمی‌است بسبب ریاضت زایل شود پس مرا بطریق اولی حرص زایل است که برعناصر مسلطم (۳) حدیث مروی ازامام حسن‌مجتبی علیه‌السلام است که فرمود ازحضرت رسول شنیدم که فرمود دع مایریبك الی ما یریبك فانّ الصدق طمأنینة و الکذب ریبة فرمود بگذار و ترك کن چیزی را که در شك میاندازد ترا بتوسل بسوی چیزی که شك نداری تو در آن زیرا که صدق و راستی اطمینان قلب است پس از شك وکذب اعراض نما و بصدق ملتجی شو تا رستگار شوی (٤) یعنی‌دروغ شکست دردلها و راستی آرامها و شادیهاست در دل مراد آنست در امری که دل تردد کند آن دروغست و در امریکه دل را اطمینان حاصل آید راست امااز این دل مقصود دل صاحبدل است (۵) قال‌النبی صلی‌الله علیه و آله و سلم‌القاضی جاهل بین‌العالمین پیغمبر فرموده است که قاضی جاهلی است میان دو عالم یعنی مدعی و مدعی الیه که هر دو بحقیقت حال خود آگاهند و قاضی را از آن اطلاعی نیست (٦) کنایت از رغبت و اطاعت و فرمان برداری است (۷) یعنی‌طلبکارمقام عالی بودکه دریافت نمازجماعت باشد ودرپی‌شهباز که آه درد ناك باشد بمقام عالیتر از مقام اول رسید

تتمهٔ اقرار ابلیس باعاویه مکر وفریب خودرا

پس عزازیلش بگفت ای میرراد مکر خود اندر میان باید نهاد ۲ گر نمازت فوت میشد آن زمان می‌زدی از درد دل آه و فغان
آن تأسف وآن فغان و آن نیاز درگذشتی از دو صد ذکر ونماز ۳ من ترا بیدار کردم از نهیب تا نسوزاند چنین آهی حجیب
تا چنان آهی نباشد مر ترا تا بدان راهی نباشد مر ترا ٤ من حسودم از حسد کردم چنین من عدوّم کار من مکرست وکین

تصدیق کردن معاویه ابلیس را درآن قول

گفت اکنون راست گفتی صادقی از تو این آید تو این را لایقی ٦ عنکبوتی تو مگس داری شکار من نیم ای سگ مگس زحمت‌میار
باز اسپیدم شکارم شه کند عنکبوتی کی بگرد من تند ۷ ❀کار تواین است ای‌دزد لعین سوی‌دوغ‌آری مگس را زانگبین
رو مگس می گیر تا تانی هلا سوی دوغی زن مگسها را صلا ۸ ور بخوانی تو بسوی انگبین هم دروغ ودوغ باشد آن یقین
تومرا بیدارکردی خواب بود(۱) تو نمودی کشتی آن گرداب بود ۹ تو دراین خیرم ازآن میخواندی تا مرا از خیر بهتر راندی

گریختن دزد از دست صاحب خانه به‌آواز شخص دیگر

این بدان ماندکه شخصی دزد دید در وثاق اندر پی او میدوید ۱۱ تا دو سه میدان دوید اندر پیش تا در افکند از تعب اندر خویش
اندرآن حمله که نزدیك آمدش تا بدو اندر جهد دریابدش ۱۲ دزد دیگر بانگ کردش که بیا تا ببینی این علامات بلا
زود باش و بازگرد ای مرد کار تا ببینی حال اینجا زار زار ۱۳ ❀چون‌شنیداین‌مردگشت‌اندیشه‌ناك گفت با خودگشته‌گیر این‌جامه‌چاك
گفت باشدکان طرف دزدی بود گر نگردم زود او بر من دود ۱٤ بر زن و فرزند من دستی زند بستن این دزد سودم کی کند
این مسلمان از کرم میخواندم گر نگردم زود پیش آید ندم ۱۵ بر امید شفقت آن نیکخواه دزد را بگذاشت باز آمد براه
گفت ای یار نکو احوال چیست این‌فغان و بانگ تو ازدست‌کیست ۱٦ گفت اینك بین نشان پای دزد کاینطرف‌رفته است‌دزد زن بمزد
نك نشان پای دزد قلتبان در پی‌او رو بدین نقش ونشان ۱۷ گفت ای ابله چه میگوئی مرا من گرفته بودم آخر مر ورا
دزد را از بانگ تو بگذاشتم من تو خر را آدمی پنداشتم ۱۸ این‌چه ژاژاست‌وچه‌هرزه ای‌فلان من حقیقت یافتم چبود نشان
گفت من از حق نشانت میدهم این نشانست از حقیقت آگهم ۱۹ گفت طرّاری تو یا خود ابلهی بلکه تو دزدی وزین حال آگهی
خصم خودرا میکشیدم موکشان تو رهانیدی و را کاینك نشان ۲۰ تو جهت گو من برونم از جهات در وصال آیات گویا بینات (۲)
صنع‌بیند مردمحجوب‌ازصفات(۳) درصفات آنست کو گم کرد ذات ۲۱ واصلان چون‌غرق ذاتند ای‌پسر کی کنند اندر صفات او نظر
چونکه اندر قعر جو باشد سرت کی برنگ آب افتد منظرت ۲۲ ور برنگ آب باز آئی ز قعر پس پلاسی بستدی دادی توشعر
طاعت عامه گناه خاصگان(٤) وصلت عامه حجاب خاص دان ۲۳ گر وزیری را کند شه محتسب شه عدوی او بود نبود مُحب
هم گناهی کرده باشد آن وزیر بی‌سبب نبود تغیر ناگزیر (٥) ۲٤ آنکه زاوّل محتسب بُدخود ورا بخت وروزی آن بُدست ازابتدا
لیك آن کاوّل وزیر شه بدست محتسب کردن سبب فعل بدست ۲۵ چون ترا شه زآستانه پیش‌خواند باز سوی آستانه باز راند
تو یقین میدان که جرمی کردهٔ جبر را از جهل پیش آوردهٔ ۲٦ که‌مرا روزی وقسمت این بُدست پس‌چرادی‌بودت آن‌دولت بدست
قسمت خود خود بریدی توزجهل ۲۷ قسمت خود را فزاید مرد اهل

قصهٔ منافقان و مسجد ضرار ساختن ایشان

یك مثال دیگر اندرکج روی شاید ار از نقل قرآن بشنوی ۲۹ اینچنین کژ بازئی درجفت وطاق با نبی می ساختند اهل نفاق
کز برای عزّ دین احمدی مسجدی سازیم وبود آن مرتدی ۳۰ این چنین کژ بازئی میباختند مسجدی جز مسجد او ساختند
فرش و سقف وقبه اش آراستند لیك تفریق جماعت خواستند(٦) ۳۱ نزد پیغمبر بلابه آمدند همچو اشتر پیش او زانو زدند
کای رسول حق برای مُحسنی سوی آن مسجد قدم رنجه کنی ۳۲ تا مبارك گردد از اقدام تو تا قیامت تازه باد ایام تو
مسجد روز گِلست و روز ابر مسجد روز ضرورت وقت فقر ۳۳ تا غریبی یابد آنجا خیر و جا تا فراوان‌گردد این خدمت سرا
تا شعار دین شود بسیار و پُر زانکه یاران شود خوش‌کار مُر ۳٤ ساعتی آن جایگه تشریف ده تزکیهٔ ما کن ز ما تعریف ده
مسجد و اصحاب مسجد را نواز تومهی ما شب دمی با ما بساز ۳۵ تا شود شب از جمالت همچوروز ای جمالت آفتاب جان فروز
ای‌دریغا کان سخن ازدل بدی تا مراد آن نفر حاصل شدی ۳٦ لفظ کاید بیدل و جان از زبان همچوسبزهٔ تون بود ای دوستان
هم زدورش بنگر و اندر گذر خوردن و بورا نشاید ای پسر ۳۷ سوی لطف بیوفایان هین مرو کان پل ویران بود نیکو شنو
گر قدم را جاهلی برآن زند بشکند پل وان قدم را بشکند ۳۸ هر کجا لشگر شکسته میشود از دو سه سست مخنث می بود
درصف آید با سلاح او مردوار دل برو بنهند کاینك یار غار ۳۹ رو بگرداند چو بیند زخمها رفتن او بشکند پشت ترا
این درازاست و فراوان میشود وآنچه مقصود است پنهان میشود ٤۰ بر رسول حق فسونها خواندند رخش دستان و حیل می راندند
آن رسول مهربان رحم کیش جز تبسم جز بلی ناورد پیش ٤۱ شکرهای آنجماعت یاد کرد در اجابت قاصدان را شاد کرد
می نمود آن مکر ایشان پیش او یك بیك زانسان که اندر شیرمو ٤۲ موی را نادیده میکرد آن لطیف شیررا شاباش میگفت آن ظریف

---

(۱) الشیطان ان دعا الی‌خیر فلتقویت خیراعظم اوخیر شرلایفی به (۲) یعنی درعین وصال معشوق نشانیها وگواهان بکار نمی‌آید (۳) صنع بیند مراد آنست‌که هرکه ازصفات محروم‌است درصنع مشغول میشود صنع مثل‌تخت وعمارت است‌که ازصفت نجار ومعمارخبرمیدهد هرکه بانجار ومعمار معرفت دارد کی بتخت وعمارت خورسند است (٤) اشاره است باین‌حدیث : حسنات‌الابرار سیئات‌المقربین (٥) مناسب این آیه است که درسورهٔ رعد واقع شده ان الله لا یغیر مابقوم حتی یغیروا ما بانفسهم (٦) اشاره است بآیه واقعه درسورهٔ توبه که فرموده والذین اتخذوا مسجداً ضرارا وکفراً و تفریقاً بین‌المؤمنین و ارصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ولیحلفن ان اردنا الاالحسنی و الله یشهد انهم لکاذبون ولا تقم فیه ابداً .

صد هزاران موی مکر و دمدمه — چشم خوابانید آن دم از همه ۱ راست میفرمود آن بحر کرم — من شمارا از شما مشفق ترم(۱)
من نشسته بر کنار آتشی — با فروغ و شعلهٔ بس ناخوشی ۲ همچو پروانه شما آن‌سو دوان — هر دو دست من شده پروانه‌ران
چون بر آن شد تاروان گردد رسول — غیرت حق بانگ زد مشنو زغول ۳ کاین خبیثان مکر وحیلت کرده‌اند — جمله مقلوبست آنچه آورده اند
قصد ایشان جز سیه روئی نبود — خیر دین کی جست ترسا و یهود ٤ مسجدی بر جسر دوزخ ساختند — با خدا نرد دغا ها باختند
قصد شان تفریق اصحاب رسول — فضل حق را کی شناسد هرفضول ٥ تا جهودی را ز شام اینجا کشند — که بوعظ او جهودان سرخوشند
گفت پیغمبر که آری لیك ما — بر سر راهیم و برعزم غزا(۲) ٦ زین سفرچون باز گردم آنگهان — سوی آن مسجد روان گردم روان
دفعشان گفت وبسوی غزو تاخت — بادغایان از دغا نردی بباخت ۷ چون بیامد از غزا باز آمدند — طالب آن وعدهٔ ماضی شدند
گفت حقش کی پیمبر فاش گو — عذر آور جنگ باشد باش گو ۸ گفت کای قوم دغل خامش کنید — تا نگویم رازهاتان تن زنید
چون نشانی چند از اسرارشان — در میان آورد بد شد کارشان ۹ قاصدان زو بازگشتند آن زمان — حاش لله حاش لله دم زنان
هر منافق مصحفی زیر بغل — سوی پیغمبر بیاورد از دغل ۱۰ بهر سوگندان که ایمان جُنتی است(۳) — زانکه سوگندان کژان را سنتی است
چون ندارد مرد کژ در دین وفا — هر زمانی بشکند سوگند را ۱۱ راستان را حاجت سوگند نیست — زانکه ایشان راندو چشم روشنی است
نقض میثاق وعهود از احمقی است(٤) — حفظ ایمان و وفا کار تقی است ۱۲ گفت پیغمبر که سوگند شما — راست گیرم یا که پیغام خدا
باز سوگندی دگر خوردند قوم — مصحف اندردست وبرلب مهر صوم ۱۳ که بحق این کلام پاك راست — که بنای مسجد از بهر خداست
اندر اینجا هیچ مکر وحیله نیست — قصدما خودصدق وذکریاربی است ۱٤ گفت پیغمبر که آواز خدا — می‌رسد درگوش من همچون صدا
مهر برگوش شما بنهاد حق — تا بآواز خدا نارد سبق ۱٥ نك صریح آواز حق می آیدم — همچو صاف از دُرد می پالایدم
همچنانکه موسی ازسوی درخت — بانگ حق بشنید کای مسعودبخت ۱٦ ازدرخت انی انا الله می شنید(٥) — با کلام انوار می‌آمد پدید
چون ز نور وحی وا میماندند — باز نو سوگند ها میخواندند ۱۷ چون خدا سوگند را خوانده سپر — کی نهد اسپر ز کف پیکار گر
باز پیغمبر بتکذیب صریح ۱۸ قد کذبتم گفت با ایشان فصیح

اندیشیدن یکی از اصحاب که چرا رسول خدا ستاری نمیکند

تا یکی یاری ز یاران رسول — در دلش انکار آمد زان نکول ۲۰ کاین چنین پیران با شیب ووقار — میکندشان این پیمبر شرمسار
کو کرم کو ستر پوشی کو حیا — صد هزاران عیب پوشند انبیا ۲۱ باز در دل زود استغفار کرد — تا نگردد ز اعتراض اوروی زرد
لیك آن نقش کجش ازدل نرفت — مهر بد از طبع بی حاصل نرفت ۲۲ شومی یاری اصحاب نفاق — کرد مؤمن را چوایشان زشت وعاق
باز می زارید کای علام سر — مرا مگذار بر کفران مصر ۲۳ دل بدستم نیست همچون دید چشم(٦) — ورنه دل راسوزمی این دم بخشم
اندرین اندیشه خوابش در ربود — مسجد ایشانش پر سرگین نمود ۲٤ سنگهاش اندر حدث جای تباه — میدمید از سنگها دود سیاه
دود درحلقش شد وحلقش بخست — از نهیب دود تلخ ازخواب جست ۲٥ در زمان در رو فتاد ومیگریست — کای خدا اینها نشان منکریست
خلم بهتر ازچنین حلم ای خدا(۷) — که کند از نور ایمانم جدا ۲٦ گر بکاوی کوشش اهل مجاز — تو بتو گنده بود همچون پیاز
هر یکی از دیگری بی مغز تر — صادقان را یك ز دیگر نغز تر ۲۷ صدکمر بسته بمکر آنقوم سست — از نفاق و زرق ودین نا درست
صد کمر آن قوم بسته بر قبا — بهر هدم مسجد اهل قبا ۲۸ همچو آن اصحاب فیل اندرحبش — کعبهٔ کردند و حق آتش زدش
قصد خانه کعبه کرده ز انتقام(۸) — حالشان چون شدفروخوان ازکلام ۲۹ مر سیه رویان دین را خودجهیز — نیست الا حیلت و مکر و ستیز
هرصحابی دید زان مسجد عیان — واقعه تا شد یقینشان سرّ آن ۳۰ واقعات ار باز گویم یك بیك — پس یقین گردد صفا بر اهل شك
لیك می‌ترسم ز کشف رازشان — نازنینانند و زیبد نازشان ۳۱ شرع بی تقلید می پذرفته اند — بی محك آن نقد را بگرفته اند
حکمت قرآن چوضالهٔ مؤمن است ۳۲ هرکسی در ضالهٔ خود موقن است

قصهٔ آن شخص که اشتر ضاله خودرا میجست و میپرسید

اشتری گم کردی وجستیش چست — چون بیابی چون ندانی کان تست ۳٤ ضاله چه بود نافهٔ گم کردهٔ — از کفت بگریخته در پردهٔ

---

(۱) اشاره است بحدیث انااولی بالمؤمنین من انفسهم فمن توفی من المؤمنین فترك دینا فعلیّ قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته حضرت رسول فرمود من اولی هستم برمؤمنین ازذاتهایشان پس کسی که بمیرد ازمؤمنین وقرض داشته باشد برمنست قضاء دین او واگر مال داشته باشد برای ورثهٔ اوست (۲) گویا غزوهٔ تبوك بوده (۳) اشاره است بآیه واقعهٔ درسورهٔ مجادله اتخذوا ایمانهم جنة فصدوا عن سبیل الله فلهم عذاب مهین یعنی فرا گرفتند سوگندان خودرا که میخوردند سپری یعنی آنرا وقایه و پناه وصیانت خون ومال خودگردانیدند تا ازدست مسلمانان درامان باشند پس باز داشتند مردمان را در حین ایمنی خود از راه خدا بتبیین امر مسلمانان و تحسین ایشان از مجاهده کافران و باز داشتن از ملاقات با اهل اسلام و از مصاحبت با سید انام پس مرایشان را عذابی است خوار کننده (٤) اشاره باین آیه است که دراواخر سورهٔ نحل واقعشده ولا تنقضوا الایمان بعد توکیدها (٥) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ قصص است فلما اتیها نودی من شاطیء الوادی الایمن فی البقعة المبارکة من الشجرة ان یا موسی انی انا الله ربّ العالمین پس چون آمد بآن آتش ندا کرده شد یعنی موسی را ندا آمد ازکنارهٔ رود که برجانب راست موسی واقع بود ازجای بابرکت ازجانب درخت که ای موسی بدرستیکه منم خدا وپروردگار عالمیان (٦) دل بدستم نیست دو معنی دارد اول آنکه دید چشم چنانکه معلومست اگر دل را نیزمعلوم بود اورا میسوزانیدم دوم آنکه دید چشم هم هرگاه چشم باز میشود دراختیار خود نمی‌ماند چنانچه دید چشم دراختیار نیست دل هم در اختیارنیست (۷) آن درد که درحلق آن صحابی رسید گویا خشم خدا بود ولیکن درمعنی بهتر بود که ازآن متنبه شد یااینکه صحابی میگوید که مارا خشم کردن در حق آنها بهتر بود از حلمی که من درحق آنها کردم چرا که آن حلم باعث خرابی ایمان من است بسبب خطوهٔ خلاف با پیغمبر (۸) اشاره است بسورهٔ فیل که میفرماید الم ترکیف فعل ربك باصحاب الفیل آیا ندانستی چگونه کرد پروردگار تو بصاحبان فیل یعنی ابرهه و لشکریانش .

کاروان در بار کردن آمده / اشتر تو از میانه گم شده ۱ می‌دوی اینسو وآن‌سو خشك لب / کاروان شد دور ونزدیکست شب
رخت مانده برزمین درراه خوف / تو پی اشتر دوان گشته بطوف ۲ کای مسلمانان‌که دیدست اشتری / جسته بیرون بامداد از آخری
هر که بر گوید نشان از اشترم / مزدگانی میدهم چندین درم ۳ باز میجوئی نشان از هر کسی / ریشخندت میکند زین هر خسی
کاشتری دیدیم‌می‌رفت این‌طرف / اشتر سرخی بسوی این علف ٤ آن یکی گوید بریده گوش بود / وان دگر گوید جاش منقوش بود
آن یکی گوید شتر یك چشم‌بود / وآن دگر گوید زگر بی پشم بود ٥ از برای مزدگانی صد نشان / از گزافه هر خسی کرده بیان
❊ایدل‌این‌اسرار را درگوش کن / قسم توگرهست زین‌خوش‌نوش کن ٦ همچنانکه هر کسی در معرفت / میکند موصوف غیبی را صفت

متردد شدن در میان مذاهب مختلفه و بیرون شدن و مخلص یافتن

فلسفی از نوع دیگر کرده شرح / باحثی مرگفت اورا کرده جرح ۸ وان دگر در هر دو طعنه میزند / وان دگر از زرق جانی میکند
هریکی زین ره نشانها زان دهند / تا گمان آید که ایشان زان دهند ۹ این‌حقیقت دان نه حقند این همه / نی بکلی گمرهانند این رمه
زانکه بی حق باطلی ناید پدید / قلب را ابله بیوی زر خرید ۱۰ گر نبودی در جهان نقدی روان / قلبها را خرج کردن کی توان
تا نباشد راست کی باشد دروغ / آن‌دروغ ازراست می‌گیرد فروغ ۱۱ بر امید راست کج را میخرند / زهر درقندی رود آنگه خورند
گر نباشد گندم محبوب نوش / چه برد گندم نمای جو فروش ۱۲ پس مگو این جمله دینها باطلند / باطلان بر بوی حق دام دلند
پس مگو جمله خیالست و ضلال / بی حقیقت نیست در عالم خیال ۱۳ حق شب قدرست در شبها نهان / تا کند جان هر شبی را امتحان
نی همه شبها بود قدر ای جوان / نی همه شبها بود خالی از آن ۱٤ در میان دلق پوشان ای فقیر / امتحان کن‌وانکه حق‌است‌آن بگیر
مؤمن کیّس معیز کو که تا / باز داند پادشا را از گدا ۱٥ گر نه معیوبات باشد در جهان / تاجران باشند جملهٔ ابلهان
پس بود کالا شناسی‌سخت سهل / چونکه عیبی‌نیست چه نااهل‌واهل ۱٦ ور همه عیبست دانش سود نیست / چون همه‌چوبست اینجاعود نیست
آنکه گوید جمله حقند احمقیست / وانکه گوید جمله باطل اوشقیست ۱۷ تاجران انبیا کردند سود / تاجران رنگ و بو کور وکبود
می‌نماید مارت اندرچشم مال(۱) ۱۸ هردو چشم خویش را نیکو بمال

امتحان هر چیزی تا ظاهر شود خیر و شری که در ویست

منگر اندر غبطهٔ این بیع و سود / بنگر اندر خُسر فرعون و ثمود ۲۰ اندراین گردون مکرر کن نظر / زانکه‌حق فرمودثم‌ارجع بصر(۲)
یك‌نظر قانع مشو زین سقف نور / بار ها بنگر ببین هل من فطور ۲۱ چونکه گفتت کاندرین سقف نکو / بار ها بنگر چو مرد عیب جو
پس زمین تیره را دانی که چند / دیدن و تمییز باید در پسند ۲۲ تا ببالائیم صافان را زُدرد / چند باید عقل ما را رنج برد
امتحانهای زمستان و خزان / تاب تابستان بهار همچو جان ۲۳ بادها و ابرها و برقها / تا پدید آرد عوارض فرقها
تا برون آرد زمین خاك رنگ / هرچه اندرجیب‌دارد لعل وسنگ ۲٤ هر چه دزدیدست این خاك دژم / از خزانه حقّ و دریای کرم
شحنهٔ تقدیر گوید راست گو / آنچه بردی شرح واده مو بمو ۲٥ دزد یعنی خاك گوید هیچ هیچ / شحنه اورا در کشد در پیچ پیچ
شحنه‌گاهش لطف‌گوید چون‌شکر / گه بر آویزد کند هر چه بتر ۲٦ تا میان قهر و لطف آن خفیها / ظاهر آید ز آتش خوف و رجا
آن بهاران لطف شحنهٔ کبریاست / وان‌خزان‌تهدید وتخویف‌خداست ۲۷ و آن زمستان چار میخ معنوی / تا تو ای دزد خفی ظاهر شوی
پس مجاهد را زمانی بسط دل / یك زمانی‌قبض ودرد وغش وغل ۲۸ زانکه این‌آب وگلی کابدان‌ماست / منکر و دزد ضیای جانهاست
حقتعالی گرم و سرد ورنج ودرد / بر تن ما مینهد ای شیر مرد ۲۹ خوف‌وجوع‌ونقص‌اموال‌وبدن(۳) / جمله بهر نقد جان ظاهر شدن
این و عید ووعدها انگیخته است / بهر این نیك وبدی کامیخته‌است ۳۰ چونکه حق و باطلی آمیختند / نقد قلب اندر چرمدان ریختند
پس مِحك میبایدش بگزیدهٔ / در حقایق امتحانها دیدهٔ ۳۱ تا شود فاروق این تزویرها / تا بود دستور این تدبیرها
شیر ده ای مادر موسی ورا / واندر آب افکن میندیش از بلا ۳۲ هرکه درروزالست آن شیرخورد / همچو موسی‌شیررا تمییزکرد(٤)
گر تو بر تمییز طفلت مولعی(٥) / این زمان یا ام موسی ارضعی(٦) ۳۳ تا ببیند طعم شیر مادرش / تا فرو ناید بدایهٔ بد سرش
❊خودبرتواین‌حکایت‌روشن‌است ۳٤ که غرض‌نی‌این حکایت‌گفتن‌است

شرح فایدهٔ حکایت آن شخص شتر جوینده

اشتری گم کردهٔ ای معتمد / هر کسی زاشتر نشانی میدهد ۳٦ تو نمیدانی که آن اشتر کجاست / لیك دانی کین نشانیها خطاست

---

(۱) اشاره بآیه واقعهٔ در سورهٔ آل عمران « ولاتحسبنّ الذین یبخلون بما آتیهم‌الله من فضله هو خیرا لهم بل هو شرا لهم‌سیطوقون ما بخلوا به یوم‌القیمة ونیندارند آنانکه از دنائت همت بخیلی میکنند بدانچه خدایتعالی از مال دنیا بایشان داده است از فضل وکرم خود که آن بخیلی بهتراست ایشان‌را نه چنانست آن بخل بدتراست مرایشانرا هم دردنیا برفتن برکت ازاموال وهم درآخرت باستحقاق شداید و هولها وزود باشد که درگردن ایشان طوق کرده شود آنچه بخل‌کرده‌اند بآن از مالها ونداده‌اند زکوة آن‌را واین فضیحت ایشانراست روزرستخیز (۲) اشاره است بآیه واقعه درسورهٔ ملك « فارجع‌البصرهل تری من فطور ثم ارجع‌البصر کرتین ینقلب الیك‌البصر خاسئاً وهو حسیر یعنی برگردان نظر خودرا آیا می بینی درآسمان از نقص وشکاف پس بازگردان نظر خودرا دوباره تا برگردد نظرتو بسوی توخوار و وامانده ونقصی ندیده باشی (۳) اشاره بآیه در سورهٔ بقره است ولنبلونکم بشیءٍ من‌الخوف والجوع ونقصٍ من‌الاموال والانفس والثمرات یعنی پس می‌آزمائیم شمارا بقدری ازترس وگرسنگی وکمی درمال ونقصان درجان ودرثمرات شما (٤) مرادآن است‌که موسی شیرهیچ دایهٔ قبول نکرد وشیر مادر خودرا قبول کرد (٥) یعنی تو اگر برتمییز طفل نفس خود حریصی پس شیر بده نفس خودرا یعنی آن شیر که دراین محل کنایه از اوامر شرعی است تا نفس طعم شیر مادر خودرا که شرع است خورده وبدایهٔ بد که دنیای دنی است و بتأثیر حرمنا علیه‌المراضع سر فرود نیاورده باشد (٦) اشاره است بآیهٔ در سورهٔ قصص واوحینا الی ام موسی ان ارضعیه و اذا خفت علیه فالقیه فی‌الیم ولاتخافی ولاتحزنی انا رادوه الیك وجاعلوه من‌المرسلین یعنی وحی کردیم بمادرموسی‌که شیرده اورا واگر میترسی براو پس بیفکن‌اورا دردریا ومترس وغمناك مباش مابرگردانیم اورا بسوی تو وی‌گردانیم اورا ازپیغمبران

وانکه اشتر گم نکرد او از مری — همچو آن گم کرده جوید اشتری ۱ — که بلی من هم شتر گم کرده ام — هرکه یابد اجرتش آورده ام
تا در اشتر با تو انبازی کند — بهر طمع اشتر این بازی کند ۲ — او نشان کژ به نشناسد ز راست — لیك گفتت آن مقلد را عصاست
هرکه را گوئی خطا بود آن نشان — او بتقلید تو میگوید همان ۳ — چون نشان راست گویند و شبیه — پس یقین گردد ترا لاریب فیه (۱)
آن شفای جان رنجورت شود — مظهر حسّ چو گنجورت شود ۴ — رنگ روی و قوّت بازو شود — خلق و خُلق یك توت صد تو شود
چشم تو روشن شود پایت دوان — جسم تو جان گردد و جانت روان ۵ — پس بگوئی راست گفتی ای امین — آن نشانیها بلاغ آمد مبین
فیه ایات ثقات بیّنات — این براتی باشد و قدر و نجات ۶ — این نشان چون داد گوئی پیش رو — وقت آهنگست پیش آهنگ شو
پیروی تو کنم ای راست گو — بوی بردی زاشترم بنما که کو ۷ — پیش آنکس کو نه صاحب اشتریست — واندرین حُجت شتر بهر مریست
زین نشان راست نفزودش یقین — جز ز عکس ناقه جوی راستین ۸ — بوی برد از جدّ و گرمیهای او — که گزافه نیست این هیهای او
اندرین اشتر نبودش حق ولی — اشتری گم کرده است اوهم بلی ۹ — طمع ناقهٔ غیر رو پوشش شده — آنچه زو گم شد فراموشش شده
هر کجا او میدود این میدود — از طمع هم درد صاحب میشود ۱۰ — کاذبی با صادقی چون شد روان — آن دروغش راستی شد ناگهان
اندران صحرا که آن اشتر شتافت — اشتر خود نیز آن دیگر بیافت ۱۱ — چون بدیدش یاد آورد آن خویش — بی طمع شد زاشتران یار وخویش
آن مقلد شد محقق چون بدید — اشتر خودرا که آنجا می چرید ۱۲ — او طلبکار شتر آن لحظه گشت — می نجستش تا ندید اورا بدشت
بعد از آن تنها روی آغاز کرد — چشم سوی ناقهٔ خود باز کرد ۱۳ — گفت آن صادق مرا بگذاشتی — تا با کنون پاس من میداشتی
گفت تا اکنون فسوسی بوده ام — وز طمع در چاپلوسی بوده ام ۱۴ — این زمان همدرد تو گشتم که من — در طلب از تو جدا گشتم بتن
از تو میدزدیدمی وصف شتر — جان من دید آن خود شد چشم پر ۱۵ — تا نیابیدم نبودم طالبش — مس کنون مغلوب شد زرغالبش
سیئاتم شد همه طاعات شکر — هزل شد فانی و جد اثبات شکر ۱۶ — سیئاتم چون وسیلت شد بحق — پس مزن بر سیئاتم هیچ دق
مر ترا صدق توطالب کرده بود — مر مرا جدّ و طلب صدقی گشود ۱۷ — صدق تو آورد در جستن ترا — جستنم آورد در صدقی مرا
تخم دولت در زمین میکاشتم — سخره و بیگار می پنداشتم ۱۸ — آن نبد بیگار کسبی بُد درست — هریکی دانه که کشتم صد بُرست
دزد سوی خانهٔ شد زیر دست — چون درآمد دید کان خانهٔ خوداست ۱۹ — گرم باش ای سرد تا گرمی رسد — با درشتی ساز تا نرمی رسد
آن دو اشتر نیست آن یك اشتراست — تنگ آمد لفظ ومعنی بس پُراست ۲۰ — لفظ در معنی همیشه نارسان — زان پیمبر گفت قدکلّ لسان(۲)
نطق اسطرلاب باشد در حساب — چه قدر داند ز چرخ و آفتاب ۲۱ — خاصه چرخی کاین فلك زان پرّ دایست — آفتاب از آفتابش ذرّه ایست

در بیان آنکه در هر نفسی فتنهٔ مسجد ضرار هست

چون پدید آمد که آن مسجد نبود — خانهٔ حیلت بُدو دام یهود ۲۳ — پس نبی فرمود کانرا بر کنید — مطرحهٔ خاشاك و خاکستر کنید
صاحب مسجد چو مسجد قلب بود — دانها بر دام ریزی نیست جود ۲۴ — گوشت کاندرشست توماهی رباست — آنچنان لقمه نه بخشش نه سخاست
مسجد اهل قبا کان بد جماد — آنچه کفو آن نبد راهش نداد ۲۵ — در جمادات اینچنین حیفی نرفت — زد در آن نا کفو امیر داد نفت
پس حقایق را که اصل اصلهاست — دان که آنجا فرقها و فصلهاست ۲۶ — نی حیاتش چون حیات او بود — نی مماتش چون ممات او بود
گور او هرگز چو گور او مدان — خود چه گویم حال فرق آن جهان ۲۷ — برمحك زن کارخود ای مردکار — تا نسازی مسجد اهل ضرار
پس بران مسجدکنان تسخرزدی — ۲۸ — چون نظر کردی تو خودزیشان بدی

حکایت آن چهار هندو که با هم جنگ میکردند و از عیب خود بی خبر بودند

چار هندو در یکی مسجد شدند — بهر طاعت راکع وساجد شدند ۳۰ — هر یکی بر نیتی تکبیر کرد — در نماز آمد به مسکینیّ و درد
مؤذن آمد زان یکی لفظی بجست — کای مؤذن بانگ کردی وقت هست ۳۱ — گفت آن هندوی دیگر از نیاز — هی سخن گفتی و باطل شد نماز
آن سوم گفت آن دوم را کای عمو — چه زنی طعنه باو خود را بگو ۳۲ — آن چهارم گفت حمدالله که من — در نیفتادم بچه چون این سه تن
پس نماز هر چهاران شد تباه — عیب گویان بیشتر گم کرده راه ۳۳ — ای خنك جانی که عیب خویش دید — هرکه عیبی گفت آن برخود خرید
زانکه نیم اور ز عیبستان بُدست — وآن دگر نیمش ز غیبستان بُدست ۳۴ — چون که برسر مرتراده ریش هست — مرهمت بر خویش باید کاربست
عیب کردن ریش را داروی اوست — چون شکسته گشت جای ارحمواست ۳۵ — گر همان عیبت نبود ایمن مباش — بو که آن عیب ازتوگردد نیزفاش
لا تخافوا از خدا نشنیدهٔ (۳) — پس چه خودرا ایمن وخوش دیدهٔ ۳۶ — سالها ابلیس نیکو نام زیست — گشت رسوا بین که اورا نام چیست
در جهان معروف بد عُلیای او — گشت معروفی بعکس ای وای او ۳۷ — تا نهٔ ایمن توّ معروفی مجو — پاك شو از خوف پس ازامن گو
تا نروید ریش تو ای خوش ذقن — بر دگر ساده زنخ طعنه مزن ۳۸ — این نگر که مبتلا شد جان او — در چهی (٤) افتاد تا شد پند تو
تو نیفتادی که باشی پند او ۳۹ — زهر او نوشید تو خور قند او

قصد کردن غُزان بکشتن یکمردی تا آن دیگر بترسد

آن غُزان (٥) ترك خونریز آمدند — بهر یغما در یکی ده در شدند ٤۱ — دو کس از اعیان آن ده یافتند — در هلاك آن یکی بشتافتند
دست بستندش که قربانش کنند — گفت ای شاهان و ارکان بلند ٤۲ — قصد خون من بچه رو میکنید — از چه آخر تشنهٔ خون منید

---

(۱) اشاره است بآیه شریفه در سورهٔ بقره « ذلك الکتاب لاریب فیه » یعنی این کتابیست که حقتعالی در کتب مقدسه بانزال آن وعده داده بود این کتاب کامل است وهیچ شك وشبههٔ نیست درآن یعنی ازظهور حجت و وضوح دلالت بمثابه ایست که هرکه در او ادنی تأملی کند از ریب باز ایستد و داند که شبهه را درآن مجال نیست (۲) در حدیث نبویست که من عرف الله کلّ لسانه یعنی هرکه خدارا شناخت زبانش خاموش ماند (۳) یعنی بعد ازشنیدن لاتخافوا چگونه ایمن شدی (٤) اشاره باینحدیث است که السعید من ایقظ من غیره یعنی سعادتمند کسی است که از غیر خود پند گیرد یعنی هرأمری که در دیگری قبیح داند دررفع آن از خود بکوشد (٥) غُزها طایفهٔ از ترکان هستند که در زمان سلطان سنجر خروج کرده بر او مسلط شدند .

چیست حکمت چه غرض درکشتنم / چون چنین درویشم وعریان تنم ۱ گفت تا هیبت برین یارت زند / تا بترسد او و زر پیدا کند
گفت آخر او زمن مسکین‌ترست / گفت قاصدکرده‌است‌اورا زرست ۲ گفت چون وهمست ما هردویکیم / در مقام احتمال و در شکیم
خود ورا بکشید اوّل ای شهان / تا بترسم من دهم زر را نشان ۳ پس کرمهای الهی بین که ما / آمدیم آخر زمان در انتها
آخرین قرنها پیش از قرون / درحدیث‌است‌آخرون‌السابقون(۱) ۴ تا هلاك قوم نوح و قوم هود / عارض رحمت بجان ما نمود
کشت ایشان‌را که ما ترسیم ازاو ۵ ورخود این‌برعکس‌کردی وای‌تو

بیانِ حال خود پرستان و ناشکران در نعمت وجود انبیا و اولیا

هرکه زایشان گفت ازعیب وگناه / وزدل چون سنگ وازجان سیاه ۷ وز سبك‌داریِ فرمانهای او / وز فراغت از غم فردای او
وزهوس وزعشق این‌دنیای دون / چون‌زنان مرنفس را بودن زبون ۸ وان فرار از گفتهای ناصحان / وان رمیدن از لقای صالحان
با دل و با اهل دل بیگانگی / با شهان تزویر و روبه شانگی ۹ سیر چشمان را گدا پنداشتن / وز حسد شان خفیه دشمن‌داشتن
گر پذیرد چیز تو گوئی گداست / ورنه‌گوئی‌زرق ومکرست ودغاست ۱۰ گر در آمیزد توگوئی طامع‌است / ور نه گوئی در تکبر مولع است
❀ گرتحمل کردگوئی عاجز است / ور غیور آمد توگوئی گُربزاست ۱۱ یا منافق وار عذر آری که من / مانده ام در نفقهٔ فرزند و زن
نی مرا پروای سر خاریدنست / نه مرا پروای دین ورزیدنست ۱۲ ای فلان ما را بهمت یاد دار / تا شویم از اولیا پایان کار
این‌سخن هم نی زدرد وسوزگفت / خوابناکی هرزه گفت وبازخفت ۱۳ هیچ چاره نیست از قوت عیال / از بن دندان کنم کسب حلال
چه حلال ای‌گشته از اهل ضلال / غیر خون تو نمی بینم حلال ۱۴ از خدایت چاره هست از قوت‌نی / چاره هست ازدین وازطاغوت‌نی
ای‌که صبرت نیست ازدنیای‌دون / صبرچون‌داری زنعم‌الماهدون(۲) ۱۵ ❀ ای‌که‌صبرت‌نیست ازپاك وپلید / صبر چون داری ازان کت‌آفرید
ای‌که صبرت نیست ازناز ونعیم / صبر چون داری ز الله کریم ۱۶ ❀ای‌که‌صبرت‌نیست ازفرزند وزن / صبر چون داری زحیِّ ذوالمنن
❀ای‌که صبرت‌نیست ازآب سیاه / صبرچون داری تو از خشم اله ۱۷ ❀ای‌که میگوئی خدا بخشد ترا / آن فریب غول میدان بر ترا
کو خلیلی کو برون آمد ز غار / گفت هذا ربّ هان کو کردگار ۱۸ من نخواهم در دوعالم بنگریست / تا ندانم کاین دومجلس‌آن کیست
بی تماشای صفتهای خدا / گر خورم نان در گلو گیرد مرا ۱۹ چون گوارد لقمه بی دیدار او / بی تماشای گل و گلزار او
جز بامید خدا زین آبخور / کی‌خورد یك‌لحظه غیرازگاووخر ۲۰ آنکه‌کالانعام بُد بل‌هم اضلّ(۳) / گرچه پرمکراست آن گنده بغل
مکر او سر زیر واو سرزیرشد / روزگاری بُرد وروزش دیر شد ۲۱ فکرگاهش‌کند شد عقلش خرف / عمر شد چیزی ندارد چون الف
آنچه میگوید در این اندیشه ام / آن هم ازدستان این‌نفس‌است هم ۲۲ ❀وآنچه میگویدغفوراست ورحیم / نیست آن جز حیلهٔ نفس لئیم
ای زغم‌مرده‌که دست ماتهی است ۲۳ چون‌غفوراست‌ورحیم‌این‌ترس‌چیست

شکایت کردن پیری به پیش طبیب از رنجوری خود

گفت پیری مر طبیبی را که من / در زحیرم از دماغ خویشتن ۲۵ گفت از پیریست آن ضعف دماغ / گفت درچشمم زظلمت هست داغ
گفت از پیریست ای شیخ قدیم / گفت پشتم درد میآید عظیم ۲۶ گفت از پیریست ای شیخ نزار / گفت هر چه میخورم نبود گوار
گفت ضعف معده هم ازپیریست / گفت وقت دم مرا دم گیریست ۲۷ گفت آری انقطاع دم بود / چون رسد پیری دوصد علت‌شود
❀ گفت کم شد شهوتم یکبارگی / گفت از پیریست این بیچارگی ۲۸ گفت پایم سست شد ازره بماند / گفت کز پیریست در کنجت‌نشاند
❀گفت پشتم چون‌کمانی‌شد دوتا / گفت کز پیریست این رنج وعنا ۲۹ ❀گفت تاریکست چشمم ای حکیم / گفت از پیریست ای مرد حلیم
گفت ای احمق براین بردوختی / از طبیبی تو همین آموختی ۳۰ ای مدمّغ عقلت این دانش نداد / که خدا هر درد را درمان نهاد
تو خر احمق زاندك مایگی / بر زمین ماندی ز کوته پایگی ۳۱ پس طبیبش‌گفت کای‌عمر توشصت / این‌غضب وین خشم هم ازپیریست
چون‌همه اجزاء واعضاشد نحیف / خویشتن‌داری وصبرت‌شد ضعیف ۳۲ بر نتابد دو سخن زان هی کند / تاب یکجرعهٔ ندارد قی کند
جز مگر پیری‌که ازحقست مست / در درون او حیوة طیبه است ۳۳ از برون پیرست و درباطن صبی / خود کیانند آن ولیّ و آن نبی
گر نه پیدایند پیش نیك و بد / چیست باایشان خسان‌را این حسد ۳۴ ور نمیداندشان علم الیقین / چیست این‌بغض وحیل‌سازیِّ وکین
ور همی دانند بعث و رستخیز / چون زنندی خویش برشمشیرتیز ۳۵ برتو میخندد مبین اوراچنان(۴) / صد قیامت در درونستش نهان
دوزخ وجنت همه اجزای اوست / هرچه اندیشی‌تواو بالای اوست ۳۶ هر چه اندیشی پذیرای فناست / وانکه دراندیشه ناید آن خداست
بر در این خانه گستاخی زچیست / گر همی دانند کاندر خانه کیست ۳۷ ابلهان تعظیم مسجد میکنند / در جفای اهل دل جدّ میکنند
آن‌مجازاست‌این‌حقیقت ای‌خران / نیست مسجد جز درون سروران ۳۸ مسجدی کان اندرون اولیاست / سجده‌گاه جمله است‌آنجا خداست
تا دل مرد خدا نامد بدرد / هیچ قومی را خدا رسوا نکرد ۳۹ قصد جنگ انبیا می داشتند / جسم دیدند آدمی پنداشتند (۵)
در تو هست اخلاق آن پیشینیان / چون نمیترسی که تو باشی همان ۴۰ ❀ عادت‌آن ناسپاسان درتوُرست / نایدت هر بار دلو از چه درست
آن نشانیها همه چون در توهست ۴۱ چون توزیشانی‌کجا خواهی برست

قصه کودکی که در پیش تابوت پدر خود مینالید و سخن جوحی

کودکی در پیش تابوت پدر / زار می نالید و بر می‌کوفت سر ۴۳ کای پدر آخر کجایت میبرند / تا ترا در زیر خاکی بسپرند
میبرندت خانهٔ تنگ و زحیر / نی درو قالی ونه دروی حصیر ۴۴ نی چراغی در شب ونی‌روز نان / نی درآن بوی طعام و نی نشان

---

(۱) در حدیث نبویست نحن الآخرون السابقون (۲) اشاره بآیهٔ واقعهٔ درسورهٔ والذاریات « والارض فرشناها فنعم الماهدون » یعنی زمین را ماگسترانیدیم تا قرار گیرند بندگان برآن پس نیکو گستراننده ایم (۳) اشاره است بآیه واقعهٔ درسورهٔ اعراف که اولئك کالانعام بل‌هم اضلّ سبیلا یعنی ایشانند مانند چارپایان بلکه گمراه تر از ایشان (۴) اگرچه بظاهر با تو بخوشی میگذرانند لیکن در دل از افعال شنیع تو ناخوشند (۵) اشاره بآیهٔ کریمه واقعهٔ درسوره یس « قالوا ما انتم الابشرمثلنا .

نی‌درش معمور ونی سقف ونه بام — نی درآن بهر ضیائی هیچ جام ۱ نی در آن از بهر مهمان آب‌چاه — نی یکی همسایه کو باشد پناه
جسم تو که بوسه گاه خلق بود — چون شود در خانهٔ کور و کبود ۲ خانهٔ بی زینهار و جای تنگ — کاندرآن نی‌روی میماند نه رنگ
زین نسق او صاف خانه میشمرد — وز دودیده اشك خونین میفشرد ۳ گفت جوحی با پدرکای ارجمند — والله این را خانهٔ ما میبرند
گفت جوحی را پدر ابله مشو — گفت ای بابا نشانیها شنو ٤ این نشانیها که گفت او یك‌بیك — خانهٔ مار است بی تردید و شك
نی حصیر ونی چراغ ونی طعام — نی‌درش معمور ونی صحن ونه بام ٥ زین نمط دارند برخود صدنشان — لیك کی بینند آنرا طاغیان
خانهٔ آن دل که ماند بی ضیا — از شعاع آفتاب کبریا ٦ تنگ وتاریك‌است‌چون جان‌جهود — بینوا از ذوق سلطان ودود
نی درآن دل تاب نور آفتاب — نی گشاده عرصه و نی فتح باب ۷ گور خوش ترازچنین دل مر ترا — آخر از گور دل خود بر ترا
زندهٔ وزنده‌زاد ای شوخ شنگ — دل نمیگیرد ترا زین گور تنگ ۸ یوسف وقتی و خورشید سما — زین چه و زندان برآ و رو نما
یونست در بطن ماهی پخته شد — مخلصش را نیست از تسبیح بد ۹ گر نبودی اومسبّح بطن نون(۱) — حبس و زندانش بدی تا یبعثون
او بتسبیح از تن ماهی بجست — چیست تسبیح آیت روز الست ۱۰ گر فراموشت شد آن تسبیح جان — بشنو این تسبیحهای ماهیان
هرکه دیدآن‌بحر را اوماهی است — هرکه دید الله را اللهی است ۱۱ اینجهان دریا و تن ماهی وروح — یونس محجوب از نور صبوح
گر مسبح باشد از ماهی رهید — ورنه در وی هضم‌گشت و ناپدید ۱۲ ماهیان جان در این دریا پرند — تو نمی بینی که کوری و نژند
بر تو خودرا میزنند آن ماهیان — چشم بگشا تا ببینی شان عیان ۱۳ ماهیانی جمله روح بی جسد — نی درایشان کبر وکین ونی حسد
ماهیان را گر نمیبینی بدید — گوش تو تسبیحشان آخر شنید ۱٤ صبر کردن جان تسبیحات تست — صبر کن کانست تسبیح درست
هیچ تسبیحی ندارد آن دَرَج — صبر کن کالصبر مفتاح الفرج ۱٥ صبرچون پول‌صراط آنسو بهشت — هست باهرخوب یك لالای زشت
تا زلالا میگریزی وصل نیست — زانکه لالارا ز شاهد فصل‌نیست ۱٦ توچه دانی‌ذوق صبرای شیشه دل — خاصه صبرازبهرآن شوخ چگل
مرد را ذوق از غزا وکرّ وفرّ — مر مخنث را بود ذوق از ذکر ۱۷ جز ذکر نی دین او نی ذکر او — سوی اسفل برد اورا فکر او
گر برآید تا فلك از وی مترس — کو بشوق سفل آموزید درس ۱۸ او بسوی سفل میراند فرس — گرچه سوی علو جنباند جرس
از علمهای گدایان ترس چیست — کان علمها لقمهٔ نان را رهیست ۱۹ ❀ این‌سخنها را نکو دریاب تو — ور نمیدانی شنو از باب تو

ترسیدن کودکی از شخص صاحب جثه و تسکین او آن کودك را

کنگ زفتی کودکی را یافت فرد — زرد شد کودك ز بیم قصد مرد ۲۱ گفت ایمن باش ای زیبای من — که تو خواهی بود بر بالای من
من اگر هولم مخنث دان مرا — همچو اشتر برنشین می‌ران مرا ۲۲ صورت مردان و معنی اینچنین — از برون آدم درون دیو لعین
آن دُهل‌را مانی‌ای زفت چو عاد — که برو آن شاخ را میکوفت باد ۲۳ روبهی اشکار خودرا باد داد — بهر طبلی همچو خیك پر زباد
چون ندید اندر دُهل او فربهی — گفت خوکی به ازین خیك تهی ۲٤ روبهان ترسند زآواز دُهل — عاقلش چندان زند که لاتقل

قصهٔ تیراندازی و ترسیدن او از سواری که در بیشه میرفت

یك سواری با سلاح وبس مهیب — میشد اندر بیشه بر اسبی نجیب ۲٦ تیراندازی بحکم اورا بدید — پس ز خوف او کمان رادرکشید
تا زند تیری سوارش بانگ زد — من ضعیفم گرچه زفتستم جسد ۲۷ هان و هان منگر تو درزفتی من — که کمم دروقت جنگ از پیرزن
گفت روکه نیك‌گفتی ورنه نیش — بر تو میانداختم از ترس خویش ۲۸ بس کسان را کالت پیکار کشت — بی زجولیّت چنان تیغی بمشت
گر بپوشی تو سلاح رستمان — رفت جانت چون نباشی مرد آن ۲۹ جان سپرکن تیغ بگذار ای پسر — هرکه بی سربود ازاین شه‌بردسر
آن سلاحت حیله ومکر تواست — هم زتو زائید وهم جان توخست ۳۰ چون‌نکردی هیچ سودی‌زین‌حیل — ترك حیله‌کن که پیش آید دُول
چون یکی‌لحظه نخوردی بر ز فن — ترك فن گو میطلب ربّ المنن ۳۱ چون مبارك نیست برتواین‌علوم — خویشتن گولی کن وبگذر ز شوم
چون ملایك گو که لاعلم لنا (۲) ۳۲ یا الهی غیر ما علمتنا

حکایت آن اعرابی و ریگ در جوال کردن و ملامت دانشمند و تعلیم کردن اورا که گندم جوال را دو حصه نما که بار عدل آید

❀یك حکایت بشنوای‌صاحب‌قبول — در میان عقل و جهل بوالفضول ۳٥ ❀ حیله‌ومکراندرین ره سودنیست — هرکه شد مغرورعقل اوکورنیست
یك عرابی بار کرده اشتری — یك جوال زفت از دانه پری ۳٦ ❀ وان‌جوال‌دیگرش ازریگ پر — هر دو را او بار کرده بر شتر
او نشسته بر سر هر دو جوال — یك حدیث اندازکرد اورا سؤال ۳۷ از وطن پرسید وآوردش بگفت — وندران پرسش بسی دُرها بسفت
بعد ازآن‌گفتش‌که این‌هردوجوال — چیست آکنده بگو مصدوق حال ۳۸ گفت اندر یك جوالم‌گندم است — در دگر ریگی نه‌قوت مردم است
گفت توچون بارکردی این‌رمال — گفت تا تنها نماند آن جوال ۳۹ گفت نیم گندم آن تنگ را — در دگر ریز از پی فرهنگ را
تا سبك گردد جوال و هم شتر — گفت شاباش ایحکیم اهل و حُرّ ٤۰ اینچنین فکر دقیق ورای خوب — تو چنین عریان پیاده در لغوب
رحمش آمد بر حکیم وعزم کرد — کِش بر اشتر بر نشاند نیك مرد ٤۱ باز گفتش ای حکیم خوش‌سخن — شمهٔ از حال خود هم شرح کن
اینچنین عقل و کفایت‌که تراست — توزیری یا شهی برگوی راست ٤۲ گفت این هر دو نیم از عامه ام — بنگر اندر حال و اندر جامه ام
گفت اشتر چند داری چند گاو — گفت نی‌این ونه آن مارا مکاو ٤۳ گفت‌رختت‌چیست باری دردکان — گفت ما را کو دُکان وکو مکان

---

(۱) اشاره است باین آیه در سورهٔ صافات که در بارهٔ یونس پیغمبر فرموده فلولا انه کان من‌المسبحین للبث فی بطنه الی یوم یبعثون پس اگرنه این بود که یونس از تسبیح گویندگان بود هرآینه درنگ می نمود و محبوس میبود در شکم ماهی تا روز رستخیز که مردم بر انگیخته میشوند (این آیه تحریض است بر بسیار گفتن ذکر خدا زیرا کسی که درخوشی ذکر خدایتعالی‌گوید بفریاد اورسد خدایتعالی در ناخوشی) (۲) اشاره است بآیهٔ واقعه در سورهٔ بقره قالوا سبحانك لاعلم لنا الاّ ما علمتنا انك انت العلیم‌الحکیم یعنی ملائکه گفتند پاك پروردگارا مارا علمی‌ودانشی نیست مگر آنچه تو آموزی مارا که تو دانا و حکیم و فرمانروائی .

۞ نیست قوت و نی رخوت و نی قماش — نی متاع و نیست مطبخ نیست آش
۱ گفت پس از نقد پرسم نقد چند — که توئی تنها رو و محبوب پند
کیمیای مس عالم با تو است — عقل و دانش را گهر تو بر تو است
۲ ۞ گنجها بنهاده باشی هر مکان — نیست عاقل‌تر ز تو کس در جهان
گفت والله نیست یا وجه العرب — در همه ملکم وجوه قوت شب
۳ پا برهنه تن برهنه می دوم — هر که نانی میدهد آنجا روم
مر مرا زین حکمت و فضل و هنر — نیست حاصل جز خیال و درد سر
۴ پس عرب گفتش که شو دور از برم — تا نیاید شومی تو بر سرم
دور بر آن حکمت شومت زمن — نطق تو شومست بر اهل زمن
۵ یا تو آن‌سو رو من این‌سو میروم — ور ترا ره پیش من واپس شوم
یك جوالم گندم و دیگر ز ریگ — به بود زین حکمت تو ای مهین
۶ ۞ کاین جوال گندم و ریگم یقین — به بود زین حکمت تو ای مهین
احمقی ام بس مبارك احمقیست — که دلم با برگ و جانم متقی است
۷ گر تو خواهی کت شقاوت کم شود — جهد کن تا از تو این حکمت رود
حکمتی کز طبع زاید وز خیال — حکمتی بی فیض نور ذوالجلال (۱)
۸ حکمت دنیا نزاید ظن و شك — حکمت دینی برد فوق فلك
زوبعان (۲) زیرك آخر زمان — بر فزوده خویش بر پیشینیان
۹ حیله آموزان جگرها سوخته — فعلها و مکر ها آموخته
صبر و ایثار و سخای نفس وجود — باز داده کان بود اکسیر سود
۱۰ فکر آن باشد که بگشاید رهی — راه آن باشد که پیش آید شهی
شاه آن باشد که از خود شه بود — نی بمخزنها و لشگر شه شود
۱۱ تا بماند شاهی او سرمدی — همچو عز ملك دین احمدی
۞ تا قیامت نیست شرعش را زوال — گشته دور از ملك او عین الکمال (۳)

کرامات ابراهیم ادهم بر لب دریا و تعجب امیر مرید

هم ز ابراهیم ادهم آمدست — کو ز راهی بر لب دریا نشست
۱۴ دلق خود میدوخت آن سلطان جان — یك امیری آمد آنجا ناگهان
آن امیر از بندگان شیخ بود — شیخ را بشناخت سجده کرد زود
۱۵ خیره شد در شیخ و اندر دلق او — شکل دیگر گشته حلق و خلق او
کو رها کرد آن چنان ملك شگرف — برگزید آن فقر بس باریك حرف
۱۶ ۞ ترك کرده ملك هفت اقلیم را — می زند بر دلق سوزن چون گدا
ملك هفت اقلیم ضایع میکند — چون گدا بر دلق سوزن میزند
۱۷ شیخ واقف گشت از اندیشه اش — شیخ چون شبرست و دلها بیشه اش
چون رجا و خوف در دلها روان — نیست بروی مخفی اسرار نهان
۱۸ دل نگهدارید ای بی حاصلان — در حضور حضرت صاحب دلان
پیش اهل تن ادب بر ظاهرست — که خدا زیشان نهان را ساترست
۱۹ پیش اهل دل ادب بر باطنست — زانکه دلشان بر سرائر فاطنست
تو بعکسی پیش کوران بهر جاه — با حضور آئی نشینی پایگاه
۲۰ پیش بینایان کنی ترك ادب — نار شهوت را از آن گشتی حطب
چون نداری فطنت و نور هدی (٤) — بهر کوران روی را می زن جلا
۲۱ پیش بینایان حدث بر روی مال — نازمی کن با چنین گندیده حال
شیخ سوزن زود در دریا فکند — خواست سوزن را به آواز بلند
۲۲ صد هزاران ماهی اللهئی — سوزن زر بر لب هر ماهئی
سر بر آوردند از دریای حق — که بگیر ای شیخ سوزنهای حق
۲۳ ۞ سوزن زرین در آن دندان او — که بگیر ای شیخ سوزنهای هو
۞ گفت الهی سوزن خود خواستم — وا ده از فضلت نشان راستم
۲۴ ۞ ماهئی دیگر بر آمد در زمان — سوزن اورا گرفته در دهان
رو بدو کرد و بگفتش کای امیر — ملك دل به یا چنان ملك حقیر
۲۵ این نشان ظاهر است این هیچ نیست (٥) — باطنی جوی و بظاهر بر مایست
سوی شهر از باغ شاخی آورند (٦) — باغ و بستان را کجا آنجا برند
۲۶ خاصه باغی کاین فلك یك برگ اوست — بلکه آن مغزست و این عالم چو پوست
بر نمیداری سوی آن باغ گام — بوی افزون جوی و کن رفع زکام
۲۷ تا که آن بو جاذب جانت شود — تا که آن بو نور چشمانت شود
تا که آن بو سوی بستانت کشد — وا نماید مر تو را راه رشد
۲۸ چشم نابینات را بینا کند — سینه ات را سینهٔ سینا کند
گفت یوسف ابن یعقوب نبی — بهر بو القوا علی وجه ابی (۷)
۲۹ بهر این بو گفت احمد در عظات (۸) — دائماً قرة عینی فی الصلوة (۹)
پنج حس بایکدگر پیوسته اند (۱۰) — زانکه این هر پنج زاصلی رسته اند
۳۰ قوت یك قوت باقی شود — ما بقی را هر یکی ساقی شود
دیدن دیده فزاید عشق را — عشق اندر دل فزاید صدق را
۳۱ صدق بیداری هر حس میشود — حسها را ذوق مونس میشود

آغاز منور شدن حواس عارف بنور غیب

چون که یك حس در روش بگشادبند — مابقی حسها همه مبدل شوند
۳۳ چون یکی حس غیر محسوسات دید — گشت غیبی بر همه حسها پدید
چون ز جوجست از گله یك گوسفند — پس بیابی جمله زآن سو برجهند
۳۴ گوسفندان حواست را بران — در چرا از اخرج المرعی چران (۱۱)
تا در آنجا سنبل و ریحان چرند — تا بگلزار حقایق ره برند
۳۵ هر حست پیغمبر حسها شود — جملهٔ حسها دران جنت کشد
حسها با حس تو گویند راز — بی زبان و بی حقیقت بی مجاز
۳۶ کاین حقیقت قابل تأویلهاست — وین توهم مایهٔ تخییلهاست
آن حقیقت کان بود عین و عیان — هیچ تأویلی نگنجد در میان
۳۷ چونکه هر حس بندهٔ حس تو شد — مر فلکها را نباشد از تو بد

---

(۱) یعنی آن حکمتی که از خیال و طبع زاید آن حکمت بی فیض است از نور ذوالجلال (۲) زوبعان یعنی شیطانان وشریران (۳) یعنی چشم بد یا چشم زخم از ملك تودور شده است (٤) چون تو عقل و نور هدایت و زیرکی نداری پیش کوران دنیا روی خود را پاك وشسته و صاف کرده میائی و پیش اهل الله روی ناشسته و ناپاك میروی باچنین حال خراب ناز با ایشان کم کن (٥) این تصرف شیخ این هم نشان ظاهر بود و احوال باطن ایشان برخدا ظاهراست (٦) چون اهل‌الله کمال خودرا باطناً بمردم بنمایند تمامش را کی بیان کردن توانند مگراندکی از آن را واین بدان مانند است که کسی که ازشهر بباغ رود یك شاخ گل شکسته بیاورد تمام باغ را چگونه آرد (۷) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ یوسف اذهبوا بقمیصی هذا فالقوه علی وجه ابی یأت بصیراً یعنی ببرید پیراهن مرا بسوی پدرمن تا بینا بگردد (۸) بهر همین بوپیغمبر اکرم در موعظات فرموده (۹) اشاره است بحدیث نبوی که فرموده‌اند حُبب الیّ من دنیا کم ثلث الطیب والنساء وقرة عینی فی الصلوة یعنی برگزیده است نزد من از دنیای شما سه چیز بوی خوش و زنان و روشنی چشم من در نماز (۱۰) پنج حس دفع دخل مقدر است باین طریق که آن بوی معنوی جمیع حواس را حلاوت می بخشد پس تخصیص بچشم در حدیث بچه وجه باشد از این بیت جواب واضح است که راه هریك راههای دیگریست (۱۱) اشاره است بآیهٔ واقعه در سورهٔ اعلی الذی قدر فهدی والذی اخرج المرعی یعنی آنچنان خدائی که خلق نمود پس هدایت کرد و آنچنان خدائی که رویانید سبزه و چراگاه را .

چونکه دعوی میرود درملك پوست — مغز آن ِ که بود قشرآن ِ اوست ۱
پس فلك قشرست ونور روح مغز — این پدیدست آن خفی زین دوملغز ۲
باز عقل از روح مخفی تر بود — حس بسوی روح زوتر ره برد ۳
تا که جنبشهای موزون سرکند — جنبش مس را بدانش زر کند ۴
روح وحی از عقل پنهان تربود — زانکه اوغیب است واوزان سربود ۵
روح وحیی را مناسبهاست نیز — در نیابد عقل کان آمد عزیز ۶
چون مناسبهای افعال خضر — عقل موسی بود در دیدش کدر ۷
عقل موسی چون شود در غیب بند — عقل موشی چون بود ای ارجمند ۸
مشتری علم تحقیقی حق است — دائماً بازار او با رونق است ۹
درس آدم را فرشته مشتری — محرم درسش نه دیوست وپری ۱۰
آنچنان کس را که کوته بین بود — درتلوّن غرق و بی تمکین بود(۲) ۱۱
راهها داند ولی در زیر خاك — هرطرف اوخاك را کردست چاك ۱۲
زانکه بی حاجت خداوند عزیز — می نبخشد هیچکس را هیچ چیز ۱۳
وین زمین مضطرب محتاج کوه — گر نبودی نافریدی با شکوه ۱۴
آفتاب و ماه و این استارگان — جز بحاجت کی پدید آمد عیان ۱۵
❀ پس چوحاجت شد کمند هستها — پس بیفزا حاجت ای محتاج زود ۱۶
این گدایان بر ره وهر مبتلا — حاجت خود مینماید خلق را ۱۷
هیچ گوید نان دهید ای مردمان — که مرا مالست وانبارست وخوان ۱۸
می تواند زیست بی چشم و بصر — فارغست از چشم او در خاك تر ۱۹
بعد از آن پر یابد و مرغی شود — چون ملایك جانب گردون رود ۲۰
کای رهاننده مرا ازوصف زشت — ای کننده دوزخی را تو بهشت ۲۱
چه تعلق آن معانی را بجسم — چه تعلق فهم اشیا را باسم ۲۲
❀ درروانی روی آب جوی فکر — نیست بی خاشاك خوب وزشت ذکر ۲۳
گر نبودی سیر آب از خاکها — چیست بر وی نو بنو خاشاکها ۲۴
روی آب جوی فکر اندر روش — نیست بی خاشاك محبوب ووحش ۲۵
قشرها را مغز اندر باغ جو — زانکه آب از باغ می آید بجو ۲۶
آب چون انبه ترآید درگذر (۳) — زو کند قشر ِ صور زو تر گذر ۲۷
چون بغایت ممتلی بود و شتاب — چون بغایت تیزشد این جو روان ۲۸

چون تنازع افتد اندر تنگ کاه — دانهٔ آن ِ کیست آن را کن نگاه
جسم ظاهر روح مخفی آمدست — جسم همچون آستین جان همچودست
جنبشی بینی بدانی زنده است — این ندانی کو زعقل آکنده است
ز آن مناسب آمدن افعال ِ دست — فهم آید مر ترا که عقل هست
عقل احمد از کسی پنهان نشد — روح وحیش مُدرك هرجان نشد
گه جنون بیند گهی حیران شود — زانکه موقوفست تا او آن شود
نا مناسب می نمود افعال او — پیش موسی چون نبودش حال او
عِلم تقلیدی بود بهر فروخت — چون بیابد مشتری خوش برفروخت
لب ببسته مست در بیع و شری — مشتری بیحد که الله اشتری
آدم انبئهم باسما درس گو (۱) — شرح کن اسرار حق را مو بمو
موش گفتم زانکه درخاکست جاش — خاك باشد موش را جای معاش
نفس موشی نیست الا لقمه رَند — قدر حاجت موش را حسی دهند
گر نبودی حاجت عالم زمین — نافریدی هیچ ربُ العالمین
ور نبودی حاجت افلاك هم — هفت گردون ناوریدی از عدم
پس کمند ِ هستها حاجت بود — قدر حاجت مرد را آلت بود
پس بیفزا حاجت ای محتاج زود — تا بجوشد از کرم دریای جود
کوری و شلّی و بیماری و درد — تا از این حاجت بجنبد رحم مرد
چشم ننهادست حق درکور موش — زانکه حاجت نیست چشمش بهر ِ نوش
جزبدزدی او برون ناید زخاك — تا کند خالق ازآن دزدیش پاك
هر زمان در گلشن شکر خدا — او برآرد همچو بلبل صد نوا
در یکی بینی نهی تو روشنی — استخوانی را دهی سمع ای غنی
لفظ چون وکرست ومعنی طایراست — جسم جوی و روح آب سایراست
او روانست وتوگوئی واقف است — او دوانست وتوگوئی عاکف است
هست خاشاك تو صورتهای فکر — نو بنو در می رسد اشکال بکر
قشرها بر روی این آب روان — از ثمار باغ غیبی شد دوان
گر نبینی رفتن آب حیات — بنگر اندر سیر این جوی ونبات
چون بغایت تیزشد این جو روان — غم نپاید در ضمیر عارفان
پس نگنجد اندر او الا که آب

طعنه زدن بیگانهٔ در شان شیخی و جواب گفتن مرید شیخ اورا

آن یکی یك شیخ را تهمت نهاد — کو بدست و نیست بر راه ِ رشاد ۳۰
آن یکی گفتش ادب را هوش دار — خرد نبود اینچنین ظنّ بر کبار ۳۱
این چنین بهتان منه بر اهل حق — کاین خیال تست بر گردان ورق ۳۲
نیست دون القلتین وحوض خرد (٤) — کش تواند قطرهٔ از کار برد ۳۳
نفس نمرودست وعقل وجان خلیل — روح درعین است ونفس اندردلیل ۳۴
واصلان را نیست جزچشم وچراغ — از دلیل و راهشان باشد فراغ ۳۵
بهر طفلی نو پدر تی تی کند — گر چه عقلش هندسهٔ گیتی کند ۳۶
از پی تعلیم آن بسته دهن — ❀ گوید او حطی و هوّ ز کلمن ۳۷
تا بیاموزد ز تو او علم و فن — ❀ جملگی ازخود بباید گم شدن ۳۸
آن مرید شیخ بد گوینده را — آن بکفر و گمرهی آکنده را ۳۹
حوض با دریا اگر پهلو زند — خویش را از بیخ هستی برکند ۴۰
کفر را حدّ است و اندازه بدان — شیخ و نور شیخ را نبود کران ۴۱
کفر وایمان نیست آنجائی که اوست — زانکه اومغزست واین دورنگ وپوست ۴۲

شارب خمرست و سالوس وخبیث — مر مریدان را کجا باشد مغیث
دور ازو و دور از اوصاف ِ او — که ز سیلی تیره گردد صاف او
این نباشد ور بود ای مرغ ِ خاك — بحر قلزم را ز مُرداری چه باك
آتش ابراهیم را نبود زیان — هرکه نمرودیست گومی ترس ازآن
این دلیل راه رهرو را بود — کو بهردم در بیابان گم شود
گر دلیلی گفت آن مرد وصال — گفت بهر فهم اصحاب جدال
کم نگردد فضل استاد از علو — گر الف چیزی ندارد گوید او
در زبان او بباید آمدن — از زبان خود برون باید شدن
پس همه خلقان چو طفلان ویند — لازمست این پیر را دروقت پند
گفت تو خودرا مزن بر تیغ تیز — هین مکن با شاه وباسلطان ستیز
نیست بحری کوکران دارد که تا — تیره گردد او ز مردار شما
پیش بی حدهرچه محدودست لاست — کل شیٔ غیر وجه الله فناست
این فناها پردهٔ آن وجه گشت — چون چراغی خفیه اندر زیرطشت

---

(۱) اشاره است بآیهٔ واقعهٔ درسورهٔ بقره قال یا آدم انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم یعنی خدا فرمود بآدم که ای آدم بیاموز بملائکه اسماء ایشان را چون آموخت ایشانرا گفت پروردگارایشان که آیا نگفتم من میدانم غیب آسمان وزمین را ومیدانم آنچه را شما نمیدانید (۲) صوفی صاحب تلوین وصوفی صاحب تمکین ازصاحب تلوین صوفی ابن الوقت مراد است وازصاحب تمکین صوفی ابوالوقت (۳) آب چون انبوه ترآید یعنی چون فکرمعاد غالب شد فکرمعاش زایل میشود (٤) دون القلتین معنی ترکیبی این لفظ بدست نیامد و چون قله بمعنی کوزه خردآمده میشاید که بگوئیم معنی شعر این است که شیخ کمتر از دو قله و حوض خرد بین نیست که اگر قطرهٔ از آن بکاهند آنرا زیان رساند واز حالت بیندازد

پس سر این تن حجاب آن سر است (۱) نیش آن سر این سر تن کافرست ۱ کیست کافر غافل از ایمان شیخ چیست مرده بیخبر از جان شیخ
جان نباشد جز خبر در آزمون هر کرا افزون خبر جانش فزون ۲ جان ما از جان حیوان بیشتر ازچه زان رو که فزون دارد خبر
پس فزون از جان ما جان ملك کو منزه شد ز حسّ مشترك ۳ وز ملك جان خداوندان دل باشد افزون تو تحیر را بهل
زان سبب آدم بود مسجودشان جان او افزون‌ترست ازبودشان ۴ ورنه بهتر را سجود دون تری امر کردن هیچ نبود در خوری
کی پسندد عدل و لطف کردگار که گلی سجده‌کند در پیش خار ۵ جان چوافزون شدگذشت ازانتها شد مطیعش جان جملهٔ چیزها
مرغ و ماهی و پری و آدمی ۶ زانکه اوبیش‌است وایشان‌درکمی

بقیهٔ قصه ابراهیم ادهم بر لب دریا و آن امیر مرید

ماهیان‌سوزن گر دلقش شوند سوزنان را رشتها تابع بوند ۸ چون نفاذ امر شیخ آن میر دید ز آمد ماهی شدش وجدی پدید
گفت اه ماهی زپیران آگهست شه تنی را کو لعین درگهست ۹ ماهیان از پیر آگه ما بعید ماشقی زین دولت و ایشان سعید
سجده‌کرد ورفت گریان و خراب گشت دیوانه ز عشق فتح باب ۱۰ پس‌تو(۲) ای‌ناشسته رودرچیستی در نزاع و در حسد با کیستی
بادم شیری تو بازی میکنی بر ملایك ترك تازی میکنی ۱۱ بد چه میگوئی تو خیر محض را هین ترفّع کم شمر آن خفض را
بد چه باشد مسّ محتاج ومهان شیخ که بود کیمیای بی‌کران ۱۲ مس اگر از کیمیا قابل نبد کیمیا از مسّ هرگز مس نشد
بد چه‌باشد سرکشی اندرعمل شیخ که بود عین دریای ازل ۱۳ بد که باشد ظالم ظلمت فزا شیخ کبود عکس انوار خدا
بدچه‌باشد آتشی پر دود وسوز شیخ آب کوثر است اندر تموز ۱۴ دائم آتش را بترسانند ز آب آب کی ترسید هرگز ز التهاب
در رخ مه عیب بینی میکنی در بهشتی خار چینی میکنی ۱۵ گر بهشت اندر روی تو خار جو هیچ خار آنجا نیابی غیر تو
می بپوشی آفتابی در گِلی رخنه میجوئی ز بدر کاملی ۱۶ آفتابی کو بتابد در جهان بهر خفاشی کجا گردد نهان
عیبها از ردّ پیران عیب شد(۳) غیبها از رشك پیران غیب شد ۱۷ باری اردوری زخدمت یار باش در ندامت چابك و بر کار باش
تا از ان راهت نسیمی می رسد آب رحمت را چه بندی ازحسد ۱۸ گر چه دوری دورمیجنبان تو دم حیث ما کنتم فولّوا وجهکم (٤)
چون خری درگل‌فتد ازگام تیز دمبدم جنبد برای عزم خیز ۱۹ جای را هموار نکند بهر باش داند او که نیست آن جای معاش
حس توازحس خر کمتر بداست که دل تو زین وحلها بر نجست ۲۰ در وحل تاویل رخصت میکنی چون نمیخواهی‌کزان دل بر کنی
کین روا باشد مرا من مضطرم حق نگیرد عاجزی را از کرم ۲۱ خودگرفتستت‌توچون‌کفتار کور(۵) این گرفتن را نبینی از غرور
می بگویند اندرون کفتار نیست از برون جوئید کاندرغار نیست ۲۲ نیست در سوراخ کفتار ای‌پسر رفت تا زان او بسوی آب خور
این همی گویند و پندش مینهند او همی گوید زمن کی آگهند ۲۳ گر زمن آگاه بودی این عدو کی ندا کردی که این کفتار کو
تا که بربندند وبیرونش کشند ۲٤ غافل آن کفتار از این ریشخند

دعوی کردن آن شخص که خدایتعالی مرا نمیگیرد بگناه و جواب شعیب او را

آن یکی میگفت در عهد شعیب که خدا ازمن بسی دیدست عیب ۲٦ چند دید از من گناه و جرمها وز کرم یزدان نمیگیرد مرا
حقتعالی گفت در گوش شعیب در جواب او فصیح از راه غیب ۲۷ که بگفتی چند کردم من گناه وز کرم نگرفت در جرمم اله
عکس میگوئی ومقلوب ای سفیه ای رها کرده ره و بگرفته تیه ۲۸ چند چندت گیرم و تو بیخبر در سلاسل ماندهٔ پا تا بسر
زنگ‌توبرتوت ای‌دیگ سیاه(٦) کرد سیمای درونت را تباه ۲۹ بر دلت زنگار بر زنگارها جمع شد تا کور شد ز اسرارها
گر زند آن دود بر دیگ نوی آن اثر بنماید ار باشد جوی ۳۰ زانکه هر چیزی بضد پیدا شود بر سپیدی آن سیه رسوا شود
چون سیه‌شد دیگ پس‌تأثیر دود بعدازآن بروی که بیند ای عنود ۳۱ مرد آهنگر که او زنگی بود دود را با روش هم رنگی بود
مرد رومی گر کند آهنگری رویش ابلق گردد ازدود آوری ۳۲ پس بداند زود تأثیر گناه پس بنالد زار و گوید ای اله
چون کند اصرار و بدپیشه کند خاك اندر چشم اندیشه کند ۳۳ توبه نندیشد دگر شیرین شود بر دلش آن جرم تا بیدین شود
آن پشیمانیّ و یارب رفت ازو شست بر آیینه زنگ پنج تو ۳٤ آهنش را زنگها خوردن گرفت گوهرش را زنگ کم کردن‌گرفت
چون نویسی کاغذ اسپید بر آن نوشته خوانده آید در نظر ۳۵ چون نویسی بر سر بنوشته خط فهم ناید خواندنش گردد غلط
کان سیاهی بر سیاهی اوفتاد هردوخط شدکور و معنیی نداد ۳٦ ور سوم باره نویسی بر سرش بس سیه کردی چو جان کافرش
پس چه چاره جز پناه چاره گر نا امیدی مسّ و اکسیرش نظر ۳۷ نا امیدیها به پیش او نهید تا ز درد بی دوا بیرون جهید
چون شعیب این‌نکتها با او بگفت زان دم جان دردل اوگل شگفت ۳۸ جان او بشنید وحی آسمان گفت اگر بگرفت ما را کونشان
گفت یارب دفع من . میگوید او آن گرفتن را نشان میجوید او ۳۹ گفت ستّارم نگویم رازهاش جز یکی رمز از برای ابتلاش
یك نشانی آن که میگیرم ورا آنکه طاعت دارد از صوم ودعا ٤۰ از نماز و از زکوة و غیر آن لیك یك ذرّه ندارد ذوق جان
میکند طاعات و افعال سنی لیك یك ذره ندارد چاشنی ٤۱ طاعتش نغزست و معنی نغزنی جوزها بسیار و در وی مغزنی

---

(۱) یعنی کفر خود کفر است و ایمان هم بغیبویت تعلق دارد پس صاحب کمال در عین مشاهده از هر دو گذشته است (۲) خطاب بطعنه زننده شیخ است از مرید شیخ (۳) جواب سؤال مقدر است یعنی اگر کسی گوید پیران که چندان قوت دارند پس چرا منکران و بدان را براه راست نمی‌آورند جواب اینکه پیران‌خود آن بدان را رد کرده‌اند (٤) اشاره‌است بآیه واقعهٔ درسورهٔ بقره « حیثما کنتم فوّلوا وجوهکم » یعنی هرجا باشید روهای خودرا بجانب مسجدالحرام (۵) اشاره باین حکایت است که چون عزم گرفتن کفتار کنند رو باونهند و همی‌گویند کفتار کوکفتارکجاست واوبخیال‌آنکه مرا نمی‌بینند ازایشان نرمد ودربند افتد (٦) اشاره‌است بآیه شریفه درسورهٔ مطففین که « کلاّ بل ران علی قلوبهم ماکانوا یکسبون » یعنی‌نه چنان است که میگویند بلکه غشاوهٔ غرور وغفلت پوشانیده‌است بردلهای ایشان اززنگارافکار از آنچه بودند که میکردند گناهها ومعاصی یعنی بشئامت سیئات دلهای ایشان را زنگ گرفته وباین معنی حدیث نبوی نیز وارد شده .

ذوق باید تا دهد طاعات بر — مغز باید تا دهد دانه شجر ۱ دانهٔ بی مغز کی گردد نهال — صورت بیجان نباشد جز خیال
❀ چون شعیب این نکتها بروی بخواند ۲ از تفکر همچو خر در گل بماند

تتمه قصه طعنه زدن آن مرد بیگانه در شیخ

آن خبیث از شیخ می لائید ژاژ — کز نگر باشد همیشه عقل کاژ ۴ که منم بر حال زشت او گواه — خمر خواراست وبد وکارش تباه
دیدمش اندر میان مجلسی — ❀ اوزتقوی عاریست و مفلسی ۵ ❀ ورکه باورنیستت خیزامشبان — تا ببینی فسق شیخت را عیان
شب ببردش بر سر یك روزنی — گفت بنگر فسق و عشرت کردنی ۶ بنگر آن سالوس روزوفسق شب — روز همچون مصطفی شب بولهب
روز عبدالله اورا گشته نام — شب نعوذ بالله و در دست جام ۷ دید شیشه در کف آن شیخ پُر — گفت شیخا مر ترا هم هست غُر
تو نمی گفتی که در جام شراب — دیو می میزد شتابان نا شتاب ۸ گفت جامهرا چنان پر کرده اند — کاندرونش می نگنجد یك سپند
بنگر اینجا هیچ گنجد ذرّه — این سخن را کژ شنیده غرّهٔ ۹ جام ظاهر خمر ظاهر نیست این — دوردار این را ز شیخ دور بین
جام می هستیّ شیخست ای فلیو — کاندرو اندر نگنجد بول دیو ۱۰ پُرّ و مالا مال از نور حق است — جام تن بشکسته نور مطلق است
نور خورشید ار بیفتد بر حدث — او همان نورست نپذیرد خبث ۱۱ شیخ گفت این خود نه جامست و نه می — هین بزیر آ منکرا بنگر بوی
آمد و دید انگبین خاص بود — کور شد آن دشمن کور و کبود ۱۲ گفت پیر آن دم مرید خویش را — رو برای من بجو می ای کیا
که مرا رنجی است مضطر گشته ام — من ز رنج ازمخمصه بگذشته ام ۱۳ در ضرورت هست هر مردار پاك — بر سر منکر ز لعنت باد خاك
گرد خُمخانه برآمد آن مرید — بهر شیخ از هر خُمی اومیچشید ۱۴ در همه خُمخانها او می ندید — گشته بد پر از عسل خُمّ نبید
گفت ای رندان چه حالست این چکار — هیچ خُمی در نمی بینم عقار ۱۵ جمله رندان نزد آن شیخ آمدند — چشم گریان دست برسر میزدند
در خرابات آمدی شیخ اجل — جمله میها از قدومت شد عسل ۱۶ کردهٔ می را تو مبدل از حدث — جان ما را هم بدل کن ازخبث
گرشودعالم پرازخون مال مال(۱) ۱۷ کی خورد بندهٔ خدا الاّ حلال

گفتن عایشه پیغمبر صلی‌الله علیه وآله وسلم را که تو بی‌مصلی چون است که همه جا نماز میگذاری

عایشه روزی به پیغمبر بگفت — یا رسول‌الله تو پیدا و نهفت ۱۹ هرکجا باشد نمازی می‌کنی — می دود در خانه نا پاك و دنی
گر چه میدانی که هر طفل پلید — کرد مستعمل بهر جا که رسید ۲۰ ❀ بی مصلّی میگذاری تو نماز — هرکجا روی زمین بگشای راز
گفت پیغمبر که از بهر مهان(۲) — حق نجس را پاك گرداند بدان ۲۱ سجده گاهمرا ازآن رولطف حق — پاك گردانید تا هفتم طبق
هان وهان ترك حسدکن باشهان — ورنه ابلیسی شوی اندر جهان ۲۲ کو اگرزهری خورد شهدی شود — تو اگر شهدی خوری زهری بود
کو بدل گشت و بدل شد کاراو — لطف گشت و نور شد هرنار او ۲۳ قوت حق بود مر بابیل را (۳) — ورنه مرغی چون کشد مر پیل را
لشگری را مرغکی چندی شکست — تا بدانی آن صلابت از حق است ۲۴ گر ترا وسواس آید زین قبیل — رو بخوان تو سورهٔ اصحاب فیل
ورکنی با او مری و همسری ۲۵ کافرم گر تو از ایشان بو بری

کشیدن موش مهار شتر را و معجب شدن موش درخود

موشکی در کف مهار اشتری — در ربود وشد روان اواز مری ۲۷ اشتر ازچستی که با او شد روان — موش غرّه شد که هستم پهلوان
بر شتر زد پرتو اندیشه اش — گفت بنمایم ترا تو باش خوش ۲۸ تا بیامد بر لب جوئی بزرگ — کاندرو گشتی زبون پیل سترگ
موش آنجا ایستاد و خشك گشت — گفت اشتر ای رفیق کوه ودشت ۲۹ این توقف چیست حیرانی چرا — پا بنه مردانه اندر جو درآ
تو قلاووزیّ و پیش آهنگ من — در میان ره مباش و تن مزن ۳۰ گفت این جوئی شگرفست وعمیق — من همی ترسم زغرقاب ای رفیق
گفت اشتر تا ببینم حدّ آب — پا در آن بنهاد آن اشتر شتاب ۳۱ گفت تازانوست آب ای کورموش — از چه حیران گشتی ورفتی زهوش
گفت مور تست ومارا اژدهاست — که ز زانو تا بزانو فرقهاست ۳۲ گرترا تازانو است ای پر هنر — مرمرا صد گز گذشت ازفرق سر
گفت گستاخی مکن بار دگر — تا نسوزد جسم و جانت زین شرر ۳۳ تومری بامثل خود موشان بکن — با شتر مر موش را نبود سخن
گفت توبه کردم از بهر خدا — بگذران زین آب مهلك مرمرا ۳۴ رحم آمد مر شتر را گفت هین — برجه و بر کودبان من نشین
این گذشتن شد مسلم مر مرا — بگذرانم صد هزاران چون ترا ۳۵ چون پیمبر نبستی پس رو براه — تا رسی ازچاه روزی سوی جاه
تو رعیت باش چون سلطان نهٔ — خود مران کشتی چو کشتیبان نهٔ ۳۶ چون نهٔ کامل دکان تنها مگیر — دستخوش می باش تا گردی خمیر
چونکه آزادیت نامد بنده باش — هین مپوش اطلس برودرژنده باش ۳۷ انصتوا راگوش کن خاموش باش(٤) — چون زبان حق نگشتی گوش باش
ور بگوئی شکل استفسار گو — با شهنشاهان تو مسکین وار گو ۳۸ ابتدای کبر و کین از شهوتست — راسخیّ شهوتت از عادتست
چون زعادت گشت محکم خوی بد — خشم آید بر کسی کت وا کشد ۳۹ چونکه تو گل خوار گشتی هرکه او — وا کشد از گل ترا باشد عدو
بت پرستان چونکه خوبا بت کنند — مانعان راه بت را دشمنند ٤۰ چون که کرد ابلیس خوبا سروری — دید آدم را بتحقیر از خری
که به از من سروری دیگر بود — تاکه اومسجود چون من کس شود ٤۱ سروری زهرست جزآن روح را — کو بود تریاق لانی (٥) ز ابتدا
کوه اگر پر مار شد باکی مدار — کو بود اندر درون تریاق زار ٤۲ سروری چون شد دماغت راندیم — هرکه بشکستت شود خصم قدیم
چون خلاف خوی تو گوید کسی — کینها خیزد ترا با او بسی ٤۳ کو مرا از خوی من بر می‌کند — خویش بر من میر وسرور میکند
❀ چون نباشد خوی بد سرکش درو — کی فروزد از خلاف آتش درو ٤٤ چون نباشد خوی بد محکم شده — کی فروزد از خلاف آتشکده

---

(۱) اشاره باین حدیث است که لوکانت الدنیا دماً عبیطاً لایکون قوت المؤمن الاّ حلالا یعنی اگر باشد تمام دنیا خون تازه نمی باشد قوت مؤمن مگر حلال (۲) قال النبی صلی الله علیه و آله جعلت لی الارض مسجداً وطهورا (۳) ابابیل مقصود قضیهٔ مکه و سنگسارکردن سپاه ابرهه و پیلان اوست که درسورهٔ فیل ذکرشده (٤) اشاره است بکریمهٔ درآخرسورهٔ اعراف « واذاقرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوالعلکم ترحمون » یعنی هرگاه خوانده شود کلام خدا پس بشنوید وخاموش باشید شاید رحمت کرده شوید (٥) لان بمعنی جنبان وانبوهی وبسیار آمده واینجا بمعنی ساراست چنانکه نمك لان ویا نمکسار اگر بحذف اضافه باشد ولان وشبانگاره دوکوهند درآذربایجان وتریاق لانی بآن منسوب است ودراینجا ولیّ مادرزاد مراد است که معصوم باشد

با مخالف او مدارا میکند / در دل او خویش را جا میکند ۱ زانکه خوی بد بگشتست استوار / مور شهوت شد ز عادت همچو مار
مار شهوت را بکش در ابتدا / ورنه اینك گشت مارت اژدها ۲ لیك هرکس مور بیند مار خویش / تو ز صاحب‌دل کن استفسار خویش
تا نشد زر مس نداند من مسم (۱) / تا نشد شه دل نداند مفلسم ۳ خدمت اکسیر کن مس وار تو / جور میکش ای دل از دلدار تو
کیست دلدار اهل دل نیکو بدان / که چوروزوشب جهانند ازجهان ٤ عیب کم گو بندهٔ الله را / متهم کم کن بدزدی شاه را
ورنه باشی هیچ هیچ ازهیچیان ۵ پس رو هر دیو باشی مستهان

کرامات آن درویش که در کشتی بدزدی متهمش کردند

بود درویشی درون کشتیی / ساخته از رخت مردی پشتیی ۷ یاوه شد همیان زر او خفته بود / جمله را جستند واورا هم نمود
کاین فقیر خفته را جوئیم هم / کرد بیدارش ز غم صاحب درم ۸ که درین کشتی چرمدان گشدست / جمله را جستیم نتوانی تو رست
دلق بیرون کن برهنه شو زدلق / تا ز تو فارغ شود اوهام خلق ۹ گفت یارب مر غلامت را خمان / متهم کردند فرمان در رسان
یا غیاثی عند کل کربة / یا معاذی عند کل شدة (۲) ۱۰ یا مجیبی عند کل دعوة / یا ملاذی عند کل محنة (۳)
چون بدرد آمد دل درویش ازآن / سر برون کردند هر سو درزمان ۱۱ صد هزاران ماهی ازدریای ژرف / در دهان هریکی دری شگرف
صد هزاران ماهی از دریای پر / در دهان هر یکی در چه در ۱۲ هر یکی دری خراج ملکتی / کز الهست این ندارد شرکتی
در چند انداخت درکشتی و جست / مر هوارا ساخت کرسی ونشست ۱۳ خوش مربع چون شهان برتخت خویش / او فرازاوج وکشتی اش به پیش
گفت او کشتی شما را حق مرا / تا نباشد با شما دزد گدا ۱٤ تا کرا باشد خسارت زین فراق / من خوشم جفت حق وازخلق طاق
نی مرا او تهمت دزدی نهد / نی مهارم را بغمازی دهد ۱۵ بانگ کردند اهل کشتی کای همام / از چه دادندت چنین عالی مقام
گفت ازتهمت نهادن برفقیر (٤) / وز حق آزاری بی‌چیزی حقیر ۱٦ حاش لله بل ز تعظیم شهان / که نبودم بر فقیران بدگمان
آن فقیران لطیف خوش نفس / کز پی تعظیمشان آمد عبس ۱۷ آن فقیری بهر پیچا پیچ نیست / بل بی آنکه بجزحق هیچ نیست
متهم چون دارم آنهارا که حق / کرد امین مخزن هفتم طبق ۱۸ متهم نفس است نی عقل شریف / متهم حس است نی نور لطیف
نفس سوفسطائی (۵) آمد می‌زنش / کش زدن سازد نه حجت گفتنش ۱۹ معجزه بیند فروزد آن زمان / بعد از آن گوید خیالی بود آن
ور حقیقت بودی آن دید عجب / پس مقیم چشم بودی روز وشب ۲۰ آن مقیم چشم پاکان می بود / نی قرین چشم حیوان میشود
کان عجب زین حس دارد عار وننگ / کی بود طاوس اندر چاه تنگ ۲۱ تا نگوئی مر مرا بسیار گو / من ز صد یك گویم وآنهم چومو

تشنیع کردن صوفیان پیش شیخ بر آن صوفی که بسیار میگوید

صوفیان بر صوفئی شنعت زدند / پیش شیخ خانقاهی آمدند ۲۳ شیخ را گفتند داد جان ما / تو ازین صوفی بخواه ای پیشوا
گفت آخرچه گله است ای صوفیان / گفت این صوفی سه خو دارد گران ۲٤ درسخن بسیار گو همچون جرس / درخورش افزون خورد ازبیست کس
وربخسبد هست چون اصحاب کهف / صوفیان کردند پیش شیخ زهف ۲۵ شیخ رو آورد پیش آن فقیر / که بهرحالی که هست اوساط گیر
درخبر خیرالامور اوساطها (٦) / نافع آمد ز اعتدال اخلاطها ۲٦ گریکی خلطی فزون شد ازعرض / در تن مردم پدید آید مرض
بر قرین خویش مفزا در صفت / کان فراق آرد یقین در عاقبت ۲۷ نطق موسی بود با اندازه لیك / هم فزون آمد ز گفت یار نیك
آن فزونی با خضر آمد شقاق (۷) / گفت رو تو مکثری هذا فراق ۲۸ موسیا بسیار گوئی در گذر / چند گوئی رو وصال آمد بسر
موسیا بسیار گوئی دور شو / ورنه با من گنگ باش وکور شو ۲۹ ور نرفتی وز ستیزه شستهٔ / تو بمعنی رفتهٔ بگسستهٔ
رو بر آنها که هم جفت تو اند / عاشقان و تشنهٔ گفت تو اند ۳۰ چون حدث کردی توناگه درنماز / گویدت سوی طهارت رو بتاز
ور نرفتی خشك جنبان میشوی / خود نمازت رفت بنشین ای غوی ۳۱ پاسبان بر خوابناکان بر فزود / ماهیان را پاسبان حاجت نبود
جامه پوشان را نظر برگازرست / جان عریان را تجلی زیورست ۳۲ یا ز عریانان بیکسو باز رو / یاچو ایشان فارغ ازتن جامه شو
ور نمی‌تانی که کل عریان شوی / جامه کم کن تاره اوسط روی (۸)

عذر گفتن فقیر با شیخ خانقاه

پس فقیرآن شیخ را احوال گفت / عذر را با آن غرامت کرد جفت ۳۵ مرسؤال شیخ را داد او جواب / چون جوابات خضرخوب وصواب
آن جوابات سئوالات کلیم / کش خضر بنمود از رب علیم ۳٦ گشت مشکلهاش حل افزون زیاد / از پی هر مشکلش مفتاح داد
از خضردرویش هم میراث داشت / در جواب شیخ همت بر گماشت ۳۷ گفت راه اوسط ارچه حکمت است / لیك اوسط نیز هم بانسبت است
آب جو نسبت باشتر هست کم / لیك باشد موش را آن همچو یم ۳۸ هرکرا باشد وظیفه چارنان / دوخورد یاسه خورد هست اوسط آن
ورخورد هرچاردور از اوسطاست / او اسیر حرص مانند بط است ۳۹ هرکه اورا اشتها ده نان بود / شش خورد می‌دان که اوسط آن بود
چون مرا پنجاه نان هست اشتهی / مر ترا شش گرده همدستیم نی ٤۰ تو بده رکعت نماز آئی ملول / من بپانصد در نیایم در نحول
آن یکی تا کعبه حانی میرود / وآن یکی تا مسجد ازخود می‌شود ٤۱ آن یکی درپاك بازی جان بداد / وآن یکی جان کند تایك نان بداد

---

(۱) یعنی تا مس زر نشود و تا دل شه نشود درصورت تنزل از خود آگه نیستند چون بکمال خود میرسند آن وقت قدر خودرا میدانند که من چه بودم وچه شده ام (۲) یعنی ای فریاد رس من درنزد هراندوه و غمی وای پناه من نزد هر شدتی (۳) ای اجابت کنندهٔ من بهر خواندن ودعوتی وای پناه من درهر محنت وزحمتی (٤) از راه استهزاء گفت که بریك فقیر تهمت نهاده بودم ازین جهت این مراتب حاصل شده است مرا باز سوگند خورده و میگوید که خدا نخواسته باشد که بر فقیران بدگمان شده باشم (۵) سوفسطائی کسیست که عالم را نمود بی بود داند (٦) اشاره بحدیث خیرالامور اوسطهااست یعنی بهترین امرها میانه رویست (۷) اشاره بآیهٔ شریفه درسورهٔ کهف قال فان اتبعتنی فلاتسألنی عن شیء حتی احدث لك منه ذکرا یعنی گفت اگر پیروی کنی مرا پس مپرس مرا ازچیزی که منکر باشد و وجه صحت آن ندانی یعنی افتتاح بسؤال مکن تا من نو سازم برای تو بیانی ازآن چیزی که تو دریابی آنرا (۸) یعنی اگرنمیتوانی جامه وتن هردو بگذاری ترك جامه کن تا میانه رو باشی .

این وسط در با نهایت می‌رود(۱) — که مر آن را اوّل و آخر برد ۱ — اوّل و آخر بباید تا در آن — در تصور گنجد اوسط یا میان
بی نهایت چون ندارد دو طرف — کی بود اورا میانه منصرف ۲ — اول و آخر نشانش کس نداد — گفت لوکان له البحر مداد (۲)
هفت دریا گر شود کلی مدید — نیست مرپایان‌شدن را هیچ امید ۳ — باغ و بیشه گر شود یکسر قلم — زین سخن‌هرگز نگردد هیچ کم
آن همه حِبر و قلم فانی شود — وین حدیث بی عدد باقی بود ۴ — حالت من خواب را ماند گهی — خواب پندارد مرآن را گُم رهی
چشم من خفته دلم بیدار دان — شکل بیکار مرا بر کار دان ۵ — گفت پیغمبر که عینای تنام (۳) — لاینام قلبی عن ربّ الانام
چشم تو بیدار و دل خفته بخواب — چشم من خفته دلم در فتح باب ۶ — مر دلم را پنج حسّ دیگرست — حس دل‌را هردو عالم منظرست
تو ز ضعف خود مکن درمن نگاه — برتوشب برمن‌همان شب چاشتگاه ۷ — برتوزندان برمن‌آن‌زندان چوباغ — عین مشغولی مرا گشته فراغ (۴)
پای تو در گِل‌مرا گِل‌گشته گُل — مر ترا ماتم مرا سور و دُهل ۸ — در زمینم با تو ساکن در محل — می دوم برچرخ هفتم چون زحل
همنشینت من نیم سایهٔ منست — برتر از اندیشها پایهٔ منست ۹ — زانکه من زاندیشها بگذشته ام — خارج اندیشه پویان گشته ام
حاکم اندیشه ام محکوم نی — زانکه بنا حاکم آمد بر بنی ۱۰ — جمله خلقان سخرهٔ اندیشه اند — زان‌سبب خسته دل وغم پیشه اند
قاصدا خود را باندیشه دهم — چون بخواهم از میانه بر جهم ۱۱ — من چو مرغ اوجم اندیشه مگس — کی‌بود برمن مگس را دست رس
قاصدا زیر آیم از اوج بلند — تا شکسته پایگان بر من تنند ۱۲ — چون ملالم گیرد از سفلی صفات — بر پرم همچون طیور الصافّات
پرّ من رُسته‌است هم‌ازذات خویش — بر نچسبانم دو پر من با سریش ۱۳ — جعفر طیار را پر جاریه است — جعفر طرّار را پر عاریه است
نزد آنکه لم یذق دعویست این — نزد سکان افق معنیست این ۱۴ — لاف ودعوی باشد این‌پیش‌غراب — دیگ تی و پر یکی پیش ذباب
چونکه در تو میشود لقمه گهر — تن مزن چندانکه بتوانی بخور ۱۵ — شیخ روزی بهر دفع سوء ظن — در لگن قی کرد وپرُدرشد لگن
گوهر معقول را محسوس کرد — پیر بینا بهر کم عقلیّ مرد ۱۶ — چونکه درمعده شود پاکت پلید — قفل نه برحلق و پنهان کن کلید
هرکه در وی لقمه شد نورجلال ۱۷ — هرچه خواهدگو بخور اورا حلال

بیان آن دعوی که عین آن دعوی گواه صدق خویش است

گر تو هستی آشنای جان من — نیست دعوی گفت معنی لان من ۱۹ — گر بگویم نیمشب پیش توام — هین‌مترس‌ازشب‌که من‌خویش‌توام
این دو دعوی پیش تومعنی بود — چون شناسی‌بانگ خویشاوند خود ۲۰ — پیشی وخویشی دودعوی بود لیك — هردو معنی بود پیش فهم نیك
قرب آوازش گواهی میدهد — کاین دم ازنزدیك یاری میجهد ۲۱ — لذّت آواز خویشاوند نیز — شدگوا بر صدق آن خویش عزیز
باز بی الهام احمق کو ز جهل — می نداند بانگ بیگانه ز اهل ۲۲ — پیش او دعوی بود گفتار او — جهل او شد مایهٔ انکار او
پیش زیرك کاندرونش نورهاست — عین این آواز معنی بود راست ۲۳ — یا بتازی گفت یك تازی زبان — که همی دانم زبان تازیان
عین تازی گفتنش معنی بود — گر چه تازی گفتنش دعوی بود ۲۴ — یا نویسد کاتبی بر کاغذی — کاتب وخط خوانم ومن ابجدی
این نوشته گرچه خود دعوی بود — هم نوشته شاهد معنی بود ۲۵ — یا بگوید صوفئی دیدی تو دوش — در میان خواب سجّاده بدوش
من بُدم آن وانچه‌گفتم خواب در — با تو اندر خواب در شرح نظر ۲۶ — گوش‌کن چون حلقه اندرگوش‌کن — این سخن را پیشوای هوش کن
چون‌ترا یادآید آن‌خواب‌این‌سخن — معجز نو باشد و راز کهن ۲۷ — گرچه دعوی مینماید این ولی — جان صاحب واقعه گوید بلی
پس چو حکمت ضالهٔ مؤمن بود — آن زهر که بشنود موقن شود ۲۸ — چونکه خودرا پیش او یابد فقط — چون‌بود شك‌چون‌کند خودراغلط
تشنهٔ را چون بگوئی توشتاب — در قدح آبست بستان زود آب ۲۹ — هیچ گوید تشنه کین دعویست‌رو — از برم ای مدعی مهجور شو
یا گواه و حجتی بنما که این — جنس آبست و از آن ماء معین ۳۰ — یا بطفل شیر مادر بانگ زد — که بیا من مادرم هان ای ولد
طفل گوید مادرا حجت بیار — تا که با شیرت بگیرم من قرار ۳۱ — در دل هرامتی کزحق مزداست — روی و آواز پیمبر معجزه است
چون پیمبر از برون بانگی زند — جان امت در درون سجده کند ۳۲ — زانك جنس بانگ او اندرجهان — ازکسی نشنیده باشد گوش جان
آن غریب از ذوق آواز غریب ۳۳ — اززبان حق‌شنود انیّ قریب(۵)

سجده‌کردن مسیح ویحیی علیهماالسلام درشکم مادر یکدیگر را

مادریحیی چو حامل بُد از او — بود با مریم نشسته رو برو ۳۵ — مادر یحیی بمریم در نهفت — پیشتر از وضع حمل خویش‌گفت
که یقین دیدم درون تو شهیست — که اولوالعزم ورسول آگهیست ۳۶ — چون برابر اوفتادم با تو من — کرد سجده حمل من اندر زمن
این جنین‌مرآن جنین راسجده‌کرد — کز سجودش در تنم افتاد درد ۳۷ — گفت مریم من درون خویش هم — سجدهٔ دیدم ز طفلم در شکم

اشکال آوردن نادانان براین قصه و جواب دادن ایشان را

ابلهان گویند این افسانه را — خط بکش زیرا دروغست وخطا ۳۹ — زانکه‌مریم‌وقت‌وضع‌حمل‌خویش — بود از بیگانه دوروهم ز خویش
مریم اندر حمل جفت کس نشد — از برون شهر او وا پس نشد ۴۰ — از برون شهر آن شیرین فسون — تا نشد فارغ نیامد هم درون

---

(۱) یعنی وسط آن را باشد که اول و آخر داشته باشد (۲) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ کهف است ولو کان البحر مدادا یعنی بگو ای محمد که اگر دریا مداد شود برای نوشتن کلمات پروردگار من پس تمام شود دریا پیش از آنکه تمام شود کلمات پروردگار اگر چه بیاریم برای آن دریا دریای دیگری را مدد وهمچنین اشاره بآیه درسورهٔ لقمان است ولوکان ما فی‌الارض من‌شجرة اقلام الخ یعنی اگرباشد آنچه درخت بر زمین است قلم وازبحرمدد رسد باو هفت دریا ومداد شود تمام نشود کلمات خدا (۳) اشاره‌است بحدیث نبوی که تنام عینای ولا ینام قلبی یعنی چشم من میخوابد ودل من نمیخوابد (۴) اشاره بمضمون این‌آیه است رجال لاتلهیهم تجارة ولا بیع عن ذکرالله و دیگر اینکه میفرماید مصداق ومظهر این کلمات واقع شده‌ام که لایشغله شأن عن شأن ظاهرم بتو مشغول ودل بحق مشغولست (۵) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ بقره است و اذا سألك عبادی عنی فانی قریب اجیب دعوة الداع چون بپرسند ای محمد ترا بندگان من از من (و از صفت من یا معامله من با ایشان) پس بدرستیکه نزدیکم و اجابت کننده ام دعوت خوانندهٔ خودرا

چون بزائید آنگهانش بر کنار — بر گرفت و برد تا پیش تبار ۱ مادر یحیی کجا دیدش که تا — گوید اورا این سخن در ماجرا
این بداند کانکه اهل خاطراست — غایب آفاق اورا حاضر است ۲ پیش مریم حاضر آید در نظر — مادر یحیی که دورست از بصر
دید ها بسته ببیند دوست را — چون مشبك کرده باشد پوست‌را ۳ ور ندیدش نز برون و نز درون — از حکایت گیر معنی ای‌زبون
نی چنان افسانها بشنیدهٔ — همچو شین بر نقش آن چفسیدهٔ ٤ تا همی گفت آن کلیله بی زبان — چون‌سخن نوشد زدمنه بی بیان
ور بدانستند لحن همدگر — فهم آن چون کرد بی‌نطقی بشر ٥ در میان شیر و گاو آن دمنه‌چون — شد رسول‌وخواند برهرد وفسون
چون وزیر شیر شد گاو نبیل — چون زعکس‌ماه ترسان‌گشت پیل ٦ این کلیله و دمنه جمله افتریست — ورنه‌کی بازاغ لکلك‌رامریست(۱)
ای برادر قصه چون پیمانه ایست — معنی اندر وی بسان دانه ایست ۷ دانهٔ معنی بگیرد مرد عقل — ننگرد پیمانه را گر گشت نقل

سخن گفتن بزبان حال و فهم کردن آن

ماجرای بلبل و گل گوش دار — گر چه گفتی نیست آنجا آشکار ۹ ماجرای شمع با پروانه تو — بشنو و معنی گزین ز افسانه تو
گرچه گفتی نیست سرّ گفت هست — هین ببالا پرمپر چون جغد پست ۱۰ گفت درشطرنج کاین‌خانهٔ رخ‌است — گفت خانه اش ازکجا آمد بدست
خانه را بخرید یا میراث یافت — فرخ آنکس‌کوسوی معنی شتافت ۱۱ گفت نحوی زید عمروا قدضرب — گفت چونش کرد بی‌جرمی ادب
عمروراجرمش چه بُدکان زیدخام — بیگناه اورا بزد همچون غلام ۱۲ گفت این پیمانهٔ معنی بود — گندمش بستان که پیمانه است رد
زید وعمرو از بهر اعرابست ساز — گردروغ‌است آن توبا اعراب‌ساز ۱۳ گفت نی من آن ندانم عمرو را — زید چون زد بی‌گناه و بی خطا
گفت از ناچار ولاغی بر گشود — عمرویك واوی فزون دزدیده‌بود ۱٤ زید واقف‌گشت ودزدش را بزد — چونکه ازحدّ بُرد حد اورا سزد

پذیرا آمدن سخن باطل در دل باطلان

گفت اینك راست پذرفتم بجان — کژ نماید راست در پیش کژان ۱٦ گر بگوئی احولی را مه یکیست — گویدت‌این‌دوست‌دروحدت‌شکیست
ور بدو خندد کسی گوید دواست — راست‌دارد این‌سزای بدخواست ۱۷ بر دروغان جمع می آید دروغ — للخبیثات الخبیثین زد فروغ
❁هرکه‌اوجنس دروغ‌است‌ای‌پسر — راست پیش او نباشد معتبر ۱۸ دل فراخان را بود دست فراخ — چشم کوران را عثار سنگلاخ
❁ هرکه‌را دندان‌صدقی رُسته‌شد — ۱۹ از دروغ و از خیانت رسته شد

جستن آن درخت که هر که میوهٔ آن خورد هرگز نمیرد

گفت دانائی برمز ای دوستان — که درختی هست در هندوستان ۲۱ هر کسی‌کز میوهٔ آن خورد وبرد — نی شود او پیر ونی هرگز بمرد
پادشاهی این شنید از صادقی — بردرخت و میوه اش شد عاشقی ۲۲ قاصدی دانا ز دیوان ادب — سوی هندستان روان‌کرد ازطلب
سالها می گشت آن قاصد ازاو — گرد هندستان برای جست و جو ۲۳ شهرشهر ازبهراین مطلوب گشت — نی جزیره ماند ونی‌کوه ونه‌دشت
هر کرا پرسید کردش ریشخند — کاین نجوید جز مگر مجنون بند ۲٤ بس کسان صفعش زدند اندر مزاح — بس‌کسان گفتندکای صاحب فلاح
جست‌وجوئی‌چون‌توزیرك‌سینه‌صاف — کی تهی باشد کجا باشد گزاف ۲٥ وین مراعاتش یکی صفعی دگر — وین ز صفع آشکارا سخت تر
می‌ستودندش بتسخر کای بزرگ — در فلانجا بُد درختی بس سترگ ۲٦ در فلان بیشه درختی هست سبز — بس بلند و پهن وهرشاخیش گز
قاصد شه بسته در جستن کمر — می شنید از هرکسی نوعی خبر ۲۷ بس سیاحت کرد آنجا سالها — میفرستادش شهنشه مالها
چون بسی‌دید اندرآن غربت تعب — عاجز آمد آخرالامر از طلب ۲۸ هیچ از مقصود اثر پیدا نشد — ز آن غرض غیر خبر پیدا نشد
رشتهٔ امید او بگسسته شد — جستهٔ او عاقبت ناجسته شد ۲۹ کرد عزم باز گشتن سوی شاه — اشك می‌بارید و می برّید راه

شرح کردن آن شیخ سرّ آن درخت را با آن طالب مقلد

بود شخصی عالمی قطبی کریم — اندرآن‌منزل‌که آیس‌شد ندیم(۲) ۳۱ گفت من نومید پیش او روم — ز آستان او براه اندر شوم
تا دعای او بود همراه من — چونکه نومیدم من ازدلخواه من ۳۲ رفت پیش شیخ با چشم پر آب — اشك میبارید مانند سحاب
گفت شیخا وقت رحم و رأفتست — تا امیدم وقت لطف این ساعتست ۳۳ گفت وا گو کز چه نومیدیستت — چیست مطلوب تو روبا چیستت
گفت شاهنشاه کردم اختیار — از برای جستن یك شاخسار ۳٤ که درختی هست نادر در جهات — میوهٔ او مایهٔ آب حیات
سالها جستم ندیدم یك نشان — جز که طنزوتسخراین سرخوشان ۳٥ شیخ خندید و بگفتش ای سلیم — این درخت علم باشد درعلیم(۳)
بس بلند وبس‌شگرف وبس‌بسیط — آب حیوانی ز دریای محیط ۳٦ ❁ تو بصورت رفتهٔ ای بیخبر — زان ز شاخ معنیی بی بار و بر
تو بصورت رفته گم گشتهٔ — زان نمی یابی که معنی هشتهٔ ۳۷ که درختش نام شد که آفتاب — گاه بحرش نام شد گاهی سحاب
آن یکی‌کش صدهزار آثار خاست — کمترین آثار او عمر بقاست ۳۸ گرچه فردست او اثر دارد هزار — آن یکی را نام باشد بی شمار
آن یکی شخص ترا باشد پدر — در حق شخص دگر باشد پسر ۳۹ در حق دیگر بود قهر و عدو — در حق آن دیگری لطف و نکو
❁درحق دیگر بود اوعم و خال — در حق دیگر کسی وهم وخیال ٤۰ صدهزاران نام و آن یك آدمی — صاحب هروصفش از وصفی عمی
هرکه جوید نام‌گرصاحب ثقه‌است — همچو تونومید و اندر تفرقه‌است ٤۱ توچه برچسبی براین نام درخت — تا بمانی تلخ کام و شور بخت
❁صورت‌ظاهرچه جوئی‌ای‌جوان — رو معانی را طلب ای پهلوان ٤۲ ❁صورت‌وهیئت‌بودچون‌قشروپوست — معنی اندر وی چومغزای‌یاردوست
در گذر از نام و بنگر درصفات — تا صفاتت ره نماید سوی ذات ٤۳ ❁گم‌شوی درذات وآسائی زخود — چشم تو یك رنگ بیند نیك وبد
اختلاف خلق از نام اوفتاد — چون بمعنی رفت آرام اوفتاد ٤٤ ❁ اندرین معنی مثالی خوش‌شنو — تا نمانی تو اسامی را گرو

بیان منازعت چهار کس جهت انگور با همدگر بعلت آنکه زبان یکدیگر را نمیدانستند

چار کس را داد مردی یك درم — هر یکی از شهری افتاده بهم ٤٦ ❁فارسیّ وترك ورومیّ وعرب — جمله با هم در نزاع و در غضب

---

(۱) یعنی کی زاغ با لکلك همسری مینماید (۲) یعنی در منزلی که جوینده درخت بکلی ناامید شد (۳) یعنی این درخت علم لدنی است که درآدمی ازلطف حق میباشدکه بسبب‌او تا ابد زنده میماند .

فارسی گفتا ازاین چون وارهیم — هم بیا کاین را بانگوری دهیم ۱ آن عرب گفتا معاذالله لا — من عنب خواهم نه انگور ای دغا
آن یکی کز ترک بد گفت ای کزم — من نمیخواهم عنب خواهم ازم ۲ آنکه رومی بودگفت این قیل را — ترک کن خواهم من استافیل را
در تنازع آن نفر جنگی شدند — که ز سرّ نامها غافل بدند ۳ مشت بر هم میزدند از ابلهی — بر بدند ازجهل و از دانش تهی
صاحب سرّی عزیزی صد زبان — گر بدی آنجا بدادی صلحشان ۴ پس بگفتی اوکه من زین یك درم — آرزوی جملتان را می خرم
چونکه بسپارید دل را بی دغل — این درمتان میکند چندین عمل ۵ یك درمتان میشود چار المراد — چار دشمن میشود یك زاتحاد
گفت هر یکتان دهدجنگ وفراق — گفت من آرد شما را اتفاق ۶ پس شما خاموش باشید انصتوا — تا زبانتان من شوم درگفت وگو
❀ گر سخنتان مینماید یك نمط — در اثر مایهٔ نزاع است و سخط ۷ ورسخن‌تان درتوافق موثقه است — در اثر مایهٔ نزاع و تفرقه است
گرمی عاریتی ندهد اثر — گر می خاصیتی دارد هنر ۸ سرکه را گرگرم کردی زآتش آن — چون‌خوری سردی فزاید بی‌گمان
زانکه آن گرمی آن دهلیزیست(۱) — طبع اصلش سردی‌است وتیزیست ۹ ور بود یخ بسته دوشاب ای‌پسر — چون خوری‌گرمی فزاید در جگر
پس ریای شیخ به ز اخلاص ما — کز بصیرت باشد آن وین ازعمی ۱۰ از حدیث شیخ جمعیت رسد — تفرقه آرد دم اهل حسد
چون‌سلیمان‌کزسوی‌حضرت‌بتاخت — کو زبان جمله مرغان را شناخت ۱۱ در زمان عدلش آهو با پلنگ — انس بگرفت وبرون آمد زجنگ
شد کبوتر ایمن از چنگال باز — گوسفند از گرگ ناورد احتراز ۱۲ او میانجی شد میان دشمنان — اتحادی شد میان پیر زنان
تو چو موری بهر دانه می دوی — هین سلیمان جوچه میباشی غوی ۱۳ دانه جورا دانه اش دامی شود — وان سلیمان جوی را هردو بود
مرغ جانها را در این آخرزمان — نیستشان ازهمدگر یك دم امان ۱۴ هم سلیمان هست اندر دور ما — کو دهد صلح و نماند جور ما
قول ان من امة را یاد گیر — تا به الا و خلافیها نذیر(۲) ۱۵ گفت خود خالی نبودست امتی — از خلیفهٔ حق و صاحب همتی
مرغ جانها را چنان یکدل کند — کز صفاشان بی‌غش وبی غل کند ۱۶ مشفقان گردند همچون والده — مسلمون را گفت نفس واحده
نفس واحد ازرسول حق شدند — ورنه هریك دشمن مطلق بدند ۱۷ ❀ اتحادی‌خالی ازشرك ودوئی — باشد از توحید بی ما و توئی

برخاستن مخالفت وعداوت از میان انصار ببرکت وجود مبارك پیغمبر خدا علیه‌السلام

دوقبیله کاوس‌وخزرج‌نام‌داشت(۳) — یك زدیگرجان خون آشام‌داشت ۱۹ کینهای کهنه شان از مصطفی — محو شد در نور اسلام و صفا
اولا اخوان‌شدند آن دشمنان(٤) — همچو اعداد عنب در بوستان ۲۰ وز دم المؤمنون اخوه به‌پند(٥) — در شکستند و تن واحد شدند
صورت انگورها اخوان بود — چون فشردی شیرهٔ واحد شود ۲۱ غوره و انگور ضدّانند لیك — چونکه غوره پخته‌شد شدیار نیك
غورهٔ کو سنگ بست و خام ماند — در ازل حق کافراصلیش خواند ۲۲ نی اخی نی نفس واحد باشد او — در شقاوت نحس ملحد باشد او
گر بگویم آنچه او دارد نهان — فتنهٔ افهام خیزد در جهان ۲۳ چشم کو آن رونبیند کور به(٦) — دود دوزخ از ارم مهجور به
غورهای نیك کایشان قابلند — از دم اهل دل آخر یکدلند ۲٤ سوی انگوری همی رانند تیز — تا دوئی بر خیزد و کین و ستیز
پس درانگوری همی درّند پوست — تا یکی گردند وحدت وصف اوست ۲٥ دوست‌دشمن‌گردد ایراهم دواست — هیچ یك باخویش‌جنگی در نبست
آفرین بر عشق کلّ اوستاد — صد هزاران ذرّه را داد اتحاد ۲٦ همچو خاك مفترق در ره گذر — یکسو شان کرد دست کوزه گر
کاتحاد جسمهای ماء و طین — هست ناقص جان نمی‌ماند بدین ۲۷ گر نظایر گویم اینجا و مثال — فهم را ترسم که آرد اختلال
هم سلیمان هست اکنون لیك‌ما — از نشاط دور بینی در عمی ۲۸ دور بینی کور دارد مرد را — همچو خفته در سرا کور از سرا
میکند از مشرق و مغرب گذر — وز رفیق و همنشینش بیخبر ۲۹ مولعیم اندر سخنهای دقیق — در گرهها باز کردن ما عشیق
تا گره بندیم و بگشائیم ما — در شکال و در جواب آیین فزا ۳۰ همچو مرغی کو گشاید بند دام — گاه بندد تا شود در فن تمام
او بود محروم از صحرا ومرج — عمر او اندر گره کاریست خرج ۳۱ خود زبون او نگردد هیچ دام — لیك پرّش در شکست افتد مدام
با گره کم کوش تا بال و پرت — نگسلد یك یك ازین کرّ وفرت ۳۲ صدهزاران مرغ پرهاشان شکست — وان کمینگاه عوارض را نبست
حال‌ایشان‌از نبی خوان ای‌حریص — نقبوا فیها ببین‌هل من محیص(۷) ۳۳ از نزاع ترك و رومیّ و عرب — حل نشد اشکال انگور و عنب
تا سلیمان امین معنوی — در نیاید بر نخیزد این دوئی ۳٤ جملهٔ مرغان منازع باز وار — بشنوید این طبل باز شهریار
ز اختلاف خویش سوی اتحاد — هین ز هرجانب روان گردیدشاد ۳٥ حیث ما کنتم فولّوا وجهکم — نحوه هذا الّذی لم ینهکم (۸)
کور مرغانیم و بس نا ساختیم — کان سلیمان را دمی نشناختیم ۳٦ همچو جغدان دشمن بازان شدیم — لاجرم وا ماندهٔ ویران شدیم
می‌کنیم از غایت جهل و عمی — قصد آزار عزیزان خدا ۳۷ جمع مرغان کز سلیمان روشنند — پرّ و بال بی‌گنه کی برکنند(۹)
بلکه سوی عاجزان چینه کشند — بیخلاف وکینه آن مرغان خوشند ۳۸ هدهد ایشان بی تقدیس را — میکشاید راه صد بلقیس را

---

(۱) دهلیز میان دروازه است که درون سرای بود ودر اینجا چون دهلیز میانجی خانه و دراست کنایت است از سردی ذاتی و گرمی عاریتی
(۲) اشاره‌است بآیه واقعه درسورهٔ ملائکه « انا ارسلناك بالحق بشیراً ونذیرا وان من امة الاخلافیها نذیر» یعنی بدرستیکه فرستادیم ترا بدین حق مژده دهنده وبیم‌کننده ونبود هیچ امتی از قدیم مگرآنکه‌گذشت درآن امت پیغمبری بیم‌کننده (۳) اوس وخزرج نام دو طایفه از اهل مدینه‌است که از انصار رسول بودند (٤) مفهوم این آیه در سورهٔ آل عمران است واذکروا نعمةالله علیکم اذ کنتم اعداء فالّف بین قلوبکم فاصبحتم بنعمته اخوانا (٥) اشاره‌است بآیه درسورهٔ حجر انماالمؤمنون اخوه یعنی بدرستیکه مؤمنان برادرند باهم (٦) سرّ گبر کور نامذکور به (نسخه بدل)
(۷) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ ق فکم اهلکنا من قرن هم اشد بطشاً فنقبوا فی‌البلاد هل من محیص یعنی چه بسیار هلاك کردیم پیش از قومهائی‌که بودند ایشان سخت تراز ایشان ازجهت قوت پس راه بریدند در شهر ها وآیا بود فرارگاهی (۸) یعنی هرجا باشید شما در برّ وبحر پس بگردانید روی خودرا بسوی اواین‌امر چیزیست که نهی نمیکند شما را از توجه بحق در هیچ وقتی از اوقات (۹) یعنی اهل سلوك که‌از مرشد تربیت یافته اند مثل مجانین درمضرّت کسی کجا کوشند و بآزار دیگران کی حاضر شوند .

زاغ ایشان گر بصورت زاغ بود باز همت آمد وما زاغ بود (۱) ۱ لکلك ایشان که لکلك می‌زند (۲) آتش توحید در شك میزند
وان کبوترشان ز بازان نشکهد باز سر پیش کبوترشان نهد ۲ بلبل ایشان که حالت آرد او در درون خویش گلشن دارداو
طوطی ایشان ز قند آزاد بود کز درون قند ابد رویش نمود ۳ پای طاوسان ایشان در نظر بهتر از طاوس پرّان دگر
کبك ایشان خنده بر شاهین زند در تعلق راه علیین زند ٤ منطق‌الطیر(۳) آن خاقانی صداست منطق الطیر سلیمانی کجاست
تو چه دانی بانگ مرغان را همی چون ندیدستی سلیمان را دمی ٥ پرّ آن مرغی که بانگش مطربست از برون مشرقست و مغربست
هریك آهنگش زکرسی تاثریست وزثری تا عرش درکرّ وفریست ٦ مرغ کو بی این سلیمان میرود عاشق ظلمت چو خفاشی بود
با سلیمان خو کن ای خفاش ردّ تا که در ظلمت نمانی تا ابد ۷ یك گزی رهگر بدان‌سو میروی همچو گز قطب مساحت میشوی
وانکه لنگ و لوك آن سومیجهی ۸ از همه لنگی و لوکی میرهی

قصهٔ بط بچگان که مرغ خانگی میپروردشان

تخم بطی گر چه مرغ خانه ات کرد زیر پر چو دایه تربیت ۱۰ مادر تو بطّ آن دریا بُدست دایه‌ات خاکی بُد وخشکی پرست
میل دریا که دل تو اندرست آن طبیعت جانت را از مادرست ۱۱ میل‌خشکی مرترا زین دایه است دایه را بگذار کو بدرایه است
دایه را بگذار بر خشك و بران اندرآ در بحر معنی چون بطان ۱۲ گر ترا دایه بترساند ز آب تو مترس وسوی دریا ران‌شتاب
تو بطی بر خشك و بر تر زندهٔ نی چو مرغ خانه خانه کندهٔ ۱۳ تو ز کرّمنا بنی آدم شهی هم بدریا هم بخشکی پا نهی
که حملنا هم علی‌البحری بجان از حملنا هم علی‌البر پیش ران ۱٤ مرملایك را سوی بر راه نیست جنس‌حیوان هم زبحرآگاه نیست
تو بتن حیوان بجانی از ملك تا روی هم بر زمین هم برفلك ۱٥ تا بظاهر مثلکم باشد بشر (٤) با دل یوحی الیّ دیده ور
قالب خاکی فتاده بر زمین روح اوگردان بر آن چرخ برین ۱٦ ما همه مرغابیانیم ای غلام بحر میداند زبان ما تمام
پس سلیمان بحر آمد ما چو طیر در سلیمان تا ابد داریم سیر ۱۷ با سلیمان پای در دریا بنه تا چو داود آب سازد صد زره
آن سلیمان پیش جمله حاضرست لیك غفلت چشم بند وساحر است ۱۸ تا ز جهل و خوابناکی و فضول او به پیش ما وما از وی ملول
تشنه را درد سر آرد بانگ رعد چون نداند کو گشاید ابر سعد ۱۹ چشم اوماندست در جوی روان بی خبر از ذوق آب آسمان
مرکب همت سوی اسباب راند از مسبب لاجرم محجوب ماند ۲۰ آنکه بیند او مسبب را عیان کی نهد دل بر سببهای جهان
از مسبب یابد او در یك صباح از نجات و از فلاح و از نجاح ۲۱ آنچه درصد سال مشت حیله مند ده یکی زان گنج حاصل ناورند

حیران شدن حاجیان در کرامات آن شیخ زاهد که برروی ریگ گرم صحرا نشسته بود

زاهدی بُد در میان بادیه در عبادت غرق چون عبادیه ۲۳ حاجیان آنجا رسیدند از بلاد دیده شان بر زاهد خشك اوفتاد
جای زاهد خشك بود اوترمزاج از سموم بادیه بودش علاج ۲٤ حاجیان حیران شدند ازوحدتش وآن سلامت در میان آفتش
در نماز استاده بد برروی ریگ ریگ‌کز تفش بجوشد آب دیگ ۲٥ گفتئی سرمست برسبزه و گلست یا سواره بر براق و دلدلست
یا که پایش بر حریر وحُلهاست یا سموم اورا به از باد صباست ۲٦ ایستاده تازه رو اندر نماز با خشوع و باخضوع و با نیاز
با حبیب خویشتن میگفت راز مانده بد استاده در فکر دراز ۲۷ پس بماندند آن جماعت با نیاز تا شود درویش فارغ از نماز
چون ز استغراق باز آمد فقیر زان جماعت زندهٔ روشن ضمیر ۲۸ دیدکابش میچکید از دست ورو جامه‌اش تر بود ز آثار وضو
پس بپرسیدش که آبت از کجاست دست را برداشت کزسوی‌سماست ۲۹ گفت هرگاهی که خواهی میرسد یا گهی باشد اجابت گاه رد (٥)
مشکل ماحل کن ای سلطان دین تا ببخشد حال تو ما را یقین ۳۰ وانما سرّی ز اسرارت بما تا بپرّیم از میان زنّارها
چشم را بگشود سوی آسمان که اجابت کن دعای حاجیان ۳۱ رزق جوئی را ز بالا خو گرم تو ز بالا برگشودستی درم
ای نموده تو مکان از لامکان فی السماء رزقکم کرده عیان(٦) ۳۲ در میان این مناجات ابر خوش زود پیدا شد چو پیل آبکش
همچو آب ازمشك باریدن گرفت در گو و در غارها مسکن گرفت ۳۳ ابر می بارید چون مشك اشکها حاجیان جمله گشاده مشکها
* یك عجایب در بیابان رونمود ابر چون مشکی دهان‌را برگشود ۳٤ یك جماعت زان عجایب کارها می بزیدند از میان زنّارها
قوم دیگر را یقین در ازدیاد زین عجب والله اعلم بالرّشاد ۳٥ قوم دیگر ناپذیرا ترش و خام ناقصان سرمدی تمّ الکلام

تمّ المجلد الثانی من المثنوی المعنوی

---

(۱) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ والنجم «مازاغ البصر وماطغی» یعنی‌کند نشد بینائی پیغمبر و طغیان و زیادتی نکرد (۲) یعنی میگوید با خدای تعالی که ما از توئیم زیرا که جملهٔ تو نمی بینیم و جز تو ندانیم و آن معنی و حقیقت توحید است و ازاین روی درمصرع دوم میگوید آتش‌توحید در شك میزند (۳) خاقانی شیروانی قصیدهٔ گفته وذکر طیور را درآنجا کرده و نام اورا منطق الطیر گذاشته است (٤) اشاره است بآیهٔ قل انما انا بشر مثلکم یوحی الیّ در سورهٔ کهف (٥) بی ز چاه و بی ز حبل من مسد (نسخه بدل) (٦) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ والذاریات که وفی السماء رزقکم و ما توعدون یعنی در آسمان روزی شما مقرر و معین است به آنچه وعده کرده شده‌اید

بسم الله الرحمن الرحيم

الحكم جنود الله (في الأرض) يقوى بها ارواح المريدين يترّه علمهم عن شائبة الجهل وعدلهم عن شائبة الظلم وجودهم عن شائبة الرياء وحلمهم عن شائبة السفه ويقرّب اليهم ما بعد عنهم من فهم الآخرة ويسر لهم ما عسر عليهم من الطاعة والاجتهاد وهي من بينات الأنبياء ودلائلهم تخبر عن اسرار الله وسلطانه المخصوص بالعارفين وادارته الفلك النوراني الرحماني الدرّي الحاكم على الفلك الدخاني الكرى كما انّ العقل حاكم على الصورة الترابية وحواسها الظاهرة والباطنة فدوران ذلك الفلك الروحاني حاكم على الفلك الدخاني والشهب الزاهرة والسرج المنيرة والرياح المنشئة والأراضي المدحية والمياه المطردة نفع الله بها عباده وزادهم فيها فهماً وانما يفهم كل قارئ على قدر نهبته (نهيته ن. ل) وينسك الناسك على قدر قوة اجتهاده ويفتي المفتي مبلغ رايه ويتصدق المتصدق بقدر قدرته ويجود الباذل بقدر موجوده ويقتني المجود عليه ما عرف من فضله ولكن مفتقد الماء في المفازة لا يقصر به عن طلبه معرفته ما في البحار ويجد في طلب ماء هذه الحيوة قبل ان يقطعه المعاش بالاشتغال عنه وتعوقه العلة والحاجة ويحول الأعراض بينه وبين ما يتسرع اليه ولن يدرك العلم مؤثر هوى ولا راكن الى دعة (فهذا) ولا منصرف عن طلبه ولا خائف على نفسه ولا مهتم لمعيشته الا ان يعوذ بالله ويؤثر دينه على دنياه ويأخذ من كنز الحكمة الاموال العظيمة التي لا تكسد ولا تورث ميراث الاموال والانوار الجليلة والجواهر الكريمة والضياع الثمينة شاكراً لفضله معظماً لقدره مجللاً لخطره ويستعيذ بالله من خساسة الحظوظ ومن جهل يستكثر القليل مما يرى في نفسه ويستقل الكثير العظيم من غيره ويعجب بنفسه بما لم ياذن له الحق وعلى العالم الطالب ان يتعلم ما لم يعلم وان يعلم ما قد علم ويرفق بذوى الضعف في الذهن ولا يعجب من بلادة اهل البلادة ولا يعنف على كليل الفهم كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم سبحانه وتعالى عن اقاويل الملحدين وشرك المشركين وتنقيص الناقصين وتشبيه المشبهين وسوء اوهام المتفكرين وكيفيات المتوهمين وله الحمد والمجد على تلفيق الكتاب المثنوى الالهى الربانى وهو الموفق المفضل وله الطول والمن لاسيما على عباده العارفين على رغم كل حزب يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً كثيرا

مثنوی معنوی

مناسبت هفتصد و پنجاهمین سال ولادت

مولانا جلال الدین محمد بلخی رومی

در سال ۱۳۱۶ هجری قمری چاپ شده

بقلم خاور

مثنوی معنوی

مولانا جلال الدین محمد بلخی رومی

شرح حال مولانا ملخصی از آثار مولانا، کتاب مجالس سبعه مولانا، شرح ابیات مشکله مثنوی، ذیل صفحات، دفتر هفتم منسوب بمولانا، کشف الابیات جامع، لطائف اللغات

مرحوم حاجی علی اصغر رمضانی کتابفروش

روز ۱۲ مهر ۱۲۵۰ هجری شمسی بدنیا آمد و شب ۲۰ آذر ۱۳۱۶ هجری شمسی دنیا را بدرود گفت

بپاس سی و سه سال عمری که برای تربیت من بنده صرف کرد

پنج سال زحمتی که برای تصحیح و مقابله و چاپ مثنوی کشیده‌ام

بروان پاکش تقدیم میدارم

و آرزو دارم توفیق یابم سی و سه جلد کتاب نفیس اخلاقی و دینی بنام او چاپ نموده تقدیم دوستداران اخلاق و دین و فرهنگ بنمایم

محمد رمضانی

مثنوی معنوی

مولانا جلال الدین محمد بلخی رومی

شرح حال مولانا ملخصی از آثار مولانا، کتاب مجالس سبعه مولانا، شرح ابیات مشکله مثنوی و ذیل صفحات، دفتر هفتم منسوب بمولانا، کشف الابیات جامع، لطائف اللغات

تصحیح و مقابله و همت

محمد رمضانی

دارندهٔ کلالهٔ خاور

از سال ۱۳۱۵ تا سال ۱۳۱۹ در تهران چاپ شد

بها صد ریال

چاپخانهٔ خاور «تهران»

تصویر مولانا محفوظ در تکیه یکی قاپو اسلامبول

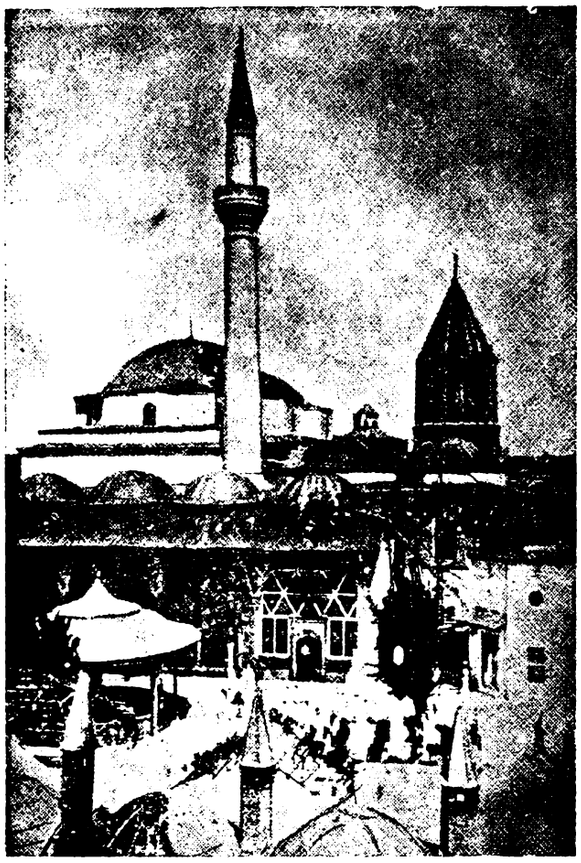

قبه خضرا و تربت شریف مولانا و یاران

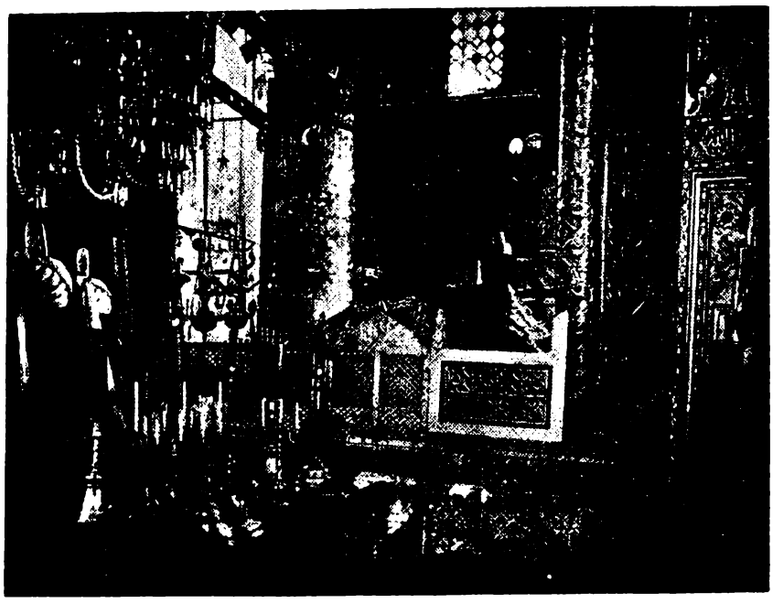

تربت مولانا

سر آغاز

کم کسیست که بادبیات پارسی و شعر و عرفان آشنائی داشته باشد و عارف نامی جلال الدین محمد بلخی مشهور بمولانای، روم قدس سره سرایندهٔ مثنوی معنوی را که یکی از بزرگترین نوابغ ایران و درخشنده ترین ستارهٔ فروزان مشرق است نشناسد. و کمتر کتاب تاریخ و تذکره ایست که از حالات و جذبات مولانا در آن ذکری نشده باشد

در مقدمهٔ بیشتر چاپهای مثنوی ترجمهٔ مختصری که حاجی زین العابدین مستعلیشاه شروانی در بستان السیاحه خود نگاشته نقل شده است و آن خلاصه و عصارهٔ کلیهٔ شروحی است که پیشینیان از احوال این بزرگترین مردان رسیدهٔ راه حقیقت نوشته اند

خوشبختانه در سالهای اخیر سه رساله ذیقیمت در ترجمهٔ حال و تتبع شخصیت مولانا بخامهٔ نویسندگان دانشمند معاصر طبع و نشر شده است :

(۱) ولدنامه یا مثنوی ولدی اثر شیخ بهاء الدین محمد معروف به سلطان ولد فرزند روحانی و جسمانی مولانا با مقدمه و تعلیقات آقای جلال همائی که در حدود ده هزار بیت و قدیمترین و صحیحترین سند تاریخی است که از خصوصیات زندگانی مولانا جلال الدین و پدرش بهاء الدین محمد ملقب بسلطان العلماء و یاران برگزیدهٔ وی سید برهان الدین محقق ترمدی و شمس الدین محمد تبریزی و صلاح الدین فریدون قونیوی و حسام الدین حسن چلبی و اصحاب و مریدان او بحث میکند

سلطان ولد برسر هر فصل و عنوان منظومهٔ ولدنامه نثرهای شیرینی نوشته است که اگر آنهارا جمع کنند رسالهٔ بسیار ساده و فصیحی در مطالب عرفانی و تاریخی و خلاصهٔ طریقهٔ مولویه که بیشتر آداب و رسوم قدیمش مولود خود اوست فراهم خواهد شد

(۲) شخصیت مولوی نگارش آقای حسین شجره که در ۲۳۸ صفحه با قلمی شیوا از اصل و منشأ تصوف و نبوغ عقل از نظر عرفان و نفوذ تصوف ایران در شرق و غرب و حالات مولانا و تدوین مثنوی معنوی و معنی و مفهوم اشعار مولوی و گفتار و نظریات مستشرقین و فضلای غرب در بارهٔ مولانا و مثنوی بحث کرده اند

(۳) رساله در تحقیق احوال و زندگانی مولانا جلال الدین محمد مشهور بمولوی و مشایخ و یاران و مریدان و معاصرین او نگارش محققانهٔ آقای بدیع الزمان فروزانفر با ۱۵ گراور و یک شجره نامه در ۲۳۲ صفحه که علاوه بر تتبعات دانشمندانهٔ خود از ده منبع قدیمی بسیار معتبر و از مجموعهٔ یادداشتهائی که آقای کاظم زادهٔ ایرانشهر در برلن از گفتهٔ بازماندگان و معتقدان مولانا گرد آورده استفاده کرده اند

اگرچه با انتشار این سه رساله احتیاج بنوشتن شرح حال در مقدمهٔ مثنوی خود نداشتیم ولی برای کسانیکه دسترسی بمطالعهٔ آثار نامبرده نداشته باشند اختصاری از ولد نامه و عین مقالهٔ بستان السیاحه و خلاصه ای از تحقیقات آقای فروزانفر را در رساله زندگانی مولانا با مراجعه بشرح حال مولانا بقلم سپهسالار بترتیب مینویسیم و در خاتمه از آثار مولانا و مزایای مثنوی حاضر بحث نموده و بفهرست جامعی از مطالب مثنوی گفتار خود را خاتمه میدهیم

محمد رمضانی

از کتاب ولدنامه

مرید شدن سید برهان الدین محقق مولانا بهاء الدین را و خواب دیدن مفتیان پیغمبر را

گفت برهان دین محقق حق — سبق برده ز سابقان بسبق
سخنش را هر آنکه بشنودی — دایم اورا بصدق بستودی
در جوانی ببلخ چون آمد — خواست کان جایگاه آرامد
جد مارا چو دید آن طالب — که بر و بود عشق حق غالب
لقبش بد بهاء دین ولد — عاشقانش گذشته از عد و حد
جمله اجداد او شیوخ کبار — همه در علم و در عمل مختار
اصل اورا نسب ابوبکری — زانچو صدیق داشت او صدری
مثل او کس نبود در فتوی — از فرشته گذشته در تقوی
بود اندر همه فنون استاد — حق بوی علم را تمام بداد
خوانده سلطان عالمان اورا — مصطفی قطب انبیاء خدا
مفتیان بزرگ اندر خواب — دیده یك خیمهٔ کشیده طناب
مصطفی اندرون خیمه بناز — زده تکیه بصد هزار اعزاز
ناگهانی بهاء دین ولد — از در خیمه اندرون آمد
مصطفی چون بدید جست از جا — پیش رفت و گرفت دستش را
برد پهلوی خویش بنشاندش — زان ملاقات گشت بیحد خوش
گفت از آنپس بمفتیان اینرا — که از امروز این شه دینرا
جمله سلطان عالمان گوئید — در رکابش بجان و دل پوئید
بامدادان باتفاق همه — از سر صدق بی نفاق همه
بر درش آمدند تا گویند — سر آن خواب را ازو جویند
پیش از آنی که دم زنند او گفت — خوابشانرا و سر نکرد نهفت
دادشان از مقام و حال نشان — وقعه را کرد بالتمام بیان
جمله پیشش فغان بر آوردند — بی دف و نای شورها کردند
گشت سید مریدش از دل و جان — تا روانرا کند ز شیخ روان
در مریدی رسید او بمراد — زانکه شیخش عطای بیحد داد
چشمهٔ عشق از دلش جوشید — جان او بادهٔ بقا نوشید
جمله غمهاش ذوق و شادی شد — سوی عشقش چو شیخ هادی شد
خار هجرش ز وصل گلشن گشت — شب تارش چو روز روشن گشت
مس جانش ز نار عشق گداخت — گشت زر چون به کیمیا در ساخت
عاقبت قطب گشت در عالم — سجده گاه ملك شد و آدم

رنجیدن سلطان العلماء از بلخیان و هجرت گزیدن از خراسان

چونکه از بلخیان بهاء ولد — گشت دلخسته آن شه سرمد
ناگهش از خدا رسید خطاب — کای یگانه شهنشه اقطاب
چون ترا این گروه آزردند — دل پاك ترا زجا بردند
بدر آ از میان این اعدا — تا فرستیمشان عذاب و بلا
چونکه از حق چنین خطاب رسید — رشتهٔ خشم را دراز تنید
کرد از بلخ عزم سوی حجاز — زانکه شد کار گر در او آن راز
بود در رفتن و رسید خبر — که از آن راز شد پدید اثر
کرد تاتار قصد آن کشور — منهزم گشت شاه شوم اختر
بلخ را بستد و بزاری زار — کشت از آن قوم بیحد و بسیار
نتوان گفت در ره آن سلطان — که چها داده با کهان و مهان
چه کرامانها که در هر شهر — مینمود آن عزیز روزبهٔ دهر
گر شوم من بشرح آن مشغول — فوت گردد از آن سخن مأمول
آمد از کعبه در ولایت روم — تا شوند اهل روم ازو مرحوم
از همه ملک روم قونیه را — برگزید و مقیم شد آنجا
رو نهادند سوی او خلقان — از زن و مرد و طفل و پیر و جوان
آشکارا کرامتش دیدند — زو چه اسرارها که بشنیدند
چند روزی بر این نسق چو گذشت — که و مه مرد و زن مریدش گشت
گشت سلطان علاء دین چون دید — روی اورا بعشق و صدق مرید
چونکه وعظش شنید شد حیران — کرد اورا مقام در دل و جان
دید بسیار ازو کرامت ها — یافت در خویش ازو علامتها
گفت دل لرزدم ز هیبت او — می هراسم بگاه رؤیت او
هیبتی میزند ازو بر من — که از آن لرزه می فتد در تن
شد یقینم که او ولی خداست — در جهان نادر است و بیهمتاست
دائماً با خواص این گفتی — روز و شب در مدح او سفتی

مردن سلطان العلماء و نشستن مولانا جلال الدین بجای پدر

بعد دو سال آن ولی خدا — سر ببالین نهاد او ز عنا
شاه شد از عنای او محزون — هیچ از این غصه اش نماند سکون
چون بهاء ولد نمود رحیل — شد ز دنیا بسوی رب جلیل
نار در شهر قونیه افتاد — از غمش سوخت بنده و آزاد
در جنازه اش چو روز رستاخیز — مرد و زن گشته اشك خونین ریز
علما سر برهنه و میران — جمله پیش جنازه با سلطان
شه ز غم هفت روز بر ننشست — دل چون شیشه اش ز درد شکست
هفته ای خوان نهاد در جامع — تا بخوردند قانع و طامع
تعزیه چون تمام شد پس از آن — خلق گرد آمدند پیر و جوان

همه کردند رو بفرزندش که توئی در جمال مانندش
شیخ مازین سپس توخواهی بود از توخواهیم جمله مایه وسود
شست برجای وی جلال الدین روبدو کرد خلق روی زمین
مفتی شرق وغرب گشت بعلم از جهان جهل درنوشت بعلم
رایت شرع احمدی افراخت هرکه دین داشت خواجه را بشناخت
بیقراران شدند ازاوساکن همه در ظل او زخوف ایمن

آمدن سید برهان الدین محقق ترمدی بقونیه

مدتی چون بماند در هجران طالب شیخ خویش شد برهان
گشت بسیارو اندر آخر کار داد با وی خبر یکی زکبار
گفت شیخت بدان که درروم است نیست پنهان بجمله معلوم است
آمداز عشق شیخ خودتازان با هزاران تبختر و نازان
گشته ازشیخ پرچوجام ازمی همچنان کز شکر شود پرنی
چونکه شادان بقونیه برسید شیخ خودرا ازشهریان پرسید
همه گفتند آنکه میجوئی هرطرف بهر او همی پوئی
هست سالی که رفت از دنیا رخت خودرا کشید درعقبی
جسم خاکیش رفت اندرخاك جان پاکش گذشت ازافلاك
گفت سید که شیخ اندرماست همچوروغن نهان شده درماست
عین شیخم زمن نماند اثر هیچ دیدی شکرجدا زشکر
آب اگر درمز رکوزه بود عاقل از کوزه ها زره نرود
آب جوید زکوزه تابخورد تشنه درنقش کوزه کی نگرد
خلق راپس بخویش دعوتکرد گشت ازجان غلام اوزن ومرد
شهر جمله مرید او گشتند در درون تخم مهر او کشتند

مرید شدن مولانا جلال الدین بسید و رسیدن بمقام قطبیت

گفت سید بشه جلال الدین گرچه درعلم نادری وگزین
لیك بدوالدتو صاحب حال جوی آنرا و درگذر ازقال
قال اورا گرفته ای بدودست همچومن شوزحال اوسرمست
وارث والدی تو اندرپوست مغزمن برده ام نگردردوست
از مرید پدر چو آن بشنید گشت جان و بگرد تن نتنید
شد مریدش زجان وسربنهاد همچو مرده به پیش او افتاد
بود در خدمتش بهم نه سال تاکه شد مثل او بقال وبحال
همسرو سر شدند در معنی زانکه یکدل بدند در معنی
ناگهان سید از جهان فنا کرد رحلت سوی سرای بقا
ماند بی او جلال دین تنها روزوشب کردروی سوی خدا
خواب وخورراد رآنهوس بگذاشت علم جستجوی را افراشت
پنج سال این چنین ریاضت کرد ازسرصدق و سوزوناله ودرد
عمل و دردراچو کرد قرین رفت همچون ملك بچرخ برین
خاص وعامش مریدوبنده شدند چون نبات از بهار زنده شدند
ده هزارش مرید بیش شدند گرچه اول زصدق دور بدند
وعظ گفتی همیشه برمنبر گرم وگیرا چو وعظ پیغمبر
صیت خوبش گرفت عالم را کرد زنده روان آدم را

رسیدن مولانا جلال الدین بشمس تبریزی و تغییر حال او

ناگهان شمس دین رسیدبوی گفت انی ز تاب نورش فی
از ورای جهان عشق آواز برسانید بی دف و بی ساز
گفت اگرچه بباطنی تو گرو باطن باطنم من این بشنو
دعوتش کرد در جهان عجب که ندید آن بخواب ترك وعرب
نزد یزدان چو بود مولانا از همه خاصتر بصدق و صفا
خضرش بود شمس تبریزی آنکه با او اگر در آمیزی
هیچکس را بیك جوی نخری برده های ظلام را بدری
بعد بس انتظار رویش دید گشت سرها براوچوروز پدید
شد براو عاشق وبرفت ازدست گشت پیشش یکی بلندی وپست
دعوتش کردسوی خانهٔ خویش گفت بشنو شها ازین درویش
پس از آن هردوخوش روانه شدند شادوخندان بسوی خانه شدند
شیخ استاد گشت نو آموز درس خواندی بخدمتش شب وروز
گرچه درعلم فقر کامل بود علم نو بود کان بسوی بنمود

حسدبردن مریدان مولانا برشمس

یکزمانی بهم همی بودند مدت یک دو سال آسودند
غیرت حق در آمدو ناگاه فج فج افتاد در همه افواه
در شناعت در آمدند همه آن مریدان بیخبر چورمه
گفته باهم که شیخ ما زچه رو پشت برما کند زبهر چه او
ما همه عاشقیم در ره شیخ بندهٔ صادقیم در ره شیخ
شده ما را یقین که مظهر حق اوست بی شك وزاو بریم سبق
چه کس است اینکه شیخ ما را او برداز جا چو یك کهی راجو
کرد اورا زجمله خلق نهان می نیابد کسی زجاش نشان
ساحراست این مگر بسحروفسون کردبرخویش شیخ را مفتون
همه درفکر این که کی ازشهر رود او یا فنا شود از قهر
جمله گشته بخون او تشنه ساخته بهر کشتنش دشنه
چون غلوشان براوزحد بگذشت دشمنیشان زحدوعد بگذشت
شمس تبریز رفت سوی دمشق تاشود پردمشق وشام زعشق
چون حزین شد زهجر مولانا گشت معرض زجمله آن دانا
دوستی را از آن نفر ببرید مرغ مهرش زلانه شان بپرید
چونکه آن رایشان نیامد راست عکس شد آنچه هریکی میخواست
گفته بودند اگر رود زینجا ماند آن شاه ما بما تنها
باردیگر زپندهای خوشش بجهیم ازجهان و پنج وششش
آنگروهی که بودشان غفلت کرده بودند از سفه جرأت
پیش شیخ آمدند لابه کنان که ببخشا مکن دگر هجران
توبهٔ ما بکن زلطف قبول گرچه کردیم جرمها ز فضول

فرستادن مولانا بهاء الدین ولدرا

بود شه را عنایتی بولد در نهان اندرون برون از خد
خواند اورا وگفت رو تورسول ازبرم پیش آن شه مقبول
ببر این سیم را بپایش ریز گویش از من که ایشه تبریز
آن مریدان که جرمها کردند زانچه کردند جمله واخوردند
همه سازند از دل و ازجان جانشان را فدای آن سلطان
رنجه کن اینطرف قدم را باز چند روزی بیا و با ما ساز
آنچه ازما سزیدا گر کردیم همچوخار خلنده سر کردیم
همچنین زین نمط بوی میگو دل او را بلابه ها میجو
باشد این گر بودمرا آن بخت نرم گردد نگیرد این را سخت
دهدم باز وصل از سرلطف بهلد هجر و بگذرد از عنف
پس ولد سر نهاد والد را شکر کرد اوخدای واحد را
گشت ازجان روان بسوی دمشق راه را میبرید از سر عشق
چون رسید او بنزد شمس الدین آن شه اولیای با تمکین
در سخن آمد و درر بارید در دل و سینه عشق نو کارید
سر سر حدیث وقرآن گفت کرد پیدا سری که بود نهفت
بی پرش بر فلك بپرانید بی تنش گرد عرش گردانید
حجب از پیش چشم دل برداشت شب تاریك را نمود چوچاشت
ظلمت از تن ببرد و ازدل وجان تاروان گشت همچو سیل روان

بازگشت ولد بقونیه در رکاب شمس الدین

چون شنید از ولد رسالت را خوش پذیرفت آن مقالت را
باز گشت ازدمشق جانب روم تا رسد در امام خود مأموم
شد ولد در رکاب او پویان نزضرورت ولی زصدق وزجان
در ره از وی هزار سربشنید صدجهان از ورای چرخ بدید
چون رسیدند پیش مولانا نوش شد جمله نیش مولانا
وانجماعت که منکران بودند منکر قطب آسمان بودند
جمله شان جانفشان باستغفار سر نهادند کای خدیو کبار
از سر صدق روی آوردیم توبه کاریم از آنچه ما کردیم
بعداز آن جمله ازوضیع وشریف حلقه گشتند گرد شاه ظریف
پهلوی شه نشسته مولانا چون دوخور که زنند سرزسما
شمس تبریز در سخن آمد زنده شد آنکه فهم کن آمد
هریکی زان سخن بعشق پرید هر یکی از خودی تمام برید

از امیر و توانگر و درویش هریکی قدر وسع وطاقت خویش
بخشش آورد و میهمانی کرد تا شود یار مهربانی کرد
مدتی این چنین گذشت زمان در حضور شهان هردو جهان
آن دو شه چون بهار وایشان دشت همه را تازه گشته زیشان کشت
شاخ و برگ درونشان پربار رسته بیخار هر طرف گلزار
درچنین عیش و درچنین وصلت همه پر نورو غرق در رحمت

گستاخی مریدان و ناپدید گشتن شمس الدین

باز شیطان بصورتی دیگر زد درایشان کدورتی دیگر
رخت اعمال جمله را دزدید هر یکی زاعتقاد برگردید
باز گشتند همچو اول بار می ومستی گذشت وماند خمار
روشنی شد بدل به تاریکی صحت تن به رنج باریکی
باز چون شمس دین بدانست این که شدند آن گروه پر از کین
گفت او باولد که دیدی باز چون شدند از شقا همه دمساز
که مرا از حضور مولانا که چو او نیست هادی ودانا
فکنندم جدا و دور کنند بعد من جملگان سرور کنند
خواهم این بار آنچنان رفتن که نداند کسی کجایم من
همه گردند در طلب عاجز ندهد کس زمن نشان هرگز
ناگهان گم شد از میان همه تا رهد از دل و زبان همه
یکدو روز او چو گشت ناپیدا کرد افغان زدرد مولانا
هیچ از وی کسی نداد خبر نی بکس بورسید ازاو نه اثر
شیخ گشت از فراق او مجنون بی سرو پا زعشق چون ذوالنون

استغراق و بیقراری مولانا از فراق شمس الدین

شیخ مفتی ز عشق شاعر شد گشت خمار اگر چه زاهد بد
نی زخمری که او بود زانگور جان نوری نخورد جز می نور
روز وشب در سماع رقصان شد برزمین همچو چرخ گردان شد
بانگ و افغان او بعرش رسید ناله اشرا بزرگ و خرد شنید
غلغله اوفتاد اندر شهر شهر چه بلکه در زمانه ودهر
کاین چنین قطب ومفتی اسلام کوست اندر زمانه شیخ وامام
شورها میکند چو شیدا او گاه پنهان و گه هویدا او
خلق ازوی زشرع ودین گشتند همگان عشق را رهین گشتند
حافظان جمله شعرخوان شده اند به سوی مطربان دوان شده اند
عاشقی شد طریق ومذهبشان غیر عشق است پیششان هذیان

رفتن مولانا درجستجوی شمس الدین بجانب شام

باچنان مستی و چنین جوشش باچنان عشق و باچنان کوشش
کرد آهنگ ورفت جانب شام در پیش شد روانه پخته و خام
چون رسید اندر آن سفر بدمشق خلق را سوخت او ز آتش عشق
همه گشتند عاشقش ازجان دیده در درد او دوصد درمان
جمله ازجان مرید و بنده شدند همچو سایه پیش فکنده شدند
شامیان هم شدند واله او کاینچنین فاضل پیمبر خو
ازچه گشته است عاشق ومجنون کاندرو مدرج است صدذوالنون
شمس تبریز خود چه شخص بود تا پیش این چنین یگانه رود
گفت اگرچه به تن ازو دوریم بی تن و روح هر دو یکنوریم
هردو باهم بدیم بی تن وجان پیش از آن کاین فلك شود گردان
بی زمین و زمان بهم بودیم از وجود جهان نیفزودیم
حالت ما بهم نمی ماند کیست کاحوال ما عیان داند
شمس تبریز را بشام ندید در خودش دید همچو ماه پدید
کرد رجعت بروم باز آمد رفت چون کبك وهمچو باز آمد
قطره اش چون فزود دریا شد بود عالی ز عشق اعلی شد
مطربانرا بخواند از سر او بی سر و پا ببام و بر در او
روز وشب یکدمش قرار نبود بی قدح خمر عشق می پیمود
حیرت خلق شد در او افزون کاین چه شور است واینچگونه جنون
چندسالی نشست وباز زعشق رفت با جمله خلق سوی دمشق
باز آنجا فکند صد غوغا جمله گفته عجب زهی سودا
ماهها در دمشق ساکن شد عاشقی کی ز عشق ساکن شد

بازگشتن مولانا بقونیه وبرگزیدن صلاح الدین زرکوب قونوی

بعداز آن باز گشت جانب روم تا زند بر جبین شیر رقوم
سرزد از چرخ روح آنخورشید تاسها را کند پر از ناهید
گفت چون من ویم چه میجویم عین اویم کنون زخود گویم
وصف حسنش که میفزودم من خودهمان حسن ولطف بودم من
درچنین جوش یک مرید از او یافت قربت سوار گشت نکو
لقبش بود شه صلاح الدین قطب هفت آسمان وهفت زمین
چون ورا دید شیخ صاحب حال برگزیدش ززمرهٔ ابدال
روبدو کرد وجمله را بگذاشت غیر او را خطا وسهو انگاشت
گفت از روی مهر بایاران نیست پروای کس مرا بجهان
سرشیخی چو نیست درسر من نبود هیچ مرغ همپر من
پس ازین جمله سوی او پوئید همه ازجان وصال او جوئید
پس ولدرا بخواند آنحق بین گفت بنگر رخ صلاح الدین
نظرش کیمیاست بر تو فتد رحمت کبریاست بر تو فتد
برهاند ترا ز مرگ و فنا برساند به تخت ملك بقا
کندت بر علوم سر دانا جمله اسرار ازو شود پیدا

آرام گرفتن مولانا با صلاح الدین از طلب شمس وحسد بردن مریدان

شورش شیخ گشت ازو ساکن وآنهمه رنج و گفتگو ساکن
زانکه بد نوع دیگر ارشادش بیشتر بود از همه دادش
آنچه از اولیا نبردی کس سالها میرسید ازو بنفس
شیخ با او چنانکه باآن شاه شمس تبریز خاص خاص اله
نظر شیخ جمله بروی بود غیر او نزد شیخ لاشی بود
ننشستی بهیچکس جز او چشم را بر نداشتی زان رو
باز در منکران غریو افتاد سخت درهم شدند اهل فساد
باز آغاز کرد جوش حسد زانکه بودند غرق نفس وجسد
گفته باهم کز آن یکی رستیم چون نگه میکنیم درشستیم
کاش کان اولینه بودی باز شیخ مارا رفیق و هم دمساز
نبداز قونیه بد از تبریز بود جان پرورونبد خونریز
همه این مرد را همیدانیم همه هم شهریم و هم خوانیم
نی وراخط وعلم ونی گفتار بر ما خود نداشت او مقدار
دائما در دکان بدی زرکوب همه همسایگان ازو در کوب
آنکسانیکه منکران بودند از ازل کور وهم کران بودند
ازخود او را بنقص کرده نظر جان جانرا شمرده چون پیکر
که چسان ترهات میگفتند از غم و غصه شب نمی خفتند
پیش ازین جاش بود صف نعال فخر کردی زما میان رجال
چون شود اینکه او را اکنون شیخ خوانیم بل زشیخ افزون
زین نمط فحشهای زشت ودرشت گاه گفته بروش و گه پس پشت
جمله را رأی اینچنین افتاد که چو زاسب مراد زین افتاد
سر ببازیم و زنده اش نهلیم چون ازو جان فکار وخسته دلیم
یك مریدی برسم طنازی شد از ایشان و کرد غمازی
درهمان لحظه نزد مولانا آمد و گفت این حکایت را
پس رسید این بشه صلاح الدین نورچشم و چراغ هر ره بین
خوش بخندید و گفت آنکوران که ز گمراهیند بی ایمان
نیستند اینقدر زحق آگاه که بجز زامر او نجنبد کاه
چون تواند کسی مرا کشتن یا بخاك و بخونم آغشتن
می برنجید ازاینکه مولانا کرد مخصوصم از همه تنها
خودندانسته اینکه آینه ام نیست نقشی مرا معاینه ام
درمن او روی خویش می بیند خویشتن را چگونه نگزیند
گشت واقف زراز شیخ علیم خشمگین شد بر آنگروه لئیم
راه بربست دیگر ایشانرا آن لئیمان کوربینان را
همه گشتند سرزد از آن گرمی رویشان سخت شد زبیشرمی
روزشان گشت همچو شب تاریك گردن جمله شد زغم باریك
هریکی دست خود همی خائید از دلش غصه ها همی زائید
گفته باهم اگرچنین ماند چه شود حال ما خدا داند

پیش از آنکه رویم جمله زدست چاره سازیم تا رهیم ز شست
سوی ایشان شویم توبه کنان وصل جوئیم تا رود هجران
همه جمع آمدند بر در او می‌نهادند بر زمین سر و رو
گریه زارشان چورفت ازحد بانگ و افغانشان گذشت ازحد
چون شنیدند آن دو زاریرا ساز کردند چنگ یاری را
در گشادند و راهشان دادند قفل های ببسته بگشادند

در گذشتن صلاح‌الدین ورسیدن خلافت به‌چلبی حسام‌الدین

شیخ بااو چودر دوتن یکجان بود آسوده و خوش‌وشادان
مست از همدگر شده ده‌سال داشته بی خمار هجر وصال
جمع یاران بگردشان زده صف آندوچون بحروباقیان چون کف
همه چون اختران وآندوچوماه همه چون بندگان و آندوچوشاه
درچنین عیش‌ودولت ونزهت در چنین جاه‌و ملکت و زینت
ناگهان شدصلاح‌دین رنجور گشت از صحبت بدن مهجور
شیخ فرمود در جنازهٔ من دهل آرید و کوس بادف زن
سوی گورم برید رقص کنان خوش‌وشادان‌ومست‌ودست‌افشان
تا بدانند کاولیای خدا شاد و خندان روند سوی لقا
کردچشمان فرازو رفت‌بناز ناز نازان بصد هزار اعزاز
اولیا را بود زمرگ حیات زانکه در مرگ دیده‌اند نجات
جسم پاك ورا چواندر خاك بنهادند رفت پاک بپاک
بود راضی‌شه از حسام‌الدین داده بودش هزار گنج گزین
مرشد جمله بود مولانا آن خدیو یگانهٔ والا
رتبت هر یکی براو روشن گشته همچون میان‌روح وبدن
شیخ گفت ای حسام‌حق آئین چونکه‌رفت‌ازجهان‌صلاح‌الدین
بعدازین نایب وخلیفه توئی زانکه اندر میانه نیست دوئی
آن یکی باز گفت مولانا زین سه مهتر کدام بود اعلی
گفتش اندرجواب کای‌همراه شمس چون‌مهربد صلاح چوماه
چون‌ستاره‌است‌شه‌حسام‌الحق زانکه گشته‌است باملك ملحق
شیخ اینرا بجای آن بنشاند بر سرش نور ها نثار افشاند
گفت اصحاب‌را که سربنهید پیش او عاجزانه پر بنهید
همه امرش ز دل بجا آرید مهر او در درون جان کارید

مصاحبت شیخ حسام‌الدین تاپایان زندگانی مولانا ومستفیدشدن یاران بی‌حدازهردو

بود با شیخ در زمانهٔ شیخ همدل و همنشین بخانهٔ شیخ
در صفاو وفابهم همدم همه اصحاب شادمان بیغم
بخشش هردو برهمه شامل همه از هر دو عالم و عامل
خوش‌بهم‌بوده مدت ده‌سال پاك و صافی مثال آب زلال
بعداز آن نقل کرد مولانا زین جهان کثیف پر زغنا
سال هفتاد و دو بده بعدد ششصد از عهد هجرت‌احمد
چشم‌زخمی‌چنین‌رسیدبخلق سوخت‌جانها زصدمت‌آن‌برق
لرزه افتاد در زمین آندم گشت نالان فلك در آن ماتم
مردم شهر از صغیرو کبیر همه اندر فغان وآه‌و نفیر
بجنازه همه شده حاضر از سر مهر و عشق نز پی‌بر
قوم هر ملتی براو عاشق اهل هر مذهبی براو صادق
عیسوی گفته‌اوست‌عیسی‌ما موسوی گفته‌اوست موسی ما
مسلمش‌خوانده‌سرونورر‌سول گفته هست‌اوعظیم‌بحر نقول
همه کرده‌زغم گریبان‌چاك همه از سوز کرده برسرخاك
آنفغان و خروش کانجابود کس‌ندیده‌است‌زیرچرخ کبود
همچنان‌این کشیدتاچل‌روز هیچ ساکن‌نشد دمی‌تف‌وسوز
روزوشب‌بودگفتشان‌همه‌این که‌شد آن گنج زیرخاك‌دفین
ذکراحوال‌وزندگانی او ذکر افوال‌و در فشانی او
ذکرعشق‌خداو تجریدش ذکرمستی‌و صدق‌و توحیدش
ذکرلطف‌وتواضع‌وکرمش ذکرحال وسماع چون ارمش
ذکرتذکیرووعظو گرمی‌او ذکر مهر و وفا و نرمی او
ذکراسرارولطف‌انوارش ذکر آن کشفها ز دیدارش
ذکرتقوی وحلم‌ورحمت‌او ذکر فتوی وعلم‌و حکمت او

از کتاب بستان‌السیاحه

برضمایر مهرمآثراولوالابصار مخفی ومستور نماند که ولادت باسعادت‌مولانا در قبة‌الاسلام بلخ من‌بلاد خراسان‌درششم‌ربیع‌الاول سنه ٦٠٤ ششصدو چهار هجری روی نمود

همان شراب کش بادهٔ خم‌جبروت همان همای‌بلند آشیان‌عرش‌نشین
رموز گوی‌ازل‌مولوی‌که‌دادنجات مقیدان هوا را زقید این سجین
زجلدهای کتابش‌که‌مینوشت‌گرفت جهات سته به پیرایهٔ ابد تزیین
سخن‌زمرتبهٔ‌شعراونه‌حدمنست که‌همچوعرش‌بلنداست‌وهمچوشرع‌متین

گویند آنجناب در پنج سالگی بهر سه چهار روز یکبار افطار میفرمود و در نسب از نسل ابوبکربن ابی‌قحافه خلیفهٔ اول بود بدین ترتیب :

هوابن بهاءالدین محمدبن حسین‌بن احمدالخطیب بن محمود بن ثابت بن مسیب بن مطهر بن‌حماد بن عبدالرحمن بن ابوبکر

ابأعن‌جدازعلماء نامدار عالیمقدار و از فضلاء کبار آندیار بودند و شیخ‌احمدالخطیب بلخی مریدقطب‌العارفین شیخ‌احمدغزالیست و فرزند ارجمند او شیخ حسین که‌جد مولاناست بغایت متقی و پرهیزکار و اسباب دنیوی در نظرش بیمقدار بود نقل است که در واقعه حضرت رسالت پناه صلعم خوارزمشاهرا فرمود که ما دختر ترا بشیخ حسین عقدکردیم تو نیز قبول کن و ایضاً وزیر خوارزمشاه همان خوابرا مشاهده نمود و شیخ حسین نیز درهمان شب خواب میبیند که حضرت رسول صلعم میفرماید که ماصبیهٔ خوارزمشاهرا بتو تزویج نمودیم خوارزمشاه بفرمودهٔ آنحضرت عمل نموده دختر پاکیزه گوهر خودرا بنکاح‌شیخ حسین درآورد و بهاءالدین محمد از آن عفیفهٔ مکرمه بوجود آمد چون بسن‌رشد و تمیز رسید بتحصیل علوم مشغول شده در اندك زمانی دراکثر علوم ماهر گردید و نیز در عنفوان شباب بعد از اکتساب علوم و آداب اولا تلقین ذکر از والد خود گرفته و او از پدرش امام احمد خطیب و بدینواسطه سلسلهٔ بهاء الدین متصل بشیخ احمد غزالیست بعداز آن صحبت شیخ‌الشیوخ نجم‌الدین کبری‌را دریافته است و از روی ریاضت و مجاهده با علی قلل مشاهده شتافته و مقبول همهٔ دلها شده و در بلخ متمکن میبوده و بدرس و فتوی نیز اشتغال مینموده‌و طالبانرا بکشف حقایق و معارف راهنمائی میکرده‌و از برای ارشاد عوام عقد مجالس نصایح و مواعظ می ساخته و بحال همهٔ طوایف میپرداخته و سلطان محمدخوارزمشاه از جملهٔ مریدان و معتقدان بوده و سید برهان‌الدین الترمدی که ازجملهٔ اقطاب بود ازمریدان آنجناب بشمار است که باتابکی‌مولانا جلال‌الدین محمدرومی اشتغال مینمود

آورده اند که شبی سیصد دانشمند مفتی از مشاهیر بلخ که از جملهٔ منکران بودند در خواب سیدکاینات را دیدند که درخیمهٔ سبز نشسته بود و مولانا بهاءالدین‌بازبدهٔ ممکنات صلی‌الله‌علیه‌وآله همنشین وحضرت‌رسول‌صلعم مولانارا نوازشها نموده‌وفرمودماترا سلطان‌العلماء لقب‌نهادیم آنجماعت چون‌بیدارشدندروی‌بخدمت‌مولانا نهادند وچون‌درراه‌بایکدیگر ملاقی‌شدند وازخواب‌دوشینه حکایت میکردند متعجب ومتحیر میماندندومولاناسلطان‌العلماء بعداز اداء صلوة‌واذکار بربام رفته بود و اینجماعت ازهیبت اینحال امکان در کوفتن‌ومجال‌اخبار نداشتند آخرالامرسراز بام فرو کرده‌فرمود : تاحضرت‌سیدالمرسلین‌علیه‌افضل‌الصلوات‌ازحال‌درویشان‌وروش‌ایشان اخبار نفرمودشمازنارانکارازمیان‌نگشودیدآنجماعت استغفار کردند ومریدومعتقدشدند.سلطان‌محمدبعداز استماع‌این‌کلام‌درخدمت‌اهتمام بیشتربتقدیم‌رسانیدوامام‌فخرالدین‌رازی‌نیز به‌تبعیت‌میآمدچه که‌معلم سلطان‌بود وجناب مولانا در اثنای موعظت مذمت مذهب حکمای یونان میفرمود و میگفت: جمعی که کتب آسمانی را در پس پشت انداخته و اقاویل وعقاید فلاسفه پیش گرفته اند چگونه امید نجات داشته باشند

امام‌فخرالدین ازاینمعنی عرق حسدش میجنبید ودائماً بگردسعایت وفساد میگردید امافرصت‌نمیدید اتفاقاًروزی سلطان‌بزیارت‌مولانا آمده‌بود کثرتی عظیم باشکوه بیش‌از پیش دید وفخرالدین‌رازی راخطاب کرده و گفت بیحد کثرتی مشاهده میشود وی‌فرصت‌یافته گفت اگر بتدبیر دفع این کثرت‌نشود بیم‌است که‌در ارکان‌سلطنت خلل افتد بواسطهٔ آنکه طباع برحسد مجبولست این‌سخن واهی برسلطان اثر کرده فرمود که‌تدبیر باید نمود درجواب گفت‌صواب آنست که کلید خزائن و قلاع را بخدمتش بفرستیم و بگوئیم که امروزجمعیت و کثرت آنحضرت راست وبواسطهٔ‌استیلای مریدان وشوکت معتقدان وهنی درامور مملکت ظاهر گشته و بجز کلید دردست‌ماراختیاری نمانده‌یا کلیدهاراقبول کنند یا ازدارالسلطنه بیرون روند وازمملکت‌هر کجا خواهند متمکن شوند چون‌براین سیاق عمل کردند دمار ازدودمان خویش‌برآوردند ازاستماع این سخن‌مولاناسخت‌برنجید وقسم‌یاد کرد که‌تامحمد خوارزمشاه‌پادشاه خراسان باشد بدانجا نیاید مثنوی

تادل مردخدا نامد بدرد هیچ قومی‌را خدا رسوا نکرد

گویند باعث انقراض دولت خوارزمشاهیان و تسلط چنگیزیان برمملکت‌ایشان نخست قتل مجدالدین‌بغدادی‌شد واومریدنجم‌الدین خوارزمی و مرشد شیخ فریدالدین عطار قدس الله اسرارهم بود وتفصیل احوال‌آن‌بزرگوار درکتب تواریخ مسطور است‌ودیگر رنجش خاطرمولانا بهاءالدین‌است.

نقلست که مولانا روز دیگر در میان مجلس گفت فردا عزم سفر دارم هر کرا ارادت درویشان‌است آماده‌باشدروزدیگر ازمریدان و معتقدان سیصد نفر درخدمتش روانه شدند درآنوقت‌مولانا جلال الدین بسن شش ساله بود و مولانا بهاءالدین در نیشابور باجناب شیخ فریدالدین عطار قدس سره ملاقات کرد وجناب شیخ کتاب اسرار نامه‌را که یکی از مؤلفات خودبودبمولانا جلال‌الدین‌عنایت نمود وببهاءالدین گفت که‌این فرزندرا گرامی‌بدار زودباشد که از نفس گرم آتش‌برافسردگان عالم زند مولانا بهاءالدین جناب‌شیخ را وداع‌نموده عازم بیت‌الله‌الحرام گردید و چون‌بدارالسلام بغداد رسید اکابرواعاظم و بزرگان مولانارا تعظیم تمام کردند و لوازم احترام نسبت‌بآن‌بزرگوار بجای‌آوردند مدت‌یکماه تفسیر بسم‌الله فرمود چنانکه‌تقریراول‌بثانی نسبت نداشت جمعی ازطرف سلطان علاءالدین کیقباد سلجوقی از کشور روم بدارالخلافه بغداد آمده بودند آن‌تقریردلپذیرازمولاناستماع نمودند وچون‌بروم‌باز گشتند دراثنای حکایات‌درحضرت سلطان از مناقب مولانا آنچه مشاهده کرده‌بودند عرضه داشتند سلطانرا درغیبت‌اعتقادی عظیم‌راسخ‌شد و دائماً تمنای ملاقات صوری‌داشت تا از تقدیر کردگار مولانارا عزیمت حجازافتاد وازحجازبطرف‌شام‌عبورفرموده‌ودرآنجامولانا برهان‌الدین ترمدی‌رحلت‌نمود آنجناب در حین‌وفات خدمت‌مولانا وصیت کرد که‌باید شما بطرف روم عزیمت نمائید که جهت شما در آن‌دیار فتوحی خواهد بود بنا بفرمودهٔ آن بزرگوار مولانا بمدینهٔ ارزنجان آمده در خانقاه عصمتیه تاج ملك خاتون که عمهٔ‌سلطان علاءالدین بود نزول نمود خاتون سعادت مقرون خدمات پسندیده بجای آورد و التماس کرد که آنجا متمکن شود قبول نفرمود وبزودی از آنجا عزیمت آنشهر نمود و فصل زمستان‌در آنجا اقامت کرد بعداز آن بطرف روم نهضت فرمود سلطان را معلوم شد که قرب منازل حاصل شده است قاصدان بخدمتش فرستاد استعجال حرکت مولانا نمود ملتمس سلطان باجابت لاحق شد چون بصحرای قونیه رسید سلطان باجمیع اکابروارکان‌دولت مولانارااستقبال نمود سلطان بعداز اظهار اخلاص و ارادت استر شمام نام که در گام‌زدن پیك باد شمال بود برسم نیاز پیشکش‌نمود وچندگام در رکاب مولانا پیاده رفت مولاناچندانکه مبالغه‌فرمود که سوار شود سلطان بر تواضع وفروتنی می افزود و میگفت جهت‌مزید دولت‌وسعادت خویش این‌عبودیت بتقدیم میرسانم‌آنگاه در منزلی که‌لایق آنجناب‌بود فرود آورد وچندان‌خدمات‌ومراعات نمود که عشر عشیرآن بشرح و بیان در نیاید در آن اوان مولینا جلال الدین بسن چهارده سالگی بود و در آن صغر سن از روی علوم وحکم عالمی بزرگ شده بود چون والد بزرگوارش در سنه ۶۳۱ هجری رحلت نمود مولانا بموجب وصیت والد بر مسند افاده قدم گذاشت ولوای نشر علوم و درس فنون وامر معروف و نهی منکر برافراشت

آورده اند که مولانا بعداز تحصیل‌علوم رسمی و اصطلاحی از اقسام علوم آنچه سیدبرهان‌الدین ازشیخ خود از حقایق مکتوم معلوم کرده‌بود مولانارا تعلیم‌و تلقین میکرد چون‌ذات‌ملك صفات اورا بریاضات و مجاهدات مکاشفات ومشاهدات دست داد و قابل اسرار احدی و محرم رموز کنوز احمدی شد بصحبت حضرت خضرعلی نبیناوعلیه السلام مشرف گشت و جمعی کثیر ازعرفای عصر را ملاقات نمود آخرالامر بخدمت تاج العارفین مولانا شمس‌الدین تبریزی رسیدوارادت آن‌جنابرا ازدل وجان‌برگزید ونسبت طریقت شمس‌الدین بجناب قطب الاولیاء و زبدت‌الاصفیاء علی‌بن موسی‌الرضاعلیه‌آلاف‌التحیة و الثناء میرسد براین‌موجب: شمس‌الدین مرید باباکمال جندی بود و او مرید شیخ نجم‌الدین خوارزمی و او مرید شیخ‌عمار بدلیسی واومرید شیخ نجیب‌الدین سهروردی و او مرید شیخ احمد غزالی واو مرید شیخ ابوبکر نساج واومریدشیخ ابوالقاسم کورکانی (و او مرید شیخ ابوعمران مغربی و او مرید شیخ ابو علی رودباری) و او مرید شیخ جنید بغدادی‌واومرید شیخ‌سری سقطی و او مرید شیخ معروف کرخی و او مرید و دربان علی‌بن موسی‌الرضا علیه التحیة والثناء بود

آورده‌اند که‌شمس‌الدین ولد علاءالدین‌بوداز نژاد کیا بزرگ‌امید گویندپدروی‌ترک‌مذهب‌اسمعیلی کرده شعار اسلام ظاهر نمود و در نهانی ولدخود شمس‌الدین‌را بخواندن علم به تبریز فرستاد و در آنجا علم وادب آموخت و انواع فضائل اندوخت جامی‌صاحب نفحات‌الانس آورده که شمس الدین از خاندان اسمعیلیان نیست بلکه‌او تبریزی‌الاصل پسربزازیست‌وبعضی‌گفته‌اند که‌اصل‌شمس‌الدین ازخراسان بوده وخود درشهر تبریز تولدنموده ودراین باب روایت دیگر نیزوارداشت راقم گوید شاخ گل هرجا که‌میروید گل‌است

نقلست که‌چون شمس‌الدین درعالم طلب سیاحت میکرد تا آنکه بخدمت باباکمال‌الدین جندی قدس‌سره رسید و به‌هزار جان ودل مریدش گردیدوقتی باباکمال جمعی از مریدانرا که‌ازآنجمله‌شیخ بهاءالدین زکریا و شیخ فخرالدین عراقی و امیر حسین هروی بودند در خلوت نشاند وشمس‌الدین را نیز بریاضت و خلوت امر کردشیخ فخرالدین عراقی لوایح اسرار را بصورت لوامع و اشعاراملا نموده بعرض شیخ کمال‌الدین‌رسانیدوشمس‌الدین اظهار اینمعانی نمیکرد روزی آن بزرگوار فرمود فرزند شمس‌الدین از حقایق و اسرار که فرزند فخرالدین باظهار آن قیام مینماید برتوهیچ لایح نمیشود عرض‌نمود بیش‌از آن حقایق مشاهده‌می‌افتد او از جهت‌اشتغال‌بمصطلحات‌علوم‌بعبارتی‌مناسب کشف‌بعضی‌اسرار مکتوب‌میتواند کرد ومرا دست‌نمیدهدشیخ‌فرمود که‌باریتعالی ترا مصاحبی‌روزی کند که‌معارف‌وحقایق‌اولین‌وآخرین‌را بنام‌تواظهار کندوینابیع‌حکمت‌ازدل‌اوبرزبانش‌جاری‌شودوهمهٔ آن کسوت‌مقالات مطرزبنام‌تو باشدبعداز آن‌باباکمال‌فرمود که‌ترابطرف‌روم‌بایدرفتن‌ودر آنجاسوخته‌ایست‌میبایداورامشتعل کردن‌شمس‌الدین‌بموجب‌فرمودهٔ وی عمل‌نموده متوجه روم گردیدودرحین گردش آن‌مرزوبوم‌بشهر قونیه‌رسیدودرکاروانسرای‌شکرفروشان‌منزل گزید

روزی‌دربازارمولاناجلال‌الدین براستری‌سواربکوکبهٔ تمام‌عبور مینمود و شمس‌الدین اورا دیده بفراست مطلوب‌را شناخت و در رکابش روان‌شده پرسید که‌غرض‌از مجاهده و دانستن علوم‌چیست

مولانا گفت روش سنت و آداب شریعت است شمس الدین فرمود این خود ظاهر است مولانا گفت ورای آن چیست شمس الدین گفت که علم آنست که ترا بمعلوم رساند و بشاهراه حقیقت کشاند و این بیت سنائی را برخواند

علم کز تو ترا نه بستاند جهل از آن علم به بود بسیار

مولانا از استماع این سخن متأثر و متحیر گشته مرید شمس الدین گردید و بروایت دیگر چون شمس الدین بقونیه رسید مولانا را ملاقات نمود در حالتی که مولانا در کنار حوض نشسته بود و کتابی چند پیش خود نهاده شمس الدین از مولانا پرسید که این چه مصاحفست مولانا جواب داد که این را قیل و قال گویند ترا بآن چه کار است شمس الدین فی الحال کتابها را در آب انداخت و مولانا را متحیر ساخت مولانا از روی تأسف فرمود که ای درویش بعضی فواید والا بود که دیگر یافت نمیشود دیوانگی کردی وضایع ساختی شمس الدین دست دراز کرد یکان یکان همهٔ کتابها را بیرون آورد که آب در آنها اثر نکرده بود مولانا پرسید که این چه سر بود که بظهور پیوست شمس الدین فرمود که این از ذوق و حال است ترا از آن چه خبر بعد از آن باهمدگر صحبت بسیار داشتند و مولانا فرجی و وضع دستار مشابه او ساخت و طریقهٔ سماع آموخت و بیمن تربیت او علم معرفت بر سر عالم افراخت چنانکه میفرماید

هزاران درج در دارد بناگوش ضمیر من از آن الفاظ وحی آسای شکربار شمس الدین
ز عقل و روحها بگذر حجاب عقل برهم در دو سه منزل از آنسو تر ببین بازار شمس الدین

منقولست که چون مولانا ربودهٔ شمس الدین گردید مدت شش ماه در خلوت با او مینشست و می آرامید موالی مولانا شور و غوغا بر آوردند و بر شمس الدین طعن و تشنیع آغاز کردند که سر و پا برهنهٔ و شکم گرسنهٔ ظهور نمود و مقتدای مسلمانان را گمراه کرده است شمس الدین بالضرورد بصوب تبریز روان گردید و مولانا را سوز عشق زبانه کشید و در فراق شمس الدین شعر های سوزناك گفتن گرفت آخر الامر طاقتش طاق شده سوی تبریز شتافت و بعد از زحمات بسیار مطلوب را دریافت در مثنوی از زبان وامدار بر اینمعنی اشارت نموده

ساربانا بار بگشا زاشتران شهر تبریز است و کوی دلستان
فر فردوس است این پالیزرا شعشعهٔ عرش است این تبریزرا
هر زمانی فوج روح انگیز جان از فراز عرش بر تبریزیان

مولانا و شمس الدین پس از چندی با یکدیگر بروم آمدند و چند گاه خالی از اغیار مشغول صحبت شدند باردگر دوستان مولانا که در حقیقت دشمنان بودند حسد و حقد آغاز نمودند

خدای تخم حسود از جهان براندازد اگر حسود نباشد جهان گلستانست

این بار شمس الدین بطرف شام فرار کرد و مدت دو سال در نواحی شام اقامت فرمود مولانا در آن مدت از فراق شمس الدین میسوخت و غزلهای عاشقانه میساخت و عشق شمس الدین بنیاد صبر مولانا را یکباره برانداخت آرام و قرار ازو گم گردید عاقبت مبلغ هزار دینار زر به پسر خود بهاء الدین ولد داده و گفت بزودی بسوی شام بخرام و شمس الدین را در مقام صالحیه خواهی دریافت که با فرنگی زادهٔ شطرنج میبازد زینهار بخاطر خطرهٔ میار که آن پسر یکی از مردانست و از این راه آگاهش میسازد و این زر را بعتبهٔ شمس الدین ایثار کن و کفش آنحضرت را بسوی روم گردان و این ابیات را بخوان

بروید ای حریفان بکشید یار ما را بمن آورید حالی صنم گریزپا را
اگر او بوعده گوید که دم دگر بیاید مخورید مکر او را بفریبد او شما را

از این غزل بهمین دو بیت اکتفا نمود بهاء الدین بحکم والد بشام رفته آنچه از والد شنیده بود دید و آنچه فرموده بود بانجام رسانید و شمس الدین بصوب روم مصمم گردید در آنسفر بهاء الدین در رکاب شمس الدین مسافت یکماهرا پیاده طی نمود هر چند آنجناب مبالغه کرد که سوار شود بهاء الدین قبول نکرد و گفت شاه سوار شود و بنده سوار چگونه خواهد بود

آفرین خدای بر پدری که تو پرورد و مادری که تو زاد

چون شمس الدین بقونیه رسید مولانا بشرف مواصلت مشرف گردید آنجناب در اثنای صحبت اظهار بهجت از بهاء الدین میفرمود و گفت من ازو راضی شدم مرا سری بود و سری سر بتو دادم و سر به پسرت بخشیدم اگر بهاء الدین ولد را هزار سال عمر بودی و همه را در راه طلب رضای خدا صرف نمودی آنچه در این سفر اورا حاصل گشت هزار یك آن حاصل نشدی

نقل است که شبی شمس الدین با مولانا در خلوت صحبت میداشت و اعلام طریقت بر فراز حقیقت می افراشت ناگاه کسی از بیرون در بشمس الدین اشارت کرد مولانا گفت کیست آنجناب فرمود بقتلم میخوانند چون بیرون رفت مولانا صیحهٔ شنیده بیرون دوید چون نظر کرد قطرهٔ خون ریخته دید از آنزمان تاحال از شمس الدین چون عنقا نامیست بعضی گویند بمولانا در عالم واقعه شمس الدین گفت که مرا کشته بچاه انداختند چون مولانا از خواب بیدار شد بسر چاه رسید وجسد آن یوسف مصر ولایت را از چاه بیرون کشید و در مقام مناسب دفن نمود

راقم گوید اینقول بصحت اقربست چنانکه اکنون مزار آن بزرگوار در آن دیار مطاف طائف خلق روزگار است در نفحات مسطور است که باعث هلاك شمس الدین علاء الدین محمد که به تیرانه لیس من اهلك نشانه شده پسر ناخلف مولانا بود و علاء الدین بعد از اقدام بر آن امر شنیع بمرضی مزمن گرفتار گشته بسرای دیگر انتقال نمود و مولانا بجنازهٔ او حاضر نگشت

مخفی نماناد که در کیفیت ملاقات شمس الدین با مولانا اخبار متعدده وارد است که از طول کلام اندیشیده از تذکار آن عنان قلم باز کشید شهادت شمس الدین در سنه ٦٦١ هجری روی نمود

آورده اند که مولانا جلال الدین بعد از واقعهٔ هایلهٔ شمس الدین همواره غمگین میبود و علی الدوام زاری و بیقراری مینمود و آخر الامر خاطر حزین و دل اندوهگین خود را بصحبت و تربیت حسام الدین چلبی المعروف بابن اخی ترك تسلی فرمود نسب وی بدان کس میرسد که فرمود امسیت کردیاً واصبحت عربیا حسام الدین در حجر تربیت مولانا نشوونما یافته و مهر شفقت و مرحمت مولانا بروجنات حال وی تافته و محبوب و منظور مولانا بوده و بحسن طاعت و انقیاد بدرجهٔ عالی ترقی نموده است و کتاب مثنوی که مشهور در السنهٔ صغار و کبار مذکور است باستدعای حسام الدین مولانا بسلك نظم کشیده الحق کتابی بدین نظم و نسق بزبان فارسی چشم زمانه ندیده و گوش روزگار نشنیده است بمرتبهٔ مقبول و مطبوع عرفا گردیده که شیخ بهاء الدین عاملی با آنهمه فضل و کمال در تعریف آن میفرماید

من نمیگویم که آن عالیجناب هست پیغمبر ولی دارد کتاب
مثنوی معنوی مولوی هست قرآنی بلفظ پهلوی
مثنوی او چو قرآن مدل هادی بعضی و بعضی را مضل

در نزد محققان هر قوم پسندیده است چنانکه راقم در جمیع بلاد اقالیم سبعه دیده و شروحی بسیار بزبان فارسی و عربی و ترکی و هندی بر آن نوشته اند

نقلست که حسام الدین شبی اندیشه نمود که در خدمت مولانا استدعا نماید که بوزن منطق الطیر شیخ فرید الدین عطار قدس سره کتابی بنظم آورد و در صبح آنشب بنیت مذکور بخدمت مولانا مشرف گشته مرکوز خاطر را عرضه داشت مولانا بعد از استماع سخن حسام الدین کاغذی از دستار خود بیرون آورده بدست وی داد و فرمود که دیشب وقتیکه از خاطر تو گذشت بر من وارد گشت که اینگونه کتابی منظوم شود و انجام رسد لهذا این ابیات همانوقت از خاطر من سر زد

بشنو از نی چون حکایت میکند وز جدائیها شکایت میکند

اولین شعر کتاب مثنوی تا

درنیابد حال پخته هیچ خام پس سخن کوتاه باید والسلام

بعد از آن مولانا بگفتن مثنوی مشغول گشت از اول شب مولانا نظم نمودی و آخر شب حسام الدین بآواز بلند در حضور مولانا خواندی و بسمع مجلسیان رساندی نوبتی حسام الدین بخدمت مولانا معروض داشت که در وقت خواندن مثنوی گویا میبینم از غیب شمشیرها

کشیده اند و گردن منکران را میزنند مولانا تصدیق نموده گفت نیك دیدی چنانچه درمثنوی بدان اشارت نموده

دشمن اینحرف ایندم درنظر — شدممثل سرنگون اندرسقر
ای ضیاء الحق تودیدی حال او — حق نمودت پاسخ احوال او
دیدهٔ غیبت چوغیبت اوستاد — کم مباداز این جهان این دیدوداد

چون جلداول مثنوی بانجام رسید زوجهٔ مکرمهٔ حسام الدین بسرای جاوید خرامید بدانسبب یا بسبب دیگر اختلال دراحوال حسام الدین ظاهر گردید مدت دوسال [تنظیم مثنوی] بتعویق افتاد ومولانا بگفتن مثنوی لب نگشاد بعداز انقضای مدت مذکوره باردیگر حسام الدین ازخدمت مولانا اتمام مثنوی استدعا نمود چنانچه در اول جلد دوم اشاره برین فرموده

مدتی این مثنوی تأخیر شد — مهلتی بایست تاخون شیرشد
تا نزاید بخت تو فرزند نو — خون نگردد شیر شیرین خوش شنو
چون ضیاء الحق حسام الدین عنان — باز گردانید زاوج آسمان
چون بمعراج حقایق رفته بود — بی بهارش غنچها نشکفته بود
مثنوی که صیقل ارواح بود — باز گشتش روز استفتاح بود
مطلع تاریخ این سوداوسود — سال اندر ششصدوشصت ودوبود

آنگاه بجدتمام وسعی مالا کلام باتمام مثنوی قیام فرمود جلد ششم بپایان نرسیده عارضهٔ بربدن شریفش روی نمود ودرآن بیماری ازجهان فانی بعالم جاودانی انتقال فرمود چنانکه بهاء الدین ولد در آخر مثنوی برآن ایمائی مینماید

مدتی زین مثنوی چون والدم — شد خمش گفتش وراکای زنده دم
از چه رودیگر نمیگوئی سخن — بهر چه بستی در علم لدن
گفت نطقم چون شتر زین پس بخفت — نیستش باهیچکس تاحشر گفت
همچو اشتر ناطقه اینجا بخفت — او بگوید من دهان بستم ز گفت
قصهٔ شهزادگان نامد بسر — ماند نا سفته در سیم پسر
باقی این گفته آید بیزبان — با درون آنکه دارد زنده جان
فهم میگوید شتر چون خفت او — وقت رحلت آمد و جستن زجو
گفتگو آخر رسیدو عمر هم — مژده کامد وقت کز تن وارهم
درجهان جان کنم جولان همی — نگذرم زین نم در آیم دریمی

فقیر گوید ازمحققان ملک روم و دانشمندان آنمرز وبوم بکرات استماع نمود واز ثقات دیار مصر و شام مکررشنود که مولانا از آن مرض صحت یافته دفتر دیگر برمثنوی افزوده آنرا هفت جلد فرموده است چنانچه شیخ اسماعیل قیصری که عالم معالم سخن پروریست درحدود هزار واند هجری شرحی بردفتر هفتم نوشته ودر عنوان آن کتاب مدعیست که ناظم جلدهفتم جناب مولویست وازملحقات نیست چون بعداز تدوین جلد ششم گفته شده لهذا بغیراز کشور شام وروم شهرت نیافته است والله اعلم بحقایق الامور گویند این اشعار از جلدهفتم است

ای ضیاء الحق حسام الدین سعید — دولتت پاینده فقرت بر مزید
چونکه ازچرخ ششم کردی گذر — بر فراز چرخ هفتم کن مقر
سعد اعداداست هفت ای خوش نفس — زانکه تکمیل عدد هفت است وبس

شیخ نجیب الدین رضا تبریزی الاصل اصفهانی المسکن که در زمان شاه سلیمان صفوی پایهٔ سلسلهٔ ذهبیه بوده و کتاب سبع المثانی را ببحرمثنوی تألیف نموده درعنوان آن کتاب فرموده که درعالم واقعه مولانا بمن خطاب کرده فرمود که جلد هفتم مثنوی را توباتمام رسان بنابفرموده مولانا کتاب سبع المثانی را بنظم آوردم فقیر گوید آنچه نزد درویشان روم وشام وعربستان درخصوص جلد هفتم بصحت اقربست قول اولست (آندفتر درآخر همین کتاب مسطوراست) اصحاب معرفت بعداز دقت معلوم میکنند که ناظم آن جناب مولوی بوده یانبوده

معاصرین مولانا ـ آورده اند که درعصر مولانا جلال الدین قدس سره درکشور روم وایران وغیره عرفای عظام ومشایخ کرام بسیار بوده از آنجمله شیخ اوحدالدین کرمانی وشیخ بهاء الدین زکریاء ملتانی وشیخ نجم الدین رازی وشیخ مصلح الدین سعدی شیرازی وشیخ محی الدین الاعرابی وشیخ صدرالدین قونیوی وشیخ مؤیدالدین جندی وشیخ ابوالحسن مغربی الشاذلی وشیخ ابوالعباس المرسی وابن الفارس الحموی المصری وشیخ عزیزالدین نسفی وشیخ ابوالحسن علی الصعیدی المعروف بابن صباغ وشیخ فخرالدین عراقی وشیخ نجیب الدین بزغش شیرازی و شیخ برهان الدین ترمدی وشیخ نورالدین عبدالرحمن اسفراینی و شیخ جمال الدین جوزقانی وشیخ رضی الدین علی لالا غزنوی وشیخ سیف الدین باخرزی وشیخ سعدالدین حموی وشیخ ابومحمد عبدالله المغربی وشیخ یاسین المغربی و شیخ عفیف الدین سلیمان قلمانی وشیخ ابوالغیث الیمنی وشیخ صلاح الدین زرکوب وشیخ موسی سدرانی وشیخ صدرالدین فرغانی وعین الزمان جمال الدین وحاجی بکتاش ولی قدس الله اسرارهم که اکثر آن بزرگوارانرا در شهر قونیه وغیره ملاقات نموده وطریق معاشرت پیموده

در شهور سنه ٦٧٢ هجری درهمان دیاربدارالقرار انتقال نمودمزارفیض مدارش درغایت اشتهاروزیارتگاه ابنای روزگاراست (وفات خواجه نصیرالدین طوسی هم در اینسال اتفاق افتاده)

از ملوك زمان که معاصر آنجناب بودند هلاکوخان وآباقاآن خان در ایران وبندوقدار درمصروشام وعلاءالدین کیقبادسلجوقی درکشورروم وناصرالدین ایلتمش در هندوستان حکومت مینمودند وازفرقهٔ حکما محقق طوسی معاصر آن بزرگوار بوده

روزی اصحاب راخطاب کرده فرمود: اوصیکم بتقوی الله فی السروالعلانیه و بقلة الطعام وقلة المنام وهجران المعاصی والآثام و مواظبة الصیام ودوام القیام وترك الشهوات علی الدوام واحتمال الجفاء من جمیع الانام وترك مجالسة السفهاء والعوام ومصاحبة الصالحین والکرام وان خیرالناس ماینفع الناس وخیرالکلام ماقل ودل

پوشیده نماناد که سلسلهٔ مولوی دربلاد روم ومصروشام وعرب وجزایربحرروم ودیار روم ایلی وعراق عرب جاری و معمولست ودر نزدخوردو کلان واعیان ودانا ونادان وحاجب وسلطان مقبولست لباسی خاص مخصوص درویشان آن سلسله است وتاج نمدی بیدرز برسر گذارند ومشایخ ایشان عمامهٔ نیز برآن تاج بیندند وذکروفکر ومراقبت اورادوسماع وحلقهٔ ذکرجلی درمیان ایشان متداولست ودرهنگام سماع نی ودف میزنند درآن سلسله قانون است که چون خواهد کسی در آن طریقه درآید باید که مدت هزارویکروز خدمت نماید براینموجب که چهل روز خدمت چهارپایان کند وچهل روز خدمت فقرا نماید و چهل یوم آب کشی وچهل یوم فراشی وچهل یوم هیزم کشی وچهل یوم طباخی وچهل یوم حوائج ازبازار آوردوچهل یوم خدمات مجلس درویشان کند وچهل یوم نظارت نماید برین نسق تامدت مقرره تمام شود اگر چنانچه یکروز ازآنمدت ناقص گردد باید که خدمت را ازسر گیرد و چون تمام کند آنکس را غسل توبه دهند ازجمیع محرمات و کسوت از سرکارخانقاه بوشانند وتلقین اسم جلاله براو کنند وحجره جهت آسایش وعبادت بوی دهند وطریق ریاضت ومجاهده تعلیم وی نمایند وآنکس برآن قاعده وقانون مشغول شود تاآنکه صفائی درباطن او ظاهر گردد

مخفی نماند که صوفیه گفته اند که مولانا رامذهب شیعه بوده وبر طریقهٔ حقه عمل مینموده وبر اینمطلب شواهد بسیاراست والله اعلم

خلاصه شرح حال مولانا

مولانا جلال الدین محمدبلخی مشهوربه مولانای روم درششم ماه ربیع الاول سال ٦٠٤ هجری قمری در قبة الاسلام بلخ (یکی از چهار شهربزرگ خراسان که پیش ازهجوم مغول منتهای آبادی راداشته) متولدشده در سال ششصدونودونه بمعیت پدربزرگوارش ازخراسان بآسیای صغیر مهاجرت گزیده وهم آنجا درپنجم جمادی الاخرهٔ ششصدو هفتادوسه بریاض خلدخرامیده وپهلوی ضریح پدرش مدفون شده است

مولانا درشعر چنانکه دربسیاری از غزلهایش بطریق تلمیح آورده است خاموش تخلص میکرده و اورا علاوه بر جلال الدین بلقب خداوندگار نیزمیخوانده اند و اطلاق خداوندگار بمناسبت سلطنت وحکومت ظاهری وباطنی اقطاب برمریدان خود دراعتقادصوفیان تناسب تام دارد. شهرتش برومی یامولانای روم بواسطهٔ طول اقامت

در آسیای صغیر بوده . وچون سلجوقیان آن خطه‌را از امپراتوری روم شرقی منتزع کرده بودند شاخه‌ای ازسلسلهٔ سلجوقی که در آنجا استقرار یافت معروف بسلاجقهٔ روم شد . ولی لقب مولوی تازه‌است

نسب مولانا به‌دو واسطه به‌ابوبکر صدیق می‌پیوندد ومطابق تحقیقات آقای کاظم‌زادهٔ ایرانشهر بدین ترتیب است : جلال‌الدین محمدبن بهاءالدین محمدبن‌حسین‌بن احمدبن محمودبن مودودبن ثابت‌بن مسیب‌بن مطهربن حمادبن عبدالرحمن‌بن ابی‌بکرالصدیق

نیای مولانا حسین‌بن‌احمدخطیبی از افاضل خطهٔ‌خراسان‌بشمار میآمده از خاندان علم وعرفان وپدربرپدرازمشایخ کبار بلخ‌بوده بروایت شمس‌الدین احمد افلاکی درمناقب‌العارفین امام‌رضی‌الدین نیشابوری از اجلهٔ فقهای قرن ششم درمحضروی تلمذ کرده.جدهٔ مولاناازخاندان‌جلیل‌خوارزمشاهیان‌وظاهراً دختر قطب‌الدین‌محمدبوده

پدر مولانا بهاءالدین محمدبن‌حسین ملقب بسلطان العلماء مشهوربه‌بهاءالدین‌ولد معروف‌به مولانای‌بزرگ ازبزرگان‌صوفیان ایران‌تربیت‌یافتهٔ شیخ‌اجل‌ابوالجناب نجم‌الدین‌احمدبن‌عمرخوارزمی معروف به کبری بوده و خرقه‌اش به‌سبب عماریا سر و ابوالنجیب سهروردی‌به‌شیخ‌احمدغزالی‌میپیوسته.بروایت‌فریدون سپهسالار(از یاران‌مولانا که‌رساله‌ای‌درسوانح‌زندگانی‌مولانا گردآورده)شهرت‌علمی سلطان‌العلماء،باندازه‌ای،بودکه‌ازاقصای‌خراسان‌فتاوای‌مشکل‌رابحضرت او آوردندی ودرشهر بلخ مسند افاضت و ارشاد داشته خواص و عوام آن‌خطه اوراعظیم معتقدبودندپیوسته بامر معروف ونهی‌از منکراشتغال‌داشت‌وهرگاه که‌مجلس میگفتی گروه بیشماری از هر طبقه درپای منبر وعظش گرد میآمدند واوبرهمهٔ دلها مشرف‌بود

مسلك تصوف ازقرن‌پنجم هجری باینطرف درمیان مسلمین رونق و عظمت تمام‌یافته ازخواص گذشته در تودهٔ عوام هم منتشر شده‌بود . اقطاب مشایخ‌روش‌خویش‌را بدین ومذهب‌نزدیك ساخته سخنان‌ومجالس خودرابذکرخداورسول وآیات‌واحادیث‌میآراستند و در دورهٔ که بیشتر علماء فقه وحدیث بواسطهٔ تصدی شغل قضا آلایش مادی پیدا کرده حدود شرع را مهمل میگذاشتند رؤسای صوفیه به‌ترك‌دنیا و اعراض ازامراء و عزلت و انقطاع ظواهر حال خودرا میآراستند

بواسطهٔ‌مخالفتی که میان صوفیه و حکما بود سلطان‌العلماء علناً در محضر وبرسرمنبر بآنان بد میگفته وپیروان فلسفهٔ‌یونانرا گمراه و مبتدع میخوانده خصوصاً بامام فخرالدین محمدبن عمر رازی از بزرگان حکماو متکلمین‌عصر که‌در آن اوقات درخوارزم اقامت داشته استاد و مصاحب‌سلطان علاءالدین محمد خوارزمشاه بوده است تعریض میکرده

بروایت افلاکی سلطان العلماء درنتیجهٔ دسته‌بندی علماءمعقول ومنقول ومکدرساختن صفای آئینه خاطر خوارزمشاه نسبت بوی‌از سلطان‌ومردم بلخ رنجیده تصمیم بمهاجرت داد (از جملهٔ ساعیان‌نام امام‌فخروقاضی‌زین‌فزاری ورشیدقبائی‌ذکرشده‌است)سلطان‌العلماء در نیشابورشیخ عطارراملاقات نمود که‌اسرار نامه‌را بمولانا که‌در آنوقت پنجساله بود بخشیدواز آنجا بعزم‌حج بیت‌الله‌الحرام رهسپار بغداد شدوبروایت‌نورالدین‌عبدالرحمن‌جامی درنفحات‌الانس‌روزیکه باخانواده‌ومریدان بدارالسلام درآمد جمعی‌پرسیدند که : اینان‌چه طائفه‌اند ، ازکجا میآیندوبکجامیروند؟ گفت : من‌الله والی‌الله‌ولا قوة الاباالله . این سخن‌را بسمع‌عارف مشهورشیخ‌شهاب‌الدین‌عمربن محمد سهروردی‌رسانیدندفرمود:ماهذاالابهاءالدین البلخی؟وموکب سلطان‌العلماء را استقبال کرد

باحسن‌پذیرائی شیخ واقبال‌خواص اهل‌عرفان سلطان‌العلماء سه‌روز بیشتر دربغدادنمانده‌روزچهارم ازمرکزخلافت‌اسلامی روانهٔ حجازشد وپس ازگزاردن مناسك حج وتشرف بمدینهٔ طیبه بعزم بیت‌المقدس وزیارت‌مزارسایرانبیاءعظام‌ازحجازرهسپارشام گردید، اهل‌شام‌خواستند اورا نگاهدارند نپذیرفت وبطرف‌ارزنجان‌رفت و چهارسال‌در آن‌خطه‌رحل‌اقامت‌افکندوازفخرالدین‌بهرامشاه‌حکمران ارزنجان‌وپسرش‌علاءالدین‌داودشاه‌اقبالهادیدمولانادرهیجده‌سالگی درشهرلارنده بفرمان‌پدر گوهرخاتون دختر خواجه‌لالای‌سمرقندی را بهمسری اختیار کرد وبهاءالدین محمدمعروف بسلطان‌ولد و علاءالدین‌محمد ازین اقتران بوجودآمدند بروایت افلاکی‌سلطان العلماء،پس‌ازچهارسال اقامت‌درملاطیه وهفت‌سال‌درلارنده‌بخواهش علاءالدین کیقباد دوازدهمین پادشاه سلجوقی روم بشهر قونیه که دارالملك‌بودرفت. شاه‌وامیران‌بزیارتش آمدند و ازسرصدق دست ارادت دردامانش‌زده درمراعات‌جانب‌او لوازم‌اهتمام بعمل‌میآوردند وپای‌وعظش‌می‌نشستند واهل‌روم ازجان‌ودل بوی گرویدند .

ازانتقال‌سلطان‌العلماء به‌قونیه‌بیش‌ازدوسال نگذشته‌بود که‌تن بربستر ناتوانی‌نهاده درسنهٔ ششصدوبیست‌وهشت زندگانی‌رابدرود گفت.مردم‌شهردرعزای‌اورستخیزعظیم‌برپا کردند.سلطان‌علاءالدین یکهفته درمسجدجامع‌خوان‌نهاد ومالهابفقرابخش کرد.چون‌پدرسر درحجاب‌خاك کشیدمولانا که‌در آنهنگام‌بیست‌وچهارساله‌بودبخواهش پادشاه وامراء والحاح‌مریدان‌برجای‌وی برمسندوعظ وافادت‌نشست ویکسال‌تمام‌دورازطریقت،مفتی‌شریعت‌بود که‌سیدبرهان‌الدین‌محقق ترمدی ازشاگردان سابق‌سلطان‌العلماءوخواص‌اولیاء صوفیه‌بقونیه رسیدو درآنشهربساط‌ارشاد ودستگیری‌خلایق بگسترد ومولانارا در علوم ظاهری بیازمود و گفت : پدربزرگوارت راهم علم قال بکمال‌بود وهم‌علم‌حال چون درعلوم شریعت وفتوی‌جانشین‌اوشدی میخواهم که درعلم‌حال‌هم سلوکها کنی تاخلف‌صدق‌پدرباشی‌اگر مریدشوی مرادیابی وآنچه ازاو بمن رسیده دیدنیست نه آموختنی مولانا برغبت تمام براوبگروید وبروایت‌سپهسالار مدت نه‌سال‌سرو کارش باسیدبرهان‌الدین بودوبراهنمائی آنعارف کامل طریق‌سیر وسلوك‌میپیمود .بروایت افلاکی مولانا دوسال‌پس‌ازمرگ‌سلطان العلماء باشارت سید باچندنفرازمریدان پدربجانب‌شام عزیمت کرد تامرتبهٔ کمال خودرا درعلوم ظاهر باکملیت رساند . ابتدا درشهر حلب بمدرسهٔ حلاویه‌نزول فرمود و از حوزهٔ درس‌مدرس‌دانشمند آن‌مدرسه‌کمال‌الدین‌ابوالقاسم‌عمربن‌احمدمعروف‌بابن‌العدیم‌استفادها برد وپس‌از آنکه سه‌سال درحلب به‌تحصیل علوم‌اسلامی پرداخت رهسپاردمشق‌شد.علماومعارف‌شهرمقدمش‌را گرامی‌داشته‌درمدرسهٔ قدسیه فرودش‌آوردند وخدمات‌شایان بتقدیم‌رسانیدند .

مولانا چهارسال در کرسی‌شام که در آنهنگام مرکزبزرگان و مجمع‌علم‌وعرفان‌بودبه‌زهدوریاضت‌تمام‌درتکمیل‌معارف‌دینی‌کوشیدو هدایه‌را که‌کتاب‌جامعیست درفقه حنفی دارای شروح وتعلیقات و حواشی بسیارتألیف شیخ‌الاسلام برهان‌الدین‌علی‌بن‌ابی‌بکرمرغینانی نزداساتیدفن بدقت‌دیدوهم درین شهربفیض صحبت عارف مشهور محی‌الدین العربی وبزرگان‌دیگرنائل گردید

مولانا پس‌از هفت‌سال مسافرت بقونیه‌بازگشت و بدستور سیدبرهان‌الدین بریاضت‌پرداخته‌سه‌چلهٔ‌متوالی‌برآوردتانقدوجودش بی‌غش‌وتمام‌عیار بلکه سراپا نور گردید . چون‌جان‌پاك‌سیددرسنهٔ ۶۳۸ ازخاکدان‌تن بقرب قدس‌انتقال یافت مولانا در دارالملك قونیه برمسند ارشاد وتدریس متمکن گردیده به‌تربیت مستعدان همت گماشت‌مریدان‌بسیار بروی گردآمدند وپروانه‌وارپیرامن‌شمع وجودش‌میگردیده‌حضرتش‌را پیشوای‌دین‌ومفتی‌شریعت وراهنمای طریقت میشناختند

مولانا نزدیك‌پنج‌سال بسنت جدوپدرهم درمدرسه‌بتدریس فقه ودیگرعلوم‌اسلامی‌میپرداخت وهم‌برسم‌زهدپیشگان‌آنزمان‌مجلس وعظوتذکیرمنعقدساخته ومردم‌را تبشیر وتنذیرمیکرد. همه‌روزه طالبان علم که بگفتهٔ دولتشاه‌سمرقندی عده‌شان بچهارصد میرسید متناوباً درمدرس‌ومحضرش برای‌استفاده‌حاضر میشدندوصیتش در اطراف جهان‌منتشر گردید .

مولاناسرگرم تدریس وقیل‌وقال مدرسه‌بود فتوای شرعی

مینوشت وازیجوزولایجوز سخن‌میراند وخاق بعلوم‌ظاهر وزهدو ریاضت اوفریفته شده‌بخدمت‌ودعای وی‌تبرك‌میجستند که ناگهان آفتاب عشق‌وشمس‌حقیقت پرتوی‌بر آن‌جان‌پاک افکند. آن‌طوفان عظیم که‌این‌اقیانوس آرام‌را‌متلاطم‌ساخت شمس‌الدین‌محمدتبریزی ژولیده پیری‌از پیران‌صوفیه بود که نفسی گرم و جاذبه‌ای قوی و بیانی مؤثر داشت

بروایت افلاکی شمس‌الدین محمدبن‌علی‌بن‌ملك‌دادتبریزی (که گویندپدرش اصلا ازباوردخراسان‌بوده وبتجارت به آذربایگان رفته) ابتدادست ارادت بدامان‌شیخ ابوبکرزنبیل‌باف که‌در کشف القلب‌یگانهٔ‌زمان‌خودبود زده چون‌درسیروسلوك درجهٔ کمال یافت درطلب‌کاملتری سفری‌شد وسالها گردبلادوامصاربر آمده ازشهری بشهری راه‌میپیمودوبااهل راز وریاضت‌انس والفت مینمود پیوسته نمدسیاه میپوشیدوهمه‌جادرکاروانسرای منزل‌میکردوبخدمت‌چندین ابدال واوتاد و اقطاب رسیده اکابرصورت ومعنی‌رادریافته‌بود

شمس‌تبریز بامداد روزدوشنبهٔ ۲۶ جمادی‌الاخره سال۶۴۲ بقونیه‌رسیده درخان‌شکر ریزان نزول کرد . ودریك مجلس چنان مولانارا مجذوب وفریفتهٔ‌خودساخت که منبر ومحراب وحوزهٔ‌درس ومسند ارشادرا رهاکرده حلقهٔ‌بندگی‌اورا بگوش کشید !

آفتاب‌دیدارشمس چنان‌برروان‌مولانابتافت‌وآتش درخرمن هستی اوزد که‌هرچه جزمعشوق‌باقی‌بسوخت

چگونگی‌دیدارپیرتبریزی را بامولاناباختلاف‌ذکر کرده‌اند محی‌الدین عبدالقادر مصری مؤلف الکواکب المضیئه فی‌طبقات الحنفیه درسبب‌تجرد وانقطاع مولانا مینویسد که: روزی درحجره نشسته‌بودو کتابی چند پیرامون خودنهاده وطالب علمان بروی‌گرد آمده‌بودند شمس‌الدین‌قلندروار درآمد وسلام‌گفت ودرصف نعال بنشست واشارت‌بکتب کرده پرسید : این‌چیست ؟ مولانافرمود تو این‌ندانی‌هنوزاین‌سخن بانجام‌نرسانیده‌بودکه آتش‌در کتابهاو کتابخانه افتاد ! مولاناپرسید این‌چه‌باشد؟شمس گفت‌تونیزاین‌ندانی!برخاست وبرفت‌مولانامجردواربر آمدوترك‌مدرسه و یاران‌وفرزندان گفت.

مطابق روایت سلطان ولدپسرمولانادر ولدنامه:عشق مولانا بشمس‌الدین مانند جستجوی موسی‌است ازخضر که بامقام شامخ رسالت ورتبهٔ کلیم اللهی‌بازهم مردان خداراطلب میکرده .

مولانا که‌تا آنروز خلقش‌بی‌نیازمیشمردند نیازمندواربدامن شمس که از مستوران قباب‌عزت‌بود درآویخته یکجا اسیرعشق و جذبهٔ‌وی گردید ومطلوب‌را بخانه‌برده‌بااوبخلوت‌نشست ودربرآشنا وبیگانه ببست و آتش استغنا در محراب‌ومنبرزده ترك‌مسندفتوی‌و تدریس و کرسی‌وعظ وتذکیربگفت وباهمهٔ‌استادی درخدمت معلم عشق‌زانو زده نوآموز گشت

بروایت افلاکی‌این‌خلوت‌بچهل‌روزیاسه‌ماه کشید

شمس‌الدین‌بمولانا چه‌آموخت وچه‌فسون‌ساخت که‌او ازهمه‌چیز وهمه کس گذشته خودرا نیز درقمار محبت‌باخت برمامجهول‌است . ولی کتب مناقب وآثاربرین متفقند که‌مولانا پس‌ازین خلوت روش خودرا بدل‌ساخت ، وبجای‌قیل‌وقال‌مدرسه واهل بحث وجدل گوش به نغمهٔ‌جانسوز نی وترانهٔ دلنوازرباب نهاد، بااینکه قبلاشب‌تابصبح درنمازبود وهرسه‌روزیکبار روزه‌میگشاد ـ وچیزیکه‌مولانارا از همهٔ رسیدگان‌جهان ممتازمیسازد همین تحول‌روحانی است که در پیوستن‌به پیر تبریزی برای‌اوپیش آمد

برشاگردان ویاران‌مولانا که‌باچشمهای‌غرض‌آمیز بشمس‌الدین مینگریستند تمکین‌او که شیخ‌وشیخ‌زاده ومفتی‌ومدرس ومذکربود نسبت بمردیکه بنظرشان لاابالی وبیرون ازاطوار معرفت میآمد سخت گران‌وناگوارمینمود.مریدان نیز شکایت وتشنیع آغاز کردند فقها وزهادحتی عوام قونیه‌هم ازتغییر روش مولانا خشمگین شدند

بالاخره‌شمس پس‌از شانزده‌ماه ازگفتارورفتار ایشان که اورا ساحر وجادو میخواندند رنجیده بیخبرسرخویش گرفت و برفت .

مولانا درطلب اوبقدم جد ایستاد وپس‌از جستجوی بسیار خبریافت که گمشدهٔ‌او دردمشق شام‌است . نامه وپیام متواتر کرد وپیك‌درپیك‌پیوست ، غزلهای سوزناك سروده بخدمت شمس‌الدین فرستاد آن‌نامه های‌منظوم که‌قدیمترین اشعار تاریخی مولاناست‌در دل شمس اثربخشیده متمایل گردید که‌باردیگرعنان مهر بسوی‌آن عاشق دلسوخته بتابد . مریدان ویاران مولاناهم که‌در نتیجهٔ‌غیبت شمس‌الدین و پژمردگی ودلتنگی مولانا ازفیض دیدار وحلاوت گفتار وذوق تربیت‌اوبی‌بهره مانده موردبی‌عنایتی شیخ‌خود واقع گردیده‌بودند از کرده‌پشیمان گشته دست انابت دردامن غفران وی زدند . مولاناعذرشان‌پذیرفته‌فرزندخودسلطان‌ولدرابدمشق‌فرستاد

سلطان‌ولد نقودچندی نثارقدم‌شمس کردوبندگیها نموده پیغامهای پدررا برسانید دریای مهرشمس جوشیدن گرفت و گوهر های حقایق‌برسلطان ولدافشانده رهسپار قونیه گردید وسلطان‌ولد بیش‌ازیکماه ازسرصدق ونیاز پیاده درركابش راه میپیمود

مولاناازرسیدن شمس‌خاطرش چون گل ازنسیم‌صباشکفت مریدان‌ویاران‌پوزشها کردند وهریك‌باندازهٔ‌وسع‌خویش‌خوان‌نهاده وسماع دادند ـ مولاناچندی باپیر تبریزی تنگاتنگ‌صحبت داشته درخلوت بروی غیر ببستند ،گاهی‌هم بااوبصحرا رفته وخوش‌شور وغوغائی داشتند ولی‌رفته‌رفته بازمریدان ویاران مولانا وخواص وعوام‌قونیه درخشم آمده بدگوئی وشناعت‌آغاز کردند مولانارا دیوانه وشمس‌الدین را جادو خواندند

ظاهراً علت تشنیع فقها وزهاد و هیجان عوام آن بود که مولانا پس از اتصال به‌شمس ترك وعظ و تدریس گفته بسماع و رقص نشست وجامه ودستار فقیهانه‌را به فرجی هندباری و کلاه‌پشم عسلی بدل کرد وفرمود رباب‌را که ازقدیم‌العهد عرب چهارسوبود شش‌خانه ساختند وشب و روز بوجدوسماع‌پرداختند

مولانا مریدان قدیم‌خالص داشت که‌بعضی ازبلخ‌دررکاب‌پدرش بقونیه آمده‌بودند وعدهٔ‌هم دربلاد آسیای‌صغیربدین خاندان پیوسته بودند و اورا عالم ربانی وپیشوای بحق وشیخ‌راستین وقطب‌زمان میدانستند پس‌از آمدن‌شمس‌الدین وانقلاب حال‌مولانا دستشان‌از دامان شیخ‌خود کوتاه ماندتشنیع فقها وزهادهم مقوی این کدورت گشته آنانرابدشمنی‌شمس وامیداشت،احتمال قوی میرود که‌دسته‌ای ازخویشان وبستگان مولانا نیز که‌ازشکست کارخود نگران بودند با این گروه در آزار شمس‌الدین‌همدست‌شدند

بروایت سلطان‌ولد چون مریدان و یاران وبستگان مولانا بکین شمس کمربستند پیر تبریز دل‌ازقونیه برکند و مصمم‌شد که چنان رود که دیگر خبرش‌هم بدورو نزدیك نرسد . این سخن‌را با سلطان ولد در بین نهاد و ناگهان از میان همه گم‌شد و انجام کارش معلوم نشد !

چون‌شمس‌حقیقت‌درزیر ابراسرار ناپدید شد اخبار واراجیف که‌شایدبعضی‌از آنراهم دشمنان‌برای رنجش‌خاطرمولانا میساختند ازهم نمیگسست ، خبرمرگ وقتل وحیات شمس‌الدین همه‌روزه بگوش میرسید ، مولانادرجوش و خروش ومیان امید ونومیدی سرگردان بود و بروایت دولتشاه در آرزوی شمس میسوخت و قوالان رامیفرمود تاسرودعاشقانه‌میگفتندوشب وروزبسماع اشتغال داشتند وبیشتر غزلیاتش درفراق‌شمس‌الدین‌است .

چون ازمجموع اخبار مستفادشد که مشرق‌آفتاب عشق دمشق شام‌است وتشنیع فقیهان وجنبش‌عوام قونیه‌هم خاطر مولانارا سخت افسرده بود درطلب یار گمشده رهسپار شام گردید وخلقی بسیار درپی اوروان گشتند.مولانا دردمشق‌همچنان مجلس سماع ورقص ساز کردوپیوسته بافغان وزاری شمس‌تبریزی‌راازهرکوی وبرزن میجست‌ونمی‌یافت وازشدت اشتیاق ناله‌های پرسوز ازدل‌برمیآورد و اشعار غم‌انگیز میسرود . دمشقیانی که اهل دیدبودند بمولانا گرویده مال‌وخواسته در قدمش‌نثار میکردند وبرخی دیگر که‌از

سر کار آگهی نداشتند از حالاتش در شگفتی میماندند و میگفتند آن کیست که این بزرگ مردرا چنین فریفته و دلباختهٔ خود ساخته است.

چون کوشش مولانا در طلب شمس الدین بجائی نرسید ناچار باجمع مریدان بقونیه باز آمد و سماع بنیاد کرد و پس از سالی چند باز عشق شمس سر از گریبان جانش در آورده بار دیگر روی بدمشق نهاده ماهها درشام بجستجو گذرانید لکن این بار نومیدی تمام بحصول پیوست. ولی بقول سلطان ولد اگرچه مولانا شمس را بصورت در دمشق نیافت ولی بمعنی درخود یافت - پس از آنکه مولانا از وصول بشمس الدین نومید شد بقونیه باز گشته بتربیت و اصلاح خلق پرداخت و بجدی تمام به تکمیل ناقصان و ارشاد سالکان مشغول شد

مولانا که در علم و عرفان بمقام بلندی رسیده بود نظر باستغراقی که خود در کمال مطلق و جلوات جمال ربوبیت داشت پیوسته یکی از یاران گزین را بدستگیری و ارشاد طالبان برمیگماشت. نخستین بار صلاح الدین فریدون زرکوب قونوی را منصب شیخی و پیشوائی داد . یاران و مریدان که در آتش عشق نگداخته و در بوتهٔ ریاضت و سلوك از غش هوی و وهم پاك برنیامده بودند بجز مولانا هیچکس را قبول نمیکردند و شیخ صلاح الدین را که بروایت افلاکی مردی بیسواد و در بازار قونیه بزرکوبی روزگار میگذرانید برای دستگیری و راهنمائی سزاوار نمیدیدند بار دیگر سراز فرمان مولانا پیچیده بدشمنی صلاح الدین برخاستند و سخنان گزنده درحقش گفته بر آن شدند که اورا ازمیان بردارند مولانا علی رغم منکران حسود دیده بر شیخ صلاح الدین گماشت و عنایت و لطف را نسبت باو بحدی رسانید که پیوستگان و فرزندان خودرا فرمان داد تا دست نیاز در دامن وی زنند و از فرط علاقه فاطمه خاتون دختر صلاح الدین را برای سلطان ولد عقد بست ولی پس از دو سال صحبت بی انقطاع ناگهان شیخ صلاح الدین رنجور شد و بیماریش سخت دراز کشیده درسنهٔ ۶۵۷ در گذشت

بعد از مرگ صلاح الدین توجه مولانا بحسام الدین حسن چلبی معروف به ابن اخی ترك معطوف شد و اورا منصب شیخی داد حسام الدین از نخبهٔ مریدان مولانا بود که در زهد و تقوی و معرفت دارای مقامی رفیع و در رعایت دقایق شریعت بی نهایت مراقب بود

دوستی مولانا نسبت به چلبی بجائی رسید که لحظه ای خاطرش بی او نمیشکفت و اورا برفرزندان خود ترجیح داده و آنچه از زخارف دنیوی برایش میرسید فوراً بحسام الدین میفرستاد و یاران و مریدانهم که در طول مدت مهذب و مؤدب شده بودند پیشوائی چلبی را با کمال میل پذیرفته در پیشگاه او سر تمکین نهادند

بهترین یادگار ایام صحبت مولانا با شیخ حسام الدین نظم مثنوی معنویست که یکی از شاهکارهای ادبی ایران و بزرگترین و عالیترین اثر متصوفهٔ اسلام می باشد

سبب افاضهٔ این فیض از وجود مولانا چلبی بوده که چون میدید یاران بیشتر بقرائت آثار شیخ فریدالدین عطار نیشابوری و شیخ ابوالمجد مجدود سنائی غزنوی مشغولند شبی در خلوت از مولانا درخواست کرد کتابی بطرز منطق الطیر عطار یا الهی نامه سنائی (حدیقه) بنظم آرد مولانا فی الحال از سر دستار خود برگی که هجده بیت از آغاز دفتر نخستین مثنوی بر آن نوشته بود بیرون آورده بدست او داد

جذب و کشش حسام الدین بار دیگر دریای طبع مولانا را بجنبش در آورد و شور و شوق دیگر داد . شبها حسام الدین در محضرش می نشست مولانا ببدیههٔ خاطر شعر میسرود و رموز و اشارات عالم غیب را بشیوهٔ سخن گستری بیان میکرد و او مینوشت . چون دفتر نخستین مثنوی بانجام رسید همسر حسام الدین در گذشت و شیخ را پراکنده دل و غرق سکوت کرد طبع مواج مولانا هم که مشتری نمیدید از تلاطم افتاد دو سال تمام در نظم مثنوی تأخیر شد تا بار دیگر تفرق خاطر چلبی بجمعیت مبدل و خواهان انجام مثنوی شد

صحبت مولانا با شیخ حسام الدین پانزده سال امتداد یافت و یاران و مریدان از اثر صحبت آندو فوائد بیشمار میبردند و به ارادت تمام بخدمت آنان مسابقت میورزیدند مولانا از زحمت ناقصان تاحدی آسوده خاطر و در صحبت چلبی بود و یاران پروانه وار گرد شمع وجودش میگردیدند که ناگاه آن توانای عالم معنی به حمای محرق در بستر ناتوانی بیفتاد ، هرچه طبیبان بمداوا کوشیدند سودی نبخشیده مقارن غروب روز یکشنبه پنجم ماه جمادی الاخرهٔ سال ۶۷۲ در سن شصت و هشت سالگی روح پرفتوحش بریاض قدس اتصال یافت. بروایت افلاکی در شب آخر که مرض مولانا سخت شده بود خویشان و پیوستگان اضطراب عظیم داشتند و سلطان ولد هم هردم بیتابانه بسر پدر می آمد مولانا این غزل آتشین را نظم فرمود :

روسر بنه ببالین تنها مرا رها کن ترك من خراب شب گرد مبتلا کن

مسلمین قونیه از خورد و بزرگ در تشییع جنازهٔ مولانا حاضر شدند یهود و نصارای آنشهر نیز که صلح جوئی و نیکخواهی ویرا آزموده بودند بهمدردی اهل اسلام شیون و افغان میکردند . بروایت محمود مثنوی خوان در ثواقب مسلمین از یهود و نصاری پرسیدند که : شمارا با مولانا چه تعلق بوده است ؟ گفتند: اگر مسلمانان را بجای محمد بود ما را هم موسی و عیسی بود و اگر شمارا پیشوا و مقتدی بود ما را هم همان بود که قلب و فؤاد ماداند ؛ شیخ صدرالدین ابوالمعالی محمد بن اسحاق قونوی از بزرگان علماء تصوف و مشاهیر شاگردان شیخ محی الدین عربی بر مولانا نماز گزارد و از شدت بیخودی و درد پس از سلام شهقهٔ زده از هوش برفت جنازه را بحرمت تمام برگرفته در ارم باغچه نزد ضریح منور پدرش (سلطان العلماء) مدفون ساختند

بروایت افلاکی قاضی سراج الدین ابوالثنا محمد بن ابوبکر ارموی از اجلهٔ علماء عصر در برابر تربت مولانا این بیتها برخواند

کاش آنروز که در پای تو شد خار اجل دست گیتی بزدی تیغ هلاکم برسر
تا درین روز جهان بی تو ندیدی چشمم این منم بر سر خاك تو که خاکم برسر

مدت چهل روز یاران و مردم قونیه تعزیت مولانا میداشتند و با ناله و گریه برفوت آن سعادت آسمانی دریغ و حسرت میخوردند

علم الدین قیصر که بروایت افلاکی از اکابر قونیه بود باسرمایهٔ سی هزار درم همت بست که بنائی بر سر تربت مقدس مولانا بنیاد کند وزیر معین الدین سلیمان بن علی مشهور به پروانه اورا به هشتاد هزار درم نقد و پنجاه هزار درم دیگر حواله مساعدت فرمود و قبهٔ موسوم به خضراء بر مرقد مبارك تأسیس یافت علی الرسم چندقاری و مثنویخوان در سر تربت مولانا بودند. سلطان العلماء پدرش و پنجاه تن از اولاد و جانشینان مولانا آنجا مدفونند .

آثار مولانا

آنمقدار از آثار مولانا را که باقی مانده بدو قسمت منثور (فیه مافیه - مجالس سبعه - مکاتیب) و منظوم (غزلیات - رباعیات - مثنوی) میتوان تقسیم کرد

۱ - فیه مافیه - مجموعهٔ تقریرات مولانا است که در مجالس خود بیان فرموده و پسرش سلطان ولد یا دیگری از مریدان یادداشت کرده و بصورت کتاب در آمده - موضوع فصول و مجالس و نتیجهٔ آنها مسائل اخلاق و طریقت و نکات تصوف و عرفان و شرح و تبیان آیات قرآن و احادیث نبوی و کلمات مشایخست، بسال ۱۳۳۳ هجری قمری در تهران و بعد در هندوستان و شیراز چاپ شده است و ما برای نمونه پارهٔ از موضوعات مختلف آنرا در صفحهٔ ۳۳ آثار مولانا نقل کرده ایم

۲ - مجالس سبعه که عبارت از ۷ مجلس از مواعظ مولانا است که بر سر منبر بیان فرموده و نسخهٔ خطی آن در اسکدار در کتابخانه سلیم آقا محفوظ بوده و سه سال قبل با اجازهٔ آقای ولد چلبی افندی و بسعی آقای محمد فریدون نافذ در استانبول چاپ شده است و ما برای آنکه همه بتوانند بآن دسترسی داشته باشند عین آنرا جزء آثار مولانا نقل کرده ایم

۳ - مکاتیب مولانا - مجموعهٔ مراسلات او بمعاصرین است که اخیراً در استانبول بسعی آقای فریدون نافذ چاپ شده و ما ۷ مکتوب آنرا جزء آثار مولانا انتخاب کرده ایم

۴ - غزلیات - که بنام دیوان شمس معروفست و دوبار در هندوستان چاپ شده در حدود پنجاه هزار بیت میباشد که قسمتی از آثار دیگرانهم با اشعار مولانا مخلوط گردیده - اکثر غزلیات مولانا

باشور وبیقراری ازعشق وارادتیکه بشمس‌داشته ساخته‌شده و بنام شمس‌تبریزی تخلص کرده بقسمی که اگر کسی آگاه نباشد تصور میکند شمس‌شاعری‌بوده که اینهمه‌غزل را بنظم آورده(قریب صد غزل بنام صلاح‌الدین‌وحسام‌الدین وقریب‌دویست‌غزل هم نام خمش یاخاموش درمقطع آن‌ذکرشده) مابرای‌آنکه خوانندگان بسبك غزلیات مولانا آشناباشند ۲۳ غزل گلچین نموده‌درصفحات ۳٤ و ۳۵ چاپ کرده‌ایم.منتخب دیوان شمس که‌بوسیلهٔ‌رضاقلیخان هدایت انتخاب شده چندین‌مرتبه‌درتهران‌چاپ شده‌است

۵ـ رباعیات‌مولانا ـ درمطبعهٔ اختراستانبول‌بسال ۱۳۱۲هجری قمری‌چاپ‌شده متضمن ۱٦۵۹ رباعی‌است که قسمتی از آن بیشك متعلق بمولاناست وقسمتی‌مشکوك میباشد وبرای‌نمونه ۵٤رباعی درصفحه ۳٦ نقل شده‌است

٦ ـ مثنوی چنانکه سابقاً ذکر شد مثنوی را مولانا بخواهش حسام‌الدین چلبی‌شروع فرموده وازسال ٦۵۷ تا ٦٦۰ دفتر اول آنرا برشتهٔ نظم کشید وپس‌ازفترت دوساله‌به‌نظم‌دفتردوم‌پرداخت. تا انتهای دفتر ششم که از جهت مطلب بریده ومقطوع‌ماندو قصه شهزادگان‌بسرنیامده‌مولاناجان‌تسلیم فرمود وسوای ۱۸ بیت آغاز دفتراول که‌بخط مولانا نوشته‌شده بقیه‌را میفرموده‌و حسام‌الدین و سایرمریدان مینوشتند وبعد برای‌مولانا میخواندند اما دفترهفتم با یك‌مراجعهٔ اجمالی‌بابیات آن‌ازحیث‌طرزشعر و الفاظ غریب واعتقاد صاحب‌اسرار بامام‌فخررازی وغیره‌واضحست که‌ازمولانا نیست وما برای اینکه خوبی واستحکام اشعار مولانا واضح گردد بچاپ‌دفتر هفتم بدون‌شرح‌مبادرت ورزیده‌ایم تابدانند که هر که مثنوی‌ساخت مولانانمیشود.مثنوی قریب‌صد مرتبه‌درایران‌وهند واروپاو مصر و ترکیه‌چاپ‌شده‌وملاحسین کاشفی آنراملخص‌وبحسب‌مرام‌مرتب‌ساخته لب‌ولباب‌نامیده‌وچندین‌نفردیگرهم‌قسمتی‌از آنرابنام‌مثنوی‌الاطفال‌و خلاصة‌المثنوی ومنتخبات مثنوی وغیره گلچین نموده‌چاپ کرده‌اند

مثنوی حاضر

این‌بنده دردیماه‌سال۱۳۱٤درصددچاپ‌مثنوی‌برآمده‌وبرآنشدم که‌نسخهٔ‌چاپ‌مرحوم میرزامحمود خونساری‌راکه بتصحیح میرزای جلوه ودیگران رسیده بود عیناً باکشف‌الابیات بطبع‌رسانم اتفاقاً مثنوی خطی کهنه‌ای که بسال ۸٤۳ هجری نوشته شده بدست آمد که متأسفانه‌ازاول وآخرآن چندصفحه‌افتاده‌داشت‌وپس‌ازمقابله معلوم‌شدمثنوی‌محتاج اصلاح بسیاریست،دراین‌اثناآگاه‌شدم که‌نسخهٔ نفیسی‌ازمثنوی‌دراختیارحضرت‌استادی آقای‌سرتیپ‌عبدالرزاق‌مهندس بنایری‌است که بیك‌واسطه از روی‌خط بهاءالدین‌ولد پسر مولانا نوشته شده ونسخهٔ‌خطی‌دیگری ازاستاد معظم آقای ملك‌الشعراء بهار بعاریت گرفته شد که‌مولوی‌عبداللطیف‌با ٤۸ نسخهٔ‌مثنوی‌مقابله کرده وامتیازاتی داشت‌وهمچنین بدورهٔ مثنوی چاپ‌استاد نیکلسن ونسخ‌مرغوب چاپ هند و ایران مراجعه کرده در نتیجه مقابله‌کلیه نسخ فوق‌مثنوی‌حاضربدست‌آمد وبرای‌آنکه‌ابیات ملحقه بمثنوی که درنسخ قدیمه نیست (چون‌حتماً نمیتوان گفت که درمثنوی نبوده) امتیازی‌داشته باشد باعلامت ستاره(*)در جلو آن‌را نشانه کردیم تاخوانندگان محترم بدانند که‌آن‌ابیات دردونسخه کهنه خطی ومتن نسخه‌چاپ نیکلسن‌نیست وازدفترسوم که‌کلیه‌نسخ‌فوق مهیا بودبرای مزیدفایده‌نسخه بدلهائی‌هم درذیل ابیات افزودیم . اماذیل وشرح ابیات مشکله دفترنخستین رایکی‌ازمعاصرین‌نوشته وچون‌مطلوب واقع‌نشددفاتربعدراازروی‌هفت شرح‌مثنوی قدیم که‌حاجی‌سبزواری ومولوی‌عبداللطیف‌وغیرهم‌نوشته‌بودند گردآوردیم که‌همگانرابکارآید دفترهفتم‌را ازاین‌رو چاپ کردیم‌تاپارهٔ کوتاه‌فکران که‌تصورمیکنند مثنوی‌از حیث شعربرجسته‌نیست‌باشتباه‌خودبرخورده‌فرق مابین‌اشعار مولاناودیگرانرا که مثنوی‌هاساخته و هیچیك نتوانسته‌اندباوبرسند ملاحظه کرده باشتباه‌خود واقف گردند وبدانند که مثنوی علاوه‌بر توجه‌بمعنی‌وحقیقت از حیث ظاهر لفظهم آراسته و پیراسته است

پس‌ازخاتمه‌چاپ‌مثنوی درصدد تهیه کشف‌الابیات‌برآمده ودراینراه چهارسال رنج‌بردم ودرنتیجه کشف‌الابیات‌حاضربدست‌آمد که‌بانسخ سابق فرق واضحی‌ازحیث ترتیب منظم وسهولت‌مراجعه ومخلوط نبودن ب و پ و ج و چ و ک و گ و غیره دارد . اما کتاب لطائف‌اللغات‌فرهنگ‌جامعی ازلغات‌مثنوی بقلم‌مولوی‌عبداللطیف میباشد که‌درنتیجه صرف‌عمری درراه مداقه درمثنوی و تدریس آن ومقابله صدهانسخه‌بایکدیگر گردآورده،سابقاً نسخهٔ‌مغلوط‌وناقصی ازآن‌درهند بچاپ‌رسیده بود که‌بامراجعه بنسخ خطی‌نفیس‌تصحیح‌و درآخر کتاب‌ضمیمه گشت.وپس‌ازچاپ‌متن کتاب‌و کشف‌الابیات‌ولغت درصدد تهیه مقدمه برآمده‌برای‌آنکه‌مثنوی کاملا جامع‌باشد علاوه بر فهرست مطالب که بابتدای کتاب افزوده شد تمام مجالس سبعه وقسمتهائی ازسایرآثار مولانا ضمیمه‌شد وعلاوه برمآخذی که‌در ابتدای‌شرح‌حال‌ذکرشده رسالهٔ‌شرح حال بقلم سپهسالار وسه‌دفتر کتاب‌ولدنامه(که‌از آقای‌الفت خریداری‌شده)ومناقب‌العارفین‌هم‌در دسترس‌استفاده قرار گرفت.چهارقطعه‌عکس‌ازمولاناوآرامگاه او از کتاب آقای‌فروزانفر برداشته‌شده‌سه‌قطعه‌درابتدای‌مقدمه وقطعه چهارم دراینجا چاپ میشود

درگاه تربت مولانا

از آقای سیدیعقوب انوار که بامراجعه‌دقیق بمثنوی حاضر بنده راباشتباهات آن‌واقف ساختندوبرای‌تهیه‌غلطنامه‌استفاده‌بسیار کردم وازآقای علی‌قویم که کمکهای‌ذیقیمتی‌نموده‌اند تشکر کرده خداراسپاسگزارم که مقابله و چاپ مثنوی باهمه اشکالاتی که پیدا کرد وموانعی که برای آن پیش‌آمدپس‌از پنج‌سال‌پایان یافت.

دراینجا بامادهٔ‌تاریخی که‌شاعرشیرین گفتارمعاصر آقای‌پژمان‌برای چاپ‌مثنوی‌ساخته‌اندمطلب‌خودراخاتمه‌میدهم۲۰ر۱۲ر۱۹ محمدرمضانی

مثنوی آنشمع یزدانی فروغ — کش‌بود خورشیدحکمت‌زیرظل
کردچون‌ازمطلع‌خاورطلوع — پرتو مهرش فرود آمد به‌دل
خواست‌پژمان‌مطلعی‌خورشیدفر — تاطلوعش را بدان بخشدسجل
لیك چشم طبع و پای دانشش — این‌بتاریکی فروشد آن به گل
یاری‌ازشیخ‌بهائی‌جست‌وخواست — مصرعی خاطر فروزوغم‌گسل
آن‌بزرگ‌آوردسردرجمع‌وگفت — مثنوی باشد چوقرآنی مدل

۱۳۵۸

بسم الله الرحمن الرحيم

الحكم جنود الله (في الأرض) يقوى بها ارواح المريدين يتره علمهم عن شائبة الجهل وعدلهم عن شائبة الظلم وجودهم عن شائبة الرياء وحلمهم عن شائبة السفه ويقرب اليهم ما بعد عنهم من فهم الآخرة ويسر لهم ما عسر عليهم من الطاعة والاجتهاد وهي من بينات الأنبياء ودلائلهم تخبر عن اسرار الله وسلطانه المخصوص بالعارفين وادارته الفلك النوراني الرحماني الدري الحاكم على الفلك الدخاني الكري كما ان العقل حاكم على الصورة الترابية وحواسها الظاهرة والباطنة فدوران ذلك الفلك الروحاني حاكم على الفلك الدخاني والشهب الزاهرة والسرج المنيرة والرياح المنشئة والأراضي المدحية والمياه المطردة نفع الله بها عباده وزادهم فيها فهماً وانما يفهم كل قارئ على قدر نهبته (نهيته ن . ل) وينسك الناسك على قدر قوة اجتهاده ويفتي المفتي مبلغ رايه ويتصدق المتصدق بقدر قدرته ويجود الباذل بقدر موجوده ويقتني المجود عليه ما عرف من فضله ولكن مفتقد الماء في المفازة لا يقصر به عن طلبه معرفته ما في البحار ويجد في طلب ماء هذه الحيوة قبل ان يقطعه المعاش بالاشتغال عنه وتعوقه العلة والحاجة ويحول الأعراض بينه وبين ما يتسرع اليه ولن يدرك العلم مؤثر هوى ولا راكن الى دعة (فهذا) ولا منصرف عن طلبه ولا خائف على نفسه ولا مهتم لمعيشته الا ان يعوذ بالله ويؤثر دينه على دنياه ويأخذ من كنز الحكمة الاموال العظيمة التي لا تكسد ولا تورث ميراث الاموال والانوار الجليلة والجواهر الكريمة والضياع الثمينة شاكراً لفضله معظماً لقدره مجللاً لخطره ويستعيذ بالله من خساسة الحظوظ ومن جهل يستكثر القليل مما يرى في نفسه ويستقل الكثير العظيم من غيره ويعجب بنفسه بما لم ياذن له الحق وعلى العالم الطالب ان يتعلم ما لم يعلم وان يعلم ما قد علم ويرفق بذوى الضعف في الذهن ولا يعجب من بلادة اهل البلادة ولا يعنف على كليل الفهم كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم سبحانه وتعالى عن اقاويل الملحدين وشرك المشركين وتنقيص الناقصين وتشبيه المشبهين وسوء اوهام المتفكرين وكيفيات المتوهمين وله الحمد والمجد على تلفيق الكتاب المثنوى الالهى الرباني وهو الموفق المفضل وله الطول والمن لاسيما على عباده العارفين على رغم كل حزب يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً كثيرا

ای ضیاء الحق حسام الدین یار — این سوم دفتر که سنت شد سه بار ۱
برگشا گنجینهٔ اسرار را — در سیوم دفتر بهل اعذار را
قوّت از قوّت حق میزهد — نز عروقی کز حرارت میجهد ۲
این چراغ شمس کو روشن بود — نز فتیل و پنبه و روغن بود
سقف گردون کو چنین دایم بود — نز طناب و استنی قایم بود ۳
قوّت جبریل از مطبخ نبود — بود از دیدار خلّاق ودود
همچنین این قوّت ابدال حق — هم ز حق دان نز طعام وازطبق ۴
جسمشان را هم زنور اسرشته‌اند — تا زروح و از ملك بگذشته اند
چونکه موصوفی باوصاف جلیل — برتو آتش شد گلستان چون خلیل(۱) ۵
پنج حسّ وشش جهت گشت از تو رام(۲) — ای عناصر مر مزاجت را غلام
هر مزاجی را عناصر مایه است — وین مزاجت برتر ازهرپایه است ۶
این مزاجت از جهان منبسط — وصف وحدت را کنون شد ملتقط
ای دریغا عرصهٔ افهام خلق — سخت تنگ آمد ندارد خلق حلق(۳) ۷
ای ضیاءالحق بحذق رای تو — حلق بخشد سنگ را حلوای تو
کوه طور اندر تجلّی حلق یافت(٤) — تا که می‌نوشید ومی را برنتافت ۸
صار دکّاً منه و انشقّ الجبل — هل رایتم من جبل رقص الجمل
لقمه بخشی آید از هر کس بکس — حلق بخشی کار یزدانست و بس ۹
حلق بخشد جسم را و روح را — حلق بخشد بهر هر عضوی جدا
این گهی بخشد که اجلالی شوی — از دغا و از دغل خالی شوی ۱۰
تا نگوئی سرّ سلطان را بکس — تا نریزی قند را پیش مگس
گوش آنکس نوشد(٥) اسرارجلال — کوچو سوسن ده زبان افتاد ولال ۱۱
حلق بخشد خاك را لطف خدا — تا خورد آب و بروید صد گیا
بازخاکی رابخشد حلق ولب(٦) — تا گیاهش را خورد اندر طلب ۱۲
چون گیاهش خورد حیوان گشت زفت — گشت حیوان لقمهٔ انسان و رفت
باز خاك آمد شد اکّال بشر — چون جدا شد ازبشرروح وبصر ۱۳
ذرّها دیدم دهانشان جمله باز — گر بگویم خوردشان گردد دراز
برگها را برگ از انعام او — دایگان‌را دایه لطف عام او ۱٤
رزقها را رزقها او میدهد — زانکه گندم بی غذائی کی زهد
نیست شرح این سخن را منتهی — پارهٔ گفتم بدان زان پارها ۱٥
جمله عالم آکل و مأکول دان — باقیان را مقبل و مقبول دان
اینجهان و ساکنانش منتشر — وآن‌جهان و ساکنانش مستمر ۱٦
این جهان و عاشقانش منقطع — اهل آن عالم مخلد مجتمع
پس کریم آنست کو خودرا دهد — آب حیوانی که ماند تا ابد ۱۷
باقیات الصالحات آمد کریم (۷) — رسته از صد آفت واخطار و بیم
گر هزارانند یك تن بیش نیست — چون خیالات عدد اندیش نیست ۱۸
آکل ومأکول راحلق است وتای — غالب ومغلوب‌را عقل است و رای
حلق بخشید اوعصای عدل‌را(۸) — خورد او چندان عصا وحبل را ۱۹
واندروافزون نشدزان جمله اکل — زانکه حیوانی نبودش اکل وشکل
مریقین را چون‌عصاهم حلق داد — تا بخورد او هر خیالاتی که زاد ۲۰
پس‌معانی‌را چو اعیان حلقهااست — رازق حلق معانی هم خداست
پس ز ماهی تا بماه ازخلق نیست — که بجذب مایه اورا حلق نیست ۲۱
حلق نفس ازوسوسه خالی شود — میهمان وحی اجلالی شود
حلق‌جان ازفکر تن خالی شود — وانگهان روزیش اجلالی شود ۲۲
حلق‌عقل ودل چوخالی‌شد زفکر — یافت او بی هضم معده رزق بکر
شرط تبدیل مزاج آمد بدان — کز مزاج بد بود مرگ بدان ۲۳
چون مزاج آدمی گل خوار شد — زرد وبد رنگ وسقیم وخوارشد
چون مزاج زشت او تبدیل یافت — رفت زشتی ورخش‌چون‌شمع‌تافت ۲٤
دایهٔ کو طفل شیر آموز را — تابنعمت خوش‌کند بتفوز(۹)را
دایهٔ کو شیر خواره طفل را — تا ز نعمتها کند او را غذا ۲٥
گر ببندد راه یك پستان براو — برگشاید راه صد پستان براو
زانکه پستان‌شد حجاب آن‌ضعیف — ازهزاران نعمت وخوان ورغیف ۲٦
پس حیات ماست موقوف فطام — اندك اندك جهد کن تمّ الکلام
چون جنین بدآدمی‌خون بدغذا — از نجس پاکی برد مؤمن کذا ۲۷
چون جنین بدآدمی خونخوار بود — بود اورا بود ازخون تار و پود
از فطام خون غذایش شیر شد — و از فطام شیر لقمه گیر شد ۲۸
وز فطام لقمه لقمانی شود — طالب مطلوب پنهانی شود
گر جنین را کس بگفتی در رحم — هست بیرون عالمی بس منتظم ۲۹
یك زمین خرّمی باعرض وطول — اندرو بس نعمت و بیحد اکول
کوهها و بحرها و دشتها — بوستانها باغها و کشتها ۳۰
آسمانی بس بلند و پر ضیا — آفتاب و ماهتاب و صدسها

---

۱ ـ زاتش نمرود بگذر چون خلیل ۲ ـ گردد آتش بر تو هم برد وسلام (ن . ل) .

---

(۳) از حلق در اینجا استعداد مقصوداست (٤) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ اعرافست فلما تجلی ربه للجبل جعله دکاً وخرّ موسی صعقا یعنی چون پرتو افکن‌شد پروردگارموسی بکوه‌گردانیدکوه را پاره پاره و برو افتاد موسی‌صیحه زنان (٥) نوشد مخفف نبوشد است یعنی بشنود (٦) اشاره است بمضمون آیه واقعه در سورهٔ طه « منها خلقناکم وفیها نعیدکم و منها نخرجکم تارة اخری » از زمین آفریدیم شمارا و در زمین باز بریم بعد از مردن واز زمین بیرون آریم بار دیگر (۷) اشاره است به آیه درسورهٔ کهف که و الباقیات الصالحات خیر عند ربك ثوابا وخیر آملا یعنی چیزها یا کارهای شایسته‌که باقی ماند از آدمی بهتراست نزد پروردگار چه از جهت پاداش وچه از جهت باز گشت . (۸) اشاره است به مضمون این آیه که درسورهٔ شعرا واقع شده فالقوا حبالهم وعصیهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فالقی موسی عصاه فاذا هی تلقف مایافکون پس بیفکندند ریسمانها وعصاهای مجوف خودرا وگفتند بعزت وجلال فرعون بدرستیکه ماغلبه کنندگانیم پس بیفکند موسی‌عصایش را درحال اژدها گشت وعصای اژدها شده فرو می‌برد آنچه تزویر کرده وبصورت مار بخلق مینمودند (۹) بتفوز پیرامون وگردا گرد دهان را گویند .

از شمال و از جنوب و از دبور / باغها دارد عروسیها و سور ۱ در صفت ناید عجایبهای آن / تو درین ظلمت چهٔ در امتحان
خون خوری درچارمیخ تنگنا(۱) / در میان حبس و انجاس و عنا ۲ او بحکم حال خود منکر بُدی / زین رسالت معرض و کافر شدی
کاین محالست وفریبست و غرور / زانکه وهم کوراز این معنی است دور(۲) ۳ جنس چیزی چون ندید ادراك او / نشنود ادراك منکر ناك او
همچنانکه خلق عام اندر جهان / زانجهان ابدال میگویندشان ٤ کاین جهان چاهیست بس تاریك و تنگ / هست بیرون عالمی بی بو و رنگ
هیچ در گوش کسی زایشان نرفت / کاین طمع آمد حجاب ژرف زفت ٥ گوش را بندد طمع از اشتماع / چشم را بندد غرض از اطلاع
همچنانکه آن جنین را طمع خون / کان غذای اوست دراوطان دون ٦ از حدیث اینجهان محجوب کرد / خون تن را بردلش محبوب کرد
❀ زین همه انواع نعمت ماندفرد / غیرخون اومی نداند چاشت خورد ۷ برتو هم طمع خوشیٔ این جهان / شد حجاب آن خوشیٔ جاودان
طمع ذوق این حیات پر غرور / از حیات راستینت کرد دور ۸ پس طمع کورت کند نیکو بدان / بر تو پوشاند یقین را بی گمان
حق ترا باطل نماید از طمع / در تو صد کوری فزاید از طمع ۹ از طمع بیزار شو چون راستان / تا نهی پا بر سر آن آستان
کاندران درچون درآئی وارهی / از غم و شادی قدم بیرون نهی ۱۰ چشم جانت روشن وحق بین شود / بی ظلام کفر نور دین شود
پند پیران را پذیرا شو بجان / تا رهی از خوف ومانی درامان ۱۱ ❀ بشنو اکنون قصهٔ تمثیل آن / تا بیابی در حقیقت نور جان

قصهٔ خورندگان پیل بچه ازحرص وترك نصیحت ناصح

آن شنیدی تو که در هندوستان / دید دانائی گروهی دوستان ۱۳ گرسنه مانده شده بی برگ و عور / می رسیدند از سفر از راه دور
مهر دانائیش جوشید و بگفت / خوش سلامیشان وچون گل برشکفت ۱٤ گفت دانم کز تجوّع وز خلا(۳) / جمع آمد رنجتان زین کربلا
لیك الله الله ای قوم جلیل / تا نباشد خوردتان فرزند پیل ۱٥ پیل هست اینسوکه اکنون میروید / پند من ازجان وازدل بشنوید(٤)
پیل بچگانند اندر راهتان / صید ایشان هست بس دلخواهتان ۱٦ بس ظریفند و لطیفند و سمین / لیك مادرشان بود اندر کمین
از پی فرزند صد فرسنگ راه / او بگردد در حنین و آه آه ۱۷ آتش و دود آید از خرطوم او / الحذر زان بچهٔ مرحوم او
❀ اولیا اطفال حقند ای پسر(٥) / درحضور وغیبت آگه باخبر (٦) ۱۸ ❀ غائبی مندیش از نقصانشان / کو کشد کین از برای جانشان
گفت اطفال منند این اولیا / در غریبی فرد از کار و کیا ۱۹ از برای امتحان خوار و یتیم / لیك اندر سرّ منم یار و ندیم
پشت دار جمله عصمتهای من(۷) / گوئیا هستند خود اجزای من ۲۰ هان وهان این دلق پوشان منند / صد هزار اندر هزار و یك تنند
ور نه کی کردی بیك چوبی هنر / موسئی فرعون را زیر و زبر ۲۱ ورنه کی کردی بیك نفرین چنان / نوح شرق وغرب را غرق ومهان
بر نکندی یك دعای لوط راد / شهرهای کافران را المراد (۸) ۲۲ گشت شهرستان چون فردوسشان / دجلهٔ آب سیه رو بین نشان
سوی شامست این نشان واین خبر / در ره قدسش به بینی بر گذر ۲۳ صد هزاران اولیای حق پرست / خود بهر قرنی سیاستها بُدست
گر بگویم این بیان افزون شود / خود جگرچبودکه خارا خون شود ۲٤ خون شود کهها و بازان بفسرد / تو نبینی خون شدن کوریٔ ورّد
طرفه کوری دوربین وتیزچشم(۹) / لیك از اشتر نبیند غیر پشم ۲٥ مو بمو بیند ز صرفهٔ حرص انس / رقص بی مقصود دارد همچوخرس
❀ مو بمو بیند زحرص خود بشر / رقص او خالی ز خیر و پُرزشر ۲٦ رقص آنجا کن که خودرا بشکنی / پنبه را از ریش شهوت برکنی
رقص وجولان برسرمیدان کنند / رقص اندرخون خود مردان کنند ۲۷ چون رهند ازدست خود دستی زنند / چون جهند ازنقص خود رقصی کنند
مطربان شان ازدرون دف میزنند / بحرها در شورشان کف میزنند ۲۸ ❀ تو نبینی برگها با شاخها / کف زنان رقصان ز تحریك صبا
تو نبینی لیك بهر گوششان / برگها برشاخهاشدکف زنان(۱۰) ۲۹ تو نبینی برگها را کف زدن / گوش دل باید نه این گوش بدن
گوش سر بر بند ازهزل ودروغ / تا ببینی شهر جان را با فروغ ۳۰ ❀ هین دهان بربند ازهزل ای عمو / جز حدیث روی او چیزی مگو
سر کشد گوش محمد در سخن / کش بگویددر نُبی حق هواذن(۱۱) ۳۱ سربسرگوش است وچشمست آن نبی / رحمت او مُرضع است و ماصبی
این سخن پایان ندارد بازران / ۳۲ سوی اهل پیل و بر آغازران

بقیهٔ قصهٔ متعرّضان پیل بچگان

هر دهان را پیل بوئی میکند / گرد معده هر بشر بر می تند ۳٤ ❀ تا کجا یابد کباب پور خویش / تا نمایدانتقام و زور خویش(۱۲)
تا کجا بوی کباب بچه را / یابد و زخمش زند اندر جزا ۳٥ لحمهای بندگان حق خوری(۱۳) / غیبت ایشان کنی کفر بری
هان که بویای دهانتان خالق است / کی برد جان غیرآن کوصادق است ۳٦ وای آن افسوسئی کش بوی گیر / باشد اندر گور منکر یا نکیر
نی دهان دزدیدن امکان زان مهان / نی توان خوش کردن از دارو دهان ۳۷ آب و روغن نیستٔ مرروپوش را / راه حیلت نیست عقل وهوش را
چند کوبد زخمهای گرزشان / بر سر هر ژاژخا و برزشان ۳۸ گرز عزرائیل را بنگر اثر / گر نبینی چوب و آهن در صور
هم بصورت مینماید که گهی(۱٤) / زان همان رنجور باشد آگهی ۳۹ گوید آن رنجور کای یار حرم / چیست این شمشیر بر فرق سرم

---

۲ ـ زانکه تصویری ندارد و هم کور ٤ ـ پیل زاده مشکنید وبشنوید ٦ ـ غایبی و حاضری بس با خبر ۸ ـ جمله شهرستانشان را بمراد ۱۰ـ برگها برشاخ شد کف زن عیان ۱۲ـ تازند اندر جزاصد زخم ونیش (ن . ل) .

---

(۱) از چهارمیخ عناصر اربعه مراد است (۳) گفت میدانم که از گرسنگی وخالی بودن شکم (٥) اشاره بخبر است که الخلق عیال الله احبّهم الی الله انفعهم بعیاله وابغضهم الی الله اضرّهم بعیاله یعنی خلق عیال خدایند محبوبتر نزد خدا کسی است که نفع او بعیال بیشتر برسد و مبغوض تر کسی است که ضرر بیشتر برساند (۷) عصمت من پشت و پناه آنهاست (۹) بسا کس که از حقایق آگه نیست و ظاهر را می بیند و آدمی بسیار باریك بین است درکار دنیا (۱۱) اشاره بآیهٔ شریفه در سورهٔ توبه ❀ ومنهم الذین یؤذون النبی و یقولون هوُ اذن قل اذن خیر لکم یعنی بعضی از منافقان هستند که اذیت میکنند پیغمبر را ومی گویند اوخوب میشنود بگواومستمع خیروصلاح است مرشمارا (۱۳) اشاره است بآیه واقعه درسورهٔ حجرات دردم غیبت ❀ ولا یغتب بعضکم بعضاً اُیحبّ احدکم أن یاکل لحم اخیه میتاً یعنی غیبت نکنید بعضی از شما بعضی را که این چنانست که آدمی گوشت برادر خودرا که مرده باشد بخورد آیا دوست میدارید خوردن این چنین گوشت را (۱٤) از تصدیعات بیمار علامت گرز عزرائیل معلوم میشود اگرچه چوب وآهن گرز معلوم نیست .

۞ چون نمی‌بیند کس ازیاران او / در جواب آیند یاران کای عمو ۱ ما نمی بینیم باشد این خیال / چه‌خیالست این‌که هست این ارتحال
چه‌خیالست این‌که این‌چرخ نگون / از نهیب این خیالی شد کنون ۲ گرزها و تیغها محسوس شد / پیش بیمار و سرش منکوس شد
او همی بیندکه آن ازبهر اوست / چشم‌دشمن‌بسته زان وچشم‌دوست ۳ حرص دنیارفت وچشمش‌تیزشد(۱) / چشم اوروشن‌که چون‌خونریزشد
مرغ بیهنگام شد آن چشم او / از نتیجهٔ کبر او و خشم او ۴ سر بریدن واجب آمد مرغ را / کو بغیر وقت جنباند درا (۲)
هرزمان نزعی‌است جزوجانت را / بنگر اندر نزع جان ایمانت را ۵ عمر تو مانند همیان زر است / روز وشب مانند دینار اشمرست
می شمارد می دهد زر بی‌وقوف / تا که خالی گردد و آید خسوف ۶ گر ز کُه بستانی و ننهی بجای / اندر آید کوه زان دادن زپای
پس بنه بر جای هر دم را عوض / تا ز واسجد واقترب یابی غرض ۷ در تمامی کارها چندین مکوش / جز بکاری‌که بود دردین مکوش
عاقبت تو رفت خواهی ناتمام / کارهایت ابتر و نان تو خام ۸ وین عمارت کردن گور و لحد / نی بسنگست ونه چوب و نی لبد
بلکه خودرا در صفا کوری کنی / در منیّ آن کنی دفن این منی ۹ خاك او گردیّ و مدفون غمش / تا دمت یابد مددها از دمش
گورخانه قبها و کنگره / نبود از اصحاب معنی آن سره ۱۰ بنگراکنون زنده اطلس پوش‌را / هیچ اطلس دست گیرد هوش را
در عذاب منکراست آن جان او / کژدم غم در دل غمدان او ۱۱ از برون برظاهرش نقش ونگار / وز درون اندیشهایش زار زار
وان یکی بینی در آن دلق کهن ۱۲ چون نبات اندیشه و شکر سخن

باز گشتن بحکایت پیل

گفت ناصح بشنوید این پند من / تا دل و جانتان نگردد ممتحن ۱۴ با گیاه و برگها قانع شوید / در شکار پیل بچکان کم روید
من برون‌کردم ز گردن وام نصح / جز سعادت کی بود انجام نصح ۱۵ من به تبلیغ رسالت آمدم / تا رهانم مر شما را از ندم
هین مبادا که طمعتان ره زند / طمع برگ ازاینجهان تان برکند ۱۶ این بگفت و خیر بادی‌کرد ورفت / گشت قحط وجوعشان دررادزفت
ناگهان دیدند سوی جادهٔ / بچه فیلی فربهی نو زادهٔ ۱۷ اندر افتادند چون گرگان مست / پاك خوردند وفرو شستند دست
آن یکی همره نخورد و پند داد / که حدیث آن فقیرش بود یاد ۱۸ از کبابش مانع آمد آن سخن / بخت نو بخشد ترا عقل کهن
پس بیفتادند و خفتند آن همه / وان گرسنه پاسبان آن رمه ۱۹ دید پیلی سهمناکی می رسید / اولا آمد سوی حارس دوید
بوی میکردآن دهانش‌را سه بار / هیچ بوئی زو نیامد ناگوار ۲۰ چند باری گرد او برگشت ورفت / مر ورا نازرد آن شه پیل زفت
مر لب هر خفتهٔ را بوی کرد / بوی می‌آمد ورا زان خفته مرد ۲۱ کز کباب پیل زاده خورده بود / بر درانید و بکشتش پیل زود
درزمان‌او یك یك‌را زان‌گروه / بردرانید و نبودش زان شکوه(۳) ۲۲ برهوا انداخت هر یك ازگزاف / تا همی زد برزمین میشد شکاف
ای‌خورنده خون خلق‌ازراه‌برد / تا نیارد خون ایشانت نبرد ۲۳ مال ایشان‌خون ایشان دان یقین / زانکه مال از زور آید در یمین
مادر آن فیل بچه کین کشد / فیل بچه خواره را کیفر کشد ۲۴ فیل بچه میخوری ای پاره‌خوار / هم بر آرد خصم فیل از تو دمار
بوی رسوا کرد مکر اندیش را / پیل‌داند بوی خصم خویش‌را(٤) ۲۵ آنکه یابد بوی رخمن از یمن / چون نیابد بوی باطل راز من
مصطفی‌چون بوی برد ازراه‌دور / چون نیابد از دهان ما بخور ۲۶ هم یابد لیك پوشاند ز ما / بوی نیك و بد بر آید بر سما
توهمی‌خسبیّ و بوی آن حرام / میزند بر آسمان سبز فام ۲۷ همره انفاس زشتت میشود / تا بیوگیران گردون می رود
بوی‌کبر وبوی حرص وبوی‌آز / در سخن گفتن بیاید چون پیاز ۲۸ گرخوری سوگند من‌کی خورده‌ام / از پیاز و سیر تقوی کرده ام
آن دمت سوگند غمازی کند / بر دماغ همنشینان بر زند ۲۹ پس دعاها رد شود از بوی آن / آن دل کژ می نماید از زبان
اخسئوا آید(۵) جواب آن دعا / چوب ردّ باشد جزای هر دغا ۳۰ گر حدیثت کژ بود معنیت راست / آن کژیّ لفظ مقبول خداست
۞ وربود معنی کژ ولفظت نکو ۳۱ آن چنان معنی نیرزد یك تسو

بیان آنکه خطای محبان بهتر از صواب بیگانگان است

آن بلال صدق در بانگ نماز / حی را هی خواند از روی نیاز ۳۳ تا بگفتند ای پیمبر نیست راست / این خطا اکنون که آغاز بناست
ای نبیّ وای رسول‌کردگار (٦) / یك مؤذن کو بود افصح بیار ۳٤ عیب باشد اول دین و صلاح / لحن‌خواندن(۷)لفظ هی‌علی‌الفلاح
خشم پیغمبر بجوشید و بگفت / یك دو رمزی از عنایات نهفت ۳۵ کای‌خسان نزد خدا هی بلال / بهتراز صد حی وحی وقیل وقال
وا مشورانید تا من رازتان / وا نگویم آخر و آغازتان ۳٦ گر نداری تو دم خوش در دعا / رو دعا میخواه ز اخوان صفا

امر حق بموسی علیه‌السلام که مرا بدهانی خوان که بدان دهان گناه نکرده باشی

بهر این فرمود با موسی خدا / وقت حاجت خواستن اندر دعا ۳۸ کای کلیم‌الله ز من میجو پناه / با دهانی که نکردی تو گناه
گفت موسی من ندارم آن دهان / گفت ما را از دهان غیر خوان ۳۹ از دهان غیر کی کردی گناه / از دهان غیر بر خوان کی اله
آنچنان کن که دهانها مر ترا / در شب و در روزها آرد دعا ۴۰ آن دهانی که نکردستی گناه / آن دهان غیر باشد عذر خواه
یا دهان خویشتن را پاك کن / روح خود را چابك وچالاك کن ۴۱ ذکرحق پاکست چون پاکی‌رسید / رخت بر بندد برون آید پلید
میگریزد ضد ها از ضد ها / شب گریزد چون بر افروزد ضیا ۴۲ چون برآمدنام پاك اندردهان(۸) / نه پلیدی ماند و نی آن دهان

---

٤ ـ طفل خویش را ـ بچه خویش را ٦ ـ ای رسول و شهسوار کردگار

---

(۱) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ ق است که فکشفنا عنك غطائك فبصرك‌الیوم حدید یعنی پس برداشتیم ازپیش‌دیدهٔ تو پوشش غفلت را تا امور حقه که شنیده بودی معاینه دیدی پس دیدهٔ تو امروز بسبب رفع غطا وکشتن حجاب تیز است در دیدن آنچه نمیدید از احوال معاد یعنی ازروی یقین آنرا بدیدی بدون شایبه وشك (۲) بی وقت میخواند (۳) ترسی نداشت (۵) اشاره است بآیه واقعهٔ در سورهٔ مؤمنون قال اخسئوا فیها ولا تکلمون که خطاب باهل جهنم است (۷) لحن خواندن عبارت از درست نخواندن وخطاء در کلامست (۸) اشاره بمضمون این آیه است که در سورهٔ رعد واقع شده الا بذکرالله تطمئن القلوب بدانید که بذکر خدای تعالی دلهای مؤمنان آرام می یابد .

در بیان آنکه الله گفتن نیازمند عین لبیك گفتن حق است

آن یکی الله میگفتی شبی — تا که شیرین گردد از ذکرش لبی ۲ — گفت شیطانش خمش ای سخت‌رو — ❀ چند گوئی آخر ای بسیار گو
اینهمه الله گفتی از عتو ❀ — خود یکی الله را لبیك‌کو (۱) ۳ — می‌نیاید یك جواب از پیش تخت — چند الله میزنی با روی سخت
او شکسته دل شد و بنهاد سر — دیددرخواب‌اوخضررادرخضر(۲) ٤ — گفت هین از ذکر چون وامانده — چون پشیمانی ازآن کش خوانده
گفت لبیکم نمی‌آید جواب — زان همی ترسم که باشم ردّ باب ۵ — گفت‌اورا (۳) که‌خداگفت‌این‌بمن — که برو با او بگو ای ممتحن
نی که آن الله تو لبیك ماست — آن‌نیاز وسوز ودردت پیك‌ماست ٦ — نی ترا در کار من آورده ام — نه که من مشغول ذکرت کرده ام
حیله ها و چاره جوئیهای تو — جذب ما بود و گشاد آن پای‌تو ۷ — ترس وعشق‌توکمندلطف‌ماست(٤) — زیر هر یاربّ تو لبیکهاست
جان جاهل زین‌دعا جز دورنیست — زانکه یارب‌گفتنش دستور نیست ۸ — بردهان و برلبش(۵) قفلست وبند — تا ننالد با خدا وقت گزند
داد مرفرعون را صد ملك ومال — تا بکرد او دعوی عزّ وجلال ۹ — در همه عمرش ندید او درد سر — تا ننالد سوی حق آن بد گهر
داد او را جملهٔ ملك این جهان — حق ندادش درد ورنج واندهان ۱۰ — درد آمد بهتر از ملك جهان — تا بخوانی تو خدا را در نهان
❀ زانکه درد ورنج وبارانده‌ان — شد نصیب دوستانش در جهان ۱۱ — خواندن بی درد از افسردگیست — خواندن با درد از دل بردگیست
آن کشیدن زیر لب آواز را — یاد کردن مبدأ و آغاز را ۱۲ — آن شده آواز صافیّ و حزین — کای‌خدا ای مستغاث وای معین
نالهٔ‌سگ دررهش‌بی‌جذبه‌نیست(٦) — زانکه هر راغب اسیر رهزنیست ۱۳ — چون سگ‌کهفی‌که ازمردارزست — بر سر خوان شهنشاهان نشست
تا قیامت میخورد او پیش غار — عارفانه آب رحمت بی تغار ۱٤ — ای بسا سگ پوست‌کورانام نیست — لیك اندر پرده بی آن جام نیست
جان‌بده ازبهرآن‌جام ای‌پسر(۷) — بی جهاد و صبر کی باشد ظفر ۱۵ — صبر کردن بهر این نبود حرج — صبر کن کالصبر مفتاح الفرج
زین‌کمین‌بی‌صبروحزمی‌کس‌نجست — حزم را خود صبر باشد پاودست ۱٦ — صبرکن‌ازخوردکاین‌زهرین‌گیاست — حزم کردن زور و نور انبیاست
گاه باشد که بهر بادی جهد — کوه کی مر باد را وزنی نهد ۱۷ — هر طرف غولی همی خواند ترا — کای برادر راه خواهی هین بیا
رهنمایم همرهت باشم رفیق — من قلاوزم (۸) دراین راه دقیق ۱۸ — نی قلاوز است و نی ره داند او — یوسفا کم رو سوی این‌گرگ خو
حزم آن باشد که نفریبد ترا — چرب و نوش دانهای این سرا ۱۹ — که نه چربش دارد ونی نوش او — سحر خواند میدمد در گوش او
که بیا مهمان ما ای روشنی — خانه آن تست و تو آن منی ۲۰ — حزم آن باشد که گوئی تخمه ام — یا سقیم و خستهٔ این دخمه ام
حزم آن باشد که بهر دفع را — تخمه ام گوئی ز انواع ابا ۲۱ — یا سرم دردست و درد سر ببر — یا مرا خوانده است آن خالوپسر
زانکه یك نوشت دهد با نیشها — که بکارد در تو نیشش ریشها ۲۲ — زر اگر پنجاه یا شصتت دهد — ماهیا اوگوشت در شستت نهد(۹)
گردهد خود کی دهد آن پرحیل — جوز پوسیده است وگفتار دغل ۲۳ — ژغژغ آن عقل و مغزت را برد — صد هزاران عقل را یك نشمرد
یار تو خرجین تست و کیسه ات — گر تو رامینی مجو جز ویسه ات ۲٤ — ویسه ومعشوق تو هم ذات تست — وین برونیها همه آفات تست
حزم‌آن باشدکه چون دعوت‌کنند — تو نگوئی مست و خواهان منند ۲۵ — دعوت ایشان صفیر مرغ دان — که کند صیاد در مکمن نهان
مرغ مرده پیش بنهاده که این — میکند آواز و فریاد و انین ۲٦ — مرغ پندارد که جنس اوست او — جمع آید بردردشان پوست او
جزمگرمرغی‌که حزمش داد حق — تا نگردد گیج از آن دانهٔ ملق ۲۷ — هست بی حزمی پشیمانی یقین — ❀ حزم‌رامگذار ومحکم‌کن تودین
❀ زانکه بیحزمی شقاوت بردهد — دین رود از دست ودرد سردهد ۲۸ — بشنو این افسانه را وشرح این — ❀ تاشوی حازم برای حفظ دین

فریفتن روستائی شهری را و بدعوت خواندن او را بلابه و الحاح بسیار

ای برادر بود اندر ما مضی — شهرئی با روستائی آشنا ۳۰ — روستائی چون سوی شهر آمدی — خرگه اندرکوی آن شهری‌زدی
دو مه و سه ماه مهمانش بدی — بر دکان او وبر خوانش بدی ۳۱ — هر حوائج را که بودش‌آن زمان — راست‌کردی مرد شهری رایگان
روبشهری‌کردوگفت ای‌خواجه تو — هیچ می نائی سوی ده فرجه جو ۳۲ — الله الله جمله فرزندان بیار — کاین زمان گلشن است ونوبهار
یا بتابستان بیا وقت ثمر — تا به بندم خدمتت را من کمر ۳۳ — خیل و فرزندان وقومت را بیار — درده ما باش خوش ماهی سه‌چار
در بهاران خطهٔ ده خوش بود — کشت زار و لالهٔ دلکش بود ۳٤ — وعده‌دادی شهری اورا دفع حال — تا در آمد بعد وعده هشت سال
او بهر سالی همی گفتی که کی — عزم خواهی کرد آمد ماه دی ۳۵ — او بهانه ساختی کامسالمان — از فلان خطه بیامد میهمان
سال دیگر گر توانم وا رهید — از مهمّات آن طرف خواهم‌دوید ۳٦ — گفت هستند آن عالم منتظر — بهر فرزندان تو ای اهل بر
باز هرسال ازطمع اوآمدی(۱۰) — خیمه اندرخانهٔ شهری زدی(۱۱) ۳۷ — خواجه هرسالی‌زرّ ومال خویش — خرج اوکردی گشادی بال‌خویش
آخرین کرّت سه ماه آن پهلوان — خوان نهادش بامدادان و شبان ۳۸ — از خجالت بازگفت او خواجه‌را — چند وعده چند بفریبی مرا
گفت‌خواجه‌جسم‌وجانم‌وصل‌جوست — لیك هرتحویل اندر حکم هوست ۳۹ — آدمی چون کشتی است و بادبان — تا کی‌آرد بادرا آن بادران (۱۲)
باز سوگندان بدادش کای کریم — گیر فرزندان بیا بنگر نعیم ٤۰ — دست او بگرفت سه کرّت بعهد — کالله الله زو بیا بنمای جهد

---

۳ ـ خضرش ۵ ـ دلش ۱۰ ـ باز هر سالی چو لکلك آمدی ۱۱ ـ تا مقیم قبهٔ شهری شدی (ن . ل) .

---

(۱) اینهمه ازحد میگذرانی‌خدا گفتن را چرا یکمرتبه جواب نمی‌آید (۲) خضر بکسر اول وسکون دوم سبز و سبزه و نام پیغمبریست بضم‌اول و سکون دوم سبزی وسبزه ها وجمع اخضر است و در اصطلاح متصوفه خضر کنایت از بسط است و الیاس کنایت از قبض (٤) اشاره بآیهٔ واقعه درسورهٔ بقره است اجیب دعوة الداع اذا دعان یعنی‌اجابت میکنم خواندن خواننده را چون بخواند مرا (٦) یعنی تا جذب حق یارنشود سگ ناله نمی‌تواند کرد چرا که هر راغب گرفتار مانعی است ومانع را هیچ چیز بی‌جذب حق رافع نه (۷) اشاره بمضمون این آیه است که در سورهٔ عنکبوت واقع شده والذین جاهدوا فینا لنهدینهم سبلنا وآنانکه کوشش نمایند درکار ما واقامت دین ما هرآینه راه نمائیم ایشان را براههای خود (۸) قلاوز سوارانی‌که از لشکر بیرون آیند بجهت محافظت ومحارست لشکریان (۹) ای ماهی او گوشت را در دام مینهد برای گرفتار کردن تو (۱۲) بادران نام سروشی است که باد را بحرکت آورد واز جائی بجائی برد واینجا مراد فاعل حقیقی‌است وسروش یعنی هاتف غیبی .

بعد ده سال و بهر سالی چنین ۱ کودکان خواجه گفتند ای پدر
حقها بر وی تو ثابت کردهٔ ۲ او همی‌خواهد که بعضی حقّ آن
بس وصیت کرد مارا او نهان ۳ گفت حق است این ولی ای سیبویه
دوستی تخم دم آخر بود ۴ صحبتی باشد چو شمشیر قطوع
صحبتی باشد چو فصل نوبهار ۵ حزم آن باشد که ظنّ بد بری
حزم سوءالظن گفتست آن رسول(۱) ۶ روی صحرا هست هموار و فراخ
آن بز کوهی دود که دام کو ۷ آنکه میگفتی که کو اینك ببین
بی کمین و دام و صیاد ای عیار ۸ آنکه گستاخ آمدند اندر زمین
چون بگورستان روی ای مرتضی ۹ تا بظاهر بینی آن مستان کور
چشم اگر داری تو کورانه مپا ۱۰ آن عصای حزم و استدلال را
ورعصای حزم و استدلال نیست ۱۱ گام ز آنسان نه که نابینا نهد
کور لرزان و بترس و احتیاط ۱۲ می نهد پا تا نیفتد در خباط

لابها و وعده های شکرین
رنجها در کار او بس بردهٔ
که کشیدش سوی ده لابه کنان
ترسم از وحشت که آن فاسد شود
زو عمارتها و دخل بی شمار
هرقدم را دام میدان ای فضول
چون بتازد دامش افتد در گلو
دنبه کی باشد میان کشت زار
استخوانشان را بپرس ازما مضی
ور نداری چشم دست آور عصا
بی‌عصا کش برسر هرره مایست
کور لرزان و بترس و احتیاط

ماه و ابر وسایه هم دارد سفر
واگذارد چون شوی تو میهمان
اتق من شرّ من احسنت الیه
همچو دی در بوستان ودرزروع
تا گریزی و شوی از بد بری
هر قدم دامیست کم رو اوستاخ
دشت میدیدی نمیدیدی کمین
استخوان و کلهاشان را ببین
چون فرو رفتند در چاه غرور
چون نداری دیده میکن پیشوا
تا که پا از سنگ و ازچه‌وارهد

قصهٔ اهل سبا و طاغی کردن نعمت ایشان را

ای ز دودی رسته درناری شده ۱۴ تو نخواندی قصهٔ اهل سبا (۲)
از صدا آن کوه خود آگاه نیست ۱۵ او همی بانگی کند بی‌گوش‌وهوش
داد حق اهل سبا را بس فراغ ۱۶ شکر آن نگذاشتند آن بد رگان
مر سگی را لقمهٔ نانی ز در ۱۷ پاسبان و حارس در میشود
هم برآن در باشدش باش وقرار ۱۸ ورسگی آید غریبی روز و شب
که برو آنجا که اوّل منزلست ۱۹ می‌گزندش که برو برجای خویش
از در دل و اهل دل آب حیات ۲۰ بس غذای وجد و سکر بیخودی
بازاین دررا رها کردی زحرص ۲۱ بر در آن منعمان چرب دیگ
چربش انجا دان که جان‌فربه شود ۲۲ کار نا امید آنجا به شود

لقمه جسته لقمهٔ ماری شده
سوی معنی‌هوش که‌را راه نیست
صد هزاران قصر وایوانها و باغ
چون رسد بر در همی بندد کمر
کفر داند کرد غیری اختیار
حقّ آن نعمت گروگان دلست
چند نوشیدی و وا شد چشمهات
گرد هر دکان همی‌گردی زخرص

یا بخواندی و ندیدی جز صدا
چون‌خمش گردی تو اوهم‌شدخموش
در وفا کمتر فتادند از سگان
گرچه بروی جور وسختی میرود
آنسگانش میکنند آن دم ادب
حق آن نعمت فرو مگذار بیش
از در اهل دلان برجا زدی
می دوی بهرثرید مرده ریگ(۳)

جمع آمدن اهل آفت هر صباحی بر در صومعهٔ عیسی علیه‌السلام جهت طلب شفا بدعای او

صومعهٔ عیسی‌است خوان اهل دل ۲۴ جمع گشتندی ز هر اطراف خلق
بر در آن صومعهٔ عیسی صباح ۲۵ او چوفارغ گشتی ازاوراد خویش
جوق جوق مبتلا دیدی نزار ۲۶ پس دعا کردی وگفتی‌ازخدا(٤)
هین روان گردید بی رنج و عنا ۲۷ جملگان چون اشتران بسته پای
بی‌توقف جمله شادان درامان(٦) ۲۸ جمله بی‌درد والم بی‌رنج وغم
سوی‌خانهٔ‌خویش‌گشتندی‌روان ۲۹ آزمودی تو بسی آفات خویش
چند آن لنگی تو رهوار شد ۳۰ تو مغفّل رشتهٔ بر پای بند
ناسپاسی و فراموشی تو ۳۱ لاجرم آن راه بر تو بسته شد
زودشان دریاب و استغفار کن ۳۲ تا گلستان‌شان سوی تو بشکفد
هم برآن درگرد وازسگ‌کم‌مباش ۳۳ چون‌سگان‌هم‌مرسگان‌را ناصح‌اند
اولین دررا که خوردی‌استخوان ۳۴ میگزندش تاز ادب آنجا رود
میگزندش کای سگ طاغی برو ۳۵ بر همان در همچو حلقه بسته‌باش
صورت نقض وفای ما مباش ۳۶ مرسگان‌را چون وفا آمد شعار
بیوفائی چون سگان را عار بود ۳۷ حق تعالی فخر آورد از وفا
بیوفائی دان وفا با ردّ حق ۳۸ نوررا هم نور شو با نار نار
حق مادر بعدازآن شدکان‌کریم ۳۹ صورتی کردت درون جسم او
همچو جزو متصل دید او ترا ۴۰ حق‌هزاران صنعت وفن‌ساختست
پس حق حق سابق ازمادربود ۴۱ آنکه مادر آفرید و ضرع وشیر

هان وهان ای مبتلا این درمهل
تا بدم ایشان رهاند از جناح
شسته بر در با امید و انتظار
سوی غفّاری و اکرام خدا
از دعای او شدندی پادوان
از دم میمون آن صاحب قران
چند جانت بی غم و آزار شد
یاد ناورد آن عسل نوشی تو
همچو ابری گریهای زار کن
باسگ‌کهف ارشدستی‌خواجه تاش
سخت‌گیر وحق‌گزاری‌را ممان
با ولیّ نعمتت یاغی مشو
بیوفائی را مکن بیهوده فاش
بیوفائی چون روا داری نمود
بر حقوق حق ندارد کس سبق
کرد اورا از جنین تو غریم
متصل را کرد تدبیرش جدا
هر که آن حق را نداند خر بود

زضریر وشلّ ولنگ واهل دلق
چاشتگه بیرون شدی‌آن‌خوب‌کیش
حاجت ومقصود جمله شد روا(٥)
که گشائی زانوی ایشان برای
تن درست و شادمان و محترم
یافتی صحّت از ان یاران کیش
تازخود هم‌گم نگردی ای‌لوند(۷)
چون دل اهل دل از توخسته‌شد
میوهای پخته بر خود واکفد
که دل اندر خانهٔ اول بیند
در مقام اوّلین مفلح شود
پاسبان و چابك و برجسته باش
روسگان‌را ننگ و بدنامی مبار
گفت من اوفی بعهد غیرنا(۸)
جای گل گل‌باش وجای خارخار
داد در حملت ورا آرام و خو
تا که مادر برتومهر انداخته است
با پدر کردش قرین آن خود بگیر

٤ـ گفتی ای اصحاب آفت ازخدا ٥ـ حاجت این جملگانتان شد روا ٦ـ خوش دوان و شادمانه سوی خان (ن . ل) .

(۱) اشاره است بحدیث الحزم سوءالظن وبعبارت دیگر گفته‌اند انّ من‌الحزم سوءالظن (۲) اشاره است بآیه واقعه درسوره سبا « لقدکان لسبا فی‌مسکنهم‌آیة جنتان عن یمین وشمال شرح این‌آیه اینست‌که بدرستیکه بود مراولاد سبارا درمسکنهای ایشان علامتی ودلالتی بروجود صانع وقدرت کاملهٔ او دو بوستان از راست وچپ منازل ایشان اگرچه هرطرف باغ بسیار بوده وازنزدیکی اشجار همه بمثابه یك باغ مینموده است (۳) ترید یا ثرید نان ریزه کرده شده است که درآش یا شیر وغیره ریزند ومرده ریگ مالی است که ازمیراث مانده باشد (۷) لوند مردان کاهل وتنبل وعشرت دوست و زنان قحبه را گویند (۸) اقتباس است ازآیه شریفه واقعهٔ در سورهٔ توبه‌که فرموده و من اوفی بعهده من‌الله فاستبشروا ببیعکم الذی بایعتم به یعنی کیست وفا کننده تر بعهد خود از خدا پس خوشنود باشید بخرید و فروخت خود که مبایعت کرده‌اید بآن .

ای خداوند ای‌قدیم احسان تو — آنکه دانم وانکه نی هم آن تو ۱ تو بفرمودی که حق را یاد کن — زان که حقّ من نمیگردد کهن
یاد کن لطفی که کردم آن‌صبوح — با شما از حفظ در کشتیّ نوح ۲ اصل‌واجداد شمارا آن زمان(۱) — دادم از طوفان واز موجش امان
آب آتش خو زمین بگرفته بود — موج او مرواج ُکه را میربود ۳ حفظ کردم من نکردم ردّتان — در وجود جدّ جدّ جدّتان
چون‌شدی‌سرپشت‌پایت‌چون‌زنم (۲) — کارگاه خویش چون ضایع کنم ٤ چون فدای بیوفایان میشوی — از گمان بد بدان سو میروی
من ز سهو و بیوفائیها بری — سوی من آئی گمان بد بری ٥ این گمان بد برانجا بر که تو — میشوی درپیش همچون خوددوتو
بس گرفتی یار و همراهان زفت — گر ترا گویم که کو گوئی که رفت ٦ یار نیکت رفت بر چرخ برین — یار فسقت ماند در قعر زمین
تو بماندی در میانه همچنان — بیمدد چون آتشی از کاروان ۷ دامن او گیر ای یار دلیر — کو منزّه باشد از بالا و زیر
نی چوعیسی سوی‌گردون برشود — نی‌چو قارون در زمین اندررود ۸ با تو باشد در مکان وبی مکان — چون بمانی از سرا و از دکان
او برآرد از کدورتها صفا — مر جفاهای ترا گیرد وفا ۹ چون جفا آری فرستد گوشمال — تا ز نقصان وا روی سوی کمال
چون‌تووردی‌ترک‌کردی‌درروش — بر تو قبضی آید از رنج و تپش ۱۰ ترک وردی که‌کنی تو در زمان — قبض و تاریکیت آید نیك دان
آن ادب کردن بود یعنی مکن — هیچ تحویلی از آن عهد کهن ۱۱ پیش‌ازآن‌کاین‌قبض زنجیری‌شود — اینکه دلگیرست پا گیری شود
رنج معقولت شود محسوس‌وفاش — تا نگیری این اشارت را بلاش ۱۲ در معاصی قبضها دلگیر شد — قبضها بعد از اجل زنجیر شد
نعط من اعرض هنا عن ذکرنا — عیشة ضنکاً و نحشر بالعمی (۳) ۱۳ دزد چون مال کسان را میبرد — قبض و دل تنگی داش را میخلد
اوهمی‌گوید عجب این‌قبض چیست — قبض‌آن مظلوم‌کز شرّت گریست ۱٤ چون بدین قبض التفاتی کم کند — باد اصرار آتشش را دم کند
قبض دل قبض عوان شد لاجرم — گشت محسوس آن معانی زدعلم ۱٥ قبضها زندان شدست و چار میخ — قبض بیخ است و برآردشاخ بیخ
بیخ پنهان بود هم شد آشکار — قبض و بسط اندرون بیخی‌شمار ۱٦ چونکه بیخش بد بود زودش بزن — تا نروید زشت خاری در چمن
قبض دیدی چارهٔ آن قبض کن — زانکه سر ها جمله میروید ز ُبن ۱۷ بسط دیدی بسط خود را آب ده — چون بر آمد میوه با اصحاب ده

باقی قصهٔ اهل سبا

باز گردد قصهٔ اهل سبا — باز گو تا باز گویم مرحبا ۱۹ آن سبا ز اهل سبا بودند خام — کافران نعمت با کرام
باشد آن کفران نعمت در مثال — که کنی بامحسن خود تو جدال ۲۰ که نمی باید مرا این نیکوئی — من برنجم زین چه رنجه میشوی
لطف‌کن این نیکوئی را دور کن — من نخواهم چشم زودم کور کن ۲۱ پس سبا گفتند با عد بیننا — شیننا خیر لنا خذ زیننا (٤)
ما نمیخواهیم این ایوان و باغ — نی زمان خوب ونی امن وفراغ ۲۲ شهر ها نزدیك هم دیگر بدست — آن بیابانست خوش کانجا دداست
یطلب الانسان فی الصیف الشتا — فاذا جاء الشتا انکر ذا ۲۳ فهولا یرضی بحالٍ ابداً — لا یضیقٍ لا بعیش رغداً
قتل الانسان ما اکفره — کلما نال هدیً انکره (٥) ۲٤ نفس زینسانست زان شدکشتنی — اقتلوا انفسکم گفت آن سنی (٦)
خار سه سویست هر سوکش نهی — درخلد از زخم او تو کی رهی ۲٥ آتش ترك هوا در خار زن — دست اندر یار نیکوکار زن
چون زحد بردند اصحاب سبا — که به پیش ما و با به از صبا ۲٦ ناصحانشان در نصیحت آمدند — از فسوق و کفر مانع می شدند
قصد خون ناصحان میداشتند — تخم فسق و کافری میکاشتند ۲۷ چون‌قضا آیدشود تنگ این‌جهان — از قضا حلوا شود رنج دهان
گفت اذا جاء القضا ضاق الفضا — تحجب الابصار اذا جاء القضا ۲۸ چشم بسته میشود وقت قضا — تا نبیند چشم کحل چشم را
مکر آن فارس چو انگیزید گرد — آن غبارت زاستغاثت دورکرد(۷) ۲۹ سوی فارس رو مرو سوی غبار — ور نه بر تو کوبد آن مکر سوار
گفت‌حق‌آن‌را که‌این‌گرگش‌بخورد — دید گرد گرگ چون زاری نکرد ۳۰ او نمیدانست گرد گرگ را — با چنین دانش چرا کرد او چرا
گوسفندان بوی ِ گرگ با گزند — می بدانند و بهر سو می خزند ۳۱ مغز حیوانات بوی (۸) شیر را — می بداند ترك میگوید چرا
بوی خشم شیر دیدی باز گرد — با مناجات خدا انباز گرد ۳۲ وانگشتند آنگروه از گرد گرگ — گرگ محنت بعدگرد آمد سترگ
بر درید آن گوسفندان را بخشم — که ز چوپان ِخرد بستند چشم ۳۳ چند چوپانشان بخواند و نامدند — خاك غم در چشم چوپان میزدند
که برو ما خود ز تو چوپانتریم — چون تبع گردیم هر یك سروریم ۳٤ طعمهٔ گرگیم و آن ِ یار نی — هیزم ناریم و آن ِ غار نی
حمیتی بد جاهلیت در دماغ (۹) — بانگ شومی بر دمنشان کرد زاغ ۳٥ بهر مظلومان همی کندند چاه — در چه افتادند و میگفتند آه
یوسفین یوسفان بشکافتند — آنچه میکردند یك یك یافتند ۳٦ کیست‌آن یوسف‌دل‌حق جوی ِتو — چون اسیری بسته اندر کوی ِتو
جبرئیلی را بر استون بستهٔ — پرّ و بالش را بصد جا خستهٔ ۳۷ پیش اوگوساله‌بریان آوری (۱۰) — که کشی اورا بکهدان آوری
که‌بخوداینست‌مارالوت‌وپوت(۱۱) — نیست‌اوراقوت‌جزذکروقنوت(۱۲) ۳۸ زین شکنجه و امتحان آن مبتلا — میکند از تو شکایت با خدا

---

۱ ـ نی که من بابایان را آن زمان ۷ ـ آن غبارت زان سوارت دور کرد ۸ ـ چون زبو حیوان بداند ۱۱ ـ چرب و قوت ۱۲ ـ قوت جز ذکر و قنوت (ن . ل) .

---

(۲) یعنی چون که مظهر صفات حق‌شدی چطور پشت پایت بزنم (۳) بدهیم ما کسی را که یکسوشود اینجا (یعنی دردنیا) از ذکر ما عیش‌تنگ وحشرکنیم روز قیامت بکوری اشارت است بآیه واقعه درسورهٔ طه « ومن اعرض عن ذکری فانّ له معیشة ضنکا ونحشره یوم‌القیمة اعمی » وهرکه روی برگرداند از یاد کردن من پس برای اوست زیستنی تنگ وسخت و حشر کنیم ما روز قیامت اورا نابینا (٤) پس گفتند بار پروردگارا دور کن از میان قوم و عشایر ما را که بد حالی و پریشانی برما گوارا تراست وخوشی مارابستان (٥) معنی اشعارعربی اینست که طلب میکند آدمی در تابستان زمستان را و چون زمستان آید ازآن اکراه دارد پس اوبهیچ حالتی راضی نیست هرگزنه بتنگی ونه بزندگانی فراخ کشته شود (لعنت‌کرده شود) انسان چه قدرکافر نعمت است هرچه راستی ورستگاری بیابد انکار میکند اورا (٦) اشاره است بآیهٔ کریمهٔ واقعهٔ درسورهٔ بقره فتوبوا الی بارئکم فاقتلوا انفسکم می فرماید پس توبه کنید و بکشید نفسهای خود را (۹) این آیه در سورهٔ فتح واقعشده « اذجعل‌الذین کفروا فی قلوبهم الحمیة حمیة الجاهلیة » یعنی وقتیکه قرار دادند کسانیکه کافر بودند در قلبهاشان حمیت جاهلیت را (۱۰) اشاره است بمضمون آیه واقعه در سوره هود « ولقد جاءت رسلنا ابراهیم بالبشری قالوا سلاماً قال‌سلام فلما لبث ان‌جاء بعجل جنیذ » .

کای خدا افغان ازین گرگ کهن / گویدش تاك وقت آمد صبر کن ۱ داد تو وا خواهم از هر بیخبر / داد که دهد جز خدای دادگر
او همی گوید که صبرم شد فنا / در فراق روی تو یاربّنا ۲ احمدم در مانده در دست یهود / صالحم افتاده در حبس ثمود
ای سعادت بخش جان انبیا / یا بکش یا باز خوانم یا بیا ۳ با فراقت کافران را تاب نیست / *این فراق اندرخور اصحاب نیست
کافران گویند دروقت عذاب * / هر یکی یا لیتنی کنت تراب(۱) ٤ حال او این است کو خود زانسواست / چون بود بیتو کسی کان تواست
حق همی گوید که آری ای نزه / لیك بشنو صبر آور صبر به ٥ صبح نزدیکست خامش دم مزن(۲) / کاندر آمد وقت بیرون آمدن
صبح نزدیکست خامش کم خروش(۳) / من همی کوشم پی تو تو مکوش ٦ * کوشش من به که کوششهای تو / داروی تلخم به از حلوای تو
* هین تحمل کن بروخاموش شو / کمترك جنبان زبان رو گوش شو ۷ * حیلت ومکر ودغا بازیش دان / هر چه از یارت جدا اندازد آن
شد زحدّ هین بازگرد ای یارگرد / روستائی خواجه را بین خانه برد ۸ قصهٔ اهل سبا یك گوشه نه / آن بگو که خواجه چون آمد بده

باقی داستان رفتن خواجه بدعوت روستائی بسوی ده

روستائی در تملّق شیوه کرد / تا که حزم خواجه را کالیوه کرد ۱۰ از پیام اندر پیام او خیره شد / تا زلال حزم خواجه تیره شد
هم از اینجا کودکانش در پسند / نرتع و نلعب بشادی میزدند ۱۱ همچو یوسف کش ز تقدیر عجب / نرتع و نلعب ببرد از ظلّ اب
آن نه بازی بلکه جانبازیست آن / حیله و مکر و دغا بازیست آن ۱۲ هر چه از یارت جدا اندازد آن / مشنو آن را کان زیان دارد زیان
گر بود آن سود صد درصد مگیر / بهر زر مگسل زگنجور ای فقیر ۱۳ این شنو که چند یزدان زجر کرد / گفت اصحاب نبی را گرم وسرد(٤)
زانکه بربانگ دُهل درسال تنگ / جمعه را کردند باطل بی درنگ ۱٤ تا نباید دیگران ارزان خرند / زان جلب صرفه زما ایشان برند
ماند پیغمبر بخلوت در نماز / با دو سه درویش ثابت پر نیاز ۱٥ گفت طبل لهو بازرگانئی / چونتان ببرید از ربّانئی
قد فضضتم نحو قمحٍ هائماً / ثم خلیتم نبیاً قائماً (٥) ۱٦ بهر گندم تخم باطل کاشتید / وان رسول حق را بگذاشتید
صحبت او خیر من لهوست ومال / بین که را بگذاشتی چشمی بمال ۱۷ خود نشد حرص شما را این یقین / که منم رزّاق خیر الرازقین (٦)
آنکه گندم را زخود روزی دهد / کی توکلهات را ضایع نهد ۱۸ از پی گندم جدا گشتی از آن / که فرستادست گندم ز آسمان

دعوت باز بطان را از آب بصحرا

باز گوید بطّ را کز آب خیز / تا ببینی دشتها را قند ریز ۲۰ بط عاقل گویدش کی باز دور / آب مارا حصن امن است وسرور
دیوچون بازآمد ای بطان شتاب / هین به بیرون کم روید ازحصن آب ۲۱ باز را گویند رو رو باز گرد / از سر ما دست دار ای پایمرد
مابری از دعوتت دعوت ترا / ما نتوشیم این دم تو کافرا ۲۲ حصن ما را قند و قندستان ترا / من نخواهم هدیه ات بستان ترا
چونکه جان باشد نباید لوت کم / ۲۳ چونکه لشکر هست کم ناید علم

رجوع بحکایت خواجه و روستائی

خواجهٔ حازم بسی عذر آورید / پس بهانه کرد با دیو مرید ۲٥ گفت این دم کارها دارم مهم / گر بیایم آن نگردد منتظم
شاه کار نازکم فرموده است / زانتظارم شاه شب نغنوده است ۲٦ من نیارم ترك امر شاه کرد / من نتانم شد بر شه روی زرد
هر صباح و هرمسا سرهنگ خاص / میرسد از من همی جوید مناص ۲۷ تو روا داری که آیم سوی ده / تا در ابرو افکند سلطان گره
بعد ازآن درمان خشمش چون کنم / زنده خودرا زین مگر مدفون کنم ۲۸ زین نمط او صد بهانه باز گفت / حیلها با حکم حق نفتاد جفت
گر شود ذرّات عالم حیله پیچ / با قضای آسمان هیچند هیچ ۲۹ چون گریزد این زمین ازآسمان / چون کند او خویش را ازوی نهان
هر چه آید ز آسمان سوی زمین / نی مفرّ دارد نه چاره نه کمین ۳۰ آتش از خورشید می بارد بر او / او به پیش آتشش بنهاده رو
ور همی طوفان کند باران براو / شهرها را میکند ویران بر او ۳۱ او شده تسلیم او ایوب وار / که اسیرم هر چه میخواهی بیار
ایکه جزو این زمینی سر مکش / چونکه بینی حکم یزدان در مکش ۳۲ چون خلقنا کم شنیدی من تراب(۷) / خاك باشی حسب ازوی رومتاب
بین که اندر خاك تخمی کاشتم / گرد خاکی و منش افراشتم ۳۳ حملهٔ دیگر تو خاکی پیشه گیر(۸) / تا کنم بر جمله میرانت امیر
آب از بالا بپستی در شود / آنگه از پستی ببالا بر رود (۹) ۳٤ گندم از بالا بزیر خاك شد / بعد از آن آن خوشهٔ چالاك شد
دانهٔ هر میوه آمد در زمین / بعد ازان سرها بر آورد ازدفین ۳٥ اصل نعمتها ز گردون تا بخاك / زیر آمد شد غذای جان پاك
ازتواضع چون زگردون شدبزیر / گشت جزو آدمی حیّ دلپذیر ۳٦ پس صفات آدمی شد آن جماد / بر فراز عرش پرّان گشت شاد
کز جهان زنده ز اوّل آمدیم / بازازپستی سوی بالاشدیم (۱۰) ۳۷ جمله اجزا در تحرّك در سکون / ناطقان کانّا الیه راجعون (۱۱)
ذکر و تسبیحات اجزای نهان / غلغلی افکند اندر آسمان ۳۸ چون قضا آهنگ نیرنجات کرد / روستائی شهرئی را مات کرد

---

۳ ـ تاك بلاشان میرسد تو کم خروش ۱۰ ـ باز سر از پست بر بالا زدیم (ن . ل) .

---

(۱) اشاره بآیه واقعهٔ درسورهٔ عم « ویقول الکافر یالیتنی کنت ترابا » (۲) اشاره است بآیه واقعه درسورهٔ هود قالوا یالوط انّا رسل ربّك لن یصلوا الیك فاسر باهلك بقطع من اللیل ولایلتفت منکم احد الا امراتك انه مصیبها ما اصابهم انّ موعدهم الصبح الیس الصبح بقریب (٤) اشاره است بآیه شریفه واقعه درسورهٔ جمعه و اذا رأوا تجارةً اولهواً انفضوا الیها وترکوك قائماً قل ما عندالله خیر من اللهو و من التجارة والله خیر الرازقین (٥) یعنی بتحقیق روان شدید سوی گندم درحالی که سرگشته اید از خواهش او پس تنها گذاشتید پیغمبر را ایستاده (٦) اشاره بمضمون حدیث شریف قدسی است که فتوکلوا علیّ واطلبوا الرزق منی میفرماید پس توکل کنید برمن و بطلبید روزی را ازمن زیرا که روزی دهندهٔ شمامنم و بس (۷) در سورهٔ فاطر است والله خلقکم من تراب ثم من نطفة ثم جعلکم ازواجا وخدا بیافرید شما را یعنی پدر شما را از خاك پس شمارا از نطفه پس گردانید شما را جفتها (۸) دفعهٔ دیگر یعنی اول خود خاك بودی بعد ازآن که پیداشدی بازهم خاك بایدت شد (۹) باعتبار روئیدن نباتات که بآب ممزوج شده ومیروید (۱۱) اشاره بآیهٔ واقعه درسورهٔ بقره قالوا انالله وانا الیه راجعون گفتند ما از آن خداوندیم وبسوی او باز میگردیم .

با هزاران حزم خواجه مات شد زان سفر در معرض آفات شد ۱ اعتمادش بر ثبات خویش بود گرچه که بد نیم سیلش درربود
چون قضا بیرون کند ازچرخ سر عاقلان گردند جمله کور و کر ۲ ماهیان افتند از دریا برون دام گیرد مرغ پرّان را زبون
تا پریّ و دیو در شیشه شود بلکه هاروتی ببابل در رود ۳ جز کسی کاندر قضای حق گریخت خون او را هیچ تربیعی نریخت
غیر آن که درگریزی درقضا(۱) ۴ هیچ حیله ندهدت از وی رها

قصهٔ اهل ضروان و حیله کردن ایشان تا بی زحمت درویشان باغها را قطاف کنند

قصهٔ اصحاب ضروان خواندهٔ پس چرا در حیله جوئی ماندهٔ ۶ حیله میکردند کژدم نیش چند که بُرند ازروزی درویش چند
شب همه شب میسگالیدند مکر روی درروکرده چندین عمرو وبکر ۷ خفیه میگفتند سِرّ ها آن بدان تا نیاید که خدا دریابد آن
با گل اندایندهٔ اسگالیده گل دست کاری میکند پنهان ز دل ۸ گفت الایعلم هواك مَنْ خلق انّ فی نجواك صدقاً ام ملق
کیف یغفل عن ظعینٍ قد غدا من یعاین این مثواه غدا ۹ اینما قد هبطا او صعدا قَدْ تولاه واحصی عَدَدا (۲)
❀ خفیه میکردند اسرار ازخدا آن سگان جاهل از جهل وعمی ۱۰ ❀گوش کن اکنون حدیث خواجه را کوسوی ده چون شد ودید اوجزا
گوش را اکنون زغفلت پاك کن استماع هجر آن غمناك کن ۱۱ تا چها دید از بلا و از عنا دررهِ ده چون شد ازشهر اوجدا
آن زکانی دان که غمگین را دهی گوش را چون پیش دستانش نهی ۱۲ بشنوی غمهای رنجوران دل فاقهٔ جان شریف از آب و گل
خانهٔ پر دود دارد پر فنی مر ورا بگشا ز اصغا روزنی ۱۳ گوشِ تو اورا چو راه دم شود دودِ تلخ از خانهٔ او کم شود
غمگساری کن تو باما ای روی(۳) که بسوی ربّ اعلا میروی ۱۴ این تردّد حبس و زندانی بود کو بنگذارد که جان سوئی رود
این بدانسو وان بدینسو می کشد هرکسی گوید منم راه رشد ۱۵ این تردّد عقبهٔ راه حق است ای خنك آن را که پایش مطلق است
بی تردّد میرود بر راه راست ره نمیدانی بجو گامش کجاست ۱۶ گام آهو را بگیر و رو معاف تا رسی از گام آهو تا بناف
زین روش بر اوج انورمیروی ای برادر گر بر آذر میروی ۱۷ نی زدریاترس ونی ازموج وکف چون شنیدی توخطاب لاتخف(٤)
لاتخف دان چونکه خوفت دادحق نان فرستد چون فرستادت طبق ۱۸ خوف آنکس راست کوراخوف نیست غصه آنکس راکش اینجاطوف نیست

روان شدن خواجه بسوی ده

خواجه درکار آمد وتجهیز ساخت مرغ عزمش سوی ده اشتاب تاخت ۲۰ اهل و فرزندان سفر را ساختند رخت را برگاو عزم انداختند
شادمانان و شتابان سوی ده که بری خوردیم از ده مژده ده ۲۱ مقصد مارا چراگاه خوش است یار ما آنجا کریم و دلکش است
با هزاران آرزومان خوانده است بهر ما غرس کرم بنشانده است ۲۲ ما ذخیرهٔ ده زمستان دراز از بر او سوی شهر آریم باز
بلکه باغ ایثار راه ما کند در میان جان خودمان جا کند ۲۳ عجلوا اصحابنا کی تربحوا (۵) عقل میگفت از درون لا تفرحوا
من رباح الله کونوا رابحین انّ ربّی لا یُحبّ الفرحین(٦) ۲٤ افرحوا هوناً بما آتاکم کل آتٍ مشغلِ الهاکم (۷)
شاد از وی شو مشو ازغیر وی کو بهارست و دگرها ماه دی ۲۵ هرچه غیراوست استدراج تست گرچه تخت و ملکتست وتاج تست
شاد از غم شو که غم دام بقاست اندرین ره سوی پستی ارتقاست ۲٦ غم بود چون گنج ورنج توچوکان لیك کی در گرد این در کودکان
کودکان چون نام بازی بشنوند جمله با خر گورهم تنگ میدوند ۲۷ ای خران کور این سو دامهاست درکمین این سوی خون آشامهاست
❀ تیرها پرّان شده لیکن کمان گشت پنهان از دو چشم مردمان ۲۸ تیرها پرّان کمان پنهان و غیب بر جوانی میرسد صد تیر شیب
گام در صحرای دل باید نهاد زانکه درصحرای گل نبود گشاد ۲۹ ایمن آباداست دل ای مردمان(۸) ❀حصن محکم موضع امن و امان
گلشن خرّم بکام دوستان ❀ چشمها و گلستان در گلستان ۳۰ عُج الی القلب و سِر یا ساریه فیه اشجار و عین جاریه (۹)
ده مرده مردرا احمق کند عقل را بی نور و بی رونق کند ۳۱ ❀خواجه پندارد که روزی ده دهد این نمیداند که روزی ده دهد
قول پیغمبر شنو ای مجتبی (۱۱) کور عقل آمد وطن در روستا ۳۲ هرکه روزی باشد اندر روستا تا بماهی عقل او ناید بجا
تا بماهی احمقی با وی بُود ازحشیش ده جز اینها چه درود ۳۳ وانکه ماهی باشد اندر روستا روزگاری باشدش جهل و عمی
ده چه باشد شیخ و اصل ناشده مانده درتقلید وحجت گربده (۱۲) ۳٤ پیش شهر عقل کلّی این حواس چون خران چشم بسته درخراس (۱۳)
این رها کن صورت افسانه گیر رو بهل دُردانه گندم دانه گیر ۳۵ گربه دُرّ ره نبست هین بُرّ می ستان گر بدانسو نیست ره اینسو بران

---

۱ ـ غیر آن کز جان شوی رام قضا ۸ ـ ای دوستان ۱۲ ـ دست درتقلید وحجت در زده (ن . ل) .

---

(۲) معنی این ۳ بیت اینست چگونه نمیداند خواهش ترا کسی که خلق کرده است ترا اگر در رازهای تو راستی باشد یا ناراستی و تملق و چگونه غافل میشود از کوچ کنندهٔ از دنیا بسوی آخرت که بتحقیق گردیده است از حالی بحالی یا ازجائی بجائی کسیکه می‌بیند مقام فردای اورا که کجاست هرجا آن رونده فرود آید یا بالا رود بتحقیق که کار او را بر خود گرفته است وشماره کرده است اورا شماره‌کردنی (۳) رَوِیّ ابریست که باران بزرگ قطره بیارد وبمعنی سیرآب وتازه وحرف آخرقافیه هم‌آمده است (٤) مضمون آیه اینست که درسورهٔ قصص واقع شده یا موسی اقبل ولا تخف انّك من‌الآمنین ای موسی پیش بیا وترس بدرستیکه تو ازامان یافتگانی (۵) یعنی شتاب کنید ای اصحاب ما تاسود برید (٦) اشاره بآیه درسورهٔ قصص اذ قال له قومه لا تفرح انّ الله لا یحب‌الفرحین وقتیکه گفتند باو قومش (قصهٔ قارون است) شادی مکن که خدا دوست نمیدارد بسیارشادی‌کنندگان را (۷) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ حدید لکی‌لا تأسوعلی‌مافاتکم ولاتفرحوا بما آتیکم تااندوه نخورید برآنچه فوت شد از شما از نعمتهای دنیا وشاد مشوید بآنچه بشما داده شد (ومعنی بیت‌اینست) شاد باشید درحالی‌که آرام وآهستگی دارید بآنچه داده است خدایتعالی شمارا هر آینه مشغول سازندهٔ از خدا باز میگرداند شمارا بسوی لهو (۹) میل‌کن بسوی دل وسیرکن ای‌کاروان درجائی که در آن درختان وچشمهای جاریه است (۱۰) جسم حکم ده دارد و قلب و روح حکم شهر (۱۱) قال النبی صلعم علیکم بالمدن ولوجارت و علیکم بالبکر ولو بارت یعنی توطن درشهر بگیرید اگرچه بشما ستم کنند وزن باکره بخواهید اگرچه در پرده ننشیند (بشرط آنکه عفیفه و عاقله باشد) (۱۳) مثل خرهائیکه چشمشانرا بسته درآسیاها میگردانند .

ظاهرش گیر ارچه ظاهر کژ بود عاقبت ظاهر سوی باطن رود ۱ اوّل هر آدمی خود صورتست بعد از آن جان کوجمال سیرتست
اوّل هرمیوه جزصورت کی است بعد از ان لذّت که معنیّ ویست ۲ اولاً خرگاه سازند آنگهان(۱) ترك را آرند آخر میهمان(۲)
صورت خرگاه ومعنی ترك آن(۳) معنیت ملاح وصورت بادبان (٤) ۳ بهرحق این را رها کن یك نفس تا خر خواجه بجنباند جرس

رفتن خواجه وقومش بسوی ده

خواجه و بچگان جهازی ساختند بر ستوران جانب ده تاختند ٥ شادمانه سوی صحرا راندند سافروا کی تغنموا برخواندند (٥)
* کز سفر ها بنده کیخسرو شود بی سفر ها ماه کی خسرو شود ٦ از سفر بیدق شود فرزین راد وز سفر یابید یوسف صد مراد
روز روی از آفتابی سوختند شب ز اختر راه می آموختند ۷ خوب گشته پیش ایشان راه زشت ازنشاط ده شده ره چون بهشت
تلخ از شیرین لبان خوش میشود خار ازگلزارهم کش میشود (٦) ۸ حنظل از معشوق خرما میشود خانه از همخانه صحرا میشود
ای بسا از نا زنینان خار کش بر امید گلعذاری ماه وش ۹ ای بسا حمّال گشته پشت ریش از برای دلبر مهروی خویش
کرده آهنگر جمال خود سیاه تا که شب آید ببوسد روی ماه ۱۰ خواجه تا شب بر دکانی چارمیخ زانکه سروی در دلش کردست بیخ
تاجری دریا و خشکی میرود آن بمهر خانه شینی می رود ۱۱ هرکه را با مرده سودائی بود بر امید زنده سیمائی بود
آن درو گر روی آورده بچوب بهرخوب خودگزیده رنج وکوب (۷) ۱۲ بر امید زندهٔ کن اجتهاد کو نگردد بعد روزی دو جماد
هین مکن مونس خسی را ازخسی عاریت باشد دراو آن مونسی ۱۳ انس تو با مادر و بابا کجاست گر بجز حق مونسانت را وفاست
انس تو با دایه و لالا چه شد گر کسی شاید بغیر حق عضد ۱٤ انس تو با شیر وبا پستان نماند نفرت تو از دبیرستان نماند
آن شعاعی بود بر دیوار شان جانب خورشید وارفت آن نشان ۱٥ بر هرآنچیزی که افتد آن شعاع تو برآن هم عاشق آئی ای شجاع
عشق تو بر هرچه آن موجود بود آن زوصف حق چوزراندود بود ۱٦ چون زری باأصل رفت ومس بماند * اززریٔ خویشتن مفلس بماند
طبع سیرآمد طلاق او بخواند * پشت بروی کردودست ازوی فشاند ۱۷ از زر اندود صفاتش پا مکش ازجهالت قلب را کم گوی خوش
کان خوشی درقلبها عاریتی است زیر زینت مایهٔ بی زینتی است ۱۸ زر زروی قلب در کان میرود سوی آن کان رو توهم کان میرود
نور از دیوار تا خور میرود توبدان خور روکه درخور میرود ۱۹ زین سپس می جو توآب ازآسمان چون ندیدی تو وفا در ناودان
معدن دنیه نباشد دام گرگ کی شناسد معدن آن گرگ سترگ ۲۰ زر گمان بردند بسته در گره می شتابیدند مغروران بده
همچنین خندان ورقصان می شدند سوی آن دولاب چرخی میزدند ۲۱ چون همی دیدند مرغی می پرید جانب ده صبر جامه می دریدند
* هرنسیمی کز سوی ده میوزید گوئیا روح روان می پرورید ۲۲ هرکه می آمد ز ده ازسوی او بوسه میدادند خوش بر روی او
که تو روی یار مارا دیدهٔ ۲۳ پس تو جان راجان ومارادیدهٔ(۸)

نواختن مجنون آن سگی را که مقیم کوی لیلی بود

همچومجنون کوسگی را می نواخت بوسه اش میداد وپیشش میگداخت ۲٥ پیش اومیگشت خاضع در طواف * همچوحاجی گرد کعبه بی گزاف
هم سروپایش همی بوسید وناف * هم جلاب وشکرش میداد صاف ۲٦ بوالفضولی گفت کای مجنون خام این چه شید است اینکه می آری مدام
پوز سگ دایم پلیدی می خورد مقعد خودرا بلب می استرد ۲۷ عیبهای سگ بسی او می شمرد عیب دان از غیب دان بوئی نبرد
گفت مجنون تو همه نقشیٔ وتن اندرآ بنگر تو از چشمان من ۲۸ کاین طلسم بستهٔ مولیست این پاسبان کوچهٔ لیلی است این
همتش بین ودل وجان وشناخت کوکجا بگزید ومسکن گاه ساخت ۲۹ او سگ فرخ رخ کهف من است بلکه اوهم درد وهم لهف من است
آن سگی که گشت در کویش مقیم خاك پایش به ز شیران عظیم ۳۰ * آن سگی کو باشد اندرکوی او من بشیران کی دهم یك موی او
آنکه شیران مرسگانش را غلام گفتن امکان نیست خامش والسلام ۳۱ گرزصورت بگذرید ای دوستان جنت است و گلستان در گلستان
صورت خود چون شکستی سوختی صورت کل را شکست آموختی ۳۲ بعد از آن هرصورتی را بشکنی همچو حیدر باب خیبر بر کنی
سغبهٔ صورت شدآن خواجهٔ سلیم(۹) کو بده میشد بگفتار سقیم ۳۳ سوی دام آن تملق شادمان همچو مرغی سوی دانهٔ امتحان
* ازکرم دانست آن مرغ حریص دانه را با دام لیکن شد مجیص ۳٤ از کرم دانست مرغ آن دانه را غایت حرص است نه جود آن عطا
مرغکان در طمع دانه شادمان سوی آن تزویر پرّان و دوان ۳٥ گر ز شادی هاش آگاهت کنم ترسم ای رهرو که بیگاهت کنم
مختصر کردم چو آمد ده پدید خود نبود آن ده ره دیگر گزید ۳٦ قرب ماهی ده بده میتاختند زانکه راه ده نکو نشناختند
* هرکه گیرد پیشهٔ بی اوستا ریشخندی شد بشهر و روستا ۳۷ هرکه در ره بی قلاوزی رود هر دو روزهٔ راه صد ساله شود
هر که تازد سوی کعبه بی دلیل همچو این سرگشتگان گردد ذلیل ۳۸ زانکه نادر باشداندر خافقین(۱۰) کادمی سر بر زند بی والدین
مال او یابد که کسبی میکند نادری باشد که بر گنجی زند ۳۹ مصطفائی کو که جسمش جان بود تا که رحمن علم القرآن بود (۱۱)
اهل تن را جمله علم بالقلم (۱۲) واسطه افراشت در بذل کرم ٤۰ هرحریصی هست محروم ای پسر چون حریصان تك مرو آهسته تر
اندر آن ره رنجها دیدند و تاب چون عذاب مرغ خاکی درعذاب ٤۱ سیر گشته از ده و از روستا وز شکر ریزی چنان نا اوستا

رسیدن خواجه وقومش بسوی ده ونادیده وناشناخت آوردن روستائی ایشان را

بعد ماهی چون رسیدند آن طرف بینوا ایشان ستوران بی علف ٤۳ روستائی بین که از بد نیّتی میکند بعد اللتیا والتی (۱۳)

---

۱ ـ وخرند ۲ـ زان پس بمهمان آورند ۳ـ دان معنیست ترك ٤ـ دان صورتٔ چوفلك ٦ـ دلکش میشود ۷ـ برامید خدمت مه روی خوب ۸ ـ پس تو جان جان ما را دیدهٔ (ن . ل) .

---

(٥) قال النبی تسافروا تصحوا تغنموا فرمود رسول خدامسافرت بکنید صحت وغنیمت یابید زیرا که درسفر برکت است (۹) فریفته رنگ ورو شد آن مرد خوب (۱۰) خافقین کنایه از مشرق و مغرب است (۱۱) اشاره بآیهٔ کریمه الرحمن علم القرآن خداوند بخشایشگر آموخت قرآن را (۱۲) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ علق الذی علم بالقلم علم الانسان مالم یعلم» یعنی آنکه تعلیم کرد انسان را خط نوشتن بقلم وآموخت آدمی را آنچه که نمیدانست (۱۳) یعنی بعد از چنان و چنین .

روی پنهان میکند زایشان بروز — تا سوی باغش بنگشایند پوز ۱
رویها باشد که دیوان چون مگس(۱) — بر سرش باشد نشسته چون جرس ۲
بهر آن روی خبیث عاصیه — گفت یزدان نسفعاً بالنّاصیه(۲) ۳
در فرو بستند اهل خانه اش — خواجه شد زین کجروی دیوانه وش ۴
بر درش ماندند ایشان پنج روز — شب بسرما روز درگرما وسوز(۳) ۵
با لئیمان بسته نیکان زاضطرار — زاضطرار است آدمی مردار خوار(٤) ۶
گفت باشد من چه دانم تو کئی — یا پلیدی یا قرین پاکئی ۷
از خودیّ خود ندارم هم خبر — نیست از هستی سر مویم اثر ۸
گفت این ده با قیامت شد شبیه — تا برادر شد یفرّ من اخیه(٥) ۹
آن فلان روزت خریدم آن متاع — نی بهم می بود مارا اجتماع (٦) ۱۰
سرّ مهر ما شنیدستند خلق — شرم دارد رو چو نعمت خورد حلق ۱۱
پنجمین شب ابر و بارانی گرفت — کاسمان از بارشش شد در شگفت ۱۲
چون بصد الحاح آمد سوی در — گفت آخر چیست ای جان پدر ۱۳
پنجساله رنج دید این پنج روز — جان مسکینم درین سرما و سوز ۱٤
زانکه دل ننهاد بر جور وجفاش — جانش خوگر بود بامهرو وفاش ۱٥
گفت ای خورشید مهرت درزوال — گر توخونم ریختی کردم حلال ۱٦
گفت یك گوشه است آن باغبان — هست اینجا گرگ را او پاسبان ۱۷
گر تو آن خدمت کنی جا آن تست — ورنه جای دیگری فرمای چست ۱۸
من نخسبم حارسیّ رز کنم — گر بر آرد گرگ سر تیرش زنم ۱۹
گوشهٔ خالی شد و او با عیال — رفت آنجا جای تنگ بی مجال ۲۰
شب همه شب جمله گویان ای خدا — باصد چندین سزاواریم ما (۷) ۲۱
این سزای آنکه اندر طمع خام — ترك گوید خدمت خاك کرام ۲۲
بندهٔ یك مرد روشن دل شوی — به که بر فرق سر شاهان روی ۲۳
شهریان خود رمزنان نسبت بروح — روستائی کیست گیج بی فتوح ۲٤
* چون پشیمانی زدل شد یاشفاف — زان سپس سودی ندارد اعتراف ۲٥
آن کمان و تیر اندر دست او — گرگ را جویان همه شب سوبسو ۲٦
هر پشه هر کیك چون گرگ وددہ(۸) — اندرآن ویرانشان زخمی زده ۲۷
تا نیاید گرگ آسیبی زند — روستائی ریش خواجه بر کند ۲۸
ناگهان تمثال گرگ هشتهٔ — سر بر آورد از فراز پشتهٔ ۲۹
اندر افتادن ز حیوان باد جست — روستائی های کرد وکوفت دست ۳۰
اندر او اشکال گرگی ظاهر است — شکل او از گرگی اومخبر است ۳۱
کشتهٔ خرکرّه ام را در ریاض — که مبادت بسط هرگز زانقباض ۳۲
شب غلط بنماید و مُبدل بسی — دید صائب شب ندارد هرکسی ۳۳
گفت آن برمن چوروز روشن است — می شناسم باد خرکرّهٔ من است ۳٤
خواجه برجست و بیامد باشگفت — روستائی را گریبانش گرفت ۳٥
درسه تاریکی شناسی باد خر(۹) — چون ندانی مرمرا ای خیره سر ۳٦
خویشتن را عارف و واله کنی — خاك در چشم مروّت می زنی ۳۷
آنچه دی خوردم از آنم یاد نیست — این دل از غیر تحیر شاد نیست ۳۸
آنکه مرداری خورد یعنی نبید — شرع او را سوی معذوران کشید ۳۹
مستثنی گاید ز بوی شاه فرد — صد خم می در سرو مغز آن نکرد ۴۰

آنچنان روکه همه زرق وشراست — از مسلمانان نهان اولیتر است
چون به بینی رویشان درتو فتند — یا مبین آن یا چو دیدی خوش مخند
چون بپرسیدند و خانه اش یافتند — همچو خویشان سوی در بشتافتند
لیك هنگام درشتی هم نبود — چون درافتادی بچه تیزی چه سود
نی ز غفلت بود ماندن نی خری — بلکه بود ازاضطرار وبی خوری
او همی دیدش همی گفتش سلام — که فلانم مر مرا این است نام
والهم روز وشب اندر صنع هو — هیچگونه نیستم پروای تو
هوش من از غیرحق آگاه نیست — در دل مؤمن بجز الله نیست
شرح میکردش که من آنم که تو — لوتها خوردی زخوان من دوتو
نی تو بودی سالها مهمان من — نی رسیدت بی کران احسان من
او همی گفتش چه گوئی ترّهات — نه تو را دانم نه نام تو نه جات
چون رسید آن کار داند راستخوان — حلقه زد خواجه که مهتر رابخوان
گفت من آن حقها بگذاشتم — ترك کردم آنچه می پنداشتم
یك جفا ازخویش و ازیار وتبار — درگرانی هست چون سیصد هزار
هر چه برمردم بلا و شدّت است — این یقین دان کرخلاف عادت است
امشب باران بما ده گوشهٔ — تا بیابی در قیامت توشهٔ
درکفش تیر وکمان از بهر گرگ — تا زند چون آید آن گرگ سترگ
گفت صد خدمت کنم تو جای ده — و آن کمان و تیر در کفشم بنه
بهرحق مگذارم امشب ای دودل — آب باران برسرو در زیر گل
چون ملخ برهمدگر گشته سوار — از نهیب سیل اندر کنج غار
این سزای آنکه شد یارخسان — یا کسی کرد از برای ناکسان
خاك پاکان لیسی و دیوارشان — بهتر ازعام و زر وگلزارشان
ازه ملوك خاك جز بانگ دُهل — تو نخواهی یافت ای پیك سبل
این سزای آنکه بی تدبیر عقل — بانگ غولی آمدش بگزید نقل
چون پشیمان گشت ازدل زآنچه کرد — بعد ازآن سودی ندارد آه سرد
گرگ بروی خود مسلط چون شرر — گرگ جویان و زگرگ اوبیخبر
فرصت آن پشه راندن هم نبود — از نهیب حملهٔ گرگ عنود
اینچنین دندان گزان تانیم شب — جانشان از ناف می آمد بلب
تیر را بگشاد آن خواجه زشست — زد برآن حیوان که تا افتاد پست
ناجوانمردا که خرکرّهٔ من است — گفت نی این گرگ چون اهریمن است
گفت نی بادی که جست از زیروی — میشناسم همچنان کابی ز می
گفت نیکوتر تفحص کن شب است — شخصها درشب زناظر محجب است
هم شب وهم ابر وهم باران ژرف — این سه تاریکی غلط آرد شگرف
در میان بیست باد آن باد را — میشناسم چون مسافر زاد را
کابله طرّار شید آوردهٔ — بنگ و افیون هردو باهم خوردهٔ
آنکه داند نیم شب خرکرّه را(۱۰) — چون نداند یار را روز لقا(۱۱)
که مرا از خویش هم آگاه نیست — در دلم گنجای جز الله نیست
عاقل و مجنون حقم یاد آر — در چنین بی خویشیم معذور دار
مست وبنگی را طلاق وبیع نیست — همچو طفل است او معاف ومعتقی است
پس براو تکلیف چون باشد روا — اسب ساقط گشت وشد بی دست وپا

---

۳ ـ خود خورشید سوز ٤ ـ شیرمرداری خورد ازجوع زار ٦ ـ کل سر جاوزالاثنین شاع ۷ ـ این سزای ماسزای ماسزا ۸ ـ گرگی شده ۱۰ ـ گوساله را ۱۱ ـ همره ده ساله را (ن . ل) .

---

(۱) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ زخرف ومن یعش عن ذکرالرحمن نقیض له شیطاناً نهوله قرین یعنی هرکه چشم بپوشد یعنی اعراض کند ازیادکردن خدای بخشنده برگماریم بروشیطانی پس مراورا آن شیطان مصاحب بود دردنیا وپیوسته باغوا ووسوسهٔ اواشتغال نماید (۲) یعنی هرآینه قبض میکنم موهای پیشانی گنهکاران را ومیکشم اورا بآتش دوزخ ومعانی دیگرهم ذکرکرده اند (٥) اشاره است بآیه دروصف قیامت درسورهٔ أعمی «یوم یفرّ المرء من اخیه وامه وابیه وصاحبته وبنیه» یعنی روزی که میگریزد مرد ازبرادر ومادر وپدر وزن وپسران خود (۹) اشاره است بمضمون آیه یخلقکم فی بطون امهاتکم خلقاً من بعد خلق فی ظلمات ثلاث که درسورهٔ زمر واقع شده یعنی می آفریدیم شمارادرشکمهای مادرانتان آفریدنی بعد از آفریدن در تاریکیهای سه گانه .

بار که نهد در جهان خر کرّه را — درس که دهد پارسی بو مرّه را ۱ بار بگیرند چون آمد عرج — گفت حق لیس علی الاعمی حرج (۱)
سوی خود اعمی شدم ازحق بصیر — من معافم از قلیل و از کثیر ۲ لاف درویشی زنی و بیخودی — های وهوی مستیان سرمدی (۲)
که زمین را من ندانم زآسمان — امتحانت کرد غیرت امتحان ۳ باد خر کرّه چنین رسوات کرد — هستی نفی ترا اثبات کرد
این چنین رسوا کند حق شیدرا — این چنین گیرد رمیده صید را ٤ صد هزاران امتحانست ای پدر — هر که گوید من شدم سرهنگ در
گر نداند عامه او را امتحان — پختگان راه جویندش نشان (۳) ٥ چون کند دعوی خباطی کسی — افکند در پیش او شه اطلسی
که بیر اینرا بغلطاق (٤) فراخ — ز امتحان پیداشود اورا دوشاخ ٦ گر نبودی امتحان هر بدی — هر مخنث در وغا رستم بدی
خود مخنث را زیرِه پوشیده گیر — چون به بیند زخم گردد چون اسیر ۷ مست می (٥) هشیار گردد از دبور (٦) — مست حق ناید بخود از نفخ صور
بادهٔ حق راست باشد نی دروغ (۷) — دوغ خوردی دوغ خوردی دوغ دوغ ۸ ساختی خود را جنید و بایزید — رو که نشناسم تبر را از کلید
بدرگی و منبلی و خشم و آز — چون کنی پنهان بشبدای مکرساز ۹ خویش را منصور حلاجی کنی — آتشی در پنبهٔ یاران زنی
که بنشناسم عمر از بو لهب — باد خر کرّه شناسم نیمشب ۱۰ ای خری کاین ازتوخر باورکند — خویش را بهر تو کور و کر کند
خویش را از رهروان کمترشمر — تو حریف رهزنانی که مخور ۱۱ باز پر از شید و سوی عقل تاز — کی پرد بر آسمان پرّ مجاز
خویشتن را عاشق حق ساختی — عشق با دیو سیاهی باختی ۱۲ عاشق و معشوق را در رستخیز — دو بدو بندند و پیش آرند تیز
تو چو خودرا گیج وبیخود کردهٔ — خون رزکو خون مارا خوردهٔ ۱۳ رو که نشناسم ترا از من بجه — عاشق بیخویشم و بهلول ده
تو توهّم میکنی از قرب حق — که طبق گر دور نبود از طبق ۱٤ آن نمی بینی که قرب اولیا — صد کرامت دارد و کار و کیا
آهن از داود مومی میشود — موم در دستت چو آهن می بود ۱٥ قرب خلق ورزق برجمله است عام — قرب وحی عشق دارند این کرام
قرب بر انواع باشد ای پدر — میزند خورشید برکهسار و زر ۱٦ لیك قربی هست با زر شبد را — که نباشد آگهی زان بید را
شاخ خشك و تر قریب آفتاب — آفتاب از هردو کی داردحجاب ۱۷ لیك کو آن قربت شاخ طری — که ثمار پخته از وی میبری
شاخ خشك ازقربت آن آفتاب — غیر زو تر خشك گشتن گو بیاب ۱۸ بنگر این کان شاخ خشك ازقرب خور — غیر خشکی میبرد چیز دگر
آنچنان مستی مباش ای بیخرد — که بعقل آید پشیمانی خورد ۱۹ بلکه زان مستان که چون می میخورند — عقلهای پخته حسرت می برند
ای گرفته همچو گربه موش پیر — گر از آن می شیرگیری شیرگیر ۲۰ ای بخورده از خیال خام هیچ — همچو مستان حقایق بر مپیچ
میفتی اینسو و آنسو مست وار — ای تو اینسو نیستت آنسو گذار ۲۱ گر بدانسو راه یابی بعد ازآن — که بدین سو که بدان سو سرفشان
جمله زین سوئی از آنسو گپ مزن — چون نداری مرگ هرزه جان مکن ۲۲ آن خضرجان کز اجل نهراسداو — شاید ار مخلوق را نشناسد او
کام از ذوق توهّم خوش کنی — در دمی درخیك خود پرّش کنی ۲۳ پس بیك سوزن تهی گردد زباد — این چنین قربه تن غافل مباد
کوزها سازی ز برف اندرشتا — کی کند چون آب بیند آن وفا ۲٤

افتادن شغال در خمّ رنگ و رنگین شدن و دعوی طاوسی کردن میان شغالان

آن شغالك رفت اندر خمّ رنگ — اندران خم کرد یکساعت درنگ ۲٦ پس بر آمد پوستش رنگین شده — که منم طاوس علیین شده
پشم رنگین رونق خوش یافته — ز آفتاب آن رنگها بر تافته ۲۷ دید خودراسرخ وسبزو فور وزرد — خویشتن را برشغالان عرضه کرد
جمله گفتند ایشغالك حال چیست — که ترا در سر نشاطی ملتویست ۲۸ از نشاط از ما کرانه کردهٔ — این تکبر از کجا آوردهٔ
یك شغالی پیش اوشد کای فلان — شید کردی یاشدی ازخوش دلان ۲۹ شید کردی تا بمنبر بر جهی — تازلاف این خلق را حسرت دهی
پس بجوشیدی ندیدی گرمئی — پس ز شید آوردهٔ بی شرمئی ۳۰ صدق و گرمی خودشعار اولیاست — باز بی شرمی پناه هر دغاست
کالتفات خلق سوی خود کشند — که خوشیم وازدرون پس ناخوش اند ۳۱ نیست الا حیله و مکر و ستیز — مرسیه رویان دین را خود جهیز

چرب کردن مرد لافی لب وسبلت خودرا هربامداد بپوست دنبه وبیرون آمدن میان حریفان که چنین وچنان خورده ام

دنبه پاره یافت مردی مستهان — هر صباحی چرب کردی سبلتان ۳۳ در میان منعمان رفتی که من — لوت چربی خورده ام در انجمن
دست بر سبلت نهادی در نوید — رمز یعنی سوی سبلت بنگرید ۳٤ کاین گواه صدق گفتار من است — وین نشان چرب وشیرین خوردن است
اشکمش گفتی جواب بی طنین — که اباد الله کید الکافرین (۸) ۳٥ لاف تو ما را برآتش بر نهاد — کان سبال چرب تو برکنده باد
گر نبودی لاف زشت ای گدا — یك کریمی رحم افکندی بما ۳٦ ورنمودی عیب و کم کردی جفا — هم بدی مهمانی یك آشنا (۹)
راست گر گفتی و کج کم باختی — یك طبیبی داروی ما ساختی ۳۷ گفت حق که کج مجنبان گوش و دم — ینفعُ الصادقین صدقهم (۱۰)
کهف اندر کز مخسب ای محتلم — آنچه داری وانما وفاستقم (۱۱) ۳۸ ور نگوئی عیب خود باری خمش — از نمایش وز دغل خود رامکش
برسبال چرب خود تکیه مکن — زانکه گربه برد دنبه بی سخن ۳۹ گر تو نقدی یافتی مگشا دهان — هست در ره سنگهای امتحان
سنگهای امتحان را نیز پیش — امتحانها هست در احوال خویش ٤۰ گفت یزدان از ولادت تا بجبن — یفتنون کل عامٍ مرتین (۱۲)

---

۲ ـ عاشقان ایزدی ۳ ـ لیك جویندش خواص از ره نشان ٥ ـ مست حق (ن . ل)

---

(۱) این آیه درسورهٔ فتح واقع شده است (٤) غلطاق اسم یکنوع ملبوسی بوده (٦) یعنی مست می را باد آخر شب هشیار نماید (۷) خواجه بروستائی میگوید که مست بادهٔ حق نیستی دوغ خورده‌ای (۸) یعنی خدا هلاك کند کید و مکر کافران را یعنی نا چیز نماید (۹) یعنی اگر ظاهر میکردی عیب یعنی گرسنگی را و کم می کردی خفا یعنی کمتر در اخفاء آن میکوشیدی آشنائی ترابمهمانی دعوت میکرد (۱۰) آیه درسورهٔ مائده است قال الله هذا یوم ینفع الصادقین صدقهم خدا فرمود که این روزیست که درین روز سود میرساند راست گویان را راستی که صادرشده ازایشان (۱۱) کهف بمعنی غاراست وفاستقم اشاره بآیهٔ واقعه درسورهٔ هودکه فرمود فاستقم کما امرت یعنی راست بپای بایست چنانکه مأمورشده ای (۱۲) این آیه درسورهٔ توبه واقع شده « واما الذین فی قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الی رجسهم و ماتوا و هم کافرون اولا یرون انهم یفتنون فی کل عامٍ مرّة او مرّتین ثم لا یتوبون ولاهم یذکرون اما آنانکه در دلهای ایشان بیماری شك ونفاق وحسد وبغض اسلام است پس زیاد میکند

امتحان بر امتحانست ای پدر — هین بکمتر امتحان خودرا مخر ۱ ❀ ز امتحانات قضا ایمن مباش — هان زرسوائی بترس ای خواجه تاش

ایمن بودن بلعم باعور که امتحانها کرد حضرت عزّت اورا و از آنها روسیاه آمد

بلعم باعور و ابلیس لعین — ز امتحان آخرین گشته مهین ۳ ❀ زانکه بودند ایمن ازمکر خدا — کامتحانها رفت اندر ما مضی

❀ عاقبت رسوائی آمد حالشان — هم شنیده باشی از احوالشان ۴ کانچه پنهان میکند پیداش کن — سوخت مارا ای خدا رسواش کن

او بدعوی میل دولت میکند — معده اش نفرین سبلت میکند ۵ لاف وادادِ کرمها میکند — شاخ رحمت را زُبن بر میکند

جمله اجزای تنش خصم ویند — کز بهاری لافد ایشان در دیند ۶ این شکم خصم سبال او شده — دست پنهان در دنا اندر زده

کای خدا رسوا کن این لاف لئام — تا بجنبد سوی ما رحم کرام ۷ مستجاب آمد دعای آن شکم — سوزش حاجت بزد بیرون علم

گفت حق گر فاسقی واهل صنم — چون مرا خوانی اجابتها کنم ۸ راستی پیش آر یا خاموش کن — وانگهان رحمت ببین و نوش کن

تومشو هیچ ازدعا کردن ملول(۱) ۹ عاقبت برهاندت از دست غول

بردن گربه دنبه را و رسوا شدن پهلوان

چون شکم خودرا بحضرت درسپرد — گربه آمد پوست دنبه را ببرد ۱۱ درپیش کردند وگربه می گریخت(۲) — کودك از ترس عتابش رنگ ریخت(۳)

آمد اندر انجمن آن طفل خُرد — آبروی مرد لافی را ببرد ۱۲ گفت آن دنبه که هرصبحی بدان — چرب میکردی لبان و سبلتان

گربه آمد ناگهانش در ربود — بس دویدیم ونکردآن جهد سود ۱۳ ❀ پهلوان درلاف گرم و ذوقناك — چون شنیداین قصه گشت ازغم هلاك

❀ منفعل شد در میان انجمن — سر فروبرد وخمش گشت ازسخن ۱۴ خنده آمد حاضران را از شگفت — رحمهاشان باز جنبیدن گرفت

دعوتش کردند و سیرش داشتند — تخم رحمت در زمینش کاشتند ۱۵ او چو ذوق راستی دید از کرام — بی تکبر (٤) راستی را شد غلام

❀ راستی را پیشهٔ خودکن مدام ۱۶ تاشوی در هردو عالم نیك نام

دعوی طاوسی کردن آن شغال که در خم صباغ افتاد

آن شغال رنگ رنگ آمد نهفت — بر بنا گوش ملامتگر بگفت ۱۸ بنگر آخر در من و دررنگ من — یك صنم چون من ندارد خود شمن

چون گلستان گشته ام صدرنگ وخوش — مرمرا سجده کن از من سرمکش ۱۹ کرّ وفرّ وآب وتاب ورنگ بین — فخر دنیا خوان مرا و رکن دین

مظهر لطف خدائی گشته ام — لوح شرح کبریائی گشته ام ۲۰ ای شغالان هین مخوانیدم شغال — کی شغالی را بود چندین جمال

آن شغالان آمدند آنجا بجمع — همچو پروانه بگردا گرد شمع ۲۱ جمله گفتندش چه خوانیمت هری — گفت طاوس نر چون مشتری

پس بگفتندش که طاوسان جان — جلوها دارند اندر گلستان ۲۲ تو چنان جلوه کنی گفتا که نی — بادیه نا رفته چون گویم منی (٥)

بانگ طاوسان کنی گفتا که لا — پس نهٔ طاوس خواجه بوالعلا(٦) ۲۳ خلعت طاوس آید ز آسمان — کی رسی از رنگ ودعویها بدان

تشبیه فرعون و دعوی الوهیت او بدان شغال که دعوی طاوسی میکرد

همچو فرعون مرصّع کرده ریش — برترازموسی(۷) پریده ازخریش ۲۵ او هم از نسل شغال ماده زاد — در خم مالیّ و جاهی اوفتاد

هرکه دیدآن جاه ومالش سجده کرد — سجدهٔ افسوسیان را او بخورد ۲۶ گشت مستك آن گدای ژنده دلق — از سجود و از تحیر های خلق

مال مارآمد که دروی زهرهاست — وان قبول وسجدهٔ خلق اژدهاست ۲۷ های ای فرعون نا موسی مکن(۸) — تو شغالی هیچ طاوسی مکن

سوی طاوسان اگر پیدا شوی — عاجزی از جلوه و رسوا شوی ۲۸ موسی وهرون چوطاوس آمدند(۹) — پرّ جلوه بر سر و رویت زدند

زشتیت پیدا شد و رسوائیت — سر نگون افتادی از بالائیت ۲۹ چون محك دیدی سیه گشتی چوقلب — نقش شیری رفت وپیدا گشت کلب

ای سگ گرگین زشت ازحرص وجوش — پوستین شیر را بر خود مپوش ۳۰ غرّهٔ شیرت بخواهد امتحان — نقش شیر و آنگه اخلاق سگان

❀ ای شغال بی جمال بی هنر — هیچ بر خود ظنّ طاوسی مبر ۳۱ ❀ زانکه طاوسان کنندت امتحان — خوار و بی رونق بمانی درجهان

تفسیر ولتعرفنهم فی لحن القول

گفت یزدان مرنبی را درمساق(۱۰) — یك نشان سهلتر زاهل نفاق ۳۳ گر منافق زفت باشد نغز و هول — واشناسی مر ورا در لحن قول

چون سفالین کوزه ها را میخری — امتحانی میکنی ای مشتری ۳٤ میزنی دستی برآن کوزه چرا — تا شناسی از طنین اشکسته را

بانگ اشکسته دگرگون میبود — بانگ چاووش است پیشش میرود ۳۵ بانگ می آید که تعریفش کند — همچو مصدر فعل تصریفش کند

قصهٔ هاروت وماروت ودلیری ایشان برامتحان حقتعالی

چون حدیث امتحان روئی نمود — یادم آمد قصهٔ هاروت زود ۳۷ پیش ازین زان گفته بودم اندکی — خود چگویم از هزارانش یکی

خواستم گفتن درآن تحقیقها — تا کنون واماندم از تعویقها ۳۸ ❀ گوش دل را یکنفس اینسو بدار — تا بگویم با تو از اسرار یار

جملهٔ دیگر ز بسیارش قلیل — گفته آید شرح یك جزوی زنیل ۳۹ ❀ گوش کن هاروت را ماروت را — ای غلام و چاکران ماروت را

مست بودند از تماشای اله — وز عجایبهای استدراج شاه ٤۰ اینچنین مستی است زاستدراج حق — تا چه مستیها دهد معراج حق

۱ـ تودعارا سخت گیر ومیشخول ۲ـ ازپس گربه دویدند اوگریخت ۳ـ پدر بس رنگ ریخت ٤ـ تکلف ۷ـ عیسی ۹ـ طاوسان بدند (ن . ل)

این سورهٔ مبارکه ایشان را کفری منضم بکفر ایشان یعنی در سوره های دیگر شك داشتند پس شك ایشان دراین سورهٔ مبارکه بآن شك منضم شده موجب زیادتی کفر ایشان گشت تا وقتی که مردند درحالتی که کافر بودند آیا نمی بینند این منافقان آنکه ایشان مبتلا میشوند باصناف بلیات از مرض وقحط وغیرآن بانفاق وکذب ایشان ظاهر میشود برمسلمانان سالی یك یا دو بار پس توبه نمیکنند از نفاق وپند نمیگیرند .

(٥) مقصود مناست که در مکه واقع است الف را بطریق اماله قلب بیا نموده اند (٦) بوالعلا کنیت ابن هنبقه است که در احمقی ضرب المثل بوده ولکن ممکن است برای تبجیل وتعظیم استعمال شده باشد (۸) ناموس بانگ وآوازه وعفت واحکام الهی وملك وجبرئیل را ناموس اکبر گویند ودرجمع فرعون باموسی صنعت ایهام التضاد است (۱۰) مساق محل سوق وروش ودراینجامراد قرآن است ومعنی آیه شریفه واقعه در سورهٔ محمد « ولتعرفنهم فی لحن القول » وهرآینه بشناسی ایشان را درگردانیدن سخن از صوب ثواب بجهت تعریض و توریه .

دانهٔ دامش چنین مستی نمود خوان انعامش چها داند گشود ۱ مست بودند و رهیده از کمند های و هوی عاشقانه میزدند
یك کمین وامتحان در راه بود صرصرش چون کاه که رامیربود ۲ امتحان میکردشان زیر و زبر کی بود سرمست را زین ها خبر
خندق و میدان به‌پیش او یکیست ۳ چاه وخندق پیش او خوش مسلکیست

❁ مستی بز از دیدن ماده و جستن او بکوه مقابل

آن بز کوهی برآن کوه بلند بر دود از بهر خوردی بیگزند ۵ تا علف چیند به بیند ناگهان بازی دیگر ز حکم آسمان
بر کهی دیگر براندازد نظر ماده بز بیند بران کوه دگر ۶ چشم او تاریك گردد در زمان برجهد سرمست زین که تا بدان
آن چنان نزدیك بنماید ورا که دویدن گرد بالوعه سرا ۷ آن هزاران گز دو گز بنمایدش تا ز مستی میل جستن آیدش
چونکه بجهد درفتد اندر میان در میان هردو کوه بی امان ۸ او ز صیادان بکه بگریخته خود پناهش خون او را ریخته
شسته صیادان میان آن دو کوه انتظار این قضای با شکوه ۹ باشد اغلب صید این بز این‌چنین ورنه چالاکست و چست خصم بن
رستم ار چه باسر و سبلت بود دام پا گیرش یقین شهوت بود ۱۰ همچو من از مستی شهوت بیر مستی شهوت بین اندر شتر (۱)
باز این مستی وشهوت در جهان پیش مستی ملك دان مستهان ۱۱ مستی آن مستی این بشکند (۲) او بشهوت التفاتی کی کند
آب شیرین تا نخوردی آب شور خوش‌نمایدچون‌درون‌دیده‌نور(۳) ۱۲ قطرهٔ از بادهای آسمان برکند جان را زمی وز ساقیان
تا چه مستیها بود املاك را وز جلالت روحهای پاك را ۱۳ که بیوئی دل بران می بسته اند خم بادهٔ این جهان بشکسته اند
جز مگر انها که نومیدند و دور همچوکفارنهفته در (٤) قبور(٥) ١٤ نا امید از هر دو عالم گشته اند خار های بی نهایت کشته اند

❁ تمناکردن هاروت وماروت آمدن بزمین را

پس زمستیها بگفتند ای دریغ برزمین باران بدادیمی چو میغ ١٦ گستریدیمی در آن بیداد جا عدل و انصاف و عبادات و وفا
❁ این‌بگفتند وقضا میگفت بیست پیش پاتان دام ناپیدا بسیست ۱۷ هین مرو گستاخ در دشت بلا هین مران‌کورانه اندر کربلا (٦)
که ز موی و استخوان هالکان می نیابد راه پای سالکان ۱۸ جملهٔ ره استخوان و موی و پی بسکه تیغ قهر لاشی کردشی
گفت حق که بندگان جفت عون بر زمین آهسته میرانند هون(۷) ۱۹ پا برهنه چون رود در خار زار جز بمهل و فکر هر پرهیزگار
این قضا میگفت لیکن گوششان بسته بود اندر حجاب جوششان ۲۰ چشمها و گوشها را بسته اند جز مگر آنها که ازخود رسته‌اند
جز عنایت که گشاید چشم را جز محبت که نشاند خشم را ۲۱ ❁ جهد بی‌توفیق‌جان‌کندن بود ز ارزنی‌کم گرچه صد خرمن بود
جهد بی‌توفیق خود کس را مباد ۲۲ در جهان والله اعلم بالرشاد

قصهٔ خواب دیدن فرعون آمدن موسی علیه‌السلام را وتدارك اندیشیدن

جهد فرعونی چو بی‌توفیق بود هرچه‌اومیدوخت‌آن‌تفتیق بود(۸) ۲٤ از منجم بود در حکمش هزار وز معبر نیز و ساحر بیشمار
مقدم موسی نمودندش بخواب که‌کند فرعون وملکش‌را خراب ۲۵ با معبر گفت و با اهل نجوم چون بود دفع‌خیال وخواب شوم
جمله گفتندش که تدبیری کنیم راه زادن‌را چو رهزن بر زنیم ۲٦ تا رسید آن شب که مولد بودآن رای این دیدند آن فرعونیان
که برون آرند آنروز از پگاه سوی میدان بزم و تخت پادشاه ۲۷ پس بفرمودند در شهر آشکار که منادیها کنند از شهریار (۹)
الصلا ای جمله اسرائیلیان شاه میخواندشمارا این‌زمان(۱۰) ۲۸ تا شمارا رو نماید بی نقاب بر شما احسان کند بهر ثواب
کان اسیران را بجزدوری نبود دیدن فرعون دستوری نبود ۲۹ گر فتادندی بره در پیش او بهر آن یاسه بخفتندی برو
یاسه‌آن‌بدکه نه‌بیندهیچ‌اسیر(۱۱) در گه و بیگه لقای آن امیر ۳۰ بانگ چاوشان چو در ره بشنود تا نبیند رو بدیواری کند (۱۲)
ور به‌بیند روی او مجرم شود آنچه بدتر بر سر او آن رود ۳۱ بودشان حرص لقای ممتنع که حریص است آدمی فیما منع

بمیدان خواندن بنی‌اسرائیل را از برای حیلهٔ منع ولادت موسی علیه‌السلام

❁ شد منادی در محلتها روان بانگ میزد کو بکو شادی‌کنان ۳۳ کای‌اسیران سوی میدانگه روید کزشهنشه دیدن وجوداست امید
چون‌شنیدآن مژده(۱۳)اسرائیلیان تشنگان بودند و بس مشتاق آن ۳٤ ❁ زین خبر گشتند جمله شادمان راه میدان برگرفتند آن زمان
حیله را خوردند وآن‌سو تاختند خویشتن را بهر جلوه ساختند ۳۵ ❁ تا رود آنجا به بیند روی او تا چه خاصیت دهد دیدار او
❁ از غرض غافل بدند و بیخبر ۳٦ وز طمع رفتند بیرون سر بسر

حکایت در تمثیل

همچنان کان جا مغول حیله دان گفت میجویم کسی از مصریان ۳۸ مصریان را جمع آرید این طرف تا در آید آنکه می باید بکف
❁ هرکجا بد مصرئی جمع آمدند در بر آن میر یکیك میشدند ۳۹ هرکه می‌آمد بگفتانیست‌این(١٤) هین‌درآخواجه‌درآن‌گوشه‌نشین(١٥)

---

۳ ـ خوش بود خوش چون درون جسم زور ٤ ـ همچنانکه کافران اندر ۹ ـ هرکنار ۱۰ ـ زان مکان ۱۲ـ رو بدیوار آورد پاپس رود
۱۳ ـ مژده بشنیدند ١٤ ـ همی‌گفت او که این ۱۵ ـ نیست آن کش من همی جویم یقین (ن . ل)

---

(۱) مقصود از این دو بیت این است که مانند من که مستی شهوت را وا گذارده ام تو هم وابگذار وبنگر که شتر چطور رسوای شهوتست (۲) یعنی در افراط وغلبه (٥) اشاره است بآیه شریفه واقعه درسورهٔ ممتحنه قد یئسوا من‌الآخرة کما یئس‌الکفار من اصحاب‌القبور (٦) از کربلا زمین هولناك وبامشقت مقصوداست ومخفف ازکرب وبلاست واز بعضی نسخ‌که نقل‌کرده‌اندکه تانیفتی‌چون حسین‌اندر بلا وطعن میکنند درحق مولوی بااینکه در هیچ یك از نسخ قدیمه باین ترتیب بنظرنرسیده واگرهم باشد معنی چنین است‌که تانیفتی اندر بلا یعنی مانند آن بزرگوار برو که دربلا نیفتاد چه‌ایشان بلا نمی بینند و میفرماید نحمدك علی بلائك کما شکرك علی نعمائك هر بلا کز دوست آید راحت است ❁ آن بلا را بردلم صد منت است (۷) اشاره‌است بآیه واقعه درسورهٔ فرقان وعبادالرحمن‌الذین یمشون علی‌الارض هونا یعنی بندگان خدا کسانی‌اند که راه میروند برروی زمین بخواری وآرام (۸) یعنی‌هرچه میدوخت دریده وشکافته میشد (۱۱) قانون وقرارایرن بود که نبینند هیچ یك ازافراد

تا بدین شیوه همه جمع آمدند — گردن ایشان بدان حیله زدند ۱ شومی آنکه سوی بانگ نماز — داعی الله را نبردندی نیاز
دعوت مکارشان اندر کشید — الحذر ازمکر شیطان ای رشید ۲ بانگ درویشان ومحتاجان نیوش — تا نگیرد بانگ محتالیت گوش
گر گدایان طامعند و زشت خو — درشکم‌خواران‌توصاحب‌دل‌بجو(۱) ۳ درتگ دریا گهر با سنگهاست — فخر ها اندر میان ننگهاست
پس بجوشیدند اسرائیلیان — از پگه تا جانب میدان روان ٤ چون بجلتشان بمیدان برد او — روی خود بنمودشان بس تازه رو
کرد دلداری و بخششها بداد — هم‌عطا هم وعدها کرد آن قباد(۲) ٥ بعد ازان گفت از برای جانتان — جمله در میدان بخسبید امشبان
پاسخش دادند که خدمت کنیم ٦ گرتو خواهی یك مه اینجاساکنیم

بازگشتن فرعون ازمیدان بشهرشاد بتفریق بنی اسرائیل از زنانشان در شب حمل

شه شبانگه باز آمد شادمان — کامشبان حملست ودورند اززنان ۸ خازنش عمران هم اندر خدمتش — هم بشهر آمد قرین صحبتش
گفت‌ای عمران برین در خسب‌تو — هین‌مروسوی‌زن‌وصحبت‌مجو(۳) ۹ گفت خسبم هم در این درگاه تو — هیچ نندیشم بجز دلخواه تو
بود عمران هم ز اسرائیلیان — لیك مر فرعون رادل بودوجان ۱۰ کی گمان بردی که اوعصیان کند — آنکه خوف جان فرعون آن کند
❁ این از عمران بد وافعال او — لیك آن خود بد جزای حال او ۱۱ ❁ خود کجا در خاطر فرعون‌بود — این چنین تقدیر چون عاد وثمود

جمع آمدن عمران بامادر موسی و حامله شدن او

شه برفت و او برآن درگاه خفت — نیمشب‌آمد به پیشش‌خفته(٤) جفت ۱۳ زن برو افتاد و بوسید آن لبش — بر جهانیدش زخواب اندر شبش
گشت بیدار او وزن رادید خوش — بوسه باران کرد از لب برلبش ۱٤ گفت‌عمران این‌زمان چون‌آمدی — گفت از شوق و قضای ایزدی
در کشیدش درکنار از مهر مرد — بر نیامد با خود آن دم در نبرد ۱٥ جفت شد با او امانت را سپرد — پس‌بگفت‌ای‌زن‌نه‌این‌کاریست‌خرد
آهنی بر سنگ زد زاد آتشی — آتشی ازشاه و ملکش کین کشی ۱٦ من چو ابرم توزمین موسی نبات — حق شه شطرنج و ما ماتیم مات
مات‌وبرد ازشاه‌میدان ای عروس — این مدان ازما مکن برما فسوس ۱۷ آنچه این فرعون میترسید ازو — هست شد ایندم که گشتم‌جفت تو

وصیت کردن عمران جفت خود را بعد از مجامعت که مرا ندیده باشی

وامگردان هیچ از اینها دم مزن — تا نیاید بر من و تو صد حزن ۱۹ عاقبت پیدا شود آثار این — چون علامتها رسد ای نازنین
در زمان ازسوی میدان نعره ها — میرسید از خلق و میشد برهوا ۲۰ شاه زآن‌هیبت برون‌جست‌آن زمان — پا برهنه‌کاین چه غلغلهاست هان

ترسیدن فرعون ازآن بانگ وغریو وغوغا

ازسوی میدان چه‌بانگست وغریو — کز نهیبش میرمد جنّی و دیو ۲۲ گفت عمران شاه مارا عمر باد — قوم اسرائیلیانند از تو شاد
از عطای شاه شادی میکنند — رقص می آرند و کفها میزنند ۲۳ گفت باشد کاین بود امّا ولیك — وهم و اندیشه مرا پرکرد نیك
این صدا جان مرا تغییر کرد — از غم و اندوه تلخم پیر کرد ۲٤ زهره نی عمران مسکین را که تا — باز گوید اختلاط جفت را
پیش می آمد سپس میرفت شه — جملهٔ شب همچو حامل وقت زه ۲٥ در زمان میگفت ای عمران مرا — سخت ازجا بُرده‌است این‌نعرها
چون زن‌عمران بعمران درخزید — تا که شد استارهٔ موسی پدید ۲٦ هر پیمبر که در آید در رحم — نجم او بر چرخ گردد منتجم

پیدا شدن ستارهٔ موسی برآسمان وغریو منجمان درمیدان

بر فلك پیدا شد ان استاره اش — کوری فرعون و مکر وچاره‌اش ۲۸ روز شد گفتش که ای‌عمران‌برو — واقف آن غلغل وآن بانگ شو
راند عمران جانب میدان وگفت — این‌چه غلغل‌بود شاهنشه‌نخفت(٥) ۲۹ هر منجّم سر برهنه جامه چاك — همچو اصحاب عزا برفرق خاك
همچو اصحاب عزا آوازشان — بُد گرفته از فغان و سازشان ۳۰ ریش ومو برکنده رو بدریدگان — خاك برسرکرده پرخون دیدگان
گفت‌خیراست‌این‌چه‌آشوبست‌وحال — بد نشانی میدهد منحوس سال ۳۱ عذر آوردند و گفتند ای امیر — کرد مارا دست تقدیرش اسیر
این همه کردیم ودولت تیره شد — دشمن شه هست گشت وچیره شد ۳۲ شب ستارهٔ آن پسر آمد عیان — کوری ما بر جبین آسمان
زد ستاره آن پیمبر بر سما — ما ستاره بار گشتیم از بُکا ۳۳ با دل خوش شاد عمران وزنفاق — دست بر سر می زدی‌کاه الفراق
کرد عمران‌خویش پرخشم وترش — رفت چون دیوانگان بیعقل وهش ۳٤ خویشتن را اعجمی کرد و براند — گفتهای بس‌خشن در جمع خواند
خویشتن‌را ترش وغمگین‌ساخت‌او — نرد های بازگونه باخت او ۳٥ گفتشان شاه مرا بفریفتید — از خیانت وز طمع نشکیفتید
سوی میدان شاه را انگیختید — آبروی شاه ما را ریختید ۳٦ دست بر سینه زدید اندر زمان — شاه را ما فارغ آریم از غمان
❁ عقبت زرها تلف شد کارخام — شد بر فرعون وبر خواندش تمام ۳۷ ❁چون‌شنید ازغصه‌رویش‌شدسیاه — خواند ایشان را زخشم آن‌دین‌تباه
گفت ایشان راکه هین(٦)ایخائنان — من بر آویزم شما را بی امان ۳۸ خویش را در مضحکه انداختم — مالها با دشمنان در باختم
تا که امشب جمله اسرائیلیان — دور ماندند از ملاقات زنان ۳۹ مال رفت و آبرو و کار خام — این بود یاری و افعال کرام
سالها ادرار و خلعت میبرید — مملکتها را مسلّم میخورید ٤۰ ❁ ازبرای آنکه دردوری چنین — فهم گرد آرید و باشیدم معین
رایتان این بود وفرهنگ و نجوم — طبل خوارانید ومکارید و شوم ٤۱ من شما را بر درم آتش زنم — بینی و گوش و لبانتان برکنم
من شما را هیزم آتش کنم — عیش رفته بر شما ناخوش کنم ٤۲ سجده کردند و بگفتند ای خدیو — گر یکی کرّت زما چربید دیو
❁ سالها دفع بلاها کرده ایم — وهم حیران زانچه ماها کرده‌ایم ٤۳ ❁فوت‌شد ازما وحملش‌شد پدید — نطفه اش جست ورحم اندرخزید
لیك استغفار این روز ولاد — ما نگهداریم ای شاه قباد ٤٤ روز میلادش رصد بندیم ما — تا نگردد فوت و نجهد این قضا
گر نداریم این نگه مارا بکش — ای غلام رای تو افکار و هش ٤٥ تا بنه مه میشمرد او روز روز — تا نبرّد تیر حکم خصم دوز
بر قضا هرکو شبیخون آورد — سرنگون‌آید زخون‌خود(۷)خورد ٤٦ ❁چون‌مکان برلامکان حمله برد — خون خود ریزد بلاها را خرد

---

۱ ـ تو جو دل ای عمو ۲ ـ باعطا و وعده‌هاشان کرد شاد ۳ ـ ای مرد نکو ٤ ـ پی دیدنش ٥ ـ شنفت ٦ ـ شاه هم بشنید و گفت
۷ ـ سر خود را (ن . ل)

چون زمین با آسمان خصمی کند شوره گردد سر ز مرگی بر زند ۱ نقش با نقاش پنجه می زند سبلتان و ریش خود بر میکند

خواندن فرعون زنان نو زاده را سوی میدان هم جهت مکر

بعد نه مه شه برون آورد تخت سوی میدان و منادی کرد سخت (۱) ۳ ❀ باردیگر شد منادی سوی شهر کای زنان کز دهر می‌یابید بهر
ای زنان باطفلکان میدان روید تا ز بخششهای شه (۲) شادان شوید ٤ آنچنان که پار مردان را رسید خلعت و هرکس ازایشان زر کشید
هین زنان امسال (۳) اقبال شماست تا بیابد هرکسی چیزی که خواست ٥ مر زنان را خلعت و بخشش دهم کودکان را هم کلاه زر نهم
هرکه او این ماه زائیده است هین گنجها گیرد ز من بی شك یقین (٤) ٦ آن زنان با طفلکان بیرون شدند شادمان وزمکر شه غافل بدند (٥)
هرزنی نوزاده بیرون شد زشهر سوی میدان غافل (٦) ازدستان قهر ۷ چون زنان جمله برش گرد آمدند هرچه بود از نر زمادر بستدند
سر بریدندش که این است احتیاط ۸ تا نزاید (۷) خصم و نفزاید خباط

بوجود آمدن موسی علیه‌السلام و آمدن عوانان بخانهٔ عمران و وحی آمدن بمادر موسی که ویرا درآتش انداز

خودزن عمران که موسی‌زاده بود دامن اندرچید ازآن آشوب زود ۱۰ بعداز ان دستان که آن سگ بازنان کرد دیگر بین چه آوردآن زمان
پس زنان قابله در خانها بهر جاسوسی فرستاد آن دغا ۱۱ غمز کردندش که اینجا کودکیست نامداو میدان که دروهم وشکیست
اندرین کوچه یکی زیبا زنی است کودکی دارد ولیکن پر فنی است ۱۲ چون عوانان آمدند آن طفل را در تنور انداخت از امر خدا
امر آمد سوی زن از دادگر که زاصل (۸) آن خلیلست این پسر ۱۳ ❀ درتنورانداز موسی را توزود تانگهداریش ازهرنارودود (۹)
عصمت یا نار کونی برداً (۱۰) لاتکون النار حراً شارداً (۱۱) ۱٤ زن بوحی انداخت اورا درشرر بر تن موسی نکرد آتش اثر
❀ پس عوانان خانه راجستند زود هیچ طفلی اندر آن خانه نبود ۱٥ پس عوانان بیمراد آنسو شدند باز غمازان کزان واقف بدند
با عوانان ماجرا بر داشتند پیش فرعون از برای دانگ چند ۱٦ کای عوانان باز گردید آنطرف نیك نیکو بنگرید اندر غرف
❀ بازگشتند آن عوانان جملگان ۱۷ تا بجویند آن پسر را آن زمان

وحی آمدن بمادر موسی علیه السلام که درآبش افکن

باز وحی آمد که در آبش فکن روی در امید دار و مو مکن ۱۹ در فکن در نیلش و کن اعتمید من ترا با او رسانم رو سفید
❀ مادرش انداخت اندر رود نیل کار را بگذاشت با نعم الوکیل ۲۰ این سخن پایان ندارد مکرهاش جمله می پیچید اندر ساق پاش
صدهزاران طفل میکشت ازبرون خصم او در صدر خانه دردرون ۲۱ از جنون میکشت هرجا بد جنین از حیل آن کور چشم دور بین
اژدها بُد مکر فرعون عنود مکرشاهان جهان را خورده بود ۲۲ لیك از او فرعون تر آمد پدید هم ورا هم مکر او را در کشید
اژدها بود و عصا شد اژدها این بخورد آن را بتوفیق خدا ۲۳ دست شد بالای دست این تا کجا (۱۲) تا بیزدان که الیه المنتهی
کان یکی دریاست بی‌غور وکران جمله دریا ها چو سیلی پیش آن ۲٤ حیلها و چار ها گر اژدهاست پیش الا الله آنها جمله لاست
چون رسید اینجا بیانم سر نهاد محو شد والله اعلم بالرشاد ۲٥ آنچه درفرعون بود اندرتو هست لیك اژدرهات محبوس چه است
ای دریغ اینجمله احوال توهست توبران فرعون برخواهیش بست ۲٦ ❀ آنچه گفتم جملگی احوال تست خود نگفتم صد یکی زانهادرست
گرز تو گویند وحشت زایدت ور ز دیگر آن فسانه آیدت ۲۷ چه خرابت میکند نفس لعین دور میاندازدت سخت این قرین
این جراحتها همه از نفس تست لیك مغلوبی زجهل ای سخت سست ۲۸ آتشت را هیزم فرعون نیست زانکه چون فرعون اوراعون نیست
❀ گلخن نفس تراخاشاك نیست ۲۹ ورنه چون فرعون او شعله زنیست

حکایت مارگیری که اژدهای افسرده را مرده پنداشت و در رسنها پیچیده ببغداد آورد

یك حکایت بشنو از تاریخ گوی تابری زین راز سرپوشیده بوی ۳۱ مارگیری رفت اندر کوهسار تا بگیرد او بافسونهاش مار
گر گران و گر شتابنده بود آنکه جوینده است یابنده بود ۳۲ درطلب زن دایماً تو هردو دست که طلب در راه نیکو رهبر است
لنگ ولوك وخفته شکل وبی‌ادب سوی اومیغژواورامی (۱۳) طلب ۳۳ گه بگفت و گه بخاموشی و گه بوی کردن گیر هر سو بوی شه
گفت آن یعقوب با اولاد خویش جستن یوسف کنید از حدّ بیش ۳٤ هرحس خودرا در این جستن بجد هر طرف رانید شکل مستعد
گفت ازروح خدا لاتیأسوا (۱٤) همچو گم کرده پسر رو سو بسو ۳٥ از ره حسّ دهان پرسان شوید ❀ روی جانان رابجان جویان شوید
پرس پرسان مژدگانی جان دهید ❀ گوش را بر چار راه آن نهید ۳٦ هر کجا بوی خوش آید بو برید سوی آن سرکاشنای آن سرید

---

۱ ـ او برون افکند رخت ۲ ـ تا ز داد و بخششم ۳ ـ امروز ٤ ـ گیرید ازشاه مکین ٥ ـ تا خیمهٔ شه آمدند ٦ ـ این ۷ ـ نروید
۸ ـ نسل (ن . ل)

---

(۹) یعنی بطریق نگاهداری که در باب حضرت ابراهیم شد که بخطاب یا نارکونی برداً آتش براو گلستان گردید موسی را نیز نجات دهیم
(۱۰) اشاره به آیهٔ شریفه در سورهٔ انبیا است قلنا یا نارکونی برداً و سلاما علی ابراهیم و ارادوا به کیداً فجعلناهم الاخسرین یعنی گفتیم ما ای آتش باش صاحب برودت و سلامت بر ابراهیم علیه‌السلام و خواستند نمرودیان مکر کنند درسوختن اوپس گردانیدیم ایشان را زیانکاران و مراد از اتیان مولانا باین آیهٔ شریفه مصداقیت حضرت موسی است دائما بمادر بزرگوار بر اینکه تو او را در تنور بینداز این آتش بموجب امر ما برد و سلام میشود بر موسی (۱۱) آتش نمی باشد سوزنده و سر کش و رمنده (۱۲) اشاره است به آیهٔ فوق کل ذی علم علیم که در سورهٔ یوسف واقعشده (۱۳) مانند کسانی که پایشان لنگست ونمیتوانند راه بروند یالوك است یعنی بکف دست وزانو راه میروند یاخمیده شکل و بی ادب بطرف او با چهار دست و پا چون طفلان حرکت کن و او را به طلب (۱٤) اشاره است به آیهٔ واقعه در سورهٔ یوسف یا بنیّ اذهبوا فتحسّسوا من یوسف واخیه ولا تیأسوا من روح الله انه لا ییأس من روح الله الاالقوم الکافرون یعنی ای پسران من بروید و تفحص کنید از یوسف و برادر او و نا امید مباشید از رحمت وفضل خدا بدرستیکه نا امید نشوند ازرحمت وفرج خدا مگرگروه نا گرویدگان

هر کجا لطفی به بینی از کسی — سوی اصل لطف ره یابی بسی (۱)
جنگهای خلق بهر خوبی است — برگ بی برگی نشان طوبی است
خشمها (۵) ی خلق بهر آشتی است — دام راحت دائماً بی‌راحتی است
بوی بر از جزو تا کل ای کریم — بوی بر از ضدّ تا ضدّ ای حکیم
جنگها می آشتی آرد درست — مار گیر از بهر یاری مار جست
او همی جستی یکی مار شگرف — گرد کوهستان و در ایّام برف
مار گیر اندر زمستان شدید — مار میجست اژدهای مرده دید
آدمی کوهیست چون مفتون شود — کوه اندر مار حیران چون شود
خویشتن را آدمی ارزان فروخت — بود اطلس خویش را بر دلق دوخت
مارگیر آن اژدها را برگرفت — سوی بغداد آمد از بهر شگفت
کاژدهای مردهٔ آورده ام — درشکارش من جگرها خورده ام
او ز سرماها وبرف افسرده بود — زنده بود و شکل مرده مینمود
باش تا خورشید حشر آید عیان — تا ببینی جنبش جسم جهان
چون عصا ازدست موسی گشت مار — جمله عالم را بدین سان میشمار
مرده زینسویند و زانسو زنده‌اند — خامش اینجا وانطرف گوینده‌اند
کوهها هم لحن داودی شود — آهن اندر کفّ او (۹) مومی بود
ماه با احمد اشارت بین شود — نار ابراهیم را نسرین شود
سنگ احمد را سلامی میکند — کوه یحیی را پیامی میکند
ما سمیعیم و بصیریم و خوشیم — با شما نا محرمان ما خامشیم
از جمادی در جهان جان روید — غلغل اجزای عالم بشنوید
چون ندارد جان تو قندیلها — بهر بینش کردهٔ تأویلها
که غرض تسبیح ظاهر کی بود — دعوی دیدن خیال و غی بود
پس چو از تسبیح یادت میدهد (۱۳) — آن دلالت همچو گفتن می‌بود (۱۴)
چون زحسّ بیرون نیامد آدمی — باشد از تصویر غیبی اعجمی
تا ببغداد آمد آن هنگامه خواه — تا نهد هنگامهٔ بر چار راه
مار گیری اژدها آورده است — بوالعجب نادر شکاری کرده‌است
❀ حلقه گرد اوچو رز گرد عریش — هم چنانکه بت پرستان برکشیش
مردم هنگامه افزون تر شود — کدیه و توزیع نیکو تر رود
مرد را اززن خبر نی زازدحام — رفته درهم چون قیامت خاص وعام
اژدها کز زمهریر افسرده بود — زیر صد گونه پلاس و پرده بود
در درنگ و اتفاق و انتظار — ❀ وز هیاهوی و فغان بی شمار
آفتاب گرم سیرش گرم کرد — رفت از اعضای او اخلاط سرد
خلق را از جنبش آن مرده مار — گشتشان آن یك تحیر صد هزار
می‌شکست آن بند زان بانگ بلند — هر طرف میرفت چافا چاق بند
در هزیمت بس خلایق کشته شد — از قتادهٔ کشتگان صد پشته شد
گرگ را بیدار کرد آن کورمیش — رفت نادان سوی عزرائیل خویش
خویش را براستنی پیچید وبست — استخوان خورده را درهم شکست
نفست اژدرهاست اوکی مرده‌است — از غم بی آلتی افسرده است
آنکهان بنیاد فرعونی کند — راه صد موسی وصد هرون زند

۱ این همه خوشها (۲) ز دریائیست ژرف (۳) — جزو را بگذار و بر کل دار طرف
۲ ❀ خشمهای خلق بهر مهر خاست (٤) — از جنای خلق امید وفاست
۳ هر زدن بهر نوازش را بود — هرگله ازشکر حاکی میشود (٦)
٤ ❀ چون عصا در دست موسی گشت مار — جمله عالم را بدینسان میشمار
٥ بهر یاری مار جوید آدمی — غم خورد بهر حریف بیغمی
٦ اژدهائی مرده دید آنجا عظیم — که دلش ازشکل او شد پرزبیم
۷ مار گیر از بهر حیرانیّ خلق — مار گیرد اینت نادانیّ خلق
۸ خویشتن نشناخت مسکین آدمی — از فزونی آمد و شد در کمی
۹ صدهزاران مار و که حیران اوست — اوچرا حیران شده‌است ومار دوست
۱۰ اژدهائی چون ستون خانهٔ — می کشیدش از پی دانگانهٔ
۱۱ او همی مرده گمان بردش ولیك — زنده بود و او ندیدش نیك نیك
۱۲ عالم افسرده است ونام او جماد — جامد افسرده بود ای اوستاد
۱۳ ❀ چون عصای موسی اینجا مار شد — عقل را ازساکنان اخبار شد (۷)
۱٤ بادهٔ خاك تراچون مرده (۸) ساخت — خاکها را جملگی شاید شناخت
۱٥ چون ازانسوشان فرستد سوی ما — آن عصا گردد سوی ما اژدها
۱٦ باد حمّال سلیمانی شود — بحر با موسی سخندانی شود
۱۷ خاك قارون را چو ماری درکشد — استن حنانه (۱۰) آید دررشد
۱۸ ❀ جملهٔ ذرّات عالم در نهان — با تو میگویند روزان و شبان
۱۹ چون شما سوی جمادی میروید — محرم جان جمادان چون (۱۱) شوید
۲۰ فاش تسبیح جمادات آیدت (۱۲) — وسوسهٔ تأویلها بربایدت
۲۱ ❀ دعوی دیدن خیال عار بود — بلکه مر بیننده را دیوار بود
۲۲ بلکه مر بیننده را دیدار آن — وقت عبرت میکند تسبیح خوان
۲۳ این بود تأویل اهل اعتزال — وای آنکس کو ندارد نور حال
۲٤ این سخن پایان ندارد مار گیر — میکشید آن مار را با صد زحیر
۲٥ بر لب شط مرد هنگامه نهاد — غلغله در شهر بغداد اوفتاد
۲٦ جمع آمد صد هزاران خام ریش — صیداوگشته چواو ازابلهیش (۱٥)
۲۷ منتظر ایشان و او هم منتظر — تا که جمع آیند خلق منتشر
۲۸ جمع آمد صد هزاران ژاژ خا — حلقه کرده پشت پا بر پشت پا
۲۹ چون همی حرّاقه جنبانید او — میکشیدند اهل هنگامه گلو
۳۰ بسته بودش با رسنهای غلیظ — احتیاطی کرده بودش آن حفیظ
۳۱ وزغلوّ خلق ومکث وطمطراق ❀ — تافت برآن مار خورشید عراق
۳۲ مرده بود وزنده گشت اوازشگفت — اژدها برخویش جنبیدن (۱٦) گرفت
۳۳ با تحیر نعرها انگیختند — جملگان از جنبشش بگریختند
۳٤ بندها بگسست و بیرون شد ززیر — اژدهای زشت غرّان همچو شیر
۳٥ مارگیر ازترس برجا خشك گشت — که چه آوردم من ازکهسار ودشت
۳٦ اژدها یك لقمه کرد آن گیج را — سهل باشد خون خوری حجّیج را (۱۷)
۳۷ ❀ شهر خالی گشت واژدرها براند — سوی که گرد از بیابان برفشاند
۳۸ گر بیابد آلت فرعون او — که بامر او همی رفت آب جو
۳۹ کرمکست این اژدها ازدست نقر — پشهٔ گردد ز مال و جاه صقر

---

۱ ـ کوش تایابی باصلش ره عسی ۲ـ جوها ٥ـ جنگها ٦ـ آگه میکند ۸ـ پارهٔ خاك ترا چون زندهٔ ۹ـ جوهرآهن بکف ۱۱ـ خدادان کی
۱۳ـ داد آن ۱٤ـ گفتنای جوان ۱٥ـ صید اوشد هریك آنجا از خریش ۱٦ـ پیچیدن ۱۷ـ شد روانه بعد ازآن ازجابجا (ن . ل) .

---

(۳) حاصل معنی این بیت این است که جزویت را واگذار وآنرا جزو مگو بلکه کل تصور کن وجزو باعتبار آمدنست (٤) غرض اینست که بر خشم راندهٔ خلق مهرخداوند انگیخته میشود (۷) یعنی عصا ازچوب بود وساکن پس عقل خبر یافت که ساکنان هم درحقیقت زنده‌اند (۱۰) ستون حنانه ستونی بودکه حضرت رسول براونشسته وعظ میفرمود وچون منبر ساخته شد آن حضرت برمنبر رفت آن ستون ناله و حنین نمود (۱۲) اشاره به آیهٔ شریفه واقعه در سورهٔ بنی اسرائیل است و ان من شیءٍ الا یسبح بحمده ولکن لا تفقهون تسبیحهم انه کان حلیماً غفورا و نیست هیچ چیز ازمخلوقات مگر که تسبیح میگوید خدارا تسبیحی ملتبس بحمد او یعنی تنزیه میکند اورا از سمات نقصان و ستایش مینماید بصفات کمال ولیکن شما ای مشرکان در نمی یابید تسبیح ایشان را چه شمارا نظری صحیح و عقلی صاف که بآن فهم تسبیح ایشان توان کرد نیست بدرستی که خدا هست بردبار که تعجیل عقوبت نمیکند برغفلت شما وآمرزنده است مرآنرا که باو ایمان آورد .

اژدها را دار در برف فراق — هین مکش اورا بخورشید عراق ۱ تا فسرده می بود آن اژدهات — لقمهٔ اوئی چو او یابد نجات
مات کن اورا و ایمن شو زمات — رحم کم کن نیست او زاهل صلات ۲ چون تف خورشید شهوت برزند — وان خفاش مرده ریگت پر زند
میکشانش در جهاد و در قتال — مرد وار الله یجزیك الوصال ۳ چونکه آن مرد اژدها را آورید — درهوای گرم و خوش شد آن مرید(۱)
لاجرم آن فتنها کرد ای عزیز — بلکه صدچندان(۲) که ما گفتیم نیز ٤ تو طمع داری که اورا بی جفا — بسته داری در وقار و در وفا
هر خسی را این تمنا کی رسد — موسئی باید که اژدرها کشد ٥ صد هزاران خلق زاژدرهای او — در هزیمت کشته شد از رای او
❁ وزطمع هم خویش را برباد داد ٦ گفته شد والله اعلم بالسّداد

تهدید کردن فرعون موسی علیه السلام را

گفت فرعونش چرا تو ای کلیم — خلق را کشتیٔ و افکندی به بیم ۸ در تردّد از تو افتادند خلق — در هزیمت کشته شد مردم ز زلق
لاجرم هرکس ترا دشمن گرفت — کین تو درسینه مرد وزن گرفت ۹ خلق را میخواندی برعکس شد — ازخلافت مردوزن را(۳) نیست بد (٤)
من هم ازشرّت اگر پس میخزم — در مکافات تو دیگی میپزم ۱۰ دل ازاین برکن که بفریبی مرا — یا بحرفی پس روی گردم ترا
تو بدان غرّه مشو کش ساختی — در دل خلقان هراس انداختی ۱۱ صد چنین آریّ وهم رسوا شوی — خوار گردی مضحکهٔ غوغا شوی
همچو تو بسیار سالوسان بدند ۱۲ عاقبت در مصر ما رسوا شدند

جواب موسی فرعون را در تهدیدی که میکردش

گفت با امر حقم اشراك نیست — گر بریزد خونم امرش باك نیست ۱٤ راضیم من شاکرم من ای حریف — این طرف رسوا و پیش حق شریف
پیش خلقان خوار وزار وریشخند — پیش حق محبوب و مطلوب و پسند ۱٥ از سخن میگویم این ورنه خدا — از سیه رویان کند فردا ترا
عزت آن اوست و آن بندگانش(٥) — زادم وابلیس برمیخوان نشانش ۱٦ شرح حق پایان ندارد همچو حق — هان دهان بربند وبرگردان ورق

پاسخ فرعون موسی را

گفت فرعونش ورق دردست ماست — دفتر و دیوان و حکم ایندم مراست(٦) ۱۸ مرمرا بخریده اند اهل جهان — از همه عاقل تری تو ای فلان
موسیا خود را خریدی هین برو — خویشتن کم بین بخود غرّه مشو ۱۹ جمع آرم ساحران دهر را — تا که جهل تو نمایم شهر را
این نخواهدشد بروزی یا دوروز ۲۰ تاچهل روزم گذارای جان فروز(۷)

جواب موسی فرعون را

گفت موسی این مرا دستور نیست — بنده ام امهال تو مأمور نیست ۲۲ گر توچیری ومرا خود یار نیست — بنده فرمانم بدانم کار نیست
میزنم با تو بجد تا زنده ام — من چکارهٔ نصرتم من بنده ام ۲۳ میزنم تا در رسد حکم خدا — او کند هر خصم از خصمی جدا
گفت نی نی مهلتی باید نهاد — عشوها کم ده تو کم پیمای باد ۲٤ حقتعالی وحی کردش در زمان — مهلتش ده متسع مهراس از آن
این چهل روزش بده مهلت بطوع — تا سگالد مکرها او نوع نوع ۲٥ تا بکوشد او که نه من خفته ام — تیز رو گو پیش ره بگرفته ام
حیلهاشان را همه بر هم زنم — و آنچه افزایند من بر کم زنم ۲٦ آب را آرند من آتش کنم — نوش خوش گیرند من ناخوش کنم
مهر پیوندند و من ویران کنم — آنچه اندر وهم ناید آن کنم ۲۷ تومترس ومهلتش ده دم دراز(۸) — گوسپه گردآر و صد حیلت بساز

مهلت دادن موسی علیه السلام فرعون را تا ساحران را جمع کند از مداین

گفت امر آمد برو مهلت ترا — من بجای خود شدم رستی هلا ۲۹ او همی شد اژدها اندر عقب — چون سگ صیاد دانا و مجبّ
چون سگ صیاد جنبان کرده دم — سنگ را میکرد ریگ او زیر سُم ۳۰ سنگ وآهن را بدم در میکشید — خرد میخائید آهن را پدید
در هوا میکرد خود بالای برج — که هزیمت میشداز وی روم وگرج ۳۱ کفك می انداخت چون اشتر زکام — قطرهٔ بر هر که میزد شد جذام
ژغژغ دندان او دل می شکست — جان شیران سیه میشد ز دست ۳۲ چون بقوم خود رسید آن مجتبی — شدق(۹) اوبگرفت بازاوشد عصا
تکیه بروی کرد ومیگفت ای عجب — پیش ما خورشید وپیش خصم شب ۳۳ ای عجب چون می نبیند این سپاه — عالمی پر آفتاب چاشتگاه
چشم باز وگوش باز و این ذکا — خیره ام در چشم بندیّ خدا ۳٤ من زایشان خیره ایشان هم زمن — از بهاری خار ایشان من سمن
پیششان بردم بسی جام رحیق — سنگ شد آبش پیش آن فریق ۳٥ دستهٔ گل بستم و بردم پیش — هرگلی چون خارگشت ونوش نیش
آن نصیب جان بیخویشان بود — چونکه با خویشند پیدا کی شود ۳٦ خفتهٔ بیدار باید پیش ما (۱۰) — تا بیداری بیند خوابها
دشمن این خواب خوش شد فکر خلق — تا نخسبد فکرتش بسته است حلق ۳۷ حیرتی باید که روبد فکر را — خورده حیرت فکر را وذکر را
هرکه کاملتر بود او در هنر — او بصورت پس بمعنی بیشتر ۳۸ راجعون گفت ورجوع اینسان بود — که گله وا گردد و خانه رود
چون که گله باز گردد از ورود — پس فتد آن بُز که پیش آهنگ بود ۳۹ پیش افتد آن بُز لنگ پسین — اضحك الرّجعی وجوه العابسین(۱۱)

---

۲ ـ بیست چندانی ۳ ـ مردمان را ۷ ـ مهلتم ده تا چهل روز تموز ۸ ـ بس دراز (ن . ل)

---

(۱) مرید یعنی تمرّد کننده (٤) بُد یعنی چاره و گزیر (٥) اشاره است بآیهٔ واقعه در سورهٔ منافقون ولله العزة ولرسوله و للمؤمنین ولکنّ المنافقین لایعلمون یعنی مرخدایراست عزت و قدرت ربوبیت و رسول اورا عزت نبوت و شفاعت و گروندگان را عزت ایمان و اطاعت ولیکن منافقان حقیقة عزت را نمیدانند (٦) این سئوال و جواب مضمون این آیه است که در سورهٔ طه واقع شده فاجعل بیننا و بینك موعداً لا نخلفه نحن ولا انت مکاناً سوی قال موعدکم یوم الزینة وان یحشرالناس ضحی گفت فرعون بموسی علیه السلام پس قرار بده بین ما وخودت وعده‌ای که نه ما ونه تو خلاف نکنیم و حاضر باشیم در مکانیکه مساوی باشد مسافت قوم ما و تو یا مکان همواری که در او پستی وبلندی نباشد گفت موسی زمان وعدهٔ ما و شما روز آرایش قبطیان است (و آن روز روز عیدی بود مصریان را که همه آراسته در موضعی حاضر شده و تماشا می‌کردند) که همهٔ مردم جمع میشوند در موقع چاشتگاه (۹) شدق کُنج دهان را گویند (۱۰) یعنی خفته ازاوضاع واحوال روزگار و بیدار بحقایق الهی (۱۱) یعنی در خنده آورد باز گشتن آن بز لنگ رویهای ترش رویان را و اشاره است بمضمون آیه که در سورهٔ مطففین است فالیوم الذین آمنوا من الکفار یضحکون یعنی روز قیامت آنانکه گرویده اند از کافران میخندند .

ازگزافه کی شدند این قوم لنگ فخر را دادند و بخریدند ننگ
دل ز دانشها بشستند این فریق زانکه این دانش نداند آن طریق
هر پری بر عرض دریا کی پرد تا لدن علم لدنّی پی برد
پس مجو پیشی ازاین سرلنگ باش وقت واگشتن تو پیش آهنگ باش
گرچه میوه آخر آید در وجود اولست او زانکه او مقصود بود
گر درین مکتب ندانی تو هجی همچواحمد پرّی ازنورحجی (۳)
اندرین ویران که آن معروف نیست از برای حفظ گنجینهٔ زریست
خاطر آرد بس شکال اینجا ولیك بگسلد اشکال را استور نیك
هم ازانسو جو جواب ای مرتضی کاین سؤال آمد ازآن سو مرترا
تو ازاینسو واز آنسو چون گدا ای که معنی چه میجوئی صدا
وقت دردومرگ آنسو می نمی (۵) چونکه دردت رفت چونی اعجمی
❀ درزمان درد وغم یادش کنی چون شدی خوش باز برغفلت تنی
آنکه درعقل وگمان هستش حجیب گاه پوشیده است وگه بدریده جیب
عقل بفروش و هنر حیرت بخر رو بخواری نی بخارا ای پسر
ما چو خودرا درسخن آغشته ایم کز حکایت ما حکایت گشته ایم
این حکایت نیست پیش مردکار وصف حالست و حضور یار غار
لامکانی که در او نور خداست ماضی ومستقبل و حالش کجاست
یك تنی اورا پدر مارا پسر بام زیر زید و برعمرو آن زبر
نیست مثل آن مثالست اینسخن قاصر از معنیّ نو حرف کهن
❀ این سخن پایان ندارد بازگرد سوی فرعون مدمغ تا چه کرد

۱ پا شکسته میروند ایشان بحج از حرج راهیست پنهان تا فرج
۲ دانشی باید که اصلش زان سراست زانکه هرفرعی باصلش رهبراست
۳ پس چرا علمی بیاموزی بمرد کش بباید سینه را زان پاك کرد
۴ آخرون السابقون باش ای حریف (۱) بر شجر سابق بود میوهٔ لطیف
۵ چون ملایك گوی لا علم لنا (۲) تا بگیرد دست تو علّمتنا
۶ گر نباشی نامدار اندر بلاد کم نهٔ والله اعلم بالعباد
۷ موضع معروف کی بنهند گنج زین قبل آمد فرج درزیر رنج
۸ هست عشقش آتشی اشکال سوز هر خیالی را بروبد نور روز
۹ گوشهٔ بی گوشهٔ دل شه رهیست (۴) تاب لاشرقیّ ولاغرب ازمهیاست
۱۰ هم ازآنسو جو که وقت درد تو میشوی در ذکر یا ربّی دو تو
۱۱ وقت محنت می بری زالله بو (۶و۷) چونکه محنت رفت گوئی راه کو
۱۲ این ازآن آمد که حق را بیگمان هرکه بشناسد بود دائم بر آن
۱۳ عقل جزوی گاه چیره گه نگون عقل کلی این ازریب المنون (۸)
۱۴ ❀ تا بخارای دگر یابی درون ساکنان در محفلش لایعقلون (۹)
۱۵ من عدم و افسانه گردم در حنین تا تقلب یابم اندر ساجدین (۱۰)
۱۶ آن اساطیر اوّلین که گفت عاق حرف قرآن را بد آثار نفاق
۱۷ ماضی ومستقبل ای جان ازتواست (۱۱) هردویك چیزند پنداری دواست
۱۸ نسبت زیر وزبر شد زین دوکس سقف سوی خویش یکچیزاست وبس
۱۹ چون لب جونیست مشکا لب بیند بی لب وساحل بداست این بحرقند
۲۰

فرستادن فرعون بمدائن در طلب ساحران

چونکه موسی بازگشت و او بماند اهل رای ومشورت را پیش خواند ۲۲ ❀ مجتمع گشتند و بفشردند پای هرکسی کردند عرض فکر ورای
❀ عاقبت هامان بی سامان دون رای پیش آورد وکردش رهنمون ۲۳ ❀ کای شه صاحب ظفر چون غم فرود ساحران را جمع باید کرد زود
در ممالك ساحران داریم ما هر یکی در سحر فرد و پیشوا ۲۴ مصلحت آنست (۱۲) کز اطراف مصر جمع آردشان شه و صرّاف مصر
او بسی مردم فرستاد آن زمان هر نواحی بهر جمع جادوان ۲۵ هر طرف که ساحری بد نامدار کرد پرّان سوی او ده پیك کار
دو جوان بودند ساحر مشتهر سحر ایشان در دل مه مستمر ۲۶ شیر دوشیده ز مه فاش آشکار در سفر ها رفته بر خمی سوار
شکل کرباسی نموده ماهتاب آن به پیموده فروشیده شتاب ۲۷ ❀ سیم برده مشتری آگه شده دست از حسرت برخها بر زده
سیم برده مشتری آخر از آن گشته آگاه و دودست خودگزان ۲۸ صدهزاران همچنین درجادوئی (۱۳) بوده منشیّ ونبوده چون روی (۱۴)
چون بدیشان آمد آن پیغام شاه کزشما شاهست اکنون چاره خواه ۲۹ از پی آنکه دو درویش آمدند بر شه و بر قصر او موکب زدند
نیست با ایشان بغیر یك عصا که همی گردد بامرش اژدها ۳۰ شاه و لشکر جمله بیچاره شدند زین دو کس جمله بافغان آمدند
چاره جویان بنده را پیش شما شاه ازآن ارسال فرموده است تا ۳۱ چارهٔ سازید اندر دفعشان گنجها بخشد عوض شه بیکران
❀ چارهٔ میباید اندر ساحری تا بودکه زین دوساحرجان بری ۳۲ آن دو ساحررا چواین پیغام داد ترس ومهری دردل هردوفتاد (۱۵)
عرق جنسیت چو جنبیدن گرفت سر بزانو بر نهادند از شگفت ۳۳ چون دبیرستان صوفی زانواست حلّ مشکل را دوزانوجادواست

خواندن آن دو ساحر پدر را از گور وپرسیدن ازروان پدر حقیقت موسی علیه السلام را

بعد ازان گفتند ای مادر بیا گور بابا کو تو ما را ره نما ۳۵ بردشان بر گور او بنمود راه پس سه روزه داشتند ازبهرشاه
آنگهان (۱۶) گفتند ای بابابما شاه پیغامی فرستاد از وجا ۳۶ که دومرد اورا به تنگ آورده اند آبرویش پیش لشکر برده اند
نیست با ایشان سلاح و لشکری جز عصا ودر عصا شور وشری ۳۷ تو جهان راستان در رفتهٔ گر چه در صورت بخاکی خفتهٔ
آن اگر سحر است مارا ده خبر ورخدائی باشدای جان پدر (۱۷) ۳۸ هم خبر ده تا که ما سجده کنیم خویش را بر کیمیائی بر زنیم
نا امیدانیم امیدی رسد ❀ درشب دیجور خورشیدی رسد ۳۹ از ضلال آئیم د رراه رشد ❀ راند گانیم وکرم ما را کشد

---

۵ ـ می چمی ۶ ـ گشتهٔ الله گو ۹ ـ لایفقهون ۱۱ ـ مستقبلش نسبت به تو است ۱۲ ـ رای آن دیدند ۱۳ ـ جادوئیها جنس این ۱۴ ـ بوده ایشان را همه دین مبین (۱۶) بعد از آن (ن . ل) .

---

(۱) اشاره بحدیث نبوی است الآخرون السابقون (۲) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ بقره قالوا سبحانك لاعلم لنا الاّ ما علمتنا (۳) یعنی اگر در این مکتب هیجی هم نخوانده باشی مانند پیغمبر خدا انباشتهٔ ازعقل وفرهنگ هستی (۴) ازاین دل مراد نه مضغهٔ صنوبری است بلکه مراد آن دل است که این لحم صنوبری متعلق اوست وآن نه جسم است ونه جسمانی بلکه نوریست ازانوار حق وتاب لاشرقی ولاغربی که در مصرع ثانی واقع شده مؤید این معنی است (۷) اقتباس از مضمون این آیه واقعه درسورهٔ زمر است واذا مسّ الانسان ضرّ دعا ربّه منیبا الیه ثم اذا خوله نعمةً منه نسی ماکان یدعوا الیه من قبل (۸) ریب المنون اشاره بحوادث و دواهی است (۱۰) یعنی من معدوم ونیست میشوم در ناله تا بپهلو غلطانیده شوم در ساجدان و اشاره است به این آیه که در سورهٔ شعرا واقع شده و توکل علی العزیز الرحیم الذی یریك حین تقوم و تقلبك فی الساجدین . (۱۵) ترس از موسی و مهر او که آخر مسلمان خواهند شد (۱۷) خطاب است بروح پدر

جواب گفتن ساحر مرده با فرزندان خود

گفتشان درخواب کای اولاد من / نیست ممکن ظاهراین را دمزدن ۲ ❀ بانگ زد کای جان فرزندان من / هست پیدا گفتن این را مرتبین
فاش مطلق گفتنم دستور نیست / گرچه(۱) راز از پیش چشمم دور نیست ۳ لیك بنمایم نشانی با شما / تا شود پیدا شما را این خفا
❀ لیك بنمایم شما را آیتی / تا شوید آگه ز سر کنتی(۲) ۴ نور چشمانم چو آنجا گه روید / از مقام خفتنش (۳) آگه شوید
آن زمان که خفته باشد آن حکیم (٤) / آن عصا گیرید وبگذارید بیم(٥) ۵ پس یقین دانید کایشان ساحرند / اندراین فن چون شمانی ماهرند
❀ گر بدزدیدش عصا او ساحر است / چارهٔ ساحر شما را حاضر است ٦ ور نتوانید هان آن ایزدیست / او رسول ذو الجلال مهتدیست
گرچهان فرعون گیرد شرق وغرب / سرنگون آید زحق در(٦) گاه حرب ۷ این نشان راست دادم جان باب / بر نویس الله اعلم بالصواب
جان بابا چون بخسبد ساحری(۷) / سحر ومکرش را نباشد رهبری (۸) ۸ چونکه چوپان خفت گرگ ایمن شود / چونکه خفت آن جهد او ساکن شود
لیك حیوانی که چوپانش خداست / گرگ را آنجا امید و ره کجاست ۹ جادوئی که حق کند حق است وراست / جادوئی خواندن مر آن حق را خطاست
جان بابا این نشان قاطع است ۱۰ گر ببرد نیز حقش رافع است

تشبیه کردن قرآن مجید را بعصای موسی و وفات مصطفی علیه السلام را تشبیه نمودن بخواب موسی و قاصدان تغییر قرآن را به آن دو ساحر بچه که قصد بردن عصا کردند چون موسی علیه السلام را خفته یافتند

مصطفی را وعده کرد الطاف حق / گر بمیری تو نمیرد این سبق ۱٤ من کتاب ومعجزت را حافظم(۹و۱۰) / پیش وکم کن را زقرآن رافعم(۱۱)
من ترا اندر دو عالم رافعم / طاعنانرا از حدیثت دافعم ۱۵ کس نتاند پیش و کم کردن دراو / توبه از من حافظی دیگر مجو
رونقت را روز روز افزون کنم / نام تو بر زر و بر نقره زنم ۱٦ منبر و محراب سازم بهر تو / در محبت قهر من شد قهر تو
نام تو از ترس پنهان می کنند(۱۲) / چون نماز آرند پنهان میشوند ۱۷ خفیه میگویند نامت را کنون / خفیه هم بانگ نماز ای ذوفنون
از هراس و ترس کفار لعین / دینت پنهان میشود زیر زمین ۱۸ من مناره پر کنم آفاق را / کور گردانم دو چشم عاق را
چاکرانت شهر ها گیرند و جاه / دین تو گیرد ز ماهی تا بماه ۱۹ تا قیامت باقیش داریم ما / تو مترس از نسخ دین ای مصطفی
ای رسول ما تو جادو نیستی / صادقی هم خرقهٔ موسیستی ۲۰ هست قرآن مر تورا همچون عصا / کفر ها را در کشد چون اژدها
❀ تو اگر در زیر خاکی خفتهٔ / چون عصایش دان بتو آنچه گفتهٔ ۲۱ گرچه باشی خفته تو در زیر خاك / چون عصا آگه بود آن گفت پاك
قاصدان را بر عصایت دست نی / تو بخسب ای شه مبارك خفتنی ۲۲ تن بخفته نور جان در آسمان / بهر پیکار تو زه کرده کمان
فلسفی وآنچه پوزش میکند (۱۳) ۲۳ قوس نورت تیر دوزش میکند

بقیهٔ حکایت موسی علیه السلام

آنچنان کرد وازان افزون که گفت / اوبخفت و بخت و اقبالش نخفت ۲۵ جان بابا چون که ساحر خواب شد / کار او بی رونق و بی آب شد
هردو از گورش روان گشتند تفت / تا بمصر از بهر آن پیکار زفت ۲٦ چون بمصر از بهر آن کار آمدند / طالب موسی و خانهٔ او شدند
اتفاق افتاد کان روز ورود / موسی اندر زیر(١٤) نخلی خفته بود ۲۷ پس نشان دادندشان مرده عیان / کش بنخلستان بجوئید این زمان
آمدند آن هر دو تا خرمابنان / خفته بود او لیك(۱۵) بیدار جهان ۲۸ بهر نازش بسته بود او چشم سر / عرش وفرشش جمله درپیش نظر
ای بسا بیدار چشم خفته دل / خود چه بیند چشم اهل آب وگل ۲۹ وانکه دل بیدار دارد چشم سر / گر بخسبد بر گشاید صد بصر
گر تو اهل دل نهٔ بیدار باش / طالب دل باش و درپیکار باش ۳۰ ور دلت بیدار شد میخسب خوش / نیست غائب ناظرت ازهفت وشش
گفت پیغمبر که خسبد دلم اندر وسن(۱٦) / لیك کی خسبد دلم اندر وسن(۱٦) ۳۱ شاه بیداراست حارس خفته گیر / جان فدای خفتگان دل بصیر
وصف بیداری دل ای معنوی / در نگنجد در هزاران مثنوی ۳۲ چون بدیدندش که خفته است او دراز / بهر دزدی عصا کردند ساز
ساحران قصد عصا کردند زود(۱۷) / کز پیش پا بدشدن وانگه ربود(۱۸) ۳۳ اندکی چون پیشتر کردند ساز / اندر آمد آن عصا در اهتزاز
آنچنان برخود بلرزید آن عصا / کاندو برجا خشك گشتند ازوجا(۱۹) ۳٤ بعد از آن شد اژدها وحمله کرد / هردوان بگریختند و(۲۰) روی زرد
رو در افتادن گرفتند از نهیب / غلط غلطان منهزم اندر نشیب ۳۵ پس یقین شان شد که هست از آسمان / زانکه میدیدند حد ساحران
❀ پس ازین رو علم سحر آموختن / نیست ممنوع وحرام وممتهن(۲۱) ۳٦ ❀ بهر تمییز حق از باطل نکوست / سحر کردن شد حرام ای مرد دوست
بعد از آن اطلاق وتبشان شد پدید / کارشان تا نزع وجان کندن رسید ۳۷ پس فرستادند مردی در زمان / سوی موسی از برای عذر آن
کامتحان کردیم و ما را کی رسد / امتحان تو اگر نبود حسد ۳۸ مجرم شاهیم ما را عفو خواه / ای تو خاص الخاص درگاه اله
عفو کرد و در زمان نیکو شدند / پیش موسی ساجد و دوتو شدند(۲۲) ۳۹ ❀ درگذر ازما که ما کردیم بد / ای ترا الطاف و فضل بیعدد

۱ـ لیك ۳ـ خوابشان ٤ـ دو مرد ٥ـ گر بدزدید آن عصا را بی نبرد ٦ـ خدارا ۷ـ رود ساحر بخواب ۸ـ نماند تاب وآب ۹ـ حافظم ـ رافعم ۱۱ ـ مانعم ١٤ ـ او بزیر ظل ۱۵ ـ خفتهٔ کو بود ۱۷ ـ خوش ۱۸ ـ بربودنش ۲۰ـ گشته گریزان (ن . ل)

---

(۲) تا از سر مخفی اطلاع یابید (۱۰) اگر خافش باشد اشاره است به خافض الخفض عمودالخباء یعنی من برای کتاب و معجزات ستون میسازم که او را نگهداری کند اگر حافظ باشد اشاره بآیه واقعه درسورهٔ حجراست انا نحن نزلنا الذکر وانا له لحافظون بدرستی که ما فرستادیم ذکر و قرآن را و ما او را نگاهدارنده ایم (۱۲) درابتدای اسلام مسلمانان از ترس کفار نام پیغمبر و نماز را پنهان می کردند (۱۳) از پوز مقصود دهان است فرماید فلسفی وآنچه دهانش میکند کمان نورتواورا به تیر بزند (۱٦) اشارداست بحدیث نبوی تنام عینای ولاینام قلبی ووسن معنی پینکی دارد که در ابتدای خواب رخ میدهد (۱۹) یعنی ترس عصا بطوری آنها را فرا گرفت که از خستگی و کوفته شدن از ترس و بیم برجای خود خشك شدند (۲۱) یعنی دانستن سحرممنوع وحرام وخار وبیمقدار نیست ولی عمل کردن بآن حرام است (۲۲) دو تو شدن یعنی خم شدن .

گفت موسی عفو کردم ای کرام — گشت بردوزخ تن وجانتان حرام ۱ من شمارا خود ندیدم ای دویار — اعجمی سازید خود را ز اعتذار
هم چنان بیگانه شکل و آشنا — در نبرد آئید پیش پادشا ۲ ❀ آنچه باشد مرشمارا از فسون — جمع آرید از درون و از برون

جمع آمدن ساحران ازمدائن پیش فرعون وتشریفها یافتن ودست برسینه زدن درقهر خصم او که این بر ما نویس

پس زمین را بوسه دادند وشدند — انتظار وقت و فرصت می بدند ۵ تا بفرعون آمدند آن ساحران — دادشان تشریفهای بیکران
وعدهاشان کرد و هم پیشین بداد — بندگان واسبان ونقد وجنس وزاد ۶ بعد ازآن می‌گفت هان ایسابقان — گر فزون آئید اندر امتحان
بر فشانم بر شما چندان عطا — که بدرّد پردهٔ جود و سخا ۷ پس بگفتندش باقبال تو شاه — غالب آئیم و شود کارش تباه
ما درین فن صفدریم و پهلوان — کس ندارد پای ما اندر جهان ۸ ذکر موسی بندخاطرها شدداست — کاینحکایتهاست که پیشین بُدست
ذکر موسی بهر روپوش است لیك — نور موسی نقد تست ای یارنیك ۹ موسی وفرعون درهستیّ تست(۱) — بایداین دوخصم‌را درخویش جُست
تا قیامت هست از موسی نتاج — نوردیگرنیست دیگرشد سراج(۲) ۱۰ این‌سفال واین‌فتیله (۳) دیگراست — لیك نورش نیست دیگرزانسراست
گرنظر درشیشه داری گُم شوی — زانکه از شیشه‌است اعداد دوئی ۱۱ ور نظر بر نور داری وا رهی — از دوئی و اعداد جسم منتهی
از نظر گاهست ای مغز وجود ۱۲ اختلاف مؤمن و گبر و یهود

اختلاف کردن در چگونگی و شکل پیل

پیل اندر خانهٔ تاریك بود — عرضه را آورده بودندش هنود ۱۴ از برای دیدنش مردم بسی — اندران ظلمت همی شد هرکسی
دیدنش با چشم چون ممکن نبود — اندرآن تاریکیش کف می بسود ۱۵ آن یکی‌را کف بخرطوم اوفتاد — گفت همچون ناودانستش نهاد
آن یکی‌را دست برگوشش رسید — آن براو چون بادبیزن شد پدید ۱۶ آن یکی‌را کف چو برپایش‌بسود — گفت شکل پیل دیدم چون عمود
آن یکی بر پشت او بنهاد دست — گفت‌خوداین‌پیل‌چون‌تختی بُدست ۱۷ همچنین هریك‌بجزوی‌کورسید(٤) — فهم‌آن میکرد هرآن (٥) می‌تنید
از نظرگه گفتشان شد مختلف — آن یکی‌دالش‌لقب‌دادآن الف(٦) ۱۸ در کف هرکس اگر شمعی بدی — اختلاف ازگفتشان بیرون شدی
چشم‌حسّ همچون‌کف‌دستست‌وبس — نیست‌کف را برهمه‌آن دسترس ۱۹ چشم دریا دیگراست وکف دگر — کف بهل وز دیده در دریا نگر
جنبش کفها ز دریا روز و شب — کف همی بینی ودریا نی عجب ۲۰ ما چو کشتیها بهم بر میزنیم — تیره چشمیم و در آب روشنیم
ای تو در کشتیّ تن رفته بخواب — آب را دیدی نگر در آب آب ۲۱ آب را آبیست کو میراندش — روح را روحیست کو میخواندش
موسی و عیسی کجا بد کافتاب — کشت موجودات را میداد آب ۲۲ آدم و حوّا کجا بود آن زمان — که خدا افکند این زه در کمان
این‌سخن‌هم ناقص‌است وابتراست — آنسخن‌که‌نیست‌ناقص‌زانسراست(۷) ۲۳ گر بگوید زان بلغزد پای تو — ورنگوید هیچ ازان ایوای تو
ور بگوید در مثال صورتی — برهمان صورت بچسبی ای فتی ۲٤ بسته پائی چون گیا اندر زمین — سر بجنبانی بیادی بی یقین
لیك پایت نیست تا نقلی کنی — یامگر پارا (۸) ازاین‌گل برکنی ۲۵ چون کنی پاراحیاتت‌زین گِلست — این‌حیاتت‌را روش بس‌مشکل‌است
چون‌حیات ازحق‌بگیری ای روی — بس‌غنی گردی زگل دردل روی ۲٦ ❀ فارغ ومستغنی‌ازگل سوی دل — میروی بی قید و حر ازاهل گل
شیر خواره چون ز دایه بگسلد — لوت خواره شد مراورا می‌هلد ۲۷ ❀ بستهٔ شیر زمینی چون حبوب — جو فطام خویش از قوت‌القلوب
❀حرف(۹)حکمت‌خورکه‌شدنورستیر — ای تو نور بی‌حجب را نا پذیر ۲۸ تا پذیرا گردی ای جان نور را — تا ببینی بی حجب مستور را
چون ستاره سیر برگردون کنی — بلکه بی‌گردون سفر بیچون کنی ۲۹ آنچنان کز نیست درهست آمدی — هین بگو چون‌آمدی مست آمدی
راههای آمدن یادت نماند — لیك رمزی برتوبرخواهیم خواند ۳۰ هوش را بگذار آنگه هوش دار — گوش را بربند وآنگه گوش دار
نی نگویم زانکه تو خامی هنوز — در بهاریّ و ندیدستی تموز ۳۱ این‌جهان‌همچون‌درختست‌ای‌کرام(۱۰) — ما برو چون میوه های نیم خام
سخت گیرد خامها مر شاخ را — زانکه در خامی نشاید کاخ را ۳۲ چون‌بپخت وگشت شیرین‌لب‌گزان — سُست‌گیرد شاخها را بعد ازآن
چون‌ازآن اقبال شیرین‌شد دهان — سرد شد بر آدمیّ مُلك جهان ۳۳ سخت گیریّ وتعصب خامی است — تا جنینی کار خون آشامی است
چیز دیگر ماند اما گفتنش — با تو روح‌القدس گوید نی منش ۳٤ نی تو گوئی هم بگوش خویشتن — نی من ونی غیرمن ای هم تومن
همچوآن‌وقتی‌که خواب اندرروی — تو زپیش خود به پیش‌خودشوی ۳۵ بشنوی ازخویش وپنداری فلان — باتو اندر خواب گفتست آن نهان
تو یکی تونیستی ای خوش رفیق — بلکه گردونیّ و دریای عمیق ۳٦ آن‌توئی‌زفت‌است‌کان‌نهصدتواست — قلزم‌است وغرقه گاه صد تواست
خود چه‌جای حدّ بیداریّ و خواب — دم مزن والله اعلم بالصواب ۳۷ ❀دم مزن تا بشنوی زان مه لقا — الصلا ای پاکبازان الصلا
دم مزن تا بشنوی اسرار حال — از زبان بی زبان که قم تعال ۳۸ ❀دم مزن تابشنوی زان دم‌زنان — آنچه ناید در بیان و در زبان
دم مزن تا بشنوی زان آفتاب — آنچه نامد درکتاب و در خطاب ۳۹ دم مزن تا دم زند بهر تو روح — آشنا بگذار در کشتیّ نوح

دعوت‌کردن نوح علیه‌السلام پسر را و سرکشیدن اوکه بر سرکوه روم و چاره‌کنم و منت تو نکشم

همچوکنعان کاشنامیکرد او(۱۱) — که نخواهم کشتی نوح عدو ٤۱ هین بیا در کشتی بابا نشین — تانگردی غرق طوفان ای‌مهین

---

۳ ـ پلیته ٤ ـ چون رسید ٥ ـ هرجا ۸ ـ باجهد ۹ ـ قوت (ن . ل) .

---

(۱) از موسی وفرعون عقل ونفس مقصود است (۲) یعنی نور همان است که در موسی بود ولیکن جسمها که حکم چراغ دارند علیحده علیحده است و نعم ماقیل یك چراغ است در این خانه و از پرتو آن هر کجا می نگرم انجمنی ساخته اند (٦) باعتبار عضو کج و باعتبار عضو راست (۷) یعنی آن‌سخن بی زبان وبی‌کیف که ازحقّ است نقصان ندارد (۱۰) دراین ابیات بیان آنست که ارواح برغبت وشوق بسوی حق سفر می کنند وباختیار ترك این ابدان طبیعیه می‌نمایند وباختیار عقلی مرگ را می‌پسندند گو رغبت ومیل خیالی‌ووهمی نباشد وچون روح سفری درپیش دارد ورفته رفته عقل استکمال می‌یابد پس بی‌اعتنا میشود بامر بدن وخانه بدن خراب می‌گردد از عدم مبالات عقل بعمارت خانه اینست که بتمثیل می‌فرماید بمیوه‌ها که تا خامند شدت وصل بشاخها دارند وچون رسیدند و شیرین شدند غنی میشوند ازشاخ وجنین چون کامل‌شد غنی گردید از رحم وخون آشامی بلکه از مهد ومانند اینها (۱۱) کنعان پسر حضرت نوح است که نافرمانی کرد وازخدای خطاب رسید انه لیس من اهلك انه عمل غیر صالح ـ کاشنا میکرد یعنی که شنا میکرد .

گفت نی من آشنا آموختم / من بجز شمع تو شمع افروختم ۱ هین مکن کاین موج طوفان بلاست / دست و پای آشنا امروز لاست
باد قهر است و بلای شمع کش / جز که شمع حق همی باید خمش ۲ گفت نی رفتم بر آن کوه بلند / عاصم است آن که مرا از هر گزند(۱)
هین مکن که کوه گاه است این زمان / جز حبیب خویش را ندهد امان ۳ گفت من کی پند تو بشنوده ام / که طمع کردی که من زین دوده ام
خوش نیامد گفت تو هرگز مرا / من بریئم از تو در هر دو سرا ۴ هین مکن بابا که روز ناز نیست / مر خدا را خویشی وانباز نیست
تا کنون کردی واینم نازکی است / اندرین درگاه گیرا نازکیست ۵ ام یلد لم یولد است او از قدم / نه پدر دارد نه فرزند و نه عم
ناز فرزندان کجا خواهد کشید / یا ز بابایان کجا خواهد شنید ۶ نیستم مولود پیراکم بناز / نیستم والد جوانا کم گراز
نیستم شوهر نیم من شهوتی / ناز را بگذار اینجا ای ستی ۷ جز خضوع و بندگی و اضطرار / اندرین حضرت ندارد اعتبار
گفت بابا سالها این گفتهٔ / باز میگوئی بجهل آشفتهٔ ۸ چند از اینها گفتهٔ با هر کسی / تا جواب سرد بشنودی بسی
این دم سرد تو در گوشم نرفت / خاصه اکنون که شدم دانا وزفت ۹ گفت بابا چه زیان دارد اگر / بشنوی یکبار تو پند پدر
همچنین میگفت(۲) او پند لطیف / همچنین میگفت او دفع عنیف ۱۰ نی پدر از نصح کنعان سیر شد / نی دمی در گوش آن ادبیر شد
اندرین گفتن بدمد و موج تیز / برسر کنعان زد وشد ریزریز(۳) ۱۱ نوح گفت ای پادشاه بردبار / مر مرا خر مرد وسیلت بردبار
وعده کردی مر مرا تو بارها / که بیابداهلت ازطوفان رها(٤) ۱۲ دل نهادم بر امیدت من سلیم / پس چرا بربود سیل از من گلیم
گفت او از اهل وخویشانت نبود / خود ندیدی تو سفیدی او کبود ۱۳ چونکه دندان ترا کرم(۵) اوفتاد / نیست دندان برکنش ای اوستاد
باقی تن تا نگردد زار از او / گرچه بود آن تو شو بیزار ازو ۱٤ گفت بیزارم ز غیر ذات تو / غیر نبود آنکه او شد مات تو
تو همی دانی که چونم با تومن / بیست چندانم که با باران چمن ۱۵ زنده از تو شاد از تو عایلی / مغتذی بیواسطه بی حایلی
متصل نی منفصل نی ای کمال(٦) / بلکه بیچون وچگونه ز اعتلال ۱٦ ماهیانیم و تو دریای حیات / زنده ایم ازلطفت ای نیکوصفات
تو نگنجی در کنار فکرتی(۷) / نی بمعلولی قرین چون علتی ۱۷ پیش ازاین طوفان وبعداز این مرا / تو مخاطب بودهٔ در ماجرا
با تو میگفتم نه با ایشان سخن / ای سخن بخش نو وآن کهن ۱۸ نی که عاشق روزوشب گویدسخن / گاه با اطلال گاهی با دمن
روی در اطلال کرده ظاهرا / او کرامی گوید آن مدحت کرا ۱۹ شکر طوفان را کنون بگماشتی / واسطهٔ اطلال را بر داشتی
زانکه اطلال لئیم و بد بدند(۸) / نی ندائی نی صدائی میزدند ۲۰ من چنان اطلال خواهم درخطاب / کر صدا چون کوه واگوید جواب(۹)
تا مشنّی بشنوم من نام تو / عاشقم بر نام جان آرام تو ۲۱ هر نبی زان دوست دارد کوه را / تا مشنّی بشنود نام ترا
آن که پست مثال سنگلاخ / موش را شاید نه مارا در مناخ ۲۲ من بگویم او نگردد یار من / بی صدا ماند دم گفتار من
بازمین آن به که هموارش کنی / نیست همدم با قدم یارش کنی ۲۳ گفت ای نوح ارتوخواهی جمله را / حشر گردانم بر آرم از ثری
بهر کنعانی دل تو نشکنم / لیک از احوال او آگه کنم ۲٤ گفت نی نی راضیم که تو مرا / هم کنی غرقه اگر باید ترا
هر زمانم غرقه میکن من خوشم / حکم توجان است چون جان میکشم ۲۵ ننگرم کس را وگر هم بنگرم / او بهانه باشد و تو منظرم
عاشق صنع تو ام در شکر وصبر / عاشق مصنوع کی باشم چو گبر ۲٦ عاشق صنع خدا با فر بود / عاشق مصنوع او کافر بود
❁ درمیان این دوفرقی بس خفیست ۲۷ خودشناسد آنکه در رؤیت صفیست

توفیق میان این دو حدیث که الرضا بالکفر کفر وحدیث دیگر که من لم یرض بقضائی ❁ ولم یصبر علی بلائی ❁ فلیطلب رباً سوائی

دی سؤالی کرد سائل مر مرا / زانکه عاشق بود او بر ماجرا ۳۰ گفت نکتهٔ الرضا بالکفر کفر(۱۰) / این پیمبر گفت وگفت اوست مهر(۱۱)
باز فرمود او که اندر هرقضا / مر مسلمان را رضا باید رضا ۳۱ نی قضای حق بود کفر و نفاق / گر بدین راضی شوم باشد شقاق
ور نیم راضی بود آن هم زیان / پس چه چاره باشدم اندر میان ۳۲ گفتمش این کفر مقضی نی قضاست / هست آثار قضا این کفر راست
پس قضارا خواجه ازمقضی بدان / تاشکالت حل شوداندر زمان(۱۲) ۳۳ راضیم برکفرزان روکه قضاست / نی ازان روکه نزاع وخبث(۱۳) ماست
کفر ازروی قضا خود کفر نیست / حق را کافر مخوان(۱٤) اینجا مأیست ۳٤ کفر جهل است وقضای کفر علم / هردو کی یك باشد آخر(۱۵) حلم وخلم
زشتی خط زشتی نقاش نیست / بلکه ازوی زشت را بنمودنیست ۳۵ قوّت نقاش باشد زان که او / هم تواند زشت کردن هم نکو
گر گشایم بحث این را من بساز / تا سؤال و تا جواب آید دراز ۳٦ ذوق نکتهٔ عشق از من میرود / نقش خدمت نقش دیگر میشود

---

۲ ـ میداد ۵ ـ کرمش در ۸ ـ بد و دون آمدند ۱۲ ـ دفع گردد درزمان ۱۳ ـ کفر ۱٤ ـ پس مگو کافر بحق ۱۵ ـ هردوکی باشند باهم (ن . ل) .

---

(۱) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ هود است ونادی نوح ابنه وکان فی معزل یا بنی ارکب معناو لاتکن مع الکافرین قال سآوی الی جبل یعصمنی من الماء قال لا عاصم الیوم من امرالله الا من رحم یعنی وآواز داد نوح پسرش را که در کنارهٔ کشتی بود که پسر من سوار شو با ما و نباش با ناگرویدگان گفت زود باشد که باز گردم وپناه ببرم بسوی کوهی که نگاه میدارد مرا ازغرق درآب گفت نگاهدارنده ای نیست امروز از امر خدا مگر کسی را که خدا ببخشد (۳) اشاره بآیه درسورهٔ هود : وحال بینهما الموج فکان من المغرقین وحایل شد میان پدر وپسر موج طوفان پس گشت ازجملهٔ غرق شوندگان (٤) ایضاً درسورهٔ هود است ونادی نوح ربه فقال رب ان ابنی من اهلی وان وعدك الحق وانت احکم الحاکمین قال یا نوح انه لیس من اهلك انه عمل غیر صالح (٦) یعنی خدا با بنده متصل نیست ومنفصل هم نیست بلکه بی چون وچگونه و بی علت است (۷) یعنی تو از فکرت آدمی نمی آئی چنان نیستی که چنانچه بیماری به بیمارچسبیده باشد (۹) آثاری که قوم باشند باید که چنان باشند که به ندای نبی صدا بدهند یعنی ایمان وتوحید وذکر اورا همه را در وجود خود حکایت کنند چون کوه که ندا را بصدا حکایت کند . (۱۰) یعنی راضی شدن بکفر کفر است (۱۱) یعنی قول پیغمبر محکم و پا برجاست

مثل در بیان آنکه حیرت مانع بحث و فکرتست

آن یکی مرد دو مو آمد شتاب — پیش یك آیینه دار مستطاب ۲ گفت از ریشم سفیدی کن جدا — که عروس نو گزیدم ای فتی
ریش او ببرید وگل پیشش نهاد — که تو بگزین چون (۱) مرا کاری فتاد ۳ این سؤال واین جوابست ای گزین — که سر اینها ندارد مرد دین
آن یکی زد سیلئی مر زید را — حمله کرد او هم برای کید را ٤ گفت سیلی زن سؤالی میکنم — پس جوابم گوی وآنگه می زنم
بر قفای تو زدم آمد طراق — یك سؤالی دارم اینجا در وفاق ٥ ❀این سؤال ازتوهمی پرسم بگو — حل کن اشکال مرا ای نیکخو
این طراق ازدست من بوده است یا — از قفا گاه تو ای فخر کیا ٦ گفت از درد این فراغت نیستم — که در این فکر و تأمل بیستم
تو که بی دردی همی اندیش این — نیست صاحب درد را این فکر هین ۷ ❀دردمندان را نباشد فکر غیر — خواه درمسجد برو خواهی بدیر
❀ غفلت و بی دردیت فکر آورد (۲) — در خیالت نکتهٔ بکر آورد ۸ ❀ جزغم دین نیست صاحب دردرا — می شناسد مرد را و گرد را
حکم حق را برسر و رو می نهد — حفظ فکرش خویش یکسو مینهد ۹

❀ در بیان آنکه در میان صحابه حافظ کسی نبود

در صحابه کم بدی حافظ کسی — گرچه شوقی بود جانشان را بسی ۱۱ زانکه چون مغزش درآکند ورسید — پوستها شد بس رقیق و واکفید
قشر جوز و فستق و بادام هم — مغز چون آکندشان شد پوست کم ۱۲ مغز علم افزود کم شد پوستش — زانکه عاشق را بسوزد دوستش
وصف مطلوبی چو ضدّ طالبی است — وحی و برق نور سوزان نبی است ۱۳ چون تجلی کرد اوصاف قدیم — پس بسوزد وصف حادث را گلیم
ربع قرآن هر که را محفوظ بود — جلّ فینا از صحابه میشنود (۳) ۱٤ جمع صورت با چنین معنیّ ژرف — نیست ممکن جز زسلطانی شگرف
در چنین مستی مراعات ادب — خود نباشد ور بود باشد عجب ۱٥ اندر استغنا مراعات نیاز — جمع ضدّین است چون گرد ودراز
❀ جمع ضدّین از نیاز افتاد وناز — باز در وقت تحیر امتیاز ۱٦ خود(٤) عصا معشوق عیان میشود — کور خود صندوق قرآن میشود
گفت کوران خود صنادیقند پر — از حروف مصحف و ذکر وندر ۱۷ باز صندوقی پر از قرآن بهاست — زانکه صندوقی بود خالی بدست
باز صندوقی که خالی شد ز بار — به زصندوقی که پرموش است ومار ۱۸ حاصل اندر وصل چون افتاد مرد — گشت دلاّله پیش مرد سرد
چون بمطلوبت رسیدی ای ملیح — شد طلبکاریّ علم اکنون قبیح ۱۹ چون شدی بر بامهای آسمان — سرد باشد جستجوی نردبان (٥)
جز برای یاری و تعلیم غیر — سرد باشد راه خیر از بعد خیر ۲۰ آینهٔ روشن که شد صاف وجلی — جهل (٦) باشد بر نهادن صیقلی
پیش سلطان خوش نشسته درقبول — زشت باشد جستن نامه و رسول ۲۱

داستان مشغول شدن عاشق بعشق نامه خواندن و مطالعه کردن عشق نامه در حضور معشوق خویش و معشوق آن را نا پسند داشتن که طلب الدّلیل عند حضور المدلول قبیح و الاشتغال بالعلم بعد الوصول الی المعلوم مذموم

آن یکی را یار پیش خود نشاند — نامه بیرون کرد وپیش یارخواند ۲٥ بیتها در نامه و مدح و ثنا — زاری و مسکینی و بس لابها
گریه وافغان وحزن و دردخویش — خاری وبیزاری نا اهل وخویش ۲٦ ❀دوری ورنجوری ازهجران دوست — ذکر پیغام ورسول ازمغز و پوست
❀ همچنان میخواند بامعشوق خود — تا که بیرون شدزحصروحدّ وعد(۷) ۲۷ گفت معشوق این اگر بهر منست — گاه وصل این عمرضایع کردنست
من به پیشت حاضرو تو نامه خوان — نیست این باری نشان عاشقان ۲۸ گفت اینجا حاضری اما ولیك — من نمی یابم نصیب خویش نیك
آنچه میدیدم ز تو پارینه سال — نیست این دم گرچه می بینم وصال ۲۹ من ازاین چشمه زلالی خورده ام — دیده و دل ز آب تازه کرده ام
چشمه می بینم ولیکن آب نی — راه آبم را مگر زد ره زنی ۳۰ گفت پس من نیستم معشوق تو — من بیلغار و مرادت در قتو
عاشقی تو بر من و بر حالتی — حالت اندر دست نبود ای فتی ۳۱ پس نیم مطلوب کلّیّ تو من — جزو مقصودم ترا اندر زمن
خانهٔ معشوقم ومعشوق نی — عشق برنقداست وبرصندوق نی (۸) ۳۲ هست معشوق آنکه او یکتو بود — مبتدا و منتهایت او بود
چون بیابیش و نباشی منتظر — همّ هویدا او بود هم نیز سرّ ۳۳ میر احوال است نی موقوف حال — بندهٔ این ماه باشد ماه و سال
چون بگوید حال را فرمان کند — چون بخواهدجسمها را جان کند ۳٤ منتهی نبود (۹) که موقوفست او — منتظر بنشسته باشد حال جو
کیمیای حال باشد دست او — دست جنباندشود مس(۱۰)مست او ۳٥ گر بخواهد مرگ هم شیرین شود — خار و نشتر نرگس ونسرین شود
❀ اوبود سلطان حال اندر روش — نی چو تومحروم ازحال وکشش ۳٦ آنکه اوموقوف حال است آدمیست — که گهی افزون وگاهی درکمی است
لیك صافی فارغ است ازوقت وحال — صوفی ابن الوقت باشد در مثال ۳۷ حالها موقوف عزم و رای او — زنده از نفخ مسیح آسای او
عاشق حالی نه عاشق بر منی — بر امید حال بر من می تنی ۳۸ آنکه گه ناقص گهی کامل بود — نیست معبود خلیل آفل بود
وانکه آفل باشد وگه آن و این — نیست دلبر لا احبّ الآفلین ۳۹ آنکه اوگاهی خوش وگه ناخوش است — یك زمانی آب و یکدم آتش است
برج مه باشد ولیکن ماه نی — نقش بت باشد ولی آگاه نی ٤۰ هست صوفیّ صفا چون ابن وقت — وقت راه همچون پدر بگرفته سخت
لیك صافی غرق عشق ذوالجلال — ابن کس نی فارغ ازاوقات وحال ٤۱ غرقهٔ نوری که اولم یولد است — لم یلد لم یولد آن ایزداست(۱۱)
رو چنین عشقی گزین گر زندهٔ — ورنه وقت مختلف را بندهٔ ٤۲ منگراندر نقش زشت وخوب خویش — بنگراندرعشق و بر مطلوب خویش
منگراین را که حقیری یاضعیف — بنگر اندر همت خود ای شریف ٤۳ تو بهر حالی که باشی میطلب — آب میجو دائماً ای خشك لب
کان لب خشکت گواهی میدهد — کو بآخر روی با منبع نهد(۱۲) ٤٤ خشکی لب هست پیغامی ز آب — که بمات آرد یقین این اضطراب

---

۱ ـ گفت تو بگزین ٤ ـ چون ٦ ـ زشت ۷ ـ ز حدّ و ازعدد ۱۰ـ می ۱۱ ـ وصف خدای بیحد است ۱۲ ـ بر سر منبع رسد (ن . ل) .

---

(۲) یعنی فکر دنیا و فکر شعر فهمی ودیگر دقتها (۳) یعنی صحابه میگفتند بزرگست در میانهٔ ما (٥) سرد باشد اینجا بمعنی سهل باشد است یعنی راه خیر که خود رفته است اگر برای تربیت غیر بار دیگر هم برود سهل است (۸) یعنی برذات است نه برحالت (۹) یعنی آنکه در سلوك است هنوز .

کاین طلبگاری مبارك جنبشی است / این طلب در راه حق مانع کشی است ۱ این طلب مفتاح مطلوبات تست / این سپاه نصرت و رایات تست
این طلب همچون خروسی درصباح / میزند نعره که میآید صباح (۱) ۲ گر چه آلت نیستت تو می طلب / نیست آلت حاجت اندر راه رب
هر که را بینی طلب گار ای پسر / یار او شو پیش او انداز سر ۳ کز جوار طالبان طالب شوی / وز ظلال غالبان غالب شوی
گر یکی موری سلیمانی بجست / منگر اندرجستن او سست سست ٤ هر چه داری تو ز مال و پیشهٔ / نی طلب بود اوّل و اندیشهٔ
گریکی گنجی بیابد نادر است / ورباستد از طلب هم قاصراست ٥ هرکه چیزی جست بیشك یافت او (۲) / چون بجدّ اندرطلب بشتافت او
چون نهادی درطلب پا ای پسر / یافتیّ و شد میسر بی خطر ٦ هین مباش ای خواجه یکدم بی طلب / تا بیابی هرچه خواهی بی تعب (۳)
عاقبت جوینده یابنده بود / چونکه در خدمت شتابنده بود ۷ در طلب چالاك شو وین فتح باب / می طلب و الله اعلم بالصواب

حکایت آن مرد که در عهد داود علیه‌السلام شب و روز دعا می‌کرد که مرا روزی حلال ده بی رنج

آن یکی در عهد داود نبی / نزد هر دانا و پیش هر غبی ۱۰ این دعا میکرد دایم کای خدا / ثروتی بی رنج روزی کن مرا
چون مرا تو آفریدی کاهلی / زخم خواری سست جنبی منبلی ۱۱ بر خران پشت ریش بی مراد / بار اسبان و اشتران نتوان نهاد
کاهلم چون آفریدی ای ملی / روزیم ده هم ز راه کاهلی ۱۲ کاهلم من سایه خسبم در وجود / خفتم اندر سایهٔ افضال و جود
کاهلان و سایه خسبان را مگر / روزئی بنهادهٔ (٤) نوعی دگر ۱۳ هر کرا پا هست جوید روزئی / هرکرا پا نیست کن دلسوزئی
رزق را میران بسوی این حزین / ابر را باران بسوی هر زمین ۱٤ چون زمین را پا نباشد جود تو / ابر را راند بسوی او دوتو
طفل را چون پا نباشد مادرش / آید و ریزد وظیفه بر سرش ۱٥ روزئی خواهم بناگه بی تعب / که ندارم من زکوشش جز طلب
مدّتی بسیار میکرد این دعا / روز تا شب شب همه شب تاضحی ۱٦ خلق میخندید بر گفتار او / بر طمع خامیّ و بر پیکار او
که چه میگوید عجب این سست ریش / یا کسی داد است بنگ بیهشیش ۱۷ راه روزی کسب ورنج است وتعب / هرگز این نادر نشد ورشد عجب (٥)
هرکه را او پیشهٔ داد وطلب / از ره کسب و تعب بارنج وتب ۱۸ اطلبوا الارزاق من (٦) اسبابها / ادخلوا الابیات (۷) من ابوابها (۸)
شاه وسلطان ورسول حق کنون / هست داود نبیّ ذو فنون ۱۹ هست درفرمان او ازوحش وطیر / درهمه روی زمین اوراست سیر
باچنان عزّی و نازی کاندروست / که گزیدستش عنایتهای دوست ۲۰ معجزاتش بیشمار و بی عدد / موج بخشایش مدد اندر مدد
هیچکس را خود زآدم تا کنون / کی بدست آواز همچون ارغنون ۲۱ کو بهر وعظی بمیراند دویست / آدمی را صوت خویش کرد نیست
شیر و آهو جمع گردد آن زمان / سوی تذکیرش مغفّل این ازآن ۲۲ کوه ومرغان هم رسایل بادهش (۹) / هردو اندر وقت دعوت محرمش
این وصد چندین مراورا معجزات / نورروی بیجهات ودرجهات (۱۰) ۲۳ باهمه تمکین خدا روزیّ او / کرده باشد بسته اندر جستجو
بی زره بافی و رنجی روزیش / می نیاید با همه پیروزیش ۲٤ این چنین مخذول واپس ماندهٔ / خانه کندهٔ دون و گردون راندهٔ
اینچنین مدبر همی خواهد که او / گنج یابد تا رود پایش فرو ۲٥ زاحمقی خواهد که بیرنجیش زود / بی تجارب برکند دامن زسود
اینچنین گیجی نیامد در جهان / که برآید بر فلك بی نردبان ۲٦ این همی گفتش بتسخر نك بگیر / که رسیدت روزی و آمد بشیر
وان همی خندید مارا هم بده / زانچه یابی هدیه ای سالار ده ۲۷ او ازاین تشنیع مردم وین فسوس / کم نمیکرد از دعا و چاپلوس
تاکه شد درشهر معروف وشهیر / کو ز انبان تهی جوید پنیر ۲۸ شد مثل در خام طمعی آن گدا / او از این خواهش نمی‌آمد جدا
کم نمیکرد ازدعاوابتهال (۱۱) / کرد اجابت مستعان ذوالجلال ۲۹ گر گران و گر شتابنده بود / عاقبت جوینده یابنده بود

دویدن گاو درخانهٔ آن دعا کننده بالحاح قال النبی صلی الله علیه وآله وسلم ان الله یحب الملحین فی الدعاء زیرا همین خواست از حقتعالی والحاح خواهنده را بهست از آنچه میخواهد آنرا از وی و عذرگفتن ناظم یعنی مولوی ومدد خواستن او

تاکه روزی ناگهان در چاشتگاه / این دعا میکرد با زاریّ و آه ۳۳ ناگهان در خانه اش گاوی دوید / شاخ زد بشکست در بند و کلید
گاو گستاخ اندر آن خانه بجست / مرد برجست و قوایمهاش بست ۳٤ پس گلوی گاو ببرید آن زمان / بی توقّف بی تأمّل بی امان
چون بریدش سرسوی قصّاب رفت (۱۲) / تا کندهم پوستش راتیز تفت (۱۳) ۳٥ ای تقاضا گردرون همچون جنین (۱٤) / چون تقاضا میکنی اتمام این
سهل گردان ره نما توفیق ده / یا تقاضا را بهل بر ما منه ۳٦ چون ز مفلس زر تقاضا می‌کنی / زر ببخشش در سر ای شاه غنی

---

۳ ـ ای عجب ٤ـ بنوشتهٔ ٥ـ هرکسی را پیشه‌کاری ازطلب ٦ ـ فی ۷ ـ الاوطان ۱۲ ـ چون سرش ببرید شد سوی قصاب ۱۳ ـ تا اهابش بر کند در دم شتاب (ن . ل)

---

(۱) این مانند خروسی است که هرسحر فریاد میزند که صبح می آید (۲) اشاره است باین حدیث که من طلب شیئاً وجدّ وجد (۸) اشاره است بآیهٔ کریمه واقعه درسورهٔ بقره وآتوا البیوت من ابوابها واتقوا الله لعلکم تفلحون ودرآئید بخانها ازدرهای آن وبترسید ازخدا وپاس اوامر ونواهی اوبدارید شاید شما رستگار شوید (۹) اشاره است بآیه واقعه درسورهٔ سبا و لقد آتینا داود منا فضلا یاجبال اوّبی معه والطیروالنا له الحدید و هر آینه ما دادیم داود را از طرف خود زیادتی بر سایر مردمان (که نبوت بوده است یا زبور یا پادشاهی یا حسن خلق) گفتیم ما که ای کوهها باز گردانید آواز خودرا به داود (در وقت تسبیح یعنی موافقت کنید با وی یا سیر کنید با او هر جا که رود هر گاه که خواهد یکی از معجزات داود این بود که هر جا میرفت اگر میخواست کوه با او روانه میشد) و مسخر کردیم اورا مرغان (دروقت ذکر با اوموافق بودندی و مرغان بر بالای سر او صف بر کشیده بالحان دلاویز امداد مینمودند وبسیارکس ازمستمعان نغمات قالب تهی می‌کردند) ونرم گردانیدیم برای او آهن را (۱۰) این دومصرع مؤید برزخیت انبیاء است درعالم وحدت وکثرت (۱۱) یعنی از خواندن و زاری کردن دست نمیکشید (۱٤) یعنی ای خدائی که طلب بدل ما اندازی چون طلب وغیره که در اندرون رحم بوجود جنین انداختهٔ و بالجمله شروع است در مناجات با قاضی الحاجات

بی تو نظم و قافیه شام و سحر — زهره کی دارد که آید در نظر ۱ نظم وتجنیس و قوافی ای علیم — بندهٔ امر تواند از ترس و بیم
چون مسبّح کردهٔ هرچیز را (۱) — ذات بی تمییز و با تمییز را ۲ هر یکی تسبیح بر نوع دگر — گوید و از حال آن این بیخبر
آدمی منکر ز تسبیح جماد — وان جماد اندر عبادت اوستاد ۳ بلکه هفتاد و دو ملت هر یکی — بیخبر از یکدگر واندر شکی
چون دوناطق را زحال هم دگر — نیست آگه چون بود دیوار ودر ۴ چون من از تسبیح ناطق غافلم — چون بداند سبحهٔ صامت دلم
هست سنی را یکی تسبیح خاص — هست جبری‌را ضد آن درمناص ۵ سنی از تسبیح جبری بیخبر — جبری از تسبیح سنی بی اثر
این‌همی‌گوید که آن ضالست وگم — بیخبر ازحال او وز امر قم (۲) ۶ وان همی‌گوید که این‌را چه خبر — جنگشان افکند یزدان از قدر
گوهر هریك هویدا میکند — جنس از نا جنس پیدا میکند ۷ قهر را از لطف داند هرکسی — خواه نادان خواه دانا یا خسی
ایك لطفی‌گشته درقهری نهان(۳) — یاکه قهری دردل‌لطفی‌روان(٤) ۸ کم کسی داند مگر ربّانئی — کش بود در دل محلّ جانئی
باقیان زین دو گمانی میبرند — ۹ سوی لانهٔ خود بیك پر می‌پرند

بیان آنکه علم را دو پر وگمان را یك پراست ومثال ظنّ ویقین درعلم

علم را دو پرگمانرا یك پراست — ناقص آمد ظن بپرواز ابتر است ۱۱ مرغ یك پر زود افتد سرنگون — باز بر پرّد دو گامی یا فزون
می فتد میخیزد آن (٥) مرغ‌گمان — با یکی پر بر امید آشیان ۱۲ چون‌زظن‌وارست وعلمش‌رونمود — شد دو پر آنمرغ پر ها واگشود
بعد از ان یمشی سویاً مستقیم — نی علی وجهه مُکباً اوسقیم (٦) ۱۳ با دو پر بر میپرد چون جبرئیل — بیگمان و بی مگر بی قال و قیل
گر همه عالم بگویندش توئی — بر ره یزدان و دین مستوی ۱٤ او نگردد گرم تر از گفتشان — جان طاق او نگردد جفتشان
ور همه گویند او را گمرهی — کوه پنداری و تو برگ کهی ۱٥ او نیفتد درگمان از طعنشان(۷) — او نگردد دردمند از ظعنشان
بلکه گردریا و کوه آید بگفت — گویدش با گمرهی یاریّ و جفت ۱٦ هیچ یك ذرّه نیفتد در خیال — یا بطعن طاعنان رنجور حال
❀ مطمئن وموقن و بی احتیال ۱۷ کاین‌چنین‌باشد مگر(۸) درکل‌حال

مثال رنجورشدن آدمی بوهم تعظیم خلق ورغبت مشتریان بوی وحکایت معلّم و کودکان

کودکان مکتبی از اوستاد — رنج دیدند از ملال و اجتهاد ۱۹ مشورت کردند در تعویق کار — تا معلم در فتد در اضطرار
چون نمی آید ورا رنجورئی — که بگیرد چند روز او دورئی ۲۰ تا رهیم از حبس وتنگیّ و زکار — هست اوچون سنگ خارا برقرار
آن یکی زیرك ترین تدبیر کرد — که بگوید اوستا چونی تو زرد ۲۱ خیرباشد رنگ تو برجای نیست — این اثر یا ازهوا یا از تبی‌است
اندکی اندر خیال افتد ازین — تو برادر هم مددکن اینچنین ۲۲ چون در آئی از در مکتب بگو — خیر باشد اوستاد احوال‌تو (۹)
آن خیالش اندکی افزون شود — کز خیالی عاقلی مجنون شود ۲۳ آن سوم آن چارم و پنجم چنین — در پی ما غم نمایند و حنین
تا چو سی کودك تواتر این خبر — متفق گویند یابد مستقر ۲٤ هریکی گفتش که شاباش ای‌ذکی — باد بختت بر عنایت متکی
متفق گشتند در عهد وثیق — که نگرداند سخن‌را یك رفیق ۲٥ بعدازان سوگند داد او جمله را — تا که غمّازی نگوید ماجرا
رای آن کودك بچربید از همه ۲٦ عقل او درپیش میرفت از رمه

در بیان آنکه عقول خلق متفاوتست در اصل فطرت و نزد معتزله متساویست وتفاوت عقول ازتحصیل علم است

آن تفاوت هست در عقل بشر — که میان شاهدان اندر صور ۲۸ زین قبل فرمود احمد در مقال — درزبان‌پنهان بودُحسن‌رجال(۱۰)
اختلاف عقلها در اصل بود(۱۱) — بر وفاق سنیان باید شنود ۲۹ بر خلاف قول‌اهل اعتزال(۱۲) — که عقول از اصل دارند اعتدال
تجربه و تعلیم بیش وکم کند — تا یکی را از یکی اعلم کند ۳۰ باطل‌است این زانکه رای کودکی — که ندارد تجربه در مسلکی
بگذرد ز اندیشهٔ مردان کار — عاجز آید کارشان در اضطرار ۳۱ بردمید اندیشهٔ زان طفل خرد — پیر با صد تجربه بوئی نبرد
خودفزون‌آن‌به‌که‌آن‌از(۱۳)فطرتست — زان فزونی‌که زجهد وفکرتست ۳۲ تو بگو دادهٔ خدا بهتر بود — یا که لنگی راهوارانه رود

در وهم افکندن کودکان استاد را

روز گشت و آمدند آن کودکان — بر همین فکرت بمکتب شادمان ۳٤ جمله اِستادند بیرون منتظر — تا درآیداز درآن یار مصر(۱٤)
زانکه منبع او بُدست این‌رای‌را — سر امام آمد همیشه پای را ۳٥ ای مقلد تو مجو پیشی برآن — کو بود منبع ز نور آسمان
اودرآمد گفت (۱٥)استارا سلام — خیرباشدرنگ‌ورویت(۱٦)زردفام ۳٦ گفت استا نیست‌رنجی مر مرا — تو برو بنشین مگو یاوه هلا

---

۳ ـ قهر در پنهان شده ٤ـ لطف آمده ٥ ـ افت وخیزان میرود ۹ ـ گو که خیر است از چه گشتی زرد رو ۱۳ ـ این فزونی به بود کز
۱٤ ـ اول آن یار مکر ۱٥ ـ کرد ۱٦ ـ گفت بهر چیست رنگت (ن . ل)

---

(۱) اشاره بآیهٔ واقعه در سورهٔ بنی اسرائیل است وان من شیٔ الا یسبح بحمده ولکن لاتفقهون تسبیحهم (۲) تلمیح است باول سورهٔ مدثر یاایهاالمدّثرقم فانذر وربك فکبرای جامه درپوشیده برخیز پس بترسان خلق را ازعذاب خدا وپروردگار خود را تعظیم کن (٦) اشاره است بآیهٔ شریفه واقعه درسوره ملك افمن یمشی مُکباً علی وجهه اهدی امن یمشی سویاً علی صراط المستقیم (۷) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ مائده است ولا یخافون لومة لائم ذلك فضل الله یؤتیه من یشاء ونترسند ازملامت هیچ ملامت کننده ای این از کرم خداست که بهرکه بخواهد میدهد (۸) مگر بمعنی استثنا و همانا و شك بی یقین وتمنی می‌آید واینجا بمعنی یقین است (۱۰) اشاره است باین حدیث نبوی که المرء مخبوٌ تحت لسانه یعنی مرد پنهان است در زیر زبان خود (۱۱) چنانکه در اخبار و آثار اختلاف عقلها وطینتها ازعلیین وسجین وبازعلیین بمراتب و سجین بمراتب مأثوراست واعتدال بی اعتدالست و چنانچه عقول کسبیه مختلفند همچنین عقول فطریه وتفاوت از تفاوت استدعا عین ثابت خودشان درعلم برخاسته وانجام برطبق آغاز است واختلاف استدعاء اعیان ثابته باختلاف استدعاء مواد میماند العطیات بقدر القابلیات انزل من السماء ماء فانت اودیة بقدرها پس بر نهج عدل هر ماده را صورتی وهر مهیتی را وجودی داده (۱۲) معتزله را اعتقاد این است که خداوند دراول عقل را بهمه‌کس مساوی میدهد پس از آن از تعلیم و تجربه کم و بیش میشود نزد سنیها این حرف غلط است چه کم و بیش از روز اول میشود نه از کسب و جهل

نفی کرد اما غبار وهم بد — اندکی اندر دلش ناگاه زد ۱ اندر آمد دیگری گفت اینچنین — اندکی آن وهم افزون شد بدین
همچنین تا وهم او قوت گرفت ۲ ماند اندرحال خود بس درشگفت

بیمار شدن فرعون هم بوهم از تعظیم خلقان

سجدهٔ خلق اززن وازطفل ومرد(۱) — زد دل فرعون را رنجور کرد ۴ گفتن هر یك خداوند و ملك — آنچنان کردش ز وهمی منهتك
که بدعوی الهی شد دلیر — اژدها گشت و نمی شد هیچ سیر ۵ عقل جزوی آتش وهم است وظن — زانکه درظلمات شد او را وطن
بر زمین گر نیم گز راهی بود — آدمی بی وهم ایمن میرود ۶ بر سر دیوار عالی گر روی — گر دوگز عرضش بود کژمیشوی
بلکه می افتی ز لرز دل بوهم ۷ ترس وهمی را نکو بنگر بفهم

رنجور شدن استاد بوهم

گشت استا سخت سست ازوهم وبیم — بر جهید و میکشانید او گلیم ۹ خشمگین بازن که مهر اوست سست — من بدین حالم نپرسید او نخست
خود مرا آگه نکرد از رنگ من — قصد دارد تا رهد از ننگ من ۱۰ او بحسن و جلوهٔ خود مست گشت — بیخبر کز بام من افتاد طشت
آمد و در را بتندی وا گشاد — کودکان اندر پی آن اوستاد ۱۱ گفت زن خیر است چون زود آمدی — که مبادا ذات نیکت را بدی
گفت کوری رنگ وحال من ببین — از غم بیگانگان اندر حنین ۱۲ تو درون خانه از بغض و نفاق — می نبینی حال من دراحتراق (۲)
گفت زن ای خواجه عیبی(۳) نیست — وهم و ظن لاش بیمعنی است ۱۳ گفت ای زن(٤) تو هنوزی درلجاج — می نبینی این تغیر وارتجاج (٥)
گر تو کور وکر شدی مارا چه جرم — ما دراین رنجیم ودرانده و کرم ۱٤ گفت ای خواجه بیارم آینه (٦) — تا بدانی که ندارم من گنه (۷)
گفت رو نه تو رهی نه آینه ات — دائما در بغض و کینی و عنت ۱٥ جامهٔ خواب مرا رو گستران — تا بخسبم که سر من شد گران
زن توقف کرد مردش بانگ زد ۱٦ کای عدو زو تر ترا این می سزد

در جامهٔ خواب افتادن استاد و نالیدن او بوهم رنجوری

جامه خواب آورد وگستردش بروز(۸) — گفت امکان نی وباطن پر زسوز ۱۸ گر بگویم متهم دارد مرا — ور نگویم جد شود این ماجرا
فال بد رنجور گرداند همی — آدمی را که نبودستش غمی ۱۹ قول پیغمبر قبوله یفرض — ان تمارضتم لدینا تمرضوا (۹)
گر بگویم او خیالی بر زند — فعل دارد زن که خلوت میکند ۲۰ مر مرا از خانه بیرون میکند — بهر فسقی فعل و افسون میکند
جامه خواب افکند و استاد اوفتاد — آه آه و ناله از وی می نژاد ۲۱ کودکان آنجا نشستند و نهان — درس میخواندند با صد اندهان
کاین همه کردیم و ما زندانئیم — بد بنائی بود و ما بد بانئیم ۲۲ هین دگر اندیشهٔ باید نمود — تا از این محنت فرج یابیم زود

دوم بار بوهم افکندن کودکان استاد را که اورا ازقرآن خواندن ما درد سر افزاید

گفت آن کودك که ای قوم پسند — درس خوانید و کنید آوا بلند ۲٤ چون همی خواندند گفت ای کودکان — بانگ ما استاد را دارد زیان
دردسر افزاید استا را ز بانگ — ارزد این کو دردیابد بهر دانگ ۲٥ گفت استا راست میگوید روید — دردسر افزون شدم بیرون شوید
سجده کردند و بگفتند ای کریم — دور بادا از تو رنجوری و بیم ۲٦ پس برون جستند سوی خانها — همچو مرغان در هوای دانها

خلاص یافتن کودکان از مکتب بدین مکر

مادرانشان خشمگین گشتند وگفت(۱۰) — روز کتاب وشما بالهوجفت (۱۱) ۲۸ وقت تحصیلست اکنون و شما — میگریزید ازکتاب و اوستا
عذر آوردند کای مادر تو بیست(۱۲) — این گناه ازما وازتقصیر نیست(۱۳) ۲۹ از قضای آسمان استاد ما — گشت رنجور و سقیم و مبتلا
مادران گفتند مکر است ودروغ — صد دروغ آرید بهر طمع دوغ ۳۰ ما صباح آئیم پیش اوستا — تا به بینیم اصل این مکر شما
کودکان گفتند بسم الله روید ۳۱ بر دروغ وصدق ما واقف شوید

رفتن مادران کودکان بعیادت استاد

بامدادان آمدند آن مادران — ❀ پرسش استا زهرگوشه روان ۳۳ خفته استا همچو بیمار گران — ❀دردسررا سر بسته چون زنان
هم عرق کرده ز تکثیر لحاف — سر بسته رو کشیده در سجاف ۳٤ آه آهی میکشد آهسته او — جملگان گشتند هم لاحول گو
خیر باشد اوستا این درد سر — جان تو ما را نبود از این خبر ۳٥ گفت من هم بیخبر بودم ازاین — آگهم این کودکان کردند هین
من بدم غافل بشغل(۱٤) قال وقیل — بود درباطن چنین رنجی ثقیل ۳٦ چون بجد مشغول باشد آدمی — او ز دید رنج خود باشد عمی
اززنان مصر یوسف شد سمر — که زمشغولی بشد زایشان خبر(۱٥) ۳۷ پاره پاره کرده ساعدهای خویش — روح واله که نه پس داند نه پیش
ای بسا مرد شجاع اندر حراب — که ببرد دست یا پایش ضراب ۳۸ اوهمان دست آورد درگیر ودار — برگمان آنکه هست او برقرار
خود نه بیند دست رفته در ضرر ۳۹ خون از او بسیار رفته بیخبر

در بیان آنکه تن روح را چون لباسی است واین دست آستین دست روح است واین پای موزه پای روح است

تابدانی که تن آمد چون لبس — رو بجولا بس لباسی را ملبس ٤۱ روح را توحید الله خوشتر است(۱٦) — غیرظاهر دست وپای دیگر است

---

۱ ـ جهان بد رنج و درد ۳ـ رنجی ٤ـ غر (قحبه) ٦ـ آرم آینه بنگر ببین ۷ـ بیگناهم اندرین ۸ـ آن عجوز ۱۰ـ سخت رنجیدند از آن ۱۱ـ خشمگین گفتند کای بدگوهران ۱۲ـ ایشان درزمان ۱۳ـ نبود ای مادران ۱٤ـ بشکل ۱٥ـ جمله ازمشغولی خود بی خبر (ن . ل) .

---

(۲) یعنی نمی بینی چطور من از شدت تب میسوزم (٥) تغییر رنگ و رو و لرزیدن مرا نمی بینی (۹) یعنی گفتهٔ پیغمبر را واجب است قبول کردن که فرمود اگر مرض را بخود بندید مریض شوید (۱٦) توحید الهی آنست که حق سبحانه وتعالی در ازل ازال بنفس خود نه بتوحید دیگری همیشه بوصف وحدانیت ونعت فردانیت موصوف و منعوت بوده کان الله ولم یکن معه شیء واین توحید است که ازوصمت نقصان بری است و توحید خلایق سبب نقصان وجود ناقص

دست وپا درخواب بینی وابتلاف — آن حقیقت دان مدانش ازگزاف ۱ آن توئی که بی بدن داری بدن — پس مترس ازجسم جان بیرون شدن
❀روح دارد بی‌بدن بس کار وبار — مرغ باشد درقفس بس بیقرار ۲ ❀ باش تامرغ ازقفس آید برون — تا ببینی هفت چرخ اورا زبون

حکایت آن درویش که درکوه خلوت کرده بود و بیان حلاوت انقطاع وخلوت و داخل شدن در این منقبت که انا جلیس من ذکرنی وانیس من استانس بی

گر با همهٔ چو بی‌منی بی‌همهٔ ❀ ور بی همهٔ چو با منی با همهٔ

❀ یك حکایت گویمت گر بشنوی — در حقیقت بر حقیقت بگروی ۶ بود درویشی بکهساری مقیم — خلوت اورا بود همخواب وندیم
چون زخالق میرسید اورا شمول — بود از انفاس مرد و زن ملول ۷ همچنانکه سهل شد مارا حضر — سهل شد هم قوم دیگر را سفر
آنچنانکه عاشقی بر سروری (۱) — عاشق است آن‌خواجه برآهنگری ۸ هر کسی را بهر کاری ساختند — میل آن را دردلش انداختند
دست وپا بی میل جنبان کی‌شود — خار وخس بی‌آب وبادی کی‌رود ۹ گر ببینی میل خود سوی سما — پرّ دولت برگشا همچون هما
ور ببینی میل خود سوی زمین — نوحه میکن هیچ منشین از حنین ۱۰ عاقلان خود نوحها پیشین کنند — جاهلان آخر بسر بسر میزنند
ز ابتدای کار آخر را ببین ۱۱ تا نباشی تو پشیمان یوم دین

دیدن زرگر عاقبت کار را وسخن بروفق عاقبت گفتن با مستعیر ترازو

آن یکی آمد به پیش زرگری — که ترازو ده که برسنجم زری ۱۳ گفت رو خواجه مرا غربال نیست — گفت میزان‌ده براین تسخر مأیست
گفت جاروبی ندارم بر دکان — گفت بس بس این مضاحك رابمان ۱۴ من ترازوئی که میخواهم بده — خویشتن را کر مکن هرسو مجه
گفت بشنیدم سخن کر نیستم — تا نپنداری که بی معنیستم ۱۵ ❀ این شنیدم لیك پیری مرتعش — دست لرزان جسم تو نامنتعش
فهم کردم لیك پیری ناتوان — دست ازضعف است لرزان هرزمان (۲) ۱۶ وآن زر توهم قراضهٔ خورد و مرد — دست لرزد پس بریزد زرّ خرد
پس بگوئی خواجه جاروبی بیار — تا بجویم زرّ خودرا در غبار ۱۷ چون بروبی خاك را جمع آوری — گوئیم غربال خواهم ای حری
❀ تابریزم خاك و زرجویم ازآن — کی بود غربال ما را در دکان ۱۸ من ز اوّل دیدم آخر را تمام — جای دیگر رو ازاینجا والسلام
❀ هرکه اوّل بین بود اعمی بود — هرکه آخر بین چه با معنی بود ۱۹ ❀ هرکه اوّل بنگرد پایان کار — اندر آخر او نگردد شرمسار
❀حکم چون برعاقبت اندیشی است — پادشاهی بندهٔ درویشی است ۲۰ ❀ عاقبت بینان بوند اهل رشاد — در نگر والله اعلم بالسداد

بقیهٔ قصه آن زاهد کوهی که نذر کرده بود که میوهٔ کوهی از درخت باز نگیرم ودرخت نیفشانم وکسی را نگویم بصریح وکنایت که بیفشان مگر آن خورم که باد افکنده باشد ازدرخت

❀این سخن پایان ندارد رازگوی — قصهٔ آنمرد زاهد باز گوی ۲۳ کن تمام اکنون حدیث شیخ فرد — کاندران کهسار بودش خواب وخورد
اندران که بود (۳) اشجار و ثمار — سیب و امرود و انار بیشمار ۲۴ قوت آن درویش بود آن میوها — غیر آن چیزی نخوردی دائما
❀گفت آن درویش یارب باتومن (٤) — عهد کردم زین نچینم درزمن (٥) ۲۵ ❀ خود نچینم میوهٔ درکلّ حین — نیز غیری را نگویم که بچین
جزازآن میوه که باد اندازدش (٦) — من نچینم از درخت منتعش (۷) ۲۶ مدّتی بر نذر خود بودش وفا — تا در آمد امتحانات قضا
زین سبب فرمود استثنا کنید (۸) — گر خدا خواهد به پیمان برزنید ۲۷ زانکه حکم کاردردست من است (۹) — اختیار جملگان پست من است
هر زمان دل را دگر میلی دهم — هر نفس بردل دگر داغی نهم ۲۸ کُلّ اصباحٍ لنا شأن جدید — کلّ شیٔ عن مرادی لایحید (۱۰)
درحدیث آمد که دل همچون پریست (۱۱) — در بیابانی اسیر صرصریست ۲۹ باد پررا هرطرف راند گزاف — گه چپ وگه راست با صد اختلاف
درحدیث دیگر آن دل دان چنان (۱۲) — کاب جوشان زاتش اندرقازغان ۳۰ هر زمان دل را دگر رائی بود — آن نه از وی لیك از جائی بود
پس چرا ایمن شوی بر رای دل — عهد بندی تا شوی آخر خجل ۳۱ این هم از تأثیر حکم است وقدر — چاه می بینی و نتوانی حذر
نیست خود ازمرغ پرّ ان این عجب — کو نبیند دام و افتد در عطب ۳۲ این عجب که دام بیند با وتد — گر بخواهد ور نخواهد می فتد

تشبیه بند دام قضا بصورت پنهان و باثر پیدا

چشم باز وگوش باز و دام پیش — سوی دامی می‌پرد با پرّ خویش ۳٤ بنگر اندر دلق مهتر زادهٔ — سر برهنه در بلا افتادهٔ
در هوای نا بکاری سوخته — افشه و املاك خود بفروخته ۳٥ ❀ خوارگشته در میان قوم خویش — مرهمش نایاب ودل ریش ازمریش
خان ومان رفته شده بدنام وخوار — کام دشمن میرود ادبار وار ۳٦ زاهدی بیند بگوید ای کیا — همّتی میدار از بهر خدا
کاندرین ادبار زشت افتاده ام — مال وملك (۱۳) ونعمت ازکف داده ام ۳۷ همتی تا بو که من زین وارهم — زین گل تیره بود که برجهم
این دعا میخواهد او ازعام وخاص — کالخلاص والخلاص والخلاص (۱٤) ۳۸ دست باز و پای باز و بند نی — نی موکّل بر سرش نی آهنی

---

۲ ـ بی‌گمان ۳ ـ داشت آن کهسار ٤ ـ روزی کای خدای دادگر ٥ـ که نچینم من دگر ٦ـ که زیر افتد ز باد ۷ـ می نخواهم دست بر شاخی نهاد ـ نی از آن میوه که شاخ افرازدش ۱۳ـ زرّ ۱٤ ـ تا که یابد یکدمی ازغم خلاص (ن . ل)

---

۱ ـ تمثیل چنانکه یك شخصی عاشق یك سردار شده وآن سردار عاشق بر یك آهنگر شد (۸) اشاره بمضمون این آیه واقعه در سورهٔ کهف است ولاتقولن لشیٔ انی فاعل بذلك غداً الاّ ان یشاء الله یعنی مگوی مر چیزی و کاری که قصد داری بدرستی که من کننده‌ام آن‌را فردا مگرآنکه بگوئی اگر خدا بخواهد (۹) مضمون آیه واقعه درسورهٔ قصص است وربّك یخلق مایشاء ویختارماکان لهم الخیرة سبحان الله وتعالی‌عما یشرکون و پروردگار تو می آفریند آنچه میخواهد و اختیارمیکند آنچه بوده برای ایشان خوبی‌حمد میکنم خدای را که برتراست از آنچه شرك می‌آورند بت پرستان (۱۰) یعنی هرصبح کردنی برای ما کاریست تازه و هر چیزی از مراد من میل و حیف ندارد و از مشیت من سر نپیچد ومراد بکل اصباح مثل کل یوم هو فی شان در تأویل هر آن گذشته و هر آن آینده است که در هر آن او را تجلی جدید است (۱۱) اشاره باین حدیث است که مثل القلب کریشة فی فلاة یقلبها الریاح کیف یشاء مثل دل مانند پری است که میگرداند آنرا باد هر طرف که بخواهد (۱۲) اشاره است باین حدیث که « قلب المؤمن اشد تقلباً من القدر فی غلیانها یعنی دل مؤمن سخت تر است از روی تقلب از دیگ در جوشش آن

از کدامین بند میجوئی خلاص / وزکدامین حبس میجوئی (۱) مناص ۱ بند تقدیر و قضای مختفی / هان (۲) نبیند آن بجز جان صفی
گرچه پیدانیست آن درمکمن است / بدتر از زندان وبند آهن است ۲ زانکه آهنگر مر آن را بشکند / حفره گر هم خشت زندان برکند
ای عجب این بند پنهان گران / عاجز از تکسیر آن آهنگران ۳ دیدن آن بند احمد را رسد / بر گلوی بسته حبل من مسد
دید بر پشت عیال بولهب / تنگ هیزم گفت حمالة حطب (۳) ٤ حبل وهیزم را جزاو چشمی ندید / که پدید آید برو هر ناپدید
با قیاسش جمله تأویلی کنند / کاین زبیهوشیست وایشان هوشمند (٤) ٥ لیك از تأثیر آن پشتش دو تو / گشته و نالان شده او پیش تو
که دعائی همتی تا وارهم / تا ازین بند نهان بیرون جهم ٦ آنکه بیند این علامتها پدید / چون نداند او شقی را ازسعید
داند و پوشد بامر ذوالجلال ٧ که نباشد کشف راز حق حلال

مضطر شدن فقیر نذر کرده بکندن امرود از درخت وگوشمال حق رسیدن بیمهلت

این سخن پایان ندارد آن فقیر / از مجاعت شد زبون و تن اسیر ۹ پنجروز آن باد امرودی نریخت / زاتش جوعش صبوری میگریخت
بر سر شاخی مرودی چند دید / باز صبری کرد و خودرا واکشید ۱۰ باد آمد شاخ را سر زیر کرد / طبع را بر خوردن آن چیر کرد
جوع وضعف وقوّت جذب غذا (٥) / کرد زاهد را ز نذرش بیوفا ۱۱ چونکه ازامرود بن میوه سکست (٦) / گشت اندرعهد ونذر خویش سست
هم درآندم گوشمال حق رسید / چشم او بگشاد وگوش او کشید ۱۲ ❀ مخلصان باشند دائم درخطر (۷) / امتحانها هست در راه ای پسر
❀ یا مکن نذری که نتوانی وفا / بر خطر منشین وبیرون جه هلا ۱۳ ❀ نذر را باید وفا در راه حق / لیك حق تا خود کرا بدهد سبق
❀ عهدها بستیم بس درکارها / نذرها کردیم در سر بارها ۱٤ ❀ قوّت آن کو که پایان آوریم / عاجزیم و ناتوان و مضطریم
❀ گرنه فضلت دستگیر ما شود / وای برما زانکه رسوائی بود ۱٥ ❀ نذر مارا با وفا پیوسته دار / عهد مارا از کرم دار استوار
❀ بازگشتم سوی قصه کان فقیر / عهد چون بشکست دردم شد اسیر ۱٦ ❀ غیرت حق گوشمالش داد زود / زانکه فرمودست اوفوا بالعقود (۸)
❀ جمعی ازدزدان بدند آنجامگر / در میان آورده بیم سیم و زر ۱۷ اتفاقاً دزد چندی تاختند / واندران کهسار منزل ساختند

متهم کردن آن شیخ با دزدان و بریدن دستش را

❀ بیست ازدزدان بدندآنجا وبیش / بخش میکردند مسروقات خویش ۱۹ شحنه را غماز آگه کرده بود (۹) / مردم شحنه درافتادند زود (۱۰)
شحنه حالی عزم آن کهسار کرد / جمله را بگرفت و بست آن شیرمرد ۲۰ پس بفرمود از غضب جلاّد را / دست وپای هریك ازتن کن جدا
هم بدانجا (۱۱) پای چپ ودست راست / جمله ببریدند (۱۲) وغوغائی بخاست ۲۱ دست زاهد هم بریده شد غلط / پاش را میخواست هم کردن سقط
در زمان آمد سواری بس گزین / بانگ برزد برعوان (۱۳) کای سگ ببین ۲۲ این فلان شیخست و ابدال خدا / دست اورا تو چرا کردی جدا
آن عوان بدرید جامه تیزرفت (۱٤) / پیش شحنه داد آگاهیش تفت ۲۳ شحنه آمد پا برهنه عذر خواه / که ندانستم خدا بر من گواه
هین بحل کن مرمرا زین کارزشت / ای کریم و سرور اهل بهشت ۲٤ گفت میدانم سبب این نیش را / می‌شناسم من گناه خویش را
من شکستم حرمت ایمان او / پس ببینم برد دادستان او ۲٥ من شکستم عهد ودانستم بداست / تارسید آن شومی جرأت بدست
دست ما و پای ما ومغز وپوست / باد ای والی فدای حکم دوست ۲٦ قسم من بود این ترا کردم حلال / تو ندانستی ترا نبود وبال
آنکه او دانست او فرمان رواست / با خدا سامان پیچیدن کراست ۲۷ ❀ ای بسا مرغا زمعده وزمغس (۱٥) / بر کنار بام محبوس قفس
ای بسا مرغی پریدهٔ دانه جو / که بریده حلق او هم حلق او ۲۸ ای بسا ماهی در آب دور دست / گشته از حرص گلو مأخوذ شست
ای بسا مستور در پرده بده / شومی فرج وگلو رسوا شده ۲۹ ای بسا قاضیّ حبر نیکخو / از گلوی رشوتی او زرد رو
❀ ای بسا حاجی بحج رفته بعشق / وقت باز آمد شده او یار فسق ۳۰ بلکه درهاروت وماروت این شراب / از عروج چرخشان شد سدّ باب
بایزید از بهر این کرد احتراز / دید در خود کاهلی اندر نماز ۳۱ از سبب اندیشه کرد آن ذولباب / دید علت خوردن بسیار آب
گفت تا سالی نخواهم خورد آب / آنچنان کرد و خدایش داد تاب ۳۲ این کمینه جهد او بد بهر دین / گشت او سلطان و قطب العارفین
چون بریده شد جزای حلق ودست (۱٦) / مرد زاهدرا درشکوی بست (۱۷) ۳۳ اینچنین باشد چو یك دربسته شد / صد در دیگر بر او اشکسته شد

کرامت شیخ اقطع و زنبیل بافتن او بدو دست

شیخ اقطع گشت نامش پیش خلق / کرد معروفش بدین آفات حلق ۳٥ ❀ گرتو نام اولش خواهی روان / هین برو بوالخیر تیناتیش خوان
در عریش اورا یکی زائر بیافت / کو بهردو دست خود زنبیل بافت ۳٦ گفت او را ای عدوّ جان خویش / در عریشم آمدی سرکرده پیش
هین چرا کردی شتاب اندرسباق / گفت از افراط مهر واشتیاق ۳۷ پس تبسم کرد وگفت اکنون بیا / لیك مخفی دار این را ای کیا
تا نمیرم من مگو این با کسی / نی قرینی نی حبیبی نی خسی ۳۸ بعد از آن قوم دگر از روزنش / مطلع گشتند بر بافیدنش
گفت حکمت را تو دانی کردگار / من کنم پنهان تو کردی آشکار ۳۹ آمد الهامش که یك چندی بدند / که درین غم بر تو منکر میشدند
که مگر سالوس بود او درطریق / که خدا رسواش کرد اندر فریق ٤۰ من نخواهم کان رمه کافر شوند / وز ضلالت برگمان بد روند
این کرامت را بکردیم آشکار / که دهیمت دست اندر وقت کار ٤۱ تا که آن بیچارگان بدگمان / رد نگردند از جناب آسمان

۱ـ قیدمیخواهی ۲ـ که ۳ـ حمال الحطب ٥ـ وجذب قضا ۹ـ کرد ازآن ۱۰ـ کاندرین کوهست دزدان را مکان ۱۱ـ بی‌توقف ۱۲ ـ جمله را ببرید ۱۳ ـ بانگ بر جلاد زد ۱٤ ـ جامه را بدرید آن جلاد زفت ۱٦ ـ جزای حلق و دست (ن . ل)

---

(٤) یعنی دیدن قضا از اثر بیهوشی و بیخودیست و تأویل کنندگان را این مرتبه دست نداده چه از قید هوش نرسته اند (٦) سکست مغلوب و بمعنی گسست است (۷) قال النبی صلی الله علیه و آله انّ المخلصین فی خطرعظیم (۸) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ مائده « یا ایها الذین آمنوا اوفوا بالعقود » (۱٥) یعنی بسا مرغ بسبب شکم و پیچش روده که از گرسنگی باشد بظاهر برکنار بام نشسته لیکن باعتبار تلاش دانه گویا در قفس نشسته که بجهت دانه آخر در دام خواهد افتاد (۱۷) یعنی شکوه که زاهد بواسطهٔ نقض عهد ازنفس خود داشت چون دستش در مکافات این عمل بریده شد درآن بیست

من ترا بی این کرامتها ز پیش — خود تسلی دادمی از ذات خویش ۱ این کرامت بهر ایشان دادمت — وین چراغ از بهر آن بنهادمت
تو از آن بگذشتهٔ کز مرگ تن — ترسی از تفریق اجزای بدن(۱) ۲ وهم تفریق سراپا از تو رفت — دفع وهم اسپر رسیدت نیك زفت

سبب جرأت ساحران فرعون بر قطع دست و پا

ساحران را نی که فرعون لعین — کرد تهدید سیاست بر زمین ۴ که ببرّم دست و پاتان(۲) از خلاف(۳) — پس در آویزم ندارمتان معاف(٤)
اوچنان پنداشت کایشان درهمان — وهم وتخویفند ووسواس وگمان ۵ که بودشان لرزه وتخویف وترس — از توهّمها و تهدیدات نفس
او نمیدانست کایشان رسته اند — بر دریچهٔ نور دل بنشسته اند ٦ سایهٔ خودرا ز خود دانسته اند(۵) — چابك و چست و کش و برجسته اند
هاون گردون اگر صد بارشان — خُرد کوبد اندرین گلزارشان ۷ اصل آن ترکیب را چون دیده اند — از فروغ وهم کم ترسیده اند
اینجهان خواب است اندر ظنّ مایست — گر رود درخواب دستی باك نیست ۸ گر بخواب اندر سرت ببرید گاز — همسرت برجاست هم عمرت دراز
گر ببینی خواب در خود را دونیم — تن درستی چون بخیزی نی سقیم ۹ حاصل اندر خواب نقصان بدن — نیست باکی از دو صد پاره شدن
اینجهان را که بصورت قائم است — گفت پیغمبر که حُلم نائم است(٦) ۱۰ از ره تقلید تو کردی قبول — سالکان این دیده پیدا بی رسول(۷)
روز در خوابی مگو کاین خواب نیست — سایه فرع است اصل جزمهتاب نیست ۱۱ خواب بیداریت آن دان ای عضد — که به بیند خفته کو درخواب شد
او گمان برده که این دم خفته ام — بیخبر زان کوست درخواب دوم ۱۲ کوزه گر گر کوزهٔ را بشکند — چون بخواهد باز خود قائم کند
کور را هر گام باشد ترس چاه — با هزاران ترس می آید براه ۱۳ مرد بینا دید عرض (۸) راه را — پس بداند او مغاك وچاه را
پا و زانویش نلرزد هر دمی — روترش کی دارد او ازهر غمی ۱٤ خیز فرعونا که ما آن نیستیم — که بهر بانگی ز غولی بیستیم
خرقهٔ ما را بدر دوزنده هست — ورنه خود ما را برهنه تن بهست ۱۵ بی لباس اینخواب را اندر کنار — خوش بگیریم ای عدوّ نابکار
خوش تراز تجرید از تن وز مزیج — نیست ای فرعون بی الهام گیج ۱٦

شکایت استر پیش شتر که من بسیار در رو میافتم و تو نمی‌افتی الا بنادر وجواب گفتن آن

گفت استر باشتر کای خوش رفیق — در فراز وشیب و در راه دقیق ۱۸ تو نیائی در سر و خوش میروی — من همی آیم بسر در چون غوی
من همی افتم بسرو در هر دمی — خواه در خشکی وخواه اندریمی ۱۹ این سبب راباز گو با من زچیست — تاعیان گردد مراهم وجه زیست(۹)
گفت از چشم تو چشم من یقین — بیگمان روشن تراست و تیزبین ۲۰ بعد ازان هم از بلندی ناظرم — زین سبب در رو نیفتم حاضرم
خوش(۱۰) برآیم برسرکوه بلند — آخر عقبه به بینم هوشمند ۲۱ پس همه پستی وبالائی راه (۱۱) — دیده‌ام را وانماید هم اله (۱۲)
هر قدم من از سر بینش نهم — از عثار و اوفتادن وا رهم ۲۲ توبه‌بینی (۱۳) پیش خودیك دوسه گام — دانه بینی و نبینی رنج دام
یستوی الاعمی لدیکم والبصیر — فی القام والنزول والمسیر(۱٤) ۲۳ چون جنین رادررحم حق جان دهد — جذب اجزا در مزاج او نهد
از خورش او جذب اجزا میکند — تار و پود جسم خود را می تند ۲٤ تا چهل سالش بجذب جزو ها — کرده باشد حق حریصش در نما
جذب اجزا روح را تعلیم کرد — چون نداند جذب اجزا شاه فرد ۲۵ جامع این ذرّه ها خورشید بود — بی غذا اجزات را داند ربود
آن زمانی که درآئی توزخواب — هوش وحسّ رفته را خواند شتاب ۲٦ تا بدانی کان از و غایب نشد — باز آید چون بفرماید که عُد

اجتماع اجزای خر عزیر بعد از پوسیدن باذن الله و در هم مرکب شدن پیش چشم عُزیر علیه‌السلام

هین عزیرا درنگر اندر خرت(۱۵) — که بپوسیده‌است و ریزیده برت ۲۸ پیش تو گرد آوریم اجزاش را — آن سر ودمّ ودوگوش وپاش را
دست نیّ و جزو برهم می نهد — پارها را اجتماعی میدهد ۲۹ در نگر در صنعت پاره زنی — کو همی دوزد کهن بیسوزنی
ریسمان و سوزنی نی وقت خرز — آنچنان دوزد که پیدا نیست درز ۳۰ چشم بگشا حشر را پیدا ببین — تا نماند شبهه‌ات در یوم دین
تا ببینی جامعیّم را تمام — تا نلرزی وقت مردن زاهتمام ۳۱ همچنانکه وقت خفتن ایمنی — ازفوات جمله حسهای دنی(۱٦)
برحواس خود نلرزی وقت خواب — ۳۲ گرچه میگردد پریشان و خراب

جزع ناکردن شیخی بر مرگ فرزندان خود

بود شیخی ره نمائی پیش ازین — آسمانی شمع بر روی زمین ۳٤ چون پیمبر در میان اُمّتان — در گشای روضهٔ دار الجنان
گفت پیغمبر که شیخ رفته پیش(۱۷) — چون نبی باشد میان قوم خویش ۳۵ یك صباحی گفتش اهل بیت او — سخت دل چونی بگو ای نیك خو
ما زهجر ومرگ فرزندان تو — نوحه میداریم با پشت دو تو ۳٦ تو نمی گریی نمی زاری چرا — یاکه رحمت نیست دردل ای کیا(۱۸)

---

۱ ـ باشدت خوفی ز تفریق بدن ۳ ـ بدن ٤ ـ پس دهم من جمله را گردن زدن ۸ ـ می بیند ۹ ـ تا بدانم من که چون بایست زیست
۱۰ ـ چون ۱۱ ـ مرا ۱۲ ـ بی‌حجابی فاش بنماید خدا ۱۳ ـ نبینی ۱٦ ـ تنی ۱۸ ـ نیست رحمی دردلت ای پیشوا (ن . ل)

---

(۲) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ طه است « فلاقطعنّ ایدیکم و ارجلکم من خلاف ولاصلبنکم » (یعنی فرعون گفت چون ایمان آوردند سحره بخدا) هر آینه ببرم دستها و پاهای شما را بر خلاف یکدیگر مثل دست راست و پای چپ و هر آینه می آویزم شما را (۵) معنی بیت چنین میشود که وجود ظاهری خود را که بمنزله سایه و عرض است و فانی ازاصل وجوهر روحانی خود که باقی است دانسته اند یعنی از عوارض فانی تا جوهر باقی فرق کرده در افناء وجود ظاهر چابك وُچست و خوش و برجسته اند (٦) این حدیث را حضرت امیر در صد کلمه خود نقل فرموده اند قال النبی صلی الله علیه و آله الناس ینام فاذا ماتوا انتبهوا یعنی فرمود پیغمبر ع که آدمیان خوابیدگانند یعنی در خواب غفلت اند پس چون بمیرند بیدار شوند و متنبه گردند (۷) از رسول اینجا واسطه مقصود است نه پیغمبر (۱٤) برابر است کور و بینا نزدیك شما در محل اقامت و فرود آمدن و راه رفتن (۱۵) اشاره است بآیهٔ واقعه در سورهٔ بقره « وانظر الی حمارك ولنجعلك آیة للناس » و درنگر بسوی درازگوش خود (که استخوان او مانده وباقی اجزا متفرق شده آنکه خطاب رسید که ترا بعد از مرگ زنده کردیم تا آثار قدرت ما در نفس تو ظاهر گردد) وهرآینه قرار دادیم ترانشانه وعبرتی برای مردم (که درحشر اجساد شك دارند) (۱۷) حدیث مروی از پیغمبر است الشیخ فی قوم کالنبی فی امته

چون ترا رحمی نباشد در درون / پس چه امیدستمان از تو کنون ۱ ما بامید توایم ای پیشوا (۱) / که نگذاری تو مارا در فنا (۲)
چون بیارایند روز حشر تخت / خود شفیع ما توئی آن روز سخت ۲ در چنان روز و شب بی زینهار / ما با کرام تو ایم امیدوار
دست ما ودامن تست آن زمان / که نماند هیچ مجرم را امان ۳ گفت پیغمبر که روز رستخیز (۳) / کی گذارم مجرمان را اشک ریز
من شفیع عاصیان باشم بجان (٤) / تا رهانمشان ز اشکنجه گران ٤ عاصیان واهل کبائر را بجهد / وارهانم از عتاب نقض عهد
صالحان امّتم خود فارغند / از شفاعتهای من روز گزند ٥ بلکه ایشان را شفاعتها بود / گفتشان چون حکم نافذ میرود
هیچ وازر وزرغیری برنداشت (٥) / من نیم وازر خدایم برگماشت (٦) ٦ آنکه بی وزراست شیخ است ای جوان / در قبول حق چو اندر کف کمان
شیخ که بود پیر یعنی مو سپید / معنی این موبدان ای نا امید (۷) ۷ هست آن موی سپه هستیّ او / تا ز هستیّش نماند تار مو
چونکه هستیش نماند پیر اوست / گرسپه موباشداو یاخود دو موست ۸ هست آن موی سپه وصف بشر / نیست آن مو موی ریش وموی سر
مهد درعیسی برآرد صد نفیر (۸) / که جوان ناگشته ماشیخیم وپیر (۹) ۹ گر رهید از بعض اوصاف بشر / شیخ نبود کهل باشد ای پسر
دریکی موی سپه کان وصف ماست / نیست بروی شیخ ومقبول خداست ۱۰ چون بود مویش سپید ارباخوداست / اونه پیراست ونه خاص ایزداست (۱۰)
ور سر موئی زوصفش باقی است / او نه از عرش خدا آفاقی است ۱۱ ما همه امّیدواران توایم / ریزه چین خوان واحسان توایم
لیك بااین جمله چون بی شفقتی / بهر فرزندان چرا بی رأفتی ۱۲ یا مگر خود دل نمی سوزد ترا / باز گو ای شیخ مارا ماجرا

عذرگفتن شیخ بهر ناگریستن برمرگ فرزندان خود

شیخ گفت اورا مپندار ای رفیق / که ندارم رحم ومهر ودل شفیق ۱٤ برهمه کفار مارا رحمت است / گر چه جان جمله کافر نعمتست
برسگانم رحمت و بخشایش است / که چرا ازسنگهاشان مالش است ۱٥ آن سگی که میگزد گویم دعا / که ازاین خو وارهانش ای خدا
این سگان را هم درآن اندیشه دار / که نباشند از خلایق سنگسار ۱٦ زان بیاورد انبیا را بر زمین / تا کندشان رحمة للعالمین (۱۱)
خلق را خواند سوی درگاه خاص / حق را خواند که وافرکن خلاص ۱۷ جهد بنماید از اینسو بهر پند / چون نشد گوید خدایا در مبند
رحمت جزوی بود مر عام را / رحمت کلّی بود همّام را ۱۸ رحمت جزوش قرین گشته بکل / رحمت دریاست هادیّ سبل
رحمت جزوی بکل پیوسته شو / رحمت کل را توهادی بین و رو ۱۹ تا که جزو است اوبداند راه بحر / هر غدیری را کند اشباه بحر
چون نداند راه یم ره کی برد / سوی دریا خلق را چون آورد ۲۰ متصل گردد ببحر آنگاه او / ره برد تا بحر همچون سیل وجو
ور کند دعوت بتقلیدی بود / نزعیان و وحی و تأییدی بود ۲۱ گفت پس چون رحم داری برهمه / همچو چوپانی بگرد این رمه
چون نداری نوحه برفرزندخویش / چونکه نصاد اجل شان زد بنیش ۲۲ چون گواه رحم اشك دیدهاست / دیدهٔ تو بی نم و گریه چراست
شیخ دانا زین عتابش گرم شد / در سخن یکباره بی آزرم شد ۲۳ رو بزن کرد و بگفتش ای عجوز / خود نباشد نصل دی همچون تموز
جمله گر مردند ایشان ور حی اند / غایب وپنهان ز چشم دل کی اند ۲٤ من چو بینمشان معین پیش خویش / ازچه رورو راکنم همچون توریش
گر چه بیرونند از دور زمان / با منند و گرد من بازی کنان ۲٥ گریه از هجران بود یا از فراق / با عزیزانم وصالست و عناق
خلق اندر خواب می بینند شان / من به بیداری همی بینم عیان ۲٦ زین جهان خودرا دمی پنهان کنم / برگ حس را ازدرخت افشان کنم
حس اسیر عقل باشد ای فلان / عقل اسیر روح باشد هم بدان ۲۷ دست بستهٔ عقل را جان باز کرد / کارهای بسته را هم ساز کرد
حسّها و اندیشه برآب صفا / همچو خس بگرفته روی آب را ۲۸ دست عقل آن خس بیکسو میبرد / آب پیدا میشود پیش خرد
خس بس انبه بود (۱۲) برجو چون حباب / خس چو یکسو رفت پیدا گشت آب (۱۳) ۲۹ چون که دست عقل نگشاید خدا / خس فزاید از هوا برآب ما
آب را هردم کند پوشیده او / آن هوا خندان وگریان عقل تو ۳۰ چونکه تقوی بست دو (۱٤) دست هوا / حق گشاید هر دو دست عقل را
پس حواس چیره محکوم توشد (۱٥) / چون خردسالار ومخدوم توشد (۱٦) ۳۱ حس را بیخواب خواب اندرکند / تا که غیبتها زجان (۱۷) سر برزند
هم بیداری بیند خوابها ۳۲ هم ز گردون برگشاید بابها

قصهٔ خواندن شیخ ضریر مصحف را در رو و بینا شدن در وقت قرائت

دید درایّام (۱۸) یك شیخ فقیر / مصحفی در خانهٔ پیری ضریر ۳٤ پیش او مهمان شد او وقت تموز / هردو زاهد جمع گشته چند روز
گفت اینجای عجب مصحف چراست / چونکه نابیناست این درویش راست ۳٥ اندرین اندیشه تشویش فزود / که جزاورانیست اینجا باش وبود
اوست تنها مصحفی آویخته / من نیم گستاخ یا آمیخته ۳٦ تا بپرسم نی خوش صبری کنم / تا بصبری بر مرادی بر زنم
صبر کرد و بود چندی در حرج / کشف شد کالصبر مفتاح الفرج ۳۷ صبر گنجست ای برادر صبرکن / تا شفا یابی تو زین رنج کهن
صبر سوی کشف هرسرّ رهبراست ۳۸ صبر تلخ آمد بَر او شکر است

صبر کردن لقمان چون دید که داود علیه السلام حلقها میساخت از سؤال کردن با این نیت که صبر از سؤال موجب فرج باشد

رفت لقمان سوی داود از صفا / دید کو میکرد ز آهن حلقها ٤۱ جمله را با همدگر در میفکند / ز آهن و پولاد آن شاه بلند

---

۱ ـ بوالوفا ۲ ـ عنا ٦ ـ برفراشت ۷ ـ بی امید ۸ ـ عیسی اندر مهد بردارد نفیر ۱۰ ـ پیرمشمرکز می نفس است مست ۱۲ ـ انبوهست ۱۳ ـ تا نخیزد کی نماید روی آب ۱٤ ـ بر بندد تقی ۱٥ ـ محکومت شود ۱٦ ـ مخدومت شود ۱۷ ـ تا که از جان غیبها ۱۸ ـ دربغداد (ن . ل).

---

(۳) اشاره بمضمون این حدیث است واخرجهم من النار و ادخلهم الجنة حتی مایبقی فی النار الامن قد حبسه القرآن (٤) اشاره است بمضمون حدیث قال النبی صلی الله علیه و آله شفاعتی لاهل الکبائر من امتی (٥) اشاره است بآیه ولاتذر وازرة وزر اخری یعنی برنمیدارد نفسی گناه کننده بار گناه نفس دیگر را (۹) اشاره بکریمه واقعه در سورهٔ مریم «قال انی عبدالله آتانی الکتاب وجعلنی نبیاً وجعلنی مبارکاً اینما کنت (۱۱) اشاره به آیه واقعه درسورهٔ انبیا وما ارسلناك الا رحمة للعالمین

صنعت زرّاد او کم دیده بود — درعجب می‌ماند (۱) ووسواسش فزود ۱ کاین چه شاید بود واپرسم ازو — که چه میسازی ز حلقه تو بتو
باز باخود گفت صبراولی‌تراست — صبر با مقصود زو تر رهبر است ۲ چون نپرسی زود تر کشفت شود — مرغ صبر از جمله پرّان تر بود
ور بپرسی دیر تر حاصل شود — سهل از بی صبریت مشکل شود ۳ چونکه لقمان تن بزد اندر زمان — شد تمام از صنعت داود آن
پس زره سازید ودر پوشید او — پیش لقمان حکیم صبر خو ۴ گفت این نیکو لباس‌است ای فتی — درمصاف وجنگ (۲) دفع زخم را
گفت لقمان صبر هم نیکو دمیست — کو پناه و دافع هرجا غمیست ۵ صبر را باحق قرین کرد ای‌فلان — آخر والعصر را آگه بخوان(۳)
صد هزاران کیمیا حق آفرید ۶ کیمیائی همچو صبر آدم ندید

بقیهٔ حکایت نابینا و مصحف خواندن او

مرد مهمان صبر کرد و ناگهان — کشف گشتش حال مشکل درزمان ۸ نیم شب آواز قرآن را شنید — جست ازخواب آن عجایب‌را بدید
که زمصحف کور میخواند درست — گشت بی‌صبر وازاو(٤) آنحال‌جست ۹ گفت‌چون‌درچشمهایت‌نیست‌نور(٥) — چون همی بینی همی‌خوانی‌سطور
آنچه میخوانی برآن افتادهٔ — دست را بر حرف آن بنهادهٔ ۱۰ اصبعت در سیر پیدا می کند — که نظر بر حرف داری مستند
گفت ای گشته ز جهل تن جُدا — این عجب میداری از صُنع خدا ۱۱ من‌زحق درخواستم کای مستعان — بر قرائت من‌حریصم همچو جان
نیستم حافظ مرا نوری بده — در دودیده وقت خواندن بیگره ۱۲ باز ده دو دیده ام را آن‌زمان — که بگیرم مصحف و خوانم عیان
آمد ازحضرت ندا کای مردکار — ای بهر رنجی بما امّیدوار ۱۳ حسن ظنّ است‌وامیدی‌خوش ترا — که ترا گوید بهردم بر ترا
هرزمان که قصد خواندن باشدت — یا ز مصحفها قرائت بایدت ۱٤ من در آن‌دم وا دهم چشم ترا — تا فرو خوانی معظم جوهرا
همچنان‌کردوهرآن(٦)گاهی‌که من — واگشایم مصحف اندر خواندن ۱٥ آن خبیری که نشد غافل زکار — آن گرامی پادشاه کردگار
باز بخشد بینشم آن شاه فرد — درزمان همچون چراغ شب نورد ۱٦ زین سبب نبود ولی را اعتراض — هر چه بستاند فرستد اعتیاض
گر بسوزد باغت انگوری دهد — در میان ماتمت سوری دهد ۱۷ آن شل بیدست را دستی دهد — کانِ غمها را دل مستی دهد
لانسلم و اعتراض از ما برفت — چون عوض میآید از مفقود زفت ۱۸ چون‌که بی‌آتش مرا گرمی رسد — راضیم گر آتش ما را کشد
❀ چونکه بیچشمت ببخشد دیدنی — اینچنین کوریست چشم روشنی ۱۹ بیچراغی چون دهد او روشنی — گر چراغت شد چه افغان میکنی

صفت بعضی‌از اولیا که راضیند باحکام قضای الهی و لابه نکنند که این‌حکم را بگردان

بشنو اکنون قصهٔ آن رهروان — که ندارنداعتراضی درجهان (۷) ۲۱ ز اولیا اهل دعا خود دیگرند — که همی دوزند وگاهی میدرند
قوم دیگر میشناسم ز اولیا — که دهانشان بسته باشد از دعا ۲۲ از رضا که هست رام آن کرام — جستن دفع قضاشان شد حرام
در قضا ذوقی همی بینند خاص — کفرشان آید طلب کردن خلاص ۲۳ حسن ظنی بر دل ایشان گشود — که نپوشند از غمی (۸) جامهٔ کبود
❀ هرچه‌آید پیش ایشان‌خوش‌بود — آب حیوان گردد از آتش بود ۲٤ ❀ زهر در حلقومشان شکر بود — سنگ اندر راهشان گوهر بود
❀ جملگی یکسان بودشان‌نیك وبد — ازچه باشد این ز حُسن ظنّ خود ۲٥ ❀ کفر باشد نزدشان کردن دعا — کای اله از ما بگردان این قضا

سؤال کردن بهلول آن درویش را

گفت بهلول آن یکی درویش را — چونی‌ای درویش واقف کن مرا ۲۷ گفت چون باشد کسی که جاودان — بر مراد او رود کار جهان
سیل‌و (۹) جوها برمراداو روند — اختران زانسوکه او خواهدشوند ۲۸ زندگی و مرگ سرهنگان او — بر مراد او روانه کو بکو
هرکجا خواهد فرستد تعزیت — هرکجا خواهد ببخشد تهنیت ۲۹ سالکان راه هم برکام او — ماندگان راه هم دردام او
هیچ دندانی نجنبد در دهان — بی‌رضاوامرآن(۱۰) فرمان روان ۳۰ ❀ بی‌رضای او نیفتد هیچ برگ — بی قضای او نیاید هیچ مرگ
❀ بیمراد او نجنبد هیچ رگ — درجهان زاوج ثریّا تا سمك ۳۱ گفت ای شه راست‌گفتی همچنین — در فر وسیمای تو پیداست این
این وصد چندینی ای صادق ولیك — شرح کن این‌را بیان‌کن نیك نیك ۳۲ آنچنانکه فاضل و مرد فضول — ازدل‌وازجان‌کنداورا قبول(۱۱)
آنچنانش شرح کن اندر کلام — که ازآن هم بهره یابد عقل‌عام ۳۳ ناطق‌کامل چو خوان باشی بود — برسر خوانش زهر(۱۲)آشی بود
تا(۱۳)نماند هیچ مهمان بی نوا — هرکسی یابد غذای خود جدا ۳٤ همچو قرآن که بمعنی هفت توست — خاص را وعام را مطعم دروست
گفت این باری یقین شد پیش‌عام — که جهان در امر یزدانست رام ۳٥ هیچ برگی‌درنیفتد ازدرخت(۱٤) — بی‌قضا وحکم آن سلطان بخت
از دهان لقمه نشد سوی گلو — تا نگوید لقمه را حق کادخلو ۳٦ میل ورغبت‌کان زمام آدمی است — جنبش آن رام امر آن غنی‌است
در زمینها و آسمانها ذرّهٔ — پر نجنباند نگردد پرّهٔ ۳۷ جز بفرمان قدیم نافذش — شرح‌نتوان‌کرد وجلدی‌نیست‌خوش
که اشمردنبرگ درختان را تمام — بی‌نهایت کی شود درنطق رام ۳۸ این قدر بشنو که چون کلی کار — می نگردد جز بامر کردگار
چون قضای حق رضای بنده شد — حکم اورا بندهٔ خواهنده شد ۳۹ بی تکلف نی بی مزد و ثواب — بلکه طبع او چنین شد مستطاب
زندگیّ خود نخواهد بهر خود — بلکه‌خواهد ازبی‌حکم احد(۱٥) ٤۰ هرکجا امر قدم را مسلکی است — زندگی ومردگی پیشش یکیست(۱٦)

---

۱ ـ در تحیر ماند ۲ ـ خصم ٤ ـ ز کور ٥ ـ گفت آیا ای عجب باچشم کور ٦ـ همان ۸ ـ عزا ۹ ـ جمله ۱۰ ـ او ۱۱ـ چون بگوش او رسد آرد قبول ۱۲ ـ خوانش پرهرگونهٔ ۱۳ ـ که ۱٥ ـ نی بی ذوق حیات مستلذ (ن . ل) .

---

(۳) اشاره‌است بآیه وافی هدایه الاّ الذین آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر یعنی مگرکسانیکه ایمان آوردند وعمل کردند به نیکوئیها وکارهای شایسته ووصیت کردند بعمل راست ودرست که اقامت است بر طریق حق ووصیت کردند بصبر برطاعت یا از معصیت (۷) اعتراضی در جهان ندارند یعنی تسلیم محض هستند وابداً در صدد مباحثه ومعارضه باخالق که چرا چنین وچنان شد یا نشد نیستند (۱٤) اشاره بحدیث لاتحرك ذرة الا باذن الله تعالی یعنی هیچ ذرّهٔ حرکت نمیکند مگر باذن حقتعالی وامر اوعزشأنه (۱٦) این بیت وابیات مابعدمضمون این آیه است‌که درسورهٔ انعام واقع شده قل انّ صلوتی ونسکی و محیای ومماتی لله ربّ العالمین لاشریك له بگو بدرستی که نماز من وقربانی یاحج من وزندگانی من ومرگ من همه امر خدایست که آفریدگار عالمیانست و هیچ انباز برای او نیست

بهر یزدان میزید نی بهر گنج — بهریزدان میمرد نز خوف ورنج ۱ هست ایمانش برای خواه او — نی برای جنت واشجار وجو
ترك کفرش هم برای حق بود — نی ز بیم آنکه در آتش رود ۲ اینچنین آمد زاصل آن خوی او — بی‌ریاضت نی بجستجوی او (۱)
آنگهان خندد که او بیند رضا — همچو حلوای شکر اورا قضا ۳ بندهٔ کش‌خوی وخلقت (۲) این‌بود — نی جهان برامر و فرمانش رود
پس چرا لابه کند او یا دعا — که بگردان ای خداوند این قضا ۴ مرگ او و مرگ فرزندان او — بهر حق پیشش چو حلوا درگلو
نزع فرزندان بر آن با وفا — چون قطائف پیش شیخ بینوا ۵ پس چرا گوید دعا الا مگر — در دعا بیند رضای دادگر
آن‌شفاعت وان دعا نز رحم خود — میکند آن بندهٔ صاحب رشد ۶ رحم خودرا او همانم سوختست — که چراغ عشق حق افروختست
دوزخِ اوصافِ اوعشق‌است‌واو — سوخت مر اوصاف اورا مو بمو ۷ هرطروقی‌این‌فروقی‌کی‌شناخت(۳) — چون‌دقوقی‌کو دراین دولت بتاخت

قصهٔ دقوقی و کراماتش

آن دقوقی داشت خوش دیباجهٔ — عاشق و صاحب کرامت خواجهٔ ۹ بر زمین میشد چو مه بر آسمان — شب‌روان‌را گشته زوروشن‌روان
در مقامی مسکنی کم ساختی — کم دو روز اندر دهی انداختی ۱۰ گفت در یك‌خانه گر باشم دوروز — عشق‌آن مسکن‌کند درمن فروز
غرّة المسکن احاذرها انا — انقلی یا نفس سافر للغنا ۱۱ لا اُعوّد خُلق قلبی بالمکان — کی‌یکون‌خالصاً فی‌الأمتحان (٤)
روز اندر سیر بُد شب در نماز — چشم اندر شاه باز او همچو باز ۱۲ منقطع از خلق نی از بد خوئی — منفرد از مرد و زن نی ازدوئی
مشفقی برخلق نافع همچو آب — خوش شفیقی و دعایش مستجاب ۱۳ نیك و بد را مهربان و مستقر — بهتر از مادر شهی‌تر از پدر
گفت پیغمبر شما را ای مهان — چون پدر هستم شفیق و مهربان ۱٤ زان سبب که جمله اجزای منید — جزو را از کل چرا برمی‌کنید
جزو از کلّ قطع شد بیکار شد — عضو از تن قطع شد مردار شد ۱۵ تا نپیوندد بکل بار دگر — مرده باشد نبودش از جان خبر
ور بجنبد نیست خود اورا سند — عضو نو ببریده هم جنبش کند ۱٦ جزوازاین‌کل‌گر بُرد یکسورود(۵) — این نه‌آن کلّ است‌کوناقص شود
قطع و وصل او نیاید در مقال — چیز ناقص گفته شد بهر مثال ۱۷ مر علی‌را بر مثال شیر خواند — شیر مثل او نباشد گرچه راند

بازگشتن بقصهٔ دقوقی

از مثال ومثل و فرق آن بران — جانب قصهٔ دقوقی ای جوان(٦) ۱۹ آنکه در فتوی امام خلق بود — گوی تقوی از فرشته می رُبود
آنکه اندر سیر مه را مات کرد — هم‌زدین‌داریٔ اودین‌رشك‌خورد ۲۰ با چنین تقوی و اوراد و قیام — طالب خاصان حق بودی مدام
در سفر معظم مرادش آن بدی — که دمی بز بندهٔ خاصی زدی(۷) ۲۱ این همی گفتی چو میرفتی براه — کن قرین خاصگانم (۸) ای اله
یارب آنهارا که بشناسد دلم — بندهٔ بسته میان و مقبلم (۹) ۲۲ وانکه نشناسدتو ای یزدان جان — بر من محجوبشان کن مهربان
حضرتش‌گفتی که ای‌صدر مهین — این‌چه‌عشقست وچه‌استسقاست این ۲۳ مهر من داری چه میجوئی دگر — چون خدا باتست چه جُوئی بشر
او بگفتی یارب ای دانای راز — تو گشودی در دلم راه نیاز ۲٤ در میان بحر اگر بنشسته ام — طمع در آب سبو هم بسته ام
همچوداودم نودنعجه‌مراست(۱۰) — طمع درنعجهٔ حریفم هم‌بجاست(۱۱) ۲۵ حرص‌اندر عشق‌توفخراست وجاه — حرص اندر غیر تو ننگ و تباه
شهوت و حرص زنان پیشی بود — وان‌حیزان(۱۲)ننگ‌وبدکیشی‌بود ۲٦ حرص مردان از ره پیشی بود — در مخنّث حرص سوی پس رود
آن‌یکی‌حرص ازکمال‌و مردی‌است — وان‌دگرحرص‌افتضاح‌وسردی‌است ۲۷ آه سرّی هست اینجا بس نهان — که سوی خضری شود موسی‌دوان
همچو مستسقی‌کزآبش سیر نیست — بر هر آنچه یافتی بالله مایست ۲۸ ❀چون‌گذشتی‌زان یکی‌نوتررسد — آن یکی بالاتر از وی در رسد
بی‌نهایت خضرتست این بارگاه ۲۹ صدر را بگذار صدر تست راه

سِرّ طلب‌کردن موسی خضر را باکمال نبوّت و قربت

از کلیم حق بیاموز ای کریم — بین چه میگوید ز مشتاقی کلیم ۳۱ با چنین جاه و چنین پیغمبری — طالب خضرم ز خود بینی بری
موسیا تو قوم خود را هشتهٔ — در پی نیکوئی سرّ گشتهٔ ۳۲ کیقبادی رسته از خوف و رجا — چند گردی چند جوئی تا کجا
آنِ تو باتست و تو واقف برین — آسمانا چند پیمائی زمین ۳۳ گفت موسی این ملامت کم کنید — آفتاب و ماه را ره کم زنید
میروم تا مجمع‌البحرین من(۱۳) — تا شوم مصحوب سلطان زمن ۳٤ اجعل الخضر لامری سبباً — ذاك اوامضی واسری حقباً (۱٤)
سالها پرّم ببرّ و بالها — سالها چبود هزاران سالها ۳۵ میروم یعنی نمی‌ارزد بدان — عشق جانان‌کم مدان ازعشق نان
این سخن پایان ندارد ایعمو ۳٦ داستان آن دقوقی باز گو

باز گشتن بقصهٔ دقوقی (علیه‌الرحمه)

آن دقوقی رحمة الله علیه — گفت‌سافرتُ مُدیً فی‌خافقیه (۱۵) ۳۸ سال ومه رفتم(۱٦)سفرازعشق‌ماه — بیخبر از راه و حیران در اله
پابرهنه رفته ام برخار و سنگ — گفت(۱۷)من‌حیرانم‌وبی‌خویش‌ودنگ ۳۹ تو مبین این پایها را بر زمین — زانکه بردل میرود عاشق یقین
از ره ومنزل ز کوتاه و دراز — دل چه داند کوست مست دلنواز ٤۰ این‌دراز وکوته اوصاف تن‌است — رفتن ارواح دیگر رفتن است

۱ـ پربود چشمش زحسن روی او ۲ـ خصلت ٦ـ بازران ۷ ـ کودمی مقسرون یك خاصی شدی ۸ ـ که قرین کن با خواصم ۹ـ مجملم
۱۱ ـ بخاست ۱۲ ـ ستان ۱٦ ـ کردم ۱۷ ـ زانکه (ن . ل)

---

(۳) هرسالکی کی این فرقها را پی برد و داند (٤) حذرمیکنم ازفریفته شدن بمسکن وموطن پس حرکت کن ای نفس وسفرکن بجهت غنا یافتن عادت‌نمیدهم‌خوی قلبمرا بجای معین تااینکه درمقابل امتحان خالص و رو سپید بماند (۵) یعنی جزو که از کل جدا شود بی کار گردد و این‌کل آن نیست که از رفتن جزو نقصان پذیرد(۱۰) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ ص « انّ هذا اخی‌له تسع وتسعون نعجة ولی نعجة واحده فقال اکفلنیها وعزّنی فی‌الخطاب » بدرستیکه این برادر منست ونود ونه میش دارد ومرایك میش پس‌گفت مرا که‌کفالت یك میش را هم باو واگذارم وغالب شد برمن در حجت برای آنکه ازمن در تکلم قادرتراست (۱۳) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ کهف واذقال موسی لفتیه لا ابرح حتّی ابلغ مجمع البحرین او امضی حقباً (۱٤) میگردانم خضر را برای کار خود سبب یعنی وسیله تا آنجا که بگردم و سیرکنم زمانی دراز (۱۵) سفرکردم مدتها در جانب مشرق و مغرب

تو سفر کردی ز نطفه تا بعقل — نی بگامی بود منزل نی بنقل ۱ سیرجان بیچون بود دردور ودیر — جسم ما از جان بیاموزید سیر
❀ سیرجان هرکس نه بیندجان من — لیك سیر جسم باشد بر علن ۲ سیر جسمانه رها کرد او کنون — میرود بیچون نهان در شکل چون
گفت روزی میشدم مشتاق وار — تا ببینم در بشر انوار یار ۳ تا ببینم قلزمی در قطرهٔ — آفتابی درج اندر ذرهٔ
چون رسیدم سوی یکساحل بکام ٤ بود بیگه گشته روز و وقت شام

نمودن مثال هفت شمع سوی ساحل

هفت شمع از دور دیدم ناگهان — اندران ساحل شتابیدم بدان ٦ نور و شعلهٔ هریکی شمعی از آن — برشده خوش تاعنان آسمان (۱)
خیره گشتم خیرگی هم خیره گشت — موج حیرت عقل را از سرگذشت ۷ کاین چگونه شمعها افروخته است — وین (۲) دودیدهٔ خلق از اینها دوخته است
خلق جویان چراغی گشته بود — پیش آن شمعی که بر مه میفزود ۸ چشم بندی بد عجب بر دیدها — بندشان میکرد یهدی من یشا (۳)

شدن آن هفت شمع بر مثال یك شمع

باز میدیدم که میشد هفت یك — نور او بشکافتی جیب فلك ۱۰ باز آن یك بار دیگر هفت شد — مستی و حیرانی من زفت شد
اتصالاتی میان شمعها — که نیاید بر زبان و گفت ما ۱۱ آنکه یك دیدن کند ادراك آن — سالها نتوان نمودن از زبان
آنکه یکدم بیندش ادراك هوش — سالها نتوان شنیدن آن بگوش ۱۲ چونکه پایانی ندارد رو الیك — زانکه لا اُحصی ثناءً ماعلیك (٤)
بیشتر رفتم دوان کان شمعها — تا چه چیز است از نشان کبریا ۱۳ میشدم مدهوش وبیخویش و خراب — تا بیفتادم ز تعجیل و شتاب
ساعتی بیعقل و بیهوش اندرین — اوفتادم بر سر خاك زمین ۱٤ باز با هوش آمدم برخاستم — در روش گوئی نه سر نه پاستم

نمودن آن شمعها در نظر آن شیخ هفت مرد

هفت شمع اندر نظر شد هفت مرد — نورشان میشد بسقف لاجورد ۱٦ پیش آن انوار نور روز درد — از صلابت نور ها را می سترد
❀ بازحیران گشتم اندرصنع رب — کاینچنین چون شدچگونه است ایعجب ۱۷ ❀ بیشتر رفتم که نیکو بنگرم — تا چه حالست اینکه میگردد سرم

باز نمودن آن هفت مرد دانت درخت

باز هریك مرد شد شکل درخت — چشم از سبزیٔ ایشان نیك بخت ۱۹ زانبهی برگ پیدا نیست (٥) شاخ — برگ هم گمگشته از میوهٔ فراخ
هر درختی شاخ بر سدره زده — سدره چبود ازخلأ بیرون شده ۲۰ بیخ هریك رفته در قعر زمین — زیر تر از گاو و ماهی بُد یقین
بیخشان از شاخ خندان روی تر — عقل ازان اشکالشان زیر وزبر ۲۱ میوهٔ که بر شکافیدی عیان — همچو آب ازمیوه جستی نورآن

مخفی بودن آن درختان از چشم خلق

این عجب ترکه برایشان میگذشت — صد هزاران خلق ازصحرا ودشت ۲۳ ز آرزوی سایه جان میباختند — از گلیمی سایبان می ساختند
سایهٔ آن را نمی دیدند هیچ — صد تفو بر دیدهای پیچ پیچ ۲٤ ختم کرده قهر حق بر دیدها — که نبیند ماهرا بیند سُها
ذرّهٔ را بیند و خورشید نی — لیك ازلطف وکرم نومید نی (٦) ۲٥ کاروانها بینوا وین میوها — پخته میریزد چه سحراست ای خدا
سبب پوسیده همی چیدند خلق — درهم افتاده به یغما خشك حلق ۲٦ گفت هربرگ وشکوفهٔ آن غصون — دم بدم یالیت قومی یعلمون (۷)
بانگ می آمد ز سوی هر درخت — سوی ما آئید خلق شور بخت ۲۷ بانگ می آمد زغیرت بر شجر — چشمشان بستیم کلاّ لاَ وَزَر (۸)
گر کسی میگفتشان کاینسو روید — تا از این اشجار مستسعد شوید ۲۸ جمله میگفتند کاین مسکین مست — از قضاء الله دیوانه شدست
مغز این مسکین ز سودای دراز — وز ریاضت گشته فاسد چون پیاز ۲۹ اوعجب میماند یارب حال چیست — خلق را این پردهٔ اضلال چیست
خلق گوناگون با صد رأی وعقل — یك قدم اینسو نمی آرند نقل ۳۰ عاقلان و زیرکانشان از نفاق — گشته منکر واینچنین باغیٌ وعاق (۹)
یا منم دیوانه و خیره شده — دیو بر من غالب و چیره شده ۳۱ چشم میمالم بهر لحظه که من — خواب بینم یا خیال اندر زمن
خواب چبود بردرختان میروم (۱۰) — میوهاشان میخورم چون نگروم ۳۲ باز چون من بنگرم در منکران — که همی گیرند ازاین بستان کران
با کمال احتیاج و افتقار — ز آرزوی نیم غوره جان سپار ۳۳ زاشتیاق وحرص یك برگ درخت — میزنند این بینوایان آه سخت
درهزیمت زین درخت و زین ثمار — این خلایق صد هزار اندر هزار ۳٤ باز میگویم عجب من بیخودم — دست بر شاخ خیالی در زدم
همین بخوان (۱۱) ماالستیأس الرسل ایعمو — تابظنوا اَنهم قَدْ کُذبوا (۱۲) ۳٥ این قرائت خوان بتخفیف کذب — این بود که خویش بیند محتجب

---

۲ ـ که ٥ ـ پنهان گشته ۱۱ ـ حتی اذا (ن . ل) .

---

(۱) عنان آسمان یعنی صفایح آسمان و آنچه بنظر در آید از آن (۳) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ فاطر است فان الله یضل من یشاء و یهدی من یشاء فلاتذهب نفسك علیهم حسرات ان الله علیم بما یصنعون بدرستیکه خدا گمراه گرداند هرکه را خواهد و راه نماید و توفیق دهد هرکه را میخواهد پس باید که نرود نفس تو یعنی هلاك نشود بر گمراهی ایشان برای حسرتها و تأسفهائی که میخوری بر ایشان بدرستیکه خدا داناست به آنچه میکنند (٤) حدیث مروی از حضرت رسول است اللهم انی اعوذ بك برضاك من سخطك و بمعافاتك عن عقوبتك و اعوذبك منك لااحصی ثناء علیك انت کما اثنیت علی نفسك یعنی خدایا پناه میبرم بتو برضای تو از غضبت و به عفو تو از عقوبتت و پناه میجویم بجمال تو از جلال تو و بلطف تو از قهر تو شماره نمیتوانم کرد ثنا را برذات و صفات تو و تو چنانستی که ثنا فرمودی برذات خویش (٦) یعنی استعداد دیدن هست اگرفضل الهی شامل شود (۷) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ یس است که یا لیت قومی یعلمون بما غفرلی ربی وجعلنی من المکرمین ای کاش که قوم من میدانستند که آمرزید مرا پروردگار من وگردانید مرا ازمکرمین (۸) یعنی بس کنید نیست پناهی برای آنها واشاره بآیه واقعه در سورهٔ قیامت است یقول الانسان یومئذ این المفرکلا لاوزر الی ربك یومئذ المستقر (۹) یعنی منکرشدند و چنین طغیان کننده حال وعاق شدند (۱۰) دفع وهم کرده عقل ویقین میگویدکه خواب نیست (۱۲) اشاره است بآیه واقعه درسورهٔ یوسف که « حتی اذا استیأس الرسل و ظنوا انهم قد کُذبوا الخ یعنی مهلت کافران وانکار منکران بجائی نرسید که پیغمبران مأیوس شدند و گمان کردند که تکذیب شده‌اند یعنی در عذاب وجزای ایشان مأیوس شده دروعده نصرت بشك افتادند (ومقصود مولوی آن است که کذبوا بتخفیف خوانده شود تامطابق این معنی شود نه کذّبوا بتشدید)

در گمان افتاد جان انبیا ز اتفاق منکری اشقیا ۱ جاءهم بعد التشکک نصرنا ترکشان گو بر درخت جان برا
میخور ومیده بدان کش روزیست هر دم و هر لحظه سحر آموزیست ۲ خلق گویان ای عجب این بانگ چیست چونکه صحرا ازدرخت وبرتهیست
گیج گشتم از دم سودائیان که بنزدیك شما باغست و خوان ۳ چشم میمالم که اینجا باغ نیست یا بیابانیست یا مشکل رهیست
ای عجب چندین دراز این ماجرا چون بود بیهوده وهزل و خطا ٤ من همی گویم چو ایشان ای عجب اینچنین مهری چرا زد صنع رب
زین تنازعها تحمد در عجب در تعجب نیز مانده بولهب ٥ زین عجب تا آن عجب فرقیست ژرف تا چه خواهد کرد سلطان شگرف
ای دقوقی تیزتر ران هین خموش ٦ چند گوئی چند چون قحطست گوش

یك درخت شدن آن هفت درخت

گفت راندم پیشتر من نیك بخت بازشد آن هفت جمله(۱) یکدرخت ۸ هفت میشد فرد میشد هر دمی من چسان میگشتم از حیرت همی
بعدازان دیدم درختان در نماز صف کشیده چون جماعت کرده ساز ۹ یکدرخت از پیش مانند امام دیگران اندر پس او در قیام
آن قیام وآن رکوع وآن سجود از درختان بس شگفتم مینمود ۱۰ یاد کردم قول حق را آن زمان گفت النجم وشجر را یسجدان(۲)
این درختان را نه زانو نه میان این چه ترتیب نماز است آنچنان ۱۱ آمد الهام خدا کای با فروز این عجب داری زکار ما هنوز (۳)

هفت مرد شدن آن هفت درخت

بعد دیری گشته آنها هفت مرد جمله در قعده بی یزدان فرد ۱۳ چشم میمالم که آن هفت ارسلان تا کیانند و چه دارند از جهان
چون بنزدیکی رسیدم من ز راه کردم ایشان را سلام از انتباه ۱٤ قوم گفتندم جواب آن سلام ای دقوقی مفخر و تاج کرام
گفتم آخر چون مرا بشناختند (٤) پیش ازین بر من نظر نانداختند ۱٥ از ضمیر من بدانستند زود یکدگر را بنگریدند از فرود
پاسخم دادند کای جان عزیز (٥) چون بپوشیده است اینها برتو نیز ۱٦ بر دلی کو در تحیر با خداست کی شود پوشیده راز چپ وراست
گفتم از سوی حقایق پانهید(٦) چون زاسم وحرف رسمی واقفید(۷) ۱۷ این سخن چون آمد ازمن درخطاب آنشهان در حال گفتندم جواب
گفت اگر اسمی شود غیب از ولی آن ز استغراق دان نز جاهلی ۱۸ بعدازآن گفتند مارا آرزوست (۸) اقتدا کردن بتو ای پاك دوست(۹)
گفتم آری لیك یکساعت که من مشکلاتی دارم از دور زمن ۱۹ تا شود آن حل بصحبتهای پاك که بصحبت روید انگوری زخاك
دانهٔ پسر مغز را خاك دژم خلوتی و صحبتی کرد از کرم ۲۰ خویشتن در خاك کلی محو کرد تانماندش رنگ وبو وسرخ وزرد
از پس آن محو قبض او نماند بر گشاد و بسط شد مرکب براند ۲۱ پیش اصل خویش چون بیخویش شد رفت صورت جلوهٔ معنیش شد
سرچنین کردند هین فرمان تراست تف دل زان سرچنین کردن بجاست ۲۲ ساعتی با آن گروه مجتبی چون مراقب گشتم و از خود جدا
هم در آن ساعت زساعت رست جان زانکه ساعت پیر گرداند جوان ۲۳ جمله تلوینها زساعت خاسته است(۱۰) رست ازتلوین که ازساعت برست
چون زساعت ساعتی بیرون شوی چون نماند محرم بیچون شوی ۲٤ ❁ ساعتی بیرون شو ازساعت دلا تا ز چونی وارهی و از چرا
ساعت از بی ساعتی آگاه نیست زانکه آنسو جز تحیر راه نیست ۲٥ هر نفر را بر طویلهٔ خاص او بسته اند اندر جهان جستجو
منتصب بر هر طویله رایضی جز بدستوری نیابد رافضی(۱۱) ۲٦ از هوس از یك طویله گر رود در طویلهٔ دیگری اندر شود
❁ ازهوس گر از طویله بگسلد در طویلهٔ دیگران سر بر کند ۲۷ درزمان آخرچیان کز حق خوشند(۱۲) گوشهٔ افسار او آن سو کشند(۱۳)
حافظان را گر نبینی ای عیار (۱٤) اختیارت را ببین بی اختیار ۲۸ اختیاری میکنی و دست و پا برگشا دستت چرا حبسی چرا
روی در انکار حافظ بردهٔ ۲۹ نام تهدیدات نفسش کردهٔ

پیش رفتن دقوقی بامامت

این سخن پایان ندارد تیز رو هین نماز آمد دقوقی پیش رو(۱٥) ۳۱ ای یگانه هین دو گانه برگذار تا مزین گردد از تو روزگار
ای امام چشم روشن الصلا چشم روشن باید اندر پیشوا ۳۲ در شریعت هست مکروه ای کیا در امامت پیش کردن کور را
گرچه حافظ باشد و چست و فقیه چشم روشن به وگر باشد سفیه ۳۳ کور را پرهیز نبود از قذر چشم باشد اصل پرهیز و حذر
او پلیدی را نبیند در عبور ❁ هیچ مؤمن را مبادا چشم کور ۳٤ کوری باطن بود کان شرور ❁ زانکه اندر فعل وقولش نیست نور
کور ظاهر درنجاست ظاهر است کور باطن در نجاسات سر است ۳٥ این نجاست ظاهر از آبی رود آن نجاست باطن افزون میشود
جز بآب چشم نتوان شستن آن چون نجاسات بواطن شد عیان ۳٦ چون نجس خوانده است کافر را خدا(۱٦) آن نجاست نیست در ظاهر ورا
ظاهر کافر ملوث نیست زین آن نجاست هست دراخلاق ودین ۳۷ این نجاست بویش آید بیست گام وآن نجاست بویش ازری تا بشام
بلکه بویش آسمانها بر رود بر دماغ حور ورضوان بر شود ۳۸ آنچه میگویم بقدر فهم تست مردم اندر حسرت فهم درست

---

۱ ـ بازگشتند آن درختان ۳ ـ چون نمی‌بینی تو این صنع چو روز ٦ ـ بشکفید ۸ ـ آرزو ۹ ـ هست برتو اقتدا ای خوب رو ۱۲ ـ چست و خوش ۱۳ ـ گیرند وکش ۱٥ ـ شو (ن . ل).

---

(۲) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ الرحمن که النجم والشجر یسجدان یعنی گیاه ودرخت سجود میکنند یعنی مسخر ومنقادند قدرت خدایتعالی را (النجم در اینجا مراد گیاه بی ساق است) (٤) این مقوله خواه بطریق غیبت وخواه خطاب بضمیر خودست چنانچه مصرع اول بیت مابعد اظهار مضمریت آن مینماید (٥) از اینجا تا ۷ سطر بعد هردو احتمال دارد هم مضمر میتوان گفت وهم مظهر یعنی خطاب بنفس خود یا بآن هفت مرد (۷) اسم وحرف عطف تفسیری است و مراد از اسم که مأخوذ از سمو است اعلی و از حرف که اسفل اقسام ثلثه و کلمه است ادنی ورسم وحد خود امریست رسمی (۱۰) تلوین رنگ کردن است وازاین رنگ این معنی خواهد که درجائی دیگر گوید چونکه بیرنگی اسیر رنگ شد میفرماید تمامت رنگ رزیها از وقت وزمان وجهان تعین وتشخص برخیزد وهرکه از عالم وقت وزمان برتر شود او از رنگ بجهد و به بی‌رنگی رود ومحرم خدای بیچون شود (۱۱) رافض تارك است یعنی جز برخصت حق تارك امر سنیوی تارك نشود (۱٤) یعنی ظاهر را اگر نبینی اثرش را ببین ومراد بعیار آنست که توعیار خالص از جهان وجهانیانی (۱٦) اشاره به آیه انما المشرکون نجس واقعه درسورهٔ توبه است

فهم آبست و وجود تن (۱) سبو — چون سبو بشکست ریزد آب ازاو ۱ این سبورا پنج سوراخست ژرف — اندرونه آب ماند خود نه برف
امر غضوا غضة ابصارکم (۲) — هم شنیدی راست ننهادی توسم ۲ از دهانت نطق فهمت رابرد (۳) — گوش چون زنگست (٤) فهمت راخورد
همچنین سوراخهای دیگرت — می‌کشاند آب فهم مضمرت ۳ گر ز دریا آب را بیرون کنی — بی‌عوض آن بحر را هامون کنی
بی‌گهست ارنی بگویم حال را — مدخل اعواض را و ابدال را ٤ کان عوضها وان بدلها بحر را — از کجا آید ز بعد خرجها
صد هزاران جانور زو میخورند — ابرها هم از برونش میبرند ٥ باز دریا آن عوضها میکشد — از کجا دانند اصحاب رشد
قصه‌ها آغاز کردیم از شتاب — ماند بی مخلص درون این کتاب ٦ ای ضیاءالحق حسام الدین راد — که فلك وارکان چوتو شاهی نزاد
تو بنادر آمدی درجان و دل — ای دل و جان از قدوم توخجل ۷ چند کردم مدح قوم ماضی — قصد من زانها تو بودی ز اقتضا
خانهٔ خود را شناسد خود دغا — تو بنام هرکه خواهی کن ثنا ۸ بهر کتمان مدیح از نا محل — حق نهادست این حکایات ومثل
حق پذیرد کسره را دارد معاف — کز دو دیدهٔ کور دو قطره کفاف ۹ گرچه آن مدح ازتوهم آمد خجل — لیك پذیرد خدا جهدالمقل (٥)
مرغ و ماهی داند آن ابهام را — که ستودم مجمل این خوش نام را ۱۰ تا بر او آه حسودان کم وزد — تا خیالش را بدندان کم گزد
خود خیالش را کجا یابد حسود — در وثاق موش طوطی کی غنود ۱۱ آن خیال او بود از احتیال — موی ابروی ویست آن نی هلال

پیش رفتن دقوقی بامامت آن قوم

مدح تو گویم برون ازپنج وهفت — برنویس اکنون دقوقی پیش رفت ۱۳ در تحیات و سلام الصالحین — مدح جملهٔ انبیا آمد عجین
مدحها شد جملگی آمیخته — کوزها در یك لگن در ریخته ۱٤ زانکه خود ممدوح جزیك بیش نیست — کیشها زین روی جزیك کیش نیست
دانکه هر مدحی بنور حق رود — بر صور و اشخاص عاریت بود ۱٥ مدحها جزمستحق را کی کنند (٦) — لیك بر پنداشت گمره میشوند (۷)
همچو نوری تافته بر حائطی — حائط آن انوار را چون رابطی (۸) ۱٦ لاجرم چون سایه (۹) سوی اصل راند — ضال مه گم کرد و زاستایش بماند
یا زچاهی عکس ماهی وانمود — سربچه درکرد وآنرا می‌ستود ۱۷ در حقیقت مادح ماهست او — گرچه جهل او بعکسش کرد رو
مدح او مه راست نی آن عکس را — کفر شد آن چون غلط شد ماجرا ۱۸ کز شقاوت گشت گمره آن دلیر — مه ببالا بود او پنداشت زیر
زین بتان خلقان پریشان میشوند — شهوتی رانده بشیمان میشوند ۱۹ زانکه شهوت با خیالی راندند — وزحقیقت دوروپس (۱۰) وامانده‌اند
با خیالی میل تو چون پر بود — تا (۱۱) بدان پر برحقیقت برشود ۲۰ چون براندی شهوتی پرّت بریخت (۱۲) — لنگ گشتی وآن خیال ازتو گریخت
پر نگهدارو چنین شهوت مران — تا بر میلت برد سوی جنان ۲۱ خلق پندارند عشرت میکنند — بر خیالی پرّ خود بر میکنند
وام دار شرح این امر آمدم (۱۳) ۲۲ مهلتم ده معسرم زان تن زدم

اقتدا کردن قوم از پس دقوقی

باز گردم زانکه قصه شد دراز — وقت تنگ وقوم (۱٤) موقوف نماز ۲٤ پیش درشد آن (۱٥) دقوقی درنماز — قوم همچون اطلس آمد اوطراز
اقتدا کردند آن شاهان قطار — در پی آن مقتدای نامدار ۲٥ چونکه با تکبیر ها مقرون شدند — همچو قربان ازجهان بیرون شدند
معنی تکبیر این است ای امم (۱٦) — کای خدا پیش تو ما قربان شدیم (۱۷) ۲٦ وقت ذبح الله اکبر میکنی — هم چنین در ذبح نفس کشتنی
گوی الله اکبر و این شوم را — سر ببر تا وارهد جان از فنا ۲۷ ❀ تن چو اسمعیل و جان همچون خلیل — کرد جان تکبیر بر جسم نبیل
گشت کشته تن ز شهوتها و آز — شد بسم الله بسمل در نماز ۲۸ چون قیامت پیش حق صفها زده — در حساب و در مناجات آمده
ایستاده پیش یزدان اشك ریز — برمثال راست خیز رستخیز ۲۹ حق همی گوید چه آوردی مرا — اندرین مهلت که دادم مرترا (۱۸)
عمر خود را در چه پایان بردهٔ — قوت و قوّت در چه فانی کردهٔ ۳۰ گوهر دیده کجا فرسودهٔ — پنج حسّ را در کجا پالودهٔ
گوش وچشم وهوش وگوهرهای عرش — خرج کردی چه خریدی توزفرش ۳۱ دست وپادادمت چون بیل وکلند — من ببخشیدم ز خود آن کی شدند
همچنین پیغامهای دردناك (۱۹) — صدهزاران آید از یزدان پاك (۲۰) ۳۲ در قیام این گفتها دارد رجوع — وزخجالت شد دوتا اندر رکوع
❀ قوّت استادن ازخجلت نماند — در رکوع از شرم تسبیحی بخواند ۳۳ ایستادن را نمانده قوتی — در رکوع آید زشرم او ساعتی
باز فرمان میرسد بردار سر — از رکوع و پاسخ حق بر شمر ۳٤ سر برآرد از رکوع آن شرمسار — باز اندر رو فتد آن خام کار
باز فرمان آیدش بردار سر — از سجود و واده از کرده خبر ۳٥ سر برآرد او دگر ره شرمسار — اندر افتد باز در رو همچو مار
باز گوید سر بر آر و بازگو — که بخواهم کرد ازتوجستجو (۲۱) ۳٦ قوّت پا ایستادن نبودش — که خطاب هیبتی برجان زدش
پس نشیند قعده زان بار گران — حضرتش گوید سخن گو با بیان ۳۷ نعمت دادم بگو شکرت چه بود — دادمت سرمایه هین بنمای سود
❀ چون نه سرمایه بوداورا نه سود ۳۸ شافعی خواهد که آرد عذر زود

بیان اشارت سلام سوی دست راست در قیامت از هیبت محاسبهٔ حق واز انبیاء استعانت و شفاعت خواستن

رو بدست راست آرد در سلام — سوی جان انبیا و آن کرام ٤۰ یعنی ای شاهان شفاعت کاین لئیم — سخت در گل ماندش پا و گلیم
انبیا گویند روز چاره زفت — چاره آنجا بود دست افراز زفت ٤۱ مرغ بی‌هنگامی ای بدبخت رو — ترك ما گو خون ما اندر مشو
رو بگرداند بسوی دست چپ — در تبار وخویش گویندش که خب ٤۲ هین جواب خویش گو با کردگار — ما که ایم ای خواجه دست ازما بدار

---

۱ ـ تو ٤ ـ ریگست ٦ ـ رواست ۷ ـ سهو است و خطاست ۹ ـ نور ۱۰ ـ دور تر ۱۱ ـ جان ۱۳ ـ نکته شدم ۱٤ ـ خلق
۱٥ ـ کرد امامتشان ۱٦ ـ آمد که ما ۱۷ ـ ولا ۱۹ ـ دردگین ۲۰ ـ حضرت چنین ۲۱ ـ جست از تو مو بمو

---

(۲) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ مؤمنون (۳) یعنی نطق زیاد فهمت را کم میکند (٥) یعنی خدا کوشش فقیر ناتوان یابندهٔ اندك رامیپذیرد
(۸) دیوار و همچنین نور خورشید است که تابیده برقمر ودر آن عاریت است پس اگر قمر در شب عالم را روشن کند در حقیقت خورشید کرده
(۱۲) یعنی چون مشغول خواهشهای دنیا گشتی استعداد خود را که قابل حضور حق بود ضایع کردی (۱۸) این چند بیت اشاره است بمضمون
آیه واقعه در سورهٔ بنی اسرائیل انّ السمع والبصر والفؤاد کل اولئك کان عنه مسئولا

نی‌ازاین‌سو نی‌ازآن سوچاره شد جان آن بیچاره دل صد پاره‌شد ۱ از همه نومید گردد آن دغا پس‌برآرد هردو دست اندر دعا
کز همه نومید گشتم ای‌خدا اوّل و آخر توئی و منتها ۲ معنی تسلیم این ای مقتدی که تو ای‌حق هادی و ما مهتدی
هرچه فرمائی تو منقادیم ما با قضای جرم هم شادیم ما(۱) ۳ درنماز این خوش اشارتها ببین تابدانی کاین بخواهد شد یقین
هست امیدی که عنایت در رسد گردد او ایمن ز حبل من مسد ۴ بچه بیرون آر از بیضهٔ نماز سرمزن‌چون‌مرغ‌بی‌تعظیم‌وساز (۲)

شنیدن دقوقی در میان نماز افغان اهل کشتی را در غرق شدن

آن دقوقی در امامت کرد ساز اندران ساحل درآمد در نماز ۶ وان جماعت در پی او در قیام اینت زیبا قوم و بگزیده امام
ناگهان چشمش سوی دریا فتاد چون شنید از سوی دریا داد داد ۷ در میان موج دید او کشتئی در قضا و در بلا و زشتئی
هم‌شب وهم‌ابر وهم‌موج‌عظیم(۳) آن سه تاریکی واز غرقاب بیم ۸ تند بادی همچوتنزرائیل‌خاست(٤) موجها آشوفت اندر چپ وراست
اهل کشتی از مهابت کاسته نعره و واویلها (٥) بر خاسته ۹ دستها در نوحه بر سر میزدند کافر و ملحد همه مخلص شدند
باخدا با صد تضرع آن زمان عهد ها و نذرها کرده بجان ۱۰ سربرهنه در سجود آنها که هیچ رویشان قبله ندید از پیچ پیچ
گفت که بیفایده است این بندگی وان‌زمان‌دیده درآن صد زندگی ۱۱ از همه امّید ببریده تمام دوستان وخال و عم بابا و مام
زاهد و فاسق شد آن دم متقی همچو درهنگام جان‌کندن شقی ۱۲ نی‌زچپ‌شان چاره بود ونی‌زراست حیلها چون مُرد هنگام دعاست
در دعا ایشان ودر زاری وآه بر فلك ز ایشان شده دود سیاه ۱۳ دیو آن دم از عداوت تیز بین بانگ‌زدکای‌سگ‌پرستان‌لعین(٦و۷)
مرگ وجسك ای‌اهل انکار ونفاق عاقبت خواهد بُدن این اتفاق ۱٤ چشمتان تر باشد از بعد خلاص که شوید از بهرشهوت دیوخاص
یادتان ناید که روزی درخطر دستتان بگرفت یزدان از قدر ۱٥ این همی آمد ندا از دیو لیك این سخن را نشنود جزگوش نیك
راست فرموده است با ما مصطفی قطب و شاهنشاه ودریای صفا ۱٦ کانچه جاهل دید خواهد عاقبت عاقلان بینند ز اوّل مرتبت
کار ها ز آغاز از غیبست و سرّ عاقل اوّل دید وآخر آن مُصر ۱۷ اوّلش پوشیده باشد آخران (۸) عاقل وجاهل بینند در عیان (۹)
گر نبینی واقعهٔ غیب ای عنود ۱۸ حزم را سیلاب کی اندر ربود

تصوّرات مرد حازم

حزم چه بود بدگمانی در جهان دمبدم دیدن بلای ناگهان ۲۰ آنچنانکه ناگهان شیری رسید مرد را بربود و در بیشه کشید
او چه اندیشد در آن بردن ببین توهمان اندیش ای استاد دین ۲۱ میکشد شیر قضا در بیشه‌ها جان ما مشغول کار وبیشه ها
آنچنان کز فقر میترسند خلق زیر آب شور رفته تا بحلق ۲۲ گر بترسیدی از آن فقر آفرین گنجهاشان کشف گشتی در زمین
جمله شان از خوف غم در عین غم ۲۳ در پی‌هستی دویده (۱۰) درعدم

دعا و شفاعت دقوقی در خلاص کشتی

چون دقوقی آن قیامت را بدید رحم او جوشید واشك او دوید ۲٥ گفت یارب منگر اندر فعلشان دستشان گیر ای شه نیکو نشان
خوش سلامت شان بساحل باز بر ای رسیده دست تو درجر وبر ۲٦ ای کریم و ای رحیم سرمدی درگذار از بدسگالان این بدی
ای‌بداده رایگان صدچشم وگوش نی‌زرشوت بخش‌کرده عقل وهوش ۲۷ بیش از استحقاق بخشیده عطا دیده از ما جمله کفران و خطا
ای عظیم از ما گناهان عظیم تو توانی عفو کردن‌درحریم(۱۱) ۲۸ ما زحرص وآز خود را سوختیم وین دغا را هم ز تو آموختیم
حرمت آن‌که دعا آموختی در چنین ظلمت چراغ افروختی ۲۹ ❀ دستگیر و ره نما توفیق ده جرم بخش و عفو کن بگشا گره
هم چنین میرفت برلقطش دعا آن زمان چون مادران با وفا ۳۰ اشك‌میرفت ازدوچشمش وان دعا بیخود از وی می برآمد بر سما
آن دعای‌بیخودان خود دیگراست آن دعا زونیست گفت داوراست ۳۱ آن دعا حق‌میکند چون اوفناست آن دعا وآن اجابت از خداست
واسطهٔ مخلوق نی اندر میان بیخبر زان لابه کردن جسم وجان ۳۲ بندگان حق رحیم و بردبار خوی حق دارند در اصلاح کار
مهربان بی رشوتان یاری گران در مقام سخت و در روز گران ۳۳ هین بجو اینقوم را ای مبتلا هین غنیمت دارشان پیش از بلا
رست کشتی از دم آن پهلوان و اهل کشتی را بجهد خودگمان ۳٤ که مگر بازوی ایشان در حذر بر هدف انداخت تیری از هنر
یا رهاند روبهان را در شکار وان زدم دانند روباهان غرار ۳٥ عشقها با دَمّ خود بازند کین میرهاند جان مارا از کمین
❀ از ضلالت بوسها بردم دهند رقص گیرند و زشادی بر جهند ۳٦ روبها پارا نگهدار ازحجر (۱۲) پاچونبوددم‌چسودای‌خیره‌سر(۱۳)

---

٥ ـ واویلتا ٦ ـ علتین ۸ ـ آخرش ۹ ـ ظاهرش ۱۰ ـ فتاده ۱۲ ـ کلوخ ۱۳ ـ ای چشم شوخ (ن . ل) .

---

(۱) یعنی باقضای جرم ازاین‌حیث‌که صنع تست شادیم نه باجرم واگرقضای رابمعنی جزا گفته شود هم‌گنجایش دارد (۲) مستنبط است از مضمون این‌حدیث‌که ازروایت ابی‌ذر منقول‌است‌که‌گفت« نهانی خلیلی عن ثلاثة ان اقعی اقعاء الکلب و ان افترش افتراش الثعلب و ان اقرّ نقرالدیك یعنی بازداشت مرا دوست من ازسه چیز اینکه بنشینم چون نشستن سگ واینکه بگسترانم دو دست خود را مانند روباه واینکه نوك بزنم مانند خروس (۳) اشاره است بمضمون آیه واقعه درسورهٔ نور اوکظلمات فی بحراجی یغشیه موج من‌فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض یعنی یا کردار ایشان باشد چون تاریکیهای متراکم در دریای عمیق که دم بدم می‌پوشد آن دریا را موجی از بالای موج واز زبر موج ثانی ابری که انوار نجوم را بپوشاند این تاریکیهاست بعضی بر بالای بعضی متراکم شده‌یعنی ظلمت بحر و ظلمت موج اول و ظلمت موج ثانی و ظلمت ابر (٤) این بیت وابیات مابعد اشاره باین آیه در سورهٔ لقمان است واذا غشیهم موج کالظلل دعواالله مخلصین له الدین فلما نجیهم الی البرّ فمنهم مقتصد وچون فرو گیرد وبپوشد ایشان را موج دریا که در بزرگی مانند سایبانها یا ابرهاست میخوانند خدای را در حالتی که خالص کنندگان‌اند برای خدا دین خودرا پس آن هنگام که برهاند ایشان را و بسلامت برساند بسوی بیابان بعضی از ایشان بطریق تقصیدند یعنی عدل و بعضی مایل‌اند از راه حق (۷) علتین عبارت از نکال‌الآخرة والاولی تواند بود یا انکار ونفاق که دربیت مابعد مذکور میشود (۱۱) از حریم مراد عرصهٔ قیامت است .

ما چو روباهان و پای ما کرام — میرهاندمان ز صد گون انتقام (۱) — ۱ حیلهٔ باریك ما چون دمّ ماست — عشقها بازیم با دم چپّ وراست
دم بجنبانیم ز استدلال و مکر — تاکه حیران ماند ازما زید وبکر — ۲ طالب حیرانی خلقان شدیم (۲) — دست طمع اندر الوهیت زدیم
تا بافسون مالك دنیا (۳) شویم — این نمی بینیم ما کاندر گویم — ۳ در گویّ و در چهی ای قلتبان — دست وادار از سبال دیگران
چون بیستانی رسی زیبا و خوش — بعد ازان دامان خلقان را بکش — ۴ ای مقیم حبس چار وپنج وشش — نغز جائی دیگران را هم بکش
ای چو خر بنده حریف کون خر — بوسه گاهی یافتی مارا ببر — ۵ چون ندادت بندگیّ دوست دست — میل شاهی ازکجایت خاسته است
در هوای آنکه گویندت زهی — بستهٔ بر گردن جانت زهی — ۶ روبها این دمّ حیلت را بهل — وقف کن دل برخداوندان دل
در پناه شیر کم ناید کباب — روبها تو(٤)سوی جیفه کم شتاب — ۷ تو دلا منظور حق آنگه شوی — که چوجزوی سوی کلّ خود روی
حق همی گوید نظرمان بردل است(٥) — نیست برصورت که آن آب وگل است — ۸ تو همی گوئی مرا دل نیز هست — دل فراز عرش باشد نی پست
در گل تیره یقین هم آب هست — لیك زان آبت نشاید آب دست — ۹ زانکه گر آبست مغلوب گل است — پس دل خودرا مگو کاین هم دل است
آن دلی کز آسمانها برتر است — آن دل ابدال یا پیغمبر است — ۱۰ پاك گشته آن ز گل صافی شده — در فزونی آمده وافی شده
ترك گل کرده سوی بحر آمده — رسته اززندان گل بحری شده(٦) — ۱۱ آب ما محبوس گل ماند است هین — بحر رحمت جذب کن مارا زطین
بحر گوید من ترا در خود کشم — لیك می لافی که من آب خوشم — ۱۲ لاف تو محروم میدارد ترا — ترك آن پنداشت(۷) کن درمن درا
آب گل خواهد که دردریا رود.(۸) — گل گرفته پای او را می کشد (۹) — ۱۳ گر رهاند پای خود از دست گل — گل بماند خشك و اوشد مستقل
آن کشیدن چیست ازگل آب را — جذب تو نقل و شراب ناب را — ۱۴ هم چنین هر شهوتی اندر جهان — خواه مال وخواه آب وخواه نان(۱۰)
خواه باغ ومرکب وتیغ ومجن — خواه ملك وخانه وفرزند و زن — ۱۵ هر یکی زانها ترا مستی کند — چون نیابی آن خمارت نشکند
این خمار غم دلیل آن شدست — که بدان مفقود مستی ات بُدست — ۱۶ جز باندازهٔ ضرورت زین مگیر — تا نگردد غالب و بر تو امیر
سرکشیدی تو که من صاحب دلم — حاجت غیری ندارم واصلم — ۱۷ آنچنانکه آب در گل سرکشد — که منم آب و چرا جویم مدد
دل تو این آلوده را پنداشتی — لاجرم دل ز اهل دل برداشتی — ۱۸ خود روا داری که آن دل باشد این — که بود در عشق شیر و انگبین
لطف شیر وانگبین عکس دلست — هرخوشی راآن خوش ازدل حاصلست — ۱۹ پس بوددل جوهر وعالم عرض(۱۱) — سایهٔ دل چون بود دل را غرض
آن دلی کو عاشق مالست و جاه — یا زبون این گل و آب سیاه — ۲۰ یا خیالاتی که در ظلمات او — می پرستد شان برای گفتگو
دل نباشد غیر آن دریای نور — دل نظرگاه خدا و آنگاه کور — ۲۱ نی دل اندرصد هزاران خاص وعام — در یکی باشد کدامست آن کدام
ریزهٔ دل را بهل دل را بجو — تا شود آن ریزه چون کوهی ازو — ۲۲ دل محیطاست اندراین خطهٔ وجود — زر همی افشاند از احسان وجود
از سلام حق سلامتها نثار — می کند بر اهل عالم ز اختیار — ۲۳ هرکه را دامن درستست و معد — آن نثار دل برآنکس میرسد
دامن تو آن نیاز است و حضور — هین منه دردامن آن سنگ فجور — ۲٤ تا ندرّد دامنت زان سنگها — تا بدانی نقد را از رنگها
سنگ برکردی تو دامن ازجهان — همزسنگ سیم و زر چون کودکان — ۲٥ آن خیال سیم و زر چون زرنبود — دامن صدقت درید و غم فزود
کی نماید کودکان را سنگ سنگ — تا نگیرد عقل دامنشان بچنگ — ۲٦ پیرعقل آمدنه آن موی چوشیر(۱۲) — مونمیگنجد دراین جا ای نقیر (۱۳)

انکار کردن آن جماعت بر دعا و شفاعت دقوقی و پریدن ایشان و ناپدید شدن درپردهٔ غیب وحیران شدن دقوقی که برهوا رفتند یا برزمین

چون رهید آن کشتی وآمد بکام — شد نماز آن جماعت هم تمام — ۲۹ نچنچی افتادشان با همدگر — کین فضولی نیست ازماها بدر (۱٤)
هر یکی با یکدگر گفتند سرّ — از پس پشت دقوقی مستتر — ۳۰ گفت هریك من نکردستم کنون — این دعا نی از برون نی از درون
گفت مانا کاین امام ما ز درد — بوالفضولانه مناجاتی بکرد — ۳۱ گفت آن دیگر که ای یاران یقین. — مر مرا هم مینماید این چنین
او فضولی بوده است از انقباض — کرد بر مختار مطلق اعتراض — ۳۲ چون نگه کردم سپس تا بنگرم — که چه میگویند آن اهل کرم
یك از ایشان را ندیدم در مقام — رفته بودند از مقام خود تمام — ۳۳ نی بچپ نی راست نی بالا نه زیر — چشم تیز من نشد بر قوم چیر
درّها بودند گوئی آب گشت — نی نشان پا و نی گردی بدشت — ۳٤ در قباب حق شدند آندم همه — در کدامین روضه رفتند آن رمه
در تحیر ماندم کاین قوم را — چون بپوشانید حق برچشم ما — ۳٥ آنچنان پنهان شدند از چشم او — مثل غوطهٔ ماهیان در آب جو
سالها در حسرت ایشان بماند — عمرها درشوق ایشان اشك راند — ۳٦ تو بگوئی مرد حق را در نظر — کی درآید با خدا ذکر بشر
خر ازین میخسبد اینجا ای فلان — که بشر دیدی تو ایشان را نه جان — ۳۷ کارازین ویران شدست ای مردخام — که بشر دیدی توایشان را چو عام
توهمان دیدی که ابلیس لعین (۱٥) — گفت من از آتشم آدم ز طین — ۳۸ چشم ابلیسانه را یکدم ببند — چند بینی صورت آخر چند چند
ای دقوقی با دو چشم همچو جو — هین مبر امید و ایشان را بجو — ۳۹ هین بجو که رکن دولت جستن است — هرگشادی دردل اندر بستن است
از همه کار جهان پرداخته — کو وکو می گو بجان چون فاخته — ٤۰ نیك بنگر اندر این ای محتجب — که دعارا بست حق براستجب(۱٦)
هرکه رادل پاك شد ازاعتدال(۱۷) — ٤۱ آن دعایش میرود تا ذوالجلال

---

۱ ـ میرهانند از بلاهامان مدام ۲ ـ خلق آمدیم ۳ ـ دلها ٤ ـ رو ٦ ـ رسته از گل رفته بر بحری زده ۷ ـ پندار ۸ ـ دارد سوی دریا شتاب ۹ ـ میکشاند پای آب ۱۰ ـ خواه مال وخواه جان وخانمان ۱۲ ـ سپید ۱۳ـ بخت وامید ۱٤ـ را که کردست ای پدر ۱۷ـ اعتلال (ن . ل) .

---

(٥) اشاره است بحدیث شریف نبوی انّ الله لاینظر بصورکم واموالکم ولکن ینظر الی قلوبکم واعمالکم (۱۱) یعنی دل اصل است و عالم تابع وسایه پس عالم مجردات ظلّ تجرد قلب انسان کامل وعالم حیوانات ظلّ حیوانیت آن وعالم نباتات ظلّ نباتیت آن وهمچنین درباقی ودرحدیث قدسی وارد است که خلقت الاشیاء لاجلك وخلقتك لاجلی پس عالم را دل غرض و غایت است نه آنکه جزوی از عالم یا کلّ عالم غرض وغایت آن باشد . (۱٥) اشارهٔ بمضمون آیه واقعه در سورهٔ اعراف است وقال انا خیر منه خلقتنی من نار وخلقته من طین (۱٦) اشاره بآیه شریفه واقعه درسورهٔ مؤمن است ادعونی استجب لکم یعنی بخوانید مرا تا اجابت کنم شمارا .

باز شرح کردن حکایت آن طالب روزی حلال بی کسب و رنج درعهد داود علیه السلام ومستجاب شدن دعای او

یادم آمد آن حکایت کان فقیر ۱ روز و شب میکرد افغان ونفیر ۲ از خدا میخواست روزیّ حلال بی شکال رنج و کسب و انتقال
پیش ازین گفتم بعضی حال او ۳ لیك تعویق آمد و شد پنج تو ۳ هم بگوئیمش کجا خواهد گریخت چون زابرفضل حق حکمت بریخت
صاحب گاوش بدید و گفت هین ۴ ای بظلمت گاو من گشته رهین ۴ هین چرا کشتی بگو گاو مرا ابله طرّار انصاف اندرا
گفت من روزی زحق میخواستم ۵ قبله را از لابه می آراستم ۵ ❀ سالها بوده است کار من دعا تا که بفرستاد گاوی را خدا
❀ چون بدیدم گاو را برخاستم ۶ روزیمن بود وکشتن خواستم(۱) ۶ آن دعای کهنه ام شد مستجاب روزی من بود کشتم نك جواب
او ز خشم آمد گریبانش گرفت ۷ چند مشتی زد برویش ناشگفت

رفتن هردو خصم نزد داود علیه السلام

میکشیدش تا بداود نبی ۸ که بیا ای ظالم گیج غبی ۹ حجت بارد رها کن ای دغا عقل در تن آور و با خویش آ
این چه میگوئی دعا چه بود مخند ۱۰ برسر و ریش من وخویش ای لوند ۱۰ گفت من باحق دعاها کرده ام اندرین لابه بسی خون خورده ام
من یقین دارم دعا شد مستجاب ۱۱ سر بزن برسنگ ای منکر خطاب ۱۱ گفت گرد آئید هین ای مسلمین ژاژ بینید و فشار این لعین (۲)
❀ ای دغا تا چند خائی ژاژ را ۱۲ حجت قاطع بگو چبود دعا ۱۲ ای مسلمانان دعا مال مرا چون از آن او کند بهر خدا
گر چنین بودی همه عالم بدین ۱۳ یك دعا املاك بردندی بکین ۱۳ گر چنین بودی گدایان ضریر محتشم گشته بدندیّ و امیر
روز و شب اندر دعا و اندر ثنا ۱۴ لابه گویان که تو ده مان ای خدا ۱۴ تا تو ندهی هیچکس ندهد یقین ای گشاینده تو بگشا بند این
مکسب کوران بود لابه و دعا ۱۵ جز لب نانی نیابند از عطا ۱۵ خلق(۳) گفتند این مسلمان راست گوست وین فروشندهٔ دعا ها ظلم خوست
این دغا کی باشد ازاسباب ملك ۱۶ کی کشد این را شریعت خودبسلك ۱۶ بیع و بخشش یا وصیّت یا عطا یا ز جنس این شود ملکی ترا
درکدامین دفتراست این شرع نو ۱۷ گاو را تو باز ده یا حبس رو ۱۷ ❀ اندرا درحبس ودرزندان او ورنه گاوش را بده حجت مجو (٤)
او بسوی آسمان میکرد رو ۱۸ ❀کای خداوندکریم لطف خو ۱۸ من دعاها کرده ام زاین آرزو ❀ واقعهٔ مارا که داند غیر تو
در دل من آن دعا انداختی ۱۹ صد امید اندر دلم افراختی ۱۹ من نمیکردم گزافه آن دعا همچو یوسف دیده بودم خوابها
دید یوسف آفتاب و اختران (٥) ۲۰ پیش اوسجده کنان چون چاکران ۲۰ اعتمادش بود بر خواب درست در چه و زندان جزآنرا می نجست
ز اعتماد آن نبودش هیچ غم ۲۱ از غلامی وز ملام بیش و کم ۲۱ اعتمادی داشت اوبرخواب خویش که چو شمعی میفروزیدش زپیش
چون درافکندند یوسف رابچاه (٦) ۲۲ بانگ آمد سمع او را از اله ۲۲ که توروزی شه شوی ای پهلوان تا بعالی این جفا بر رویشان
قائل این بانگ نامد در نظر ۲۳ لیك دل بشناخت قائل از اثر ۲۳ قوّتی و راحتیّ و مسندی (۷) در میان جان فتادش زان ندی
چاه شد بروی بدان بانگ جلیل ۲۴ گلشن و بزمی چوآتش بر خلیل ۲۴ هرجفا که بعد از آنش میرسید او بدان قوّت بشادی میکشید
همچنانکه ذوق آن بانگ الست ۲۵ در دل هر مؤمنی تا حشر هست ۲۵ تا نباشد در بلاشان اعتراض نی ز امر و نهی حقشان انقباض
لقمهٔ تلخی چو شکر میشود ۲۶ ❀خار ریحان سنگ گوهر میشود ۲۶ لقمهٔ حکمی که تلخی می نهد ❀ گلشکر آن را گوارش میدهد
گلشکر آن را که نبود مستند ۲۷ لقمه را زانکار او قی میکند ۲۷ هرکه خوابی دید از روز الست مست باشد در ره طاعات مست
میکشد چون اشترمست این جوال ۲۸ بی فتور و بی گمان و بی ملال ۲۸ کفك تصدیقش بگرد پوز او شد گواه مستی دلسوز او
اشتر از قوّت چو شیر نر شده ۲۹ زیر ثقل بار اندك خسور شده ۲۹ زآرزوی ناقه صد فاقه برو مینماید کوه پیشش تار مو
در الست آنکو چنین خوابی ندید ۳۰ اندرین دنیا نشد بنده و مرید ۳۰ ور بشد اندر تردّد صد دله یکزمان شکرستش و سالی گله
پای پیش وپای پس درراه دین(۸) ۳۱ می نهد با صد تردّد بی یقین ۳۱ وام دار شرح اینم نك گرو ورشتابست از الم نشرح شنو(۹)
چون ندارد شرح اینمعنی کران ۳۲ خر بسوی مدعیّ گاو ران ۳۲ گفت کورم خواند زین جرم آن دغا بس بلیسانه قیاس است ای خدا
من دغا کورانه کی میکرده ام ۳۳ جز بخالق کدیه کی آورده ام ۳۳ کور از خلقان طمع دارد ز جهل من زتو کزتست هر دشوار سهل
آن یکی کورم ز کوران بشمرید ۳۴ او نیاز جان و اخلاصم ندید ۳۴ کوری عشق است این کوریّ من حبّ یعمی ویصم است ای حسن (۱۰)
کورم از غیر خدا بینا بدو ۳۵ مقتضای عشق این باشد بگو ۳۵ توکه بینائی ز کورانم مدار دایرم برگرد لطفت ای مدار (۱۱)
آنچنانکه یوسف صدّیق را ۳۶ خواب بنمودی کشتش متّکا ۳۶ مرمرا لطف تو هم خوابی نمود آن دعای بیحدم بازی نبود
می نداند خلق اسرار مرا ۳۷ ژاژ میدانند گفتار مرا ۳۷ حق نهان(۱۲) است وکه داند رازغیب غیر علاّم سر و ستار عیب
خصم گفتش رو ببین کن حق بگو(۱۳) ۳۸ ازچه سوی آسمان کردی تو رو ۳۸ شید می آری غلط می افکنی لاف عشق و لاف قربت میزنی

---

۱ ـ کش میخواستم ۲ ـ مهین ۳ ـ قوم ٤ ـ مگو ۱۱ ـ نقطهٔ این ۱۲ ـ شان ۱۳ـ حق بگو ای تند خو (ن . ل) .

(٥) اشاره است بآیه واقعه درسورهٔ یوسف انی رأیت احد عشر کوکبا والشمس والقمر رأیتهم لی ساجدین (٦) مضمون این آیه است درسورهٔ یوسف و اوحینا الیه لتنبئنهم بامرهم هذا و هم لایشعرون و وحی فرستادیم بسوی یوسف بواسطهٔ جبرئیل یا الهام دادیم او را که اندوهناك مباش که بزودی ترا از حضیض چاه بذروهٔ مسند و جاه رسانیم وبرادران را بحاجتمندی نزدیك توآریم وتو آنها را باین کاری که کرده اند خبر دهی وحال آنکه ایشان ندانند (۷) ازشنیدن این ندا قوت وراحت واعتمادی باو دست داد یعنی خاطرش مطمئن وراحت گردید (۸) اشاره بمضمون آیه واقعه در سورهٔ نساء است مذبذبین بین ذلك لا الی هؤلاء ولا الی هؤلاء یعنی در حالتی که متحیر و مترددند میان کفر وایمان نه با مؤمنانند تا ایشانرا باشد هرچه آنان راست ونه با کافرانند تا ایشان را باشد هرچه برآنهاست (۹) یعنی تفصیل این مقدمه بذمهٔ من است که شرح خواهم کرد واگر ترا شتابیست از الم نشرح معلوم کن که سینهٔ آنحضرت را درکوه حریّ چاك نمود و از نور معرفت پر کرد پس تو هم ازنور مجاهده وریاضت صفائی پیدا کن که ترا هم احوال آنجا معلوم شود (۱۰) اشاره است بحدیث حبّ الشیٔ یعمی ویصم یعنی دوستی چیزی کور وکر میگرداند .

با کدامین روی چون دل مردهٔ — روی سوی آسمانها کردهٔ ۱ غلغلی در شهر افتاده ازین (۱) — آن مسلمان مینهد رو بر زمین
کایخدا این بنده را رسوامکن — گریدم هم (۲) سرّ من پیدا مکن ۲ تو همی دانیٔ وشبهای دراز — که همی خواندم ترا با صد نیاز
پیش خلق این را اگر خود قدر نیست — پیش تو همچون چراغ روشنی است ۳ گاو میخواهند از من ای خدا — چون فرستادی نکردم من خطا

شنیدن حضرت داود سخن هر دو خصم را و سؤال کردن از مدعی علیه

چونکه داود نبی آمد برون — گفت هین چونست این احوال چون ۵ مدعی گفت ای نبی‌الله داد — گاو من در خانهٔ او اوفتاد
کشت گاوم را بپرسش که چرا — گاو من کُشت او بیان کن ماجرا ۶ گفت داودش بگو ای بوالکرم — چون تلف کردی تو ملك محترم
هین پراکنده مگو حجت بیار — تا بیکسو گردد این دعوی و کار ۷ گفت ای داود بودم هفت سال — روزو شب اندر دعا واندر سؤال
این همی‌جستم زیزدان کای خدا — روزئی خواهم حلال و بی عنا ۸ مردو زن بر نالهٔ من واقفند — کودکان این ماجرا را واصفند
توبپرس ازهرکه خواهی این خبر — تا بگوید بی شکنجه بی ضرر ۹ هم هویدا پرس وهم پنهان زخلق — که چه میگفت این گدای ژنده‌دلق
بعد ازین جمله دعا و این فغان — گاوی اندر خانه دیدم ناگهان ۱۰ چشم من تاریك شد نی بهر قوت — شادی آن که قبول آمد قنوت
کشتم آنرا تا دهم در شکر آن ۱۱ که دعای من شنود آن غیب‌دان

حکم کردن داود علیه السلام بر کشندهٔ گاو

گفت داود این سخنهارا بشو — حجت شرعی در این دعوی بگو ۱۳ تو روا داری که من بی حجتی — بنهم اندر شرع باطل سنتی
این که بخشیدت خریدی وارثی — ریع را چون میستانی حارثی ۱۴ کسب را همچون زراعت دان عمو — تا نکاری دخل نبود آن تو
آنچه کاری بدروی آن آن تست — ورنه این بیداد برتو شد درست ۱۵ رو بده مال مسلمان کژ مگو — رو بجو وام و بده باطل مجو
گفت ای‌شه توهم این میگوئیم ۱۶ که همی گویند اصحاب ستم

تضرع آن شخص از داوری داود علیه السلام

پس ز دل آهی برآورد و بگفت — کای خدای هرکجا طاقی و جفت ۱۸ سجده‌کرد وگفت ای دانای سوز — در دل داود انداز آن فروز
در دلش نه آنچه تو اندر دلم — اندر افکندی براز ای منفلم ۱۹ این بگفت وگریه درشد های‌های — تا دل داود بیرون شد زجای
گفت هین امروز ای‌خواهان گاو — مهلتم ده وین دعاوی را مکاو ۲۰ تا روم من سوی خلوت در نماز — پرسم این احوال از دانای راز
خوی دارم درنماز آن التفات — معنی قرّة عینی فی الصلوة (۳) ۲۱ روزن جانم گشاده است از صفا — میرسد بیواسطه نامهٔ خدا
نامه و باران نور از روزنم — می فتد در خانه ام از معدنم ۲۲ دوزخست آنخانه کان بی‌روزنست — اصل دین ای بنده روزن کردنست
تیشه در هر بیشهٔ کم زن بیا — تیشه زن در کندن روزن هلا ۲۳ یا نمی دانی که نور آفتاب — عکس خورشید برون است ازحجاب (٤)
نور آن دانی که حیوان دید هم — پس چه کرّمنا بود بر آدمم ۲٤ من چوخورشیدم درون نورغرق — می‌ندانم‌کرد خویش از نور فرق
رفتنم سوی نماز و آن خلا — بهرتعلیم‌است ره مرخلق را (٥) ۲٥ کژنهم تار است گردد اینجهان — حرب خدعه (٦) این بود ای پهلوان
نیست دستوری وگرنه ریختی — گرد از دریای راز انگیختی ۲٦ هم چنین داود میگفت این نسق — خواست گشتن عقل خلقان محترق
پس گریبانش کشید از پس یکی ۲۷ که ندارم دریکیٔ‌اش من شکی

رفتن داود علیه‌السلام در خلوت تا آنچه حقست پیدا شود

باخود آمد گفت را کوتاه کرد — لب ببست و عزم خلوتگاه کرد ۲۹ در فروبست و برفت آنگه شتاب — سوی محراب و دعای مستجاب
حق نمودش آنچه بنمودش تمام — گشت واقف بر سزای انتقام ۳۰ ❀ دید احوالی که‌کس واقف نبود — راز پنهانی که حیرانی فزود
روزدیگرجمله خصمان (۷) آمدند — پیش داود پیمبر صف زدند ۳۱ همچنین آن ماجراها باز رفت — باز (۸) زد آن مدعی تشنیع زفت
❀ زودگاوم را بده ای نابکار — از خدای خویشتن شرمی بدار ۳۲ ❀ اینچنین ظلم صریح ناسزا — میرود در عهد پیغمبر هلا
❀ گاوکشته خوردهٔ بی‌ترس وبیم — در جواب افزوده تزویر آن لئیم ۳۳ ❀ که چه چندین‌سال بودم در دعا — من طلب‌کردم زحق داد او مرا
❀ ای‌رسول حق چنین‌باشد روا ۳٤ ملك من بدگاو چون دادش خدا

حکم کردن داود علیه‌السلام برصاحب‌گاو که از سرگاو برخیز وتشنیع صاحب‌گاو بر داود علیه‌السلام

گفت داودش خمش کن رو بهل — این مسلمان‌را زگاوت کن بحل ۳٦ چون خدا پوشید برتو ای‌جوان — روخمش کن حقّ ستاری بدان
گفت‌واویلا چه‌حکم‌است‌این‌چه‌داد — از پی من شرع نو خواهی نهاد ۳۷ رفته است آوازهٔ عدلت چنان — که معطر شد زمین و آسمان
بر سگان کور این استم نرفت — زین‌تعدی سنگ وکه بشکافت تفت ۳۸ هم چنین تشنیع میزد بر ملا — کالصلا هنگام ظلم است الصلا
❀ اینچنین ظلم وجفا برمن‌مکن ۳۹ یا نبیّ‌الله مگو زینسان سخن

حکم کردن داود برصاحب‌گاو که جملهٔ مال خودرا بوی ده

بعد ازان داود گفتش ای عنود — جمله مال‌خویش اورا بخش زود ٤۰ ورنه کارت سخت گردد گفتمت — تا نگردد ظاهر از وی استمت
خاك بر سرکرد وجامه بر درید — که بهردم میکنی ظلمی مزید ٤۱ یکدمی دیگر بر این تشنیع راند — باز داودش به پیش‌خویش خواند

---

۲ ـ من ۷ ـ خلقان ۸ ـ زود (ن . ل) .

---

(۱) از گریه وزاری او غلغله در میان خلق افتاد و حال اینکه با خدای خویش راز و نیاز عاشقانه داشت و ترس و بیم او از کشتن گاو نبود
(۳) اشاره بحدیث نبوی است که انی احبّ من دنیا کم ثلثة‌الطیب والنساء وقرة عینی فی‌الصلوة یعنی من از دنیای شما سه چیز رادوست میدارم بوی خوش و زنان و روشنائی چشم من در نماز (٤) یعنی عکس خورشید حقیقی است که بیرون از حجابست (٥) یعنی بدون خلوت هم اگر چه معلوم است لکن برای تشفی مردمان عذر خلوت میکنم که ایشان را یقین حاصل شود (٦) قال رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم الحرب خدعه .

گفت چون بختت نبود ای ناصبور(۱) — ظلمت آمد اندك اندك درظهور ۱ دیدهٔ آنگاه صدر و پیشگاه (۲) — ایدریغ ازچون توخرخاشاك راه
زین سخن داود شد زوخشمناك — گفت تا خود را نگردانی هلاك ۲ رو که فرزندان تو با جفت تو — بندگان او شدند افزون مگو
سنگ برسینه همی زد با دو دست — می‌دوید ازجهل خود بالاوپست ۳ خلق هم اندر ملامت آمدند — کز ضمیر کار او غافل بدند
ظالم از مظلوم کی داند کسی — کو بود سخرهٔ هوا همچون‌خسی ٤ ظالم از مظلوم آن‌کس بی برد — که سر نفس ظلوم خود برد
ورنه آن‌ظالم که نفس‌است اندرون(۳) — خصم هرمظلوم باشد از جنون ٥ سگ هماره حمله بر مسکین کند — تا تواند زخم بر مسکین زند
شرم‌شیران‌راست نی‌سگ را بدان — که نگیرد صید ازهمسایگان(٤) ٦ ازکمین‌سگ‌سان سوی داودجست — عامهٔ مظلوم کش ظالم پرست(٥)
روی بر داود کردند آن فریق — کای نبیّ مجتبی بر ما شفیق ۷ این‌نشاید ازتوکاین ظلمست فاش — قهرکردی بی‌گناهی را بلاش(٦)

عزم کردن داود علیه‌السلام بخواندن خلق بدان صحرا که راز آشکارا کند وحجتها همه قطع کند

گفت ای یاران زمان آن رسید — کان سرِ مکتوم او گردد پدید ۹ جمله بر خیزید تا بیرون رویم — سوی‌صحرا وبدان‌هامون‌شویم
مرد و زن ازخانها بیرون‌روید — تا برآن سرّ نهان واقف شوید ۱۰ درفلان صحرا درختی هست زفت — شاخهایش انبه و بسیار چفت
سخت راسخ خیمه‌گاه و میخ او — بوی خون می‌آیدم از بیخ او ۱۱ خون‌شده‌است‌اندربن‌آن‌خوش‌درخت — خواجه‌راکشته‌است این‌منحوس بخت
مال او برداشتست این قلتبان — وین غلام اوست ای آزادگان ۱۲ این‌جوان مرخواجه‌راباشدپسر — طفل بود و او ندارد زین خبر
تا کنون حلم خدا پوشید آن — آخر از ناشکری این قلتبان ۱۳ که عیال خواجه را روزی ندید — نی بنوروز و نه موسمهای عید
بینوایان را بیك لقمه نجست — یاد ناورد او زحمتهای نخست ۱٤ تا کنون ازپهریك گاو این‌لعین — میزند فرزند او را بر زمین
او بخود برداشت پرده از گناه — ورنه میپوشید جرمش را اله ۱٥ کافر وفاسق دراین‌دورگزند(۷) — پردهٔ خودرا بخود برمیدرند (۸)
ظلم مستور است در اسرار جان — می‌نهد ظالم به پیش مردمان ۱٦ که به بینیم که دارم شاخها — گاو دوزخ را به بینید از ملا

گواهی دادن دست و پا و زبان بر سر ظالم هم در دنیا

پس‌همین‌جا دست وپایت درگزند — بر ضمیر تو گواهی میدهند ۱۸ چون موکل میشود بر تو ضمیر — که بگو تو اعتقادت (۹) وا مگیر
خاصه در هنگام خشم وگفت وگو — میکند ظاهر سرت را مو بمو ۱۹ چون موکل میشود ظلم و جفا — که هویدا کن مرا ای دست و پا
چون همی گیرد گواه سر لگام — خاصه وقت جوش‌و خشم‌و انتقام ۲۰ پس همانکس که موکل میکند — تا لوای راز بر صحرا زند
پس موکلهای‌دیگر روزحشر (۱۰) — هم تواند آفرید از بهر نشر ۲۱ ای بدَه دست‌آمده درظلم وکین — گوهرت پیداست حاجت‌نیست این
نیست حاجت شهره‌گشتن درگزند — بر ضمیر آتشینت واقفند ۲۲ نفس تو هردم برآرد صد شرار — که به بینیدم منم ز اصحاب نار
جزو نارم سوی کلّ خود روم — من نه نورم که سوی حضرت‌شوم ۲۳ هم چنان کاین ظالم حق ناشناس — بهر گاوی کرد چندین التباس
او ازاو صد گاو برد و صد شتر — نفس‌این‌است ای پدر ازوی بپر ۲٤ نیز روزی با خدا زاری نکرد — یاربی نامد ازاو یکدم (۱۱)بدرد
کای خدا خصم مرا خوشنودکن — گر منش کردم زیان تو سود کن ۲٥ گرخطا کشتم‌دیت‌برعاقله‌است(۱۲) — عاقلهٔ جانم تو بودی از الست
سنگ میگردد باستغفار دُر ۲٦ این بود زانصاف نفس‌ایجان حُر

بیرون رفتن خلایق بسوی آن درخت

چون برون‌رفتند سوی‌آن درخت — گفت‌دستش‌راسپس‌بندند(۱۳)سخت ۲۸ تا گناه و جرم او پیدا کنم — تا لوای عدل بر صحرا زنم
گفت ای‌سگ جدّ این را کشتهٔ — تو غلامی خواجه زین رو گشتهٔ ۲۹ خواجه را کشتیّ وبردی مال او — کرد یزدان آشکارا حال او
آن زنت اوراکنیزك بوده است — با همین خواجه جفا بنموده است ۳۰ هرچه زو زائید ماده یا که نر — ملك وارث باشد آنها سر بسر
توغلامی‌کسب وکارت ملك‌اوست — شرع‌جستی‌شرع بستان رونکواست ۳۱ خواجه را کشتی باستم زار زار — هم براینجا خواجه گویان زینهار
کارد را زاشتاب‌کردی زیرخاك — از خیالی که بدیدی سهمناك ۳۲ نك سرش باکارد در زیر زمین — باز کاوید این زمین را همچنین
نام این سگ هم نوشته کارد بر — کرد باخواجه چنین مکر و ضرر ۳۳ همچنین کردند وچون بشکافتند — در زمین آن کارد با سر یافتند
ولوله در خلق افتاد آن زمان — هر یکی زنّار ببرید از میان ۳٤ جمله از داود گشته عذرخواه — زانکه بد ظن گشته بودند و تباه

قصاص فرمودن داود علیه‌السلام خونی را بعد از الزام حجت براو

بعدازآن گفتش بیا ای دادخواه — داد خود بستان تو ازاین روسیاه ۳٦ هم بدان تیغش بفرمود او قصاص — کی کند مکرش زعلم حق خلاص
حلم حق گرچه مواساها کند — چونکه از حد بگذرد رسوا کند ۳۷ خون(۱٤)نخسبدرفتددرهردلی(۱٥) — میل جستجوی و کشف مشکلی
اقتضای داوریّ ربّ دین — سر برآرد از ضمیر آن و این ۳۸ کان‌فلان‌خواجه‌چه‌شدحالش‌چه‌گشت — همچنانکه جوشد از گلزار کشت

---

۱ ـ بخت کور ۳ ـ از درون ٥ـ تراست ۷ ـ آشکار ۸ ـ برمیدرند ای نامدار ۹ـ کاعتقادت را بگو هین ۱۱ ـ روزی ۱۳ ـ زپس بندید ۱٤ ـ چون (ن . ل) .

---

(۲) دیده را باید بتنکیر خواند واگر بطریق خطاب خوانده شود وآنگاه را بمعنی آن هنگام که زمان پدر دعا کننده باشد مراد باشد هم جایز است ونیز در بعضی نسخ « راندهٔ آنگاه » بنظر رسیده یعنی تو راندهٔ و صدر پیشگاه مجوئی (٤) شیر شکار کردهٔ دیگری را نمیخورد خود شکار میکند ومیخورد (٦) لاش مخفف لاشی‌است یعنی هیچ (۱۰) اشاره بمضمون آیه واقعه درسورهٔ یس الیوم نختم علی افواههم و تکلمنا ایدیهم و تشهد ارجلهم بما کانوا یکسبون امروز (روز قیامت) مهرنهیم بردهانهای ایشان وسخن‌گویند باما دستهای ایشان وگواهی دهند پاهای ایشان بآنچه کسب میکردند در دنیا (۱۲) مسئله شرعی است‌که در خونی که سهواً یا خطاءً واقع شده باشد دیهٔ آن برعاقله است (۱٥) درشرح مرحوم حاجی سبزواری چون نخسبد دیده شده باین معنی که چون حکمتش اقتضای ملا را نکند پس اقتضای داوری کند و از مظاهر محض و جستجوی سرزند که ظهور صفات بمظاهر است و داوری اینها داوری اوست و انبیاء و اولیاء خلفاء الله اند یا داود انا جعلناك خلیفة فی الارض فاحکم بین الناس بالحق .

جوشش خون باشد آن واجستها — خارش دلها و بحث و ماجرا ۱ چونکه پیدا گشت سرّ کار او — معجز داود شد فاش و دو تو
خلق جمله سر برهنه آمدند — سر بسجده بر زمینها میزدند ۲ ما همه کوران اصلی بوده ایم — وانچه میفرمودهٔ نشنوده ایم
وزتوما صدگون عجایب دیده‌ایم — لیك معذوریم چون بی دیده‌ایم ۳ سنگ باتو درسخن آمد شهیر (۱) — کزبرای غزو طالوتم (۲) بگیر
تو بسه سنگ و نلاخن آمدی — صد هزاران خصم‌را برهم زدی ٤ سنگهایت صد هزاران پاره شد — هریکی مرخصم‌را خونخواره شد
آهن اندر دست تو چون موم شد — چون زره‌سازی تورا معلوم شد ٥ کوهها با تو رسائل شد شکور — با تومیخوانند چون مقری زبور
صدهزاران چشم دل بگشاده شد — از دم تو غیب را آماده شد ٦ وآن قویتر ازهمه کان دائم است — زندگی بخشی‌که سرمد قائم است
جان جمله معجزات این‌است‌خود — که ببخشد مرده را جان ابد ۷ کشته شد ظالم جهانی زنده شد — هریکی از تو خدا را بنده شد

بیان آنکه نفس آدمی بجای آن خونی است که مدّعی گاو کشته بود و آن کشندهٔ گاو عقل است و داود حق است یا شیخ که نائب حق است که بقوّت و یاری او تواند ظالم را کشتن و توانگر شدن بروزی بیکسب و بی حساب

نفس خودرا کش جهانی زنده‌کن — خواجه را کشته‌است اورا بنده‌کن ۱۱ مدعیّ گاو نفس تست هین — خویشتن‌را خواجه‌کرده‌است‌ومهین
آن کشندهٔ گاو عقل تست رو — بر کشندهٔ گاو تن منکر مشو ۱۲ عقل‌اسیراست‌و همی‌خواهد زحق — روزی بیرنج و نعمت بر طبق
روزی بیرنج او موقوف چیست — آنکه بکشد گاورا کاصل بدیست ۱۳ نفس گوید چون توکشتی گاومن — زانکه گاو نفس باشد نقش تن
خواجه زاده عقل مانده بینوا — نفس خونی خواجه کشته و پیشوا ۱٤ روزی بیرنج میدانی که چیست — قوت ارواح است وارزاق نبی‌است
لیك موقوفست بر قربان گاو — گنج‌اندر(۳) گاودان ای‌گنج‌کاو ۱٥ دوش چیزی خورده‌ام ورنه تمام — دادمی در دست فهم تو زمام
دوش چیزی خورده‌ام افسانه‌است — هر چه می‌آید ز پنهان خانه‌است ۱٦ چشم بر اسباب از چه دوختیم — گرزخوش‌چشمان‌کرشم‌آموختیم(٤)
هست بر اسباب اسبابی دگر — در سبب منگر در آن افکن نظر ۱۷ انبیا در قطع اسباب آمدند — معجزات خویش بر کیوان زدند
بی سبب مر بحر را بشکافتند — بی زراعت چاش گندم یافتند ۱۸ ریگها هم آرد(٥) شد ازسهشان — پشم بز ابریشم آمد کِشکشان
جمله قرآنست در قطع سبب — عزّ درویش و هلاك بولهب

مثال

مرغ بابیلی دو سه سنگ افکند — لشکر زفت حبش را بشکند ۲۱ پیل را سوراخ سوراخ افکند — سنگ مرغی کو ببالا پر زند
دُم گاو کشته بر مقتول زن (٦) — تا شود زنده همان دم در کفن ۲۲ حلق ببریده جهد ازجای خویش — خون‌خودجوید‌زخون پالای‌خویش
همچنین ز آغاز قرآن تا تمام — رفض اسبابست وعلّت والسلام ۲۳ کشف این نز عقل کار افزا شود — بندگی کن تا ترا پیدا شود
بند معقولات آمد فلسفی — شهسوار عقل عقل آمد صفی ۲٤ عقل عقلت مغز و عقل تست پوست — معدهٔ‌حیوان‌همیشه‌پوست(۷)جوست
مغزجوی ازپوست دارد صدملال — مغز نغزان را حلال آمد حلال ۲٥ چونکه قشر عقل صد برهان دهد — عقل کل کای گام بی ایقان نهد
عقل دفتر ها کند یکسر سیاه — عقل عقل آفاق دارد پرزماه (۸) ۲٦ از سیاهی وز سپیدی فارغ است — نور ماهش بردل و جان بازغ‌است
این سیاه وآن سفید ازقدر یافت — زان‌شب قدراست کاخترواز‌تافت ۲۷ قیمت همیان و کیسه از زر است — بی‌زرآن(۹)همیان‌و کیسه ابتراست
همچنانکه قدر تن از جان بود — قدر جان از پرتو جانان بود ۲۸ گربدی‌جان‌زنده‌بی‌پرتوکنون(۱۰) — هیچ گفتی کافران را میّتون
هین بگو که‌ناطقه جومیکند(۱۱) — تا بقرنی بعد ما آبی رسد (۱۲) ۲۹ گر چه هر قرنی سخن آری بود — لیك‌گفتهٔ‌سالفان(۱۳و۱٤)یاری‌بود
نی که هم توریة و انجیل و زبور — شدگواه صدق قرآن ای شکور ۳۰ روزی بیرنج جوی و بی حسیب — کز بهشتت آورد جبریل سیب
بلکه رزقی از خداوند بهشت — بی صداع باغبان بی رنج کشت ۳۱ زانکه نفع‌نان درآن‌نان داداوست — بدهدت آن نفع بی توسیط پوست
ذوق‌پنهان‌نقش‌نان‌چون‌سفره‌است — نان بی سفره ولی‌را بهره است ۳۲ رزق‌جانی‌کی‌بری‌باسعی‌وجست(۱٥) — جز بعدل شیخ کو داود تست
نفس چون با شیخ بیند گام تو — از بن دندان شود او رام تو ۳۳ صاحب این گاو رام آنگاه شد — کز دم داود او آگاه شد
عقل گاهی غالب آید در شکار — بر سگ نفست که باشد شیخ یار ۳٤ نفس اژدرهاست با صد زور و فن — روی شیخ او را زمرّد دیده کن
گر تو خواهی ایمنی از اژدها — دستش از دامان مکن یکدم رها ۳٥ خاك شو در پیش شیخ باصفا — تا ز خاك تو بروید کیمیا
گر تو صاحب‌گاوراخواهی زبون — چون‌خران‌سیخش‌کن‌آنسوایحرون(۱٦)۳٦ چون بنزدیك ولی الله شود — آن زبان صد گزش کوته شود
صد زبان در هر زبانش صدلغت — زرق و دستانش نیاید در صفت ۳۷ مدعیّ گاو نفس آمد فصیح — صد هزاران حجت آرد ناصحیح
شهررا بفریبد الاّ شاه‌را (۱۷) — ره نتاند زد شه آگاه را ۳۸ نفس را تسبیح ومصحف دریمین — خنجر و شمشیر اندر آستین
مصحف سالوس او باور مکن — خویش‌بااوهمسروهمبر(۱۸) مکن ۳۹ سوی حوضت آورد بهر وضو — وندر اندازد ترا درقعر او (۱۹)
زانکه او درخانه عقل تو برون — گرچه ملك اوست لیکن‌شد زبون ٤۰ عقل نورانی و نیکو طالب است — نفس ظلمانی براوچون غالب‌است

۳ ـ قتل ٥ ـ آب ۷ ـ قشر ۸ ـ سیاه ۹ ـ بی زری ۱۱ـ می برد ۱۲ ـ خورد ۱۳ـ سابقان ۱٦ـ ازسوی درون ۱۸ ـ هم سر وهمسر ۱۹ ـ جو (ن . ل).

(۱) اشاره بآیه و قتل داود جالوت و آتاه الله الملك والحکمه وعلمه مایشاء یعنی وبکشت داود جالوت را بسنگ فلاخن وعطا کرد خدا اورا بعد از قتل جالوت پادشاهی وحکمت یعنی نبوت با زبور و بیاموخت اورا ازآنچه میخواست یعنی صنعت زره‌گری ومنطق‌الطیر (۲) طالوت پادشاهی بوده که داود با کمك او بجنگ جالوت رفته (٤) یعنی چشم بر اسباب چرا بدوزیم که از انبیا کرشمه آموختیم و کار ایشان قطع اسباب است و انبیا را برای آن خوش چشمان میخواند که محبوبان خدا میباشند (٦) اشارت بقصهٔ کشتن‌گاو وزنده شدن مقتول در عهد موسی (۱۰) یعنی بدون پرتو جان که مراد ذات انبیا یا اولیا باشد اگر اطلاق زندگی میبود پس کافران را که جان ظاهری دارند مرده نمی‌گفتی در قرآن مجید است که میفرماید وما انت بمسمع من فی القبور (۱٤) یعنی شریك ومصدق چنانکه‌کتب سالفه یعنی توریة وانجیل و غیرها مصدق قرآنند (۱٥) یعنی قوت روح کی حاصل کنی باسعی وجستجو مگر باعدل شیخ‌کامل (۱۷) اشاره است به‌آیه لاغوینهم اجمعین الاعبادك منهم‌المخلصین

زانکه او در خانه عقل تو غریب / بردر خود سگ بود شیر مهیب ۱ باش تا شیران بسوی بیشه روند / واین سگان کور آنجا بگروند
مکر نفس و تن نداند عام شهر / او نگردد جز بوحی القاب قهر ۲ هر که جنس اوست یار او شود / جز مگر داود کو شیخت بود
کو مبدل گشت وحبس(۱) تن نماند / هرکه را حق درمقام دل(۲) نشاند ۳ خلق جمله علتی اند از کمین / یار علت میشود علت یقین
هرخسی دعویّ داودی کند / هرکه بی تمییز کف در وی زند ۴ چون زصیادی شنید(۳) آواز طیر / مرغ ابله میکند آن سوی سیر
نقد را ازقلب نشناسد غویست (٤) / هین ازو بگریز اگر چه معنویست ۵ رسته و بر بسته پیش اویکی است / گریقین دعوی کند او درشکی است
اینچنین کس گر ذکیّ مطلق است / چونش این تمییز نبود احمق است ۶ هین ازو بگریز چون آهو زشیر / سوی او مشتاب ای دانا دلیر

گریختن عیسی علیه‌السلام بر فراز کوه از احمقان

عیسی مریم بکوهی میگریخت / شیر گوئی خون او میخواست ریخت ۸ آن یکی در پی دوید و گفت خیر / درپیت کس نیست چه گریزی چو طیر
با شتاب او آنچنان میتاخت جفت / کز شتاب خود جواب او نگفت ۹ یکدو میدان در پی عیسی براند / پس بجدّ وجهد(۵) عیسی را بخواند
کز پی مرضات حق یکلحظه بیست / که مرا اندرگریزت مشکلی است ۱۰ از که اینسو میگریزی ای کریم / نه پیت شیرونه خصم وخوف وبیم
گفت از احمق گریزانم برو / میرهانم خویش را بندم مشو ۱۱ گفت آخر آن مسیحا نه توئی / که شود کور و کر از تو مستوی
گفت آری گفت آن‌شه نیستی / که فسون غیب را مأویستی ۱۲ چون بخوانی آن فسون بر مردهٔ / بر جهد چون شیر صید آوردهٔ
گفت آری آن منم گفتا که تو / نی زگِل مرغان کنی‌ای خوب رو ۱۳ ❀ بردمی بروی سبك تاجان شود / در هوا اندر زمان پرّان شود
گفت آری گفت پس ای روح پاك / هرچه خواهی میکنی ازکیست باك ۱٤ با چنین برهان که باشد در جهان / که نباشد مر ترا از بندگان
گفت عیسی که بذات پاك حق / مبدع تن خالق جان در سبق ۱۵ حرمت ذات و صفات پاك او / که بود گردون گریبان چاك او
کان فسون واسم اعظم‌را که من / برکر و برکور خواندم شد حسن ۱٦ برُ که سنگین بخواندم شد شکاف / خرقه را بدرید بر خود تا بناف
برتن مرده بخواندم گشت حی / برسر لاشی بخواندم گشت شی ۱۷ خواندم آن را بردل احمق بهُ ودّ(٦) / صد هزاران بار و درمانی نشد
سنگ خارا گشت وزان خوبر نگشت / ریگ شد کزوی نروید هیچ کشت ۱۸ گفت حکمت چیست کانجا اسم حق(۷) / سود کرد اینجا نبود آن را سبق(۸)
آن همان رنجست واین رنجی چرا(۹) / آن نشد این را(۱۰) واین راشد دوا ۱۹ گفت رنج احمقی قهر خداست / رنج کوری نیست قهر آن ابتلاست
ابتلا رنجی است کان رحم آورد / احمقی رنجی است کان زخم آورد ۲۰ آنچه داغ اوست مهر او کرده است / چارهٔ بروی نبارد برد دست
زاحمقان بگریز چون عیسی گریخت / صحبت احمق بسی خونها بریخت(۱۱) ۲۱ ❀ بر سر آرد زخم رنج احمقی / رحم نبود چاره جوی آن شقی
اندك اندك آب را دزدد هوا / وین(۱۲) چنین دزدد هم احمق ازشما ۲۲ گرمیت را دزدد و سردی دهد / همچنان کو زیر خود سنگی نهد
آن مسیحارا حذر(۱۳) نز بیم بود / ایمنست او آن پی تعلیم بود ۲۳ زمهربر ار پُر کند آفاق را / چه غم آن خورشید با اشراق را

قصهٔ اهل سبا وحماقت ایشان واثر ناکردن نصیحت انبیا در احمقان

یادم آمد قصهٔ اهل سبا / کز دم احمق صباشان شد وبا ۲۵ آن سبا ماند بشهری بس کلان / در فسانه بشنوی از کودکان
کودکان افسانها می آورند / درج درافسانه‌شان بس سِرّ و پند ۲٦ هزلها گویند در افسانها / گنج میجو در همه ویرانها
بود شهری بس عظیم و مه ولی / قدر او قدر سکره بیش نی ۲۷ بس عظیم وبس فراخ وبس دراز / سخت زفت وتو بتو همچون پیاز
مردم ده شهر مجموع اندرو / لیك جمله سه تنِ نا شسته رو ۲۸ اندرو نوع خلایق بیشمار / لیك آن جمله‌سه خام پخته خوار
جان نا کرده بجانان (۱٤) تا ملتن / گر هزارانست باشد نیم تن ۲۹ آن یکی بس دوربین و دیده‌کور / از سلیمان کور و دیده پای مور
واندگر بس تیز گوش وسخت کر / گنج ودروی نیست یکجو سنگ زر ۳۰ واندگر عور و برهنه لاشه تاز / لیك دامنهای جامهٔ او دراز
گفت کور اینك گروهی میرسند / من همی بینم که چه قومند وچند ۳۱ گفت کر آری شنیدم بانگشان / که چه میگویند پیدا و نهان
آن برهنه گفت ترسان زان منم / که بیرّند از درازی دامنم ۳۲ کور گفت اینك بنزدیك آمدند / خیز بگریزیم پیش از زخم وبند
کر همی گوید که آری مشغله / میشود نزدیك تر یاران هله ۳۳ آن برهنه گفت آوه دامنم / از طمع برّند ومن نا ایمنم(۱۵)
شهر را هشتند و بیرون آمدند / وز هزیمت در دهی اندر شدند ۳٤ اندر آن ده مرغ فربه یافتند / لیك ذرّه گوشت بر وی نی نژند
❀ کوردید وآن کر آوازش شنید / عور بگرفت و بدامن در کشید ۳۵ مرغ مرده خشك وز زخم کلاغ / استخوانها زارگشته چون بناغ(۱٦)
❀ پس طلب کردند ودیگی یافتند / بی‌سر و بی بن سبك بشتافتند ۳٦ بر سر آتش نهادند آن سه تن / مرغ فربه را بدیگ اندر زفن
❀ آتشش کردند چندان ای پسر / کاستخوان شد پخته لحمش بیخبر ۳۷ زان همی خوردند چون ازصید شیر / هریکی ازخوردنش چون پیل سیر
هرسه زان خوردند وبس فربه شدند / چون سه پیل بس بزرگ مه شدند ۳۸ آنچنان کز فربهی هر یك جوان / در نگنجیدی ز زفتی در جهان
با چنین کبزی وهفت اندام زفت / از شکاف در برون جستند تفت ۳۹ راه مرگ خلق ناپیدا رهی است / در نظر نایدکه آن بیجا رهی است
❀ نك بیابی کاروانها مقتفی / زین شکاف درکه هست آن مختفی ٤۰ بر در ار جوئی نیابی آن شکاف / سخت ناپیدا در او چندین زفاف(۱۷)
❀ ای ضیاءالحق حسام‌الدّین عیان / باز باید گفت شرح این بیان ٤۱ ❀ ای پسر هر مختصر افسانه نیست / آشنا را روی در بیگانه نیست

شرح آن کور دور بین و آن کر تیز شنو وآن برهنهٔ دراز دامن

کر امل را دان که مرگ ما شنید / مرگ خود نشنید ونقل خود ندید ٤۳ حرص نا بیناست بیند مو بمو / عیب خلقان و بگوید کو بکو
عیب خود یك ذرّه چشم کور او / می نبیند گرچه هست او عیب جو ٤٤ عور میترسد که دامانش بُرند / دامن مرد برهنه کی درند

---

۱ ـ جنس ۲ ـ خود ۳ ـ از صیادی بشنود ۵ ـ جدّ ۷ ـ کاسمای اله ۸ـ نیك کرد آن‌را بما این‌را تباه ۹ـ چونکه رنجست آن ورنجست این‌چرا ۱۰ـ گشت آن محروم ۱۱ـ که ریخت ۱۲ـ دین ۱۳ـ آن گریز عیسوی ۱٤ـ ناشده جان سوی جانان ۱۵ـ چون تن زنم (ن . ل)

(٤) یعنی هرچند آن دعوی کننده خودرا بمعنی منسوب میسازد ومحقق وا مینماید (٦) یعنی بر دل احمق آن برای دوستی خواندم (۱٦) یعنی استخوانها مانند تار ریسمان خام شده‌که معنی بُناغ است (۱۷) زفاف دراینجا شتاب رفتن معنی میدهد

مرد دنیا مفلس است و ترسناك — هیچ اورا نیست وزدزدانش باك ۱ او برهنه آمد و عریان رود (۱) — وز غم دزدش جگر خون میشود
وقت مرگش که بود صد نوحه بیش — خنده آید جانش رازین ترس خویش ۲ آن زمان داند غنی کش نیست زر (۲) — هم ذکی داند که بود او بی هنر (۳)
چون کنار کودکی پر از سفال — کوبران لرزان بود چون ربّ مال ۳ گر ستانی پارهٔ گریان شود — پاره گر بازش دهی خندان شود
چون نباشد طفل را دانش دثار — گریه و خنده اش ندارد اعتبار ٤ ❀ محتشم چون غاریت را ملك دید — پس بران مال دروغین میطپید
خواب می بیند که اورا هست مال — ترسد از دزدی که برباید جوال ٥ چون زخوابش برجهاند گوش کش — پس ز ترس خویش تسخر آیدش
همچنین ترسائی (٤) این عالمان — که بودشان عقل وعلم این جهان ٦ از پی این عاقلان ذوفنون — گفت ایزد در نُبی لایعلمون
هر کسی ترسان ز دزدیّ کسی — خویشتن را علم پندارد بسی ۷ گوید او که روزگارم میبرند — خود ندارد روزگار سودمند
گوید از کارم بر آوردند خلق — غرق بیکاریست جانش تا بحلق ۸ عور ترسان که منم دامن کشان — چون رهانم دامن از چنگالشان
صد هزاران فصل داند از علوم — جان خود را می نداند آن ظلوم ۹ داند او خاصیّت هر جوهری — در بیان جوهر خود چون خری
که همی دانم (٥) یجوز ولایجوز — خود ندانی تو یجوزی یا عجوز ۱۰ این روا وان ناروا دانی ولیك — خود روا یا نا روائی بین تو نیك
قیمت هر کاله میدانی که چیست — قیمت خودرا ندانی ز احمقیست ۱۱ سعد ها و نحسها دانستهٔ — نگری سعدی تو یا نا شستهٔ
جان جملهٔ علمها این است این (٦) — که بدانی من کیم در یوم دین ۱۲ ❀ جان جمله علمها این است خود — کو ببخشد جمله را جان ابد
غاریت را ملك خود داند غنی — پس برآن احوال لرزد آن دنی ۱۳ آن اصول دین بدانستی تو لیك — بنگر اندر اصل خود کوهست نیك
از اصولیّت اصول خویش به — ۱٤ که بدانی اصل خود ای مرد مه

صفت خرّمی شهر سبا و نا شکری اهل آن

اصلشان بد بود آن اهل سبا — میرمیدندی ز اصحاب لقا ۱٦ دادشان چندان ضیاع وباغ وراغ (۷) — ازچپ و از راست از بهرفراغ
بسکه میافتاد از پُرّی ثمار — تنگ میشد معبره بر رهگذار ۱۷ آن تتار میوه ره را میگرفت — از پریّ میوه رهرو در شگفت
سلّه بر سر در درختستانشان — پُرشدی نا خواست ازمیوه فشان ۱۸ باد آن میوه فشاندی نی کسی — پر شدی زان میوه دامنها بسی
خوشهای زفت تا زیر آمده — بر سر و روی رونده میزده ۱۹ مرد گلخن تاب از پُرّیّ زر — بسته بودی برمیان زرّین کمر
سگ کلیچه کوفتی در زیر پا — تخمه بودی گرگ صحرا از نوا ۲۰ گشته ایمن شهر و ده از دزد وگرگ — بز نترسیدی هم از گرگ سترگ
❀ جامهٔ ایشان اگرچرکین شدی — آتش سوزنده شان صابون بُدی ۲۱ ❀ در تنور انداختندی جامه را — بعد یکساعت شدی خوش باصفا
گر بگویم شرح نعمتهای قوم — ۲۲ که زیادت میشد آن یوماً فیوم

آمدن سیزده پیغمبر بنصیحت اهل شهر سبا

مانع آید از سخنهای مهم — انبیا بردند امر فاستقم (۸) ۲٤ ❀ چون زحدبردند ناشکری چنان — غیرت حق کارگر شد در زمان
سیزده پیغمبر آنجا آمدند — گمرهان را ره نمودندی بپند (۹) ۲٥ که هلا نعمت فزون شد شکر کو — مرکب شکر ار بجنبد حرّ کوا
شکر منعم واجب آمد در خرد — ورنه بگشاید در خشم ابد ۲٦ هین کرم بینید و این خود کس کند — کز چنین نعمت بشکری بس کند
سر ببخشد شکر خواهد سجدهٔ — یا ببخشد شکر خواهد قعدهٔ ۲۷ شکر نعمت نعمت افزون کند (۱۰) — صد هزاران گُل زخاری سرزند
قوم گفته شکر مارا برد غول — ما شدیم ازشکر و از نعمت ملول ۲۸ نعمت چه سیر شد جانمان ازین — شکر چه گوئیم برگوئید هین
پیش ما این نعمت آمد محنتی — شکر محنت کس نگفته است ای فتی ۲۹ ما چنان پژمرده گشتیم از عطا — که نه طاعت مان خوش آید (۱۱) نه خطا
ما نمیخواهیم نعمتها و باغ — ما نمیخواهیم اسباب فراغ ۳۰ انبیا گفتند در دل علتی است — که ازآن درحق شناسی آفتی است
نعمت از وی جملگی علت شود — طعمه در بیمار کی قوّت شود ۳۱ چند خوش پیش توآمد ای مضر — جمله ناخوش گشت وصاف اوکدر
تو عدوّ این خوشیها آمدی — گشت ناخوش هرچه بروی کف زدی ۳۲ هرکه او شد آشنا و یار تو — شد حقیر و خوار در دیدار تو
هرکه او بیگانه باشد با تو هم — پیش تو او بس مهست و محترم ۳۳ این هم از تأثیر آن بیماری است — زهر اودرجمله جانها (۱۲) ساری است
دفع آن علت بباید کرد زود — که شکر با آن حدث خواهد نمود ۳٤ هر خوشی کاید بتو ناخوش شود — آب حیوان گر رسد آتش شود
کیمیای مرگ وجسکست (۱۳) آن صفت — مرگ گردد زان حیات عاقبت ۳٥ بس غذائی که ز وی دل زنده شد — چون بیامد در تن تو گنده شد
بس عزیزی که بناز اشکار شد — چون شکارت شد برتوخوار شد ۳٦ آشنائی عقل با عقل از صفا — چون شود هردم فزون باشد ولا
دوستیّ (۱٤) نفس باهر نفس پست — تو یقین میدان که دم دم کمتراست ۳۷ زانکه نفسش گرد علت می تند — معرفت را زود فاسد میکند
گر نخواهی دوست را فردازمان (۱٥) — دوستی باعاقلان کن این زمان (۱٦) ۳۸ از سموم نفس چون با علتی — هرچه گیری تو مرض را آلتی
گر بگیری گوهری سنگی شود — ور بگیری مهر دل جنگی شود ۳۹ ور بگیری نکتهٔ بکر لطیف — بعددرکت گشت بی ذوق (۱۷) وکثیف
که من این را بس شنیدم کهنه شد — چیز دیگر گو بجز آن ای عضد ٤۰ چیز دیگر تازه و نو گفته گیر — باز فردا زوشوی سیر ونفیر (۱۸)
دفع علت کن چو علت خو شود — هر حدیث کهنه پیشت نو شود ٤۱ تا که از کهنه برآرد برگ نو — بشکفاند کهنه صد خوشه ز گو

---

۲ ـ خودرا فقیر ۳ ـ کش کند مرگ از سرِ پنهان خبیر ٤ـ همچنان لرزانی ٥ـ نیك میدانی ۹ـ جمله ره بر میشدند ۱۱ـ آمد ۱۲ـ خلقان
۱٤ ـ آشنائی ۱٥ ـ نفیر ۱٦ ـ عاقل و با عقل گیر ۱۷ ـ گرددت خوار ۱۸ ـ ای امیر

---

(۱) بمضمون این آیه واقعه درسورهٔ انعام مناسب است و لقد جئتمونا فرادی کما خلقناکم اول مرّة و بدرستیکه آمدید برای حساب وجزا بسوی ما تنها (نه مال با شماست نه فرزند و نه خدم نه حشم نه یار نه مددکار) و آمدید چنانچه شما را آفریده بودیم نخستین بار (در رحم مادرسر و پا برهنه) (٦) چه علمها یا فرمان خدا شناسی است چه فرمان طریقت چه فرمان شریعت یا خود شناسی است یا خدا شناسی که علم معاد در خود شناسی منطویست (۷) اشاره بآیهٔ شریفه که در سورهٔ سبا واقع شده لقد کان لسبا فی مسکنهم آیة جنتان عن یمین وشمال (۸) در سورهٔ هود واقع شده فاستقم کما امرت (۱۰) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ ابراهیم است لأن شکرتم لازیدنّکم (۱۳) جسك بمعنی محنت ورنج وبلا است .

ما طبیبانیم شاگردان حق — بحر قلزم دید مارا فانفلق (۱) ۱ آن طبیبان طبیعت دیگرند (۲) — که بدل از راه نبضی بنگرند
ما بدل بیواسطهٔ خوش بنگریم — کز فراست ما بعالی منظریم ۲ آن طبیبان غذایند و ثمار — جان حیوانی بدیشان استوار
ما طبیبان فعالیم و مقال — ملهم ما پرتو نور جلال ۳ کاینچنین فعلی ترا نافع بود — وآن چنان قولی(۳) زره قاطع بود
اینچنین قولی ترا پیش آورد — وان چنان فعلی ترا نیش آورد ٤ ❀ آنچنان و اینچنین از نیك و بد — پیش تو بنهیم و بنمائیم جد
❀ گر تو خواهی این گزین ور خواهی آن — زهر وشکر سنگ وگوهر شد عیان ٥ آن طبیبان را بود بولی دلیل — وین دلیل ما بود وحی جلیل
دست مزدی می نخواهیم از کسی(٤) — دست مزد ما رسد از حق بسی(٥) ٦ هین صلا بیماری ناسور را — داروی ما یك بیك رنجور را

معجزه خواستن قوم از پیغمبران

قوم گفتند ای گروه مدّعی — کو گواه علم و طبّ نافعی ٨ چون شما بستهٔ همین(٦و٧) خواب وخورید — همچو ما باشید و در ده میچرید
چون شما دردام این آب و گلید — کی شما صیاد سیمرغ دلید ٩ حبّ جاه و سروری دارد بران — که شما رد خویش از (٨) پیغمبران
ما نخواهیم این چنین لاف ودروغ — کردن اندر گوش و افتادن بدوغ ١٠ انبیا گفتند کاین زان علت است — مایهٔ کوری حجاب رؤیت است
دعوی ما را شنیدید و شما — می نه بینید این گهر در دست ما ١١ امتحانست این گهر مرخلق را(٩) — ماش گردانیم گرد چشمها
هرکه گوید کو گوا گفتش گواست — کو نمی بیند گهر حبس عماست ١٢ آفتابی در سخن آمد که خیز — که برآمد روز برجه کم ستیز
تو بگوئی آفتابا کو گواه — گویدت ای کور ازحق دیده خواه ١٣ روزروشن هرکه او جوید چراغ — عین جستن کوریش دارد بلاغ
ور نمی بینی گمانی بردهٔ (١٠) — که صباحست و تو اندر پردهٔ ١٤ کوری خودرا مکن زین گفت فاش — خامش و در انتظار فضل باش
❀ فضل بی علت مگر دریابدت — زین شقاوت روی دل برتابدت ١٥ ❀ ور نه مانی درچنین کوری ابد — آینه پنهان شد از تو در نمد
در میان روز گفتن روز کو — خویش رسوا کردنست ای تندخو(١١) ١٦ صبر وخاموشی جذوب رحمت است — وین نشان جستن نشان علت است
انصتوا بپذیر تا بر جان تو — آید از جانان جزای انصتوا ١٧ گر نخواهی نکس پیش این طبیب — برزمین میزن زروسر(١٢) ای لبیب
گفت افزون را تو بفروش وبخر — بذل جاه وبذل جان وبذل زر(١٣) ١٨ تا ثنای تو بگوید فضل هو — که حسد آرد فلك بر جاه تو
چون طبیبان را نگهدارید دل — خود به بینید و شوید از خود خجل ١٩ دفع این کوری بدست خلق نیست — لیك اکرام طبیبان از هدیست
این طبیبان را بجان بنده شوید ٢٠ تا بمشك و عنبر آکنده شوید

متهم داشتن قوم انبیا را علیهم السلام

قوم گفتند این همه زرق است ومکر — کی خدا نائب کند از زید و بکر ٢٢ هر رسول شاه باید جنس او — آب و گل کو خالق افلاك کو
مغز خر خوردیم تا ما چون شما — پشه را داریم همراز هما ٢٣ کو هما کو پشه کو گل کو خدا — زآفتاب چرخ چه بود ذرّه را
این چه نسبت این چه پیوندی بود — تا که درعقل ودماغی (١٤) دررود ٢٤ ❀ ما کجا وین گفت بیهوده کجا — این چه زرقست وچه شیدست و دغا
❀ خود کجا کو آسمان کوریسمان — می نگیرد مغز ما این داستان ٢٥ ❀ غالباً ما عقل داریم این قدر — کند نا را می شناسیم از گزر

حکایت خرگوشان که خرگوشی را برسالت پیش فیل فرستادند که بگو من رسول ماه آسمانم در پیش تو که ازین چشمهٔ آب حذر کن چنانکه در کتاب کلیله و دمنه آمده

این بدان ماندکه خرگوشی بگفت — من رسول ماهم و با ماه جفت ٢٨ کز رمهٔ پیلان برآن چشمهٔ زلال — جمله نخجیران بدند اندر وبال
جمله محروم وزخوف ازچشمه دور — حیلهٔ کردند چون کم بود زور (١٥) ٢٩ از سر که بانگ زد خرگوش زال — سوی پیلان در شب غرّهٔ هلال
شاه پیلان من رسولم پیش بیست — بررسولان بند وزجروخشم نیست ٣٠ ماه میگوید که ای پیلان روید — چشمه آن ماست زان یکسو شوید
ورنه منتان کور گردانم ستم(١٦) — گفتم ازگردن برون انداختم(١٧) ٣١ ترك این چشمه بگوئید و روید — تا ز زخم تیغ من ایمن شوید
نك نشان آنست کاندر چشمه ماه — مضطرب گردد ز پیل آب خواه ٣٢ که بیارایع عشر(١٨) ای شاه پیل — تا درون چشمه یابی این دلیل
ماه چون شد بدر آمد بی عثار — شاه پیلان شب بسوی چشمه سار ٣٣ ❀ چون دوهفته ازمه نو بگذرید — شاه پیل آمد ز چشمه میچرید
چونکه زد خرطوم پیل آنشب درآب — مضطرب شد آب ومه کرد اضطراب ٣٤ پیل باور کرد از وی آن خطاب — چون درون چشمه مه کرد اضطراب
❀ ترس ترسان بازگشتند آن رمه — بعد از آن نامد یکی زایشان همه ٣٥ ما نه زان پیلان گولیم ای گروه — ❀ کاضطراب ماه آردمان شکوه

جواب گفتن انبیا طعن ایشان را ومثل زدن ایشان را

انبیا گفتند آوه پند جان — سخت تر کرد ای سفیهان بندتان ٣٧ ای دریغا که دوا در رنجتان — کشت زهر جان قهر آهنجتان

---

٣ ـ فعلی ٥ ـ مقدسی ٦ ـ هم بستهٔ ٨ ـ سازید خود ١١ ـ روز جو ١٢ـ نه رو و سر را ١٣ ـ سر ١٤ ـ کی بگوش عاقلان این ١٥ـ از ضعف وفتور ١٦ ـ یقین ١٧ ـ کردم من این ١٨ ـ آن فلان شب حاضرآ (ن . ل) .

---

(١) اشاره بآیهٔ واقعه در سورهٔ شعرا فاوحینا الی موسی ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فکان کل فرق کالطود العظیم پس ما وحی فرستادیم بسوی موسی آنکه بزن بعصای خود دریا را پس شکافته شد پس بود هر جزوی مثل کوه بزرگ (٢) اشاره است بقول اکابر که الطبیب خادم الطبیعه والنبی خادم القضاء الالهی طبیبان طبیعت طبیبان ابدانند وانبیا واولیا طبیبان نفوس وارواحند (٤) مضمون آیه واقعه در سورهٔ هود است و یا قوم لا اسألکم علیه اجراً انْ اجری الاعلی الذی فطرنی (٧) اشاره بمضمون آیه واقعه در سورهٔ مؤمنون ما هذا الا بشر مثلکم یأ کل مما تأ کلون منه ویشرب مما تشربون (٩) معنی این بیت وبیت بعد این است که گوهر معجزه امتحان است مر خلق را و مأ آن معجزه گرد چشم شما میگردانیم اگر با وجود دیدن معجزه هم باز گواه طلبید آن طلبیدن گواه بعد از معجزه علامت کوری شما است (١٠) یعنی اگر ترا چشم دیدن نیست واقرار لسانی داری ومیدانی که صباح خود البته هست لیکن ترا بنظر نمی آید پس در اینصورت منتظر فضل الهی باش و راز خود فاش مکن مگر فضل بی علت ترا دستگیر شود وازین شقاوت برهاند .

ظلمت‌افزود این‌چراغ آن‌چشم را — چون خدا بگماشت پردهٔ خشم را ۱ چه رئیسی جست خواهیم از شما — که ریاستمان فزونست از سما
چه شرف یابد ز کشتی بحر در — خاصه کشتی ز سرگین گشته پر ۲ ای دریغ آن دیدهٔ کور و کبود — کافتابی اندرو ذره نبود
کادمی کو(۱) بود بی مثل‌ونديد — دیدهٔ ابلیس جزطینی ندید ۳ چشم‌دیوانه بهارش دی نمود (۲) — زآن طرف جنبید کورا خانه بود
❀ ای بسا دولت‌که آید گاه‌گاه — پیش بی دولت بگردد او ز راه ۴ ای بسا معشوق کاید نا شناخت — پیش بد بختی نداند عشق باخت
❀احمقان‌راایچنین‌حرمان‌چراست(۳) — می نسازد گمرهان را راه راست ۵ ❀این‌غلط‌ددیده‌راحرمان‌ماست(۴) — وین مقلب قلب را سوءالقضاست
چون‌بت سنگین‌شماراقبله شد(۵) — لعنت وکوری شما را ظله شد (۶) ۶ چونکه ناید سنگتان انباز حق — چون نشاید عقل وجان همرازحق
پشهٔ مرده هما را شد شریك — چون نشاید زنده همراز ملیك ۷ یامگر (۷) مرده تراشیدهٔ شماست — پشهٔ زنده تراشیدهٔ خداست
عاشق‌خویشید وصنعت‌کرد خویش — دم مارانرا سر ماراست کیش ۸ نی در آن دم دولتی و نعمتی — نی در آن سر راحتی و لذتی
گرد سر گردان بود آن دم مار — لایقندو در خورند آن هردو یار ۹ آنچنان گوید حکیم غزنوی — در الهی‌نامه گرخوش بشنوی (۸)
کم فضولی کن تو در حکم قدر — درخور آمد شخص‌خر با گوش‌خر ۱۰ شد مناسب نضو ها وابدانها — شد مناسب وصفها با جانها
وصف‌هرجانی‌مناسب باشدش(۹) — بیگمان جانی که حق بتراشدش ۱۱ چون‌صفت‌باجان‌قرین‌کرده‌است‌او — پس‌مناسب دانش‌همچون چشم ورو
شدمناسب‌وصفها درخوب وزشت — شد مناسب حرفها که حق نوشت ۱۲ دیده و دل هست بین الاصبعین — چون قلم دردست کاتب ای حسین
اصبع‌لطف‌است‌وقهراندرمیان(۱۰) — کلك دل با قبض وبسطی زین‌بنان ۱۳ ای قلم بنگر گر اجلالیستی — که میان اصبعین کیستی
جمله‌قصد وجنبشت زین‌اصبع‌است — فرق توبرچارراه مجمع‌است(۱۱) ۱۴ این‌حروف حالهات ازنسخ اوست — عزم‌وفسخت هم‌زعزم وفسخ اوست
جز نیاز و جز تضرع راه نیست — زین تقلب هر قلم آگاه نیست ۱۵ این قلم دانند ولی بر قدر خود — قدر خود پیدا کند در نیك و بد
آنچه در خرگوش وپیل آویختند ۱۶ تا ازل را با حبل (۱۲) آمیختند

بیان آنکه هر کس را نرسد مثل آوردن خاصه در کار الهی

کی رسدتان این مثلها ساختن — سوی آن درگاه پاك انداختن ۱۸ آن مثل آوردن آن حضرتست — که بعلم سر و جهر او آیت است
توچه دانی سر چیزی تا توکل — یا بزلف و یا برخ آری مثل ۱۹ موسی آن را که عصا دید ونبود — اژدها بد سر او لب میگشود
چون چنان شاهی نداند سر چوب — توچه‌دانی‌سر این‌دام‌وحبوب(۱۳) ۲۰ چون‌غلط شد چشم موسی درمثل — چون‌کند(۱۴) موشی‌فضولی مدخل
آن مثالت را چو اژدرها کند — تا بپاسخ جزو جزوت بر کند ۲۱ این مثال آورد ابلیس لعین — تا که شد ملعون حق تا یوم‌دین
این مثال آورد قارون از لجاج — تا فروشد درزمین با تخت وتاج ۲۲ ❀ این مثال آورد نمرود جهول — تا که پشه مغزسر خوردش عجول
❀ این مثال اندیش‌گشته قوم عاد — کاستخوانش‌ن‌خرد ومرد آمدزباد ۲۳ ❀ این مثال آورد شداد لئیم — تا که شد محروم از هر دو نعیم
❀ این‌مثال آورد فرعون ازغلط — تا که اندر آب دریا شد سقط ۲۴ ❀ این‌مثال آورد هربدبخت‌دون — تا که شد در قعر دوزخ سرنگون
این مثالت را چو زاغ وبوم دان ۲۵ که ازایشان پست شدصد خاندان

مثلها زدن قوم نوح را باستهزاء در زمان کشتی ساختن او

نوح اندر بادیه کشتی بساخت(۱۵) — صد مثل گو ازبی تسخر بتاخت ۲۷ در بیابانی که چاه و آب نیست — میکند کشتی چه نادان ابلهی‌است
آن یکی میگفت این کشتی بتاز — و آن‌یکی میگفت پرش هم بساز ۲۸ ❀ آن‌یکی‌میگفت دنبالش کزاست — وآن‌یکی میگفت پشتش‌کژمژ است
❀آن یکی‌میگفت‌پالانش کجاست — وآن‌یکی‌میگفت پایش کژ چراست ۲۹ ❀آن‌یکی‌میگفت‌کاین‌مشکی‌تهی‌است — وان یکی‌میگفت این‌خر بهرکیست
❀آن‌یکی میگفت‌جوچون میخورد — ور نه بارت کی بمنزل میبرد ۳۰ ❀ آن یکی میگفت بیکاری مگر — یا شدی فرتوت وعقلت شد زسر
اوهمی‌گفت این‌بفرمان خداست ۳۱ این‌بچربکها نخواهد گشت کاست

حکایت آن دزد که می‌پرسیدندش چه میکنی نیمشب در بُن این دیوار گفت دُهل میزنم

این مثل بشنو که شب دزد عنید — در بن دیوار حفره می برید ۳۳ نیم بیداری که او رنجور بود — طقطق آهسته اش را میشنود
رفت بر بام و فرو آویخت سر — گفت اورا درچه‌کاری ای پدر ۳۴ خیر باشد نیمشب چه میکنی — توکهٔ گفتا دهل زن ای سنی
در چه کاری گفت میکوبم دهل — گفت کو بانگ دهل ای بوسبل ۳۵ گفت فردا بشنوی این بانگ را — نعرهٔ یا حسرتا واویلتا

---

۱ ـ زادمی که ۵ ـ بود قبلهٔ شما ٦ ـ رسد آن دائما ۷ ـ آن بت ۹ ـ تناسب بایدش ۱۲ ـ ابد ۱۳ ـ دام کوب ۱٤ ـ شود (ن . ل)

---

(۲) یعنی چشم ابلیسانه را موسم بهار بنظر خزان آمد آنچه اصل او بود همان طرف رفت (۳) یعنی احمقان از این جهت محرومندکه راه‌راست ایشان‌را موافق نیست (٤) یعنی این‌محرومی ما دیده را در غلطی می اندازد (۸) الهی نامه مقصود حدیقهٔ سنائی است و بیت حکیم اینست ـ تو فضول از میانه بیرون نه ـ گوش خر در خور است با سر خر (۱۰) در حدیث است که : قلب المؤمن بین الاصبعین من اصابع الرحمن یقلبه کیف یشاء و نکتهٔ اصبعین بصیغهٔ تثنیه را با تأویل اشارت فرموده که صفات حقتعالی لطف وقهراست و جمالی و جلالی است و دل مظهر اینهاست و بتأویل دیگر اشارت فرموده در مصراع دوم که قبض بسط باشد ولی بمعنی اعم از آنچه در لسان سالکان است تا خاطر ملکی وخاطر شیطانی را نیز بگیرد که در حدیث است انّ فی‌القلب لّمتین لمة من الملك وعد بالخیر و لمة من الشیطان ایعاد بالشر یعنی در دل دو نزول است نزولی از ملك که آن خاطر ملکی است و نیك است و نزولی از شیطانست و آن خاطر شیطانیست و وساوس آنست وشر است و میشود که خواطر و خود مظهرین لطف و قهر را که ملك و شیطانست در لطف و قهر و جمال و جلال مندرج کنیم اندراج مظهر در ظاهر (۱۱) یعنی چون خواتیم امور مبهم است فرق سعادت و شقاوت تو در چهار راه مجمع است که عبارت از محشر باشد و قدر خود آنروز خواهی دانست (۱۵) اشاره بمضمون آیه واقعه در سورهٔ هود و یصنع الفلك وکلما مرّ علیه ملاء من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخرمنکم یعنی ومی‌ساخت کشتی و هرچه میگذشت براو بزرگان از قوم او استهزاء میکردند گفت حالا شما ما را استهزاء میکنید پس ماهم استهزاء میکنیم شما را در موقع خود

من چورفتم بشنوی بانگ دهل — آن زمان واقف شوی برجزو و کل
آن دروغست وکژ و برساخته(۱) — سرّ آن کژ را تو هم نشناخته
در غلط افتادهٔ ای نیم خام — پخته شو در آتش او والسلام
سرّ آن خرگوش وآن دیونفول — که به پیش نفس تو آمد رسول
تا که نفس گول را محروم کرد — زآب حیوانی که ازوی خضرخورد
بازگونه کردهٔ معنیش را — کفرگفتی مستعد شو نیش را

جواب آن مثل که منکران گفتند از رسالت خرگوش پیغام پیل را از ماه آسمان

اضطراب ماه گفتی در زلال — که بترسانید پیلان را شغال
قصهٔ خرگوش و پیل آریّ و آب — خشیت پیلان ز مه در اضطراب
این چه ماند آخر ای کوران خام — با مهی که شد زبونش خاص وعام
چه مه و چه آفتاب و چه فلك — چه عقول و چه نفوس وچه ملك
چه وحوش و چه طیورو چه جماد — چه ملوك و چه گدا چه کیقباد
چه بلاد و چه جبال و چه بحار — چه مه و چه سال و چه لیل ونهار
چه تراب وآب وچه باد وچه نار — چه خریف وصیف وچه دی چه بهار
جمله اندر حکم ودر فرمان او — همچو گوئی در خم چوگان او
آفتاب آفتاب آفتاب — این چه میگویم مگرهستم بخواب
صدهزاران شهررا خشم شهان(۲) — سرنگون کرده است ای بدگوهران(۳)
کوه برخود میشکافد صد شکاف — گردایشان ماه وخوراندرطواف(٤)
خشم مردان خشك گرداند سحاب — خشم دلها کرد عالمها خراب
بنگرید ای مردگان بی حنوط — در سیاستگاه شهرستان لوط
پیل خود چبود که سه مرغ پران — کوفتند آن پیلکان را استخوان
اضعف مرغان ابابیل است و او — پیل را بدرید و نپذیرد رفو
کیست کو نشنید آن طوفان نوح — یا مصاف لشکر فرعون و روح
روحشان بشکست واندرآب ریخت — ذرّه ذرّه آبشان بر می گسیخت
کیست کو نشنید احوال ثمود — وانکه صرصر عادیان را میربود
چشم باری در چنان پیلان گشا — که بدندی پیل کش اندر وغا
آن چنان پیلان و شاهان ظلوم — زیر خشم دل همیشه در رجوم
تا ابد از ظلمتی در ظلمتی — میروند و نیست غوثی رحمتی
نام نیك و بد مگر نشنیده اید — جمله دیدند و شما نا دیده اید
دیده را نادیده می آرید لیك — چشمتانرا واگشاید مرگ نیك
گر دوعالم پر بود خورشید ونور — چون روی در ظلمتی مانند گور
بی نصیب آئی از آن نور عظیم — بسته روزن باشی از ماه کریم
تو درون چاه رفتستی ز کاخ — چه گنه دارد جهانهای فراخ
جان که اندر وصف گرگی ماند او — چون به بیند روی یوسف را بگو(٥)
لحن داودی بسنگ و کُه رسید — گوش آن سنگین دلانش کم شنید
آفرین بر عقل و بر انصاف باد — هر زمان والله اعلم بالرشاد
صَدِّقوا رُسلا کراماً یا سبا — صَدِّقوا روحاً سباهاً من سبا
صَدِّقوهُم هُم شموسٌ طالعة — یؤمِنوکم مِن مخازی القارِعَة
صَدِّقوهُم هُم بدُور زاهرة — قبلَ اَنَ یلقوُکم بالسّاهِرة
صَدِّقوهُم هُم مصابیح الدجی — اَکرموُهُم هُم مفاتیحُ الرّجا
صَدِّقوا من لیس یَرجو خیرَکم — لاَتظلموا لا تَصدّوا غیرکم (٦)
پارسی گوئیم هین (۷) تازی بهل — هندوی آن ترك باش ای آب وگل(۸)

معنی حزم ومثال مرد حازم

هین گواهیهای شاهان بشنوید — بگرویدند آسمانها بگروید
یا بحال اوّلینان بنگرید — یا سوی آخر بحزمی بر پرید
حزم چبود درد و تدبیر احتیاط — ازدوآن گیری که دوراست ازخباط
آن یکی گوید دراین ره هفت روز — نیست آب وهست ریگ پای سوز
آن دگر گوید دروغست این بدان(۹) — که بهر شب چشمهٔ بینی روان
حزم آن باشد که برگیری توآب — تا رهی ازترس وباشی درصواب
گر بود در راه آب این را بریز — ور نباشد وای بر مرد ستیز
ای خلیفه زادگان دادی کنید — حزم بهر روز میعادی کنید
آن عدوئی کز پدرتان کین کشید — سوی زندانش ز علین کشید
آن شه شطرنج دل را مات کرد — از بهشتش سخرهٔ آفات کرد
چند جا بندش گرفت اندر نبرد — تا بکشتی در فکندش روی زرد
اینچنین کرده است با آن پهلوان — سُست سستش منگرید ای دیگران(۱۰)
مادر و بابای ما را آن حسود — تاج و پیرایه بچالاکی ربود
کردشان آنجا برهنه وزار وخوار(۱۱) — سالها بگریست آدم زار زار
که ز اشك چشم او روئید نبت — که چرا اندر جریده لاست ثبت(۱۲)
تو قیاسی گیر طرّاریش را — که چنان سرور کند زو ریش را
الحذر ای گل پرستان از شرش — تیغ لاحولی زنید اندر سرش
کو همی بیند شمارا ازکمین(۱۳) — که شما اورا نمی بینید هین
دائماً صیّاد ریزد دانها — دانه پیدا باشد و پنهان دغا
هرکجا دانه بدیدی الحذر — تا نبندد دام بر تو بال و پر

---

۳ ـ گمرهان ٤ ـ آفتابی چون خراسی (خر آسیا) در طواف ٥ـ نکو ۷ـ گو این زمان ۸ـ ازجان و دل ۹ـ بیان ۱۰ـ بین چه خواهد کرد آن با دیگران (ن . ل)

---

(۱) یعنی آنچه مثال خرگوش و پیل ظاهر آورده اید دروغ و کژ است سرّ آن کژ را شما ندانسته اید که برای چه این مثال آورده اند از خرگوش شیطان مراد است و از پیل نفس که آن شیطان نفس را از خوردن آب حیوة مانع آمده اصل این بود و تو این را واژگون فهمیده خطا کردهٔ نیش بر تو خواهد رسید (۲) مضمون آیه شریفه واقعه در سورهٔ اعراف است. و کم من قریة اهلکناها فجاءها باسنا بیاتاً اوهم قائلون (٦) معنی ابیات عربی این است : تصدیق کنید پیغمبران مکرم را ای اهل سبا و باور دارید روحهای مقدسه را که اسیر عشق خود کرده آن کس که اسیر کرده که حق حقیقی و جمال مطلق است و میشود روح بفتح خوانیم یعنی تصدیق کنید بلقاء روح و ریحان که در غایات میباشد و تصدیق کنید ایشان را که ایشانند خورشیدهای تابان ایمن میکنند شما را ازعذابهای قیامت وتصدیق کنید ایشان را که بدرهای روشنند قبل از آنکه ملاقات کنند شما را در ساهره (ساهره زمین قیامت است که از شدت گرمی و غیرآن بیدار میکند اهل محشررا بیداری عظیم) وتصدیق کنید ایشان را که چراغهای تاریکیند و گرامی بدارید ایشان را که کلید های امیدند و تصدیق کنید کسانی را که طمع ندارند از شما نفعی و اجری وگمراه مکنید و صدّ و منع غیرمکنید از راه حق (۱۱) اشاره باین آیه واقعه در سوره اعراف است فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما و طفقا یخصفان علیهما من ورق الجنة پس هنگامی که بچشیدند از میوه آن درخت منهی فی الحال بعقوبت آن ظاهرشد مر ایشانرا عورات ایشان یعنی لباسشان ازتن بریخت وقصد کردند به برگهای اشجار میچسبانیدند برگی بربالای برگی ومی نهادند برعورات خویش از برگ درختان بهشت (۱۲) اشاره بآیه ولا تقرباست که چرا بجای نهی عمل ثبت شد که نزدیك شدن به شجرهٔ ممنوعه باشد (۱۳) اشاره بمضمون آیه واقعه در سورهٔ اعراف انه یریکم هو و قبیله من حیث لاترونهم بدرستیکه می بیند او و قبیله اش شما را بطوریکه شما ایشانرا نبینید

۞ چونکه دیدی دانه بگریز ای حمام — ورنه چون خوردی در افتادی بدام ۱ ۞ شادمرغی کو بترك دانه گفت — در ریاض قدس پهرش گل شکفت
زانکه مرغی کو بترك دانه کرد — دانه از صحرای بی تدویر خورد ۲ همبدان قانع شد وازدام جست(۱) — هیچ دامی پر و بالش را نبست

وخامت حال آن مرغ که ترك حزم کرد از حرص وهوا

باز مرغی فوق دیواری نشست — دیده سوی دانه و دامی ببست ٤ گه نظراوراسوی صحرابدی(۲) — گاه حرصش سوی دانه میشدی(۳)
این نظر با آن نظر چالش کرد — ناگهانی از خرد خالش کرد ٥ ۞ رفت ودانه خورد واندردام ماند — صایدش کشت وبخورد وکام راند
باز مرغی کان تردد را گذاشت — زان نظر برکند وبرصحرا گماشت ٦ شاد پر وبال او بخا له (٤) — تا امام جمله آزادان شد او
هر که اورا مقتدا سازد برست — در مقام امن و آزادی نشست ۸ زانکه شاه حازمان آمد دلش — تا گلستان و چمن شد منزلش
حزم ازاوراضی و اوراضی زحزم — این چنین کن گرکنی تدبیر وعزم ۹ بار ها در دام حرص افتادهٔ — حلق خود را در بریدن دادهٔ
بازت آن تواب لطف آزاد کرد — توبه پذرفت و درونت شاد کرد ۱۰ گفت ان عدتم کذا عدنا کذا — نحن زوجنا الفعال بالجزا (٥)
چونکه جفتی را بر خود آورم — آید آن جفتش دوانه لاجرم ۱۱ جفت کردیم این عمل را با اثر — چون رسد جفتی رسد جفت دگر
چون رباید غارتی ازجفت شوی — جفت می‌آید پی او شوی جوی ۱۲ بار دیگر سوی این دام آمدی — خاك اندر دیدهٔ توبه زدی
بازت آن تواب بگشود آن گره — گفت هین بگریز واین سو پا(٦) منه ۱۳ باز چون پروانهٔ نسیان رسید — جانتان را جانب آتش کشید
کم کن ای پروانه نسیان و شکی — در پر سوزیده بنگر تو یکی ۱٤ چون رهیدی شکر آن باشد که هیچ — سوی آن دانه نداری پیچ پیچ
تا ترا چون شکرگوئی بخشد او — روزکی بی دام و بی خوف عدو ۱٥ شکر آن نعمت که تان آزاد کرد — نعمت حق را بباید یاد کرد
چند اندر رنجها و در بلا (۷) — گفته‌ای برهان زدامم (۸) ایخدا ۱٦ تا چنین خدمت کنم احسان کنم — خاك اندر دیدهٔ شیطان زنم
۞ چون خلاصت داد حق ازامتحان — همچنانستی که بودی هم چنان ۱۷ ۞ چون رها کردت فرامش کردیش — جان خودرا مست وبیهش کردیش

حکایت نذر کردن سگان هر زمستان که چون تابستان آید خانه سازیم از بهر زمستان

سگ زمستان جمع گردد استخوانش — زخم سرما خرد گرداند چنانش ۱۹ کو بگوید کاین قدر تن که منم — خانهٔ از سنگ باید کردنم
چون که تابستان بیاید من بچنگ — بهر سرما خانهٔ سازم ز سنگ ۲۰ چونکه تابستان بیاید از گشاد — استخوانها پهن گردد پوست شاد
زفت گردد پا کشد در سایهٔ — کاهلی سیری غری خود رایهٔ ۲۱ گوید اوچون زفت بیند خویش را — در کدامین خانه گنجم ای کیا
گویدش دل خانهٔ ساز ای عمو — گوید او در خانه کی گنجم بگو ۲۲ استخوان حرص تو در وقت درد — در هم آید خرد گردد در نورد
گوئی از توبه بسازم خانه من(۹) — درزمستان باشدم آنجاوطن(۱۰) ۲۳ چون بشد رنج وشدت(۱۱) آن حرص زفت — همچوسگ سودای خانه ازتو رفت
شکر نعمت خوشتر از نعمت بود — شکر باره کی سوی نقمت رود ۲٤ شکر جان نعمت ونعمت چوپوست — زانکه شکرآرد ترا تا کوی دوست
نعمت آرد غفلت و شکر انتباه — صید نعمت کن بدام شکر شاه ۲٥ نعمت شکرت کند پرچشم و میر — تا کنی صد نعمت ایثار فقیر
سیر نوشی از طعام و نقل حق — تا رود از تو شکم خواری ودق ۲٦ ۞ نعمت وهاب را شکری کنید — تا سر منحوس خود را نشکنید
۞ شکر جذب نعمت اوفر کند — ۲۷ کفر نعمت مرد را کافر کند

منع کردن منکران انبیا علیهم السلام را از نصیحت کردن و حجت آوردن جبریانه

قوم گفتند ای نصوحان بس بود — آنچه گفتید ار دراین ده کس بود ۲۹ قفل بر دلهای ما بنهاد حق — کس نداند برد بر خالق سبق
نقش ما این کردآن تصویرگر (۱۲) — این نخواهد شد بگفت و گو دگر ۳۰ ۞ سنگ را صدسال گوئی لعل شو — کهنه را صد بار گوئی باش نو
خاك را گوئی صفات آب گیر — آب را گوئی عسل شو یا که شیر ۳۱ ۞ نار را گوئی که نورمحض شو — پشه را گوئی که سوی باد رو
۞ قلب را گوئی که زر(۱۳) پاك شو — یا که اکسیری شو و چالاك شو ۳۲ ۞ هیچ ازآن اوصاف دیگرگون شوند — آب کی گردد عسل ای هوشمند
خالق افلاك و هم افلاکیان — خالق آب و تراب و خاکیان ۳۳ آسمان را داد دوران وصفا — آب و گل را تیره روئی و نما
کی تواند آسمان دردی گزید — کی تواند آب وگل صفوت خرید ۳٤ قسمتی کرده است هریك را رهی — کی کهی گردد بجهدی چون کهی

جواب انبیاء علیهم السلام جبریان را

انبیا گفتند کاری آفرید — وصفهائی که نتان زان سرکشید ۳٦ وافرید او وصفهای عارضی — که کهی(۱٤) مبغوض میگردد رضی
سنگ را گوئی که زرشو بیهده است — مس را گوئی که زرشو(۱٥) راه هست ۳۷ ریگ را گوئی که گل شو عاجزاست — خاك را گوئی که گل شو جایزاست
رنجها دادست کانرا چاره نیست — آن بمثل گنگی وفطس وعمی است ۳۸ رنجها دادست کانرا چاره هست — آن بمثل لقوه و درد سر است
این دواها ساخت بهر ایتلاف(۱٦) — نیست این درد و دواها ازگزاف ۳۹ بلکه اغلب رنجها را چاره هست — چون بجد جوئی بیابد آن بدست

مکرر کردن کافران حجتهای جبریانهٔ خود را

قوم گفتند ای گروه این رنج ما — نیست زان رنجی که پذیرد دوا ٤۱ سالها گفتند ازاین افسون و پند — سخت ترمیگشت(۱۷) زان هرلحظه بند

۱ـ رست ۲ ـ یك نظر او سوی صحرا میکند ۳ ـ یکنظر حرصش بدانه میکشد ٤ ـ چون بکند اودل از این شادان شد او ٦ـ وروی اینسو
۸ـ گفتی از دامم رها کن ۹ـ خانهٔ ۱۰ـ کاشانهٔ ۱۱ـ چون نماند این درد گشت ۱۲ـ این نوع کرد آن نقش گر ۱۳ـ عین ۱٤ ـ کس
۱٥ ـ لیك مس را گر بگوئی ۱۷ ـ گشتست (ن . ل)

---

(٥) یعنی اگر عودکنید شما بکردار چنین عود کنیم ما بمکافاتی چنان که ما جفت کردیم فعل را بجزای او ونیزاشاره‌است بمضمون آیه عسی ربکم ان یرحمکم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للکافرین حصیرا (۷) مضمون آیه واقعه در سورهٔ روم است واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منیبین الیه ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فریق منهم بربهم یشرکون وچون برسد آدمیان‌را سختی یا بیماری یافقر بخوانند پروردگارشان را بزاری باز گشتگان بسوی او پس چون بچشاند وبدهد ایشان‌را خدای آسانی وصحت وتوانگری پس گروهی ازایشان بپروردگار خود شرك آورند (۱٦) این دواها را برای انتظام ساخته است .

گر دوا را این مرض قابل بدی / آخر از وی ذرّهٔ زایل شدی ۱ سدّه چون شد آب ناید در جگر / گر خورد دریا رود جای دگر
لاجرم آماس گیرد دست و پا ۲ تشنگی را نشکند آن استقا (۱)

باز جواب انبیا علیهم السلام ایشان را

انبیا گفتند نومیدی بد است / فضل و رحمتهای باری بیحد است ٤ از چنین محسن نشاید نا امید / دست در فتراك این رحمت زند
ای بسا کارا که اوّل صعب گشت / بعد از آن بگشاده شد سختی گذشت ٥ بعد نومیدی بسی امیدهاست / از پس ظلمت بسی خورشیدهاست
❀ خود گرفتم که شما سنگین شدید / قفلها بر گوش و بر دل بر زدید ٦ گرچه سنگین دل چو خارا آمدید / قفلها بر گوش وچشم وجان زدید
هیچ ما را با قبولی کار نیست / کار ما تسلیم و فرمان بردنیست ۷ او بفرمودستمان این بندگی / نیست ما را ازخود این گویندگی
جان برای امر او داریم ما / گر بریگی گوید او کاریم ما ۸ ❀ امر حق را ما گروه بی ریا / میرسانیم این رسالت با شما (۲)
غیر حق جان نبی را یار نیست / با قبول و ردّ خلقش کار نیست ۹ مزد تبلیغ رسالاتش ازاوست / زشت و دشمن روشدیم ازبهر دوست
ما بر این درگه ملولان نیستیم / تا ز بُعد راه هر جا بیستیم ۱۰ دل فرو بسته و ملول آنکس بود / کز فراق یار در محبس بود
دلبر و مطلوب با ما حاضراست / در تتار رحمتش جان شاکراست ۱۱ در دل ما لاله زار و گلشنی است / پیری و پژمردگی را راه نیست
دائماً تر و جوانیم و لطیف / تازه و خندان وشیرین وظریف ۱۲ پیش ما صد سال و یکساعت یکیست / که دراز و کوته ازما منفکی است
آن دراز و کوتهی درجسمهاست / خود (۳) دراز و کوته اندر جان کجاست ۱۳ سیصد و نه سال آن اصحاب کهف / پیششان یکروز بی اندوه و (٤) لهف
وانگهی ننمودشان یکروز هم / که بتن باز (٥) آمد ارواح ازعدم ۱٤ چون نباشد روز و شب یا ماه و سال / کی بود سیری و پیری و ملال
در گلستان عدم چون بیخودیست / مستی ازسغراق (٦) لطف ایزدیست ۱٥ لم یذق لم یدر هرکس کو نخورد (۷) / کی بوهم آرد جعل انفاس ورد
نیست موهوم اربدی موهوم آن / همچو موهومان شدی معدوم آن ۱٦ دوزخ اندر وهم چون آرد بهشت / هیچ تابد روی خوب ازخوك زشت
همین گلوی خود مبرّ ید ای مهان / این چنین لقمه رسیده تا دهان ۱۷ راههای صعب پایان برده ایم / ره بر اهل خویش آسان کرده ایم
❀ هین بجوئید ازنجوم سعد راه / زانکه در ظلمت درید و قعر چاه ۱۸ ❀ هرکه مارا گشت پیرو باز رست / از عذاب نار و در جنت نشست
❀ وانکه نشنید ازشقاوت پند ما / در عذاب جاودان شد مبتلا ۱۹

مکرر کردن قوم اعتراض ترجیه برانبیاء علیهم السلام

قوم گفتند ار شما سعد خودید / نحس مائید و ضدید و مرتدید ۲۱ جان ما فارغ بُد از اندیشها / در غم افکندید ما را و عنا
ذوق جمعیت که بود و اتفاق / شد ز فال زشتتان صد افتراق ۲۲ طوطی نقل و شکر بودیم ما / مرغ مرگ اندیش گشتیم از شما
هرکجا افسانهٔ غم گستریست / هرکجا آوازهٔ مستنکریست ۲۳ هرکجا اندر جهان فال بدیست / هرکجا سخی نکالی مؤخذ (۸ و ۹) یست
در مثال و قصه و فال شماست / در غم انگیزی شما را مشتهاست ۲٤

باز جواب انبیاء علیهم السلام

انبیا گفتند فال زشت و بد / از میان جانتان دارد مدد ۲٦ گر تو جائی خفته باشی باخطر (۱۰) / اژدها در قصد تو آید بسر (۱۱)
مهربانی می ترا آگاه کرد (۱۲) / که بجه زود ار نه اژدرهات خورد (۱۳) ۲۷ تو بگوئی فال بد چون میزنی / فال چه برجه ببین در روشنی
از میان فال بد من خود ترا / میرهانم میبرم سوی سرا ۲۸ چون نبی آگه کننده است ازنهان / کو بدید آنچه ندید اهل جهان
گر طبیبی گویدت غوره مخور / که چنین رنجی برآرد ازتو سر (۱٤) ۲۹ تو بگوئی فال بد چون میزنی (۱٥) / پس تو ناصح را مؤثم میکنی (۱٦)
ور منجم گویدت امروز هیچ / آنچنان کاری مکن اندر بسیج ۳۰ زانکه نیکونیست روز امروز هان / تا نگردی نادم و خاسر از آن
صدره ار بینی دروغ اختری / یکدو باره راست آمد میخری ۳۱ این نجوم ما نشد هرگز خلاف / صحتش چون ماند ازتو در غلاف
آن طبیب و آن منجم از گمان / میکنند آگاه و ما خود از عیان ۳۲ دود می بینیم وآتش از کران / حمله می آرد بسوی منکران
تو همی گوئی خمش کن زین مقال / که زیان ماست قال شوم فال ۳۳ ایکه نصح ناصحان را نشنوی / فال بد با تست هرجا میروی
افعئی بر پشت تو بر میرود / او زبامی بیندت آگه کند (۱۷) ۳٤ گوئیش خاموش و غمگینم مکن / گویداو خوش باش خودرفت این سخن
چون زند افعی دهان بر گردنت / تلخ گردد جمله شادی کردنت ۳٥ پس بدوگوئی همین بود ای فلان / چون نبدریدی گریبان در فغان
یا زبالایم تو سنگی (۱۸) میزدی / تا مرا از جدّ نمودی آن بدی ۳٦ ❀ اوبگوید نی که (۱۹) می آزردهٔ / تو بگوئی نی که (۲۰) شادم کردهٔ
گفت من کردم جوان مردیّ به پند / تا رهانم من ترا زین خشك بند ۳۷ گوید او آزرده میگشتی چه سود / من بسی گفتم ترا روزی نبود
از لئیمی حقّ آن نشناختی / مایهٔ ایذا و طغیان ساختی ۳۸ این بود خوی لئیمان دنی / بد کند با تو چو نیکوئی کنی
نفس را زین صبر میکن منحنیش / که لئیم است و نسازد نیکوئیش ۳۹ با کریمی گر کند احسان سزد / هریکی را او عوض هفتصد دهد

---

۳ ـ آن ٤ ـ روزی نه اندوه و نه ٥ ـ چون باجسام ٦ ـ شکر ز استغراق ۸ ـ مأخذ ۱۰ ـ ای عمو ۱۱ ـ اژدهائی آید اندر قصد تو ۱۲ ـ مشفقی بیدار گرداند ترا ۱۳ ـ خوردت اژدها ۱٤ ـ شور و شر ۱۷ ـ بود ۱۸ ـ کاشکی صد سنگ برمن ۱۹ ـ زانکه ۲۰ ـ نیك (ن . ل) .

---

(۱) این آب خوردنها تشنگی را نمی‌شکند (۲) مضمون آیه واقعه درسورهٔ مائده است و ماعلی‌الرسول الاالبلاغ نیست بررسول مگررسانیدن احکام بمکلفان تا ایشان را عذری نباشد و نیز در سورهٔ نحل است فهل علی‌الرسل‌الاالبلاغ‌المبین (۷) یعنی‌کسیکه بخشید در نیافت پیالهٔ لطف را (۹) هرکجا مسخی ونسخ ملکوتی ووعید صور برزخیه سوء اعمال‌است ونکال وعقاب ومؤاخذه‌است ازشمااست (۱٥) اعتراض کافران و جواب انبیا مضمون آیه واقعه درسورهٔ یس‌است «قالوا انّا تطیرنا بکم لئن‌لم‌تنتهوا لنرجمنکم ولیمسنکم منا عذاب الیم قالوا طائرکم معکم» (۱٦) پس تو نصیحت کننده را گناهکار میکنی یا گناه باو نسبت میدهی

با لئیمی چون کنی قهر و جفا — بندهٔ گردد ترا بس با وفا ۱ کافران کآرند در نعمت جفا — باز در دوزخ نداشان ربّنا (۱)
که لئیمان در جفا صافی شوند ۲ چون وفا بینند خود جافی شوند

حکمت در آفریدن دوزخ آن جهان وزندان این جهان تامعبد منکران گردد که ائتیا طوعاً او کرهاً

مسجدطاعاتشان خود دوزخست(۲) — پای بند مرغ بیگانه فخاست ٤ هست زندان صومعهٔ دزد لئیم — کاندران ذاکر شود حق‌را مقیم
چون عبادت بود مقصود از بشر — شد عبادتگاه گردنکش سقر ٥ آدمی را هست درهر کار دست — لیك ازو مقصود این خدمت بدست
ماخلقت الجن والانس این بخواند(۳) — جز عبادت نیست مقصود از جهان ٦ گرچه مقصود ازکتاب آن فن بود — گر تواش بالش کنی هم میشود
لیك ازو مقصود این بالش نبود — علم بود و دانش وارشاد وسود ۷ گر تو میخی ساختی شمشیر را — بر گزیدی بر ظفر ادبیر را
گرچه مقصود از بشر علم وهدیست — لیك هریك آدمی را معبدیست ۸ معبد مرد کریم اکرمته — معبد مرد لئیم اسقمته
مر لئیمان را بزن تا سر نهند — مر کریمان را بده تا بر دهند ۹ لاجرم حق هردومسجدآفرید(٤) — دوزخ آنها را و اینها را مزید

بیان آنکه حقتعالی صورت ملوك را سبب مسخر کردن جباران که مسخر حق نباشند ساخته است چنانکه موسی علیه‌السلام باب صغیر ساخت بر ربض قدس جهت رکوع جباران بنی اسرائیل وقت در آمدن که ادخلوا الباب سجداً و قولوا حطة نغفر لکم (٥)

ساخت موسی قدس درباب صغیر — تا فرود آرند سر قوم زحیر ۱۳ زانکه جباران بدند و سر فراز — دوزخ آن باب صغیر است ونیاز
آنچنانکه حق زلحم و استخوان — ازشهان باب صغیری ساختهان ۱٤ اهل دنیا سجدهٔ ایشان کنند — چونکه سجدهٔ کبریا را دشمنند
ساخت سرگین دانگی محرابشان — نام آن محراب میر و پهلوان ۱٥ لایق این حضرت پاکی نه اید — نی شکر نی لیك درصورت نی اید(٦)
آن سگان‌را این‌خسان خاضع‌شوند — شیر را عار است کو را بگروند ۱٦ گربه باشد شحنهٔ هر موش خو — موش کبود تا زشیران ترسد او
خوف ایشان ازکلاب حق بود(۷) — خوفشان کی زآفتاب حق بود ۱۷ ربی‌الاعلی‌است وردآن شهان(۸) — رب ادنی(۹) درخور این ابلهان
موش کی ترسد ز شیران مصاف — بلکه‌آن‌آهوتگان(۱۰) مشك ناف ۱۸ رو به پیش دیگ‌لیس ای کاسه لیس — تُش خداوند و ولی نعمت نویس
دیگ لیسی کاسه لیسی را بجو — تش خداوند و ولی نعمت بگو ۱۹ بس‌کن ارشرحی بگویم دوردست — خشم گیرد میر وهم داندکه هست
حاصل آن آمد که بدکن ای‌کریم — با لئیمان تا نهد گردن لئیم ۲۰ با لئیم نفس چون احسان کند — چون لئیم آن نفس بدکفران‌کند
زین‌سبب بد کاهل‌محنت شاکرند — اهل نعمت طاغیند و ماکرند ۲۱ هست طاغی بگلر زرّین قبا — هست شاکر خستهٔ صاحب عبا
شکر کی روید ز املاك و نعم ۲۲ شکر میروید ز بلوا و سقم

قصهٔ عشق صوفی بر سفرهٔ تهی ازخورش

صوفئی بر میخ روزی سفره دید — چرخ میزد جامه ها را میدرید ۲٤ بانگ میزد نك نوای بینوا — قحطها و درد ها را نك دوا
چونکه‌دردوشور (۱۱) اوبسیارشد — هر که صوفی بود با او یار شد ۲٥ ❀کخکخی وهای‌وهوئی‌میزدند(۱۲) — تا که‌چندی‌مست‌وبیخودمیشدند(۱۳)
بوالفضولی‌گفت صوفی‌راکه چیست — سفرهٔ آویخته از نان تهی است ۲٦ گفت رو رو نقش بیمعنیستی — بیخبرازخویش‌و(۱٤)عاشق‌نیستی
عشق‌نان‌بی‌نان‌غذای‌عاشق‌است(۱٥) — بند هستی نیست هر کو صادقست ۲۷ عاشقان را کار نبود با وجود — عاشقان را هست بی سرمایه سود
بال نیّ و گرد عالم می پرند — دست نیّ و گو ز میدان میبرند ۲۸ آن فقیری کو زمعنی بوی یافت — دست‌بریده‌همی زنبیل‌بافت(۱٦)
عاشقان اندر عدم خیمه زدند — چون عدم یکرنگ ونفس واحدند ۲۹ شیر خواره کی‌شناسد ذوق لوت — مرپری را بوی باشد لوت‌وپوت
آدمی که بو برد از بوی او — چونکه خوی اواست‌ضدّ خوی‌او ۳۰ یابد از بو آن پریّ بوی کش — تو نیابی آن زصد من لوت‌خوش
پیش قبطی‌خون بود آن آب نیل — آب باشد پیش سبطیّ جمیل ۳۱ جاده باشد بحر ز اسرائیلیان — غرقه گه باشد ز فرعون عوان

٦ـ پیش خاصان زان سبب خاکی نیید ـ پاکان شما خالی نیید ۸ ـ مهان ۹ ـ ارنی ۱۰ ـ لیك ترسند آهوان ۱۱ ـ دود و سوز ۱۲ـ های هوی و کخکخی بر داشتند ۱۳ ـ رایت و جد و خوشی افراشتند ۱٤ ـ تو بجو هستی‌که (ن . ل) .

---

(۱) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ مؤمنون ربنا اخرجنا منها فان عدنا فاناظالمون ای آفریدگار مابیرونْ آور مارا ازآتش دوزخ پس اگر بازگردیم ما پس بدرستیکه ما از ستمکاران میباشیم (۲) آنچه در دوزخ به آنان میرسد لوازم وغایات افعال دنیویهٔ ایشانست وآنجا دارالجزاء ونشئه وصول بغایات است که طاعت حرکت وعمل‌است ودارالعمل دنیاست‌الدنیا مزرعة الآخرة والآخرة یوم الحصاد پس مراد ازطاعات طاعات تکوینیه است نه تکلیفیه چنانکه در دنیا نیز طاعت تکلیفیه را اگرچه بجا نیاوردند ولی تکوینیه را داشتند که امرکن وجودی‌را همه مطیعند وراهی متردان نیست و بآنجهة فرموده وقضی ربك الاّ تعبدون الا ایاه برقرائت بعضی و نیز غایت شیٔ کامل ازآن شیٔ است چنانکه غایة سریرکه جلوس سلطان است صورت‌کامله آنست که تاسلطان بعدل و داد برآن نشسته است هنوز صورت‌کامله نپذیرفته است پس‌غایات اخرویه باینمعنی همه عمل وطاعت است دیگر آنکه دنیا حقیقت دوزخ است و دوزخ صورت‌آنست وهرچه درسقراست معنیش دردنیا است حق فرموده انّ جهنم لمحیطة بالکافرین و اینجا دارالعمل است وآنچه اینجا می‌بیند مثل صور منامیه است وآنچه‌آنجا دریابد مانند تعبیر است والان درنارند وحمیم وزقوم وضریع میاشامند و معبد عبادات تکوینیه است و نیز چون دنیا سجن است سجن معبد مجرمانست چنانکه میفرماید هست زندان صومعهٔ دزد لئیم (۳) این آیه در سورهٔ والذاریات واقع شده وما خلقت الجن والانس الا لیعبدون ونیافریدیم پریان وآدمیان را مگر برای پرستیدن وبقول بعضی‌لیعبدون بمعنی لیعرفون است (٤) مراد از هردو مسجد عبارت از بهشت و دوزخ است که مسجد مؤمنین و کفار باشد یعنی جای سر نهادن (٥) این آیه در سورهٔ بقره واقع شده یعنی درآئید بدری از درهای این ده سجده کنان شکرانهٔ خلاصی یافتن را و بگوئید درخواست ماحطه است این‌لفظ کلمهٔ استغفار ایشان بود ومعنی آن اینکه بیفکن از ما گناهان مارا (۷) یعنی میران و سرهنگان از شیران وحشی که کلاب حق‌اند میترسند واز آفتابهای حق که انبیا علیهم السلامند نمیترسند (۱٥) یعنی صوفی‌عشق بنان نداشت سفره تذکرهٔ نان بود زمان تذکرهٔ مقیت یعنی قوت دهنده که ارزاق عبدالمقیت وعبدالرزاق اند (۱٦) اشاره بقصهٔ شیخ که با دست بریده زنبیل می بافت در صفحهٔ ۱٦٤

۱ ❀ باد بد بر عادیان گرز و تبر — لیك بد بر هود و بر قومش ظفر — ❀ گلستان باشد بر ابراهیم نار — لیك بر نمرود باشد زهر مار
۲ ❀ بر سمندر باشد آتش خاندان — لیك باشد بر دگر مرغان زیان — ❀ نزد عاشق درد وغم حلوا بود — لیك حلوا بر خسان بلوا بود

مخصوص بودن یعقوب علیه‌السلام بچشیدن جام حق از روی یوسف و کشیدن بوی حق از بوی یوسف و حرمان برادران و غیرهم ازاین هر دو

آنچه یعقوب ازرخ یوسف چشید — ❀ وآنچه او از بوی اواندرکشید — ۵ وآنچه دروی بود واندر وی بدید ❀ — خاص او بد آن با خوان کی رسید
این زعشقش خویش درچه میکند — وان بکین از بهر او چه میکند — ۶ سفرهٔ او پیش این ازنان تهی است — پیش یعقوبست پرکو مشتهی است
روی ناشسته نبیند روی حور — لا صلوة گفت الاّ بالطهور — ۷ عشق باشد لوت و پوت جانها — جوع از این رویست قوت جانها
جوع یوسف بود مر یعقوب را — بوی نانش میرسید از دور جا — ۸ آنکه بستد پیرهن را میشتافت — بوی پیراهان یوسف می‌نیافت
وانکه صد فرسنگ زانسو بود او — چونکه بد یعقوب می بوئید بو — ۹ ای بسا عالم ز دانش بی نصیب — حافظ علمست آنکس نی‌حبیب (۱)
مستمع از وی همی یابد مشام — گرچه باشد مستمع از جنس عام — ۱۰ زانکه پیراهن بدستش عاریه‌است — چون بدست آن نخاسی جاریه‌است
جاریه پیش نخاسی سرسریست(۲) — در کف او از برای مشتریست — ۱۱ قسمت‌حق‌است‌روزی خواهنی(۳) — هریکی را سوی دیگر راه نی
یك خیال نیك باغ آن شده — یك خیال زشت راه این زده — ۱۲ ❀ آن خیالی از اثر باغی شده — وین خیالی عالمی برهم زده
آن‌خدائی کز خیالی باغ ساخت — وز خیالی دوزخ وجای گداخت — ۱۳ پس که داند راه گلشنهای او — پس که داند جای گلخنهای او
دیده‌بان دل نبیند در مجال — کز کدامین رکن جان آید خیال — ۱۴ ❀جزمگر آن‌دل که‌دارد عون‌حق(٤) — کون‌اورا نیست کرده کون حق
گر بدیدی مطلعش را ز احتیال — بند کردی راه هرناخوش خیال — ۱۵ کی رسد جاسوس را آنجا قدم — که بود مرصاد و دربند عدم (۵)
دامن فضلش بکف کن کور وار — قبض‌اعمی (٦) این‌بود ای شهریار — ۱۶ دامن او امر و فرمان ویست — نیکبختی که تقی جان ویست
آن یکی در مرغزار وجوی آب — وان یکی پهلوی او اندر عذاب — ۱۷ او عجب مانده که ذوق این زچیست — وین‌عجب‌مانده که‌این‌درحبس کیست
هین‌چرا خشکی که‌اینجا چشمهاست — هین‌چرا ازردی(۷) که‌اینجاصددواست — ۱۸ همنشینا هین در آ اندر چمن (۸) — گوید ایجان من نیارم آمدن
❀هین‌بیا جاناکه پایت بسته نیست — ۱۹ گویدش نی نی نتانم تو بایست

حکایت امیر وغلامش که نماز باره بود وانس عظیم داشت درمناجات ونماز باحق

❀یك‌مثل آمد دراینمعنی بگفت — بو که یابی زین بیان سرّ نهفت — ۲۱ اندرین معنی بگویم قصهٔ — گوش بگشا تا بری زان حصهٔ
در زمانی بود امیری از کرام — بود سنقر نام او را یك غلام — ۲۲ میر شد محتاج گرمابه سحر — بانگ زد سنقر هلا بردار سر
طاس‌ومندیل‌وگل‌ازالتون‌بگیر(۹) — تا بگرمابه رویم‌ای ناگزیر(۱۰) — ۲۳ سنقرآمد (۱۱) طاس ومندیل‌نکو — بر گرفت و رفت با او دو بدو
مسجدی در ره بُد و بانگ صلا — آمد اندر گوش سنقر بر ملا — ۲٤ بود سنقر سخت مولع در نماز — گفت ای میر من ای بنده نواز
تو بدین دکان زمانی صبر کن — تا گزارم فرض و خوانم لم یکن — ۲۵ ❀ رفت سنقرمیر بردکان نشست — منتظر از بادهٔ پندار مست
❀ میر از بهر دل آن زنده جان — کرد یکساعت توقف بر دکان — ۲٦ ❀چون‌امام‌وقوم‌بیرون‌آمدند(۱۲) — ازنماز و وردها فارغ شدند(۱۳)
سنقر آنجا ماند تا نزدیك چاشت — میر سنقر را زمانی چشم داشت — ۲۷ گفت ای سنقر چرا نائی برون — گفت می نگذاردم ای ذو فنون
صبر کن نك آمدم ای روشنی — نیستم غافل که در گوش(۱٤)منی — ۲۸ هفت نوبت صبر کرد وبانگ کرد — تا که عاجز گشت از تیباش مرد
پاسخش این بود می نگذاردم — تا برون آیم هنوز ای محترم — ۲۹ گفت آخر مسجد اندر کس نماند — کیت وامیدارد آنجا کت نشاند
گفت آنکه بسته استت از برون — بسته است اوهم مرا از اندرون — ۳۰ آنکه نگذارد ترا کائی درون — می نگذارد مرا کایم برون
آنکه نگذارد کز این سو پانهی — او بدینسو بست پای این رهی — ۳۱ ماهیان را بحر نگذارد برون — خاکیان را بحر نگذارد درون
اصل‌ماهی‌زآب‌وحیوان‌ازگل‌است — حیله و تدبیر اینجا باطل است — ۳۲ قفل زفت است و گشاینده خدا — دست در تسلیم زن وندر رضا
ذرّه ذرّه گر شود مفتاحها — این گشایش نیست جز از کبریا — ۳۳ چون فراموشت شود تدبیرخویش — یابی آن‌بخت جوان از پیرخویش
چون فراموش خودی یادت کنند — بنده گشتی آنکه آزادت کنند — ۳٤ ❀ گرتوخواهی حرّی ودل‌زندگی — بندگی کن بندگی کن بندگی
❀ ازخودی بگذرکه تا یابی‌خدا — فانی حق شو که تا یابی بقا — ۳۵ ❀ گر ترا باید وصال راستین — محو شو والله اعلم بالیقین

نومید شدن انبیا علیهم‌السلام ازقبول وپذیرائی منکران قوله تعالی حتی اذااستیأس‌الرسل الخ

انبیا گفتند با(۱۵) خاطرکه چند — میدهیم این را وآنرا وعظ وپند — ۳۷ چند کوییم آهن سردی ز غی — در دمیدن در قفس هین تا بکی
دمّ خر پیمودن آخر تا بچند — چون نیفزاید جوی جز ریشخند — ۳۸ جنبش خلق از غذا و وعده‌است — تیزی دندان ز سوز معده است
نفس اوّل راند برنفس(۱٦) دوم — ماهی ازسرگنده‌گردد نی‌زدم(۱۷) — ۳۹ لیك هم‌میدان و خرمیران چوتیر — چونکه‌بلغ‌گفت‌حق‌شدناگزیر(۱۸)

---

۱ ـ بی حسیب ۳ ـ دادنی ۵ ـ قدم ۷ ـ دردی ۸ ـ هین بیا ای همنشین در انجمن ۹ـ بخواه ۱۰ـ اکنون بگاه ۱۱ـ آندم ۱۲ـ چون برون‌آمد زمسجد خاص وعام ۱۳ ـ جملگان رفتند مأموم و امام ۱٤ـ موقوف ۱۵ ـ در ۱٦ ـ عقل اول راند برعقل (ن . ل)

---

(۲) توقف کنیز نزد برده فروش موقتی است (٤) پس او بعون و علم حق داند که عرش حق بمعنی وجود منبسط ورحمت واسعه را چهار رکن است رکن ابیض که عالم عقول کلیه است و رکن اصفر که عالم نفوس کلیه است و رکن اخضر که عالم مثال مطلق و خیال منفصل است و رکن احمر که عالم طبایع دهریه و قوای منطبعهٔ فلکیه است و عرش علم نفس نطقیهٔ قدسیهٔ آدمی نیز چهار رکن دارد تعقل و توهم و تخیل و احساس و اینچهار از آن چهار استفاضه میکنند وهوالقاهر فوق عباده و ما تسقط من ورقة الا یعلمها (٦) مسئلهٔ فقهی است که اگر اعمی مشتری باشد قبض مبیع وقتی شود که بیع در دستش‌آید (۱۷) مراد ازنفس‌اول وجود علمی می تواند بود که درصور علمیهٔ حق قرار یافته وسعدا واشقیا درهمان مرتبه متعین گشته ونفس دوم عبارت ازوجود عینی خارجی است که هرکس درآن مرتبه سعید مقرر شده درین نشئه ازمقرّان وسعداست و هرکس در عالم ارادت از اشقیا تشخص پذیرفته امروز از منکران واعتیاست ونیز می‌تواند بود که مراد ازنفس اول نفس کل باشد ومصرع ثانی

جهد کن چندانکه دانی چیستی ۱ ❁ چون نهی بر پشت کشتی باررا بر توکل میکنی آن کار را
غرقهٔ اندر سفر یا ناجئی ۲ گر بگوئی تا ندانم من کیم در نخواهم تاخت بر کشتیّ و یم
کشف گردان کز کدامین فرقه ام ۳ من نخواهم رفت این ره باگمان بر امید خشك همچون دیگران
زانکه در غیب است سرّ این دورو ٤ تاجر ترسنده طبع شیشه جان در طلب نی سود دارد نی زیان
ور او یابد که باشد شعله خوار ٥ چونکه بر بوکست جمله کارها کار دین اولی کزاین یابی رها
نیست دستوری دراینجاقرع(۱)باب ٦ جز امید الله اعلم بالصواب

بیان آنکه ایمان مقلّد خوفست و رجا

گرچه گردنشان زکوشش شدچودوك ۸ بامدادان چون سوی دکان رود بر امید و بوك روزی میدود
خوف حرمان هست توچونی قوی ۹ خوف حرمان ازل درکسب لوت چون نکردت سست اندرجستجوت
هست اندرکاهلی این خوف بیش ۱۰ هست در کوشش امیدم بیشتر دارم اندر کاهلی افزون خطر
دامنت میگیرد این خوف زیان ۱۱ یا ندیدی کاهل این بازار ما در چه سودند انبیا و اولیا
اندرین بازارچه بستند سود ۱۲ آتش آنرا رام چون خلخال شد بحر این را رام چون حمّال شد
ابر آنرا سایه بانی آمده ۱۳ آهن آنرا نرم(۲) همچون موم شد باد آنرا بنده و محکوم شد
❁شد ورا دردفع دشمن چوب مار ۱٤ عنکبوتی شد مر این را پرده دار

ول صلی الله علیه وآله وسلّم فرمود ان لله تعالی اولیاء اخفیاء (۳)

شهرهٔ خلقان ظاهر کی شوند ۱٦ این همه دارند و چشم هیچکس بر نیفتد بر کیاشان یکنفس
نامشان را نشنوند ابدال هم ۱۷ یا نمیدانی کرمهای خدا کو ترا میخواند اینسو که بیا
هر طرف که بنگری اعلام اوست ۱۸ گر(٤) کریمی گویدت آتش درا اندرا زود و مگو سوزد مرا
وز میانش غنچه ها سر بر زنند ۱۹ درحقیقت آتش از هیبت چو ماست گازر دستار خوان انبیاست

ایت مندیل در تنور انداختن انس بن مالك وناسوختن

که بمهمانیّ اوشخصی شده است(٦) ۲۱ او حکایت کرد کز بعد طعام دید انس دستار خوان را زرد فام
اندر افکن در تنورش یکدمه ۲۲ در تنور پر زآتش در فکند آن زمان دستار خوان را هوشمند
انتظار دود وکندوری(۷) بدند ۲۳ بعد یکساعت برآورد از تنور پاك واسپید و ازآن اوساخ دور
چون نسوزید و منقی گشت نیز ۲٤ گفت زانکه مصطفی دست ودهان بس بمالید اندراین دستار خوان
با چنان دست و لبی کن اقتراب ۲٥ چون جمادی را چنین تشریف داد جان عاشق را چها خواهد گشاد
خاك مردان باش ای جان در نبرد ۲٦ بعد از آن گفتند با آن خادمه تو نگوئی حال خود با این همه
گیرم او برده است دراسرار بی ۲۷ این چنین دستار خوان قیمتی چون فکندی اندرآتش ای ستی
از عباد الله دارم بس امید ۲۸ میزری چبود اگر او گویدم در رو اندر عین آتش بی ندم
نیستم ز اکرام ایشان نا امید ۲۹ سر دراندازم نه این دستار خوان ز اعتماد هر کریم راز دان
کم نباید صدق مرد ازصدق زن ۳۰ آن دل مردی که اززن کم بود آن دلی باشد که کم ز اشکم بود

ل صلی الله علیه وآله کاروان عرب را که ازتشنگی و بی آبی درمانده بودند دل بر مرگ نهاده و شتران و خلق زبان بیرون انداخته

خشك شد ازقحط بارانشان قرب ۳۳ در میان آن بیابان ماندهٔ کاروانی مرگ بر خود خواندهٔ
مصطفی پیدا شد از ره بهر عون ۳٤ دید آنجا کاروانی بس بزرگ برتف ریگ و ره صعب و سترگ
خلق اندر ریگ هر سو ریخته ۳٥ رحمش آمدگفت هین زوتر دوید چند یاری سوی آن کشبان روید
سوی مبر خود بزودی می برد ۳٦ آن شتربان سیه را با شتر سوی من آرید با فرمان مُرّ
بعد یکساعت بدیدند آنچنان ۳۷ بندهٔ میشد سیه با یك شتر (۸) راویه ازآب صافی کرده پر (۹)
این طرف فخرالبشر خیرالوری ۳۸ گفت من نشناسم اورا کیست او گفت او آن ماه روی قند خو
مهتر و بهتر شفیع مجرمان ۳۹ نوعها تعریف کردندش که هست گفت مانا اومگر آن ساحر(۱۰) است
من نیایم جانب او نیم شبر ٤۰ کشکشانش آوریدند آن طرف او فغان برداشت بر تشنیع وتف

٥ ـ این عیان ٦ ـ دید یك شخصی که بودش میهمان ۸ ـ اشتری ۹ ـ پر آب چون هدیه بری ۱۰ـ

ماهی از سر است نه ازدم هرگاه که سرچشمه گنده باشد پایان چشمه هم گنده خواهد شد ـ واگر درمصرع اول اوّل آفتاب وجود است که برهیاکل ممکنات تافته وآنهمه بمیانجی وی لباس هستی پوشیده اند واز این است که
(۱۸) اشاره بآیه شریفه یا ایهاالرسول بلغ ما انزل الیك من ربك که در سورهٔ مائده واقع شده

نه که مر حق سبحانه و تعالی راست دوستان پنهان که بجز حق سبحانه کسی ایشان را نشناسد و نداند (۷)
مفره .

چون کشیدندش به‌پیش آن عزیز / گفت نوشید آب و بر دارید نیز ۱ جمله را زان‌مشك اوسیراب کرد / اشتران وهرکسی زان آب‌خورد
راویه پر کرد ومشك ازمشك او / ابرگردون خیره ماند ازرشك‌او ۲ این‌کسی دیده‌داست کز یك راویه / سرد گردد سوز چندین هاویه
این‌کسی‌دیده‌است‌کز یك‌مشك‌آب / گشت چندین‌مشك‌پر بی‌اضطراب ۳ مشك خود روپوش‌بود وموج‌فضل / میرسید از امر او از بحر اصل
آب از جوشش همی گردد هوا / وان هوا گردد ز سردی آبها ۴ بلکه بی اسباب وبیرون زین‌حکم / آب رویانید تکوین از عدم
تو ز طفلی چون سببها دیدهٔ / در سبب از جهل بر چفسیدهٔ ۵ با سببها از مسبب غافلی / سوی این روپوشها زان مایلی
چون سببها رفت بر سر میزنی / ربّنا و ربّناها میکنی ۶ ربّ همی گوید برو سوی سبب / چون زصنعم یاد کردی ای عجب
گویدش زین‌پس(۱) ترا بینم همه / ننگرم سوی سبب وان دمدمه ۷ گویدش رُدّوا لعادوا کارتست(۲) / ای تو اندر توبه و میثاق سست
لیك من آن ننگرم رحمت کنم / رحمتم پرّ است بر رحمت تنم ۸ ننگرم عهد بدت بدهم عطا / از کرم این‌دم چو میخوانی مرا
❀ از من آید جمله احسان ووفا / وز تو بد عهدیّ وتقصیر و خطا ۹ ❀ حاصل آنکه در سبب پیچیدهٔ / لیك معذوری همین را دیدهٔ
قومله حیران شدند از کار او / یا محمّد چیست این ای بحر خو ۱۰ کردهٔ روپوش مشك خُرد را(۳) / غرقه کردی هم عرب همُ کرد را

مشك آن غلام از غیب پرآب کردن بمعجزه وآن غلام سیاه را سپید رو کردن باذن الله تعالی

ای‌غلام اکنون‌توپربین‌مشك خود / تا نگوئی در شکایت نیك و بد ۱۲ آن سیه حیران شد ازبرهان او / میدمید از لا مکان ایمان او
چشمهٔ دید از هوا ریزان شده / مشك او روپوش فیض آن شده ۱۳ زان نظر رو پوشها هم بر درید / تا معین چشمهٔ غیبی بدید
چشمها پر آب کرد آن دم غلام / شد فراموشش ز خواجه وز مقام ۱۴ دست و پایش ماند ازرفتن براه / زلزله افکند در جانش اله
باز بهر مصلحت بازش کشید / که بخویش‌آ باز رو ای مستفید ۱۵ وقت‌حیرت‌نیست حیرت پیش‌تست / این زمان‌دررہ دراچالاك وچست
دستهای مصطفی بر رو نهاد / بوسهای عاشقانه بس بداد ۱۶ مصطفی دست مبارك بر رخش / آن زمان مالید وکرد او فرّخش
شد سپید آن زنگی زادهٔ حبش / هم‌چو بدر و روز روشن‌شد شبش ۱۷ یوسفی شد در جمال ودر دلال / گفتش اکنون روبده واگوی حال
اوهمی‌شد بی سر و بی پای مست / پای می‌نشناخت در رفتن ز دست ۱۸ پس بیامد با دو مشك پر روان / سوی‌خواجه ازنواحی(٤) کاروان
❀ خواجه بر ره منتظر بنشسته‌بود ۱۹ کان غلامش دیر می‌آمد نه زود

دیدن خواجه غلام خودرا سپید و نا شناختن که اوست و گفتن که غلام مرا تو کشتهٔ وخون اوتراگرفته وخدا ترا بدست من انداخت

خواجه ازدورش بدید وخیره‌ماند / از تحیر اهل آن ده را بخواند ۲۲ راویهٔ ما اشتر ما هست این / پس کجا شد بندهٔ زنگی چنین
آن یکی بدریست میآید ز دور / میزند بر نور روز از روش نور ۲۳ کو غلام ما مگر سر کشته شد / یا بدو گرگی رسید و کشته شد
❀ یا مگراورا بکشت این بدگهر / اشترش آورد اینجا از قدر ۲٤ چون بیامد پیش گفتش کیستی / از یمن زادی و یا ترکیستی
گو غلامم را چه کردی راست گو / گر بکشتی وا نما حیلت مجو ۲۵ گفت گر کشتم بتو چون آمدم / چون بپای‌خود دراین خون آمدم
❀ گفت نی نی درنگیرد با منت / راست باید گفت سرّ این فتت ۲٦ کو غلام من بگفت اینك منم / کرد دست فضل یزدان روشنم
❀ دیده‌ام صدریّ وبدریّ‌کشته ام / صاحب فضلیّ وقدری کشته ام ۲۷ هی چه میگوئی غلام من کجاست / هین نخواهی‌رست ازمن‌جز براست
گفت اسرار تو را با آن غلام / جمله واگویم یکایك من تمام ۲۸ زان زمانی که خریدی تو مرا / تا باکنون باز گویم ماجرا
تا بدانی که همانم در وجود / گر چه ازشبدیز من صبحی‌کشود ۲۹ رنگ دیگر شد ولیکن جان پاك / فارغ از رنگست و از ارکان خاك
تن شناسان زود ما را گم کنند / آب نوشان ترك مشك وخم‌کنند ۳۰ جان شناسان از عددها فارغند / غرقهٔ دریای بیچونند و چند
جان شووازراه‌جان جان راشناس / یار بینش شو نه فرزند قیاس ۳۱ چون ملك باعقل یك سررشته‌اند / بهر حکمت را دو صورت‌گشته‌اند
❀ آن ملك با عقل‌ازیك‌گوهرند / در پی هم همچو دنبال و سرند ۳۲ آن‌ملك چون مرغ بال وپرگرفت / وین خرد بگذاشت پرّ و فرگرفت
❀ لاجرم هردومناصر آمدند (٥) / هردوخوش‌رو پشت همدیگرشدند ۳۳ هم ملك هم عقل حق‌را واجدی / هر دو آدم را معین و ساجدی
نفس وشیطان نیز زاوّل واحدی / بوده آدم را عدوّ وحاسدی(٦) ۳٤ آنکه آدم را بدن دید او رمید / وانکه نور مؤتمن دید او خمید
آن‌دودیده‌روشنان‌بوده ازاین(۷) / وین‌دورادیده ندیده غیرطین(۸) ۳۵ این بیان‌اکنون چوخربریخ بماند / چون نشاید بر جهود انجیل‌خواند
کی توان با شبعه گفتن از عمر / کی توان بربط زدن درپیش کر ۳٦ لیك گردر ده بگوشهٔ یك کس‌است / های‌و هوئی‌که برآوردم بس‌است
مستحقّ شرح را سنگ و کلوخ / ناطقی گردد مشرّح با رسوخ ۳۷ این نیاز مریمی بوده‌است و درد / که چنان‌طفلی سخن آغازکرد (۹)
جزو او بی او برای او بگفت / جزو جزوت گفت دارد درنهفت ۳۸ دست‌وپاشاهدشوندت‌ای‌رهی(۱۰) / منکری را چند دست و پا نهی
ور نباشی مستحق شرح و گفت / ناطقهٔ ناطق ترا دید و بخفت ۳۹

---

۱ ـ گفت زین پس من ٤ ـ او ز سوی ٥ ـ چو یك معنی بدند ٦ ـ جاحدی ۷ ـ دیده بودند نور دین (ن . ل)

(۲) یعنی اگر بر گردید بدنیا هرآینه عود خواهیدکرد بسوی چیزی‌که نهی‌کرده شده‌اید ـ اشاره‌است بآیهٔ واقعه درسورهٔ انعام ـ ولو رُدوا لعادوا لما نهوا عنه و انهم لکاذبون و اگر ایشان را باز گردانند بدنیا هر آینه عود کنند بسوی آن چیزی که نهی کرده شده اند از آن یعنی شرك و عصیان و بدرستیکه ایشان دروغ گویانند در وعدهٔ ایمان (۳) چنانکه ظاهر مراد بود باطن هم مراد است که وجود بشری او روپوش‌حقیقت او بود و در قحط سال علم دین و معرفت و آئین آداب با تحسین رحمة للعالمین آمد و همهٔ تشنگان زلال معرفت را سیرآب فرمود (۸) از دو دیده مصرع دوم نفس و شیطان مراد است و از دو دیده مصرع اول ملك و عقل (۹) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ مریم قال انّی‌عبدالله آتانی‌الکتاب و جعلنی نبیّا وجعلنی مبارکاً اینما کنت (۱۰) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ یس وتکلمنا ایدیهم وتشهد ارجلهم بما کانوا یکسبون

بیان آنکه حقتعالی هرچه داد و آفرید از سموات وارض و اعیان و اعراض همه باستدعای حاجت آفرید خود را محتاج چیزی باید کردن تا بدهد که امّن یجیب المضطرّ اذا دعاه اضطرار گواه استحقاق است

هرچه روئیدازپی محتاج رست(۱) — تا بیابد طالبی چیزی که جست ۳ — حقتعالی کاین (۲) سموات آفرید — از برای رفع حاجات آفرید
❀ هر که جویا شد بیابد عاقبت — مایه‌اش درداست و اصل مرحمت ٤ — هر کجا دردی دوا آنجا رود — هر کجا فقری نوا آنجا رود
هر کجا مشکل جواب آنجا رود — هر کجا پستی است آب آنجا رود ٥ — آب کم جو تشنگی آور بدست — تا بجوشد آبت از بالا و پست
تا نزاید طفلك نازك گلو — کی روان گردد ز پستان شیراو ٦ — رو بدین بالا و پستیها بدو (۳) — تا شوی تشنه و حرارت را گرو
بعد از آن از بانگ زنبور هوا — بانگ آب جو نیوشی ای کیا ۷ — حاجت تو کم نباشد از حشیش — آبرا گیری سوی او می کشیش
گوش گیری آب را و می کشی — سوی زرع خشك تا یابد خوشی ۸ — زرع جان‌را کش جواهر مضمراست — ابر رحمت پر ز آب کوثر است
تا سقاهم ربهم آید خطاب(٤) ۹ — تشنه باش الله اعلم بالصواب

آمدن زن کافره با طفل شیرخواره بنزدیك مصطفی علیه‌السلام و ناطق شدن طفل عیسی وار بمعجزات رسول خدا

هم ازآن ده یك زنی ازکافران — سوی پیغمبر دوان شد زامتحان ۱۲ — پیش پیغمبر در آمد با خمار — کودکی دو ماهه زن‌را در کنار
گفت کودك سلم‌الله علیك — یا رسول الله قد جئنا الیك ۱۳ — مادرش از خشم گفتش هی‌خموش — کیت افکند این شهادت را بگوش
این کیت آموخت ای طفل صغیر — که زبانت گشت در طفلی جریر ۱٤ — گفت حق آموخت وانگه جبرئیل — در بیان با جبرئیلم من رسیل
گفت کو گفتا که بالای سرت — می نبینی کن ببالا منظرت ۱٥ — ایستاده بر سر تو جبرئیل — مر مرا گشته بصد گونه دلیل
گفت می بینی تو گفتا که بلی — بر سرت تابان چو بدر کاملی ۱٦ — می بیاموزد مرا وصف رسول — برعلوّم میرساند (٥) زین سفول
پس رسولش گفت ای طفل رضیع — چیست نامت باز گو و شو مطیع ۱۷ — گفت نامم پیش حق عبدالعزیز — عبد عزّی پیش قوم بی تمیز (٦)
من ز عُزّی پاك و بیزار وبری — حقّ آنکه دادت این پیغمبری ۱۸ — کودك دو ماهه همچون ماه بدر — درس بالغ گفته چون اصحاب صدر
پس حنوط آندم ز جنت دررسید — تا دماغ طفل و مادر بو کشید ۱۹ — هر دو میگفتند کز خوف سقوط — جان سپردن به براین بوی حنوط
آنکه تعریفش شهنشه خود کند — ❀ جامدو نامیش صدمروق زند(۷) ۲۰ — آن کسی‌را که معرّف حق بود ❀ — جامد و نامیش صد صدّق بود
آنکسی را کش خدا حافظ بود — مرغ و ماهی مر ورا حارس شود ۲۱ — اندرین بودند کاواز صلا — مصطفی بشنید از سوی علا
خواست آبیّ و وضورا تازه کرد ۲۲ — دست‌ورو راشست اوزان آب سرد

ربودن عقاب موزهٔ رسول علیه‌السلام را وبردن برهوا ونگون کردن واز موزه ماری سیاه فرو افتادن

هر دو پا شست وبموزه کرد رای — موزه را بربود یك موزه پیای(۸) ۲٤ — دست سوی موزه برد آن خوش خطاب — موزه را بربود از دستش عقاب
موزه را اندر هوا برد او چوباد — پس نگون کرد وازآن ماری فتاد ۲٥ — در فتاد از موزه یك مار سیاه — زان عنایت شد عقابش نیکخواه
پس عقاب آن موزه‌را آورد باز — گفت هین بستان و رو سوی نماز ۲٦ — از ضرورت کردم این گستاخئی — من زادب دارم شکسته شاخئی
وای کو گستاخ پائی می نهد — بی ضرورت کش هوا فتوی دهد ۲۷ — پس رسولش شکر کرد و گفت ما — این جفا دیدیم وخود بود آن وفا
موزه بربودیّ و من درهم شدم — تو غمم بردیّ و من در غم شدم ۲۸ — گرچه هر غیبی خدا مارا نمود — دل درآن لحظه بخود مشغول بود
گفت دوراز تو که غفلت ازتو رست — دیدنم آن غیب‌را هم عکس تست ۲۹ — مار در موزه به‌بینم در هوا — نیست ازمن عکس تست ای مصطفی
عکس نورانی همه روشن بود — عکس ظلمانی همه گلخن بود ۳۰ — عکس عبدالله همه نوری بود — عکس یگانه همه کوری بود
عکس هر کس‌را بدان ای جان‌بین — ۳۱ پهلوی جنسی که خواهی می‌نشین

وجه عبرت گرفتن از این حکایت و یقین دانستن انّ مع‌العسر یسرا

عبرتی این قصه ای جان مرترا — تا شوی راضی تو در حکم خدا ۳۳ — تا که زیرك باشی و نیکو گمان — چون به بینی واقعهٔ بد ناگهان
دیگران گردنند زرد از بیم آن — توچوگل خندان که سودو زیان ۳٤ — زانکه گل گر برگ برگش میکنی(۹) — خنده نگذارد نگردد منثنی
گوید از خاری چرا افتم بغم — خنده را من خود ز خار آورده‌ام ۳٥ — هرچه از تو یاوه گردد از قضا — تو یقین دان که خریدت از بلا
ماالتصوّف قال وجدان الفرح — فی‌الفؤاد عند اتیان الترح (۱۰) ۳٦ — آن عقابش را عقابی دان که او — در ربود آن موزه را زان نیکخو
تا رهند باش را از زخم مار — ای خنك عقلی که باشد بی غبار ۳۷ — گفت لا تأسوا علی ما فاتکم — ان اتی السرحان واردی شاتکم(۱۱)
❀ لیك گفت آن فوت شد غمگین مشو — زانکه گر شد کهنه آید باز نو ۳۸ — ❀ گر بلا آید ترا اندُه مبر — ور زیان بینی غم آنرا مخور
کان بلا دفع بلاهای بزرگ — وان زیان منع زیانهای سترگ ۳۹ — ❀ راحت جان آمد ایجان فوت مال(۱۲) — مال چون جمع آمد ای جان شد وبال

استدعا نمودن آن مرد ازموسی زبان بهایم باطیور

گفت موسی را یکی مرد جوان — که بیاموزم زبان جانوران ٤۱ — تا بود کز بانگ حیوانات و دد — عبرتی حاصل کنم در دین خود

---

۲ ـ گر ٥ ـ زان علوّم میرهاند ٦ ـ این یك مشت خیز ۸ ـ ربای ۹ ـ زانکه از گل گر تو برگش برکنی (ن . ل) .

---

(۱) یعنی هرچه پیدا شده است از برای محتاج پیدا شده است تا هرکه بجوید و طلب آنچیز کند بیابد چنانچه آسمانها را نیز برای رفع حاجت آفریده است پس هر که جویا باشد عاقبت بیابد و مایهٔ جستن آن چیز درد است اوّل درد را پیدا باید کرد که بعد از آن چیز پیدا کرده آید و اصل مرحمت حق درد است (۳) توهم نشیب وفراز راه حق قطع کن وتشنگی وحرارت پیدا آر تا از زنبور هوا که ابر مراد است بانگ آب بیابد وبمقصد برسی (٤) این آیه شریفه در سورهٔ هل اتی واقعشده وسقیهم ربهم شراباً طهورا (۷) جمادات و نباتات اورا صدشگفت می‌نمایند و خوشحال میسازند (۱۰) یعنی چیست حقیقت تصوف گفت یافتن فرح وخوشنودی دردل وقت آمدن بد حالی واندوه مقصود تسلیم ورضا است بآنچه حکم وقضا است (۱۱) یعنی حقتعالی گفت تأسف مخورید برچیزی که فوت شد شمارا اگر بیاید گرگ وهلاك کند گوسفند شمارا (۱۲) مضمون تلف المال خلف العمر است .

چون زبانهای بنی آدم همه / در پی آبست و نان و دمدمه ۱ بو که حیوانات را وردی دگر / باشد از تدبیر هنگام گذر
گفت موسی روگذر کن زین هوس / کاین خطر دارد بسی در پیش و پس ۲ عبرت و بیداری(۱) از یزدان طلب / نز کتاب و از مقال و حرف و لب
گرم‌تر شد مرد زان منعش که کرد / گرم‌تر گردد همی از منع مرد(۲) ۳ گفت ای موسی چو نور تو بتافت / هرچه چیزی بود از تو چیز یافت
مر مرا محروم کردن زین مراد / لایق لطفت نباشد ای جواد ۴ این زمان قائم مقام حق توئی / یأس باشد گر مرا مانع شوی
گفت موسی یارب این مرد سلیم / سخره کردستش مگر دیو رجیم ۵ گر بیاموزم زیان کارش بود / ور نیاموزم دلش بد میشود
گفت ای موسی بیاموزش که ما / رد نکردیم از کرم هرگز دعا ۶ گفت یارب او پشیمانی خورد / دست خاید جامه ها را بر درد
نیست قدرت هر کسی را سازوار / عجز بهتر مایهٔ پرهیزکار ۷ فقر ازین رو فخر آمد(۳) جاودان / که بتقوی ماند دستش نارسان (٤)
زان غنا و زان غنی مردود شو / که ز قدرت صبرها بدرود شد ۸ آدمی را عجز و فقر آمد امان / از بلای نفس پر حرص و غمان
آن غم آمد زآرزو های فضول / که بدان خوکرده‌است آن صید غول ۹ آرزوی گل بود گل خواره را / گلشکر نگوارد آن بیچاره را

وحی آمدن از حقتعالی بموسی علیه‌السلام که بیاموزش چیزی را که استدعا می کند یا بعضی از آن

بعد از آن وحی آمد از حضرت که رو / هرچه میگوید بلطف خود شنو ۱۱ گفت یزدان تو بده بایست او / بر گشا در اختیار آن دست او
اختیار آمد عبادت را نمك / ورنه میگردد بناخواه این فلك ۱۲ گردش اورا نه اجر و نی عقاب (٥) / کاختیار آمد هنر وقت حساب (٦)
جمله عالم خود مسبح آمدند (۷) / نیست آن تسبیح جبری سودمند(۸) ۱۳ تیغ در دستش نه از عجزش بکن / تا که غازی گردد او یا راه زن
زانکه کرّمنا شد آدم زاختیار (۹) / نیم زنبور عسل شد نیم مار ۱٤ مؤمنان کان عسل زنبور وار / کافران خودکان زهری همچو مار
زانکه مؤمن خورد بگزیده نبات / تا چو نحلی گشت لعاب(۱۰) اوحیات ۱٥ باز کافر خورد شربت از صدید(۱۱) / هم زقوتش زهر شد دروی پدید
اهل الهام خدا عین الحیات / اهل تسویل هوا سمّ الممات ۱٦ درجهان این مدح و شاباش و زهی / ز اختیار است و حفاظ و آگهی
جمله رندان چون که در زندان روند / متقی و زاهد و حق خوان شوند ۱۷ چون که قدرت رفت کاسد شد عمل / هین که تا سرمایه نستاند اجل
قدرتت سرمایهٔ سود است هین / وقت قدرت را نگه دار و ببین ۱۸ آدمی بر خنگ کرّمنا سوار / در کف در کش عنان اختیار
باز موسی داد پند اورا بمهر / که مرادت زود (۱۲) خواهد کرد چهر ۱۹ ترك این سودا بگو وزحق بترس / دیو دادستت برای مکر درس
هین برو درد سر خود کم طلب ۲۰ کاین مرادت افکند در صد تعب

قانع شدن آن مرد طالب بتعلیم زبان مرغ خانگی وسگ و اجابت موسی علیه‌السلام

گفت باری نطق سگ کو بر دراست / نطق مرغ خانگی کاهل پر است ۲۲ گفت موسی هین تودانی در رسید / نطق این هردو شود بر تو پدید
بامدادان از برای امتحان / ایستاد او منتظر بر آستان ۲۳ خادمه سفره بیفشاند و فتاد / پارهٔ نان بیات آثار زاد
در ربود آن را خروسی چون گرو / گفت سگ کردی تو برما ظلم رو ۲٤ دانهٔ گندم تو تانی(۱۳) خورد و من / عاجزم در دانه خوردن در وطن
گندم و جو را و باقی حبوب / تو توانی خورد و من نی ای طروب ۲٥ این لب نانی که قسم ماست آن / میربائی این قدر را از سگان

جواب خروس سگ را

پس خروسش گفت تن زن غم مخور / که عوض بدهد خدا زین به دگر ۲۷ اسب این خواجه سقط خواهد شدن / روز فردا سیر خور کم کن حزن
مر سگان را عید باشد مرگ اسب / روزی وافر بود بی جهد و کسب ۲۸ اسب را بفروخت چون بشنید مرد / پیش سگ شد آن خروسك روی زرد
روز دیگر همچنان نان را ربود / آن خروس و سگ برو(۱٤) لب برگشود ۲۹ کای خروس عشوه ده چند این دروغ / ظالمی و کاذبی و بی فروغ
اسب کش گفتی سقط گردد کجاست / کور اختر گوی و محرومی زراست ۳۰ گفت او را آن خروس با خبر / که سقط شد اسب او جای دگر
اسب را بفروخت جست او از زیان / آن زیان انداخت او بر دیگران ۳۱ لیك فردا استرش گردد سقط / مرسگان را باشد آن نعمت فقط
زود استر را فروشید آن حریص / یافت از غم وز زیان آندم مخلص ۳۲ روز ثالث گفت سگ با آن خروس / ای امیر کاذبان با طبل و کوس
تا بکی گوئی دروغ ای بیفروغ / دوغی ای نا اهل دوغی دوغ دوغ ۳۳ گفت او بفروخت استر را شتاب / لیك فردایش غلام آید مصاب
چون غلام او ببرد نانها / بر سگ و خواهنده ریزند اقربا ۳٤ این شنید و آن غلامش را فروخت / رست از خسران و رخ را برفروخت
شکرها میکرد و شادیها که من / رستم از سه واقعه اندر زمن ۳٥ تا زبان مرغ و سگ آموختم / دیدهٔ سوء القضا را دوختم

خجل گشتن خروس پیش سگ بسبب دروغ شدن در آن سه وعده

روز دیگر آن سگ محروم گفت / کای خروس ژاژخا کو طاق و جفت ۳۷ چند چند آخر دروغ و مکر تو / خود نبرّد جز دروغ از وکر تو
گفت حاشا ازمن و از جنس من / که بگردیم از دروغی ممتحن(۱٥) ۳۸ ما خروسان چون مؤذن راستگو / هم رقیب (۱٦) آفتاب و وقت جو

۱- یقظت رو ۳- باشد ٥- عتاب ۸- مزدمند ۱۰- ریق ۱۲- زرد ۱۳- توانی ۱٤- برآن ۱٥- ممتهن ۱٦- رفیق (ن. ل)

(۲) قال النبی صلی‌الله علیه وآله الناس حریص لما منع (٤) درنسخه‌ها جاودان است و مضمون این قول است که و من العصمة ان لا تقدر (٦) یعنی اجر تشریعی چون انسان و امّا تکوینی از برای هر چیز غایتی است چه فلك وفلکی و چه عنصر و عنصری ومراد بعدم اختیار نه این است که افلاك در گردش خود فاعل بالطبع اند و حیوة وعلم واراده ندارند چه اختیار با تفاوت مراتبش درمختارین آنست که فعل مسبوق باشد بمبادی اربعه که حیوة و علم و اراده و قدرت باشد و عدم دوام در آن فعل معتبر نیست و اگر توقیت باشد بجهت دیگر است نه از جهت تحقق اختیار و آن معنی در فلك محقق است بلکه مراد مسخریت و مقهوریت فلك است که لا سبیل له الا الطاعة و الامتثال ولا یرید الا ما اراد الله بلکه بنظر اشمخ کل مختارند چه ظلّ المختار مختار ولیس فی‌الدار غیر المختار دیّار (۷) اشاره است باین آیه وان من شیئی الا یسبح بحمده ولکن لا تفقهون تسبیحهم یعنی نیست چیزی مگر آنکه تسبیح میکند بحمد خدای تعالی و لکن نمیدانند تسبیح آنها را و در این آیت لطیفه ایست که اهل زبان دانند (۹) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ بنی‌اسرائیل و لقد کرّمنا بنی آدم وحملناهم فی‌البرّ والبحر یعنی هر آینه گرامی داشتیم فرزندان آدم را وحمل کردیم ایشان را در بیابان ودریا (۱۱) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ ابراهیم یسقی من ماء صدید یتجرعه » وسیراب شود ازآب چرك بدن که جرعه جرعه خورد آن را .

پاسبان آفتابیم از درون — گر کنی بالای ما طشتی نگون ۱ پاسبان آفتابند اولیا — در بشر واقف ز اسرار خدا
اصل مارا حق بی بانگ نماز (۱) — داد هدیه آدمی را در جهاز ۲ گر بناهنگام سهو از ما (۲) رود — در اذان آن مقتل ما میشود
گفتِ نا هنگام حی علی الفلاح — خون مارا میکند خوار و مباح ۳ آنکه معصوم آمد وپاك ازغلط — آن‌خروس‌جان وحی‌آمد فقط (۳)
آن غلامش مرد پیش مشتری — شد زیان مشتری آن یکسری ٤ او گریزانید مالش را ولیك — خون خودرا ریخت اندریاب نیك
یك زیان دفع زیانها میشدی — جسم و مال ماست جانها را فدی ٥ پیش شاهان در سیاست گستری — می دهی تو مال و سر را میخری
اعجمی چون گشتهٔ (٤) اندر قضا ٦ می گریزانی ز داور مال را

خبر کردن خروس از مرگ خواجه

لیك فردا خواهد او مردن یقین — گاو خواهدکشت وارث درحنین ۸ صاحب خانه بخواهد مرد و رفت — روز فردا نك رسیدت لوت زفت
پارهای نان ولا لنگ (٥) وطعام — در میان کوی یابد خاص و عام ۹ گاو قربانی و نانهای تنك — بر سگان و سائلان ریزد سبك
مرگ اسب واستر ومرگ غلام — بُد قضا گردان این مغرور خام ۱۰ از زیان مال و دردِ آن گریخت — مال‌افزون‌کرد وخون‌خویش‌ریخت
این ریاضتهای درویشان چراست — کان بلا بر تن بقای جانهاست ۱۱ تا بقای خود نیابد (٦) سالکی — چون کند تن را سقیم و هالکی
دست کی جنبد بایثار و عمل — تا نبیند داده را جایش(۷) بدل ۱۲ آنکه بدهد بی امیدی سودها — آن‌خدایست آن‌خدایست آن خدا
یاولیّ حق که خوی حق‌گرفت(۸) — نور گشت و تابش مطلق گرفت ۱۳ کوغنیّ است وجزاو جمله فقیر(۹) — کی‌فقیری بی عوض گوید که گیر
تا نبیند کودکی که سیب هست — او پیاز گنده را ندهد ز دست ۱٤ این همه بازار بهر این غرض — بردکانها شسته بهراین(۱۰)عوض
صد متاع خوب عرضه میکنند — واندرون دل عوضها می تنند ۱٥ یك سلامی نشنوی ای مرد دین — که نگیرد آخرت آن آستین
بی طمع نشنیده ام از خاص وعام — من سلامی ای برادر والسلام ۱٦ جزسلام حق تو هین آن را بجو — خانه خانه جا بجا و کو بکو
از دهان آدمیّ خوش مشام — هم پیام حق شنیدم هم سلام ۱۷ وین سلام باقیان بر بوی آن — من همی‌نوشم بدل خوش‌ترزجان
زان‌سلام‌او سلام‌حق‌شده‌است(۱۱) — کاتش‌اندر دودمان خود زده‌است ۱۸ مرده است ازخود شده زنده برب — زان بود اسرارحقش در دولب
مردن تن در ریاضت زندگیست — رنج این تن روح را پایندگیست ۱۹ گوش بنهاده بُد آن مرد خبیث — می‌شنود اوازخروسش این‌حدیث

دویدن آن‌شخص بسوی موسی بزینهار چون از خروس خبر مرگ خود شنید

چون‌شنیداینها دوان‌شد تیزوتفت — بر در موسی کلیم الله رفت ۲۱ رو همی مالید برخاك او زبیم — که مرا فریادرس زین ای کلیم
گفت رو بفروش خودرا و بره — چونکه بُستا گشتهٔ برجه ز چه ۲۲ بر مسلمانان زیان انداز تو — کیسه و همیانها را کن دو تو
من درون خشت دیدم این قضا — که در آئینه عیان شد مر ترا ۲۳ عاقل اوّل بیند آخر را بدل — اندرآخربیند ازدانش مقل (۱۲)
باز زاری کرد کای نیکو خصال — مرمرا درسرمزن‌در(۱۳) رومال ۲٤ از من آن آمد که بودم نا سزا — ناسزایم را تو ده حُسن الجزا
گفت‌تبری‌جست ازشصت ای‌پسر — نیست‌سنت‌کایدآن وایس‌بسر(۱٤) ۲٥ لیك در خواهم ز نیکو داوری — تا که ایمان آن‌زمان با خود بری
چونکه ایمان برده باشی زندهٔ — چونکه با ایمان روی پایندهٔ ۲٦ هم درآن‌دم حال برخواجه بگشت — تا دلش شورید و آوردند طشت
شورش مرگست نی هیضهٔ طعام — قی‌چه‌سودت دارد ای بدبخت خام ۲۷ چار کس بردند تا سوی وثاق — ساق میمالید اوبرپشت‌ساق(۱٥)
پند موسی نشنوی شوخی کنی — خویشتن بر تیغ پولادی زنی ۲۸ شرم ناید تیغ را از جان تو — آن تست این ای برادر آنِ تو

دعاکردن موسی علیه‌السلام آن شخص را تا از دنیا بایمان رود

گفت موسی درمناجات آن سحر — کای خدا ایمان ازو مستان مبر ۳۰ پادشاهی کن برو بخشا که او — سهو کرد و خیره روئیّ و غلو
گفتمش این علم نی درخورد تست — دفع پندارید گفتم را و سست ۳۱ دست را بر اژدها آن کس زند — که عصا را دستش اژدرها کند
سِرّ غیب آن‌را سزد آموختن — که زگفتن لب تواند دوختن ۳۲ درخور دریا نشد جز مرغ آب — فهم کن والله اعلم بالصواب
او بدریا رفت و مرغابی نبود ۳۳ گشت غرقه دست‌گیرش ای ودود

اجابت کردن حقتعالی دعای موسی علیه‌السلام را

کرد اجابت آن دعارا کردگار — رحم فرمودش بعجز و افتقار ۳٥ گفت بخشیدم باو ایمان نعم — ورتوخواهی‌این‌زمان زنده‌اش‌کنم
بلکه جمله مردگان خاك را — زنده سازیم این زمان بهر تو ما ۳٦ گفت موسی‌اینجهانِ مردن است — آنجهان انگیز کانجا روشن است
این فنا جا چون جهان بود نیست — باز گشت عاریت پس سود نیست ۳۷ رحمتی افشان برایشان هم‌کنون — در نهانخانهٔ لدینا محضرون (۱٦)
تا بدانی که زیان جسم و مال — سود جان باشد رهاند از وبال ۳۸ پس ریاضت را بجان شو مشتری — چون سپردی‌تن بخدمت جان‌بری
ور ریاضت آیدت بی اختیار — سر بنه شکرانه ده ای کامیار ۳۹ چون‌حقت‌داد این ریاضت شکرکن — تو نکردی او کشیدت ز امر کن

---

۲ ـ سهویمان ٤ـ گشته شد ٦ ـ نبیند ۷ ـ جانش ۱۰ ـ بر بوی ۱۳ـ برسر مزن بر ۱٤ـ دگر (ن . ل)

---

(۱) چون هنگام طوفان نوح تاریکی غالب بود حقتعالی‌آن مرغ را فرستاد تا در آن تاریکی بوقت نماز حضرت نوح اذان داده باشد (۳) یعنی جانی که باو وحی آمده باشد از غلطی منزه و معصوم است (٥) لا لنگ مقصود طعمه ایست که گدایان از مهمانها برند (۸) ولیّ حق چون باید متخلق باخلاق‌الله باشد وحقتعالی فعلش معلل بغرض نیست وجواد محض‌است نه مستفیض ولی‌هم باید بجز ذات اقدس او چیزی مقصودش نباشد (۹) اشاره بآیه واقعهٔ درسورهٔ محمداست هوالغنی وانتم‌الفقراء یعنی بدرستی‌که خدای تعالی بی‌نیازاست وشما نیازمندانید (۱۱) سلام اسم خداست که در قرآن است که السلام‌المؤمن المهیمن پس سلام اهل حق صلا دادن بسلام مؤمن مهیمن‌است (۱۲) یعنی آنکه کم دانش است اورا درآخر احوال معلوم میشود (۱٥) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ لااقسم « والتفت الساق بالساق الی‌ربك یؤمئذ المساق (۱٦) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ یس ان کل” لما جمیع لدینا محضرون

حکایت آن زن که فرزندش نمیزیست بنالید جواب آمد که این عوض ریاضت تست و بجای جهاد مجاهدانست ترا

این حکایت بشنو و وعظی شمر — تا نگردی خسته از نقص و ضرر ۳
آن زنی هر سال زائیدی پسر — بیش از شش مه نبودی عمر ور
یا سه مه یا چار مه گشتی تباه — ناله کرد آن زن که افغان ای اله ۴
نه مهم باراست و نه ماهم فرح — نعمتم زوتر رو از قوس قزح
پیش مردان خدا کردی نفیر — زین شکایت آن زن از درد نفیر ۵
بیست فرزندش چنین درگور کرد (۱) — آتشی درجان او افتاد و درد (۲)
تا شبی بنمود او را جنتی — باغکی سبزی خوشی بی ضنتی ۶
باغ گفتم نعمت بی کیف را — کاصل نعمتهاست بیشك باغها (۳)
ورنه لاعین رأت چه جای باغ (٤) — گفت نورغیب را یزدان چراغ (٥) ۷
مثل نبود این مثال آن بود (٦) — تا برد بوی آنکه اوحیران بود
حاصل آن زن دید آن را مست شد — زان تجلی آن ضعیف ازدست شد ۸
دید در قصری نبشته نام خویش — آن خود دانستش آن محبوب کیش
بعدازآن گفتند کاین نعمت وراست — کو بجان بازی بجز صادق نخواست ۹
خدمت بسیار می بایست کرد — مرترا تا برخوری زین چاشت خورد
چون تو کاهل بودی اندر التجا — آن مصیبتها عوض دادت خدا ۱۰
گفت یارب تا بصد سال و فزون — این چنینم ده بریز از من توخون
اندرآن باغ او چوآمد پیش پیش — دید دروی جمله فرزندان خویش ۱۱
گفت از من گم شد از توگم نشد — بی دو چشم غیب کس مردم نشد
تو نگردی فصد و از بینی دوید — خون افزون تا زتب جانت رهید ۱۲
مغز هر میوه بهست از پوستش — پوستدان تن را ومغز آن دوستش
مغز نغزی دارد آخر آدمی — ۱۳ یکدمی آنرا طلب گر زان دمی

در آمدن حمزه رضی الله عنه در حرب بی زره

در جوانی حمزه عم مصطفی — با زره میشد مدام اندر وغا ۱۵
اندرآخر حمزه چون درصف شدی (۷) — بی زره سرمست درغزو آمدی (۸)
سینه بازو تن برهنه پیش پیش — درفکندی درصف شمشیر خویش ۱۶
خلق پرسیدند کای عم رسول — ای هژبر صف شکن شاه فحول
نی که لاتلقوا بایدیکم الی (۹) — تهلکه خواندی ز پیغام خدا ۱۷
پس چرا تو خویش را درتهلکه — می در اندازی چنین در معرکه
چون جوان بودی وزفت وسخت زه — تو نمی رفتی سوی صف بی زره ۱۸
چون شدی پیر و ضعیف ومنحنی — پردهای لا ابالی میزنی
لا ابالی وار با تیغ و سنان — می نمائی دار و گیر و امتحان ۱۹
تیغ حرمت می ندارد پیر را — کی بود تمییز تیغ و تیر را
کی روا باشد که شیری همچوتو — کشته گردد راست بر دست عدو ۲۰
زین نسق غم خوارگان بیخبر — پند میدادند اورا از عبر

جواب حمزه رضی الله عنه مر خلق را

گفت حمزه چون که بودم من جوان — مرگ می دیدم وداع این جهان ۲۲
سوی مردن کس برغبت کی رود — پیش اژدرها برهنه کی شود
لیك از نور محمد من کنون — نیستم این شهر فانی را زبون ۲۳
از برون حس لشکرگاه شاه — پر همی بینم ز نور حق سپاه
خیمه در خیمه طناب اندر طناب — شکر آن که کرد بیدارم ز خواب ۲٤
آنکه مردن پیش چشمش تهلکه است — امر لاتلقوا بگیرد او بدست
وانکه مردن پیش او شد فتح باب — سارعوا آید مر او را در خطاب ۲٥
العجل ای حشر بنیان سارعوا (۱۱) — العذر ای مرگ بنیان بارعوا (۱۰)
العلا ای لطف بنیان افرحوا — الهلا ای قهر بنیان اترحوا ۲٦
هرکه یوسف دید جان کردش فدا — هرکه گرگش دید برگشت از هدی
مرگ هریك ای پسر همرنگ اوست — آینهٔ صافی یقین همرنگ روست (۱۲) ۲۷
پیش ترك آینه را خوش رنگی است — پیش زنگی آینه هم زنگی است
ای (۱۳) که میترسی زمرگ اندر فرار — آن زخود ترسانی (۱٤) ای جان هوشدار ۲۸
زشت روی تست نی رخسار مرگ — جان توهمچون درخت ومرگ برگ
از تو رستست ار نکویست ار بداست — ناخوش وخوش هم (۱٥) ضمیرت از خوداست ۲۹
گر به خاری خستهٔ خود کشتهٔ — ور حریر و قز دری خود رشتهٔ
لیك نبود فعل همرنگ جزا — هیچ خدمت نیست همرنگ عطا ۳۰
مزد مزدوران نمی ماند بکار — کان عرض وین جوهر است وپایدار
آن همه سختی و زوراست وعرق — واین همه سیمست وزر بر (۱٦) طبق ۳۱
گر ترا آید ز جائی تهمتی — کرده مظلومت دعا در محنتی
تو همی گوئی که من آزادمام — بر کسی من تهمتی ننهادمام ۳۲
تو گناهی کردهٔ شکل دگر — دانه کشتی دانه کی ماند ببر
او زنا کرد وجزا صد چوب بود — گوید او من کی زدم کس را بعود ۳۳
نی جزای آن زنا بود این بلا — چوب کی ماند زنا را درخلا (۱۷)
مار کی ماند عصا را ای کلیم — درد کی ماند دوا را ای حلیم (۱۸) ۳٤
تو بجای آن عصا آب منی — چون بیفکندی شد آن شخص سنی
یار شد یا مار شد آن آب تو — زان عصا چون است این اعجاب تو ۳٥
هیچ ماند آب آن فرزند را — هیچ ماند نی شکر مر قند را
چون سجودی یا رکوعی مرد کشت — شد در آن عالم سجود او بهشت ۳٦
چونکه پرید ازدهانش حمد حق — مرغ جنت ساختش رب الفلق
حمد و تسبیحت نماند مرغ را — گرچه نطفهٔ مرغ باداست وهوا ۳۷
چون زدستت رست ایثار و زکوة — گشت این دست آنطرف نخل ونبات

---

۱ ـ این چنین در گور رفت ۲ ـ تفت ۳ـ سبز گفتم خلد دارالضیف را ۷ـ چونکه درغزو آمدی ۸ـ خودرا بصفها برزدی ۱۰ـ دارعوا ۱۲ ـ پیش دشمن دشمن و بر دوست دوست ۱۳ ـ آن ۱٤ ـ ترست از خویشست ۱٥ ـ بر ـ هر ـ ۱٦ ـ زرست و ۱۷ ـ جزا ۱۸ ـ حکیم (ن ـ ل)

---

(٤) اشاره بحدیث مروی ازرسول است اعددت لعبادی الصالحین مالاعین رأت ولا اذن سمعت ولاخطر علی قلب بشر دروصف قسمتی از بهشت در حدیث است نه چشمی دیده ونه گوشی شنیده ونه خطور کرده بردل بشری من حیث البشریه (٥) اشاره بآیهٔ کریمه در سورهٔ نور ـ مثل نوره کمشکوة فیها مصباح المصباح و اصل معنی شعر اینست « حقتعالی هرگاه نور خودرا که بی مثل و نظیر است درقرآن بچراغ تمثیل کرده باشد اگر من جنت را بباغ تمثیل کنم قصوری ندارد » (٦) ولله المثل الاعلی ولیس کمثله شیئی ومثل اعلی خدا عقل کل است (۹) اشاره به آیه و لا تلقوا بایدیکم الی التهلکه (۱۱) معنی شعر اینست که حذر کنید ای مرگ بنیان و دورشوید ـ عجله کنید ای حشر بنیان وبا کمال سرعت بیائید و اشاره است بآیه شریفه واقعه درسورهٔ آل عمران : سارعوا الی مغفرة من ربکم وجنة عرضها کعرض السماء والارض یعنی شتاب کنید بسوی آمرزش پروردگار خود و بسوی بهشتی که پهناوری آن بمانند پهناوری آسمان باشد

آب صبرت آب جوی خلدشد (۱) — جوی شیر خلد مهر تست و وُدّ ۱ ذوق طاعت گشت جوی انگبین — مستی و شوق تو جوی خمر بین
این سببها آن اثرها را نماند — کس نداند چونش جای آن نشاند ۲ این سببها چون بفرمان تو بود — چار جو هم مر تورا فرمان نمود
هر طرف خواهی روانش میکنی — آن صفت چون بُد چنانش میکنی ۳ چون منیّ تو که در فرمان تست — نسل تو در امر تو آیند چست
می دود در امر تو فرزند تو — که منم جزوت که کردیّش گرو ۴ آن صفت درامر تو بود این جهان — هم در امر تست آن جوها روان
آن درختان مرترا فرمان برند (۲) — کان درختان از صفاتت با برند ۵ چون بامر تست اینجا این صفات — پس درامر تست آنجا آن جزات
چون زدستت زخم بر مظلوم رست — آن درختی گشت ازان زقّوم رست ۶ چون زخشم آتش تو در دلها زدی — مایهٔ نار جهنم آمدی
آتشت اینجا چو آدم سوز بود — آنچه ازوی زاد مرد افروز بود ۷ آتش تو قصد مردم میکند — نار کز وی زاد بر مردم زند
آن سخنهای چو مار و کژدمت — مار و کژدم گشت و میگیرد دمت ۸ اولیا را داشتی در انتظار — انتظار رستخیزت گشت مار (۳)
وعدهٔ فردا و پس فردای تو — انتظار حشرت آمد وای تو ۹ منتظر مانی در آن روز دراز — در حساب و آفتاب جان گداز
کاسمانرا منتظر میداشتی (٤) — تخم فردا ره روم میکاشتی ۱۰ خشم تو تخم سعیر دوزخست — هین بکش این دوزخ ترا کاین فخست
کشتن این نار نبود جز بنور — نورك اطفا نارنا نحن الشّکور ۱۱ گر تو بی نوری کنی حلمی (۵) بداست — آتشت زنده است ودر خاکستر است
آن تکلف باشد و رو پوش هین — نار را نکشد بغیر نور دین ۱۲ تا نبینی نور دین ایمن مباش — کاتش پنهان شود یکروز فاش
نور آبی دان وهم برآب چفس (٦) — چونکه داری آب ازآتش مترس (۷) ۱۳ آب آتش را کشد آتش بخو — می بسوزد نسل و فرزندان او
سوی آن مرغابیان رو بی گزند (۸) — تا ترا در آب حیوانی کشند ۱٤ مرغ خاکی مرغ آبی هم تنند — لیك ضدّانند و آب و روغنند
هریکی مراصل خودرا بنده اند (۹) — احتیاطی کن بهم مانندهاند (۱۰) ۱۵ هم چنانکه وسوسه و وحی الست — هردو معقولند لیکن فرق هست
هر دو دلاّلان بازار ضمیر — رختهارا می ستانند (۱۱) ای امیر ۱٦ گر تو صرّاف دلی فکرت شناس — فرق کن سِرّ دوفکرت چون نخاس
ور ندانی این دو فکرت ازگمان — لاخلابه گوی ومشتاب ومران (۱۲) ۱۷ تا نماند در تفکر جان تو — غبن ناید بر تو و بر خان تو

حیلهٔ دفع مغبون شدن در بیع و شری

آن یکی یاری پیمبر را بگفت — که منم در بیعها با غبن جفت ۱۹ مکر هرکس کو فروشد یا خرد — همچو سحراست وز راهم میبرد
گفت در بیعی که ترسی ازغرار — شرط کن سه روز خودرا اختیار ۲۰ که تأنی هست از رحمان (۱۳) یقین — هست تعجیلت زشیطان (۱٤) لعین
پیش سگ چون لقمهٔ نان افکنی — بو کند وانگه خورد ای مقتنی ۲۱ او ببینی بو کند ما با خرد — هم بیوئیمش بعقل منتقد
با تأنی گشت موجود از خدا — تابشش روز این زمین وین چرخها (۱۵) ۲۲ ورنه (۱٦) قادر بود کز کن فیکون (۱۷) — صدزمین وآسمان آرد (۱۸) برون
آدمی را اندك اندك آن همام — تا چهل سالش کند مرد تمام ۲۳ گرچه قادر بود کاندر یك نفس — ازعدم پرّان کند پنجاه کس
بود عیسی را دمی کز یك دعا — بی توقف زنده کردی (۱۹) مرده را ۲٤ خالق عیسی نبتواند که او — بی توقف مردم آرد تو بتو
این تأنی از پی تعلیم تست — که طلب آهسته باید بی سکست ۲۵ جویکی کوچك که دایم میرود — نی نجس گردد نه گنده میشود
زین تأنی زاید اقبال و سرور — این تأنی بیضه دولت چون طیور ۲٦ مرغ کی ماند به بیضه ای عنید — گرچه از بیضه همی آید پدید
باش تا اعضای (۲۰) توچون بیضها — مرغها زایند اندر انتها ۲۷ بیضهٔ مار ارچه ماند در شبه — بیضهٔ گنجشك را دور است ره
❀ دانی ای عاقل که ماند سین چوشین — درنوشتن لیك اندر نقطه بین ۲۸ دانهٔ آبی بدانهٔ سیب نیز — گرچه ماند فرقها دان ای عزیز
برگها همرنگ باشد در نظر — میوها هریك بود نوع دگر ۲۹ برگهای جسمها مانند اند — لیك هر جانی بریعی زنده اند
خلق در بازار یکسان میروند — آن یکی در ذوق و دیگر دردمند ۳۰ همچنان در مرگ یکسان میرویم — نیم درخسرات و نیمی خسرویم
❀ این سخن پایان ندارد بازگو — ۳۱ از بلال و از هلال و کار او

وفات یافتن بلال رضی الله عنه با شادی

چون بلال ازضعف شد همچون هلال — رنگ مرگ افتاد بر روی بلال ۳۳ جفت او دیدش بگفتا وا حرب — پس بلالش گفت نی نی واطرب
تا کنون اندر حرب بودم ز زیست — توچه دانی مرگ چه عیش است وچیست ۳٤ این همی گفت و رخش درعین گفت — نرگس و گلبرگ و لاله میشکفت
تاب رو و چشم پُر انوار او — می گواهی داد بر گفتار او ۳۵ هر سیه دل می سیه دیدی ورا — مردم دیده سیاه آمد چرا
مردم نا دیده باشد رو سیاه — مردم دیده بود مرآت ماه ۳٦ خود که بیند مردم دیده ترا — در جهان جز مردم دیده فزا
چون بغیر مردم دیده اش ندید — پس بغیر او که در رنگش رسید ۳۷ پس جز او جمله مقلّد آمدند — در صفات مردم دیدهٔ بلند
گفت جفتش الفراق ای خوش خصال — گفت نی نی الوصال است الوصال (۲۱) ۳۸ گفت جفت امشب غریبی میروی — از تبار و خویش غائب میشوی

---

۳ ـ یار ۵ ـ آوری حلمی ٦ ـ ران ۷ ـ چه زیان ۸ ـ روز چند ۹ ـ راننده اند ۱۱ ـ ستایند ۱۳ ـ یزدان ۱٦ ـ گرچه ۱۸ ـ و چرخ آوردی ۱۹ ـ بر جهاندی ۲۰ ـ اجزای ۲۱ ـ این وصال ـ این فصال (ن . ل)

---

(۱) آب صبر ومهر و وُد وذوق طاعت مستی وشوق اشارتست باسباب انهار اربعه که درسورهٔ محمد (ص) ذکر شده: مثل الجنّة التی وُعد المتقون فیها انهار من ماءٍ غیر آسن و انهار من لبن لم یتغیر طعمه و انهار من خمرٍ لذةٍ للشاربین و انهار من عسلٍ مصفی یعنی حال جنت و قصهٔ آن که وعده شده است بپرهیزگاران آنست که در آن نهرها است از آب صافی گوارای غیر متعفن ونهرها است از شیری که تغییر نکرده طعم آن و نهرهاست از شراب طهورلذیذ ازبرای شاربین ونهرهاست ازانگبین (۲) اشاره است بآیه واقعه درسورهٔ الحاقه « فهو فی عیشةٍ راضیة فی جنةٍ عالیة قطوفها دانیة » (٤) مراد از آسمان عالم علوی است (۱۰) مراد از احتیاط در اینجا دقت نظر بخصوص از امتیاز است (۱۲) اشاره بحدیث نبویست اذا بایعت فقل لا خلابة ولی الخیار ثلثة ایام وقتیکه معامله میکنی بگو نیست خداع و فریب و برای من ۳ روز اختیار است (۱٤) التأنی من الرحمن والعجلة من الشیطان (۱۵) در سورهٔ ق واقع شده و لقد خلقنا السموات والارض و ما بینهما فی ستة ایامٍ بدرستیکه آفریدیم ما آسمانها و زمینها را و آنچه میان آنست در شش روز (۱۷) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ یس وانما امره اذا اراد شیئاً ان یقول له کن فیکون

گفت نی نی بلکه امشب جان من (۱) میرسد خود (۲) از غریبی در وطن ۱ ❁ گفت ای جان و دلم وا حسرتاه گفت نی نی جان من یا دولتاه
گفت آن رویت کجا بینیم ما گفت اندر حلقهٔ (۳) خاص خدا ۲ حلقهٔ خاصش بتو پیوسته است گر نظر بالا کنی نی سوی پست
اندران حلقه ز ربّ العالمین نور میتابد چو در حلقه نگین ۳ گفت ویران گشت اینخانه دریغ گفت اندر مه نگر منگر بمیغ

حکمت ویران شدن تن بمرگ

کرد ویران تا کند معمور تر قوم انبه بود و خانه مختصر ۵ من چو آدم بودم اول حبس کرب پر شد اکنون نسل جانم شرق و غرب
من گدا بودم دراین خانه چو چاه شاه گشتم قصر باید بهر شاه ۶ قصرها خود مر شهان را مأنس است مرده را خانه و مکان گوری بس است
انبیا را تنگ آمد این جهان چون شهان رفتند اندر لا مکان ۷ مردگان را این جهان بنمود فر ظاهرش زفت و بمعنی تنگ تر
گر نه تنگ است این فغان از بهر چیست چون دو تا شد هر که در وی (٤) بیش زیست (٥) ۸ در زمان خواب چون آزاد شد زان مکان بنگر که جان چون شاد شد
ظالم (٦) از ظلم طبیعت باز رست مرد زندانی ز فکر حبس جست ۹ این زمین و آسمان بس فراخ سخت تنگ آمد بهنگام مناخ
چشم بند آمد فراخ و سخت تنگ ۱۰ خندهٔ او گریه فخرش جمله ننگ

اشبیه دنیا که بظاهر فراخ است و بمعنی تنگ و تشبیه خواب را بموت که خلاص از تنگی است

همچو گرمابه که تفسیده بود اندر (۷) آئی جانت بخسیده شود (۸) ۱۲ گر چه گرمابه عریض است و طویل زان تبش تنگ آیدت جان و کلیل
تا برون نائی نگشاید دلت پس چه سود از اتساع (۹) منزلت ۱۳ یا که کفش تنگ پوشی ای غوی در بیابان فراخی میروی
آن فراخیّ بیابان تنگ گشت بر تو زندان آمد آن صحرا و دشت ۱٤ هر که دید او مر ترا از دور گفت که در آن صحرا چو لاله بر شکفت
او نداند که تو همچون ظالمان از برون در گلشنی جان در فغان ۱۵ خواب تو آن کفش بیرون کردنست که زمانی جانت آزاد از تن است (۱۰)
اولیا را خواب ملکست ایفلان همچو آن اصحاب کهف اندر جهان ۱٦ خواب می بینند و آنجا خواب نی در عدم در میروند و باب نی
خانهٔ تنگ و درون جان چنگلوك کرد ویران تا کند قصر ملوك ۱۷ چنگلوکم چون جنین اندر رحم نه مهه گشتم شد این نقلان مهم
گر نباشد درد زه بر مادرم من درین زندان میان آذرم ۱۸ مادر طبعم ز درد مرگ خویش میکند زه تا رهد بره ز میش
تا چرد آن بره در صحرای سبز هین رحم بگشا که گشت این بره گبز ۱۹ درد زه گر رنج آبستن (۱۱) بود بر جنین خود بند بگسستن (۱۲) بود
حامله گریان ز زه کاین المناص وان جنین خندان که پیش آمد خلاص ۲۰ هر چه زیر چرخ هستند امّهات از جماد و از بهیمه وز نبات
هر یکی از درد غیری غافلند جز کسانی که نبیه و کاملند (۱۳) ۲۱ آنچه کوسه داند از خانهٔ کسان بلمه از خانهٔ خودش کی داند آن (۱٤)
آنچه صاحب دل بداند حال تو تو ز حال خود ندانی ایعمو ۲۲ ❁ آنچه بیند در جبینت اهل دل کی ببینی در خود ای از خود خجل

بیان آنکه هرچه غفلت و غم و کاهلی و تاریکیست همه از تنست که ارضی است و سفلی

غفلت از تن بود چون تن روح شد بیند او اسرار را بی هیچ بُد ۲٤ چون زمین برخاست از جوّ فلك نی شب و نی سایه ماند لی ولك
هر کجا سایه است و شب یا سایگه از زمین باشد نه از خورشید (۱۵) و مه ۲۵ دود پیوسته هم از هیزم بود کی (۱٦) ز آتشهای مستنجم بود
وهم افتد در خطا و در غلط عقل باشد در اصابتها فقط ۲٦ هر گرانیّ و کسل خود از تن است جان ز خفت جمله در بریدن است
روی سرخ از کثرت خونها بود روی زرد از جنبش صفرا بود ۲۷ رو سفید از قوّت بلغم بود باشد از سودا که روی ادهم بود
در حقیقت خالق آثار اوست لیك جز علت نبید اهل پوست ۲۸ مغز کو از پوستها (۱۷) آواره نیست از طبیب و علت او را چاره نیست
چون دوم بار آدمی زاده بزاد (۱۸) پای خود بر فرق علتها نهاد ۲۹ علت اولی نباشد دین او علت اخری ندارد کین او (۱۹)
میبرد چون آفتاب اندر افق با عروس صدق و صفوت بر تتق ۳۰ بلکه بیرون از افق وز چرخها بی مکان باشد چو ارواح و نهی
این عقول ما چو سایه ای عمو (۲۰) ۳۱ می فتد از هر طرف بر پای او (۲۱)

تشبیه نص با قیاس

مجتهد هر که که باشد نص شناس (۲۲) اندران صورت نیندیشد قیاس ۳۳ چون نیابد نصّ اندر صورتی از قیاس آنجا نماید عبرتی
نص وحی روح قدسی دان یقین وان قیاس عقل جزوی تحت این ۳٤ عقل از جان گشت با ادراك و فر روح او را کی شود زیر نظر
لیك جان در عقل تأثیری کند زان اثر آن عقل تدبیری کند ۳۵ نوح و ار ار صدقی زد در (۲۳) تو روح کو یم و کشتیّ و کو طوفان نوح
عقل اثر را روح پندارد ولیك نور خور از قرص خور دور است نیك ۳٦ زان بقرصی سالکی خورسند شد که ز نورش سوی قرص افکند شد

---

۲ ـ خوش ۳ ـ خلوت ٤ ـ روزی ٦ ـ روح ۷ ـ تنگ ۹ ـ اندر فراخی ۱۰ ـ از زندان برست ۱۱ ـ آبستان ۱۲ ـ اشکستن زندان ۱۳ ـ عاقلند ۱۵ ـ افلاك ۱٦ ـ نی ۱۷ ـ لب که آن از قشرها ۲۰ ـ پس عقول ماست سایه‌های او ۲۱ ـ می‌فتد چون سایه بر پاهای او ۲۳ ـ صدمتی زد بر (ن . ل) .

---

(۱) جان درطرف لطف یاقهر چون بکمال رسد برغبت وارادت ترك این بدن طبیعی میکند واگر کراهتی باشد ازبرای قومی جزئیه است نه ازبرای جان که بزرگست و در آئینه کوچك ننماید (۵) حسن تعلیل است که از محسنات بدیعه است بعلت آنکه انحناء پیران این است که این عالم چون تنگناست دیر زیادتر مانده است پس باید تلافی نماید به دولا بودن وکوچك شدن (۸) تفسیده تابیده وگرم وبخسیده گداخته وافسرده است (۱٤) بلمه ریش دراز است وفارسی است واین تفرقه که فرموده یا بسبب این است که بلمه بسبب غلبهٔ بلغم برمزاجش نادانی دارد یا چون کوسه دیر ریش درآورد بصورت خواجگان باشد (۱۸) قول عیسی علیه السلام است لن یلج ملکوت السموات من لم یولد مرّتین یعنی هرگز درنیامد ملکوت آسمانها را کسی که زائیده نشود دو بار یعنی یکبار از مادر زائیده شود و بار دیگر از طبیعت خود وعادات خود بر آید و ترك اراده و اختیار نماید و از خود بمیرد و بحق زنده شود یا در ملأ اعلی گذر یابد (۱۹) علت اولی باعتقاد حکما عبارت از واجب الوجود است یا فلك اطلس و علت اخری عبارت از فلك عاشر است که آنرا عقل فعال نیز گویند (۲۲) اینجا مراد تشبیه بیان حقیقت نص با قیاس است نه تمثیل چنانچه ابیات داستان ناطق بر اینمعنی است .

زانکه این نوری که اندر سافل است — نیست دائم روز و شب او آفل است ۱ وانکه اندر قرص دارد باش وجا — غرقهٔ آن نور باشد دائما
نه سحابش ره زند خود نی غروب — وارهیداو ازفراق سینه کوب (۱) ۲ اینچنین کس اصلش ازافلاك بود — یا مبدّل گشت اگر از خاك بود
زانکه خاکی را نباشد تاب آن — که زند بروی شعاعی (۲) جاودان ۳ گر زند برخاك دائم نور (۳) خور — آنچنان سوزد که ناید زو ثمر
دائم اندر آب کار ماهی است — مار را با او کجا همراهی است ٤ لیك در که مار های پر فنند — اندرین یم ماهئیها میکنند
مکرشان گر خلق را شیدا کند — هم ز دریا تاسه شان رسوا کند ٥ واندرین یم ماهیان پرفنند (٤) — مار را از سحر ماهی میکنند
گر تو ماری شو قرین ماهیان — تا شوی چون ماهیان دریم روان ٦ ماهیان قعر دریای جلال — بحرشان آموخته سحر حلال
بس محال از تاب ایشان حال شد — نحس آنجا رفت و نیکو فال شد ۷ زهر آنجا رفت وشکر شد یقین — سنگ آنجا رفت وشد دُرّ ثمین (٥)
خاك زر شد سنگ گوهر پای سر — می نبیند جز بشر چشم بشر ۸ تا قیامت گر بگویم زین کلام — صد قیامت بگذرد وین نا تمام

آداب المستمعین و المریدین عند فیض الحکمة من لسان الشیخ

بر ملولان این مکرّر کردن است — نزد من عمر مکرّر بردن است ۱۰ شمع از برق مکرّر بر شود — خاك از تاب مکرّر زر شود
گر هزاران طالبند و یك ملول — از رسالت باز میماند رسول ۱۱ این رسولان ضمیر راز گو — مستمع خواهند اسرافیل خو (٦)
نخوتی دارند و کبری چون شهان (۷) — چاکری خواهند از اهل جهان ۱۲ تا ادبهاشان بجا گه ناوری — از رسالتشان چگونه بر خوری
کی رسانند آن امانت را بتو — تا نباشی پیششان را کم دو تو ۱۳ هر ادبشان کی همی آید پسند — کامدند ایشان ز ایوان بلند
نی گدایانند کز هر خدمتی — از تو دارند ای مزوّر منتی ۱٤ لیك با بی رغبتیهای ضمیر — صدقهٔ سلطان بیفشان وا مگیر
اسب خودرا ای رسول آسمان — در ملولان منگر واندر جهان (۸) ۱٥ فرخ آن ترکی که استیزه نهد — اسبش اندر خندق آتش جهد
گرم گرداند فرس را آنچنان — که کند آهنگ اوج آسمان ۱٦ چشم را ازغیروغیرت دوخته (۹) — همچو آتش خشك و تر راسوخته
گر پشیمانی بر او عیبی کند — آتش اول در پشیمانی زند ۱۷ خود پشیمانی نروید از عدم — چون ببیند گرمی صاحب قدم

شناختن هر حیوانی بوی عدوّ خودرا و حذر کردن و بطالت و خسارت آنکس که عدوّ کسی بود که از او حذر ممکن نیست و فرار ممکن نه و مقابله ممکن نه

اسب داند بانگ و بوی شیر را — گر چه حیوانست الاّ نادرا ۲۰ بل عدوّ خویش را هر جانور — خود بداند از نشان و از اثر
روز خفاشك نیارد بر پرید — شب برون آید چو دزدان جرید ۲۱ از همه محروم تر خفّاش بود — که عدوّ آفتاب فاش بود
نی تواند در مصافش زخم خورد — نی بنفرین تاندش مهجور کرد ۲۲ آنکه آن خورشید از احسان وجود — بر ندّراند ز قهرش تار و پود
آفتابی که بگرداند قفاش — از برای غصه و قهر خفاش ۲۳ غایت لطف و کمال او بود — ور نه خفاشش کجا مانع شود
دشمن ار گیری بعدّ خویش گیر — تا بود ممکن که گردانی اسیر ۲٤ قطره با قلزم چو استیزه کند — ابله است او ریش خود برمی کند
حیلت او از سبالش نگذرد — چنبرهٔ حجرهٔ قمر چون بر درد ۲٥ با عدوّ آفتاب این بُد عتاب — ای عدوّ آفتاب آفتاب
ای عدوّ آفتابی کز فرش — می بلرزد آفتاب و اخترش ۲٦ تو عدوّ او نهٔ خصم خودی — چه غم آتش را که تو هیزم شدی
ای عجب از سوزشت اوکم شود — یا ز درد و غصه‌ات پر غم شود ۲۷ رحمتش نی رحمت آدم بود — که مزاج رحم آدم غم بود
رحمت مخلوق باشد غصّه ناك — رحمت حق ازغم وغصه است پاك ۲۸ رحمت بیچون چنین دان ای پسر — ناید اندر وهم از وی جز اثر
ظاهر است آثار میوهٔ رحمتش ۲۹ لیك که داند جز او ماهیتش

فرق میان دانستن چیزی بمثال وتقلید ومیان دانستن ماهیت آن چیز بتحقیق

هیچ ماهیات اوصاف کمال — کس نداند جز بآثار و مثال ۳۱ طفل ماهیت نداند طمث را — جز که گوئی هست چون حلوا ترا (۱۰)
طفل را نبود ز وطی زن خبر — جز که گوئی هست آن خوش چون شکر ۳۲ کی بود ماهیت ذوق جماع — مثل ماهیات شکر ای مطاع
لیك نسبت کرد از روی خوشی — با تو آن عاقل که تو کودك وشی ۳۳ تا بداند کودك آن را از مثال — گر نداند ماهیت یا عین حال
پس اگر گوئی بدانم دور نیست — ور بگوئی که ندانم زور نیست ۳٤ گر کسی گوید که دانی نوح را — آن رسول حق و نور روح را
گر بگوئی چون ندانم کان قمر — هست از خورشید و مه مشهورتر ۳٥ کودکان خرد در کتابها — وان امامان جمله در محرابها
نام او خوانند در قرآن صریح — قصه اش گویند از ماضی فصیح ۳٦ راست گوداند ترا (۱۱) ازروی وصف — گر چه ماهیت نشد از نوح کشف
ور بگوئی من چه دانم نوح را — همچو اوئی داند او را ای فتی ۳۷ مور لنگم من چه دانم فیل را — پشهٔ کی داند اسرافیل را
این سخن هم راست است ازروی آن — که بماهیت ندانیش ای فلان ۳۸ عجز از ادراك ماهیت عمو (۱۲) — حالت عامه بود دریاب تو (۱۳)
زانکه ماهیات و سرّ سرّ آن — پیش چشم کاملان باشد عیان ۳۹ در وجود ازسرّ حق و ذات او — دورتر از وهم (۱٤) واستبصار کو

---

۱ ـ وگشت خوب ۲ـ شعاعش ۳ ـ تاب ٤ ـ توسن اند ٥ ـ خار ریحان گشت وسرکه انگبین ۱۰ ـ خوش چون لوبیا ۱۱ـ دانیش تو ۱۳ـ مطلق مگو ۱٤ ـ فهم (ن . ل) .

---

(٦) یعنی فرشته خو یا گوئیم مستعد ومنتظر وجه تخصیص اسرافیل آنست که اوهمیشه صور دردست مستعد حکم نفخ است واین رسولان ضمیر چنین مستمع قبول را طالبند (۷) بی نیازی کبری چون متحققند چه جای متخلق باخلاق الله و منها العزیز الجبار المتکبر (۸) بکردار و هنجار ملولان از خود منگر وبجهان یعنی بجهاندن درآور اسب توجه خود بسوی ایشان تا محروم نمانند (۹) یعنی از این هر دو فارغ و بخود محو (۱۲) میفرمایند عجز از ادراك ماهیت حالت عامه است چه ماهیات که مرتبه تعین ثانی و صور علمیهٔ حق است و سرّ سر آن که کنایة است از مرتبهٔ غیب هویت پیش چشم کاملان طریقت که وجود خودرا فانی کرده اند بذات حق بقا یافته اند عیانست چه عدم ادراك ماهیت وکنه حق سبحانه و تعالی بجهت مغایرت واثنینیت است هرگاه در مرتبهٔ فنافی الله وبقا بالله میانهٔ مدرك ومدرَك مغایرتی و اثنینیتی نماند و اتحاد ذاتی بهم رسید عجز ادراك برطرف شد

چونکه آن مخفی نماند از محرمان — ذات وصفی چیست کان ماند نهان ۱ عقل بحثی گوید این دوراست و گو — بی ز تأویلی محالی کم شنو
قطب گوید مرترا ای سست حال — آنچه فوق حال تست آید محال ۲ واقعاتی که کنونت بر گشود — نی که اول هم محالت مینمود
چون رهانیدت زده زندان کرم — تیه را برخود مکن حبس از ستم ۳ ❀ چون خلاصی یافتی ازصد بلا — فقر را بر خود مکن رنج و عنا
❀ سهل گیرش تا نگردد مشکلت — ور نه شد شکر چو زهر قاتلت ٤ ❀ سوی بحث خویش تازای بوالحسن — کاین سخن پایان ندارد جان من

جمع و تفریق میان نفی و اثبات یك چیز از روی نسبت و اختلاف جهت

❀ نسبت اثبات با نفی از نخست(۱) — گر بیانش میکنی بر گو درست ٦ نفی آن یك چیز و اثباتش رواست — چون جهت شد مختلف نسبت دو تاست
❀ مارمیت اذرمیت ازنسبت است — نفی و اثباتست وهردو مثبت است ۷ آن توافکندی که بر دست تو بود — تو نیفکندی که حق قوّت نمود
زور آدم زاده را حدّی بود — مشت خاك اشکست لشکرکی شود ۸ مشت مشت تست و افکندن ز ماست — زین دو نسبت نفی و اثباتش رواست
یعرفون الانبیا اضدادهم — مثل ما لا یشتبه اولادهم (۲) ۹ همچو فرزندان خود دانندشان — منکران با صد دلیل وصد نشان
لیك از رشك وحسد پنهان کنند — خویشتن را بر ندانم میزنند ۱۰ پس چو یعرف گفت چون جای دگر — گفت لایعرفهم غیری فذر (۳)
انهم تحت قبابی کامنون (٤) — جز که یزدانشان نداند زآزمون ۱۱ هم بنسبت گیر این مفتوح را — که بدانی و ندانی نوح را
❀ زین نمط بسیار آمد در خبر ۱۲ کان بنسبت باشد ای جان معتبر

مسئلهٔ فنا و بقای درویش کامل

گفت قائل درجهان درویش نیست — وربود درویش آن درویش نیست(٥) ۱٤ هست از روی بقای ذات او — نیست گشته وصف او دروصف هو
چون زبانهٔ شمع پیش آفتاب — نیست باشد هست باشد درحساب ۱٥ هست باشد ذات او تا تو اگر — بر نهی پنبه بسوزد زان شرر
نیست باشد روشنی ندهد ترا — کرده باشد آفتاب اورا فنا ۱٦ دردوصد من شهد یکوقیه ز(٦)خل — چون درافکندی ودروی گشت حل
نیست باشد طعم خل چون میچشی — هست آن وقیه فزون چون میکشی ۱۷ پیش شیری آهوئی بیهوش شد — هستیش درهست او روپوش شد
این قیاس ناقصان بر کار ربّ — جوششش عشق است نه ازترك ادب ۱۸ نبض عاشق بی ادب بر می جهد — خویش را در کفهٔ شه مینهد
بی ادب تر نیست زوکس درجهان — با ادب تر نیست زوکس در نهان ۱۹ هم بنسبت دان وفاق ای منتخب — این دو ضدّ با ادب با(۷) بی ادب
بی ادب باشد چو ظاهر بنگری — که بود دعوی عشقش همسری ۲۰ چون بباطن بنگری دعوی کجاست — او ودعوی پیش آن سلطان فناست
مات زید زید اگر فاعل بود — لیك فاعل نیست کو عاطل بود ۲۱ او زروی لفظ نحوی فاعل است — ورنه او مفعول و موتش قاتل است
فاعلی چه کو چنان مقهور شد ۲۲ فاعلیها جمله از وی دور شد

قصهٔ وکیل صدر جهان که متهم شد و از بخارا گریخت از بیم جان باز عشقش کشید روکشان که کار جان سهل باشد عاشقان را

در بخارا بندهٔ صدر جهان — متهم شد گشت از صدرش نهان ۲٥ مدت ده سال سرگردان بگشت — که خراسان گه قهستان گاه دشت
از پس ده سال او از اشتیاق — گشت بی طاقت ز ایّام فراق ۲٦ گفت تاب فرقتم زین پس نماند — صبرکی داند خلاعت (۸) را نشاند
از فراق این خاکها شوره شود — آب زرد و گنده و تیره شود ۲۷ باد جان افزا وَخِم گردد وبا — آتشی خاکستری گردد هبا
باغ چون جنت شود دارالمرض — زرد وریزان برگ او اندرحرض ۲۸ عقل درّاك از فراق دوستان — همچو تیرانداز بشکسته کمان
دوزخ ازفرقت چنان سوزان شدست(۹) — پیر ازفرقت چنین لرزان شدست(۱۰)۲۹ گر بگویم از فراق چون شرار — تا قیامت یك بود از صد هزار
پس زشرح سوز اوکم زن نفس — ربّ سلم ربّ سلم گوی و بس ۳۰ هرچه از وی شادگشتی درجهان — از فراق او بیندیش این زمان
زانچه گشتی شاد بس کس شاد شد — آخر ازوی جست وهمچون بادشد ۳۱ ازتو هم بجهد تو دل بروی منه — پیش ازآن کو بجهد ازتو(۱۱)تو بجه
همچو مریم گوی پیش از فوت ملك ۳۲ نفس(۱۲)را کالعوذ بالرحمن منك(۱۳)

پیدا شدن روح القدس بصورت آدمی بر مریم بوقت غسل و برهنگی و پناه گرفتن بحقتعالی

دید مریم صورتی بس جانفزا — جانفزائی دلربائی در خلا ۳٤ پیش او بررست از روی زمین — چون مه وخورشید آن روح الامین
از زمین بررست خوبی بی نقاب — آنچنان کز شرق روید آفتاب ۳٥ لرزه بر اعضای مریم اوفتاد — کو برهنه بود و ترسید از فساد
صورتی که یوسف اردیدی عیان — دست ازحیرت بریدی چون زنان ۳٦ همچو گل پیشش بروئید او ز گل — چون خیالی که برآرد سر ز دل
گشت مریم بیخود و بیخویش او(۱٤) — گفت بجهم درپناه لطف هو (۱٥) ۳۷ زانکه عادت کرده بود آن پاك جیب — درهزیمت رخت بردن سوی غیب

---

٦ ـ یك اوقیه ۷ ـ هم ـ یا ۹ ـ بود سوزان چنان ۱۰ ـ بدان ۱۱ ـ وی ۱۲ ـ نقش ۱٤ ـ دربیخودی ۱٥ ـ ایزدی (ن . ل)

---

(۱) یعنی بدانم وندانم که بوجه دانائی بود و بکنه نادانی از تفاوت نسبت بود اینجا بیان میکند که تفاوت نسبت بسیاری از نفی و اثبات در یك موضع را بانجام میرساند (۲) در سورهٔ بقره و در سورهٔ انعام هردو واقع شده الذین آتیناهم الکتاب یعرفونه کما یعرفون ابنائهم و معنی شعر اینست میشناسد انبیارا اضداد ایشان یعنی کفار چنانکه مشتبه نمیشوند در اولادشان یعنی درشناخت اولادشان شبهه ندارند (۳) مراد آنست که حق سبحانه و تعالی یك جا یعرفونه گفت وجای دیگر لا یعرفهم غیری فرمود پس این عرفان وغیر عرفان خلق انبیا و اولیا را بالنسبة باشد واینها در تحت قباب حق مخفی اند خلق بیك نسبت ایشان را میدانند وبیك نسبت نمیدانند چنانچه ابیات مابعد مؤید این مضمون است ؛ چون زبانهٔ شمع الخ (٤) حدیث قدسی است اولیائی تحت قبابی لایعرفهم غیری (٥) یعنی آن درویش درآنحال بخودی خود نیست و بحق باقیست (۸) خلاعه بی سامان وجدانی واینجا مقصود شور فراق است (۱۳) درسورهٔ مریم واقع شده است واذکر فی الکتاب مریم اذانتبذت من اهلها مکاناً شرقیا فاتخذت من دونهم حجاباً فارسلنا الیها روحنا فتمثل لها بشراً سویا قالت انی اعوذ بالرحمن منك ان کنت تقیا ویاد کن در قرآن مریم را وقتی که عزلت گزید از اهل خود در مکانی از جانب شرق پس فرا گرفت از غیرشان پردهٔ پس فرستادیم ما بسوی او روح خود (جبرئیل) را بصورت آدمی راست قامت گفت پناه میبرم بخدایتعالی از تو اگر تو باشی پرهیزکار

چون جهان را دید ملکی بیقرار — حازمانه ساخت زآنحضرت حصار ۱ تا بگاه مرگ حصنی باشدش — که نیابد خصم راه مقصدش
از پناه حق حصاری به ندید — یورتگه نزدیك آن دز بر گزید ۲ چون بدیدآن غمزهای عقل سوز — که ازو میشد جگرها تیر دوز
شاه واشکرحلقه درگوشش همه (۱) — خسروان عقل بیهوشش همه(۲) ۳ صد هزاران شاه مملوکش برق — صد هزاران بدر را داده بدق
زهره‌نی مر زُهره را تا دم زند — عقل کلّش چون به‌بیند کم زند ٤ من‌چه‌گویم چون‌مرا بردوخته‌است — دمگهم را دمگه او سوخته است
دود آن نارم دلیلم من براو — دور از آن شه باطل ما عبّروا ٥ خود نباشد آفتابی را دلیل — غیر نور آفتاب مستطیل
سایه کبود تا دلیل او بود — این بسنتش که ذلیل او بود ٦ این جلالت در دلالت صادقست — جمله ادراکات پس او سابق‌است
جمله إدراکات برخرهای لنگ — اوسوار بادپایان (۳) چون خدنگ ۷ گر گریزد کس نیابد گرد شه — ورگریزند او بگیرد پیش ره (٤)
جمله ادراکات را آرام نی — وقت میدانست وقت جام نی ۸ آن یکی وهمی چو بازی میپرد — وان یکی چون تیرمعبر(٥) میدرد
وان دگر چون کشتی با بادبان — واندگر اندر تراجم هر زمان ۹ چون شکاری مینمایدشان ز دور — جمله حمله میزایند (٦) آن طیور
چونکه ناپیدا شود حیران شوند — همچوجغدان‌سوی هرویران شوند ۱۰ منتظر چشمی بهم یك چشم باز — تا که پیدا گردد آن صید نیاز
چون بماند دیر گویند از ملال — صیدبودآن‌خود عجب یاخود خیال ۱۱ مصلحت آنست تا یکساعتی — قوّتی گیرند و زور از راحتی
گر نبودی شب همه خلقان زآز — خویشتن را سوختندی ز اهتزاز ۱۲ ازهوس وزحرص سود اندوختن — هر کسی دادی بدن را سوختن
شب پدید آید چو گنج رحمتی — تا رهند از حرص خود یکساعتی ۱۳ چونکه قبضی آیدت ای راه رو — آن صلاح تست آیس دل مشو
زانکه‌درخرجی‌ازآن‌بسط(۷)وگشاد — خرج را دخلی بیاید ز اعتداد ۱٤ گر هماره فصل تابستان بدی — سوزش خورشیددربستان‌زدی(۸)
منبتش را سوختی از بیخ و بن — که دگر تازه نگشتی آن کهن ۱٥ گرترش رویست‌آن دی مشفق‌است — صیف خندانست اما محرق است
چونکه قبض‌آمد تو دروی بسط بین — تازه باش وچین میفکن بر جبین ۱٦ کودکان خندان و دانایان تُرش — غم جگر را باشد وشادی زُشش
چشم‌کودك همچوخر درآخُراست — چشم عاقل در حساب آخر است ۱۷ او در آخُرچرب می بیند تلف — وین ز نصاب آخرش بیند تلف
آن علف تلخ‌است‌کاین قصاب داد — بهر لحم ما ترازوئی نهاد ۱۸ رو زحکمت خور علف‌کان را خدا — بیعوض(۹)داده‌است‌وازمحض‌عطا
فهم نان‌کردی نه حکمت ای‌رهی — چونکه‌حق‌گفتت‌کلوامن‌رزقه(۱۰) ۱۹ رزق حکمت به بود در مرتبت — کان گلوگیرت‌نگردد (۱۱) عاقبت
این دهان بستی دهانی باز شد — کو خورندهٔ لقمه های راز شد ۲۰ گر ز شیر دیو تن را وا بری — در فطام او بسی نعمت خوری
تُرك جوشی کردهام من نیم خام — از حکیم غزنوی بشنو تمام ۲۱ در الهی نامه گوید شرح این — آن حکیم غیب و فخرالعارفین
غم خور و نان غم افزایان مخور — زانکه عاقل غم خورد کودك شکر ۲۲ قند شادی میوهٔ باغ غم است — این‌فرح‌زخم‌است‌وآن‌غم‌مرهم‌است
غم‌چوبینی‌درکنارش‌کش‌بعشق(۱۲) — از سر ربوه نظر کن در دمشق ۲۳ عاقل از انگور می بیند همی — عاشق از معدوم شیٔ بیند همی
جنگ میکردند حمالان پریر — تومکش تا من‌کشم حملش‌چوشیر ۲٤ زانکه درآن رنج می دیدند سود — حمل را هر یك ز دیگر میربود
مزد حق کو مزد آن بیمایه کو — این دهد گنجیت مزد و آن تسو ۲٥ گنج زرّی‌که‌چوخسبی زیرریگ — با تو باشد آن نباشد مرده ریگ
پیش پیش آن جنازهات میدود — مونس گور و غریبی میشود ۲٦ بهر روز مرگ ایندم مرده باش — تا شوی‌با عشق سرمد خواجه‌تاش
صبر می بیند ز پردهٔ اجتهاد — روی چون گلنار و زلفین مراد ۲۷ غم چو آئینه است پیش مجتهد — کاندر آن ضدّ مینماید روی ضد
بعد ضدّ رنج آن ضدّ دگر — رو دهد یعنی گشاد و کرّ و فر ۲۸ این دووصف ازپنجه دستت ببین — بعد قبض مشت بسط آید یقین
پنجه را گر قبض باشد دائما — یا همه بسط او بود چون مبتلا ۲۹ زین‌دووصفش کارومکسب منتظم — چون پرمرغ این‌دوحال اورامهم

گفتن روح‌القدس مریم را که من رسول حقم بتو، آشفته و پنهان از من مشو که فرمان این‌است

چونکه‌مریم مضطرب‌شد یك‌زمان — همچنان که بر زمین بر ماهیان ۳۱ بانگ بر وی زد نمودار کرم — که امین حضرتم ازمن‌مرم (۱۳)
از سرافرازان عزت سر مکش — ازچنین‌خوش‌محرمان خوددرمکش ۳۲ این همی گفت و ذبالهٔ نور پاك — از لبش میشد پیا پی بر سماك
از وجودم میگریزی در عدم — در عدم من شاهم و صاحب علم ۳۳ خودُ بنه‌وبنگاه‌من‌درنیستی‌است(۱٤) — یکسوارهٔ نقش من پیش‌ستی‌است
مریما بنگر که نقش مشکلم — هم هلالم هم خیال اندر دلم ۳٤ چون خیالی در دلت آمد نشست — هر کجا که میگریزی با توهست
جز خیالی عارضیّ باطلی — که بود چون صبح کاذب آنلی ۳٥ من چو صبح صادقم از نور ربّ — که نگردد گرد روزم هیچ شب
هین مگو لاحول عمران زاده ام — خود(۱٥)زلاحول‌اینطرف‌افتاده‌ام ۳٦ مر مرا اصل و غذا لا حوْل بود — نور لاحولی‌که پیش از قول بود
تو همی گیری پناه از من بحق — من نگاریدهٔ پناهم در سبق ۳۷ آن پناهم من که مخلصهات بود — تو اعوذآری ومن خودآن اعوذ
آفتی نبود بتر از نا شناخت — تو بر یار و ندانی عشق باخت ۳۸ یار را اغیار پنداری همی — شادئی را نام بنهادی غمی

---

۱ ـ شده ۲ ـ هوش بیهوشش شده ٥ـ تیغ مغفر ٦ـ مینمایند ۷ـ بست ۸ـ بدی ۹ ـ بیغرض ۱۱ـ نباشد ۱٥ـ که ـ من (ن . ل) .

(۳) دربعضی ازنسخ بادپرّان یعنی‌احتجب عن‌العقول کلما احتجب عن‌الابصار (٤) چه درمدرکاتشان حاضر است‌اینما تولوا فثم وجه الله عالم معنی و صورت همه مظاهراوست (۱۰) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ ملك «هوالذی جعل لکم‌الارض ذلولا فامشوا فی‌مناکبها وکلوا من‌رزقه والیه‌النشور» (۱۲) مراد آنست که غم را بمجرد ملاحظهٔ آثار وعلامات ازروی عشق درکنار بکش و پیش از ورود طالب و خواهان آن باش و دمشق را از سرربوه (که تلی است بزرگ در سه فرسخی آن) نظر کن یعنی اگر غم را پیش از ورود بعشق در کنار بکشی و طالب و خواهان آن باشی لذت وذوق آن‌را در می‌یابی والا بعد از ورود از عالم اموری که بی‌قصد از کسی واقع شود ذوقی و لذتی واجری نخواهی یافت (۱۳) اشاره بآیه واقعهٔ درسورهٔ مریم است قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاماً زکیا (۱٤) یعنی خود بگیرمکان اصلی مرا در نیستی که وجود اطلاقی باشد که گفت از وجودم یعنی وجود مجازی پنداری میگریزم در عدم یعنی در موجودیت بوجود حق حقیقی لکن مرا رفیقهاست یك رفیقهٔ من پیش ستی است یك رفیقهٔ دیگر من نزد فلان نبی است و دیگر پیش دیگری بی تجافی حقیقت من از مقام عندیت عند ملیك مقتدر و من له آلام والخلق قائماً بین یدی ربیّ لم ابرح ولن ابرح عن مقامی

۱ اینچنین نخلی که قد(۱) یارماست — چونکه مادزدیم نخلش دار ماست
۲ اینچنین لطفی زنجیر ماست — چونکه فرعونیم چون‌خون میشود
۳ تو نمی بینی که یار بردبار — چونکه با اوضدشوی گردد چومار
۴ شمع مریم را بهل افروخته — که بخارا (۳) میرود آن سوخته

اینچنین لطفی که دارد یار ما — تو گریزانی ازو ای بیوفا
اینچنین مشکین که زلف میرماست — چونکه بیعقلیم آن زنجیر ماست
خون همی‌گوید من‌آبم هین مریز — یوسفم گرگ از توام ای پرستیز
لحم او و شحم او دیگر نشد — بر قرار اولست آنسان که بد(۲)

عزم کردن آن وکیل از عشق که رجوع کند ببخارا لا ابالی وار

۶ این بخارا منبع دانش بود — پس بخارائی است هرکانش بود
۷ جز بخواری در بخارای دلش — راه ندهد جزر و مد مشکلش
۸ فرقت صدر جهان در جان او — پاره پاره کرده بود ارکان او
۹ واروم آنجا بینم پیش او — پیش آن صدر نکو اندیش او
۱۰ کشته و مرده به پیشت ای قمر — به که شاه زندگان جای دگر
۱۱ غن لی یا منبتی لحن النشور — ابرکی یا ناقتی تم السرور
۱۲ عدت یا عیدی الینا مرحبا — نعم ما روحت یاریح الصبا (۶)
۱۳ دمبدم در سوز بریان میشوم — هر چه بادا باد آنجا میروم
۱۴ مسکن یار است و شهر شاه من — پیش عاشق این بود حب الوطن

سخت بی‌صبر و در آتش دان تیز — روسوی صدرجهان کرداشك‌ریز(۴)
پیش شیخی در بخارا اندری — تا بخاری در بخارا نگری
ای خنك آنرا که ذلت نفسه — وای آنکس‌را که یردی‌رفسه(۵)
گفت بر خیزم همانجا واروم — کافر ار گشتم دگر ره بگروم
گویم‌افکندم به پیشت جان خویش — زنده کن یا سر ببر مارا چومیش
آزمودم من هزاران بار بیش — بی توشیرین می‌نبینم عیش‌خویش
ابلعی یا ارض دمعی قد کفی — اشربی یا نفس ورداً قد صفی
گفت‌ای یاران روان گشتم وداع — سوی‌آن‌صدری که میراست‌ومطاع
گرچه دل‌چون سنگ خارامی‌کند — جان من عزم بخارا میکند

پرسیدن معشوقی از عاشق غریب خود که از شهرها کدام شهررا خوشتر یافتی و انبوه‌تر و محتشم‌تر و پر نعمت تر و دلگشا تر

۱۷ پس‌کدامین‌شهرازآنها خوشتراست — گفت‌آن‌شهری که دروی دلبراست
۱۸ هر کجا یوسف رخی باشد چوماه — جنت است آن گرچه باشد قعرچاه
۱۹ شد جهنم با تو رضوان نعیم — بیتو شد ریحان و گل نار جحیم
۲۰ خوشتراز هردوجهان آنجابود — که مرا با تو سر و سودا بود
۲۱ عاشق صدرجهان‌شد اشکبار(۸)

گفت معشوقی بعاشق کای فتی — تو بغربت دیدهٔ بس شهرها
هر کجا باشد شه ما را بساط — هست صحرا گر بود سم الخیاط
باتودوزخ جنت‌است‌ای‌جان‌فزا — باتو زندان گلشن است ای‌دلربا
هرکجا تو بامنی من خوش‌دلم — ور بود در قعرگوری (۷) منزلم
بس‌درازاست‌این‌سخن‌وزانتظار

منع کردن دوستان اورا از رجوع کردن ببخارا و تهدید کردن و لاابالی گفتن او

۲۳ در نگر پس را بعقل و پیش را — همچو پروانه مسوزان خویش را
۲۴ او ز تو آهن همی خاید ز خشم — او همی جوید ترا با بیست چشم
۲۵ چون رهیدی و خدایت راه داد — سوی زندان میروی چونت فتاد
۲۶ چون موکل نیست بر تو هیچکس — از چه بسته گشت برتو پیش‌وپس
۲۷ هر موکل را موکل مختفی است — ورنه اودربند سگ‌طبعی ز چیست
۲۸ میزند آنرا که‌هین‌این‌را(۹)بزن — زان عوانان نهان افغان من
۲۹ ناله‌کردی گر ازاووافف‌بدی(۱۱) — پیش آن سلطان سلطانان شدی
۳۰ میر دیدی خویش را ای‌کم ز مور — زان ندیدی آن موکل را توکور
۳۱ پر سبك دارد ره بالا کند — چون گل آلو شد گرانیها کند
۳۲ پند داد القصه عاشق را بسی — عاذل بیدرد همچون قفنسی(۱۲)

گفت او را ناصحی ای بیخبر — عاقبت اندیش اگر داری هنر
چون بخارا میروی دیوانهٔ — لایق زنجیر و زندان خانهٔ
میکند او تیز از بهر تو کارد — اوسگ قحط است و تو انبان‌آرد
بر تو گر ده گون موکل آمدی — عقل بایستی کز ایشان کم زدی
عشق پنهان‌کرده بود اورا اسیر — آن موکل را نمی دید آن نذیر
خشم شاه عشق بر جانش نشست — بر عوانی و سیه روئیش بست
هر که بینی در زیانی میرود — گر چه تنها باعوانی‌میرود(۱۰)
ریختی بر سر به پیش شاه خاك — تا امان دیدی ز دیو سهمناك
غره گشتی زین دروغین پر وبال — پر وبالی کو کشد سوی وبال
جهدکن پر را گل‌آلوده مکن — لیك گوشت کر شد و پندم کهن

لاابالی گفتن عاشق ناصح و عاذل را از سر عشق

۳۴ سخت تر شد بند من از پند تو — عشق را نشناخت دانشمند تو
۳۵ تو مکن تهدیدم از کشتن که من — تشنهٔ زارم بخون خویشتن
۳۶ اودوصدجان‌داردازجان(۱۴)هدی — وان دو صد را میکند هردم فدا
۳۷ گربریزد خون من آن دوست‌رو — پای کوبان جان بر افشانم بر او
۳۸ اقتلونی اقتلونی یا ثقات — ان فی قتلی حیاتاً فی حیات

گفت‌ای‌ناصح‌خمش‌کن‌چندپند(۱۳) — پندکم ده‌زانکه بس سختست بند
آن طرف که عشق میافزود درد — بو حنیفه و شافعی درسی نکرد
عاشقان‌را هر زمانی مردنیست — مردن عشاق خود یکنوع نیست
هر یکی جان را ستاند ده بها — ازنبی‌خوان‌عشرة(۱۵و۱۶)امثالها
آزمودم مرگ من در زندگیست — چون رهم‌زین زندگی پایندگیست

---

۱ ـ لطف ۲ ـ او چنان بد جز که از منظر نشد ٤ ـ کن میگریز ۷ ـ چاهی ۸ ـ بیقرار ۹ ـ اورا که هین او را ۱۱ ـ گر ازو واقف بدی افغان زدی ۱۳ ـ عاذل خمش کن چند چند ۱٤ ـ نور ۱۵ ـ برخوان توعشر (ن . ل)

---

(۳) در فارسی بخارا علم و فضل است چون علما در بخارا بسیار بوده اند بخارا گفته‌اند وبخارای معنوی شیخ است که مبلغ علم بالله است (۵) خوشا حال کسیکه ذلیل شد نفس او وبدا بحال کسیکه هلاك کرد اورا گام نهادن او (٦) یعنی خوش بسرای برای من ای آرزوی دل من سرودی که مرده را زنده کند ـ بنشین ای شتر من تا برویم بجانب مطلوب که تمام شد در این مکان سرور من ـ فروبر ای زمین اشك مرا که کفایت کننده است وبیاشام ای نفس ازآبخوری که صافی شده باز گشتی توای خجسته عید من بسوی ما خوش آمدی نیکو چیزی است که خوشبو ساختی توای باد صبا (۱۰) یعنی هرکه در معصیت قدم نمیزند اگرچه بظاهر تنهاقدم میزند ولی در باطن باعوانی‌قدم میزندکه دیو نفس وشیطان وتبعهٔ ایشانند (۱۲) عاذل ملامت کننده است ووجه نسبت او باقفنس اینست که چنانچه از سیصد وشصت سوراخ منقار قفنس آواز بر می‌آید از عاذل افراط نصح بوقوع می‌پیوندد (۱٦) اشاره است بآیهٔ من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسیئة فلا یجزی الامثلها (واقعه در سورهٔ انعام) یعنی هرکه کار نکو کند مر اورا ده برابر آن باشد و هرکه کار بد کند جز مانندآن‌را سزا داده نشود .

یا منیر الخدّ یا روح البقا — اجتذب روحی (۱) وجدلی باللقا ۱ لی حبیبٌ حبه یشوی الحشا — لو یشا یمشی علی عینی مشا (۲)
پارسی گو گرچه تازی خوشتر است — عشق را خود صدزبان دیگر است ۲ بوی آن دلبر چو پرّان میشود — این زبانها جمله حیران میشود
پس کنم دلبر در آمد در خطاب — گوش شو والله اعلم بالصّواب ۳ چونکه عاشق توبه کرد اکنون بترس — کو چو عیاران کند بر دار درس
گر چه آن عاشق بخارا میرود — نی بدرس و نی باستا میرود ٤ عاشقان را شد مدرس حسن دوست — دفتر ودرس وسبقشان روی اوست
خامشند و نعرهٔ تکرارشان — میرود تا عرش و تخت یارشان ٥ درسشان آشوب و چرخ و زلزله — نی زیاداتست وباب وسلسله (۳)
سلسلهٔ این قوم جعد مشکبار — مسئلهٔ دور است لیکن دور یار ٦ مسئلهٔ کیس ارپرسدکس ترا (٤) — گو نگنجد گنج حق در کیسها
گر دم خلع و مبارا میرود — بد مبین ذکر بخارا میرود ۷ ذکر هر چیزی دهد خاصیتی — زانکه دارد هر صفت (٥) ماهیتی
در بخارا در هنرها بالغی — چون بخاری رو نهی زان فارغی ۸ آن بخاری غصهٔ دانش نداشت — چشم بر خورشید بینش میگماشت
هرکه درخلوت به بینش یافت راه — او ز دانشها نجوید دستگاه ۹ با جمال جان چو شد همکاسهٔ — باشدش ز اخبار و دانش تاسهٔ
دید بر دانش بود غالب فزا — زان همی دنیا بجوید عامه را ۱۰ ❀ زانکه دنیا را همی بینند عین — وآن جهانی را همی دانند دین
❀ بازروسوی حدیث آن جوان ۱۱ کز غم صدر جهان شد ناتوان

رو نهادن آن بندهٔ عاشق سوی بخارا

رو نهاد آن عاشق خونابه ریز — دل طپان سوی بخارا گرم وتیز ۱۳ ریگ آمو (٦) پیش او همچون حریر — آب جیحون پیش اوچون آب گیر
آن بیابان پیش او چون گلستان — می فتاد ازخنده اوچون گل ستان ۱٤ در سمرقند است قند امّا لبش — از بخارا یافت وان شد مذهبش
ای بخارا عقل افزا بودهٔ — لیك از من عقل و دین بربودهٔ ۱٥ بدر میجویم از آنم چون هلال — صدر میجویم در این صفّ فعال
چون سواد آن بخارا را بدید — در سواد غم بیاضی شد پدید ۱٦ ساعتی افتاد بیهوش و دراز — عقل او پرّید در بستان راز
بر سرو رویش گلابی میزدند — از گلاب عشق او غافل بدند ۱۷ او گلستانی نهانی دیده بود — غارت عشقش ز خود ببریده بود
تو فسرده در خور این دم نهٔ — با شکر مقرون نهٔ گرچه نئی ۱۸ رخت عقلت با تو هست و عاقلی — وز جنوداً لم تروها غافلی (۷)
❀ این سخن پایان ندارد تیزران ۱۹ تا رود سوی بخارا آن جوان

در آمدن آن عاشق لا ابالی در بخارا و تحذیر کردن دوستان اورا از پیدا شدن

اندر آمد در بخارا شادمان — پیش (۸) معشوق خود ودارالامان ۲۱ همچو آن مستی که پرّد بر اثیر — مه کنارش گیرد و گوید که گیر
هر که دیدش دربخارا گفت خیز — پیش از پیدا شدن منشین گریز ۲۲ که ترا میجوید آن شه خشمگین — تا کشد از جان تو ده ساله کین
الله الله در میا در خون خویش — تکیه کم کن بردم وافسون خویش ۲۳ شحنهٔ صدر جهان بودیّ و راد — معتمد بودی مهندس اوستاد
❀ هم مشیرش بودی وهم محترم — کشتی از بهر گناهی متهم ۲٤ غدر کردی وز جزا بگریختی — رسته بودی باز چون آویختی
از بلا بگریختی با صد حیل — ابلهی آوردت اینجا یا اجل ۲٥ ای که عقلت بر عطارد دق کند — عقل و عاقل را قضا احمق کند
نحس خرگوشی که باشد شیرجو (۹) — زیرکی و عقل و چالاکیت کو ۲٦ هست صد چندین فسونهای قضا — گفت اذا جاءالقضا ضاق الفضا
صدره ومخلص بود ازچپّ وراست ۲۷ از قضا بسته شود گر اژدهاست

جواب گفتن عاشق عاذلان و تهدید کنندگان را

گفت من مستسقیم آبم کشد — گرچه میدانم که هم آبم کشد ۲۹ هیچ مستسقی بنگریزد ز آب — گر دوصد بارش کند مات وخراب
گر بیاماسد مرا دست و شکم — عشق آب ازمن نخواهد گشت کم ۳۰ گویم آن گه که بپرسند از بطون — کاشکی بحرم روان بودی درون
خبك اشکم گو بدر از موج آب — گر بمیرم هست مرگم مستطاب ۳۱ من بهر جائی که بینم آب جو — رشکم آید بودمی من جای او
دست همچون دف (۱۰) شکم همچون دهل — طبل عشق آب میکوبم چو گل ۳۲ گر بریزد خونم آن روح الامین — جرعه جرعه خون خورم همچون زمین
چون زمین وچون جنین خون خواره ام — تا که عاشق گشته ام اینکاره ام ۳۳ شب همی جوشم درآتش همچودیگ — روزتا شب خون خورم مانند ریگ
من پشیمانم که مکر انگیختم — از مراد خشم او بگریختم ۳٤ گوبران برجان مستم خشم خویش — عید قربان اوست عاشق گاومیش
گاو اگر خسبد وگرچیزی خورد — بهرعید وذبح خود (۱۱) می پرورد ۳٥ گاو موسی دان مرا جان ذادهٔ — جزو جزوم حشر هر آزادهٔ
گاو موسی بود قربان گشتهٔ — کمترین جزوش حیات کشتهٔ ۳٦ بر جهید آن کشته زآسیبش ز جا — در خطاب اضربوه بعضها (۱۲)
یا کرامی اذبحوا هذا البقر — ان اردتم حشر ارواح النظر (۱۳) ۳۷ از جمادی مردم و نامی شدم — وز نما مردم بحیوان سر زدم
مردم از حیوانی و آدم شدم — پس چه ترسم کی زمردن کم شدم (۱٤) ۳۸ حملهٔ دیگر بمیرم از بشر — تا بر آرم از ملایك بال و پر

---

۱ ـ قلبی ٥ ـ عرض ٦ ـ هامون ۸ ـ شهر ۹ ـ او ۱۰ ـ چون دفّ و ۱۱ ـ او (ن . ل).

(۲) بکشید ای دوستان خیر خواه من که در کشتن حیات اندر حیاتست ای درخشنده رو وای جان پایندگی ببر روح مرا وبوصلم سر افراز کن مرا دوستی است که مهر او بریان کرده دل مرا اگر بخواهم بر چشم من برود میرود (۳) زیادات ازتألیفات امام محمد غزالی است درفقه و باب وسلسله نیز دو کتابند در مذهب حنفی (٤) مسئلهٔ کیس از مسائل حکمت طبیعی است که آتش صاعقه مرور میکند برکیسه و زر را میگدازد و کیسه را آسیبی نمیرساند چه زر مستحکم الجرم است و مقاومت با آتش و کیسه خاصّه متخلخل آن منافذ دارد و آتش صاعقه بسیار لطیف است نفوذ میکند در مسامات و بسرعت تمام بیرون میرود (۷) این آیه درسورهٔ توبه واقعشده و ایده بجنود لم تروها و قوت داد خدایتعالی پیغمبر خودرا بلشکرهای ملائکه که شما ندیدید آنهارا (۱۲) درسورهٔ بقره واقعشده «فقلنا اضربوه ببعضها کذلك یحی الله الموتی » پس گفتیم ما که بزنید آن کشته شده را بپارهٔ ازآن گاو (وهمچنانکه خدا آن مرده را زنده گردانید) زنده میگرداند خدا مردگان را (۱۳) ای کریمان بکشید این گاو را که عبارت از نفس است اگر طالبید حشر ارواح وجانهای با دانش را (۱٤) زیرا که این موتات وحیوانات استکمالاتست بترتیب طولی واین استکمال چنان است که مستکمل هرچه در فعلیات در اول تحصیل کرده در ثانی الحال داشته باشد مع شیٔ زائد چنانکه آنچه از قوای فعلیه در

وز ملك هم بایدم جستن ز جو / کل شیٔ هالك الاّ وجهه ۱ بار دیگر از ملك قربان شوم / آنچه اندر وهم ناید آن شوم
پس عدم گردم عدم چون ارغنون / گویدم کانا الیه راجعون ۲ مرگ دان آن کاتفاق امّت است / کاب حیوانی نهان درظلمت است
همچو نیلوفر برو زین طرف جو / همچو مستسقی حریص ومرگ جو ۳ مرگ او آبست واو جویای آب / می خورد والله اعلم بالصواب
ای فسرده عاشق ننگین نه (۱) / کو ز بیم جان ز جانان میرمد ۴ سوی تیغ عشقش ای ننگ زنان / صدهزاران جان نگر دستك زنان
جوی دیدی کوزه اندر جوی ریز / آب را از جوی کی باشد گریز ۵ آب کوزه چون در آب جو شود / محوگردد دروی و جو (۲) اوشود
وصف او فانی شد و ذاتش بقا / زین سپس نی کم شود نی بد لقا ۶ خویش را بر نخل او آویختم / عذر آنرا که از او بگریختم
همچوگوئی سجده کن بر رو وسر ۷ جانب آن صدر شد با چشم تر

رسیدن آن عاشق بمعشوق خویش چون دست از جان بشست

بارخ چون زعفران واشك روان / رفت آن بیدل سوی صدر جهان ۹ هم کفن هم تیغ اندر دست او / چون که بود اوعاشق وسرمست او
جمله خلقان منتظر سر در هوا / کش بسوزد یا بر آویزد ورا ۱۰ این زمان این احمق یك لخت را / آن نماید که زمان بدبخت را
همچو پروانه شرر را نور دید / احمقانه درفتاد از جان برید ۱۱ لیك شمع عشق چون آن شمع نیست / روشن اندرروشن اندرروشنی است
او بعکس شمعهای آتشی است ۱۲ مینماید آتش وجمله خوشی است

صفت آن مسجد که مهمان کش بود وآن عاشق مرگ جوی لاابالی که در آن مسجد مهمان شد

یك حکایت گوش کن ای نیك پی / مسجدی بُد بر کنار شهر ری ۱۴ هیچکس در وی نخفتی شب زبیم / که نه فرزندش شدی آن شب یتیم
هرکه دروی بیخبر چون کور رفت / صبحدم چون اختران درگور رفت ۱۵ خویشتن را نیك ازاین آگاه کن / صبح آمد خواب را کوتاه کن
هرکسی گفتی که بریانند تند / اندر آن مهمان کشان با تیغ کند ۱۶ واندگر گفتی که سحراست وطلسم / که رصد بسته است ببر (۳) جان وجسم
آن دگر گفتی که برنه نقش فاش / بردرش کای میهمان اینجا مباش ۱۷ شب مخسب اینجا اگر جان بایدت / ورنه مرگ اینجا کمین بگشایدت
واندگر گفتا که قفلی برنهید (٤) ۱۸ غافلی کاید شما کم ره دهید

آمدن مهمان در آن مسجد

تا یکی مهمان در آمد وقت شب / که شنیده بود آن صیت عجب ۲۰ از برای آزمون می آزمود / زانکه بس مردانه وجان سیر بود
گفت کم گیرم سر و اشکمبهٔ / رفته گیر از گنج زر (٥) یکحبهٔ ۲۱ صورت تن گو برو من کیستم / نقش کم ناید چو من باقیستم
چون نفخت (٦) بودم ازلطف خدا / نفخ حق باشم زنای تن جدا ۲۲ تا نیفتد بانگ نفخش اینطرف / تا رهد آن گوهر ازننگین صدف
چون تمنّوا الموت گفت ای صادقین (۷) ۲۳ صادقم جان را برافشانم برین

ملامت کردن اهل مسجد مهمان عاشق را از شب خفتن درآنجا وتهدید کردن مر اورا

قوم گفتندش که هین اینجا مخسب / تا نکوبد جانستانت همچو کسب ۲۵ که غریبی و نمیدانی تو حال / کاندراینجا هرکه خفت آمد زوال
اتفاقی نیست این ما (۸) بارها / دیده ایم و جمله اصحاب نهی ۲۶ هرکه این مسجد شبی مسکن شدش (۹) / نیم شب مرگ هلاهل آمدش (۱۰)
ازیکی تا پانصد این را (۱۱) دیده ایم / نی بتقلید از کسی بشنیده ایم ۲۷ گفت الدین النصیحة آن رسول (۱۲) / آن نصیحت در لغت ضدّ غلول
آن نصیحت راستی در دوستی / در غلولی خاینی سگ پوستی ۲۸ بی خیانت این نصیحت از وداد / مینمائیمت مگرد از عقل وداد

جواب گفتن عاشق عاذلان را

گفت او ای ناصحان من بی‌ندم / از جهان و زندگی سیر آمدم ۳۰ منبلم بی زخم ناساید تنم / عاشقم بر زخمها بر می تنم

مقام نباتی بود در مقام حیوانی هست و آنچه از قوای فعلیه در مقام حیوانی بود از قوای طبیعیهٔ حیوانند محرکه ومدرکه درمقام انسانی بشری هست مع قوای انسانیه و آنچه در کل است در انسان کامل هست پس تبدیل استکمالی مثل تبدّل انقلابات واستحالات نیست که خلع ولبس باشد بلکه لبس ثم لبس وربح ثم ربح است و نقدان نیست مگر نقایص وعدمیات من حیث النقیصه والعدم وآنانکه میترسند از اهل حسّ اند وجود مجرد و کمال آنرا نمیرسند وتا استکمالات و تبدلات حسیه است موت نیست بلکه ابتهاج است وچون استکمال عقلی وملکی فوق آنست کالعدم است زیرا که وجود رابطی باو ندارد وچون هست حسی وخیالی است واستکمال عقلی وملکی محسوس نیست و ازعقل ضعیفی دارد یا استعدادی عقل جزئی عقل را بد نام کرد . (مرحوم حاجی سبزواری)

---

۲ ـ چون ۳ ـ باشد عدوی ٤ ـ وان یکی گفتی که شب قفلی نهید ٥ ـ جان ۸ ـ جا ۹ ـ هرکه اینجا گشت یکشب میهمان ۱۰ ـ نیمشب مرگ آمد اورا ناگهان ۱۱ ـ ما تا بصد این (ن . ل) .

---

۱ ـ در روزگار قدیم کسانی را که زره از برای حرب میسر نبودی نمد را نم کرده پوشیدندی ومولوی را مراد همان است بالنسبه بحال این عاشق (٦) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ حجر ونفخت فیه من روحی ومعنی شعر این است : روح چون دم مبارك حق است وحق مجرد است پس دم مبارك مجرداست ازنای تن وآن از عالم امر است وتن از عالم خلق (ودر بعضی نسخ زنای « حق جدا » یعنی رها شده ازنای حق صور اسرافیل است) (۷) این آیه در سورهٔ جمعه واقعشده قل یا ایها الّذین هادوا ان زعمتم انکم اولیاء الله من دون الناس فتمنوا الموت ان کنتم صادقین (۱۲) قال النبی صلی الله علیه وآله وسلم الدین النصیحة لله ولرسوله ولکتابه ولائمة المسلمین و عامتهم فرمود پیغمبر که دین نصیحت است برای خدا ونصیحت ارادهٔ خبراست برای منصوح له واصل نصیحت خلوص است پس نصیحت برای خدا صحت اعتقاد است دروحدانیت و تخلیص او تعالی شأنه از شرکا وانداد وخالص ساختن درعبادت اوعزّ وجل ونصیحت برای رسول خدا تصدیق به نبوت اوست و طاعت وانقیاد بآنچه از حق تعالی آورده از اوامر ونواهی ونصیحت برای کتاب خدا تصدیق وانقیاد بوی وعمل نمودن بآنچه در وی است ونصیحت برای ائمه مسلمین اطاعت وعدم خروج است برایشان ومعاونت و معاضدت ایشان در اعلاء کلمهٔ حق ونصیحت برای عامهٔ مسلمین تلقین ارکان اسلام وارشاد احکام شرعیه است .

منبلی ام زخم جوّ و زخم خواه — عافیت کم جوی از منبل براه ۱ منبلی نی کو بود خود برگ جو — منبلی ام لا ابالی مرگ جو
منبلی نی کو بکف پول آورد — منبلی چستی کزین پل بگذرد ۲ آن نه کو برهردکانی بر زند — بل‌جهد از کون وبرکانی(۱) زند
مرگ شیرین‌گشت وتقلم زین‌سرا — چون قفس هشتن پریدن مرغ را ۳ آن قفس که هست عین باغ در — مرغ می بیند گلستان و شجر
جوق مرغان از برون گرد قفس — خوش همی‌خوانند زآزادی قصص ٤ مرغ‌را اندرقفس زان سبزه زار — نی‌خورش مانده‌است نی‌صبروقرار
سر زهر سوراخ بیرون میکند — تا بود کاین بند از پا برکند ٥ چون‌دل وجانش‌چنین بیرون بود — آن قفس را درگشائی چون بود
نی‌چنان مرغ قفس در اندهان(۲) — گرد برگردش بحلقه گربگان (۳) ٦ کی بود اورا درآن‌خوف وحزن — آرزوی از قفس بیرون شدن
اوهمی‌خواهد کزاین‌ناخوش حفص ۷ صد قفس باشد بگرد این قفس

بیان آنکه عشق جالینوس براین‌حیات دنیابودکه هنراوهمین‌جا بکارمی‌آید وهنری اورزیده‌است که درآن بازار بکارآیدآنجا خودرا بعوام یکسان می‌بیند

آنچنانکه گفت جالینوس راد — از هوای اینجهان و از مراد ۱۰ راضیم کز من بماند نیم جان — که ز کون استری بینم جهان
گربه می بیند بگرد خود قطار — مرغش آیس گشته‌وداست(٤)ازمطار ۱۱ یا عدم دیده است غیر این جهان — درعدم نادیده او حشر (٥) نهان
چون جنین‌کش‌میکشد بیرون‌کرم — می گریزد او سپس سوی شکم ۱۲ لطف رویش سوی مصدرمیکند — او مفر (٦) در پشت مادر میکند
که اگر بیرون نهم زین شهرگام — ای‌عجب دیگر نه‌بینم (۷) این مقام ۱۳ یا دری بودی دراین شهر وخم — تا نظاره کردمی اندر رحم
یا چو چشم سوزنی راهم بدی — که زبیرون آن رحم دیده شدی ۱٤ این جنین هم غافلست از عالمی — همچو جالینوس او نا محرمی
او نداند کان رطوباتی که هست — آن مدد از عالم بیرونی است ۱٥ آنچنانکه چار عنصر در جهان — صد مدد دارد ز شهر لامکان
آب ودانه در قفس‌گر یافته است — آن زباغ و عرصهٔ در تافته است ۱٦ جانهای انبیا بینند باغ — زین قفس در وقت نقلان وفراغ
پس ز جالینوس و عالم فارغ اند — همچو ماه اندر فلکها بازغند ۱۷ ورزجالینوس این‌قول(۸)افتریست — پس جوابم بهر جالینوس نیست
این جواب آنکس آمدکاین بگفت — که نبودستش دلی با نور جفت ۱۸ مرغ جانش موش‌شد سوراخ جو — چون‌شنیدازگربگان‌اوعرّجوا(۹)
زان‌سبب جانش وطن دید وقرار — اندرین سوراخ دنیا موش وار ۱۹ هم درین سوراخ بنّائی گرفت — درخور سوراخ دانائی گرفت
پیشهائی که مر اورا در مزید — اندرین سوراخ کارآید گزید ۲۰ زانکه دل برکند ازبیرون شدن — بسته شد راه رهیدن از بدن
عنکبوت ار طبع عنقا داشتی — از لعابی خیمه کی افراشتی ۲۱ گربه کرده چنگ خود اندر قفص — نام چنگش درد و سرسام ومغص
حصبه و قولنج و مالیخولیا — سکته و سلّ و جذام و ماشرا ۲۲ گربه مرگست و مرض چنگال او — میزند بر مرغ و پرّ و بال او
گوشه گوشه میدود سوی دوا — مرگ چون قاضیّ ورنجوری‌گوا ۲۳ چون پیادهٔ قاضی آمد این گواه — که همی خواند ترا تا حکم گاه
مهلتی خواهی تو ازوی درگریز — گر پذیرد شد وگرنه گفت خیز ۲٤ جستن مهلت دوا و چارها — که زنی بر خرقهٔ تن پارها
عاقبت‌آید صباحی خصم(۱۰) وار — چند باشد مهلت آخر شرم دار ۲٥ عذرخود ازشه بخواه ای برحسد — پیش‌ازآن‌که آنچنان روزی رسد
وانکه در ظلمت براند بارگی — برکند زان نور دل یکبارگی ۲٦ میگریزد از گواه و مقصدش — کان گوا سوی قضا میخواندش
ناگهان‌گیرند اورا خوار وزار — کشکشان تا پیش قاضی شرمسار ۲۷ زین گذرکن جانب‌آن‌شخص ران — کو بمسجد آمد آنشب میهمان

ملامت‌کردن اهل مسجد مهمان را از شب خفتن در آن مسجد

قوم گفتندش مکن جلدی برو — تا نگردد جامهٔ جانت گرو ۲۹ آن ز دور آسان نماید به نگر — که بآخرسخت باشد رهگذر (۱۱)
بس‌کساکاویخت‌خودراازنخست(۱۲) — وقت پیچاپیچ دست‌آویز جست ۳۰ پیشتر از واقعه آسان بود — در دل مردم خیال نیك و بد
چون درآید اندرون کار زار — آن زمان گردد برآن‌کس‌کار زار ۳۱ چون نه‌شیری هین‌منه توپای پیش — کان‌اجل‌گرگست وجان تست‌میش
ور ز ابدالی و میشت شیر شد — ایمن‌آ که‌گرگ (۱۳) توسرزیرشد ۳۲ کیست ابدال‌آنکه او مبدل شود — خمرش از تبدیل یزدان خل شود
لیك مستی شیر گیری وز گمان — شیر پنداری تو خود را هین مرپان ۳۳ گفت حق زاهل نفاق نا سدید — بأسهم ما بینهم بأس شدید(۱٤)
درمیان حمله‌گر (۱٥) مردانه‌اند — در غزا چون عورتان خانه اند ۳٤ گفت پیغمبر سپهدار غیوب — لاشجاعة یافتی‌قبل‌الحروب (۱٦)
وقت لاف غزو مستان کف‌کنند — وقت جوش جنگ چون‌کف بی‌فنند ۳٥ وقت ذکر غزو شمشیرش دراز — وقت کرّ و فرّ تیغش چون پیاز
وقت اندیشه دل او زخم جو — وقت ضربت میگریزدکو بکو (۱۷) ۳٦ من عجب دارم ز جویای صفا — کو رمد در وقت صیقل از جفا
عشق چون دعوی جفا دیدن گواه — چون‌گواهت نیست شددعوی تباه ۳۷ چون‌گواهت‌خواهد این‌قاضی‌مرنج — بوسه ده بر مار تا یابی تو گنج
آن جفا با تو نباشد ای پسر — بلکه با وصف بدی اندر تو در ۳۸ بر نمد چوبی که آنرا مرد زد — بر نمد آن را نزد بر گرد زد
گر بزد مر اسب را آن‌کینه‌کش — آن نزد بر اسب زد بر سکسکش ۳۹ تا زسکسك وارهد خوش بی‌شود — شیره را زندان کنی تا می شود
آن یکی میزد یتیمی را بقهر — قند بودآن لیك بنمودی چوزهر ٤۰ دید مردی آنچنانش زار زار — آمد و بگرفت زودش در کنار
گفت چندان‌آن یتیمك را زدی — چون نترسیدی ز قهر ایزدی ٤۱ گفت اورا کی‌زدم ایجان و دوست — من برآن دیوی زدم‌کو اندروست
مادر ار گوید ترا مرگ تو باد — مرگ آن خو خواهد ومرگ فساد ٤۲ آن گروهی کز ادب بگریختند — آب مردی واب مردان ریختند
عاذلانشان از وغا وارانده‌اند — تا چنین حیز و مخنّث مانده‌اند ٤۳ لاف غرّهٔ ژاژخا را کم شنو — با چنینها در صف هیجا مرو

---

۱ ـ کانی بر ۲ ـ اندوهگین ۳ ـ گربگان گردش نشسته در کمین ٤ ـ بوده مانده ٥ ـ محشر را ٦ ـ مقر ۷ ـ بینم بدیده ۸ ـ گفت ۱۰ ـ خشم ۱۱ ـ ای پسر ۱۲ ـ خویشتن آویخت بس مرد و سکست ۱۳ ـ مرگ ۱٥ ـ همدگر ۱۷ ـ پس بیك سوزن تهی‌شد خیك او (ن . ل) .

---

(۹) یعنی بالاروید بردرختان ازجهت گرفتن‌مرغان (۱٤) درسورهٔ حشر واقع شده بأسهم بینهم شدید تحسبهم جمیعاً وقلوبهم شتی (۱٦) یعنی شجاعت آن نیست که قبل از جنگ نشان داده شود ای جوان .

زانکه زادوکم خبالا گفت حق(۱) کز رفیق سست بر گردان ورق ۱ که گر ایشان با شما همره شوند غازیان بیمغز همچون کُه شوند
خویشتن را باشما هم کف کنند پس گریزند و دل صف بشکنند ۲ پس سپاهی اندکی بی این نفر به که با اهل نفاق آید حشر
هست بادام کم خوش بیخته به ز بسیار بلخ آمیخته ۳ تلخ وشیرین گر بصورت یك شی اند(۲) نقص ازآن افتاد که همدل نیند(۳)
گبر ترسان دل بود کو از گمان میزید در شك ز حال آن جهان ۴ میرود در ره نداند منزلی گام ترسان مینهد اعمی دلی
چون نداند ره مسافر چون رود با تردّدها و دل بر خون رود ۵ هر که گوید های اینسو راه نیست اوکند ازبیم آنجا وقف و ایست
ور بداند ره دل با هوش او کی رود هر های وهو درگوش او ۶ پس مشو همراه این اشتر دلان زانکه وقت ضیق و بیمند آفلان
پس گریزند و تُرا تنها هلند گرچه اندر لاف سحر بابلند ۷ تو ز رعنایان مجو هین کارزار تو ز طاوسان مجو صید و شکار
طبع طاوس است و وسواست کند ۸ دم زند تا (٤) از مقامت برکند

گفتن شیطان قریش را که بجنگ احمد آئید که من یاریها کنم وقبیلهٔ خود را بیاری خوانم و وقت ملاقات صفّین گریختن او

❀ همچو شیطان کز وساوس بر قریش دم دمید وگفت گرد آرید جیش ۱۱ ❀ تا که بر احمد هزیمت افکنیم بیخ و بنیاد از زمینش برکنیم
همچو شیطان درسپه شد صد یکم خواند افسون کانّی جارٌ لکم ۱۲ ❀ چون سپه گرد آمدند ازگفت او کرد با ایشان بجلت گفتگو
❀ که بیارم من قبیلهٔ خویش را ❀ مرشما را عون ویاریها کنم ۱۳ تا سپاه دشمنان تان بشکنم
چون قریش ازگفت او حاضر شدند(۵) هر دو لشکر در ملاقات آمدند ۱٤ دید شیطان از ملایك اسپهی سوی صفّ مؤمنان اندر رهی
آن جنوداً لم تروها صف زده (٦) گشت جان او ز بیم آتشکده ۱۵ پای خود وا پس کشیده میگرفت که همی بینم سپاهی بس شگفت
ای اَخاف الله مالی منه عون اذهبوا انّی اری مالا ترون (۷) ۱٦ گفت حارث ای سراقه شکل هین دی چرا تو می نگفتی این چنین
گفت این دم من همی بینم حرب گفت می بینی جماعشیش عرب ۱۷ می نبینی غیراین لیك ای تونگ آن زمان لاف بود این وقت جنگ
دی همی گفتی که پایندان شدم که بودتان فتح و نصرت دمبدم ۱۸ دی زعیم الجیش بودی ای لعین وین زمان ناچیز و نامرد ومهین
تابخوردیم آن دم تو وآمدیم (۸) توبتون رفتیّ وماهزمشدیم(۹) ۱۹ چونکه حارث با سراقه گفت این از عتابش خشمگین شد آن لعین
دست خود خشمین زدست اوکشید چون زگفت اوش درد دل رسید ۲۰ سینه اش راکوفت شیطان وگریخت خون آن بیچارگان زین مکر ریخت
چونکه ویران کرد چندین عالم او پس بگفت انی بَریءٌ منکمُ (۱۰) ۲۱ کوفت اندر سینه و انداختش پس گریزان شد چو هیبت تاختش
نفس وشیطان هردویك تن بوده اند در دوصورت خویش را بنموده اند ۲۲ چون فرشته وعقل کایشان یك بدند بهر حکمتهاش دو صورت شدند
دشمنی داری چنین در سِرّ خویش مانع عقلست وخصم جان و کیش ۲۳ یکنفس حمله کند چون سوسمار پس بسوراخی گریزد در فرار
در دل او سوراخها دارد کنون سر زهر سوراخ می آرد برون ۲٤ نام پنهان گشتن دیو از نفوس واندران سوراخ رفتن شد خنوس
که خنوسش چون خنوس قنفذ است چون سر قنفذ ورا آمد شداست ۲۵ که خدا آن دیوراخناس خواند(۱۱) که سر آن خار پشتك را بماند
می نهان گردد سر آن خار پشت دمبدم از بیم صیاد درشت ۲٦ تا چو فرصت یافت سرآرد برون زین چنین مکری شود مارش زبون
گر نه نفس ازاندرون راهت زدی(۱۲) رهزنان را بر تو دستی کی بدی ۲۷ زان عوان مقتضی که شهوتست دل اسیر حرص و آز و آفت است
زان عوان سرّ شدی دزد وتباه تا عوانان را بقهر تست راه ۲۸ در خبر بشنو تو این پند نکو بین جنبیکم لکم اعدا عدوّ (۱۳)
طمطراق این عدو مشنو گریز کوچوابلیس است درلج(۱٤)وستیز ۲۹ بر تو او از بهر دنیا و نبرد آن عذاب سر مدی را سهل کرد
چه عجب گر مرگ را آسان کند او زسحرخویش صد چندان کند ۳۰ سحر کاهی را بصنعت که کند باز کوهی را چو کاهی می تند
زشتها را نغز گرداند بفن نغزها را زشت گرداند بظن ۳۱ آدمی را خر نماید ساعتی آدمی سازد خری را زایتی
کار سحر این است کو دم میزند هر نفس قلب حقایق میکند ۳۲ این چنین ساحر درون تست سرّ اِنّ فی الوسواس سحراً مستمر(۱۵)
اندرآن عالم که هست این سحرها ساحران هستند جادوئی گشا ۳۳ اندران صحرا که رست این زهرتر نیز روئیده است تریاق ای پسر
گویدت تریاق از من جو سپر که ز زهرم من بتو نزدیکتر ۳٤ گفت او سحر است و ویرانیّ تو گفت من سحراست ودفع سحراو
گفت پیغمبر که انّ فی البیان سحراً(۱٦)حق گفت آن خوش پهلوان ۳۵ ❀ لیك سحری دفع سحر ساحران مایهٔ تریاك باشد در بیان
❀ آن بیان اولیا و اصفیا است کز همه اغراض نفسانی جداست ۳٦ ❀ حاصل آن کز زهر نفس دون گریز نوش کن تریاق مرشدُ چست وتیز
❀ این طلسم سحر نفس اندرشکن سوی گنج پیر کامل نقب زن ۳۷ بس درازاست این سوی آغاز ران جانب مهمان و مسجد باز ران
زین گذر کن باز تا مسجد بیا ۳۸ قصهٔ مهمان بگو وان ماجرا

---

۲ ـ بوند ۳ ـ لیك ضدانند در معنی دو اند ٤ ـ تا زنی دم ۵ ـ صفها زدند ۸ ـ شوم ترا ۹ ـ اوفتادیم اندرین دام بلا ۱۲ ـ رهزن شدی ۱٤ ـ مکر ۱۵ ـ شراً استتر (ن . ل) .

---

(۱) اشاره است بآیه واقعه درسورهٔ توبه «لو خرجوا فیکم مازادوکم الا خبالاً ولا وضعوا خلالکم یبغونکم الفتنة وفیکم سماعون لهم والله علیمٌ بالظالمین» یعنی اگر بیرون آمدندی درمیان شما نفزودندی شمارا مگر تباهی و مگر غدر و در میان شما سخن چینی وافساد میجستند و میان شما شنوندگانند مر ایشان را وخدا داناست برظلم کنندگان (٦) اشاره بآیه واقعهٔ درسورهٔ توبه وانزل جنوداً لم تروها فرستادیم ما لشکری که دیده نمیشدند (۷) میترسم از خدا که یاری ازآن برای من نیست بروید که من می بینم آنچه شما نمی بینید (۱۰) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ انفال واذ زیّن لهم الشیطان اعمالهم وقال لاغالب لکم الیوم من الناس وانی جارٌ لکم فلما ترائت الفئتان نکص علی عقبیه و قال انّی بریءٌ منکم انی اری مالاترون انی اخاف الله والله شدید العقاب (۱۱) اشاره است بآیه من شرّ الوسواس الخناس الذی یوسوس فی صدور الناس در سورهٔ ناس (۱۳) اشاره است باین حدیث نبوی « اعدا عدوك نفسك التی بین جنبیك یعنی بدترین دشمنان تو نفس تست که درمیان دوپهلوی تست (۱٦) قال النبی صلی الله علیه و آله انّ من البیان لسحراً یعنی بدرستیکه بعضی از بیانها حکم سحردارد و جذب میکند شنونده را .

مکرر کردن عاذلان پند را بر آن مهمان مسجد مهمان‌کش

هین مکن جلدی (۱) بروای بوالکرم — مسجد و مارا مکن زین متهم ۲ گر بگوید دشمنی از دشمنی — آتشی در ما زند فردا دنی
که بتاسانید او را ظالمی (۲) — بر بهانهٔ مسجد او بد سالمی ۳ تا بهانهٔ قتل بر مسجد نهد — چون که بد نامست مسجد او جهد
تهمتی بر ما منه ای سخت جان — که نه‌ایم ایمن ز مکر دشمنان ۴ هین برو جلدی مکن سودا مبز — که نتان پیمود کیهان (۳) را بگز
چون تو بسیاران بلافیده ز بخت — ریش‌خود برکنده‌یك یك‌لخت‌لخت ۵ هین برو کوتاه کن این قیل‌وقال — خویش و مارا در میفکن در وبال

جواب‌گفتن مهمان ایشان‌را و مثل‌آوردن بدفع کردن حارس کشت بیانگ دف از کشت اشتری‌را که کوس محمودی بر پشت او زدندی

گفت ای یاران ازآن دیوان نیم — که ز لاحولی ضعیف آید بیم ۸ کودکی‌کو حارس کشتی بدی (٤) — طبلکی دردفع مرغان میزدی (٥)
تارمیدی مرغ‌ازآن‌طبلك (٦) زکشت — کشت‌ازمرغان‌سلامت‌میگذشت (۷) ۹ چونکه سلطان شاه محمود کریم — بر گذر زد آن طرف خیمهٔ‌عظیم
با سپاهی همچو استارهٔ اثیر — انبه و پیروز و صفدر ملك‌گیر ۱۰ اشتری بد کو بدی حمال کوس — بختئی بد پیشرو همچون خروس
بانگ‌کوس وطبل بروی روزوشب — میزدندی در رجوع و در طلب ۱۱ اندر آن مزرع در آمد آن شتر — کودك آن طبلك بزد درحفظ بر
عاقلی گفتش مزن طبلك که او — بختی طبل‌است و با آتشست خو ۱۲ پیش او چبود تبوراك تو طفل — که‌کشداوطبل‌سلطان‌بیست‌کفل (۸)
عاشقم من کشتهٔ قربان لا — جان من نوبتگه طبل بلا ۱۳ خود تبوراکست این تهدید ها — پیش آنچه دیده‌است این دیدها
ای حریفان من از آنها نیستم — کز خیالاتی در این ره بیستم ۱٤ من چو اسماعیلیانم بی حذر (۹) — بل چو اسماعیل آزادم ز سر
فارغم از طمطراق و از ریا — قل تعالوا گفت جانم را بیا ۱٥ گفت پیغمبر که جاد فی‌السلف — بالعطیة مس تیقن بالخلف (۱۰)
هر که بیند مرعطا را صد عوض — زود در بازد عطا را زین غرض ۱٦ جمله در بازار از آن گشتند بند — تا چو سود افتاد مال خود دهند
زر در انبانها نشسته منتظر — تا که سود آید ببذل آید مصر ۱۷ چون ببیند کالهٔ در رنج بیش — سردگردد عشقش ازکالای‌خویش
گرم زان‌مانده‌است با آن کوندید — کالهای خویش را ربح و مزید ۱۸ همچنین علم و هنر ها و حرف — چون ندید افزون ازآنهادرشرف
تابه‌ازجان نیست جان باشد عزیز — چون به‌آمد نام جان شد چیز لیز ۱۹ لعبت مرده بود جان طفل را — تا نگشت او در بزرگی طفل زا
این تصوّر وین تخیّل لعبت‌است — تا توطفلی پس بدانت حاجت‌است ۲۰ ❀چون‌زطفلی‌رست‌جان‌شددروصال[۱۱] — فارغ ازحس است وتصویروخیال
نیست محرم تا بگویم بی نفاق — تن زدم والله اعلم بالوفاق ۲۱ مال و تن برفند ریزان فنا — حق خریدارش که الله اشتری
برفها زان از ثمن اولیستت — که تو در شکی یقینی نیستت (۱۲) ۲۲ وین‌عجب ظنی‌است درتو ای‌مهین — که نمی پرّد بیستان یقین
هرگمان تشنهٔ یقین‌است ای پسر — میزند اندر تزاید بال و پر ۲۳ چون رسد در علم پس پریا شود — مر یقین را علم او پویا شود
زانکه هست اندر طریق مفتتن — علم کمتر از یقین و فوق ظن ۲٤ علم جویای یقین باشد بدان — وان یقین جویای دیداست وعیان
اندر الهکم بجو این را کنون — ازپس کلاّ پس لوتعلمون (۱۳) ۲٥ می‌کشد دانش به بینش ای علیم — گر یقین بودی بدیدندی جحیم
دید زاید از یقین بی امتهال — آنچنان کز ظن همی زاید خیال ۲٦ اندر الهکم بیان این ببین — که شود علم الیقین عین الیقین
از گمان و از یقین بالا ترم — وز ملامت بر نمیگردد سرم ۲۷ چون دهانم خورد از حلوای او — چشم روشن گشتم و بینای او
یا نهم گستاخ چون خانه روم — یا نلرزانم نه کورانه روم ۲۸ آنچه‌گل راگفت حق خندانش‌کرد — با دل من‌گفت وصد چندانش کرد
آنچه زد برسرو وقدّش‌راست‌کرد — وانچه ازوی نرگس‌ونسرین‌بخورد ۲۹ آنچه نی راکرد شیرین جان ودل — وآنچه خاکی‌یافت زان نقش‌چگل
آنچه ابرو را چنان طرّ ارساخت — چهره را گلگونه و گلنار ساخت ۳۰ مرزبان را داد صد افسون‌گری — وآنچه کان‌را داد زرّ جعفری
چون در زّراد خانه باز شد — غمزهای چشم تیرانداز شد ۳۱ بر دلم زد تیر و سودائیم کرد — عاشق شکر و شکر خائیم کرد
عاشق آنم که هرآن آن اوست — عقل‌وجان جان‌دار یك‌مرجان‌اوست ۳۲ من نلافم ور بلافم همچو آب — نیست در آتش کشی‌ام اضطراب
چون‌بدزدم‌چون‌حفیظ‌مخزن‌اوست — چون‌نباشم سخت‌روپشت‌من‌اوست ۳۳ هر که ازخورشید باشد پشت‌گرم — سخت روباشد نه بیم اورانه شرم
همچو روی آفتاب بی حذر — گشت رویش‌خصم سوز و پرده در ۳٤ هر پیمبر سخت رو بُد در جهان — یکسواره کوفت بر جیش شهان
رو نگردانید از ترس و غمی — یك تنه تنها بزد بر عالمی ۳٥ سخت روشد سنگ ثابت بارسوخ — او نترسد از جهان پر کلوخ
کان‌کلوخ ازخشت‌زن‌یك‌لخت‌شد — سنگ از صنع خدائی سخت شد ۳٦ گوسفندان گر بروند از حساب — زانبهیشان کی بترسد آن قصاب
کُلکم راعٍ نبی‌چون راعی است — خلق مانند رمه او ساعی است ۳۷ از رمه چوپان نترسد در نبرد — لیکشان حافظ بود از گرم وسرد
گر زند بانگی زقهر او بر رمه — دان زمهراست آن‌که دارد برهمه ۳۸ هر زمان گوید بگوشم بخت نو — گر ترا غمگین کنم غمگین مشو
من ترا گریان وغمگین زان‌کنم — تا کت از چشم بدان پنهان کنم ۳۹ تلخ گردانم ز غمها خوی تو — تا بگردد چشم بد از روی تو

---

۱ ـ قوم گفتندش ۳ ـ گردون ـ کیوان ٤ ـ نکو ٥ ـ میزد او ٦ ـ تا رمیدندی ازآن مرغان ۷ ـ بد بی خوف گشت (ن . ل) .

(۲) یعنی ظالمی گلوی اورا بفشرد (۸) تو که طبل کوچك طفلی میزنی‌چه تأثیری نزد آن شتر داردکه بیست قسمت طبل سلطان را میکشد و تبوراك طبل کوچك اطفال وطبلی است که زارعین برای رماندن مرغان میزنند (۹) من مثل‌اسماعیلیان‌که فدائیان باشند ترسی ندارم (۱۰) جود کرد در زمان‌گذشته بعطا و بخشش کسی‌که جزم کرد بخلف یعنی بپاداش وثواب آن (۱۱) که عقل بالغ وکلی شد مجرّد و بی‌نیاز از تن و قوی تن شد بجزئی بی‌بقا وبی بنا مبالات ندارد ومکتفی بذات وباطن‌ذات خود میشود وعالم بجزئیات حضوری میگردد وهرجزئی ازدیدنی وشنیدنی وغیراینها باجمیع جزئیات دیگرمدرك اومیشود مظهر من لایشغله شأن عن شأن ولایحجبه‌شیءعن شیءٍ ولایلهیه قول عن قول‌میگردد (۱۲) یعنی برفی که مال و تن باشد ازآن‌جهت اولی است از ثمن وقیمت که جنت خاصه جنت صفات باشد در نظر تو که اینهارا فدا نمیکنی که تو اهل یقین نیستی والامیگفتی ـ درمشت خاك من چه بود لایق نثار ـ هم از تو جان ستانم و سازم فدای تو (۱۳) درسورهٔ تکاثرهست الهیکم‌التکاثر حتی زرتم‌المقابر الخ مشغول کرد شمارا فخرکردن بسیاری قوم تاحدّی که آمدید بگورستانها ومردگان را شمار کردید .

نی تو صیادیّ و جویای منی — بنده و افکندهٔ رای منی ۱ حیله اندیشی که در من دررسی — در فراق و جستن من بیکسی
چاره می جوید پی من درد تو — می شنودم دوش آه سرد تو ۲ می توانم هم که بی این انتظار — ره دهم بنمایمت راه گذار
تا ازین گرداب دوران وارهی — بر سر گنج وصالم پا نهی ۳ لیك شیرینیّ و لذّات مقرّ — هست بر اندازهٔ رنج سفر
آنکه ازشهروزخویشان برخوری — کز غریبی رنج و محنتها بری ٤ هرچه آسان یافتی آسان دهی — درد مشکل یاب را بر جان نهی

تمثیل گریختن مؤمن وبی صبری او در بلا باضطراب وبیقراری نخود بجوش در دیگ تا بیرون جهد ومنع کدبانو

بشنو این تمثیل وقدر خود بدان — از بلاها رو مگردان ای‌جوان ۷ درنخود بنگر که اندر دیگ چون — می‌جهد بالا چوشد زآتش زبون
هر زمانی می برآید وقت جوش — بر سردیگ وبرآرد صد خروش ۸ که چرا آتش بمن در میزنی — چون‌خریدی‌چون‌نگونم (۱)میکنی
میزند کفلیز کدبانو که نی — خوش بجوش وبرمجه زآتش‌کنی ۹ زان نجوشانم(۲) که مکروه منی — بلکه تا گیری تو ذوق و چاشنی
تا غذا گردی بیامیزی بجان — بهر خواری نیست این امتحان ۱۰ آب میخوردی بستان سبز و تر — بهر این آتش بُد است‌آن آبخور
رحمتش‌سابق‌بده‌است‌ازقهرزان(۳) — تا ز رحمت گردد اهل امتحان ۱۱ رحمتش‌برقهرازآن سابق شدست — تا که سرمایهٔ وجود آید بدست
زانکه بی‌لذّت نروید لحم وپوست — چون نروید چه‌گدازد عشق‌دوست ۱۲ زان تقاضا گر بیاید قهر ها — تا کنی ایثار آن سرمایه را
باز لطف آید برای عذر او — که بکردی غسل و برجستی زجو ۱۳ با نخود گوید چریدی در بهار — رنج مهمان تو شد نیکوش دار
تا که مهمان بازگردد شکر ساز — پیش شه گوید ز ایثار تو باز ۱٤ تا بجای نعمتت منعم رسد — جمله نعمتها برد بر تو حسد
من خلیلم تو پسر پیش بچك — سر بنه انّی ارانی اذبحك (٤) ۱۵ سر به پیش قهر نه دل بر قرار — تا ببرّم حلقت اسمعیل وار
سربرّم لیك این سرآن سریست — کز بریده‌گشتن وکشتن بریست(۵) ۱٦ لیك مقصودم ازآن‌تعلیم (٦) تست — ای مسلمان بایدت تسلیم جست
ای نخود میجوش اندر ابتلا — تا نه هستیّ و نه خود ماند ترا ۱۷ اندر آن بستان اگر خندیدهٔ — تو گل بستان جان و دیدهٔ
گر جدا از باغ آب وگل شدی — لقمه گشتی اندر احیا آمدی ۱۸ شو غذا و قوّت اندیشه ها — شیر بودی شیر شو در بیشه ها
از صفاتش رُستهٔ و الله نخست — درصفاتش باز رو چالاك وُچست ۱۹ زابر وخورشیدو زگردون آمدی — پس‌شدی[۷]اوصاف‌وگردون‌برشدی[۸]
آمدی در صورت باران و تاب — میروی اندر صفات مستطاب ۲۰ جزو شیدو ابر و انجمها (۹) بدی — نفس وفعل وقول و فکرتها شدی
هستی حیوان شد از مرگ نبات — راست آمد اقتلونی یا ثقات ۲۱ چون چنین بُردیست مارا بعد مات — راست آمد انّ فی قتلی حیات
فعل و قول صدق شد قوت ملك — تا بدین معراج شد سوی فلك ۲۲ آنچنان کان طعمه شد قوت بشر — از جمادی بر شد و شد جانور
این سخن را ترجمهٔ پهناوری — گفته آید در مقام دیگری ۲۳ کاروان‌دایم‌زگردون‌میرسد (۱۰) — تا تجارت میکند وا میرود
پس برو شیرین وخوش با اختیار — نی بتلخیّ و کراهت دزد وار ۲٤ زان حدیث تلخ میگویم ترا — تا ز تلخیها فرو شویم ترا
ز آب سرد انگور افسرده رهد — سردی و افسردگی بیرون نهد ۲۵ توزتلخی چونکه دل پرخون‌شوی — پس ز تلخیها همه بیرون روی
❀آن‌زمان‌شیرین‌شوی‌همچون‌عسل — فارغ آئی گر بتو ریزند خلّ ۲٦ ❀ هرکه او اندر بلا صابر نشد — مقبل این درگه فاخر نشد
سگ‌شکاری‌نیست‌اوراطوق‌نیست — خام وناجوشیده جزبی‌ذوق نیست ۲۷

تمثیل صابر شدن مؤمن چون بر سرّ ومنفعت بلا واقف شود

آن‌نخودگفت‌ارچنین‌است‌ای ستی — خوش بجوشم یاریم ده راستی ۲۹ تو درین جوشش چو معمار منی — کفچلیزم زن‌که بس خوش‌میزنی
همچو پیلم برسرم زن زخم وداغ — تا نبینم خواب هندستان و باغ ۳۰ تا که خودرا در دهم درجوش‌من — تا رهی یابم در آن آغوش من
زانکه‌انسان درغناطاغی شود(۱۱) — همچو پیل خواب بین یاغی شود ۳۱ پیل چون در خواب بیند هند را — پیل‌بان را نشنود آرد دغا (۱۲)

عذر گفتن کدبانو با نخود و حکمتِ درجوش داشتن کدبانو نخود را

آن ستی‌گوید ورا که پیش ازاین — من چو تو بودم ز اجزای زمین ۳۳ چون بپوشیدم جهاز آذری (۱۳) — بس پذیرا گشتم و اندر خوری
مدّتی‌جوشیده ام اندر زمن (۱٤) — مدّتی‌دیگردرون دیگ تن (۱۵) ۳٤ زین دو جوشش قوّت حسها شدم — روح گشتم پس ترا استا شدم
در جمادی گفتمی زان میروی — تا شوی علم و صفات معنوی ۳۵ چون شدی تو روح پس بار دگر — جوش دیگر کن ز حیوانی گذر
از خدا میخواه تا زین نکتها — در نلغزیّ و رسی در منتها ۳٦ زانکه‌ازقرآن بسی‌گمره‌شدند(۱٦) — زان رسن قومی درون چه شدند
مر رسن‌را نیست جرمی ای‌عنود — چون ترا سودای سر بالا نبود ۳۷ ❀جانب‌آن‌عاشق بی خویش ران — که درآن مسجد چه‌کرد ازامتحان

---

۱ ـ زبونم ۲ ـ بجوشانم ۵ ـ بزیست ٦ ـ تسلیم ۷ ـ سوی ۸ ـ برگردون زدی ۹ـ شمس و ابر وبارانها ۱۰ ـ میدود ۱۲ ـ وغا (ن . ل) .

---

(۳) اشاره است باسم شریف یامن سبقت رحمته غضبه ومیفرماید دراین سه چهار بیت که معنی سبق رحمت برقهر وغضب سبق ولحوق انفکاکی نیست بلکه سبق ما بالذات است برما بالعرض چون باطن هربلا ولا است وقهر لطف است و جلال جمال است پس گداز دادن در بوتهٔ امتحان خود بالذات لطف ورحمت است و چون وا بینی افنا وابقاء است ورحمت صفت اوست بالذات وغضب وکراهت بالعرض وگذشت که اصل نقدش لطف الخ پس باید نظر سالك مبدل شود وهمه جا رحمت واسعه وخیر محض بیند (٤) در سورهٔ والصافات واقع شده فلما بلغ معه‌السعی قال یا بنی انی اری فی‌المنام انی اذبحك فانظر ماذا تری قال یا ابت افعل ما تؤمر ستجدنی انشاء الله من الصابرین (۱۱) اشاره بمضمون آیه واقعه در سورهٔ اقرأ کلاّ ان‌الانسان لیطغی ان رآه استغنی انّ الی ربك‌الرجعی‌نه چنین است بدرستیکه انسان هرآینه گردن کشی میکند چون خود را بی‌نیاز بیند بدرستیکه بسوی‌آفریدگار تست بازگشت (۱۳) یعنی چون ترتیب وآرایش یافت لباس من (۱٤) یعنی در عالم گیاه وعالم حیوان که آن دوغذای انسانند (۱۵) یعنی در حالت نطفه وعلقه ومضغه و (دیگ‌تن) اوعیهٔ غذا واوعیهٔ منی واوعیهٔ رحم ازتن آدمی است (۱٦) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ بقره یهدی به‌کثیراً ویضلّ به‌کثیرا

باقی قصه مهمان آن مسجد مهمان کش و ثبات و صدق او

آن غریب شهر سر بالا طلب — گفت میخسبم در این مسجد بشب ۲ مسجدا گر کربلای من شوی — کعبهٔ حاجت روای من شوی
هین مرا بگذار ای بگزیده دار — تا رسن بازی کنم منصروار ۳ گر شدید اندر نصیحت جبرئیل — می نخواهد غوث در آتش خلیل
جبرئیلا رو که من افروخته — بهترم چون عود و عنبر سوخته ٤ جبرئیلا گر چه یاری میکنی — چون برادر پاسداری میکنی
ای برادر من بر آذر چابکم — من نه آن جانم که گردم(۱) بیش و کم ٥ جان حیوانی نزاید از علف — آتشی بود و چو هیزم شد تلف
گر نگشتی هیزم او مشمر بدی — تا ابد معمور و هم عامر بدی ٦ باد سوزان است این آتش بدان — پرتو آتش بود نی عین آن
عین آتش در اثیر آمد یقین — پرتو و سایهٔ ویست اندر زمین ۷ لاجرم پرتو نیابد ز اضطراب — سوی معدن بازمیگردد(۲) شتاب
قامت تو بر قرار آمد بساز — سایه ات کوته دمی یکدم دراز ۸ زانکه در پرتو نیابد کس ثبات — عکسها وا گشته سوی امهات
هین دهان بر بند فتنه لب کشاد — خشك آر الله اعلم بالرشاد ۹ ❀ فتنه زاد وکرد عالم راخراب — شرق وغرب افتاد اندر اضطراب
❀ چون مراتب گشت دلها تنگ شد(۳) — ❀ گفت وگو بسیار شد خامش شدم ۱۰ — مسئله تسلیم کردم تن زدم
❀ ورتوگوئی موجب فتنه چه بود — ۱۱ بازگویم گوش کن چون غم فزود

ذکر خیال بد اندیشیدن قاصر فهمان

پیش از آن کاین قصه تا مخلص رسد(٤) — دود گندی آمد از اهل حسد ۱۳ من نمیرنجم ازاین لیك این لگد — خاطر ساده دلی را بی کند
خوش بیان کرد آن حکیم غزنوی(٥) — بهر محجوبان مثال معنوی ۱٤ که ز قرآن گر نبیند غیر قال — این عجب نبود ز اصحاب ضلال
کز شعاع آفتاب پر ز نور (٦) — کور جز گرمی نیابد در عبور(۷) ۱٥ خر بطی ناگاه از خر خانهٔ — سر برون آورد چون طعانهٔ
کاین سخن پست است یعنی مثنوی — قصهٔ پیغمبر است و پیروی ۱٦ نیست ذکر وبحث و اسرار بلند — که دوانند اولیا زان سو سمند
از مقامات تبتل تا فنا — پایه پایه تا ملاقات خدا ۱۷ شرح و حدّ هر مقام و منزلی — که ببر زو بر پرد صاحب دلی
❀ جمله سر تا سر فسانه است وفسون — کودکانه قصه بیرون و درون ۱۸ چون کتاب الله بیامد هم بر آن — اینچنین طعنه زدند آن کافران
که اساطیر است وافسانهٔ زنند(۸) — نیست تعمیقی و تحقیقی بلند ۱۹ کودکان خرد فهمش میکنند — نیست جز امر پسند و نا پسند
❀ ذکر آدم گندم و ابلیس ومار — ذکر هود و باد وابراهیم و نار ۲۰ ❀ ذکر نوح وکشتی وطوفان تن — ذکر کنعان و سر از خط تافتن
❀ ذکر یوسف ذکر زلف پرخمش — ذکر یعقوب و زلیخا و غمش ۲۱ ❀ ذکر اسمعیل وذبح و جبرئیل — ذکر قصهٔ کعبه و اصحاب فیل
❀ ذکر بلقیس و سلیمان و سبا — ذکر داود و زبور و اوریا ۲۲ ❀ ذکر طالوت وشعیب وصوم او — ذکر یونس ذکر لوط و قوم او
❀ ذکر حبل مریم ونخل ومخاض — ذکر ذکریا و یحیی و ریاض ۲۳ ❀ ذکر صالح ناقه و تقسیم آب — ذکر ادریس و مناجات و جواب
❀ ذکر الیاس وعُزیر وموت او — ذکر قارون و زمین رفتن فرو ۲٤ ❀ ذکر ایّوب و صبوری در بلا — ذکر اسرائیلیان در تیه لا
❀ ذکر موسی وشجر طور وعصا — خلع نعلین و خطابات و عطا ۲٥ ❀ ذکر عیسی و عروجش برسما — ذکر ذوالقرنین و خضر و ارمیا
❀ ذکر فضل احمد وخلق عظیم(۹) — که قمر از معجزاتش شد دو نیم ۲٦ ظاهر است و هرکسی پی میبرد — کوبیان که گم شوذ در وی خرد
گفت اگر آسان نماید این بتو — این چنین یك سوره گوای سخت رو(۱۰) ۲۷ جنیان و انسیان و اهل کار — گو یکی آیت ازاین آسان بیار(۱۱)

تفسیر این خبر مصطفی علیه السلام که اِنّ للقرآن ظهرٌ وبطنٌ ولبطنه بطن الی سبعة ابطن ❀ وفی روایة الی سبعین بطناً ❀

حرف قرآن را مدان که ظاهریست — زیر ظاهر باطنی بس(۱۲) قاهریست ۳۰ زیر آن باطن یکی بطن دگر — خیره گردد اندرو فکر و نظر
زیر آن باطن یکی بطن سوم — کاندر او گردد خرد ها جمله گم ۳۱ بطن چارم ازنبی خود کس ندید — جز خدای بی نظیر بی ندید
❀ همچنین تا هفت بطن ای بوالکرم — میشمر تو زین حدیث معتصم ۳۲ رو ز قرآن ای پسر ظاهر مبین — دیو آدم را نبیند غیر طین
ظاهر قرآن چو شخص آدمی است — که نقوشش ظاهر وجانش خفیست ۳۳ مرد را صد سال عمّ و خال او — یکسر موئی نبیند حال او

بیان آنکه رفتن انبیا واولیا علیهم السلام بکوهها وغارها جهت پنهان کردن خویش نیست وجهة وخوف تشویش خلق نیست بلکه جهة ارشاد خلق است و تحریض برانقطاع از دنیا بقدر ممکن

آنکه گویند اولیا در کهروند — تا ز چشم مردمان پنهان بوند ۳٦ پیش خلق ایشان فرازصد کُه اند — گام خود بر چرخ هفتم می نهند
پس چرا پنهان شود که جو بود(۱۳) — کو زصد دریا و که آن سو بود ۳۷ حاجتش نبود بسوی کُه گریخت — کز پیش کرّهٔ فلك صد نعل ریخت
چرخ گردید و ندید او گردشان — تعزیت جامه بپوشید آسمان ۳۸ گر بظاهر آن پری پنهان بود — آدمی پنهان تر از پریان بود
نزد عاقل زان پری که مضمراست — آدمی صد بار خود پنهان تراست ۳۹ آدمی نزدیك عاقل چون خفی است — چون بود آدم که درغیب او صفی است

---

۱ ـ گردد ۲ ـ وا گردد ٦ ـ ضیا ۷ ـ نبیند دائماً ـ غیر گرمی می نیابد چشم کور ۱۰ ـ آسان یکی سوره بگو ۱۲ ـ هم (ن . ل) .

---

(۳) یعنی اصل محفوظ از وجود در مراتب واحد است ومقام تصالح الاضداد است پس اول جنگ نبود و ثانیاً که مراتب شد جنگ شد که تنگی و ضیق در هر مرتبه موجب جنگ است (٤) این قصه تمام شود (٥) شعر حکیم سنائی اینست «عجب نبود گر از قرآن نصیبت نیست جز حرفی که ازخورشید جزگرمی نیابد چشم نابینا» (۸) قالوا ان هذا الا اساطیر الاولین چند جا درقرآن واقعشده (۹) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ ن (انك علی خلق عظیم) (۱۱) ترجمه آیه واقعه درسورهٔ بنی اسرائیل است قل لئن اجتمعت الانس والجن علی ان یاتوا بمثل هذا القرآن لا یأتون بمثله ولو کان بعضهم لبعض ظهیرا بگو اگر جمع شوند آدمیان وجنیان واتفاق کنند برای اینکه بیاورند مانند این قرآن نمی آورند مانند اورا ولواینکه برخی ازایشان مدد کنند بعضی را (۱۳) یعنی چرا مخفی گردند کوه چه باشد که فرّ وجلال آنها از صد دریا وکوه گذشته است

تشبیه صورت اولیاء وصورت کلام اولیا بصورت عصای موسی وصورت افسون عیسی علیهم السلام

آدمی همچون عصای موسی است ۲ درکف حق بهر داد و بهر زین
قلب مؤمن هست بین الاصبعین
ظاهرش چوبی ولیکن پیش او ۳ کون یك لقمه چو بگشاید گلو
آن بیین کزوی گریزان گشت موت
تومبین زافسونش آن لهجات پست ۴ آن نگر که مرده برجست ونشست
تومبین مرآن عصارا سهل یافت
تو ز دوری دیدهٔ چتر سیاه ۵ یکقدم پا پیش نه بنگر سپاه
تو ز دوری می نبینی غیر گرد
دیدها را گرد او روشن کند ۶ کوهها را مردی او برکند
اندکی پیش آ ببین در گرد مرد

تفسیر یاجبال اوّبی معه والطیر

چون که موسی برشد(۱) ازاقصای دشت ۸ کوه طور از مقدمش رقاص گشت
روی داود ازفرش تابان(۲) شده
کوهها اندر پیش نالان بده
کوه با داود گشته همرهی ۹ هردو(۳) مطرب مست درعشق شهی
یا جبال اوّبی امر آمده (٤)
هردو هم آواز و هم پرده شده(٥)
گفت داودا تو هجرت دیدهٔ ۱۰ بهر من از همدمان بریدهٔ
ای غریب فرد بیمونس شده
آتش شوق ازدلت شعله زده (٦)
مطربان خواهی و قوّال و ندیم ۱۱ کوهها را بیشت آرد آن قدیم(۷)
تا که قوّالی و سرنائی کنند
جمله پیشت باد پیمائی کنند
تابدانی ناله چون که را رواست ۱۲ بی لب و دندان ولی را نالهاست
نغمهٔ اجزای آن صافی جسد (۸)
هرشبی(۹) درگوش حسش میرسد
همنشینان نشنوند او بشنود ۱۳ ای خنك جان کو بغیبش بگرود(۱۰)
بنگر دصد گفتگو درخویش او (۱۱)
همنشینش زان(۱۲) نبرده هیچ بو
صد سئوال وصد جواب اندر دلت ۱٤ میرسد از لامکان تا منزلت
بشنوی تو نشنود زان گوش کس[۱۳]
گر بنزدیك تو آرد گوش بس[۱٤]

جواب طعنه زنندهٔ مثنوی ار قصور فهم خود

گیرم ای کر خود تو آنرا نشنوی ۱٦ چون مثالش دیدهٔ چون نگروی
ای سگ طاعن تو عو عو میکنی
طعن قرآن را برون شو میکنی (۱٥)
این نه آن شیر است کزوی جان بری ۱۷ یا ز پنجهٔ قهر او ایمان بری
تا قیامت میزند قرآن ندا
کای گروه جهل را گشته فدا
مر مرا افسانه می پنداشتید ۱۸ تخم طعن و کافری میکاشتید
خود بدیدید ای خسان طعنه زن
که شما فانیّ و افسانه بدید
❀ تا بدیدید ایکه طعنه میزدید ۱۹ که شما فانیّ و افسانه بدید
من کلام حقم و قائم بذات
قوّت جان جان و یاقوت زکات
نور خورشیدم فتاده بر شما ۲۰ لیك از خورشید ناگشته جدا
نك منم ینبوع آن آب حیات
تا رهانم عاشقان را از ممات
گرچنان گند آرتان تنگیختی (۱٦) ۲۱ جرعهٔ برکوزتان (۱۷) حق ریختی
نی بگیرم گفت و پند آن حکیم
دل نگردانم ز هر قولی سقیم
❀ تا بیابد درد من از او دوا ۲۲ فارغ آیم من ز هر طعنی جدا

مثل زدن در رمیدن کرّه اسب ازخوردن آب وسبب شخولیدن سایسان

آنکه فرموده است او اندر خطاب ۲٤ کرّه و مادر همی خوردند آب
می شخولیدند هر دم آن نفر
بهر اسبان که هلا زین آب خور
آن شخولیدن بکرّه میرسید ۲٥ سر همی برداشت وزخود میرمید
مادرش پرسیدکی کرّه چرا
میرمی هر ساعتی ز این استقا
گفت کره میشخولند این گروه ۲٦ ز اتفاق بانگشان دارم شکوه
پس دلم میلرزد از جا میرود
ز اتفاق نعره خوفم می رسد
گفت مادر تا جهان بوده است این ۲۷ کار افزایان بُدند اندر زمین
هین توکار خویش کن ای ارجمند
زود کایشان ریش خود بر میکنند
وقت تنگ و میرود آب فراخ ۲۸ پیش ازآن کزهجر گردی شاخ شاخ
شهره کاریزیست پر آب حیات
آب کش تا بر دمد از تو نبات
آب خضر از جوی نطق اولیا ۲۹ میخوریم ای تشنهٔ غافل بیا
گر نبینی آب کورانه بفن
سوی جو آور سبو درجوی زن
چون شنیدی کاندرین جو آب هست ۳۰ کور را تقلید باید کار بست
جو فرو بر مشك آب اندیش را
تا گران بینی تو مشك خویش را
چون گران دیدی شوی تو مستدل ۳۱ رست از تقلید خشك آنگاه دل
گر نبیند کور آب جو عیان
لیك بیند چون سبو گردد(۱۸) گران
که ز جو اندر سبو آبی برفت ۳۲ کاین سبك بود و گران شد زاب زفت[۱۹]
زانکه هر بادی مرا در میربود
باد می نربایدم ثقلم فزود
مر سفیهان را رباید هر هوا ۳۳ زانکه نبودشان گرانیّ قوی
کشتی بی لنگر آمد مرد شره
که ز باد کژ بیابد او حذر
لنگر عقلست عاقل را امان ۳٤ لنگری در یوزه کن از عاقلان
کو مددهای خرد چون در ربود
از خزینهٔ درّ آن دریای جود
زاینچنین امداد دل پر فن شود ۳٥ بجهد ازدل چشم هم روشن شود
زانکه نوراز دل براین دیده نشست
تا چو دل شد دیدهٔ تو عاطل است
دل چو پرانوار عقل پیر زد(۲۰) ۳٦ زان نصیبی هم بدو دیده دهد(۲۱)
پس بدان کاب مبارك ز آسمان
وحی دلها باشد و صدق بیان
ما چو آن کره هم آب جو خوریم ۳۷ سوی آن وسواس طاعن ننگریم
پیرو پیغمبرانی ره سپر
طعنهٔ خلقان همه بادی شمر(۲۲)
۳۸ آن خداوندان که ره طی کرده اند
گوش وا بانگ سگان کی کرده اند

---

۱ ـ بر آمد موسی ۲ ـ پنهان ۳ ـ همچو ٥ ـ کوهها چون او همان پرده زده ٦ ـ شاعل بده ۷ ـ آرم ای حکیم ۹ ـ زان دمی ۱۱ ـ در نفس خود صد گفتگو ۱۲ ـ همنشین او ۱۳ ـ گوشها ۱٤ ـ گوش را ۱۷ ـ گورتان ۱۸ ـ داند چون سبو بیند ۱۹ ـ تفت ۲۰ ـ نیز زد ـ عقلی پر زند ۲۱ ـ بود ـ رسد (ن . ل) .

---

(٤) اشاره بآیه واقعهٔ در سورهٔ ص یاجبال اوّبی معه الطیر والناله الحدید (۸) یعنی نالهٔ اعضای او درحسّ او میرسد و دیگری شنودن نتواند (۱۰) اشاره بآیه الذین یؤمنون بالغیب (۱٥) یعنی برای طعن قرآن برونشو و مخلصی ثابت میکنی وچنان میدانی که بعد از طعن آن جان سالم می بری وحال آنکه بعقوبات گرفتار آئی (۱٦) یعنی اگر چنان عفونتی آز و حرصتان نمی انگیخت جرعه بر کوزهٔ شما حق میریخت بسبب فطرة اصلی که فطرة الله التی فطرالناس علیها و کل مولود یولد علی الفطره الحدیث ودر بعضی نسخ برگور است که گورتن باشد و اشاره بمردگی روح (۲۲) اشاره بمضمون آیه واقعه در سورهٔ مزمل « واصبر علی ما یقولون واهجرهم هجراً جمیلا »

بقیهٔ ذکر آن مهمان مسجد مهمان کش

باز گو کان پاك باز شیر مرد — اندرآن‌مسجدچه‌بنمودو(۱)چه‌کرد ۲ خفته درمسجد خود اورا خواب‌کو — مرد غرقه‌گشت‌چون‌خسبد بکو(۲)
خواب مرغ و ماهیان باشد همی — عاشقان را زیر غرقاب غمی ۳ نیمشب آواز با هولی رسید — کایم آیم بر سرت ای مستفید
پنج کرّت اینچنین آواز سخت ٤ میرسید و دل همی شد لخت‌لخت

تفسیر آیه که واجلب علیهم بخیلك و رجلك (۳)

تو چو عزم دین کنی با اجتهاد — دیو بانگت بر زند اندر نهاد ٦ که مروزاسوبیندیش‌ای غوی(٤) — که اسیر رنج و درویشی شوی
بینوا گردی ز یاران وا بری — خوار گردی و پشیمانی خوری ۷ تو ز بیم بانگ آن دیو لعین — وا گریزی در ضلالت از یقین
که هلا فردا و پس فردا مراست — راه دین پویم‌که مهلت پیش‌ماست ۸ مرگ بینی‌بازگوازچپ‌وراست(٥) — میکشد همسایه را تا بانگ خاست
باز عزم دین کنی از بیم جان — مرده‌سازی خویشتن‌را یك زمان ۹ پس سلح بر بندی ازعلم وحکم — که من از خوفی نیارم پای کم
باز بانگی بر زند بر تو ز مکر — که بترس و باز گرد از تیغ فقر ۱۰ باز بگریزی ز راه روشنی — آن سلاح علم وفن (٦) را بفکنی
سالها او را بیانگی بندهٔ — در چنین ظلمت نمد افکندهٔ ۱۱ هیبت بانگ شیاطین خلق را — بند کرده است و گرفته حلق را
تا چنان نومید شد جانشان زنور — که روان کافران زاهل قبور (۷) ۱۲ این شکوه بانگ آن ملعون بود — هیبت بانگ خدائی چون بود
هیبت باز است بر کبك نجیب — مرمگس‌را نیست‌زان هیبت‌نصیب ۱۳ زانکه نبود باز صیاد مگس — عنکبوتان می مگس گیرند و بس
عنکبوت دیو بر تو چون ذباب — کرّوفرّ دارد نه برکبك و عقاب ۱٤ بانگ دیوان گله بان اشقیاست — بانگ سلطان پاسبان اولیاست
تانیامزد بدین دو بانگ دور (۸) ۱٥ قطرهٔ از بحرخوش با بحر شور

رسیدن بانگ طلسم نیمشب مهمان مسجد را

بشنواکنون قصهٔ آن بانگ سخت — که نرفت ازجا بدان آن نیکبخت ۱۷ گفت‌چون‌ترسم‌چوهست‌آن‌طبل‌عید — تا دهل ترسد که زخم اورارسید
ای دهلهای تهی پر زکوب (۹) — قسمتان ازعیدچون‌شد زخم‌چوب[۱۰] ۱۸ شد قیامت عید و بیدینان دهل — ما چو اهل عید خندان همچوگل
بشنواکنون این‌دهل‌چون بانگ‌زد — دیگ دولت با چگونه میپزد ۱۹ چونکه بشنود آن دهل آن‌مرد دید — گفت چون ترسد دلم ازطبل‌عید
گفت باخود هین ملرزان دل‌کزین — مرد جان بد دلان بی یقین ۲۰ وقت آن آمد که حیدر وار من — ملك گیرم یا بپردازم بدن
بر جهید و بانگ برزد کای کیا — حاضرم اینك اگر مردی بیا ۲۱ درزمان بشکست زآواز آن‌طلسم — زر همی ریزید هرسو قسم قسم
ریخت چندین زرکه ترسید آن پسر — تا بگیرد زر ز پرّی راه در ۲۲ ❀پرشدآن مسجد ززر هرجایگاه — مرد حیران شد ز تقدیر اله
بعد ازآن برخاست آن شیر عتید — تا سحرگه زر به بیرون میکشید ۲۳ دفن میکرد و همی آمد بزر — با جوال و توبره بار دگر
گنجها بنهاد آن‌جان باز از ان — کوری و ترسانی و واپس خزان ۲٤ این‌زرظاهربخاطرآمده‌است (۱۱) — در دل هر کور دور زر پرست
کودکان کاسه‌سفالین(۱۲) بشکنند — نام زر بنهند و در دامن کنند ۲٥ اندرآن بازی چو گوئی نام زر — آن کند در خاطر کودك گذر
بل‌زر مضروب ضرب‌ایزدی(۱۳) — کو نگردد کاسد آمد سرمدی ۲٦ آن‌زری کاین‌زر ازآن زرتاب‌یافت — گوهر و تابندگی و آب یافت
آن زری که دل ازاو گردد غنی — غالب آمد بر قمر در روشنی ۲۷ شمع بود آن مسجد و پروانه او — خویشتن انداخت آن پروانه خو
سوخت پرّش را ولیکن ساختش — بس مبارك آمد آن انداختش ۲۸ همچو موسی بود آن مسعودبخت[۱٤] — کاتشی دید او بسوی آن درخت
چون عنایتها براو موفور بود — نار می‌پنداشت وان خود نوربود ۲۹ مرد حق را چون ببینی ای پسر — تو گمان داری براو نار بشر
تو زخود میآئی وآن در تواست — نار وخار ظنّ وباطل این‌سو است ۳۰ او درخت موسی است و پر ضیا — نورخوان نارش مخوان باری بیا
نی فطام این جهان ناری نمود — سالکان رفتند آن خود نور بود ۳۱ پس بدان‌که شمع دین بر می‌شود — این نه همچون دیگر آتشها بود
این نماید نور و سوزد یار را — وان بصورت نار وگل زوار را ۳۲ این چو سازنده ولی سوزندهٔ — وان که وصلت دل افروزندهٔ
شکل شعله نور پاك ساز وار — حاضران‌را نور و دوران‌را چونار ۳۳ ❀حاضران از غائبان خوشحال‌تر — غائبان را نیست توفیق خبر
❀ اینسخن را نیست پایانی پدید ۳٤ گو حدیث عاشق و صدر مجید

---

۱ ـ شب درآن مسجد چه بنمودش ۲ـ بجو ٦ـ حکمت ودین ۸ ـ بهم بینا وکور ۹ ـ بی قلوب ۱۰ـ جان شد زخم کوب ۱۲ ـ اسفالها را (ن . ل) .

---

(۳) این آیه در سورهٔ بنی اسرائیل واقع شده واجلب علیهم بخیلك ورجلك وشارکهم فی‌الاموال والاولاد وعدهم ومایعدهم‌الشیطان الا غرورا وبرانگیزان یا گردآور برایشان سواران وپیادگان خودرا وشریك شو ایشان‌را دراموال واولاد ووعده ده ایشان‌را ووعده نمیدهد شیطان ایشان را مگر بفریب خطاب بشیطان است یعنی شیاطین را جمع‌کن در تسلط و اغوا و وسوسهٔ برایشان وشرکت با ایشان در مالهائی که از حرام جمع کنند یا در معصیت صرف نمایند و در فرزندانی که از زنا حاصل کنند ووعده ده ایشان را بمواعید باطل (٤) الشیطان یعدکم الفقر و یأمرکم بالفحشاء والله یعدکم مغفرة منه و فضلا (٥) کیفیت تطارد جنود ملك و شیطانست در معرکه وجود آدمی پس چون خاطر شیطانی وطول امل‌آید که فردا و پس فردا راه دین خواهی پوئید باز می بینی که مرگ از چپ و راست این وآن را می‌برد خاطر ملکی آید که باید عزم دین‌کنی بازدیو برتو بانگ زند باز هیبت بانگ خدائی‌آید همچنین حملهٔ ازملك است وحملهٔ از شیطان تافتح‌کدام را باشد (۷) اشاره است بآیهٔ کریمه واقعه در سورهٔ ممتحنه کما یئس الکفار من اصحاب القبور (۱۱) این زر را زرظاهرگمان میکنند وحال‌آنکه مراد فیوضات الهی است (۱۳) از زرمضروب مراد حصول‌عدالت خصوص شجاعت است بلکه زر تمام عیار تخلق و تحقق است که وجود اوهمه کیمیای حقیقی بود (۱٤) اشاره بمضمون آیه واقعه در سورهٔ طه است « اذ رآ ناراً فقال لاهله امکثوا انی آنست ناراً لعلی آتیکم منها بقبس او اجد علی النار هدی » وقتیکه دید موسی آتشی پس‌گفت اهل خودرا که درنگ کنید درجائیکه هستید بدرستی‌که من‌دیدم‌آتشی شایدکه بیاورم نزد شما ازآن آتش شعله‌ای یابیابم نزد آتش‌کسی را که راه نماید

ملاقات آن عاشق با صدر جهان

آن بخاری نیز خود بر شمع زد ۲ آه سوزانش سوی گردون(۱) شده
گفته باخود درسحرگه کای احد ۳ او گناهی کرد و ما دیدیم لیك
خاطر مجرم ز ما ترسان شود ۴ من بترسانم وقبح یاوه را
بهر ذیگ سرد آذر میرود ۵ ایمنان را من بترسانم بخلم (۲)
پاره دوزم پاره در موضع نهم ۶ هرکسی‌را شربت اندر خور دهم
درخور آن بیخ رسته برگها ۷ بر فلك برهاست ز اشجار وفا
چون برست ازعشق پر برآسمان ۸ موج مزد در دلش عفو گنه (٤)
که ز دل تا دل یقین روزن بود ۹ متصل نبود سفل دو چراغ
هیچ عاشق خود نباشد وصل جو ۱۰ لیك عشق عاشقان تن زه کند (٦)
چون درین دل برق مهردوست جست ۱۱ در دل تو مهر حق چون شد دوتو
هیچ بانگ کف زدن آید بدر ۱۲ تشنه می‌نالد که کو(۷) آب گوار
جذب آبست این عطش درجان ما ۱۳ حکمت حق در قضا و در قدر
جمله اجزای جهان زان حکم پیش ۱٤ هست هرجزوی زعالم جفت خواه(۸)
آسمان گوید زمین را مرحبا ۱۵ آسمان مرد وزمین زن در خرد
چون نماند گرمیش بفرستد او ۱٦ برج خاکی خاك ارضی را مدد
برج بادی ابر سوی او برد ۱۷ برج آتش گرمی خورشید ازو(۱۰)
هست سرگردان فلك اندر زمن ۱۸ وین زمین کدبانوئیها می کند
پس زمین وچرخ‌را دان هوشمند ۱۹ گرنه از هم این دو دلبر می‌زند
بی‌زمین کی گل بروید وارغوان ۲۰ بهرآن میلست در ماده به نر
میل اندرمرد وزن حق زان نهاد ۲۱ میل هر جزوی بجزوی هم نهد
شب چنین با روز اندر اعتناق ۲۲ روز وشب ظاهر دوضدّ و دشمنند
هریکی خواهان دگررا همچوخویش ۲۳ زانکه بی‌شب دخل نبودطبع‌را(۱۳)

در دل صدر جهان مهر آمده
رحمت ما را نمیدانست نیك
وانکه ترسد من چه ترسانم ورا
خائفان را ترس بردارم ز حلم
زان بروید برگهاش ازچوب سخت
اصلها ثابت و فرعه فی‌السما (۳)
که زهر دل تا دل آمد روزنه (٥)
نورشان ممزوج باشد در مساغ
عشق معشوقان خوش وفربه کند
هست حق را بی گمانی مهر تو
آب هم نالد که کو آن آب‌خوار
کرد مارا عاشقان همدگر
راست همچون کهربا وبرگ کاه
هرچه آن انداخت این می‌پرورد
برج آبی ترّیش اندر دهد
همچوتابهٔ سرخ(۱۱)زآتش پشت ورو
بر ولادات و رضاعش می‌تند
پس‌چرا چون جفت درهم میخزند
تا بود تکمیل کار همدگر
زاتحاد هردو تولیدی زهد (۱۲)
لیك هر دویك حقیقت می تنند
پس چه اندر خرج آرد روزها

جذب هرعنصری جنس خودراکه در ترکیب آدمی محتبس شده است بغیر جنس

خاك گوید خاك تن را باز گرد ۲٤ ترك جان‌گو سوی‌ما آ همچوگرد
گوید آری لیك من پا بسته‌ام ۲٦ گرچه همچون تو زهجران خسته‌ام
گرمی تن را همی خواند اثیر ۲۷ که زناری راه اصل خویش گیر
علت آید تا بدن را بگسلد ۲۸ تا عناصر همدگر را واهلد
پایشان از همدگر چون باز کرد ۲۹ مرغ هرعنصر یقین پرواز کرد
تا که این ترکیبها را بر درد ۳۰ مرغ هر جزوی باصل خود برد
۳۱ گوید ای اجزا اجل‌مشهود نیست
۲۵ جنس مائی پیش ما اولیتری
۲٦ ترّی تن را بجویند آبها
۲۷ هست هفتاد و دو ملت در بدن
۲۸ چار مرغند این عناصر بسته پا
۲۹ جذبهٔ این اصلها و فرعها
۳۰ حکمت حق مانع آید زین عجل
۳۱ پرزدن پیش از اجلتان سود نیست
به‌کزان‌تن وارهی وزان‌تری(۱٤)
کای تری بازآز غربت سوی ما
از کششهای عناصر بی رسن
مرگ و رنجوریّ و علت پا گشا
هر دمی رنجی نهد درجسم ما
جمعشان دارد بصحت تا اجل

منجذب شدن جان نیز بعالم ارواح وتقاضا ومیل او بمقرّ خود ومنقطع شدن از اجزای اجسام که کندهٔ پای باز روحند

چونکه هر جزوی بجوید ارتفاق ۳٤ چون‌بود جان‌عزیز(۱٥)اندرفراق
میل تن در سبزه و آب روان ۳٥ زان بود که اصل اوآمد از آن
میل جان در حکمت‌است‌ودرعلوم ۳٦ میل تن در باغ وراغست وکروم
میل‌وعشق‌آن‌شرف‌راسوی‌آن(۱٦) ۳۷ زین‌یحب‌را ویحبون رابدان(۱۷)
حاصل آنکه هرکه او طالب بود ۳۸ جان مطلوبش براو راغب بود
۳۴ گوید ای اجزای پست فرشیم
۳٥ میل جان اندرجات ودرحی‌است
۳٦ میل جان اندر ترقیّ و شرف
۳۷ گر بگویم شرح این بیحد شود
۳۸ آدمی حیوان نباتی و جماد
غربت من تلخ تر من عرشیم
زانکه جان‌لامکان‌اصل وی است
میل تن در کسب اسباب علف
مثنوی هفتاد من کاغذ شود
هر مرادی عاشق هر بیمراد

۱ـ بگردان بر ۲ـ بعلم ٤ ـ گناه ٥ ـ روزن است ازدل بدل ای‌مرد راه ۷ـ ای ۹ـ زان بر برد ۱۱ـ زر ۱۲ ـ جهد ۱٤ ـ بری وین‌سو بری ۱٥ـ غریب ۱٦ـ هم سوی جان (ن . ل)

---

(۳) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ ابراهیم ضرب‌الله مثلاً کلمة طیبه کشجرة طیبه اصلها ثابت وفرعها فی‌السماء یعنی خداوند مثل زده کلمهٔ پاك را بدرخت پاك نیکوکه اصل‌آن ثابت است در زمین وشاخ آن برآسمان است (٦) ظهورمحبت دردل عاشق ومعشوق مسلم لیکن بتفاوت مراتب محبت عاشق او را لاغر و محبت معشوق اورا فربه گرداند (۸) مضمون آیه واقعه در سورهٔ والذاریات است و من کلّ شیٔ خلقنا زوجین لعلکم تذکرون (۱۰) خورشید را تابهٔ زرنیزگفته‌اند اینجامعنی‌آنست‌که خورشید تابهٔ سرخ شده است پشتش ازبرج ناری چه صور بروج درفلك البروج است که فلك ثوابت است و فوق فلك شمس است بمراتب ورویش سرخ شده است ازآتش کره اثیر واگر ملاحظه آن شود که درحکمت گفته اند که شمس واشعهٔ آن گرمی ندارد مگر بعد از تابیدن برکرهٔ ارض وبعد از انعکاس پس‌کره اثیر چنین باشد (۱۳) زیرا که قوای طبیعیه وحیوانیه بسبب خوابیدن درشب میآسایند زیرا انفعالشان در روز جودت دارد و اگر شب نبود کلال وملال حاصل کرده و بزودی عاطل و باطل می شدند (۱۷) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ مائده یحبهم ویحبونه یعنی دوست میدارد خدا مؤمنان را و دوست میدارند ایشان خدا را .

بی‌مرادان بر مرادی می تنند — وان مرادان جذب ایشان میکنند ۱ لیك میل عاشقان لاغر کند — میل معشوقان خوش و با فرکند
عشق معشوقان دورخ افروخته — عشق عاشق جان او را سوخته ۲ کهربا عاشق بشکل بی نیاز — کاه میکوشد در آن راه دراز
این رها کن عشق آن بسته(۱) دهان — تافت اندر سینهٔ صدر جهان ۳ دود آن عشق و غم آتشکده — رفته در مخدوم او مشفق شده
لیکش از ناموس وپوش (۲) آبرو — شرم می آمد که وا جوید ازاو ٤ رحمتش مشتاق آن مسکین شده — سلطنت زین لطف مانع آمده (۳)
عقل جبران کاین عجب اورا کشید — با کشش زانسو بدین جانب رسید ٥ ترك جلدی کن کزاین نا واقفی — لب ببند الله اعلم بالخفی
لب به‌بندم هردمی زینسان سخن — توبه آرم هر زمان صد بار من ٦ کاین سخن را بعدازاین مدفون کنم — آن کشنده میکشد من چون کنم
کیست آنکت میکشدای معتنی (٤) — آنکه می نگذاردت که دم زنی ۷ صد عزیمت میکنی بهر سفر — میکشاند مر ترا جای دگر
زان بگرداند بهر سو آن لگام — تا خبر یابد ز فارس اسب خام ۸ اسب زیرك‌سارزان نیکوپی‌است — کو همی داندکه فارس بروی‌است
او دلت را بر دوصد سودا بیست — بیمرادت کرد و پس دل‌را شکست ۹ چون‌شکست اوبال آن‌رای نخست — چون نشد هستی بال اشکن‌درست
چون‌قضایش حبل تدبیرت سکست(٥) ۱۰ چون نشد برتو قضای او درست

فسخ عزایم و نقض‌ها جهت با خبر کردن آدمی را از آنکه مالك و قاهر اوست و گاه‌گاه‌عزم اورا فسخ ناکردن و نافذ داشتن تا طمع او را بر عزم کردن دارد تا باز عزمش را بشکند تا تنبیه برتنبیه بود

عزمها و قصد ها در ماجرا — گاه گاهی راست می‌آید ترا ۱۳ تا بطمع آن دلت نیت کند — بار دیگر نیتت را بشکند
ور بکلی بی‌مرادت داشتی — دل شدی نومید امل کی کاشتی ۱٤ ور نگاریدی امل از عوریش — کی شدی پیدا برو مقهوریش
عاقلان ازبیمرادیهای خویش (٦) — با خبر گشتند از مولای خویش ۱٥ بیمرادی شد قلاوز بهشت — حفت‌الجنة‌شنوای‌خوش‌سرشت(۷)
چون مراداتت همه اشکسته پاست — پس‌کسی باشد که کام او رواست ۱٦ پس(۸)شدنداشکسته‌اش‌آن‌صادقان — لیك‌کوخودآن (۹) شکست عاشقان
عاقلان اشکسته اش از اضطرار — عاشقان اشکسته با صد اختیار ۱۷ عاقلانش بندگان بندی‌اند — عاشقانش شکرّی و قندی‌اند
اثنیا کرهاً مهار عقلان ۱۸ اثنیا طوعاً مهار (۱۰) بیدلان

نظر کردن پیغمبر علیه‌السلام باسیران و تبسم کردن وگفتن که عجبت من قومٍ یجرّون الی الجنة بالسلاسل (۱۱) والاغلال

دید پیغمبر یکی جوق اسیر — که همی بردند و ایشان در نفیر ۲۱ دیدشان در بند آن آگاه شیر — می نظر کردند در وی زیر زیر
تا همی خائید هر یك از غضب — بر رسول صدق دندانها و لب ۲۲ زهره نی با آن غضب‌که دم زنند — زانکه در زنجیر قهر ده من اند
میکشاندشان(۱۲) موکل‌سوی‌شهر — می برد از کافرستانشان بقهر ۲۳ نی فدائی میستاند نی‌زری — نی شفاعت میرسد از سروری
رحمت عالم همی گویند و او — عالمی را میبرد حلق و گلو ۲٤ با هزار انکار میرفتند راه — زیر لب طعنه زنان بر کار شاه
چارها کردیم و اینجا چاره نیست — خود دل‌این‌مرد کم ازخاره نیست ۲٥ ماهزاران‌مردشیر(۱۳) الب‌ارسلان — با دو سه عریان سست نیم جان
این‌چنین‌درمانده‌ایم ازکژ رویست — یا زاخترهاست یا خود جادویست ۲٦ بخت مارا بر درید آن بخت او — تخت ما شد سرنگون از تخت او
کار او از جادوئی گرگشت زفت ۲۷ جادوئی کردیم ما همچون نرفت

تفسیر این آیة که ان تستفتحوا فقد جائکم الفتح (۱٤) طاعنان میگفتند که از ما ومحمدآنکه حق است فتح و نصرتش بده و این بدان میگفتند که گمان داشتند خود برحقند وطالب حق بیغرض اکنون محمد منصور شد

ازبتان وازخدا درخواستیم(۱٥) — که بکن ما را اگر ناراستیم ۳۰ وانکه حقّ وراست‌است ازما و او — نصرتش ده نصرت او را بجو
این دعا بسیار کردیم و صلات — پیش لات و پیش عزّی ومنات ۳۱ که اگر حق است او پیداش کن — ور نباشد حق زبون ماش کن
چونکه وا دیدیم او منصور بود — ما همه ظلمت بدیم او نور بود ۳۲ این جواب‌ماست کانچه خواستید — گشت پیدا که شما ناراستید
باز این اندیشه را ازفکرخویش — کور میکردند ودفع ازذکرخویش ۳۳ کاین تفکرمان هم از ادباررست — که صواب او شود در دل درست
خود چه شدگرغالب آمد چندبار — هر کسی را غالب آرد روزگار ۳٤ ما هم از ایام بخت آور شدیم — بارها بر وی مظفر آمدیم
باز میگفتند اگر چه او شکست — چون‌شکست مانبود اوزشت‌وپست ۳٥ زانکه بخت نیك اورا درشکست — داد صد شادیّ پنهان زیر دست
کو باشکسته نمی مانست هیچ — که نه غم بودش درآن نی پیچ‌پیچ ۳٦ چون نشان مؤمنان مغلوبی است — لیك در اشکست مؤمن‌خوبی‌است
گر تو مشك و عنبری را بشکنی — عالمی از فیح ریحان پر کنی ۳۷ ور شکستی ناگهان سرگین خر — خانها پرگند گردد سر بسر
که‌کند خودمشك باسرگین‌قیاس ۳۸ آب را بابول و اطلس با پلاس

---

۱ ـ تشنه ۲ ـ بوش و ۳ـ زین تلطف پیروی مانع بده ٥ـ شکست ۸ـ زین ۹ـ پارا ۱۲ ـ میکشدشان مر ۱۳ ـ کار (ن . ل) .

(٤) معتنی بمعنی خواهنده‌است واگرمقتنی باشد (که دربعضی نسخ هست) معنی‌آن‌کسب‌کننده وذخیره نماینده‌است (٦) مضمون قول حضرت امیراست که : عرفت ربی بفسخ العزائم یعنی شناختم پروردگاررا بفسخ عزائم وبطلان قصدها یعنی‌چون هرچه خواستیم نشد دانستیم که هرچه اراده ومشیت اوست صورت میگیرد (۷) در حدیث آمده است که انما الجنة حفت بالمکاره یعنی بهشت پیچیده است بمکروهها ومشقتها (۱۰) در بعضی نسخ بهار است و این اصح است زیرا که صنعت ذی‌القافیتین میشود چه آنکه بهار اشارت است بخوشدلی عاشقان در لطف و قهر معشوق و مهار دلالت برتسخر و اکراه دارد (۱۱) عجب دارم از قومی که کشیده میشوند بسوی بهشت بزنجیرها وبجبر واکراه یعنی بایمان که عین بهشت بود کشیده میشوند (۱٤) اگر طلب فتح ونصرت کردیدپس‌آمد بشما فتح درسورهٔ انفال واقع شده است (۱٥) اشاره است بآیهٔ کریمه واقعه در سورهٔ انفال و اذ قال اللهم ان کان هذا هوالحق من عندك فامطر علینا حجرةً من السماء اوائتنا بعذاب الیم و وقتیکه گفتند خدایا اگر هست این قرآن آنچه حق است وراست وازطرف تو پس بیازان برما از سنگهای آسمانی وبفرست برای ما عذاب دردناك .

سرّ آنکه بیمراد بازگشتن رسول علیه السلام از حُدیبیه حق تعالی لقب آن فتح کرد که انا فتحنا لك فتحاً مبینا بصورت غلق بود وبمعنی فتح چنانکه شکستن مشك بظاهر شکستن است وبمعنی درست کردن است مشکی اورا وتکمیل فوائد اوست

❀وقت واگشت حُدیبیه رسول[1] ❀ درتفکر بود و غمگین و ملول ٤ ناگهان آمد زحق شمع رسل ❀ دولت انّا فتحنا زد دهل
آمدش پیغام از دولت که رو تو زمنع این ظفر غمگین مشو ٥ کاندرین خواری بنقدت نتجهاست نك فلان قلعه فلان بقعه تراست
بنگر آخر چونکه وا گردید تفت برقریظه وبرنضیر ازوی چه رفت(٢) ٦ قلعها هم گرد آن بربقعه‌اش(٣) شد مسلم وازغنائم گشت خوش(٤)
ورنباشد آن تو بنگر کاین فریق پر غم و رنجند ومفتون وعشیق ٧ زهر خواری را چو شکر میخورند خار غمها را چو اشتر میچرند
بهر عین غم نه از بهر فرج این تسافل پیش ایشان چون درج ٨ آنچنان شادند اندر قعر چاه که همی ترسند از تخت و کلاه
❀ درفقیری هریکی صد شهریار در خزان فاقه صد همچون بهار ٩ هرکه بادلبر بود او(٥) همنشین فوق گردونست نی زیر زمین

تفسیر این خبر که مصطفی علیه السلام فرمود لا تُفضلونی علی یونس بن متی (٦)

گفت پیغمبر که معراج مرا نیست بر (٧) معراج یونس اجتبا ١١ آن من بالا (٨) وآن او بشیب زانکه قرب حق برونست ازحسیب
قرب نی بالا نه پستی رفتن است قرب حق ازحبس هستی رستن است ١٢ نیست را چه جای بالاست و زیر نیست را نه زود ونه دور ونه (٩) دیر
کارگاه صنع(١٠) حق درنیستی است غرّهٔ هستی چه دانی نیست چیست ١٣ حاصل این اشکست ایشان ای کیا می نماند هیچ با اشکست ما
آنچنان شادند در ذلّ و تلف همچو ما در وقت اقبال و شرف ١٤ برگ بی برگی همه اقطاع اوست فقروخواریش افتخارست وعلوست
آن یکی گفت ارچنانست آن فرید چون بخندید اوکه مارا بسته دید ١٥ چونکه او مبدل شدست و شادیش نیست زین زندان کنون(١١) آزادیش
پس بقهر دشمنان چون شاد شد چون ازاین فتح وظفر پُرباد شد ١٦ شاد شد جانش که بر شیران نر یافت آسان نصرت و فتح و ظفر
پس بدانستیم کو آزاد نیست جز بدنیا دلخوش و دلشاد نیست ١٧ ورنه چون خندد که اهل آن جهان بر بد و نیکند مشفق مهربان

آگاه شدن پیغمبر (ص) از طعن ایشان بر شماتت او

این بمنگیدند در زیر زبان آن اسیران باهم اندر بحث آن ١٩ تا موکل نشنود در ما جهد(١٢) خوش سخن درگوش آن سلطان نهد[13]
گرچه نشنید آن موکل این سخن رفت درگوشی که آن بدِ من لدن ٢٠ بوی پیراهان یوسف را ندید آنکه حافظ بود و یعقوبش شنید
آن شیاطین بر عنان آسمان نشنوند آن سرّ لوح غیب دان ٢١ آن محمد خفته و تکیه زده آمده سرّ گرد او گردان شده
آن خورد حلوا که روزیش است باز آن نه کانگشتان او باشد دراز ٢٢ نجم ثاقب گشته حارس دیو ران که بهل دزدی زاحمد سرّستان
ای دو دیده سوی دکان ازپگاه ٢٣ هین بمسجد رو بجو رزق از اله

فهم کردن رسول علیه السلام ضمیر اسیران را

پس رسول آن گفتشان را فهم کرد گفت آن خنده نبودم از نبرد ٢٥ مرده‌اند ایشان وبوسیدهٔ فنا (١٤) مرده کشتن نیست مردی پیش ما
خودکیند ایشان که مه گردد(١٥) شکاف چونکه من یابفشرم(١٦) اندرمصاف ٢٦ آنگهی کازاد بودید و مکین من شمارا بسته میدیدم چنین
ای بنازیده بملك و خانمان نزد عاقل اشتری بر نردبان ٢٧ نافتاده شخص را (١٧) ازبام طشت پیش چشمم کلّ آن آن گشت(١٨)
بنگرم در غوره می بینم عیان بنگرم در نیست شیٔ بینم عیان ٢٨ بنگرم سرّ عالمی بینم نهان آدم و حوّا نرسته از جهان
من شمارا وقت ذرّات الست دیده‌ام پا بسته ومنکوس وپست ٢٩ از حدوث آسمان بی عمد آنچه دانسته بدم افزون نشد
من شما را سر نگون میدیده ام پیش ازان کزآب وگل بالیده‌ام ٣٠ نو ندیدم تا کنم شادی بدان این همی دیدم در آن اقبالتان
بستهٔ قهر خفی آنکه چه قهر قند میخوردید ودروی درج زهر ٣١ این چنین قندی پراز زهر ارعدو خوش بنوشد چت حسد آید براو
با نشاط آن زهر میکردید نوش مرگتان خفیه گرفته هر دو گوش ٣٢ من نمیکردم غزا از بهر آن تا ظفر یابم فرو گیرم جهان
کاین جهان جیفه است ومردار ورخیص برچنین مردار چون باشم حریص ٣٣ سگ نیم تا پرچم مرده کنم عیسیم آیم که تا زنده‌اش کنم
زان همی کردم صفوف جنگ چاك تا رهانم مر شما را از هلاك ٣٤ زان نمی برّم گلو های بشر تا مرا باشد کر و فرّ و حشر
زان همی برّم گلوی چند تا زان گلوها عالمی یابد رها ٣٥ که شما پروانه‌وار ازجهل خویش پیش آتش میکنید این جمله[19] کیش[20]

---

١ ـ بُذل ٣ ـ دو بقعه‌ها ٤ ـ نفعها ٥ ـ هر کجا دلبر بود خود ٧ ـ از ٨ ـ بر چرخ ٩ ـ دورست و ١٠ ـ وگنج ١١ ـ وزین ١٢ـ رود ١٣ـ زین سخن گرآن شهنشه بشنود ١٤ ـ مرده‌اید وجمله پوشیده قبا ١٥ـ خودکه ایدآخرکه مه گیرد ١٦ـ را فشرّم ١٧ ـ نقش تن را تافتاد ١٩ ـ حمله (ن . ل)

---

(٢) قریظه و نضیر دو طایفه از یهودند (٦) معنی حدیث این است که تفضیل ندهید مرا بر یونس بن متی از حیثیت نبوت واین نهی برای آنست که کسی توهم نکند فضیلت را از جهت زلتی که از حضرت یونس علیه السلام واقع شد بدان جهت او را در شکم ماهی حق تعالی حبس فرمود و فرموده و لا تکن کصاحب الحوت پس از جهت دفع توهم تخصیص فرمود تفضیل حضرت پیغمبر ما را بر جمیع انبیاء از حیثیت خاتمیت و محبوبیت نه از حیث نبوت چه در نبوت همهٔ پیغمبرات برابرند ومتی بروایت اصح نام پدر و بروایت دیگر نام مادرآنحضرت است (١٨) در پیش چشم وحالت دلم تن بقضا دادن آمد که هرچه آید خوش آید (٢٠) این دو بیت مضمون حدیث نبوی است قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم مثلی کمثل رجل استوقد نارا فلما اضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التی تقع فی النار یقعن فیها وجعلها یحجزهن و یغلبه فیتقحمن فیها قال فانا اخذ بحجزکم عن النار و انتم تقحمون فیها هذه فرمود رسول خدا که مثل من مثل آن کسی است که افروخت آتش را پس هرگاه که روشن کرد آتش را آنچه گرد او بود شروع کرد پروانه وار سوختن و شروع کرد آن افروزنده آتش که منع کند آن جانوران را که میافتادند در آن آتش و بمنع او باز نمی آمدند پس فرمود من گیرنده و منع کننده هستم شما را از افتادن در آن آتش یعنی دعوت میکنم شما را بایمان و بیان میکنم جمیع مهالك و مضار را و ظاهر میکنم بشما آنچه نفع دنیا و آخرت شما است و شما قبول نمیکنید و بزور خودرا درآتش میاندازید

من همی رانم شمارا همچو مست — از درافتادن درآتش با دو دست ۱ آنکه خودرا فتحها پنداشتید — تخم منحوسی خود میکاشتید
یکدگر را جدّ جدّ میخواندید — سوی اژدرها فرس میراندید ۲ قهر میکردید و اندر عین قهر — خود شما مقهور قهر شیر دهر

بیان آنکه طاغی در عین قاهری مقهور است و در عین منصوری مأسور

دزد قهر خواجه کرد و زر کشید — او بدان مشغول بُد والی رسید ٤ گر ز خواجه آن زمان بگریختی — کی براو والی حشر انگیختی
قاهریّ دزد مقهوریش بود — زانکه قهر او سر اورا ربود ٥ غالبی بر خواجه دام او شود — تا رسد والیّ و بستاند قود
ای که تو بر خلق چیره گشتهٔ — در نبرد و غالبی آغشتهٔ ٦ آن بقاصد منهزم کردستشان — تا ترا در حلقه می‌آرد کشان
هین عنان درکش پی این منهزم — در مران تا تو نگردی منخزم ۷ چون کشانندت بدین شیوه بدام — جمله بینی بعد از آن اندر زحام
عقل ازین غالب‌شدن کی گشت شاد — چون درین غالب‌شدن دید اوفساد ۸ تیز چشم آمد خرد بینای پیش — که خدایش سرمه کرد از کحل خویش
گفت پیغمبر که هستند از فنون — اهل جنت در خصومتها زبون ۹ از کمال حزم وسوءالظنّ خویش — نی زنقص و بد دلیّ وضعف کیش
در فره دادن شنوده در کمون — حکمت لولا رجال مؤمنون (۱) ۱۰ دست کوتاهی ز کفار لعین — فرض شد بهر خلاص مؤمنین
قصهٔ عهد حُدیبیه بخوان — کفّ ایدیکم تمامت زان بدان (۲) ۱۱ نیز اندر غالبی هم خویش را — دید او مغلوب دام کبریا
❀ ما رمیت اذ رمیت آمد خطاب — گم شد او والله اعلم بالصواب ۱۲ زان نیخندم من از زنجیرتان — که بکردم ناگهان شبگیرتان
زان همی‌خندم که با(۳)زنجیر وغل — می‌کشمتان سوی سروستان و گُل ۱۳ ای عجب کز آتش بی زینهار — بسته می آریمتان تا سبزه زار
از سوی دوزخ بزنجیر گران — می کشمتان تا بهشت جاودان ۱٤ هر مقلد را درین ره نیك و بد — همچنان بسته بحضرت می کشد
جمله در زنجیر بیم و ابتلا — میروند این ره بغیر اولیا ۱٥ می کشند این راه را بیکار وار — جز کسانی واقف از اسرار کار
جهد کن تا نور تو رخشان شود — تا سلوك و خدمتت آسان شود ۱٦ کودکان را میبری مکتب بزور — زانکه هستند از فواید چشم کور
چون شود واقف بمکتب میدود — جانش از رفتن شکفته میشود ۱۷ میرود کودك بمکتب پیچ پیچ — چون ندید ازمزد کارخویش هیچ
چون کند درکیسه دانگی دست مزد — آن گهی بیخواب گردد شب چودزد ۱۸ جهد کن تا مزد طاعت در رسد — بر مطیعان آنگهت آید حسد
اثنیا کرهاً مقلد گشته را — اثنیا طوعاً صفا بسرشته را ۱۹ این محب حق ز بهر علتی — وان دگر را بیغرض خود خُلقتی
این محبّ دایه لیك از بهر شیر — وان دگر دل داده بهر این ستیر ۲۰ طفل را از حسن او آگاه نی — غیر شیر او را ازو دلخواه نی
وان دگر خود عاشق دایه بود — بیغرض در عشق یك رایه بود ۲۱ پس محب حق بامید و بترس — دفتر تقلید میخواند بدرس
وان محبّ حق ز بهرحق کجاست — که ز اغراض وز علتها جداست ۲۲ گرچنین وگرچنان چون‌طالب‌است — جذب حق‌اوراسوی حق‌جاذبست
گر محبّ حق بود لغیره — کی ینال دائماً من خیره ۲۳ یا محبّ حق بود لعینه — لا سواه خائفا من بینه (٤)
هردورا این‌جستجوهازان‌سریست ۲٤ این گرفتاری دل زان دلبریست

جذب معشوق عاشق را من حیث لا یعلمه العاشق و لا یرجوه و لا یخطر بباله و لا یظهر من ذلك الجذب اثرفی‌العاشق الاالخوف‌الممزوج بالیأس مع دوام‌الطلب

آمدیم آنجا که در صدر جهان — گر نبودی جذب آن عاشق نهان ۲۷ تا شکیبا کی بدی او از فراق — کی دوان باز آمدی سوی وثاق
میل معشوقان نهانست و ستیر — میل عاشق با دوصد طبل ونفیر ۲۸ یك حکایت هست اینجا ز اعتبار — لیك عاجز شد بخاری ز انتظار
ترك آن کردیم کو درجست‌وجوست — تا که‌پیش‌ازمرگ‌بیندروی دوست ۲۹ تا رهد از مرگ و یابد اونجات — زانکه دید دوستست آب حیات
هر که دید او نباشد دفع مرگ — دوست نبودکه نه مبوستش‌نه‌برگ ۳۰ کار آن کاراست ای مشتاق مست — کاندرآن‌کارارزسد مرگ‌خوشست
شد نشان صدق ایمان ای جوان — آنکه آید خوش‌ترا مرگ اندرآن ۳۱ گر نشد ایمان تو ای جان چنین — نیست کامل رو بجو اکمال دین
هر که اندر کارتوشدمرگ‌دوست — بردل تو بی‌کراهت دوست‌اوست ۳۲ ❀چون‌کراهت‌رفت‌خودآنمرگ‌نیست — صورت مرگست و تقلان کرد نیست
چون‌کراهت رفت مردن نفع‌شد(٦) — پس درست آمدکه مردن دفع‌شد ۳۳ دوست‌حق‌است‌وکسی‌کش‌گفت‌او(۷) — که توئی آنِ من و من آنِ تو

رسیدن بخاری عاشق در بندگی صدر جهان

گوش‌دار اکنون که عاشق می‌رسد — بسته عشق او را بحبل من مسد ۳٥ چون بدید او چهرهٔ صدرجهان — گوئیا پریدش از تن مرغ جان
❀ جان‌بجانان‌داد وازخودبازرست — بر سریر ملك جاویدان نشست ۳٦ همچوچوب‌خشك پیشش اوفتاد(۸) — سرد شد ازپای‌تاسرآن جواد(۹)
هرچه کردند از بخور واز گلاب — نی بجنبید و نه آمد در خطاب ۳۷ ❀کارناید ازبخارواز(۱۰) بخور — جز که بوی آن شه با فر و نور
شاه چون دید آن مزعفرروی او — پس فرود آمد ز مرکب سوی‌او ۳۸ گفت‌عاشق‌دوست‌میجوید‌بتفت(۱۱) — چون‌که‌معشوق‌آمدآن عاشق برفت

---

۳ ـ از ۸ ـ افتاد آن تنش ۹ ـ از فرق تا سر ناخنش ۱۰ ـ در بخارا هر ۱۱ ـ جوید تیز و تفت (ن . ل) .

---

(۱) اشاره است باین آیه شریفه که در سورهٔ فتح واقع شده ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤهم فتصیبکم منهم معرة بغیر علم لیدخل‌الله فی رحمته من یشاء و اگر نبودی مردانی گرویده وزنان ایمان آورده که شما ندانید ایشان را اگر گام مینهادید شما بر ایشان پس میرسید شمارا ازایشان مکروهی بقتل خطا ندانسته برای اینکه داخل کند خدا دربخشش خود هرکه را بخواهد (۲) اشاره است بآیه کریمه واقعه درسورهٔ فتح وهوالذی کفّ ایدیهم عنکم وایدیکم عنهم ببطن مکة من بعد ان اظفرکم علیهم وکان‌الله بما تعملون بصیرا (٤) یعنی اگر دوست دارنده حق است از برای غیر او مانند بهشت و آنچه نعمت درآن است تابرسد او همیشه بخیر حق یا دوست دارندهٔ او بود از برای ذات او نه جزحق را ترسنده باشد از غیر او (٥) اشارتست بآیهٔ کریمهٔ فتمنواالموت ان‌کنتم صادقین (٦) اشاره بمضمون این حدیث‌است که قال رسول الله (ص) الا انّ اولیاء الله لا یموتون بل ینقلبون من دار الی دار فرمود پیغمبر بدرستی‌که دوستان خدایتعالی نمی‌میرند بلکه منتقل میشوند ازدار فانی بسوی دار باقی (۷) یعنی دوست حق تعالی است وآنهم دوستی است که کسی را حقتعالی گفته باشد تو آن من هستی ومن آن تو از این اهل‌الله مرادند یعنی خدا وولی دوستند دیگر دوستی نیست .

عاشق حقیّ و حق آنست کو / چون بیاید از تو نبود تار مو ۱ صد چو تو فانیست پیش آن نظر / عاشقی بر نفی خود خواجه مگر
سایهٔ و عاشقی بر آفتاب / شمس آید سایه لا گردد شتاب(۱) ۲ ❀ چونکه سر برزد ز مشرق قرص خور / نز ستاره ماند و نه از شب اثر
❀ از درون چونکه عشق آید درون / عقل رخت خویش اندازد برون ۳ ❀ همچو شیری خورد با آهو دوچار / گشت آهو بیخبر افتاد زار
❀ همچو زور پشه پیش تند باد ۴ فهم کن والله اعلم بالسداد

داد خواستن پشه از باد بحضرت سلیمان علیه السلام

پشه آمد از حدیقه وز گیاه / وز سلیمان گشت پشه (۲) دادخواه ۶ کای سلیمان معدلت میگستری / بر شیاطین وآدمیزاد و پری
مرغ و ماهی در پناه عدل تست / کیست آن گم گشته کش فضلت نجست ۷ داد ده مارا که بس زاریم ما / بی نصیب از باغ و گلزاریم ما
مشکلات هر ضعیفی از تو حل / پشه باشد در ضعیفی خود مثل ۸ شهره ما درضعف واشکسته پری / شهره تو درلطف ومسکین پروری
ای تو در اضباق قدرت منتهی / منتهی ما در کمیّ و گمرهی ۹ داد ده ما را ازین غم کن جدا / دست گیر ای دست تو دست خدا
پس سلیمان گفت ای انصاف جو / داد وانصاف ازکه میخواهی بگو ۱۰ کیست آن ظالم که از باد بروت / ظلم کردست و خراشیدست روت
ای عجب درعهد ما ظالم کجاست / کو نه اندر حبس و در زنجیر ماست ۱۱ چونکه مازادیم ظلم آن روزمرد / پس بعهد ما که ظلمی پیش برد
چون برآمد نور ظلمت نیست شد / ظلم را ظلمت بود اصل وعضد ۱۲ نك شیاطین کسب وخدمت میکنند / دیگران بسته باصفادند و بند
اصل ظلم ظالمان از دیو بود / دیو دربند است استم چون نمود ۱۳ ملك زان دادداست مارا کن فکان / تا نناله خلق سوی آسمان
تا ببالا بر نیاید دودها / تا نگردد مضطرب چرخ و سها ۱۴ تا نلرزد عرش از نالهٔ یتیم / تا نگردد از ستم جانی سقیم
زان نهادیم ازممالك مذهبی (۳) / تا نیاید بر فلکها یاربی ۱۵ منگر ای مظلوم سوی آسمان / کاسمانی شاه داری در زمان
گفت پشه داد من از دست باد / کو دو دست ظلم بر ما بر گشاد ۱۶ ما ز ظلم او بتنگی اندریم / با لب بسته ازو خون میخوریم
❀ ظلم او بر ما صریحست وعیان / نیست ما را چاره جز کردن بیان ۱۷ ❀ داد ما وانصاف ما بستان ازو / ای کریم عادل اکرام خو

امر کردن سلیمان علیه‌السلام پشهٔ متظلّم را باحضار خصم بدیوان حکم

پس سلیمان گفت ای زیبا دوی / امر حق باید که ازجان بشنوی ۱۹ حق بمن گفته‌است هان ای‌دادور / مشنو ازخصمی تو بی خصم دگر
تا نیاید هر دو خصم اندرحضور / حق نیاید پیش حاکم در ظهور ۲۰ خصم تنها گر بر آرد صد نفیر / هان و هان بی خصم قول اومگیر
من نیارم روز فرمان تافتن / خصم خودرا رو بیاور سوی من ۲۱ گفت قول تست برهان و درست / خصم من بادست واودرحکم تست
بانگ زد آن شه که ای باد صبا / پشه افغان کرد از ظلمت بیا ۲۲ هین مقابل شوبخصمت روبرو(٤) / پاسخش میگوی و کن(٥)دفع عدو
باد چون بشنید آمد تیز تیز / پشه بگرفت آن زمان راه گریز ۲۳ پس سلیمان گفت کای پشه کجا / باش تا بر هر دو رانم من قضا
گفت ای‌شه مرگ من ازبوداوست / خودسیاه این‌روز من‌ازدوداوست ۲٤ او چو آمد من کجا یابم قرار / کو بر آرد از نهاد من دمار
همچنین جویای درگاه خدا / چون خدا آید شود جوینده لا ۲٥ گرچه آن وصلت بقا اندر بقاست / لیك ز اول آن بقا اندر فناست (٦)
سایهائی کان بود جویای نور / نیست گردد چون کند نورش ظهور ۲٦ عقل کی ماند چو باشد سرده او / کل شیٌ هالك الا وجهه
هالك آمد پیش وجهش هست ونیست / هستی اندرنیستی خود طرفه‌ایست ۲۷ اندرین محضر خردها شد زدست / چون قلم اینجا رسید وسر(۷)شکست

نواختن معشوق عاشق بیهوش را تا بهوش باز آید

❀ باز گردم جانب صدر جهان / در نوازش عاشق خود را نهان ۲۹ می کشید از بیهشی اش در بیان / اندك اندك از کرم صدر جهان
❀ برگرفتش سرنهاد اندر کنار / بر رخش میکرد اشك تر نثار ۳۰ بانگ زد در گوش اوشه کای گدا / زر نثار آوردمت دامن گشا
جان تو کاندر فراقم می طپید / چونکه زنهارش رسیدم چون رمید ۳۱ ای بدیده در فراقم گرم و سرد / با خود آ از بیخودیّ و باز گرد
مرغ خانه اشتری را بی خرد / رسم مهمانش بخانه میبرد ۳۲ چون بخانهٔ مرغ اشتر پا نهاد / خانه ویران گشت وسقف اندرفتاد
خانهٔ مرغ است عقل و هوش ما / هوش صالح طالب ناقهٔ خدا ۳۳ ناقه چون سر کرد درآب وگلش / نی گل آنجا ماند نی جان ودلش
کرد فضل عشق انسان را فضول / زین فزون جوئی ظلومست وجهول(۸) ۳٤ جاهلست واندر این مشکل شکار / می کشد خرگوش شیری در کنار
کی کنار اندر کشیدی شیر را / گر بدانستیّ و دیدی شیر را ۳٥ ظالمست او برخود وبرجان خود / ظلم بین کز عدلها گو می‌برد
جهل او مر علمها را اوستاد / ظلم او مر عدلها را شد رشاد ۳٦ دست او بگرفت کاین رفته دمش / آنگهی آید که من دم بخشمش
چون بمن زنده شود آن مرده تن / جان من باشد که روی آرد بمن ۳۷ من کنم اورا ازین جان محتشم / جان که من بخشم ببیند بخشمم
جان نا محرم نبیند روی دوست / جزهمان جان کاصل او ازکوی اوست ۳۸ در دمم قصاب وار این دوست را / تا هلد آن مغز نغزش پوست را
گفت ای جان رمیده از بلا / وصل را ما در گشادیم الصلا ۳۹ ای خود ما بیخودی و مستیت / ای ز هست ما هماره هستیت
با تو بی‌لب این زمان من نوبنو / رازهای کهنه گویم می شنو ۴۰ زانکه آن لبها از اینم می رمد / بر لب جوی نهان بر می دمد

---

۲ ـ نبی شد ٤ ـ تو باخصم وبگو ٥ ـ پاسخ خصم وبکن ۷ ـ رسیده شد (ن . ل) .

---

(۱) سایه تعین امکانی است که در وجود فانی است این است که در کلمهٔ لا کلمهٔ توحید باید تعینات بطور نفی بنظر آید وحقیقت وجود بسیط محیط مبسوط بنحو ثبوت ووجوب و وحدت حقهٔ حقیقیه ونورحی علیم‌مرید قدیرکه انوارقاهره عقلیه ومدبره نفسیه ظهوراوست (۳) یعنی ازضوابط ملك رانی مذهبی و روشی ازآن نهادیم تافریادی برنخیزد (٦) چون معشوق برتو اندازد عاشق فنا میشود میگوید اگرچه وصل آن معشوق بقا در بقاست لیکن اول آن بقارا فنا لازمست بعداز فنا آن بقا میشود لکن از اول آن بقا اندر فناست (۸) اشاره است باین آیه که انّا عرضنا الامانة علی‌السموات والارض والجبال فابین ان یحملنها و اشفقن منها و حملها الانسان انه‌کان ظلوماً جهولا یعنی ما عرض فرمودیم امانت را بر آسمان و زمین وکوهها پس سر باز زدند ازاینکه حمل این امانت کنند وبترسیدند ازآن وحمل نمود آن را انسان بدرستیکه اوظلوم وجهول بود که امانت را بعشق تفسیرمینماید وظلم ونادانی را دراین‌مقام نیکومی‌شمارد . ظلم او آنکه هستی خود را ساخت فانی بقای سرمد را
جهل او آنکه هرچه جزحق بود نقش آنرا ز لوح دل بزدود نیك ظلمی که عین معدلت است نغز جهلی که مغز معرفت است

گوش بیگوشی در این دم برگشا — بهر راز یفعل الله مایشا ۱ — چون صلای وصل بشنیدن گرفت — اندك اندك مرده جنبیدن گرفت
نی کم از خاکست کز عشوهٔ صبا — سبز پوشد سر برآرد از قبا (۱) ۲ — کم زآب نطفه نبود (۲) کز خطاب — یوسفان زایند رخ چون آفتاب
کم زبادی نی که شد (۳) ازامر کن — دررحم طاوس ومرغ (٤) خوش سخن ۳ — کم ز ناری نیست کز امر سلام — گلستان شد بر خلیل خوش کلام
کم ز چوبی نیست در دفع عدو — که شد (٥) اژدرهای منکر زامر هو ٤ — کم ز کوه و سنگ نبود کز ولاد — ناقهٔ کان ناقه ناقه زاد زاد
زین همه بگذر نه آن مایهٔ عدم ٥ — عالمی زاد و بزاید دمبدم

باخویش آمدن عاشق بیهوش و روی آوردن بثنا و شکر معشوق

بر جهید و بر طپید او گشت شاد — یك دوچرخی زد سجود اندرفتاد ۷ — ❀ بشکفید از روی اووشاد شد — در وصال از بند هجر آزاد شد
گفت ای عنقای حق جانرا مطاف (٦) — شکر که بازآمدی زان کوه قاف ۸ — ای سرافیل قیامتگاه عشق — ای توعشق عشق وای دلخواه عشق
اولین خلعت که خواهی دادنم — گوش خواهم که نهی بر روزنم ۹ — گر چه میدانی بصفوت حال من — بنده پرور گوش کن اقوال من
صد هزاران بار ای صدر فرید — ز آرزوی گوش تو هوشم پرید ۱۰ — آن سمیعی تو وآن اصغای تو — وان تبسمهای جان افزای تو
آن نیوشیدن کم و بیش مرا — عشوهٔ جان بداندیش مرا ۱۱ — قلبهای من که آن معلوم تست — پس پذیرفتی تو چون نقد درست
بهر گستاخی و شوخی غرّهٔ — حلمها در پیش حلمت ذرّهٔ ۱۲ — اولا بشنو که چون ماندم زشست — اول وآخر زپیش من بجست (۷)
ثانیاً بشنو تو ای صدر ودود — که بسی جستم ترا ثانی نبود (۸) ۱۳ — ثالثاً تا از تو بیرون رفته ام — گوئیا ثالث ثلاثه گفته ام (۹)
رابعاً چون سوخت ما را مزرعه — می ندانم خامسه از رابعه ۱٤ — ❀ خامساً درهجرت ای صدرجهان — از حواس خمسه بودم در زیان
❀ سادساً ازشش جهت بی روی تو — گوئیا بارید بر من غم دو تو ۱٥ — ❀ سابع از ثامن ندانم ضاله ام — خون همی گرید فلك از ناله ام
هر کجا یابی تو خون بر خاکها — بی بری باشد یقین از چشم ما ۱٦ — گفت من رعداست واین بانگ وحنین — ز ابر خواهد تا ببارد بر زمین
من میان گفت و گریه می تنم — یا بگریم یا بگویم چون کنم ۱۷ — گر بگویم فوت میگردد بکا — ورگریم چون کنم مدح (۱۰) وثنا
می فتد از دیده خون دل شها — بین چه افتادست از دیده مرا ۱۸ — این بگفت وگریه درشد آن نحیف — که بروبگریست هم دون هم شریف
ازدلش چندان برآمد های وهو — حلقه کرد اهل بخارا گرد او ۱۹ — خیره گویان خیره گریان خیره خند — مرد وزن خردوکلان حیران شدند
شهرهم همرنگ اوشد اشك ریز — مرد وزن درهم شده چون رستخیز ۲۰ — آسمان می گفت آن دم با زمین — گر قیامت را ندیدستی ببین
عقل حیران که چه عشقست و چه حال — تا (۱۱) فراق اوعجبتر یا وصال ۲۱ — چرخ بر خوانده قیامت نامه را — تا مجرّه بر دریده جامه را
با دو عالم عشق را بیگانگی است — واندرآن هفتاد ودودیوانگی است ۲۲ — سخت پنهانست و پیدا حیرتش — جان سلطانان جان در حسرتش
غیر هفتاد و دو ملت کیش او — تخت شاهان تخته بندی پیش او ۲۳ — مطرب عشق این زند وقت سماع — بندگی بند و خداوندی صداع
پس چه باشد عشق دریای عدم — در شکسته عقل را آنجا قدم ۲٤ — بندگی و سلطنت معلوم شد — زین دو پرده عاشقی مکتوم شد
کاشکی هستی زبانی داشتی — تا ز هستان پردها بر داشتی ۲٥ — هرچه گوئی ای (۱۲) دم هستی ازآن — پردهٔ دیگر برو بستی بدان
آفت ادراك آن حالست و قال — خون بخون شستن محالست ومحال ۲٦ — من چو با سودائیانش محرمم — روز و شب اندر قفص در می دمم
سخت مست و بیخود وآشفتهٔ — دوش ای جان بر چه پهلو خفتهٔ ۲۷ — هان وهان هش دار برناری دمی — اوّلاً برجه طلب کن محرمی
عاشق و مستی و بگشاده زبان — الله الله اشتری بر ناودان (۱۳) ۲۸ — چون ز راز و ناز اوگوید زبان — یا جمیل الستر خواند آسمان
ستر چه دربشم و پنبه آذر است — توهمی پوشیش اورسوا (۱٤) تراست ۲۹ — چون بکوشم تا سرش پنهان کنم — سر برآرد چون علم کاینك منم
رغم انفم گیردم او هر دو گوش — کای مدمّغ چونش میپوشی بپوش ۳۰ — گویمش رو گرچه بر جوشیدهٔ — همچو جا ن پیدائی و پوشیدهٔ
گویداومحبوس خنب (۱٥) است این تنم — چون می اندر بزم خنبك می زنم ۳۱ — گویمش زان پیش که گردی گرو — تا نیابد آفت مستی برو
گوید از جام لطیف آشام من — یار روزم تا نماز شام من ۳۲ — چون بیاید شام و دزدد جام من — گویمش واده که نامد شام من
زان عرب بنهاد نام می مدام — زانکه سیری نیست می خوررا مدام ۳۳ — عشق جوشد بادهٔ تحقیق را — او بود ساقی نهان صدّیق را
چون بجوئی تو بتوفیق حسن — باده آب جان بود ابریق تن ۳٤ — چون بیفزاید می توفیق را — قوّت می بشکند ابریق را
آب گردد ساقی و هم مست آب — خود بگو (۱٦) والله اعلم بالصواب ۳٥ — پرتو ساقیست کاندر شیره رفت — شیره برجوشیدورقصان گشت وزفت
اندراین معنی پرس آن خیره را — که چنین کی دیده بودی شیره را ۳٦ — بی تفکر پیش هر داننده هست — آنکه باشوریده شوراننده هست (۱۷)

حکایت آن عاشق دراز هجران بسیار امتحان

❀ یك جوانی برزنی عاشق شده است — روزوشب بیخواب وبیخور آمده است ۳۸ — بیدل وشوریده ومجنون ومست (۱۸) — می ندادش روزگار وصل دست
پس شکنجه کرد عشقش بر زمین — خود چرا دارد زاوّل عشق کین ۳۹ — عشق ازاوّل چرا (۱۹) خونی بود — تا گریزد آنکه بیرونی بود

---

۱ ـ فنا ۲ ـ نبود از آب نطفه ۳ ـ نبود از بادکان ٤ ـ شد مرغ خوب ٥ ـ گشت ـ کوشد ۱۰ ـ شکر ۱۱ ـ یا ـ که ۱۲ ـ این
۱۳ ـ نردبان ۱٤ ـ تا همی پوشیش او پیدا ۱٥ ـ خم ۱٦ ـ چون مگو ۱۷ ـ گردنده گرداننده ۱۸ ـ یك جوانی برزنی مجنون بداست
۱۹ ـ سرکش و

---

(٦) ماقبل و مابعد این بیت مقوله عاشق است و از لفظ باز آمدی توهم میشود که این بیت مقولهٔ معشوق باشد چه عاشق از سفر باز آمده و بدون آنکه باز آمدی ازکوه قاف را باین طریق تفسیر نمائیم که عاشق بمعشوق خطاب می نماید که از کوه قاف اعراض وبی توجهی باز آمدی رفع آن توهم نمیشود (۷) یعنی طی زمان شد و خراب شدم (۸) کلمه ایست که در توحید گفته میشود و ثالث ثلثه گفته ام عندلیب آسا پیش گل نواخوانی و نغمه سرائی میکند و مناسب هرمرتبه از اعداد چیزی میگوید و ثالث ثلثه قول کفره از نصارا است که باقانیم ثلثه قائل اند یعنی اگر از تو بیرون رفته ام گویا مشرك شده ام خامسه از رابعه یعنی در وادی حیرتم وترك عیال وخانمان کرده ام ومزرعه که زوجه و صاحبه باشد بمضمون قول خدایتعالی که نساؤکم حرث لکم بآتش عشق تو سوختم پس مزرعهٔ رابعه را که حدّ نصابست نمیشناسم چه جای خامسه که زیاده از نصابست چه رابعه وخامسه چون تأنیث عبارت از زنست (۹) قول نصاری است که خدا را سه خدا دانند وخداوند را ثالث آن ثلاثه خوانند .

چون فرستادی رسولی پیش زن / آن رسول از رشك گشتی راه زن ۱ ور بسوی زن نبشتی کاتبش / نامه را تصحیف خواندی نائبش
ور صبا را بیك کردی در وفا / از غباری تیره گشتی آن صبا ۲ رقعه گر بر پرّ مرغی دوختی / پرّ مرغ از تفّ رقعه سوختی
راههای چاره را غیرت ببست / لشکر اندیشه را رایت شکست ۳ بود اوّل مونس غم انتظار (۱) / آخرش بشکست کی هم انتظار
گاه گفتی کاین بلای بی دواست / گاه گفتی نی حیات جان ماست ٤ گاه هستی زو بر آوردی سری / گاه او از نیستی خوردی بری
❀گاه فریادش بگردون بر شدی / که خیال دلبرش همدم بدی ٥ چونکه بروی سردگشتی این نهاد / جوش کردی گرم چشمهٔ اتحاد
چونکه با بی برگی غربت بساخت / برگ بی برگی بسوی او بتاخت ٦ خوشهای فکرتش بی کاه شد / شیروان را رهنما چون ماه شد
ای بسا طوطیّ گویای خمش / ای بسا شیرین روان رو ترش ۷ رو بگورستان دمی خامش نشین / آن خموشانِ سخن‌گو را ببین
لیك اگر یکرنگ بینی خاکشان / نیست یکسان حالت چالاکشان ۸ شحم و لحم زندگان یکسان بود / آن یکی غمگین دگر شادان بود
تو چه دانی تا نتوشی قالشان / زانکه پنهانست برتو (۲) حالشان ۹ بشنوی از قال های و هوی را / کی ببینی حالت صد توی را
نفس(۳)مایکسان بضدهامتصف(٤) / همچنین یکسان بود آوازها ۱۰ آن یکی پر درد وآن پر نازها
بانگ اسبان بشنوی اندر مصاف / بانگ مرغان بشنوی اندرطواف ۱۱ آن یکی ازحقد و دیگر ز ارتباط / آن یکی از رنج و دیگر ازنشاط
هر که دور از حالت ایشان بود / پیشش آن آوازها یکسان بود ۱۲ آن درختی جنبد از زخم تبر / وان درخت دیگر از باد سحر
پس غلط گشتم ز دیگ مرد ریگ / زانکه سر پوشیده میجوشید دیگ ۱۳ جوش و نوش هر کست گوید بیا / جوش صدق وجوش تزویر و ریا
گر نداری بو ز جان رو شناس / رو دماغی دست آور بوشناس ۱٤ آن دماغی که برآن گلشن تند / چشم یعقوبان هم او روشن کند

یافتن عاشق معشوق را و بیان آنکه جوینده یابنده بود که (فَمَنْ یَعمَلْ مِثقالَ ذَرَّةٍ خَیراً یَرَهُ)

هین بگو احوال آن خسته جگر / کز بخاری دور ماندیم ای پسر ۱٦ کان جوان درجستجو بد هشت سال / از خیال وصل گشته چون خیال
سایهٔ حق بر سر بنده بود / عاقبت جوینده یابنده بود (٥) ۱۷ گفت پیغمبر که چون کوبی دری / عاقبت زان در برون آید سری
چون نشینی بر سر کوی کسی / عاقبت بینی تو هم روی کسی ۱۸ چون زچاهی میکنی هر روز خاك / عاقبت اندر رسی در آب پاك
جمله دانند این اگر تو نگروی / هر چه میکاریش روزی بدروی ۱۹ سنگ برآهن زدی آتش بجست / این بباشد ور نباشد نادر است
آنکه روزی نیستش بخت ونجات / ننگرد عقلش مگر در نادرات ۲۰ کان فلان کس کشت کردو بر نداشت / وآن صدف بردو صدف گوهر نداشت
بلعم باعور و ابلیس لعین / سود نامدشان عبادتها و دین ۲۱ صد هزاران انبیا و رهروان / ناید اندر خاطر آن بدگمان
این دورا گیرد که تاریکی دهد / در دلش ادبار جز این کی نهد ۲۲ بس کسا که نان خورد دلشاد او / مرگ او گردد بگیرد در گلو
پس توای ادبار رو نان هم مخور / تا نیفتی همچو او در شور و شر ۲۳ صد هزاران خلق نانها میخورند / زور می یابند و جان می‌پرورند
تو بدان نادر کجا افتادهٔ / گرنه محرومیّ و ابله زادهٔ ۲٤ این جهان پر آفتاب و نور ماه / تو(٦) بهشته سر فرو برده بچاه
که اگر حق است پس کو روشنی / سر برآر ازچاه و(۷) بنگر ای دنی ۲٥ جمله عالم شرق وغرب آن نور یافت(۸) / تا تو درچاهی نخواهد برتو تافت
چه رهاکن رو بایوان وکروم(۹) / کم ستیز اینجا بدان کالدّج شوم(۱۰) ۲٦ هین مگو کاینك فلانی کشت کرد / درفلان سال وملخ کشتش بخورد
پس چرا کارم که اینجا خوف هست / من چرا افشانم این گندم زدست ۲۷ ❀ هین مکن استیزه رو وکارکن / با توکل کشت کن بشنو سخن
❀ هر که استیزه کند بر رو فتد / آنچنان کو بر نخیزد تا ابد ۲۸ وانکه او نگذاشت کشت وکار را / پس کند کوریّ تو انبار را
زین بیان بگذر زمانی باز ران / جانب احوال آن عاشق جوان ۲۹ چون دری میکوفت او از سلوتی(۱۱) / عاقبت دریافت روزی خلوتی
جست از بیم عسس او شب بباغ / یار خودرا یافت با شمع و چراغ ۳۰ گفت سازندهٔ سبب را آن نفس / ای خدا تو رحمتی کن بر عسس
نا شناسا تو سببها کردهٔ / از در دوزخ بهشتم (۱۲) بردهٔ ۳۱ بهرآن کردی سبب این کار را / تا ندارم خوار من یك خار را
در شکست پای بخشد حق پری / هم ز قعر چاه بگشاید دری ۳۲ ❀هرچه آن برتو کراهیت بود(۱۳) / چون حقیقت بنگری رحمت بود
تو مبین که بر درختی یا بچاه / تو مرا بین که منم مفتاح راه ۳۳ ❀گر تو خواهی باقی این گفت وگو / ای اخی در گفتر چارم بجو

تمّ المجلّد الثالث من المثنوی المعنوی

---

۲ ـ حسن ۳ ـ نقش ٦ ـ او ۷ ـ زچه بردار ۸ ـ تافت ۱۲ ـ بجنت (ن . ل) .

(۱) یعنی اول در غم عشق انتظار مونس او بود که شاید انتظار نتیجه بخش وصال گردد و خودرا بآن تسلی وخوش میداشت آخر اورا که شکست همان انتظار در مصرع ثانی کاف بمعنی استفهام است یعنی همان انتظار موجب شکست بناء صبر وانهدام اساس حال او شد و عاقبت با بی‌برگی غربت بساخت چنانچه ابیات مابعد مؤید اینمعنی است واگر غیرت را که در بیت اول واقع شده فاعل شکست مراد داشته باشد هم وجهی دارد (٤) این اتصاف بضد بمعنی اتصاف بمتخالف ومتضاد از حالاتست . (٥) مضمون حدیث نبویست که من قرع الباب ولج ولج .
(۹) کروم اراضی واماکن کریمه یعنی نقیه وطیبه است واینجا نظر بپاکیزگی وقابلیت آن اماکن بحال استفاضه ازاشعهٔ شمس حقیقت مراد است
(۱۰) یعنی اینجا ستیز مکن و بدان که ستیزه و لجاجت شوم و بد عاقبت است (۱۱) یعنی چون همیشه از بی غمی و فراخ عیشی مشغول بلهو ولعب بود (۱۳) اشاره است بمضمون و عسی ان تکرهوا شیئاً و هو خیرٌ لکم .

بسم الله الرحمن الرحیم

(الحمدُ لله حق حمده والصلوٰة والسلامُ علی خیر خلقه محمدٍ وآله وصحبه وذُرّیاته اما بعدُ فهذا) الظعنُ الرّابع الی احسن المرابع واجلّ المنافع تسر(به) قلوبُ العارفین بمطالعته کسرور الریاض بصوب الغمام وأنس العیون بطیب المنام فیه ارتیاحُ الارواح وشفآءُ الاشباح وهو کما یشتهیه المخلصون ویهوونه ویطلبه السالکون ویتمنونه للعیون قرّةٌ وللنفوس مسرّةٌ اطیبُ الثمار لمن اجتنی واجلُّ المرادات والمنی موصلُ العلیل الی طبیبه وهادی المحب الی حبیبه وهو بحمدالله (عزّ وجلّ) من اعظم المواهب وأنفس الرّغائب مُجدّد عهد الالفة مُسهلُ عسر اصحاب الکلفة یزیدُ النظر فیه اسفاً لمن بعد وسرُوراً وشُکراً لمن سعد یتضمن(۱) صدرُهُ مالم یتضمن صدور الغانیات من الحلل جزآءً لاهل العلم والعمل فهو کبدرٍ طلع وجدٍ رجع زآئدٌ علی تأمیل الآملین رائدلرود(۲) العاملین یرفعُ الامل بعد انخفاضه ویبسطُ الرّجآء بعد(۳) انقباضه کشمسٍ اشرقت من بین غمامةٍ تفرّقت نورٌ لاصحابنا وکنزٌ لاعقابنا ونسئلُ الله التوفیق لشکره فانّ الشکر قیدٌ للعتید وصیدٌ للمزید ولا یکونُ الّا مایرید

وممّا شجانی أنّنی کنتُ نائماً ... اُعللُ من بردٍ بطیب التنسّمُ
الی ان دعت ورقاءُ فی غصن ایکةٍ ... تفرّدُ(٤) مبکاها بحسن الترنّم
فلوْ قبل مبکاها بکیتُ صبابةً ... بسعدی شفیتُ النفس قبل التندُّم
ولکن بکت قبلی فهیج لی البکا ... بُکاها فقاتُ الفضلُ للمتقدّم

رحم اللهُ المتقدّمین والمتأخّرین والمتنجزّین والمتبحرّین بفضله وکرمه وجزیل الآئه ونعمه فهو خیرُ مسئولٍ واکرمُ مأمول فالله خیرٌ حافظاً وهو ارحم الراحمین وخیر المؤنسین وخیر الوارثین وخیر مخلفٍ رازق للعابدین والزارعین والحارثین (وخیر الرازقین) وصلی الله علی محمدٍ (وآله الاکرمین) وعلی جمیع الانبیاء والمرسلین آمین ربّ العالمین وبه نستعین

---

(۱) تضمن (۲) کرود (۳) عند (٤) تترد

مثنوی معنوی

مناسبت هفتصد و پنجاهمین سال ولادت

مولانا جلال الدین محمد بلخی رومی

در سال ۱۳۱۶ هجری قمری چاپ شده

بقلم خاور

مثنوی معنوی

مولانا جلال الدین محمد بلخی رومی

شرح حال مولانا ملخصی از آثار مولانا، کتاب مجالس سبعه مولانا، شرح ابیات مشکله مثنوی، ذیل صفحات، دفتر هفتم منسوب بمولانا، کشف الابیات جامع، لطائف اللغات

مرحوم حاجی علی اصغر رمضانی کتابفروش

روز ۱۲ مهر ۱۲۵۰ هجری شمسی بدنیا آمد و شب ۲۰ آذر ۱۳۱۶ هجری شمسی دنیا را بدرود گفت

بپاس سی و سه سال عمری که برای تربیت من بنده صرف کرد

پنج سال زحمتی که برای تصحیح و مقابله و چاپ مثنوی کشیده‌ام

بروان پاکش تقدیم میدارم

و آرزو دارم توفیق یابم سی و سه جلد کتاب نفیس اخلاقی و دینی بنام او چاپ نموده تقدیم دوستداران اخلاق و دین و فرهنگ بنمایم

محمد رمضانی

مثنوی معنوی

مولانا جلال الدین محمد بلخی رومی

شرح حال مولانا ملخصی از آثار مولانا، کتاب مجالس سبعه مولانا، شرح ابیات مشکله مثنوی و ذیل صفحات، دفتر هفتم منسوب بمولانا، کشف الابیات جامع، لطائف اللغات

تصحیح و مقابله و همت

محمد رمضانی

دارندهٔ کلالهٔ خاور

از سال ۱۳۱۵ تا سال ۱۳۱۹ در تهران چاپ شد

بها صد ریال

چاپخانهٔ خاور «تهران»

تصویر مولانا محفوظ در تکیه یکی قاپو اسلامبول

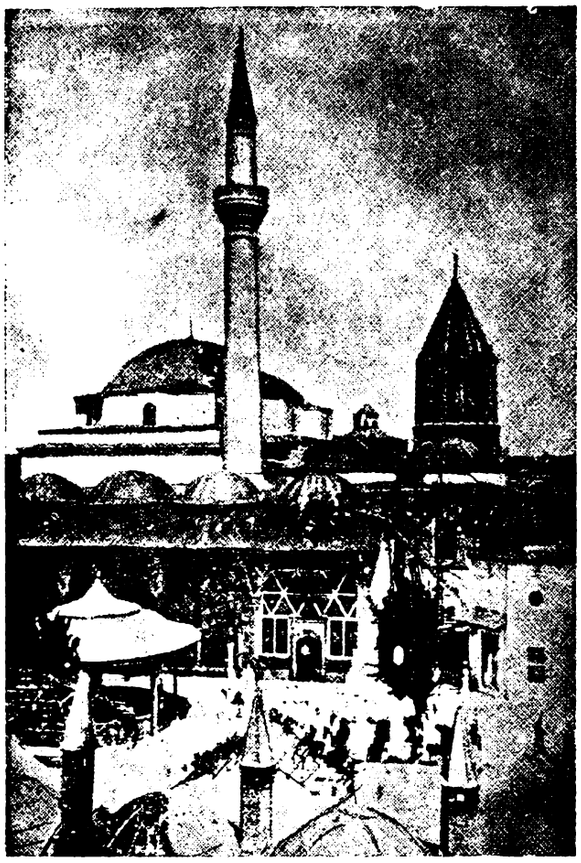

قبه خضرا و تربت شریف مولانا و یاران

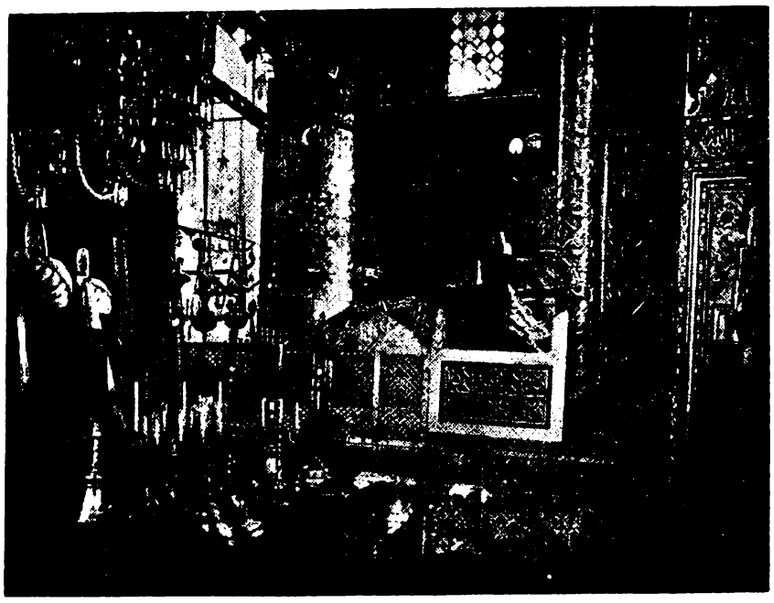

تربت مولانا

سر آغاز

کم کسیست که بادبیات پارسی و شعر و عرفان آشنائی داشته باشد و عارف نامی جلال الدین محمد بلخی مشهور بمولانای، روم قدس سره سرایندهٔ مثنوی معنوی را که یکی از بزرگترین نوابغ ایران و درخشنده ترین ستارهٔ فروزان مشرق است نشناسد. و کمتر کتاب تاریخ و تذکره ایست که از حالات و جذبات مولانا در آن ذکری نشده باشد

در مقدمهٔ بیشتر چاپهای مثنوی ترجمهٔ مختصری که حاجی زین العابدین مستعلیشاه شروانی در بستان السیاحه خود نگاشته نقل شده است و آن خلاصه و عصارهٔ کلیهٔ شروحی است که پیشینیان از احوال این بزرگترین مردان رسیدهٔ راه حقیقت نوشته اند

خوشبختانه در سالهای اخیر سه رساله ذیقیمت در ترجمهٔ حال و تتبع شخصیت مولانا بخامهٔ نویسندگان دانشمند معاصر طبع و نشر شده است :

(۱) ولدنامه یا مثنوی ولدی اثر شیخ بهاء الدین محمد معروف به سلطان ولد فرزند روحانی و جسمانی مولانا با مقدمه و تعلیقات آقای جلال همائی که در حدود ده هزار بیت و قدیمترین و صحیحترین سند تاریخی است که از خصوصیات زندگانی مولانا جلال الدین و پدرش بهاء الدین محمد ملقب بسلطان العلماء و یاران برگزیدهٔ وی سید برهان الدین محقق ترمدی و شمس الدین محمد تبریزی و صلاح الدین فریدون قونیوی و حسام الدین حسن چلبی و اصحاب و مریدان او بحث میکند

سلطان ولد برسر هر فصل و عنوان منظومهٔ ولدنامه نثرهای شیرینی نوشته است که اگر آنهارا جمع کنند رسالهٔ بسیار ساده و فصیحی در مطالب عرفانی و تاریخی و خلاصهٔ طریقهٔ مولویه که بیشتر آداب و رسوم قدیمش مولود خود اوست فراهم خواهد شد

(۲) شخصیت مولوی نگارش آقای حسین شجره که در ۲۳۸ صفحه با قلمی شیوا از اصل و منشأ تصوف و نبوغ عقل از نظر عرفان و نفوذ تصوف ایران در شرق و غرب و حالات مولانا و تدوین مثنوی معنوی و معنی و مفهوم اشعار مولوی و گفتار و نظریات مستشرقین و فضلای غرب در بارهٔ مولانا و مثنوی بحث کرده اند

(۳) رساله در تحقیق احوال و زندگانی مولانا جلال الدین محمد مشهور بمولوی و مشایخ و یاران و مریدان و معاصرین او نگارش محققانهٔ آقای بدیع الزمان فروزانفر با ۱۵ گراور و یک شجره نامه در ۲۳۲ صفحه که علاوه بر تتبعات دانشمندانهٔ خود از ده منبع قدیمی بسیار معتبر و از مجموعهٔ یادداشتهائی که آقای کاظم زادهٔ ایرانشهر در برلن از گفتهٔ بازماندگان و معتقدان مولانا گرد آورده استفاده کرده اند

اگرچه با انتشار این سه رساله احتیاج بنوشتن شرح حال در مقدمهٔ مثنوی خود نداشتیم ولی برای کسانیکه دسترسی بمطالعهٔ آثار نامبرده نداشته باشند اختصاری از ولد نامه و عین مقالهٔ بستان السیاحه و خلاصه ای از تحقیقات آقای فروزانفر را در رساله زندگانی مولانا با مراجعه بشرح حال مولانا بقلم سپهسالار بترتیب مینویسیم و در خاتمه از آثار مولانا و مزایای مثنوی حاضر بحث نموده و بفهرست جامعی از مطالب مثنوی گفتار خود را خاتمه میدهیم

محمد رمضانی

از کتاب ولدنامه

مرید شدن سید برهان الدین محقق مولانا بهاء الدین را و خواب دیدن مفتیان پیغمبر را

گفت برهان دین محقق حق — سبق برده ز سابقان بسبق
سخنش را هر آنکه بشنودی — دایم اورا بصدق بستودی
در جوانی ببلخ چون آمد — خواست کان جایگاه آرامد
جد مارا چو دید آن طالب — که بر و بود عشق حق غالب
لقبش بد بهاء دین ولد — عاشقانش گذشته از عد و حد
جمله اجداد او شیوخ کبار — همه در علم و در عمل مختار
اصل اورا نسب ابوبکری — زانچو صدیق داشت او صدری
مثل او کس نبود در فتوی — از فرشته گذشته در تقوی
بود اندر همه فنون استاد — حق بوی علم را تمام بداد
خوانده سلطان عالمان اورا — مصطفی قطب انبیاء خدا
مفتیان بزرگ اندر خواب — دیده یك خیمهٔ کشیده طناب
مصطفی اندرون خیمه بناز — زده تکیه بصد هزار اعزاز
ناگهانی بهاء دین ولد — از در خیمه اندرون آمد
مصطفی چون بدید جست از جا — پیش رفت و گرفت دستش را
برد پهلوی خویش بنشاندش — زان ملاقات گشت بیحد خوش
گفت از آنپس بمفتیان اینرا — که از امروز این شه دینرا
جمله سلطان عالمان گوئید — در رکابش بجان و دل پوئید
بامدادان باتفاق همه — از سر صدق بی نفاق همه
بر درش آمدند تا گویند — سر آن خواب را ازو جویند
پیش از آنی که دم زنند او گفت — خوابشانرا و سر نکرد نهفت
دادشان از مقام و حال نشان — وقعه را کرد بالتمام بیان
جمله پیشش فغان بر آوردند — بی دف و نای شورها کردند
گشت سید مریدش از دل و جان — تا روانرا کند ز شیخ روان
در مریدی رسید او بمراد — زانکه شیخش عطای بیحد داد
چشمهٔ عشق از دلش جوشید — جان او بادهٔ بقا نوشید
جمله غمهاش ذوق و شادی شد — سوی عشقش چو شیخ هادی شد
خار هجرش ز وصل گلشن گشت — شب تارش چو روز روشن گشت
مس جانش ز نار عشق گداخت — گشت زر چون به کیمیا در ساخت
عاقبت قطب گشت در عالم — سجده گاه ملك شد و آدم

رنجیدن سلطان العلماء از بلخیان و هجرت گزیدن از خراسان

چونکه از بلخیان بهاء ولد — گشت دلخسته آن شه سرمد
ناگهش از خدا رسید خطاب — کای یگانه شهنشه اقطاب
چون ترا این گروه آزردند — دل پاك ترا زجا بردند
بدر آ از میان این اعدا — تا فرستیمشان عذاب و بلا
چونکه از حق چنین خطاب رسید — رشتهٔ خشم را دراز تنید
کرد از بلخ عزم سوی حجاز — زانکه شد کار گر در او آن راز
بود در رفتن و رسید خبر — که از آن راز شد پدید اثر
کرد تاتار قصد آن کشور — منهزم گشت شاه شوم اختر
بلخ را بستد و بزاری زار — کشت از آن قوم بیحد و بسیار
نتوان گفت در ره آن سلطان — که چها داده با کهان و مهان
چه کرامانها که در هر شهر — مینمود آن عزیز روزبهٔ دهر
گر شوم من بشرح آن مشغول — فوت گردد از آن سخن مأمول
آمد از کعبه در ولایت روم — تا شوند اهل روم ازو مرحوم
از همه ملک روم قونیه را — برگزید و مقیم شد آنجا
رو نهادند سوی او خلقان — از زن و مرد و طفل و پیر و جوان
آشکارا کرامتش دیدند — زو چه اسرارها که بشنیدند
چند روزی بر این نسق چو گذشت — که و مه مرد و زن مریدش گشت
گشت سلطان علاء دین چون دید — روی اورا بعشق و صدق مرید
چونکه وعظش شنید شد حیران — کرد اورا مقام در دل و جان
دید بسیار ازو کرامت ها — یافت در خویش ازو علامتها
گفت دل لرزدم ز هیبت او — می هراسم بگاه رؤیت او
هیبتی میزند ازو بر من — که از آن لرزه می فتد در تن
شد یقینم که او ولی خداست — در جهان نادر است و بیهمتاست
دائماً با خواص این گفتی — روز و شب در مدح او سفتی

مردن سلطان العلماء و نشستن مولانا جلال الدین بجای پدر

بعد دو سال آن ولی خدا — سر ببالین نهاد او ز عنا
شاه شد از عنای او محزون — هیچ از این غصه اش نماند سکون
چون بهاء ولد نمود رحیل — شد ز دنیا بسوی رب جلیل
نار در شهر قونیه افتاد — از غمش سوخت بنده و آزاد
در جنازه اش چو روز رستاخیز — مرد و زن گشته اشك خونین ریز
علما سر برهنه و میران — جمله پیش جنازه با سلطان
شه ز غم هفت روز بر ننشست — دل چون شیشه اش ز درد شکست
هفته ای خوان نهاد در جامع — تا بخوردند قانع و طامع
تعزیه چون تمام شد پس از آن — خلق گرد آمدند پیر و جوان

همه کردند رو بفرزندش که توئی در جمال مانندش
شیخ مازین سپس توخواهی بود از توخواهیم جمله مایه وسود
شست برجای وی جلال الدین روبدو کرد خلق روی زمین
مفتی شرق وغرب گشت بعلم از جهان جهل درنوشت بعلم
رایت شرع احمدی افراخت هرکه دین داشت خواجه را بشناخت
بیقراران شدند ازاوساکن همه در ظل او زخوف ایمن

آمدن سید برهان الدین محقق ترمدی بقونیه

مدتی چون بماند در هجران طالب شیخ خویش شد برهان
گشت بسیارو اندر آخر کار داد با وی خبر یکی زکبار
گفت شیخت بدان که درروم است نیست پنهان بجمله معلوم است
آمداز عشق شیخ خودتازان با هزاران تبختر و نازان
گشته ازشیخ پرچوجام ازمی همچنان کز شکر شود پرنی
چونکه شادان بقونیه برسید شیخ خودرا ازشهریان پرسید
همه گفتند آنکه میجوئی هرطرف بهر او همی پوئی
هست سالی که رفت از دنیا رخت خودرا کشید درعقبی
جسم خاکیش رفت اندرخاك جان پاکش گذشت ازافلاك
گفت سید که شیخ اندرماست همچوروغن نهان شده درماست
عین شیخم زمن نماند اثر هیچ دیدی شکرجدا زشکر
آب اگر درمز رکوزه بود عاقل از کوزه ها زره نرود
آب جوید زکوزه تابخورد تشنه درنقش کوزه کی نگرد
خلق راپس بخویش دعوتکرد گشت ازجان غلام اوزن ومرد
شهر جمله مرید او گشتند در درون تخم مهر او کشتند

مرید شدن مولانا جلال الدین بسید و رسیدن بمقام قطبیت

گفت سید بشه جلال الدین گرچه درعلم نادری وگزین
لیك بدوالدتو صاحب حال جوی آنرا و درگذر ازقال
قال اورا گرفته ای بدودست همچومن شوزحال اوسرمست
وارث والدی تو اندرپوست مغزمن برده ام نگردردوست
از مرید پدر چو آن بشنید گشت جان و بگرد تن نتنید
شد مریدش زجان وسربنهاد همچو مرده به پیش او افتاد
بود در خدمتش بهم نه سال تاکه شد مثل او بقال وبحال
همسرو سر شدند در معنی زانکه یکدل بدند در معنی
ناگهان سید از جهان فنا کرد رحلت سوی سرای بقا
ماند بی او جلال دین تنها روزوشب کردروی سوی خدا
خواب وخورراد رآنهوس بگذاشت علم جستجوی را افراشت
پنج سال این چنین ریاضت کرد ازسرصدق و سوزوناله ودرد
عمل و دردراچو کرد قرین رفت همچون ملك بچرخ برین
خاص وعامش مریدوبنده شدند چون نبات از بهار زنده شدند
ده هزارش مرید بیش شدند گرچه اول زصدق دور بدند
وعظ گفتی همیشه برمنبر گرم وگیرا چو وعظ پیغمبر
صیت خوبش گرفت عالم را کرد زنده روان آدم را

رسیدن مولانا جلال الدین بشمس تبریزی و تغییر حال او

ناگهان شمس دین رسیدبوی گفت انی ز تاب نورش فی
از ورای جهان عشق آواز برسانید بی دف و بی ساز
گفت اگرچه بباطنی تو گرو باطن باطنم من این بشنو
دعوتش کرد در جهان عجب که ندید آن بخواب ترك وعرب
نزد یزدان چو بود مولانا از همه خاصتر بصدق و صفا
خضرش بود شمس تبریزی آنکه با او اگر در آمیزی
هیچکس را بیك جوی نخری برده های ظلام را بدری
بعد بس انتظار رویش دید گشت سرها براوچوروز پدید
شد براو عاشق وبرفت ازدست گشت پیشش یکی بلندی وپست
دعوتش کردسوی خانهٔ خویش گفت بشنو شها ازین درویش
پس از آن هردوخوش روانه شدند شادوخندان بسوی خانه شدند
شیخ استاد گشت نو آموز درس خواندی بخدمتش شب وروز
گرچه درعلم فقر کامل بود علم نو بود کان بسوی بنمود

حسدبردن مریدان مولانا برشمس

یکزمانی بهم همی بودند مدت یک دو سال آسودند
غیرت حق در آمدو ناگاه فج فج افتاد در همه افواه
در شناعت در آمدند همه آن مریدان بیخبر چورمه
گفته باهم که شیخ ما زچه رو پشت برما کند زبهر چه او
ما همه عاشقیم در ره شیخ بندهٔ صادقیم در ره شیخ
شده ما را یقین که مظهر حق اوست بی شك وزاو بریم سبق
چه کس است اینکه شیخ ما را او برداز جا چو یك کهی راجو
کرد اورا زجمله خلق نهان می نیابد کسی زجاش نشان
ساحراست این مگر بسحروفسون کردبرخویش شیخ را مفتون
همه درفکر این که کی ازشهر رود او یا فنا شود از قهر
جمله گشته بخون او تشنه ساخته بهر کشتنش دشنه
چون غلوشان براوزحد بگذشت دشمنیشان زحدوعد بگذشت
شمس تبریز رفت سوی دمشق تاشود پردمشق وشام زعشق
چون حزین شد زهجر مولانا گشت معرض زجمله آن دانا
دوستی را از آن نفر ببرید مرغ مهرش زلانه شان بپرید
چونکه آن رایشان نیامد راست عکس شد آنچه هریکی میخواست
گفته بودند اگر رود زینجا ماند آن شاه ما بما تنها
باردیگر زپندهای خوشش بجهیم ازجهان و پنج وششش
آنگروهی که بودشان غفلت کرده بودند از سفه جرأت
پیش شیخ آمدند لابه کنان که ببخشا مکن دگر هجران
توبهٔ ما بکن زلطف قبول گرچه کردیم جرمها ز فضول

فرستادن مولانا بهاء الدین ولدرا

بود شه را عنایتی بولد در نهان اندرون برون از خد
خواند اورا وگفت رو تورسول ازبرم پیش آن شه مقبول
ببر این سیم را بپایش ریز گویش از من که ایشه تبریز
آن مریدان که جرمها کردند زانچه کردند جمله واخوردند
همه سازند از دل و ازجان جانشان را فدای آن سلطان
رنجه کن اینطرف قدم را باز چند روزی بیا و با ما ساز
آنچه ازما سزیدا گر کردیم همچوخار خلنده سر کردیم
همچنین زین نمط بوی میگو دل او را بلابه ها میجو
باشد این گر بودمرا آن بخت نرم گردد نگیرد این را سخت
دهدم باز وصل از سرلطف بهلد هجر و بگذرد از عنف
پس ولد سر نهاد والد را شکر کرد اوخدای واحد را
گشت ازجان روان بسوی دمشق راه را میبرید از سر عشق
چون رسید او بنزد شمس الدین آن شه اولیای با تمکین
در سخن آمد و درر بارید در دل و سینه عشق نو کارید
سر سر حدیث وقرآن گفت کرد پیدا سری که بود نهفت
بی پرش بر فلك بپرانید بی تنش گرد عرش گردانید
حجب از پیش چشم دل برداشت شب تاریك را نمود چوچاشت
ظلمت از تن ببرد و ازدل وجان تاروان گشت همچو سیل روان

بازگشت ولد بقونیه در رکاب شمس الدین

چون شنید از ولد رسالت را خوش پذیرفت آن مقالت را
باز گشت ازدمشق جانب روم تا رسد در امام خود مأموم
شد ولد در رکاب او پویان نزضرورت ولی زصدق وزجان
در ره از وی هزار سربشنید صدجهان از ورای چرخ بدید
چون رسیدند پیش مولانا نوش شد جمله نیش مولانا
وانجماعت که منکران بودند منکر قطب آسمان بودند
جمله شان جانفشان باستغفار سر نهادند کای خدیو کبار
از سر صدق روی آوردیم توبه کاریم از آنچه ما کردیم
بعداز آن جمله ازوضیع وشریف حلقه گشتند گرد شاه ظریف
پهلوی شه نشسته مولانا چون دوخور که زنند سرزسما
شمس تبریز در سخن آمد زنده شد آنکه فهم کن آمد
هریکی زان سخن بعشق پرید هر یکی از خودی تمام برید

از امیر و توانگر و درویش هریکی قدر وسع وطاقت خویش
بخشش آورد و میهمانی کرد تا شود یار مهربانی کرد
مدتی این چنین گذشت زمان در حضور شهان هردو جهان
آن دو شه چون بهار وایشان دشت همه را تازه گشته زیشان کشت
شاخ و برگ درونشان پربار رسته بیخار هر طرف گلزار
درچنین عیش و درچنین وصلت همه پر نورو غرق در رحمت

گستاخی مریدان و ناپدید گشتن شمس الدین

باز شیطان بصورتی دیگر زد درایشان کدورتی دیگر
رخت اعمال جمله را دزدید هر یکی زاعتقاد برگردید
باز گشتند همچو اول بار می ومستی گذشت وماند خمار
روشنی شد بدل به تاریکی صحت تن به رنج باریکی
باز چون شمس دین بدانست این که شدند آن گروه پر از کین
گفت او باولد که دیدی باز چون شدند از شقا همه دمساز
که مرا از حضور مولانا که چو او نیست هادی ودانا
فکنندم جدا و دور کنند بعد من جملگان سرور کنند
خواهم این بار آنچنان رفتن که نداند کسی کجایم من
همه گردند در طلب عاجز ندهد کس زمن نشان هرگز
ناگهان گم شد از میان همه تا رهد از دل و زبان همه
یکدو روز او چو گشت ناپیدا کرد افغان زدرد مولانا
هیچ از وی کسی نداد خبر نی بکس بورسید ازاو نه اثر
شیخ گشت از فراق او مجنون بی سرو پا زعشق چون ذوالنون

استغراق و بیقراری مولانا از فراق شمس الدین

شیخ مفتی ز عشق شاعر شد گشت خمار اگر چه زاهد بد
نی زخمری که او بود زانگور جان نوری نخورد جز می نور
روز وشب در سماع رقصان شد برزمین همچو چرخ گردان شد
بانگ و افغان او بعرش رسید ناله اشرا بزرگ و خرد شنید
غلغله اوفتاد اندر شهر شهر چه بلکه در زمانه ودهر
کاین چنین قطب ومفتی اسلام کوست اندر زمانه شیخ وامام
شورها میکند چو شیدا او گاه پنهان و گه هویدا او
خلق ازوی زشرع ودین گشتند همگان عشق را رهین گشتند
حافظان جمله شعرخوان شده اند به سوی مطربان دوان شده اند
عاشقی شد طریق ومذهبشان غیر عشق است پیششان هذیان

رفتن مولانا درجستجوی شمس الدین بجانب شام

باچنان مستی و چنین جوشش باچنان عشق و باچنان کوشش
کرد آهنگ ورفت جانب شام در پیش شد روانه پخته و خام
چون رسید اندر آن سفر بدمشق خلق را سوخت او ز آتش عشق
همه گشتند عاشقش ازجان دیده در درد او دوصد درمان
جمله ازجان مرید و بنده شدند همچو سایه پیش فکنده شدند
شامیان هم شدند واله او کاینچنین فاضل پیمبر خو
ازچه گشته است عاشق ومجنون کاندرو مدرج است صدذوالنون
شمس تبریز خود چه شخص بود تا پیش این چنین یگانه رود
گفت اگرچه به تن ازو دوریم بی تن و روح هر دو یکنوریم
هردو باهم بدیم بی تن وجان پیش از آن کاین فلك شود گردان
بی زمین و زمان بهم بودیم از وجود جهان نیفزودیم
حالت ما بهم نمی ماند کیست کاحوال ما عیان داند
شمس تبریز را بشام ندید در خودش دید همچو ماه پدید
کرد رجعت بروم باز آمد رفت چون کبك وهمچو باز آمد
قطره اش چون فزود دریا شد بود عالی ز عشق اعلی شد
مطربانرا بخواند از سر او بی سر و پا ببام و بر در او
روز وشب یکدمش قرار نبود بی قدح خمر عشق می پیمود
حیرت خلق شد در او افزون کاین چه شور است واینچگونه جنون
چندسالی نشست وباز زعشق رفت با جمله خلق سوی دمشق
باز آنجا فکند صد غوغا جمله گفته عجب زهی سودا
ماهها در دمشق ساکن شد عاشقی کی ز عشق ساکن شد

بازگشتن مولانا بقونیه وبرگزیدن صلاح الدین زرکوب قونوی

بعداز آن باز گشت جانب روم تا زند بر جبین شیر رقوم
سرزد از چرخ روح آنخورشید تاسها را کند پر از ناهید
گفت چون من ویم چه میجویم عین اویم کنون زخود گویم
وصف حسنش که میفزودم من خودهمان حسن ولطف بودم من
درچنین جوش یک مرید از او یافت قربت سوار گشت نکو
لقبش بود شه صلاح الدین قطب هفت آسمان وهفت زمین
چون ورا دید شیخ صاحب حال برگزیدش ززمرهٔ ابدال
روبدو کرد وجمله را بگذاشت غیر او را خطا وسهو انگاشت
گفت از روی مهر بایاران نیست پروای کس مرا بجهان
سرشیخی چو نیست درسر من نبود هیچ مرغ همپر من
پس ازین جمله سوی او پوئید همه ازجان وصال او جوئید
پس ولدرا بخواند آنحق بین گفت بنگر رخ صلاح الدین
نظرش کیمیاست بر تو فتد رحمت کبریاست بر تو فتد
برهاند ترا ز مرگ و فنا برساند به تخت ملك بقا
کندت بر علوم سر دانا جمله اسرار ازو شود پیدا

آرام گرفتن مولانا با صلاح الدین از طلب شمس وحسد بردن مریدان

شورش شیخ گشت ازو ساکن وآنهمه رنج و گفتگو ساکن
زانکه بد نوع دیگر ارشادش بیشتر بود از همه دادش
آنچه از اولیا نبردی کس سالها میرسید ازو بنفس
شیخ با او چنانکه باآن شاه شمس تبریز خاص خاص اله
نظر شیخ جمله بروی بود غیر او نزد شیخ لاشی بود
ننشستی بهیچکس جز او چشم را بر نداشتی زان رو
باز در منکران غریو افتاد سخت درهم شدند اهل فساد
باز آغاز کرد جوش حسد زانکه بودند غرق نفس وجسد
گفته باهم کز آن یکی رستیم چون نگه میکنیم درشستیم
کاش کان اولینه بودی باز شیخ مارا رفیق و هم دمساز
نبداز قونیه بد از تبریز بود جان پرورونبد خونریز
همه این مرد را همیدانیم همه هم شهریم و هم خوانیم
نی وراخط وعلم ونی گفتار بر ما خود نداشت او مقدار
دائما در دکان بدی زرکوب همه همسایگان ازو در کوب
آنکسانیکه منکران بودند از ازل کور وهم کران بودند
ازخود او را بنقص کرده نظر جان جانرا شمرده چون پیکر
که چسان ترهات میگفتند از غم و غصه شب نمی خفتند
پیش ازین جاش بود صف نعال فخر کردی زما میان رجال
چون شود اینکه او را اکنون شیخ خوانیم بل زشیخ افزون
زین نمط فحشهای زشت ودرشت گاه گفته بروش و گه پس پشت
جمله را رأی اینچنین افتاد که چو زاسب مراد زین افتاد
سر ببازیم و زنده اش نهلیم چون ازو جان فکار وخسته دلیم
یك مریدی برسم طنازی شد از ایشان و کرد غمازی
درهمان لحظه نزد مولانا آمد و گفت این حکایت را
پس رسید این بشه صلاح الدین نورچشم و چراغ هر ره بین
خوش بخندید و گفت آنکوران که ز گمراهیند بی ایمان
نیستند اینقدر زحق آگاه که بجز زامر او نجنبد کاه
چون تواند کسی مرا کشتن یا بخاك و بخونم آغشتن
می برنجید ازاینکه مولانا کرد مخصوصم از همه تنها
خودندانسته اینکه آینه ام نیست نقشی مرا معاینه ام
درمن او روی خویش می بیند خویشتن را چگونه نگزیند
گشت واقف زراز شیخ علیم خشمگین شد بر آنگروه لئیم
راه بربست دیگر ایشانرا آن لئیمان کوربینان را
همه گشتند سرزد از آن گرمی رویشان سخت شد زبیشرمی
روزشان گشت همچو شب تاریك گردن جمله شد زغم باریك
هریکی دست خود همی خائید از دلش غصه ها همی زائید
گفته باهم اگرچنین ماند چه شود حال ما خدا داند

پیش از آنکه رویم جمله زدست چاره سازیم تا رهیم ز شست
سوی ایشان شویم توبه کنان وصل جوئیم تا رود هجران
همه جمع آمدند بر در او می‌نهادند بر زمین سر و رو
گریه زارشان چورفت ازحد بانگ و افغانشان گذشت ازحد
چون شنیدند آن دو زاریرا ساز کردند چنگ یاری را
در گشادند و راهشان دادند قفل های ببسته بگشادند

در گذشتن صلاح‌الدین ورسیدن خلافت به‌چلبی حسام‌الدین

شیخ بااو چودر دوتن یکجان بود آسوده و خوش‌وشادان
مست از همدگر شده ده‌سال داشته بی خمار هجر وصال
جمع یاران بگردشان زده صف آندوچون بحروباقیان چون کف
همه چون اختران وآندوچوماه همه چون بندگان و آندوچوشاه
درچنین عیش‌ودولت ونزهت در چنین جاه‌و ملکت و زینت
ناگهان شدصلاح‌دین رنجور گشت از صحبت بدن مهجور
شیخ فرمود در جنازهٔ من دهل آرید و کوس بادف زن
سوی گورم برید رقص کنان خوش‌وشادان‌ومست‌ودست‌افشان
تا بدانند کاولیای خدا شاد و خندان روند سوی لقا
کردچشمان فرازو رفت‌بناز ناز نازان بصد هزار اعزاز
اولیا را بود زمرگ حیات زانکه در مرگ دیده‌اند نجات
جسم پاك ورا چواندر خاك بنهادند رفت پاک بپاک
بود راضی‌شه از حسام‌الدین داده بودش هزار گنج گزین
مرشد جمله بود مولانا آن خدیو یگانهٔ والا
رتبت هر یکی براو روشن گشته همچون میان‌روح وبدن
شیخ گفت ای حسام‌حق آئین چونکه‌رفت‌ازجهان‌صلاح‌الدین
بعدازین نایب وخلیفه توئی زانکه اندر میانه نیست دوئی
آن یکی باز گفت مولانا زین سه مهتر کدام بود اعلی
گفتش اندرجواب کای‌همراه شمس چون‌مهربد صلاح چوماه
چون‌ستاره‌است‌شه‌حسام‌الحق زانکه گشته‌است باملك ملحق
شیخ اینرا بجای آن بنشاند بر سرش نور ها نثار افشاند
گفت اصحاب‌را که سربنهید پیش او عاجزانه پر بنهید
همه امرش ز دل بجا آرید مهر او در درون جان کارید

مصاحبت شیخ حسام‌الدین تاپایان زندگانی مولانا ومستفیدشدن یاران بی‌حدازهردو

بود با شیخ در زمانهٔ شیخ همدل و همنشین بخانهٔ شیخ
در صفاو وفابهم همدم همه اصحاب شادمان بیغم
بخشش هردو برهمه شامل همه از هر دو عالم و عامل
خوش‌بهم‌بوده مدت ده‌سال پاك و صافی مثال آب زلال
بعداز آن نقل کرد مولانا زین جهان کثیف پر زغنا
سال هفتاد و دو بده بعدد ششصد از عهد هجرت‌احمد
چشم‌زخمی‌چنین‌رسیدبخلق سوخت‌جانها زصدمت‌آن‌برق
لرزه افتاد در زمین آندم گشت نالان فلك در آن ماتم
مردم شهر از صغیرو کبیر همه اندر فغان وآه‌و نفیر
بجنازه همه شده حاضر از سر مهر و عشق نز پی‌بر
قوم هر ملتی براو عاشق اهل هر مذهبی براو صادق
عیسوی گفته‌اوست‌عیسی‌ما موسوی گفته‌اوست موسی ما
مسلمش‌خوانده‌سرونورر‌سول گفته هست‌اوعظیم‌بحر نقول
همه کرده‌زغم گریبان‌چاك همه از سوز کرده برسرخاك
آنفغان و خروش کانجابود کس‌ندیده‌است‌زیرچرخ کبود
همچنان‌این کشیدتاچل‌روز هیچ ساکن‌نشد دمی‌تف‌وسوز
روزوشب‌بودگفتشان‌همه‌این که‌شد آن گنج زیرخاك‌دفین
ذکراحوال‌وزندگانی او ذکر افوال‌و در فشانی او
ذکرعشق‌خداو تجریدش ذکرمستی‌و صدق‌و توحیدش
ذکرلطف‌وتواضع‌وکرمش ذکرحال وسماع چون ارمش
ذکرتذکیرووعظو گرمی‌او ذکر مهر و وفا و نرمی او
ذکراسرارولطف‌انوارش ذکر آن کشفها ز دیدارش
ذکرتقوی وحلم‌ورحمت‌او ذکر فتوی وعلم‌و حکمت او

از کتاب بستان‌السیاحه

برضمایر مهرمآثراولوالابصار مخفی ومستور نماند که ولادت باسعادت‌مولانا در قبة‌الاسلام بلخ من‌بلاد خراسان‌درششم‌ربیع‌الاول سنه ٦٠٤ ششصدو چهار هجری روی نمود

همان شراب کش بادهٔ خم‌جبروت همان همای‌بلند آشیان‌عرش‌نشین
رموز گوی‌ازل‌مولوی‌که‌دادنجات مقیدان هوا را زقید این سجین
زجلدهای کتابش‌که‌مینوشت‌گرفت جهات سته به پیرایهٔ ابد تزیین
سخن‌زمرتبهٔ‌شعراونه‌حدمنست که‌همچوعرش‌بلنداست‌وهمچوشرع‌متین

گویند آنجناب در پنج سالگی بهر سه چهار روز یکبار افطار میفرمود و در نسب از نسل ابوبکربن ابی‌قحافه خلیفهٔ اول بود بدین ترتیب :

هوابن بهاءالدین محمدبن حسین‌بن احمدالخطیب بن محمود بن ثابت بن مسیب بن مطهر بن‌حماد بن عبدالرحمن بن ابوبکر

ابأعن‌جدازعلماء نامدار عالیمقدار و از فضلاء کبار آندیار بودند و شیخ‌احمدالخطیب بلخی مریدقطب‌العارفین شیخ‌احمدغزالیست و فرزند ارجمند او شیخ حسین که‌جد مولاناست بغایت متقی و پرهیزکار و اسباب دنیوی در نظرش بیمقدار بود نقل است که در واقعه حضرت رسالت پناه صلعم خوارزمشاهرا فرمود که ما دختر ترا بشیخ حسین عقدکردیم تو نیز قبول کن و ایضاً وزیر خوارزمشاه همان خوابرا مشاهده نمود و شیخ حسین نیز درهمان شب خواب میبیند که حضرت رسول صلعم میفرماید که ماصبیهٔ خوارزمشاهرا بتو تزویج نمودیم خوارزمشاه بفرمودهٔ آنحضرت عمل نموده دختر پاکیزه گوهر خودرا بنکاح‌شیخ حسین درآورد و بهاءالدین محمد از آن عفیفهٔ مکرمه بوجود آمد چون بسن‌رشد و تمیز رسید بتحصیل علوم مشغول شده در اندك زمانی دراکثر علوم ماهر گردید و نیز در عنفوان شباب بعد از اکتساب علوم و آداب اولا تلقین ذکر از والد خود گرفته و او از پدرش امام احمد خطیب و بدینواسطه سلسلهٔ بهاء الدین متصل بشیخ احمد غزالیست بعداز آن صحبت شیخ‌الشیوخ نجم‌الدین کبری‌را دریافته است و از روی ریاضت و مجاهده با علی قلل مشاهده شتافته و مقبول همهٔ دلها شده و در بلخ متمکن میبوده و بدرس و فتوی نیز اشتغال مینموده‌و طالبانرا بکشف حقایق و معارف راهنمائی میکرده‌و از برای ارشاد عوام عقد مجالس نصایح و مواعظ می ساخته و بحال همهٔ طوایف میپرداخته و سلطان محمدخوارزمشاه از جملهٔ مریدان و معتقدان بوده و سید برهان‌الدین الترمدی که ازجملهٔ اقطاب بود ازمریدان آنجناب بشمار است که باتابکی‌مولانا جلال‌الدین محمدرومی اشتغال مینمود

آورده اند که شبی سیصد دانشمند مفتی از مشاهیر بلخ که از جملهٔ منکران بودند در خواب سیدکاینات را دیدند که درخیمهٔ سبز نشسته بود و مولانا بهاءالدین‌بازبدهٔ ممکنات صلی‌الله‌علیه‌وآله همنشین وحضرت‌رسول‌صلعم مولانارا نوازشها نموده‌وفرمودماترا سلطان‌العلماء لقب‌نهادیم آنجماعت چون‌بیدارشدندروی‌بخدمت‌مولانا نهادند وچون‌درراه‌بایکدیگر ملاقی‌شدند وازخواب‌دوشینه حکایت میکردند متعجب ومتحیر میماندندومولاناسلطان‌العلماء بعداز اداء صلوة‌واذکار بربام رفته بود و اینجماعت ازهیبت اینحال امکان در کوفتن‌ومجال‌اخبار نداشتند آخرالامرسراز بام فرو کرده‌فرمود : تاحضرت‌سیدالمرسلین‌علیه‌افضل‌الصلوات‌ازحال‌درویشان‌وروش‌ایشان اخبار نفرمودشمازنارانکارازمیان‌نگشودیدآنجماعت استغفار کردند ومریدومعتقدشدند.سلطان‌محمدبعداز استماع‌این‌کلام‌درخدمت‌اهتمام بیشتربتقدیم‌رسانیدوامام‌فخرالدین‌رازی‌نیز به‌تبعیت‌میآمدچه که‌معلم سلطان‌بود وجناب مولانا در اثنای موعظت مذمت مذهب حکمای یونان میفرمود و میگفت: جمعی که کتب آسمانی را در پس پشت انداخته و اقاویل وعقاید فلاسفه پیش گرفته اند چگونه امید نجات داشته باشند

امام‌فخرالدین ازاینمعنی عرق حسدش میجنبید ودائماً بگردسعایت وفساد میگردید امافرصت‌نمیدید اتفاقاًروزی سلطان‌بزیارت‌مولانا آمده‌بود کثرتی عظیم باشکوه بیش‌از پیش دید وفخرالدین‌رازی راخطاب کرده و گفت بیحد کثرتی مشاهده میشود وی‌فرصت‌یافته گفت اگر بتدبیر دفع این کثرت‌نشود بیم‌است که‌در ارکان‌سلطنت خلل افتد بواسطهٔ آنکه طباع برحسد مجبولست این‌سخن واهی برسلطان اثر کرده فرمود که‌تدبیر باید نمود درجواب گفت‌صواب آنست که کلید خزائن و قلاع را بخدمتش بفرستیم و بگوئیم که امروزجمعیت و کثرت آنحضرت راست وبواسطهٔ‌استیلای مریدان وشوکت معتقدان وهنی درامور مملکت ظاهر گشته و بجز کلید دردست‌ماراختیاری نمانده‌یا کلیدهاراقبول کنند یا ازدارالسلطنه بیرون روند وازمملکت‌هر کجا خواهند متمکن شوند چون‌براین سیاق عمل کردند دمار ازدودمان خویش‌برآوردند ازاستماع این سخن‌مولاناسخت‌برنجید وقسم‌یاد کرد که‌تامحمد خوارزمشاه‌پادشاه خراسان باشد بدانجا نیاید مثنوی

تادل مردخدا نامد بدرد هیچ قومی‌را خدا رسوا نکرد

گویند باعث انقراض دولت خوارزمشاهیان و تسلط چنگیزیان برمملکت‌ایشان نخست قتل مجدالدین‌بغدادی‌شد واومریدنجم‌الدین خوارزمی و مرشد شیخ فریدالدین عطار قدس الله اسرارهم بود وتفصیل احوال‌آن‌بزرگوار درکتب تواریخ مسطور است‌ودیگر رنجش خاطرمولانا بهاءالدین‌است.

نقلست که مولانا روز دیگر در میان مجلس گفت فردا عزم سفر دارم هر کرا ارادت درویشان‌است آماده‌باشدروزدیگر ازمریدان و معتقدان سیصد نفر درخدمتش روانه شدند درآنوقت‌مولانا جلال الدین بسن شش ساله بود و مولانا بهاءالدین در نیشابور باجناب شیخ فریدالدین عطار قدس سره ملاقات کرد وجناب شیخ کتاب اسرار نامه‌را که یکی از مؤلفات خودبودبمولانا جلال‌الدین‌عنایت نمود وببهاءالدین گفت که‌این فرزندرا گرامی‌بدار زودباشد که از نفس گرم آتش‌برافسردگان عالم زند مولانا بهاءالدین جناب‌شیخ را وداع‌نموده عازم بیت‌الله‌الحرام گردید و چون‌بدارالسلام بغداد رسید اکابرواعاظم و بزرگان مولانارا تعظیم تمام کردند و لوازم احترام نسبت‌بآن‌بزرگوار بجای‌آوردند مدت‌یکماه تفسیر بسم‌الله فرمود چنانکه‌تقریراول‌بثانی نسبت نداشت جمعی ازطرف سلطان علاءالدین کیقباد سلجوقی از کشور روم بدارالخلافه بغداد آمده بودند آن‌تقریردلپذیرازمولاناستماع نمودند وچون‌بروم‌باز گشتند دراثنای حکایات‌درحضرت سلطان از مناقب مولانا آنچه مشاهده کرده‌بودند عرضه داشتند سلطانرا درغیبت‌اعتقادی عظیم‌راسخ‌شد و دائماً تمنای ملاقات صوری‌داشت تا از تقدیر کردگار مولانارا عزیمت حجازافتاد وازحجازبطرف‌شام‌عبورفرموده‌ودرآنجامولانا برهان‌الدین ترمدی‌رحلت‌نمود آنجناب در حین‌وفات خدمت‌مولانا وصیت کرد که‌باید شما بطرف روم عزیمت نمائید که جهت شما در آن‌دیار فتوحی خواهد بود بنا بفرمودهٔ آن بزرگوار مولانا بمدینهٔ ارزنجان آمده در خانقاه عصمتیه تاج ملك خاتون که عمهٔ‌سلطان علاءالدین بود نزول نمود خاتون سعادت مقرون خدمات پسندیده بجای آورد و التماس کرد که آنجا متمکن شود قبول نفرمود وبزودی از آنجا عزیمت آنشهر نمود و فصل زمستان‌در آنجا اقامت کرد بعداز آن بطرف روم نهضت فرمود سلطان را معلوم شد که قرب منازل حاصل شده است قاصدان بخدمتش فرستاد استعجال حرکت مولانا نمود ملتمس سلطان باجابت لاحق شد چون بصحرای قونیه رسید سلطان باجمیع اکابروارکان‌دولت مولانارااستقبال نمود سلطان بعداز اظهار اخلاص و ارادت استر شمام نام که در گام‌زدن پیك باد شمال بود برسم نیاز پیشکش‌نمود وچندگام در رکاب مولانا پیاده رفت مولاناچندانکه مبالغه‌فرمود که سوار شود سلطان بر تواضع وفروتنی می افزود و میگفت جهت‌مزید دولت‌وسعادت خویش این‌عبودیت بتقدیم میرسانم‌آنگاه در منزلی که‌لایق آنجناب‌بود فرود آورد وچندان‌خدمات‌ومراعات نمود که عشر عشیرآن بشرح و بیان در نیاید در آن اوان مولینا جلال الدین بسن چهارده سالگی بود و در آن صغر سن از روی علوم وحکم عالمی بزرگ شده بود چون والد بزرگوارش در سنه ۶۳۱ هجری رحلت نمود مولانا بموجب وصیت والد بر مسند افاده قدم گذاشت ولوای نشر علوم و درس فنون وامر معروف و نهی منکر برافراشت

آورده اند که مولانا بعداز تحصیل‌علوم رسمی و اصطلاحی از اقسام علوم آنچه سیدبرهان‌الدین ازشیخ خود از حقایق مکتوم معلوم کرده‌بود مولانارا تعلیم‌و تلقین میکرد چون‌ذات‌ملك صفات اورا بریاضات و مجاهدات مکاشفات ومشاهدات دست داد و قابل اسرار احدی و محرم رموز کنوز احمدی شد بصحبت حضرت خضرعلی نبیناوعلیه السلام مشرف گشت و جمعی کثیر ازعرفای عصر را ملاقات نمود آخرالامر بخدمت تاج العارفین مولانا شمس‌الدین تبریزی رسیدوارادت آن‌جنابرا ازدل وجان‌برگزید ونسبت طریقت شمس‌الدین بجناب قطب الاولیاء و زبدت‌الاصفیاء علی‌بن موسی‌الرضاعلیه‌آلاف‌التحیة و الثناء میرسد براین‌موجب: شمس‌الدین مرید باباکمال جندی بود و او مرید شیخ نجم‌الدین خوارزمی و او مرید شیخ‌عمار بدلیسی واومرید شیخ نجیب‌الدین سهروردی و او مرید شیخ احمد غزالی واو مرید شیخ ابوبکر نساج واومریدشیخ ابوالقاسم کورکانی (و او مرید شیخ ابوعمران مغربی و او مرید شیخ ابو علی رودباری) و او مرید شیخ جنید بغدادی‌واومرید شیخ‌سری سقطی و او مرید شیخ معروف کرخی و او مرید و دربان علی‌بن موسی‌الرضا علیه التحیة والثناء بود

آورده‌اند که‌شمس‌الدین ولد علاءالدین‌بوداز نژاد کیا بزرگ‌امید گویندپدروی‌ترک‌مذهب‌اسمعیلی کرده شعار اسلام ظاهر نمود و در نهانی ولدخود شمس‌الدین‌را بخواندن علم به تبریز فرستاد و در آنجا علم وادب آموخت و انواع فضائل اندوخت جامی‌صاحب نفحات‌الانس آورده که شمس الدین از خاندان اسمعیلیان نیست بلکه‌او تبریزی‌الاصل پسربزازیست‌وبعضی‌گفته‌اند که‌اصل‌شمس‌الدین ازخراسان بوده وخود درشهر تبریز تولدنموده ودراین باب روایت دیگر نیزوارداشت راقم گوید شاخ گل هرجا که‌میروید گل‌است

نقلست که‌چون شمس‌الدین درعالم طلب سیاحت میکرد تا آنکه بخدمت باباکمال‌الدین جندی قدس‌سره رسید و به‌هزار جان ودل مریدش گردیدوقتی باباکمال جمعی از مریدانرا که‌ازآنجمله‌شیخ بهاءالدین زکریا و شیخ فخرالدین عراقی و امیر حسین هروی بودند در خلوت نشاند وشمس‌الدین را نیز بریاضت و خلوت امر کردشیخ فخرالدین عراقی لوایح اسرار را بصورت لوامع و اشعاراملا نموده بعرض شیخ کمال‌الدین‌رسانیدوشمس‌الدین اظهار اینمعانی نمیکرد روزی آن بزرگوار فرمود فرزند شمس‌الدین از حقایق و اسرار که فرزند فخرالدین باظهار آن قیام مینماید برتوهیچ لایح نمیشود عرض‌نمود بیش‌از آن حقایق مشاهده‌می‌افتد او از جهت‌اشتغال‌بمصطلحات‌علوم‌بعبارتی‌مناسب کشف‌بعضی‌اسرار مکتوب‌میتواند کرد ومرا دست‌نمیدهدشیخ‌فرمود که‌باریتعالی ترا مصاحبی‌روزی کند که‌معارف‌وحقایق‌اولین‌وآخرین‌را بنام‌تواظهار کندوینابیع‌حکمت‌ازدل‌اوبرزبانش‌جاری‌شودوهمهٔ آن کسوت‌مقالات مطرزبنام‌تو باشدبعداز آن‌باباکمال‌فرمود که‌ترابطرف‌روم‌بایدرفتن‌ودر آنجاسوخته‌ایست‌میبایداورامشتعل کردن‌شمس‌الدین‌بموجب‌فرمودهٔ وی عمل‌نموده متوجه روم گردیدودرحین گردش آن‌مرزوبوم‌بشهر قونیه‌رسیدودرکاروانسرای‌شکرفروشان‌منزل گزید

روزی‌دربازارمولاناجلال‌الدین براستری‌سواربکوکبهٔ تمام‌عبور مینمود و شمس‌الدین اورا دیده بفراست مطلوب‌را شناخت و در رکابش روان‌شده پرسید که‌غرض‌از مجاهده و دانستن علوم‌چیست

مولانا گفت روش سنت و آداب شریعت است شمس الدین فرمود این خود ظاهر است مولانا گفت ورای آن چیست شمس الدین گفت که علم آنست که ترا بمعلوم رساند و بشاهراه حقیقت کشاند و این بیت سنائی را برخواند

علم کز تو ترا نه بستاند جهل از آن علم به بود بسیار

مولانا از استماع این سخن متأثر و متحیر گشته مرید شمس الدین گردید و بروایت دیگر چون شمس الدین بقونیه رسید مولانا را ملاقات نمود در حالتی که مولانا در کنار حوض نشسته بود و کتابی چند پیش خود نهاده شمس الدین از مولانا پرسید که این چه مصاحفست مولانا جواب داد که این را قیل و قال گویند ترا بآن چه کار است شمس الدین فی الحال کتابها را در آب انداخت و مولانا را متحیر ساخت مولانا از روی تأسف فرمود که ای درویش بعضی فواید والا بود که دیگر یافت نمیشود دیوانگی کردی وضایع ساختی شمس الدین دست دراز کرد یکان یکان همهٔ کتابها را بیرون آورد که آب در آنها اثر نکرده بود مولانا پرسید که این چه سر بود که بظهور پیوست شمس الدین فرمود که این از ذوق و حال است ترا از آن چه خبر بعد از آن باهمدگر صحبت بسیار داشتند و مولانا فرجی و وضع دستار مشابه او ساخت و طریقهٔ سماع آموخت و بیمن تربیت او علم معرفت بر سر عالم افراخت چنانکه میفرماید

هزاران درج در دارد بناگوش ضمیر من از آن الفاظ وحی آسای شکربار شمس الدین
ز عقل و روحها بگذر حجاب عقل برهم در دو سه منزل از آنسو تر ببین بازار شمس الدین

منقولست که چون مولانا ربودهٔ شمس الدین گردید مدت شش ماه در خلوت با او مینشست و می آرامید موالی مولانا شور و غوغا بر آوردند و بر شمس الدین طعن و تشنیع آغاز کردند که سر و پا برهنهٔ و شکم گرسنهٔ ظهور نمود و مقتدای مسلمانان را گمراه کرده است شمس الدین بالضرورد بصوب تبریز روان گردید و مولانا را سوز عشق زبانه کشید و در فراق شمس الدین شعر های سوزناك گفتن گرفت آخر الامر طاقتش طاق شده سوی تبریز شتافت و بعد از زحمات بسیار مطلوب را دریافت در مثنوی از زبان وامدار بر اینمعنی اشارت نموده

ساربانا بار بگشا زاشتران شهر تبریز است و کوی دلستان
فر فردوس است این پالیزرا شعشعهٔ عرش است این تبریزرا
هر زمانی فوج روح انگیز جان از فراز عرش بر تبریزیان

مولانا و شمس الدین پس از چندی با یکدیگر بروم آمدند و چند گاه خالی از اغیار مشغول صحبت شدند باردگر دوستان مولانا که در حقیقت دشمنان بودند حسد و حقد آغاز نمودند

خدای تخم حسود از جهان براندازد اگر حسود نباشد جهان گلستانست

این بار شمس الدین بطرف شام فرار کرد و مدت دو سال در نواحی شام اقامت فرمود مولانا در آن مدت از فراق شمس الدین میسوخت و غزلهای عاشقانه میساخت و عشق شمس الدین بنیاد صبر مولانا را یکباره برانداخت آرام و قرار ازو گم گردید عاقبت مبلغ هزار دینار زر به پسر خود بهاء الدین ولد داده و گفت بزودی بسوی شام بخرام و شمس الدین را در مقام صالحیه خواهی دریافت که با فرنگی زادهٔ شطرنج میبازد زینهار بخاطر خطرهٔ میار که آن پسر یکی از مردانست و از این راه آگاهش میسازد و این زر را بعتبهٔ شمس الدین ایثار کن و کفش آنحضرت را بسوی روم گردان و این ابیات را بخوان

بروید ای حریفان بکشید یار ما را بمن آورید حالی صنم گریزپا را
اگر او بوعده گوید که دم دگر بیاید مخورید مکر او را بفریبد او شما را

از این غزل بهمین دو بیت اکتفا نمود بهاء الدین بحکم والد بشام رفته آنچه از والد شنیده بود دید و آنچه فرموده بود بانجام رسانید و شمس الدین بصوب روم مصمم گردید در آنسفر بهاء الدین در رکاب شمس الدین مسافت یکماهرا پیاده طی نمود هر چند آنجناب مبالغه کرد که سوار شود بهاء الدین قبول نکرد و گفت شاه سوار شود و بنده سوار چگونه خواهد بود

آفرین خدای بر پدری که تو پرورد و مادری که تو زاد

چون شمس الدین بقونیه رسید مولانا بشرف مواصلت مشرف گردید آنجناب در اثنای صحبت اظهار بهجت از بهاء الدین میفرمود و گفت من ازو راضی شدم مرا سری بود و سری سر بتو دادم و سر به پسرت بخشیدم اگر بهاء الدین ولد را هزار سال عمر بودی و همه را در راه طلب رضای خدا صرف نمودی آنچه در این سفر اورا حاصل گشت هزار یك آن حاصل نشدی

نقل است که شبی شمس الدین با مولانا در خلوت صحبت میداشت و اعلام طریقت بر فراز حقیقت می افراشت ناگاه کسی از بیرون در بشمس الدین اشارت کرد مولانا گفت کیست آنجناب فرمود بقتلم میخوانند چون بیرون رفت مولانا صیحهٔ شنیده بیرون دوید چون نظر کرد قطرهٔ خون ریخته دید از آنزمان تاحال از شمس الدین چون عنقا نامیست بعضی گویند بمولانا در عالم واقعه شمس الدین گفت که مرا کشته بچاه انداختند چون مولانا از خواب بیدار شد بسر چاه رسید وجسد آن یوسف مصر ولایت را از چاه بیرون کشید و در مقام مناسب دفن نمود

راقم گوید اینقول بصحت اقربست چنانکه اکنون مزار آن بزرگوار در آن دیار مطاف طائف خلق روزگار است در نفحات مسطور است که باعث هلاك شمس الدین علاء الدین محمد که به تیرانه لیس من اهلك نشانه شده پسر ناخلف مولانا بود و علاء الدین بعد از اقدام بر آن امر شنیع بمرضی مزمن گرفتار گشته بسرای دیگر انتقال نمود و مولانا بجنازهٔ او حاضر نگشت

مخفی نماناد که در کیفیت ملاقات شمس الدین با مولانا اخبار متعدده وارد است که از طول کلام اندیشیده از تذکار آن عنان قلم باز کشید شهادت شمس الدین در سنه ٦٦١ هجری روی نمود

آورده اند که مولانا جلال الدین بعد از واقعهٔ هایلهٔ شمس الدین همواره غمگین میبود و علی الدوام زاری و بیقراری مینمود و آخر الامر خاطر حزین و دل اندوهگین خود را بصحبت و تربیت حسام الدین چلبی المعروف بابن اخی ترك تسلی فرمود نسب وی بدان کس میرسد که فرمود امسیت کردیاً واصبحت عربیا حسام الدین در حجر تربیت مولانا نشوونما یافته و مهر شفقت و مرحمت مولانا بروجنات حال وی تافته و محبوب و منظور مولانا بوده و بحسن طاعت و انقیاد بدرجهٔ عالی ترقی نموده است و کتاب مثنوی که مشهور در السنهٔ صغار و کبار مذکور است باستدعای حسام الدین مولانا بسلك نظم کشیده الحق کتابی بدین نظم و نسق بزبان فارسی چشم زمانه ندیده و گوش روزگار نشنیده است بمرتبهٔ مقبول و مطبوع عرفا گردیده که شیخ بهاء الدین عاملی با آنهمه فضل و کمال در تعریف آن میفرماید

من نمیگویم که آن عالیجناب هست پیغمبر ولی دارد کتاب
مثنوی معنوی مولوی هست قرآنی بلفظ پهلوی
مثنوی او چو قرآن مدل هادی بعضی و بعضی را مضل

در نزد محققان هر قوم پسندیده است چنانکه راقم در جمیع بلاد اقالیم سبعه دیده و شروحی بسیار بزبان فارسی و عربی و ترکی و هندی بر آن نوشته اند

نقلست که حسام الدین شبی اندیشه نمود که در خدمت مولانا استدعا نماید که بوزن منطق الطیر شیخ فرید الدین عطار قدس سره کتابی بنظم آورد و در صبح آنشب بنیت مذکور بخدمت مولانا مشرف گشته مرکوز خاطر را عرضه داشت مولانا بعد از استماع سخن حسام الدین کاغذی از دستار خود بیرون آورده بدست وی داد و فرمود که دیشب وقتیکه از خاطر تو گذشت بر من وارد گشت که اینگونه کتابی منظوم شود و انجام رسد لهذا این ابیات همانوقت از خاطر من سر زد

بشنو از نی چون حکایت میکند وز جدائیها شکایت میکند

اولین شعر کتاب مثنوی تا

درنیابد حال پخته هیچ خام پس سخن کوتاه باید والسلام

بعد از آن مولانا بگفتن مثنوی مشغول گشت از اول شب مولانا نظم نمودی و آخر شب حسام الدین بآواز بلند در حضور مولانا خواندی و بسمع مجلسیان رساندی نوبتی حسام الدین بخدمت مولانا معروض داشت که در وقت خواندن مثنوی گویا میبینم از غیب شمشیرها

کشیده اند و گردن منکران را میزنند مولانا تصدیق نموده گفت نیك دیدی چنانچه درمثنوی بدان اشارت نموده

دشمن اینحرف ایندم درنظر — شدممثل سرنگون اندرسقر
ای ضیاء الحق تودیدی حال او — حق نمودت پاسخ احوال او
دیدهٔ غیبت چوغیبت اوستاد — کم مباداز این جهان این دیدوداد

چون جلداول مثنوی بانجام رسید زوجهٔ مکرمهٔ حسام الدین بسرای جاوید خرامید بدانسبب یا بسبب دیگر اختلال دراحوال حسام الدین ظاهر گردید مدت دوسال [تنظیم مثنوی] بتعویق افتاد ومولانا بگفتن مثنوی لب نگشاد بعداز انقضای مدت مذکوره باردیگر حسام الدین ازخدمت مولانا اتمام مثنوی استدعا نمود چنانچه در اول جلد دوم اشاره برین فرموده

مدتی این مثنوی تأخیر شد — مهلتی بایست تاخون شیرشد
تا نزاید بخت تو فرزند نو — خون نگردد شیر شیرین خوش شنو
چون ضیاء الحق حسام الدین عنان — باز گردانید زاوج آسمان
چون بمعراج حقایق رفته بود — بی بهارش غنچها نشکفته بود
مثنوی که صیقل ارواح بود — باز گشتش روز استفتاح بود
مطلع تاریخ این سوداوسود — سال اندر ششصدوشصت ودوبود

آنگاه بجدتمام وسعی مالا کلام باتمام مثنوی قیام فرمود جلد ششم بپایان نرسیده عارضهٔ بربدن شریفش روی نمود ودرآن بیماری ازجهان فانی بعالم جاودانی انتقال فرمود چنانکه بهاء الدین ولد در آخر مثنوی برآن ایمائی مینماید

مدتی زین مثنوی چون والدم — شد خمش گفتش وراکای زنده دم
از چه رودیگر نمیگوئی سخن — بهر چه بستی در علم لدن
گفت نطقم چون شتر زین پس بخفت — نیستش باهیچکس تاحشر گفت
همچو اشتر ناطقه اینجا بخفت — او بگوید من دهان بستم ز گفت
قصهٔ شهزادگان نامد بسر — ماند نا سفته در سیم پسر
باقی این گفته آید بیزبان — با درون آنکه دارد زنده جان
فهم میگوید شتر چون خفت او — وقت رحلت آمد و جستن زجو
گفتگو آخر رسیدو عمر هم — مژده کامد وقت کز تن وارهم
درجهان جان کنم جولان همی — نگذرم زین نم در آیم دریمی

فقیر گوید ازمحققان ملک روم و دانشمندان آنمرز وبوم بکرات استماع نمود واز ثقات دیار مصر و شام مکررشنود که مولانا از آن مرض صحت یافته دفتر دیگر برمثنوی افزوده آنرا هفت جلد فرموده است چنانچه شیخ اسماعیل قیصری که عالم معالم سخن پروریست درحدود هزار واند هجری شرحی بردفتر هفتم نوشته ودر عنوان آن کتاب مدعیست که ناظم جلدهفتم جناب مولویست وازملحقات نیست چون بعداز تدوین جلد ششم گفته شده لهذا بغیراز کشور شام وروم شهرت نیافته است والله اعلم بحقایق الامور گویند این اشعار از جلدهفتم است

ای ضیاء الحق حسام الدین سعید — دولتت پاینده فقرت بر مزید
چونکه ازچرخ ششم کردی گذر — بر فراز چرخ هفتم کن مقر
سعد اعداداست هفت ای خوش نفس — زانکه تکمیل عدد هفت است وبس

شیخ نجیب الدین رضا تبریزی الاصل اصفهانی المسکن که در زمان شاه سلیمان صفوی پایهٔ سلسلهٔ ذهبیه بوده و کتاب سبع المثانی را ببحرمثنوی تألیف نموده درعنوان آن کتاب فرموده که درعالم واقعه مولانا بمن خطاب کرده فرمود که جلد هفتم مثنوی را توباتمام رسان بنابفرموده مولانا کتاب سبع المثانی را بنظم آوردم فقیر گوید آنچه نزد درویشان روم وشام وعربستان درخصوص جلد هفتم بصحت اقربست قول اولست (آندفتر درآخر همین کتاب مسطوراست) اصحاب معرفت بعداز دقت معلوم میکنند که ناظم آن جناب مولوی بوده یانبوده

معاصرین مولانا ـ آورده اند که درعصر مولانا جلال الدین قدس سره درکشور روم وایران وغیره عرفای عظام ومشایخ کرام بسیار بوده از آنجمله شیخ اوحدالدین کرمانی وشیخ بهاء الدین زکریاء ملتانی وشیخ نجم الدین رازی وشیخ مصلح الدین سعدی شیرازی وشیخ محی الدین الاعرابی وشیخ صدرالدین قونیوی وشیخ مؤیدالدین جندی وشیخ ابوالحسن مغربی الشاذلی وشیخ ابوالعباس المرسی وابن الفارس الحموی المصری وشیخ عزیزالدین نسفی وشیخ ابوالحسن علی الصعیدی المعروف بابن صباغ وشیخ فخرالدین عراقی وشیخ نجیب الدین بزغش شیرازی و شیخ برهان الدین ترمدی وشیخ نورالدین عبدالرحمن اسفراینی و شیخ جمال الدین جوزقانی وشیخ رضی الدین علی لالا غزنوی وشیخ سیف الدین باخرزی وشیخ سعدالدین حموی وشیخ ابومحمد عبدالله المغربی وشیخ یاسین المغربی و شیخ عفیف الدین سلیمان قلمانی وشیخ ابوالغیث الیمنی وشیخ صلاح الدین زرکوب وشیخ موسی سدرانی وشیخ صدرالدین فرغانی وعین الزمان جمال الدین وحاجی بکتاش ولی قدس الله اسرارهم که اکثر آن بزرگوارانرا در شهر قونیه وغیره ملاقات نموده وطریق معاشرت پیموده

در شهور سنه ٦٧٢ هجری درهمان دیاربدارالقرار انتقال نمودمزارفیض مدارش درغایت اشتهاروزیارتگاه ابنای روزگاراست (وفات خواجه نصیرالدین طوسی هم در اینسال اتفاق افتاده)

از ملوك زمان که معاصر آنجناب بودند هلاکوخان وآباقاآن خان در ایران وبندوقدار درمصروشام وعلاءالدین کیقبادسلجوقی درکشورروم وناصرالدین ایلتمش در هندوستان حکومت مینمودند وازفرقهٔ حکما محقق طوسی معاصر آن بزرگوار بوده

روزی اصحاب راخطاب کرده فرمود: اوصیکم بتقوی الله فی السروالعلانیه و بقلة الطعام وقلة المنام وهجران المعاصی والآثام و مواظبة الصیام ودوام القیام وترك الشهوات علی الدوام واحتمال الجفاء من جمیع الانام وترك مجالسة السفهاء والعوام ومصاحبة الصالحین والکرام وان خیرالناس ماینفع الناس وخیرالکلام ماقل ودل

پوشیده نماناد که سلسلهٔ مولوی دربلاد روم ومصروشام وعرب وجزایربحرروم ودیار روم ایلی وعراق عرب جاری و معمولست ودر نزدخوردو کلان واعیان ودانا ونادان وحاجب وسلطان مقبولست لباسی خاص مخصوص درویشان آن سلسله است وتاج نمدی بیدرز برسر گذارند ومشایخ ایشان عمامهٔ نیز برآن تاج بیندند وذکروفکر ومراقبت اورادوسماع وحلقهٔ ذکرجلی درمیان ایشان متداولست ودرهنگام سماع نی ودف میزنند درآن سلسله قانون است که چون خواهد کسی در آن طریقه درآید باید که مدت هزارویکروز خدمت نماید براینموجب که چهل روز خدمت چهارپایان کند وچهل روز خدمت فقرا نماید و چهل یوم آب کشی وچهل یوم فراشی وچهل یوم هیزم کشی وچهل یوم طباخی وچهل یوم حوائج ازبازار آوردوچهل یوم خدمات مجلس درویشان کند وچهل یوم نظارت نماید برین نسق تامدت مقرره تمام شود اگر چنانچه یکروز ازآنمدت ناقص گردد باید که خدمت را ازسر گیرد و چون تمام کند آنکس را غسل توبه دهند ازجمیع محرمات و کسوت از سرکارخانقاه بوشانند وتلقین اسم جلاله براو کنند وحجره جهت آسایش وعبادت بوی دهند وطریق ریاضت ومجاهده تعلیم وی نمایند وآنکس برآن قاعده وقانون مشغول شود تاآنکه صفائی درباطن او ظاهر گردد

مخفی نماند که صوفیه گفته اند که مولانا رامذهب شیعه بوده وبر طریقهٔ حقه عمل مینموده وبر اینمطلب شواهد بسیاراست والله اعلم

خلاصه شرح حال مولانا

مولانا جلال الدین محمدبلخی مشهوربه مولانای روم درششم ماه ربیع الاول سال ٦٠٤ هجری قمری در قبة الاسلام بلخ (یکی از چهار شهربزرگ خراسان که پیش ازهجوم مغول منتهای آبادی راداشته) متولدشده در سال ششصدونودونه بمعیت پدربزرگوارش ازخراسان بآسیای صغیر مهاجرت گزیده وهم آنجا درپنجم جمادی الاخرهٔ ششصدو هفتادوسه بریاض خلدخرامیده وپهلوی ضریح پدرش مدفون شده است

مولانا درشعر چنانکه دربسیاری از غزلهایش بطریق تلمیح آورده است خاموش تخلص میکرده و اورا علاوه بر جلال الدین بلقب خداوندگار نیزمیخوانده اند و اطلاق خداوندگار بمناسبت سلطنت وحکومت ظاهری وباطنی اقطاب برمریدان خود دراعتقادصوفیان تناسب تام دارد. شهرتش برومی یامولانای روم بواسطهٔ طول اقامت

در آسیای صغیر بوده . وچون سلجوقیان آن خطه‌را از امپراتوری روم شرقی منتزع کرده بودند شاخه‌ای ازسلسلهٔ سلجوقی که در آنجا استقرار یافت معروف بسلاجقهٔ روم شد . ولی لقب مولوی تازه‌است

نسب مولانا به‌دو واسطه به‌ابوبکر صدیق می‌پیوندد ومطابق تحقیقات آقای کاظم‌زادهٔ ایرانشهر بدین ترتیب است : جلال‌الدین محمدبن بهاءالدین محمدبن‌حسین‌بن احمدبن محمودبن مودودبن ثابت‌بن مسیب‌بن مطهربن حمادبن عبدالرحمن‌بن ابی‌بکرالصدیق

نیای مولانا حسین‌بن‌احمدخطیبی از افاضل خطهٔ‌خراسان‌بشمار میآمده از خاندان علم وعرفان وپدربرپدرازمشایخ کبار بلخ‌بوده بروایت شمس‌الدین احمد افلاکی درمناقب‌العارفین امام‌رضی‌الدین نیشابوری از اجلهٔ فقهای قرن ششم درمحضروی تلمذ کرده.جدهٔ مولاناازخاندان‌جلیل‌خوارزمشاهیان‌وظاهراً دختر قطب‌الدین‌محمدبوده

پدر مولانا بهاءالدین محمدبن‌حسین ملقب بسلطان العلماء مشهوربه‌بهاءالدین‌ولد معروف‌به مولانای‌بزرگ ازبزرگان‌صوفیان ایران‌تربیت‌یافتهٔ شیخ‌اجل‌ابوالجناب نجم‌الدین‌احمدبن‌عمرخوارزمی معروف به کبری بوده و خرقه‌اش به‌سبب عماریا سر و ابوالنجیب سهروردی‌به‌شیخ‌احمدغزالی‌میپیوسته.بروایت‌فریدون سپهسالار(از یاران‌مولانا که‌رساله‌ای‌درسوانح‌زندگانی‌مولانا گردآورده)شهرت‌علمی سلطان‌العلماء،باندازه‌ای،بودکه‌ازاقصای‌خراسان‌فتاوای‌مشکل‌رابحضرت او آوردندی ودرشهر بلخ مسند افاضت و ارشاد داشته خواص و عوام آن‌خطه اوراعظیم معتقدبودندپیوسته بامر معروف ونهی‌از منکراشتغال‌داشت‌وهرگاه که‌مجلس میگفتی گروه بیشماری از هر طبقه درپای منبر وعظش گرد میآمدند واوبرهمهٔ دلها مشرف‌بود

مسلك تصوف ازقرن‌پنجم هجری باینطرف درمیان مسلمین رونق و عظمت تمام‌یافته ازخواص گذشته در تودهٔ عوام هم منتشر شده‌بود . اقطاب مشایخ‌روش‌خویش‌را بدین ومذهب‌نزدیك ساخته سخنان‌ومجالس خودرابذکرخداورسول وآیات‌واحادیث‌میآراستند و در دورهٔ که بیشتر علماء فقه وحدیث بواسطهٔ تصدی شغل قضا آلایش مادی پیدا کرده حدود شرع را مهمل میگذاشتند رؤسای صوفیه به‌ترك‌دنیا و اعراض ازامراء و عزلت و انقطاع ظواهر حال خودرا میآراستند

بواسطهٔ‌مخالفتی که میان صوفیه و حکما بود سلطان‌العلماء علناً در محضر وبرسرمنبر بآنان بد میگفته وپیروان فلسفهٔ‌یونانرا گمراه و مبتدع میخوانده خصوصاً بامام فخرالدین محمدبن عمر رازی از بزرگان حکماو متکلمین‌عصر که‌در آن اوقات درخوارزم اقامت داشته استاد و مصاحب‌سلطان علاءالدین محمد خوارزمشاه بوده است تعریض میکرده

بروایت افلاکی سلطان العلماء درنتیجهٔ دسته‌بندی علماءمعقول ومنقول ومکدرساختن صفای آئینه خاطر خوارزمشاه نسبت بوی‌از سلطان‌ومردم بلخ رنجیده تصمیم بمهاجرت داد (از جملهٔ ساعیان‌نام امام‌فخروقاضی‌زین‌فزاری ورشیدقبائی‌ذکرشده‌است)سلطان‌العلماء در نیشابورشیخ عطارراملاقات نمود که‌اسرار نامه‌را بمولانا که‌در آنوقت پنجساله بود بخشیدواز آنجا بعزم‌حج بیت‌الله‌الحرام رهسپار بغداد شدوبروایت‌نورالدین‌عبدالرحمن‌جامی درنفحات‌الانس‌روزیکه باخانواده‌ومریدان بدارالسلام درآمد جمعی‌پرسیدند که : اینان‌چه طائفه‌اند ، ازکجا میآیندوبکجامیروند؟ گفت : من‌الله والی‌الله‌ولا قوة الاباالله . این سخن‌را بسمع‌عارف مشهورشیخ‌شهاب‌الدین‌عمربن محمد سهروردی‌رسانیدندفرمود:ماهذاالابهاءالدین البلخی؟وموکب سلطان‌العلماء را استقبال کرد

باحسن‌پذیرائی شیخ واقبال‌خواص اهل‌عرفان سلطان‌العلماء سه‌روز بیشتر دربغدادنمانده‌روزچهارم ازمرکزخلافت‌اسلامی روانهٔ حجازشد وپس ازگزاردن مناسك حج وتشرف بمدینهٔ طیبه بعزم بیت‌المقدس وزیارت‌مزارسایرانبیاءعظام‌ازحجازرهسپارشام گردید، اهل‌شام‌خواستند اورا نگاهدارند نپذیرفت وبطرف‌ارزنجان‌رفت و چهارسال‌در آن‌خطه‌رحل‌اقامت‌افکندوازفخرالدین‌بهرامشاه‌حکمران ارزنجان‌وپسرش‌علاءالدین‌داودشاه‌اقبالهادیدمولانادرهیجده‌سالگی درشهرلارنده بفرمان‌پدر گوهرخاتون دختر خواجه‌لالای‌سمرقندی را بهمسری اختیار کرد وبهاءالدین محمدمعروف بسلطان‌ولد و علاءالدین‌محمد ازین اقتران بوجودآمدند بروایت افلاکی‌سلطان العلماء،پس‌ازچهارسال اقامت‌درملاطیه وهفت‌سال‌درلارنده‌بخواهش علاءالدین کیقباد دوازدهمین پادشاه سلجوقی روم بشهر قونیه که دارالملك‌بودرفت. شاه‌وامیران‌بزیارتش آمدند و ازسرصدق دست ارادت دردامانش‌زده درمراعات‌جانب‌او لوازم‌اهتمام بعمل‌میآوردند وپای‌وعظش‌می‌نشستند واهل‌روم ازجان‌ودل بوی گرویدند .

ازانتقال‌سلطان‌العلماء به‌قونیه‌بیش‌ازدوسال نگذشته‌بود که‌تن بربستر ناتوانی‌نهاده درسنهٔ ششصدوبیست‌وهشت زندگانی‌رابدرود گفت.مردم‌شهردرعزای‌اورستخیزعظیم‌برپا کردند.سلطان‌علاءالدین یکهفته درمسجدجامع‌خوان‌نهاد ومالهابفقرابخش کرد.چون‌پدرسر درحجاب‌خاك کشیدمولانا که‌در آنهنگام‌بیست‌وچهارساله‌بودبخواهش پادشاه وامراء والحاح‌مریدان‌برجای‌وی برمسندوعظ وافادت‌نشست ویکسال‌تمام‌دورازطریقت،مفتی‌شریعت‌بود که‌سیدبرهان‌الدین‌محقق ترمدی ازشاگردان سابق‌سلطان‌العلماءوخواص‌اولیاء صوفیه‌بقونیه رسیدو درآنشهربساط‌ارشاد ودستگیری‌خلایق بگسترد ومولانارا در علوم ظاهری بیازمود و گفت : پدربزرگوارت راهم علم قال بکمال‌بود وهم‌علم‌حال چون درعلوم شریعت وفتوی‌جانشین‌اوشدی میخواهم که درعلم‌حال‌هم سلوکها کنی تاخلف‌صدق‌پدرباشی‌اگر مریدشوی مرادیابی وآنچه ازاو بمن رسیده دیدنیست نه آموختنی مولانا برغبت تمام براوبگروید وبروایت‌سپهسالار مدت نه‌سال‌سرو کارش باسیدبرهان‌الدین بودوبراهنمائی آنعارف کامل طریق‌سیر وسلوك‌میپیمود .بروایت افلاکی مولانا دوسال‌پس‌ازمرگ‌سلطان العلماء باشارت سید باچندنفرازمریدان پدربجانب‌شام عزیمت کرد تامرتبهٔ کمال خودرا درعلوم ظاهر باکملیت رساند . ابتدا درشهر حلب بمدرسهٔ حلاویه‌نزول فرمود و از حوزهٔ درس‌مدرس‌دانشمند آن‌مدرسه‌کمال‌الدین‌ابوالقاسم‌عمربن‌احمدمعروف‌بابن‌العدیم‌استفادها برد وپس‌از آنکه سه‌سال درحلب به‌تحصیل علوم‌اسلامی پرداخت رهسپاردمشق‌شد.علماومعارف‌شهرمقدمش‌را گرامی‌داشته‌درمدرسهٔ قدسیه فرودش‌آوردند وخدمات‌شایان بتقدیم‌رسانیدند .

مولانا چهارسال در کرسی‌شام که در آنهنگام مرکزبزرگان و مجمع‌علم‌وعرفان‌بودبه‌زهدوریاضت‌تمام‌درتکمیل‌معارف‌دینی‌کوشیدو هدایه‌را که‌کتاب‌جامعیست درفقه حنفی دارای شروح وتعلیقات و حواشی بسیارتألیف شیخ‌الاسلام برهان‌الدین‌علی‌بن‌ابی‌بکرمرغینانی نزداساتیدفن بدقت‌دیدوهم درین شهربفیض صحبت عارف مشهور محی‌الدین العربی وبزرگان‌دیگرنائل گردید

مولانا پس‌از هفت‌سال مسافرت بقونیه‌بازگشت و بدستور سیدبرهان‌الدین بریاضت‌پرداخته‌سه‌چلهٔ‌متوالی‌برآوردتانقدوجودش بی‌غش‌وتمام‌عیار بلکه سراپا نور گردید . چون‌جان‌پاك‌سیددرسنهٔ ۶۳۸ ازخاکدان‌تن بقرب قدس‌انتقال یافت مولانا در دارالملك قونیه برمسند ارشاد وتدریس متمکن گردیده به‌تربیت مستعدان همت گماشت‌مریدان‌بسیار بروی گردآمدند وپروانه‌وارپیرامن‌شمع وجودش‌میگردیده‌حضرتش‌را پیشوای‌دین‌ومفتی‌شریعت وراهنمای طریقت میشناختند

مولانا نزدیك‌پنج‌سال بسنت جدوپدرهم درمدرسه‌بتدریس فقه ودیگرعلوم‌اسلامی‌میپرداخت وهم‌برسم‌زهدپیشگان‌آنزمان‌مجلس وعظوتذکیرمنعقدساخته ومردم‌را تبشیر وتنذیرمیکرد. همه‌روزه طالبان علم که بگفتهٔ دولتشاه‌سمرقندی عده‌شان بچهارصد میرسید متناوباً درمدرس‌ومحضرش برای‌استفاده‌حاضر میشدندوصیتش در اطراف جهان‌منتشر گردید .

مولاناسرگرم تدریس وقیل‌وقال مدرسه‌بود فتوای شرعی

مینوشت وازیجوزولایجوز سخن‌میراند وخاق بعلوم‌ظاهر وزهدو ریاضت اوفریفته شده‌بخدمت‌ودعای وی‌تبرك‌میجستند که ناگهان آفتاب عشق‌وشمس‌حقیقت پرتوی‌بر آن‌جان‌پاک افکند. آن‌طوفان عظیم که‌این‌اقیانوس آرام‌را‌متلاطم‌ساخت شمس‌الدین‌محمدتبریزی ژولیده پیری‌از پیران‌صوفیه بود که نفسی گرم و جاذبه‌ای قوی و بیانی مؤثر داشت

بروایت افلاکی شمس‌الدین محمدبن‌علی‌بن‌ملك‌دادتبریزی (که گویندپدرش اصلا ازباوردخراسان‌بوده وبتجارت به آذربایگان رفته) ابتدادست ارادت بدامان‌شیخ ابوبکرزنبیل‌باف که‌در کشف القلب‌یگانهٔ‌زمان‌خودبود زده چون‌درسیروسلوك درجهٔ کمال یافت درطلب‌کاملتری سفری‌شد وسالها گردبلادوامصاربر آمده ازشهری بشهری راه‌میپیمودوبااهل راز وریاضت‌انس والفت مینمود پیوسته نمدسیاه میپوشیدوهمه‌جادرکاروانسرای منزل‌میکردوبخدمت‌چندین ابدال واوتاد و اقطاب رسیده اکابرصورت ومعنی‌رادریافته‌بود

شمس‌تبریز بامداد روزدوشنبهٔ ۲۶ جمادی‌الاخره سال۶۴۲ بقونیه‌رسیده درخان‌شکر ریزان نزول کرد . ودریك مجلس چنان مولانارا مجذوب وفریفتهٔ‌خودساخت که منبر ومحراب وحوزهٔ‌درس ومسند ارشادرا رهاکرده حلقهٔ‌بندگی‌اورا بگوش کشید !

آفتاب‌دیدارشمس چنان‌برروان‌مولانابتافت‌وآتش درخرمن هستی اوزد که‌هرچه جزمعشوق‌باقی‌بسوخت

چگونگی‌دیدارپیرتبریزی را بامولاناباختلاف‌ذکر کرده‌اند محی‌الدین عبدالقادر مصری مؤلف الکواکب المضیئه فی‌طبقات الحنفیه درسبب‌تجرد وانقطاع مولانا مینویسد که: روزی درحجره نشسته‌بودو کتابی چند پیرامون خودنهاده وطالب علمان بروی‌گرد آمده‌بودند شمس‌الدین‌قلندروار درآمد وسلام‌گفت ودرصف نعال بنشست واشارت‌بکتب کرده پرسید : این‌چیست ؟ مولانافرمود تو این‌ندانی‌هنوزاین‌سخن بانجام‌نرسانیده‌بودکه آتش‌در کتابهاو کتابخانه افتاد ! مولاناپرسید این‌چه‌باشد؟شمس گفت‌تونیزاین‌ندانی!برخاست وبرفت‌مولانامجردواربر آمدوترك‌مدرسه و یاران‌وفرزندان گفت.

مطابق روایت سلطان ولدپسرمولانادر ولدنامه:عشق مولانا بشمس‌الدین مانند جستجوی موسی‌است ازخضر که بامقام شامخ رسالت ورتبهٔ کلیم اللهی‌بازهم مردان خداراطلب میکرده .

مولانا که‌تا آنروز خلقش‌بی‌نیازمیشمردند نیازمندواربدامن شمس که از مستوران قباب‌عزت‌بود درآویخته یکجا اسیرعشق و جذبهٔ‌وی گردید ومطلوب‌را بخانه‌برده‌بااوبخلوت‌نشست ودربرآشنا وبیگانه ببست و آتش استغنا در محراب‌ومنبرزده ترك‌مسندفتوی‌و تدریس و کرسی‌وعظ وتذکیربگفت وباهمهٔ‌استادی درخدمت معلم عشق‌زانو زده نوآموز گشت

بروایت افلاکی‌این‌خلوت‌بچهل‌روزیاسه‌ماه کشید

شمس‌الدین‌بمولانا چه‌آموخت وچه‌فسون‌ساخت که‌او ازهمه‌چیز وهمه کس گذشته خودرا نیز درقمار محبت‌باخت برمامجهول‌است . ولی کتب مناقب وآثاربرین متفقند که‌مولانا پس‌ازین خلوت روش خودرا بدل‌ساخت ، وبجای‌قیل‌وقال‌مدرسه واهل بحث وجدل گوش به نغمهٔ‌جانسوز نی وترانهٔ دلنوازرباب نهاد، بااینکه قبلاشب‌تابصبح درنمازبود وهرسه‌روزیکبار روزه‌میگشاد ـ وچیزیکه‌مولانارا از همهٔ رسیدگان‌جهان ممتازمیسازد همین تحول‌روحانی است که در پیوستن‌به پیر تبریزی برای‌اوپیش آمد

برشاگردان ویاران‌مولانا که‌باچشمهای‌غرض‌آمیز بشمس‌الدین مینگریستند تمکین‌او که شیخ‌وشیخ‌زاده ومفتی‌ومدرس ومذکربود نسبت بمردیکه بنظرشان لاابالی وبیرون ازاطوار معرفت میآمد سخت گران‌وناگوارمینمود.مریدان نیز شکایت وتشنیع آغاز کردند فقها وزهادحتی عوام قونیه‌هم ازتغییر روش مولانا خشمگین شدند

بالاخره‌شمس پس‌از شانزده‌ماه ازگفتارورفتار ایشان که اورا ساحر وجادو میخواندند رنجیده بیخبرسرخویش گرفت و برفت .

مولانا درطلب اوبقدم جد ایستاد وپس‌از جستجوی بسیار خبریافت که گمشدهٔ‌او دردمشق شام‌است . نامه وپیام متواتر کرد وپیك‌درپیك‌پیوست ، غزلهای سوزناك سروده بخدمت شمس‌الدین فرستاد آن‌نامه های‌منظوم که‌قدیمترین اشعار تاریخی مولاناست‌در دل شمس اثربخشیده متمایل گردید که‌باردیگرعنان مهر بسوی‌آن عاشق دلسوخته بتابد . مریدان ویاران مولاناهم که‌در نتیجهٔ‌غیبت شمس‌الدین و پژمردگی ودلتنگی مولانا ازفیض دیدار وحلاوت گفتار وذوق تربیت‌اوبی‌بهره مانده موردبی‌عنایتی شیخ‌خود واقع گردیده‌بودند از کرده‌پشیمان گشته دست انابت دردامن غفران وی زدند . مولاناعذرشان‌پذیرفته‌فرزندخودسلطان‌ولدرابدمشق‌فرستاد

سلطان‌ولد نقودچندی نثارقدم‌شمس کردوبندگیها نموده پیغامهای پدررا برسانید دریای مهرشمس جوشیدن گرفت و گوهر های حقایق‌برسلطان ولدافشانده رهسپار قونیه گردید وسلطان‌ولد بیش‌ازیکماه ازسرصدق ونیاز پیاده درركابش راه میپیمود

مولاناازرسیدن شمس‌خاطرش چون گل ازنسیم‌صباشکفت مریدان‌ویاران‌پوزشها کردند وهریك‌باندازهٔ‌وسع‌خویش‌خوان‌نهاده وسماع دادند ـ مولاناچندی باپیر تبریزی تنگاتنگ‌صحبت داشته درخلوت بروی غیر ببستند ،گاهی‌هم بااوبصحرا رفته وخوش‌شور وغوغائی داشتند ولی‌رفته‌رفته بازمریدان ویاران مولانا وخواص وعوام‌قونیه درخشم آمده بدگوئی وشناعت‌آغاز کردند مولانارا دیوانه وشمس‌الدین را جادو خواندند

ظاهراً علت تشنیع فقها وزهاد و هیجان عوام آن بود که مولانا پس از اتصال به‌شمس ترك وعظ و تدریس گفته بسماع و رقص نشست وجامه ودستار فقیهانه‌را به فرجی هندباری و کلاه‌پشم عسلی بدل کرد وفرمود رباب‌را که ازقدیم‌العهد عرب چهارسوبود شش‌خانه ساختند وشب و روز بوجدوسماع‌پرداختند

مولانا مریدان قدیم‌خالص داشت که‌بعضی ازبلخ‌دررکاب‌پدرش بقونیه آمده‌بودند وعدهٔ‌هم دربلاد آسیای‌صغیربدین خاندان پیوسته بودند و اورا عالم ربانی وپیشوای بحق وشیخ‌راستین وقطب‌زمان میدانستند پس‌از آمدن‌شمس‌الدین وانقلاب حال‌مولانا دستشان‌از دامان شیخ‌خود کوتاه ماندتشنیع فقها وزهادهم مقوی این کدورت گشته آنانرابدشمنی‌شمس وامیداشت،احتمال قوی میرود که‌دسته‌ای ازخویشان وبستگان مولانا نیز که‌ازشکست کارخود نگران بودند با این گروه در آزار شمس‌الدین‌همدست‌شدند

بروایت سلطان‌ولد چون مریدان و یاران وبستگان مولانا بکین شمس کمربستند پیر تبریز دل‌ازقونیه برکند و مصمم‌شد که چنان رود که دیگر خبرش‌هم بدورو نزدیك نرسد . این سخن‌را با سلطان ولد در بین نهاد و ناگهان از میان همه گم‌شد و انجام کارش معلوم نشد !

چون‌شمس‌حقیقت‌درزیر ابراسرار ناپدید شد اخبار واراجیف که‌شایدبعضی‌از آنراهم دشمنان‌برای رنجش‌خاطرمولانا میساختند ازهم نمیگسست ، خبرمرگ وقتل وحیات شمس‌الدین همه‌روزه بگوش میرسید ، مولانادرجوش و خروش ومیان امید ونومیدی سرگردان بود و بروایت دولتشاه در آرزوی شمس میسوخت و قوالان رامیفرمود تاسرودعاشقانه‌میگفتندوشب وروزبسماع اشتغال داشتند وبیشتر غزلیاتش درفراق‌شمس‌الدین‌است .

چون ازمجموع اخبار مستفادشد که مشرق‌آفتاب عشق دمشق شام‌است وتشنیع فقیهان وجنبش‌عوام قونیه‌هم خاطر مولانارا سخت افسرده بود درطلب یار گمشده رهسپار شام گردید وخلقی بسیار درپی اوروان گشتند.مولانا دردمشق‌همچنان مجلس سماع ورقص ساز کردوپیوسته بافغان وزاری شمس‌تبریزی‌راازهرکوی وبرزن میجست‌ونمی‌یافت وازشدت اشتیاق ناله‌های پرسوز ازدل‌برمیآورد و اشعار غم‌انگیز میسرود . دمشقیانی که اهل دیدبودند بمولانا گرویده مال‌وخواسته در قدمش‌نثار میکردند وبرخی دیگر که‌از

سر کار آگهی نداشتند از حالاتش در شگفتی میماندند و میگفتند آن کیست که این بزرگ مردرا چنین فریفته و دلباختهٔ خود ساخته است.

چون کوشش مولانا در طلب شمس الدین بجائی نرسید ناچار باجمع مریدان بقونیه باز آمد و سماع بنیاد کرد و پس از سالی چند باز عشق شمس سر از گریبان جانش در آورده بار دیگر روی بدمشق نهاده ماهها درشام بجستجو گذرانید لکن این بار نومیدی تمام بحصول پیوست. ولی بقول سلطان ولد اگرچه مولانا شمس را بصورت در دمشق نیافت ولی بمعنی درخود یافت - پس از آنکه مولانا از وصول بشمس الدین نومید شد بقونیه باز گشته بتربیت و اصلاح خلق پرداخت و بجدی تمام به تکمیل ناقصان و ارشاد سالکان مشغول شد

مولانا که در علم و عرفان بمقام بلندی رسیده بود نظر باستغراقی که خود در کمال مطلق و جلوات جمال ربوبیت داشت پیوسته یکی از یاران گزین را بدستگیری و ارشاد طالبان برمیگماشت. نخستین بار صلاح الدین فریدون زرکوب قونوی را منصب شیخی و پیشوائی داد . یاران و مریدان که در آتش عشق نگداخته و در بوتهٔ ریاضت و سلوك از غش هوی و وهم پاك برنیامده بودند بجز مولانا هیچکس را قبول نمیکردند و شیخ صلاح الدین را که بروایت افلاکی مردی بیسواد و در بازار قونیه بزرکوبی روزگار میگذرانید برای دستگیری و راهنمائی سزاوار نمیدیدند بار دیگر سراز فرمان مولانا پیچیده بدشمنی صلاح الدین برخاستند و سخنان گزنده درحقش گفته بر آن شدند که اورا ازمیان بردارند مولانا علی رغم منکران حسود دیده بر شیخ صلاح الدین گماشت و عنایت و لطف را نسبت باو بحدی رسانید که پیوستگان و فرزندان خودرا فرمان داد تا دست نیاز در دامن وی زنند و از فرط علاقه فاطمه خاتون دختر صلاح الدین را برای سلطان ولد عقد بست ولی پس از دو سال صحبت بی انقطاع ناگهان شیخ صلاح الدین رنجور شد و بیماریش سخت دراز کشیده درسنهٔ ۶۵۷ در گذشت

بعد از مرگ صلاح الدین توجه مولانا بحسام الدین حسن چلبی معروف به ابن اخی ترك معطوف شد و اورا منصب شیخی داد حسام الدین از نخبهٔ مریدان مولانا بود که در زهد و تقوی و معرفت دارای مقامی رفیع و در رعایت دقایق شریعت بی نهایت مراقب بود

دوستی مولانا نسبت به چلبی بجائی رسید که لحظه ای خاطرش بی او نمیشکفت و اورا برفرزندان خود ترجیح داده و آنچه از زخارف دنیوی برایش میرسید فوراً بحسام الدین میفرستاد و یاران و مریدانهم که در طول مدت مهذب و مؤدب شده بودند پیشوائی چلبی را با کمال میل پذیرفته در پیشگاه او سر تمکین نهادند

بهترین یادگار ایام صحبت مولانا با شیخ حسام الدین نظم مثنوی معنویست که یکی از شاهکارهای ادبی ایران و بزرگترین و عالیترین اثر متصوفهٔ اسلام می باشد

سبب افاضهٔ این فیض از وجود مولانا چلبی بوده که چون میدید یاران بیشتر بقرائت آثار شیخ فریدالدین عطار نیشابوری و شیخ ابوالمجد مجدود سنائی غزنوی مشغولند شبی در خلوت از مولانا درخواست کرد کتابی بطرز منطق الطیر عطار یا الهی نامه سنائی (حدیقه) بنظم آرد مولانا فی الحال از سر دستار خود برگی که هجده بیت از آغاز دفتر نخستین مثنوی بر آن نوشته بود بیرون آورده بدست او داد

جذب و کشش حسام الدین بار دیگر دریای طبع مولانا را بجنبش در آورد و شور و شوق دیگر داد . شبها حسام الدین در محضرش می نشست مولانا ببدیههٔ خاطر شعر میسرود و رموز و اشارات عالم غیب را بشیوهٔ سخن گستری بیان میکرد و او مینوشت . چون دفتر نخستین مثنوی بانجام رسید همسر حسام الدین در گذشت و شیخ را پراکنده دل و غرق سکوت کرد طبع مواج مولانا هم که مشتری نمیدید از تلاطم افتاد دو سال تمام در نظم مثنوی تأخیر شد تا بار دیگر تفرق خاطر چلبی بجمعیت مبدل و خواهان انجام مثنوی شد

صحبت مولانا با شیخ حسام الدین پانزده سال امتداد یافت و یاران و مریدان از اثر صحبت آندو فوائد بیشمار میبردند و به ارادت تمام بخدمت آنان مسابقت میورزیدند مولانا از زحمت ناقصان تاحدی آسوده خاطر و در صحبت چلبی بود و یاران پروانه وار گرد شمع وجودش میگردیدند که ناگاه آن توانای عالم معنی به حمای محرق در بستر ناتوانی بیفتاد ، هرچه طبیبان بمداوا کوشیدند سودی نبخشیده مقارن غروب روز یکشنبه پنجم ماه جمادی الاخرهٔ سال ۶۷۲ در سن شصت و هشت سالگی روح پرفتوحش بریاض قدس اتصال یافت. بروایت افلاکی در شب آخر که مرض مولانا سخت شده بود خویشان و پیوستگان اضطراب عظیم داشتند و سلطان ولد هم هردم بیتابانه بسر پدر می آمد مولانا این غزل آتشین را نظم فرمود :

روسر بنه ببالین تنها مرا رها کن ترك من خراب شب گرد مبتلا کن

مسلمین قونیه از خورد و بزرگ در تشییع جنازهٔ مولانا حاضر شدند یهود و نصارای آنشهر نیز که صلح جوئی و نیکخواهی ویرا آزموده بودند بهمدردی اهل اسلام شیون و افغان میکردند . بروایت محمود مثنوی خوان در ثواقب مسلمین از یهود و نصاری پرسیدند که : شمارا با مولانا چه تعلق بوده است ؟ گفتند: اگر مسلمانان را بجای محمد بود ما را هم موسی و عیسی بود و اگر شمارا پیشوا و مقتدی بود ما را هم همان بود که قلب و فؤاد ماداند ؛ شیخ صدرالدین ابوالمعالی محمد بن اسحاق قونوی از بزرگان علماء تصوف و مشاهیر شاگردان شیخ محی الدین عربی بر مولانا نماز گزارد و از شدت بیخودی و درد پس از سلام شهقهٔ زده از هوش برفت جنازه را بحرمت تمام برگرفته در ارم باغچه نزد ضریح منور پدرش (سلطان العلماء) مدفون ساختند

بروایت افلاکی قاضی سراج الدین ابوالثنا محمد بن ابوبکر ارموی از اجلهٔ علماء عصر در برابر تربت مولانا این بیتها برخواند

کاش آنروز که در پای تو شد خار اجل دست گیتی بزدی تیغ هلاکم برسر
تا درین روز جهان بی تو ندیدی چشمم این منم بر سر خاك تو که خاکم برسر

مدت چهل روز یاران و مردم قونیه تعزیت مولانا میداشتند و با ناله و گریه برفوت آن سعادت آسمانی دریغ و حسرت میخوردند

علم الدین قیصر که بروایت افلاکی از اکابر قونیه بود باسرمایهٔ سی هزار درم همت بست که بنائی بر سر تربت مقدس مولانا بنیاد کند وزیر معین الدین سلیمان بن علی مشهور به پروانه اورا به هشتاد هزار درم نقد و پنجاه هزار درم دیگر حواله مساعدت فرمود و قبهٔ موسوم به خضراء بر مرقد مبارك تأسیس یافت علی الرسم چندقاری و مثنویخوان در سر تربت مولانا بودند. سلطان العلماء پدرش و پنجاه تن از اولاد و جانشینان مولانا آنجا مدفونند .

آثار مولانا

آنمقدار از آثار مولانا را که باقی مانده بدو قسمت منثور (فیه مافیه - مجالس سبعه - مکاتیب) و منظوم (غزلیات - رباعیات - مثنوی) میتوان تقسیم کرد

۱ - فیه مافیه - مجموعهٔ تقریرات مولانا است که در مجالس خود بیان فرموده و پسرش سلطان ولد یا دیگری از مریدان یادداشت کرده و بصورت کتاب در آمده - موضوع فصول و مجالس و نتیجهٔ آنها مسائل اخلاق و طریقت و نکات تصوف و عرفان و شرح و تبیان آیات قرآن و احادیث نبوی و کلمات مشایخست، بسال ۱۳۳۳ هجری قمری در تهران و بعد در هندوستان و شیراز چاپ شده است و ما برای نمونه پارهٔ از موضوعات مختلف آنرا در صفحهٔ ۳۳ آثار مولانا نقل کرده ایم

۲ - مجالس سبعه که عبارت از ۷ مجلس از مواعظ مولانا است که بر سر منبر بیان فرموده و نسخهٔ خطی آن در اسکدار در کتابخانه سلیم آقا محفوظ بوده و سه سال قبل با اجازهٔ آقای ولد چلبی افندی و بسعی آقای محمد فریدون نافذ در استانبول چاپ شده است و ما برای آنکه همه بتوانند بآن دسترسی داشته باشند عین آنرا جزء آثار مولانا نقل کرده ایم

۳ - مکاتیب مولانا - مجموعهٔ مراسلات او بمعاصرین است که اخیراً در استانبول بسعی آقای فریدون نافذ چاپ شده و ما ۷ مکتوب آنرا جزء آثار مولانا انتخاب کرده ایم

۴ - غزلیات - که بنام دیوان شمس معروفست و دوبار در هندوستان چاپ شده در حدود پنجاه هزار بیت میباشد که قسمتی از آثار دیگرانهم با اشعار مولانا مخلوط گردیده - اکثر غزلیات مولانا

باشور وبیقراری ازعشق وارادتیکه بشمس‌داشته ساخته‌شده و بنام شمس‌تبریزی تخلص کرده بقسمی که اگر کسی آگاه نباشد تصور میکند شمس‌شاعری‌بوده که اینهمه‌غزل را بنظم آورده(قریب صد غزل بنام صلاح‌الدین‌وحسام‌الدین وقریب‌دویست‌غزل هم نام خمش یاخاموش درمقطع آن‌ذکرشده) مابرای‌آنکه خوانندگان بسبك غزلیات مولانا آشناباشند ۲۳ غزل گلچین نموده‌درصفحات ۳٤ و ۳۵ چاپ کرده‌ایم.منتخب دیوان شمس که‌بوسیلهٔ‌رضاقلیخان هدایت انتخاب شده چندین‌مرتبه‌درتهران‌چاپ شده‌است

۵ـ رباعیات‌مولانا ـ درمطبعهٔ اختراستانبول‌بسال ۱۳۱۲هجری قمری‌چاپ‌شده متضمن ۱٦۵۹ رباعی‌است که قسمتی از آن بیشك متعلق بمولاناست وقسمتی‌مشکوك میباشد وبرای‌نمونه ۵٤رباعی درصفحه ۳٦ نقل شده‌است

٦ ـ مثنوی چنانکه سابقاً ذکر شد مثنوی را مولانا بخواهش حسام‌الدین چلبی‌شروع فرموده وازسال ٦۵۷ تا ٦٦۰ دفتر اول آنرا برشتهٔ نظم کشید وپس‌ازفترت دوساله‌به‌نظم‌دفتردوم‌پرداخت. تا انتهای دفتر ششم که از جهت مطلب بریده ومقطوع‌ماندو قصه شهزادگان‌بسرنیامده‌مولاناجان‌تسلیم فرمود وسوای ۱۸ بیت آغاز دفتراول که‌بخط مولانا نوشته‌شده بقیه‌را میفرموده‌و حسام‌الدین و سایرمریدان مینوشتند وبعد برای‌مولانا میخواندند اما دفترهفتم با یك‌مراجعهٔ اجمالی‌بابیات آن‌ازحیث‌طرزشعر و الفاظ غریب واعتقاد صاحب‌اسرار بامام‌فخررازی وغیره‌واضحست که‌ازمولانا نیست وما برای اینکه خوبی واستحکام اشعار مولانا واضح گردد بچاپ‌دفتر هفتم بدون‌شرح‌مبادرت ورزیده‌ایم تابدانند که هر که مثنوی‌ساخت مولانانمیشود.مثنوی قریب‌صد مرتبه‌درایران‌وهند واروپاو مصر و ترکیه‌چاپ‌شده‌وملاحسین کاشفی آنراملخص‌وبحسب‌مرام‌مرتب‌ساخته لب‌ولباب‌نامیده‌وچندین‌نفردیگرهم‌قسمتی‌از آنرابنام‌مثنوی‌الاطفال‌و خلاصة‌المثنوی ومنتخبات مثنوی وغیره گلچین نموده‌چاپ کرده‌اند

مثنوی حاضر

این‌بنده دردیماه‌سال۱۳۱٤درصددچاپ‌مثنوی‌برآمده‌وبرآنشدم که‌نسخهٔ‌چاپ‌مرحوم میرزامحمود خونساری‌راکه بتصحیح میرزای جلوه ودیگران رسیده بود عیناً باکشف‌الابیات بطبع‌رسانم اتفاقاً مثنوی خطی کهنه‌ای که بسال ۸٤۳ هجری نوشته شده بدست آمد که متأسفانه‌ازاول وآخرآن چندصفحه‌افتاده‌داشت‌وپس‌ازمقابله معلوم‌شدمثنوی‌محتاج اصلاح بسیاریست،دراین‌اثناآگاه‌شدم که‌نسخهٔ نفیسی‌ازمثنوی‌دراختیارحضرت‌استادی آقای‌سرتیپ‌عبدالرزاق‌مهندس بنایری‌است که بیك‌واسطه از روی‌خط بهاءالدین‌ولد پسر مولانا نوشته شده ونسخهٔ‌خطی‌دیگری ازاستاد معظم آقای ملك‌الشعراء بهار بعاریت گرفته شد که‌مولوی‌عبداللطیف‌با ٤۸ نسخهٔ‌مثنوی‌مقابله کرده وامتیازاتی داشت‌وهمچنین بدورهٔ مثنوی چاپ‌استاد نیکلسن ونسخ‌مرغوب چاپ هند و ایران مراجعه کرده در نتیجه مقابله‌کلیه نسخ فوق‌مثنوی‌حاضربدست‌آمد وبرای‌آنکه‌ابیات ملحقه بمثنوی که درنسخ قدیمه نیست (چون‌حتماً نمیتوان گفت که درمثنوی نبوده) امتیازی‌داشته باشد باعلامت ستاره(*)در جلو آن‌را نشانه کردیم تاخوانندگان محترم بدانند که‌آن‌ابیات دردونسخه کهنه خطی ومتن نسخه‌چاپ نیکلسن‌نیست وازدفترسوم که‌کلیه‌نسخ‌فوق مهیا بودبرای مزیدفایده‌نسخه بدلهائی‌هم درذیل ابیات افزودیم . اماذیل وشرح ابیات مشکله دفترنخستین رایکی‌ازمعاصرین‌نوشته وچون‌مطلوب واقع‌نشددفاتربعدراازروی‌هفت شرح‌مثنوی قدیم که‌حاجی‌سبزواری ومولوی‌عبداللطیف‌وغیرهم‌نوشته‌بودند گردآوردیم که‌همگانرابکارآید دفترهفتم‌را ازاین‌رو چاپ کردیم‌تاپارهٔ کوتاه‌فکران که‌تصورمیکنند مثنوی‌از حیث شعربرجسته‌نیست‌باشتباه‌خودبرخورده‌فرق مابین‌اشعار مولاناودیگرانرا که مثنوی‌هاساخته و هیچیك نتوانسته‌اندباوبرسند ملاحظه کرده باشتباه‌خود واقف گردند وبدانند که مثنوی علاوه‌بر توجه‌بمعنی‌وحقیقت از حیث ظاهر لفظهم آراسته و پیراسته است

پس‌ازخاتمه‌چاپ‌مثنوی درصدد تهیه کشف‌الابیات‌برآمده ودراینراه چهارسال رنج‌بردم ودرنتیجه کشف‌الابیات‌حاضربدست‌آمد که‌بانسخ سابق فرق واضحی‌ازحیث ترتیب منظم وسهولت‌مراجعه ومخلوط نبودن ب و پ و ج و چ و ک و گ و غیره دارد . اما کتاب لطائف‌اللغات‌فرهنگ‌جامعی ازلغات‌مثنوی بقلم‌مولوی‌عبداللطیف میباشد که‌درنتیجه صرف‌عمری درراه مداقه درمثنوی و تدریس آن ومقابله صدهانسخه‌بایکدیگر گردآورده،سابقاً نسخهٔ‌مغلوط‌وناقصی ازآن‌درهند بچاپ‌رسیده بود که‌بامراجعه بنسخ خطی‌نفیس‌تصحیح‌و درآخر کتاب‌ضمیمه گشت.وپس‌ازچاپ‌متن کتاب‌و کشف‌الابیات‌ولغت درصدد تهیه مقدمه برآمده‌برای‌آنکه‌مثنوی کاملا جامع‌باشد علاوه بر فهرست مطالب که بابتدای کتاب افزوده شد تمام مجالس سبعه وقسمتهائی ازسایرآثار مولانا ضمیمه‌شد وعلاوه برمآخذی که‌در ابتدای‌شرح‌حال‌ذکرشده رسالهٔ‌شرح حال بقلم سپهسالار وسه‌دفتر کتاب‌ولدنامه(که‌از آقای‌الفت خریداری‌شده)ومناقب‌العارفین‌هم‌در دسترس‌استفاده قرار گرفت.چهارقطعه‌عکس‌ازمولاناوآرامگاه او از کتاب آقای‌فروزانفر برداشته‌شده‌سه‌قطعه‌درابتدای‌مقدمه وقطعه چهارم دراینجا چاپ میشود

درگاه تربت مولانا

از آقای سیدیعقوب انوار که بامراجعه‌دقیق بمثنوی حاضر بنده راباشتباهات آن‌واقف ساختندوبرای‌تهیه‌غلطنامه‌استفاده‌بسیار کردم وازآقای علی‌قویم که کمکهای‌ذیقیمتی‌نموده‌اند تشکر کرده خداراسپاسگزارم که مقابله و چاپ مثنوی باهمه اشکالاتی که پیدا کرد وموانعی که برای آن پیش‌آمدپس‌از پنج‌سال‌پایان یافت.

دراینجا بامادهٔ‌تاریخی که‌شاعرشیرین گفتارمعاصر آقای‌پژمان‌برای چاپ‌مثنوی‌ساخته‌اندمطلب‌خودراخاتمه‌میدهم۲۰ر۱۲ر۱۹ محمدرمضانی

مثنوی آنشمع یزدانی فروغ — کش‌بود خورشیدحکمت‌زیرظل
کردچون‌ازمطلع‌خاورطلوع — پرتو مهرش فرود آمد به‌دل
خواست‌پژمان‌مطلعی‌خورشیدفر — تاطلوعش را بدان بخشدسجل
لیك چشم طبع و پای دانشش — این‌بتاریکی فروشد آن به گل
یاری‌ازشیخ‌بهائی‌جست‌وخواست — مصرعی خاطر فروزوغم‌گسل
آن‌بزرگ‌آوردسردرجمع‌وگفت — مثنوی باشد چوقرآنی مدل

۱۳۵۸

بسم الله الرحمن الرحیم

(الحمدُ لله حق حمده والصلوٰة والسلامُ علی خیر خلقه محمدٍ وآله وصحبه وذُرّیاته اما بعدُ فهذا) الظعنُ الرّابع الی احسن المرابع واجلّ المنافع تسر(به) قلوبُ العارفین بمطالعته کسرور الریاض بصوب الغمام وأنس العیون بطیب المنام فیه ارتیاحُ الارواح وشفآءُ الاشباح وهو کما یشتهیه المخلصون ویهوونه ویطلبه السالکون ویتمنونه للعیون قرّةٌ وللنفوس مسرّةٌ اطیبُ الثمار لمن اجتنی واجلُّ المرادات والمنی موصلُ العلیل الی طبیبه وهادی المحب الی حبیبه وهو بحمدالله (عزّ وجلّ) من اعظم المواهب وأنفس الرّغآئب مجدّد عهد الالفة مسهلُ عسر اصحاب الکلفة یزیدُ النظر فیه اسفاً لمن بعد وسرُوراً وشکراً لمن سعد یتضمن (۱) صدرُه مالم یتضمن صدور الغانیات من الحلل جزآءً لاهل العلم والعمل فهو کبدرٍ طلع وجدٍ رجع زآئدٌ علی تأمیل الآملین رائدلرود (۲) العاملین یرفعُ الامل بعد انخفاضه ویبسطُ الرّجآء بعد (۳) انقباضه کشمسٍ اشرقت من بین غمامةٍ تفرّقت نورٌ لاصحابنا وکنزٌ لاعقابنا ونسئلُ الله التوفیق لشکره فانّ الشکر قیدٌ للعتید وصیدٌ للمزید ولا یکونُ الّا مایرید

وممّا شجانی أنّنی کنتُ نائماً ... اُعللُ من بردٍ بطیب التنسّمُ
الی ان دعت ورقاءُ فی غصن ایکةٍ ... تفرّدُ (۴) مبکاها بحسن الترنّم
فلوْ قبل مبکاها بکیتُ صبابةً ... بسعدی شفیتُ النفس قبل التندُّم
ولکن بکت قبلی فهیج لی البکا ... بُکاها فقلتُ الفضلُ للمتقدّم

رحم اللهُ المتقدّمین والمتأخرّین والمتنجزّین والمتبحرّین بفضله وکرمه وجزیل الآئه ونعمه فهو خیرُ مسئولٍ واکرمُ مأمول فالله خیرٌ حافظاً وهو ارحم الراحمین وخیر المؤنسین وخیر الوارثین وخیر مخلفٍ رازق للعابدین والزارعین والحارثین (وخیر الرازقین) وصلی الله علی محمدٍ (وآله الاکرمین) وعلی جمیع الانبیاء والمرسلین آمین ربّ العالمین وبه نستعین

---

(۱) تضمن (۲) کرود (۳) عند (٤) تترد

ای ضیاء الحق حسام‌الدّین توئی — که گذشت از مه بنورت مثنوی ۱ همّت عالیّ تو ای مرتجا — می کشد این را خدا داند کجا
گردن این مثنوی را بستهٔ — می کشی آنسو که تو دانستهٔ ۲ مثنوی پویان کشنده نا پدید — نا پدید از جاهلی کش نیست دید
مثنوی را چون تو مبدأ بودهٔ — گر فزون گردد تو اش افزودهٔ ۳ چون چنین‌خواهی‌خداخواهدچنین — می دهد حق آرزوی متّقین
کان لله بودهٔ در ماضی[1] — تا که کان الله له آمد[2] جزا ۴ مثنوی ازتو هزاران شکرداشت — در دعا و شکر کفها بر فراشت
در لب و کفش خدا شکر تودید — فضل کرد و لطف فرمود و مزید ۵ زانکه شاکررا زیادت‌وعده‌است[3] — آنچنانکه قرب مزد سجده است
گفت واسجد واقترب یزدان ما — قرب جان شد سجدهٔ ابدان ما ۶ گر زیادت میشود زین رو بود — نز برای پوش و های وهو بود
باتو ما چون رز بتابستان خوشیم — حکم داری هین بکش تا می‌کشیم ۷ خوش بکش‌این‌کاروان‌را تاحج — ای امیر صبر و مفتاح الفرج
حج زیارت کردن خانه بود — حجّ ربّ‌البیت مردانه بود ۸ زان ضیا گفتم حسام‌الدین ترا — که توخورشیدی واین دو وصفها
کاین حسام واین ضیایکیست هین — تیغ خورشید از ضیا باشد یقین ۹ نور از آنِ ماه باشد وین ضیا — آنِ خورشید این فروخوان از نُبا
شمس راقرآن‌ضیا خوانداى پدر[4] — وان قمررا نورخواند این رانگر ۱۰ شمس چون عالی‌ترآمد خود زماه — پس‌ضیا از نور افزون دان بجاه
هر[5] کس‌اندر نور مه منهج ندید — چون برآمد آفتاب آن شد پدید ۱۱ آفتاب اعواض[6] را کامل نمود — لاجرم بازار ها در روز بود
تا که قلب و نقد نیك آید پدید — تا بود از غبن و از حیله بعید ۱۲ تا که نورش کامل آمد در زمین — تاجران را رحمة للعالمین
لیك بر قلّاب مبغوض است سخت — زان‌کزوشدکاسد اورانقدورخت ۱۳ پس عدوّ جان صرّافست قلب — دشمن درویش‌که بود غیرِ کلب
انبیا با دشمنان بر می تنند — پس ملایك ربّ سلّم میزنند ۱۴ کاین‌چراغی‌راکه‌هست‌او[7]نورکار — از پف ودمهای دزدان دور دار
دزد و قلّابست خصم نور و بس — زین دو ای فریاد رس فریاد رس ۱۵ روشنی بر دفتر چارم بریز — کافتاب ازچرخ چارم کرد خیز
هین زچارم نور ده خورشیدوار — تا بتابد بر بلاد و بر دیار ۱۶ هر کش افسانه بخواند افسانه‌است — وانکه‌دیدش‌نقد خود مردانه[8] است
آب نیلست و بقبطی خون نمود — قوم موسی را نه‌خون بُدآب‌بود ۱۷ دشمن اینحرف ایندم در نظر[9] — شد ممثل سر نگون اندر سقر
ای ضیاءالحق تو دیدی حال او — حق[10] نمودت پاسخ افعال او ۱۸ دیدهٔ غیبت چو غیب است اوستاد — کم مبادا زین جهان این دیدوداد
این حکایت‌را که نقد وقت ماست — گر تمامش میکنی اینجا رواست ۱۹ ناکسان را ترك کن بهر کسان — قصه‌را پایان بر ومخلص رسان
اینحکایت گر نشد آنجا تمام — ۲۰ چارمین جلد است آرش درنظام

تمامی حکایت آن عاشق که از عسس گریخت در باغی مجهول خود معشوق را در باغ یافت و عسس را از شادی دعای خیر می کرد و می‌گفت که عسی ان تکرهوا شیئاً وهو خیر" لکم

اندرآن بودیم‌کان شخص ازعسس — راند اندر باغ از خوفی[11] فرس ۲۳ بود اندر باغ آن صاحب جمال — کز غمش این درعنا بد هشت سال
سایهٔ اورا نبود امکانِ دید — همچوعنقا وصف او را می‌شنید ۲۴ جز یکی لقبه که اوّل از قضا — بروی افتاد و شد اورا دلربا
بعد ازان چندان که میکوشید او — خود مجالش می‌نداد آن تندخو ۲۵ نی بلابه چاره بودش نی بمال — سیر چشم و بی‌طمع بود آن نهال
عاشق هر پیشه و هر مطلبی — حق بیالود اوّل کابین لبی[12] ۲۶ چون بدان آسیب درجست آمدند — پیش پاشان می‌نهد هرروز بند
چون در افتادند اندرجستجو[13] — بعدازان دربست‌وکابین جست‌او[14] ۲۷ هم بران بو می تنند و میروند — هر دمی راجیّ و آیس میشوند
هرکسی را هست امید بری — که گشادندش دران روزی دری ۲۸ باز در بستندش وآن در پرست — بر همان امید آتش پا شدست

۲ ـ آید ۵ ـ بس ٦ ـ اغراض ۷ ـ دارد ۸ ـ فرزانه ۱۰ ـ خود ۱۱ ـ خوف او ۱۳ـ چون درافکندش بجست وجوی‌کار ۱٤ ـ که کابین بیار (ن . ل)

(۱) اشاره بحدیث شریف من کان‌لله کان‌الله له یعنی هرکه خدا را باشد خدا اوراست (۳) اشاره بآیهٔ شریفه واقعه در سورهٔ ابراهیم لئن‌شکرتم لازیدنکم اگر شکر کنید بر نعمای من افزون کنم بر شما نعمت را (٤) اشاره است بآیهٔ شریفه واقعه در سورهٔ یونس که هوالّذی جعل‌الشمس ضیاءً والقمر نوراً یعنی اوست آنچنان کسی که گردانید آفتاب را روشن و ماهتابرا نورانی (۹) در نفحات الانس مسطور است که روزی حسام‌الدین بعرض مولانا رسانید که وقتی که اصحاب مثنوی را میخوانند و اهل حضور در نور مستغرق میشوند می بینم که جماعتی غیبیان بکف دورباش ها و شمشیر ها گرفته حاضر میشوند و هرکه از سر اخلاص اصغا نمی‌کند بیخ ایمان و شاخهای دین او را میبرند و کشان کشان بمستقرّ سقر می‌اندازند مولانا فرمودند که چنانست که دیدی و این دو بیت در آنوقت بسر زبان ایشان جاری شد (۱۲) چون از محالاتست طالب مجهول مطلق بودن و از محالاتست تحصیل حاصل پس باید مطلوب از وجهی حاصل باشد واز وجهی غیر حاصل تا از وجه حاصل جلوه کند برطالب وبرباید اورا واز وجه غیر حاصل طالب درتك و پو افتد که مطلوب را بنحو کمال برسد وبند نهادن و در بستن بجهت استعداد یافتن وقدر دانستن است .

چون درآمد خوش درآن باغ آن جوان — خود فرو شد پا بگنجش ناگهان ۱ — مر عسس را ساخته یزدان سبب — تا ز بیم او دود در باغ شب
بیند آن معشوقه را او با چراغ[1] — طالب انگشتری در جوی باغ ۲ — پس قرین میکرد ازذوق آن نفس — با ثنای حق دعای آن عسس
گر[2] زیان کردم عسس را از گریز — بیست چندان سیم وزر بر وی بریز ۳ — از عوانی مر ورا آزاد کن — آنچنانکه شادم او را شاد کن
سعد دارش اینجهان و آن جهان — از عوانیّ و سگی‌اش وارهان ٤ — گرچه خوی آن عوان هست ای خدا — که هماره خلق را خواهد بلا
گر خبر آید که شه جُرمی نهاد — بر مسلمانان شود او زفت شاد ٥ — ور خبر آید که شه رحمت نمود — از مسلمانان فکند آن را بجود
ماتمی در جان او افتد از آن — ❀گیردش قولنج ازاین غم درزمان ٦ — صد چنین ادبارها دارد عوان — ❀زین بلا فریاد رس ای مستعان
او عوان را در دعا در میکشید — کزعوان اورا چنان راحت رسید ۷ — بر همه زهر و براو تریاق بود — آن عوان[3] پیوند آن مشتاق بود
پس بد مطلق نباشد در جهان — بد بنسبت باشد این را هم بدان ۸ — در زمانه هیچ زهر وقند نیست — که یکی را پا دگر را بند نیست
مر یکی‌را پا دگر را پای بند — مریکی را زهر ودیگر را چو قند ۹ — زهر مار آن ماررا باشد حیات — نسبتش با آدمی آمد ممات
خلق آبی را بود دریا چو باغ — خلق خاکی‌را بود آن درد[4] وداغ ۱۰ — همچنین بر می‌شمر ای مرد کار — نسبت این از یکی تا صد هزار
زید اندر حق آن شیطان بود — در حق آن دیگری سلطان[5] بود ۱۱ — این بگوید زید صدّیق وسنی است — وان بگوید زید گبر وکشتنی است
زید یك ذاتست برآن یك جنان — او براین دیگر همه رنج وزیان ۱۲ — گر توخواهی کو ترا باشد شکر — پس ورا از چشم عشاقش نگر
منگر ازچشم خودت آن خوب‌را — بین بچشم طالبان مطلوب را ۱۳ — چشم‌خود بربند زان خوش چشم‌تو — عاریت کن چشم از عشاق او
بلك ازاوکن عاریت چشم ونظر — پس ز چشم او بروی او نگر ۱٤ — تا شوی ایمن ز سبریّ و ملال — گفت کان‌الله لـه زان ذوالجلال
چشم او من باشم و دست‌ودلش[6] — تا رهد از مدبریها مقبلش ۱٥ — هرچه مکروهست چون اوشددلیل — سوی محبوبت حبیب است وخلیل

حکایت آن واعظ که هر آغاز تذکیر دعای ظالمان و سخت دلان و بی اعتقادان کردی

آن یکی‌واعظ چو برتخت‌آمدی[7] — قاطعان راه را داعی شدی ۱۷ — دست برمی‌داشت یارب رحم‌ران — بر بدان و مفسدان و طاغیان
بر همهٔ تسخر کنان اهل خبر — بر همه کافر دلان و اهل دیر ۱۸ — می نکردی او دعا بر اصفیا — می نگفتی جز خبیثان را دعا
مر ورا گفتند کاین معهود نیست — دعوت اهل ضلالت جود نیست ۱۹ — گفت نیکوئی از اینها دیده ام — من دعاشان زین سبب بگزیده‌ام
خبث وجور و ظلم‌چندان ساختند — که مرا از شرّ بخیر انداختند ۲۰ — هرکهی که رو بدنیا کردمی — من‌ازایشان زخم وضربت‌خوردمی
کردمی از زخم آن جانب پناه — باز آوردندمی گرگان براه ۲۱ — چون سبب ساز صلاح من شدند — پس‌دعاشان برمن‌است‌ای‌هوشمند
بنده می‌نالد بحق از درد و نیش — صد شکایت‌میکند ازرنج خویش ۲۲ — حق همی‌گوید‌که آخر رنج و درد — مر ترا لابه کنان و راست کرد
این گله زان نعمتی کن کت زند — از در ما دور و مطرودت کند ۲۳ — درحقیقت هر عدو داروی تست — کیمیای نافع و دلجوی تست
که از او اندر گریزی در خلا[8] — استعانت جوئی از لطف خدا ۲٤ — در حقیقت دوستانت دشمنند — که ز حضرت دور و مشغولت کنند
هست حیوانی‌که نامش اشغراست — او بزخم چوب زفت ولتراست ۲٥ — تا که چوبش می‌زنی به می شود — او ز زخم چوب فربه میشود
نفس مؤمن اشغری آمد یقین — کو بزخم رنج[9] زفت است وسمین ۲٦ — زین سبب برانبیا رنج و شکست — ازهمه خلق جهان افزون‌تر است
تا زجانها جانشان شد زفت تر — که ندیدند آن بلا قومی دگر ۲۷ — پوست از دارو بلا کش میشود — چون ادیم طائفی خوش میشود
ور نه تلخ و تیز مالیدی در او — گنده گشتی ناخوش و ناپاك بو ۲۸ — آدمی‌را نیز چون آن پوست‌دان — از رطوبتها شده زشت و گران
تلخ و تیز و مالش بسیار ده — تا شود پاك و لطیف و با فره ۲۹ — ور نمی‌تانی رضا ده ای عیار[10] — که خدا رنجت دهد بی اختیار
که بلای دوست تطهیر شماست — علم او بالای تدبیر شماست ۳۰ — چون صفا بیند بلا شیرین شود — خوش‌شود دارو چوصحت‌بین شود
برد بیند خویش را در عین مات — پس بگوید اقتلونی یا ثقات ۳۱ — این عوان درحق غیری سود شد — لیك اندر حقّ خود مردود شد
رحم ربانی[11] ازاو ببریده شد — کین شیطانی بر او پیچیده شد ۳۲ — کارگاه خشم گشت و کین وری — کینه‌دان[12] اصل ضلال و کافری

سؤال کردن از عیسی علیه‌السلام که در وجود از همهٔ صعبها صعب‌تر چیست

گفت عیسی را یکی هشیار سر — چیست‌در هستی[13] زجمله صعب تر ۳٤ — گفتش‌ای‌جان صعب‌تر خشم خدا — که ازآن دوزخ همی‌لرزد چو ما
گفت ازین خشم خدا چبود امان — گفت ترك خشم خویش‌اندر زمان ۳٥ — ❀کظم‌غیظ‌است‌ای‌پسر خطّ امان[14] — خشم حق یاد آور ودرکش عنان
پس‌عوان‌که معدن این خشم گشت — خشم زشتش ازسیم‌هم درگذشت ۳٦ — چه امیدستش برحمت جز مگر — بازگردد زان صفت‌آن بی‌هنر[15]
گرچه عالم‌را ازایشان چاره نیست — این سخن اندرضلال افکندنیست ۳۷ — چاره‌نبود هم‌جهان را از چمین[16] — لیك نبود آن چمین ماء معین

قصهٔ خیانت کردن عاشق و بانگ بر زدن معشوق بر وی

❀ بازگو احوال آن خسته جگر — در میان باغ با رشك قمر ۳۹ — چونکه تنهایش بدیدآن ساده مرد — زود او قصد کنار و بوسه کرد

---

۲ ـ که ٤ ـ مرگ ٥ شخصی دگر انسان ۷ ـ منبر بدی ۹ ـ چوب ۱۱ ـ ایمانی ۱۲ ـ کان بود ۱٥ ـ بدگهر (ن . ل) .

---

(۱) در شرح مرحوم سبزواری نوشته شده (بیند او معشوق را با شب چراغ) یعنی باگوهر شب چراغ بیند پس در نسخی که شب با چراغ است صحیح نیست (۳) یعنی عسس چون بانگ وفریاد میکند خاصه در شبها بجهت حراست اورا عوان گویند ومأخوذ است از عو بمعنی صدا وبانگ وغو بالمعجمه هم بهمین معنی است (٦) اشاره است بحدیث قدسی‌که ان‌العبد لیتقرب الیّ بالنوافل حتی احببته فاذا احببته‌کنت سمعه‌الّذی یسمع به وبصره الذی یبصر به ویده التی یبطش بها (۸) درحدیث قدسی است اذکرونی فی‌الخلا اذکرکم فی‌الملاء الاعلی (۱۰) عیار سنجیده شده وچون انسان نخبهٔ کل موجوداتست فیه شیٔ کالملك وفیه شیٔ کالفلك وفیه شیٔ کالنبات وشیٔ کالحیوان وشیٔ کالشیطان و بالجمله وفیك انطوی‌العالم الاکبر عیار برآن اطلاق فرموده ومیشودکه مخفف عیّار باشد (۱۳) ازهستی دراینجا عالم کون مراد است ولی ازهستی دربسیاری مواقع ذات حق را خواهند چنانکه مولوی فرماید « تو وجود مطلق و هستی ما » شیخ عطار فرماید « آن خداوندی‌که هستی ذات اوست » (۱٤) اشاره است بآیهٔ والکاظمین الغیظ و العافین عن الناس (۱٦) چمین بول و براز و سرگین‌است.

بانگ بر وی زد بهیبت آن نگار / که مروگستاخ ادب را هوش دار ۱
کس نمی‌جنبد دراینجا جز که باد / کیست حاضرجیست مانع زین‌گشاد ۲
❀ باد را دیدی‌که میجنبد بدان / باد جنبانیست اینجا باد ران ۳
جزو بادی‌که بحکم ما در است[3] / باد بیزن تا نجنبانی نجست ٤
جنبش باد نفس کاندر لب‌است / تابع تصریف جان و قالب است ٥
پس بدان احوال دیگر بادها / که ز جزوی کل همی بیند نها ٦
❀ بر گروه عاد صرصر میکند / باز بر هودش معطر میکند ۷
باد[5] دم را در تو بنهاد اواساس / تا کنی هر باد را بر وی قیاس ۸
مروحه جنبان پی انعام کس / وز برای قهر هر پشه و مگس ۹
چونکه جزو باد دم یا مروحه / نیست الاّ مفسده یا مُصلحه ۱۰
یك کف گندم ز انباری ببین / فهم کن کان جمله باشد همچنین ۱۱
بر سر خرمن بوقت انتقاد / نی که فلاّحان همی[7] جویند باد ۱۲
چون بماند دیرآن باد ای فلان[8] / جمله را بینی بحق لابه کنان ۱۳
گر نمیدانند کش راننده اوست / بادرا پس‌کردن زاری‌چه خوست ۱٤
❀همچنین در درد دندانها ز باد / دفع میخواهی بسوز و اعتقاد ۱٥
رقعهٔ تعویذ میخواهند نیز / درشکنجهٔ طلق زن از هر عزیز ۱٦
پس یقین درعقل هرداننده هست / اینکه با جنبنده جنباننده هست[9] ۱۷
تن بجان جنبد نمی بینی تو جان / لیك از جنبیدنِ تن جان بدان ۱۸
گفت‌ادب این‌بودکه خود دیده‌شد / آن دگر را خود همی دانی تولد ۱۹
هرچه زین‌کوزه تراود بعد ازین / یك نمط خواهد بدن جمله چنین ۲۰

گفت آخر خلوتست و خلق نی / آب حاضر تشنهٔ همچون منی
❀ گفت ای شیدا تو ابله بودهٔ / ابلهی وز عاقلان نشنودهٔ
مروحهٔ تصریف صنع ایزدش[1] / زد برین باد و همی جنباندش[2]
جنبش این جزو بادای‌ساده مرد / بی تو و بی باد بیزن سر نکرد
تابع تصریف جان و قالب است / گاه دم را مدح و پیغامی کنی[4] / گاه دم را هجو و دشنامی‌کنی[4]
باد را حق که بهاری میکند / در دیش زین لطف عاری میکند
میکند یك باد را زهر سموم / مر صبا را می کند خرّم قدوم
دم نمیگردد سخن بی لطف وقهر / برگروهی شهد و برقومیست زهر
مروحهٔ تقدیر ربّانی چرا / پر نباشد ز امتحان و ابتلا
این شمال واین‌صبا واین‌دبور[6] / کی بود از لطف و ازانعام دور
کلّ باد از برج باد آسمان / کی جهد بی مروحهٔ آن باد ران
تا جدا گردد ز گندم کاهها / تا بانباری رود یا چاهها
❀همچنین درطلق آن باد ولاد / گر نیاید بانگ درد آید که داد
❀اهل‌کشتی همچنین جویای باد / جمله خواهانش از آن ربّ‌العباد
❀از خدا لابه کنان آن جندیان / که بده باد ظفر ای کامران
پس همه دانسته اند این را یقین / که فرستد باد ربّ‌العالمین
گر تو او را می نبینی در نظر / فهم کن آن را باظهار اثر
اینکه با جنبنده جنباننده هست / زیرکم اندر وفا و در طلب
گفت او گر ابلهم من در ادب / زین بتر باشد که دیدیش یقین
خودادب این بود وآن دیگردفین

قصهٔ صوفی که زن را با بیگانه بگرفت

صوفئی آمد بسوی خانه روز / خانه یك دربود وزن با کفش‌دوز ۲۲
چون بزد صوفی‌بجد در چاشتگاه / هر دو درماندند نی حیلت نه‌راه ۲۳
قاصداً آنروز بیوقت آن مروع[10] / از خیالی کرد با خانه رجوع ۲٤
اعتمادش بود از روی قیاس / خانه نتوان کرد در کوی قیاس ۲٥

جفت گشته با حریف خویش زن / اندرآن یك حجره از وسواس‌تن
هیچ معهودش نبد کو آن زمان / سوی خانه باز گردد از دکان
اعتماد زن بر او کو هیچ بار / این زمان تا خانه ناید او زکار
آن قیاسش راست نامد ار قضا / گر چه ستّاراست هم بدهد سزا

❀ در بیان آنکه حق تعالی بندهٔ را بگناه اول رسوا نکند

چونکه بدکردی بترس ایمن مباش / زانکه تخمست و برویاند خداش ۲۷
چون عمرآن شاه ومیر[11] مؤمنان / داد دزدی را بجلاّد و عوان ۲۸
گفت امیرش حاش لله که خدا / بار اوّل قهر راند در جزا ۲۹
تا که این هردو صفت ظاهرشود / آن مبشر گردد این منذر شود ۳۰
آن نمیدانست عقل پای سست / که سبودائم زجو ناید درست[12] ۳۱
نی طریق و نی رفیق و نی‌امان / زانکه عزرائیل شد در قصد جان ۳۲
گفت صوفی‌با دل‌خود کای‌دوگبر / از شما کینه کشم لیکن بصبر ۳۳
از شما پنهان کشد کینه محق / اندك اندك همچو بیماری دق ۳٤
همچو کفتاری‌که میگیرندش او[15] / غرّهٔ آن گفت کاین کفتار کو ۳٥
❀ این همی گویند وبندش مینهند / او خوش آسوده که ازمن غافلند ۳٦
نی تنوری که در آن پنهان شود / نی جوالی که حجاب آن شود ۳۷
گفت یزدان وصف‌آن‌جای حرج / بهر محشر لاتری فیها عوج[16] ۳۸

چند گاهی او بپوشاند که تا / آید آخر زان پشیمانی ترا
بانگ زد آن دزد کای میر دیار / اوّلین بار است جرمم زینهار
بار ها پوشد پی اظهار فضل / باز گیرد از پی اظهار عدل
بارها زن نیز آن بد کرده بود / سهل بگذشت‌آن وسهلش می‌نمود
آنچنانش تنگ آورد آن قضا / که منافق را کند مرگ فجا
آنچنان‌کان زن درآن حجرهٔ خفا / خشك شد او وحریفش ز ابتلا
لیك نا دانسته آرم این نفس[13] / تا نگردد مطلع زین حال کس[14]
مرد دق باشد چویخ هرلحظه‌کم / لیك پندارد بهر دم بهترم
❀ نیست درسوراخ کفتارای‌عمو / گشته او مغرور تر زین گفتگو
هیچ پنهان خانه آن زن را نبود / سمج و دهلیز و ره بالا نبود
همچو عرصهٔ پهن روز رستخیز / نی گو و نی پشته نی جای گریز

---

۱ ـ حق یقین ۲ ـ جنبد چنین ٤ ـ کند ٥ـ باز ۷ـ زحق ۸ـ وزان ۱۱ـ عهد عمرآن امیر ۱۳ـ زمان ۱٤ـ که هرگوشی ننوشد این نهان (ن . ل) .

---

(۳) جزئی بادی‌که در حکم ماست (٦) شمال بادی است‌که میانه مطلع شمس و بنات نعش میوزد وجنوب مقابل اونست که ازمطلع سهیل تامطلع پروین‌میوزد وصبا بادیست‌که ازمطلع پروین تا بنات‌نعش میوزد ودبور مقابل‌آن است (۹) در حکمت مبرهن است‌که متحرك خود محرك خود نشود چه یکچیز از یکجهت قابل وفاعل ومستفید ومفید نشود پس ناگزیر است از محرکی غیر از خود وآن محرك اگر متحرك باشد باز ناگزیر خواهد بود از محرك دیگر وچون دور و تسلسل باطل‌است بالاخره منتهی میشود بمحرك غیر متحرك واو واجب‌الوجود بالذات‌است (۱۰) معنی مروع ترسانده شده است زیرا که زن ازاو میترسید (۱۲) اشاره است به این مثل‌که ماکل سرة تسلم‌الجرة یعنی هر بار کوزه ازلب جوی درست باز نگردد (۱٥) مشهور است‌که صید کفتار باین حیله کنند که جمعی نزدیك لانهٔ او آواز دهند که کفتار کوکفتار کو باز گویندکفتار نیست واندك اندك در بندش کنند او ملتفت نباشد (۱٦) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ طه ویسئلونك عن‌الجبال فقل ینسفها ربی نسفاً فیذرها قاعاً صفصفا لاتری فیها عوجاً ولا امتا

معشوق را زیر چادر پنهان کردن جهت تلبیس و بهانه گفتن زن که انّ کیدکنّ عظیم

چادر خود را بر او افکند زود — مرد را زن کرد و در رابرگشود ۲ زیر چادر مرد رسوا و عیان — سخت پیدا[1] چون شتر بر نردبان[2]
از تعجب گفت صوفی چیست این — هرگز این را من ندیدم کیست این ۳ گفت خاتونیست از اعیان شهر — مر ورا از مال و اقبالت بهر
در ببستم تا کسی بیگانهٔ — در نیاید زود نادانانهٔ ۴ گفت صوفی چیستش هین خدمتی — تا برآرم بی سپاس و منتی
گفت مبلش خویشی و پیوستگیست — نیك خاتونیست حق داند که کیست ۵ یك پسر دارد که اندر شهر نیست — خوب و زیرك چابك و مکسب کنی است
خواست دختررا به بیند زیردست — اتفاقاً دختر اندر مکتب است ۶ باز گفت ار آرد باشد یاسبوس — میکنم او را بجان و دل عروس
گفت صوفی ما فقیر و زاد کم — قوم خاتون مالدار و محتشم ۷ کی بود این کفو ایشان درزواج — یك در از چوب و در دیگر زعاج
❀ کی بود همرنگ فقر واحتشام — چون شود همجنس یاقوت و رخام ۸ ❀جامه نیمی اطلس و نیمی پلاس — عیب باشد نزد ارباب شناس
❀ با کبوتر باز کی شد هم نفس — کی شود همراز عنقا با مگس ۹ کفو باید هردو جفت اندر نکاح — ورنه تنگ[3] آید نماند ارتیاح

گفتن زن که او در بند جهاز نیست مراد او ستر و صلاح است و جواب گفتن صوفی این را سر پوشیده

گفت گفتم من چنین عذری و او — گفت نی من نیستم اسباب جو ۱۱ ❀ما زمال وزرمامول و تخمه ایم — ما بحرص وجمع نی چون عامه ایم
ما ملولیم از قماش و زرّ و سیم — فارغیم و تخمه از مال عظیم ۱۲ قصد ما ستراست وپاکی وصلاح — در دو عالم خود بدان باشد فلاح
باز صوفی عذر درویشی بگفت — وان مکرّر کرد تا نبود نهفت ۱۳ گفت زن من هم مکرّر کرده ام — بی جهازی را مقرّر کرده ام
اعتقاد[4] اوست راسختر زکوه — که ز فقرش هیچ می ناید[5] شکوه ۱۴ او همی گوید مرادم عفت است — از شما مقصود صدق وهمت است
گفت صوفی خود جهاز و مال ما — دید و می بیند هویدا و خفا ۱۵ خانهٔ تنگی مقام یك تنی — که در آن پنهان نماند سوزنی
باز ستر و پاکی و زهد و صلاح — او ز ما به داند اندر انتصاح ۱۶ به ز ما می داند او احوال ستر — وز پس و پیش وسر ودنبال ستر
بی جهازی خودعیان همچون خورست — وزصلاح وستر او واقف ترست ۱۷ ❀ ظاهراو بی جهاز وخادم است — وزصلاح وستر خود او عالم است
شرح مستوری ز بابا شرط نیست — چون برو پیداچوروز روشنی است ۱۸ این حکایت را بدان گفتم که تا — لاف کم بافی چو رسوا شد خطا
مر ترا ای هم بدعوی مستراد — این بدستت اجتهاد و اعتقاد ۱۹ چون زن صوفی تو خائن بودهٔ — دام مکر اندر دغا بگشودهٔ
که ز هر ناشسته روئی گپ زنی — ۲۰ شرم داری وز خدای خویش نی

غرض از بصیر وسمیع وعلیم گفتن خدا را

از پی آن گفت حق خودرا بصیر — که بود دیدویت هر دم نذیر ۲۲ از پی آن گفت حق خودرا سمیع — تا بیندی لب ز گفتار شنیع
از پی آن گفت حق خودرا علیم — تا نیندیشی فسادی تو ز بیم ۲۳ نیست اینها بر خدا اسم علم[6] — که سیه کافور دارد نام هم
اسم مشتق است زاوصاف قدیم — نی مثال علت اولی سقیم ۲۴ ورنه تسخر باشد و طنز ودّها — کرّ را سامع ضریری را ضیا
یا علم باشد حبی نام وقبح — یا سیاه زشت را نام صبیح ۲۵ طفلك نوزاده را حاجی لقب — یا لقب غازی نهی بهر نسب
گر بگویند این لقبها در مدیح — چون نداردآن صفت نبود صحیح ۲۶ تسخر وطنزی بود آن یا جنون — پاك حق عما یقول الظالمون
من همی دانستمت پیش ازوصال — که نکو روئی ولیکن بد خصال ۲۷ من همی دانستمت پیش از لقا — کز ستیزه راسخی اندر شقا
چونکه چشمم سرخ باشد درعمش — دانمش زان درد کز کم بینمش ۲۸ تو مرا چون برّه دیدی بی شبان — تو گمان بردی ندارم پاسبان
عاشقان از درد زان نالیده اند — که نظر تا جایگه مالیده اند ۲۹ بی شبان دانسته اند آن ظبی را — رایگان دانسته اند آن سبی را
تا ز غیرت[7] تیر آمد بر جگر — که منم حارس گزافه کم نگر ۳۰ کی کم از برّه کم از بزغاله ام — که نباشد حارس از دنباله ام
حارسی دارم که ملکش می سزد — داند آن بادی که بر من میوزد ۳۱ سرد بود آن باد یا گرم آن علیم — نیست غافل نیست غایب ای سقیم
نفس شهوانی ندارد نور جان — من بدل کوریت می دیدم عیان ۳۲ نفس شهوانی زحق کرّ است وکور — من بدل کوریت میدیدم ز دور
هشت سالت زان نپرسیدم بهیچ — ۳۳ که پرت دیدم ز جهل پیچ پیچ

مثال دنیا چون گلخن و تقوی چون حمام

خود چه پرسم آنکه او باشد بتون — که توچونی چون بود اوسرنگون ۳۵ شهوت دنیا مثال گلخن است — که ازاو حمام تقوی روشن است
لیك قسم متقی زین تون صفاست — زانکه درگرمابه است ودرنقاست ۳۶ اغنیا مانندهٔ سرگین کشان — بهر آتش کردن گرمابه دان[8]
اندر ایشان حرص بنهاده خدا — تا بود گرمابه گرم و با نوا ۳۷ ترك این تون گیر[9] ودرگرمابه ران — ترك تون را عین آن گرمابه دان
هرکه درتونست اوچون خادم است — مر ورا کو صابراست وحازم است ۳۸ هرکه در حمام شد سیمای او — هست پیدا بر رخ زیبای او[10]

---

۱ ـ رسوا ۳ـ تنگ ٤ـ اعتماد ٥ ـ که زصد فقرش نمی آید ۷ـ غمزه ۸ـ بان ۹ـ گوی (ن . ل)

---

(۲) کنایه است ازوضوح امرچنانکه مولوی راست « بسرمناره اشتر رود وفغان برآرد که نهان شدستم اینجامکنیدم آشکارا » یعنی درهنگام عصیان اخفای عصاة آنرا بزعم ناقص خودکه کسی برآن وقوف نیافت بااحاطهٔ علم حضوری حق جل شأنه که لایغرب عن علمه مثقال ذرة بلکه باشهود ارباب کشف و اهل صفا چنانست که اشتر بسر مناره چنین گوید لهذا فرمود از تعجب گفت صوفی نه از استفهام چیست این (٦) این از باب ذکرعام است بعد از خاص چه علم مقسم اسم وکنیت و لقب است پس گاه گویند اسم است یعنی کنیت ولقب نیست و گاه گویند اسم است یعنی فعل وحرف نیست وگاه گویند اسم است یعنی صفت نیست واینجا اول مراد است (حاجی سبزواری) اسماءالله ازقبیل سمیع وعلیم اسم علم نیست که در وقت وضع ملاحظه مناسبتی نشده باشد چون زید که نام شخصی گذاری بلکه این اسماء مشتقند از اوصاف ذاتیه قدیمه و الا هرگاه محض علمیه باشد سیاه را نیزکافور خوانند وهمچنین چون علت اولی نیست چه بعضی علت اولی عقل اول را گفته اند و بتحقیق علت اولی ذات پاك حق است پس اطلاق علت اولی برعقل نیز سقیم بود باز میفرماید که هرگاه در اسماء حق مبدأ اشتقاق ملاحظه نشود چنان بودکه کر را سامع نام نهی و کور را ضیاء نام گذاری واین طنز و دغا است (۱۰) اشاره است بآیه شریفه واقعه درسورهٔ فتح سیماهم فی وجوههم من اثرالسجود علامت این مؤمنان ظاهر است در رویهای ایشان از اثر سجود بسیار .

تونیان را نیز سیما آشکار — از لباس و از دخان و از غبار ۱ ور نبینی روش بویش را بگیر — بو عصا آمد برای هر ضریر
ور نداری بو درآرش در سخن — از حدیث نو بدان راز کهن ۲ پس بگوید تو نئی صاحب ذهب — بیست سله چرک بُردم تا بشب
حرص تو چون آتش است اندر جهان — باز کرده هر زبانه صد[1] دهان ۳ پیش عقل این زر چو سرگین ناخوشست — گرچه چون سرگین فروغ آتش است
آفتابی کو دم از آتش زند — چرک تر را لایق آتش کند ٤ آفتاب آن سنگ را هم کرد زر — تا بتون حرص افتد صد شرر
آنکه گوید مال گرد آورده ام — چیست یعنی چرک چندین خورده ام ٥ این سخن گرچه که رسوائی فزاست — در میان تونیان زین فخرهاست
که تو شش سله کشیدی تا بشب — من کشیدم بیست سله بی تعب[2] ٦ آنکه در تون زاد و پاکی را ندید — بوی مشك آرد برو رنجی پدید
❁گر بتون انباز خواهی بود تو ۷ زین زیان هرگز نبینی سود تو

قصهٔ آن دباغ که در بازار عطاران از بوی عطر ومشك بیهوش و رنجور شد

آن یکی دبّاغ در بازار شد — تا خرد آنچه ورا درکار بد ۹ آن یکی[3] افتاد بیهوش و خمید — چونکه در بازار عطاران رسید
بوی عطرش زد ز عطاران راد — تا بگردیدش سر و بر جا فتاد ۱۰ همچو مردار اوفتاد او بی خبر — نیم روز اندر میان رهگذر
جمع آمد خلق بر وی آن زمان — جملگی لاحول گو درمان کنان ۱۱ آن یکی کف بردل او می براند — وزگلاب آن دیگری بر وی فشاند
او نمیدانست کاندر مرتعه — از گلاب آمد ورا این واقعه ۱۲ آن یکی دستش همی مالید و سر — وان دگر که گل همی آورد تر
آن بخور عود و شکر زد بهم — وان دگر از پوششش میکرد کم ۱۳ وان شده خم تا نفس چون می کشد — وآن دگر بو از دهانش می شمد
وان دگر نبضش گرفته از خرد — منتظر تا نبض او چون مجهد ۱٤ تا که می خورده است یا بنگ وحشیش — خلق درمانند اندر بیهشیش
پس خبر بردند خویشان را شتاب — که فلان افتاده است اینجا خراب ۱٥ کس نمیداند که چون مصروع گشت — یا چه شد کو را فتاد از بام طشت
یك برادر داشت آن دبّاغ زفت[4] — گربز و دانا بیامد زود تفت[5] ۱٦ اندکی سرگین سگ در آستین — خلق را بشکافت و آمد با حنین
گفت من رنجش همی دانم زچیست — چون سبب دانی دوا کردن جلیست ۱۷ چون سبب معلوم نبود مشکل است — داروی رنج و درآن صد محمل است[6]
چون بدانستی سبب را سهل شد — دانش اسباب دفع جهل شد[7] ۱۸ گفت با خود هستش اندر مغز و رگ — توی بر تو بوی آن سرگین سگ
تا میان اندر حدث او تا بشب — غرق دباغی است او روزی طلب ۱۹ ❁ با حدث کرده است عادت سال و ماه — بوی عطرش لاجرم دارد[8] تباه
پس چنین گفته است جالینوس مه — آنچه عادت داشت بیمار آتش ده ۲۰ کز خلاف عادتست آن رنج او — پس دوای رنجش از معتاد جو
چون جعل گشته است از سرگین کشی — از گلاب آید جعل را بیهشی ۲۱ هم از آن سرگین سگ داروی اوست — که بدان اورا همی معتاد و خوست
الخبیثات الخبیثین را بخوان — رو وبشت این سخن را باز دان ۲۲ ناصحان او را بعنبر یا گلاب — می دوا سازند بهر فتح باب
مر خبیثان را نسازد طیبات — درخور و لایق نباشد ای ثقات ۲۳ چون ز عطر وحی کژ گشتند و گم — بد فغانشان که تطیرنا بکم[9]
رنج و بیماریست ما را این مقال — نیست نیکو وعظتان ما را بفال ۲٤ گر بگفت آرید نصحی آشکار — ما کنیم آن دم شما را سنگسار
ما بلغو و لهو[10] فربه گشته ایم — در نصیحت خویش را نسرشته ایم ۲٥ هست قوت ما دروغ و لهو ولاغ — شورش معده است ما را این بلاغ
رنج را صد تو و افزون میکنند — عقل را دارو بافیون میکنند ۲٦ ❁گند شرك و کفر ایشان بیحد است — هین که دباغ اوفتاده بیخود است

معالجه کردن برادر دبّاغ دبّاغ را بخفیه ببوی سرگین

خلق را میراند ازوی آن جوان — تا علاجش را نبینند آن کسان ۲۸ سر بگوشش برد همچون راز گو — پس نهاد آن چیز بر بینیّ او
کو بکف سرگین سگ سائیده بود — داروی مغز پلید آن دیده بود ۲۹ چونکه بوی آن حدث را واکشید — مغز زشتش بوی ناخوش را شنید[11]
ساعتی شد مرده جنبیدن گرفت — خلق گفتند این فسونی بُد شگفت ۳۰ کاین بخواند افسون بگوش او دمید — مرده بود افسون بفریادش رسید
جنبش اهل فساد آن سو بود — که ز ناز و غمزه و ابرو بود ۳۱ هر که را مشك نصیحت سود نیست — جز بدین بوی بدش بهبود نیست[12]
مشرکان را زان نجس خواندست حق[13] — کاندرون پشك زادند از سبق ۳۲ کرمکو زاده است در سرگین ابد — می نگرداند بعنبر خوی خود
چون نزد بروی نثار رشّ نور — او همه جسم است نی[14] دل چون قشور ۳۳ ور ز رشّ نور حق قسمیش داد[15] — همچو رسم مصر سرگین مرغزاد
لیك نی مرغ خسیس خانگی — بلکه مرغ دانش و فرزانگی ۳٤ تو بدان مانی کزان نوری تهی[16] — زانکه بینی بر پلیدی مینهی
ازفراقت زرد شد رخسار و رو — برگ زردی میوهٔ ناپخته تو ۳٥ دیگ زآتش شد سیاه و دود فام — گوشت از سختی چنین مانده است خام
هشت سالت جوش دادم درفراق — کم نشد یکذره خامیت از نفاق ۳٦ ❁ خامی و هرگز نخواهی پخت تو — گر هزاران بار جوشی ای عتو
غورهٔ تو سنگ بسته کز سقام ۳۷ غورها اکنون مویزند و تو خام

عذر خواستن عاشق از گناه خویش بتلبیس وروی پوش وفهم کردن معشوق آن را نیز

گفت عاشق امتحان کردم مگیر — تا به بینم تو حریفی یا ستیر ۳۹ من همی دانستمت بی امتحان — لیك کی باشد خبر همچون عیان

---

۱ ـ صد زبانه هر ۲ ـ کرب ۳ ـ ناگهان ٤ ـ بود آن دبّاغ را ٥ ـ آن فتی ٦ ـ هر چه پیش آری ز درمان باطل است ۸ ـ سازد ۱۰ ـ بلهو و لعب ۱۱ ـ سزید ۱۲ ـ لاجرم با بوی بد خو کردنیست ۱٤ ـ بی (ن.ل)

---

(۷) مقرر است در فن حکمت که علم باسباب مستلزم علم بمسببات است مثل علم طبیب بامراض مستقبله از اسباب منذره ومثل علم منجم بحوادث عالم کون وفساد از اوضاع فلکیه بلکه علم عامی باینکه چون آفتاب ببرج حمل آید موالید بهیجان آیند وعلم خداوند جل شأنه بما عدا ازین باب است چه علم بذات خود دارد و ذات او علت است از برای جمیع اشیا وبسوی این معنی اشارتست کریمه الا یعلم من خلق و هواللطیف الخبیر یعنی آیا نمیداند خالق تعالی معلولات خودرا و حال آنکه او لطیف است یعنی مجرد ومقرر شده است که کل مجرد عاقل لذاته و خبیر اشارتست باین و خبرت ودانش ذات را دانش علت العلل است (۹) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ یس قالوا انّا تطیرنا بکم لئن لم تنتهوا لنرجمنکم ولیمسنکم منا عذاب الیم تطیر فال بدزدن و مقابل تفأل است که فال نیك زدن باشد (۱۳) اشاره است بآیه واقعه درسورهٔ توبه ـ انماالمشرکون نجس (۱٥) اشاره بحدیث شریفه است ان الله خلق الخلق فی ظلمة ثم رش علیهم من نورة (۱٦) قول معشوقه است که عاشق او را در باغ یافته

آفتابی نام تو مشهور و فاش — چه زیانست ار بکردم ابتلاش ۱ — تو منی من خویشتن را امتحان — میکنم هر روز در سود و زیان
انبیا را امتحان کرده عدات — تا شده ظاهر از ایشان معجزات ۲ — امتحانِ چشمِ خود کردم بنور — ایکه چشم بد ز چشمان تو دور
این‌جهان همچون‌خرابه‌است وتوگنج — گر تفحص کردم از گنجت مرنج ۳ — زان‌چنین بی‌خردگی کردم گزاف — تا زنم با دشمنان هربار لاف
تا زبانم چون ترا نامی نهد — چشم ازین دیده گواهیها دهد ۴ — گر شدم در راهِ حرمت راهزن — آمدم ای مه بشمشیر و کفن
❀ جز بشمشیر خود ای‌شاهم مکش — پیش ازین‌ازدوری ای‌ماهم مکش ۵ — جز بدست خود مبرّم پا و سر — که ازاین دستم نه از دست دگر
از جدائی باز می‌رانی سخن — هرچه خواهی‌کن ولیکن این‌مکن ۶ — در سخن آبادم اینـدم راه شد — گفت امکان‌نیست چون بیگاه شد
قشر را[1] گفتیم و مغز آمد دفین — گر بمانیم این نماند همچنین ۷ — ❀گرخطائی‌آمد از ما در وجود — چشم میداریم در عفو ای ودود
❀ امتحان کردم مرا معذور دار ۸ — چون زفعل خویش گشتم شرمسار

ردّ کردن معشوق عذر عاشق را و تلبیس اورا در روی او مالیدن

در جوابش برگشاد آن ماه لب — که سوی‌ما روز و سوی‌تست شب ۱۰ — حیلهای تبره اندر داوری — پیش بینایان چرا می آوری
هرچه دردل داری ازمکر وحیل[2] — پیش‌ماپیداست چون‌روزای‌دغل[3] ۱۱ — گر بپوشیمش ز بنده پروری — تو چرا بی روئی از حد میبری
از پدر آموز کادم در گناه — خوش فرود آمد بسوی پایگاه ۱۲ — چون بدید آن عالم‌الاسرار را — کرد ورد خویش[4] استغفار را
بر سر خاکستر انده نشست — وز بهانه شاخ تا شاخی بجست ۱۳ — رَبّنا اِنّا ظَلمنا گفت و بس[5] — چونکه‌جانداران‌بدید ازپیش وپس
دید جان‌داران پنهان همچوجان — دور باش هریکی تا آسمان ۱۴ — که هلا پیش سلیمان مور باش — تا بنشکافد ترا این دور باش
جز مقام راستی یکدم مأیست — هیچ لالا[6] مردرا چون چشم‌نیست ۱۵ — کور اگر از پند پالوده شود — هر دمی او باز آلوده شود
آدما تو نیستی کور از نظر — لیك اذا جاء القضا عمی البصر[7] ۱۶ — عمرها باید بنادر گاه گاه — تا که بینا از قضا افتد بچاه
کوررا خود این‌قضا همراه‌اوست — که مر اورا اوفتادن طبع وخوست ۱۷ — درحدث افتد نداند بوی چیست — ازمنست این بوی یا زآلودگیست
ور کسی بروی کند مشکی نثار — هم زخود داند نه از احسان یار ۱۸ — پس دوچشم‌روشن ای‌صاحب‌نظر — بهتر از صد مادراست وصد پدر
خاصه‌چشم دل‌که‌آن هفتاد توست[8] — پیش‌چشم حس‌که خوشه‌چین‌اوست ۱۹ — ای‌دریغا رهزنان بنشسته اند — صد گره زیر زبانم بسته اند
پای‌بسته چون رود خوش‌راهوار — بس‌گران بندیست این معذور دار ۲۰ — این سخن اشکسته می‌آید دلا — کاین سخن دُرّست وغیرت آسیا
دُر اگرچه خورد و اشکسته شود — توتیای دیدهٔ خسته شود ۲۱ — ای‌در از اشکست خود برسرمزن — کز شکستن روشنی خواهی شدن
همچنین اشکسته بسته گفتنیست — حق کند آخر درستش کو غنیست ۲۲ — گندم ار بشکست وز هم درسکست — بر دکان آمد که نك نان درست
توهم‌ای‌عاشق‌چوجرمت‌گشت فاش — آب و روغن‌ترك‌کن اشکسته باش ۲۳ — آنکه فرزندان خاص آدمند — نفخهٔ اِنّا ظَلمنا می دمند
حاجت خود عرض‌کن حجت مگو — همچو ابلیس لعینِ فتنه جو[9] ۲۴ — سخت روئی‌گر ورا شد عیب‌پوش — درستیزه و سخت‌روئی رو بکوش
از ستیزه خواست بوجهل لعین — معجزات از مصطفی شاه مبین ۲۵ — ❀آن ابوجهل از پیمبر معجزی — خواست همچون کینه‌ور ترك غزی
❀معجزهٔ جست ازنبی‌بوجهل‌سگ — دید ونفزودش ازآن الّا که شك ۲۶ — لیك آن‌صدیق حق معجز نخواست — گفت این روخود نگوید غیرراست
کی رسد همچون توئی را کزمنی — امتحان همچو من یاری کنی ۲۷

گفتن جهودی علی علیه‌السلام را که اگر اعتماد داری بر حافظی خدا از سر این کوشك خودرا درانداز و جواب آنحضرت او را

مرتضی را گفت روزی یك عنود — کو ز تعظیم خدا آگه نبود ۳۰ — بر سر قصریّ و بامی بس بلند — حفظ حق را واقفی ای هوشمند
گفت آری او حفیظ است و غنی — هستی ما را ز طفلیّ و منی ۳۱ — گفت خودرا اندر افکن هین ز بام — اعتمادی کن بحفظ حق تمام
تا یقین گردد مرا ایقان تو — و اعتقاد خوب با برهان تو ۳۲ — پس امیرش‌گفت خامش‌کن برو — تا نگردد جانت از جرأت گرو
کی رسد مر بنده را کو با خدا — آزمایش پیش آرد ز ابتلا ۳۳ — بنده را کی زهره باشد کز فضول — امتحان حق کند ای گیج‌گول[10]
آن خدا را می‌رسد کو امتحان — پیش آرد هر دمی با بندگان ۳۴ — تا بما ما را نماید آشکار[11] — که چه داریم از عقیده در سرار
هیچ آدم گفت حق را که تو را — امتحان‌کردم درین جرم و خطا ۳۵ — تا ببینم غایت حلمت شها — اه کرا باشد مجال این کرا
عقل تو از بس‌که آمد خیره سر — هست عذرت از گناه تو بتر ۳۶ — آنکه او افراشت سقف آسمان — تو چه دانی‌کردن او را امتحان
ای ندانسته تو شرّ و خیر را — امتحانِ خود را کن آنکه غیر را ۳۷ — امتحانِ خود چو کردی ای فلان — فارغ آئی ز امتحان دیگران
چون بدانستی که شکر دانهٔ — پس بدانی کاهل شکر خانهٔ[12] ۳۸ — پس بدان بی امتحانی که اله — شکری نفرستدت ناجایگاه

---

۱ ـ پوستها ۲ ـ رموز ۳ ـ و رسوا همچوروز ٤ ـ بر دو پا استاد ٦ ـ حارس ۹ ـ سخت رو ۱۰ ـ بی اصول (ن . ل)

(٥) این آیه در سورهٔ مبارکه اعراف است که رَبّنا ظلمنا انفسنا و ان لم تغفر لنا و ترحمنا لنکونَنّ من الخاسرین (۷) یعنی چون قضا آید چشم بینا نابینا شود (۸) از خاصیت نشئه رفیعه است که باید عدد نشئه سافله در آن ترفع بیابد پس چشم حس که هفت پرده دارد چشم دل هفتاد پرده دارد وآن هفت پرده حس طبقه صلبه وطبقه مشیمه وطبقه شبکه وطبقه عنکبوتیه وطبقه عنبیه وطبقه قرنیه وطبقه ملتحمه است وسر ترفع وتوسع آنست که انسان طبیعی را درین نشئه ده مشعر است پنج قوای ظاهره وپنج قوای باطنه و در نشئه مثال هم این ده قوت هست بمقتضای تطابق عوالم ونشآت ولکن بنحو ضرب ده در ده که صد مشعر بوده باشد باین معنی که باصره آنجا باصره وسامعه وشامه وهکذا الی آخرالعشر همه هست وهمچنین سامعه وغیرها ودر عالم جبروت که عالم عقل است باز این ده قوه هست بنحو ضرب صد در ده که هزار باشد فلا یشغله شأن عن شأن پس هریك از پردهای عین در عالم عالی ده باشد وچنانکه خود عین باصره ده‌است واذن واعیه ده‌است وقس علیه (۱۱) جواب سؤال مقدر است‌که کسی میگویدکه امتحان کسی را می‌زیبدکه جاهل بحقیقت امر امتحان کرده شده باشد واما درحق عالم بسروعلن راه ندارد و درجواب میفرماید که امتحان بجهت آنست که مارا بما بنماید تا تمامیت قصور خودرا مستشعرشویم ودرتمامیت شکر و درتصور تدارك نمائیم فلله‌الحجة البالغه .

(۱۲) قال‌الله تعالی قل‌الروح من امر ربّی

این بدان بی امتحان از علم شاه — چون سری نفرستدت تا پایگاه [1]
زانکه گندم را حکیم آگهی — هیچ نفرستد بانبار کهی
امتحانش گر کنی در راه دین — هم تو گردی ممتحن ای بی یقین
گر بیاید ذرّه سنجد کوه را — بردرد زان که ترازوش ای فتی
چون نگنجد او بمیزان خرد — پس ترازوی خردرا بر درد
چه تصرّف کرد خواهد نقشها — بر چنان نقاش بهر ابتلا
چه‌قدر باشد خود اینصورت که بست — پیش صورتها که درعلم ویست
چون‌چنین وسواس‌دیدی زود زود — با خدا گرد و درآ اندر سجود
آن زمان‌کت امتحان مطلوب شد — مسجد دین تو پر خرّوب شد
❀تا نگهدارد ترا آن ممتحن — ازگمان و امتحان انس و جن

۱ هیچ عاقل افکند دُرّ ثمین — در میان مستراح پر چنین
۲ شیخ را که پیشوا و رهبرست — گرمریدی امتحان کرد او خرست
۳ جرأت وجهلت شود عریان وفاش — او برهنه کی شود زین افتشاش
۴ کز قیاس خود ترازو می تند — مرد حق را در ترازو میکند [2]
۵ امتحان همچون تصرّف دان درو — تو تصرّف برچنان شاهی مجو
۶ امتحانی گر بدانست و بدید [3] — نی‌که هم نقاش آن بر وی کشید
۷ وسوسهٔ این امتحان چون‌آمدت — بخت بد دان‌کامد و گردن زدت
۸ سجده‌که را ترکن ازاشك روان — کای خدایا وارهانم زین‌گمان [4]
۹ ❀ هین‌چووسواس‌آمدت‌درامتحان — بازگرد و رو بحق آر آن زمان
۱۰ ❀ ای ضیاء الحق حسام‌الدین بیا — قصهٔ داود برگو و بقا

قصهٔ مسجد اقصی و خرّوب وعزم‌کردن داود علیه‌السلام پیش از سلیمان بر بنای آن مسجد

چون درآمد عزم داودی بتنگ — که بسازد مسجد اقصی بسنگ
نیست در تقدیر ما آنکه تو این — مسجد اقصی بر آری ای‌گزین
گفت بیجرمی تو خونها کردهٔ — خون مظلومان بگردن بردهٔ
خون بسی رفتست بر آواز تو — بر صدای خوب جان پرداز تو
نی‌که هرمغلوب شه مرحوم بود — نی که المغلوب کالمعدوم بود
اینچنین معدوم‌کو ازخویش رفت — بهترین هستها افتاد و زفت
جملهٔ ارواح در تدبیر اوست — جملهٔ اشباح در تأثیر اوست
منتهای اختیار آنست خود — کاختیارش گردد اینجا مفتقد
درجهان گر لقمه و گر شربتست — لذت او فرع ترك لذتست
❀هرکه اومغلوب شدمرحوم‌گشت — در بحار رحمتش معدوم گشت
❀ بلکه والی‌گشت موجودات را — بی گمان و بی نفاق و بی ریا
❀بی‌شکال اندرسؤال ودرجواب — دم مزن والله اعلم بالصواب

۱۲ وحی‌کردش‌حق‌که ترك این‌بخوان — که ز دستت برنیاید این بدان [5]
۱۳ گفت جرمم چیست ای‌دانای راز — که مرا گوئی که مسجد را مساز
۱۴ که ز آواز تو خلقی بیشمار — جان بدادند و شدند آنرا شکار
۱۵ گفت مغلوب تو بودم مست تو — دست من بربسته بود ازدست تو
۱۶ گفت ای‌مغلوب معدومیت کو — جز بنسبت نیست معدوم ایقنوا
۱۷ او بنسبت با حیات حق فناست — در حقیقت در فنا او را بقاست
۱۸ آنکه اومغلوب اندر لطف ماست — نیست مضطر بلکه مختار ولاست [6]
۱۹ اختیاری را [7] نبودی چاشنی — کر نگشتی آخر او محو از منی
۲۰ گرچه از لذّات بی تأثیر شد — لذّتی بود او و لذّت‌گیر شد
۲۱ ❀ نی چنان معدوم‌کز اهل وجود — هیچ بر وی چربد اندرگاه جود
۲۲ ❀ بیمثال و بی‌نشان و بی مکان — بی زمان و بی چنین و بی‌چنان

شرح انماالمؤمنون اخوة [8] والعلماءُ کنفس واحدةٍ خاصه اتحاد داود و سلیمان و سایر انبیاء علیهم‌السلام که اگر یکی ازایشان را منکر شوی ایمان بهیچ نبی درست نباشد و این علامت اتحاد است که یك خانه از آن هزار خانه ویران کنی آن همه ویران شود و یك‌دیوارقائم نماند که لانُفرّق بین احدٍ من رسله [9] والعاقل یکفیه الاشارة این خود از اشارت گذشت

❀پس خطاب آمد بداود از خدا — کای گزین پیغمبر نیکو لقا
❀غم مدار ای پاك دل درسینه‌ات — پاك دار از هر غبار آیینه ات
❀ این‌قضا رفته‌است برحکم قضا — مر تو را باید همی دادن رضا
❀کاین بجهد تو نمیگردد تمام — بگذر از این کوشش و بردارگام
گرچه برناید بجهدت اینمقام — لیك پور تو کند آن را تمام
مؤمنان معدود لیك ایمان یکی — جسمشان معدود لیکن جان یکی
باز غیر عقل و جان آدمی — هست‌جانی در ولی‌آن دمی۱۱و۱۲
گر خورد این نان نگردد سیرآن — ورکشد بار این نگردد آن‌گران

۲۸ ❀ دل مدار اندرتفکر زین خبر — ره مده در دل ملال وغم مخور
۲۹ ❀که تو را گفتیم بگذر زین بنا — کاندر این دریا تورا نبود شنا
۳۰ ❀ با قضای ما رضا ده شاد باش — تن بده وز قید غم آزاد باش
۳۱ گرچه برناید بجهد و زور تو — لیك مسجد را برآرد پور تو
۳۲ کردهٔ او کردهٔ تست ای حکیم [10] — مؤمنان را اتصالی دان قدیم
۳۳ غیر فهم جان‌که درگاوو خراست — آدمی را عقل و جان دیگر است
۳۴ جان حیوانی ندارد اتحاد — تو مجو این‌اتحاد ازروح باد [13]
۳۵ بلکه این شادی‌کند ازمرگ او — ازحسد میرد چو بیند برگ او

---

۵ ـ مکان ۷ ـ اختیارش‌گر ۱۰ ـ ای حلیم ۱۱ ـ در نبیّ و در ولی (ن . ل) .

---

(۱) قال‌الله تعالی الیه یصعدالکلم‌الطیب والعمل‌الصالح یرفعه (۲) وحال آنکه هرقول وفعلی را درقیامت درترازو میگذارند مگر قول لااله الاالله را که در ترازو نگنجد چنانکه دراخبارهست پس‌هرگاه توحید درترازو نگنجد پس‌چگونه موحد خاصی درآن می‌گنجد همانا که موسی٤ مرد حق را بمیزان خرد سنجیدکه برخضر اعتراضات نمود و لقد جئت شیئاً امراً ولقد جئت شیئاً نُکرا (۳) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ صافات والله خلقکم وما تعملون (٤) اشاره است به اِنّ بعض‌الظن اثم (٦) اضافهٔ مختار بولا (که بمعنی‌ولایت وسلطنت است) ازباب ادنی ملابس است و این بیت از زبان بی‌زبانی آن بی‌نیاز است و میفرماید که اختیار حقیقی در آن مقام است چه مظهر اعظم برای قادر مختار است و هوالقاهر فوق عباده ولا قاهر علیه چنانکه فرمودکه منتهای اختیار آنست‌که اختیار محدود در اختیار حق مطلق مفقودگردد (۸) این آیه در سورهٔ حجر واقع شده است (۹) این‌آیه در سورهٔ مبارکه بقره واقع شده‌که میفرماید ما جدا نمیکنیم در ایمان میان هیچ یك از رسولان او (۱۲) حاصل آنست که چهار روح میباشد روح حیوانی وروح انسانی وروح ایمانی وروح ولوی وکمیل بن‌زیاد ازحضرت امیرمؤمنان علی علیه‌السلام روایت نموده که نفس چهار است نفس نامیه نباتیه ونفس حسیه حیوانیه ونفس ناطقه قدسیه ونفس‌کلیه الهیه وحدیث بتفصیل درکتب مذکور است (۱۳) مراد از روح باد روح بخاریست‌که متعلق اول روح‌امریست وبدن حقیقی‌آنست وعلاقه عشقیه روح امری بآنست و این بدن مثل غلافست برای روح بخاری وآن سه قسم‌است روح دماغی که منبعش دماغ است ومجرای‌آن اعصاب وروح قلبی‌که منبعش قلب‌است ومجرای‌آن شرائین وروح کبدی‌که منبعش کبد است ومجرای‌آن اورده وادراك وتحریك وشهوت وغضب باین‌ارواح بانجام می رسد.

جان گرگان وسگان هریك جداست متحد جانهای شیران خداست ۱ جمع گفتم جانهاشان من باسم کان یکی جان صدبود نسبت بجسم

❀ مثل آوردن در بیان اتحاد جانهای انبیا واولیاء ودوستان خدایتعالی بنور آفتاب که تمامت خانها وسرایها و بیابانها وکوهها و دریاها را بتابش خود روشن کند و در هر خانه و سرای وهر دشت و صحرا روشنائی دیگر دهد و همه یکنور و روشنی باشد و اختلاف جانهای مردم دیگر بنور ماه و ستارگان ونور چراغ که هرکدام نور دیگر است و چون آفتاب طلوع کند این انوار نمانند چنانکه روز حشر چون خورشید جمال وجلال حق از مشرق ازل طالع شود انوار عاریتی محوگردد ❀

همچو آن یك نور خورشید سما صد بود نسبت بصحن خانها ۷ لیك یك باشد همه انوارشان چون که برگیری تو دیوار ازمیان
چون نماند خانها را قاعده مؤمنان مانند[1] نفس واحده ۸ فرق و اشکالات آید زین مقال لیك[2] نبود مثل این باشد مثال
فرقها بیحد بود از شخص شیر تا بشخص آدمی زاد دلیر ۹ لیك در وقت مثال ای خوش نظر اتحاد از روی جان بازی نگر
کان دلیر آخر مثال شیر بود نیست مثل شیر درجمله حدود ۱۰ متحد نقشی ندارد این سرا[3] تا که مثلی وانمایم من ترا
هم مثال ناقصی دست آورم تا ز حیرانی خرد را واخرم ۱۱ شب بهر خانه چراغی مینهند تا بنور آن ز ظلمت میرهند
آن چراغ این تن بودنورش چوجان هست محتاج فتیلهٔ این وآن[4] ۱۲ آن چراغ شش فتیله این[5] حواس جملگی برخواب وخور دارداساس
بی خور و بی خواب نزید نیم دم با خور و با خواب نزید نیز هم ۱۳ بی فتیله و روغنش نبود بقا با فتیل و روغن او هم بیوفا
زانکه نورعلتی اش مرگ جوست چون زیدکه روزروشن مرگ اوست ۱۴ جمله حسهای بشر هم بی بقاست زانکه پیش نور روزحشرلاست
نور حسّ جان بی پایان[6] ما نیست کلی فانی و لا چون گیا ۱۵ لیك مانند ستاره و ماهتاب جمله محوند از شعاع آفتاب
آنچنانکه سوز و درد زخم کیك محوگردد چون درآید مار الیك ۱۶ ❀درد زخم کیك یکدم بیش نیست لیك هیچت طاقت آن نیش نیست
آنچنانکه عور اندر آب جست تا درآب اززخم زنبوران برست ۱۷ میکند زنبور بر بالا طواف چون برآرد سر ندارندش معاف
آب ذکر حقّ و زنبور این زمان هست یاد این فلانه وآن فلان ۱۸ ❀ زین فلان وآن فلان بگذرهمی گرت زآب ذکر حق باید دمی
دم بخور درآب ذکر و صبرکن[7] تا رهی از فکر و وسواس کهن[8] ۱۹ بعد از آن تو طبع آن آب صفا خود بگیری جملگی سر تا پیا
آنچنان کز آب آن زنبور شر میگریزد از تو هم گیرد حذر ۲۰ بعد ازآن خواهی تودور ازآب باش که بسرّ هم طبع آبی خواجه تاش
بس کسانی کز جهان بگذشته اند لا نیند و در صفات آغشته اند ۲۱ در صفات حق صفات جمله شان همچواختر پیش آن خور بی نشان
❀ بی نشان ازخویش وباآن دلنشین از کمال قرب معنی همنشین ۲۲ ❀مرده ازخود پیش آن شه زنده دم زندهٔ جاوید در کوی قدم
گر زقرآن نقل خواهی ای حرون خوان جمیع هم لدینا محضرون[9] ۲۳ محضرون معدوم نبود نیك بین تا بقای روحها دانی یقین
روح محجوب ازبقایش[10] درعذاب روح واصل دربقا پاك ازحجاب ۲۴ زین چراغ حسّ حیوان المراد گفتمت هان تا نجوئی اتحاد
روح خودرا متصل کن ای فلان زود با ارواح قدس سالکان ۲۵ صد چراغت گر مُرند ار بیستند باش فارغ چون[11] یگانه نیستند
زان همه جنگند این اصحاب ما جنگ کس نشنید اندر انبیا ۲۶ زانکه نور انبیا خورشید بود نور حسّ ما چراغ وشمع و دود
یك بمیرد یك بماند تا بروز یك بود پژمرده دیگر با فروز ۲۷ جان حیوانی بود حیّ از غذی هم بمیرد او بهر نیك و بدی
گر بمیرد این چراغ و طی شود خانهٔ همسایه مظلم کی شود ۲۸ نورآن خانه چو بی این هم بیاست پس چراغ حسّ هرخانه جداست
این مثال جان حیوانی بود نی مثال جان ربّانی بود ۲۹ باز ازهندوی شب چون ماه زاد بر سر هر روزنی نوری فتاد
نورآن صد خانه را تو یك شمر که نماند نور آن بی این دگر ۳۰ تا بود خورشید تابان بر افق هست در هرخانه نور او[12] قنق
باز چون خورشید جان آفل شود نور جملهٔ خانها زایل شود ۳۱ این مثال نور آمد مثل نی مر ترا هادی عدو را رهزنی
بر مثال عنکبوت[13] زشت خو پرد های گنده را بر بافد او ۳۲ از لعاب خویش پردهٔ نور کرد دیدهٔ ادراك خود را کور[14] کرد
گردن اسب ار بگیرد بر خورد ور بگیرد پاش بستاند لگد ۳۳ کم نشین براسب توسن بی لگام عقل و دین را پیشوا کن والسلام
اندر این آهنگ منگرست وپست ۳۴ کاندرین ره صبروشقّ انفس است[15]

بقیهٔ قصهٔ بنای مسجد اقصی دردست سلیمان علیه السلام

باز گرد و قصهٔ مسجد بگو با سلیمان نبیّ نیك خو ۳۶ چون سلیمان کرد آغاز بنا پاك چون کعبه همایون چون منا
در بنایش دیده میشد کرّ و فر نی فسرده چون بناهای دگر ۳۷ ❀چون بامر حق بنا کرد آن بنا بر ترآمد از ستاره و از سما
❀ اززمین وآسمان یاری بدش جنّ وانس اندر مددکاری بدش ۳۸ دربناهرسنگ کز کُه می سکست فاش سیروابی همی گفت ازنخست
همچو از آب و گل آدم کده نور زآهك[16] پارها تابان شده ۳۹ سنگ بی حمال آینده شده وان در و دیوارها زنده شده

---

۱ ـ باشند ۲ ـ زانکه ٤ ـ این بدان ٥ ـ وان فتیله پنج دارد از ٦ ـ وجان بابایان ۷ـ تن مزن ۱۰ـ بقا بس ۱۱ـ پس جدا اند و ۱۲ ـ خانهٔ نورش ۱۳ ـ عنکبوت آن ۱٤ ـ عقل را ز ادراك نورش دور ۱٦ ـ زان کُه (ن . ل)

---

(۳) یعنی دو چیز در عالم نیست که من جمیع الوجوه مثل هم باشند چنانکه دوصورت مثل هم یادوصوت مثل هم نیست بلکه دو خط از خطاطها بهم نماند وقس علیه وصورت وصوت که گفتیم چه در انسان وچه درسایر حیوانات ودوائر اگرمشتبه باشند ومتشابه من جمیع الوجوه بنمایند برحس مشتبه شده باشد نظر بخفای تمایز وسرّ تمایز اینست که هراسم از اسماء الله درین عالم مظهردارد چنانکه مولوی راست ❀ پادشاهان مظهرشاهی حق ـ عارفان مرآت آگاهی حق ❀ پس اسم احد واسم لبس کمثله شیٔ و بفارسی اسم یکتا وبیهمتا مظهرشأن بیهمتائی اشیا است و ازاینجاست که عرفا فرموده‌اند که ان الله لایتجلی فی صورة مرتین و ایضاً لاتکرار فی التجلی و حکماء فرموده‌اند المعدوم لایعاد بعینه (۸) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ رعد الا بذکرالله تطمئنّ القلوب (۹) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ یس است کل لما جمع لدینا محضرون یعنی ایشان همه نزد ماحاضر کرده شده‌اند (۱۵) یعنی مشقت نفسها و در سورهٔ نحل واقع شده الا بشق الانفس .

۱ ❀ آب و خاک از خویشتن گل می‌سرشت ❀ خاک آن آب روان را بنده بود ❀ از زمین آب روان زاینده بود
۲ ❀ چون در و دیوار جنت جان بدش ❀ وز نفخت روحی آمد وصل او ❀ همچو آدم کز گل آمد اصل او
۳ چون در و دیوار تن با آگهیست ❀ نیست چون دیوارها بیجان وزشت ❀ حق همی گوید که دیوار بهشت[1]
۴ زانکه جنت را نه زآلت بسته‌اند ❀ با بهشتی در حدیث و در مقال ❀ هم درخت ومیوه هم آب زلال
۵ این باصل خویش ماند پر خلل ❀ وان بنا از طاعت زنده شدست ❀ این بنا ز آب وگل مرده بدست
۶ فرش بی فرّاش پیچیده شود ❀ با بهشتی درسؤال و درجواب ❀ هم سریر وقصر وهم تاج وثیاب
۷ خانهٔ دل بین ز غم ژولیده شد ❀ حلقه و در مطرب و قوّال شد ❀ تخت او سیار بی حمّال شد
۸ ❀ چونکه گشت آن مسجد اقصی تمام ❀ در زبانم چون نمی‌آید چه سود ❀ هست در دل زندگی دارالخلود[2]
۹ پند دادی که بگفت ولحن وساز ❀ مسجد اندر بهر ارشاد عباد ❀ چون سلیمان درشدی هر بامداد
۱۰ واندران و هم امیری کم بود ❀ کو رسد درجان هربیگوش[5] وکر ❀ پند فعلی خلق را جذّاب تر
وانداران آن گل صورت دل می‌سرشت ❀ آن در و دیوار جان ارزان بدش
زنده باشد خانه چون شاهنشهیست
بلکه از اعمال و نیّت بسته‌اند[2]
وان باصل خود که علمست وعمل
خانه بی مکناس روبیده شود
بی‌کناس از توبهٔ روبیده شد
زاهتمامات سلیمان علیه‌السّلام
که بفعل اعنی رکوع با نیاز[4]
در حشم تأثیر آن محکم بود

قصهٔ آغاز خلافت عثمان و خطبهٔ وی در بیان آنکه ناصح فعال بفعل به از ناصح قوّال بقول

۱۲ منبر مهتر که سه پایه بدست ❀ چون خلافت یافت بشتابید تفت ❀ قصهٔ عثمان که بر منبر برفت
۱۳ دور عثمان آمد و بالای تخت ❀ از برای حرمت اسلام و کیش ❀ بر سیم پایه عمر در دور خویش
۱۴ پس توچون جستی ازایشان برتری[6] ❀ کان دو ننشستند برجای رسول ❀ پس سؤالش کرد شخصی بوالفضول
۱۵ ور دوم پایه شدم من جای جو ❀ وهم مثلیّ عمرتان می شدی ❀ گفت اگر جایم سیم پایه بدی
۱۶ بعدازآن برجای خطبه آن ودود ❀ وهم مثلی نیست با آن شه مرا ❀ هست این بالا مقام مصطفی
۱۷ هیبتی بنشسته بد بر خاص و عام ❀ یا برون آید ز مسجد آن زمان ❀ زهره نی کس راکه گوید هین بخوان
۱۸ تا ز گرمی فهم کردی آن ضریر[8] ❀ کور را زان تاب هم گرمی فزود ❀ هرکه بینا ناظر آن نور بود
۱۹ گرمیش را ضجرتیّ و حالتی ❀ تا ببیند عین هر بشنیده را ❀ لیك این گرمی گشاید دیده را
۲۰ سخت خوش مستی ولی ای بوالحسن ❀ از فرح گوید که من بینا شده ❀ کور چون شد گرم از نور قدم
۲۱ وانکه او این نور را بینا بود ❀ صد چنین والله اعلم بالصواب ❀ این نصیب کور باشد زآفتاب
۲۲ وای بر وی گر بساید پرده را ❀ کو[10] بجنباند بکف پردهٔ عیان ❀ گرشود صد توکه باشد این زبان
۲۳ این بتقدیر سخن گفتم ترا ❀ آن سری کزجهل سرهامی‌کند[11] ❀ دست چبود خود سرش‌را برکند
۲۴ اززبان تا چشم کو پاك ازشکست ❀ این بتقدیر آمده‌است ار او بدی ❀ خالق را خایه بدی خالو بدی
۲۵ صد اثر در کانها از اختران ❀ حق چوخواهد می‌رسد دریك‌زمان ❀ هین مشو نومید نور آسمان
۲۶ چرخ پانصد ساله راه ای مستعین ❀ اخترحق در صفاتش راسخ است ❀ اخرکردون ظلم را ناسخ است
۲۷ درهمش آرد چو سایه در ایاب ❀ دمبدم خاصیتش آرد عمل ❀ سه هزاران‌سال وپانصد تا زحل
۲۸ ظاهر[12] آن اختران قوّام ما ❀ سوی اخترهای گردون می‌رسد ❀ وز نفوس پاك اخترش مدد
صد هزاران سال گویم اندکست
می‌رساند قدرتش در هر زمان
در اثر نزدیك آمد با زمین
طول سایه چیست پیش آفتاب
باطن ما گشته قوّام سما[13]

در بیان آنکه حکما گویند آدمی عالم صغری است وحکمای الهی گویند آدمی عالم کبری است زیراکه آن حکمارا علم برصورت آدمی مقصور بود وعلم این حکما درحقیقت حقیقت آدمی موصول بود

۳۱ ظاهر آن شاخ اصل میوه است ❀ پس بمعنی[15] عالم کبری[16] توئی ❀ پس بصورت عالم صغری[14] توئی
۳۲ پس بمعنی‌آن شجر از میوه زاد ❀ کی‌نشاندی باغبان هرسو[17] شجر ❀ گر نبودی میل و امید ثمر
۳۳ بهر این فرموده‌است آن ذوفنون ❀ خلف من باشند در زیر لوا ❀ مصطفی زین گفت کادم و انبیا
۳۴ کز برای من بدش سجدهٔ ملك ❀ من بمعنی جدّ جدّ افتاده ام ❀ گر بصورت من ز آدم زاده‌ام
۳۵ اوّل فکر آخر آمد درعمل[19] ❀ پس زمیوه زاد در معنی شجر ❀ پس ز من زائید در معنی پدر
باطنا بهر ثمر شد شاخ هست
گربصورت ازشجر بودش ولاد[18]
رمز نحن‌الآخرون السابقون
وز پی من رفت بر هفتم فلك
خاصه فکری کو بود وصف ازل

---

٤ ـ یا نماز ٥ ـ باگوش ٦ ـ برایشان سروری ٧ـ ز هردو کمتری درسروری ٨ـ چشم کور ٩ـ بی فتور ١٠ـ تا ـ که ١١ـ شرها سرکند ١٢ـ ظاهراً ١٤ـ اصغر ١٦ ـ اکبر ١٧ـ بیخ ١٨ـ نهاد (ن . ل) .

---

(١) اشاره است بآیه واقعه درسورهٔ عنکبوت وان‌الدارالاخرة لهی الحیوان لو کانوا یعلمون (٢) باعتبار اعمال ونیات عباد که درعلم حق بوده فرموده‌اند والا مشخص است که ایجاد جنت قبل‌ازخلقت عباد است (٣) اشاره است بآنکه مفتاح این‌معارف معرفت نفس‌است چنانکه امیرالمؤمنین علی علیه‌السلام فرموده والصورة الانسانیه هی اکبر حجج‌الله علی خلقه وهی‌الکتاب الّذی کتبه بیده وهی‌الهیکل‌الذی بناه بحکمته وهی مجموع صور العالمین وهی‌المختصرة من‌اللوح المحفوظ وهی‌الشاهدة علی‌کل غایب وهی‌الحجة علی کل جاحد وهی‌الطریق‌المستقیم الی کل خیر و هی‌الجسر‌الممدود بین‌الجنة والنار (١٣) معلوم شد که انسان کامل حد وقوف ندارد بخلاف غیر او چه فلك و چه ملك و چه غیر آنها وحضرت ختمی‌مرتبت در معراج بجائی رسید که جبرئیل عرض کرد که لودنوت انملة لاحترقت واز کلمات اکابر است که الافلاك تدور بانفاس بنی‌آدم واین قضیه را تشبیه بآسیای بادی کرده اند (١٥) حضرت امیر فرموده اتزعم انّك جرم صغیر وفیك انطوی العالم الاکبر وشیخ عطار فرموده:

❀ روزوشب‌این‌هفت‌پرگارای‌پسر ❀ از برای تست بر کار ای پسر ❀ طاعت روحانیان از بهر تست ❀ خلد ودوزخ‌عکس‌لطف‌وقهر تست
❀ قدسیان یکسر سجودت کرده‌اند ❀ جزو وکل غرق وجودت کرده‌اند ❀ ظاهرت جزواست‌وباطن‌کلّ کل ❀ خویش‌را قاصر مبین درعین ذُل
❀ از حقارت سوی خود منگر بسی ❀ زانکه ممکن‌نیست پیش از توکسی ❀

تا آنجا که فرماید ـ چون درآید وقت رفعتهای کل ❀ از وجود تست خلعتهای کل (١٩) اول‌الفکر آخرالعمل یعنی علت غائیه در فکر اول هر علل درآید ولی در خارج مؤخر است از هرعلت .

حاصل اندر یك زمان ازآسمان — می‌رود می‌آید ایدر کاروان ۱ نیست بر این کاروان این ره دراز — که مفازه زفت آمد یا مفاز
دل بکعبه می‌رود در هر زمان — جسم طبع دل بگیرد ز امتنان ۲ این دراز وکوتهی مرجسم راست — چه دراز و کوته آنجا که خداست
چون خدا مر جسم‌را تبدیل کرد — رفتنش بی فرسخ و بی میل کرد ۳ صد امید است این زمان بردارگام — عاشقانه ای فتی خلّ الکلام[1]
گر چو پیله چشم برهم میزنی[2] ۴ در سفینه خفتهٔ ره میکنی

در تفسیر این حدیث که مثل امّتی کمثل سفینة نوح من تمسك بها نجا و من تخلّف عنها غرق[3]

بهر این فرمود پیغمبر که من — همچو کشتی ام بطوفان زمن ۶ ما و اصحابیم چون کشتیّ نوح — هر که دست اندر زند یابد فتوح
چونکه باشیخی تو دور اززشتی — روز و شب سیّاری و درکشتی ۷ در پناه جان جان بخشی قوی — خفته در کشتیّ و در ره میروی
مکسل از پیغمبر ایّام خویش — تکیه‌کم‌کن برفن و برکام خویش ۸ گرچوشیری چون‌روی‌ره بی‌دلیل — همچو روبه در ضلالیّ و ذلیل
هین مپر الاّ که با پرهای شیخ — تا ببینی عون لشکر های شیخ ۹ یکزمانی موج لطفش بال تست — آتش قهرش دمی حمّال تست
قهر او را ضدّ لطفش کم شمر — اتحاد هر دو بین اندر اثر ۱۰ یك‌زمان چون‌خاك سبزت می‌کند — یك زمان پر باد وگیزت می‌کند
جسم عارف را دهد وصف جماد — تا برو روید گل و نسرین شاد ۱۱ لیك او بیند نبیند غیر او — جز بمغز پاك ندهد خلد بو
مغز را خالی کن از انکار یار — تا که ریحان یابد از گلزار یار ۱۲ تا بیابی بوی خُلد از یار من — چون محمّد بوی رحمن از یمن
در صف معراجیان گر بیستی[4] — چون براقت برگشاید[5] نیستی ۱۳ نی چو معراج زمینی تا قمر[6] — بلکه چون معراج کلکی تا شکر
نی چو معراج بخاری تا سما — بل چو معراج جنینی تا نها[7] ۱۴ خوش براقی گشت خنگ نیستی — سوی هستی آردت گر بیستی
کوه و دریا ها سُمش مَس میکند — تا جهان حسّ را پس میکند ۱۵ پا بکش درکشتی و میرو روان — چون سوی‌معشوق جان جان‌روان
دست نی و پای نی رو تا قدم — آنچنانکه تاخت جانها از عدم ۱۶ بر دریدی در سخن پردهٔ قیاس — گر نبودی سمع سامع را نعاس
ای فلك برگفت او گوهر بیار — از جهان او جهانا شرم دار ۱۷ گر بیاری گوهرت شش تا شود — جامدت بیننده و گویا شود
پس نثاری کرده باشی بهر خود ۱۸ چون که هر سرمایهٔ تو صد شود

قصهٔ هدیه فرستادن بلقیس از شهر سبا سوی سلیمان علیه السلام

همچوآن هدیه که بلقیس ازسبا — بر سلیمان میفرستاد ای کیا ۲۰ هدیهٔ بلقیس چل استر بُدست — بار آنها جمله خشت زر بُدست
چون بصحرای سلیمانی رسید — فرش آنرا جمله زرّ پخته دید ۲۱ بر سر زر تا چهل منزل براند — تا که زر را در نظر آبی نماند
بار ها گفتند زر را وابریم — سوی مخزن ما چه[6] بیگاراندریم ۲۲ عرصهٔ کش خاك زرّ ده دهیست — زر بهدیه بردن آنجا ابلهیست
ای ببرده عقل هدیه تا اله — عقل‌آنجا کمتر است از خاك راه ۲۳ چون کساد هدیه آنجا شد پدید — شرمساریشان همی واپس کشید
باز گفتند ار کساد و ار روا — چیست بر ما بنده فرمانیم ما ۲۴ گر زر وگر خاك مارا بردنیست — امر فرمان ده بجا آوردنیست
گر بفرمایند که واپس برید — هم بفرمان تحفه را باز آورید ۲۵ امر وفرمان را همی باید شنید — تا بدانجا هدیه را باید کشید
پس روان گشتند هدیه آوران — تا بتخت آن سلیمان جهان ۲۶ خندش‌آمد چون سلیمان آن بدید — کزشما من کی طلب کردم مزید[9]
من نگفتم که بهدیه استم امید[10] — بلکه گفتم لایق هدیه شوید ۲۷ که مرا از غیب نادر هدیهاست — که بشر آنرا نیارد نیز خواست
می پرستید اختری کو زر کند — رو بوی[11] آرید کو اختر کند ۲۸ می پرستید آفتاب چرخ را — خوارکرده جان عالی نرخ[12] را
آفتاب از امر حق طباخ ماست — ابلهی باشد که گوئیم او خداست ۲۹ آفتابت گر بگیرد چون کنی — آن‌سیاهی زو توچون بیرون‌کنی
نی بدرگاه خدا آری صداع — که سیاهی را ببر واده شعاع ۳۰ گر کُشندت نیمشب خورشید کو — تا بنالی یا امان خواهی از او
حادثات اغلب بشب واقع شود — وان زمان معبود تو غائب بود ۳۱ سوی حق گر راستانه خم‌شوی — وا رهی ازاختران محرم شوی
چون شوی محرم‌گشایم با تو لب — تا ببینی آفتاب نیمشب ۳۲ جز روان پاك او را شرق نی — در طلوعش‌روز وشب‌را فرق نی
روز آن باشد که او شارق شود — شب نماند چونکه او بارق شود ۳۳ چون نماید ذرّه پیش آفتاب — خور چنان‌باشددرآن‌انوار وتاب[13]
آفتابی را که رخشان میشود — دیده پیشش کند وحیران میشود ۳۴ همچو ذرّه بینیش در نور عرش — پیش نور بی حد موفور عرش
بینیش مسکین و خوار و بی‌قرار — دیده را قوّت شده از کردگار ۳۵ کیمیائی که از او یك مأثری — بر دخان افتاد گشت آن اختری
تا در اکسیری‌که از وی نیم‌تاب — بر ظلامی زد بگردش آفتاب ۳۶ بوالعجب میناگری کز یك عمل — بست چندین خاصیت را بر زحل
باقی دُر های جان و اختران — هم برین مقیاس ای طالب بدان ۳۷ دیدهٔ حسی زبون آفتاب — دیدهٔ ربانئی جوی[14] و بیاب[15]
تا زبون گردد به پیش آن نظر — شعشعات آفتاب با شرر ۳۸ کان نظرنوریّ واین‌ناری بود — نار پیش نور بس تاری بود

---

۵ ـ بر کشاند ۶ ـ زمین تا ماه و خور ۸ ـ چو ۹ ـ ثرید ۱۰ ـ نمیگویم مرا هدیه دهید ۱۱ـ باو ۱۲ـ برخ ۱۳ـ همچنانست آفتاب اندر لباب ۱۴ـ خود را (ن . ل)

---

(۱) عاشقانه ای جوان سخن را واگذار و مگو (۲) کرم ابریشم چون بر خود تنید پر برآرد و پیله را سوراخ کند وبیرون آید که درآنوقت همی چشم برهم زند (۳) فرمود پیغمبر مثل امت من همچون کشتی نوح است کسی‌که تمسك نمود بآن سفینه نجات یافت و کسی که تخلف نمود ازآن غرق شد ـ از ابی‌ذر نقل کرده اند که در خانهٔ کعبه ایستاده بودم شنیدم پیغمبر فرمود مثل اهل بیت من مثل سفینهٔ نوح است هرکه تبعیت کرد ازضلالت نجات یافت ـ هرکه مخالفت‌کردگمراه‌گشته وهلاك شد (٤) یعنی درصحبت کاملان اگر پیوسته شوی نیستی ترا بر خود سوار کرده مثل بُراق ببرد وبمقصود برساند (۷) نسخ مختلف است بعضی‌حبیبی است یعنی معراج حبیب‌الله تا نهایت مقام اوادنی لیکن‌ازآنجناب بقوّت نبوت و ولایت جسمانی وروحانی هردو بود وازاولیاء روحانیت وبعضی حسینی است یعنی‌معراج روحانی حسین بن‌علی علیه‌السلام بعقول‌کلیه یا فناء حسین منصور بر سردار وبعضی جنینی است یعنی ترقیات جنین تا عقول مستفاده متصله‌که منقلب میشود جنین انسانی از جمادی بالکلیه به نباتی و ازآن بحیوانی تا عقلیت کز جمادی مردم ونامی‌شدم (۱۵) اشاره است بحدیث اتّقوا من‌فراسة المؤمن فانه ینظر بنورالله

کرامات ونور شیخ عبدالله مغربی قدّس سرّه

گفت عبدالله شیخ مغربی — شصت سال ازشب ندیدم من‌شبی ۲ — من ندیدم ظلمتی در شصت سال — نی‌بروز ونی‌بشب نی ز اعتدال[1]
صوفیان گفتند صدق قال او — شب همی رفتیم در دنبال او ۳ — در بیابانهای پر از خار و گو — او چو ماه بدر ما را پیش رو
روی پس ناکرده میگفت اوبشب — هین‌گو آمد میل‌کن برسوی چپ ۴ — باز گفتی بعد یکدم سوی راست — میل‌کن زیراکه خاری پیش‌پاست
روز گشتی پای بوسش گشته ما — زانکه‌بودی پاکش ازگل هردو پا ۵ — ❀روزگشتی پاش را ما پای بوس — گشته پاهایش چو پاهای عروس
نی‌زخاك و نی زگل بر وی اثر — نز خراش خار و آسیب حجر ۶ — مغربی را مشرقی کرده خدای — کرده مغرب‌را چومشرق نور زای
نور این‌شمس‌شموسی فارس‌است — روز خاص وعام را اوحارس‌است ۷ — چون نباشد حارس آن نورمجید — که هزاران آفتاب آرم پدید
تو بنور او همی رو در امان — در میان اژدها و کژدمان ۸ — پیش پیشت میرود آن نور پاك — میکند هر رهزنی را چاك چاك
یوم لایخزی‌النبی را راست‌دان[2] — نور یسعی بین ایدیهم بخوان ۹ — گرچه گردد در قیامت آن فزون — از خدا اینجا بخواهید آزمون
کو ببخشد هم ببیغ و هم بماغ ۱۰ — نور جان والله اعلم بالبلاغ

بازگردانیدن سلیمان علیه‌السلام رسولان بلقیس را باآن هدیها که آورده بودند سوی بلقیس و دعوت سلیمان بلقیس را بایمان وترك آفتاب پرستی

باز گردید ای رسولان خجل[3] — زر شما را دل بمن آرید دل ۱۳ — این زر من بر سرآن زر نهید — کوری تن فرج استر را دهید
فرج استر لایق حلقهٔ زر است — زرّ عاشق روی زرد اصفر است ۱۴ — که نظرگاه خداوند است آن — که نظرانداز خورشید است کان
کو نظرگاه شعاع آفتاب — کو نظرگاه خداوند لباب ۱۵ — از گرفت من ز جان اسیر کنید — گرچه اکنون هم گرفتار منید
مرغ فتنهٔ دانه بر بامست او — پر گشاده بستهٔ دامست او ۱۶ — چون بدانه داد او دل را بجان — نا گرفته مر ورا بگرفته دان
آن نظرها سوی دانه[4] میکند — آن گره دان کو بپا بر میزند ۱۷ — دانه گوید گر تو میدزدی نظر — من همی دزدم ز تو صبر و مقر
چون‌گشایند آن نظر این‌سو ترا — پس مدان ازخویشتن غافل مرا ۱۸ — ❀ چون‌کشیدت آن نظراندر بیم — پس بدانی کز تو من غافل نیم

قصهٔ عطاری که سنگ ترازوی او گل سرشوی بود و دزدیدن مشتری گل خوار ازآن گل هنگام سنجیدن شکر و دیدن عطار و نادیده‌کردن مر ورا

پیش عطاری یکی‌گل خوار رفت — تا خرد ابلوج قند خاص[5] زفت ۲۱ — پس بر عطار طرّار دو دل — موضع سنگ ترازو بود گل
❀گفت عطار ای‌جوان ابلوج من — هست نیکو بی تکلف بی سخن ۲۲ — لیك[6] گل‌سنگ ترازوی من‌است — گر ترا میل شکر بخریدنست
گفت هستم در مهمی قند جو — سنگ میزان هرچه خواهد باش‌گو ۲۳ — گفت‌باخودپیش‌آنکه‌گل‌خوراست — سنگ چبود گل نکوتر از زراست
هیچ‌آن دلاله کوگفت ای پسر — نو عروسی یافتم بس خوب فر ۲۴ — سخت زیبا لیك هم یك‌چیز هست — کان ستیره دختر حلواگر است
گفت بهتر این‌چنین خود گر بود — دختر او چرب و شیرین تر بود ۲۵ — گرنداری‌سنگ وسنگت‌از گلست — این به وبه گل مرا قوت[7] دلست
اندر آن کفه ترازو زاعتداد — او بجای سنگ آن گل را نهاد ۲۶ — پس برای کفهٔ دیگر بدست — هم بقدر آن‌شکر را می‌شکست
چون نبودش تیشهٔ او دیر ماند — مشتری را منتظر آنجا نشاند ۲۷ — رویش‌آن‌سو بود گل‌خورناشگفت — گل ازاو پوشیده دزدیدن گرفت
ترس ترسان که نباید ناگهان — چشم او بر من فتد از امتحان ۲۸ — دید عطار آن وخود مشغول کرد — که فزون‌تردزد ازاین‌ای‌روی زرد
گر بدزدی وز گل من میبری — روکه هم ازپهلوی خود میخوری ۲۹ — توهمی‌ترسی زمن لیك از خری — من همی‌ترسم که تو کمتر خوری
چون ببینی تو شکر را ز آزمود — پس بدانی کاحمق و غافل‌که بود ۳۰ — گرچه مشغولم چنان احمق نیم — که شکر افزون کشی تو از تیم
مرغ ازان دانه نظرخوش میکند — دانه هم‌از دور راهش می زند ۳۱ — گر زنای چشم حظی میبری[8] — نی‌کباب از پهلوی خود می‌خوری
این‌نظرازدورچون‌تیراست وسم — عشقت افزون میشود صبرتوکم ۳۲ — مال دنیا دام مرغان ضعیف — ملك عقبی دام مرغان شریف
تا بدین ملکی‌که او دامیست ژرف — در شکار آیند مرغان شگرف ۳۳ — من سلیمان می نخواهم ملکتان — بلکه من برهانم از هر هلکتان
کاین‌زمان‌هستید خود مملوك ملك — مالك ملك‌آنکه او بجهد ز هلك ۳۴ — بازگونه ای اسیر این جهان — نام خود کردی امیر این جهان
ای توبندهٔ این‌جهان محبوس جان[9] ۳۵ — چندگوئی خویش را خواجهٔ جهان

دلداری‌کردن و نواختن سلیمان علیه‌السلام مرآن رسولان را ودفع وحشت وآزار از دل ایشان وعذر قبول ناکردن هدیه شرح‌کردن باایشان

ای رسولان میفرستمتان رسول — ردّ من بهتر شما را از قبول ۳۸ — پیش بلقیس آنچه دیدید از عجب — باز گوئید از بیابان ذهب
❀که چهل منزل بروی زر بدید — وزچنین هدیه خجل چون می‌شدید ۳۹ — تا بداند که بزر طامع نه ایم — ما زر از زر آفرین آورده‌ایم

---

۱ ـ اعتلال ٤ ـ که بدانه ٥ ـ صاف ٦ ـ گفت ۷ ـ میوهٔ (ن . ل) .

---

(۲) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ تحریم‌است یوم لایخزی النبیّ والذین آمنوا معه نورهم یسعی بین ایدیهم و بایمانهم یقولون ربّنا اتمم لنا نورنا و اغفرلنا انك علی کل شیٔ قدیر (۳) اشاره باین آیه واقعه درسورهٔ نمل‌است ارجع الیهم فلنأتینهم بجنودٍ لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلّةً وهم صاغرون باز گرد بسوی ایشان پس بیاوریم ایشان را به لشکری‌که هیچ طاقت مقاومت نبود مرایشان را با آن لشکر وهرآینه بیرون کنیم ایشان را از آن درحالی‌که بی‌حرمت بوده وذلیل واسیر شوند (۸) اشاره‌است بمضمون حدیث نبوی النظرة سهم مسموم من سهام ابلیس و در بعضی مأثورات آمده است عینان تزنیان (و در بعضی نسخ گرز راه چشم است) (۹) یعنی جان حیوانی (دربعضی نسخ فان) اشارتست بکریمه کل من‌علیها فان و مثل اینهاست‌آنکه پندارد میزند و در حقیقت میخورد چه نفسی سبعی را که بیگانه ازاواست زنده کرد ولطیفهٔ ربانی را که حقیقت اوست میراند بلکه همان سبع و تن را هم بتشویش وغصه انداخت ومقهور از آن مکروه ساخت با آنکه مکروه به نسبت است چنانکه گذشت و این مملوك ملك و این بندگیست که سلاك رقیت اکوان خوانند و آزادی از اینها و بندگی حق را حریّت دانند .

آنکه گر خواهد همه خاك زمین — سر بسر زر گردد و دُرّ ثمین ۱ حق برای آن کند ای زرگزین — روزمحشر این زمین را نقره گین
فارغیم از زر که ما بس پر فنیم — خاکیان را سر بسر زرّین کنیم ۲ از شما کی کدیهٔ زر میکنیم — ما شما را کیمیا گر می‌کنیم
ترك آن گیرید گر ملك سباست — که برون از آب و گل بس ملکهاست ۳ تخته بنداست آنکه تختش خواندهٔ — صدر پنداری و بر در ماندهٔ
پادشاهی نیستت برریش خود — پادشاهی چون کنی بر نیك و بد ٤ بی مراد تو شود ریشت سپید — شرمدار از ریش خود ای کژامید
مالك الملکست هر کش سر نهد — بی جهان خاك صد ملکش دهد ٥ لیك ذوق سجدهٔ پیش خدا — خوش‌تر آید از دوصد دولت[1] ترا
پس بنالی که نخواهم ملکها — ملك آن سجده مسلم کن مرا ٦ پادشاهان جهان از بد رگی — بو نبردند از شراب بندگی
ورنه ادهم وار سرگردان ودنگ — ملك را بر هم زدندی بی‌درنگ ۷ لیك حق بهر ثبات این جهان[2] — مهرشان بنهاد بر چشم و دهان
تا شود شیرین برایشان تلخ وتاج — تا[3] ستانیم از جهان داران خراج ۸ ازخراج ارجمع آری زر چوریگ — آخر آن از تو بماند مردریگ
همره جانت نگردد ملك و زر — زر بده سرمه ستان بهر نظر ۹ تا ببینی کاین جهان چاهیست تنگ — پرسفانه آن رسن آری بچنگ
تا بگوید چون ز چاه آئی ببام — جان که یا بُشری لی هذا غلام[4] ۱۰ هست در چاه انعکاسات نظر — کمترین آنکه نماید سنگ زر
وقت بازی کودکان را زاختلال — مینماید آن خزفها زرّ و مال ۱۱ عارفانش کیمیا گر گشته اند — تاکه شد کانها بر ایشان نژند

دیدن درویشی جماعت مشایخ را درخواب و درخواست کردن روزی حلال بی مشغول شدن بکسب وازعبادت ماندن وارشاد ایشان اورا بمیوهای تلخ وترش کوهی بروی شیرین شدن بداد آن مشایخ

آن یکی درویش گفت اندر سمر[5] — خضریان را من بدیدم خواب در ۱٤ گفتم ایشانرا که روزیّ حلال — از کجا نوشم که نبود آن وبال
مر مرا سوی کهستان راندند — میوها زان بیشه می افشاندند ۱٥ که خدا شیرین بکرد آن میوه را — در دهان تو بهمتهای ما
هین بخور پاك و حلال و بی‌حسیب — بی صداع و نقل و بالا و نشیب ۱٦ پس مرا زان رزق نطقی رو نمود — ذوق گفت من خردها می ربود
گفتم این فتنه‌است ای ربّ جهان — بخششی ده[6] از همه خلقان نهان ۱۷ شد سخن از من دل خوش یافتم — جزن انار از ذوق می بشکافتم
گفتم ار چیزی نباشد در بهشت — غیر این شادی که دارم در سرشت ۱۸ هیچ نعمت آرزو ناید دگر — زین نپردازم بخورد نی شکر
مانده بود از کسب یك دو حبّه ام ۱۹ دوخته در آستین جُبه ام

نیت کردن او که این زر بدهم بدان هیزم‌کش چون من روزی یافتم بکرامات مشایخ و رنجیدن آن هیزم‌کش از ضمیر و نیت او

آن یکی درویش هیزم میکشید — خسته و مانده ز بیشه در رسید ۲۲ پس بگفتم من ز روزی فارغم — زین سپس از بهر رزقم نیست غم
میوهٔ مکروه بر من خوش شدست — رزق خاصی جسم را آمد بدست ۲۳ چونکه من فارغ شدستم از گلو — حبّهٔ چند است این بدهم بدو
بدهم این زر را بدین تکلیف کش — تادو سه روزك شود ازقوت خوش ۲٤ خود ضمیرم را همی دانست او — زانکه سمعش[7] داشت نورازشمع‌هو
بود پیشش سرّ هر اندیشهٔ[8] — چون چراغی در درون شیشهٔ[8] ۲٥ هیچ پنهان می نشد از وی ضمیر — بود بر مضمون دلها او امیر[9]
پس همی مُنگید با خود زیر لب — در جواب فکرتم آن بوالعجب ۲٦ کاین بود اندیشه‌ات[10] بهر ملوك — کیف تلقی الرّزق ان لم ترزقوك[11]
من نمیکردم سخن را فهم لیك — بر دلم میزد عتابش نیك نیك ۲۷ سوی من آمد بهیبت همچو شیر — تنگ هیزم را نهاد از پشت[12] زیر
پر تو حالی که او هیزم نهاد — لرزهٔ بر هفت عُضو من فتاد ۲۸ گفت یارب گرترا خاصان‌هی‌اند[13] — که مبارك دعوت و فرّخ پی‌اند
لطف تو خواهم که میناگر شود — این زمان این تنگ هیزم زر شود ۲۹ در زمان دیدم که زر شد هیزمش — همچو آتش بر زمین میتافت خوش
من در آن بی‌خود شدم تا دیر گه — چونکه با خویش آمدم من از وله ۳۰ بعد ازآن گفت ای‌خدا گر آن کبار — بس غبورند و گریزان ز اشتهار
باز این‌را بند هیزم ساز زود — بی توقف هم بر آن‌حالی که بود ۳۱ درزمان هیزم شد آن[14] اغصان زر — مست شد در کار او عقل و نظر
بعد از آن برداشت هیزم‌را و رفت — سوی شهراز پیش من‌او تیز وتفت ۳۲ خواستم تا از پی آن شه روم — پرسم از وی مُشکلات و بشنوم
بسته کرد آن هیبت او مر مرا — پیش خاصان ره نباشد عامه را ۳۳ ورکسی را ره شود گوسر[15] فشان — کان بود از رحمت و ازجذبشان[16]
پس غنیمت دار آن توفیق را — چون بیابی صُحبت صدّیق را ۳٤ نی‌چو آن ابله که یابد قرب شاه — سهل وآسان درفتد آن دم زراه
چون ز قربانی دهندش بیشتر — پس بگوید راین گاوست این مگر ۳٥ نیست این از ران گاو ای مفتری — ران گاوت مینماید از خری
بذل شاهانه است این بی رشوتی ۳٦ بخشش محض است این از رحمتی

تحریض سلیمان مر رسولان را بتعجیل بهجرت بلقیس بهر ایمان

همچنان‌که شه سُلیمان در نبرد — جذب خیل و لشکر بلقیس کرد ۳۸ که بیائید ای عزیزان زود زود — که بر آمد موجها از بحر جود
سوی ساحل میفشاند بی خطر — جوش موجش هر زمانی صد گهر ۳۹ الصلا گفتیم ای اهل رشاد[17] — کاین زمان رضوان درجنت گشاد
پس سلیمان گفت ای پیکان روید — سوی بلقیس و بدین دین بگروید ٤۰ پس بگوئیدش بیا اینجا تمام[18] — زود که ان الله یدعو بالسلام[19]

---

۱ ـ ملکت ۳ ـ که ٥ ـ سحر ٦ ـ کن ۷ ـ شمعش ۹ ـ خبیر ۱۰ ـ چون چنین اندیشی‌از ۱۲ ـ زخود بنهاد ۱۳ ـ حی‌اند ۱٤ ـ شد هیزمش ۱٥ ـ گوهر (ن . ل.) .

---

(۲) اشاره است بآیه ختم الله علی قلوبهم‌که درسورهٔ بقره واقع شده (٤) یعنی بشارت باد مارا این پسریست مانند یوسف درحسن وجمال یعنی طبعی که مسخر عقل شد مانند اهل جنت است و این شعر اقتباس است از آیهٔ وجائت سیارة فارسلوا واردهم فادلی دلوه قال یا بشری هذا غلام (۸) مناسب مضمون آیه واقعه در سورهٔ نور است المصباح فی زجاجه آن چراغ افروخته درقندیلی ازآبگینه (۱۱) یعنی چگونه می یابی روزی را اگر روزی ندهند ترا (۱٦) موافق این آیه‌است قل لاتمنوا علی اسلامکم بل الله یمنّ علیکم ان هدیکم للایمان (۱۷) مضمون این آیه شریفه است یاایتها النفس المطمئنه ارجعی الی ربك راضیةً مرضیه فادخلی فی عبادی وادخلی جنتی وصلا بمعنی خوش باش گفتن برخوان نعمت است (۱۸) اشاره بمضمون آیه واقعه درسورهٔ نمل است الا تعلوا علیّ و آتونی مسلمین (۱۹) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ یونس والله یدعوا الی دارالسلام

هین بیا ای طالب دولت شتاب — که فتوحست این زمان و فتح باب ۱ ای که تو طالب نهٔ تو هم بیا — تا طلب یابی از آن یار وفا

سبب هجرت ابراهیم ادهم و ترك ملك خراسان

ملك برهم زن تو ادهم‌وار زود — تا بیابی همچو او ملك[1] خلود ۳ خفته بود آن‌شه شبانه بر سریر — حارسان بر بام اندر دار و گیر
قصد شه از حارسان آن‌هم نبود — که کند زان دفع دزدان و رنود ٤ او همی دانست کان کو عادلست — فارغست از واقعه ایمن دلست
عدل باشد پاسبان کامها — نی بشب چوبك زنان بر بامها ٥ لیك بُد مقصودش ازبانگ رباب — همچو مشتاقان خیال آن خطاب
نالهٔ سرنا و تهدید دُهل — چیزکی ماند بدان ناقور کل ٦ پس حکیمان گفته‌اند این لحنها[2] — از دوار چرخ بگرفتیم ما
بانگ‌گردشهای چرخست‌این‌که‌خلق — می سرایندش بطنبور و بحلق ۷ مؤمنان گویند کاثار بهشت — نغز گردانید هر آواز زشت
ما همه اجزای آدم بوده‌ایم — در بهشت آن لحنها بشنوده‌ایم ۸ گر چه برما ریخت آب وگل شکی — یادمان آید از آنها اندکی[3]
لیك چون آمیخت با خاك کرب — کی‌دهد این زیر و این‌بم آن‌طرب ۹ آب چون آمیخت با بول و کمیز — گشت ز آمیزش مزاجش تلخ و تیز
چیزکی از آب هستش در جسد[4] — بول ز آنرو آتشی را میکشد[5] ۱۰ گر نجس شد آب این طبعش بماند — کاتش غم را بطبع خود نشاند
پس غذای عاشقان آمد سماع — که درو باشد خیال اجتماع ۱۱ قوّتی گیرد خیالات ضمیر — بلکه صورت‌گردد از بانگ صفیر
آتش عشق از نواها گشت تیز ۱۲ آنچنانکه آتش آن جوز ریز

حکایت آن مرد تشنه که ازسرجوز بن جوز درجوی آب میریخت که درگو بود ودرآب نمی‌رسید تا بافتادن جوز بانگ آب بشنود واورا چون سماع خوش بانگ آب درطرب می آورد

درتغولی[6] بود آب‌آن تشنه ماند[7] — بردرخت جوز وجوزی می‌نشاند ۱۵ می‌فتاد از جوز بُن‌جوز اندر آب — بانگ می‌آمد همی دید او حباب
عاقلی گفتش که بگذار ای فتا — جوزها خود تشنگی آرد ترا ۱٦ ❀ پیشتر در آب میافتد ثمر — آب در پستیست از تو دورتر
پیشتر در آب میافتد ببین — می‌برد آبش‌ترا چه سود از این ۱۷ تا تو از بالا فرود آئی بزیر — آب جوزت[8] برده باشد ای دلبر
گفت قصدم زین فشاندن جوزنیست — تیز تر بنگر براین ظاهر مأیست ۱۸ قصد من آنست کاید بانگ آب — هم ببینم بر سر آب این حباب
تشنه‌را خود شغل چبود درجهان — گرد پای حوض گشتن جاودان ۱۹ گرد جو وگرد آب و بانگ آب — همچو حاجی طائف کعبهٔ صواب
همچنین مقصود من زین مثنوی — ای ضیاء الحق حسام‌الدین توئی ۲۰ مثنوی اندر فروع و در اصول — جمله آن تست و کردستی قبول
❀ التجا بر تست و برامداد تو — تکیه بر اشفاق و بر اسعاد تو[9] ۲۱ ❀ مثنوی اندر اصول ودرفروع — میکند زیر لوای تو رجوع
❀ مثنوی اندر اصول و ابتدا — جمله بهر تست و بر تست انتها ۲۲ ❀ درقبول تست عبز و مقبلی — زانکه شاه جان و سلطان دلی
در قبول آرند شاهان نیك و بد — چون قبول آرند نبود هیچ رد ۲۳ چون نهالی کاشتی آبش بده — چون گشادش دادهٔ بگشا گره
قصدم از الفاظ او راز تواست — قصدم از انشایش آواز تواست ۲٤ پیش من آوازت آواز خداست — عاشق ازمعشوق حاشا کی جداست
اتصالی بی تکیف بی قیاس[10] — هست ربّ‌الناس را با جان ناس ۲٥ لیك گفتم ناس من نسناس نی — ناس غیر جان جان‌اشناس نی
ناس مردم باشد وکو مردمی — تو سر مردم ندیدستی دمی ۲٦ مار مَیت اِذ رَمَیت خواندهٔ — لیك جسمی در تجزّی ماندهٔ
مُلك‌جسمت را چو بلقیس ای‌غبی — ترك کن بهر سلیمان نبی ۲۷ می‌کنم لاحول‌نی‌ازگفت خویش[11] — بلکه از وسواس‌آن اندیشه‌کیش
کو خیالی میکند در گفت من — دردل‌ازوسواس وانکارات وظن ۲۸ می‌کنم لاحول یعنی چاره نیست — چون ترا در دل بضدّم گفتنیست
چونکه گفت من گرفتت در گلو — من‌خمش‌کردم توزین پس‌خود بگو ۲۹ آن یکی‌نائی‌که خوش نی‌میزدست — ناگهان از مقعدش بادی بجست
نای‌را برکون[12] نهاد اوکه ز من — گر تو بهتر میزنی بستان بزن ۳۰ ای مسلمان خود ادب اندر طلب — نیست الاّ حمل از هر بی ادب
هرکه را بینی شکایت میکند — کان فلان‌کس‌راست‌طبع وخوی‌بد ۳۱ این‌شکایت‌گریقین‌خویش‌بداست[13] — که‌بدان‌بدخوی‌بدگوی‌آمده‌است[14]
زانکه خوش خوآن‌بودکو درخمول — باشد از بدخو و بدطبعان حمول ۳۲ لیك درشیخ این‌گله زامر خداست — نی پی خشم وممارات و هواست
آن‌شکایت‌نیست هست اصلاح جان — چون شکایت کردن پیغمبران ۳۳ ناحمولی انبیا را ز امر دان — ورنه حمالست بد را حلمشان
طبع را کشتند اندر حمل بد — تا حمولی‌گر کنند از حق بود ۳٤ ای سلیمان در میان زاغ و باز — حلم حق شو با همه مرغان بساز
❀ بلبل بسیار گو را پَر مکن — باز را و کبك را برهم مزن ۳٥ ای دوصد بلقیس‌حلمت را زبون — کاهِدِ قومی اِنّهم لایَعلمون

تهدید فرستادن سلیمان علیه‌السلام پیش بلقیس که اصرار میندیش بر شرك و تأخیر مکن

هین بیا بلقیس ور نه بد شود — لشکرت خصمت شود مرتد شود ۳۷ پرده دار تو درت را برکند — جان تو با تو بجان خصمی کند
جمله ذرّات زمین و آسمان — لشکر حقند گاه امتحان ۳۸ باد را دیدی‌که با عادان چه کرد — آب را دیدی‌که درطوفان چه‌کرد
آنچه بر فرعون زد آن بحر کین — وآنچه باقارون نمودست این زمین ۳۹ وآنچه آن بابیل با آن پیل کرد — وآنچه پشه کلهٔ نمرود خورد
وانکه سنگ‌انداخت داودی‌بدست — گشت ششصد پاره ولشکر شکست ٤۰ سنگ میبارید بر اعدای لوط — تا که در آب سیه خوردند غوط
گر بگویم از جمادات جهان — عاقلانه یاری پیغمبران ٤۱ مثنوی چندان شود که چل شتر — گر کشد عاجز شود از بار پُر

---

۱ ـ حدّ ۳ ـ آمد از آنها چیزکی ٤ ـ نهاد ٥ ـ بول گیرش آخر آتش کش فتاد ۷ ـ راند ۸ ـ جویش ۱۲ ـ نای بر مقعد ۱۳ـ کو بدان که بد خو است ۱٤ـ که مرآن بد خوی را او بد گو است (ن . ل) .

---

(۲) چنانکه فیثاغورس میگوید من صدای اصطکاکات افلاك را شنیدم و ازآن علم موسیقی را نوشتم (٦) تغول گودال وعمیق را گویند (۹) پشتیبان من شفقت و یاوری کردن تواست (۱۰) اشاره است بحدیث : انّ روح‌المؤمن لاشدّ اتصالاً بروح‌الله من اتصال شعاع‌الشمس بالشمس (۱۱) کلمهٔ علیهٔ لاحول ولا قوة الا بالله‌العلیّ‌العظیم کلمهٔ توحید افعال است یعنی لامؤثر فی‌الوجود الّا الله واینجا کلمهٔ تعجب و استعاذت است مثل سبحان‌الله که‌گاه از برای تعجب می‌آید یعنی تعجب میکنم واستعاذت بحق میجویم از وسواس جهال واصحاب فکرت خیالی که خیال فاسد می کنند درین گفتار های بلند پایه و در حوصلهٔ ایشان نمیگنجد ولقمه ایست بزرگ ودرگلوی عقل مشوب بوهم و خیال ایشان می‌گیرد .

دست بر کافر گواهی میدهد[1] — لشکر حق میشود سر می نهد ۱ — ای نموده ضدّ حق درفعل و درس — در میان لشکر اوئی بترس
جزو جزوت لشکر او در وفاق — مر ترا اکنون مطیعند از نفاق ۲ — گر بگوید چشم را کو را فشار — درد چشم از تو برآرد صد دمار
ور بدندان گوید او بنما وبال — پس ببینی تو ز دندان گوشمال ۳ — بازکن طب را بخوان باب العلل — تا ببینی لشکر تن[2] را عمل
چونکه جان جان هرجزوت[3] ویست — دشمنی با جان جان آسان کی است ٤ — خود رها کن لشکر دیو و پری — کز میان جان کنندم صفدری
ملك را بگذار بلقیس از نخست — چون مرا یابی همه ملك آن تست[4] ٥ — خود بدانی چون بر من آمدی[5] — که تو بی من نقش گرمابه بدی[6]
نقش اگر خود نقش سلطان یاغنیست — صورتست از جان خود او بی چاشنیست ٦ — زینت او از برای دیگران[7] — باز کرده بیهده چشم و دهان
ای تو در پیکار خود را باخته — دیگران را تو ز خود نشناخته ۷ — تو بهر صورت که آئی بیستی — که منم این والله آن تو نیستی[8]
یك زمان تنها بمانی تو ز خلق — در غم و اندیشه مانی تا بحلق ۸ — این توکی باشی که توآن اوحدی — که خوش وزیبا وسرمست خودی
مرغ خویشی صید خویشی دام خویش — صدر خویشی فرش خویشی بام خویش ۹ — جوهر آن باشد که قائم با خودست — آن عرض باشد که فرع او شدست
گر تو آدم زادهٔ چون او نشین — جمله ذرّیات[9] را در خود ببین ۱۰ — چیست اندر خم که اندر نهر نیست — چیست اندر خانه کاندر شهر نیست
اینچهان خمّست و دل چون جوی آب ۱۱ — اینچهان حجره است و دل شهر عجاب

ظاهر گردانیدن سلیمان که مرا خالصاً لامرالله جهداست درایمان تو ، یکذرّه غرضی نیست مرانه درنفس تو و نه درحسن تو و نه در ملك تو ، خودبینی چون چشم جان باز شود بنورالله

هین بیا که من رسولم دعوتی — چون اجل شهوت کشم نی شهوتی ۱٤ — ور بود شهوت امیر شهوتم — نی اسیر شهوت و روی بتم[10]
بت شکن بوده است اصل اصل ما — چون خلیل حقّ و جمله انبیا ۱٥ — گر در آئیم ای رهی در بتکده — بت سجود آرد بما[11] در معبده
احمد و بوجهل در بتخانه رفت — زین شدن تا آن شدن فرقیست زفت ۱٦ — این در آمد سرنهادندش[12] بتان — وان درآمد سرنهاد ازعین جان[13]
این جهان شهوتی بتخانه ایست — انبیا و کافران را لانه ایست ۱۷ — لیك شهوت بندهٔ پاکان بود — زر نسوزد زانکه نقد کان بود[14]
کافران قلبند وپاکان همچو زر — اندرین بوته درند این دو نفر ۱۸ — قلب چون آمد سیه شد درزمان — زر در آمد زرّی او شد عیان
دست وپا انداخت اندربوته زر[15] — در رخ آتش همی خندد چوخور[16] ۱۹ — جسم ما روپوش باشد در جهان — ما چو دریا زیر این کّه در نهان
شاه دین را منگر ای نادان بطین — کاین نظر کردست ابلیس لعین ۲۰ — کای توان اندود این خورشیدرا — با کفی گل تو بگو آخر مرا
گر بریزی خاك وصد خاکسترش — بر سر نور او بر آید بر سرش ۲۱ — که که باشد که بپوشد روی آب — طین که باشد کو بپوشد آفتاب[17]

باقی قصهٔ ابراهیم ادهم قدس الله سرّه

خیز بلقیسا چو ادهم شاه وار — دود ازین ملك دوسه روزه برآر ۲۳ — ❁ باز گو احوال ابراهیم زود — ترك ملکش را بگوموجب چه بود
خفته بر[18] تختی شنید آن نیکنام — طقطقی وهای وهوئی شب ز بام ۲٤ — گامهای تند بر بام سرا — گفت باخود این چنین زهره کرا
بانگ زد بر روزن قصر او که کیست — این نباشد آدمی مانا پریست ۲٥ — سر فرو کردند قومی بوالعجب — ما همی گردیم شب بهر طلب
هین چه میجوئید گفتند اشتران — گفت اشتر بام بر کی جُست هان ۲٦ — پس بگفتندش که تو بر تخت جاه — چون همی جوئی ملاقات الٰه
خود همان بُد دیگر اورا کس ندید — چون پری از آدمی شد ناپدید ۲۷ — معنیش پنهان واو در پیش خلق — خلق کی بینند غیر ریش و دلق
چون زچشم خویش وخلقان دور شد — همچو عنقا در جهان مشهور شد ۲۸ — جان سیمرغی که آمد سوی قاف — جملهٔ عالم از او لافند[19] لاف
چون رسید اندرسبا این نور شرق — غلغلی افتاد در بلقیس و خلق ۲۹ — روحهای مرده جمله پر زدند — مردگان از گور تن سر بر زدند
یکدگر را مژده میدادند هان — نك ندائی می‌رسد از آسمان ۳۰ — زان ندا دینها همی گردند گیز — شاخ و برگ دل همی گردند سبز
ازسلیمان آن نفس چون نفخ صور — مردگان را وا رهانید از قبور ۳۱ — مر ترا بادا سعادت بعد ازین — غم[20] گذشت الله اعلم بالیقین

بقیهٔ قصه اهل سبا و نصیحت وارشاد سلیمان علیه‌السلام آل بلقیس را هر یکی اندر خود و مشکلات دین و دل او و صید کردن هر جنس مرغ ضمیری را بصفیر آن جنس مرغ و طعمه او

قصه گویم از سبا مشتاق وار — چون صبا آمد بسوی لاله زار ۳٤ — لاقت الاشباحُ یوم وَصلها[21] — عادت الاولاد صوب اَصلها
اُمّة العشق خفیّ فی الامم — مثل جود حوله لوم السقم ۳٥ — ذلة الارواح من اشباحها — عزة الاشباح من ارواحها

---

۲ ـ حق ۳ ـ چیزی ٥ ـ چون بیائی ای گزین ٦ـ حمامی یقین ۹ ـ ذرّات ۱۰ـ چو اهل نفس اسیر شهوتم ۱۱ـ نه ما ۱۲ ـ آید سرنهند اورا ۱۳ ـ درآید سرنهد چون امتان ۱٥ ـ زر در بوته خوش ۱٦ ـ رگش ۱۸ـ بر سر ۱۹ـ بافند ۲۰ ـ این (ن . ل)

---

(۱) اشاره است بکریمهٔ الیوم نختم علی افواههم وتکلّمنا ایدیهم وتشهد ارجلهم بماکانوا یکسبون (٤) زیراکه یافتن او علم حضوری باوست بطور فنای در شهود او و ازینجاست که خواجه عبدالله انصاری فرموده الهی چون درتو نگرم پادشاهی‌ام تاج برسر و چون در خود نگرم خاکم و از خاك کمتر الهی چون تو دارم همه دارم (۷) بیان حال رئیسی است که کامل نیست وبدیگران پرداخته چون شمعی که خود میسوزد و بدیگران روشنائی میدهد (۸) چون روح ربّانی حکم بوقلمون دارد بهرصورتی درآید ولیکن مقید بهیچ صورت نیست چنانکه سابق نوشتیم که از برای نفس ناطقه مهیت نیست وحدّ وقوف ندارد در ترقیات و وجود است که فی ذاته نه جوهراست ونه عرض الا بالعرض (۱٤) از اینجاست که در حدیث آمده است در تفسیر کریمهٔ وان منکم الا واردها کان علی ربك حتماً مقضیّا که جمیع جن وانس وارد برآتش میشوند. راوی خدمت حضرت عرض کرده است که شما هم وارد میشوید فرموده اند بلی ولکن جزناها وهی خامدة واین اشارتیست از حضرت باینکه مراد ورود بردنیا است که نار طبیعت ونایرهٔ کثرت باشد (۱۷) از اینجاست که ارسطاطالیس حکیم فرموده بدن درنفس ناطقه است نه نفس در بدن (۲۱) ملاقات کردند بدنها روز وصل خودرا و بازگشتند فرزندان بسوی اصل خود گروه عاشقان پنهانند درمیان سایر مردم مانند زنی نازك اندام که اطراف اورا رنگ بیماری فروگرفته باشد خاری ارواح از اشباح وبدنهای آنهاست وبزرگواری بدنها از روانهاست ای شیفتگان عشق سیرابی بهرهٔ شما است شما پایندگانید وپایندگی خاصهٔ شما باشد ای گمگشتگان برخیزید وراه عشق پیش گیرید اینك بوی یوسف است ببوئید و استنشاق کنید.

أیها العشاق الستا لکم — أنتم الباقون و البقا لکم ۱ ایها السالون قوموا واعشقوا — ذاك ربح یوسف فاستنشقوا
منطق الطیر سلیمانی بیا — بانگ هر مرغی که آید می سرا ۲ چون بمرغانت فرستادست حق — لحن هر مرغی بدادستت سبق
مرغ جبری را زبان جبر گو — مرغ پر اشکسته را از صبر گو ۳ مرغ صابررا توخوش دار و معاف — مرغ عنقا را بخوان اوصاف قاف
مر کبوتر را حذر فرما ز باز — باز را از حلم گوی و احتراز ٤ وان خفاشی را که ماند او بینوا — می کنش با نور جفت و آشنا
کبك جنگی را بیاموزان تو صلح — مرخروسان را نما اشراط صبح ٥ همچنان میرو ز هدهد تا عقاب — ره نما والله اعلم بالصواب

آزاد شدن بلقیس از ملك و مست شدن او از شوق ایمان و التفات همت او از همه ملك منقطع شدن وقت هجرت الاّ از تخت

چون سلیمان سوی مرغان سبا — یك صفیری کرد بست آن جمله را ۸ جز مگر مرغی که بُد بی جان و پر — یا چو ماهی گنگ بود از اصل وکر
نی غلط گفتم که کر گر سر نهد — پیش وحی کبریا سمعش دهد ۹ چونکه بلقیس ازدل وجان عزم کرد — بر زمان رفته هم افسوس خورد[1]
ترك مال و ملك کرد او آنچنان — که بترك نام و ننگ آن عاشقان ۱۰ آن غلامان و کنیزان بناز — پیش چشمش همچو پوسیده پیاز
باغها و قصر ها و آب رود — پیش چشم از عشق گلخن مینمود ۱۱ عشق در هنگام استیلا و خشم — زشت گرداند لطیفان را بچشم
مر زمرّد را نماید گندنا — غیرت عشق این بود معنی لا ۱۲ لا اله الا هو این است ای پناه — که نماید مه ترا دیگ سیاه
هیچ مال وهیچ مخزن هیچ رخت — می دریغش نامد الاجز که تخت ۱۳ پس سلیمان از دلش آگاه شد — کز دل او تا دل او راه بد
❀ آن کسی که بانگ مرغان بشنود — واز ضمیر هر یکی واقف بود ۱٤ نالهٔ مخفیّ[2] موران بشنود — هم ز دور او سرّ هرجان[3] بشنود
آنکه گوید رمز[4] قالت نملة[5] — هم بداند راز این طاق کهن ۱٥ دید از دورش که آن تسلیم کیش — تلخش آمد فرقت آن تخت خویش
گر بگویم آن سبب گردد دراز — که چرا بودش بتخت آن عشق وآز[6] ۱٦ گرچه این کلك وقلم خود بی حسبست — نیست جنس کاتب او را مونسیست
❀ همچنین هر آلت پیشه وری — هست بیجان مونس جانوری ۱۷ آلت هر پیشه کاری آنچنان — هست بیجان لیك مونس شد بجان
این سبب را من معین گفتمی[7] — گر نبودی چشم فهمت را نمی ۱۸ از بزرگی تخت کز حد میفزود — نقل کردن هیچ نوع[8] امکان نبود
خرده کاری بود وتفریقش خطر — همچو اوصال بدن با همدگر[9] ۱۹ پس سلیمان گفت گرچه فی الاخیر — سرد خواهد شد برو تاج وسریر
چون زوحدت جان برون آرد سری — جسم را با فرّ او نبود فری ۲۰ چون بر آید گوهر از قعر بحار — نگری اندر کف و خاشاك وخوار
سر بر آرد آفتاب با شرر — دمّ عقرب را که سازد مستقر ۲۱ لیك خود با اینهمه برنقد[10] حال — جست باید تخت او را انتقال
تا نگردد خسته هنگام لقا — کودکانه حاجتش گردد روا ۲۲ هست برما سهل واورا بس عزیز — تا بود بر خوان حوران دیو نیز
عبرت جانش شود آن تخت ناز[11] — همچو دلق و چارقی پیش ایاز ۲۳ تا بداند در چه بود آن مبتلا — از کجاها در رسید او تا کجا[12]
خاك را و نطفه را و مضغه را — پیش چشم ما همی دارد خدا ۲٤ کز کجا آوردمت ای بد نبت — که از ان آید همی خفریقیت[13]
توبرآن عشق بدی در دور آن — منکر این فضل بودی آن زمان ۲٥ این کرم چون دفع آن انکار تست — که میان خاك میکردی نخست
حجت انکار شد انشار تو — از دوا بد تر شد این بیمار تو ۲٦ خاك را تصویر این کار از کجا — نطفه را خصمی و انکار از کجا
چون درآن دم بی دل و بی سر بدی — فکرت و انکار را منکر بدی ۲۷ از جمادی چونکه انکارت برست — هم ازاین انکار حشرت شد درست
پس مثال تو چوآن حلقه زنیست — کز درونش خواجه گوید خواجه نیست ۲۸ حلقه زن زین نیست دریابد که هست — پس زحلقه بر ندارد هیچ دست
پس هم انکارت مبین میکند — کز جماد او حشر صد فن میکند ۲۹ چند صنعت رفت ای انکار تا — آب وگل انکار زاد از هل اتی[14]
آب وگل میگفت خود انکار نیست — بانگ میزد بیخبر کاخبار نیست ۳۰ پس بگویم شرح این را صد طریق — لیك خاطر لغزد از گفت دقیق
❀ شرح آنرا لب ببستم ای کیا ۳۱ بهر نقل تخت بلقیس از سبا

چاره کردن سلیمان علیه السلام در احضار تخت بلقیس از سبا

❀ پس سلیمان گفت بالشکر عیان — تخت اورا حاضر آرید این زمان ۳۳ گفت عفریتی که تختش را بفن — حاضر آرم تا تو زین مجلس شدن
گفت آصف من باسم اعظمش — حاضر آرم پیش تو در یکدمش ۳٤ گرچه عفریت اوستاد سحر بود — لیك آن از نفخ آصف رو نمود
حاضر آمد تخت بلقیس آن زمان — لیك زآصف نه از فن عفریتیان ۳٥ گفت حمدالله بدین و صد چنین — که بدیدستم ز ربّ العالمین
پس نظر کرد آن سلیمان سوی تخت — گفت آری گول گیری ای درخت ۳٦ پیش چوب وسنگ چون نقشی کنند — ای بسا گولان که سرها می نهند
ساجد و مسجود از جان بیخبر — دیده از جان جنبشی و اندك اثر ۳۷ دیده در وقتی که شد حیران ودنگ[15] — که سخن گفت واشارت کرد سنگ

---

۲ ـ آن کسی که بانگ ۳ ـ هم فغان سرّ دوران ٤ ـ داند راز ٦ ـ ساز ۸ ـ تخت را ۹ ـ یکدگر ۱۰ ـ در بدو ۱۱ ـ باز ۱۳ ـ خفرنجیت (ن . ل) .

---

(۱) اشاره بآیه واقعهٔ در سورهٔ نمل قالت ربّ انی ظلمت نفسی واسلمت مع سلیمان لله ربّ العالمین (٥) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ نمل قالت نملة یاایها النمل ادخلوا مساکنکم لایحطمنکم سلیمان وجنوده وهم لایشعرون یعنی گفت موری ای موران داخل لانه های خود شوید که پایمال نکنند سلیمان ولشکرش ندانسته شمارا (۷) یعنی تحقیق این طولی دارد چه بسته است بمسئلهٔ توحید ودانستن آنکه برون زد خیمه زاقلیم تقدس ❀ تجلی کرد در آفاق وانفس بهرآئینهٔ بنمود روئی ❀ بهرجا خاست از وی گفتگوئی ونهمهارا ازدرك این رازکلالی است واز تعمق وغوص درین بحرملالی بلی اگرکافر ز بت آگاه گشتی ❀ کجا در دین خود گمراه گشتی (۱۲) کما قال امیرالمؤمنین علیه السلام مالابن آدم والفخر اوله نطفة قذره وآخره جیفة قذره پس آدمی باید بداندکه آنچه خودی ونیت اوست همین نطفه گندیده وهمان جیفهٔ پلید است وآنچه کمال وجمال وجلال است از غنی حمید است (۱٤) اشاره است بآیه واقعه درسورهٔ دهر هل اتی علی الانسان حین من الدهر لم یکن شیئاً مذکورا انّا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتلیه فجعلناه سمیعاً بصیرا انّا هدیناه السبیل امّا شاکراً وامّا کفورا (۱٥) یعنی حیران شد و ندانست که سخن در سنگ ناقهٔ صالح یا خوار در گاو زر سامری ازقدرت حق است وجاندار را از خود چیزی نیست چه جای بیجان چنانچه شیخ عطار میفرماید :
ناقه ازسنگی پدیدار آورد ❀ گاو زر در نالهٔ زار آورد .

نرد خدمت چون بنا[1] موضع بباخت — شیر سنگی را شقی[2] شیری شناخت ۱ از کرم شیر حقیقی کرد جود — استخوانی سوی سگ انداخت زود
گفت گرچه نیست آن سگ بر قوام ۲ لیك مارا استخوان لطفیست عام

قصهٔ یاری خواستن حلیمه از بتان چون عقیب فطام مصطفی علیه‌السلام را گم کرد ولرزیدن و سجدهٔ بتان وگواهی دادن ایشان برعظمت کار مصطفی صلی‌الله علیه وآله وسلم

قصهٔ راز حلیمه گویمت — تا زداید داستان او غمت ۵ مصطفی‌را چون زشیر او بازکرد — برکفش برداشت چون ریحان و ورد
می گریزانیدش از هر نیك و بد — تا سپارد آن شهنشه را بجد ۶ چون همی آورد امانت را ز بیم — شد بکعبه و آمد او اندر حطیم
از هوا بشنید بانگی کای حطیم — تافت بر تو آفتابی بس عظیم ۷ ای حطیم امروز آید برتو زود — صد هزاران نور ازخورشید جود
ای حطیم امروزآرد درتو رخت — محتشم شاهی‌که پیك اوست بخت ۸ ای حطیم امروز بیشك از نوی — منزل جانهای بالائی شوی
جان پاکان‌طلب‌طلب وجوق جوق — آیدت از هر نواحی مست شوق ۹ گشت حیران آن حلیمه زان صدا — نی کسی در پیش نی سوی قفا
شش جهت خالی زصورت وین ندا — شد پیابی آن ندا را جان فدا ۱۰ مصطفی را بر زمین بنهاد او — تا کندآن‌بانگ خوش‌را جست‌وجو
چشم می‌انداخت آن دم سو بسو — که کجایست آن شه اسرار گو ۱۱ کاین‌چنین‌بانگ‌بلندازچپ وراست — می‌رسد یا رب رساننده کجاست
چون ندید او خیره و نومید شد — جسم لرزان همچو شاخ بید شد ۱۲ باز آمد سوی آن طفل رشید — مصطفی را در مکان خود ندید
حیرت اندر حیرت آمد بر دلش — گشت بس تاریك از غم منزلش ۱۳ سوی‌منزلها دوید وبانگ داشت — که که بر دُردانه ام غارت گماشت
مکیان گفتند ما را علم نیست — ما ندانستیم کاینجا کودکیست ۱۴ ریخت چندان اشکها او بافغان[3] — که ازاو[4] گریان شدند آن مکیان
سینه‌کوبان آنچنان بگریست خوش ۱۵ کاختران گریان شدند ازگریه‌اش

حکایت آن پیر عرب که دلالت کرد حلیمه را باستعانت بتان

پیر مردی پیشش آمد با عصا — کای حلیمه چه فتاد آخر ترا ۱۷ کاین چنین آتش ز دل افروختی — وین جگرها را ز ماتم سوختی
گفت احمد را رضیعم معتمد — پس بیاوردم که بسپارم بجد[5] ۱۸ چون رسیدم در حطیم آوازها — می رسید و می‌شنیدم از هوا
من چوآن الحان شنیدم از هوا — طفل را بنهادم آنجا زان صدا ۱۹ تا ببینم این ندا آواز کیست — که ندائی بس‌لطیف وبس‌شهیست
نز کسی دیدم بگرد خود نشان — نی ندا می منقطع شد یك زمان ۲۰ چونکه واگشتم ز حیرتهای دل — طفل را آنجا ندیدم وای دل
گفتش ای فرزند تو انده مدار — که نمایم من ترا یك شهریار ۲۱ که بگوید گر بخواهد حال طفل — او بداند منزل و ترحال طفل
پس حلیمه گفت ای جانم فدا — مر ترا ای شیخ خوب خوش ندا ۲۲ هین مرا بنمای آن شاه نظر — کش بود از حال طفل من خبر
برد اورا پیش عُزّی کاین صنم — هست در اخبار غیبی مغتنم ۲۳ ما هزاران گم شده زو یافتیم — چون بخدمت سوی او بشتافتیم
پیرکرد اورا سجود وگفت زود — ای خداوند عرب وی بحر جود ۲۴ گفت ای عزّی تو بس اکرامها — کردهٔ تا رسته ایم از دامها
بر عرب حق است از اکرام تو — فرض گشته تا عرب شد رام تو ۲۵ این حلیمهٔ سعدی از امید تو — آمد اندر ظلّ شاخ بید تو
که ازو فرزند طفلی گم شدست — نام آن کودك محمد آمدست[6] ۲۶ چون محمد[7] گفت آن جمله بتان — سرنگون گشتند وساجد آن زمان
که‌بروای‌پیراین‌چه جست‌وجوست — آن محمد را که عزل ما ازوست ۲۷ ما نگون و سنگسارانیم[8] از او — ما کساد و بی عیارانیم[8] از او
آنخیالاتی که دیدندی ز ما — وقت فترت[9] گاه گاه اهل هوا ۲۸ گم شود چون بارگاه او رسید — آب آمد مر تیمم را درید[10]
دور شو ای پیر فتنه کم فروز — هین ز رشك احمدی مارا مسوز ۲۹ دور شو بهر خدا ای پیر تو — تا نسوزی زآتش تقدیر تو
این چه دُمّ اژدها افشردنست — هیچ دانی چه خبر آوردنست ۳۰ زین‌خبرخون شد دل دریا وکان — زین‌خبر لرزان شود هفت آسمان
چون شنید ازسنگها پیراین‌سخن — پس عصا انداخت آن پیر کهن ۳۱ ازشکوه ترس ولرز[11] آن ندی — پیر دندانها بهم بر میزدی
آنچنان کاندر زمستان مرد عور — او همی‌لرزید ومی‌گفت ای ثبور ۳۲ چون درآن حالت بدید آن پیر را — زان عجب[12] گم کردزن تدبیر را
گفت پیرا گرچه من در محنتم — حیرت اندر حیرت اندر حیرتم ۳۳ ساعتی بادم خطیبی میکند — ساعتی سنگم ادیبی میکند
باد با حرفم سخنها می دهد — سنگ و کوهم فهم اشیا می دهد ۳۴ گاه طفلم را ربوده غیبیان — غیبیان سبز پوش آسمان
از که نالم با که گویم این گله — من شدم سودائی اکنون صد دله ۳۵ غیرتش از شرح غیبم لب ببست — اینقدرگویم که طفلم گم شدست
گر بگویم چیز دیگر من کنون — خلق بندندم بزنجیر جنون ۳۶ گفت پیرش‌کای حلیمه شاد باش — سجدهٔ شکر آر و رو را کم خراش
غم مخور یاوه نگردد او ز تو — بلکه عالم یاوه گردد اندرو ۳۷ هرزمانش‌ازرشك‌غیرت‌پیش‌وپس — صد هزاران پاسبانست وحرس[13]
آن ندیدی کان بتان ذو فنون — چون شدند ازنام طفلت سرنگون ۳۸ این‌عجب قرنیست بر روی زمین — پیر گشتم من ندیدم جنس این
زین‌رسالت‌سنگها چون ناله داشت — تا چه خواهد برگنه‌کاران‌گماشت ۳۹ سنگ بی جرمست در معبودیش — تو نهٔ مضطر که بنده بودیش
آنکه مضطر اینچنین ترسان شده‌است ۴۰ تا که برمجرم چها خواهند بست

۱ـ چون بآن ۳ ـ اشك وکرد او بس فغان ٤ ـ براو ٦ ـ آن فرزند او احمد بدست ۷ ـ چونکه احمد ۸ـ آثیم ۱۰ ـ برید ۱۱ ـ پس ز لرزه و خوف و بیم ۱۲ ـ پا و سر (ن . ل) .

---

(۲) در نسخه شهی بود وآن انسب است بقصهٔ بلقیس وبواقع که لطیفهٔ ربانی وجان انسانی شهی است و از خود غافل میشود و سجده بسنگ و چوب میکند تو بگوهر خدیو دورانی چکنم قدر خود نمیدانی باری‌آن بت بپرستیدکه جانی دارد (٥) فرمود احمد شیرخوار معتمد خودرا آورده‌ام که بجدّ او دهم (۹) ایام فترت زمان بین دورسول را گویند واینجا مراد زمان فاصلهٔ بین‌حضرت عیسی وحضرت رسول است (۱۳) حرس جمع حارس بمعنی پاسبانست .

خبر یافتن جدّ مصطفی عبدالمطلب از گم کردن حلیمه مصطفی علیه‌السلام را و طالب شدن او گرد شهر و نالیدن بر در کعبه و از حقّ درخواستن و یافتن او محمد علیه‌السلام را

چون خبر یابید جدّ مصطفی　　از حلیمه وز فغانش بر ملا ۳　　وز چنان بانگ بلند و نعرها　　که ببیلی میرسید از وی صدا
زود عبدالمطلب دانست چیست　　دست بر سینه همی زد میگریست ۴　　آمد از غم بر در کعبه بسوز　　کای خبیر از سرّ شب واز راز روز
خویشتن را من نمی بینم فنی　　تا بود همراز تو همچون منی ۵　　خویشتن را من نمی بینم هنر　　تا شوم مقبول این مسعود در
یا سرو سجدهٔ مرا قدری بود　　یا باشکم دو لبی خندان شود ۶　　لیك در سیمای آن دُرّ یتیم　　دیده ام آثار لطفت ای کریم
که نمی ماند بما گر چه ز ماست　　ما همه مسیم و احمد کیمیاست ۷　　آن عجائبها که من دیدم برو　　من ندیدم بر ولیّ و بر عدو
آنچه فضل تو دراین طفلیش داد　　کس نشان ندهد بصد ساله جهاد ۸　　چون یقین دیدم عنایتهای تو　　بروی او دُرّیست از دریای تو
من هم اورا می شفیع آرم بتو[1]　　حال او ای حال دان با من بگو[2] ۹　　از درون کعبه آمد بانگ زود　　که هم اکنون رخ بتو خواهد نمود
با دوصد اقبال اومحظوظ ماست　　با دوصد طلب ملك محفوظ ماست ۱۰　　ظاهرش را شهرهٔ کیهان کنیم　　باطنش را از همه پنهان کنیم
زرّ و کان بود[3] آب و گل مازرگریم[4]　　که گهش خلخال و گه خاتم بریم ۱۱　　گه حمایلهای شمشیرش کنیم　　گاه بند گردن شیرش کنیم
گه ترنج تخت بر سازیم ازو　　گاه تاج فرقهای ملك جو ۱۲　　عشقها داریم با این خاك ما　　زانکه افتاده است در قعدهٔ رضا
گه چنین شاهی ازاو پیدا کنیم　　گه هم اورا پیش شه شیدا کنیم ۱۳　　صدهزاران عاشق ومعشوق ازو　　در فغان و در نفیر وجست و جو
کار ما اینست بر کوریّ آن　　که بکار ما ندارد میل جان ۱۴　　این فضیلت خاك را زان رو دهیم　　زانکه نعمت[5] پیش بی برگان نهیم
زانکه دارد خاك شکل اغبری　　وز درون دارد صفات انوری ۱۵　　ظاهرش با باطنش گشته بجنگ　　باطنش چون گوهر وظاهر چو سنگ
ظاهرش گوید که ما اینیم و بس　　باطنش گوید نکوبین پیش و پس ۱۶　　ظاهرش منکر که باطن هیچ نیست　　باطنش گوید که بنمائیم بیست
ظاهرش با باطنش در چالش اند　　لاجرم زین صبر نصرت می کشند ۱۷　　زین ترش روخاك صورتها کنیم　　خندهٔ پنهانش را پیدا کنیم
زانکه ظاهر خاك اندوه و بُکاست　　دردرونش صدهزاران خندهاست ۱۸　　کاشف السرّیم و کار ما هبیت　　کاین نهانها را بر آریم ازکمین[6]
گر چه دزد از منکری تن میزند　　شحنه آن از عصر پیدا میکند ۱۹　　فضلها دزدیده اند این خاکها　　ما مقر آریمشان از ابتلا
بس عجب فرزند کورا بوده‌است　　لیك احمد بر همه افزوده است ۲۰　　شد زمین و آسمان خندان وشاد　　کاینچنین شاهی زما دوجفت زاد
می شکاند[7] آسمان از شادیش　　خاك چون سوسن شد ازآزادیش ۲۱　　ظاهرت با باطنت ای خاك خوش　　چونکه در جنگند و اندر کشمکش
هر که با خود بهر حق باشد بجنگ　　تا شود معنیش خصم بو و رنگ ۲۲　　ظلمتش با نور او شد در قتال　　آفتاب جانش را نبود زوال
هر که کوشد بهر ما در امتحان　　پشت زیر پاش آرد آسمان ۲۳　　ظاهرت از تیرگی افغان کنان　　باطن تو گلستان در گلستان
قاصدا چون صوفیان رو ترش　　تا نیامیزند با هر نور کش ۲۴　　عارفان روترش چون خار پُشت　　عیش پنهان کرده در خار درشت
باغ پنهان کرده گل و[8] آن خارفاش　　کای عدوّ ورد زین در دورباش ۲۵　　خار پشتا خار حارس کردهٔ　　سر چو صوفی در گریبان بردهٔ
تا کسی در چاردانگ عیش تو　　کم شود زین گلرخان خار خو ۲۶　　طفل توگرچه که کودك خو بُدست　　هر دو عالم خود طفیل اوبدست
ما جهانی را بدو زنده کنیم ۲۷　　چرخ را در خدمتش بنده کنیم

نشان خواستن عبدالمطلب از موضع محمد علیه‌السلام که کجاش یابم و جواب از اندرون کعبه آمدن و نشان یافتن

گفت عبدالمطلب کاین دم کجاست　　ای علیم السّر نشان ده راه راست ۳۰　　از درون کعبه آوازش رسید　　گفت ای جویندهٔ طفل رشید
هاتفش گفتا مخور غم کاین زمان　　با تو زان شاه جهان بدهم نشان ۳۱　　در فلان وادیست زیر آن درخت　　پس روان شد زود پیر نیك بخت
در رکاب او امیران قُریش　　زانکه جدّش بود زاعیان قریش ۳۲　　تا بپشت آدم اسلافش همه　　مهتران رزم و بزم و ملحمه
این نسب خود قشر[9] اورا بوده‌است　　کز شهنشاهان مه پالوده است ۳۳　　مغز اوخود ازنسب دورست و پاك　　نیست جنسش از سمك کس تاسماك
نور حق را کس نجوید زاد و بود　　خلعت حق را چه حاجت تار و پود ۳۴　　کمترین خلعت که بدهد در ثواب　　بر فزاید بر طراز آفتاب[10]

بقیه قصهٔ دعوت سلیمان بلقیس را

خیز بلقیسا بیا و ملك بین　　بر لب دریای یزدان دُر بچین ۳۶　　خواهرانت ساکن چرخ سنی[11]　　تو بمرداری چه سلطانی کنی
خیز بلقیسا بیا دولت نگر　　جاودان از دولت ما بر بخور ۳۷　　خواهرانت را ز بخششها و داد　　هیچ میدانی که آن سلطان چه داد
خیز بلقیسا درآ در بحر جود　　هر دمی بردار بی سرمایه سود ۳۸　　خواهرانت جمله درعیش وطرب　　بر تو چون خوش گشت این رنج وتعب
خیز بلقیسا سعادت یار شو　　وز همه ملك سبا بیزار شو ۳۹　　تو ز شادی چون گدائی طبل زن　　که منم شاه و رئیس گولخن

مثل قائم شدن آدمی بدنیا و حرص او در طلب و غفلت او از دولت روحانیان که ابنای جنس وی اند و نعره زنان که یا لیت قومی یعلمون

آن سگی در کو گدائی کور دید　　حمله می آورد و دلقش می‌درید ۴۲　　گفته ایم این را ولی بار دگر　　شد مکرر بهر تأکید خبر[12]

---

۱ ـ شفیقت آورم ۲ ـ گو از کرم ۳ ـ زرّ کانست ۵ ـ که نواله ٦ ـ زمین ۷ ـ شد زمین چون ۸ ـ گرد باغ ۹ ـ پوست ۱۲ ـ نظر (ن . ل) .

---

(٤) قال النبی صلی‌الله علیه وآله وسلم الناس معادن کمعادن الذهب والفضه وچنانکه آب وگل باعتبار هیولویت از برای صورگوناگون آیت توحید است زر هم باعتبار قبول صور زیورها آیتی است (۱۰) طراز معانی بسیار دارد در فارسی وآنچه اینجا مناسب است دیبا وهمچنین کارگاه دیبا بافی وبنا براول اضافه اش بآفتاب از قبیل اضافه لجین الماء وذهب الاصیل است و بنا برثانی اضافه لامیه است و دیبا بافتن او بنا برثانی سبزه و ریاحین رویانیدن است بانبساط اشعه (۱۱) چرخ سنی یعنی فروزنده وروشن .

کور گفتش آخر آن یاران تو — بر کهند این‌دم شکار وصید جو ۱ — قوم تو در کوه میگیرند گور — در میان کوی میگیری تو کور
ترک این تزویر گو شیخ نفور — آب شوری جمع کرده چند کور ۲ — کاین مریدان من ومن آب شور — می خورند از من همی‌گردند کور
آب خود شیرین‌کن از بحر لدن — آب بدرا دام این‌کوران مکن ۳ — خیز شیران خدا بین گور گیر — تو چوسگ چونی بزرقی کورگیر
گور چه از صید غیر دوست دور — جمله شیر و شیرگیر ومست نور ۴ — در نظارهٔ صید و صیادی شه — کرده ترک صید و مرده در وله
همچو مرغ مرده‌شان بگرفته یار — تاکند او جنس ایشان را شکار ۵ — مرغ‌مرده مضطراندر وصل وبین[1] — خواندهٔ القلب بین الاصبعین[2]
مرغ مرده‌اش‌را هرآنکوشد شکار — چون ببیند شد شکار شهریار ۶ — هرکه او زین مرغ‌مرده سربتافت — دست آن صیاد را هرگز نیافت
گوید او منکر بمرداری من — عشق شه بین در نگهداری من ۷ — من نه مردارم مرا شه کشته‌است[3] — صورت من شبه مرده گشته است
جنبشم زین پیش بود ازبال وپر — جنبشم اکنون ز دست دادگر ۸ — جنبش فانیم بیرون شد زپوست[4] — جنبشم‌باقیست‌اکنون‌چون‌ازوست[5]
هرکه کج جنبد به پیش جنبشم — گرچه سیمرغست زارش میکشم ۹ — هین مرا مرده مبین گر زندهٔ — در کف شاهم نگر گر بندهٔ
مرده زنده کرد عیسی از کرم — من بکف خالق عیسی درم ۱۰ — کی بمانم مرده در قبضهٔ خدا — برکف عیسی مدار این هم روا
عیسیم لیکن هرآن کو یافت جان — از دم من او بماند جاودان ۱۱ — شد ز عیسی زنده لیکن باز مرد — شاد آنکو جان بدین عیسی سپرد
من عصایم درکف موسی خویش — موسیم پنهان و من پیدا بپیش ۱۲ — بر مسلمانان پل دریا شوم — باز بر فرعون اژدرها شوم
این عصا را ای پسر تنها مبین — که عصا بی‌کف حق نبود چنین ۱۳ — موج طوفان هم عصا بدکو ز درد — طنطنهٔ جادو پرستان را بخورد
❀ هم‌عصا بد باد براعدای هود — که برآورد از بقیهٔ عاد دود ۱۴ — ❀ هم عصائی بود پشه درنبرد — که برآورد از سر نمرود گرد
گر عصاهای خدا را بشمرم — زرق این فرعونیان را بردرم ۱۵ — لیك زین شیرین‌گیاه زهرمند[6] — ترك کن تا چند روزی میچرند
گر نباشد جاه فرعون و سری — از کجا یابد جهنم پروری ۱۶ — فربهش کن آنکهش‌کش ای قصاب — زانکه بی برگند در دوزخ کلاب
گرنبودی خصم ودشمن در جهان — پس بمردی خشم اندر مردمان ۱۷ — دوزخ‌آن خشم‌است بی‌خصم ایفلان — کی زید میرد ز نور مؤمنان
❀دوزخ‌آن‌خشمست‌وخصمی‌بایدش — تا زید ورنه رحیمی بکشدش ۱۸ — درجهان گر لطف بی‌قهری بدی — پس کمال پادشاهی کی شدی
ریشخندی‌کرده اند آن منکران[7] — بر مثلها و بیان ذاکران ۱۹ — تو اگر خواهی بکن هم ریشخند — چند خواهی‌زیست ای‌مردار چند
شاد باشید ای محبان در نیاز — برهمین درکاین[8]شود امروز باز ۲۰ — هرحریجی باشدش کردی دگر — در میان باغ از سیر و کبر
هریکی باجنس خود درکرد خود — از برای پختگی نم می خورد ۲۱ — تو که کرد زعفرانی زعفران — باش وآمیزش مکن با ضیمران[9]
آب میخور زعفرانا تا رسی — زعفرانی اندرآن حلوا رسی ۲۲ — تومکن درکرد شلغم پوز خویش — که[10]نگردد باتو او هم‌طبع وکیش
تو بکردی او بکردی مودعه — زانکه ارض الله آمد واسعه ۲۳ — خاصه آن ارضی‌که از پهناوری — در سفر گم میشود دیو و پری
اندرآن بحر و بیابان و جبال — منقطع می گردد اوهام و خیال ۲۴ — این بیابان در بیابانهای او — همچو اندر بحر پر یکتار[11] مو
آب استاده که سبزستش نهان — تازه ترخوش تر زجوهای روان ۲۵ — کودرون خویش چون‌جان وروان — سیر پنهان دارد و پای روان
مستمع خفته‌است کونه کن خطاب ۲۶ — ای‌خطیب این‌نقش‌کم‌کن توبرآب

❀ بقیهٔ دعوت سلیمان بلقیس راکه فرصت غنیمت است

❀ خیز بلقیسا که بازاریست تیز — زین خسیسان کساد افکن گریز ۲۸ — ❀ خیز بلقیسا کنون با اختیار — پیش ازآنکه مرگ‌آرد گیر و دار
❀ خیز بلقیسا بیا پیش از اجل — در نگر شاهی و ملك بی‌خلل[12] ۲۹ — ❀ خیز بلقیسا بجاه خود مناز — اندر این درگه نیاز آور نه ناز
❀ خیز بلقیسا و مسته با قضا — ور نه مرگ آید کشد گوش ترا ۳۰ — بعدازآن گوشت‌کشد مرگ آنچنان — که چودزدآئی‌بشحنه جان[13]کنان
زین خران تا چند باشی‌نعل‌دزد — گر همی دزدی بیا و لعل دزد ۳۱ — خواهرانت یافته ملك خلود — تو گرفته ملکت کور و کبود
ای‌خنك‌آنجان کزین‌ملکت‌بجست — کشته در باطن میان بوستان[14] ۳۲ — خیز بلقیسا بیا باری ببین — ملکت شاهان و سلطانان دین
میوها لابه کنان کز من بچر — ظاهرا حادی[15] میان دوستان ۳۳ — بوستان با او روان هرجا رود — لیك آن از خلق پنهان میشود
چون روان باشی روان وپای نه — آب حیوان آمده کز من بخور ۳۴ — طوف میکن برفلك بی پر وبال — همچوخورشید وچوبدر وچون‌هلال
هم توشاه وهم تولشکرهم توتخت — می‌خوری صد لوت ولقمه خای‌نه ۳۵ — نی نهنگ غم زند بر کشتیت — نی پدید آید ز مردن زشتیت
تو بمانی چون گدای[17] بینوا — هم تو نیکو بخت باشی هم تو بخت ۳۶ — گرتو نیکوبختی وسلطان زفت[16] — بخت غیرتست روزی بخت رفت
دولت خود هم تو باش ای مجتبی ۳۷ — چون‌توباشی بخت خود ای‌معنوی — پس‌توکه بختی زخود کی گم شوی
توزخودکی‌گم‌شوی[18]ای‌خوش‌خصال ۳۸ — چونکه عین تو ترا شد ملك ومال

---

۸ ـ که ۹ ـ دیگران ۱۰ ـ تا ۱۱ ـ یکتای ۱۲ ـ دغل ۱۳ ـ مو ۱۴ ـ گلستان ۱۵ ـ خاری ۱۷ ـ تو بماندی چون گدایان
۱۸ ـ کی شوی از خویش گم (ن . ل)

---

(۱) اشارتست بآنکه سالك در قبضهٔ قدرت حق باید بوده باشد کالمیت بین یدی‌الغسال وبین فراق است (۲) اشاره است بحدیث قلب‌المؤمن بین اصبعین من‌اصابع‌الرحمن یقلبه‌کیف یشاء (۳) اشاره است بحدیث قدسی من‌عشقنی عشقته ومن عشقته قتلته ومن قتلته فعلی دیته ومن‌علی دیته فانا دیته (٤) بتقریب‌آنکه از ابدال است وابدال‌را وجود مبدل شده است (٥) زیراکه بقای بعد الفنا ببقاءالله است (٦) کلام متعلق است بقولش میچرند واشاره‌است بآیهٔ فذرهم یأکلوا ویتمتعوا ویلههم‌الامل فسوف یعلمون ونیز بکریمهٔ فذرهم یخوضوا ویلعبوا حتی یلاقوا یومهم‌الذی یوعدون وشیرینی وزهرمندی امور دنیا است که بظاهر نوش وبباطن چندین نیش است ان‌الذین یأکلون اموال الیتامی انما یأکلون فی بطونهم ناراً و سیصلون سعیرا (۷) اشاره است بآیهٔ واقعه در سورهٔ بقره و اما الذین‌کفروا فیقولون ماذا اراداالله بهذا مثلا (۱٦) استدلالست برآنکه بخت انسان کامل ذاتی وداخلی است نه عارضی وخارجی اگر چنین بودی واین بخت روزی رفتی زیرا که العارض یزول و پیرایه خارجی فقر است نه بی نیازی ذر وقت زوال عارض تو بماندی چون گدایان بی‌نوا

بقیهٔ قصهٔ عمارت کردن سلیمان علیه‌السلام مسجد اقصی را بتعلیم و وحی خدا جهت حکمتها که او داند و معاونت ملائکه و دیو و پری و آدمی آشکارا

بعد ازآن آمد ندا از پیش تخت / بر سلیمان آن نبیّ نیك بخت ۳ / ای‌سلیمان مسجد اقصی بساز / لشکر بلقیس آمد در نماز
چونکه او بنیاد آن مسجد نهاد / جنّ وانس آمد بدن درکار داد ٤ / یك گروه ازعشق وقومی بی‌مراد / همچنانکه در ره طاعت عباد
خلق دیوانند و شهوت سلسله[1و2] / می‌کشدشان سوی دکّان و غله[3] ٥ / ❁هست این زنجیر ازخوف و وله / تو مبین این خلق را بی سلسله
هست آن بند وکمند آن خوفشان / نیستند این خلق بی بند نهان ٦ / میکشاندشان سوی کسب وشکار[4] / می‌کشدشان سوی کانها و بحار
می‌کشاندشان سوی نیك وسوی بد / گفت حق فی جیدها حبل المسد ۷ / قَدْ جَعلنا الحبلْ فیْ اَعناقِهم / وَاتخذنا الحبل مِن اخلاقِهم
لیسَ مِن مُستقذر مستنقه / قِطّ اِلا طائره فی عنقه ٥ ۸ / حرص تو درکاربد چون آتش‌است / اخگرازرنگ‌خوش‌آتش‌خوش‌است
آن سواد فحم در آتش نهان / چونکه آتش‌شد سیاهی شد عیان ۹ / اخگر از حرص تو شد فحم سیاه / حرص چون شد ماندآن فحم تباه
آن زمان آن فحم اخگر مینمود / آن نه حسن‌کار نار حرص بود ۱۰ / حرص کاوت را بیارائیده بود / حرص رفت و ماند کار تو کبود
غولهٔ[6] را که بیارائید غول / پخته پندارد کسی‌که هست گول[7] ۱۱ / آزمایش چون نماید جان او / کند گردد ز آزمون دندان او
از هوس آن دام دانه مینمود / عکس‌غول‌حرص وآن‌خود دام بود ۱۲ / حرص اندر کار دین و خیر جو / چون نماند حرص ماند نغزاو[8]
خیرها نغزند نی از عکس غیر / تاب حرص ار رفت ماند تاب خیر ۱۳ / تاب حرص ازکار دنیا چون برفت / فحم باشد مانده از اخگر بتفت
کودکان را حرص میآرد غرار / تا شوند ازذوق دل دامن سوار ۱٤ / چون زکودك رفت آن‌حرص بدش / بر دگر اطفال خنده آیدش
که چه میکردم چه می‌دیدم دراین / خل ز عکس حرص بنمود انگبین ۱٥ / آن بنای انبیا بی حرص بود / لاجرم پیوسته رونقها فزود
ای بسا مسجد بر آورده کرام / لیك نبود مسجد اقصاش نام ۱٦ / کعبه را کش هردمی عزّی فزود / آن ز اخلاصات ابراهیم بود
فضل‌آن‌مسجد زخاك‌وسنگ‌نیست / لیك در بنّاش حرص وجنگ‌نیست ۱۷ / نی کتبشان چون کتاب دیگران / نی‌مساجدشان نه‌کسب وخان‌ومان
نی ادبشان نی غضبشان نی نکال / نی نعاس ونی قیاس و نی مقال[9] ۱۸ / ❁ هریکی‌را داده حق درمرتبت / صد هزاران حشمت وهم مکرمت
هریکیشان را یکی فرّی دگر / مرغ جانشان طائر از پرّی دگر ۱۹ / دل همی لرزد ز ذکر حالشان / قبلهٔ افعال ما افعالشان
مرغشان‌رابیضها زرّین[10] بده‌است / نیمشب‌جانشان‌سحرگه بین شده‌است ۲۰ / هرچه گویم من بجان نیکوی‌قوم / نقص گفتم گشته ناقص گوی قوم
مسجد اقصی بسازید ای کرام / که سلیمان باز آمد والسّلام ۲۱ / ورازین دیوان و پریان سرکشند / جمله را املاك در چنبر کشند
دیو یکدم کج رود از مکر و زرق / تازیانه آیدش بر سر چو برق ۲۲ / چون سلیمان شوکه تا دیوان تو / سنگ برّند از پی ایوان تو
چون‌سلیمان‌باش بی‌وسواس وریو[11] / تا ترا فرمان برد جنّی و دیو ۲۳ / خاتم تو این دلست و هوش دار / تا نگردد دیو را خاتم شکار
پس سلیمانی کند بر تو مدام / دیو با خاتم حذر کن والسلام ۲٤ / آن سلیمانی دلا منسوخ نیست / در سرو سرّت سلیمانی کنیست
دیو هم وقتی سلیمانی کند / لیك هر جولاهه اطلس کی تند ۲٥ / دست جنباند چو دست او ولیك / در میان هردوشان فرقیست نیك
❁ در بیان این حدیث معنوی ۲٦ / یك حکایت بشنو اندر مثنوی

قصهٔ شاعر و صله دادن شاه و مضاعف کردن آن وزیر بوالحسن نام

شاعری آورد شعری پیش شاه / بر امید خلعت و اکرام و جاه ۲۸ / شاه مکرم بود و فرمودش هزار / از زر سرخ و کرامات[12] وتتار
پس وزیرش‌گفت این اندك بود / ده هزارش هدیه وا ده تا رود ۲۹ / ازچنوشاعر پس[13] ازتوبحردست / ده هزاری هم که گفتم اندکست
قصه گفت آن شاه را و فلسفه / تا بر آمد عشر خرمن از کفه ۳۰ / ده‌هزارش‌داد وخلعت دو خورش / خانهٔ شکر و ثنا گشت آن سرش
پس تفحص کرد کاین سعی‌که بود / شاه را اهلیّت من که نمود ۳۱ / پس بگفتندش فلان الدین وزیر / آن حسن نام وحسن خلق‌وضمیر
در ثنای او یکی شعری دراز / بر نوشت وسوی خانه رفت باز ۳۲ / بی زبان و لب همان نعمای شاه / مدح شه میگفت و خلعتهای شاه

باز آمدن شاعر بعد از چند سال بامید همان صله و هزار دینار فرمودن شاه بر قاعدهٔ خویش و گفتن وزیر نوهم حسن‌نام شاه را که‌این سخت بسیار است و ما را خرجهاست و خزینه خالی است و من اورا بده یك این زر خشنود کنم

بعد سالی چند بهر رزق و کشت / شاعر از فقر و عوز محتاج گشت ۳٦ / گفت وقت فقر و تنگیّ دودست / جست وجوی آزموده بهتر است
درگهی را کازمودم از کرم / حاجت نو را همان جانب برم ۳۷ / معنی الله گفت آن سیبویه / یؤلهون فی الحوائج هم لدیه[14]

---

۱ ـ همچو بند ۳ـ مکسب بی‌کمند ٤ ـ میکشد شان سوی کسب و سوی کار ٦ ـ غور ها ۷ ـ پلیدی ازفضول ۸ ـ باشد نغز رو ۹ ـ خیال ۱۲ ـ هدایا ۱۳ ـ نس

---

(۲) خلاصه آنست که کار ها بشوق و خوف نظم میگیرد بلکه بهمان شوق تنها چه خوف هم از شوق و عشق هر موجود است بخود که هر موجود خود را میخواهد وآنچه را میخواهد برای خود میخواهد پس شوق مانند ملکی‌است باعتبار جهت نورانیه اش که همهٔ جانها را زیراجنحه آورده است و در همه جا تصرّف دارد (٥) قرار داده‌ایم ریسمان درگردنهای ایشان و ریسمان را از خلق و خو های ایشان ساخته‌ایم نیست هیچ آلوده و پاك یعنی عاصی و مطیع هرگز مگر که نامهٔ اعمال او در گردن اوست (۱۰) کنایه از آفتاب است چنانچه بیضه های سیمین کنایه از ستارگانست و مراد تصرف مقربان خداست در سماویات چنانچه تصرف در مساجد و در کعبه تصرفشان بود در ارضیات خاصه تصرف ختم رسل‌که شق قمر وارجاع شمس فرمود (۱۱) یعنی اگر روح امری ولطیفهٔ ربانی قاهر شد وقوای تومقهور اومعنی ومن الجن من یعمل بین یدیه باذن ربه ومن یزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعیر بحصول پیوندد پس سگ غضب کلب معلم گردد وخنزیر شهوت غزال رام شود و معنی شیطانی اسلم علی یدی انجام پذیرد شیخ عطار فرماید دیو را وقتی که در زندان کنی باسلیمان قصد شاد روان کنی (۱٤) یعنی سیبویه معنی الله را مشتق از اله گرفته‌که بمعنی سرگشتگی باشد وواله یعنی همه سرگشته بسوی اویند در وقت حوائج .

گفت ألهنا فی حوائجنا الیك — والتمسناها وجدنا ها لدیك[1] — ۱ صد هزاران عاقل اندروقت درد — جمله نالان پیش آن دیّان فرد
هیچ دیوانه فلوی این کند — بر بخیلی عاجزی کدیه تند — ۲ گر ندیدندی هزاران بار بیش — عاقلان جان کی کشیدندش به‌پیش
بلکه جملهٔ ماهیان در موجها — جملهٔ پرّندگان بر اوجها — ۳ ❀ بلکه جمله موجها بازی‌کنان — ذوق وشوقش را عیان اندرعیان
پیل و گرگ و حیدر واشکارنیز — اژدهای زفت و مور و مار نیز — ٤ بلکه خاك وآب وباد وهم[2] شرار — مایه زو یابند هم دی هم بهار
هر دمش لابه کند این آسمان — که فرو مگذارم ای‌حق یك‌زمان — ٥ استن من عصمت وحفظ تواست — جمله مطوی یمین آن دو دست[3]
وین زمین گوید که دارم بر قرار — ای که بر آبم توکردی استوار[4] — ٦ جملگان کیسه ازو بر دوختند — دادن حاجت ازو آموختند
هر نبی زو بر آورده برات — استعینوا منه صبراً او صلات[5] — ۷ هین ازو خواهید نی از غیر او — آب دریم جو مجو در خشك جو
ور بخواهی از دگر هم او دهد — بر کف میلش سخا هم او نهد — ۸ آنکه معرض را ز زر قارون‌کند — رو بدو آری بطاعت چون کند
بار دیگر شاعر از سودای داد — رو بسوی آن شه محسن نهاد — ۹ هدیهٔ شاعر چه باشد شعر نو — پیش محسن آرد و بنهد گرو
محسنان با صد عطا و جود و برّ — زر نهاده شاعران را منتظر — ۱۰ پیششان شعری به‌ازصد تنگ‌شعر — خاصه شاعر کو گهر آرد ز قعر
آدمی اول حریص نان بود — زانکه قوت نان ستون جان بود — ۱۱ سوی‌کسب وسوی‌غصب وصدحیل — جان نهاده برکف ازحرص وامل
چون بنادر گشت مستغنی زنان — عاشق نامست و مدح شاعران — ۱۲ تا که اصل و نسل اورا بر دهند — در بیان فضل او منبر نهند
تا که کرّ و فرّ زر بخشیّ او — همچو عنبر بو دهد درگفت وگو — ۱۳ خلق ما برصورت خودکرد حق[6] — وصف ما از وصف اوگیرد سبق
چونکه‌آن خلاق‌شکروحمدجوست — آدمی را مدح جوئی نیز خوست — ۱٤ خاصه مرد حق که‌درفضلست چست — پرشودزان باد چون مشك[7] درست
ور نباشد اهل زان باد دروغ — خیك بدریده است کی‌گیرد فروغ — ۱٥ این مثل ازخود نگفتم ای رفیق — سرسری مشنو چو اهلی و مُفیق
این پیمبر گفت چون بشنیدقدح — که چرا فربه شود احمد بمدح — ۱٦ رفت شاعر سوی آن شاه وببرد — شعر اندر شکر احسان‌کان نمرد
محسنان مردند و احسانها بماند — ای خنك آنرا که این مرکب براند — ۱۷ ظالمان مردند و ماند آن ظلمها — وای جانی کو کند مکر و دغا[8]
گفت پیغمبر خنك آنرا که او — شد ز دنیا ماند ازو فعل نکو[9] — ۱۸ ❀ نام نیك او ز فعل نیك دان — پس نمرده است اویقین بنگرعیان
مرد محسن لیك احسانش نمرد — نزد یزدان دین واحسان‌نیست‌خرد — ۱۹ وای آنکو مُرد و عصیانش نمرد — تا نپنداری بمرگ او جان ببرد

❀ بردن شاعر شعر را سوی شاه وخسارت وزیر

این رها کن زانکه شاعر برگذر — وام دار است و قوی محتاج زر — ۲۱ برد شاعر شعر سوی شهریار — بر امید بخشش و انعام بار
نازنین شعری پر از دُرّ درست — بر امید و بوی اکرام نخست — ۲۲ بازشه[10] برخوی خود گفتش‌هزار — چون چنین بُد عادت آن شهریار
لیك این بار آن وزیر پر زجود — بر براق عز ز دنیا رفته بود — ۲۳ بر مقام او وزیر نو رئیس — گشته لیکن سخت بی‌رحم وخسیس
گفت ای شه خرجها داریم ما — شاعری را نبود این بخشش سزا — ۲٤ من بربع عشر آن ای مغتنم — مرد شاعر را خوش و راضی‌کنم
خلق گفتندش که اوازپیش‌دست — ده هزاری زین دلاور بُرده است — ۲٥ بعد شکر کلك خائی چون کند — بعد سلطانی گدائی چون کند
گفت بفشارم ورا اندر فشار — تا شود زار و نزار از انتظار — ۲٦ آنگه ار خاکش دهم ازراه من — در رُباید همچو گلبرگ از چمن
این بمن بگذار کاستادم در این — گر تقاضا گر بود هم آتشین — ۲۷ از ثریّا گر پرّد تا ثری — نرم گردد چون ببیند او مرا
گفت سلطانش بروفرمان تراست — لیك شادش کن که نیکوگوی ماست — ۲۸ گفت اوراودوصد چون‌اوگدا[11] — تو بمن بگذار و فارغ شو شها[12]
جنس او و همچو او سیصدهزار — تو رها کن برمن وبا من گذار — ۲۹ پس فکندش صاحب اندر انتظار — شد زمستان و دی و آمد بهار
❀ شاعرش‌چندانکه حاجت مینمود — صاحبش در وعده حیلت میفزود — ۳۰ شاعر اندر انتظارش پیر شد — پس زبون این غم و تدبیر شد
گفت اگر زرنه که دشنامم دهی — تا رهد جانم ترا باشم رهی — ۳۱ انتظارم کشت باری گو برو — تا رهد اینجان مسکین از گرو
بعد از آنش داد ربع عشر آن — ماند شاعر اندر اندیشهٔ گران — ۳۲ کانچنان نقد و چنان بسیار بود — این که دیر اشکفت دستهٔ خار بود
پس بگفتندش که آن دستور راد — رفت از دنیا خدا مزدت[13] دهاد — ۳۳ که مضاعف زو همی‌گشتی[14] عطا — کم همی افتاد در بخشش خطا
این زمان اورفت واحسان را ببرد — او نمرد الحق ولی‌احسان ببرد[15] — ۳٤ رفت از ما صاحب رادِ رشید — صاحب سلاخ درویشان رسید
روبگیر این‌را و زاینجا شب‌گریز — تا نگیرد با تو این صاحب ستیز — ۳٥ ما بصد حیلت ازاو این هدیه‌را — بستدیم ای بیخبر با جهد ها[16]
رو بایشان کرد وگفت ای مشفقان — از کجا آمد بگوئید این عوان — ۳٦ چیست نام این وزیر جامه کن — قوم گفتندش که نامش هم حسن
گفت یارب نام آن و نام این — چون یکی‌آمد دریغ ای ربّ دین — ۳۷ آن حسن‌نامی که از یك کلك او — صدوزیر وصاحب‌آمد جود جو[17]
این حسن‌کز ریش زشت این‌حسن — می‌توان بافید ای جان صد رسن — ۳۸ برچنین صاحب چوشه اصفا کند — شاه وملکش را ابد رسوا کند

مانستن بدرائی این وزیر دون در افساد مروّت شاه بوزیر فرعون یعنی هامان‌در افساد قابلیت فرعون

چند کرّت میشدی فرعون رام[18] — چون شنیدی او ز موسی‌آن‌کلام — ٤۰ آن کلامی که بدادی سنگ شیر — از خوشیّ آن کلام بی نظیر

---

۲ ـ هر ٤ـ کردستی سوار ۷ـ خیك ۸ـ دها ۱۰ـ شاه هم ۱۱ـ امید لیس ۱۲ ـ وین برمن نویس ۱۳ ـ مزدش ۱٤ ـ آنکه افزون زد همی شد این ۱٥ـ بمرد الحق ولی احسان نمرد ۱٦ـ ازجهد ما ۱۷ـ آید جود خو ۱۸ـ چند آن فرعون میشد نرم ورام (ن . ل) .

---

(۱) جزع میکنیم وعجز مینمائیم در حاجتهای خود بسوی تو ومیجوئیم از تو ومییابیم نزد تو (۲) اشاره است بمضمون آیه واقعه درسورهٔ زمر والسموات مطویات بیمینه (٥) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ بقره یا ایهاالذین آمنوا استعینوا بالصبر والصلوة (٦) اشاره است بحدیث نبوی ان الله خلق آدم علی صورته یعنی برصفات خود آفریده وجمیع صفات را در آدم تعبیه نموده جامی نیکو فرموده :

آدمی چیست برزخ جامع — صورت خلق و حق درو دافع — نسخهٔ مجمل است و مضمونش — ذات حق و صفات بیچونش
یك صفت نیست از صفات جدا — که درو ذات او بود پیدا — هم علیم است و هم سمیع و بصیر — متکلم مرید وحیّ و قدیر

(۹) اشاره است بحدیث نبوی اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلث صدقة جاریة او علم ینتفع به او ولد صالح یستغفرله .

چون بهامان مشورت کردی درآن ... مانعش گشتی مدام آن سخت جان ۱ چون بهامان که وزیرش بود او ... مشورت کردی که کینش بود خو
پس بگفتی تاکنون بودی خدیو ... بنده گردی ژنده پوشی را بریو ۲ همچو سنگ منجنیقی آمدی ... آن سخن برشیشه خانهٔ او زدی
هرچه صدروز آن کلیم خوش‌خطاب ... ساختی در یکدم اوکردی خراب ۳ عقل تو مغلوب دستور هواست ... در وجودت رهزن راه خداست
ناصحی ربّانی پندت دهد ... این‌سخن‌را او بفن طرحی نهد ٤ کاین نه برجایست هین ازجامشو ... نیست چندان باخودآ شیدا مشو
وای آن‌شه که وزیرش این بود ... جای هردو دوزخ پُرکین بود ٥ شاد آن شاهی که اورا دستگیر ... باشد اندرکار چون آصف وزیر
شاه عادل چون قرین او شود ... معنی[1] نور" علی نور این بود [2] ٦ چون‌سلیمان‌شاه وچون‌آصف‌وزیر ... نور برنور است و عنبر بر عبیر
شاه فرعون و چو هامانش وزیر ... هردو را نبود ز بدبختی گزیر ۷ پس بود ظلمات بعض فوق بعض [3] ... نی‌خرد یار ونه دولت روزعرض [4]
من ندیدم جز شقاوت در لئام ... گر تو دیدستی رسان از من سلام ۸ همچوجان‌باشدشه وصاحب چوعقل ... عقلِ فاسد روح را آرد بنقل
آن فرشتهٔ عقل چون هاروت شد ... سحر آموز دو صد طاغوت شد ۹ عقل جزوی را وزیر خود مگیر ... عقل‌کلرا ساز ای سلطان وزیر
مرهوا را تو وزیر خود مساز[5] ... که برآید جان پاکت از نماز ۱۰ کاین‌هوا پرحرص وحالی بین‌بود ... عقل را اندیشه یوم الدین بود
عقل را دو دیده در پایان کار ... بهرآن گل میکشد او رنج خار ۱۱ که نفرساید نریزد هر[6] خزان ... باد هرخرطوم اخشم دور ازآن
ور چه عقلت هست با عقل دگر ... یار باش و مشورت کن ای پدر ۱۲ با دو عقل از بس[7] بلاها وارهی ... پای خود بر اوج گردونها نهی

نشستن دیو بر مقام سلیمان علیه السلام و تشبیه کردن او بکارهای سلیمان علیه‌السلام و فرق ظاهر میان هردو سلیمان و دیو خویشتن را سلیمان بن داود نام کردن

دیو گر خود را سلیمان نام کرد ... مُلك برد ومملکت را رام کرد ۱۵ صورت کارِ سلیمان دیده بود ... صورت اندر سرّ دیوی مینمود
خلق‌گفتند این سلیمان بی‌صفاست ... از سلیمان تا سلیمان فرقهاست ۱٦ اوچوبیداریست این‌همچون‌وسن[8] ... همچنانکه آن حسن با این حسن
دیو میگفتی که حق بر شکلِ من ... صورتی کردست خوش بر اهرمن ۱۷ دیورا حق صورت من داده‌است ... تا بیندازد شمارا او بشست
گر پدید آید بدعوی زینهار ... صورت اورا مدارید اعتبار ۱۸ دیوشان ازمکر این میگفت لیك ... مینمود این عکس بردلهای نیك
نیست بازی با ممیز خاصه او ... که بود تمییز و عقلش غیب گو ۱۹ هیچ سحر و هیچ تلبیس دغل ... می نه بندد پرده بر اهل دول
پس همی‌گفتند باخود در جواب ... بازگونه میروی ای کج خطاب ۲۰ بازگونه رفت خواهی همچنین ... سوی دوزخ اسفل اندر سافلین
او اگر معزول گشته‌است و فقیر ... هست در پیشانیش بدر منیر ۲۱ تو اگر انگشتری را بردهٔ ... دوزخی چون زمهریر افسردهٔ
ما بپوش وعارض وطاق وطرنب ... سرکجا که خود همی‌ننهیم سنب[9] ۲۲ ور بغفلت ما نهیم اورا جبین ... پنجهٔ مانع برآید از زمین
که منه این‌سر مراین‌سر زیر را ... هین مکن سجده مراین ادبیر را ۲۳ کردمی من شرح این بس جانفزا ... گر نبودی غیرت و رشك خدا
هم قناعت کن تو بپذیر این قدر ... تا بگویم شرح این وقت دگر ۲٤ نام خود کرده سلیمان نبیّ ... روی پوشی میکند بر هر صبی
درگذر از صورت و از نام خیز ... از لقب وز نام در معنی گریز ۲٥ پس بپرس ازحدّ[10] او وز فعل‌او ... درمیان حد[10] و فعل اورا بجو
گارهرکس‌نیست‌هین‌درکش‌زمام ... مسجد اقصی بساز و کن تمام ۲٦ شد تمام القصه مسجد نی‌فتور ... بد سلیمان زائر و مسجد مزور

درآمدن سلیمان علیه‌السلام هرروز در مسجد اقصی بعداز تمام شدن جهت عبادت وارشاد عابدان ومعتکفان ورستن عقاقیر در مسجد

چون سلیمان نبی شاه انام ... ساخت مسجد را و فارغ شد تمام ۲۹ هر صباح او را وظیفه این بدی ... کامدی در مسجد اقصی شدی
نو گیاهی رسته بودی اندرو ... پس بگفتی نام و نفع خود بگو ۳۰ تو چه داروئی چهٔ نامت چی‌است ... این زیان و سود توگوبرکی‌است
می[11] بگفتی هرگیاهی فعل و نام ... که من آن را جانم و این‌راحمام ۳۱ من مرآن را زهرم واین‌راشکر ... نام من این است بر لوح قدر
پس‌سلیمان با حکیمان زان‌گیا ... شرح کردی ضرّ و نفعش ای‌گیا ۳۲ آن طبیبان از سلیمان زان‌گیا ... عالم و دانا شدند و مقتدی
تا کتبهای طبیبی ساختند ... جسم را از رنج می پرداختند ۳۳ این نجوم وطبّ وحی انبیاست ... عقل وحس‌راسوی بیسوره‌کجاست
عقل‌جزوی عقل استخراج‌نیست[12] ... جز پذیرای فن و محتاج نیست ۳٤ قابل تعلیم و فهمست این خرد ... لیك صاحب وحی تعلیمش دهد
جمله حرفتها یقین از وحی بود ... اوّلِ او لیك عقل آن را فزود ۳٥ هیچ حرفت را بیین‌کاین عقلِ‌ما ... تاند او آموختن بی اوستا
گرچه اندرمکر[13] موی‌اشکافُ بد ... هیچ پیشه رام بی استا نشد ۳٦ دانش پیشه ازاین عقل ارُبدی ... پیشهٔ بی اوستا حاصل شدی

آموختن پیشهٔ گور کنی قابیل از زاغ پیش از آنکه در عالم حرفه گورکنی وگور بود

کندن گوری که کمتر پیشه بود ... کی زفکر وحیله و اندیشه بود ۳۸ گر بدی این فهم مر قابیل را ... کی نهادی بر سر او هابیل را

---

۱ ـ نام آن ٦ ـ در ۷ ـ عقلی از ۹ ـ دنب ۱۰ ـ خلق ۱۱ ـ پس ۱۳ ـ فکر (ن . ل)

(۲) اشاره است بآیه نور که نور" علی نور یهدی‌الله لنوره من یشاء ومنظور تنظیر است یا مراد آنکه آیت‌کبری میشود برای نور علی نور ربوبی (۳) ایضاً درسورهٔ نور واقع‌شده ظلمات بعضهافوق بعض تاریکیهاست بعضی‌بالای بعضی متراکم شده یعنی تاریکی بحر و تاریکی موج اول وتاریکی موج ثانی وتاریکی سحاب (٤) روز ظهور و بروز عند الله کما قال‌الله تعالی و برزوالله الواحدِ القهاریا از عرض الامیر الجند باشد یعنی عین امرهم و اختبر حالهم پس مراد عرضی است که یکی از مواقف حشر است واو عرض خلایق است تا شناخته شود اعمالشان (٥) از عقل جزئی بهوا تعبیر فرمود چونکه عقل جزئی آمیخته بهواست و چون هوا غالب شد اومسمی بهوا میگردد تغلیباً چنانکه در حدیث ازعقول جزئیه باوهام تعبیرشده مثل قول حضرت باقرکلما میزتموه باوهامکم فی‌ادق معانیه فهومخلوق مثلکم مردود الیکم‌الحدیث وچون مولوی ازعقل‌جزئی بهوا تعبیر نمود ثانیاً از عقل صرف وعقل کل بعقل مطلق تعبیر فرمود که هوا عاجل بین است وعقل صرف آجل بین ودر اندیشه یوم‌الدین است و دودیده‌اش در پایان کار و بهر آن گل متحمل زخم خار است (۸) وسن اول خواب است و پینکی زدن را هم گویند (۱۲) عقل جزئی استخراج، نمیتواند که از آنجا بی‌واسطه فیض‌گیرد مگر قوهٔ پذیرائی فن دارد ومحتاج است بآموختن از دیگر کس

که کجا غائب کنم این کشته را — این بخون و خاك در آغشته را ۱ دید زاغی زاغ مرده در دهان[1] — بر گرفته در هوا گشته پران
از هوا زیر آمد و شد او بفن — از پی تعلیم او را گور کن ۲ پس بچنگال اززمین انگیخت گرد — زود زاغ مرده را در گور کرد
دفن کردش پس بپوشیدش بخاك — زاغ از الهام حق بُد علمناك ۳ گفت قابیل آه شه بر عقل من — که بود زاغی ز من افزون بفن
عقل کُل را گفت ما زاغ البصر — عقل جزوی میکند هر سو نظر ٤ عقل ما زاغست[2] نور خاصگان[3] — عقل زاغ استاد گور مرده دان
جان که او دنبالهٔ زاغان پرد — زاغ او را سوی گورستان برد ۵ هین مرو اندر پی نفس چو زاغ — کو بگورستان بردنی سوی باغ
گر روی رو در پی عنقای دل — سوی قاف و مسجد اقصای دل ٦ نوگیاهی هر دم از سودای تو — می دمد در مسجد اقصای تو
تو سلیمان وار دادِ او بده — پی بر ازوی پای رد بر وی منه ۷ زانکه حال[4] این زمین با ثبات — باز گوید با تو ز انواع نبات
درزمین گر نیشکرورخودنی است — ترجمان هر زمین نبت وی است ۸ پس زمین دل که نبتش فکر بود — فکر ها اسرارِ دل وا مینمود[5]
گر سخن کش یابم اندر انجمن — صدهزاران گل برویم زین چمن[6] ۹ ورسخن کش یابم آندم زن بمزد — میگریزد نکته‌ها ازدل چو[7] دزد
❀مستمع چون نیست خاموشی به است — نکته از نااهل اگر پوشی به است ۱۰ جنبشِ هر کس بسوی جاذبست — جذبِ صادق نی چوجذب کاذبست
می روی که گمره و که در رشد — رشته پیدا نی وآن کت می کشد ۱۱ اشتر کوری مهار تو متین[8] — تو کشش می بین مهارت را مبین
گر شدی محسوس جذّاب ومهار — پس نماندی این جهان دارالفرار ۱۲ گبر دیدی کو پیِ سگ میرود — سخرهٔ دیوِ ستنبه میشود
در پی اوکی شدی مانند حیز[9] — پایِ خود واپس کشیدی گبر نیز[10] ۱۳ گاو اگر واقف زقصّابان بُدی — کی پی ایشان بدان دکان شدی
یا بخوردی ازکف ایشان سبوس — یا بدادی شیرشان از چاپلوس ۱٤ وربخوردی کی علف هضمش شدی — گر ز مقصود علف واقف بُدی
پس ستون این جهان خود غفلت است — چیست دولت کاین دوا دوبالتست ۱۵ اوّلش دو دو بآخر لت بخور — جز درین ویرانه نبود مرگ خر
تو بجد کاری که بگرفتی بدست — عیبش این دم برتوپوشیده شدست ۱٦ زان همی تانی بدادن تن بکار — که بپوشید از تو عیبش کردگار
همچنین هر فکر که گرمی در آن — عیب آن فکرت شدست ازتو نهان ۱۷ برتوگرپیدا شدی زان عیب وشین — زان رمیدی جانت بُعدالمشرقین
حال کاخر زان پشیمان میشوی — گر بود اینحالت اوّل کی روی ۱۸ پس بپوشید اوّل آن برجانِ ما — تا کنیم آن کار بر وفق قضا
چون قضا آورد حکم حق پدید — چشم واگشت و پشیمانی رسید ۱۹ آن پشیمانی قضای دیگرست — پس پشیمانی بهل حق را پرست
ور کنی عادت پشیمان خورشوی — زان پشیمانی پشیمان تر شوی ۲۰ نیم عمرت در پریشانی رود — نیم دیگر در پشیمانی رود
ترکِ این فکر و پشیمانی بگو — حال وکار و یار[11] نیکوتر بجو ۲۱ ور نداری کارِ نیکو تر بدست — پس پشیمانیت بر فوت چه است
گر همی دانی ره نیکو پرست — ور ندانی چون بدانی کاین بدست ۲۲ بد ندانی تا ندانی نیك را — ضد را از ضد توان دید ای فتی
چون زترك فکر این عاجز شدی[12] — از گنه آنگاه هم عاجز بدی ۲۳ چون بدی عاجز پشیمانی زچیست — عاجزی را باز جوکز جذبِ کیست
عاجزی بی قادری اندر جهان — کس ندیدست و نباشد این بدان ۲٤ همچنین هر آرزو که میبری — تو ز عیب آن حجابی اندری
ور نبودی علّتِ آن آرزو — خود رمیدی جان توزان جست وجو ۲۵ گر نبودی عیب آن کار او ترا — کس نبردی کش کشان آن سو ترا
وان دگر کاری کز آن هستی نفور — زان بودکه عیبش آمد در ظهور ۲٦ ای خدای رازدانِ خوش سخن — عیب کار بد ز ما پنهان مکن[13]
عیب کار نیك را منما بما — تا نگردیم از روش سرد و هبا ۲۷ هم برآن عادت سلیمان سنیّ — رفت در مسجد میان روشنی
قاعدهٔ هر روز را می جست شاه — که ببیند مسجد اندر نوگیاه ۲۸ دل ببیند سرّ بدان چشم صفی — آن خشایش که شد از عامه خفی

قصهٔ صوفی که در میان گلستان سر بر زانو مراقب بود یارانش گفتند سر بر آورتفرج کن برگلستان و ریاحین و مرغان و آثار رحمةالله تعالی که فانظروا الی آثار رحمةالله

صوفئی در باغ از بهر گشاد — صوفیانه روی بر زانو نهاد ۳۱ پس فرو رفت اوبخود اندرفضول — شد ملول ازصورت خوابش فضول
که چه خسبی آخر اندر رز نگر — این درختان بین و آثار خضر ۳۲ امر حق بشنو که گفتست انظروا — سوی این آثارِ رحمت آر رو[14]
گفت آثارش دلست ای بوالهوس — آن برون آثارِ آثار است و بس ۳۳ باغها و سبزها در عینِ جان — بربرون عکسش چو درآبِ روان
آن خیال باغ باشد اندر آب — که کند ازلطفِ آب آن اضطراب ۳٤ باغها و میوها اندر دلست — عکسِ لطف آن برین آب وگلست
گرنبودی عکس آن سرّ و سرور — پس نخواندی ایزدش دارالغرور ۳۵ این غرور آنست یعنی این خیال — هست از عکس دل وجان رجال
جمله مغروران برین عکس آمده — بر گمانی کاین بود جنّت کده ۳٦ میگریزند از اصول باغها — بر خیالی میکنند آن لاغها
چونکه خواب غفلت آیدشان بسر — راست بینند وچه سودست ازنظر ۳۷ پس بگورستان غریو افتاد و آه — تا قیامت زین غلط وا حسرتاه

---

۳ ـ جاودان ٤ ـ خاك ۵ ـ دل را وا نمود ٦ ـ بشکفم مانند گلهای چمن ۷ ـ معنی از پیشم گریزد همچو ۸ ـ رهین ۹ ـ همچون اسیر ۱۰ ـ طفل وپیر ۱۱ ـ بار (ن . ل)

---

(۱) ترجمه آیه واقعه در سورهٔ مائده است فبعث الله غراباً یبحث فی الارض لیریه کیف یواری سواة اخیه قال یاویلتا اعجزت ان اکون مثل هذا الغراب فاواری سواة اخی فاصبح من النادمین (۲) اشاره است بآیه ما زاغ البصر و ماطغی یعنی شك و شبهه نکرد چشم پیغمبر (۱۲) یعنی چون ازترك فکر پشیمانی عاجز شدی واز ترك گناه هم آنگاه که مرتکب شدی عاجز بودی پس باوجود عجز این پشیمانی از چیست چه درامری که اختیار نباشد پشیمانی راه ندارد پس بازجوکه عجز تو از جنب کیست که هیچ متهور بی قاهر نیست پس معلوم شد که همه بقضای الهی است پس باید تو مثل میت بین یدی الغسال باشی وهستی تو در هست حق نیست باشد : شعر این نیست که هست مینماید بگذار ❀ وان هست که نیست مینماید بطلب ❀ و باید بدانی که خداوند جل شأنه را دو قضا است قضای حتمی و آن در مقضیات غیر افعال عباد است و قضای تعلیقی و آن در مقضیاتیست که افعال عباد است چه معلق است بر اراده واختیار عباد و اراده و اختیار آنان هم قضای دیگر است چنانکه مولوی در پشیمانی فرمود پس این مقهوریت وعبدیت محض است نه جبر (مرحوم حاجی) (۱۳) اشاره است بمضمون حدیث ارنا الاشیاء کما هی (۱٤) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ روم « فانظر الی آثار رحمةالله کیف یحیی الارض بعد موتها ان ذلك لمحیی الموتی وهو علی کلّ شیءٍ قدیر » .

ای خنك آنرا که پیش ازمرگ مرد ۱ یعنی[1] اوازاصل این رز بوی برد

قصه رستن خرّوب در گوشهٔ مسجد اقصی و غمگین شدن سلیمان علیه‌السلام از آن چون بسخن آمد با او وخاصیت و نام خود بگفت

۴ همچنان روزی سلیمان ازقضا / شد بعادت مسجد اندر ای فتی
۵ دید بس نادر گیاهی سبز و تر / می ربود آن سبزیش نورازبصر
۶ گفت نامت چیست بر گو بی‌دهان / گفت خرّوبست ای‌شاه جهان
۷ من که خرّوبم خرابِ منزلم / هادم بنیاد این آب و گلم
۸ گفت تا من هستم این‌مسجد یقین / در خلل ناید ز آفات زمین
۹ پس خراب[3] مسجد ما بی‌گمان / نبود الاّ بعد مرگِ ما بدان
۱۰ یار بد چون رست در تو مهراو / هین ازو بگریز وکم کن گفت وگو
۱۱ عاشقا خرّوب تو آمد کژی / همچوطفلان سوی کژ چون می‌غژی
۱۲ چون بگوئی جاهلم تعلیم ده / این چنین انصاف از ناموس به
۱۳ نی بهانه کرد و نی تزویر ساخت / نی لوای مکر و حیلت برفراخت
۱۴ رنگ رنگ تست صباغم توئی / اصل جرم و آفت و داغم توئی
۱۵ بر درخت جبر تا کی بر جهی / اختیار خویش را یکسو نهی
۱۶ ❀ چون‌بوداکراه‌باچندین خوشی / که تو در عصیان همی دامن کشی
۱۷ بیست مرده جنگ میکردی درآن / کت همی دادند پند آن دیگران
۱۸ کی چنین گویدکسی کومکره است / چون‌چنین‌جنگدکسی‌کو بی‌ره‌است
۱۹ داند او کونیك بخت و محرمست / زیرکی زابلیس وعشق ازآدمست
۲۰ هِل سباحت را رها کن کبر وکین / نیست‌جیحون‌نیست‌جو دریاست‌این
۲۱ عشق چون کشتی بود بهرخواص / کم بود آفت بود اغلب خلاص
۲۲ عقل قربان کن به پیش مصطفی / حسبی‌الله گو که لله ام کفی
۲۳ که بر آیم بر سر کوه مشید / منت نوحم چرا باید کشید
۲۴ چون نباشد منتش بر جان ما / چونکه شکر و منتش گوید خدا
۲۵ کاشکی او آشنا ناموختی / تا طمع در نوح و کشتی دوختی
۲۶ یا بعلم نقل کم بودی ملیّ / علم وحی دل ربودی از ولی
۲۷ خویش ابله‌کن تبع میرو سپس[11] / رستگی زین ابلهی یابیّ و بس
۲۸ اکثر اهل الجنة البله ای پدر / بهر این گفتست سلطان البشر
۲۹ ابلهی نی کو بسخرگی دوتوست / ❀ ابلهی نی‌کزشقاوت مال‌جوست
۳۰ ابلهانند آن زنان دست بُر / ازکف ابله وز رخ یوسف نذر
۳۱ عقلها آن سو فرستاده عقول / مانده‌این‌سوآنکه‌گولست‌وفضول[14]
۳۲ نیست آن‌سو رنج فکرت بردماغ / کز دماغ و عقل روید دشت‌وباغ
۳۳ اندرین‌ره ترك‌کن طاق و طُرنب / تا قلاوزت نجنبد تو مجنب
۳۴ کجرواست وکوروزشت‌وزهرناك / پیشهٔ او خستن جانهای[15] پاك
۳۵ خود صلاح[16] اوست‌آن سرکوفتن / تا رهد جان ریزه‌اش زین‌شوم‌تن
۳۶ چون سلاحش‌هست وعقلش‌نی‌بیند / دستِ او را ورنه آرد صد گزند

نو گیاهی[2] دید اندر گوشهٔ / رسته بر وی دانه همچون خوشهٔ
پس سلامش‌کرد درحال‌آن‌حشیش / اوجوابش‌گفت‌وشکفت‌ازخوشیش
گفت اندر تو چه خاصیّت بود / گفت من رستم مکان‌ویران شود
پس‌سلیمان آن زمان دانست زود / که اجل آمد سفر خواهد نمود
تا که من باشم وجود من بود / مسجد اقصی مخلخل کی شود
مسجدست‌این‌دل‌که‌جسمش‌ساجدست / یارِ بد خرّوب هر جا مسجدست
برکن از بیخش که گرسر برزند / مر ترا و مسجدت را برکند
خویش رانادان ومجرم‌دان بترس / تا ندزدد از تو این استاد درس
از پدر آموز ای روشن جبین / ربّنا گفت و ظلمنا پیش ازین[4]
باز آن ابلیس بحث آغاز کرد / که بُدم من سرخ رو کردیم زرد
هین بخوان ربّ بما أغویتنی[5] / تا نگردی جبری و کژ کم تنی
همچو آن ابلیس و ذرّیات او / با خدا درجنگ واندر گفت‌وگو
آنچنان خوش‌کس رود درمُکرهی / کس چنان رقصان رود درگرهی
که صواب اینست‌وراه اینست‌وبس / کی زند طعنه مرا جز هیچکس
هرچه نفست خواست‌داری اختیار / هرچه‌عقلت خواست‌آری اضطرار
زیرکی آمد سباحت[6] در بحار[7] / کم رهد غرقست او پایانِ کار
وانگهان دریای ژرف بی پناه / در رباید هفت دریا را چو کاه
زیرکی بفروش و حیرانی بخر / زیرکی ظنّست و حیرانی نظر
همچو کنعان سر زکشتی وامکش / که غرورش داد نفس زیرکش
چون رهی از منتش ای بی‌رشد / که خدا هم منت او میکشد[8]
تو چه دانی ای غرارهٔ پر حسد / که نهادن منت اورا میرسد[9]
کاش چون‌طفل ازحیل جاهل‌بدی / تا چوطفلان[10] چنگ درمادر زدی
چون تیمم با وجود آب دان / علم نقلی با دم قطب زمان
با چنین نوری چوپیش‌آری‌کتاب / جانِ وحی آسای او آرد عتاب
زیرکی چون باد کبر انگیز تست / ابلهی شو تا بماند دین[12] درست
ابلهی کو واله و حیران هوست / ❀ باشد‌اندرگردنِ اوطوق‌دوست
عقل‌راقربان‌کن‌اندرعشق دوست[13] / عقلها باری ازآن سویست‌کوست
زین سراز حیرت‌گراین‌عقلت‌رود / هر سر مویت سر و عقلی شود
سوی دشت از دشت نکته بشنوی / سوی باغ آئی شود نخلت رویّ
هر که او بی سر بجنبد دم بود / جنبشش چون جنبش کژدم بود
سربکوب آن راکه سرش‌این بود / خلق وخوی مستمرّش این بود
وا ستان از دست دیوانه سلاح / تا ز تو راضی شود عدل وصلاح

بیان آنکه حصول علم و مال و جاه مر بدگوهر را فضیحت اوست و چون شمشیر است افتاده بدست راه زن

۳۸ بدگُهر راعلم وفن آموختن[17] / دادن تیغ است دست راهزن
۳۹ تیغ دادن در کف زنگیّ مست / به که آید علم ناکس[18] را بدست

---

۱ ـ جان ۲ ـ پس‌سلیمان ۳ ـ زانکه هدم ۶ ـ سباحی آمد ۹ ـ منت اورا خدا هم میکشد ۱۰ ـ زعجز او ۱۱ ـ زپس ۱۲ ـ دل
۱۴ ـ نه معشوقست گول ۱۵ـ اجسام ۱۶ ـ سلاح ۱۸ـ نادان (ن . ل)

---

(۴) اشاره است بآیه شریفه ربّنا ظلمنا انفسنا فان لم تغفر لنا و ترحمنا لنکونن من‌الخاسرین که حضرت آدم در مقام توبه و انابت عرض نمود (۵) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ اعراف قال فبما اغویتنی لاقعدن لهم صراطك‌المستقیم (۷) زیرکی در دریاها شناوری است (۸) بدانکه منت بمعنی نعمت و بمعنی احسان درقرآن وادعیه بسیار آمده ومنان از دومی مأخوذ است‌که اسم شریف خداست ومولوی هم این معنی را مراد دارد چه منت بمعنی تعداد منعم نعم خودرا برمنعم علیه واستعظام آن ازصفات رذیله است وواجب است تنزیه خدا وبندگان مقربش ازآنچه باید متخلق باخلاق‌الله باشد پس منت نوح عبارت ازاحسان اوست بقوم خود ومنت کشیدن خدا جزا دادن احسان اوست ودیگر آنکه خدارا بندگانی میباشند که فانی دراویند و ازکمال اتصال معنوی فعل و انفعال منسوب بآنهارا بخود نسبت داده پس قبول کردن بندهٔ خدا احسان نوح را قبول کردن خداست (۱۳) ازرباعیات ابی سعید ابی الخیراست تا درطلب وصال جانانه شدیم اول قدم از وجود بیگانه شدیم او علم نمی‌شنید لب بر بستیم او عقل نمیخرید دیوانه شدیم (۱۷) اشاره است بحدیث نبوی که واضع العلم عند غیر اهله کمقلد الخنازیر الجوهر واللؤلؤ والذهب

علم و مال ومنصب وجاه و قران — فتنه آرد در کف بدگوهران ۱ — پس غزا زین فرض شد بر مؤمنان — تا ستانند از کف مجنون سنان
جاه او مجنون تنش شمشیر او — واستان شمشیر را زان زشت خو ۲ — آنچه منصب میکند با جاهلان — از فضیحت کی کند صد ارسلان
عیب او مخفیست چون آلت نیافت — مارش از سوراخ برصحرا شتافت ۳ — جمله صحرا مار و کژدم پر شود — چونکه جاهل شاه حکم مرشود
چون قلم دردست غدّاری فتاد — لاجرم منصور بر داری فتاد ۴ — مال ومنصب ناکسی کارد بدست — طالب رسوائی خویش اوشده است
یا کند بخل و عطاها کم دهد — یا سخا آرد بنا موضع نهد ۵ — شاه را در خانهٔ بیدق نهد [1] — این چنین باشد عطا کاحمق دهد
حکم چون در دست گمراهی فتاد — جاه پندارید و در چاهی فتاد ۶ — ره نمیداند قلاووزی کند — جان زشت او جهان سوزی کند
طفل راه فقر چون پیری گرفت — پی روانرا غول ادباری گرفت ۷ — که بیا تا ماه بنمایم ترا — ماه را هرگز ندید آن بی صفا [2]
چون نمائی چون ندیدستی بعمر — عکس مه درآب هم ای خام غمر ۸ — احمقان سرور شدستند و ز بیم — عاقلان سر ها کشیده در گلیم

بیان تفسیر آیهٔ شریفه یا ایّهاالمزّمل

خواند مزّمل نبی را زین سبب — که برون آ ازگلیم ای بوالهرب ۱۰ — سرمکش اندر گلیم و رو مپوش — که جهان جسمیست سرگردان توهوش
هین مشو پنهان زننگ مدّعی — که تو داری شمع [3] وحی شمشمی ۱۱ — هین قم اللیل که شمعی ای همام — شمع دائم شب بود اندر قیام
بی فروغت روز روشن هم شب است — بی پناهت شیر اسیر ارنب است ۱۲ — باش کشتیبان درین بحر صفا — که تو نوح ثانیی ای مصطفی
ره شناسی می بباید با لُباب — هر رهی را خاصه اندر راه آب ۱۳ — خیز و بنگر کاروان ره زده — غول کشتیبان این بحر آمده [4]
خضر وقتی غوث هر کشتی توئی — همچو روح الله مکن تنها روی ۱۴ — پیش این جمعی چو شمع آسمان — انقطاع و خلوت آن را بمان
وقت خلوت نیست اندر جمع آی — ای هدی چون کوه قاف وتوهمای ۱۵ — بدر برصدر فلك شد شب روان — سیر را نگذارد از بانگ سگان
طاعنان همچون سگان بر بدر تو — بانگ میدارند سوی صدر تو ۱۶ — این سگان کرّند ز امر انصتوا — از سفه وعوع کنان بر بدر تو
هین بمگذار ای شفا رنجور را — تو ز خشم کر عصای کور را ۱۷ — نی تو گفتی قائد اعمی براه — صد ثواب و اجر یابد از اله
هرکه او چل گام کوری را کشد [5] — گشت آمرزیده و یابد رشد ۱۸ — پس بکش تو زین جهان بی قرار — جوق کوران را قطار اندر قطار
کار هادی این بود تو هادئی — ماتم [6] آخر زمان را شادئی ۱۹ — هین روان کن ای امام المتقین — این خیال اندیشگان را تا یقین
هرکه در مکر تو دارد دل گرو — گردنش را من زنم تو شاد شو ۲۰ — بر سر کوریش کوریها نهم — او شکر پندارد و زهرش دهم
عقلها از نور من افروختند — مکرها از مکر من آموختند [7] ۲۱ — چیست خود آلاچق آن ترکمان — پیش پای نرّه پیلان جهان
آن چراغ او به پیش صرصرم — خود چه باشد ای مهین پیغمبرم ۲۲ — خیز در دم تو بصور سهمناك — تا هزاران مرده بر روید زخاك
چون تو اسرافیل وقتی راست خیز — رستخیزی ساز پیش از رستخیز ۲۳ — هرکه گوید کو قیامت ای صنم — خویش بنما که قیامت نك منم [8]
در نگر ای سائل محنت زده [9] — زین قیامت صد جهان قائم شده [10] ۲۴ — ور نباشد اهل این ذکر وقنوت — پس جواب الاحمق ای سلطان سکوت
زآسمان حق سکوت آید جواب — چون بود جانا دعا نا مستجاب ۲۵ — ای دریغا وقت خرمن گاه شد — لیك روز از بخت ما بیگاه شد
وقت تنگست وفضای [11] این کلام — تنگ میآید براو عمر دوام ۲۶ — نیزه بازی اندرین کوهای تنگ — نیزه بازان را همی آرد بننگ
وقت تنگ و خاطر و فهم عوام — تنگتر صدره زوقت است ای غلام ۲۷ — چون جواب احمق آمد خامشی — این درازی درسخن چون میکشی
حق ز بحر رحمت و موج کرم — می دهد هرشوره را باران زیم [12] ۲۸

در بیان آنکه ترك الجواب جواب مقرر این سخن که جواب الاحمق سکوت ، شرح این هر دو در این قصه است که گفته می آید

پادشاهی بود و او را بندهٔ — مُرده عقلی بود و شهوت زندهٔ ۳۱ — خُرد های خدمتش بگذاشتی — بد سگالیدی نکو پنداشتی
گفت شاهنشه جرا اش کم کنید — ور بجنگد نامش از خط برزنید ۳۲ — عقل او کم بود وحرص اوفزون — چون جراکم دید شد تند وحرون
عقل بودی گرد خودکردی طواف — تا بدیدی جُرم خود گشتی معاف ۳۳ — چون خری پا بسته تُندد ازخری — هردو پایش بسته گردد بر سری
پس بگوید خرکه یك بندم بست — خود بدان کان دوزفعل آن خست ۳۴ — گربدیدی سرّ بندآن چشم کور — بند بر دستش نبستندی بزور
ور ز جرم بند پا آگه بُدی — خود زبند دست وپا ایمن شدی ۳۵ — ور بتندیدی زبندآن بوالفضول — او نه خر بودی بدی شیر فحول

در تفسیر این حدیث نبوی (ص) که ان الله تعالی خلق الملائکة ورکب فیهم العقل وخلق البهائم ورکب فیها الشهوة وخلق بنی آدم ورکب فیهم العقل والشهوة فمن غلب عقله علی شهوته فهو اعلی من الملائکة ومن غلب شهوته علی عقله فهو ادنی من البهائم

در حدیث آمد که یزدان مجید — خلق عالم را سه گونه آفرید ۳۹ — یك گره را جمله عقل و علم و جود — آن فرشته است ونداند جز سجود
نیست اندر عنصرش حرص وهوا — نور مطلق زنده از عشق خدا ۴۰ — یك گروه دیگر از دانش تهی — همچو حیوان از علف در فربهی

---

۲ ـ بی ضیا ـ مفتری ۳ ـ نور ٤ ـ هرطرف غولیست کشتیبان شده ٦ ـ انده ۹ ـ ار داری یقین ۱۰ ـ ببین ۱۱ ـ فراخی ۱۲ ـ ونم (ن . ل)

---

(۱) از ملایمات بازی شطرنج است ودر علم اعداد هم خانه بیدق و مثل آن استعمال میشود (٥) اشاره است بحدیث نبوی من قاد مکفوفاً اربعین خطوة غفرله ماتقدم من ذنبه وما تأخر پیغمبر صلی الله علیه و آله وسلم فرمود کسی که بکشد کوری را چهل گام بخشیده شود گناهان گذشته و آیندهٔ او (٦) اشاره است بکریمهٔ ومکروا و مکرالله و الله خیرالماکرین (۸) یعنی اینك منم چه قیامت قیام عندالله است ونهوض ازمقام خودی و مهیت و ماده و اتصال بمبدء که معاد همان مبدء است کما بدأکم تعودون و اینها همه در حق آن صدرنشین محفل جهان بلکه برزخ بین الوجوب والامکان بنحو اتم محقق است ولقد علمتم النشأة الاولی فلولا تذکرون .

او نبیند جزکه[1] اصطبل وعلف — از شقاوت غافلست و از شرف ۱ این سوم هست آدمی‌زاد و بشر — از فرشته نیمی و نیمی ز[2] خر
نیم خر خود مائل سفلی بود — نیم دیگر مایل علوی شود ۲ ❀ تا کدامین غالب آید در نبرد — زین دوگانه تا کدامین برد نرد
عقل اگرغالب شود پس‌شد فزون[3] — از ملایك این بشر در آزمون ۳ شهوت ارغالب شود پس‌کمتراست — ازبهایم این بشر زان کابتراست
آن دوقوم آسوده ازجنگ وحراب — وین بشر بادو مخالف در عذاب ٤ ❀وین‌بشرهم‌زامتحان‌قسمت‌شدند[4] — آدمی شکلند و سه امّت شدند
یك گره مستغرق مطلق شده — همچو عیسی با ملك ملحق شده ٥ نقش آدم لیك معنی جبرئیل — رسته از خشم وهوا و قال وقیل
از ریاضت رسته وز زهد وجهاد — گوئیا کز آدمی او خود نزاد ٦ قسم دیگر باخران ملحق شدند — خشم محض وشهوت مطلق شدند
وصف جبریلی‌درایشان بود رفت — تنگ بودآن‌خانه وآن‌وصف زفت ۷ مرده‌گرددشخص‌چون بیجان‌شود[5] — خرشود چون جان او بی‌آن شود
❀زاغ‌گردد چون پی زاغان رود — جسم‌گردد جان چو او بی‌آن‌شود ۸ زانکه جانی‌کان ندارد هست پست — این‌سخن حقست وصوفی‌گفته است
او ز حیوانها فزونتر[6] جان کند — در جهان باریك کاریها کند ۹ مکر و تلبیسی که او تانند تنید — آن ز حیوان دگر ناید پدید
جامهای زر کشی را بافتن — دُرّها از قعر دریا یافتن ۱۰ خُرده کاریهای علم هندسه — یا نجوم و علم طبّ و فلسفه
که تعلق با همین دنیستش — ره بهفتم آسمان بر نیستش ۱۱ این‌همه علم بنای آخُر است — که عماد بودِ گاو و اشتر است
بهر استبقای حیوان چند روز — خوانده علمش احمقان بی‌فروز[7] ۱۲ علم راه حق و علم و منزلش — صاحب دل داند آن را یادلش
پس درین ترکیب حیوان لطیف — آفرید وکرد با دانش الیف ۱۳ نام کالانعام کرد آن قوم را — زانکه نسبت کو بیقظه نوم را
روحِ حیوانی ندارد غیر نوم — حسهای منعکس دارند قوم ۱٤ یقظه آمد نوم حیوانی نماند[8] — انعکاس حسّ خود از لوح خواند
همچو حسّ آنکه خواب‌اورارربود ۱٥ چون شد او بیدارعکس او نمود

تفسیر آیه و امّاالذین فی قلوبهم مرض" فزادتهم رجساً و قوله یضل به کثیراً و یهدی به کثیرا

لاجرم اسفل بود از سافلین[9] — ترك او کن لا احب الآفلین ۱۷ زانکه استعداد تبدیل و نبرد — بودش از پستی وآن‌را فوت‌کرد
باز حیوان را چو استعدادنیست — عذر او اندر بهیمی روشنیست ۱۸ زوچواستعداد شد کان رهبرست — هر غذائی کو خورد مغزخرست
گر بلا در خورد او افیون شود — سکته و بی عقلیش افزون شود ۱۹ ماند یك قسم دگر دراجتهاد[10] — نیم حیوان نیم حیّ با رشاد

چالیش عقل بانفس‌همچون تنازع مجنون با ناقه ، میل مجنون سوی حرّه میل ناقه سوی کرّه چنانکه‌مجنون‌گفته هوی ناقتی خلفی و قدّامی الهوی ❀ و انی و ایاها لمختلفان[11]

روزوشب درجنگ واندرکشمکش — کرده چالیش اولش با آخرش ۲۲ ❀همچومجنون در تنازع با شتر — که شتر چربید و که مجنون حرّ
همچومجنونند وچون ناقه‌اش‌یقین — میکشد آن پیش وآن‌واپس بکین ۲۳ میل مجنون پیش آن لیلی روان — میل ناقه پس بی کرّه اش دوان
یکدم ارمجنون‌زخودغافل شدی[12] — ناقه‌گردیدی و واپس تر شدی[13] ۲٤ عشق وسودا چونکه پربودش‌بدن — می نبودش چاره از بیخود شدن
آنکه او باشد مراقب عقل بود[14] — عقل را سودای لیلی در ربود ۲٥ لیك ناقه بس مراقب بود وُچست — چون بدیدی اومهارخویش سست
فهم کردی زوکه غافل‌گشت‌ودنگ — رو سپس کردی بکرّه بی درنگ ۲٦ چون بخود باز آمدی دیدی‌زجا — کو سپس رفته است بس فرسنگها
در سه روزه ره بدین احوالها — ماند مجنون در تردّد سالها ۲۷ گفت ای ناقه چو هر دو عاشقیم — ما دو ضد بس همره نالایقیم
نیستت بر وفق من مهر و مهار — کرد باید از تو عزلت[15] اختیار ۲۸ این دو همره همدگر را راه‌زن — گمره آن جان کو فرو ناید ز تن
جان ز هجر عرش اندر فاقهٔ[16] — تن ز عشق خارُبن چون ناقهٔ ۲۹ جان گشاید سوی بالا بالها[17] — در زده تن در زمین چنگالها
تا تو بامن باشی ای مردهٔ وطن — بس ز لیلی دور ماند جان من ۳۰ روزگارم رفت زین گون حالها — همچو تبه و قوم موسی سالها
خطوتینی بود این ره تا وصال — مانده‌ام درره‌زشستت‌شصت[18]سال ۳۱ راه نزدیك و بماندم سخت دیر — سیر گشتم زین سواری سیرسیر
سر نگون خودرا زاشتر درفکند — گفت سوزیدم ز غم تا چند چند ۳۲ تنگ شد بر وی بیابان فراخ — خویشتن افکند اندر سنگلاخ
آن‌چنان افکند خودرا سخت زیر — که مخلخل گشت جسم آن دلیر ۳۳ چون چنان‌افکند خودراسوی‌پست — ازقضا آن لحظه پایش‌هم شکست
پای را بر بست و گفتا گو شوم — در خم چوگانش غلطان میروم ۳٤ زین‌کند نفرین حکیم خوش دهن — بر سواری کو فرو ناید ز تن
عشق مولی کی کم از لیلی بود — گوی گشتن بهر او اولی بود ۳٥ گوی شومیگرد برپهلوی صدق[19] — غلط غلطان در خم چوگان عشق

۱ ـ غیر ۲ـ نیم او ز افرشته و نیمش ٦ـ زحیوانات افزون ۷ـ نام آن‌کردند این گیجان رموز ۱۰ـ اندر جهاد ۱۲ـ بدی ۱۳ـ آمدی
۱٥ ـ صحبت ۱۸ ـ ز سستی چند (ن . ل)

(۳) کلام مولوی نص است در تفضیل انسان کامل بر جمیع اصناف ملائکه هرچند مقربین آنها باشند چه نفس ناطقه جسمانیة الحدوث و روحانیة البقا است و نفس کامل مقام روحانیت را بنحو کمال بالفعل ساخت وعقل کل وروح اعظم مدرج درآن وجود گردید (٤) اشاره است بتقسیم ثلاثی که در سورهٔ واقعه در قرآن مجید است وکنتم ازواجاً ثلثه فاصحاب المیمنة ما اصحاب المیمنه واصحاب المشأمة ما اصحاب المشئمه والسابقون السابقون اولئك‌المقرّبون واشارت بموضع دیگر درسورهٔ فاطر هم هست که فمنهم ظالم" لنفسه ومنهم مقتصد و منهم سابق" بالخیرات (٥) نفس ناطقه جوهریست در غایت لطافت ازآب صافی بغایت لطیف تر پس بهرچه رو آرد رنگ اوپذیرد وبخصوص رو آوردن در همه عمر بطریق ممکن وچون ملکه توجه بعالم‌کثرت و اجسام مبته پیدا کرد عین آن اموات شد وحیات حقیقی که عبارت از علم ومعرفت وایمان بالله والیوم الآخراست حاصل نشد (۸) الناس ینام اذا ماتوا انتبهوا (۹) در سورهٔ والتین واقعشده لقد خلقناالانسان فی‌احسن تقویم ثم رددناه اسفل سافلین الاّ الذین آمنوا وعملوا الصالحات (۱۱) میل ناقهٔ من بعقب‌است ومیل من بطرف جلو وباینجهت من و او باهم راه مختلف می‌پیمائیم (۱٤) نگهبان چون رقیب ومراقبه باخود که ازمقامات سالکین است حراست خوداست از زلات وعثرات بلکه نگهبانی دل هم ازخواطر پراکنده (۱٦) اشاره بقلب المؤمن‌عرش‌الله (۱۷) ترجمه‌آیهٔ واقعه درسورهٔ اعراف‌است ولوشئنا لرفعناه بها ولکنه اخلد الی الارض واتبع هویه (۱۹) اشاره است بضرورت صدق برای سالك در لسان ودر خبان ودر فعل ودر وفاء بعهود باخالق وباخلق وبا دل خود ان تبدوا ما فی‌انفسکم او تخفوه یحاسبکم به الله و چون ملازم صدق ومتمکن درین‌مقام‌گردید صدیق‌است پس‌کلام دلالت‌داردکه دعوی عشق مولی بامیل بناقه تن خاکی‌دعوی دروغ‌وچراغ‌بی‌فروغست

کاین سفرزین پس‌بود جذب‌خدا — وان سفر بر ناقه باشد سیر ما ۱ این‌چنین‌سیریست مستثنی‌زجنس[1] — کان فزود از اجتهاد جنّ و انس
این چنین‌جذبیست نی‌هرجذب‌عام ۲ که نهادش فضل احمد والسلم

نبشتن آن غلام قصه شکایت نقصان اجری سوی پادشاه (جذبة من جذبات الحق خیر من عبادة الثقلین)

درگذر زین‌قصه واگو زآن غلام[2] — کو بشه رقعه فرستاد و پیام[3] ٤ رقعهٔ پرجنگ و پر هستی و کین — می فرستد پیش شاه نازنین
کالبد نامه است اندر وی نگر — هست لایق شاه را آنگه ببر ٥ گوشهٔ رو نامه را بگشا بخوان[4] — بین‌که حرفش‌هست درخوردشهان
گرنباشد در خور آن‌را پاره کن — نامهٔ دیگر نویس و چاره کن ٦ لیك فتح نامهٔ تن زب مدان — ورنه هر کس سرّ دل دیدی‌عیان
نامه بگشادن چودشوارست‌وصعب — کارِ مردانست نی طفلان کعب[5] ۷ جمله بر فهرست قانع گشته اند — زانکه در حرص و هوا آغشته‌اند
باشد آن فهرست دامی عامه را — تا چنان دانند متن نامه را ۸ باز کن سر نامه را گردن متاب — زین سخن والله اعلم بالصواب
هست آن عنوان چو اقرار زبان — متن نامهٔ سینه را کن امتحان ۹ که موافق هست با اقرار تو — تا منافق وار نبود کار تو
چون جوال بس گرانی میبری — زان نباید کم که در وی بنگری ۱۰ تاچه داری درجوال ازتلخ‌وخوش — گر همی ارزد کشیدن را بکش
ورنه خالی‌کن جوالت را زسنگ — بازخرخودرا ازاین پیکار وننگ ۱۱ در جوال آن کن که میباید کشید — سوی سلطانان[6] و شاهان رشید
❁ زشت‌نبودکاین‌جوال پرزریگ — می‌کشیّ وباشدآنهم مرده[7] ریگ ۱۲ ❁ چون نمی‌تانی‌که پرلعلش‌کنی[8] — هم تهی بهتر چو هم جنس تنی

حکایت آن فقیه با دستار بزرگ و آنکه دستارش بربود بانگ میزدکه بازکن و ببین‌که چه میبری آنگاه ببر

یك فقیهی ژند ها در چیده بود — در عمامهٔ خویش در پیچیده بود ١٤ تا شود زفت و نماید آن عظیم — چون درآید سوی‌محفل درحطیم
ژند ها از جامها پیراسته — ظاهر دستار از آن آراسته ١٥ ظاهر دستار چون حُلهٔ بهشت — چون‌منافق اندرون رسوا و زشت
پاره پارهٔ دلق و پنبه و پوستین — در درون آن عمامه بد دفین ١٦ روی سوی مدرسه کرده صبوح — تا بدین ناموس یابد او فتوح
در ره تاریك مردی جامه کن — منتظر استاده بود از بهرِ فن ١٧ در ربود او از سرش دستار را — پس دوان شد تا بسازد کار را
پس فقیهش بانگ برزد کای‌پسر — باز کن دستار را آنگه ببر ١٨ اینچنین که چار پرّه می پری — باز کن آن هدیه را که می‌بری
باز کن آن‌را بدست خود بمال — آنگهان خواهی ببر کردم حلال ١٩ چونکه بازش‌کرد آنکه میگریخت — صد هزارش ژنده اندر ره بریخت
زان عمامهٔ سخت زفت وتوبتو[9] — ماند یك گز کهنهٔ در دست او ٢٠ برزمین زد کهنه را کای بی‌عیار — زین دغل مارا بر آوردی زکار
❁ این‌چه‌مکراست‌وچه‌تزویراست‌وشید — کو فکندی مر مرا در قید صید ٢١ ❁ شرم نامد مر ترا زین ژندها — از دغل بفکندیم ای پر دغا
گفت بنمودم دغل لیکن ترا ٢٢ از نصیحت باز گفتم ماجرا

نصیحت دنیا اهل دنیا را بزبان حال و بیوفائی خود را نمودن بوفا طمع دارندگان از او

همچنین دنیا اگرچه خوش شگفت — عیب خودرا بانگ زد باجمله‌گفت ٢٤ اندراین‌کون وفساد ای اوستاد[10] — آن دغل‌کون و نصیحت آن فساد
کون میگوید بیا من خوش پیم — وآن فسادش‌گفت رو من لاشیم ٢٥ ای ز خوبیّ بهاران لب گزان — بنگرآن سردیّ و زردیّ خزان
روز دیدی طلعت خورشید خوب — مرگ اورا یاد کن وقتِ غروب ٢٦ بدررا دیدی‌برین خوش چارطاق — حسرتش را هم ببین وقتِ محاق
کودکی ازُحسن شد مولای خلق — بعدِفردا[11] شد خرف رسوای‌خلق ٢٧ گرتن سیمین بران گردت شکار — بعد پیری بین تنی چون پنبه زار
ای بدیده لوتهای چرب خیز — فضلهٔ آنرا ببین در آب ریز ٢٨ مر خبث را گوکه آن خوبیت‌کو — درفریب آن حسن ومرغوبیت‌کو[12]
❁ برطبق‌کو عشوه ونرمیّ وخوت — برسبد کو جلوه و تغزی و بوت ٢٩ گوید آن دانه بُد و من دام آن — چون شدی توصید دانه شد نهان
بس انامل رشك استادان بده — در صناعت عاقبت لرزان شده ٣٠ نرگس چشم خماری همچو جان — آخر اعمش‌بین وآب ازوی چکان
حیدری‌کاندر صف شیران رود — آخر او مغلوب موشی میشود ٣١ طبع تیز دوربین محترف — چون خر پیرش ببین آخر خرف
زلف جُعد مشکبار عقل بر — آخرآن چون‌دمّ زشت‌خنگ[13]خر ٣٢ خوش ببین‌کونش ز اوّل باگشاد — واخر آن رسوائیش بین و فساد
زانکه او بنمود پیدا دام را — پیش تو برکند سبلت خام‌را[14] ٣٣ پس مگو دنیا بتزویرم فریفت[15] — ورنه عقل من زدامش می‌شکیفت
طوق زرّین و حمایل بین هله — غلّ و زنجیری شدست و سلسله ٣٤ همچنین هر جزو عالم می‌شمر — اوّل و آخر در آرش در نظر
هرکه آخر بین‌تر او مسعودتر — هرکه آخر بین‌تر او مطرودتر ٣٥ روی هریك چون مه فاخر ببینّ — چون که اوّل دیدهٔ آخر ببین
تا نباشی همچو ابلیس اعوری — نیم بیند نیم نی چون ابتری ٣٦ دید طینِ آدم و دینش ندید — اینجهان دید آن‌جهان بینش ندید
فضلِ مردان برزنان ای‌بوشجاع — نیست بهر قوّت وکسب و ضیاع ٣٧ ور نه شیر و پیل را برآدمی — فضل بودی بهرقوّت ای عمی
فضلِ مردان برزن‌ای‌حالی‌پرست — زان بودکه مرد پایان بین تراست ٣٨ مرد کاندر عاقبت بینی خست — او ز اهل‌عاقبت چون زن کمست
از جهان دو بانگ می آید بضدّ — تا کدامین را تو باشی مستعد ٣٩ آن یکی بانگش نشور اتقیا — وین دگر بانگش فریب اشقیا

---

۲ ـ قصه کوته کن برای آن غلام ۳ ـ که سوی شه برنوشته است این پیام ٥ ـ لعب ٦ ـ آن اقلیم ۹ ـ زفت نا بایست او ۱۱ ـ پیری
۱۲ ـ برطبق آن ذوق وآن تغزیّ و بو ۱۳ ـ پیر (ن . ل)

---

(۱) ازجنس اینجا مراد حیوان است که بقاعدهٔ منطق عبارت ازوست (٤) قال‌الله تعالی کفی بنفسك‌الیوم علیك حسیبا (۷) یعنی پر از ریگی است وجود تو که عبارت از نقوش پراکنده اغیار باشد ورسوم وعلوم بجزئیات بیوفا وآنهم موروثه ومخلفه ازغیر میتا عن میت (۸) یعنی چون نمیتوانی‌که ازجواهرمعرفت حقیقی‌جوال وجود خودرا پرکنی بهتراست‌که ازهمجنس‌تن‌صفت خاکی‌که عبارت ازغذای حیوانی‌ومتلذات‌شهوانی‌است تهی باشد (۱۰) مراد مطلق وجود وعدم درعالم حرکات‌است نه مصطلح حکما چه این‌فریب وپند درمطلق محقق است (١٤) خامی سبلت اشاره‌است بسستی قدم درراه حق (١٥) چه دنیا بیوفائی وزشتی خودرا باعلی صوتش اظهارکرد وتوکول وکر بودی چگونه چنین نباشد وحال آنکه هرگاه جزئی بودن وآنگهی در گذر بودن هرلذیذ جسمانی را بنظر آری وزمان جزئی عیش را اگرچه صد یا هزار سال باشد با عمر ابد روح انسانی بسنجی برخود بخندی

۱ ❀ بانگ خار و بانگ اشکوفه شنو — بعد از آن شو بانگ خارش را گرو
من شکوفهٔ خارم ای خوش گرم دار[1] — گل بریزد من بمانم شاخ خار

۲ بانگ اشکوفه‌اش که اینک گل فروش — بانگ خار او که سوی ما مکوش
این پذیرفتی بماندی زان دگر — که محب از ضد محبوبست کر

۳ آن یکی بانگ این که اینک حاضرم — بانگ دیگر بنگر اندر آخرم
حاضری‌ام هست چون مکر و کمین — نقش آخر ز آینهٔ اول ببین

۴ چون یکی زین دو جوال اندر شدی — آن دگر را ضد و نا درخور شدی
ای خنک آن کو ز اول آن شنید — کش عقول و مسمع مردان شنید

۵ خانه خالی یافت جا را او گرفت — غیر آتش کژ نماید یا شگفت
کوزهٔ نو کو بخود بولی کشد[2] — آن خبث با آب از وی کی رود[3]

۶ درجهان هرچیز چیزی می‌کشد — کفر کافر را و مرشد را رشد
❀ درجهان هرچیز چیزی جذب کرد — گرم گرمی را کشید و سرد سرد

۷ کهربا هم هست و مقناطیس هست — تا تو آهن یا کهی آئی بشست
برد مقناطیس از تو آهنی — ور کهی بر کهربا بر می‌تنی

۸ آن یکی چون نیست با اخیار یار — لاجرم شد پهلوی فجار جار
❀ وان یکی را صحبت خار اختیار — لاجرم شد پهلوی هرخار خوار

۹ هست موسی پیش قبطی مستهان[4] — هست هامان پیش سبطی همچنان[5]
جان هامان جاذب قبطی شده — جان موسی طالب سبطی شده

۱۰ معدهٔ خر که کشد در اجتذاب — معدهٔ آدم جذوب گندم آب
گر تو نشناسی کسی را از ظلام — بنگر او را کوش سازیدست امام

بیان آنکه عارف را غذائیست از نورحق که ابیت عند ربی یطعمنی ویسقینی وقوله صلی‌الله علیه و آله الجوع طعام‌الله یحیی به ابدان الصدّیقین ای یصل طعام‌الله فی‌الجوع[6]

۱۳ زانکه هر کرّه بی مادر رود — تا بدان جنسیتش پیدا شود
آدمی را شیر از سینه رسد — شیر خر از نیم زیرینه رسد

۱۴ عدل قسّامست و قسمت کردنیست — ای عجب که جبرنی وظلم نیست
جبر بودی کی پشیمانی بدی — ظلم بودی کی نگهبانی بدی

۱۵ روز آخر شد سبق فردا بود — راز ما را روز کی گنجا بود
❀ حاصل آن کاندر دخول ودرایاب — در نگر والله اعلم بالصواب

خطاب با مغروران دنیا و گرفتاران نفس اماره

۱۷ ای بکرده اعتماد واثقی[7] — بردم و بر چاپلوس فاسقی
قبهٔ بر ساختستی از حباب — آخر آن خیمه‌است بس واهی طناب

۱۸ زرق چون برقست اندر نور آن — راه نتوانند دیدن رهروان
اینجهان و اهل آن بیحاصل اند — هردو اندر بیوفائی یکدلند

۱۹ زادهٔ دنیا چو دنیا بی وفاست — گرچه رو آرد بتو آن رو قفاست
اهل آن عالم چو آن عالم زبر — تا ابد در عهد و پیمان مستمر[8]

۲۰ خود دو پیغمبر بهم کی ضد شدند[9] — معجزات از هم دگر کی بستدند
کی شود پژمرده میوهٔ آن جهان — شادی عقبی نگردد آن دهان

۲۱ نفس بی‌عهد است زان رو کشتنیست — او دنی و قبله گاه او دنیست
نفسها را لایق است این انجمن — مرده را درخور بود گور و کفن

۲۲ نفس اگرچه زیرکست وخورده‌دان — قبله‌اش دنیااست اورا مرده دان
آب وحی حق[10] بدین مرده رسید — شد زخاک مردهٔ زنده پدید

۲۳ تا نیاید وحی زو غرّه مباش — تو بدان گلگونهٔ طال بقاش
بانگ وصبتی جو که آن حامل نشد — تاب خورشیدی که آن آفل نشد

۲۴ آن هنرهای دقیق و قال و قیل — قوم فرعونند اجل چون آب نیل
رونق وطاق وطرنب وسحرشان — گرچه خلقان را کشد گردن کشان

۲۵ سحرهای ساحران دان جمله را — مرگ چوبی‌دان که آن‌شد اژدها
جادوئیها را همه یك لقمه کرد — یکجهان پرشب بد آنرا صبح خورد

۲۶ نورازآن خوردن نشد افزون وبیش — بل همان‌سانست کو بودست پیش
در اثر افزون شد و درذات نی — ذات را افزونی و آفات نی

۲۷ حق ز ایجاد جهان افزون نشد — آنچه اول آن نبود اکنون[11] نشد
لیك افزون گشت اثر زایجاد خلق — در میان این دو افزونیست فرق

۲۸ هست افزونی اثر اظهار او — تا پدید آید صفات و کار او
هست افزونی هر ذاتی دلیل — کو بود حادث بعلتها دلیل

۲۹ ❀ نکته شد باریك اینجا ای رفیق — لیك بشنو تو مقالات دقیق

تفسیر آیهٔ فاوجس فی نفسه خیفةً موسی قلنا لاتخف انك انت الاعلی[12]

۳۱ گفت موسی سحر هم حیران کنیست — چون کنم کاین خلق را تمییز نیست
گفت حق تمییز را پیدا کنم — عقل بی تمییز را بینا کنم

۳۲ ❀ چونکه معجزهات را ظاهر کنم — عقل را در دیدنش فاخر کنم
❀ دیده بخشم عقل بی تمییز را — کور سازم جاهل ناچیز را

۳۳ گر چه چون دریا برآوردند کف — موسیا تو غالب آئی لا تخف
بود اندر عهد خود سحر افتخار — چون عصا شد مار آنها گشت عار

۳۴ هر کسی را دعوی حسن و نماك — سنگ مرگ آمد نکهارا محك[13]
سحر رفت و معجزهٔ موسی گذشت — هردو را از بام بود افتاد طشت

۳۵ بانگ طشت سحر جز لعنت نماند — بانگ طشت دین بجز رفعت نماند
چون محك پنهان شدست ازمردوزن — درصف آ ای قلب واکنون لاف زن

۳۶ وقت لافستت محك چون غائبست — می برندت ازعزیزی دست‌دست
❀ هردمت عزی ونازی درفزود — چون محك آمد چرا گشتی کبود

۳۷ قلب میگوید ز نخوت هر دمم — ای زر خالص من از توکی کمم
زر همی گوید بلی ای خواجه‌تاش — لیك میآید محك آماده باش

۳۸ مرگ تن هدیه است براصحاب راز — زر خالص را چه نقصانست گاز
قلب اگر درخویش آخربین بدی — آن سیه کاخرشد او اول شدی

۱ـ فخرکبار ۲ ـ چون کشد بولی بخود ۳ ـ را آب نتواند برد ٤ ـ بس ذمیم ٥ ـ بس رجیم ٨ ـ مستقر ٩ ـ کجا ضدآمدند(ن . ل)

(٦) جوع طعامی‌است ازجانب حق که زنده میکند بآن ابدان راستگویان را مراد آنست که درگرسنگی میرسد طعام عزّ وجل وآن القاء نور است در باطن که بدان نورقوت زیاده میشود (٧) ای نموده اعتماد محکمی برحیات دنیا که دمی بیش‌نیست وبرچاپلوسی بزرگی ازاهل‌دنیا وبحسب تأویل چاپلوسی واطاعت نفس امّاره مراداست چنانکه تصریح بنفس‌میفرماید (١٠) ازآب وحی‌حق ایمان مراداست (١١) یعنی‌خلق درحق‌نبود اکنون هم‌نیست پس افزونی نیست یامعنی‌آنست که مهیات امور اعتباریه اند والاعیان الثابته ماشمت رایحةالوجود قط ولن یشم بعد پس عدم محض موجب افزونی نشود این حکم مظاهر است واینکه فرموده در اثر افزونی است حکم ظهور است که افزونی وتفاوت در ظهور است نه درظاهر چنانکه فرمود شد فزونی اثر اظهار او (١٢) آیه واقعه در سورهٔ طه است و شرح معنی آن اینست که پس موسی دریافت در دل خود خوف از آنکه نظاره کنان میان سحر و معجزه فرق نکنند یا آنکه متفرق گردند از القای عصا وچون این وهم برموسی طاری شد گفتیم ما مترس از آنچه ترا در بیم انداخته که امر تو از غایت وضوح بر عام و خاص ملتبس نخواهد گشت بدرستیکه تو برتری از ایشان وغالب بر ایشان (١٣) اعم است ازمرگ اختیاری واضطراری و فناء فی الله که حق توحید خاصی و توحید خاصی معیار فرق میان معجزه و سحر است

چون شدی اوّل سیه اندر لقا — دور بودی از نفاق و از شقا ۱ کیمیای فضل را طالب بُدی — عقل او بر زرق اوغالب شدی[1]
چون شکسته‌دل شدی از حالِ خویش — جا بر اشکستگان دیدی به پیش ۲ عاقبت را دید و او اشکسته شد — از شکسته بند دردم بسته شد
فضل مسها را سوی اکسیر راند — آن زراندود ازمحك محروم ماند ۳ ای زر اندوده مکن دعوی بین — که نماند مشتریت اعمی چنین
نور محشر چشمها بینا کند[2] — چشم بندیّ ترا رسوا کند ۴ بنگر آنها را که آخر دیده اند — حسرت جانها و رشك دیده اند
منگر آنها را که حالی دیده اند — سرّ فاسد زاصل سر بریده‌اند[3] ۵ پیش حالی بین که درجهلست وشك — صبح‌صادق صبح کاذب هردویك
صبح کاذب صدهزاران کاروان — داد بر باد هلاکت ای جوان ۶ ❁صبح‌صادق‌را طلب‌کن ای‌عزیز — تا ز صدق او شوی صاحب‌تمیز
نیست نقدی کش غلط اندازنیست — وای آن‌جان‌کش محكّ وگازنیست ۷ ❁ باز رو سوی غلام و کتبتش — کوسوی شه می‌نویسد نامه خوش

زجر مدّعی از دعوی و امر کردن اورا بمتابعت انبیا و اولیا

بو مسیلم گفت من خود احمدم — دینِ احمد را بفن بر هم زدم ۹ بو مسیلم را بگو کم کن بُطر — غرهٔ اوّل مشو آخر نگر
هین قلاوزی مکن از حرص جمع — پس روی کن تا رود[4] درپیش شمع ۱۰ شمع مقصد را نماید همچو ماه — کاین‌طرف‌دانه است‌یاخود دامگاه
گر بخواهی ور نخواهی با چراغ — دیده گردد نقشِ بازو نقشِ زاغ ۱۱ ورنه این زاغان دغل افروختند — بانگ بازان سپید آموختند
بانگ هُدهُد گر بیاموزد قطا — راز هُدهُد کو و پیغام سبا ۱۲ بانگ پر رسته ز پر بسته بدان — تاج شاهان را ز تاج هُدهُدان
حرف درویشان و نکتهٔ عارفان — بسته اند این بیحیایان بر زبان ۱۳ هر هلاك امت پیشین که بود — زانکه چندل را گمان کردند عود
بودشان تمییز کان مُظهر کند — لیك حرص و آز کور و کرکند ۱۴ کوری کوران ز رحمت‌دورنیست — کوری‌حرص‌است‌کان معذورنیست
چار میخ شه ز رحمت دور نی — چار میخ حاسدی مغفور نی ۱۵ ماهیا آخر یکی بنگر بشست — بد گلوئی چشم آخر بینت بست
با دو دیده اوّل و آخر ببین — هین مباش اعور چو ابلیس لعین ۱۶ اعور آن باشد که حالی دید وبس — چون بهایم بیخبر از باز پس
چون دو چشم گاو در جرم تلف — همچویك‌چشم است‌کش‌نبودشرف ۱۷ نصف قیمت ارزد آن دوچشم‌او — که دوچشمش‌راست مسندچشم تو
ور کنی یك چشم آدم زادهٔ — نصف قیمت لازمست از جادهٔ[5] ۱۸ زانکه چشم آدمی تنها بخود — بی دو چشم یار کاری میکند
چشم خرچون اولش بی‌آخراست — گردوچشمش‌هست‌حکمش‌اعوراست ۱۹

بقیهٔ قصه نوشتن آن غلام رقعه بطلب اجری خود

این‌سخن‌پایان ندارد وان خفیف — می نویسد رقعه در طمع رغیف ۲۱ رفت پیش‌از رقعه پیش مطبخی — کای بخیل از مطبخ شاه سخی
دور از او وز همت او کین قدر — از جری ام آیدش اندر نظر ۲۲ گفت بهر مصلحت فرموده است — نی برای بخل و نی تنگیّ دست
گفت دهلیزیست والله این سخن — پیش شه خاکست این زرّ کهن ۲۳ مطبخی ده گونه حجت بر فراشت — او همه ردکرد ازحرصی‌که‌داشت
چون‌جری‌کم‌آمدش‌دروقت‌چاشت — زد بسی تشنیع اوسودی نداشت ۲۴ گفت قاصد میکنید[6] اینها شما — گفت نی که بندهٔ فرمانیم ما
این مگیر ازفرع این ازاصل گیر — بر کمان کم زن که ازبازوست‌تیر ۲۵ مارمیت اذرمیت ابتلاست — بر نبی کم نه گنه کان‌ازخداست
آب ازسرتیره است ای‌خیره‌خشم — بیشتر بنگر یکی بگشای چشم ۲۶ شد ز خشم و غم درونِ بقعهٔ — سوی شه بنوشت خشمین رقعهٔ
اندر آن رقعه ثنای شاه گفت — گوهر جود و سخای شاه سُفت ۲۷ کای زبحرو ابر افزون‌کفّ تو — جمله محتاجان بتو آورده رو[7]
زانکه ابر آنچه دهد گریان دهد — کفّ تو خندان بیابی خوان‌نهد ۲۸ ظاهر رقعه اگر چه مدح بود — بوی خشم از مدح اثرها مینمود
زان همه‌کارتو بی نورست وزشت — که تو دوری دور از نورسرشت ۲۹ رونق کار خسان کاسد شود — همچو میوهٔ تازه زو[8] فاسد شود
رونق دنیا بسر آرد زو[8] کساد — زانکه هست از عالم کون وفساد ۳۰ خوش نگردد از مدیحی سینها — چونکه در مدّاح باشد کینها
ای دل از کین و کراهت‌پاك‌شو — وانگهان الحمد خوان چالاك‌شو ۳۱ بر زبان الحمد واکراه از درون — از زبان تلبیس باشد یا فسون
وانگهان گفته خداکه بنگر[9]و[10] — ۳۲ هم بظاهر هم[11] بباطن ناظرم

حکایت آن مداح که از جهت ناموس شکر ممدوح میکرد و بوی اندوه و غم اندرون او و خلاقت دلق او ظاهر مینمود که آن شکرها لافست و دروغ

آن یکی با دلق آمد از عراق — باز پرسیدند یاران از فراق ۳۵ گفت آری بُد فراق الاّ سَفر — بود بر من بس مبارك مژده ور
کان خلیفه داده ده خلعت مرا — که قرینش باد صد مدح و ثنا ۳۶ شکر ها و حمد ها بر می شمرد — تا که شکر ازحدّ و ازاندازه‌برد
پس بگفتندش که احوال نژند — بر دروغ تو گواهی می دهند ۳۷ تن برهنه سر برهنه سوخته — شکر را دزدیده یا آموخته
کو نشان شکر و حمد میر تو — بر سر و بر پای بی توقیر تو ۳۸ گر زبانت مدح آن شه می تند — هفت اندامت شکایت میکند
در سخای آن شه وسلطانِ جود — مر ترا کفشیّ و شلواری نبود ۳۹ گفت من ایثار کردم آنچه داد — میر تقصیری نکرد از افتقاد
بستدم جمله عطا ها از امیر — بخش کردم بر یتیم و بر فقیر ۴۰ مال دادم بستدم عمر دراز — در جزا زیرا که بودم پاکباز
پس بگفتندش مبارك مال رفت — چیست اندرباطنت این‌دود وتفت ۴۱ صدکراهت در درون تو چوخار — کی بود انده نشان ابتشار
کو نشان عشق و ایثار و رضا — گر درستی آنچه گفتی ما مضی ۴۲ خود گرفتم مال گم شد میل کو — سیل اگر بگذشت جای سیل کو

---

۱ ـ بُدی ٤ ـ فتد ۷ ـ درقضای حاجت حاجات جو ۹ ـ من حاضرم ۱۱ ـ ننگرم ظاهر(ن . ل)

(۲) اشاره است بآیه شریفه لقد کشفنا عنك غطائك فبصرك الیوم حدید (۳) یعنی از اصل سر جدا کرده و در میانه فرق نهاده اند و نظر بر همین سر فاسد دارند واز اصل سر مطلقا فراموش کرده اند (٥) از نصف قیمت مراد نصف دیت است واز جاده مراد شرع انور است (٦) یعنی عمداً میکنید و قصداً (۸) زو مخفف زود است (۱۰) اشاره است بحدیث : ان الله لاینظر الی صورکم ولا الی اعمالکم ولکن ینظر الی قلوبکم ونیاتکم ـ پیغمبر فرمود بدرستیکه خدایتعالی نظر نمیکند بسوی صورتهای شما ونه بسوی عملهای شما ولیکن نظر میکند بسوی دلهای شما ونیتهای شما ومراد ازنظر حق مجازاتست یعنی جزا نمیدهد مگر بهآنچه دردلهای شماست چنانچه فرموده نیةالمؤمن خیرٌ من عمله

چشم تو گر بُد سیاه وجان فزا — گر نماند او جانفزا ازرق چرا ۱ — کو نشان پاك بازی ای ترش — بوی لاف کز همی آید خمش
صد نشان باشد درون ایثار را — صد علامت هست نیکوکار را ۲ — مال در ایثار اگر گردد تلف — در درون صد زندگی آید خلف
در زمین حق زراعت کردنی — تخمهای پاك آنگه دخل نی ۳ — گر نگردد زرع جان یکدانه صد — صحن ارض الله واسع کی بود[1]
اصل ارض‌الله قلب عارفست — لامکانست و ندارد فوق و پست ۴ — گر نروید خوشه ازروضات هو — پس چه واسع باشد ارض‌الله بگو
چونکه این‌ارض فنا بی‌ریع نیست — چون بود ارض‌الله‌آن‌مستوسعیست ۵ — ریع آنرا نی حد و نی عد بود — کمترین دانه دهد هفتصد بود[2]
حمد گفتی کو نشان حامدون — نی برونت هست اثر نی اندرون ۶ — حمدِ عارف مرخدا را راستست — که گواه حمد او شد پا و دست[3]
از چهِ تاریك جسمش برکشید — وز تك زندان دُنیی‌اش خرید[4] ۷ — اطلس تقوی و نور مؤتلف — آیت حمد است او را برکتف
وا رهیده از جهات تاریه — ساکن گلزار و عین جاریه[5] ۸ — بر سریر سِرّ عالی همتش — مجلس و جا و مقام و رتبتش
مقعد صدقی که صدیقان درو[6] — جمله سر سبزند وشاد و تازه رو ۹ — حمدشان چون حمدگلشن ازبهار — صد نشانی دارد وصدگیر و دار
بر بهارش چشمه و نخل و گیا — وان گلستان و نگارستان گوا ۱۰ — شاهد شاهد هزاران هر طرف — درگواهی همچو گوهر در صدف
بوی سیر بد بیاید از دمت — وز سر و رو تابد ای لافی غمت ۱۱ — بو شناسانند حاذق در مصاف — تو بجلدی های وهو کم کن گزاف
تو ملاف از مشك‌کان بوی پیاز — از دم تو میکند مکشوف راز ۱۲ — گلشکر خوردم همی‌گوئی و بوی — میزند از سیر که یافه مگوی
هست دل مانندهٔ خانهٔ کلان — خانهٔ دل را نهان همسایگان ۱۳ — از شکاف و روزن و دیوارها — مطلع گردند بر اسرار ها
از شکافی که نداند هیچ وهم — صاحب خانه ندارد هیچ فهم ۱۴ — از نبی برخوان‌که دیو وقوم‌او[7] — می‌برند از حال انسان خفیه بو
ازرهی‌که انس ازآن آگاه نیست — زانکه زین‌محسوس وزین‌اشباه‌نیست ۱۵ — در میان نافذان زرقی متن — با محك ای قلب دون لافی مزن
مرمحك را ره بود در نقد وقلب — که خدایش‌کرد امیر جسم و قلب ۱۶ — چون شیاطین باغلبظیهای خویش — واقفند از سرّ ما و فکر وکیش
مسلکی دارند دزدیده درون — ما ز دزدیهای ایشان سرنگون ۱۷ — دم بدم خبط و زیانی میکنند[8] — صاحب نقب وشکاف وروزنند[9]
پس‌چرا جانهای روشن درجهان — بی‌خبر باشند از حال نهان ۱۸ — در سرایت کمتر از دیوان شدند — روحها که خیمه بر گردون زدند
دیو دُزدانه سوی گردون رود — از شهاب اومحرق ومطعون شود ۱۹ — سرنگونِ ازچرخ زیر افتد چنان — که شقی در جنگ اززخم سنان
آن[10] ز رشك روحهای دل پسند — از فلکشان سرنگون می افکنند ۲۰ — تو اگر شلّی ولنگ و کور و کر — این گمان بر روحهای مه مبر
شرم‌دار ولاف‌کم زن جان مکن ۲۱ — که بسی‌جاسوس‌هست آن‌سوی تن

دریافتن طبیبان الهی‌امراض دین ودل‌را درسیمای مرید وبیگانه ولحن‌گفتار او ورنگ وچشم او وبی این همه نیز ازراه دل‌که انهم جواسیس القلوب فجالسوهم بالصدق

این طبیبان بدن دانشورند — برسقام تو ز تو واقف ترند ۲۴ — تا ز قاروره همی بینند حال — که ندانی تو ازآن‌رو اعتدال[11]
هم ز نبض وهم ز رنگ و هم ز دم — بوبرند از تو بصد[12] گونه سقم ۲۵ — پس طبیبان الهی در جهان — چون ندانند ازتو بی‌گفت‌دهان[13]
هم زنبضت‌هم زچشمت‌هم‌زرنگ[14] — صد سقم بینند از تو بی‌درنگ ۲۶ — این طبیبان نو آموزند خود — که بدین آیاتشان حاجت بود
کاملان از دور نامت بشنوند — تا بقعر تار و پودت[15] درروند ۲۷ — بلکه پیش از زادن تو سالها — دیده باشندت بچندین حالها
حال تو دانند یکیك مو بمو ۲۸ — زانکه پر هستند از اسرار هو

مژده دادن بایزید از زادن ابوالحسن خرقانی قدس‌الله روحهما پیش از سالها و نشان صورت وسیرت او یك بیك و نوشتن تاریخ نویسان آنرا جهت رصد

آن شنیدی داستان بایزید — که زحال‌بوالحسن از پیش دید[16] ۳۱ — روزی‌آن سلطان تقوی میگذشت — با مریدان جانب صحرا و دشت
بوی خوش آمد مر اورا ناگهان — در سواد ری ز حد[17] خارقان ۳۲ — هم در آنجا نالهٔ مشتاق کرد — بوی را از باد استنشاق کرد
بوی خوش را عاشقانه می کشید — جان او از باد باده می چشید ۳۳ — کوزهٔ کو از یخ آبه پر بود — چون عرق برظاهرش پیدا شود
ازدرون‌کوزه نم بیرون‌زده‌است[18] — آن زسردیِ هوا آبی شده‌است ۳۴ — باد بوی‌آور مر او را آب گشت — آب هم اورا شراب ناب گشت
چون درو آثارِ مستی شد پدید — یك مرید اورا آن دم بر رسید ۳۵ — پس بپرسیدش‌که این احوالِ خوش — که‌برونست‌ازحجاب[19] پنج‌وشش[20]
گاه سرخ وگاه زرد وگه سپید[21] — می‌شود رویت چه حالست و نوید ۳۶ — می‌کشی بوی و بظاهر نیست گل — بیشك از غیبست و ازگلزارِ کل
ای تو کام جان هر خود کامهٔ — هردم از غیبت پیام و نامهٔ ۳۷ — هر دمی یعقوب وار از یوسفی — می رسد اندر مشام تو شفی
قطرهٔ بر ریز بر ما زان سبو — شمّهٔ برگو از آن گلزار و بو[22] ۳۸ — خو نداریم ای جمال مهتری — که لبما خشك و تو تنها خوری

---

٤ ـ آن وحید ۸ ـ زیانشان میرسد ۹ ـ رنج می‌بینند زان جان وجسد ۱۰ ـ پس ۱۱ ـ اعتلال ۱۲ ـ بهر ۱۳ ـ اسرار نهان ۱٦ ـ پیشین چه دید ۱۷ ـ سوی ۱۸ ـ نجست ۱۹ ـ حساب ۲۲ ـ زان گلستان با ما بگو (ن . ل)

---

(۱) اشاره است بکریمهٔ یا ایهاالذین آمنوا ان ارض الله واسعة فایای فاعبدون (۲) اشاره است بآیه شریفه واقعه در سورهٔ بقره و مثل الذین ینفقون اموالهم فی سبیل‌الله کمثل حبة انبتت سبع سنابل فی‌کل سنبلة مأة حبه والله یضاعف لمن‌یشاء والله واسعٌ علیم (۳) چه بهترین حمدهای‌تو خداوند جل شأنه را آنست که وجود تو حمد او باشد و همچنین در ذکر توچه حمد اظهار جمیل است و وجود تو باید مظهر جمال و جلال او شود و یاد از صفات او بدهد کما قال النبی صلی‌الله علیه و آله وسلم من‌رآنی فقد رأی الحق (۵) اشاره است بآیه شریفه واقعه درسورهٔ غاشیه فیها عین جاریه در آن بهشت چشمه ای روان بود که آب آن منقطع نشود (٦) اشاره است بآیه واقعه در سوورهٔ قمر فی مقعد صدقٍ عند ملیك مقتدر یعنی در جایگاه راستی نزد پادشاه با اقتدار (۷) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ اعراف انه یریکم هو و قبیله من حیث لاترونهم انا جعلناالشیاطین اولیاءالذین لایؤمنون (١٤) ازنبض عمل وازچشم دانش وازرنگ سیما مقصود است (١٥) تار وپودکنایه ازاسرار دل وخیالات پنهان است (۲۰) مراد مشاعر ظاهره وباطنه طبیعیه ده گانه وعقل فکری است که حجبند ازکشف حقایق و رقایق (۲۱) مراد احکام طبع و مثال وعقل است چه دره حمرا ودره صفرا و دره بیضا برعالم طبع و عالم مثال و عالم عقل اطلاق کنند و چون دریقظه بود احوال این عوالم ثلثه بر او طاری می شد

ای فلك پیمای چست چست خیز — زآنچه خوردی جرعهٔ برما بریز ۱ میر مجلس نیست در دوران دگر — جز تو ای شه درحریفان درنگر
کی‌توان نوشید این می زیردست — می یقین مرمرد را رسوا گرست ۲ بوی را پوشیده و مکنون کند — چشم مست خویشتن را چون‌کند
خود نه‌آن بویست این کاندرجهان — صد هزاران پرده‌اش دارد نهان ۳ پُرشد از تیزیّ اوصحرا و دشت — دشت چه‌کز نه فلك هم درگذشت
این سرُخم را بکهگل در مگیر — کاین برهنه نیست خود پوشش‌پذیر ٤ لطف کن ای راز دانِ راز گو — آنچه بازت صید کردش باز گو
گفت بوی بوالعجب آمد بمن — همچنانکه مصطفی[1] را از یمن ٥ تا پیمبر[2] گفت بر دست صبا — از یمن می آیدم بوی خدا
بوی رامین میرسد ازجان ویس — بوی یزدان میرسد هم از اویس ٦ از اویس و از قرن بوی عجب — مصطفی[1] را مست‌کرد و پرطرب
چون‌اویس‌ازخویش فانی‌گشته بود — آن زمینی آسمانی گشته بود ۷ آن هلیلهٔ پروریده در شکر — چاشنیّ تلخیش نبود دگر
آن هلیله رسته از ما و منی — نقش دارد از هلیله طعم نی ۸ ❁آن‌کسی‌کز خود بکلی‌درگذشت — این منی و مائی خود در نوشت

قول رسول صلی‌الله علیه و آله و سلم که انی لاجدُ نفس الرحمن من قِبل‌الیمن[3]

این سخن پایان ندارد باز گرد — تاچه‌گفت‌ازوحی‌غیب آن شیرمرد ۱۰ گفت زین‌سو بوی یاری میرسد — کاندر این ده شهریاری میرسد
بعد چندین سال میزاید شهی — میزند بر آسمانها خرگهی ۱۱ رویش از گلزار حق‌گلگون‌بود — از من او اندر مقام افزون بود
چیست نامش‌گفت نامش بوالحسن — حلیه اش وا گفت ز ابرو و ذقن ۱۲ قدّ[4] او ورنگ او و شکل او — یك بیك وا گفت ازگیسو و رو
حلیهای روح او را هم نمود — از صفات و از طریق و جا و بود ۱۳ حلیهٔ تن همچو تن عاریت است — دل برآن‌کم نه‌که آن‌یکساعت‌است
حلیهٔ روح طبیعی هم فناست — حلیهٔ آن‌جان طلب‌کان برسماست ۱٤ جسم او همچون چراغی برزمین — نورِ او بالای سقف[5] هفتمین
آن شعاع آفتاب اندر وثاق[6] — قرص او اندر سپهر[7] چار طاق ۱٥ نقش گل در زیر بینی بهر لاغ — بوی گل بر سقف ایوان دماغ
مرد خفته در عدن دیده فرق — عکس آن بر جسم افتاده عرق ۱٦ پیرهن در مصر رهن یك حریص[8] — پر شده کنعان ز بوی‌آن قمیص
بر نبشتند آن زمان تاریخ را — از کباب آراستند آن سیخ را ۱۷ چون‌رسیدآن‌وقت‌وآن‌تاریخ‌راست — زان‌زمین‌آن‌شاه پیداگشت وخاست

زادن ابوالحسن خرقانی بعد از وفات بایزید قدس‌الله سره

زاده شد آن‌شاه ونرد ملك باخت — از عدم پیدا شد و مرکب بتاخت ۱۹ از پس آن سالها آمد پدید — بوالحسن بعد وفات بایزید
جملهٔ خوهای او زامساك و جود — آن چنان آمدکه آن‌شه گفته بود ۲۰ لوحِ محفوظ است او را پیشوا — ازچه محفوظ‌است محفوظ ازخطا
نی نجومست ونه‌رملست ونه‌خواب — وحی حق والله اعلم بالصواب ۲۱ از پی روپوش عامه در بیان[9] — وحی دل گویند آن را صوفیان
وحی‌دل‌گیرش‌که‌منظر[10] گاه‌اوست — چون‌خطاباشد چودل‌آگاهِ اوست ۲۲ مؤمنا ینظر بنورالله شدی — ازخطاها زان سبب ایمن بدی[11]
صوفئی از فقر چون در غم شود — عین فقرش دایه و مطعم شود[12] ۲۳ زانکه جنت ازمکاره رسته است — رحم قسم عاجز اشکسته است
آنکه سر ها بشکند او از علو — ۲٤ رحم حقّ و خلق ناید سوی او

نقصان اجرای دل و جان صوفی از طعام‌الله تعالی

این سخن آخرندارد و آن جوان — از کمِ اجرای نان شد ناتوان ۲٦ شاد آن‌صوفی‌که رزقش کم شود — آن شبش دُرگردد و او یم شود
زان‌جرای خاص هرك آگاه شد — او سزای قرب واجری‌گاه‌شد[13] ۲۷ زان‌جرای روح چون نقصان‌شود — جانش ازنقصان آن لرزان شود
پس بداند که خطائی رفته است — ۲۸ که سمن زار رضا نشکفته[14] است

باز گشتن بحکایت غلام که رقعه نوشت سوی شاه جهت کمی اجری او و بی التفاتی شاه

همچنان‌کان شخص ازنقصان‌کشت — رقعه سوی صاحب خرمن نوشت ۳۰ رقعه اش بردند پیش شاه[15] راد — خواند آن رقعه جوابی وا نداد
گفت اورانیست‌الّا دردِ قوت[16] — پس جواب احمق اولیتر سکوت ۳۱ نیستش دردِفراق و وصل[17] هیچ — بندِ فرعست و نجوید اصل هیچ
احمق است و مردهٔ ما و منی — کز غم فرعش فراغ اصل نی ۳۲ آسمانها و زمین یك سبب دان — کز درخت قدرت حق شد عیان
تو چو کرمی در میان‌سیب در[18] — وز درخت و باغبانی بیخبر ۳۳ آن یکی‌کرمی دگر درسیب هم[19] — لیك جانش از برون صاحب علم
جنبش او وا شکافد سیب را — بر نتابد سیب آن آسیب را ۳٤ بر دریده جنبش او پرد ها — صورتش کرمست و معنی اژدها
آتشی کاوّل ز آهن می جهد — او قدم بس سست بیرون می نهد ۳٥ دایه‌اش پنبه‌است اوّل لیك اخیر — میرساند شعلها او تا اثیر
مرد اوّل بستهٔ خواب وخور است — آخرالامر از ملایك بر تر است ۳٦ در پناه پنبه و کبریتها — شعلهٔ نورش بر آید تا سها
عالم تاریك روشن می‌کند — کندهٔ آهن بسوزن می کند ۳۷ گر چه آتش نیزهم جسمانی است — نی ز روح‌است ونه ازروحانی‌است

---

۱ ـ مر نبی ۲ ـ که محمد ٤ ـ خدّ ٥ ـ چرخ ۷ ـ چهارم ـ جهان ۱۰ ـ منزل ۱۱ـ و سهو بیرون آمدی ۱٤ ـ آشفته ۱٥ ـ میر ۱٦ ـ لوت ۱۷ ـ درفرع فرق و اصل (ن . ل)

---

(۳) فرمود بدرستیکه من می یابم نفس رحمن را از جانب یمن گفته اند اشاره است بوجود خواجه اویس قرنی قدس‌الله روحه که از اهل یمن بود (٦) وثاق خانه و منزل است و چارطاق سقفی را گویند که آنرا بر سر چهار ستون بنا کنند وچون آسمان سقف این جهانست که‌عبارت از عناصر اربعه باشد مولوی آنرا بچار طاق وصف نموده (۸) یعنی آن بشیری که حریص بود بر رسانیدن پیرهن یوسف بیعقوب و مژده دادن واحتمال میرودکه ازحَرص بفتح بمعنی شق باشد و ثوب حریص یعنی پیرهن هنوز ملازم اثواب مشقوقهٔ یوسفیه بود مثل قبا و ردا و در وقتی که فرمود اذهبوا بقمیصی هذا یا ثوبی که بشیر قمیص را در آن ملفوف ساخت‌که یعقوب دریافت وفرمودکه انی‌لاجد ریح یوسف (۹) اقتباس است‌از آیهٔ و انه لتنزیل ربّ العالمین نزل به‌الروح الامین علی قلبك لتکون من‌المنذرین که در سورهٔ شعراء است و صوفیه و بعضی از حکما آنرا بوحی تفسیر نموده اند (۱۲) یعنی در فقر طعامهای روحانی بیشتر رسد (۱۳) چنانکه امیرالمؤمنین علی علیه السلام فرماید ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً لجنتك وانماوجدتك اهلاً للعبادة فعبدتك (۱۸) امیرخسرو دهلوی فرماید : تو پنداری‌جهانی‌غیرازین‌نیست زمین وآسمانی غیرازین‌نیست
چوآن‌کرمی‌که درگندم نهان‌است زمین و آسمان او همانست (۱۹) اصلها ثابت و فرعها فی السماء

جسم را نبود از آن عزّ بهرهٔ — جسم پیش بحرِ جان چون قطرهٔ ۱ جسم از جان نور[1] افزون میشود — چون رود جان جسم بین چون می‌شود
حدّ جسمت یك دو گز خود بیش نیست — جانِ تو تا آسمان جولان کنی است ۲ تا ببغداد و سمرقند ای همام — روح را اندر تصوّر نیم گام[2]
دو درم سنگست پیه چشمتان — نورِ روحش تا عنانِ آسمان ۳ نور بی‌این چشم می بیند بخواب — چشم بی این نور نبود[3] جز خراب
جان ز ریش و سبلت تن فارغست — لیك تن بی‌جان بود مردار و پست ٤ بارنامهٔ روح حیوانیست این — پیشتر آ[4] روح انسانی ببین
بگذر از انسان و هم ازقال وقیل — تا لب دریای جانِ جبرئیل ٥ بعد از آنت جان احمد لب گزد — جبرئیل از بیم تو وا پس خزد
گوید ار آیم بقدر یك کمان ٦ من بسوی تو بسوزم بی گمان[5]

آشفتن آن غلام از نا رسیدن جواب رقعه از قبل پادشاه

این بیابان خود ندارد پا و سر — بی‌جواب نامه خسته‌است آن پسر ۸ ❀چون جواب نامه نامد خیره گشت — وز غم او آب صافی تیره گشت
❀نی قرارش ماند و نی خواب از جنون — روز و شب بد در تفکر سرنگون ۹ کای عجب چونم نداد آن شه جواب — یا خیانت کرد رقعه‌بر ز تاب
رقعه پنهان کرد و ننمود او بشاه — کو منافق بود و آبی زیر کاه ۱۰ رقعهٔ دیگر نویسم ز آزمون — دیگری جویم رسولی ذو فنون
بر امیر و مطبخیّ و نامه بر — عیب بنهاده ز جهل آن بی‌خبر ۱۱ هیچ گِردِ خود نمی‌گردد که من — کژ روی کردم چو اندر دین شمن

کژ وزیدن باد بر سلیمان علیه‌السلام بسبب زلّت او

باد بر تخت سلیمان رفت کژ — پس سلیمان گفت بادا کژ مغز ۱۳ باد هم گفت ای سلیمان کژ مرو — ور روی کژ ازکژم خشمین مشو
این ترازو بهر این بنهاد حق — تا رود انصاف مارا در سبق ۱٤ از ترازو کم کنی من کم کنم — تا تو با من روشنی من روشنم
همچنین تاج سلیمان میل کرد — روز روشن را براو چون لیل کرد ۱٥ گفت تاجا کژ مشو بر فرقِ من — آفتابا کم مشو از شرقِ من
راست میکرد او بدست آن تاج را — باز کج می‌شد برو تاج ای فتی ۱٦ هشت بارش راست کرد و گشت کژ — گفت تاجا چیست آخر کژ مغز
گفت اگر صد ره کنی تو راست من — کژ شوم چون کژ شوی ای مؤتمن ۱۷ پس سلیمان اندرون را راست کرد — دل بر آن شهوت که بودش کرد سرد
بعد از آن تاجش همانم راست شد — آنچنانکه تاج را میخواست شد ۱۸ بعد از آنش کژ همی کرد او بقصد — تاج وا میگشت تارك جو بقصد
هشت کرّت کژ بکرد آن مهترش — راست میشد تاج بر فرقِ سرش ۱۹ ❀شاه گفت ای تاج چونست این زمان — کژ کنم تو راست گردی زامتحان
تاج ناطق گشت کای شه نازِ[6] کن — چون فشاندی پر زگل پرواز کن ۲۰ نیست دستوری کزین من بگذرم[7] — پرد های غیبِ این برهم درم
بر دهانم نه تو دست خود ببند — مر دهانم را ز گفت ناپسند ۲۱ پس ترا هر غم که پیش آید ز درد — برکسی تهمت منه برخویش گرد
ظن مبر بردیگری ایدوست کام — آن مکن که می‌سگالید آن غلام ۲۲ گاه جنگش با رسول و مطبخی — گاه خشمش با شهنشاه سخی
همچو فرعونی که موسی هشته بود — طفلکان خلق را سر می ربود ۲۳ آن عدو در خانهٔ آن کور دل — او شده اطفال را گردن گسل
توهم از بیرون بدی با دیگران — واندرون خوش گشته با نفس گران ۲٤ خود عدوّ تاوست قندش می‌دهی — وز برون تهمت بهرکس مینهی
همچو فرعونی توکور و کور دل — با عدو خوش بیگناهان را مُذل ۲٥ چند فرعونا کُشی بی جرم را — می نوازی این تن پر غُرم را[8]
عقل او بر عقلِ شاهان می‌فزود — حُکم حق بی‌عقل و کورش کرده بود ۲٦ مهر حق بر چشم و بر گوش و خِرَد — گر فلاطونست حیوانش کند
حکم حق بر لوح می‌آید پدید ۲۷ آنچنانکه حکم غیب با یزید

شنیدن ابوالحسن خرقانی خبردادن بایزید را از بودِ او و احوال او

همچنان آمد که او فرموده بود — بوالحسن از مردمان آن‌را شنود ۲۹ که حسن باشد مرید و امّتم — درس گیرد هرصباح از تربتم
❀ هرصباحی آید وخواند سبق — بر سر خاك و شود پیری بحق ۳۰ هر صباحی تیز رفتی بی فتور — بر سر گورش نشستی با حضور
گفت من هم نیز خوابش دیده‌ام — وز روان شیخ این بشنیده ام ۳۱ ❀ هرصباحی رو نهادی سوی گور — ایستادی تا ضحی اندر حضور
یا بصورت[9] شیخ پیشش آمدی — یا که بی‌گفتی شکالش حل شدی ۳۲ تا یکی روزی بیامد با سعود — گورها را برف نو پوشیده بود
توی بر تو برفها هم چون علم — قبه قبه دید و شد جانش بغم ۳۳ بانگش آمد از خطیرهٔ[10] شیخ حی — ها انا ادعوك کی تسعی الیّ[11]
هین بیا اینسو برآوازم شتاب — عالم‌ار برفست روی ازمن متاب[12] ۳٤ حال او زان روز شد خوب و بدید — آن عجایب را که اوّل می‌شنید
❀ باز باید گشت سوی آن غلام ۳٥ کرد باید آن حکایت را تمام

رقعهٔ دیگر نوشتن آن غلام پیش شاه چون جواب آن رقعهٔ اوّل نیافت

نامهٔ دیگر نوشت آن بد گمان — پر ز تشنیع و نفیر و پُر فغان ۳۷ که یکی رقعه نوشتم پیش شاه — ای عجب آنجا رسید و یافت راه
آن دگر را خواند هم آن خوب خدّ — هم نداد آن را جواب وتن بزد ۳۸ خشك می‌آورد اورا شهریار — او مکرّر کرد رقعه چند[13] بار

---

۱ ـ روز ۳ ـ چه بود ٤ ـ رو ٥ ـ در زمان ٦ ـ بار ۹ ـ یا مثال ۱۳ ـ پنج (ن . ل)

---

(۲) یعنی درآنی روح بآسمانها میرود وبلادی که دیده می‌سپرد چه همه قلمروتخیلش هستند چه جای تعقل‌وتصور حصول حقایق اشیاست بانفسها لا باشباحها چنانکه در موضع خود محقق است این سهل است که آنچه درعالم خود نفس است ازمنشئات و مجعولات نفس است اگرتصورات است بجعل بسیط و اگر تصدیقات است بجعل مرکب (۷) یعنی اجازت نیست که افشای راز سلیمان زیاده ازاین‌که باعث کج شدن انتاج حضرت سلیمان را اصل چه بوده بگویم و پردهٔ غیب را گشاده گردانم از راه مناجات میگوید بردهان من تو دست خودبنه که راز نا گفتنی را نگویم (۸). غرم مثل‌غرامت ادای چیزی که لازم شده باشد وبرخود آن چیزهم اطلاق میشودکه مغرم باشد ودراینجا گناهان مراد است همچنانکه دردعا آمده است اعوذ بك من‌الاثم والغرم (۱۰) خطیره بقعه ودیواریست وخطایرقدس بقاع مقدسه را گویند که در آسمان است (۱۱) اینك میخوانم ترا تا سعی کنی وبیائی سوی من (۱۲) چون سلطان تسلیم بود دردید قدرت حق خاصه بعد از موت طبیعی پس لسان حق می گوید که عالم باعتبار تعینات اعتباریه ومهیات سرابیه در نظر پندار اگر روپوش حقیقت وجود من مینماید مانند برف که روپوش آب است تو زیرك باش و از من رو متاب که مرا حجاب وجودی نیست بجز فرط ظهور ووفور نور کما فی‌الحدیث من حده فقد عده

گفت حاجب آخر او بندهٔ شماست / گر جوابش برنویسی هم رواست ۱ از شهیّ تو چه کم گردد اگر / بر غلام و بنده اندازی نظر
گفت این سهلست امّا احمق است / مرد احمق زشت و مردود حق است ۲ گرچه آمرزم گناه و زلّتش / هم کند در من سرایت علتش
صدکس از گرگین همه گرگین شود / خاصه این گرگ خبیث عقل بند[1] ۳ گرگ کبم عقلی مبادا گبر را / شومیش بی آب دارد ابر را
نم نبارد ابر از شومیّ او / شهر شد ویرانه از بومیّ او ۴ از گرآن احمقان طوفان نوح / کرد ویران عالمی را در فضوح

ستودن پیغمبر علیه السلام عاقل را و نکوهیدن احمق را

گفت پیغمبر که احمق هرکه هست / او عدوّ ما و غول رهزنست ۶ هرکه او عاقل بود اوجان ماست / روح او وریح[2] او ریحان ماست
عقل دشنامم دهد من راضیم / زانکه فیضی دارد از فیّاضیم ۷ نبود آن دشنام او بی فایده / نبود آن مهمانیش بیّ مایده
احمق ار حلوا نهد اندر لبم / من ازآن حلوای او اندر تبم ۸ این یقین دان گر لطیف وروشنی / نیست بوس کون خر را[3] چاشنی
سبلتت گنده کند بی فایده / جامه از دیگش سیه بی مایده ۹ مائده عقلست نی نان و شوی[4] / نورعقلست ای پسر جان را غذی[5]
نیست غیر نور آدم را خورش / ازجز آن جان را نباید[6] پرورش ۱۰ زین خورشها اندك اندك باز بر / کاین غذای خر بود نی آن حرّ
تا غذای اصل را قابل شوی / لقمهای نور را آکل شوی ۱۱ اصل[7] این نورست کاین نان شدست / فیض آن جانست کانجان جان شدست
چون خوری یکبار ازمأکول نور / خاك ریزی بر سر نان تنور ۱۲ ❀عقل شیداشد چه خوانی ترّهات / راه پیدا شد چه پائی بی ثبات
عقل دو عقلست اوّل مکسبی[8] / که درآموزی چو درمکتب صبی ۱۳ ازکتاب و اوستاد و فکر و ذکر / ارمغانی وز علوم خوب و بکر
عقل تو افزون شود بر دیگران / لیك تو باشی ز حفظ آن گران ۱۴ لوح حافظ توشوی در[9] دوروگشت / لوح محفوظاست کوزین درگذشت
عقل دیگر بخشش یزدان بود / چشمهٔ آن در میان جان بود ۱۵ چون زسینه آب دانش جوش کرد[10] / نی شود گنده نه دیرینه نه زرد
ور ره نبعش بود بسته چه غم / کو همی جو شد ز خانه دم بدم ۱۶ عقل تحصیلی مثال جویها / کان رود در خانهٔ از کویها
راه آبش[11] بسته شد شد بی نوا / ❀تشنه ماند و زار و با صد ابتلا ۱۷ از درون خویشتن جو چشمه را / ❀ تا رهی از منت هر ناسزا

قصهٔ آنکسی که با یکی مشورت میکرد گفتش مشورت بادیگری کن که من عدوی توام

مشورت میکرد شخصی با یکی[12] / تا یقینش رو نماید بی شکی[13] ۱۹ گفت ای خوش نام غیر من بجو / ماجرای مشورت با وی بگو
من عدوّم مر ترا با من مپیچ / نبود از رای عدو پیروز هیچ ۲۰ روکسی جوکه ترا اوهست دوست / دوست بهردوست لاشك خیرجوست
من عدوّم چاره نبود کز منی / کژ روم با تو نمایم دشمنی ۲۱ حارسی ازگرگ جستن شرط نیست / جستن از غیر محل ناجستنیست
من ترا بی هیچ شکی دشمنم / من ترا کی ره نمایم ره زنم ۲۲ هرکه باشد همنشین دوستان / هست در گلخن میان بوستان
هرکه با دشمن نشیند در زمن / هست اندر[14] بوستان درگولخن ۲۳ دوست را مازار از ما و منت / تانگردد دوست خصم و دشمنت
خیر کن با خلق از بهر خدا[15] / یا برای جان خود ای کدخدا[16] ۲۴ تا هماره[17] دوست بینی در نظر / در دلت ناید زکین ناخوش صور
چونکه کردی دشمنی پرهیز کن / مشورت با یار مهر انگیز کن ۲۵ گفت می دانم ترا ای بوالحسن / که توئی دیرینه دشمن دار من
لیك مرد عاقلیّ و معنوی / عقل تو نگذاردت که کج روی ۲۶ طبع خواهد تا کشد ازخصم کین / عقل بر نفس است بند آهنین
آید و منعش کند واداردش / عقل چون شحنه است درنیك وبدش ۲۷ عقل ایمانی چو شحنهٔ عادلست / پاسبان و حاکم شهر دل است
همچو گربه باشد او بیدار هوش / دزد در سوراخ ماندهمچوموش[18] ۲۸ در هرآنجا که برآرد موش دست / نیست گربه ور بود آن مرده[19] است
گربهٔ چه شیر شیر افکن بود / عقل ایمانی که اندر تن بود ۲۹ غرهٔ[20] او حاکم درّندگان / نعرهٔ او مانع چرّندگان
شهر پر دزدست و پر جامه کنی / خواه شحنه باش گو و خواه نی ۳۰ ❀ عقل در تن حاکم ایمان بود / که ز بیمش نفس در زندان بود
❀ عقل عقل وجان جان ایجان توئی / عقل وجان خلق را سلطان توئی ۳۱ ❀ عقل کل سرگشته وحیران تست / کل موجودات در فرمان تست

امیر گردانیدن رسول صلی الله علیه وآله جوان هذیلی را بر سریّه که در آن پیران وجنگ آزمودگان بودند

یك سریّه[21] میفرستادی رسول / بهر جنگ کافر و دفع فضول ۳۳ یك جوانی را گزید او ازهذیل[22] / میر لشکر کردش و سالار خیل
اصل لشکر بی گمان سرور بود / قوم بی سرور تن بی سر بود ۳۴ این همه که مرده و پژمردهٔ / زان بود که ترك سرور کردهٔ
از کسل وز بخل وز ما و منی / می کشی سر خویش را سرمیکنی ۳۵ همچو استوری که بگریزد ز بار / او سر خود گیرد اندر کوهسار
صاحبش دربی دوان کای خیره سر / هر طرف گرگیست اندرقصدخر ۳۶ گر زچشمم این زمان غائب شوی / پیشت آید هر طرف گرگ قوی
استخوانت را بخاید چون شکر / که نبینی زندگانی را دگر ۳۷ آن مکن کاخر بمانی از علف / آتش از بی هیزمی گردد تلف
هین بمگریز از تصرف کردنم / وز گرانی بار چون جانت منم ۳۸ تو ستوری هم که نفست غالبست / حکم غالب را بود ای خودپرست[23]
خرنخواندت اسب خواندت ذوالجلال / اسب تازی را عرب گوید تعال ۳۹ میر آخور بود حق را مصطفی / بهر استوران نفس پر جفا
قل تعالوا گفت از جذب کرم / تا ریاضت تان دهم من رایضم ۴۰ نفسها را تا مروّض کرده ام / زین ستوران بس لگدها خورده ام

---

۱ ـ نا پسند ۲ ـ راح او وروح ۳ ـ با ۴ ـ کباب ۵ ـ شراب ۶ ـ نیابد ۷ ـ عکس ۹ ـ باشی اندر ۱۱ ـ چونکه راهش ۱۲ ـ کسی ۱۳ ـ کز تردد وارهد وز محبسی ۱۴ ـ او در ۱۵ ـ بهر ایزدت ۱۶ ـ راحت جان خودت ۱۷ـ همیشه ۱۸ ـ همچون موش در نقبی خموش ۱۹ ـ یا که نقش گربه (ن . ل)

---

(۸) کما قال امیرالمؤمنین علی علیه‌السلام رأیت العقل عقلین فمطبوع ومسموع ولن ینفع مسموع اذا لم یك مطبوع (۱۰) صندوق پر از کتاب سودی ندهد باید که کتابخانه در سینه بود (۲۰) غرّه دراینجا بمعنی غرش وغریدن است (۲۱) سریهٔ پارهٔ ازلشکر که سلطان در میانش نباشد وعدد آن ازپنجنفرکمتر و ازچهار صد نفر بیشترنیست (۲۲) هذیل قبیله‌ایست از عرب (۲۳) آیا نمی‌بینی که انس چهارعنصر دارندوجن هم وچون حکم تابع عنصرغالب است اصل آنرا تراب واین را نار گویند پس آنان که احکام فرشتگان برایشان غالبست در باطن فرشته وبهتراز فرشته‌اند واینان که احوال بهائم وسباع برایشان غالب است در باطن انعام وپست تر از انعامند گو در هر دو صنف بصورت انسان باشند

هر کجا باشد ریاضت بارهٔ از لگدهایش نباشد چارهٔ ۱ لاجرم اغلب بلا بر انبیاست که ریاضت دادن خامان بلاست
سکسکانید از دمم یرغا شوید[1] تا یواش و مرکب سلطان بوید ۲ قل تعالوا قل تعالوا گفت حق[2] ای ستوران ملول اندر سبق
❀ قل تعالوا قل تعالوا گفت حی ای ستوران فسرده رگ و پی ۳ ❀ قل تعالوا قل تعالوا گفت رب ای ستوران رمیده از ادب
گر نیایند ای نبی غمگین مشو زان دوبی‌تمکین تو پر از کین مشو ۴ گوش بعضی زین تعالوها کراست هر ستوری را صطبلی دیگراست
منهزم گردند بعضی زین ندا هست هر اسبی طویلهٔ او جدا ۵ منقبض گردند بعضی زین قصص زانکه هر مرغی جدا دارد قفص
خود ملایك نیز تا همتا بدند زین‌سبب بر آسمان صف‌صف‌شدند ۶ کودکان گر چه بیك مکتب درند در سبق هر یك ز یك بالاترند
مشرقی و مغربی را حسهاست منصب دیدار حس چشم راست ۷ صد هزاران گوشها گر صف زنند جمله محتاجان چشم روشنند
باز صف گوشها را منصبی در سماع جان و اخبار و نبی ۸ صدهزاران‌چشم را آن راه‌نیست هیچ چشمی از سماع آگاه‌نیست
همچنین هر حس یکیك می شمر هر یکی معزول زان کار دگر ۹ پنج حس ظاهر و پنج اندرون در[3] صفند اندر قیام الصافون
هر کسی کو از صف‌دین سرکش است میرود سوی صفی کان ناخوش[4] است ۱۰ تو ز گفتار تعالوا کم مکن کیمیائی بس شگرفست این سخن
گر مسی گردد ز گفتارت نفیر کیمیا را هیچ از وی وا مگیر ۱۱ این زمان گرم است[5] نفس کافرش گفت تو سودش کند در آخرش
قل تعالوا قل تعالوا ای غلام هین که ان الله یدعو بالسلام[6] ۱۲ خواجه باز آ از منی و از سری سروری جو کم طلب کن سروری

اعتراض کردن معترضی بر رسول صلی‌الله علیه وآله بر امیر گردانیدن هذیلی

چون پیمبر سروری کرد ازهذیل از برای لشکر منصور خیل ۱۴ بوالفضولی ازحسد طاقت نداشت اعتراض و لا نسلم بر فراشت
خلق را بنگر که چون ظلمانی‌اند در متاع فانئی چون فانی اند ۱۵ از تکبر جمله اندر تفرقه مرده از جان زنده اندر محرقه
این عجب که جان بزندان اندراست وانگهی مفتاح زندانش بدست[7] ۱۶ پای تا سر غرق سرگین آن‌جوان میزند بر دامنش جوی روان
دائماً پهلو به پهلو بی قرار پهلوی آرامگاه و پشت دار ۱۷ نور پنهانست و جست وجوگواه[8] کز گزافه دل نمیجوید پناه
گر نبودی حبس دنیا را مناص نی‌بدی وحشت‌نه دل جستی‌خلاص ۱۸ وحشتت همچون موکل می کشد که بجو ای ضال منهاج رشد
هست منهاجی نهان در مکمنت یافتش یعنی گزافه جستنت ۱۹ تفرقه جویای جمع اندر کمین تو درین طالب رخ مطلوب بین
مردگان باغ بر جسته ز بن زندگی بخشنده را تو[9] فهم کن ۲۰ چشم این زندانیان هر دم بدر کی بدی گر نیستی کس مژده ور
صد هزار آلودگان آب جو کی بدندی گر نبودی آب جو ۲۱ بر زمین پهلوت را آرام نیست زانکه در خانه لحاف و بستریست
بی مقر گاهی نباشد بی قرار بی خمار اشکن نباشد این خمار ۲۲ گفت نی نی یا رسول الله مکن سرور لشکر مگر شیخ کهن
یا رسول الله جوان ار شیر زاد غیر مرد پیر سر لشکر مباد ۲۳ هم تو گفتی این و گفت تو گوا پیر باید پیر باید پیشوا
یا رسول‌الله در این لشکر نگر هست چندین پیر از وی بیشتر ۲۴ زین‌درخت‌آن برگ زردش‌رامبین سیبهای پختهٔ او را بچین
برگهای زرد اوخود کی تهی‌است این نشان پختگی و کاملی است ۲۵ برگ زرد ریش وآن موی سپید بهر عقل پخته می آرد نوید
برگهای نو رسیده سبز فام شد نشان آنکه آن میوه‌است‌خام ۲۶ برگ بی برگی نشان عارفیست زردی زر سرخ روئی صیرفیست
آنکه‌او گل‌عارض‌است‌ارنوخطست او بمکتب گاه مخبر نو خطست ۲۷ حرفهای خط او کژ مژ بود مزمن عقلست اگر تن مبدود
پای پیر ازسرعت ارچه باز ماند یافت عقل او دو پر براوج راند ۲۸ گر مثل خواهی بجعفر در نگر داد حق برجای دست و پاش پر
❀ گر ز اسرار سخن بوئی بری من سخن گویم چو زر جعفری[10] ۲۹ بگذر از زرکین‌سخن شد محتجب همچوسیماب این‌دلم شد مضطرب
زاندرونم صد خموشی خوش‌نفس دست بر لب می نهد یعنی‌که بس ۳۰ خامشی بحرست وگفتن همچوجو بحر می جوید ترا جو را مجو
از اشارتهای دریا سر متاب ختم کن والله اعلم بالصواب ۳۱ همچنین پیوسته کرد آن بی ادب پیش پیغمبر سخن زان سرد لب
دست می دادش سخن او بیخبر که خبر هرزه بود پیش نظر ۳۲ این‌خبرها ازنظرها[11] نائب است بهر حاضر نیست بهر غائب است
هر که او اندر نظرموصول شد این خبرها پیش او معزول شد ۳۳ چونکه با معشوق گشتی همنشین دفع کن دلاله‌گان را بعد ازاین
هر که از طفلی گذشت ومردشد نامه و دلاله بر وی سرد شد ۳۴ نامه خواند از پی تعلیم را حرف گوید از پی تفهیم را
پیش بینایان خبر گفتن خطاست کان دلیل غفلت و نقصان ماست ۳۵ پیش بینا شد خموشی نفع تو بهر این آمد خطاب انصتوا
گر بفرماید بگو بر گوی خوش لیك اندك گو دراز اندر مکش ۳۶ ور بفرماید که اندر کش دراز همچنان شرمین بگو با امر ساز
همچنان‌که من در این زیبا فسون با ضیاء الحق حسام الدین کنون ۳۷ چونکه کوته می کنم من از رشد او بصد نوع عم بگفتن می کشد

---

۱ ـ رویدد ۳ ـ ده ٤ ـ واپس ٥ ـ کژ است مست ـ بست ۹ ـ کان دهندهٔ زندگی را ۱۱ ـ خود (ن . ل)

---

(۲) درسورهٔ آل‌عمران ومشهور به آیهٔ مباهله است فمن‌حاجك فیه من‌بعد ماجاءك من‌العلم فقل تعالوا ندع ابنائنا وابنائکم ونسائنا ونسائکم وانفسنا و انفسکم ثم‌نبتهل فنجعل لعنةالله علی‌الکاذبین یادرسورهٔ انعام قل تعالوا اتل ماحرم ربکم علیکم الاتشرکوا به شیئاً (٦) درسورهٔ یونس واقعشده والله یدعوا الی دارالسلام (۷) تا آنجا که گفت نی نی یا رسول الله مکن همه درین مطلب است که حقتعالی فرموده و فی انفسکم افلا تبصرون و امیرالمؤمنین علی علیه السلام میفرماید دواؤك فیك و لا تبصر (۸) یعنی طلب و طالب که مضایف است بی مطلوب صورت نبندد و حرکات و طلبات بی غایت و ثمره نیست که عبث لازم آید بلکه همه در طلب اویند ولکن لا یشعرون و فی طغیانهم یعمهون چندین هزار ذره سرأسیمه میدوند در آفتاب وغافل ازین‌کافتاب چیست مثلاً طالب غنا وبقا طالب اوست چه اینها صفت اوست ولکن طالب غنا را در غنای مجازی و بقا را در بقای مجازی‌که عین فقر وفنایند گم کرده است ومعترضی که کلام مولوی دراوست ازباب کل موجود یجب الفردانیه مستبد برأی شده است و لیکن ندانسته است که فردانیت در تسلیم و تبعیت محض انسان کامل است (۱۰) زر جعفری پولی بوده است از طلای خالص‌که جعفر برمکی برای عطا و کرم سکه زده است

ای حسام الدین ضیاء ذوالجلال — چونکه می بینی چه میجوئی مقال ۱ این مگر باشد ز حبّ مشتهی — اسقنی خمراً و قل لی انّها[1]
بر دهان تست این دم جام او[2] — گوش میگوید که قسم گوش کو ۲ قسم توگرمیست نك گرمیت هست[3] — گفت حرص من ازاین افزون ترست

جواب گفتن پیغمبر صلی‌الله علیه و آله اعتراض کننده را

در حضور مصطفای قند خو[4] — چون زحدّ بردآن عرب ازگفت وگو[5] ٤ آن شه والنجم و سلطان عبس[6] — لب گزیدآن سرد دم را گفت بس
دست می زد بهر منعش بردهان — چند گوئی پیش دانای نهان ٥ پیش بینا بردهٔ سرگین خشك — که بخر این را بجای ناف مشك
بعره را ای گنده مغز گنده مُخ — زیر بینی بنهی و گوئی که اُخ ٦ اخ اخی برداشته ای خُشك مغز[7] — تا نمائی پشك دون را مشك نغز[8]
تا که بفریبی مشام پاك را — آن چرندهٔ گلشن افلاك را ۷ حلم او خودرا اگر چه گول ساخت — خویشتن را اندکی باید شناخت
دیگ را گر باز ماند شب دهن — گربه را هم شرم باید داشتن ۸ خویشتن گر خفته کردآن خوب فر — سخت بیدارست دستارش مبر
چند گوئی ای لجوج بی صفا — این فسون دیو پیش مصطفا ۹ صد هزاران حلم دارند این گروه — هریکی حلمی ازآنها صد چوکوه
حلمشان بیدار را ابله کند — زیرك صد چشم را گمره کند ۱۰ حلمشان همچون شراب خوب نغز — نغز نغزك بر رود بالای مغز
مست را بین زان شراب پرشگفت — همچو فرزین مست کژ رفتن گرفت ۱۱ مرد برنا زان شراب زود گیر — در میان راه میافتد چو پیر
خاصّه آن باده که ازخمّ نبی است — نی مئی که مستی او یکشبی است ۱۲ آنکه آن اصحاب کهف از نُقل ونقل — سیصد و نه سال گم کردند عقل
زان زنان مصر جامی خورده‌اند — دستها را شرحه شرحه کرده اند ۱۳ ساحران هم سُکر موسی داشتند — دار را دلدار می پنداشتند[9]
جعفر طیّار زان می بود مست ۱٤ زان گرو میکرد بیخود پا و دست

قصه سبحانی ما اعظم شانی گفتن ابا یزید و اعتراض مریدان و جواب او مر ایشان را نه بطریق گفتِ زبان بلکه از راه عیان

با مریدان آن فقیر محتشم — با یزید آمد که نك یزدان منم ۱۷ گفت مستانه عیان آن ذو فنون — لا اله الا انا ها فاعبدون[10]
چون گذشت آن حال وگفتندش صباح — تو چنین گفتی و این نبود صلاح ۱۸ گفت این بار ار کنم این مشغله — کاردها در من زنید آن دم هله
حق منزّه از تن و من با تنم — چون چنین گویم بباید کشتنم ۱۹ چون وصیت کرد آن آزاد مرد — هر مریدی کاردی آماده کرد
مست گشت اوبازازآن سفراق زفت — آن وصیتهاش از خاطر برفت ۲۰ عقل آمد نقل[11] او آواره شد — صبح آمد شمع او بیچاره شد
عقل خودشحنه است چون سلطان رسید — شحنهٔ بیچاره در کُنجی خزید ۲۱ عقل سایهٔ حق بود حق آفتاب — سایه را با آفتاب او چه تاب
چون پری غالب شود بر آدمی — گم شود ازمرد وصف مردمی[12] ۲۲ هر چه گوید او پری گفته بود — زاین سری نه زان سری گفته بود
چون پری را این دم وقانون بود — کردگار آن پری خود چون بود ۲۳ اوی او رفته پری خود او شده — تُرك بی الهام تازی گو شده
چون بخود آید نداند یك لغت — چون پری را هست این ذات وصفت ۲٤ پس خداوند پریّ و آدمی — از پری کی باشدش آخر کمی
شیرگیر ازشیر کی ترسد بگو — شرح راه از کور که پرسد بگو[13] ۲٥ شیر گیر ارخون نرّه شیر خورد — تو بگوئی او نکرد آن باده کرد
ور سخن پردازد از راز کهن — تو بگوئی باده گفته است این سخن ۲٦ بادهٔ را می بود این شرّ و شور — نورحق رانیست این فرهنگ وزور
که ترا از تو بکل خالی کند — تو شوی پست او سخن عالی کند ۲۷ گر چه قرآن از لب پیغمبرست — هرکه گوید حق نگفت اوکافرست
چون همای بیخودی پرواز کرد — آن سخن را با یزید آغاز کرد ۲۸ عقل را سیل تحیر در ربود — زان قوی تر گفت کاوّل گفته بود
نیست اندر جبه ام الاّ خدا — چند جوئی در زمین و در سما ۲۹ آن مریدان جمله دیوانه شدند[14] — کاردها[15] در جسم پاکش میزدند
هر یکی چون ملحدان گردکوه[16] — کارد می‌زد پیر خود را بی ستوه ۳۰ هر که اندر شیخ تیغی می خلید — باز گونه او تن خود میدرید
یك اثر نی بر تن آن ذو فنون — وان مریدان خسته درغرقاب خون ۳۱ هر که اوسوی گلویش زخم برد — حلق خود ببریده دید و زار مرد
وانکه او را زخم اندر سینه زد — سینه اش بشکافت شد مردهٔ ابد ۳۲ وانکه آگه بود ازآن صاحب قران — دل ندادش که زند زخم گران
نیم دانش دست او را بسته کرد — جان ببرد الا که خود را خسته کرد ۳۳ روز گشت و آن مریدان کامته — نوحه‌ها از خانشان بر خاسته
پیش او آمد هزاران مرد و زن — کای دوعالم درج در یك پیرهن ۳٤ این تن تو گر تن مردم بدی — چون تن مردم زخنجر گم شدی
با خودی با بیخودی دو چار زد — بیخود[17] اندر دیدهٔ خود خار زد ۳٥ ای زده بر بیخودان تو ذوالفقار — بر تن خود میزنی آن هوش دار
زانکه بیخود فانیست و ایمن است — تا ابد در ایمنی او ساکن است ۳٦ نقش او فانیّ و او شد آینه — غیر نقش روی غیر آنجای نه[18]
گر کنی تف سوی روی خودکنی — ور زنی بر آینه بر خود زنی ۳۷ ور ببینی روی زشت آن هم توئی — ور ببینی عیسی مریم توئی
او نه اینست ونه آن اوساده است — نقش تو در پیش تو بنهاده است ۳۸ چون رسید اینجا سخن لب دربست — چون رسید اینجا قلم درهم شکست

---

۲ ـ هو ۳ ـ گرمیّ ومست ٤ ـ بر طرب ٥ ـ گفت و گو را چون ز حد برد آن عرب ۷ ـ گیج گاج ۸ ـ تا که کالای بدت یابد رواج
۹ ـ انگاشتند ۱۱ ـ عشق آمد عقل ۱۲ ـ زود صف بیش وکمی ۱٤ ـ در هم آمدند ۱٥ ـ تیغها ۱۷ ـ با خود (ن . ل)

---

(۱) مشتهی یعنی مطلوب واسقنی خمراً اشاره است بشعر ابی نواس که گفته الا فاسقنی خمراً وقل لی هی الخمر ولاتسقنی سرّاً متی امکن الجهر یعنی شراب را به پیمای وبگو این شرابست تا گوش من ازنام او محظوظ شود (٦) مقصود دوسورهٔ والنجم وعبس است که درقرآن مجیدواقع شده است (۱۰) یعنی مستانه ازروی بیخودی میگفت نیست خدائی مگر من پس بپرستید مرا (۱۳) یعنی شرح راه راکه عبارت ازحفظ مراتب عبودیت باشد از مست سفراق حقیقت که کوری سُکر دارد و چشمش از ماسوی پوشیده است که پرسد (۱٦) گرد کوه در مازندران واقع بوده و در زمان امام فخر رازی ملاحده در آنجا مسکن داشتند (۱۸) یعنی دیده که هر آینه ظهور ندارد و فانی در عکس ونقش عاکس است وآن عکس و نقش تمکین نمیکند آن را از بروز خاصه در حالتیکه ناظر بهمان عکس باشی و آینه آلت لحاظ باشد نه ملحوظ بالذات پس غیر نقش غیر آینه که صورت تو باشد اگر تو ناظر بآینه باشی در آینه نیست پس اگر تف کنی بآن بخود کردهٔ و اگر تجبیل کنی اورا خودرا کردهٔ که او ازصفا و بی رنگی خوب و زشت همه را بنماید

لب ببند ار چه فصاحت دست داد — دم مزن والله اعلم بالرّشاد ۱ — بر کنار بامی ای مست مُدام — پست بنشین یا فرود آ والسلام
هر زمانی که شوی تو کامران — آن دم خوش را کنار بام دان ۲ — بر زمان خوش هراسان باش تو — همچو گنجش خفیه‌کن نی فاش‌تو
تا نیاید بر ولا ناگه بلا — ترس ترسان رو درآن مکمن هلا ۳ — ترس جان‌دروقت شادی اززوال — زان کنار بام غیب است ارتحال
گر نمی بینی کنار بامِ راز — روح می بیند که هستش اهتزاز ۴ — هرنکالی ناگهان کان آمده‌است — بر کنار کنگرهٔ شادی نشست[1]
جز کنار بام خود نبود سقوط — اعتبار از قوم نوح و قوم لوط ۵ — ❀ اعتباری گیر تا یابی صفا — از درون انبیا و اولیا

بیان سبب فصاحت و بسیارگوئی آن فضول بخدمت رسول

پرتو مستیّ بی حدّ نبی — چون بزدهم‌مست‌وخوش‌گشت‌آن‌غبی ۷ — لاجرم بسیار گو شد از نشاط — مست ادب بگذاشت آمد درخباط
❀ نی همه‌جا بیخودی[2] شرمیکند — بی ادب را بی ادب تر میکند ۸ — گر بود عاقل نکو فر میشود — ور بود بد خوی بد تر میشود
❀ برلبیب آید لباب آن کاس‌او — واز غبی کم گردد استیناس او ۹ — ❀ بیخود از می با ادب‌گردد تمام — با خود از می بی‌ادب‌گردد مُدام
لیك اغلب چون بَدند و نا پسند — بر همه می را محرّم کرده اند ۱۰ — حکم‌غالب راست چون اغلب بَدند — تیغ را از دست رهزن بستدند

بیان کردن رسول صلی‌الله علیه و آله سبب تفضیل واختیار کردن اوآن هذیلی را بامیری و سرلشکری بر پیران و کار دیدگان

گفت پیغمبر که ای ظاهر نگر — تو مبین او را جوان ز بی هنر ۱۳ — ای بسا ریش سیاه و مرد پیر — ای بسا ریش سپید و دل چو قیر
عقل او را آزمودم بار ها — کرد پیری آن جوان در کارها ۱۴ — پیر پیر عقل باشد ای پسر — نی سپیدی موی اندر ریش‌وسر
از بلیس او پیر تر خود کی بود — چونکه عقلش نیست اولاشیٔ بود[3] ۱۵ — ❀ طفل گیرش چون بودصاحب‌کمال — پیر باشد درهنر آن خوش خصال
اندرآن طفلی چوعیسی‌خوش نفس[4] — پاك باشد از غرور و از هوس ۱۶ — آن بیاض مو دلیل پختگیست — پیش‌چشم بسته کش کوته تگیست[5]
آن مقلد چون نداند جز دلیل — در علامت جوید او دائم سبیل ۱۷ — بهر آن گفتیم کاین تدبیر را — چونکه خواهی کرد بگزین پیررا
❀ لیك پیر عقل نی پیر مسن — می ندانی ممتحن از ممتحن ۱۸ — آنکه او از پردهٔ تقلید جست — او بنور حق ببیند هر چه هست
نور پاکش بی دلیل و بی بیان — پوست بشکافد در آید در میان ۱۹ — پیش ظاهر بین چه قلب وچه‌سره — او چه داند چیست اندر قوصره[6]
ای بسا زرّ سیه کرده بدود — تا رهد ازدست هر دزدی حسود ۲۰ — ای بسا مسّ بیندوده بزر — تا فروشد آن بعقل مختصر
ما که باطن بینِ جمله کشوریم — دل ببینیم و بظاهر ننگریم ۲۱ — قاضیانی که بظاهر می تنند — حکم بر اشکال ظاهر میکنند
چون شهادت‌گفت وایمانش نمود — حکم او مؤمن کنند این‌قوم زود ۲۲ — بس منافق کاندرین ظاهرگریخت — خون صد مؤمن بینهانی بریخت
جهد کن تا پیر عقل و دین‌شوی — تا چوعقل کل توباطن بین شوی ۲۳ — از عدم چون عقل زیبا رو نمود — خلعتش داد و هزاران عز فزود
❀ عقل چون ازعالم غیبی گشاد — رفعت افزود و هزاران نام داد[7] ۲۴ — کمترین زان نامهای خوش نفس — اینکه نبود هیچ او محتاج کس
گر بصورت وا نماید عقل رو — تیره باشد روز پیش نور او ۲۵ — ور مثال احمقی پیدا شود — ظلمت شب پیش او روشن بود
کو ز شب مظلم‌تر وتاری‌تراست — لیك خفاش شقی مظلم[8] خر است ۲۶ — اندك‌اندك خوی کن با نورِ روز — ور نه خفاشی بمانی بی فروز
عاشق هر جا شکال و مشکلیست — دشمن هر جا چراغ مقبلیست ۲۷ — ظلمت اشکال زان جوید دلش — تا که افزون تر نماید حاصلش
تا ترا مشغول آن مشکل کند ۲۸ — وز نهادِ زشت خود غافل کند

علامت عاقل تمام و نیم عاقل و مرد تمام و نیم مرد و علامت شقی مغرور لا شیئ

عاقل آن‌باشدکه او با مشعله است — او دلیل و پیشوای قافله است ۳۰ — پی‌رو نور خوداست آن پیش‌رو — تابع خویشست آن بیخویش رو[9]
مؤمن خویش‌است و ایمان آورید — هم بآن نوری‌که جانش زوچرید ۳۱ — دیگری که نیم عاقل آمد او — عاقلی‌را دیده کرد آن راه جو[10]
دست دروی زد چوکوراندردلیل — تا بدو بینا شد و چست و جلیل ۳۲ — وآن‌خری‌کزعقل‌جوسنگی‌نداشت[11] — خود نبودش عقل‌وعاقل راگذاشت
❀ حق نداند نی قلیل ونی‌کثیر — می نجوید هم نذیر و هم بشیر ۳۳ — ❀غرقه‌اندرغفلت و درقال‌وقیل[12] — ننگش آید آمدن خلف دلیل
میرود اندر بیابان دراز — گاه لنگان آیس و گاهی بتاز ۳۴ — شمع نی تا پیشوای خود کند — نیم شمعی نی که نوری کد کند
نیست عقلش تا دم زنده زند — نیم عقلی نی که خود مرده کند ۳۵ — مردهٔ آن عاقل آید او تمام — تا بر آید از نشیب خود بیام
عقل کامل نیست خودرا مرده‌کن — در پناه عاقلی زنده سخن ۳۶ — زنده نی تا همدم عیسی بود — مرده نی تا دمگه عیسی شود
❀زنده نیّ ومرده نی لاشیٔ بود — غوره باشد نی عنب نی می بود ۳۷ — غورهٔ کز غورگی در نگذرد — سنگ بست و خام و ترش ورد بود
جان کورش گام هر سو می نهد — عاقبت نجهد ولی بر می جهد ۳۸ — ❀ سودندهد برجهیدن آن زمان — زانکه نازل شد بلا از آسمان

---

۱ ـ بُدست ۲ ـ باده نی در هر سری ٤ـ طفل گیرش چون بود عیسی نفس ۸ ـ ظلمت ۱۰ـ خود داند او ـ کرد آن نور جو ۱۲ ـ ره نداند نه‌کثیر ونه قلیل (ن . ل)

---

(۳) گویند شیطان بدرگاه غفاری معروض داشت که خداوندا تو فرمودهٔ رحمتی وسعت کل شیٔ ومن شیٔ ام بموجب این نص امیدوار میباشم از مکمن غضب الهی حکم صادر شد که ما ترا از شیٔ هم بیرون کردیم (٥) تك قعر حوض وچاه ومانند آنست وایضاً تکابوی وبکاف فارسی باین دومعنی آمده پس بنا برمعنی اول چشم قلیل‌التحدیق والتعمق مراد است و بنا برثانی قصیرالخطوط الشعاعیه وضعیف النور خلاصه آنست که دلیل آنی اندیشه کوران است ودلیل لمی پیشه محققان (٦) قوصره زنبیل وظرفی‌است‌که خرما درآن ریزند (۷) اشاره است بعلم آدم الاسماء کلها چه قلب کامل مظهر هزار اسم خداوندی است (۹) جمع بین متقابلین فرموده است که عرفت الله بجمعه بین‌الاضداد چه یك خویش است که نورانیست که گوهر ذات و باطنی ذات خود است که من عرف نفسه فقد عرف ربه و یك خویش است که ظلمانیست که فرموده اند که خود پرست بدتراست از بت پرست (۱۱) کلام مولوی اشارتست بقول حقتعالی ومن خفت موازینه فامه هاویه وبدو قسم اول اشارتست بقول‌حق‌تعالی لمن کان له قلبٌ او القی‌السمع و هو شهید و بقسم سیم اشارتست با مثال قول حق تعالی ولو علم‌الله فیهم خیراً لاسمعهم ولوا سمعهم لتولوا

قصهٔ آبگیر و صیادان و آن سه ماهی یکی عاقل و یکی نیم عاقل و آن دیگر مغرور ابله مغفل لاشیٔ و عاقبت آن هر سه ماهی

قصهٔ آن آبگیر است ای عنود — که درو سه ماهی اشگرف بود ۳ در کلیله خوانده باشی لیك آن — صورت قصه‌بود وین مغز[1] جان
چند صیادی سوی آن آبگیر — بر گذشتند و بدیدند آن ضمیر ٤ پس شتابیدند تا دام آورند — ماهیان واقف شدند و هوشمند
آنکه عاقل بود عزم راه کرد — عزم راه مشکل ناخواه کرد ٥ گفت با اینها ندارم مشورت — که یقین سستم کنند از مقدرت
مهر زاد و بود بر جانشان تند — کاهلی و جهلشان بر من زند ٦ مشورت را زندهٔ[2] باید نکو — که ترا زنده کند وآن زنده کو
ای مسافر با مسافر رای زن — زانکه پایت لنگ دارد رای زن ۷ از دم حب الوطن بگذر مایست — که‌وطن‌آنسوست‌جان‌این‌سوی‌نیست
گر وطن‌خواهی‌گذر زان‌سوی شط ۸ این‌حدیث‌راست را کم‌خوان غلط

سرّ خواندن وضو کننده اوراد وضو را

در وضو هرعضو را وردی جدا — آمده است اندر خبر بهر دعا ۱۰ چونکه استنشاق بینی میکنی — بوی جنت خواه از ربّ غنی[3]
تا ترا آن بو کشد سوی جنان — بوی گل باشد دلیل گلستان ۱۱ چونکه استنجا کنی ورد سخن — این بود که از زیانم[4] پاك کن
دست من اینجا رسید اینرا بشست — دستم اندر شستن جانست سست ۱۲ ای ز تو کس گشته جان ناکسان — دست فضل تست در جانها رسان
حدّ من این بود کردم من لئیم — زان‌سوی‌حد را تقی کن ای کریم ۱۳ از حدث شستم خدایا پوست را — از حوادث تو بشو این دوست‌را

شخصی بوقت استنجا می‌گفت اللهم ارحنی رایحة‌الجنة بجای اللهم اجعلنی من‌التوابین واجعلنی من‌المتطهرین که ورد استنجاست و ورد استنجا را در وقت استنشاق می‌گفت عزیزی بشنید و این را طاقت نداشت

آن یکی در وقت استنجا بگفت — که مرا با بوی جنت دار جفت ۱۷ گفت شخصی خوب ورد آوردهٔ — لیك سوراخ دُعا گم کردهٔ
این دعا که ورد بینی بود چون — ورد بینی را تو آوردی بکون[5] ۱۸ رایحهٔ جنت ز بینی یافت حرّ — رایحهٔ بینی کی آید از دُبر
ای تواضع برده پیش ابلهان — وی تکبر برده تو پیش شهان ۱۹ آن تکبر بر خسان خوبست و چست — هین مرو معکوس عکسش بند تست
از پی سوراخ بینی رُست گل — بو وظیفهٔ بینی[6] آمد ای عتل ۲۰ بوی گل بهر مشامست ای دلیر — جای آن‌بو نیست این سوراخ‌زیر
کی از اینجا بوی خُلد آید ترا — بو ز موضع جو اگر باید ترا ۲۱ همچنین حبّ الوطن آمد درست — تو وطن بشناس ای‌خواجه نخست
گفت آن ماهیّ زیرك ره کنم — دل ز رای و مشورتشان بر کنم ۲۲ نیست وقت مشورت هین راه کن — چون علی تو[7] آه اندر چاه کن[8]
محرم آن‌راه کم یابست بس — شب رو و پنهان‌روی کن‌چون‌عسس ۲۳ سوی دریا عزم کن زین آب‌گیر — بحر جو و ترك این گرداب گیر
سینه را پاساخت میرفت آن‌حذور — از مقام با خطر تا بحر نور ۲٤ همچو آهو کز پی او سگ بود — می‌دود تا در تنش یك رگ بود
خواب‌خرگوش‌وسگ‌اندر پی‌خطاست — خواب‌خود درچشم‌ترسنده‌کجاست ۲٥ رفت آن ماهی ره دریا گرفت — راه دور و پهنهٔ پهنا گرفت
رنجها بسیار دید و عاقبت — رفت آخر سوی امن و عافیت ۲٦ خویشتن افکند در دریای ژرف — که نیابد حدّ آنرا هیچ طرف
پس چو صیادان بیاوردند دام — نیم عاقل را ازآن شد تلخ کام ۲۷ گفت اه من فوت کردم وقت[9] را — چون نگشتم همره آن رهنما
ناگهان رفت اوولیکن‌چون‌که‌رفت — می بایستم شدن در پی بتفت ۲۸ برگذشته حسرت آوردن‌خطاست — باز ناید رفته یاد آن هباست
❀ این‌زمان سودی‌ندارد حسرتم ۲۹ چون‌کنم چون‌فوت‌شد این‌فرصتم

قصه آن‌مرغ گرفته که وصیت کرد که بر گذشته پشیمانی مخور تدارك وقت اندیش و روزگار مبر در پشیمانی

آن یکی مرغی‌گرفت از مکرودام — مرغ اورا گفت‌کای خواجهٔ همام ۳۲ ❀ تو یکی مرغی‌ضعیفی همچومن — صید کرده خورده‌گیر ای‌نیك ظن
تو بسی گاوان و میشان خوردهٔ — تو بسی اشتر بقربان کردهٔ ۳۳ خود نگشتی سیر زانها در زمن — هم نگردی سیر از اجزای من
❀مر مرا آزاد گردان از کرم — ای جوان مرد کریم محتشم ۳٤ هل مرا تا که سه پندت بر دهم — تا بدانی زیرکم یا ابلهم
اوّل آن پند هم بر دست تو — بدهم ای‌جان و دلم پا[10] بست تو ۳٥ ❀ بر سر دیوار بدهم ثانیش — تاشوی زان پند شادوخوب‌وکش
وان سیم پندت دهم من بردرخت — که از این سه پندگردی نیکبخت ۳٦ آنچه بر دستست اینست آن‌سخن — که محالی را زکس باور مکن
بر کفش چون گفت اوّل‌پند زفت — گشت آزاد و بر آن دیوار رفت ۳۷ گفت دیگر بر گذشته غم مخور — چون زتوبگذشت زآن‌حسرت‌مبر
بعد ازآن‌گفتش‌که در جسم‌کتیم — ده درم سنگست یك دُرّ یتیم ۳۸ دولت تو بخت فرزندان تو — بود آن گوهر بحقّ جان تو
فوت کردی دُر که روزی‌ات نبود — که نباشد مثل آن دُر در وجود ۳۹ آن چنانکه وقت زادن حامله — ناله دارد خواجه شد در غلغله
❀ گشت غمناك و همی‌گفت آه‌آه — این چرا کردم که شد کارم تباه ٤۰ ❀ من چرا آزاد کردم مر ترا — زین حبل از چاه بردی مر مرا
مرغ گفتش نی نصیحت کردمت — که مبادا بر گذشته دی غمت ٤۱ چون‌گذشت‌ورفت‌غم‌چون‌میخوری — یا نکردی فهم پندم یا کری

---

۱ ـ قشرافسانه بود وین‌لبّ ۲ ـ زنده دل ٤ ـ یارب توزینم ٥ ـ ورد مقعد کردهٔ تو ای حرون ٦ ـ بهر بینی بوی ۷ ـ رو ۹ ـ فرصه ۱۰ ـ ثانیش بر بام کهگل (ن . ل)

---

(۳) خاصه جنت صفات که تخلقوا باخلاق الله وجنت لقاء الله که من کان یرجو لقاءالله فانّ اجل الله لآت فادخلی فی عبادی و ادخلی جنّتی

(۸) حضرت امیرالمؤمنین علی علیه‌السلام در حدیث طویلی که راوی آن کمیل بن زیاد است اشارت بسینه مبارك کرده میفرماید آه آه ان هاهنا لعلماً جماً لو اصبت له حملةً وآنجناب بیرون رفتی و سر بچاهها کردی و رازها فرمودی و شیخ عطار منظوم ساخته است که:

مصطفی جائی فرود آمد براه ❀ گفت آب آرید لشکر را ز چاه — رفت مردی باز آمد در شتاب ❀ گفت پر خونست چاه و نیست آب
گفت پنداری ز درد کار خویش ❀ مرتضی با چاه گفت اسرار خویش — چاه چون بشنید آن تابش نبود ❀ لاجرم پر خون شد وآبش نبود

وآن دوم پندت بگفتم کز ضلال — هیچ تو باور مکن قول محال ۱ من نیم‌خود سه‌درم سنگ ای اسد — ده درم سنگ اندرونم چون بود
خواجه باز آمد بخودگفتا که هین — باز گو پند سوم ای نازنین[1] ۲ گفت آری خوش عمل کردی بآن — تا بگویم پندِ ثالث رایگان
❁این بگفت و بر پرید وشاد رفت — سوی صحرا سرخوش وآزاد رفت ۳ پند گفتن با جهول خوابناك — تخم افکندن بود در شوره خاك
چاك حمق و جهل نپذیرد رفو — تخم حکمت‌کم دهش ای نیکخو[2] ٤ ❁زانکه جاهل جهل را بنده بود — چونکه تو پندش دهی او نشنود

چاره اندیشیدن آن ماهی نیم عاقل و خودرا مرده کردن

گفت ماهی دگر[3] وقت بلا — چونکه ماند از سایهٔ عاقل جدا ٦ کوسوی دریا شد و از غم عتیق — فوت شد از من چنان نیکورفیق
لیك از آن نندیشم و بر خود زنم — خویشتن را این زمان مرده کنم ۷ پس بر آرم اِشکم خود بر زبر — پشت زیر و میروم بر آب بر
می‌روم بر وی چنانکه خس رود — نی بسّباحی چنانکه کس رود ۸ مرده گردم خویش بسپارم بآب — مرگ‌پیش ازمرگ‌امن‌است‌ازعذاب
مرگ پیش ازمرگ امنست ای‌فتی — اینچنین فرمود ما را مصطفی ۹ گفت موتوا کلکم من قبل ان[4] — یأتی الموت تموتوا بالفتن
همچنان مرد و شکم بالا فکند — آب که بردش نشیب و گه بلند ۱۰ هریکی زان قاصدان بس‌غصهٔ بُرد — که دریغا ماهی مهتر[5] بمرد
شاد می‌شد او ازآن گفت و دریغ — پیش رفت این بازیم رَستم زِتیغ ۱۱ پس گرفتش یك صیاد ارجمند — بر سرش تف‌کرد وبرخاکش‌فکند
غلط غلطان رفت پنهان اندرآب — ماند آن دیگر[6] همی‌کرد اضطراب ۱۲ ازچپ و ازراست میجست آن‌سلیم — تا بجهدِ خویش برهاند گلیم
دام افکندند و اندر دام ماند — احمقی اورا در آن آتش نشاند ۱۳ بر سر آتش بپشت تابهٔ — با حماقت گشت او هم خوابهٔ
او همی جوشید از تفّ سعیر — عقل میگفتش الم یأتك نذیر[7] ۱٤ او همی‌گفت از شکنجه و از بلا — همچو جان کافران قالوا بلی
باز میگفت او که گر این بار من — وارهم زین محنت گردن شکن ۱۵ من نسازم جز بدریائی وطن — آب‌گیری را نسازم من سکن
آب بیحد جویم و ایمن شوم — تا ابد در امن و صحت می‌روم ۱٦ ❁ همچنین میکرد با خود نذرها — کز چنین ورطه اگر یابم رها
❁دامن عاقل بگیرم روز و شب ۱۷ تا نیفتم در چنین رنج و تعب

بیان آنکه عهدکردن احمق وقت‌گرفتاری و ندم هیچ وفائی نداردکه ولو ردوالعادوا لمانهوا عنه و انهم لکاذبون[8] چون صبح‌کاذب وفا ندارد

عقل میگفتش حماقت با تو هست — با حماقت عهد را آید شکست ۲۰ عقل را باشد وفای عهد ها — تو نداری عقل رو ای خر بها
عقل را یاد آید از پیمان خود — پردهٔ نسیان بدّراند خرد ۲۱ چونکه عقلت نیست نسیان میرتست — دشمن و باطل کن تدبیر تست
از کمیّ عقل پروانهٔ خسیس[9] — یاد نارد زآتش‌وسوز وحبس[10] ۲۲ چونکه پرّش سوخت توبه میکند — آز و نسیانش بر آتش می‌زند
ضبط ودرك وحافظی ویادداشت — عقل‌را باشد که عقل‌آنرا فراشت ۲۳ چونکه‌گوهرنیست تابش چون بود — بی‌مذکّرخود ایابش[11]چون بود
این تمنا هم ز بیعقلیّ اوست — که‌نبیندکان[12]حماقت‌را چه خوست ۲٤ آن ندامت از نتیجهٔ رنج بود — نی زعقل روشن چون گنج بود
چونکه شد رنج‌آن ندامت شد عدم — می نیرزد خاك آن توبه و ندم ۲۵ آن ندم از ظلمت غم بست بار — پس کلام اللیل یمحوه النهار[13]
چون برفت‌آن‌ظلمت غم‌گشت‌خوش — هم رود از دل نتیجه وزاده‌اش ۲٦ می‌کند او توبه و پیرِ خرد — بانگ لو ردّوا لعادوا میزند[14]

در بیان آنکه وهم قلبِ عقلست و ستیزهٔ اوست بدو ماند و او نیست

عقل ضدّ شهوتست ای پهلوان — آنکه شهوت‌می‌تندعقلش‌مخوان[15] ۲۸ وهم‌خوانش‌آنکه شهوت‌راگداست — وهم قلب و نقدِ زرّ عقلهاست
بی‌محك پیدا نگردد وهم و عقل — هردورا سوی محك‌کن زود نقل ۲۹ این محك قرآن و حال انبیا — چون محك مر قلب را گوید بیا
تا ببینی خویش را ز آسیب من — که نهٔ اهل فراز و شیب من ۳۰ عقل را گرّارهٔ سازد دو نیم — همچو زو باشد درآتش او بسیم

مجاوبات موسی علیه‌السلام که صاحب عقل بود بافرعون که صاحب وهم بود

وهم مر فرعون عالم سوز را — عقل مر موسیّ جان افروز را ۳۲ رفت موسی بر طریق نیستی — گفت فرعونش بگو تو کیستی
گفت من عقلم رسول ذوْ الجلال — حجةالله ام امان از هر[16] ضلال ۳۳ گفت‌نی‌خامش‌رهاکن‌های‌وهوی[17] — نسبت و نام قدیمت را بگوی
گفت موسی نسبتم از خاکدانش — نام اصلم کمترینِ بندگانش ۳٤ بنده زادهٔ آن خداوند مجید — زاده از پشت جواریّ و عبید
نسبت اصلم ز خاك و آب وگل — آب وگل‌را داد یزدان جان ودل ۳۵ مرجع این‌جسم خاکم[18] هم بخاك — مرجع تو هم بخاك ای سهمناك
اصل ما و اصل جملهٔ سرکشان — هست از خاکیّ وآن‌را صد نشان ۳٦ نی مدد از خاك میگیرد تنت — از غذای خاك پیچد[19] گردنت
چون رود جان میشود او بازخاك — اندر آن گورِ مخوف سهمناك ۳۷ این من و مائی تو و اشباهِ تو — خاك گردند و نماند جاه تو
گفت غیرِ این نسب نامیت هست — مرترا آن نام خود[20] اولیتراست ۳۸ بندهٔ فرعون و بندهٔ بندگانش — کهازاوپروردزاوّل‌جسم‌وجانش[21]

---

۱ ـ آن پند خوب سومین ۲ـ پند گو ۳ـ نیم عاقل گفت در گفت آن ماهی بخود ۵ ـ بهتر ٦ ـ احمق ۱۱ـ چونکه نبود ذکر ـ چون مذکر نیست ۱۲ ـ که ۱٦۹ ـ امانم از ۱۷ ـ گفت وگوی ۱۸ ـ خاکی ۱۹ ـ فربه ۲۰ ـ خود این نسب (ن . ل)

---

(٤) اشاره‌است بحدیث موتوا قبل ان‌تموتوا یعنی بمیرید پیش از مرگ یعنی خودیها و خواهشها را ترك‌کنید و خود را چون مردگان بی آزار وبیخواهش نمائید تا نجات یابید (۷) اشاره است بآیهٔ وافی هدایه واقعه در سورهٔ ملك کلما القی فیها فوج سالهم خزنتها الم یأتکم نذیر قالوا بلی قدجائنا نذیرٌ فکذبنا یعنی هرگاه افکنده شوند گروهی از اهل شرك سؤال کنند از ایشان خازنان دوزخ از روی سرزنش که‌آیا رسول بیم‌کننده نیامد بشما که خبر دهد از این روز گویند چرا آمد وخبر داد و ما تکذیب کردیم و گمراه شدیم (۸) این آیه در سورهٔ انعام واقع شده است (۹) حکما فرموده‌اند که پروانه قوّت حافظه ندارد پس آنچه بلامسه ادراك کرد مستثبت نمیشود ومرة بعد اخری و کرة بعد اولی بر شعله واقع میشود (۱۰) آواز نرم وآهسته بخصوص صوت آتش (۱۳) توبه هنگام غم وپریشانی بکار نیاید چرا که چون از غم رها شود توبه شکسته شود که کلام شب روز فراموش شود (۱٤) یعنی اگر برگشته شوند کفار بدنیا برمیگردند بکار خود (۱۵) عقل جزئی مشوب بوهم و خیال را وهم خوانند چنانکه فرمود کلما میزتموه باوهامکم (۲۱) جان آن بنده از باب التفات از خطاب بغیبت

بندهٔ یاغی و طاغی ظلوم — زین وطن بگریخته از فعل شوم ۱ خونی و غدّاری و حق ناشناس — دم برین اوصاف خود میکن قیاس
در غریبی خوار و درویش و خلق — که ندانستی سپاس ما و حق ۲ گفت حاشا که بود با آن ملیك — در خداوندی کس را شریك
واحد اندر ملك و اورا یار نی — بندگانش را جز او سالار نی ۳ نیست خلقش را دگر کس مالکی — شرکتش دعوی کند جز هالکی
نقش او کردست و نقاش من اوست — غیر اگر دعوی کند او ظلم جوست ٤ تو نتانی ابروی من ساختن — چون توانی جان من بشناختن
بلکه آن غدّار و آن طاغی توئی — لاف شرکت میزنی یاغی توئی[1] ۵ گر بکشتم من عوانی را بسهو[2] — نی برای نفس کشتم نی بلهو
من زدم مشتی و ناگه اوفتاد — آنکه جانش خود نبد جانی بداد ٦ من سگی کشتم تو مرسل زادگان — صد هزاران طفل بی‌جرم وزیان
کشتهٔ و خونشان در گردنت — تا چه آید بر تو زین خون خوردنت ۷ کشتهٔ ذرّیت یعقوب را — بر امید قتل من مطلوب را
کوری تو حق مرا خود برگزید — سرنگون شد آنچه نفست میپزید ۸ گفت اینها را بهل بی هیچ شك — این بود حقّ من و نان و نمك
که مرا پیش حشر خواری کنی — روز روشن بر دلم تاری کنی ۹ گفت خواری قیامت صعبتر[3] — گرنداری پاس من در خیر وشر
زخم کیکی را نمی‌تانی کشید — زخم[4] ماری را تو چون خواهی چشید ۱۰ ظاهراً کار تو ویران میکنم — لیك خاری را گلستان میکنم

بیان آنکه عمارت در ویرانیست و جمعیت در پراکندگی و درستی در شکستگیست و مراد در بیمرادی و وجود در عدم و علی هذا بقیة الاضداد والازواج

آن یکی آمد زمین را می‌شکافت — ابلهی فریاد کرد و بر تنافت ۱۳ کاین زمین را ازچه ویران میکنی — میشکافی و پریشان میکنی
گفت ای ابله برو بر من مران — تو عمارت از خرابی باز دان ۱٤ کی شود گلزار و گندم زار این — تا نگردد زشت و ویران این زمین[5]
کی شود بستان وکشت وبرگ وبر — تا نگردد نظم او زیر و زبر ۱۵ تا نبشکافی بنشتر ریش را[6] — کی شود آن ریش به ای اوستا[7]
تا نسوزد خلطهایت از دوا — کی رود سوزش[8] کجا یابد شفا ۱٦ پاره پاره کرد درزی جامه را — کس زند آن درزی علاّمه را
که چرا این اطلس بگزیده را — بر دریدی چه کنم بدریده را ۱۷ هر بنای کهنه کابادان کنند — نی که اوّل کهنه را ویران کنند
هم چنین نجّار و حداد و قصاب — هستشان پیش از عمارتها خراب ۱۸ آن هلیله و آن بلیله کوفتن — زان تلف گردند معموری تن
تا نکوبی گندم اندر آسیا — کی شود آراسته زان خوان ما ۱۹ آن تقاضا کرد آن نان و نمك — که ز شستت وارهانم ای سمك

جواب دادن موسی علیه السلام فرعون را

گر پذیری پند موسی وارهی — از چنین زشت[9] بدِ نا منتهی ۲۱ بس که خودرا کردهٔ بندهٔ هوا — کرمکی را کردهٔ تو اژدها
اژدها را اژدها آورده ام — تا باصلاح آورم من دم بدم ۲۲ تا دم آن از دم این بشکند — مار من آن اژدها را برکند
گر رضا دادی رهیدی از دو مار — ورنه از جانت برآرد آن دمار ۲۳ گفت الحق سخت اوستا جادوئی — که در افکندی بمکر اینجا دوئی
خلق یك دل را توکردی دو گروه — ۲٤ جادوئی رخنه کند درسنگ وکوه

نفی کردن موسی علیه السلام جادوئی را از خود

گفت هستم غرق پیغام خدا — جادوئی که دید با نام خدا[10] ۲٦ غفلت و کفر است مایهٔ جادوئی — مشعلهٔ دین است جان موسوی
من بجادویان چه مانم ای وقیح — کز دمم بر رشك میگردد مسیح ۲۷ من بجادویان چه مانم ای جنب — که ز جانم نور میگیرد کتب
من بجادویان چه مانم ای خبیث — کز خدا نازل شود برمن حدیث ۲۸ چون تو با پرّ هوا بر می پری — لاجرم بر من گمان بد میبری
هر کرا افعال داه و دد بود — بر کریمانش گمان بد بود ۲۹ چون توجزو عالمی پس ای مهین — کل آنرا همچو خود بینی یقین
چون تو برگردی وبرگردد سرت — خانه را گردنده بیند منظرت ۳۰ ور تودرکشتی روی بر یم روان — ساحل یم را همی بینی دوان
گر تو باشی تنگدل از ملحمه — تنگ بینی جوّ دنیا را همه ۳۱ ورتو خوش باشی بکام دوستان — این جهان بنمایدت چون بوستان[11]
ای بسا کس رفته تا شام وعراق — او ندیده هیچ جز کفر و نفاق ۳۲ وی بسا کس رفته تا هند و هری — او ندیده جز مگر بیع و شری
وی بسا کس رفته ترکستان وچین — او ندیده هیچ جز مکر و کمین[12] ۳۳ طالب هر چیز ای یار رشید — جز همان چیزی که میجوید ندید
چون ندارد مدرکی جز رنگ وبو — جملهٔ اقلیمها را گو بجو ۳٤ گاو در بغداد آید ناگهان — بگذرد ازاین سران تا آن سران
از همه عیش و خوشیها و مزه — او نبیند غیر[13] قشر خربزه ۳۵ که بود افتاده در ره یا حشیش — لایق سیران گاوی یا خریش
خشك بر میخ طبیعت چون قدید — بستهٔ اسباب و جانش لا یزید ۳٦ وان فضای خرق اسباب و علل[14] — هست ارض الله ای صدر اجل
هر زمان مبدل شود چون نقش جان — نو بنو بیند جهانی در عیان[15] ۳۷ گر بود فردوس و آنهار بهشت — چون فسردهٔ یك صفت شد گشت زشت

۱ـ که کنی باحق دعوی دوی ٤ ـ زهر ۵ ـ دفین ٦ ـ ریش چنغر ـ چغزرا ۷ ـ وکی گردید نغز ۸ ـ شورش ۹ ـ شست ۱۱ ـ گلستان
۱۲ ـ الاّ مکروکین ۱۳ ـ جز که (ن . ل)

---

(۲) اشاره است بآیه ودخل المدینة علی حین غفلة من اهلها فوجد فیها رجلین یقتتلان هذا من شیعته و هذا من عدوه فاستغاثه الذی من شیعته علی الذین من عدوه فوکزه موسی فقضی علیه قال هذا من عمل الشیطان انّه عدوّ مضلّ مبین (۳) اقتباس از مضمون آیهٔ واقعه در سورهٔ توبه و قالوا لاتنفروا فی الحرّ قل نارجهنم اشدّ حرّا وگفتند بعضی مر بعضی را یا گفتند مؤمنان که بیرون مروید با رسول خدا بغزا در وقت گرما بگو ای محمد منافقان را که آتش دوزخ سخت تر است از حیث حرارت (۱۰) اشاره است بماثورات که انبیا و اولیا اسماء حسنی هستند (۱٤) اشاره است بقول حق انّ ارض الله واسعه مراد اینکه خرق اسباب آنست که علل امکانیه را واسطه نبیند واسماء الهیه بیند و مظاهر را فانی بیند (۱۵) اشاره بآیه شریفه افعیینا بالخلق الاوّل بل هم فی لبس من خلق جدید خلاصه ابیات مولوی در نفی جادوئی از موسی آنست که مدرك ومدرك از یك سنخ میباشند پس اگر تو فانی از خود باشی عالم پیش تو فانی است و اگر تو باقی باشی عالم نزد تو باقی است و اگر نور شدهٔ عالم نور است و زمین و آسمان و موالیدی نیست چنانکه قائل گفته است ❁ در مقامی که شهود است نه الا و نه لاست — در نظر جمله خدای است و خدای است و خداست ❁ نازنین جمله نازنین بیند ـ دیدهٔ پاك این چنین بیند پس مدرك نوری نور بیند و مدرك ظلمانی ظلمت بیند حق حق بیند و باطل باطل

بیان آنکه هر حس مُدرك را از آدمی نیز مُدرکاتی دیگر است که از مُدرکات آن حسّ دیگر بیخبر است چنانکه هر پیشه ور استاد اعجمی کار آن استاد دیگر پیشه ور است و بی خبری او از آنکه وظیفهٔ او نیست دلیل نکند که آن مدرکات نیست اگر چه بحکم حال منکر بود آنرا امّا از منکری او اینجا جز بیخبری نمیخواهیم درین مقام

چنبرهٔ دیدِ جهان ادراك تست[1] پردهٔ پاکان حِس ناپاك تست ۵ مدتی حس را بشو زآب عیان اینچنین دان جامه شوئی صوفیان
❀ ای ز غفلت ازسبب تو بیخبر بندهٔ اسباب گشتستی تو خر ۶ ❀ لاجرم اعمی دل و سر گشتهٔ مضطرب احوال و مضطر گشتهٔ
❀ چشم بگشا و مسبب را نگر تا شوی فارغ ز اسباب نظر ۷ چون شدی توپاك پرده بر کند جان پاکان خویش بر تو میزند
جمله عالم گر بود نور و صور چشم را باشد از آن خوبی خبر ۸ چشم بستی گوش می‌آری بپیش تا نمائی زلف و رخساره بُتیس
گوش گوید من بصورت نگروم صورت ار بانگی زند من بشنوم ۹ ❀ گوش گوید من بصورت ننگرم حسّ چشم‌است آن زدیدن قاصرم
عالمم من لیك اندر فنّ خویش فنّ من‌جزحرف وصوتی‌نیست‌بیش ۱۰ هین بیا بینی ببین این خوب را نیست بینی درخور این مطلوب‌را
گر بود مشك و گلابی بو برم فنّ من این‌است و علم و مخبرم ۱۱ کی ببینم من رخ آن سیم ساق هین مکن تکلیف ما لیس یطاق
باز حسّ کژ نبیند غیرِ کژ خواه کژ غژ پیش او یاراست غژ ۱۲ چشم احول از یکی دیدن یقین ناظر شرکست نه توحید بین[2]
تو که فرعونی همه مکریّ و زرق مرمرا از خود نمی‌دانی تو فرق ۱۳ منگر از خود درمن ای کژباز تو تا یکی تو را نبینی تو دو تو
بنگر اندر من ز من یکساعتی تا ورای کون بینی ساحتی ۱۴ وا رهی از تنگی و از تنگ و نام عشق اندر عشق بینی والسلام
پس بدانی چونکه رستی از بدن گوش و بینی چشم می‌داند شدن ۱۵ راست‌گفتست آن شه شیرین زبان چشم گردد مو بموی عارفان[3]
جسم را چشمی نبود اوّل یقین در رحم بود او جنین گوشتین ۱۶ علت دیدن مدان پیه ای پسر ورنه خواب اندرندیدی کس صور
آن پریّ و دیو می بیند شبیه نیست اندر دیدگان هر دو پیه ۱۷ نور را با پیه خود نسبت نبود نسبتش بخشید خلّاق ودود
آدمست از خاك کی ماند بخاك جنی است ازنار بی‌هیچ اشتراك ۱۸ نیست خود مانند آتش آن پری گرچه‌اصلش‌اوست‌چون می‌بنگری
مرغ از بادست کی ماند بباد نا مناسب را خدا نسبت بداد ۱۹ نسبت این فرعها با اصلها هست بیچون ازچه دادش وصلها
آدمی چون زادهٔ خاك و هباست این پسر را با پدر نسبت‌کجاست ۲۰ نسبتی گر هست مخفی از خرد هست بیچون و خرد کی پی برد
باد را بی چشم اگر بینش نداد فرق چون میکرد اندر قوم عاد ۲۱ چون همی دانست مؤمن از عدو چون همی دانست می را ازکدو
آتش نمرود را گر چشم نیست با خلیلش چون تجشم کردنیست ۲۲ گر نبودی نیل را آن نور و دید از چه قبطی را زسبطی میگزید
گر نه کوه و سنگ با دیدار شد پس چرا داود را او یار شد ۲۳ این‌زمین را گرنبودی چشم جان ازچه قارون را فروخورد آنچنان
گر نبودی چشم دل حنّانه را چون بدیدی هجر آن فرزانه‌را ۲۴ سنگ‌ریزه گر نبودی دیده ور چون گواهی دادی اندر مشت‌در
ای خرد برکش تو پرّ و بالها[4] سوره بر خوان زُلزلت زلزالها ۲۵ در قیامت این زمین برنیك وبد کی ز نادیده گواهیها دهد
کی تحدّث حالها و اخبارها[5] تُظهر الارض لنا اسرارها ۲۶ این فرستادن مرا پیش تو میر هست بُرهانی که شد مرسل خبیر
کاین چنین[6] دارو چنان ناسور را هست در خور از پی میسور را ۲۷ واقعاتی دیده بودی پیش ازین که خدا خواهد مرا کردن گزین
من عصا و نور بگرفته بدست شاخ گستاخی ترا خواهم شکست ۲۸ ❀ واقعاتی سهمگین از بهر این گونه گونه می‌نمودت ربّ دین
❀ درخور سرّ بد و طغیان تو تا بدانی کوست در خورد آن تو ۲۹ تا بدانی کو حکیم است و خبیر مصلح امراض درمان نا پذیر
تو بتأویلات میگشتی از آن کوروکرکاین‌هست ازخواب‌گران ۳۰ وآن طبیب و آن منجم در[7] لمع دید تعبیرش بپوشید از طمع
گفت دور از دولت و از شاهیت که در آید غصّه در آگاهیت ۳۱ از غذای مختلف یا از طعام طبع شوریده همی بیند منام
زانکه دید او که نصیحت جو نهٔ تند و خونخواریّ ومسکین‌خو نهٔ ۳۲ پادشاهان خون کنند از مصلحت لیك رحمتشان فزونست از عنت
شاه را باید که باشد خوی رب رحمت او سبق گیرد بر غضب ۳۳ بی غضب غالب بود مانند دیو بی‌ضرورت خون کند ازبهر ریو
نی حلیمیّ مخنث وار نیز که شود زن روسپی‌زان وکنیز ۳۴ دیو خانه کرده بودی سینه را قبهٔ سازیده بودی کینه را
شاخ تیزت بس‌جگرها را که‌خست نك عصایم‌شاخ شوخت را شکست ۳۵

حمله بردن این جهانیان بر آن جهانیان وتاخت بردن تاسینور ذر[8]ونسل که سرحد غیب است و غفلت ایشان از کمین که چون غازی به غزا نرود کافر تاختن آورد

حمله بردند اسپه جسمانیان جانب قلعه و دژ[9] روحانیان ۳۸ تا فرو گیرند بر در بند[10] غیب تا کسی ناید از آن‌سو پاك جیب
غازیان حملهٔ غزا چون کم برند کافران بر عکس حمله آورند ۳۹ غازیان غیب چون ازحلم خویش حمله ناوردند بر تو زشت کیش
حمله بردی سوی دربندان غیب تا نیایند این طرف مردان غیب ۴۰ چنگ در صلب و رحمها برزدی تا که شارع را بگیری از بدی
چون بگیری شهرهی که ذوالجلال برگشاد[11]ست از برای انتسال ۴۱ سد شدی دربندها را ای‌لجوج کوری تو کرد سرهنگی خروج

---

۶ ـ که ۷ ـ از ۸ ـ سنوردژ ۹ ـ روئین دز ـ آن قلعهٔ ۱۰ ـ در بندان ۱۱ ـ برگزید (ن . ل)

---

(۱) یعنی دایره محیط بجهان‌را باندازه ادراك خود میرسی (۲) واین درعالم احول نفس‌الامری است که اگر همه احول بودند یکی‌را دو دیدن در عالم آنها نفس‌الامر بود و این وجهی است از برای نفس الامریت کثرت در موجودات در نظر اهل کثرت ولی تحقیق وحدت در کثرت آنست که حقیقت وجود وحدت دارد با کثرت مراتب ودرجات ووجه دیگر وحدت مسمی وموصوف وکثرت اسماء وصفات ❀ جمله یکذاتست اما متصف ـ جمله یکحرف وعبارت مختلف (۳) اشارت بقول بایزید بسطامی است لایصبرالرجل من‌العارفین حتی لایصیرکل شعره عینا ناظره (٤) یعنی چون همه کس بینائی یافته است از حق پس تو هم ای عقل پرو بال خود بگشای و عزم آنسوی کن که از احوال قیامت خدایتعالی در سورهٔ زلزلت چه خبر میدهد (٥) یعنی حدیث کند حالش را و خبرهای خودرا ظاهر میکند زمین برای ما واسرار خویش را

نك منم سرهنگ و هنگت[1] بشکنم — نك بنامش نام و ننگت بشکنم ۱ تو هلا در بندها را سخت بند — چند گامی بر سبال خود بخند
سبلتت را بر کند یك یك قدر — تا بدانی کالقدر یعمی الحذر[2] ۲ سبلت تو تیز تر یا آن عاد — که همی لرزید از دمشان بلاد
تو ستیزه روی تر یا آن ثمود — که نیامد مثل ایشان در وجود ۳ صد از اینها گر بگویم تو کری — بشنوی و نا شنوده آوری
توبه کردم از سخن کانگیختم — بی سخن من دارویت آمیختم ٤ که نهم بر ریش خامت تا پزد — تا بسوزد ریش خامت[3] تا ابد
تا بدانی کو خبیر است ای عدو — می دهد هر چیز را درخورد او ۵ کی نکو کردی وکی کردی توشر — که ندیدی لایقش در پی اثر[4]
کی فرستادی دمی بر آسمان — نیکئی کز پی نیامد مثل آن ٦ گر مراقب باشی و بیدار تو — هر دمی بینی جزای کار تو
چون مراقب[5] باشی وگیری رسن — حاجتت ناید قیامت آمدن ۷ آنکه رمزی را بداند او صحیح — حاجتش ناید که گویندش صریح
این بلا از کودنی آید ترا — که نکردی فهم نکته و رمزها ۸ از بدی چون دل سیاه و تیره شد — فهم کن اینجا نشاید خیره شد
ورنه خود تیری شود آن تیرگی — در رسد در تو جزای خیرگی ۹ ور نباید تیرت از بخشایش است — نی پی نادیدن آلایش است
هین مراقب باش گر دل بایدت — کز پی هر فعل چیزی زایدت ۱۰ ور ازین افزون ترا همت بود — از مراقب کار بالاتر رود[6]

بیان آنکه تن خاکی آدمی همچون آهن نیکو جوهر قابل آیینه شدن است تا درو هم در دنیا بهشت و دوزخ و قیامت و غیر آن معاینه بنماید نه بر طریق خیال

پس چو آهن گر چه تیره هیکلی — صیقلی کن صیقلی کن صیقلی ۱۳ تا دلت آیینه گردد پر صور — اندر او هر سو ملیحی سیمبر
آهن ار چه تیره و بی نور بود — صیقلی آن تیرگی از وی زدود ۱٤ ❀ صیقلی دید آهن وخوش کرد رو — تا که صورتها توان دید اندرو
گر تن خاکی غلیظ و تیره است — صیقلش کن زانکه صیقل گیره است ۱۵ تا در او اشکال غیبی رو دهد — عکس حوری و ملك دروی جهد
صیقل عقلت بدان دادست حق — که بدان روشن شود دل را ورق ۱٦ صیقلی را بستهٔ ای بی نماز — و آن هوا را کردهٔ دودست باز
گر هوا را بند بنهاده شود — صیقلی را دست بگشاده شود ۱۷ آهنی کاینهٔ غیبی بدی — جمله صورتها در او مرسل[7] شدی
تیره کردی زنگ دادی در نهاد — این بود یسعون فی الارض فساد[8] ۱۸ تا کنون کردی چنین اکنون مکن — تیره کردی آب ازین افزون مکن
برمشوران تا شود این آب صاف — وندرو بین ماه واختر در طواف ۱۹ زانکه مردم هست همچون آب جو — چون شود تیره نبینی قعر او
قعر جو پر گوهر است و پر زُدر — هین مکن تیره که هست آن صاف وحر[9] ۲۰ جان مردم هست مانند هوا — چون بگرد آمبخت شد پردهٔ سما
مانع آید او ز دید آفتاب — چونکه گردش رفت شد صافی و ناب ۲۱ ❀ حاصل آنکه کم مکن ای بی سرور — صیقلی والله اعلم بالصدور

باز گفتن موسی علیه‌السلام اسرار فرعون را و واقعات او را ظهرالغیب تا بخبیری حق ایمان آورد یا گمان برد

با کمال تیرگی حق واقعات — مینمودت تا روی راه نجات ۲۳ ز آهن تیره بقدرت مینمود — واقعاتی که در آخر خواست بود
تا کنی کمتر تو آن ظلم و بدی — آن همی دیدی و بد تر میشدی ۲٤ نقشهای بد که در خوابت[10] نمود — میرمیدی زان وآن نقش تو بود
همچو آن زنگی که در آیینه دید — روی خودرا زشت وبر آیینه دید ۲۵ که چو زشتی لایق اینی و بس — زشتیم آن تو است ای کور خس
این جفا بر روی زشتت میکنی — نیست برمن زانکه هستم روشنی ۲٦ گاه میدیدی لبانت[11] سوخته — گه دهان و چشم تو بر دوخته
گاه حیوانی بقصدت آمده[12] — که سر خود را بدندان دده ۲۷ گه نگون اندر میان آب ریز — گه غریق سیل خون آمیز تیز
❀ گه ز بامی اوفتاده گشته پست — گاه در اشکنجه و بسته دو دست ۲۸ ❀ گاه دیده خویش درزنجیر و غل — گاه بر مغزت زدندی چون دهل
گه ندات آمد از این چرخ نقی — که شقی و شقی و شقی ۲۹ گه ندات آمد صریحی از جبال — که برو هستی ز اصحاب شمال
که صدا[13] می آمدت از هر جماد — تا ابد فرعون در دوزخ فتاد ۳۰ ❀ گه خطاب آمد ترا از هر نبات — گشت مطرود ابد فرعون مات
زین بترها که نمیگویم ز شرم — تا نگردد طبع معکوس تو گرم ۳۱ اندکی گفتم بتو ای نا پذیر — زاندکی دانی که هستم من خبیر
خویشتن را کور میکردی و مات — تا نبندیشی ز خواب و واقعات ۳۲ چند بگریزی تك آمد پیش تو — کوری ادراك مکر اندیش تو
هین مکن زین بس فرا گیر احتراز — ۳۳ که ز بخشایش در توبه است باز

بیان آنکه در توبه باز است

توبه را از جانب مغرب دری[14] — باز باشد تا قیامت بر وری ۳۵ ❀ تا ز مغرب بر زند سر آفتاب — باز باشد آن در از وی رو متاب
هست جنت را زرحمت هشت در — یك در توبه است زان هشت ای پسر ۳٦ این همه گه باز باشد گه فراز[15] — وان در توبه نباشد جز که باز

---

۲ ـ البصر ۳ ـ ریشت ٤ ـ خیر و شر ۷ ـ حاصل ۹ ـ اگر هستی تو حر ۱۰ ـ زشت خوابت می ـ بخوابت می ۱۱ ـ لباست
۱۲ ـ حیوان قاصد خونت شده ۱۳ ـ ندا (ن . ل)

---

(۱) هنگ در اینجا معنی عزت وحرمت ووقار وسنگینی را میدهد ولی بمعنی سپاه وقبیله وقوت وزور وقدر وغیره هم آمده (۵) مراقب نگهبان ودرکمین است واز مقامات سلوکست مراقبه ومحاسبه قال النبی (ص) موتوا قبل ان تموتوا وحاسبوا انفسکم قبل ان تحاسبوا (٦) از مقام مراقبه مقاماتی بالاتر هست از باب تخلیه از رذایل و تحلیه بفضایل مثل صبر و رضا و تسلیم و اشارت بتحلیه فرموده بصیقلی کردن و بتحلیه بتصویر بصور (۸) اشاره است بمضمون آیه واقعه در سورهٔ مائده انما جزاءالذین یحاربون الله و رسوله و یسعون فی الارض فساداً ان یقتلوا او یصلبوا او تقطع ایدیهم و ارجلهم من خلاف او ینفوا من الارض ذلك لهم خزی فی الدنیا و لهم فی الآخرة عذاب عظیم بدرستیکه جزای کسانیکه جنگ میکنند با خدا و رسولش و می شتابند در زمین برای فساد اینست که کشته یا بدار آویخته شوند یا بریده شود دست ها و پاهای ایشان بخلاف یکدیگر یعنی دست راست و پای چپ یا برعکس یا آواره شوند از شهری بشهری این برای ایشان رسوائی دنیاست و اما در آخرت هم عذاب بزرگی بایشان خواهد رسید (۱٤) در حدیث مروی از حضرت رسول که فرمود بدرستیکه خدایتعالی گردانید بجانب مغرب دری که پهنای آن مدت سیر هفتاد سال است برای توبه و بسته نمیشود آن مادامی که طلوع نکند آفتاب از جانب مغرب و بعد از آن توبهٔ احدی مقبول نمیشود (۱۵) فراز بمعنی بسته و گشاده هر دو آمده و از اضداد است

هین غنیمت‌دار در بازاست زود رخت آنجا کش بکوری حسود ۱ ❀ پیش‌ازآن کز قهر دربسته شود بعد از آن زاری تو کس نشنود
❀ بازگرد ازکفر واین در باز یاب ۲ تا نگردی از شقاوت ردّ باب

گفتن موسی علیه‌السلام مرفرعون راکه از من یك پند قبول کن وچهار فضیلت عوض بستان

هین ز من بپذیر یك‌چیز و بیار پس زمن بستان عوض آن‌را چهار ۴ گفت ای موسی کدامست آن یکی شرح کن بامن ازآن یك اندکی
گفت آن یك که بگوئی آشکار که خدائی نیست غیر از کردگار ۵ خالق افلاك و انجم بر علا مردم و دیو و پری و مرغ را
خالق دریا و کوه و دشت و تپه ملکت او بیحد و او بی شبیه ۶ ❀ حافظ هرچیز وهرکس هرمکان رازق هر جانور اندر جهان
❀ هم نگهدارندهٔ ارض و سما هم پدید آرندهٔ گل از گیا ۷ ❀ مطلع او برضمیر بندگان حاکم و جبار بر گردن‌کشان
❀ اوست بر هر پادشاهی پادشا حکم اورا یفعل الله ما یشا[1] ۸ گفت ایموسی کدام است آن‌چهار که عوض بدهی مرا بر گو بیار
تا بود کزلطف آن وعدهٔ حسن سست گردد چار میخ کفر من ۹ بوکه زان خوش وعدهای مغتنم بر گشاید قفل کفر صد منم[2]
بو که از تأثیر جوی انگبین شهد گردد در تنم این زهر کین ۱۰ یا زعکس جوی آن پاکیزه شیر پرورش یابد دمی عقل اسیر
یا بود کز عکس آن‌جوهای خمر مست گردم بو برم از ذوق امر ۱۱ یا بود کز لطف آن جوهای آب تازگی یابد تن شورهٔ خراب[3]
شوره ام را سبزهٔ پیدا شود خار زارم جنت مأوی شود ۱۲ بو که ازعکس بهشت و چارجو جان شود از یاری حق یار جو
آنچنان کز عکس دوزخ گشته ام آتش و در قهر حق آغشته ام ۱۳ ❀ گه[4] زعکس ناردوزخ همچو مار گشته‌ام بر اهل جنت زهر بار
گه[4] ز عکس جوشش آب حمیم آب ظلمم کرده خلقان‌را رمیم ۱۴ من ز عکس زمهریرم زمهریر یا زعکس آن سعیرم چون سعیر
دوزخ درویش و مظلومم کنون وای آن‌کو یابمش تا گه زبون ۱۵ ❀ موسیا باشد که بگشائیم در وز فضیلتهات گردم با خبر
❀ موسیا باشد که یابم مأمنی وا رهم از کثرت ما و منی ۱۶ ❀ هین بگو بامن کدام‌است آن‌چهار که عوض خواهیم دادن بر شمار

شرح کردن موسی علیه‌السلام آن چار فضیلت را جهت پایمزد ایمان فرعون

گفت موسی کاولین آن چهار صحتی باشد تنت را پایدار[5] ۱۸ آن عللهائی که در طب گفته اند دور باشد از تنت ای ارجمند
دنیا باشد ترا عمر دراز که اجل دارد ز عمرت احتراز ۱۹ وین نباشد بعد عمر مستوی که بناکام[6] از جهان بیرون‌روی
بلکه خواهان اجل‌چون صفل‌شیر نی ز رنجی کان ترا دارد اسیر ۲۰ مرگ جو باشی ولی نزعجزورنج بلکه بینی در خراب خانه گنج
پس بدست خویش گیری تیشهٔ میزنی بر خانه بی اندیشهٔ ۲۱ که حجاب گنج بینی خانه را مانع صد خرمن این یکدانه را
پس در آتش افکنی این دانه را پیش گیری پیشهٔ مردانه را ۲۲ بر کنی این خانهٔ تن بیدریغ تا مهت آید برون از زیر میغ
ای بیات برگی ز باغی ماندهٔ همچو کرمی برگش از رز راندهٔ[7] ۲۳ ❀ چون کرم این‌کرم را بیدار کرد اژدهای جهل را این کرم خورد
کرد کرمی شد پراز میوه و درخت اینچنین تبدیل گردد نیکبخت ۲۴ خانه بر کن کز عقیق این یمن صد هزاران خانه شاید ساختن

تفسیر کنت کنزاً مخفیاً فاحببت ان اعرف

گنج زیرخانه است و چاره نیست پس زهدم خانه مندیش ومأیست[8] ۲۶ که هزاران خانه از یك نقد گنج میتوان کردن عمارت بی ز رنج
خربت آن خانه خود ویران شود گنج از زیرش یقین عریان‌شود ۲۷ لیك آن تو نباشد زانکه روح مزد ویران کردنستش آن فتوح
چون‌نکرد آن‌کار[9] مزدش‌هست‌لا لیس للانسان الا ما سعی[10] ۲۸ دست‌خائی بعد ازآن‌توکای[11] دریغ اینچنین ماهی بد اندر زیر میغ
من نکردم آنچه گفتند از بهی گنج رفت و خانه و دستم تهی ۲۹ ❀ حایل گنج وحجاب‌اینخانه بود مانع صد خرمن این یکدانه بود
خانهٔ اجرت گرفتی و کری[12] نیست ملك تو ببیعی یا شری ۳۰ این کری را مدت او تا[13] اجل تا درین مدت کنی در وی عمل
پاره دوزی میکنی اندر دکان زیر این دکان تو پنهان دوکان[14] ۳۱ هست این دکان کرائی زود باش تیشه بستان و تکش را میخراش
تا که تیشه ناگهان بر کان نهی از دکان و پاره دوزی وارهی ۳۲ پاره‌دوزی چیست خورد آب‌ونان میزنی این پاره بر دلق گران
هر زمان میدرّد این دلق تنت[15] پاره بروی میزنی زین خوردنت ۳۳ ای ز نسل پادشاه کامبار با خود آزین پاره دوزی تنگ‌دار
پارهٔ بر کن ازین قعر دکان تا بر آرد سر به پیش تو دوکان ۳۴ پیش ازآن کاین مهلت خانه‌گری آخر آید بر نخورده زو بری
پس ترا بیرون کند صاحب‌دکان وین دکان‌را برکند ازروی کان ۳۵ تو زحسرت دست[16] برسر میزنی کاه ریش خام خود بر میکنی
کای دریغا آن من بود این دکان کور بودم بر نخوردم زین مکان ۳۶ ❀ ای دریغا گنج را بگذاشتم آب حیوان‌را بخاك انباشتم
ایدریغا بود ما را برد باد تا ابد یا حسرتا شد للعباد[17] ۳۷ ❀ ایدریغا ای دریغا ای دریغ ماه من پنهان بماند زیر میغ

غرّه شدن آدمی بذکاوت و تصویرات طبع خویشتن و طلب ناکردن علم غیب که علم انبیا علیهم‌السلام است

دیدم اندر خانه من نقش و نگار بودم اندر عشق خانه بیقرار ۳۹ ❀ ماندم اندر خانه حیران و نزار لابد از معنی شدم من عوروزار

---

۲ ـ صنم ۳ ـ خطاب ٤ ـ تا ٥ ـ که عوض خواهیم دادن برشمار ۱۱ ـ گوئی ۱۳ ـ مدتی داد و ۱٦ ـ گاه (ن . ل)

---

(۱) یعنی حکم او راست هرچه میخواهد میکند (٦) مستوی بمعنی مستقیم است ولی دراینجا عمر طبیعی مراد است (که بناکام) یعنی باید این را هم تحصیل کرد کما قال تعالی فتمنوا الموت یا آنکه مقصود آنست که این ازلوازم عمر دراز است (۷) مانند درخت انگورکه برگش از تاك یعنی از منافع کثیره مانده (۸) هدم خرابیٔ است زیرا تا ظلسم نشکند گنج ظاهر نشود (۹) چه علم و عمل همه دارند ولی همه علم ترکیبی یعنی علم بعلم و اینکه معلوم چیست و کیست ندارند پس ظفر برگنج دارائی ندارند (۱۰) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ والنجم یعنی نیست برای انسان مگر نتیجهٔ سعی وکوشش او (۱۲) کری یعنی کرایه کردن (۱٤) جنتان است که حق فرموده ولمن خاف مقام ربه جنتان جنت صوری وجنت روحانی یا دوکان مظهریت علم وقدرت یامظهریت جمال وجلال (۱٥) چه تحلیل میرود این‌تن بمحللات اربع که حرارت غریه داخل بدن وحرارت غریزیه داخله آلت طبیعت خادمه نفس وحرارت کوکبیه ازخارج وحرارت حرکات بدنیه ونفسانیه باشند وچنانکه دریدن هر زمانست دوختن نیز آن بآن است (۱۷) در سورهٔ یس واقعشده یاحسرة علی‌العباد ما یأتیهم من رسول الا کانوا به یستهزؤن

❀عشق خانه در دل من کارکرد — لاجرم از گنج ماندم دور و فرد ۱ بودم از گنج نهانی بیخبر — ور نه دستنبوی[1] من بودی تبر
آه گر داد تبر را دادمی — این زمان غم را تبرّا دادمی ۲ چشم را بر نقش می‌انداختم — همچو طنلان عشقها می‌باختم
❀ بس‌نکو گفت آن‌حکیم‌کامیار[2] — که تو طفلی خانه پرنقش ونگار ۳ در الهی نامه بس اندرز کرد — که بر آر از دودمان خویش‌گرد
بس کن ای‌موسی بگو وعدهٔ سیم — که دل من ز اضطرابش گشت‌گم ٤ گفت موسی آن سوم ملك دو تو — دو جهانی خالص از خصم وعدو
بیشتر زآن ملك کاکنون داشتی — کان بُد اندرجنگ واین درآشتی ٥ آنکه درجنگت چنان ملکی دهد — بنگر اندر صلح خوانت چون نهد
آن کرم کاندر جفا اینهات داد — در وفا بنگر چه باشد افتقاد ٦ گفت ای‌موسی‌چهارم چیست زود — باز گو صبرم شد و حرصم فزود
گفت چارم آنکه مانی تو جوان — موی همچون‌قیرورخ چون‌ارغوان ۷ رنگ وبو درپیش‌ما بس‌کاسدست — لیك تو پستی سخن کردیم پست
افتخار از رنگ و بو و ازمکان — هست شادیّ و فریب کودکان ۸

بیان این خبر که کلّموا الناس علی قدر عقولهم لا علی قدر عقولکم حتی لا یکذب‌الله و رسوله[3]

چونکه با کودك سر و کارم فتاد — هم زبان کودکان باید گشاد ۱۰ که بُرو کتاب تا مرغت خرم — یا مویز و جوز و فستق آورم
جز شباب تن نمیدانی بگیر — این جوانی‌را بگیر ای‌خر شعیر[4] ۱۱ هیچ آژنگی نیفتد بر رُخت — تازه ماند این شباب فرّخت
نی نشان پیریت آرد برو — نی قد چون سرو تو گردد دوتو ۱۲ نی شود زورِ جوانی از تو کم — نه بدندانها خللها یا آلم
نه کمی درشهوت وطمث و ریعال[5] — که زنان را آید از ضعفت ملال ۱۳ ❀ نه‌شود مویت سفید وپشت خم — لیك خوشتر لحظه لحظه دم بدم
آنچنان بگشایدت فرّ شباب — ۱٤ که گشود آن مژده برعکاشه باب

قوله علیه‌السلام من بشرنی بخروج‌الصفر بشرته بالجنة[6]

احمد آخر زمان را انتقال — در ربیع اول آمد بی‌جدال ۱٦ چونکه واقف‌شد دلش‌ازوقت نقل — عاشق آن وقت گردید او بعقل
چون صفر آمد بشد شاد ازصفر — که پسِ این ماه می‌سازم سفر ۱۷ هر شبی تا روز زین شوق هدی — او رفیق راه اعلی میزدی[7]
گفت هر کس که مرا مژده دهد — چون صفرپای ازجهان‌بیرون‌نهد ۱۸ که صفر بگذشت و شد ماه ربیع — مژده ور باشم مر او را و شفیع
❀ چون صفربربست بار[8]وماه نو — گشت پیدا بر فلك با تاب وضو ۱۹ گفت عکاشه صفر بگذشت و رفت — گفت که جنت ترا ای شیرِ زفت
❀ دیگری‌آمدکه بگذشت‌این‌صفر — گفت عکاشه ببرد از مژده بر ۲۰ پس رجال از نقلِ‌عالم شادمان — وز بقایش شادمان این کودکان
چونکه آب‌خوش‌ندید آن مرغ‌کور — پیش او کوثر نماید آب شور ۲۱ همچنین موسی کرامت می‌شمرد — ❀ هم بدینسان بی‌قدم ره می‌سپرد
که نگردد صاف اقبال تو درد — ❀ هم نگردد اطلس بخت تو برد ۲۲ ❀ هرچه‌خواهی یابی‌ازبخت‌جوان — شادمان مانی نگردی ناتوان
گفت احسنت[9] نکو گفتی ولیك — ۲۳ تا کنم من مشورت با یارِ نیك

مشورت کردن فرعون با آسیه در ایمان آوردن بموسی علیه السلام

باز گفت او این سخن با آسیه[9] — گفت‌جان‌افشان‌براین ای‌دل[10]سیه ۲٥ بس عنایتهاست متن این مقال — زود دریاب ای شه نیکو خصال
وقت کشت آمد زهی پرسودکشت — این بگفت وگریه کرد وگرم گشت ۲٦ بر جهید از جا و گفتا بخّ لك[11] — آفتابی تاج گشتت ای کلك[12]
عیب کُل را خود بپوشاند کلاه — خاصه‌چون باشدکه خورشید وماه ۲۷ هم درآن مجلس‌که بشنیدی‌تواین — چون نگفتی آری و صد آفرین
این‌سخن‌درگوشِ‌خورشیدارُ شدی — سرنگون بربوی این زیر آمدی ۲۸ هیچ میدانی چه‌وعدست وچه داد — میکند ابلیس را حق افتقاد
چون‌بدین‌لطف‌آن‌کریمت‌بازخواند — ای‌عجب‌چون زهره‌ات برجای‌ماند ۲۹ زهره‌ات ندرید تا زان زهره‌ات — میرسیدی در دو عالم بهره‌ات
زهرهٔ کز بهر حق او بر درد — چون شهیدان ازدوعالم برخورد ۳۰ غافلی هم حکمت است و نعمتست — تا نپرّد زود سرمایه ز دست
غافلی هم حکمت‌است و این عمی — تا بماند لیك تا این حد چرا ۳۱ لیك نی چندان که ناسوری شود — زهرِ جان و عقل رنجوری شود
خود که یابد این چنین بازار را — که بیك گل میخری گلزار را ۳۲ دانهٔ را صد درختستان عوض — حبهٔ را آمدت صد کان عوض
کان لله دادن آن حبه است — تا که کان الله له آید بدست[13] ۳۳ زانکه این هوی ضعیف[14] بیقرار — هست شد زان هوی ربّ پایدار
هوی فانی چونکه خود بااو سپرد — گشت باقی دائم و هرگز نمرد ۳٤ همچوقطره خائف ازباد و زخاك — که فنا گردد بدین هر دو هلاك
چون بوصل‌خود که دریا بود جست — ازتف خورشید وباد وخاك رست ۳٥ ظاهرش گم گشت در دنیا ولیك — ذات او معصوم و پا برجاو[15] نیك
هین بده ای قطره خودرا بی‌ندم — تا بیابی دریهای قطره یم ۳٦ هین‌بده ای‌قطره خودرااین‌شرف — در کف دریا شو ایمن از تلف
خود ترا آمد چنین دولت بدست — قطره را بحری تقاضا گرشدست ۳۷ ❀ چون تقاضا میکند دریا تو را — پس چه ِاستادی و درماندی هلا

---

٤ ـ ای خرس پیر ۸ ـ رخت ۱۰ ـ رو ۱٥ ـ جاست (ن . ل)

---

(۱) گلولهٔ خوشبو یا میوهٔ خوشبو که بجهت بوئیدن در دست گیرند (۲) در حدیقهٔ سنائی است : همه اندرز من بتو اینست که تو طفلی و خانه رنگین است (۳) یعنی سخن کنید با مردم بقدر عقول ایشان نه بقدر عقول خود یعنی سخن را باندازهٔ فهم مخاطب و سامع باید گفت نه برقدر اندازهٔ عقل متکلم تا ازسر نافهمیدگی تکذیب خدا و رسول او نکند و در ورطهٔ هلاکت نیفتد (٥) ریعال وطمث بمعنی جماع و وظایف شوهری انجام دادن است (٦) فرمود پیغمبر صلی‌الله علیه وآله هرکه بشارت دهد مرا بخروج ماه صفر بشارت دهم او را بجنة و این بواسطهٔ کمال شوق لقای خود بود بنا برتحقیق رجوع آن سرور و ارتحال آنحضرت در ماه ربیع‌الاول بوده از جهت آنکه بشارت خروج صفر متضمن بشارت وصال آن خیر البشر است بارب‌الارباب پس لابد است که جزای بشارت وصال با محبوب بشارت بدخول جنت بود (۷) در آنوقت آنحضرت مکرر بر زبان راندی بالرفیق الاعلی (۹) آسیه زن فرعون است که موسی را از آب گرفته و اورا بزرگ کرد و در نهانی ایمان بموسی آورده بود و معروف است که در سیاست فرعون جان داد واز ایمان رجوع نکرد (۱۱) آفرین برتو (۱۲) کلك یعنی ای کس که اذرع بودی (۱۳) اشارد بحدیث من کان لله کان الله له یعنی هر که برای خداست خدا اوراست (۱٤) یعنی هویت ضعیفه امکانیه که وحدت شخصیه محدوده باشد هستی دارد بهویت محیطهٔ ربوبیه که هویت کلّ هواست چنانکه مدلول ذکر شریف یا هو یمن هو یمن لاهو الاّ هواست

الله الله زود بفروش و بخر — قطره‌ای ده بحر پر گوهر ببر ۱ الله الله هیچ تأخیری[1] مکن — که ز بحر لطف آمد این سخن
الله الله زود بشتاب و بجو — چونکه بحر رحمت است این نیست جو ۲ الله الله گوی شد بی‌دست و پا — تا شود چوگان موسی با تو را
الله الله تو گمان بد مبر — بر چنین انعام عام ای بیخبر ۳ الله الله زود دریاب ای فتی — تا نگردی در غلط بینی فنا
الله الله ترک کن هستی خود — چونکه خواندستت برو ای معتمد ۴ الله الله زود تر تعجیل کن — بر فروز از این اشارت بیسخن
الله الله تا کنون کج باختی — گردن اندر معصیت افراختی ۵ الله الله چون عنایت در رسید — بی‌توقف در وی آمیز ای عنید
الله الله چونکه عصیانهای تو — در نمی‌ماند برویت[2] شکر گو ۶ الله الله چون زفضلت راه داد — سر بخاک پای او باید نهاد
الله الله با چنین کفر دو تو — چون قبولت میکند اکرام او ۷ لطف اندر لطف او گم می‌شود — کاسفلی برچرخ هفتم می رود[3]
هین که یک بازی فتادت بوالعجب[4] — هیچ طالب این نیابد در طلب ۸ درپذیر این چار خلعت زود زود — تا ببینی درعوض صد عز و سود
گفت با همان بگویم ای ستیر — شاه را لازم بود رای وزیر ۹ گفت با همان مگو این راز را — کوز کمپیری نداند[5] باز را

قصهٔ باز پادشاه و کمپیرزن

باز اسپیدی بکمپیری دهی — او ببرد ناخنش بهر بهی ۱۱ ناخنی که اصل کار است وشکار — کوز کمپیری[6] ببرد کور وار
که کجا بودست مادر تا ترا — ناخنان زینسان درازاست ای کیا ۱۲ ناخن و منقار و پرش را ببرید — وقت مهر این میکند زایل پلید
چونکه تتماجش دهد او کم خورد — خشم گیرد مهرها را بردرد ۱۳ که چنین تتماج پختم بهر تو — تو تکبر می نمائی و غتو
تو سزائی در همین رنج و بلا[7] — نعمت و اقبال کی سازد ترا ۱۴ آب تتماجش دهد کاین را بگیر — گر نمیخواهی که نوشی زین فطیر
آب تتماجش نگیرد طبع باز — زال بتر نجد شود خشمش دراز ۱۵ ازغضب آن آش سوزان برسرش — زن فرو ریزد شود کل مفترش[8]
اشک ازآن چشمش فروریزد زسوز — یاد آرد لطف شاه با فروز ۱۶ زان دو چشم نازنین با[9] دلال — که ز چهرهٔ[10] شاه دارد صد کمال
چشمها زاغش[11] شده پر زخم زاغ — چشم نیک ازچشم بد با درد وداغ ۱۷ چشم دریا بسطتی کز بسط او — هر دو عالم مینماید تار مو
گر هزاران چرخ[12] درچشمش رود — همچو چشمهٔ پیش قلزم گم شود ۱۸ چشم بگذشته از این محسوسها — یافته از غیب بینی بوسها
خود نمی یابم یکی گوشی که من — نکتهٔ گویم از آن چشم حسن ۱۹ می چکید آن آب محمود جلیل — می ربودی قطره‌اش را جبرئیل
تا بمالد در پر و منقار خویش — گردهد دستوریش آن خوب کیش ۲۰ باز گوید خشم کمپیر ار فروخت — فر نور صبر وحلمم را نسوخت[13]
باز جنبم باز صد صورت تند[14] — زخم بر ناقه نه بر صالح زند ۲۱ صالح از یکدم که آرد با شکوه — صد چنان ناقه بزاید متن کوه
دل همی‌گوید خموش و هوشدار — ورنه درآئید غیرت پود و تار ۲۲ غیرتش را هست صد حلم نهان — ورنه سوزیدی بیکدم صد جهان
نخوت شاهی گرفتش جای پند — تا دل خودرا زبند او کرد بند[15] ۲۳ که کنم با رای هامان مشورت — کوست پشت ملک وقطب مقدرت
مصطفی را رای زن صدیق رب — رای زن بوجهل را شد بولهب ۲۴ عرق جنسیت چنانش جذب کرد — کان نصیحتها به پیشش گشت سرد
جنس سوی جنس صد پره پرد ۲۵ بر خیالش بند ها را بر درد

قصهٔ آن زن که طفل آن برسر ناودان غزید وخطرافتادن بود واز علی مرتضی علیه‌السلام چاره جست

یک زنی آمد به پیش مرتضی — گفت شد برناودان طفلی مرا ۲۷ گرش میخوانم نمی آید بدست — ورهلم ترسم که افتد او به پست
نیست عاقل تا که دریابد چو ما — گر بگویم کز خطر سوی من آ ۲۸ هم اشارت را نمی داند بدست — ور بداند نشنود این هم بد است
بس نمودم شیر و پستان را باو — او همی‌گرداند از من چشم و رو ۲۹ از برای حق شمائید ای مهان — دستگیر این جهان و آن جهان
زود درمان کن که می‌لرزد دلم — که بدرد از میوهٔ دل بگسلم ۳۰ گفت طفلی را برآور هم بیام — تا ببیند جنس خودرا آن غلام
سوی جنس آید سبک زان ناودان — جنس برجنس است عاشق جاودان ۳۱ زن‌چنان کرد وچو دید آن طفل او — جنس‌خود خوش‌خوش بدوآورد رو
سوی بام آمد ز متن ناودان — جاذب هر جنس را همجنس دان ۳۲ غژغژان[16] آمد بسوی طفل طفل — وارهید او از فتادن سوی سفل
زان شدستند از بشر پیغمبران[17] — تا بجنسیت رهند از ناودان ۳۳ پس بشر فرمود خودرا مثلکم[18] — تا بجنس آیند و کم گردند وگم
زانکه جنسیت عجایب جاذبیست[19] — جاذب[20] جنسست هرجا طالبیست ۳۴ عیسی وادریس برگردون شدند — با ملایک چونکه هم جنس آمدند
باز آن هاروت وماروت از بلند — جنس تن بودند زان زیر آمدند ۳۵ کافران همجنس شیطان آمده — جانشان شاگرد شیطانان شده
صد هزاران خوی بد آموخته — دیده های عقل و دل بر دوخته ۳۶ کمترین خوشان بدستی این حسد — آن حسد که گردن ابلیس زد
زان سگان آموخته حقد و حسد — که نخواهد خلق را ملک ابد ۳۷ هر کرا دید او کمال ازچپ وراست — ازحسد قولنجش آمد درد خاست
زانکه هر بدبخت خرمن سوخته — می نخواهد شمع کس افروخته ۳۸ هین کمالی دست آور تا تو هم — از کمال دیگران نفتی بغم
از خدا میخواه دفع این حسد — تا خدایت وا رهاند زین جسد ۳۹ مر ترا مشغولی باشد درون — که نپردازی از آن سوی برون
جرعهٔ می را خدا آن می دهد — که بدان مست از دو عالم میرهد ۴۰ خاصیت بنهاده در کف حشیش — کو زمانی می رهاند از خودیش
خواب‌را یزدان بدان‌سان میکند[21] — کز دو عالم فکر را بر می کند ۴۱ کرد مجنون را ز عشق پوستی[22] — کو نشناسد عدو از دوستی
صد هزاران این‌چنین میدارد او[23] — که بر ادراکات تو بگمارد او ۴۲ هست میهای شقاوت نفس را — که ز ره بیرون برد آن نحس را

---

۱ - تقصیری ۳ - شود ۵ - کور کمپیری چه داند ۶ - کورکمپیرک ۷ - مرهمان ادبار را ۹ - بر ۱۰ - روی ۱۲ - بحر ۱۳ - بسوخت ۱۵ - زبند بند کند ۱۹ - بغایت جاذبست ۲۰ - جاذبش (ن . ل)

(۲) یعنی برزخت نمیکشد وبردات را نمیدرد (٤) چنانست که بفرماید دولتی بتو اقبال نموده وبرخود زوال نیاری (۸) یعنی آش که بر سرش ریخت مغز سرش کچل میشود (۱۱) اشاره است بآیهٔ ما زاغ البصر وماطغی یعنی چشمی که زیغ وضلال نداشت (۱٤) یعنی با کی نیست که شهبازجنم مرتبهٔ دیگر صد صورت انشا کند که کمپیر زخم برناقهٔ تن زند نه برصالح جان بلکه زخم تن التیام جانست (۱٦) غژیدن یعنی خزیدن وخودرا کشان کشان راه بردن (۱۷) اشاره است به واو جعلناه ملکاً لجعلناه رجلاً وللبسنا علیهم ما یلبسون (۱۸) اشاره بآیه شریفه واقعه در سورهٔ کهف است قل انما انا بشر مثلکم (۲۱) گر بخواب افتیم مستان وئیم (۲۲) استخوان وپوست روپوش است و بس * در دو عالم غیر یزدان نیست کس (۲۳) اشاره است بسریان عشق و مستی * مستند ذرات جهان هشیار کو هشیار کو

هست میهای سعادت عقل را — که بیابد منزلِ بی نقل را ۱ خیمهٔ گردون ز سرمستیِ خویش — برکند زان سو بگیرد راه پیش
هین بهر مستی دلا غرّه مشو — هست عیسی مستِ حق خرّ مستِ جو ۲ این چنین می را بخور زین خنبها[1] — مستی‌اش نبود ز کوته دنبها[2]
زانکه هر معشوق چون خنبیست پُر — آن یکی دُرد و دگر صافی چو دُر ۳ می‌شناسا هین بچش با احتیاط — تا مئی یابی منزّه ز اختلاط
می‌شناسا هین بچش ای رو ترش — آن می صافی کز آن گردی خمش ۴ هردو مستی می‌دهندت لیك این — مستیت آرد کشان تا ربّ دین
تا رهی از فکر ووسواس وحیل — بی عقال[3] عقل در رقصُ الجمل ۵ انبیا چون جنس روحند و ملك — مر ملك را جذب کردند ازفلك
باد جنس آتش است و یارِ او — که بود آهنگ هر دو بر علو ۶ چون بیندی تو سر کوزهٔ تهی — در میان حوض یا جوئی نهی
تا قیامت آن فرو ناید به پست — که دلش خالیست دروی باد هست ۷ میل بادش چون سوی بالا بود — ظرف خودرا هم سوی بالا کشد
باز آن جانها که جنس انبیاست — سوی ایشان کش کشان چون سایهاست ۸ زانکه عقلش غالب است و بی ز[4]شك — عقل جنس آمد بخلقت با ملك
وان هوای نفس غالب بر عدو — نفس جنس اسفل آمد[5] شد بدو ۹ بود قبطی جنس فرعون ذمیم — بود سبطی جنس موسیِ کلیم
بود هامان جنس مر فرعون را — برگزیدش برد تا صدرِ سرا ۱۰ لاجرم از صدر تا قعرش کشید — که ز جنس دوزخند آن دو پلید
هردو سوزنده چو دوزخ ضدّ نور — ۱۱ هردو چون دوزخ زنور دل نفور

❀ در بیان حدیث جُرِّیا مؤمن فانّ نورك اطفا ناری از زبان دوزخ

زانکه دوزخ گوید ای مؤمن تو زود — برگذر که نورت آتش را ربود ۱۳ بگذر ای مؤمن که نورت میکشد — آتشم را چون که دامن میکشد
می رمد آن دوزخی از نور هم — زانکه طبع دوزخستش ای صنم ۱۴ دوزخ از مؤمن گریزد آنچنان — که گریزد مؤمن از دوزخ بجان
زانکه جنس نار نبود نور او — ضدّ نار آمد حقیقت نور جو ۱۵ در حدیث آمد که مؤمن در دعا[6] — چون امان خواهد زدوزخ ازخدا
دوزخ ازوی هم امان جوید بجان — که خدایا دور دارم از فلان ۱۶ جاذبهٔ جنسیت است اکنون ببین. — که تو جنس کیستی ازکفر و دین
گر بهامان مایلی هامانئی[7] — ور بموسی مایلی سبحانئی[8] ۱۷ ور بهر دو مایلی انگیخته — نفس و عقلی هردوان آمیخته
هردو درجنگند هان وهان بکوش — تا شود برنفس غالب عقل وهوش ۱۸ ❀ساغر صدق ازکف موسی بنوش — تا شود غالب معانی بر نقوش
درجهانِ جنگ شادی این بست — که ببینی بر عدو هردم شکست ۱۹ ❀ جهدکن تاخصمت اشکسته شود — گرچه فرعون دنی این نشنود
❀ این حدیث آمد دراز ای ناگزیر — ۲۰ باز گو اضلال فرعون و مشیر

مشورت کردن فرعون با وزیرش هامان در ایمان آوردن بموسی علیه‌السلام

آن ستیزه رو بسختی عاقبت — گفت با هامان برای مشورت ۲۲ وعدهای آن کلیم الله را — گفت و محرم ساخت آن گمراه را
گفت با هامان چو تنهایش بدید — جست هامان و گریبان بر درید ۲۳ بانگها زد گریها کرد آن لعین — کوفت دستار و کله را بر زمین
که چگونه گفت اندر روی شاه — این چنین گستاخ آن حرفِ تباه ۲۴ جمله عالم را مسخر کرده تو — کار را با بخت چون زرکرده تو
از مشارق وز مغارب بی لجاج — سوی تو آرند سلطانان خراج ۲۵ پادشاهان لب همی مالند شاد — برستانهٔ خاك تو ای کیقباد
اسب باغی[9] چون ببیند اسب ما[10] — رو بگرداند گریزد بی عصا[11] ۲۶ تا کنون معبود و مسجود جهان — بودهٔ گردی کینهٔ بندگان
درهزار آتش شدن زین خوشترست — که خداوندی شود بنده پرست ۲۷ نی بکش اوّل مرا ای شاهِ هین[12] — تا نبیند چشم من بر شاه این
خسروا اوّل مرا گردن بزن — تا نبیند این مذلت چشم من ۲۸ خود نبودست و مبادا اینچنین — که زمین گردون شود گردون زمین
بندگان مان خواجه تاش ما شوند — بیدلانمان دلخراش ما شوند ۲۹ ❀چشم روشن دشمنان ودوست کور — گشت مارا پس گلستان قعرِ گور

تزییف سخن هامان

دوست از دشمن همی نشناخت او — نرد را کورانه کج میباخت او ۳۱ دشمن تو جز تو نبود ای لعین — بیگناهان را مگو دشمن بکین
پیش تو اینحالت بد دولت است — که دوادو اوّل وآخرلت است[13] ۴۲ اولش دود و در آخرلت بخور — جز در این ویرانه نبود مرگ خر
گر ازاین دولت تتزی خزخزان — این بهارت را همی آید خزان ۳۳ مشرق ومغرب چوتو بس دیده‌اند — که سرِ ایشان ز تن بریده اند
مشرق ومغرب که نبود برقرار[14] — چون کنند آخر کسی را پایدار ۳۴ تو بدان فخر آوری کز ترس وبند — چاپلوست گشت مردم روز چند
هر کرا مرده سجودی میکنند — زهر اندرجانِ[15] او می آکنند ۳۵ چونکه برگردد ازاوآن ساجدش[16] — داند اوکان زهر بوده مؤبدش[17]
ای خنك آنرا که ذلت نفسه — وای آن کز سرکشی شد چون کهاو ۳۶ ❀این تکبر زهرقاتل دان که هست — از می پر زهر شد او گیج ومست
این تکبر زهر قاتل دان عیان — خمّ پرزهراست هین کم نوش ازآن ۳۷ چون می پُر زهر نوشد مدبری — از طرب یکدم بجنباند سری
بعد یکدم زهر بر جانش فتد — زهر در جانش کند داد و ستد ۳۸ گر نداری زهریش را اعتقاد — کزچه[18] زهرآمد نگر در قوم عاد
چونکه شاهی دست یابد بر شهی — بکشدش یا باز دارد در چهی ۳۹ ور بیابد خستهٔ افتاده را — مرهمش سازد شه و بدهد عطا
گرنه زهراست این تکبر پس چرا — کشت شه را بیگناه و بی خطا ۴۰ وین دگررا بی زخدمت چون نواخت — زین دوجنبش زهررا بایدشناخت

---

٤ ـ نیست ۷ ـ فرعونئی ۸ ـ هارونئی ۱۰ ـ تو ۱۱ ـ سو بسو ۱۲ ـ چین ۱۵ ـ جام ۱٦ ـ ساجد جبین ۱۷ ـ بیند او کان زهر قاتل بد یقین ۱۸ ـ کان چو (ن . ل)

---

(۱) یعنی خمها ازاین می‌حقانی را بخور (۲) خمهای کوچك دنباله یاشیشهای کوتاه گردن یعنی مستیش از شیشهٔ می صوری نیست یا کوته دم کنایه باشد از محدود الکمال وغیر واصل بغایت که غایت شیٔ دنبالهٔ آنست و نرسیدهٔ بغایت ناقص و ابتر و دُم بریده‌است (۳) عقال پای بند است وزانوبند شتر را هم گویند (٥) چون نفس بحسب اصل فطرت لطیف است پس بهرچه رو آرد رنگ او پذیرد ونفس شقیه بطبیعت و لوازم طبیعت گرفتار است ثقیل وسفلی میگردد (٦) مؤمن گوید اللهم اجرنی من النار بار خدایا مرا از آتش وعذاب دوزخ خلاص ده آتش دوزخ گوید اللهم اجره بار خدایا پناه ده اورا از جمیع شدایدِ (۹) باغی یعنی بغی کننده ولی در اینجا مقصود حضرت موسی است از قول هامان (۱۳) تلمیح است بشعر مشهور که: آنچه نامش نهادهٔ دولت ❀ دو سه‌روزی‌دو است و باقی لت (۱٤) کُلّ شیٔ هالك الاّ وجهه

راه‌زن هرگز گدائی را نزد — گرگ گرگ مرده را هرگز گزد ۱ خضر کشتی را برای آن شکست — تا تواند کشتی از فجّار رست
چون شکسته می رهد اشکسته‌شو — امن در فقر است اندر فقر رو ۲ آن کهی کوداشت ازکان نقد چند[1] — گشت پاره پاره از زخم کلند
تیغ بهر اوست کورا گردنیست — سایه‌افکنده است بروی زخم نیست ۳ مهتری نفت است وآتش ای‌غوی — ای برادر چون بر آذر میروی
هر چه آن هموار باشد با زمین — تیر ها را کی هدف گردد ببین[2] ٤ سر بر آرد از زمین آنگاه او[3] — چون هدفها زخم یابد بی رفو[4]
نردبان خلق این ما و من است — عقبت زین نردبان افتادن‌است ٥ هر که بالا تر رود ابله تر است — کاستخوان او بترخواهد شکست
این فروعست و اصولش آن بود — که ترفّع شرکت[5] یزدان بود ٦ چون نمردی و نگشتی زنده زو — یافتی باشی بشرکت ملك جو
چون‌بدوزنده‌شدی‌آن‌خودوی‌است[6] — وحدت‌محض‌است‌آن‌شرکت‌کی‌است ۷ شرح این در آینهٔ اعمال جو — که نیابی فهم این از گفت و گو
گر بگویم آنچه دارم در درون — بس جگرها گردد اندر حال خون ۸ بس کنم‌خودزیرکان‌را‌این‌بس‌است — بانگ دوکردم اگر در ده‌کس‌است[7]
حاصل آن همان بدان گفتار بد — این چنین راهی برآن فرعون‌زد ۹ لقمهٔ دولت رسیده تا دهان — از گلوی او بریده ناگهان
خرمن فرعون را داد او بباد — هیچ شه را اینچنین صاحب مباد ۱۰ ❊ ازچنین همراه‌بد دوری‌گزین — زینهار الله اعلم بالیقین

نومید شدن موسی علیه السلام از ایمان آوردن فرعون و جا یافتن سخن هامان در دل فرعون

گفت موسی لطف بنمودیم و جود — خود خداوندیت را روزی نبود ۱۲ آن خداوندی که نبود راستین — مر ورا نی دست‌دان نی آستین
آن خداوندی که دزدیده بود — بی دل و بی‌جان و بی دیده بود ۱۳ آن خداوندی که دادندت عوام — باز بستانند از تو همچو وام
❊ آن خداوندی تو از بندگی — کمتر است ار باز دانی اندکی ۱٤ ده خداوندی عاریّت بحق — تا خداوندیت بخشد متفق

منازعت کردن امیران عرب با رسول خدا علیه‌السلام که ملك را مقاسمه کن تا نزاعی نباشد و جواب مصطفی صلی‌الله علیه و آله که من مأمورم درین امارت و بحث ایشان از طرفین

آن امیران عرب گرد آمدند[8] — نزد پیغمبر منازع می شدند[9] ۱۷ که تو میری هریك ازماهم امیر — بخش کن این ملك وبخش‌خودبگیر
هریکی در بخش خود انصاف‌جو — تو زبخش ما دو دست خود بشو ۱۸ گفت میری‌مرمرا حق‌داده است — سروری وامرمطلق داده است
کاین قران احمداست و دور او — هین بگیرید امر او را اتقوا ۱۹ قوم گفتندش‌که ما هم زان[10] اقضا — حاکمیم و داد امیریمان خدا
گفت لیکن مر مرا حق مُمِت داد — مر شما را عاریه از بهر زاد ۲۰ میری من تا قیامت باقی است — میری عاریّتی خواهد شکست
قوم گفتندش که افزونی مجو — چیست حجت بر فزون جوئی‌بگو ۲۱ درزمان ابری‌برآمد زامر مُمِر[11] — سیل آمد گشت آن اطراف پُر
رو بشهر آورد سیلی بس مهیب — اهل شهر افغان‌کنان جمله رعیب ۲۲ گفت پیغمبر که وقت امتحان — آمد اکنون تا نهان[12] گردد عیان
هر امیری نیزهٔ خود در فکند — تا شود در امتحان آن سیل بند ۲۳ ❊ نیزها را همچو خاشاکی ربود — آب تیز سیل پر جوش عنود
پس‌قضیب[13] انداخت‌بروی‌مصطفی — آن قضیب معجز فرمان روا ۲٤ نیزها گم گشت جمله وآن قضیب — بر سر آب ایستاده چون رقیب
زاهتمام آن قضیب آن سیل زفت — روبگردانید و سوی بحر[14] رفت ۲٥ چون بدیدند ازوی آن‌امر عظیم — پس مُقر گشتند آن میران ز بیم
جزسه‌کس‌که حقد ایشان چیره بود — ساحرش گفتند وکاهن از جحود ۲٦ ❊ بود بو جهل لعین و بو لهب — وان سیم هم بود بوسفیان حرب
ملك بر بسته چنان باشد ضعیف — ملك بر رُسته چنان باشد شریف ۲۷ نیزها را گر ندیدی با قضیب — نامشان بین[15] نام او بین ای نجیب
نامشانرا سیل تیز مرگ برد — نام او و دولت تیزش نمرد ۲۸ پنج نوبت میزنندش بر دوام[16] — همچنین هر روز تا روز قیام[17]

تمامی حدیث موسی علیه السلام در تقریع و توبیخ فرعون

گر ترا عقلیست کردم لطفها — ور خری آورده ام خر را عصا ۳۰ آنچنان زین آخرت بیرون کنم — کزعصا گوش وسرت پرخون کنم
اندراین آخر خران و مردمان — می نیابند از جفای تو امان ۳۱ نك عصا آورده ام بهر ادب — هرخری را کو نباشد مستجب[18]
اژدهائی میشود در قهر تو — کاژدهائی گشتهٔ در فعل و خو ۳۲ اژدهای کوهئی تو بی امان — لیك بنگر اژدهای آسمان
این عصا از دوزخ آمد چاشنی — بر تو و بر مؤمن آمد روشنی ۳۳ ❊ مر ترا گوید که ای گیر دنی — که هلا بگریز اندر روشنی
ورنه درمانی تو در زندان من — مخلصت نبود ز دربندان من ۳٤ ❊ بازگرد ازکفرسوی دین حق — ورنه در نار ابد مانی خلق[19]
❊ بازگرد ای‌گمره بدبخت دون — ۳٥ ورنه در دوزخ در افتی سرنگون

دربیان آنکه شناسای قدرت حقتعالی نپرسد که بهشت کجاست ودوزخ چه جاست

❊ این‌عصائی‌بود این‌دم اژدهاست — تا نگوئی‌دوزخ یزدان کجاست[20] ۳۷ ❊ ظاهراست این‌دوزخ اما بردلت — هست پوشیده یقین زآب وگلت

---

۲ ـ جبین ۳ ـ آن ٤ ـ امان ۸ ـ صفها زدند ۹ ـ با پیمبر در تنازع آمدند ۱۰ ـ در ۱۲ ـ گمان ۱٤ ـ دشت ـ آن سیلاب ۱٥ ـ نامشان و ۱۸ ـ مستجب ۱۹ ـ یابی خلق (ن . ل)

---

(۱) یا من فی‌الجبال خزائنه (٥) ترفع بلندی جستن است و در حدیث قدسی است الکبریاء ردائی والعظمة ازاری و من نازعنی فیهما قصمته (٦) گر من گویم زمن توئی مقصودم (۷) در بعضی از نسخ اگرخانه کس است می‌باشد و بعض نسخ اگر در ده یعنی قریه (۱۱) امر مُمِر یعنی قضا وحکم حتمی (۱۳) قضیب شاخهٔ درخت خرمااست‌که عصا ساخته اند وحضرت رسالت آن را استعمال فرموده‌اند وبقضیب اشتهار یافته است (۱٦) در اوقات نمازهای پنجگانه همه روزه دراذان واقامه وتشهد وغیره نام مبارك آنحضرت برده میشود (۱۷) از روزهای ربوبی والوهی و مصراع اول اشارتست بشمول دولت او سلسلهٔ عرضیه را و دوم اشاره است بشمول دولتش در سلسله طولیه و در استعمال روز در مصراع دوم اشارتست بآنکه در مراتب سلسله طولیه صعودیه شب نمیباشد چه بعد از غروب نور در مواد پس از سیر درسلسله طولیه نزولیه طالع شد وبسیر عروجی افتاد پس همه درجات روز است الانور فالانور الی نورالانوار کما قال تا روز قیام (۲۰) چه آخرت در طول و باطن این دنیاست ونسبتش بدنیا نسبت جوجه است به بیضه وچون عالم آخرت تام است مکان وزمان ازجنس خود دارد وحاجت بمکان و زمان دنیای دنی ندارد و صدمه نمیزند بمکان وزمان دنیا وآنچه در هریك می‌بینی در جمیع جاریست که ماخلقکم ولا بعثکم الا کنفس واحدة پس دنیا بالکلیه رفع میشود وآخرت وضع میشود که آنچه در قیامت صغری است نمونه است از آنچه در کبری است

هرکجا خواهد خدا دوزخ کند — اوج را برمرغ دام و فخ کند ۱ هم ز دندانت برآرد دردها — تا بگوئی دوزخ است و اژدها
یا کند آب دهانت را عسل[1] — تا بگوئی که بهشت است وحلل[2] ۲ از بن دندان برو یاند شکر[3] — تا بدانی قوّت حکم قدر
پس بدندان بی‌گناهان را مگز — فکر کن از ضربت نا محترز[4] ۳ نیل را برقبطیان حق خون کند — سبطیان را از بلا محصون کند
❀آب برفرعون در دم خون شود — بر کلیمی قند نا ممنون شود ۴ تا بدانی پیش حق تمییز هست — در میان هوشیار راه و مست
نیل تمییز از خدا آموختست — که‌گشادآنرا واین‌را سخت بست[5] ۵ لطف او عاقل کند مر نیل را — قهر او ابله کند قابیل را
در جمادات از کرم عقل آفرید — عقل از عاقل بقهر خود برید ۶ درجماد از لطف عقلی شد پدید — وز نکال از عاقلان دانش برید[6]
عقل‌چون باران بامرآنجا بریخت — عقل اینسوخشم حق دید وگریخت ۷ ابر وخورشید و مه ونجم بلند[7] — جمله بر ترتیب آیند و روند
هریکی ناید مگر دروقت[8] خویش — که نه پس ماند بهنگام ونه پیش ۸ چون نکردی فهم این را ز انبیا — دانش آوردند در سنگ و عصا
تا جمادات دگر را بی لباس — چون عصا وسنگ داری ازقیاس ۹ طاعت سنگ و عصا ظاهر شود — وز جمادات دگر مخبر شود
که ز یزدان آگهیم و طایعیم — ما همه بی اتفاقی ضایعیم ۱۰ همچو آب نیل‌دانی[9] وقت غرق — کو میان هردو امّت کرد فرق
چون‌زمین‌کش‌دانش‌آمد[10] وقت‌خسف — درحق قارون که‌کردش قهرنسف ۱۱ چون‌قمرکه امربشنید وشکافت[11] — پس‌دونیمه گشت برچرخ وشتافت
چون ستون نالید از هجر نبی — با خبر گشتند از آن شیخ وصبی ۱۲ چون درخت وسنگ‌کاندر هرمقام — مصطفی را کرده ظاهر والسلام

جواب دهری‌که منکر الوهیتست وعالم را قدیم می‌گوید

دی یکی میگفت عالم حادثست — فانی‌است این‌چرخ وحقش‌وارثست ۱۴ فلسفیّ گفت چون دانی حدوث — حادثیّ ابر چه[12] داند غیوث
ذرّهٔ خود نیستی از انقلاب — تو چه میدانی حدوث آفتاب ۱۵ کرمکی کاندر حدث باشد دفین — کی بداند آخر و بدو زمین
این بتقلید از پدر بشنیدهٔ — از حماقت اندر آن پیچیدهٔ ۱۶ چیست برهان برحدوث این بگو — ورنه خامش کن فزون گویی مجو
گفت دیدم اندر این بحر عمیق — بحث میکردند روزی دو رفیق[13] ۱۷ درجدال و درخصام ودر ستوه[14] — گشته هنگامه برآن دو کس گروه
سوی‌آن هنگامه گشتم من روان — تا بیابم اطلاع از حالشان ۱۸ من یکی از جمع هنگامه شدم — اطلاع از حال ایشان بستدم
آن یکی میگفت گردون فانی‌است — بی گمانی این بنا را بانی است ۱۹ وان دگرگفت‌آن‌قدیم‌وبی‌کی‌است — نیستش بانیّ و یا بانی ویست
گفت منکر گشتهٔ خلّاق را — روز و شب آرنده و رزّاق را ۲۰ گفت بی برهان نخواهم من‌شنید — آنچه گوئی آن بتقلیدی گزید
هین بیاور حجت وبرهان که من — نشنوم بی حجت این را در زمن ۲۱ گفت حجت در درون جانم است — در درون جان نهان برهانم است
تو نمی‌بینی هلال از ضعف چشم — من همی‌بینم مکن برمن تو خشم ۲۲ گفت وگو بسیارگشت وخلق‌گیج[15] — درسر وپایان این چرخ بسیج[16]
گفت یارا در درونم حجتیست — بر حدوث آسمانم آیتیست ۲۳ من یقین دانم نشانش آن بود — مر یقین‌دان‌را که در آتش رود
در زبان می‌ناید آن حجت بدان — همچو حال و سرّ عشق عاشقان ۲۴ نیست پیدا سرّ گفت وگوی من — جزکه زردیّ ونزاری روی من
اشك خون بررخ روانه می‌رود — حجت حسن و جمالش می شود ۲۵ گفت من اینها ندانم حجتی — که بود در پیش عامه آیتی
❀ گریباری من‌کنم آن‌را قبول — ورنه کوته‌کن سخن باعرض وطول ۲۶ گفت چون قلبیّ ونقدی دمزنند — که تو قلبی من نکویم وارجمند
هست آتش امتحان آخرین — کاندر آتش در فتند آن دوقرین ۲۷ عام وخاص از حالشان عالم شوند — ازگمان وشك سوی ایقان روند
آب و آتش آمد ای‌جان امتحان — نقد و قلبی را که آن باشد نهان ۲۸ تا من و تو هردو درآتش رویم — حجت باقیّ حیرانان شویم
یامن و تو هردو در بحر اوفتیم — چون درِ دعوی من و تو کوفتیم ۲۹ همچنان کردند و در آتش شدند — هردو خودرا بر تف آتش زدند
فلسفی‌را سوخت خاکسترشداو[17] — متقی را ساخت تازه ترشد او[18] ۳۰ آن خدا گوینده مرد مدّعی — رست وسوزید اندرآتش‌آن دعی
از مؤذّن[19] بشنو این اعلام‌را[20] — کوری افزون روانِ خام را ۳۱ که نسوزیدست این نام از اجل — کش مسمی صدر بودست و اجل
❀ صدهزاران روح شد دل دادهٔ — در ره او سر بسر افتادهٔ ۳۲ ❀ صد هزاران خلق اندر بادیه — سرچوگوئی[21] بی‌عصا و راویه[22]
صد هزاران زین‌رهان اندرقران — بر دریده پرده‌های منکران ۳۳ چون گرو بستند غالب شدصواب — در دوام معجزات و در جواب
فهم کردم کانکه دم زد از سبق — درحدوث‌چرخ پیروزست وحق[23] ۳۴ حجت منکر هماره زرد رو — یك نشان بر صدق این انکارکو
یك مناره در ثنای منکران — کو درین‌عالم که تا باشد عیان[24] ۳۵ ❀ سکهٔ شاهان همی گردد دگر — سکهٔ احمد ببین تا مستقر
منبری کو که در آنجا مخبری — یاد آرد روزگار منکری ۳۶ روی دینار و درم از نامشان — تا قیامت میدهد از حق نشان

---

۱ ـ انگبین ۲ ـ این یقین ۵ ـ هرچه دارد از خدا اندوخته است ۶ ـ رمید ۸ ـ جای ۹ ـ دان در ۱۰ ـ دانیش دانا ۱۲ ـ چون ۱۳ ـ فریق ۱۴ ـ شکال ودر شکوه ۱۵ ـ و خلق بیشمار ۱۶ ـ گشته حیران در سر و پایان کار ۱۷ ـ همچون هیمه نار ۱۸ ـ چون گل در بهار ۱۹ ـ آزمودن ۲۱ ـ سیرکرده ۲۴ ـ نشان (ن . ل)

---

(۳) این شکر وآن عسل از لوازم ذکر وبیان معارفست چنانکه آوردن آن دردها از لوازم سخنان اباطیل وغفلت است (٤) ضربتی که ازاو دوری نمیتوان کرد (۷) اشاره است بآیه شریفه واقعه در سورهٔ یس والشمس تجری لمستقر لها ذلك تقدیر العزیز العلیم والقمر قدّرناه منازل حتی عاد کالعرجون القدیم لاالشمس ینبغی لها ان تدرك القمر ولاالّلیل سابق النهار وکل فی فلك یسبحون (۱۱) اشاره است بآیه واقعه دراول سورهٔ قمر اقتربت الساعة وانشق القمر (۲۰) اعلام ازملایمات مؤذن است که اذان اعلامی درشرع گویند (۲۲) یعنی صد هزاران خلق را اندر بادیهٔ طلب او سرچو گوئی غلطان و روانست بی عصای سفر و بی راویهٔ آب بالجمله وبی‌اخذ زاد وتوشه ودر بعضی نسخ خلق را در بادیه سیر کرده بی عصار راویه یعنی سیرآب کرده بی معصور راویه که تشبیه شده آب راویه بعصارها که در شیشه‌ها وظرفها کنند وآبهای فشرده شده از میوجات را عصارهگویند (۲۳) اتفاق محققین است که لاقدیم سوی‌الله خدا وآنچه ازصفات خدا وصنع خداست قدیم است وآنچه خلق واز نتیجه خلق است حادث است علم خدا وقدرت وتکلم وجود واحسان وفیض و نور خدا ومانند آن قدیم است کان‌الله ولم یکن معه شیٔ وممکنات کلاً وطراً حادثند وتازه بهم رسیدند واسم ورسم تازه پدیدار شده ان هی الا اسماءٌ سمیتموها انتم وآباؤکم ما انزل الله بها من سلطان

بر رخ سیم و زری اندرجهان[1] — سکهٔ بنما بنام منکران[2] ۱ — خود بگیر این معجز چون آفتاب — صد زبان و نام او امّ الکتاب
زهرهٔ نی کس راکه یك حرفی ازآن[3] — یا بدزدد یا فزاید در بیان ۲ — یار غالب شو که تا غالب شوی — یار مغلوبان مشو هین ای غوی
حجت منکر همین آمد که من — غیر این ظاهر نمی بینم وطن ۳ — هیچ نندیشد که هر جا ظاهریست — آن ز حکمتهای پنهان مخبریست
فایدهٔ هر ظاهری خود باطن است — همچو نقع اندر دواها کامن است ٤ — این تفاوت حق نهاد اندر زمان — تا بدانند اهل عرفان در جهان
عمر کرکس سه هزار و پانصد است — مر کبوتر را چه باشد زان بدست ٥ — می بمیرد از کبوتر صد هزار — مرگ کرکس را نبینند آشکار
جمله پندارند کرکس باقی است — نی غلط کردند یك کس باقی است ٦ — چونکه ظاهر بین شدند از جهل خویش — می نبینند از عمی نه پس نه پیش
می نماند در جهان یکتار مو — کل شیء هالك الا وجهه ۷ — ❀ هرچه پیدا کرد بهر معنئی است — باطنش بنگر براین ظاهر مأیست

تفسیر آیه کریمه که و ما خلقنا السموات و الارض وما بینهما الا بالحق[4] لیافریدمشان بهر همین که شما می بینید بلکه بهر معنی و حکمت باقیه که شما نمی بینید آنرا

هیچ نقشی نگارد زین نقش — بی امید نفع بهر عین نقش ۱۰ — بلکه از بهر که و مه سازد آن[5] — که بفرجه وا رهند از اندهان
شادی بچگان و یاد دوستان — دوستان رفته را از نقش آن[6] و[7] ۱۱ — هیچ کوزه گر کند کوزه شتاب — بهر عین کوزه نی از بهر آب
هیچ کاسه گر کند کاسهٔ تمام — بهر عین کاسه نی بهر طعام ۱۲ — هیچ خطّاطی نویسد خط بفن — بهر عین خط نه بهر خواندن
نقش ظاهر بهر نقش غایبست — وان برای غائب دیگر بیست ۱۳ — تا سوم چارم دهم بر می شمر — این فواید را بمقدار نظر
همچو بازیهای شطرنج ای پسر — فائدهٔ هر لعب در تالی نگر ۱٤ — این نهاده بهر آن لعب نهان — وان برای آن و آن بهر فلان
همچنین می بین جهات اندرجهات — در پی هم تا رسی در برد ومات ۱٥ — اوّل از بهر دوم باشد چنان — که شدن بر پایهای نردبان
وآن دوم بهر سوم میدان تمام — تا رسی تو پایه پایه تا ببام ۱٦ — شهوت خوردن ز بهر آن منی — آن منی از بهر نسل و روشنی
کند بینش می نبیند غیر این — عقل او بی سیر چون نبت زمین ۱۷ — نبت را چه خوانده چه نا خواندهٔ — هست پای او بگل در ماندهٔ
گر سرش جنبد بسیر بادها رو — تو بسر جنبانیش غرّه مشو ۱۸ — آن سرش گوید سمعنا ای صبا — پای او گوید عصینا خلّنا[9]
چون نداند سیر میراند چو عام — بر توکل مینهد چون گورگاه[10] ۱۹ — بر توکل تا چه آید در نبرد — چون توکل کردن اصحاب نرد
وان نظرهائی که آن افسرده نیست — جز رونده وجزدرنده پرده نیست ۲۰ — آنچه در ده سال خواهد آمدن — این زمان بیند بچشم خویشتن
همچنین هر کس باندازهٔ نظر — غیب و مستقبل ببیند خیر و شر ۲۱ — چونکه سدّ پیش وسدّ پس نماند[11] — شدگذاره چشم و لوح غیب خواند
چون نظر بس کرد تا بد ووجود — آخر و آغاز هستی رو نمود ۲۲ — بحث املاك زمین با کبریا — در خلیفه کردن بابای ما
چون نظر در پیش افکند او بدید — آنچه خواهد بود تا محشر پدید ۲۳ — پس زپس می بیند او تا اصل اصل — پیش می بیند عیان تا روز فصل
هر کسی ز اندازهٔ روشن دلی — غیب را بیند بقدر صیقلی[12] ۲٤ — هر که صیقل پیش کرد او بیش دید — بیشتر آمد برو صورت پدید
گر تو گوئی کان صفا فضل خداست — نیز این توفیق صیقل زان عطاست ۲٥ — قدر همّت باشد آن جهد و دعا — لیس للانسان الا ما سعی
واهب همّت خداوندست و بس — همت شاهی ندارد هیچ خس ۲٦ — نیست تخصیص خدا کس را بکار — مانع طوع و مراد و اختیار
ایك چون رنجی دهد بدبخت را — او گریزاند بکفران رخت را ۲۷ — نیکبختی را چو حق رنجی دهد — رخت را نزدیکتر وا می نهد
بد دلان از بیم جان در کارزار — کرده اسباب هزیمت اختیار ۲۸ — بردلان درجنگ هم از بیم جان — حمله کرده سوی صف دشمنان
رستمان را ترس وغم وایش برد — هم زترس آن بددل اندرخویش مرد ۲۹ — چون محك آمد بلا و بیم جان — زان پدید آمد شجاع از هرجبان
❀ حاصل آن کز وسوسه هر سو گریخت[13] ۳۰ — از قضا هم در قضا باید گریخت

وحی کردن حقتعالی بموسی علیه السلام که ای موسی من که خالقم ترا دوست میدارم

گفت موسی را بوحی ذو الجلال — کای گزیده دوست میدارم ترا ۳۲ — گفت چه خصلت بودای ذوالکرم[14] — موجب آن تامن آن افزون کنم[15]
گفت چون طفلی به پیش والده — وقت قهرش دست هم در وی زده ۳۳ — خود نداند که جز او دیّار هست — هم از او مخمور و[16] هم از اوست مست
مادرش گر سیلیی بر وی زند — هم بمادر آید و بر وی تند ۳٤ — از کسی یاری نخواهد غیر او — اوست جمله شرّ او و خیر او
خاطر تو هم ز ما درخیر وشر[17] — التفاتش نیست با جای دگر ۳٥ — غیر من پیشت چو سنگست و کلوخ — گر صبیّ و گر جوان و گر شیوخ
همچنانك ایاك نعبد در حنین — از بلا از غیر تو لا نستعین ۳٦ — هست این ایاك نعبد حصر را — در لغت آن از پی نفی[18] ریا
هست ایاك نستعین هم بهر حصر — حصر کرده استعانت را و قصر[19] ۳۷ — که عبادت مر ترا آریم و بس — طمع یاری هم ز تو داریم وبس

---

۱ ـ نقره و یا روی زری ۲ ـ و انما بر سکه نام منکری ٥ ـ بلکه بهر میهمانان و کهان ٦ ـ از نقش و نشان ۸ ـ بباد تیز ۱۲ ـ آن جای ۱۳ ـ کو گسیخت ۱٤ ـ مستعان ۱٥ ـ کنم افزون من آن ۱٦ ـ خمارش زو رسد ۱۸ ـ دفع (ن . ل)

---

(۳) اشاره است بمضمون آیه واقعه درسورهٔ حجر انّا نحن نزّلنا الذکر و انّا له لحافظون (٤) این آیه درسورهٔ احقاف واقع شده و معنی آن اینست که نیافریدیم ما آسمانها وزمین را مگر بحق یعنی برای بیان حق تا دلالت کنند بروحدانیت خدا (۷) یعنی کشیدن نقش دوستان تذکرهٔ آنان است (۹) یعنی معصیت وسرکشی کردیم تحریك صبارا واگذار مارا (ومعنی خلّ اینست که) واگذاشت آنرا براه خود (۱۰) یعنی سفر الی الله نمیکند و گوید هرچه خدا میخواهد وحال آنکه باید بقوت او وقدرت او کار کرد و باید کارخود وقدرت خودرا ندید (۱۱) اشاره است بآیه مبارکه در سورهٔ یس وجعلنا من بین ایدیهم سداً ومن خلفهم سداً فاغشیناهم فهم لایبصرون (۱۷) همچنانکه دردعاء است اعوذ بعفوك من عقابك و برضاك من سخطك و اعوذ بك منك (۱۹) قصر همان حصر است که اختصاص چیزیست بچیزی ولی حصر و قصر صادق در آیه آنست که چون حصر کنی استعانت را در او چون مهمی پیش آید نقض عهد نکنی واز غیر یاری نخواهی

خشم کردن پادشاه بر ندیم و شفاعت کردن شفیع آن مغضوب علیه را و از پادشاه درخواستن و پادشاه شفاعت اورا قبول کردن و رنجیدن ندیم از شفیع که چرا شفاعت کردی

پادشاهی بر ندیمی خشم کرد — خواست تا ازوی برآرد دود و گرد ۳
کرد شه شمشیر بیرون از غلاف — تا زند بروی جزای آن خلاف
هیچکس را زهره نی تا دم زند — جز عمادالملك نامی از خواص
یا شفیعی بر شفاعت بر تند ۴ — در شفاعت مصطفی وارانه خاص
برجهید و زود در سجده فتد — درزمان شه تیغ قهر[1] از کف نهاد ۵
گفت اگر دیوست من بخشیدمش — ور بلیسی کرد من پوشیدمش
چونکه آمد پای تو اندر میان — راضیم گر کرد مجرم صد زیان ۶
صد هزاران خشم را تانم شکست — که ترا آن فضل و آن مقدار هست
لابه ات را هیچ نتوانم شکست — زانکه لابهٔ تو یقین لابهٔ منست ۷
گر زمین و آسمان برهم زدی — ز انتقام این مرد بیرون نامدی
ور شدی ذرّه بذرّه لابه گر — او نبردی این زمان از تیغ سر ۸
بر تو می نفهیم منت ای کریم — لیك شرح عزت تست ای ندیم
این نکردی تو که من کردم یقین — ای صفاتت در صفات ما دفین ۹
تو درین مستعملی نی عاملی — زانکه محمول منی نی حاملی
ما رمیت اذ رمیت گشتهٔ — خویشتن درموج چون کف هشتهٔ ۱۰
لاشدی[2] پهلوی الا خانه گیر — ای عجب که هم اسیری هم امیر
آنچه دادی تو ندادی شاه داد — اوست پس الله اعلم بالرشاد ۱۱
وان ندیم رسته از خوف و بلا — زین شفیع آزرد و برگشت[3] ازولا
دوستی ببرید زان مخلص تمام — رو بحایط کرد تا نارد سلام ۱۲
زان شفیع خویشتن بیگانه شد — زین تعجب خلق در افسانه شد
گر نه مجنونست باری چون برید — از کسی که جان اورا وا خرید ۱۳
آن خریدش آن دم ازگردن زدن — خاك نعل پاش بایستی شدن
بازگونه رفت و بیزاری گرفت — با چنین دلدار کین داری گرفت ۱۴
پس ملامت کرد او را ناصحی — کاین جفا چون میکنی با مصلحی
جان تو بخرید آن دلدار خاص — آن دم از گردن زدن کردت خلاص ۱۵
گر جفا[4] کردی نبایستی رمید[5] — خاصه نیکی کرد آن یار حمید
گفت بهر شاه مبذولست جان — او چرا آید شفیع اندر میان ۱۶
لی معی الله وقت بود آن دم مرا — لا یسع فیه نبی مجتبی[6]
من نخواهم رحمتی جز زخم[7] شاه — من نخواهم غیر آن شه را پناه ۱۷
غیر شه را بهر آن لا کرده ام — که بسوی شه تولا کرده ام
گر ببرّد او بقهر خود[8] سرم — شاه بخشد[9] شصت جان دیگرم[10] ۱۸
کار من سربخشی و بیخویشی[11] است — کار شاهنشاه ما سر بخشی است
فخر آن سر که کف شاهش برد — ننگ آن سر که بغیری سر برد ۱۹
شب که شاه ازقهر درقبر[12] ش کشید — ننگ دارد از هزاران روز عید
خود طواف آنکه اوشه بین بود[13] — فوق قهر و لطف و کفر و دین بود ۲۰
زان نیامد یك عبارت در جهان — بس[14] نهانست ونهانست و نهان
زانکه این اسما و الفاظ حمید — از گلابهٔ آدمی آمد پدید ۲۱
علم الاسماء بد آدم را امام — لیك نی اندر لباس عین ولام[15]
چون نهاد ازآب وگل بر سرکلاه — گشت آن اسمای جانی رو سیاه[16] ۲۲
که نقاب حرف ودم درخود کشید — تا شود بر آب و گل معنی پدید
گر چه ازخشم شهم کرد او خلاص — لیك هم شه شد مرا حقا مناص ۲۳
گرچه ازیك وجه منطق کاشف است — لیك از ده وجه پرده ومکنف[17] است
من خلیل وقتم و او جبرئیل — من نخواهم در بلا او را دلیل ۲۴

گفتن جبرئیل علیه السلام مر خلیل علیه السلام را که هل لك حاجة جوابش داد که اما الیك فلا

او ادب ناموخت از جبریل راد — که بپرسید از خلیل حق مراد ۲۶
که مرادت هست تا یاری کنم[18] — ور نه بگریزم سبکباری کنم
گفت ابراهیم نی رو از میان — واسطه زحمت[19] بود بعدالعیان ۲۷
بهر این دنیاست مرسل رابطه — مؤمنان را زانکه هست او واسطه
هر دل ارسامع بدی وحی نهان — حرف وصوتی کی بدی اندرجهان[20] ۲۸
گرچه اومحو حقست و بی سرست — لیك کار من از آن نازکترست
کردهٔ او کردهٔ شاهست لیك — پیش ضعفم[21] بد نمایندست نیك ۲۹
آنچه عین لطف باشد بر عوام — قهر شد بر نازنینان[22] کرام
بس[23] بلا و رنج می باید کشید — عامه را تا فرق را تانند دید ۳۰
کاین حروف واسطه ای یارغار — پیش واصل خار باشد خار خار
بس بلا و رنج بایست و وقوف — تا رهد آن روح صافی از حروف ۳۱
لیك بعضی زین بلا کژ[24] ترشدند — باز بعضی صافی و برتر شدند
همچو آب نیل آمد این بلا — بر سعید آن آب وخون بر اشقیا ۳۲
هر که پایان بین تر او مسعود تر — جدتر اوکارد که افزون برد بر[25]
زانکه داند کاین جهان کاشتن — هست بهر محشر و بر داشتن ۳۳
هیچ عقدی بهر عین خود نبود — بلکه از بهر مقام ربح[26] و سود
هیچ نبود منکری گر بنگری — منکری اش بهر عین منکری ۳۴
هیچ نبود پس چو بینی در جهان — منکری را منکریش از بهر آن
بل برای قهر خصم اندر حسد — یا فزونی جستن و اظهار خود ۳۵
وان فزونی هم پی طعمی دگر — بی معانی چاشنی ندهد صور
زان همی پرسی چرا این میکنی — که صور زیتست و[27] معنی روشنی ۳۶
ور نه این گفتن چرا ازبحر چیست — چونکه صورت بهر عین صورتیست

---

۱ ـ را ۳ ـ آور بگردید ٤ ـ بدی ۷ ـ رحم ۸ ـ شاه اگر ببرد بقهر از تن ۱۰ ـ هر سری را صد دهد باز از کرم ۱۱ ـ سربازی و زر بخشی ۱۲ ـ قبر ۱٤ ـ که ۱۷ ـ ترك مزلف ۲۰ ـ میان ۲۱ ـ چشمم ۲۲ ـ عشق کیشان ۲۳ ـ کاین ۲٤ ـ صدا کر ۲٦ ـ خیال و وهم (ن . ل)

---

(۲) چون فنا شدی بقا یافتی (٥) یعنی اگر این کس بدی هم کرده بود هم از او بیزاری لازم نبود خصوصاً که او نیکی نمود وازگردن زدن ترا خلاص کرد (٦) اشاره است بحدیث نبوی که فرمود لی مع الله وقت لایسعنی فیه ملك مقرب ولا نبی مرسل یعنی مرا باخدا وقتی است که نمیگنجد در آن وقت بامن نه فرشته مقرب ونه پیغمبر مرسلی (۹) چون آدمی را هفت مرتبه است که هفت لطیفه وهفت بطن آیت کبری وغیر اینها گویند پس چون مرتبهٔ طبع را بگیرند که ظلّ ذی ثلث شعب است شش مرتبهٔ دیگر باقی است بنحو اشرف و چون در هر مرتبه مدارك ظاهره وباطنه که ده اند بنحو اتم هست شصت میشود یا قبضات تسعه از نه فلك ویك قبضه از عناصر که جای دیگر گفته ایم در هرمرتبه مخمراست (۱۳) یعنی بچشم شه شه را بیند (۱٥) یعنی بتعلیم علمی و تفهیم مفاهیم و الفاظ نبود بلکه آن وجودی بود که وجود جامع و هیکل توحید و مظهر همهٔ حقایق اسمائیه بود (۱٦) یعنی اسماء جانی در پس پردهٔ آب و گل ماند (۱۸) یعنی آن شفیع می بایست از من بپرسد که شفاعت میخواهی یا نه (۱۹) اشاره است به لا واسطة بعدالعیان (۲٥) یعنی باسعی تر و با شتاب ترکسی میکارد که حاصل بیشتر ببرد (۲۷) زیت روغن زیتون است و بهتر آنست که مراد بزیت درخت زیتون باشد که بجای صوراست وروغن بجای جان و روشنی که از روغن بهم میرسد آیهٔ جان جان و برتو نور جانان که غایت الغایات ومعنی المعانی است الکلّ عبارة و انت المعنی

این چرا گفتن سؤال از مقصد[1] است — جز برای این چرا گفتن بداست ۱ از چه رو فایده[2] جوئی ای امین — چون بود فایدهٔ این خود همین
پس نقوش آسمان واهل زمین — نیست حکمت که بود بهر همین ۲ گر حکیمی نیست این ترتیب چیست — ور حکیمی هست چون فعلش تهیست
کس نسازد نقش گرمابه و خضاب — جز پی قصد صواب و نا صواب ۳ ❀ هرچه بینی درجهان از آیتی — هست بهر معنیٔ و حکمتی

مطالبه کردن موسی علیه‌السلام از حضرت عزت که لم خلقت خلقاً و اهلکتهم و جواب آمدن از حضرت عزت

گفت موسی ای خداوند حساب — نقش کردی باز چون کردی خراب[3] ۶ نرّ وماده نقش کردی جانفزا — وانگهی ویران کنی آنرا چرا
گفت حق دانم که این پرسش ترا — نیست از انکار و غفلت وزهوی ۷ ور نه تأدیب و عتابت کردمی — بهر این پرسش ترا آزردمی
لیک میخواهی که در افعال ما — باز جوئی حکمت و سرّ بقا ۸ تا از آن واقف کنی مر عام را — پخته گردانی بدین هر خام را
قصدا سائل شدی در کاشفی — بهر عامه لیک تو زان واقفی ۹ زانکه نیم علم آمد این سؤال — هر برونی را نباشد این مجال[4]
هم سؤال ازعلم خیزد هم جواب — همچنانکه خار و گل ازخاك وآب ۱۰ هم ضلال[5] ازعلم خیزد هم هدی — همچنانکه تلخ و شیرین ازندی[6]
ز آشنائی خیزد این بغض و ولا — وز غذای خوش بود سقم وقوی[7] ۱۱ مستفید اعجمی شد آن دلیم — تا عجمیان را کند زان سر علیم
ماهم ازوی اعجمی سازیم خویش — پاسخش آریم چون بیگانه پیش ۱۲ خر فروشان خصم همدیگر شدند — تا کلید قفل آن عقد آمدند[8]
پس بفرمودش خدا ای ذو لباب — چون بپرسیدی بیا بشنو جواب ۱۳ موسیا تخمی بکار اندر زمین — تا توخود هم وا دهی انصاف این
چون که موسی کشت وشد کشتش تمام — خوشهایش یافت خوبیٔ و نظام ۱۴ داس بگرفت و مر آنها را برید — پس ندا از غیب درگوشش رسید
که چرا کشتی کنیٔ و پروری[9] — چون کمالی یافت آنرا می بری[10] ۱۵ گفت یارب زان کنم ویران وپست — که دراینجا دانه هست وکاه هست
دانه لایق نیست در انبار کاه — کاه در انبار گندم هم تباه ۱۶ نیست حکمت این دو را آمیختن — فرق واجب میکند در بیختن[11]
گفت این دانش ز که آموختی — نور این شمع از کجا افروختی ۱۷ گفت تمییزم تو دادی ای خدا — گفت پس تمییز چون نبود مرا
در خلایق روحهای پاك هست — روحهای تیرهٔ گلناك هست ۱۸ این صدفها نیست در یك مرتبه[12] — دریکی دُرّ است و در دیگر شبه[13]
واجبست اظهار این نیك و تباه — همچنان کاظهار کندمها ز کاه ۱۹ بهر اظهارست این خلق جهان — تا نماند گنج حکمتها نهان
لیك کنزا گفت مخفیا شنو ۲۰ جوهر خود گم مکن اظهار شو

بیان آنکه روح حیوانی و عقل جزوی و وهم و خیال بر مثال دوغند و روح وحیی که باقی است در این دوغ همچو روغن پنهان است

جوهر صدقت خفی شد در دروغ — همچو ضم روغن اندر طعم دوغ ۲۳ آن دروغت این تن فانی بود — راستت آن جان ربّانی بود
سالها این دوغ تن پیدا و فاش — روغن جان اندراو فانیٔ و لاش ۲۴ تا فرستد حق رسولی بندهٔ — دوغ را در خمره جنباندهٔ
تا بجنباند بهنجار و بفن — تا بدانم من که پنهان بود من ۲۵ یا کلام بندهٔ کان جزو اوست[14] — دررود درگوش آن کو وحی جوست
اُذن مؤمن وحی مارا واعی است[15] — آنچنان گوشی قرین داعی است ۲۶ آنچنانکه گوش طفل از گفت مام — پُر شود ناطق شود او در کلام
ور نباشد طفل را گوش رشد — گفت مادر نشنود گنگی شود ۲۷ دائما هر کرّ اصلی گنگ بود — ناطق آنکس شد که از مادر شنود
وانکه گوشش کرو گنگ از آفتی است — ❀ زانکه درگوشش رسیده علتی است ۲۸ او پذیرای دم و تعلیم نیست — ❀ لاجرم مرنطق را تسلیم نیست
آنکه بی تعلیم بُد ناطق خداست — که صفات او ز علتها جداست ۲۹ یا چو آدم کرده تلقینش[16] و[17] خدا — بی حجاب مادر و دایه ورا
یا مسیحی که بتعلیم ودود — در ولادت ناطق آمد در وجود ۳۰ از برای دفع تهمت در ولاد — که نزاد است از زنا و از فساد
جنبشی بایست اندر اجتهاد — تا که دوغ آن روغن ازدل باز داد ۳۱ روغن اندر دوغ باشد چون عدم — دوغ در هستی بر آورده علم
آنکه هستت مینماید هست پوست — وانکه فانی مینماید اصل اوست ۳۲ دوغ روغن ناگرفته است وکهن — تا نگزینی[18] بنه خرجش مکن
هین بگردانش بدانش دست دست — تا نماید آنچه پنهان کرده است ۳۳ زانکه این فانی دلیل باقی است — لابهٔ مستان دلیل ساقی است
❀ روغن اندر دوغ پنهان میشود ۳۴ هر چه میسازی تواش آن میشود

مثال دیگر هم در این معنی

هست بازیهای آن شیر علم — مخبری از باد های مکتتم ۳۶ گر نبودی جنبش آن بادها — شیر مرده کی بجستی در هوا
زان شناسی باد را گر آن صباست — یا دبوراست این بیان آن خفاست ۳۷ این بدن مانند آن شیر علم — فکر میجنباند او را دم بدم

۱ـ فایده ۲ ـ فایدهٔ زر از چه ۷ ـ شفا ۸ ـ تا شود آنکار وگردد دلپسند ۹ ـ وپروردی توآن ۱۰ـ می بری روان ۱۱ـ ای ذوالبنن ۱۶ ـ تعلیمش (ن . ل)

---

(۳) موسی علیه السلام بدرگاه رفیع الدرجات مناجات کرد که ای پروردگار من چرا آفریدی تو خلق را و هلاك ساختی تو او را در باطن او ندا در دادند که ایجاد و اعدام خلایق برای اظهار کمالات اسماء افعالی است چه در ایجاد اظهار کمالات اسم المبدع والخالق والموجد والمبدء والمحیی والرازق و غیرها و در اعدام اظهار تجلیات اسم المیت والقهار و غیر هما که از اسماء جلالی است (٤) چونکه السؤال نصف العلم بلکه اشکال فهمی دولتی است عظیم و تحصیل ایقان سلطنتی است مقیم و بیرونی ازین حریم رجیم است (٥) در قلوب غیر قابله و الا علوم حقه ومعارف راسخه باعث هدایت وارشاد است (٦) ندی یعنی تری و رطوبت (١٢) مضمون آیه واقعه در سورهٔ بقره است تلك الرسل فضلنا بعضهم علی بعض منهم من کلّم الله و رفع بعضهم درجات (١٣) حاصل آنکه در یك مرتبه نیستند چه بعضی مظهر لطفند و بعضی مظهر قهر صفات حق تعالی لطف و قهر است (١٤) یعنی کان بنده ظهور اسماء و صفات و هویت است مثل قول شیخ عطار که ❀ تن ز جان نبود جدا عضوی از اوست ـ جان زکل نبود جدا جزوی ازاوست ❀ (١٥) واعی یعنی شنوا چنانکه تحریك انسان کامل جان را بالفعل میکند همچنین کلام حکیمانهٔ او (١٧) یعنی مؤیدین من عندالله که حاجت بتعلیم بشری ندارند ذلك لمن له قلب (١٨) یعنی تا روغنش را نگیری

فکرکان ازمشرق آید آن صباست — وانکه از مغرب دبور با وباست ۱ مشرق این بادِ فکرت دیگراست[1] — مغرب این بادِ فکرت زآن سراست

خور[2] جماداست و بود شرقش جماد — جانِ جانِ جان بود شرقش فؤاد ۲ شرق خورشیدی که شد باطن‌فروز — قشر وعکس آن بود خورشیدِ روز

زانکه چون مرده بود تن بی‌لهب[3] — پیش او نی روز بنماید نه شب ۳ ور نباشد آن چو این باشد تمام — بی شب و بی روز دارد انتظام

همچنانکه چشم می بیند بخواب — بی مه و خورشید ماه و آفتاب ۴ نوم ماچون شد اخ‌الموت ای‌فلان — زین برادر آن برادر را بدان[4]

ور بگویندت که هست آن فرع این — مشنو آنرا ای مقلد بی یقین ۵ می‌بینند خواب جانت وصفِ حال — که به بیداری نبینی بیست سال

در پی تعبیرِ آن تو عمر ها — می دوی سوی شهان با دها ۶ که بگو این‌خواب را تعبیر چیست — فرغ گفتن اینچنین سر را شکیست

خوابِ عامست این وخودخوابِ خواص — باشد اصلِ اجتبا و اختصاص ۷ پیل باید تا چو خسبد اوستان — خواب بیند خطهٔ هندوستان

خر نبیند هیچ هندستان بخواب — خر ز هندستان نکردست اغتراب ۸ جان همچون پیل باید نیك زفت — تا بخواب او هند تاند رفت تفت

ذکر هندستان کند پیل از طلب — پس مصورگرددآن ذکرش بشب[5] ۹ اذکرو الله کار هراوباش نیست[6] — ارجعی بر پای هر قلاش نیست[7]

لیك تو آیس مشو هم پیل باش — ورنه پیلی در پی تبدیل باش ۱۰ کیمیا سازانِ گردون را ببین[8] — بشنو از میناگران هردم طنین

نقش بندانند در جوِ فلك — کار سازانند بهر لی و لك ۱۱ گر نبینی خلق مشکین جیب را — بنگر[9] ای شبکور آن آسیب را

هر دم آسیبیست بر ادراكِ تو — نبت نو نو رسته بین از خاك تو ۱۲ زین‌سبب ادهم بنا گه[10] دید خواب — بسطِ هندستان دل را بی حجاب

لاجرم زنجیر ها را بر درید — مملکت برهم زد و شد ناپدید ۱۳ این نشانِ دیدِ هندستان بود — که جهد از خواب و دیوانه شود

می فشاند خاك بر تدبیر ها — میدراند حلقهٔ زنجیر ها ۱۴ ترك گیرد ملك دنیا سر بسر — جملگی برهم زند بی دردسر[11]

آنچنانکه گفت پیغمبر ز نور — که نشانش آن بود اندر صدور ۱۵ که تجافی آرد از دارالغرور[12] — هم انابت آرد از دار السرور

بهر شرح این حدیثِ مصطفی ۱۶ داستانی بشنو ای یارِ صفا

حکایت آن پادشاه‌زاده که پادشاهی حقیقی بوی روی نمود ، یوم یفرّ المرء من اخیه و امه و ابیه[13] نقد وقت او شد ، پادشاهی این خاك تودهٔ کودك طبعان که قلعه‌گیری نام کنند آن کودکی که چیره آید بر سر خاك توده برآید و لاف زند که قلعه مراست کودکان دیگر بر وی رشك برند که التراب ربیع‌الصبیان آن پادشاه‌زاده چون از قید رنگها برست گفت من این خاکهای رنگین را همان خاك دون میگویم زر و اطلس و اکسون نمیگویم من از این اکسون رهزن رستم و بیك سو جستم و آتیناه الحکم صبیاً[14] ارشاد حق را مرور سالها حاجت نیست در قدرت کن فیکون هیچ کس سخن قابلیت نگوید

پادشاهی داشت یك برنا پسر — باطن و ظاهر مزیّن از هنر ۲۳ خواب دید اوکان‌پسر ناگه بمرد — صافی عالم بر آن شه گشت درد

خشك شد از تابِ آتش مشك او — که نماند از تفِ آتش اشك او ۲۴ آنچنان پر شد ز دود و درد شاه — که نمی یابید در وی آه راه

خواست مردن قلبش بیکارشد[15] — عمر مانده بود شه بیدار شد ۲۵ شادئی آمد ز بیداریش پیش — کو نمیده بود اندر عمرِ خویش

تا[16] زشادی خواست هم‌فانی‌شدن — پس مطوّق آمد اینجان با بدن ۲۶ از دم غم می بمیرد این چراغ — وز دم شادی بمیرد اینت لاغ

درمیان این دومرگ او زنده است — این مطوّق شکل جای خنده است ۲۷ شاه با خود گفت شادی‌را سبب — غم‌شود حاصل ز هی کار عجب[17]

این عجب یکچیز ازیك روی مرگ — وزیکی روزندگی و رخت و برگ ۲۸ آن‌یکی نسبت بدان‌حالت هلاك[18] — باز هم ازسوی دیگر امتساك[19]

شادی تن سوی دنیاوی کمال — سوی روز عاقبت‌نقص و زوال[20] ۲۹ خنده‌را درخواب هم تعبیر خوان — گریه گوید با دریغ و اندهان

گریه‌را درخواب شادی و فرح[21] — هست در تعبیر ای‌صاحب مرح[22] ۳۰ شاه اندیشید کاین غم خودگذشت — لیك‌جان‌ازجنس این‌بدظن‌بگشت[23]

ور رسد خاری چنین اندر قدم — گر رود گل یادگاری بایدم ۳۱ چشم زخمی زین مبادا که شود — یادگاری بایدم گر او رود

چون فنا را شد سبب بی منتها — پس کدامین راه را بندیم ما ۳۲ صد دریچه و درسوی مرگ‌لدیغ[24] — می‌کنداندرگشادن ژیغ ژیغ[25و26]

ژیغ‌ژیغ[27] تلخ آن درهای مرگ — نشنودگوش حریص ازحرص‌برگ ۳۳ ازسوی تن دردها بانگ دراست — وزسوی‌خصمان‌جفا بانگ دراست

---

۲ ـ مر ۱۰ ـ بدابراهیم ادهم ۱۱ـ آید بدر ۱۶ ـ که ۱۷ ـ آنچنان غم بود ازتسبیب رب ۱۸ـ عذاب ۱۹ ـ سوی دیگر آب صافی عذاب ۲۱ ـ سرور ۲۲ ـ حضور ۲۳ ـ حبس این بد ظن گشت ۲۴ ـ فنا ۲۵ ـ بانگها ۲۷ ـ بانگهای (ن . ل)

---

(۱) فکرتی که در صفات خدا و افعال خدا باشد آن بمنزله صباست که از شرق عالم عقل آید و فکرت حقیقی همین است که باید در کلیات باشد و باتصال بعوالم عقول کلیه باشد و بعالم معنی و فکرتی که در امور دنیا باشد بمنزلهٔ دبور است که دنیا مغرب نور است و عالم ظلمات است و اتصال بجزئیات بوهم و خیال فکرت حقیقیه نیست و عوام آنرا فکرت گویند (۳) بعلت آنکه اگر تن بی لهب و شعله روح باشد شبی و روزی و خورشیدی و غیره در عالم جمادی بل نباتی تو نیست (٤) اشاره بحدیث النوم اخ الموت خواب برادر مرگست یعنی از خواب حال مرگ را بدان وموجودات آن نشئه بمراتب اقوی.از موجودات این نشئه دنیاست چه در بیداری وچه در خواب وجمیع صور باطنه از ذات و باطن ذات تو منبعث میشوند که الدنیا والآخرة حالتاك خلد و دوزخ عکس لطف و قهر تست (٥) چون بمقام تمکین رسد وجود ذاکر ذکر شود (٦) اشاره است بآیه واقعه درسورهٔ احزاب اذکروالله ذکراً کثیراً وسبحوه بکرة واصیلا (۷) اشاره‌داست بآیه یاایتهاالنفس‌المطمئنه ارجعی الی ربك راضیة مرضیه درسورهٔ فجر (۸) یعنی اهل ذکر و اولیاءالله را ببین وخدمت کن تا مس وجود ترا تبدیل بزرکنند (۹) یعنی اگر مردان خدا را نبینی از معاصی و وسواس تخلیه کن وجودت را تا اهل دید شوی (۱۲) اشاره است بحدیث نبوی سئل رسول الله عن علامة النور فقال التجافی عن دارالغرور والانابة الی‌دارالخلود والاستعداد للموت قبل النزول (۱۳) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ عبس است (١٤) آیه واقعهٔ درسورهٔ مریم‌است و ما دادیم یحیی را حکمت و فهم توریت در حالتیکه کودك هفت ساله بود (۱٥) مراد اینست که روح بریده و بدن از تصرف آن بیفتد و از حرکت باز ایستد (۲۰) کما قیل رب شهوة ساعة اورثت حزناً طویلا (۲٦) لدیغ بمعنی‌گزنده وژیغ ژیغ صدای درگشادن است

*جان من[1] برخوان دمی فهرست طب — نار علتها نظر کن ملتهب ۱ — هین برو برخوان کتاب طب را[2] — تا[3] شمار ریگ بینی رنجها
زان همه برمن درین خانه رهست — هر دو گامی پرز کژدمها چه است ۲ — باد تندست و چراغ ابتری — زو بگیرانم چراغ دیگری
تا بود کز هر دو یك وافی شود — گر بیادی آن چراغ از جا[4] رود ۳ — همچو عارف کو ازین ناقص چراغ — شمع دل افروخت از بهر فراغ
تا که روزی کاین بمیرد ناگهان — پیش چشم خود نهد او شمع جان ۴ — او نکرد این فهم پس داد از غرر — شمع فنی را بفانی دگر
چاره اندیشید لیکن چاره نی ۵ — گفت با خود نیست بیرون رفتنی

عروس آوردن پادشاه فرزند خودرا از خوف انقطاع نسل

پس عروسی خواست باید بهر او — تا بماند زین تزوج نسل او ۷ — *گر رود سوی فنا این باز باز[5] — فرخ او گردد ز بعد باز باز
صورت این باز گر زینجا رود — معنی او در ولد باقی بود ۸ — بهر این فرمود آن شاه نبیه — مصطفی که الولد سر ابیه[6]
بهر این معنی همه خلق ای پدر[7] — می بیاموزند طفلان را هنر[8] ۹ — تا بماند آن معانی در جهان — چون شود آن قالب ایشان نهان
حق بحکمت حرصشان دادست وجد — بهر رشد هر صغیر مستعد ۱۰ — من هم از بهر دوام نسل خویش — جفت خواهم بوی رخودرا خوب کیش
دختری خواهم ز نسل صالحی — نی ز نسل پادشاهی طالحی ۱۱ — شاه خود آن صالح است آزاد او است — نی اسیر حرص فرجست و گلوست
مر اسیران را لقب کردند شاه[9] — عکس چون کافور نام آن سیاه ۱۲ — شد مفازه بادیهٔ خونخواره نام — نیکبخت آن پیس را کردند عام
بر اسیر شهوت حرص و امل — بر نوشته میر یا صدر اجل ۱۳ — آن اسیران اجل را عام داد — نام امیران اجل اندر بلاد
صدر خواندندش که در صف نعال ۱۴ — جان او بسته است یعنی جاه و مال

اختیار کردن پادشاه دختر درویش زاهدی را از جهت پسر و اعتراض کردن اهل پرده و ننگ داشتن ایشان از پیوندی درویش

شاه چون با زاهدی[10] خویشی گزید — این خبر درگوش خاتونان رسید ۱۷ — مادر شهزاده گفت از نقص عقل — شرط کفویت[11] بود در عقل و نقل
تو ز شح و بخل خواهی وز دها — تا ببندی پور ما را بر گدا ۱۸ — گفت صالح را گدا گفتن خطاست — کو غنی القلب از داد خداست
در قناعت میگریزد از تقی — نز لئیمی و کسل همچون گدا ۱۹ — قلتی کان از قناعت وز تقاست — آن ز فقر و قلتست دونان جداست
حبهٔ آن گر بیابد سر نهد — وین ز گنج زر بهمت میجهد ۲۰ — شه که او از حرص قصد هر حرام — می کند او را گدا گوید همام
گفت کو شهر و قلاع اورا جهیز — یا نثار گوهر و دینار نیز[12] ۲۱ — گفت رو هر کو غم دین برگزید — باقی غمها خدا از وی[13] برید
غالب آمد شاه و دادش دختری — از نژاد صالحی خوش جوهری ۲۲ — در ملاحت خود نظیر خود نداشت — چهرداش تابان تر از خورشید چاشت
حسن دختر این خصالش آنچنان — کز نکوئی می نگنجد در بیان ۲۳ — صید دین کن تا رسد اندر تبع — حسن و مال و جاه و بخت منتفع
آخرت قطار اشتر دان عدو[14] — در تبع دنیاش همچون پشك و مو[15] ۲۴ — پشم بگزینی شتر نبود ترا — ور بود اشتر چه قیمت پشم را
چون برآمد این نکاح آن شاه را — با نژاد صالحان و اولیا[16] ۲۵ — از قضا کمپیرك جادو که بود — عاشق شهزادهٔ با حسن و جود
جادوئی کردش عجوز کابلی — که برد زان رشك سحر بابلی ۲۶ — شه بچه شد عاشق کمپیر زشت — تا عروس و آن عروسی را بهشت
یك سیه رو دیو کابولی زنی — گشت بر شهزاده ناگه رهزنی ۲۷ — *زان سیه روی خبیث نابکار — گشت آن شهزاده مدهوش و نزار
این نود ساله عجوز گنده پیر — نه خرد هشت آن پسر را نه ضمیر ۲۸ — تا بسالی بود شهزاده اسیر — بوسه جایش نعل کفش گنده پیر
صحبت کمپیر او را می درود[17] — تا ز کاهش نیم جانی مانده بود ۲۹ — دیگران از ضعف وی با درد سر — او ز سکر سحر از خود بیخبر
اینجهان بر شاه چون زندان شده — وین پسر بر گریه‌شان خندان شده ۳۰ — شاه بس بیچاره شد در برد و مات — روز و شب میکرد قربان و زکات
زانکه هر چاره که میکرد آن پدر — عشق کمپیرك همی شد بیشتر ۳۱ — پس یقین گشتش که مطلق آن سریست — چاره او را بعد ازاین لابه گریست[18]
سجده میکرد او که فرمانت رواست — غیر حق بر ملك حق فرمان کراست ۳۲ — لیك این مسکین همی سوزد چو عود — دست گیرش ای رحیم و ای ودود

مستجاب شدن دعای پادشاه در خلاص پسرش از جادوی کابلی

تا ز یا رب یا رب و افغان شاه — ساحری استاد پیش آمد ز راه ۳۴ — کو شنیده بود از دور این خبر — که اسیر پیر زن گشت آن پسر
کان عجوزه بود اندر جادوئی — بی‌نظیر و این از مثل و دوئی ۳۵ — دست بربالای دستست ای فتی[19] — درفن و در زور تا ذات[20] خدا
منتهای دستها دست خداست[21] — بحر بیشك منتهای جویهاست ۳۶ — هم ازو گیرند مایه ابرها — هم بدو باشد نهایت سیل را
گفت شاهش کاین پسر از دست رفت — گفت اینك آمدم درمان زفت ۳۷ — نیست همتا زال را زین ساحران — جز من داهی رسیده زان کران
چون کف موسی بامر کردگار — نك بر آرم من ز سحر او دمار ۳۸ — که مرا این علم آمد زان طرف — نی ز شاگردی سحر مستخف[22]
آمدم تا بر گشایم سحر او — تا نماند شاهزاده زرد رو ۳۹ — سوی گورستان برووقت سحور[23] — پهلوی دیوار هست اسپیدگور[24]

---

۱ ـ ای پسر ۲ ـ در کتاب طب چو بینی ای فتی ۳ ـ بر ٤ ـ نك چراغ ما ـ آن یك چراغ از جا ۷ ـ از شغف ۸ ـ حرف ۱۰ ـ صالحی ۱۲ ـ ریز ۱٤ ـ بملك ۱۵ ـ پشم و پشك ۱٦ ـ بی مرا ۱۷ ـ می ربود ۲۰ ـ با دمنت ۲۳ ـ رو ای نیکو امید ۲٤ ـ بین گور سپید (ن . ل)

---

(۵) شاه خواب بیننده پسر خودرا بباز تأویل کرد یعنی بسبب آنخواب ترسید و خواست که پسر خود را کدخدا کند شاید از او فرزند بوجود آید برتقدیری که اگر پسر بمیرد نبیره بماند (٦) یعنی معنی این وآن یکی است وبمعنی نرفته اگر چه بصورت رفته باشد (۹) وهمچنین فقر غناست وغنا فقراست وسور ماتم وماتم سور است ونیستی هستی و هستی نیستی و مثل اینها بسیار است (۱۱) کفویت مماثلت درشأن ورتبه است (۱۳) اشاره است بحدیث من جعل الهموم هماً واحداً کفاه الله تعالی جمیع همومه (۱۸) یعنی باید تضرع وزاری ولابه بدرگاه حق تعالی کرده شود (۱۹) اشاره است بآیه شریفه فوق کل ذی علم علیم (۲۱) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ فتح « یدالله فوق ایدیهم » (۲۲) یعنی سبك شمرده و حقیر در برابر معجزه و کرامت

سوی قبله بازکاو آن گور را — تا ببینی قدرت و صنع خدا ۱ — پس درازاست این حکایت تومأول — زبده را گویم رها کردم فضول

❁ سوی گورستان برفت آن شاه زود — گور را آن شاه آن دم بر گشود ۲ — ❁ جادوئیها دید پنهان اندرو — صد گره بر بسته بر یکتار مو

آن گرههای گران را بر گشاد — پس زمحنت پور شه را راه داد ۳ — آن پسر باخویش آمد شد روان — سوی تخت شاه با صد امتحان

سجده کرد و بر زمین میزد ذقن — در بغل کرده پسر تیغ و کفن ٤ — شاه آئین بست و اهل شهر شاد — وان عروس نا امید بی مراد

عالم از سر زنده گشت وبر فروز — ای عجب آن روز روز امروز روز ٥ — یك عروسی کرد شاه اورا چنان — که جلاب و قند بد پیش سگان

جادوی کمپیر از غصه بمرد — روی وخوی زشت بامالث سپرد ٦ — شاهزاده در تعجب مانده بود — کزمن اوعقل وبصر[1] چون درربود

نوعروسی دید همچون ماه[2] حسن — که همی زد بر ملیحان راه حسن ۷ — گشت بیهوش و برو اندر فتاد — تا سه روز از جسم[3] اوگم شدنؤاد

سه شبان روزاوزخود بیهوش گشت — تا که خلق ازغش اوپرجوش گشت ۸ — از گلاب و از علاج آمد بخود — اندك اندك فهم گشتش نیك و بد

بعد سالی گفت شاهش در سخن — وز مزح یاد آر[4] آن یار کهن ۹ — یاد آور زان ضجیع و زان فراش — تا بدین حد بیوفا و مر مباش[5]

گفت رو من یافتم دار السرور — وا رهیدم از چه دار الغرور ۱۰ — همچنان باشد چو مؤمن راه یافت — سوی نور حق زظلمت روی تافت

❁ مخلص این قصه برگفتم تمام ۱۱ — تا بدانی مقصد خود والسلام

در بیان آنکه آن شهزاده آدمی بچه است خلیفهٔ خداست پدرش آدم صفی خلیفهٔ حق مسجود ملایك و آن کمپیر کابلی دنیاست که آدمی بچه را از پدر ببرید بسحر و انبیا و اولیا آن طبیب تدارك کنده‌اند

ای برادر دانکه شهزاده توئی — بهر راه راست آماده توئی[6] ١٤ — کابلی ساحره دنیاست کو — کرده مردان‌را اسیر رنگ و بو

چون درافکندت دراین آلوده‌روز — دمبدم میخواند و میدم قل اعوذ ١٥ — تا رهی زین جادوئی و این فلق — استعاذت خواه از رب الفلق

زان نبی دنیات را سحاره خواند[7] — کو بافسون خلق را در چه نشاند ١٦ — هین فسون گرم دارد گنده پیر — کرده شاهان‌را دم گرمش اسیر

در درون سینه نفاثات[8] اوست — عقد های سحر را اثبات اوست ١٧ — ساحرهٔ دنیا قوی دانا زنیست — حل سحر او بپای عامه نیست

ور گشادی عقد او را عقلها — انبیا را کی فرستادی خدا ١٨ — هین طلب کن خوش دمی عقده گشا — راز دان یفعل الله ما یشا

همچو ماهی بسته‌است او بشست — شهزاده ماند سالی و تو شصت ١٩ — شصت سال از شست او در محنتی — نی خوشی نی بر طریق منتی

فسقی بد بخت نی دنیات خوب — نی رهیده از وبال و از ذنوب ٢٠ — نفخ او این عقدها را سخت کرد — پس طلب کن نفخهٔ خلاق فرد

تا نفخت فیه من روحی ترا[9] — وا رهاند زین وگوید برترآ ٢١ — جز بنفخ حق نسوزد نفخ سحر — نفخ قهرست این وآن‌دم نفخ مهر

رحمت او سابق است از قهر او — سابقی خواهی برو سابق بجو ٢٢ — تا رسی اندر نفوس زوجت[10] — کای شه مسحور اینك مخرجت

با وجود زال ناید آن حلال — درشبیکه و دربرت آن پر دلال ٢٣ — نی بگفتست آن سراج امتان — این‌جهان و آنجهان را ضرتان[11]

پس وصال این فراق آن بود — صحت این تن سقام جان بود ٢٤ — سخت چون‌آید فراق این ممر[12] — پس فراق آن مقر دان سخت‌تر

چون فراق نقش سخت است ایجوان — فرقت نقاش صد چندان بدان ٢٥ — ای که صبرت نیست ازدنیای دون — صبرچون‌داری زحق[13] ایدوست‌چون

چونکه صبرت نیست زین آب سیاه — چون صبوری داری از چشمهٔ اله ٢٦ — چون که بی این شرب کم داری سکون — چون‌زابرآری جدا وز یشربون[14]

گر ببینی یکنفس حسن ودود — اندر آتش افکنی جان و وجود ٢٧ — جیفه بینی بعد ازآن این شرب را — چون ببینی کر و فر قرب را

همچو شهزاده رسی در یار خویش — پس برون آری زپا توخارخویش ٢٨ — جهد کن در بیخودی خودرا بیاب — زود تر والله اعلم بالصواب

هرزمانی هین مشو باخویش جفت — هرزمان‌چون خر درآب وگل مبفت ٢٩ — از قصور چشم باشد آن عثار — که نبیند شیب و بالا را چهار[15]

بوی پیراهان یوسف کن سند — زانکه بویش چشم روشن میکند ٣٠ — صورت پنهان آن نور جبین — کرده چشم انبیا را دور بین

نور آن رخسار برهاند ز نار — هین مشو قانع بنور مستعار ٣١ — چشم را این نور حالی بین کند — جسم و[16] عقل وروح‌را گرگین کند

صورتش نورست و در تحقیق نار — گرضیاخواهی‌دودست ازوی بدار ٣٢ — دم بدم در رو فتد هر جا رود — دیده و جانی که حالی بین بود

دور بیند دور بین بی هنر — همچنانکه دور دیدن خواب در ٣٣ — خفته باشی بر لب جو خشك لب — می دوی سوی سراب اندرطلب

دور می بینی سرآب و می دوی — عاشق آن بینش خود میشوی ٣٤ — میزنی درخواب با یاران تولاف — که منم بینا دل و پرده شکاف

نك بدان‌سو آب دیدم هین‌شتاب — تا رویم آنجا و آن باشد سراب ٣٥ — هر قدم زین آب تازی دور تر — دو دوان سوی سراب با غرر

عین آن عزمت حجاب آن شده — که بتو پیوسته است و آمده ٣٦ — پس کسا عزمی بجائی میکند[17] — از مقامی کان غرض در وی بود

دید و لاف خفته می ناید بکار — جزخیالی‌نیست دست ازوی بدار ٣٧ — خوابناکی لیك هم بر راه خسب — الله الله بر ره الله خسب

تا بود که سالکی بر تو زند — از خیالات نعاست بر کند ٣٨ — خفته را گر فکر گردد همچوموی — او از ان‌دقت نیابد راه کوی[18]

فکر خفته گر دوتا و گر سه تاست — هم[19] خطا اندرخطااندرخطاست ٣٩ — ❁ ورچه چشمش تیزبین وباضیاست — هم هبا اندر هبا اندر هباست

---

۱ ـ نظر ۲ ـ شاه ۳ ـ صدر ٤ ـ کی پسر یاد آر ز ٦ ـ درجهان کهنه زاده از نوی ۱۲ـ مقر ۱۳ـ چونت صبرست از خدا ۱٥ ـ کوروار ۱٦ ـ چشم ۱۷ ـ بس که کس عازم بجائی میشود ۱۸ ـ هیچ بوی ۱۹ ـ کل (ن . ل)

---

(٥) بر سبیل مزاح و تهکم گوید که بیوفا و تلخ با یار قدیم و کمپیر رجیم مباش که یادش ناوری (۷) قال النبی صلی‌الله علیه و آله و سلم الدنیا سحارة مکارة غداره فرمود پیغمبر دنیا سحر کننده و مکر کننده و فریب دهنده است و کارهای او همه مانند سحر است (۸) اشاره است بآیه شریفه یعنی زنان جادوگر که مبدمند در عقدها یعنی گره میزنند در ساحری و مبدمند یا مبدمند و گره را می گشایند (۹) اشاره است بکریمه فاذا سویته و نفخت فیه من روحی فقعوا له ساجدین یعنی هر گاه تسویه و تعدیل کردم آدم نوعی را و دمیدم در او از روح خودم پس بگردید از برای او سجده کنان (۱۰) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ والشمس « و اذا النفوس زوجت » و آنگاه که نفسها را جفت گردانند یعنی هرکس را با مثل او صالح باصالح وطالح باطالح (۱۱) ضرتان دوزن که درحبالهٔ یکمرد باشند و درحدیث است که الدنیا والآخرة ضرتان ای ضدان لا یجتمعان (١٤) اشاره است بآیه ان الابرار یشربون من کاس کان مزاجها کافورا

موج بر وی میزند بی احتراز — خفته پویان در بیابان دراز ۱ خفته می بیند عطشهای شدید — آب اقرب منه من حبل‌الورید[1]

حکایت آن زاهدی که درسال قحط خندان و شاد بود با مفلسی و بسیاری عیال وخلق می‌مردند از گرسنگی گفتندش چه هنگام شادیست که هنگام صد تعزیتست گفت مرا باری نیست

همچنان کان زاهد اندرسال قحط — بود اوخندان وگریان جمله رهط ٤ پس بگفتندش چه جای خنده‌است — قحط بیخ مؤمنان بر کنده است
رحمت‌ازماچشم خودبردوخته‌است — ز آفتاب تیز صحرا سوخته است ٥ کشت و باغ و رز سیه استاده‌است — در زمین نم نیست نی‌بالا نه‌پست
خلق میمیرند زین قحط و عذاب — دده وصد صد چوماهی‌دورازآب ٦ بر مسلمانان نمی آری تو رحم — مؤمنان خویشند ویکتن‌شحم‌ولحم
رنج یکجزوی زتن‌رنج همه است — گردم صلحست یا خود ملحمه‌است ٧ گفت در چشم شما قحطست این — پیش‌چشم‌چون‌بهشت‌است‌این‌زمین
من همی بینم بهر دشت و مکان — خوشها انبه رسیده تا میان ٨ خوشها در موج از باد صبا — بر بیابان سبز تر از گندنا
زآزمون من دست بر وی میزنم — دست وچشم‌خویش را چون‌برکنم ٩ یار فرعون تنید ای قوم دون — زان نماید مر شما را نیل خون
یار موسی خرد گردید زود[2] — تا نماند خون و بینید آب رود ١٠ از پدر بر تو جفائی چون رود — آن پدر در چشم تو سگ میشود
آن پدر سگ نیست تأثیر جفاست — که چنان‌رحمت‌نظررا سگ‌نماست ١١ گرگ مبدیدند یوسف را بچشم — چونکه‌اخوان‌راحسودی بود وخشم
با پدرچون صلح‌کردی خشم رفت — آن سگی شد گشت بابا یار زفت ١٢

در بیان آنکه مجموع عالم صورت عقل کل است چون با عقل کل کژروی جفا کردی وصورت عالم ترا غم فزاید اغلب احوال چنانکه دل با پدر بد کردی صورت پدر ترا غم فزاید و نتوانی رویش را دیدن اگرچه پیش از آن نور دیده بوده باشد و راحت جان

کل عالم صورت عقل کل است[3] — کوست‌بابای هرآنك اهل‌قل‌است[4] ١٦ چون‌کسی با عقل‌کل‌کفران فزود — صورت کل پیش اوهم سگ‌نمود
صلح کن با این پدر عاقی بهل — تا که فرش زر نماید آب و گل ١٧ پس قیامت نقد حال تو بود — پیش تو چرخ وزمین مبدل شود
من که صلحم دائماً با این پدر — این جهان چون جنتستم در نظر ١٨ هر زمان نو صورتی و نو جمال — تا زنو دیدن فرو میرد ملال
من همی بینم جهان را پر نعیم — آبها از چشمها جوشان مقیم ١٩ بانگ آبش میرسد در گوش من — مست میگردد ضمیر و هوش من
شاخهارقصان شده چون‌ماهیان‌ه‌و[6] — برگها کف زن مثال مطربان ٢٠ برق آیینه است لامع از نمد[7] — گر نماید آینه تا چون بود
از هزاران من نمی گویم یکی — زانکه آگنده‌است‌هرگوش‌ازشکی ٢١ پیش وهم این‌گفت مژده دادنست — عقل گوید مژده چه نقد من است

قصهٔ فرزندان عزیر علیه‌السلام که از پدر احوال پدر می پرسیدند گفت آری از عقب من می‌آید بعضی که شناختندش بیهوش شدند و بعضی نشناختند می گفتند خود مژده داد این بیهوشی چیست

همچو پوران عزیر اندر گذر — آمده پرسان ز احوال پدر ٢٤ گفته ایشان پیر و باباشان جوان — پس پدرشان پیش آمد ناگهان
پس[8] بپرسیدند ازو کای رهگذر[9] — از عزیر ما عجب داری خبر ٢٥ که کسی‌مان گفت‌کامروز آن‌سند — بعد نومیدی ز بیرون می‌رسد
گفت آری بعد من خواهد رسید — آن یکی‌خوش‌شدچواین‌مژده‌شنید ٢٦ بانگ مزد کای مبشر باش شاد — وان دگر بشناخت بیهوش اوفتاد
که‌چه‌جای‌مژده‌است ای‌خیره‌سر[10] — که در افتادیم در کان شکر[11] ٢٧ وهم را مژده‌است وپیش عقل‌نقد — زانکه چشم وهم شد محجوب فقد
کافران را درد ومؤمن را بشیر — لیك نقد حال در چشم بصیر ٢٨ زانکه عاشق دردم نقدست مست — لاجرم ازکفر و ایمان برتراست
کفروایمان‌هردوخوددربان‌اوست — کوست‌مغزوکفرودین‌اورادوپوست[12] ٢٩ کفر قشر خشك رو برتافته — باز ایمان قشر لذت یافته
قشرهای خشك‌را جا آتش است — قشر پیوسته بمغز جان خوش‌است ٣٠ مغزخود ازمرتبهٔ خوش برتراست — برتراست‌ازخوش‌که‌لذت‌گستراست
این سخن پایان ندارد باز گرد — تا برآرد موسیم از بحر گرد ٣١ در خور عقل عوام این‌گفته شد — از سخن باقی آن بنهفته شد
زر عقلت ریزه است ای متهم — بر قراضه مهر سکه چون نهم ٣٢ عقل تو قسمت شده برصد مهم — بر هزاران آرزو و طم ورم[13]
جمع باید کرد اجزا را بعشق[14] — تاشوی خوش‌چون سمرقند ودمشق ٣٣ جوجوی چون جمع‌گردد زاشتباه — پس توان زد بر تو سکهٔ پادشاه
ور زمثقالی شوی افزون تو خام — از تو سازد شه یکی زرینه جام ٣٤ پس برو هم نام و هم القاب شاه — باشد وهم‌صورتش ای‌وصل‌خواه
تا که معشوقت بود هم نان وآب — هم چراغ وشاهد ونقل و شراب ٣٥ جمع‌کن خودرا جماعت‌رحمتست[15] — تا توانم با توگفتن آن‌چه هست
زانکه گفتن از برای یاوریست — جان شرك ازیاوری حق بریست ٣٦ جان قسمت گشته بر حشو فلك — در میان شصت سودا مشترك
پس خموشی به دهد او را ثبوت — پس جواب احمقان آمد سکوت ٣٧ این همی دانم ولی مستی تن — می‌گشاید بی مراد من دهن
آنچنان کز عطسه و از خامیاز — ٣٨ این دهان گردد بناخواه تو باز

---

٥ ـ تابیان ٨ ـ تا ٩ ـ ره سپر ١٠ ـ بی خبر ١٢ ـ توست (ن . ل)

---

(١) اشاره است به آیه واقعه در سورهٔ ق ونحن اقرب الیه من حبل‌الورید و ما نزدیکتریم بانسان از رگ گردن وی و این نزدیکی بعلم و قدرت است نه بمکان (٢) چون چنین شود دانید که در رخا و قحط و غلا اعتنا بفیضان امطار علوم حقیقیه و معارف الهیه و واردات غیبیه‌است و در اوضاع عالم شهادت نیز چون هرچه باشد بی اراده او بملك او گام نزده که ماشاءالله کان و مالم یشاء لم یکن پس هر چه آید خوش آید و هر چه او کرده آنچنان باید (٣) اشاره است بآیات ن والقلم وما یسطرون ـ لا رطب ولا یابس الا فی کتاب مبین ـ و عنده ام الکتاب (٤) اهل خطاب حق چون انبیا و علمائی که وراثت دارند (٦) تابیان و ماهیان هیچیك با مطربان قفیه نمیشود علاوه تابیان مناسبتی هم ندارد (٧) ممکن است نمد باشد که آب قلیلی را گویند که ماده ندارد مقصود اینست که برق آینه و ضعیف از مرآتیت صفات حق که چنین باشد پس آینه سراپا نمای صفات‌که آدم است اگر بنمایدتان چه خواهد بود (١١) شاعری میگوید ❀ وعدهٔ وصل ترا غیر بفردا انداخت ـ دارم امید کز امروز بفردا نرسد ❀ همچنین : هرکه امروز معاینه رخ دوست ندید طفل راهیست‌که او منتظر فردا شد (١٣) طم و رم بجای خشك و تر ـ زیاد وکم ـ آب وخاك و مانند اینها استعمال میشود (١٤) یعنی همتهای تو باید یك همت شود تا قابل تجلی حق گردی (١٥) در حدیث است یدالله مع‌الجماعه و قدرته نافذه

تفسیر این حدیث که انّی لاستغفرالله ربی فی کلّ یومٍ سبعین مرّة

همچو پیغمبر ز گفت دُر[1] نثار — توبه آرم روز من هفتاد بار[2] ۲ — لیك آن مستی شود توبه شکن — مُنسی‌است این مستی تن جامه‌کن
حکمت اظهارِ تاریخ دراز[3] — مستثنی انداخت بر دانای راز ۳ — راز پنهان با چنین طبل و علم — آب جوشان گشته از جفّ القلم[4]
رحمت بیحد روانه هر زمان — خفته اید از درك آن ایمردمان ۴ — جامهٔ خفته خورد از جوی آب — خفته اندر آب جویای سراب
می رود کانجای بوی آب هست — زین تفکر راه را برخویش بست ۵ — ❀چونکه آنجا گفت زاینجا دورشد — بر خیالی او ز حق مهجور شد
❀ دوربینانند و بس خفته روان[5] — رحمتی آریدشان ای رهروان ۶ — ❀من ندیدم تشنگی خواب آورد — خواب آرد تشنگیّ بی خرد

بیان آنکه عقل جزوی تا بگور بیش نبیند و در باقی مقلّد انبیا و اولیاست

خود خِرَد آنست کو ازحق چرید — نی خرد کانرا عطارد آورید ۸ — بیش بینیّ خرد تا گور بود[6] — وآنِ صاحب دل بنفخ صور بود
این خرد از خاك گوری نگذرد — وین قدم عرصهٔ عجائب نسپرد ۹ — زین قدم وین عقل رو بیزار شو — چشم غیبی جوی و برخوردارشو
همچو موسی نور کی یابد ز جیب — سخرهٔ استاد و شاگرد کتیب ۱۰ — زین نظر وین عقل ناید جزدوار — پس‌نظر بگذار و بگزین انتظار
از سخن گوئی مجوئید ارتفاع — منتظر را به ز گفتن استماع ۱۱ — منصب تعلیم نوع شهوتیست — هر خیال شهوتی در ره بتیست[7]
گر بفضلش بی ببردی هر فضول — کی فرستادی خدا چندین رسول ۱۲ — عقل‌جزوی همچوبرقست ودرخش — دردرخشی‌کی توان‌شدسوی وخش
نیست نور برق بهر رهبری — بلکه امراست ابررا که می‌گری ۱۳ — برق عقل ما برای گریه است — تا بگرید نیستی در شوقِ هست
عقلِ کودك گفت بر کتّاب تن — لیك نتواند بخود آموختن ۱۴ — عقل رنجور آردش سوی طبیب — لیك نبود در دوا عقلش مصیب
تاك‌شیاطین سوی‌گردون‌می‌شدند[8] — گوش بر اسرارِ بالا میزدند[9] ۱۵ — می ربودند اندکی زان راز ها — تا شُهب[10] میراندشان زود ازسما
که روید آنجا رسولی آمدست — هرچه میخواهید ازاو آید بدست ۱۶ — گر همی جوئید دُرّ بی بها — ادخلوا الابیات من ابوابها[11]
می‌زن آن حلقهٔ درو برباب ایست — کز سوی بابِ فلکتان راه نیست ۱۷ — نیست حاجت‌تان بدین راهِ دراز — خاکئی را داده ایم اسرارِ راز
پیش او آئید اگر خائن نه اید — نی شکر گردید از او گرچه نئید ۱۸ — سبزه رویاند ز خاکت آن دلیل — نیست‌کم از سُمّ اسبِ جبرئیل[12]
سبزه‌گردی تازه گردی در نوی — گر تو خاك اسب جبریلی شوی ۱۹ — سبزهٔ جان‌بخش کان‌را سامری — کرد در گوساله تا شد گوهری
جان‌گرفت وبانگ‌زد زان‌سبزه او — آنچنان بانگی که شد فتنهٔ عدو ۲۰ — گر امین آئید سوی اهلِ راز — وارهید از سرِ کله مانندِ باز
سر کلاه چشم بندِ گوش بند — که ازو بازاست مسکین و نژند ۲۱ — زانُ کله برچشم باز اوّل شده‌است — که همه میلش‌سوی جنس خوداست
چون برید ازجنس وبا شه‌گشت‌یار — بر گشاید چشم او را باز دار ۲۲ — راند دیوان‌راحق‌ازمرصادِ خویش — عقل جزوی‌را زاستبدادِ خویش
که سری کم کن نهٔ تو مستبد — بلکه شاگرد ولی[13] مُستعد ۲۳ — زو بر دل رو که تو جزو دلی — هین که بندهٔ پادشاه عادلی
بندگیّ او به از سلطانیست — که انا خیر" دم شیطانی است[14] ۲۴ — فرق بین وبرگزین تو ای‌خسیس — بندگیّ آدم از کبر بلیس
گفت‌آنکه هست خورشیدِ ره او — حرف طوبی هرکه ذلّت نفسه[15] ۲۵ — سایهٔ طوبی ببین و خوش بخسب — سر بنه در سایهٔ سرکش بخسب
ظلّ ذلّت‌نفسه خوش مضجعی‌است — مستعدّان صفارا مهجعی است ۲۶ — گر ازاین سایه روی سوی منی — زود طاغی گردی و ره گم‌کنی

بیان آیه کریمه یا ایها الذین آمنوا لا تقدموا بین یدی‌الله و رسوله صلی‌الله علیه و آله[16]

چون نبی نیستی ز امت باش — چونکه سلطان نهٔ رعیت باش
پس رو خامشان خامش باش — وازخودی رای زحمتی‌متراش[17]

پس برو خاموش باش از انقیاد — زیر سایهٔ شیخ و امر[18] اوستاد ۳۰ — ❀ پس‌رو وصامت‌شووخاموش‌باش — از وجود خویش والی‌کم تراش
ور نه گرچه مستعد و قابلی — مسخ گردی تو ز لافِ کاملی ۳۱ — هم ز استعداد وا مانی اگر — سرکشی زاستادِ راد با خبر
صبرکن در موزه دوزی وبسوز — ورشوی بی‌صبرمانی پاره دوز[19] ۳۲ — کهنه دوزان‌گرُ بدیشان صبروحلم — جمله نو دوزان شدندی هم بعلم
بس بکوشیّ و بآخر از کلال — خود بخود گوئی که العقلُ عقال ۳۳ — همچوآن مرد مفلسف روزِ مرگ — عقل‌را می‌دید بس بی‌بال وبرگ
بی‌غرض میکرد آن دم اعتراف — کزذکاوت راندیم اسب ازگزاف ۳۴ — از غروری سرکشیدیم از رجال — آشنا کردیم در بحرِ خیال
آشنا هیچست اندر بحرِ روح — نیست آنجا چاره جز کشتیّ نوح ۳۵ — کاشکی کو آشنا ناموختی — تا طمع در نوح و کشتی دوختی
اینچنین فرمود آن شاهُ رسل — که منم کشتی دراین دریای کل[20] ۳۶ — یا کسی کو در بصیرتهای منّ — شد خلیفهٔ راستین بر جای من

---

۱ ـ زگفتن وز ۷ ـ یك آفتیست ۸ ـ می‌جهندْ ۹ ـ می‌نهند ۱۳ ـ دلیّ و ۱۸ ـ ظلّ امر شیخ و ۱۹ ـ گردی پینه (ن . ل)

(۲) در حدیث شریف نبوی است که میفرماید بدرستیکه من استغفار میکنم در هر روزی هفتاد بار و لفظ سبعین را عرب برای تکثیر استعمال میکنند و چون حال آن سرور چنین بوده پس بر مؤمنان لازم است که در هرلحظه و لمحه استغفار گویند (۳) یعنی حکمت اظهار درازی این قصه چنان مستی بر دانای راز انداخت که بی اختیار بگفتن‌آمد وآن راز پنهان‌آشکارشد (٤) جفّ القلم‌بماکائن حدیث نبویست‌کنایه‌است‌که آنچه بر قلم قضا رفته است تغییر پذیر نیست (٥) یعنی از قیامت که در طول عالم است و در مستقبل سلسلهٔ طولیه و اهل شهود نداء لمن الملك را می‌شنوند و نسبتش بعالم نسبت جوجه است به بیضه و درعرض می‌اندازند کای قیامت تا قیامت راه چند (٦) یعنی این خرد آدمی را ازحیوانات ممتاز میسازد و درامور معاشیه پیش بینی دارد نه در امور معادیه و عقل جزئی است بخلاف آن خرد که خود شناسی و آغاز و انجام شناسی‌شان اوست و او عقل‌کلی است و روح الولایه (۱۰) جمع شهابست که ابخرهٔ متصاعده در هوا محترق شود و بشکل ستاره از هوا بطرف زمین‌آید (۱۱) اشاره است بآیه شریفه و آتوا البیوت من ابوابها یعنی انسان کامل باب الابواب است از برای حرم قدس خدا (۱۲) سامری سبزه یا خاکی ازموضع اثرسم جبرئیل گرفته بود و ازآن در شکم آن‌گوساله که ازطلا ساخته بود ریخت‌که اذاله خوار" یعنی بانگ داشت و اشاره است بآیه شریفه قال بصرت بمالم یبصروا بهفقبضت‌قبضة من‌اثرالرسول (۱٤) اشاره است بآیه شریفه انا خیر" منه خلقتنی من‌نار وخلقته من‌طین (۱٥) حقیقت‌محمدیه فرمود طوبی لمن ذلّت نفسه (۱٦) آیه شریفه واقعه در سوره حجر است (۱۷) این دوبیت ازحدیقهٔ حکیم سنائی است (۲۰) اشاره است بحدیث مروی از رسول صلی‌الله علیه و آله مثل اهل بیتی کمثل سفینة نوحٍ من تمسك بها نجای ومن تخلف عنها غرق

کشتی نوحیم در دریا که تا / رو نگردانی ز کشتی ای فتی ۱ همچوکنعان سوی هرکوهی مرو[1] / از نبی لا عاصم الیوم شنو[2]
می‌نماید پست این کشتی ز بند / مینماید کوه فکرت پس بلند ۲ پست منگرهان وهان این‌پست‌را / بنگر آن فضل خدا[3] پیوست را
در بلندی[4] کوه فکرت کم نگر / که یکی موجش کند زیر و زبر ۳ گر تو کنعانی نداری باورم / گر دو صد چندین نصیحت پرورم
گوش کنعان کی پذیرد این کلام / که براو مهر[5] خدایست و ختام[6] ٤ کی‌گذارد موعظه بر مهر حق[7] / کی بگرداند حدث حکم سبق
لیك میگویم حدیث خوش پئی / بر امید آنکه تو کنعان نهٔ ٥ آخر این اقرار خواهی کرد هین / هم ز اول روز آخر را ببین
می توانی دید آخر را مکن / چشم آخر بینت را کور و کهن ٦ هرکه آخر بین بود مسعود وار / نبودش هردم بره رفتن عثار
گرنخواهی هردمی‌این‌خفت وخیز / کن زخاك پای مردی چشم تیز ۷ کحل دیده ساز خاك پاش را / تا بیندازی سر اوباش را
که ازین شاگردی و زین افتقار / سوزنی باشی شوی تو ذوالفقار ۸ سرمه‌کن تو خاك این بگزیده را / کان[8] بسوزد هم بسازد دیده را
❀ چشم روشن کن زخاك اولیا / تا ببینی ز ابتدا تا انتها ۹

قصهٔ شکایت استر با شتر که من بسیار در رو می‌افتم در راه رفتن وتوکم در روی می‌آئی حکمت این‌چیست و جواب گفتن شتر او را

چشم اشتر زان بود بس نور بار / که خورد از بهر نور چشم خار ۱۲ ❀ خار خور تا گل برویاند ترا / چشم تو روشن شود جان با صفا
❀ خاررا ازچشم دل‌گر برکنی[9] / چشم جان‌را حق ببخشد روشنی ۱۳ گفت روزی استری با اشتری[10] / چونکه با اوجمع شد درآخری
❀ گفت من بسیار می افتم برو / در گریوه و راه و دربازار وکو ۱٤ گرچه در رو می‌فتم بسیار من / در ره هموار و ناهموار من
خاصه از بلای‌که تا زیر کوه / در سر آیم هردم و زانو زنم ۱٥ کم همی‌افتی تو در رو بهر چیست / یامگر خود جان پاکت دولتیست
پوز وزانو زان‌خطا پرخون‌کنم / بشکند توبه بهر دم در گناه ۱٦ کز شود پالان و رختم بر سرم / وزمکاری هرزمان زخمی خورم
همچو کم عقلی که از عقل تباه / که بود بارش‌گران و راه سنگ ۱۷ سخرهٔ ابلیس گردد در زمن / ازضعیفی رای[11] آن توبه شکن
درسرآید هرزمان چون‌اسب لنگ / دیو دردم باز توبه‌اش را سکست ۱۸ میخورد از غیب بر سر زخم او / از شکست توبه آن ادبار خو
باز توبه میکند با رای سست / کم فتی در رو و کم بینی زنی ۱۹ ضعف اندرضعف وکبرش آنچنان / که بخواری بنگرد در واصلان
ای شتر که تو مثال مؤمنی / در میان ما و تو بس فرقهاست ۲۰ تو چه داری که چنین بی آفتی / بی عثاری و کم اندر رو فتی
گفت گرچه هر سعادت ازخداست / من‌گو وهموار را بینم عیان[12] ۲۱ سربلندم من دو چشم من بلند / بینش عالی امانست از گزند
از سر هر کوه تا پایان آن[12] / داند اندر حال آن نیکو خصال ۲۲ همچنانکه دید آن صدر اجل / پیش کار خویش تا روز اجل
آنچه خواهد بود بعد بیست سال / بهر چه سازد پی حب الوطن ۲۳ حال خود تنها ندید آن متقی[14] / بلکه حال مغربی و مشرقی
نور در چشم داش سازد سکن / همچو یوسف‌کو بدید اول بخواب ۲٤ که سجودش کرد ماه و آفتاب
از پس ده سال بلکه بیشتر / آنچه یوسف دیده بد برکرد سر ۲٥ نیست آن بنظر بنورالله گزاف / نور ربانی بود گردون شکاف
نیست اندر چشم تو آن نور رو / هستی اندر حس حیوانی گرو ۲٦ تو ز ضعف چشم بینی پیش پا / تو ضعیف وهم ضعیفت پیشوا[15]
پیشوا چشمست دست و پای را / کو ببیند جای را ناجای را ۲۷ دیگرآنکه چشم من روشن‌تراست / دیگر آنکه خلقت من اطهرست
زانکه هستم من ز اولاد حلال / نی ز اولاد زنا واهل ضلال ۲۸ تو ز اولاد زنائی بیگمان / تیر کژ پرد چو کژ باشد کمان
❀ بد بیاید جمله از بد در وجود / همچنان کامد ز فرعون عنود ۲۹ ❀گرچه صد طاعت‌کند ابلیس‌نیز / فایده‌نبود چو بد اصل‌است وحیز

تصدیق کردن استر جواب اشتر را و اقرار آوردن بفضل او برخود و ازو استعانت خواستن وبدو پناه گرفتن بصدق و نواختن شتر اورا و راه نمودن و یاری دادن پدرانه و شاهانه

گفت استر راست گفتی ای شتر / این بگفت و چشم‌کرد ازاشك پر ۳۲ ساعتی بگریست در پایش فتاد / گفت ای بگزیدهٔ رب العباد
چه زیان دارد گر از فرخندگی / در پذیری تو مرا در بندگی ۳۳ ❀ فضل‌تو برمن فزونست ازشمار / هم بفضل خود مرا معذوردار[16]
گفت چون اقرارکردی پیش من / روکه رستی از بلاهای[17] زمن ۳٤ چون‌شدی منصف[18] رهبدی ازبلا / تو عدو بودی شدی زاهل ولا
خوی بد در ذات تو اصلی نبود / کز بد اصلی نیاید جز جحود ۳٥ آن بد عاریتی باشد که او / آرد اقرار و شود او توبه جو
همچو آدم ذلتش عاریه بود / لاجرم اندر زمان توبه نمود ۳٦ چونکه اصلی بود جرم آن بلیس / ره نبودش جانب توبهٔ نفیس
روکه رستی ازخود و ازخوی بد / وز زبانهٔ نار و از دندان دد ۳۷ روکه اکنون‌دست دردولت‌زدی[19] / در فکندی خود بیخت سرمدی
ادخلی تو در عبادی یافتی[20] / ادخلی فی جنتی دریافتی[21] ۳۸ در عبادش راه کردی خویش را / رفتی اندر خلد از راه خفا

---

۳ ـ حق ٤ ـ علو ٦ ـ چونکه او را کرد حق مهرای غلام ۸ ـ هم ۱۰ ـ اشتری را دید روزی استری ۱۱ ـ خود ۱۲ ـ از سرکه من ببینم پای او ۱۳ ـ هر گو و هموار را من تو بتو ۱۷ ـ تو ز آفات ۱۸ ـ دادی انصاف و ۲۱ ـ تافتی (ن . ل)

---

(۱) اشاره است بقصهٔ کنعان پسر نوح که در قرآن بیان شده که نوح گفت ای پسر در کشتی با ما سوار شو جوابداد پناه خواهم برد بسوی کوهی که مرا از آب نگاهدارد (۲) آیهٔ شریفه در سورهٔ هود است قال لاعاصم‌الیوم من امرالله‌الا من رحم ربی (٥) اشاره‌است بآیه ختم‌الله علی قلوبهم و علی سمعهم (۷) بر کسیکه مهر حق شده است نصیحت کجا تأثیر می کند چرا که نصیحت حادث و حکم حق قدیم است (۹) مراد از برکندن خار از چشم دل همان خارخوردن است که باعتبارات این دو مصراع بمعنی واحدند (١٤) از متقی مقصود ذات مقدس رسول است واشاره است بحدیث اتقوا من فراسة المؤمن فانه ینظر بنورالله (۱٥) اشاره است بآیه واقعه درسورهٔ حج که در مادهٔ بتان و بت‌پرستان واقع‌شده وان یسلبهم‌الذباب شیئاً لایستنقذوه منه ضعف‌الطالب والمطلوب (۱٦) چون لایق خدمت تو نیستم (۱۹) در پذیری تومرا در بندگی والعبودیة جوهرةکنهاالربوبیه زیرا که عبد مالك هیچ نیست نه وجود ونه‌کمالات وجود ونه آثار وافعال وجود پس‌همه ازمولی‌است (۲۰) اشاره است بآیه شریفه درسورهٔ فجرفادخلی فی‌عبادی وادخلی جنتی

اهدنا گفتی صراطِ مستقیم — دست تو بگرفت و بُردت تا نعیم ۱ نار بودی نور گشتی ای عزیز[1] — غوره بودی گشتی انگور و مویز
اختری بودی شدی تو آفتاب — شاد باش الله اعلم بالصواب ۲ ای ضیاء الحق حسام الدین بگیر — شهدِ خویش اندرفکن در حوضِ شیر
تا رهد آن شیر از تغییرِ طعم — یابد از بحر مزه تکثیر طعم ۳ متصل گردد بدان بحرِ الست — چون که شد دریا ز هر تغییر رست
منفذی یابد در آن بحرِ عسل — آفتی را نبود اندر وی عمل ٤ غرّهٔ کن شیروار ای شیرِ حق — تا رود آن غُرّه بر هفتم طبق
چه خبر جانِ ملول سیر را — کی شناسد موش غرّه شیر را ٥ برنویس احوال خود با آبِ زر — بهر هر دریا دلی نیکو گهر
آبِ نیل است این حدیث جانفزا ٦ یا رَبش در چشم قبطی خون نما

لابه کردن قبطی سبطی را که یك سبو بنیت خویش از نیل پر کن و بر لب من نه تا بخورم بحقّ دوستی و برادری سبوئی که شما سبطیان بهر خود پر می کنید از نیل آب صافست و سبو که ما قبطیان پر می کنیم خون صافست[2]

می شنیدم که در آمد قبطئی — از قبطش اندر وثاقِ سبطئی ۱۰ گفت هستم یار و خویشاوندِ تو — گشته ام امروز حاجتمند تو
زانکه موسی جادوئی کرد وفسون — تا که آب نیل مارا کرد خون ۱۱ سبطیان زان آب صافی میخورند — پیش قبطی خون شدآب ازچشم بند
قبطیان نك میمرند از تشنگی — از پی ادبار خود یا بدرگی ۱۲ بهر خود یك طاس را پُرآب کن — تا خورد از آبت این یار کهن
چون برای خودکنی این طاس پُر — خون نباشد آب باشد پاك و حُر ۱۳ من طفیل تو بنوشم آب هم — که طفیلی در تبع بجهد ز غم
گفت ای جان جهان خدمت کنم — پاس دارم ای دو چشمِ روشنم ۱٤ بر مراد تو روم شادی کنم — بندهٔ تو باشم آزادی کنم
طاس را از نیل او پر آب کرد — بر دهان بنهاد و نیمی را بخورد ۱٥ طاس را کژکرد سوی آب خواه — که بخورتو هم شد آن خونِ سیاه
باز آنسو کرد کز خون آب شد — قبطی اندرخشم و اندر تاب شد ۱٦ ساعتی بنشست تا خشمش برفت — بعد ازآن گفتش که ای صمصام زفت
ای برادراین گره را چاره چیست — گفت این را آن خورد کومنقی است ۱۷ منقی آنست کو بیزار شد — از رهِ فرعون و موسی وار شد
قومِ موسی شو بخور این آب را — صلح کن با مه بین مهتاب را ۱۸ صد هزاران ظلمتست ازخشم تو — بر عبادالله اندر چشم تو
خشم بنشان چشم بگشا شاد شو — عبرت از یاران بگیر اُستاد شو ۱۹ کی طفیل من شوی در اغتراف — چون ترا کفریست همچون کوه قاف
کوه در سوراخ سوزن کی رود[3] — جز مگر آن کوه برگ کَه شود ۲۰ کوه را کَه کُن باستغفار خوش — جام مغفوران بگیر و خوش بکش
تو بدین تزویر چون نوشی ازآن — چون حرامش کرد حق بر کافران ۲۱ خالق تزویر تزویر ترا — کی خرد ای مفتریّ مفترا
آلِ[4] موسی شو که حیلت سود نیست — حیله ات باد تهی پیمود نیست[5] ۲۲ ❀ زهره دارد آب کز امر صمد — گردد و با کافران آبی کند
زهره دارد آب کز امر خدا — بگذرد کفار را بخشد صفا ۲۳ یا تو بنداری که تو نان میخوری — زهرِ مار وکاهش جان میخوری
نان کجا اصلاح آن جانی کند — کودل از فرمان جان ده[6] برکند ۲٤ یا تو پنداری که حرف مثنوی — چون بخوانی رایگانش بشنوی
یا کلام حکمت و سرّ نهان — اندر آید سهل در گوشِ کهان ۲٥ اندر آید لیك چون افسانها — پوست بنماید نه مغز و دانها
در سرو در رو کشیدی چادری — رو نهان کرده ز چشمت دلبری ۲٦ شاهنامه یا کلیله پیش تو — همچنان باشد که قرآن بر عتو
فرق آنکه باشد از حق و مجاز — که کند کُحل عنایت چشم باز ۲۷ ورنه پشك و مشك پیش اخشمی — هردو یکسانست چون بُرد شمی
خویشتن مشغول کردن از ملال — باشدش قصد از کلام ذوالجلال ۲۸ کاتش وسواس را و غصه را — زان سخن بنشاند و سارد دوا
بهر این مقدار آتش شاندن — آبِ پاك و بول یکسان شد بفن ۲۹ آتش وسواس را این بول وآب — هردوبنشانند همچون خمروخواب
لیك گر واقف شود زین آبِ پاك — که کلامِ ایزدست و روحناك ۳۰ نیست گردد وسوسهٔ کلی ز جان — دل بیابد ره بسوی گلستان
زانکه در باغیّ و در جوئی برد — هر که از سرّ صحف بوئی برد ۳۱ یا تو پنداری که روی اولیا[7] — آنچنانکه هست می بینیم ما
در تعجب مانده پیغمبر از آن — چون نمی بینند رویم مؤمنان[8] ۳۲ چون نمی بینند نورِ رُوم خلق — که سبق بُردست برخورشیدِ شرق
ورهمی بینند این حیرت چراست — تا که وحی آمد که آن رو درخفاست ۳۳ سوی تو ماهست و سوی خلق ابر — تا نبیند رایگان رویِ تو گبر
سوی تو دانه است وسوی خلق دام — تا ننوشد زین شرابِ خاص عام ۳٤ گفت یزدان که تراهم ینظرون[9] — نقش حامند هم لایبصرون[10]
مینماید صورت ای صورت پرست — کان دو چشم مردهٔ اوناظراست ۳٥ پیشِ چشم نقش می آری ادب — کو چرا پاسم نمیدارد عجب
ازچه پس بی پاسخ است این نقلِ خوش[11] — که سلامم را علیکی نیستش[12] ۳٦ می نجنباند سر و سبلت ز جود — پاس آن که کردمش من صد سجود
حق اگرچه سر بجنباند برون[13] — پاس آن ذوقی دهد در اندرون ۳۷ که دو صد جنبیدن سر ارزد آن — سر چنین جنباند آخر عقل وجان
عقل را خدمت کنی در اجتهاد[14] — پاسِ عقل آنست کافزاید رشاد[15] ۳۸ حق نجنباند بظاهر سر ترا — لیك سازد بر سران سرور تو را

٤ـ آن ٦ ـ جانان ۷ ـ انبیا ۸ ـ منکران ـ مردمان ۱۰ـ می بینند و کورند ازدرون ۱۱ـ نیك ۱۲ـ که نمی گوید سلامم را علیك (ن . ل)

(۱) تمثیل ترقیات نفس انسانیه است که در اول مثل چراغست بتدریج شعاع نجم و بعد نجم میشود وقمرمیشود تا آفتاب عالمتاب میشود (۲) این قصه موافق آیه واقعه در سورهٔ اعراف است فارسلنا علیهم الطوفان و الجراد و القمل و الضفادع والدم آیات مفصلات فاستکبروا و کانوا قوماً مجرمین پس فرستادیم ما بر ایشان طوفان را و ملخ و کنه و شپش و غورباغه ها و خون که آیات قدرت ما بودند از همدیگر جدا شده پس ایشان گردنکشی کردند و بودندگروهی مجرم یعنی معاند در کفر (۳) اشاره است بآیهٔ که در بارهٔ کفار فرموده‌اند لایدخلون الجنة حتی یلج الجمل فی سم الخیاط یعنی کافران داخل بهشت نشوند تا شتر در سوراخ سوزن رود (٥) یعنی حیله ات مانند هوای خالص بقبضه گرفتن است و بقبضه نتوان گرفت (۹) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ اعراف : تریهم ینظرون الیك وهم لا یبصرون یا اشاره است بآیه تریهم ینظرون الیك نظرالمغشی علیه من الموت (۱۳) اگر چه حق ازنوازش حسی و لسانی و ارکانی اجل است نسبت بساجد خود ولی بحسب باطن آناً فآناً عنایت وجود وفیض جود او حاصل وشامل است بلکه توفیق عبادت وتأیید معرفت همه التفات ومرحمت است (۱٤) اصلاح عقل بازدیاد معرفت واطاعت تعظیم آنست وافزایش رشد و هدایت تو بتقویت آن تکریم آن ونگهداری آنست مر ترا از خطا و لغزش (۱٥) مراد از پاس شکرانه و غوص است یعنی عقل ترا برای سداد و رشاد تقویت می کند بنا بر حق خود که پاس آنرا البته میدارد

مر ترا چیزی دهد یزدان نهان — که سجود تو کنند اهل جهان ۱ آنچنانکه داد سنگی را هنر — تا عزیز خلق شد یعنی که زر
قطرهٔ آبی بیابد لطف حق — گوهری گردد برد از زر سبق ۲ جسم خاکست وچو حق تابیش داد — در جهان‌گیری چو مه شد اوستاد
هین طلسمست این‌ونقش مرده‌است — احمقان‌را چشمش ازره برده‌است ۳ مینماید آنکه چشمی میزنند — ابلهانش کرده اند از جان[1] سند

در خواستن قبطی دعای خیر و هدایت از سبطی و دعا کردن سبطی قبطی را بخیر و مستجاب شدن آن دعا از اکرم الأکرمین

گفت قبطی تو دعائی کن که من — از سواد[2] دل ندارم آن دهن ۶ تا بود که قفل این دل[3] وا شود — زشت را در بزم خوبان جا شود
از تو مسخی صاحب خوبی شود — یا بلیسی باز کروبی شود ۷ یا بفر دست مریم بوی مشك[4] — یابد و تری و میوه شاخ خشك
سبطی آن‌دم درسجود افتاد وگفت — کای خدای عالم جهر و نهفت ۸ سبطی و قبطی همه بندهٔ تو اند — عاجز امر تو اند و مستمند
جز تو پیش که برآرد بنده دست — هم دعا و هم اجابت از تو است ۹ هم ز اول تو دهی میل دعا — تو دهی آخر دعا ها را جزا
اول و آخر توئی ما در میان — هیچ هیچی که نیاید در بیان ۱۰ این چنین میگفت تا افتاد طشت — از سر بام و دلش بیهوش گشت
باز آمد او بهوش اندر دعا — لیس للانسان الا ما سعی ۱۱ در دعا بود او که ناگه نعرهٔ — از دل قبطی بجست و غرهٔ
که هلا بشتاب و ایمان عرضه کن — تا ببرم زود زنار کهن ۱۲ آتشی در جان من انداختند — مر بلیسی را بجان بنواختند
دوستی تو ز حب نا شکفت — حمد لله عاقبت دستم گرفت ۱۳ کیمیائی بود صحبتهای تو — کم مباد از خانهٔ دل پای تو
تو یکی شاخی بدی از نخل خلد — چون گرفتم او مرا تا خلد برد ۱۴ سیل بود آنکه تنم را در ربود — برد سیلم تا لب دریای جود
من بیوی آب رفتم سوی سیل — بحر دیدم در گرفتم کیل کیل ۱۵ طاس آوردش که اکنون آب گیر — گفت رو شد آبها پیشم حقیر
شربتی خوردم ز الله اشتری[5] — تا بمحشر تشنگی ناید مرا ۱۶ آنکه جوی وچشمه‌هارا آب داد — چشمهٔ در اندرون من گشاد
این جگرکه بود گرم و آب‌خوار — گشت پیش همت او آب خوار ۱۷ کف کافی آمد او بهر عباد — صدق وعدهٔ کهیعص[6]
کافیم بدهم تو را من جمله خیر — بی سبب بی واسطهٔ یاری غیر ۱۸ کافیم بی نان دهم سیری ترا[7] — بی غلام و چاکرت بخشم کیا[8]
کافیم بی دارویت درمان کنم — کوه را و چاه را میدان کنم ۱۹ بی کتاب و اوستا تلقین دهم — بی بهارت نرگس و نسرین دهم
موسئی را دل دهم با یك عصا — تا زند بر عالمی شمشیر ها ۲۰ دست موسی‌را دهم یکنور و تاب — که طپانچه میزند بر آفتاب
چوب را ماری کنم من هفت‌سر — که نزاید ماده مار او را ز نر ۲۱ خون نیامیزم در آب نیل من — خود کنم خون عین آبش رابفن
شادیت را غم کنم چون آب نیل — که نیابی سوی شادیها سبیل[9] ۲۲ باز چون تجدید ایمان بر تنی — باز از فرعون بیزاری کنی
موسی رحمت بینی سر زده[10] — نیل‌خون بینی ازاو آب آمده[11] ۲۳ چون سر رشته نگه‌داری درون — نیل ذوق تو نگردد هیچ خون
من گمان برده که ایمان آورم — تا ازین طوفان خون آبی خورم ۲۴ من چه دانستم که تبدیلی کند — در نهاد من مرا نیلی کند
سوی چشم خود یکی نیلم روان — بر قرارم پیش چشم دیگران ۲۵ هم چنانکه این‌جهان پیش نبی[12] — غرق تسبیحست و پیش‌ما ابی[13]
پیش پیغمبر جهان پر عشق وداد — پیش چشم دیگران مرده و جماد ۲۶ پست وبالا پیش چشمش تیزرو[14] — از کلوخ و سنگ او نکته شنو
با عوام اینجمله پست و مردهٔ — زین عجبتر من ندیدم پردهٔ ۲۷ گور ها یکسان بپیش چشم ما — روضه و حفره بچشم اولیا[15]
عامه گفتندی که پیغمبر ترش — ازچه‌گشتست‌وشدست اوذوق‌کش ۲۸ خاصه گفتندی که پیش چشمتان — مینماید او ترش ای امتان
یك زمان در چشم ما آئید تا — خند ها بینید اندر هل اتی[16] ۲۹ از سر امرود بن بنماید آن — منعکس صورت بزیر آ ای جوان
آن درخت هستی‌است امرود بن — تا در آنجائی نماید نو کهن ۳۰ تا در آنجائی بینی خار زار — پر زکژدمهای خشم و پر ز مار
چون فرود آئی بینی رایگان — یك جهان برگلرخان و دایگان ۳۱ چون فرودآئی فرود آید تورا — در درون اسرار فیض کبریا

حکایت آن زن پلید کار که شوهر را گفت آن خیالات از سر امرود بن مینماید ترا که چنین نماید چشم را از سر امرود بن ، از سر درخت فرود آ تا آن خیالات برود و اگر کسی گوید که آنچه آن مرد می‌دید خیال نبود جواب آنست که این مثال است نه مثل در مثال همین قدر بس بود که اگر بر سر امرود بن نرفتی هرگز آنها ندیدی خواه خیال خواه حقیقت و همین کافی است

آن‌زنی میخواست تا با مول خود — جمع گردد پیش شوی گول خود ۳۶ پس بشوهرگفت زن کای نیکبخت — من بر آیم میوه چینم از درخت
چون‌برآمدبردرخت آن‌زن‌گریست — چون زبالا سوی شوهر بنگریست ۳۷ گفت شوهر را که ای مأبون رد — کیست آن لوطی که برتو می فتد
تو بزیر او چو زن بغنودهٔ — ای بغی تو خود[17] مخنث بودهٔ ۳۸ گفت شوهر نی سرت گوئی بگشت — ورنه اینجا نیست غیر من بدشت
زن مکرر کرد کای با برطله — کیست بر پشتت فرو خفته هله ۳۹ گفت‌ای زن هین‌فرود آ ازدرخت — که سرت‌گشت‌وخرف‌گشتی‌توسخت
چون فرود آمد بر آمد شوهرش — زن‌کشید آن مول را اندر برش ۴۰ گفت شوهرکیست این ای‌روسپی — که ببالای تو آمد چون کپی

---

۱ ـ آن را ۲ ـ سیاهی ۳ ـ در ۷ ـ تر اسیری دهم ۸ ـ بی سپاه و لشکرت میری دهم ۹ ـ دلیل ۱۰ ـ آمده ۱۱ ـ آبی شده ۱۲ ـ پیش پیغمبر جهان ۱۳ ـ برما بی زبان ۱۷ ـ دریغا تو (ن ، ل)

---

(٤) اشاره است بآیه یا مریم هزی الیك بجذع النخلة تساقط علیك رطباً جنیاً (٥) یعنی ازسرچشمهٔ ان‌الله اشتری من‌المؤمنین انفسهم واموالهم بانّ لهم‌الجنة (٦) اشاره است بحروف کهیعص که کاف کافی وها هادی است و یا اشاره است به یدالله فوق ایدیهم و عین علیم وصاد صادق است وگویند حروف مقطعه رمزیست بین حق سبحانه و تعالی وپیغمبر برگزیده‌اش صلی‌الله علیه و آله و این حروف از آنجمله است (١٤) چه همه در حرکت و سیر الی‌الله‌اند بورود برحرم قدس او که انسان کامل است پس دریای وجود بنیل ماند در حق یکی آب و در حق یکی خون (١٥) اشاره است بحدیث قبرالمؤمن روضة من روضات الجنان وقبرالکافر حفرة من حفرالنیران وتأویل این گورها این ابدان سعدا و اشقیاست (١٦) اشاره است بهمین سورهٔ مبارکه حق تعالی بسیاری از انواع نعم اخروی را در آن ذکر فرموده است

گفت زن نی نیست اینجا غیرمن — هین‌سرت برگشته شد هرزه متن ۱ ❀ او مکرّر کرد برزن آن‌سخن — گفت زن این‌هست از امرودُ بن
❀از سر امرود بن من همچنان — کز همی دیدم که تو ای قلتبان ۲ هین فرود آ تا ببینی هیچ نیست — این همه تخییل از امرو ُبنی‌است
هزل تعلیمست آنرا جد شنو — تو مشو بر ظاهر هزلش گرو ۳ هر جدی هزلست پیش هازلان — هزلها جدّ است پیش عاقلان
کاهلان امرود بن جویند لیك — تابدان امرود ُبن راهیست نیك ٤ نقل کن زامرود ُبن اکنون برو — گشتهٔ تو خیره چشم و خیره رو
این منیّ و هستی اوّل بود[1] — که ازو دیده کژ و احول بود ٥ چون فرود آئی‌ازین امرود بن[2] — کز نماید فکرت و چشم و سخن
یك درخت سخت[3] بینی گشته این — شاخ او بر آسمان هفتمین ٦ چون فرود آئی ازآن گردی‌جدا — مبدلش گرداند از رحمت خدا
راست بینی گر ُبدی آسان چنین — مصطفی‌که خواستی از ربّ دین ۷ گفت‌بنما جزوجزو ازفوق‌وپست[4] — آنچنانکه پیش تو آن جزو هست
زین تواضع گر فرود آئی خدا — راست بینی بخشد آن چشم ترا ۸ بعد ازآن بر رو برآن امرود بن — که مبدل گشت و سبز از امرکن
چون‌درخت‌موسوی‌شد آن درخت — چون سوی‌موسی‌کشانیدی‌تورخت ۹ آتش او را سبز و خرّم می‌کند — شاخ او انی اناالله می زند[5]
زیر ظلش جمله حاجات روا — این‌چنین باشد الهی کیمیا ۱۰ آن منی و هستیت باشد حلال[6] — که درو بینی صفات ذوالجلال
شد درخت کژ مقوم حق نما ۱۱ اصله ثابت و فرعه فی السما[7]

باقی قصه موسی علیه السلام

کامدش پیغام از وحی مهم — که کژی بگذار اکنون فاسنقم ۱۳ این‌درخت تن عصای‌موسی‌است — کامرش‌آمد که بیندازش ز دست
تا ببینی خیر او و شرّ او — بعد ازآن برگیر اورا زامر هو ۱٤ پیش‌ازافکندن نبود آن‌چوب‌مار[8] — چون بامرش برگرفتی‌گشت یار[9]
بود اول برگ افشان برّه را[10] — گشت معجز آن گروه غرّه را ۱٥ گشت حاکم بر سر فرعونیان — آبشان خون‌کرد وکف برسرزنان
ازمزارعشان بر آمد قحط ومرگ — از ملخهائی که میخوردند برگ ۱٦ تا بر آمد بیخود از موسی دعا — چون نظر افتادش اندر منتها
کاین‌همه اعجاز وکوشیدن‌چراست — چون‌نخواهندا‌ینجماعت‌گشت‌راست ۱۷ ❀ امرش آمد که اتباع نوح کن — ترك پایان بینی مشروح کن
زان تغافل کن چو[11] داعیّ رهی — امر بلّغ هست نبود آن تهی ۱۸ کمترین حکمت کز این الحاح تو — جلوه گردد آن لجاج و آن عتو
تا که ره بنمودن و اضلال حق — فاش گردد بر همه اهل فرق ۱۹ چونکه‌مقصود ازوجود اظهار بود — بایدش از پند و اغوا آزمود
دیو الحاح غوایت میکند — شیخ الحاح هدایت میکند ۲۰ ❀ باز گرد و قصهٔ قبطی بگو — گرد کفر از باطن خود زود شو

❀ سخت شدن کار بر قبطیان و شفاعت کردن فرعون

چون بیابی گشت آن امر شخون — نیل می آمد سراسر جمله خون ۲۲ تا بنفس خویش فرعون آمدش — لابه میکرد و دوتا گشته قدش
کانچه ما کردیم ای سلطان مکن — نیست ما را روی ایراد سخن ۲۳ پاره پاره گردمت فرمان پذیر[12] — من‌بعزّت خوگرم سختم مگیر[13]
هین بجنبان لب برحمت ای امین — تا ببندد این دهان آتشین ۲٤ گفت یارب می فریبد او مرا — می فریبد او فریبندهٔ ترا
بشنوم یا من دهم هم خدعه اش — تا بداند اصل را آن فرع کش ۲٥ کاصل‌هرمکری‌وحیلت‌پیش‌ماست[14] — هرچه‌برخاکست‌اصلش‌بر[15]سماست
گفت‌حق‌آن سگ نیرزد هم بدان — پیش سگ‌انداز ازدور استخوان ۲٦ هین بجنبان آن عصا تا خاکها — وادهد هرچه ملخ کردش هبا[16]
وان ملخها در زمان گردد سیاه — تا ببیند خلق تبدیل اله ۲۷ که سببها نیست حاجت مر مرا — آن سبب بهر حجابست و غطا
تا طبیعی خویش بر دارو زند — تا منجم رو باستاره کند ۲۸ تا منافق از حریصی بامداد — سوی بازار آید از بیم کساد
بندگی نا کرده و نا شسته روی — لقمهٔ دوزخ بگشته لقمه جوی[17] ۲۹ آکل و مأکول آمد جان عام — همچو آن برّه چرنده از حطام
می چرد آن برّه و قصاب شاد — که برای ما چرد برگ مراد ۳۰ کار دوزخ میکنی در خوردنی — بهر او خود را تو فربه می‌کنی
کار خود کن روزی حکمت بخور — تا شود فربه دل با کرّ و فر ۳۱ خوردن تن مانع این خوردنست — جان‌چوبازرگان‌وتن‌چون رهزنست
شمع تاجر آنگهست افروخته — که بود رهزن چو هیزم سوخته ۳۲ خویشتن‌را گم‌مکن یاوه‌مکوش[18] — که توآن‌هوشی‌وباقی هوش پوش[19]
دانکه‌هرشهوت‌چو خرست‌وچوبنگ — پردهٔ‌هوشست وغافل[20] زاوست‌دنگ ۳۳ خمر تنها نیست سرمستیّ هوش — هرچه شهوانیست‌بندد چشم وگوش
❀ترك‌شهوت‌کن‌اگرخواهی‌توهوش — دان‌که‌شهوت بازبندد چشم وگوش ۳٤ آن بلیس ازخمرخوردن دور بود — مست بود او از تکبر واز جحود
مست آن باشدکه آن بیندکه نیست ۳٥ زر نماید آنچه مسّ و آهنیست

❀ دعاکردن موسی علیه‌السلام و سبز شدن کشت

این سخن پایان ندارد موسیا — لب بجنبان تا برون آید گیا ۳۷ همچنان کرد و هم اندر دم زمین — سبزگشت از سنبل و حبّ ثمین
اندر افتادند در لوت آن نفر — قحط دیده مرده از جوع البقر ۳۸ چند روزی سیر خوردند ازعطا — آن دمیّ و آدمیّ و چارپا

---

۸ ـ او غیر چوب ۹ ـ خوب ۱۱ ـ منگر آخر که تو ۱٥ ـ از ۱٦ ـ فنا ۲۰ ـ غافل (ن . ل)

---

(۱) هستی اول اینکه عوام دارند هستی دوم آنکه بعد فناء بقا باشدکاملان دارند (۲) یعنی چون از این هستی فرود آئی آنچه سابق داشتی از فکر و دید و گفتگو آنهمه از بالای آندرخت هستی کج مینمود و پس از آن بدانی که آن کج بینی‌ها غلط بوده (۳) در بعضی نسخ بخت است حاصل آنکه از ابدال شوی و وجود ظلمانی نورانی شود (٤) اشاره‌است بحدیث اللهم‌ارناالاشیاء کماهی (٥) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ قصص انی‌اناالله رب‌العالمین (٦) یعنی یك منی هست در بقاء قبل‌الفناء و آن حرام است و یکمنی هست در بقاء بعدالفناء وآن حلال است (۷) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ ابراهیم (۱۰) یعنی اول منافع کمی داشت و آخر معجز قاهر باهری شد برضرر آن قوم فریب خور (۱۲) یعنی بتدریج زمان فرمان پذیر تو شوم یا جزء جزء مراتب وجودم واعضا وقوای من فرمان پذیر تو گردد (۱۳) حق‌تعالی فرمود قولوا له قولاً لیناً (۱٤) و مکروا و مکرالله والله خیرالماکرین (۱۷) مراد مولوی آنست که صباح که هنگام عبادت وموقع طاعت‌است اشتغال بتحصیل لقمه نموده وآن طاعت وعبادت را متروك وموقوف داشته وبواسطهٔ آن آن لقمه را لقمهٔ اهل دوزخ شاید دانست (۱۸) تا مصداق نسوا الله فانساهم انفسهم نباشی. (۱۹) شهوت وغضب پوشانندهٔ نور خدائی‌اند

چون شکم پر گشت وبر نعمت زدند — وان ضرورت رفت پس طاغی شدند[1] ۱ نفس فرعون است هان سیرش مکن — تا نیارد یاد از آن کفر کهن
بی تف آتش نگردد نفس خوب — تا نشد آهن چو اخگر هین مکوب[2] ۲ بی مجاعت نیست تن جنبش کنان — آهن سرد است میکوبی بدان
گر بگرید ور بنالد زار زار — او نخواهد شد مسلمان هوشدار ۳ او چو فرعونست در قحط آنچنان — پیش موسی سر نهد لابه کنان
چونکه مستغنی شد او طاغی شود — خرجو بار انداخت اسکیزه زند[3] ۴ پس فراموشش شود چون رفت پیش — کار او از آه و زاریهای خویش
سالها مردی که در شهری بود — یك زمان کش چشم درخوابی رود ۵ شهر دیگر بیند او پر نیك و بد — هیچ در یادش نیاید شهر خود[4]
که من آنجا بوده‌ام این شهر نو — نیست آن من در اینجایم گرو ۶ بل چنان داند که خود پیوسته او — هم درین شهرش بدست ابداع وخو
چه عجب گر روح موطنهای خویش — که بدستش مسکن و میلاد بیش ۷ می‌نیارد یاد کاین دنیا چو خواب — می فرو پوشد چو اختر را سحاب
چند نوبت آزمودی خواب را — خواب دنیا را همان بین ز ابتلا ۸ خاصه چندین شهرها را کوفته — گردها از درك او ناروفته
اجتهاد گرم ناکرده که تا — دل شود صاف و ببیند ماجرا ۹

اطوار ومنازل خلقت آدمی از ابتدا

سر برون آرد دلش از بحر[5] راز — اول و آخر ببیند چشم باز ۱۱ آمده اول باقلیم جماد — وز جمادی در نباتی اوفتاد
سالها اندر نباتی عمر کرد — وز جمادی یاد ناورد از نبرد ۱۲ وز نباتی چون بحیوان اوفتاد — نامدش حال نباتی هیچ یاد
جز همان میلی که دارد سوی آن — خاصه در وقت بهار و ضیمران[6] ۱۳ همچو میل کودکان با مادران — سر میل خود نداند در لبان
همچو میل مفرط هر نو مرید — سوی آن پیر جوان بخت مجید ۱۴ جزو عقل این از آن عقل کل است — جنبش این سایه‌زان شاخ گل است
سایه اش فانی شود آخر در او — پس بداند سر میل وجست وجو ۱۵ سایهٔ شاخ درخت ای نیك بخت — کی بجنبد گر نجنبد این درخت
باز از حیوان سوی انسانیش[7] — می کشد آن خالقی که دانیش ۱۶ همچنین اقلیم تا اقلیم رفت[8] — تا شد اکنون عاقل و دانا و زفت
عقلهای اولینش یاد نیست — هم ازین عقلش تحول کردنیست ۱۷ تا رهد زین عقل پر حرص و طلب — صد هزاران عقل بیند بوالعجب
گرچه خفته گشت وناسی شد زپیش — کی گذارندش درآن نسیان خویش ۱۸ باز ازآن خوابش بیداری کشند — که کند بر حالت خود ریشخند
که چه غم بود آنکه میخوردم بخواب — چون فراموشم شد احوال صواب ۱۹ چون ندانستم که آن غم و اعتلال — فعل خوابست و فریبست و خیال
هم چنین دنیا که حلم نائمست — خفته پندارد که این خود قائمست ۲۰ تا برآید ناگهان صبح اجل — وارهد از ظلمت ظن و دغل
خنده‌اش گیرد ازآن غمهای خویش — چون ببیند مستقر وجای خویش ۲۱ هرچه تو درخواب بینی نیك وبد — روز محشر یك بیك پیدا شود
آنچه کردی اندرین خواب جهان — گرددت هنگام بیداری عیان ۲۲ تا نپنداری که این بد کردنیست — اندرین خواب و ترا تعبیر نیست[9]
بلکه این خنده بود گریه و زفیر[10] — روز تعبیر ای ستمگر بر اسیر ۲۳ گریه و درد وغم و زاری خود — شادمانی دان به بیداری خود
ای دریده پوستین یوسفان — گرگ برخیزی ازاین خواب گران ۲۴ گشته گرگان یك بیك خوهای تو — می‌درانند از غضب اعضای تو
خون نخسبد بعد مرگت درقصاص — تو مگو که میرم و یابم خلاص ۲۵ این قصاص نقد حیلت سازی است — پیش زخم آن قصاص این بازی است
زین لعب خوانده است دنیا را خدا[11] — کاین جزا لعبیست پیش آن جزا ۲۶ این جزا تسکین جنگ وفتنه است — آن چو اخصاء است وین چون ختنه است

در بیان آنکه خلق دوزخ گرسنگانند و نالانند و ازحق خواهان که روزیهای مارا فربه‌گردان و زود زاد بما برسان که مارا صبر نماند

این سخن پایان ندارد موسیا — هین رها کن این خران را درگیا ۲۹ تا همه زان خوش علف فربه‌شوند — هین که گرگانند ما را خشم مند
نالهٔ گرگان خودرا موقنیم — این خران را طعمهٔ ایشان کنیم ۳۰ این خران را کیمیای خوش دمی — از لب تو خواست کردن آدمی
توبسی کردی بدعوت لطف و جود — آن خران را طالع وروزی نبود ۳۱ پس فروپوشان لحاف نعمتی — تا بردشان زود خواب غفلتی
تا چو بجهند ازچنین خواب این رده — شمع مرده باشد و ساقی شده ۳۲ داشت طغیانشان ترا در حیرتی — پس بنوشند از جزا هم حسرتی
تا که عدل ما قدم بیرون نهد — وز جزا هرزشت را درخوردهد ۳۳ کان شهی که می ندیدندیش فاش — بود با ایشان نهان اندر معاش
چون خرد با تست مشرف برتنت — گر چه زو قاصر بود این دیدنت ۳۴ نیست قاصر دیدن او ای فلان — از سکون و جنبشت در امتحان
چه عجب گر خالق آن قوم[12] نیز — با تو باشد درسکون ونقل نیز[13] ۳۵ از خرد غافل شود بر بد تند — بعد از آن عقلش ملامت میکند
توشدی غافل زعقلت[14] عقل نی[15] — کز حضورستش ملامت کردنی ۳۶ گر نبودی حاضر و غافل بدی — درملامت کی ترا سیلی زدی[16]
ور ازو غافل نبودی نفس تو — کی چنان کردی جنون ونفس تو ۳۷ پس ترا عقلت چو اصطرلاب بود[17] — زان بدانی قرب خورشید وجود
قرب بیچونست عقلت را بتو — نیست ازپیش وپس وسفل وعلو ۳۸ قرب بیچون چون نباشد شاه را — که نیابد بحث عقل آن راه را
نیست آن جنبش که دراصبع تراست — پیش اصبع یا پسش یا چپ وراست ۳۹ وقت خواب ومرگ ازوی میرود — وقت بیداری قرینش میشود

---

۱ ـ شد ضرورت باز طاغی آمدند ۲ ـ این چنین فرمود علام الغیوب ۳ ـ در مرعی رود ۵ ـ راه ـ بخش ۶ ـ گلستان ۱۰ ـ نفیر ۱۲ ـ عقل ۱۳ ـ چون نهٔ تو مستجیز ۱۴ ـ غفلت ۱۶ ـ طاعن شدی (ن . ل)

---

(٤) بلکه درخواب چنان پندارد که عالم دیگر نیست غیرعالم خواب و هرچه ادراك میکند همان صوابست (۷) در صراط انسانی چنانکه می‌بینی که جنین بنحواتصال ازعالمی بعالمی میرود وبمضمون ماخلقکم ولابعثکم الا کنفس واحدة درکل این تبدلات وتحولات هست والی ربك المنتهی (۸) از اقلیم عقل بالقوه تا اقلیم عقل بالملکه تا اقلیم عقل بالفعل تا اقلیم عقل مستفاد تا عقل فعال الی ماشاءالله المتعال (۹) یعنی این دنیا منام است وآنچه می‌بینی و میکنی بمنزلهٔ رؤیاست وآنچه ازصور برازخ اعمال بتو برسد بمنزلهٔ تعبیراست که بعد ازبیداری به بینندهٔ خواب برسد (۱۱) انما الحیوة الدنیا لهو و لعب (۱۵) یعنی تو غافل هستی از عقل خودت وقتیکه بدکنی ولی عقلت غافل از تونیست چه ملامت کند ترا (۱۷) یعنی عقل میزانی است که سنجیده میشود بآن حق وباطل علوم واعمال چه علوم فکریهٔ صرف وچه علوم متعلقهٔ باعمال واصطرلاب میزان ارتفاعات آفتابست .

از چه ره میآید اندر اصبعت — کاصبعت بی او ندارد منفعت ۱ نور چشم و مردمك در دیده ات — از چه ره آمد بغیر شش جهت
بی جهت دان عالم امر و صفات — عالم خلق است حسّها و جهات ۲ بی جهت دان عالم امر ای صنم — بی جهت تر باشد آمر لاجرم
بی جهت دان عقل وعلام البیان[1] — عقل تراز عقل وجان ترهم‌زجان ۳ بی تعلّق نیست مخلوقی بدو — آن تعلق هست بیچون ای عمو
زانکه فصل ووصل نبود درروان — غیر فصل و وصل نندیشد گمان ٤ غیر فصل و وصل بی بر ازدلیل — لیك بی بردن نیندیشد علیل
بی بیا بی مبر از دوری زاصل — تا رگ مردیت آرد سوی وصل ٥ این‌تعلق را خرد چون بی برد — بستهٔ فصلست و وصلست این خرد
زین وصیّت کرد ما را مصطفی — بحث کم جوئید در ذات خدا[2] ٦ آنکه در ذاتش تفکر کردنیست — درحقیقت آن نظردر ذات نیست
هست آن پندار او زیرا براه — صد هزاران پرده آمد تا اله ۷ هریکی در پردهٔ موصول جوست — وهم اوآنست کان خودعین‌اوست
پس پیمبر دفع‌کرد این وهم ازو — تا نباشد در غلط سودا پز او ۸ زانکه کرد از وهم او ترك ادب — بی‌ادب را سر نگونی داد رب
سر نگونی آن بود که سوی‌زیر — میرود پندارد او کو هست چیر ۹ زانکه حدّ مست باشد این چنین — که نداند آسمان را از زمین
در عجبهایش بفکر اندر روید — از عظیمی وز مهابت گم شوید ۱۰ چون‌زصنعش ریش وسبلت‌گم‌کنید — حدّ خود دانید آنگه تن زنید
جزکه لااحصی نگوید او زجان[3] — کز شمار وحدّ برونست این‌بیان ۱۱ ❀ چون‌بیانش‌بیحداست‌ای بوالهوس — بحث کم کن پیش او کم زن‌نفس

رفتن ذوالقرنین بکوه قاف و درخواست کردن که ای کوه قاف از عظمت صفت حق تعالی ما را بگو و گفتن کوه قاف که صفت عظمت حق بتقریر در نیاید که پیش آن ادراکها فنا شود و لابه کردن ذوالقرنین که از صنایعش که در خاطر داری و بر توگفتن آن آسانتر بود بگو

رفت ذوالقرنین سوی کوه قاف[4] — دید کُه را کز زمرّد بود صاف ۱۵ گرد عالم حلقه گشته[5] او محیط — ماند حیران اندر آن خلق بسیط
گفت تو کوهی دگر ها چیستند — که به پیش عظم تو باز ایستند ۱٦ گفت رگهای منند آن کوهها — مثل من نبوند در حسن و بها
من بهر شهری رگی دارم نهان — بر عروقم بسته اطراف جهان ۱۷ حق چوخواهد زلزلهٔ شهری مرا — امر فرماید که جنبان عرق را
پس بجنبانم من آن رگ را بقهر — که بدان‌رگ متصل‌گشتست[6] شهر ۱۸ چون بگوید پس شود ساکن رگم — ساکنم وز روی فعل اندر تگم
همچو مرهم ساکن و بس‌کارکن — چون‌خرد ساکن وزوجنبان سخن ۱۹ نزد آنکس که نداند عقلش این — زلزله هست از بخارات زمین
❀ این بخارات زمین نبود بدان ۲۰ زامر حق است وازان‌کرّه‌گران

موری بر کاغذ میرفت نوشتن قلم دید قلم را ستودن گرفت موری دیگرکه تیز چشم تر بود گفت ستایش انگشتان را کن که این هنر از ایشان می بینم موری دیگر که از هر دو چشم تیز تر بود گفت ستایش بازو کن که انگشتان فرع ویند الی آخره

مورکی بر کاغذی دید او قلم — گفت با مور دگر این راز هم ۲٤ که عجائب نقشها آن کلك کرد — همچوریحان وچوسوسن‌زارووردد
گفت آن موراصبع‌است‌آن‌پیشه‌ور — وین قلم در فعل فرعست و اثر ۲٥ گفت آن مورسیم کز بازواست — کاصبع لاغرز زورش نقش بست
همچنین میرفت بالا تا یکی — مهتر موران فطن بود اندکی ۲٦ گفت کز صورت مبینید این هنر — کان بخواب و مرگ گردد بیخبر
صورت آمد چون لباس‌وچون‌عصا — جز بعقل و جان نجنبد نقشها ۲۷ بیخبر بود او که آن عقل وفؤاد[7] — بی ز تقلیب خدا باشد جماد
یك زمان از وی عنایت برکند ۲۸ عقل زیرك ابلهیها می کند

باز التماس کردن ذوالقرنین ازکوه قاف تا بیان صنعی از صنایع حقتعالی کند

چونکه کوه قاف دُرّ نطق سفت — چونش‌ناطق یافت ذوالقرنین‌گفت ۳۰ کای سخن گوی خبیر راز دان — از صفات حق بکن با من بیان
گفت‌روکان‌وصف‌ازآن‌هایل‌تراست — که بیان بروی تواند برد دست ۳۱ یا قلم را زهرم‌باشد که بسر — بر نویسد بر صحائف زان خبر
گفت کمتر داستانی باز گو[8] — از صنایعهاش[9] ای حبر نکو ۳۲ گفت اینك دشت سیصدساله راه — کوههای برف پر کردست شاه
کوه برُکه بیشمار و بیعدد — میرسد در هر زمان برفش مدد ۳۳ کوه برفی میزند بر دیگری — میرساند برف سردی تاثری
کوه برفی میزند بر کوه برف — دمبدم ز انبار بیحدّ و شگرف ۳٤ گر نبودی این چنین وادی شها — تفّ دوزخ محو کردی مر مرا
غافلان را کوههای برف دان — تا نسوزد پردهای عاقلان[10]و[11] ۳٥ گر نبودی عکس جهل برف باف — سوختی از نار شوق‌آن‌کوه قاف
آتش از قهر خدا خود ذرّه‌ایست — بهر تهدید لئیمان درّه ایست ۳٦ باچنین‌قهری[12] که‌بروی‌فایق‌است[13] — برد لطفش بین که برتو سابق‌است

---

٥ ـ کرده ٦ ـ بوده است ۸ ـ گوی تو ۹ ـ از عجبهای حق ۱۰ ـ هر راز دان ۱۲ ـ دوزخ (ن . ل)

---

(۱) بعطف است و مبتداست و خبرش عقل تر یا مفعول اول است و صیغهٔ تفضیل اگر چه از اسم ذات بنا نمیشود ولیکن بتأویل تجرد جایزاست یعنی مجرد تر از عقل کل و نفس کل حضرت علام‌البیان است جل جلاله و بیان ظاهر معلوم است واما بیان حقیقی انسان کامل حقیقی است که شرح و بیان صفات حق است (۲) اشاره است بحدیث نبوی که فرمودند تفکروا فی آلاء الله ولا تتفکروا فی ذات‌الله (۳) اشاره‌است بحدیث نبوی کمالااحصی ثناء علیك انت کما اثنیت علی نفسك یعنی ❀ مارا چه حد حمد و ثنای تو بود ❀ هم حمد و ثنای تو سزای تو بود ❀ (٤) معنیش قلب انسان کامل است ابویزید فرماید که اگرعرش و آنچه حاویست بآن در آید در زاویهٔ از زوایای قلب ابی یزید احساس بآن نشود (۷) جان پس چون کل شیی بشیی محیط والمحیط بما احاط هوالله الواحد القهار وهوالقاهر فوق عباده و له‌الامروالخلق پس همه در ید قدرت اویند و آن مهتر موران اگر چه فطن بود لیکن چون بیخبر بود ازحقیقت امر بعقل وجان نسبت داد نقشها را پس بخار نیز مقهوراست در دست ملائکه قوی و طبایع و آنها در تحت رقایق مثالیه و صور ملائکه که از سکان قافند و آنها در تحت ارواح ملکیه و آنها در تحت ملائکه مقربین رباةالانواع وکلّ مبادی مقهور مبدءالمبادی و جنود اویند (۱۱) یعنی برودت غفلت وجهالت پاداش حرارت دوزخ است (۱۳) از تدارك و تقاویم گرما وسرما تعارض لطف و قهر ورحمت وغضب است و سبق رحمت برغضب پس میفرماید که قهر خدا که تمام آتش اثیر و غیره از آن یکذره است و برنار دوزخ فایق و غالب است باز سردی لطف و رحمتش بر قهرش سابق است ولی سبقی بیچون وچند چه سبق ولحوق بحسب تعینات اسمائیه است و اما بحسب مصداق اسماء یکی است .

سبق بیچون و چگونه و معنوی — سابق و مسبوق دیدی بی دوی ۱ — گر ندیدی این بود از فهم پست — که عقول خلق از آن کان یکجواست
عیب برخود نه نه بر آیات دین — کی رسد برچرخ دین مرغ گلین ۲ — مرغ را جولانگه عالی هواست — زانکه نشواو زشهوت وزهواست
پس تو حیران باش بی لا و بلی — تا ز رحمت پیشت آید تجلی ۳ — چون ز فهم این عجائب کودنی — گر بلی گوئی تکلف میکنی
ور بگوئی نی زند نی گردنت — قهر بر بندد بدان نی روزنت ۴ — پس همین حیران وواله باش وبس — تا در آید نصرحق ازپیش و پس
چونکه حیران گشتی وگیج و فنا — با زبان حال گفتی اهدنا ۵ — زفت زفتست وچولرزان مبشوی — میشود آن زفت نرم و مستوی
زانکه شکل زفت بهر منکرست ۶ — چونکه عاجزآمدی لطف و براست

نمودن جبرئیل علیه‌السلام خودرا بمصطفی صلی‌الله علیه و آله وسلم بصورت خویش واز هفتصد پر او چون یك پر ظاهر شد وافق را بگرفت آفتاب محجوب شد باهمهٔ شعاعش

مصطفی میگفت پیش جبرئیل — که چنانکه صورت تست ای خلیل[1] ۹ — مر مرا بنمای محسوس آشکار — تا ببینم من ترا نظاره وار
گفت نتوانی و طاقت نبودت — حس ضعیف است وتنك سخت آیدت ۱۰ — گفت بنما تا ببیند این جسد — تا چه حد حس نازکست و بیمدد
آدمی را هست حس تن سقیم[2] — لیك در باطن یکی خلق عظیم ۱۱ — بر مثال سنگ و آهن این تنه — لیك هست او درصفت آتش زنه
سنگ و آهن مولد ایجاد نار — زاد آتش زین دو والد قهر بار ۱۲ — باز آتش دستکار وصف تن — هست قاهر بر تن او و شعله زن
باز در تن شعله ابراهیم وار — که از او مقهور گردد برج نار ۱۳ — گر برآری از درونت آتشی — آتشت گردد مطیع و دلخوشی
لاجرم گفت آن رسول ذو فنون — رمز نحن الآخرون السابقون ۱۴ — ظاهر این دو بسندانی زبون — در صفت از کوه[3] آهنها فزون
پس بصورت آدمی فرع جهان — درصفت اصل جهان این را بدان ۱۵ — ظاهرش را پشهٔ آرد بچرخ — باطنش باشد محیط هفت چرخ
چونکه کرد الحاح و بنمود اندکی — هیبتی که کم شود زان مندکی ۱۶ — شهپری بگرفت[4] شرق وغرب را — از مهابت گشت بیهش مصطفی
چون زبیم وترس بیهوشش بدید — جبرئیل آمد در آغوشش کشید ۱۷ — آن مهابت قسمت بیگانگان — وان تجمش[5] دوستان را رایگان
هست شاهان را زمان بر نشست — هول سرهنگان و صارمها بدست ۱۸ — دور باش و نیزه و شمشیرها — که بلرزند از مهابت شیرها
بانگ چاووشان و آن چوگانها — که شود سست از نهیبش جانها ۱۹ — این[6] برای خاص و عام رهگذر — که کندشان از شهنشاهی خبر
از برای عام باشد این شکوه — تا کلاه کبر بنهند آن گروه ۲۰ — تا من و ماهای ایشان بشکند — نفس خود بین فتنه و شرکم کند
شهرازآن این شودکان شهریار — دارد اندر قهر زخم و گیر ودار ۲۱ — پس بمیرد آن هوسها در نفوس — هیبت شه مانع آید زان نحوس
باز چون آید بسوی بزم خاص — کی بود آنجا مهابت یا قصاص ۲۲ — حلم درحلم است و رحمتها بجوش — نشنوی از غیر چنگ ونی خروش
طبل وکوس وهول باشد وقت جنگ — وقت عشرت باخواص آواز چنگ ۲۳ — هست دیوان محاسب عام را — وان پریرویان گرفته جام را
آن زره وان خود درجنگ و دغا — وین شراب و نقل در بزم صفا ۲۴ — ❀جوشن وخود است مر چالیش را — وین حریر و برد مر تعریش را
این سخن پایان ندارد ای جواد — ختم کن والله اعلم بالرشاد ۲۵ — اندر احمد آن حسی کو غاربست — خفته ایندم زیر خاك یثربست
وان عظیم الخلق او کان صفدرست — بی تغیر مقعد صدق اندرست[7] ۲۶ — قابل تغییر اوصاف تن است — روح باقی آفتاب روشن است
اوست بی تغییر[8] لا شرقیة[9] — بی ز تبدیلی که لا غربیة[10] ۲۷ — آفتاب از ذره کی مدهوش شد — شمع از پروانه کی بیهوش شد
جسم احمد را تعلق بد بدان[11] — آن تغیر آن تن باشد بدان ۲۸ — همچو رنجوری وهمچون خواب ودرد — جان ازین اوصاف باشد پاك وفرد
خود نتانم ور بگویم وصف جان — زلزله افتد در این کون و مکان ۲۹ — رو بهش گر یکدمی آشفته بود — شیر جان مانا که آندم خفته بود
خفته بود آن شیر کز خوابست پاك[12] — اینت شیر نرم سار سهمناك[13] ۳۰ — خفته سازد شیر خود را آنچنان — که تمامش مرده دانند این سگان
ورنه در عالم کرا زهره بدی — کو ربودی از ضعیفی تربدی ۳۱ — نقش[14] احمدزان نظر بیهوش[15] گشت — بحراو ازمهر کف پرجوش گشت[16]
مه همه کفست معطی نور پاش — ماه را گر کف نباشد کو مباش ۳۲ — احمد ار بگشاید آن پر جلیل — تا ابد مدهوش ماند جبرئیل
چون گذشت احمد ز سدره مرصدش — وز مقام جبرئیل و از حدش ۳۳ — ❀گفت اورا هین بپر اندر بیم — گفت رو رو من حریف تو نیم
باز گفتا کز بیم آی و مایست — گفت رو زین پس مرا دستور نیست ۳۴ — بازگفت اورا بیا ای پرده‌سوز[17] — من باوج خود نرفتستم هنوز
گفت بیرون زین حد ای خوش فر من — گر زنم پری بسوزد پر من ۳۵ — حیرت اندرحیرت آمد زین[18] قصص — بیهشی خاصگان اندر اخص
بی هشیها جمله اینجا بازی است — چند جان داری که جان پردازی است ۳۶ — جبرئیلا گر شریفی ور عزیز — تو نهٔ پروانهٔ آن شمع نیز
شمع چون دعوت کند وقت فروز — جان پروانه نپرهیزد ز سوز ۳۷ — این حدیث منقلب را گور کن — شیر را بر عکس صید گور کن
بند کن مشك سخن پاشیت را — وا مکن انبان قلماشیت[19] را ۳۸ — آنکه برنگذشته اجزاش از زمین — پیش او معکوس وقلماشیست این

---

۱ ـ جلیل ۳ ـ کان ۵ ـ تلطف ٦ ـ از ۸ ـ بی ز تغییری که ۱۰ـ نیست لاغربیة هست امر کن ۱۳ـ خشمناك ۱٤ـ کف ۱۵ ـ مخدوش ۱۷ ـ بنگر کنوز ۱۸ ـ این (ن . ل)

---

(۲) آدمی چیست برزخی جامع صورت خلق وحق درآن واقع متصل باحقایق جبروت مشتمل بررقایق ملکوت ظاهرش خشك لب بساحل فرق ❀ باطنش درمحیط وحدت غرق (٤) در حدیث است که رآه وقد طبق الخافقین (۷) اشاره است بکریمهٔ فی مقعد صدق عند ملیك مقتدر (۹) اشاره است است بآیه واقعه در سوره نور یوقد من شجرة مبارکه لاشرقیة و لا غربیه (۱۱) یعنی جسم احمد را تعلق بآن روح مطهر بود نه روح آنرا تعلقی بجسم آن (۱۲) زیرا که عقل کل را خواب نیست که خواب رکود قوای حسیه ظاهره و بعضی از مجرکه است پس وصف تن است (۱٦) صورت ظاهر تن احمد علیه‌السلام بیهوش شد اما بحر معنی او از مهر یعنی آفتاب معنی یا از مهر حق پس کفش پر بود و از جوش و خروش عشق مملو و ثانیاً استدراك میکند که کف صوری مراد نیست که وجودش همه بدالله و کف مبسوط است (۱۹) معنی این کلمه بیهوده گوئی است .

لا تخالفهم حبیبی دارهم — یا غریباً نازلاً فی دارهم — یا ظعیناً ساکناً فی ارضهم [1]
تا رسیدن درشه و در ناز خوش — رازیا با مرغزی می‌ساز خوش — نرم باید گفت قولاً لینا [2]
آب اگر در روغن جوشان کنی — دیگدان و دیگ را ویران کنی — وسوسه مفروش در لین‌الخطاب
وقت عصر آمد سخن کوتاه کن — ای که عصرت عصررا آگاه کن [3] — نرمی فاسد مکن طینش مده
نطق جان را روضهٔ جا نیستی — کزحروف و صوت مستغنیستی — ای بسا کس را که بنهادست خار
ظن‌ببرد از دور کاین‌آنست وبس — چون قبح مغلوب وامیرفت پس — در رز معنی و فردوس برین
ای ضیاءالحق حسام الدین درآر — این سرخررا از این [4] بطیخ زار — نشور دیگر باشدش [5] زین مبطخه
هین ز ما صورت‌گری وجان زتو — نی‌غلط هم این زتو هم آن زتو — هم جهت هم نور و ارکانش توئی
برفلك محمودی ای‌خورشید فاش — برزمین هم تا ابد محمود باش — یك دل و یك قبله ویك‌خوشوند
تفرقه برخیزد و شرك و دوئی — وحدتست اندر وجود معنوی [6] — یاد آرد اتحاد ماجرا
موسی و هرون شوند اندر زمین — مختلط خوش همچوشیر و انگبین — منکری اش پردهٔ ساتر شود
پس شناسائی بگردانید رو — خشم کرد آن مه زناشکری او — تا شناسا گشت و پشت پای زد
این‌همه‌خواندی فروخوان لم‌یکن [7] — تا بدانی لج آن گبر کهن — نعت او هر گبر را تعویذ بود
کاینچنین کس هست یا آید پدید — از خیال روش دلشان می طپید — در عیان آریش هر چه زود تر
تا بنام احمد از یستفتحون [8] — یاغیانشان می شدندی سر نگون — غوثشان کرآری احمد بدی
هر کجا بیمارئی مزمن بدی — یاد او شان داروی شافی شدی — در دل و در گوش ودر افواهشان
نقش اورا کی بیابد هر شغال — بلکه فرع نقش او یعنی خیال — از دل دیوار خون دل چکد
آن چنان فرخ بود نقشش برو — که رهد در حال دیوار از دورو — آن دو روئی عیب مر دیوار را
این همه انکار وکفران زادشان — چون در آمد سید آخر زمان — چون بدیدندش بصورت برد باد
قلب آتش دید و در دم شد سیاه — قلب را در قلب کی بودست راه [10] — تا مریدان را در اندازد بشك
افتد اندر دام مکرش نا کسی — این گمان سربر زند از هرخسی — کی بسنگ امتحان راغب شدی
هیچ اولاف محك‌دیدن زدی — یا بسنگ امتحان شوقش بدی — که نگردد قلبی او زان عیان
گر بگویم تا قیامت زین‌کلام — صد قیامت بگذرد و این ناتمام — نی محك باشد نه نور معرفت
آینه کو عیب رو دارد نهان — از برای خاطر هر قلبشان — اینچنین آینه را هرگز مجو
آینه جو راست گوئی بی نفاق — ختم کن والله اعلم بالوفاق [11] — که نمائی عرش را همچون سها [12]
عرش چه و چرخ چه ای ذولباب — فهم کن والله اعلم بالصواب

اعط ماشاؤا و راموا و ارضهم — ۱
موسیا در پیش فرعون زمن — ۲
نرم گو لیکن مگو غیر صواب — ۳
گوی مر گلخواره را که قند به — ۴
این سر خر در میان قند زار — ۵
صورت حرف آن سرخر دان یقین — ۶
تا سر خر چون بمرد از مسلخه — ۷
مثنوی صورت بود جانش توئی — ۸
تا زمینی با سمائی بلند — ۹
چون شناسد جان من جان ترا — ۱۰
چون شناسد اندك او منکر شود — ۱۱
زین سبب جان نبی را جان بد — ۱۲
پیش ازآن که نقش‌احمد فرنمود — ۱۳
سجده میکردند کای رب بشر — ۱۴
هر کجا حرب مهولی آمدی [9] — ۱۵
نقش او میگشت اندر راهشان — ۱۶
نقش او بر روی دیوار اوفتد — ۱۷
گشته با یك روئی اهل صفا — ۱۸
آنهمه تعظیم و تفخیم و وداد — ۱۹
قلب می‌زد لاف اشواق محك — ۲۰
کاین اگر نه نقد پاکیزه بدی — ۲۱
او محك میخواهد اما آن چنان — ۲۲
آن محك که او نهان داردصفت — ۲۳
آینه نبود منافق باشد او — ۲۴
تا که عین آینه ات سازد خدا — ۲۵
فهم کن والله اعلم بالصواب — ۲۶

تم المجلد الرابع من المثنوی المعنوی

---

۴ - در این ۵ - بهشدش ۹ - می شدی ۱۱ - بالرفاق ۱۲ - سما (ن . ل)

---

(۱) مخالفت مکن با ایشان و مدارا کن با آنها ای دوست من ای مسافر غریب فرود آمده در سرای ایشان ببخش بایشان هنر چه می خواهند و می طلبند و راضی دار ایشان‌را ای‌مسافر جا گرفته درزمینهای ایشان (۲) آیه شریفه درسورهٔ طه‌است فقولوا له قولالینا (۳) مراد حسام الدین است و مقصود آنست ای حسام‌الدینی که عصر توعصر را آگاه کننده‌است (۹) وجود معنوی باصطلاح صوفیه عبارتست ازولادت ثانیه که بیرون آمدن سالکست از مشیمهٔ طبیعت و احکام آن و هرگاه وجود سالك باینمرتبه رسید واز طبیعت واحکام برآمد و تفرقه و شرك و دوئی برخاست بوحدت محض فایز گشت (۷) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ بینه که میفرماید لم یکن الذین کفروا من اهل الکتاب و المشرکین منفکین حتی تأتیهم البینه (۸) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ بقره و کانوا یستفتحون علی الذین کفروا فلما جائهم ماعرفوا کفروا به فلعنةالله علی الکافرین (۱۰) خوش بودگرمحك تجربه‌آید بمیان تا سیه روی شود هرکه دراوغش باشد ازقلب اول ناسره ودومی دل مراد است .

مثنوی معنوی

مناسبت هفتصد و پنجاهمین سال ولادت

مولانا جلال الدین محمد بلخی رومی

در سال ۱۳۱۶ هجری قمری چاپ شده

بقلم خاور

مثنوی معنوی

مولانا جلال الدین محمد بلخی رومی

شرح حال مولانا ملخصی از آثار مولانا، کتاب مجالس سبعه مولانا، شرح ابیات مشکله مثنوی، ذیل صفحات، دفتر هفتم منسوب بمولانا، کشف الابیات جامع، لطائف اللغات

مرحوم حاجی علی اصغر رمضانی کتابفروش

روز ۱۲ مهر ۱۲۵۰ هجری شمسی بدنیا آمد و شب ۲۰ آذر ۱۳۱۶ هجری شمسی دنیا را بدرود گفت

بپاس سی و سه سال عمری که برای تربیت من بنده صرف کرد

پنج سال زحمتی که برای تصحیح و مقابله و چاپ مثنوی کشیده‌ام

بروان پاکش تقدیم میدارم

و آرزو دارم توفیق یابم سی و سه جلد کتاب نفیس اخلاقی و دینی بنام او چاپ نموده تقدیم دوستداران اخلاق و دین و فرهنگ بنمایم

محمد رمضانی

مثنوی معنوی

مولانا جلال الدین محمد بلخی رومی

شرح حال مولانا ملخصی از آثار مولانا، کتاب مجالس سبعه مولانا، شرح ابیات مشکله مثنوی و ذیل صفحات، دفتر هفتم منسوب بمولانا، کشف الابیات جامع، لطائف اللغات

تصحیح و مقابله و همت

محمد رمضانی

دارندهٔ کلالهٔ خاور

از سال ۱۳۱۵ تا سال ۱۳۱۹ در تهران چاپ شد

بها صد ریال

چاپخانهٔ خاور «تهران»

تصویر مولانا محفوظ در تکیه یکی قاپو اسلامبول

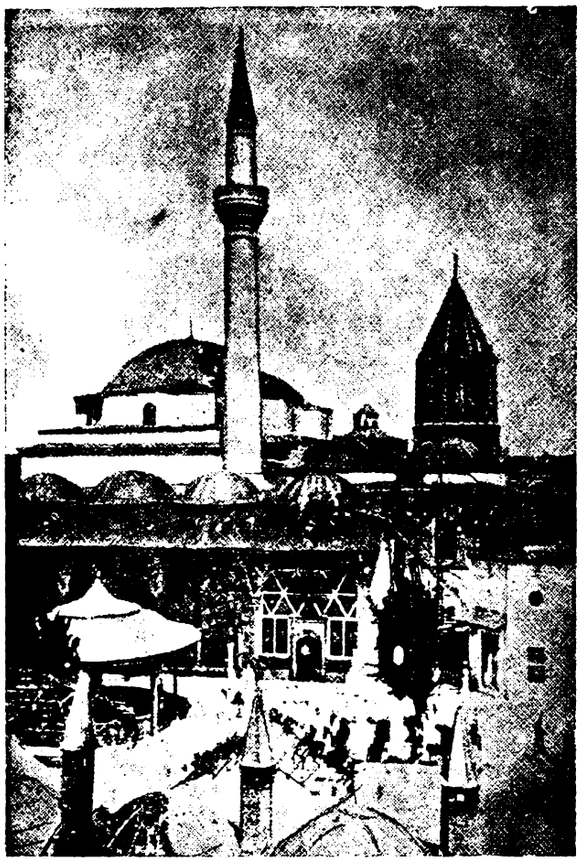

قبه خضرا و تربت شریف مولانا و یاران

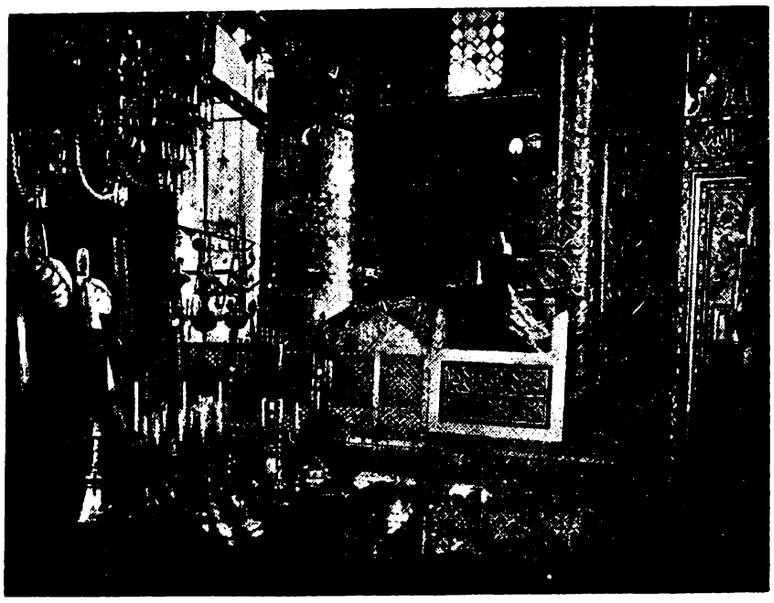

تربت مولانا

سر آغاز

کم کسیست که بادبیات پارسی و شعر و عرفان آشنائی داشته باشد و عارف نامی جلال الدین محمد بلخی مشهور بمولانای، روم قدس سره سرایندهٔ مثنوی معنوی را که یکی از بزرگترین نوابغ ایران و درخشنده ترین ستارهٔ فروزان مشرق است نشناسد. و کمتر کتاب تاریخ و تذکره ایست که از حالات و جذبات مولانا در آن ذکری نشده باشد

در مقدمهٔ بیشتر چاپهای مثنوی ترجمهٔ مختصری که حاجی زین العابدین مستعلیشاه شروانی در بستان السیاحه خود نگاشته نقل شده است و آن خلاصه و عصارهٔ کلیهٔ شروحی است که پیشینیان از احوال این بزرگترین مردان رسیدهٔ راه حقیقت نوشته اند

خوشبختانه در سالهای اخیر سه رساله ذیقیمت در ترجمهٔ حال و تتبع شخصیت مولانا بخامهٔ نویسندگان دانشمند معاصر طبع و نشر شده است :

(۱) ولدنامه یا مثنوی ولدی اثر شیخ بهاء الدین محمد معروف به سلطان ولد فرزند روحانی و جسمانی مولانا با مقدمه و تعلیقات آقای جلال همائی که در حدود ده هزار بیت و قدیمترین و صحیحترین سند تاریخی است که از خصوصیات زندگانی مولانا جلال الدین و پدرش بهاء الدین محمد ملقب بسلطان العلماء و یاران برگزیدهٔ وی سید برهان الدین محقق ترمدی و شمس الدین محمد تبریزی و صلاح الدین فریدون قونیوی و حسام الدین حسن چلبی و اصحاب و مریدان او بحث میکند

سلطان ولد برسر هر فصل و عنوان منظومهٔ ولدنامه نثرهای شیرینی نوشته است که اگر آنهارا جمع کنند رسالهٔ بسیار ساده و فصیحی در مطالب عرفانی و تاریخی و خلاصهٔ طریقهٔ مولویه که بیشتر آداب و رسوم قدیمش مولود خود اوست فراهم خواهد شد

(۲) شخصیت مولوی نگارش آقای حسین شجره که در ۲۳۸ صفحه با قلمی شیوا از اصل و منشأ تصوف و نبوغ عقل از نظر عرفان و نفوذ تصوف ایران در شرق و غرب و حالات مولانا و تدوین مثنوی معنوی و معنی و مفهوم اشعار مولوی و گفتار و نظریات مستشرقین و فضلای غرب در بارهٔ مولانا و مثنوی بحث کرده اند

(۳) رساله در تحقیق احوال و زندگانی مولانا جلال الدین محمد مشهور بمولوی و مشایخ و یاران و مریدان و معاصرین او نگارش محققانهٔ آقای بدیع الزمان فروزانفر با ۱۵ گراور و یک شجره نامه در ۲۳۲ صفحه که علاوه بر تتبعات دانشمندانهٔ خود از ده منبع قدیمی بسیار معتبر و از مجموعهٔ یادداشتهائی که آقای کاظم زادهٔ ایرانشهر در برلن از گفتهٔ بازماندگان و معتقدان مولانا گرد آورده استفاده کرده اند

اگرچه با انتشار این سه رساله احتیاج بنوشتن شرح حال در مقدمهٔ مثنوی خود نداشتیم ولی برای کسانیکه دسترسی بمطالعهٔ آثار نامبرده نداشته باشند اختصاری از ولد نامه و عین مقالهٔ بستان السیاحه و خلاصه ای از تحقیقات آقای فروزانفر را در رساله زندگانی مولانا با مراجعه بشرح حال مولانا بقلم سپهسالار بترتیب مینویسیم و در خاتمه از آثار مولانا و مزایای مثنوی حاضر بحث نموده و بفهرست جامعی از مطالب مثنوی گفتار خود را خاتمه میدهیم

محمد رمضانی

از کتاب ولدنامه

مرید شدن سید برهان الدین محقق مولانا بهاء الدین را و خواب دیدن مفتیان پیغمبر را

گفت برهان دین محقق حق — سبق برده ز سابقان بسبق
سخنش را هر آنکه بشنودی — دایم اورا بصدق بستودی
در جوانی ببلخ چون آمد — خواست کان جایگاه آرامد
جد مارا چو دید آن طالب — که بر و بود عشق حق غالب
لقبش بد بهاء دین ولد — عاشقانش گذشته از عد و حد
جمله اجداد او شیوخ کبار — همه در علم و در عمل مختار
اصل اورا نسب ابوبکری — زانچو صدیق داشت او صدری
مثل او کس نبود در فتوی — از فرشته گذشته در تقوی
بود اندر همه فنون استاد — حق بوی علم را تمام بداد
خوانده سلطان عالمان اورا — مصطفی قطب انبیاء خدا
مفتیان بزرگ اندر خواب — دیده یك خیمهٔ کشیده طناب
مصطفی اندرون خیمه بناز — زده تکیه بصد هزار اعزاز
ناگهانی بهاء دین ولد — از در خیمه اندرون آمد
مصطفی چون بدید جست از جا — پیش رفت و گرفت دستش را
برد پهلوی خویش بنشاندش — زان ملاقات گشت بیحد خوش
گفت از آنپس بمفتیان اینرا — که از امروز این شه دینرا
جمله سلطان عالمان گوئید — در رکابش بجان و دل پوئید
بامدادان باتفاق همه — از سر صدق بی نفاق همه
بر درش آمدند تا گویند — سر آن خواب را ازو جویند
پیش از آنی که دم زنند او گفت — خوابشانرا و سر نکرد نهفت
دادشان از مقام و حال نشان — وقعه را کرد بالتمام بیان
جمله پیشش فغان بر آوردند — بی دف و نای شورها کردند
گشت سید مریدش از دل و جان — تا روانرا کند ز شیخ روان
در مریدی رسید او بمراد — زانکه شیخش عطای بیحد داد
چشمهٔ عشق از دلش جوشید — جان او بادهٔ بقا نوشید
جمله غمهاش ذوق و شادی شد — سوی عشقش چو شیخ هادی شد
خار هجرش ز وصل گلشن گشت — شب تارش چو روز روشن گشت
مس جانش ز نار عشق گداخت — گشت زر چون به کیمیا در ساخت
عاقبت قطب گشت در عالم — سجده گاه ملك شد و آدم

رنجیدن سلطان العلماء از بلخیان و هجرت گزیدن از خراسان

چونکه از بلخیان بهاء ولد — گشت دلخسته آن شه سرمد
ناگهش از خدا رسید خطاب — کای یگانه شهنشه اقطاب
چون ترا این گروه آزردند — دل پاك ترا زجا بردند
بدر آ از میان این اعدا — تا فرستیمشان عذاب و بلا
چونکه از حق چنین خطاب رسید — رشتهٔ خشم را دراز تنید
کرد از بلخ عزم سوی حجاز — زانکه شد کار گر در او آن راز
بود در رفتن و رسید خبر — که از آن راز شد پدید اثر
کرد تاتار قصد آن کشور — منهزم گشت شاه شوم اختر
بلخ را بستد و بزاری زار — کشت از آن قوم بیحد و بسیار
نتوان گفت در ره آن سلطان — که چها داده با کهان و مهان
چه کرامانها که در هر شهر — مینمود آن عزیز روزبهٔ دهر
گر شوم من بشرح آن مشغول — فوت گردد از آن سخن مأمول
آمد از کعبه در ولایت روم — تا شوند اهل روم ازو مرحوم
از همه ملک روم قونیه را — برگزید و مقیم شد آنجا
رو نهادند سوی او خلقان — از زن و مرد و طفل و پیر و جوان
آشکارا کرامتش دیدند — زو چه اسرارها که بشنیدند
چند روزی بر این نسق چو گذشت — که و مه مرد و زن مریدش گشت
گشت سلطان علاء دین چون دید — روی اورا بعشق و صدق مرید
چونکه وعظش شنید شد حیران — کرد اورا مقام در دل و جان
دید بسیار ازو کرامت ها — یافت در خویش ازو علامتها
گفت دل لرزدم ز هیبت او — می هراسم بگاه رؤیت او
هیبتی میزند ازو بر من — که از آن لرزه می فتد در تن
شد یقینم که او ولی خداست — در جهان نادر است و بیهمتاست
دائماً با خواص این گفتی — روز و شب در مدح او سفتی

مردن سلطان العلماء و نشستن مولانا جلال الدین بجای پدر

بعد دو سال آن ولی خدا — سر ببالین نهاد او ز عنا
شاه شد از عنای او محزون — هیچ از این غصه اش نماند سکون
چون بهاء ولد نمود رحیل — شد ز دنیا بسوی رب جلیل
نار در شهر قونیه افتاد — از غمش سوخت بنده و آزاد
در جنازه اش چو روز رستاخیز — مرد و زن گشته اشك خونین ریز
علما سر برهنه و میران — جمله پیش جنازه با سلطان
شه ز غم هفت روز بر ننشست — دل چون شیشه اش ز درد شکست
هفته ای خوان نهاد در جامع — تا بخوردند قانع و طامع
تعزیه چون تمام شد پس از آن — خلق گرد آمدند پیر و جوان

همه کردند رو بفرزندش که توئی در جمال مانندش
شیخ مازین سپس توخواهی بود از توخواهیم جمله مایه وسود
شست برجای وی جلال الدین روبدو کرد خلق روی زمین
مفتی شرق وغرب گشت بعلم از جهان جهل درنوشت بعلم
رایت شرع احمدی افراخت هرکه دین داشت خواجه را بشناخت
بیقراران شدند ازاوساکن همه در ظل او زخوف ایمن

آمدن سید برهان الدین محقق ترمدی بقونیه

مدتی چون بماند در هجران طالب شیخ خویش شد برهان
گشت بسیارو اندر آخر کار داد با وی خبر یکی زکبار
گفت شیخت بدان که درروم است نیست پنهان بجمله معلوم است
آمداز عشق شیخ خودتازان با هزاران تبختر و نازان
گشته ازشیخ پرچوجام ازمی همچنان کز شکر شود پرنی
چونکه شادان بقونیه برسید شیخ خودرا ازشهریان پرسید
همه گفتند آنکه میجوئی هرطرف بهر او همی پوئی
هست سالی که رفت از دنیا رخت خودرا کشید درعقبی
جسم خاکیش رفت اندرخاك جان پاکش گذشت ازافلاك
گفت سید که شیخ اندرماست همچوروغن نهان شده درماست
عین شیخم زمن نماند اثر هیچ دیدی شکرجدا زشکر
آب اگر درمز رکوزه بود عاقل از کوزه ها زره نرود
آب جوید زکوزه تابخورد تشنه درنقش کوزه کی نگرد
خلق راپس بخویش دعوتکرد گشت ازجان غلام اوزن ومرد
شهر جمله مرید او گشتند در درون تخم مهر او کشتند

مرید شدن مولانا جلال الدین بسید و رسیدن بمقام قطبیت

گفت سید بشه جلال الدین گرچه درعلم نادری وگزین
لیك بدوالدتو صاحب حال جوی آنرا و درگذر ازقال
قال اورا گرفته ای بدودست همچومن شوزحال اوسرمست
وارث والدی تو اندرپوست مغزمن برده ام نگردردوست
از مرید پدر چو آن بشنید گشت جان و بگرد تن نتنید
شد مریدش زجان وسربنهاد همچو مرده به پیش او افتاد
بود در خدمتش بهم نه سال تاکه شد مثل او بقال وبحال
همسرو سر شدند در معنی زانکه یکدل بدند در معنی
ناگهان سید از جهان فنا کرد رحلت سوی سرای بقا
ماند بی او جلال دین تنها روزوشب کردروی سوی خدا
خواب وخورراد رآنهوس بگذاشت علم جستجوی را افراشت
پنج سال این چنین ریاضت کرد ازسرصدق و سوزوناله ودرد
عمل و دردراچو کرد قرین رفت همچون ملك بچرخ برین
خاص وعامش مریدوبنده شدند چون نبات از بهار زنده شدند
ده هزارش مرید بیش شدند گرچه اول زصدق دور بدند
وعظ گفتی همیشه برمنبر گرم وگیرا چو وعظ پیغمبر
صیت خوبش گرفت عالم را کرد زنده روان آدم را

رسیدن مولانا جلال الدین بشمس تبریزی و تغییر حال او

ناگهان شمس دین رسیدبوی گفت انی ز تاب نورش فی
از ورای جهان عشق آواز برسانید بی دف و بی ساز
گفت اگرچه بباطنی تو گرو باطن باطنم من این بشنو
دعوتش کرد در جهان عجب که ندید آن بخواب ترك وعرب
نزد یزدان چو بود مولانا از همه خاصتر بصدق و صفا
خضرش بود شمس تبریزی آنکه با او اگر در آمیزی
هیچکس را بیك جوی نخری برده های ظلام را بدری
بعد بس انتظار رویش دید گشت سرها براوچوروز پدید
شد براو عاشق وبرفت ازدست گشت پیشش یکی بلندی وپست
دعوتش کردسوی خانهٔ خویش گفت بشنو شها ازین درویش
پس از آن هردوخوش روانه شدند شادوخندان بسوی خانه شدند
شیخ استاد گشت نو آموز درس خواندی بخدمتش شب وروز
گرچه درعلم فقر کامل بود علم نو بود کان بسوی بنمود

حسدبردن مریدان مولانا برشمس

یکزمانی بهم همی بودند مدت یک دو سال آسودند
غیرت حق در آمدو ناگاه فج فج افتاد در همه افواه
در شناعت در آمدند همه آن مریدان بیخبر چورمه
گفته باهم که شیخ ما زچه رو پشت برما کند زبهر چه او
ما همه عاشقیم در ره شیخ بندهٔ صادقیم در ره شیخ
شده ما را یقین که مظهر حق اوست بی شك وزاو بریم سبق
چه کس است اینکه شیخ ما را او برداز جا چو یك کهی راجو
کرد اورا زجمله خلق نهان می نیابد کسی زجاش نشان
ساحراست این مگر بسحروفسون کردبرخویش شیخ را مفتون
همه درفکر این که کی ازشهر رود او یا فنا شود از قهر
جمله گشته بخون او تشنه ساخته بهر کشتنش دشنه
چون غلوشان براوزحد بگذشت دشمنیشان زحدوعد بگذشت
شمس تبریز رفت سوی دمشق تاشود پردمشق وشام زعشق
چون حزین شد زهجر مولانا گشت معرض زجمله آن دانا
دوستی را از آن نفر ببرید مرغ مهرش زلانه شان بپرید
چونکه آن رایشان نیامد راست عکس شد آنچه هریکی میخواست
گفته بودند اگر رود زینجا ماند آن شاه ما بما تنها
باردیگر زپندهای خوشش بجهیم ازجهان و پنج وششش
آنگروهی که بودشان غفلت کرده بودند از سفه جرأت
پیش شیخ آمدند لابه کنان که ببخشا مکن دگر هجران
توبهٔ ما بکن زلطف قبول گرچه کردیم جرمها ز فضول

فرستادن مولانا بهاء الدین ولدرا

بود شه را عنایتی بولد در نهان اندرون برون از خد
خواند اورا وگفت رو تورسول ازبرم پیش آن شه مقبول
ببر این سیم را بپایش ریز گویش از من که ایشه تبریز
آن مریدان که جرمها کردند زانچه کردند جمله واخوردند
همه سازند از دل و ازجان جانشان را فدای آن سلطان
رنجه کن اینطرف قدم را باز چند روزی بیا و با ما ساز
آنچه ازما سزیدا گر کردیم همچوخار خلنده سر کردیم
همچنین زین نمط بوی میگو دل او را بلابه ها میجو
باشد این گر بودمرا آن بخت نرم گردد نگیرد این را سخت
دهدم باز وصل از سرلطف بهلد هجر و بگذرد از عنف
پس ولد سر نهاد والد را شکر کرد اوخدای واحد را
گشت ازجان روان بسوی دمشق راه را میبرید از سر عشق
چون رسید او بنزد شمس الدین آن شه اولیای با تمکین
در سخن آمد و درر بارید در دل و سینه عشق نو کارید
سر سر حدیث وقرآن گفت کرد پیدا سری که بود نهفت
بی پرش بر فلك بپرانید بی تنش گرد عرش گردانید
حجب از پیش چشم دل برداشت شب تاریك را نمود چوچاشت
ظلمت از تن ببرد و ازدل وجان تاروان گشت همچو سیل روان

بازگشت ولد بقونیه در رکاب شمس الدین

چون شنید از ولد رسالت را خوش پذیرفت آن مقالت را
باز گشت ازدمشق جانب روم تا رسد در امام خود مأموم
شد ولد در رکاب او پویان نزضرورت ولی زصدق وزجان
در ره از وی هزار سربشنید صدجهان از ورای چرخ بدید
چون رسیدند پیش مولانا نوش شد جمله نیش مولانا
وانجماعت که منکران بودند منکر قطب آسمان بودند
جمله شان جانفشان باستغفار سر نهادند کای خدیو کبار
از سر صدق روی آوردیم توبه کاریم از آنچه ما کردیم
بعداز آن جمله ازوضیع وشریف حلقه گشتند گرد شاه ظریف
پهلوی شه نشسته مولانا چون دوخور که زنند سرزسما
شمس تبریز در سخن آمد زنده شد آنکه فهم کن آمد
هریکی زان سخن بعشق پرید هر یکی از خودی تمام برید

از امیر و توانگر و درویش هریکی قدر وسع وطاقت خویش
بخشش آورد و میهمانی کرد تا شود یار مهربانی کرد
مدتی این چنین گذشت زمان در حضور شهان هردو جهان
آن دو شه چون بهار وایشان دشت همه را تازه گشته زیشان کشت
شاخ و برگ درونشان پربار رسته بیخار هر طرف گلزار
درچنین عیش و درچنین وصلت همه پر نورو غرق در رحمت

گستاخی مریدان و ناپدید گشتن شمس الدین

باز شیطان بصورتی دیگر زد درایشان کدورتی دیگر
رخت اعمال جمله را دزدید هر یکی زاعتقاد برگردید
باز گشتند همچو اول بار می ومستی گذشت وماند خمار
روشنی شد بدل به تاریکی صحت تن به رنج باریکی
باز چون شمس دین بدانست این که شدند آن گروه پر از کین
گفت او باولد که دیدی باز چون شدند از شقا همه دمساز
که مرا از حضور مولانا که چو او نیست هادی ودانا
فکنندم جدا و دور کنند بعد من جملگان سرور کنند
خواهم این بار آنچنان رفتن که نداند کسی کجایم من
همه گردند در طلب عاجز ندهد کس زمن نشان هرگز
ناگهان گم شد از میان همه تا رهد از دل و زبان همه
یکدو روز او چو گشت ناپیدا کرد افغان زدرد مولانا
هیچ از وی کسی نداد خبر نی بکس بورسید ازاو نه اثر
شیخ گشت از فراق او مجنون بی سرو پا زعشق چون ذوالنون

استغراق و بیقراری مولانا از فراق شمس الدین

شیخ مفتی ز عشق شاعر شد گشت خمار اگر چه زاهد بد
نی زخمری که او بود زانگور جان نوری نخورد جز می نور
روز وشب در سماع رقصان شد برزمین همچو چرخ گردان شد
بانگ و افغان او بعرش رسید ناله اشرا بزرگ و خرد شنید
غلغله اوفتاد اندر شهر شهر چه بلکه در زمانه ودهر
کاین چنین قطب ومفتی اسلام کوست اندر زمانه شیخ وامام
شورها میکند چو شیدا او گاه پنهان و گه هویدا او
خلق ازوی زشرع ودین گشتند همگان عشق را رهین گشتند
حافظان جمله شعرخوان شده اند به سوی مطربان دوان شده اند
عاشقی شد طریق ومذهبشان غیر عشق است پیششان هذیان

رفتن مولانا درجستجوی شمس الدین بجانب شام

باچنان مستی و چنین جوشش باچنان عشق و باچنان کوشش
کرد آهنگ ورفت جانب شام در پیش شد روانه پخته و خام
چون رسید اندر آن سفر بدمشق خلق را سوخت او ز آتش عشق
همه گشتند عاشقش ازجان دیده در درد او دوصد درمان
جمله ازجان مرید و بنده شدند همچو سایه پیش فکنده شدند
شامیان هم شدند واله او کاینچنین فاضل پیمبر خو
ازچه گشته است عاشق ومجنون کاندرو مدرج است صدذوالنون
شمس تبریز خود چه شخص بود تا پیش این چنین یگانه رود
گفت اگرچه به تن ازو دوریم بی تن و روح هر دو یکنوریم
هردو باهم بدیم بی تن وجان پیش از آن کاین فلك شود گردان
بی زمین و زمان بهم بودیم از وجود جهان نیفزودیم
حالت ما بهم نمی ماند کیست کاحوال ما عیان داند
شمس تبریز را بشام ندید در خودش دید همچو ماه پدید
کرد رجعت بروم باز آمد رفت چون کبك وهمچو باز آمد
قطره اش چون فزود دریا شد بود عالی ز عشق اعلی شد
مطربانرا بخواند از سر او بی سر و پا ببام و بر در او
روز وشب یکدمش قرار نبود بی قدح خمر عشق می پیمود
حیرت خلق شد در او افزون کاین چه شور است واینچگونه جنون
چندسالی نشست وباز زعشق رفت با جمله خلق سوی دمشق
باز آنجا فکند صد غوغا جمله گفته عجب زهی سودا
ماهها در دمشق ساکن شد عاشقی کی ز عشق ساکن شد

بازگشتن مولانا بقونیه وبرگزیدن صلاح الدین زرکوب قونوی

بعداز آن باز گشت جانب روم تا زند بر جبین شیر رقوم
سرزد از چرخ روح آنخورشید تاسها را کند پر از ناهید
گفت چون من ویم چه میجویم عین اویم کنون زخود گویم
وصف حسنش که میفزودم من خودهمان حسن ولطف بودم من
درچنین جوش یک مرید از او یافت قربت سوار گشت نکو
لقبش بود شه صلاح الدین قطب هفت آسمان وهفت زمین
چون ورا دید شیخ صاحب حال برگزیدش ززمرهٔ ابدال
روبدو کرد وجمله را بگذاشت غیر او را خطا وسهو انگاشت
گفت از روی مهر بایاران نیست پروای کس مرا بجهان
سرشیخی چو نیست درسر من نبود هیچ مرغ همپر من
پس ازین جمله سوی او پوئید همه ازجان وصال او جوئید
پس ولدرا بخواند آنحق بین گفت بنگر رخ صلاح الدین
نظرش کیمیاست بر تو فتد رحمت کبریاست بر تو فتد
برهاند ترا ز مرگ و فنا برساند به تخت ملك بقا
کندت بر علوم سر دانا جمله اسرار ازو شود پیدا

آرام گرفتن مولانا با صلاح الدین از طلب شمس وحسد بردن مریدان

شورش شیخ گشت ازو ساکن وآنهمه رنج و گفتگو ساکن
زانکه بد نوع دیگر ارشادش بیشتر بود از همه دادش
آنچه از اولیا نبردی کس سالها میرسید ازو بنفس
شیخ با او چنانکه باآن شاه شمس تبریز خاص خاص اله
نظر شیخ جمله بروی بود غیر او نزد شیخ لاشی بود
ننشستی بهیچکس جز او چشم را بر نداشتی زان رو
باز در منکران غریو افتاد سخت درهم شدند اهل فساد
باز آغاز کرد جوش حسد زانکه بودند غرق نفس وجسد
گفته باهم کز آن یکی رستیم چون نگه میکنیم درشستیم
کاش کان اولینه بودی باز شیخ مارا رفیق و هم دمساز
نبداز قونیه بد از تبریز بود جان پرورونبد خونریز
همه این مرد را همیدانیم همه هم شهریم و هم خوانیم
نی وراخط وعلم ونی گفتار بر ما خود نداشت او مقدار
دائما در دکان بدی زرکوب همه همسایگان ازو در کوب
آنکسانیکه منکران بودند از ازل کور وهم کران بودند
ازخود او را بنقص کرده نظر جان جانرا شمرده چون پیکر
که چسان ترهات میگفتند از غم و غصه شب نمی خفتند
پیش ازین جاش بود صف نعال فخر کردی زما میان رجال
چون شود اینکه او را اکنون شیخ خوانیم بل زشیخ افزون
زین نمط فحشهای زشت ودرشت گاه گفته بروش و گه پس پشت
جمله را رأی اینچنین افتاد که چو زاسب مراد زین افتاد
سر ببازیم و زنده اش نهلیم چون ازو جان فکار وخسته دلیم
یك مریدی برسم طنازی شد از ایشان و کرد غمازی
درهمان لحظه نزد مولانا آمد و گفت این حکایت را
پس رسید این بشه صلاح الدین نورچشم و چراغ هر ره بین
خوش بخندید و گفت آنکوران که ز گمراهیند بی ایمان
نیستند اینقدر زحق آگاه که بجز زامر او نجنبد کاه
چون تواند کسی مرا کشتن یا بخاك و بخونم آغشتن
می برنجید ازاینکه مولانا کرد مخصوصم از همه تنها
خودندانسته اینکه آینه ام نیست نقشی مرا معاینه ام
درمن او روی خویش می بیند خویشتن را چگونه نگزیند
گشت واقف زراز شیخ علیم خشمگین شد بر آنگروه لئیم
راه بربست دیگر ایشانرا آن لئیمان کوربینان را
همه گشتند سرزد از آن گرمی رویشان سخت شد زبیشرمی
روزشان گشت همچو شب تاریك گردن جمله شد زغم باریك
هریکی دست خود همی خائید از دلش غصه ها همی زائید
گفته باهم اگرچنین ماند چه شود حال ما خدا داند

پیش از آنکه رویم جمله زدست چاره سازیم تا رهیم ز شست
سوی ایشان شویم توبه کنان وصل جوئیم تا رود هجران
همه جمع آمدند بر در او می‌نهادند بر زمین سر و رو
گریه زارشان چورفت ازحد بانگ و افغانشان گذشت ازحد
چون شنیدند آن دو زاریرا ساز کردند چنگ یاری را
در گشادند و راهشان دادند قفل های ببسته بگشادند

در گذشتن صلاح‌الدین ورسیدن خلافت به‌چلبی حسام‌الدین

شیخ بااو چودر دوتن یکجان بود آسوده و خوش‌وشادان
مست از همدگر شده ده‌سال داشته بی خمار هجر وصال
جمع یاران بگردشان زده صف آندوچون بحروباقیان چون کف
همه چون اختران وآندوچوماه همه چون بندگان و آندوچوشاه
درچنین عیش‌ودولت ونزهت در چنین جاه‌و ملکت و زینت
ناگهان شدصلاح‌دین رنجور گشت از صحبت بدن مهجور
شیخ فرمود در جنازهٔ من دهل آرید و کوس بادف زن
سوی گورم برید رقص کنان خوش‌وشادان‌ومست‌ودست‌افشان
تا بدانند کاولیای خدا شاد و خندان روند سوی لقا
کردچشمان فرازو رفت‌بناز ناز نازان بصد هزار اعزاز
اولیا را بود زمرگ حیات زانکه در مرگ دیده‌اند نجات
جسم پاك ورا چواندر خاك بنهادند رفت پاک بپاک
بود راضی‌شه از حسام‌الدین داده بودش هزار گنج گزین
مرشد جمله بود مولانا آن خدیو یگانهٔ والا
رتبت هر یکی براو روشن گشته همچون میان‌روح وبدن
شیخ گفت ای حسام‌حق آئین چونکه‌رفت‌ازجهان‌صلاح‌الدین
بعدازین نایب وخلیفه توئی زانکه اندر میانه نیست دوئی
آن یکی باز گفت مولانا زین سه مهتر کدام بود اعلی
گفتش اندرجواب کای‌همراه شمس چون‌مهربد صلاح چوماه
چون‌ستاره‌است‌شه‌حسام‌الحق زانکه گشته‌است باملك ملحق
شیخ اینرا بجای آن بنشاند بر سرش نور ها نثار افشاند
گفت اصحاب‌را که سربنهید پیش او عاجزانه پر بنهید
همه امرش ز دل بجا آرید مهر او در درون جان کارید

مصاحبت شیخ حسام‌الدین تاپایان زندگانی مولانا ومستفیدشدن یاران بی‌حدازهردو

بود با شیخ در زمانهٔ شیخ همدل و همنشین بخانهٔ شیخ
در صفاو وفابهم همدم همه اصحاب شادمان بیغم
بخشش هردو برهمه شامل همه از هر دو عالم و عامل
خوش‌بهم‌بوده مدت ده‌سال پاك و صافی مثال آب زلال
بعداز آن نقل کرد مولانا زین جهان کثیف پر زغنا
سال هفتاد و دو بده بعدد ششصد از عهد هجرت‌احمد
چشم‌زخمی‌چنین‌رسیدبخلق سوخت‌جانها زصدمت‌آن‌برق
لرزه افتاد در زمین آندم گشت نالان فلك در آن ماتم
مردم شهر از صغیرو کبیر همه اندر فغان وآه‌و نفیر
بجنازه همه شده حاضر از سر مهر و عشق نز پی‌بر
قوم هر ملتی براو عاشق اهل هر مذهبی براو صادق
عیسوی گفته‌اوست‌عیسی‌ما موسوی گفته‌اوست موسی ما
مسلمش‌خوانده‌سرونورر‌سول گفته هست‌اوعظیم‌بحر نقول
همه کرده‌زغم گریبان‌چاك همه از سوز کرده برسرخاك
آنفغان و خروش کانجابود کس‌ندیده‌است‌زیرچرخ کبود
همچنان‌این کشیدتاچل‌روز هیچ ساکن‌نشد دمی‌تف‌وسوز
روزوشب‌بودگفتشان‌همه‌این که‌شد آن گنج زیرخاك‌دفین
ذکراحوال‌وزندگانی او ذکر افوال‌و در فشانی او
ذکرعشق‌خداو تجریدش ذکرمستی‌و صدق‌و توحیدش
ذکرلطف‌وتواضع‌وکرمش ذکرحال وسماع چون ارمش
ذکرتذکیرووعظو گرمی‌او ذکر مهر و وفا و نرمی او
ذکراسرارولطف‌انوارش ذکر آن کشفها ز دیدارش
ذکرتقوی وحلم‌ورحمت‌او ذکر فتوی وعلم‌و حکمت او

از کتاب بستان‌السیاحه

برضمایر مهرمآثراولوالابصار مخفی ومستور نماند که ولادت باسعادت‌مولانا در قبة‌الاسلام بلخ من‌بلاد خراسان‌درششم‌ربیع‌الاول سنه ٦٠٤ ششصدو چهار هجری روی نمود

همان شراب کش بادهٔ خم‌جبروت همان همای‌بلند آشیان‌عرش‌نشین
رموز گوی‌ازل‌مولوی‌که‌دادنجات مقیدان هوا را زقید این سجین
زجلدهای کتابش‌که‌مینوشت‌گرفت جهات سته به پیرایهٔ ابد تزیین
سخن‌زمرتبهٔ‌شعراونه‌حدمنست که‌همچوعرش‌بلنداست‌وهمچوشرع‌متین

گویند آنجناب در پنج سالگی بهر سه چهار روز یکبار افطار میفرمود و در نسب از نسل ابوبکربن ابی‌قحافه خلیفهٔ اول بود بدین ترتیب :

هوابن بهاءالدین محمدبن حسین‌بن احمدالخطیب بن محمود بن ثابت بن مسیب بن مطهر بن‌حماد بن عبدالرحمن بن ابوبکر

ابأعن‌جدازعلماء نامدار عالیمقدار و از فضلاء کبار آندیار بودند و شیخ‌احمدالخطیب بلخی مریدقطب‌العارفین شیخ‌احمدغزالیست و فرزند ارجمند او شیخ حسین که‌جد مولاناست بغایت متقی و پرهیزکار و اسباب دنیوی در نظرش بیمقدار بود نقل است که در واقعه حضرت رسالت پناه صلعم خوارزمشاهرا فرمود که ما دختر ترا بشیخ حسین عقدکردیم تو نیز قبول کن و ایضاً وزیر خوارزمشاه همان خوابرا مشاهده نمود و شیخ حسین نیز درهمان شب خواب میبیند که حضرت رسول صلعم میفرماید که ماصبیهٔ خوارزمشاهرا بتو تزویج نمودیم خوارزمشاه بفرمودهٔ آنحضرت عمل نموده دختر پاکیزه گوهر خودرا بنکاح‌شیخ حسین درآورد و بهاءالدین محمد از آن عفیفهٔ مکرمه بوجود آمد چون بسن‌رشد و تمیز رسید بتحصیل علوم مشغول شده در اندك زمانی دراکثر علوم ماهر گردید و نیز در عنفوان شباب بعد از اکتساب علوم و آداب اولا تلقین ذکر از والد خود گرفته و او از پدرش امام احمد خطیب و بدینواسطه سلسلهٔ بهاء الدین متصل بشیخ احمد غزالیست بعداز آن صحبت شیخ‌الشیوخ نجم‌الدین کبری‌را دریافته است و از روی ریاضت و مجاهده با علی قلل مشاهده شتافته و مقبول همهٔ دلها شده و در بلخ متمکن میبوده و بدرس و فتوی نیز اشتغال مینموده‌و طالبانرا بکشف حقایق و معارف راهنمائی میکرده‌و از برای ارشاد عوام عقد مجالس نصایح و مواعظ می ساخته و بحال همهٔ طوایف میپرداخته و سلطان محمدخوارزمشاه از جملهٔ مریدان و معتقدان بوده و سید برهان‌الدین الترمدی که ازجملهٔ اقطاب بود ازمریدان آنجناب بشمار است که باتابکی‌مولانا جلال‌الدین محمدرومی اشتغال مینمود

آورده اند که شبی سیصد دانشمند مفتی از مشاهیر بلخ که از جملهٔ منکران بودند در خواب سیدکاینات را دیدند که درخیمهٔ سبز نشسته بود و مولانا بهاءالدین‌بازبدهٔ ممکنات صلی‌الله‌علیه‌وآله همنشین وحضرت‌رسول‌صلعم مولانارا نوازشها نموده‌وفرمودماترا سلطان‌العلماء لقب‌نهادیم آنجماعت چون‌بیدارشدندروی‌بخدمت‌مولانا نهادند وچون‌درراه‌بایکدیگر ملاقی‌شدند وازخواب‌دوشینه حکایت میکردند متعجب ومتحیر میماندندومولاناسلطان‌العلماء بعداز اداء صلوة‌واذکار بربام رفته بود و اینجماعت ازهیبت اینحال امکان در کوفتن‌ومجال‌اخبار نداشتند آخرالامرسراز بام فرو کرده‌فرمود : تاحضرت‌سیدالمرسلین‌علیه‌افضل‌الصلوات‌ازحال‌درویشان‌وروش‌ایشان اخبار نفرمودشمازنارانکارازمیان‌نگشودیدآنجماعت استغفار کردند ومریدومعتقدشدند.سلطان‌محمدبعداز استماع‌این‌کلام‌درخدمت‌اهتمام بیشتربتقدیم‌رسانیدوامام‌فخرالدین‌رازی‌نیز به‌تبعیت‌میآمدچه که‌معلم سلطان‌بود وجناب مولانا در اثنای موعظت مذمت مذهب حکمای یونان میفرمود و میگفت: جمعی که کتب آسمانی را در پس پشت انداخته و اقاویل وعقاید فلاسفه پیش گرفته اند چگونه امید نجات داشته باشند

امام‌فخرالدین ازاینمعنی عرق حسدش میجنبید ودائماً بگردسعایت وفساد میگردید امافرصت‌نمیدید اتفاقاًروزی سلطان‌بزیارت‌مولانا آمده‌بود کثرتی عظیم باشکوه بیش‌از پیش دید وفخرالدین‌رازی راخطاب کرده و گفت بیحد کثرتی مشاهده میشود وی‌فرصت‌یافته گفت اگر بتدبیر دفع این کثرت‌نشود بیم‌است که‌در ارکان‌سلطنت خلل افتد بواسطهٔ آنکه طباع برحسد مجبولست این‌سخن واهی برسلطان اثر کرده فرمود که‌تدبیر باید نمود درجواب گفت‌صواب آنست که کلید خزائن و قلاع را بخدمتش بفرستیم و بگوئیم که امروزجمعیت و کثرت آنحضرت راست وبواسطهٔ‌استیلای مریدان وشوکت معتقدان وهنی درامور مملکت ظاهر گشته و بجز کلید دردست‌ماراختیاری نمانده‌یا کلیدهاراقبول کنند یا ازدارالسلطنه بیرون روند وازمملکت‌هر کجا خواهند متمکن شوند چون‌براین سیاق عمل کردند دمار ازدودمان خویش‌برآوردند ازاستماع این سخن‌مولاناسخت‌برنجید وقسم‌یاد کرد که‌تامحمد خوارزمشاه‌پادشاه خراسان باشد بدانجا نیاید مثنوی

تادل مردخدا نامد بدرد هیچ قومی‌را خدا رسوا نکرد

گویند باعث انقراض دولت خوارزمشاهیان و تسلط چنگیزیان برمملکت‌ایشان نخست قتل مجدالدین‌بغدادی‌شد واومریدنجم‌الدین خوارزمی و مرشد شیخ فریدالدین عطار قدس الله اسرارهم بود وتفصیل احوال‌آن‌بزرگوار درکتب تواریخ مسطور است‌ودیگر رنجش خاطرمولانا بهاءالدین‌است.

نقلست که مولانا روز دیگر در میان مجلس گفت فردا عزم سفر دارم هر کرا ارادت درویشان‌است آماده‌باشدروزدیگر ازمریدان و معتقدان سیصد نفر درخدمتش روانه شدند درآنوقت‌مولانا جلال الدین بسن شش ساله بود و مولانا بهاءالدین در نیشابور باجناب شیخ فریدالدین عطار قدس سره ملاقات کرد وجناب شیخ کتاب اسرار نامه‌را که یکی از مؤلفات خودبودبمولانا جلال‌الدین‌عنایت نمود وببهاءالدین گفت که‌این فرزندرا گرامی‌بدار زودباشد که از نفس گرم آتش‌برافسردگان عالم زند مولانا بهاءالدین جناب‌شیخ را وداع‌نموده عازم بیت‌الله‌الحرام گردید و چون‌بدارالسلام بغداد رسید اکابرواعاظم و بزرگان مولانارا تعظیم تمام کردند و لوازم احترام نسبت‌بآن‌بزرگوار بجای‌آوردند مدت‌یکماه تفسیر بسم‌الله فرمود چنانکه‌تقریراول‌بثانی نسبت نداشت جمعی ازطرف سلطان علاءالدین کیقباد سلجوقی از کشور روم بدارالخلافه بغداد آمده بودند آن‌تقریردلپذیرازمولاناستماع نمودند وچون‌بروم‌باز گشتند دراثنای حکایات‌درحضرت سلطان از مناقب مولانا آنچه مشاهده کرده‌بودند عرضه داشتند سلطانرا درغیبت‌اعتقادی عظیم‌راسخ‌شد و دائماً تمنای ملاقات صوری‌داشت تا از تقدیر کردگار مولانارا عزیمت حجازافتاد وازحجازبطرف‌شام‌عبورفرموده‌ودرآنجامولانا برهان‌الدین ترمدی‌رحلت‌نمود آنجناب در حین‌وفات خدمت‌مولانا وصیت کرد که‌باید شما بطرف روم عزیمت نمائید که جهت شما در آن‌دیار فتوحی خواهد بود بنا بفرمودهٔ آن بزرگوار مولانا بمدینهٔ ارزنجان آمده در خانقاه عصمتیه تاج ملك خاتون که عمهٔ‌سلطان علاءالدین بود نزول نمود خاتون سعادت مقرون خدمات پسندیده بجای آورد و التماس کرد که آنجا متمکن شود قبول نفرمود وبزودی از آنجا عزیمت آنشهر نمود و فصل زمستان‌در آنجا اقامت کرد بعداز آن بطرف روم نهضت فرمود سلطان را معلوم شد که قرب منازل حاصل شده است قاصدان بخدمتش فرستاد استعجال حرکت مولانا نمود ملتمس سلطان باجابت لاحق شد چون بصحرای قونیه رسید سلطان باجمیع اکابروارکان‌دولت مولانارااستقبال نمود سلطان بعداز اظهار اخلاص و ارادت استر شمام نام که در گام‌زدن پیك باد شمال بود برسم نیاز پیشکش‌نمود وچندگام در رکاب مولانا پیاده رفت مولاناچندانکه مبالغه‌فرمود که سوار شود سلطان بر تواضع وفروتنی می افزود و میگفت جهت‌مزید دولت‌وسعادت خویش این‌عبودیت بتقدیم میرسانم‌آنگاه در منزلی که‌لایق آنجناب‌بود فرود آورد وچندان‌خدمات‌ومراعات نمود که عشر عشیرآن بشرح و بیان در نیاید در آن اوان مولینا جلال الدین بسن چهارده سالگی بود و در آن صغر سن از روی علوم وحکم عالمی بزرگ شده بود چون والد بزرگوارش در سنه ۶۳۱ هجری رحلت نمود مولانا بموجب وصیت والد بر مسند افاده قدم گذاشت ولوای نشر علوم و درس فنون وامر معروف و نهی منکر برافراشت

آورده اند که مولانا بعداز تحصیل‌علوم رسمی و اصطلاحی از اقسام علوم آنچه سیدبرهان‌الدین ازشیخ خود از حقایق مکتوم معلوم کرده‌بود مولانارا تعلیم‌و تلقین میکرد چون‌ذات‌ملك صفات اورا بریاضات و مجاهدات مکاشفات ومشاهدات دست داد و قابل اسرار احدی و محرم رموز کنوز احمدی شد بصحبت حضرت خضرعلی نبیناوعلیه السلام مشرف گشت و جمعی کثیر ازعرفای عصر را ملاقات نمود آخرالامر بخدمت تاج العارفین مولانا شمس‌الدین تبریزی رسیدوارادت آن‌جنابرا ازدل وجان‌برگزید ونسبت طریقت شمس‌الدین بجناب قطب الاولیاء و زبدت‌الاصفیاء علی‌بن موسی‌الرضاعلیه‌آلاف‌التحیة و الثناء میرسد براین‌موجب: شمس‌الدین مرید باباکمال جندی بود و او مرید شیخ نجم‌الدین خوارزمی و او مرید شیخ‌عمار بدلیسی واومرید شیخ نجیب‌الدین سهروردی و او مرید شیخ احمد غزالی واو مرید شیخ ابوبکر نساج واومریدشیخ ابوالقاسم کورکانی (و او مرید شیخ ابوعمران مغربی و او مرید شیخ ابو علی رودباری) و او مرید شیخ جنید بغدادی‌واومرید شیخ‌سری سقطی و او مرید شیخ معروف کرخی و او مرید و دربان علی‌بن موسی‌الرضا علیه التحیة والثناء بود

آورده‌اند که‌شمس‌الدین ولد علاءالدین‌بوداز نژاد کیا بزرگ‌امید گویندپدروی‌ترک‌مذهب‌اسمعیلی کرده شعار اسلام ظاهر نمود و در نهانی ولدخود شمس‌الدین‌را بخواندن علم به تبریز فرستاد و در آنجا علم وادب آموخت و انواع فضائل اندوخت جامی‌صاحب نفحات‌الانس آورده که شمس الدین از خاندان اسمعیلیان نیست بلکه‌او تبریزی‌الاصل پسربزازیست‌وبعضی‌گفته‌اند که‌اصل‌شمس‌الدین ازخراسان بوده وخود درشهر تبریز تولدنموده ودراین باب روایت دیگر نیزوارداشت راقم گوید شاخ گل هرجا که‌میروید گل‌است

نقلست که‌چون شمس‌الدین درعالم طلب سیاحت میکرد تا آنکه بخدمت باباکمال‌الدین جندی قدس‌سره رسید و به‌هزار جان ودل مریدش گردیدوقتی باباکمال جمعی از مریدانرا که‌ازآنجمله‌شیخ بهاءالدین زکریا و شیخ فخرالدین عراقی و امیر حسین هروی بودند در خلوت نشاند وشمس‌الدین را نیز بریاضت و خلوت امر کردشیخ فخرالدین عراقی لوایح اسرار را بصورت لوامع و اشعاراملا نموده بعرض شیخ کمال‌الدین‌رسانیدوشمس‌الدین اظهار اینمعانی نمیکرد روزی آن بزرگوار فرمود فرزند شمس‌الدین از حقایق و اسرار که فرزند فخرالدین باظهار آن قیام مینماید برتوهیچ لایح نمیشود عرض‌نمود بیش‌از آن حقایق مشاهده‌می‌افتد او از جهت‌اشتغال‌بمصطلحات‌علوم‌بعبارتی‌مناسب کشف‌بعضی‌اسرار مکتوب‌میتواند کرد ومرا دست‌نمیدهدشیخ‌فرمود که‌باریتعالی ترا مصاحبی‌روزی کند که‌معارف‌وحقایق‌اولین‌وآخرین‌را بنام‌تواظهار کندوینابیع‌حکمت‌ازدل‌اوبرزبانش‌جاری‌شودوهمهٔ آن کسوت‌مقالات مطرزبنام‌تو باشدبعداز آن‌باباکمال‌فرمود که‌ترابطرف‌روم‌بایدرفتن‌ودر آنجاسوخته‌ایست‌میبایداورامشتعل کردن‌شمس‌الدین‌بموجب‌فرمودهٔ وی عمل‌نموده متوجه روم گردیدودرحین گردش آن‌مرزوبوم‌بشهر قونیه‌رسیدودرکاروانسرای‌شکرفروشان‌منزل گزید

روزی‌دربازارمولاناجلال‌الدین براستری‌سواربکوکبهٔ تمام‌عبور مینمود و شمس‌الدین اورا دیده بفراست مطلوب‌را شناخت و در رکابش روان‌شده پرسید که‌غرض‌از مجاهده و دانستن علوم‌چیست

مولانا گفت روش سنت و آداب شریعت است شمس الدین فرمود این خود ظاهر است مولانا گفت ورای آن چیست شمس الدین گفت که علم آنست که ترا بمعلوم رساند و بشاهراه حقیقت کشاند و این بیت سنائی را برخواند

علم کز تو ترا نه بستاند جهل از آن علم به بود بسیار

مولانا از استماع این سخن متأثر و متحیر گشته مرید شمس الدین گردید و بروایت دیگر چون شمس الدین بقونیه رسید مولانا را ملاقات نمود در حالتی که مولانا در کنار حوض نشسته بود و کتابی چند پیش خود نهاده شمس الدین از مولانا پرسید که این چه مصاحفست مولانا جواب داد که این را قیل و قال گویند ترا بآن چه کار است شمس الدین فی الحال کتابها را در آب انداخت و مولانا را متحیر ساخت مولانا از روی تأسف فرمود که ای درویش بعضی فواید والا بود که دیگر یافت نمیشود دیوانگی کردی وضایع ساختی شمس الدین دست دراز کرد یکان یکان همهٔ کتابها را بیرون آورد که آب در آنها اثر نکرده بود مولانا پرسید که این چه سر بود که بظهور پیوست شمس الدین فرمود که این از ذوق و حال است ترا از آن چه خبر بعد از آن باهمدگر صحبت بسیار داشتند و مولانا فرجی و وضع دستار مشابه او ساخت و طریقهٔ سماع آموخت و بیمن تربیت او علم معرفت بر سر عالم افراخت چنانکه میفرماید

هزاران درج در دارد بناگوش ضمیر من از آن الفاظ وحی آسای شکربار شمس الدین
ز عقل و روحها بگذر حجاب عقل برهم در دو سه منزل از آنسو تر ببین بازار شمس الدین

منقولست که چون مولانا ربودهٔ شمس الدین گردید مدت شش ماه در خلوت با او مینشست و می آرامید موالی مولانا شور و غوغا بر آوردند و بر شمس الدین طعن و تشنیع آغاز کردند که سر و پا برهنهٔ و شکم گرسنهٔ ظهور نمود و مقتدای مسلمانان را گمراه کرده است شمس الدین بالضرورد بصوب تبریز روان گردید و مولانا را سوز عشق زبانه کشید و در فراق شمس الدین شعر های سوزناك گفتن گرفت آخر الامر طاقتش طاق شده سوی تبریز شتافت و بعد از زحمات بسیار مطلوب را دریافت در مثنوی از زبان وامدار بر اینمعنی اشارت نموده

ساربانا بار بگشا زاشتران شهر تبریز است و کوی دلستان
فر فردوس است این پالیزرا شعشعهٔ عرش است این تبریزرا
هر زمانی فوج روح انگیز جان از فراز عرش بر تبریزیان

مولانا و شمس الدین پس از چندی با یکدیگر بروم آمدند و چند گاه خالی از اغیار مشغول صحبت شدند باردگر دوستان مولانا که در حقیقت دشمنان بودند حسد و حقد آغاز نمودند

خدای تخم حسود از جهان براندازد اگر حسود نباشد جهان گلستانست

این بار شمس الدین بطرف شام فرار کرد و مدت دو سال در نواحی شام اقامت فرمود مولانا در آن مدت از فراق شمس الدین میسوخت و غزلهای عاشقانه میساخت و عشق شمس الدین بنیاد صبر مولانا را یکباره برانداخت آرام و قرار ازو گم گردید عاقبت مبلغ هزار دینار زر به پسر خود بهاء الدین ولد داده و گفت بزودی بسوی شام بخرام و شمس الدین را در مقام صالحیه خواهی دریافت که با فرنگی زادهٔ شطرنج میبازد زینهار بخاطر خطرهٔ میار که آن پسر یکی از مردانست و از این راه آگاهش میسازد و این زر را بعتبهٔ شمس الدین ایثار کن و کفش آنحضرت را بسوی روم گردان و این ابیات را بخوان

بروید ای حریفان بکشید یار ما را بمن آورید حالی صنم گریزپا را
اگر او بوعده گوید که دم دگر بیاید مخورید مکر او را بفریبد او شما را

از این غزل بهمین دو بیت اکتفا نمود بهاء الدین بحکم والد بشام رفته آنچه از والد شنیده بود دید و آنچه فرموده بود بانجام رسانید و شمس الدین بصوب روم مصمم گردید در آنسفر بهاء الدین در رکاب شمس الدین مسافت یکماهرا پیاده طی نمود هر چند آنجناب مبالغه کرد که سوار شود بهاء الدین قبول نکرد و گفت شاه سوار شود و بنده سوار چگونه خواهد بود

آفرین خدای بر پدری که تو پرورد و مادری که تو زاد

چون شمس الدین بقونیه رسید مولانا بشرف مواصلت مشرف گردید آنجناب در اثنای صحبت اظهار بهجت از بهاء الدین میفرمود و گفت من ازو راضی شدم مرا سری بود و سری سر بتو دادم و سر به پسرت بخشیدم اگر بهاء الدین ولد را هزار سال عمر بودی و همه را در راه طلب رضای خدا صرف نمودی آنچه در این سفر اورا حاصل گشت هزار یك آن حاصل نشدی

نقل است که شبی شمس الدین با مولانا در خلوت صحبت میداشت و اعلام طریقت بر فراز حقیقت می افراشت ناگاه کسی از بیرون در بشمس الدین اشارت کرد مولانا گفت کیست آنجناب فرمود بقتلم میخوانند چون بیرون رفت مولانا صیحهٔ شنیده بیرون دوید چون نظر کرد قطرهٔ خون ریخته دید از آنزمان تاحال از شمس الدین چون عنقا نامیست بعضی گویند بمولانا در عالم واقعه شمس الدین گفت که مرا کشته بچاه انداختند چون مولانا از خواب بیدار شد بسر چاه رسید وجسد آن یوسف مصر ولایت را از چاه بیرون کشید و در مقام مناسب دفن نمود

راقم گوید اینقول بصحت اقربست چنانکه اکنون مزار آن بزرگوار در آن دیار مطاف طائف خلق روزگار است در نفحات مسطور است که باعث هلاك شمس الدین علاء الدین محمد که به تیرانه لیس من اهلك نشانه شده پسر ناخلف مولانا بود و علاء الدین بعد از اقدام بر آن امر شنیع بمرضی مزمن گرفتار گشته بسرای دیگر انتقال نمود و مولانا بجنازهٔ او حاضر نگشت

مخفی نماناد که در کیفیت ملاقات شمس الدین با مولانا اخبار متعدده وارد است که از طول کلام اندیشیده از تذکار آن عنان قلم باز کشید شهادت شمس الدین در سنه ٦٦١ هجری روی نمود

آورده اند که مولانا جلال الدین بعد از واقعهٔ هایلهٔ شمس الدین همواره غمگین میبود و علی الدوام زاری و بیقراری مینمود و آخر الامر خاطر حزین و دل اندوهگین خود را بصحبت و تربیت حسام الدین چلبی المعروف بابن اخی ترك تسلی فرمود نسب وی بدان کس میرسد که فرمود امسیت کردیاً واصبحت عربیا حسام الدین در حجر تربیت مولانا نشوونما یافته و مهر شفقت و مرحمت مولانا بروجنات حال وی تافته و محبوب و منظور مولانا بوده و بحسن طاعت و انقیاد بدرجهٔ عالی ترقی نموده است و کتاب مثنوی که مشهور در السنهٔ صغار و کبار مذکور است باستدعای حسام الدین مولانا بسلك نظم کشیده الحق کتابی بدین نظم و نسق بزبان فارسی چشم زمانه ندیده و گوش روزگار نشنیده است بمرتبهٔ مقبول و مطبوع عرفا گردیده که شیخ بهاء الدین عاملی با آنهمه فضل و کمال در تعریف آن میفرماید

من نمیگویم که آن عالیجناب هست پیغمبر ولی دارد کتاب
مثنوی معنوی مولوی هست قرآنی بلفظ پهلوی
مثنوی او چو قرآن مدل هادی بعضی و بعضی را مضل

در نزد محققان هر قوم پسندیده است چنانکه راقم در جمیع بلاد اقالیم سبعه دیده و شروحی بسیار بزبان فارسی و عربی و ترکی و هندی بر آن نوشته اند

نقلست که حسام الدین شبی اندیشه نمود که در خدمت مولانا استدعا نماید که بوزن منطق الطیر شیخ فرید الدین عطار قدس سره کتابی بنظم آورد و در صبح آنشب بنیت مذکور بخدمت مولانا مشرف گشته مرکوز خاطر را عرضه داشت مولانا بعد از استماع سخن حسام الدین کاغذی از دستار خود بیرون آورده بدست وی داد و فرمود که دیشب وقتیکه از خاطر تو گذشت بر من وارد گشت که اینگونه کتابی منظوم شود و انجام رسد لهذا این ابیات همانوقت از خاطر من سر زد

بشنو از نی چون حکایت میکند وز جدائیها شکایت میکند

اولین شعر کتاب مثنوی تا

درنیابد حال پخته هیچ خام پس سخن کوتاه باید والسلام

بعد از آن مولانا بگفتن مثنوی مشغول گشت از اول شب مولانا نظم نمودی و آخر شب حسام الدین بآواز بلند در حضور مولانا خواندی و بسمع مجلسیان رساندی نوبتی حسام الدین بخدمت مولانا معروض داشت که در وقت خواندن مثنوی گویا میبینم از غیب شمشیرها

کشیده اند و گردن منکران را میزنند مولانا تصدیق نموده گفت نیك دیدی چنانچه درمثنوی بدان اشارت نموده

دشمن اینحرف ایندم درنظر — شدممثل سرنگون اندرسقر
ای ضیاء الحق تودیدی حال او — حق نمودت پاسخ احوال او
دیدهٔ غیبت چوغیبت اوستاد — کم مباداز این جهان این دیدوداد

چون جلداول مثنوی بانجام رسید زوجهٔ مکرمهٔ حسام الدین بسرای جاوید خرامید بدانسبب یا بسبب دیگر اختلال دراحوال حسام الدین ظاهر گردید مدت دوسال [تنظیم مثنوی] بتعویق افتاد ومولانا بگفتن مثنوی لب نگشاد بعداز انقضای مدت مذکوره باردیگر حسام الدین ازخدمت مولانا اتمام مثنوی استدعا نمود چنانچه در اول جلد دوم اشاره برین فرموده

مدتی این مثنوی تأخیر شد — مهلتی بایست تاخون شیرشد
تا نزاید بخت تو فرزند نو — خون نگردد شیر شیرین خوش شنو
چون ضیاء الحق حسام الدین عنان — باز گردانید زاوج آسمان
چون بمعراج حقایق رفته بود — بی بهارش غنچها نشکفته بود
مثنوی که صیقل ارواح بود — باز گشتش روز استفتاح بود
مطلع تاریخ این سوداوسود — سال اندر ششصدوشصت ودوبود

آنگاه بجدتمام وسعی مالا کلام باتمام مثنوی قیام فرمود جلد ششم بپایان نرسیده عارضهٔ بربدن شریفش روی نمود ودرآن بیماری ازجهان فانی بعالم جاودانی انتقال فرمود چنانکه بهاء الدین ولد در آخر مثنوی برآن ایمائی مینماید

مدتی زین مثنوی چون والدم — شد خمش گفتش وراکای زنده دم
از چه رودیگر نمیگوئی سخن — بهر چه بستی در علم لدن
گفت نطقم چون شتر زین پس بخفت — نیستش باهیچکس تاحشر گفت
همچو اشتر ناطقه اینجا بخفت — او بگوید من دهان بستم ز گفت
قصهٔ شهزادگان نامد بسر — ماند نا سفته در سیم پسر
باقی این گفته آید بیزبان — با درون آنکه دارد زنده جان
فهم میگوید شتر چون خفت او — وقت رحلت آمد و جستن زجو
گفتگو آخر رسیدو عمر هم — مژده کامد وقت کز تن وارهم
درجهان جان کنم جولان همی — نگذرم زین نم در آیم دریمی

فقیر گوید ازمحققان ملک روم و دانشمندان آنمرز وبوم بکرات استماع نمود واز ثقات دیار مصر و شام مکررشنود که مولانا از آن مرض صحت یافته دفتر دیگر برمثنوی افزوده آنرا هفت جلد فرموده است چنانچه شیخ اسماعیل قیصری که عالم معالم سخن پروریست درحدود هزار واند هجری شرحی بردفتر هفتم نوشته ودر عنوان آن کتاب مدعیست که ناظم جلدهفتم جناب مولویست وازملحقات نیست چون بعداز تدوین جلد ششم گفته شده لهذا بغیراز کشور شام وروم شهرت نیافته است والله اعلم بحقایق الامور گویند این اشعار از جلدهفتم است

ای ضیاء الحق حسام الدین سعید — دولتت پاینده فقرت بر مزید
چونکه ازچرخ ششم کردی گذر — بر فراز چرخ هفتم کن مقر
سعد اعداداست هفت ای خوش نفس — زانکه تکمیل عدد هفت است وبس

شیخ نجیب الدین رضا تبریزی الاصل اصفهانی المسکن که در زمان شاه سلیمان صفوی پایهٔ سلسلهٔ ذهبیه بوده و کتاب سبع المثانی را ببحرمثنوی تألیف نموده درعنوان آن کتاب فرموده که درعالم واقعه مولانا بمن خطاب کرده فرمود که جلد هفتم مثنوی را توباتمام رسان بنابفرموده مولانا کتاب سبع المثانی را بنظم آوردم فقیر گوید آنچه نزد درویشان روم وشام وعربستان درخصوص جلد هفتم بصحت اقربست قول اولست (آندفتر درآخر همین کتاب مسطوراست) اصحاب معرفت بعداز دقت معلوم میکنند که ناظم آن جناب مولوی بوده یانبوده

معاصرین مولانا ـ آورده اند که درعصر مولانا جلال الدین قدس سره درکشور روم وایران وغیره عرفای عظام ومشایخ کرام بسیار بوده از آنجمله شیخ اوحدالدین کرمانی وشیخ بهاء الدین زکریاء ملتانی وشیخ نجم الدین رازی وشیخ مصلح الدین سعدی شیرازی وشیخ محی الدین الاعرابی وشیخ صدرالدین قونیوی وشیخ مؤیدالدین جندی وشیخ ابوالحسن مغربی الشاذلی وشیخ ابوالعباس المرسی وابن الفارس الحموی المصری وشیخ عزیزالدین نسفی وشیخ ابوالحسن علی الصعیدی المعروف بابن صباغ وشیخ فخرالدین عراقی وشیخ نجیب الدین بزغش شیرازی و شیخ برهان الدین ترمدی وشیخ نورالدین عبدالرحمن اسفراینی و شیخ جمال الدین جوزقانی وشیخ رضی الدین علی لالا غزنوی وشیخ سیف الدین باخرزی وشیخ سعدالدین حموی وشیخ ابومحمد عبدالله المغربی وشیخ یاسین المغربی و شیخ عفیف الدین سلیمان قلمانی وشیخ ابوالغیث الیمنی وشیخ صلاح الدین زرکوب وشیخ موسی سدرانی وشیخ صدرالدین فرغانی وعین الزمان جمال الدین وحاجی بکتاش ولی قدس الله اسرارهم که اکثر آن بزرگوارانرا در شهر قونیه وغیره ملاقات نموده وطریق معاشرت پیموده

در شهور سنه ٦٧٢ هجری درهمان دیاربدارالقرار انتقال نمودمزارفیض مدارش درغایت اشتهاروزیارتگاه ابنای روزگاراست (وفات خواجه نصیرالدین طوسی هم در اینسال اتفاق افتاده)

از ملوك زمان که معاصر آنجناب بودند هلاکوخان وآباقاآن خان در ایران وبندوقدار درمصروشام وعلاءالدین کیقبادسلجوقی درکشورروم وناصرالدین ایلتمش در هندوستان حکومت مینمودند وازفرقهٔ حکما محقق طوسی معاصر آن بزرگوار بوده

روزی اصحاب راخطاب کرده فرمود: اوصیکم بتقوی الله فی السروالعلانیه و بقلة الطعام وقلة المنام وهجران المعاصی والآثام و مواظبة الصیام ودوام القیام وترك الشهوات علی الدوام واحتمال الجفاء من جمیع الانام وترك مجالسة السفهاء والعوام ومصاحبة الصالحین والکرام وان خیرالناس ماینفع الناس وخیرالکلام ماقل ودل

پوشیده نماناد که سلسلهٔ مولوی دربلاد روم ومصروشام وعرب وجزایربحرروم ودیار روم ایلی وعراق عرب جاری و معمولست ودر نزدخوردو کلان واعیان ودانا ونادان وحاجب وسلطان مقبولست لباسی خاص مخصوص درویشان آن سلسله است وتاج نمدی بیدرز برسر گذارند ومشایخ ایشان عمامهٔ نیز برآن تاج بیندند وذکروفکر ومراقبت اورادوسماع وحلقهٔ ذکرجلی درمیان ایشان متداولست ودرهنگام سماع نی ودف میزنند درآن سلسله قانون است که چون خواهد کسی در آن طریقه درآید باید که مدت هزارویکروز خدمت نماید براینموجب که چهل روز خدمت چهارپایان کند وچهل روز خدمت فقرا نماید و چهل یوم آب کشی وچهل یوم فراشی وچهل یوم هیزم کشی وچهل یوم طباخی وچهل یوم حوائج ازبازار آوردوچهل یوم خدمات مجلس درویشان کند وچهل یوم نظارت نماید برین نسق تامدت مقرره تمام شود اگر چنانچه یکروز ازآنمدت ناقص گردد باید که خدمت را ازسر گیرد و چون تمام کند آنکس را غسل توبه دهند ازجمیع محرمات و کسوت از سرکارخانقاه بوشانند وتلقین اسم جلاله براو کنند وحجره جهت آسایش وعبادت بوی دهند وطریق ریاضت ومجاهده تعلیم وی نمایند وآنکس برآن قاعده وقانون مشغول شود تاآنکه صفائی درباطن او ظاهر گردد

مخفی نماند که صوفیه گفته اند که مولانا رامذهب شیعه بوده وبر طریقهٔ حقه عمل مینموده وبر اینمطلب شواهد بسیاراست والله اعلم

خلاصه شرح حال مولانا

مولانا جلال الدین محمدبلخی مشهوربه مولانای روم درششم ماه ربیع الاول سال ٦٠٤ هجری قمری در قبة الاسلام بلخ (یکی از چهار شهربزرگ خراسان که پیش ازهجوم مغول منتهای آبادی راداشته) متولدشده در سال ششصدونودونه بمعیت پدربزرگوارش ازخراسان بآسیای صغیر مهاجرت گزیده وهم آنجا درپنجم جمادی الاخرهٔ ششصدو هفتادوسه بریاض خلدخرامیده وپهلوی ضریح پدرش مدفون شده است

مولانا درشعر چنانکه دربسیاری از غزلهایش بطریق تلمیح آورده است خاموش تخلص میکرده و اورا علاوه بر جلال الدین بلقب خداوندگار نیزمیخوانده اند و اطلاق خداوندگار بمناسبت سلطنت وحکومت ظاهری وباطنی اقطاب برمریدان خود دراعتقادصوفیان تناسب تام دارد. شهرتش برومی یامولانای روم بواسطهٔ طول اقامت

در آسیای صغیر بوده . وچون سلجوقیان آن خطه‌را از امپراتوری روم شرقی منتزع کرده بودند شاخه‌ای ازسلسلهٔ سلجوقی که در آنجا استقرار یافت معروف بسلاجقهٔ روم شد . ولی لقب مولوی تازه‌است

نسب مولانا به‌دو واسطه به‌ابوبکر صدیق می‌پیوندد ومطابق تحقیقات آقای کاظم‌زادهٔ ایرانشهر بدین ترتیب است : جلال‌الدین محمدبن بهاءالدین محمدبن‌حسین‌بن احمدبن محمودبن مودودبن ثابت‌بن مسیب‌بن مطهربن حمادبن عبدالرحمن‌بن ابی‌بکرالصدیق

نیای مولانا حسین‌بن‌احمدخطیبی از افاضل خطهٔ‌خراسان‌بشمار میآمده از خاندان علم وعرفان وپدربرپدرازمشایخ کبار بلخ‌بوده بروایت شمس‌الدین احمد افلاکی درمناقب‌العارفین امام‌رضی‌الدین نیشابوری از اجلهٔ فقهای قرن ششم درمحضروی تلمذ کرده.جدهٔ مولاناازخاندان‌جلیل‌خوارزمشاهیان‌وظاهراً دختر قطب‌الدین‌محمدبوده

پدر مولانا بهاءالدین محمدبن‌حسین ملقب بسلطان العلماء مشهوربه‌بهاءالدین‌ولد معروف‌به مولانای‌بزرگ ازبزرگان‌صوفیان ایران‌تربیت‌یافتهٔ شیخ‌اجل‌ابوالجناب نجم‌الدین‌احمدبن‌عمرخوارزمی معروف به کبری بوده و خرقه‌اش به‌سبب عماریا سر و ابوالنجیب سهروردی‌به‌شیخ‌احمدغزالی‌میپیوسته.بروایت‌فریدون سپهسالار(از یاران‌مولانا که‌رساله‌ای‌درسوانح‌زندگانی‌مولانا گردآورده)شهرت‌علمی سلطان‌العلماء،باندازه‌ای،بودکه‌ازاقصای‌خراسان‌فتاوای‌مشکل‌رابحضرت او آوردندی ودرشهر بلخ مسند افاضت و ارشاد داشته خواص و عوام آن‌خطه اوراعظیم معتقدبودندپیوسته بامر معروف ونهی‌از منکراشتغال‌داشت‌وهرگاه که‌مجلس میگفتی گروه بیشماری از هر طبقه درپای منبر وعظش گرد میآمدند واوبرهمهٔ دلها مشرف‌بود

مسلك تصوف ازقرن‌پنجم هجری باینطرف درمیان مسلمین رونق و عظمت تمام‌یافته ازخواص گذشته در تودهٔ عوام هم منتشر شده‌بود . اقطاب مشایخ‌روش‌خویش‌را بدین ومذهب‌نزدیك ساخته سخنان‌ومجالس خودرابذکرخداورسول وآیات‌واحادیث‌میآراستند و در دورهٔ که بیشتر علماء فقه وحدیث بواسطهٔ تصدی شغل قضا آلایش مادی پیدا کرده حدود شرع را مهمل میگذاشتند رؤسای صوفیه به‌ترك‌دنیا و اعراض ازامراء و عزلت و انقطاع ظواهر حال خودرا میآراستند

بواسطهٔ‌مخالفتی که میان صوفیه و حکما بود سلطان‌العلماء علناً در محضر وبرسرمنبر بآنان بد میگفته وپیروان فلسفهٔ‌یونانرا گمراه و مبتدع میخوانده خصوصاً بامام فخرالدین محمدبن عمر رازی از بزرگان حکماو متکلمین‌عصر که‌در آن اوقات درخوارزم اقامت داشته استاد و مصاحب‌سلطان علاءالدین محمد خوارزمشاه بوده است تعریض میکرده

بروایت افلاکی سلطان العلماء درنتیجهٔ دسته‌بندی علماءمعقول ومنقول ومکدرساختن صفای آئینه خاطر خوارزمشاه نسبت بوی‌از سلطان‌ومردم بلخ رنجیده تصمیم بمهاجرت داد (از جملهٔ ساعیان‌نام امام‌فخروقاضی‌زین‌فزاری ورشیدقبائی‌ذکرشده‌است)سلطان‌العلماء در نیشابورشیخ عطارراملاقات نمود که‌اسرار نامه‌را بمولانا که‌در آنوقت پنجساله بود بخشیدواز آنجا بعزم‌حج بیت‌الله‌الحرام رهسپار بغداد شدوبروایت‌نورالدین‌عبدالرحمن‌جامی درنفحات‌الانس‌روزیکه باخانواده‌ومریدان بدارالسلام درآمد جمعی‌پرسیدند که : اینان‌چه طائفه‌اند ، ازکجا میآیندوبکجامیروند؟ گفت : من‌الله والی‌الله‌ولا قوة الاباالله . این سخن‌را بسمع‌عارف مشهورشیخ‌شهاب‌الدین‌عمربن محمد سهروردی‌رسانیدندفرمود:ماهذاالابهاءالدین البلخی؟وموکب سلطان‌العلماء را استقبال کرد

باحسن‌پذیرائی شیخ واقبال‌خواص اهل‌عرفان سلطان‌العلماء سه‌روز بیشتر دربغدادنمانده‌روزچهارم ازمرکزخلافت‌اسلامی روانهٔ حجازشد وپس ازگزاردن مناسك حج وتشرف بمدینهٔ طیبه بعزم بیت‌المقدس وزیارت‌مزارسایرانبیاءعظام‌ازحجازرهسپارشام گردید، اهل‌شام‌خواستند اورا نگاهدارند نپذیرفت وبطرف‌ارزنجان‌رفت و چهارسال‌در آن‌خطه‌رحل‌اقامت‌افکندوازفخرالدین‌بهرامشاه‌حکمران ارزنجان‌وپسرش‌علاءالدین‌داودشاه‌اقبالهادیدمولانادرهیجده‌سالگی درشهرلارنده بفرمان‌پدر گوهرخاتون دختر خواجه‌لالای‌سمرقندی را بهمسری اختیار کرد وبهاءالدین محمدمعروف بسلطان‌ولد و علاءالدین‌محمد ازین اقتران بوجودآمدند بروایت افلاکی‌سلطان العلماء،پس‌ازچهارسال اقامت‌درملاطیه وهفت‌سال‌درلارنده‌بخواهش علاءالدین کیقباد دوازدهمین پادشاه سلجوقی روم بشهر قونیه که دارالملك‌بودرفت. شاه‌وامیران‌بزیارتش آمدند و ازسرصدق دست ارادت دردامانش‌زده درمراعات‌جانب‌او لوازم‌اهتمام بعمل‌میآوردند وپای‌وعظش‌می‌نشستند واهل‌روم ازجان‌ودل بوی گرویدند .

ازانتقال‌سلطان‌العلماء به‌قونیه‌بیش‌ازدوسال نگذشته‌بود که‌تن بربستر ناتوانی‌نهاده درسنهٔ ششصدوبیست‌وهشت زندگانی‌رابدرود گفت.مردم‌شهردرعزای‌اورستخیزعظیم‌برپا کردند.سلطان‌علاءالدین یکهفته درمسجدجامع‌خوان‌نهاد ومالهابفقرابخش کرد.چون‌پدرسر درحجاب‌خاك کشیدمولانا که‌در آنهنگام‌بیست‌وچهارساله‌بودبخواهش پادشاه وامراء والحاح‌مریدان‌برجای‌وی برمسندوعظ وافادت‌نشست ویکسال‌تمام‌دورازطریقت،مفتی‌شریعت‌بود که‌سیدبرهان‌الدین‌محقق ترمدی ازشاگردان سابق‌سلطان‌العلماءوخواص‌اولیاء صوفیه‌بقونیه رسیدو درآنشهربساط‌ارشاد ودستگیری‌خلایق بگسترد ومولانارا در علوم ظاهری بیازمود و گفت : پدربزرگوارت راهم علم قال بکمال‌بود وهم‌علم‌حال چون درعلوم شریعت وفتوی‌جانشین‌اوشدی میخواهم که درعلم‌حال‌هم سلوکها کنی تاخلف‌صدق‌پدرباشی‌اگر مریدشوی مرادیابی وآنچه ازاو بمن رسیده دیدنیست نه آموختنی مولانا برغبت تمام براوبگروید وبروایت‌سپهسالار مدت نه‌سال‌سرو کارش باسیدبرهان‌الدین بودوبراهنمائی آنعارف کامل طریق‌سیر وسلوك‌میپیمود .بروایت افلاکی مولانا دوسال‌پس‌ازمرگ‌سلطان العلماء باشارت سید باچندنفرازمریدان پدربجانب‌شام عزیمت کرد تامرتبهٔ کمال خودرا درعلوم ظاهر باکملیت رساند . ابتدا درشهر حلب بمدرسهٔ حلاویه‌نزول فرمود و از حوزهٔ درس‌مدرس‌دانشمند آن‌مدرسه‌کمال‌الدین‌ابوالقاسم‌عمربن‌احمدمعروف‌بابن‌العدیم‌استفادها برد وپس‌از آنکه سه‌سال درحلب به‌تحصیل علوم‌اسلامی پرداخت رهسپاردمشق‌شد.علماومعارف‌شهرمقدمش‌را گرامی‌داشته‌درمدرسهٔ قدسیه فرودش‌آوردند وخدمات‌شایان بتقدیم‌رسانیدند .

مولانا چهارسال در کرسی‌شام که در آنهنگام مرکزبزرگان و مجمع‌علم‌وعرفان‌بودبه‌زهدوریاضت‌تمام‌درتکمیل‌معارف‌دینی‌کوشیدو هدایه‌را که‌کتاب‌جامعیست درفقه حنفی دارای شروح وتعلیقات و حواشی بسیارتألیف شیخ‌الاسلام برهان‌الدین‌علی‌بن‌ابی‌بکرمرغینانی نزداساتیدفن بدقت‌دیدوهم درین شهربفیض صحبت عارف مشهور محی‌الدین العربی وبزرگان‌دیگرنائل گردید

مولانا پس‌از هفت‌سال مسافرت بقونیه‌بازگشت و بدستور سیدبرهان‌الدین بریاضت‌پرداخته‌سه‌چلهٔ‌متوالی‌برآوردتانقدوجودش بی‌غش‌وتمام‌عیار بلکه سراپا نور گردید . چون‌جان‌پاك‌سیددرسنهٔ ۶۳۸ ازخاکدان‌تن بقرب قدس‌انتقال یافت مولانا در دارالملك قونیه برمسند ارشاد وتدریس متمکن گردیده به‌تربیت مستعدان همت گماشت‌مریدان‌بسیار بروی گردآمدند وپروانه‌وارپیرامن‌شمع وجودش‌میگردیده‌حضرتش‌را پیشوای‌دین‌ومفتی‌شریعت وراهنمای طریقت میشناختند

مولانا نزدیك‌پنج‌سال بسنت جدوپدرهم درمدرسه‌بتدریس فقه ودیگرعلوم‌اسلامی‌میپرداخت وهم‌برسم‌زهدپیشگان‌آنزمان‌مجلس وعظوتذکیرمنعقدساخته ومردم‌را تبشیر وتنذیرمیکرد. همه‌روزه طالبان علم که بگفتهٔ دولتشاه‌سمرقندی عده‌شان بچهارصد میرسید متناوباً درمدرس‌ومحضرش برای‌استفاده‌حاضر میشدندوصیتش در اطراف جهان‌منتشر گردید .

مولاناسرگرم تدریس وقیل‌وقال مدرسه‌بود فتوای شرعی

مینوشت وازیجوزولایجوز سخن‌میراند وخاق بعلوم‌ظاهر وزهدو ریاضت اوفریفته شده‌بخدمت‌ودعای وی‌تبرك‌میجستند که ناگهان آفتاب عشق‌وشمس‌حقیقت پرتوی‌بر آن‌جان‌پاک افکند. آن‌طوفان عظیم که‌این‌اقیانوس آرام‌را‌متلاطم‌ساخت شمس‌الدین‌محمدتبریزی ژولیده پیری‌از پیران‌صوفیه بود که نفسی گرم و جاذبه‌ای قوی و بیانی مؤثر داشت

بروایت افلاکی شمس‌الدین محمدبن‌علی‌بن‌ملك‌دادتبریزی (که گویندپدرش اصلا ازباوردخراسان‌بوده وبتجارت به آذربایگان رفته) ابتدادست ارادت بدامان‌شیخ ابوبکرزنبیل‌باف که‌در کشف القلب‌یگانهٔ‌زمان‌خودبود زده چون‌درسیروسلوك درجهٔ کمال یافت درطلب‌کاملتری سفری‌شد وسالها گردبلادوامصاربر آمده ازشهری بشهری راه‌میپیمودوبااهل راز وریاضت‌انس والفت مینمود پیوسته نمدسیاه میپوشیدوهمه‌جادرکاروانسرای منزل‌میکردوبخدمت‌چندین ابدال واوتاد و اقطاب رسیده اکابرصورت ومعنی‌رادریافته‌بود

شمس‌تبریز بامداد روزدوشنبهٔ ۲۶ جمادی‌الاخره سال۶۴۲ بقونیه‌رسیده درخان‌شکر ریزان نزول کرد . ودریك مجلس چنان مولانارا مجذوب وفریفتهٔ‌خودساخت که منبر ومحراب وحوزهٔ‌درس ومسند ارشادرا رهاکرده حلقهٔ‌بندگی‌اورا بگوش کشید !

آفتاب‌دیدارشمس چنان‌برروان‌مولانابتافت‌وآتش درخرمن هستی اوزد که‌هرچه جزمعشوق‌باقی‌بسوخت

چگونگی‌دیدارپیرتبریزی را بامولاناباختلاف‌ذکر کرده‌اند محی‌الدین عبدالقادر مصری مؤلف الکواکب المضیئه فی‌طبقات الحنفیه درسبب‌تجرد وانقطاع مولانا مینویسد که: روزی درحجره نشسته‌بودو کتابی چند پیرامون خودنهاده وطالب علمان بروی‌گرد آمده‌بودند شمس‌الدین‌قلندروار درآمد وسلام‌گفت ودرصف نعال بنشست واشارت‌بکتب کرده پرسید : این‌چیست ؟ مولانافرمود تو این‌ندانی‌هنوزاین‌سخن بانجام‌نرسانیده‌بودکه آتش‌در کتابهاو کتابخانه افتاد ! مولاناپرسید این‌چه‌باشد؟شمس گفت‌تونیزاین‌ندانی!برخاست وبرفت‌مولانامجردواربر آمدوترك‌مدرسه و یاران‌وفرزندان گفت.

مطابق روایت سلطان ولدپسرمولانادر ولدنامه:عشق مولانا بشمس‌الدین مانند جستجوی موسی‌است ازخضر که بامقام شامخ رسالت ورتبهٔ کلیم اللهی‌بازهم مردان خداراطلب میکرده .

مولانا که‌تا آنروز خلقش‌بی‌نیازمیشمردند نیازمندواربدامن شمس که از مستوران قباب‌عزت‌بود درآویخته یکجا اسیرعشق و جذبهٔ‌وی گردید ومطلوب‌را بخانه‌برده‌بااوبخلوت‌نشست ودربرآشنا وبیگانه ببست و آتش استغنا در محراب‌ومنبرزده ترك‌مسندفتوی‌و تدریس و کرسی‌وعظ وتذکیربگفت وباهمهٔ‌استادی درخدمت معلم عشق‌زانو زده نوآموز گشت

بروایت افلاکی‌این‌خلوت‌بچهل‌روزیاسه‌ماه کشید

شمس‌الدین‌بمولانا چه‌آموخت وچه‌فسون‌ساخت که‌او ازهمه‌چیز وهمه کس گذشته خودرا نیز درقمار محبت‌باخت برمامجهول‌است . ولی کتب مناقب وآثاربرین متفقند که‌مولانا پس‌ازین خلوت روش خودرا بدل‌ساخت ، وبجای‌قیل‌وقال‌مدرسه واهل بحث وجدل گوش به نغمهٔ‌جانسوز نی وترانهٔ دلنوازرباب نهاد، بااینکه قبلاشب‌تابصبح درنمازبود وهرسه‌روزیکبار روزه‌میگشاد ـ وچیزیکه‌مولانارا از همهٔ رسیدگان‌جهان ممتازمیسازد همین تحول‌روحانی است که در پیوستن‌به پیر تبریزی برای‌اوپیش آمد

برشاگردان ویاران‌مولانا که‌باچشمهای‌غرض‌آمیز بشمس‌الدین مینگریستند تمکین‌او که شیخ‌وشیخ‌زاده ومفتی‌ومدرس ومذکربود نسبت بمردیکه بنظرشان لاابالی وبیرون ازاطوار معرفت میآمد سخت گران‌وناگوارمینمود.مریدان نیز شکایت وتشنیع آغاز کردند فقها وزهادحتی عوام قونیه‌هم ازتغییر روش مولانا خشمگین شدند

بالاخره‌شمس پس‌از شانزده‌ماه ازگفتارورفتار ایشان که اورا ساحر وجادو میخواندند رنجیده بیخبرسرخویش گرفت و برفت .

مولانا درطلب اوبقدم جد ایستاد وپس‌از جستجوی بسیار خبریافت که گمشدهٔ‌او دردمشق شام‌است . نامه وپیام متواتر کرد وپیك‌درپیك‌پیوست ، غزلهای سوزناك سروده بخدمت شمس‌الدین فرستاد آن‌نامه های‌منظوم که‌قدیمترین اشعار تاریخی مولاناست‌در دل شمس اثربخشیده متمایل گردید که‌باردیگرعنان مهر بسوی‌آن عاشق دلسوخته بتابد . مریدان ویاران مولاناهم که‌در نتیجهٔ‌غیبت شمس‌الدین و پژمردگی ودلتنگی مولانا ازفیض دیدار وحلاوت گفتار وذوق تربیت‌اوبی‌بهره مانده موردبی‌عنایتی شیخ‌خود واقع گردیده‌بودند از کرده‌پشیمان گشته دست انابت دردامن غفران وی زدند . مولاناعذرشان‌پذیرفته‌فرزندخودسلطان‌ولدرابدمشق‌فرستاد

سلطان‌ولد نقودچندی نثارقدم‌شمس کردوبندگیها نموده پیغامهای پدررا برسانید دریای مهرشمس جوشیدن گرفت و گوهر های حقایق‌برسلطان ولدافشانده رهسپار قونیه گردید وسلطان‌ولد بیش‌ازیکماه ازسرصدق ونیاز پیاده درركابش راه میپیمود

مولاناازرسیدن شمس‌خاطرش چون گل ازنسیم‌صباشکفت مریدان‌ویاران‌پوزشها کردند وهریك‌باندازهٔ‌وسع‌خویش‌خوان‌نهاده وسماع دادند ـ مولاناچندی باپیر تبریزی تنگاتنگ‌صحبت داشته درخلوت بروی غیر ببستند ،گاهی‌هم بااوبصحرا رفته وخوش‌شور وغوغائی داشتند ولی‌رفته‌رفته بازمریدان ویاران مولانا وخواص وعوام‌قونیه درخشم آمده بدگوئی وشناعت‌آغاز کردند مولانارا دیوانه وشمس‌الدین را جادو خواندند

ظاهراً علت تشنیع فقها وزهاد و هیجان عوام آن بود که مولانا پس از اتصال به‌شمس ترك وعظ و تدریس گفته بسماع و رقص نشست وجامه ودستار فقیهانه‌را به فرجی هندباری و کلاه‌پشم عسلی بدل کرد وفرمود رباب‌را که ازقدیم‌العهد عرب چهارسوبود شش‌خانه ساختند وشب و روز بوجدوسماع‌پرداختند

مولانا مریدان قدیم‌خالص داشت که‌بعضی ازبلخ‌دررکاب‌پدرش بقونیه آمده‌بودند وعدهٔ‌هم دربلاد آسیای‌صغیربدین خاندان پیوسته بودند و اورا عالم ربانی وپیشوای بحق وشیخ‌راستین وقطب‌زمان میدانستند پس‌از آمدن‌شمس‌الدین وانقلاب حال‌مولانا دستشان‌از دامان شیخ‌خود کوتاه ماندتشنیع فقها وزهادهم مقوی این کدورت گشته آنانرابدشمنی‌شمس وامیداشت،احتمال قوی میرود که‌دسته‌ای ازخویشان وبستگان مولانا نیز که‌ازشکست کارخود نگران بودند با این گروه در آزار شمس‌الدین‌همدست‌شدند

بروایت سلطان‌ولد چون مریدان و یاران وبستگان مولانا بکین شمس کمربستند پیر تبریز دل‌ازقونیه برکند و مصمم‌شد که چنان رود که دیگر خبرش‌هم بدورو نزدیك نرسد . این سخن‌را با سلطان ولد در بین نهاد و ناگهان از میان همه گم‌شد و انجام کارش معلوم نشد !

چون‌شمس‌حقیقت‌درزیر ابراسرار ناپدید شد اخبار واراجیف که‌شایدبعضی‌از آنراهم دشمنان‌برای رنجش‌خاطرمولانا میساختند ازهم نمیگسست ، خبرمرگ وقتل وحیات شمس‌الدین همه‌روزه بگوش میرسید ، مولانادرجوش و خروش ومیان امید ونومیدی سرگردان بود و بروایت دولتشاه در آرزوی شمس میسوخت و قوالان رامیفرمود تاسرودعاشقانه‌میگفتندوشب وروزبسماع اشتغال داشتند وبیشتر غزلیاتش درفراق‌شمس‌الدین‌است .

چون ازمجموع اخبار مستفادشد که مشرق‌آفتاب عشق دمشق شام‌است وتشنیع فقیهان وجنبش‌عوام قونیه‌هم خاطر مولانارا سخت افسرده بود درطلب یار گمشده رهسپار شام گردید وخلقی بسیار درپی اوروان گشتند.مولانا دردمشق‌همچنان مجلس سماع ورقص ساز کردوپیوسته بافغان وزاری شمس‌تبریزی‌راازهرکوی وبرزن میجست‌ونمی‌یافت وازشدت اشتیاق ناله‌های پرسوز ازدل‌برمیآورد و اشعار غم‌انگیز میسرود . دمشقیانی که اهل دیدبودند بمولانا گرویده مال‌وخواسته در قدمش‌نثار میکردند وبرخی دیگر که‌از

سر کار آگهی نداشتند از حالاتش در شگفتی میماندند و میگفتند آن کیست که این بزرگ مردرا چنین فریفته و دلباختهٔ خود ساخته است.

چون کوشش مولانا در طلب شمس الدین بجائی نرسید ناچار باجمع مریدان بقونیه باز آمد و سماع بنیاد کرد و پس از سالی چند باز عشق شمس سر از گریبان جانش در آورده بار دیگر روی بدمشق نهاده ماهها درشام بجستجو گذرانید لکن این بار نومیدی تمام بحصول پیوست. ولی بقول سلطان ولد اگرچه مولانا شمس را بصورت در دمشق نیافت ولی بمعنی درخود یافت - پس از آنکه مولانا از وصول بشمس الدین نومید شد بقونیه باز گشته بتربیت و اصلاح خلق پرداخت و بجدی تمام به تکمیل ناقصان و ارشاد سالکان مشغول شد

مولانا که در علم و عرفان بمقام بلندی رسیده بود نظر باستغراقی که خود در کمال مطلق و جلوات جمال ربوبیت داشت پیوسته یکی از یاران گزین را بدستگیری و ارشاد طالبان برمیگماشت. نخستین بار صلاح الدین فریدون زرکوب قونوی را منصب شیخی و پیشوائی داد . یاران و مریدان که در آتش عشق نگداخته و در بوتهٔ ریاضت و سلوك از غش هوی و وهم پاك برنیامده بودند بجز مولانا هیچکس را قبول نمیکردند و شیخ صلاح الدین را که بروایت افلاکی مردی بیسواد و در بازار قونیه بزرکوبی روزگار میگذرانید برای دستگیری و راهنمائی سزاوار نمیدیدند بار دیگر سراز فرمان مولانا پیچیده بدشمنی صلاح الدین برخاستند و سخنان گزنده درحقش گفته بر آن شدند که اورا ازمیان بردارند مولانا علی رغم منکران حسود دیده بر شیخ صلاح الدین گماشت و عنایت و لطف را نسبت باو بحدی رسانید که پیوستگان و فرزندان خودرا فرمان داد تا دست نیاز در دامن وی زنند و از فرط علاقه فاطمه خاتون دختر صلاح الدین را برای سلطان ولد عقد بست ولی پس از دو سال صحبت بی انقطاع ناگهان شیخ صلاح الدین رنجور شد و بیماریش سخت دراز کشیده درسنهٔ ۶۵۷ در گذشت

بعد از مرگ صلاح الدین توجه مولانا بحسام الدین حسن چلبی معروف به ابن اخی ترك معطوف شد و اورا منصب شیخی داد حسام الدین از نخبهٔ مریدان مولانا بود که در زهد و تقوی و معرفت دارای مقامی رفیع و در رعایت دقایق شریعت بی نهایت مراقب بود

دوستی مولانا نسبت به چلبی بجائی رسید که لحظه ای خاطرش بی او نمیشکفت و اورا برفرزندان خود ترجیح داده و آنچه از زخارف دنیوی برایش میرسید فوراً بحسام الدین میفرستاد و یاران و مریدانهم که در طول مدت مهذب و مؤدب شده بودند پیشوائی چلبی را با کمال میل پذیرفته در پیشگاه او سر تمکین نهادند

بهترین یادگار ایام صحبت مولانا با شیخ حسام الدین نظم مثنوی معنویست که یکی از شاهکارهای ادبی ایران و بزرگترین و عالیترین اثر متصوفهٔ اسلام می باشد

سبب افاضهٔ این فیض از وجود مولانا چلبی بوده که چون میدید یاران بیشتر بقرائت آثار شیخ فریدالدین عطار نیشابوری و شیخ ابوالمجد مجدود سنائی غزنوی مشغولند شبی در خلوت از مولانا درخواست کرد کتابی بطرز منطق الطیر عطار یا الهی نامه سنائی (حدیقه) بنظم آرد مولانا فی الحال از سر دستار خود برگی که هجده بیت از آغاز دفتر نخستین مثنوی بر آن نوشته بود بیرون آورده بدست او داد

جذب و کشش حسام الدین بار دیگر دریای طبع مولانا را بجنبش در آورد و شور و شوق دیگر داد . شبها حسام الدین در محضرش می نشست مولانا ببدیههٔ خاطر شعر میسرود و رموز و اشارات عالم غیب را بشیوهٔ سخن گستری بیان میکرد و او مینوشت . چون دفتر نخستین مثنوی بانجام رسید همسر حسام الدین در گذشت و شیخ را پراکنده دل و غرق سکوت کرد طبع مواج مولانا هم که مشتری نمیدید از تلاطم افتاد دو سال تمام در نظم مثنوی تأخیر شد تا بار دیگر تفرق خاطر چلبی بجمعیت مبدل و خواهان انجام مثنوی شد

صحبت مولانا با شیخ حسام الدین پانزده سال امتداد یافت و یاران و مریدان از اثر صحبت آندو فوائد بیشمار میبردند و به ارادت تمام بخدمت آنان مسابقت میورزیدند مولانا از زحمت ناقصان تاحدی آسوده خاطر و در صحبت چلبی بود و یاران پروانه وار گرد شمع وجودش میگردیدند که ناگاه آن توانای عالم معنی به حمای محرق در بستر ناتوانی بیفتاد ، هرچه طبیبان بمداوا کوشیدند سودی نبخشیده مقارن غروب روز یکشنبه پنجم ماه جمادی الاخرهٔ سال ۶۷۲ در سن شصت و هشت سالگی روح پرفتوحش بریاض قدس اتصال یافت. بروایت افلاکی در شب آخر که مرض مولانا سخت شده بود خویشان و پیوستگان اضطراب عظیم داشتند و سلطان ولد هم هردم بیتابانه بسر پدر می آمد مولانا این غزل آتشین را نظم فرمود :

روسر بنه ببالین تنها مرا رها کن ترك من خراب شب گرد مبتلا کن

مسلمین قونیه از خورد و بزرگ در تشییع جنازهٔ مولانا حاضر شدند یهود و نصارای آنشهر نیز که صلح جوئی و نیکخواهی ویرا آزموده بودند بهمدردی اهل اسلام شیون و افغان میکردند . بروایت محمود مثنوی خوان در ثواقب مسلمین از یهود و نصاری پرسیدند که : شمارا با مولانا چه تعلق بوده است ؟ گفتند: اگر مسلمانان را بجای محمد بود ما را هم موسی و عیسی بود و اگر شمارا پیشوا و مقتدی بود ما را هم همان بود که قلب و فؤاد ماداند ؛ شیخ صدرالدین ابوالمعالی محمد بن اسحاق قونوی از بزرگان علماء تصوف و مشاهیر شاگردان شیخ محی الدین عربی بر مولانا نماز گزارد و از شدت بیخودی و درد پس از سلام شهقهٔ زده از هوش برفت جنازه را بحرمت تمام برگرفته در ارم باغچه نزد ضریح منور پدرش (سلطان العلماء) مدفون ساختند

بروایت افلاکی قاضی سراج الدین ابوالثنا محمد بن ابوبکر ارموی از اجلهٔ علماء عصر در برابر تربت مولانا این بیتها برخواند

کاش آنروز که در پای تو شد خار اجل دست گیتی بزدی تیغ هلاکم برسر
تا درین روز جهان بی تو ندیدی چشمم این منم بر سر خاك تو که خاکم برسر

مدت چهل روز یاران و مردم قونیه تعزیت مولانا میداشتند و با ناله و گریه برفوت آن سعادت آسمانی دریغ و حسرت میخوردند

علم الدین قیصر که بروایت افلاکی از اکابر قونیه بود باسرمایهٔ سی هزار درم همت بست که بنائی بر سر تربت مقدس مولانا بنیاد کند وزیر معین الدین سلیمان بن علی مشهور به پروانه اورا به هشتاد هزار درم نقد و پنجاه هزار درم دیگر حواله مساعدت فرمود و قبهٔ موسوم به خضراء بر مرقد مبارك تأسیس یافت علی الرسم چندقاری و مثنویخوان در سر تربت مولانا بودند. سلطان العلماء پدرش و پنجاه تن از اولاد و جانشینان مولانا آنجا مدفونند .

آثار مولانا

آنمقدار از آثار مولانا را که باقی مانده بدو قسمت منثور (فیه مافیه - مجالس سبعه - مکاتیب) و منظوم (غزلیات - رباعیات - مثنوی) میتوان تقسیم کرد

۱ - فیه مافیه - مجموعهٔ تقریرات مولانا است که در مجالس خود بیان فرموده و پسرش سلطان ولد یا دیگری از مریدان یادداشت کرده و بصورت کتاب در آمده - موضوع فصول و مجالس و نتیجهٔ آنها مسائل اخلاق و طریقت و نکات تصوف و عرفان و شرح و تبیان آیات قرآن و احادیث نبوی و کلمات مشایخست، بسال ۱۳۳۳ هجری قمری در تهران و بعد در هندوستان و شیراز چاپ شده است و ما برای نمونه پارهٔ از موضوعات مختلف آنرا در صفحهٔ ۳۳ آثار مولانا نقل کرده ایم

۲ - مجالس سبعه که عبارت از ۷ مجلس از مواعظ مولانا است که بر سر منبر بیان فرموده و نسخهٔ خطی آن در اسکدار در کتابخانه سلیم آقا محفوظ بوده و سه سال قبل با اجازهٔ آقای ولد چلبی افندی و بسعی آقای محمد فریدون نافذ در استانبول چاپ شده است و ما برای آنکه همه بتوانند بآن دسترسی داشته باشند عین آنرا جزء آثار مولانا نقل کرده ایم

۳ - مکاتیب مولانا - مجموعهٔ مراسلات او بمعاصرین است که اخیراً در استانبول بسعی آقای فریدون نافذ چاپ شده و ما ۷ مکتوب آنرا جزء آثار مولانا انتخاب کرده ایم

۴ - غزلیات - که بنام دیوان شمس معروفست و دوبار در هندوستان چاپ شده در حدود پنجاه هزار بیت میباشد که قسمتی از آثار دیگرانهم با اشعار مولانا مخلوط گردیده - اکثر غزلیات مولانا

باشور وبیقراری ازعشق وارادتیکه بشمس‌داشته ساخته‌شده و بنام شمس‌تبریزی تخلص کرده بقسمی که اگر کسی آگاه نباشد تصور میکند شمس‌شاعری‌بوده که اینهمه‌غزل را بنظم آورده(قریب صد غزل بنام صلاح‌الدین‌وحسام‌الدین وقریب‌دویست‌غزل هم نام خمش یاخاموش درمقطع آن‌ذکرشده) مابرای‌آنکه خوانندگان بسبك غزلیات مولانا آشناباشند ۲۳ غزل گلچین نموده‌درصفحات ۳٤ و ۳۵ چاپ کرده‌ایم.منتخب دیوان شمس که‌بوسیلهٔ‌رضاقلیخان هدایت انتخاب شده چندین‌مرتبه‌درتهران‌چاپ شده‌است

۵ـ رباعیات‌مولانا ـ درمطبعهٔ اختراستانبول‌بسال ۱۳۱۲هجری قمری‌چاپ‌شده متضمن ۱٦۵۹ رباعی‌است که قسمتی از آن بیشك متعلق بمولاناست وقسمتی‌مشکوك میباشد وبرای‌نمونه ۵٤رباعی درصفحه ۳٦ نقل شده‌است

٦ ـ مثنوی چنانکه سابقاً ذکر شد مثنوی را مولانا بخواهش حسام‌الدین چلبی‌شروع فرموده وازسال ٦۵۷ تا ٦٦۰ دفتر اول آنرا برشتهٔ نظم کشید وپس‌ازفترت دوساله‌به‌نظم‌دفتردوم‌پرداخت. تا انتهای دفتر ششم که از جهت مطلب بریده ومقطوع‌ماندو قصه شهزادگان‌بسرنیامده‌مولاناجان‌تسلیم فرمود وسوای ۱۸ بیت آغاز دفتراول که‌بخط مولانا نوشته‌شده بقیه‌را میفرموده‌و حسام‌الدین و سایرمریدان مینوشتند وبعد برای‌مولانا میخواندند اما دفترهفتم با یك‌مراجعهٔ اجمالی‌بابیات آن‌ازحیث‌طرزشعر و الفاظ غریب واعتقاد صاحب‌اسرار بامام‌فخررازی وغیره‌واضحست که‌ازمولانا نیست وما برای اینکه خوبی واستحکام اشعار مولانا واضح گردد بچاپ‌دفتر هفتم بدون‌شرح‌مبادرت ورزیده‌ایم تابدانند که هر که مثنوی‌ساخت مولانانمیشود.مثنوی قریب‌صد مرتبه‌درایران‌وهند واروپاو مصر و ترکیه‌چاپ‌شده‌وملاحسین کاشفی آنراملخص‌وبحسب‌مرام‌مرتب‌ساخته لب‌ولباب‌نامیده‌وچندین‌نفردیگرهم‌قسمتی‌از آنرابنام‌مثنوی‌الاطفال‌و خلاصة‌المثنوی ومنتخبات مثنوی وغیره گلچین نموده‌چاپ کرده‌اند

مثنوی حاضر

این‌بنده دردیماه‌سال۱۳۱٤درصددچاپ‌مثنوی‌برآمده‌وبرآنشدم که‌نسخهٔ‌چاپ‌مرحوم میرزامحمود خونساری‌راکه بتصحیح میرزای جلوه ودیگران رسیده بود عیناً باکشف‌الابیات بطبع‌رسانم اتفاقاً مثنوی خطی کهنه‌ای که بسال ۸٤۳ هجری نوشته شده بدست آمد که متأسفانه‌ازاول وآخرآن چندصفحه‌افتاده‌داشت‌وپس‌ازمقابله معلوم‌شدمثنوی‌محتاج اصلاح بسیاریست،دراین‌اثناآگاه‌شدم که‌نسخهٔ نفیسی‌ازمثنوی‌دراختیارحضرت‌استادی آقای‌سرتیپ‌عبدالرزاق‌مهندس بنایری‌است که بیك‌واسطه از روی‌خط بهاءالدین‌ولد پسر مولانا نوشته شده ونسخهٔ‌خطی‌دیگری ازاستاد معظم آقای ملك‌الشعراء بهار بعاریت گرفته شد که‌مولوی‌عبداللطیف‌با ٤۸ نسخهٔ‌مثنوی‌مقابله کرده وامتیازاتی داشت‌وهمچنین بدورهٔ مثنوی چاپ‌استاد نیکلسن ونسخ‌مرغوب چاپ هند و ایران مراجعه کرده در نتیجه مقابله‌کلیه نسخ فوق‌مثنوی‌حاضربدست‌آمد وبرای‌آنکه‌ابیات ملحقه بمثنوی که درنسخ قدیمه نیست (چون‌حتماً نمیتوان گفت که درمثنوی نبوده) امتیازی‌داشته باشد باعلامت ستاره(*)در جلو آن‌را نشانه کردیم تاخوانندگان محترم بدانند که‌آن‌ابیات دردونسخه کهنه خطی ومتن نسخه‌چاپ نیکلسن‌نیست وازدفترسوم که‌کلیه‌نسخ‌فوق مهیا بودبرای مزیدفایده‌نسخه بدلهائی‌هم درذیل ابیات افزودیم . اماذیل وشرح ابیات مشکله دفترنخستین رایکی‌ازمعاصرین‌نوشته وچون‌مطلوب واقع‌نشددفاتربعدراازروی‌هفت شرح‌مثنوی قدیم که‌حاجی‌سبزواری ومولوی‌عبداللطیف‌وغیرهم‌نوشته‌بودند گردآوردیم که‌همگانرابکارآید دفترهفتم‌را ازاین‌رو چاپ کردیم‌تاپارهٔ کوتاه‌فکران که‌تصورمیکنند مثنوی‌از حیث شعربرجسته‌نیست‌باشتباه‌خودبرخورده‌فرق مابین‌اشعار مولاناودیگرانرا که مثنوی‌هاساخته و هیچیك نتوانسته‌اندباوبرسند ملاحظه کرده باشتباه‌خود واقف گردند وبدانند که مثنوی علاوه‌بر توجه‌بمعنی‌وحقیقت از حیث ظاهر لفظهم آراسته و پیراسته است

پس‌ازخاتمه‌چاپ‌مثنوی درصدد تهیه کشف‌الابیات‌برآمده ودراینراه چهارسال رنج‌بردم ودرنتیجه کشف‌الابیات‌حاضربدست‌آمد که‌بانسخ سابق فرق واضحی‌ازحیث ترتیب منظم وسهولت‌مراجعه ومخلوط نبودن ب و پ و ج و چ و ک و گ و غیره دارد . اما کتاب لطائف‌اللغات‌فرهنگ‌جامعی ازلغات‌مثنوی بقلم‌مولوی‌عبداللطیف میباشد که‌درنتیجه صرف‌عمری درراه مداقه درمثنوی و تدریس آن ومقابله صدهانسخه‌بایکدیگر گردآورده،سابقاً نسخهٔ‌مغلوط‌وناقصی ازآن‌درهند بچاپ‌رسیده بود که‌بامراجعه بنسخ خطی‌نفیس‌تصحیح‌و درآخر کتاب‌ضمیمه گشت.وپس‌ازچاپ‌متن کتاب‌و کشف‌الابیات‌ولغت درصدد تهیه مقدمه برآمده‌برای‌آنکه‌مثنوی کاملا جامع‌باشد علاوه بر فهرست مطالب که بابتدای کتاب افزوده شد تمام مجالس سبعه وقسمتهائی ازسایرآثار مولانا ضمیمه‌شد وعلاوه برمآخذی که‌در ابتدای‌شرح‌حال‌ذکرشده رسالهٔ‌شرح حال بقلم سپهسالار وسه‌دفتر کتاب‌ولدنامه(که‌از آقای‌الفت خریداری‌شده)ومناقب‌العارفین‌هم‌در دسترس‌استفاده قرار گرفت.چهارقطعه‌عکس‌ازمولاناوآرامگاه او از کتاب آقای‌فروزانفر برداشته‌شده‌سه‌قطعه‌درابتدای‌مقدمه وقطعه چهارم دراینجا چاپ میشود

درگاه تربت مولانا

از آقای سیدیعقوب انوار که بامراجعه‌دقیق بمثنوی حاضر بنده راباشتباهات آن‌واقف ساختندوبرای‌تهیه‌غلطنامه‌استفاده‌بسیار کردم وازآقای علی‌قویم که کمکهای‌ذیقیمتی‌نموده‌اند تشکر کرده خداراسپاسگزارم که مقابله و چاپ مثنوی باهمه اشکالاتی که پیدا کرد وموانعی که برای آن پیش‌آمدپس‌از پنج‌سال‌پایان یافت.

دراینجا بامادهٔ‌تاریخی که‌شاعرشیرین گفتارمعاصر آقای‌پژمان‌برای چاپ‌مثنوی‌ساخته‌اندمطلب‌خودراخاتمه‌میدهم۲۰ر۱۲ر۱۹ محمدرمضانی

مثنوی آنشمع یزدانی فروغ — کش‌بود خورشیدحکمت‌زیرظل
کردچون‌ازمطلع‌خاورطلوع — پرتو مهرش فرود آمد به‌دل
خواست‌پژمان‌مطلعی‌خورشیدفر — تاطلوعش را بدان بخشدسجل
لیك چشم طبع و پای دانشش — این‌بتاریکی فروشد آن به گل
یاری‌ازشیخ‌بهائی‌جست‌وخواست — مصرعی خاطر فروزوغم‌گسل
آن‌بزرگ‌آوردسردرجمع‌وگفت — مثنوی باشد چوقرآنی مدل

۱۳۵۸

بسم الله الرحمن الرحیم

وَ عِندهُ مفاتیحُ القلوب وَ صلی اللهُ علی خیرِ خلقه محمد و آله وَ صحبه **امابعد** این مجلد پنجم است از دفترهای مثنوی و بینات[1] مثنوی در بیان آنکه[2] شریعت همچون شمعی است که راه مینماید وبی[3] آنکه شمعی بدست آوری[4] راه رفته نشود (وکاری کرده نگردد) چون در راه آمدنی این رفتن تو طریقت است وچون بمقصود رسیدی آن حقیقت است جهت این فرموده اند که لو ظهرت الحقایق بطلت الشرایع همچنانکه مسی زر شود یا خود از اصل زر بود او را نه بعلم کیمیا حاجت است که آن شریعتست و نه خودرا در کیمیا مالیدن که آن طریقتست چنانکه گفته اند طلبُ الدّلیلِ بعدالوُصول الی المدلولِ قبیحٌ (وَترکُ الدّلیل قبل الوُصول الی المدلولُ مذموم). حاصل آنکه شریعت همچون علم کیمیا آموختن است از استاد[5] یا از کتاب وطریقت استعمال کردن دارو ها و مسّ را در کیمیا مالیدن و حقیقت زر شدن مس پس کیمیادانان بعلم شادند که ما این علم را میدانیم وعمل کنندگان کیمیا بعمل شادند که ما چنین کار ها میکنیم و حقیقت یافتگان بحقیقت شادند که ما زر شدیم و از علم و عمل کیمیا آزاد شدیم وما عتقاءالله ایم کل حزبٍ بما لدیهم فرحون یامثال شریعت همچون علم طبّ آموختن است وطریقت پرهیز کردن بموجب علم طب و دارو ها خوردن و حقیقت صحت یافتن صحت ابدی و از آن هر دو فارغ شدن چون آدمی از این حیات مرد شریعت و طریقت هردو از او منقطع شد حقیقت ماند اگر حقیقت دارد نعره میزند که یالیت قومی یعلمون بماغفرلی ربی (و جعلنی من المکرمین) و اگر حقیقت نیستش نعره میزند که (یا لیتنی کنت ترابا) یالیتني لم اوت کتابیه ولم ادر ماحسابیه یالیتها کانت القاضیه ما اغنی عنی مالیه هلك عنی سلطانیه شریعت علم است طریقت عمل است وحقیقت الوصول الی الله که فمن کان یرجو لقاء ربه فلیعمل عملاً صالحاً (ولا یشرك بعبادة ربه احداً وصلی الله علی محمدٍ و آله و اصحابه اجمعین وسلم تسلیماً کثیراً کثیرا)

---

۱ ـ تبیان ۲ ـ بدان و آگاه باشید که ۳ ـ تا ٤ ـ نباری ٥ ـ یا ارشاد (ن . ل)

شه حسام‌الدین که نور انجم است ۱ ای ضیاءالحق حسام الدین راد اوستادان صفا را اوستاد
گر نبودی خلق محجوب و کثیف ۲ ور نبودی حلقها تنگ و ضعیف در مدیحت دادِ معنی دادمی غیرِ این منطق لبی بگشادمی
لیك لقمهٔ باز آنِ صعوه نیست ۳ چاره‌اکنون[1] آب‌وروغن کردنیست شرح توغیب[2] است بر اهل‌جهان همچو راز عشق دارم در نهان
مدح تو حیف است با زندانیان[3] ۴ گویم اندر مجمع روحانیان مدح تعریف‌است‌وتخریقِ حجاب فارغ است ازمدح وتعریف‌آفتاب
مادحِ خورشید مدّاح خود است ۵ که دوچشمم روشن وناُمرمد است ذمّ خورشید جهان ذمّ خوداست که دو چشمم‌کوروتاریك وبداست
تو ببخشا بر کسی کاندر جهان ۶ شد حسودِ آفتابِ کامران تاندش پوشید هیچ از دید ها وز طراوت دادن پوسید ها
یا ز نور بیحدش تاند کاست ۷ یا بدفع جاه او تاند خاست هر کسی کو حاسد کیهان بود آن‌حسد خود مرگ جاویدان بود
قدر تو بگذشت از درك عقول ۸ عقل در شرح شما شد بوالفضول گر چه عاجزآمد این عقل ازبیان عاجزانه جنبشی باید در آن
اِنّ شیئاً کله لا یدرك ۹ اعلموا ان کله لا یترك[4] گرچه نتوان خورد طوفانِ سحاب کی توان کردن بترك خورد آب
آب دریا را اگر نتوان کشید ۱۰ هم بقدر تشنگی باید چشید راز را گر می نیاری در میان درکها را تازه کن در[5] قشر[6] آن
نطقها نسبت بتو قشرست لیك ۱۱ پیشِ دیگر فهمها مغزاست نیك آسمان نسبت بعرش آمد فرود ورنه بس عالیست‌سوی[7] خاك تود
من بگویم وصف تو تا ره برند ۱۲ نور حقّی و بحق جذّاب جان خلق در ظلمات وهند و گمان
شرط‌تعظیم‌است تا این‌نورِ خوش ۱۳ نور یابد مستعدّ تیز گوش کو نباشد عاشق ظلمت چو موش
نور میکش ای‌حریف[8] تیزگوش ۱۴ سست چشمانی‌که شب جولان‌کنند کی طواف مشعلهٔ ایمان کنند
نکتهای مشکلِ باریك شد ۱۵ تا بر آراید هنر را تار و پود چشم در خورشید نتواند گشود
همچو نخلی بر نیارد شاخها ۱۶ کرده موشانه زمین سوراخها

تفسیر آیه کریمه فَخُذْ اَرْبَعَةً مِنَ الطَّیْرِ فَصُرْهُنَّ اِلَیْكَ الخ[9]

چاروصف است‌این‌بشررادل فشار ۱۷ چار میخ عقل گشته این چهار ۱۸ تو خلیل وقتی ای خورشید هش این چهار اطیار رهزن را بکش
زانکه هرمرغی ازاینها زاغ وش ۱۹ هست عقل عاقلان را دیده کش ۲۰ چار وصف تن چو مرغان خلیل بسملِ ایشان دهد جان را سبیل
ای خلیل اندر خلاص نیك و بد ۲۱ سر ببرشان تا رهد پا ها ز سد ۲۲ کل توئی وجملگان اجزای تو[10] بر گشا که هست پاشان پای تو
از تو عالم روح زاری میشود ۲۳ پشت صد لشکر سواری میشود ۲۴ زانکه این تن شد مقام چار خو نامشان شد چار مرغ فتنه جو
خلق را گر زندگی خواهی ابد ۲۵ سر ببر زین‌چار مرغ شوم[11] بد ۲۶ بازشان زنده کن از نوع دگر که نباشد بعدازان ز ایشان ضرر
چار مرغ معنویّ راهزن ۲۷ کرده اند اندر دل خلقان وطن ۲۸ چون امیر جملهٔ دلها شوی اندراین‌دوران خلیفهٔ[12] حق توئی
سر ببر این چار مرغ زنده را ۲۹ سرمدی کن عمر نا پاینده را ۳۰ بطّ وطاوس‌است‌وزاغست‌وخروس این مثال چار خلق[13] اندرنفوس
بط‌حرص‌است‌وخروس‌آن‌شهوتست ۳۱ جاه‌چون‌طاوس‌وزاغ‌امنیت‌است[14] ۳۲ مُنیتش آنکه بود امید سازِ طامع تأیید یا عمر دراز
بط حرص آمد که نوکش درزمین ۳۳ در تر و درخشك میجوید دفین ۳۴ یك زمان نبود معطل آن گلو نشنود از حکم جز امر کلوا[15]
همچو یغماجی که خانه می کند ۳۵ زود زود انبان خود پر می کند ۳۶ اندر انبان میفشارد نیك و بد دانهای دُرّ و حبات نخود
تا مبادا باغئی آید دگر ۳۷ می فشارد درجوال او خشك‌وتر ۳۸ وقت‌تنگ وفرصت اندك‌اومخوف دربغل زد هرچه زوتر[16] بی‌وقوف
اعتمادش نیست بر سلطان خویش ۳۹ که مبادا طامعی آید بیش ۴۰ لیك مؤمن ز اعتماد آن حیات می کند غارت بمهل و با اناة
ایمن‌است از فوت واز باغی‌که او ۴۱ می شناسد قهرِ شه را بر عدو ۴۲ واینست از خواجه تاشان دگر که نیایندش مزاحم صرفه بر

۱ ـ اینجا ۲ ـ غبن ۵ ـ از ۷ ـ پیش ۸ ـ از خدا ای ۱۱ ـ خوی ۱۲ ـ عزیز ۱۳ ـ مرغ ۱۶ ـ دید آن (ن . ل)

(۳) زندانیان‌گرفتاران بعلایق دنیا وبظلمات طبیعت ولوازم آن (٤) بدرستیکه چیزی‌که همه آنرا نتوان دریافت بدانیدکه همه‌آنرا نباید ترك کرد اشاره است بحدیث مالا یدرك کله لایترك کله (٦) یعنی اگر بباطن قرآن پی نمیبری اقلاً از ظاهرش استفاده کن (۹) این آیه شریفه در سورهٔ بقره واقع شده ومعنی آن اینست که خدا ابراهیم را فرمود که اگر مشاهدهٔ این حال آرزو داری بگیر چهارمرغ وپاره پاره کن آن مرغها را وجمع‌کن نزد خود وبشناس علامات هریك را که التباس نیفتد برتو بعد از زنده‌شدن پس متفرق گردانیده وهرجزئی ازآن را برسرکوهی بگذار پس بخوان آن مرغهارا بنامهایشان تا بشتابند بسوی تو وبدان که خدایتعالی عزیز وحکیم است (۱۰) وفیك انطوی العالم الأکبر ـ الحمد لله الذی خلق‌الانسان وخلق من فضالة طینته سایرالأکوان (١٤) امنیت آرزو و امل وهمی مثل آنکه صاحب طول امل گوید پروردگارا مرا عمر بده تا اطفال خودرا بزرگ‌کرده پسر را متأهل نموده و دختررا شوهر دهم فلان ملك را آباد کنم وفلان دشمن را مقهور دائماً باشد بدنیا عمر خواه ودر صدد مقهوریت دشمنان اخروی نیست (۱۵) از حکم امرکلوا واشربوا را می شنود ولی نهی لاتسرفوا را نمی شنود .

عدل شه را دیده در ضبط حشم — که نیارد کرد کس بر کس ستم ۱ لاجرم نشتابد و ساکن بود — از فوات حظّ خود آمن بود
بس تأنی دارد و صبر و شکیب — چشم سیر وموقنست[1] وپاك‌جیب ۲ کاین تأنی پرتو رحمان بود — وان شتاب از هزهٔ شیطان بود
زانکه شیطانش بترساند ز فقر — بار گیر صبر را بکشد بعقر ۳ از نبی بشنو که شیطان دروعید[2] — میکند تهدیدت از فقر شدید
تاخوری زشت وبری زشت ازشتاب — نی مروّت نی تأنی نی ثواب ۴

در سبب ورود این حدیث که الکافر یأکل فی سبعة امعاء والمؤمن یأکل فی معاء واحد [3]

لاجرم کافر خورد در هفت بطن — دین ودل‌باریك ولاغر زفت بطن ۶ کافران مهمان پیغمبر شدند — وقت شام ایشان بمسجدآمدند [4]
کامدیم ای شاه ما اینجا قنق — ای تو مهمان‌دار سکان افق ۷ بینوائیم و رسیده ما ز دور — هین بیفشان بر سر ما فضل نور
رو بیاران کرد آن سلطان راد — دستگیر جمله شاهان و عباد ۸ گفت ای یاران من قسمت کنید — که شما پر از من و خوی منید
پر بود اجسام هر لشکر ز شاه — زان زنند آن تیغ بر اعدای جاه ۹ تو بخشم شه زنی آن تیغها [5] — ورنه براخوان چه خشم آید ترا
بر برادر بی گناهی میزنی — عکس خشم شاه گرز ده منی ۱۰ شه یکی جانست و لشکر پر ازو — روح‌چون آبست واین اجسام جو
آب روح شاه اگر شیرین بود — جمله جوها پر ز آب خوش شود ۱۱ که رعیت دین شه دارند وبس [6] — این چنین فرمود سلطان عبس
هر یکی یاری یکی مهمان گزید — درمیان یك زفت بود و بی‌ندید [7] ۱۲ جسم ضخمی داشت کس‌اورا نبرد — ماند در مسجد چو اندر جام دُرد
مصطفی بردش چو واماند ازهمه — هفت بز بد شیر ده اندر رمه ۱۳ که مقیم خانه بودندی بزان — بهر دوشیدن برای وقت خوان
نان‌و آش‌و شیر آن هر هفت بز — خورد آن بوقحط اعوج ابن غز ۱۴ جمله اهل‌البیت خشم آلو شدند — که همه در شیر بز طامع بدند
معده طبلی خوارهمچون طبل کرد — قسم هجده آدمی را او[8] بخورد ۱۵ وقت خفتن رفت و درحجره نشست — پس کنیزك ازغضب در رابست
از برون زنجیر در را در فکند — که از او بد خشمگین و دردمند ۱۶ گبر را از نیمشب تا صبحدم — بس تقاضا آمد و درد شکم
از فراش خویش سوی درشتافت — دست بر در چون‌نهاد اوبسته یافت ۱۷ در گشادن حیله کرد آن حیله‌ساز — نوع نوع و خود نشد آن بند[9] باز
شد تقاضا بر تقاضا خانه تنگ — ماند اوحیران و بی‌درمان ودنگ ۱۸ حیلهٔ کرد و بخواب اندر خزید — خویش‌را درخواب درویرانه دید
زانکه ویرانه بُد اندر خاطرش — شد بخواب اندر همانجا منظرش ۱۹ خویش در ویرانهٔ خالی چو دید — او چنان محتاج هم در حال رید
گشت بیدار و بدید آنجامه خواب — پر حدث دیوانه شد ازاضطراب ۲۰ زاندرون او بر آمد صد خروش — از چنین رسوائی بی خانك پوش
گفت خوابم بدتر از[10] بیداریم — کهخورم‌زانسان وزینسان میزیم[11] ۲۱ بانگ میزد وا ثبورا وا ثبور — آنچنانکه کافران روزنشور[12و13]
منتظر که کی شود این شب‌بسر — تا بر آید از گشادن بانگ در ۲۲ تا گریزد او چو تیری از کمان — تا نبیند هیچ کس او را چنان
قصه بسیار است کوته میکنم ۲۳ بازشد آن در رهید ازدرد و غم

در حجره گشادن مصطفی صلی‌الله علیه و آله بر مهمان و خودرا پنهان کردن تا خجل نشود

مصطفی صبح آمد و در را گشاد — صبح آن گمراه را او راه داد ۲۵ در گشاد و گشت پنهان مصطفی — تا نگردد شرمسار آن مبتلا
تا برون آید رود گستاخ او — تا نبیند در گشا را پشت و رو ۲۶ پانهان شد در پس چیزی[14] و یا — از ویش پوشید دامان خدا
صبغةالله گاه پوشیده کند[15] — پردهٔ بیچون برآن ناظر تند ۲۷ تا نبیند خصم را پهلوی خویش — قدرت قادر ازین بیش‌است بیش
مصطفی میدید احوال شبش — لیك مانع بود فرمان ربش ۲۸ تا که پیش ازخبط[16] بگشایدرهی — تا نیفتد زان فضیحت در چهی
لیك حکمت بود و امر آسمان — تا ببیند خویشتن را او چنان ۲۹ بس عداوتها که آن یاری بود — بس خرابیها که معماری بود
چونکه‌کافرباب را بگشاده دید — نرم نرمك از کمین بیرون جهید ۳۰ جامه خواب پُرحدث را یکفضول — قاصدا آورد در پیش رسول
کاینچنین کردست مهمانت ببین — خندهٔ زد رحمة للعالمین ۳۱ که بیاور مطهره اینجا بپیش — تابشویم جمله را با دست خویش
هر کسی میجست کز بهر خدا — جان ما وجسم ما قربان تو را ۳۲ تا بشوئیم این حدث را تو بهل — کاردست‌است‌این‌نه‌کارجان‌و[17]دل
ای‌لعمرك‌مرترا حق عمرخواند[18] — پس خلیفه کرد و برکرسی نشاند ۳۳ ما برای خدمت تو میزئیم — چون توخدمت میکنی‌پس ما کشیم
گفت میدانم ولیك این ساعتیست — کاندرین شستن بخویشم حکمتیست ۳۴ منتظر بودند کاین قول نبی‌است — تا پدید آیدکه این اسرار چیست
او بجد میشست آن احداث را — خاص ز امر حق نه تقلید و ریا ۳۵ که دلش میگفت کاین را تو بشو — کاندر اینجا هست حکمت تو بتو

در سبب رجوع کردن آن کافر بخانهٔ مصطفی صلی‌الله علیه و آله در آن ساعت که مصطفی بالین ملوث اورا بدست خود می شست وخجل شدن او وجامه چاك کردن ونوحهٔ او برخود و برحال‌خود

کافرك را هیکلی بُد یادگار — یاوه دید آنرا و گشت او بی‌قرار ۳۸ گفت آن حجره که شب جاداشتم — هیکل آنجا بیخبر بگذاشتم
گرچه‌شرمین‌بودشرمش حرص برد — حرص ازدرهاست نی‌چیزیست‌خرد ۳۹ از پی هیکل شتاب اندر دوید — در وثاق مصطفی وآنحال دید[19]

---

۱ ـ مؤثر است ٤ ـ چون نماز شام در مسجد بدند ٥ ـ تیغ را ۷ ـ بد یك شکم زفت عنید ۸ ـ تنها ۹ ـ می نشددر هیچ ۱۰ ـ زشت چون ۱۱ ـ کار نیکم بد تر از بی‌کاریم ۱۲ـ همچو جان کافران در قعر گور ۱٤ـ دیوار ۱٦ ـ خبط ۱۷ ـ نمط نه کار ۱۹ ـ وانرا بدید (ن . ل)

---

(۲) اشاره است بآیه کریمه در سورهٔ بقره الشیطان یعدکم الفقر و یأمرکم بالفحشاء یعنی شیطان شمارا وعده میدهد بفقر (میترساند درحین انفاق از درویشی) وامر میکند بگناهان ورذائل (۳) حدیث نبویست یعنی کافر میخورد درهفت معاء (ازاینکه شیطان با اوهمراهی میکند وهمیشه حرص براو غالب است) ومؤمن را پُری یك معا کفایت میکند (٦) اشاره‌است بحدیث الناس علی‌دین ملوکهم (۱۳) چنانکه خدا فرموده لاتدعوا الیوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً کثیرا (۱٥) مقصود از صبغةالله رنگ بی رنگی حق است ـ چون رنگها چیزی را میپوشند چنانکه جوهرها بعرضها و وجود بمهیات که بمنزلهٔ رنگ است پوشیده شده‌اند صبغةالله فرمود به رحمةالله (۱۸) اشاره است بآیهٔ واقعه درسورهٔ حجر لعمرك انهم لفی سکرتهم یعمهون یعنی قسم بجان تو که ایشان درمستی خود کور دلند و در ظلال

کان یدالله آنحدث با دست خود — خوش همی شوید که دورش چشم بد ۱ — هیکلش از یاد رفت و شد پدید — اندر او شوری گریبان را درید
میزد او دو دست را بر رو و سر — کله را میکوفت بر دیوار و در ۲ — آنچنانکه خون ز بینی و سرش — شد روان و رحم کرد آن مهترش
نعرها زد خلق گرد آمد براو — گبر گویان ایها الناس احذروا ۳ — میزد او بر سر که ای بی‌عقل سر — میزد او بر سینه کی بی‌نور بر
سجده میکرد او که ای کل زمین — شرمساراست از تو این جزو مهین ۴ — تو که کلی خاضع امر وئی — من که جزوم ظالم وزشت وغوی
تو که کلی خوار ولرزانی زحق — من که جزوم در خلاف و درسبق ۵ — هر زمان میکرد رو بر آسمان — که ندارم روی این قبلهٔ جهان
چون زحد بیرون بلرزید وطپید — مصطفی‌اش در کنار خود کشید ۶ — ساکنش کرد و بسی بنواختش — دیده اش بگشاد وداد[1] اشناختش
تا نگرید ابر کی خندد چمن — تا نگرید طفل کی جوشد[2] لبن ۷ — طفل یک‌روزه همی داند طریق — که بگریم تا رسد دایهٔ شفیق
تو نمیدانی که دایهٔ دایگان — کم دهد بی گریه شیرت رایگان ۸ — گفت فلیبکوا کثیراً گوش دار[3] — تا بریزد شیر فضل کردگار
گریهٔ ابر است و سوز آفتاب — استن دنیا همین دو رشته تاب ۹ — گر نبودی سوز مهر و اشك ابر — کی شدی اجسام ما[4] زفت وسطبر
کی بدی معمور این هر چارفصل — گر نبودی این تف واین گریه اصل ۱۰ — سوز مهر و گریهٔ ابر جهان — چون همی‌دارد جهان را خوش دهان
آفتاب عقل را در سوز دار — چشم را چون ابر اشك افروز دار ۱۱ — چشم گریان بایدت چون طفل خرد — کم‌خور این نان را که نان آب تو برد
تن چو با برگست روز وشب از آن — شاخ جان در برگ ریزاست وخزان ۱۲ — برگ تن بی برگی جانست زود — زین بباید کاستن وانرا فزود
اقرضوالله قرض‌ده زین برگ تن[5] — تا بروید در عوض در[6] دل چمن ۱۳ — قرض ده کم کن از این لقمه تنت — تا نماید وجه لاعین رأت[7]
تن زسرگین خویش چون خالی کند — پر ز گوهرهای[8] اجلالی کند ۱۴ — زین پلیدی برهد و پاکی برد — از یطهرکم تن او برخورد[9]
دیو میترسانت که هین و هین — زین پشیمانی خوری گردی حزین[10] ۱۵ — گر گدازی زین هوسها تو بدن — پس پشیمان و غبین خواهی شدن
این بخور گرمست و داروی مزاج — وان بیاشام از پی نفع و علاج ۱۶ — هم بدین نیت که این تن مرکبست — آنچه خو کردست آتش اصوبست
هین مگردان خو که پیش آید خلل — در دماغ و دل بزاید صد علل ۱۷ — این چنین تهدیدها آن دیو دون — آرد و بر خلق خواند صد فسون
خویش جالینوس سازد در دوا — تا فریبد نفس بیمار تو را ۱۸ — کاین ترا سوداست از درد وغمی — گفت آدم را همین در گندمی
پیش آرد هی هی و هیهات را — وز لویشه پیچد او لهات را ۱۹ — همچو لبهای فرس در وقت نعل — تا نماید سنگ کمتر را چو لعل
گوشهایت گیرد او چون گوش اسب — میکشاند سوی حرص وسوی کسب ۲۰ — بر زند بر پات نعلی ز اشتباه — تا بمانی تو ز درد آن ز راه
نعل او باشد تردد در دو کار — این کنم یا آن کنم هین هوشدار ۲۱ — آن بکن که هست مختار نبی — آن مکن که کرد مجنون و صبی
حفت الجنة بچه محذوف گشت[11] — بالمکاره که ازاو افزود گشت ۲۲ — صد فسون دارد زحیلت وز دها — که کند در سله گر هست اژدها
گر بود کوهی چو که بربایدش — دست برد خویشتن بنمایدش ۲۳ — ور بود آب روان بر بندش — ور بود جبر زمن بر خندش
عقل را با عقل یاری[12] یار کن — امرهم شوری بخوان و کار کن[13] ۲۴

نواختن مصطفی صلی‌الله علیه وآله مهمان را و مسلمان شدن و تسکین دادن او را از اضطراب و ندامت

این سخن پایان ندارد آن عرب — ماند از الطاف آن شه در عجب ۲۶ — خواست دیوانه شدن عقلش رمید — دست عقل مصطفی بازش کشید
گفت اینسو آ بیامد آنچنان — که کسی برخیزد از خواب گران ۲۷ — گفت اینسو آ مکن هین باخودآ — کاندر این سو هست باتو کارها
آب بر رو زد در آمد در سخن — کای شهید حق شهادت عرضه کن ۲۸ — تا گواهی بدهم و بیرون شوم — سیرم ازهستی درآن هامون شوم
ما در این دهلیز قاضی قضا — بهر دعوی الستیم و بلی[14] ۲۹ — چون بلی گفتیم آنرا ز امتحان — قول وفعل ما شهود است و بیان
از چه در دهلیز قاضی تن زدیم — نی که ما بهر گواهی آمدیم ۳۰ — چند در دهلیز قاضی ای گواه — حبس باشی ده شهادت از پگاه
زان بخواندندت بدینجا تا که تو — آن گواهی[15] بدهی وناری عتو ۳۱ — از لجاج خویشتن بنشستهٔ — اندرین تنگی لب و کف بستهٔ
تا بندهی این گواهی ای شهید — تو ازاین دهلیز کی خواهی رهید ۳۲ — یك زمان کاراست بگزار وبتاز — کار کوته را مکن بر خود دراز
خواه در صد سال وخواهی یك زمان — این امانت واگذار و وا رهان ۳۳

در بیان آنکه اعمال نماز و روزه و حج و همه چیزهای برونی گواهیهاست برنور اندرونی

این نماز و روزه و حج و جهاد — هم گواهی دادنست از اعتقاد ۳۵ — این زکوة و هدیه و ترك حسد — هم گواهی دادنست از سر خود
خوان ومهمانی پی اظهار راست[16] — کای مهان ما باشما هستیم راست ۳۶ — هدیها و ارمغان و پیشکش — شد گواه آنکه هستم با تو خوش
هر کسی کوشد بمالی با فسون — چیست دارم گوهری در اندرون ۳۷ — گوهری دارم ز تقوی یا سخا — این زکوة و روزه بر هردو گوا

۱ـ داد وبداد ۲ـ نوشد ٤ـ جسم وعرض ٦ـ از ۸ـ مشك ودر ۱۰ـ پشیمان گردی و زار وغمین ۱۲ـ دیگر ۱۵ـ شهادت (ن . ل)

(۳) اشاره است بآیه واقعه درسورهٔ توبه فلیضحکوا قلیلاً ولیبکوا کثیراً یعنی پس باید کم بخندید وزیاد بگریید (٥) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ مزمل که و اقرضوا الله قرضاً حسناً یعنی صدقه دهید تا جزا یابید و صدقه را بلفظ قرض ادا فرموده بجهت تأکید در پاداش (۷) اشاره است بحدیث که برای مؤمن در بهشت مقامی است که هیچ چشمی ندیده و هیچ گوشی نشنیده و ابداً بقلب هیچ بشری خطور نکرده (۹) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ احزاب انما یریدالله لیذهب عنکم الرجس اهل‌البیت ویطهرکم تطهیرا یعنی خداوند میخواهد که دور کند ازشما اهل بیت رجس وناپاکی را وپاك کند شمارا پاکی بزرگی (۱۱) یعنی آن بکن که مکروه نفس است ومجاهدة کن بانفس واشاره‌است بحدیث انما حفت الجنة بالمکاره (۱۳) اشاره بآیه واقعهٔ در سورهٔ شوری که حق تعالی دربارهٔ مؤمنین میفرماید که امرشان این است که در کارها بایکدیگر مشورت می‌کنند (١٤) تشبیه شده این عالم طبیعی تنگ به پیش باب آستانه قاضی و کسان این عالم که باید شهادت بدهند بتوحید بحضار دهلیز قاضی که ادای شهادتی بر ذمهٔ ایشان است پس چون در عالم ذر سؤال الست بربکم را همه بلی گفتند در این عالم طبیعی امتحان میشوند و باید تقریر و تثبیت توحید بشود (١٦) این بیت و ابیات بعد در بیان آنست که اعمال شریعت و اخلاق طریقت همه گواهی میدهند برصدق آن بلی وتوحید کردن تواست بکردار واسرار

روزه گوید کرد تقوی از حلال — با حرامش دان که نبود اتّصال ۱ — وان زکوتش گفت کو ازمال خویش — میدهد پس چون بدزدد زاهل کیش
گر بطرّاری کنند این دو گواه — جرح شد در محکمهٔ عدل اله ۲ — هست صیاد ار کند دانه نثار — نی ز رحم و جود بل بهر شکار
هست گربه روزه دار اندر صیام — خفته کرده خویش بهر صید خام[1] ۳ — کرده بدظن زین کژی صد قومرا — کرده بدنام اهل جود و صوم را
فضل حق با آنکه او کژ می‌تند — عفت زین جمله پاکش میکند ۴ — سبق برده رحمتش وآن غدر را — داده نوری کان نباشد بدر را
کوششش را شسته حق زاین اختلاط — غسل داده رحمت اورا زین خباط ۵ — تا که غفاری او ظاهر شود — سیئات جمله[2] را غافر شود

پاك کردن آب دمهٔ پلیدیهارا و باز پاك کردن خدایتعالی آب را از پلیدی لاجرم قدوس آمد حق تعالی

آب بهر آن ببارد از سماك — تا پلیدان را کند از خبث پاك ۷ — آب چون بیکار گردد شد نجس — تاچنان شد کاب را ردکرد حس
حق ببردش باز در بحر صواب — تا بشستش از کرم آن آب آب ۸ — سال دیگر آمد او دامن کشان — هی کجا بودی بدریای خوشان
من نجس زاینجا شدم پاك آمدم — بستدم خلعت سوی خاك آمدم ۹ — هین بیائید ای پلیدان سوی من — که گرفت ازخوی یزدان خوی من
در پذیرم جملهٔ زشتیت را — چون ملك پاکی دهم عفریت را ۱۰ — چون شوم آلوده باز آنجا روم — سوی اصل اصل پاکیها شوم
دلق چرکین بر کنم آنجا ز سر — خلعت پاکم دهد بار دگر ۱۱ — کاراو این است وکارمن هم این — عالم آرایست ربّ العالمین
گر نبودی این پلیدیهای ما — کی بدی این بارنامه آب را[3] ۱۲ — کیسهای زر بدوزیده است[4] او — میرود جویان مفلس سو بسو
تا بریزد بر گیاه رستهٔ — تا بشوید روی هر[5] ناشستهٔ ۱۳ — تا بگیرد بر سر او حمّال وار — کشتی بی دست و پا را در بحار
صدهزاران دارو اندر وی نهان — زانکه دارو زو بروید درجهان[6] ۱۴ — جان هر درد و دل هر دانهٔ — میرود در جو چو دارو خانهٔ
زو یتیمان زمین را پرورش — زو بخاك گرسنه صدگون خورش[7] ۱۵ — چون نماند مایه اش تیره شود — همچو ما اندر زمین خیره شود
ناله از باطن برآرد کای خدا — آنچه دادی دادم و ماندم گدا ۱۶

استعانت آب از حق سبحانه و تعالی بعد از تیره شدن

ریختم سرمایه بسر پاك و پلید — ای شه سرمایه ده هل من مزید[8] ۱۸ — ابر را گوید ببر جای خوشش — هم تو خورشیدا ببالا برکشش
راههای مختلف می راندش[9] — تا رساند سوی بحر بیحدش ۱۹ — خودغرض زین آب جان اولیاست — کو غسول تیرگیهای شماست
چون شود تیره زقدر[10] اهل فرش — بازگردد سوی پاکی بخش عرش ۲۰ — باز آید ز آنطرف دامن کشان — از طهارات محیط آرد نشان[11]
از تیمم وا رهاند جمله را — واز تحرّی طالبان قبله را ۲۱ — زاختلاط خلق یابد اعتلال — زان سفر جوید کارحنا یا بلال
ای بلال خوش نوای خوش صهیل — مئذنه بر رو بزن طبل رحیل[12] ۲۲ — جان سفر رفت و[13] بدن اندرقیام — وقت رجعت زان سبب گوید سلام[14]
این مثل چون واسطه است اندر کلام — واسطه شرطست بهر فهم عام ۲۳ — اندر آتش کی رود بی واسطه — جز سمندر کو رهید از رابطه
واسطهٔ حمام باید زابتدا[15] — تا زآتش خوش کنی تو طبع را ۲۴ — چون نتانی شد درآتش چون خلیل — گشت حمامت رسول آیت دلیل
هست سیری ازحق و اهل طبع — کی رسد بی واسطهٔ نان در شبع ۲۵ — لطف ازحق است لیکن اهل تن — در نیابد لطف بی پردهٔ چمن
چون نماند واسطهٔ تن بی حجیب — همچو موسی نور مه تابد زجیب ۲۶ — این هنرها آب را هم شاهد است — کانرونش پر زنور ایزد است

گواهی فعل و قول بیرونی بر ضمیر و نور اندرونی

قول و فعل آمد گواهان ضمیر — زین دو بر باطن تواستدلال گیر ۲۸ — چون ندارد سیر سرّت در درون — بنگر اندر بول رنجور از برون
فعل وقول آن بول رنجوران بود — کان طبیب جسم را برهان بود ۲۹ — وان طبیب روح در جانش رود — وز ره جان اندر ایمانش رود
حاجتش نبود بفعل وقول[16] خوب — احذروهم هم جواسیس القلوب[17] ۳۰ — این گواه فعل وقول از وی بجو — کو بدریائیست واصل همچو جو
قول و فعل او گواه او بود — کو بدریا متصل چون جو بود ۳۱ — بنگر اندر فعل او و قول او — تا چه دارد درضمیر آن راز جو
نورش اندرمرتبت چنداست وچیست — بهر صید او دانه پاشد یاسخیست ۳۲ — گر بود صیاد از وی دورشو — وان فسون و فعل وقولش کم شنو
وربود صدیق دست ازوی مدار — تا رساند مر ترا سوی بحار ۳۳ — لیك نور عارفی[18] کزحد گذشت — نور او پرشد[19] بیابانها و دشت
شاهدیش فارغ آمد از شهود ۳۴ — وز تکلفهای جانبازی و جود

در بیان آنکه نور خودرا از اندرون شخص منور ظاهر کند بر خلقان بی فعل و قول عارف افزون از آنکه بقول و فعل اوظاهرشود چنانکه آفتاب بلند شود بانگ خروس و اعلام مؤذن حاجت نیاید بی آنکه قولی و فعلی بیان کند گواهی دهد بر نور او

نور آن گوهر چو بیرون تافته است — زین تسلسها فراغت یافته است ۳۸ — پس مجو از وی گواه فعل وگفت[20] — که ازاوهردوجهان چون گل شکفت

---

۱ ـ عام ۲ ـ مغفری کلیش ٤ ـ بدزدیده است ٥ ـ رو ٦ ـ زانك ازاو رویند داروها عیان ۷ ـ بستگان خشك را از وی روش ـ تشنگان خاك را از وی خورش ۱۰ـ غدر ـ غسل ۱۱ـ او درفشان ـ او درسشان ۱۵ـ مر ترا ۱٦ ـ زشت و ۱۸ ـ سالکی ۱۹ ـ پرشد از فرش (ن . ل)

---

(۳) از بارنامه در اینجا تجمل وجاه مراد است (۸) اشاره است بآیه راجع بجهنم که حریص جنس خود است و عصاة را چون دراو اندازند گویند هل امتلأت فتقول هل من مزید (۹) در حدیث است الطرق الی الله بعدد انفاس الخلائق (۱۲) مئذنه جای مؤذن است در هنگام نماز و وقت جهاد بلال مؤذن حضرت رسول بالای منارهٔ که محل اذان بود میرفت ومردمرا ندا میداد پس درآن هنگام که حضرت بلال را امر باخبار مؤمنین کرد فرمود ارحنا یابلال یعنی راحت بده ما را که سفر جهاد و نماز راحت آن حضرت بود (۱۳) الصلوة معراج المؤمن (۱٤) در آخر نماز که سلام میگوئی بجهت آنست که از سفر الی الله رجوع کرده و سلام میدهی (۱۷) یعنی بترسید از طبیبان روحانی که ایشان جاسوسان وآگاهان بردلها ومشرفان بر ضمیرند (۲۰) زیرا آیت کبرای حق چون حق خود دلیل برخود است زهی نادان که او خورشید تابان بنور شمع جوید در بیابان

این گواهی چیست اظهار نهان — خواه فعل و خواه قول وغیرآن ۱ که عرض اظهار سرّ جوهر است[1] — وصف باقی وین عرض برمعبر است
این نشان زر نماند بر محك — زر بماند نیك نام و بی زَ[2]شك ۲ ❀این صلوة واین جهاد واین صیام — هم نماند جان بماند نیکنام
جان چنین افعال و اقوالی نمود — بر محكِ امر جوهر را بسود ۳ کاعتقادم راست است اینك گواه — لیك هست اندر گواهان اشتباه
ترکیه باید[3] گواهان را بدان — ترکیه اش اخلاص وموقونی بدان ۴ حفظ لفظ اندر گواه قولی است — حفظ عهد اندر گواه فعلی است
گر گواه قول کژ گوید رد است — ور گواه فعل کژ پوید بد است[4] ۵ قول و فعل بی تناقض بایدت — تا قبول اندر زمان پیش آیدت
سعیکم شتی[5] تناقض اندرید — روز می‌دوزید و شب برمی‌درید ۶ پس گواهی با تناقض که شنود — اومگر حکمی کند از لطف خود
قول وفعل اظهار رّاست وضمیر — هر دو پیدا میکند سرّ ستیر ۷ چون گواهت ترکیه شد شد قبول — ور نه محبوسیست اندر مول مول
تا تو بستیزی ستیزند ای‌حرون ۸ فانتظر هم انهم منتظرون[6]

عرضه کردن مصطفی علیه‌السلام شهادت را بر آن مهمان خویش

این سخن پایان ندارد مصطفی — عرضه‌کرد ایمان وپذرفت آن‌فتی ۱۰ آن شهادت‌را که فرّخ بوده است — بند های بسته را بگشوده است
گشت مؤمن گفت او را مصطفی — کامشب دیگر تو شو مهمان ما ۱۱ گفت والله تا ابد ضیف تو ام — هر کجا باشم بهر جا که روم
زنده کرده و معتق و دربان تو — این جهان وآن‌جهان برخوان تو ۱۲ هر که بگزیندجزاین بگزیده خوان — عاقبت دَرْد گلویش استخوان
هر که سوی خوان غیر تو رود — دیو با او دان که همکاسه شود ۱۳ ❀ هر که از همسایگی[7] تو رود — دیوبی‌شك دان که همسایه‌اش‌شود
ور رود بی‌تو سفر او دوردست — دیو بد همراه و همسفرهٔ وبست ۱۴ ور نشیند بی‌تو بر اسب شریف — حاسدِ ما هست ودیو اورا ردیف
ور بچه گیرد از او شهناز او — دیو در نسلش بود انباز او ۱۵ درُ نبی‌شارکهم[8] گفته است حق[9] — هم دراموال ودراولاد ازسبق[10]
گفت پیغمبر ز غیب این را جلی — در مقالات نوادر با علی ۱۶ یا رسول‌الله رسالت را تمام — تو نمودی همچو شمسِ بی غمام
آنچه تو کردی دوصد مادر نکرد — معجزهٔ عیسی بدان[11] عازر نکرد ۱۷ از تو جانم ازاجل نك جان ببرد — عازر ار شد زنده هم در دم بمرد
گشت مهمان رسول آن‌شب عرب — شیر یك بزنیمه خورد وبست لب ۱۸ کرد الحاحش بخور شیر و رقاق — گفت گشتم سیر والله بی نفاق
این تکلف نیست بی ناموس وفن — سیر تر گشتم از آنکه دوش من ۱۹ در عجب ماندند جملهٔ اهل بیت — پرشداین قندیل‌زان یکقطره‌زیت
آنچه قوتِ مرغ بایلی بود — سیری معدهٔ چنین پیلی بود ۲۰ فجفجی[12] افتاد اندر مرد و زن — قدر پشه میخورد این پیل تن
حرص و وهم وکافری سر زیرشد — اژ ها از قوتِ موری سیر شد ۲۱ آن گدا چشمیّ کفر ازوی برفت — لوت ایمانیش لمتر کرد و زفت
آنکه از جوع البقر بر میطپید — همچو مریم[13] میوهٔ جنت‌بچید[14] ۲۲ میوهٔ جنت سوی جسمش شتافت — معدهٔ چون دوزخش آرام یافت

بیان آنکه نور که غذای جانست غذای جسم اولیا می‌شود تا آنکه جسم یار شود جان را که اسلم شیطانی علی یدی

ذات ایمان نعمت ولوتیست هُول — ای قناعت کرده از ایمان بقول ۲۵ گرچه آن مطعوم جانست و نظر — جسم‌را هم‌زان نصیب‌است ای‌پسر
❀ تا کی ای قانع بنان و گندنا — با خودآ و نور ایمان کن غذا ۲۶ گر نگشتی دیوِ جسم آنرا اکول — اسلم الشیطان‌نفرمودی رسول[15]
دیو ازان لوتی که مرده حی‌شود — تا نباشامد مسلمان کی شود ۲۷ دیو بر دنیاست عاشق کور و کر — عشق را عشق دگر برّد مگر
از نهانخانه یقین چون میچشد — اندك اندك عشق رخت آنجا کشد ۲۸ یا حریص البطن عرّج هکذا — انّما المنهاجُ تبدیلُ الغذا
یا مَریض‌القلب عِرج لِلعلاج — جملة التدبیر تبدیل[16] المزاج ۲۹ ایُّها المحبوس فی رهن الطعام — سوف تنجو ان تحملت العظام[17]
اِنّ فِی‌الجوعِ طَعاماً وافِراً — افتقدها وارتج یا نافِراً ۳۰ اغتذ بالنور کنُ مثل البصر — وافِقِ الآملاك یاخیرَ البشر[18]
چون ملك تسبیح حق‌را کن غذا — تا رهی همچون ملایك از اذا ۳۱ جبرئیل ار سوی جیفه کم تند — او بقوّت کی ز کرگس کم زند
❀ پیل اگرچه درزمین‌آهسته است ۳۲ او ز پشه بازگو کی رسته است

انکارکردن اهل تن غذای روح را و لرزیدن ایشان بر غذای خسیس

حبذا خوانی نهاده در جهان — لیك از چشمِ خسیسان بس نهان ۳۴ گرجهات باغی پر از نعمت شود — قسم مار و مور هم خاکی بود
قسمشان خاکست گردی گر بهار — میرکونی[19] خاك چون نوشی‌چومار ۳۵ ❀درمیان چوب‌گوید کرم چوب — مرکه را باشد چنین حلوای خوب

---

۲ ـ خوب فر بی هیچ ٤ ـ رداست ۷ ـ هکاسگی ۹ ـ فرمود شارکهم خدا ۱۰ ـ شما ۱۱ ـ عیسی و افسونش با ۱۲ ـ فُجفجه
۱٤ ـ بدید ۱٦ ـ تدبیر ۱۷ ـ الفطام (ن . ل)

---

(۱) آنچه بذات خود قائم نتواند بود چون سیاهی وسفیدی وتلخی وشیرینی عرض و آنکه بذات خود قائم است جوهرمیباشد (۳) تزکیه‌پاك‌گردانیدن است ولی دراینجا مراد تعدیل شهداست (٥) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ واللیل که میفرماید ان سعیکم لشتی یعنی جزای سعی‌شما پراکنده ومختلف است (٦) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ سجده فاعرض عنهم فانتظر انهم منتظرون (۸) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ بنی‌اسرائیل خطاب بشیطان که فرمودند شارکهم فی الاموال والاولاد یعنی شریك باش ای شیطان با ایشان دراموال و اولاد (۱۳) اشاره است بمضمون آیه واقعه در سورهٔ آل عمران کلما دخل علیها زکریا المحراب وجد عندها رزقاً (۱٥) اشاره است بحدیث نبوی که اسلم شیطانی علی یدی یعنی فرمان بردارند شیطانان بدست من (۱۸) معنی وتفسیراین ابیات‌اینست ای‌حریص شکم بالا رو ازپستی‌عشق دنیا باوج نهانخانهٔ یقین همچنین یعنی اندکی می یقین بجش جز این نیست که راه مستقیم بدل کردن خوردنیست یعنی تبدیل طعام جسمانی بمستلذات روحانی که شراب عشقست ای بیمار دل تعجیل کن از برای درمان‌که کوشش وریاضتست که همگی تدبیر بدل ساختن مزاج جسمانیست بمزاج روحانی ای زندانی در گرو طعام زود باشد که نجات یابی ازین زندان اگر برداری استخوانها را (اگر فطام باشد معنی آن ترك شیر است) بدرستیکه درگرسنگی است طعام بسیار، بیاب آن گرسنگی‌را، وامید دار به آن که در آنست ای‌گریزان ازآن، دولت خوشگوار، پرورش کن بنور و بباش مانند دیده که غذای او نور است موافقت‌کن بافرشتگان در اغتذای بنور ای بهترین آدمیان (۱۹) یعنی خلیفه الهی و مراد عالم وجود است نه عالم کون وفساد .

در میان خاک گوید کرم خرد — اینچنین حلوا بعالم کس نخورد ۱ کرم سرگین در میان آن حدث — در جهان نُقلی نداند جز خبث
جز نجاست هیچ نشناسد کلاغ ۲ شد نجاست مر ورا چشم وچراغ

مناجات

ای خدای بی‌نظیر ایثار کن — گوش‌را چون حلقه‌دادی زین‌سخن ۴ گوش‌ما گیر ودران مجلس[1] کشان — کز رحیقت میچشند این‌سرخوشان
چون بما بوئی رسانیدی ازین — سرمبندآن مشك را ای ربّ دین ۵ از تو نوشند از ذکور و از اناث — بی دریغی در عطا یا مستغاث
ای دعا نا کرده از تو مستجاب — داده دل‌را هر دمی صد فتح باب ۶ چند حرفی نقش کردی از رقوم[2] — سنگها ازعشق آن شد همچو موم
نون ابرو صاد چشم وجیم گوش — برنوشتی فتنهٔ صد عقل و هوش ۷ زین‌حروفت شد خرد باریك ریس[3] — نسخ میکن ای ادیب خوش نویس[4]
در خور هر فکر بسته بسر عدم — دمبدم نقش خیال خوش[5] رقم ۸ حرفهای طرفه بر لوح خیال — برنوشته چشم و ابرو خدّ[6] و خال
بر عدم باشم نه بر موجود مست — زانکه معشوق عدم وافی تراست ۹ عقل‌را خط خوان آن اشکال کرد — تا دهد تدبیرها را زان نورد

تمثیل لوح محفوظ و ادراك عقل هرکسی از آن لوح آنکه امر وقسمت ومقدر هرروزهٔ ویست همچون ادراك جبرئیل علیه السلام هرروزی از لوح محفوظ

چون ملك ازلوح محفوظ آن‌خرد — هر صباحی درس هر روزه برد ۱۲ در عدم تحریرها[7] بین بما بیان[8] — وان سوادش حیرت سودائیان
هرکسی شد برخیالی ریش گاو — گشته بر سودای گنجی کنج کاو ۱۳ از خیالی گشته شخصی پر شکوه — روی آورده بمعدنها و کوه
وز خیالی آن دگر با جهد مرّ — رو نهاده سوی دریا بهر دُرّ ۱۴ وان دگر بهر ترقّب در کنشت — وان یکی بهرحریصی سوی کشت
از خیال آن رهزن رسته شده — واز خیال این مرهم خسته شده ۱۵ در پری خوانی یکی دل کرده گم — بر نجوم آن دیگری بنهاده سُم
آن یکی درکشتی از بهر رباح — وان یکی بافسق ودیگر با صلاح ۱۶ این روشها مختلف بیند برون — زآن خیالات ملوّن ز اندرون
این درآن حیران شده کان برچیست — هرچشنده آن دگر را نافی است ۱۷ آن خیالات ار نبد نا مؤتلف — چون ز بیرون شد روشها مختلف
قبلهٔ جان را چو پنهان کرده اند ۱۸ هرکسی رو جانبی آورده اند

تمثیل روشهای مختلف و همتهای گوناگون باختلاف تحرّی متحرّیان در وقت نماز قبله را بوقت تاریکی وتحرّی غواصان در قعر بحر

همچو قومی که تحرّی میکنند — بر خیال قبله هر سو می‌تنند ۲۱ چونکه کعبه رو نماید صبحگاه — کشف گردد که که گم کردست راه
یا چو غوّاصان درون قعر آب — هریکی چیزی همی چیند شتاب ۲۲ بر امید گوهر و دُرّ ثمین — توبسره پر میکنند از آن و این
چون برآیند ازتنگ دریای ژرف — کشف گردد صاحب دُرّ شگرف ۲۳ وان دگر کو برد مروارید خرد — وان دگرکه سنگریزه وشبه[9] برد
هکذا یبلوکم بالساهرة — فتنةً ذاتَ اقتضاحٍ قاهرة[10] ۲۴ همچنین هر قوم چون پروانگان — گرد شمعی پر زنان اندر جهان
خویش را برآتشی بر می‌زنند — گرد شمع خود طوافی میکنند ۲۵ بر امید آتش موسیّ بخت — کز لهیبش سبز و ترگردد درخت
فضلِ آن آتش شنیده هر رمه — چون بر آید صبحدم نور خلود — وا نماید هریکی چه شمع بود
هرکه را پرسوخت زان‌شمع ظفر — بدهدش‌آن شمع خوش هفتاد بر ۲۷ لیك[11] پروانه دو دیده دوخته — مانده زیر شمع بد پر سوخته
میکند آه از هوای چشم دوز ۲۸ شمع‌اوگویدکه من چون‌سوختم[12] — کی ترا برهانم از سوز و ستم
شمع او گریان که من سر سوخته — چون کنم مر غیر را افروخته ۲۹ او همی گوید که از اشکال تو — غرّه گشتم دیر دیدم حال تو

در معنی آیت وافی هدایتِ یا حسرةً علی العباد

شمع مرده باده رفته دلربا — غوطه خورد از تنگ کژ بینیّ ما ۳۱ ظلّتِ الارباح خُسراً مُغرماً — تشتکی شکوی الی الله العمی
حبذا ارواحُ اخوانِ ثقات — مُسلماتٍ مُؤمناتٍ قانِتات[13] ۳۲ هرکسی رو سوی سو آورده‌اند — وین عزیزان روبه بی‌سوکرده‌اند
هرکبوتر می پرد در مذهبی — وین کبوتر جانب بی جانبی ۳۳ هر عقابی می‌پرد از جا بجا — وین عقابان راست بیجائی سرا
ما نه مرغان هوا نه خانگی — دانهٔ ما دانهٔ بی دانگی ۳۴ زان فراخ آمد چنین روزیّ ما — که دریدن شد قبا دوزیّ ما

سبب آنکه فرجی را فرجی نام نهادند از اول

صوفئی بدرید جبه در حرج — پیشش آمد بعد بدریدن فرج ۳۶ گشت نام آن دریده فرجی — آن لقب شد فاش ازآن مرد نجی
این‌لقب شد فاش‌وصافش‌شیخ برد — ماند اندر طبع خلقان حرف دُرد ۳۷ همچنین هر نام صافی داشته است — اسم‌را چون دُردئی بگذاشته‌است
هرکه گلخوار است دُردی راگرفت — رفت صوفی سوی صافی ناشگفت ۳۸ گفت لابد دُرد را صافی بود — زین دلالت دل بصفوت می‌رود
دُرد عُسر افتاد و صافش یُسرآن — صاف چون خرما و دُردی بُسرآن ۳۹ عسر بایسراست هین‌آیس مباش[14] — راه داری زین ممات اندر معاش
صاف[15] خواهی جبه بشکاف‌ای پسر — تا ازآن صفوت برآری زود سر ۴۰ هست‌صوفی آنکه‌شد صفوت[16] طلب — نه لباس صوف و خیاطیّ و دبّ
صوفئی گشته به پیش این لئام — الخیاطه واللواطه والسلام ۴۱ بر خیال آن صفا و نام نیك — رنگ پوشیدن نکو باشد ولیك

۱- بدان حلقه ۳- بین ٤- راستین ٥- بر ٦- خط ۷- تو حرفها ۹- سنگها وریگ ۱۱- جوق ۱۵- روح ۱٦- صافی (ن . ل)

(۲) یعنی چند صورت باقلم صنع خود ساختی که دلهای چون سنگ از جهت عشق بآنها چون موم شدند (۸) یعنی در غیب ودر سرّ آدمی نوشتهاست چنانکه خدایتعالی فرموده کتب فی قلوبهم‌الایمان آنها را بین بافهم معنی (۱۰) همچنین می‌آزمائیم ایشان را در زمین محشر که فتنهٔ صاحب رسوائی غالب است برعاصیان واشاره است بآیه واقعه درسورهٔ والنازعات قالوا تلك اذا کرّة خاسرة فانما هی‌زجرة فذاهم‌بالساهره (۱۲) یعنی شمع او که در آن شمع آن پروانه دیده دوخته سوخته است میگوید بزبان حال که چون من خود سوخته ام مخلصی تو ازمن چگونه خواهد شد چنانکه بتپارا نیز بسبب پرستش کفار در دوزخ خواهند انداخت (۱۳) گردید سودها خسران و زیان دهنده شکایت میکند بخدا ازبزرگواری آفرین بر جانهای پاك اخوان صفا که مسلمند و مؤمنند و خوانده‌اند خدا را (۱٤) اشاره‌است بآیه انّ مع‌العسر یُسرا

برخیالش گر روی تا اصل او[1] — همچنانکه گربه سوی نان بیو ۱ — ❁ بو قلاوزاست ای جویای عشق — نی ز بو یعقوب شد بینای عشق
دور باش غیرتت آمد خیال — گرد بر گرد سرایردهٔ جمال[2] ۲ — بسته هرجوینده را که راه نیست — هر خیالش پیش می‌آید که بیست
جز مگر آن تیز گوش تیز هوش — که بود از جیش نصرتهاش جوش ۳ — بجهد از تخیلها بی[3] شه شود — تیر شه بنماید و بیرون رود[4]
❁ هرکه را در دست تیرشه بود ٤ — راه یابد تا بمنزل میرود

فی المناجات

❁ ای قدیم راز دان ذوالمنن — در ره تو عاجزیم و ممتحن ٦ — این[5] دل سرگشته را تدبیر بخش — وین کمانهای دو تو را تیر بخش
جرعهٔ بر ریختی زان خفیه جام — بر زمین خاک من کأس الکرام[6] ۷ — جست برزلف‌ورخ‌ازجرعه‌ش‌نشان — خاک را شاهان همی‌لیسند از آن
جرعهٔ‌حسنست کاینخاکست خوش — که بصد رو[7] روز وشب میلیسیش[8] ۸ — جرعه خاک‌آمیز چون مجنون‌کند — مر شما را صاف او تا چون کند
هر کسی بیش کلوخی جامه چاک — کان‌کلوخ ازحسن آمد جرعه‌ناک ۹ — جرعهٔ بر ماه و خورشید و حمل — جرعهٔ بر عرش و کرسی و زحل
جرعه گوئیش ای عجب یا کیمیا — که ز آسیبش فنا گردد بقا ۱۰ — جد طلب آسیب او ای ذوفنون — لا یمس ذاك الا الطاهرون[9]
جرعهٔ بر لعل وبر زر[10] و درر — جرعهٔ بر خمر و بر نقل و ثمر ۱۱ — جرعهٔ بر روی خوبان لطف — تا چگونه باشد آن رونق وصاف
چون‌همی‌مالی زبان را اندرین[11] — چون‌شوی چون بینی‌آنرابی‌زطین ۱۲ — چونکه وقت مرگ آن جرعهٔ صفا — زین کلوخ تن بمردن شد جدا
❁ آنچه‌میماند کنی دفنش تو زود — اینچنین زشتی‌بدان چون‌گشته بود ۱۳ — آنچه ماند میکنی زودش دفین — کاینچنین‌عالی ودون چون بدقرین
جان چو بی‌این جیفه بنماید جمال — من نتانم گفت لطف آن وصال ۱٤ — مه چو بی این ابر بنماید ضیا — شرح نتوان‌کرد از آن کار وکیا
حبّذا آن مطبخ پر نوش و قند — که سلاطین کاسه لیسان وبند ۱۵ — حبّذا آن خرمن صحرای دین — که بود هرخرمن‌اورا دانه[12]چین
حبذا دریای عمر بی غمی — که بود زو هفت دریا شبنمی ۱٦ — جرعهٔ چون ریخت ساقی الست — بر سر این شوره خاك زیردست
جوش کردآن‌خاك‌ومازان‌جوششیم — جرعهٔ دیگر که بس بی کوششیم ۱۷ — گر روا بد ناله کردم از عدم — ور نبود این گفتنی نك تن زدم
این بیان بط حرص منثنی است — ازخلیل‌آموز کاین بط کشتنی‌است ۱۸ — هست دربط غیراین بس‌خیروشر — ترسم از فوت سخنهای دگر

صفت طاوس و طبع او و سبب کشتن ابراهیم خلیل علیه السلام اورا

آمدیم اکنون بطاوس دو رنگ — کو کند جلوه برای نام و ننگ ۲۰ — همت او صید خلق از خیر وشر — وز نتیجه و فائدهٔ آن بیخبر
بی‌خبر چون دام میگیرد شکار — دام را چه غلم از مقصود کار ۲۱ — دام را چه ضر وچه نفع ازگرفت — زین گرفت بیهدش دارم شگفت
ای برادر دوستان افراشتی — با دو صد دلداری و بگذاشتی ۲۲ — کارت این بودست ازوقت ولاد — صید مردم کردن از دام وداد
زان شکار و انبهی و باد و بود — دست در کن هیچ یابی تار وپود ۲۳ — بیشتر رفتست و بیگاهست روز — تو بجد در صید خلقانی هنوز[13]
آن یکی می‌گیر واین می‌هل زدام — وین دگررا صید میکن چون لئام ۲٤ — باز این را میهل و می‌جو دگر — اینت لعب کودکان بی‌خبر
شب شود در دام تو یك صیدنی — دام بر تو جز صداع و قید نی ۲۵ — پس‌تو خودرا صید می‌کردی بدام — که شدی محبوس ومحرومی زکام
در زمانه صاحب دامی بود — همچوما احمق که صیدخودشود[14] ۲٦ — چون شکار خوك آمد صید عام — رنج بیحد لقمه خوردن زو حرام
آنکه ارزد صید را عشق‌است‌وبس — لیك او کی گنجد اندر دام کس ۲۷ — تو مگر آئی و صید او شوی — دام بگذاری بدام او روی
عشق میگوید بگوشم پست پست — صید بودن خوشتر[15] ازصیادیست ۲۸ — کول میکن خویش را و غره شو — آفتابی را رها کن ذره شو
بر درم ساکن‌شو وبی‌خانه باش — دعوی شمعی مکن پروانه باش ۲۹ — تا ببینی چاشنی زندگی — سلطنت بینی نهان در بندگی
نعل بینی بازگونه در جهان[16] — تخته بندان را لقب‌آمد[17] شهان ۳۰ — پس طناب اندر گلو و تاج دار — بر وی انبوهی که اینك تاجدار
همچو گور کافران بیرون حلل — واندرون قهر خدا عز وجل ۳۱ — چون قبور آنرا مجصص کرده‌اند — پردهٔ پندار پیش آورده اند
طبع مسکینت مجصص از هنر ۳۲ — همچو نخل موم بی برگ و ثمر

در بیان آنکه لطف حق را همه کس داند و قهر حق را همه کس داند و همه از قهر حق گریزانند و بلطف حق در آویزان اما حق تعالی قهرها را در لطف پنهان کرد و لطفها را در قهر پنهان کرد نعل بازگونه و تلبیس و مکر الله بود تا اهل تمییز و ینظر بنور الله از حالی بینان و ظاهر بینان جدا شوند که لیبلوکم ایکم احسن عملاً[18]

گفت درویشی بدرویشی که تو — چون بدیدی‌حضرت حق را بگو ۳۷ — گفت بی‌چون دیدم اما بهر قال — باز گویم مختصر آن را مثال
دیدمش از[19] سوی چپ اوآذری — سوی دست راست جوی‌کوثری ۳۸ — بر یسارش[20] بس جهانسوز آتشی — سوی دست راستش جوی خوشی
سوی آن‌آتش‌گروهی برده دست — بهر آن کوثر گروهی شادومست ۳۹ — لیك لعب[21] بازگونه بود سخت — پیش پای هر شقی و نیك بخت
هر که در آتش همی‌رفت وشرر — از میان آب بر می‌کرد سر ٤۰ — هرکه سوی آب میرفت از میان — او در آتش یافت میشد در زمان

---

۲ ـ جلال ۳ ـ تخیل اگر چه ـ نجهد از تخیلها نی ٤ ـ تو بنماید آنکه ره شود ۵ ـ هر ۷ ـ دل ۸ ـ میبوسیش ۱۰ ـ بر زر ویاقوت ۱۱ـ برزمین ۱۲ـ خوشه ۱۳ـ تو بی‌صیدکسان ای بی‌فروز ۱٤ـ کند ۱۵ـ بهتر ۱۷ـ گشته ۱۹ـ دیدم از ۲۰ ـ سوی چپش ۲۱ ـ نعل (ن . ل)

---

(۱) معنی وتأویل اومقصود باشد ❁ نقش‌هرپرده‌که زد راه بجائی‌دارد (٦) اشاره است به بیت مشهورشربنا واهرقنا الی‌الارض جرعة وللارض من کاس‌الکرام نصیب این از زبان ارواح مجرده محیطه است یا افلاك (۹) دست نمیکشند آنرا مگر پاکان و اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ واقعه لا یمسه الاالمطهرون (۱٦) نعل بازگونه نعل وارونه است وآن کنایه از بی کم کردنست زیرا که چون کسی خواهد از راهی که میرود ندانند و دنبال او نروند نعل را وارونه زند (۱۸) این آیه درسورهٔ ملك واقع شده است تا بیازماید شمارا یعنی باشما معاملهٔ آزمایندگان کند تا ظاهر شود که در دار تکالیف کدام از شما نکوتر بود از جهت عمل یعنی اخلاص کدام بیشتر است

هر که سوی راست شد وآب زلال — سر زآتش برزد از سوی شمال ۱ وانکه شد سوی شمال آتشین — سر برون میکرد از سوی یمین
کم کسی بر سرّ این مضمر زدی — لاجرم کم کس برآن آذر زدی ۲ جز کسی که برسرش اقبال ریخت — کورها کرد آب و در آذر[1] گریخت
کرده ذوق نقد را معبود خلق — لاجرم زین لعب مغبون بود خلق ۳ جوق جوق وصف صف از حرص وشتاب — محترز زآتش گریزان سوی آب
لاجرم زآتش برآوردند سر — اعتبار الاعتبار ای بی خبر ۴ بانگ میزد آتش ای گیجان گول[2] — من نیم آتش منم آب قبول
چشم بندی کرده اند ای بی‌نظر — در من آ و هیچ مگریز از شرر ۵ ای خلیل اینجا شرار و دود نیست — جز که[3] سحر وخدعهٔ نمرود نیست
چون خلیل حق اگر فرزانهٔ — آتش آب تست و تو پروانهٔ ۶ جان پروانه همی دارد ندی — کای دریغا صد هزارم پر بدی
تا همی سوزید زآتش بی امان — کوری چشم و دل نامحرمان ۷ بر من آرد رحم جاهل از خری — من براو رحم آرم از دانشوری
خاصه این آتش که جان آبهاست — کار پروانه بعکس کار ماست ۸ او ببیند نور و در ناری رود — دل به بیند نار و در نوری شود
اینچنین لعب آمد از ربّ جلیل — تا ببینی کیست از آل خلیل ۹ آتشی را شکل آبی داده اند — واندر آتش چشمهٔ بگشاده اند
ساحری صحن برنجی را بفن — میکند گرمش میان انجمن ۱۰ خانه را او پر ز گژدمها نمود — از دم سحر وخود آن گژدم نبود
چونکه جادو مینماید صد چنین — چون بود دستان جادو آفرین ۱۱ ❀ لاجرم ازسحر یزدان قرن قرن — اندر افتادند جوزن[4] زیر پهن
لاجرم ازسحر یزدان مرد و زن — رفته اندر چاه جاهی بی رسن ۱۲ ساحرانش بنده بودند و غلام — اندر افتادند چون صموه بدام
هین بخوان قرآن ببین سحر حلال — سرنگونی مکر های کالجبال[5] ۱۳ من نیم فرعون کایم سوی نیل — سوی آتش میروم همچون خلیل
نیست آتش هست آن ماه معین — وان دگر از مکر آب آتشین ۱۴ پس نکو گفت آن رسول خوش جواز — ذرهٔ عقلت به از صوم و نماز[6]
زانکه عقلت جوهر است این دو عرض — این دو در تکمیل آن شد مفترض ۱۵ تا جلا باشد مرآن آئینه را — که صفا زاید ز طاعت سینه را
لیك گر آئینه از بُن[7] فاسد است — صیقل او را دیر باز آرد بدست ۱۶ وان گزین آیینهٔ کان اکیس[8] است — اندکی صیقل گری آن را بس است

تفاوت عقول در اصل فطرت خلاف معتزله که ایشان گویند در اصل عقول جزوی برابرند این افزونی و تفاوت از تعلمست وریاضت وتجربه

این تفاوت عقلها را نیك دان — در مراتب از زمین تا آسمان ۱۹ هست عقلی همچو قرص[9] آفتاب — هست عقلی کمتر از زُهره وشراب
هست عقلی چون ستاره آتشی — هست عقلی چون چراغ سرخوشی ۲۰ زانکه ابر ازپیش او چون واجهد — نور یزدان بین خردها بردهد
عقلهای خلق عکس عقل او — عقل او مشکست و عقل خلق بو ۲۱ عقل کل و نفس کل مرد خداست — عرش و کرسی را مدان کوی جداست
مظهر حق است ذات پاك او — زو بجو حق را و از دیگر مجو ۲۲ عقل جزوی عقل را بد نام کرد — کام دنیا مرد را بی کام کرد
آن ز صیدی حسن صیادی بدید — وین ز صیادی غم صیدی کشید ۲۳ آن زخدمت ناز مخدومی بیافت[10] — وین ز مخدومی ز راه عز بتافت
آن ز فرعونی اسیر آب شد — وز اسیری سبطی[11] ارباب شد ۲۴ لعب معکوس است وفرزین بندسخت[12] — حیله کم کن کار اقبالست و بخت
بر خیال حیله کم تن تار را — که غنی ره کم دهد مکار را ۲۵ مکر کن در راه نیکو خدمتی — تا نبوّت یابی اندر اُمّتی
مکر کن تا وارهی از مکر خود — مکر کن تا دور گردی ازجسد[13] ۲۶ مکر کن تا کمترین بنده شوی — در کمی افتی خداوند شوی
روبهی و خدمت ای گرگ کهن — هیچ بر قصد خداوندی مکن[14] ۲۷ لیك چون پروانه برآتش بتاز — کیسهٔ زان[15] بر مدوز و پاك باز
زور را بگذار و زاری را بگیر — رحم سوی زاری آید ای فقیر ۲۸ ❀ گرکنی زاری بیابی رحم او — رحم او در زاری خود باز جو
زاری مضطر که تشنهٔ معنویست — زاری سرد دروغ آن غویست[16] ۲۹ گریهٔ اخوان یوسف حیلت است — کاندرونشان پر زرشك وعلت است

حکایت آن اعرابی که سگ او ازگرسنگی میمرد وانبان او پر نان و بر سگ نوحه می‌کرد و شعر میگفت ومیگریست و برسر و رو میزد و دریغش می‌آمد لقمهٔ از انبان بسگ دادن

آن سگی می‌مرد گریان آن عرب — اشك میبارید و میگفت از کرب ۳۲ ❀ هین چه سازم مر مرا تدبیر چیست — زین سپس من چون توانم بی تو زیست
سائلی بگذشت وگفت این گریه چیست — نوحه و زاری تو از بهر کیست ۳۳ گفت در ملکم سگی بد نیکخو — نك همی میرد میان راه او
روز صیادم بُد و شب پاسبان — شیرنر بود او نه سگ ای پهلوان ۳۴ ❀ تیزچشم وخصم گیر و دزدران — نیك خو و با وفا و مهربان
❀ صید میکردی و پاسم داشتی — دزد را نزدیك من نگذاشتی ۳۵ گفت رنجش چیست زخمی خورده است — گفت جوع الکلب زارش کرده است
گفت صبری کن براین رنج ومرض[17] — صابران را فضل حق بخشد عوض ۳۶ بعد از آن گفتش که ای سالار حر — چیست اندر پشت این انبان پر
گفت نان وزاد و لوت دوش من — میکشم از بهر قوت این بدن ۳۷ گفت چون ندهی بدین سگ نان زاد — گفت تا این حد ندارم مهر وداد[18]
دست ناید بی درم در راه نان — لیك هست آب دو دیده رایگان ۳۸ گفت خاکت برسر ای پر باد مشك — که لب نان پیش تو بهتر زاشك
اشك خونست و بغم آبی شده[19] — می نیرزد خاك خون[20] بیهده ۳۹ کل خودرا خوارکرد او چون بلیس — پارهٔ این کل نباشد جز خسیس

---

۱ ـ آتش ۲ ـ غول ۳ ـ غیر ۷ـ این ۸ـ که خوش مغرس ۹ ـ از ضیا چون ۱۱ـ سبطی از ۱۳ـ فردگردی ازحسد ۱۵ـ زر ۱۷ـ حرض ۱۸ ـ اتحاد ۲۰ ـ خون بخاك ای (ن . ل)

---

(٤) جوزن پرستنده دیو و افسون خوان و زنان جادو را گویند (٥) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ ابراهیم و قد مکروا مکرهم و عندالله مکرهم و ان کان مکرهم لتزول منه‌الجبال یعنی بدرستیکه بفعل آوردند مکرشان را و در نزد خدا مغلوبست مکرشان هر چند مکرشان از برای زایل ساختن کوهها باشد و آن مکرها در بزرگی چون کوهها خواهد بود (٦) اشاره است بحدیث تفکر ساعة خیرٌ من عبادة سبعین سنه (١٠) نزد اهل حق و از نیاز پیش بی نیازان ناز نازنینان یافت و در این بیت و بعدش صنعت مقابله است (١٢) بازیچه وارونه است و چون فرزین که وزیر است در بازی شطرنج در رفتار و قوت از سایرین سر است فرزین بند مثل شده (١٤) شبیه بودن بگرگ درغضب است یعنی ترك گرگی کن وروبه باش یعنی سلیم لیکن نه برقصد سروری (١٦) زاری که بادرد وسوز نباشد از آن گمراه است (١٩) زیرا که ازحرارت وسوزش غم که بدل رسد تبخیری از خونهای نواحی دل بشود و بجانب فوق صعود کند و چون سرد شود بمجاورت اعضاء بارده از دماغ و اعصاب و استخوانها و غیره قطرات آب شده از درز های چشم بیرون آید

من غلام آنکه نفروشد وجود[1] — جز بدان سلطان با انفضال و جود ۱ — چون بگرید آسمان گریان شود — چون بنالد چرخ یا رب خوان شود
من غلام آن مس همت پرست — کو بغیر کیمیا نارد شکست ۲ — دست اشکسته بر آور در دعا — سوی اشکسته پرد فضل خدا
گر رهائی بایدت زین چاه تنگ — ای برادر رو بر آذر بی درنگ ۳ — مکر حق را بین و مکر خود بهل — ای ز مکرش مکر مکاران خجل[2]
چونکه مکرت شد فنای مکر رب — بر گشائی یك کمینی بوالعجب ۴ — که کمینهٔ این کمین باشد بقا — تا ابد اندر عروج و ارتقا
از برای این کمین سعیی بکن — تا بری بوئی ز علم من لدن ۵ — گر تو احوال عروج خویش را — نیك دانی نیك باشد مر ترا

در بیان آنکه هیچ چشم بد آدمی را چنان زیان ندارد که چشم پسند خویش مگر که چشم او مبدل شده باشد بنور حق که بی یسمع و بی یبصر و از خویشتن بیخویش شده باشد در معنی آیه کریمه و ان یکادالذین کفروا الخ

پر طاوست مبین و پای بین — تا که سوءالعین نگشاید کمین ۹ — که بلغزد کوه از چشم بدان — یزلقونك از نبی برخوان بدان[3]
احمدا چون کوه لغزید از نظر — در میان راه بی گل بی مطر ۱۰ — درعجب درماندکاین لغزش زچیست — من نپندارم که این حالت تهی است
تا بیامد آیت و آگاه کرد — کان ز چشم بد رسیدت وز نبرد ۱۱ — گر بدی غیر تو در دم لا شدی — صید چشم و سخرهٔ افنا شدی
معنی چشم بد آخر باز دان — ان یکاد از چشم بد نیکوبخوان ۱۲ — لیك آمد عصمتی دامن کشان — وینکه لغزیدی بد از بهر نشان
عبرتی گیر اندرآن که کن نگاه[4] — برگ خود عرضه مکن ای کم زکاه ۱۳ — یا رسول‌الله در آن وادی کسان — میزنند از چشم بد بر کرگسان
از نظرشان کنهٔ شیر غرین — وا شکافد تا کند آن شیر انین ۱۴ — بر شتر چشم افکند همچون حمام — وانگهان بفرستد اندر پی غلام
که بسرو از بیه این اشتر بخر — بند او اشتر سقط در راه در ۱۵ — سر بریده از مرض آن اشتری — کو بتك با اسب میکردی مری
کز حسد وز چشم بد بی هیچ شك — سیر و گردش را بگرداند فلك ۱۶ — آب پنهانست و دولاب آشکار — لیك درگردش بود آب اصل کار
چشم نیکو شد دوای چشم بد[5] — چشم بد را لا کند زیر لگد ۱۷ — سبق رحمت راست وین از رحمت است — چشم بد محصول قهر و لعنت است
رحمتش بر نقمتش غالب شود — چیره زین شد هر نبی بر خصم[6] خود ۱۸ — کو نتیجهٔ رحمت است و ضد او — از نتیجهٔ قهر باشد زشت رو
حرص بط یکتاست وان پنجاه تاست — حرص و شهوت مار و منصب اژدهاست ۱۹ — حرص بط از شهوت حلقست و فرج — در ریاست بیست چندانست درج
از الوهیت زند در چاه لاف — طامع شرکت کجا باشد معاف[7] ۲۰ — زات آدم ز اشکم بود و باه — وان ابلیس از تکبر بود و جاه
لاجرم او زود استغفار کرد — وین لعین از توبه استکبار کرد ۲۱ — حرص حلق و فرج هم خود بدرگیست — لیك منصب نیست آن اشکستگیست
بیخ و شاخ این ریاست را اگر — باز گویم دفتری باید دگر ۲۲ — اسب سرکش را عرب شیطانش خواند — نی ستوری را که در مرعی بماند
شیطنت گردن کشی بد در لغت — مستحق لعنت آمد این صفت ۲۳ — صد خورنده گنجد اندر گردخوان — دو ریاست جو نگنجد در جهان
اونخواهد کاین بود بر پشت خاك — تا ملك[8] بکشد پدر از اشتراك ۲۴ — آن شنیدستی که الملك عقیم — ترك[9] خویشی کرد منکت جو ز بیم
که عقیم است و ورا فرزند نیست — همچو آتش با کسش پیوند نیست ۲۵ — هر چه یابد او بسوزد بر درد — چون نیابد هیچ خودرا می‌خورد
هیچ شو واره تو از دندان او — رحم کم جو از دل سندان او ۲۶ — چونکه گشتی هیچ ازسندان مترس — هر صباح ازفقر مطلق گیر درس[10]
هست الوهیت ردای ذوالجلال — هر که در پوشد برو گردد وبال ۲۷ — تاج از آن اوست و آن ما کمر — وای او کز حد خود دارد گذر
فتنهٔ تست این پر طاوسیت ۲۸ — کاشتراکت باید و قدوسیت

قصه آن حکیم که دید طاوسی را که پر زیبای خود را می‌کند بمنقار و می انداخت و تن خود را گل و زشت می کرد از تعجب پرسید که دریغت نمی‌آید گفت می‌آید اما پیش من جان از پر عزیز تر است و این عدوی جان من است

پر خود می کند طاوسی بدشت — یك حکیمی رفته بود آنجا بگشت ۳۲ — گفت طاوسا چنین پر سنی — بی‌دریغ از بیخ چون بر می‌کنی
خوددلت چون میدهد تا این حلل[11] — بر کنی وانداز ش اندر وحل[12] ۳۳ — هر پرت را از عزیزی و پسند — حافظان در طی مصحف مینهند
بهر تحریك هوای سودمند — از بر تو باد بیزن میکنند ۳۴ — این چه ناشکری وچه بی باکی است — تو نمیدانی که نقشت کی است
یا همی دانی و نازی میکنی — قاصدا قطع طرازی میکنی ۳۵ — ای بسا نازا که گردد آن گناه — افکند مر بنده را از چشم شاه
ناز کردن خوشتر آید از شکر — لیك کم خایش که گردد صد خطر ۳۶ — این آباد است آن راه نیاز — ترك نازش گیر و با آن ره بساز
ای بسا ناز آوری زد پر و بال — آخرالامر آن بر آنکس شد وبال ۳۷ — خوبی ناز ار دمی بفرازدت — بیم و ترس مضمرش بگدازدت
وین نیاز ار چه که لاغر میکند — صدر را چون بدر انور میکند ۳۸ — چون زمرده زنده بیرون میکشد — هر که مرده گشت او دارد رشد
مرده شو تا مخرج الحی الصمد — زندهٔ زین مرده بیرون آورد ۳۹ — چون ززنده مرده بیرون میکند[13] — نفس زنده سوی مرگی می تند

---

۶ ـ ضد ۸ ـ پسر ۹ ـ قطع ۱۱ ـ حله را ۱۲ ـ کندن و از خویشتن کردن جدا (ن . ل)

---

(۱) یعنی آن که خود شناس و خداشناس شد و وجودش را بخدا فروخت که ان‌الله اشتری (تا) بان لهم‌الجنة که جنت صفات وجنت ذات باشد و تعطل در برزخیات را روا نداشته باشد ❀ آنجا که کارنقل ومی بیکاری است این کارها❀ (۲) آب را در آتش پنهان کرده و آتش را در آب (۳) اشاره است بکریمهٔ وان یکادالذین کفروا لیزلقونك بابصارهم لما سمعواالذکر یعنی بدرستیکه نزدیکست کافران بلغزانند ترا بچشمهاشان چون شنیدند از تو قرآن را (٤) کوه وجود احمدی و این خطاب بکافر بد چشم است (٥) اگر چشم بد بخاصیت تأثیر دارد چشم نیکو بقوت ربانی مؤثر است که ینظر بنور الله است (۷) اشاره‌است بکریمهٔ ان‌الله لایغفر ان یشرك به و یغفر مادون ذلك لمن‌یشاء که درسورهٔ نسا است خدا شرك را نمی آمرزد و بجز مشرك می آمرزد هر که را بخواهد (۱۰) آنست که در فعل و صفت و ذات در همه محتاج بحق باشند یا ایها الناس انتم‌الفقراء الی‌الله والله هوالغنی (۱۳) اشاره‌است بمضمون یخرج‌المیت من‌الحی بیرون میکند مرده اختیاری و فانی فی الله را از زندهٔ طبیعی و امکانی و نیز بیرون می کند مردهٔ جهل و معصیت را از زنده دین فطری که کل مولود یولد علی الفطره و نیز در هر دو موضع گفته میشود بیرون می‌آرد از کافر و فاجر مؤمن و صالح و بالعکس

دی شوی بینی تو اخراج بهار لیل گردی بینی ایلاج نهار [1] ۱ بر مکن این پر که نپذیرد رفو روی مخراش ازعزا ای خوب‌رو
آن‌چنان‌روئی که‌چون شمس‌ضحاست آن‌چنان‌رخ‌راخراشیدن خطاست ۲ زخم ناخن برچنین رخ کافریست که رخ مه از فراق او گریست
یا نمی بینی تو روی خویش را ۳ ترک کن خوی لجاج اندیش را

در بیان آنکه صفا و سادگی نفس مطمئنه از فکرتها مشوش میشود چنانکه بر روی آیینه چیزی نویسی یا نقش کنی اگر چه پاك کنی داغی بماند و نقصانی

روی نفسِ مطمئنه از جسد زخم ناخنهای فکرت می‌کشد ۶ فکرت بد ناخن پُر زهر دان می خراشد در تعمق روی جان
تا گشاید عقدهٔ اشکال را در حدث کردست زرّین بال را ۷ عقده را بگشاده گیر ای منتهی عقدهٔ سختست بر کیسهٔ تهی
در گشادِ عُقد ها گشتی تو پیر عُقدهٔ چند دگر بگشاده گیر ۸ عقدهٔ کان برگلوی ماست سخت که ندانی که خسی یا نیك بخت
گر بدانی که شقیی یا سعید آن بود بهتر ز هر فکر عتید ۹ حلّ این اشکال کن گر آدمی خرجِ این کن دم اگر صاحب [2] دمی
حدّ اعیان و عرض دانسته گیر حدّ خودرا دان کزان نبود گزیر ۱۰ چون بدانی حدّ خود زین حدّ گریز تا به بیحد در رسی ای خاك بیز
عمر در مجهول و در موضوع رفت بی بصیرت عمر در مسموع رفت ۱۱ هر دلیلی بی نتیجه و بی اثر باطل آمد در نتیجهٔ خود نگر
جز بمصنوعی ندیدی صانعی بر قیاس اقترانی قانعی [3] ۱۲ می فزاید در وسایط فلسفی از دلایل باز بر عکسش صفی
این گریزد از دلیل و از حجیب از پی مدلول سر برده بجیب ۱۳ گر دخان او را دلیل آتش است بی‌دخان‌مارادراین‌آتش‌خوش است
خاصه این آتش که درقرب وولا از دخان نزدیکتر آمد بما ۱۴ پس سیه‌کاری‌بود رفتن زخوان [4] بهرتخییلات خوان [4] سوی دخان

در معنی حدیث لا رهبانیة فی‌الاسلام

بر مکن پر را و دل برکن ازاو زانکه شرط این جهاد آمد عدو ۱۶ چون عدو نبود جهاد آمد محال شهوت ار نبود نباشد انتسال [5]
صبر نبود چون نباشد میل تو [6] خصم‌چون نبود چه حاجت خیل‌تو ۱۷ هین‌مکن خودرا خصی‌رهبان مشو زانکه عفت هست شهوت را گرو
بی هوا نهی از هوا ممکن نبود هم غزا با مردگان نتوان نمود ۱۸ انفقوا گفتست پس کسبی بکن زانکه نبود خرج بی دخل کهن
گر چه آورد انفقوا را مطلق او تو بخوان که اکسبوا ثم انفقوا [7] ۱۹ همچنین‌چون شاه‌فرمود اصبروا [8] رغبتی باید کز آن تابی تو رو
پس کلوا از بهر دام شهوتست بعدازآن لاتسرفوازان عفت‌است [9] ۲۰ چونکه محمولٌ بهِ نبود لدیه نیست ممکن بودِ محمولٌ علیه
چونکه نبود رنج صبری مر ترا ۲۱ شرط نبود پس فرو ناید جزا

در بیان آنکه ثواب عمل عاشق از حق هم حق است

حبذا آن شرط و شادا آن جزا آن جزای دلنواز جان فزا ۲۳ عاشقان را شادمانیٌ و غم اواست دستُ مزدواجرت خدمت‌هم اوست
غیرِ معشوق ار تماشائی بود عشق نبود هرزه سودائی بود ۲۴ عشق‌آن‌شعله‌است‌کوچون‌برفروخت هرچه‌جزمعشوق‌باقی‌جمله [10] سوخت
تیغ لا در قتل غیر حق براند [11] درنگر آخر [12] که بعد لا چه ماند ۲۵ ماند الاالله و باقی جمله رفت شادباش‌ای‌عشق شرکت‌سوزِ زفت
خود هم او بود اولین و آخرین شرك جز از دیدهٔ احول مبین ۲۶ ای‌عجب حسنی بود جز عکس‌آن نیست تن‌را جنبشی ازغیرِ جان [13]
آن تنی را کش بود درجان خلل خوش نباشد گر بگیری در عسل ۲۷ این‌کسی داندکه روزی زنده بود ازکفِ این‌جانِ جان جامی‌ربود
وانکه چشم‌او ندیدست آن رخان پیش او جانست این تفّ دخان ۲۸ چون ندید او عمر عبدالعزیز پیش او عادل بود حجاج نیز
چون ندید او مار موسی‌را ثبات در حبال‌السحر [14] پندارد حیات ۲۹ مرغ کو ناخورده است آب زلال اندر آب شور دارد پرّ و بال
جزبضدّ ضد را همی‌نتوان‌شناخت چون به‌بیند زخم بشناسد نواخت ۳۰ لاجرم دنیا مقدّم آمدست تا بدانی قدر اقلیم الست
چون ازین جا وارهی‌آنجا روی در شکر خانهٔ ابد شاکر شوی ۳۱ گوئی آنجا خاك را می بیختم زین جهان پاك می بگریختم
بگشته بودم قانع ازگنجی به‌مار شادمان بودم ز گلزاری به‌خار ۳۲ ای دریغا پیش‌ازاین بودی اجل تا عذابم کم بدی اندر وجل

درتفسیرقول رسول صلی‌الله علیه وآله مامات من مات‌الاوتمنّی ان یموت قبل مامات ان کان براً لیکون الی‌وصول البر اعجل وان کان فاجراً لیقل فجوره [15]

زان بفرمودست‌آن‌نیکو [16] رسول که هرانکومرد وکرد ازتن نزول ۳۵ نبود اورا حسرت نقلان و موت لیك باشد حسرت تقصیر و فوت

---

۲ ـ آدم ٤ ـ جان ٥ ـ امثال ۱۰ ـ کلی پاك ۱۲ ـ زان پس ۱٦ ـ آگه (ن . ل)

---

(۱) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ فاطر یولج اللیل فی‌النهار و یولج النهار فی اللیل (۳) قیاس بر دو قسم است اقترانی و استثنائی اقترانی آنست که در وی نتیجه یا نقیض نتیجه بالفعل مذکور نباشد و استثنائی آنکه در وی نتیجه یا نقیض نتیجه بالفعل مذکور باشد مثال قسم اول‌العالم متغیر و کل متغیر حادث فالعالم حادث و این ضرب اولست از شکل اول که درین مثال اوسط در صغری محمول و در کبری موضوع واقع شده نظیر قسم ثانی ان کانت‌الشمس طالعة فالنهار موجود درین مثال نتیجه بالفعل مذکور است اولکن الشمس لیست بطالعة فالنهار لیس بموجود درین مثال نقیض نتیجه مذکور است خلاصه مدعای این بیت این است‌که بقیاس اقترانی قانعی یعنی درهمان مقدمات ظاهری وقضایای مجازی عالم اسباب فرو ماندهٔ و بآن قانع شدهٔ و اصلاً نظر بر نتیجه نداری و از مبدأ و معاد غافلی (٦) چون میل تو بر چیزی نباشد و از آن باز مانی آنرا صبر نمیگویند بلکه صبر آنست که دل تو بخواهد و تو نکنی‌آن‌را (۷) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ بقره و مقصود آنست که تا آلت وحالت گناه نباشد کفّ نفس ازآن اهمیتی ندارد امر بانفقوا که شده تا کسبی نشود و مالی حاصل نگردد که ازآن انفاق توان‌کرد امر صورت نبندد (۸) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ آل عمران یا ایهاالذین آمنوا اصبروا و صابروا و رابطوا واتقوا الله لعلکم تفلحون (۹) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ اعراف و کلوا واشربوا ولاتسرفوا انه لایحب المسرفین (۱۱) لانهنگی است کاینات آشام عرش تافرش درکشیده بکام هرکجا کرده این نهنگ آهنگ ازمن و ما نه بوی مانده نه رنگ (جامی) (۱۳) یعنی‌حسن همه بمنزله تن‌است وحسن او بمنزله جان (۱٤) ریسمانهای ساحران (۱٥) نمرده‌کسی که می‌میرد مگر آنکه آرزو کرده این‌که بمیرد پیش از آنکه مرده شود اگر باشد نیکوکار پس بسوی وصول جزا و ثواب نیکوئی شتابنده تراست و اگر فاسق است پس آرزوی طلب مرگ پیش از وقت بواسطهٔ کم شدن فجور اوست .

هرکه میرد خود تمنا باشدش — که بُدی زین بیش نقل ومقصدش ۱ — گر بُدی بد تا بدی کمتر بدی[1] — ورتقی تا خانه زوتر آمدی[2]
گوید آن بد بیخبر می بوده‌ام — دمبدم من پرده می افزوده ام ۲ — گر ازین زوتر مرا معبر بدی — این حجاب و پرده ام کمتر بدی
ازحریصی کم دران روی قنوع[3] — وز تکبر کم در آن چهرهٔ خشوع ۳ — همچنین از بُخل کم در روی جود — وز بلیسی چهرهٔ خوب سجود
بر مکن آن پرّ خلد آرای را ۴ — بر مکن آن پرّ ره پیمای را

پشیمان شدن آن حکیم از آن سؤال بجهة گریهٔ طاوس

چون شنید آن بند دروی بنگریست — بعدازآن در نوحه آمد میگریست ۶ — نوحه و گریه دراز و دردمند — هرکه آنجا بود درگریه اش فکند
وانکه میپرسید پرکندن ز چیست — بی جوابی شد پشیمان میگریست ۷ — کز فضولی من چرا پرسیدمش — او ز غم پر بود شورانیدمش
میچکید از چشم او برخاك آب — اندرآن هرقطره مدرج صدجواب ۸ — میچکید ازچشم او گریه بخاك — خاك گل میشد ز اشك سهمناك
گریهٔ با صدق بر جانها زند — تا که چرخ وعرش را گریان کند ۹ — گریهٔ بی‌صدق بی شورش بود — دیو زان برگریه‌اش خندان شود
عقل و دلها بی گمانی عرشیند — در[4] حجاب ازنور عرشی میزیند[5] ۱۰ — گریهٔ بی‌صدق باشد بی فروغ — آن ندارد چربئی مانند دوغ

در بیان آنکه عقل و روح درآب وگل محبوس اند همچو هاروت وماروت در چاه بابل

همچوهاروت وچوماروت آن دو پاك[6] — بسته اند اینجا بچاه سهمناك ۱۲ — عالم سفلی و شهوانی درند — اندرین چه گشته اند از جرم بند
سحر و ضد سحر را بی اختیار — زین دو آموزند نیکان و شرار ۱۳ — لیك اوّل پند بدهندش که هین — سحر را از ما میاموز و مچین
ما بیاموزیم این سحر ای فلان — از برای ابتلا و امتحان ۱۴ — کامتحان را شرط باید اختیار — اختیاری نبودت بی اقتدار
میلها همچون سگان خفته اند — اندر ایشان خیر و شر بنهفته‌اند ۱۵ — چونکه قدرت نیست خفتند این زده — همچو هیزم پارها و تن زده
تا که مرداری درآید درمیان[7] — نفخ صور حرص کوبد بر سگان ۱۶ — چون درآن کوچه خری مردارشد — صد سگ خفته بدان بیدار شد
حرصهای رفته اندر کتم غیب — تاختن آورد وسر برزد ز جیب ۱۷ — مو بموی هر سگی دندان شده — وز برای حیله دُم جنبان شده
نیم زیرش حیله و بالا غضب — چون ضعیف آتش که او یابد حطب ۱۸ — شعله شعله میرسد از لامکان — میرود دود و لهب تا آسمان
صد چنین سگ اندراین تن خفته‌اند — چون شکاری نیستشان بنهفته اند ۱۹ — یا چو بازانند دیده دوخته — درحجاب ازعشق صیدی سوخته
تا که برداری و بیند شکار — آنگهان سازد طواف کوهسار ۲۰ — شهوت رنجور ساکن میشود — خاطر او سوی صحت میرود
چون ببیند نان و سیب و خربزه — درمصاف آید مزه وخوف و بزه[8] ۲۱ — گر بود صبار دیدن سود اوست — آن تهیّج طبع سستش را نکوست
ور نباشد صبر پس نادیده به — تیر دور اولی زمرد بی زره ۲۲ — باز گرد وکن حکایت را تمام — تا چه گفت اندرجوابش والسلام

جواب گفتن طاوس آن سائل را

بشنو اکنون توزطاوس آن جواب — تا بدانی هر نکوئی را خطاب ۲۴ — چون ز گریه فارغ آمد گفت رو — که تو رنگ وبوی هستی را گرو
آن نمی‌بینی که هرسو صد بلا — سوی من آید پی این بالها ۲۵ — ای بسا صیاد بی رحمت مدام — بهتر این پرها نهد هرسوی دام
چند تیرانداز بهر بالها — تیر سوی من کشد اندر هوا ۲۶ — چون ندارم زور ضبط خویشتن — زین قضا وزین بلا و زین فتن
آن به آید که شوم زشت وکریه — تا بوم ایمن درین کهسار و تپه ۲۷ — برکنم پرهای خودرا یك بیك — تا نیندازد بدامم هرکلك
نزدمن جان بهتر ازبال وپراست — جان بماند باقی و تن ابتراست ۲۸ — این سلاح عُجب من شد ای فتی — عُجب آرد معجبان را صد بلا

بیان آنکه هنرها و زیرکیها ومال دنیا همچون پر های طاوس عدوّ جانست

پس هنر آمد هلاکت خام را — کز پی دانه نبیند دام را ۳۰ — اختیار آن‌را نکو باشد که او — مالك خود باشد اندر اتقوا
چون نباشد حفظ وتقوی زینهار[9] — دور کن آلت رها کن[10] اختیار ۳۱ — جلوه‌گاه و اختیارم این پر است — بر کنم پر راکه درقصد سر است
نیست انگارد پر خود را صبور — تا پرش در نفکند درشرّ و شور ۳۲ — پس زیانش نیست پرگو بر مکن — گر رسد تیری به پیش آرد مجن
لیك بر من پردنیا[11] دشمنی است — چونکه ازجلوه‌گری صبریم نیست ۳۳ — گر بدی صبر و حفاظم راهبر — بر فزودی اختیارم کرّ و فرّ
همچوطفلم یا چو مست اندر فتن — نیست لایق تیغ اندر دست من ۳۴ — گر مرا عقلی بدستی منزجر — تیغ اندر دست من بودی ظفر
عقل باید نور ده چون آفتاب — تا زند تیغی که نبود جز صواب ۳۵ — چون ندارم عقل تابان و صلاح — پس چرا در چاه نندازم سلاح
در چه اندازم کنون تیغ و مجن — کاین سلاح خصم من خواهدشدن ۳۶ — چون ندارم زور و یاری وسند — تیغم او بستاند و بر من زند
رغم این نفس وقیحه[12] خوی را — گر نپوشم رو خراشد روی را ۳۷ — تا شود کم این جمال واین کمال — چون نماند رو کم افتم در وبال
چون باین نیت خراشم بزه نیست — که بزخم این روی را پوشیدنیست ۳۸ — گر دلم خوی ستیری داشتی[13] — روی خوبم جز صفا نفراشتی
چون ندیدم زور و فرهنگ و صلاح — خصم دیدم زود بشکستم سلاح ۳۹ — تا نگردد تیغ من او را کمال — تا نگردد خنجرم بر من وبال
میگریزم تا رگم جنبان بود — کی فرار از خویشتن آسان بود ۴۰ — آنکه از غیری بود او را فرار — چون ازاو ببرید او گیرد قرار

---

۱ ـ بود ۲ ـ ور نکو تا زود با خانه رود ۴ ـ بی ۱۰ ـ بینداز ۱۱ ـ زیبا ۱۲ ـ قبیحه

(۳) یعنی از حریصی کم بودی در روی روح امری که بایستی قانع بودی و از تکبر کم بودی و در چهرهٔ آن روح که بایستی خاشع بودی وهمچنین (۵) مراد آنکه عقلها ودلها بلاشك ازجانب عرشند لکن درحجاب ناسوتی ظلمانی زیست می‌کنند (۶) مفهوم آیه واقعه درسورهٔ بقره است و ما انزل علی الملکین ببابل هاروت وماروت و ما یعلمان من احد حتی یقولا انما نحن فتنة فلاتکفر (۷) الدنیا جیفة و طالبها کلاب (۸) ظاهر آنست که رنجور چون آنهارا ببیند میلش متحرك شود وچون مرض وگناه اورا مانع ازخوردن آید پس میان میل او وخوف آن دو مصاف پدید گردد (۹) یعنی در نفوس مطمئنه باوجود اسباب وقدرت واختیار کفّ نفس از اباطیل کرامت وشهامت است واما باضعف نفس سلب اسباب و توفیق جبری هم غنیمت است (۱۳) یعنی اگر دل خصلت مستوری که قرب خاص آرد داشتی مانند ذکر قلبی و سیرت الهی پس از ابقاء صفاء صوری باکی نبود .

من که خصمم هم منم اندر گریز تا ابد کار من آمد خیز خیز ۱ نی بهنداست ایمن و نی در ختن[1] آنکه خصم اوست سایهٔ خویشتن

در صفت آن بیخودان که از شر خود و هنر خود ایمن شده اند که فانی اند در بقای حق همچون ستارگان که فانی‌اند روز در آفتاب و فانی را خوف آفت و خطر نباشد

چون فناش از فقر پیرایه شود او محمد وار بی سایه شود[2] ٤ فقر فخری را فنا پیرایه شد چون زبانهٔ شمع او بی سایه شد
شمع شد جمله زبانه پا و سر سایه را نبود بگرد او گذر ٥ موم از خویش وزسایه درگریخت درشعاع‌از بهرآن که شمع ریخت
گفت از بهر فنایت ریختم گفت من هم در فنا بگریختم ٦ این شعاع فانی[3] آمد مفترض نی شعاع شمس[4] فانی عرض
شمع چون در نار کلی شد فنا نی اثر بینی ز شمع و نی ضیا ۷ هست اندر دفع ظلمت آشکار آتشی صورت بمومی پایدار
بر خلاف موم شمع جسم کان تا شود کم‌گردد افزون نور جان ۸ این شعاع باقی و آن فانی است شمع جان را شعلهٔ ربانی است
آن زبانهٔ آتشی چون نور بود سایهٔ فانی شدن زان دور بود ۹ ابر را سایه بیفتد بر زمین ماه را سایه نباشد همنشین
بی‌خودی بی‌ابری‌است‌ای‌نیکخواه باشی اندربیخودی چون قرص‌ماه ۱۰ باز چون ابری بیاید رانده رفت نور از مه خیالی مانده
از حجاب ابر نورش شد ضعیف کم زماه نو شد آن بدر شریف ۱۱ مه خیالی مینماید ز ابر و گرد ابر تن ما را خیال‌اندیش کرد
لطف مه‌بنگر که اینهم‌لطف اوست که بگفت این‌ابرها مارا عدوست ۱۲ مه فراغت دارد از ابر و غبار بر فراز چرخ[5] دارد مه مدار
ابر ما را شد عدو و خصم جان که کند مه‌را ز چشم ما نهان ۱۳ حور را این پرده زالی میکند بدر را کم از هلالی میکند
ماه ما را در کنار عز نشاند دشمن‌ماراعدوی خویش‌خواند[6] ١٤ ابر را تابی اگرهست ازمه است هرکه مه خواند ابررا او گمره‌است
نور مه برابر چون منزل شدست روی‌تاریکش زمه مبدل‌شده‌است ۱۵ گرچه همرنگ مه است ودولتست اندر ابر آن نور مه عاریت‌است
در قیامت مهر و مه معزول شد چشم دراصل ضیا مشغول شد ١٦ تا بداند ملك را از مستعار وین رباط فانی از دارالقرار
دایه عاریه بود روزی سه چار مادرا ما را تو گیر اندر کنار ۱۷ پر من ابراست وپرده‌است وکثیف زانعکاس لطف حق‌شد اولطیف
بر کنم پررا وحسنش را ز راه تا ببینم حسن مه را هم ز ماه ۱۸ من بخواهم دایه مادرخوشتراست موسی‌ام من دایهٔ من مادراست[7]
من نخواهم لطف حق ازواسطه که هلاك خلق شد این رابطه ۱۹ یا مگر ابری بگیرد خوی ماه[8] تا نگردد او حجاب روی ماه
صورتش بنماید و در وصف لا همچو جسم انبیا و اولیا ۲۰ آنچنان ابری نباشد پرده بند پرده در باشد بمعنی سودمند
آنچنان کاندر صباح روشنی قطره میبارید و بالا ابر نی ۲۱ معجزهٔ پیغمبری بود آن سقا ❀ گشته ابرازلطف[9] همرنگ سما
❀ گشته ریزان قطره‌قطره ازسما گفته آمد شرح آن در ماجرا ۲۲ بود ابر و رفته از وی خوی ابر این چنین گردد تن عاشق بصبر
تن بود اما تنی گم گشته زو گشته مبدل‌رفته ازوی رنگ و بو ۲۳ پر بی غیراست وسراز بهرمن[10] خانهٔ سمع و بصر استون تن
جان فدا کردن برای صید غیر کفر مطلق دان ونومیدی زخیر ۲٤ هین مشوچون قند پیش طوطیان بلکه زهری شو شوایمن از زیان
یابی احسنت وشاباش و[11] خطاب خویش‌چون[12] مردارکن‌پیش‌کلاب ۲۵ پس خضرکشتی برای آن شکست تا که‌آن کشتی زغاصب[13] بازرست
فقر فخری بهر آن آمد سنی تا ز طماعان گریزم در غنی ۲٦ گنجها را در خرابی زان نهند تا ز حرص اهل عمران وارهند
پر نتانی کند رو خلوت گزین ۲۷ تا نگردی جمله خرج آن و این

در بیان آنکه ماسوی‌الله هر چیزی همه آکل و مأکول است همچون آن مرغی که قصد صید ملخ میکرد و بصید ملخ مشغول می بود و غافل بود از باز گرسنه که از قفای او قصد صید او داشت اکنون ای آدمی صیاد آکل ازصیاد و آکل خود ایمن مباش اگر چه نمی بینیش بنظر چشم بنظر دلیل عبرتش می بین تا چشم سر باز شدن

زانکه تو هم لقمهٔ هم لقمه خوار آکل ومأکولی‌ای جان‌هوش‌دار ۳۲ مرغکی اندر شکار کرم بود گربه فرصت یافت او را در ربود
آکل و مأکول بود آن بیخبر در شکار خود ز صیاد دگر ۳۳ دزد گر چه در شکار کاله است شحنه با خصمانش در دنباله است
عقل او مشغول رخت و قفل در غافل از شحنه‌است و از آه سحر ۳٤ او چنان غرقست درسودای خود غافل‌است ازطالب و جویای خود
گر حشیش آب زلالی میخورد معدهٔ حیوانش در پی میچرد ۳۵ آکل و مأکول آمد آن گیاه همچنین هر هستئی غیر اله
وهویطعمکم ولایطعم‌چواوست[14] نیست‌حق‌مأکول‌وآکل‌لحم‌وپوست ۳٦ آکل و مأکول کی ایمن بود زآکلی کاندر کمین ساکن بود

---

۱ ـ یمن ۳ـ فنای باقی ٤ـ شمع ٥ ـ ابر ۸ـ شود فانی راه ۹ـ محو ۱۱ـ برای شد باشی در ۱۲ـ خویشتن ۱۳ـ ظالم (ن . ل)

(۲) یعنی چون فقر بحد کمال رسد و بفناء فی الله انجامد و بقاء بالله حاصل آید همه نور شود و سایه در نور محو شود پس آن جناب ختمی مآب (ص) سایه نداشت چون همه نور بود و چون اسم و رسم و مهیة وانیت دراو برعقل کل مجرد که نور بی ظلمت بود اطلاق میشود بلکه در ورثه او که بفعلیت رسیده‌اند آنچه مدلول انا وامثال آنست همان روح امری است وبدن کالاجنبی است و روح مکرم نور است و نعم‌البدل مکان او جبروتست وزمان او دهر ایمن اعلاست و نسبة ثابت بثابت سرمد است و مقوم جوهر او لاهوت است همه نورند بتابعیت او و کلی اند بکلیت او النبی‌اولی بالمؤمنین من‌انفسهم» ووجه دیگر برای سایه نداشتن‌آنحضرت آنست که درخط استوا درنزد زوال آفتاب هیچ شاخص سایه ندارد وشمس حقیقة محمدیه در وسط النهار ودرحدّ استواء بود که قبله عیسی مشرق و قبله موسی مغرب وقبله او (ص) مابین المشرق والمغرب بود وطریقه اش جمع بین وحدت وکثرت وتنزیه وتشبیه وجبر و تفویض وخلوت و انجمن بود یعنی همه‌جا امر بین الامرین (حاجی) (٦) اشاره است بآیه واقعه درسورهٔ ممتحنه یا ایهاالذین آمنوا لاتتخذوا عدوی وعدوکم اولیاء (۷) چنانکه در قرآن است فرجعناك الی امك کی تقرّ عینها ولاتحزن یعنی آنجا که درطلب مرضعه بودند برای تو برگردانیدم ترابمادر بعنوان مرضعه بودن بیگانه تاروشن شود چشم مادر بلقای تو ومحزون نباشد (۱۰) درمقام تحقیر تن گوید که خانه شنیدنیهای جزئیه و دیدنیهای جزئیه بیش نیست‌این تن واما لطیفه سریه پس آن محل مالا عین رأت ولا اذن‌سمعت ولاخطرعلی‌قلب بشر باشد (١٤) اشارداست بآیه واقعه درسورهٔ انعام قل‌اغیرالله اتخذ ولیا فاطرالسموات والارض وهو یطعم‌ولایطعم

امن ِ مأکولان جنوب ماتم است — رو بدان درگاه کو لایطعم است ۱ هر خیالی را خیالی میخورد — فکر آن فکر دگر را می چرد
تو نتانی کز خیالی وا رهی — یا بخسبی تا از آن بیرون جهی ۲ فکر زنبوراست وآن خواب وتوآب — چون شوی بیدار باز آید ذباب
چند زنبور خیالی در پرد — می کشد اینسو و آنسو می برد ۳ کمترین ِ آکلانست این خیال — وان دگرها را شناسد ذوالجلال
هین گریز از جوق اکال غلیظ — سوی او که گفت مائیمت حفیظ ۴ یا بسوی آنکه اواین حفظ یافت — گر نتانی سوی آن حافظ شتافت
دست را مسپار جز در دست ِ پیر — حق شدست آن دست اورادستگیر ۵ پیر عقلت کودکی خو کرده است — از جوار ِ نفس کاندر پرده است
عقل ِ کامل را قرین کن با خرد — تا که بازآید خرد زان خوی بد ۶ چونکه دست خود بدست او دهی — پس ز دست آکلان بیرون جهی
دست تو از اهل آن بیعت شود — که یدالله فوق ایدیهم بود[1] ۷ چونکه دادی دست خوددردست پیر — پیرحکمت کو حکیم است وخبیر[2]
کونبیّ وقت خویشست ای مرید[3] — زانکه از نور نبی آمد پدید ۸ در حدیبیه شدی حاضر بدین — وان صحابه بیعتی را هم قرین
پس ز ده یار مبشر آمدی — همچو زر ده دهی خالص شدی[4] ۹ تا معیت راست آید زانکه مرد — با کسی جفت است کورا دوست کرد
این جهان و آن جهان با او بود — وین حدیث احمد خوش خو بود ۱۰ گفت المرء مع محبوبه[5] — لا یفك القلب من مطلوبه
هر کجا دام است ودانه کم نشین — رو زبون گیراز زبون گیران ببین ۱۱ ای زبون گیر زبونان این بدان — دست هم بالای دست است ای جوان
تو زبونی یا زبون گیر ای عجب — ❀باش تو ترسان ولرزان درطلب ۱۲ آکل ومأکولی ای مرغ عجب❀ — هم تو صید وصیدگیر اندر طلب
حرص صیادی زصیدی مغفل است — میکند او دلبری او بیدل است ۱۳ بین ایدی خلفهم سداً مباش[6] — که نبینی خصم را وان خصم فاش
❀ تو کم ازمرغی مباش اندرنشید — بین ایدی خلف عصفوری بدید ۱۴ کم زعصفوری نهٔ بنگر که آن — بین ایدی خلف چون بیند عیان
چون بنزد دانه آید پیش و پس — چند گرداند سر و رو آن نفس ۱۵ کای عجب پیش وپسم صیاد هست — تاکشم از بیم او زین لقمه دست
پس نگه کن قصهٔ[7] فجار را — پیش بنگر مرگ یار و[8] جار را ۱۶ چون[9] هلاکت دادشان بی آلتی — او قرین تست در هر حالتی
حق شکنجه کرد وگرز و دست نیست — پس بدان حق بی یدو حدداوریست[10] ۱۷ آنکه میگفتی اگر حق هست کو[11] — در شکنجه او مقر گشتی که هو
وانکه میگفت این بعیداست وعجیب — اشك میراند وهمی گفت ای قریب ۱۸ دل فرار از دام واجب دیده است — دام تو خود برپرت چسبیده است
برکنم من بیخ این منحوس دام — از پی کامی نباشم تلخ کام ۱۹ درخور فهم[12] توگفتم این جواب — فهم کن درجست وجو رو برمتاب
بگسل این حبلی که حرص است وحسد — یاد کن فی جیدها حبل المسد ۲۰ ❀آنکه جزانکار حق کارش نبود — برد حسرت عاقبت بی هیچ سود
❀ در نگر احوال فرعون وثمود — قوم لوط و قوم صالح قوم هود ۲۱ ❀ حال نمرود ستمگر در نگر — در مآل قوم نوح افکن نظر
❀ در نگر تو قصهٔ شدّاد و عاد — حسرت ایشان نگر یوم التناد[13] ۲۲ ❀ تا بدانی حق سمیع است و علیم — فارغست ازترس و باك ازباك وبیم

سبب کشتن خلیل علیه السلام زاغ راکه آن اشاره بقمع کدام صفت بود از صفات مذموم مهلکه در مرید

این سخن را نیست پایان وفراغ — ای خلیل حق چرا کشتی تو زاغ ۲۵ بهر فرمان حکمت ِ فرمان چه بود — اندکی زاسرار آن باید نمود
کاغ کاغ و نعرهٔ زاغ سیاه — دائماً باشد بدن را عمرخواه[14] ۲۶ همچو ابلیس ازخدای پاك فرد — تا قیامت عمر ِ تن درخواست کرد
گفت انظرنی الی یوم الجزا[15] — کاشکی گفتی که تب یا[16] ربنا ۲۷ زندگی بی دوست جان فرسودنست[17] — مرگ حاضرغائب ازحق بودنست
عمرومرگ این هردو باحق خوش بود[18] — بی خدا آب حیات آتش بود ۲۸ این هم از تأثیر لعنت بود کو — در چنان حضرت همی شد عمرجو
از خدا غیر خدا را خواستن — ظن ِ افزونیست وکلی کاستن ۲۹ خاصه عمری غرق در بیگانگی — در حضور شیر روبه شانگی
عمر ِ بیشم ده که تا پستر روم — مهلم افزون ده که تا کمتر شوم ۳۰ تا که لعنت را نشانه او شود — بد کسی باشد که لعنت جو بود
عمر ِ خوش درقرب جان پروردنست — عمرزاغ از بهرسرگین خوردنست ۳۱ عمر بیشم ده که تا گه[19] میخورم — دایم اینم ده که بس بد گوهرم
گرنه گه خواراست آن گنده دهان ۳۲ گویدی کز زاغیم تو وارهان

مناجات

ای مبدّل کرده خاکی را بزر — خاك دیگر را نموده[20] بوالبشر ۳۴ کار ِ تو تبدیل اعیان و عطا — کار ما سهوست ونسیان و خطا
سهو و نسیان را مبدّل کن بعلم — من همه خلمم[21] مرا ده صبروحلم ۳۵ ای که خاك شوره را تو نان کنی — وی که نان مرده را توجان کنی
ای که جان خیره را رهبر کنی — وی که بیره را تو پیغمبر کنی[22] ۳۶ ❀ایکه خاك تیره را تو جان دهی — عقل وحسن وروزی وایمان دهی
❀شکر ازنی میوه ازچوب آوری — از منی مرده بت خوب آوری ۳۷ ❀ گل زگل صفوت زدل پیدا کنی — پیه را بخشی ضیاء و روشنی
میکنی جزو زمین را آسمان[23] — می فزائی در زمین از اختران ۳۸ هرکه سازد زین جهان آب حیات — زو ترش از دیگران آید ممات

۲ـ علیم است وخطیر ٤ـ صاف همچون ده دهی زرآمدی ۷ـ توببین پس لقمهٔ ۸ـ یار را و ۹ـ که ۱۰ـ بی دست حق داورکنی است ۱۲ـ عقل ۱٤ ـ عمر کاه ۱٦ ـ تبنا ۱۷ ـ عمر بی توبه همه جان کندنست ۱۹ ـ زین ۲۰ ـ بکرده ۲۱ ـ ظلمم ـ جهلم (ن . ل)

---

(۱) ان الذین یبایعونك انما یبایعون الله یدالله فوق ایدیهم (۳) الشیخ فی قومه کالنبی فی امته (٥) قال النبی صلی الله علیه واله المرء مع من احبه (٦) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ یس و جعلنا من بین ایدیهم سداً و من خلفهم سداً یعنی قراردادیم از پیش رو و پشت سر ایشان سدی (۱۱) اشاره است بمضمون آیه واقعه در سورهٔ یونس وسور دیگر ویقولون متی هذا الوعد ان کنتم صادقین (۱۳) روز قیامت (۱٥) اشاره است بآیه واقعه درسورهٔ اعراف قال انظرنی الی یوم یبعثون (۱۸) مفهوم آیه واقعه در سورهٔ انعام است ان صلوتی و نسکی و محیای ومماتی لله رب العالمین (۲۲) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ والضحی و وجدك ضالاً فهدی (۲۳) یعنی جزو زمین را بحسب صفا وروشنی گلزار وچمن ورنگ و بو و لطافت گلها و شقایق که در خوبی بمنزلهٔ اخترانند مانند آسمان میکنی یا گفته شود که جزو زمین را که وجود خاکی انسانست از کرامت و اصطفا مانند انبیا و مرسلین که آفتاب بروج هدایت اند بحسب علو درجات مانند آسمان میکنی و در زمین از اختران که ائمه واولیا ومتابعان آن سرورند که آنها هم در ارشاد و رهنمائی خلق بمنزلهٔ نجومند میفرمائی یعنی زمین را بوجود ایشان روشن میکنی

دیدهٔ دل کو بگردون بنگریست / دید کانجا هر دمی میناگریست ۱ قلب اعیانست[1] و اکسیر محبط / ائتلاف خرقهٔ تن بی مخبط
تو ازآن روزی که درهست آمدی / آتشی یا خاك یا بادی بدی ۲ گر بدان حالت ترا بودی بقا / کی رسیدی مر ترا این ارتقا
از مُبدّل هستی اوّل نماند / هستی دیگر[2] بجای او نشاند ۳ همچنین تا صد هزاران هستها / بعد یك دیگر دوم به زابتدا
آن مُبدّل بین وسایط را بمان / کز وسایط دور کردی زاصل آن ۴ واسطه هرجافزون شد وصل جست / واسطه کذوق وصل افزون ترست
از سبب دانی شود کم حیرتت[3] / حیرتی که ره دهد در حضرتت ۵ این بقاها از فناها یافتی / از فنا پس رو چرا بر تافتی
زان فناها چه زیان بودت که تا / بر بقا چفسیدهٔ ای بینوا ۶ چون دوم از اولینت بهتر است / پس فنا جوی و مبدل را پرست
صد هزاران حشر دیدی ای عنود / تا کنون هر لحظه از بدو وجود ۷ از جمادی بیخبر سوی نما / وز نما سوی حیات و ابتلا
باز سوی عقل و تمییزات خوش / باز سوی خارج این پنج وشش ۸ تا لب بحر این نشان پایهاست / پس نشان پا درون بحر لاست
باز منزلهای خشکی زاحتیاط / هست دهها و وطنها و رباط ۹ زانکه منزلهای دریا درفزون / وقت موجش نی جدار و نی ستون
باز منزلهای دریا در وقوف / وقت موجش نی ستون و نی[4] سقوف ۱۰ نیست پیدا اندر آن ره پا وگام / نی نشانست آن منازل را نه نام
هست صد چندان میان منزلین / آن طرف از این[5] تا بالای این[6] ۱۱ در فناها این بقا را دیدهٔ / بر بقای جسم چون چفسیدهٔ
هین بده ای زاغ این جان باز باش / پیش تبدیل خدا جان باز باش ۱۲ تازه می گیر و کهن را می سپار / که هرامسالت فزونست از سه پار
ور نباشی نخل وار ایثار کن / کهنه بر کهنه نه و انبار کن ۱۳ کهنه و پوسیده و گندیده را / تحفه می بر بهر هر نا دیده را
آنکه نو دید اوخریدار تو نیست / صید حقست او گرفتار تو نیست ۱۴ هرکجا باشند جوق مرغ کور / برتو جمع آیند ای سیلاب شور
تا فزاید کوری از شورابها / زانکه آب شور بفزاید عمی ۱۵ اهل دنیا زان سبب اعمی دلند / شارب شورابهٔ آب و گلند
شور میخور کور میچر[7] درجهان / چون نداری آب حیوان درنهان ۱۶ با چنین حالت بقا خواهی و یاد[8] / همچو زنگی در سیه روئی توشاد
درسیاهی زنگ ازان آسوده است / که ز زاد و اصل زنگی بوده است ۱۷ آنکه روزی[9] شاهدش خوش رو بود / گر سیه کردد تدارك جو بود
مرغ پرّنده چو ماند بر زمین / باشد اندر غصه[10] و درد و حنین ۱۸ مرغ خانه بر زمین خوش میرود / دانه چین و شاد و شاطر میدود
زانکه او از اصل بی پرواز بود / وان دگر پرّنده و پرواز بود ۱۹

در بیان حدیث نبوی صلی‌الله علیه وآله و سلّم ارحموا ثلاثاً عزیز قوم ذلّ وغنی قوم افتقر و عالماً یلعب به الجهال

گفت پیغمبر که رحم آرید بر / حال من کانَ غنیاً فافتقر ۲۲ والذی کانَ عزیزاً فاحتقر / او صفیاً عالماً بین المضر[11]
ای میان یعنی که بر این سه گروه / رحم آرید ار ز سنگید ار ز کوه ۲۳ آنکه او بعد از عزیزی خوارشد / وانکه بُد بامال و[12] بی دینار شد
وان سیم آن عالمی کاندر جهان / مبتلا گردد میان ابلهان ۲۴ زانکه از عزّت بخواری آمدن / همچو قطع عضو باشد از بدن
عضو گردد مرده کز تن وا برید / نو بریده جنبد اما نی مدید ۲۵ هرکه از جام الست اوخورد پار / هستش امسال آفت رنج و خمار
وانکه چون سگ زاصل کهدا نی بود / کی مراورا حرص سلطانی بود ۲۶ توبه او جوید که کردست اوگناه / آه او کوید که گم کردست راه

قصهٔ محبوس شدن آن آهو بچه در آخرخران و طعنهٔ آن خران بر آن غریب گاه بجنگ وگاه بتسخر و مبتلی گشتن او بکاه خشك که غذای او نیست ، و این صفت بندهٔ خاص خداست میان اهل دنیا و اهل هوا وشهوت که الاسلام بدأ غریباً و سیعود کما بدا غریباً فطوبی للغرباء

آهوئی را کرد صیادی شکار / اندرآخور کردش آن بی زینهار ۳۰ در میان آخر بر از خران / حبس آهو کرد چون استمگران
آهو از وحشت بهرسو میگریخت / او بپیش آن خران شب کاه ریخت ۳۱ از مجاعت و اشتها هرگاو وخر / کاه میخوردند همچون نی شکر
گاه آهو می رمید از سو بسو / که ز دود و گرد که میتافت رو ۳۲ هرکه را با ضدّ خود بگذاشتند / آن عقوبت را چو مرگ انگاشتند
تا سلیمان گفت آن هدهد اگر[13] / هجر را عذری نگوید معتبر ۳۳ بکشمش یا خود دهم اورا عذاب / یك عذاب سخت بیرون ازحساب
هان کدامست آن عذاب ای معتمد / در قفس بودن بغیر جنس خود ۳۴ زین بدن اندر عذابی ای بشر[14] / مرغ روحت بسته با جنس دگر
روح باز است و طبایع زاغها / دارد از زاغان تن بس داغها ۳۵ او بمانده در میانشان زار زار / همچو بوبکری بشهر سبزوار

حکایت محمد خوارزمشاه که شهر سبزوار را بجنگ بگرفت امان جان خواستند گفت آنکه امان دهم که ازین شهر پیش من بهدیه ابوبکرنامی بیاورید

شد محمد الب الغ خوارزمشاه / در قتال سبزوار بی پناه[15] ۳۸ تنگشان آورد لشکر های او / اسبهش افتاد در قتل عدو
سجده آوردند پیشش کالامان / حلقه‌مان درگوش کن وابخش جان ۳۹ هر خراج و هر صله که بایدت / آن ز ما هر موسمی افزایدت
جان ما آن تواست ای شیرخو[16] / پیش ما چندی امانت باش گو ۴۰ گفت نرهانید ازمن جان خویش / تا نیاریدم ابابکری به پیش

---

۲ ـ بهتر ٤ ـ موج و حبس بی عرصه و ٦ ـ که از نما تا روح عین ۷ ـ می ده کور می خر ۸ ـ زیاد ـ زیاد ۹ ـ ز اول ۱۰ ـ ناله
۱۲ ـ وان توانگر هم که ١٤ ـ پسر ١٥ ـ بر تباه ١٦ ـ یارجو (ن . ل)

---

(۱) یعنی ذاتها را مبدل ساختن و منقلب بذات دیگر کردن (۳) سبب سوزی آنست که مظاهر در نظر سالك محو شود و اسماء ظاهره بماند مثلا شمس نبیند ظهور جاعل النور بیند آتش نبیند نور قهار بیند (٥) یعنی بعد و مسافت منزلین آنطرف که عبارت از عالم بی نام ونشان باشد صد چندان بعدیست که ازمکان تلامکان باشد (۱۱) رحم آورید وشفقت نمائید بر بزرگ قومی که بحوادث زمانه خوار شده باشد وصاحب مالی که محتاج وبی چیز گشته وعالمی که بازیچهٔ نادانان وجهال گردیده باشد (۱۳) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ نمل فقال ومالی لا اری الهدهد ام کان من الغائبین لاعذبنه عذابا شدیدا اولاذبحنه اولیاتینی بسلطان مبین ـ عذاب شدید را دراینجا تفسیر نموده‌اند بهمنشینی باناجنس ومعنی آیه اینست : سلیمان فرمود چه شده است که نمی بینم هدهد را یا ازغایبانست هرآینه عذاب میکنم اورا عذاب شدیدی یاذبح میکنم اورا یابیارد دلیل روشن (که سبب غیبت اوچه بوده)

تا مرا بوبکر نام از شهرتان — هدیه ناورید ای رمیده امتان ۱
بس جوال زر کشیدندش براه — کز چنین‌شهری ابوبکری مخواه ۲
رو بتابید از زر وگفت ای‌مغان — تا نیاریدم ابوبکر ارمغان ۳
تا نیاری سجده نرهی ای زبون — ور به پیمائی تو مسجد را بکون ۴
بعد سه روز و سه شب کاشتافتند — یك ابوبکر نزاری یافتند ۵
❊ گوهری اندر خرابه بی‌عرض — خون دل بررخ فشانده از مرض ۶
خیز کاین‌سلطان ترا طالب شدست — کز توخواهد شهر ما ازقتل رست ۷
اندرین دشمن‌کده کی ماندمی — سوی شهر دوستان می‌راندمی ۸
جانب[1] خوارزمشه جمله روان — می‌کشیدندش که تا بیند نشان ۹
هست آن خوارزمشه شاه جلیل — دل همی‌خواهد ازاین قوم رذیل ۱۰
من زصاحب دل کنم در تو نظر — نه بنقش سجده و ایثار زر ۱۱
دل‌که‌گرهفتصدچواین‌هفت[3] آسمان — اندراو آید شود یاوه و[4] نهان ۱۲
صاحب دل آینهٔ شش رو بود — حق درآن از شش‌جهت ناظرشود ۱۳
گر کند ردّ از برای او کند — ور قبول آرد هم او باشد سند ۱۴
هیچ بی‌اوحق بکس ندهد نوال[6] — ❊ چونکه‌اوحق‌را بود درکلّ حال ۱۵
با کفش دریای کل را اتصال — شهٔ گفتم ز اصحاب وصال ۱۶
صد جوال زر بیاری ای غنی — هست بیچون و چگونه در کمال ۱۷
ننگرم در تو درآن دل بنگرم — حق بگوید دل بیار ای منحنی ۱۸
مادر و بابا و اصل خلق اوست — تحفه آن را آر ای‌جان دربرم[7] ۱۹
آن دلی‌آور که قطب عالم است — ای‌خنك آنکس‌که دل‌داند زپوست ۲۰
تو بگردی سالها در سبزوار — جان جان جان جان آدم است ۲۱
که دل آوردم ترا ای شهریار — آن چنان دل را نیابی ز اعتبار ۲۲
رو بیاورآن دلی‌کو شاه‌جو[10]ست — به ازاین دل نبود اندر سبزوار ۲۳
دشمنی آن دل از روز الست — که امان سبزوار کون از اوست ۲۴
ور کند نرمی نفاقی میکند — سبزوار طبع را میراثی‌است[11] ۲۵
زانکه این زاغ خس مردار جو — ز استمالت ارتفاقی میکند ۲۶
زانکه‌آن صاحب دل با کرّوفر[14] — صد هزاران مکر دارد تو بتو ۲۷
آنکه زرق او خوش آید مر ترا — هست در بازار ما معیوب خر ۲۸
رو هوا بگذار تا بوی خدا — او ولیّ تست نه خاص خدا ۲۹
از هوا رانی دماغت فاسد است — در مشامت در رسد ای کدخدا ۳۰
مشك وعنبربیش مغزت کاسداست — ❊ عاشقی تو برنجاست همچوزاغ ۳۱
حدّ ندارد این سخن وآهوی ما — میگریزد اندر آخر جا بجا ۳۲

بدر ومتان همچوکشت ای‌قوم‌دون — نی خراج استانم و نی هم فسون
کی بود بوبکر اندر سبزوار — یا کلوخ خشك اندر جویبار
هیچ سودی نیست کودك نیستم — تا بزر و سیم حیران بیستم
منهیان انگیختند از چپ وراست — کاندرین ویران ابوبکری کجاست
ره‌گذر بود و بمانده از مرض — در یکی گوشه خرابی پر حرض
خفته بود او دریکی‌کنجی خراب — چون بدیدندش بگفتندش شتاب
گفت اگر پایم بدی یا مقدمی — خود براه خود بمقصد رفتمی
تختهٔ مرده کشان بفراشتند — برکتف بوبکر را برداشتند
سبزواراست این‌جهان ومرد حق — اندر اینجا ضایع است و ممتحق
گفت لاینظر الی تصویرکم — فابتغوا ذا القلب فی تدبیرکم[2]
نه بنقش سجده و ایثار زر — جست وجوی اهل دل بگذاشتی
تو دل خودرا چو دل پنداشتی — سبزوار اندر ابوبکری مجو
اینچنین دل ریزها را دل مگو — کی‌کند در غیر حق یکدم[5] نظر
هرکه اندر شش جهت دارد مقر — برگزیده باشد اورا ذوالجلال
موهبت را بر کفّ دستش نهد — وز کفش آنرا برحومان دهد
اتصالی که نگنجد در کلام — گفتنش تکلیف باشد والسلام
گر ز تو راضیست دل من راضیم — ور ز تو معرض بود اعراضیم
باتو او چونست هستم من چنان — زیر پای مادران باشد جنان[8]
تو بگوئی نك دل آوردم بتو — گویدت این دل نیرزد یك تو[9]
از برای آن دل پر نور و پر — هست آن سلطان دلها منتظر
پس دل پوسیدهٔ پژمرده جان — بر سر تخته نهی آن سو کشان
گویدت این‌کورخانه است ای‌جری — که دل مرده بدانجا آوری
گوئی‌آن دل زین جهان پنهان‌بود — زانکه ظلمت با ضیا ضدّان بود
زانکه او بازاست ودنیاشهر[12] زاغ — دیدن هر جنس بر ناجنس داغ
گوید آری از تکلف نه[13] نیاز — تا که ناصح کم کند نصح دراز
گر پذیرند آن نفاقش را رهید — شد نفاقش عین صدق مستفید
صاحب دل جو اگر بیجان نهٔ — جنس‌دل شو گر ضدِ سلطان نهٔ
هرکه اوبرخوی وبرضع‌توزیست — پیش طبع تو ولیّ است و نبیست
❊ رو هوا بگذار تا خویت شود — وان مشام عنبرین بویت شود
❊ عاشقی تو برنجاست همچوزاغ — بوی مشکت می نگیرد در دماغ
میگریزد اندر آخر جا بجا

بقیه قصهٔ آهو در آخر خران

روزها آن آهوی خوش ناف نر — در شکنجه بود در اصطبل خر ۳۳
یك خرش‌گفتی‌که‌هان‌ای‌بوالوحوش — طبع‌شاهان دارد ومیران خموش[15] ۳۴
وآن خری‌گفتی که با این نازکی — بر سریر شاه شو کو متکی ۳۵
سر چنین‌کرد او که نی رو ای‌فلان — اشتهایم نیست هستم نا توان ۳۶
گفت‌آهو با خر این طعمهٔ تواست — که ازآن اجزای توزنده و نواست ۳۷

مضطرب درنزع‌چون ماهی‌زخشك — در یکی حقه معذب پشك و مشك
آن دگر تسخر زدی کزجزرومد — گوهرآورده‌است کی[16] ارزان‌دهد
آن‌خری شد تخمه وزخوردن بماند — پس برسم دعوت آهو را بخواند
گفت میدانم که نازی میکنی — یا ز ناموس احترازی میکنی
من الیف مرغزاری بوده ام — در ظلال روضها آسوده ام

---

۱ ـ سوی ۳ ـ زمین چون ٤ ـ حالی ٥ ـ نکندش بی واسطهٔ او حق ۷ ـ بر درم ۱۰ ـ خو ۱۲ ـ همچو ۱۳ ـ او آری نه ازبهر
۱٤ ـ از احسان وبر ۱٥ ـ دارد و نازست خوش ۱٦ ـ تا (ن . ل)

---

(۲) یعنی نظر نمیکنیم در ظاهر صورت شما پس دریابید دل انسان‌کامل را به هر تدبیرکه توانید واشاره است بحدیث ان‌الله لاینظر الی صورکم ولا الی اموالکم ولکن ینظر الی قلوبکم واعمالکم ونیاتکم و مولوی فرماید من ز صاحبدل کنم در تونظر ـ چه دل تو وسعت و عرشیت پیدا نکند تا تبعیت انسان‌کامل‌نکند آنوقت منظر سبحانی وعرش رحمانی شود بلکه دل او دل تو شود ودل تو دل او (٦) لولاك لما خلقت‌الافلاك (۸) حدیث است که الجنة تحت اقدام الامهات یعنی خدمت بمادر و قیام بادای حقوق خدمتگاری مادران موجب دخول بهشت است (۹) دل یکی منظریست سبحانی خانهٔ دیو را چه دل‌خوانی (۱۱) یعنی قوا و طبایع عاشق جزئیاتند و قلب کلی عاشق کلیات پس تصادم میشود نه سبزوار جهان را چه همهٔ دلها مفطورند بر محبت دل‌کامل فطرةالله التی‌فطرالناس علیها چه همه طالب‌کمالند واوست ینبوع کمالات وحیات‌میخواهند اوست معدن حیاتها وغنی‌میطلبند اوست‌کان غناها و بقامیخواهند اوست سرچشمهٔ بقا ودانش وبینش‌میخواهند اوست دریای دانش و بینش وتوانائی میخواهند اوست توانا و همچنین هرکمال را که طالبند چگونه چنین نباشد وحال آنکه متصل است بدریای بیکران وممسوس بحضرت یزدان وهو بکلّ شیٍ محیط جمال اوست هرجا جلوه کرده ز معشوقان عالم بسته پرده

گر قضا افکند ما را در[1] عذاب — کی رود آن طبع وخوی مستطاب ۱ گر گدا گشتم گدارو کی شوم — ور لباسم کهنه گردد من نوم
سنبل و لاله و سیرغم نیز هم — با هزاران ناز ونخوت خورده‌ام ۲ گفت آری لاف می‌زن[2] لاف لاف — در غریبی بس توان گفتن گزاف
گفت نافم خود گواهی می‌دهد — منتی بر عود و عنبر می‌نهد ۳ لیك آنرا که اشنود[3] صاحب مشام — بر خر سرگین پرست آن شد حرام
خر کمیز خر ببوید بر طریق — مشك چون عرضه کنم بر این فریق ۴ بهر آن گفت آن رسول مستجیب — رمز الاسلام فی الدنیا غریب[4]
زانکه خویشانش هم ازوی میرمند — گر چه با ذاتش ملایك هم دمند ۵ صورتش را جنس می بیند انام — لیك از وی می نیابند آن مشام
همچو شیری در میان نقش گاو — دور می بینش ولی اورا مکاو ۶ ور بکاوی ترك گاو تن بگو — که بدرّد گاو را آن شیر خو[5]
طبع گاوی از سرت بیرون کند — خوی حیوانی ز حیوان بر کند ۷ گاو باشی شیر گردی نزد او — گر تو با گاوی خوشی شیری مجو

در معنی آیهٔ انی اری سبع بقرات سمان یأکلهن سبع عجاف (٦) گاوان لاغر را خدا بصفت شیران گرسنه آفریده بود تا آن هفت گاو فربه را باشتها میخوردند اگر چه آن خیالانست صورت گاوان در آینهٔ خواب بنمودند اما تو بمعنی شیر بنگر

آن عزیز مصر می‌دیدی بخواب — چونکه چشم غیب را شد فتح باب ۱۱ هفت گاو فربه بس پروری — خوردشان آن هفت گاو لاغری
دردرون شیران بُدند آن لاغران — ورنه گاوان را نبودندی خوران ۱۲ پس بشر آمد بصورت مردِ کار — لیك پنهان شیر در وی مردخوار
مردرا خوش واخورد[7] فردش کند — صاف گردد دُرد اگر دردش کند ۱۳ ❀ گاو تن قربانی شیر خداست — گر تورا با او سر صدق وصفاست
❀ ورکشی مهمان همان کون خری — گاوتن را خواجه تا کی پروری ۱۴ پس بیك دردی زجملهٔ دردها[8] — وا رهد یا بر نهد او بر سها[9]
شاه گردد واگذارد بندگی[10] ۱۵ یابد او در مردگی دل زندگی[11]

بیان آنکه کشتن ابراهیم علیه السلام خروس را و مذمت او اشارت بقمع و قهر کدام صفت بود از صفات مذمومات مهلکات در باطن مرید

چند گوئی همچو زاغ پر نحوس — ای خلیل حق چرا کشتی خروس ۱۸ حکمت کشتن چبود آخر بگو[12] — تا مسبح گردم آنرا مو بمو[13]
گفت فرمان حکمت فرمان بخوان — تا مهلل گردم آنرا من بجان ۱۹ شهوتی است اووبس شهوت پرست — زان شراب زهر ناك ژاژ مست
گر نه بهر نسل بودی ای وصی — آدم از تنکش بکردی خودخصی ۲۰ گفت ابلیس لعین دادار را — دام زفتی خواهم این اشکار را
زرّ و سیم وگله واسبش نمود[14] — که بدین تانی خلایق را ربود ۲۱ گفت شاباش و ترش آویخت لنج — شد ترنجیده وترش همچون ترنج
پس جواهرها ز معدنهای خوش — کرد آن پس‌مانده را حق پیشکش ۲۲ گیر این دام دگر را ای لعین — گفت زین افزون‌ده ای نعم‌المعین
چرب و شیرین و شرابات ثمین — دادش و بس جامهٔ ابریشمین ۲۳ گفت یارب بیش ازاین خواهم‌مدد — تا بینده‌شان بحبلِ من مسد
تا که مستانت که نرّ و پردلند — مرد وار این بندها را بگسلند ۲۴ تا بدین دام و رسنهای هوا — مرد تو گردد ز نامردان جدا
دام دیگر خواهم ای سلطانِ تخت — دام مرد انداز حیلت سازِ سخت ۲۵ خمر وچنگ آورد درپیش ونهاد — نیم خنده زد بدان شد نیم شاد
سوی اضلال ازل پیغام کرد[15] — که بر آر از قعر بحرِ فتنه گرد ۲۶ نی یکی از بندگانت موسی است — پردها در بحر او از گرد بست
آب از هر سو عنان را واکشید — از تك دریا غباری بر جهید[16] ۲۷ دام محکم ده که تا گردد تمام — وافکنم در کام ایشان چون لجام
❀ درکمند آرم کشمشان کش کشان — تا که نتوانند سر پیچید از آن ۲۸ چونکه خوبیٔ زنان با او نمود — که ز عقل وصبر مردان می‌ربود
پس زد انگشتك برقص اندر فتاد — که بده زو تر رسیدم با[17] مراد ۲۹ چون بدید آن چشمهای پر خمار — که کند عقل و خرد را بی‌قرار[18]
وان صفای عارضِ آن دلبران — که بسوزد چون سپند این دل بر آن ۳۰ روی وخال وابرو واب چون عقیق — گوئیا خور تافت از پردهٔ رقیق
❀ قد چون سرو خرامان درچمن — خدّ همچون یاسمین و نسترن ۳۱ چونکه دید آن غنج برجست او سبك — چون تجلی حق از پردهٔ تنك
❀ عالمی شد واله وحیران ودنگ ۳۲ زان کرشم وزان دلال نیك وشنگ

در معنی آیهٔ لقد خلقنا الانسان فی احسن تقویم الی آخرها و آیه ومن نعمره ننکسه فی الخلق افلا یعقلون

صد چوآدم را ملك ساجد شده[19] — همچو آدم باز معزول آمده[20] ۳۴ جبرئیلش میکشاند مو کشان — که بروزین خلد وزین جوق خوشان
گفت آوخ بعد هستی نیستی[21] — گفت جرمت آنکه افزون زیستی[22] ۳۵ گفت بعداز عز این اذلال چیست — گفت آن دادست و[23] اینت داوریست
جبرئیلا سجده میکردی بجان — چون کنون میرانیم تو ازجنان ۳۶ حله می‌برّد ز من در امتحان[24] — همچو برگ از شاخ[25] در وقت خزان

---

۱ ـ از قضا گر پیشم آمد این ۲ ـ خر آخر همی زن ۳ ـ بشنود ۵ ـ شیرانه او ۷ـ بر درد ۹ ـ سما ۱۲ـ بگو تا چیست آن ۱۳ ـ من بجان ۱٦ـ شد پدید ۱۷ـ بر ـ در ۱۸ـ در خمار ۲۱ـ هست این نیست چیست ۲۲ ـ گشت زیست ۲۳ ـ آنت داد و ۲۵ ـ نخل (ن . ل)

---

(٤) اشاره‌است بحدیث الاسلام بدأ غریباً وسیأتی کما بدأ ابتدا اسلام غریب بود وزود باشدکه بیاید چنانکه بود (٦) این آیه در سورهٔ یوسف واقع شدهگفت ملك مصر بدرستیکه بخواب دیدم هفت گاو فربه‌را که خورده‌شدند بوسیلهٔ هفت گاولاغر (٨) قربانی تن و درد عشق ازجمله دردها وعلتهای (١٠) نهایة‌الفقر بدایة‌الفنا والعبودیة جوهرة کنهها‌الربوبیه (١١) دراحادیث درعلامت وصفت نفس کلیهٔ الهیه فرموده‌اند بقاءٌ فی‌فناء وغنیٌ فی باطنه فقر وعزٌ فی ذُل و حیوةٌ فی مماة (١٤) مراد گله است که ازهرنوع مواشی باشد و ذکر اسب ذکر خاص است بعد ازعام ازجهت زیادتی اهتمام بشأنش که خداوند نیز ذکر فرموده در ذیل مشتهیات کلیه که زین للناس حُبُ الشهوات من النساء و البنین و القناطیر المقنطرة من الذهب والفضة والخیل‌المسومه (١٥) چون ابلیس در تحت اسماء قهریه واقع است و عبد المضل است استمداد از او جست (١٩) آن جمیله را صد عاشق ساجد است چون آدم صفی را که ملك سجده اش کردند (٢٠) چنانکه آدم را از بهشت بیرون کردند بعد از آنکه بار یافته و سکنی گرفته بود ومعزول نمودند پس ازآنکه مسجود ملائکه شد همچنین انسان طبیعی را از بهشت حسن و جمال بیرون کردند وپس از مسجودیت برای عشاق معزولیت دادند کما قال تعالی ومن نعمره ننکسه فی‌الخلق (٢٤) اقتباس‌است ازمضمون آیه واقعه درسورهٔ اعراف ینزع عنهما لباسهما لیریهما سواتهما

آن رخی که تاب او بُد ماهوار — شد به پیری همچو پشت سوسمار ۱ — وان سروآن فرق‌کش شعشع‌شده — وقت پیری ناخوش و اصلع شده
وان‌قدصف‌درّ نازان[1] چون سنان — گشت در پیری دوتا همچون‌کمان ۲ — ❀ برف‌گشته‌موی همچون‌پرّ زاغ — وز تشنج روی گشته داغ داغ
رنگ لاله گشته رنگ زعفران — زورشیرش‌گشته چون زهرهٔ‌زنان ۳ — ❀ چشم چون نرگس‌شده پژمردهٔ — گرمی اعضا شده افسردهٔ
❀ آنکه مردی در بغل‌کردی‌بفن — می بگیرندش بغل وقت شدن ۴ — این خود آثار غم و پژمردگیست — هر یکی‌زینها رسول مردگیست [2]

تفسیر آیهٔ الاّ الذین آمنوا وعملوالصالحات فلهم اجرٌ غیر ممنون

لیك اگر باشد قرینش[3] نور حق — نیست از پیری ورا نقصان ودق ۶ — سستی اوهست چون سستی مست — کاندرآن سستیش رشك‌رستمست
گر بمیرد استخوانش غرق ذوق — ذرّه ذرّه‌اش درشعاع نور شوق ۷ — وانکه نورش نیست باغ بی ثمر — که خزانش میکند زیر و زبر
گل نماند خار ها ماند سیاه — زرد و بیمغز آمده چون تلّ کاه ۸ — تا چه زلت کرد آن باغ ای خدا — که از او آن حلّتها گردد جدا
خویشتن را دید و دیدِ خویشتن — زهرِ قتالست هین ای ممتحن ۹ — شاهدی کز عشق او عالم‌گریست — عالمش میراند ازخود جرم‌چیست
جرمش آنکه زیور عاریه بست — کرد دعوی کاین‌حلل ملك منست ۱۰ — وا ستانیم آنکه تا داند یقین — خرمن‌آنِ ماست خوبان‌خوشه‌چین
تا بداند کان حُلل عاریه بود — پرتوی بود آن ز خورشید وجود ۱۱ — آن جمال و قدرت وفضل‌وهنر [4] — ز آفتاب حسن کرد اینسو سفر
باز می‌گردند چون استارها — نور آن خورشید زین دیوارها ۱۲ — پرتو خورشید شد وا جایگاه — ماند هر دیوار تاریك و سیاه
❀ آنکه‌کرد او بررخ خوبانت‌دنگ — نورِ خورشیدست‌ازشیشهٔ‌سه‌رنگ[5] ۱۳ — ❀ شیشهای رنگ‌رنگ آن نور را — مینماید این چنین رنگین بما
چون نماند شیشهای رنگ رنگ — نور بی رنگت کند آنگاه دنگ ۱۴ — خوی کن بی‌شیشه دیدن نور را — تا چو شیشه بشکند نبود عما
قانعی با دانش آموخته — در چراغ غیر چشم افروخته ۱۵ — او چراغ خویش بربابد که تا — تو بدانی مستعیری ای فتا
گر تو کردی شکرو سعی مجتهد — غم مخور که صد چنان بازت دهد ۱۶ — ور نکردی شکراکنون‌خون‌گری — که شدست آن حسن ازکافر بری
امة الکفران اضل اعمالهم[6] — امة الایمانِ اصلح بالهم ۱۷ — گم شد از بی شکر خوبیّ وهنر — که دگر هرگز نبیند زان اثر
خویشی وبیخویشی وشکر و وداد — رفت ز انسان که ناردشان بیاد ۱۸ — که اضل اعمالهم ای کافران — جستن کام است از هر کامران
غیر[7] اهل شکر و اصحاب وفا — که مرایشان راست دولت در قفا ۱۹ — دولت رفته کجا قوت دهد — دولت آینده چون چشمه زهد[8]
قرض‌ده زین‌دولت اندر اقرضوا[9] — تا که صد دولت‌ببینی پیش رو[10] ۲۰ — اندکی‌زین شُرب‌کم‌کن بهرخویش — تا که حوض کوثری یابی به پیش
جرعه برخاكِ وفا آنکس‌که ریخت — کی تواند صید دولت زو گریخت ۲۱ — خوش کند آن دل‌که اصلح بالهم — ردّ من بعدالتوی انزالهم
ای اجل وی ترك غارت ساز ده — هرچه‌بردی زین شکوران[11] بازده ۲۲ — وا دهد ویشان نه بپذیرند آن — زانکه منعم گشته اند از رخت‌جان
صوفییم و خرقها انداختیم — باز نستانیم چون در باختیم ۲۳ — ما عوض دیدیم آنکه چه عوض — رفت از ما حاجت و حرص‌وغرض
زآب شور ومهلکی بیرون شدیم — بر رحیق و چشمهٔ کوثر زدیم ۲۴ — آنچه‌کردی ای جهان با دیگران — بی وفائی و فن و ناز گران
بر سرت ریزیم ما بهر جزا — که شهیدیم آمده اندر غزا ۲۵ — تا بدانی که خدای پاك را — بندگان هستند بر حمله و مرا
سبلت تزویر دنیا بر کنند — خیمه را بر باروی نصرت زنند ۲۶ — این شهیدان‌باز نوغازی شدند[12] — این اسیران باز بر نصرت زدند
❀ قفل مشکلها زلطفش حل‌شده — نفس کافر ناگهان بسمل شده ۲۷ — ❀ نا امیدی رفته امید آمده — گشت مسجد ناگهان این بتکده
سر برآوردند باز از نیستی — که ببین ما را گر اکه نیستی ۲۸ — تا ببینی[13] در عدم خورشیدهاست — وانچه اینجا آفتاب آنجا سهاست
در عدم هست ای برادرچون بود — ضد اندر ضد چون مکنون بود ۲۹ — یخرج الحی من المیت بدان[14] — که عدم آمد امید عابدان
مرد کارنده که انبارش تهیست — شاد و خوش نی برامید نیستیست ۳۰ — که بروید آن ز سوی نیستی — فهم کن گر واقف معنیستی
دمبدم از نیستی تو منتظر — که بیابی فهم و ذوق آرام وبر ۳۱ — نیست دستوری گشاد این راز را — ور نه بغدادی کنم ابخاز را
پس خزانهٔ صنع حق باشد عدم — که بر آرد زو عطاها ده بدم ۳۲ — مبدع آمد حقّ و مبدع آن بود — که بر آرد فرع بی اصل و سند

در مثال عالم نیست هست نما و عالم هست نیست نمای

نیست را بنمود هست آن محتشم — هست را بنمود بر شکل عدم ۳۴ — بحر را پوشید وکف‌کرد آشکار — باد را پوشید و بنمودت غبار
چون منارهٔ خاك پیچان در هوا — خاك از خود چون برآید برعلا ۳۵ — خاك را بینی ببالا ای علیل — باد را نه جز بتعریف و دلیل
کف همی بینی روانه هر طرف — کفّ بی دریا ندارد منصرف ۳۶ — کف بحس بینی و دریا از دلیل — فکر پنهان آشکارا قال و قیل
نفی را اثبات می پنداشتیم — دیدهٔ معدوم بینی داشتیم ۳۷ — دیده کاندر وی نعاسی شد پدید — کی تواند جز خیال و نیست دید
لاجرم سرگشته گشتیم از ضلال — چون حقیقت شد نهان پیدا خیال ۳۸ — این‌عدم را چون نشاند اندرنظر — چون نهان‌کرد آن حقیقت از بصر
آفرین ای اوستاد سحر باف — که نمودی معرضان‌را دُرد صاف ۳۹ — ساحران مهتاب پیمایند زود — پیش بازرگان و زر گیرند سود

---

۱ ـ رقصان و یازان ۳ ـ طبیبش ۷ ـ جز ز ـ چون ز ۸ ـ خاصیت دهد ۱۰ـ تو بتو ۱۱ـ ظریفان ۱۲ـ غازی آمدند ۱۳ ـ بدانی
(ن . ل)

---

(۲) روز و شب پیوسته لشکر میرسد ❀ یعنی از پی مبرِ ما درمیرسد (شیخ عطار) (٤) یعنی جمال وقدرت وفضل وهنر که از آفتاب حسن اینسو سفر کرده بودند مانند نور ستارها ونورخورشید ازین دیوارهای وجود بازمیگردند یا گوئیم تشبیه ستارها دررجعت محض‌است‌که خمسه متحیره را واقع‌میشود ورجعت نورخورشید از دیوارها هرروز وتشبیه بآن امریست ظاهر (٥) مراد بشیشه اعیان ثابته ومهیات امکانیه است و مراد بسه رنگ سواد وبیاض که غایت خلاف دارند واوساط که غایت خلاف ندارند همه یك رنگ وبا آندو سه محسوب شده وتکثر وجود حقیقی که مثالش نور خورشید است باعتبار مهیاتست و فی نفسه حقیقت واحده است بوحدت حقه (٦) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ محمد الذین کفروا وصدوا عن سبیل‌الله اضل اعمالهم (٩) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ مزمل واقرضوا الله قرضاً حسناً (١٤) در سورهٔ روم است یخرج الحی من‌المیت و یخرج المیت من الحی .

سیم بربایند زین‌گون پیچ پیچ ۱ این‌جهان جادوست ما آن تاجریم که از او مهتاب پیموده خریم
گز کند کرباس پانصد گز شتاب ۲ ساحرانه او ز نورِ ماهتاب ۲ چون ستد او سیم عمرت ای رهی سیم شد کرباس نی کیسه تهی
قل اعوذت خواند باید کای احد[1] ۳ هین زنفاثات افغان وز عقد[2] ۳ میدمند اندر گره آن ساحرات الغیاث المستغاث از برد و مات
لیك برخوان از زبانِ فعل نیز ۴ که زبان قول سستست ای عزیز ۴ در زمانه مر ترا سه همرهند زان یکی وافیٌ وآن دو غدرمند
آن یکی یاران ودیگر رخت ومال ۵ وان سیم وافی است آن حسن الفعال[3] ۵ مال ناید با تو بیرون از قصور یار آید لیك تا بالین گور[4]
چون ترا روز اجل آید پیش ۶ یار گوید از زبان حال خویش ۶ تا بدینجا پیش همره نیستم بر سر گورت زمانی بیستم
فعلِ تو وافی است زان کن ملتحد ۷ کاندر آید با تو در قعر لحد

در بیان معنی حدیث شریف لابدّ من قرین یدفن معك وهو حی وتدفن معه وانت میت ان کان کریماً اکرمك وان کان لئیماً اسلمك وذلك القرین عملك فاصلحه ما استطعت[5] صدق رسول الله صلی الله علیه و آله

پس پیمبر گفت بهر این طریق با وفا تر از عمل نبود رفیق ۱۱ گر بود نیکو ابد یارت شود ور بود بد در لحد مارت شود
این عمل وین کسب درراه سداد کی توان کرد ای پدر بی اوستاد ۱۲ دون ترین کسبی که درعالم رود هیچ بی ارشاد استادی بود
اولش علمست آنگاهی عمل تا دهد بر بعدَ مهلت تا اجل ۱۳ استعینوا فی الحرف یا ذا النهی من کریمِ صالحِ من اهلها
اطلب الدرّ اخی وسط الصدف واطلب الفنّ من ارباب الحرَف ۱۴ ان رأیتم ناصحین انصفوا بادروا التعلیم لا تستنکفوا[6]
در دباغی گر خلق پوشید مرد خواجگیّ خواجه را آن کم نکرد ۱۵ وقت دم آهنگر ار پوشید دلق احتشام او نشد کم پیش خلق
پس لباس کبر بیرون کن ز تن ملبس ذل پوش در آموختن ۱۶ علم آموزی طریقش قولی است حرفت‌اندوزی[7] طریقش فعلی است
فقر خواهی آن بصحبت قائم است نی ز راه دفتر و نی قیل و قال ۱۷ دانشِ انوار است درجان رجال نی ز راه دفتر و نی از زبان[8]
دانشِ آنرا ستاند جان ز جان نی ز راهِ دفتر و نی از زبان[9] ۱۸ در دل سالك اگرهست آن رموز رمز دانی نیست سالك را هنوز
تا دلش را شرح آن سازد ضیا پس الم نشرح بفرماید خدا ۱۹ کاندرون سینه شرحت داده ایم شرح اندر سینه ات بنهاده ایم
تو هنوز از خارج آنرا طالبی محلبی از دیگران چون حالبی ۲۰ چشمهٔ شیر است در تو بی‌کنار تو چرا می شیر جوئی ازتغار
منفذی داری بحر ای آب گیر تنگ دار از آب جستن ازغدیر ۲۱ الم‌نشرح نه شرحت هست باز چون‌شدی توشرح جوی وکدیه ساز
در نگر در شرح دل در اندرون ۲۲ تا نیاید طعنهٔ لا یبصرون

درمعنی آیهٔ و هو معکم اینما کنتم[10]

یك سبد پر نان ترا برفرقِ سر تو همی خواهی لب نان در بدر ۲۴ در سرخود پیچ و هل خیره سری رو در دل زن چرا بر هردری
تا بزانوئی میان آب جو غافل ازخود زین وآن توآب جو ۲۵ برسرت نانست و پایت‌اندرآب وز عطش وز جوع گشتستی خراب
پیش آب و پس هم آبِ با مدد چشمهارا پیش سد و خلف سدّ ۲۶ اسب زیر ران وفارس اسب‌جو چیست این گفت اسب لیکن اسب کو
هی نه‌اسبست این بزیر تو پدید گفت‌آری لیك خود اسبی‌که دید ۲۷ مست آن وپیش روی اوست آن اندر آب و بیخبر ز آب روان
مست‌چیزو پیش‌روی‌اوست چیز بیخبر زآنچیز وشرح خویش نیز ۲۸ چون گهر دربحر وگوید بحر کو وان خیال چون صدف دیوار او
گفتن آن کو حجابش میشود ابر تاب آفتابش میشود ۲۹ بندِ چشم اوست هم چشم بدش عین رفع سدّ او گشته سدش[11]
بند گوش او شده هم گوش او ۳۰ هوش باخود دار[12] ای مدهوش‌او

درمعنی حدیث شریف من جعل الهموم هماً واحداً کفاه الله سائر همومه و من تفرّقت به‌الهموم لایبالی الله فی ایّ وادٍ منها هلك[13]

هوش را توزیع کردی بر جهات می نیرزد ترّهٔ آن تُرّهات ۳۳ آب هش را میکشد هر بیخ خار آب‌هوشت چون رسد سوی ثمار
آبهارا میکشد آن خس گیاه آب هوشت کی رسد سوی اله ۳۴ هین‌بزن‌آن شاخ بدرا خوکنش[14] آب ده این‌شاخ خوش‌را نوکنش
هردو سبزند این زمان آخر نگر کاین‌شود باطل وزآن روید ثمر ۳۵ آب باغ این را حلال آنرا حرام فرق را آخر ببینی والسلام

---

۱ ـ صمد ٤ ـ دوستان آیند لیکن تا قبور ۷ ـ آموزی ۸ ـ زبان در وی بکار آید ۹ ـ بیان ۱۲ ـ خود آر (ن . ل)

---

(۲) من شرّ النفاثات فی العقد از شر دمندگان یعنی زنانی که کلمات سحر می‌گویند ومیدمند درگرهها (۳) یعنی آن یکی که وفادار است حسن کردار است وفعل اینجا اعم است از فعل قلبی وفعل جوارحی (٥) ترجمهٔ حدیث شریف این است رسول خدا میفرماید ناچار است ازمصاحبی که با تو باشد آنگاه که دفن کرده میشوی تو با او وتو مرده هستی پس اگر آن بمصاحب کریم و بزرگ بود مکرّم بدارد ترا و اگر بخیل و لئیم باشد بخل خواهد کرد ترا و آن قرین و مصاحب عمل تو است پس صالح گردان او را تا ممکن است یعنی در اعمال صالحه سعی نما چندانکه استطاعت داشته باشی ودرتهذیب اخلاق وتحسین افعال کوشش کن که عمل نیکو همیشه زنده میباشد و دفن او عبارت از انقطاع اعمال است بموت عامل و زندگی از بقای او برصحیفهٔ روزگار (٦) یاری بجوئید در پیشها ای صاحبان عقول از کریم الاصل شایستهٔ که از اهل آن پیشه باشد طلب کن دُرّ را ای برادر ازوسط صدف وطلب کن پیشه را از ارباب پیشه واگر ببینی ناصحان ومشفقان را انصاف ده و تصدیق کن و بشتاب باموختن ومشکل‌نشمارید وننگ ندانید (۱۰) این‌آیه شریفه درسورهٔ حدید واقع شده و خدا باشماست بعلم و قدرت علی‌العموم و برحمت و فضل علی‌الخصوص هرجا باشید (۱۱) اشاره بآیهٔ وجعلنا من بین ایدیهم سداً ومن خلفهم سداً فغشیناهم فهم لایبصرون (۱۳) پیغمبر فرمود کسی که بگرداند جمیع‌هموم ومقاصد خودرا یك هم ویك مقصد یعنی جمیع مدعیات خودرا بحق سپردکفایت فرماید جمیع هموم‌اورا وکسی‌که متفرق وپراکنده شد هموم او و مقاصد مختلفه پیش گرفت نمیرساند خدایتعالی او را بهیچ مطلبی و فرو میگذارد او را در وادی سرگردانی و هلاکت (۱٤) خو کنش یعنی بکن ودور کن .

عدل چه بود آب ده اشجار را — ظلم چه بود آب دادن خار را ۱ عدل وضع نعمتی بر موضعش — نی بهر بیخی که باشد آبکش
ظلم چه بود وضع در نا موضعی — که نباشد جز بلا را منبعی ۲ نعمت حق را بجان و عقل ده — نی بطبع پر زحبر پر گره
بار کن پیکار غم را بر تنت — بردل وجان کم نه این جان کندنت ۳ بر سر عیسی نهاده تنگ بار — خر سکیزه می‌زند در مرغزار
سرمه‌را درگوش کردن شرط نیست — کار دل را جستن از تن شرط نیست ۴ گر دلی رو نازکن خواری مکش — ور تنی شکر منوش و زهرچش
زهر تن را نافعست و قند بد — تن همان بهتر که باشد بی‌مدد ۵ هیزم دوزخ تن آمد کم کنش — ور بروید هین‌تو از بن برکنش
ورنه حمال حطب باشی حطب[1] — در دو عالم همچو جفت بولهب ۶ از حطب بشناس شاخ سدره را — گرچه هردو سبز باشد ای فتی
اصل این شاخ‌است ازنار ودخان — اصل آن شاخ‌است هفتم آسمان ۷ هست مانندا[2] بصورت پیش حس — که غلط بینست چشم کیش[3] حس
هست پیدا آن بپیش چشم دل — جهدکن پیش دل آ جهدالمقل[4] ۸ ور نداری پا بجنبان خویش را — تا ببینی هر کم و هر بیش را
کاین تحرک شد تبرک را کلید ۹ واز تحرک گردی ای‌دل مستفید[5]

در معنی این رباعی

گر راه روی راه برت بگشایند — ور نیست شوی بهستیت بگرایند
ور پست شوی نگنجی اندر عالم — وانگاه تو را بی‌تو بتو بنمایند[6]

گر زلیخا بست درها هر طرف — یافت یوسف هم زجنبش منصرف ۱۳ چون توکل کرد یوسف بر جهید — باز شد قفل در و ره شد پدید
گر چه رخنه نیست عالم را پدید — خیره یوسف وار میباید دوید ۱۴ تا گشاید قفل و ره پیدا شود — سوی بیجائی شما را جا شود
آمدی اندر جهان ای ممتحن — هیچ می بینی[7] طریق آمدن ۱۵ تو ز جائی آمدی وز موطنی — آمدن را راه دانی هیچ نی
گر ندانی تا نگوئی راه نیست — زین ره بیراهه ما را رفتنیست[8] ۱۶ میروی درخواب شادان چپ وراست — هیچ دانی راه آن میدان کجاست
تو ببند آن چشم وخود تسلیم کن[9] — خویش را بینی درآن شهر کهن ۱۷ چشم چون بندی که صدچشم خمار — بند چشم تست این سو از غرار
چار چشمی تو ز عشق مشتری — بر امید مهتری و سروری ۱۸ گر بخسبی مشتری بینی بخواب — جفد کی در خواب بیند جزخراب
مشتری خواهی بهردم پیچ پیچ — تو چه‌داری که فروشی هیچ هیچ[10] ۱۹ گر تورا نانی[11] بدی یا چاشتی — از خریداران فراغت داشتی
گر در انبان مر ترا نانی بدی ۲۰ از خریداران دلت فارغ شدی

قصه آن شخصی که دعوی پیغمبری میکرد گفتندش چه خوردهٔ که گیج شدهٔ گفت اگر چیزی یافتمی که خوردمی نه گیج شدمی و نه یاوه گفتمی که هر سخن نیك که با غیر اهلش گویند یاوه گفته باشد اگر چه بر آن یاوه گفتن مأمور باشند

آن یکی میگفت من پیغمبرم — واز همه پیغمبران فاضل ترم ۲۴ گردنش بستند و بردندش بشاه — کاین همی گوید رسولم از اله
خلق بروی جمع چون مورو ملخ — کاین چه‌مکراست وچه‌تزویر وچه‌فخ ۲۵ گر رسول آنست کاید از عدم — ما همه پیغمبریم و محتشم
ما از آنجا آمدیم اینجا غریب — توچرا مخصوص باشی ای ادیب ۲۶ داد ایشانرا جواب آنخوش رسول — کای گروه کور و نادان و فضول
این ندانستید ای قوم ازقضا — بیخبر اینجا رسیدید از عمی[12] ۲۷ که شماچون طفل خفته[13] آمدید — بیخبر از راه و از منزل بدید
از منازل خفته بگذشتید و مست — بیخبر از راه و از بالا و پست ۲۸ ما به بیداری روان گشتیم خوش — ازورای پنج‌وشش‌تا پنج‌وشش[14]
دیده منزلها ز اصل و از اساس — چون قلاوزان خبیر و ره شناس ۲۹ شاه را گفتند اشکنجش بکن — تا نگوید جنس او هیچ این‌سخن
شاه دیدش بس‌نزار وبس‌ضعیف — که بیك سیلی بمیرد آن نحیف ۳۰ کی توان او را فشردن یا زدن — که چو شیشه‌گشته است اورا بدن
لیك با او گویم از راه خوشی — که چرا داری تو لاف سرکشی ۳۱ از درشتی ناید اینجا هیچ کار — هم بنرمی سر کند از غار مار
مردمان را دور کرد از گردوی — شه لطیفی بود و نرمی ورد وی ۳۲ پس نشاندش باز پرسیدش ز جا — که کجا داری معاش و ملتجا
گفت ای‌شه هستم از دارالسلام — آمده ز آنجا در این دارالملام ۳۳ نی‌مرا خانه‌است ونه یك همنشین — خانه‌کی‌کرده است ماه‌اندر[15] زمین
باز شاه از روی لاغش گفت باز — که‌چه خوردی وچه‌داری‌چاشت‌ساز ۳۴ اشتها داری چه خوردی بامداد — کاینچنین سرمستی وپر لاف‌وباد
گفت اگر نانم بدی خشك وتری — کردمی کی[16] دعوی پیغمبری ۳۵ دعوی پیغمبری با این گروه — همچنان باشد که دل جستن زکوه
کس زکوه وسنگ عقل‌ودل‌نجست — فهم و ضبط نکتهٔ مشکل نجست ۳۶ هرچه گوئی باز گوید که همان — میکند افسوس چون مستهزئان
از کجا این قوم و پیغام از کجا — از جمادی جان کرا باشد رجا ۳۷ گر تو پیغام زنی آری و زر — پیش تو بنهند جمله سیم و سر

۲ـ ناپیدا ۳ـ گوش ۷ـ دانی ۱۱ـ دلت را نان ۱۳ـ همچو طفل خفته اینجا ۱۵ـ کی بسازد خانه ماهی بر ۱۶ـ کی‌کنم من (ن . ل)

(۱) اشاره بزن ابولهب است که در آیهٔ شریفه آمده وامرأته حمالةالحطب فی جیدها حبل من مسد زیرا که هیزم و خاشاك را جمع کرده وبر سر رسول خدا صلی‌الله علیه وآله میریخت (٤) جهدالمقل یعنی‌کوشش فقیر بی‌مایه (٥) اشاره است باین کلام : اعلم ان ابواب الرزق مقفلة ففتحوها بالحرکات فان‌الحرکات فیها برکات (٦) از اشاره کردن باین رباعی مقصود مولوی آنست که تا بمقام سیر وسلوك برنیائی ترا بعالم حقیقت راه ندهند و تا از خود نگذری وفانی در راه دوست نشوی در عالم باقی مقام ومنزلت نیابی و تا خود را فراموش نکنی واز هستی پیستی نگرائی درعالم علوی ترا راه ندهند وباخداوندان امر ونهی همنشین نباشی (۸) شدن چون بنگری جز آمدن نیست (۹) یکقدم برنفس خود نه دیگری در کوی دوست (۱۰) العبد و ما فی یده کان لمولاه والملك لله (۱۲) چنانکه جهل بسیط میباشد که نادانی باشد و جهل مرکب که کس نداند و نداند که نداند و علم نیز بسیط میباشد که بداند ومرکب میباشد که بداند و بداند که بداند و بالجمله علم مرکب علم بعلم است بلکه با علم باینکه معلوم چیست و کیست پس مراد این است که دیگران کوران و خفتگان اند واگر علم بسیط دارند علم بعلم و باینکه معلوم چیست ندارند و خود شناسی ندارند بخلاف اهل بینش (١٤) پنج و شش مدارك ظاهره و مدارك باطنه و عقل است که اعلی المدارك است و یك پنج و شش مراد هو است که عدد آن یازده است.

که فلانجا شاهدی میخواندت — عاشق آمد بر تو و می داندت ۱ — ور تو پیغام خدا آری چو شهد — که بیا سوی خدا ای نیك عهد
از جهان مرگ سوی برگ رو — چون بقا ممکن بود فانی مشو ۲ — قصد خون تو کنند و جان وسر — نز برای حمیت دین و هنر
بلکه از چسپیدگی بر خان ومان ۳ — تلخ آیدشان شنیدن این بیان

سبب عداوت عام و بیگانه زیستن ایشان با اولیا که بحقشان میخوانند و به‌آب حیات ابدی میکشانند

خرقهٔ بر ریش خر چفسیده سخت — چونکه‌خواهی‌برکنی زولخت لخت ۵ — جفته اندازد یقین آن خر ز درد — حبذا آنکس کز این پرهیز کرد
خاصه پنجه ریش و هر جا خرقهٔ — بر سرش چسپیده در نم غرقهٔ ۶ — سیم‌وزر[1] چون‌خرقه‌واین‌حرص‌ریش — حرص هرکس بیش‌باشد ریش‌بیش
خان و مان جغدویرانست وبس — نشنود اوصاف بغداد و طبس ۷ — گر بیاید باز سلطانی ز راه[2] — صد خبر آرد بدین جغدان زشاه
شرح دارالملك و باغستان وجو — بس براو افسوس دارد هر عدو ۸ — گرچه باز آورد افسانهٔ کهن — کز گزاف و لاف می‌بافد سخن
کهنه ایشانند و پوسیدهٔ ابد — ور نه آن دم کهنه را نو میکند ۹ — مردگان کهنه را جان می‌دهد — تاج عقل و نور ایمان می‌دهد
دل مدزد از دلربای[3] روح‌بخش — که سوارت میکند بر پشت‌رخش ۱۰ — سرمدزد از سر فراز تاج ده[4] — کو ز پای دل گشاید صد گره
یا که گویم در همه ده[5] زنده‌کو — سوی آب زندگی پوینده کو ۱۱ — تو بیك خواری گریزانی زعشق — تو بجز نامی چه میدانی ز عشق
عشق را صد ناز واستکبار هست — عشق با صد ناز می‌آید بدست ۱۲ — عشق چون وافیست وافی می‌خرد — در حریف بی وفا می ننگرد
چون درختست آدمی و بیخ عهد — بیخ را تیمار می باید بجهد ۱۳ — عهد فاسد بیخ پوسیده بود — وز ثمار لطف بیریده بود
شاخ و برگ نخل اگرچه سبزبود — با فساد بیخ سبزی نیست سود ۱۴ — ور ندارد برگ سبز وبیخ هست — عاقبت بیرون کند صد برگ دست
تو مشو غرّه بعلمش عهد جو ۱۵ — علم چون قشرست وعهدش مغزاو

در بیان آنکه مرد بد کار چون متمکن در بدکاری شود و اثر دولت نیکوکاران ببیند شیطان شود و مانع خیر گردد از حسد همچون شیطان خرمن سوخته همه را خرمن سوخته خواهد

ارأیت الذی ینهی عبداً اذا صلّی[6]

وافیان را چون ببینی کرده سود — تو چوشیطانی شوی آنجا حسود ۱۹ — هرکه را باشد مزاج وطبع سست — می[7] نخواهد هیچکس‌را تن درست
گر نخواهی رشك ابلیسی[8] بیا — از در دعوی بدربار[9] وفا ۲۰ — چون وفایت نیست بازی دم مزن — کاین سخن دعویست اغلب ماومن
این‌سخن درسینه‌دخل‌مغزهاست[10] — درخموشی مغزجان راصد نماست ۲۱ — چون بیامد برزبان شد خرج مغز — خرج کم کن تا بماند مغز نغز
مردکم‌گوینده را فکریست زفت[11] — قشرگفتن چون فزون شدمغزرفت ۲۲ — پوست افزون گشت لاغر بودمغز — پوست لاغرشد فزون شد مغز نغز
بنگر این هر سه زخامی رسته‌را — جوز را و لوز را و پسته را ۲۳ — هر که اوعصیان‌کند شیطان شود — او حسود دولت نیکان شود
چونکه در عهد خدا کردی وفا — از کرم عهدت نگهدارد خدا ۲۴ — از وفای حق تو بسته[12] دیدهٔ — اذکروا اذکرکم نشنیدهٔ[13]
گوش نه اوفوا بعهدی گوش دار — تا که اوف عهد کم آید زیار[14] ۲۵ — عهد وقرض ماچه باشد ای‌حزین — همچو دانهٔ خشك گشتن در زمین
نی‌زمین را زان‌فروغ ولمتری[15] — نی خداوند زمین را سروری[16] ۲۶ — جز اشارت که ازین می‌بایدم — که تو دادی اصل این را از عدم
خوردم و دانه بیاوردم نشان — که از این نعمت بسوی ما کشان ۲۷ — پس دعای خشك هل ای نیکبخت — که فشاند دانه میخواهد درخت
گر نداری دانه ایزد زان دعا — بخشدت نخلی که نعم[17] ما سعی ۲۸ — چونکه مریم درد بودش دانه نی — سبز کرد آن نخل را صاحب فنی
زانکه وافی بود آن خاتون راد — بی‌مرادش داد یزدان صد مراد ۲۹ — آن جماعت را که وافی بوده اند — بر همه اصنافشان افزوده اند
گشت دریاها شکم پردازشان[18] — صحن میدانها نتابد رازشان ۳۰ — گشت دریا ها مسخر شان و کوه — چار عنصر نیز بندهٔ آن گروه
این‌خود اکرامی است ازبهرنشان — تا ببینند اهل انکار آن عیان ۳۱ — آن کرامتهای پنهانشان که‌آن[19] — در نیاید در حواس و در بیان
کار آن دارد خود آن باشد ابد — دائما نی منقطع نی مسترد ۳۲ — بلکه باشد در ترقی دمبدم — هست آن بخشنده بس صاحب‌کرم

مناجات

ای دهنده قوت و تمکین و ثبات — خلق را زین بی ثباتی ده نجات ۳۴ — اندر آن کاری که ثابت بود نیست — قائمی ده نفس را که مثنیست
اندرآن‌کاری‌که دارد آن‌ثبات — قائمی ده نفس را بخشش حیات ۳۵ — صبرشان بخش وکفه میزان‌گران — وارهانشان ازدم[20] صورت‌گران
وز حسودی بازشان خر ای‌کریم — تا نباشند از حسد دیو رجیم ۳۶ — در نعیم فانی مال و جسد — چون همی سوزند عامه از حسد
پادشاهان بین که لشکر می کشند — از حسد خویشان خودرا می‌کشند ۳۷ — عاشقان لعبتان پسر قندر — کرده قصد خون و جان یکدگر
وبس ورامین‌خسرووشیرین‌بخوان — تاچه‌کردند از حسد آن ابلهان[21] ۳۸ — بس فنا شد عاشق و معشوق نیز — که نه‌چیزند وهواشان هم نه چیز

---

۱ ـ خان و مان ۵ ـ دل ۷ ـ او ۸ ـ نمی خواهی تو دیوی هین ۹ ـ بدرگاه ۱۲ ـ تووفای حق‌کجا کم ۱۵ ـ فروغی وفری ۱۶ ـ برده بری ـ مهتری ۱۷ ـ ز تخم ۲۰ ـ فن ۲۱ ـ گمرهان (ن . ل)

---

(۲) از باز سلطانی مراد انسان کامل مکمل است چنانکه مراد بجغد منکر اهل حق است (۳) دل باید دائم‌الحضور باشد (٤) سر باید آماده قربانی در راه دوست باشد (٦) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ اقراء یعنی آیا می بینی تو باز میدارد بندهٔ کامل را وقتی که نماز گزارد (۱۰) یعنی سخن کم گفتن باعث قوت دماغ است خاموشی از زیاد گفتن بهتر است (۱۱) من قلّ کلامه کمل عقله ومن کثر کلامه قلّ عقله (۱۳) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ بقره که: اذکرونی اذکرکم واشکروا لی ولا تکفرون یعنی یاد کنید مرا تا شما را بیاد آورم وناسپاسی نکنید نعمت مرا و شکر گذارید (١٤) اشاره است بآیه واقعهٔ در سورهٔ بقره : اوفوا بعهدی اوف بعهدکم و ایای فارهبون یعنی پیمان مرا بپای برید که پیمان شما را بپایان برم وازمن بیمناك باشید (۱۸) اشاره است بشکافتن دریا برای موسی وخوت شدن در حق قبطی وآب بودن درحق سبطی (۱۹) مثل معرفت عیانی وحقی ایشان و احیاء موتای جهل و تصحیح مرضای نفس و تسخیرات اجنه خیالات و قهر شیاطین وفتوح عوالم وعروج روحانی و شهود سبحانی و غیر اینها از چیزهائی که بین از ادای آنها قاصر است

پاك الهی کو عدم بر هم زند — مر عدم را بر عدم عاشق کند ۱ — در دل نه[1] دل حسد ها سر کند — نیست‌را هست این‌چنین‌مضطر کند
این زنانی کز همه مشفق ترند — ازحسد دوضرّه‌خودرا می‌خورند ۲ — تا که مردانی که خود سنگین‌دلند — از حسد اندر کدامین منزلند
گر نکردی شرع افسونی لطیف — بر دریدی هر کسی جسم حریف ۳ — شرع بهر دفع شر رائل زند — دیو را در شیشهٔ حجت کند
از گواه و از یمین و از نکول — تا بشیشه در رود دیو فضول ۴ — مثل میزانی که خشنودی[2] دو ضد — جمع میآید یقین از هزل و جد
شرع را همچون[3] ترازودان‌یقین — که بدوخصمان رهند ازجنگ‌وکین ۵ — گر ترازو نبود آن‌خصم ازجدال — کی رهد از وهم حیف و احتیال
پس درین مردار زشت بی وفا — این همه رشکست و خصمیّ وجفا ۶ — پس درآن اقبال ودولت‌چون‌بود — چون شود انسی و جنی در حسد
آن شیاطین خود حسود کهنه اند — یك زمان از رهزنی خالی نیند ۷ — وان بنی آدم که عصیان کشته‌اند — از حسودی نیز شیطان گشته اند
از نبی برخوان‌که شیطانان‌انس — گشته‌اند ازمسخ حق با دیوجنس[4] ۸ — دیو چون عاجز شود از افتتان[5] — استعانت جوید او از انسیان[6]
که شما یارید با ما یارئی — جانب مائید جانب دارئی ۹ — گر کسی را ره زنند اندر جهان — هر دو گون شیطان برآید شادمان
ورکسی جان برد وشد دردین‌بلند — نوحه میدارند آن دو رشك مند ۱۰ — هر دو میخایند دندان حسد — بر کسی که داد ادیب او را خرد

سؤال کردن شاه از مدعی پیغمبری که چه وحی بتو آمده

شاه پرسیدش‌که باری وحی‌چیست — یا چه حاصل داردآنکس‌کونیست ۱۲ — ❀ یاچه بخشد مرکسی‌را درسخن — غیر این نصح زبان کن یا مکن
❀ چیست نفع‌ازخدمتش‌درصحبتش — وانکه تابع گشت چه‌بود رتبتش ۱۳ — گفت آن خود چیست‌کوحاصل‌نشد — یا چه دولت ماند کو واصل نشد
گیرم این وحی نبی گنجورنیست — هم کم از وحی دل زنبورنیست ۱۴ — چونکه‌اوحی‌الرّب‌الی‌النحل‌آمدست[7] — خانهٔ وحیش پر از حلوا شدست
او بنور وحی حق عز و جل — کرد عالم را پر از شمع وعسل ۱۵ — اینکه کرّمناست بالا میرود[8] — وحیش از زنبور کی کمتر بود
نی تو اعطیناك کوثر خواندهٔ — پس چرا خشکی و تشنه ماندهٔ ۱۶ — یا مگر فرعونی و کوثر چو نیل — برتوخون‌گشتست وناخوش‌ای‌ذلیل
توبه کن بیراز شو از هر عدو — کو ندارد آب کوثر در کدو ۱۷ — هر که را دیدی ز کوثرسرخ رو — او محمد خوست با او گیر خو
تا احبّ لله آئی در حسب[9] — کزدرخت احمدی با اوست سیب ۱۸ — هر کرا دیدی ز کوثر خشك لب — دشمنش میدار همچون مرگ‌وتب
❀ زانکه اوبوجهل شد یا بولهب — دور شو زو تا نیفتی در کرب ۱۹ — گر چه بابای تو هست و مام تو — او حقیقت هست خون آشام تو
ازخلیل‌حق بیاموز این‌سیر۱۰و۱۱ — که شد او بیزار اوّل از پدر ۲۰ — تا که ابغض لله آئی پیش حق — تا نگیرد بر تو رشك عشق دق
تا نخوانی لا و الا الله را[12] ۲۱ — در نیابی منهج این راه را

حکایت آن عاشق که با معشوق خدمتها و وفا های خود را میشمرد و شبهای دراز تجافی جنوبهم عن‌المضاجع[13] را وبینوائی وجگر تشنگی روزهای دراز را شرح میداد ومیگفت‌که من جز این خدمت ندانم اگر خدمت دیگر هست مرا ارشادکن‌که هر چه فرمائی منقادم‌اگر درآتش رفتست چون خلیل علیه‌السلام و اگر در دهان نهنگ دریا فتادنست چون یونس‌علیه‌السلام و اگر هفتاد بار کشته شدنست چون جرجیس علیه‌السلام و اگر از گریه نابینا شدنست چون یعقوب[14]علیه‌السلام و وفا و جان بازی انبیارا علیهم السلام شمار نیست و جواب گفتن معشوق اورا

آن یکی عاشق به پیش یار خود — میشمرد از خدمت و ازکار خود ۲۸ — کز برای تو چنین کردم چنان — تیرها[15] خوردم دراین رزم وسنان
مال رفت و زور رفت ونام رفت — بر من از عشقت بسی ناکام رفت ۲۹ — هیچ صبحم خفته یا خندان نیافت — هیچ شامم با سر و سامان نیافت
آنچه او نوشیده بود ازتلخ ودرد — در حضور او[16] یکایك میشمرد ۳۰ — نز برای منتی بل مینمود — بر درستی محبّت صد شهود
عاقلان را یك اشارت بس بود — عاشقان‌را تشنگی زان کی رود ۳۱ — میکند تکرار گفتن بی ملال — کی‌زاشارت بس‌کند حوت‌اززلال
صد سخن میگفت زان دردِ کهن — در شکایت که نگفتم یك سخن ۳۲ — آتشی بودش نمی دانست چیست — لیك‌چون‌شمع ازتفِ آن‌می‌گریست
❀ بعد گریه گفت اینها رفت‌لیك — این‌زمان ارشاد کن تو یار نیك ۳۳ — ❀ هر چه فرمائی بجان استادمام — بر خط تو پا و سر بنهاده ام
❀ گردرآتش‌رفت بایدچون‌خلیل — ور چو یحیی میکنی خونم سبیل ۳۴ — ❀ ور زگریه‌چون‌شعیب اعمی‌شوم — ور چو یونس در فم ماهی روم
❀ ورچویوسف چاه‌وزندانم کنی — ور ز فقرم[17] عیسی مریم کنی ۳۵ — ❀ رخ نگردانم نگردم از تو من — بهر فرمان تو دارم جان و تن
گفت معشوق این‌همه‌کردی ولیك — گوش بگشا بهر واندر یاب نیك ۳۶ — کانچه اصل‌اصل‌عشقست وولاست — آن نکردی آنچه‌کردی فرعهاست

---

۱ - بی - ده ۲ - رضای هر ۳ - چون کیل و ۵- در افتتان ۱۰- ای پسر ۱۴ - شعیب ۱۵ - زخمها ۱۶ - او بتفصیلش ۱۷ - قفرم (ن . ل)

---

(٤) بحسب باطن و برازخ اعمال و اشارت باین مسخ در قرآن مجید قول حق است‌که یا معشرالجن قد استکثرتم من‌الانس یعنی ای گروه جنیان بتحقیق‌که بسیار شدید شما از انسیان (٦) اشاره‌است بآیه وکذلك جعلنا لکل نبی عدوا شیاطین‌الانس والجن یوحی‌بعضهم الی‌بعض‌زخرف القول غرورا (۷) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ نحل و اوحی ربك الی النحل ان اتخذی من الجبال بیوتا و من الشجرو مما یعرشون یعنی وحی کرد پروردگار تو بسوی زنبور عسل اینکه بگیر از کوهها خانها و از درختان و از چیزی که مردمان خانه ساخته اند (۸) مصداق است بآیه ولقد کرّمنا بنی آدم (۹) در حدیث نبویست که من احبّ لله وابغض‌لله واعطی لله ومنع‌لله فقد استکمل ایمانه فرمود کسی که دوست دارد دیگری را برای خدا و دشمنی ورزد برای خدا وعطا وانعام کند برای خدا ومنع ومحروم کذارد برای خدایس بتحقیق‌که کامل شود ایمان او (۱۱) اشاره بآیه درسورهٔ توبه وماکان استغفارابراهیم لابیه‌الاعن موعدة وعدها ایاه فلما تبین‌له انه عدوا لله تبرء منه یعنی استغفار وطلب آمرزش ابراهیم از برای پدر خود نبود مگر بواسطهٔ وعدهٔ که در ایمان آوردن بوی داده بود پس چون آشکارا شد که اودشمن خداست ابراهیم از وی تبرّی جست و دوری گزید (۱۲) یعنی تانفی ماسوی کرده بحق بقی‌نشوی بهیچ مقصد نمیرسی (۱۳) آیه درسورهٔ سجده است دور میشود پهلوهای ایشان از فراشها و خوابگاهها در حالی‌که میخوانند پروردگار را از ترس غضب و طمع رحمت او

گفت آن عاشق بگو آن اصل چیست ۱ گفت اصلش مردنست و نیستیست ۱ این همه کردی نمردی زندهٔ هان بمیر از یار جان بازندهٔ
* گر بمیری زندگی یابی تمام ۲ * چون شنود آن عاشق می خویشتن ۲ آه سردی بر کشید از جان و تن
هم در آن دم شد دراز و جان بداد ۳ همچو گل در باخت سرخندان و شاد ۳ ماند آن خنده بر او وقف ابد ۳ همچو جان و عقل عارف بی کبد [1]
نور مه آلوده کی گردد ابد [2] ۴ گر زند آن نور بر هر نیك و بد ۴ او ز جمله پاك وا گردد بماه ۴ همچو نور عقل و جان سوی اله
وصف پاکی وقف بر نور مه است ۵ تابشش گر بر نجاسات ره است ۵ زان نجاسات ره و آلودگی ۵ نور را حاصل نگردد بد رگی
ارجعی بشنید نور آفتاب ۶ سوی اصل خویش باز آمد شتاب ۶ نی ز گلشنها بر او رنگی بماند ۶ نی ز گلخنها بر او ننگی بماند
نور دیده نور [3] دیده باز گشت ۷ ماند در سودای او صحرا و دشت ۷ * چونکه زین ویرانه نورش باز گشت ۷ ماند در صحرای دیده باز گشت

یکی از عالمی پرسید که اگر کسی در نماز بگرید به آواز و آه کند و نوحه کند نمازش باطل شود جواب گفت نام آن آب دیده است تا آن گرینده چه دیده است اگر شوق خدا یافته یا از پشیمانی گناه گرید نمازش تباه نشود بلکه کمال یابد که لا صلوة الا بحضور القلب [4] واگر از رنجوری تن یا فراق فرزند گرید نمازش تباه شود که اصل نماز ترك تن است و ترك فرزند ابراهیم وار که فرزند را قربان می کرد از بهر تکمیل نماز و تن را به آتش نمرود می سپرد و امر آمد مصطفی را علیه السلام بدین خصال که فاتبع ملة ابراهیم ، لقد کانت لکم اسوة حسنة فی ابراهیم

آن یکی پرسید از مفتی براز [5] ۱۴ گر کسی گرید بنوحه در نماز ۱۴ آن نماز او عجب باطل شود ۱۴ یا نمازش جایز و کامل بود
گفت آب دیده نامش بهر چیست ۱۵ بنگری تا او چه دیده که گریست ۱۵ آب دیده تا چه دیدست از نهان ۱۵ تا چنین از چشمهٔ خود شد [6] روان
* گر ز شوق حق کند گریهٔ دراز ۱۶ یا ندامت از گناهی در نماز [7] ۱۶ * یا ز خوف حق بود گریه خوش است ۱۶ زانکه آن آب تو دفع آتش است
* بیشکی گیرد نماز او کمال ۱۷ قرب یابد در ره حق لا محال ۱۷ آن جهان گردیده است آن پر نیاز ۱۷ رونقی یابد ز نوحه [8] او نماز
ور ز رنج تن بود وز درد سوگ ۱۸ ریسمان بگسست وهم بشکست دوك ۱۸ * ور فغان از ماتم فرزند کرد ۱۸ که دل و جانش ز ماتم کرد درد
* می نیرزد آن نماز او دو جو ۱۹ زانکه با اغیار دارد دل گرو ۱۹ * پس نمازش بیشکی باطل شود ۱۹ گریهٔ او نیز بی حاصل شود
* زانکه ترك تن بود اصل نماز [9] ۲۰ ترك خویش و ترك فرزندان نیاز ۲۰ * از خلیل آموز و قربان کن ولد ۲۰ تن بنه بر آتش نمرود رد
* حاصل آنکه تا بدانی ای کیا ۲۱ کز بکا فرقست بیحد تا بکا

مریدی در آمد بخدمت شیخ و ازاین شیخ پیر در سن نمیخواهم بلکه پیر عقل و معرفت اگر چه عیسی است در گهواره و یحیی است در مکتب کودکان و مرید شیخ را گریان دید او نیز بموافقت بگریست چون فارغ شد و بدر آمد مریدی دیگر که از حال شیخ واقفتر بود از سر غیرت در عقب او تیز بیرون آمد گفتش ای برادر من ترا گفته باشم الله الله تا نیندیشی و نگوئی که شیخ میگریست و من نیز گریستم که سی سال ریاضت بی ریا باید کرد و از عقبات و دریاهای پر نهنگ و کوههای بلند پر شیر و پلنگ می باید گذشت تا بدان گریهٔ شیخ رسی یا نرسی اگر رسی شکر زویت لی الارض گوئی بسیار

یك مریدی اندر آمد پیش پیر ۲۸ پیر اندر گریه بود و در نفیر ۲۸ شیخ را چون دید گریان آن مرید ۲۸ گشت گریان آب در چشمش دوید
گوشور یکبار خندد گر دو بار ۲۹ چونکه لاغ املا کند [10] یاری بیار ۲۹ بار اول از ره تقلید و سوم ۲۹ که همی بیند که میخندند قوم
گر بخندد همچو ایشان آن زمان ۳۰ بیخبر از حالت خندندگان ۳۰ باز او پرسد که خنده بر چه بود ۳۰ پس دوم کرت بخندد چون شنود
پس مقلد نیز مانند کرست ۳۱ اندر آن شادی که او را رهبر [11] است ۳۱ پرتو شیخ آمد و منهل ز شیخ ۳۱ قبض و شادی نز مریدان بل ز شیخ
* پرتو شیخ است آن تقلید شیخ ۳۲ چون ببیند شادی از تأیید شیخ ۳۲ چون سبد بر آب و نوری بر زجاج ۳۲ گر ز خود دانند آن باشد لجاج [12]
چون جدا گردد ز جو داند عنود ۳۳ کاندر و آن آب خوش از جوی بود ۳۳ آبگینه هم بداند از غروب ۳۳ کان لمع بود از مه تابان خوب
چونکه چشمش را گشاید امر قم [13] ۳۴ پس بخندد چون سحر بار دوم ۳۴ خندهش آید همبر آن خندهٔ خودش ۳۴ که بر آن تقلید بر میآمدش

---

۱ ـ پاك احمد با احد ۳ ـ سوی ٦ ـ تا بدان شد او زچشمهٔ خود ۷ ـ نیاز ۸ ـ گریه ۱۱ ـ در سر ۱۲ ـ خداج (ن . ل)

---

(۲) رد برکسانیست که چون اهل توحید گویند که وجود حقیقی نور حق است در سموات وارض یعنی در شیئیت مهیتی اینها که نمود بود است پس آن طاعنین گویند که لازم می آید اختلاط نور حق بقاذورات و جواب آنست که نور نیرین را ببین که برهر پاك و ناپاك می تابد و آلایش نمیگیرد با اینکه آن قوابل اعتباریه باطله ومقبولات اصیلهٔ حقه کجا واین قوابل خارجیه ومقبولات عرضیه که تأثیرشان بواسطهٔ درجهٔ از وجود است کجا ومعیت قیومیهٔ حق کمتر از معیت روح با بدن که پر از اخلاط است نیست وتلوث روح لازم نیاید پس نور حسی از منیر حسی فائض شود بر قوابل و چیزی از منیر نکاهد و بعد از خرابی قوابل بمنیر عود کند وچیزی برآن نیفزاید همچنین نورالله در بدو وعود که وجود عقل و جان باشد پس اضافه نور بعقل وجان بیانی باشد درکلامش (سبزواری) (٤) حدیث نبویست که فرمود نماز نماز نمیشود مگر بحضور و جمعیت قلب (٥) غرض ازاین سؤال وجواب تا آنجا که : « کز بکا فرق است بیحد تا بکا » تفرقه است میانه نور بیرنگ راجع بحق ونور بارنگ راجع باسماء لطفیه وقهریه مانند نور شیشهای گوناگون ملازم الوان که آن نوری که نه از گلخنها رنگی ونه از گلشنها رنگی درآن بماند نوری است که فانی فی الله و باقی بالله باشد واما باقی انوار که در تحت لطف و قهرند مانند آبهائیند که در سبوهای ظروف عصارات روایح طیبه ومنتنه و طعوم کسب کرده باشند که بمثابهٔ خوبها وملکه ها است که ریشه دوانیده و تموتی پیدا کرده باشند در حال ارجاع بدریا نه مانند آبهائی که بر بیرنگی و بیطعمی و بی بوئی اصلی باقی باشند پس چنانکه از بکا تا بکا فرق است ازنور تا نور فرقست یعنی نورالله وانوار مخلوقه (حاجی) (۹) که صلوة از صله و وصل بحریم قدس است (۱۰) چونکه هزل را انشاء وتکلم کند (۱۳) اقتباس است ازآیه شریفه واقعه درسورهٔ مزمل یا ایها المزمل قم اللیل الاقلیلا ای جامه درخود پوشیده و پیچیده قائم باش درشب به نماز مگر دراندکی ازآن (که باید بخوابی)

گوید از چندین ره دور و دراز — کاین حقیقت بود واین اسرار و راز ۱ — من درآن وادی چگونه خود زدور — شادئی میکردم از عمیان و سور

من چه می‌بستم خیال واین چه بود — درك سستم سست نقشی مینمود ۲ — طفل ره را فکرت مردان کجاست — کو خیال او و کو تحقیق راست

طفل را چه فکرت آید درضمیر — یا چه اندیشه کند همچون که پیر ۳ — فکر طفلان دایه باشد یا که شیر — یا مویز و جوز یا گریه و نفیر

آن مقلّد هست چون طفل علیل — گر چه دارد بحث باریك و دلیل ٤ — آن تعمق در دلیل و در شکیل — از بصیرت میکند او را گسیل

مایهٔ کان سرمهٔ سرّ ویست — برد و دراشکال گفتن کار بست[1] ٥ — ای مقلّد از بخارا باز گرد — رو بخواری تا شوی تو شیرمرد

تا بخارای دگر بینی درون — صف دران در مجلسش لایفقهون ٦ — پیك اگرچه درزمین چابك تك است — چون بدریا رفت بگسسته رگ است

او حملناهم بود فی البرّ و بس[2] — آنکه محمولست دربحر اوست کس ۷ — بخشش بسیار دارد شه بدو — ای شده دروهم وتصویری دوتو[3]

بقیه حال مرید مقلد در گریه

آن مرید ساده از تقلید نیز — گریهٔ میکرد وفق آن عزیز ۹ — او مقلد وار همچون مرد کر — گریه میدید و ز موجب بی‌خبر

چون بسی بگریست خدمت کرد ورفت — از پیش آمد مرید خاص تفت ۱۰ — گفت ای گریان چو ابر بی‌خبر — از وفاق گریهٔ شیخ از نظر

الله الله ای وافی مرید — گر چه در تقلید هستی مستفید ۱۱ — تا نگوئی دیدم آن شه می‌گریست — من چواو بگریستم کاین منکریست

گریهٔ کز جهل وتقلید[4] است وظن — نیست همچون گریهٔ آن مؤتمن ۱۲ — تو قیاس گریه بر گریه مساز — هست زین گریه بدان راه دراز

هست آن از بعد سی ساله جهاد — عقل اینجا هیچ نتواند فتاد ۱۳ — هست زان سوی خرد صد مرحله — عقل را یاوه[5] مکن اینجا هله[6]

گریهٔ او نز غم است ونز فرح[7] — روح داند گریهٔ عین الملح ۱٤ — گریهٔ او خندهٔ او زان سریست — زانچه وهم وعقل باشد زان بریست

آب دیدهٔ او چو دیدهٔ او بود — دیدهٔ نا دیده دیده کی شود[8] ۱٥ — آنچه او بیند نتان کردن مساس — نز قیاس عقل و نز راه حواس

شب گریزد چونکه نور آید ز دور — پس چه داند ظلمت شب حال[9] نور ۱٦ — پشه بگریزد ز باد باد ها — پس چه داند پشه ذوق باده ها

چون قدیم آید حدث گردد عبث — پس کجا داند قدیمی را حدث ۱۷ — برحدث چون زدقدم دنگش[10] کند — چونکه گردش نیست هم رنگش کند

گر بخواهی تو بیابی صد نظیر — لیك من پروا ندارم ای فقیر ۱۸ — این الم و حم این حروف — چون عصای موسی آمد در وقوف[11]

حرفها ماند بدین حرف از برون — لیك باشد در صفات این زبون ۱۹ — هر که گیرد او عصائی زامتحان — کی بود چون آن عصا وقت بیان

این دم عیسی است نی چون هر دمی[12] — کان بر آید از فرح یا از غمی ۲۰ — این الم و حم ای پدر — آمدست از حضرت مولی البشر

هر الف لامی چه می‌ماند بدین — گر تو جان داری بدین چشمش مبین ۲۱ — گر چه ترکیبش حروفست ای همام — مینماید هم بترکیب عوام

نیست ترکیب محمد لحم و پوست — گرچه در ترکیب هر تن جنس اوست[13] ۲۲ — گوشت دارد پوست دارد استخوان — هیچ این ترکیب را باشد همان

کاندر آن ترکیب باشد معجزات — که همه ترکیبها گشتند مات ۲۳ — همچنین ترکیب حم والکتب — هست بر بالا و دیگرها نشیب

زانکه زین ترکیب آید زندگی — همچو نفخ صور در درماندگی ۲٤ — اژدها گردد شکافد بحر را — چون عصا حم از داد خدا

ظاهرش ماند بظاهر ها ولیك — قرص نان ازقرص مه دوراست نیك ۲٥ — گریهٔ او خندهٔ او نطق او — فهم او و خلق او و خلق او

عقل او و وهم او وحس او — نیست ازوی هست آن جمله ز[14] هو ۲٦ — چونکه ظاهر ها گرفتند احمقان — آن دقایق ماند[15] ازایشان بس نهان

لاجرم محجوب گشتند از عرض — که دقیقه فوت شد در مفترض[16] ۲۷ — با تو گویم در مثالش قصهٔ — تا بگیری زین بیانم حصهٔ

قصهٔ باطول و با عرض ومهیب — قصهٔ بس دور لیکن بس قریب ۲۸ — این سخن پایان ندارد بازگرد — کان کنیزك با خر خاتون چه کرد

داستان آن کنیزك که با خر خاتون شهوت میراند و او را چون بز وخروس[17] آموخته بود شهوت راندن آدمیانه و کدوئی در قضیب خر می کرد تا از اندازه نگذرد خاتون بر آن وقوف یافت لکن دقیقهٔ کدو را ندید کنیزك را ببهانهٔ براه کرد جائی دور و با خر جمع شد بی کدو وبفضیحت هلاك شد کنیزك بیگاه باز آمد و نوحه کرد که ای جانم وای چشم روشنم کیر دیدی کدو ندیدی ذکر دیدی آن دگر ندیدی ، کل ناقص ملعون یعنی کل نظر وفهم ناقص ملعون و اگر نه ناقصان ظاهر مرحومند نه ملعون ، برخوان لیس علی الاعمی حرج[18] نفی ، حرج ونفی لعنت ونفی عتاب و غضب کرد

یك کنیزی نر[19] خری برخود فکند — از وفور شهوت و فرط گزند ۳٥ — آن خر نر رایگان[20] خو کرده بود — خر جماع آدمی بی برده بود

یك کدوئی بود حیلت سازه را — در ذکر[21] کردی بی اندازه را ۳٦ — درقضیبش آن کدو کردی عجوز[22] — تا رود نیم ذکر وقت سپوز

---

۳ ـ گرو ٤ ـ پرجهل وپر تقلید ٥ ـ باور ٦ ـ واقف مدان زان قافله ۹ ـ از احوال ۱۰ ـ رقم رنگش ۱۲ ـ عیسویست این دم نه هر باد ودمی ۱٤ ـ محض صنع ۱٥ ـ شد ۱٦ ـ اندر معترض ۱۷ ـ خرس ۱۹ ـ شد ـ یك ۲۰ ـ بگن ـ بکان ـ بخود ۲۱ ـ نرش ۲۲ـ تانشیند زان مر اورا تف وسوز ـ در ذکر کردی کدو را آن عجوز (ن . ل)

---

(۱) یعنی فطانت و فراست خدائی که بایست سرمهٔ دیده لطیفه سریه او شود که لطیفه خفیه بیند صرف جدل کرد و دردانش مفاهیم دقیقه بکار برد بی تحقق بحقیقت (۲) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ بنی اسرائیل : ولقد کرّمنا بنی آدم وحملناهم فی البرّ والبحر یعنی گرامی داشتیم اولاد آدم را وحمل کردیم ایشان را درخشکی و دریا (۷) که اوست مصداق لکیلا تأسو علی ما فاتکم ولاتفرحوا بما آتیکم بلکه مصداق الا ان اولیاءالله لاخوف علیهم ولاهم یحزنون است (۸) یعنی چگونه او دیده میشود وحال آنکه ذات او انسان جبروتی بلکه لاهوتی است ودیدهٔ لاهوتیه علم حضوریست واین انسان ملکی طبیعی نشانی است ومظهریست ازاو و آب آن دیده لاهوتیه غیراین آب دیده ناسوتیه است (۱۱) یعنی نزد اهل وقوف واطلاع برحقایق پس چنانکه عصای موسی بلعبد هرچه را که سحره اظهارکرده بودند همچنین همهٔ حروف درین چند حرف مطویست بلکه همهٔ حروف تکوینیه در الف مکمون است و در نقطهٔ راسم الف مکنونست چون آن سیال که راسم همه ازمنه و دهور از اعوام و شهور و اسابیع وایام و لیالی وعصور وساعات و دقایق و ثوانی الی غیرذلك میباشد وبوجهی دهر دهاریر متصل واحداست واتصال وحدانی مساوق وحدت شخصیه است چنانکه دریای عظیم یکفرد از آبست که اجزاء آن متصل است و آب قمح یا فنجان که منفصل است یکفرد و ترکیب الم الله جبرئیل محمداست وترکیب حم حق محمد است یعنی برحق وباحقیقت است (۱۳) ان نحن الابشر مثلکم (۱۸) این آیه درسورهٔ انا فتحنا واقع شده است

گر همه لخت خر اندر[1] وی رود — هم رحم هم رودها را بر درد ۱ خر همی شد لاغر و خاتون او — ماند حیران کز چه شد این خر چو مو

تعلبندان را نمود آگه که چیست — علت خر[2] که نتیجه‌اش لاغریست ۲ هیچ علت اندر او ظاهر نشد — هیچکس از سرّ آن مخبر نشد

در تفحص اندر افتاد او بجد — شد تفحص را دمادم مستعد ۳ جد را باید به جان بنده بود — زانکه جد جوینده یابنده بود

چون تفحص کرد از احوال خر[3] — آن کنیزک بود زیر و خر زبر[4] ۴ از شکاف در بدید آن حال را — پس عجب آمد ازآن آن‌زال را

خر همی گاید کنیزک را چنان[5] — که بعقل و رسم مردان با زنان ۵ درحسد شدگفت این‌چون ممکنست — پس‌من اولیتر که خر ملك منست

خر مهذّب گشته و آموخته — خوان نهادست و چراغ افروخته ۶ کرد نادیده و در خانه بکوفت — کای کنیزك چند خواهی خانه‌روفت

از پی روپوش می‌گفت این‌سخن — کرد خاموش وکنیزك را نگفت ۷ راز را از بهر طمع خود نهفت

پس کنیزك جمله آلات فساد — کرد پنهان پیش شد در را گشاد ۸ روترش کرد و دو دیده پر زنم — لب فرو افکند یعنی صائمم

در کف او نرمه جاروبی که من — خانه را میروفتم بهر عطن ۹ چونکه با جاروب در را واگشاد — گفت خاتون زیرلب کای اوستاد

رو ترش کردی وجاروبی بکف — چیست این سخر برگسسته ازعلف ۱۰ نیم کاره و خشمگین جنبان ذکر — زانتظار تو دو چشمش سوی در

زیر لب گفت این‌نهان کرد ازکنیز — داشتش آن دم چو بی‌جرمان‌عزیز ۱۱ بعدازآن گفتش که چادر کن بسر — رو فلانکس را ز من پیغام بر

اینچنین‌گو وین‌چنین کن وآنچنان — مختصر کردم من افسانهٔ زنان ۱۲ آنچه مقصوداست مغز آن بگیر — چون بسراهش کرد آن زیبا ستیر

بود از مستی شهوت شادمان — در فروبست وهمی‌گفت آن زمان ۱۳ یافتم خلوت زنم از شکر بانگ — رسته‌ام از چاردانگ واز دو دانگ

از طرب گشته بزان زن هزار — در شرار شهوت خر بی قرار ۱۴ چه بزان کان شهوت اورا برگرفت[6] — بز گرفتن گیج را نبود شگفت

میل وشهوت کرکند دل‌را وکور — تانمایدگرگ یوسف شهد شور[7] ۱۵ ای بسا سرمست نار و نارجو — خویشتن را نور مطلق داند او

جزمگر بندهٔ خدا کز جذب حق — بـا رهش آرد بگرداند ورق ۱۶ تـا بداند کان خیال نـاریه — در طریقت نیست الا عاریه

زشتها را خوب بنماید شره — نیست از شهوت بتر زآفات ره ۱۷ صد هزاران زیرکان‌راکرده دنگ — صد هزاران ناه خوش‌را کرده ننگ

چون خری را یوسف مصری نمود — یوسفی را چون نماید آن جهود ۱۸ برتو سرگین را فسونش شهدکرد — شهدرا خود چون‌کند وقت نبرد

شهوت ازخوردن بود کم‌کن زخور — یا نکاحی‌کن گریز از شور وشر ۱۹ چون بخوردی میکشد سوی حرم — دخل را خرجی بباید لاجرم

پس نکاح آمد چو لاحول ولا — تا که دیوت نفکند اندر بلا ۲۰ چون حریص‌خوردنی زن خواه زود — ورنه آمد گربه و دنبه ربود

بار سنگین بر خری کو میجهد — زود برنه پیش از آن کو برنهد ۲۱ فعل آتش را نمیدانی تو برد[8] — گرد آتش با چنین دانش مگرد

علم دیگ و آتش ار نبود ترا — از شرر نی دیگ ماند نی ابا ۲۲ آب حاضر باید و فرهنگ نیز — تا پزد آن دیگ سالم در ازیز

چون ندانی دانش آهنگری — ریش ومو سوزد چوآنجا بگذری ۲۳ در فروبست آن زن و خر را کشید — شادمانه لاجرم کیفر چشید

در میان خانه آوردش کشان — خفت اندر زیر خرهم در زمان ۲۴ هم برآن کرسی که دید او ازکنیز — تارسد درکام خود آن قحبه[9] نیز

با برآورد و خر اندروی سیوخت — آتشی ازکیر خر دروی فروخت ۲۵ خر مؤدب گشته در خاتون فشرد — تا بخایه در زمان خاتون بمرد

بردرید از زخم خرلخت[10] جگر — رودها بگسسته شد از یکدگر ۲۶ کرسی ازیکسو زن از یکسو فتاد — دم نزد در حال و در دم جان بداد

صحن خانه پرزخون‌شد زن نگون — مرداو و بُرد جان ریب‌المنون[11] ۲۷ مرگ بد باصد فضیحت ای پدر — تو شهیدی دیدهٔ از کیر خر

تو عذاب الخزی بشنو از نُبی[12] — درچنین ننگی مکن جان را فدی ۲۸ دان که این‌نفس بهیمی نر خرست — زیرآن بودن ازاین ننگین‌تراست

در ره نفس ار بمیری در منی — درحقیقت‌دان که‌کمتر زان[13] زنی ۲۹ نفس‌مارا صورت خر بدهد او[14] — زانکه صورتها کند بر وفق خو

این بود اظهارسرّ دررستخیز[15] — الله الله از تن چون خر گریز ۳۰ کافران را بیم کرد ایزد ز نار — کافران گفتند نار اولی ز عار

گفت نی آن نار اصل عارهاست — همچوآن ناری که آن زن‌رابکاست ۳۱ لقمه اندازه نخورد ازحرص خود — در گلو بگرفت لقمه مرگ بد

لقمه اندازه خور ای‌مرد حریص — گرچه باشد لقمه حلوا و خبیص ۳۲ حقتعالی داد میزان را زبان — هین زقرآن سورهٔ رحمن بخوان[16]

هین زحرص خویش میزان‌را مهل — آز وحرص‌آمد ترا خصم ومضل ۳۳ حرص جوید کل برآید اوزکل[17] — حرص‌میرست[18] ایفجل ابن‌الفجل[19] و[20]

آن کنیزك میشد و میگفت آه — کردی ای‌خاتون تو استارا براه ۳۴ کار بی استاد خواهی ساختن — جاهلانه جان بخواهی باختن

ای ز من دزدیده علمی نا تمام — ننگت آمد که بپرسی حال دام ۳۵ هم نچیدی دانه مرغ از خرمنش — هم نیفتادی رسن در[21] گردنش

دانه کمتر خورمکن چندین رفو[22] — چون کلوا خواندی بخوان لاتسرفوا ۳۶ تا خوری دانه نیفتی تو بدام — این کند علم و قناعت والسلام

نعمت از دنیا خورد عاقل نه غم — جاهلان محروم مانده در ندم ۳۷ چون درافتد درگلوشان حبل دام — دانه خوردن گشت برجمله حرام

مرغ اندر دام دانه کی خورد — دانه چون‌زهراست دردام ارچرد ۳۸ مرغ غافل میخورد دانه ز دام — همچو اندر دام دنیا این عوام

باز مرغان خبیر هوشمند — کرده‌اند ازدانه خودرا خشك‌بند ۳۹ کاندرون دام دانه[23] زهرهاست[24] — کورآن‌مرغی که درفخ دانه خواست

---

۱ ـ کیر خر اندر ـ عضو ذکر در ۲ ـ او ۳ ـ حال اشك ٤ ـ دید خفته زیرخر آن نرگسك ۵ ـ خر کنیزك را چنان جویا بجان ۷ ـ نار نور ۸ ـ سرد ۹ ـ آن‌مکاره ۱۰ ـ کیرخر ۱۳ ـ مثل آن ۱۸ ـ میرست ۱۹ـ عقل ابن العقل ۲۱ ـ فخ اندر ۲۲ ـ غلو ۲٤ ـ زهرباست (ن . ل)

---

(٦) بزان را شهوت معنی کرده‌اند وعلاوه بز بمعنی آئین وروش هم هست ومعنی این‌مصرع چنین میشود که چه آئین وچه روش آنرا که شهوت آئین نیکوئی وزیبائی اورا گرفت (۱۱) ریب‌المنون حوادث زمانه وگردش روزگاراست اما اینجا مراد موت است (۱۲) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ حم سجده ولنذیقنهم عذاب‌الخزی فی‌الحیوة‌الدنیا یعنی هرآینه میچشانم ایشان‌را عذاب سخت در زندگانی دنیا (١٤) در حدیث است که یحشر مخالف الامام ورأسه رأس‌الحمار (۱۵) قال الله تعالی یوم تبلی السرائر (١٦) اشاره‌است بآیه الا تطغوا فی‌المیزان واقیموا‌الوزن بالقسط ولا تخسروا المیزان یعنی حیف و میل مکنید درترازو وبسنجید بعدل وزیان مرسانید بکم سنگی در میزان (۱۷) حرص بجزئی قناعت نکند و کل را خواهد وازکل برآید ومحروم ماندکه من طلب‌الکل فاتته‌الکل (۲۰) فُجل بمعنی‌سست ونامرد یا تند وتیز وعجول‌است وعقل جفاکار بد خلق (۲۳) دام دنیا ودانهٔ نعمت دنیا

صاحب دام ابلهان را سر برید / وآن ظریفان را بمجلسها کشید ۱ / که از آنها گوشت میآید بکار / وازظریفان بانگ ناله زیر و زار
پس کنیزك آمد از اشکاف در / دید خاتون را بمرده زیر خر ۲ / گفت‌ای‌خاتون احمق این چه بود / گر ترا استاد خود نقشی نمود
ظاهرش دیدی سرش از تو نهان / اوستا ناگشته بگشادی دکان ۳ / گیردیدی همچوشهد وچون خبیص / آن کدورا چون ندیدی ای‌حریص
یا چومستغرق شدی درعشق خر / آن کدو پنهان بماندت از نظر ٤ / ظاهر صنعت بدیدی ز اوستاد / اوستادی بر گرفتی شاد شاد
ای بسا زرّاق کوّل بی وقوف / ازره مردان‌ندیده جزکه صوف [1] ٥ / ای بسا شوخان[2] زاندك احتراف / زان شهان ناموخته جزگفت‌ولاف
هریکی درکف عصا که موسی ام / می دمد بر ابلهان که عیسی ام ٦ / آه ازآن روزی‌که صدق صادقان / باز خواهد از تو سنگ امتحان
آخر از استاد باقی را بپرس / که حریصان جمله‌کورانند وخرس ۷ / جمله جستی باز ماندی از همه / صیدِ گرگانند این ابله رمه
صوتکی بشنیده گشته ترجمان ۸ / بیخبرازگفت خودچون‌طوطیان [3]

تمثیل تلقین شیخ مریدان را و پیغمبر امت را که ایشان طاقت تلقین حق ندارند و با حق الفت نتوانند گرفت چنانکه طوطی با صورت آدمی الفت ندارد که ازو تلقین تواند گرفت حق سبحانه و تعالی شیخ را چون آینه پیش‌مرید همچون طوطی دارد واز پس‌آینه تلقین میکند لا تُحرّك به لسانك ان هوالا وحیٌ یوحی [4] اینست ابتدای مسئله بی منتهی چنانکه منقار جنبانیدن طوطی اندرون آینه که خیالش میخوانی بی اختیار و تصرّف اوست عکس خواندن طوطی برونی‌که متعلّم است نه عکس آن معلّم که پس آینه است ولیکن خواندن طوطی برونی تصرف آن معلّم است پس این مثال آمد نه مثل [5]

طوطئی در آینه می بیند او / عکس خودرا پیش اوآورده رو ۱۵ / در پس آئینه آن اُستا نهان / حرف میگوید ادیب خوش بیان
طوطیك پنداشته کاین‌گفتِ پست / گفتِ آن‌طوطی‌است کاندرآینه‌است ۱٦ / پس ز جنس خویش‌آموزد سخن / بی‌خبر از مکر آن گرگ کهن
کز پس آینه می آموزدش / ور نه ناموزد جز ازجنس‌خودش ۱۷ / گفت را آموخت زآن مرد هنر / لیك از معنی و سرّش بی خبر
از بشر بگرفت منطق یك بیك / از بشر جز این چه‌داند طوطیك ۱۸ / همچنان در آینهٔ جسم ولی [6] / خویش را بیند مرید ممتلی
عقل کل را از پس آئینه او [7] / کی تواند دید وقت گفتگو ۱۹ / او کمان دارد که میگوید بشر / آن دگر سرّ است و او زان‌بیخبر
حرف آموزد ولی سرّ قدیم / می نداند طوطی‌است او یا ندیم ۲۰ / هم صفیر مرغ آموزند خلق / کاین سخن اندردهان افتادوحلق
لیك از معنی مرغان بیخبر / جز سلیمانِ قرانِ [8] خوش نظر [9] ۲۱ / حرفِ درویشان بسی آموختند / منبر و محفل بدو افروختند
یا بجز آن حرفشان روزی نبود ۲۲ / یا در آخر رحمت آمد در گشود

صاحب دلی در چلّه بخواب سگی دید حامله در شکمش آن سگ بچگان بانگ می کردند در تعجب ماند که حکمت بانگ سگ پاسبانیست بانگ اندرون شکم مادر پاسبانی نیست و نیز بانگ جهت یاری خواستن و شیر خواستن باشد و غیره و اینجا هیچ ازین فایده ها نیست چون بخویش آمد و با حضرت مناجات کرد و ما یعلم تأویله الا الله [10] جواب آمد که آن صورت حال قومی است از حجاب بیرون نیامده وچشم و دل باز نشده دعوی بصیرت کنند ومقالات گویند : از آن نه ایشان را قوّتی و یاری رسد ونه مستمعان را هدایتی و رشدی

آن یکی میدید خواب اندر چله / در رهی ماده سگی بُد حامله ۲۹ / ناگهان آواز سگ بچگان شنید / سگ بچه اندر شکم بُد ناپدید
بس عجب آمد ورا آن بانگها / سگ بچه اندرشکم چون زد ندا ۳۰ / سگ بچه اندر شکم ناله کنان / هیچکس دیدست این اندر جهان
چون بجست ازواقعه آمدبخویش / حیرت او دمبدم می گشت بیش ۳۱ / در چله کس نی‌که‌گردد عقده حل / جز ز درگاه خدا عزّ وجل
گفت یارب زین‌شکال وگفت‌وگو / در چله وا مانده ام از ذکر تو ۳۲ / پرّ من بگشای تا پرّان شوم [11] / در حدیقهٔ ذکر وسیبستان شوم [12]
آمدش آواز هاتف در زمان / کان مثالی دان ز لاف جاهلان ۳۳ / کز حجاب و پرده بیرون نامده / چشم بسته بیهده گویان شده
بانگ سگ اندر شکم باشد زیان / نه شکار انگیز و نه شب پاسبان ۳٤ / گرگ نا دیده که دفع او بود / دزد نا دیده که منع او شود
از حریصی وز هوای سروری / در نظر کند و بلافیدن جری ۳٥ / ازهوای مشتری وکار و بار [13] / بی بصیرت پا نهاده در فشار
ماه نا دیده نشانها میدهد / روستائی [14] را بدان کز مینهد ۳٦ / مشتری نا دیده گوید صد نشان / ژاژ خاید دوغ نوشد کف زنان

۲ـ گولان ۳ ـ بیخبر چون طوطی ازگفت زبان ۸ـ نبی ۱۱ ـ بیرون پرم ۱۲ـ نامنون پرم ۱۳ـ گرم دار ۱٤ـ روشنائی (ن . ل)

(۱) یعنی از صوفیت ندارد جز صوف و از صوفی صافی ندیده جز صورت و از معنی او خبر ندارد (٤) آیه اولی در سورهٔ قیامت است که معنی آن اینست که مجنبان بقرآن برای پیغمبر زبان خودرا و دومی درسورهٔ والنجم واقعشده نیست آنچه بدان ناطق میشوم مگر وحی‌که فرود آمده میشود بسوی من (٥) پس شیخ بمنزلهٔ طوطی اندرون آینه باشد که منقار می جنباند و خیالش میخوانی ومرید بمثابهٔ طوطی بیرونی‌که متعلم‌است و حق سبحانه و تعالی بدرجهٔ معلم و این مثالست نه مثل (٦) چون وجود ولی باصفاست وبا کلیت وحیطت مرآتیت از برای کل دارد ولی مرید ناقص بصورت سنخیت دارد که جنبه معنیش بالفعل نشده این است که در آینه جسم ولی فرمود (۷) که کل عقول کلیه است و گذشت که آدم ناسوتی سایهٔ آدم جبروتی است وآن سایهٔ لاهوتی و آنها تکلم باخدا دارند وجبروتی مکانش عالم جبروت وزمانش دهر اعلی وناسوتی در مکان ودرزمان عالم طبیعت است پس مرید که درعالم ناسوتست خبر ندارد از مراد که در عالم جبروت یا لاهوتست (۹) که منطق الطیر بامعنی را متعلم شده بود ازحق نه چون صفیر زنان که صورت آموزند وازمعنی بیخبرند (۱۰) آیه درسورهٔ آل‌عمران واقعشده ونمیداند تأویل آنچه متشابه است مگر خدائی که آنرا فرستاده است

از برای مشتری در وصف ماه — صد نشان تا دیده گوید بهر جاه ۱ مشتری کو سود دارد[1] خود یکیست — لیك ایشان را در آن ریب و شکیست
از هوای مشتری بی شکوه — مشتری را باد داده این گروه ۲ مشتری ماست الله اشتری[2] — از غم هر مشتری هین بر ترآ
مشتری نی چو که جویان تو است[3] — عالم آغاز و پایان تو است ۳ هین مکش هر مشتری را تو بدست — عشق بازی با دو معشوقه بد است[4]
خود[5] نیابی سود مایه گر خرد — نبودش خود قیمت عقل و خرد ٤ نیست اورا خود بهای نیم نعل — تو برو عرضه کنی یاقوت و لعل
حرص کورت کرد و محرومت کند — دیو همچون خویش مرجومت کند ٥ همچنان کاصحاب فیل و قوم لوط — کردشان مرجوم چون خود آن سخوط
مشتری را صابران دریافتند — چون سوی هر مشتری نشتافتند ٦ وانکه گردانید رو زان مشتری — بخت و اقبال و بقا شد زو بری
ماند حسرت بر حریصان تا ابد ۷ همچو حال اهل ضروان درحسد

قصهٔ اهل ضروان و حسد ایشان بر درویشان که پدر ما از سلیمی اغاب دخل باغ را بمسکینان میداد از انگور و مویز و حلوا و پالوده و دوشاب و دانه و آرد و نان همه عشر دادی لاجرم خدایتعالی در باغ و کشت او برکتی نهاد[6] که همه محتاج او بودند و او محتاج کس نبود فرزندان خرج و عشر میدیدند و برکت نه همچون آن زن که آلت خر دید و کدو ندید

بود مردی صالحی ربانی — عقل کامل داشت پایان دانی ۱۲ در ده ضروان بنزدیك یمن — شهره اندر صدقه و خلق حسن
کعبهٔ درویش بودی کوی او — آمدندی مستمندان سوی او ۱۳ هم ز خوشه عشر دادی بی ریا — هم ز گندم چون شدی از که جدا
آرد گشتی عشر دادی هم از آن — نان شدی عشر دگر دادی ز نان ۱٤ ٭ از عنب عشری بدادی وز مویز — عشر هم دادی وی از دوشاب نیز
٭ هم ز حلوا عشر و از پالوده هم — می فرو نگذاشتی از بیش و کم ۱٥ عشر هر دخلی فرو نگذاشتی — چار باره دادی آنچه کاشتی
بس وصیتها که کردی هر زمان — جمع فرزندان خود را آن جوان ۱٦ کالله الله قسم مسکین بعد من — وا مگیرید از غرور[7] خویشتن
تا بماند بر شما کشت و ثمار — در پناه طاعت حق پایدار[8] ۱۷ دخلها و میوها جمله زغیب — حق فرستادست بی تخمین و ریب
در محل دخل اگر خرجی کنی — درگه سود است بر سودی زنی ۱۸ ترك اغلب دخل را درکشت زار — باز کارد[9] چون ویست اصل ثمار
بیشتر کارد خورد زان اندکی — که ندارد او بروئیدن شکی ۱۹ زان بیفشاند بکشتن ترك دست — کان غله اش هم زان زمین حاصل شدست
کفشگر هم آنچه افزاید زنان — میخرد چرم و ادیم و سختیان ۲۰ ٭ این زمین و سختیان پرده است و بس — اصل روزی از خدا دان هر نفس
که اصول دخل اینها بوده اند — هم از اینها میگشاید رزق بند ۲۱ دخل از آنجا آمدستش لاجرم — هم از آنجا میکند داد و کرم
چون بکاری در زمین اصل کار — تا بروید هر یکی را صدهزار ۲۲ گیرم اکنون تخم را گر کاشتی — در زمینی کش سبب پنداشتی
چون دو سه سالی نروید چون کنی — جز که درلابه ودعا کف در زنی[10] ۲۳ دست بر سر میزنی سوی اله — دست و سر بردادن رزقش گواه
تا بدانی کاصل اصل رزق اوست — تا هم ازوی جوید آنکو رزق جوست ۲٤ رزق از وی جو مجو از زید و عمرو — مستی ازوی جو مجو از بنگ و خمر
منعمی[11] زو خواه نه از گنج و مال — نصرت ازوی خواه نی از عم و خال ۲٥ عاقبت زینها بخواهی ماندن — هین کرا خواهی درآن دم خواندن
این دم اورا خوان و باقی را بمان — تا تو باشی وارث ملك جهان ۲٦ چون یفر المرء آید من اخیه — یهرب المولود یوماً من ابیه[12]
زان شود هر دوست آن ساعت عدو — که بت تو بود واز ره مانع او ۲۷ روی از نقاش بر میتافتی — چون ز نقشی انس دل می یافتی
این دم ار یارانت با تو ضد شوند — وز تو برگردند ودرخصمی روند ۲۸ تو بگو نك روز من پیروز شد — آنچه فردا خواست شد امروز شد
ضد من گشتند اهل این سرا — تا قیامت عین شد پیشین مرا ۲۹ پیش از آن که روزگار خود برم — عمر با ایشان بپایان آورم
کالهٔ معیوب بخریده بدم — شکر کز عیبش بگه واقف شدم ۳۰ پیش از آن کز دست سرمایه شدی — عاقبت معیوب بیرون آمدی
مال رفته عمر رفته ای نسیب — مال و جان داده بی کالهٔ معیب ۳۱ رخت[13] دادم زر قلبی بستدم — شاد شادان سوی خانه می شدم[14]
شکر کاین قلبیش پیدا شد کنون — پیش از آن که عمر بگذشتی فزون ۳۲ قلب ماندی تا کنون در گردنم — حیف بودی عمر ضایع کردنم
چون بگه تر قلبی او رو نمود — پای خودرا واکشم من زود زود ۳۳ یار تو چون دشمنی پیدا کند — گر رشك و حقد او بیرون زند
تو از آن اعراض او افغان مکن — خویشتن را ابله و نادان مکن ۳٤ بلکه شکر حق کن و نان بخش کن — که نگشتی در جوال او کهن
از جوالش زود بیرون آمدی — تا بجوئی یار صدق سرمدی ۳٥ نازنین یاری که بعد از مرگ تو — رشتهٔ یاری او گردد سه تو
آن مگر سلطان بود شاه رفیع — یا بود مقبول سلطان و شفیع ۳٦ رسته باشی تو ز آشوب[15] ودغل — عز او دیدی عیان[16] پیش از اجل
این جفای خلق بر تو در جهان — گر بدانی گنج زر آمد نهان ۳۷ خلق را با تو چنین بد خو کند — تا ترا ناچار رو زآن سو کند
این یقین دان کاندر آخر جمله شان — خصم گردند و عدو و سرکشان ۳۸ تا بمانی با فغان اندر لحد — لا تذرنی فرد خوانان از احد[17]
ای جفایت به ز عهد وافیان — هم ز داد تست عهد باقیان[18] ۳۹ بشنو از عقل خود ای انبار دار — گندم خودرا بارض الله سپار

۱- جوید ٥- زو ۷- ش ز حرص ۸- استوار ۱۰- برسر ۱۱- رو غنا - توانگری ۱۳- نقد ۱٤- می خانه شدم - سوی خانه شادمان می آمده ۱٥ - ز سالوس - رستی از قلاب وآشوب ۱٦ - دیده باشی عز او ۱۸ - صافیان - شهد وافیان (ن . ل)

---

(۲) در سورهٔ توبه است ان الله اشتری من المؤمنین انفسهم و اموالهم بان لهم الجنه بدرستیکه خدا خرید ازمؤمنین جان و مال ایشان را که بهشت مرایشان را باشد (۳) درحدیث قدسی است من تقرب الی شبراً تقربت الیه ذراعاً (٤) یکدل داری بس است یکدوست ترا (٦) این قصه در سورهٔ نون واقعشده انا بلوناهم کما بلونا اصحاب الجنة (۹) یعنی تو هم از دخل بکار که در راه خدا خرج کردن باز کاشتن است درمزرع دل ودر باطن دخل است نه خرج (۱۲) یعنی فرارمیکند مرد از برادر خود ومیگریزد پسر از پدر واشاره است بآیه واقعه در سورهٔ عبس (۱۷) اشارهاست بآیه رب لاتذرنی فرداً وانت خیرالوارثین یعنی پروردگارا وامگذار مرا تنها وتو بهترین ارث برندگانی وجود جمیع موجودات وصفات کمال آنها را

تا شود ایمن ز دزد و از شپش — دیو را با دیوچه زوتر بکش ۱ — کو همی ترساندت هردم ز فقر — همچو کبکش صیدکن ای نرّه صقر
باز سلطانی عزیز و کامیار — ننگ باشد گر کند کبکت شکار ۲ — بس وصیت کرد وتخم وعظ کاشت — چون زمین شان شوره بد سودی نداشت
گرچه ناصح را بود صد داعیه — پند را اذنی بباید واعیه [1] ۳ — تو بصد تلطیف پندش میدهی — او ز پندت میکند پهلو تهی
یك کس نامستمع ز استیز و ردّ — صد کس گوینده را عاجز کند ۴ — زانبیا ناصحتر و خوش لهجه تر — کی بود که رفت [2] دمشان درحجر
زانچه سنگ وکوه درکار آمدند — می نشد بدبخت را بگشاده بند ۵ — آنچنان دلها که بُدشان ما ومن — نعتشان شد [3] بل اشدّ قسوة [4]

در بیان آنکه عطای حق وقدرت او موقوف برقابلیت نیست همچون داد خلقان که آنرا قابلیت باید زیراکه عطای حق قدیمست و قابلیت حادث عطا صفت حقست وقابلیت صفت مخلوق وقدیم موقوف حادث نباشد واگرنه حدوث محال باشد

چارهٔ آن دل عطای مبدلیست — داد اورا قابلیت شرط نیست [5] ۹ — بلکه شرط قابلیت دادِ اوست — داد لُبّ و قابلیت هست پوست
اینکه موسی را عصا ثعبان شده — همچوخورشیدی کفش رخشان شده ۱۰ — صد هزاران معجزات انبیا — کان نگنجد در ضمیر وعقلِ ما
نیست از اسبابِ تصریف خداست — نیستها را قابلیت از کجاست ۱۱ — قابلی گر شرط فعل حق بدی — هیچ معدومی بهستی نامدی
سنتی بنهاد و اسباب و طرق — طالبان را زیر این ازرق تتق ۱۲ — بیشتر احوال بر سنت رود — گاه قدرت خارق سنت شود
سنت و عادت نهاده با مزه — باز کرده خرق عادت معجزه ۱۳ — بی سبب گر عزّ بما موصول نیست — قدرت ازعزل سبب معزول نیست
ای گرفتار سبب بیرون مپر [6] — لیك عزل آن مسبب ظن مبر ۱۴ — هرچه خواهد آن مسبب آورد — قدرت مطلق سببها بر درد
لیك اغلب بر سبب راند نفاذ — تا بداند طالبی جستن مراد ۱۵ — چون سبب نبود چه ره جوید مرید [7] — پس سبب در راه می‌آید پدید
این سببها برنظرها پرده هاست — که نه هردیدار صنعش را سزاست ۱۶ — دیدهٔ باید سبب سوراخ کن — تا حجب را برکند از بیخ و بن
تا مسبب بیند اندر لامکان — هرزه بیند جهد و اکساب [8] دکان ۱۷ — از مسبب می رسد هرخیر وشر — نیست اسباب و وسایط را اثر [9]
جز خیال منعقد بر شاه راه [10] ۱۸ — تا بماند دور غفلت چند گاه

در ابتدای خلقت جسم آدم علیه‌السلام که جبرئیل علیه‌السلام را اشارت کرد که برو از زمین مشتی خاك برگیر و بروایتی از هر نواحی مشت مشت برگیر

چون که صانع خواست ایجاد بشر — از برای ابتلای خیر و شر ۲۱ — جبرئیل صدق را فرمود رو — مشت خاکی از زمین بستان گرو
او میان بست و بیامد بر زمین — تا گزارد امر ربّ العالمین ۲۲ — دست سوی خاك بردآن مؤتمر [11] — خاك خودرا درکشید وشدحذر [12]
پس زبان بگشاد خاك ولابه کرد — کز برای حرمت خلاّق فرد ۲۳ — ترك من گو و برو جانم بیخش — زودتاب [13] ازمن عنان خنگ رخش
درکشاکشهای تکلیف و خطر — بهر الله هل مرا باخود مبر [14] ۲۴ — بهرآن لطفی که حقت برگزید — کرد برتو علم لوح [15] کل [16] پدید
تا ملائك را معلم آمدی — دائماً با حق مکلم آمدی ۲۵ — هم سفیر انبیا خواهی بُدن — تو حیات جان وجبی نی بدن
بر سرافیلت فضیلت بود از آن — کو حیات تن بود تو آنِ جان ۲۶ — بانگ صورش نشأت تنها بود — نفخ تو نشو دل یکتا بود
مغز [17] جان تن حیاتِ دل بود — پس ز دادش دادِ تو فاضل بود ۲۷ — باز میکائیل رزق تن دهد — سعی تو رزق دل روشن دهد
او بداد کیل پر کردست ذیل — دادِ رزق تو نمی‌گنجد بکیل ۲۸ — هم ز عزرائیل با قهر وعطب — توبهی چون سبق رحمت برغضب
حامل عرش این چهارند و توشاه — بهترینِ هر چهاری ز انتباه ۲۹ — روز محشرهشت بینی حاملانش [18] — هم توباشی افضل هشت آن زمانش
همچنین بر می‌شمرد و میگریست — بوی میبرد اوکزآن مقصود چیست ۳۰ — معدن شرم و حیا بُد جبرئیل — بست آن سوگندها بر وی سبیل
پس که لابه کردش و سوگند داد — باز گشت و گفت یا ربّ العباد ۳۱ — من نبودستم به کارت [19] سر سری — لیك از آنچه رفت تو دانا تری
گفت نامی که زهولش ای بصیر — هفت گردون باز ماند از مسیر ۳۲ — ❀ چون بنام تو مرا سوگند داد — رحمتت عامست و احسان و وداد
شرمم آمد گشتم از نامت خجل — ورنه آسانست نقل مشتِ گل ۳۳ — که تو زوری [20] دادهٔ املاك را — که بدرّانند این افلاك را
❀ مشت خاکی راچه قدروقوّتست ۳۴ — بر گرفتن لیك غالب رحمت است

---

۲ ـ کوفت ـ گرفت ۷ ـ مزید ۸ ـ اسباب ۹ ـ ای پدر ۱۱ ـ مؤتمن ۱۲ ـ از وی علن ۱۳ ـ رو بتاب ۱۴ ـ ودر گذر ـ اندرمبر ـ آنجا مبر ۱۶ ـ خود ۱۷ ـ جان ۱۹ ـ هیچ درکارت نبودم ۲۰ ـ چون تو قوت (ن . ل)

---

(۱) اشاره است بآیه واقعه درسورهٔ الحاقه: وتعیها اذن واعیه یعنی میشنود این حکم ومواعظ را گوش شنونده (۳) یعنی سدّ راه آنها شد آن وعظ و نصیحت پیغمبران (٤) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ بقره ثم قست قلوبکم من بعد ذلك فهی کالحجارة او اشد قسوة پس سخت شد دلهای شما بعد از این و آن مثل سنگ است بلکه سخت تر است از سنگ (٥) العطیات بقدرالقابلیات ـ گر جان بدهی سنگ سیه لعل نگردد (٦) تو که گرفتار سبب هستی سبب را از دست نده لیکن اینهم بدان که اگر حقتعالی چیزی را بدون سبب بظهور آورد عجب نباشد (۱۰) فی الحقیقة هر خیر وشر از خدا میرسد واسطه وسبب را دخل نیست مگر خیال کسی که برشاهراه سبب نشسته است اورا سبب میباید و این سبب هم حکمت است که در غفلت چند گاهی بماند (٦٥) چه جبرئیل موکل برعلم است واسرافیل برتصویر ابدان ومیکائیل بررزق ابدان وعزرائیل برقبض ارواح ازابدان پس جبرئیل عقل کلی است که واسطه است در ایصال علم بهمه عقول بالفعل ودرایصال وحی بهمه انبیا والهام بهمه اولیا قال تعالی علمه شدید القوی و اوست که بعقل فعال وروح القدس وناموس اکبر وسروش اعظم وروان بخش وقلم نگارنده درقلوب وخزانه عقول مستفاده و غیر اینها نامیده میشود (۱۸) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ الحاقه است و یحمل عرش ربك فوقهم یومئذ ثمانیه یعنی بر میدارند عرش پروردگار ترا روز قیامت هشت تن

فرمان آمدن بمیکائیل که از روی زمین قبضهٔ خاك بردار جهت ترکیب و ترتیب جسم مبارك ابوالبشر خلیفةالحق مسجود الملك ومعلمهم آدم علیه‌السلام

گفت میکائیل را رو تو بزیر — مشت خاکی در ربا از وی دلیر ۳ چونکه میکائیل شد تا خاکدان — دست کرد او تا که برباید از آن
خاك لرزید و در آمد در گریز — گشت او لابه کنان و اشك ریز ٤ سینه سوزان لابه کرد و اجتهاد — با سرشك خونیش سوگند داد
که بیزدان لطیف بی ندید[1] — که بکردت حاملِ عرش مجید ٥ کیل ارزاق جهان را مشرفی — تشنگان فضل را تو مغرفی[2]
زانکه میکائیل از کیل اشتقاق — دارد و کیال شد در ارتزاق ٦ که امانم ده مرا آزاد کن — بین که خون آلود میگویم سخن
معدن رحم اله آمد ملك — گفت چون ریزم بریش او نمك ۷ همچنانکه معدن قهرست دیو — که بر آورد از بنی آدم غریو
سبق رحمت برغضب هستای فتا — لطف غالب بود در وصف خدا ۸ بندگان دارند لابد خوی او[3] — مشکهاشان پر ز آبِ جوی او
آن رسول حق قلاوز سلوك — گفت الناس علی دین الملوك ۹ رفت میکائیل پیش ربّ دین — از غرض خالی دودست و آستین
گفت ای دانای سرّ و شاه فرد — خاك از زاری و گریه بسته کرد ۱۰ ❀خاکم اززاری و نوحه پست کرد — گریهٔ بسیار کرد آن روی زرد
آب دیده پیش تو با قدر بود — من نتانستم که آرم تا شنود ۱۱ آه و زاری پیش توبس‌قدرداشت — من نتانستم حقوقِ آن گذاشت
پیش تو بس قدر دارد چشم تر — من چگونه گشتمی استیزه گر ۱۲ دعوت زاریست روزی پنج بار — بنده را که در نماز آ و بزار
نعرهٔ مؤذن که حی علی الفلاح — آن فلاح این زاری‌است وافتراح ۱۳ آنکه خواهی کزغمش خسته کنی — راه زاری بر دلش بسته کنی
تا فرود آید بلا بی دافعی — چون نباشد از تضرّع شافعی ۱٤ وانکه خواهی کز بلایش واخری — جان او را در تضرع آوری
گفتهٔ اندر نبی کان امتان — که بر ایشان آمد آن قهر گران ۱٥ چون تضرع می‌نکردند آن نفس — تا بلا ز ایشان بگشتی باز پس
لیك دلهاشان چو قاسی‌گشته بود[4] — آن گنه هاشان عبادت مینمود ۱٦ تا نداند خویش را مجرم عنید — آب از چشمش کجا داند دوید

قصه قوم یونس[5] علیه‌السلام بیان و برهان آنست که تضرع و زاری دفع بلای آسمانیست وحق تعالی فاعل مختارست پس تضرع وتعظیم پیش او مفید باشد وفلاسفه گویند فاعل بطبعست و بعلّت نه مختار پس تضرع طبع را نگرداند

قوم یونس را چو پیدا شد بلا — ابر پر آتش جدا شد از سما ۲۰ برق می انداخت میسوزید سنگ — ابر میفرید رخ میریخت رنگ
جملگان بر بامها بودند شب — که پدید آمد ز بالا آن کرب ۲۱ ❀ چونکه یونس‌ازمیانشان‌رفته‌بود — از جحود حقد آن قوم عنود
❀ لیك چون دیدند آثار بلا — در تضرّع آمدند و لابها ۲۲ جملگان از بامها شیب آمدند[6] — سر برهنه جانب صحرا شدند[7]
مادران بچگان برون انداختند — تا همه ناله و نفیر افراختند ۲۳ از نمازِ شام تا وقت سحر — خاك میکردند بر سر آن نفر
جملگی آواز ها بگرفته شد — رحم آمد بر سر آن قوم لُد ۲٤ بعدِ نومیدی و آه ناشگفت — اندك اندك ابر وا گشتن گرفت
قصهٔ یونس دراز است و عریض — وقت خاکست و حدیث مستفیض ۲٥ چون تضرّع را برحق قدرهاست — آن‌بها کانجاست زاری‌راکجاست
هین‌امید اکنون میان‌راچست بند — خیز ای گرینده و دائم بخند ۲٦ ❀ با تضرّع باش تا شادان‌شوی — گریه‌کن تا بی دهان خندان‌شوی
که برابر مینهد شاه مجید — اشك را در فضل باخون شهید[8] ۲۷ ❀هرتضرّع کان بود با سوز ودرد — آن تضرع را اثر باشد بمرد
❀ لابه‌کردواشك‌چشم‌خویش‌راند — رحمت آمد آن غضب را وانشاند

فرستادن اسرافیل را علیه‌السلام بخاك که حفنهٔ برگیر از خاك بهر ترکیب جسم آدم علیه‌السلام

گفت اسرافیل را یزدان ما — که برو از خاك بُرکن کف بیا ۳۰ آمد اسرافیل هم سوی زمین — باز آغازید خاکستان حنین
کای فرشتهٔ صور و ای بحرحیات — که ز دمهای تو جان یابد موات ۳۱ دردمی درصور یك بانگ عظیم — پر شود محشر خلایق از رمیم
در دمی در صور و گوئی الصلا — بر جهید ای کشتگان کربلا ۳۲ ای هلاکت دیدگان از تیغ مرگ — برزنید ازخاك‌سرچون‌شاخ وبرگ
رحمت تو و آن دم گیرای تو — پر شود این عالم از احیای تو ۳۳ تو فرشتهٔ رحمتی رحمت نما — حامل عرشی و قبلهٔ داد ها[9]
عرش معدن‌گاه داد و معدلت — چار جو در زیر او پر مغفرت ۳٤ جوی شیرو جوی شهد جاودان — جوی خمر و دجلهٔ آب روان
پس ز عرش اندر بهشتستان رود — در جهان هم چیز کی ظاهرشود ۳٥ گرچه آلودست اینجا آن چهار — از چه از زهر فنای ناگوار
جرعهٔ بر خاك تیره ریختند — زان جهان[10] و فتنهٔ انگیختند ۳٦ تا بجویند اصل آن‌را این خسان — خود برین قانع شدند آن ناکسان
شیر داده پرورش اطفال را — چشمه کرده سینهٔ هر زال را ۳۷ خمر دفع غصه و اندیشه را — چشمه کرده از عنب در اجترا[11]
انگبین دارو تن رنجور را[12] — چشمه کرده باطن زنبور را ۳۸ آب دادی[13] عام اصل و فرع را — از برای طهر و بهر کرع را
تا ازاینها پی بری سوی اصول — توبدین قانع شدی ای بوالفضول ۳۹ بشنو اکنون ماجرای خاك را — که چه میگوید فسون محراك را[14]

---

۱ ـ بحق لطف رحمن حمید ٦ ـ آمدند از بامها زیر آن زمان ۷ ـ دوان ۱۰ ـ چهار ۱۱ ـ باغها ۱۳ ـ بهر ـ داد (ن . ل)

(۲) مغرف بکف آب بردارنده است (۳) تخلّقوا باخلاق‌الله (٤) درسورهٔ انعام است فلولا اذا جائهم باسنا تضرّعوا ولکن قست قلوبهم وزیّن لهم‌الشیطان ماکانوا یعملون یعنی‌چرا تضرع‌نکردند در وقتی‌که آمد ایشان را غضب ما ولکن‌سخت شده بود دلهای ایشان و زینت داده بود شیطان در نظر ایشان کردارشان را (٥) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ یونس فلولا کانت قریة امنت فنفعها ایمانها الاقوم یونس لما آمنوا کشفنا عنهم عذاب الخزی فی‌الحیوة الدنیا و متعناهم الی حین (۸) قال‌النبی صلی‌الله علیه و آله و سلم لیس شیٌ احب الی‌الله من قطرتین قطرة دموع من خشیةالله و قطرة دم یهرق فی‌سبیل‌الله فرمود پیغمبر که نیست محبوبتر بسوی خدا از دوقطره: قطرهٔ اشکی‌که ازترس‌خدا وقطرهٔ خونی‌که در راه خدا ریخته شود (۹) یعنی حامل قبلهٔ دادهائی تو که ارکان اربعه در امورِ تحت عرش همه اظلال ارکان عرشند چون علوم اربعه تعقل وتوهم و تخیل و احساس و مراتب اربع از عقل نظری واربع عقل عملی وعناصر اربعه وانهار اربعه بهشت وقطرات آنها در دنیا وغیر اینها و چهارجو و چهارچشمه که فرموده بر سبیل تمثیل است (۱۲) وفیه شفاءٌ للناس (۱٤) مراد اسرافیل است

پیش اسرافیل گشته او عبوس[1] — میکند صد گونه شکل و چاپلوس ۱ که بحق ذات پاك ذوالجلال — که مدار این قهر را برمن حلال
من ازاین تقلیب بوئی میبرم — بد گمانی میرود اندر سرم ۲ توکه کان رحمتی[2] رحمت نما — زانکه مرغی را نیازارد هما
ای شفا و رحمت اصحاب درد — تو همان کن کان دونیکوکار کرد ۳ زود اسرافیل باز آمد بشاه — گفت عذر و ماجرا نزد اله
کز برون فرمان بدادی که بگیر — عکس آن الهام کردی درضمیر[3] ۴ امر کردی در گرفتن سوی گوش — نهی کردی ازقساوت سوی هوش
رحمت او بیحداست و بیکران — او حکیمست و کریم و مهربان ۵ سبق رحمت گشت غالب بر غضب — ای بدیع افعال و نیکو کار رب

فرمان آمدن بعزرائیل بیرداشتن خاك وتضرع کردن خاك وناشنودن وبرداشتن عزرائیل باذن الله تعالی

گفت یزدان زود عزرائیل را — که ببین آن خاك پر تخییل را ۷ آن ضعیف زال ظالم را بیاب — مشت خاکی را بیاورهین[4] شتاب
رفت عزرائیل سرهنگ قضا — سوی کرّهٔ خاك بهر اقتضا ۸ خاك بر قانون نفیر آغاز کرد — داد سوگندش بسی با سوزودرد[5]
کای غلام خاص و ای حمال عرش — ای مطاع الامر اندر عرش وفرش ۹ رو بحق آنکه با تو لطف کرد — رو بحق رحمت رحمان فرد
حق شاهی که جز او معبود نیست — پیش او زاری کس مردود نیست ۱۰ حق حق حق[6] که دست ازمن بدار — ای ترا از حق فضلت بیشمار
گفت نتوانم بدین افسون که من — رو بتابم ز امر او سر و علن ۱۱ گفت آخر امر فرمود او بحلم — هر دوامراست آن بگیر ازراه علم
گفت آن تأویل باشد یا قیاس — در صریح امر کم جو التباس ۱۲ فکر خود را گر کنی تأویل به — که کنی تأویل آن نا مشتبه
دل همی سوزد مرا بر لابه ات — سینه ام پرخون شد از شورابه ات ۱۳ نیستم بی رحم بل زان هرسه پاك — رحم بیشستم بتو ای درد ناك
گر طپانچه میزنم من بر یتیم — ور دهد حلوا بدستش آن حلیم ۱۴ این طپانچه خوش تر ازحلوای او — ور شود غرّه بحلوا وای او
بر نفیر تو جگر میسوزدم — لیك حق لطفی همی آموزدم ۱۵ لطف مخفی در میان قهرها — در خزف[7] پنهان عقیق بی بها
قهر حق بهتر زصد لطف[8] منست — منع کردن جان زحق جان کندن است ۱۶ بدترین قهرش به ازحلم دوکون — نعم رب العالمین و نعم عون
لطفهای مضمر اندر قهر او — جان سپردن جان فزاید بهر او ۱۷ هین رها کن بد گمانی و ضلال — سر قدم کن چونکه فرمودت تعال
آن تعال او تعالیها دهد[9] — مستی و جفت و نهالیها دهد ۱۸ خود من آن امر سنی را هیچ هیچ — می نیارم کرد وهن و پیچ پیچ
این همه بشنید آن خاك نژند — زان گمان بد بدش در گوش بند ۱۹ باز از نوع دگر آن خاك پست — لابه و سجده همی کردش چومست
گفت نی بر خیز نبود زین زیان — من سروجان می نهم رهن وضمان ۲۰ کژ مبندیش و مکن لابه دگر — جز بدان شاه رحیم دادگر
بندهٔ فرمانم نیارم ترك کرد — امر او کز بحر انگیزید گرد ۲۱ جز ازآن خلاق گوش وچشم وسر — نشنوم ازجان خود هم خیر وشر
گوش من از غیر گفت او کرست — او مرا ازجان من شیرین تراست ۲۲ جان ازاو آمد نیامد او ز جان — صد هزاران جان دهد او رایگان
جان چه باشد تا[10] گزینم بر کریم — کیك چبود تا بسوزم زو گلیم ۲۳ من ندانم خیر الا خیر او — صم و بکم وعمی[11] من ازغیر او
گوش من کر است از زاری کنان — که منم اندر کف او چون سنان ۲۴ احمقانه از سنان رحمت مجو — در دهان اژدها رو بهر او
از دم شمشیر تو رحمت مجو — زان شهی جوکان بود دردست او ۲۵ با سنان و تیغ لابه چون کنی — کو اسیر آمد بدست آن سنی

در بیان آنکه مخلوقی که ترا از او ظلمی رسد بحقیقت او همچون آلتی است عارف آن بود که بحق رجوع کند نه به آلت و اگر به آلت رجوع کند بظاهر نه از جهل کند بلکه برای مصلحتی چنانکه بایزید قدّس سرّه گفت چندین سال است که من با مخلوق سخن نگفته ام و از مخلوق سخن نشنیده ام لیکن خلق چنین پندارند که با ایشان سخن می گویم وازایشان می شنوم زیرا ایشان مخاطب اکبر را نمی بینند که ایشان چون صدایند او را نسبت بحال من التفات مستمع عاقل بصدا نباشد چنانکه مثلست معروف قال الجدار للوتد لم تشقنی قال الوتد انظر الی من یدقنی

او بصنعت آزر است و من صنم — آلتی کو سازدم من آن شوم ۳۲ گر مرا ساغر کند ساغر شوم — ور مرا خنجر کند خنجر شوم
گر مرا چشمه کند آبی دهم — ور مرا آتش[12] کند تابی دهم ۳۳ گر مرا باران کند خرمن دهم — ور مرا ناوك کند در تن جهم
گر مرا ماری کند زهر افکنم — ور مرا یاری کند مهر آکنم[13] ۳۴ گرمرا شکر کند شیرین شوم — ور مرا حنظل کند پرکین شوم
گرمرا شیطان کند سرکش شوم — ور مرا سوزان کند آتش شوم ۳۵ من چو کلکم در میان اصبعین — نیستم در صف طاعت بین بین[14]
خاك را مشغول کرد اندر سخن — یك کفی بربود ازآن خاك کهن ۳۶ ساحرانه اش درربود ازخاك دان — خاك مشغول سخن چون بیخودان
برد تا حق تربت بی رای را — تا بمکتب آن گریزان پای را ۳۷ گفت یزدان که بعلم روشنم — که[15] تو را جلاد این خلقان کنم
گفت یا رب دشمنم گیرند خلق — چون فشارم خلق را درمرگ حلق ۳۸ تو روا داری خداوند سنی — که مرا مبغوض و دشمن رو کنی
گفت اسبابی پدید آرم عیان — از تب وقولنج وسرسام و سنان ۳۹ از صداع و ماشرا و از خناق — وز زکام و از جذام و از فواق
سدّه و دیدان واستسقا و سل — کسر و ذات الصدر ولذع و درد دل ۴۰ تا بگردانم نظرهاشان ز تو — در مرضها و سببهای سه تو
گفت یا رب بندگان هستند نیز — که بدرّند این سببها ای عزیز ۴۱ چشمشان باشد گذاره از سبب — بر گذشته از حجب از فضل رب
سرمهٔ توحید از کحال حال — یافته رسته ز علت و اعتلال[16] ۴۲ ننگرند اندر تب و قولنج و سل — راه ندهند این سببها را بدل[17]

---

۱ ـ باشد پای بوس ۲ ـ تو فرشته رحمتی ـ هین ترحم کن بمن ۴ ـ هین بیاور با ۵ ـ سوگند خورد ۷ ـ حدث ۸ ـ حلم ۱۰ ـ کش ۱۲ ـ ناری ۱۳ ـ خدمت کنم ۱۵ ـ من (ن . ل)

---

(۳) شیخ عطارفرماید ❁ حکمت اودرشبی چون پرّ زاغ میفرستدکودکی را باچراغ بعد ازان بادی فرستد تند دو که چراغ اوبکش برخیز ورو ❁ (۶) یعنی بحق حقوقی که خدا برما وجمیع خلق دارد (۹) یعنی بیا ازطرف او بلندیها وترفع میدهد واشاره است بآیه واقعه درسورهٔ انعام قل تعالوا اتل ماحرّم ربکم علیکم (۱۱) کر ولال وکور (۱۴) یعنی حد وسط نیستم واشاره است به لاجبرو لاتفویض بل امر بین الامرین (۱۶) علت دراینجا بمعنی سبب است واعتلال مرض ودر بعضی نسخ اعتدال ؛ مراد مزاجی است یعنی رسته از بدن و مزاج بدن و کانهم و هم فی جلابیب من ابدانهم قد نضوها (۱۷) گذشت که مظاهر نبینند و اسماء حسنی بینند بلکه در مقامی اشمخ اسماء وصفات را فانی در ذات بینند

زانکه هریك زین مرضها رادواست — چون دوا نپذیرد آن فعل[1] قضاست ۱ هر مرض دارد دوا میدان یقین — چون دوای رنج[2] سرما پوستین
چون خدا خواهد که مردی بفسرد — سردی از صد پوستین هم بگذرد ۲ در وجودش لرزهٔ بنهد که آن[3] — نه ز آتش کم شود نه از دخان[4]
❀ بر تن او سردئی بنهد چنان — کان بجامه به نگردد و آشیان ۳ چون قضا آید طبیب ابله شود — وان دوا در نفع هم گمره شود
کی شود محجوب ادراك بصیر — زین سببهای حجاب گول گیر ۴ اصل بیند دیده چون اکمل بود[5] — فرع بیند چون که مرد احول بود

جواب آمدن که آنکه نظر او بر اسباب و مرض و زخم تیغ نیاید بر کار تو عزرائیل هم نیاید که تو هم سببی اگرچه مخفی تری از آن سببها ، و بود که بر آن رنجور مخفی نباشد که وهو اقرب الیه منکم ولکن لاتبصرون[6]

گفت یزدان هرکه باشد اصل دان — پس ترا کی بیند او اندر میان ۸ گرچه خویش ازعامه پنهان کردهٔ — پیش روشن دیدگان هم پردهٔ
دانکه اینانرا شکر باشد اجل — چون نظرشان مست باشد در دول ۹ تلخ نبود پیش ایشان مرگ تن[7] — چون روند ازچاه وزندان درچمن
وا رهیدند از جهانِ پیچ پیچ — کس نگرید بزفوات هیچ هیچ ۱۰ برج زندان را شکست ارکانئی — هیچ ازاو رنجد دل زندانئی
کای دریغ آن سنگ مرمررا شکست — تاروان وجان ما از حبس رست ۱۱ آن رخام خوب وآن سنگ لطیف — برج زندان را بهی بود و الیف
چون شکستش تا که زندانی برست — دست او درجرم این باید شکست ۱۲ هیچ زندانی نگوید این فشار — جز کسی کز حبس آرندش بدار
تلخ کی باشد کسی را کش برند — از میان زهر ماران سوی قند ۱۳ جان مجرّد گشته از غوغای تن — میپرد با پرّ دل نی پای تن
همچو زندانی چهٔ کاندر شبان — خسبد و بیند بخواب او گلستان ۱۴ گوید ای یزدان مرا زاینجا[8] مبر — تا دراین گلشن کنم من کرّ و فر
گویدش یزدان دعا شد مستجاب — و امرو والله اعلم بالصواب ۱۵ اینچنین خوابی ببین چون خوش بود — مرگ نادیده بجنت در رود
هیچ او حسرت خورد بر انتباه — بر تنِ با سلسله در قعر چاه ۱۶ مؤمنی آخر درا در صفّ رزم — که ترا برآسمان بوده است بزم
بر امید راهِ بالا کن قیام — همچوشمعی پیش محراب ای غلام[9] ۱۷ اشك می بار وهمی سوز از طلب — همچو شمع سر بریده جمله شب
لب فروبند از طعام و از شراب — سوی خوان آسمانی کن شتاب ۱۸ دم بدم از آسمان میدار امید — درهوای آسمان رقصان چو بید
دم بدم از آسمان می آیدت — آب و آتش رزق می‌افزایدت ۱۹ گر ترا آنجا کشد[10] نبود عجب — منگر اندر عجز و بنگر در طلب
کاین طلب درتو گروگان خداست — زانکه هرطالب بمطلوبی سزاست ۲۰ جهد کن تا این طلب افزون شود — تا دلت زین چاه تن بیرون رود[11]
خلق گوید مرد مسکین آن فلان — تو بگوئی زنده‌ام ای غافلان ۲۱ گر تن من همچو تنها خفته است — هشت جنت دردلم بشکفته‌است[12]
جان چوخفته درگل ونسرین بود — چه غمست ارتن دراین سرگین بود ۲۲ جان خفته چه خبر دارد ز تن — کو بگلشن خفته یا در گولخن
می زند جان در جهانِ آبگون — نعرهٔ یا لیت قومی یعلمون ۲۳ گرنخواهد زیست جان بی این بدن — پس فلك ایوان که خواهد بُدن
❀ گرنخواهد بی بدن جانِ توزیست — فی السماء رزقکم روزی کیست[13] ۲۴

در بیان وخامت چرب و شیرین دنیا و مانع شدن او از طعام الله چنانکه فرمود الجوع طعام الله یحیی به ابدان الصدّیقین ای فی الجوع یصل طعام الله وقوله ابیت عند ربی یطعمنی و یسقینی و قوله یرزقون فرحین

وا رهی زین روزی ریزهٔ کثیف — درفتی دراوت و درقوت شریف ۲۸ گرهزاران رطل لوتش میخوری — میروی پاك وسبك همچون پری
که نه حبس باد و قولنجت کند — چار میخ معده آهنجت کند ۲۹ گرخوری کم گرسنه مانی چو زاغ — ورخوری پر گیرد آروغت دماغ
کم خوری خوی بد وخشکی ودق — پرخوری شد تخمه را تن مستحق ۳۰ از طعام الله و قوت خوشگوار — درچنان دریا چوکشتی شو سوار
باش در روزه شکیبا و مُصر — دم بدم قوت خدا را منتظر ۳۱ کان خدای خوب کارِ بُردبار — هدیها را میدهد در انتظار
انتظار نان ندارد مرد سیر — که سبك آید وظیفه یا که دیر ۳۲ بینوا هردم همی گوید که کو — درمجاعت[14] منتظر درماند او[15]
چون نباشی منتظر نآید پتو — آن نوالهٔ دولت هفتاد تو ۳۳ ای پدر الانتظار الانتظار — از برای خوان بالا مردوار
هر گرسنه عاقبت قوتی بیافت — آفتاب دولتی بروی بتافت ۳۴ ضیف باهمت چوزآشی[16] کم خورد — صاحب خوان آشِ بهتر[17] آورد
جزکه صاحب ضیف[18] درویش لئیم — ظنّ بد کم بر برزّاق کریم ۳۵ سر بر آور همچو کوهی ای سند[19] — تا نخستین نور خور برتو زند
کان سر کوه بلند مُستقرّ — هست خورشید سحر را منتظر ۳۶

---

۱ ـ حکم ۲ ـ درد ۳ ـ عیان ٤ ـ که نه از جامه رود نز آتش آن ۸ ـ در تن ۱۰ ـ برد ۱۱ ـ شود ۱۵ ـ در جست وجو ۱۸ ـ خوان (ن . ل)

---

(٥) چنانکه مطلع براوضاع سماویه مهتاب را نیز از خورشید داند آنکه اصل بین است تمام تعینات را درسطوع نورحق مثل مشکوة و مردنگی مملو ازشعاع بیند وآن احول مثل جاهل باوضاع سماویه است که نورمه وانارهٔ آن را ازخود آن داند (٦) آیه در سورهٔ واقعه است که ما نزدیکتریم بسوی او از شما ولیکن شما نمی‌بینید (٧) مرگ تن زندگی جان بل وصال جانان است وخلاصی از فقر بتن طبیعی وقوای آن واکتفا بذات و غنای آنست (٩) محراب مصلی وچون حرب میشود با نفس و شیطان در نفی هواجس و وساوس چنانکه دأب و دیدن مجاهدین در جهاد اکبر است بمحراب نامیده شده وتشبیه بشمع بسیار نیکو است از جهت نوریت و استقامت وخفت وطلب علو وحرارت عشق وشکل صنوبری حاکی است از قلب صوری واز قلب معنوی چه نور اسپهبد که نفس ناطقه قدسیه است از انتشار ببساطت میرود چون مخروط که بنقطه منتهی میشود (١٢) الدنیا والآخرة حالتاك (١٣) اشاره‌است بآیه واقعه درسورهٔ والذاریات وفی السماء رزقکم وماتوعدون (١٤) گرسنگی وحاصل آنست که روزه بجهت فجر نفس که دارد سالك را آگاه وخبیر می‌کند بحق ومنتظر طعامهای روحانی و واردات قلبیه میسازد (١٦) مقصود غذای جسمانی است (١٧) مقصود غذای روحانی باشد (١٩) یعنی در نیت روزه و غایت جوع بلندتر شو وغرضت تخلق باشد بخلق صمد" لایطعم

جواب آن مغفل که گفت چه خوش بودی که مرگ درجهان نبودی و این جهانرا زوال نبودی

آن یکی میگفت خوش بودی جهان — گر نبودی پای مرگ اندر میان ۲ آن دگر گفت ار نبودی مرگ هیچ — که نبرزیدی جهان پیچ پیچ
خرمنی بودی بدشت افراشته — مهمل و ناکوفته بگذاشته ۳ مرگ را تو زندگی پنداشتی — تخم را در شوره خاکی کاشتی
عقلِ کاذب هست خود معکوس بین[1] — زندگی را مرگ پندارد یقین[2] ۴ ای خدا بنمای تو هر چیز را[3] — آنچنانکه هست در خدعه سرا
هیچ مرده نیست پرحسرت زمرگ — حسرتش آنست کش کم بوده برگ ۵ ورنه از چاهی بصحرا اوفتاد — در میان دولت و عیش و گشاد
زین مقام ماتم وتنگین مناخ — نقل افتادش بصحرای فراخ ۶ مقعد صدقی نه ایوان دروغ — بادهٔ خاصی نه مستیٔ[4] ز دوغ
مقعد صدق و جلیسِ حق شده — رسته زین آب و گل آتش کده ۷ ور نکردی زندگانیٔ منیر — یکدو دم ماندست مردانه بمیر

فیما یُرجی من رحمةالله تعالی معطی النعم قبل استحقاقها وهوالذی یُنزّل الغیث من بعد ما قنطوا وربّ بعدٍ یورث قرباً وُربّ معصیةٍ میمونةٍ وربّ سعادةٍ یأتی من حیث یُرجی النقم لیعلم انّ الله یُبدّل سیئاتهم حسنات

در حدیث آمد که روز رستخیز — امر آید هر یکی تن را که خیز ۱۱ نفخ صور امراست از یزدان پاك — که برآرید ای ذرایر[5] سر زخاك
باز آید جانِ هر یك در بدن — همچو وقت صبح هوش آید بتن[6] ۱۲ جان تن خودرا شناسد وقتِ روز — درخرابه خود درآید چون کنوز[7]
جسم خود بشناسد و در وی رود — جان زرگر سوی درزی کی شود ۱۳ جانِ عالِم سوی عالِم میرود — جان ظالم سوی ظالم می شود
که شناسا کردشان علم اله — چونکه برّه و میش وقت صبحگاه ۱۴ پای کفش خود شناسد در ظلم — جان تن خود چون نداند ای صنم
صبح حشر کوچکست ای مستجیر — حشر اکبر را قیاس از وی بگیر ۱۵ آنچنانکه جان ببرّد سوی طین — نامه برّد[8] از یسار و از یمین
در کفش بنهند نامهٔ بخل و جود — فسق و تقوی آنچه او خوکرده بود ۱۶ چون شود بیدار او[9] وقت سحر — باز آید سوی او آن خیر وشر
گر ریاضت داده باشد خوی خویش — وقت بیداری همان آید به پیش ۱۷ ور بد او دی پاك و باتقوی ودین — نامه بازآید مر اورا در یمین[10]
وربد او دی خام و زشت و باضلال — چون عزانامه سیه یابد شمال[11] ۱۸ هست مارا خواب و بیداری ما[12] — بر نشان مرگ و محشر دو گوا
حشر اصغر حشر اکبر را نمود — مرگ اصغر مرگ اکبر را زدود ۱۹ لیك این نامه خیالست و نهان — وان شود در حشر اکبر بس عیان
این خیال اینجا نهان پیدا اثر — زین خیال آنجا برویاند صور ۲۰ در مهندس بین خیال خانهٔ — در دلش چون در زمینی دانهٔ
آن خیال از اندرون آید برون — چون زمین که زاید ازتخم درون ۲۱ هر خیالی کو کند در دل وطن — روز محشر صورتی خواهد شدن
چون خیال آن مهندس درضمیر — چون نبات اندر زمینِ دانه گیر ۲۲ مخلصم زین هردومحشر قصه‌ایست — مؤمنان را در بیانش حصه‌ایست
چون بر آید آفتابِ رستخیز — برجهند ازخاك خوب و زشت تیز ۲۳ سوی دیوانِ قضا پویان شوند — نقدِ نیك و بد بکوره در روند
نقدِ نیکو شادمان و ناز ناز — نقدِ قلب اندر زحیر و در گداز ۲۴ لحظه لحظه امتحانها می رسد — سرّ دلها مینماید در جسد
چون زقندیلِ آب وروغن گشته فاش — یا چو خاکی که بروید سبزهاش[13] ۲۵ از پیاز و زعفران[14] و کوکنار — سبزئی پیدا کند دشت از بهار
آن یکی سر سبز نحن المتقون — وان دگرهم چون بنفشه سرنگون ۲۶ چشمها بیرون جهیده از خطر — گشته ده چشمه ز بیم مستقر
باز مانده دیدها در انتظار — تا که نامه ناید از سوی یسار ۲۷ چشم گردان سوی چپّ وسوی راست — زانکه نبودبخت نامهٔ راست کاست
نامهٔ آید بدست بندهٔ — سر سیه از جُرم و فسق آکندهٔ ۲۸ اندر او یك خیرو یك توفیق نه — جز که آزار دل صدّیق نه
پُر ز سر تا پای زشتیٔ و گناه — تسخر و خنبك زدن بر اهل راه ۲۹ آن دغل کاریٔ و دزدی‌های او — وآن چو فرعونان انا اُنای[15] او
چون بخواند نامهٔ خود آن ثقیل — داند اوکه سوی زندان شدرحیل ۳۰ پس روان گردد چودزدان سوی دار — جرم پیدا بسته راهِ اعتذار
آن هزاران حجت وگفتار بد — بر دهانش گشته چون مسمارِ بد ۳۱ رخت دزدی بر تن و درخانه‌اش — گشته پیدا گم شده افسانه اش
پس روان گردد بزندان سعیر — که نباشد خار را ز آتش گزیر ۳۲ چون موکل آن ملایك پیش وپس — بوده پنهان گشته پیدا چون عسس
میبرندش میسپوزندش[16] به نیش — که برو ای سگ بکهدانهای خویش ۳۳ میکشد پا بر سر هر راه او — تا بود که بر جهد زان چاه او
منتظر می ایستد تن می زند — بر امیدی روی وا پس میکند ۳۴ اشك می بارد چو بارانِ خزان — خشك امیدی چه‌دارد او جزآن
هر زمانی روی وا پس میکند — رو بدرگاه مقدس میکند ۳۵ پس زحق امر آید از اقلیمِ نور — که بگوئیدش که ای بطال عور[17]
انتظار چیستی ای کاتِ شر — رو چه واپس میکنی ای خیره سر ۳۶ نامه ات آنست کت آمد بدست — ای خدا آزار و ای شیطان پرست
چون بدیدی نامهٔ کردار خویش — چه نگری[18] پس بین جزای کارخویش ۳۷ بیهده چه مول مولی می زنی[19] — در چنین چه کو امید روشنی
نه ترا از روی ظاهر طاعتی — نه ترا در سرّ و باطن نیتی ۳۸ نه ترا شبها مناجات و قیام — نه ترا در روز پرهیز و صیام
نه‌ترا حفظ[20] زبان ز آزار کس — نه نظرکردن بعبرت پیش و پس ۳۹ پیش چه بود یاد مرگ ونزع خویش — پس چه باشد مردنِ یاران پیش

---

۲ ـ بیند ای غبین ٤ ـ سکرانی ٥ ـ ذراری ٦ ـ اندربدن ۷ ـ در لباس خود درآید بافروز ۹ ـ ازخواب او ۱۰ ـ وقت بیداری برد دُرّ ثمین ۱۳ ـ سرّهاش ۱٤ ـ گندنا ۱٦ ـ می سپارندش ۱۷ ـ کور ۱۸ ـ منگر از ۱۹ ـ میکنی ۲۰ ـ ضبط (ن . ل)

---

(۱) که حیوة طبیعی را که مرگست زندگی پندارد و زندگی حقیقی روحانی و جاودانی را مرگ و فقر را غنا و غنارا فقر وسور را ماتم وماتم‌را سور وفنارا بقا و بقارا فنا و حضور را غیبت وغیبت را حضور و ظهور را خفا و خفارا ظهور وپست را بلند وبلند را پست و هست را نیست و نیست را هست و قس علیها (۳) اشاره است بحدیث ارنا الاشیاء کما هی (۸) نظیر موقف نظایر الکتب است از حشر و این نامه که صبح برد بعداز بیداری خیال‌است وحافظه که همان معانی‌را وصور محسوسات را که مألوف آن ارواح است بآنها برگردانند (۱۱) چنانچه ماتمنامه بر کاغذ سیاه نویسند نامهٔ اعمال گناهکار سیاه و از دست چپ او خواهند داد (۱۲) این خواب و بیداری ما در دنیا مشابهت بمرگ و محشر دارد خواب حکم مرگ دارد و بیداری حکم حشر درحشر صغری که بیداری باشد هر چیز که دیروز داشته است بعینه عاید میگردد همچنین در حشر اکبر هم عاید می‌گردد یعنی جزای کردار پیش او عاید خواهد شد درمرگ اصغر که خواب‌است بعینه حقیقت مرگ اکبر که مردنست ظاهر میشود (۱۵) هردو دلالت بر استکبار ومنیت دارد

نه ترا بر ظلم و توبه پرخروش ای دغا گندم نمای جو فروش ۱ چون ترازوی تو کژ بود و دغا راست چون جوئی ترازوی جزا
چونکه پای چپ بدی درغدر و کاست نامه چون آید ترا دردست راست ۲ چون جزا سایه‌است ای قد تو خم سایهٔ تو کژ فتد در پیش هم
زین نسق[1] آید خطابات درشت که شود که را از آنها گوژ پشت ۳ بنده گوید آنچه فرمودی بیان صد چنانم صد چنانم صد چنان
خود توپوشیدی بترها را زحلم ور نه میدانی فضیحتها بعلم ٤ لیك بیرون ازجهاد وفعل خویش از ورای خیر وشر وکفروکیش
وز نیاز عاجزانهٔ خویشتن از خیال و وهم من یاصد چومن ۵ بودم امیدی بمحض لطف[2] تو از ورای راست باشی[3] یا عتو
بخشش محضی زلطف بی عوض[4] بودم امید ای کریم بی غرض ٦ رو سپس کردم بدان محض کرم سوی فعل خویشتن می ننگرم
سوی آن امید کردم روی خویش که وجودم دادهٔ از پیش پیش ۷ خلعت هستی بدادی رایگان من همیشه معتمد بودم بر آن
چون شمارد جرم خودرا و خطا محض بخشایش در آید در عطا ۸ کای ملایك باز آریدش بما که بدستش چشم دل سوی رجا
لا ابالی وار آزادش کنیم[5] وان خطاها را همه خط بر زنیم ۹ لا ابالی مر کسی را شد[6] مباح کش زیان نبود زجرم وازصلاح
آتشی خوش بر فروزیم از کرم تا نماند جرم و زلت بیش و کم ۱۰ آتشی کز شعله اش کمتر شرار می بسوزد جرم و جبر و اختیار
شعله در بنگاه انسانی زنیم خار را گلزار روحانی کنیم ۱۱ ما فرستادیم از چرخ نهم کیمیا یصلح لکم اعمالکم[7]
خود چه باشد پیش نور مستقر کر و فر اختیار بوالبشر ۱۲ گوشت پاره آلت گویای او[8] یه پاره منظر بینای او
مسمع او آن دو پاره استخوان مدرکش دوقطره خون یعنی جنان ۱۳ کرمکی و از قذر آکندهٔ طمطراقی در جهان افکندهٔ
از منی بودی منی را واگذار ۱٤ ای ایاز آن پوستین را یاد آر

قصهٔ ایاز و حجره داشتن او جهت چارق و پوستین و گمان آمدن خواجه تاشانش که او را در آنحجره دفینه ایست بسبب محکمی در و گرانی قفل

آن ایاز از زیرکی انگیخته پوستین و چارقش آویخته ۱۷ می رود هر روز در حجرهٔ خلا چارقت این است منگر در علا
شاه را گفتند اورا حجره ایست اندر آنجا زر وسیم[9] خمره‌ایست ۱۸ راه می ندهد کسی را اندر او بسته میدارد همیشه آن در او
شاه فرمود ای عجب آن بنده را چیست خود پنهان و پوشیده زما ۱۹ پس اشارت کرد میری را که رو نیمشب بگشای در در حجره شو
هر چه یابی مر ترا یغماش کن سر او را بر ندیمان فاش کن ۲۰ با چنین اکرام و لطف بی عدد از لئیمی سیم و زر پنهان کند
مینماید او وفا و عشق و جوش وانگه او گندم نمای جو فروش ۲۱ هر که اندر عشق یابد زندگی کفر باشد پیش او جز بندگی
نیمشب آن میر با سی معتمد در گشاد حجرهٔ او رای زد ۲۲ مشعله بر کرده چندین پهلوان جانب حجره روانه شادمان
کامر سلطانست برحجره زنیم هر یکی همیان زر در کش کنیم ۲۳ آن یکی میگفت هی چه جای زر از عقیق و لعل گوی و از گهر
خاص خاص مخزن سلطان ویست بلکه اکنون شاه راخودجان ویست ۲٤ چه محل دارد به پیش آن عشیق لعل و یاقوت و زمرد یا عقیق
شاه را بروی نبودی بد گمان[10] تسخری میکرد بهر امتحان ۲۵ پاك میدانستش ازهر غش وغل باز از وهمش همی لرزید دل
که مبادا کاین بود خسته شود من نخواهم که برو خجلت رود ۲٦ این نکردست اووگر کرداو رواست هرچه خواهدگوبکن محبوب ماست
هر چه محبوبم کند من کرده ام او منم من او چه گر در پرده‌ام ۲۷ بازگفتی دور ازآن خوی وخصال اینچنین تخلیط ژاژست و خیال
از ایاز این خود محالست وبعید کو یکی دریاست قعرش ناپدید[11] ۲۸ هفت دریا اندرو یك قطرهٔ جمله هستیها ز موجش چکرهٔ[12]
جمله پاکیها از آن دریا برند قطرهایش یك بیك مینا گرند ۲۹ شاه شاهانست بلکه شاه ساز از برای چشم بد نامش ایاز
چشمهای نیك هم بر وی بداست ازره غیرت که حسنش بی‌حداست ۳۰ یك دهان خواهم بپهنای فلك[13] تا بگویم وصف آن رشك ملك
ور دهان یابم چنین و صد چنین تنگ آید در فغان این چنین[14] ۳۱ اینقدر هم گر نگویم ای سند شبشهٔ دل از ضعیفی بشکند
شبشهٔ دل را چه نازك دیده ام بهر تسکین بس قبا بدریده ام ۳۲ من سر هرماه سه‌روز ای صنم بیگمان باید که دیوانه شوم
هین که امروزاول سه روزه است روز پیروزاست نی پیروزه‌است ۳۳ هردلی کاندر غم شه می[15] بود دمبدم او را سر مه[16] می بود

در بیان آنکه آنچه بیان کرده میشود صورت قصه است که درخور صورت گران است و درخور آئینهٔ تصویر ایشان وازقدوسی حقیقت آن نطق را شرم می‌آید وازخجالت قلم سر و ریش گم میکند و العاقل یکفیه الاشاره

قصهٔ محمود و اوصاف ایاز چون شدم دیوانه رفت اکنون زساز ۳۷ زانکه بیلم دید هندستان بخواب از خراج امید بر ده شد خراب
کیف یأتی النظم لی و القافیه بعد ما ضاعت اصول العافیه ۳۸ ما جنون واحد لی فی الشجون بل جنون فی جنون فی جنون

---

۱ - قبل - قبیل ۲ - بلطف عام ۳ - بینی ٦ - را کسی باشد ۹ - کاندران پرسیم و پرزر ۱۰ - این گمان ۱٤ - بیان آن امین است و حنین ۱۵ - شاهی ۱٦ - ماهی (ن . ل)

---

(٤) مارا توبهشت اگر بطاعت بخشی- آن بیع بود لطف وعطای توکجاست (۵) اشاره است بحدیث قدسی که خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالی وخلقت هؤلاء للنار ولاابالی فرمود آفریدم این جماعة را برای بهشت وهیچ باك ندارم وآفریدم این جماعت را برای دوزخ و هیچ باك ندارم (۷) اشاره است بآیه واقعه درسورهٔ احزاب یا ایهاالذین آمنوا اتقوالله وقولوا قولاً سدیداً یصلح لکم اعمالکم یعنی ای کسانیکه ایمان آورده اید بپرهیزید خدارا و بگوئید قول محکم که اصلاح کند برای شما اعمال شما را (۸) باحقارت اینها عجب‌است حاجت روح قدسی انسانی باینها پس باید غنی شود ازاینها وازتن مرکب ازاینها بذات خود اگرچه در اول حاجت داشته باشد ❁ برداشتنش برای انداختن است (۱۱) بسبب اتصال این‌چشمه بدریای بیکران سلطانی و تأویل ایاز انسان کامل و متصل فانی در ملك محمود و سلطان ودود است (۱۲) چکرهٔ آبی است که قطره قطره بچکد (۱۳) حکایت از نفس مولویست که مداحی انسان کامل مینماید

ذاب جسمی من اشارات الکنی — منذ عاینت البقاء فی الفنا [1] — ۱ — ای ایاز از درد تو گشتم چومو — ماندم از قصهٔ تو قصهٔ من بگو

بس فسانهٔ عشق تو خواندم بجان — تو مرا کافسانه گشتستم بخوان — ۲ — خود تومیخوانی نه‌من[2] ای مقتدا — من که طررم توموسی‌وین صدا

کوه بیچاره چه داند گفت چیست — زانکه بیچاره ز گفتنها[3] تهیست — ۳ — لیك موسی فهم گفتنها کند — کوه عاجز خود چه داند ای سند

کوه هم داند بقدر خویشتن — اندکی دارد ز لطف روح تن — ۴ — تن چو اسطرلاب باشدزاحتساب — آیتی از روح همچون آفتاب

آن منجم چون نباشد چشم تیز — شرط باشد مرد اسطرلاب[4] ریز — ۵ — تا کند بهرش سطرلابی نکو — تا برد از حالت خورشید بو

جان کز اسطرلاب‌جوید اوصواب — چه قدر داند ز چرخ و آفتاب — ۶ — تو کز اسطرلاب دیده بنگری — در جهان دیدن بسی تو قاصری

تو جهان را قدر دیده دیدهٔ — کو جهان سبلت چرا مالیدهٔ — ۷ — عارفان را سرمهٔ هست آن بجو — تا که دریا گردد این چشم‌چوجو

ذرهٔ ازعقل وهوش اربا من‌است — این چه سودا وپریشان‌گفتن‌است — ۸ — چونکه مغزمن زعقل وهش‌تهیست — پس گناه من درین تخلیط چیست

نی‌گناه او راست که عقلم ببرد[5] — عقل جملهٔ عاقلان پیشش ببرد — ۹ — یا مجیر العقل فتّان الحجی — ما سواك للمعقول مرتجی

مااشتهیتُ العقل مذ جننتنی — ما حسدتُ الحسن[6] مذ زیّنتنی — ۱۰ — هل جُنونی فی هواك مستطاب — قل بلی والله یجزیك الثواب[7]

گر بتازی گوید او ور پارسی — گوش و هوشی کو که درفهمش رسی — ۱۱ — بادهٔ او درخور هر هوش نیست — حلقهٔ او سخرهٔ هر گوش نیست

بار دیگر آمدم دیوانه وار — رو رو ای‌جان زود زنجیری بیار — ۱۲ — غیر آن زنجیر زلف دلبرم — گر دو صد زنجیر آری بر درم

هست بر پای دلم ازعشق بند — سود کی‌دارد مرا این وعظ وپند — ۱۳ — قصهٔ عشقش ندارد مطلعه — هم ندارد هم چو مطلع مقطعه

حکمت نظر کردن در چارق و پوستین که فلینظر الانسان مم خلق[8]

باز گردان قصهٔ عشق ایاز — کان یکی گنجیست مالامال راز — ۱۵ — می‌رود هر روز در حجرهٔ برین — تا ببیند چارقی یا پوستین

زانکه هستی سخت مستی آورد — عقل از سر شرم از دل می‌برد — ۱۶ — صدهزاران قرن پیشین را همین — مستی هستی بزد ره زین کمین

شد عزازیلی از این مستی بلیس — که چرا آدم شود بر من رئیس — ۱۷ — خواجه‌ام من نیز وخواجه زاده‌ام — صد هنر را قابل و آماده ام

در هنر من از کسی کم نیستم — ۱۸ — تا بخدمت پیش دشمن بیستم

خلق الجانّ من مارجٍ من نار[9] و قوله تعالی فی حقّ ابلیس انه کان من الجن ففسق عن امر ربه[9]

من ز آتش زاده ام او از وحل — پیش آتش مر وحل را چه محل — ۲۱ — اوکجا بود اندر آن دوری که من — صدر عالم بودم و فخر زمن

شعله می‌زد آتش جان سفیه — کاتشی بود الولد سرّ ابیه[10] — ۲۲ — نی غلط گفتم که بُد قهر خدا — علتی را پیش آوردن چرا

کار بی علت مبرّا از علل — مستمرّ و مستقرّ است از ازل — ۲۳ — در کمال صُنع پاك مستحث[11] — علت حادث چه‌گنجد در[12] حدث

سرّ آب چبود آب ماصنع‌اوست — صنع‌مغزاست‌وآب صورت‌چوپوست — ۲۴ — عشق دان ای فندق تن دوستت — جانت جوید مغز و کوبد پوستت

دوزخی که پوست باشد دوستش — داد بدّلنا جلودا پوستش[13] — ۲۵ — معنی و مغزت بر آتش حاکمست — لیك آتش را قشورت هیزمست

کوزهٔ چوبین که دروی‌آب جوست — قدرت آتش همه برظرف اوست — ۲۶ — معنی انسان بر آتش مالك است — مالك دوزخ درآن کی هالك‌است

پس میفزا تو بدن معنی فزا — تا چو مالك باشی آتش را کیا — ۲۷ — پوستها بر پوست می افزودهٔ — لاجرم چون پوست اندر دودهٔ

زانکه‌آتش‌راعلف جزپوست نیست — قهرحق آن کبررا گردن‌زنیست — ۲۸ — این تکبر از نتیجهٔ پوست است — جاه ومال آن کبررازان‌دوستست

این تکبر چیست غفلت از لباب — منجمد چون غفلت یخ ز آفتاب — ۲۹ — چون خبر شد زآفتابش یخ نماند — گرم گشت ونرم گشت و تیز راند

شد ز دید لُبّ جملهٔ تن طمع — خوار وعاشق‌شدکه ذلّ من‌طمع[14] — ۳۰ — چون نبیند.مغز قانع شد بپوست — بند عزّ من قنع زندان اوست

عزّت اینجا گیریست وذُل‌دین[15] — کبر زان جوید همیشه جاه و مال — ۳۱ — در مقام سنگی و آنگه انا — وقت مسکین گشتن تست و فنا

دیده را بر لُب و لُب نفراشتند — که زسرگین است گلخن‌را کمال — ۳۲ — کاین دودایه پوست‌را افزون‌کنند — شحم ولحم وکبر وشهوت‌آکنند

پوست‌را زان روی لُب پنداشتند — پیش‌وا ابلیس بود این راه را — ۳۳ — کو شکار آمد شبیکهٔ جاه را

مال چون مارست وآن جاه اژدها — سایهٔ مردان زمرّد این دو را — ۳۴ — زان زمرّد مار را دیده جهد — کور گردد مار و ره رو وارهد

چون برین ره خار بنهاد آن رئیس — هر که خست اوگفت لعنت بربلیس — ۳۵ — یعنی این‌غم برمن از غدر ویست — غدر را آن مقتدی سابق پیست

---

۲ ـ میدانی یقین ۳ ـ موسی می بداند که ۶ ـ الحس ۱۲ ـ یا ـ تا (ن . ل)

---

(۱) چگونه می‌آید برای من‌گفتن نظم وقافیه بعداز آنکه ضایع وباطل شده اصول عافیت و تندرستی من نیست جنون ودیوانگی من فقط دراندوهها وحزنها بل دیوانگی در دیوانگی از دیوانگی است گداخت جسم من از اشارات وابهامات مخفی از آن زمان که معاینه کردم پایندگی را در نیستی (٤) اسطرلاب یونانی است وآن آلتی‌است که در او صفحهٔ چند است که منجمان ارتفاع حال کواکب و آفتاب بینند (٥) اشاره است بمضمون آیه ان هی الا فتنتك در سورهٔ اعراف (۷) ای پناه دهندهٔ عقل و مفتون کنندهٔ خرد نیست غیر از تو برای عقول امید گاهی آرزوی عقل ندارم از وقتی که تو مرا دیوانه کرده ای و حسد نمیبرم بر حسن یا بر حواس از وقتیکه زینت دادی مرا بدیوانگی و آیا جنون من از عشق تو خوش است بگو بلی وخدا جزای نیکو دهد ترا (۸) آیه در سورهٔ طارق واقع‌شده پس باید نظر کند آدمی‌که دراصل ایجاد از چه چیز آفریده شده (۹) آیه اول در سورهٔ رحمن واقع شده یعنی آفرید پریان را از زبانهٔ آتش وآیه دوم در سورهٔ کهف واقع شده یعنی بدرستیکه او بود از جن پس بیرون رفت ازفرمان پروردگار خود (۱۰) اشاره است بحدیث‌مشهور یعنی فرزند نشانه و سرّ پدراست (۱۱) یعنی‌صنع اومطلوب و مرغوب بنحو اتم‌است (۱۲) درسورهٔ محصنات واقعشده کلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غیرها لیذوقوا العذاب (۱٤) اشاره است بحدیث عزّ من قنع و ذلّ من طمع یعنی عزیز شود کسیکه قناعت کند و ذلیل گردد آنکه طمع ورزد (۱٥) مذلت عندالله و عجز بل کالبت بین یدی‌الفسل بودن دین حقیقی است

بعد ازآن خود قرن برقرن آمدند جملگان بر سنت او پا زدند[1] ۱ هرکه بنهد سنت بد ای فتی تا در افتد بعد او خلق از عمی
جمع گردد بر وی آن جمله بزه کوسری بودست وایشان دم غزه ۲ لیك آدم چارق و آن پوستین پیش می‌آرد که هستم من زطین
چون ایاز آن‌چارقش مورود بود لاجرم او عاقبت محمود بود ۳ هست مطلق کارساز نیستی‌است کارگاه هست‌کن جزنیست چیست
بر نوشته هیچ بنویسد کسی یا نهالی کارد اندر مغرسی ٤ کاغذی جوید که آن بنوشته نیست تخم کارد موضعی که کشته نیست
تو[2] برادر موضع ناکشته باش کاغذ اسپید نا بنوشته باش ٥ تا مشرّف‌گردی از نون والقلم[3] تا بکارد در تو تخم آن ذوالکرم
خود از این پالوده نالیسیده گیر مطبخی که دیدهٔ نا دیده گیر ٦ زانکه زین پالوده مستیها بود پوستین و چارق از یادت رود
چون درآید وقت نزع آهی کنی ذکر دلق و چارق آن‌گاهی کنی ۷ تا نگردی غرق موج زشتئی که نباشد از پناهی پشتئی[4]
یاد ناری از سفینهٔ راستین نگری در چارق و در پوستین ۸ چونکه درمانی بغرقاب بلا پس ظلمنا ورد سازی بر ولا
دیو گوید بنگرید این خام را سر بُرید این مرغ بی‌هنگام را[5] ۹ دور این خصلت ز فرهنگ ایاز که پدید آید نمازش بی نیاز
او خروس آسمان بوده ز پیش[6] ۱۰ نعره‌های او همه در وقت خویش

در معنی ارنا الاشیاء کما هی و بیان لو کشف الغطاء ما ازددت یقیناً[7] و معنی این بیت
درهرکه تو از دیدهٔ بد مینگری ✿ از چنبرهٔ وجود خود می‌نگری ✿ و پایهٔ کژ کژ افکند سایه

ای خروسان ازوی آموزید بانگ بانگ بهرحق کند نی بهر دانگ ۱۳ صبح کاذب آید و تفریبدش صبح کاذب عالم نیك و بدش
اهل دنیا عقل ناقص داشتند تا که صبح صادقش پنداشتند ۱٤ صبح کاذب کاروانها را زدست که ببوی روز بیرون آمدست
صبح کاذب خلق را رهبر مباد کو دهد بس کاروانها را بباد ۱٥ ای شده توصبح کاذب را رهین صبح صادق‌را توکاذب هم مبین
گر نداری از نفاق و بد امان ازچه داری بر برادر ظن همان ۱٦ بدگمان باشد همیشه زشت کار نامهٔ خود خواند اندر حق یار
آن‌خسان کاندر کژیها مانده اند انبیا را ساحر وکژ خوانده اند ۱۷ وان امیران خسیس قلب ساز این گمان بردند بر حجرهٔ ایاز
کو دفینه دارد وگنج اندر آن زآینهٔ خود منگر اندر دیگران ۱۸ شاه میدانست خود پاکی او بهرایشان‌کرد او آن جست وجو
کای امیران حجره بگشائید در نیمشب که باشد او زان بیخبر ۱۹ تا پدید آید سگالشهای او بعد ازآن برماست مالشهای او
مر شمارا دادم این زر و گهر من ازآن زرها نخواهم جز خبر ۲۰ این همی‌گفت و دل او می طپید از برای آن ایاز بی ندید
که منم کاین بر زبانم میرود این جفا گر بشنود او چون شود ۲۱ باز میگوید بحق دین او که از این افزون بود تمکین او
کو بقذف زشت من تیره شود وز غرض وز سرّ من غافل بود ۲۲ مبتلا چون دید تأویلات رنج برد بیند کی‌شود او مات رنج
صاحب تأویل ایاز صابرست کو ببحر عاقبتها ناظرست ۲۳ همچو یوسف خواب این‌زندانیان[8] هست تعبیرش بنزد او عیان[9]
خواب خودرا چون نداند مرد خیر کی‌بود واقف ز سرّ خواب غیر ۲٤ گر زنم صد تیغ اورا زامتحان کم نگردد وصلت آن مهربان
داند او کان تیغ برخود میزنم ۲٥ من ویم اندر حقیقت او منم

بیان اتحاد عاشق و معشوق از روی حقیقت اگر چه متضادند جهت آنکه نیاز ضدّ بی نیازیست
و چنانکه آینه بی صورت وساده است وبی صورتی ضدّ صورتست لیکن میان ایشان اتحادیست در حقیقت
که شرح آن بنطق نیاید و العاقل یکفیه الاشاره

جسم مجنون را ز رنج دوریی اندر آمد علت[10] رنجوریی ۲۹ خون بجوش آمد زشعلهٔ اشتیاق تا که پیدا شد در آن مجنون خناق
پس طبیب آمد بدارو کردنش گفت‌چاره نیست هیچ ازرگ‌زنش ۳۰ رگ زدن باید برای دفع خون رگ زنی آمد بدانجا[11] ذوفنون
بازویش بست وگرفت آن نیش‌او بانگ‌برزد بروی آن‌معشوق[12]خو ۳۱ مزد خود بستان و ترك فصد کن گر بمیرم گو برو جسم کهن
گفت آخر تو چه میترسی ازین چون نمیترسی تو از شیر عرین ۳۲ شیر وخرس ویوز وهرگرگ و دده گرد برگرد تو شب گرد آمده
می نیایدشان ز تو بوی بشر زانبهی عشق و وجد اندر جگر ۳۳ گرگ‌وخرس‌وشیرداند عشق‌چیست کم‌زسگ‌باشدکه‌ازعشق‌او‌تهیست[13]
گر رگ عشقی نبودی کلب را کی بجستی کلب کهف قلب را ۳٤ همزجنس‌او[14] بصورت‌چون[15]سگان گر نشد مشهور هست اندر جهان
تو نبردی‌بوی دل‌ازجنس‌خویش[16] کی بری توبوی دل‌ازگرگ‌ومیش ۳٥ گر نبودی عشق هستی کی بدی کی‌زدی نان برتو وکی تو شدی
نان توشد از چه زعشق واشتهی ورنه نان‌را کی بدی تاجان[17]رهی ۳٦ عشق نان مردهٔ را جان کند جان که فانی بود جاویدان کند
گفت مجنون من نمیترسم زنیش صبر من ازکوه سنگین‌هست بیش ۳۷ منبلم بی زخم ناساید تنم عاشقم بر زخمها بر می تنم
لیك از لیلی وجود من بر است این‌صدف پرازصفات‌آن دُراست ۳۸ ترسم ای فصاد اگر فصدم کنی نیش را ناگاه بر لیلی زنی
داند آن عقلی‌که اودل روشنیست در میان لیلی و من فرق نیست ۳۹ ❀من‌کیم لیلی ولیلی کیست من ما یکی روحیم اندر دو بدن

---

۲ ـ ای ٤ ـ پناهت کشتهٔ ۱۰ ـ ناگهان ۱۱ ـ در آنجا ۱۲ ـ در زمان آن عشق ۱۳ ـ عیست ۱٥ ـ از ۱۷ ـ در تو (ن . ل)

(۱) اشاره بحدیث نبوی است من سنّ سنة حسنه فله اجرها و اجر من‌عمل بها و من سنّ سنة سیئه فله وزرها یعنی هر که طریقه نیکو نهد اجر آن و اجر هرکه بر آن طریقه رود برای اوست وکسیکه بنا کند طریقهٔ بدرا وزر او براوست(۳) که نادار را دارا می کنند و گرسنه و تشنه را چیز می دهند نه سیر را (٥) یعنی سر ببرید مرغ بی هنگام را که همان خام باشد که باید خدا را پیش ازین میخواند و یاد مرگ پیش ازین میکرد حدیث است که اذکروا هادم اللذات یعنی الموت (٦) در اخبار است که خروسی است در تحت عرش که چون نعره کند سایر خروسان تبعیت کنند (۷) قول حضرت امیر علیه‌السلام است یعنی اگر پرده از جلو چشم زایل شود و حقیقت اشیاء چنانکه هست ظاهر شود یقین من هیچ زیاده نگردد (۸) اشاره است بآیه یا صاحبی‌السجن اما احدکما فیسقی ربه خمراً و اماالآخر فیصلب فتاکل‌الطیر من رأسه که در سورهٔ یوسف واقعشده (۹) چون نسبت تأویل بتصویرات در یقظه یا در حالت غیبت نسبت تعبیر است بتصویرات در منام لهذا تنظیر فرمود تأویل را بتعبیر (۱٤) یعنی‌اصحاب کهف از ارباب قلوب در جهان هستند و سگان صفتمند دارند (۱٦) تو نمی شناسی و دیده نداری تو دیده بیار میتوان دید

معشوقی از عاشق پرسید که تو خودرا دوست تر داری یا مرا ، گفت من از خود مرده ام و بتو زنده‌ام ازخود وصفات خود نیست شده‌ام وبتو هست شده‌ام علم خودرا فراموش کرده‌ام و از علم تو عالم شده‌ام قدرت خودرا از یاد داده‌ام واز قدرت تو قادر شده‌ام اگر خودرا دوست دارم تورا دوست داشته باشم واگر تورا دوست دارم خودرا دوست داشته‌ام هر که را آینهٔ یقین باشد گرچه خود بین خدای بین باشد اخرج بصفاتی الی خلقی من رآك رآنی ومن قصدك قصدنی وعلی هذا [1]

گفت معشوقی بعاشق ز امتحان — در صبوحی کای فلان ابن‌الفلان ٦ — مر مرا تو دوست تر داری‌عجب — یا که خودرا بازگو ای بوالکرب
گفت من در تو چنان فانی شدم — که پُرم من از تو ازسر تا قدم ٧ — بر من ازهستیِ من جز نام نیست — دروجودم جزتوای‌خوش‌کام‌نیست
زان سبب فانی شدم من اینچنین — همچو سرکه در تو بحر انگبین ٨ — همچو سنگی کوشود کل لعل ناب — پر شود او از صفاتِ آفتاب
وصف آن سنگی نماند اندر او — پرشود ازوصفِ خور او پشت‌ورو ٩ — بعد ازآن گردوست‌داردخویش‌را — دوستی خور بود آن ای فتا
ورکه خوررا دوست‌دارد اوبجان — دوستی خویش باشد بی گمان ١٠ — خواه‌خودرا دوست‌دارد لعلِ ناب — خواه یا او دوست دارد آفتاب
اندر این‌دو دوستی‌خود فرق‌نیست — هردوجانب جز ضیاء شرق نیست ١١ — تانشد اولعل خودرا[2] دشمن‌است — زانکه یکمن‌نیست اینجا دومن‌است
زانکه‌ظلمانی‌است‌سنگ‌ای‌باحضور[3] — هست ظلمانی حقیقت ضدّ نور ١٢ — خویشتن‌را دوست داردکافراست — زانکه او مناع شمس اکبر است
پس نشاید که بگوید سنگ انا — کو همه تاریکی است اندر فنا ١٣ — گفت فرعونی اناالحق[4] گشت پست — گفت منصوری اناالحق و برست
آن انارا لعنةالله در عقب — وین انا را رحمة الله ای محب ١٤ — زانکه اوسنگ سیه بُد این عقیق — آن عدوی نور بود و این‌عشیق
این انا هو بوددرِ سر ای‌فضول — زاتحاد نور نز رای حلول[5] ١٥ — جهد کن تا سنگیت کمتر شود — تا بلعلی سنگ تو انور شود
صبر کن اندر جهاد و در عنا — دم بدم می بین بقا اندر فنا ١٦ — وصف هستی میرود از پیکرت — وصف مستی میفزاید در سرت
وصف سنگی هرزمان کم میشود — وصفِ لعلی در تو محکم میشود ١٧ — سمع شو یکبارگی تو گوش وار — تا ز حلقهٔ لعل یابی گوشوار
همچو چه‌کن خاك میکن گر کسی — زین تن خاکی که در آبی رسی ١٨ — گر رسد جذبهٔ خدا ماء معین — چاه نا کنده بجوشد از زمین
کارکی میکن تو و کاهل مباش — اندك‌اندك خاك چه را می‌تراش ١٩ — ❀ کارمیکن‌کوش هان ازبهرآب — اندك اندك دورکن خاك وتراب
هر که رنجی بردگنجی شد پدید — هرکه جدّی کرد درجدّی رسید ٢٠ — گفت پیغمبر رکوعست و سجود — بر در حق کوفتن حلقهٔ وجود
حلقهٔ آن در هر آنکو میزند — بهر او دولت سری بیرون‌کند[6] ٢١ — ❀ باز گرد و قصهٔ او بباز گو — تا چه شد حال ایاز نیکخو

آمدن آن امیران تمام غماز نیمشب با سرهنگان بگشادن حجرهٔ ایاز و دیدن چارق و پوستین آویخته وگمان بردن که این مکر است و روپوش وخانه‌راحفره‌کردن بهرگوشهٔ که گمان آمد وچاه‌کنان آوردن و دیوار ها را سوراخ‌کردن وچیزی نیافتن وخجل و نومید شدن چنانکه بدگمانان وخیال اندیشان در کار انبیاء و اولیا که می‌گفتند که ساحرند وخویشتن ساخته اند و تصدر میجویند بعد از تفحص خجل شوند و هیچ سود ندارد ،

آن امیران بر در حجره شدند — طالب گنج زر و خمره بدند[7] ٢٧ — قفل را بر میگشادند از هوس — با دوصد فرهنگ و دانش‌چندکس
زانکه قفل صعب بر پیچیده بود — از میان قفلها بگزیده بود ٢٨ — نی ز بُخل سیم ومال و زرِ خام — از برای کتم آن سرّ از عوام
که گروهی بر خیالی بر تنند — قوم دیگر نام سالوسم کنند ٢٩ — پیش با همت بود اسرارِ جان — از خسان محفوظ تر ازلعلِ کان
زر به از جانست نزد ابلهان — زر تارِ جان بود پیش شهان[8] ٣٠ — میشتابیدند تفت از حرص زر — عقلشان میگفت هان آهسته تر
حرص تازد بیهده سوی سراب — عقل‌گوید نیك بین‌کاین نیست‌آب ٣١ — حرص‌غالب‌بود برزرهمچوجان — نعرهٔ عقل آن زمان پنهان شده
❀ حرص غالب‌بود برزرهمچوجان — گفت این‌است این متاع رایگان ٣٢ — گشته صد تو حرص وغوغاهای او — گشته پنهان حکمت و ایمای او
تا که در چاه غرورِ اندر شود[9] — آنکه ازحکمت ملامت نشنود[10] ٣٣ — چون زبند دام باد[11] او شکست — نفس لوّامه[12] برو یابید دست
تا بدیوار بلا ناید سرش — نشنود پند دل آن گوش کرش ٣٤ — کودکان را حرص لوزینه و شکر — از نصیحتها کند دو گوش کر
چونکه دردِ دنبلش آغاز شد — در نصیحت هردو گوشش بازشد ٣٥ — حجره را با حرص‌وصدگونه هوس — باز کردند آن زمان آن چندکس
اندر افتادند در هم ز ازدحام — همچو اندر دوغ گندیده هوام ٣٦ — عاشقانه در فتد در کبرّ و فر — خوردن امکان نیّ وبسته هردوبر
بنگریدند از یسار و از یمین — چارق بدریده بود و پوستین ٣٧ — جمله‌گفتند اینمکان بی‌پوش[13] نیست — چارق‌اینجا جز بی روپوش نیست
هین بیاور سیخهای تیز را — امتحان کن حفره و کاریز را ٣٨ — هرطرف کندند وجستندآن فریق — حفرها کردند و گوهای عمیق
حفرهاشان بانگ میزد آن زمان — کند های خالئیم ای گندگان ٣٩ — زان سگالش شرم هم میداشتند — کندها مرا باز می انباشتند
❀ باز در دیوار ها سوراخها — همچنین کردند از جهل و عمی ٤٠ — بیعدد لاحول در هر سینهٔ — مانده مرغ حرصشان بی چینهٔ

---

٢ ـ خوررا ٣ ـ وروز کور ٤ـ الله ٧ ـ شدند ٨ ـ نزد مهان ٩ ـ فتد ١٠ ـ بشنود ١١ ـ حبس دام پای ١٣ ـ نوش (ن . ل)

---

(١) حدیث قدسی است حق تعالی بندهٔ خاص را که شیطان را براو تسلطی نیست خطاب کرده میفرماید : ظاهر شو بصفات من بسوی خلق من کسی که دید ترا پس بتحقیق دید مرا و کسی که قصد کرد ترا مرا قصد کرد و همچنین (٥) یعنی چون فنای نمود است در بود و سراب است در آب پنداری بود رفت و ظلمتی بود آفتاب گرفت و حلول اقتضای استقلال محل و غنای او کند و اینجا محل عبارت از مهیت و تعین است که اعتباریست بلکه همه مهیات عوالم وجود وتعینها امور اعتباریست و حقیقت وجود مانند آفتاب عالمتابی که قائم بذاته و عین علم قائم و کمال قائم چون علم عقل کل بذاتش باشد و در همه ساری از همه عاری و مسری فیه این آفتاب چون ظلمات فانیه در ضیاء است (٦) مضمون این‌قولست من دقّ باب‌الکریم انفتح (١٢) نفس لوّامه آنست که بد میکند ولی خودرا هم ملامت می کند بخلاف نفس امّاره ولهذا احترامی دارد وخدا بآن قسم خورده

زان ضلالتهای یاوه تازشان حفرهٔ دیوار و در غمازشان ۱ ممکن اندای آن دیوار نی با ایاز امکان هیچ انکار نی
گر خداع بی گناهی می‌دهند[1] حایط و عرصه گواهی میدهند[1] ۲ ❀جمله در حیلت‌که چه‌عذر آورند تا ازاین‌گرداب جان بیرون برند
❀عاقبت نومید دست و لب‌گزان ۳ دستها برسر زنان همچون زنان

بازگشتن نمامان ازحجرهٔ ایاز بسوی‌شاه توبره تهی وخجل همچون بدگمانان درحق انبیاء علیهم‌السلام در وقت ظهور برائت و پاکی ایشان که یوم تبیضّ وجوه" و تسودّ وجوه" [2] و قوله تری الذین کذبوا علی‌الله وجوههم مسودة [3]

باز گردیدند سوی شهریار پر زگرد و روی زرد وشرمسار ۷ قاصدا شه‌گفت این‌احوال چیست که بغلتان از زر و همیان تهیست
ور نهان کردید دینار و تسو فرّ شادی در رخ و رخسار تو ۸ گرچه پنهان بیخ هربیخ آوراست برک‌سیماهم وجوهما خضر است[4]
آنچه خوردآن بیخ ازهرزهروقند نك منادی میکند شاخ بلند ۹ بیخ گرچه بی بر ازمیوه[5] تهیست برک سبزش برشجرازبهر[6] چیست
بر زبان بیخ گل مُهری نهد[7] شاخ دست و پا گواهی میدهد ۱۰ آن امیران جمله در عذر آمدند همچو سایه پیش مه ساجد شدند
عذر آن گرمیّ ولاف ما و من پیش شه رفتند با تیغ و کفن ۱۱ از خجالت جمله انگشتان گزان[8] هریکی میگفت کای شاه جهان [9]
گر بریزی خون حلالستت حلال ور ببخشی هست انعام و نوال ۱۲ کرده‌ایم آنها که از ما می سزید تا چه فرمائی تو ای شاه مجید
گر ببخشی جرم ما ای دل فروز شب شبیها کرده باشد روز روز ۱۳ گر ببخشی یافت نومیدی گشاد[10] ورنه صد چون ما فدای شاه باد
گفت‌شه[11] نی این نوازواین‌گداز ۱۴ من‌نخواهم کردهست‌این از[12] ایاز

حواله کردن پادشاه قبول توبهٔ نمامان وحجره‌گشایان و سزا دادن ایشان بایاز که یعنی این خیانت برعرض او رفته است

این‌خیانت[13] برتن‌وعرض وی‌است زخم بر رگهای آن نیکو پی‌است ۱۷ گر چه نفس واحدیم ازروی‌جان ظاهرا دوریم ازین سود و زیان
تهمتی بر بنده شه را عار نیست جز مزید حلم و استظهار نیست ۱۸ متهم را شاه چون قارون کند[14] بی گنه را تو نظرکن چون کند
شاه را غافل مدان از کار کس مانع اظهار آن حلمست و بس ۱۹ من هنا یشفع بپیش علم او[15] لا ابالی وار الا حلم او
آن گنه اول ز حلمش میجهد ور نه آن هیبت مجالش کی دهد ۲۰ خونبهای جرم نفس قاتله هست بر حلمش دیت بر عاقله
مست‌و بیخود نفس‌ما زان‌حلم‌بود دیو درمستی کلاه از ما[16] ربود ۲۱ ساقی حلم ار نبودی باده ریز دیو با آدم کجا کردی ستیز
گاه علم آدم ملایك را که بود اوستاد علم[17] و نقاد نقود ۲۲ چونکه در جنت شراب حلم خورد شد زیك بازی شیطان‌روی‌زرد
آن بلادرهای تعلیم ودود زیرك و دانا وچستش کرده بود ۲۳ باز آن افیون حلم سخت او دزد را آورد سوی رخت او
عقل آمد سوی حلمش مستجیر ۲۴ ساقیم تو بودهٔ دستم بگیر

فرمودن شاه ایاز را که اختیار کن از عفو و مکافات که از عدل و لطف هرچه کنی اینجا صوابست و در هریکی مصلحتها ست که در عدل هزار لطف درج است ولکم فی‌القصاص حیوة [18] آنکس که کراهت می دارد قصاص را در این یك حیوة قاتل[19] نظر میکند و در صد هزار حیوة که معصوم و محقون[20] خواهند شدن در حصن بیم سیاست نمی‌نگرد

کن میان مجرمان حکم ای ایاز ای ایاز پاك با صد احتراز ۲۹ گر دو صد بارت بجوشم در عمل در کف جوشت نیابم یك دغل
ز امتحان شرمنده خلقی بیشمار امتحانها کرده ایشان[21] شرمسار ۳۰ بحر بی قعر است تنها علم نیست کوه وصدکوه‌است‌تنها[22] حلم نیست
گفت من دانم عطای تست این ورنه من آن چارقم وآن پوستین ۳۱ بهراین پیغمبرآن را شرح ساخت کانکه[23] خودبشناخت‌یزدان‌را شناخت[24]
چارقت نطفه‌است وخونت‌پوستین باقی‌ای خواجه عطای‌اوست این ۳۲ بهر آن داده‌است تا جوئی دگر تو مگو که نیستش جز این قدر
زان نماید چند سیب آن باغبان تا بدانی نخل و دخل بوستان ۳۳ کف گندم‌زان‌دهد خرکار[25] را تا بداند گندم انبار را
نکتهٔ زان شرح گوید اوستاد تا شناسی علم اورا مستزاد ۳۴ ورتوگوئی خود دمینش بود وبس دورت اندازد چنان کز ریش‌خس
ای ایاز اکنون بیا و داد ده داد نادر در جهان بنیاد نه ۳۵ مجرمانت مستحق کشتن اند وز طمع بر عفو و حلمت می تنند
تا که رحمت غالب آید یا غضب آب کوثر غالب آید یا لهب ۳۶ از پی مردم ربائی هر دو هست شاخ حلم وخشم از روز[26] الست
بهر این لفظ الست مستبین[27] نفی واثبات‌است درلفظی‌قرین[28] ۳۷ زانکه استفهام اثباتست این[29] لیك در وی لفظ لیس شد دفین
ترك کن تا ماند این تقریر خام کاسهٔ خاصان منه در پیش[30] عام ۳۸ اصف‌وقهری چون صباوچون‌وبا آن یکی آهن ربا وین کهربا

---

۱ ـ می کنند ۵ ـ بی‌برک واز مایه ٦ ـ برگهای سبز بر هرشاخ ۸ ـ روی جمله سرخ و زرد ۹ ـ سلطان فرد ۱۰ ـ کشاد ۱۱ ـ نی ۱۲ ـ آن ۱۳ ـ جنایت ۱٦ ـ وی ۱۹ ـ قابل ۲۰ ـ محفوف ـمحفون ۲۱ ـ جمله ازتو ۲۲ ـ این‌خود ۲۳ ـ هرکه ۲۵ ـ یار ـبار ۲٦ ـ عهد ۲۸ ـ دفین ۳۰ ـ بر خوان (ن . ل)

---

(۲) آیه واقعه درسورهٔ آل عمران است یعنی روزی‌که سپیدرو و سیاهرو خواهند شد (۳) آیه واقعه در سورهٔ زمر یعنی در روز رستخیز می بینی کسانی را که دروغ گفتند بر خدای تعالی سیاه رو باشند (٤) اشاره است بآیه واقعه درسورهٔ فتح سیماهم فی‌وجوههم من اثر السجود (۷) اشاره بآیه الیوم نختم علی افواههم وتکلمنا ایدیهم در سورهٔ یس است (۱٤) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ قصص انّ قارون کان من‌قوم موسی فبغی علیهم و آتیناه من الکنوز ما انّ مفاتحه لتنوء بالعصبة اولی القوة (۱۵) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ بقره (آیةالکرسی) من‌ذاالّذی یشفع عنده الا باذنه یعنی کیست آنکه شفاعت کند نزد خدای تعالی مگر باذن او (۱۷) اشاره است به فلمّا انباهم باسمائهم (۱۸) ومر شما راست درحکم قصاص بقا و زندگی (۲٤) من‌عرف نفسه فقد عرف ربه (۲۷) اشاره است بآیه واقعه درسورهٔ اعراف الست بربکم قالوا بلی آیا نیستم پروردگارشما گفتند آری (۲۹) استفهام انکار و دلالت بر نفی میکند و نفی او با نفی درلیس نفی در نفی شود که اثبات باشد

میکشد حق راستان را تا رشد[1] — قسم باطل باطلان را می کشد[2] ۱ معده حلوائی بود حلوا کشد — معده صفرائی بود سرکا[3] کشد
فرش‌سوزان‌سردی ازجانش[4] برد — فرش افسرده حرارت را خورد ۲ دوست بینی از تورحمت می‌جهد — خصم بینی از تو سطوت میجهد
❀ نور بینی روشنی بیرون دهد — نار بینی با دخان ظلمت دهد ۳ ❀خصم‌ویار ونور و ناروفخروعار — تخت‌و دار و بَرد وحارووردوخار
❀ مور ومار وپود وتاروزیروزار ۴ هر یکی با جنس خود برمی‌شمار

تعجیل فرمودن پادشاه ایاز را که زود این حکم را فیصل رسان ومنتظر مدار و ایام بینا مگو که الانتظار موت الاحمر[5] وجواب‌گفتن ایاز شاه را

ای ایاز این کار را زوترگزار — زانکه نوعی ز انتقامست انتظار ۷ گفت ای‌شه جملگی‌فرمان‌تراست — با وجود آفتاب اختر فناست
زهره کبود یا عطارد یا شهاب — کو برون آید به پیش آفتاب ۸ گر ز دلق و پوستین بگذشتمی — کی چنین تخم ملامت کِشتمی
قفل کردن بر درِ حجره چه بود — در میان بد گمانان حسود ۹ دست در کرده درون آبِ جو — هر یکی زیشان کلوخ خشك جو
پس کلوخ خشك در جوکی بود — ماهئی با آب عاصی کی شود ۱۰ بر من مسکین جفا دارند ظن — که وفا را شرم می آید ز من
گر نبودی زحمت نا محرمی — چند حرفی از وفا وا گفتمی ۱۱ چون‌جهان‌پرشبهت‌واشکال‌جوست — حرف می‌رانیم ما بیرون پوست
گر تو خودرا بشکنی مغزی‌شوی — داستانِ مغز نغزی بشنوی ۱۲ جوز را در پوستها آواز هاست — مغزوروغن را خودآوازی‌کجاست
دارد آوازی نه اندرخوردِ گوش — هست آوازش‌نهان درگوش نوش[6] ۱۳ گر نه خوش آوازی مغزی بود — ژغژغ آواز قشری که شنود
ژغژغ آن زان تحمل میکنی ۱۴ تا که خاموشانه بر مغزی زنی

حکایت در تقریر این سخن که چندین گاه گفت وگورا آزمودیم مدتی صبر و خاموشی را بیازمائیم

چندگاهی بی لب وبی گوش شو — وانگهی‌چون لب حریف نوش‌شو ۱۶ ❀چندگاهی بی‌لب و بی‌کام شو — وانگهان چون لب حریف‌جام‌شو
چند گفتی نظم و نثرو رازفاش — خواجه‌یکروزامتحان‌راگوش[7] باش ۱۷ چند پختی تلخ و شور وتیزوگز — هم یکی بار امتحان شیرین بیز
❀چندخوردی‌چرب‌وشیرین‌ازطعام — امتحان کن چند روزی در صیام ۱۸ ❀ چند شبهاخواب راگشتی اسیر — یك شبی بیدار شو دولت بگیر
❀ روزها بردی بسردرهزل‌وجد — روزکی رو جهد را شو مستعد ۱۹ آن یکی را در قیامت ز انتباه[8] — در کف آید نامهٔ عصیان سیاه
سر سیه چون نامهای تعزیه — پر معاصی متن آن[9] با حاشیه ۲۰ جمله فسق ومعصیت آن یك‌سری — همچو دارالحرب پر از کافری
آنچنان نامهٔ پلید و پر وبال — در یمین ناید در آید در شمال ۲۱ خود همینجا نامهٔ خود را ببین — دست چپ را شاید آن یا دریمین
موزهٔ چپ‌کفش‌چپ هم در دکان — آنِ چپ دانیش بیش از امتحان ۲۲ چون نباشی‌راست می‌داں‌که چپی — هست پیدا نعرهٔ شیر و کپی
آنکه گل‌را شاهد وخوش‌بوکند — هر چپی را راست فضلِ او کند ۲۳ هر شمالی را یمینی او دهد — بحر را ماء معینی او دهد
گرچپی با حضرت او راست باش — تا ببینی دست برد لطفهاش ۲۴ تو روا داری که آن نامهٔ مهین — بگذرد از چپ در آید در یمین
این‌چنین نامه‌که پرظلم‌و جفاست ۲۵ کی‌بود خود درخورآن‌دست‌راست

در بیان کسی که سخنی گوید که حال او مناسب آن سخن وآن دعوی نباشد چنانکه کفره ولئن سئلتهم من خلق‌السموات والارض لیقولن‌الله[10] خدمت بت سنگین کردن و جان و زر نثار او نمودن چه مناسب باشد با جانی که داند که خالق سموات و ارضین و خلایق الهیست سمیع و بصیر وحاضر و مراقب و غیور

زاهدی‌را بدیکی زن بس‌غیور[11] — هم‌بداورا یك‌کنیزك همچوحور[12] ۲۹ ❀ زانکه بد زن‌را کنیز مهوشی — در دل زاهد از او بد آتشی
زن ز غیرت پاس شوهر داشتی — با کنیزك خلوتش نگذاشتی ۳۰ مدتی شد زن مراقب هر دو را — تا که شان فرصت نیفتد در خلا
تا درآمد حکم و تقدیر اله — عقل حارس خیره سرگشت وتباه ۳۱ حکم‌و تقدیرش‌چوآید بی‌وقوف[13] — عقل که بود در قمر افتد خسوف
بود در حمام آن زن ناگهان — یادش‌آمد طشت و درخانه بُدآن ۳۲ با کنیزك گفت رو هان مرغ‌وار — طشت را از خانه بر گیر و بیار
آن‌کنیزك زنده‌شد چون‌این‌شنید — که بخواجه این‌زمان‌خواهد رسید ۳۳ خواجه‌درخانه‌است‌وخلوت‌این‌زمان — پس دوان شدسوی خانه شادمان
عشق‌شش‌ساله‌کنیزك‌را بُداین[14] — که بیابد خواجه راخلوت چنین[15] ۳۴ گشت پرّان جانب خانه شتافت — خواجه را در خانهٔ خلوت بیافت
هردوعاشق را چنان شهوت‌ربود — کاحتیاط و یادِ در بستن نبود ۳۵ هر دودرهم وا خزیدند از نشاط — جان بجان پیوست آندم زاختلاط
یاد آمد در زمان زن را که من — چون فرستادم ورا سوی وطن ۳۶ پنبه در آتش نهادم من بخویش — در فکندم من قُبح نر را بمیش
گِل فروشست ازسر وبیخوددوید — در پی او رفت و چادر میکشید ۳۷ آن ز عشق جان دوید واین‌زبیم — عشق کو و بیم کو فرق عظیم
سیرعارف[16] هر دمی تاتخت شاه — سیر زاهد هر مهی یکروزه راه ۳۸ گرچه زاهد رابود روزی شگرف — کی بود یکروز او خمسین‌الف[17]
قدر هر روزی ز عمرِ مرد کار — باشد از سال جهان پنجه هزار ۳۹ عقلها زین سِر بود بیرون در — زهرهٔ وهم ار بدرّد گو بدر
ترس موئی نیست اندرپیشِ عشق — جمله قربانند اندر کیش عشق ۴۰ عشق‌وصف ایزداست اما که‌خوف — وصف بنده مبتلای فرج و جوف

---

۳ ـ سکبا ٤ ـ جالس ٦ ـ هوش ۷ ـ گنگ ۹ ـ نامه و ۱۱ ـ همچو حور ۱۲ ـ رشکناك اندر حق او بس غیور ١٤ ـ بیین ـ همی ۱۵ ـ بود کش یابد چنین خلوت دمی (ن . ل)

---

(۱) صفات حقتعالی لطف و قهر است ❀ رخ و زلف بتان را زان دو بهر است (۲) یعنی قسمت و سهم اهل باطل آنان را جذب میکند ٥ ـ موت احمر یعنی مرگ سرخ که بشمشیر و غیره کشته شده باشد و به خون غرق و سرخ باشد (۸) اشاره به آیه واقعه‌در سورهٔ وانشقت واما من اوتی کتابه وراء ظهره فسوف یدعو ثبورا و یصلی سعیرا (۱۰) این آیه در سورهٔ عنکبوت واقعشده و اگر سؤال کنی از کافران کیست که آفریده آسمانهاو زمین را میگویند خدا (۱۳) صفت عقل است که مقدم داشته شده برآن (۱٦) چه معرفت عیانی وحقی دارد وبغیر حق مطلوبی ندارد (۱۷) اشاره‌است بآیه واقعه درسورهٔ سجده یدبرالامر من‌السماء الی‌الارض ثم یعرج الیه فی یوم کان مقداره خمسین الف سنة مما تعدون حکم میکند میفرستد فرشتگان را از آسمان بسوی زمین پس ببالا میرود روزی که مقدار او پنجاه هزار سال است از شمارهٔ شما

چون یحبون بخواندی از نُبی[1] با یحبهم شو قرین در مطلبی ۱ پس محبت وصف حق دان عشق نیز خوف نبود وصف یزدان ای عزیز
وصف حق کو وصف مشت خاك کو وصف حادث کو و وصف پاك کو ۲ شرح عشق ارمن بگویم بر دوام صد قیامت بگذرد وان نا تمام
زانکه تاریخ قیامت را حد است[3] حدکجا[3] آنجاکه وصف ایزداست[4] ۳ عشق را پانصد پراست وهر پری از فراز عرش تا تحت الثری
زاهد با ترس میتازد بسا عاشقان پر آن تر از برق وهوا[5] ۴ چه مجال باد یا برق ای پسر چونکه او در راه حق بگشاد پر
کی رسند این خائفان درگرد عشق کاسمانرا فرش سازد درد عشق ۵ جز مگر کاید عنایتهای ضو کز جهان و این روش آزاد شو
از فُش خود واز دُش خود باز ره که سوی شه یافت آن شهباز ره ۶ این فُش و دُش هست جبر و اختیار از ورای این دو آمد جذب یار

رسیدن زن بخانه و جدا شدن زاهد از کنیزك

چون رسید آن زن بخانه در گشاد بانگ در درگوش ایشان در فتاد ۸ آن کنیزك جست آشفته ز ساز مرد بر جست و ستاد اندر نماز
زن کنیزك را پژولیده بدید درهم و آشفته و دنگ و مرید ۹ شوی خود را دید قائم در نماز در گمان افتاد و اندر[6] اهتزاز
شوی را بر داشت دامن بیخطر دید آلودهٔ منی خصیه و ذکر ۱۰ از ذکر باقی نطفه میچکید ران و زانو گشته آلوده و پلید
برسرش زد سیلی وگفت ای مهین خصیهٔ مرد نمازی باشد این ۱۱ لایق ذکر و نمازست این ذکر وین چنین ران و زهار پر قذر
نامهٔ پر ظلم و فسق و کفر وکین لایقست انصاف ده اندر یمین ۱۲ گر بپرسی گبر را کاین آسمان[7] آفریدهٔ کیست وین خلق جهان
گوید او کاین آفریدهٔ آن خداست کافرینش بر خدائی اش گواست ۱۳ کفر و ظلم و استم بسیار او هست لایق با چنین اقرار او
هست لایق با چنین اقرار راست آن فضیحتها و آن کردار کاست ۱۴ فعل او کرده دروغ آن قول را تا شد او لایق عذاب هول را
پس دروغ آمد زسر تاپای او که دروغش کرد هم اعضای او ۱۵ روز محشر هر نهان پیدا شود هم زخود هرمجرمی رسوا شود
دست و پا بدهد گواهی با بیان[8] بر فساد او به پیش مستعان ۱۶ دست گوید من چنین دزدیده‌ام[9] لب بگوید من چنین بوسیده‌ام[10]
پای گوید من شدستم تا منی[11] فرج گوید من بکردستم زنا ۱۷ چشم گوید غمزه کردستم حرام گوش گوید چیده ام سوءالکلام
پس دروغ آمد زسر تاپای[12] خویش چون گواهی میدهد اعضا ز پیش ۱۸ آنچنان کاندر نماز با فروغ ازگواهی خصیه شد[13] زرقش دروغ
پس چنان کن فعل کان خود بی زبان باشد اشهد گفتن و عین بیان ۱۹ تا همه تن عضو عضوت ای پسر گفته باشد اشهد اندر نفع و ضر
رفتن بنده پی خواجه گواست که منم محکوم واین مولای ماست ۲۰ گر سیه کردی تو نامهٔ عمرخویش توبه کن زانها که کردستی به پیش
عمر اگر بگذشت ببخش این دم است آب توبه اش ده اگر او بی نم است ۲۱ بیخ عمرت را بده آب حیات تا درخت عمر گردد با ثبات
جمله ماضیها از این نیکو شوند زهر پارینه از این گردد چو قند ۲۲ سیئاتت را مبدل کرده حق[14] تا همه طاعت شوند آن ما سبق

در بیان توبه نصوح که چنانکه شیر از پستان بیرون آید باز بپستان نرود و آنکه توبهٔ نصوح کرد هرگز از آن گناه یاد نکند بطریق رغبت بلکه هردم نفرتش افزون باشد و آن نفرت دلیل آن بود که لذت قبول یافت و آن شهوت اول بی‌لذت شد و این لذت توبه و قبولش بجای او نشست چنانکه فرموده اند نبرّد عشق را جز عشق دیگر ✿ چرا یاری نگیری زو نکوتر ـ وانکه دلش باز بدان گناه رغبت می‌کند علامت آنست که لذت قبول نیافته است و لذت قبول بجای آن لذت گناه ننشسته است سنیسره للیسری نشده است لذت فسنیسره للعسری[15] باقیست بروی

خواجه بر توبهٔ نصوحی خوش بتن[16] کوششی کن هم بجان و هم بتن ۲۹ شرح این توبه نصوح ازمن شنو بگرویدستی ولی از نو گرو
بود مردی پیش ازاین نامش نصوح بد ز دلاکی زنان او را فتوح ۳۰ بود روی او چو رخسار زنان مردی خودرا همی کرد او نهان
او بحمام زنان دلاك بود در دغا و حیله بس چالاك بود ۳۱ سالها میکرد دلاکی و کس بو نبرد ازحال وسر آن هوس[17]
زآنکه آواز ورخش زن واربود لیك شهوت کامل و بیدار بود ۳۲ چادر و سر بند پوشید و نقاب مرد شهوانی و در غرهٔ شباب
دختران خسروان را زین طریق خوش همی مالید و می شست آن عشیق ۳۳ توبها میکرد و پا در میکشید نفس کافر توبه اش را میدرید
رفت پیش عارفی آن زشت کار گفت ما را در دعائی یاد آر ۳۴ سرّ او دانست آن آزاد مرد لیك چون حلم خدا پیدا نکرد
بر لبش قفلست و در دل رازها لب خموش و دل پر از آواز ها ۳۵ عارفان که جام حق نوشیده اند راز ها دانسته و پوشیده اند
هرکرا اسرار حق[18] آموختند[19] مُهر کردند و دهانش دوختند ۳۶ سست خندید و بگفت ای بد نهاد زانکه دانی ایزدت توبه دهاد
آن دعا ازهفت گردون درگذشت ۳۷ کار آن مسکین بآخر خوب گشت

---

۲ ـ راست حد ٤ ـ حد ندارد راه در وصف احد ٥ ـ بادصبا ٦ ـ زن زان ٩ ـ بدزدیدم چنین ١٠ ـ چنان گفتم یقین ١٢ ـ دروغش کرد هم اعضای ١٣ ـ ذکر ١٧ ـ حالت آن بوالهوس ١٨ ـ کار (ن . ل)

---

(۱) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ مائده است یحبهم ویحبونه اذلة علی المؤمنین اعزة علی الکافرین (۳) یعنی سیر الی الله را نهایت است و سیر فی الله بی نهایت است و سیر فی الله تخلق باخلاق الله است (۷) اشاره است بآیه و لئن سئلتهم که گذشت (۸) و تکلمنا ایدیهم و تشهد ارجلهم بما کانوا یکسبون (سورهٔ یس) (۱۱) یعنی رفته ام بسوی آرزوهای باطله (۱٤) اقتباس ازآیه واقعه در سورهٔ فرقان فاولئك یبدل الله سیآتهم حسنات و کان الله غفورا رحیما پس بدل میکند خدا گناهان ایشان را بنیکوئیهای ایشان یعنی سوابق معاصی را بتوبه محو میکند و لواحق طاعات را بجای آن ثبت مینماید وهست خدا آمرزندهٔ گناهکاران بتوبه مهربان برایشان باثبات توبه در دل ایشان (۱٥) اشاره است بآیه واقعه درسورهٔ واللیل فاما من اعطی واتقی وصدّق بالحسنی فسنیسره للیسری و امّا من بخل و استغنی و کذب بالحسنی فسنیسره للعسری پس هر که مال خود را در راه خدا داد و پرهیز کرد ازشرك و کبائر و تصدیق نمود کلمهٔ نیکو را پس زود باشد که آسانی وراحتی بدهیم اورا بطریقهٔ نیکو که سبب آسانی وراحت او باشد واما کسی که بخل کرد بمال خود یا گفتن کلمهٔ توحید وتکذیب کرد خصلت نیکوتر را پس مهیا گردانیم اورا برای دشواری و محنت (۱٦) خوش سعی وکوشش نما (۱۹) من عرف الله کلّ لسانه

در بیان آنکه دعای عارف واصل ودرخواست او از حق همچو درخواست حقّست ازخویشتن که کنتُ له سمعاً و بصراً ولساناً ویداً وقوله تعالی و مارمیت اذرمیت ولکن‌الله رمی وآیات واخبار وآثار درین بسیارست و شرح سبب سازی حق تا مجرم را گوش‌گرفته بتوبهٔ نصوح آورد

کان‌دعای شیخ نی‌چون‌هردعاست — فانی است وگفتِ اوگفت خداست ٤
چون خدا ازخود سؤال وکدکند — پس دعای خویش راچون ردکند
یك سبب انگیخت صنع ذوالجلال — که رهانیدش ز نفرین و وبال ٥
اندر آن حمام پر میکرد طشت — گوهری از دختر شه یاوه گشت
گوهری از حلقهای گوش او — یاوه گشت و هرزنی درجست وجو ٦
پس در حمام پر بستند سخت — تا بجویند اول اندر پیچ رخت
رختها جستند وآن پیدا نشد — دزدِ گوهر نیز هم رسوا نشد ٧
پس بجد جستن گرفتند ازگزاف — در دهان وگوش واندر هرشکاف
درشکاف فوق و تحت‌وهرطرف — جست وجوکردند دُرّ ازدرصدف ٨
بانگ آمد که همه عریان شوند[1] — هرکه هستند از عجوز واز لوند[2]
یك بیك را حاجبه جستن گرفت — تا پدید آید گهر بنگر[3] شگفت ٩
آن نصوح ازترس شد درخلوتی — روی زرد و لب مکبود از خشیتی
پیش چشم خویشتن میدید مرگ — سخت میلرزید برخود همچوبرگ ١٠
گفت یارب بارها برگشته ام[4] — توبها و عذرها بشکسته ام
کرده ام آنها که از من میسزید — نوبت جستن اگر در من رسد ١١
وه که جان من چه سختیها کشد — دامن رحمت گرفتم داد داد
در جگر افتاده استم صد شرر — این چنین اندوه کافر را مباد ١٢
که ز هر سوراخ مارم میگزد — کاشکی مادر نزادی مر مرا
در مناجاتم ببین بوی[6] جگر — ای خدا آن کن که از تومیسزد ١٣
پادشاهی کن مرا فریاد رس — جان سنگین دارم و دل آهنین
یا مرا شیری بخوردی در چرا — وقت تنگ آمد مرا و یك نفس ١٤
تا ببندم بهر توبه صد کمر — گر مرا این بار ستاری کنی
ورنه خون‌گشتی‌دراین درد[7]وحنین — توبه ام بپذیر این بار دگر ١٥
کاندر افتادم بجلاّد و عوان — من اگر این بار تقصیری کنم
توبه کردم من ز هر ناکردنی — او همی زارید وصد قطره‌روان ١٦
روی عزرائیل دیده پیش پیش — تا نمیرد هیچ افرنگی چنین
پس دگر مشنو دعا و گفتنم — نوحها میکرد او بر جان خویش ١٧
هیچ ملحد را مبادا این حنین — کان درو دیوار با اوگشت جفت ١٨
ای خدا وای خدا چندان بگفت

نوبت جستن رسیدن بنصوح وآوازآمدن که همه را جستیم نصوح را بجوئید و بیهوش شدن نصوح از آن هیبت و گشاده شدن کار بعد از نهایت بستگی کما قال رسول‌الله صلی‌الله علیه وآله و سلم اذا اصابه مرض او هم اشتدّی ازمة تنفرجی[8]

در میان یارب و یارب بُد او — بانگ آمد از میان جست و جو ٢٢
جمله را جستیم پیش آ ای نصوح — گشت بیهوش‌آن زمان پرّید روح
همچو دیواری شکسته در فتاد — هوش‌وعقلش‌رفت‌وشد همچون‌جماد ٢٣
چونکه هوشش‌رفت ازتن‌آن زمان — سرّ او با حق بپیوست ازنهان[9]
چون تهی‌گشت وخودیّ او نماند — بازِ جانش‌را خدا در پیش خواند ٢٤
چون شکست‌آن کشتی او بیمراد — در کنار رحمت دریا فتاد
جان بحق پیوست چون بیهوش‌شد — موج[10] رحمت‌آن‌زمان درجوش‌شد ٢٥
چونکه جانش وارهید ازتنگِ تن — رفت شادان پیش اصل خویشتن
جان چو بازوش مراورا کندهٔ[11] — پای بسته پر شکسته بندهٔ ٢٦
چونکه هوشش‌رفت وپایش‌برگشاد — می‌پرد آن باز سوی کی‌قباد
چونکه دریاهای رحمت جوش‌کرد — سنگها هم آبِ حیوان نوش کرد ٢٧
ذرّهٔ لاغر شگرف و زفت شد — فرش خاکی اطلس وزربفت شد
مردهٔ صد ساله بیرون شد زگور — دیوملعون‌شد بخوبی رشك حور[12] ٢٨
این‌همه[13] روی زمین سرسبزشد — شاخ خشك اشکوفه کرد وگبز شد
گرگ با برّه حریف می شده — ناامیدان خوش‌رگ وخوش‌پی شده ٢٩

یافته شدن گوهر وحلالی خواستن حاجبان وکنیزکان شاهزاده از نصوح

بانگ آمد ناگهان که رفت بیم — شد پدید آن گمشده دُرّ یتیم[14] ٣١
بعد آن خوفی هلاك جان بُده — مژده‌ها آمد که اینك گم شده
یافت شد واندر فرح[15] در تافتیم — مژدگانی ده که گوهر یافتیم ٣٢
از غریو و نعره و دستك زدن — پر شده حمام قد زال الحزن[16]
آن نصوح رفته بازآمد بخویش — دید چشمش تابش صدروزه بیش ٣٣
می‌حلالی خواست ازوی هرکسی — بوسه میدادند بر دستش بسی
بد گمان بردیم مارا کن حلال — لحم تو خوردیم اندرقیل وقال[17] ٣٤
زانکه ظنّ جمله بروی بیش بود — زانکه در قربت زجمله پیش بود
خاصّ دلاکش بد و محرم نصوح — بلکه همچون دوتنی یك‌گشته‌روح ٣٥
گوهر اربرده‌است او بردست وبس — زو ملازم تر بخاتون نیست کس
اوّل اورا خواست جستن درنبرد — بهر حرمت داشتش تأخیر کرد ٣٦
تا بود کآنرا بیندازد بجا — اندرین مهلت رهاند خویش را
بس حلالیها از او میخواستند — وز برای عذر بر میخاستند ٣٧
گفت بُد فضل خدای دادگر — ورنه زانجم گفته شد هستم بتر
چه حلالی خواست می‌باید ز من — که منم مجرم تر اهل زمن ٣٨
آنچه گفتندم ز بد ازصد یکیست — برمن‌این‌کشفست ارکس‌را شکیست
کس چه میداند زمن جز اندکی — از هزاران جرم و بد فعلی یکی ٣٩
من همی دانم و آن ستّار من — جرمها و زشتی کردار من
اوّل ابلیسی مرا استاد بود — بعد از آن ابلیس پیشم باد بود ٤٠
حق[18] بدید آن جمله‌را نادیده‌کرد — تا نگردم در فضیحت روی زرد

---

١ ـ شوید ٢ ـ هستید ار عجوز و گر نوید ٣ ـ دانهٔ ٤ ـ من غرق غم ٥ ـ تهدید ٦ ـ خوف ـ خون ٧ ـ رنج ١٠ ـ بحر ١٢ ـ شد فرشته دیو و بینا گشت کور ١٣ ـ جملگی ١٤ ـ شد بدل با لطف آن قهر عظیم ١٥ ـ حزن شد و اندر فرج ١٨ ـ خود ـ چون (ن . ل)

---

(٨) رسول خدا میفرماید چون برسد آدمی‌را مرض یا محنت وشدتی وسخت شود سال قحط خود بخود گشاده شود ازآنکه چون‌محنت بکمال رسد البته فرح و بهجت روی میدهد چه هر کمال را زوالیست و هر زوال را انجامی وانصرامی و میگویند که چون شدت پی در پی آید گشاده‌گردد و دور شود و چون متوالی گردد رو بگرداند (٩) گاه بیخودی بتجلی جمالی دست دهد گاهی بتجلی جلالی و بصفةالقهر و مرادش از رحمت رحیمیه است چه تائب شد نه رحمانیه که وسعت کل شیٔ (١١) جان آدمی حکم باز دارد وتن آدمی مثل کنده یعنی قید در حق‌آن باز جانست چون کندهٔ تن شکسته شود باز جان خلاص میگردد (١٦) اندوه زائل گشت (١٧) اشاره است به ولا یغتب بعضکم بعضاً ایحب احدکم ان یأکل لحم اخیه میتاً یعنی غیبت نکنید بعضی از شما مر بعضی را آیا دوست میدارد یکی از شماها که بخورد گوشت برادر مردهٔ خودرا

باز رحمت پوستین دوزیم کرد — توبهٔ شیرین چو جان روزیم کرد ۱ هرچه کردم جمله نا کرده گرفت — طاعت ناورده آورده گرفت
همچو سرو و سوسنم آزاد کرد — همچو بخت و دولتم دلشاد کرد ۲ نام من در نامهٔ پاکان نوشت[1] — دوزخی بودم ببخشیدم بهشت
عفو کرد آنجملگی جرم وگناه — شد سفید آن نامه وروی سیاه ۳ آه کردم چون رسن شد آه من — گشت آویزان رسن درچاه من
آن رسن بگرفتم و بیرون شدم — شاد و زفت وفربه وگلگون شدم ٤ در بن چاهی همی بودم اسیر[2] — روز وشب اندرفغان ودر نفیر
از هوس در تنگنا بودم زبون — در همه عالم نمی گنجم کنون ٥ آفرینها بر تو بادا ای خدا — ناگهان کردی مرا ازغم جدا
گر سر هر موی من یابد[3] زبان — شکر های تو نیاید در بیان ٦ می‌زنم نعره دراین روضه وعیون — خلق را یالیت قومی یعلمون[4]

باز خواندن شاه زاده نصوح را از بهر دلاکی بعد از استحکام توبه و قبول توبه و بهانه‌کردن او و دفع‌گفتن و نرفتن

بعد ازآن آمد کسی کز مرحمت — دختر سلطان ما میخواندت ۹ دختر شاهت همی خواند بیا — تا سرش شوئی کنون ای پارسا
جز تو دلاکی نمیخواهد دلش — که بمالد یا بشوید با گلش ۱۰ گفت رو رودست من بی‌کار شد — وین نصوح تو کنون بیمار شد
روکسی دیگر بجو اشتاب و تفت — که مرا والله دست از کار رفت ۱۱ با دل خودگفت کزحد رفت جرم — از دل من کی رود آن ترس و گرم
من بمردم یك ره و باز آمدم — من چشیدم تلخی مرگ و عدم ۱۲ توبهٔ کردم حقیقت با خدا — نشکنم تا جان شود از تن جدا
بعد از این محنت کرا بار دگر — ۱۳ پا رود سوی خطر الا که خر

در بیان آنکه کسی توبه کند و پشیمان شود و باز آن پشیمانی را فراموش کند و آزموده را بیازماید در خسارت ابد افتد که من جرّب المجرّب حلّت به الندامة وچون توبه اورا ثباتی و قوتی وحلاوتی و قبولی مدد از حق نرسد چون درخت بی بیخ هر روز زردتر و خشك تر بود نعوذ بالله

گازری بود و مراورا یك خری — پشت ریش‌اشکم تهی تن لاغری ۱۷ در میان سنگلاخی بی گیاه — روز تا شب بی نوا و بی پناه
بهر خوردن غیر آب آنجا نبود — روز وشب خربد درآن کور وکبود ۱۸ آن حوالی نیستان و بیشه بود — شیری آنجا بود وصیدش پیشه بود
شیر را با پیل نر جنگی فتاد — خسته شد آن شیر وماند ازاصطیاد ۱۹ مدّتی واماند زان ضعف ازشکار — بینوا ماندند دداز چاشت خوار
زانکه باقی خوارشیر ایشان بدند — شیر چون رنجورشد تنگ‌آمدند[5] ۲۰ شیر یك روباه را فرمود رو — مر خری‌را بهر من صیاد شو
گر خری یابی بگرد مرغزار — رو فسونش خوان فریبانش بیار ۲۱ یا خری یا گاو بهر من بجو — زان فسونهائی که می دانی بگو
چون بیابم قوّتی از لحم خر — پس بگیرم بعدازآن صیدی دگر ۲۲ اندکی من میخورم باقی شما — من سبب باشم شما را در نوا
از فسون[6] وازسخنهای خوشش — ۲۳ نرم گردان زودتر اینجا کشش

تشبیه‌کردن قطب که عارف واصل است در اجری دادن خلق از قوت رحمت و مغفرت بر مراتبی که حقش الهام دهد و تمثیل اجری خوارکه ددان باقی خوار وبند برمراتب قرب ایشان بشیر نه قرب مکانی بلکه قرب صفتی و تفاصیل این بسیار است والله الهادی

قطب شیر و صید کردن کار او — باقیان این خلق باقی خوار او ۲۷ تا توانی در رضای قطب کوش — تا قوی گردد کند صید وحوش[7]
چون برنجد بی نوا مانند[8] خلق — کزکف‌قطبست[9] چندین‌رزق‌حلق[10] ۲۸ زانکه‌وجد[11] خلق‌باقی‌خوارا‌وست — این‌نگهدار ار دل‌تو صید جوست
اوچوعقل وخلق‌چون اعضای[12] تن — بستهٔ عقلست تدبیر بدن ۲۹ ضعف‌قطب‌ازتن بود ازروح نی — ضعف در کشتی بود در نوح نبی
قطب آن باشد که گرد خود تند — گردش افلاك گرد او بود[13] ۳۰ یارئی ده در مرمّهٔ کشتی اش — گر غلام خاص و بنده کشتی‌اش[14]
یاریت در تو فزاید نی در او — گفت حق‌ان تنصروا‌الله ینصروا[15] ۳۱ همچو روبه صیدگیر وکن فدیش — تا هزاران درعوض‌گیری تربیش[16]
روبهانه باشد آن صید مرید — مرده گیرد صید کفتار مرید[17] ۳۲ مرده پیش او کشی زنده شود — چرك در پالیز رونده شود
گفت روبه شیر را خدمت کنم — حیلها سازم ز عقلش برکنم ۳۳ حیله وافسون‌گری کار من است — کارمن دستان و از ره بردنست
از سرکه جانب جو میشتافت — آن خر مسکین لاغر را بیافت ۳٤ پس سلامی‌گرم کرد و پیش رفت — پیش آن ساده دل درویش رفت
گفت چونی اندراین‌صحرای‌خشك — در میان سنگلاخ وجای خشك ۳٥ گفت خر گر در غمم ور در ارم — قسمتم حق کرد ومن زان شاکرم
شکرگویم دوست را درخیر وشر — زانکه هست اندر قضا از بد بتر ۳٦ چون‌که قسّام اوست کفر آمدگله[18] — صبر باید صبر مفتاح الصله[19]
باز گفت الصبر مفتاح الفرج — صابران‌را کی رسد جور و حرج ۳۷ راضیم من قسمت قسّام را[20] — کو خداوند است خاص و عام را

---

۲ ـ زبون ۳ ـ گردد ٥ ـ مجزون شدند ٦ ـ فسونها ۷ ـ درصید جوش ۸ ـ گردند ۹ ـ عقلست ۱۱ ـ جمله ۱۲ ـ اجزای ۱۳ ـ زند ۱٦ ـ تا عوض گیری هزاران صید بیش (ن . ل)

---

(۱) اشاره است بحدیث‌التائب من‌الذنب کمن لاذنب له (٤) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ یس یالیت قومی یعلمون بما غفرلی ربی و جعلنی من‌المکرمین یعنی ای‌کاش میدانستند قوم من آنکه آمرزید مرا پروردگارمن وگردانید مرا از گرامی داشته شدگان (۱۰) مراد آنست که ارزاق از حق بوساطت میکائیل میرسد ولی قطب را در مقامی اتحاد با اوست چنانکه نفس مجرّده علامه بعقل فعال اتحاد دارد در نزد حکما یا اینکه خلق از فضلهٔ عقل روزی میابند (۱٤) در مرمت کشتی صاحب کمال یاری ومدد نمای اگر غلام خاص و بندهٔ او کشتهٔ که در یاری او فایده تو خواهد بود (۱٥) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ محمد ان تنصروا الله ینصرکم ویثبت اقدامکم یعنی اگر یاری کنید خدارا شمارا یاری میکند وپایدار مینماید قدمهای شمارا (۱۷) مرید که صید نزد پیراء ومثل آن روباه است که بظاهر جهت شیرسعی میکند و در باطن عین فایده روباه است که فضلهٔ شیر بکار روباه و شغال و غیرهما می‌آید (۱۸) اشاره است بمضمون آیه نحن قسمنا بینکم معیشتکم (۱۹) یعنی بردباری کنید بخشش است (۲۰) صبر مقامیست دون از رضا و رضا دون از شکر چه صبر با کراهتی است و بتکلف خودرا وامیدارد بر قبول و تحمل مکروه و رضا با استواء اوست شکر با ثناء وترجیح چنانکه عارفی فرماید ای درویش هرچه آید خوش آید و تا توانی برمکروه شاکر باش واگر نتوانی راضی واگر نتوانی باری صابرباش که پائین تر ازاین کفر است واینجا بهر سه اشارت فرمود

۱ ❀ بهره‌ور از نعمت او خاص و عام — میرساند روزی وحش و هوام
۲ ❀ مرغ و ماهی قسمت خود میخورند — مور و مار از نعمت او میچرند
۳ ❀ خوان او سر تاسر عالم گرفت — بر سرخوانش خلایق در شگفت
۴ ❀ میخورند وهیچ کم ناید از آن — کیست بیروزی بگو اندر جهان
۵ ❀ باش راضی گر توئی دل زندهٔ — کو رساند روزی هر بندهٔ
۶ غیرحق جمله عدو و دوست اوست — باعدو و ازدوست لی شکوه نکوست
۷ تا دهد دوغم نخواهم انگبین — زانکه هر نعمت غمی دارد قرین
۸ ❀ شکر کن تا نایدت از بد بتر — ورنه مانی ناگهان درگل چو خر
۹ ❀ گنج بی مار وگل بی خار نیست — شادی بیغم در این بازار نیست

دیدن خر سقائی اسبان بانوای تازی را برآخر خاص و تمنا بردن آن دولت را در موعظه آنکه تمنا نباید بردن الا مغفرت و عنایت که اگر در صدگونه رنجی چون لذت مغفرت بود همه شیرین شود باقی هر دولتی که آن را ناآزموده تمنا می بری با آن رنجی قرینست که آن را نمی‌بینی ، چنانکه از هردامی دانه پیدا بود وفخ پنهان ، تو درین یك دام ماندهٔ تمنی می‌بری که کاشکی با آن دانها رفتمی ، پنداری که آن دانها بی دامست

۱۰ ❀ یك حکایت یاد دارم از پدر — درنصیحت گفت روزی کای پسر
۱۱ بود سقائی مر اورا یك خری — گشته ازمحنت دو تا چون چنبری
۱۲ پشتش ازبارگران ده جای ریش — عاشق وجویان روز مرگ خویش
۱۳ جوکجا ازکام خشك او سبر نی — در عقب زخمی ز سیخ آهنی
۱۴ میر آخور دید اورا رحم کرد — کاشنای صاحب خر بود مرد
۱۵ پس سلامش کرد و پرسیدش زحال — کزچه این خرشد دوتاهمچون هلال[1]
۱۶ گفت کز درویشی و تقصیر من — که نمی یابد چو این بسته دهن
۱۷ گفت بسپارش بمن تو روز چند — تا شود در آخور شه زورمند
۱۸ خر بدو بسپرد و از زحمت برست — در میان آخور سلطانش بست
۱۹ خر ز هرسو مرکب تازی بدید — بانوا و فربه و خوب و جدید
۲۰ زیر پاشان رفته و آبی زده — که بوقت و جو بهنگام آمده
۲۱ خارش و مالش مراسبان‌را بدید — پوز بالا کرد کای رب مجید
۲۲ نی که مخلوق توام گیرم خرم — ازچه زار و پشت ریش ولاغرم
۲۳ شب ز درد پشت واز جوع شکم — آرزومندم بمردن دم بدم
۲۴ حال این اسبان چنین خوش بانوا — من چه مخصوصم بتعذیب و بلا
۲۵ ناگهان آوازهٔ پیکار شد — تازیان را وقت زین و کار شد
۲۶ زخمهای تیر خوردند از عدو — رفت پیکانها در ایشان سو بسو
۲۷ از غزا باز آمدند آن تازیان — اندر آخر جمله افتاده ستان
۲۸ پایهاشان بسته محکم با نوار — نعل بندان ایستاده بر قطار
۲۹ می شکافیدند تنهاشان بنیش — تا برون آرند پیکانها ز ریش
۳۰ چون خرآن‌رادید پس گفت ای خدا — من بفقر و عافیت دادم رضا
۳۱ زان نوا بیزارم وزین زخم زشت — هرکه خواهد عافیت دنیا بهشت

جواب دادن روباه خر را

۳۲ گفت روبه جستن رزق حلال — فرض باشد از برای امتثال
۳۳ عالم اسباب و رزق بی سبب — می نیاید پس مهم باشد طلب
۳۴ وابتغوا من فضل‌الله است امر[2] — تا نباید غصب کردن همچو نمر
۳۵ گفت پیغمبر که بررزق ای فتی — در فروبستست و بر در قفلها
۳۶ جنبش و آمد شد ما واکتساب — هست مفتاحی برآن قفل وحجاب
۳۷ بی کلید این در گشادن راه نیست — بی طلب نان سنت الله نیست
۳۸ ❀ گرتو بنشینی بچاهی اندرون — رزق کی آید برت ای ذوفنون[3]

جواب دادن خر روباه را که امراست باکتساب و رضا بقسمت ترك کسب نیست

۳۹ گفت خر[4] ضعف توکل باشد آن — ورنه بدهد نان کسی کو داد جان
۴۰ هرکه جوید پادشاهی و ظفر — کم نیاید لقمهٔ نان ای پسر
۴۱ دام و دد جمله شده اکال رزق — نی پی کسبند و نی حمال رزق
۴۲ جمله را رزاق روزی میدهد — قسمت هریك بیشش مینهد
۴۳ رزق آید پیش هرکه صبر جست — رنج وکوششها زبی صبری تست

جواب گفتن روباه خر را

۴۴ گفت روبه آن توکل[5] نادر است — کم کسی اندر توکل ماهر است
۴۵ گرد نادر گشتن از نادانی است — هرکسی را کی ره سلطانی است
۴۶ چون قناعت را پیمبر گنج گفت[6] — هرکسی را کی رسد گنج نهفت
۴۷ حد خود بشناس و بر بالا مپر — تا نیفتی در نشیب شور و شر
۴۸ ❀ جهدکن واندرطلب سعیی نما — چون نداری در توکل صبر ها

باز جواب خر روباه را

۴۹ گفت خر معکوس میگوئی بدان — شور وشر ازطمع آید سوی جان
۵۰ از قناعت هیچکس بیجان نشد — وز حریصی هیچکس سلطان نشد
۵۱ نان زخوکان وسگان نبود دریغ — کسب مردم نیست این باران ومیغ
۵۲ وانچنانکه عاشقی بررزق زار — هست عاشق رزق هم بررزق خوار
۵۳ گر تو نشتابی بیاید بر درت[7] — ور تو بشتابی دهد درد سرت

---

۱ ـ دال ٤ ـ از ۷ ـ در برت (ن . ل)

---

(۲) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ جمعه وابتغوا من فضل‌الله و اذکروا الله کثیرا لعلکم تفلحون یعنی طلب کنید از فضل خدا و یاد کنید خدارا بسیار شاید رستگار شوید (۳) رزق بهمه در همه جا بیاید ولی تنگی گاه گاهی حکمتها دارد مثل صفای نفس وصبر و شکر و مجاهده و تنظیم و تنسیق نظام کلی نیز پس رزق روح را نیز باید بدهد و جمع بین‌الحقین بفرماید وکل را بکمال برساند وچنانکه اجود من کل جواد و ارحم من کل‌رحیم واغنی من کل غنی است احکم من کل حکیم است پس رحمتها همه رحمت است و کسبها همه عبادت تکوینی است بلکه تکلیفی (۵) توکل واگذاشتن امر است بمالك ملك وجود و بعبارت دیگر اورا وکیل گرفتن در همهٔ امور فاتخذه وکیلاً وتوکل نه آنست که کسب وکار نکند بلکه کار نبیند وکار ساز ببیند واسباب را بسوزاند و همه جا قدرت او بلکه او بیند پس نباید ترك عمل‌کرد بلکه باید عمل را ندید (٦) القناعة کنز لا ینفد

در تقریر معنی توکل حکایت آن زاهد که توکل را امتحان میکرد و ازاسباب منقطع شد واز شهر بیرون آمد ازشوارع دور ودربن کوهی مهجور سر برسرسنگی نهاد وگفت توکل کردم برسبب سازی ورزاقی تو و از اسباب منقطع شدم تا ببینم سببیت توکل را

آن یکی زاهد شنید از مصطفی / که یقین آید بجان رزق از خدا ٤ / گر توخواهی ورنخواهی رزق تو / پیش تو آید دوان از عشق تو
از برای امتحان این مرد رفت / در بیابان نزد کوهی خفت تفت ٥ / که ببینم رزق چون آید بمن / تا قوی گردد مرا در رزق ظن
کاروانی راه گم کرد و کشید / سوی کوه آن ممتحن را خفته دید ٦ / گفت این مرد آن طرف چون است عور / در بیابان از ره و از شهر دور
ای عجب مرده است یا زنده است او / می نترسد هیچ از گرگ و عدو ٧ / آمدند و دست بروی میزدند / قاصدا چیزی نگفت آن ارجمند
هم نجنبید و نجنبانید سر / وانکرد از امتحان هیچ او بصر ٨ / پس بگفتند این ضعیف بی مراد / از مجاعت سکته اندر وی فتاد
نان بیاوردند و در دیگی طعام / تا بریزندش بحلقوم و بکام ٩ / ❁پس بقاصد مرد دندان سخت کرد[1] / تا بداند صدق آن میعاد مرد
❁رحمشان آمد که اوبس بینواست / وز مجاعت هالك مرگ و فناست ١٠ / کارد آوردند و قوم اشتافتند / بسته دندانهاش را بشکافتند
ریختند اندر دهانش شور با / می فشردند اندر آن نان پارها ١١ / گفت ای دل گرچه خود تن میزنی / راز مبدانی و نازی[2] میکنی
گفت دل دانم بقاصد می کنم[3] / رازق است الله بر جان و تنم ١٢ / امتحان زین بیشتر خود چون بود / رزق سوی صابران خود میرود
❁ تا بدانی واز توکل نگذری / حرص آوردن چه باشد ازخری ١٣ / ❁بعد ازان بگشاد آن مسکین دهن / گفت کردم امتحان رزق من
❁هرچه گفتست آن رسول پاك جیب / هست حق و نیست دروی هیچ ریب ١٤

باز جواب روباه خر را و تحریض کردن بکسب

گفت روبه این حکایتها بهل / دستها در کسب زن جهد العقل ١٦ / دست دادستت خدا کاری بکن / مکسبی کن یاری یاری بکن
هرکه او در مکسبی پا می نهد / یاری یاران دیگر می کند[4] ١٧ / زانکه جمله کسب ناید از یکی / هم درو گر هم[5] سقاهم حایکی[6]
چون بانبازیست عالم بر قرار / هرکسی کاری گزیند زافتقار ١٨ / طبل خواری در میانه شرط نیست / راه سنت کار و مکسب کردنیست

جواب گفتن خر روباه را که توکل بهترین کسبهاست که هرکسبی[7] محتاجست بتوکل که ای خدا این کار مرا راست دار ودعا متضمن توکلست وتوکل کسبی است که بهیچ کسبی دیگر محتاج نیست الی آخره

گفت خر به از[8] توکل بر ربی / می ندانم در دو عالم مکسبی ٢١ / کسب شکرش را نمی دانم ندید[9] / تا کند شکر خدا رزق و مزید
❁ خود توکل بهترین کسبهاست / زانکه درهر کسب دستت برخداست[10] ٢٢ / ❁کای خدا کارمرا تو راست آر / وین دعا هست ازتوکل درسرآر[11]
❁در توکل هیچ نبود احتیاج / فارغی از نقص ربح واز خراج ٢٣ / بحثشان بسیار شد اندر خطاب / مانده گشتند از سؤال واز جواب
بعدازآن گفتش بدان در مهلکه / نهی لاتلقوا بیدی تهلکه[12] ٢٤ / صبر در صحرای خشك وسنگلاخ / احمقی باشد جهان حق فراخ
نقل کن زینجا بسوی مرغزار / میچر آنجا سبزه گرد جویبار ٢٥ / مرغزاری سبز مانند جنان / سبزه رسته اندر آنجا تا میان
خرم آن حیوان که او آنجا رود / کاشتر اندر سبزه ناپیدا بود ٢٦ / هرطرف دروی یکی چشمه روان / اندرآن حیوان مرفه در امان
ازخری اورا نمی گفت ای لعین / چون توزانجائی چرا زاری چنین ٢٧ / کو نشاط[13] و فربهی و فر تو / چیست این لاغر تن مضطر تو
شرح روضه گردروغ وزور نیست[14] / پس چرا چشمت ازآن مخمور[15] نیست ٢٨ / این گدا چشمی و این نا دیدگی / از گدائی تست نز بیگلربگی
چون زچشمه آمدی چونی توخشك / گر تو ناف آهوئی کو بوی مشك ٢٩ / ❁ گر تو میآئی ز گلزار جنان / دسته گل کو از برای ارمغان
ز آنچه میگوئی و شرحش میکنی ٣٠ / چه نشانه در تو ماند ای سنی[16]

مثل آوردن اشتر در بیان آنکه در مُخبر دولتی فرّ واثرآن چون نبینی جای متهم داشتن باشد که او مقلدست در آن

آن یکی پرسید اشتر را که هی / از کجا میآئی ای اقبال پی ٣٣ / گفت از حمام گرم کوی تو / گفت خود پیداست در زانوی تو
مار موسی دید فرعون عنود / مهلتی میخواست نرمی مینمود ٣٤ / زیرکان گفتند بایستی که این / تندتر گشتی چوهست او ربّ دین
معجزه گر اژدها گر مار بُد / نخوت و خشم خدائی اش چه شد ٣٥ / ربّ اعلی گر ویست اندر جلوس / بهر یك کرمی چیست این[17] چاپلوس
نفس تو تا مست نُقلست و نبید / دانکه روحت خوشهٔ غیبی ندید[18] ٣٦ / که علاماتست زان دیدار نور / التجا فی مِنك عَنّ دارالغرور[19]
مرغ چون برآب شوری می تند / آب شیرین را ندیدست او مدد ٣٧ / بلکه تقلیدست آن ایمان او / روی ایمان را ندیده جان او
پس خطر باشد مقلّد را عظیم[20] / از ره و رهزن ز شیطان رجیم ٣٨ / چون ببیند نور حق ایمن شود / زاضطرابات شك او ساکن شود

---

٢ ـ بازی ٣ ـ ولی تن میزنم ٤ ـ دهد ٦ ـ هم زراعت هم تجارت بی شکی ٧ ـ کسی ٨ ـ من جز از ٩ ـ جدید ١٣ ـ نشان ١٦ـ چون نشانه در تو نامد ای سنی ١٧ ـ بهر کرمی چیست چندین ١٨ ـ نچید (ن . ل)

---

(١) ظاهرچنین مینماید که بقصد بفرماید لیکن از باب تجرید است که از محسناتست مثل لی من فلان صدیق حمیم (٥) دروگر نجاراست وحایك بافنده و مقصود آنست که انسان مدنی بالطبع است تنها نمیتواند زیست کند باید این نجاری کند برای آن و آن بافندگی کند برای این و این سقائی کند برای آن وآن خبازی کند برای این وهمچنین (١٠) یعنی دست بدعا برمیداری (١١) در سرآر یعنی بفهم (١٢) اشاره است بآیهٔ ولا تلقوا بایدیکم الی التهلکه که در سورهٔ بقره واقعشده یعنی نیاندازید خودرا بدست خود بهلاکت (١٤) یعنی شرح باغ وبستان اگر دروغ وباطل نیست (١٥) مخموریت چشم از باب رطوبت آن هوا یا ازباب هوای غرور باشد (١٩) پهلو تهی کردن تو از داردنیا (٢٠) تقلید در آداب و اعمال جایز است نه در عقاید ولی از برای جاهل که برهان وعیان نیست باری تقلید محققان نافع است تا از جانب حق فتوحی آید کار براو آسان شود والا در دست او چیزی نیست واگر باشد باهنی شك وشبهه زایل شود

تا کف دریا نیاید سوی خاك — کاصل او آمد بود در اصطکاك ۱ — خاکی است آن کف غریبست اندر آب — در غریبی چاره نبود زاضطراب
چونکه چشمش باز شد وآن نقش خواند — دیو را بروی دگر دستی نماند ۲ — گرچه با روباه خر اسرار گفت — سرسری گفت و مقلد وار گفت
آب را بستود و او تایق[1] نبود — رخ درید و جامه او عاشق نبود ۳ — از منافق عذر ردّ آمد نه خوب — زانکه درلب بود آن نی درقلوب[2]
بوی سیبش هست جزو سیب نی — بو در او جز از پی آسیب نی ۴ — حملهٔ زن در میان کار زار — نشکند صف بلکه گردد کار زار
گرچه می‌بینی چو شیر اندرصفش — تیغ بگرفته همی لرزد کفش ۵ — وای آنکه عقل او ماده بود — نفس زشتش نرّ و آماده بود
لاجرم مغلوب باشد عقلِ او — جز سوی خسران نباشد نقل او ۶ — ❁ ای خنك آنکس که عقلش نر بود — نفس زشتش ماده و مضطر بود
❁عقل جزوی‌اش نر وغالب بود — نفس انثی را خرد سالب بود ۷ — حملهٔ ماده بصورت هم جریست — آفت او همچو آن خر ازخریست
وصف حیوانی بود بر زن فزون — زانکه سوی رنگ وبو دارد رُکون ۸ — رنگ وبوی سبزه زاران خرشنید — جملهٔ حجتها ز طبع او رمید
تشنه محتاج مطر شد و آبر نی — نفس را جوع‌البقر شد صبر نی ۹ — اسپر آهن بود صبر ای پدر — حق نوشته بر سپر جاء الظفر
صد دلیل آرد مقلد در بیان — از قیاسی گوید آن را نز عیان ۱۰ — مشك آلوده‌است اما مشك نیست — بوی مشکستش ولی جز پشك نیست
تا که پشکی مشك گردد ای مرید — سالها باید در آن روضه چرید ۱۱ — که نباید خورد وجو همچون خران — آهوانه در ختن چر ارغوان
رو بصحرای ختن با آن نفر — جز قرنفل یاسمن یا گل مچر[3] ۱۲ — معده را خوکن بدان ریحان وگل — تا بیابی حکمت قوت رسل[4]
خوی معده زین‌که و جو بازکن — خوردن ریحان وگل آغاز کن ۱۳ — معدهٔ تن سوی کهدان میکشد — معدهٔ دل سوی ریحان میکشد
هرکه کاه و جو خورد قربان شود — هرکه نورحق خورد قرآن شود[5] ۱۴ — نیم تو مشك‌است ونیمی پشك بین — هین میفزا پشك افزا مشك چین
آن مقلد صد دلیل و صد بیان — بر زبان آرد ندارد هیچ جان ۱۵ — ❁ جان او خالی ازآن گفتار او — کله اش بی‌مغز زان اسرار او
چونکه گوینده ندارد جان و فر — گفت اورا کی بود برگ و ثمر ۱۶ — میکند گستاخ مردم را براه — اوبجان لرزان‌تراست از برگ کاه
گر حدیثش نیز هم[6] با فر بود — در حدیثش لرزه هم مضمر بود ۱۷

فرق میان دعوت شیخ کامل واصل و میان سخن ناقصان فاضل فضل تحصیلی برخود بسته

شیخ نورانی زره آگه کند — پاسخش[7] هم نور را همره کند ۱۹ — جهد کن تا مست ونورانی شوی — تا حدیثت را شود نورش روی[8]
هرچه در دوشاب جوشیده شود — در عقیده طعم دوشابش بود ۲۰ — ازگزر وز سیب وبه وازگردکان — لذّت دوشاب یابی تو ازآن
علم چون در نورحق فرغرده شد — پس ز علمت نور یابد قوم لُد ۲۱ — هرچه گوئی باشد آن هم نورناك[9] — کاسمان هرگز نبارد غیر پاك[10]
آسمان شو ابر شو باران ببار — ناودان بارش کند نبود بکار ۲۲ — ❁ آب اندر ناودان عاریتیست — آب اندر ابر و دریا فطرتیست
❁فکر واندیشه‌است مثل ناودان — وحی ومکشوفست ابر و آسمان ۲۳ — آب باران باغ صد رنگ آورد — ناودان همسایه در جنگ آورد
❁بازگردم سوی آن روباه وخر ۲۴ — تاچسان ازراه رفت آن خر نگر

زبون شدن خر در دست روباه از حرص علف

خردو سه حمله بروبه بحث[11] کرد — چون مقلد بُد فریب او بخورد ۲۶ — طنطنهٔ ادراك و بینائی نداشت — دمدمهٔ روبه بر او سکته گماشت
حرص خوردن آنچنان کردش ذلیل ۲۷ — که زبونش کرد[12] با پانصد دلیل

حکایت آن مخنث و پرسیدن لوطی ازاو در حالت لواطه که این خنجر از بهر چیست گفت از بهر آنکه اگر کسی بامن بداندیشد شکمش بشکافم لوطی بر سر او آمد و شد میکرد و میگفت الحمد لله که من با تو بد نیندیشم بیت من بیت نیست اقلیمست هزل من هزل نیست تعلیمست[13] ان‌الله لا یستحیی ان یضرب مثلاً ما بعوضةً فما فوقها[14] ای فما فوقها فی تغییر النفوس بالانکار ماذا اراد الله بهذا مثلاً وآنگه جواب فرماید که این خواستم یُضلّ به کثیراً و یهدی به کثیراً که هر فتنه همچون میزانست بسیار ازاو سرخ رو شوند وبسیار بی‌مرادگردند ولوتأملت فیه قلیلاً لوجدت من نتایجه الشریفة کثیراً فهم من فهم والله الملهم والسلام

کندهٔ[15] را لوطئی در خانه برد — سرنگون افکند ودروی می‌فترد ۳۵ — در میانش خنجری دید آن لعین — پس بگفت اندرمیانت چیست این
گفت آنکه با من ار یك بدمنش[16] — بد بیندیشد بدرّم اشکمش[17] ۳۶ — گفت لوطی حمد لله را که من — بد نیندیشیده ام با تو بفن
چونکه مردی نیست خنجرهاچه‌سود — چون ندارد[18] دل ندارد سود خود ۳۷ — از علی میراث داری ذوالفقار — بازوی شیر خدا هستت بیار
گر فسونی یاد داری از مسیح — کو لب ودندان عیسی ای‌قبیح[19] ۳۸ — کشتیٔ سازی ز توزیع و فتوح — کو یکی ملاّح کشتی همچو نوح
بت شکستی گیرم ابراهیم وار — کو بت تن را فدا کردن بنار ۳۹ — گر دلیلت هست اندر فعل آر — تیغ چوبین را بدو کن ذوالفقار
آن دلیلی کو ترا مانع شود — از عمل آن نقت صانع شود ۴۰ — خائفان راه را کردی دلیر — از همه لرزان تری تو زیر زیر

---

۳ ـ مخور ۶ ـ پس حدیثش گرچه بس ۷ ـ با سخن ۹ ـ پاك ۱۰ ـ سنگ وخاك ۱۱ ـ نوبت بروبه حمله ۱۲ـ کشت ۱۵ ـ امردی ۱۶ ـ اندیشد بدی ۱۷ ـ اشکمش درّم زخشم وبیخودی ۱۸ ـ نباشد ۱۹ ـ وقبیح (ن . ل)

---

(۱) تایق یعنی شایق (۲) یقولون بافواههم ما لیس فی‌قلوبهم (۴) اشاره به‌حدیث نبوی ابیت عند ربی یطعمنی ویسقینی است (۵) یعنی کلام‌الله‌الناطق و من یتق‌الله یجعل له فرقانا و من کلام مولانا علی علیه‌السلام وانت‌الکتاب المبین‌الذی باحرفه یظهرالمضمر (۸) ماء روی یعنی آب بسیار وسیرآب کننده وروی بمعنی ابری‌که باران درشت داشته باشد آمده وبا حدیث ایهام‌التناسب دارد ومراد بنورش نور مکتسب از شیخ است (۱۳) این بیت از حدیقهٔ سنائی است (۱۴) آیه واقعه در سورهٔ بقره است یعنی بدرستیکه خدا باك ندارد از اینکه بزند مثل پشه یا بالاتراز آن‌را پس کسانیکه گرویده اند میدانند که آن حق است از پروردگارشان و اما کسانیکه کافرند پس میگویند چه ارادهٔ کرده است خدا باین مثل درگمراهی می‌افتند بآن بسیاری ورستگار میشوند بسیاری ودرگمراهی نمی‌افتند مگر فاسقین

بر همه درس توکل میکنی / در هوا تو پشه را رگ میزنی[1] ۱ ای مخنث بیش رفته از سپاه / بر دروغ ریش تو گیرد[2] گواه
چون زنامردی دل آکنده بود / ریش و سبلت موجب خنده بود ۲ توبهٔ کن اشك باران چون مطر / ریش و سبلت را زخنده بازخر
داروی مردی بخور اندر عمل / تا شوی خورشید گرم اندر حمل ۳ ❀داروی مردی کن وعنین میوی / تا بروی آیند صدگون خوب روی
معده را بگذار وسوی دل خرام / تا که بی پرده ز حق آید سلام ۴ ❀ رستمی گر بایدت خنجر بگیر / ور بجیزی مایلی چادر بگیر
❀رستمی گر مایلی جوشن بپوش / ور بجیزی را غبی روکون‌فروش ۵ یك دوگامی رو توکل[3] سازخوش / تا ترا عشقش کشد اندر برش
❀ برسرمیدان چومردان پایدار / تا نگردی مبتلا در پای دار ۶ ❀تاکی ازجامهٔ زنان همچون زنان / درصف مردان درا همچون سنان

غالب شدن مکر روباه بر استعصام وتعنف خر وکشیدن روبه خر را سوی شیر به بیشه

روبه اندر حیله[4] پای خود فشرد / ریش‌خر بگرفت وپیش‌شیر[5] برد ۸ مطرب آن خانقه کو تا که تفت / دف زندکه خر برفت وخر برفت
چونکه خرگوشی برد شیری بچاه / چون نیارد روبهی خر تا گیاه ۹ گوش را بر بند و افسونها مخور / جز فسون آن ولیّ دادگر
آن فسون خوش‌تر ازحلوای او / زانکه صد حلواست خاك پای او ۱۰ خمهای خسروانی پر ز می / مایه برده از دم لبهای وی[6]
عاشق می باشد آن جان بعید / کو می لبهای لعلش را ندید[7] ۱۱ آب شیرین چون نبیند مرغ کور / چون نگردد گرد چشمهٔ آب شور
موسی جان سینه را سینا کند / طوطیان کور را بینا کند ۱۲ خسروشیرین جان مهمان شدست[8] / لاجرم درشهر قند ارزان شدست
یوسفان غیب لشکر میکشند[9] / تنگهای قند مصری میرسند[10] ۱۳ اشتران مصر را رو سوی ما / بشنوید ای طوطیان بانگ درا
شهر ما فردا پر از شکر شود / شکر ارزانست ارزانتر شود ۱۴ در شکر غلطید ای حلوائیان / همچو طوطی کوری صفرائیان
نیشکرکوبید کار این است و بس / جان بر افشانید یار[11] اینست وبس ۱۵ یك ترش درشهرما اکنون نماند / چونکه شیرین‌خسروان‌را برنشاند
نقل بر نقلست و می بر می هلا / بر مناره رو بزن بانگ صلا ۱۶ سرکهٔ نه ساله شیرین میشود / سنگ مرمر لعل زرین میشود
آفتاب اندر فلك دستك زنان / ذرّها چون عاشقان[12] بازی‌کنان ۱۷ چشمها مخمور شد از سبزه زار / گل شکوفه میکند بر شاخسار
چشم دولت سحر مطلق می‌کند[13] / روح شد منصور انا الحق میزند ۱۸ ❀شد زیوسف‌آن زلیخا نوجوان / عشرت‌ازسرگیرخوش‌خوش شادمان
❀آتشی اندر دل خود بر فروز / دفع چشم بد سپندانی بسوز ۱۹ ❀ تو بحال خویشتن میباش شاد / تا بیابی در جهان جان مراد
گر خری را میبرد روبه ز سر / گو ببر تو خر مباش و غم مخور ۲۰

حکایت آن شخص که از ترس خویش را بخانهٔ افکند روی زرد چون زعفران لبها کبود چون نیل دست لرزان چون برگ درخت خداوند خانه پرسید که خیر است چه واقعه است گفت بیرون خر میگیرندبسخره گفت مبارك خر میگیرند تو خر نیستی چه میترسی گفت سخت بجدّ میگیرند تمییز برخاسته است امروز ترسم که مرا خر گیرند

آن یکی در خانهٔ ناگه گریخت / زرد روی ولب‌کبود ورنگ ریخت ۲۵ صاحب خانه بگفتش خبر هست / که همی‌لرزد ترا چون‌پیر[14] دست
واقعه چونست چون بسگریختی / رنگ و رخساره بگو چون ریختی ۲۶ گفت بهر سخرهٔ شاه حرون / خر همی‌گیرند مردم[15] از برون
گفت میگیرند خر ای جان عم / چون نهٔ خررو ترا زین‌چیست غم ۲۷ گفت بس جدّند وگرم اندرگرفت / گر خرم گیرند هم نبود شگفت
بهر خرگیری بر آوردند دست / جدّ جد تمییز هم برخاستست ۲۸ چونکه بی تمییزیانمان سرورند / صاحب خر را بجای خر برند
نیست شاه شهر ما بیهوده گیر / هست تمییزش سمیعست و بصیر ۲۹ آدمی باش وزخر گیران مترس / خرنهٔ ای عیسی دوران مترس
چرخ چارم هم زنور تو پُراست / حاش لله که مقامت آخور است ۳۰ تو زچرخ واختران هم برتری[16] / گرچه بهر مصلحت در آخری
میر آخر دیگر و خر دیگر است / نی‌هرآنکواندرآخرشد خراست ۳۱ میر آخر گرچه در آخر بود / هرکه اورا خر بگوید خر بود
چه در افتادیم در دنبال خر / ازگلستان گوی واز گلهای تر ۳۲ از انار و از ترنج و شاخ سیب / وز شراب و شاهدان بی حسیب
یا ازان بازان که کبکان پرورند / هم‌نگون اشکم هم‌آسان میچرند[17] ۳۳ یا ازآن دریا که موجش‌گوهراست / گوهرش‌گوینده وبینش[18] وراست
یا ازآن مرغان که گلچین میکنند / بیضها زرّین و سیمین میکنند ۳۴ نردبانهائیست پنهان در جهان[19] / پایه پایه تا عنان آسمان
هر گره را نردبانی دیگرست / هر روش را آسمانی دیگرست ۳۵ هریکی از حال دیگرا بی خبر / ملك با پهنای بی پایان او سر
این‌درآن‌حیران‌که‌اوازچیست‌خوش / وان درین خیره که حیرت چیستش ۳۶ صحن ارض الله واسع آمده / هر درختی از زمینی سر زده
بردرختان شکرگویان برگ وشاخ / که زهی ملك وزهی عرصهٔ فراخ ۳۷ بلبلان گرد شکوفه پر گره / که از آنچه میخوری مارا بده
این سخن پایان ندارد کن رجوع / سوی آن روباه وشیر وسقم جوع ۳۸

۲ـ کیرت ۳ـ تکلف ٤ـ چاره ٥ـ آن خر رابه ٦ـ می ۸ـ نوبت زدست ۹ـ را با صد هزار ۱۰ـکرده بار ـ وشکر میکشند ـ میچشند
۱۱ ـ بار ۱۲ ـ از عشق آن ۱۳ ـ دولت ازین بیخ هستی‌میکند ۱٤ ـ بید ۱٥ ـ امروز ۱۷ ـ استان می‌پرند ۱۸ ـ بینا (ن . ل)

---

(۱) یعنی باریك میشوی ودقت میکنی (۷) این مصراع محتمل‌الوجهین است یعنی آن‌جان دور از اهل‌الله عاشق و راغب می‌صوری میشود که می لعل ولی الله را ندیده و یا معنی این است که کجاست می لب لعل اورا مثل و مانندی (۱٦) زیرا که نفس کلیه فلکیه در همان جسمانیت باید بکمال خود برسد برسبیل تجدد امثال یعنی نفوسی متعاقبه بتجدد امثال علی‌الاتصال فایض میشوند وهریك متصل بعالم عقول قادسه مجرده میشوند وتسلیم میگردند قالی‌الله تعالی افعینا بالخلق‌الاول بل‌هم فی لبس من خلق جدید چون فیض خدا انقطاع ندارد و دایم باسط‌الیدین بالعطیه است و کلمه‌اش لا تنفد ولا تبید است و فلك بحرکتش رابط حادث بقدیم است و شرط استفاضه حوادثست و انسان کامل باید مجرد از جسم شود بالمره وطرح کونین ورفض عالمین کند (۱۹) هر نبی و هر ولی را مسلکیست و مراد از آسمان عالم معنی است که احاطه دارد بعالم صورت و عنان اطراف وکرات آسمان است

بردن روباه خر را پیش شیر و جستن خر از شیر و عتاب کردن روباه با شیر که هنوز خر دور بود شتاب کردی و عذر گفتن و لابه کردن شیر روبه را که برو دگرباره‌اش بفریب

چونکه روباهش بسوی مرج برد — تا کند شیرش بجمله خُرد و مرد ۳
دور بود ازشیر وآن شیر از نبرد — تا بنزدیك آمدن صبری نکرد
گنبدی کرد[1] از بلندی شیر هول — خود نبودش قوّت و امکان حول ٤
خر ز دورش دید برگشت و گریخت — تا بپای کوه تازان نعل ریخت
گفت روبه شیر را کای شاه ما — چون نکردی صبر دروقت وغا ٥
تا بنزدیك تو آید آن غوی — پس باندك حملهٔ غالب شوی
مکر شیطانست تعجیل و شتاب — لطف رحمانست صبر و احتساب ٦
دور بود و حملهٔ دید و گریخت — ضعف توظاهرشد وآب تو ریخت
گفت من پنداشتم برجاست زور — خود بدم ازضعف‌خودنادان وکور[2] ۷
لیك گفتم زور من برجا بود — نی‌که درمن ضعف دست وپا بود
نیز جوع و حاجتم از حد گذشت — صبر و عقلم از تجوّع یاوه گشت ۸
گر توانی بار دیگر از خرد — باز آوردن مر اورا مُسترد[3]
منت بسیار دارم از تو من — جهد کن باشد بیاری‌اش بفن ۹
گرخدا روزی کند آن‌خر مرا — بعد از ان بس صیدها بخشم ترا
گفت آری گر خدا یاری دهد — بر دل او از عمی مهری نهد ۱۰
پس فراموشش شود هولی‌که دید — از خریّ او نباشد این بعید
لیك چون‌آرم مر اورا تو متاز — تا بیادش ندهی از تعجیل باز ۱۱
گفت آری تجربه کردم که من — سخت رنجورم مخلخل گشته تن
تا بنزدیکم نیاید خر تمام — من نجنبم خفته باشم بر قوام ۱۲
رفت روبه گفت ای شه همتی — تا بپوشد عقل او را غفلتی
توبها کرده است خر با کردگار — کو نگردد غرّهٔ هر نابکار ۱۳
توبه اورا بفن برهم زنیم — ما عدوّ عقل و عهد[4] روشنیم
کلهٔ خرگوی فرزندان ماست — فکرتش بازیچهٔ دستان ماست ۱٤
عقل کان باشد زدوران زحل — پیش عقل ما ندارد آن محل
از عطارد وز زحل دانا شد او[5] — ما زدادِ کردگار لطف خو ۱٥
علّم الانسان[6] خم ظفرای ماست — علم عندالله[7] مقصدهای ماست
تربیهٔ آن آفتاب روشنیم — ربّی الاعلی ازآن بر[8] میزنیم ۱٦
تجربه گر دارد او با این همه — بشکند صد تجربه زین دمدمه
بو که توبه بشکند آن سست خو — در رسد شومیّ اشکستن در او ۱۷

در بیان آنکه نقض عهد و توبه موجب بلا بود بلکه باعث مسخ است چنانکه درحقّ اصحاب سبت و در حقّ اصحاب مائدهٔ عیسی که وجعل منهم القردة والخنازیر[9] و اندرین امّت مسخ دل باشد و بقیامت تن را صورت دل دهند

نقض میثاق و شکست توبها — موجب لعنت بود در انتها ۲۱
نقض عهد وتوبهٔ اصحاب سبت[10] — موجب مسخ‌آمد واهلاك ومقت[11]
پس خدا آن‌قوم را بوزینه کرد — چونکه عهد خود[12] شکستند ازنبرد ۲۲
اندراین امّت نبد مسخ بدن — لیك مسخ دل بود[13] ای ذوالفطن
چون دل بوزینه گردد آن دلش — از دل بوزینه شد خوار آن گلش ۲۳
گر هنر بودی دلش را ز اختیار — خوارکی بودی زصورت‌آن حمار
آن سگ اصحاب خوش بد سیرتش — هیچ‌بودی منقصت زان صورتش ۲٤
مسخ صورت بود اصل[14] سبت‌را — تا ببیند خلق ظاهر کبت را
از ره سر صد هزاران دگر — ۲٥ گشته از توبه شکستن خوك وخر

دوّم بار آمدن روباه بر آن خر گریخته تا باز بفریبدش

پس بیامد زود روبه نزد[15] خر — گفت خر ازچون تو یاری الحذر ۲۷
نا جوانمردا چه کردم من ترا — که به پیش اژدها بردی مرا
نا جوانمردا چکردم با تو من — که مرا با شیر کردی پنجه زن ۲۸
موجب کین تو با جانم چه بود — غیر خبث گوهر خود ای عنود
همچو کژدم کو گزد پای فتی — نارسیده از وی اورا آفتی ۲۹
یا چو دیوی کوعدوی جان ماست — نارسیده زحمتش از ما و کاست
بلکه طبعاً خصم جان آدمیست — از هلاك آدمی در خُرّمیست ۳۰
از پی هر آدمی او نگسلد — خو وطبع زشت خودرا کی هلد
زانکه خبث ذات او بی موجبی — هست سوی ظلم و عدوان جاذبی ۳۱
هر زمان خواند ترا تا خرگهی — کاندر اندازد ترا اندر چهی
که فلان‌جا حوض آبست و عیون — تا در اندازد بحوضت سرنگون ۳۲
آدمی را باهزاران کرّ و فر[16] — اندرافکند آن لعین درشور و شر
آدمی را با همه وحی و نذیر — اندرافکند آن لعین بردش به بیر ۳۳
بیگناهی بر گزند سابقی — کی رسید اورا ز آدم نا حقی
کی رسید اورا ز مردم زشتئی — کو دمادم آرد از غم پشتهٔ ۳٤
گفت روباه آن طلسم سحر بود — که ترا درچشم‌آن[17] شیری نمود
ورنه من از تو بتن مسکین ترم — چون شب وروز اندرآنجا میچرم ۳٥
گرنه زانگونه طلسمی ساختی — هر شکم خواری بدانجا تاختی
یکجهان بینوا بر پیل و ارج — بی طلسمی کی بماند سبز مرج ۳٦
کاینچنین شکلی اگر بینی مترس — کآن‌خیالی مینماید نیست جسم ۳۸
که بدم مستغرق دلسوزیت — دیدمت در جوع کلب و بینوا ۳۷
می شتابیدم که آئی تا دوا — ورنه با تو گفتمی شرح طلسم
شد فراموش‌آنکه گویم مرترا — حال آن شکل مهیب دلربا

جواب دادن خر روباه را

گفت خر[18] روهین زپیشم ای‌عدو — تا نبینم روی تو ای زشت رو ٤۰
آن خدائی که ترا بدبخت کرد — روی زشت‌راکریه[19] وسخت‌کرد

---

۲ ـ تا بدین حد من ندانستم فتور ۳ ـ می سزد ٤ ـ جان ۸ ـ رو ۱۱ ـ مبت ـ کبت ۱۲ ـ حق ۱٤ ـ ظاهر بود اهل ۱٥ ـ سوی ۱٦ ـ با همه وحی و نظر ۱۷ چون ۱۸ ـ رو ۱۹ ـ وقیح (ن . ل)

---

(۱) یعنی بر جست و خیز برداشت (٥) چه آنها که سبب بین باشند در تحت احکام نجومند و آنها که خدا بینند در تصرف اسماء بلکه خود اسماءاند و مظاهر را در اسماء فانی بینند علّم‌الانسان مالم یعلم (٦) واقعه در سورهٔ اقرأ یعنی آموخت بانسان آنچه را که نمیدانست (۷) در سورهٔ فتح واقعشده است (۹) آیه درسورهٔ مائده است یعنی قرارداد از ایشان بوزینگان یعنی مسخ کرد ایشان را برآن صورت چنانچه اصحاب سبت را وخوکان چنانچه منکران مائدهٔ عیسی را (۱۰) اصحاب سبت قوم یهودند (۱۳) یعنی روح آدمی بحسب باطن میشود مثل روح سگ و خوك باشد نه‌بظاهر بسبب دریدن و پای این وآن‌را گرفتن وشهوت حیوانی‌راندن بلکه بحسب برازخ اعمال لازم است مصورشدن روح بصور ملکوتیه نه ملکیه و این را تناسخ ملکوتی و تجسم اعمال گویند و احادیث برطبق این مذکور شده

با کدامین روی میآئی بمن — اینچنین سفری ندارد گرگدن ۱ رفتهٔ در خون و جانم آشکار — که ترا من رهبرم در مرغزار
تا بدیدم روی عزرائیل را — باز آوردی فن و تسویل را ۲ گرچه من ننگ خرانم یا خرم — جان‌ورم جان دارم اینرا کی خرم
آنچه من دیدم زهول بی امان — طفل دیدی پیر گشتی در زمان ۳ بی‌دل وجان از نهیب آن شکوه — سرنگون خودرا در افکندم زکوه
بسته شد پایم درآن دم از نهیب — چون بدیدم آن عذاب بی حجیب ٤ عهد کردم با خدا کای ذوالمنن — برگشا زین بستگی تو پای من
تا ننوشم وسوسهٔ کس بعد ازین — عهد کردم نذر کردم ای معین ٥ حق گشاده‌کرد آن دم پای من — زان دعا و زاری و هیهای من
ورنه اندر من رسیدی شیر نر — چون بُدی در زیر پنجهٔ شیر خر ٦ باز بفرستادت آن شیر عرین — سوی من ازمکر ای بئس‌القرین
حق ذات پاکِ الله الصمد — که بود به مارِ بد از یارِ بد ۷ مارِ بد جانی ستاند از سلیم — یارِ بد آرد سوی نار مقیم[1]
❀ ماربد زخم ارزند برجان زند — یار بد برجان و برایمان زند ۸ ازقرین بی‌قول وگفت وگوی او — خو بدزدد دل نهان از خوی او
چونکه او افکند برتو سایه را — دزدد آن بیمایه از تو مایه را ۹ عقل تو گر اژدهائی گشت مست — یار بد آنرا زمرّددان که هست
دیدهٔ عقلت بدو بیرون جهد — طعن اوت اندر کف طاعون‌نهد ۱۰ ❀ در جهان نبود بتر از یار بد — وین‌مرا عین‌الیقین گشته‌است خود[2]

پاسخ دادن روباه مر آن خر را دیگر بار

گفت روبه‌صاف مارا دُرد نیست — لیك تخییلات وهمی خُردنیست ۱۲ اینهمه وهم تو است ای ساده دل — ورنه با تو نه غشی دارم نه غل
از خیال زشت خود منگر بمن — برمحبّان از چه داری سوء ظن ۱۳ ظنّ نیکو بر برادران صفا — گرچه آید ظاهر از ایشان جفا
آن خیال ووهم بد چون شد پدید — صد هزاران یار را از هم بُرید ۱٤ مشفقی گر کرد جور و امتحان — عقل می باید که نبود بدگمان
خاصه من بدرگ نبودم زشت قسم — آنچه دیدی بد نبد بود آن طلسم ۱٥ ور بدی آن بد سگالش قدر را — عفو فرمایند از یاران خطا
عالم وهم و خیال و طبع و بیم — هست ره رو را یکی سدّ عظیم ۱٦ نقشهای این خیالِ نقش بند — چون خلیلی‌راکه کُه بُد شدگزند
گفت هذا ربی ابراهیمِ راد — چونکه اندر عالمِ وهم اوفتاد ۱۷ ذکر کوکب را چنین تأویل گفت — آنکسی کو گوهر تأویل[3] سفت
عالم وهم و خیال و چشم بند — آنچنان کُه را زجای خویش‌کند ۱۸ تا که هذا ربّی آمد قال او[4] — خربط وخررا چه باشد حالِ او
غرق گشته عقلهای چون جبال — در بحار وهم و گرداب خیال ۱۹ ❀عقل‌ثابت‌تر ز که را وهم بین — گرچه فرمودست گفتن آن امین
کوههارا هست زین‌طوفان نضوح — کو امانی جز که در کشتیّ نوح ۲۰ زین خیال رهزن راه یقین — گشت هفتاد و دو ملت زاهل دین
مرد ایقان رست از وهم وخیال — موی ابرو را نمیگوید هلال ۲۱ وانکه را نور عمر نبود سند — موی ابروی کژی راهش زند
صد هزاران کشتی باهول وسهم — تخته تخته گشته در دریای وهم ۲۲ کمترین فرعون چُستِ فیلسوف — ماه او در برج وهمی در خسوف
کس نداند روسپی زن کیست آن — وانکه داند نبودش برخود گمان ۲۳ چون ترا وهم تو دارد خیره‌سر — از چه گردی گرد وهم آن دگر
عاجزم من از منیّ خویشتن — چه نشینی بر منی تو پیش من ۲٤ از من و ما هرکه این در میزند — عاشق خویش است وبرلا می‌تند
بی من و مائی همی جویم بجان — تاشوم من گوی آن خوش صولجان ۲٥ هرکه بی‌من‌شد همه منها در[5] اوست — یارجمله شد چوخودرانیست دوست
آینهٔ بی نقش شد یابد بها — زانکه شد حاکی زجملهٔ نقشها ۲٦

حکایت شیخ محمد سررزی غزنوی قدس‌الله سرّه وریاضت او که هرشب افطار ببرگ رز میکرد جهت ذلّ نفس خود

زاهدی در غزنی از دانش‌مزی[6] — بد محمد نام و کنیت سر رزی ۲۹ بود افطارش سررز هر شبی — هفت سال او دایم اندر مطلبی
بس عجائب دید از شاهِ وجود — لیك مقصودش جمالِ شاه بود ۳۰ برسرکه رفت آن ازخویش سیر — گفت بنما یا فتادم من بزیر
گفت نامد نوبت آن مکرمت — ور فرو افتی نمیری نکشمت ۳۱ او فرو افکند خودرا از وداد — در میان عمق آبی اوفتاد
چون‌نمرد ازنکس‌آن جان‌سیرمرد — از فراق مرگ برخود نوحه‌کرد ۳۲ کاین‌حیات اورا چومرگی‌می‌نمود — کار پیشش باژ گونه گشته بود
موت را از غیب میکرد او کدی — انّ فی موتی حیوتی میزدی ۳۳ موت را چون زندگی قابل شده — با هلاك جان خود یکدل شده
سیف وخنجر چون علی‌ریحان او[7] — نرگس و نسرین عدوّ جان او ۳٤ بانگ آمد روز صحرا سوی شهر — طرفه بانگی ازورای سرّ وجهر
گفت ای دانای رازم مو بمو — چه کنم درشهر خدمت گوی تو ۳٥ گفت خدمت آنکه بهر ذلّ نفس — خویش‌را سازی‌توچون عباس‌دبس[8]
مدّتی از اغنیا زر می‌ستان — پس بدرویشان مسکین میرسان[9] ۳٦ خدمتت این است تا یکچند گاه — گفت سمعاً طاعةً ای جان پناه
بس سؤال وبس جواب وماجرا — بد میان زاهد و ربّ الوری ۳۷ که زمین و آسمان پر نور شد — در مقالات[10] آن همه مذکورشد[11]
لیك کوته کردم آن گفتار را — تا ننوشد هر خسی اسرار را ۳۸

آمدن شیخ بعد از چندین سال از بیابان بشهر غزنین و زنبیل‌گردانیدن او باشارت غیبی و تفرقه کردن آنچه جمع آید بر فقراء هرکه را جان زعزّ لبیکست نامه بر نامه پیك بر پیکست چنانکه روزن خانه باز باشد آفتاب و ماهتاب و باران و نامه وغیره منقطع نباشد

رو بشهر آورد آن فرمان پذیر — شهر غزنین گشت ازرویش منیر ٤۲ از فرح خلقی باستقبال رفت — او درآمد از ره دزدیده تفت

---

۱ ـ جحیم ۳ ـ تنزیل ٥ ـ خود ۹ ـ میفشان ۱۰ ـ مقامات (ن . ل)

---

(۲) مراتب یقین سه قسم است علم الیقین و عین الیقین وحق الیقین مثلاً آتش که یکی از موجودات است میشود که بدلیل و برهان وجودش یقین شود وآن علم الیقین است یا برؤیت وعیان وآن عین‌الیقین است ویا بسوختن و باختن جان و آن حق‌الیقین است (٤) اشاره بآیهٔ واقعه در سورهٔ انعام است در قصهٔ ابراهیم فلما رای‌الشمس بازغة قال هذا ربی هذا اکبر یعنی ابراهیم چون آفتاب را در ظهور و روشنائی دید گفت اینست پروردگار من (تا آنکه غروب کرد و ازین عقیدت باز آمد) (٦) مزی از مکیدنست یعنی از دانش پرورده شده (۷) اشاره است بقول امیرالمؤمنین علی علیه‌السلام: السیف والخنجر ریحاننا❀ اف علی‌الزرجس والآس❀ شرابنا من دم اعدائنا❀ وکاسنا جمجمة‌الرّاس (۸) عباس دبس‌گدای مشهوراست که بنامش داستانها ساخته‌اند (۱۱) مقالات یا مقامات اسم کتابیست که میگویند مولوی تألیف نموده است

جمله اعیان و مهان برخاستند — قصر ها از بهر او آراستند ۱ گفت من از خود نمائی نامدم — جز بخواری و گدائی نامدم
نیستم بر عزم قال وقیل من — در بدر گردم بکف زنبیل من ۲ بندهٔ فرمانم که امراست از خدا — تا گدا باشم گدا باشم گدا
در گدائی لفظ نادر ناورم — جز طریق نر[1] گدایان نسپرم ۳ تا شوم غرق مذلت من تمام — تا سقطها بشنوم از خاص وعام
امر حق جانست و من آن را تبع — او طمع فرمود ذل[2] من قنع[3] ۴ چون طمع خواهد زمن سلطان دین — خاك بر فرق قناعت بعد از این
او مذلت خواست کی عزت تنم — او گدائی خواست کی میری کنم ۵ بعد ازاین کدیه ومذلت جان من — بیست عباس اند در انبان من
شیخ در میگشت و زنبیلی بدست — شیء لله خواجه توفیقیت هست ۶ بر تراز کرسی وعرش اسرار او — شیء لله شیء لله کار او
انبیا هریك همین فن میزنند — خلق مفلس کدیه ایشان می کنند ۷ اقرضوا الله اقرضوا الله میزنند — باژگون برانصروا[4]الله می تنند
در بدر این شیخ میآرد نیاز — برفلك صد در برای شیخ باز ۸ کان گدائی که بجد میکرد او — بهر یزدان بود نی بهر گلو[5]
ور بکردی نیز از بهر گلو[5] — آن گلو[5] از نور حق دارد غلو ۹ درحق او خورد نان وشهد وشیر — به ز چله وز سه روزه صد فقیر
نور مینوشد مگو نان میخورد — لاله میکارد بصورت میچرد ۱۰ چون شراری کو خورد روغن زشمع — نور افزاید زخوردش بهر جمع
نان خوری را گفت حق لاتسرفوا — نور خوردن را نگفتست اکتفوا ۱۱ این گلوی ابتلا بد وان کلوا — فارغ از اسراف و ایمن از غلو
امر وفرمان بود نی حرص وطمع — آنچنان جان حرص را نبود تبع ۱۲ گر بگوید کیمیا مس را بده — تو بمن خودرا طمع نبود فره
❀ آن گدائی که بجد میکرد او — بود از آثار حکمتهای هو ۱۳ گنجهای خاك تا هفتم طبق — عرضه کرده بود پیش شیخ حق
شیخ گفتا خالقا من عاشقم — ور بجویم غیر تو بس[6] فاسقم ۱۴ هشت جنت گر در آرم در نظر — ورکنم خدمت من از خوف سقر[7]
مؤمنی باشم[8] سلامت جوی من — زانکه این هردو بود حظ بدن ۱۵ عاشقی کز عشق یزدان خورد قوت — صد بدن پیشش نیرزد ترهٔ توت
وین بدن که دارد آن شیخ فطن — چیزدیگرگوی[9] وکم خوانش بدن ۱۶ عاشق عشق خدا وانگاه مزد — جبرئیل مؤتمن و آنگاه دزد
عاشق آن لیلی کور و کبود — ملك عالم پیش او یك ترهٔ بود ۱۷ نزداو یکسان شده بد خاك وزر — زر چه باشد که نبد جان را خطر
شیر وگرگ و دد ازاو واقف شده — همچو خویشان گرد اوجمع[10] آمده ۱۸ کاین شدست ازخوی حیوان پاك پاك — پر زعشق ولحم و شحمش زهرناك
زهر دد باشد شکر ریز خرد — زانکه نیك نیك باشد ضد بد ۱۹ لحم عاشق را نیارد خورد دد — عشق معروفست پیش نیك و بد
ور خورد خود فی المثل دام و ددش — زهر گردد لحم عاشق بکشدش ۲۰ هرچه جزعشقست شد مأکول عشق — دوجهان یکدانه پیش نولِ عشق
دانهٔ مر مرغ را هرگز خورد — کاهدان مراسب را هرگز چرد ۲۱ بندگی کن تا شوی عاشق لعل — بندگی کسب است آید در عمل
بنده آزادی طمع دارد ز جد — عاشق آزادی نخواهد تا ابد ۲۲ بنده دایم خلعت و ادرار جوست — خلعتِ عاشق همه دیدار اوست
در نگنجد عشق درگفت و شنید — عشق دریائیست قعرش ناپدید[11] ۲۳ قطره های بحر را نتوان شمرد — هفت دریا پیش آن بحراست خرد
این سخن پایان ندارد ای فلان — ۲۴ باز رو در قصهٔ شیخ زمان

در معنی لولاك لما خلقت الافلاك[12]

شد چنین شیخی گدای کو بکو — عشق آمد لا ابالی اتقوا ۲۶ عشق جوشد بحر را مانند دیگ — عشق ساید کوه را مانند ریگ
عشق بشکافد فلك را صد شکاف — عشق لرزاند زمین را ازگزاف ۲۷ با محمد بود عشق پاك جفت — بهرعشق اورا خدا لولاك گفت
منتهی درعشق او چون بود فرد — پس مراورا زانبیا تخصیص کرد ۲۸ گر نبودی بهر عشق پاك را — کی وجودی دادمی افلاك را
من بدان افراشتم چرخ سنی — تا علو عشق را فهمی کنی ۲۹ منفعتهای دگر آید ز چرخ — آن چو بیضه تابع آید این چوفرخ
خاك را من خوار کردم یکسری — تا ز ذل عاشقان بوئی بری ۳۰ خاك را دادیم سبزی و نوی — تا ز تبدیل فقیر آگه شوی[13]
با تو[14] گویند این جبال راسیات — وصفِ حال عاشقان اندر ثبات ۳۱ گرچه آن معنیست وین نقش ای پسر — تا بفهم تو شود[15] نزدیك تر
غصه را با خار تشبیهی کنند — آن نباشد لیك تنبیهی کنند ۳۲ آن دل قاسی که سنگش خواندند — نا مناسب بد مثالی راندند
در تصور در نیاید عین آن — ۳۳ عیب بر تصویر نه نقش مدان

رفتن آن شیخ بخانهٔ امیری بهرکدیه روزی چهار بار با زنبیل باشارت غیبی وعتاب کردن امیر اورا بدان وقاحت وعذرآوردن شیخ امیر را

شیخ روزی چارکرت چون فقیر — بهر کدیه رفت در قصر امیر ۳۶ در کفش زنبیل وشی لله[16] زنان — خالق جان می بجوید تای نان[17]
نعلهای باژگونه است ای پسر — عقل کلی را کند هم خیره سر ۳۷ چون امیرش دیدگفتش کای وقیح — گویمت چیزی منه نامم شحیح[18]
❀ ای خس بی شرم چنداین جست وجو — تاکی و تا چند بارزق دو تو ۳۸ این چه سغری و[19] چه رویست وچه کار — که بروزی اندر آئی چار بار

---

۱ ـ خر ـ خس ۳ ـ طمع ٤ ـ تنصر ٥ ـ کلوا ٦ ـ من ۹ ـ گشت ۱۰ ـ گرد ۱٤ ـ باز ۱٥ ـ بود (ن . ل)

(۲) اشاره بحدیث عز من قنع وذل من طمع واینکه مولوی فرماید ذل من قنع مقصود وی این است که چون در این مورد طمع بامر حق است ذلت در قناعت درست باشد (۷) سقر اگر باشد باید در حرکات ونسك بجز قربت محض مقصودی نداشته باشند وقرب حقیقی تخلق است وسقر بمعنی جهنم است (۸) یعنی ازاصحاب یمین باشم نه از مقربین واز عاشقین (۱۱) چه وجود حقیقی که بسیط ومبسوط است عشق ساری است چنانکه در عشق هرنفسی بخود گفتیم که عین وجود اوست بلکه اذا تم العشق فهوالله گفته اند (۱۲) این حدیث قدسی است حق تعالی بمحبوب ازلی وابدی حضرت حقیقت محمدی خطاب نموده فرمود که اگر نمی‌بودی تو ای محمد هرآینه خلق نمیکردم افلاك را یعنی اگرمقصود ازایجاد عالم ظهورذات عالی صفات تونمی‌بود هرگز ایجاد نمیکردم عالم را وازکتم عدم بصحرای وجود نمی‌آوردم سعدی فرماید تواصل وجود آمدی از نخست دگر هرچه موجود شد فرع تست (۱۳) فقر هم از انیت وهستی مبدل شده خاصیت خاك گرفته ومثل خاك که فیض رسان انواع نبات ومیوه و گلها میشود صاحب کمال هم فیض رسان یك عالم است پس زمین بفیض رسانی وکون باستواری صاحب کمال مشابهت دارد (۱٦) چیزی برای خدا (۱۷) خدا خواهان یك نان است (۱۸) شحیح بخیل است (۱۹) سغری مخفف ساغری یعنی چه پوست کلفتی داری کنایه از بیحیائیست

کیست اینجا شیخ اندر بند تو ۱ من ندیدم نر گدا مانند تو ۱ حرمت و آب گدایان بردهٔ ۱ این چه عباسیٔ زشت آوردهٔ
غاشیه بر دوش[1] تو عباس دبس ۲ هیچ ملحد را مباد این نفس‌نحس ۲ گفت امیرا بنده فرمانم خموش ۲ ز آتشم آگه نهٔ چندین مجوش
بهر نان درخویش حرص اردیدمی ۳ اشکم نان خواره را بدریدمی ۳ هفت سال ازسوزعشق جسم پز ۳ در بیابان خورده‌ام من برگ رز
تا زبرگ خشك و تازه خوردنم ۴ سبز گشته بود این رنگ تنم ۴ تا تو باشی در حجاب بوالبشر ۴ سر سری در عاشقان کمتر نگر
زیرکان که موی را[2] بشکافتند ۵ علم هیئت را بجان دریافتند ۵ علم نیرنجات و سحر و فلسفه ۵ گرچه نشناسند حقّ المعرفة
لیك کوشیدند تا امکان خود ۶ بر گذشتند از همه اقران خود ۶ عشق‌غیرت‌کرد وخودرا[3]درکشید[4] ۶ شد چنین خورشید زایشان ناپدید
نور چشمی که بروز استاره دید ۷ آفتابی چون از او رو درکشید ۷ زین گذرکن پند من بپذیر هین ۷ عاشقان را تو بچشم عشق بین
وقت نازك گشته وجان در رصد ۸ باتو نتوان گفت ایندم عذر خود ۸ فهم کن موقوف این گفتن مباش ۸ سینهای عاشقان کمتر خراش
نی گمانی بردهٔ[5] تو زین نشاط ۹ حزم را مگذار و میکن احتیاط ۹ واجب‌است وجایزاست ومستحیل ۹ تو وسط راگیر درحزم ای‌دخیل

گریان شدن امیر از نصیحت شیخ وعکس صدق او بروی زدن و ایثار کردن مخزن بعدازگستاخی و استعصام شیخ و قبول ناکردن شیخ وگفتن که من بی‌اشارتی نیارم تصرف کردن

این بگفت وگریه‌درشد های های ۱۲ اشك غلطان بررخ‌او جای جای ۱۲ صدق او هم بر ضمیر میرزد ۱۲ عشق هردم طرفه دیگی میپزد
صدق عاشق برجمادی می تند ۱۳ چه عجب گر بر دل دانا زند ۱۳ صدق موسی برعصا و کوه زد ۱۳ بلکه بر دریای پر اشکوه زد
❁ صدق احمد بر جمال ماه زد ۱۴ بلکه برخورشید رخشان راه زد ۱۴ رو برو آورده هردو در نفیر ۱۴ گشته گریان هم امیر وهم فقیر
ساعتی بسیار چون بگریستند ۱۵ گفت میراورا که خیز ای ارجمند ۱۵ هرچه خواهی از خزانه برگزین ۱۵ گرچه استحقاق داری صد چنین
خانه آن تست هرچه میل هست ۱۶ برگزین خود هردو عالم اندکست ۱۶ گفت دستوری ندادندم چنین ۱۶ که بدست خویش چیزی برگزین
من زخود نتوانم این کردن قبول ۱۷ که ننم من این دخیلانه دخول ۱۷ این بهانه کرد ومهره[6] در ربود ۱۷ مانع آن بد که عطا صادق نبود
گرچه صادق بود و بی‌غل بود وخشم ۱۸ شیخ را هر صدق می‌نامد بچشم ۱۸ گفت فرمانم چنین داده‌است اله ۱۸ که گدایانه برو چیزی[7] بخواه
❁ما گدایانه از این درخواستیم ۱۹ ورنه از اموال بی پرواستیم ۱۹

اشارت آمدن ازغیب بشیخ که این دو سال بفرمان ما بستدی ودادی بعد ازین بده ومستان دست در زیر حصیر میکن که آنرا چون انبان ابو هریره گردانم که هرچه خواهی بیابی تا عالمیان را یقین شودکه ورای این عالم عالمیست که خاك بکف بگیری زر شود مرده در آن آید زنده‌گردد نحس اکبر درآن‌آید سعد اکبر شودکفر ایمان شود زهر تریاق‌گردد نه داخل این عالم است نه خارج نه فوق ونه تحت نه متصل نه منفصل بیچون و چگونه وهرلحظه اورا هزار اثر ونمونه چنانکه صنعت دست با دست وغمزهٔ چشم با چشم وفصاحت زبان با زبان نه داخل‌است ونه خارج ونه متصل ونه منفصل والعاقل یکفیه‌الاشاره

تا دو سال این‌کار کردآن‌مردکار ۲۶ بعد ازآن امر آمدش ازکردگار ۲۶ بعدازاین می‌ده ولی ازکس مخواه ۲۶ ما بدادیمت ز غیب این دستگاه
هرکه خواهد ازتو ازیك تا هزار ۲۷ دست در زیر حصیرت کن برآر ۲۷ هین ز گنج رحمت بی مرّ بده ۲۷ در کف تو خاك گردد زر بده
هرچه خواهندت بده‌مندیش ازآن ۲۸ دادِ یزدان را تو بیش ازبیش‌دان ۲۸ در عطای ما نه تخسیر و نه کم[8] ۲۸ نه پشیمانی نه حسرت زین کرم
دست زیر بوریا کن ای سند ۲۹ از برای روی پوش چشم بد ۲۹ پس ز زیر بوریا پرکن تو مشت ۲۹ ده بدست سائل اشکسته پشت
بعد ازاین از اجرنا ممنون بده[9] ۳۰ هرکه خواهد گوهر مکنون بده ۳۰ رو یدالله فوق ایدیهم تو باش ۳۰ همچودست حق‌گزافه رزق پاش
وام داران را ز عهده وارهان ۳۱ همچو باران سبزکن فرش جهان ۳۱ بود یکسال دگر کارش همین ۳۱ که بدادی زر ز کیسهٔ ربّ دین
زر شدی خاك سیه اندر کفش ۳۲ حاتم طائی گدائی در صفش ۳۲

دانستن شیخ ضمیر سائلان را بی‌گفتن و دانستن قدر وام وام داران بی‌گفتن که نشان ایشان باشد که اُخرج بصفاتی الی خلقی فمن یراك فقد رآنی

حاجت خود گر نگفتی آن فقیر ۳۵ او بدادیٔ و بدانستی ضمیر ۳۵ ❁پیش او روشن ضمیر هرکسی ۳۵ از نقیر و وام‌دار و مفلسی
هرچه دردل داشتی آن پشت خم ۳۶ قدرآن دادی نه بسیار و[10]نه‌کم ۳۶ پس بگفتندش چه دانستی که او ۳۶ این قدر اندیشه دارد ای عمو
او بگفتی خانهٔ دل خلوت‌است ۳۷ خالی ازکدیه مثال جنت است[11] ۳۷ اندرآن جزعشق یزدان‌کار نیست ۳۷ جز خیال وصل او دیّار نیست
خانه را من روفتم از نیك و بد ۳۸ خانه ام پر گشت[12] ازعشق احد ۳۸ هرچه بینم اندرو غیر خدا ۳۸ آنِ من نبود بود عکس گدا
گر در آبی نخل یا عرجون نمود ۳۹ جز ز عکس نخلهٔ بیرون نبود ۳۹ در تك آب ار ببینی صورتی ۳۹ عکس بیرون باشد آن‌نقش ای فتی
لیك تا آب از قذر[13] خالی‌شدن ۴۰ تنقیه شرطست در جوی بدن ۴۰ تا نماند تیرگیٔ وخس در او ۴۰ تا امین گردد نماید عکس رو
جز گِل‌آبه درتنت کو ای مقلّ ۴۱ آب صافی‌کن زگل[14]ای‌خصم دل ۴۱ تو برآنی هردمی کز خواب وخور ۴۱ خاك ریزی اندرین جو بیشتر

---

۲ ـ مویها ۳ ـ زایشان ٦ ـ چهره ۷ ـ ثانی ۱۰ ـ بدو نه بیش وکم ۱۲ ـ است ۱۳ ـ قذی ۱٤ ـ تو زود (ن . ل)

---

(۱) یعنی تو فرمان برداری از برای عباس دبس (٤) سعی‌کامل کردند در تحصیل علم ظاهر اگرچه حق معرفت این علم هم بواقعی نشناختند لیکن کوشش نمودند و از اقران خود بهتر شدند اما چون طالب عشق نشدند عشق هم غیرت کرد و از ایشان روی در کشید پس از چنین خورشید محروم ماندند (٥) یعنی تو اهل گمانی نه اهل یقین (۸) در بخشش ما نه زیان راه دارد ونه کمی (۹) اجرنا ممنون یعنی بی منت وقطع نشدنی (۱۱) ازغرض چه باید نعم‌البدل ازتکدی، ذکرمشفوع بفکر او باشدکه ذکر الله اکبر است

سبب دانستن ضمیر های خلق

چون درون آب از آنها خالی است — عکس روها از برون در آب جست[1] ۲ ❀ پس مصفا کن درون خویش را — تا بدانی سرّ هر درویش را
پس ترا باطن مصفا ناشده — خانه پر از دیو و نسناس و دده ۳ ای خر از استیزه مانده درخری — کی ز ارواح مسیحا بو بری
لی شناسی گر خیالی سر کند — کز کدامین مکمنی سر برزند[2] ۴ چون خلالی[3] میشود در زهد تن — تا خیالات از درونه روفتن
❀ این خیال کج بروب از اندرون — ۵ تا نگرداند ترا ز اهل برون

غالب شدن مکر روباه و زبون شدن خر از حرص

خر بسی کوشید واورا دفع گفت — لیك جوع الکلب با خر بود جفت ۷ غالب آمد حرص وصبرش شد ضعیف — بس گلوها را بُرد عشق رغیف
زآن رسولی کش حقایق داد دست — کاد فقراً ان یکون کفر آمدست[4] ۸ گشته بود آن خر مجاعت را اسیر — گفت اگر مکراست یکره مرده گیر
زین عذاب جوع باری[5] وارهم — گر حیات این است من مرده بهم ۹ گر خر اوّل توبه وسوگند خورد — عاقبت هم از خری خبطی بکرد
حرص کور واحمق و نادان کند — مرگ را بر احمقان آسان کند ۱۰ هست[6] آسان مرگ بر جان خران[7] — که ندارند آب جان جاوداں
چون ندارد جان جاویدان شقی است — جرأت او بر اجل از احمقی است ۱۱ جهد کن تا جان مخلد گرددت[8] — تا بروز مرگ برگی باشدت[9]
اعتمادش نیز بر رازق نبود — که برافشاند بر او از غیب جود ۱۲ تا کنونش فضل بی روزی نداشت — گرچه گه گه برتنش جوعی گماشت
گر نباشد جوع صد رنج دگر — ۱۳ از پی هیضه برآرد از تو سر

در فضیلت جوع و احتما[10]

❀ رنج جوع اولی بود خود زان علل — هم بلطف و[11] هم بخفت هم عمل ۱۵ رنج جوع از رنجها پاکیزه تر — خاصه درجوع است صد نفع وهنر
جوع خود سلطان داروهاست هین[12] — جوع برجان نه چنین خوارش مبین ۱۶ ❀ جوع نور چشم باشد در بصر — جوع باشد قابلیت در نظر
جمله ناخوش از مجاعت خوش شود — ۱۷ جمله خوشها بی مجاعتهاست رد

تمثیل در صبر و قناعت

آن یکی میخورد نان فخفره[13] — گفت سائل چون بدین داری[14] شره ۱۹ گفت جوع از صبر چون دوتا شود — نان جو در پیش من حلوا شود
پس توانم که همه حلوا خورم — چون کنم صبری صبورم لاجرم ۲۰ خود نباشد جوع هرکس را زبون — کاین علف زاریست زاندازه برون
جوع مرخاصان حق[15] را داده اند — تا شوند از جوع شیر زورمند ۲۱ جوع هر جلف گدا را کی دهند — چون علف کم نیست پیش او نهند
که بخور تو هم بدین ارزانئی — تو نهٔ مرغاب مرغ نانئی ۲۲ ❀ نبود اندر سر[16] ترا جز فکر نان — ناید اندر خاطرت جز ذکر آن
❀ بعد چندین سال حاصل چیستت — ۲۳ جوع مردن به بود زین زیستت

حکایت مریدی که شیخ از حرص و ضمیر او آگاه شد و اورا نصیحت کرد بر زبان و در ضمن نصیحت قوت توکل بخشیدش بامر حق

شیخ میشد با مریدی بی درنگ — سوی شهری نان درآنجا بود تنگ ۲۶ ترس جوع وقحط در جان مرید — هردمی میگشت از غفلت مزید
شیخ واقف بود و آگاه ضمیر — گفت اورا چند باشی در زحیر ۲۷ از برای غصهٔ نان سوختی — دیدهٔ صبر و توکل دوختی
تو نهٔ زان نازنینان عزیز — که ترا دارند بی جوز و مویز ۲۸ جوع رزق جان خاصان خداست — کی زبون همچو تو گیج گداست
باش فارغ تو از آنها نیستی — کاندراین مطبخ تو بی نان بیستی ۲۹ کاسه بر کاسه است وخوان بر خوان[17] مدام — از برای این شکم خواران عام
چون بمیری میدود نان پیش پیش — کای ز بیم بینوائی کشته خویش ۳۰ تو برفتی ماند نان بر خیز گیر — ای بکشته خویش را اندر زحیر
❀ بر سر هرلقمه بنوشته عیان — کز فلان بن فلان بن فلان ۳۱ هین توکل کن ملرزان پا ودست — رزق تو برتو زتو عاشق تراست
عاشق است ومیزند او مول مول — کو ز بی صبریت داند ای فضول ۳۲ گر ترا صبری بُدی رزق آمدی — خویش را چون عاشقان برتو زدی
این تب ولرزه زخوف جوع چیست — ۳۳ در توکل سیر میتانید زیست

حکایت آن گاو حریص که هر روزه صحرا را پر علف بیند وبچرد تا فربه شود وتا فردا از غم روزی لاغر گردد وسالهاست که او همچنین می بیند واعتماد نمی کند

یك جزیره هست سبز اندرجهان — اندرو گاویست تنها خوش دهان ۳۶ جمله صحرا را چرد او تا بشب — تا شود زفت وعظیم ومنتجب[18]
شب ز اندیشه که فردا چه خورم — گردد او چون تار مو لاغر زغم ۳۷ چون برآید صبح بیند سبز دشت — تا میان رُسته قصیل سبز کشت
اندر افتد گاو با جوع البقر — تا بشب آن را چرد او سر بسر ۳۸ تا که زفت و فربه و لمتر شود — آن تنش از پیه و قوّت پر شود
باز شب اندر تب افتد از فزع — تا شود لاغر ز خوف منتجع ۳۹ که چه خواهم خورد فردا وقت خور — سالها این است خوف[19] این بقر
هیچ نندیشد که چندین سال من — میخورم زین سبزه زار و زین چمن ۴۰ هیچ روزی کم نیامد روزیم — چیست این ترس وغم ودلسوزیم

---

۲ ـ کند ۳ ـ خیالی ۵ ـ یکره ٦ ـ نیست ۸ ـ جاویدت شود ـ بود ۹ ـ تا که روز مرگ را برگی شود ۱٤ ـ استت ۱٦ ـ دل ۱۷ ـ نان بر نان ۱۸ ـ منتخب ۱۹ ـ کار (ن . ل)

---

(۱) یعنی چون وجود بصفای فطری رجوع نموده آینه جهان نما شد شأن آینه آنست که وجوه بنماید (٤) یعنی فقر بدون شکیبائی یا معنی آنست که فقیر حقیقی منفوه شود بشطحیاتی که کفرنماست یا نزدیك است که فقر بکشاند بستر جمیع ما سوی الله فی نورالله (۷) مراد این است که از شدت حرص احمقان خودرا بمهالك اندازند مثل دزدی ونهب ومانند این واز برای اهل حق که مرگ آسانست که لطیفه مجرده در ایشان بالفعل شده که آن هلاکت ندارد و در احمقی که بالقوه مانده آسانی مرگ از احمقی و حرص است (۱۰) قال النبی صلی الله علیه وآله الاحتماء افضل من الدواء و ایضاً المعدة بیت الداء والحمیة رأس کل الدواء (۱۱) یعنی سبکی بخشد و صفای قلب آرد و تخلق باخلاق روحانیین باشد (۱۲) که رطوبات خامی را که از تغذیه بومافیوما متخلف شود تخفیف کند و بسوزاند (۱۳) آرد جو با سبوس (۱٥) الجوع سحاب" تمطر الحکمة

باز چون شب میشود آن‌گاو زفت — میشود لاغر که آوه رزق رفت ۱ نفس آن گاو است و آن دشت این جهان — که همی لاغر شود از خوف نان
که چه خواهم خورد مستقبل عجب — لوت فردا از کجا سازم طلب ۲ سالها خوردی و کم نامد ز خور — ترک مستقبل کن و ماضی نگر
لوت و پوت خورده را هم یاد آر — منگر اندر غابر و کم باش زار ۳ ❀ قصهٔ این گاو را یکسوی نه — زان خر وزان شیر نر پیغام ده

صید کردن شیر آن خر را و تشنه شدن شیر از کوشش، رفت بچشمه تا آب خورد، تا باز آمدن شیر جگربند و دل و جگر نیافت از روبه پرسید که کو دل و جگر روبه گفت اگر اورا دل وجگر بودی آنچنان سیاستی دیده بود آن روز و بهزار حیله جان برده کی برتو باز آمدی لو کنا نسمع او نعقل ما کنا فی اصحاب السعیر[1]

برد خررا روبهك تا پیش شیر — پاره پاره کردش آن شیر دلیر ۷ تشنه شد از کوشش آن سلطان دد — رفت سوی چشمه تا آبی خورد
روبهك خورد آن جگربند ودلش — آن زمان چون فرصتی شد حاصلش ۸ شیر چون واگشت از چشمه بخور — جست دل از خر نه دل بُد نه جگر
گفت روبه را جگر کو دل چه شد — که نباشد جانور را زین دو بُد ۹ گفت اگر بودی ورا دل یا جگر — کی بدین جا آمدی بار دگر
آن قیامت دیده و آن[2] رستخیز — وان زکوه افتادن از هول گریز ۱۰ گر جگر بودی ورا یا دل بُدی — بار دیگر کی بدینجا آمدی
چون ندارد[3] نوردل دل نیست آن — چون نباشد روح جز گل نیست آن ۱۱ آن زُجاجی کو ندارد نور جان — بول وقاروره است قندیلش مخوان[4]
نور مصباح است داد ذوالجلال — صنعت خلق است آن شیشهٔ سفال ۱۲ لاجرم در ظرف باشد اعتداد — در لهبها نبود الا اتحاد
نور شش قندیل چون آمیختند[5] — نیست اندر نورشان اعداد وچند ۱۳ آن جهود از ظرفها مشرك شدست — نور دید آن مؤمن ومدرك شدست
❀ چون نظر برروح افتد مردرا — پس یکی بیند خلیل و مصطفی ۱۴ چون نظر برظرف افتد روح را — پس دو بیند شیث را و نوح را
❀ چونکه آبش هست جو خود آن بود — آدمی آنست کو را جان بود ۱۵ این نه مردانند اینها صورتند — مردهٔ نانند و کشتهٔ شهوتند

حکایت آن راهب که بروز روشن با شمع در طلب آدمی می‌گشت

آن یکی با شمع بر میگشت روز — گرد هربازار دل پر عشق وسوز ۱۷ بوالفضولی گفت اورا کای فلان — هین چه میجوئی به پیش هردکان
هین چه میجوئی تو هرسو باچراغ — در میان روز روشن چیست لاغ ۱۸ گفت میجویم بهر سو آدمی — کو بود حیّ از حیات آن دمی
❀ گفت من جویای انسان گشته‌ام — می نیابم هیچ و حیران گشته ام ۱۹ هست مردی گفت این بازار پر — مردمانند آخر ای دانای حُر
گفت خواهم مرد برجادهٔ دو ره — در ره خشم و بهنگام شره ۲۰ وقت خشم ووقت شهوت مرد کو — طالب مردی دوانم[6] کو بکو
کو دراین دوحال مردی درجهان — تا فدای او کنم امروز جان ۲۱ گفت نادر چیز میجوئی ولیك — غافل ازحکم خدائی[7] نیك نیك
ناظر فرعی زاصلی بی خبر — فرع مائیم اصل احکام قدر[8] ۲۲ چرخ گردان را قضا گمره کند — صد عطارد را قضا[9] ابله کند
تنگ گرداند جهان چاره را — آب گرداند حدید و خاره را ۲۳ ای قراری داده ره را گام گام[10] — خام خامی خام خامی خام خام
چون بدیدی گردش سنگ آسیا — آب جو را هم ببین آخر بیا ۲۴ خاك را دیدی برآمد در هوا — در میان خاك بنگر باد را
دیگهی فکر می بینی بجوش — اندر آتش هم نظر میکن بهوش ۲۵ گفت حقّ ایوب را در مکرمت — من بهر موئیت صبری دادمت
هین بصبر خود مکن چندین نظر — صبر دیدی صبر دادن را نگر ۲۶ چند بینی گردش دولاب را[11] — سر برون کن هم ببین میرآب را
تو همی گوئی که می بینم ولیك — دید آن را بس علامتهاست نیك ۲۷ گردش کف را چو دیدی مختصر — حیرتت باید بدریا در نگر
آنکه کف را دید سرگویان بود[12] — وانکه دریا دید او حیران بود ۲۸ آنکه کف را دید نیتها کند — وآنکه دریا دید دل دریا کند
آنکه کف را دید باشد درشمار — وانکه دریا دید شد بی اختیار ۲۹ آنکه کف را دید درگردش بود — وانکه دریا دید او بیغش بود
❀ آنکه کف را دید پیکارش کند — وانکه دریا دید بردارش کند ۳۰ ❀ آنکه کف را دید گردد مست او — وانکه دریا دید باشد غرق هو
❀ آنکه کف را دید آید درسخن — وانکه دریا دید شد بی ما و من ۳۱ ❀ آنکه کف را دید پالوده شود — وانکه دریا دید آسوده شود

دعوت کردن مسلمانی مغی را بدین اسلام وجواب گفتن او

مر مغی را گفت مردی کای فلان — هین مسلمان شو بباش ازمؤمنان ۳۳ گفت اگر خواهد خدا مؤمن شوم — ور فزاید فضل هم موقن شوم
گفت میخواهد خدا ایمان تو — تا رهد از دست دوزخ جان تو ۳۴ لیك نفس نحس[13] وآن شیطان زشت[14] — میکشندت سوی کفران وکشت[15]
گفت ای منصف چو ایشان غالبند — یار آن باشم که باشد زورمند ۳۵ یار او خواهم[16] بُدن کو غالب است — آنطرف افتم که غالب جاذبست
چون خدا میخواست از من صدق زفت — خواستش چه سود چون بیشش نرفت ۳۶ نفس وشیطان خواهش خود پیش برد — وآن عنایت قهر گشت وخرد ومرد
تو یکی قصر و سرائی ساختی — واندرو صد نقش خوش افراختی ۳۷ خواستی مسجد بود آن جای خیر — دیگری آمد مرآن را ساخت دیر
یا تو بافیدی یکی کرباس تا — خوش بسازی بهر پوشیدن قبا ۳۸ تو قبا میخواستی خصم از نبرد — رغم تو کرباس را شلوار کرد
چارهٔ کرباس چبود جان من — جز زبون رای آن غالب شدن ۳۹ گر زبون شد جرم آن کرباس چیست — آنکه او مغلوب غالب نیست کیست

---

۲ ـ بود و ۳ ـ نباشد ٦ ـ روانم ـ چنینم ۷ ـ قضائی ۹ ـ قدر ۱۳ ـ زشت ۱٤ ـ لعین ۱۵ ـ جانب کفران وکین ۱٦ ـ تانم (ن . ل)

---

(۱) در سورهٔ ملك واقع شده (کفار می‌گویند) اگر بودیم ما که میشنیدیم (سخن پیغمبران را بی بحث وتفتیش) یا تعقل میکردیم (در معانی کلام ایشان) نبودیم ما در اصحاب دوزخ (٤) متعارفست بول مریض را در قاروره (شیشه) کرده بنظر طبیب رسانند تا استعلام حال اوکند و این کلمات اشاره بآیه نور است که زجاجه واقعه در آیه قلب است و مصباح در آن روح است که در فارسی جان گویند و شجرهٔ زیتونه نفس است که باید نه شرقیه باشد ونه غربیه وروح بخاری که مرکب قوای نفس است باید معتدل باشد (۵) باطنش نور پیغمبران اولوالعزم که شش پیغمبرند نوح و ابراهیم و موسی و عیسی و داود و محمد سلام‌الله علیهم (۸) اصل الاصول که اسماءالله است همه طبقات را تقاضا کند وحکمتش احکام واتقان همه اجزاء نظام کلی را خواسته وباید بغایت برساند (۱۰) این راه که بقدم طی نمودن قراردادهٔ خام هستی اینراه ازعشق بنده وجذبهٔ حق طی میشود (۱۱) دولاب چرخ چاه است که بآن آب برکشند میگوید تا کی دولاب را می‌نگری آب را ببین که امیر ومالك است (۱۲) در این بیت بیان تجلیات صفاتی وذاتی میکند از کف تجلی صفاتی مراد است واز دریا تجلی ذاتی

چون کسی ناخواه وی بروی براند — خار بن در باغ و ملك او نشاند ۱ صاحب خانه بدین خواری بود — کاینچنین بروی خلاقت میرود
هم خلق گردم من ار تازه ونوم — چونکه یار اینچنین خواری شوم ۲ چونکه خواه نفس آمد مستعان — تسخر آمد ایش شاء الله کان[1]
من اگر ننگ مغان یا کافرم — آن نیم که بر خدا این ظن برم ۳ که کسی ناخواه او و رغم او — گردد اندر ملکت او حکم جو
ملکت اورا فرو گیرد چنین — که نیارد دم زدن دم آفرین ٤ دفع او میخواهد و می بایدش — دیو هر دم غصه می افزایدش
بندهٔ این دیو میباید شدن — چونکه غالب اوست در هرانجمن ٥ تا مبادا کین کشد شیطان ز من — پس چه دستم گیرد آنجا ذوالمنن
آنچه او خواهد مراد او شود — از که کار من دگر نیکو شود ٦ حاش لله ایش[2] شاء الله کان — حاکم آمد در مکان و لامکان
هیچکس در ملك او بی امر او ۷ در نیفزاید سر یك تار مو

در بیان مثل شیطان بردرگاه رحمان

ملك ملك اوست فرمان آن او — کمترین سگ بردرش شیطان او ۹ ترکمان را گر سگی باشد بدر — بردرش بنهاده باشد رو وسر
کودکان خانه دمش میکشند[3] — باشد اندردست طفلان خوارمند ۱۰ باز اگر بیگانهٔ معبر کند — حمله بر وی همچو شیر نر کند
کو اشداء علی الکفار شد[4] — با ولی گل با عدو چون خارشد ۱۱ زآب تتماجی که دادش ترکمان — آنچنان وافی شدست و پاسبان
پس سگ شیطان که حق هستش کند — اندر او صد فکرت و حیلت تند ۱۲ آب روها را غذای او کند — تا برد او آب روی نیك و بد
آب تتماجست آب روی عام — که سگ شیطان ازآن یابد طعام ۱۳ بر در خرگاه قدرت جان او — چون نباشد حکم را قربان بگو
گله گله از مرید و از مرید — چون سگ باسط ذراعه بالوصید[5] ۱٤ بر در کهف الوهیت چو سگ — ذره ذره امر جو بر جسته رگ
ای سگ دیو امتحان میکن که تا — چون دراین ره مینهد این خلق پا ۱٥ حمله میکن منع میکن می نگر — تا که باشد ماده اندر صدق ونر
پس اعوذ از بهرچه باشد چو سگ[6] — گشته باشد از ترفع تیز تگ ۱٦ این اعوذ آنست کای ترك خطا — بانگ برزن برسگت ره برگشا
تا بیایم بر در خرگاه تو — حاجتی خواهم زجود و جاه تو ۱۷ چونکه ترك ازسطوت سگ عاجزاست — این اعوذ واین فغان ناجایزاست
ترك هم گوید اعوذ از سگ که من — هم زسگ درمانده‌ام اندر وطن ۱۸ تو نمی یاری[7] بدین در آمدن — من نمی‌آرم ز در بیرون شدن
خاك اکنون بر سر ترك وفنق — که یکی سگ هردورا بندد عنق ۱۹ حاش لله ترك بانگی برزند — سگ چه باشد شیر نر خون قی کند
ای که خودرا شیرزدان خواندهٔ — سالها شد با سگی در ماندهٔ ۲۰ چون کند آن سگ برای تو شکار — چون شکارسگ شدستی آشکار

جواب گفتن مؤمن سنی کافر جبری را در اثبات اختیار بنده و دلیل گفتن که سنت راهی است کوفتهٔ اقدام انبیا علیهم‌السلام وبر یدین آن راه به‌بیابان جبراست که خودرا اختیارنبیند وامر ونهی را منکر شود وتأویل کند ازمنکرشدن امر ونهی لازم آید انکار بهشت ودوزخ که بهشت جزای مطیعان است ودوزخ جزای مخالفان ودیگرنگویم بچه انجامد والعاقل یکفیه‌الاشاره وبریسار آن راه بیابان قدر است که قدرت خالق را مغلوب قدرت خلق داند وازآن فسادها زاید که آن مع جبری برشمرد

گفت مؤمن بشنو ای جبری خطاب — آن خودگفتی نك اوردم جواب ۲٦ بازی خودکردی ای شطرنج‌باز — بازی خصمت بین پهن و دراز
نامهٔ عذر خودت بر خواندی — نامهٔ سنی بخوان چه ماندی ۲۷ انچه لفتی جبریانه در قضا — سر آن بشنو زمن در ماجرا
اختیاری هست[10] مارا درجهان[11] — حس را منکر نتانی شد عیان ۲۸ اختیار خود ببین جبری مشو — ره رها کردی بره آکج مرو
سنگ را هرگز نگوید کس بیا — وز کلوخی کس کجا جوید وفا ۲۹ آدمی را کس نگوید هین بپر — یا بیا ای کور ودر من در نگر
گفت یزدان ماعلی الاعمی حرج[11] — لی نهد برما[11] حرج رب الفرج ۳۰ کس نگوید سنگ را دیر امدی — یا که چوبا تو چرا بر من زدی
اینچنین واجستها مجبور را — کس نگوید یا زند معذور را ۳۱ امر ونهی وخشم و تشریف وعتیب — نیست جز مختار را ای پاك جیب
اختیارت هست در ظلم و ستم — اختیار اندر درونت ساکن است ۳۲ تا ندید او یوسفی کف را نخست
اختیار و داعیه در نفس بود — سنگ بخفته اختیارش نشته کم ۳۳ روش دید انکه پر و بالی نشود — چون شکنبه دید جنبانید دم
اسب هم جو جوکند چون دید جو — چون ببیند[14] گوشت کربه ارد مو ۳٤ دیدن امد جنبش آن اختیار — همچو نفخی زآتش انگیزد شرار
پس بجنبد اختیارت چون بلیس — شد دلاله آردت پیغام ویس ۳٥ چونکه مطلوبی برین کس عرضه کرد — اختیار خفته بکشاید نبرد[15]
وان فرشته خیرها بر رغم دیو — عرضه دارد میکند در دل غریو ۳٦ تا بجنبد اختیار خیر تو — زانکه پیش ازعرضه خفتست این دوخو
پس فرشته ودیو گشته عرضه دار — بهر تحریك عروق اختیار ۳۷ میشود ز الهامها و وسوسه — اختیار خیر و شرت ده کسه

---

۳ ـ میکنند ۷ ـ آری ۸ ـ دیدی ۹ ـ نکته ۱۱ ـ بی‌گمان ۱۳ ـ کس ۱٤ ـ بجنبد ۱٥ ـ نورد (ن . ل)

---

(۱) مخفف ای شیء شاءالله کان یعنی هرچیزخدا خواسته واقع‌شده وباید فرق گذاشته شود میان خواسته بالذات وخواسته بالعرض وتسخرنیست وحکما فرموده اند الشر مجعول فی‌القضاء الالهی بالعرض و در دعاء افتتاح نماز میخوانی که الخیر بیدیك والشر لیس الیك وسابق گفتیم که شرور باعدام راجعند و مهیات مطلقا بنقص چه جای مهیات خبیثه پس آنچه خواسته است چه بالذات و چه بالعرض واقع شده است چه بالذات و چه بالعرض (۲) ایش مخفف ای شیء است (٤) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ فتحست که در شأن مؤمنین فرموده اشداء علی‌الکفار رحماء بینهم یعنی برکفار شدید وغلیظند ومیان خود مهربان ویارند (٥) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ کهف که در بارهٔ سگ اصحاب‌کهف فرموده یعنی سگ گسترانیده بود دستهای خودرا در پیشگاه غار (٦) چون شیطان بردر رحمن نشسته باشد علاج چیست مولوی میفرماید اعوذ همین است که چون سگ نفس برطالب غلبه کند اعوذ بخواند که بار خدایا براین سگ بانگ بزن که این راه مارا کشاده شود بدرگاه تو بیائیم و حاجت خودرا از تو بخواهیم (۱۰) حاصل این کلمات این است که اختیار داریم وبدیهی است ثبوت اختیار برای ما و وجه دیگر از برای ثبوت اختیار آنکه چون همه عالم ظلال قادر مختارند پس غیر مختاری نیست که ظل المختار مختار پس در عبد اگر همه صفات مولی است پس ظهور قدرت و اختیار او نیز هست وباین نظر طایع باندازه قابلیتشان مختارند ومضطری نیست (۱۲) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ فتح است

وقتِ تحلیل نماز ای با نمك — زان سلام آورد باید بر ملك ۱
که ز الهام و دعای خوبشان — اختیار این نمازم شد روان
باز از بعد گنه لعنت کنی — بر بلیس ایرا کز اوئی منحنی ۲
این دو ضد عرضه‌کننده درسرار — در حجاب غیب آمد عرضه دار
چونکه پردهٔ غیب برخیزد ز پیش — تو ببینی روی دلالان خویش ۳
وز سخنشان واشناسی بی‌گزند — کان‌سخن‌گو درحجاب[1] اینها بدند
دیو گوید ای اسیرِ طبع و تن[2] — عرضه میکردم نکردم زور من ۴
وان فرشته گویدت من گفتمت — که ازین شادی فزون‌گردد غمت[3]
این فلان روزت نگفتم من چنان — که ازآن سویست ره سوی جنان ۵
ما محبّ روح جان افزای تو — ساجدان و مخلص بابای تو
این زمانت خدمتی هم میکنیم — سوی مخدومی صلایت میزنیم ۶
این گره بابات را بوده عِدی — وز خطاب اُسجدوا کرده ابا
آن گرفتی وانِ ما انداختی — حقّ خدمتهای ما نشناختی ۷
این زمان مارا وایشان را عیان — در نگر بشناس از لحن و بیان[4]
نیمشب چون بشنوی رازی زدوست — چون سخن‌گوید سحردانی‌که اوست ۸
وردو کس درشب خبر آرد ترا — روز از گفتن شناسی هردو را
بانگ‌شیر وبانگ‌سگ‌شب دررسید — صورت هردو ز تاری نا پدید[5] ۹
روزشد چون باز دربانگ آمدند — پس‌شناسدشان زبانگ آن هوشمند
مخلص‌آن که دیو وروحِ عرضه‌دار — هر دو هستند از تتمهٔ اختیار[6] ۱۰
اختیاری هست درما ناپدید — چون دو مطلب دید آید درمزید
اوستادان کودکان را میزنند — آن ادب سنگ سیه را کی کنند ۱۱
هیچ گوئی سنگ را فردا بیا — ور نیائی من دهم بد را سزا
هیچ عاقل مر کلوخی را زند — هیچ با سنگی عتابی کس کند ۱۲
درخرد جبر ازقدر رسواتر است — زانکه جبری حسّ خودرامنکراست
منکر حس نیست آن مرد قدر — فعل حق حسی نباشد ای پسر ۱۳
منکر فعل خداوند جلیل — هست در انکار مدلول دلیل[7]
آن بگوید دود هست و نار نی — نور شمعی بی ز شمع روشنی ۱۴
وین همی بیند معیّن نار را — نیست میگوید بی انکار را
دامنش[8] سوزد بگوید نارنیست — جامه اش دوزد بگوید تار نیست ۱۵
پس‌تسفسط[9] آمداین‌دعویّ جبر[10] — لاجرم بدتر بود زین رو زگبر
گبر گوید هست عالم نیست ربّ — یا ربی گوید که نبود مستجب[11] ۱۶
این‌همی‌گوید جهان‌خودنیست هیچ — هست سوفسطائی اندر پیچ پیچ
جملهٔ عالم مقر در اختیار — امر و نهی این بیار و آن میار ۱۷
اوهمی‌گوید[12] که امر ونهی‌لاست — اختیاری نیست وین جمله خطاست
حس‌را حیوان مقراست ای‌رفیق — لیك ادراك دلیل آمد دقیق ۱۸
زانکه محسوس‌است مارا اختیار — خوب میآید برو تکلیف کار

در بیان آنکه درك وجدانی چون اختیار واضطرار وخشم واصطبار وسیری وناهار بجای حسّ است که زرد از سرخ بدان فرق کنند وخُرد از بزرگ وتلخ از شیرین ومشك از سرگین ودرشت از نرم بحسّ مس وسرد ازگرم وسوزان از شیرگرم وتر از خشك ومسّ دیوار از مسّ درخت معلوم کند پس منکر وجدان منکر حسّ باشد وزیاده‌که وجدان ازحسّ ظاهرتراست زیراکه حس را توان بستن ومنع کردن ازاحساس وبستن راه و مدخل وجدانیات ممکن نخواهد بود والعاقل یکفیه‌الاشاره

درك وجدانی بجای حس بود — هردو در یك جدول ای عم میرود ۲۴
نغز می آید براو کن یا مکن — امر و نهی و ماجراها و سخن
اینکه فردا این کنم یا آن کنم — این دلیل اختیار است ای صنم ۲۵
وان پشیمانی‌که خوردی زان‌بدی — ز اختیار خویش گشتی مهتدی
جمله‌ازآن امر ونهی‌است ووعید — امر کردن سنگ مرمررا که دید ۲۶
هیچ دانا هیچ عاقل این کند — با کلوخ وسنگ خشم وکین کند
که بگفتم که چنین کن یا چنان — چون نکردید ای موات وعاجزان ۲۷
عقل‌کی‌حکمی‌کند برچوب وسنگ — مرد چنگی‌چون زند بر نقش چنگ
کای غلام بسته دست اشکسته پا — نیزه بر گیرّ و بیا سوی وغا ۲۸
خالقی کو اختر و گردون کند — امر و نهی جاهلانه چون کند
احتمال عجز بر حق راندی — جاهل و گیج و سفیهش خواندی ۲۹
عجز نبود در قدر ور خود شود — جاهلی از عاجزی بدتر بود
تُرك میگوید قُنق را ازکرم — بی سگ و بی دلق آ سوی درم ۳۰
وز فلان سو اندرآ هین با ادب — تا سگم بندد زتو دندان ولب
تو بعکس آن کنی بر در روی — لاجرم اززخم سگ خسته شوی ۳۱
آنچنان رو که غلامان رفته‌اند[13] — تا سگش[14] گردد حلیم ومهرمند
تو سگی با خود بری یا روبهی — سگ بشورد از بُن هر خرگهی ۳۲
غیر حق را گر نباشد اختیار — خشم چون می‌آیدت بر جُرم دار
چون همی‌خائی تو دندان برعدو — چون همی بینی‌گناه و جرم ازاو ۳۳
گر ز سقف خانه چوبی بشکند — بر تو افتد سخت مجروحت کند
هیچ خشمی آیدت برچوب سقف — هیچ اندر کین او باشی تو وقف ۳۴
که چرا برمن زد ودستم شکست — ❀یا چرا برمن فتاد وکرد پست
او عدوی جان وخصم‌تن بُدست — ❀قاصدا دربند خون من بُدست ۳۵
کودکان خرد را چون میزنی — چون بزرگان را منزّه میکنی
آنکه دزدد مال تو گوئی بگیر — دست وپایش را ببر سازش اسیر ۳۶
وانکه قصد عورت تو میکند — صدهزاران خشم ازتو سرزند[15]
ور بیاید سیل و رخت تو برد — هیچ با سیل آورد کینی خرد ۳۷
گر بیامد باد و دستارت ربود — کی ترا با باد دل خشمی نمود

---

۱ ـ گویان نهان ۵ ـ تاریکی ندید ۸ ـ جامه اش ۹ ـ تفسطط ۱۱ ـ مستجب ۱۵ ـ می دمد (ن . ل)

(۲) مفهوم آیه واقعه در سورهٔ ابراهیم وقال‌الشیطان لما قضی الامران الله وعدکم وعدالحق و وعدتکم فاخلفتکم و ما کان لی علیکم من سلطان (الی آخرالآیه) (۳) یعنی از اغوای شیطان که فعلی میکرد از آن شاه زمان میشوی در آخر غمگین خواهی شد (٤) اشاره بآیه در باره منافقین ولتعرفنهم فی لحن‌القول یعنی خواهی شناخت ایشان را درطرز گفتار (٦) شیطان وفرشته هردو عرضه کننده‌اند ودر اختیار هردو آن بنده مجبور نیست (۷) یعنی قدری که منکر است که این آثار که در نفوس و اجسام است فعل حق باشد وفعل دلیل است برمدلول در حقیقت منکر حق‌است چه فعل بمنزلهٔ ظل ودخان وشعاع است پس انکار شعاع مثلاً انکار شمع است پس این فعلهای این قوتهای مجرده و مادیه ظهور ذات و صفات خداست پس چون فعل خدا نیست پس العیاذ بالله گویا ذات خدا نیست ولیکن هست چون در نزد او فعل قوی است پس بگوید دود هست بی نار ونور شمع هست بی شمع (۱۰) تسفسط یعنی سوفسطائی بودن وهمهٔ موجودات را محض خیال ووهم دانستن وتفسطط بمعنی هذیان‌است (۱۲) جبری میگوید وجبری‌آنست‌که فعل‌را بالکل بخدا نسبت میدهد وسلب اختیار ازبنده می‌نماید وقدری برعکس‌آن است (۱۳) اقتباس ازمضمون آیه واقعه درسورهٔ حجر انّ عبادی لیس لك علیهم سلطان الاّ من اتبعك من‌الغاوین بدرستی‌که بربندگان من نیست ترا تسلطی مگر کسانیکه پیروی‌کنند ترا از گمراهان (۱٤) سگش مقصود شیطان است

خشم در تو شد بیانِ اختیار — تا نگوئی جبریانه اعتذار ۱ گر شتربان اشتری را می زند — آن شتر قصد زننده می کند
خشم اشتر نیست با آن چوب او — پس زمختاری شتر بردست بو ۲ همچنین گر برسگی سنگی زنی — بر تو آرد حمله گردی منثنی
سنگ‌را گر گیرد ازخشم تواست — چون تودوری وندارد برتو دست ۳ عقل حیوانی چو دانست اختیار — این‌مگو ای عقل انسان شرم دار
روشن‌است این لیك ازطمع سحور — آن خورنده چشم بربندد ز نور ٤ چون که کلی‌میل‌او نان خوردنیست — رو بتاریکی کند[1] که روز نیست
حرص چون خورشیدرا پنهان کند — چه عجب گربشت بر برهان کند ٥ ❀ این‌مثل بشنو مشو منکربدان — اختیار خویش را در امتحان

حکایت هم در بیان تقریر اختیار خلق و بیان آنکه تقدیر و قضا سلب‌کنندهٔ اختیار نیست

گفت دزدی شحنه را کای پادشاه — آنچه کردم بود آن[2] حکم اله ۷ گفت شحنه آنچه من هم می‌کنم — حکم حقست ای دو چشم روشنم
از دکانی[3] گر کسی تربی برد — کاین زحکم ایزدست ای باخرد ۸ برسرش کوبی دوسه مشت ای گره[4] — حکم حقست اینکه اینجا باز نه
در یکی‌ترّه چو این‌عذر ای‌فضول — می نیاید نزد بقالی قبول ۹ تو[5] برین عذر اعتمادی میکنی — گرد مار و اژدها بر می تنی
زاینچنین عذر ای سلیم نا نبیل — خون ومال وزن همه گردی سبیل ۱۰ هرکسی پس سبلت تو برکند — عذر آرد خویش را مضطرکند
حکم حق گر عذر می شاید ترا — پس بیاموز و بده فتوی مرا ۱۱ که مرا صدآرزو وشهوت است — دستِ من بسته ز بیم وهیبت‌است
پس کرم کن عذر را تعلیم ده — برگشا از دست وپای من گره ۱۲ اختیاری کردهٔ تو پیشهٔ — کاختیاری دارم و اندیشهٔ
ورنه چون بگزیدهٔ آن پیشه را — از میان پیشها ای کدخدا ۱۳ چونکه آید نوبت نفس و هوا — بیست مرده اختیار آید ترا
چون برد یکجه از تو یار سود — اختیار جنگ در جانت گشود ۱٤ چونکه آید نوبت شکر نعم — اختیارت نیست وز سنگی توکم
دوزخت را عذر این باشد یقین — کاندرین سوزش مرا معذور بین ۱٥ کس‌بدین‌حجت چومعذورت‌نداشت — وزکف جلاد این دورت نداشت
چون[6] بدین‌داورجهان منظوم‌شد — حال آن عالم همت معلوم شد ۱٦

حکایت هم در جواب جبری و اثبات اختیار خلق و صحت امر و نهی و بیان آنکه عذر جبری در هیچ ملتی و در هیچ دینی مقبول نیست وموجب خلاص نیست از سزای آن کارکه‌کرده است چنانکه خلاص نیافت ابلیس جبری بآن‌که‌گفت‌که بما اغویتنی والتقلیل یدل علی‌الکثیر

آن یکی بررفت بالای درخت — می‌فشاند آن میوه را دزدانه سخت ۲۰ صاحب باغ آمد وگفت ای دنی — از خدا شرمیت کوچه می کنی
گفت از باغ خدا بندهٔ خدا — گر خورد خرماکه حق‌کردش عطا ۲۱ عامیانه چه ملامت میکنی — بخل بر خوان خداوند غنی
گفت ای ایبك بیاور آن رسن — تا بگویم من جواب بوالحسن ۲۲ پس ببستش‌سخت‌آن دم بردرخت — میزدش برپشت وپهلو چوب سخت
گفت آخر ازخدا شرمی بدار — می کشی این بی‌گنه را زار زار ۲۳ گفت‌کز چوب خدا این بنده‌اش — میزند بر پشت دیگر بنده خوش
چوب حقّ وپشت وپهلو آن او — من غلام و آلتِ فرمان او ۲٤ گفت توبه کردم از جبر ای‌عیار — اختیارست اختیارست اختیار
اختیارش اختیارت هست کرد[7] — اختیارش چون سواری زیرگرد ۲٥ اختیارش اختیار ما کند — امر شد براختیار ای مستند
حاکمی بر صورت بی اختیار — هست هر[8] مخلوق را در اقتدار ۲٦ تا کشد بی اختیاری صید را — تا برد بگرفته گوش او زید را
لیك بی هیچ آلتی صنع صمد — اختیارش را کمند او کند[9] ۲۷ اختیارش زید را قیدی[10] کند — بی‌سگ وبی‌دام‌چون‌صیدی[11] کند
آن دروگر حاکم چوبی بود — وان مصوّر حاکم خوبی بود ۲۸ هست آهنگر بر آهن قیّمی — هست بنا هم برآلت حاکمی
نادر این‌باشدکه چندین اختیار[12] — ساجد آید ز اختیارش بنده وار ۲۹ قدرت تو بر جمادات از نبرد — کی جمادی را از آنها نفی کرد
قدرتش بر اختیارات آنچنان — نفی نکند اختیاری را از آن ۳۰ خواستش میگوی بر وجه کمال — که نباشد نسبت جبر و ضلال
چونکه گفتی‌کفرمن خواه ویست — خواه خودرا نیزهم میدان که هست ۳۱ زانکه بی‌خواه‌تو خود کفر تونیست — کفر بیخواهش تناقض گفتنیست
امر عاجز را قبیحست و ذمیم — خشم بدتر خاصه از ربّ رحیم ۳۲ گاو گر یوغی نگیرد میزنند — هیچ گاوی کو نبرد شد نژند
گاو چون معذور نبود در فضول — صاحب‌گاوازچه‌معذوراست‌ودول[13] ۳۳ چون نهٔ رنجور سر را بر مبند — اختیارت هست بر سبلت مخند
جهدکن کز جام حق یابی نوی — بیخود و بی اختیار آنگه شوی ۳٤ آنگه آن می را بود کل اختیار — تو شوی معذور مطلق مستوار
هرچه گوئی گفتهٔ می باشد آن — هرچه روبی رفتهٔ می باشد آن ۳٥ کی‌کندآن مست جزعدل وصواب — که زجام‌حق‌چشیدست[14] اوشراب
جادوان فرعون‌راگفتند بیست[15] — مست‌را پروای دست وپای نیست ۳٦ دست وپای ما می‌آن‌واحد[16] است — دست ظاهرسایه‌است وکاسداست
❀ چون بسر برشد زجام‌او مدام ۳۷ خانهٔ دل را فرو گیرد تمام

در معنی ماشاءالله کان یعنی خواست خواست اوست و رضا رضای او و از خشم و ردّ دیگران تنگدل مباشید کان اگرچه لفظ ماضی است لیکن در فعل خدا ماضی ومستقبل نباشدکه لیس عند ربنا صباح" ولا مساء

قول بنده ایش شاء الله کان — بهرآن نبودکه منبل‌شو[17] درآن[18] ٤۰ بهر[19] تحریض‌است‌براخلاص وجدّ — کاندر آن خدمت فزون شو مستعد

---

۱ ـ نهد ۲ ـ از ۳ ـ دکانت ٤ ـ گره ٥ ـ چون ٦ ـ پس ۸ ـ مر ۱۰ ـ قیدش ۱۱ ـ حق صیدش ۱٤ ـ کشیدست ۱٦ـ واجد ۱۸ ـ تنبل کن روان ۱۹ ـ بلکه (ن . ل)

---

(۷) تحقیقات خود مولویست یعنی عارض باید بذاتی منتهی شود مثل وجود عارضی ممکن‌که منتهی‌میشود بوجود ذاتی واجب بالذات پس اختیارات عارضه منتهی‌میشود باختیار ذاتی واجب ونیکو گفته است معلم ثانی «لابد ان یکون فی‌الارادة ارادة بالذات وفی‌القدرة قدرة بالذات وفی الاختیار اختیار" بالذات حتی تکون هذه فی اشیاء لابالذات» (۹) یعنی اختیار آدمی را کمند آدمی‌کند (۱۲) مانند انبیا واولیا (۱۳) دول بمعنی سفله ومکار است در بعضی نسخ زول نوشته و مخفف معزول معنی کرده‌اند (۱٥) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ شعرا لا قطعنّ ایدیکم و ارجلکم من خلاف ولاصلبنکم اجمعین قالوالاضیر انا الی ربنا منقلبون (۱۷) یعنی‌اگرخدابخواهد برای تنبل‌شدن نیست‌که تحصیل علم ومعارف واخلاق حسنه نکنی بلکه برای آن است که بدانی که آنچه خدا خواسته از کمال برای تو آن البته میشود

گر بگویند آنچه میخواهی تو راد — کار کار تست برحسب مراد ۱ آنگه ار منبل[1] شوی چایز بود — کانچه خواهی وانچه جوئی آن شود
چون بگویند ایش شاء الله کان — حکم حکم اواست مطلق جاودان ۲ پس چرا صد مرده اندر ورد او — بر نگردی بندگانه گرد او
گر بگویند آنچه میخواهد وزیر — خواست آن اوست اندردار وگیر ۳ گرد او گردان شوی صد مرده زود — تا بریزد بر سرت احسان وجود
یا گریزی از وزیر و قصر او — این نباشد جست وجوی ونصر او ٤ بازگونه زاینسخن کاهل شوی — منعکس ادراك وخاطر ای غوی
امر امر آن فلان خواجه است هین — چیست یعنی با جز او کمتر نشین ٥ گرد خواجه گرد چون امر آن اوست — کو کشد دشمن رهاند جان دوست
هرچه او خواهد همان یابی[2] یقین — یاوه کم رو خدمت او برگزین ٦ نی چو حاکم اوست گرداو مگرد — تا شوی نامه سیاه و روی زرد
❁ چونکه حاکم اوست اورا گیر و بس — غیر اورا نیست حکم ودسترس ۷ حق بود تأویل کان گرمت کند[3] — پرامید و چست و با شرمت کند
ورکند سستت[4] حقیقت این بدان — هست تبدیل و نه تأویلست آن ۸ این برای گرم کردن آمدست — تا بگیرد نا امیدان را دو دست
معنی قرآن ز قرآن پرس و بس — وز کسی کانش زدست اندر هوس ۹ پیش قرآن گشته قربانی و پست — تا که عین روح آن قرآن شدست
روغنی کو شد فدای گل بگل — خواه روغن بوی کن خواهی تو گل ۱۰ ❁ گر نمیدانی بجو تأویل آن — تا بتابد بر دلت آن را عیان

در بیان معنی جف القلم وکتب ان لا یستوی الطاعة والمعصیة لا یستوی الامانة والسرقة جف القلم ان لایستوی الشکروا لکفران، جف القلم ان الله لایضیع اجر المحسنین[5]

هم چنین تأویل قد جف القلم — بهر تحریض است بر شغل اهم ۱۳ پس قلم بنوشت که هر کار را — لایق آن هست تأثیر و جزا
کژ روی جف القلم کژ آیدت — راستی آری سعادت زایدت ۱٤ چون بدزدد دست شد جف القلم — خورد باده مست شد جف القلم
ظلم آری مدبری جف القلم — عدل آری بر خوری جف القلم ۱٥ تو روا داری روا باشد که حق — همچو معزول آید از حکم سبق
که زدست من برون رفتست کار — پیش من چندین میا چندین مزار ۱٦ بلکه آن معنی بود جف القلم — نیست یکسان نزد او[6] عدل وستم
فرق بنهادم میان خیر و شر — فرق بنهادم ز بد هم از بتر ۱۷ ذره گر در تو افزونی ادب — باشد از یارت بداند فضل رب
قدر آن ذره ترا افزون دهد — ذره چون کوهی قدم بیرون نهد ۱۸ پادشاهی که به پیش تخت او — فرق نبود از امین و ظلم جو[7]
آنکه میلرزد ز بیم رد او — وانکه طعنه میزند بر جد او ۱۹ فرق نکند هردو یك باشد برش — شاه نبود خاك تیره بر سرش
ذرهٔ گر جهد تو افزون شود — در ترازوی خدا موزون شود ۲۰ پیش این شاهان همیشه جان کنی — بیخبر ایشان ز غدر و روشنی
گفت غمازی که بد گوید ترا — ضایع آرد خدمت را سالها ۲۱ پیش شاهی کو سمیع است وبصیر — گفت غمازان نباشد جای گیر
جمله غمازان از او آیس شوند[8] — سوی ما آیند و افزایند پند ۲۲ بد همی[9] گویند شه را پیش ما — که برو جف القلم کم کن وفا
معنی جف القلم کی این بود — که جفاها با وفا یکسان شود ۲۳ بل جفا را هم جفا جف القلم — وان وفا را هم وفا جف القلم
عفو باشد لیك او قسر امید — که بود بنده ز تقوی رو سپید ۲٤ دزد را گر عفو باشد برد جان[10] — لیك کی خازن شود پیش شهان[11]
ای امین الدین ربانی بیا — کنز امانت رست هر تاج و لوا ۲٥ پور سلطان کی برو خائن شود — آن سرش از تن بدان باین شود
ور غلام هندوئی آرد وفا — دولت اورا میزند طال بقا ۲٦ چه غلام ار بردری سگ باوفاست — در دل سالار اورا صد رضاست
زین چو سگ را بوسه بر پوزش زند — گر بود شیری چه پیروزش کند ۲۷ جز مگر دزدی که خدمتها کند — صدق او بیخ جفا را بر کند
چون فضیل رهزنی کو راست باخت[12] — زانکه ده مرده بسوی توبه تاخت ۲۸ وانچنانکه ساحران فرعون را — روسیه کردند از صبر و وفا
دست و پا دادند در جرم قود — آن بصد ساله عبادت کی شود ۲۹ تو که پنجه سال خدمت کردهٔ — کی چنین صدقی بدست آوردهٔ

حکایت آن درویش که در هری غلامان عمید خراسانی را آراسته دید و بر اسبان تازی وقباهای زربفت وکلاههای مغرق و غیر آن پرسید که اینها کدام امیرانند وچه شاهانند گفتند اورا که اینها امیران نیستند اینها غلامان عمید خراسانند روی بآسمان کرد که ای خدا غلام پروردن از عمید خراسان بیاموز آنجا مستوفی را عمید گویند

آن یکی گستاخ رو اندر[13] هری — چون بدیدی او غلام مهتری ۳٤ جامهٔ اطلس کمر زرین روان — روی کرد او سوی قبلهٔ آسمان
کای خدا زین خواجهٔ صاحب منن — چون نیاموزی تو بنده داشتن ۳٥ بنده پروردن بیاموز ای خدا — زین رئیس و اختیار شهر ما
بود محتاج و برهنه و بینوا — در زمستان لرز لرزان از هوا ۳٦ انبساطی کرد آن از خود بری — جرأتی بنمود او از لمتری
اعتمادش بر هزاران موهبت — که ندیم حق شد اهل معرفت ۳۷ گر ندیم شاه گستاخی کند[14] — تو مکن چون تو نداری آن سند
حق میان داد و میان به از کمر — گر کسی تاجی دهد او داد سر ۳۸ تا یکی روزی که شاه آن خواجه را — متهم کرد و ببستش دست و پا
آن غلامان را شکنجه می نمود — که دفینهٔ خواجه بنمائید زود ۳۹ سر او با من بگوئید ای خسان — ورنه برم از شما دست ولسان[15]
مدت یکماهشان تعذیب کرد — روز وشب اشکنجه وافشار ودرد ٤۰ پاره پاره کردشان و یك غلام[3] — راز خواجه وا نگفت از اهتمام

---

۱ ـ تنبل ۲ ـ خواهی ٤ ـ سردت ٦ ـ پیش من ۷ ـ خو ۹ ـ بس جفا ۱۰ ـ جان برد ۱۱ ـ کی وزیر و خازن مخزن شود ۱۳ ـ درویش در شهر ۱٥ ـ حلق و زبان (ن . ل)

---

(۳) یعنی کلمهٔ علیه ماشاءالله کان آمد برای آنکه بیشتر کارکنی وبحق متوسل شوی درهمهٔ امور نه آنکه کج بفهمی ومنبل شوی چنانکه درامر آن وزیرکه مصدر امور دانستی مساهله روا نداشتی وجد میکردی الانصاف من الایمان (٥). حدیث نبویست یعنی بتحقیق خشك شد قلم ونوشت اینکه برابر نیست طاعت با معصیت وبرابر نیست امانت ودزدی وخشك شد قلم باینکه برابر نیست شکر نعمت بجا آوردن وکفران نعمت ورزیدن وخشك شد قلم ونوشت بدرستیکه خدایتعالی ضایع نمیگذارد اجر نیکوکاران را (۸) همه نامان نومیدند ازتأثیر غمازی درآن درگاه (۱۲) فضیل عیاض دزد وراهزن بود شبی بدزدی در خانهٔ رفت صاحب خانه این آیه را از قرآن میخواند که الم یأن للذین آمنوا ان تخشع قلوبهم لذکرالله در فضیل اثر نمود وتوبه کرد واز زهاد شد ومعروف گشت (۱٤) یعنی این گونه گستاخیها شأن هر سالکی نیست

گفتش اندرخواب هاتف کای کیا — بنده بودن هم بیاموز و بیا ۱ ای دریده پوستین یوسفان — گر بدرّد گرگ آن از خویش دان
زانچه می بافی همه روزه بپوش — زانچه میکاری همه ساله بنوش ۲ فعل تست این غصهای دم بدم — این بود معنیّ قد جفّ القلم
که نگردد سنت ما از رشد[1] — نیك را نیکی[2] بود بد راست بد[3] ۳ کارکن هین تا سلیمان زنده است — تا تو دیوی تیغ او برّنده است
چون فرشته گشت ازتیغ ایمن است — وز سلیمان ایمن[4] وازخوف رست ۴ ازسلیمان هیچ اورا خوف نیست — دشمن دیواست و از وی ایمنیست
حکم او بر دیو باشد نی ملك — رنج در خاکست نی فوق فلك ۵ ترك کن این جبررا که بس تهیست — تا بدانی سرّ سرّ جبر چیست
ترك کن این جبر جمع منبلان — تا خبر یابی ازآن جبر چو جان ۶ ترك کن معشوقی و کن عاشقی — ای گمان برده که خوب و فایقی
ای که در معنی زشب خامش تری — گفت خودرا چند جوئی مشتری ۷ سر بجنبانند پیشت بهر تو — رفت در سودای ایشان دهر تو
تو مرا گوئی حسد اندر مپیچ — چه حسد آرد کسی بر فوت هیچ ۸ هست تعلیم خسان ای یارشوخ[5] — همچو نقش خوب کردن بر کلوخ
خویش را تعلیم کن عشق ونظر — کان بود کالنقش فی جرم الحجر ۹ نقش[6] تو با تست شاگرد[7] وفا — غیر شد فانی کجا جوئی کجا
تا کنی مر غیر را حبر و سنی — خویش را بد خو و خالی میکنی ۱۰ متصل شد چون دلت با آن عدن — هین بگو مهراس از خالی شدن
امر قل زین آمدش کای راستین — کم نخواهد شد بگو دریاست این ۱۱ انصتوا یعنی که آبت را بلاغ — هین تلف کم کن که لب خشکست باغ
این سخن پایان ندارد ای پدر — اینسخن را ترك کن پایان نگر ۱۲ غیرتم آید که پیشت بیستند — بر تو میخندند و عاشق نیستند
عاشقانت در پس پردهٔ کرم[8] — بهر تو نعره زنان بین دمبدم ۱۳ عاشق آن عاشقان غیب باش — عاشقان پنج روزه کم تراش
که بخوردندت بخدعه[9] جذبهٔ — سالها ز ایشان ندیدی حبّهٔ ۱۴ چند هنگامه نهی بر راه عام — کام جستی[10] بر نیامد هیچ کام
وقت صحت جمله یارند وحریف — وقت درد وغم بجزحق[11] هیچکس ۱۵ وقت درد وغم بجزحق[11] هیچکس — خود نباشد مر ترا[12] فریاد رس
پس همان درد ومرض را یاددار — چون ایاز از پوستین گیر اعتبار ۱۶ پوستین آن حالت درد تو است — که گرفتست آن ایازآن را بدست

باز جواب گفتن کافر جبری مؤمن سنی راکه باسلام وبترك اعتقاد جبرش دعوت میکرد ودراز شدن مناظره از طرفین که مادهٔ اشکال وجواب را نبرّد الاّ عشق حقیقی که اورا پروای آن نماند ذلك فضل الله یؤتیه من یشاء

کافر جبری جواب آغاز کرد — که ازآن عاجزشد آن بیچاره مرد ۲۰ لیك گر من آن جوابات وسؤال — جمله واگویم بمانم زین مقال
زان مهمتر گفتنیها هستمان — که بدان فهم تو به یابد نشان ۲۱ اندکی گفتیم زان بحث عتل — زاندکی پیدا شود قانون کل
در میان جبری و اهل قدر — همچنین بحثست تا حشر ای پسر ۲۲ گر فروماندی زدفع خصم خویش — مذهب ایشان بر افتادی ز پیش
چون برون شوشان نبودی درجواب — پس رمیدندی از آن راه تباب ۲۳ چونکه مقضی بدرواج[13] آن روش — میدهدشان[14] ازدلایل پرورش[15]
تا نگردد ملزم از اشکال خصم — تا بود محجوب از اقبال خصم ۲۴ تا که این هفتاد و دو ملت مدام — در جهان ماند الی یوم القیام
چون جهان ظلمتست وغیب این — از برای سایه میباید زمین ۲۵ عزّت مخزن بود اندر بها — که برو بسیار باشد قفلها
تا قیامت ماند این هفتاد و دو — کم نیاید مبتدع را گفت و گو[16] ۲۶ عزّت مقصد بود ای ممتحن — پیچ پیچ راه و عقبه و راه زن
عزّت کعبه بود آن ناحیه — دزدی اعراب و طول بادیه ۲۷ هرروش هرره که آن محمود نیست — عقبهٔ و مانعی و ره زنیست
این روش خصم و حقود آن شده — تا مقلد در دو ره حیران شده ۲۸ صدق هردوضد بینند درطریق[17] — تارود درراه خود خوش هرفریق[18]
ور جوابش نیست می بندد ستیز — بر هماندم تا بروز رستخیز ۲۹ که مهان ما بدانند این جواب[19] — گرچه از ما شد نهان وجه صواب
پوزبند وسوسه عشق است وبس[20] — ورنه کی وسواس را بستست کس ۳۰ عاشقی شو شاهد خوبی بجو — صید مرغابی همی کن جو بجو
کی بری زان آب کابت را برد — کی کنی زان فهم فهمت را خورد ۳۱ غیر این معقولها معقولها — یابی اندر عشق با فرّ و بها
غیر این عقل تو حق را عقلهاست — که بدان تدبیر اسباب شماست ۳۲ تا بدین عقل آوری ارزاق را — زان دگر مفرش کنی اطباق را
عشر امثالت دهد تا هفتصد[21] — چون ببازی عقل در عشق صمد ۳۳ آن زنان چون عقلها در باختند — بر رواق عشق یوسف تاختند
عقلشان یکدم ستد ساقیّ عمر — سیر گشتند از خرد باقیّ عمر ۳۴ اصل صد یوسف جمال ذوالجلال — ای کم اززن شو فدای آن جمال
عشق برّد بحث را ای جان وبس — کو زگفت و گو شود فریاد رس ۳۵ حیرتی آید زعشق آن نطق را — زهره نبود که کند او ماجرا
کو بترسد گر جوابی وا دهد — گوهری از لنج[22] او بیرون فتد ۳۶ لب ببندد سخت او ازخیر وشر — تا مبادا کز دهان افتد گهر

---

۵ ـ چشم شوخ ـ بارسوخ ۶ ـ نفس ۷ ـ شاکر در ۹ ـ زخدعه و ۱۰ـ گام خستی ۱۱ـ چشم و دندان ۱۲ـ دست تو گیرد بجز ۱۳ـ دوام ۱۵ـ از دلائل داد حق بیرون شوش ۱۶ـ مبتدع را سوی گفتار است رو ۱۷ـ ره بینند در روش ۱۸ـ هر فریقی درره خود خوش منش ۲۲ ـ کام (ن . ل)

---

(۱) ولن تجد لسنت الله تبدیلا (۲) هل جزاءالاحسان الا الاحسان (۳) جزاء سیئة سیئة مثلها (٤) چون فرشته معصوم است ازخطا (۸) عقول کلیه که محرك فاعلی وغائی نفوس ناطقه اند وهلموا الینا میگویند (١٤) مثل آنکه میگویند ایجاد فرع وجود است و وجود از حق است پس تأثیر مطلقا از حق است و گفتیم که در عین آنکه حقیقت وجود حق است ممکنات هم وجود دارند و اضافه بقابل هم هست که وحدت در کثرت وکثرت دروحدت حق است ومثل ادله کتابیه آورند که حقیقتش را نرسیده اند مثل الله خالق کل شی ومثل قل کل من عندالله ومثل خلقکم وما تعملون و غیر ذلك ومثل امر قضا وقدر وسبق آن و معلومست کمامر که وجود هر موجود مجعول حق است و او خیر است ونور است نه میت و عین ثابت الا بالعرض والشر مقضی بالعرض (۱۹) مضمون آیه واقعه در سورهٔ زخرف بل قالوا انا وجدنا آبائنا علی امة و انا علی آثارهم مهتدون (۲۰) یعنی حل همه مشکلات بعشق است (۲۱) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ بقره مثل الذین ینفقون اموالهم فی سبیل الله کمثل حبة انبتت سبع سنابل فی کل سنبلة مأة حبة والله یضاعف لمن یشاء یعنی عمل نیکو مانند یکدانه بود که برویاند و بیرون کند هفت خوشه و در هرخوشه صد دانه باشد وخدا دو چندان کند برای هرکه خواهد

همچنانکه گفت آن یار رسول — چون نبی برخواندی برما فصول ۱ آن رسول مجتبی وقت نثار — خواستی از ما حضور وصد وقار
آنچنانکه بر سرت مرغی بود[1] — کز فواتش جان تو لرزان شود ۲ پس نیاری هیچ جنبیدن ز جا — تا نگیرد مرغ خوب تو هوا
ده بیاری زد ببندی سرفه را — تا نباید ناگهان پرّد هما ۳ ورکست شیرین بگوید یا ترش — بر لب انگشتی نهی یعنی خمش
حیرت آن مرغست خاموشت کند ۴ برنهد سرپوش و پرجوشت کند

پرسیدن پادشاه قاصداً ایازراکه چندین غم وشادی با چارق وپوستین که جمادست چراست تا ایاز را در سخن آورد

ای ایاز این مهرها بر چارقی[2] — چیست آخر همچو بربت عاشقی[3] ۷ همچو مجنون بررخ لیلی خویش — کردهٔ تو چارقی را دین و کیش
با دو کهنه مهر جان آمیخته — هر دو را در حجرهٔ آویخته ۸ چند گوئی با دو کهنه نو سخن — در جمادی میدمی سرّ کهن
چون عرب باربع واطلال ای ایاز — میکشی ازعشق گفت خود[4] دراز ۹ چارقت ربع کدامین آصف است — پوستین گوئی قمیص یوسف است
همچو ترسا که شمارد با کشیش — جرم یکساله ز هرگونه بدیش[5] ۱۰ تا بیامرزد کشیش آن گناه — عفو اورا عفو داند از اله
نیست آگه آن کشیش ازجرم وداد — لیك بس جادوست عشق واعتقاد ۱۱ دوستی در وهم صد یوسف تند — اسحر ازهاروت وماروتست خود[6]
صورتی پیدا کند بر یاد او — جذب صورت آردت در گفت وگو ۱۲ رازگوئی پیش صورت صد هزار — آنچنانکه یار گوید پیش یار
نی بدانجا صورتی نه هیکلی — زاده از وی صد الست وصد بلی ۱۳ آنچنانکه مادر دل بردهٔ — پیش گور بچهٔ نو مردهٔ
رازها گوید بجدّ و اجتهاد — مینماید زنده اورا آن جماد ۱۴ حیّ وقائم داند او آن خاك را — چشم و گوشی داند او خاشاك را
پیش او هر ذرّهٔ زان خاك گور — گوش دارد هوش دارد وقت شور ۱۵ مستمع داند بجدّ آن خاك را — خوش نگر این عشق ساحرناك را
آنچنان بر خاك گور تازه او — دم بدم خوش مینهد با اشك رو ۱۶ که بوقت زندگی هرگز چنان — روی ننهاده است بر پورجوان[7]
از عزا چون بگذرد یکچند روز — کم شود آن آتش وآن عشق وسوز ۱۷ بعد ازآن زان گورهم خواب آیدش — از جمادی هم جمادی زایدش
زانکه عشق افسون خود بربود ورفت — ماند خاکستر چو آتش رفت تفت ۱۸ عشق بر مرده نباشد پایدار — عشق را برحیّ جان افزای دار
آنچه بیند آن جوان در آینه[8] — پیر اندر خشت بیند عاینه[9] ۱۹ پیر عشق تست نی موی سپید — دستگیر صد هزاران نا امید
عشق صورتها بسازد در فراق — تا مصور سرکشد[10] وقت تلاق ۲۰ که منم آن اصل اصل هوش ومست — برصور عکسی زحسن ما بدست
پردها را این زمان برداشتیم[11] — حسن را بیواسطه بفراشتیم ۲۱ زانکه بس با عکس من دریافتی — قوّت تجرید ذاتم یافتی
چون ازاین سو جذبهٔ من شد روان — او کشش را می‌نبیند در میان ۲۲ مغفرت میخواند از جرم و خطا — از پس آن پرده ازلطف خدا
چون ز سنگی چشمهٔ جاری شود — سنگ اندر چشمه متواری شود ۲۳ کس نخواند بعد ازآن آن را حجر — زانکه جاری شد ازآن سنگ وگهر
کاسها دان این صور را واندراو ۲۴ آنچه حق ریزد بدان گیرد علو

حکایت تسلّی کردن خویشان مجنون را از عشق لیلی

ابلهان را گفتند مجنون را زجهل — حسن لیلی نیست چندان هست سهل ۲۶ بهتر از وی صد هزاران دلربا — هست همچون ماه درشهرای کیا[12]
نازنین‌تر زوهزاران حوروش — هست بگزین زان همه یك یارخوش ۲۷ وارهان خودرا ومارا نیز هم — از چنین سودای زشت متهم
گفت صورت کوزه‌است وحسن می — می‌خدایم میدهد ازظرف[13] وی ۲۸ مر شمارا سرکه داد از کوزه‌اش — تا نباشد عشق او تان گوش کش
از یکی کوزه دهد زهر و عسل — هر یکی را دست حق عزّ وجل ۲۹ کوزه می بینی ولیکن آن شراب — روی ننماید بچشم ناصواب
قاصرات الطرف[14] باشد ذوق جان — جز بخصم خویش ننماید نشان ۳۰ قاصرات الطرف باشد آن مدام — وین حجاب ظرفها همچون خیام[15]
هست دریا خیمهٔ در وی حیات — بط را لیکن کلاغان را ممات ۳۱ زهرباشد مار را هم قوت وبرگ — غیراورا زهر او دردست ومرگ
صورت هر نعمتی و محنتی — هست آن را دوزخ این را جنتی ۳۲ پس همه اجسام واشیا تبصرون — اندر او قوتست وهم[16] لاتبصرون
هست هرجسمی چو کاسه وکوزهٔ — اندرو هم قوت و هم دلسوزهٔ ۳۳ کاسه پیدا اندرو پنهان رغد — طاعمش داند کز آن چه میخورد
صورت یوسف چو جامی بود خوب — زان پدرمیخورد صد بادهٔ طروب ۳۴ باز اخوان را ازآن زهراب بود — کاندر ایشان زهر کینه میفزود
باز از وی مر زلیخا را شکر — می کشید از عشق افیون دکر ۳۵ غیر آنچه بود مر یعقوب را — بود از یوسف غذا آن خوب را
گونه گونه شربت و کوزه یکی — تا نماند در می غیبت شکی ۳۶ باده ازغیبست وکوزه زین جهان — کوزه پیدا باده در وی بس نهان
بس نهان از دیدهٔ نا محرمان — لیك بر محرم هویدا و عیان ۳۷ یا الهی سُکِرَتَ اَبصارُنا[17] — فاکشف عنا اَثقلت او زارُنا
یا خفیا قد ملأتَ الخافقین — قد علوتَ فوقَ نور المشرقین ۳۸ انتَ سِرٌّ کاشفٌ اسرارنا — انتَ نجرٌ منجرٌ انهارنا

---

۲ ـ برچارق ترا ۳ ـ باز گو این ماجرا ٤ ـ دستان ٥ ـ زنا وغلّ و غش ٦ ـ ماروتش کند ۷ ـ چو جان ۸ ـ هرچه اندر آینه بیند جوان ۹ ـ پیر اندر خشت بیند بیش ازآن ۱۰ ـ نامصور سرکند ۱۲ ـ اندر شهر ما ۱۳ ـ نقش ـ ظرف ۱٦ ـ سم (ن . ل)

---

(۱) مضمون حدیث نبوی است کانهم علی رؤسهم الطایر یعنی بنوعی بحق مشغول بودند که گویا برسرهای ایشان مرغی نشسته است (چون عادت صور براین است که هرگز بر غیر ساکن نمی نشینند) (۱۱) یعنی اسقاط اضافات شد و مهیات و تعینات بعدم راجع شد رایت حسن بیواسطه افراشته شد بلکه چنانکه حقیقت علویه فرموده کمال الاخلاص نفی الصفات از مقام اسماء و صفات بینی ترقی کند وقوت تجرید ذات یابد بقدرت او چنانکه در بیت بعد است واینجا فناء محض است (۱٤) یعنی زنانی که چشم ایشان ازغیرجفت خود بسته باشد (۱٥) هردو آیه درسورهٔ الرحمن واقع شده فیهنّ قاصرات الطرف ـ حورٌ مقصوراتٌ فی الخیام (۱۷) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ حجر ولو فتحنا علیهم بابا من السماء فظلوا فیه یعرجون لقالوا انما سکرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون

یا خفیّ الذات محسوسَ العطا — انتَ کالماء و نحنُ کالرّحا ۱ — انتَ کالریح و نحنُ کالغبار — یختفی الرّیح و غبراه جهار[1]
تو بهاری ما چو باغ سبز وخوش — او نهان و آشکارا بخششش ۲ — تو چو جانی ما مثال دست و پا — قبض وبسط دست ازجان شد روا
تو چو عقلی ما مثال این زبان — این زبان از عقل دارد این بیان ۳ — تو مثال شادی و ما خنده ایم — که نتیجهٔ شادی فرخنده ایم
جنبش ما هردمی خود اشهد است — کو گواه ذو الجلال سرمد است ۴ — گردش سنگ آسیا در اضطراب — اشهد آمد بر وجود جوی آب
ای برون ازوهم وقال وقیل من — خاك بر فرق من و تمثیل من ۵ — بنده نشکیبد ز تصویر خوشت — هر دمی گوید که جانم مفرشت
همچوآن چوپان که میگفت ای خدا — پیش چوپان محبّ خود بیا ۶ — تا شپش جویم من ازپیراهنت — چارقت دوزم بیوسم دامنت
کس نبودش در هوا وعشق جفت — لیك قاصر بودش از تسبیح گفت ۷ — عشق او خرگاه بر گردون زده — جان سگ خرگاه چوپان آمده[2]
چونکه بحرعشق یزدان جوش زد ۸ — بر دل او زد ترا برگوش زد

حکایت جوحی که چادر پوشیده ودر وعظ میان زنان نشسته وحرکتی کرد که زنی اورا بشناخت که مرد است و نعرهٔ کشید

واعظی بد بس گزیده در بیان — زیر منبر جمع مردان و زنان ۱۱ — رفت جوحی[3] چادر وروبند ساخت — در میان آن زنان شد ناشناخت
سائلی پرسید واعظ را براز — موی عانه هست نقصان نماز ۱۲ — گفت واعظ چون شود عانه دراز — بس کراهت باشد از وی درنماز
یا بنوره یا سترّه بسترش — تا نمازت کامل آید خوب وخوش ۱۳ — گفت سائل آن درازی تا چه حدّ — شرط باشد تا[4] نماز اکمل بود
گفت چون قدرجوی گردد بطول — پس ستردن فرض باشد ای سؤل ۱۴ — ❀پیش جوحی یك زنی بنشسته بود — هوش را بروعظ واعظ بسته بود
گفت اورا جوحی ای خواهر ببین — عانهٔ من باشد اکنون اینچنین ۱۵ — بهر خوشنودیٔ حق پیش آر دست — کان بمقدار کراهت آمدست
دست زن درکرد درشلوار مرد — خرزهاش بردست زن آسیب کرد ۱۶ — نعرهٔ زد سخت اندر حال زن — گفت واعظ بر دلش زدگفت من
❀صدق را زین زن بیاموزید هین — چونکه بردل زد ورا گفت چنین ۱۷ — گفت نی بر دل نزد بردست زد — وای اگر بردل زند ای بیخرد[5]
بر دل آن ساحران زد اندکی — شد عصا و دست ایشان را یکی ۱۸ — گر ز پیری در ربائی تو عصا — پیش رنجدکان گروه ازدست وپا
نعرهٔ لاضیر بر گردون رسید[6] — هین بیرچون جان زجان کندن رهید ۱۹ — چون بدانستیم ما کاین تن نه ایم[7] — از ورای تن بیزدان میزئیم
ای خنك آنرا که ذات خود شناخت — اندر امن سرمدی قصری بساخت ۲۰ — کودکی گرید بی جوز و مویز — پیش عاقل باشد آن بس سهل چیز
پیش دل جوز و مویز آمد جسد — طفل کی در دانش مردان رسد ۲۱ — هرکه محجوبست او خودکودکی است — مردآن باشد که بیرون ازشکی است
گر بریش و خایه مردستی کسی — هر بزی را ریش ومو باشد بسی ۲۲ — پیشوای بد بود آن بز شتاب — میبرد اصحاب[8] را سوی قصاب
ریش را شانه زدی که سابقم — سایقی لیکن بسوی درد و غم ۲۳ — هین روش بگزین وترك ریش کن — ترك این ما و من وتشویش کن
ریش خودرا خنده زاری کردهٔ — نازکم کن چونکه ریش آوردهٔ ۲۴ — تا شوی چون بوی گل برعاشقان — پیشوا و رهنمای گلستان
چیست بوی گل دم عقل و خرد ۲۵ — شد قلاوز ره ملك[9] ابد

فرمودن شاه دیگر باره ایاز را که شرح چارق و پوستین آشکارا بگو تا خواجه تاشات از آن اشارت پند گیرند که الدین نصیحة

سرّ چارق را بیان کن ای ایاز — پیش چارق چیستت چندین نیاز ۲۸ — تا نپوشد سقف — سرّ سرّ پوستین و چارقت
ای ایاز از تو غلامی نور یافت — نورت ازپستی سوی گردون[10] شتافت ۲۹ — حسرت آزادگان شد بندگی — بندگی را خود تو دادی زندگی
مؤمن آن باشد که اندرجزر ومد ۳۰ — کافر ازایمان او حسرت خورد

حکایت کافری که گفتندش درعهد ابا یزید که مسلمان شو وجواب گفتن او ایشان را

بود گبری در زمان بایزید — گفت او را یك مسلمان سعید ۳۲ — که چه باشد گر تو اسلام آوری — تا بیابی صد نجات و سروری
گفت این اسلام[11] اگر هست ای مرید — آنکه دارد شیخ عالم بایزید ۳۳ — من ندارم طاقت آن تاب آن — کان نزون آمد زکوششهای جان
گرچه در ایمان و دین ناموقنم — لیك در ایمان او بس مؤمنم ۳۴ — دارم ایمان کو زجمله برتراست — بس لطیف وبا فروغ وبا فراست
مؤمن ایمان اویم در جهان[12] — گرچه مهرم هست محکم بردهان ۳۵ — باز ایمان گر خود ایمان شماست — نی بدان میلستم و نی اشتهاست
آنکه صد میلش سوی ایمان بود — چون شمارا دید آن فاتر[13] شود ۳۶ — زانکه نامی بیند و معنیش نی — چون بیابان را مفازه[14] گفتنی
چون بایمان شما او بنگرد ۳۷ — عشق او زآوردِ ایمان بفسرد

---

۲ ـ چون سگ درگاه آن چوپان شده ۳ ـ جوحی ۵ ـ زدی ای پر خرد ۸ ـ اغنام ۹ ـ باغ ۱۰ـ گردون بیالا بر ۱۱ـ ایمان ۱۲ـ نهان ۱۳ ـ باطل (ن . ل)

---

(۱) یعنی ای نهان از چشم که سر تا سر عالم را گرفتهٔ بتحقیق که بالاتری از نور مشرقین تو پنهانی وآشکارا کنندهٔ پنهانیهای مارا تو فجری در روشنی و جاری کنندهٔ آبهای نهرهای ما هستی ای ذات تو پنهان و عطای تو عیان تو مثل آبی و ما مثل آسیا تو مثل بادی و ما مثل غبار که باد ناپیداست و غبار نمودار است وحال آنکه حرکت غبار از باد است (٤) اگر بگوئی درازی هیچ حدش شرط کمال نماز نیست گوئیم مراد شرط ستردنست بقرینه سابق (٦) جواب سحره است که بفرعون گفته اند چون گفت شما را دست و پا میبرم و بدرخت میآویزم قالوا لاضیر انّا الی ربنا منقلبون یعنی باکی نیست وپروا نداریم که نزد پروردگار خود باز گشت خواهیم نمود (۷) بلکه لطیفه روحیه هستیم و این تن بمنزله کلوخی است در آفتاب روح چه آفتاب آفتابی محیط بعوالم عرضیه وطولیه افق اعلای آن مرتبه اسماء و صفات واجب نمی بینی که نور عقلش بهمه جا نفوذ دارد اگر مؤید شود بتأیید حق وخلافت دارد مثل موجودات هرعالمی را وچه آفتاب آفتابی عین حیات وعلم و عشق ومشیت وقیام بالذات وغیر اینها از کمالات وآنان که اناوانت وهو یا من وتو واو ومانند اینهارا میگویند وبدنهارا قصد میکنند خدا شناسی وخودشناسی ندارند نسوالله فانساهم انفسهم (١٤) با اینکه مفازه بمعنی نجات وفوز است نام نهاده شده جهت صحرای پرمخافت که بیم هلاکت دارد

حکایت آن مؤذن زشت آواز که در کافرستان بانگ زد از برای نماز و مرد کافر اورا هدیها داد

۱ ❀ این حکایت یادگیر ای تیزهوش — صورتش بگذار ومعنی را نیوش
۲ یك مؤذن داشت بس آواز بد — ❀ شب همه شب میدریدی حلق خود
۳ ❀ خواب خوش بر مردمان کرده حرام — در صداع افتاده از وی خاص وعام
۴ ❀ کودکان ترسان از او در جامه خواب — مرد وزن زآواز او اندر عذاب
۵ ❀ مجتمع گشتند مر توزیع را — بهر دفع زحمت و تصدیع را
۶ ❀ پس طلب کردند اورا در زمان — افچها دادند و گفتند ای فلان
۷ ❀ از اذانت جمله آسودیم ما — پس کرم کردی شب وروز ای کیا
۸ ❀ چون رسید از تو بهر یك دولتی — خواب رفت از ما کنون هم مدتی
۹ ❀ بهر آسایش زبان کوتاه کن — در عوض مان همتی همراه کن
۱۰ ❀ قافله میشد بکعبه از وله — افچه بستد شد روان با قافله
۱۱ ❀ شبگهی کردند اهل کاروان — منزل اندر موضع کافرستان
۱۲ ❀ وان مؤذن عاشق آواز خود ❀ — در میان کافرستان بانگ زد
۱۳ چند گفتندش مگو بانگ نماز — که شود جنگ و عداوتها دراز
۱۴ او ستیزه کرد وبس[1] بی احتراز — گفت در کافرستان بانگ نماز
۱۵ جمله گان خائف زفتنهٔ عامهٔ — خود بیامد کافری با جامهٔ
۱۶ شمع و حلوا و یکی جامهٔ لطیف — هدیه آورد و بیامد چون[2] الف
۱۷ پرس پرسان کاین مؤذن کو کجاست — که صدای[3] بانگ او راحت فزاست
۱۸ هین چه راحت بود زان آواز زشت — کوفتاد از وی بناگه در کنشت
۱۹ دختری دارم لطیف و بس سنی — آرزو میبود اورا مؤمنی
۲۰ هیچ این سودا نمی رفت از سرش — پند ها میداد چندین کافرش
۲۱ در دل او مهر ایمان رسته بود — همچو مجمر بود این غم من چو عود
۲۲ در عذاب و درد و اشکنجه بدم — که بجنبد سلسلهٔ او دم بدم
۲۳ هیچ چاره می ندانستم در آن — تا فروخواند این مؤذن این اذان
۲۴ گفت دختر چیست این مکروه بانگ — که بگوشم آمد این دو چاردانگ
۲۵ من همه عمر اینچنین آواز زشت — هیچ نشنیدم دراین دیر و کنشت
۲۶ خواهرش گفتا که این بانگ اذان — هست اعلام و شعار مؤمنان
۲۷ باورش نامد بپرسید از دگر — آن دگر هم گفت آری ای قمر
۲۸ چون یقین گشتش رخ او زرد شد — وز مسلمانی دل او سرد شد
۲۹ باز رستم من زتشویش و عذاب — دوش خوش خفتم در آن بیخوف خواب
۳۰ راحتم این بود از آواز او — هدیه آوردم بشکر آن مرد کو
۳۱ چون بدیدش گفت این هدیه بگیر[4] — چون مرا گشتی مجیر ودستگیر
۳۲ آنچه کردی با من از احسان وبر — بندهٔ تو گشته ام من مستمر
۳۳ گر بمال و ملك و ثروت فردمی — من دهانت را پر از زر کردمی
۳۴ ایك از ایمان و صدق بایزید — هست ایمان شما زرق و مجاز
۳۵ راهزن همچونکه آن بانگ نماز — چند حسرت بردل و جانم رسید
۳۶ همچو آن زن کو جماع خر بدید — گفت آوه زان خر[5] فحل فرید
۳۷ گر جماع اینست کاید از خران — در کس ما میرسند این شوهران[6]
۳۸ داد جمله داد ایشان با یزید — آفرینها بر چنین شاه فرید
۳۹ قطرهٔ ایمانش در بحر ار رود — بحر اندر قطره اش غرقه شود
۴۰ همچو آتش ذرهٔ در بیشها — کاندران ذره شود بیشه فنا
۴۱ چون خیالی در دل شه یا سپاه — میکند در جنگ خصمان را تباه
۴۲ یك ستاره در محمد رو نمود — تا فنا شد کفر هر گبر وجهود
۴۳ ❀ یك ستاره در محمد شد سطرب — تا فنا شد کفر جمله شرق وغرب
۴۴ آنکه ایمان یافت رفت اندر امان — کفرهای باقیان شد در گمان
۴۵ کفر صرف اولین باری نماند[7] — یا مسلمانی و یا بیمی[8] نشاند
۴۶ این بجلت آب وروغن کردنست — این مثلها کفو ذره نور نیست
۴۷ ذره نبود جز زچیزی منجسم[9] — ذره نبود شارق لا ینقسم[10]
۴۸ گفتن ذره مرادم دان خفی — مجرم دریا نه این دم کفی
۴۹ آفتاب نیر ایمان شیخ — گر نماید رخ ز شرق جان شیخ
۵۰ جمله پستی نور[11] گیرد تاثری — جمله بالا خلد گردد اخضری
۵۱ او یکی جان دارد از نور منیر — او یکی تن دارد از خاك حقیر
۵۲ ای عجب اینست او یا آن بگو — که بماندم در شکال وجست وجو
۵۳ گروی این است ای برادر چیست آن — پر شده از نور او هفت آسمان
۵۴ وروی آنست این بدن ایدوست چیست — ایعجب زین دو کدامین است وکیست

حکایت آن زن که گفت شوهر را که گوشت را گربه خورد شوهر گربه را بترازو برکشید گربه نیم من بر آمد گفت ای زن گوشت نیم من بود و افزون اگر این گوشتست گربه کو و اگر این گربه است گوشت کو

۵۵ بود مردی کد خدا اورا زنی — سخت طناز و پلید و رهزنی
۵۶ هرچه آوردی تلف کردیش زن — مرد مضطر گشته اندر تن زدن
۵۷ بهر مهمان گوشت آورد آن معیل — سوی خانه با دوصد جهد طویل
۵۸ زن بخوردش با شراب و بارباب — مرد آمد گفت دفع ناصواب
۵۹ مرد گفتش گوشت کو مهمان رسید — پیش مهمان لوت میباید کشید
۶۰ گفت زن کاین گربه خورد آن گوشت را — گوشت خر دیگر گرت باید هلا
۶۱ گفت ای ایبك ترازو را بیار — تا که گربه برکشم گیرم عیار
۶۲ برکشیدش بود گربه نیم من — پس بگفتش مردکای محتاله زن[12]
۶۳ ❀ گوشت نیم من بود افزون یك ستیر[13] — هست گربه نیم من هم ای ستیر[14]
۶۴ این اگر گربه است پس آن گوشت کو — ور بود این گوشت بنما گربه تو
۶۵ بایزید ار این بود آن روح چیست — وروی آن روح است این تصویر کیست
۶۶ حیرت اندر حیرتست ای یار من — این نه کارتست نی هم کار من
۶۷ هردو او باشد ولیك از ربع وزرع[15] — دانه باشد اصل وکاه اوست فرع
۶۸ حکمت این اضداد را برهم بست — ای قصاب این گردران با گردنست[16]
۶۹ روح بی قالب نتاند کار کرد — قالب بیجان بود بیکار و سرد
۷۰ ❀ قالب بیجان کم از خاکست دوست — روح چون مغز است قالب همچو پوست
۷۱ ❀ قالب بیجان نمی آید بکار — سعی کن جانی بدست آر ای عیار
۷۲ قالبت پیدا و آنجان بس نهان — راست شد زین هردو اسباب جهان
۷۳ خاك را بر سر زنی سر نشکند — آب را بر بر زنی بر نشکند
۷۴ گر تو میخواهی که سررا بشکنی — آب را و خاك را بر هم زنی
۷۵ چون شکستی سررود آبش باصل — خاك سوی خاك آید روز فصل
۷۶ حکمتی که حق نمود از[17] ازدواج — گشت حاصل از نیاز واز لجاج[18]
۷۷ باشد آنگه ازدواجات دگر — لا تسمع اذن" ولا عین" تبصر[19]
۷۸ گر شنیدی اذن کی ماندی اذن — یا کجا کردی دگر ضبط سخن

---

۱ ـ پس ـ لج ۲ ـ شد ۳ـ صلا و ٤ ـ پذیر ٥ ـ چیست این ۸ـ تا مسلمانی بجان ودل ۹ـ جز حقیر منجسم ۱۱ـ کنج ۱۲ـ محتال فن ۱۳ ـ بد شش وقیه وافزون ازآن ١٤ ـ گربه هم شش وقیه است ای حیله دان ۱۷ ـ بود حق راز (ن . ل)

---

(٦) گویا این شعر ازانوری باشد و مولوی آن را بطریق تضمین در اینجا آورده باشد (۷) یعنی ابا وانکار شدید نماند (۱۰) منجسم یعنی منقطع وشارق لا ینقسم درخشنده بسیط است چون نور ولی (۱٥) آدم حقیقی وجود جامع است صورت و معنی را و صورت مثالی و برزخی اگرچه مثل دنیوی وطبیعی نیست که چون کاه انداخته شود ولی میشود که چون سایه غیر ملتفت الیه باشد (۱٦) یعنی زان گرد با گردن روی هم است (۱۸) یکی نیاز اختیار کرد یکی ستیزه بعد تعلق گرفتن روح بقالب (۱۹) از ازدواج بابدن فعل حاصل شد و از فعل نتیجه دیگر حاصل میشود که نه گوش شنیده باشد ونه چشم دیده باشد

گر بدیدی برف و یخ خورشید را — از یخی برداشتی امید را ۱ آب گشتی بی عروق و بی گره — که ز لطف از باد میگشتی زره
پس شدی درمان جان هردرخت — هر درختی از قدومش نیکبخت ۲ آن یخی بفسرده در خود ماندهٔ — لامساسی بر درختان خواندهٔ[1]
لیس یألف لیس یؤلف جسمه — لیس الا شحّ نفس قسمه[2] ۳ نیست ضایع زو شود تازه جگر — لیك نبود یك سلطان خضر
ای ایاز استارهٔ تو بس بلند — نیست هر برجی عبورش را پسند ۴ هر وفا را کی پسندد همتت — هر صفا را کی گزیند صفوتت

حکایت آن امیر که غلام را گفت می بیار غلام رفت وسبوی می آورد در راه زاهدی بود که امر معروف می کرد سنگی زد وسبوی اورا بشکست امیر بشنید قصد گوشمال زاهد کرد این قضیه در عهد عیسی علیه‌السلام بود که هنوز می حرام نشده بود لیکن زاهد منع لذّت وتنعم میکرد

بود امیری خوشدلی می خوارهٔ — کهف هر مخمور و هر بیچارهٔ ۸ مشفقی مسکین نوازی عدلی — مکرمی زر بخشی و دریا دلی
شاهِ مردان و امیر مؤمنین — راه بان و راز دان و دور بین ۹ دور عیسی بود و ایام مسیح — خلق دلدار و کم آزار وملیح
آمدش مهمان بناگاهان شبی — هم امیر جنس او خوش مذهبی ۱۰ باده میبایستشان در نظم حال — باده بود آن‌وقت مأذون و حلال
باده‌شان کم بود گفت او با غلام — رو سبو پُر کن بما آور مدام ۱۱ ازفلان راهب که دارد خمر خاص — تا زخاص و عام جان یابد خلاص
جرعهٔ زان جام راهب آن کند — که هزاران جره و خمدان کند ۱۲ اندر آن می مایهٔ پنهانی است — آنچنان کاندر عبا سلطانی است
تو بدلق پاره پاره کم نگر — که سبه کردند[3] از بیرون زر ۱۳ از برای چشم بد مردود شد — وز برون آن‌لعل دود آلود شد
گنج و گوهر کی میان خانهاست — گنجها پیوسته در ویرانهاست ۱۴ گنج آدم چون بویران بد دفین — گشت طینش چشم بندِ آن لعین
او نظرمیکرد درطین‌سست سست — جان همی‌گفتش که طینم سدّ تست ۱۵ دو سبو بستد غلام و خوش دوید — در زمان تا دیر رهبانان رسید
زر بداد[4] و بادهٔ چون زر خرید — سنگ داد ودر عوض گوهرخرید ۱۶ بادهٔ کان بر سر شاهان جهد — تاج زر بر تارك ساقی نهد
فتنها و شور ها انگیخته — بندگان و خسروان آمیخته ۱۷ استخوانها رفته جمله جان شده — تخت وتخته آن زمان یکسان‌شده
وقت هشیاری چو آب وروغنند — وقت مستی همچو جان اندر تنند ۱۸ ❀چون‌هریسه‌لحم وگندم‌عرق‌هم[5] — هیچ سبقی نی درایشان فرق هم
چون هریسه گشته آنجا فرق نی — نیست فرقی کاندر آنجا غرق نی ۱۹ اینچنین باده همی برد آن غلام — سوی قصرِ آن امیر نیکنام
پیشش آمد زاهدی غمدیدهٔ — خشك مغزی در بلا چسبیدهٔ[6] ۲۰ تن ز آتشهای دل بگداخته — خانه از غیر خدا پرداخته
گوشمال محنت بی زینهار — داغها بر داغها چندین هزار ۲۱ دیده هر ساعت خلش در اجتهاد — روز و شب چسبیده او براجتهاد
سال ومه در خاك وخون آمیخته — صبر و حلمش نیمشب بگریخته ۲۲ ❀ دید درشب او غلامی نیك پی — در شتابش او زمین میکرد طی
گفت زاهد در سبوها چیست آن — گفت باده گفت بهر کیست آن ۲۳ گفت این زانِ فلان میر اجل — گفت طالب را چنین باشد عمل
طالب یزدان وآنکه عیش ونوش — بادهٔ شیطان وآنکه تیز هوش ۲۴ هوش‌تو بی‌می‌چنین پژمرده است — هوشها باید برآن هوش تو بست
تا چه باشد هوش تو هنگام سکر — ۲۵ ای چومرغی‌گشته صید دام سکر

در بیان حکایت ضیاء بلخ و شیخ‌الاسلام تاج بلخ و لطایفه‌گفتن ضیاء

آن ضیاء بلخ خوش الهام بود — دادرِ[7] آن تاج شیخ اسلام بود ۲۷ ❀ از برای علم خلقی پیش او — گشته دائم در ملازم درس جو
تاج شیخ اسلام دار الملك بلخ — بود کوته قد وکوچك همچو فرخ ۲۸ گرچه فاضل‌بود وفحل و ذوفنون — این ضیا اندر ظرافت بد فزون
او بسی کوته ضیا بیحدّ دراز — بود شیخ اسلام را صدکبر وناز ۲۹ زین برادر ننگ وعارش آمدی — وین ضیا هم واعظی بد با هدی
روز مجلس اندر آمد آن ضیا — بارگه پر قاضیان و اصفیا ۳۰ کرد شیخ اسلام از کبر تمام — مر برادر را ضیا نصف القیام
❀پس‌ضیا چون دیدکبر اندرسرش — انفعالی داد حالی در خورش ۳۱ گفت آری بس درازی بهرمزد — اندکی از قدّ سروت هم بدزد
پس ترا خود عقل‌کو یا هوش‌کو — تا خوری می ای تو دانش را عدو ۳۲ روت بس‌زیباست نیلی هم بکش — ضحکه باشد نیل برروی حبش
در تو نوری‌کی درآمد ای‌غوی — تا تو می نوشی و ظلمت جو شوی ۳۳ سایه در روز است جستن قاعده — درشبِ ابری تو سایه جو شده
گر حلال آمد پی قوت عوام — طالبان دوست را آمد حرام ۳۴ عاشقان را باده خون دل بود — چشمشان بر راه و بر منزل بود
در چنین راه بیابان مخوف — ای قلاوز خرد با صد کسوف ۳۵ خاك در چشم قلاوزان زنی — کاروان را گمره و هالك کنی
نان جو حقّا حرامست وفسوس — نفس را در پیش نه نان سبوس ۳۶ دشمن راه خدا را خوار دار — دزد را منبر منه بر دار دار
دزد را تو دست ببریدن پسند — از بریدن عاجزی دستش[8] ببند ۳۷ گرنبندی دستش‌او دست توبست — ور تو پایش نشکنی پایت شکست
تو عدو را می‌دهی ونی[9] شکر — بهرچه کو زهر نوش وخاك خور ۳۸ زد زغیرت برسبو سنگ وشکست — او سبو انداخت از زاهد بجست

در بیان خبر یافتن امیر و خشم آلوده رفتن بر سر زاهد

رفت پیش میر گفتش باده کو — ماجرا را گفت یك یك پیش او ۴۰ میرچون‌آتش‌شد وبرجست راست — گفت بنما خانهٔ زاهد کجاست
تا بدین گرز گران کوبم سرش — آن سر بی دانش مادر غرش ۴۱ او چه داند امر معروف ازسگی — طالب معروفی است و شهرگی

---

۳ ـ سازند ٤ ـ سیم داد ٦ ـ پیچیدهٔ ۸ ـ باری ۹ ـ قند و (ن . ل)

---

(۱) یعنی تا یخ وبرفست درختان ممسوس بآن نیستند وچون گرم ولطیف شد وآب شد هرنبات با ساق وبی ساق گل وخار بآن ممسوس شد و آب در نبات چون آتش در زغال نافذ شد و نبات بآب چون آدمی به پری ممسوس گردید واینها تلمیحی است بعارفی که ممسوس بنورالله است
(۲) اشاره بحدیث نبوی است که المؤمن یألف ویؤلف به والمنافق لایألف ولا یؤلف به یعنی مؤمن کسی است که الفت‌گیرد با خلق وخلق باو منافق کسی است که نه الفت گیرد با کسی ونه کسی با او الفت گیرد ومعنی شعر اینست نیست که الفت گیرد یا الفت داده شود تن او نیست مگر بخیلی نفس قسمت او (۵) عرق بمعنی استخوان از گوشت جدا شده است واگر غرق باشد بد نیست و معنی آن اینست که غرق یاد از دوئی میدهد واینجا دوئی‌نیست (۷) دادر بلغت اهل ماوراءالنهر برادر را گویند

تا بدین سالوس خود را جا کند ۱ تا بچیزی خویش را پیدا کند ۱ او ندارد خود هنر الا همان که تسلس میکند با مردمان
او اگر دیوانه است و فتنه کاو ۲ داروی دیوانه باشد[1] کیر گاو ۲ تاکه شیطان ازسرش بیرون رود بی‌لت خر بندگان خر چون رود
میر بیرون جست ودّ بوسی بدست ۳ نیمشب آمد بزاهد نیم مست ۳ خواست کشتن مرد زاهد را زخشم مرد زاهد گشت پنهان زیر پشم
مرد زاهد می شنید از میر آن ۴ زیر پشم آن رسن تابان نهان ۴ گفت در رو گفتن زشتی مرد[2] آینه تاند که رو را سخت کرد
۵ روی باید آینه وار آهنین ۵ تات گوید روی زشت خود ببین

حکایت مات کردن دلقك سیّد شاه ترمد را

شاه با دلقك همی شطرنج باخت مات کردش زود خشم شه بتاخت ۷ گفت شه شه[3] وآن‌شه کبر آورش یك یك آن شطرنج میزد بر سرش
که بگیر اینك شهت ای قلتبان ۸ صبر کرد و گفت دلقك الامان ۸ دست دیگر باختن فرمود میر او چنان لرزان که عور از زمهریر
باخت دست دیگر وشه مات شد ۹ وقت شه شه گفتن و میقات شد ۹ برجهید آن دلقك ودرکنج رفت شش نمد برخود فکند ازبیم تفت
زیر بالشها و زیر شش نمد ۱۰ خفت پنهان تا زخشم[4] شه رهد ۱۰ گفت شه‌هی‌هی‌چه‌کردی‌چیست این گفت شه شه شه شه ای‌شاه‌گزین
کی‌توان حق‌گفت جز زیر لحاف ۱۱ با چو تو خشم آور آتش سجاف ۱۱ ای تو مات ومن ززخم شاه مات میزنم شه شه ز زیر رختهات

باز رجوع بحکایت امیر و زاهد و اجتماع خلق

چون محله پر شد از هیهای میر ۱۲ وز لگد بردر زدن وزدار وگیر ۱۲ خلق‌بیرون‌جست‌زودازچپ‌وراست کای‌مقدم وقت عفواست ورضاست
مغزاو خشکست وعقلش این‌زمان ۱۴ کمتراست از عقل وفهم کودکان ۱۴ زهد وپیری ضعف برضعف آمده واندر آن زهدش گشادی ناشده
رنج دیده گنج نادیده زیار ۱۵ کارها کرده ندیده مزدکار ۱۵ یا نبود آن کار اورا خود گهر یا نیامد وقت پاداش از قدر
یاکه بودآن سعی چون سعی جهود ۱۶ یا جزا وابستهٔ میقات بود ۱۶ مرورا درد ومصیبت این بس‌است کاندراین‌وادی‌پرخون‌بی‌کس‌است
چشم پر درد و نشسته او بکنج ۱۷ رو ترش کرده فرو افکنده لنج ۱۷ نی یکی کحال کو را غم خورد عقل هم نی کو بکحلی ره برد
اجتهادی میکند با وهم وظن ۱۸ کار در بوکست[5] تا نیکو شدن ۱۸ زان‌رهش‌دوراست تادیدار دوست که نماندش مغزسر ازعشق پوست
ساعتی او با خدا اندر عتاب ۱۹ که نصیبم رنج آمد زین جناب[6] ۱۹ ساعتی با بخت خود اندر جدال که همه پرّان و ما بریده بال
هرکه محبوس‌است اندربو ورنگ ۲۰ گرچه در زهداست خود باشد بتنگ ۲۰ تا برون آید ازاین تنگین[7] مناخ کی‌شود خویش‌خوش وصدرش‌فراخ
زاهدان را درخلا پیش ازگشاد ۲۱ تیغ و استره نشاید هیچ داد ۲۱ کز ضجر خودرا بدرّاند شکم عقدهٔ آن بیمرادیها[8] و غم[9]
۲۲ بیمرادیهای این‌دنیا خوش است ۲۲ با مرادی تند خوی وسرکش است

در بیان بی‌طاقتی سالکان پیش ازگشاد وقصدکردن حضرت مصطفی علیه‌السلام افکندن خودرا ازکوه حرا از وحشت حجاب ونمودن جبرئیل علیه‌السلام خودرا بوی و منع‌کردن و بشارت دادن

مصطفی‌را هجر چون بفراختی[10] خویش را از کوه میانداختی ۲۵ تا بگفتی جبرئیلش هین مکن که ترا بس دولت‌است از امرکن
مصطفی ساکن شدی ز انداختن ۲۶ باز هجران آوریدی تاختن ۲۶ باز خودرا سرنگون از کوه او می‌فکندی از غم و اندوه او
باز خود پیدا شدی آن جبرئیل ۲۷ که مکن ای‌پادشاه بی بدیل ۲۷ هم چنین میبود تا کشف حجب تا بیابد[11] آن گهررا اوزجیب[12]
بهر هرمحنت چه خودرا می‌کشند ۲۸ اصل محنتهاست این چونش‌کشند ۲۸ از فدائی مردمان را حیرتست هریکی از ما فدائی سیرتیست[13]
ای‌خنك آن‌کو فدا کرده‌است تن ۲۹ بهرآن کارزد فدای او شدن[14] ۲۹ باری این‌مقبل[15] فدای‌این‌فن‌است کاندران صد زندگی درکشتن‌است
عاشق ومعشوق وعشقش بردواد ۳۰ در دو عالم بهره‌مند و نیکنام ۳۰ هریکی‌چونکه فدائی[16] فنیست[17] کاندرآن ره صرف عمر وکشتنیست
کشتنی اندر غروبی یا شروق ۳۱ که نه شایق ماند آنگه نه مشوق ۳۱ یا کرامی ارحموا اهل الهوی شأنهم ورد التوی بعد التوی[18]
عفو کن ای میر برسختیّ او ۳۲ درنگر در درد و بدبختیّ او ۳۲ تازجرمت هم خدا عفوی کند زلتت را مغفرت در آکند
تو ز غفلت بس سبو بشکستهٔ ۳۳ بر امید عفو دل بر بستهٔ ۳۳ عفو کن تا عفو یابی در جزا میشکافد مو قدر اندر سزا
۳۴ مو شکافان قدر را هوش‌دار ۳۴ قصهٔ مارا تو نیکو گوش دار ۳۴ باز بشنو قصهٔ میران دگر تا بیابی زین حکایت صد خبر

جواب‌گفتن میر مرآن شفیعان را و قبول ناکردن شفاعت بجهة گستاخی که‌کرده است و سبو را شکسته

میرگفت‌«او کیست تا سنگی زند ۳۶ بر سبوی ما سبو را بشکند ۳۶ چون گذر سازد بکوبم شیر نر ترس ترسان بگذرد با صد حذر

---

۱ ـ چارهٔ دیوانه چه بود ٤ ـ زخم ٦ ـ حساب ۷ ـ تنگین ۸ ـ بیمریدیها ۱۰ ـ بگداختی ۱۱ ـ بیابید ۱۵ ـ مرد حق باری ۱٦ ـ در جهان هرکس فدای آن (ن . ل)

---

(۲) زاهد گفت که روبرو گفتن عیب مرد آینه میتواند چرا که روی خود را سخت ساخته است آن آینه پس روی آهنین مثل آینه باید تا ترا بگوید روی زشت خودرا ببین ـ(۳) شه عبارتست که درا هنگام‌بازی شطرنج حریف را از مات شدن خبرکند و امر کنند که شاه را حرکت ده و اکنون کش گویند (٥) بوك مخفف بود که است یعنی تابع مظنه است نه یقین که در احکام فرعیه ظن اجرائی پیدا شود کافی است (۹) حق را بغیر دل نبود منزل دگر آنهم دل شکسته دلان نی دل دگر انا عندالمنکسرة قلوبهم لاجلی (۱۲) وفی انفسکم افلا تبصرون (۱۳) یعنی وحال آنکه هریکی از ما فانی اند درکسب هنری ووجودشان‌ترا تمام میکنند ودرنیل آن وهرچند سیرت باطله ومعشوقات زایله باشد (۱٤) ومن تعلّی دیته فانا دیته (۱۷) یعنی درجهان هرکه مشتاق آن فن است که در آن راه صرف عمر کردن وکشتن خود است وکشتن دنیائی خواه در نقصان دنیا باشد وخواه درکمال دنیا واز غروب وشروق هجر ووصل دنیا مراد داشته میشود یعنی که آن غروب وشروق خودرا کشته میکنند که نه عاشق را پایداریست در آنجا ونه هم معشوق پس مراد اینکه اهل دنیا درچنین ناپایدار چیز خودرا ضایع میکنند که هیچ حاصل آن پایدار نیست پس رحم کنید ای اهل‌الله وای بزرگان براهل دنیا که صریح در خسرانند (۱۸) ای کریمان بر عاشقان رحم کنید که شأن وکارایشان داخل شدن است از هلاکتی بهلاکتی دیگر

۞ بلکه بگذارد زهیبت پنجه را — مور گردد پیش قهرم اژدها ۱ ۞ بندهٔ مارا چرا آزرد دل — کرد مارا پیش مهمانان خجل
شربتی کان به زخون اوست ریخت — این زمان همچون زنان ازما گریخت ۲ لیك جان از دست من او کی برد — گر شود چون مرغ وبر بالا پرد
تیر قهر خویش بر پرّش زنم — پرّ و بال مرده ریگش برکنم ۳ ۞ ورشود چون ماهی اندرآب در — از نهیب من شود زیر وزبر
۞ ورروددرسنگ سخت ازکوششم — از دل سنگش کنون بیرون کشم ۴ ۞ جان نخواهد برد ازشمشیرمن — ورکند صد حیله و تدبیر و فن
من برانم بر تن او ضربتی — کان بود مر دیگران را عبرتی ۵ ۞ کاراوسالوس وزرق وحیلت است — لیك مقصودش بیان شهرت[1] است
با همه سالوس و با ما نیز هم — داد او وصد چو او این دم دهم ۶ ۞ برسرش چندان زنم گرزگران — کزتنش بیرون رود گنج روان[2]
خشم خونخوارش شده بدسرکشی ۷ از دهانش میدرخشید[3] آتشی

دست و پای امیر بوسیدن و دوم بار لابه کردن شفیعان و همسایگان زاهد

آن شفیعان از دم هیبای او — چند بوسیدند دست و پای او ۹ کای امیر از تو نشاید کین کشی — باده گر نبود[4] تو بی باده خوشی
باده سرمایه ز لطف تو برد — لطف آب ازلطف تو حسرت خورد ۱۰ پادشاهی کن ببخشش ای رحیم — ای کریم بن الکریم بن الکریم
هر شرابی بندهٔ این قدّ و خدّ — جمله مستان را بود بر تو حسد ۱۱ هیچ محتاج می گلگون نهٔ — ترك کن گلگونه تو گلگونهٔ
ای رخ گلگونه[5]ات شمس الضحی — ای گدای رنگ تو گلگونها ۱۲ باده کاندر خم همی جوشد نهان — زاشتیاق روی تو جوشد چنان
ای همه دریاچه خواهی کردنم — وی همه هستی چه میجوئی عدم ۱۳ ای‌مه تابان چه خواهی کرد گرد[6] — ای‌که‌خور[7]درپیش‌رویت‌روی‌زرد
توخوشی وخوب وکان هرخوشی — تو چرا خود منت باده کشی ۱۴ تاج کرّمنا است بر فرق سرت — طوق اعطیناك آویز برت
جوهرست انسان وچرخ اوراعرض[8] — جمله فرع و سایه‌اند و تو غرض ۱۵ ۞ علم جوئی از کتبهای فسوس — ذوق جوئی تو زحلوای فسوس[9]
ای غلامت عقل وتدبیرات وهوش — چون چنینی خویش را ارزان فروش[10] ۱۶ خدمتت بر جمله هستی مفترض — جوهری چون عجزدارد با[11] عرض
بحر علمی در نمی پنهان شده — در سه‌گز تن عالمی پنهان[12] شده ۱۷ می چه باشد یا جماع و یا سماع — تا تو جوئی زان نشاط وانتفاع
آفتاب از ذرّه کی شد وام خواه — زهرهٔ از خمره کی شد جام خواه ۱۸ جان بیکیفی شده محبوس کیف — آفتابی حبس عقده اینت حیف

باز جواب و دفع گفتن امیر مر شفیعان را

گفت نی نی من حریف آن میم[13] — من بذوق این خوشی قانع نیم ۲۰ وارهیده از غم[14] خوف و امید — کژ همی گردم بهر سو همچو بید
من چنان خواهم که همچون یاسمین — کژ شوم گاهی چنان گاهی چنین ۲۱ همچوشاخ بید یازان چپّ وراست[15] — که زبادش گونه گونه رقصهاست
آنکه خو کردست با شادی می — این خوشی را کی پسندد خواجه کی ۲۲ انبیا زان زین خوشی بیرون شدند — که سرشته در خوشی حق بدند
زانکه جانشان این خوشیها دیده بود — این خوشیها پیششان بازی نمود ۲۳ ۞ هرکه را نور حقیقی رو نمود — کی شود قانع بتاریکی و دود
۞ وانکه درجوع او طعام‌الله خورد — کی زنان و شوربا حسرت برد ۲۴ ۞ وانکه باشد خفته اندرگلستان — میل گلخن کی کند چون ابلهان
۞ چون کند مستسقی ازآب اجتناب — چون کند مخمور دوری از شراب ۲۵ ۞ سیرنبود هیچ عاشق ازحبیب — صبر نکند هیچ رنجور از طبیب
۞ عاشق ازمعشوق کی باشد جهان — چون باو بیند همه کون و مکان ۲۶ ۞ هیچکس برغیرحق عاشق نشد — واقف آن سر بجز خالق نشد
بابت زنده کسی که گشت یار — مرده را کی در کشد اندر کنار ۲۷ ۞ مرده‌را کس درکنارآرد مگر — کو ندارد از جهان جان[16] خبر

تفسیر این آیه که وانّ الدّارالآخرة لهی الحیوان لو کانوا یعلمون[17] که در و دیوار وعرصهٔ آنعالم وآب وکوزه ومیوه و درخت همه زنده‌اند وسخن‌گو وسخن شنو وجهت آن فرموده حضرت مصطفی صلی‌الله علیه وآله وسلّم الدّنیا جیفةٌ وطالبها کلابٌ[18] و اگر آخرت را حیات نبودی آخرت‌هم چون دنیا جیفه بودی جیفه را نه از برای بوی زشت بل برای مردگیش جیفه خوانند

آن‌جهان چون ذرّه ذرّه زنده‌اند — نکته دانند و سخن گوینده اند ۳۲ در جهان مرده‌شان آرام نیست — کاین‌علف جز لایق انعام نیست
هرکرا گلشن بود بزم و وطن — کی خورد او باده اندر گولخن ۳۳ جای روح پاك علیین بود — ۞ جای روح هرنجس سجین بود
جای بلبل گلبن ونسرین بود ۞ — کرم باشد کش وطن سرگین بود ۳۴ بهر مخمور خدا جام طهور — بهر منکر آب شور پر نفور[19]
هرکه را عدل عمر ننمود دست — پیش او حجّاج خونی عادلیست ۳۵ دختران را لعبت مرده دهند[20] — که ز لعب زندگان نا[21] آگهند
چون ندارند ازمروت[22] زورودست — کودکان را تیغ چوبین بهتراست ۳۶ کافران قانع بنقش انبیا — کان نگاریده است اندر دیدها
زان‌مهان‌مارا چودور[23] روشنیست — هیچمان پروای‌نقش وسایه نیست ۳۷ آن یکی نقشش نشسته در جهان — وان دگر نقشش چو مه درآسمان
این دهانش نکته گویان با جلیس — وان دگر با حق بگفتار و انیس ۳۸ گوش ظاهر ضبط این افسانه کن — گوش باطن جاذب اسرار کن
چشم ظاهر ضابط حلیهٔ بشر — چشم سر حیران ما زاغ البصر ۳۹ ۞ دست ظاهر میکند داد وستد — دست باطن بر در فرد صمد

۱ـ شهوت ۳ـ می برآمد ٤ـ گر بشد باده ٥ـ چون زهره ۷ـ مه ۹ـ سبوس ـ فصوص ۱۱ـ مزد خواهد از ـ نجده خواهد از ۱۲ـ حیران
۱٤ ـ همه ۱٦ ـ در جهان از دل ۱۹ ـ بهر این‌مرغان کور این آب شور ۲۱ـ بی ۲۲ ـ نتوت ۲۳ ـ زانجهان مارا چه روز (ن . ل)

---

(۲) مراد روح روانست و ایهام دارد بیکی از گنجها که گنج قارون را باین اسم خوانند که فرو میرود بزمین (٦) گرد کردن کنایه است از غوغا وآشوب برپا کردن (۸) یعنی موجود بالعرض و بالتبع (۱۰) در راه حق (۱۳) یعنی می تجلی حقانی را حریفم واین می را از جهت لذت و عیش نمیخواهم بلکه ازجهت نیل به‌آن حالت میخواهم (۱٥) اشاره بحدیث کلتایدی ربی یعین (۱۷) آیه در سورهٔ عنکبوت واقع شده است (۱۸) حضرت رسول در تمثیل دنیا وطالب آن فرمود دنیا مرداری است نجس وکنده وخواهان آن سگانند (۲۰) این‌چند شعر اقتباس از حدیقهٔ سنائی است مادرانّ پیش خویشتن بمجاز دختران را کنند لعبت باز تاش چون شوی خواستار آید آن بکدبانیش بکار آید تا چو پرورد لعبت بیجان لعبت زنده پرورد پس‌ازآن غازیان طفل خویش را پیوست تیغ چوبین ازآن دهند بدست تا چو آن طفل مرد کار شود تیغ چوبینش ذوالفقار شود

پای ظاهر در صف مسجد صواف — پای معنی فوق گردون درطواف ۱ جزو جزوش‌را تو بشمر همچنین — این درون وقت وآن بیرون حین[1]
این‌که در وقت است باشد تا اجل — وان دگر یار ابد قرن ازل ۲ هست یکنامش ولی الدّواتین — وان دگر نامش امام القبلتین
خلوت و چه براو لازم نماند — هیچ عزمی مرو را عازم[2] نماند ۳ قرص خورشید است خلوتخانه‌اش — کی حجاب آرد شب بیگانه اش
علت و پرهیز شد بحران نماند — کفر او ایمان شد و کفران نماند ۴ چون الف از استقامت شد بپیش — او ندارد هیچ ازاوصاف خویش
گشت‌فرد ازکسوت خوهای خویش — شد برهنه جان بجان افزای‌خویش ۵ چون برهنه رفت پیش شاه فرد — شاهش ازاوصاف قدسی جامه‌کرد
خلعتی پوشید از اوصاف شاه — بر پرید از چاه بر ایوان جاه ۶ این‌چنین‌باشد چودردی صاف‌گشت — از بن‌خشت آمد او بالای طشت
در بن‌خشت ار چه بود او دردناك — شومی آمیزش اجزای خاك ۷ یار ناخوش پرّ وبالش بسته بود — ورنه او دراصل بس برجسته بود
چون عتاب اهبطوا انگیختند — همچو هاروتش نگون آویختند ۸ بود هاروت از ملایك بیگمان — از عتابی شد معلق همچنان
سرنگون زان‌شد‌که از سردورماند[3] — خویش‌را سرکرد وتنها پیش راند ۹ آن سبد خودرا چو پرازآب دید — کرد استغنا و از دریا برید
در جگر چون قطرهٔ آبش نماند — بحر رحمت‌کرد واورا باز خواند ۱۰ رحمت بی علتی بی خدمتی — آید از دریا مبارك ساعتی
الله الله گرد دریا باز گرد — گرچه باشند اهل‌دریا روی زرد ۱۱ تا که آید لطف‌و بخشایش گری — سرخ گردد روی زرد ازگوهری
زردی رو بهترین رنگهاست — زانکه اندر انتظار آن لقاست ۱۲ لیك سرخی بررخی کان‌لامع‌است — بهر آن آمد که جانش قانع‌است
که طمع لاغر کند زرد و ذلیل — نی ز درد و علت آید او علیل ۱۳ چون ببیند روی زرد بی سقم — خیره گردد عقل جالینوس هم
چون طمع بستی تو در انوار هو — مصطفی گوید که ذلّت نفسه ۱۴ نور بی‌سایه لطیف و عالی است — آن مشبك سایهٔ غربالی است
عاشقان عریان همی خواهند تن — پیش عریانان چه جامه چه بدن ۱۵ روزه داران‌رابود آن‌نان وخوان — خرمگس‌را چه ابا[4] چه دیگ دان

دیگر باره خطاب شاه ایاز راکه تأویل کار خود ومشکل منکران‌را بگو و طاعنان را بحل کن که ایشان را در التباس رها کردن مروّت نیست

این‌سخن از حدّ واندازه‌است‌بیش — ای‌ایاز اکنون بگو احوال‌خویش ۱۸ ❀ هین بگو احوال خودرا ای‌ایاز — گرچه تصویر حکایت شد دراز
هست احوال تو از کان نوی — تو بدین احوال کی راضی شوی ۱۹ هین‌حکایت‌کن ازاین‌احوال خوش — خاك براحوال ودرس پنج وشش[5]
حال باطن گر نمی آید بگفت — حال ظاهر گویمت در طاق و جفت ۲۰ که ز لطف یار تلخیهای مات — گشت برجان خوش‌تراز قندونبات
زان نبات ار گرد در دریا رود — تلخی دریا همه شیرین شود ۲۱ صد هزار احوال آمد همچنین — باز سوی غیب رفتند ای امین
حال امروزی[6] بدی مانند نی[7] — همچو جو اندر روش کش بند نی ۲۲ شادی هر روز از نوعی دگر — فکرت هر روز را دیگر اثر

تمثیل تن آدمی بمهمان خانه و تمثیل اندیشهای مختلف بمهمانان و عارف صابر در آن اندیشها چون مرد مهمان دوست

هست مهمان‌خانه این‌تن ای‌جوان — هر صباحی ضیف نو آید درآن[8] ۲۵ نی غلط گفتم که آید دم بدم — ضیف تازه فکرت وشادی وغم[9]
❀میزبان تازه رو شو ای خلیل — در مبند و منتظر شو در سبیل ۲۶ هرچه آید از جهان غیب وش — دردلت ضیف است اورا دارخوش
هین مگو که ماند اندر گردنم — ۲۷ که هم اکنون باز پرّد در عدم

حکایت مهمان وکدخدا و زن و بیان فضیلت مهمانداری

آن یکی را بیگهان آمد قُنق — ساخت اورا همچوطوق اندرعنق ۲۹ خوان کشید اورا کرامتها نمود — آن‌شب اندرکوی ایشان سوربود
مرد زن‌را گفت پنهانی سخن — کامشب‌ای‌خاتون دوجامهٔ‌خواب‌کن ۳۰ بستر مارا بگستر سوی در — بهر مهمان گستر آن سوی دگر
گفت زن فرمان برم خدمت‌کنم — سمع وطاعت ای دو چشم روشنم ۳۱ هردو بستر گسترید و رفت زن — سوی خفته[10] سورکردآنجا وطن
ماند مهمان عزیز و شوهرش — نُقل بنهادند از خشك و ترش ۳۲ در سمر گفتند هردو منتجب — سرگذشت نیك و بد تانیم شب
بعدازآن مهمان زخواب وازسمر — شد درآن بستر که بد آن سوی در ۳۳ شوهر ازخجلت بدو چیزی نگفت — که مرااینسوست ای‌جان‌جای‌خفت
وز برای خواب‌تو ای بوالکرم — بستر آت سوی دگر افکنده‌ام ۳۴ آن قراری که بزن او کرده بود — گشت مبدل آنطرف مهمان غنود
آنشب آنجا سخت باران درگرفت — کز شکوه ابرشان آمد شگفت ۳۵ زن بیامد بر گمان[11] آنکه شو — سوی‌در خفته‌است وآن‌سوآن‌عمو
رفت عریان درلحاف آندم عروس — داد مهمان را برغبت چند بوس ۳۶ گفت میترسیدم ای مرد کلان — زانچه میترسیدم آمد خود همان
مرد مهمان را گل وباران نشاند — بر تو چون صابون سلطانی بماند ۳۷ اندرین باران وگل او کی رود — بر سر و جان تو او تاوان شود

---

۲ ـ غیمی مرورا غایم ٤ ـ انا ٦ ـ هر روزی ۸ ـ دوان ۱۰ ـ خانه ۱۱ ـ قرار (ن . ل)

---

(۱) پس تن و اندامهای انسان کامل درون وقت است زیرا که تن طبیعی متحرك است و سیال و زمانی بودن آن است که متغیر محدود معین محاط است از برای متغیر نامحدودی که فلك باشد چه زمان مقدار حرکت فلك است و هر متحرك محدودی انطباق دارد برقدری از حرکت و سیلان آنکه نامحدود است ومن‌الله والی‌الله است انعدامش پس تعینات زمان مثل سال وماه و هفته و روز وساعت ودقیقه و ثانیه وغیر اینها میگیرد تن اورا واما روح او که روح‌الله وجوهریست لاهوتی پس برونست از حین وزمان و مطلق کیت ومنصف بصفات الله است (۳) از سر دور ماندن کنایه ازآنست که خودرا نحن‌الصادقون میگفتند هاروت وماروت وصفت خودرا از حق تعالی نمیدانستند بلکه ازآن خود میدانستندی وخود را سردار پنداشتندی و پیشروی اختیار کردند لاجرم دیدند آنچه دیدند (٥) یعنی علم بازی نزد مراد علم دنیا داریست که انما الحیوة الدنیا لهوٌ و لعبٌ (۷) یعنی احوال روز بد هم همیشه یکسان وبر یك وتیره نمیباشد مثل آب جوی که دم بدم تازه می‌آید همچنین حالات بد هم دم بدم تازه ناشی میشود (۹) تن را مهمانخانه فرموده بقلب وقالب پس مهمانها احوال تن چون صحت و امراض و احوال نفس چون شادی و غم وچون صور عقلیه وخیالیه اینها واندیشها کل خواهند بود و معلوم است که صور ادرا که کیفیات نفسانیه ایست غیر کیفیات نفسانیه که شادی و غمند وباید بکل راضی بود

زود مهمان جست و گفت ای زن بهل — موزه نارم من ندارم غم زگل ۱ — من روان گشتم شمارا خیر باد — در سفر یکدم مبادا روح شاد
تا که زوتر جانب معدن رود — کاین خوشی اندر سفر رهزن شود ۲ — زن پشیمان شد ازاین گفتار سرد — چون رمید و رفت آن مهمان فرد
زن بسی گفتش که آخر ای امیر — گر مزاحی کردم از طیبت مگیر ۳ — لابه وزاری زن سودی نداشت — رفت وایشان را درآن حسرت گذاشت
جامه ازرق کرد ازغم[1] مرد وزن — صورتش دیدند شمعی بی لگن ۴ — میشد و صحرا زنور شمع مرد — چون بهشت ازظلمت شب گشت فرد
کرد مهمان خانه خانهٔ خویش را — از غم و از خجلت این ماجرا ۵ — در درون هردو از راه نهان — هر زمان گفتی خیال میهمان
که بدم یار خضر صد گنج جود ۶ — می فشاندم لبك روزیتان نبود

تمثیل فکر هرروزینه که دردل آید بمهمان نو که از اول روز درخانه فرودآید وتحکم و بدخوئی کند و فضیلت مهمانداری و ناز مهمان کشیدن

هرزمان[2] فکری چو مهمان عزیز — آید اندر سینه چون جان عزیز ۹ — فکررا ای جان بجای شخص دان — زانکه شخص از فکر دارد قدر هان
فکر غم گر راه شادی میزند — کار سازیهای شادی میکند ۱۰ — خانه میروبد بتندی او ز غبر — تا در آید شادی نو ز اصل خبر
می فشاند برگ زرد از شاخ دل — تا بروید برگ سبز متصل ۱۱ — میکند از بیخ سرو[3] کهنه را — تا خرامد سرو[4] نو از ماورا
غم کند بیخ کژ پوسیده را — تا نماید بیخ رو پوشیده را ۱۲ — غم زدل هرچه بریزد یا برد — در عوض حقا که بهتر آورد
خاصه آن را که یقینش باشد این — که بود غم بندهٔ اهل یقین ۱۳ — گر ترش روئی نیارد ابر وبرق — رز بسوزد از تبسمهای شرق
سعدو نحس اندر دلت مهمان شود — چون ستاره خانه خانه میرود ۱۴ — آن زمان که او رهین[5] برج تست — باش همچون طالعش شیرین وچست
تا که چون با مه شود او متصل — شکر گوید ازتو با سلطان دل ۱۵ — هفت سال ایوب با صبر ورضا — در بلا خوش بود با ضیف خدا
تا چو واگردد بلای سخت رو — پیش حق گوید بصدگون شکراو ۱۶ — کز محبت با من محبوب کش[6] — رو نکرد ایوب یك لحظه ترش
از وفا و خجلت حکم خدا — بود چون شیر وعسل او با بلا ۱۷ — فکر در سینه[7] در آید نو بنو — خند خندان پیش او تو باز رو
که اعذنی خالقی من شرّه — لا تحرّمنی انل من برّه[7] ۱۸ — ربّ اوزعنی ان اشکر ماازی[8] — لاتعقب حسرة لی ان مضی[9]
آن ضمیر روترش را پاس دار[10] — آن ترش را چون شکر شیرین شمار ۱۹ — ابر اگرچه هست ظاهر روترش — گلشن آرنده است ابرو شوره کش
فکرت غم را مثال ابر دان — باترش تورو ترش کم کن چنان[11] ۲۰ — بو که آن گوهر بدست او بود — جهد کن تا ازتو راضی او شود[12]
ور ندارد گوهر و نبود غنی — عادت شیرین خود افزون کنی ۲۱ — جای دیگر سود دارد عادتت — ناگهان روزی بر آید حاجتت
فکرتی کز شادیت مانع شود — آن بامرو حکمت صانع شود ۲۲ — تومخوان: وچاردانگش ای جوان — بو که نجمی باشدو صاحب قران
تو مگو فرعیست او را اصل گیر — تاشوی پیوسته برمقصود چیر[13] ۲۳ — ورتو اورا فرع گیری و مضر — چشم تو در اصل باشد منتظر
زهر آمد انتظار اندر چشش — دائما درمرگ باشی زآن روش[14] ۲۴ — اصل دان آن رابگیرش در کنار — باز ره دایم ز مرگ انتظار

دیگر بار خطاب شاه با ایاز و نواختن او ایاز را

ای ایاز پر نیاز[15] صدق کیش — صدق تو ازبحرو از کوهست بیش ۲۶ — نی بوقت شهوتت باشد عثار — نی رود عقل چو کوهت کاه وار
نی بوقت خشم و کینه صبرهات — سست گردد در قرار و در ثبات ۲۷ — هست مردی این نه آن ریش و ذکر — ورنه بودی میر میران کیر خر
حق کرا خوانده است درقرآن رجال[16] — کی بود این جسم را آنجا مجال ۲۸ — روح حیوان راچه قدراست ای پدر — آخر از بازار قصابان گذر
صد هزاران سر نهاده بر شکم — ارزشان از دنبه واز گوشت کم ۲۹ — ❀ تا توانی بندهٔ شهوت مشو — دربی شهوت مکن جان را[17] گرو
❀ ورنه شهوت خان ومانت برکند — زنده ات در گور تاریك افکند ۳۰ — روسپی باشد که ازجولان کیر[18] — عقل او موشی شود شهوت چوشیر[19]
❀ اندر اینمعنی حکایت گویمت ۳۱ — تا دل از شهوت بکلی شویمت

وصیت کردن آن پدر دختر را که از این شوهر که تراست خود را نگاهدار تا حامله نشوی

خواجهٔ بود بی مر ار را دختری — زهره خدّی مه رخی سیمین بری ۳۳ — کشت بالغ داد دختر را بشوی — شو نبود اندر کفایت کفو اوی
خربزه چون در رسد شد آبناك — گر بشکافی تبه گشت و هلاك ۳۴ — چون ضرورت بود دختر را بداد — او بناکفویش از خوف فساد
گفت دختر را کزین داماد نو — خویشتن پرهیز کن حامل مشو ۳۵ — کز ضرورت بود عقد این گدا — این غریب خوار را نبود وفا
ناگهان بجهد کند ترك همه — بر تو طفل او بماند مظلمه[20] ۳۶ — گفت دختر ای پدر خدمت کنم — هست پندت دل پذیر و مغتنم

---

۱ ـ زان پس ۲ ـ دمی ۳ ـ بیخ سرور ٤ ـ ذوق ٥ ـ مقیم ۱۱ ـ بدان ۱۲ ـ رود ۱۳ ـ تازنی پیوسته بر مقصود تیر ۱٤ ـ کشش ۱٥ ـ بی نیاز ۱۷ ـ دل را ۱۸ ـ قحبه را گردد زجولان ذکر ۱۹ ـ عقل همچون موش وشهوت شیر نر (ن . ل)

---

(٦) بلا را محبوب کش فرموده چه بلاکشان که بلا آنها را مقتول میسازد محبوب خدایند نه همین محب خدا و مرتبه محبوبیت خدا از محبیت بلا تر است (۷) پناه ده مرا ای آفرینندهٔ من از اندیشهای بد (که وساوس و هواجسند و بمنزلهٔ دزدندکه بخانه قلب درآیند نه مهمان) ومحروم مکن مرا تا برسم به اندیشهای خوب (۸) اشاره بهآیه واقعه در سوره نمل وقال ربّ اوزعنی ان اشکر نعمتك التی انعمت علیّ وعلی والدیّ (۹) پروردگارا الهام ده مرا تا شکر کنم چیزی را که از نعمتهای تو می بینم و مرا بافسوس از گذشتن آن نعمت و شکر نکردن مبتلا مگردان (۱۰) پاس داشتن صور بلایا که در خیال واقع شده به آن است که بچیزهائی که از آنها تسلی میدهند نپردازد و پاس اندیشهای منذر به آنست که در مقام رضا و تسلیم متمکن باشد و مقام رضا دریای استواست و فرموده اند که الرضا باب الله الاعظم وابرار میکوشند که خدا از ایشان راضی باشد و اخبار میکوشند که ایشان از خدا راضی باشند در هر بلائی و رخائی وگویند که خدا واسع علیم است و رضای او امهل است و بنده مخلوق ضعیف است و ضیق وصعوبتی دارد تا بقضا وقدر خدا راضی شود (۱٦) اقتباس از آیه واقعه درسورهٔ نور در بارهٔ اصحاب صفه رجال لا تلهیهم تجارة ولا بیع عن ذکرالله (۲۰) ـ مظلمه ظلمی است که از ظالم برمظلوم رود و وبال آن برگردن ظالم بماند وچون طفل که پدر نتواند او را بدارد وبال مادر بود او را مظلمه خوانده اند

هر دو روزی و سه روزی آن پدر — دختر خود را بفرمودی حذر ۱ ❀ اینچنین قومی بعالم هم بُدند — کز چنین نوعی نصیحت گر شدند
حامله شد ناگهان دختر ازو — چونکه بد هر دو جوان خاتون و شو ۲ از پدر آب را نهان[1] میداشتش — پنج ماهه گشت کودک یا که شش
گشت پیدا گفت بابا چیست این — من ترا گفتم کزو دوری گزین ۳ آن وصیتهای من خود باد بود — چون نکردت وعظ و پندم هیچ سود
گفت بابا چون کنم پرهیز من — آتش و پنبه است بی‌شك مردوزن ٤ پنبه را پرهیز از آتش کجاست — یا درآتش کی حفاظت و تقاست
گفت کی گفتم که سوی او مرو — تو پذیرای منیّ او مشو ٥ در زمان حال وانزال و خوشی — خویش را باید که ازوی درکشی
گفت چون دانم که انزالش کی است — این نهانست و بغایت دوردست ٦ گفت چشمش چون کلاپیسه[2] شود — فهم کن کانوقت انزالش بود
گفت تا چشمش کلاپیسه شدن — کورگشته است این دو چشم شوخ[3] من ۷ ❀ نیست هر عقل حقیری پایدار — وقت حرص و وقت خشم و کارزار

وصف ضعف دل و سستی آن صوفی سایه پروردهٔ مجاهده ناکرده، داغ عشق ناکشیده و بسجده و دست بوس عام و بحرمت نظر کردن و بانگشت نمودن ایشان که امروز در زمانه صوفی اوست غرّه شدن و بوهم چون معلم کودکان رنجور شدن و بآن وهم که من مجاهدم مرا در این راه پهلوان میدانند با غازیان بغزا رفته که بظاهر نیز هنر بنمایم جهاد را اگر چه در جهاد اکبر مستثنا ام جهاد اصغر چه محل دارد

رفت یك صوفی بلشکر در غزا — ناگهان آمد قطاریق وغا[4] ۱۲ ماند صوفی با بنه و خیمه ضعاف — فارسان راندند تا صفّ مصاف
منقلان خاك بر جا ماندند — سابقون السابقون در[5] راندند[6] ۱۳ جنگها کرده مظفر آمدند — باز گشته با غنایم سودمند
ارمغان دادند کای صوفی تو نیز — او برون انداخت نستد هیچ چیز ۱٤ پس بگفتندش که خشمینی چرا — گفت من محروم ماندم از غزا
زان تلطف هیچ صوفی خوش نشد — کاو مبان غزو خنجر کش نشد ۱٥ پس بگفتندش که آوردیم اسیر — آن یکی را بهر کشتن تو بگیر
سر ببرّش تا توهم غازی شوی — اندکی خوش گشت صوفی دلقوی ۱٦ کاب را گردروضو صدروشنیست — چونکه آن نبود تیمم کردنیست
برد آن صوفی اسیر بسته را — در پس خرگاه تا آرد وغا ۱۷ ماند آنجا دیر صوفی با اسیر — قوم گفتند ای عجب چون شد فقیر
کافر بسته دو دست او کشتنیست — بسملش را موجب تاخیر چیست ۱۸ شخص آمد[7] در تفحص از پیش — دید کافر را ببالای ویش
همچو نر بالای ماده آن اسیر — خفته همچون شیر بالای فقیر ۱۹ دستها بسته همی خائید او — ازسر استیزه صوفی را گلو
گیر میخائید با دندان گلوش — صوفی افتاده بزیرش رفته هوش ۲۰ دست بسته گیر همچون گربهٔ — خسته کرده حلق او بی حربهٔ
نیم کشتش کرده از دندان اسیر — ریش او بر خون زحلق آن فقیر ۲۱ همچو تو کزدست نفس بسته دست — همچو آن صوفی زبون گشتی و پست
ای شده عاجز ز تلّ کبش تو — صد هزاران کوهها در پیش تو ۲۲ زین سر پشته بمردی از شکوه — چون روی برعقبهای همچو کوه
غازیان کشتند کافر را به تیغ — هم در آن ساعت زحمیت بیدریغ ۲۳ بر رخ صوفی زدند آب و گلاب — تا بهوش آمد زبیهوشی و تاب[8]
چون بخویش[9] آمد بدید آن قوم را — پس بپرسیدند چون بد ماجرا ۲٤ الله الله این چه حالست ای عزیز — اینچنین بیهوش گشتی از چه چیز
از اسیر نیم کشت بسته دست — اینچنین مدهوش افتادی و پست ۲٥ گفت چون قصد سرش کردم بخشم — طرفه درمن بنگرید آن شوخ چشم
چشم را وا کرد پهن او سوی من — چشم گردانید و شد هوشم زتن ۲٦ گردش چشمش مرا لشکر نمود — می نیارم[10] گفت چون پرهول بود
قصه کوته کن کز آن چشم اینچنین[11] ۲۷ رفتم از خود اوفتادم برزمین[12]

نصیحت مبارزان او را که با این دل و زهره که تو داری که بکلاپیسه شدن چشم کافر اسیر دست بسته بیهوش شوی و دشنه از دستت بیفتد زینهار که ملازم مطبخ خانقاه باش و سوی پیکار مرو تا رسوا نشوی

قوم گفتندش بپیکار و نبرد — با چنین زهره که تو داری مگرد ۳۱ ❀ گرد مطبخ گرد اندر خانقاه — تا دگر رسوا نگردی در سپاه
چون ز چشم آن اسیر بسته دست — غرقه گشتی کشتی تو در شکست ۳۲ پس میان حملهٔ شیران نر — که بود با تیغشان چون گوی سر
که ز طاقا طاق گردنها زدن — طاق طاق جامه کوبان ممتهن[13] ۳۳ ❀ که ز فشافش تیر جانستان — ابر آزاری خجل در امتحان
کی توانی کرد در خون آشنا — چون نهٔ با جنگ مردان آشنا ۳٤ بس تن بیسر که دارد اضطراب — بس سری بی تن بخرن بر چون حباب
زیر دست و پای اسبان در غزا — صد فنا[14] کان غرقه گشته درفنا ۳٥ اینچنین هوشی که ازموشی پرید — اندر آن صف تیغ چون خواهد کشید
چالشست این حمزه[15] خوردن نیست این — تا تو بر مالی بخوردن آستین ۳٦ نیست حمزه خوردن اینجا تیغ بین — حمزهٔ باید[16] درین صف آهنین
❀ نیست لوت چرب تیغ و خنجر است — جان بباید باخت چه جای سراست ۳۷ کار هر نزك دلی نبود قتال — که گریزد از خیالی چون خیال
کار ترکانست نی ترکان برو — جای ترکان خانه باشد[17] خانه شو ۳۸ ❀ غزوه کی تانی کز آن چشم اینچنین — رفتی از دست و فتادی برزمین

حکایت عیاضی رحمه الله تعالی که هفتاد بار بغزو رفته بود و غزا ها کرده با مید شهید شدن و چون از جهاد اصغر بجهاد اکبر شتافت و خلوت گزید آواز طبل غازیان شنید نفس او را رنجه داشتی جهت غزا کردن و او نفس را در این دعوت متهم مینمود

گفت عیاضی نبود بار آمده — تن برهنه خویش برصفها زدم[18] ٤۲ بی زره رفتم میان تیغ و تیر — تا یکی تیری خورم من جایگیر
تیر خوردن بر گلو یا مقتلی — در نیابد جز شهید مقبلی ٤۳ در تنم یکجایگه بی زخم نیست — این تنم از تیر چون پرویزنیست

---

۱ ـ خفی ۳ ـ کور میگردد ز شهوت چشم ٥ ـ پهلوانان سوی لشکر ۷ ـ رفت آن یك ۸ ـ بیخویشی و خواب ۹ ـ بهوش ۱۰ ـ من ندانم
۱۱ ـ غمزه گران ۱۲ ـ اندر آن ۱٤ ـ قبا ـ فنا ۱٥ ـ لوت ۱۷ ـ هست خانه ۱۸ ـ بو که زخمی آیدم (ن . ل)

---

(۲) دگرگون شدن چشم است از مکان خود چنانکه سیاهی پنهان شود و این بجهت لذّت بسیار یا ضعف بسیار پیدا شود (٤) آواز و غوغای جنگ (٦) اشاره بآیه و السابقون السابقون اولئك المقربون که درسورهٔ واقعه واقعست (۱۳) صدای زدن گردنها چنان بود که صدای جامه کوبان پیش آن خوار وبیمقدار گردیده بود (۱٦) حمزهٔ مصرع اول بمعنی ترتیز کست و حمزهٔ ثانی پهلوان و عم حضرت رسول صلی الله علیه وآله وسلم

لیك بر مقتل نیامد تیرها — کار بخت است این نه جلدی و دها ۱ — چون شهادت روزی جانم نبود — رفتم اندر خلوت و در چله زود
در جهاد اکبر افکندم بدن — در ریاضت کردن و لاغر شدن ۲ — بانگ طبل غازیان آمد بگوش — که خرامیدند جیش غزو کوش
نفسم از باطن مرا آواز داد — که بگوش حس رسیدم[1] بامداد ۳ — خیز هنگام غزا آمد برو — خویش را در غزو کردن کن گرو
گفتم ای نفس خبیث بی وفا — از کجا میل غزا تو از کجا ۴ — راست گوای نفس کاین حیلت گریست — ورنه نفس شهوت از طاعت بریست
گر نگوئی راست حمله آرمت — در ریاضت سخت تر افشارمت ۵ — نفس بانگ آورد آندم ازدرون — با نصاحت بی دهان اندر فسون
که مرا هر روز اینجا می کشی — جان من چون جان گیران می کشی ۶ — هیچ کس را نیست از حالم خبر — که مرا تو میکشی بیخواب وخور
در غزا بجهم بیکزخم از بدن — خلق بیند مردی و ایثار من ۷ — گفتم ای نفسك[2] منافق زیستی — هم منافق می مری تو چیستی
خوار وخود روی و مرائی بودهٔ — در دو عالم اینچنین بیهودهٔ ۸ — ندر کردم که ز خلوت هیچ من — سر برون نارم چو زنده است این بدن
زانکه درخلوت هر آنچه تن کند — نز برای روی مرد و زن کند ۹ — جنبش و آرامش اندر خلوتش — جز برای حق نباشد نیتش
این جهاد اکبر است آن اصغر است — هر دو کار رستمست وحیدر است ۱۰ — کار آنکس نیست کو را عقل وهوش[3] — پر دارتن چون کند موشی خروش[4]
آنچنان کس را بباید چون زنان — دور بودن از مصاف و از سنان ۱۱ — صوفئی آن صوفئی این اینت حیف — آن زسوزن مرده این را طعمه سیف
نقش صوفی باشد اورا نیست جان — صوفیان بدنام هم زین صوفیان ۱۲ — بر در و دیوار جسم گل سرشت — حق زغیرت نقش صد صوفی نوشت[5]
تا ز سحر آن نقشها جنبان شود — تا عصای موسوی پنهان شود ۱۳ — نقشها را میخورد صدق عصا — چشم فرعونست پر گرد و حصا

حکایت مجاهدی دیگر و جان بازی او در غزا

صوفئی دیگر میان صف حرب — اندر آمد بیست[6] بار از بهر ضرب ۱۵ — زخم خورد و بیست زخمی را که[7] خورد — بار دیگر حمله آورد و نبرد
تا نمیرد تن بیك زخم از گزاف — تا خورد او بیست زخم اندر مصاف ۱۶ — با مسلمانان بکافر وقت کر — وا نگشت او با مسلمانان بفر[8]
حیفش آمد کو بزخمی جان دهد ۱۷ — جان زدست صدق او آسان رهد

حکایت آن مجاهد که از همیان سیم هر روز یکدرم درخندق افکندی بتفاریق از بهر ستیزه با نفس حرص ورز و سرزنش نفس که چون اندازی یکبار انداز تا ازین ماجرا خلاصی یابم که الیأس احدی الراحتین و جواب او

آن یکی بودش بکف در چل درم — هر شب افکندی یکی درآب یم ۲۱ — تا که گردد سخت بر نفس مجاز — در تأنی درد جان کندن دراز
نفس او فریاد کردی هرشبی — در فتادی زار در تاب و تبی ۲۲ — که چرا می نفکنی یکبارگی — کشتی ام در غصه و بیچارگی
ببر حق یکبارگی بگذار دین — نفس را کالیأس احدی الراحتین ۲۳ — او نگشتی ملتفت مر نفس را — همچنین کشتی مر او را در عنا

رجوع بحکایت آن مجاهد در قتال

همچنین آن صوفی اندروقت جنگ — بهر حق بگرفته بد بر نفس تنگ ۲۵ — با مسلمانان بکر او پیش رفت — وقت فر او وانگشت ازخصم تفت
زخم دیگر خورد آن را هم بیست — بیست کرت تیر ورمح ازوی شکست ۲۶ — بعد از ان قوت نماند افتاد پیش — مقعد صدق او زصدق عشق خویش
صدق جان دادن بود هین سابقوا — ار نبی بر خوان رجال صدقوا[9] ۲۷ — این همه مردن نه مرگ صورتست[10] — این بدن مر روح را چون آلتست
ای بسا خامی که ظاهر خونش ریخت — لیك نفس زنده آنجانب گریخت ۲۸ — آتش بشکست و رهزن زنده ماند — نفس زنده است ارچه مرکب[11] خونفشاند
اسب کشت وره نرفت آنخیره سر[12] — ماند خام وزشت وازحق بیخبر[13] ۲۹ — گر بهر خونریزئی گشتی شهید — کافر کشته بدی هم بوسعید
ای بسا نفس شهید معتمد — مرده در دنیا چو زنده میرود ۳۰ — روح[14] رهزن مرد و تن که تیغ اوست — هست باقی در کف آن غزو جوست[15]
تیغ آن تیغست مرد آن مرد نیست[16] — لیك آن صورت ترا حیران کنیست ۳۱ — نفس چون مبدل شود این تیغ تن — باشد اندر دست صنع ذوالمنن
آن یکی مردیست قوتش جمله درد ۳۲ — وان دگر مردی تهی جان همچو گرد

حکایت خلیفه مصر و شاه موصل وفرستادن لشکر بطلب کنیزك وصفت کردن غمازان و نقش او بر کاغذ بستن

مر خلیفهٔ مصر را غماز گفت — که شه موصل بحوری گشت جفت ۳۵ — یك کنیزك دارد او اندر کنار — که بعالم نیست مانندش نگار
دربیان ناید که حسنش بیحداست — نقش او این است کاندر کاغذست ۳۶ — نقش در کاغذ چو دید آن کیقباد — خیره گشت و جام از دستش فتاد

---

۱ ـ شنیدم ۲ ـ ای سگ چون ۳ ـ آن سودا و جوش ٤ ـ کو ز موش و جنبشش گم کرد هوش ٦ ـ چند ۷ ـ بیست زخم از دست کافر چونکه ۱۱ ـ مرکش ۱۲ ـ راه او رفته نشد ۱۳ ـ جز که خام و زشت و آشفته نشد ۱٤ ـ نفس ۱٥ ـ دوست

---

(٥) یعنی حق بر عناصر و اخلاط صوفیان صوری را هم نقش فرمود که غیرتش نمیخواست که صوفی صافی معنوی ظاهر شود برچشم نا محرمان چنانکه طایفهٔ از اولیاء الله را ضنائن الله گویند که گویا خدا ضنت میورزد و رشك میبرد از اظهار آنها (۸) یعنی هنگام حمله بکافر او با مسلمانان رفیق بود و وقت فرار که بر می گشتند وا نگشت (۹) اشاره است بآیهٔ واقعه در سورهٔ احزاب رجال صدقوا ما عاهدوا الله علیه فمنهم من قضی نحبه و منهم من ینتظر یعنی مردانی هستند که وفا کرده اند بعهد خود در راه جهاد پس از ایشان کسانی هستند که اجلشان رسید و کشته شدند و از ایشان کسانی هستند که منتظر شهادتند (۱۰) یعنی مردنی که کشته شدن نفس باشد در جهاد اکبر نه مرگ بدنست و اما موت ظاهر چه طبیعی و چه اختراعی پس معلوم است که متعلق است بهمین بدن صوری و اما ارواح چه مظاهر لطیف و چه مظاهر قهر همه باقی اند و از نشئهٔ بنشئهٔ منتقل میشوند و از ضعف بشدت میروند الدنیا والآخره حالتان در همین نشئه مادامی که نفس متصل باین جزئیات نیست وبکلیات و دائمات متصل است در آخرتست بلکه در حال استغراق در ذکر و فکر او در ماوراء دنیا و آخرتست که هما حرامان علی اهل الله تنم اینجا ولی جان من آنجاست ولی اینها نه حشر شرعیست اگر چه بینش اینجا اکشف و اتم شود از بینش جمله بل بعضی از ابرار که وفات یافته اند چه در حشر شرعی باید این بدن طینی خراب شود و اما حشر بمعنی وصول بغایت صاحب عیان و شهود را حاصل است بنحو اتم

پهلوانی را فرستاد آن زمان — سوی موصل با سپاهی بس گران ۱
که اگر ندهد بتو آن ماه را — بر کن از بن آن در ودرگاه را
ور دهد ترکش کن و مه را بیار — تا کشم من بر زمین مه در کنار ۲
پهلوان شد سوی موصل با حشم — با هزاران رستم صاحب[1] علم
چون ملخها بیعدد بر گرد دشت — قاصد املاك اهل شهر گشت ۳
هر نواحی منجنیقی از نبرد — همچو کوه قاف او بر کار کرد
زخم تیر و سنگهای منجنیق — تیغها بر گرد چون برق بریق ٤
هفتهٔ کرد این چنین خون‌ریز گرم — برج سنگین سست شد چون موم نرم
شاه موصل دید پیکار مهول — پس فرستاد ازدرون پیشش رسول ٥
که چه میخواهی ز خون مؤمنان — کشته میگردند زین حرب گران
گر مرادت ملك وشهر موصل است — بی‌چنین خونریزی اینت حاصل است ٦
من روم بیرون زشهر اینك درآ — تا نگیرد خون مظلومان ترا
ور مرادت گوهر وسیم وزراست — این زملك وشهر خود آسانتراست ۷
هرچه میباید ترا از سیم وزر — میفرستم چیست این آشوب وشر

ایثار کردن صاحب موصل آن کنیزك را بخلیفه تا خون ریزی مسلمانان زیاد نشود

چون رسول آمد به پیش پهلوان — گفت پیغام ملك اندر زمان ۹
گفت من نه‌ملك میخواهم نه‌مال — لیك میجویم یکی صاحب جمال
داد کاغذ کاندرو نقش و نشان — گفت پیشش بر بگو اورا عیان ۱۰
کاندر این کاغذنگر چه صورتست — زود بفرستش که ملك وجانت رست
این کنیزك خواهم او را طالبم — هین بده ور نه هم اکنون غالبم ۱۱
چون رسولش بازگشت وگفت حال — داد کاغذ را و بنمود آن مثال
گشت معلومش چه گفت آن شاه نر — صورتی کم گیر و زود اورا بیر ۱۲
من نیم درعهد ایشان[2] بت پرست — بت بر آن بت پرست اولی‌تراست
با تیرك داد دختر را و برد — سوی لشکرگاه و درساعت سپرد ۱۳
روی دختر چون بدید آن پهلوان — گشت عاشق بر جمالش در زمان
عشق بحری آسمان بروی کفی — چون زلیخا در هوای یوسفی ۱٤
دور گردون را زموج عشق دان — گر نبودی عشق بفسردی جهان
کی جمادی محو گشتی در نبات — کی فدای روح گشتی نامیات ۱٥
روح کی گشتی فدای آن دمی — کز نسیمش حامله شد مریمی
هر یکی بر جا فسردی همچو یخ — کی بدی پران وجوین چون ملخ ۱٦
ذره ذره عاشقان آن جمال — می شتابد در علو همچون نهال
سبح لله هست اشتابشان[3] — تقیهٔ تن میکند از بهر جان ۱۷
پهلوان چه را چو ره پنداشته — شوره‌اش خوش آمده حب کاشته
چون خیالی دید آن خفته بخواب — جمع شد با او و ازوی رفت آب ۱۸
چون بجست ازخواب وشد بیدار زود — دید کان لعبت به بیداری نبود
گفت برهیچ آب خود بردم دریغ — عشوهٔ آن عشوه‌ده خوردم دریغ ۱۹
پهلوان تن بد او مردی نداشت — تخم مردی در زمین ریگ کاشت
مرکب عشقش دریده صد لگام — نعره میزد لا ابالی کالحمار[4] ۲۰
ایش ابالی بالخلیفه فی الهوی — فاستوی عندی وجودی والثری[5]
این چنین سوزان و گرم آخر مکار — مشورت کن با یکی دانسته کار[6] ۲۱
مشورت کو عقل کو سیلاب آز — در خرابی کرد ناخنها دراز
بین ایدی سد وسوی خلف سد[7] — پیش و پس کی بیند آن مفتون خد ۲۲
آمده در قصد جان سیل سیاه — تا که روبه افکند شیری بچاه
از چهی بنمود معدومی خیال — در چه اندازد اسود کالجبال[8] ۲۳
هیچکس را با زنان محرم مدار — که مثال این دو بنبه است وشرار
آتشی باید نشسته ز آب حق — همچو یوسف معتصم اندر رهق[9] ۲٤
کز زلیخای لطیف سرو قد — همچو شیران خویشتن‌را وا کشد
نفس خودرا کی توان کردن زبون — جز بامداد عقول ذوفنون ۲٥
جانب اتمام قصه باز ران — کاین سخن پایان ندارد پهلوان
باز گشت از موصل ومیشد براه — تا فرود آمد به بیشه و مرج گاه ۲٦
آتش عشقش فروزان آنچنان — که ندانست او زمین از آسمان
قصد آن مه کرد اندر خیمه او — عقل کو و از خلیفه خوف کو ۲۷
چون زند شهوت دراین وادی شرار[10] — عقل را سوزد در آن شعله چو خار[11]
صد خلیفه گشته کمتر از مگس — پیش چشم آتشینش آن نفس ۲۸
چون برون انداخت شلوار ونشست — در میان پای زن آن زن پرست
چون ذکر سوی مقر میرفت راست — رستخیز و غلغل از لشکر بخاست ۲۹
برجهید او کون برهنه سوی صف — ذوالفقار همچو آتش او بکف
دید شیر نر سیه از نیستان — بر زده بر قلب لشکر ناگهان ۳۰
تازیان چون دیو در جوش آمده — صد طویله وخیمه را برهم زده
شیر نر گنبد همی کرد از لغز — درهوا چون موج دریا بیست گز ۳۱
پهلوان مردانه بود و بی حذر — پیش شیر آمد چو شیر مست نر
زد بشمشیر و سرش را برشکافت — زود سوی خیمهٔ مه‌رو شتافت ۳۲
چونکه خودرا او[12] بدان حور انمود — مردی او همچنان بر پای بود
با چنان شیری بچالش گشت جفت — مردی او ماند بر پای و نخفت ۳۳
آن بت شیرین لقای ماه رو — در تعجب ماند از مردی او
جفت شد با او بشهوت آن زمان — متحد گشتند حالی آن دو[13] جان ۳٤
ز اتصال این دو جان با یکدگر — میرسد از غیبشان جانی دگر
رو نماید از طریق زادنی — گر نباشد از علوقش رهزنی ۳٥
هر کجا دو کس بمهری یا بکین — جمع آید ثالثی زاید یقین
لیك اندر غیب زاید آن صور — چون روی آن سو ببینی ازنظر ۳٦
آن نتایج از قرانات تو زاد[14] — هین مگرد ازهر قرینی زود شاد
منتظر میباش آن میقات را — صدق دان الحاق ذریات را[15] ۳۷
کز عمل زائیده‌اند و از علل[16] — هریکی را صورت نطق وکلل[17]
بانگشان درمیرسد زان خوش خصال[18] — کای ز ما غافل هلا زوتر تعال ۳۸
منتظر در غیب جان مرد و زن — مول مولت چیست زو ترگام زن

---

۱ ـ وطبل و ۲ ـ ایمان ٦ ـ خاوندگار ۱۰ـ دهل ۱۱ ـ چیست عقل تو فجل این فجل ۱۲ ـ باز چون خود را ۱۳ ـ نفس و ۱۷ ـ طلل ـ ملل ۱۸ ـ مجال (ن. ل)

---

(۳) اشاره بآیهٔ واقعه در سورهٔ حشراست سبح لله مافی‌السموات ومافی‌الارض وهوالعزیزالحکیم یعنی تنزیه کنندهاند مرخدای را آنچه درآسمانها و زمین است که او غالب و دانشمند است (٤) فریاد میزد مثل کبوتر که باك ندارد (٥) چه باك دارم از پادشاه درعشق ـ برابر است پیش من وجود و هلاکت (۷) اشاره بآیهٔ واقعه در اول سورهٔ یس (۸) شیرهای مثل کوه (۹) رهق ظلم و ستم کردن و نزدیکی با حرام و فساد کردن است (۱٤) ازحسن معاملهٔ تو باقرین و ازسوء معاملهٔ تو با آن صورت نیك یا بد زائیده میشود که ملتذ یا متالم شوی بمنادمت آن در آخرت واز تو و قول و فعل تو بهمرسد حکیمی فرماید انك ستعارض فی اقوالك وافعالك (۱٥) اشاره است بآیهٔ واقعه در سورهٔ طور والذین آمنوا واتبعتهم ذریتهم بایمان الحقنابهم ذریتهم وماالتناهم من‌عملهم من‌شئی یعنی آنانکه ایمان آوردند ومتابعت کردند ایشان‌را ذریتشان درایمان ملحق سازیم بایشان ذریتشان را و کم نمیکنیم از ثواب عملشان چیزی (۱٦) آن ذریات از عمل نیك یا از عمل بد میزاید پس آن صورت میگیرد و گویا میشود و گنگ هم میشود و از کسیکه زائیده شده‌اند انتظار میکشند در آنجا که کی آنشخص بیاید که بدو پیوسته شویم و بدو ملحق گردیم

پشیمان شدن آن سرلشکر از خیانتی که کردو سوگند دادن او آن کنیزك را که بخلیفه باز نگوید از آنچه رفت

راه گم کرد او از آن صبح دروغ — چون مگس افتاد اندر دیگ دوغ ۳ — چند روزی هم براین بُد بعدازآن — شد پشیمان از چنین جرم گران

داد سوگندش که ای بدر منیر — کن حذر تا شه نگردد زین خبیر ٤ — ❀درشفاعت گفت کای خورشیدرو — با خلیفه زانچه شد چیزی مگو

❀مختصر گویم ببرد آن پهلوان — مر کنیزك را سوی شاه جهان ٥ — چونکه دیداوآن کنیزك[1] مست گشت — پس ز بام افتاد او را نیز طشت

دید صدچندان که وصف اشنیده بود — کی بود خود دیده مانند شنود ٦ — وصف تصویراست بهرچشم هوش[2] — صورت آن چشم‌دان نی آن گوش

پرسیدن شخصی از بزرگی فرق میان حق و باطل را

❀یك مثالی گویم اکنون گوش دار — فهم کن امثال و معنی هوش دار ۸ — کرد مردی از سخندانی سؤال — حق و باطل چیست ای نیکومقال

گوش را بگرفت وگفت این باطل است — چشم حق است ویقینش حاصل است ۹ — آن بنسبت باطل آمد پیش این — نسبت است اغلب سخنها ای امین

ز آفتاب ارکرد خفاش احتجاب — نیست محجوب از خیال آفتاب ۱۰ — خوف اوخود از خیالش میشود[3] — واز خیالش سوی ظلمت میبرد[4]

آن خیال نور می ترساندش — بر شب ظلمات می چفساندش ۱۱ — از خیال دشمن و تصویر اوست — که تو بر چفسیدهٔ بر یار ودوست

موسیا کشف لمع بر که فراشت — آن مخیل تاب تحقیقت نداشت ۱۲ — که[5] مشو غرّه بدان که قبلی — مر خیالش را وزین ره واصلی

از خیال حرب نهراسید کس — لاشجاعة قبل حرب ایجان[6] و بس ۱۳ — بر خیال حرب جز اندر فکر — می کند چون رستمان صدکرّ وفرّ

نقش رستم کو بحمامی بود — قرن حمله[7] فکر هر خامی بود ۱٤ — این خیال سمع چون مبصر شود — جز چه بود رستمی مضطر شود

جهد کن کز گوش در چشمت رود — آنچه باطل مینمودت حق شود ۱٥ — زان‌سپس گوشت‌شود هم‌طبع چشم — گوهری گردد دو گوش همچو پشم

بلکه جملهٔ تن چو آیینه شود — جمله چشم و گوهر سینه شود ۱٦ — گوش انگیزد خیال و آن خیال[8] — هست دلالهٔ وصال آن جمال

جهد کن تا آن خیال افزون شود — تا دلاله رهبر مجنون شود ۱۷ — آن خلیفهٔ گول هم یکچند نیز — ریش گاوی کرد خوش با آن کنیز

ملك را تو ملك غرب وشرق گیر — چون نمیماند تو آن را برق گیر[9] ۱۸ — ملکتی کان می نماند جاودان — ای دلت خفته تو آن را خواب‌دان

تا چه خواهی کرد آن باد وبروت ۱۹ — که بگیرد همچو جلادان گلوت

در بیان ضعف عقل منکران بعث

هم دراین عالم بدان که مأمنیست — ازمنافق کم‌شنو که گفت نیست[10] ۲۱ — حجتش این است گوید هر دمی — گر بدی چیز دگر من دیدمی[11]

گر نبیند کودکی احوال عقل — عاقلی هرگز کند از عقل نقل ۲۲ — ور نبیند عاقلی احوال عشق — کم نگردد ماه نیکو فال عشق

حسن یوسف دیدهٔ اخوان ندید — از دل یعقوب کی شد نا پدید ۲۳ — مر عصارا چشم موسی چوب دید — چشم غیبی[12] افعی و آشوب دید

چشم سر باچشم سر درجنگ بود — غالب آمد چشم سر حجت نمود ۲٤ — چشم موسی دست خودرا دست دید — پیش چشم غیب نوری بُد پدید

این سخن پایان نداردر[13] کمال — پیش هرمحروم باشد این[14] خیال ۲٥ — چون حقیقت پیش اوفرج وگلوست[15] — کم بیان کن پیش او اسرار دوست

پیش ما فرج و گلو باشد خیال — لاجرم هردم نماید جان[16] جمال ۲٦ — هرکرا فرج وگلو آئین وخوست — آن لکم دین ولی دین بهراوست

با چنان انکار کوته کن سخن — ۲۷ احمدا کم گوی با گبر کهن

آمدن خلیفه نزد آن کنیز جهت شهوت رانی و جماع

چون خلیفه کرد رای اجتماع — سوی آن زن رفت از بهرجماع ۲۹ — ذکر او کرد وذکر بر پای کرد — قصد خفت و خیز مهرافزای کرد

چون میان پای آن خاتون نشست — پس قضا آمد ره عیشش ببست ۳۰ — خشت خشت موش‌درگوشش رسید — خفت مردی[17] شهوتش کلی رمید

وهم آن کز مار باشد آن صریر ۳۱ — که همی جنبد بتندی از حصیر

خنده کردن آن کنیزك از ضعف شهوت خلیفه و قوت شهوت آن پهلوان و فهم کردن خلیفه حال او را و پرسیدن

زن چودید آن سستی او ازشگفت — آمد اندر قهقهه خنده‌اش گرفت ۳٤ — یادش آمد مردی آن پهلوان — کو بکشت آن شیر واندامش چنان

غالب آمد خندهٔ زن شد دراز — جهد میکرد و نمیشد لب فراز ۳٥ — سخت میخندید همچون بنگیان — غالب آمد خنده بر سود و زیان

هرچه اندیشید خنده میفزود — همچو بند سیل ناگاهان گشود ۳٦ — گریه وخنده غم و شادی دل[18] — هر یکی را معدنی دان مستقل

هریکی را مخزن و مفتاح آن — ای برادر در کف فتاح دان ۳۷ — هیچ سا کن می نشد آن خنده‌رو — پس خلیفه تیره گشت وتند خو

زود شمشیر چو آتش[19] برکشید — گفت سرّ خنده را گو ای پلید ۳۸ — در دلم زین خنده ظنی اوفتاد — راستی گو عشوه نتوانیم داد

ور خلاف راستی بفریبیم — یا بهانهٔ چرب آری تو بدم ۳۹ — من بدانم در دل من روشنیست — بایدت گفتن هرآنچه گفتنیست

دردل شاهان توماهی دان سطبر — گرچه گه گه شد ز غفلت زیر ابر ٤۰ — یکچراغی هست در دل وقت‌گشت — وقت خشم وحرص اندرزیرطشت

آن‌فراست این زمان یارمن‌است — گر نگوئی آنچه حق گفتن است ٤۱ — من بدین شمشیر بُرّم گردنت — سود می ندهد بهانه کردنت

---

۱ ـ چون بدید او را خلیفه ۳ ـ او را خود خیالش میدهد ٤ ـ میکشد ـ میرود ٥ ـ هین ٦ ـ این دان ۷ ـ جمله ۱۲ ـ قبطی ۱۳ ـ هر ۱٤ ـ چون ۱٥ ـ نقش است و پوست ۱٦ ـ صد ۱۷ ـ کیرش ۱۹ ـ از غلافش

---

(۲) اگر کسی صفت کسی بگوید از آن شنیدن چشم هوش بهره‌مند میشود (۸) وجه حقیقی است برای سمع که فرمود آن بنسبت باطل آمد (۹) این برق و آن خواب بعد اشاره است بشعر منسوب بامیرالمؤمنین ع که در تشبیه دنیا فرموده اوکنومِ قدرآه نائم" او کبرقِ لاح من‌افق‌الامل (۱۰) عالم‌آخرت‌را مأمن نامیده گفت نیست مقصوداینست که‌منکرمعاد شد (۱۱) قالوا وماهی‌الاحیاتناالدنیا نموت ونحیا ومایهلکنا الاالدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا یخرصون (۱۸) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ نجم وانّ الی ربك‌المنتهی وانه هو اضحك وابکی بدرستیکه بسوی پروردگار تست بازگشت و بدرستیکه او میخنداند و میگریاند هرکه را میخواهد

۱ ❀ اینزمان بکشم ترا بی هیچ شك — تیغ را کرد او حواله گفت نك
۲ ور بگوئی راست آزادت کنم — هفت مصحف درزمان برهم نهاد
۲ حق یزدان نکشت شادت کنم — خورد سوگند و چنین تقریر داد

فاش کردن آن کنیزك راز را با خلیفه از بیم زخم شمشیر و اکراه خلیفه که راست گو سبب این خنده را وگرنه بکشمت

۵ زن چو عاجز گشت گفت احوال را — مردی آن رستم صد زال را
۵ شرح آن گردك که اندرراه بود — یك بیك او با خلیفه وا نمود
۶ شیر کشتن سوی خیمه آمدن — وان ذکر قائم چو شاخ کرگدن
۶ او بدان قوت که ازشیر شکار — هیچ تغییرش نشد بد بر قرار
۷ تو بدین سستی که چون کردی بگوش — خشت خشت موشکی رفتی زهوش
۷ من چو دیدم از تو این واز وی آن — زان سبب خندیدم ای شاه جهان
۸ راز هارا میکند حق آشکار — چون بخواهد رُست تخم بدمکار
۸ این بهار نو ز بعد برگ ریز — هست برهان بر وجود رستخیز
۹ آتش و باد ابر و آب و آفتاب — راز هارا می برآرند از تراب
۹ در بهاران سرّها پیدا شود — هرچه خوردست این زمین رسوا شود
۱۰ بردمد آن از دهن و از لبش — تا پدید آید ضمیر و مذهبش
۱۰ سرّ بیخ هر درختی و خورش — جملگی پیدا شود آن بر سرش
۱۱ هرغمی کز وی تو دل آزردهٔ — از خمار می بود کان خوردهٔ
۱۱ ایك کی دانی که آن رنج خمار — از کدامین می بر آمد آشکار
۱۲ این خمار اشکوفهٔ آن دانه است — آن شناسد کاگه و فرزانه است
۱۲ شاخ و اشکونه نماند دانه را — نطفه کی ماند تن مردانه را
۱۳ نیست مانده هیولا با اثر[1] — دانه کی مانده باشد با شجر
۱۳ نطفه از نانست کی ماند بنان[2] — مردم از نطفه است کی باشد چنان
۱۴ جنی از نارست کی ماند بنار — ازبخاراست ابر ونبود چون بخار
۱۴ از دم جبریل عیسی شد پدید[3] — کی بصورت همچو او شد ناپدید[4]
۱۵ آدم از خاکست کی ماند بخاك — هیچ انگوری نمی ماند بتاك
۱۵ کی بود طاعت چو خلد پایدار — کی بود دزدی بشکل پای دار
۱۶ هیچ اصلی نیست مانند اثر — پس ندانی اصل رنج ودردسر
۱۶ ایك بی اصلی نباشد این جزا — بی گناهی کی برنجاند خدا[5]
۱۷ آنچه اصلست وکشنده هر[6] شی است — گر نمیماند بوی هم ازوی است
۱۷ پس بدان رنجت نتیجه زلتیست — آفت این شربت از شهوتیست
۱۸ گر ندانی این گنه را زاعتبار — زود زاری کن طلب کن اغتفار
۱۸ سجده کن صد بار میگو ای خدا — نیست این غم غیر درخورد وسزا
۱۹ ای تو سبحان پاك ازظلم وستم — کی دهی بیجرم جان را درد و غم
۱۹ من معین می ندانم جرم را — ایك هم جرمی بباید گرم را
۲۰ چون بپوشیدی سبب را زاعتبار — دائماً آن جرم را پوشیده دار
۲۰ کاین جزا اظهار جرم من بود — واز سیاست دزدیم ظاهر شود
۲۱ باز گردم سوی توبه شاه باز — تا شود معلوم اسرار نیاز

عزم کردن شاه چون واقف شد بر آن خیانت که بپوشد و عفو کند و اورا بوی دهد و دانست که آن فتنه جزای قصد او بود و ظلم او بر صاحب موصل که و من اساء فعلیها[7] وانّ ربك لبالمرصاد[8] و ترسیدن که اگر انتقام کشد آن انتقام هم برسر او آید چنانکه این ظلم وطمع بر سرش آمد

۲۵ شاه با خود آمد استغفار کرد — یاد جرم و زلت و اصرار کرد
۲۵ گفت با خود آنچه کردم با کسان — شد جزای آن بجان من رسان
۲۶ قصد جفت دیگران کردم ز جاه — بر من آمد آن و افتادم بچاه
۲۶ من در خانهٔ کس دیگر زدم — او در خانهٔ مرا زد لاجرم
۲۷ هرکه با اهل کسان شد فسق جو[9] — اهل خودرا دان که قوّاداست او
۲۷ زآنکه مثل آن جزای او شود — چون جزای سیئه مثلش بود[10]
۲۸ چون سبب کردی کشیدی سوی خویش — مثل آنرا پس تو دیوئی زپیش
۲۸ غصب کردم از شه موصل کنیز — غصب کردند از من اورا زود نیز
۲۹ او امین من بُد و لالای من — خاینش کرد آن خیانتهای من
۲۹ نیست وقت کین گزاری وانتقام — من بدست خویش کردم کار خام
۳۰ گرکشم کینه از آن میرو حرم — آن تعدّی هم بباید بر سرم
۳۰ همچنان کین ظلم آمد در جزا — آزمودم باز نزمایم ورا
۳۱ درد صاحب موصلم گردن شکست — من نیارم این دگر را نیز خست
۳۱ داد حقمان از مکافات آگهی — گفت اِن عُدتم به عُدنا به[11]
۳۲ چون فزونی کردن اینجا سود نیست — غیر صبر ومرحمت محمود نیست
۳۲ ربّنا انا ظلمنا سهو رفت — رحمتی کن ای رحیمیهات زفت
۳۳ عفو کردم تو هم از من عفو کن — از گناهان نو و جرم[12] کهن
۳۳ ❀ گفت اکنون ای کنیزك وامگو — این سخن را که شنیدم من ز تو
۳۴ پاس دار و برکسی عرضه مکن — آنچه گفتی ای کنیزك زین سخن
۳۴ با امیرت جفت خواهم کرد من — الله الله زین حکایت دم مزن
۳۵ تا نگردد او ز رویم شرمسار — گو یکی بد کرد و نیکی صدهزار
۳۵ بارها من امتحانش کرده ام — خوبتر از تو بدو بسپرده ام
۳۶ در امانت یافتم اورا تمام[13] — این قضائی بود هم از کردهٔ[14]

خواندن خلیفه پهلوان را و کنیزك را بُو عقد کردن

۳۸ پس بخود خواند آن[15] امیر خویش را — کشت درخود خشم قهر اندیش را
۳۸ کرد با او ایك بهانهٔ دلپذیر — که شدستم زین کنیزك من نفیر
۳۹ زان سبب کز غیرت ورشك کنیز[16] — مادر فرزند دارد صد ازیز[17]
۳۹ مادر فرزند را بس حقهاست — او نه درخورد چنین جور وجفاست
۴۰ رشك وغیرت میبرد[18] خون میخورد — زین کنیزك سخت تلخی میبرد
۴۰ چون کسی را دادخواهم این کنیز — پس ترا اولی تراست این ای عزیز

---

۲ ـ باشد چونان ۳ ـ عیان ٤ ـ بود همچون او نهان ٦ ـ آن ۱۲ ـ گناه نوز زلات ۱۳ ـ امام ۱٤ ـ کامد والسلام ۱۵ ـ برخود خواند ۱٦ ـ او دائماً ۱۷ ـ هست اندرعنا ۱۸ ـ سخت غیرت میکند (ن . ل)

---

(۱) یعنی نیست نطفه که هیولای ثانیه است از آن حیثیت که هیولی است با اثر مانند هیولای اولی که نیست با اثر چه قوه صرفه ولاتعین است و مبدأ اثر نیست که قوه انفعالیه نه قوه فعلیه است بخلاف تن مردانه که مؤثر است (۵) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ آل عمران وان الله لیس بظلام للعبید بدرستیکه خدا نیست ستمکار بر بندگان خویش (۷) آیه در سورهٔ فصلت واقع شده و هر که بد کند پس بر نفس اوست یعنی ضرر آن باو باز گردد (۸) آیه در سورهٔ فجر واقع شده یعنی بدرستیکه پروردگار تو خداوند گذرگاه است یعنی ازاو چیزی فوت نخواهد شد (۹) اشاره باین حدیث است من زنی زنی (۱۰) اشاره بکریمهٔ وجزاء سیئة سیئة مثلها است (۱۱) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ بنی اسرائیل است عسی ربکم ان یرحمکم وان عدتم عدنا

چون[1] تو جانبازی نمودی بهر او — خوش نباشد دادن اورا جز بتو ۱ — عقد کردش با امیر اورا وداد[2] — خشم را و حرص را یکسو نهاد[3]
گر بُدش سستی ز نرّی خران ۲ — بود اورا مردی پیغمبران

در بیان نحن قسمنا[4] که یکی را قوت و شهوت خران دهد ویکی را صفا و صفوت فرشتگان

تخمهائی که شهوتی نبود — بر او جز قیامتی نبود[5] — سرزهواتافتن ازسروریست — ترک‌هواقوت پیغمبریست[6]

ترک خشم وشهوت وحرص آوری — هست مردی و رگ پیغمبری ۵ — نرّی خرگو مباش اندر رگش — حق همی داند[7] الغ بیگلربگش
مردهٔ باشم بمن حق بنگرد — به ازآن که زنده باشم دور و رد ۶ — مغز مردی این شناس وپوست آن — آن بود در دوزخ و این درجنان
حفت الجنة مکاره را رسید — حفت النار از هوا آمد پدید ۷ — ای ایاز نرّه شیر دیو کش — مردی خرکم فزون مردی هش
آنچه چندین صدر ادراکش نکرد — لعب کودك بود پیشت اینت مرد ۸ — ای بدیده لذت امر مرا — جان سپرده بهر امرم در وفا
ای که ازتعظیم امرش آگهی — این حکایت گوش کن گروالهی[8] ۹ — داستان ذوق امرو چاشنیش — بشنو اکنون در بیان معنویش

دادن شاه محمود گوهر را دربزم بدست وزیر که این بچند ارزد ومبالغه کردن وزیر در قیمت وفرمودن شاه وزیر را که این را بشکن وگفتن وزیر که این گوهر نفیس را چگونه بشکنم

گفت روزی شاه محمود غنی — آن شه غزنین و سلطان سنی ۱۲ — یکصباحی[9] جانب دیوان شتافت — جمله ارکان را درآن دیوان بیافت
گوهری بیرون کشید او مستنیر — پس نهادش زود در دست وزیر ۱۳ — گفت چونست وچه ارزد این گهر — گفت بیش ارزد زصد خروارزر
گفت بشکن گفت چونش بشکنم — نیکخواه مخزن و مالت منم ۱۴ — چون روا دارم که مثل این گهر — که نیاید در بها گردد هدر
گفت شاباش و بدادش خلعتی — گوهر از وی بستد آن شاه فتی ۱۵ — کرد ایثار وزیر آن شه ز[10] جود — هر لباس و حله کو پوشیده بود
ساعتیشان کرد مشغول سخن — از قضیهٔ تازه و سرّ کهن ۱۶ — بعد از آن دادش بدست حاجبی — که چه ارزد این بدست[11] طالبی
گفت ارزد این بنیهٔ مملکت — حافظش باد[12] خدا از مهلکت ۱۷ — گفت بشکن گفت ای خورشیدتیغ — بس دریغ است این شکستن بس دریغ
قیمتش بگذار بین تاب و لمع — که شدست این نور روز اوراتبع ۱۸ — دست کی جنبد مرا در کسر او — کی خزانه شاه را باشم عدو
شاه خلعت داد وادرارش فزود — پس دهان[13] درمدح عقل اوگشود ۱۹ — بعد یکساعت بدست میر داد — دُرّ را کاین امتحان کن بازدیاد
او همین گفت وهمه میران همین — هر یکی را خلعتی داد او ثمین ۲۰ — جامگیها شان همی افزود شاه — آن خسیسان را ببرد از ره بچاه[14]
همچنین گفتند پنجه شصت امیر — جملگان یك یك بتقلید وزیر ۲۱ — گرچه تقلیداست استون جهان[15] — هست رسوا هر مقلد زامتحان
شاه چون کرد امتحان جملگان — مال و خلعت برد هریك بیگران ۲۲ — همچنان دردورگردان شد گهر — تا بدست آن ایاز دیده‌ور
آخرین بنهاد در کف ایاز — گفت اورا کای حریف دیده‌باز ۲۳ — یك بیك دیدند این گوهر توهم — در شعاعش در نگر ای محترم

رسیدن آن گوهر آخر دور بدست ایاز وکیاست ایاز و مقلد ناشدن او ایشان را و مغرور ناشدن او بمال و خلعت وجامگی افزون کردن و مدح عقل ایشان کردن که نشاید مقلد را مسلمان دانستن اگر مسلمان باشد ونادر باشد که مقلد ثبات کند برآن اعتقاد ومقلد ازامتحانها بسلامت بیرون آید که ثبات بینایان ندارد

ای ایاز اکنون بگوئی[16] کاین گهر — چند میأرزد بدین تاب و هنر ۲۷ — گفت افزون زانچه تانم گفت من — گفت اکنون زودخردش درشکن
سنگها در آستین بودش شتاب — خردکرد و پیش او بود این صواب ۲۸ — ز اتفاق طالع با دولتش — دست داد آن لحظه نادرحکمتش
پاخواب این دیده بود آن با[17] صفا — کرده بود اندر بغل دو سنگ را ۲۹ — همچو یوسف کاندرون قعرچاه[18] — کشف شد پایان کارش از اله
هرکرا فتح و ظفر پیغام داد — پیش او یك شد مراد و نا مراد ۳۰ — هرکه پایندان وی شدوصل[19] یار — او چه ترسد از شکست کارزار
چون یقین گشتش که خواهد کردمات — فوت اسب و پیل باشد ترّهات ۳۱ — گر بپرداسبش هرآنکه اسب جوست — اسب او گوئی که پیش آهنگ اوست
مردرا با اسب کی خویشی بود — عشق اسبش از پی پیشی بود ۳۲ — بهر صورتها مکش چندین زحیر — بی صداع صورتی معنی بگیر[20]
هست زاهد را غم پایان کار — تا چه باشد حال او روز شمار ۳۳ — عارفون ز آغاز گشته هوشمند[21] — از غم و احوال آخر فارغند
بود عارف را غم[22] خوف و رجا — سابقه دانش خورد آن هردورا ۳۴ — دید کو سابق زراعت بود[23] ماش — او همی داند چه خواهد بود چاش[24]
عارفست او بازرست ازخوف وبیم — های وهورا کرد تیغ حق دونیم ۳۵ — بود او را بیم و امید از خدا — خوف فانی شد عیان شد آن رجا
خوف طی شد جملگی امید شد — نور گشت و تابع خورشید شد[25] ۳۶ — زامتحان شاه بود آگه ایاز — در فریب شه نشد گمره ایاز
خلعت و ادرار ازراهش نبرد ۳۷ — کردگوهر زامر شاه او خرد ومرد

تشنیع امیران ایازرا که چرا چنین گوهررا شکستی و جواب او

چون شکست او گوهر خاص آن زمان — زان امیران خاست بس بانگ ونفان ۳۹ — کاین چه بی باکیست والله کافر است — هرکه این پرنور گوهررا شکست
وانجماعت جمله از جهل و عما — در شکسته دُرّ امر شاه را ۴۰ — قیمت گوهر نتیجهٔ مهر و ود — بر چنان خاطر چرا پوشیده شد
گفت ایاز ای مهتران نامور — امر شه بهتر بقیمت یا گهر ۴۱ — امرسلطان به بود پیش شما — یا که این نیکوگهر بهر خدا

---

۱ ـ که ۲ ـ سپرد ۳ ـ کرد خشم و حرص خودرا خرد و مرد ۷ ـ خواند ۸ ـ تا وا رهی ۹ ـ شاه روزی ۱۰ ـ شاه ۱۱ ـ به پیش ۱۲ ـ کش نگهدارد ۱۳ ـ زبان ۱۴ ـ بچاه ۱۶ ـ نگوئی ۱۷ ـ پر ۱۹ ـ بندان وی شد نضل ۲۲ ـ همین ۲۳ ـ کرد ۲۴ ـ باش (ن. ل)

---

(٤) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ زخرف نحن قسمنا بینهم معیشتهم فی الحیوةالدنیا (٥) این بیت از حدیقه حکیم سنائی است (٦) این بیت از مخزن‌الاسرار نظامی است (١٥) چون جهان گیتی ظلمت است و سراپست ستونش مناسب آنست در وهن این است که عمارت این عالم بسته بتقلید است بعکس جهان معنوی که عمارتش بیقین و تحقیق است (١٨) و همچنین یوسف روح مکرم که خود شناس و آغاز و انجام شناس شود در قعر چاه طبیعت (٢٠) خذالغایات و دع المبادی (٢١) یعنی عارفی که از خوف و بیم فارغ است بمضمون الا انّ اولیاءالله لا خوف علیهم و لاهم یحزنون (٢٥) یعنی فانی در او شد که مبتهج بخود است و غیر پیش جمال و جلال او وجود ندارد

ای نظرتان بر گهر بر شاه نی — قبله تان غولست و جادهٔ راه نی ۱ — من ز شه بر می نگردانم نظر — من چو مشرك روی نارم در[1] حجر
بی گهر جانی که رنگین سنگ راه[2] — بر گزینند پس نهد او امر شاه[3] ۲ — پشت سوی لعبت گلرنگ کن — عقل در رنگ آورنده دنگ کن
اندر آ در جو سبو پرسنگ زن — آتش اندر بو و اندر رنگ زن ۳ — گر نهٔ در راه دین از ره زنان — رنگ و بو میرست[4] مانند زنان
*گوهر امر شه بود ای ناکسان — جمله بشکستید گوهر را عیان ۴ — *چون ایاز این راز بر صحرا فکند — جمله ارکان خوار گشتند و نژند
سر فرو انداختند آن سروران — عذر گویان گشته زین نسیان[5] بجان ۵ — ازدل هر یك دوصد آه آتزمان — همچو دودی میشدی بر آسمان

قصد کردن شاه بقتل امیران وشفاعت کردن ایاز آنهارا که العفو اولی

کرد اشارت شه بجلاد کهن — که زصدرم این خسان راپاك[6] کن ۷ — این خسان چه لایق صدر منند — کز پی سنگ امر ما را بشکنند
امر ما پیش چنین اهل فساد — بهر رنگین سنگ شد خوار وکساد ۸ — پس ایاز مهر افزا برجهید — پیش تخت آن الغ سلطان دوید
سجده کرد وپس گلوی خودگرفت — کای قبادی کز تو چرخ آردشگفت ۹ — ای همائی که همایان فرّخی — از تو دارند و سخاوت هرسخی
ای کریمی که کرمهای جهان — محو گردد پیش ایثارت نهان ۱۰ — ای لطیفی که گل سرخت چودید — از خجالت پیرهن را بر درید
از غفوری تو غفران چشم سیر — روبهان بر شیر از عفو[7] تو چیر ۱۱ — غیر عفو تو که را دارد سند — هرکه با امر تو بی باکی کند
غفلت و گستاخی این مجرمان — از وفور عفوتست ای عفو ران ۱۲ — دائماً غفلت ز گستاخی دهد — که برد تعظیم از دیده رمد
غفلت و نسیان بد آموخته — زاتش تعظیم گردد سوخته ۱۳ — هیبتش بیداری و فطنت دهد — سهو و نسیان ازدلش بیرون جهد
وقت غارت خواب ناید خلق را — تا نبرباید کسی زو دلق را ۱۴ — خواب چون درمی رمد ازبیم دلق — خواب ونسیان کی بود بابیم خلق
لاتؤاخذ ان نسینا شد گواه[8] — که بود نسیان بوجهی هم گناه ۱۵ — زانکه استکمال تعظیم او نکرد — ورنه نسیان در نیاوردی نبرد
گرچه نسیان لابد و ناچار بود[9] — در سبب ورزیدن او مختار بود ۱۶ — کو تهاون کرد در تعظیمها — تاکه زان نسیان شدو[10] سهو وخطا
همچو مستی کو جنایتها[11] کند — گویداو معذور بودم من ز خود ۱۷ — گویدش لیکن سبب ای زشت کار — از تو بد در رفتن آن اختیار
بیخودی نامد بخود تش خواندهٔ[12] — اختیار از خود نشد تش راندهٔ ۱۸ — گر رسیدی مستئی بی جهد تو[13] — حفظ کردی ساقی جان عهد تو
پشت دارت او بدی وعذر خواه — من غلام زلت مست اله ۱۹ — عفو های جمله عالم ذرهٔ — عکس عفوت ای زتو هر بهرهٔ
عفو ها گفته ثنای عفو تو — نیست کفوش ایهاالناس اتقوا ۲۰ — جانشان بخش وزخودشان هم مران — کام شیرین تو اند ای کامران
رحم کن بر آنکه او روی تودید — فرقت تلخ تو چون خواهد چشید[14] ۲۱ — از فراق تلخ میگوئی سخن — هرچه خواهی کن ولیکن این مکن
*درجهان نبود بتر از هجر یار — این سخن ازعاشق خودگوش دار ۲۲ — صدهزاران مرگ تلخ ازدست[15] تو — نیست مانند فراق شست تو[16]
تلخی هجر از ذکور و از اناث — دور دار ای مجرمان را مستغاث ۲۳ — برامید وصل تو مردن خوش است — تلخی هجر تو فوق آتش است
گیر میگوید میان آن سقر — چه غمم بودی گرم کردی نظر ۲۴ — کان نظر شیرین کنندهٔ رنجهاست — ساحران را خونبهای دست وپاست

تفسیر گفتن ساحران فرعون را دروقت سیاست که لاضیر انا الی ربنا منقلبون

نعرهٔ لا ضیر بشنید آسمان — چرخ گوئی شد پی آن صولجان ۲۶ — ضربت فرعون ما را نیست ضیر — لطف حق غالب بود بر قهر غیر
گر بدانی سرّ ما را ای مضل — مبرهانیمان ز رنج ای کور دل ۲۷ — هین بیا اینسو ببین کان ارغنون — میزند یا لیت قومی یعلمون
داد مارا فضل حق فرعونئی — نی چنین فرعونی بی عونئی ۲۸ — سربرآر وملك بین زنده وجلیل — ای شده غرّه بملك مصر و نیل
گر تو ترك این نجس خرقه کنی — نیل را در نیل جان غرقه کنی ۲۹ — هین بدار ازمصر ای فرعون دست — درمیان مصر جان صدمصر هست[17]
تو انا ربی همی گوئی مدام[18] — غافل ازماهیت این هردو نام[19] ۳۰ — رب بر مربوب کی لرزان بود — کی انادان بند جسم و جان بود
نیك انا مائیم رسته از انا — از انای پر بلای پر عنا ۳۱ — آن انائی برتو ای سگ شوم بود — در حق ما دولت محتوم بود
گر نبودیت این انای کینه کش — کی زدی برما چنین اقبال خوش ۳۲ — شکر آن کز دار فانی میرهیم — بر سر این دار پندت میدهیم
دار قتل ما براق رحمت[20] است — دار ملك تو غرور و غفلت است ۳۳ — این حیاتی خفیه[21] درنقش ممات — وان مماتی خفیه در قشر حیات
می نماید نور نار و نار نور — ورنه دنیا کی بدی دارالغرور ۳۴ — هین مکن تعجیل اول نیست شو — چون غروب آری برآر ازشرق ضو
زان انائی در ازل دلتنگ شد — زین انا دل بیخود وجان دنگ شد ۳۵ — *آن انائی سرد گشت وتنگ شد — این انا خم داده همچون چنگ شد
از انا چون رست شد اکنون انا — آفرین بر آن انای بی عنا ۳۶ — زان انای بی عنا خوش گشت جان — شد جهان اوزان انای اینجهان

---

۱ ـ با ۲ ـ را ۳ ـ شاه مرا ۵ ـ غضبان ٦ ـ دور ۷ ـ عدل ۱۰ ـ نسیان زاد یا ۱۱ ـ خرابیها ۱٤ ـ کشید ۱۵ ـ شست ۱۸ ـ بعام
۲۰ ـ رحلت ۲۱ ـ خفته (ن . ل)

---

(٤) خوشیهای این جهان را گویند که ظاهر است و حقیقت ندارد (۸) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ بقره ربنا لا تؤاخذنا ان نسینا او اخطانا یعنی پروردگارا مگیر ما را اگر فراموش کردیم وگناه نمودیم (۹) در وقت نسیان البته ناچار میشود لکن دراختیار کردن سبب این نسیان اختیار این کس هست مثلاً در زیاد خوردن غفلت میشود اگر درخوردن احتیاط نماید نوبت بغفلت نرسد و اگر از شراب که سبب بیهوشی است اجتناب نماید البته از مستی محفوظ ماند همچنین است دیگر تمثیلات (۱۲) چون شراب خوردی گویا مستی را خود بخود طلبیدی و اختیار تو نمیرفت گویا تو خود اختیارت را ازخود دور کردی بسبب خوردن شراب (۱۳) اگر مستی آن عالم ابدی یعنی سعی تو محافظت تو کردی باعتبار معنی و ترا آواره شدن ندادی (۱٦) یعنی صد هزار مرگ تلخ از قضا بر آدمیان وارد شود بتلخی فراق دام تو نمیرسد که درکمند تو بودن وچون ماهی در شست تو بودن غایت امل و منتهای مقصود است (۱۷) وفیك انطوی العالم الاکبر (۱۹) که اناالرب حق تعالی را میزیبدکه انا عبارتست از مقام احدیت و الرب حکایتست از مقام اسماء و صفات که تربیت مظاهر کنند و مراد بهمیت ما به الشئی هوهو است چه حق وتر است و وجود بحت و محیط که برزخ بین الوجود والعدم است ندارد که شئی در نفس الامر یا وجود حقیقی است که طرد عدم است و ابا از عدم دارد یا مهیت است که نه ابا از وجود دارد ونه ابا از عدم ودر تحقق بوجود حقیقی محتاجست و این ثانی لایق بجلال او نیست پس باقی ماند اول

او گریزان و انا اندر پیش — میدود چون دید ویرانی[1] ویش ۱ — طالب اوئی نگردد طالبت[2] — چون بمردی طالبت شد مطلبت[3]
زندهٔ کی مرده‌شو شوید ترا — طالبی کی مطلبت جوید ترا ۲ — اندرین بحث ارخرد ره‌بین بُدی — فخر رازی راز دار دین بدی
لیك چون‌من‌لم یذق لم یدر[4] بود — عقل و تخییلات او حیرت فزود ۳ — کی شود کشف از تفکر این انا — این انا مکشوف شد بعدالفنا[5]
می فتد این عقلها در افتقاد — در مغاکیّ حلول و اتحاد ٤ — ای ایاز گشته فانی ز اقتراب — همچو اختر در شعاع آفتاب
بلکه چون نطفه مبدل تو بتن — نز حلول و اتحاد مفتتن ٥ — عفو کن ای عفو در صندوق تو — سابق لطفی و ما مسبوق تو

مجرم دانستن ایاز خود را در این شفاعت‌گری و عذر این جرم خواستن و در آن عذرخواهی خود را مجرم دانستن و این شکستگی از عظمت شاه خیزد و از شناخت او که اعلمکم بالله اخشاکم من‌الله[6] انما یخشی‌الله من عباده العلماء[7]

من که باشم که بگویم عفو کن — ای تو سلطان و خلاصهٔ امر کن ۹ — من که باشم که بوم من بامنت — ای گرفته جمله منها دامنت
من که آرم رحم خلم آلود را[8] — ره نمایم علم حلم اندود را ۱۰ — صد هزاران صفع را ارزانیم — گر زبون صفعها گردانیم
من کیم تا پیشت اعلامی کنم — یا که وایادت دهم شرط کرم ۱۱ — آنچه معلوم تو نبود چبود[9] آن — وآنچه یادت نیست کو اندرجهان
ای تو پاك‌ازجهل وعلمت پاك‌ازآن — که فراموشی کند ویرا نهان ۱۲ — هیچکس را تو کسی انگاشتی — همچو خورشیدش بنور افراشتی
چون کسم کردی اگر لابه ام کنم — مستمع شو لابه ام را از کرم ۱۳ — زانکه از نقشم چو بیرون بردهٔ — آن‌شفاعت هم تو خود راکردهٔ[10]
چون‌زرخت‌من[11] تهی‌گشت‌این‌وطن — تر و خشك خانه نبود آن من ۱٤ — همدعا ازمن روان کردی‌چوآب — هم ثباتش بخش وگردان مستجاب
هم تو بودی اول آرندهٔ دعا — هم تو باش آخر اجابت را رجا ۱٥ — تا زنم من لاف کان شاه جهان — بهر بنده عفو کرد از مجرمان
درد بودم سر بسر من خود پسند — کرد شاهم داروی هر دردمند ۱٦ — دوزخی بودم پر از شور وشری — کرد دست فضل اویم کوثری
هر که را سوزید دوزخ درقود — من برویانم دگر بار از جسد ۱۷ — کار کوثر چیست که هر سوخته — گردد از وی نابت و افروخته[12]
قطره قطره او منادیّ کرم — کانچه دوزخ سوخت من بازآورم ۱۸ — همچو مرهم بر سر زخم عفن — ینبت لحماً جدیداً خالصاً[13]
هست دوزخ همچو سرمای خزان — هست کوثر چون بهار گلستان ۱۹ — هست دوزخ همچومرگ وچون‌فنا — هست کوثر از نفخ صور از کبریا
هست‌دوزخ‌همچومرگ‌وخاك‌گور — هست کوثر بر مثال نفخ صور ۲۰ — ای زدوزخ سوخته اجسامتان — سوی کوثر میکشد اکرامتان
چون خلقت الخلق کی یربح علی[14] — لطف تو فرمود ای قیوم حی ۲۱ — لالان اربح علیهم جود تست — که شود زو جمله ناقصها درست
عفو کن زین ناقصان[15] تن‌پرست — عفو از دریای عفو اولی‌ترست ۲۲ — عفوخلقان همچوجوی وهمچوسیل — هم بدان دریا همی تازند خیل
عفوها هر شب از این دل پارها — چون کبوتر سوی تو آید شها ۲۳ — بازشان وقت سحر پرّان کنی — تا بشب محبوس این ابدان کنی
پر زنان بار دگر تا وقت شام — میپرند از عشق آن ایوان و بام ۲٤ — تا که از تن تار وصلت بگسلند — پیش تو آیند کز تو مقبلند
پر زنان ایمن ز رجع سرنگون — در هوا کانا الیه راجعون ۲٥ — بانگ میآید تعالوا زان کرم — بعداز این رجعت نماند درد[16] وغم
بس غریبها کشیدید از جهان — قدر من دانسته باشید ای مهان ۲٦ — زیر سایهٔ این درختم مست ناز — هین بیندازید پا ها را دراز
پایهای پر عنا از بهر[17] دین — بر کنار و دست حوران خالدین ۲۷ — حوریان گشته مغز مهربان — کز سفر باز آمدند این صوفیان
صوفیان صافیان چون نور خور — مدتی افتاده بر خاك و قذر ۲۸ — بی اثر پاك از قذر باز آمدند — همچو نور خور سوی قصر بلند
این‌گروه مجرمان هم ای مجید — جمله سرهاشان بدیواری رسید ۲۹ — بر خطا و جرم خود واقف شدند — گرچه مات کعبتین شه[18] بدند
رو بتو کردند اکنون اه کنان — ای که لطفت مجرمان را ره کنان ۳۰ — راه ده آلودگان را العجل — در فرات عفو و عین مغتسل[19]
تا که غسل آرند زان جرم[20] دراز — در صف پاکان روند اندر نماز ۳۱ — اندر آن صفها ز اندازه برون — غرقگان نور نحن الصافون[21]
چون‌سخن‌دروصف‌آن‌حالت رسید — هم قلم بشکست و هم کاغذ درید ۳۲ — بحر را بیمود هیچ اسکرهٔ — شیر را برداشت هرگز برّهٔ
گر حجابست برون رو زاحتجاب — تا ببینی پادشاهیّ عجاب ۳۳ — گر چه بشکستند جامت قوم مست — آنکه‌مست ازتوبود عذریش هست
مستی ایشان باقبال و بسال — نه زبادهٔ تست ای نیکو خصال[22] ۳٤ — ای‌شهنشه مست‌تخصیص تواند[23] — عفو کن ازمست خود ای عفومند
لذت تخصیص تو وقت خطاب — آن کندکه ناید از صد خم شراب ۳٥ — چونکه مستم کردهٔ حدم مزن — شرع مستان را نیارد[24] حد زدن
چون شوم هشیار آنگاهم بزن — که نخواهم گشت خود هشیار من ۳٦ — هرکه ازجام تو خورد ای ذوالمنن — تا ابد رست از هُش واز حدزدن
خالدین فی فناء سُکرهم — من یفانی فی هواکم لم یقم[25] ۳۷ — فضل تو گوید دل مارا که رو — ای شده در دوغ عشق ما گرو
چون مگس در دوغ ما افتادهٔ — تو نهٔ مست ای مگس تو بادهٔ ۳۸ — کرکسان‌مست‌از توگردند ای‌مگس — چونکه بر بحر عسل رانی فرس

---

۱ ـ وی را بی ۲ ـ طالبست ۳ ـ طالبست‌وراغبست ۹ ـ چیست ۱۲ ـ اندوخته ۱٥ ـ بندگان ۱٦ ـ آن حرص ۱۷ ـ راه ۱۸ ـ حق ۲۰ ـ جسم ۲۲ ـ شیرین فعال ۲٤ ـ نبیند (ن. ل)

---

(٤) کسیکه نچشیده نمیداند (٥) یعنی پس از فانی شدن تو معنی انا بر تو ظاهر شود چنانچه حکیم غزنوی فرماید بعیر ایدوست پیش از مرگ اگر عمر ابد خواهی که ادریس از چنین مردن بهشتی گشته پیش از ما (٦) حدیث نبویست (۷) این آیه در سورهٔ فاطر واقعست جز این نیست که میترسند از خدا از جملهٔ بندگان او دانایان (۸) یعنی در عین آلودگی غضب رحم آوردن را من کی توانم بتو راه نمود این صفت با علم حلم اندود کار تست و از دیگری نمی آید (۱۰) یعنی فخر و بزرگی که از شفاعت مجرمان مرا حاصل است تو مرا از نفس بیرون کردهٔ و من همه تو شده‌ام آنهم برای خودت است (۱۱) از وجود و صفات و افعال بمقتضای توحیدات ثلثه (۱۲) میرویاند گوشت تازه خالص پاك از چرك وریم (۱٤) خلق کردم مردمان را تا از من سودی برند نه اینکه من از ایشان سودی برم (۱۹) اشاره بچشمهٔ ایوب است (۲۱) آیه واقعه در سورهٔ والصافات وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون (۲۳) یعنی انتساب بتو را عاشقند (۲٥) یعنی جاوید اند در فنای مستی ایشان و هرکه فانی شد در هوای شما بپا نخواهد ایستاد

کوهها چون ذرّها سرمست تو ۱ فتنه که لرزند ازاو لرزان تست
هر گران قیمت گهر ارزان تست
نقطه و پرگار و خط دردست تو
گر خدا دادی مرا پانصد دهان[1] ۲ یك زبان دارم من آن هم منکسر
گفتمی شرح تو ای جان جهان
در خجالت از تو ای دانای سرّ
منکسرتر خود[2] نباشم از عدم ۳ صد هزار آثار غیبی منتظر
کز دهانش آمدستند این امم
کزعدم بیرون جهد با لطف وبر
از تقاضای تو میگردد سرم ۴ رغبت ما از تقاضا های تست
ای بمرده من بپای[3] آن کرم
جذب حق دان اینکه رهرو گشت چست[4]
خاك بی بادی ببالا کی رود[5] ۵ پیش آب زندگانی کس نمرد
کشتی بی یم روانه کی شود[6]
پیش آبت آب حیوانست دُرد
آب حیوان قبلهٔ جان دوستان ۶ مرگ آشامان ز عشقش زنده اند
زآب باشد سبز و خندان بوستان
دل زجان وآب جان برکنده اند
آب عشق تو چو مارا دست داد ۷ زآب حیوان هست هرجان رانوی
آب حیوان شد به پیش ما کساد
لیك آب آب حیوانی توئی
هر دمی مرگی و حشری دادیم ۸ همچو خفتن گشت این مردن مرا
تا بدیدم دستبردِ آن کرم
ز اعتماد بعث کردن ای خدا
هفت دریا هردم ار گردد سراب ۹ عقل لرزان[7] ازاجل وآن عشق شوخ[8]
گوش گیری آوریش ای آب آب
سنگ کی ترسد زباران چون کلوخ
از صحاف مثنوی این پنجم است ۱۰ ره نیابد از ستاره هر حواس
دربروج چرخ جان چون انجم است
جز که کشتیبان استاره شناس[9]
جز نظاره نیست قسم دیگران ۱۱ آشنائی گیر شبها تا بروز
از سعودش غافلند واز قران
با چنین استاره های دیو سوز
هر یکی در دفع دیو بد گمان ۱۲ اختر ار بادیو همچون عقربست
هست نقط انداز قلعهٔ آسمان
مشتری را او ولیّ الاقربست[10]
قوس اگر از تیر دوزد دیو را ۱۳ حوت اگرچه کشتی غی[11] بشکند
دلو پر آبست زرع و میو را
دوست راچون ثور[12] کشتی می کند
شمس اگر شب را بدرد چون اسد ۱۴ ❀ صورت خرچنگ اگرچه کج رواست
لعل را زو خلعت و اطلس رسد
هیئت میزان ازاو بیرون شواست
❀ پیشهٔ مرّیخ اگر خونریزی است ۱۵ ❀ گرچه در تاثیر نحس آمد زحل
او زبون شارق[13] تبریزی است
دقت فکر آید از وی در عمل
❀ ماهم ازمهر ار دوکف برهم زند ۱۶ ❀ بل عطارد خانهٔ خود گم کند
زهره نبود زهره را تا دم زند
وز جنون او جوز جوزا بشکند
❀ مشتری را دست لرزد دل طپد ۱۷ ❀ نسر طائر را بریزد پر زشرم
برسر آب او فتد مه چون سبد
وز طمع طنین شود چون موم نرم
❀ دختران نعش آبستن شوند ۱۸ ❀ در گذر زین رمزها بیگاه شد
مجتمع گردند و دستك زن شوند
کهکشان از سنبله پُر کاه شد
❀ آفتاب از کوه سر زد اتقوا ۱۹ ❀ توعدوّی وز عدو شهد ولبن
لیك تلخ آمد ترا این گفتگو
بی تکلف زهر گردد در دهن[14]
هر وجودی کز عدم بنمود سر[15] ۲۰ دوست شو وز خوی ناخوش شو[17] بری
بر یکی زهراست وبر دیگر شکر[16]
تازخمرهٔ زهرهم حلوا[18] خوری
زان نشد فاروق را زهری گزند
که بُد از تریاق فاروقیش قند
۲۱ ❀ هین بجو تریاق فاروق ای غلام
تا شوی فاروق دوران والسلام

تمّ المجلد الخامس من المثنوی المعنوی

---

۱ ـ زبان ۳ ـ پیش ٤ ـ جذبهٔ حق است هر جا ره رواست ٥ ـ بر جهد ٦ ـ بحر پا در ره نهد ۷ ـ ترسان ۸ ـ عشق از رسوخ
۱۱ ـ دی ۱۲ ـ نور ۱۳ ـ شمسی ١٤ ـ بدن ١٥ ـ سر برکند ١٦ ـ همچنان کز شرق خور سر برزند ۱۷ ـ بوی ناخوش بو
۱۸ ـ شکر (ن. ل)

---

(۲) یعنی مأیوس نیستم که عدم که اینهمه آثار عجیبه از دهانش آید بسته بتقاضای عنایت تست و الا خود هیچ است (۹) کلمه از تعبیری است یعنی هر حواس ره نیابد بعلت آنکه ستارهای آسمان مثنوی رجم دیوان حواس کند و بجز انسان کامل و تبعه ولحقه او باین آسمان راه ندارند و از ایشان بکشتیبان تعبیر فرموده (۱۰) یعنی طالب صادق را اولی بتصرفست و در این ابیات اشاره است بآنکه مثنوی هادی بعضی و بعضی را مضل مثل قول خدای تعالی واما الذین فی قلوبهم زیغ فیتبعون ماتشابه و در کلام ایهام است ببرج عقرب

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلد ششم از دفتر های مثنوي و بينات معنوی که مصباح ظلام وهم و شبهت و خيالات شك و ريبت باشد و اين مصباح را بحسّ حيوانی ادراك نتوان كرد زيرا مقام حيوان اسفل السافلين است كه ايشان را از بهر عمارت صورت عالم اسفل آفريده‌اند و بر حواسّ و مدارك ايشان دايرهٔ كشيده‌اند كه از آن دايره تجاوز نكنند، ذلك تقديرُ العزيز العليم يعنی مقدار رسيدن نظر ايشان و جولان عمل ايشان پديد كرد چنانكه هر ستارهٔ را مقداری است و كارگاهی از فلك كه تا آنحد عمل او برسد و همچون حاكم شهری كه حكم او در آن شهر نافذ باشد پس در ورای توابع آن شهر او حاكم نباشد عصمنا الله من حبسه وختمه و ما حجب به المحجوبين آمين يا رب العالمين وَ صلى اللهُ علي نبينا مُحمدٍ وَ آلِه و صُحبِه اَجمعينْ .

مثنوی معنوی

مناسبت هفتصد و پنجاهمین سال ولادت

مولانا جلال الدین محمد بلخی رومی

در سال ۱۳۱۶ هجری قمری چاپ شده

بقلم خاور

مثنوی معنوی

مولانا جلال الدین محمد بلخی رومی

شرح حال مولانا ملخصی از آثار مولانا، کتاب مجالس سبعه مولانا، شرح ابیات مشکله مثنوی، ذیل صفحات، دفتر هفتم منسوب بمولانا، کشف الابیات جامع، لطائف اللغات

مرحوم حاجی علی اصغر رمضانی کتابفروش

روز ۱۲ مهر ۱۲۵۰ هجری شمسی بدنیا آمد و شب ۲۰ آذر ۱۳۱۶ هجری شمسی دنیا را بدرود گفت

بپاس سی و سه سال عمری که برای تربیت من بنده صرف کرد

پنج سال زحمتی که برای تصحیح و مقابله و چاپ مثنوی کشیده‌ام

بروان پاکش تقدیم میدارم

و آرزو دارم توفیق یابم سی و سه جلد کتاب نفیس اخلاقی و دینی بنام او چاپ نموده تقدیم دوستداران اخلاق و دین و فرهنگ بنمایم

محمد رمضانی

مثنوی معنوی

مولانا جلال الدین محمد بلخی رومی

شرح حال مولانا ملخصی از آثار مولانا، کتاب مجالس سبعه مولانا، شرح ابیات مشکله مثنوی و ذیل صفحات، دفتر هفتم منسوب بمولانا، کشف الابیات جامع، لطائف اللغات

تصحیح و مقابله و همت

محمد رمضانی

دارندهٔ کلالهٔ خاور

از سال ۱۳۱۵ تا سال ۱۳۱۹ در تهران چاپ شد

بها صد ریال

چاپخانهٔ خاور «تهران»

تصویر مولانا محفوظ در تکیه یکی قاپو اسلامبول

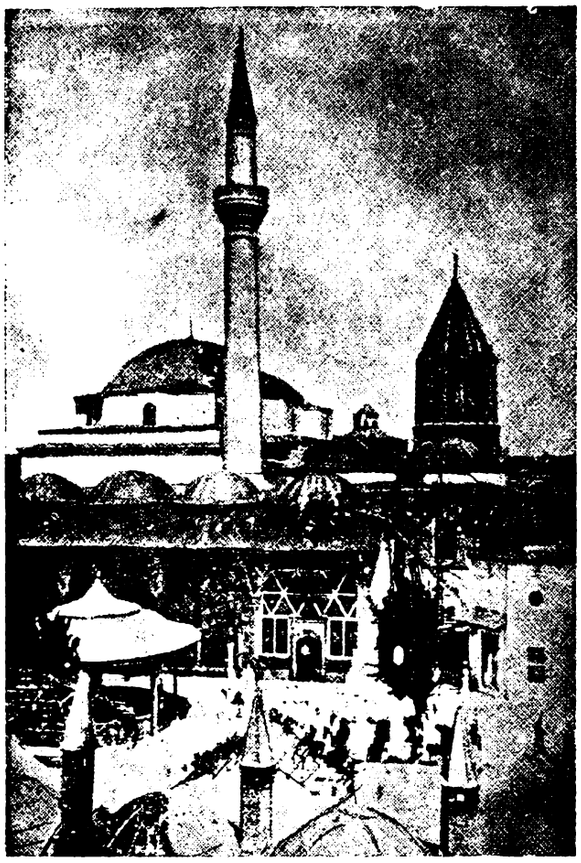

قبه خضرا و تربت شریف مولانا و یاران

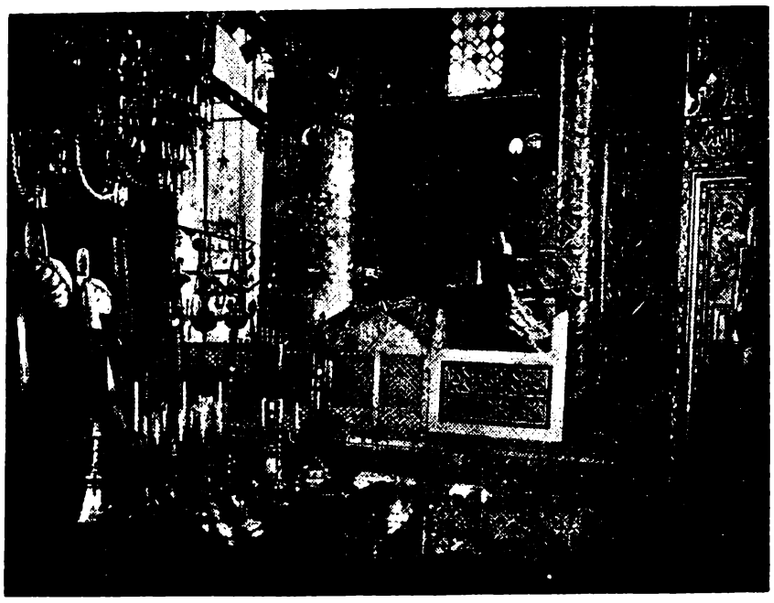

تربت مولانا

سر آغاز

کم کسیست که بادبیات پارسی و شعر و عرفان آشنائی داشته باشد و عارف نامی جلال الدین محمد بلخی مشهور بمولانای، روم قدس سره سرایندهٔ مثنوی معنوی را که یکی از بزرگترین نوابغ ایران و درخشنده ترین ستارهٔ فروزان مشرق است نشناسد. و کمتر کتاب تاریخ و تذکره ایست که از حالات و جذبات مولانا در آن ذکری نشده باشد

در مقدمهٔ بیشتر چاپهای مثنوی ترجمهٔ مختصری که حاجی زین العابدین مستعلیشاه شروانی در بستان السیاحه خود نگاشته نقل شده است و آن خلاصه و عصارهٔ کلیهٔ شروحی است که پیشینیان از احوال این بزرگترین مردان رسیدهٔ راه حقیقت نوشته اند

خوشبختانه در سالهای اخیر سه رساله ذیقیمت در ترجمهٔ حال و تتبع شخصیت مولانا بخامهٔ نویسندگان دانشمند معاصر طبع و نشر شده است :

(۱) ولدنامه یا مثنوی ولدی اثر شیخ بهاء الدین محمد معروف به سلطان ولد فرزند روحانی و جسمانی مولانا با مقدمه و تعلیقات آقای جلال همائی که در حدود ده هزار بیت و قدیمترین و صحیحترین سند تاریخی است که از خصوصیات زندگانی مولانا جلال الدین و پدرش بهاء الدین محمد ملقب بسلطان العلماء و یاران برگزیدهٔ وی سید برهان الدین محقق ترمدی و شمس الدین محمد تبریزی و صلاح الدین فریدون قونیوی و حسام الدین حسن چلبی و اصحاب و مریدان او بحث میکند

سلطان ولد برسر هر فصل و عنوان منظومهٔ ولدنامه نثرهای شیرینی نوشته است که اگر آنهارا جمع کنند رسالهٔ بسیار ساده و فصیحی در مطالب عرفانی و تاریخی و خلاصهٔ طریقهٔ مولویه که بیشتر آداب و رسوم قدیمش مولود خود اوست فراهم خواهد شد

(۲) شخصیت مولوی نگارش آقای حسین شجره که در ۲۳۸ صفحه با قلمی شیوا از اصل و منشأ تصوف و نبوغ عقل از نظر عرفان و نفوذ تصوف ایران در شرق و غرب و حالات مولانا و تدوین مثنوی معنوی و معنی و مفهوم اشعار مولوی و گفتار و نظریات مستشرقین و فضلای غرب در بارهٔ مولانا و مثنوی بحث کرده اند

(۳) رساله در تحقیق احوال و زندگانی مولانا جلال الدین محمد مشهور بمولوی و مشایخ و یاران و مریدان و معاصرین او نگارش محققانهٔ آقای بدیع الزمان فروزانفر با ۱۵ گراور و یک شجره نامه در ۲۳۲ صفحه که علاوه بر تتبعات دانشمندانهٔ خود از ده منبع قدیمی بسیار معتبر و از مجموعهٔ یادداشتهائی که آقای کاظم زادهٔ ایرانشهر در برلن از گفتهٔ بازماندگان و معتقدان مولانا گرد آورده استفاده کرده اند

اگرچه با انتشار این سه رساله احتیاج بنوشتن شرح حال در مقدمهٔ مثنوی خود نداشتیم ولی برای کسانیکه دسترسی بمطالعهٔ آثار نامبرده نداشته باشند اختصاری از ولد نامه و عین مقالهٔ بستان السیاحه و خلاصه ای از تحقیقات آقای فروزانفر را در رساله زندگانی مولانا با مراجعه بشرح حال مولانا بقلم سپهسالار بترتیب مینویسیم و در خاتمه از آثار مولانا و مزایای مثنوی حاضر بحث نموده و بفهرست جامعی از مطالب مثنوی گفتار خود را خاتمه میدهیم

محمد رمضانی

از کتاب ولدنامه

مرید شدن سید برهان الدین محقق مولانا بهاء الدین را و خواب دیدن مفتیان پیغمبر را

گفت برهان دین محقق حق — سبق برده ز سابقان بسبق
سخنش را هر آنکه بشنودی — دایم اورا بصدق بستودی
در جوانی ببلخ چون آمد — خواست کان جایگاه آرامد
جد مارا چو دید آن طالب — که بر و بود عشق حق غالب
لقبش بد بهاء دین ولد — عاشقانش گذشته از عد و حد
جمله اجداد او شیوخ کبار — همه در علم و در عمل مختار
اصل اورا نسب ابوبکری — زانچو صدیق داشت او صدری
مثل او کس نبود در فتوی — از فرشته گذشته در تقوی
بود اندر همه فنون استاد — حق بوی علم را تمام بداد
خوانده سلطان عالمان اورا — مصطفی قطب انبیاء خدا
مفتیان بزرگ اندر خواب — دیده یك خیمهٔ کشیده طناب
مصطفی اندرون خیمه بناز — زده تکیه بصد هزار اعزاز
ناگهانی بهاء دین ولد — از در خیمه اندرون آمد
مصطفی چون بدید جست از جا — پیش رفت و گرفت دستش را
برد پهلوی خویش بنشاندش — زان ملاقات گشت بیحد خوش
گفت از آنپس بمفتیان اینرا — که از امروز این شه دینرا
جمله سلطان عالمان گوئید — در رکابش بجان و دل پوئید
بامدادان باتفاق همه — از سر صدق بی نفاق همه
بر درش آمدند تا گویند — سر آن خواب را ازو جویند
پیش از آنی که دم زنند او گفت — خوابشانرا و سر نکرد نهفت
دادشان از مقام و حال نشان — وقعه را کرد بالتمام بیان
جمله پیشش فغان بر آوردند — بی دف و نای شورها کردند
گشت سید مریدش از دل و جان — تا روانرا کند ز شیخ روان
در مریدی رسید او بمراد — زانکه شیخش عطای بیحد داد
چشمهٔ عشق از دلش جوشید — جان او بادهٔ بقا نوشید
جمله غمهاش ذوق و شادی شد — سوی عشقش چو شیخ هادی شد
خار هجرش ز وصل گلشن گشت — شب تارش چو روز روشن گشت
مس جانش ز نار عشق گداخت — گشت زر چون به کیمیا در ساخت
عاقبت قطب گشت در عالم — سجده گاه ملك شد و آدم

رنجیدن سلطان العلماء از بلخیان و هجرت گزیدن از خراسان

چونکه از بلخیان بهاء ولد — گشت دلخسته آن شه سرمد
ناگهش از خدا رسید خطاب — کای یگانه شهنشه اقطاب
چون ترا این گروه آزردند — دل پاك ترا زجا بردند
بدر آ از میان این اعدا — تا فرستیمشان عذاب و بلا
چونکه از حق چنین خطاب رسید — رشتهٔ خشم را دراز تنید
کرد از بلخ عزم سوی حجاز — زانکه شد کار گر در او آن راز
بود در رفتن و رسید خبر — که از آن راز شد پدید اثر
کرد تاتار قصد آن کشور — منهزم گشت شاه شوم اختر
بلخ را بستد و بزاری زار — کشت از آن قوم بیحد و بسیار
نتوان گفت در ره آن سلطان — که چها داده با کهان و مهان
چه کرامانها که در هر شهر — مینمود آن عزیز روزبهٔ دهر
گر شوم من بشرح آن مشغول — فوت گردد از آن سخن مأمول
آمد از کعبه در ولایت روم — تا شوند اهل روم ازو مرحوم
از همه ملک روم قونیه را — برگزید و مقیم شد آنجا
رو نهادند سوی او خلقان — از زن و مرد و طفل و پیر و جوان
آشکارا کرامتش دیدند — زو چه اسرارها که بشنیدند
چند روزی بر این نسق چو گذشت — که و مه مرد و زن مریدش گشت
گشت سلطان علاء دین چون دید — روی اورا بعشق و صدق مرید
چونکه وعظش شنید شد حیران — کرد اورا مقام در دل و جان
دید بسیار ازو کرامت ها — یافت در خویش ازو علامتها
گفت دل لرزدم ز هیبت او — می هراسم بگاه رؤیت او
هیبتی میزند ازو بر من — که از آن لرزه می فتد در تن
شد یقینم که او ولی خداست — در جهان نادر است و بیهمتاست
دائماً با خواص این گفتی — روز و شب در مدح او سفتی

مردن سلطان العلماء و نشستن مولانا جلال الدین بجای پدر

بعد دو سال آن ولی خدا — سر ببالین نهاد او ز عنا
شاه شد از عنای او محزون — هیچ از این غصه اش نماند سکون
چون بهاء ولد نمود رحیل — شد ز دنیا بسوی رب جلیل
نار در شهر قونیه افتاد — از غمش سوخت بنده و آزاد
در جنازه اش چو روز رستاخیز — مرد و زن گشته اشك خونین ریز
علما سر برهنه و میران — جمله پیش جنازه با سلطان
شه ز غم هفت روز بر ننشست — دل چون شیشه اش ز درد شکست
هفته ای خوان نهاد در جامع — تا بخوردند قانع و طامع
تعزیه چون تمام شد پس از آن — خلق گرد آمدند پیر و جوان

همه کردند رو بفرزندش که توئی در جمال مانندش
شیخ مازین سپس توخواهی بود از توخواهیم جمله مایه وسود
شست برجای وی جلال الدین روبدو کرد خلق روی زمین
مفتی شرق وغرب گشت بعلم از جهان جهل درنوشت بعلم
رایت شرع احمدی افراخت هرکه دین داشت خواجه را بشناخت
بیقراران شدند ازاوساکن همه در ظل او زخوف ایمن

آمدن سید برهان الدین محقق ترمدی بقونیه

مدتی چون بماند در هجران طالب شیخ خویش شد برهان
گشت بسیارو اندر آخر کار داد با وی خبر یکی زکبار
گفت شیخت بدان که درروم است نیست پنهان بجمله معلوم است
آمداز عشق شیخ خودتازان با هزاران تبختر و نازان
گشته ازشیخ پرچوجام ازمی همچنان کز شکر شود پرنی
چونکه شادان بقونیه برسید شیخ خودرا ازشهریان پرسید
همه گفتند آنکه میجوئی هرطرف بهر او همی پوئی
هست سالی که رفت از دنیا رخت خودرا کشید درعقبی
جسم خاکیش رفت اندرخاك جان پاکش گذشت ازافلاك
گفت سید که شیخ اندرماست همچوروغن نهان شده درماست
عین شیخم زمن نماند اثر هیچ دیدی شکرجدا زشکر
آب اگر درمز رکوزه بود عاقل از کوزه ها زره نرود
آب جوید زکوزه تابخورد تشنه درنقش کوزه کی نگرد
خلق راپس بخویش دعوتکرد گشت ازجان غلام اوزن ومرد
شهر جمله مرید او گشتند در درون تخم مهر او کشتند

مرید شدن مولانا جلال الدین بسید و رسیدن بمقام قطبیت

گفت سید بشه جلال الدین گرچه درعلم نادری وگزین
لیك بدوالدتو صاحب حال جوی آنرا و درگذر ازقال
قال اورا گرفته ای بدودست همچومن شوزحال اوسرمست
وارث والدی تو اندرپوست مغزمن برده ام نگردردوست
از مرید پدر چو آن بشنید گشت جان و بگرد تن نتنید
شد مریدش زجان وسربنهاد همچو مرده به پیش او افتاد
بود در خدمتش بهم نه سال تاکه شد مثل او بقال وبحال
همسرو سر شدند در معنی زانکه یکدل بدند در معنی
ناگهان سید از جهان فنا کرد رحلت سوی سرای بقا
ماند بی او جلال دین تنها روزوشب کردروی سوی خدا
خواب وخورراد رآنهوس بگذاشت علم جستجوی را افراشت
پنج سال این چنین ریاضت کرد ازسرصدق و سوزوناله ودرد
عمل و دردراچو کرد قرین رفت همچون ملك بچرخ برین
خاص وعامش مریدوبنده شدند چون نبات از بهار زنده شدند
ده هزارش مرید بیش شدند گرچه اول زصدق دور بدند
وعظ گفتی همیشه برمنبر گرم وگیرا چو وعظ پیغمبر
صیت خوبش گرفت عالم را کرد زنده روان آدم را

رسیدن مولانا جلال الدین بشمس تبریزی و تغییر حال او

ناگهان شمس دین رسیدبوی گفت انی ز تاب نورش فی
از ورای جهان عشق آواز برسانید بی دف و بی ساز
گفت اگرچه بباطنی تو گرو باطن باطنم من این بشنو
دعوتش کرد در جهان عجب که ندید آن بخواب ترك وعرب
نزد یزدان چو بود مولانا از همه خاصتر بصدق و صفا
خضرش بود شمس تبریزی آنکه با او اگر در آمیزی
هیچکس را بیك جوی نخری برده های ظلام را بدری
بعد بس انتظار رویش دید گشت سرها براوچوروز پدید
شد براو عاشق وبرفت ازدست گشت پیشش یکی بلندی وپست
دعوتش کردسوی خانهٔ خویش گفت بشنو شها ازین درویش
پس از آن هردوخوش روانه شدند شادوخندان بسوی خانه شدند
شیخ استاد گشت نو آموز درس خواندی بخدمتش شب وروز
گرچه درعلم فقر کامل بود علم نو بود کان بسوی بنمود

حسدبردن مریدان مولانا برشمس

یکزمانی بهم همی بودند مدت یک دو سال آسودند
غیرت حق در آمدو ناگاه فج فج افتاد در همه افواه
در شناعت در آمدند همه آن مریدان بیخبر چورمه
گفته باهم که شیخ ما زچه رو پشت برما کند زبهر چه او
ما همه عاشقیم در ره شیخ بندهٔ صادقیم در ره شیخ
شده ما را یقین که مظهر حق اوست بی شك وزاو بریم سبق
چه کس است اینکه شیخ ما را او برداز جا چو یك کهی راجو
کرد اورا زجمله خلق نهان می نیابد کسی زجاش نشان
ساحراست این مگر بسحروفسون کردبرخویش شیخ را مفتون
همه درفکر این که کی ازشهر رود او یا فنا شود از قهر
جمله گشته بخون او تشنه ساخته بهر کشتنش دشنه
چون غلوشان براوزحد بگذشت دشمنیشان زحدوعد بگذشت
شمس تبریز رفت سوی دمشق تاشود پردمشق وشام زعشق
چون حزین شد زهجر مولانا گشت معرض زجمله آن دانا
دوستی را از آن نفر ببرید مرغ مهرش زلانه شان بپرید
چونکه آن رایشان نیامد راست عکس شد آنچه هریکی میخواست
گفته بودند اگر رود زینجا ماند آن شاه ما بما تنها
باردیگر زپندهای خوشش بجهیم ازجهان و پنج وششش
آنگروهی که بودشان غفلت کرده بودند از سفه جرأت
پیش شیخ آمدند لابه کنان که ببخشا مکن دگر هجران
توبهٔ ما بکن زلطف قبول گرچه کردیم جرمها ز فضول

فرستادن مولانا بهاء الدین ولدرا

بود شه را عنایتی بولد در نهان اندرون برون از خد
خواند اورا وگفت رو تورسول ازبرم پیش آن شه مقبول
ببر این سیم را بپایش ریز گویش از من که ایشه تبریز
آن مریدان که جرمها کردند زانچه کردند جمله واخوردند
همه سازند از دل و ازجان جانشان را فدای آن سلطان
رنجه کن اینطرف قدم را باز چند روزی بیا و با ما ساز
آنچه ازما سزیدا گر کردیم همچوخار خلنده سر کردیم
همچنین زین نمط بوی میگو دل او را بلابه ها میجو
باشد این گر بودمرا آن بخت نرم گردد نگیرد این را سخت
دهدم باز وصل از سرلطف بهلد هجر و بگذرد از عنف
پس ولد سر نهاد والد را شکر کرد اوخدای واحد را
گشت ازجان روان بسوی دمشق راه را میبرید از سر عشق
چون رسید او بنزد شمس الدین آن شه اولیای با تمکین
در سخن آمد و درر بارید در دل و سینه عشق نو کارید
سر سر حدیث وقرآن گفت کرد پیدا سری که بود نهفت
بی پرش بر فلك بپرانید بی تنش گرد عرش گردانید
حجب از پیش چشم دل برداشت شب تاریك را نمود چوچاشت
ظلمت از تن ببرد و ازدل وجان تاروان گشت همچو سیل روان

بازگشت ولد بقونیه در رکاب شمس الدین

چون شنید از ولد رسالت را خوش پذیرفت آن مقالت را
باز گشت ازدمشق جانب روم تا رسد در امام خود مأموم
شد ولد در رکاب او پویان نزضرورت ولی زصدق وزجان
در ره از وی هزار سربشنید صدجهان از ورای چرخ بدید
چون رسیدند پیش مولانا نوش شد جمله نیش مولانا
وانجماعت که منکران بودند منکر قطب آسمان بودند
جمله شان جانفشان باستغفار سر نهادند کای خدیو کبار
از سر صدق روی آوردیم توبه کاریم از آنچه ما کردیم
بعداز آن جمله ازوضیع وشریف حلقه گشتند گرد شاه ظریف
پهلوی شه نشسته مولانا چون دوخور که زنند سرزسما
شمس تبریز در سخن آمد زنده شد آنکه فهم کن آمد
هریکی زان سخن بعشق پرید هر یکی از خودی تمام برید

از امیر و توانگر و درویش هریکی قدر وسع وطاقت خویش
بخشش آورد و میهمانی کرد تا شود یار مهربانی کرد
مدتی این چنین گذشت زمان در حضور شهان هردو جهان
آن دو شه چون بهار وایشان دشت همه را تازه گشته زیشان کشت
شاخ و برگ درونشان پربار رسته بیخار هر طرف گلزار
درچنین عیش و درچنین وصلت همه پر نورو غرق در رحمت

گستاخی مریدان و ناپدید گشتن شمس الدین

باز شیطان بصورتی دیگر زد درایشان کدورتی دیگر
رخت اعمال جمله را دزدید هر یکی زاعتقاد برگردید
باز گشتند همچو اول بار می ومستی گذشت وماند خمار
روشنی شد بدل به تاریکی صحت تن به رنج باریکی
باز چون شمس دین بدانست این که شدند آن گروه پر از کین
گفت او باولد که دیدی باز چون شدند از شقا همه دمساز
که مرا از حضور مولانا که چو او نیست هادی ودانا
فکنندم جدا و دور کنند بعد من جملگان سرور کنند
خواهم این بار آنچنان رفتن که نداند کسی کجایم من
همه گردند در طلب عاجز ندهد کس زمن نشان هرگز
ناگهان گم شد از میان همه تا رهد از دل و زبان همه
یکدو روز او چو گشت ناپیدا کرد افغان زدرد مولانا
هیچ از وی کسی نداد خبر نی بکس بورسید ازاو نه اثر
شیخ گشت از فراق او مجنون بی سرو پا زعشق چون ذوالنون

استغراق و بیقراری مولانا از فراق شمس الدین

شیخ مفتی ز عشق شاعر شد گشت خمار اگر چه زاهد بد
نی زخمری که او بود زانگور جان نوری نخورد جز می نور
روز وشب در سماع رقصان شد برزمین همچو چرخ گردان شد
بانگ و افغان او بعرش رسید ناله اشرا بزرگ و خرد شنید
غلغله اوفتاد اندر شهر شهر چه بلکه در زمانه ودهر
کاین چنین قطب ومفتی اسلام کوست اندر زمانه شیخ وامام
شورها میکند چو شیدا او گاه پنهان و گه هویدا او
خلق ازوی زشرع ودین گشتند همگان عشق را رهین گشتند
حافظان جمله شعرخوان شده اند به سوی مطربان دوان شده اند
عاشقی شد طریق ومذهبشان غیر عشق است پیششان هذیان

رفتن مولانا درجستجوی شمس الدین بجانب شام

باچنان مستی و چنین جوشش باچنان عشق و باچنان کوشش
کرد آهنگ ورفت جانب شام در پیش شد روانه پخته و خام
چون رسید اندر آن سفر بدمشق خلق را سوخت او ز آتش عشق
همه گشتند عاشقش ازجان دیده در درد او دوصد درمان
جمله ازجان مرید و بنده شدند همچو سایه پیش فکنده شدند
شامیان هم شدند واله او کاینچنین فاضل پیمبر خو
ازچه گشته است عاشق ومجنون کاندرو مدرج است صدذوالنون
شمس تبریز خود چه شخص بود تا پیش این چنین یگانه رود
گفت اگرچه به تن ازو دوریم بی تن و روح هر دو یکنوریم
هردو باهم بدیم بی تن وجان پیش از آن کاین فلك شود گردان
بی زمین و زمان بهم بودیم از وجود جهان نیفزودیم
حالت ما بهم نمی ماند کیست کاحوال ما عیان داند
شمس تبریز را بشام ندید در خودش دید همچو ماه پدید
کرد رجعت بروم باز آمد رفت چون کبك وهمچو باز آمد
قطره اش چون فزود دریا شد بود عالی ز عشق اعلی شد
مطربانرا بخواند از سر او بی سر و پا ببام و بر در او
روز وشب یکدمش قرار نبود بی قدح خمر عشق می پیمود
حیرت خلق شد در او افزون کاین چه شور است واینچگونه جنون
چندسالی نشست وباز زعشق رفت با جمله خلق سوی دمشق
باز آنجا فکند صد غوغا جمله گفته عجب زهی سودا
ماهها در دمشق ساکن شد عاشقی کی ز عشق ساکن شد

بازگشتن مولانا بقونیه وبرگزیدن صلاح الدین زرکوب قونوی

بعداز آن باز گشت جانب روم تا زند بر جبین شیر رقوم
سرزد از چرخ روح آنخورشید تاسها را کند پر از ناهید
گفت چون من ویم چه میجویم عین اویم کنون زخود گویم
وصف حسنش که میفزودم من خودهمان حسن ولطف بودم من
درچنین جوش یک مرید از او یافت قربت سوار گشت نکو
لقبش بود شه صلاح الدین قطب هفت آسمان وهفت زمین
چون ورا دید شیخ صاحب حال برگزیدش ززمرهٔ ابدال
روبدو کرد وجمله را بگذاشت غیر او را خطا وسهو انگاشت
گفت از روی مهر بایاران نیست پروای کس مرا بجهان
سرشیخی چو نیست درسر من نبود هیچ مرغ همپر من
پس ازین جمله سوی او پوئید همه ازجان وصال او جوئید
پس ولدرا بخواند آنحق بین گفت بنگر رخ صلاح الدین
نظرش کیمیاست بر تو فتد رحمت کبریاست بر تو فتد
برهاند ترا ز مرگ و فنا برساند به تخت ملك بقا
کندت بر علوم سر دانا جمله اسرار ازو شود پیدا

آرام گرفتن مولانا با صلاح الدین از طلب شمس وحسد بردن مریدان

شورش شیخ گشت ازو ساکن وآنهمه رنج و گفتگو ساکن
زانکه بد نوع دیگر ارشادش بیشتر بود از همه دادش
آنچه از اولیا نبردی کس سالها میرسید ازو بنفس
شیخ با او چنانکه باآن شاه شمس تبریز خاص خاص اله
نظر شیخ جمله بروی بود غیر او نزد شیخ لاشی بود
ننشستی بهیچکس جز او چشم را بر نداشتی زان رو
باز در منکران غریو افتاد سخت درهم شدند اهل فساد
باز آغاز کرد جوش حسد زانکه بودند غرق نفس وجسد
گفته باهم کز آن یکی رستیم چون نگه میکنیم درشستیم
کاش کان اولینه بودی باز شیخ مارا رفیق و هم دمساز
نبداز قونیه بد از تبریز بود جان پرورونبد خونریز
همه این مرد را همیدانیم همه هم شهریم و هم خوانیم
نی وراخط وعلم ونی گفتار بر ما خود نداشت او مقدار
دائما در دکان بدی زرکوب همه همسایگان ازو در کوب
آنکسانیکه منکران بودند از ازل کور وهم کران بودند
ازخود او را بنقص کرده نظر جان جانرا شمرده چون پیکر
که چسان ترهات میگفتند از غم و غصه شب نمی خفتند
پیش ازین جاش بود صف نعال فخر کردی زما میان رجال
چون شود اینکه او را اکنون شیخ خوانیم بل زشیخ افزون
زین نمط فحشهای زشت ودرشت گاه گفته بروش و گه پس پشت
جمله را رأی اینچنین افتاد که چو زاسب مراد زین افتاد
سر ببازیم و زنده اش نهلیم چون ازو جان فکار وخسته دلیم
یك مریدی برسم طنازی شد از ایشان و کرد غمازی
درهمان لحظه نزد مولانا آمد و گفت این حکایت را
پس رسید این بشه صلاح الدین نورچشم و چراغ هر ره بین
خوش بخندید و گفت آنکوران که ز گمراهیند بی ایمان
نیستند اینقدر زحق آگاه که بجز زامر او نجنبد کاه
چون تواند کسی مرا کشتن یا بخاك و بخونم آغشتن
می برنجید ازاینکه مولانا کرد مخصوصم از همه تنها
خودندانسته اینکه آینه ام نیست نقشی مرا معاینه ام
درمن او روی خویش می بیند خویشتن را چگونه نگزیند
گشت واقف زراز شیخ علیم خشمگین شد بر آنگروه لئیم
راه بربست دیگر ایشانرا آن لئیمان کوربینان را
همه گشتند سرزد از آن گرمی رویشان سخت شد زبیشرمی
روزشان گشت همچو شب تاریك گردن جمله شد زغم باریك
هریکی دست خود همی خائید از دلش غصه ها همی زائید
گفته باهم اگرچنین ماند چه شود حال ما خدا داند

پیش از آنکه رویم جمله زدست چاره سازیم تا رهیم ز شست
سوی ایشان شویم توبه کنان وصل جوئیم تا رود هجران
همه جمع آمدند بر در او می‌نهادند بر زمین سر و رو
گریه زارشان چورفت ازحد بانگ و افغانشان گذشت ازحد
چون شنیدند آن دو زاریرا ساز کردند چنگ یاری را
در گشادند و راهشان دادند قفل های ببسته بگشادند

در گذشتن صلاح‌الدین ورسیدن خلافت به‌چلبی حسام‌الدین

شیخ بااو چودر دوتن یکجان بود آسوده و خوش‌وشادان
مست از همدگر شده ده‌سال داشته بی خمار هجر وصال
جمع یاران بگردشان زده صف آندوچون بحروباقیان چون کف
همه چون اختران وآندوچوماه همه چون بندگان و آندوچوشاه
درچنین عیش‌ودولت ونزهت در چنین جاه‌و ملکت و زینت
ناگهان شدصلاح‌دین رنجور گشت از صحبت بدن مهجور
شیخ فرمود در جنازهٔ من دهل آرید و کوس بادف زن
سوی گورم برید رقص کنان خوش‌وشادان‌ومست‌ودست‌افشان
تا بدانند کاولیای خدا شاد و خندان روند سوی لقا
کردچشمان فرازو رفت‌بناز ناز نازان بصد هزار اعزاز
اولیا را بود زمرگ حیات زانکه در مرگ دیده‌اند نجات
جسم پاك ورا چواندر خاك بنهادند رفت پاک بپاک
بود راضی‌شه از حسام‌الدین داده بودش هزار گنج گزین
مرشد جمله بود مولانا آن خدیو یگانهٔ والا
رتبت هر یکی براو روشن گشته همچون میان‌روح وبدن
شیخ گفت ای حسام‌حق آئین چونکه‌رفت‌ازجهان‌صلاح‌الدین
بعدازین نایب وخلیفه توئی زانکه اندر میانه نیست دوئی
آن یکی باز گفت مولانا زین سه مهتر کدام بود اعلی
گفتش اندرجواب کای‌همراه شمس چون‌مهربد صلاح چوماه
چون‌ستاره‌است‌شه‌حسام‌الحق زانکه گشته‌است باملك ملحق
شیخ اینرا بجای آن بنشاند بر سرش نور ها نثار افشاند
گفت اصحاب‌را که سربنهید پیش او عاجزانه پر بنهید
همه امرش ز دل بجا آرید مهر او در درون جان کارید

مصاحبت شیخ حسام‌الدین تاپایان زندگانی مولانا ومستفیدشدن یاران بی‌حدازهردو

بود با شیخ در زمانهٔ شیخ همدل و همنشین بخانهٔ شیخ
در صفاو وفابهم همدم همه اصحاب شادمان بیغم
بخشش هردو برهمه شامل همه از هر دو عالم و عامل
خوش‌بهم‌بوده مدت ده‌سال پاك و صافی مثال آب زلال
بعداز آن نقل کرد مولانا زین جهان کثیف پر زغنا
سال هفتاد و دو بده بعدد ششصد از عهد هجرت‌احمد
چشم‌زخمی‌چنین‌رسیدبخلق سوخت‌جانها زصدمت‌آن‌برق
لرزه افتاد در زمین آندم گشت نالان فلك در آن ماتم
مردم شهر از صغیرو کبیر همه اندر فغان وآه‌و نفیر
بجنازه همه شده حاضر از سر مهر و عشق نز پی‌بر
قوم هر ملتی براو عاشق اهل هر مذهبی براو صادق
عیسوی گفته‌اوست‌عیسی‌ما موسوی گفته‌اوست موسی ما
مسلمش‌خوانده‌سرونورر‌سول گفته هست‌اوعظیم‌بحر نقول
همه کرده‌زغم گریبان‌چاك همه از سوز کرده برسرخاك
آنفغان و خروش کانجابود کس‌ندیده‌است‌زیرچرخ کبود
همچنان‌این کشیدتاچل‌روز هیچ ساکن‌نشد دمی‌تف‌وسوز
روزوشب‌بودگفتشان‌همه‌این که‌شد آن گنج زیرخاك‌دفین
ذکراحوال‌وزندگانی او ذکر افوال‌و در فشانی او
ذکرعشق‌خداو تجریدش ذکرمستی‌و صدق‌و توحیدش
ذکرلطف‌وتواضع‌وکرمش ذکرحال وسماع چون ارمش
ذکرتذکیرووعظو گرمی‌او ذکر مهر و وفا و نرمی او
ذکراسرارولطف‌انوارش ذکر آن کشفها ز دیدارش
ذکرتقوی وحلم‌ورحمت‌او ذکر فتوی وعلم‌و حکمت او

از کتاب بستان‌السیاحه

برضمایر مهرمآثراولوالابصار مخفی ومستور نماند که ولادت باسعادت‌مولانا در قبة‌الاسلام بلخ من‌بلاد خراسان‌درششم‌ربیع‌الاول سنه ٦٠٤ ششصدو چهار هجری روی نمود

همان شراب کش بادهٔ خم‌جبروت همان همای‌بلند آشیان‌عرش‌نشین
رموز گوی‌ازل‌مولوی‌که‌دادنجات مقیدان هوا را زقید این سجین
زجلدهای کتابش‌که‌مینوشت‌گرفت جهات سته به پیرایهٔ ابد تزیین
سخن‌زمرتبهٔ‌شعراونه‌حدمنست که‌همچوعرش‌بلنداست‌وهمچوشرع‌متین

گویند آنجناب در پنج سالگی بهر سه چهار روز یکبار افطار میفرمود و در نسب از نسل ابوبکربن ابی‌قحافه خلیفهٔ اول بود بدین ترتیب :

هوابن بهاءالدین محمدبن حسین‌بن احمدالخطیب بن محمود بن ثابت بن مسیب بن مطهر بن‌حماد بن عبدالرحمن بن ابوبکر

ابأعن‌جدازعلماء نامدار عالیمقدار و از فضلاء کبار آندیار بودند و شیخ‌احمدالخطیب بلخی مریدقطب‌العارفین شیخ‌احمدغزالیست و فرزند ارجمند او شیخ حسین که‌جد مولاناست بغایت متقی و پرهیزکار و اسباب دنیوی در نظرش بیمقدار بود نقل است که در واقعه حضرت رسالت پناه صلعم خوارزمشاهرا فرمود که ما دختر ترا بشیخ حسین عقدکردیم تو نیز قبول کن و ایضاً وزیر خوارزمشاه همان خوابرا مشاهده نمود و شیخ حسین نیز درهمان شب خواب میبیند که حضرت رسول صلعم میفرماید که ماصبیهٔ خوارزمشاهرا بتو تزویج نمودیم خوارزمشاه بفرمودهٔ آنحضرت عمل نموده دختر پاکیزه گوهر خودرا بنکاح‌شیخ حسین درآورد و بهاءالدین محمد از آن عفیفهٔ مکرمه بوجود آمد چون بسن‌رشد و تمیز رسید بتحصیل علوم مشغول شده در اندك زمانی دراکثر علوم ماهر گردید و نیز در عنفوان شباب بعد از اکتساب علوم و آداب اولا تلقین ذکر از والد خود گرفته و او از پدرش امام احمد خطیب و بدینواسطه سلسلهٔ بهاء الدین متصل بشیخ احمد غزالیست بعداز آن صحبت شیخ‌الشیوخ نجم‌الدین کبری‌را دریافته است و از روی ریاضت و مجاهده با علی قلل مشاهده شتافته و مقبول همهٔ دلها شده و در بلخ متمکن میبوده و بدرس و فتوی نیز اشتغال مینموده‌و طالبانرا بکشف حقایق و معارف راهنمائی میکرده‌و از برای ارشاد عوام عقد مجالس نصایح و مواعظ می ساخته و بحال همهٔ طوایف میپرداخته و سلطان محمدخوارزمشاه از جملهٔ مریدان و معتقدان بوده و سید برهان‌الدین الترمدی که ازجملهٔ اقطاب بود ازمریدان آنجناب بشمار است که باتابکی‌مولانا جلال‌الدین محمدرومی اشتغال مینمود

آورده اند که شبی سیصد دانشمند مفتی از مشاهیر بلخ که از جملهٔ منکران بودند در خواب سیدکاینات را دیدند که درخیمهٔ سبز نشسته بود و مولانا بهاءالدین‌بازبدهٔ ممکنات صلی‌الله‌علیه‌وآله همنشین وحضرت‌رسول‌صلعم مولانارا نوازشها نموده‌وفرمودماترا سلطان‌العلماء لقب‌نهادیم آنجماعت چون‌بیدارشدندروی‌بخدمت‌مولانا نهادند وچون‌درراه‌بایکدیگر ملاقی‌شدند وازخواب‌دوشینه حکایت میکردند متعجب ومتحیر میماندندومولاناسلطان‌العلماء بعداز اداء صلوة‌واذکار بربام رفته بود و اینجماعت ازهیبت اینحال امکان در کوفتن‌ومجال‌اخبار نداشتند آخرالامرسراز بام فرو کرده‌فرمود : تاحضرت‌سیدالمرسلین‌علیه‌افضل‌الصلوات‌ازحال‌درویشان‌وروش‌ایشان اخبار نفرمودشمازنارانکارازمیان‌نگشودیدآنجماعت استغفار کردند ومریدومعتقدشدند.سلطان‌محمدبعداز استماع‌این‌کلام‌درخدمت‌اهتمام بیشتربتقدیم‌رسانیدوامام‌فخرالدین‌رازی‌نیز به‌تبعیت‌میآمدچه که‌معلم سلطان‌بود وجناب مولانا در اثنای موعظت مذمت مذهب حکمای یونان میفرمود و میگفت: جمعی که کتب آسمانی را در پس پشت انداخته و اقاویل وعقاید فلاسفه پیش گرفته اند چگونه امید نجات داشته باشند

امام‌فخرالدین ازاینمعنی عرق حسدش میجنبید ودائماً بگردسعایت وفساد میگردید امافرصت‌نمیدید اتفاقاًروزی سلطان‌بزیارت‌مولانا آمده‌بود کثرتی عظیم باشکوه بیش‌از پیش دید وفخرالدین‌رازی راخطاب کرده و گفت بیحد کثرتی مشاهده میشود وی‌فرصت‌یافته گفت اگر بتدبیر دفع این کثرت‌نشود بیم‌است که‌در ارکان‌سلطنت خلل افتد بواسطهٔ آنکه طباع برحسد مجبولست این‌سخن واهی برسلطان اثر کرده فرمود که‌تدبیر باید نمود درجواب گفت‌صواب آنست که کلید خزائن و قلاع را بخدمتش بفرستیم و بگوئیم که امروزجمعیت و کثرت آنحضرت راست وبواسطهٔ‌استیلای مریدان وشوکت معتقدان وهنی درامور مملکت ظاهر گشته و بجز کلید دردست‌ماراختیاری نمانده‌یا کلیدهاراقبول کنند یا ازدارالسلطنه بیرون روند وازمملکت‌هر کجا خواهند متمکن شوند چون‌براین سیاق عمل کردند دمار ازدودمان خویش‌برآوردند ازاستماع این سخن‌مولاناسخت‌برنجید وقسم‌یاد کرد که‌تامحمد خوارزمشاه‌پادشاه خراسان باشد بدانجا نیاید مثنوی

تادل مردخدا نامد بدرد هیچ قومی‌را خدا رسوا نکرد

گویند باعث انقراض دولت خوارزمشاهیان و تسلط چنگیزیان برمملکت‌ایشان نخست قتل مجدالدین‌بغدادی‌شد واومریدنجم‌الدین خوارزمی و مرشد شیخ فریدالدین عطار قدس الله اسرارهم بود وتفصیل احوال‌آن‌بزرگوار درکتب تواریخ مسطور است‌ودیگر رنجش خاطرمولانا بهاءالدین‌است.

نقلست که مولانا روز دیگر در میان مجلس گفت فردا عزم سفر دارم هر کرا ارادت درویشان‌است آماده‌باشدروزدیگر ازمریدان و معتقدان سیصد نفر درخدمتش روانه شدند درآنوقت‌مولانا جلال الدین بسن شش ساله بود و مولانا بهاءالدین در نیشابور باجناب شیخ فریدالدین عطار قدس سره ملاقات کرد وجناب شیخ کتاب اسرار نامه‌را که یکی از مؤلفات خودبودبمولانا جلال‌الدین‌عنایت نمود وببهاءالدین گفت که‌این فرزندرا گرامی‌بدار زودباشد که از نفس گرم آتش‌برافسردگان عالم زند مولانا بهاءالدین جناب‌شیخ را وداع‌نموده عازم بیت‌الله‌الحرام گردید و چون‌بدارالسلام بغداد رسید اکابرواعاظم و بزرگان مولانارا تعظیم تمام کردند و لوازم احترام نسبت‌بآن‌بزرگوار بجای‌آوردند مدت‌یکماه تفسیر بسم‌الله فرمود چنانکه‌تقریراول‌بثانی نسبت نداشت جمعی ازطرف سلطان علاءالدین کیقباد سلجوقی از کشور روم بدارالخلافه بغداد آمده بودند آن‌تقریردلپذیرازمولاناستماع نمودند وچون‌بروم‌باز گشتند دراثنای حکایات‌درحضرت سلطان از مناقب مولانا آنچه مشاهده کرده‌بودند عرضه داشتند سلطانرا درغیبت‌اعتقادی عظیم‌راسخ‌شد و دائماً تمنای ملاقات صوری‌داشت تا از تقدیر کردگار مولانارا عزیمت حجازافتاد وازحجازبطرف‌شام‌عبورفرموده‌ودرآنجامولانا برهان‌الدین ترمدی‌رحلت‌نمود آنجناب در حین‌وفات خدمت‌مولانا وصیت کرد که‌باید شما بطرف روم عزیمت نمائید که جهت شما در آن‌دیار فتوحی خواهد بود بنا بفرمودهٔ آن بزرگوار مولانا بمدینهٔ ارزنجان آمده در خانقاه عصمتیه تاج ملك خاتون که عمهٔ‌سلطان علاءالدین بود نزول نمود خاتون سعادت مقرون خدمات پسندیده بجای آورد و التماس کرد که آنجا متمکن شود قبول نفرمود وبزودی از آنجا عزیمت آنشهر نمود و فصل زمستان‌در آنجا اقامت کرد بعداز آن بطرف روم نهضت فرمود سلطان را معلوم شد که قرب منازل حاصل شده است قاصدان بخدمتش فرستاد استعجال حرکت مولانا نمود ملتمس سلطان باجابت لاحق شد چون بصحرای قونیه رسید سلطان باجمیع اکابروارکان‌دولت مولانارااستقبال نمود سلطان بعداز اظهار اخلاص و ارادت استر شمام نام که در گام‌زدن پیك باد شمال بود برسم نیاز پیشکش‌نمود وچندگام در رکاب مولانا پیاده رفت مولاناچندانکه مبالغه‌فرمود که سوار شود سلطان بر تواضع وفروتنی می افزود و میگفت جهت‌مزید دولت‌وسعادت خویش این‌عبودیت بتقدیم میرسانم‌آنگاه در منزلی که‌لایق آنجناب‌بود فرود آورد وچندان‌خدمات‌ومراعات نمود که عشر عشیرآن بشرح و بیان در نیاید در آن اوان مولینا جلال الدین بسن چهارده سالگی بود و در آن صغر سن از روی علوم وحکم عالمی بزرگ شده بود چون والد بزرگوارش در سنه ۶۳۱ هجری رحلت نمود مولانا بموجب وصیت والد بر مسند افاده قدم گذاشت ولوای نشر علوم و درس فنون وامر معروف و نهی منکر برافراشت

آورده اند که مولانا بعداز تحصیل‌علوم رسمی و اصطلاحی از اقسام علوم آنچه سیدبرهان‌الدین ازشیخ خود از حقایق مکتوم معلوم کرده‌بود مولانارا تعلیم‌و تلقین میکرد چون‌ذات‌ملك صفات اورا بریاضات و مجاهدات مکاشفات ومشاهدات دست داد و قابل اسرار احدی و محرم رموز کنوز احمدی شد بصحبت حضرت خضرعلی نبیناوعلیه السلام مشرف گشت و جمعی کثیر ازعرفای عصر را ملاقات نمود آخرالامر بخدمت تاج العارفین مولانا شمس‌الدین تبریزی رسیدوارادت آن‌جنابرا ازدل وجان‌برگزید ونسبت طریقت شمس‌الدین بجناب قطب الاولیاء و زبدت‌الاصفیاء علی‌بن موسی‌الرضاعلیه‌آلاف‌التحیة و الثناء میرسد براین‌موجب: شمس‌الدین مرید باباکمال جندی بود و او مرید شیخ نجم‌الدین خوارزمی و او مرید شیخ‌عمار بدلیسی واومرید شیخ نجیب‌الدین سهروردی و او مرید شیخ احمد غزالی واو مرید شیخ ابوبکر نساج واومریدشیخ ابوالقاسم کورکانی (و او مرید شیخ ابوعمران مغربی و او مرید شیخ ابو علی رودباری) و او مرید شیخ جنید بغدادی‌واومرید شیخ‌سری سقطی و او مرید شیخ معروف کرخی و او مرید و دربان علی‌بن موسی‌الرضا علیه التحیة والثناء بود

آورده‌اند که‌شمس‌الدین ولد علاءالدین‌بوداز نژاد کیا بزرگ‌امید گویندپدروی‌ترک‌مذهب‌اسمعیلی کرده شعار اسلام ظاهر نمود و در نهانی ولدخود شمس‌الدین‌را بخواندن علم به تبریز فرستاد و در آنجا علم وادب آموخت و انواع فضائل اندوخت جامی‌صاحب نفحات‌الانس آورده که شمس الدین از خاندان اسمعیلیان نیست بلکه‌او تبریزی‌الاصل پسربزازیست‌وبعضی‌گفته‌اند که‌اصل‌شمس‌الدین ازخراسان بوده وخود درشهر تبریز تولدنموده ودراین باب روایت دیگر نیزوارداشت راقم گوید شاخ گل هرجا که‌میروید گل‌است

نقلست که‌چون شمس‌الدین درعالم طلب سیاحت میکرد تا آنکه بخدمت باباکمال‌الدین جندی قدس‌سره رسید و به‌هزار جان ودل مریدش گردیدوقتی باباکمال جمعی از مریدانرا که‌ازآنجمله‌شیخ بهاءالدین زکریا و شیخ فخرالدین عراقی و امیر حسین هروی بودند در خلوت نشاند وشمس‌الدین را نیز بریاضت و خلوت امر کردشیخ فخرالدین عراقی لوایح اسرار را بصورت لوامع و اشعاراملا نموده بعرض شیخ کمال‌الدین‌رسانیدوشمس‌الدین اظهار اینمعانی نمیکرد روزی آن بزرگوار فرمود فرزند شمس‌الدین از حقایق و اسرار که فرزند فخرالدین باظهار آن قیام مینماید برتوهیچ لایح نمیشود عرض‌نمود بیش‌از آن حقایق مشاهده‌می‌افتد او از جهت‌اشتغال‌بمصطلحات‌علوم‌بعبارتی‌مناسب کشف‌بعضی‌اسرار مکتوب‌میتواند کرد ومرا دست‌نمیدهدشیخ‌فرمود که‌باریتعالی ترا مصاحبی‌روزی کند که‌معارف‌وحقایق‌اولین‌وآخرین‌را بنام‌تواظهار کندوینابیع‌حکمت‌ازدل‌اوبرزبانش‌جاری‌شودوهمهٔ آن کسوت‌مقالات مطرزبنام‌تو باشدبعداز آن‌باباکمال‌فرمود که‌ترابطرف‌روم‌بایدرفتن‌ودر آنجاسوخته‌ایست‌میبایداورامشتعل کردن‌شمس‌الدین‌بموجب‌فرمودهٔ وی عمل‌نموده متوجه روم گردیدودرحین گردش آن‌مرزوبوم‌بشهر قونیه‌رسیدودرکاروانسرای‌شکرفروشان‌منزل گزید

روزی‌دربازارمولاناجلال‌الدین براستری‌سواربکوکبهٔ تمام‌عبور مینمود و شمس‌الدین اورا دیده بفراست مطلوب‌را شناخت و در رکابش روان‌شده پرسید که‌غرض‌از مجاهده و دانستن علوم‌چیست

مولانا گفت روش سنت و آداب شریعت است شمس الدین فرمود این خود ظاهر است مولانا گفت ورای آن چیست شمس الدین گفت که علم آنست که ترا بمعلوم رساند و بشاهراه حقیقت کشاند و این بیت سنائی را برخواند

علم کز تو ترا نه بستاند جهل از آن علم به بود بسیار

مولانا از استماع این سخن متأثر و متحیر گشته مرید شمس الدین گردید و بروایت دیگر چون شمس الدین بقونیه رسید مولانا را ملاقات نمود در حالتی که مولانا در کنار حوض نشسته بود و کتابی چند پیش خود نهاده شمس الدین از مولانا پرسید که این چه مصاحفست مولانا جواب داد که این را قیل و قال گویند ترا بآن چه کار است شمس الدین فی الحال کتابها را در آب انداخت و مولانا را متحیر ساخت مولانا از روی تأسف فرمود که ای درویش بعضی فواید والا بود که دیگر یافت نمیشود دیوانگی کردی وضایع ساختی شمس الدین دست دراز کرد یکان یکان همهٔ کتابها را بیرون آورد که آب در آنها اثر نکرده بود مولانا پرسید که این چه سر بود که بظهور پیوست شمس الدین فرمود که این از ذوق و حال است ترا از آن چه خبر بعد از آن باهمدگر صحبت بسیار داشتند و مولانا فرجی و وضع دستار مشابه او ساخت و طریقهٔ سماع آموخت و بیمن تربیت او علم معرفت بر سر عالم افراخت چنانکه میفرماید

هزاران درج در دارد بناگوش ضمیر من از آن الفاظ وحی آسای شکربار شمس الدین
ز عقل و روحها بگذر حجاب عقل برهم در دو سه منزل از آنسو تر ببین بازار شمس الدین

منقولست که چون مولانا ربودهٔ شمس الدین گردید مدت شش ماه در خلوت با او مینشست و می آرامید موالی مولانا شور و غوغا بر آوردند و بر شمس الدین طعن و تشنیع آغاز کردند که سر و پا برهنهٔ و شکم گرسنهٔ ظهور نمود و مقتدای مسلمانان را گمراه کرده است شمس الدین بالضرورد بصوب تبریز روان گردید و مولانا را سوز عشق زبانه کشید و در فراق شمس الدین شعر های سوزناك گفتن گرفت آخر الامر طاقتش طاق شده سوی تبریز شتافت و بعد از زحمات بسیار مطلوب را دریافت در مثنوی از زبان وامدار بر اینمعنی اشارت نموده

ساربانا بار بگشا زاشتران شهر تبریز است و کوی دلستان
فر فردوس است این پالیزرا شعشعهٔ عرش است این تبریزرا
هر زمانی فوج روح انگیز جان از فراز عرش بر تبریزیان

مولانا و شمس الدین پس از چندی با یکدیگر بروم آمدند و چند گاه خالی از اغیار مشغول صحبت شدند باردگر دوستان مولانا که در حقیقت دشمنان بودند حسد و حقد آغاز نمودند

خدای تخم حسود از جهان براندازد اگر حسود نباشد جهان گلستانست

این بار شمس الدین بطرف شام فرار کرد و مدت دو سال در نواحی شام اقامت فرمود مولانا در آن مدت از فراق شمس الدین میسوخت و غزلهای عاشقانه میساخت و عشق شمس الدین بنیاد صبر مولانا را یکباره برانداخت آرام و قرار ازو گم گردید عاقبت مبلغ هزار دینار زر به پسر خود بهاء الدین ولد داده و گفت بزودی بسوی شام بخرام و شمس الدین را در مقام صالحیه خواهی دریافت که با فرنگی زادهٔ شطرنج میبازد زینهار بخاطر خطرهٔ میار که آن پسر یکی از مردانست و از این راه آگاهش میسازد و این زر را بعتبهٔ شمس الدین ایثار کن و کفش آنحضرت را بسوی روم گردان و این ابیات را بخوان

بروید ای حریفان بکشید یار ما را بمن آورید حالی صنم گریزپا را
اگر او بوعده گوید که دم دگر بیاید مخورید مکر او را بفریبد او شما را

از این غزل بهمین دو بیت اکتفا نمود بهاء الدین بحکم والد بشام رفته آنچه از والد شنیده بود دید و آنچه فرموده بود بانجام رسانید و شمس الدین بصوب روم مصمم گردید در آنسفر بهاء الدین در رکاب شمس الدین مسافت یکماهرا پیاده طی نمود هر چند آنجناب مبالغه کرد که سوار شود بهاء الدین قبول نکرد و گفت شاه سوار شود و بنده سوار چگونه خواهد بود

آفرین خدای بر پدری که تو پرورد و مادری که تو زاد

چون شمس الدین بقونیه رسید مولانا بشرف مواصلت مشرف گردید آنجناب در اثنای صحبت اظهار بهجت از بهاء الدین میفرمود و گفت من ازو راضی شدم مرا سری بود و سری سر بتو دادم و سر به پسرت بخشیدم اگر بهاء الدین ولد را هزار سال عمر بودی و همه را در راه طلب رضای خدا صرف نمودی آنچه در این سفر اورا حاصل گشت هزار یك آن حاصل نشدی

نقل است که شبی شمس الدین با مولانا در خلوت صحبت میداشت و اعلام طریقت بر فراز حقیقت می افراشت ناگاه کسی از بیرون در بشمس الدین اشارت کرد مولانا گفت کیست آنجناب فرمود بقتلم میخوانند چون بیرون رفت مولانا صیحهٔ شنیده بیرون دوید چون نظر کرد قطرهٔ خون ریخته دید از آنزمان تاحال از شمس الدین چون عنقا نامیست بعضی گویند بمولانا در عالم واقعه شمس الدین گفت که مرا کشته بچاه انداختند چون مولانا از خواب بیدار شد بسر چاه رسید وجسد آن یوسف مصر ولایت را از چاه بیرون کشید و در مقام مناسب دفن نمود

راقم گوید اینقول بصحت اقربست چنانکه اکنون مزار آن بزرگوار در آن دیار مطاف طائف خلق روزگار است در نفحات مسطور است که باعث هلاك شمس الدین علاء الدین محمد که به تیرانه لیس من اهلك نشانه شده پسر ناخلف مولانا بود و علاء الدین بعد از اقدام بر آن امر شنیع بمرضی مزمن گرفتار گشته بسرای دیگر انتقال نمود و مولانا بجنازهٔ او حاضر نگشت

مخفی نماناد که در کیفیت ملاقات شمس الدین با مولانا اخبار متعدده وارد است که از طول کلام اندیشیده از تذکار آن عنان قلم باز کشید شهادت شمس الدین در سنه ٦٦١ هجری روی نمود

آورده اند که مولانا جلال الدین بعد از واقعهٔ هایلهٔ شمس الدین همواره غمگین میبود و علی الدوام زاری و بیقراری مینمود و آخر الامر خاطر حزین و دل اندوهگین خود را بصحبت و تربیت حسام الدین چلبی المعروف بابن اخی ترك تسلی فرمود نسب وی بدان کس میرسد که فرمود امسیت کردیاً واصبحت عربیا حسام الدین در حجر تربیت مولانا نشوونما یافته و مهر شفقت و مرحمت مولانا بروجنات حال وی تافته و محبوب و منظور مولانا بوده و بحسن طاعت و انقیاد بدرجهٔ عالی ترقی نموده است و کتاب مثنوی که مشهور در السنهٔ صغار و کبار مذکور است باستدعای حسام الدین مولانا بسلك نظم کشیده الحق کتابی بدین نظم و نسق بزبان فارسی چشم زمانه ندیده و گوش روزگار نشنیده است بمرتبهٔ مقبول و مطبوع عرفا گردیده که شیخ بهاء الدین عاملی با آنهمه فضل و کمال در تعریف آن میفرماید

من نمیگویم که آن عالیجناب هست پیغمبر ولی دارد کتاب
مثنوی معنوی مولوی هست قرآنی بلفظ پهلوی
مثنوی او چو قرآن مدل هادی بعضی و بعضی را مضل

در نزد محققان هر قوم پسندیده است چنانکه راقم در جمیع بلاد اقالیم سبعه دیده و شروحی بسیار بزبان فارسی و عربی و ترکی و هندی بر آن نوشته اند

نقلست که حسام الدین شبی اندیشه نمود که در خدمت مولانا استدعا نماید که بوزن منطق الطیر شیخ فرید الدین عطار قدس سره کتابی بنظم آورد و در صبح آنشب بنیت مذکور بخدمت مولانا مشرف گشته مرکوز خاطر را عرضه داشت مولانا بعد از استماع سخن حسام الدین کاغذی از دستار خود بیرون آورده بدست وی داد و فرمود که دیشب وقتیکه از خاطر تو گذشت بر من وارد گشت که اینگونه کتابی منظوم شود و انجام رسد لهذا این ابیات همانوقت از خاطر من سر زد

بشنو از نی چون حکایت میکند وز جدائیها شکایت میکند

اولین شعر کتاب مثنوی تا

درنیابد حال پخته هیچ خام پس سخن کوتاه باید والسلام

بعد از آن مولانا بگفتن مثنوی مشغول گشت از اول شب مولانا نظم نمودی و آخر شب حسام الدین بآواز بلند در حضور مولانا خواندی و بسمع مجلسیان رساندی نوبتی حسام الدین بخدمت مولانا معروض داشت که در وقت خواندن مثنوی گویا میبینم از غیب شمشیرها

کشیده اند و گردن منکران را میزنند مولانا تصدیق نموده گفت نیك دیدی چنانچه درمثنوی بدان اشارت نموده

دشمن اینحرف ایندم درنظر — شدممثل سرنگون اندرسقر
ای ضیاء الحق تودیدی حال او — حق نمودت پاسخ احوال او
دیدهٔ غیبت چوغیبت اوستاد — کم مباداز این جهان این دیدوداد

چون جلداول مثنوی بانجام رسید زوجهٔ مکرمهٔ حسام الدین بسرای جاوید خرامید بدانسبب یا بسبب دیگر اختلال دراحوال حسام الدین ظاهر گردید مدت دوسال [تنظیم مثنوی] بتعویق افتاد ومولانا بگفتن مثنوی لب نگشاد بعداز انقضای مدت مذکوره باردیگر حسام الدین ازخدمت مولانا اتمام مثنوی استدعا نمود چنانچه در اول جلد دوم اشاره برین فرموده

مدتی این مثنوی تأخیر شد — مهلتی بایست تاخون شیرشد
تا نزاید بخت تو فرزند نو — خون نگردد شیر شیرین خوش شنو
چون ضیاء الحق حسام الدین عنان — باز گردانید زاوج آسمان
چون بمعراج حقایق رفته بود — بی بهارش غنچها نشکفته بود
مثنوی که صیقل ارواح بود — باز گشتش روز استفتاح بود
مطلع تاریخ این سوداوسود — سال اندر ششصدوشصت ودوبود

آنگاه بجدتمام وسعی مالا کلام باتمام مثنوی قیام فرمود جلد ششم بپایان نرسیده عارضهٔ بربدن شریفش روی نمود ودرآن بیماری ازجهان فانی بعالم جاودانی انتقال فرمود چنانکه بهاء الدین ولد در آخر مثنوی برآن ایمائی مینماید

مدتی زین مثنوی چون والدم — شد خمش گفتش وراکای زنده دم
از چه رودیگر نمیگوئی سخن — بهر چه بستی در علم لدن
گفت نطقم چون شتر زین پس بخفت — نیستش باهیچکس تاحشر گفت
همچو اشتر ناطقه اینجا بخفت — او بگوید من دهان بستم ز گفت
قصهٔ شهزادگان نامد بسر — ماند نا سفته در سیم پسر
باقی این گفته آید بیزبان — با درون آنکه دارد زنده جان
فهم میگوید شتر چون خفت او — وقت رحلت آمد و جستن زجو
گفتگو آخر رسیدو عمر هم — مژده کامد وقت کز تن وارهم
درجهان جان کنم جولان همی — نگذرم زین نم در آیم دریمی

فقیر گوید ازمحققان ملک روم و دانشمندان آنمرز وبوم بکرات استماع نمود واز ثقات دیار مصر و شام مکررشنود که مولانا از آن مرض صحت یافته دفتر دیگر برمثنوی افزوده آنرا هفت جلد فرموده است چنانچه شیخ اسماعیل قیصری که عالم معالم سخن پروریست درحدود هزار واند هجری شرحی بردفتر هفتم نوشته ودر عنوان آن کتاب مدعیست که ناظم جلدهفتم جناب مولویست وازملحقات نیست چون بعداز تدوین جلد ششم گفته شده لهذا بغیراز کشور شام وروم شهرت نیافته است والله اعلم بحقایق الامور گویند این اشعار از جلدهفتم است

ای ضیاء الحق حسام الدین سعید — دولتت پاینده فقرت بر مزید
چونکه ازچرخ ششم کردی گذر — بر فراز چرخ هفتم کن مقر
سعد اعداداست هفت ای خوش نفس — زانکه تکمیل عدد هفت است وبس

شیخ نجیب الدین رضا تبریزی الاصل اصفهانی المسکن که در زمان شاه سلیمان صفوی پایهٔ سلسلهٔ ذهبیه بوده و کتاب سبع المثانی را ببحرمثنوی تألیف نموده درعنوان آن کتاب فرموده که درعالم واقعه مولانا بمن خطاب کرده فرمود که جلد هفتم مثنوی را توباتمام رسان بنابفرموده مولانا کتاب سبع المثانی را بنظم آوردم فقیر گوید آنچه نزد درویشان روم وشام وعربستان درخصوص جلد هفتم بصحت اقربست قول اولست (آندفتر درآخر همین کتاب مسطوراست) اصحاب معرفت بعداز دقت معلوم میکنند که ناظم آن جناب مولوی بوده یانبوده

معاصرین مولانا ـ آورده اند که درعصر مولانا جلال الدین قدس سره درکشور روم وایران وغیره عرفای عظام ومشایخ کرام بسیار بوده از آنجمله شیخ اوحدالدین کرمانی وشیخ بهاء الدین زکریاء ملتانی وشیخ نجم الدین رازی وشیخ مصلح الدین سعدی شیرازی وشیخ محی الدین الاعرابی وشیخ صدرالدین قونیوی وشیخ مؤیدالدین جندی وشیخ ابوالحسن مغربی الشاذلی وشیخ ابوالعباس المرسی وابن الفارس الحموی المصری وشیخ عزیزالدین نسفی وشیخ ابوالحسن علی الصعیدی المعروف بابن صباغ وشیخ فخرالدین عراقی وشیخ نجیب الدین بزغش شیرازی و شیخ برهان الدین ترمدی وشیخ نورالدین عبدالرحمن اسفراینی و شیخ جمال الدین جوزقانی وشیخ رضی الدین علی لالا غزنوی وشیخ سیف الدین باخرزی وشیخ سعدالدین حموی وشیخ ابومحمد عبدالله المغربی وشیخ یاسین المغربی و شیخ عفیف الدین سلیمان قلمانی وشیخ ابوالغیث الیمنی وشیخ صلاح الدین زرکوب وشیخ موسی سدرانی وشیخ صدرالدین فرغانی وعین الزمان جمال الدین وحاجی بکتاش ولی قدس الله اسرارهم که اکثر آن بزرگوارانرا در شهر قونیه وغیره ملاقات نموده وطریق معاشرت پیموده

در شهور سنه ٦٧٢ هجری درهمان دیاربدارالقرار انتقال نمودمزارفیض مدارش درغایت اشتهاروزیارتگاه ابنای روزگاراست (وفات خواجه نصیرالدین طوسی هم در اینسال اتفاق افتاده)

از ملوك زمان که معاصر آنجناب بودند هلاکوخان وآباقاآن خان در ایران وبندوقدار درمصروشام وعلاءالدین کیقبادسلجوقی درکشورروم وناصرالدین ایلتمش در هندوستان حکومت مینمودند وازفرقهٔ حکما محقق طوسی معاصر آن بزرگوار بوده

روزی اصحاب راخطاب کرده فرمود: اوصیکم بتقوی الله فی السروالعلانیه و بقلة الطعام وقلة المنام وهجران المعاصی والآثام و مواظبة الصیام ودوام القیام وترك الشهوات علی الدوام واحتمال الجفاء من جمیع الانام وترك مجالسة السفهاء والعوام ومصاحبة الصالحین والکرام وان خیرالناس ماینفع الناس وخیرالکلام ماقل ودل

پوشیده نماناد که سلسلهٔ مولوی دربلاد روم ومصروشام وعرب وجزایربحرروم ودیار روم ایلی وعراق عرب جاری و معمولست ودر نزدخوردو کلان واعیان ودانا ونادان وحاجب وسلطان مقبولست لباسی خاص مخصوص درویشان آن سلسله است وتاج نمدی بیدرز برسر گذارند ومشایخ ایشان عمامهٔ نیز برآن تاج بیندند وذکروفکر ومراقبت اورادوسماع وحلقهٔ ذکرجلی درمیان ایشان متداولست ودرهنگام سماع نی ودف میزنند درآن سلسله قانون است که چون خواهد کسی در آن طریقه درآید باید که مدت هزارویکروز خدمت نماید براینموجب که چهل روز خدمت چهارپایان کند وچهل روز خدمت فقرا نماید و چهل یوم آب کشی وچهل یوم فراشی وچهل یوم هیزم کشی وچهل یوم طباخی وچهل یوم حوائج ازبازار آوردوچهل یوم خدمات مجلس درویشان کند وچهل یوم نظارت نماید برین نسق تامدت مقرره تمام شود اگر چنانچه یکروز ازآنمدت ناقص گردد باید که خدمت را ازسر گیرد و چون تمام کند آنکس را غسل توبه دهند ازجمیع محرمات و کسوت از سرکارخانقاه بوشانند وتلقین اسم جلاله براو کنند وحجره جهت آسایش وعبادت بوی دهند وطریق ریاضت ومجاهده تعلیم وی نمایند وآنکس برآن قاعده وقانون مشغول شود تاآنکه صفائی درباطن او ظاهر گردد

مخفی نماند که صوفیه گفته اند که مولانا رامذهب شیعه بوده وبر طریقهٔ حقه عمل مینموده وبر اینمطلب شواهد بسیاراست والله اعلم

خلاصه شرح حال مولانا

مولانا جلال الدین محمدبلخی مشهوربه مولانای روم درششم ماه ربیع الاول سال ٦٠٤ هجری قمری در قبة الاسلام بلخ (یکی از چهار شهربزرگ خراسان که پیش ازهجوم مغول منتهای آبادی راداشته) متولدشده در سال ششصدونودونه بمعیت پدربزرگوارش ازخراسان بآسیای صغیر مهاجرت گزیده وهم آنجا درپنجم جمادی الاخرهٔ ششصدو هفتادوسه بریاض خلدخرامیده وپهلوی ضریح پدرش مدفون شده است

مولانا درشعر چنانکه دربسیاری از غزلهایش بطریق تلمیح آورده است خاموش تخلص میکرده و اورا علاوه بر جلال الدین بلقب خداوندگار نیزمیخوانده اند و اطلاق خداوندگار بمناسبت سلطنت وحکومت ظاهری وباطنی اقطاب برمریدان خود دراعتقادصوفیان تناسب تام دارد. شهرتش برومی یامولانای روم بواسطهٔ طول اقامت

در آسیای صغیر بوده . وچون سلجوقیان آن خطه‌را از امپراتوری روم شرقی منتزع کرده بودند شاخه‌ای ازسلسلهٔ سلجوقی که در آنجا استقرار یافت معروف بسلاجقهٔ روم شد . ولی لقب مولوی تازه‌است

نسب مولانا به‌دو واسطه به‌ابوبکر صدیق می‌پیوندد ومطابق تحقیقات آقای کاظم‌زادهٔ ایرانشهر بدین ترتیب است : جلال‌الدین محمدبن بهاءالدین محمدبن‌حسین‌بن احمدبن محمودبن مودودبن ثابت‌بن مسیب‌بن مطهربن حمادبن عبدالرحمن‌بن ابی‌بکرالصدیق

نیای مولانا حسین‌بن‌احمدخطیبی از افاضل خطهٔ‌خراسان‌بشمار میآمده از خاندان علم وعرفان وپدربرپدرازمشایخ کبار بلخ‌بوده بروایت شمس‌الدین احمد افلاکی درمناقب‌العارفین امام‌رضی‌الدین نیشابوری از اجلهٔ فقهای قرن ششم درمحضروی تلمذ کرده.جدهٔ مولاناازخاندان‌جلیل‌خوارزمشاهیان‌وظاهراً دختر قطب‌الدین‌محمدبوده

پدر مولانا بهاءالدین محمدبن‌حسین ملقب بسلطان العلماء مشهوربه‌بهاءالدین‌ولد معروف‌به مولانای‌بزرگ ازبزرگان‌صوفیان ایران‌تربیت‌یافتهٔ شیخ‌اجل‌ابوالجناب نجم‌الدین‌احمدبن‌عمرخوارزمی معروف به کبری بوده و خرقه‌اش به‌سبب عماریا سر و ابوالنجیب سهروردی‌به‌شیخ‌احمدغزالی‌میپیوسته.بروایت‌فریدون سپهسالار(از یاران‌مولانا که‌رساله‌ای‌درسوانح‌زندگانی‌مولانا گردآورده)شهرت‌علمی سلطان‌العلماء،باندازه‌ای،بودکه‌ازاقصای‌خراسان‌فتاوای‌مشکل‌رابحضرت او آوردندی ودرشهر بلخ مسند افاضت و ارشاد داشته خواص و عوام آن‌خطه اوراعظیم معتقدبودندپیوسته بامر معروف ونهی‌از منکراشتغال‌داشت‌وهرگاه که‌مجلس میگفتی گروه بیشماری از هر طبقه درپای منبر وعظش گرد میآمدند واوبرهمهٔ دلها مشرف‌بود

مسلك تصوف ازقرن‌پنجم هجری باینطرف درمیان مسلمین رونق و عظمت تمام‌یافته ازخواص گذشته در تودهٔ عوام هم منتشر شده‌بود . اقطاب مشایخ‌روش‌خویش‌را بدین ومذهب‌نزدیك ساخته سخنان‌ومجالس خودرابذکرخداورسول وآیات‌واحادیث‌میآراستند و در دورهٔ که بیشتر علماء فقه وحدیث بواسطهٔ تصدی شغل قضا آلایش مادی پیدا کرده حدود شرع را مهمل میگذاشتند رؤسای صوفیه به‌ترك‌دنیا و اعراض ازامراء و عزلت و انقطاع ظواهر حال خودرا میآراستند

بواسطهٔ‌مخالفتی که میان صوفیه و حکما بود سلطان‌العلماء علناً در محضر وبرسرمنبر بآنان بد میگفته وپیروان فلسفهٔ‌یونانرا گمراه و مبتدع میخوانده خصوصاً بامام فخرالدین محمدبن عمر رازی از بزرگان حکماو متکلمین‌عصر که‌در آن اوقات درخوارزم اقامت داشته استاد و مصاحب‌سلطان علاءالدین محمد خوارزمشاه بوده است تعریض میکرده

بروایت افلاکی سلطان العلماء درنتیجهٔ دسته‌بندی علماءمعقول ومنقول ومکدرساختن صفای آئینه خاطر خوارزمشاه نسبت بوی‌از سلطان‌ومردم بلخ رنجیده تصمیم بمهاجرت داد (از جملهٔ ساعیان‌نام امام‌فخروقاضی‌زین‌فزاری ورشیدقبائی‌ذکرشده‌است)سلطان‌العلماء در نیشابورشیخ عطارراملاقات نمود که‌اسرار نامه‌را بمولانا که‌در آنوقت پنجساله بود بخشیدواز آنجا بعزم‌حج بیت‌الله‌الحرام رهسپار بغداد شدوبروایت‌نورالدین‌عبدالرحمن‌جامی درنفحات‌الانس‌روزیکه باخانواده‌ومریدان بدارالسلام درآمد جمعی‌پرسیدند که : اینان‌چه طائفه‌اند ، ازکجا میآیندوبکجامیروند؟ گفت : من‌الله والی‌الله‌ولا قوة الاباالله . این سخن‌را بسمع‌عارف مشهورشیخ‌شهاب‌الدین‌عمربن محمد سهروردی‌رسانیدندفرمود:ماهذاالابهاءالدین البلخی؟وموکب سلطان‌العلماء را استقبال کرد

باحسن‌پذیرائی شیخ واقبال‌خواص اهل‌عرفان سلطان‌العلماء سه‌روز بیشتر دربغدادنمانده‌روزچهارم ازمرکزخلافت‌اسلامی روانهٔ حجازشد وپس ازگزاردن مناسك حج وتشرف بمدینهٔ طیبه بعزم بیت‌المقدس وزیارت‌مزارسایرانبیاءعظام‌ازحجازرهسپارشام گردید، اهل‌شام‌خواستند اورا نگاهدارند نپذیرفت وبطرف‌ارزنجان‌رفت و چهارسال‌در آن‌خطه‌رحل‌اقامت‌افکندوازفخرالدین‌بهرامشاه‌حکمران ارزنجان‌وپسرش‌علاءالدین‌داودشاه‌اقبالهادیدمولانادرهیجده‌سالگی درشهرلارنده بفرمان‌پدر گوهرخاتون دختر خواجه‌لالای‌سمرقندی را بهمسری اختیار کرد وبهاءالدین محمدمعروف بسلطان‌ولد و علاءالدین‌محمد ازین اقتران بوجودآمدند بروایت افلاکی‌سلطان العلماء،پس‌ازچهارسال اقامت‌درملاطیه وهفت‌سال‌درلارنده‌بخواهش علاءالدین کیقباد دوازدهمین پادشاه سلجوقی روم بشهر قونیه که دارالملك‌بودرفت. شاه‌وامیران‌بزیارتش آمدند و ازسرصدق دست ارادت دردامانش‌زده درمراعات‌جانب‌او لوازم‌اهتمام بعمل‌میآوردند وپای‌وعظش‌می‌نشستند واهل‌روم ازجان‌ودل بوی گرویدند .

ازانتقال‌سلطان‌العلماء به‌قونیه‌بیش‌ازدوسال نگذشته‌بود که‌تن بربستر ناتوانی‌نهاده درسنهٔ ششصدوبیست‌وهشت زندگانی‌رابدرود گفت.مردم‌شهردرعزای‌اورستخیزعظیم‌برپا کردند.سلطان‌علاءالدین یکهفته درمسجدجامع‌خوان‌نهاد ومالهابفقرابخش کرد.چون‌پدرسر درحجاب‌خاك کشیدمولانا که‌در آنهنگام‌بیست‌وچهارساله‌بودبخواهش پادشاه وامراء والحاح‌مریدان‌برجای‌وی برمسندوعظ وافادت‌نشست ویکسال‌تمام‌دورازطریقت،مفتی‌شریعت‌بود که‌سیدبرهان‌الدین‌محقق ترمدی ازشاگردان سابق‌سلطان‌العلماءوخواص‌اولیاء صوفیه‌بقونیه رسیدو درآنشهربساط‌ارشاد ودستگیری‌خلایق بگسترد ومولانارا در علوم ظاهری بیازمود و گفت : پدربزرگوارت راهم علم قال بکمال‌بود وهم‌علم‌حال چون درعلوم شریعت وفتوی‌جانشین‌اوشدی میخواهم که درعلم‌حال‌هم سلوکها کنی تاخلف‌صدق‌پدرباشی‌اگر مریدشوی مرادیابی وآنچه ازاو بمن رسیده دیدنیست نه آموختنی مولانا برغبت تمام براوبگروید وبروایت‌سپهسالار مدت نه‌سال‌سرو کارش باسیدبرهان‌الدین بودوبراهنمائی آنعارف کامل طریق‌سیر وسلوك‌میپیمود .بروایت افلاکی مولانا دوسال‌پس‌ازمرگ‌سلطان العلماء باشارت سید باچندنفرازمریدان پدربجانب‌شام عزیمت کرد تامرتبهٔ کمال خودرا درعلوم ظاهر باکملیت رساند . ابتدا درشهر حلب بمدرسهٔ حلاویه‌نزول فرمود و از حوزهٔ درس‌مدرس‌دانشمند آن‌مدرسه‌کمال‌الدین‌ابوالقاسم‌عمربن‌احمدمعروف‌بابن‌العدیم‌استفادها برد وپس‌از آنکه سه‌سال درحلب به‌تحصیل علوم‌اسلامی پرداخت رهسپاردمشق‌شد.علماومعارف‌شهرمقدمش‌را گرامی‌داشته‌درمدرسهٔ قدسیه فرودش‌آوردند وخدمات‌شایان بتقدیم‌رسانیدند .

مولانا چهارسال در کرسی‌شام که در آنهنگام مرکزبزرگان و مجمع‌علم‌وعرفان‌بودبه‌زهدوریاضت‌تمام‌درتکمیل‌معارف‌دینی‌کوشیدو هدایه‌را که‌کتاب‌جامعیست درفقه حنفی دارای شروح وتعلیقات و حواشی بسیارتألیف شیخ‌الاسلام برهان‌الدین‌علی‌بن‌ابی‌بکرمرغینانی نزداساتیدفن بدقت‌دیدوهم درین شهربفیض صحبت عارف مشهور محی‌الدین العربی وبزرگان‌دیگرنائل گردید

مولانا پس‌از هفت‌سال مسافرت بقونیه‌بازگشت و بدستور سیدبرهان‌الدین بریاضت‌پرداخته‌سه‌چلهٔ‌متوالی‌برآوردتانقدوجودش بی‌غش‌وتمام‌عیار بلکه سراپا نور گردید . چون‌جان‌پاك‌سیددرسنهٔ ۶۳۸ ازخاکدان‌تن بقرب قدس‌انتقال یافت مولانا در دارالملك قونیه برمسند ارشاد وتدریس متمکن گردیده به‌تربیت مستعدان همت گماشت‌مریدان‌بسیار بروی گردآمدند وپروانه‌وارپیرامن‌شمع وجودش‌میگردیده‌حضرتش‌را پیشوای‌دین‌ومفتی‌شریعت وراهنمای طریقت میشناختند

مولانا نزدیك‌پنج‌سال بسنت جدوپدرهم درمدرسه‌بتدریس فقه ودیگرعلوم‌اسلامی‌میپرداخت وهم‌برسم‌زهدپیشگان‌آنزمان‌مجلس وعظوتذکیرمنعقدساخته ومردم‌را تبشیر وتنذیرمیکرد. همه‌روزه طالبان علم که بگفتهٔ دولتشاه‌سمرقندی عده‌شان بچهارصد میرسید متناوباً درمدرس‌ومحضرش برای‌استفاده‌حاضر میشدندوصیتش در اطراف جهان‌منتشر گردید .

مولاناسرگرم تدریس وقیل‌وقال مدرسه‌بود فتوای شرعی

مینوشت وازیجوزولایجوز سخن‌میراند وخاق بعلوم‌ظاهر وزهدو ریاضت اوفریفته شده‌بخدمت‌ودعای وی‌تبرك‌میجستند که ناگهان آفتاب عشق‌وشمس‌حقیقت پرتوی‌بر آن‌جان‌پاک افکند. آن‌طوفان عظیم که‌این‌اقیانوس آرام‌را‌متلاطم‌ساخت شمس‌الدین‌محمدتبریزی ژولیده پیری‌از پیران‌صوفیه بود که نفسی گرم و جاذبه‌ای قوی و بیانی مؤثر داشت

بروایت افلاکی شمس‌الدین محمدبن‌علی‌بن‌ملك‌دادتبریزی (که گویندپدرش اصلا ازباوردخراسان‌بوده وبتجارت به آذربایگان رفته) ابتدادست ارادت بدامان‌شیخ ابوبکرزنبیل‌باف که‌در کشف القلب‌یگانهٔ‌زمان‌خودبود زده چون‌درسیروسلوك درجهٔ کمال یافت درطلب‌کاملتری سفری‌شد وسالها گردبلادوامصاربر آمده ازشهری بشهری راه‌میپیمودوبااهل راز وریاضت‌انس والفت مینمود پیوسته نمدسیاه میپوشیدوهمه‌جادرکاروانسرای منزل‌میکردوبخدمت‌چندین ابدال واوتاد و اقطاب رسیده اکابرصورت ومعنی‌رادریافته‌بود

شمس‌تبریز بامداد روزدوشنبهٔ ۲۶ جمادی‌الاخره سال۶۴۲ بقونیه‌رسیده درخان‌شکر ریزان نزول کرد . ودریك مجلس چنان مولانارا مجذوب وفریفتهٔ‌خودساخت که منبر ومحراب وحوزهٔ‌درس ومسند ارشادرا رهاکرده حلقهٔ‌بندگی‌اورا بگوش کشید !

آفتاب‌دیدارشمس چنان‌برروان‌مولانابتافت‌وآتش درخرمن هستی اوزد که‌هرچه جزمعشوق‌باقی‌بسوخت

چگونگی‌دیدارپیرتبریزی را بامولاناباختلاف‌ذکر کرده‌اند محی‌الدین عبدالقادر مصری مؤلف الکواکب المضیئه فی‌طبقات الحنفیه درسبب‌تجرد وانقطاع مولانا مینویسد که: روزی درحجره نشسته‌بودو کتابی چند پیرامون خودنهاده وطالب علمان بروی‌گرد آمده‌بودند شمس‌الدین‌قلندروار درآمد وسلام‌گفت ودرصف نعال بنشست واشارت‌بکتب کرده پرسید : این‌چیست ؟ مولانافرمود تو این‌ندانی‌هنوزاین‌سخن بانجام‌نرسانیده‌بودکه آتش‌در کتابهاو کتابخانه افتاد ! مولاناپرسید این‌چه‌باشد؟شمس گفت‌تونیزاین‌ندانی!برخاست وبرفت‌مولانامجردواربر آمدوترك‌مدرسه و یاران‌وفرزندان گفت.

مطابق روایت سلطان ولدپسرمولانادر ولدنامه:عشق مولانا بشمس‌الدین مانند جستجوی موسی‌است ازخضر که بامقام شامخ رسالت ورتبهٔ کلیم اللهی‌بازهم مردان خداراطلب میکرده .

مولانا که‌تا آنروز خلقش‌بی‌نیازمیشمردند نیازمندواربدامن شمس که از مستوران قباب‌عزت‌بود درآویخته یکجا اسیرعشق و جذبهٔ‌وی گردید ومطلوب‌را بخانه‌برده‌بااوبخلوت‌نشست ودربرآشنا وبیگانه ببست و آتش استغنا در محراب‌ومنبرزده ترك‌مسندفتوی‌و تدریس و کرسی‌وعظ وتذکیربگفت وباهمهٔ‌استادی درخدمت معلم عشق‌زانو زده نوآموز گشت

بروایت افلاکی‌این‌خلوت‌بچهل‌روزیاسه‌ماه کشید

شمس‌الدین‌بمولانا چه‌آموخت وچه‌فسون‌ساخت که‌او ازهمه‌چیز وهمه کس گذشته خودرا نیز درقمار محبت‌باخت برمامجهول‌است . ولی کتب مناقب وآثاربرین متفقند که‌مولانا پس‌ازین خلوت روش خودرا بدل‌ساخت ، وبجای‌قیل‌وقال‌مدرسه واهل بحث وجدل گوش به نغمهٔ‌جانسوز نی وترانهٔ دلنوازرباب نهاد، بااینکه قبلاشب‌تابصبح درنمازبود وهرسه‌روزیکبار روزه‌میگشاد ـ وچیزیکه‌مولانارا از همهٔ رسیدگان‌جهان ممتازمیسازد همین تحول‌روحانی است که در پیوستن‌به پیر تبریزی برای‌اوپیش آمد

برشاگردان ویاران‌مولانا که‌باچشمهای‌غرض‌آمیز بشمس‌الدین مینگریستند تمکین‌او که شیخ‌وشیخ‌زاده ومفتی‌ومدرس ومذکربود نسبت بمردیکه بنظرشان لاابالی وبیرون ازاطوار معرفت میآمد سخت گران‌وناگوارمینمود.مریدان نیز شکایت وتشنیع آغاز کردند فقها وزهادحتی عوام قونیه‌هم ازتغییر روش مولانا خشمگین شدند

بالاخره‌شمس پس‌از شانزده‌ماه ازگفتارورفتار ایشان که اورا ساحر وجادو میخواندند رنجیده بیخبرسرخویش گرفت و برفت .

مولانا درطلب اوبقدم جد ایستاد وپس‌از جستجوی بسیار خبریافت که گمشدهٔ‌او دردمشق شام‌است . نامه وپیام متواتر کرد وپیك‌درپیك‌پیوست ، غزلهای سوزناك سروده بخدمت شمس‌الدین فرستاد آن‌نامه های‌منظوم که‌قدیمترین اشعار تاریخی مولاناست‌در دل شمس اثربخشیده متمایل گردید که‌باردیگرعنان مهر بسوی‌آن عاشق دلسوخته بتابد . مریدان ویاران مولاناهم که‌در نتیجهٔ‌غیبت شمس‌الدین و پژمردگی ودلتنگی مولانا ازفیض دیدار وحلاوت گفتار وذوق تربیت‌اوبی‌بهره مانده موردبی‌عنایتی شیخ‌خود واقع گردیده‌بودند از کرده‌پشیمان گشته دست انابت دردامن غفران وی زدند . مولاناعذرشان‌پذیرفته‌فرزندخودسلطان‌ولدرابدمشق‌فرستاد

سلطان‌ولد نقودچندی نثارقدم‌شمس کردوبندگیها نموده پیغامهای پدررا برسانید دریای مهرشمس جوشیدن گرفت و گوهر های حقایق‌برسلطان ولدافشانده رهسپار قونیه گردید وسلطان‌ولد بیش‌ازیکماه ازسرصدق ونیاز پیاده درركابش راه میپیمود

مولاناازرسیدن شمس‌خاطرش چون گل ازنسیم‌صباشکفت مریدان‌ویاران‌پوزشها کردند وهریك‌باندازهٔ‌وسع‌خویش‌خوان‌نهاده وسماع دادند ـ مولاناچندی باپیر تبریزی تنگاتنگ‌صحبت داشته درخلوت بروی غیر ببستند ،گاهی‌هم بااوبصحرا رفته وخوش‌شور وغوغائی داشتند ولی‌رفته‌رفته بازمریدان ویاران مولانا وخواص وعوام‌قونیه درخشم آمده بدگوئی وشناعت‌آغاز کردند مولانارا دیوانه وشمس‌الدین را جادو خواندند

ظاهراً علت تشنیع فقها وزهاد و هیجان عوام آن بود که مولانا پس از اتصال به‌شمس ترك وعظ و تدریس گفته بسماع و رقص نشست وجامه ودستار فقیهانه‌را به فرجی هندباری و کلاه‌پشم عسلی بدل کرد وفرمود رباب‌را که ازقدیم‌العهد عرب چهارسوبود شش‌خانه ساختند وشب و روز بوجدوسماع‌پرداختند

مولانا مریدان قدیم‌خالص داشت که‌بعضی ازبلخ‌دررکاب‌پدرش بقونیه آمده‌بودند وعدهٔ‌هم دربلاد آسیای‌صغیربدین خاندان پیوسته بودند و اورا عالم ربانی وپیشوای بحق وشیخ‌راستین وقطب‌زمان میدانستند پس‌از آمدن‌شمس‌الدین وانقلاب حال‌مولانا دستشان‌از دامان شیخ‌خود کوتاه ماندتشنیع فقها وزهادهم مقوی این کدورت گشته آنانرابدشمنی‌شمس وامیداشت،احتمال قوی میرود که‌دسته‌ای ازخویشان وبستگان مولانا نیز که‌ازشکست کارخود نگران بودند با این گروه در آزار شمس‌الدین‌همدست‌شدند

بروایت سلطان‌ولد چون مریدان و یاران وبستگان مولانا بکین شمس کمربستند پیر تبریز دل‌ازقونیه برکند و مصمم‌شد که چنان رود که دیگر خبرش‌هم بدورو نزدیك نرسد . این سخن‌را با سلطان ولد در بین نهاد و ناگهان از میان همه گم‌شد و انجام کارش معلوم نشد !

چون‌شمس‌حقیقت‌درزیر ابراسرار ناپدید شد اخبار واراجیف که‌شایدبعضی‌از آنراهم دشمنان‌برای رنجش‌خاطرمولانا میساختند ازهم نمیگسست ، خبرمرگ وقتل وحیات شمس‌الدین همه‌روزه بگوش میرسید ، مولانادرجوش و خروش ومیان امید ونومیدی سرگردان بود و بروایت دولتشاه در آرزوی شمس میسوخت و قوالان رامیفرمود تاسرودعاشقانه‌میگفتندوشب وروزبسماع اشتغال داشتند وبیشتر غزلیاتش درفراق‌شمس‌الدین‌است .

چون ازمجموع اخبار مستفادشد که مشرق‌آفتاب عشق دمشق شام‌است وتشنیع فقیهان وجنبش‌عوام قونیه‌هم خاطر مولانارا سخت افسرده بود درطلب یار گمشده رهسپار شام گردید وخلقی بسیار درپی اوروان گشتند.مولانا دردمشق‌همچنان مجلس سماع ورقص ساز کردوپیوسته بافغان وزاری شمس‌تبریزی‌راازهرکوی وبرزن میجست‌ونمی‌یافت وازشدت اشتیاق ناله‌های پرسوز ازدل‌برمیآورد و اشعار غم‌انگیز میسرود . دمشقیانی که اهل دیدبودند بمولانا گرویده مال‌وخواسته در قدمش‌نثار میکردند وبرخی دیگر که‌از

سر کار آگهی نداشتند از حالاتش در شگفتی میماندند و میگفتند آن کیست که این بزرگ مردرا چنین فریفته و دلباختهٔ خود ساخته است.

چون کوشش مولانا در طلب شمس الدین بجائی نرسید ناچار باجمع مریدان بقونیه باز آمد و سماع بنیاد کرد و پس از سالی چند باز عشق شمس سر از گریبان جانش در آورده بار دیگر روی بدمشق نهاده ماهها درشام بجستجو گذرانید لکن این بار نومیدی تمام بحصول پیوست. ولی بقول سلطان ولد اگرچه مولانا شمس را بصورت در دمشق نیافت ولی بمعنی درخود یافت - پس از آنکه مولانا از وصول بشمس الدین نومید شد بقونیه باز گشته بتربیت و اصلاح خلق پرداخت و بجدی تمام به تکمیل ناقصان و ارشاد سالکان مشغول شد

مولانا که در علم و عرفان بمقام بلندی رسیده بود نظر باستغراقی که خود در کمال مطلق و جلوات جمال ربوبیت داشت پیوسته یکی از یاران گزین را بدستگیری و ارشاد طالبان برمیگماشت. نخستین بار صلاح الدین فریدون زرکوب قونوی را منصب شیخی و پیشوائی داد . یاران و مریدان که در آتش عشق نگداخته و در بوتهٔ ریاضت و سلوك از غش هوی و وهم پاك برنیامده بودند بجز مولانا هیچکس را قبول نمیکردند و شیخ صلاح الدین را که بروایت افلاکی مردی بیسواد و در بازار قونیه بزرکوبی روزگار میگذرانید برای دستگیری و راهنمائی سزاوار نمیدیدند بار دیگر سراز فرمان مولانا پیچیده بدشمنی صلاح الدین برخاستند و سخنان گزنده درحقش گفته بر آن شدند که اورا ازمیان بردارند مولانا علی رغم منکران حسود دیده بر شیخ صلاح الدین گماشت و عنایت و لطف را نسبت باو بحدی رسانید که پیوستگان و فرزندان خودرا فرمان داد تا دست نیاز در دامن وی زنند و از فرط علاقه فاطمه خاتون دختر صلاح الدین را برای سلطان ولد عقد بست ولی پس از دو سال صحبت بی انقطاع ناگهان شیخ صلاح الدین رنجور شد و بیماریش سخت دراز کشیده درسنهٔ ۶۵۷ در گذشت

بعد از مرگ صلاح الدین توجه مولانا بحسام الدین حسن چلبی معروف به ابن اخی ترك معطوف شد و اورا منصب شیخی داد حسام الدین از نخبهٔ مریدان مولانا بود که در زهد و تقوی و معرفت دارای مقامی رفیع و در رعایت دقایق شریعت بی نهایت مراقب بود

دوستی مولانا نسبت به چلبی بجائی رسید که لحظه ای خاطرش بی او نمیشکفت و اورا برفرزندان خود ترجیح داده و آنچه از زخارف دنیوی برایش میرسید فوراً بحسام الدین میفرستاد و یاران و مریدانهم که در طول مدت مهذب و مؤدب شده بودند پیشوائی چلبی را با کمال میل پذیرفته در پیشگاه او سر تمکین نهادند

بهترین یادگار ایام صحبت مولانا با شیخ حسام الدین نظم مثنوی معنویست که یکی از شاهکارهای ادبی ایران و بزرگترین و عالیترین اثر متصوفهٔ اسلام می باشد

سبب افاضهٔ این فیض از وجود مولانا چلبی بوده که چون میدید یاران بیشتر بقرائت آثار شیخ فریدالدین عطار نیشابوری و شیخ ابوالمجد مجدود سنائی غزنوی مشغولند شبی در خلوت از مولانا درخواست کرد کتابی بطرز منطق الطیر عطار یا الهی نامه سنائی (حدیقه) بنظم آرد مولانا فی الحال از سر دستار خود برگی که هجده بیت از آغاز دفتر نخستین مثنوی بر آن نوشته بود بیرون آورده بدست او داد

جذب و کشش حسام الدین بار دیگر دریای طبع مولانا را بجنبش در آورد و شور و شوق دیگر داد . شبها حسام الدین در محضرش می نشست مولانا ببدیههٔ خاطر شعر میسرود و رموز و اشارات عالم غیب را بشیوهٔ سخن گستری بیان میکرد و او مینوشت . چون دفتر نخستین مثنوی بانجام رسید همسر حسام الدین در گذشت و شیخ را پراکنده دل و غرق سکوت کرد طبع مواج مولانا هم که مشتری نمیدید از تلاطم افتاد دو سال تمام در نظم مثنوی تأخیر شد تا بار دیگر تفرق خاطر چلبی بجمعیت مبدل و خواهان انجام مثنوی شد

صحبت مولانا با شیخ حسام الدین پانزده سال امتداد یافت و یاران و مریدان از اثر صحبت آندو فوائد بیشمار میبردند و به ارادت تمام بخدمت آنان مسابقت میورزیدند مولانا از زحمت ناقصان تاحدی آسوده خاطر و در صحبت چلبی بود و یاران پروانه وار گرد شمع وجودش میگردیدند که ناگاه آن توانای عالم معنی به حمای محرق در بستر ناتوانی بیفتاد ، هرچه طبیبان بمداوا کوشیدند سودی نبخشیده مقارن غروب روز یکشنبه پنجم ماه جمادی الاخرهٔ سال ۶۷۲ در سن شصت و هشت سالگی روح پرفتوحش بریاض قدس اتصال یافت. بروایت افلاکی در شب آخر که مرض مولانا سخت شده بود خویشان و پیوستگان اضطراب عظیم داشتند و سلطان ولد هم هردم بیتابانه بسر پدر می آمد مولانا این غزل آتشین را نظم فرمود :

روسر بنه ببالین تنها مرا رها کن ترك من خراب شب گرد مبتلا کن

مسلمین قونیه از خورد و بزرگ در تشییع جنازهٔ مولانا حاضر شدند یهود و نصارای آنشهر نیز که صلح جوئی و نیکخواهی ویرا آزموده بودند بهمدردی اهل اسلام شیون و افغان میکردند . بروایت محمود مثنوی خوان در ثواقب مسلمین از یهود و نصاری پرسیدند که : شمارا با مولانا چه تعلق بوده است ؟ گفتند: اگر مسلمانان را بجای محمد بود ما را هم موسی و عیسی بود و اگر شمارا پیشوا و مقتدی بود ما را هم همان بود که قلب و فؤاد ماداند ؛ شیخ صدرالدین ابوالمعالی محمد بن اسحاق قونوی از بزرگان علماء تصوف و مشاهیر شاگردان شیخ محی الدین عربی بر مولانا نماز گزارد و از شدت بیخودی و درد پس از سلام شهقهٔ زده از هوش برفت جنازه را بحرمت تمام برگرفته در ارم باغچه نزد ضریح منور پدرش (سلطان العلماء) مدفون ساختند

بروایت افلاکی قاضی سراج الدین ابوالثنا محمد بن ابوبکر ارموی از اجلهٔ علماء عصر در برابر تربت مولانا این بیتها برخواند

کاش آنروز که در پای تو شد خار اجل دست گیتی بزدی تیغ هلاکم برسر
تا درین روز جهان بی تو ندیدی چشمم این منم بر سر خاك تو که خاکم برسر

مدت چهل روز یاران و مردم قونیه تعزیت مولانا میداشتند و با ناله و گریه برفوت آن سعادت آسمانی دریغ و حسرت میخوردند

علم الدین قیصر که بروایت افلاکی از اکابر قونیه بود باسرمایهٔ سی هزار درم همت بست که بنائی بر سر تربت مقدس مولانا بنیاد کند وزیر معین الدین سلیمان بن علی مشهور به پروانه اورا به هشتاد هزار درم نقد و پنجاه هزار درم دیگر حواله مساعدت فرمود و قبهٔ موسوم به خضراء بر مرقد مبارك تأسیس یافت علی الرسم چندقاری و مثنویخوان در سر تربت مولانا بودند. سلطان العلماء پدرش و پنجاه تن از اولاد و جانشینان مولانا آنجا مدفونند .

آثار مولانا

آنمقدار از آثار مولانا را که باقی مانده بدو قسمت منثور (فیه مافیه - مجالس سبعه - مکاتیب) و منظوم (غزلیات - رباعیات - مثنوی) میتوان تقسیم کرد

۱ - فیه مافیه - مجموعهٔ تقریرات مولانا است که در مجالس خود بیان فرموده و پسرش سلطان ولد یا دیگری از مریدان یادداشت کرده و بصورت کتاب در آمده - موضوع فصول و مجالس و نتیجهٔ آنها مسائل اخلاق و طریقت و نکات تصوف و عرفان و شرح و تبیان آیات قرآن و احادیث نبوی و کلمات مشایخست، بسال ۱۳۳۳ هجری قمری در تهران و بعد در هندوستان و شیراز چاپ شده است و ما برای نمونه پارهٔ از موضوعات مختلف آنرا در صفحهٔ ۳۳ آثار مولانا نقل کرده ایم

۲ - مجالس سبعه که عبارت از ۷ مجلس از مواعظ مولانا است که بر سر منبر بیان فرموده و نسخهٔ خطی آن در اسکدار در کتابخانه سلیم آقا محفوظ بوده و سه سال قبل با اجازهٔ آقای ولد چلبی افندی و بسعی آقای محمد فریدون نافذ در استانبول چاپ شده است و ما برای آنکه همه بتوانند بآن دسترسی داشته باشند عین آنرا جزء آثار مولانا نقل کرده ایم

۳ - مکاتیب مولانا - مجموعهٔ مراسلات او بمعاصرین است که اخیراً در استانبول بسعی آقای فریدون نافذ چاپ شده و ما ۷ مکتوب آنرا جزء آثار مولانا انتخاب کرده ایم

۴ - غزلیات - که بنام دیوان شمس معروفست و دوبار در هندوستان چاپ شده در حدود پنجاه هزار بیت میباشد که قسمتی از آثار دیگرانهم با اشعار مولانا مخلوط گردیده - اکثر غزلیات مولانا

باشور وبیقراری ازعشق وارادتیکه بشمس‌داشته ساخته‌شده و بنام شمس‌تبریزی تخلص کرده بقسمی که اگر کسی آگاه نباشد تصور میکند شمس‌شاعری‌بوده که اینهمه‌غزل را بنظم آورده(قریب صد غزل بنام صلاح‌الدین‌وحسام‌الدین وقریب‌دویست‌غزل هم نام خمش یاخاموش درمقطع آن‌ذکرشده) مابرای‌آنکه خوانندگان بسبك غزلیات مولانا آشناباشند ۲۳ غزل گلچین نموده‌درصفحات ۳٤ و ۳۵ چاپ کرده‌ایم.منتخب دیوان شمس که‌بوسیلهٔ‌رضاقلیخان هدایت انتخاب شده چندین‌مرتبه‌درتهران‌چاپ شده‌است

۵ـ رباعیات‌مولانا ـ درمطبعهٔ اختراستانبول‌بسال ۱۳۱۲هجری قمری‌چاپ‌شده متضمن ۱٦۵۹ رباعی‌است که قسمتی از آن بیشك متعلق بمولاناست وقسمتی‌مشکوك میباشد وبرای‌نمونه ۵٤رباعی درصفحه ۳٦ نقل شده‌است

٦ ـ مثنوی چنانکه سابقاً ذکر شد مثنوی را مولانا بخواهش حسام‌الدین چلبی‌شروع فرموده وازسال ٦۵۷ تا ٦٦۰ دفتر اول آنرا برشتهٔ نظم کشید وپس‌ازفترت دوساله‌به‌نظم‌دفتردوم‌پرداخت. تا انتهای دفتر ششم که از جهت مطلب بریده ومقطوع‌ماندو قصه شهزادگان‌بسرنیامده‌مولاناجان‌تسلیم فرمود وسوای ۱۸ بیت آغاز دفتراول که‌بخط مولانا نوشته‌شده بقیه‌را میفرموده‌و حسام‌الدین و سایرمریدان مینوشتند وبعد برای‌مولانا میخواندند اما دفترهفتم با یك‌مراجعهٔ اجمالی‌بابیات آن‌ازحیث‌طرزشعر و الفاظ غریب واعتقاد صاحب‌اسرار بامام‌فخررازی وغیره‌واضحست که‌ازمولانا نیست وما برای اینکه خوبی واستحکام اشعار مولانا واضح گردد بچاپ‌دفتر هفتم بدون‌شرح‌مبادرت ورزیده‌ایم تابدانند که هر که مثنوی‌ساخت مولانانمیشود.مثنوی قریب‌صد مرتبه‌درایران‌وهند واروپاو مصر و ترکیه‌چاپ‌شده‌وملاحسین کاشفی آنراملخص‌وبحسب‌مرام‌مرتب‌ساخته لب‌ولباب‌نامیده‌وچندین‌نفردیگرهم‌قسمتی‌از آنرابنام‌مثنوی‌الاطفال‌و خلاصة‌المثنوی ومنتخبات مثنوی وغیره گلچین نموده‌چاپ کرده‌اند

مثنوی حاضر

این‌بنده دردیماه‌سال۱۳۱٤درصددچاپ‌مثنوی‌برآمده‌وبرآنشدم که‌نسخهٔ‌چاپ‌مرحوم میرزامحمود خونساری‌راکه بتصحیح میرزای جلوه ودیگران رسیده بود عیناً باکشف‌الابیات بطبع‌رسانم اتفاقاً مثنوی خطی کهنه‌ای که بسال ۸٤۳ هجری نوشته شده بدست آمد که متأسفانه‌ازاول وآخرآن چندصفحه‌افتاده‌داشت‌وپس‌ازمقابله معلوم‌شدمثنوی‌محتاج اصلاح بسیاریست،دراین‌اثناآگاه‌شدم که‌نسخهٔ نفیسی‌ازمثنوی‌دراختیارحضرت‌استادی آقای‌سرتیپ‌عبدالرزاق‌مهندس بنایری‌است که بیك‌واسطه از روی‌خط بهاءالدین‌ولد پسر مولانا نوشته شده ونسخهٔ‌خطی‌دیگری ازاستاد معظم آقای ملك‌الشعراء بهار بعاریت گرفته شد که‌مولوی‌عبداللطیف‌با ٤۸ نسخهٔ‌مثنوی‌مقابله کرده وامتیازاتی داشت‌وهمچنین بدورهٔ مثنوی چاپ‌استاد نیکلسن ونسخ‌مرغوب چاپ هند و ایران مراجعه کرده در نتیجه مقابله‌کلیه نسخ فوق‌مثنوی‌حاضربدست‌آمد وبرای‌آنکه‌ابیات ملحقه بمثنوی که درنسخ قدیمه نیست (چون‌حتماً نمیتوان گفت که درمثنوی نبوده) امتیازی‌داشته باشد باعلامت ستاره(*)در جلو آن‌را نشانه کردیم تاخوانندگان محترم بدانند که‌آن‌ابیات دردونسخه کهنه خطی ومتن نسخه‌چاپ نیکلسن‌نیست وازدفترسوم که‌کلیه‌نسخ‌فوق مهیا بودبرای مزیدفایده‌نسخه بدلهائی‌هم درذیل ابیات افزودیم . اماذیل وشرح ابیات مشکله دفترنخستین رایکی‌ازمعاصرین‌نوشته وچون‌مطلوب واقع‌نشددفاتربعدراازروی‌هفت شرح‌مثنوی قدیم که‌حاجی‌سبزواری ومولوی‌عبداللطیف‌وغیرهم‌نوشته‌بودند گردآوردیم که‌همگانرابکارآید دفترهفتم‌را ازاین‌رو چاپ کردیم‌تاپارهٔ کوتاه‌فکران که‌تصورمیکنند مثنوی‌از حیث شعربرجسته‌نیست‌باشتباه‌خودبرخورده‌فرق مابین‌اشعار مولاناودیگرانرا که مثنوی‌هاساخته و هیچیك نتوانسته‌اندباوبرسند ملاحظه کرده باشتباه‌خود واقف گردند وبدانند که مثنوی علاوه‌بر توجه‌بمعنی‌وحقیقت از حیث ظاهر لفظهم آراسته و پیراسته است

پس‌ازخاتمه‌چاپ‌مثنوی درصدد تهیه کشف‌الابیات‌برآمده ودراینراه چهارسال رنج‌بردم ودرنتیجه کشف‌الابیات‌حاضربدست‌آمد که‌بانسخ سابق فرق واضحی‌ازحیث ترتیب منظم وسهولت‌مراجعه ومخلوط نبودن ب و پ و ج و چ و ک و گ و غیره دارد . اما کتاب لطائف‌اللغات‌فرهنگ‌جامعی ازلغات‌مثنوی بقلم‌مولوی‌عبداللطیف میباشد که‌درنتیجه صرف‌عمری درراه مداقه درمثنوی و تدریس آن ومقابله صدهانسخه‌بایکدیگر گردآورده،سابقاً نسخهٔ‌مغلوط‌وناقصی ازآن‌درهند بچاپ‌رسیده بود که‌بامراجعه بنسخ خطی‌نفیس‌تصحیح‌و درآخر کتاب‌ضمیمه گشت.وپس‌ازچاپ‌متن کتاب‌و کشف‌الابیات‌ولغت درصدد تهیه مقدمه برآمده‌برای‌آنکه‌مثنوی کاملا جامع‌باشد علاوه بر فهرست مطالب که بابتدای کتاب افزوده شد تمام مجالس سبعه وقسمتهائی ازسایرآثار مولانا ضمیمه‌شد وعلاوه برمآخذی که‌در ابتدای‌شرح‌حال‌ذکرشده رسالهٔ‌شرح حال بقلم سپهسالار وسه‌دفتر کتاب‌ولدنامه(که‌از آقای‌الفت خریداری‌شده)ومناقب‌العارفین‌هم‌در دسترس‌استفاده قرار گرفت.چهارقطعه‌عکس‌ازمولاناوآرامگاه او از کتاب آقای‌فروزانفر برداشته‌شده‌سه‌قطعه‌درابتدای‌مقدمه وقطعه چهارم دراینجا چاپ میشود

درگاه تربت مولانا

از آقای سیدیعقوب انوار که بامراجعه‌دقیق بمثنوی حاضر بنده راباشتباهات آن‌واقف ساختندوبرای‌تهیه‌غلطنامه‌استفاده‌بسیار کردم وازآقای علی‌قویم که کمکهای‌ذیقیمتی‌نموده‌اند تشکر کرده خداراسپاسگزارم که مقابله و چاپ مثنوی باهمه اشکالاتی که پیدا کرد وموانعی که برای آن پیش‌آمدپس‌از پنج‌سال‌پایان یافت.

دراینجا بامادهٔ‌تاریخی که‌شاعرشیرین گفتارمعاصر آقای‌پژمان‌برای چاپ‌مثنوی‌ساخته‌اندمطلب‌خودراخاتمه‌میدهم۲۰ر۱۲ر۱۹ محمدرمضانی

مثنوی آنشمع یزدانی فروغ — کش‌بود خورشیدحکمت‌زیرظل
کردچون‌ازمطلع‌خاورطلوع — پرتو مهرش فرود آمد به‌دل
خواست‌پژمان‌مطلعی‌خورشیدفر — تاطلوعش را بدان بخشدسجل
لیك چشم طبع و پای دانشش — این‌بتاریکی فروشد آن به گل
یاری‌ازشیخ‌بهائی‌جست‌وخواست — مصرعی خاطر فروزوغم‌گسل
آن‌بزرگ‌آوردسردرجمع‌وگفت — مثنوی باشد چوقرآنی مدل

۱۳۵۸

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلد ششم از دفتر های مثنوي و بينات معنوی که مصباح ظلام وهم و شبهت و خيالات شك و ريبت باشد و اين مصباح را بحسّ حيوانی ادراك نتوان كرد زيرا مقام حيوان اسفل السافلين است كه ايشان را از بهر عمارت صورت عالم اسفل آفريده‌اند و بر حواسّ و مدارك ايشان دايرهٔ كشيده‌اند كه از آن دايره تجاوز نكنند، ذلك تقديرُ العزيز العليم يعنی مقدار رسيدن نظر ايشان و جولان عمل ايشان پديد كرد چنانكه هر ستارهٔ را مقداری است و كارگاهی از فلك كه تا آنحد عمل او برسد و همچون حاكم شهری كه حكم او در آن شهر نافذ باشد پس در ورای توابع آن شهر او حاكم نباشد عصمنا الله من حبسه وختمه و ما حجب به المحجوبين آمين يا رب العالمين وَ صلى اللهُ علي نبينا محمدٍ وَ آلِه و صحبه اجمعينْ .

دفتر ششم مثنوی

ای حیات دل حسام‌الدین بسی — میل می‌جوشد بقسم سادسی ۱ — گشت از جذب چو تو علامهٔ — در جهان گردان حسامی نامهٔ

پیشکش بهر رضایت میکشم — در تمام مثنوی قسم ششم ۲ — پیشکش می آرمت ای معنوی — قسم سادس در تمام مثنوی

شش جهت را نورده زین شش صحف — کی یطوف حوله من لم یطف[1] ۳ — عشق را با پنج و باشش کار نیست — مقصد او جز که جذب یار نیست

بو که فیما بعد دستوری بود[2] — راز های گفتنی گفته شود ۴ — با بیانی کان[3] بود نزدیك تر — زین کنایات دقیق مستتر

راز جز با راز دان انباز نیست — راز اندر گوش منکر راز نیست ۵ — لیك دعوت وارداست از کردگار[4] — با قبول و نا قبول اورا چه کار

نوح نهصد سال دعوت مینمود — دم بدم انکار قومش می‌فزود ۶ — هیچ از گفتن عنان واپس کشید — هیچ اندر غار خاموشی خزید[5]

زانکه از بانگ و علالای سگان — هیچ واگردد ز راهی کاروان ۷ — یا شب مهتاب از غوغای سگ — سست گردد بدر را در سیر تگ

مه فشاند نور و سگ عوعو کند — هر کسی بر خلقت خود میتند[6] ۸ — هر کسی را خدمتی داده قضا — در خور آن گوهرش در ابتلا

چونکه نگذارد سگ آن بانگ سقم — من مهم سیران خود را کی[7] هلم ۹ — چونکه سرکه سرکگی افزون کند[8] — پس شکر را واجب افزونی بود

قهر سرکه لطف همچون انگبین — کاین دو باشد اصل[9] هر اسکنجبین ۱۰ — انگبین گر زانکه کم باشد[10] زخل — اندر آن اسکنجبین آید خلل

قوم بروی سرکها میریختند — نوح را دریا[11] فزون میریخت قند ۱۱ — قند او را بد مدد از بحر جود — پس ز سرکه اهل عالم میفزود

واحد کالالف کبود آن ولی — بلکه صد قرنست آن عبدالعلی ۱۲ — خم که از دریا دراو راهی بود[12] — پیش او جیحونها زانو زند[13]

خاصه آن دریا که دریاها همه — چون شنیدند آن مثال و دمدمه ۱۳ — شد دهانشان تلخ زین شرم و خجل — که قرین شد نام اعظم با اقل

درقران اینجهان با آن جهان[14] — این جهان ازشرم میگردد جهان ۱۴ — این عبارت تنگ وقاصر رتبت است — ورنه خس را با اخص چه نسبت است

زاغ در رز نعرهٔ زاغان زند — بلبل از آواز خوش کی کم کند ۱۵ — پس خریداراست هریك را جدا — در مزاد یفعل الله[15] ما یشاء

نقل خارستان غذای آتش است — بوی گل قوت دماغ سرخوش است ۱۶ — گر پلیدی پیش ما رسوا بود — خوك وسگ را شکر وحلوا بود

گر پلیدان این پلیدیها کنند — ابرها بر پاك کردن می تنند ۱۷ — ورجهانی پرشود از خار وخس — آتشی مجوش کند در یکنفس

گرچه ماران زهر افشان میکنند — ورچه تلخانان پریشان میکنند ۱۸ — نحلها بر کره و کندو و شجر — می نهند از شهد انبار شکر

زهرها هر چند زهری میکنند — زودتر تریاقشان[16] بر میکنند ۱۹ — اینجهان جنگ است چون کل بنگری — ذرّه ذرّه همچو دین با کافری

آن یکی ذرّه همی پرّد بچپ[17] — وآن دگر سوی یمین اندر طلب[18] ۲۰ — ذرّهٔ بالا و آن دیگر نگون — جنگ نعلیشان ببین اندر رکون

جنگ فعلی هست ازجنگ نهان[19] — زاین تخالف آن تخالف را بدان ۲۱ — ذرهٔ کو محو شد در آفتاب — جنگ او بیرون شد از وصف وحساب

چون ز ذرّه محو شد نفس ونفس — جنگش اکنون جنگ خورشیدست وبس ۲۲ — رفت از وی جنبش طبع وسکون — از چه از انا الیه راجعون

ما بیحر نور خود راجع شدیم — واز رضاع اصل مسترضع شدیم ۲۳ — در فروع راه ای مانده ز غول — لاف کم زن از اصول بی اصول

جنگ ما و صلح ما در نور عین — نیست از ماهست بین الاصبعین[20] ۲۴ — جنگ فعلی جنگ طبعی جنگ قول — در میان جزوها حربیست هول

این جهان زین جنگ قائم می بود[21] — در عناصر در نگر تا حل شود ۲۵ — چار عنصر چار استون قویست — که بر ایشان سقف دنیا مستویست

هر ستونی اشکنندهٔ آن دگر — اُستن آب اشکنندهٔ آن شرر ۲۶ — پس بنای خلق بر اضداد بود — لاجرم جنگی شدند ازضرّ وسود

هست احوالت خلاف یکدگر — هریکی با هم مخالف در اثر[22] ۲۷ — چونکه هردم راه خود را میزنی — با دگر کس سازگاری چون کنی

موج لشکرهای احوالت ببین — هریکی با دیگری درجنگ وکین ۲۸ — می نگردد خود چنین جنگ گران — پس چه مشغولی بجنگ دیگران

تا مگر زین جنگ حقت واخرد — در جهان صلح یکرنگت برد ۲۹ — آن جهان جز باقی و آباد نیست — زانکه ترکیب وی از اضداد نیست

این تقانی از ضد آید ضد را — چون نباشد ضد نبود جز بقا ۳۰ — نفی ضد کرد ازبهشت آن بی نظیر — که نباشد شمس وضدش زمهریر[23]

هست بیرنگی اصول رنگها[24] — صلحها باشد اصول جنگها ۳۱ — آن جهانست اصل این پر غم وثاق — وصل باشد اصل هر هجر وفراق

---

۲ ـ رسد ۳ ـ یابیانی که ۵ ـ گزید ۷ ـ چون ۸ ـ شود ۹ ـ رکن ۱۰ ـ پای وادارد ۱۱ ـ یزدان ۱۲ ـ شود ۱۳ ـ قطره شود
۱۵ ـ اندراین بازار یفعل ۱۶ ـ تریاقاتشان ۱۷ ـ سیران شده سوی یسار ۱۸ ـ مطار ۲۲ ـ هنر

---

(۱) تاطواف کند گرد آن ، کسی که نگردیده وطواف نکرده است (٤) اشاره بمضمون آیه واقعه در سورهٔ مائده یا ایهاالرسول بلغ ما انزل الیك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته (٦) مضمون آیه واقعه در سورهٔ بنی اسرائیل قل کل یعمل علی شاکلته (١٤) یعنی جهان جسمانی باجهان روحانی پس عناصر وعنصریات قدر قلیلی اند نسبت بسماوات وسماویات وکل عالم جسمانی مقهورند در عالم نفس کل یعنی مجردات متعلقه از نفوس کلیه وجزئیه سماویه ونفوس کلیه وجزئیه ارضیه وعالم نفس کل درعالم عقول کلیه ومجردات مرسله مقهورند وکل درکبریاء ازل هوالقاهر فوق عباده و جمیع وجود این جهان و آنجهان نور اوست (١٩) جنگ اسماء و صفات لطفیه و قهریه است نفحت این جنبش ازحسن ازل خاست (٢٠) اشاره بحدیث قلب المؤمن بین اصبعین من اصابع الرحمن یعنی دل مؤمن میان دو انگشت از انگشتان قدرت حق است ومراد باصبعین صفت جمال وصفت جلال وبعبارت دیگر لطف وقهر است (٢١) مثل آنکه در عناصر فعل و انفعال و کسر و انکسار چون حاصل شود و سورت کیفیات شکسته شود وکیفیت معتدله واحده پدید آید ومتصف بوحدت وعدل شوند مخلع بخلعت حیات گردند (٢٣) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ دهر لایرون فیها شمساً ولا زمهریرا یعنی نمی‌بینند دربهشت نه گرما ونه سرمای شدید (٢٤) چه وحدت مقدم وقاهر برکثرتست

این تخالف از چه آید وز کجا[1] — وز چه زاید وحدت این اضدادرا ۱
گوهر جان چون ورای فصلهاست — خوی او این نیست خوی کبریاست ۲
طرفه آن جنگی که اصل صلحهاست — شاد آن کاین جنگ او بهر خداست ۳
آب جیحون را اگر نتوان کشید — هم ز قدر تشنگی نتوان برید ۴
فرجه کن چندانکه اندر هر نفس — مثنوی را معنوی دانی[2] و بس ۵
شاخهای تازهٔ مرجان ببین — میوهای رُسته ز آب جان ببین ۶
حرف گوی و حرف نوش و حرفها — هر سه جان گردند اندر[4] انتها ۷
لیك معنیشان بود در سه مقام — در مراتب هم ممیز هم مدام ۸
در جهان روح هر سه منتظر — که ز صورت هارب و که مستقر[5] ۹
پس له الخلق وله الا مرش بدان[6] — خلق صورت امر جان راکب بران ۱۰
چونکه خواهد کاب آید در سبو — شاه گوید جیش جان راکه ارکبوا ۱۱
بعد ازاین باریك خواهد شد سخن — کم کن آتش هیزمش افزون مکن ۱۲
پاك سبحانی که سیستان کند — در غمام حرفشان پنهان کند ۱۳
باری افزون کش تو این بورا بهوش — تاسوی اصلت برد بگرفته گوش ۱۴
تا نیندایند مشامت از اثر — ای هواشان از زمستان سرد تر ۱۵
چون زمین زین برف در پوشد کفن — تیغ خورشید حسامُ الدین بزن ۱۶
برف را خنجر زند آن آفتاب — سیلها ریزد ز کهها بر تراب ۱۷
که چرا جز من نجوم بی هدی[8] — قبله کردی از لئیمی و عمی[9] ۱۸
از قرح[10] در پیش مه بستی کمر — زان همی رنجی[11] ز اشق القمر ۱۹
از ستاره دیده تصریف هوا — تا خوشت آید اذا النجمُ هوی ۲۰
خود مؤثر تر نباشد زُهره زآب — ای بسا آبا که کرد او تن خراب ۲۱
پند ما در تو نگیرد ای فلان — پند تو در ما نگیرد هم بدان ۲۲
این سخن همچون ستاره است و قمر — لیك بی فرمان حق ندهد اثر ۲۳
که بیائید از جهت تا بی جهات — تا نداند شما را گرگ مات ۲۴
هفت چرخ ازرقی دررقّ اوست — بیك ماه اندرتب و در دق اوست ۲۵
در هوای پای بوس او زحل — لیك خود را می نبیند آن محل ۲۶
با منجم این همه انجم بجنگ — کای رها کرده تو جان بگزیده رنگ ۲۷
فکر کو آنجا همه نور است پاك — بهرتست این لفظ و فکر ای فکر ناك ۲۸
جان بیو در مکان کی در رود — نور نا محدود را حد کی بود ۲۹
مثل نبود لیك آن باشد مثیل[17] — تا کند عقل محمد[18] را کسیل[19] ۳۰
عقلشان در عقل دنیا پیچ پیچ — فکرشان در ترك شهوت هیچ هیچ ۳۱
عالمی اندر هنر ها خود نماست — همچو عالم بیوفا وقت وفاست ۳۲
این همه اوصافشان نیکو شود — بد نماند چونکه نیکو جو[21] شود ۳۳
هر جمادی کو کند رو در نبات[23] — از درخت بخت او روید حیات ۳۴
باز جان چون روسوی جانان نهد[24] ۳۵ رخت را در عمر بی پایان نهد

زانکه ما فرعیم و چار اضداد اصل — خوی خود در فرع کرد ایجاد اصل
جنگها بین کان اصول صلحهاست — چون نبی که جنگ او بهر خداست
غالبست و چیر در هر دو جهان — شرح این غالب نگنجد در دهان
گر شدی عطشان بحر معنوی — فرجهٔ کن در جزیرهٔ مثنوی
بادکه را ز آب جو چون واکند[3] — آب یك رنگی خود پیدا کند
چون زحرف وصوت دم یکتا شود — آن همه بگذارد و دریا شود
نان دهندهو نان ستان و نان پاك — ساده گردند از صور گردند خاك
خاك شد صورت ولی معنی نشد — هر که گوید شد تو گویش نی نشد
امر آید در صور رو در رود — باز هم زامرش مجرد می شود
راکب و مرکوب در فرمان شاه — جسم بر درگاه و جان در بارگاه
باز جانها را چو خواهد بر علو — بانگ آید از نقیبان که انزلوا
تا نجوشد دیگهای خرد زود — دیگ ادراکات خرد است وفرود
زین غمام صوت[7] وحرف وگفت وگو — بردهٔ کز سیب ناید غیر بو
بو نگهدار و بپرهیز از زکام — تن بپوش از باد و بود سرد عام
چون جمادندو فسرده وتن شگرف — میجهد انفاسشان از تل برف
هین برآر از شرق سیف الله را — گرم کن زان شرق این درگاه را
زانکه لا شرقی و لا غربیست او — با منجم روز و شب حربیست او
ناخوشت آید مقال آن امین — در نبی که لا احبّ الآفلین
منکری این را که شمس کورت[12] — شمس بیش تست عالی مرتبت
خود مؤثر تر نباشد مه ز نان — ای بسا نانی که ریزد[13] عرق جان
مهر او در جان تست و پند دوست — میزند بر گوش تو بیرون پوست
جز مگر مفتاح خاص آید ز دوست — که مقالید السموات آن اوست[14]
این ستاره بی جهت تأثیر او — میزند بر گوشهای وحی جو
آنچنانکه لمعهٔ دُر پاش اوست — شمس دنیا در صفت خفاش اوست
زهره چنگ مسئلت در وی زده — مشتری بانقد جان پیشش شده[15]
دست وپا مریخ چندین خست ازاو — وان عطارد صد قلم بشکست ازو
جان ویست وما همه نقش[16] ورقوم — کوکب هر فکر او جان نجوم
هر ستاره خانه دارد بر علا — هیچ خانه در نگنجد نجم ما
لیك تمثیلی و تصویری کنند — تا که دریابد ضعیفی عشقمند
عقل سرتیز است لیکن پای سست — زانکه دل ویران شد ست وتن درست
صدرشان دروقت دعوی همچو شرق — صبرشان دروقت تقوی همچو برق
وقت خود بینی نگنجد در جهان — در گلو ومعده گم گشته چونان[20]
گر منی گنده بود همچون منی — چون بجان پیوست گردد[22] روشنی
هر نباتی کو بجان روی آورد — خضروار از چشمهٔ حیوان خورد

سؤال کردن سائلی از واعظی که مرغی بر سر بارو نشست از سر و دُمّ او کدام فاضل تر است و جواب دادن واعظ سائل را

واعظی را گفت روزی سائلی — کای تو منبر را سنی تر قائلی ۳۸ یك سؤالستم بگو ای ذولباب — اندر این مجلس سؤالم را جواب
بر سر بارو یکی مرغی نشست — از سر و دُمش کدامین بهتر[25] است ۳۹ گفت اگر رویش بشهر و دُم بده — روی او از دُمّ او میدان که به

---

۱ ـ مخالف از چه آید آخر شما ۲ ـ بینی ٤ ـ دارند ٥ ـ تا چه امر آید از آن دانای سر ۷ ـ بانگ ۸ ـ نا بکار ۹ ـ کوروار ـ دغا
۱۰ ـ فرح ـ فرج ۱۱ ـ ترسی ۱۳ ـ برّد ۱٥ ـ پیش آمده ۱٦ ـ رنگ ۱۸ ـ مجمد ۲۰ ـ ی تنگ گم گشته زبان ۲۱ ـ خو ۲۲ ـ یابد
۲٥ ـ و از دُم کدامینش به (ن. ل)

---

(۳) چون بادکاه را از آب دور کند آب صفای خود پیدا آرد مدعا اینکه اگر در مطالعهٔ مثنوی جهد بلیغ نمائی ترا صفائی حاصل خواهدشد و از الفاظ بی بمعنی بری و مدعای ذات واحد دریابی (٦) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ اعراف الاله الخلق و الامر تبارك الله رب العالمین (۱۲) اشاره بآیه اذا الشمس کوّرت یعنی روزیکه آفتاب پیچیده و تیره میشود در سورهٔ والشمس است (١٤) اشاره بآیهٔ واقعه در سورهٔ زمر له مقالید السموات والارض (۱۷) مثل شئی آنست که در مهیت و لازم مهیت با شئی شریك باشد و بعبارت دیگر ثانی و مکافی آن شئی باشد و مثال شئی آیت و ظهور آن و بالجمله از صقع آن است نه ثانی وکفو (۱۹) یعنی تا عقل جزئی را وداع کند و آن عقل کل منقب بنقاب بشریت و ناطق بین رآنی مثل اعلی باشد (۲۳) جمادی و نباتی که در صراط انسان است رو بشهر و سواد اعظم دارد و دُم بده دارد بخلاف جماد ونبات وغیر هما که حدّ وقوف دارند ونه درین صراطند (۲٤) آن جان سواد اعظم است که رو بجانان باشد نه رو بعالم کثرت

ور سوی شهر است دُم رویش بده / خاك آن دُم باش و از رویش بجه ۱
مرغ را پر میبرد[1] تا آشیان / پرّ مردم همت است ای مرده‌ان
عاشقی کالوده شد در خیر و شر / خیر و شر منگر تو در همّت نگر ۲
باز اگر باشد سپید و بی نظیر / چونکه صیدش موش باشد حقیر
ور بود جغدی و میل او بشاه / او سر باز است منگر در کلاه ۳
ور همی شیری خورد از مرده خر / سگ بود او شکل شیری کم نگر
ور پلنگ و گرگ را افکند سگ / شیر میدان مرو را بی ریب و شك ٤
آدمی بر گذشت از چرخ واز کوکب بدل
آدمی بر قدر یك طشت خمیر / بر فزود از آسمان و از اثیر ٥
که شنید این آدمی بر فعان / هیچ کرّمنا شنید این آسمان[2]
بر زمین وچرخ عرضه کرد کس / خوبی عقل و عبارات و هوس ٦
خوبی روی واصابت در گمان / جلوه کردی هیچ تو بر آسمان
پیش صورتهای حمّام ای ولد / عرضه کردی هیچ سیم اندام خود ۷
خلوت آری با عجوزی نیم کور[3] / بگذری زان نقشهای هیچ‌حور
در عجوزی چیست کایشان را نبود / کو تو را زان نقشها باخود ربود ۸
عقل و حس و درك و تدبیر است و جان / تو نگوئی من بگویم در بیان
در عجوزه جان آمیزش کنیست / صورت گرمابها را روح نیست ۹
در زمان از صد عجوزت برکند / صورت گرمابه گر جنبش کند
جان چه باشد با خبر از خیر و شر / شاد از احسان و گریان ازضرر ۱۰
هرکه آگاه تر باجان تراست / چون سر وماهیّت جان مخبراست
اقتضای جان چو ای دل آگهی است / هر که آگه تر بود جانش قویست ۱۱
هر کرا این بیش الهمی بود / روح را تاثیر آگاهی بود
خود جهان جان سراسر آگهیست / هرکه بیجانست از دانش تهی است ۱۲
باشد این جانها در آن میدان جماد / چون خبرهاهست بیرون زین نهاد
جان اول مظهر درگاه شد[4] / جان جان خود مظهر الله شد[5] ۱۳
جان تو آمد که جسم آن شدند / آن ملایك جمله عقل وجان بدند
ازسعادت چون بر آن جان برزدند / همچو تن آن روح راخادم شدند[6] ۱٤
یك نشد باجان که عضو مرده بود / آن بلیس ازجان ازآن دربرده[7] بود
چون نبودش آن فدای آن نشد / دست بشکسته مطیع جان نشد ۱٥
کان بدست اوست تاند کردهست / جان نشد ناقص گر آن عضوش شکست
سرّ دیگر هست کو گوش دگر / طوطئی کو مستعد آن شکر ۱٦
طوطیان عام از این خود[8] بسته طرف / طوطیان خاص را قندیست ژرف
کی چشد درویش صورت زان نکات[9] / معنی است آن نی فعولن فاعلات ۱۷
لیك خر آمد بخلقت که پسند / از خر عیسی دریغش نیست قند
قند خر را گر طرب انگیختی / پیش خر قنطار شکر ریختی ۱۸
این شناس اینست رمز و رامهم / معنی نختم علی افواههم[10]
تا ز راه خاتم پیغمبران / بو که برخیزد ز لب ختم گران ۱۹
آن بدین احمدی برداشتند / ختمهائی کانبیا بگذاشتند
قفلهای[11] نا گشاده مانده بود / از دم[12] انا فتحنا بر گشود ۲۰
اینجهان در دین و آنجا درجنان / او شفیع است این جهان و آن جهان
این جهان گوید که تو رهشان نما / وانجهان گوید که تو مهشان نما ۲۱
اهد قومی انهم لا یعلمون[13] / پیشه‌اش اندر ظهور ودر کمون
باز گشته از دم او هر دو باب / در دو عالم دعوت او مستجاب ۲۲
مثل او نی بود و نی خواهند بود / بهر این خاتم شده است او که بجود
چونکه در صنعت برد استاد دست / نی توگوئی ختم صنعت برتواست ۲۳
در جهان روح بخشان حاتمی / در گشاد ختمها تو خاتمی
هست اشارات محمد المراد / کل گشاد اندر گشاد اندر گشاد ۲٤
بر قدوم ودور فرزندان او / صد هزاران آفرین برجان او
آن خلیفه زادگان مقبلش / زاده اند از عنصر جان ودلش ۲٥
بی‌مزاج آب و گل نسل وی اند / گر ز بغداد و هری یا از ری اند
شاخ گل هرجا که میروید گل است / خمّ مل هرجا که میجوشد مل است ۲٦
عین خورشید است نی چیزدگر / گر ز مغرب سر زند خورشید سر
عیب جویان را از این دم کوردار / هم بستاری خود ای کردگار ۲۷
بسته ام من ز آفتاب بی مثال / گفت حق چشم خفاش بدخصال
از نظر های خفاش کم وکاست / انجم و آن شمس نیز اندرخفاست ۲۸
انجم آمد چون مرید و شمس پیر / شمس آمد در یقین بدر منیر

نکوهیدن ناموس های پوسیده که مانع ذوق ایمان و دلیل ضعف صدقند و راه زن صد هزاران ابله نادان

ای ضیاء الحق حسام الدّین بیا / ای صقال روح و سلطان الهدی ۳۱
صورت امثال او را روح ده / مثنوی را مسرح و مشروح ده
تا حروفش جمله عقل و جان شوند / سوی خلدستان جان پرّان شوند ۳۲
سوی دام حرف مستحصر[15] شدند / هم بسعی تو ز ارواح آمدند[14]
باد عمرت درجهان همچون خضر / جانفزا و دستگیر و مستمر ۳۳
تا زمین گردد ز لطفت آسمان / چون خضر و الیاس مانی در جهان[16]
گفتمی از لطف تو جزوی زصد / گر نبودی طمطراق چشم بد ۳٤
زخمهای روح فرسا خورده ام / لیك از چشم بد ز هر آب دم
جز برمز ذکر حال دیگران[17] / شرح حالت می نیارم در بیان ۳٥
که از اویم پای دل اندر گلیست / این بهانه هم ز دستان دلیست
صد دل و جان عاشق صانع شده / چشم بد یا گوش بد مانع شده ۳٦
مینمودش شنعت عربان مهول / خود یکی بوطالب آن عم رسول
که چه گویندم عرب کز طفل خود / او بگردانید دین معتمد ۳۷
در پی احمد چنین بیره برانند / منصب اجداد و آبارا بماند
آن رسول پاك باز مجتبی / از پی آن تا رهاند مرو را ۳۸
تا کنم با حق شفاعت بهر تو / گفتش ای عم یکشهادت تو بگو
گفت لیکن فاش گردد از سماع / کلّ سرٍ جاوز الاثنین شاع[18] ۳۹
من بمانم در زبان این عرب / پیش ایشان خوار گردم زین سبب

---

۱ ـ پا پر میبرد ۳ جلوه آری با عجوزی بی فتور ٦ ـ خادم آن روح چون جسم آمدند ۷ ـ سر برده ـ از بسکه آن پژمرده ۸ ـ از آن خور ۹ ـ زکات ۱۱ ـ قلعه های ۱۲ ـ کف ۱٤ ـ بلند ۱٥ ـ مستحضر ـ مستحقن ـ مستحقر ـ در پست آمدند ۱٦ ـ جاودان (ن . ل)

---

(۲) اشاره است بکریمهٔ ولقد کرّمنا بنی آدم و حملنا هم فی البر والبحر و فضلنا هم علی کثیر ممن خلقنا تفضیلا (٤) جان اول نفس جزوی یا روح حیوانی میتواند بود که مظهر درگاه است و مراد از درگاه تنزل حق که تعین ثانی و مرتبهٔ واحدیت باشد و درین مقام ترقی از ادنی باعلی است (٥) جان جان عبارت از روح انسانی که نفس ناطقه و نفس کل کنایت از آنست میتواند بود که مظهر ذات مطلق است و آن مسمی بعالم غیب هویت و مرتبهٔ احدیت میگردد (۱۰) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ یس الیوم نختم علی افواههم و تکلمنا ایدیهم و تشهد ارجلهم (۱۳) هدایت کن قوم مرا که ایشان نادانند (۱٤) اشاره بمضمون حدیث: کل تقی آلی و والدی من سلك طریقی فرمود هر پرهیز کاری آل منست و فرزند من کسی است که سلوك نماید بر طریقهٔ من (۱۷) خوشتر آن باشد که سرّ دلبران (۱۸) یعنی هر سر و راز که از دو کس تجاوز کند شایع شود وبعضی اثنین را دو لب معنی کرده‌اند

لیك اگر بودیش لطف ماسبق — کی بدی این بد دلی باجذب حق ۱ — الغیاث ای تو غیاث المستغیث — زین دو شاخهٔ[1] اختیارات خبیث
من زدستان و ز مکر دل چنان — مات گشتم که بماندم از فغان ۲ — من که باشم چرخ با صدکاروبار — زین کمین فریاد کرد از اختیار
کای خداوند کریم بُرد بار — ده امانم زین دو شاخهٔ اختیار ۳ — جذب یکراههٔ صراط المستقیم — به ز دو راههٔ تردّد ای کریم
زین دوره گرچه‌همه مقصد توئی[2] — لیك‌خودجان کندن آمد این دوئی ۴ — زین دوره گرچه‌بجزتوعزم نیست — لیك هر گز رزم همچون‌بزم‌نیست
در نبی بشنو بیانش از خدا — آیت اشفقن ان یحملنها[3] ۵ — این تردّد هست در دل‌چون وغا — کاین بود به‌یا که آن حالت مرا
در تردّد میزند بر همه گر — خوف و امید بهی در کرّ وفرّ ۶ — ❀زین تردّد عاقبتمان خیر باد — ای‌خدا مرجان ما را کن تو شاد

مناجات‌و پناه جستن بحق از فتنهٔ اختیار و اسباب آن و بیان شکوهیدن و ترسیدن آسمان و زمین از اختیار

❀ای کریم ذوالجلال مهربان — دائم‌المعروف دارای جهان ۹ — ❀یا کریم العفوحیّ لم یزل — یا کثیرالخیر شاه بی بدل
او لم این جزرومدّ از تو رسید — ورنه ساکن‌بود این بحرای‌مجید[4] ۱۰ — هم از آنجا کاین تردد دادیم — بی تردد کن مرا هم از کرم
ابتلایم میکنی آه الغیاث — ای ذکور از ابتلایت چون‌اناث ۱۱ — تا بکی این ابتلا یا رب مکن — مذهبی ام بخش و ده مذهب‌مکن
اشتری‌ام لاغر و هم پشت ریش — ز اختیار همچوبالان نکل‌خویش[5] ۱۲ — این کژاوه گه شود اینسو گران — آن کژاوه گه‌شود آن‌سو کشان
بفکن از من حمل ناهموار را — تا ببینم روضهٔ انوار[6] را ۱۳ — همچوآن اصحاب کهف ازباغ‌جود — میچرم ز ایقاظ نی بل هم رقود[7]
خفته باشم بر یمین یا بر یسار — بر نگردم جز چو گو بی اختیار ۱۴ — هم بتقلیب تو تا ذات‌الیمین — پا سوی ذات‌الشمال ای رب‌دین
صد هزاران سال بودم درمطار — همچو ذرّات هوا بی اختیار ۱۵ — گرفراموشم شدست‌آن‌وقت‌وحال — یادگارم هست در خواب ارتحال
میرهم زین چار میخ چار شاخ — می جهم در مسرح جان زین‌مناخ ۱۶ — شیر آن ایام ماضی های خود — می چشم از دایهٔ خواب ای‌صمد
جمله عالم ز اختیار و هست خود — میگریزد در سر سرمست خود ۱۷ — تا دمی از هوشیاری وا رهند — ننگ‌خمرو بنگ[8] بر خود می نهند
جمله دانسته که‌این‌هستی فخ است — ذکر و فکر اختیاری دوزخ‌است ۱۸ — میگریزند از خودی در بیخودی — یا بمستی یا بشغل ای مهتدی
نفس را زان نیستی وامیکشی — زانکه بی فرمان شد اندر بیهشی ۱۹ — ❀نیستی باید که آن‌از حق بود — تا که بیند اندر آن حسن احد
لیس للجن و لا للانس ان — تنفذوا من حبس اقطارالزمن ۲۰ — لا نفوذ الا بسلطان الهدی — من تجاویف السموات العلی
لاهدی الا بسلطان یقی — من حراس‌الشهب روح‌المتقی[9] ۲۱ — هیچکس را تا نگردد او فنا — نیست ره در بارگاه کبریا
هست[10] معراج فلك این نیستی — عاشقان را مذهب و دین نیستی ۲۲ — پوستین و چارق آمد از نیاز — در طریق عشق محراب ایاز
گر چه او خود شاه رامحبوب‌بود — ظاهر و باطن لطیف و خوب‌بود ۲۳ — گشته بی کبر و ریا و کینهٔ — حسن سلطان[11] را رخش آیینهٔ
چونکه از هستی خود مفقود شد — منتهای کار او محمود شد[12] ۲۴ — زان قوی تر بود تمکین ایاز — که زخوف از کبر کردی احتراز
او مهذب گشته بود و آمده — کبر را و نفس را گردن زده ۲۵ — یا پی تعلیم میکرد آن حبل — یا برای حکمتی[13] دوراز وجل[14]
یا که دید چارقش ز آن‌شدپسند — کز نسیم نیستی‌هستی است‌بند[15] ۲۶ — تا گشاید دخمه کان بر نیستیست — تابیابد آن نسیم عیش و زیست
❀تا نبندد دخمه براین مردگان — تا یابد بوی عیش‌آن جهان[16] ۲۷ — ملك و مال و اطلس این مرحله — هست بر جان سبك رو سلسله
سلسلهٔ زرّین بدید و غرّه گشت — ماند در سوراخ‌چاهی‌جان زدشت ۲۸ — صورتش جنت بمعنی دوزخی[17] — افعئی پر زهر و نقشش‌گلرخی[18]
گر چه مؤمن را سقر ندهد ضرر — لیك هم بهتر بود زانجا گذر ۲۹ — گر چه دوزخ دوردارد زو نکال — لیك جنت به ورا فی کلّ حال
الحذر ای‌ناقصان زین گلرخی[19] — کو بگاه صبح آمد دوزخی[20] ۳۰ — ❀الفرارای غافلان زان گلشنی — کو حقیقت بد تر است‌از گلخنی
❀زینهار ای‌جاهلان زان گل‌شکر — که بسوزاند دهان را چون شرر ۳۱ — ❀چند گویم من‌ترا کاین انگبین — زهر قتّالست زان دوری گزین
❀لیك تلخ آمد ترا گفتار من — خواب میگیرد ترا زاندار من ۳۲ — ❀خواجه‌آخر یك‌زمان بیدار شو — وز حیات خویش برخوردار شو
❀هین روش‌بر گیر وترك‌ریش کن — ۳۳ — در فنا و نیستی تفتیش کن

حکایت غلام هندو که بخواجه زاده خود پنهان هوس داشت چون دختر را با مهتر زاده عقد کردند غلام رنجور شده میگداخت کس علت او ندانست و او زهرهٔ گفتن نداشت

خواجهٔ را بود هندو بندهٔ — پروریده کرده اورا زندهٔ ۳۶ — علم و آدابش تمام آموخته — در دلش شمع هنر افروخته
پروریده از طفولیت بناز — در کنار لطفش آن اکرام‌ساز ۳۷ — بود هم این خواجه رایك‌دختری — سیم اندامی کشی خوش گوهری

---

٤ ـ مدید ٦ ـ ابرار ٨ ـ زمر ١٠ ـ چیست ١١ ـ روح قدسی ١٢ ـ بُد ١٤ ـ امل ١٦ ـ زندگان ١٧ ـ خود سقر ١٨ ـ چون شکر ١٩ ـ خوش لقا ٢٠ ـ صحبت آمد اژدها(ن. ل)

---

(۱) مراد نکوهش تردد است چنانکه بعد فرماید به زدو راههٔ تردد (۲) زیرا که منتهی الیه اوست وصفات لطفیه و قهریه او انّ الی‌ربك‌المنتهی (۳) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ احزاب «انّا عرضنا الامانة علی‌السموات و الارض و الجبال فابین ان یحملنها و اشفقن منها وحملها الانسان انه کان ظلوماً جهولا» یعنی ما امانت محبت خود را عرض نمودیم بآسمانها و زمینها و کوهها پس سرباز زدند که بردارند او را وترسیدند و قبول کرد او را انسان بدرستی که او ظالم بر خود است و نادان (۵) یعنی اختیار دو شاخ است مثل روح که دو عقل دارد فکری و عملی (۷) آیه شریفه در سورهٔ کهف است و تحسبهم ایقاظاً و هم رقود یعنی گمانداری ایشان را بیداران و ایشان در خوابند (۹) نیست ممکن از برای جن و انس اینکه بیرون روند از حبس اطراف روزگار نیست بیرونشو مگر بقدرت و تسلط هدی و خواست خدا از جوفهای آسمان های بلند و نیست هدایت مگر بسلطانی که نگاه دارد از نگاهبانهای شهابها و مانعهای آسمانی جان متقی را و این مضمون در آیهٔ واقعه در سورهٔ رحمن واقع است یا معشرالجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات‌والارض فانفذوا لاتنفذون الا بسلطان (۱۳) مثل آنکه‌شطح نکند دانای حقانی نگوید و سبحانی نسراید: کند در خواجگی کار غلامی. (۱۵) جلال صوری‌سدّ نسیم نیستی است

چون مراهق گشت[1] دختر طالبان — بذل میکردند کابین گران ۱ — میرسید از جانب هر مهتری — بهر دختر دمبدم خواهش گری
گفت خواجه مال را نبود ثبات — روز آید شب رود اندر جهات ۲ — حسن صورت هم ندارد اعتبار — که شود رخ زرد از یك زخم خار
سهل باشد نیز مهتر زادگی — کو بود غرهٔ بمال از سادگی ۳ — ای بسا مهتر پسر[2] کز شور و شر — شد ز فعل زشت خود ننگ پدر
پر هنر را نیز اگرچه شد نفیس[3] — کم پرست و عبرتی گیر از بلیس ٤ — علم بودش چون نبودش عشق دین — او ندید از آدم الا نقش طین
گرچه دانی دقت علم ای امین — زانت نگشاید دو دیدهٔ غیب بین ٥ — او نبیند غیر دستاری[4] و ریش — از معرّف پرسد از بیش و کمیش
عارفا تو از معرّف فارغی — خود همی بینی که نور بازغی ٦ — کار تقوی دارد و دین و صلاح — که ازو باشد بدو عالم فلاح
کرد یك داماد صالح اختیار — که بد او فخر همه خیل و تبار ۷ — پس زنان گفتند او را مال نیست — مهتری و حسن و استقلال نیست
گفت اینها تابع زهدند و دین — بی زر او گنجیست برروی زمین ۸ — چون بجد تزویج دختر گشت فاش — دست پیمان و نشانی و قماش
پس غلام خواجه کاندر خانه بود — گشت بیمار و ضعیف و زار زود ۹ — همچو بیمار دقی او میگداخت — علت او را طبیبی کم شناخت
عقل میگفتی که رنجش از دل است — داروی تن در غم دل باطل است ۱۰ — آن غلامك دم نزد از حال خویش — گر چه میآمد از او در سینه ریش[5]
گفت خاتون را شبی شوهر که تو — باز پرس اندر خلا احوال او ۱۱ — تو بجای مادری او را بود — کو غم خود پیش تو پیدا کند
چونکه خاتون کرد در گوش اینکلام — روز دیگر رفت نزدیك غلام ۱۲ — پس سرش را شانه میکرد آن ستی — با دو صد مهر و دلال و دوستی
آنچنانکه مادران مهربان — نرم کردش تا درآمد در بیان ۱۳ — گفت امید من از تو این نبود — که دهی دختر به بیگانهٔ عنود
خواجه زادهٔ ما و ما خسته جگر — حیف نبود کو رود جای دگر ۱٤ — خواست آن خاتون زخشمی کامدش — که زند وز بام زیر اندازدش
کو که باشد هندوی مادر غری — که طمع دارد بخواجه دختری ۱٥ — گفت صبر اولی بود خود را گرفت — گفت با خواجه که بشنو این شگفت
این چنین گر آی[6] خائن را ببین — ما گمان برده که باشد او امین ۱٦ — ❀حال خود را اینچنین گفت او مرا — خواستم کز خشم بکشم مر ورا

صبر فرمودن خواجه مادر دختر را که غلام را زجر مکن که من او را بی زجر از این طمع باز آورم بتدبیر که نه سیخ بسوزد و نه کباب خام ماند

گفت خواجه صبر کن اورا بگو — که از او بریم و بدهیمش بتو ۱۹ — تا بمکر[7] این از دلش بیرون کنم — تو تماشا کن که دفعش چون کنم
تو دلش خوش کن بگو میدان درست — که حقیقت دختر ما آن[8] تست ۲۰ — ما ندانستیم ای خوش مشتری — چونکه دانستیم تو اولیتری
آتش ماهم در این کانون ما — لیلی آن ما و هم مجنون ما ۲۱ — تا خیال و فکر خوش بر وی زند — فکر شیرین مرد را فربه کند
جانور فربه شود لبك از علف — آدمی فربه ز عزّ است و شرف ۲۲ — آدمی فربه شود از راه گوش — جانور فربه شود از حلق و نوش
گفت آن خاتون کز این ننگ مهین — خود زبانم می نجنبد اینچنین ۲۳ — اینچنین ژاژی چه خایم بهر او — گو بمیر آن خائن ابلیس خو
گفت خواجه نی مترس و دم دهش — تا رود علت ازاو زین لطف خوش ۲٤ — دفع اورا دلبرا بر من نویس — هل که صحت یابد این باریك ریس[9]
چون بگفت آن خسته را خاتون چنین — می نگنجید از تبختر بر زمین ۲٥ — زفت گشت و فربه و سرخ و شگفت — چون گل سرخ و هزاران شکر گفت
گه گهی میگفت ای خاتون من — که مبادا باشد این افسون[10] و فن ۲٦ — ❀لیك خاتون جزم میگفتش که ما — در پی اینیم فارغ باش ها
❀خواجه چون دید بدش که سرخ و زفت گشت — رفت از وی علت و آمد بگشت ۲۷ — ❀او دلش دادی بتزویر و فسوس — تا فزون مبشد نشاطش چون خروس
خواجه جمعیت بکرد و دعوتی — که همی سازم فرج را وصلتی ۲۸ — تا جماعت مژده میدادند و گال — کای فرج بادت مبارك اتصال
تا یقین شد مر فرج را این سخن — علت ازوی رفت کل از بیخ و بن ۲۹ — بعد از آن اندر شب عشرت[11] بفن — امردی را بست حنّا همچو زن
پر نگارش کرد ساعد چون عروس — ماکیان بنمودش و دادش خروس ۳۰ — مقنعه و حله عروسانه نکو — کنگ امرد را بپوشانید او
شمع را هنگام خلوت زود کشت — ماند هندو با چنان کنگ درشت ۳۱ — هندوك فریاد میکرد و فغان — وز برون نشنید کس از کف[12] زنان
ضرب کف و دف و نعرهٔ مرد و زن — کرد پنهان نعرهٔ آن نعره زن ۳۲ — تا بروز آن هندوك را میفشارد — چون بود در پیش سگ انبان آرد
روز آوردند طاس و بوق زفت — رسم دامادان فرج حمام رفت ۳۳ — رفت در حمام بس رنجور جان — کون دریده همچو دلق توبان
آمد از حمام در گردك فسوس — پیش او بنشست دختر چون عروس ۳٤ — مادرش آنجا نشسته پاسبان — که مبادا کو کند روز امتحان
ساعتی در وی نظر کرد از عناد — وانگهان با هر دو دستش ده بداد ۳٥ — گفت خود کس را مبادا اتصال — با چو تو ناخوش عروس بدفعال[13]
روز رویت همچو خاتونان تر[14] — ۳٦ کیر زشتت شب بتر از کیر خر

در حقیقت حکایت و بیان آنکه هر نفسی همچو آن هندو مبتلا است

همچنین جمله نعیم این جهان — بس خوشست از دور پیش از امتحان ۳۸ — مینماید در نظر از دور آب[15] — چون روی نزدیك آن باشد سراب
گنده پیر است او و از بس چاپلوس[16] — خویش را جلوه دهد چون نو عروس ۳۹ — هین مشو مغرور آن گلگونه اش — نیش نوش آلودهٔ اورا نچش
تا نیفتی چون فرج اندر حرج — صبر کن کالصبر مفتاح الفرج ٤۰ — آشکارا دان نه پنهان دام او — خوش نماید ز اوّلت انعام او
چون بپیوستی بدام ای هوشیار — چند نالی در ندامت زار زار ٤۱ — نام میری و وزیری و شهی — نیست الا[17] درد و مرگ و جان دهی
بنده باش و بر زمین رو چون سمند — چون جنازه نه که بر گردن نهند ٤۲ — جمله را حمال خود خواهد کفور — بار مردم گشته چون اهل قبور

---

۲ ـ بچه ٤ ـ چون نبیند دیده جز دستار ٥ ـ کز چه میآید برو در سینه نیش ۷ ـ مگر ۸ ـ جفت ۹ ـ این تخم بلیس ۱۰ ـ دستان ۱۱ ـ گردك ۱۲ ـ دف ۱۳ ـ خصال ۱٤ ـ زیبا چون نکویان تتر ۱٦ ـ زافسون و فسوس ۱۷ ـ در درونش ـ در نهادش (ن. ل)

---

(۱) وقتی که دختر نزدیك ببلوغ رسید (۳) لغت نفیس هم بمعنی مرغوب و از نفاست میآید و هم معنی حاسد و بخیل میدهد (٦) سفله و حجام را گزا گویند (۱٥) مضمون آیه واقعه در سورهٔ نور « والذین کفروا اعمالهم کسراب بقیعة یحسبه الظمآن ماء حتی اذ جاءه لم یجده شیئا » و آنانکه (بپوشیدند حق راو) نگرویدند بدان عملهای ایشان (که درصورت نیکو نماید) مانند سرابی است بزمین هموار چون آبی مواج پندارد آنرا تشنه روی بوی آرد تا چون برسد نیابد آن منظور را چیزی

بر جنازه هر که رابینی بخواب[1] — فارس منصب شود عالی رکاب ۱
بار خود بر کس منه برخویش نه — سروری را کم طلب درویش به ۲
مرکبی را کاخرش تو ده دهی — که بشهری مانی و ویران دهی ۳
ده دهش اکنون که صدبستانت هست — تانمانی[4] عاجز و ویران پرست ٤
چون نخواهی من کفیلم مر ترا[6] — جنت المأوی و دیدار خدا ٥
تازیانه از کفش افتاد راست — خودفرودآمد زکس آن رانخواست ٦
وربامر حق بخواهی آن رواست[7] — آنچنان خواهش طریق انبیاست ۷
هر بدی که امر او پیش آورد — آن زنیکیهای عالم بگذرد ۸
این سخن پایان ندارد بازگرد — سوی شاه و هم مزاج بازگرد ۹
صورت بد را چو دردل ره دهند — از ندامت آخرش هم ده دهند ۱۰
دیدهٔ ده دادن از دست حزین — ده بدادن زین بریده دست بین ۱۱
توبه میآرند هم پروانه وار — باز نسیان میکشدشان سوی کار[9] ۱۲
چون بیامدسوخت پرّش واگریخت — بازچون طفلان فتادو ملح ریخت[11] ۱۳
بار دیگر سوخت پر[12] واپس بجست — باز کردش حرص دل ناسی و مست ۱٤
کای رخت تابان چوماه شب[14] فروز — وی بصحبت کاذب و مغرور سوز ۱٥

بار بر خلقان نهادند[2] این کبار — زانکه آن تابوت بسر خلقست بار
تا نباید نقرست اندر دو پای — مرکب اعناق مردم را مپای[3]
تا نباید رخت در ویران گشود — ده دهش اکنون که چون شهرت نمود
گر همی خواهی زکس چیزی مخواه — گفت پیغمبر که جنت از اله[5]
تا یکی روزی که گشته بدسوار — آن صحابی زان کفالت شد عیار
داندو بی خواهشی خود میدهد — آنکه از دادش نیاید هیچ بد
کفر ایمان شد چو کفر از بهر اوست — بد نماند چون اشارت کرد دوست
ده مده که صدهزاران دردراوست — زان صدف گرخسته گردد نیز پوست
تا رهد دستان تو از ده دهی — باز رو درکان چو زر ده دهی
ذوق دزدی را چوزن ده میدهد[8] — دزد را چون قطع تلخی میزهد
وقت تلخی عیش را ده میدهند — همچنین قلاب و خونی و لوند
نوردید و بست آنسو بار را[10] — همچو پروانه ز دور آن نار را
خویش را زد بر لهیب شمع زود — بار دیگر بر گمان و طمع سود
همچو هندو شمع را ده میدهد[13] — آن زمان کز سوختن وامیجهد

در بیان عموم آیه کلما اوقدوا نارا للحرب اطفاه الله[15]

باز از یادش رود توبه و انین — کاوهن الرحمن کیدالکافرین[16] ۱۷ کلماهم اوقدوا نارا الوغی — اطفاالله نارهم حتی انطفا
عزم کرده که دلا اینجا مایست — گشته ناسی عزم ز[17] اهل عزم نیست ۱۸ چون نبودش تخم صدقی کاشته — حق بر آن نسیان او بگماشته
گر چه برآتش زنه دل میزنند[18] ۱۹ آن ستاره اش را کف گل میزنند[19]

آتش زدن در شب و کشتن دزد آن را و غفلت آن مرد

رفت دزدی شب بخانهٔ یك بزرگ — از ره پنهان در آمد همچو گرگ ۲۱ ❀سرقهٔ[20] بشنید شب آن معتمد — بر گرفت آتش زنه کاتش زند
صاحب خانه شب آوازی شنید — بر گرفت آتش زنه زد آن وحید ۲۲ میزد آتش بهر شمع افروختن — تا سر آواز را بیند عیان
دزد آمد در زمان پیشش نشست — چون گرفتی سوخته کردیش پست[21] ۲۳ می نهاد آنجا[22] سر انگشت را — تا شرد استارهٔ آتش[23] فنا
خواجه می پنداشت کو خودمی مرد — این نمی دید آنکه دزدش میکشد ۲٤ خواجه گفت این سوخته نمناك بود — میمرد استاره از تریش زود
بسکه ظلمت بود و تاریکی بپیش — می ندید آتش کشی را نزدخویش ۲٥ اینچنین آتش کشی اندر دلش — دیدهٔ کافر نبیند از عمش
چون نمیداند دل دانندهٔ — هست با گردنده گردانندهٔ ۲٦ چون نمیگوئی که روزوشب بخود — بی خداوندی کی آید کی رود
گرد معقولات میگردی بین — اینچنین بی عقلی خود ای مهین ۲۷ خانه با بنا بود معقول تر — یا که بی بنا بگو ای بی هنر[24]
❀خانهٔ با این بزرگی و وقار — کی بود بی اوستادی خوب کار ۲۸ خط با کاتب بود معقول تر — یا که بی کاتب بیندیش ای پسر
جیم گوش و عین چشم و میم فم — چون بود بی کاتبی ای متهم ۲۹ شمع روشن بی ز گیرانندهٔ — یا بگیرانندهٔ دانندهٔ
صنعت خوب از کف شل ضریر — باشد اولی یا ز گیرائی بصیر ۳۰ پس چو دانستی که قهرت میکنند — بر سرت دبوس محنت میزنند
پس بکن دفعش[25] چو نمرودی بجنگ[26] — سوی او کش در هوا تیرخدنگ ۳۱ همچو اسپاه مغول بر آسمان — تیر میانداز دفع نزع جان
یا گریز از وی اگر تانی برو — چون روی چون در کف اوئی گرو ۳۲ در عدم بودی نرستی از کفش — از کف او چون رهی ای دست خوش
آرزو جستن بود بگریختن — پیش عدلش خون تقوی ریختن ۳۳ اینجهان دامست و دانه اش آرزو — در گریز از دامها روی آر زو
چون چنین رفتی بدیدی صدگشاد — چون شدی درضد آن دیدی فساد ۳٤ ❀چون شدی درضد بدانی ضد آن — ضد را از ضد شناسند ای جوان
❀پس پیمبر گفت استفت القلوب[27] ۳٥ گرچه مفتیشان برون گویدخطوب

۲- فکندند ٤- نگردی ۹- نار ۱۰- او زنار را ۱۲- هم ۱٤- شمع دل ۱۷- زانکه ۱۸- زد ولی ۱۹- گشته شد از حق بلی-حق می کشد
۲۰- شرقهٔ ۲۱- کشتی بدست ۲۲- ترهمی کردآن ۲۳- زاضیع آن استاره را کردی ۲٤- کم گهر ۲٥- زود دفعش کن (ن. ل)

(۱) یعنی اگر بخواب بینی که کسی از معروفین را برجنازه گذارده‌اند تعبیرش این است که او سوار منصبی خواهد شد (۳) یعنی مرکبی که گردنهای مردم‌است مپوی (٥) در خبر است که جمعی از صحابهٔ حضرت رسول از آن حضرت طلب و استدعا نمودند که کفیل ایشان شود در دخول بهشت آنحضرت فرمود که کفیل میشوم اگر هرگز از کسی سؤال ننمائید قبول کردند و چنان شد که یکی از آنها در حالت سواری تازیانه از دستش بیفتاد و رفیق دیگر پیاده بود از او نخواست خود پیاده شد و تازیانه از زمین برداشت (٦) و من یتوکل علی‌الله فهو حسبه (۷) چنانکه بموسی فرمود یا موسی از ما بخواه حتی نمك طعامت را (۸) مراد از ده دادن ترك کردن آنفعل باشد و ترك کردن دزد را بزن تشبیه کرده برای اینکه زن جگر ندارد چون ازیك کار خوف بدومیرسد زود آنرا ترك میکند (۱۱) نمکهارا ریخت کلامی‌است که مردم در وقت زمین خوردن کودکان میگویند تا مشغول شده درد را فراموش کنند (۱۳) چنانکه آن غلام شمع را خاموش کرده بود و پس از گرفتاری پشیمان شده بود که‌چرا شمع را خاموش کرده که آن معاملت بر سرش آمد (۱٥) آیه در سورهٔ مائده واقع شده هرگاه برافروختند آتش برای حرب با پیغمبر خدا آن آتش‌را فرو نشانید خدا (۱٦) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ انفال ان‌الله موهن کیدالکافرین یعنی بدرستیکه خدا خوار وسست میگرداند کیدکفار را در بعضی نسخ هم کاذبین است (۲٦) بطریق طنز میفرمایند که چون غلبهٔ حق دانستی اگر میتوانی زود مانند نمرود بجنگ یا همچو سپاه مغل بتیر انداختن دفعش کن یا از وی بگریز یعنی نمیتوانی چنانچه ابیات مابعد مؤید این معنی است (۲۷) طلب فتوی و حکم از دلت کن که آن حجت داخلی و پیغمبر درونی است

در بیان حدیث استفت قلبك و لوافتاك المفتون

گوش کن استفت قلبك از رسول / گر چه مفتی برون گوید فصول ۲ / آرزو بگذار تا رحم آیدش / آزمودی کاین چنین می‌بایدش
چون نتانی جست پس خدمت کنش[1] / تا روی از حبس اودر گلشنش[2] ۳ / دم بدم چون تو مراقب می‌شوی / داد می بینی و داور ای غوی
ور بیندی چشم خود را زاحتجاب / کار خود را کی گذارد آفتاب ٤ / ❀بازران سوی ایاز و رتبتش / وان فضیلت در کمال رفعتش

حسد بردن امیران بر ایاز و نمودن سلطان کیاست او را

چون امیران از حسد جوشان شدند[3] / عاقبت بر شاه خود طعنه زدند ٦ / کاین ایاز تو ندارد سی خرد / جامگی سی امیر او چون برد[4]
شاه بیرون رفت با آن سی امیر / سوی صحرا و کهستان صید گیر ۷ / کاروانی دید از دور آن ملك / گفت میری را که رو ای مؤتفك[5]
رو بپرس آن کاروان را بر رصد / کز کدامین شهر ایدر می‌رسد ۸ / رفت و پرسید و بیامد که ز ری / گفت عزمش تا کجا درماند وی
دیگری را گفت رو ای بوالعلا / باز پرس از کاروان که تا کجا ۹ / رفت و آمد گفت تا سوی یمن / گفت رختش چیست های ای مؤتمن
ماند حیران گفت با میری دگر / که برو واپرس رختِ آن نفر ۱۰ / باز آمد گفت از هر جنس هست / اغلبِ آن کاسهای رازیست
گفت کی بیرون شدند از شهر ری / ماند حیران آن امیر سست پی ۱۱ / ❀آن دگر را گفت رو واپرس هان / تا که کی بوداست نقل کاروان
❀باز گشت و گفت هفتم از رجب / گفت دری چیست تسعیر ای عجب ۱۲ / ❀چون نمیدانست دیگر دم نزد / شه فرستاد آن دگر را زان عدد
همچنین تا سی امیر و بیشتر / سست رای و ناقص اندر کر و فر ۱۳ / ❀هر یکی رفتند بهر یك سؤال / ناقص و عاجز ز ادراك کمال
گفت امیران را که من روزی جدا / امتحان کردم ایاز خویش را ۱٤ / که بپرس آن کاروان را کز کجاست / او برفت این جمله را پرسید راست
بی وصیت بی اشارت یك بیك / حالشان دریافت بی ریبی و شك ۱۵ / هر چه زین سی میر اندر سی مقام / کشف شد زو آن بیکدم شد تمام

مدافعهٔ امرا آن حجت را بشبههٔ جبریانه و جوابدادن شاه ایشان را

پس بگفتندش امیران کاین فنیست / از عنایتهاست کار جهد نیست ۱۷ / قسمت حقست مه را روی نغز / دادهٔ بختست گل را بوی نغز
❀بلکه سلطان چون عنایت میکند / از تفاخر خیمه بر مه میزند ۱۸ / گفت سلطان بلکه آنچه از نقش[6] زاد / ربع تقصیراست و دخل اجتهاد
ورنه آدم کی بگفتی با خدا / رَبَّنا اِنّا ظَلَمنا نَفسنا ۱۹ / خود بگفتی کاین گناه از بخت بود / چون قضا این بود حزم ما چه سود
همچو ابلیسی که گفت اغویتنی / تو شکستی جام و مارا میزنی ۲۰ / بل قضا حق است و جهد بنده حق / همین مباش اعور چو ابلیس خلق
در تردّد مانده ایم اندر دو کر / این تردّد کی بود بی اختیار ۲۱ / این کنم یا آن کنم کی گوید او[7] / که دو دست و پاش بسته است ای عمو[8]
هیچ باشد این تردّد بر سرم / که روم در بحر یا بالا پرم ۲۲ / این تردد هست که موصل روم / یا برای سحر تا بابل روم
پس تردّد را بباید قدرتی / ورنه آن خنده بود بر سبلتی ۲۳ / بر قضا کم نه بهانه ای جوان / جرم خودرا چون نهی بر دیگران
خون کند زید و قصاص او بعمرو / می خورد عمرو و براحمد حدّ خمر ۲٤ / گرد خود برگرد و جرم خود ببین / جنبش از خود بین تو از سایه مبین[9]
که نخواهد شد غلط پاداش میر / خصم را میداند آن میر بصیر ۲۵ / تو عسل خوردی نیاید تب بغیر / مزد روز تو نیاید شب بغیر
در چه کردی جهدکان واتو نگشت / توچه کاریدی که نامد ربع کشت ۲٦ / فعل توکان زاید از جان و تنت / همچو فرزندی بگیرد دامنت[10]
فعل را در غیب صورت میکنند / فعل دزدی را نه داری میزنند ۲۷ / دارکی ماند بدزدی لیك آن / هست تصویر خدای غیب دان
در دل شحنه چو حق الهام داد / کاین چنین صورت بساز از بهر داد ۲۸ / تا تو عالم باشی و عادل قضا / نامناسب چون دهد داور[11] سزا
چونکه حاکم این کند اندر گزین / چون کند حکم احکم این حاکمین ۲۹ / چون بکاری جو نروید غیر جو / قرض تو کردی زکه خواهی[12] گرو
جرم خودرا بر کس دیگر منه / گوش و هوش خود بر این پاداش ده ۳۰ / جرم بر خود نه که تو خود کاشتی / با جزا و عدل حق کن آشتی
رنج را باشد سبب بد کردنی / بد زفعل خود شناس از بخت نی ۳۱ / آن نظر دربخت چشم احول کند / کلب را کهدانی و کاهل کند
متهم کن نفس خود را ای فتا / متهم کم کن جزای عدل را ۳۲ / توبه کن مردانه سر آور بره / که فمن یعمل بمثقال ذرّه[13]
در فسون نفس کم شو غرّهٔ / کافتاب حق نپوشد ذرّهٔ ۳۳ / هست آن ذرات جسمی ای مفید / پیش این خورشید جسمانی پدید
هست ذرّات خواطر وافتکار / پیش خورشید حقایق آشکار ۳٤ / ❀ پیش حق پیداو پیش تو نهان / سرّ غیب است این مکن فکری در آن

حکایت آن صیاد که خودرا در گیاه پیچیده بود و دسته گل و لاله کلاه وار بر سر نهاده تا مرغان گیاه پندارند و دانستن آن مرغ زیرك آن را

رفت مرغی در میان لاله زار[14] / بود آنجا دام از بهر شکار ۳۷ / دانهٔ چندی نهاده بر زمین / وان صیاد آنجا نشسته در کمین
خویش را پیچیده در برگ و گیاه / ❀وز گل و لاله ورا برسر کلاه ۳۸ / در کمین بنشسته و کرده نگاه❀ / تا در افتد صید بیچاره ز راه
مرغك آمد سوی او از ناشناخت / پس طوافی کرد و سوی مرد تاخت ۳۹ / گفت او را کیستی ای سبزپوش / در بیابان در میان این وحوش
گفت مردی زاهدم من منقطع / با گیاه و برگ اینجا مقتنع ٤۰ / زهد و تقوی را گزیدم دین و کیش / زانکه می‌بینم اجل را پیش خویش
مرگ همسایه مرا واعظ شده[15] / کسب و دکان مرا بر هم زده ٤۱ / چون بآخر فرد خواهم ماندن / خو نباید کرد با هر مرد و زن

۱ـ گزین ۲ـ درگلشن یقین ۳ـ از حسد میران چو در جوش آمدند ٤ـ خورد ٦ـ نفس ۷ـ خود کی شود ۸ ـ پای او بسته بود ۱۱ـ دادو ۱۲ـ خواهم ۱٤ـ مرغزار ۱۵ ـ چو واعظ آمده (ن. ل)

---

(۵) مؤتفك بازگرداننده است و همچنین دروغگو و صاحب شك معنی میدهد (۹) موجودات عالم سفلی سایه موجودات علویه‌اند و این نقوش تابع نقوش قضااند پس مراد بسایه بخت باشد که از امور سماویه است و اینها تابع و طفیل آدمی اند (۱۰) پس وجود بخود نسبت دادن باختیار و باقی صفات و افعال را از خود سلب کردن بمنزله نفی ولد است ازخودکه بایدحد بخورد مگر لعان بشود چنانکه در علم فقه مقرراست(۱۳)اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ زلزال که فمن یعمل مثقال ذرة خیراً یره و من یعمل مثقال ذرة شراً یره یعنی هرکه مثقال و مقدار ذرّهٔ خوبی کند خوبی بیند و بدی هم کند بدی بیند

روی خواهم کرد آخر در لحد — آن به آید که کنم خو با احد ۱ — چون زنخرابست خواهندای صنم — آن به آید که زنخ کمتر زنم
ای بزر بفت و کمر آموخته — اخرستت جامهٔ نا دوخته ۲ — رو بخاك آریم کز وی رسته‌ایم — دل چرا در بیوفایان بسته‌ایم
جدّ وخویشانمان قدیمی‌چارطبع[1] — ما بخویش عاریت بستیم طمع ۳ — سالها هم صحبتیّ و همدمی — با عناصر داشت جسم آدمی
روحِ او خود ازنفوس‌وازعقول — روح اصل خویش را کرده نکول ٤ — از نفوس و از عقول پر صفا — نامه میاید بجان ای بی وفا
یارکانِ پنج روزه یافتی — رو زیارات کهن بر تافتی ٥ — کودکان هرچند دربازی خوشند — شب کشانشان سوی خانه می‌کشند
شد برهنه وقت بازی طفل خرد — دزد ناگاهش قبا و کفش برد ٦ — آن‌چنان گرم او ببازی در فتاد — کان کلاه و پیرهن رفتش ز یاد
شب شد و بازیّ او شد بی‌مدد — رو ندارد که سوی خانه رود ۷ — نی شنیدی انما الدّنیا لعب[2] — باد دادی رخت و گشتی مرتعب
پیش از آنکه‌شب شود جامه بجو — روز را ضایع مکن در گفت‌وگو ۸ — من بصحرا خلوتی بگزیده‌ام — خلق را من دزد جامه دیده‌ام
نیم عمر از آرزوی دلستان[3] — نیم عمر از غصهای دشمنان ۹ — جبه رابردآن کله را این ببرد — غرق بازی گشته‌ما چون طفل خرد
نك شبانگاه اجل نزدیك شد — خلّ هذا اللعب بشك[4] لاتعد ۱۰ — هین سوار توبه شو دردزد رس — جامها از دزد بستان باز پس
مرکب توبه عجایب مرکب است — بر فلك تازد بیك لحظه زپست ۱۱ — لیك مرکب را نگه میدار از آن — کو بدزدید آن قبایت ناگهان
تا ندزدد مرکبت را نیز هم ۱۲ — پاس دار این مرکبت را دم بدم

حکایت آن شخص که دزدان قوچ اورا بدزدیدند و بر آن قناعت نکردند بحیله جامهایش را هم دزدیدند

آن یکی‌قچ داشت ازپس میکشید — دزد قچ را برد و حبل او بُرید ۱٤ — چونکه‌آگه‌شدوانشدچپ‌وراست — تا بیابد کان قچ بُرده کجاست
بر سر چاهی بدید آن دزد را — در فغان و گریه و واویلتا ۱٥ — گفت نالان از چهٔ ای اوستاد — گفت همیان زرم در چه فتاد
گر توانی در روی بیرون کشی — خمس بدهم من ترا با دلخوشی ۱٦ — هست در همیان من پانصددرم — گر کنی با من چنین لطف وکرم
صد درم بدهم ترا حالی بدست — گفت با خود این بهای‌ده‌قچ‌است ۱۷ — گر دری در بسته شد ده در گشاد — گر قچی شد حق‌عوض اشتربداد
جامها برکند و اندر چاه رفت — جامها را هم ببرد آن دزد تفت ۱۸ — حازمی باید که ره تا ده برد — حزم نبود طمع طاعون آورد
آن یکی دزدیست فتنه سیرتی — چون خیال اورا بهر دم‌صورتی[5] ۱۹ — کس نداند مکر او الا خدا — در خدا بگریز و واره زین دغا

مناظرهٔ مُرغ با صیاد در ترهب و در معنی‌ترهبی که مصطفی صلی‌الله علیه و آله نهی کرد از آن اُمت خودرا که لا رهبانیة فی‌الاسلام

مُرغ گفتش‌خواجه‌درخلوت‌مایست — دین احمد را ترهّب نیك نیست ۲۲ — از ترهب نهی فرمود آن رسول — بدعتی چون بر گرفتی ای‌فضول[6]
جمعه شرطست و جماعت در نماز — امر معروف و ز منکر احتراز ۲۳ — رنج بد خویان کشیدن‌زیر صبر — منفعت دادن بخلقان همچو ابر
خیرناس ان ینفع‌الناس ای پدر[7] — گیر نه سنگی چه حریقی بامدر ۲٤ — در میان امت مرحوم باش — سنت احمد مهل محکوم باش
چون‌جماعت‌رحمت آمدای‌پسر — جهد کن کز رحمت آری تاج‌سر ۲٥ — در جوابش گفت صیاد عیار — نیست مطلق اینکه گفتی هوشدار
هست تنهائی به از یاران بد[8] — نیك چون با بد نشیند بد شود ۲٦ — زانکه عقل هر که را نبود رسوخ — پیش عاقل همچو سنگست و کلوخ
چون‌حمارست‌آنکه‌نانش‌منیت[9]است — صحبت او عین رهبانیت است ۲۷ — هوش او سوی علف باشدچوخر — بگذر از وی تا نمانی بی هنر
زانکه غیر حق همه گردد رُفات — کلّ آت بعد حینٍ فهوآت[10] ۲۸ — هر چه‌جز آن وجه‌باشدهالك‌است — ملك‌ومالك‌عکس‌آن‌یك مالك‌است
گرچه‌سایه‌عکس‌شخص‌است‌ای‌پسر — هیچ از سایه نتانی خورد بر ۲۹ — هیچ سایه نیست‌بی‌شخصی روان — اصل سایه رو بجو ای کاروان
هین‌ز سایه‌شخص را میکن طلب — در مسبب روگذر کن از سبب ۳۰ — یار جسمانی بود رویش بمرگ — صحبتش شوم است بایدکردترك
حکم او هم حکم قبلهٔ او بود — مرده اش‌دان چونکه مرده‌جوبود ۳۱ — هر که بااین قوم‌باشد راهب‌است — که کلوخ‌و سنگ اوراصاحب‌است
بگذر ازسنگ و کلوخ بیوجود — سوی کان لعل رو از بهر جود ۳۲ — خودکلوخ‌وسنگ‌کس راره زند[11] — زین کلوخان صد هزارآفت‌رسد
گفت مرغش پس جهاد آنگه بود — کاینچنین رهزن میان ره بود ۳۳ — از برای حفظ یاری و نبرد — بر ره نا ایمن آید شیر مرد
عرق مردی آنگهی پیدا شود — که مسافر همره اعدا شود ۳٤ — چون‌نبی‌السیف[12] بوده‌است‌آن‌رسول — امت او صفدرانند و فحول
مصلحت در دین ما جنگ‌و شکوه — مصلحت در دین عیسی غاروکوه ۳٥ — مصلحت داده‌است‌هریك‌راجدا — مصلحت جوگر توئی مرد خدا
گفت آری گر بُود یاریّ وزور — تابقوت برزند بر شرّ و شور ۳٦ — قوتی باید در این ره مردوار — یار میباید در این جا فردوار
چون نباشد قوّتی پرهیز به — در فرار از لایطاق‌آسان‌بجه[13] ۳۷ — صنعت‌این است ای عزیزنامدار — فکرتی کن در نگر انجام کار
یار میجو تا بیابی راه را — ورنه کی دانی تو راه و چاه را ۳۸ — گفت صدق دل بباید کار را — ورنه یاران کم نیابد یار را
یار شو تا یار بینی بی عدد — زانکه بی یاران بمانی بی مدد ۳۹ — دیو گرگست وتو همچون یوسفی — دامن یعقوب مگذار ای صفی

۳ـ دوستان ٦ـ مبتهی ای بوالفضول ۹ـ بی اهلیت ۱۱ـ نزد (ن. ل)

---

(۱) یعنی جدّامی قوی وطبایع اند که طبایع چون قوای فعلیه‌اند ذکوریت دارند و اما اجسام اربعه چون قوای انفعالیه اند که هیولای اولی و ثانیه‌اند و بعبارت دیگر هیولای مجسم باشند امهات اربع اند واما جدّ ابی روح و پدر او عقل کل و نفس کل باشند که آدم بیوفا قطع ارحام حقیقه کرده (۲) در سورهٔ حدید است انماالحیوة الدنیا لعب و لهو (٤) بشّ بمعنی فرح است و دربعضی نسخ الی‌بیتك فعدنوشته‌اندیعنی واگذارید بازی را که بر در تو بر نگردد یا آنکه بسوی خانه مراجعت کن و در نسخه‌ای هم لبسك است و معنی اینطور میشودکه تخلیه کن و واگذاراین بازی را و ملازم باش لباست را که دزد نبرد (٥) خیال مانند جن است که متشکل میشود باشکال مختلفه چه بهر چه روی آری‌رنگ آن پذیرد (۷) حدیث نبوی است خیرالناس من ینفع‌الناس یعنی بهترین مردم کسی است که نفعش بخلق برسد (۸) از کلمات قصار مولا امیرالمؤمنین علیه السلام است وحدةالمرء خیرٌ من جلیس‌السوء (۱۰) هرآینده بعدازهنگامی خواهدآمد(۱۲) حدیث نبوی است فرمود انا نبیّ‌السیف (۱۳) حدیث نبوی است الفرار مالایطاق من سنن‌المرسلین‌یعنی‌گریختن‌ازآنچه طاقت تحملش نیست از طریقه پیغمبران است

گرگ اغلب آن زمان گیرا بود — کز رمه شیشك[1] بخود تنها رود ۱ — آنکه سنت با جماعت ترك کرد — درچنین مسبع زخون خویش خورد
هست سنت ره جماعت چون رفیق — بی ره و بی یار افتی در مضیق ۲ — راه سنت با جماعت به بود — اسب با اسبان یقین خوشتر رود
لیك هر گمراه را همره مدان — غالان خنثه را آگه مدان ۳ — همدل و همدرد جویان احد — همدلی نی کو بود خصم خرد
همرهی نی کو بود خصم خرد — فرصتی جوید که جامهٔ تو برد ۴ — که توانند کردت آنجا نهبهٔ — میرود با تو برای سود خویش
میرود با تو که یابد عقبهٔ — هین منوش از نوش او کان هست نیش ۵ — یا بود اشتر دلی چون دید ترس — گویدت بهر رجوع از راه درس
یار را ترسان کند ز اشتر دلی — این چنین همره عدودان نی ولی ۶ — ❀یار بد ماراست هین بگریز ازو — تا نریزد بر تو زهر آن زشت خو
یار را از ره برد آن راه زن — مرد نبود آنکه افتد زیر زن ۷ — راه جانبازیست در هر عیشه[2] — آفتی در دفع هر جان[3] شیشهٔ
❀راه دین هر گمرهی خودکی رود — حارمی باید که مرد ره بود ۸ — راه دین زان رو پر از شور و شراست — که نه راه هر مخنث گوهراست[4]
در ره این ترس امتحانهای نفوس — کیرم آن گرگت نیابد ز احتیاط ۹ — همچو پیر و یزن بتمییز سبوس — راه چبود پیر نشان پایها — یار[5] چبود نردبان رایها
با غلیظی خر زیاران فقیر — لیك بی جمعیت نبود نشاط ۱۰ — آنکه او تنها براه خوش رود — با رفیقان سیر او صد تو بود
چند زخم چوب و سیخ افزون خورد — در نشاط آید شود قوت پذیر ۱۱ — هر خری کز کاروان تنها رود — بروی آن راه از تعب صد تو شود
آنکه تنها خوش رود اندر رصد — تا که تنها آن بیابان را ببرد ۱۲ — مر ترا میگوید آن خر خوش شنو — گر نهٔ خر اینچنین تنها مرو
گر نباشد یاری دیوار ها — با رفیقان بی گمان خوشتر رود ۱۳ — هر نبی اندر این راه درست — معجزه بنمود و یاران را بجست
گر نباشد یاری حبر و قلم — کی بر آید خانها و انبارها ۱۴ — هر یکی دیوار اگر باشد جدا — سقف چون باشد معلق بر هوا
حق زهر جنسی چو زوجین آفرید[6] — کی فتد بر روی کاغذ ها رقم ۱۵ — این حصیری که کسی میگسترد — گر نه پیوندد بهم بادش برد
این بگفت و آن بگفت از اهتزاز — پس نتایج شد ز جمعیت پدید ۱۶ — ❀درمیان مرغ و صیاد ای عجب — بس شکال افتاد و شد نزدیك شب
❀مرغ را چون دیده برگندم فتاد — بحثشان شد اندر این معنی دراز ۱۷ — مثنوی را چابك و دلخواه کن — ماجرا را موجز و کوتاه کن
مال ایتام است امانت پیش من — نفس او بیطاقت آمد در گشاد ۱۸ — بعد از آن گفتش که گندم زان یکیست — گفت امانت از یتیم بی وصیست
هست دستوری کز این گندم خورم — زانکه پندارند مارا مؤتمن ۱۹ — گفت من مضطرّم و مجروح حال[7] — هست مردار این زمان بر من حلال
ور ضرورت هست هم پرهیز به — ای امین و پارسا و محترم ۲۰ — گفت مُفتی ضرورت هم توئی — بی ضرورت گر خوری مجرم شوی
پس بخورد آن گندم و درفخ بماند — ور خوری باری ضمان آن بده ۲۱ — مرغ بس در خود فرو رفت آن زمان — توسنش سر بستد از جذب عنان
آن زمان که حرص جنبید و هوس — چند او یاسین والانعام خواند ۲۲ — بعد درماندن چه افسوس و چه آه — پیش از آن بایست این دود سیاه
❀آه و دود و ناله آندم کاربند — دمبدم میگو که ای فریادرس ۲۳ — ❀پیش از آن کاین دانه بر تو یخ شود — گرمی حرص تو همچون یخ شود
ابك لی یا باکئی یا ثاکلی — حرص را آواره کن ای هوشمند ۲۴ — کن زمان پیش از خرابی بصره است — بو که بصره وارهد هم زان شکست
ابك لی قبل ثبوری فی النوی[8] — قبل هدم البصرة و الوصل ۲۵ — نُح علی قبلَ موتی واغتفر — لاتنح لی بعدَ موتی واصطبر
بعد طوفان النوی[8] خلّ البکاء[9] ۲۶ — آن زمان که دیو مبشد راهزن — آن زمان بایست یاسین خواندن
پیش از آن کاشکسته گردد کاروان ۲۷ — آن زمان چوبك بزن ای پاسبان

های و هوی کردن پاسبان بعد از بردن دزدان اسباب کاروان را

پاسبانی بود در یك کاروان — حارس مال و قماش آن مهان ۲۹ — پاسبان شب خفت و دزد اسباب برد — رختها را زیر هر خاکی فشرد
روز شد بیدار گشت آن کاروان — رفته دیدند رخت و سیم و اشتران ۳۰ — ❀پاسبان درهی هی و چوبك زدن — گرم گشته خود همو بد راهزن
پس بدو گفتند کای حارس بگو — تا چه شد این رخت و این اسباب کو ۳۱ — گفت دزدان آمدند اندر نقاب — رختها بردند از پیشم شتاب
قوم گفتندش که ای چون تل ریگ[10] — پس چه میکردی چه تو مرد ریگ[11] ۳۲ — گفت من یك کس بدم ایشان گروه — با سلاح و با شجاعت با شکوه
گفت اگر در جنگ کم بودت امید — نعره بایستی زدن که بر جهید ۳۳ — گفت آن دم کارد بنمودند و تیغ — که خمش ورنه کشیمت بی دریغ
آن زمان از ترس من بستم دهان — این زمان پست این دمم که دم زنم ۳۴ — این زمان چندانکه خواهی هی کنم
چونکه عمرت برد دیو فاضحه — بی نمك باشد اعوذ و فاتحه ۳۵ — گر چه باشد بی نمك اکنون حنین — هست غفلت بی نمك تر زان یقین
اینچنین هم بی نمك می نال نیز — که ذلیلان را نظر کن ای عزیز ۳۶ — قادری بیگاه چبود یا بگاه — از تو چیزی فوت کی شد ای اله[12]
گفت لاتأسوا علی مافاتکم[13] ۳۷ — کی شود از قدرتش مطلوب[14] گم

حواله کردن مرغ گرفتاری خودرا بمکر صیاد و صیاد بحرص

گفت آن مرغ این سزای آن بود — که فسون زاهدان را بشنود ۳۹ — گفت زاهد نی سزای آن نشاف — که خورد مال یتیمان از گزاف

۳- دل ۵- پای ۸- التوی ۱۰- آن یکی گفتش که پس ای بی‌هنر ۱۱- تو چه میکردی چه کاره‌ای دگر ۱۴- محکوم (ن. ل)

---

(۱) شیشك لفظ ترکی است و ترکان برهٔ شیر خواره را املك و ۳ ماهه را قوزی و ٦ ماهه را توخلی و یکساله را شیشك و گوسفند کامل را اکج میگویند (۲) زندگی یعنی در هر دم و نفسی (٤) کسی که جوهر ذاتش خنثی باشد مثل آن که نه زن دنیا است نه مرد آخرت (٦) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ والذاریات و من کل شئی خلقنا زوجین (۷) موافق آیه واقعه در سورهٔ بقره فمن اضطر غیر باغ ولاعاد فلا اثم علیه (۹) گریه کن برای من ای گریه کننده و عزا دارندهٔ من پیش از خرابی بصره و موصل نوحه کن بر من پیش از مردن من و ببخش و اگر بدی کرده‌ام و نوحه مکن پس از مرگ من و صبر کن گریه کن پیش از عذاب من در هلاکت و پس از طوفان هلاکت واگذار گریه را (۱۲) چه اشیا چون علم حضوری واجب الوجودند فوت شی از آنها فوت علم اوست و نیز حیثیت وجود حقیقی حیثیت وجوب است و نیز هر چه در مرتبه نفس الامریت پیدا کرد در مطلق نفس الامر دائماً نفس الامریت دارد که تحقق طبیعتی بتحقق فردی از آنست و رفع طبیعت برفع جمیع افراد آنست پس نتوان رفع نفس الامریت از آن کرد برفع آن در غیر مرتبهٔ خود (۱۳) اشاره است بآیه شریفه واقعه در سورهٔ حدید یعنی محزون و متأسف مباشد از آنچه از شما فوت شده

بعد از آن نوحه گری آغاز کرد — که فخ و صیّاد لرزان شد زدرد ۱
کز تناقضهای دل پشتم شکست — بر سرم جانا بیا میمال دست
زیر دست تو سرم را راحتیست — دست تو در شکر بخشی آیتیست ۲
سایهٔ خویش از سر من بر مدار — بی قرارم بی قرارم بی قرار
خوابها بیزار شد از چشم من — در غمت ای رشك سرو و یاسمن ۳
گر نیم لایق چه باشد گردمی — ناسزائی را بپرسی در غمی
مرعدم را خود چه استحقاق بود — که بر او لطفت چنین درهاگشود ٤
خاك گرگین را کرم آسیب کرد — ده گهر از نور حس درجیب کرد
پنج حسّ ظاهر و پنج نهان — که بشر شد نطفهٔ مرده از آن ٥
توبه بی توفیقت ای نور بلند — جز بریش توبه نبود[1] ریشخند
سلطان توبه یك یك بر کنی — توبه سایه است و توماه روشنی ٦
ای ز تو ویران دکان و منزلم — چون ننالم چون بیفشاری دلم
❀چونکه بیتونیست کارم را نظام — بیتو هرگز کار کی گردد تمام ۷
چون گریزم زانکه بیتو زنده نیست — بی‌خداوندیت بود بنده نیست
جان من بستان توای جان را اصول — زانکه بیتو گشته ام ازجان ملول ۸
عاشقم من بر فن دیوانگی — سیرم از فرهنگ و از فرزانگی
چون بدرد شرم گویم رازفاش — چند از این صبر وزحیرو ارتعاش ۹
در حیا پنهان شدم همچون سجاف — ناگهان بجهم ز زیر این لحاف
ای رفیقان راهها را بست یار — آهوی لنگیم و او شیر شکار ۱۰
غیر تسلیم و رضا کو چارهٔ — در کف شیر نر خونخوارهٔ
او ندارد خواب وخورچون آفتاب — روحها را میکند بیخوردو خواب ۱۱
که بیا من باش یا هم خوی من — تا ببینی در تجلی روی من
ور ندیدی چون چنین شیداشدی — خاك بودی طالب احیا شدی ۱۲
گر ز بیسویت ندادست او علف — چشم‌جانت‌چون بماندست‌این‌طرف
گربه‌در سوراخ ازآن‌شد معتکف — که از آن سوراخ او شدمعتلف[2] ۱۳
گربهٔ دیگر همی گردد ببام — کز شکار مرغ یابید او طعام
آن یکی را قبله شد جولاهگی — وان دگر حارس برای جامگی ۱٤
آن یکی بیکار ورو در لامکان — که از آنسوادیش توقوت جان[3]
کار او دارد که حق راشدمرید — بهر کار او ز هر کاری برید ۱٥
دیگران‌چون کودکان‌این‌روز چند — تا بشب بر خاك[4] بازی میکنند
خوابناکی کو زیقظه میجهد — دایهٔ وسواس عشوه اش میدهد ۱٦
رو بخسب ای جان‌که نگذاریم‌ما — که[5] کسی ازخواب بجهاند ترا
هم توخودرا برکنی ازبیخ خواب — همچو تشنه که شنود او بانگ‌آب ۱۷
بانگ آبم من بگوش تشنگان — همچو باران میرسم از آسمان
برجه ای عاشق برآوراضطراب — ۱۸ بانگ آب و تشنه وآنگاه خواب

حکایت آن عاشق که شب بر امید و عدهٔ معشوق بیامد بدان وثاق که اشارت کرده بود و بعضی از شب را منتظر بود تا خوابش ربودمعشوق آمد جیبش را پر گردکان‌نمود ورفت

عاشقی بودست در ایام پیش — پاسبان عهد اندر عهد خویش ۲۱
سالها دربند وصل ماه خود — شاه مات و مات شاهنشاه خود
عاقبت جوینده یابنده بود — که فرج از صبر زاینده بود ۲۲
گفت روزی یار او کامشب بیا — که بیختم از پی تو[6] لو بیا
در فلان حجره نشین تا نیم شب — تا بیایم نیمه شب من بی طلب ۲۳
مرد قربان کرد ونانها بخش‌کرد — چون پدید آمد مهش از زیر گرد
شب درآن‌حجره همی برد انتظار — بر امید وعدهٔ آن یار غار ۲٤
❀منتظر بنشست‌وخوابش‌در ربود — اوفتاد و گشت بی خویش و غنود
❀ساعتی‌بیدار بُد خوابش گرفت — عاشق دل داده راخواب‌ای‌شگفت ۲٥
بعد نصف اللیل آمد یار او — صادق الوعدانه آن دلدار او
عاشق خود را فتاده خفته دید — اندکی از آستین او درید ۲٦
گردکان چندش اندر جیب کرد — که تو طفلی گیر این می‌باز نرد[7]
چون‌سحر ازخواب‌عاشق برجهید — آستین و گردکانها را بدید ۲۷
گفت شاه ماهمه صدق ووفا[8]ست — آنچه بر ما میرسد آنهم ز ماست
ای دل بیخواب ما زان ایمنیم — چون حرس بر بام چوبك میزنیم ۲۸
گردکان ما دراین‌مطحن شکست — هرچه گوئیم از غم خود اندکست
عاذلا چند این صلای[9] ماجرا — پند کم ده بعد از این دیوانه را ۲۹
من نخواهم عشوهٔ هجران شنود — آزمودم چند خواهم آزمود
هر چه غیر شورش و دیوانگیست — اندرین ره روی در بیگانگیست ۳۰
هین بنه بر پایم آن زنجیر را — که دریدم سلسلهٔ تدبیر را
غیر آن جعد نگار مقبلم — گر دو صد زنجیر آری بگسلم ۳۱
عشق‌وناموس‌ای‌برادرراست‌نیست — بردر ناموس ای عاشق مأیست
وقت آن آمد که من عریان شوم — نقش بگذارم سراسر جان شوم ۳۲
ای عدو شرم و اندیشه بیا — که دریدم پردهٔ شرم و حیا
ای بیسته خواب جان از جادوئی — سخت دل یارا که در عالم توئی ۳۳
هین گلوی صبر گیرو مبفشار — تا خنك گردد دل عشق ای‌سوار
تا نسوزم کی خنك گردد دلش — ای دل ما خاندان و منزلش ۳٤
خانهٔ خود را همی سوزی بسوز — کیست آنکس که بگویدلایجوز[10]
خوش بسوزاینخانه راای‌شیرمست — خانهٔ عاشق چنین اولیتر است ۳٥
بعد ازین من سوز را قبله کنم — زانکه شمعم من بسوزش روشنم
خواب را بگذار امشب ای پدر — یکشبی در کوی بیخوابان گذر ۳٦
بنگر آنها را که مجنون گشته‌اند — همچو پروانه بوصلت کشته اند
بنگر این کشتیّ خلقان غرق‌عشق — اژدهائی گشته گوئی حلق عشق ۳۷
اژدهائی نا پدید و دل ربا — عقل همچون کوه را او کهربا
عقل هر عطار کا که شد ازو — طلبها را ریخت اندر آب جو[11] ۳۸
رو کز این جو بر نیائی تا ابد — لم یکن حقا لهُ کفواً احد
ای مزوّر چشم بگشا و ببین — چند گوئی من ندانم آن و این ۳۹
از وبای زرق و محرومی برآ — در جهان حی و قیومی درآ
تا نمی بینم همی بینم شود — وین ندانمهات می دانم بود ٤۰
بگذر ازمستی ومستی بخش باش — زین تلوّن نقل کن در استواش
چند نازی تو بدین مستیّ پست — بر سرهر کوی چندین مست‌هست ٤۱
گر دوعالم پر شود سرمست‌یار[12] — جمله‌یك‌باشند[13]وآن‌یك‌نیست‌خوار
این ز بسیاری نیابد خوارئی — خوار کبود تن پرستی نارئی ٤۲
گر جهان پُر شد ز تاب نور مه — کی کساد آید بر صاحب وله
گر جهان پر شد ز نور آفتاب — کی بود خوارآن‌تف خوش‌التهاب ٤۳
لیك با این جمله بالا تر خرام — چونکه ارض‌الله واسع بود و رام
گرچه این‌مستی چوباز اشهب‌است — برتر از وی درزمین قدس هست ٤٤
مست زابرار ومقرب زان به‌است — بر مقرب شیر اوچون روبه‌است
رو سرافیلی شو اندر امتیاز — در دمندهٔ روح‌و مست مست‌ساز ٤٥
مست را چون دل‌مزاح اندیشه‌شد — این ندانم وآن ندانم پیشه شد

۱ـ چیست جزبرریش توبه ۳ـ قوت‌روان ٤ـ ترحال ٥ـ تا ٦ـ بهر تو من ۷ـ می باز گرد ۸ـصفا ۹ـ صلاح و ۱۰ـ تا گوید مسوز ای‌دلفروز

(۲) یعنی گربه برای آن در سوراخ مقیم شد که روزی او و علف خوری او از آن سوراخ بود و در بعضی نسخ مؤتلف است (۱۱) اشاره بحکایت شیخ فریدالدین عطار است (۱۲) بدیده نابینا فرض است و بدیدهٔ بینا پر است از مستان او (۱۳) چون یك قبله و یك پیشه‌اند

این ندانم وان ندانم بهرچیست — تابگوئی[1] آنکه میدانیم کیست ۱ — نفی بهر ثبت باشد در سخن — نفی بگذار و ز ثبت آغاز کن
نیست این و نیست آن هین واگذار — آنکه آن هستست آنرا پیش آر ۲ — ❀نفی بگذار وهمان[2] هستی طلب — ترك ومطرب را بگو واحوال شب
نفی بگذار و همان هستی برست ۳ — این بیاموزای پدرزان ترك مست

استدعای امیر ترك مخمور مطرب را بوقت صبوح و معنی حدیث اِنَّ لله تعالی شراباً اعدّه لاولیائه اِذا شَرِبوا سَکروا و اذا سَکروا طَرِبوا[3] الخ[4] وقوله تعالی اِنَّ الابرار یَشربون من کاس کان مزاجها کافوراً[5]

می در خُم اسرار از آن میجوشد — تا هر که مجرّد است از آن می نوشد
این می که تو میخوری حرام است — ما می نخوریم جز حلالی
جهد کن تا ز نیست هست شوی — و از شراب خدای مست شوی[6]

اعجمی ترکی سحر آگاه شد — وز خمار خمر مطرب خواه شد ۹ — مطرب جان مونس مستان بود[7] — نُقل و قوت وقوّت مست آن بود
مطرب ایشان را سوی مستی کشد — باز مستی از دم مطرب چشد ۱۰ — آن شراب حق بدان مطرب برد — وین شراب تن از این مطرب جرد
هر دو گر یك نام دارد در سخن — لیك فرقست[8] این حسن تا آن حسن[9] ۱۱ — اشتباهی هست لفظی در میان[10] — لیك خود کو آسمان کو ریسمان
اشتراك لفظ دایم رهزن است — اشتراك گبر و مؤمن در تن است ۱۲ — جسمها چون کوزهای بسته سر — تا که در هر کوزه چبود درنگر
کوزهٔ این تن پر از آب حیات — کوزهٔ آن تن پر از زهر ممات ۱۳ — گر بمظروفش نظر داری شهی — ور بظرفش عاشقی[11] تو گمرهی
لفظ را مانندهٔ این جسم دان — معنیش در اندرون مانند جان ۱۴ — دیدهٔ تن دائما تن بین بود — دیدهٔ جان جان بر فن بین بود
پس ز نقش لفظهای مثنوی — صورتش ضالست و هادی معنوی ۱۵ — در نُبی فرمود کاین قرآن زدل — هادی بعضی و بعضی را مضل
اللهُ الله چونکه عارف گفت می — پیش عارف کی بود معدوم شئی ۱۶ — فهم تو چون بادهٔ شیطان بود — کی ترا فهم[12] می رحمان بود
این دو انبازند مطرب با شراب — این بدان و آن بدین دارد شتاب ۱۷ — پر خماران از دم مطرب چرند — مطربانشان سوی میخانه برند
آن سر میدان واین پایان اوست — دل شده چون گوی در چوگان اوست ۱۸ — درسر آنچه هست گوش آنجا رود — در سرار صفراست آن سوداشود
بعد از آن این دو بیهوشی روند — والد و مولود آنجا یك شوند ۱۹ — چونکه کردند آشتی شادی و درد — مطربان را تُرك ما بیدار کرد
مطرب آغازید بیتی خوابناك — که اَنِلنی اُلکاسَ یامن لاارالك ۲۰ — انت وجهی لاعجب اَن لا اراه — غایةُ القرب حجاب الاشتباه
انتَ عقلی لاعجب اِن لم اَرك — من وُفورِ الالتباسِ المشتبك[13] ۲۱ — جئتُ[14] اقرب انت من حبل الورید — لم اُقل یا یا نداء للبعید
بَل اُغاثِلطهم اُنادی فی القفار — کی لا کِتم من معی ممن اَغار[15] ۲۲ — ❀این سخن پایان ندارد ای عزیز — بشنو اکنون نکته ای صاحب تمیز

آمدن ضریر بخانهٔ پیغمبر علیه السلام و گریختن عایشه و پنهان شدن

اندر آمد پیش پیغمبر ضریر — کای نوا بخش تنور از هرخمیر ۲۴ — ای تو مبرِ آب و من مستسقیم — مستغاث المستغاث ای ساقیم
چون درآمد آن ضریر از درشتاب — عایشه بگریخت بهر احتجاب ۲۵ — زانکه واقف بود آن خاتون پاك — از غیوریّ رسول رشك ناك
هر که زیبا تر بود رشکش فزون — زانکه رشك از ناز خیزد پابنون ۲۶ — گنده پیران شوی راقنّا دهند — چونکه از پیری و زشتی آگهند
چون جمال احمدی درهر دوکون — کی بُدست ای فرّ یزدانیش عون ۲۷ — نازهای هر دو کون او را رسد — غیرت آن خورشید صد تورا رسد
که در افکندم بکیوان گوی را — در کشیدای اختران زو روی را ۲۸ — در شعاع بی نظیرم لا شوید — ورنه پیش نور[16] من رسوا شوید
از کرم من هر شبی غائب شوم — کی روم الا نمایم که روم ۲۹ — تا شما بی من شبی خفاش وار — پر زنان پرّید[17] گرد این مطار
همچو طاوسان پری عرضه کنید — باز سُست ومنکرو معجب شوید[18] ۳۰ — بنگرید آن پای زشت از امتیاز — همچو چارق کو بود شمع ایاز
رو نمایم صبح بهر گوشمال[19] — تا نگردید از منی زاهل شمال ۳۱ — ترك کن زیرا درازاست این سخن — نهی کردست از درازی امر کن

امتحان کردن حضرت رسول صلی الله علیه و آله عایشه را که چرا پنهان میشوی که او تورا نمی بیند

گفت پیغمبر برای امتحان — او نمی بیند ترا کم شو نهان ۳۳ — کرد اشارت عایشه با دستها — او نبیند لیك من بینم ورا
غیرت عقل است بر خوبی روح — پر ز تمثیلات و تشبیه ای نصوح ۳۴ — با چنین پنهانئی که روح راست — عقل بروی اینچنین رشکین چراست
از که پنهان میکنی ای رشك خو — آنکه پوشیدست نورش روی او[20] ۳۵ — میرود بی روی پوش این آفتاب — فرط نور اوست رویش را نقاب

۱ـ بدانی ۲ـ بگذر از نفی ای پسر ۳ـ طابوا ۸ـ شتان ۱۰ـ بیان ۱۱ـ بنگری ۱۲ـ وهم ۱۳ـ المشترك ۱٤ـ حیث ۱٦ـ روی ۱۷ـ گردید ۱۸ـ لحظهٔ برهستی و مستی زنید ـ مست و سرکش و معجب شوید (ن. ل)

---

(٤) بدرستیکه خدای تعالی را شرابی است مهیا ساخته و آماده فرموده برای دوستدارانش وآن شراب محبت وتجرید و تفریدامت چون بنوشند مست شوند و هستی وهمی و خیالی نا پدید شودوبجز هستی حقیقی در نظر نیاید و چون مست شوند خوشحال گردند بنا بر حصول فنا وبقا (٥) آیه واقعهٔ در سورهٔ دهر است (٦) این بیت از حدیقه سنائی است (۷) این بطریق تعمیم واقع شده و در دو بیت بعد تفصیل مستان کرده میفرمایند که بعضی مستان از آن عالم اندکه مطرب ایشان را بسوی می میکشد و باعث مستی میشود و باز یك قسم مستی هست که بی سعی مطرب از دم او میچشد و در کسب فیض محتاج بمطرب نیست وآن شراب حق بدان مطرب می برد یعنی مطرب را مستی می بخشد واین یعنی مستی که مطرب اورا سوی مستی میکشد شراب تن از این مطرب مجرد یعنی از مطرب فیض حاصل میکند چنانچه ابیات ما بعد مؤید این معنی است (۹) اشاره بقصهٔ شاعر و صله دادن شاه در دفتر چهارم است (۱٥) بده مرا جامای آنکه تو را نمی بینم تو روی منی عجب اگر نمی بینم روی خود را که غایت نزدیکی باعث حجاب اشتباهست تو عقل منی عجب نیست اگر نمی بینم ترا از بسیاری اشتباه میانه یا مشتبه از حیثیتی که تو نزدیك تری بمن از رگ گردنم نمیخوانم ترا یعنی خطاب بلفظ یانمیکنم که یاء ندا بجهت خطاب بعید است بلکه بغلط می اندازم ایشان را وفریاد میکنم در بیابانهای بی آب و گیاه تا پنهان شود کسی که با من است از کسی که غیرت میکنم او را (۱۹) والسماء ذات الرجع همچنین نور ولایت مطلقه دربروج نفوس کلیه الهیه در سیر است (۲۰) ای تو مخفی از ظهور خویشتن ❀ وی رخت پنهان بنور خویشتن

از که پنهان میکنی ای رشك‌ور — کافتاب او را[1] نمی بیند اثر ۱ — رشك‌ازآن افزونتراست‌اندر تنم — کز خودش خواهم که پنهانش کنم

ز آتش رشك گران آهنگ من — با دوچشم و گوش‌خوددرجنگ‌من ۲ — چون چنین‌رشکیست ای‌جان‌ودل — پس دهان بر بند و گفتن رابهل

ترسم ارخامش کنم آن آفتاب[2] — از سوی دیگر بدرّاند حجاب ۳ — در خوشی گفت ما اظهر شود — که ز منع آن میل افزونتر شود

گر بغرّد بحر غرّش کف شود — جوش احببتُ لان[3] اعرف‌شود ٤ — حرف گفتن بستنِ آن روزنست — عین اظهار سخن پوشیدنست

بلبلانه نعره زن بر روی گل — تا کنی مشغولشان از بوی گل ٥ — تا بقل مشغول گردد گوششان — سوی روی گل نپرّد هوششان[4]

پیش‌آن‌خورشیدکوبس‌روشن‌است ٦ — در حقیقت هر دلیلی رهزن‌است

آغاز کردن مطرب این غزل را در بزم امیر ترك

گلی یا سوسنی یاسرو یا ماهی نمیدانم — ازین آشفتهٔ بیدل‌چه میخواهی نمیدانم[5]

و خطاب کردن ترك که آنچه میدانی‌بخوان و جواب مطرب‌امیررا

مطرب آغازید نزد ترك مست — در حجاب نغمه اسرار الست ۱۰ — می ندانم که چه میخواهی زمن

می ندانم تا چه خدمت آرمت — تن زنم یا در عبارت آرمت ۱۱ — ای‌عجب گر نیستی از من جُدا — من ندانم من کجایم تو کجا

می ندانم که مرا چون میکشی — گاه در بر گاه در خون میکشی ۱۲ — همچنین لب در ندانم باز کرد — می ندانم می ندانم ساز کرد

چون‌زحدّ شد می ندانم‌ازشگفت — ترك مارا زین حراره دل گرفت ۱۳ — بر جهید آن‌ترك‌ودّ بوسی کشید — با علیها[6] بر سر مطرب دوید[7]

گرز را بگرفت سرهنگی بدست — گفت نی مطرب کشی ایندم‌بداست ۱٤ — گفت این تکرار بیحد و مرش — کوفت طبعم را بکوبم بر سرش

قلتبانا می ندانی که مخور — ز آنچه میدانی بگو مقصود بر ۱٥ — آن بگو ای گیج که میدانیش — می ندانم می ندانم در مکش

چون بگویم ازکجائی کی[8] مری — تو بگوئی نی ز بلخم نز هری[9] ۱٦ — ❀نه‌ز هند و نه ز روم ونه‌زچین — نه ز شام و نه عراق و باردین

نه ز بغداد و نه موصل نه طراز — درکشی در نی و نی راه دراز ۱۷ — خود بگو تا از کجائی باز ره — هست تنقیح مناط این جایگه

یا بپرسم که چه خوردی ناشتاب — تو بگوئی نه شراب و نه کباب ۱۸ — ❀نه بقول و نه پنیر و نه بصل — نه ز شیر و نه ز شکر نه عسل

نه قدید و نه ثرید و نه عدس — آنچه خوردی آن بگو تنها وبس ۱۹ — این سخن‌خائی درازازپهر چیست — گفت مطرب زانکه‌مقصودم‌خفیست

می رمد اثبات پیش از نفی تو — نفی کردم تا بری ز اثبات بو ۲۰ — در نوا آرم بنفی این ساز را — چون بمیری مرگ گوید راز را

در معنی حدیث موتواقبل ان تموتوا وتفسیر بیت حکیم سنائی

بدبر ایدوست پیش از مرگ‌اگر می زندگی‌خواهی — که ادریس ازچنین مردن بهشتی‌گشت پیش از ما[10]

جان بسی کندی و اندر پردهٔ — زانکه مردن اصل بُد ناوردهٔ ۲۳ — تا نمیری نیست جان کندن تمام — بی کمال نردبان نائی ببام

چون ز صد پایه دو پایه کم بود — بام را کوشنده نا محرم بود ۲٤ — چون رسن یك‌گرزصدگز کم بود — آب اندر دلو از چه کی رود

غرق این کشتی نیائی ای امیر — تا که تنهی اندرو من‌الاخیر ۲٥ — من آخر اصل دان کان‌طارقست — کشتی وسواس وغمی را غارقست

آفتاب گنبد ازرق شود — کشتی هش چونکه مستغرق شود ۲٦ — چون نمردی‌گشت جان‌کندن دراز — مات شو در صبح ای شمع‌طراز

تا نگشتند اختران ما نهان — دانکه پنهانست خورشید جهان ۲۷ — گرز بر خود زن منی‌را درشکن — زانکه پنبهٔ گوش آمد چشم تن

گرز بر خود میزنی هم ای دنی — عکس تست اندر فعالم این منی ۲۸ — عکس خود در صورت‌من دیدهٔ — در قتال خویش در پیچیدهٔ[11]

همچو آن شیری‌که درچه شد فرو — عکس خودراخصم‌می[12]پنداشت‌او ۲۹ — نفی ضدّ هست باشد بیشکی — تا ز ضدّ ضد را بدانی اندکی

این زمان جز نفی‌ضدّ اعلام‌نیست — اندر این نشئه دمی بیدام نیست ۳۰ — بی حجابت باید آن ای ذولباب — مرگ را بگزین و بردرآن‌حجاب

نی چنان‌مرگی که درگوری روی — مرگ‌تبدیلی که در سوری روی[13] ۳۱ — مرد چون بالغ شدآن طفلی‌بمرد — رومئی شد صبغهٔ زنگی سترد

خاك زر شد هیأت خاکی نماند — غم فرح شد خار غمناکی نماند ۳۲ — مصطفی زین گفت کای‌اسرارجو[14] — مرده را خواهی که بینی‌زنده تو

میرود چون زندگان برخاکدان — مرده وجانش شده بر آسمان ۳۳ — جانش را ایندم ببالا مسکنیست — گر بمیرد روح اورا نقل نیست

زانکه‌پیش از مرگ‌اوکردست نقل — این بمردن فهم آید نی بعقل ۳٤ — نقل باشد نی چو نقل جان عام — همچو نقلی از مقامی تا مقام

هرکه خواهد کو ببیند بر زمین — مرده را کو میرود ظاهر یقین[15] ۳٥ — مر ابو بکر تقی را گو ببین — شد ز صدّیقی امیرالصادقین[16]

اندرین نشات نگر صدّیق را — تا بحشر افزون کنی تصدیق را ۳٦ — پس محمد صد قیامت بود نقد — زانکه حل‌شد در فنائش حلّ وعقد

زادهٔ ثانیست احمد در جهان[17] — صد قیامت بود او اندر عیان ۳۷ — زو قیامت را همی پرسیده‌اند — کای قیامت تا قیامت راه چند

۱ـ ازوی ۳ ـ بان ٦ـ تا علیها ـ با علالا ۸ـ من بپرسم کز کجائی هی ۱۱ـ برجوشیدهٔ ۱۲ـ خود ۱۳ نوری شوی ۱٥ـ چنین ۱٦ـ المحشرین

(۲) جواب است از برای آنکه گفتن را فرمود بهل بچند وجه‌اول آنکه نور حق غیر متناهی است پنهان نتوانش کرد دوم آنکه در خموشی ما از گفت اظهرشود که درمنع‌از چیزی‌میل بآن بیشتر گردد و سیم آنکه تو میخواهی پنهانش کنی وخود احببت ان اعرف فرموده چهارم آنکه سخن گفتن اظهار نور او نیست که سخن قاصر است و بوجهی پرده پوشی‌است مگر بقوت او و بلسان او پنجم آنکه اگر رشك ممدوح داری نسبت بقاصران و ضریران سخن بگو که به قال مشغول شوند از تماشای جمال (٤) از بوی گل غافل شوند و متوجه ظاهر گردند (٥) این شعر مطلع غزلی است از رضی الدین نشابوری (۷) علیها را چندین معنی کرده اند « محصل ـ خلاصه ـ مبهم » و حکایت ذیل هم راجع بعلیها شایع است : شبهای تعطیل در ماوراءالنهر جمعی از طلبه جمع شده طلبهٔ بیکاره و تنبلی را عمامهٔ بزرگی بر سر نهاده و بر متکای صدارت و تدریس متکی سازند و اسم او را ملا گرازی گذارند و اجزاء چند بدست گرفته نزد او آیند و سخنهای بی پا و لغو گفته و کم‌کم بر مغز او کوفته و میگویند بگو ضمیر علیها بچه بر میگردد و بهمین ترتیب مسخرگی نمایند (۹) یا معرفت انسان این است که نه سنگ است و نه کلوخ و نه آسمان و نه ریسمان و مثل اینها بخلاف اثبات که جسمی است نامی متحرك بالاراده حساس و ناطق خاصه معرفت خواص بآن (۱۰) ازحدیقه سنائی‌است (۱٤) یعنی سرممای مرده زنده و زنده مرده(۱۷) ولادت ثانیه در اصطلاح صوفیه بیرون آمدن سالك است از مشیمهٔ طبیعت و احکام آن

با زبان حال میگفتی بسی[1] که زمحشر حشر را پرسد کسی ۱ بهراین گفت آن رسول خوش‌پیام رمز موتوا قبل موت یا کرام[2]
همچنانکه مرده ام من قبل موت زانطرف آورده‌ام این صیت‌وصوت ۲ پس قیامت شو قیامت را ببین دیدن هرچیز راشرط است این
تا نگردی این ندانیش تمام خواه کان انوار باشد یا ظلام ۳ عقل گردی عقل را دانی کمال عشق گردی عشق را بینی جمال
نار گردی نار را دانی یقین نور گردی هم بدانی آن واین ۴ گفتمی برهان براین دعوی مبین گر بدی ادراك اندر خورد این
هست انجیراین طرف بسیار خوار گر رسد مرغی قنق انجیر خوار ۵ در همه عالم اگر مرد و زنند دم بدم در نزع و اندر مردنند[3]
این سخنها را وصیتها شمر که پدر گوید درآن دم با پسر ۶ تا بروید رحمت و عبرت بدین تا ببرّد بیخ بغض ورشك و کین
تو بدان نیت نگر در اقربا تا ز نزع او بسوزد دل ترا ۷ کل آت آت آنرا نقد دان دوست را در نزع و اندر فقد دان
ور غرضها زین نظر گردد حجیب این نظر[4]هارا برون افکن زجیب ۸ درنیاز[5] خشك وبرعجزی مایست زانکه با عاجز گزیده معجزیست
عجز زنجیریست زنجیرت نهاد چشم در زنجیر نه باید گشاد ۹ پس تضرّع کن که‌ای‌هادی زیست باز بودم بشه[6] گشتم این زچیست
سخت‌تر افشرده ام در شر قدم که لفی خسرم ز قهرت دم بدم[7] ۱۰ از نصیحتهای تو کر بوده ام بت‌شکن دعوی و بت‌گر بوده ام
یاد صنعت فرض تر یا[8] یاد مرگ مرگ مانند خزان تواصل برگ ۱۱ سالها این مرگ طبلك میزند گوش تو بیگاه جنبش میکند

تشبیه مغفلی که عمر ضایع کند و در نزع بیدار شود بماتم اهل حلب

گوید اندر نزع از جان آه مرگ این‌زمان کردت‌ز خود آگاه‌مرگ ۱۳ این گلوی مرگ از نعره گرفت طبل او بشکافت ازضرب‌ای‌شگفت
در دقایق خویش را در تافتی ۱۴ رمز مردن این زمان دریافتی

رسیدن شاعر بحلب روز عاشورا و حال معلوم نمودن و نکته‌گفتن و بیان حال‌کردن

روز عاشورا همه اهل حلب باب انطاکیه اندر تا بشب ۱۶ گرد آید مرد و زن جمعی‌عظیم ماتم آن خاندان دارد مقیم
تا بشب نوحه کنند اندر بکا شیعه عاشورا برای کربلا ۱۷ بشمرند آن ظلمها و امتحان کز یزید وشمر دید آن خاندان
ازغریو ونعره‌ها در سر گذشت[9] پر همی‌گردد همه صحرا ودشت ۱۸ یك غریبی شاعری از ره رسید روز عاشورا و آن افغان شنید
شهررا بگذاشت وانسورای کرد قصد جست‌وجوی آن هیهای‌کرد ۱۹ پرس پرسان میشد اندر افتقاد چیست این‌غم برکه این ماتم فتاد
این رئیسی زفت باشد که بمرد اینچنین مجمع نباشد کار خرد ۲۰ نام او والقاب او شرحم دهید که غریبم من شما اهل دهید
چیست نام وپیشه واوصاف او تا بگویم مرثیهٔ الطاف او ۲۱ مرثیه سازم که مرد شاعرم تا ازاینجا برگ و لالنگی برم
آن یکی گفتش که تو دیوانهٔ تو نهٔ شیعه عدوّ خانهٔ ۲۲ روز عاشورا نمیدانی که هست ماتم جانی که از قرنی بهست
پیش‌مؤمن‌کی بود این قصه خوار قدر عشق گوش عشق گوشوار ۲۳ پیش مؤمن ماتم آن پاك روح شهره ترباشد زصد طوفان نوح

نکته گفتن آن شاعر جهت شیعهٔ حلب

گفت آری لیك کو دور یزید کی بداست آن‌غم‌چه‌دیر اینجا رسید ۲۵ چشم کوران آن خسارت‌را بدید گوش کران اینحکایت را بشنید
خفته بودستید تا اکنون شما که کنون جامه دریدید از عزا ۲۶ پس عزا بر خود کنیدای‌خفتگان زانکه بدمرگیست این‌خواب‌گران
روح سلطانی ز زندانی بجست جامه چون دریم وچون خائیم‌دست ۲۷ چونکه ایشان خسرودین بوده اند وقت شادی شد چو بگسستند بند
سوی شادروان دولت تاختند کنده و زنجیر را انداختند ۲۸ دور ملکست وگه[10] شاهنشهی گر تو یکذره از ایشان آگهی
ور نهٔ آگه برو بر خود گری زانکه در انکار نقل و محشری ۲۹ بر دل ودین خرابت نوحه کن چون نمی بیند جز این خاك کهن
ور همی بیند چرا نبود دلبر پشت دار وجان سپار وچشم سبر ۳۰ در رخت کو ازبی[11]دین فرّخی گر بدیدی بحر کو کفّ سخی
آنکه جو دید آبرا نکند دریغ ۳۱ خاصه آن کو دید دریا را و میغ

تمثیل حریص بردنیا بموری نابیننده رزّاقی حق و خزاین رحمت او راکه بدانهٔ از خرمنی می کوشد وسعت آن خرمن را نمی بیند

مور بردانه از آن لرزان شود کو ز خرمنهای پر اعمی بود ۳۴ می کشد یکدانه‌راز[12]حرص وبیم چون نمی بیند چنان چاش عظیم
صاحب خرمن همی گوید که هی ای زکوری پیش تو معدوم شئی ۳۵ تو زخرمنهای ما آن دیدهٔ کاندر آن دانه بجان پیچیدهٔ
ای‌بصورت ذرّه کیوان‌را ببین[13] مور لنگی رو سلیمان را ببین ۳۶ تو نهٔ این جسم بل آن دیدهٔ وارهی از جسم گر جان دیدهٔ
آدمی دیدست و باقی لحم وپوست هرچه‌چشمش دیده‌است‌آن‌خیر[14]اوست ۳۷ کوه را غرقه کند یك خم زنم منفذی گر[15] باز باشد سوی یم
چون بدریا راه شد از جان خم خمّ با جیحون بر آرد اشتلم ۳۸ زین سبب قل گفتهٔ دریا بود گر چه نطق احمدی گویا بود[16]
گفتهٔ او جمله دُرّ بحر بوذ که دلش را بود در دریا نفوذ ۳۹ داد دریا چون زخمّ ما بود چه عجب گر ماهی از دریا بود
چشم حس‌افسرده[17] بر نقش‌قمر[18] تو قمر می بینی و او مستقر ۴۰ این‌دوئی اوصاف دیدهٔ احولست ورنه اوّل آخر آخر اوّلست

٤ـ غرض ٥ـ ورنیاری ٦ ـ بسته ٨ـ از ٩ ـ نمر هاشان میرود در ویل و دشت ١٠ـ روز عیش است‌وگش‌و١١ ـ می ١٢ـ آن دانه را با ١٤ ـ چیز ١٥ـ چشم خم چون ١٨ـ ممر (ن. ل)

---

(١) قال‌النبی انا والساعة کهاتین فرمود من و قیامت مثل این دو انگشت‌ایم پس اشاره بانگشت وسطی و سبابه فرمودند یعنی با هم متصل هستیم یعنی میان من و قیامت هیچ پیغمبری فاصل نیست (٢) اشاره بحدیث نبویست که فرمود موتوا قبل ان‌تموتوا یعنی بمیرید پیش از مرگ طبیعی یعنی موت اختیاری گزینید و حالت مردگان ببینید (٣) اشاره است بآیهٔ واقعه در سورهٔ ق «بل هم فی لبس من خلق جدید» (٧) اشاره بآیهٔ والعصر انّ الانسان لفی خسر الاالذین آمنوا و عملوا الصالحات (١٤) تعبیر از انسان ناقص بمور و از انسان کامل بصاحب خرمن نمود و انسان ناقص بالقوه تواند صاحب خرمن و بحر باشد لهذا فرمود بصورت نه بمعنی و ذرّهٔ از اسماء مور است چنانکه عالم ذر باین معنی است (١٦) خم که اتصال بدریا دارد دریاست در حدیث است که انّ روح المؤمن لاشد اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها (١٧) یعنی چشم حس فشار یافته که انگشت بگذاری بزیر چشم که وضع حدقه تغییر کند و قمر دو بنماید بر نقش قمر است و تو که چشمت بوضع طبیعی است قمر حقیقی بینی و او مستقر قمر بی اصل را قمر بیند

❀هین گذر از نقش خم درخم نگر — کاندر او بحریست بی پایان وسر ۱ — ❀پاك از آغاز وآخر آن عذاب[1] — مانده محرومان زقهرش در عذاب[2]
❀اینچنین خم را تو دریادان یقین — زنده از وی آسمان و هم زمین ۲ — ❀گشته دریائی دوئی درعین وصل — شد ز سو دربیسوئی درعین وصل
❀بلکه وحدت گشته اورا دروصال — شد خطاب او خطاب ذوالجلال ۳ — ❀بعد ازآن گوید حقم منصوروار — تا شود بردار شهرت او سوار
❀تاچنین سر درجهان ظاهر شود — مقبل اندر جستجو ماهر شود ٤ — ❀تافزاید در جهاد و کوشش او — تا میسر گرددش دیدار هو
❀اهل دل همچونکه جودروی روان — بی دوئی یك گشته در دریای جان ٥ — هی زچه معلوم گردد این زبعث — بعث را کم جو کن اندربعث بحث
شرط روز بعث اول مردن است — زانکه بعث از مرده زنده کردن است[3] ٦ — جمله عالم زین غلط کردند راه — کز عدم ترسند و آمد آن پناه
از کجا جوئیم علم از ترك علم — ازکجا جوئیم سلم از ترك سلم ۷ — ازکجا جوئیم هست ازترك هست — ازکجا جوئیم دست[4] ازترك دست
هم تو ثانی کرد یا نعم المعین — دیدهٔ معدوم بین را هست بین ۸ — دیدهٔ کو از عدم آمد پدید[5] — ذات هستی را همه معدوم دید
این جهان منتظم محشر بود — گر دو دیده مبدل و انور شود ۹ — زان نماید آن حقایق نا تمام — که براین خامان بود فهمش حرام
نعمت جنات خوش بر دوزخی — شد محرم گرچه حق آمد سخی ۱۰ — در دهانش تلخ گردد شهد خلد — چون نبود از وافیان عهد خلد
مر شما را نیز در سوداگری — دست کی جنبد چو نبود مشتری ۱۱ — کی نظارهٔ اهل بخریدن بود — آن نظارهٔ گول گردیدن بود
پرس برسان کاین بچند وآن بچند — از بی تغییر[6] وقت و ریشخند ۱۲ — از ملولی کاله میخواهد ز تو — نیست آنکس مشتری وکاله جو
کاله را صد بار دید و باز داد — جامه کی پیمود او پیمود باد ۱۳ — کو قدوم و کر و فر مشتری — کو مزاج گنگلی و سر سری
چونکه در ملکش نباشد حبهٔ — جز پی گنگل چه جوید حبهٔ ۱٤ — در تجارت نیستش سرمایهٔ — پس چه شخص زشت او چه سایهٔ
مایه در بازار این دنیا زر است — مایه آنجا عشق ودو چشم تراست ۱٥ — هرکه او بیمایه در بازار رفت — عمر رفت وباز گشت او خام وتفت
هی کجا بودی برادر هیچ جا — هی چه پختی بهر خوردن هیچ با[7] ۱٦ — مشتری شو تا بجنبد دست من — لعل زاید معدن آبست من
مشتری گرچه که سست وبارد است — دعوت دین کن که دعوت وارد است ۱۷ — باز پران کن حمام روح گیر — در ره دعوت طریق نوح گیر
خدمتی میکن برای کردگار — با قبول و رد خلقانت چه کار ۱۸

سحوری زدن شخصی بردر سرای خالی نیمشب و اعتراض معترض و جواب دادن او را

آن یکی میزد سحوری بر دری — درگهی بود و رواق مهتری ۲۰ — نیمشب میزد سحوری را بجد — گفت او را قائلی کای مستمد[8]
اولا وقت سحر زن این سحور — نیمشب نبود که این شر وشور[9] ۲۱ — دیگر آنکه فهم کن ای بوالهوس — کاندر این خانه درون خود هست کس
کس در اینجا نیست جز دیو وپری — روزگار خود چه یاوه میبری ۲۲ — بهر گوشی میزنی دف گوش کو — هوش باید تا بداند هوش کو
گفت گفتی بشنو ازچاکر جواب — تا نمانی در تحیر و اضطراب ۲۳ — گرچه هست این دم بر تو نیمشب — نزد من نزدیك شد صبح طرب
هر شکستی نزد من پیروز شد — جمله شبها پیش چشمم روز شد ۲٤ — پیش تو خونست آب رود نیل — پیش من آبست نی خون ای نبیل
درحق تو آهن است آن ورخام — پیش داود نبی موم است و رام ۲٥ — پیش تو کو بس گرانست وجماد — مطربست او پیش داود اوستاد
پیش تو آن سنگ ریزه ساکنست — پیش احمد بس فصیح وقانت است ۲٦ — پیش تو استون مسجد مرده ایست — پیش احمد عاشق دل برده ایست
جمله اجزای جهان پیش عوام — مرده و پیش خدا دانا و رام ۲۷ — وانچه گفتی کاندر این قصر وسرا — نیست کس چون میزنی این طبل را
بهر حق این خلق زرها میدهند — صد اساس خیر و مسجد می نهند ۲۸ — مال وتن در راه حج دور دست — خوش همی بازند چون عشاق مست
هیچ میگویند کان خانه تهیست — این سخن کی گوید آن کش آگهیست ۲۹ — پرهمی بیند سرای دوست را — آنکه از نور الهستش ضیا
بس سرای پر زجمع و انبهی — پیش چشم عاقبت بینان تهی ۳۰ — هرکه را خواهی تو درکعبه بجو[10] — تا بروید در زمان پیش تو او
صورتی کو فاخر و عالی بود — او زبیت الله کی خالی بود[11] ۳۱ — او بود حاضر منزه از رتاج — باقی مردم برای احتیاج
هیچ میگویند کاین لبیکها — بی ندائی میکنیم آخر چرا ۳۲ — ❀کو ندا تاخود تو لبیکی دهی — از ندا لبیك تو چون شد تهی
بلکه توفیقی که لبیك آورد — هست هر لحظه ندائی از احد ۳۳ — من بیو دانم که این قصر وسرا — بزم جان افتاد و خاکش کیمیا
مس خود را برطریق زیرو بم — تا ابد بر کیمیا اش میزنم ۳٤ — تا بجوشد زین چنین ضرب سحور — در در افشانی زبخشایش بحور
خلق در صف قتال و کار زار — جان همی بازند بهر کردگار ۳٥ — آن یکی اندر بلا ایوب وار — وان دگر در صابری یعقوب وار
❀آن یکی چون نوح دراندوه وکرب — وان دگر چون احمد اندرصف حرب ۳٦ — ❀این زدنیا چون ابوذر برحذر — وان دگر در استقامت چون عمر
صد هزاران خلق تشنه و مستمند — بهر حق از طمع جهدی میکنند ۳۷ — منهم از بهر خداوند غفور — میزنم بر در بامیدش سحور
مشتری خواهی که ازوی زر بری — به زحق که باشد ای جان[12] مشتری ۳۸ — میخرد از مالت انبانی نجس — میدهد نور ضمیر مقتبس
می ستاند این یخ[13] جسم فنا — می دهد ملکی برون از وهم ما ۳۹ — میستاند قطرهٔ چندی ز اشك — میدهد کوثر که آرد قند رشك
می ستاند آه پر سودا و دود — می دهد هرآه را صد جاه وسود ٤۰ — ❀نقد آور تا کنی سودی از آن — نسیه را بگذار تا نکنی زیان
باد آهی[14] کابر اشك چشم راند — مرخلیلی را بدان اواه[15] خواند ٤۱ — هین در این بازار گرم بی نظیر — کهنها بفروش و ملك نو بگیر
ورترا شکشی و ریبی ره زند — تاجران انبیا را کن سند ٤۲ — بسکه افزود آن شهنشه بختشان — می نتاند که کشیدن رختشان

۱ـ مستطاب ٤ـ سبب ٦ـ تعبیر ۷ـ شوربا ۸ـ مستند ۹ـ افغان مکن ای ناصبور ۱۲ـ ایدل ۱۳ـنجس ۱٤ـ پادشاهی (ن . ل)

---

(۲) عذاب اولی بمعنی گوارا و دومی عقاب است (۳) یعنی لفظ بعث از این مأخوذ است و این معنی آنست پس باید اول موت اختیاری باشد تا بعد زندگی حقانی باشد (٥) رسیدن بهر مقام شامخی سرمایه میخواهد❀ تکیه بر جای بزرگان نتوان زد بگزاف (۱۰) که همه اولیا که بحسب وجود کلیت دارند در عرفات روز عرفه جمعند و چنانکه بسیط الحقیقه کل الوجود مکة ام القری و حکم المکین الی المکان سری (۱۱) یعنی صورت اولیاء از بیت‌الله معنوی که قلبشان عرش الله است خالی نیست کعبه هم از اولیا خاصه در آن روز خالی نیست (۱٥) انه لاواه حلیم در سورهٔ توبه و هود است

قصهٔ بلال حبشی و شوق او و رنجانیدن خواجه او را و معلوم کردن صدیق حال اورا

تن فدای خار میکرد آن بلال — خواجه اش میزد برای گوشمال ۲ — که چرا تو یاد احمد[1] میکنی — بندهٔ بد مُنکر دین منی
می زد اندر آفتابش او بخار — او احد میگفت بهر افتخار ۳ — تا که صدّیق آن‌طرف برمیگذشت — آن احد گفتن بگوش او برفت
چشم او پر آب شد دل پُرعنا — زان احد می یافت بوی آشنا ٤ — بعد از آن خلوت بدیدش پندداد — کز جهودان خفیه میدار اعتقاد
عالم السرّ است پنهان دار کام — گفت کردم توبه پیشت ای همام ٥ — روز دیگر از پگه صدیق تفت — آنطرف ازبهر کاری می برفت
باز أحد بشنید وضرب زخم خار — برفروزید از دلش شور[2] وشرار ٦ — باز پندش داد وباز او توبه کرد — عشق آمد توبهٔ او را بخورد
توبه کردن زین نمط بسیار شد — عاقبت از توبه او بیزار شد ۷ — فاش کرد اسپرد تن را در بلا — کای محمد ای عدوّ توبها
ای تن من وی رگ من پرزتو — توبه را گنجا کجا باشد در او ۸ — توبه‌را زین پس زدل بیرون کنم — از حیات خلد توبه چون کنم
عشق قهاراست ومن مقهور عشق — چون قمرروشن شدم ازنور[3] عشق ۹ — برگ کاهم پیش تو ای تند باد — من چه دانم تاکجا خواهم فتاد
گر هلالم ور بلالم میدوم — مقتدی بر آفتابت میشوم ۱۰ — ماه را بازفتی و زاری چه‌کار — در پی خورشید پوید سایه وار
با قضا هر کو قراری میدهد — ریش خند سبلت خود میکند ۱۱ — کاه برگی پیش باد آنگه قرار — رستخیزی وانگهانی فکر کار[4]
گربه در انبانم اندر دست عشق — یکدمی بالا و یکدم پست عشق ۱۲ — او همی گرداندم بر گرد سر — نی بزیر آرام دارم نی زبر
عاشقان در سیل تند افتاده اند — بر قضای عشق دل بنهاده اند ۱۳ — همچو سنگ آسیا اندر مدار — روز وشب گردان ونالان بیقرار
گردشش برجوی‌جویان شاهداست — تانگوید کس که‌آن‌جو راکداست ۱٤ — گر نمی بینی تو جو را در کمین — گردش دولاب گردونی ببین
چون‌قراری‌نیست‌گردون‌را ازاو[5] — ای دل اختر وار آرامی مجو ۱٥ — گر زنی در شاخ دستی کی هلد — هر کجا پیوند سازی بگسلد
گر نمی بینی تو تدبیر[6] قدر — در عناصر گردش وجوشش نگر ۱٦ — زانکه گردشهای‌آن‌خاشاك وکف — باشد از غلیان بحر با شرف
باد سرگردان ببین اندر خروش — پیش امرش موج دریا بین بجوش ۱۷ — آفتاب و ماه دو گاو خراس — گرد میگردند و میدارند پاس
اختران هم خانه خانه می دوند — مُرکب هر نحس وسعدی میشوند ۱۸ — اختران چرخ گر دورند هی — وین حواست کاهلند وسست پی
اختران چشم وگوش وهوش ما[7] — شب کجایند و به بیداری کجا ۱۹ — گاه درسعد و وصال ودلخوشی — گاه در نحس و فراق و بیهشی
ماه گردون‌چون‌درین گردیدن‌است — گاه تاریك و زمانی روشن‌است ۲۰ — گه بهاروصیف‌همچون شهدوشیر — که سیاستهای برف[8] و زمهریر
چونکه کلیات پیش‌او چوگوست — سخره وسجده کن چوگان اوست ۲۱ — توکه یکجزوی دلا زین صدهزار — پیش حکمش چون نباشی بیقرار
چون ستوری باش در حکم امیر — گه درآخر حبس وگاهی در مسیر ۲۲ — چونکه برمیخت بیندد بسته باش — چون گشاید چابك و برجسته باش
آفتاب ار بر فلك کژ میجهد — در سیه روئی کسوفش میدهد ۲۳ — کز ذنب پرهیزکن هین هوشدار — تا نگردی تو سیه رو دیگ وار
ابر را هم تازیانهٔ آتشین — میزند هان که چنین روئی چنین ۲٤ — برفلان وادی ببار این‌سو مبار — گوشمالش میدهد که گوش دار
عقل تو از آفتابی بیش نیست — اندرآن فکری‌که نهی آمد مایست ۲٥ — کز منه ای عقل توهم گام‌خویش — تا نباید آن کسوفت رو ببیش
چون گنه کمتر بود نیم آفتاب — منکسف بینی و نیمی نور تاب ۲٦ — که بقدر جرم می گیرم[9] ترا — این بود تقدیر در داد و جزا[10]
خواه نیك وخواه بد فاش وستیر — بر همه اشیا سمیعیم و بصیر ۲۷ — زین گذر کن ای‌پدر نوروز شد — خلق از اخلاق‌خوش بدفوزشد[11]
باز آمد شاه ما در کوی ما — باز آمد آب جان در جوی ما ۲۸ — میخرامد بخت و دامن میزند[12] — نوبت توبه شکستن میزند[13]
توبه را بار دگر سیلاب برد — فرصت آمد پاسبان را خواب‌برد ۲۹ — هرخماری مست‌گشت وباده خورد — رخت را امشب گرو خواهیم‌کرد
زان شراب لعل ولعل جان فزا — لعل اندر لعل اندر لعل ما ۳۰ — باز خرّم گشت مجلس دلفروز — خیز و دفع چشم بداسپند سوز[14]
نعرهٔ مستانه خوش میآیدم — تا ابد جانا چنین می بایدم ۳۱ — نك هلالی با بلالی یار شد — زخم خار او گل و گلزار شد
گر ز زخم خار تن غربال شد — جان و جسمم گلشن اقبال شد ۳۲ — تن به پیش زخم خار آن جهود — جان من مست وخراب آن ودود
بوی جانی سوی جانم میرسد — بوی یار مهربانم میرسد ۳۳ — از سوی معراج آمد مصطفی — بر بلالش حبذا آن حبذا

باز گفتن صدّیق صورت حال بلال را نزد حضرت رسول صلی‌الله علیه و آله وسلم

چونکه صدّیق از بلال‌دم دُرست — این شنید از توبهٔ او دست‌شست ۳٥ — بعد از آن صدّیق نزد مصطفی — گفت حال آن بلال باوفا[15]
کان فلك پیمای میمون‌فال چست — این زمان از عشق اندردام‌تست ۳٦ — باز سلطان‌است‌زان جغدان برنج — درحدث‌مدفون‌شده‌است‌آن‌زفت‌گنج
جغد ها بر باز استم میکنند — پرّ و بالش بی گناهی میکنند ۳۷ — جرم اواین‌است‌کوباز است وبس — غیر خوبی جرم یوسف‌چیست پس
جغد را ویرانه باشد زاد و بود — هستشان‌برباز از آن خشم جهود ۳۸ — ❀ که چرا می یاد آری تو ازآن — لاله زار و جویبار و گلستان
یا چرا یادت بود از آن دیار — یا ز قصرو ساعد آن شهریار ۳۹ — در ده جغدان فضولی میکنی — فتنه و تشویش در میافکنی
مسکن مارا که شد رشك اثیر — تو خرابه دانی و خوانی[16] حقیر ٤۰ — شیدآوردی که تا جغدان ما — مر ترا سازند شاه و پیشوا
وهم و سودائی‌در ایشان می تنی — نام این فردوس ویران میکنی ٤۱ — بر سرت چندان زنیم‌ای بدصفات — تا بگوئی ترك شید و ترّهات
پیش مشرق چار میخش میکنند — تن برهنه شاخ خارش میزنند ٤۲ — از تنش صد جای خون‌برمیجهد — او احد میگوید و سر مینهد

۱ـ یاد محمد ۲ـ سوز ۳ـ شکر شیرین شدم از شور ٦ـ تدویر ۸ـ بحر ۹ـ می بینم ۱۰ـ دار الجزا ۱۲ـ شد خرامان بخت و دامنها کشان ۱۳ـ زو عیان ۱٥ـ صفا ۱٦ـ خوانی و نامی (ن. ل)

---

(٤) زیرا روز درو است نه روز کشت و هنگام پاداش است نه هنگام کار (٥) بیقرار درعشق اوست (۷) یعنی اگر آیات آفاقی دورند پس تدبر کن در آیات انفسی (۱۱) در بعضی نسخ (از خلاق خود فیروز شد) و معنی بافوز غلبه و هجوم است و یکی از معانیش پیراهون دهن ازجانب بیرون آمده واینجا بطریق کنایه میشود (۱٤) پیش منما جمال شهر افروز❀ چون‌نمودی برآن سپند بسوز❀ آن جمال توچیست مستی تو وان سپند تو چیست هستی تو

پند ها دادم که پنهان دار دین — سر بپوشان از جهودان لعین ۱
عاشقی و توبه یا امکان صبر — این محالی باشد ای جان بس سطبر ۲
عشق ز اوصاف خدای بی نیاز — عاشقی بر غیر او باشد مجاز ۳
چون رود نور وشود پیدا دخان — بفسرد عشق مجازی آن زمان ۴
وارود آن حسن سوی اصل خود — جسم ماند گنده و رسوا و بد ۵
نی در او نوری بود نی زندگی — نی جمالش ماند و فرخندگی ۶
قلب را کان زر زروی او بخست[3] — بازگشت آن زر بکان خود نشست[4] ۷
عشق بینایان بود بر کان زر — هر زمانی لاجرم[5] شد بیشتر ۸
هر که قلبی را کند انباز کان — وا رود زر تا بکان از لا مکان ۹
عشق ربانیست خورشید کمال — امر نور اوست خلقان چون ظلال[6] ۱۰
عاشق است او را قیامت آمدست — تا در توبه بر او بسته شدست
توبه کرم و عشق همچون اژدها — توبه وصف خلق و آن وصف خدا
زانکه آن مس زراندود آمدست[1] — ظاهرش نور اندرون دود آمدست
چون شود پیدا دخان[2] غم نزا — بفسرد نی عشق ماند نی هوا
نور مه راجع شود هم سوی ماه — وا رود عکسش ز دیوار سیاه
پس بماند آب و گل بی آن نگار — گردد آن دیوار بی مه دیووار
پس مس رسوا بماند دود وش — روسیه تر زو بماند عاشقش
زانکه کان را در زری نبود شریك — مرحبا ای کان زر لاشك فیك
عاشق و معشوق مرده ز اضطراب — مانده ماهی رفته زان گرداب آب

وصیت کردن حضرت مصطفی علیه السلام ابوبکر را جهت بیع بلال

مصطفی زین قصه چون گل برشکفت — رغبت افزون گشت او را هم بگفت ۱۲
مصطفی فرمود اکنون چاره چیست — گفت این بنده مر اورا مشتریست ۱۳
کو اسیر الله فی الارض آمدست — سخرهٔ خشم عدو الله شدست ۱۴
تو وکیلم باش و نیمی بهر من — مشتری شو قبض کن ازمن ثمن ۱۵
گفت با خود کز کف طفلان گهر — بس توان آسان خریدن ای پسر ۱۶
آنچنان زینت دهد مردار را — که خرد زایشان دو صد گلزار را ۱۷
انبیاشان تاجری آموختند — پیش ایشان شمع دین افروختند ۱۸
زشت گرداند بجادوئی عدو — تا طلاق افتد میان جفت و شو ۱۹
این گهر از هردو عالم برتر است — هین بخر زین طفل نادان[8] کو خر است ۲۰
منکر بحر است و گوهرهای او — کی بود حیوان در و بیرایه جو ۲۱
مرخران را هیچ دیدی گوشوار — گوش وهوش خر بود درسبزه زار ۲۲
احسن التقویم از فکرت برون — احسن التقویم از عرشش فزون ۲۳
لب ببند آنجا وآنسوتر[12] مران — رفت آن صدیق سوی آن خران ۲۴
بیخود وسرمست و پر آتش نشست — ازدهانش بس کلام سخت[14] جست ۲۵
گر تورا صدقیست اندر دین خود[15] — ظلم برصادق دلت چون میدهد ۲۶
در همه زآئینهٔ کژ ساز خود — منکر ای مردود نفرین ابد ۲۷
آن ینابیع الحکم همچون فرات — از دهان او روان از بیجهات ۲۸
اسیر خود کرده حق آن سنگ را — بر گشاده آب مینا رنگ را ۲۹
نه زبیه آن مایه دارد نه زپوست — روی پوشی کرد در ایجاد دوست ۳۰
این چه باداست اندر آن خرداستخوان — که پذیرد حرف وصوت قصه خوان ۳۱
مستمع او قائل او بی احتجاب — زانکه الاذنان من رأس ای مثاب ۳۲
از منش واخر چو میسوزد دلت — بی مؤنت حل نگردد مشکلت ۳۳
تن سپید و دل سیاهستش بگیر — در عوض ده تن سیاه ودل منیر ۳۴
آنچنانکه ماند حیران آن جهود — آن دل چون سنگش ازجا رفت زود ۳۵
باز کرد استیزه و راضی نشد — که بدین افزون بده بی هیچ بد ۳۶
بیع کرد و داد و بستد بیغرض — داد گوهر را سنگ بستد در عوض ۳۷
منعقد چون گشت بیع اندرمیان — یافت ایجاب و قبول هر دوان ۳۸
مستمع چون یافت همچون مصطفی — هر سر مویش زبانی شد جدا
هر بها که گوید اورا میخرم — درزیان و حیف ظاهر ننگرم
مصطفی فرمود کای اقبال جو[7] — اندر این من میشوم انباز تو
گفت صد خدمت کنم رفت آن زمان — سوی خانهٔ آن جهود بی امان
عقل و ایمان را ازاین قوم جهول — میخرد با ملك دنیا دیو غول
آنچنان مهتاب بنماید بسحر — کز خسان صد کیسه برباید بسحر
دیو و غول وساحر ازسحر و نبرد — انبیا را در نظرشان زشت کرد
دیدهاشان را بسحری دوختند — تا چنین گوهر بخس بفروختند
نزد[9] خرخرمهره و گوهر یکیست — آن ایشان را در دُر ودریا شکیست
در سر حیوان خدا ننهاده است — کو بود در بند لعل و دُرپرست
احسن التقویم دروالتین بخوان[10] — که گرامی گوهر است ایدوست جان
گر بگویم قیمت آن ممتنع[11] — من بسوزم هم بسوزد مستمع
حلقه بردر زد چودر را برگشود — رفت بیخود[13] درسرای آن جهود
کاین ولی الله را چون میزنی — این چه حقد است ای عدو روشنی
ای تو درصدق[16] جهودی مادهٔ — کاین گمان داری تو برشه زادهٔ
آنچه آدم از لب صدیق جست — گر بگویم گم کنی تو پا و دست
همچو ازسنگی که آبی شدروان — نه زپهلو مایه دارد نه از دهان
همچنان کز چشمهٔ چشم تو نور — او روان کردست بی بخل وفتور
در خلای گوش باد جاذبش — مدرك صدق کلام و کاذبش
استخوان وباد[17] روپوش است وبس — در دو عالم غیر یزدان نیست کس
گفت گر رحمت همی آید بر او — زر بده بستانش ای اکرام خو
گفت صد خدمت کنم پانصد سجود — بندهٔ دارم نکو لیکن جهود
پس فرستاد و بیاورد آن همام — بود الحق سخت زیبا آن غلام
حالت صورت پرستان این بود — سنگشان از صورتی مومن بود
یك نصاب نقره هم[18] بروی فزود — تا که راضی گشت حرص آن جهود
برخیال آنکه سودی کرده ام — دادم اسود ابیضی آورده ام

۲ـ بیدار جان ۳ـ رود ٤ـ شود ٥ـ لاجرم هر روز با ۷ـ گفتش هلا ای نیکخو ۸ـ جاهل ۹ـ پیش ۱۲ـ اینجا و خر این سو ۱۳ـ اندر آمد ۱٤ـ تلخ ۱٦ـ دین (ن . ل)

---

(۱) گاه هست بگوئی از این تقریب تا آخر میرسد که عشق بمعنی معشوقیت وصف خداست وسخن در عشق بمعنی عاشقیت بود که با امکان صبر و توبه جمع نمیشود و این معنی را باید رساند که وصف خداست گوئیم آنهم رسید زیرا که سنخیتی میان عاشق و معشوق باید باشد پس چنانکه معشوق از او نور وام کند عاشق از آن دیده و طلب وام کند و نیز در ازل و ابد غیر فانیست و معشوقیت که صفت اوست قدیم و باقی است ومعشوق مضایف باعاشق است و نیست در ازل وابد بجز اویس اوست عاشق او (٦) اصل نور اوست مردم مانند سایه ها (۱۰) اشاره است بکریمهٔ ولقد خلقنا الانسان فی احسن تقویم یعنی هر آینه آفریدیم انسان را در بهترین وقتی از اوقات وبهترین حالتی از حالات (۱۱) چه در مقام تحقق آن قیمت مقوم ممتنع الوجود است و هیچ نماند (۱٥) بلکه غیر اهل کتاب نیز از هر ملتی گویند العدل حسن و الظلم قبیح (۱۷) استخوان بدن طبیعی و باد روح بخاری که در نزد حکماء مشائین و طبیعیین بدنی که متعلق نفس است اولا وبالذات همین روح بخاریست که مطیه قوای نفس است که خدم و حشم آنند و این بدن طبیعی و اعضاء بمنزله وعاء ضاین و غلافند برای روح بخاری و پیش اشراقیین حکما واهل شرع مطهر و عرفاء شامخین جسدی دیگر هست که قالب مثالی باشد (۱۸) نصاب اول نقره دویست درهم است و زکوتش پنج درهم

خندیدن جهود و پنداشتن آنکه صدّیق مغبونست و ندانستن بهای بلال را

قهقهه زد آن جهود سنگدل — از سر افسوس وطنز وغش وغل ۲
گفت صدّیقش که این خنده چه بود — در جواب پرسش او خنده فزود
گفت اگر جدّت نبودی وغرام[1] — در خریداری این اسود غلام ۳
من ز استیزه نمی افروختم — خود بعشر اینش می بفروختم
کو بنزد من نیرزد نیم داگ — تو گران کردی بهایش را بیانگ ٤
پس جوابش داد صدّیق ای غبی — گوهری دادی بجوزی چون صبی
کو بنزد من همی ارزد دوکون — من بجانش ناظرستم تو بلون ٥
زرّ سرخ است وسیه تاب آمده — از برای رشك این احمق کده
دیدهٔ این هفت رنگ[2] جسمها — در نیابد زاین نقاب آن روح را ٦
گر مکیسی کردهٔ در بیع بیش — دادمی من جمله ملك ومال خویش
ورمکیس افزوده‌ای[3] من زاهتمام — دامنی زر کردمی از غیر وام ۷
سهل دادی زانکه ارزان یافتی — در ندیدی حقه را نشکافتی
حقهٔ سر بسته جهل تو بداد — زود بینی که چه غبنت اوفتاد ۸
حقهٔ پر لعل را دادی بباد — همچو زنگی درسیه روئی توشاد
نانیت واحسرتا گوئی بسی — بخت ودولت چون فروشدخودکسی ۹
بخت با جامهٔ غلامانه رسید — چشم بد بختت بجز ظاهر ندید
او نمودت بندگیٔ خویشتن — خوی زشتت کرد با او مکروفن ۱۰
این سیاه اسرار تن اسپید را — بت پرستانه بگیر ای ژاژخا
این ترا و آن مرا بردیم سود — هین لکم دین ولی دین ای‌جهود ۱۱
خود سزای بت پرستان این بود — جلش اطلس اسب اوچوبین بود
همچو گور کافران پردود و نار — وز برون بربسته صد نقش ونگار ۱۲
همچو مال ظالمان بیرون جمال — وز درونش خون مظلوم و وبال
چون منافق ازبرون‌صوم وصلوة — وز درون خاك سیاه بی ثبات ۱۳
همچو ابر بی نم[4] پر قرّ و قر — نی در آن نفع زمین نی قوت بر
همچو وعدهٔ مکر وگفتار دروغ — آخرش رسوا و اوّل با فروغ ۱٤
بعد ازآن بگرفت او دست بلال — آن‌زخم ضرس محنت‌چون‌خلال[5]
شد خلالی در دهانی راه یافت — جانب شیرین زبانی میشتافت ۱٥
آوریدش تا بنزد آن رسول — که بجان او کرده بد دینش قبول
چون بدید آن‌خسته روی مصطفی — گفت طبتمُ فادخلو ها بابها[6] ۱٦
چون بلال‌این‌را شنیداز مصطفی — خرّ مغشیاً فتاد او بر قفا
تا بدیری بیخود و بیهوش[7] ماند — چون بهوش‌آمد زشادی اشك‌راند ۱۷
مصطفی‌اش در کنار خود کشید — کس چه‌داند بخششی کورا رسید[8]
چون بود مسی که بر اکسیر زد — مفلسی بر گنج پر توفیر زد ۱۸
ماهئی پژمرده در بحر اوفتاد — کاروان گم شده زد بر رشاد
آن خطاباتی که گفت آندم نبی — گر زند بر شب برآید از شبی ۱۹
روز روشن‌گرددآن‌شب‌چون‌صباح — من نتانم باز گفت آن اصطلاح
خود تو دانی کآفتاب اندر حمل — تا چه گوید با نبات و با حلل[9] ۲۰
خود تومیدانی که آن آب زلال — می چه گوید با ریاحین و نهال
صنع حق باجمله اجزای جهان — چون دم وحرفست ازافسون‌گران ۲۱
جذب یزدان با اثرها و سبب — صد سخن گوید نهان بیحرف‌ولب
نی‌که تاثیر از قدرمعمول‌نیست[10] — لیك تاثیرش از او معقول نیست ۲۲
چون مقلد بود عقل اندر اصول — دان مقلد در فروعش ای فضول
گر بپرسد عقل چون باشد مرام — گو چنانکه تو ندانی و السلام ۲۳
سید کونین سلطان جهان — در عتاب آمد زمانی بعد از آن

معاتبه کردن حضرت رسول صلی‌الله علیه واله و سلم باصدّیق وعذر گفتن صدیق رضی‌الله عنه

گفت ای صدّیق آخر گفتمت — که مرا انباز کن در مکرمت ۲٥
توچراتنها خریدی بهرخویش — باز گو احوال ای پاکیزه کیش
گفت ما دو بندگان کوی تو — کردمش آزاد من بر روی تو ۲٦
تو مرا میدار بنده و یار غار — هیچ آزادی نخواهم زینهار
که مرا از بندگیت آزادی است — بی‌توبرمن محنت و بیدادی است ۲۷
ای‌جهان را زنده کرده زاصطفا — خاص کرده علم را خاصه مرا
خوابها میدید جانم در شباب — که سلامم کرد قرص آفتاب ۲۸
از زمینم برکشید او تا سما — همره او گشته بودم ز ارتقا
گفتم این ماخولیا بود و محال — هیچ گردد مستحیلی وصف حال ۲۹
چون ترا دیدم بدیدم خویش را — آفرین آن آینهٔ خوش کیش را
چون ترا دیدم معالم حال‌شد[11] — جان من مستغرق اجلال شد ۳۰
چون ترا دیدم من ای‌روح‌البلاد — مهر این خورشید از چشمم فتاد
گشت عالی همت از تو چشم من — جز بخواری ننگرد اندر زمن[12] ۳۱
نور جستم خود بدیدم نور نور — حور جستم خود بدیدم رشك‌حور
یوسفی جستم لطیف و سیم تن — یوسفستانی بدیدم در تن من ۳۳
در پی جنت بدم درجست‌وجو[13] — جنتی بنمود از هر جزو تو
هست این نسبت بمن مدح و ثنا — هست این نسبت بتو قدح و هجا ۳٤
همچو مدح مرد چوپان سلیم — مر خدا را پیش موسیٰ کلیم
که بجویم اشپشت شیرت دهم — چارقت وادوزم‌و[14] پیشت نهم ۳٥
قدح اورا حق بمدحی برگرفت — گر توهم رحمت کنی نبودشگفت
رحم فرما بر قصور فهمها — ای ورای فهمها[15] و وهمها ۳٦
ایهاالعشاق اقبال جدید — از جهان کهنهٔ نو در رسید
زین جهان کو چارهٔ بیچاره‌جوست — صد هزاران‌نادرهٔ عالم در اوست ۳۷
ابشروا یا قومُ اذجاءالفرج — افرحوایاقوم قدزال[16] الحرج[17]
آفتابی رفت در کازهٔ هلال[18] — در تقاضا که ارحنا یا بلال ۳۸
زیر لب میگفتی از بیم عدو — کوری او بر مناره رو بگو
می دمد درگوش هر غمگین بشیر — خیز ای مدبر ره اقبال گیر ۳۹
ای دراین‌حبس‌ودرین کندوشپش — هین که تا کس نشنود رستی‌خمش
چون کنی خامش‌کنون ای یارمن — کزبن هر مو بر آمد طبل زن ٤۰
آنچنان کز شد عدوی رشك خو — گوید این چندین دُهل‌رابانگ کو

۱ـ اهتمام ٤ـ خالی ٥ـ دست زخم محنت چون هلال ۷ـ بیخویش ۸ـ لذتی را کو چشید ۹ـ دَخل ۱۲ـ چمن ۱۳ـ ای نیکخو ۱٤ـ دوزم من ۱٥ـ عقلها ۱٦ـ ذاق (ن. ل)

---

(۲) اختصاص باین عدد بحسب اصول رنگهاست که بعدد سیّارات مربیات است و الوان کثیره دیگر فروع و مراتب اینها اند نظیر طعوم که اصول بسیطهٔ آنها نه است وفروع لاتحصی (۳) اگر بیشتر چانه میزدی (٦) خوش باشید پس داخل شوید خانه ها را از درش ومیشود با بها فارسی‌باشد یعنی با روشنی (۱۰) یعنی تأثیر قضا و قدر مسلم است لکن اثر آن در فهمیدن عقل نماید میفرماید که چون از اصل الاصل که ذات حق باشد عقل در آن مقید بود اگر در فروع آن که صفات الهی و تأثیر اشیاء است عقل مقلد باشد چه بعید پس اگر عقل ترا پرسد که مقصود چه‌گونه‌است جواب‌بگوکه تونخواهی دانست (۱۱) یعنی دانستم‌که تعبیر آفتاب توبودی وزمینی بودم وچنگ بحبل المتین دین توزدم سماوی‌شدم (۱۷) بشارت باد شما را ای قوم که آمد گشادی فرح باد شما را که زایل شد تنگی (۱۸) آفتاب توفیق و نور هدایت رفت بخانهٔ وجود بلال در تقاضا و طلب او

میزند بر روش ریحان که طریست — اوزکوری گوید این آسیب چیست ۱ — می شکنجد حور دستش می‌کشد[1] — کور حیران کز چه دردم می‌کشد[2]
این کشاکش چیست بردست وتنم — خفته‌ام بگذار تا خوابی کنم ۲ — آنکه درخوابش همی جوئی وی است — چشم بگشا کان مه نیکو پی است
زان بلا ها بر عزیزان بیش بود — کان تجمل[3] یار با خوبان فزود ۳ — لاغ با خوبان کند در هر رهی — نیز کوران را بشوراند گهی
خویش را یکدم بدین کوران دهد ۶ — تا غریو از کوی کوران برجهد

قصهٔ هلال که بندهٔ مخلص بود خدای را ، صاحب بصیرت بی تقلید ، پنهان شده دربندگی مخلوقان جهت مصلحت نه از عجز ،چنانکه لقمان و یوسف از روی ظاهر و غیر ایشان بندهٔ سایس بود امیری را و آن امیر مسلمان بود اما کور ❀ داند اعمی که مادری دارد ❀ لیك چونی بوهم درنارد ❀ اگر با این دانش تعظیم این مادر کند ممکن بود که از عمی خلاص یابد که اذا اراداللّه بعبد خیراً فتح عینی قلبه لیبصره بهما الغیب

این راه ز زندگیّ دل حاصل کن — کاین زندگی تن صفت حیوان است

چون شنیدی بعض اوصاف[4] بلال — بشنو اکنون قصهٔ ضعف هلال ۱۱ — ازبلال او پیش بود اندر روش — خوی بد را پیش کرده بدکشش[5]
نی چوتوبس روکه هردم پس تری — سوی سنگی میروی از گوهری ۱۲ — همچنان کان خواجه راه‌همان رسید — خواجه از ایّام وسالش بر رسید
گفت عمرت چند سال است ای پسر — باز گوی و در مدزد و برشمر ۱۳ — گفت هیجده هفده نی نی[6] شانزده — ای برادر خوانده یا که پانزده
گفت واپس واپس ای خیره‌سرت ۱۴ — باز میرو تا بفرج مادرت

حکایت درتقریر همین سخن

آن یکی اسبی طلب کرد ازامیر — گفت رو آن اسب اشهب رابگیر ۱۶ — گفت آن‌رامن‌نخواهم گفت چون — گفت اوواپس رواست‌وبس‌حرون
سخت پس‌پس میرود اوسوی بُن — گفت دُمّش را بسوی خانه کن ۱۷ — دُمّ این‌استورنفست شهوت است — زان‌سبب‌پس‌پس‌رودآن‌خودپرست
شهوتِ او را که دُم آمد زُبن — ای مبدل شهوت عقبیش کن ۱۸ — چون ببندی شهوتش‌را ازرغیف — سرکندآن شهوت ازعقل شریف[7]
همچو شاخی که ببرّی از درخت — سر کند قوّت ز شاخ نیکبخت ۱۹ — چونکه‌کردی دُمّ اورا آن‌طرف — گر رود وا[8] پس رود تا مکتنف
حبذا اسبان رام پیش رو — نی سپس رونی حرونی را گرو ۲۰ — گرم رو چون جسم موسی کلیم — تا ببحرینش چو پهنای گلیم
هست هفتصد ساله راه‌آن حقب[9] — که بکرد او عزم در سیران حبّ ۲۱ — همت سیر تنش چون این بود — سیر جانش تا بعلیین بود
شهسواران در سباقت تاختند — خربطان در پایگاه انداختند ۲۲ — آنچنانکه کاروانی در رسید — در دهی آمد دری را باز دید
آن‌یکی‌گفت‌اندراین‌سرمای‌سخت — چند روز اینجا بیندازیم رخت ۲۳ — بانگ آمد نی بینداز از برون — وانگهانی اندر آ تو اندرون
هم‌برون‌افکن‌هرآنچه افکندنیست — درمبا با آن‌که این‌مجلس‌سنیست[10] ۲۴ — بُد هلال استاد دل جان روشنی — سایس و بندهٔ امیر مؤمنی
سایسی کردی در آخر آن غلام — لیك سلطان سلاطین بنده نام ۲۵ — ❀سایس اسبان ونفس خویش هم — از فراوان کس شده در پیش‌هم
آن امیر از حال بنده بی خبر — که نبودش جز بلیسانه نظر ۲۶ — آب وگل میدید ودروی گنج‌نی — پنج وشش میدید واصل پنج نی
رنگ‌طین‌میدیدودروی[11] دین‌نهان — هر پیمبر این چنین بُد درجهان ۲۷ — آن مناره دید وبر وی مرغ نی — بر مناره شاهباز پر فنی
وان دگر میدید مرغ پر زنی — لیك موئی بر[12] دهان مرغ نی ۲۸ — آنکه او ینظر بنور الله بود — هم زمرغ وهم زموی آگه بود
گفت آخر چشم سوی موی نه — تا نبینی مو بنگشاید گره ۲۹ — آن یکی گل دید نقشین‌در وحل — وان دگر گل دید پر علم وعمل
❀علم اندر نور چون فرغوده‌شد — پس ز حلمت نور یابد قوم لد ۳۰ — ❀شیخ نورانی ز ره آگه کند — با سخن هم نور را همره کند
❀جان‌جمله معجزات این‌است‌خود — که ببخشد مرده را جان ابد ۳۱ — تن منارهٔ علم وطاعت همچو مرغ — خواه سیصدمرغ گیر ویادومرغ[13]
مرد اوسط مرغ بین‌است اووبس — غیر مرغی می نبیند پیش و پس ۳۲ — موی‌آن نوریست پنهان آن مرغ — که بدان پاینده باشد جان مرغ
مرغ کان مویست در منقار او — هیچ عاریّت نباشد کار او ۳۳ — علم او از جان او جوشد مدام — پیش اونه عاریت باشد[14] نه‌وام

رنجور شدن هلال و بیخبری خواجهٔ او ازرنجوری او از تحقیر و ناشناخت و واقف شدن حضرت مصطفی صلّی اللّهُ علیه واله وسلم ورفتن آنحضرت بعیادت او

از قضا رنجورشد روزی[15] هلال — مصطفی را وحی شد غمّاز حال ۳۶ — بدُ ز رنجوریش خواجه بیخبر — که برِ اُو بد کساد وبی خطر[16]
خفته نُه روز اندرآخُر محسنی — هیچ کس از حال او آگاه نی ۳۷ — آنکه کس بود و شهنشاه کسان — عقل‌صد چون قلزمش هرجارسان
وحیش آمد رحم حق غمخوارشد — که فلان مشتاق تو بیمار شد ۳۸ — مصطفی بهر هلال با شرف — رفت از بهر عیادت آن طرف
دربی‌خورشید وحی آن‌مه‌روان[17] — وان صحابه درپیش چون اختران ۳۹ — ماه میگوید که اصحابی نجوم — للسری قدوه و للطاغی رجوم[18]
میررا گفتند کان سلطان رسید — او زشادی بی دل وجان برجهید ۴۰ — برگمان آن زشادی زد دودست — کان شهنشه بهرآن میر آمدست
چون فرود آمد زغرفه آن امیر — جان همی افشاند پامزد بشیر ۴۱ — پس زمین بوس وسلام آورد او — کرد رخ را از طرب چون‌ورداو
گفت بسم الله مشرّف کن وطن — تا که فردوسی شود این انجمن ۴۲ — تا فزاید قصر من بر آسمان — تا که دیدم قطب دوران زمان

۱- می کشد حوری ورا ۲- مانده زان درد و عما ۳- تجمش ٤ - بعضی از قصهٔ ٥- پیش بود از نور یزدان پرتوش ٦- یا خود ۸- پس ۱۱- پیدا و نور ۱۲- ی اندر ۱٤- مستعار آمد ۱٥- و ناخوش شد - و ناقص شد ۱٦- کو بر اوبود هرچه خوار تر ۱۷- دوان (ن . ل)

---

(۷) شهوت نفسانی خواهش عقلانی شود چون شیطانی اسلم علی یدی (۹) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ کهف : « و اذقال موسی لفتیه‌لا ابرح حتی‌ابلغ مجمع البحرین اوامضی حقبا یعنی موسی بشاگرد و رفیقش گفت همیشه در طلب خواهم بود تا برسم‌بمجمع البحرین‌یا بگذردهشتاد سال (۱۰)فاخلع نعلیك انك بالواد المقدس طوی (۱۳) عطارفرماید گرهمه‌سیمرغ وگر چل مرغ بود❀ هرچه دیدی سایهٔ سیمرغ بود (۱۸)یعنی اصحاب من مثل ستارهایند برای راهرو راهنمایند و بجهت طاغی تیر شهابند اشاره بحدیث نبوی است که اصحابی کالنجوم بایهم اقتدیتم اهتدیتم

گفتش از بهر عتاب آن محترم / من برای دیدن تو نامدم ۱ گفت روحم آن[1] تو خود روح چیست / هین بفرما کاین تجشّم بهر کیست
تا شوم من خاك پای آن کسی / که بباغ لطف تستش مفرسی ۲ چون چنین گفت او و نخوت را براند / مصطفی ترك عتاب او بخواند
پس بگفتش کان هلال عرش کو / همچو مهتاب از تواضع فرش کو ۳ آن شهی در بندگی پنهان شده / بهر جاسوسی بدنیا آمده
تو مگو کوبنده و آخورچیِ ماست / این بدان که گنج درویرانهاست ۴ ای عجب چونست ازسقم آن هلال / که هزاران بدر هستش پایمال
گفت از رنجش مرا آگاه نیست / لیك روزی چند بر درگاه نیست ۵ صحبت او با ستور و استر است / سایس است و منزل او آخوراست
رفت پیغمبر برغبت بهر او / اندر آخور آمد اندر جست وجو ۶ بود آخور مظلم و تنگ[2] و پلید / اینهمه برخاست چون الفت رسید
بوی پیغمبر ببرد آن شیر نر / همچنانکه بوی یوسف را پدر ۷ موجب ایمان نباشد معجزات / بوی جنسیت کند جذب صفات
معجزات از بهر قهر دشمن است / بوی جنسیت پی[3] دل بردن است ۸ قهر گردد دشمن اما دوست نی / دوست کی گردد بیسته گردنی
اندر آمد او زخواب از بوی او / گفت سرگین دان درون اینگونه بو ۹ از میان پای استوران بدید / دامن پاك رسول بی ندید
پس ز کنج آخور آمد غژغژان / روی بر پایش نهاد آن پهلوان ۱۰ پس پیمبر روی بر رویش نهاد / بر سر و بر چشم و رویش بوسه داد
گفت یارا تو چه پنهان گوهری / ای غریب عرش چونی خوشتری ۱۱ گفت چون باشد خود آن شوریده خواب / که در آید در دهانش[4] آفتاب
چون بود آن تشنهٔ کو گل خورد[5] ۱۲ آب بر سر بنهدش خوش میبرد

در بیان آنکه مصطفی علیه و علی آله الصلوة والسلم چون شنید که عیسی علیه السلام بر روی آب رفت فرمود لو ازداد یقینه لمشی علی الهواء

همچو عیسی بر سرش گیرد فرات / کاینمنی از غرقه در آب حیات ۱۵ گفت احمد گر یقینش افزون بدی / خرد هوایش مرکب و هامون شدی[6]
همچو من که بر هوا راکب شدم / در شب معراج مستصحب شدم ۱۶ گفت چون باشد سگ کور پلید / جست اواز خواب و خود را شیر دید
نی چنان شیری که کس تیرش زند / بل ز بیمش تیغ و پیکان بشکند ۱۷ کور بر اشکم رونده همچو مار / چشمها بگشاد در باغ و بهار
چون بود آن چون که از چونی رهد[7] / در حباتستان بیچونی رسد ۱۸ گشت چونی بخش اندر لامکان / گردخوانش جمله شیران چون سگان
او ز بیچونی دهدشان استخوان / در جنابت تن زن این سوره مخوان ۱۹ تا زچونی غسل ناری تو تمام / هین بر این مصحف منه کف ای غلام
گر پلیدم ور نظیفم ای شهان / این نخوانم پس چه خوانم درجهان ۲۰ تو مرا گوئی که از بهر ثواب / غسل ناکرده مرو درحوض آب
هر که اندر حوض ناید پاك نیست / وز برون حوض غیر خاك نیست ۲۱ گر نباشد آبها را این کرم / کو پذیرد مر خبث را دم بدم
وای بر مشتاق و بر امید او / حسرتا بر حسرت جاوید او ۲۲ آب دارد صد کرم صد احترام / که پلیدان را پذیرد والسلام
ای ضیاءالحق حسام الدین که نور / پاسبان تست از شرّ الطیور ۲۳ پاسبان تست نور و ارتقاش / ای تو خورشید مستر از خفاش
چیست پرده پیش روی آفتاب / جز فروغ و شعشع و تیزی و تاب ۲۴ حجب این[8] خورشید هم نور رب است / بی نصیب از وی خفاشست و شب است
هر دو چون در بُعد و پرده مانده اند / یا سیه رو یا فسرده مانده اند ۲۵ چون نوشتی بعضی از قصهٔ[9] هلال / داستان بدر آر اندر مقال[10]
آن هلال و بدر دارند اتحاد / از دوئی دورند و از نقص و فساد ۲۶ آن هلال از نقص در باطن بریست / او بظاهر نقص تدریج آوریست
درس گوید شب بشب تدریج را / در تانی بر دهد تفریج را ۲۷ در تانی گوید ای عجّول خام / پایه پایه بر توان رفتن ببام
دیگ را تدریج و استادانه جوش / کار ناید قلیهٔ دیوانه جوش ۲۸ حق نه قادر بود بر خلق فلك / در یکی لحظه بکن بی هیچ شك
پس چراشش روز آنرا برکشید[11] / کل یوم الف عام ای مستفید[12] ۲۹ خلقت آدم چرا چل صبح بود[13] / اندر آن گل اندك اندك میفزود
خلقت طفل از چه اندر نه مه است / زانکه تدریج ازشعار آن[14] شداست ۳۰ ❀ زین سحر تا آن سحر سالی مرار[15] / تا بآخر یافت این صورت قرار
نی چو تو ای خام کاکنون تاختی / طفلی و خودرا چو شیخی ساختی ۳۱ بردویدی چون کدو فوق همه / کو ترا پای جهاد و ملحمه
تکیه کردی بر درختان و جدار / بر شدی ای اقرعك همقرع وار ۳۲ اول ارشد مرکبت سرو سهی / لیك آخر گشت[16] بی مغز و تهی
رنگ سبزت زردشد ای قرع زود / ۳۳ زانکه از گلگونه بود اصلی نبود

در بیان حکایت کمپیر نود ساله که روی زشت خودرا گلگونه می اندود و پذیرا نمی آمد

بود کمپیری نود ساله کلان / پر تشنج روی و رنگش زعفران ۳۵ چون سر سفره رُخ او تو بتو / لیك در وی بود مانده عشق شو
ریخت دندانها و موچون شیر شد / قد کمان و هرحسش تغییر شد ۳۶ عشق شوی وشهوت و حرصش تمام / صید خواه و پاره پاره گشته دام
مرغ بیهنگام و راه بیرهی / آتشی پر در بُن دیگ تهی ۳۷ عاشق مبدان و اسب و پای نه / عاشق زمرو لب و سرنای نه
حرص در پیری جهودان را مباد / ای شقیّ کش خدا این حرص داد ۳۸ ریخت دندانهای سگ چون پیر شد / ترك مردم کرد و سرگین گیر شد

۱- بهر ۲- زشت ۳- سوی ٤- از درونش ٥- چرد ٦- مأمون بدی ۸- پردهٔ ۹- که بعضی رفت از شرح ١٤- سنتهای ١٥- هزار ١٦- خشك و (ن. ل)

---

(۷) چونی و چگونگی احوال و کیفیات است چنانکه چند کمیت است پس کیفیت گویند چون در جواب کیف هو واقع میشود و کمیت گویند چون در جواب کم هو واقع شود مثل ماهیت که در جواب ما هو واقع شود و مجرد حقیقی بی چند و چون است و بی کم و کیف و مراد از حباتستان بیچونی حقیقت محمدیه و روحانیت کلیه اوست (۱۰) تا بدانند که چنانکه هر هلال بدر میشود هرچیز باید بغایت برسد و هر ناقص باید کامل شود لیکن بتدریج (۱۱) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ اعراف ان ربکم الله الذی خلق السموات والارض فی ستة ایام ثم استوی علی العرش (۱۲) هر روزی هزار سال است چه حق تعالی فرموده ان یوماً عند ربك الف سنة مما تعدون این ایام دهری و سرمدیست نه زمانی که زمان از حرکت فلك حاصل شد و تدریج اینجا طولی است نه عرضی (۱۳) حدیث قدسی است خمّرت طینة آدم بیدی اربعین صباحاً خمیر کردم گل آدم را بید قدرت و حکمت خویش چهل صباح و عدد چهل را در ریاضت و خلوت ودر کمال و حصول کمالات انسانی اثری خاص است و کمال قوّت و عقل بچهل سال میشود ـ بدست خویش چهل روز باغبان ازل ❀ نماند تخم گلی کو نکشت در گل من

این سگان شصت ساله را نگر — هر دمی دندان سگشان تیز تر ۱ — پیر سگ را ریخت پشم از پوستین — این سگان پیر اطلس پوش بین
عشقشان و حرصشان در فرج وزر — دمبدم چون نسل سگ بین بیشتر ۲ — زین چنین عمری که مایهٔ دوزخ است — مر قصابان غضب را مسلخ است
چون بگویندش که عمر تو دراز — میشود دلخوش دهانش از خنده باز ۳ — این چنین نفرین دعا پندارد او — چشم نگشاید سری بر نارد او
گر بدیدی یکسر موی از معاد[1] ۴ — اوش گفتی کاینچنین عمر تو باد

دعا کردن درویش خواجهٔ گیلانی را که خدا ترا بسلامت بخان و مان باز رساند

گفت یك روزی بخواجهٔ گیلئی — نان پرستی نر گدا زنبیلئی ۶ — ❀نان همی باید مرا نان دمبمرا — تا بگویم مر ترا این یك دعا
چون ستد زو نان بگفت ای مستعان — خوش بخان و مان خود بارش رسان ۷ — گفت اگر آنست خان که دیده‌ام — حق ترا آنجا رساند ای دژم
هر مجدّ ثرا خسان بد دل[2] کنند — حرفش ار عالی بود نازل کند ۸ — زانکه قدر مستمع آمد[3] نبا — بر قد خواجه بُرد درزی قبا
چونکه مجلس بی چنین بیغاره نیست ۹ — از حدیث پست و نازل چاره نیست

صفت آن عجوزه و رجوع بحکایت او

واستان هین این سخن را از گرو — سوی دستان عجوزه باز رو ۱۱ — چون مُسن گشت و درین ره نیست مرد — تو بنه نامش عجوز سال خورد
نی مر او را رأس مال و مایهٔ — نی پذیرای قبول پایهٔ ۱۲ — نی دهنده نی پذیرندهٔ خوشی — نی درو معنیٔ و نی معنی کشی
نی زبان نی گوش نی عقل و بصر — نی هُش و نی بیهشیٔ و نی فکر ۱۳ — نی نیاز و نی جمالی بهر ناز — تو بتویش گنده مانند پیاز
نی رهی پیریده و نی پای راه — نی تپش آن قحبه رانی سوز وآه ۱۴ — ❀ نی تعصب نی ندامت مرورا — نی بدل عزم سلامت مرورا

در بیان سؤال سائل از صاحب خانه و جواب اورا بر سبیل طنز

سائلی آمد بسوی خانهٔ — خشك نانی خواست یا تر نانهٔ ۱۶ — گفت صاحب خانه نان اینجا کجاست — خیرهٔ این نی دکان نانواست
گفت آخر پارهٔ پی هم بیاب — گفت اینجا نیست دکان قصاب ۱۷ — گفت مشتی آرد ده ای کدخدا — گفت پنداری که هست این آسیا
گفت باری آب ده از مکرعه — گفت نی نی نیست جو یا مشرعه ۱۸ — هرچه او درخواست از نان تاسبوس — چربکی میگفت و میکردش فسوس
آن گدا در رفت و دامن درکشید — واندر آن خانه بحسبت خواست رید ۱۹ — گفت هی هی گفت تن زن ای دژم — تا در این ویرانه خود فارغ کنم
چون درینجا نیست وجه زیستن — در چنین خانه بباید ریستن ۲۰ — چون نهٔ بازی که گیری تو شکار — دست آموز شکار شهریار
نیستی طاوس باصد نقش و بند — که بنقشت چشمها روشن کنند ۲۱ — هم نهٔ طوطی که چون قندت دهند — گوش سوی نطق شیرینت نهند
هم نهٔ بلبل که عاشق وار زار — خوش بنالی در چمن یا لاله‌زار ۲۲ — هم نهٔ هدهد که پیکیها کنی — نی چو لکلك که وطن بالا کنی
❀در زمستان سوی هندوستان روی — در بهاران سوی ترکستان شوی ۲۳ — در چه بازاری[4] و بهر چت خرند — تو چه مرغیٔ وترا با چه خورند
زین دکان با مکیسان بر تزآ — تا دکان نضل الله اشتری ۲۴ — ❀ کالهٔ که هیچ خلقش ننگرید — از خلاقت آن کریم آنرا خرید
هیچ قلبی پیش او مردود نیست[5] — زانکه قصدش از خریدن سود نیست ۲۵ — ❀سوداو و بیع آن یار نکو[6] — کوش نیکو خُلق و هم نیکوش خو
❀بیحد است افضال او آیس مشو ۲۶ — سوی دستان عجوزه باز رو

رجوع بداستان آن کمپیر

❀باز میگردم سوی قصهٔ عجوز — زانکه پایانی ندارد این رموز ۲۸ — ❀بود درهمسایه اش سوری عجب — کرده بودند از قضا او را طلب
چون عروسی خواست رفت آن مستخف[7] — پیش رو آئینه بگرفت آن خریف[8] ۲۹ — ❀موی ابرو پاك میکرد آن عجوز — تا بیاراید رخ و رخسار و پوز
آن عجوز آئینه بنهاده به پیش — تا بیاراید رخ و رخسار خویش ۳۰ — چند گلگونه بمالید از بطر — سفرهٔ رویش نشد پوشیده تر
عشرهای مصحف[9] از جا میبرید — می بچسبانید بر رو آن پلید ۳۱ — تاکه سفرهٔ[10] روی او پنهان شود — تا نگین حلقهٔ خوبان شود
عشرها بر روی هرجا می‌نهاد — چونکه بر می بست چادر می‌فتاد ۳۲ — باز او آن عشرها را با خدو — می بچسبانید بر اطراف رو
باز چادر راست کردی از کمین[11] — عشرها افتادی از رو بر زمین ۳۳ — چون بسی میکرد فن وان میفتاد — گفت صد لعنت بر آن ابلیس باد
شد مصوّر در زمان ابلیس زود — گفت ای کمپیر زشت بی ورود ۳۴ — من همه عمر این نبندیشیده‌ام — نی زجز تو قحبهٔ این دیده‌ام
تخم نادر در فضیحت کاشتی — در جهان تو مصحفی نگذاشتی ۳۵ — صد بلیسی تو خمیس اندر خمیس[12] — ترك من گوای عجوزهٔ دردیس[13]
چند نزدی عشر از ام الکتیب — تا شود رویت ملوّن همچو سیب ۳۶ — چند دزدی حرف مردان خدا — تا فروشیٔ و ستانی مرحبا
رنگ بر بسته ترا گلگون نکرد — شاخ بر بسته فن عرجون نکرد ۳۷ — عاقبت چون چادر مرگت رسد[14] — از رُخت این عشرها اندر فتد[15]
چونکه آید خبز خبز آن رحیل — گم شود زان پس فنون وقال وقیل ۳۸ — عالم خاموشی آید پیش بیست — وای آنکه دردرون انسیش نیست[16]
صیقلی کن یك دو روزی سینه‌را — دفتر خود ساز آن آئینه را ۳۹ — که زسایهٔ یوسف صاحب قران — شد زلیخای عجوز از نوجوان
میشود مبدل به خورشید تموز — آن مزاج بارد برد العجوز ۴۰ — میشود مبدل ز سوز مریمی — شاخ لب خشکی بنخل خرّمی
ای عجوزه چند کوشی با قضا — نقد جو اکنون رها کن مامضی ۴۱ — چون رُخت را نیست درخوبی امید — خواه نه گلگونه و خواهی مدید

۲ـ باذل ۳ـ آید ٤ـ کاری تو ۷ـ رفتن آن خریف ـ گنده پیر ۸ـ کرد ابرو را سیه مانند قیر ـ موی ابرو پاك کرد آن مستخف ۱۰ ـ صفرت ۱۱ـ آن تکین ۱۳ـ بلیسان را بلیس ۱٤ـ گاز کمین ۱۵ـ در رسد عشرت فتد از رخ یقین (ن . ل)

---

(۱) یعنی اگر برازخ اعمال خود را دیدی دانستی که نفرین است و بداعی پس دادی دعایش را (۵) چون خود حق نگاشته شاعر گوید اگر تلخم و گر شیرین تو کشتی و گر سستم و گر محکم تو رشتی خط لوح جبینم خود نوشتی گل من خوب یابد خود سرشتی (٦) مراد از سود اینجا فایده است که اطلاق در افعال حق جایز داشته اند پس معنی بیت چنین باشد که فایدهٔ او و بیع بنده نیکو است و مصرع ثانی صفت یار نکو واقع شده (۹) عشرهای مصحف طلائی است که دور صفحات قرآن میگذارند (۱۲) خمیس لشکراست وباین سبب خمیس گویند که پنج جزء اند مقدمه ، قلب، میمنه ، میسره ، ساقه ومعنی بیت چنین است صد ابلیسی که هریك لشکرها داشته باشند (۱٦) حسن عاقبت درانس بحق است وسوء عاقبت در انس بجزئیات بی بنا وبی بقا که بجوهر روح مناسبت ندارند و روح آدمی بهرعالمی تاانس نگیرد راه نیابد

حکایت رنجوری که طبیب در وی امید صحت ندید گفت هرچه خواهی کن

آن یکی رنجور شد سوی طبیب — گفت نبضم را فروبین[1] ای لبیب ۲ — تا ز نبض آگه شوی از حال دل — که رگ دست است با دل متصل
چونکه دل غیب است خواهی زو مثال — زان بجو که با دلستش اتصال ۳ — باد پنهان است ازچشم ای امین — در غبار و جنبش برگش ببین
کز یمین است آن وزان یا ازشمال — جنبش برگت بگوید وصف حال ۴ — مستی دل را نمیدانی که کو[2] — وصف آن از نرگس خمار جو[3]
چون زذات حق بعیدی وصف ذات — باز دانی از رسول و معجزات ۵ — معجزاتی و کراماتی خفی — بر زند بر دل ز پیران صفی
کاندرونشان صد قیامت نقد هست — کمترین آن که شود همسایه مست ۶ — پس جلیس الله گشت آن نیکبخت — که بپهلوی سعیدی برد رخت
معجزهٔ کان بر جمادی زد اثر — گر اثر بر جان زند بی واسطه[4] ۷ — متصل گردد بپنهان رابطه
برجمادات آن اثر ها عاریه است — تا از آن جامد اثر گیرد ضمیر ۸ — حبّذا نان بی هیولای خمیر
حبذا خوان مسیحی بی کمی — برزند از جان کامل معجزات ۹ — بر ضمیر جان طالب چون حیات
معجزه بحراست و ناقص مرغ خاک — مرغ آبی در وی ایمن از هلاک ۱۰ — ماهیان را مرگ بی دریاست خاک
عجز بخش جان هر نامحرمی — چون نیابی این سعادت در ضمیر ۱۱ — پس زظاهر هر دم استدلال گیر
که اثر ها بر مشاعر ظاهر است — هست پنهان معنی هر داروئی ۱۲ — همچو سحر و صنعت هر جادوئی
چون نظر درفعل و آثارش کنی — قوّتی کان در درونش مضمراست ۱۳ — چون بفعل آید عیان[5] ومظهراست
چون بآثار این همه پیدا شداست[6] — این سببها واثر ها مغز وپوست ۱۴ — چون بجوئی جملگی[8] آثار اوست
دوست گیری چیز ها را از اثر — از خیالی دوست گیری خلق را ۱۵ — چون نگیری شاه غرب وشرق را
این سخن پایان ندارد ای قباد — حرص ما را اندر این پایان مباد ۱۶

رُجوُع بقصهٔ رنجور

باز گرد و قصهٔ رنجور گو[10] — با طبیب آگه بیمار جو[11] ۱۸ — نبض او بگرفت وآگه شد زحال — که امید صحت او بدُ محال
گفت هرچت دل بخواهد آن بکن — تا رود از جسمت آن رنج کهن ۱۹ — هرچه خواهد خاطر تو وا مگیر — تا نگردد صبر و پرهیزت زحیر
صبر وپرهیز این مرض را دان زیان — هرچه خواهد دل درآرش درمیان ۲۰ — اینچنین رنجور را گفت ای عمو — حق تعالی اِعملوا ماشئتم[12]
گفت روهبن خبر بادت جان عمّ — من تماشای لب جو میروم ۲۱ — بر مراد دل همی گشت او بر[13] آب — تا که صحت را بیابد فتح باب
بر لب جو صوفئی بنشسته بود — دست و رومی شست وپاکی میفزود ۲۲ — اوقفایش دید چون تخییلئی — کرد او را آرزوی سیلئی
بر قفای صوفی آن حیرت[14] پرست — راست میکرد از برای صفع دست ۲۳ — کارزو را گر نرانم[15] تا رود — نی[16] طبیبم گفت کان علت شود
سیلیش اندر برم در معرکه — زانکه لاتُلقوا بایدی تهلکه[17] ۲۴ — تهلکه است این صبر و پرهیز ای فلان — خوش بکوبش[18] تن مزن چون کاهلان
چون زدش یک سیلی آمد در طراق — گفت صوفی هی هی ای قوّاد عاق ۲۵ — خواست صوفی تادوسه مشتش زند — سیلت و ریشش یکایک بر کند
ایک او راخسته و رنجوردید — بس ضعیف وزار وزردو عوردید ۲۶ — باز اندیشید او ضعف ورا — گفت اگر مشتش زنم گردد فنا
رنج دق ازوی برآورده دمار — دید اورا سخت رنجور و نزار ۲۷ — خلق رنجور دِق بیچاره اند — وز خِداع دیو سیلی باره اند
جمله درایذای بی جرمان حریص — در قفای یکدگر جویان نقیص ۲۸ — ای زننده بیگناهان را قفا — در قفای خود نمی بینی جزا
ای هوارا طبّ خود پنداشته — بر تو خندید آنکه گفت کاین دواست ۲۹ — اوست کادم را بگندم رهنماست
که خورید این دانه ای دومستعین — بهر دارو تا تکونا خالدین[19] ۳۰ — اوش لغزانید و زد او را قفا — آن قفا واگشت وشد او[20] را جزا
اوش لغزانید سخت اندر زلق — لیک پشت و دستگیرش بود حق ۳۱ — کوه بود آدم اگر بر مار شد — کان تریاقست و بی اضرار شد
تو که تریاقی نداری ذرّهٔ — از خلاص خود چرا می غرّهٔ ۳۲ — آن تو کل کو خلیلانه ترا — وآن کرامت چون کلیمت ازکجا
تا نبرّد تیغت اسمعیل را — تا کنی شه راه قعر نیل را ۳۳ — گر سعیدی از مناره اوفتید — بادش اندر جامه افتاد و رهید
چون یقینت نیست آن باد[21] حسن — تو چرا بر باد دادی خویشتن ۳۴ — زین مناره صد هزاران همچوعاد — در فتادند و سرو تن باد داد[22]
سر نگون افتادگان را زین منار — می نگر تو صد هزار اندر هزار ۳۵ — تو رسن بازی نمیدانی یقین — شکر پا ها گو و میرو بر زمین
پر مساز از کاغذ و از کُه میر — کاندر این سودا بسی رفتست سر ۳۶ — گرچه آن صوفی پرآتش شد زخشم — لیک هم بر عاقبت انداخت چشم
اوّل صف بر کسی ماند بکام — کو نگیرد دانه بیند بند دام ۳۷ — حبذا دو چشم پایان بین راد — که نگهدارند دین را از فساد
آن که پایان دید احمد بود کو — دید دوزخ را هم اینجا تو بتو[23] ۳۸ — دید عرش و کرسی و جنات را — بر درید او پردهٔ غفلات را

۱ـ گیر آخر ـ نگه دار ۲ـ مقام ۳ـ وصفش از مخمور چشمان جو مدام ۵ـ گواه ۶ـ نمود ۷ـ بیدار تأثیرت ودود ۸ـ سر بسر ۱۰ ـ خوان ۱۱ ـ بسیار دان ـ ستار خو ۱۳ـ رفت او بر ۱٤ ـ حمزه ۱۵ ـ بمانم ۱٦ ـ آن ۱۸ـ بگویش ۲۰ـ گشت این ۲۱ ـ آن بخت ای ۲۲ـ سر شد بباد ۲۳ـ موبمو (ن. ل)

---

(٤) یعنی معجزه قدرتست هرگاه بر جماد ظاهر شود با آنکه رابطه نیست بر جان اثر کند برابطه خفیه و مناسبت حقانیه (۹) در دعاء است متی غبت حتی تحتاج الی دلیل یدل علیك اومتی بعدت حتی یکون الآثار هی التی توصل الیك (۱۲) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ حم سجده که میفرماید ان الذین یلحدون فی آیاتنا لایخفون علینا افمن یلقی فی النار خیر" امن یاتی امنا یوم القیمة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصیر یعنی بدرستیکه آنانکه انحراف میورزند و میل میکنند از آیات ما پوشیده نمیشوند برما آیا کسی که انداخته شود در آتش بهتر است یا کسی که بیاید ایمن روز رستخیز، بکنید آنچه میخواهید که خدا بیناست بر کرد های شما (۱۷) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ بقره ولاتلقوا بایدیکم الی التهلکه یعنی نیفکنید خود را بدست خود در جای هلاکت (۱۹) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ اعراف است فوسوس لهما الشیطان لیبدی لهما ما وری عنهما من سواتهما و قل ما نهیکما ربکما عن هذه الشجرة الاان تکونا ملکین او تکونا من الخالدین

گر همی خواهی سلامت از ضرر — چشم ز اوّل بند و پایان رانگر ۱ — تا عدمها را ببینی جمله هست[1] — هستها را بنگری محبوس[2] و پست
این ببین باری که هر کش عقل هست — روز و شب در جست و جوی نیست است ۲ — در گدائی طالب جودی که نیست — بر دکانها طالب سودی که نیست
در مزارع طالب دخلی که نیست — در مغارس طالب نخلی که نیست ۳ — در مدارس طالب علمی که نیست — در صوامع طالب حلمی که نیست
هستها را سوی پس افکنده اند — نیستها را طالبند و بنده اند ۴ — زانکه کان و مخزن صنع خدا — نیست غیر نیستی در انجلا
پیش ار این رمزی بگفتستیم از این — این و آن را تو یکی بین دومبین ۵ — گفته شد که هر صناعت گر که رُست — در صناعت جایگاه نیست جست
جست بنّا موضعی ناساخته — گشته ویران سقفها انداخته ۶ — جست سقا کوزهٔ کش آب نیست — و آن دروگر خانهٔ کش باب نیست
وقت صید اندر عدم بین حمله شان — واز عدم آنگه گریزان جمله شان ۷ — چون امید لاست زو پرهیز چیست — بنا انیس خویشتن استیز چیست
چون انیس طبع تو آن نیستیست — از فنا و نیست این پرهیز چیست ۸ — گر انیس لا نهٔ ای جان بسر — در کمین لا چرائی منتظر
زانچه داری جمله دل بسرکندهٔ — شست دل در بحر لا افکندهٔ ۹ — پس گریزت چیست زین بحر مراد — کو بشستت صد هزاران صید داد
از چه نام برگ کردستی تو مرگ — جادوئی دان که نمودت مرگ برگ ۱۰ — هر دو چشمت بست سحر صنعتش — تا که جان را در چه آمد رغبتش
در خیال او زمکر کردگار — جمله صحرا فوق چه زهر است و مار ۱۱ — لاجرم چه را پناهی ساختست — تا که مرگ اورا بچاه انداختست

بر تخت نشاندن سلطان محمود غلام هندو را و گریستن غلام

آنچه گفتم از غلطهاش[3] ای عزیز — همچنین بشنیدم[4] از عطار نیز ۱۳ — رحمة الله علیه گفته است — ذکر شه محمود غازی سُفته است
گر غزای هند پیش آن هُمام — در غنیمت اوفتادش یك غلام ۱۴ — پس خلیفه اش کرد و برکرسی[5] نشاند — بر سپه بگزیدش و فرزند خواند
طول و عرض و وصف قصه تو بتو — در کلام آن بزرگ دین بجو ۱۵ — حاصل آن کودك بر آن تخت نظار — شسته پهلوی قباد شهریار
گریه میکرد اشك میراند او بسوز — گفت شاه اورا که ای پیروز روز ۱۶ — از چه گریی دولتت شد ناگوار — فوق افلاکی[6] قرین شهریار
تو بر این تخت و وزیران و سپاه — پیش تخت صف زده چون نجم و ماه ۱۷ — گفت کودك گریه ام زآنست زار — که مرا مادر در آن شهر و دیار
از توام تهدید کردی هر زمان — بینمت در دست محمود ارسلان ۱۸ — پس پدر مرمادرم را در جواب — جنگ کردی کاین چه خشم است و عتاب
می نیابی هیچ نفرین دگر — زینچنین نفرین مهلك سهل تر ۱۹ — سخت بیرحمی و بس سنگین دلی — که بصد شمشیر او را قاتلی
من زگفت هر دو حیران گشتمی — در دل افتادی مرا بیم و غمی ۲۰ — تا چه دوزخ خوست محمودای عجب — که مثل گشته است در ویل و کرب
من همی لرزیدمی از بیم تو — غافل از اکرام و از تعظیم تو ۲۱ — مادرم کو تا ببیند این زمان — مر مرا بر تخت ای شاه جهان
یا پدر کو تا مرا بیند چنین — خوش نشسته پهلوی سلطان دین ۲۲ — فقر آن محمود تست ای بی سعت[7] — طبع ازو دائم همی ترساندت
گر بدانی رحم این محمود راد — خوش بگوئی عقبت محمود باد ۲۳ — فقر آن محمود تست ای نیم دل — کم شنو زین مادر طبع مضل
چون شکار فقر کردی تو یقین — همچو کودك اشکباری یوم دین ۲۴ — گرچه اندر پرورش تن مادراست — لیك از صد دشمنت دشمن تر است
تن چو شد بیمار دارو جوت کرد — ور قوی شد مر ترا طاغوت کرد ۲۵ — چون زره دان این تن پرحیف را — نه شتارا شاید و نه صیف را
یار بد نیکوست بهر صبر را — که گشاید صبر کردن صدر را ۲۶ — صبر مه با شب منوّر داردش — صبر گل با خار اذفر داردش
صبر شیر اندر میان فرث و خون[8] — کرده او را ناعش ابن اللبون[9] ۲۷ — صبر جمله انبیا با منکران — کردشان خاص حق و صاحبقران
هر که را بینی یکی جامه درست — دانکه او آن را بکسب و صبر جست ۲۸ — هر که را دیدی برهنه و بینوا — هست بر بی صبری او آن گوا
هر که مستوحش بود پرغصّه جان — کرده باشد با دغائی اقتران ۲۹ — صبر اگر کردی زاُلف آن بیوفا — از فراق او نخوردی این قفا[10]
خوی باحق ساختی چون انگبین — با لبن که لا احبّ الا فلین ۳۰ — لاجرم تنها نماندی همچنان — کآتشی مانده براه از کاروان
چون زبی صبری قرین غیر شد — در فراقش پر غم و بی خیر شد ۳۱ — صحبتت چون هست زرّ ده دهی — پیش خائن چون امانت مینهی
خوی با او کن کامانتهای تو — ایمن آید از افول و از عتو ۳۲ — خوی باو کن که خو را آفرید — خوی های انبیا را پرورید
برّهٔ بدهی رمه بازت دهد — پرورندهٔ هر صفت خود رب بود[11] ۳۳ — برّه پیش گرگ امانت مینهی — گرگ ویوسف را مفرما همرهی
گرگ اگر با تو نماید روبهی — هین مکن باور که ناید زو بهی ۳۴ — جاهل ار با تو نماید همدلی — عاقبت زخمت زند از جاهلی
او دو آلت دارد و خشم بود — فعل هر دو بیگمان پیدا شود ۳۵ — مر ذکر را از زنان پنهان کند — تا که خود را خواهر ایشان کند
شله از مردان بکف پنهان کند — تا که خود را دادر ایشان[12] کند ۳۶ — گفت یزدان زان کس مکتوم[13] او — شلهٔ سازیم در خرطوم او
تا که بینایان ما زان ذو دلال — در نیفتند از فن او در جوال ۳۷ — حاصل آن کز هر ذکر ناید نری — هین زجاهل ترس اگر دانشوری
دوستی جاهل شیرین سخن — کم شنو کان هست چون سم[14] کهن ۳۸ — جان مادر چشم روشن گویدت[15] — جز غم و حسرت از او نفزویدت
مریدر را گوید آن مادر جهار — که زمکتب بچه ام بس شد نزار ۳۹ — از زن دیگر اگر آوردئی — بروی این جور و جفا کم کردئی

۲ـ محسوس ۳ـ ت. ٤ـ هم برین بشنودم ٥ـ تختش ٦ـ املاکی ۱۱ـ ور دهی یك صعوه صد بازت دهد ۱۲ـ جنس آن مردان ۱۳ـ حق زان فرج بس مختوم ۱٤ـ زهر (ن. ل)

---

(۱) مراد بعدم و نیستی که مطلوبست هستی اطلاقی است که نفی این وجودات مقیده مجازیه است و معلوم است که جائی که دریاست قطره وجائی که آفتاب عالمتابست سایه نیست و همه بالفطرة الاصلیه طالب اصل بسیط محیطند (۷) فقر حقیقی محمود نه فقر مذموم همان نیستی است چه فقیر حقیقی بحق بحسب ذات و وجود بحسب صفت و فعل جمیعاً فقر بحق دارد واز خود هیچ ندارد پس در هرسه مرتبه تقوم بوجود حق و صفت و فعل او دارد بحسب وجود لاهو الاهو گوید وبحسب صفت لا اله الا الله و بحسب فعل لاحول ولا قوة الا بالله العلی العظیم (۸) فرث سرگین واشاره است بکریمهٔ من بین فرث ودم لبناً سائغاً (۹) پرورش دهندهٔ شتر بچهٔ شیر خوار (۱۰) صبر اگر داشتی برترك الفت پس زهر فراق الف را نچشیدی قائلی گوید ـ بسکه میترسم ازجدائیها ❀میگریزم ز آشنائیها (۱۵) مادر جاهل بچه را جان عزیز خواند و شوهر را گوید که بچه از رفتن مکتب نزار میشود و این دشمنی بزرگی است باولاد از روی نفهمی

ازجز از تو گر بُدی این بچه‌ام — این نشار آن زن بگفتی نیز هم ۱ — هین بجه زین مادر و تیبای او — سیلی بابا به از حلوای او
هست مادر نفس و بابا عقل راد — اوّلش تنگی و آخر بس[1] گشاد[2] ۲ — ای دهندهٔ عقلها فریاد رس — تا نخواهی تو نخواهد هیچکس[3]
هم طلب ازتست وهم آن نیکوئی — ما کشیم اوّل توئی آخر توئی ۳ — هم توگوی وهم تو بشنو هم توباش — ما همه لاشیم با چندین تراش
زین حوالت رغبت افزا درسجود — کاملی و جبر مفرست و خمود ۴ — جبر باشد پرّ و بال کاملان — جبر هم زندان و بند کاهلان
همچو آب نیل دان این جبر را — آب مؤمن را و خون مرگبر را ۵ — بال بازان را سوی سلطان برد — بال زاغان را بگورستان برد
باز گرد اکنون تو درشرح عدم — کوچو بازهراست وپنداریش سم ۶ — همچوهندوبچه‌هان ای‌خواجه تش — رو ز محمود عدم ترسان مباش
از وجودی ترس‌کاکنون‌دروئی — آن خیالت لاشی و تو لاشئی ۷ — لاشئی برلاشئی عاشق شده‌است — هیچ نی مرهیچ نی‌را ره زده‌است

قوله علیه السلم لیس للماضین هم الموت و انمالهم حسرت الفوت[4]

راست فرمود آن سپهدار بشر — که هرانکو کرد از دنیا گذر ۹ — چون‌برون رفت‌این‌خیالات‌ازمیان — گشت نامعقول تو بر تو[5] عیان
نیستش درد و دریغ و غبن موت — بلکه هستش صد دریغ ازبهرفوت ۱۰ — لیس للماضین هم الموت گفت — زانکه هم[6] با حسرت فوتند جفت
که چرا قبله نکردم مرگ را — مخزن هر دولت و هر برگ را ۱۱ — قبله کردم من همه عمر از حول — آن خیالاتی که گم شد در اجل
حسرت آن مردگان ازمرگ‌نیست — زآنست کاندر نقشها کردیم ایست ۱۲ — ماندیدیم‌آنکه این‌نقش‌است وکف — کف ز دریا جنبد و یابد علف
چونکه بحر افکند کفها را ببر — تو بگورستان رو آن کفها نگر ۱۳ — پس بگو کو جنبش و جولانتان — بحر افکند است در بحرانتان[7]
تا بگویندت بلب نی بل بحال — که ز دریا کن نه ازما این سؤال ۱۴ — نقش‌چون کف کی‌بجنبدبی زموج — خاك بی بادی کجا آید باوج
چون غبار نقش دیدی باد بین — کف چو دیدی قلزم ایجاد بین ۱۵ — هین ببین گر تو نظر آید بکار — باقیت شحمی و لحمی بود وتار
شحم تو در شمعها نفزود تاب — لحم تو مخمور را نامد کباب ۱۶ — در گداز این جمله تن را در بصر — در نظر رو در نظر رو درنظر
یك‌نظر دو گر همی بیند زراه — یك نظر دو کون دیدو روی‌شاه ۱۷ — در میان این دو فرق بیشمار — سُرمه جو والله اعلم بالسرار[8]
چون شنیدی شرح بحر نیستی — کوش تا دائم بدین بحر ایستی ۱۸ — چونکه اصل کارگاه آن نیستیست — کو خلا و بی نشانست و تهیست
جمله استادان بی اظهار کار — نیستی جویند و جای انکسار ۱۹ — لاجرم استاد استادان صمد — کارگاهش نیستی و لابود
هر کجا این نیستی‌افزون‌تراست[9] — کارحق‌وکارگاهش‌آن‌سراست[10] ۲۰ — نیستی چون هست بالائین طبق — از همه بردند درویشان سبق
خاصه درویشی که‌شدبی‌جسم‌ومال — کار فقر جسم دارد نی سؤال ۲۱ — سائل‌آن‌باشد که‌جسم‌اوگداخت[11] — قانع آن باشدکه‌مال‌خویش‌باخت[12]
پس زدرد اکنون شکایت‌بر مدار — کوست سوی نیست اسبی راهوار ۲۲ — این قدر گفتیم باقی فکر کن — فکر اگر جامد بود رو ذکر کن
ذکر آرد فکر را در اهتزاز — ذکر را خورشید این‌افسرده‌ساز ۲۳ — اصل‌خودجذبست‌لیك‌ای‌خواجه‌تاش — کار کن موقوف آن جذبه مباش
زانکه ترك کار چون نازی بود — نازکی در خورد جانبازی بود ۲۴ — نی قبول اندیش نی ردّای غلام — امر راو نهی را می بین مدام
مرغ جذبه ناگهان‌پرّد ز عش — چونکه دیدی صبح شمع‌آنگه‌بکش ۲۵ — چشمها چون شدگذاره‌نور اوست — مغز ها می‌بیند او در عین پوست
بیند اندر ذرّه خورشید بقا — بیند اندر قطره کُلّ بحر را ۲۶

باز گشتن بحکایت صوفی بر لب جو و قاضی

گفت صوفی در قصاص یك قفا — سر نشاید باد دادن از عمی ۲۸ — خرقهٔ تسلیم اندر گردنم — بر من آسان کرد سیلی خوردنم
دید صوفی خصم خودراسخت‌زار — گفت اگر مشتش زنم من‌خصم‌وار ۲۹ — او بیك مشتم بریزدچون رصاص — شاه فرماید مرا زجر و قصاص
خیمه ویرانست و بشکسته وتد — او بهانه میکند تا در فتد ۳۰ — بهر این مُرده دریغ آید دریغ — که قصاصم‌افتد اندر زیر تیغ
چون نمیتانست کف بر خصم زد — عزمش‌آن‌شد[13] کش‌سوی‌قاضی‌برد ۳۱ — که ترازوی حق‌است‌وکیل او — زان سوی حقست دایم میل او
مخلص است ازمکردیوو حیله‌اش — مأمنست از قید دیو و قبله‌اش ۳۲ — هست او مقراض احقاد و جدال — قاطع جنگ دو خصم و قیل وقال
دیو در شیشه کند افسون او — فتنها ساکن کند قانون او ۳۳ — چون ترازو دید خصم پر طمع — سرکشی بگذارد و گردد تبع
ورترازوه‌نیست گر افزون‌دهیش — از قسم[14] راضی نگردد ابلهیش[15] ۳۴ — کی شودراضی زتوطبع‌تهیش — از پی بی دانشی و ابلهیش
هست قاضی رحمت و دفع ستیز — قطرهٔ از بحر عدل رستخیز ۳۵ — قطره گرچه خُرد و کوته پا بود — لطف آب بحر از او پیدا بود
از غبار ارپاك داری کله را — تو زپاك قطره بینی دجله را ۳۶ — جزوها بر حال کلها شاهداست[16] — چون‌شفق‌غماز‌خورشیدآمده‌است[17]
آن قسم بر جسم احمدراند حق — آنچه فرمود است کلا والشفق[18] ۳۷ — مور بردانه چرا لرزان بُدی — گر از آن یکدانه خرمن‌دان‌بدی
بر سرحرف‌آ که‌صوفی‌بی‌دل‌است — در مکافات جفا مستعجل است ۳۸ — ای توکرده ظلمهاچون خوش‌دلی — از تقاضای مکافی غافلی
یا فراموشت شدست آن کردهات — که فرو آویخت غفلت پردهات ۳۹ — جرم گردد رشك بردی‌برصفات — گرنه خصمیهاستی اندر قفات

۱ـ صد ۵ ـ او بر او ٦ ـ لیکشان ۹ ـ انبوه تر ۱۰ ـ بیشتر ۱۱ ـ مال خویش باخت ۱۲ ـ جسم او گداخت ۱۳ ـ آمد ۱۵ ـ آگهیش ۱٦ ـ شد گوا ۱۷ ـ مرخورشید را (ن . ل)

---

(۲) اول عقل ریاضت است و آخرش فتوحات (۳) ماتشاؤن الا ان یشاء الله (٤) نیست مرگذشتگان را غم مرگ بلکه پشیمانند بر آنکه وقت و اعمال و کسب حال از ایشان فوت شد (۷) وقت مدافعه طبیعت است مرض را واینجا تشبیه است که تعینات امکانیه که کفها وحبابهای دریای وجودند گویا امراض وجودات خاصه اند و حقیقت وجود افکنده است آن مرضها را که المرض عارض والعارض یزول والصحة اصل وکل شیٔ یرجع‌الی اصله والقسر لایدوم والطبع یئول والذاتی لایختلف ولا یتخلف (۸) سرمه نور او «اعرفوا الله بالله» (۱٤) افزون دهی ازقسمت و بهره اش از تو (۱۸) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ انشقاق «فلا اقسم بالشفق و اللیل و ما وسق یعنی پس سوگند میخورم بشفق و شب و آنچه جمع می کند

لیك مجبوسی برای آن حقوق — اندك اندك عذرمیخواه ازعقوق ۱ — تا بیکبارت نگیرد محتسب — آب خود روشن کن اکنون با مُحب

رفتن صوفی سوی آن سیلی زن و بردن اورا بقاضی

رفت صوفی سوی آن سیلی زنش — دست زد چون مدّعی بر دامنش ۳ — اندر آوردش بر قاضی کشان — کاین خر ادبار را بر خرنشان

یا بزخم دِرّه او را ده جزا — آنچنانکه رای تو بیند سزا[1] ٤ — کانکه از زجر[2] تو میرددر دمار — بر تو تاوان نیست باشدآن جُبار

❀ وانکه‌ازتوزخم‌بیندمرگ‌خویش — فارغ از دوزخ رود تاخلد پیش ۵ — برحد و تعزیر قاضی هرکه مرد — نیست‌بر قاضی ضمان‌کونیست‌خرد

نائب حق است و سایهٔ عدل‌حق — آیهٔ حق است وباشد مستحق[3] ٦ — کوادب از بهر مظلومی کند — نی برای عرض و خشم‌ودخل‌خود

چون برای حقّ وروزآجله‌است — گرخطائی شد دیت برعاقله است[4] ۷ — ❀ عاقلهٔ او کیست دانی‌هست‌حق — سوی بیت‌المال بر گردان ورق

آنکه بهر حق زنداو آمن است — وانکه بهرخود زند اوضامن‌است ۸ — گر پدر زد مر پسر را او بمرد — آن پدر را خونبها باید شمرد[5]

زانکه اورا بهر کار خویش‌رد — خدمت اوهست واجب بر ولد ۹ — چون معلم زد صبی را شد تلف — بر معلم نیست چیزی لا تخف

کان معلّم نائب افتاد و امین — هر امینی هست حکمش همچنین ۱۰ — نیست واجب خدمت اُستا براو — پس بزجر استا نپوشد کار جو

ور پدر زد اوبرای خود زدست — لاجرم از خونبها دادن نرست ۱۱ — پس خودی راسربیر با ذوالفقار — بیخودی شو فانی ودرویش وار

چون‌شدی بیخود هرآنچه توکنی — ما رَمیتَ اِذ رَمیتَ ایمنی ۱۲ — آن ضمان‌برحق بود نی بر امین — هست تفصیلش بفقه اندر مُبین

هر دکانی راست بازار[6] دگر — مثنوی دُکان فقر است ای پدر ۱۳ — در دکان کفش‌گر چرمیست خوب — قالب کفش‌است اگر بینی‌توچوب

پیش بزازان قز[7]واد کن بود[8] — بهر گز باشد اگر آهن بود ۱٤ — مثنوی ما دکان وحدتست — رحمت‌اندر رحمت‌اندر رحمتست[9]

❀ غیر واحد هرچه‌بینی‌اندر این — بیگمانی جمله را بت دان یقین ۱۵ — بت ستودن بهر دام عامه را — همچنان دان کالفرانیق العلی[10]

خواندش‌اندر سورهٔ و النجم زود — لیك آن فتنه بُد از سوره نبود ۱٦ — جمله کفار آن زمان ساجد شدند — هم سِری بودآنکه سربردرزدند

بعدازاین‌حرفیست پیچاپیچ و دور — با سلیمان باش ودیوان‌را مشور[11] ۱۷ — هین حدیث صوفی و قاضی بیار — وان ستمکار ضعیف زار زار

هم در تقریر قصهٔ قاضی و صوفی

گفت قاضی ثبت العرش ای پسر — تا بر او نقشی کنیم از خبروشر ۱۹ — کو زننده کو محلّ انتقام — کاین خیالی گشته است اندرمقام

شرع بهر زندگان و اغنیاست — شرع بر اصحاب‌گورستان کجاست ۲۰ — آن گروهی کزفقیری بی برند[12] — صد جهت زان‌مردگان‌فانی ترند

مرده از یك‌روست فانی درگزند — صوفیان از صد جهت فانی شدند ۲۱ — مرگ‌یك‌قتل‌است‌واین‌سیصدهزار — هریکی را خونبهای بی‌شمار

گرچه کُشت این‌قوم راحق بارها — ریخت بهر خونبها انبارها ۲۲ — همچو جرجیس‌اندهریك‌نیز سِرار — کشته زنده گشته چند[13] بار

کشته از ذوق سنان دادگر — می بزارد که بزن زخمی دگر ۲۳ — والله ازعشق[14] وجودجان پرست — کشته بر قتل دوم عاشق تر است

گفت قاضی من قضادار حبیم — حاکم اصحاب گورستان کیم ۲٤ — این‌بصورت گر نه‌درگوراست‌پست — گورها در دودمانش آمدست

پس بدیدی مرده اندر گور تو — گور را در مرده بین‌ای‌کورتو[15] ۲۵ — گر ز گوری برتو خشتی اوفتاد — عاقلان از گور کی خواهند داد

گرد خشم و کینهٔ مرده مگرد — هین مکن با نقش گرمابه نبرد ۲٦ — شکر کن که زندهٔ[16] بر تونزد — کانکه زنده رد کند حق کرد رد

خشم احیاخشم حقّ وزخم اوست — کهبحق زنده‌است آن‌پاکیزه‌پوست ۲۷ — حق‌بکشت اورا ودرپاچه‌اش دمید — زود قصابانه جلد[17] ازوی کشید[18]

نفخ در وی باقی آمد تا مآب — نفخ حق نبود چو نفخهٔ‌آن قصاب ۲۸ — فرق بسیار است بین‌النفختین — این‌همه زین‌است‌وباقی[19] جمله‌شین

این حیات ازوی برید وشدمضر — وان حیات ار نفخ حق شدمستمر ۲۹ — این دم آن دم‌نیست‌گیدآن بشرح — هین برآزین قعر چه بالای‌صرح

نیستش بر خر نشاندن مجتهد — نقش هیزم را کسی برخر نهد ۳۰ — بر نشسته او نه پُشت خر سزد — پشت تابوتیش اولیتر سزد

ظلم چبود وضع غیر موضعش — هین مکن در غیر موضع ضایعش ۳۱ — گفت صوفی پس روا داری که‌او — سیلیم زد بی قصاص و بی تسو

کی روا باشد که‌هرخرسی قلاش — صوفیان را صفع اندازد بلاش ۳۲ — ❀گفت‌صوفی‌راچه‌باك ازصفع‌خبز — با چنین بیمار کمتر کن ستیز

هین چه‌داری صوفیا ازبیش وکم — گفت‌دارم‌زین جهان من شش‌درم ۳۳ — گفت قاضی سه درم تو خرج‌کن — وان سه دیگر را بدو ده بی‌سخن

زارورنجوراست‌ودرویش‌وضعیف — سه درم میبایدش تره و رغیف ۳٤ — ❀قاضی و صوفی بهم‌در قیل وقال — لیك آن رنجور زار وسخت حال

بر قفای قاضی افتادش نظر — از قفای صوفی آن بُد[20] خوبتر ۳۵ — راست‌میکرد ازپی سیلیش دست — که قصاص سیلیم ارزان شدست

سیلی زدن رنجور قاضی را و سرزنش کردن صوفی قاضی را

سوی گوش قاضی آمد بهر راز — سیلئی آورد قاضی را فراز ۳۷ — گفت هرشش‌را بیاریدای‌دوخصم — تا روم آزاد بی خرخاش ووصم

گفت قاضی طبره صوفی‌گفت هی — حکم تو عدلست لاشك نیست‌غیّ ۳۸ — آنچه پسندی‌بخود ای‌شیخ‌دین[21] — چون پسندی بر برادر ای امین

۲ـ زخم ۳ـ هر مستحق ومست حق ٦ـ سردائی ۷ـ خز ۹ـ غیرواحد هرچه بینی‌آن بت‌است ۱۰ـ تا یابی تو نور ۱۲ـ بی‌برید ـ بی سرند ۱۳ـ شصت ۱٤ـ عشقت ۱۷ـ پوست ۱۹ـ آن سر ۲۰ـ آمد (ن.ل)

---

(۱) چون تعزیر منوط برای حاکم است و تعیینی ندارد (٤) موافق مسئلهٔ فقهیست (۵) یعنی دیه او را باید بشمارد و بورثه بدهد و خود از آن‌ارث نبرد بلی بجهت حرمت پدری رجوع بدیه است وکشته نمیشود مثل آنکه درعکس رجوع‌بقصاص است (۸) دکنیت رنگ تیره است چون رنگ آهن (۰) جمع غرنوق بمعنی بت است و اصلش پرنده ایست آبی یا هوائی و در روایات وارد است که حضرت رسول (ص) سورهٔ والنجم را تلاوت میفرمود در هر آیه درنگ میفرمودند تا مستمعین فرا گیرند چون بآیهٔ « افرأیتم اللات والعزّی ومناة الثالثة الاخری » رسیدند درنگ فرمودند شیطان درگوش خلق خواند « تلك الفرانیق العلی و ان شفاعتهم لترتجی » مشرکین خوشدل شدند که پیغمبر بتهای ما را بستود پس در هنگام سجده با مؤمنین موافقت نمودند پس جبرئیل حضرت را مخبر ساخت و حضرت اندوهگین شد و آیهٔ وما ارسلنا من قبلك من‌رسول ولا نبی الا اذا تمنی القی‌الشیطان فی امنیته‌نازل‌شد (۱۵) چون درتنش آثارزندگی مستهلك است مثل‌جماداست گویا گوریست مستطیل دراین مردهٔ‌روح (۱٦) مراد زندهٔ حقانی است که انسان کامل باشد (۱۸) از علایق تن او را مجرد ساخت (۲۱) اشاره بحدیث نبویست لایؤمن احدکم حتی یحب‌لاخیه ما یحب لنفسه یعنی مؤمن کامل نمی باشد از شما مگر کسی که دوست دارد برای برادرش آنچه دوست دارد برای خودش

این ندانی کز پی من چه کنی — هم درآن چه عاقبت خویش افکنی ۱ — من حفر بئراً نخواندی از خبر[1] — آنچه خواندی کن عمل جان پدر
این یکی حکمت چنین بُد درقضا — کان ترا آورد سیلی بر قفا ۲ — وای بر احکام دیگر های تو — تا چه آرد بر سر و بر پای تو
ظالمی را رحم آری از کرم — کز برای نفقه بدهش سه درم ۳ — دستِ ظالم را ببر چه جای آن — که بدست او دهی حکم وعنان
آن بُزی را[2] مانی ای مجهول داد ٤ — که نزاد گرگ را او شیر داد

جواب باصواب قاضی صوفی را در این ماجرا

گفت قاضی واجب آیدمان رضا — هر جفا و هر قفا کارد قضا ٦ — خوش دلم در باطن از حکم زبر — گر چه رویم شد ترش کالحق مُر
این دلم باغست و چشمم ابروش — ابر گرید باغ خندد شاد وخوش ۷ — سالِ قحط از آفتاب خیره خند — باغها در مرگ و جان کندن رسند
ز امر حق و ابکوا کثیراً[3] خواندهٔ — چون سر بریان چه خندان ماندهٔ ۸ — روشنی خانه باشی همچو شمع — گرفرو باری تو همچون شمع دمع
ذوق خنده دیدهٔ ای خیره خند — ذوق گریه بین که هست آن کان قند ۹ — آن ترش روئی مادر یا پدر — حافظ فرزند شد از هر ضرر
چون جهنّم گریه آرد یادِ آن — پس جهنم خوشتر آمد از جنان ۱۰ — خندها در گریه ها آمد کتیم — گنج در ویرانها جو ای کلیم[4]
ذوق در غمهاست پی گم کرده اند — آب حیوان را بظلمت برده اند ۱۱ — با ژگونه نعل از ده[5] تا رباط — چشمها را چار کن در احتباط
چشم خود را چار کن در اعتبار — یار کن باچشم خود دو چشم یار ۱۲ — امرهم شوری بخوان اندر صحف[6] — یار را باش و مکن از ناز اف
یار باشد راه را پشت و پناه — چونکه نیکو بنگری یاراست راه ۱۳ — چونکه در یاران رسی خامش نشین — اندر آن حلقه مکن خودرا نگین
در نماز جمعه بنگر خوش بهوش — جمله جمعند ویك اندیش وخموش ۱٤ — رختها را سوی خاموشی کشان — چون نشان جوئی مکن خودرا نشان
گفت پیغمبر که در بحر هموم — در دلالت دان تو یاران را نجوم ۱٥ — چشم بر استارگان نه ره بجوی — نطق تشویش نظر باشد مگوی
گر دوحرف صدق گوئی ای فلان — گفتِ تبره در عقب[7] گردد روان ۱٦ — این نخواندی کالکلام ای مستهام — فی شجون جرّه جرُ الکلام[8]
هین مشو شارع درآن حرف رشد — چون سخن بی شك سخن رای کند ۱۷ — نیست درضبطت چو بگشادی دهان — از پی صافی شود تیره روان
آنکه معصوم ره وحی خداست — چون همه صاف است بگشاید رواست ۱۸ — زانکه ما ینطق رسولُ بالهوی[9] — کی هوا زاید زمعصوم خدا
خویشتن را ساز منطیقی زحال ۱۹ — تا نگردی همچو من سخرهٔ مقال

سؤال کردن صوفی از قاضی و جواب قاضی مراو را

گفت صوفی چون زیك کانست زر — این چرا نفع است وآن دیگر ضرر ۲۱ — چونکه اینجمله زیك دست آمدست — این چرا هشیار وآن مست آمدست
چون زیکدریاست این جوها روان — این چرا زهراست وآن نوش روان ۲۲ — چون همه انوار ازشمس بقاست — صبح صادق صبح کاذب از کجاست[10]
چون زیك سرمه است ناظر را کحل — از چه آمد راست بینی و حوَل ۲۳ — چونکه دارالضرب را سلطان خداست — نقد ها چون ضرب خوب وناروا ست
چون خدا فرمود ره را راهِ من — این خفیر ازچیست وآن یك راهزن ۲٤ — چون زیك بطنند آن حبر[11] وسفیه — چون یقین شد کالولد سرّ ابیه
وحدتی که دید با چندین هزار — صد هزاران جنبش از عین قرار ۲٥ — گفت قاضی صوفیا خیره[12] مشو — یك مثالی در بیان این شنو
❀این ببین وحال این را نیك دان — ور نبینی حال را نیکو بخوان ۲٦ — بیقراری درون[13] عاشقان — حاصل آمد از قرار دلستان
آن چو کُه در ناز ثابت آمده — عاشقان چون برگها لرزان شده ۲۷ — خندهٔ او گریها انگیخته — آب رویش آب روها ریخته
این همه چون وچگونه چون زند — بر سر دریای بیچون میطپد ۲۸ — ضدّ وندش نیست درذات وعمل — زان بپوشیدند هستیها خلل
ضدضدّ را بود وهستی کی دهد[14] — بلکه زو بگریزد و بیرون جهد ۲۹ — ندّ چبود مثل مثل نیك و بد — مثل مثل خویشتن را کی کند
چونکه دو مثل آمدند ای متقی — این چو اولیتر از آن در خالقی ۳۰ — بر شمار برگ بُستان ضدّ وند — چون کفی دربحر بی ندّ است وضد
بی چگونه بین تو بُرد ومات بحر[15] — چون چگونه گنجد اندر ذات بحر ۳۱ — کمترین لعبتِ او جان تست — این چگونه وچون زجان کی شد درست
بس چنان بحری که درهر قطره زان — از بدن ناشی ترآمد عقل و جان ۳۲ — کی بگنجد درمضیق چند وچون — عقل کلّ اینجاست از لایعلمون
عقل گوید مرجسد راکای جماد — بوی بردی هیچ از آن بحر معاد ۳۳ — جسم گوید من یقین سایهٔ توام — بوی از سایه که جوید جان عم
عقل گوید کاین نه آن حیرت سراست — که سزا گستاخ تر از ناسزاست ۳٤ — شیر اینسو پیش آهو سر نهد — باز اینجا نزد تیهو پر نهد
اندر اینجا آفتاب انوری — خدمت ذرّه کند چون چاکری ۳٥ — این ترا باور نیاید مصطفی — چون زمسکینان همی جوید دعا
گر تو گوئی از پی تعلیم بود — عین تجهیل ازچه رو تفهیم بود ۳٦ — بلکه میداند که گنج بیشمار — در خرابیها نهاد آن شهریار
بدگمانی نعل معکوس وی است[16] — گرچه هرجزویش جاسوس وی است ۳۷ — بل حقیقت درحقیقت غرقه شد[17] — زین سبب هفتاد بل صد[18] فرقه شد
باتوقل ماشئت[19] خواهم گفت هان — صوفیا خوش بهین بگشا گوش جان ۳۸ — مر ترا هر زخم کاید زاسمان — منتظر می باش خلعت بعد ازآن

۲ـ تو بدان بز ٤ـ سلیم ٥ـ در ره ۷ـ تبع ۱۰ـ چه خاست ۱۱ـ از یك اشکم چون رسد حرّ ۱۲ـ غرّه ۱۳ـ همچنانکه بیقراری ۱۸ـ با سه (ن . ل)

( ) من حفر بئراً لاخیه وقع فیه یعنی هرکه چاهی در راه برای هلاکت برادر خود بکند خودش در آن چاه خواهد افتاد (۳) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ توبه فلیضحکوا قلیلاً و لیبکوا کثیراً (٦) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ شوری و امرهم شوری بینهم یعنی و کار ها را با مشورت بین خود انجام میدهند (۸) یعنی ای حیران کلام در بیخها و رگها مخفی است میکشد آن کلام را کشیدن کلام یعنی سخن سخن را میکشد (۹) در سورهٔ والنجم واقع شده و ما ینطق عن الهوی ان هو الا وحی یوحی (١٤) یعنی در علت و معلول سنخیتی شرط است چون شئی فیئی و نیر وشعاعش پس چگونه از ضد که طرد ضد کند ضد بیاید که از نور ظلمت نیاید وبالعکس و از وجود عدم نیاید و بالعکس و از خیر شر نیاید و بالعکس و از بلل جفاف نیاید وبالعکس وقس علیها (١٥) نزول و صعود دریا (١٦) بحسب وجود که همه اوست و ظهور او (۱۷) یعنی در نزد اهل حقیقت مجاز نماند چنانکه مراتب وجود حقیقت بعد الحقیقت نامیده شده (۱۹) یعنی بگو هرچه میخواهی و کلمات بیهوده و هرزه را هم معنی میدهد

چون قفا دیدی صفا را هم ببین — گرد زان با گردن آمد ای امین ۱ — کان نه آن شاهست کت سیلی زند — که نه تاج و تخت بخشد مستند
جمله دنیا را پر پشه بها — سیلئی را رشوت بی منتها ۲ — گردنت زین طوق زرین جهان — چست در دزد و زحق سیلی‌ستان
آن قفاها کانبیا برداشتند — زان بلا سرهای خویش افراشتند ۳ — لیك حاضر باش درخود ای فتی — تا بخانه او بیابد مر تو را
ور نه خلعت را برد او باز پس — که نیابیدم بخانه هیچکس ۴ — گفت آن صوفی چه بودی کاین جهان — ابروی رحمت گشادی جاودان
هردمی شوری نیاوردی به پیش — بر نیاوردی ز تلوینهاش نیش ۵ — شب ندزدیدی چراغ روز را — دی نبودی باغ عیش اندوز را
جام صحت را نبودی سنگ[1] تب — ایمنی را خوف ناوردی کرب ۶ — خود چه کم گشتی زجودورافتش[2] — گر نبودی خرخشه در نعمتش
حال بودی خوب و خوش بر جملگان — تیره کم بودی روان انس وجان ۷ — جاودان بودی حضور ذوق خوش — دائماً درجان بدی هم شوق خوش

جواب دادن قاضی صوفی را و قصهٔ ترك و درزی را مثل آوردن

گفت قاضی بس تهی رو صوفئی[3] — خالی از فطنت چو کاف کوفئی ۹ — تو بنشنیدی که آن پر قند لب — عذر خیاطان همی گفتی بشب
خلق را در دزدی آن طایفه — مینمود افسانهای سالفه ۱۰ — قصهٔ پاره ربائی در بریت — می حکایت کرد او با آن واین
در سمر میخواند درزی نامهٔ — گرد او جمع آمده هنگامهٔ ۱۱ — مستمع چون یافت جاذب را وقود[4] — جمله اجزایش حکایت گشته بود

بیان حدیث ان الله یلقن الحکمة علی لسان الواعظین بقدر همم المستمعین[5]

جذب سمعست ار کسی را خوش لبیست — گرمی و وجد معلم از صبیست ۱۳ — چنگئی کو در نوازد بیست وچار — چون نیابد گوش گردد چنگ دار[6]
نی حراره یادش آید نی غزل — نی ده انگشتش بجنبد در عمل ۱۴ — گر نبودی گوشهای غیب گیر — وحی ناوردی ز گردون یك بشیر
ور نبودی دیدهای صنع بین — نی فلك گشتی نه خندیدی زمین ۱۵ — آن دم لولاك این باشد که کار[7] — از برای چشم تیز است ونظار
عامه را از عشق همخوابه وطبق — کی بود پروای صنع وعشق حق ۱۶ — آب تتماجی نریزی در تغار — تا سگی چندی نباشد طعمه خوار
رو سگ کهف خداوندیش باش ۱۷ — تا رهاند زین تغارت اصطفاش

شنیدن ترك حکایت دزدی درزیان را وگرو بستن که درزی از من چیزی نتواند بردن

چونکه دزدیهای بی رحمانه گفت — که کنند آن درزیان اندر نهفت ۱۹ — اندر آن هنگامه ترکی از خطا — سخت تیره[8] شد زکشف آن غطا
شب چو روز رستخیز آن رازها[9] — کشف میکرد از پی اهل نهی ۲۰ — هرکجا آئی تو درجنگی[10] فراز — بینی آنجا دو عدو در کشف راز
آن زمان را محشر مذکور دان — وان گلوی راز گورا صور دان ۲۱ — که خدا اسباب خشمی ساخته‌است — وان فضایح را بکوی انداخته‌است
بس که غدر درزیان را ذکر کرد — حیف آمد ترك را و خشم و درد ۲۲ — گفت ای قصاص در شهر شما — کیست چابکتر در این فن[11] دغا
گفت خیاطیست نامش پورشش[12] — اندرین دزدی و چستی خلق کش ۲۳ — گفت من ضامن که باصد اضطرار[13] — او نیارد برد از من رشته تار[14]
پس بگفتندش که ازتو چست تر — مات او گشتند در دعوی مپر ۲۴ — تو بعقل خود چنین غره مباش — که شوی یاوه تو در تزویرهاش
گرم ترگشت او[15] وست آنجا گرو — که نیارد برد نه کهنه نه نو ۲۵ — مطمعانش گرمتر کردند زود — او گروبست و دهان[16] را برگشود
گفت رهن[17] این مرکب تازی من — بدهم ار دزدد قماش من بفن ۲۶ — ور نتاند برد اسبی از شما — وا ستانم بهر رهن مرتما
ترك را آن شب نبرد از فکر خواب — با خیال دزد میکرد او حراب ۲۷ — بامدادان اطلسی زد در بغل — شد ببازار و دکان آن دغل
پس سلامش کرد گرم آن اوستاد — جست از جا لب بترحیبش گشاد ۲۸ — گرم پرسیدش زحد ترك بیش — تا فکند اندر دل او مهر خویش
چون شنید از وی نوای بلبلی — پیشش افکند اطلس استنبلی ۲۹ — که ببر این را قبای روز جنگ — زیر دامن[18] واسع وبالاش تنگ
تنگ بالا بهر جسم آرای را — زیر واسع تا نگیرد پای را ۳۰ — گفت صد خدمت کنم ای ذو وداد — دست بردو چشم و برسینه[19] نهاد
پس به پیمود وبدید او روی کار — بعد از آن بگشاد لب را درفشار ۳۱ — از حکایتهای میران در سمر — و از کرمها و عطای آن نفر
وز بخیلان و ز تخسیر اتشان — از برای خنده هم داد او نشان ۳۲ — همچو آتش کرد مقراضی برون — میبرید و لب پر افسانه و فسون

مضاحك گفتن درزی وترك را از قوت خنده بسته شدن دو چشم و فرصت یافتن درزی

یك مضاحك گفت آن چست اوستاد — ترك مست ازخنده شد سست وفتاد ۳۴ — چونکه خندیدن گرفت از داستان — چشم تنگش گشت بسته آن زمان
پارهٔ دزدید و کرد او زیر ران — غیر چشم حق زجمله آن نهان ۳۵ — حق همی دیدآن ولی ستارخوست — لیك چون از حدبری غمازاوست
ترك را از لذت افسانه اش — رفت از دل دعوی پیشانه اش ۳۶ — اطلس چه دعوی چه رهن چه — ترك سرمستیست درلاغ ای اچه[20]
لابه کردش ترك کز بهر خدا — لاغ می گو کان مرا شد مغتذا ۳۷ — گفت لاغ خنده انگیز آن دغا — که فتاد از قهقهه او بر[21] قفا
پارهٔ اطلس سبك در نیفه زد — ترك غافل خوش مضاحك میمزد ۳۸ — همچنین بار سوم ترك خطا — گفت لاغی گوی از بهر خدا
گفت لاغی خندمین تر از دوبار — کرد اوآن ترك را کلی شکار ۳۹ — چشم بسته عقل جسته مولهه — مست ترك مدعی از قهقهه

۱ـ جام ۲ـ رحمتش ٤ـ زان وفود ٦ـ تار ـ بار ۸ـ طیره ۱۰ـ خنکی ـ کنجی ۱۱ـ مکر ۱۳ـ اضطراب ۱٤ـ تاب ۱۵ـ شد ترك ۱٦ـ رهان ۱۷ـ که گرو ۱۸ـ نافع ۱۹ـ در قبولش دست بردیده ۲۱ـ خنده آن ترك از (ن . ل)

---

(۳) یعنی بی روئی از اینکه ملزوم را بی لازم وشئی را بی ذاتی طمع داری (۵) حدیث قدسی است یعنی بدرستیکه حق تعالی تلقین میفرماید کلام را برزبان و اعظان و گویندگان بقدر همتهای مستمعان و بحسب استعداد ادراك و دریافت ایشان و فراخور قابلیت فهم ایشان که توانند فهمید و بدان تمتع توانند گرفت و بهره مند توانند شد (۷) یعنی آن نفس رحمانی که لولاك لما خلقت الافلاك باشد معنیش آنست که اگر آدم حقیقی که ناظر و معتبر است از افلاك نبودی خلق افلاك نکردی (۹) شب که وقت فراغست از شواغل گفته میشود و بپای میزان و حساب آورده میشود (۱۲) در وجه تسمیه شش نوشته اند که چون شش با آدمی باید یعنی نفس در آن داخل میشود و از آن خارج و دائماً چون مروحه بادپیمائی میکند چنانکه مروحهٔ قلب هم بهمین سبب او را میگویند وآن خیاط نیز بیهوده گو وبادپیما بوده پورشش لقب او نهاده اند (۲۰) بترکی یعنی ای برادر

پس سوم بار از تبا دزدید شاخ — که زخنده اش یافت میدان فراخ ۱ — چون چهارم بار آن ترک خطا — لاغ از استاد میکرد اقتضا
رحم آمد بر وی آن استاد را — کرد در باقی فن و بی داد را ۲ — گفت مولع گشته این مفتون براین — بیخبر کاین چه خسار است وغبین
بوسه افشان کرد بر استاد او — که مرا بهر خدا افسانه گو ۳ — ای فسانه گشته و محو از وجود — چند چند افسانه خواهی آزمود
خندمین تر ازتوهیچ افسانه نیست ٤ — بر لب گور خراب خود بایست

خطاب با هر نفسی که بمثل این بلا مبتلاست

ای فرو رفته بقیر[1] جهل و شك — چند جوئی لاغ و دستان فلك ٦ — تابکی نوشی تو عشوهٔ این جهان — که نه عقلت ماند بر قانون نه جان
لاغ این چرخ ندیم کرد و مرد — آب روی صد هزاران چون تو برد ۷ — می‌درد می دوزد این درزی عام — جامهٔ صد سالکان و اطفال خام
پیره طفلان شسته پیشش بهر کد — تا بسعد و نحس او لاغی کند ۸ — لاغ او گر باغها را داد داد[2] — چون دی آمد داده ها بر باد داد

گفتن درزی ترك را که اگر یکبار دیگر لاغ گویم قبایت تنگ شود

گفت درزی ترك را زین درگذر — وای بر تو گر کنم لاغی دگر ۱۰ — بس قبایت تنگ آید باز پس — این کند باخویشتن خود هیچ کس
خندهٔ چه رمز اگر دانستئی — آن ز صد گریه بتر دانستئی[3] ۱۱ — ترك خنده کن ایا ای ترك مست — زانکه عمرت رفت وخواهی گشت پست
چونکه بنهاد آن قبا درزی زدست — اسب را برباد داد آن ترك مست ۱۲ — مخلصش بشنو توئی آن ترك گول — عالم غدار خیاط چو غول
اطلسی کز بهر تقوی وصلاح — دوخت باید خرج کردی ازمزاح ۱۳ — اطلست عمر و مضاحك شهوت است — روز وشب مقراض وخنده غفلت است
اسب ایمان است وشیطان درکمین — با خود آ افسانه را بگذار هین ۱٤ — اطلس عمرت بمقراض شهور — برد پاره پاره خیاط غرور
تو تمنا میبری کاختر مدام — لاغ کردی سعد بودی بر دوام ۱٥ — سخت مبتولی ز تربیعات آن — وز وبال و کینه و آفات آن[4]
سخت میرنجی ز خاموشی او — وز نحوس وقبض وکین کوشی او ۱٦ — مشتری وزهره چون دررقص نیست — چونکه بهرام وزحل را نقص نیست[5]
اخترت گوید که گر افزون کنم — لاغ را پس کلیت مغبون کنم ۱۷ — تو مبین قلابی[6] این اختران — عشق خود برقلب زن بین ای فلان[7]

مثل در تسکین فقیران بجور روزگار و حکایت

آن یکی میشد بره سوی دکان — پیش ره را بسته دید او اززنان ۱۹ — پای اومیسوخت از تعجیل وراه — بسته از جوق زنان همچو ماه
رو بیك زن کرد وگفت ای مستهان — هین چه بسیارند این دختر چگان ۲۰ — رو بدو کرد آن زن وگفت ای مهین — هیچ بسیاری ما منگر چنین
بین که با بسیاری ما بر بساط — تنگ میآید شما را انبساط ۲۱ — در لواطه می فتید از قحط زن — فاعل و مفعول رسوای زمن
تو مبین این واقعات روزگار — کز فلك میگردد اینجا ناگوار ۲۲ — تو مبین تخسیر[8] روزی ومعاش[9] — تو مبین این قحط وخوف وارتعاش
بین که با این جمله تلخیهای او — مردهٔ اوئید و ناپروای او ۲۳ — رحمتی دان امتحان تلخ را — نقمتی دان ملك مرو وبلخ را
آن براهیم ازتلف نگریخت ماند — وین براهیم ازشرف بگریخت راند[10] ۲٤ — این نسوزد وآن بسوزد ای عجب — نعل معکوس است در راه طلب

باز مکرر کردن صوفی سؤال را وجواب قاضی

گفت صوفی قادر است آن مستعان — که کند سودای ما را بی زیان ۲٦ — آنکه آتش را کند ورد و شجر — هم تواند کرد این را بی ضرر
آنکه گل آرد برون ازعین خار — هم تواند کرد این دی را بهار ۲۷ — آنکه زو هر سرو آزادی کند — قادر است ار غصه را شادی کند
آنکه شد موجود از وی هرعدم — گر بدارد باقیش او را چه غم ۲۸ — آنکه تن را جان دهد تاحی شود — گر نمیراند زیانش کی شود
خود چه باشد گر ببخشد آن جواد — بنده را مقصود جان بی اجتهاد ۲۹ — دور دارد از ضعیفان در کمین — مکر نفس و فتنهٔ دیو لعین
وقت طالب را پریشان کم کند ۳۰ — آینهٔ دل را چو جام جم کند

جواب دادن قاضی صوفی را

گفت قاضی گر نبودی امر مر — ورنبودی خوب وزشت وسنگ ودر ۳۲ — ورنبودی نفس وشیطان وهوا[11] — ور نبودی زخم وچالش و وغا
پس بچه نام ولقب خواندی ملك — بندگان خویش را ای منتهك ۳۳ — چون بگفتی ای صبور و ای حلیم — کی بگفتی ای شجاع و ای حکیم
صابرین و صادقین و منفقین[12] — چون بدی بی رهزن دیو لعین ۳٤ — رستم وحمزه ومخنث یك بدی — علم وحکمت باطل و مندك شدی
علم و حکمت بهر راه بی رهیست — چون همه ره باشد آن حکمت تهیست ۳٥ — بهر این دکان طبع شوره آب — هردو عالم را روا داری خراب
من همی دانم که تو پاکی نه خام — وین سؤالت هست از بهر عوام ۳٦ — جور دوران وهر آن رنجی که هست — سهلتر از بعد حق وغفلت است
رنج و درد وجوع وفقر این دیار — صعب نبود چون فراق و بعد یار ۳۷ — زانکه اینها بگذرد وآن نگذرد — دولت آن دارد که جان آگه برد[13]

حکایت زن با شوهر و ماجرای ایشان

آن یکی زن شوی خودرا گفت هی — ای مروت را بیکره کرده طی ۳۹ — هیچ تیمارم نمی داری چرا — تابکی داری در این خواری مرا
گفت شو من نفقه چاره می کنم — گرچه عورم دست و پائی میزنم ٤۰ — نفقه وکسوه است واجب ای صنم — ازمنت این هردو هست ونیست کم

۱ـ قعر ـ قبر ـ گور ۳ـ تو بجای خنده خون بگرستئی ۷ـ مهان ۸ـ تحشیر (ن . ل)

(۲) داد اول بمعنی اعتدال و داد دوم بمعنی فائده وبهره است (٤) تربیع آنست که بین دوکوکب سیار سه برج که ربع فلك است فاصله باشد و این نظر را در اصطلاح نجوم نحس میدانند ـ وبال در اصطلاح نجوم در آمدن کوکبست در برج مقابل خانهٔ خود که عبارت است از برج هفتم آن خانه (٥) مقصود اینست که چرا نحوست بهرام و زحل را که نحس اصغر و اکبرند نقص نیست (٦) یعنی بد مبین بلکه بکوش که بدریای استوا برسی (۹) تنگ داشتن نفقه بر اهل و فرزندان و غیر هم و نقصان و تخسیر زیانکار کردن (۱۰) ابراهیم اول مقصود خلیل الرحمن و دوم ابراهیم ادهم است (۱۱) چنانچه نفس ووهم و خیال و شیطان نباشند این عالم نخواهد بود که تعمیر این عالم باینهاست (۱۲) اقتباس است از آیهٔ واقعه در سورهٔ آل عمران الصابرین والصادقین و القانتین و المنفقین و المستغفرین بالاسحار (۱۳) اشاره بمضمون آیه واقعه در سورهٔ شعرا « یوم لاینفع مال و لابنون الامن اتی الله بقلب سلیم »

آستین پیرهن بنمود زن — بس درشت و پروسخ بُد پیرهن ۱ — گفت کز سختی تنم را میخورد — کس کسی‌را کوه زین‌سان آورد
گفت ای زن یك سؤالت میکنم — مرد درویشم همین آمد فنم ۲ — این درشت‌است و غلیظ و ناپسند — لیك بندیش ای زن اندیشه مند
کاین‌درشت وزشت‌تر یاخودطلاق — این ترا مکروه‌تر یا خود فراق ۳ — همچنین ای خواجهٔ تشنیع زن — از بلا و فقر واز رنج و محن
بیشك این‌ترك هوا تلخی ده‌است — لیك از تلخی بُعد حق به است ٤ — گرجهاد وصوم سخت‌است وخشن — لیك این بهتر ز بُعد ای ممتحن
رنج کی ماند دمی کان ذوالمنن — گویدت چونی تو ای رنجور من[1] ٥ — ورنگوید کت نه آن‌فهم وفن‌است — لیك آن‌ذوق‌تو پرسش کردن‌است[2]
آن ملیحان که طبیبان دلند — سوی رنجوران پرسش مایلند ٦ — ورحذر از تنگ و از نامی کنند — چارهٔ سازند و پیغامی کنند
ورنه در دلشان بود آن مفتکر — نیست معشوقی ز عاشق بیخبر ۷ — ای تو جویای نوادر داستان — هم فسانهٔ عشق بازان را بخوان
بس بجوشیدی دراین عهد مدید — تُرك جوشی‌هم نکردی[3] ای‌قدید ۸ — دیدهٔ عمری تو داد و داوری — وآنکه از نادیدگان ناشی[4] تری
هرکه شاگردیش کرد استادشد[5] — تو سپس تر رفتهٔ ای کور لدُ ۹ — خود نبود از والدینت اختیار — هم نبودت عبرت از لیل ونهار

پُرسیدن عارفی از کشیش که تو بسال بُزرگتری یا بریش

عارفی پرسید از آن پیر کشیش — که توای‌خواجه مسن‌تر یا کهریش ۱۱ — گفت نی‌من پیش ازآن زائیده‌ام — بس به پیریشی جهان را دیده‌ام
گفت ریشت‌شد سپید ازحال‌گشت — خوی زشت‌تو نگردیده‌است‌وشت ۱۲ — اوپس ازتو زاد واز تو بگذرید — تو چنان خشکی[6] زسودای ثرید
تو بدان رنگی که اوّل زادهٔ — یك قدم زان پیشتر ننهادهٔ ۱۳ — دوغ ترشی همچنان در معدنی — خود نکردی زو مخلص روغنی[7]
هم خمیری خمر الطینه دری[8] — گر چه عمری در تنور آذری ۱٤ — چون حشیشی یا بگل در هشتهٔ — گر چه از باد هوا سر گشتهٔ
همچو قوم موسی اندر تَحرِ تیه — ماندهٔ چل سال بر جای ای‌سفیه ۱٥ — میدوی هرروز تا شب در وله[9] — خویش را بینی در اوّل مرحله
نگذری زین بعد سیصد ساله تو — تا که داری عشق این گوساله تو ۱٦ — تا خیال عجل از جانشان نرفت — بُد برایشان تیه چون‌گرداب تفت
غیر آن عجلی کزو یابیدهٔ — بی نهایت لطف و نعمت دیدهٔ ۱۷ — گاو طبعی زان نکوئیهای زفت — از دلت درعشق این گوساله‌رفت
باری اکنون‌تو زهرجزوت‌بپرس — صد زبان دارند این اجزای خرس ۱۸ — ذکر نعمتهای رزّاق جهان — که‌نهان شدآن در اوراق زبان[10]
روزوشب‌افسانه‌جویانی‌توچست[11] — جزو جزو تو فسانه گوی تست ۱۹ — جزوجزوت تا بروست‌ازعدم — چند شادی دیده اند و چند غم
زانکه بی لذّت نروید هیچ‌جزو — بلکه لاغر گردد از هر پیچ جزو ۲۰ — جزو ماندوآن خوشی ازیاد رفت — بل‌نرفت‌آن‌خفیه‌شد ازپنج وهفت[12]
همچو تابستان‌که از وی پنبه زاد — ماند پنبه رفت تابستان زیاد ۲۱ — یامثال یخ که زائید از شتا — شد شتا پنهان و آن یخ پیش ما
هست آن یخ زان صعوبت یادگار — یادگار صیف در دی از[13] ثمار ۲۲ — همچنین هرجزو جزوی ای‌فتی — در تنت افسانه گوی نعمتی[14]
چون زنی که بیست فرزندش بود — هر یکی حاکیّ حالی خوش بود ۲۳ — حمل نبود بی زمستی و زلاغ — بی بهاری کی شود زائیده باغ
حاملان و بچگانش در کنار — شد دلیل عشق بازیّ بهار ۲٤ — هر درختی در رضاع کودکان — همچو مریم حامل از شاهی نهان
گرچه در آب آتشی پوشیده شد — صدهزاران کف برآن‌جوشیده‌شد ۲٥ — گرچه دریا[15] سخت‌پنهان می‌تند — کف بده انگشت اشارت میکند
همچنین اجزای مستان وصال — حامل از تمثالهای حال و قال[16] ۲٦ — در جمال حال وامانده دهان — چشم غائب مانده[17] از نقش جهان
آن‌موالید ازره این چارنیست[18] — لاجرم منظور این ابصار نیست ۲۷ — آن موالید از تجلی زاده اند — لاجرم مستور پردهٔ ساده اند
زاده گفتیم و حقیقت زاد نیست — وین عبارت جز پی ارشاد نیست ۲۸ — هین خمش شو تا بگوید شاه‌قِل — بلبلی مفروش با این جنس گل
این‌گل گویاست برجوش وخروش — بلبلا ترك زبان کن باش گوش ۲۹ — هر دو گون تمثال پاکیزه مثال — شاهد عدلند بر سرّ وصال
هر دو گون سرّ لطیف مرتضی — شاهد احیاء و حشر ماضی ۳۰ — همچو یخ کاندر تموز مستجد — هر دم افسانهٔ زمستان میکند
ذکر آن ارباح سرد زمهریر — اندر آن ایام و ازمان عسیر ۳۱ — همچو آن میوه که در وقت شتا — میکند افسانهٔ لطف خدا[19]
قصهٔ دور تبسم های شمس — وان‌عروسان‌چمن را طمس ولمس ۳۲ — حال رفت وماند جزوت یادگار — یا از او واپرس یا خود یاد آر
چون فرو گیرد غمت گر چستئی — زآن دم نومید کن واجستئی[20] ۳۳ — گفتیش ای غصهٔ منکر بحال — راتبهٔ انعامها را زان کمال
هردمت گر نی بهاروخرّمیست[21] — همچو چاش گل تنت انبار چیست ۳٤ — چاش‌گل تن فکرتو همچون گلاب — منکر گل شد گلاب اینت عجاب
از کپی خویان کفران کهَ دریغ — بر نبی خویان نثار از مهر ومیغ ۳٥ — آن لجاج کفر قانون کیست — وان سپاس وشکر منهاج نیست
ما کپی خویان تهنکها چه کرد — با نبی رویان تنسکها چه کرد ۳٦ — در عمارتها سگانند و عقور — در خرابیهاست گنج عزّ و نور
گرنبودی این بزوغ اندر خسوف — گم نکردی راه چندین فیلسوف ۳۷ — زیرکان وعاقلان از گمرهی[22] — دیده بر خرطوم داغ ابلهی

۳ـ نگشتی ٤ـ ناسی ٦ـ حسّ خشکی تو ۹ـ هر وله ۱۰ـ زمان ۱۳ـ این ۱٤ـ از نعمتی گوید ثنا ۱٥ـ آتش ۱۷ـ گشته ۱۹ـ صبا ۲۱ـ خرمنی است ۲۲ـ موشکافان دهی (ن. ل)

---

(۱) به بستر افتم و مردن کنم بهانهٔ خویش بدین بهانه مگر آرمت بخانهٔ خویش (۲) که شادمان باشی از رنج و تعبی که داده یالا اقل صابر باشی و مراقب و الا ثمر در استکمال نفس ندارد (٥) اشاره است بکریمهٔ اتقوالله یعلمکم الله (۷) یعنی در قوه و مادّیت مانده ای وروغن که نور میشود از این دوغ نگرفتی (۸) یعنی در خمیرئی که در وقت خمرّ الطینه داشتی یعنی وقت تعجین طینت حال هم اندری و خامی اگر چه عمریست در تنور عالم طبیعتی وقوای طبیعیه را کار میفرمائی ولی صرف نمیکنی آنها را فیما خُلقت لاجله (۱۱) و حال آنکه اجزاء تو افسانه های غریب دارند و تو نمیشنوی (۱۲) پنج مشاعر وهفت اندام که عبارت از سر و پشت و شکم و دو دست و دو پا باشد (۱٦) یعنی زاینده میشود از راه و روش و بینش اهل حق صور مثالیه که در کشف صوری مشاهده می کنند بحواس مشترکه و مختلس میشوند از نقوش جهان (۱۸) آن صور مکشوفه لوازم اعمال سالك است و مخلوق ازین چهار عنصر نیست بلکه آن اعمال معدّند که حق باسمه المصور بر ایشان تجلی کند بصور مثالیه مناسبه اعمال (۲۰) دم ابلیسی که الیاس من الشیطان

باقی قصهٔ فقیر روزی طالب بی واسطهٔ کسب

آن یکی بیچارهٔ مفلس ز درد — کو زبیچیزی هزاران زخم‌خورد ۲ — لابه کردی در نماز و در دعا — کای خداوند و نگهبان رعا[1]
بی ز جهدی آفریدی مر مرا — بی فن من روزیم ده زین‌سرا ۳ — پنج گوهر[2] دادیم در درج سر — پنج حس دیگری هم مستتر[3]
لایعدّ این داد و لایحصی زتو — من کلیلم از بیانش شرم رو ٤ — چونکه در خلاقیم تنها توئی — کار رزاقیم هم کن مستوی
سالها زو این دعا بسیار شد — عاقبت زاری او برکار شد ٥ — همچو آن شخصی که روزی حلال — از خدا میخواست بی کسب وکلال
گاو آوردش سعادت عاقبت — عهد داود لدّنی معدلت ٦ — این متیم نیز زاریها نمود — هم ز میدان اجابت گو ربود
گاه بد ظن میشدی اندر دعا — باز ارجاء خداوند کریم ۷ — در دلش بشار گشتی و زعیم
چون شدی نومید در جهدو کلال — از جناب حق شنیدی که تعال ۸ — خافض است ورافع است این کردگار — بی از این دو بر نیاید هیچ کار
خفض ارضی بین و رفع آسمان — بی ازاین‌دونیست‌دورانش ای‌فلان ۹ — خفض ورفع این‌زمین نوعی دگر — نیم سالی خشك و نیمی سبزو تر
خفض و رفع روزگار با کرب — نوع دیگر نیم روزو نیم شب ۱۰ — خفض و رفع این مزاج ممتزج — گاه صحت گاه رنجوری مضج
همچنین دان جمله احوال جهان — قحطو خصب[4] وجنگ وصلح وافتنان ۱۱ — این جهان بااین دوبر اندرهواست — زین‌دوجانها موطن‌خوف ورجاست
تا جهان لرزان بود مانند برگ — در شمال و در سموم بعث ومرگ ۱۲ — تا خُم یک‌رنگی عیسی ما — بشکند نرخ خُم صد رنگ را
کان‌جهان همچونمك‌زارآمده‌است — هرچه‌آنجا رفت‌بی‌تلوین شده‌است ۱۳ — خاك بین این خلق رنگارنگ را — میکند یك‌رنگ اندر گور ها
این نمك‌زار جسوم ظاهر است — خود نمك‌زار معانی دیگر است ۱٤ — آن نمکزار معانی معنویست — از ازل آن تا ابد اندر نویست
این نوی‌را کهنگی ضدّش بود — وان نوی بی‌ضدوندّ است و عدد ۱٥ — آن چنان کز نور روی مصطفی[5] — صد هزاران نوع ظلمت شد ضیا
از جهود و مشرك و ترسا و مغ — جملگی یکرنگ شد زان‌الب الغ ۱٦ — صد هزاران سایه کوتاه و دراز — شد یکی در نورآن خورشید راز
نی درازی ماند و نی‌کوته نه پهن — گونه‌گونه سایه در خورشید رهن ۱۷ — لیك یك‌رنگی که اندرمحشراست — برید وبر نیك کشف وظاهراست
که معانی آن جهان صورت شود — نقشها اندر خور خصلت شود ۱۸ — گردد آنکه فکر نقش نامها — این بطانه روی کار جامها
این زمان[6] سرها مثال گاو پیس — دوك‌نطق‌اندرملل صدرنگ[7] ریس ۱۹ — نوبت صد رنگی‌است وصد دلی — عالم یك‌رنگ کی گردد جلی
نوبت زنگیست رومی شد نهان — این شبست و آفتاب‌اندر رهان ۲۰ — نوبت‌گرگ است‌و یوسف زیرچاه — نوبت قبطی‌است فرعون است‌شاه
تا ز رزق[8] بی دریغ خیره خند — آن سگان را حصه باشدروزچند ۲۱ — در درون بیشه شیران منتظر — تا شود امر تعالوا منتشر
پس برون آیند آن شیران زمرج — بی حجابی‌حق نماید دخل‌وخرج ۲۲ — جوهر انسان بگیرد بر و بحر — پس گناوان بسملان روز نحر
روز نحر رستخیز سهمناك — مؤمنان را عید و گاوان‌راهلاك ۲۳ — جملهٔ مرغان آبی روز نحر — همچو کشتیها روان بر روی بحر
تا که یهلك من هلك عن بینه[9] — تا که ینجوامن نجا و استبقنه[10] ۲٤ — تا که بازان جانب سلطان روند — تا که زاغان سوی گورستان روند
جیفه و سرگین‌خشك‌و استخوان — نقل زاغان آمدست اندر جهان ۲٥ — قند حکمت از کجا زاغ از کجا — کرم سرگین ار کجا باغ از کجا
نیست لایق‌غزو نفس و مرد غر — نیست لایق مشك‌و عودوکون خر ۲٦ — چون‌غزا ندهد زنان راهیچ دست — کی دهد آنکه جهاد[11] اکبر است
جز بنادر در تن زن رستمی — گشته باشد خفیه همچون مریمی ۲۷ — آنچنان کاندر تن مردان زنان — خفیه اندو ماده[12] از ضعف‌جنان
آن‌جهان صورت‌شود این مادگی — هرکه در مردی ندید آمادگی ۲۸ — روزعدل‌وعدل‌وداد اندرخوراست — کفش زان پا کلاه آن سراست
تا بمطلب در رسد هر طالبی — تا بغرب خود رود هر غاربی ۲۹ — نیست هرمطلوب از طالب دریغ — جفت‌تابش شمس‌وجفت آب مغ
هست دنیا قهرخانهٔ کردگار[13] — قهر بین چون قهرکردی اختیار ۳۰ — استخوان وموی مقهوران نگر — تیغ قهر افکنده اندر بحر و بر
پر وبال مرغ بین بر گرد دام — شرح قهر حق کننده بی کلام ۳۱ — مرد او بر جاش خریشته نشاند — وان که کهنه گشت خریشته نماند
هرکسی راجفت کرده عدل حق — پیل را با پیل وبق راجنس‌بق ۳۲ — مونس احمد بمجلس چار یار — مونس بوجهل عتبه و ذوالخمار
کعبهٔ جبریل و جانها سدرهٔ — کعبهٔ عبدالبطون شد سفرهٔ ۳۳ — قبلهٔ عارف بود نور وصال — قبلهٔ عقل مفلسف شد خیال
قبلهٔ زاهد بود یزدان بسر — قبلهٔ طامع[14] بود همیان زر ۳٤ — ❀ قبلهٔ مردان حق اعمال نیك — قبلهٔ نا اهل جهل مرده ریگ
قبلهٔ معنی وران صبر و درنگ — قبلهٔ صورت پرستان نقش سنگ ۳٥ — قبلهٔ باطن نشینان ذوالمنن — قبلهٔ ظاهر پرستان روی زن
❀قبلهٔ عاشق حق آمد ای پسر — قبلهٔ باطل بلیس است ای‌پدر ۳٦ — ❀ قبلهٔ فرعون دنیا سر بسر — قبلهٔ خربنده چبود کون خر
همچنان بر می‌شمر تازه و کهن — ور ملولی رو تو کار خویش‌کن ۳۷ — رزق ما ازکاس زرّین شد عقار — وان سگان را آب تمساح از تغار
لایق آنکه بدو خو داده ایم — در خور آن رزق بفرستاده‌ایم ۳۸ — ❀عاشق نان ساختیم آن‌خواجه‌را — سیر از جان ساختیم این‌را چرا
خوی آن را عاشق نان کرده ایم — خوی[15] این را مست‌جانان کرده‌ایم ۳۹ — چون بخوی‌خود خوشی وخرمی — پس‌چه از در خورد خویت‌میرمی
مادگی خوش آیدت چادر بگیر — رستمی خوش آیدت خنجر بگیر ٤۰ — ❀غازئی‌خوش آیدت جوشن بپوش — ور بچیزی مایلی رو کون فروش

٤ـ جذب ٦ـ همه ۷ـ باریك ۸ـ زرق ۱۱ـ غزای ۱۲ـ مانده ۱٤ـ مطمع ۱٥ـ جان (ن. ل)

---

(۱) مقصود گله خلق است (۲) اشاره است بحواس ظاهره (باصره ـ سامعه ـ لامسه ـ ذائقه ـ شامه) (۳) اشاره است به پنج قوه که در باطن است (حس مشترك ـ خیال ـ واهمه ـ حافظه ـ متصرفه) (٥) چه طریقهٔ انیقهٔ حضرت توحید است و قرآنی که آورده مشحون بتوحید است و تفوق دارد بر کتب سماویه در باب توحید و علم اسماء و علم معاد که آنها همین اشتمال براحکام و آداب « دارند انزلنا التوریة و فیها حکم الله انّ هذا القرآن یهدی للتی هی اقوم » (۹) اشاره است بآیه شریفه در سورهٔ انفال لیهلك من هلك عن بیّنه و یحیی من حیّ عن بینة و ان الله لسمیع علیم یعنی تا هلاك شود کسی‌که هلاکست از حجة روشن و قائم و زنده شود کسیکه زنده است از حجت هویدا ومشهود بدرستیکه خدایتعالی هر آینه شنوا و داناست (۱۰) تا نجات یابد کسیکه نجات یافته است از بینه و یقین حاصل شده او را (۱۳) دنیا مظهر قهر و چون زندان است و عالم ظلمت وعذاب و تشتت و تفرقه است پس اینجا هرکه آن را اختیار کرد آنجا هم بقهر خانه میرود

خواب دیدن فقیر و نشان دادن هاتف اورا بگنج نامه

این سخن پایان ندارد آن فقیر — گشته است از تاب درویشی عقیر[1] ۲ — دید در خواب اوشبی وخواب کو — واقعهٔ بی خواب صوفی راست خو[2]
هاتفی گفتش که ای دیده تعب — رقعهٔ از پیش ورّاقان طلب ۳ — خفیه زان ورّاق کت همسایه است — سوی کاغذ پارهاش آور تودست
رقعهٔ شکلش چنان رنگش چنین — پس بخوان آنرا بخود در خلوتی ۴ — چون بدزدی آن ز ورّاق ای پسر — پس برون روز انبهی شور و شر
تو بخوان آنرا بخود در خلوتی — هین مجو در خواندن آن شرکتی ۵ — ورشود آن فاش هم غمگین مشو — که نیابد غیر تو زان نیم جو
ور شود[3] آن دیر هین زنهار تو — ورد خود کن دمبدم لاتقنطوا[4] ۶ — این بگفت ودست خود آن مژده ور — بر دل او زد که رو زحمت ببر
چون بخویش آمد زغیبت آن جوان — می نگنجید از فرح اندر جهان ۷ — زهرهٔ او بردریدی از قلق — گر نبودی عون[5] ورفق ولطف حق
یك فرح آن کز پس نهصد حجاب — گوش او بشنید از حضرت جواب ۸ — ❀یك فرح آن کز سؤال آمد خلاص — خواهدش حاصل شدن آن گنج خاص
از حجب چون حس سمعش درگذشت — شد سرافراز و زگردون برگذشت ۹ — کی[6] بود کان حس چشمش[7] زاعتبار — زان حجاب غیب هم یابد گذار[8]
چون گذاره شد حواسش از حجاب — پس پیاپی گرددش دیدو خطاب ۱۰ — ❀چون سیاه زنگ پنهان شد زروم — تیغ زد خورشید و پیدا شد علوم
❀یك فرح آنکه نشد زدّش دعا — عاقبت آمد اجابت مر ورا ۱۱ — جانب دکان ورّاق آمد او — دست در کرد او بمشق از[9] سوبسو
پیش چشمش آمد آن مکتوب زود — با علاماتی که هاتف گفته بود ۱۲ — در بغل زد گفت خواجه خیر باد — این زمان وا میرسم ای اوستاد
رفت کنج خلوتی وآنرا بخواند — وز تحیّر واله و حیران بماند ۱۳ — که بدین سان گنج نامهٔ بی بها — چون فتاده ماند اندر مشقها
باز اندر خاطرش این فکر جست — کز پی هر چیز یزدان حافظاست ۱۴ — کی گذارد حافظ اندر اکتناف — که کسی چیزی رباید از گزاف
گر بیابان پر شود زرّ و نقود — بی رضای حق جوی نتوان ربود ۱۵ — وربخوانی صد صحف بی سکتهٔ — بی قدر یادت نماند[10] نکتهٔ
ورکنی خدمت نخوانی یك کتیب — علمهای نادره یابی زجیب ۱۶ — شد زجیب آن کف موسی ضوفشان — کان فزون آمد ز ماه آسمان
کانچه مجستی ز چرخ با نهیب — سر برآورده است ای موسی زجیب ۱۷ — تا بدانی کاسمانهای سمی — هست عکس مدرکات آدمی
نی که اوّل دست یزدان مجید — از دو عالم پیشتر عقل آفرید[11] ۱۸ — این سخن پیدا و پنهانست بس — که نباشد محرم عنقا مگس

تمامی قصهٔ آن فقیر و نشان جای آن گنج

باز سوی قصّه بازآ ای پسر — قصهٔ گنج و فقیر آور بسر ۲۰ — اندر آن رقعه نوشته بود این — که برون شهر گنجی دان دفین
آن فلان قبّه که در وی مشهد است — پشت او در شهر ورود رفد[12] است ۲۱ — پشت کن در قبه رو در قبله آر — وانگهان از قوس تیری درگذار
چون فکندی تیر از قوس ای سعاد — بر کن آن موضع که تیرت اوفتاد ۲۲ — پس کمانی سخت آورد آن فتی — تیر پرّانید در صحن فضا
پس کلند آورد وبیل اوشاد شاد — کند آن موضع که آن تیر اوفتاد ۲۳ — کند شد هم او وهم بیل و تبر — خود ندید از گنج پنهانی اثر
همچنین هر روز تیر انداختی — لیك جای گنج را نشناختی ۲۴ — چونکه این را پیشه کرد اوبردوام — فچفچی افتاد اندر خاص و عام

فاش شدن خبر این گنج و رسیدن بگوش پادشاه

❀هرکسی در گفتگوئی اوفتاد — کاینچنین بازی نباشد در نهاد ۲۶ — ❀هرکسی در گفتگوی فاسدی — هر طرف برخاسته یك حاسدی
پس خبر کردند سلطان را ازین — آن گروهی کش بدند اندرکمین ۲۷ — عرضه کردند آن سخن را زیردست — کان فلانی گنج نامه یافته است
چون شنید آن شخص کان باشه رسید — جز که تسلیم و رضا چاره ندید ۲۸ — پیش از آنك اشکنجه بیند زان قباد — رقعه را آورد و پیش او نهاد
گفت تا این رقعه را یابیده ام — گنج نی و رنج بیحد دیده ام ۲۹ — خود نشد یکجه زان گنج آشکار — لیك پیچیدم بسی من همچو مار
رفت ماهی تا[13] چنینم تلخ کام — که زیان و سود این برمن حرام ۳۰ — بوکه بختت برکند زین کن غطا — ای شه پیروز جنگ و دز گشا
مدت شش ماه و افزون پادشاه — تیر می انداخت و بر میکند چاه ۳۱ — هر کجا سخته کمانی بود چست — تیر می[14] انداخت هر سو گنج جست
غیر تشویش و غم و طامات نی — همچو عنقا نام فاش وذات نی ۳۲ — چونکه تعویق آمد اندر عرض وطول — شاه شد دل سیر از آن گنج وملول
جمله صحرا گرگر آن شه چاه کند — ❀می ندید از گنج او جز ریشخند ۳۳ — پس طلب کرد آن فقیر درد مند❀ — رقعه را از خشم پیش اوفکند
گفت گیر این رقعه کش آثار نیست — تو بدین اولیتری کت کار نیست ۳۴ — نیست این کار کسی کش هست کار — گر بسوزد گل نگردد گرد خار
نادر افتد اهل این ماخولیا — منتظر که روید از آهن گیا ۳۵ — سخت جانی باید این فن راچو تو — توکه جانی سخت داری این بجو
گر نیابی نبودت هرگز ملال — وربیابی رو تورا[15] کردم حلال ۳۶ — عقل راه نا امیدی کی رود — عشق باشد کان طرف برسر دود
لاابالی عشق باشد نه خرد — عقل آن جوید کزآن سودی برد ۳۷ — ترکتازی تن گدازی بیحیا — در بلا چون سنگ زیر آسیا
سخت روئی که ندارد هیچ پشت — بهره جوئی را درون خویش کشت ۳۸ — پاك می بازد نجوید مزد او — آنچنانکه پاك میگیرد ز هو[16]

---

۳ ـ کند ۵ ـ حفظ ٦ ـ که ۷ـ جسمش ۹ـ می برد او بمشقش ۱۰ ـ او نخواهد یاد ناید ۱۲ ـ فرقد ۱۳ ـ مدت ماهی ۱٤ ـ داد ۱۵ـ آن بتو (ن.ل)

---

(۱) یعنی آن فقیر از تابش سوزان درویشی قاق شده (۲) آنچه دگران در خواب می بینند صوفی در بیداری می بیند در حالت غیبت و خلست ملکوتی (٤) اشاره بآیه شریفه لاتقنطوا من رحمة الله (۸) کشف صوری اقسام دارد بحسب مشاعر خمسه پس چون از حس سمعش رفع حجاب شد گاه باشد که از حس چشمش و از باقی حواسش رفع حجب شود بسبب کثرت ریاضات پس کشف تام شود و ادراك کند بحواس ملکوتیه محسوسات ملکوتیه را که ببیند بیصرش چیزهائی که دیگران نبینند و بشنود از هاتف و سروش چیزهائی که دیگران نشنوند و استشمام کند نفحاتی که دیگران استشمام نکنند (۱۱) اول ما خلق الله العقل (۱٦) پاك گرفتن ز هو و هستی دادن او بعلت تعبیر است از آنکه فعل الله معلل باغراض نیست وعلت غائیه فعل او را نیست و ذات او و معروفیت ذات او که عین ذات اوست چون عالمیت و علم او و صفات کمالیه او که همه یکیست غایت فعل او و نهایت فعل اوست چه هرچه غیر اوست فعل اوست پس نقل کلام باو میشود و تسلسل است و غیر مطلق فعل او ذات اوست پس همانکه فاعل این فعل کلی است ثمره و غایتست و اگر داعی زاید برذات باشد استکمال میشود

می دهد حق هستیش بی علتی — می سپارد باز بی علت فتی ۱ — که فتوت دادن بی علت است — پاکبازی خارج از هر ملت است
زانکه ملت فضل جوید یا خلاص — پاک بازانند قربانان خاص ۲ — نی خدا را امتحانی میکنند — نی در سود و زیانی میزنند

باز دادن پادشاه گنج نامه را به آن فقیر که ما از آن بگذشتیم

چونکه رقعهٔ گنج بر آشوب[1] را — شه مسلم داشت آن مکروب[2] را ۴ — گشت پس ایمن زخصمان و زنش — رفت ومیپیچید درسودای خویش
یار کرد اوعشق درد اندیش را — کب لبسد خویش ریش خویش را ۵ — عشق را درپیچش خود یار نیست — محرمش در ده یکی دیار نیست
نیست از عاشق کسی دیوانه تر — عقل ازسودای او کوراست وکر ۶ — زانکه این دیوانگی عام نیست[3] — طب را ارشاد این احکام نیست
گرطبیبی را رسد زین گون جنون — دفتر طب را فرو شوید بخون ۷ — طب جملهٔ عقلها مدهوش اوست — روی جملهٔ دلبران روپوش اوست
روی درروی خودآرای عشق کیش[4] — نیست ای مفتون تراجزخویش خویش ۸ — قبله از دل ساخت آمد در دعا — لیس للانسان الا ما سعی
پیش ازاین کو پاسخی بشنیده بود — سالها اندر دعا پیچیده بود ۹ — بی اجابت بر دعا ها می تنید — از کرم لبیك پنهان می شنید
چونکه بی دف رقص میکرد آن علیل — ز اعتماد جود خلاق جلیل ۱۰ — سوی اونی هاتف ونی بیك بود — گوش امیدش پر از لبیك بود
بی زبان میگفت امیدش تعال — از دلش میرفت[5] آن دعوت ملال ۱۱ — آن کبوتر را که بام آموختست — تومخوان میرانش که پر[6] دوختست
ای ضیاءالحق حسام الدین برانش — کز ملاقات تو برسته است جانش ۱۲ — گر برانی مرغ جان را ازگزاف — هم بگرد بام تو آرد طواف
چینه و نقلش همه بر بام تست — پر زنان بر اوج مست دام تست ۱۳ — گر دمی منکر شود دزدانه روح — در ادای شکرت ای گنج فتوح
شحنهٔ عشق مکرر کینه اش — طشت پر آتش نهد بر سینه اش ۱۴ — که بیا سوی مه و بگذر زگرد — شاه عشقت خواند زو تر بازگرد
گرد این بام و کبوتر خانه من — چون کبوتر پر زنم مستانه من ۱۵ — جبرئیل عشقم و سدره ام توئی — من سقیم عیسی مریم توئی
جوش ده آن بحر گوهر بار را — خوش بپرس امروز این بیمار را ۱۶ — چون توآن او شدی بحرآن تست — گر چه این دم نوبت بحران تست
این خودآن ناله است کو کرد آشکار — زانچه پنهانست یارب زینهار ۱۷ — دو دهان داریم گویا همچو نی — یکدهان پنهانست در لبهای وی
یکدهان نالان شده سوی سما — های و هوئی در فکنده در هوا[7] ۱۸ — لیك داند هرکه اورا منظر است — که فغان این سری هم زان سر است
دمدمهٔ این نای از دمهای اوست — های وهوی روح ازهبهای اوست ۱۹ — گر نبودی با لبش نی را سمر[8] — نی جهان را پر نکردی از شکر
یا که خفتی وز چه پهلو خاستی — کاین چنین پرجوش چون دریاستی ۲۰ — یا ابیت عندر بی خواندی[9] — در دل دریای آتش راندی
نعرهٔ یا نار کونی باردا — عصمت جان تو گشت ای مقتدا ۲۱ — ای ضیاء الحق حسام دین و دل — کی توان اندود خورشیدی بگل
قصد کردستند این گل پار ها — که بپوشانند خورشید ترا ۲۲ — در دل که لعلها دلال تست — باغها از خنده مالا مال تست
محرم مردیت را کو رستمی — تا زصد خرمن یکی جو گفتمی ۲۳ — چون بخواهم کز سرت آهی کنم — چون علی سررا فرو[10] چاهی کنم[11]
چونکه اخوان را دل کینه وراست — یوسفم را قعر چاه اولیتر است ۲۴ — مست گشتم خویش بر غوغا زنم — چه چه باشد خیمه بر صحرا زنم
برکمن نه شراب آتشین — وانگه آن کز و فر مستانه بین ۲۵ — منتظرگو[12] باش بی گنج آن فقیر — زانکه ما غرقیم حالی[13] در عصیر
از خدا خواه ای فقیر این دم پناه — از من غرقه شده یاری مخواه ۲۶ — که مرا پروای آن اسناد نیست — ازخود واز ریش خویشم یاد نیست
باد سبلت کی بگنجد و آب رو — در شرابی که نگنجد تار مو ۲۷ — در ده ای ساقی یکی رطل گران — خواجه را از ریش وسبلت وارهان
نخوتش بر ما سبالی میزند — لیك ریش از رشك ما بر می کند ۲۸ — مات او شو مات او شو مات او — که همی دانیم تزویرات او
از پس صد ساله آنچ آید برو — پسر می بیند معین مو بمو ۲۹ — اندر آیینه چه بیند مرد عام — که نبیند پیر اندر خشت خام
آنچه لحیانی بخانهٔ خود ندید — هست بر کوسه یکایك آن پدید ۳۰ — رو بدریا زان[14] که ماهی زادهٔ — همچو خس در ریش چون افتادهٔ
خس نهٔ دور ازتو رشك گوهری — در میان موج و بحر اولیتری ۳۱ — بحروحدانیست جفت وزوج نیست — گوهر و ماهیش غیر موج نیست
ای محال و ای محال اشراك او — دور از آن دریا وموج پاك او ۳۲ — نیست اندر بحر شرك و پیچ پیچ — لیك با احول چه گویم هیچ هیچ
چونکه جفت احولانیم ای شمن — لازم آمد مشرکانه دم زدن ۳۳ — آن یکی زان سوی وصف است وخیال[15] — جز دوئی ناید ببیدان مقال
یاچو احول این دوئی رانوش کن — یا دهان بر دوز و لب خاموش کن ۳۴ — یا بنوبت گه سکوت و گه کلام — احولانه طبل میزن و السلام
چون ببینی محرمی گو سر جان — گل ببینی نعره زن چون بلبلان ۳۵ — چون ببینی مشك پر مکر ومجاز — لب ببند وخویش را چون خنب ساز
دشمن آبست پیش او مجنب — ورنه سنگ جهل او بشکست خنب ۳۶ — با سیاستهای جاهل صبر کن[16] — خوش مدارا کن بعقل من لدن
صبر با نااهل اهلان را جلیست — طبر صافی میکند هر جا دلیست ۳۷ — آتش نمرود ابراهیم را — صفوت آیینه آمد در جلا
صبر با نامرد بدهد مرد حق — تا چو نیکان بر همه یابد سبق ۳۸ — جور و کفر نوحیان و صبر نوح — نوح را شد صیقل مرآت روح

آمدن مرید شیخ ابوالحسن خرقانی بزیارت شیخ

رفت درویشی زشهر طالقان — بهر صیت بوالحسن تا خارقان ۴۰ — کوهها ببرید و وادی دراز — بهر دید شیخ با صدق و نیاز
آنچه در ره دید از جور[17] وستم — گرچه در خورد است کوته می کنم ۴۱ — چون بمقصد آمد از ره آن جوان — خانهٔ آن شاه را جست او نشان

۱ـ از نیش ۲ ـ درویش ۵ـ می برد ٦ـ تو مران که آن پر او ۷ـ سما ۸ ـ ثمر ۱۰ـ زیر در ـ فرا ۱۲ ـ می ۱۳ـ این دم ۱٤ـ ئی ۱۵ـ برتر بود از وصف وحال ۱۷ـ رنج (ن. ل)

---

(۳) دیوانگی طبیعی نیست (٤) از خود بطلب هر آنچه خواهی که توئی (۹) اشاره بحدیث نبوی «ابیت عند ربی یطعمنی ویسقینی» یعنی شب بروز می آورم در نزد پروردگارم و او طعام و شراب میدهد مرا طعام و شراب تجلی ذاتی و صفاتی در عالم معنی و حقایق و طعام و شراب صوری در عالم صورت و رقایق گو در عالم رقایق الرقایق صائم باشم (۱۱) مشهور است که مولای متقیان بارها که از کتمان اسرار دلتنگ میشد و همدمی نمی یافت سر فرا چاه برده راز خود در آن چاه گفتی و گاهی آب چاه خون شدی (۱٦) اقتباس از آیه شریفهٔ واقعه در سورهٔ نحل « وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهوخیر للصابرین واصبر وماصبرك الا بالله »

چون بصد حرمت بزد حلقهٔ درش — زن بیرون کرد ازره روزن[1] سرش ۱ — که چه میخواهی بگو ای بوالکرم — گفت کز بهر[2] زیارت آمدم
خندهٔ زد زن که خه‌خه ریش‌بین — این سفر گیری واین تشویش‌بین ۲ — خود ترا کاری نبود آن جایگاه — تا به بیهوده کنی تو عزم راه
اشتهای گول گردی آمدت — یا ملولی وطن غالب شدت[3] ۳ — یا مگر دیوت دو شاخه برنهاد — مرتو وسواس سفر را در گشاد
گفت نافرجام و فحش و دمدمه — من نتانم باز گفتن آن همه ۴ — از ملل وز ریشخند بی‌حساب[4] — آن مرید افتد درغم واضطراب[5]

پرسیدن مرید که شیخ کجاست و جواب نافرجام شنیدن از حرم او

اشکش از دیده بجست وگفت او — با همه آن شاهد شیرین کلام کو ۶ — گفت آن سلوس زرّاق تهی — دام گولان و کمند گمرهی
صدهزاران خلق ریشان همچو تو — اوفتاده از وی اندر صد عتو ۷ — گر نبینش و سلامت واروی — خیر تو باشد نگردی زو غوی
لاف کیشی کاسه لیسی طبل خوار — بانگ طبلش رفته اطراف دیار ۸ — سبطی اند اینقوم گوساله پرست — بر چنین گاوی همی مالند دست
جیفة اللیل است وبطّال النهار[6] — هرکه او شد غرّهٔ این طبل‌خوار ۹ — هشته‌اند این قوم صد علم وکمال — مکر و تزویری گرفته کاینت حال
آل موسی کو دریغا تا کنون — عابدان عجل را ریزند خون ۱۰ — کو ره پیغمبر و اصحاب او — کو نماز و سبحه و آداب او
شرع وتقوی رافکنده سوی پشت — کو عمر کو امر معروف درشت ۱۱ — کاین اباحت[7] زین جماعت فاش شد — رخصت هر مفلس[8] قلاش شد

جواب مرید و زجر کردن آن طعامانه را از کفر و بیهوده گوئی

بانگ زد بروی جوان وگفت بس — روز روشن از کجا آمد عسس ۱۳ — نور مردان مشرق ومغرب گرفت — آسمانها سجده کردند از شگفت
آفتاب حق بر آمد از حجل[9] — زیر چادر رفت خورشید ازخجل ۱۴ — ترّهات چون تو ابلیسی مرا — کی بگرداند ز خاك این سرا
من بیادی نامدم همچون سحاب — تا بگردی باز گردم زین جناب ۱۵ — عجل با آن نور شد قبلهٔ کرم[10] — قبله بی آن نور شد کفر و صنم
هست اباحت کز هوا آمد ضلال — هست[11] اباحت کز خدا آمد کمال ۱۶ — کفر ایمان گشت ودیو اسلام یافت — آنطرف کان نور بی‌اندازه تافت
مظهر عشق[12] است ومحبوب بحق — از همه کرّوبیان برده سبق ۱۷ — سجده آدم را بیان سبق اوست — سجده آرد مغز را پیوسته پوست
شمع حق را پف کنی تو ای عجوز — هم توسوزی هم سرت ای گنده‌بوز[13] ۱۸ — کی شود دریا زبوز سگ نجس — کی شود خورشید از پف منطمس
حکم بر ظاهر اگر هم می کنی — چیست ظاهر تر بگو زین روشنی ۱۹ — جمله ظاهرها به پیش این ظهور — باشد اندر غایت نقص و قصور
هرکه بر شمع خدا آرد پفو — شمع کی مبرد بسوزد بوز[14] او ۲۰ — چون تو خفّاشان بسی بینند خواب — کاینچنین ماند یتیم از آفتاب
موجهای تیز دریا های روح — هست صدچندان که بدطوفان نوح ۲۱ — لیك اندر چشم کنعان موی رست — نوح وکشتی را بهشت وکوه جست
کوه وکنعان را فرو برد آن زمان — نیم موجی تا بقعر امتهان ۲۲ — مه فشاند نور وسگ عوعو کند[15] — هر کسی برخلقت خود می تند[16]
شیروان و همرهان مه بتنگ — ترك رفتن کی کنند ازبیم[17] سگ ۲۳ — جزو سوی کل روان مانند تیر — کی کند وقف از پی هرگنده پیر
جان شرع وجان تقوی عارف است[18] — معرفت محصول زهد سالف است[19] ۲۴ — زهد اندر کاشتن کوشیدن است — معرفت آن کشت را روئیدن است
پس چوتن باشد جهاد واعتقاد[20] — جان این کشتن نباتست و حصاد ۲۵ — امر معروف او وهم معروف اوست — کاشف اسرار وهم مکشوف اوست
شاه امروزینه و فردای ماست — پوست بندهٔ مغز نقش دائماست ۲۶ — چون الحق[21] گفت شیخ ویش برد — پس گلوی جمله کوران را فشرد
چون آنای بنده شدلا از وجود — پس چه ماندهین بیندیش ای جحود[22] ۲۷ — گر ترا چشم است بگشا در نگر — بعد لا آخر چه میماند دگر
ای بریده آن لب وحلق و دهان — که کند تف سوی مه یا آسمان ۲۸ — سوی گردون تف نیابد مسلکی — تف برویش باز گردد بشکی
تاقیامت تف بر او بارد ز رب — همچو تبت بر روان بولهب ۲۹ — طبل ورایت هست ملك شهریار — سگ کسی که خواند اورا طبل‌خوار
آسمان ها بندهٔ ماه وی اند — شرق وغرب چرخ نان‌خواه وی‌اند ۳۰ — زانکه لولاکست بر توقیع او — جمله در انعام و در توزیع او
گر نبودی او نیابیدی فلك — گردش ونور ومکان جائی[23] ملك ۳۱ — گر نه او بودی نیابیدی بحار — هیئت ماهی و دُر شاهوار
گر نبودی او نیابیدی زمین — از درونه گنج و بیرون یاسمین ۳۲ — ❀ گر نبودی او نیابیدی جبال — زرّ و لعل و مومیائی بی سؤال
❀ گر نبودی او نیابیدی جهان — بی تقاضا رزقهای بی کران ۳۳ — رزقها هم رزق خواران وی‌اند — میوها لب خشك باران وی اند
هین که معکوس است درامر این گره — صدقه بخش خویش را صدقه بده ۳۴ — از فقیرستت همه زرّ و حریر — هین زکاتی ده غنی را ای فقیر
چون تونگی جفت آن مقبول روح — چون عیال کافر اندر عقد نوح ۳۵ — گر نبودی نسبت تو زین سرا — پاره پاره کردمی این دم ترا
دادی این نوح را از تو خلاص — تا مشرّف گشتمی من در قصاص ۳۶ — لیك با خانهٔ شهنشاه زمن — این چنین گستاخئی ناید زمن
رو دعا کن که سگ این موطنی[24] ۳۷ — ورنه ایندم کردمی من کردنی

واگشتن مرید از وثاق شیخ وپرسیدن از مردم ونشان دادن ایشان که شیخ بفلان بیشه رفته است

بعدازآن پرسان شداوازهرکسی — شیخ را می جست از هرسو بسی ۳۹ — پس کسی گفتش که آن قطب دیار — رفت تا هیزم کشد از کوهسار
آن مرید ذوالفقار اندیش تفت — در هوای شیخ سوی بیشه رفت ۴۰ — دیو می آورد پیش هوش مرد — وسوسهٔ تاخفیه گردد مه ز گرد
کاین چنین زن راچرا آن شیخ دین — دارد اندر خانه یار و همنشین ۴۱ — ضدّ را باضدّ ایناس از کجا — یا امامُ الناس نسناس از کجا

۱ـ در خانه ۲ـ بر قصد ۳ـ این ره زدت ٤ـ حسیب ٥ـ از غم در نشیب ۸ـ مفسد ۹ـ خجل ـ حمل ۱۱ـ هر ۱۲ـ عزّ ۱۳ـ و موای عجوز ۱٤ـ ریش ۱٥ـ وع وع ۱٦ـ سگ زنور ماه کی مرتع کند ۱۷ـ بانگ ۲۲ـ عنود ۲۳ـ مکانی ۲٤ـ مسکنی (ن . ل)

---

(٦) شب چون مردار افتاده و خفته و روز را ببطالت سر آورده (۷) اباحت مباحی بودن و هر حرامی را حلال دانستن است (۱۰) اگر کافر زبت آگاه گشتی ـ کجا در دین خود گمراه گشتی (۱۸) عارف در مقام حقیقت است که روح طریقت و شریعت است و تقوی اشارتست بطریقت (۱۹) یعنی معرفت عارف کاشف است از زهد و تقوای سابق چون جذبه که نتیجهٔ سلوك سابق باشد (۲۰) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ عنکبوت والذین جاهدوا فینا لنهدینهم سبلنا و آنانکه کوشش کنند در کار و اقامت دین هر آینه راه نمائیم ایشان را براههای خود (۲۱) منیت وانانیت بنده محو درحضرت حق شد ولای صرف ونفی محض گردید

باز او لاحول میکرد آتشین — کاعتراض من برو کفراست وکین ۱ — من که باشم با تعرفهای[1] حق — که بر آرد نفس من اشکال ودق
باز نفسش حمله میآورد زود — زین تعرض[2] بادلش چون کاه دود ۲ — که چه نسبت دیورا با جبرئیل — که بود با او بصحبت هم مقیل
کی تواند ساخت با آزر خلیل ۳ — چون تواند ساخت با رهزن دلیل

یافتن مرید شیخ را نزدیك بیشه سوار شیری

اندر این بود او که شیخ نامدار — شد پدید از دور بر شیری سوار ۵ — شیر غرّان هیزمش را میکشید — بر سر هیزم نشسته آن سعید
تازیانه‌اش مار نر بود از شرف — مار را بگرفت چون خرزن بکف ۶ — تویقین میدان که هرشیخی که هست — هم سواری میکند بر شیرمست[3]
گرچه آن محسوس واین محسوس نیست — لیك آن بر چشم جان ملبوس نیست ۷ — صد هزاران شیر زیر ران شان — پیش دیدهٔ غیب دان هیزم کشان
لیك این یك راخدا محسوس کرد — تا ببیند نیز او که نیست مرد ۸ — دیدش از دور و بخندید آن خدیو — گفت آنرا مشنو ای[4] مفتون ریو
از ضمیر او بدانست آن جلیل — هم ز نور دل بلی نعم الدّلیل ۹ — خواند بروی یك بیك آن ذوفنون — آنچه در ره رفت بروی تاکنون
بعد از آن در مشکل انکار زن — برگشاد آن خوش سراینده دهن ۱۰ — کان تحمّل از هوای نفس نیست — آن خیال نفس تست اینجا بایست
گر نه صبرم میکشیدی بار زن — کی کشیدی شیر نر پیکار[5] من ۱۱ — اشتران بختیم اندر سبق — مست و بیخود زیر محملهای حق
من نیم در امروفرمان نیم خام — تا بیندیشم من از تشنیع عام ۱۲ — عام ما و خاص ما فرمان اوست — جان ما بر رو دوان جویان اوست
دورم از تحسین وتشویقش همه — فارغ از تکذیب و تصدیقش همه ۱۳ — فردی ما جفتی مانه از هواست — جان ماچون مهره دردست خداست
ناز آن ابله کشم و صد چو او — نی ز عشق رنگ و نی سودای بو ۱۴ — این قدرخود درس شاگردان ماست — کرّ و فرّ ملحمهٔ ما تا کجاست
تا کجا آنجا که جارا راه نیست — جز سنا برق مه الله نیست ۱۵ — از همه اوهام و تصویرات دور — نور نور نور نور نور نور[6]
بهر تو من پست کردم گفت وگو[7] — تا بسازی با رفیق زشت خو ۱۶ — تا کشی خندان و خوش بار حرج — از پی الصبر مفتاح الفرج
چون بسازی با خسی این خسان — گردی اندر نور سنتها[8] رسان ۱۷ — کانبیا رنج خسان بس دیده اند — از چنین ماران بسی پیچیده اند

حکمت در آیهٔ انّی جاعل فی الارض خلیفة[9]

چون مراد و حکم یزدان غفور — بود در قدمت تجلّی و ظهور ۱۹ — بی زضدّی[10] ضدّرا نتوان نمود — وان شه بیمثل را ضدّی نبود
پس خلیفه ساخت صاحب سینهٔ — تا بود شاهیش را آیینهٔ ۲۰ — پس صفای بی حدودش داد او — وانگه از ظلمت ضدش بنهاد او
دو علم افراخت اسپید و سیاه — آن یکی آدم دگر ابلیس راه ۲۱ — در میان آن دو لشکر گاه زفت — چالش و پیکار آنچه رفت رفت
همچنین دور دوم هابیل شد — ضدّ نور پاك او قابیل شد ۲۲ — همچنین این دو علم ازعدل وجور — تا بنمرود آمد اندر دور دور
ضدّ ابرهیم گشت و خصم او — وان دو لشکر کین گزار وجنگجو ۲۳ — چون درازی جنگ آمد ناخوشش — فیصل آن هر دو آمد آتشش
پس حکم کرد آتشی را وُنکر[11] — تا شود حلّ مشکل آن دو نفر ۲۴ — دور دور و قرن قرن این دوفریق — تا بموسی و بفرعون غریق[12]
سالها اندر میانشان حرب بود — چون ز حد رفت و ملالت میفزود ۲۵ — آب دریا را حکم سازید حق — تا که ماند که برد زین دو سبق
تاکه فرعون را بآن فرعونیان — آب دریا غرقشان کرد آن زمان ۲۶ — همچنین تا دور وطور[13] مصطفی — با ابوجهل آن سپهدار جفا
هم نُکر سازید از بهر ثمود — صیحهٔ که جانشان را در ربود ۲۷ — هم نکر سازید بهر قوم عاد — زود خیزی تیز رو یعنی که باد
هم نُکر سازید بر قارون زکین — تا فرو بردش چو اژدرها زمین ۲۸ — تا حلیمی زمین شد جمله قهر — بُرد قارون را و گنجش را بقهر
لقمهٔ را که ستون این تن است — دفع تیغ جوع نان چون جوشن است ۲۹ — چونکه حق قهری نهد در نان تو — چون خناق آن نان بگیرد در گلو
این لباسی که ز سرما شد مجیر — حق دهد اورا مزاج زمهریر ۳۰ — تا شود بر تن ترا جبهٔ شگرف — برد[14] همچون یخ گزنده همچو برف
تا گریزی از وشق هم ازحریر — زو پناه آری بسوی زمهریر ۳۱ — تو دو قُله نیستی یك قُلهٔ[15] — غافل از قصهٔ عذاب ظُلهٔ[16]
امر حق آمد بشهرستان و ده — خانه و دیوار را سایه مده ۳۲ — مانع باران مباش و آفتاب — تا بدان مرسل شدند امت شتاب
که بمردیم اغلب ای مهتر امان — باقیش از دفتر تفسیر خوان ۳۳ — چون عصارا مار کردآن چست دست — گر تراعقلیست این نکته بس است
سنگ در تسبیح آمد بر شتاب — از میان اصبعین زات آفتاب ۳۴ — منکر آن دید و فروناورد سر — دشمنی او کور کردش از نظر
تو نظر داری ولیك امعانش نیست — چشمهٔ افسرده است و کرده ایست ۳۵ — زین همی گوید نگارندهٔ فکر — که بکن ای بنده امعان نظر
آن نمیگوید که آهن کوب سرد — لیك ای پولاد بر داود گرد[17] ۳۶ — تن بمردت سوی اسرافیل ران — دل فسردت رو بخورشید جنان[18]

۱ـ تصرفهای ۲ـ تعرف ٤ـ از ٥ـ بیگار ۷ـ من سخن را پست کردم بهر تو ۸ـ با روان انبیا گردی ۱۰ـ بی ضدی هیچ ۱۱ ـ در نگر ۱۲ـ بفرعون و بموسی شفیق ۱۳ـ عهد ۱٤ـ سرد ۱۸ـ جهان ـ روان (ن . ل)

---

(۳) شیر مست نفس امّاره است چنانکه مار خلق اذیت است که تسخیر کننده و سلیم باشند (٦) این شش نور وجودات ملکوت اسفل و ملکوت اعلی و جبروت و فیض مقدس و فیض اقدس و مقام احدیت که مرتبهٔ غیب الغیوبست و بعبارت دیگر عالم مثال و عالم نفوس کلیه که مجرّدات متعلقه اند و عالم عقول کلیه که مجردات مرسله اند و وجود منبسط که رحمت واسعهٔ فعلیه باشد و وجود اعیان ثابته لوازم اسماء و صفات که رحمت صفتیه باشد ومرتبه لا اسم و رسم و در آیت کبری ومثل اعلی که انسان کامل است لطیفه قلبیه و لطیفه عقلیه و لطیفه روحیه و لطیفه سرّیه و لطیفه خفویه و لطیفه اخفویه بحذف نفسیه که در آن ظلمت است این بلسان صوفیه وبلسان قرآن شجره مبارکه و زجاجه و مصباح وکوکب دری و نار و نور علی نور (۹) آیه واقعه در سورهٔ بقره است (۱۵) تو در طهارت و مطهریّت معنوی بحسب علم وعمل چون قُلتین وچون کُرنیستی که طاهر ومطهر است وبمجرد ملاقات نجاستی نجس وآلوده نشود (۱٦) سایبان واشاره است بآیه شریفه « فکذبوه فاخذهم عذاب یوم الظله (واقع در سورهٔ شعرا) تکذیب کردند شعیب (ع) را پس گرفت ایشان را عذاب روز ظله وآن چنان بود که ابری مثل سایبان برسرشان پدیدار شد و ایشان را هلاك کرد (۱۷) مراد انسان کامل است و پولاد دل سخت است و در دعا است یا ملیّن الحدید لداود علیه السلام

در خیال از بسکه گشتی مکتسی — نك بسوفسطائی بد ظن رسی ۱ — اوخوداز لبّ خرد معزول بود — شدزحس معزول[1] ومحروم ازوجود
گرزخودوزلبّ خودمعزول گشت — ازوجود حسّ خود مفصول گشت ۲ — هین سخن‌خا نوبت لب‌خائی است — گر بگوئی خلق را رسوائی است
چیست امعان چشمه راکردن روان — چون زتن جان رست گویندش روان ۳ — آن‌حکیمی را که‌جان از بند تن — باز رست و شد روان اندرچمن
یاروان شد خود بسوی هاویه — همچو موش از زاویه درزاویه ٤ — دولقب را او براین‌هر دو نهاد — بهر فرق ای آفرین برجانش‌باد
در بیان آنکه بر فرمان رود ٥ — گر گلی را خار خواهد آن‌شود

بیان معجزهٔ هود علیه‌السلام در تخلیص مؤمنان امت بوقت نزول باد

هود گرد مؤمنان خطی کشید — تا ز باد آن‌قوم او رنجی ندید ۷ — مؤمنان از دست باد ضائره — جمله بنشستند اندر دائره
بادطوفان بود واو کشتی عسی[2] — هست ازاین‌طوفان واین‌کشتی بسی ۸ — باد طوفان بود و کشتی لطف هو — بس‌چنین طوفان و کشتی‌دارد او
پادشاهی را خدا کشتی کند — تا بحرص خویش بر صفها زند ۹ — قصدِ شاه‌آن‌نی که خلق ایمن‌شوند — قصدش آن‌که ملك گردد پای بند[3]
آن خراسی میدود قصدش خلاص — تایابد او رُ زخم آن[4] دم مناص ۱۰ — قصد او آن نی که آبی بر کشد[5] — یا که کنجد را بدان روغن کند
گاو بشتابد ز بیم زخم سخت — نی برای بردن گردون و رخت ۱۱ — لیك حق دادش چنین خوف وجم — تا مصالح حاصل آید در تبع
همچنین هر کاسبی اندر دکان — بهر خود کوشد نه اصلاح جهان ۱۲ — هر یکی بر درد جوید مرهمی — در تبع قائم شده زین عالمی
حق‌ستون‌این‌جهان ازترس‌جان درکارباخت — هر یکی‌از ترس‌جان درکارباخت ۱۳ — حمد ایزد را که ترسی‌را چنین — کرد او معمار اصلاح زمین
این همه ترسنده اند ازنیك وبد — هیچ ترسنده نترسد خود زخود[6] ۱٤ — پس حقیقت برهمه حاکم کسیست — که قریبست او اگر محسوس نیست
هست‌اواندرکمین ای بوالهوس — تا نگردی فارغ از شب‌ای‌عسس ۱٥ — هست او محسوس اندر مکمنی — لیك محسوس حس این خانه نی
آن حسی که‌حق‌بدان‌حس‌مظهراست — نیست حس‌این‌جهان آن دیگراست ۱٦ — حسّ حیوان گر بدیدی آن‌صور — با یزید وقت بودی گاو و خر
آنکه تن را مظهر هر روح کرد — وانکه کشتی را بُراق نوح کرد ۱۷ — گر بخواهد عین کشتی را بخو[7] — او کند طوفان تو ای نور جو[8]
هر دمت طوفان وکشتی ای مقل — باغم و شادیت کرد او متصل ۱۸ — گر نبینی کشتی و دریا پیش — لرزه‌ها بین‌در همه اجزای خویش
چون نبیند اصل ترسش راعیون — ترس دارد از خیال گونه گون ۱۹ — مشت براعمی زند یك جلف‌مست — کور پندارد لگد زن اشتر است
زانکه آندم بانگ اشتر می شنید — کور را آیینه گوش آمد نه دید ۲۰ — باز گوید کورنی این سنگ بود — یا مگر از قبّهٔ پرضنگ[9] بود
این نبود و او نبود و آن نبود — آنکه او ترس آفرید اینها نمود ۲۱ — ترس ولرزه باشد از غیری یقین — هیچکس ازخود نترسد ای‌حزین
آن حکیمك وهم خواند ترس را — فهم کژ کردست او این درس‌را ۲۲ — هیچ وهمی بی حقیقت کی بود — هیچ قلبی بی صحیحی کی رود
کی دروغی قیمت آرد بی‌زر است — دردوعالم هردروغ ازراست‌خاست ۲۳ — راست را دیداو رواجیّ وفروغ — بر امید آن روان کرد او دروغ
ای‌دروغی‌که زصدقت این نواست — شکر نعمت گو مکن انکار راست ۲٤ — از مُفلسف گویم و سودای او — یا زکشتیها و دریا های او
بل زکشتیهاش کان بند دل‌است — گویم ازکل‌جزو درکل داخل‌است ۲٥ — هرولی را نوح وکشتی‌بان شناس — صحبت‌این‌خلق‌را طوفان شناس[10]
کم گریز ازشیر و اژدرهای نر — زآشنایان وزخویشان کن حذر[11] ۲٦ — در تلاقی روزگارت میبرند — یاد شاهان غائبی ات میچرند
چون خر تشنه خیال هر یکی — از قف تن فکر را شربت مکی ۲۷ — نشف کردستت خیال آن وشات — شبنمی که داری از بحرالحیات
پس نشان نشف آب اندر غصون — آن بود که می نجنبد در رکون ۲۸ — عضو هر شاخی تر و تازه بُود — میکشی هر سو کشیده میشود
گر سبد خواهی توانی کردنش — هم توانی کرد چنبر گردنش ۲۹ — چون‌شدآن ناشف زنشف بیخ‌خود — ناید آن سوئی که امرش می‌کشد
پس‌بخوان قاموا کسالی از نبی[12] — چون نیابد شاخ از بیخش طبی ۳۰ — آتشین‌است این‌سخن[13] کوته کنم — بر فقیر و گنج و احوالش زنم
آتشی دیدی که سوزد او نهال — آتش جان بین کزو سوزد خیال ۳۱ — زاتش‌عشق‌است‌سوزان‌جان‌ودل — لیك با انوار زوآن جان ودل[14]
نی خیال و نی حقیقت را امان — زین چنین آتش‌که‌شعله زد زجان ۳۲ — خصم هرشیر آمد و هر روبه او — کل شئی هالك الا و جهه
در وجوه ووجه او روخرج شو — چون الف دربسم‌در رو درج‌شو ۳۳ — آن الف دربسم پنهان کرده‌ایست — هست او دربسم وهم دربسم‌نیست
همچنین جملهٔ حروف گشته مات — وقت حذف حرف از بهر صلات ۳٤ — اوصله‌است‌وبی‌وسین‌زووصل‌یافت — وصل بی وسین الف را برنتافت
چونکه حرفی برنتابد این وصال — واجب آمد گر[15] کنم کوته مقال ۳٥ — چون‌یکی‌حرفی‌فراق‌سین وبی‌است — خامشی اینجا مُهمتر واجبیست
چون الف ازخود فنا شدمکتنف — بی وسین بی او همی گویند الف ۳٦ — ما رمیت اذ رمیت بی وی است — همچنین قال‌الله از ضمنش[17] بجست
تا بُود دارو ندارد او عمل[16] — چونکه فانی شد کند دفع علل ۳۷ — گر شود بیشه قلم دریا مدید — مثنوی را نیست پایانی پدید[18]
چارچوب خشت‌زن تاخاك هست — میدهد تقطیع شعرش نیز دست ۳۸ — چون نماند بیشه و سر درکشند — بیشها از عین دریا سر کشند
چون‌نماند خاك وبودش جف‌کند — خاك سازد بحر او چون کف‌کند ۳۹ — بهر این گفت آن خداوند فرج — حدّثوا عن بحرنا اذلاً حرج
باز گرد ازبحرو رو درخشك نه — هم زلعبت گو که کودك راست به ٤۰ — تا زلعبت اندك اندك در صبا — جانش گردد با یم عقل آشنا
عقل ازآن بازی همی یابد صبی — گر چه باعقلست در ظاهر ابی ٤۱ — کودك دیوانه بازی کی کند — جزو باید تا که کل رافی[19] کند

۳- بیگزند ٤- از خشب یك ٥- پر کند ۷- بجو ۸- از قهر خود طوفان تو ۹- ار تنگ - پر تنگ ۱۳- نشان ۱٤- این جسم و گل ۱٥- آید که ۱۷- صمتش ۱۸- امید ۱۹- بی (ن. ل)

---

(۱) چون سوفسطائی منکر بدیهی است و علم و یقین را منکر است وهمه را وهم و خیال میداند (۲) کشتی امید بحق (٦) بلکه باید ازحق بترسد پس اگرفرضاً حق نباشد ترس نیست‌واگرترس‌نباشد انتظام نظام نیست حتی ترس ازمرگ ترس ازتجلی‌حق است (۱۰) صحبت جهله وسفله را چنانکه درحدیث از امیرالمؤمنین علی علیه السلام است « الناسُ ثلثةٌ عالم ربانیٌ و متعلمٌ علی سبیل النجاة وهمجٌ رعاعٌ اتباعُ کلّ ناعقٍ یمیلون مع کل ریحٍ لم یستضیئوا بنور العلم ولم یلجئوا الی رکنٍ وثیق » (۱۱) اقارب کالعقارب فی اذاها (۱۲) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ نساء و اذا قاموا الی الصلوة قاموا کسالی یعنی چون بسوی نماز برخیزند باکمال کسالت وکراهت برخیزند (۱٦) چون دارو اول عملی در تن میکند و آخر متاثر شود از آن و فانی گردد

رجوع بقصهٔ فقیر گنج طلب

نك خیال آن فقیرم بی ریا — عاجز آورد از بیا و از بیا ۲ — بانگ او تو نشنوی من بشنوم — زانکه در اسرار همراز ویم
طالب گنجش مبین خود گنج اوست — دوست کی باشد بمعنی غیر دوست[1] ۳ — سجده خودرا میکند هرلحظه او — سجده پیش آینه است از بهر رو
گر بدیدی زآینه او یك پشیز — بی خیالی زو نماندی هیچ چیز ٤ — هم خیالاتش هم او فانی شدی — دانش او محو نادانی شدی
دانشی دیگر ز نادانی ما — سر بر آوردی عیان کانی أنا ٥ — اسجدوا لآدم ندا آمد همی — کآدمید و خویش بینیدش دمی
احولی از چشم ایشان دور کرد — تا زمین شد عین چرخ لاجورد ٦ — لا اله گفت و الا الله گفت[2] — گشت لا الا الله و وحدت شکفت
آن حبیب و آن خلیل با رشد — وقت آن آمد که گوش ما کشد ۷ — سوی چشمه که دهان زینها بشو — آنچه پوشیدیم از خلقان مگو
ور بگوئی خود نگردد آشکار — تو بقصد کشف گردی جرم دار ۸ — لیك من اینك پریشان می تنم — قائل این سامع این هم[3] منم
صورت درویش و نقش گنج گو — رنج کشند[4] این گروه ازرنج گو ۹ — چشمهٔ رحمت[5] برایشان شدحرام — میخورند از زهر قاتل جام جام
خاکها بر کرده دامن میکشند — تا کنند این چشمها را خشك بند ۱۰ — کی شود این چشمهٔ دریا مدد — منطمس[6] زین مشت خاك نیك وبد
لیك گوید با شما من بسته ام[7] — بی شما من با[8] ابد پیوسته ام ۱۱ — قوم معکوس اند اندر مشتها — خاك خوار و آب را کرده رها
ضد طبع انبیا دارند خلق — اژدها را متکا دارند خلق ۱۲ — چشم بند خلق[9] چون دانستهٔ — هیچ دانی کز چه دیده بستهٔ
بر چه بگشادی بدل این دیدها — یك بیك بئس البدل دان آن ترا ۱۳ — لیك خورشید عنایت تافته است — آیسان را از کرم در یافته است
نردِ بس نادر ز رحمت باخته — عین کفران را انابت ساخته ۱٤ — هم ازاین بدبختی خلق آن جواد — منفجر کرده دو صد چشمهٔ وداد
غنچه را از خار سرمایه دهد — مُهره را از مار پیرایه دهد ۱٥ — از سواد شب برون آرد نهار — وز کف معسر برویاند یسار
آرد سازد ریگ را بهر خلیل — کوه با داود سازد هم رسیل ۱٦ — کوه با وحشت دران ابر ظلم — برگشاید بانگ چنگ زیر و بم
خیز ای داود از خلقان نفیر — ترك آن کردی عوض ازما بگیر ۱۷

انابت طالب گنج و پشیمانی او از تعجیل و بی‌صبری

گفت آن درویش کای دانای راز — از پی این گنج کردم یاوه تاز ۱۹ — دیوحرص و آز ومستعجل تگی[10] — نی تانی جست و نی آهستگی
من ز دیگی لقمهٔ ننه دوختم — کف سبه کردم دهان را سوختم ۲۰ — خود نگفتم چون در این ناموقنم — زان گره زن این گره راحل کنم
قول حق را هم زحق تفسیر جو — هین مخاژاژ ازگمان ای یاوه‌گو ۲۱ — آن گره کو زد هم او بگشایدش — مهره کو انداخت او بربایدش
گرچه آسانت نمود اینسان سخن — کی بود آسان رموز من لدن ۲۲ — گفت یارب توبه کردم زین شتاب — چون‌تودر بستی توکن هم‌فتح باب
برسر خرقه شدم بار دگر[11] — در دعا کردن بُدم هم بی هنر ۲۳ — کو هنر کو من کجا دل مستوی — این‌همه ازعکس‌تست‌این‌هم[12] توئی
هرشبی تدبیر و فرهنگم بخواب — همچو کشتی غرقه میگردد در آب ۲٤ — خود نه من میمانم و نه آن هنر — تن چو مُرداری فتاده بی خبر
تا سحر جملهٔ شب آن شاه علی — خود همی گوید الست وخود بلی ۲٥ — کو بلی گوجمله را سیلاب برد[13] — یانهنگی خورد کل را کرد و مُرد
صبحدم چون تیغ گوهر دار خود — از نیام ظلمت شب بر کند[14] ۲٦ — آفتاب شرق شب را طی کند — آن نهنگ‌آن خورده هارا قی‌کند
رسته‌چون‌یونس زمعدهٔ[15] آن‌نهنگ — منتشر گردیم اندر بو و رنگ ۲۷ — خلق چون یونس مسبّح آمدند — کاندراین‌ظلمات پرراحت‌شدند[16]
هر یکی گوید بهنگام سحر — چون زبطن حوت شب آید بدر ۲۸ — کای کریمی کاندر آن لیل وحش — گنج رحمت بنهی وچندین چشش
چشم تیز وگوش تازه وتن سبك — از شب همچون نهنگ ذوالحبك ۲۹ — از مقامات وحش‌روزین سپس[17] — هیچ نگریزیم ما با چون تو کس
موسی آن را نار دید و نور بود — زنگئی دیدیم شب را حور بود ۳۰ — ❀ ما نمیخواهیم غیر از دیدهٔ — دیدهٔ تیزی کشی بگزیدهٔ
بعداز این‌مادیده خواهیم ازتوبس — تا نپوشد بحر را خاشاك و خس ۳۱ — ساحران‌را چشم‌چون‌رست ازعصا — کف زنان بودند بی‌این دست وپا
چشم بند خلق جز اسباب نیست — هرکه لرزد برسبب زاصحاب‌نیست ۳۲ — لیك حق بی پردهٔ[18] اصحاب را — در گشاد و بُرد تا صدر سرا
با کفش نامستحق و مستحق — معتقان رحمتند از بند رِق ۳۳ — ❀در عدم ما مستحقان کی بُدیم — که براین جان وبراین دانش‌زدیم
در عدم ما را چه استحقاق بود — تا چنین عقلی و جانی رو نمود ۳٤ — ای بکرده یار هر اغیار را — ای داده خلعت گل خار را
خاك ما را ثانیاً پالیز کن[19] — هیچ نی را بار دیگر چیز کن ۳٥ — این دعا تو امر کردی زابتدا — ورنه خاکی‌راچه زهرهٔ این ندا[20]
چون دعامان‌امر کردی‌ای‌عجاب[21] — این دعای خویش را کن مستجاب ۳٦ — شب شکسته کشتی فهم و حواس — نی‌امیدی مانده نی‌خوف‌ونه‌پاس[22]
برده در دریای حیرت ایزدم[23] — تا زچه فن پر کند بفرستدم[24] ۳۷ — آن یکی را کرده پرنور و جلال — وین دگر را کرده پروهم و خیال
گر بخویشم هیچ رای و فن بُدی — رای و تدبیرم بحکم من بدی ۳۸ — شب نرفتی هوش بی فرمان من — زیر دام من بُدی مرغان من
بودی آگه ز منزل های جان — وقت خواب و بیهشی وامتحان ۳۹ — چون‌کفم زین‌حل وعقداو تهیست — ای‌عجب این‌معجبی من زچیست[25]
دیده را نادیده خود انگاشتم — باز زنبیل دعا برداشتم ٤۰ — چون الف‌چیزی ندارم ای‌کریم — جز دلی وان تنگتر از چشم مبم

۳ـ نك ٥ـ راحت ٦ـ مکتبس ۸ـ تا ۹ـ ختم ۱۲ـ و خود ۱٤ـ کشد ۱٥ـ جوف ۱٦ـ بر راحت زدند ۱۸ـ اصحاب ونا ۲۰ـ بدی
۲۱ـ داد تو آمد زان جناب ۲۲ـ یاس ۲۳ـ جمله را ۲٤ـ شان خود خدا ۲٥ـ کیست (ن . ل)

---

(۱) عاشق و معشوق زیك مصدرند چه آن گنج باطن ذات روحست (۲) آدم حقیقی نفی مهیت کرد و اثبات وجود حقیقی (٤) حمال الحطب شواغل دنیویه اند (۷) چشمه میگوید تا که شما خودی میدارید من از شما بسته ام و چون خودی بگذارید بشما پیوسته ام (۱۰) شیطان حرص و آز و شتاب و دویدن در جستن توقف و آهستگی نکرد و در دل خود اینهم نگفتم که هرگاه در اینکار بی مقصودم زین گره را از گره زن که خداست گشاده گردانم (۱۱) قاعده است که چون خرقه در سماع از صوفی میافتد باز گرفتن خطا است میگویدکه از من خطا واقع شده است (۱۳) یعنی گوینده قالوا بلی کجا است همه را سیلاب برد (۱۷) یعنی از مقاماتی که در ظاهر موحش باشد نخواهم گریخت چرا که شب را زبون میداشتم ودر شب اینقدر فائده است (۱۹) از عدم هست کردی ودر دنیا کاشتی الحال هستی را بفنای حقیقی باز رسان وبقا عطا فرمای

این الف وین میم امّ بود ماست — میم امّ تنگست الف زان زگداست ۱ .این الف چیزی ندارد غافلیست[1] — میم دلتنگ آن زمان عاقلیست
در زمان بیهشی خود هیچ من — در زمان هوش اندر پیچ من ۲ پیچ دیگر بر چنین پیچی[2] منه — نام دولت بر چنین هیچی[3] منه
خود ندارم هیچ به سازد مرا — چون ز وهم دارمست این[4] صدعنا ۳ ور ندارم هم تو دارائیم کن — رنج دیدم راحت افزائیم کن
هم در آب دیده عریان بیستم — بر در تو چونکه دیده نیستم ۴ زاب دیده بندهٔ بی دیده را — سبزهٔ بخش و نباتی زین چرا
ور نماند آب آیم ده ز عین — همچو عینین نبی هضّالتین[5] ۵ او چوآب دیده جست از جود حق — با چنان اجلال و اقبال و سبق[6]
چون نباشم زاشك خود[7] باریك ریس — من تهی دست قضا و[8] کاسه لیس ۶ چون چنان چشم اشك را مفتون بود — اشك من باید که صدجیحون بود
قطرهٔ زان زین دو صد جیحون به است — که بدان یکقطره جنّ وانس رست ۷ چونکه باران جست آن روضهٔ بهشت — چون نجوید آب شوره خاك زشت
ای اخی دست ازدعا کردن مدار — با اجابت یا رد اویت چه کار ۸ نان که سدّ و مانع این آب بود — دست ازآن نان می‌باید شست زود
خویش راموزون وچست وسخته کن ۹ زآب دیده نان خود را پخته کن

الهام آمدن فقیر را و کشف شدن آن مشکل بر او

اندر این بوداو که الهام آمدش[9] — کشف شد این مشکلات ازایزدش[10] ۱۱ گفت گفتم بر کمان تیری بنه — کی بگفتم من که اندر کش تو زه
می نگفتم کاین کمان راسخت کش — در کمان نه گفتمت نی بر کش ۱۲ از فضولی تو کمان افراشتی — صنعت قوّاسئی بر داشتی
ترك این سخته کمانی رو بگو — در کمان نه تیر و پرّیدن مجو ۱۳ چون بیفتد تیر آنجا می طلب — زور بگذار و بزاری جوذهب
آنچه حقست اقرب از حبل الورید — تو فکندی تیرفکرت را بعید[11] ۱۴ ای کمان و تیرها بر ساخته — صید نزدیك و تو دور انداخته
*هر که اودوراست دوراز روی او — کازماید قوّت بازوی او ۱۵ هر که دور انداز تر او دورتر — وزچنین گنج است او مهجورتر
فلسفی خودرا زاندیشه بکشت — گو بدو کوراسوی کنج است پشت ۱۶ گوبدو چندانکه افزون میدود — از مراد دل جدا تر میشود
جاهدوا فینا بگفت آن شهریار[12] — جاهدوا عنا نگفت ای بیقرار ۱۷ همچو کنعان کوزننگ نوح رفت — بر فراز قلهٔ آن کوه زفت
هرچه افزونتر همی جست اوخلاص — سوی که میشد جدا تر ازمناص ۱۸ همچو این درویش پهر گنج وکان — هر صباحی سخت تر جستی کمان
هر کمانی کو گرفتی سخت تر — بودی از گنج و نشان بدبخت تر ۱۹ این مثل اندر زمانه جانی است — جان نادانان برنج ارزانی است
زانکه جاهل داشت ننگ ازاوستاد — لاجرم رفت و دکان نو گشاد ۲۰ آن دکان بالای استاد ای نگار[13] — گنده و پر کردمست و پر زمار
زود ویران کن دکان وباز گرد — سوی سبزه و گلستان و آب خورد ۲۱ نی چوکنعان کو زکبر و ناشناخت — از که عاصم سفینهٔ فوز ساخت
علم تیر اندازیش آمد حجیب — وان مراد او بده حاضر بجیب ۲۲ ای بسا علم و ذکاوات وفطن — گشته رهرو را چو غول وراهزن
بیشتر اصحاب جنت ابلهند[14] — تا ز شرّ فیلسوفی میرهند ۲۳ خویش را عریان کن ازجملهٔ[15] فضول — ترك خود کن تا کند رحمت نزول
زیرکی ضدّ شکستست و نیاز — زیرکی بگذار و با گولی بساز ۲۴ زیرکی شد دام برد وطمع وگاز[16] — تا چه خواهد زیرکی را پاك باز
زیرکان با صنعتی قانع شدند — ابلهان از صنع در صانع شدند ۲۵ زانکه طفل خرد را مادر نهار — دست و پا باشد نهاده در کنار

داستان آن سه مسافر مسلم و جهود و ترسا که بمنزلی رفتند و لقمه یافتند ترسا و جهود سیر بودند و مسلمان صائم

یك حکایت بشنو اینجا ای پسر — تا نگردی ممتحن اندر هنر[17] ۲۸ آن جهود و مؤمن و ترسا مگر — همرهی کردند با هم در سفر
با دو گمره همره آمد مؤمنی — چون خرد با نفس و با اهریمنی ۲۹ مرغزیّ و رازی افتد در سفر — همره و همسفره پیش همدگر
درقفص افتند زاغ وچغز[18] وباز — جفت شد در[19] حبس پاك وبی نماز ۳۰ کرده منزل شب بیك موضع بهم — مشرقیّ و مغربی قانع بهم
مانده در منزل زره خرد وشگرف — روز ها با هم ز سرما و ز برف ۳۱ چون گشاده شد ره و بگشادبند — بگسلند و هر یکی سوئی روند
چون قفص را بشکند شاه خرد — جمع مرغان هر یکی سوئی برد ۳۲ بر گشاده هر یکی برشوق وباد — در هوای جنس خود سوی معاد
بر گشاده هردمی با اشك و آه — لیك پرّیدن ندارد روی و راه ۳۳ چونکه ره واشد پرد مانند[20] باد — سوی آن کز یاد او پر میگشاد
آنطرف کش بوداشك و سوزوآه[21] — چونکه فرصت یافت آنسو کوفت راه[22] ۳۴ در تن خود بنگر این اجزای تن — از کجا جمع آمدند اندر بدن
آبی و خاکیّ و بادی و آتشی — عرشی وفرشی و رومیّ وکشی[23] ۳۵ از امید عود هر یك بسته طرف — اندر این منزل بهم از بیم برف
برف گوناگون جمود هر جماد — درشتا از بعد آن خورشید داد ۳۶ چون بتابد تف آن خورشید خشم[24] — کوه گردد گاه ریگ و گاه یشم[25]

۲- هیچ دیگر بر چنین هیچی ۳- پیچی ٤- که ز وهم دارمستم ٦- ورق ۷- خون ۸- قصور ـ فضول ۹- خدا ۱۰- مشکلش حل گشت و حاجت شد روا ۱۳- ان کار ۱۵- فضل و ۱۸- جغد ۱۹- همچو در یك ۲۰- یابد پرد هریك چو ۲۱- آه او ۲۲- باشد راه او ۲٤- چشم ۲۵- پشم (ن . ل)

---

(۱) در صورتی که غافل است حکم الف هیچ ندارد ثابت میشود و در صورتی که عاقل است آدمی حکم میم دلتنگ دارد پس در هردو صورت آدمی هیچ نیست (۵) ابر بسیار بارنده و در خبر است که جبرئیل خبر داد حضرت رسول را که اگر محزونی از امتی گرید خدا می آمرزد آن امت را آن حضرت فرمود من محزونم وامت من امت مرحومه پس طلب زیادتی کرد و گفت اللهم ارزقنی عینین هطّالتین یعنی خدایا روزی کن مرا دوچشم پر اشك بارنده (۱۱) از پیش تاچند گردی کو بکو ودر بدر * رو بخویش آور که هست از خود باوراهی ترا (۱۲) اشاره است بآیه شریفه والذین جاهدوا فینا لنهدینهم سبلنا (۱٤) اکثر اهل الجنة البله حدیث مشهوری است ولی میگویند مقصود از ابله مردمانی هستند که در وجودشان و جبلتشان شرارت نبوده و بجز خیر خواهی خلق چیزی منظور ایشان نباشد و خود را در محنت دارند برای راحتی دیگران (۱٦) زیرکی حکم دام دارد و طمع حکم مقراض پاکباز از هردو بیزار است (۱۷) چنانچه آن جهود و نصرانی در تعبیرات خواب خود قائل شدند زیرکی آنها بکار نیامد و آن مسلمان از سادگی خود بر آنها غالب آمد (۲۳) اجزای بدن و مقوّیات آن و کیفیات آن از اغذیه و اشربه و ادویه بعضی از آسمانست و اشعه و بعضی از زمین است وبعضی از بلاد بعیده آورده شود

در گداز آید جمادات گران — چون گداز تن بوقت نقل جان ۱
چون رسیدند این سه همره منزلی — هدیه شان آورد حلوا مقبلی
بُرد حلوا پیش آن هر سه غریب — محسنی از مطبخ آنی قریب[1] ۲
زن گرم و صحن حلوای عسل — برد آن که در ثوابش بود امل
الکیاسه والادب لاهل المدر — الضیافه والقری لاهل الوبر[2] ۳
الضیافه للغریب والقری — اودع الرحمن فی اهل القری[3]
کل یوم فی القری ضیف حدیث — ماله غیر الاله من مغیث[4] ۴
کل لیل فی القری وفد جدید — مالهم ثم سوی الله المجید[5]
نخمه بودند آن دو بیگانه زخور — بود صائم روز آن مؤمن مگر ۵
چون نماز شام آن حلوا رسد — بود مؤمن مانده در جوع شدید
آن دو کس گفتند ما از خور بُریم — امشبان بنهیم و فردا می‌خوریم ۶
صبر گیریم از خورامشب تن زنیم — بهر فردا لوت را پنهان کنیم
گفت مؤمن امشب این خورده شود — صبر را بنهیم تا فردا بود ۷
پس بدو گفتند زین حکمت گری — قصد تو آنست تا تنها خوری
گفت ای یاران نه که ما سه تنیم — چون خلاف افتادمان قسمت کنیم ۸
هر که خواهد قسم خود برجان زند — وانکه خواهد قسم خود پنهان کند
آن دو گفتندش ز قسمت در گذر — گوش کن قسّام فی النار از خبر[6] ۹
گفت قسام او بود کو خویش را — کرد قسمت بر هوانی[7] بر خدا
ملك حق و جمله قسم اوستی — قسم دیگر را دهی دو گوستی ۱۰
این اسد غالب شدی هم بر سگان — گر نبودی نوبت آن بدرگان
* این اسد غالب شدی هم[8] بر بقور — گر نبودی نوبت[9] آن گاو زور[10] ۱۱
قصدشان آن کان مسلمان غم خورد — شب بر او در بینوائی بگذرد
بود مغلوب او بتسلیم و رضا — گفت سمعاً طاعةً اصحابنا ۱۲
پس بخفتند آن شب و برخاستند — بامدادان خویش را آراستند
روی شستند و دهان و هر یکی — داشت اندر ورد راه و مسلکی ۱۳
یك زمانی هر یکی آورد روی — سوی ورد خویش از حق فضل جوی
* مؤمن و ترسا جهود و گبر و مغ — جمله را روسوی آن سلطان الغ ۱۴
مؤمن و ترسا جهود و نیك و بد — جملگان را هست رو سوی احد
بلکه سنگ و خاك و کوه و آب را — هست واگشت نهانی با خدا ۱۵
این سخن پایان ندارد هر سه یار — رو بهم کردند آن دم یار وار
آن یکی گفتا که هر یك خواب خویش — آنچه دید او دوش گو آرد به پیش ۱۶
هر که خوابش به بود حلوا خورد — قسم هر مفضول را فاضل برد
آنکه اندر عقل بالاتر رود — خوردن او خوردن جمله بود ۱۷
فایق آید جان پر انوار او — باقیان را بس بود تیمار او
عاقلان را چون بقا آمد ابد — پس بمعنی این جهان باقی بود ۱۸
پس جهود آورد آنچه دیده بود — تا کجا شب روح او گردیده بود
گفت در ره موسی‌ام آمد به پیش — گر به بیند دُنبه اندر خواب خویش ۱۹
در پی موسی شدم تا کوه طور — هر سه گم گشتیم تا پیدا ز نور
هر سه سایه محو شد زان آفتاب — بعد از آن زان نور شد یك فتح باب ۲۰
نور دیگر از دل آن نور رُست — پس ترقیش آمد آن ثانی درست[11]
هم من و هم موسی و هم کوه طور — هر سه گم گشتیم از اشراق نور ۲۱
بعد از آن دیدم که کُه سه شاخ شد — چونکه نور حق در او نفاخ شد
وصف هیبت چون تجلی زد بر او — می گسست از هم همی شد سو بسو ۲۲
زان یکی شاخی که آمد سوی یم — گشت شیرین آب تلخ همچو سم
آندگر شاخش فرو شد در زمین — چشمهٔ زاد و برون آمد معین ۲۳
که شفای جمله رنجوران شد آب — از همایونی وحی مستطاب
واندگر شاخ سنی پرّید زود — تا جوار کعبه که عرفات[12] بود ۲۴
باز از آن صعقه چو با خود آمدم — طُور بر جا بُد نه افزون و نه کم
لیك زیر پای موسی همچو یخ — میگدازید و نماندش شاخ و شخ ۲۵
با زمین هموار شد کوه از نهیب — گشت بالایش از آن هیبت نشیب
باز با خود آمدم زان انتشار — باز دیدم طور و موسی برقرار ۲۶
وآن بیابان سربسر در ذیل کوه — بر خلایق گشته موسی با شکوه[13]
چون عصا و خرقهٔ او خرقه‌شان — جمله سوی طور خوش‌دامن‌کشان ۲۷
جمله گفتها در دعا افراخته — نعرهٔ آرنی بهم در ساخته
باز آن غشیان چو از من رفت زود — صورت هر یك دگرگونه ام نمود ۲۸
انبیا بودند ایشان اهل وُدّ — اتحاد انبیایم فهم شد
باز املاکی همی دیدم شگرف — صورت ایشان بُد از اجرام برف ۲۹
حلقهٔ دیگر ملایك مستعین — صورت ایشان بجمله آتشین
زین نمط میگفت احوال آن[14] جهود — بس جهودی کاخرش محمود بود ۳۰
هیچ کافر را بخواری منگرید — که مسلمان مردنش باشد امید
چه خبر داری ز ختم عمر او — تا بگردانی از او یکباره رو ۳۱
بعد از آن ترسا در آمد در کلام — که مسیحم رو نمود اندر منام
پس[15] شدم با او بچارم آسمان — مرکز و مثوای خورشید جهان ۳۲
خود عجبهای قلاع آسمان — نسبتش نبود بآیات جهان
هر کسی دانند ای فخر البنین — که فزون باشد فن چرخ از زمین ۳۳

حکایت شتر و گاو و قوچ که بندی گیاه در راه جستند

اشتر و گاو و قچی در پیش راه — یافتند اندر روش بندی گیاه ۳۵
گفت قچ بخش ار کنیم این را یقین — هیچ یك از ما نگردد سیر از این
لیك عمر هر که باشد بیشتر — این علف اوراست اولی گو بخور ۳۶
که اکابر را مقدّم داشتن[16] — آمدست از مصطفی اندر سنن
گرچه پیران را در این دور این لئام[17] — در دو موضع پیش میدارند عام[18] ۳۷
یا در آن لوتی که بس سوزان بود — یا بر آن پُل کز خلل ویران بود
خدمت شیخی بزرگی قائدی — عام نارد بی قرینهٔ فاسدی ۳۸
خبرشان این است چه بود شرّشان — قبحشان را باز دان از فرّشان

مثل در باب صورت پرستان و شرّ ایشان در لباس خیر

سوی جامع میشدی یك شهریار — خلق را میزد نقیب و چوبدار ۴۰
آن یکی را سرشکستی چوب زن — وان دگر را بر دریدی پیرهن
در میانه بیدلی ده چوب خورد — بیگناهی که برد از راه گرد ۴۱
خونچکان رو کرد با شاه و بگفت — ظلم ظاهر بین چه پرسی از نهفت

۷ـ و ۸ـ گر بود غالب ۹ـ نوبت گاوان بُد و ۱۱ـ ترقی جست آن ثانیش چست ۱۲ـ کان معبود ۱۳ـ پر خلایق شکل موسی در وجوه ۱۴ـ نسق میگفت آن شخص ۱۵ـ من ۱۷ـ دورلئام ۱۸ـ گام (ن . ل)

---

(۱) اشاره بآیه و اذا سالك عبادی عنی فانی قریب اجیب دعوة الداع اذا دعان واقعه در سورهٔ بقره (۲) زیرکی و ادب برای اهل شهراست وضیافت و مهمانداری خاصهٔ اهل بیابان است وصحرا نشینان (۳) مهمانداری از غربا ومهمانان را خدا امانت نهاده در اهل قریها (٤) هرروز در قریه‌ها مهمانی تازه میرسد که نیست برای او بجز خدا فریاد رسی (٥) هرشبی در قریها مهمانی نواست که نیست ایشان را جز خدای بزرگ پناهی (٦) در حدیث است که القسّام فی النار یعنی قسمت کننده در جهنم است (۱۰) مراد گاو نفس است یعنی عقل مغلوب نبودی اگر دو بخش نشدی (۱٦) اشاره بحدیث است که لایجوز التقدم للاصاغر علی الاکابر الا فی ثلاثة مواضع اذا ساروا لیلا وفاضوا سیلا و راضوا خیلا

خبر تو این است جامع میروی — تاچه باشد شرّ ووزرت[1] ای غوی ۱ — یك سلامی نشنود پیر از خسی — تا نپیچد عاقبت از وی بسی
گرگ دریابد ولی را به بود — تا که در یابد مر اورا نفس بد ۲ — زانکه گرگ ارچه که بس استمگریست — لیکش آن فرهنگ و کید و مکر نیست
ورنه کی اندر فتادی او بدام — مکر اندر آدمی باشد تمام ۳ — ❀مکر از آن اوست[2] کو دارد کرم[3] — بشنود آواز و گوید من کرم

باز گشتن بقصهٔ گاو و اشتر و قوچ

گفت قچ با گاو و اشترای رفاق — چون چنین افتاد مارا اتفاق ۵ — هر یکی تاریخ عمر ابدا[4] کنید — پیر تر اولیست باقی تن زنید
گفت قچ مرج من اندر آن عهود — با قچ قربان اسماعیل بود ۶ — گاو گفتا بوده ام من سالخورد — جفت آن گاوم کش آدم جفت کرد
جفت آن گاوم کش آدم جدّ خلق — در زراعت بر زمین میکرد فلق ۷ — چون شنید از گاو و قچ اشتر شگفت — سر فرود آورد و آنرا برگرفت
بر هوا برداشت آن بند قصیل — اشتر بختی سبك بی قال و قیل ۸ — که مرا خود حاجت تاریخ نیست — کاینچنین جسمی و عالی گردنیست
خود همه کس داند ای جان پدر — که نباشم از شما من خردتر ۹ — دانداین را هر که ز اصحاب نهی است — که نهاد من فزونتر از شماست
جملگان دانند کاین چرخ بلند — هست صدچندان که این خاك نژند[5] ۱۰ — کو گشاده قلعه های آسمان — کو نهاده بقعه های خاکدان

رجوع بتقریر ترسا و نوبت رسیدن بمسلمان

پس مسلمان گفت کای یاران من — پیشم آمد مصطفی سلطان من ۱۲ — ❀سید سادات سلطان رسل — مفخر کونین و هادیّ سبل
پس مرا گفت آن یکی برطور تاخت — با کلیم حق[6] و نرد عشق باخت ۱۳ — وان دگر را عیسی صاحب قران — برد بر اوج چهارم آسمان
خیز ای پس ماندهٔ دیده ضرر — بی توقف زود حلوا[7] را بخور ۱۴ — آن هنرمندان پر فن راندند — نامهٔ اقبال و منصب خواندند
آن دوفاضل فضل خوددر یافتند — با ملایك فضل خود دریافتند[8] ۱۵ — ای سلیم گول وابس مانده هین — برجه و بر کاسهٔ حلوا نشین
پس بگفتندش که تو ابله حریص — ای عجب خوردی زحلوای خبیص ۱۶ — گفت چون فرمود آن شاه مطاع — من که باشم تا کنم زان امتناع
❀من بفرمان چنین شاه جهان — خوردم آن دم کاسهٔ حلوا و نان ۱۷ — تو جهود از امر موسی سرکشی — گر بخواند در خوشی یا ناخوشی
تو مسیحی هیچ از امر مسیح — سر توانی تافت ازخوب و قبیح ۱۸ — من ز فخر انبیا چون سرکشم — خوردم آن حلوا و این دم سرخوشم
پس بگفتندش که والله خواب راست — توبدیدی و به ازصد خواب ماست ۱۹ — خواب تو بیداری است ای ذو نظر[9] — کان به بیداری عیانستش اثر
❀خواب تو بیداری است ای خوش نهاد — که تو در خوابت رسیدی بامراد ۲۰ — ❀خواب تو بیداری است ای نیکخو — که از آن خوابت رسید امر کلوا
❀خواب تو بیداری است ای نیکمرد — که از آن خواب تو روی ماست زرد ۲۱ — ❀خواب تو بیداری است ای سرّ جان — که همان را ظاهرا دیدی عیان
❀خواب تو مانند خواب انبیاست — که شد این خواب تو بی تعبیر راست ۲۲ — در گذر از فضل وازجلدیّ وفن — کار خدمت دارد و خلق حسن
بهر این آوردمان بیزدان برون — ما خلقت الانس الاّ یعبدون ۲۳ — سامری را آن هنر چه سود کرد — کان فن از باب اللهش مردود کرد
چه کشید از کیمیا قارون ببین — که فرو بردش بقعر خود زمین ۲۴ — بوالحکم آخر چه بربست از هنر — سرنگون رفت اوز کفران در سقر
خود هنر آن دان که دید آتش عیان — نی گپ دلّ علی النار الدّ خان[10] ۲۵ — ای دلیلت گنده تر نزد لبیب — در حقیقت از دلیل آن طبیب
چون دلیلت نیست جز این ای پسر — ژاژ میخا[11] در کبزی می نگر ۲۶ — ای دلیل تو مثال آن عصا — در کف دلّ علی عیب العصی
❀ای دلیل ما چو فکر ما ذلیل — پیشی ما پیش دانایان قلیل ۲۷ — غلغل وطاق و طرنب وگیرودار — که نمی بینم مرا معذور دار

منادی کردن سیدّ ملك ترمد که هر که در سه روز یا چهار روز بسمرقند رود چندین خلعت و زردهم و شنیدن دلقك واز ده تاختن بشهر ترمد بنزدیك شاه که من باری نمیتوانم رفتن

سید ترمد که آنجا شاه بود — مسخرهٔ او دلقك آگاه[12] بود ۳۰ — داشت کاری در سمرقند اومهم — جست الاغی تا شود او مستتم
زد منادی کانکه او در پنج روز — آردم پیغام خوب با فروز[13] ۳۱ — بخشم اورا زرّ و گنج بیشمار — تا شود میرو عزیز اندر دیار
دلقك اندر ده بدو چون این شنید — بر نشست و تا بترمد میدوید ۳۲ — مرکبی دو اندر آن ره شد سقط — از دوانیدن فرس را زان نمط
پس بدیوان دردوید از گرد راه — وقت نا هنگام ره جست او بشاه ۳۳ — فجفجی در جملهٔ دیوان فتاد — شورشی در وهم آن سلطان فتاد
خاص وعام شهر را دل شد زدست — تا چه تشویش وبلا حادث شدست ۳۴ — یا عدوی قاهری در قصد ماست — یا بلای مهلکی از غیب خاست
که ز ده دلقك بسیران درشت — چند اسب قیمتی در راه کشت ۳۵ — جمع گشته بر سرای شاه خلق — تا چرا آمد چنین اشتاب دلق
از شتاب او و فحش[14] واجتهاد — غلغل و تشویش در ترمد فتاد ۳۶ — آن یکی دو دست بر زانو زنان — وان دگر از وهم واویلا کنان
از نفیر و فتنه و خوف و نکال — هر دلی رفته بصد گونه خیال ۳۷ — هر یکی فالی همی زد از قیاس — تا چه آتش اوفتاد اندر پلاس
راه جست وراه دادش شاه زود — چون زمین بوسید گفتا هین چبود ۳۸ — هر که میپرسید حالی زآن ترش — دست بر لب می نهاد او که خمش
وهم میافزود زین فرهنگ او — جمله در تشویش گشته دنگ او ۳۹ — کرد اشارت دلقك ای شاه کرم — یکدمی بگذار تا من دم زنم

۱ـ ضرّت ۳ـ درم ٤ـ املا ٦ـ الله ۷ـ باری آن حلواو یخنی ۸ـ ازهنر در تاختند ۹ـ بوبطر ۱۱ـ خور پلیدی ۱۲ـ دلخواه ۱۳ـ زانجا خبر بدهم کنوز ۱٤ـ جدّ (ن . ل)

---

(۲) از صاحب درم حق تعالی را هم مراد داشته اند چرا که الله الغنی واقع شده و خیر الماکرین هم واقع شده و اگر دولت مندان ظاهر را اینحالت نسبت داده شود مناسب است چرا که شنیده را ناشنیده مگیرند (٥) یعنی مرتبه اش بحسب نور و دوام و بقا وتحدید جهات و حصول کیفیات در اسطقسات و آنچه مذکور شد و نشد و اما بحسب چند و مقدار صوری پس در علم اجرام و ابعاد هیئت مقرر است که کوچکترین ثوابت رصد شده ۲۲ برابر زمین است وجرم شمس ۳۲٦ برابر زمین وجرم زحل ۱۸۰ برابر آن و بواقی نیز مقرر است ومقدار کواکب که معلوم شد افلاك را قیاس کن و گاه میشود که تعیین عدد مراد نیست بلکه مطلق کثرت مراد است (۱۰) سخن گوئی مقصود آنست که در راه معرفت مشهوده بکار آید نه استدلال که پای استدلالیان چوبین بود باید نظر حق بین باشد که بیش از همه حق را بیند که ما رأیت شیئاً الا رأیت الله قبله

بو که باز آید بمن عقلم دمی — که فتادم در عجایب عالمی ۱
بعد یکساعت که شاه از وهم و ظن — تلخ گشتش هم گلو و هم دهن
کو ندیده بود دلقك را چنین — که از او خوشتر نبودش همنشین ۲
دائماً دستان و لاغ افراشتی — شاه را بس شاد و خندان داشتی
آنچنان خندانش کردی درنشست — که گرفتی شه شکم را با دودست ۳
هم ززورخنده خوی کردی تنش — رو ذر افتادی ز خنده کردنش
باز امروز این چنین زردوترش — دست بر لب میزند کای شه خمش ۴
وهم دروهم و خیال اندر خیال — شاه را تا خود چه آید ازنکال
که دل شه با غم و پرهیز بود — زانکه خوارمشاه[1] بس خون ریز بود ۵
جای تخت او سمرقند گزین — بد وزیری داهی اورا همنشین
پس شهان آنطرف را کشته بود — یا بحیلت یا بسطوت آن عنود ۶
وین شه ترمد ازو در وهم بود — وز فن دلقك همی وهمش فزود
گفت زوتر باز گو تا حال چیست — اینچنین آشوب تو ازشر[2] کیست ۷
گفت من در ده شنیدم آنکه شاه — زد منادی بر سر هر شاهراه
که کسی خواهم که تازد درسه روز — تا سمرقند او چو پیك بافروز[3] ۸
گنجها بدهم ورا اندر عوض — چون شود حاصل ز پیغامش غرض
من شتابیدم بسر تو بهر آن — تا بگویم که ندارم آن توان[4] ۹
اینچنین کاری نیاید خود زمن — تار این امید را بر من متن
گفت شه لعنت براین زودیت باد — که دو صد تشویش درشهر اوفتاد ۱۰
از برای این قدر ای خام ریش — آتش افکندی در این مرج وحشیش
همچو این خامان با طبل و علم — که الغ خانیم[5] در فقر و عدم ۱۱
لاف شیخی در جهان انداخته — خویشتن را بایزیدی ساخته
هم زخود سالك شه واصل شده[6] — محفلی واکرده در دعوت کده ۱۲
خانهٔ داماد پر آشوب و شر — قوم دختر را نبوده زان خبر
ولولهٔ که کار نیمی راست شد — شرطهائی کان ز سوی ماست شد ۱۳
خانه ها را رفته و آراسته — زین هوس سرمست وخوش برخاسته
زان طرف آمد یکی پیغام نی — مرغی آمد این طرف زان بام نی ۱۴
زین رسالات مزید اندر مزید — یکجوابی زآنحوالی تان[7] رسید
نی ولیکن یار ما زین آگه است — زانکه از دل سوی دل لابد رهست ۱۵
پس از آن یاری که امید شماست — از جواب نامه ره خالی چراست
صد نشانست از سر اروازجهار[8] — لیك بس کن پردهٔ زین بر مدار ۱۶
باز رو تا قصهٔ دلق جهول — که بلا آورد بر خویش ازفضول
پس وزیرش گفت ای حق راستن — بشنو از بندهٔ کمینه یك سخن ۱۷
دلقك از ده بهر کاری آمده است — رای او گشت و پشیمان زان شده است
زآب و روغن کهنه رانو می کند — او بمسخرگی برون شو می کند ۱۸
غمد را بنمود و پنهان کرد تیغ — باید افشردن مر اورا بی دریغ
او میان بنمود وپنهان کرد کارد — بی گمان اورا همی باید فشارد ۱۹
پسته را یا جوز را تا نشکنی — نه نماید دل نه بدهد روغنی
مشنو این دفع وی و فرهنگ او — در نگر در ارتعاش و رنگ او ۲۰
گفت حق سیماهم فی وجوههم[9] — زان که غمّاز است سیما و منم
این معاین هست ضد آن خبر — که به شر بسرشته آمد این بشر ۲۱
گفت دلقك با فغان و با خروش — صاحبا در خون این مسکین مکوش
پس گمان و وهم آید در ضمیر — کان نباشد حق وصادق ای امیر ۲۲
انّ بعض الظن اثم است ای وزیر — نیست استم راست خاصه بر فقیر
شه نگیرد آنکه می رنجاندش — از چه گیرد آنکه می خنداندش ۲۳
گفت صاحب پیش شه جاگیر شد — کاشف این مکر واین تزویر شد
گفت دلقك را سوی زندان برید — چابلوس و زرق او را کم خرید ۲۴
می زنیدش چون دهل اشکم تهی — تا دهل وار او دهد مان آگهی
زانکه هم پرهم تهی[10] باشد دهل — بانگ او آگه کند ما را ز کل ۲۵
تا بگوید سر خودرا زاضطرار — آنچنانکه گیرد این دلها قرار
چون طمانینه است صدق بافروغ — دل نیارامد بگفتار دروغ ۲۶
کذب چون خس باشد ودل چون دهان — خس نگردد در دهان هرگز نهان
تا درو باشد زبانی میزند — تا بدانش از دهان بیرون کند ۲۷
خاصه کاندر چشم افتد خس زباد — چشم افتد در نم و بند و گشاد
مایس این خس را زنیم اکنون لگد — تا دهان وچشم زین خس وارهد ۲۸
گفت دلقك ای ملك آهسته باش — روی حلم ومغفرت را کم خراش
تا بدین حد چیست تعجیل ونقم — من نمی پرم بدست تو درم ۲۹
آن ادب که باشد از بهر خدا — اندر آن مستعجلی نبود روا
وانچه باشد طبع و خشم عارضی — می شتابد تا نگردد منقضی ۳۰
ترسد ار آید رضا خشمش رود — انتقام و ذوق از او فایت شود
شهوت کاذب شتابد در طعام — خوف فوت ذوق نبود جز[11] سقام ۳۱
اشتها صادق بود تأخیر به — تا گوارنده شود آن نی گره
تو پی دفع بلایم میزنی — تا ببینی رخنه را بندش کنی ۳۲
تا از آن رخنه برون ناید بلا — غیر آن رخنه بسی دارد قضا
چارهٔ دفع بلا نبود ستم — چاره احسان باشد و عفو وکرم ۳۳
گفت الصدقه ترد البلا[12] — دارو مرضاك بصدقه یا فتی[13]
صدقه نبود سوختن درویش را — کور کردن چشم حلم اندیش را ۳۴
گفت شه نیکوست خبر وموقعش — لیك چون خیری کنی درموضعش
موضع رخ شه نهی ویرانی است — موضع شه پیل هم نادانی است ۳۵
درشریعت هم عطا هم زجر هست — شاه را صدر وفرس را درگه است
عدل چه بود وضع اندر موضعش — ظلم چه بود وضع در ناموضعش ۳۶
عدل چه بود آب ده اشجار را — ظلم چه بود آب دادن خار را
نیست باطل هر چه یزدان آفرید — ازغضب وزحلم واز نصح ومکید ۳۷
خیر مطلق نیست زینها هیچ چیز — شر مطلق نیست زینها هیچ نیز
نفع وضر هریکی ازموضع است — علم زین رو واجب است ونافع است ۳۸
ای بسا زجری که برمسکین رود — در ثواب از نان و حلوا به بود
زانکه حلوا گرمی و صفرا کند — سیلیش از خبث مستنقا کند ۳۹
سیلئی در وقت بر مسکین بزن — که رهاند آتش از گردن زدن
زخم در معنی فتد بر خوی بد — چوب بر گرد اوفتد نی بر نمد ۴۰
بزم وزندان هست هر بهرام را — بزم مخلص را وزندان خام را
شق باید ریش را مرهم کنی — چرك را در ریش مستحکم کنی ۴۱
تاخورد مرگوشت را در زیر آن — نیم سودی باشد و پنجه زیان

۱ـ خرمشاه ۲ـ و شور تو ز ۳ـ و دهم او را کنوز ۵ـ امامانیم ٦ـ ره دان واصل آمده ۷ـ از مضاحك یك جوابی نا ۱۰ـ تر و خشك و پر وتی ۱۱ـ خود هست آن (ن. ل)

---

(٤) به نداری و عجز که امر عدمیست اشارت کرده باینکه در مثل له با آنهمه غلغل وطاق و طرنب چیزی در دست ندارند از تخلق وتحقق که در نزد اهل شهود است چنانکه در اول نیز گذشت که نمی بینم مرا معذور دار (۸) از اسم مخفی و نود و نه اسمی که تخلق به آنها موجب دخول در جنت صفات است و نیز واردات و کرامات (۹) در سورهٔ انا فتحنا واقع شده است سیماهم فی وجوههم من اثر السجود یعنی نشانهٔ ایشان در صورتهای ایشانست از اثر سجده نمودن (۱۲) در خبر است الصدقه ترد للبلا یعنی صدقه برمیگرداند بلا را (۱۳) مداوا کن بیمارانت را بصدقه ای جوان

از تف آن اندرون ویران شود — چرك ناگه در میان پنهان شود ۱ — گفت دلقك من نمیگویم گذار — لیك میگویم تحرّی پیش آر
هین ره صبر و تأنی در مبند — صبر کن اندیشه مکن روز چند ۲ — در تأنی بر یقینی بر زنی — گوشمال من بایقانی کنی
در روش یمشی مکبّاً خود چرا[1] — چونکه میشاید شدن بر استوا ۳ — مشورت کن با گروه صالحان — بر پیمبر امر شاورهم بدان[2]
امر هم شوری برای این بود — کز تشاور سهو و کژ کمتر شود[3] ٤ — کاین خردها چون مصابیح انور است — بیست مصباح از یکی روشن تر است
بو که مصباحی فتد اندر میان — مشتعل گشته زنور آسمان ۵ — غیرت حق پردهٔ انگیخته است — سُفلی و علوی بهم آمیخته است
گفت سیروا می طلب اندر جهان[4] — بخت و روزی را همی کن امتحان ٦ — در مجالس می طلب اندر عقول — آنچنان عقلی که بود اندر رسول
زانکه میراث از رسول آنست و بس — کو ببیند غیبها از پیش و پس ۷ — در بصرها می طلب هم آن بصر — که نتابد شرح[5] آن این مختصر
بهر این کرده است منع آن باشکوه — از ترهب وز شدن خلوت بکوه ۸ — تا نگردد فوت این نوع التقا — کان نظر بخشست و اکسیر بقا
در میان صالحان یك اصلحیست — بر سر توفیقش از سلطان صحیست[6] ۹ — کان دعا شد با اجابت مقترن — کفو او نبود کبار انس و جن
در مری اش آنکه حلو و حامض است — حجت ایشان بر حق داحض است[7] ۱۰ — که چو ما اورا بخود افراشتیم — عذر و حجت از میان برداشتیم
قبله را چون کرد دست حق عیان — پس تحرّی بعد از آن مردود دان ۱۱ — هین بگردان از تحرّی رو و سر — که پدید آمد معاد و مستقر
یك زمان زین قبله گر غافل شوی — سخرهٔ هر قبلهٔ باطل شوی ۱۲ — چون شوی تمییزده را ناسپاس — بجهد از تو خطرت قبله شناس
گر از این انبار خواهی برّ و بُرّ — نیم ساعت روز همراهان[8] مبر ۱۳ — کاندر آن دم که بیرّی زان معین — مبتلا گردی تو با بئس القرین

قصهٔ تعلق موش با چغز و بستن پای خود بر پای او و صید کردن زاغ ایشانرا

از قضا موشی و چغزی با وفا — بر لب جو گشته بودند آشنا ۱۵ — هر دو تن مربوط میعادی[9] شدند — هر صباحی جمع یکجا[10] آمدند
نرد دل با همدگر می باختند — وز وساوس سینه میپرداختند ۱٦ — هر دو را دل از تلاقی متسع — همدگر را قصه خوان و مستمع
راز گویان با زبان و بی زبان — الجماعة رحمه را تاویل دان ۱۷ — آن اشر[11] چون جفت آن شاد آمدی — پنج ساله قصه اش یاد آمدی
جوش نطق از دل نشان دوستیست — بستگی نطق از بی الفتیست ۱۸ — دل که دلبر دید کی ماند ترش — بلبلی گل دید کی ماند خمش
ماهی بریان ز آسیب خضر[12] — زنده شد در بحر گشت او مستقر[13] ۱۹ — یار چون با یار خوش بنشسته شد — صد هزاران لوح سر دانسته شد
لوح محفوظ است پیشانی یار — راز کونینش نماید آشکار ۲۰ — هادی راهست یار اندر قدوم — مصطفی زین گفت اصحابی نجوم
نجم اندر ریگ و دریا رهنماست — چشم اندر نجم نه کو مقتداست ۲۱ — چشم را باروی او میدار جفت — گرد منگیزان ز راه بحث و گفت
زانکه گردد نجم پنهان زان غبار — چشم بهتر از زبان با عثار ۲۲ — تا بگوید آنکه وحی استش شعار — کان نشاند گرد و ننگیزد غبار
چون شد آدم مظهر وحی و وداد — ناطقهٔ او علم الاسما گشاد[14] ۲۳ — نام هر چیزی چنانکه هست آن — از صحیفهٔ دل روی گشتش زبان
فش میگفتی زبان از رؤیتش — جمله را خاصیت و ماهیتش ۲٤ — آنچنان نامی که اشیارا سزد — نی چنانکه حبز را خوانی اسد
نوح نهصد سال در راه سوی — بود هر روزیش تذکیر نوی ۲۵ — لعل او گویا ز یاقوت القلوب — نی رساله خوانده نی قوت القلوب[15]
وعظ را ناموخته هیچ از شروح — بلکه ینبوع کشوف و شرح روح ۲٦ — زان مئی کان می چو نوشیده شود — آب نُطق از گنگ جوشیده شود
طفل نوزاده شود حبر و فصیح — حکمت بالغ بخواند چون مسیح ۲۷ — از کُهی که یافت زان می خوش لبی — صد غزل آموخت داود نبی
جمله مرغان ترك کرده جیك جیك — همزبان و یار داود ملیك ۲۸ — چه عجب گر مرغ گردد مست او — چون شنید آهن صدای دست او
صرصری بر عاد قتّالی شده — مر سلیمان را چو حمالی شده[16] ۲۹ — صرصری می برد بر سر تخت شاه — هر صباح و هر مسا یکماهه[17] راه
هم شده حمال و هم جاسوس او — گفت غائب را کنان محسوس او ۳۰ — باد چون گفتار غایب یافتی — سوی گوش آن ملك بشتافتی
که فلانی اینچنین گفت آن زمان ۳۱ — ای سلیمان و شه صاحب قران

تدبیر موش با چغز که میان ما وسیلتی باید که بوقت حاجت بر تو نمیتوانم آمدن و سخن گفتن

این سخن پایان ندارد گفت موش — چغز را روزی که ای مصباح هوش ۳۳ — وقتها خواهم که گویم با تو راز — تو درون آب داری ترك تاز
بر لب جو من ترا نعره زنان — نشنوی در آب از عاشق فغان ۳٤ — من بدین وقت معین ای دلبر — می نگردم از ملاقات[18] تو سیر
پنج وقت آمد نماز ای رهنمون — عاشقان را فی صلوة دائمون[19] ۳۵ — نی به پنج آرام گیرد آن خمار — کاندر این سرهاست نی پانصد هزار
نیست زُرغباً[20] طریق[21] عاشقان — سخت مستسقیست جان صادقان ۳٦ — نیست زُرغباً طریق[21] ماهیان — زانکه بی دریا ندارند انس جان
آب این دریا که هایل بقعه ایست — با خمار ماهیان خود جرعه ایست ۳۷ — یکدم هجران بر عاشق چو سال[22] — وصل سالی متصل پیشش خیال

۳ـ میرود ـ رود ۵ـ وصف ۸ـ همدردان ۹ـ میقاتی ۱۰ـ گوشه ای می ۱۳ـ گشت و سوی دریا شد مقر ۱٦ـ بده ۱۷ـ یکساله ۱۸ـ محاکات ۲۱ـ وظیفهٔ ـ نشان (ن. ل)

---

(۱) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ ملك افمن یمشی مکباً علی وُجهه اهدی امن یمشی سویاً علی صراط مستقیم یعنی آیا آنکه میرود برو در افتاده راست روتر است یا آنکه میرود راست بر جادهٔ مستقیم (۲) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ آل عمران وشاورهم فی الامر فاذا عزمت فتوکل علی الله یعنی شور کن باایشان و چون عزم کردی بر کاری توکل کن بر خدا (٤) اشاره بآیه درسورهٔ روم «قل سیروا فی الارض» (٦) حقتعالی نامهٔ او را صحه گذاشته که دعای او مستجابست چه ارادهٔ او مستهلك است در ارادهٔ حق و قدرت او در قدرت حق (۷) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ شوری «والذین یحاجون فی الله من بعد ما استجیب له حجتهم داحضة عند ربهم وعلیهم غضب» (۱۱) اشر بمعنی متکبر وحریص واینجا مراد آنست که از کثرت شادمانی گویا تکبر داشت (۱۲) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ کهف فلما بلغا مجمع بینهما نسیا حوتهما فاتخذ سبیله فی البحر سربا (۱٤) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ بقره «و علم آدم الاسماء کلها» (۱۵) قوت القلوب کتابیست معتبر از شیخ ابوطالب مکی مستشهد و معتقد صوفیه که درسنه ۳۸٦ هجری وفات یافته است (۱۹) اشاره بمضمون آیه واقعه در سورهٔ معارج الا المصلین الذین هم علی صلوتهم دائمون (۲۰) اشاره بحدیث زرغباً تزدد حباً دیدن کن یکروز درمیان تادوستی زیاد گردد (۲۲) تلمیح بآنست که گفته اند سنة الوصل سنة وسنة الهجر سنه

عشق مستسقیست مستسقی طلب — در پی هم این و[1] آن چون روز و شب ۱ — روز بر شب عاشق است و مضطر است — چون ببینی شب بر آن عاشق تراست
نیستشان از جست و جو یکلحظه ایست — از پی این یکزمانشان[2] ایست نیست ۲ — این گرفته پای آن آن گوش این[3] — این بر آن مدهوش و آن بیهوش این
در دل معشوق جمله عاشق است — در دل عذرا همیشه وامق است ۳ — در دل عاشق بجز معشوق نیست — در میانشان فارق و مفروق[4] نیست
بر یکی اشتر بود این دو درا — پس چه زرغبا بگنجد این دو را ۴ — هیچکس با خویش زرغبا نمود — هیچکس با خود بنوبت یار بود
آن یکی نه که عقلش فهم کرد — فهم این موقوف شد بر مرگ مرد ۵ — ❁جز مگر مردی که پیش از مرگ مرد — رخت هستی را بسوی یار برد
ور بعقل ادراکِ این ممکن بدی — قهرِ نفس از بهر چه واجب شدی ۶ — با چنان رحمت که داردشاه هش — بی ضرورت چون بگوید نفس کش

مبالغه کردن موش در لابه و زاری و وصلت جستن از چغز آبی

گفت ای یار عزیز مهرکار[5] — من ندارم بی رخت یکدم قرار ۸ — روز نور و مکسب و تابم توئی — شب قرار و سلوت و خوابم توئی
از مروّت باشد ار شادم کنی — وقت و بیوقت از کرم یادم کنی ۹ — در شبانروزی وظیفهٔ چاشتگاه — راتبه کردی وصال ای نیکخواه
❁من بدین یکبار قانع نیستم — در هوایت طرفه انسانیستم ۱۰ — یا صد استسقاستم اندر جگر — باهر استسقا قرین جوع البقر[6]
بی نیازی از غم من ای امیر — ده زکات جاه و بنگر در فقیر ۱۱ — این فقیر بی ادب نا درخوراست — لیك لطف عام تو زان برتراست
می نجوید لطف عام تو سند — آفتابی بر حدثها میزند ۱۲ — نور او را زان زیانی نابده — وآن حدث از خشکئی هیزم شده
تا حدث در گلخنی شد نور یافت — بر در و دیوار حمامی بتافت ۱۳ — بود آلایش شد آرایش کنون — چون برو برخواند خورشید آن فسون
شمس هم معدهٔ زمین را گرم کرد — تا زمین باقی حدثها را بخورد ۱۴ — جزو خاکی گشت و رُست ازوی نبات — هکذا یمحوا الاله السیآت
❁جزو خاکی گشت شد او پرز نور — هکذا یغفر لمن یعطی الغفور ۱۵ — ❁جزو خاکی گشت ازوی بارشاد — هکذا یسرحم اله للعباد
با حدث کان بدترینست این کند — کش نبات و نرگس و نسرین کند ۱۶ — تا بنسرین مناسك در وفا — حق چه بخشد در جزا و درعطا
چون خبیثان را چنین خلعت دهد — طیبین را تا چه سان دولت دهد[7] ۱۷ — آن دهد حقشان که لاعین رات[8] — کان نگنجد در زبان و درلغت
ماله ایمان رایان کن یار من[9] — روز من روشن کن از خُلق حسن ۱۸ — منگر اندر زشتی و مکروهیم — که ز پُر زهری چو مار کوهیم
ای که من زشت و خصالم جمله زشت — چون شوم گل چون مرا او خار گشت ۱۹ — نوبهارا حسن گل ده خار را — زینت طاوس ده این مار را
در کمال زشتیم من منتهی[10] — لطف تو در فضل و در فن منتهی ۲۰ — حاجت این منتهی زان منتهی — تو بر آرای غیرت[11] سرو سهی
چون بمیرم فضل تو خواهد گریست[12] — از کرم گرچه ز حاجت او بریست ۲۱ — بر سرِ گورم بسی خواهی نشست — خواهد از چشم لطیفت اشك جست
نوحه خواهی کرد بر محرومیم — چشم خواهی بست از مظلومیم ۲۲ — اندکی زان لطفها اکنون بکن — حلقهٔ در گوش من کن زین سخن
آنچه خواهی گفت تو با خاك من — برفشان بر مدرك غمناك من ۲۳ — ❁دست گیرم در چنین بیچارگی — شاد گردانم در آن غمخوارگی

لابه کردن موش مر چغز را که بهانه میندیش و درامر من تاخیر میندار که و فی التاخیر آفات و تمثیل

صوفئی را گفت خواجهٔ سیم پاش — ای قدمهای ترا جانم فراش ۲۵ — یکدرم خواهی تو امروز ای شهم — یا که فردا چاشتگاهی سه درم
گفت ده نیمی درم[13] راضی ترم — که دهی امروز[14] و فرداصد درم ۲۶ — سیلی نقد از عطای نسیه به — نك قفا پیشت کشیدم نقد ده
خاصه آن سیلی که ازدست تواست — هم قفاهم سیلیش مست تواست ۲۷ — هین بیا ای شادی جان و جهان — خوش غنیمت دار نقد این زمان
در مدزد آن روی ماه از شبروان — سرمکش زین جوی ای آب روان ۲۸ — تالب جو خندد از ماء معین — وز[15] لب جو سر بر آرد یاسمین
چون ببینی بر لب جو سبزه مست — پس بدان از دور کاینجا آب هست ۲۹ — گفت سیما هم وجوه" کردگار — که بود غماز باران سبزه زار
گر بیارد شب نبیند هیچکس — که بود در خواب هر نفس و نفس ۳۰ — تازگی هر گلستان جمیل — هست بر باران پنهانی دلیل

رجوع بحکایت چغز و موش

ای اخی من خاکیم تو آبئی — لیك شاهِ رحمت و وهابئی ۳۲ — آنچنان کن از عطا و از قسم — که گه و بیگه بخدمت میرسم
بر لب جو من بجان می خوانمت — من نبینم از اجابت مرحمت ۳۳ — آمدن در آب بر من بسته شد — زانکه ترکیبم ز خاکی رُسته شد
یا رسولی یا نشانی کن مدد — تا ترا از بانگ من آگه کند ۳۴ — بحث کردند اندرین کار آن دو یار — آخر آن بحث این آمد قرار
که بدست آرند یکرشتهٔ دراز — تا ز جذب رشته گردد کشف راز ۳۵ — یکسری بر پای این بندهٔ دوتو — بسته باشد دیگری بر پای تو
تا بهم آئیم زین فن ما دو تن — اندر آمیزیم چون جان با بدن ۳۶ — هست تن چون ریسمان بر پای جان — میکشاند بر زمینش ز آسمان
چغز جان در آب خواب بیهشی — رسته ازموش تن آمد در خوشی ۳۷ — موش تن زان ریسمان بازش کشد — چند تلخی زین کشش جان می چشد
گر نبودی جذب موش گنده مغز — عیشها کردی درون آب چغز ۳۸ — باقیش چون روز برخیزی[16] ز خواب — بشنوی از نوربخش آفتاب
یك سر رشته گره بر پای من — زان سر دیگر تو بر پا عقده زن ۳۹ — تا توانم من در این خشکی کشید — مر ترا نك شد سر رشته پدید

۱ـ این است ۲ـ همشان یکی دم ٤ـ فاروق ٥ـ غمگسار ۷ـ بخشد در رصد ۱۱ـ حسرت ۱۳ـ من بر در همی ١٤ـ زانکه امروز این ۱٥ـ لب (ن . ل)

---

(۳) اشاره است بآنکه حرکات و تنزلات و ترقیات دوریست (٦) جوع البقر و جوع الکلب هر دو ناخوشی شکم خوارگی است منتها آنکه جوع البقر دارد اگر یك روز غذا نیابد که بحدّ افراط وزیاد بخورد از کار بماند ودر جوع الکلب با همهٔ پرخوری صبر تواند کرد اگر غذادیر شود وازکار نمیماند (۸) اعددت لعبادی الصالحین مالا عین رأت ولا اذن سمعت (۹) یعنی بیان فعلی و وجودی کن بتخلیق (۱۰) یعنی من درنقص بنهایت رسیده ام و بنحو کمال نقص را دارم ونهایت و کمال نقص هیچی و نیستی است (۱۲) درحدیث قدسی است ماترددّت فی شیئی کترددی فی قبض روح عبدی المؤمن (۱٦) باقی عیش که انّ العیش عیش الاخرة در روز قیامت است که از خوابها همه برخیزی وطلوع شمس حقیقت شود خاصه اگر از کمل باشی که تعطل در برزخیات نداشته باشی مانند کسی که ازشواغل طبیعیه خلاص شود ولی خیالات آن شواغل ویرا بگیرد و حجاب از نیل مطلوب حقیقی شود اینست که برزخ منام است و دنیا منام فی منام

تلخ آمد بر دل چنز این حدیث — که مرا در عقده آرد این خبیث ۱ — هرکراهت در دل مرد بهی — چون در آید ز آفتی نبود تهی

وحی[1] حق‌دان آن‌فراست‌را نه‌وهم — نور دل ازلوح‌کل کرده‌است فهم ۲ — امتناع پیل از سیران بیت[2] — با جد آن پیلبان و بانگ هیت

جانب کعبه نرفتی پای پیل — با همه ات نی کثیر و نی قلیل ۳ — گفتئی که خشك شد پاهای او — یا بمرد آن جان هول افزای او

❀پیل را حق جان آگه میکند — وان خسان‌را گون وگمره میکند ۴ — چونکه کردندی سرش سوی یمن — پیل نر صد[3] اسبه گشتی گامزن

حس پیل از زخم غیب آگاه بود — چون بود حس ولی باورود ۵ — نی که یعقوب نبی پاك خو[4] — بهر یوسف با همه اخوان او[5]

از پدرچون‌خواستندآن دادران[6] — تا برندش سوی صحرا یکزمان ۶ — جمله گفتندش میندیش از ضرر — یکدو روزش مهلتی ده ای‌پدر

❀ تو چرا ما را نمیداری امین — یوسف خود بسپری با حافظین[7] ۷ — تا بهم در مرجها بازی کنیم — ما در این دعوت امین‌ومحسنیم

گفت این دانم که نقلش از برم — میفروزد در دلم درد و سقم ۸ — این دلم هرگز نمیگوید دروغ — که ز نور عرش دارد دل فروغ

آن دلیل قاطعی بد بر فساد — وزقضا آن را نکرد او اعتداد ۹ — در گذشت ازوی نشانی آنچنان — که قضا در فلسفه بود آن‌زمان[8]

این عجب نبود که کور افتد بچاه — بوالعجب افتادن بینای راه ۱۰ — کاین‌قضا راگونه‌گون تصریفهاست — چشم بندش یفعل‌الله ما یشااست

هم بداند هم نداند دل فنش — موم گردد بهر آن مهر آهنش ۱۱ — گوئیا دل گویدی که میل او — چون‌درین‌شد هرچه‌خواهد باش‌گو

خویش را هم زین مغفل میکند — در عقالش جان معقل میکند ۱۲ — گر شود مات اندر این‌آن‌بوالعلا — آن نباشد مات باشد ابتلا

یك بلا از صد بلایش واخرد — یك هبوطش بر معارجها برد ۱۳ — خام شوخی که رهانیدش مدام — از خمار صد هزاران زشت‌خام

عقبت او پخته و استاد شد — جست از رق جهان وآزاد شد ۱۴ — از شراب لایزالی گشت مست — شد ممیز وزخلایق باز رست

زاعتقاد سست پیر تقلیدشان — واز خیال دیدهٔ بی دیدشان ۱۵ — ای عجب چه فن زند ادراکشان — پیش جزر و مد بحر بی‌نشان

زان بیابان این عمارتها رسید — ملك و شاهی و وزارتها رسید ۱۶ — زان بیابان عدم مستان شوق — میرسند اندر شهادت جوق‌جوق

کاروان در کاروان زین بادیه — میرسد در هر مسا و غادیه ۱۷ — آید و گیرد وثاق ما گرو — که رسیدم نوبت ما شد تو رو

چون بهر چشم خردرا بر گشاد — زود بابا رخت بر گردون نهاد ۱۸ — جادهٔ شاهست این زینسو روان — وان از آنسو صادران‌و واردان

نیك بنگر ما نشسته میرویم — می نبینی قاصد[9] جای نویم ۱۹ — بهر مالی می نگیری راس مال — بلکه از بهر غرضها در مآل

پس مسافر آن بود ای رهپرست — که مسیرو روش در مستقبل‌است ۲۰ — همچنان کز پردهٔ دل بی‌کلال — دمبدم در میرسد خیل خیال

گرنه تصویرات از یك مفرسند — جرمها پیر میکنند و میروند ۲۱ — جوق جوق اسپاه تصویرات ما — سوی چشمهٔ دل شتابان از ظما

دائماً پیدا و پنهان میشوند — سعد دیدی شکر کن ایثارکن ۲۲ — فکرها از[11] اختران چرخ دان — دایر اندر چرخ دیگر آسمان[12]

نحس دیدی صدقه و استغفار کن — روح را تابان کن از انوار ماه ۲۳ — ماکشیم‌این را بیا ای شاه[13] من — طالعم مقبل کن و چرخی بزن

زانکه زآسیب‌ذنب‌جان[14] شد سیاه — تازدلداری خوب تو دلی ۲۴ — از خیال ووهم وظن بازش‌رهان — از چه و جور رسن‌بازش‌رهان

پر بر آرد بر پرد زاب وگلی — ای‌عزیز مصرو دربیمان درست[15] ۲۵ — ❀ای عزیز مصر جانم دستگیر — عذر این زندانی خود در پذیر

یوسف مظلوم در زندان تست — هفت گاو لاغر پر از گزند ۲۶ — در خلاص او یکی خوابی ببین — زود کان الله یحب المحسنین[16]

هفت گاو فربهش رامیخورند[17] — قحط از مصرت برآمد ای عزیز ۲۷ — هفت خوشهٔ زشت خشك‌ناپسند — سنبلات تازه‌اش را میچرند

هین مباش ای شاه‌این‌را مستجیز — از سوی عرشی که‌بودم مربط او ۲۸ — یوسفم در حبس توای شه نشان — هین ز دستان زنانم وارهان

شهوت مادر فکندم که اهبطوا — روح را از عرش آرددرحطیم[18] ۲۹ — پس فتادم زان کمال مستتم — از فن زالی بزندان رحم

لاجرم کید زنان باشد عظیم[19] — بشنو این زاری یوسف در عثار ۳۰ — اول و آخر هبوط من ززن — چونکه بودم روح‌و چون‌هستم‌بدن

یا بر آن یعقوب بیدل رحم آر — زان مثال برگ دی پژمرده‌ام ۳۱ — ناله‌از اخوان کنم یا از زنان[20] — که فکندندم چو آدم از جنان

کز بهشت وصل گندم خورده‌ام — من سپند چشم بد کردم پدید ۳۲ — چون بدیدم لطف و اکرام ترا — وان سلام و سلم و پیغام ترا

در سپندم نیز چشم بد رسید — چشم بدرا چشم نیکویت شها ۳۳ — دافع هر چشم بد از پیش وپس — چشمهای پر خمار تست و بس

مات و مستأصل کند نعم‌الدوا — چشم‌شه برچشم بازر دل زده‌است ۳۴ — بل زچشمت کیمیا ها می‌رسد — چشم بدرا چشم نیکو میکند

چشم بازش‌سخت‌باهمت‌شده‌است[21] — شیر چه کان شاهباز معنوی[22] ۳۵ — تا زبس همت که یابید از نظر — می نگیرد باز شه جز شیر نر

هم شکارتست وهم‌صیدش‌توئی ۳۶ — باز دل راگر بی تو می پرید — شد صفیر بازجان در مرج دین — نعرهای لااحب الآفلین

از عطای بی حدت چشمی رسید ۳۷ — هر حسی راچون دهی‌ره‌سوی‌غیب — یافت بینی بوی‌و گوش‌از توسماع — هر حسی را قسمتی آمد مشاع

نبود آن‌حس رافتورومرگ‌وشیب ۳۸ — مالك الملکی بحس چیزی دهی — تا که بر حسها کند آن حس‌شهی

❀جهد کن تا حس تو بالا رود ۳۹ — تا که کار حس از آن بالا شود

۱ـ وصف ۳ـ دو ٤ـ گفت آن زمان ٥ـ که ازو جستند یوسف‌را کهان ۷ـ را بسیران وظعین ۹ـ طالب ۱۰ـ درپی هم سوی‌دل‌چون ۱۱ـ را ۱۳ـ یار ۱٤ـ دل ۱٥ـ جانم آن تست ۲۱ـ سخت باهمت ازین رو آمدست (ن . ل)

---

(۲) اشاره بقصهٔ ابرهه که لشکر بمکه کشید که خانهٔ کعبه را بپای پیلان خراب کند و پیشرو پیلان پیل سفید میبود که آنرا محمود نام نهاده بودند حضرت عبدالمطلب بر او گذشته گوش او را گرفت و فرمود ترا آوردند که خانهٔ کعبه را خراب کنی چا خواهی کرد و او سر خود را جنبانید و روز دیگر که خواستند حرکتش دهند هرچه کردند نرفت (٦) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ یوسف ارسله معناغداً یرتع و یلعب وانا له لحافظون (۸) قضا دردانایان و بینایان خواست تأثیر کند و امضا دارد (۱۲) که آسمان عالم جان باشد (۱٦) در سورهٔ آل عمران است (۱۷) در سورهٔ یوسف وقال یاایها الملا انی اری سبع‌بقرات سمان یاکلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضرو اخریابسات (۱۸) شکسته شده ومراد این عالم است که موجوداتش شکسته میشوند و ازدحام دارند (۱۹) در سورهٔ یوسف است ان کیدکن عظیم (۲۰) و از جمله زنانست نفس اماره ولوامه و مسوله و روح پدر است و نفس مادر و قلب فرزند (۲۲) یعنی شاهباز معنوی که عدل و جان باشد شکار تست که بمثل عقل کل هستی و قابل شکار بودن از برای تو بود ولی همتی از تو یافت که بجز ترا نمیخواهد بلکه خلاف طریقت بود کاولیا تمنا کنند از خدا جز خدا

حکایت سلطان محمود غزنوی و رفاقت او شب با دزدان و بر احوال ایشان مطلع شدن

یك شبی میگشت شه محمود[1] فرد — با گروه دزد شبرو باز خورد ۲
آن یکی گفت ای گروه مکرکیش — هین بگوئید از فن و فرهنگ خویش ۳
آن یکی گفت ای گروه فن فروش — هست خاصیت مرا اندر دو گوش ٤
آن دگر گفت ای گروه زرپرست — جمله خاصیّت مرا چشم اندر است ٥
گفت یك خاصیتم در بازو است — که زنم من نقبها بازور دست ٦
سرّ الناس معادن داد دست[2] — که رسول آنرا پی چه گفته است ۷
در یکی کان زرّ بی اندازه درج — وان دگر دخلش بود کمتر ز خرج ۸
بو کنم دانم ز هر پیراهنی — گر بود یوسف و گر آهرمنی ۹
که کدامین خاك همسایهٔ زراست — یا کدامین خاك صفرو ابتراست ۱۰
❀قصر اگرچه چند باشد بس بلند — کنگرش در سخت گردانم کمند ۱۱
همچو احمد که کمند انداخت جانش — تا کمندش بُرد سوی آسمانش ۱۲
پس بپرسیدند ازشه کای سند — مر ترا خاصیت اندر چه بود ۱۳
مجرمان را چون بجلاّد آن دهند — چون بجنبد ریش من ایشان رهند ۱٤
قوم گفتندش که قطب ما توئی — چون خلاص روز محنتها[5] توئی ۱٥
چون سگی بانگی بزد از دست[6] راست — گفت میگوید که سلطان باشماست ۱٦
پس کمند انداخت استاد کمند — تا شدند آن سوی دیوار بلند ۱۷
نقب زن زد نقب و در مخزن رسید — هر یکی از مخزن اسبابی کشید ۱۸
شه معین دید منزلگاهشان — حیله و نام و پناه و راهشان ۱۹
پس روان گشتند[7] سرهنگان مست — تا که[8] هر سرهنگ دزدی را بیست ۲۰
چونکه استادند پیش تخت شاه — یارشبشان بود آن شاه چو ماه ۲۱
شاه را بر تخت دید و گفت این — بود باما دوش شب گرد و قرین ۲۲
عارف شه بود چشمش لاجرم — بر گشاد از معرفت لب با حشم ۲۳
چشم من ره بُرد شب شه را شناخت — جمله شب با روی ماهش عشق باخت ۲٤
چشم عارف دان امان هر دو کون — که بدو یابید هر بهرام عون ۲٥
در شب دنیا که محجوبست شید — ناظر حق بود و زو بودش امید ۲٦
مریتیمی را که حق سرمه کشد — گردد او دُرّ یتیم بارشد ۲۷
در نظر بودش مقامات العباد[14] — لاجرم نامش خدا شاهد[15] نهاد ۲۸
گر هزاران مدّعی سر بر زند — گوش قاضی جانب شاهد کند ۲۹
گفت شاهد زان بجای دیده است — کو بدیدهٔ بیغرض سر دیده است ۳۰
حق همی خواهد که تو زاهد شوی — تا غرض بگذاری و شاهد شوی ۳۱
کاین غرضها پردهٔ دیده بود — بر نظر چون پرده پوشیده[16] بود ۳۲
دردلش خورشید چون نوری نشاند — پیشش اختر را مقادیری نماند ۳۳
در زمین حق راودر چرخ سمی — نیست پنهان تر ز روح آدمی ۳٤
باز کرد از رطب و یابس حق نورد — روح را من امر ربی مهر کرد ۳٥
شاهد مطلق بود در هر نزاع — بشکند گفتش خمار هر[18] صداع ۳٦
منظر حق دل بود در دو سرا — که نظر بر شاهد آید شاه را ۳۷
پس از آن لولاك گفت اندر لقا — در شب معراج شاهد باز ما ۳۸
شد اسیر آن قضا میر قضا — شاد باش ای چشم تیز مرتضی ۳۹
ای مشیر ما تو اندر خیر و شر — از اشارتهات دلمان بیخبر ٤۰

پس بگفتندش کئی ای بوالوفا — گفت شه من هم یکی ام از شما
تا بگوید با حریفان در سمر — کوچه دارد در جبلت از هنر
که بدانم سگ چه میگوید بیانگ — قوم گفتندش ز دیناری دو دانگ
هر که را شب بینم اندر قیروان — روز بشناسم مر اورا بی گمان
گفت یك خاصیتم در بینی است — کار من در خاکها بو بینی است
من زخاك تن بدانم کاندر آن — چند نقداست و چه دارد او زکان[3]
همچو مجنون بو کنم هر[4] خاك را — خاك لیلی را بیابم بی خطا
همچو احمد که برد بو از یمن — زان نصیبی یافت این بینیّ من
گفت یك نك خاصیت در پنجه ام — که کمندی افکنم طول علم
❀همچو احمد که کمند انداخت سخت — که کمندش برد سوی تخت و بخت
گفت حقش کای کمند انداز بیت — آن زمن دان ما رمیت اذ رمیت
گفت در ریشم بود خاصیتم — که رهانم مجرمان را از نقم
چون بجنبانم برحمت ریش را — طی کنند آن قتل و آن تشویش را
بعد از آن جمله بهم بیرون شدند — سوی قصر آن شه میمون شدند
خاك بوکرد آن دگر از ربوهٔ — گفت کاین هست از وثاق بیوهٔ
جای دیگر خاك را چون بوی کرد — گفت خاك مخزن شاهیست فرد
بس زر و زربفت و گوهرهای زفت — قوم بردند و نهان کردند تفت
خویش را دزدید از ایشان بازگشت — روز در دیوان بگفت آن سرگذشت
دست بسته سوی دیوان آمدند[9] — وز نهیب جان خود لرزان شدند
آنکه شب بر هر که چشم انداختی — روز دیدی بیشکش بشناختی
آنکه چندین خاصیت در ریش اوست — این گرفت ماهم از تفتیش اوست
آمّت خود را بخواهم من از او — فعل ما می دید و سرمان می شنود
زان محمد شافع هر داغ بُود — کو نگرداند ز عارف هیچ رُو
از الم نشرح[13] دو چشمش سرمه یافت — که زجزحق[11] چشم او ما زاغ بود[12]
ناظر حق بود و زو بودش امید — دید آنچه جبرئیل آن بر نتافت
گردد او دُرّ یتیم بارشد — آنچنان مطلوب را طالب شود
آلت شاهد زبان و چشم تیز — که زشب خیزش ندارد سرگریز
قاضیان را در حکومت این فن است — شاهد ایشان را دو چشم روشن است
مدعی دیدست اما با غرض — پرده باشد دیدهٔ دل را غرض
❀حق همی گوید غرض را ترك کن — تا قبول افتد ترا با ما سخن
پس نبیند جمله را با طمّ و رم[17] — حبك الاشیاء یعمی ویصمّ
پس بدید او بی حجاب اسرار را — سیر روح مؤمن و کُفار را
❀باز کرد از حق دو چشم خویشتن — آنکه صاحب رفعت آمد در سنن
پس چو دید آن روح را چشم عزیز — پس برو پنهان نماند هیچ چیز
نام حق عدلست و شاهد آن اوست — شاهد عدلست زین رو چشم دوست[19]
عشق حق و سرّ شاهد بازیش — بود مایهٔ جمله پرده سازیش
این قضا بر نیك و بد حاکم بود — بر قضا شاهد نه حاکم می شود
عارف از معروف پس درخواست کرد — کای رقیب ما تو اندر[20] گرم و سرد
ای پرانا لا نراه روز و شب — چشم بند ما شده دید سبب

۱ـ شب چو شه محمود برمیگشت ۳ـ بیگمان ٤ـ من ٥ـ محنتمان ٦ـ سوی ۷ـ بفرمود او به ۸ـ رفت ۹ـ جانب دیوان شدند ۱۱ـ شه ۱٦ـ پیچیده ۱۸ـ صد ۲۰ـ شده در (ن. ل)

---

(۲) اشاره بحدیث الناس معادن کمعادن الذهب والفضه (۱۰) اشاره به آیه واقعه در سورهٔ حدید و هو معکم اینما کنتم (۱۲) اشاره به آیه واقعه در سورهٔ والنجم و مازاغ البصر و ماطغی (۱۳) اشارهٔ بانشراح و گشادگی سینهٔ حضرت (۱٤) یعنی از خود چیزی ندارند که العبد ومافی یده ای فی عین ثابته من الوجود و الصفة و العقل کان لولا (۱٥) اشاره بآیهٔ واقعه در سورهٔ فتح انّا ارسلناك شاهداً و مبشراً و نذیرا (۱۷) از طمّ و رمّ مراد بالتمام است و معنی آن کثرت مال است و معنی طم دریا و رم مغز استخوان و خاك نمناك است (۱۹) یعنی شاهد و عدل از اسماء خدا اند و اسماء خدا مظهر میخواهند و مظهر این دو اسم چشم پیغمبر است چنانکه ذاتش مظهر اسم اعظم است

چشم من از چشمها بگزیده شد — تا که در شب آفتابم دیده شد ۱ — لطف معروف تو بود آن ای بهی[1] — پس کمال البرّ فی اتمامه[2]

ربّ اتمم نورنا بالباهره — وانجنا من منضحات القاهره[3] ۲ — یار شب را روز مهجوری مده — جان قربت دیده را دوری مده

بُعد تو مرگیست با درد و نکال — خاصه بُعدی کان بود بعدالوصال ۳ — آنکه دیدستت مکن نادیده اش — آب زن بر سبزهٔ بالیده اش

من نکردم لاابالی در طریق[4] — تو مکن هم لا ابالی ای شفیق[5] ۴ — هین مران از روی خود اورا بعید — آنکه او یکبار روی تو بدید

دید روی جز تو شد غُلّ گلو — کل شئی ما خلا[6] الله باطل ۵ — باطلند و می نمایندم رشد — زانکه باطل باطلان را می کشد

ذرّه ذرّه کاندر این ارض و سماست — جنس خودرا همچو کاه و کهرباست ۶ — معده نان را می کشد تا مستقر — می کشد مر آب را تفّ جگر

چشم جذّاب بتان زین کویهاست — مغز جویان از گلستان بویهاست ۷ — زانکه حسّ چشم آمد رنگ کش — مغزو بینی میکشد بوهای خوش

زین کششها ای خدای راز دان — تو بجذب لطف خودمان ده امان ۸ — غالبی بر جاذبان ای مشتری[7] — شایدار درماندگان را واخری

رو بشاه آورد چون تشنه بابر — آنکه بود اندرشب قدراوچوبدر[8] ۹ — چون لسان و جان او بود آن او — آن او با او بود[9] گستاخ گو

گفت ما گشتیم چون جان بندِ طین — آفتاب جان توئی در روز دین ۱۰ — وقت آن شد ای شه مکتوم سیر[10] — کز کرم ریشی بجنبانی بخیر

هر یکی خاصیت لخود را نمود — آن هنر ها جمله بدبختی فزود ۱۱ — آن هنر ها گردن ما را ببست — زان مناصب سرنگون ساریم و پست

آن هنر فی جید ها حبل مسد — روز مردن نیست زین فنها مدد ۱۲ — جزهمان خاصیت آن خوش حواس — که بشب بدچشم او سلطان شناس

آن هنر ها جمله غول راه بود — غیر چشمی کوز شاه آگاه بود ۱۳ — شاه راشرم آمد ازوی روز بار — که بشب برروی شه بودش نظار

و آن سگ آگاه از شاه وداد — خود سگ کهفش لقب باید نهاد ۱۴ — خاصیت در گوش هم نیکو بود — گو بیانگ سگ زشیر آگه شود

سگ چو بیدار است شب چون پاسبان — بیخبر نبود ز شبخیز شهان ۱۵ — هین زبد نامان[11] نباید ننگ داشت — هوش بر اسرارشان باید گماشت

هر که او یکبار خود بدنام شد — خود نباید نام جُست و خام شد ۱۶ — ای بسا زر که سیه تابش کنند — تا شود ایمن ز تاراج و گزند

❀هرکسی چون بی برد در سرّ ما — ۱۷ — باز کن دو چشم وسوی ما بیا

قصهٔ چریدن گاو بحری در نور گوهر شب چراغ و ریختن تاجر خاك بر سر گوهر تابنده و گریختن بر درخت

گاو آبی گوهر از بحر آورد — بنهد اندر مرج و گردش میچرد ۱۹ — در شعاع نور گوهر گاو آب — میچرد از سنبل و سوسن شتاب

زان فکنده گاو آبی عنبر است — که غذایش نرگس و نیلوفر است ۲۰ — هر که باشد قوت او نور جلال — چون نزاید از لبش سحر حلال

هرکه چون زنبور وحیستش نقل — چون نباشد خانهٔ او پر عسل ۲۱ — می چرد در نور گوهر آن بقر — ناگهان گردد ز گوهر دور تر

تاجری بر دُر نهد لجم[12] سیاه — تا شود تاریك مرج و سبزه گاه ۲۲ — پس گریزد مرد تاجر بر درخت — گاو جویان مرد را باشاخ سخت

چند[13] بار آن گاو تازد گرد مرج — تا کند آن خصم[14] را درشاخ درج ۲۳ — چون از او نومید گردد گاو نر — آید آنجا که نهاده بُد گهر

لجم[15] بیند فوق دُرّ شاهوار — پس زطین بگریزد او ابلیس وار ۲۴ — کان بلیس از متن طین کور و کراست — گاوکی داند که در گل گوهراست

اهبطوا افکند جان رادر حضیض — از نمازش کرد محروم آن مجیض ۲۵ — ای رفیقان زینهار از این[16] مقال — اتقوا ان الهوا حیض الرجال[17]

اهبطوا افکند جان را در بدن — تا به گل پنهان بود دُرّ عدن ۲۶ — تاجرش داند ولیکن گاو نی — اهل دل دانند وهرگل گاو نی

هر گلی کاندردل او گوهریست — گوهرش غماز طین دیگریست ۲۷ — وان گلی کزرشّ حق نوری نیافت[18] — صحبت گلهای پر دُر بر نتافت

رجوع بقصهٔ موش و چغزو ربودن زاغ موش وچغز را

این سخن پایان ندارد موش ما — هست بر لبهای جو بر[19] گوش ما ۲۹ — آن سرشتهٔ عشق رشته می کشد — بر امید وصل چغز با رشد

می تند بر رشتهٔ دل دم بدم — که سر رشته بدست آورده ام ۳۰ — همچوتاری شد دل وجان درشهود — تا سر رشته بمن روئی نمود

چون غُراب البین آمد ناگهان[20] — در شکار موش وبردش زان مکان ۳۱ — چون برآمد برهوا موش ازغراب — منسحب شد چغز نیز از قعر آب

موش در منقار زاغ وچغز هم[21] — در هوا آویخته پا در رتم[22] ۳۲ — خلق میگفتند زاغ از مکر وکید — چغز آبی را چگونه کرد صید

چون شد اندرآب وچونش درربود — چغز آبی کی شکار زاغ بود ۳۳ — چغز می گفت این سزای آن کسی — کو چو بی آبان شود جفت خسی

ای فغان از یار ناجنس ای فغان — همنشین نیك جوئید ای مهان ۳۴ — عقل را افغان زنفس پر عیوب — همچو بینی بدی بر روی خوب

عقل میگفتش که جنسیت یقین — از ره معنیست نی ازماء[23] وطین ۳۵ — هین مشو صورت پرست واین مگو[24] — سرّ جنسیت بصورت در مجو

صورت آمد چون جماد وچون حجر — نیست جامد را زجنسیت خبر ۳۶ — جان چومور وتن چودانهٔ گندمی — می کشاند سو بسویش هر دمی

مور داند کات حبوب مرتهن — مستحیل وجنس من خواهد شدن ۳۷ — آن یکی موری گرفت ازراه جو[25] — مور دیگر گندمی بگرفت و دو[26]

جو سوی گندم نمیتازد ولی — مور سوی مور می آید بلی ۳۸ — رفتن جو سوی گندم تابع است — موررا بین کو بجنسش راجع است

۱ـ ای منتهی ٤ـ در روش ٥ـ در خلش ٦ـ سوی ٨ـ بد در دید شه بینا و حبر ٩ـ جان او ١٢ـ گل زند وحل ١٣ـ بینست ١٤ـ مرد ١٥ـ وحل ١٦ـ زین مقبل وزان ١٩ـ چو بر دُر ٢٣ـ آب ٢٥ـ جوی بگرفت ورفت ٢٦ـ بربود تفت (ن . ل)

---

(۲) حدّ کمال نیکوئی وقتی است که کار باتمام رسد وانجام یابد (۳) یعنی پروردگارا تمام کن وکامل گردان نور دل ما را درقیامت ونجات ده ما را از رسوائیهای قهر کننده (۷) اشاره بآیهٔ ان الله اشتری (۱۰) پنهان سیر چه در شبها سیر نهانی داشت فضلاً و رحمةً (۱۱) بد نامان مقصود طایفه ملامتیه از صوفیه هستند (۱۷) پرهیز کنید که هوا و هوس حیض مردان است (۱۸) اشاره است بحدیث شریف ان الله خلق الخلق فی ظلمة ثم رشّ علیهم من نوره بدرستیکه خدا خلق کرد مخلوقات را در تاریکی پس مترشح ساخت بر ایشان از نورش (۲۰) کلاغ مباینت و مباعدت که بآمدن آن تطیر و فال بد میزنند (۲۱) چون موش تن در منقار زاغ دنیا و چغز جان در هوای هوی بسبب شواغل طبیعیهٔ تن (۲۲) رشتهٔ که بانگشت بندند که چیزی بخاطر ماند (۲٤) صورت پرست مشو و این مگو که موش جانور خشکی است و غوك جانور آبی است گویا در باطن ایشان اتحاد اصلی بود که بسبب آن در صورت غیر جنسی هم اتفاق صحبت افتاد و آشنائی بهم رسید وحال آنکه جنسیت ظاهر معتبر نیست جنسیت باطن منظور و معتبر است

تو مگو گندم چرا شد سوی جو — چشم را بر خصم نه نی بر گرو ۱ — مور اسود بر سر لبد[1] سیاه — مور پنهان دانه پیدا پیش راه
عقل گوید چشم را نیکو نگر — دانه هرگز کی رود بی‌دانه بر ۲ — زین سبب آمد سوی اصحاب کلب — هست صورتها حبوب و مور قلب
زان شود عیسی سوی پاکان چرخ — بُد قفصها مختلف یك جنس فرخ ۳ — این قفص پیدا و آن فرخش نهان — بی قفس کش کی قفص باشد روان
ای خنك چشمی که عقلستش امیر — عاقبت بین باشد و حبر و قریر ۴ — فرق زشت و نغز از عقل آورید — نه زچشمی که سیه گفت و سپید
چشم غرّه شد بخضراء دمن[2] — عقل گوید بر محك ماش زن ۵ — آفت مرغست چشم کام بین — مخلص مرغست چشم دام بین
دام دیگر بُد که عقلش در نیافت — وحی غایب بین بدین سو زآن[3] شتافت ۶ — جنس و ناجنس از خرد تانی شناخت — سوی صورتها نشاید زود تاخت
نیست جنسیت بصورت لی و لك — عیسی آمد در بشر جنس ملك ۷ — بر کشیدش فوق این نیلی حصار — مرغ گردونی چو چنگزش زاغ وار

بردن پریان عبدالغوث را مُدتی در میان خود و بعد از آن بشهر آمدن پیش فرزندان و باز پیش پریان رفتن بحکم جنسیت معنی و همدلی او با ایشان

بود عبد الغوث هم جنس پری — چون پری نُه سال درپنهان پری ۱۰ — مدتی بگذشت وزو نامد خبر — زو طمع ببرید هم زن هم پسر
شد زنش را نسل از شوی دگر — وآن یتیمانش زمهرگش در سمر ۱۱ — که مر او را گرگ زد یا رهزنی — یا فتاد اندر چهی یا مکمنی
جمله فرزندانش در اشغال مست — خود نگفتندی که بابائی بُدست ۱۲ — بعد نُه سال آمد آن هم عاریه — گشت پیدا باز شد متواریه
یك مهی[4] فرزند و زن را دید و باز — گشت پنهان کس ندیدش باز راز ۱۳ — بود وزان پس کس ندیدش رنگ بیش — بُرد هم جنسی پریانش چنان
که رباید روح را زخم سنان ۱۴ — چون بهشتی جنس جنت آمدست — هم زجنسیت شود یزدان پرست
نی نبی فرمود جود و مجمده — شاخ جنت دان بدنیا آمده ۱۵ — مهرها را جمله جنس مهر خوان — قهر ها را جمله جنس قهر دان
لا اُبالی لا ابالی آورد — زانکه هم جنسند ایشان در خرد ۱۶ — بود جنسیت در ادریس از نجوم — هشت سال او با زُحل بُد در قدوم
در مشارق در مغارب یار او — هم حدیث و محرم آثار[5] او ۱۷ — بعد غیبت چونکه آورد او قدوم — در زمین میگفت او درس نجوم
پیش او اسنارگان خوش صف زده — اختران دردرس[6] او حاضر شده[7] ۱۸ — آنچنانکه خلق آواز نجوم — می شنیدند از خصوص و ازعموم
جذب جنسیت کشیده تا زمین — اختران را پیش او کرده مبین ۱۹ — هر یکی نام خود و احوال خود — باز گفته پیش او شرح رَصد
چیست جنسیت یکی نوع نظر — که بدان یابند ره در هم دگر ۲۰ — آن نظر که کرد حق در وی نهان — چون نهد در تو توگردی جنس آن
هر طرف چه میکشد تن را نظر — بی خبر را که کشانند با خبر ۲۱ — حق چو اندر مرد خوی زن نهد — او مخنث گردد و کون می دهد
چون نهد در زن خداخوی نری — طالب زن گردد آن زن[8] سعتری[9] ۲۲ — چون نهد در تو صفات جبرئیل — همچو فرخی درهوا جوئی سبیل
منتظر بنهاده دیده در هوا — از زمین بیگانه عاشق بر سما ۲۳ — چون نهد در تو صفتهای خری — صد پرت گرهست در آخور پری
از پی صورت نیامد موش خوار — از خبیثی شد زبون موش خوار ۲۴ — طعمه‌جوی وخائن وظلمت پرست — از پنیر وجوز واز دوشاب مست
باز اشهب را چو باشد خوی موش — ننگ موشان باشد و عار وحوش ۲۵ — خوی آن هاروت وماروت ای پسر — چون بگشت وداد شان خوی بشر
در فتادند از لنحن الصافون[10] — در چه بابل بسته سرنگون[11] ۲۶ — لوح محفوظ از نظرشان دور شد — لوح ایشان ساحر و مسحور شد
سر همان وپر همان هیکل همان — موشئی بر عرش فرعونی مُهان ۲۷ — در پی خوباش و باخوشخو نشین — خو پذیری گل و روغن[12] ببین
خاك گور از مرده هم یابد شرف — تا نهد برگور او دل روی وکف ۲۸ — خاك از همسایگی جسم پاك — چون مشرف آمد و اقبال ناك
پس تو هم الجار ثم الدّار گو — گر دلی داری برو دلدار جو ۲۹ — خاك تو هم سیرت جان میشود — سرمهٔ چشم عزیزان میشود
ای بسا در گور خفته خاك وار — به ز صد زنده بنفع و ابتشار ۳۰ — سایه بوده او و خاکش سایه مند — صد هزاران زنده درسایهٔ ویند

داستان مرد وظیفه دار از محتسب تبریز که وامها کرده بود برامید وظیفه و بیخبر بود از وفات او و از هیچکس وام گزارده نمی شد الا از محتسب متوفی گزارده شد بیت

لیس من ماتَ فاستراحَ بِمیت — اِنّما المیتُ مَیتُ الاحیاء[13]

آن یکی درویش زاطراف دیار — جانب تبریز آمد وام دار ۳۴ — نُه هزارش وام بود از زر مگر — بود در تبریز بدر الدین عمر
محتسب بود او یکی بحر آمده — هر سر مویش یکی حاتم کده ۳۵ — حاتم ار بودی گدای او شدی — سر نهادی خاك پای او شدی
گر بدادی تشنه را بحری زلال — در کرم شرمنده بودی زان نوال ۳۶ — ور بکردی ذرّهٔ را مشرقی — بودی آن درهمتش نالایقی
بر امید او بیامد آن غریب — کو غریبان را بُدی خویش ونسیب[14] ۳۷ — بر درش بود آن غریب آموخته — وام بی حد از عطایش توخته
هم بیشتی آن کریم او وام کرد — چون بیخشش‌هاش واثق بود مرد ۳۸ — لا اُبالی گشته بود و وام جو — بر امید قلزم اکرام او[15]
وامداران رو ترش او شاد کام — همچو گل خندان ازآن روض الکرام ۳۹ — گرم شد پشتش ز خورشید عرب — چه غمستش از سبال بُولهب
جو[16] که دارد عهد و پیوند سحاب — کی دریغ آید ز سقایانش آب ۴۰ — ساحران واقف از دست خدا — کی نهند این دست وپا را[17] دست وپا
روبهی که هست اورا شیر پشت — ۴۱ بشکند کله پلنگان را بمشت

۱ـ سنگ ۳ـ بدان رومی ٤ـ بیك ٥ـ اسرار ۷ـ حاضر آمده ۸ ـ او چون ۱۱ ـ واژگون ۱۲ ـ روغن گل را ۱٤ ـ قریب ۱٥ ـ خو ۱٦ـ چون (ن . ل)

---

(۲) سبزه ای که برروی سرگین روید و کنایه است از خوش ظاهر بد باطن و زن خوش صورت بد سیرت (٦) نفس ناطقه چون بی نهایت لطیف است بهرچه رو آرد صورت او شود پس کسی که راصد نجوم و مراقب احوال آنها است خود آنها شود خاصه آنکه هیئت عالم را کماهی درج کرد در وجودش و وضعش مطابق باطبع باشد بلکه معقولات از نجوم وشمس و قمر وغیرها اولایند بصدق اسماء ومهیات آنها از خیالیات و مثالیات وطبیعیات آنها این است معنی حضور نجوم (۹) زنی که آلت مردی باچرم سازد وبا زنان مجامعت کند (۱۰) اشاره بآیه واقعه در سوره صافات و انا لنحن الصافون و انا لنحن المسبحون (۱۳) نیست مرده کسی که مرد پس راحت یافت جز این نیست که مرده کسی است که زنده مرده است یعنی فایده رساننده نیست (۱۷) یعنی کی اعتنا می کنند

آمدن جعفر رضی الله عنه بتنهائی بگرفتن قلعه و مشورت کردن ملك آن قلعه با وزیر در دفع او و گفتن وزیر که زلهار مُلك را بوی تسلیم کن که او مؤید است و از حق جمعیت عظیم دارد در جان خویش

چونکه جعفر رفت سوی قلعهٔ — قلعه نزد گام خنگش[1] جرعهٔ[2] ٤ یکسواره تاخت تا قلعه بکر — تا در قلعه بستند از حذر

زهره نی کس راکه پیش آید بجنگ — اهل کشتی را چه زهره با نهنگ ٥ روی آورد آن ملك سوی وزیر — که چه چاره است اندرین وقت ای مشیر

گفت آنکه ترك گوئی مکر[3] وفن — پیش او آئی بشمشیر و کفن ٦ گفت آخر نی که او مردیست فرد — گفت منگر خوار در فردیّ مرد

چشم بگشا قلعه را بنگر نکو — همچو سیمابست لرزان پیش او ٧ برسر[4] زین آنچنان محکم بی است — گوئیا شرقیّ و غربی با وی است

چند کس همچون فدائی تاختند — خویشتن را پیش او انداختند ٨ هر یکی را او بگرزی میفکند — سر نگونسار اندر اقدام سمند

داده بودش صنع حق جمعیتی — که همی زد یك تنه بر امتی ٩ چشم من چون دید روی آن قباد[5] — کثرت اعداد از چشمم فتاد

اختران بسیار وخورشید اریکیست — پیش او بنیاد ایشان مُندکیست ١٠ گر هزاران موش پیش آرند سر — گربه را نی ترس باشد نه حذر

گر[6] به پیش آیند موشان ای فلان — نیست جمعیت درون جانشان ١١ هست جمعیت بصورت در فشار — جمع معنی خواه هین از کردگار

نیست جمعیت ز بسیاریّ جسم — جسم را برباد قائم دان چو اسم ١٢ در دل موش ار بدی جمعیتی — جمع گشتی چند موش از حمیتی

❁ بر زدندی خویش را برگربهٔ — هر یکی بر وی زدندی حربهٔ ١٣ بر زدندی چون فدائی حملهٔ — خویش را بر گربهٔ بی مُهلهٔ

آن یکی چشمش بکندی ازضراب — وان دگر گوشش دریدی همبناب ١٤ واندگر سوراخ کردی پهلوش — ازجماعت گم شدی بیرون شوش[7]

لیك جمعیت ندارد جان موش[8] — بجهد ازجانش بیانگ گربه هوش[9] ١٥ گر بود اعداد مُوشان صدهزار — خشك گردد از یکی گربهٔ نزار[10]

از گلهٔ انبه چه غم قصاب را[11] — انبهی هش چه بندد خواب را ١٦ مالك الملکست جمعیت دهد — شیر را تا بر گلهٔ گوران جهد

❁ درزمانیشان بسازد ترت ومرت[12] — کس نیارد گفتنش از راه پرت ١٧ صد هزاران گور ده شاخ ودلیر — چون عدم باشد به پیش صول شیر

مالك الملك است بدهد ملك حسن — یوسفی را تا بود چون ماه مزن ١٨ در رخی بنهد شعاع اختری — که شود شاهی غلام دختری

بنهد اندر روی دیگر نور خود — که ببیند نیمشب هر نیك و بد ١٩ یوسف وموسی زحق بردند نور — در ید و رخسار ودر ذات الصدور

روی موسی بارقی انگیخته — پیش رو او توبره آویخته ٢٠ نور رویش آنچنان بُردی بصر — که زمرّد از دو چشم مار گر

❁ اوزحق درخواسته تاتو بره[13] — گردد آن نور قوی را ساتره ٢١ توبره گفت از گلیمت ساز هین — کان لباس عارفی آمد امین[14]

کان کسا برنور صبری یافته است — نورِ جان بربود وتارش تافته است ٢٢ جزچنین خرقه نخواهدشد صِوان — نور مارا بر نتابد غیر آن

کوه قاف ار پیش آید بهر سد[15] — همچو کوه طور نورش بر درد ٢٣ از کمال قدرت ابدان رجال — یافت اندر نور بیچون احتمال

❁ آنچه طورش بر نتابد ذرّه — قدرتش جا سازد از قارورهٔ ٢٤ آنچه طورش بر نتابد ای کیا — ذرّهٔ[16] اندر زجاجی ساخت جا

گشت مشکوة زجاجی جای نور — که همی درّد زنورش قاف وطور[17] ٢٥ چشمشان مشکوة دان دلشان[18] زجاج — تافته برعرش وافلاك این سراج[19]

نورشان حیران این نور آمده[20] — چون ستاره زین ضحی فانی شده ٢٦ زین حکایت کردآن ختم رُسل — از ملیك لا یزال و لم یزل

که نگنجیدم در افلاك و خلا — در عقول و در نفوس با علا[21] ٢٧ دردل مؤمن بگنجیدم چوضیف[22] — بی زچون وبی چگونه بی زکیف

تا بدلالی آن دل فوق وتحت[23] — یابد از من پادشاهیها و تخت[24] ٢٨ بی چنین آئینه این خوبیّ من — بر نتابد هم زمین و هم زمن

بر دو کون اسب ترّحم تاختیم — بس[25] عریض آئینهٔ بر ساختیم ٢٩ هر دمی زاین آینه پنجاه عُرس — بشنو آیینه ولی شرحش مپرس

حاصل آن کرلبس خویشش پرده یافت[26] — که نفوذ او قمر را می شکافت[27] ٣٠ گر بُدی پرده زغیر لبس او — پاره گشتی ور بُدی کوه دو تو

زاهنین دیوار ها نافذ شدی[28] — توبره با نور حق چه فن زدی ٣١ گشته بود آن توبره صاحب تقی — بود وقت شور خرقهٔ عارفی

❁ گشته بود آن توبره ستار نور — زانکه بود از خرقهٔ یك باحضور ٣٢ زان شود آتش رهین سوخته — کوست با آتش زبیش آموخته

در هوای عشق آن نور رشاد — خودصفورا[29] هر دو دیده باداد ٣٣ اوّلا بربست یکچشم و بدید — نور روی او و آن چشمش پرید

بعد از آن صبرش نماندو آن دگر — بر گشاد و کرد خرج آن قمر[30] ٣٤ همچنان مرد مجاهد نان دهد — چون براو زد نورطاعت جان دهد

پس زنی گفتش که چشم دیهری — چون زدست رفت حسرت میخوری ٣٥ گفت حسرت میخورم کم صدهزار — دیده بودی که همی کردم نثار

روزن چشمم زمه ویران شدست — لیك مه چون گنج درویران نشست ٣٦ کی گذارد گنج کاین ویرانه ام — یاد آرد از وثاق[31] و خانه ام

❁ حق شنید این ودوچشمش باز داد — دید موسی را ز نورش ساز داد ٣٧ ❁ از نظر این نور زو پنهان نشد — از خزینهٔ خاص بُد ویران نشد

نور روی یوسفی وقت[32] عبور — در فتادی در شباك هر قصور ٣٨ پس بگفتندی درون خانه در — یوسف است این سوبسیران درگذر

زانکه بر دیوار دیدندی شعاع — فهم کردندیش اصحاب بقاع ٣٩ خانهٔ را کش دریچه است آنطرف — دارد ازسیران یوسف این شرف

هین دریچه سوی یوسف بازکن — وزشکافش فُرجهٔ آغاز کن ٤٠ عشق ورزی آن دریچه کردن است — کزجمال دوست دیده[33] روشن است

١ـ بحر پیش کام خشکش ٣ـ کبر ٤ـ شسته در ٥ـ انقیاد ٦ـ کی ٧ـ تا نیفتادی دگرچشم آنسوش ٨ـ جانشان ٩ـ بانگ گربه کرد بیدل زانشان ١٠ـ موش زان گربهٔ عیار ١٤ـ یقین ١٥ـ صد ١٦ـ قدرتش ١٧ـ تا از آن یك ذرّه شد صد پاره طور ١٨ ـ جسمشان مشکوة از آن جانشان ٢٠ـ نور این بده ٢١ـ هدی ٢٤ـ بخت ٢٥ـ پس ٢٦ـ ساخت ٢٧ـ میشناخت ٢٨ـ بیرون آمدی ٣٠ـ ممر ٣١ـ رواق ٣٢ـ نور از رخسار یوسف در ٣٣ـ سینه (ن . ل)

---

(٢) فتح قلعه در نزد گام اسبش جرعهٔ بود که گام او بحر آشام فتوحات بود (١١) القصاب لایهوله کثرة الغنم (١٢) بر وزن هرج و مرج بمعنی زیر و زبر کردن (١٣) توبره نقاب است و گویند بعد از تجلی طور نور روی موسی بحدی بود که کسی نمیتوانست نظر کند حق تعالی امر فرمود که نقابی بسازد از گلیم و لباس عارفان و پرده رو سازد (١٩) اشاره است بآیه واقعه در سورهٔ نور « الله نور السموات والارض مثل نوره کمشکوةٍ فیها مصباح المصباح فی زجاجة الزجاجه » (٢٢) مضمون حدیث قدسی مشهور است لایسعنی ارضی که مکرر ذکر شده (٢٣) یعنی فیض از من اولا بدل انسان کامل میرسد و از او بدگران (٢٩) صفورا دختر شعیب و زن حضرت موسی است

پس هماره روی معشوقه نگر — این بدست تست بشنو ای پسر ۱ — راه کن در اندرونها[1] خویش را — دور کن ادراك دور[2] اندیش را
کیمیا داری دوای پوست کن — دشمنان‌را زاین صناعت دوست کن ۲ — چون شدی زیبا بدان زیبا رسی — کو رهاند روح را از بیکسی
پرورش مر باغ جانها رانمش — زنده کرده مردهٔ غم را دمش ۳ — نی همه ملك جهان دون دهد — صد هزاران ملك گوناگون دهد
بر سر ملك جمالش داد حق — ملکت تعبیر بی درس و سبق ٤ — ملکت حسنش سوی زندان کشید — ملکت علمش سوی کیوان کشید
شه غلام او شد از علم و هنر ٥ — ملك علم از ملك حسن آسوده‌تر

رجوع بحکایت مرد وامدار و آمدن بتبریز و آگاهی از فوت محتسب

آن غریب ممتحن از بیم وام — از ره آمد سوی آن دارالسلام ۷ — شد سوی تبریز و کوی گلستان — خفته امیدش فراز گل ستان
روز[3] دارالملك تبریز سنی — بر امیدش روشنی بر روشنی ۸ — جانش خندان شد از آن روضهٔ رجال — از نسیم یوسف مصر خیال[4]
گفت یا حادی انخ لی ناقتی — جاء اسعادی و طارت فاقتی[5] ۹ — ابرکی یا ناقتی طاب الامور — انّ تبریزا مناخات الصدور[6]
اسرحی یا ناقتی حول الریاض — ان تبریزا لنا نعم المفاض[7] ۱۰ — ساربانا بار بگشا ز اشتران — شهر تبریزاست و کوی گلستان[8]
فرّ فردوسیست این پالیز را — شعشعهٔ عرشیست این تبریز را ۱۱ — هر زمانی موج[9] روح انگیز جان — از فراز عرش بر تبریزیان
چون وثاق محتسب جست آن غریب — خلق گفتندش که بگذشت آن حبیب ۱۲ — او پریر از دار دنیا نقل کرد — مرد و زن ازواقعهٔ اوروی زرد
رفت آن طاوس عرشی سوی عرش — چون رسید از هاتفانش بوی عرش ۱۳ — سایه اش گرچه پناه خلق بود — در نوردید آفتابش زود زود
راند او کشتی ازاین ساحل پریر — گشته بود آن خواجه زین غمخانه سیر ۱٤ — نعرهٔ زد مرد و بیهوش اوفتاد — گوئیا او نیز در پی جان بداد
پس گلاب و آب برویش زدند[10] — همرهان برحالتش گریان شدند[11] ۱٥ — تا بشب بیهوش بود وبعداز آن — نیم مرده باز گشت از غیب جهان

استغفار کردن آن غریب از اعتماد بر مخلوق و یاد نعمتهای خالق کردن و انابت نمودن ثم الذین کفروا بربهم یعدلون[12]

چون بهوش آمد بگفت ای کردگار — مجرمم بودم بخلق امیدوار ۱۸ — گرچه خواجه بس سخاوت کرد وجود — هیچ آن کفو عطای تو نبود
او کله بخشید و تو سر پرخرد — او قبا بخشید و تو بالا و قد ۱۹ — او زرم داد وتو دست زر شمار — او ستورم داد و تو عقل سوار
خواجه شمعم داد وتو چشم قریر — خواجه نقلم داد وتو طعمه پذیر ۲۰ — او وظیفه داد و تو عمر و حیات — وعده اش زر وعدهٔ تو طیبات
او وثاقم داد و تو چرخ وزمین — در وثاقت او وصد چون اورهین[13] ۲۱ — ❀آنچه اوداد ای ملك هم ازتوداد — که دل ودست ورا کردی تو راد
زر از آن تست او زر نافرید — نان از آن تست نانش ازتورسید ۲۲ — آن سخا و رحم هم تو دادیش — کز سخاوت میفزودی شادیش
❀من چه میگویم همه تو میدهی — بار منت بر کسی کی می نهی ۲۳ — من مر او را قبلهٔ خود ساختم — قبله ساز اصل را نشناختم[14]
ما کجا بودیم کان دیان دین — عقل میکارید اندر ماء و طین ۲٤ — چون همی کرد ازعدم گردون بدید — وین بساط خاك را می گسترید
زاختران میساخت او مصباحها — وز طبایع قفل بنا مفتاحها ۲٥ — ای بسا بنیاد ها پنهان و فاش — مضمر این سقف کرد واین فراش
آدم اصطرلاب گردون علواست[15] — وصف آدم مظهر آیات اوست ۲٦ — هرچه دروی مینماید عکس اوست — همچوعکس ماه اندر آب جواست
بر صطرلابش نقوش عنکبوت[16] — بهر اوصاف ازل دارد ثبوت ۲۷ — تا زچرخ غیب وازخورشید روح — عنکبوتش درس گوید با شروح
عنکبوت این صطرلاب رشاد — بی منجم در کف عام اوفتاد ۲۸ — انبیا را داد حق تنجیم این[17] — غیب را چشمی بباید غیب بین
در چه دنیا فتادند این قرون — عکس خودرا دیده هریك چه درون ۲۹ — ❀عکس در چه دیدهٔ واز بیرون ندید — همچو شیر گول اندر چه دوید
از برون دان هرچه درچاهت نمود — ورنه آن شیری که درچه شد فرود ۳۰ — برد خرگوشیش از ره کای فلان — در تگ چاهست آن شیر ژیان
دررو اندر چاه وکین ازوی بکش — چون ازاو غالب تری سربرکنش ۳۱ — آن مقلد سخرهٔ خرگوش شد — واز خیال خویشتن پرجوش شد
او نگفت این نقش داد آب نیست — این بجز تقلیب آن قلاب[18] نیست ۳۲ — توهم ازدشمن چو کینی می کشی — ای زبون شش غلط درهر ششی[19]
آن عداوت اندروعکس حق است[20] — کز صفات قهر آنجا مشتق است ۳۳ — وان گنه دروی زعکس جرم تست — باید آن خو را زطبع خویش شست
خلق زشتت اندران رویت نمود — مر تو را او صفحهٔ آیینه بود ۳٤ — چونکه قبح خویش دیدی ای حسن — اندر آئینه بر آئینه مزن
میزند بر آب استارهٔ سنی — خاك تو بر عکس اختر میزنی ۳٥ — کاین ستارهٔ نحس درآب آمدست — تا کند مر سعد ما را زیر دست
خاك از استیلا بریزی بر سرش — چونکه پنداری زشبهه اخترش ۳٦ — عکس پنهان گشت وسوی غیب راند — تو گمان بردی که آن اختر نماند
آن ستارهٔ نحس هست اندر سما — هم بدان سو بایدش کردن دوا ۳۷ — بلکه باید دل سوی بیسوی بست — نحس اینسو عکس نحس آن سویست

۱ـ ساز اندر درونها ۲ـ غیر ۳ ـ زدز ٤ـ وصال ۸ ـ دلستان ۹ـ فوح ـ نور ۱۰ـ زدند آب و گلابش بر رخان ۱۱ـ زجان ۱۲ـ سمین ۱٤ـ انداختم ۱۸ـ وهاب (ن . ل)

---

(٥) ای خوانندهٔ شتر بنغمهٔ حدی بخوابان ناقهٔ مرا که آمد یاری دادن مرا و رفت فقر من (٦) بخواب ای شتر من که نیکو شد کارها بدرستی که تبریز محل خواباندن سینهای شتران ارباب حاجت است (۷) چرا کن ای شتر من در دور سبزها بدرستیکه تبریز از برای ما نیکو محل فیضی است (۱۲) آیه واقعه درسورهٔ انعام است (۱٥) چنانکه باصطرلاب ظاهر احکام فلك ظاهر دانسته میشود آدم اصطرلاب اسرار خدااست و باو احکام فلك باطن و اوصاف خدا دانسته میشود (۱٦) عنکبوت در اصطلاح اهل نجوم صفحهٔ بالائین اصطرلاب را گویند (۱۷) چنانکه احکام اصطرلاب ظاهر رامنجم ظاهرمی‌شناسد احکام اصطرلاب باطن را منجم باطن که انبیا هستند میشناسند(۱۹)شش غلط اغلاط شش مدرکند چه انسان دارای پنج مدرك ظاهر است که بآنها ادراك عالم شهادت و صورت کند و یك مدرك عالم باطن که آن عقل است در اصحاب عقل بالفعل و وهم است که ممکن است بگوئیم عقل جزئی است در ناقصین پس جاهل حواسش و عقل مشوب بوهمش همه غلط کارند بخلاف عقل منوّر بنور الله که آنچه ادراك میکند همه آیات الله و انوار الله است (۲۰) یعنی عدو مظهر حق است آنکه را پنداشتیم اغیار بود آن یار بود

داد دادِ حق شناس و بخشش — عکس آن داداست اندر پنج و شش[1] ۱ — گر بود داد خسان افزون زریگ — تو بمیری وان بماند مرده ریگ
عکس آخر چند پاید در نظر — اصل بینی پیشه کن ای کژ نگر ۲ — حق چو بخشش کرد بر اهل نیاز — با عطا بخشیدشان عمر دراز
خالدین شد نعمت و منعم علیه — مجیی الموتی است فاجتازوا الیه[2] ۳ — دادِ حق باتو در آمیزد چو جان — آنچنانکه آن تو باشی و توآن
گر نماند اشتهای نان و آب — بدهدت بی این دو قوت مستطاب ۴ — فربهی گر رفت حق در لاغری — فربهیت پنهانت بخشد آن سری
چون پری را قوت از بومیدهد — هر ملك را قوت جان او میدهد ۵ — جان چه باشد تاتو سازی زان سند — حق بعشق خویش زنده‌ات میکند
زو حیات عشق خواه و جان مخواه — تو ازاو آن رزق خواه و نان مخواه ۶ — خلق را چون آب دان صاف و زلال — اندر او تابان صفات ذوالجلال
علمشان و عدلشان و لطفشان — پادشاهی زیبد آن خلاّق را ۷ — پادشاهی زیبد آن خلاّق را — پادشاهان جملگان عاجز ورا
پادشاهان مظهر شاهیِ حق — فرنها بگذشت و این قرن نویست ۸ — فرنها بگذشت و این قرن نویست — ماه آن ماهست و آب آن آب نیست
عدل آن عدلست و فضل آن فضل هم — لیك مستبدل شد آن قرن و امم ۹ — فرنها بر فرنها رفت ای همام — وین معانی بر قرار و بر دوام
آب مبدل شد در این جوچندبار — عکس ماه و عکس اختر[4] برقرار ۱۰ — پس بنایش نیست بر آب روان — بلکه بر اقطار عرض آسمان
این صفتها چون نجوم معنویست — دان که بر چرخ معانی مستویست ۱۱ — خوبرویان آینهٔ خوبیِ او — عشق ایشان عکس مطلوبیِ او
هم باصل خود رود این خدّ و خال — دائماً در آب کی ماند خیال ۱۲ — جمله تصویرات عکس آب جوست — چون بمالی چشم خود خود جمله اوست
باز عقلش گفت بگذر زین حول — خلّ دوشابست و دوشابست خل ۱۳ — خواجه راچون غیر گفتی ازقصور[5] — شرم دارای احول از شاه غیور
خواجه راکو درگذشته است ازاثیر — جنس این موشان تاریکی مگیر ۱۴ — خواجه را از چشم ابلیس لعین — منگر و نسبت مکن او را بطین
خواجه راجان بین مبین جسم گران — مغز بین اورا مبینش استخوان ۱۵ — همره خورشید را شب پر مخوان — آنکه او مسجود شد ساجد مدان
عکسها را ماند و این عکس نیست — در مثال عکس خود[6] بنمود نیست ۱۶ — آفتابی دید و یخ جامد نماند — روغن گل روغن کنجد نماند
چون مبدّل گشته اند ابدال حق — نیستند از خلق برگردان ورق ۱۷ — قبلهٔ وحدانیت دو چون بود — خاك مسجود ملایك چون شود
چون در این جو دید عکس[7] سیب مرد — دامنش را دید آن پرسیب کرد ۱۸ — آنچه در جو دید کی باشد خیال — چونکه شد از دیدنش پرصد جوال
عکسها را ماند این و نیست عکس — درمثال عکس حق معنی است عکس ۱۹ — تن مبین و جان مکن کان بُکم وصمّ — کذبوا بالحق لمّا جائهم[8]
ما رَمیتَ اذ رمیتَ احمد[9] بده است — دیدن او دیدن خالق شده است ۲۰ — حق مراورا برگزید از انس و جان — رحمةً للعالمینش خواند از آن
خدمت او خدمت حق کردن است[10] — روز دیدن دیدن این روزن است ۲۱ — خاصه این روزن درخشان از خود است — نی ذریعه[11] آفتاب و فرقد است
هم از آن خورشید زد بر روزنی — لیك از راه و سوی معهود نی ۲۲ — درمیان شمس و این روزن رهی — هست و روزن را نشد زان آگهی
تا اگر ابری بر آید چرخ پوش — اندر این روزن بود نورش بجوش ۲۳ — غیر راه این هوا و شش جهت — در میان روزن و خور مألفت
مدحت و تسبیح او تسبیح حق — میوه میروید ز عین این طبق ۲۴ — سیب روید زین طبق خوش لخت لخت — عیب نبودگر نهی نامش درخت
این سبد را تو درخت سیب خوان — گر میان هر دوره آمد نهان[12] ۲۵ — آنچه روید از درخت بار ور — زین سبد روید همان نوع ازثمر
پس سبد را تو درخت بخت بین — زیر سایهٔ این سبد خوش می‌نشین ۲۶ — نان چو اطلاق آورد ای مهربان — نان چرا میخوانیش محموده خوان
خاك ره چون چشم روشن کرد و جان — خاك ره را سُرمه بین و سرمه‌دان ۲۷ — چون زروی این زمین تابد شروق — من چرا بالا کنم رو در عبوق
شد فنا هستش مخوان ای چشم شوخ[13] — در چنین جو خشك کی ماند کلوخ ۲۸ — پیش این خورشید کی تابد هلال — با چنین رستم چه باشد زورزال
طالب است و غالب است آن کردگار — تا ز هستیها بر آرد او دمار ۲۹ — دو مگوی و دومدان و دومخوان — بنده را در خواجهٔ خود مجودان
خواجه هم در نور خواجه آفرین — فانی است و مرده و مات ودفین ۳۰ — چون جُدا بینی زحق این خواجه را — گم کنی هم متن و هم دیباچه را
چشم دل را هین گذاره کن زطین — آن یکی قبله است دو قبله مبین ۳۱ — چون دو دیدی ماندی ازهر دو طرف — آتشی در خف فتاد ورفت خف

مثل دوبین همچون آن غریب شهر کاشانست که عمر نام داشت که خباز بسبب این نامش بدکان دیگر حوالت کرد و او فهم نکرد که همهٔ دکانها یکیست

گر عمر نامی تو اندر شهر کاش — کس نفروشد بصد دانگت لواش ۳۴ — چون بیك دکان بگفتی عمرم[14] — این عمر را نان فروشید از کرم[15]
او بگوید رو بدان دیگر دکان — زان یکی نان به کزین پنجاه نان ۳۵ — گر نبودی احول او اندر نظر — او بگفتی نیست دکان دگر
پس زدی اشراق این تا احولی — بر دل کاشی شدی عمر علی ۳۶ — این از اینجا گوید آن خبّاز را — این عمر را نان فروش ای نانوا[16]
چون شنید او هم عمر از احولی — در کشید آن نان که هست آن علی ۳۷ — پس فرستادش بدکان بعید — نان ز پیش روی او اندر کشید
که عمر را نان ده ای انباز من — راز یعنی فهم کن ز آواز من ۳۸ — او همت زانسو حوالت می‌کند — هین عمر آمد که تا بر نان زند
چون بیك دکان عمر بودی برو — در همه کاشان زنان محروم شو ۳۹ — ور بیکدکان علی گفتی بگیر — نان ازآنجا بی حواله بی زحیر[17]
احولی دوبین چو بی برشد ز نوش — احولی صد[18] بینی ای مادر فروش ۴۰ — اندراین کاشان خاك از[19] احولی — چون عمر میگرد چون نبوی علی
هست احول را در این ویرانه دیر — گونه گونه نقل تو که ثمّ خبیر ۴۱ — ور دو چشم حق شناس آمدترا — دوست پُر بین عرصهٔ هر دوسرا
وارهیدی از حوالهٔ جا بجا — اندر این کاشان پر خوف و رجا ۴۲ — اندر این جو غنچه دیدی باشجر — همچو هر جو توخیالش ظن مبر

۳- عارفان ٤- آن خورشید دایم ٥- در غرور ٦- حق ۷- غرس ۹- خواجه ۱۱- بی ودیعه ۱۳- بارسوخ ۱٤- کز کرم ۱٥- فروش‌ای مهترم ۱٦- نانبا ۱۷- زجیر ۱۸- ده ۱۹- دنیاز (ن. ل)

---

(۱) پنج گونه محسوس و شش جهت (۲) بگذرید بسوی او (۸) در سورهٔ انعام است فقد کذبوا بالحق لما جائهم یعنی تکذیب نمودند حق را آن هنگام که آمد ایشان را (۱۰) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ نساء من یطع الرسول فقد اطاع الله هرکه اطاعت کند رسول را اطاعت خدا کرده (۱۲) یعنی اصل محفوظ نهان است و جهت وحدت است میان دو فرع و دو شاخه یا بیشتر که درخت سیب بمعنی دارای سیب است خواه بصورت طبق و خواه بصورت سبد و خواه بصورت شجر بارور باشد

که ترا ازعین این عکس ونقوش حق حقیقت گردد و بینی توروش[1] ۱
چشم از این آب ازحول حرمیشود عکس می بیند سبد پر میشود
پس بمعنی باغ باشد این نه آب پس مشوعریان چو بلقیس ازحباب[2] ۲
بار گوناگونست بر پشت خران هین بیك چوب این خران راتومران
بر یکی خر بارلعل وگوهر است بر یکی خربار سنگ مرمراست ۳
بر همه جوها تو این حکمت مران اندراین جو ماه بین عکسش مخوان
آب خضر است این نه آب دام ودد هر چه اندر وی نماید حق بود ٤
زین تنگ جو ماه گوید من مهم من نه عکسم هم حدیثم هم رهم
اندر این جوهر چه بر بالاست هست خواه بالا خواه بروی دار دست ٥
از دگر جوها مگیر این جوی را ماه دان این پرتو مه روی را
اندراین جوهر چه میخواهی ببین از نعیم و تاج و تخت وهم زدین ٦
اندر این جوهر چه داری تومراد باز بین و شکر کن بهر زیاد
جمله مطلوبات خلق هر دوکون گشت موجود اندراو بی بعد وبون ۷

توزیع کردن پای مرد در جملهٔ شهر تبریز و جمع شدن اندك چیزی و رفتن آن غریب بتربت محتسب بزیارت و این قصه را بر سر گور او بطریق نوحه گفتن

این سخن پایان ندارد آن غریب گریه کرد از درد آن مرد لبیب[3] ۱۰
واقعهٔ آن وام او مشهور شد پای مرد از درد او رنجور شد
از پی توزیع[4] گرد شهر گشت وز طمع میگفت هرجا سرگذشت ۱۱
هیچ ناورد از ره کدیه بدست غیر صد دینار آن کدیه پرست
پای مرد آمد بدو دستش گرفت شد بگور آن کریم بس شگفت ۱۲
گفت چون توفیق یابد بندهٔ کو کند مهمانی فرخندهٔ
مال خود ایثار راه او کند جان خود ایثار جاه او کند ۱۳
شکر او شکر خدا باشد یقین[5] چون باحسان کرد توفیقش قرین
ترك شکرش ترك شکر حق بود حق اولا شك بحق ملحق بود ۱٤
شکر میکن مر خدا را در نعم نیز میکن ذکر و شکر خواجه هم
رحمت مادر اگر چه از خداست خدمت او هم فریضه است وسزاست ۱٥
زین سبب فرمود حق صلوا علیه[6] که محمد بود محتاج الیه
در قیامت بنده را گوید خدا هین چه کردی آنچه دادم من ترا ۱٦
گوید ای رب شکر تو کردم بجان چون ز تو بود اصل آن روزی ونان
گویدش حق نه نکردی شکر من چون نکردی شکر آن اکرام وفن ۱۷
بر کریمی کردهٔ حیف[7] و ستم نی ز دست او رسیدت نعمتم
چون بگور آن ولی نعمت رسید گشت گریان زار و آمد در نشید ۱۸
گفت ای پشت و پناه هر نبیل مرتجی و غوث ابناء السبیل
ای غم ارزاق ما بر خاطرت ای چو رزق عام احسان وبرت ۱۹
ای فقیران را عشیره و والدین در خراج و خرج و درایفاء دین
ای چو بحراز بهر نزدیکان گهر داده تحفه مرسوی دوران مطر ۲۰
پشت ما گرم از تو بودای آفتاب رونق هر قصر و گنج هرخراب
ای ندیده کس در ابرویت گره ای چو میکائیل راد و رزق ده ۲۱
ای دلت پیوسته با دریای غیب ای بقاف مکرمت عنقای غیب
یاد ناورده که از مالم چه رفت سقف قصر[8] همتت هرگز نکفت ۲۲
ای من وصدهمچو من درماه وسال مر ترا چون نسل تو گشته عیال
نقد ما و جنس ما و رخت ما نام ما و فخر ما و بخت ما ۲۳
تو نمردی لیك بخت ما بمرد عیش ما و رزق مستوفی ببرد[9]
این همه ازحق بد وتو واسطه در میان ما و حق تو رابطه ۲٤
واحد کالالف در بزم وکرم صد چو حاتم گاه ایثار نعم
حاتم ار مرده بمرده میدهد[10] گردکانهای شمرده می دهد[11] ۲٥
تو حیاتی می دهی در هر نفس کز نفسی میگنجد در نفس
تو حیاتی میدهی بس پایدار نقد زر بی کساد و بیشمار ۲٦
وارثی نابوده یك خوی ترا ای فلك سجده کنان کوی ترا
خلق را از گرگ غم لطفت شبان چون کلیم الله شبان مهربان ۲۷

گریختن گوسفند از کلیم الله و شفقت و مهربانی او

گوسفندی از کلیم الله گریخت پای موسی آبله شد نعل ریخت ۲۹
در پی او تا بشب در جست وجو وآن رمه غایب شده از چشم او
گوسفند ازماندگی شدسست و ماند پس کلیم الله گرد از وی فشاند ۳۰
کف همی مالید بر پشت و سرش می نوازش کرد هم چون مادرش
نیم ذره تیرگی و خشم نی غیر مهر و رحم و آب چشم نی ۳۱
گفت گیرم بر منت رحمی نبود طبع تو بر خود چرا استم نمود
با ملایك گفت یزدان آن زمان که نبوت را همی زیبد فلان ۳۲
مصطفی فرمود که خود هر نبی کرد چوپانی چه برنا چه صبی
بی شبانی کردن و آن امتحان حق نهادش پیشوائی جهان ۳۳
تا شود پیدا وقار و صبرشان کردشان پیش از نبوت حق شبان
گفت منهم بوده ام دیری شبان گفت سائل که تو هم ای پهلوان ۳٤
هر امیری کو شبانی بشر[12] آنچنان آرد که باشد مؤتمر
حلم موسی وار اندر رعی خود او بجا آرد بتدبیر و خرد ۳٥
لاجرم حقش دهد چوپانئی بر فراز چرخ مه روحانئی
آنچنانکه انبیا را زین رعا بر کشید و داد رعی اصفیا ۳٦
خواجه تو باری درین چوپانیت کردی آنچه کور گردد شانیت
دانم آنجا در مکافات ایزدت[13] سروری جاودانه بخشدت[14] ۳۷
بر امید کف چون دریای تو در وظیفه دادن و ایفای تو
وام کردم نه هزار از زرگراف تو کجائی تا شود این درد صاف ۳۸
تو کجائی تا که خندان چون چمن گوئیم بستان دوصد چندان زمن
تو کجائی تا دوصد لطف وعطا با غریب خسته دل آری بجا ۳۹
تو کجائی تا بصد چندان کرم با من خسته بجا آری نعم
تو کجائی تا مرا خندان کنی لطف واحسان چون خداوندان کنی ٤۰
تو کجائی تا بری در مخزنم[15] تا کنی از وام وفاقه ایمنم
من همی گویم بس و تو مفضلم گفته کاین هم گیر از بهر دلم ٤۱
چون همی گنجد جهانی زیر طبن چون بگنجد آسمانی در زمین

۱- میوه فروش ۳- پس گرست از درد خواجه شد کئیب ۷- ظلم ۸- سمت ۹- مستوفا بمرد ۱۲- را بسر ۱۳- ت خدا ۱٤- مها ۱٥- ای معین و محسنم (ن . ل)

---

(۲) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ نمل قیل لها ادخلی الصّرح فلمّا راته حسبته لجة و کشفت عن ساقیها بلقیس را گفته شد که درآی در ساحت این قصر پس گمان کردکه زمین قصر را آب گرفته وبرکشید دامن جامه از هر دو ساق خود تا پای در آب نهد سلیمان باو گفت این آب نیست بلکه از شیشه ساخته شده (٤) مقصود اینست که تا هرکس چیزی اکرام کند (٥) قال النبی صلی الله علیه و آله من لم یشکر الناس لم یشکر الله کسیکه شکر مردم نگزارد شکر خدا نگزارده است (٦) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ احزاب یا ایها الذین آمنوا صلوا علیه و سلموا تسلیما ای کسانیکه گرویده اید صلوات فرستید بر او و سلام گوئید بر او سلام گفتنی (۱۰) حاتم اگر مرده از مرده که جماد باشد میدهد (۱۱) عطای او معدود و محصور است

حاش لله تو برونی زین جهان — هم بوقت زندگی هم این زمان[1] ۱ — در هوای غیب مرغی می پرد — سایهٔ او بر زمین می گسترد
جسم سایهٔ سایهٔ سایهٔ دل است — جسم کی اندرخور پایهٔ[2] دل است ۲ — مرد خفته روح او چون آفتاب — در فلك تابان و تن درجامه‌خواب
جان نهان اندرخلا همچون سجاف — تن تقلب میکند زیر لحاف ۳ — روح چون من امر ربی مختفیست[3] — هر مثالی که بگویم منتفیست
ای عجب کو لعل شکر بار تو — وان جوابات خوش و اسرار تو ۴ — ای عجب کو آن عقیق قندخا — آن کلید قفل مشکلهای ما
ای عجب کو آن دم چون ذوالفقار — آنکه کردی عقل ها را بیقرار ۵ — چند گوئی فاخته سان ای عمو[4] — کو و کو و کو و کو و کو و کو
کو همانجا که دل و اندیشه‌اش — دائم آنجا بُد چو شیر و بیشه‌اش ۶ — کو همانجا که صفات رحمت است — قدرت است و نزهت است و فطنت است
کو همانجا که امید مرد و زن — می رود در وقت اندوه[5] و حزن ۷ — کو همانجا که بوقت علتی — چشم دارد[6] بر امید صحتی
آن طرف که بهر دفع زشتئی — باد جوئی بهر کشت و کشتئی ۸ — آن طرف که دل اشارت میکند — چون زبان یاهو عبارت میکند
او مع‌الله است نی کو کو همی — کاش جولاهانه ماکو گفتمی ۹ — عقل ما کو تا ببیند غرب و شرق — روحها را میزند صد گونه برق
جزرو مدّش بُد ببحری در زبد — منتفی شد جزر و باقی ماند مد[7] ۱۰ — نه هزارم وام و من بی‌دسترس — هست صد دینار از این توزیع و بس
حق کشیدت مانده‌ام در کش مکش — می‌روم نومید ای خاك تو[8] خوش ۱۱ — همتی میدار در پُر حسرتت — ای همایون دست و روی و همتت
آمدم بر چشمهٔ اصل عیون — یافتم در وی بجای آب خون ۱۲ — چرخ آن چرخ است اگر مهتاب[9] نیست — جو همان جویست آب آن آب نیست
محسنان هستند کو آن مستطاب — اختران هستند[10] کو آن آفتاب ۱۳ — تو شدی سوی خدا ای محترم — پس بسوی حق روم من نیز هم
مجمع و پای علم ماوی القرون — هست حق کل "لدینا محضرون"[11] ۱۴ — نقشها گر بی خبر گر با خبر — هست حاضر در کف نقاش در[12]
دم بدم در صفحهٔ اندیشه شان — ثبت و محوی میکند آن بی نشان ۱۵ — خشم می آرد رضا را میبرد — بخل می آرد[13] سخا را میبرد
که برد حقد و صفا آردهمی — بدرود عجز و عطا کارد همی ۱۶ — نیم لحظه مدرکاتم شام و غدو — هیچ خالی نیست زین اثبات و محو
کوزه‌گر با کوزه باشد کار ساز — کوزه از خود کی شود بین و دراز ۱۷ — چوب دردست دروگر منعکف — ورنه چون گردد بریده و مؤتلف
جامه اندر دست خیاطی بود — ورنه آن[14] خود کی شود پر یا تهی ۱۸ — مشك با سقا بود ای منتهی — ورنه آن خود کی شود پر یا تهی
یکدمی پر میشوی یکدم تهی — پس بدان کاندر کف صنع شهی ۱۹ — چشم بند از چشم دوز آگه بود[15] — صنع از صانع چه‌سان شیدا شود
چشم داری تو بچشم خود نگر — منگر از چشم سفیه بی هنر ۲۰ — گوش داری تو بگوش خود شنو — گوش گولان را چرا باشی گرو
بی ز تقلیدی نظر را پیشه کن — هم برای و عقل خود اندیشه‌کن ۲۱ — بشنو از من یك حکایت درنظیر — تا شوی از سر گفت من خبیر

دیدن خوارزمشاه در سیران در موکب خود اسبی بس نادر و تعلق او به آن اسب و سرد کردن عمادالملك آن را از دل شاه و گزیدن شاه گفت اورا بردیدهٔ خویش چنان که حکیم در الهی‌نامه گوید بیت

چون زبان حسد شود نخاس — نشناسند یوسف از کرباس

از دلالی برادران یوسف علیه‌السلام در دل مشتریان چندان حسن پوشیده شد که وکانوا فیه من الزاهدین[16]

بود امیری را یکی اسب گزین — در گلهٔ سلطان نبودش یك قرین ۲۶ — او سواره گشت در موکب پگاه — ناگهان دید اسب را خوارزمشاه
چشم شه را فرّ و رنگ اوربود — تا برجعت چشم شه براسب بود ۲۷ — بر هر آن عضوی که افکندی نظر — هر یکی خوشتر نمودی زان دگر
غیر چستی و کشی و روحنت — حق مر اورا داده بُد نادر صفت ۲۸ — بس تجسس کرد عقل پادشاه — کاین چه باشد کو زند بر عقل راه
چشم من سیر است و پر است و غنی — از دو صد خورشید دارد روشنی ۲۹ — ای رخ شاهان بر من بیدقی — نیم اسبم در رباید ناحقی
جادوئی کردست جادو آفرین — جذبه باشد آن نه خاصیات این ۳۰ — فاتحه خواند وبسی لاحول کرد — فاتحه‌اش در سینه می‌بفزود درد
زانکه اورا فاتحه خود می کشید — فاتحه در جرّ و دفع آمد وحید ۳۱ — گر نماید غیر هم تمویه اوست[17] — ور رود غیر از نظر تنبیه اوست
پس یقین گشتش که جذّاب آن سریست — کار حق هر لحظه نادرآوریست ۳۲ — اسب رنگین گاو رنگین[18] زابتلا — میشود مسجود از مکر خدا
پیش کافر نیست بت را ثانئی — نیست بت را فرّ و نی روحانئی ۳۳ — چیست آن جاذب نهان اندر نهان — در جهان تابیده از دیگر جهان
عقل محجوبست و جان هم زین کمین — من نمی بینم تو می ثانی بین ۳۴ — چونکه شاهنشه ز سیران بازگشت — با خواص مملکت همراز گشت
پس بسرهنگان بفرمود آن زمان — تا بیارند اسب را زان خاندان ۳۵ — همچو آتش در رسیدند آن گروه — همچو پشمی[19] گشت امیر همچو کوه
جانش از درد و حزن برلب رسید — جز عمادالملك زنهاری ندید ۳۶ — که عمادالملك بُد پای علم — بهر هر مظلوم و هر مقتول هم[20]
محترم تر زو نبد خود سروری — پیش سلطان بود چون پیغمبری ۳۷ — بی طمع بود و اصیل و پارسا — رائض و شبخیز و حاتم در سخا
پس همایون رای و با تدبیر و راد — آزموده رای او در هر مراد ۳۸ — هم ببذل جان سخیّ و هم بمال — طالب خورشید غیب او چون هلال

۲ـ مایهٔ ٤ـ همچون فاخته کاشانه جو ٥ـ تنگی ٦ـ پرّد ٨ـ من بر تو بادا خاك ٩ـ تاب آن تاب ١٠ـ بسیار ١٢ـ در کف نقاش باشد مختصر ١٣ـ میروید ١٤ـ از ١٥ـ روزی کی رود ١٨ـ سنگین گاو سنگین ١٩ـ کاهی ٢٠ـ مغبون غم (ن. ل)

---

(١) روح قدسی و عقل بالفعل عوض مکان در جبروتست و عوض زمان در دهر این اعلی که دهر در لسان ابناء حقیقت بمعنی وعاء مجردات و ثابتاتست نه بمعنی زمان وبدل جهت درعلومعنوی ومرتبه عندیّت ملیك مقتدر وابدال اخلاد بسوی ارض بدن بقیام عندالله عوض وضع جسمانی است (٣) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ بنی اسرائیل ویسئلونك عن الرّوح قل الروح من امر ربی میپرسند از تو از روح بگو روح از عالم امر است نه از عالم خلق (٧) زبدرا که عبارت از جسم یا نفس تواند بود در بحر حقیقت جزر ومد بود جزر منتهی شد یعنی جسد فانی شدونفس که لازمه جسم است منقطع گشت و مد یعنی روح باقی ماند (١١) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ یس و مقصود تفصیل در اجمال بعد از مقام اجمال در تفصیل و کثرت در وحدت بعد از وحدت در کثرت است (١٦) آیه واقعه دوسورهٔ یوسف است (١٧) تمویه در لغت مس یا آهن را آب طلا یا نقره دادن است لیکن مقصود باطل را بحق یا حق را بباطل مشتبه کردن است

در امیری او غریب و محتبس[1] — در لباس[2] فقر و خُلت ملتبس ۱ — بود هر محتاج را همچون پدر — پیش سلطان شافع و دفع ضرر
مربدان را ستر چون حلم خدا — خُلق او بر عکس خلقان وجدا ۲ — بارها می‌شد بسوی کوه فرد — شاه با صد لابه اورا منع کرد
هردم ار صد جُرم راشافع‌شدی — چشم سلطان را ازو شرم آمدی ۳ — رفت او پیش عمادالملك راد — سر برهنه کرد و در پایش فتاد
که حرم با هرچه دارم گو بگیر — تا نگیرد[3] حاصل من هر مغیر ٤ — این یکی‌اسب‌است‌جانم‌رهن‌اوست — گر برد مُردم یقین ای‌خیردوست
گر برد این اسب رااز دست‌من — من یقین دانم نخواهم زیستن ٥ — چون خدا پیوستگی‌ام داده‌است — بر سرم مال ای‌مسیحا زود دست
از زر وزن وز عقارم صبرهست — این تکلف نیست‌بی‌تزویری‌است ٦ — اندر این گرمی نداری باورم — امتحان‌کن امتحان گفت و قدم
آن عمادالملك گریان چشم مال — پیش سلطان در دویدآشفته حال ۷ — لب ببست و پیش سلطان ایستاد — رازگویان با خدا ربّ العباد
ایستاده راز سلطان می‌شنید — واندر آن اندیشه‌اش این‌می تنید ۸ — کای خداگر آن‌جوان‌کژرفت‌راه[4] — کش نشاید ساختن جز تو پناه
تو از آن خودکن‌و بروی مگیر — گرچه او خواهدخلاص ازهراسیر ۹ — زانکه محتاجند این خلقان همه — از گدائی گیر تا سلطان همه
با حضور آفتاب با کمال — رهنمائی جستن از شمع و ذبال ۱۰ — در حضور آفتاب خوش مساغ — رهنمائی جستن از نور[5] چراغ
بیگمان ترك ادب باشد ز ما — کفر نعمت باشد و فعل هوا ۱۱ — لیك اغلب هوشها در افتکار — همچو خفاشند ظلمت دوستدار
در شب ار خفاش کرمی میخورد — کرم را خورشید هم می پرورد ۱۲ — در شب‌ارخفاش ازکرم‌است‌مست — کرم از خورشیدجنبنده‌شده است
آفتابی که ضیا زو می زهد — دشمن خود را نواله می‌دهد ۱۳ — لیك خفاشی که اوره گم کند — آخر از خورشید هم یابد سند
لیك شهبازی که او خفاش‌نیست — چشم بازش شاه بین و روشنیست ۱٤ — گر بشب جوید چو خفاش اونمو — در ادب خورشید مالدگوش او
گویدش گیرم که آن خفاش لُد — علتی دارد ترا باری چه شد ۱٥ — مالشت بدهم بزجر و اکتئاب — تا نتابی سر تو دیگر ز آفتاب

مؤاخذهٔ یوسف صدّیق علیه‌السلام بحبس بضع سنین بسبب یاری خواستن از غیر حق و گفتن واذکرنی عِندَ رَبِّك[6]

آنچنانکه یوسف از زندانئی — با نیازی خاضعی سعدانئی ۱۸ — خواست‌یاری‌گفت‌چون‌بیرون‌روی — پیش شه در کار گردی مستوی
یاد من کن پیش تخت آن‌عزیز — تا مرا او واخرد از حبس نیز ۱۹ — کی دهد زندانئی در اقتناص — مرد زندانی دیگر را خلاص
اهل دنیا جملگی زندانیند — انتظار مرگِ دار فانیند ۲۰ — جز مگر نادر یکی فردانئی — تن بزندان جان او کیوانئی
پس جزای آنکه دید او را معین — ماند یوسف حبس دربضع سنین ۲۱ — یاد یوسف دیو از عقلش سترد — وز دلش دیو آن سخن‌از یادبرد
زانخطائی کامد از[7] نیکوخصال — ماند در زندان ز داورچند[8]سال ۲۲ — که چه تقصیرآمد ازخورشید داد — تا تو چون خفاش رفتی درسواد
هین چه تقصیرآمد ازبحروسحاب — تا تو یاری جوئی‌ازریگ‌وسراب ۲۳ — عامّ اگر خفاش طبعند و مجاز — یوسفا آخر تو داری چشم باز
گر خفاشی رفت در کور و کبود — باز سلطان دیده را باری‌چه بود ۲٤ — پس‌ادب‌کردش بدین جرم اوستاد — که مساز از چوب پوسیده عماد
لیك یوسف را بخود مشغول کرد — تا نیاید در دلش زان حبس درد ۲٥ — آنچنانش انس و مستی داد حق — که نه زندان یادش آمد نه غسق
نیست زندانی وحش تراز رحم — ناخوش و تاریك و پرخون‌ووخم ۲٦ — چون‌گشادت‌حق‌دریچه‌سوی‌خویش — دررحم هرلحظه‌گرددجسم[9] بیش
اندر آن زندان زذوق بیقیاس — بشکفد‌چون گل‌زغرس‌تن[10] حواس ۲۷ — زان رحم بیرون‌شدن آیددرشت — میگریزد از زهار اوسوی پشت
راه لذت از درون دان‌نزبرون — ابلهی دان جستن‌از قصروحصون ۲۸ — آن یکی‌درکنج‌زندان[11] مست‌وشاد — وان دگر در باغ ترش وبی مراد
قصر چیزی نیست‌ویران‌کن‌بدن — گنج در ویرانه است ای میرمن ۲۹ — این نمی بینی‌که در بزم شراب — مست آنکه‌خوش شودکوشد خراب
گر چه پر نقش‌است خانه برکنش — گنج جو و ز گنج آبادان کنش ۳۰ — خانهٔ پر نقش و تصویروخیال[12] — وین صور چون‌پرده برگنج وصال
تابش گنج است و پرتوهای زر — کاندر این سینه همی‌جوشدصور ۳۱ — هم ز لطف‌وجوش جان باثمن — پردهٔ بر روی جان شدشخص تن
هم ز لطف و عکس آب‌باشرف — پردهٔ شد بر روی‌آب اجزای‌کف ۳۲ — پس مثل بشنو که در افواه‌خاست — کانچه بر ما میرود آنهم زماست
زین حجاب‌این‌تشنگان‌کف پرست — ز آب صافی اوفتاده دور دست ۳۳ — آفتابا با چو تو قبله و امیم — شب پرستی و خفاشی میکنیم
سوی‌خودکن‌این خفاشان‌را مطار — زین خفاشیشان بخر ای مستجار ۳٤ — این جوان زین‌جرم ضالست‌ومغیر — کو مرا بگرفت تو[13] او رامگیر
در عماد الملك این اندیشها — گشته جوشان چون اسد در بیشها ۳٥ — ایستاده پیش سلطان ظاهرش — در ریاض قدس جان طاهرش
چون ملایك او باقلیم الست — هردمی میشد بشرب تازه مست ۳٦ — اندرون پرشورو بیرون پرغمی — در تن همچون لحد خوش عالمی
او دراین‌حیرت بُدو در انتظار — تا چه پیدا آید از غیب و سرار ۳۷ — اسب را اندر کشیدند آن زمان — در بر خوارزم شاه اسپاهیان[14]
الحق اندر زیر این چرخ کبود — آنچنان اسبی بقدّ و تنگ نبود ۳۸ — می‌ربودی رنگ او هر دیده را — مرحبا آن برق مه زائیده را
همچو ماه وچون عطارد تیز رو — گوئیا صرصر علف بودش نه جو ۳۹ — ماه عرصهٔ آسمان را در شبی — می برد اندر مسیر و مذهبی

۲ـ صفات ۳ـ بگیرد ٥ـ شمع و ۷ـ زین گنه کامد ازآن ۸ـ هفت ۹ـ دم فزاید تنت ۱۰ـ خوش شکفت از غرس جسم تو ۱ ـ مسجد ۱۳ـ که بمن آمدولی ۱٤ـ پیش خوارمشاه سرهنگان کشان (ن . ل)

---

(۱) جلال صوری او را زندانی بود که ولیی بود در کسوت امارت صوریه و قرب سلطانی اختیار کرده بود بجهت اغاثهٔ مستغیثین (٤) عمادالملك التجا میکرد بجناب حق که بار خدایا اگراز این جوان یعنی صاحب اسب خطائی رفته است که بایستی پناه از توجست واو رجوع بهمچو ما اسیران کرده است تو او را مؤاخذه مکن که خلق از گدا تا سلطان همه محتاجند بتو و با وجود تو از غیر تو یاری جستن در آفتاب بروشنائی شمع و چراغ راه رفتن است (٦) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ یوسف «وقال للذی ظنّ انه ناجٍ منهما اذکرنی عند ربك فانسیه‌الشیطان ذکرربه فلبث فی‌السجن بضع سنین فرمود یوسف بیکی ازدو نفر زندانی که گمان داشت نجات یابد پس‌ازتعبیر خواب‌او که‌یادکن مرا وذکرکن‌حال مرا با عزیز پس شیطان از یاد او برد و ماند در زندان هفت سال (۱۲) این خانهٔ جسم که پر نقش و تصویر است پرده است بر گنج وصل واین صور که میجوشد از پرتو گنج است و تابش زر وگرنه این صور بذات خود چیزی نیست بلکه حکم کف دارد چنانکه کف دریا رامیپوشاند همچنین این جسم هم روح را میپوشاند اگر جسم کشته شود روح پرورش یابد و اگر جسم پرورده شود روح بمیرد

چون بیك شب مه بُرد ابراج را — از چه منکر می‌شوی معراج را ۱
صد چوماه است آن عجب دُرّیتیم — که بیك ایماء او مه شد دو نیم
آن عجب کو در شکاف مه نمود — هم بقدر فهم حسّ خلق بود ۲
کار و بار انبیاء و مرسلون — هست از افلاك و اخترها برون
تو برون شو هم ز افلاك دوار — وانگهی نظّاره کن آن کار وبار ۳
در میان بیضهٔ چون فرخها — نشنوی تسبیح مرغان هوا
معجزات اینجا نخواهد شرح گشت — زاسب وسلطان گوی حال[1] وسرگذشت ٤
آفتاب لطف حق بر هرچه تافت — ازسگ وازاسب فرّ کهف یافت
تاب لطفش راتویکسان هم مداد — سنگ را و لعل را داد او نشان ٥
لعل را ز آن هست نُور مقتبس — سنگ را گرمیّ وتابانیّ و بس
آن که بر دیوار افتد آفتاب — آنچنان نبود کز آبی اضطراب ٦
چون‌دی‌حیران‌شداز وی‌شاه فرد — روی تا سوی عماد الملك کرد
کای‌اخی[2] بس‌خوب‌اسبی‌هست‌این — ازبهشت است این مگرنی اززمین ۷
پس عماد الملك گفتش ای خدیو — چون فرشته گردد ازمیل تو دیو
در نظر آنچه آوری گردید نیك — بس‌کش‌ورعناست این مرکب ولیك ۸
هست ناقص آن سر اندر پیکرش — چون سرگاواست‌گوئی آن سرش
در دل خوارزمشه این[3] کار کرد — اسب را در منظر او خوار کرد ۹
چون غرض دلاله گشت وواصفی — از سه گز کرباس یابی یوسفی
چونکه هنگام فراق جان شود — دیو دلالهٔ دُر ایمان شود ۱۰
پس فروشد ابله ایمان را شتاب — اندر آن تنگی بیك ابریق آب
وان خیالی باشد و ابریق نی — قصد آن دلاله جز تحریق[4] نی ۱۱
این زمان که تو صحیح وفربهی — صدق را بهر خیالی میدهی
میفروشی هر زمان درّی ز کان — میستانی همچو طفلان گردکان ۱۲
پس در آن رنجوری روز اجل — نیست نادر گر بود اینت عمل
در خیال[5] صورتی جو شیدهٔ — همچو جوزی وقت دَق پوسیدهٔ[6] ۱۳
هست از آغاز چون بدر آن‌خیال — لیك آخر میشود همچون هلال[7]
گر تو اول بنگری چون آخرش — فارغ آئی از فریب فاترش ۱٤
جوز پوسیده است دنیا ای امین — امتحانش کم کن ازدورش ببین[8]
شاه دید آن اسب را باچشم حال — وان عماد الملك با چشم مآل ۱٥
چشم شه دوگز همی دید از لغز — چشم آن پایان نگر پنجاه گز
تاچه سرمه‌است آنکه یزدان میکشد — کزیس صد پرده بیند جان رشد ۱٦
چشم مهتر[9] چون بآخر بودجفت — پس بدان‌دیده جهان‌را جیفه گفت
زان یکی عیش که بشنید اووحسب — بس فسرد اندر دل او مهر اسب ۱۷
چشم خود بگذاشت چشم اوگزید — هوش خود بگذاشت قول اوشنید
این بهانه بود کان دیّان فرد — از نیاز آن بی دل شه سرد کرد ۱۸
دربیست از حسن اوپیش بصر[10] — این‌سخن بُددرمیان‌چون بانگ در
پرده کرد آن نکته را برچشم شه — که از آن پرده نماید مه سبه ۱۹
پاك بنائی که بر سازد حصون — درجهان غیب ازگفت وفسون[11]
بانگ در دان‌گفت را ازقصر راز — تا که بانگ واشدست این یافراز ۲۰
بانگ درمحسوس‌ودرازحس برون — تبصرون این بانگ درلاتبصرون
چنگ حکمت چونکه خوش‌آوازشد — تا چه در از روض جنت باز شد ۲۱
بانگ گفت بد چودروا میشود[12] — از سقر تا خود چه در وا میشود
بانگ در بشنو چو دوری از درش — ای خنك او راکه واشد منظرش ۲۲
چون تو می بینی که نیکی میکنی — بر حیات و راحتی برمیزنی[13]
چونکه تقصیر و فسادی میرود — آن حیات و ذوق پنهان میشود ۲۳
دید خود مگذار از دید خسان — که بمردارت کشند این کرکسان
چشم چون نرگس‌فروبندی که چی — هین عصایم کش‌که کورم ای اچی ۲٤
آن عصاکش که گزیدی در سفر — باز بین کوهست از تو کور تر
دست کورانه بحبل‌الله زن — جز بامر و نهی یزدانی متن ۲٥
چیست حبل‌الله رها کردن هوا — کاین هوا شد صرصری مرعادرا
خلق در زندان نشسته ازهواست — مرغ را پر ها ببسته از هواست ۲٦
❀ماهی اندر تابهٔ گرم ازهواست — رفته از مستوریان شرم ازهواست
❀خشم‌شحنه وشعلهٔ نار ازهواست — چار میخ وهیبت دار از هواست ۲۷
شحنهٔ اجسام دیدی بر زمین — شحنهٔ احکام جان را هم ببین
روح‌را درغیب خود اشکنجهاست — لیك تانجهی شکنجه در خفا است ۲۸
چون رهیدی بینی اشکنجه دمار — زانکه ضدّ از ضدّ گردد آشکار
آنکه در چه زاد و در آب سیاه — اوچه داندلطف دشت ورنج چاه ۲۹
چون رها کردی‌هوا ازبیم‌حق[14] — در رسد سُفراق ازتسنیم حق[15]
لاتطرّق فی هواك سل سبیل — من جناب الله نحو السلسبیل ۳۰
لاتکن طوع الهوی مثل‌الحشیش — انّ ظل العرش اولی من‌عریش[16]
گفت سلطان اسب‌را واپس برید — زود تر زین مظلمه بازم خرید ۳۱
با دل خود شه نفرمود این قدر — شیر را مفریب زین رأس البقر
پای گاو اندر میان آری ز داو — رو ندوزد حق براسبی شاخ‌گاو ۳۲
پس‌مناسب‌صنعت‌است‌این‌شهره‌زاو — کی نهد برجسم اسب اوعضو گاو
زاو ابدان‌را مناسب ساخته است — قصر های منتقل پرداخته است ۳۳
در میان قصر ها تخریجها — ازسوی آن سوی این‌صحریجها
وز درونشان عالم بی منتها — در میان خرگهی چندین فضا ۳٤
که چو کابوسی نماید ماه را — که نماید روضه قعر چاه را
قبض‌وبسط چشم‌ودل‌از ذوالجلال — دم‌بدم چون میکند سحر حلال ۳٥
زین‌سبب‌درخواست[17] ازحق‌مصطفی — زشتهارا زشت وحق‌راحق[18] نما
تا بآخر چون بگردانی ورق — از پشیمانی نیفتم در قلق[19] ۳٦
مکر که کرد آن عماد الملك فرد — مالك الملکش بدان ارشاد کرد
❀ حیلهٔ محمود این باشد ولیك — تو مبیز باش مر بد را ز نیك ۳۷
مکر حق سرچشمهٔ این مکرهاست — قلب بین الاصبعین کبریاست
آنکه سازد در دلت مکر و قیاس — ۳۸ آتشی تاند زد اندر آن پلاس

۱ـ خوارمشاه گوی ۲ـ اچی ۳ـ خوارمشه این دم ٤ـ تخریق ٥ـ در خیالت ۹ـ سید ۱۰ـنظر ۱۳ـ می تنی ۱۸ـ نیك را هم نیك و بد را بد (ن.ل)

---

(٦) بصورت جوز است ولی چون بشکنی بیمغزیش ظاهر شود (۷) خاصه چون‌چند قرن بگذرد دقیقتر گردد تا کالعدم بل عدم گردد نمی بینی‌که امور حسیه و خیالیه که بر تو گذشته چه از کامرانیها و چه ناکامی چون تقادم عهد و تمادی زمان شود گویا خوابی دیدهٔ و هرچه مدبر شوی بر آن پس معمن شود در عدم (۸) یعنی نزدیك دنیا مرو و بقدر وسیله الی الآخره از آن اخذ کن و امتحانش کم کن چون قابل امتحان نیست و بی مغز است (۱۱) یعنی از اقوال و افعال و حیل قصر ها و کوشکها و گلشنها و گلخنها سازد چنانکه مأثور است که انّ فی الجنة قیعاناً غرّاسها سبحان‌الله (۱۲) دروا بمعنی سرنگون است و اینجا اشارتست بیرازخ اعمال (١٤) تلمیح است بآیه و نهی النفس عن الهوی فانّ الجنة هی المأوی (۱٥) جای از چشمهٔ بهشت حق (۱٦) سرگردان مشو در خواهش طبع خود و بپرس راه را از جناب خدا سوی سلسبیل ـ مشو مایل هوای‌خاطر مانند گیاهی که هرطرف‌حرکت میکند چرا که سایهٔ عرش به‌ازخانهٔ چوبین دنیاست (۱۷) اشاره است بحدیث ربّ ارنی‌حقایق الاشیاء کماهی (۱۹) اگر در همهٔ موارد مثل اینجا ورق برگردد و محبوب مبغوض شود نه آنم که پشیمانی یابم و پریشانی گیرم که ماشاء الله کان

باز گشتن بحکایت غریب وامدار و خواب دیدن پای مرد

بی نهایت آمدآن‌خوش سرگذشت — چون‌غریب ازگورخواجه بازگشت ۲ — پای مردش سوی‌خانهٔ خویش برد — مُهر[1] صد دینار را با او سپرد
لوتش آورد و حکایتهاش گفت — کزامید اندر دلش صد گل‌شکفت ۳ — آنچه بعدالعسر یُسر او دیده بود — با غریب از قصهٔ آن لب گشود
نیمشب بگذشت و افسانه کنان — خوابشان انداخت درمرعای جان ٤ — دید پامرد آن همایون خواجه را — اندر آن‌شب خواب درصدر سرا
خواجه گفت ای پایمرد با نمك — آنچه میگفتی شنیدم یك بیك ٥ — لیك پاسخ دادنم فرمان نبود — بی اشارت لب نتانستم[2] گشود
ماچوواقف گشته‌ایم ازچون‌وچند — مُهر بر لبهای ما بنهاده اند ٦ — تا نگردد راز های غیب فاش — تا نگردد منهدم عیش و[3] معاش
❁تا نگردد هیچکس واقف برآن — تا نسوزد پردهٔ دعوی وران ۷ — تا ندرّد پردهٔ غفلت تمام[4] — تا نماند دیگ حکمت نیم خام
❁ برنیفتد از طبق سرپوش‌غیب — تا نبیند دیدنی را عین ریب ۸ — ما همه گوشیم گر شد نقش گوش — ما همه نطقیم امّا لب خموش
❁ ما همه عینیم گرشد نقش‌عین — بل همه عینیم ما بی میغ و غین ۹ — ❁ غرق دریائیم گر چه قطره‌ایم — جملگی شمسیم گر چه ذرّه ایم
❁ بی‌حجاب دُردِگل آبیم صاف — در جهان جاودان گشته معاف ۱۰ — هر چه ما دادیم دیدیم این زمان — کاینجهان‌شین[5] است‌وعین‌است‌آن‌جهان
روزِکشتن‌روز پنهان کردن‌است — تخم درخاکی پریشان کردن است ۱۱ — وقت بدرودن که منجل زدن — روز پاداش[6] آمد و پیدا شدن

گفتن خواجه در خواب به آن پای مرد وجوه وام آن دوست را که به تبریز آمده بود ونشان دادن جای دفن آن سیم را و پیغام بوارثان که البته از آن هیچ باز مگیرید

بشنو اکنون دادِ مهمان جدید — من همی دیدم‌که او خواهدرسید ۱٤ — هم شنیده بودم از واهش خبر — بسته بهر او دو سه پاره گهر
که وفای وام او هست آن ویش — تا که ضیفم وا نگردد سینه‌ریش ۱٥ — وام دارد از ذهب او نُه هزار — وام را از بعض آن گو برگزار
فضله ماند زان بسی گوخرج کن — ور دعا گوئی مرا هم درج کن ۱٦ — خواستم تا آن بدست خود دهم — درفلان دفترنوشته‌است این قِسم[7]
خود اجل مهلت ندادم تا که من — خفیه بسپارم بدو دُرّ عدن ۱۷ — لعل و یاقوت است بهر وام او — در خنوریّ و نوشته نام او
در فلان طاقیش مدفون کرده ام — من غم آن یار پیشین خورده‌ام ۱۸ — قیمت آن می نداند جز ملوك — فاجتهد بالبیع ان لایخدعوك[8]
دربیوع آن‌کن تواز خوف غرار — که رسول آموخت سه‌روز اختیار ۱۹ — از کساد آن مترس و در میفت — که رواج آن نخواهد هیچ خفت
وارثانم را سلام من بگوی — وین وصیّت را بیان کن موبموی ۲۰ — تا ز بسیاری آن زر نشکهند — بی گرانی پیش آن مهمان نهند
ور بگوید او نخواهم این فره — گو بگیر و هرکه را خواهی بده ۲۱ — زانچه دادم باز نستانم نقیر — سوی پستان باز ناید هیچ شیر
گشته باشد همچوسگ‌قی را اکول — مستردّ صدقه[9] از قول رسول ۲۲ — ور بیندد در نیاید آن زرش — کو بریزند آن عطا را بردرش
❁هر که آنجا بگذرد زر میبرد — نیست هدیهٔ مصلحان[10] را مسترد ۲۳ — بهر او بنهاده ام آن از دوسال — کرده ام من نذر ها با ذوالجلال
ور روا دارند چیزی زان ستد — بیست چندان خود زیانشان اوفتد ۲٤ — گر روان من پژولانند زود[11] — صد درمحنت برایشان برگشود[12]
از خدا امید دارم من لَبق — که رساند حقّ را با مستحق ۲٥ — دو قضیهٔ دیگر اورا دست[13] داد — لب بذکر آن نخواهم برگشاد
تا بماند دو قضیه سرّ و راز — هم نگردد مثنوی چندین دراز ۲٦ — بر جهید ازخواب انگشتك زنان — که غزل خوانان وکه نوحه کنان
گفت مهمان در چه سوداهاستی — پایمردا مست و خوش برخاستی ۲۷ — تاچه دیدی‌خواب‌دوش ای‌بوالعلا — که نمیگنجی تو در شهر و فلا[14]
خواب دیده پیل تو هندوستان — که رمیدستی ز حلقهٔ دوستان ۲۸ — گفت سوداناك خوابی دیده ام — در دل شب آفتابی دیده ام
خواب دیدم خواجهٔ بیدار را — آن سپرده جان بی دیدار[15] را ۲۹ — خواجه‌را دیدم بخواب ای‌بوالعلا — آن سپرده جان براه کبریا
خواب‌دیدم خواجهٔ معطی المنی[16] — واحد کالالف از امر خدا[17] ۳۰ — مست وبیخود این‌چنین برمیشمرد — تا که مستی عقل وهوشش رابیرد
در میان خانه افتاد او دراز — خلق انبه کرد او آمد فراز ۳۱ — باخود آمد گفت ای‌بحر خوشی — ای نهاده هوشها در بیهشی
خواب در بنهادهٔ بیدارئی — بستهٔ در بیدلی دلدارئی ۳۲ — منعمی پنهان کنی در ذُلّ فقر — طوق دولت بندی اندر غُلّ فقر
ضدّ اندر ضدّ پنهان مندرج — آتش اندر آب سوزان مندمج ۳۳ — روضهٔ در آتش نمرود درج — دخلها رویان شده از بذل وخرج
تا بگفته مصطفی شاه نجاح — السماح یا اولی النعمی رباح[18] ۳٤ — ما نقص مالٌ من الصّدقات قط — انما الخیرات نعم المرتبط[19]
جوشش و افزونی زر در زکوة — عصمت ازفحشاء ومنکر درصلوة[20] ۳٥ — آن زکاتت کیسه ات را پاسبان — وان صلاتت هم زگرگانت شبان
میوهٔ شیرین نهان درشاخ وبرگ — زندگیّ جاودان در زیر مرگ ۳٦ — زیل گشته قوت خاك از شیوهٔ — زان غذا زاده زمین را میوهٔ
در عدم پنهان شده موجودئی — در سرشت ساجدی مسجودئی ۳۷ — آهن و سنگ از برونش مُظلمی — وز درون نوریّ و شمع معلمی
درج در خوفی هزاران ایمنی — در سواد چشم چندان روشنی ۳۸ — اندرون گاو تن شهزادهٔ — گنج در ویرانهٔ بنهادهٔ
تاخری پیری گریزد زان نفیس — کاو بیند شاه نی یعنی بلیس[21] ۳۹

حکایت آن پادشاه ووصیت کردن سه پسرخود راکه دراین سفر در ممالك من فلانجا چنین ترتیب نهید وفلانجا چنین نُوّاب نصب کنید اما الله الله بفلان قلعه مروید وگرد آن مگردید

پادشاهی بود او را سه پسر — هرسه صاحب فطنت وصاحب نظر ٤۲ — هر یکی از دیگری اُستوده تر — در سخا و در وغا و کرّ و فرّ

۱ـ وجه ۲ـ نیارستم ۳ـ نظم ٥ـ پرده ٦ـ وقت اظهار ۷ـ رقم ۹ـ نحلهٔ ۱۰ـ مخلصان ۱۱ـ از آن ۱۲ـ بلا گردد سوی ایشان روان ۱۳ـ شرح ۱٥ـ و تن دادار ۱۷ـ ان امرٌ غنی (ن.ل)

---

(٤) چه بغفلت امر دنیا از جهت دنیویت منتظم است (۸) کوشش کن در فروش تا اینکه فریب ندهند ترا (۱٤) فلا بیابان است و چون تا در آخر آن در آید دلالت بر یکی کند (۱٦) دهندهٔ آرزو (۱۸) یعنی عطا و بخشش ای صاحبان نعمت سود شما هاست نه زیان (۱۹) کم نمیشود مالی از صدقه‌دادن هرگزوبدرستیکه صدقات وخیرات نیکو ربطی ومقرّبی است شما را (۲۰) چنانکه زکوة بحسب لغت عرب نمو مال‌است و این بیت نیز ذوالقافیتین است و اشارت است بکریمهٔ ان الصلوة تنهی عن الفحشاء و المنکر (۲۱) یعنی خر گریخته که گاو تن دیده نه شاه و نه گوهر نفیس ابلیس است که سجده آدم نکرده

پیش شه شهزادگان استاده جمع — قرة العینان شه همچون سه شمع ۱ — از ره پنهان ز عینین پسر[1] — می کشید آبی نخیل آن پدر
تا ز فرزند آب این چشمه شتاب — می رود سوی ریاض مام و باب ۲ — تازه میباشد ریاض والدین — گشته جاری عینشان زین هردو عین
چون شود چشمه ز بیماری علیل — خشک گردد برگ وشاخ آن نخیل ۳ — خشکی نخلش همی گوید پدید — که ز فرزند آن شجر نم میکشید
ای بسا کاریز پنهان همچنین — متصل با جانتان یا غافلین ٤ — ای کشیده ز آسمانها و زمین — مایها تا گشته جسم تو سمین
تن ز اجزاء جهان[2] دزدیدهٔ — پایه پایه[3] زین و آن ببریدهٔ ٥ — از زمین و آفتاب و آسمان — یارها بردوختی بر جسم و جان
یا تو پنداری که بردی رایگان — باز نستانند[4] از تو این و آن ٦ — کالهٔ دزدیده نبود پایدار — لیك آرد دزد را تا پای دار
عاریه است این کم همی باید فشارد — کانچه بگرفتی همه باید گزارد ۷ — جز نفخت کان[5] زوهاب آمده است[6] — روح راباش آن دگرها بیهده است
بیهده نسبت بجان میگویمش ۸ — نی بنسبت با صنیع محکمش

بیان استمداد عارف ازسرچشمهٔ حیات ابدی ومستغنی شدن او ازاستمداد وانجذاب ازچشمه های آبهای بیوفاکه علامة ذلك التجافی عن دار الغرور که آدمی چون برمددهای این چشمها اعتماد کند درطلب چشمهٔ باقی دائم سست شود چنانکه حکیم راست

کاریز درون جان تو میباید — کز عاریها تورا دری نگشاید
یك چشمهٔ آب از درون خانه — به زان جوئی که از برون می آید

جُستا کاریز اصل چیز ها[7] — فارغت آرد از این کاریز ها ١٤ — تو ز صد ینبوع شربت میکشی — هرچه زان صدکم شود کاهد خوشی
چون بجوشد ازدرون چشمهٔ سنی — ز استراق چشمها گردی غنی ١٥ — ❁ چشمهٔ آبی درون خانهٔ — به ز رودی کان نه در کاشانهٔ
قرة العینت چو زآب و گل بود — راتبهٔ این قرّه درد دل بود ١٦ — قلعه را چون آب آید از برون — در زمان امن باشد بر فزون
چونکه دشمن گرد آن حلقه کند — تا که اندر خونشان غرقه کند ١٧ — آب بیرون را ببندند آن سپاه — تا نباشد قلعه را ز آنها پناه
آن زمان یك چاه شوری ازدرون — به زصد جیحون شیرین از برون ١٨ — قاطع الاسباب ولشکر هاش مرگ — همچو دی آید بقطع شاخ وبرگ
در جهان نبود مددشان از بهار — جز مگر در جان بهار روی یار ١٩ — زان لقب شد خاك را دارالغرور — کو کشد پا را سپس یوم العبور
پیش ازآن ازراست وزچپ[8] میدرید — که بچینم درد تو چیزی نچید ٢٠ — او بگفتی مر تو را وقت غمان — دور ازتو رنج وده که در میان
چون سپاه رنج آمد بست دَم — خود نمیگوید ترا من دیده ام ٢١ — حق بی شیطان بدینسان زد مثل — که ترا در رزم آرد با جبل
❁ که تورا گوید که من پشتم ترا[9] — در بلا و در جفا و در عنا ٢٢ — مر تو را یاری دهم من باتوام — در خطرها پیش تو من میدوم
اسپرت باشم گه تیر خدنگ — مخلصت باشم هم اندر وقت تنگ[10] ٢٣ — جان فدای تو کنم در انتعاش — رستمی شیری هلا مردانه باش
سوی کفرش آورد زین عشوها — آن جوال خدعه ومکر و دغا[11] ٢٤ — چون قدم بنهاد و در خندق فتاد — او بقهقه خنده لب را برگشاد
هی بیا من طعمها دارم ز تو — گویدش رو رو که بیزارم ز تو ٢٥ — تو نترسیدی ز عدل کردگار — من همی ترسم تودست ازمن بدار
گفت حق خود اوجدا گشت ازنهی — تو بدین تزویر ها هم کی رهی ٢٦ — فاعل و مفعول در روز شمار — رو سیاهند و حریف سنگسار
رهزده ورهزن یقین درحکم وداد — در چه بعدند و در بئس المهاد ٢٧ — گول را وغول را کورا فریفت — از خلاص و فوز میباید شکیفت
هم خر و خرگیر اینجا در گلند — غافلند اینجا و آنجا آفلند ٢٨ — جز کسانی را که واگردند ازآن — در بهار فضل آیند از خزان
توبه آرند و خدا توبه پذیر — امر او گیرند و او نعم الامیر ٢٩ — چون برآرند از پشیمانی حنین — عرش لرزد از انین المذنبین
آنچنان لرزد که مادر بر ولد — دستشان گیرد ببالا می کشد ٣٠ — کای خداتان واخریده از غرور — نك ریاض فضل و نك ربّ غفور
بعدازاین تان برگ ورزق جاودان — از هوای حق بود نز ناودان ٣١ — چونکه دریا بر وسایط رشك کرد — تشنه چون ماهی بترك مشك کرد
❁ قصهٔ شهزادگان آور بپیش ٣٢ — کاین حدیث ازحدّ امکانست بیش

روان شدن شهزادگان درممالك پدر بعد ازوداع و اعادت کردن شاه وقت وداع وصیت خود را

عزم ره کردند آن هر سه پسر — سوی املاك پدر رسم سفر ٣٤ — در طواف شهر ها و قلعهاش — از ره[12] تدبیر دیوان و معاش
❁ خواستند ازشه اجازت گاه عزم — داد اجازتشان چو نیت دید جزم ٣٥ — دست بوس شاه کردند و وداع — پس بدیشان گفت آن شاه مُطاع
هرکجا دلتان کشد عازم شوید — فی امان الله دست افشان روید ٣٦ — غیر آن قلعه که نامش هُش ربا — تنگ آرد بر کله داران قبا
الله الله زان دژ ذات الصوَر — دور باشید و بترسید از خطر ٣٧ — روی وپشت برجهاش وسقف وبست — جمله تمثال و نگار و صورتست
همچوآن حجرهٔ زلیخا پُر صُور — تا کند یوسف بناگاهش[13] نظر ٣٨ — چونکه یوسف سوی اوی ننگرید — خانه را پرنقش خود کرد آن مکید
تابهرسو بنگردآن خوش عُذار[14] — روی او را بیند او بی اختیار ٣٩ — بهر دیدهٔ روشنان یزدان[15] فرد — شش جهت رامظهر[16] آیات کرد[17]
تا بهر حیوان و نامی کانگرند — از ریاض حسن ربّانی چرند ٤٠ — بهر این فرمود با آن اسپه او — حیث ولّیتم فثمّ وَجهه[18]
از قدح گر درعطش آبی خورید — در درون آب حق را ناظرید[19] ٤١ — آنکه عاشق نیست او در آب در — صورت خود بیند ای صاحب نظر
صورت عاشق چو فانی شد دراو — پس درآب اکنون کرا بیند بگو ٤٢ — حسن حق بینند اندر روی حور — همچو مه در آب از صُنع غیور

۲ـ زمین ۳ـ پاره پاره ٤ـ بستانند ٦ـ عطای حق بُدست ۸ـ برگرد گردت ۱۰ـ جنگ ۱۱ـ دها ۱۲ـ پی ۱۳ـ بناکامش ١٤ـ گلعذار ـ عیار ١٥ـ دیّان ١٦ـ منظر ١٩ـ بنگرید (ن. ل)

---

(۱) دانائی و توانائی یا گفتار و رفتار (٥) اشاره بکریمه است که روح مجرد است و کاهش ندارد و انورو اصفی واکمل و ابهی گردد بموت (۷) عقل بسیط صاحب ملکه اتصال به چشمهٔ آب حیات ابدی ومعارف سرمدی (۹) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ انفال وانی جار" لکم گفت ابلیس کافران را بدرستی که من فریاد رس و زنهار دهم مر شما را (۱۷) یعنی صفات و اسماء حسنی که عالم چون بیت المرآت برای صفات حق است (۱۸) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ بقره فاینما تولوا فثمّ وجه الله یعنی از هرطرف روکنید آنجا وجه خداست واثری ازآثار وآیتی از آیات اوست

غیرتش بر عاشقی و صادقیست — غیرتش بردیو و بر استور نیست ۱
دیو اگر عاشق شود هم گوی برد — جبرئیلی گشت و آن دیوی بمرد
اسلم الشیطان دراینجا شد پدید[1] — که یزیدی شد ز فضلش با یزید ۲
این سخن پایان ندارد ای گروه — الحذر زان قلعهٔ پر از شکوه[2]
هین مبادا که هوستان ره زند — که فتید اندر شقاوت تا ابد ۳
از خطر پرهیز آمد مفترض — بشنوید از من حدیث بی غرض
در فرج جوئی خرد سر تیز به — از کمینگاه بلا پرهیز به ۴
گر نمیگفت این سخن را آن پدر — ور نمیفرمود از آن قلعه حذر
خود بدان قلعه نمیشد خیلشان — خود نمی افتاد آن سو میلشان ۵
کان نبد معروف وبس مهجور بود — از قلاع و از مناهج دور بود
چونکه کرد اومنع دلشان زان مقال — در هوس افتاد و در کوی خیال ۶
رغبتی زان منع در دلشان برست — که بباید سر این را باز جست
کیست کز ممنوع گردد ممتنع — چونکه الانسان حریص ما منع ۷
نهی بر اهل تقی تبغیض شد — لیك بر اهل هوا تحریض شد
پس از این یغوی به قوماً کثیر — هم از این یهدی به قلباً خبیر[3] ۸
کی رمد از نی حمام آشنا — بل رمد زان نی حمامات هوا
پس بشه گفتند خدمتها کنیم — بر سمعنا ها و اطعناها تنیم ۹
رو نگردانیم از فرمان تو — کفر باشد غفلت از احسان تو
لیك استثنا و تسبیح خدا — ز اعتماد خود بد از ایشان جدا ۱۰
ذکر استثنا و حزم ملتوی — گفته شد در ابتدای مثنوی
صد کتاب ارهست جزیکباب نیست — صدجهت راقصد جزمحراب نیست ۱۱
این طرق را منتهی یکخانه است — وین هزاران سنبلهٔ یکدانه است
گونه گونه خوردنیها صد هزار — جمله یك چیز است اندر اعتبار ۱۲
از یکی چون سیر گشتی تو تمام — سرد شد اندر دلت پنجه طعام
در مجاعت بس تو احول دیدهٔ — که یکی را صد هزاران دیدهٔ ۱۳
گفته بودیم از سقام آن کنیز — واز طبیبان وکژی تدبیر[4] نیز[5]
کان طبیبان همچواسب بی‌عذار[6] — غافل و بی بهره بودند از سوار ۱۴
کامشان پر زهر[7] از قرع لگام — سمشان مجروح از تحویل گام
ناشده واقف که نك برپشت ما — رائضی چست است استادی نما ۱۵
نیست سرگردانی ما زین لگام — جز زتصریف سوار دوست کام
ما پی گل سوی بستانها شده — گل نموده لیك آن خاری بده ۱۶
هیچشان این نی که گویند از خرد — برگلوی ما که میکوبد لگد
آن طبیبان آنچنان بندهٔ سبب — گشته اند از مکر یزدان محتجب ۱۷
گر ببندی بر صطبلی گاو نر — باز یابی در مقام گاو خر
از خری باشد تغافل خفته وار — که نجوئی تا کیست این خفیه کار ۱۸
خود نگفته کاین مبدل تا کی است — نیست پیدا او مگر افلاکی است
تیر سوی راست پرانیدهٔ — سوی چپ رفته است تیرت دیدهٔ ۱۹
سوی آهوئی بصیدی تاختی — خویش را تو صید خوکی ساختی
در پی سودی دویده بهر کبس[8] — تا رسیده سود و افتاده بحبس ۲۰
چاهها کنده برای دیگران — خویش را دیده فتاده اندر آن
درسبب چون بیمرادت کرد رب — پس چرا بدظن نگردی در سبب ۲۱
پس کسی از مکسبی خاقان شده — دیگران زان مکسبه عریان شده
پس کس ازعقد زنان قارون شده — دیگری از عقد زن مدیون شده ۲۲
پس‌سبب گردان[9] چو دم خر بود — تکیه بروی کم کنی بهتر بود
در سبب گیری نگردی هم دلیر — که بس آفتهاش پنهان‌است زیر ۲۳
سر استثناست این حزم و حذر — زانکه خر را بز نماید این قدر
❀ مشرکان‌را دردوچشم‌اهل بدر — کم نموده تا ندارند ایچ قدر ۲۴
آنکه‌چشمش‌بست‌گرچه گرزبزست[10] — زاحولی اندر دوچشمش‌خربزاست
او بگرداند دل و افکار را — چون مقلب حق بود ابصار را ۲۵
چاه را تو خانهٔ بینی لطیف — دام را تو دانهٔ بینی ظریف
این تسفسط نیست تقلیب خداست — مینماید که حقیقتها کجاست ۲۶
آنکه انکار حقایق میکند — جملگی او بر خیالی می تند
او همی[11] گوید که حسبان خیال — هم خیالی باشدت چشمی بمال[12] ۲۷

رفتن شهزادگان بجانب قلعهٔ ممنوعة عنها بحکم‌الانسان حریص علی‌مامنع ووصیتهای پدر رافراموش کردن و در بلا افتادن و نفس لوامه باایشان بزبان حال‌گفتن الم یأتکم نذیر[13] وگفتن ایشان درجواب لوکنانسمع اونعقل ماکنا فی‌اصحاب السعیر[14]

ما بندگی خویش نمودیم ولیکن — خوی بد تو بنده ندانست‌خریدن

این سخن پایان ندارد آن فریق — برگرفتند از پی آن دژ طریق ۳۲
بر درخت گندم منهی زدند — ازطویلهٔ مخلصان بیرون شدند[15]
چون شدند ازمنع ونهیش گرمتر — سوی آن قلعه برآوردند سر ۳۳
بر ستیز قول شاه مجتبی — تا بقلعهٔ صبر سوز هش ربا
آمدند از رغم عقل پندتوز — در شب تاریك برگشته ز روز ۳۴
اندر آن قلعهٔ خوش ذات الصور — پنج دردریحروپنج ازسوی بر[16]
پنج‌ازآن‌چون‌حس‌ظاهر رنگ‌وبوی[17] — پنج‌ازآن‌چون‌حس‌باطن‌رازجوی[18] ۳۵
زان‌هزاران صورت ونقش ونگار — میشدند از سو بسو بس بی قرار
زین قدح های صورکم باش مست — تانگردی بت تراش وبت پرست ۳۶
از قدح های صور بگذر مایست — باده درجام است لیك ازجام نیست
❀سوی باده بخش بگشا پهن گوش — تااز آنسو بشنوی بانگ وخروش ۳۷
❀چون رسد باده نباید جام کم — گوش دار آوازت آید دمبدم[19]
آدما معنی دلبندم بجوی[20] — ترك قشر و صورت گندم بگوی ۳۸
چونکه ریگی آرد شد بهر خلیل — دانکه معزولست گندم ای نبیل

۲- هین نگه دارید زان قلعه وجوه ٤- قصور فهم٦- فسار ۷- زخم۱۱- نمی ۱۵- ره اخلاص بیرون آمدند ۱۷- بسوی رنگ وبوی - ای‌روی ۱۸- معنوی ۱۹- سوی باده بخش بگشا پهن فم (ن. ل)

---

(۱) اشاره بحدیث نبوی اسلم شیطانی علی یدی مسلمان شد شیطان من بر دست من (۳) غوایت کرده شوند واز راه بدررونده خلق بسیار و هم از این هدایت یابد دل آگاه (۵) اشاره بحکایت اول جلد اولست که کنیزك را طبیبان معالجه کردند واستثناء نگفتند وکنیزك روز بروز بدتر شد (۸) کبس پر کردن چاه است ولی در اینجا پر کردن کیسه مقصود است (۹) سبب گردان بود و تبدل [illegible] سببیتش (۱۰) طرف افراط فکر گریز است و طرف تفریط بلاهت و گریز مکار را هم میگویند (۱۲) اینکه سوفسطائی میگوید عالم محض وهم وخیالیست و علمی و یقینی نیست این را هم از روی علم نمیگوید (۱۳) آیه واقعه در سورهٔ ملك آیا نیامد بشما بیم کنندهٔ یعنی پیغمبری که شما را بخدا بخواند (۱٤) درسورهٔ ملك است (۱٦) مراد بصور جزئیات مدرکه بمشاعر ظاهره ومدارك باطنه است (۲۰) چه صورت مکثر است ❀جمله یکذاتست اما متصف ❀جمله یك معنی و صورت مختلف

صورت از بی‌صورت آمد در وجود[1] — همچنان کز آتشی زادست دود ۱ — کمترین غیبی مصوّر در خیال — چون بپایی بینیش آرد ملال[2]
حیرت محض آردت بی صورتی — زاده صدگون آلت از بی آلتی ۲ — بی ز دستی دستها بافد همی — جان جان سازد مصوّر آدمی
آنچنان کاندر دل از هجر و وصال — میشود بافیده گوناگون خیال ۳ — هیچ ماند این مؤثر با اثر — هیچ ماند بانگ و نوحه با ضرر
نوحه را صورت ضرر بی‌صورتست — دست خایند از ضرر کش نیست دست ٤ — این مثل نالایقست ای مستدل — حیلت تفهیم را جهد المقل[3]
صنع بی صورت نماید صورتی — تن نگارد با حواس و آلتی ٥ — تا چه صورت باشد آن بر وفق خود — اندر آرد جسم را در نیك و بد
صورت نعمت بود شاکر شود — صورت مهلت بود صابر شود ٦ — صورت زخمی بود نالان شود — صورت رحمی بود بالان شود
صورت سیری[4] بود گیرد سفر — صورت تیری بود گیرد سپر ۷ — صورت خوبی[5] بود عشرت کند — صورت غیبی بود خلوت کند
❀ صورت خوبی بود ناز آورد — صورت چنگی بود ساز آورد ۸ — صورت محتاجی آرد سوی کسب — صورت بازو وری آرد بغصب
این زحدّ و اندازها باشد برون — داعی فعل از خیال گونه گون ۹ — بی نهایت کیشها و پیشها — جمله ظلّ صورت اندیشها
بر لب بام ایستاده قوم خوش — هریکی را برزمین بین سایه اش ۱۰ — صورت فکر است بر بام مشید — وان عمل چون سایه برارکان پدید
فعل بر ارکان و فکرت مکتتم — لیك در تأثیر و وصلت دو[6] بهم ۱۱ — آن صور در بزم کز جام خوشیست — فایده آن بیخودیّ و بیهشیست
صورت مرد و زن ولعب وجماع — فایده اش بیهوشی وقت وقاع ۱۲ — صورت نان ونمك کان نعمت است — فایدهٔ آن قوّت بی صورت است
در مصاف آن صورت تیغ وسپر — فایده اش بی صورتی یعنی ظفر ۱۳ — مدرسهٔ تعلیم[7] و صورتهای وی — چون بدانش متصل شدگشت طی
این صورچون صورت[8] بی‌صورتند — پس چرا در نفسی صاحب نعمتند ۱٤ — ❀ پیش او رویند و درنفی اوفتند — پس صور ها بندهٔ بی صورتند
این صوردارد زبی صورت وجود — چیست پس بر موجد خویشش جحود ۱٥ — خود از او یابد ظهور انکار او — نیست غیر عکس خود اینکار او
صورت دیوار و سقف همچمکان — سایهٔ اندیشهٔ معمار دان ۱٦ — گرچه خود اندر محلّ افتکار — نیست سنگ وچوب وخشتی آشکار
فاعل مطلق یقین بیصورت است — گه گه آن بیصورت از کتم عدم ۱۷ — مرصور را رو نماید از کرم
تا مدد گیرد از او هر صورتی — باز بیصورت چو پنهان کرد رو ۱۸ — آمدند از بهر کد در رنگ وبو[9]
صورتی از صورت دیگر کمال — گر بجوید باشد آن عین ضلال ۱۹ — ❀ جز مگر آن صورتی کان میرزاد — بابت ارشاد کردش از وداد
پس چه عرضه میکنی ای بی‌هنر[10] — احتیاج خود بمحتاج دگر ۲۰ — چون صور بنده است بر یزدان مگو[11] — ظن مبر صورت بتشبیهش مجو
درتضرّع جوی ودرافنای خویش — کز تفکر جز صور ناید به پیش ۲۱ — ور ز غیر صورتت نبود فره — صورتی کان بی تو زاید در توبه
صورت شهری که آنجا میروی — ذوق بیصورت کشیدت ای روی ۲۲ — پس بمعنی میروی تالا مکان — که خوشی غیر مکانست و زمان
صورت یاری که نزد او شوی — از برای مونسی اش میروی[12] ۲۳ — پس بمعنی سوی بیصورت شدی — گرچه زان مقصود غافل آمدی
در حقیقت حق بود معبود کل[13] — کز پی ذوق است سیران سبل ۲٤ — لیك روی خود[14] سوی دُم کرده‌اند — گرچه سر اصل است پی[15] گم کرده‌اند
لیك آن سر پیش این ضالان گم — میدهد داد سری از راه دُم ۲٥ — آن ز سری یابد آن داد این ز دُم — قوم دیگر پا و سر کردند گم
چونکه گم شد جمله جمله یافتند ۲٦ — از کم آمد سوی کل بشتافتند

دیدن آن سه پسر شاه درقصر قلعهٔ ذات‌الصور نقش روی دخترشاه چین‌را وبیهوش شدن هرسه برادر ودرفتنه افتادن وتفحص کردن که این صورت کیست

این سخن پایان ندارد آن گروه — صورتی دیدند با فرّ[16] و شکوه ۲۹ — خوبتر زان دیده بودند آن فریق — لیك زین رفتند در بحر عمیق
زانکه افیونشان ازاین کاسه رسید — کاسها محسوس و افیون ناپدید ۳۰ — کرد کار خویش قلعهٔ هُش ربا — هرسه را انداخت در چاه بلا
تیر غمزه دوخت دل را بی کمان — الامان یاذالامان ای بی امان ۳۱ — قرنها را صورت سنگین بسوخت — آتشی در دین ودلشان برفروخت
چونکه روحانی بود خود چون بود — فتنه اش هر لحظه دیگرگون بود ۳۲ — عشق صورت در دل شهزادگان — چون خلش میکرد مانند سنان
اشك میبارید هر یك همچو میغ — دست میخائید و میگفت ای دریغ ۳۳ — ما کنون دیدیم شه ز آغاز دید — چندمان سوگند داد آن بی ندید
انبیا را حقّ بسیار است ازآن — که خبر کردند از پایانمان ۳٤ — کانچه میکاری نروید غیر خار — وین طرف پرّی نیابی زو مطار
تخم از من گیر تا ریعی دهد — یا بر من بر که تیر آن سو جهد ۳٥ — تو ندانی واجبیّ آن و هست — هم‌توگوئی آخرآن واجب بُدست
اوتواست اما نه این توکه تن‌است — آن توئی‌که برتر ازما ومن است ۳٦ — این توئی ظاهرکه پنداری توئی — هست اندر سوی وتوازبیسوئی[17]
برصدف لرزان چرائی ای گهر — توی خودرانی مدان میدان شکر ۳۷ — توی بیگانه است باتو این توئی — توی خودرا یاب وبگذر از دوئی
توی آخر سوی توی اوّلت — آمدست از بهر تنبیه وصلت ۳۸ — توی تو در دیگری آمد دفین — من غلام مرد خود بینی چنین[18]

٤ـ شهری ٥ـ خوبان ٦ ـ رو ۷ ـ وتعلیق ۸ ـ بندهٔ ۱۰ ـ بد گهر ۱۱ ـ هست صورت بنده حق را همچو او ۱٤ ـ بعضی رو ۱٥ ـ سر ۱٦ ـ حسن (ن . ل)

(۱) تحقیر صورتست باینکه فرع است و معلول بی صورت که اصل است (۲) صورت نقص بسیار دارد وکمترین نقصش آنست که تکرارش ملال آرد (۳) نهایت کوشش میزبانی که اندك چیزی که دارد آنرا پیش میهمان آرد (۹) یعنی نور حیات وعلم وقدرت که ازآنها گرفته شد بعالم موت و عجز و ظلمت آمدند (۱۲) روح روح او را میخواهی و آن حق است (۱۳) در حقیقت حق معبود کل است و سیران طرق و سبل از پی ذوقست و هر کدام را ذوق چیزی بجانب آن چیز برده بعضی رو سوی دُم کرده اند یعنی بنشأه مجازی متوجه شده اند و با آنکه سر یعنی آخرت و حقیقت اصل است آنرا گم کرده اند لیکن آن سر که آخرت و حقیقت باشد پیش این ضالان گم یعنی گرفتاران نشئهٔ مجاز که باحکام ظاهری قناعت نموده اند داد سری را از راه دُم میدهد یعنی اینها هم بی بهره مطلق نیستند و باوجود تقید بعالم ظاهر اجری و ثوابی دارند و هر کدام از آنچه وجههٔ خاطر ایشانست داد خود می یابند و بمطلب خود میرسند (۱۷) این توئی بدنی که پنداری بمقتضای نسوا الله فانسیهم انفسهم که توئی اندر جهات است و حال آنکه توئی روحانی تو از این جهانی است (۱۸) اشاره بحدیث من عرف نفسه فقد عرف ربه است یعنی هر که خود را شناخت خدا را شناخت

آنچه اندر آینه بیند جوان — پیراندر خشت بیند بیش[1] ازآن ۱
ز امر شاه خویش بیرون آمدیم — با عنایات پدر یاغی شدیم[2]
سهل دانستیم قول شاه را — وان عنایت های بی اشباه را ۲
نك در افتادیم در خندق همه — خسته و کشتهٔ بلا بی ملحمه
تکیه برعقل خود وفرهنگ خویش — بودمان تا این بلا آمد به پیش ۳
بی مرض دیدیم خودرا بی زرق — آنچنانکه خویش را بیمار دق
علت پنهان کنون شد آشکار — بعد از آنکه بند گشتیم و شکار ٤
سایهٔ رهبر به است از ذکر حق — یك قناعت به زصد لوت وطبق
❀ درقناعت‌خوانده باشی ای‌حسن — ذکر ذکر حق و ذکر بوالحسن ٥
چشم بینا بهتر از سیصد عصا — چشم بشناسد گهر را از حصا
در تفحّص آمدند اندر زمان — صورت‌که بود عجب این درجهان ٦
بعد بسیاری تفحّص در مسیر — کشف کرد آن رازرا شیخ بصیر
نرطریق گوش بل ازوحی هوش — رازها بُدپیش اوبی روی پوش ۷
گفت نقش‌رشك پروین است این — صورت شهزادهٔ چین است این
❀ دختری دارد شه چین بیمثال — در بها و در جمال و در کمال ۸
همچوجان‌وچون پری پنهانست او — در مکتم پردهٔ ایوانست او
سوی او نه مرد ره دارد نه زن[3] — شاه پنهان کرده او را از فتن ۹
غیرتی دارد ملك بر ناه او — که نپرّد مرغ هم بر بام او
وای آن دل‌کش‌چنین سودا فتاد — هیچکس را این چنین سودا مباد ۱۰
این سزای آنکه تخم‌جهل کاشت — وان نصیحت را کساد و سهل‌داشت
اعتمادی کرد بر تدبیر خویش — که برم من کار خود باعقل پیش ۱۱
نیم ذرّه زان عنایت به بود — که ز تدبیر خرد پانصد رسد[4]
ترك مکر خویشتن گیر ای‌امیر — پا بکش پیش عنایات و بمیر ۱۲
این بقدر حیلهٔ معدود نیست — زین حیل تا تو نمیری سود نیست
❀ تانمیری سودکی خواهی ربود — رو بمیرو بهره بردار از وجود ۱۳

حکایت صدر جهان در بخارا و کرم او و آنکه اگر کسی بزبان از او سؤال کردی هیچ ندادی

در بخارا خوی آن صدر اجل — بود با خواهندگان حسن عمل ۱۵
داد بسیار او عطای بیشمار — تا بشب بودی ز جودش زر نثار
زر بکاغذ پارها پیچیده بود — تا وجودش بود میافشاند جود ۱٦
همچو خورشید و چو ماه پاکباز — آنچه گیرند از ضیا بدهند باز
خاك را زربخش که بود آفتاب — زرّ ازو درکان وگنج اندرخراب ۱۷
هر صباحی فرقهٔ را راتبه — تا نماند امتی زو خائبه
مبتلایان را بُدی روزی عطا — روز دیگر بیوگان را آن سخا ۱۸
روز دیگر بر علویان مقل — با فقیهان روز دیگر مشتغل
روز دیگر بر تهی دستان عام — روز دیگر بر گرفتاران وام ۱۹
❀ روز دیگر بر یتیمان صغیر[5] — روز دیگر بر ضعیفان اسیر[6]
❀ روز دیگر بهر ابناء السبیل[7] — روز دیگر مر مکاتب را کفیل ۲۰
شرط آن بُد که کسی زاو بازبان — زر نخواهد هیچ و نگشاید دهان
لیك خامش بر حوالیّ رهش — ایستاده مفلسان دیواروش ۲۱
هرکه کردی ناگهان سهواً سؤال — زو نبردی ز این گنه یکحبه‌مال
من‌صمت منکم نجا[9] بدیاسه[10]اش — بر همه اهل بخارا سایه اش ۲۲
برخموشی‌داشت عشق وتاسه‌اش❀ — خامشان را بود کیسه و کاسه‌اش
نادرا روزی یکی پیری بگفت — ده زکوتم که منم با جوع جفت ۲۳
منع کرد از پیرو پیرش جدگرفت — مانده خلق از جدّ پیر اندرشگفت
گفت بس بیشرم پیری ای پدر — پیر گفت از من توئی بی‌شرم‌تر ۲٤
کاین‌جهان‌خوردی‌ومیخواهی‌بضم — کان جهان بااینجهان گیری بجمع
خنده‌اش آمد مال داد آن پیر را — پیر تنها بُرد آن توفیر را ۲٥
غیر این پیرایچ خواهنده ازو — نیم حبّه زر ندید و یك تسو
نوبت روز فقیهان ناگهان — یك فقیه از حرص آمد درفغان ۲٦
کرد زاریها بسی چاره نبود — گفت هر نوعی نبودش هیچ سود
روز دیگر با رگو پیچیده پا — ناکس[11] اندر صفّ قوم مبتلا ۲۷
تختها برساق‌بست ازچپّ وراست — تا برد آن‌شه گمان کاشکسته‌باست
دیدش و بشناختش چیزی نداد — روز دیگر رو بپوشید از لُباد ۲۸
❀تا گمان آید که نابینا است او — در میان اعیان برخاست او
پس‌بدانستش ندادش هیچ چیز[12] — ازگناه وجرم گفتن آن عزیز[13] ۲۹
چونکه عاجز شد زصد گونه مکید — چون زنان او چادری برسرکشید
در میان بیوگان رفت و نشست — سر فرو افکند وپنهان کرددست ۳۰
هم شناسیدش ندادش صدقهٔ — در دلش آمد ز حرمان حرقهٔ
رفت پس پیش‌کفن خواهی بگاه — کم بپیچم در نمد نه پیش راه ۳۱
هیچ مگشا لب نشین و می نگر — تا کند صدر جهان اینجا گذر
بو که بیند مرده پندارد بظن — زر دراندازد بی وجه کفن ۳۲
هر چه بدهد نیمهٔ بدهم بتو — همچنان کرد آن فقیر کدیه خو
در نمد پیچید و بر راهش نهاد — معبر صدر جهان آنجا فتاد ۳۳
چند زرانداخت بر روی نمد — دست بیرون کرد از تعجیل خود
تا نگیرد آن کفن خواه آن صله — تا نهان نکند از او آن ده دله ۳٤
مُرده از زیرکفن بر کرد دست — سربرون کرد ازپی دست‌او زپست
گفت باصدر جهان چون بستدم — ای بسته بر من ابواب کرم ۳٥
گفت لیکن تا نمردی ای عنود — از جناب ما نبردی هیچ جود
سر موتوا قبل موت این بود[14] — کز پی مردن غنیمتها رسد ۳٦
غیر مردن هیچ فرهنگ دگر — در نگیرد با خدا ای حیله گر
یك عنایت به زصد گون اجتهاد — جهدراخوف‌است‌ازصدگون[15]فساد ۳۷
وان عنایت هست موقوف ممات — تجربه کردند این ره را ثقات
بلکه مرگش بی عنایت نیز نیست — بی عنایت هان و هان جائی‌مأیست ۳۸
آن زمرّد باشد این افعیّ پیر — بی زمرّد کی شود افعی ضریر[16]

حکایت امرد و کوسه در خانقاه با لوطی و تدبیر امرد

امردی و کوسهٔ در انجمن — آمدند و مجمعی بُد در وطن ٤۰
مشتغل ماندند قوم منتجب — روز رفت و شد زمان ثلث شب
زان عزب خانه نرفتند آن دوکس — هم بخفتند آن سو از ترس عسس ٤۱
کوسه را بُد بر زنخدان چارمو — لیك همچون ماه بدرش بود رو
کودك امرد بصورت بود زشت — هم‌نهاد اندر پس خود بیست‌خشت ٤۲
لوطی دَب بُرد شب ازگمرهی[17] — خشتها را نقل کرد آن مشتهی

۱ـ بیش ۲ـ لاجرم زین چاه محنت سر زدیم ٤ـ سیصد رصد ٥ـ یتیم بی پدر ٦ـ اسیر حبس در ۸ـ با لب ۱۰ـ مایه ۱۱ـ پاکش ۱۲ـ آن عزیز ۱۳ـ هیچ چیز ۱٥ـ انواع ۱۷ـ در انبهی (ن.ل)

---

(۳) مرد نفوس فلکیه زن نفوس ارضیه از نباتیه وحیوانیه که تن انسانی محل نزول اجلال حضرت الامیة است لاغیر و نفوس فلکیه باجرام سماویه و نفوس ارضیه غیر نطقیه قدسیه بصیاصی نباتیه و حیوانات صامته متعلقند و مردیت نفوس فلکیه بسبب غلبهٔ فعالیت آنها است و انوثت نفوس نباتیه و صامته بجهت غلبهٔ انفعال اینها (۷) ابناء سبیل کسانی هستند که در سفر بی چیز و در شهر خود غنی باشند (۹) کسی که ساکت باشد از فقرا ناجی است در اخبار و امثال است (١٤) اشاره بحدیث شریف موتوا قبل ان تموتوا یعنی بمیرید قبل ازاینکه مرگ شمارا دریابد (١٦) مشهور است زمرّد افعی را کور می کند

دست بر کودك زد او ازجا بجست — گفت هی‌تو کیستی ای‌سگ پرست ۱ — گفت‌این سی‌خشت چون انباشتی — گفت توسی خشت چون برداشتی

❀ گفت‌ای‌فی‌النارخرس‌مرده‌ریگ — ابله و بی خاصیت مانند ریگ ۲ — کودکی بیمارم و از ضعف خود — کردم اینجا احتیاط مُرتقد[1]

گفت اگر داری زرنجوری تفی — چون نرفتی جانب دار الشفی ۳ — یا بخانهٔ یك طبیب مشفقی — کو گشادی از سقامت مغلقی

گفت آخر من کجا یارم شدن — که بهر جا میروم من ممتحن ٤ — چون تو زندیقی پلیدی مُلحدی[2] — می برآرد سر به پیشم چون ددی

خانقاهی کو بود بهتر مکان — من ندیدم یك زمان در وی امان ٥ — رو بمن آرند مشتی خمر خوار — چشمها پر نطفه کف خایه فشار

وانکه ناموسیست خودرا زیر زیر — غمزه دزدد میدهد مالش بکیر ٦ — ❀ یار با ناموس را غیر نظر — نیست لیکن‌زین نظردین پُر خطر

خانقه چون این بود بازار عام — چون بود خر گله و دیوان خام ۷ — خر کجا ناموس و تقوی از کجا — خرچه داند خشیت وخوف ورجا[3]

عقل باشد ایمنی و عدل جُو — بر زن و بر مرد امّا عقل کو ۸ — ور گریزم من روم سوی زنان — همچو یوسف افتم اندر افتنان

یوسف از زن‌یافت زندان وفشار — من شوم توزیع بر پنجاه دار ۹ — آن زنان از جاهلی بر من‌تنند[1] — اولباشان قصد جان من کنند

نی زمردان چاره دارم نز زنان — چون کنم‌چون‌نی ازاینم نی‌ازآن ۱۰ — بعدازآن کودك بکوسه بنگریست — گفت اوبااین دومو ازغم بَریست

فارغ‌است ازخشت وازپیکارخشت — وزچوتو مادر فروش کنگ زشت ۱۱ — بر زنخدان چار مو بهر نمون — بهتر از سی خشت پیرامون کون

ذرّهٔ سایهٔ عنایت بهتر است — از هزاران کوشش طاعت پرست ۱۲ — زانکه‌شیطان خشت‌طاعت برکند — گردوصد خشت‌است‌خودراره کند

❀ با عنایت او ندارد زهرهٔ — تا بسازد خویشتن را بهرهٔ ۱۳ — خشت‌اگر پُر است بنهادهٔ تواست — آن دوسه موازعطای آن‌سواست

درحقیقت هر یکی مو را از آن — خرد منگر همچو کوهی‌دان کلان ۱٤ — درحقیقت هریك ازآن‌موکهیست[4] — کان امان نامه وصلهٔ شاهنشهیست

تو اگر صد قفل بنهی بر دری — بر کند آن جمله را خیره سری ۱٥ — شحنهٔ از مُوم اگر مهری نهد — پهلوانان را از آن دل بشکهد[5]

آن دو سه تارعنایت همچو کوه — سد شده چون فرّ سیما در وجوه[6] ۱٦ — خشت را مگذار ای نیکوسرشت — لیك هم ایمن مخسب از دیو زشت

رو دوتا موزان کرم دردست آر — وانگهان ایمن بخسب و غم مدار ۱۷ — نوم عالِم از عبادت به بُود — آنچنان علمی که مستنبه بود

آن سکون سابح اندر آشنا — به زجهد اعجمی[7] با دست و پا ۱۸ — ❀دست‌وپا ساکن‌بآب اندر سباح — به رود از اعجمی با انتطاح

میرود سباح ساکن چون عمد — اعجمی زد دست و پا وغرق شد ۱۹ — علم دریائیست بی حدّ و کنار — طالب علم است غوّاص بحار

گر هزاران سال باشد عمر او ۲۰ — می‌نگردد هیچ سیر ازجست وجو

در بیان حدیث منهومان لا یشبعان طالبُ العلم و طالبُ الدنیا [8]

کان رسول حق بگفت اندر بیان — اینکه منهومان هما لایشبعان ۲۲ — طالبُ الدنیا و توفیراتها — طالبُ العلم و تدبیراتها

پس‌دراین قسمت چوبگماری[9] نظر — غیر دنیا باشد این علم ای پدر ۲۳ — ❀ غیر دنیا پس چه باشدآخرت — کت کندزاینجا وگردد رهبرت

غیر دنیا آخرت باشد یقین ۲٤ — کان برد زاینجات آنجا ای امین

بحث شاهزادگان باهمدیگر درآن قضیه و مقالهٔ برادر بزرگتر

رو بهم کردند هر سه مفتتن — هر سه را یکدرد ویکرنج وحزن ۲٦ — هرسه دریك فکرو یك سودا ندیم — هر سه ازیك رنج ویك‌علت‌سقیم

درخموشی هرسه را خطرت‌یکی — درسخن هم هر سه را حجت‌یکی ۲۷ — یکزمانی اشك ریزان هرسه شان — بر سر خوان مصیبت خون فشان

یك‌زمان ازآتش دل هر سه‌کس — بر زده با سوز چون مجمر نفس ۲۸ — آن بزرگین‌گفت‌کای اخوان خیر — ما نه نر بودیم اندر نُصح غیر

از حشم هر که بما کردی گله — از بلا و خوف و فقر و زلزله ۲۹ — ما نمی گفتیم کم نال از حرج — صبر کن کالصبر مفتاح الفرج

آن کلید صبر ما اکنون چه شد — ای عجب منسوخ شد قانون چه‌شد ۳۰ — ما نمی گفتیم کاندر کش مکش — اندرآتش همچو زر خندیم خوش

هر[10] سپه را وقت تنگاتنگ‌جنگ — گفته ما که هین مگردانید رنگ ۳۱ — آن زمان که بود اسبان را وطا — جملهٔ سرها بریده زیر پا

ماسیاه خویش را هی‌هی‌کنان[11] — که به پیش‌آئید قاهر چون سنان ۳۲ — جملهٔ عالم را نشان داده بصبر — ز آنکه صبرآمد چراغ ونور صدر

نوبت ما شد چه خیره سر شدیم — چون زنان زشت در چادر شدیم ۳۳ — ای دلی‌که جمله راکردی توگرم — گرم کن خودترا واز خوددارشرم

ای زبان که جمله راناصح بُدی — نوبت تو گشت از چه تن زدی[12] ۳٤ — ای خرد کو پند شکر خای تو — دور تست ایندم چه شد هیهای‌تو

ای ز دلها برده صد تشویش را — نوبت تو شد بجنبان ریش را ۳٥ — ازغری[13] ریش‌ارکنون‌دزدیدهٔ[14] — پیش از این برریش خود خندیدهٔ

چون بدرد دیگران درمان بُدی — دردمهمان توشد چون تن زدی[15] ۳٦ — ❀ وقت پند دیگرانی های هایْ — در غم خود چون زنانی وای‌وای

بانگ بر لشکر زدن بُد ساز تو — بانگ بر زن چه گرفت آواز تو ۳۷ — آنچه پنجه سال بافیدی بهوش — زان نسیج خود بغلطاقی بپوش

ازنوایت گوش یاران بود خوش — دست بیرون آروگوش[16] خودبکش ۳۸ — سر بُدی پیوسته خودرا دُم‌مکن — پا و دست و ریش وسبلت‌گم مکن

بازی آن تست بر روی بساط — خویش را در طبع آرو در نشاط ۳۹ — ❀ این‌حکایت‌گوش‌کن‌ای باخرد — تا بدانی اندر این معنی سند

بمجلس کشیدن پادشاهی فقیهی را وبزخم مشت بطبع آوردن

پادشاهی مست اندر بزم خوش — میگذشت آن یك فقیهی بر درش ٤۱ — کرداشارت‌کش دراین‌مجلس‌کشید — وز شراب لعل در خوردش دهید

۱ـ منتقد ۲ـ مرتدی ٤ـ خلعت جانی قطبی آگهیست ٦ـ او را زمکر هر گروه ۹ـ بگشادی ۱۰ـ مر ۱۲ـ چون خامش شدی ۱۳ـ غری ۱٥ـ خامش شدی ۱٦ـ دست (ن . ل)

---

(۳) خر ترس و امید نمیداند چیست (٥) شکوهیدن ترس و هراس یافتن است (۷) حرکت نکردن شناگر در موقع شنا بهتر است از تقلا کردن بی مهارت و نابلد در شنا (۸) فرمود حضرت رسول اکرم صلی الله علیه و آله و سلم دو حریص اند که هرگز سیر نمیشوند یکی طالب علم و دیگری طالب دنیا وحرص به علم ممدوح است و حرص به دنیا مذموم وبواسطهٔ تقابل وتضاد در علو رفعت وکمال در یکجا ذکر کرده (۱۱) تلمیح است بمضمون آیه واقعه در سورهٔ بقره اتامرون الناس بالبرّ و تنسون انفسکم (۱٤) اگر وقت مصیبت خود نامرد شدی و پیش از این بمردمان دلاوری می آموختی گویا بر ریش خود خنده میکردی مثل خودرا فضیحت ودیگران را نصیحت

پس [1] کشیدندش بشه بی اختیار — نشست در مجلس ترش چون زهرمار ۱ — عرضه کردندش نپذرفت او زخشم — از شه و ساقی بگردانید چشم
که بعمر خود نخوردستم شراب — خوش تر آید از شرابم زهر ناب ۲ — هین بجای می مرا زهری دهید — تا من از خویش و شما زین وارهید
می نخورده عربده آغاز کرد — گشت در مجلس گران چون مرگ درد ۳ — همچو اهل نفس و اهل آب و گل — در جهان بنشسته با اصحاب دل
حق ندارد خاصگان را در کمون — از می ابرار [2] جز در یشربون [3] ۴ — عرضه می‌دارند بر محجوب جام [4] — حس نمی یابد از او غیر از کلام
رو همی گرداند از ارشادشان — که نمی بیند بدیده دادشان ۵ — گر رگوشش تا بحلقش ره بدی — سر نصح اندر درونش درشدی
چون همه ناراست جانش نیست نور — کافکند در نار سوزان چون قشور ۶ — مغز بیرون ماند و قشر گفت رفت — کی شود از قشر معده گرم و زفت
نار دوزخ جز که قشر افشار نیست [5] — نار را با هیچ مغزی کار نیست ۷ — ور بود بر مغز ناری شعله زن — بهر پختن دان نه بهر سوختن
تا که باشد حق حکیم این قاعده — مستمر دان در گذشته و آمده [6] ۸ — مغز نغز و قشرها مغفور ازو — مغز را پس چون بسوزد دور ازو
از عنایت گر بکوبد بر سرش — اشتها آرد شراب احمرش ۹ — ور نکوبد ماند او بسته دهان — چون فقیه از شرب و بزم این شهان
شاه با ساقی بگفت ای نیك پی — چه خموشی ده بطبعش آر هی ۱۰ — هست پنهان حاکمی بر هر خرد — هر که راخواهد بفن ازخود [7] برد
آفتاب مشرق و تنویر او — چون اسیران بسته در زنجیر او ۱۱ — چرخ راچرخ اندر آرد درزمن — چون بخواند در دماغش نیم فن
عقل کو عقل دگر را سخره کرد — مهره زو دارد [8] و بست استاد نرد ۱۲ — چند سیلی بر سرش زد گفت گیر — در کشید از بیم سیلی آن زحیر
مست گشت و شاد و خندان شد چو باغ — در ندیمی و مضاحك رفت و لاغ ۱۳ — شیر گیر و خوش شد انگشتك بزد — سوی مبرز رفت تا میزك [9] کند
یك کنیزك دید در مبرز چو ماه — سخت زیبا رخ ز قرناقان شاه ۱۴ — چون بدیداورا دهانش باز ماند — عقل رفت و تن ستم پرداز ماند
عمرها بوده عزب مشتاق و مست — بر کنیزك در زمان برزد دو دست ۱۵ — پس طپید آن دختر و نعره فراشت — بر نیامد با وی و سودی نداشت
زن بدست مرد در وقت لقا — چون خمیر آمد بدست نانوا ۱۶ — پس رشد گاهش نرم و گه درشت — زو برآرد چاق چاقی زیر مشت
گاه پهنش وا کشد بر تختهٔ — در همش آرد گهی یك لختهٔ ۱۷ — گاه ریزد در وی آب و گه نمك — از تنور و آتشش سازد محك
اینچنین پیچید مطلوب و طلوب — اندر این لعبند مغلوب و غلوب ۱۸ — این لعب تنها نه شورا بازن است — هرعشیق وعاشقی را این فن است
از قدیم وحادث وعین و عرض — پیچشی چون ویس و رامین مفترض ۱۹ — لیك لعب هر یکی رنگی دگر — پیچش هر یك زفرهنگی دگر
شوی وزن را گفته شد بهر مثیل — که مکن ای شوی زن را بدگسیل [10] ۲۰ — آن شب گردك نه ینگا [11] دست او — خوش امانت دادش اندر دست تو [12]
کانچه تو با او کنی ای معتمد — از بد و نیکی خدا با تو کند ۲۱ — این زن دنیا که هست او مست تو — حق امانت دادش اندر دست تو
حاصل آنجا آن فقیه از بیخودی [13] — نی عفیفی ماندش و نی زاهدی [14] ۲۲ — آن فقیه افتاد بر آن حور زاد — آتش او اندر آن پنبه فتاد
جان بجان پیوست و قالبها چخید [15-16] — زن چو مرغی سر بریده می‌طپید ۲۳ — چه شراب و چه ملك چه ارسلان — چه حیا چه دین چه خوف و بیم جان
چشمشان افتاد اندر عین و غین — نی حسن پیدا شد آنجا نی حسین ۲۴ — یافت هر یکشان از آن دیگر مراد — طبع هر یك خرم و دل گشت شاد
شد دراز و کو طریق باز گشت — انتظار شاه هم از حد گذشت ۲۵ — شاه آمد تا ببیند واقعه — یافت آنجا زلزله و القارعه
آن فقیه از جای [17] برجست و برفت — سوی مجلس جام می بربود تفت ۲۶ — شه چو دوزخ پرشرار و پرنکال — تشنهٔ خون دو جفت بد فعال
چون فقیهش دید پر از خشم و قهر — تلخ و خونی گشته همچون جام زهر ۲۷ — بانگ زد برساقیش کای گرم کار — چه نشستی خیره هین درطبعش آر
خنده آمد شاه را گفت ای کیا — آمدم با طبع آن دختر تو را ۲۸ — پادشاهم کار من عدل است وداد — زآن خورم که یار را جودم بداد
آنچه آن را میخورم از ترش و خوش — میدهم درخورد یار از پنج وشش ۲۹ — آنچه آن را می نوشم همچو نوش — کی دهم آن را بخورد یار [18] و توش
زان خورانم من غلامان را که من — میخورم برخوان خاص خویشتن ۳۰ — زان خورانم بندگان را از طعام — که خورم من خود زیخته یا که خام
من چو پوشم از خز واطلس لباس — زان پپوشانم حشم را نی پلاس ۳۱ — شرم دارم از نبی ذو فنون — البسوهم گفت مما تلبسون [19]
مصطفی کرد این وصیت بابنون — اطعموا الاذناب مما تاکلون [20] ۳۲ — شد فقیه و برد باخود جفت خوب — از عطای خاص کشاف الکروب
دیگران را بس بطبع آوردهٔ — در صبوری چست و راغب کردهٔ ۳۳ — هم بطبع آور بمردی خویش را — پیشوا کن عقل دور [21] اندیش را
چون قلاوزی صبرت پر شود — جان باوج عرش و کرسی برشود ۳۴ — مصطفی بین چونکه صبرش شد براق — بر کشانیدش ببالای طباق
چون صبوری پیشه کرد ایوب راد — از بلا او را در رحمت [22] گشاد ۳۵ — صبر صدر آمد بهر حالت که هست — صبر وامگذار تا بتوان زدست
صبر مفتاح الفرج نشنیدهٔ — کاندر این تعجیل در پیچیدهٔ ۳۶ — صبر آرد عاشقان را کام دل — بیدلان را صبر شد آرام دل
حد ندارد این سخن کوتاه کن ۳۷ — واز حدیث عاشقان برگو سخن

رفتن شاهزادگان بعد از اتمام ماجرا بجانب ولایت چین تا بقدر امکان بمقصود نزدیکتر باشند اگر راه بوصل مسدود است بقدر امکان نزدیك شدن محمود است

باز گرد ای عاشق و زو تر بران — کانتظار تست آن شهزادگان ۴۰ — هر سه شهزاده چو کار افتادشان — عشق در خود گوشمالی دادشان
این بگفتند و روان گشتند زود — هرچه بود ای یار من آن لحظه بود ۴۱ — صبر بگزیدند و صدیقین شدند — بعد از آن سوی بلاد چین شدند

۱ـ چون ۲ـ احرار ٦ـ تابری زان فایده ۷ـ سر ۸ـ بردارد ۹ـ میزه ۱۲ـ شو ۱۳ـ خود چو رفت ۱٤ـ نه زهد زفت ۱٦ـ خجید ۱۷ـ بیم ۱۸ـ درخورد یار وخویش ۲۱ـ صبر ۲۲ـ رفعت (ن . ل)

---

(۳) اشاره بکریمه انّ الابرار یشربون من کاس کان مزاجها کافورا (٤) یعنی عین الیقین وحق الیقین وایمان شهودی اعلی واعلی من الاعلی از ایمان غیبی و آن عرضه داشته شدهٔ بر او اعراض میکند و طاقت ندارد (٥) یعنی مغز کلام که خاصان بر محجوبان عرضه میدارند برون ماند و قشر آن درون ایشان رفت که ایشان را فایده از آن نمیرسد (۱۰) اشاره است بآیه فامساك بمعروف او تسریح باحسان در سورهٔ بقره (۱۱) ینگا زنی است که داماد و عروس را دست بدست میدهد (۱٥) چخید یعنی در غلاف شد ودر بعضی نسخ خجید است یعنی خود را بهم کشید ازخوشی یا خجسته شد (۱۹) اشاره بحدیث شریف بپوشانید بندگانتان را آنچه خودمیپوشید (۲۰) بخورانید متابعان را از آنچه میخورید

والدین و مُلك را بگذاشتند — راه معشوق نهان برداشتند ۱ — همچو ابراهیم ادهم از سریر — عشقشان بی‌پا وسر[1] کرد و فقیر[2]
یاچو ابراهیم مرسل سر[3]خوشی — خویش را افکند اندر آتشی ۲ — یا چو اسمعیل صبار مجید — پیش عشق و خنجرش خلقی کشید

حکایت امرؤ القیس که پادشاه عرب بود و با جمال و کمال و زنان عرب چون زلیخا شیفتهٔ او بودند مگر دانست اینها همه تمثال صورتی اند باید طالب معنی شد

امرؤ القیس از ممالك خشك لب — هم کشیدش عشق از خِطهٔ عرب ۵ — ❀بود نازك‌طبع وهم‌صاحب‌جمال — شاعر وصاحب اصول اندر کمال
❀چونکه زدعشق حقیقی بردلش — سرد شد ملك و عیال و منزلش ۶ — ❀ نیم شب دلقی بپوشید وبرفت — از میان مملکت بگریخت تفت
تا بیامد خشت میزد در تبوك — با ملك گفتند شاهی از ملوك ۷ — امرؤالقیس آمده است اینجا بکد — شد[4] شکار عشق وخشتی میزند
آن ملك برخاست‌شب‌شدپیش او — گفت با او ای ملیك نیکخو[5] ۸ — یوسف وقتی دوملکت شدکمال — مرترا رام از بلاد و از جمال
گشته مردان بندگان از تیغ تو — وان زنان ملك مه بی میغ تو ۹ — پیش ما باشی تو بخت ما بود — جان ما ازوصل توصدجان شود
هم من وهم مُلك من‌مملوك تو — ای بهمت ملکها متروك تو ۱۰ — فلسفه گفتش بسیّ و او خموش — ناگهان واکرد از سر روی‌پوش
تاچه‌گفتش اوبگوش ازعشق‌ودرد — همچو خود درحال سرگردانش‌کرد ۱۱ — دست او بگرفت و با او یار شد — او هم از تاج و کمر بیزار شد
تا بلاد دور رفتند آن دو شه — عشق‌یك کرّت نکردست این‌گنه ۱۲ — بربزرگان شهد وبرطفلانست شیر — او بهر کشتی بُود منّ الاخیر[6]
❀کچو درکشتی شود غرقش‌کند — تا بقعر از پای تا فرقش کند ۱۳ — ❀قصهٔ کیخسرو آن شاه زمان — هست‌شهره در میان انس وجان
غیر این دو بس ملوك بی شمار — عشقشان بربود از مُلك و تبار ۱۴ — جان این سه‌شه بچه هم گرد چین — همچومرغان گشته هرسو دانه‌چین
زهره نی تا لب گشایند از ضمیر — زانکه رازی باخطر بود وخطیر ۱۵ — صد هزاران سربیکجو[7] آن‌زمان — عشق خشم آلوده زه کرده کمان
عشق‌خود بی‌خشم دروقت خوشی — خوی دارد دم بدم خیره کشی ۱۶ — این‌بود آن لحظه کوخوشنود شد — من چه‌گویم چونکه خشم آلودشد
لیك مرج جان فدای شیر او — کش کُشداین‌عشق وآن شمشیراو ۱۷ — کشتنش به از هزاران زندگی — سلطنت ها مردهٔ آن بندگی
با کنایت راز ها با یکدگر — بست گفتندی بصدخوف وخطر[8] ۱۸ — راز را غیر از خدا محرم نبود — آه را جز آسمان همدم نبود
اصطلاحاتی میان همدگر — داشتند از بهر ایراد خبر ۱۹ — زین لسان الطیر عام آموختند[9] — طمطراق سروری اندوختند
صورت آواز مرغ است این‌کلام — غافل‌است ازجان مرغان‌مردعام[10] ۲۰ — کو سلیمانی که داند لحن طیر — دیو اگر چه ملك گیرد هست‌غیر
دیو بر شبه سلیمان کرده ایست — علم مکرش هست وعلمناش نیست ۲۱ — چون سلیمان از خدا بشاش بود — منطق الطیری زعلمناش بود
تو از آن مرغ هوائی فهم کن — که ندیدستی طیور من لدن ۲۲ — جای‌سیمرغان بود آن‌سوی‌قاف[11] — هرخیالی را نباشد دست باف
هر[12]خیالی را که دید آن اتفاق — انگهش بعدَ العیان افتد فراق ۲۳ — نی فراق قطع بهر مصلحت — کایمنست از هرفراق آن منقبت
بهر استبقای آن جسم چو جان — لحظهٔ در ابر خور گردد نهان ۲۴ — ❀ بهر استبقای آن روحی جسد — آفتاب از برف یکدم در کشد
بهرجان خویش‌جو زایشان صلاح — هین‌مدزد ازحرف ایشان‌اصطلاح ۲۵ — آن زلیخا از سپندان تا بعود — نام جمله چیز یوسف کرده بود
نام او در نامها مکتوم کرد — محرمان را سرّ آن معلوم کرد ۲۶ — چون بگفتی موم زآتش نرم شد — این بدی کان یار باما گرم شد
ور بگفتی مه بسر آمد بنگرید — ور بگفتی سبز شد آن شاخ بید ۲۷ — ❀ور بگفتی آبها خوش میطپند❀ — وربگفتی خوش همی سوزد سپند
ور بگفتی برگها خوش می تنند — ❀دست برهم‌رقص‌ومستی‌میکنند❀ ۲۸ — ور بگفتی گل بلبل راز گفت — ور بگفتی سرّ شه شهباز گفت
ور بگفتی چه همایون‌است‌بخت — ور بگفتی که بر افشانید رخت ۲۹ — ور بگفتی که سقا آورد آب — ور بگفتی هین بر آمد آفتاب
ور بگفتی دوش دیگی پخته اند — یا حوائج ازبرش[13] یك لخته‌اند ۳۰ — ور بگفتی هست نانها بی نمك — ور بگفتی عکس میگردد فلك
ور بگفتی که بدرد آمد سرم — ور بگفتی درد سر شد خوشترم ۳۱ — ❀محرمان‌را زآن خبربدکه‌چه‌گفت — که مخالف با موافق گشت جفت
گر ستودی اعتناق او بُدی — ور نکوهیدی فراق او بُدی ۳۲ — صدهزاران نام اگر برهم‌زدی[14] — قصد او وخواه‌او یوسف بدی[15]
گرسنه بودی چو گفتی نام او — می‌شدی او سیر ومست ازجام او ۳۳ — تشنگیش از نام او ساکن شدی — نام یوسف شربت باطن شدی
ور بُدی دردیش زان نام بلند — درد او در حال گشتی سودمند ۳۴ — وقت سرما بودی او را پوستین — این کند درعشق نام دوست این
عام میخوانند هر دم نام پاك — این‌عمل نکند چونبود عشق‌ناك[16] ۳۵ — آنچه عیسی کرده بود از نام هو — میشدی پیدا ورا از نام او
چونکه باحق متصل گردید جان — ذکرآن‌این‌است وذکر اینست آن[17] ۳۶ — خالی‌ازخود بودویراز عشق‌دوست — پس زکوزه‌آن تراودکاندراوست
خنده بوی زعفران وصل داد — گریه بو های پیاز[18] آن بعاد ۳۷ — هریکی را هست دردل صد مراد — این نباشد مذهب عشق و وداد
یار آمد عشق را روز آفتاب[19] — آفتاب آن روی را همچون نقاب ۳۸ — آنکه نشناسد نقاب از روی یار — عابدالشمس است‌دست ازوی‌بدار
روز او و روزی عاشق هم او — دل هم او دلسوزی عاشق هم او ۳۹ — ماهیان را نقد شد از عین آب — نان وآب وجامه و دارو وخواب
همچوطفل‌است اوزپستان شیرگیر — می نداند در دو عالم غیر شیر ۴۰ — طفل داند هم نداند[20] شیر را — راه نبود این طرف تدبیر را

۲ـ حقیر ۳ـ کز ٤ـ در ٥ـ خوب رو ۷ـ بیولی ۸ـ حذر ۱۰ـ حال مرغان مرد خام ۱۲ـ جز ۱۳ـ یاحوایج ازپزش ـ جوانح ١٤ـ گفتی عیان ١٥ـ او یوسف بُدی بی شك از آن ١٦ـ پاك ١٨ـ اندر (ن . ل)

---

(۱) دیدن اول در قصر قلعه بود هیکل انسانی را که‌در عالم ذر وموطن عهد و میثاق باشد پس از آن نزول کردند ارواح بعالم صور طبیعیه که این عالم باشد و تعلق گرفتند باین بدن انسانی که مجمع الصور است (٦) یعنی انعم فی الاخیر و از اسماء خدا است منان یعنی منعم و معطی یاآنکه ازمن الجبل باشد یعنی قطع کرده است اورا چه عشق قطع علائق کند از غیر معشوق (۹) عوام صورت وحکایت زبان مرغان آموختند نه حقیقت‌را (۱۱) قاف‌سه وجه دارد قاف‌قدرت وقاف قلم اعلاکه‌عقل‌کل‌است وقاف قلب‌که عرش رحمن است وآنسوی‌آن لطیفه اخفویه است وصیغهٔ جمع در سیمرغان بسبب تعدد طرز و طور کاملانست بحسب ظاهر لیك چون در نگری متفق یك کارند (۱۷) قال‌الله‌تعالی اذکرونی اذکرکم (۱۹) یعنی آفتاب روز پس روی یار آفتاب روز عشق است و آفتاب حسی حجاب آنسرویست (۲۰) داند بشعور بسیط و هم نداند بشعور ترکیبی که علم بعلم ندارد

کیج کرد این گرد[1] نامه روح را — تا بیابد[2] فاتح و مفتوح را ۱ — کیج نبود در روش[3] بلك اندراو — حاملش دریا بود نه سیل و جو
چون بیابد او که یابد گم شود — همچو سیلی غرقهٔ قلزم شود ۲ — دانه‌چون گم‌گردد آنکه تین بود[4] — تا نمردی زر ندادم این بود

بی طاقت شدن برادر بزرگتر بعد از مدتی و متواری شدن در بلاد چین در شهر تخت گاه و گفتن که من رفتم الوداع تا خود را بر شاه چین عرضه کنم ❁ اما قدمی تنیلنی مقصودی ❁ او القی رأسی کفؤادی ثم یا پای رساندم بمقصود و مراد — یاسربنهم همچو دل‌ازدست‌اینجا

و نصیحت برادران او را سود نداشتن ❁ یاعاذل العاشقین دعفتهٔ ❁ اضلها الله کیف ترشدها

آن بزرگین گفت ای اخوان من — زانتظار آمد بلب این جانِ من ۷ — لا ابالی گشته ام صبرم نماند — مر مرا این صبر برآتش نشاند
طاقت من زاین صبوری طاق‌شد — واقعهٔ من عبرت عشاق شد ۸ — من زجان سیر آمدم اندر فراق — زنده بودن در فراق آمد نفاق
چند درد فرقتش بکشد مرا[5] — سر ببر تاعشق سر بخشد مرا[6] ۹ — دین من ازعشق زنده بودن‌است — زندگی‌زاین‌جان وسرننگ‌من‌است
تیغ جانها را کند پاك از عیوب[7] — زانکه سیف افتاد محاء الذنوب[8] ۱۰ — چون غبار تن بشد ماهم بتافت — ماه جانِ من هوای صاف یافت
عمرها بر طبل عشقت ای[9] صنم — انّ فی موتی حیاتی میزنم ۱۱ — دعوی مُرغابئی کرده است جان — کی زطوفان بلا دارد فغان[10]
بطّ را زاشکستن کشتی چه غم — کشتیش بر آب بس باشد قدم ۱۲ — زنده زین دعوی بود جان و تنم — من از این دعوی چگونه تن‌زنم
خوابمی بینم ولیکن[11] خواب نی — مدّعی هستم ولی کذّاب نی ۱۳ — گر مرا صد بار تو گردن زنی — همچو شمعم بر فروزم روشنی
آتش ارخرمن بگیرد پیش وپس — شبروان را خرمنِ آن ماه بس ۱۴ — کرده یوسف را نهان و مختبی — حیلت اخوان زیعقوب نبی
خفیه کردندش زحیلت سازئی — کرد آخر پیرهن غمازئی[12] ۱۵ — آن دو گفتندش نصیحت در سمر — که مکن زاخطار خود را بیخبر
هین منه بر ریشهای ما نمك — هین‌مخور این‌زهرازجلدیّ وشك ۱۶ — جز بتدبیر یکی شیخی خبیر — چون روی چون نبودت قلب‌بصیر
وای آن مرغی که ناروئیده پر — بر پرد بر اوج و افتد در خطر ۱۷ — عقل باشد مرد را بال و پری — چون ندارد عقل باشد ابتری[13]
یا مظفر یا مظفر جوی[14] باش — یا نظرور یا نظرور حوی باش ۱۸ — بی زمفتاح خرد[15] این قرع باب — از هوا باشد نه از روی صواب
عالمی در دام می بین از هوا — وز جراحتهای همرنگ دوا ۱۹ — ایستاده مار بر سینه چو مرگ — دردهانش بهرصیداشگرف[16] برگ
درحشایش چون‌حشیشی اوبیاست — مرغ پندارد که آن شاخ گیاست ۲۰ — چون‌نشیند بهرخور برروی برگ — در فتد اندر دهانِ مارِ مرگ
کرده تمساحی دهان خویش باز — گرد دندانهاش کرمان دراز ۲۱ — از بقیهٔ خور که در دندانش ماند — کرمها روئید و بر دندان نشاند
مرغکان بینند کرم و قوت را — مرج پندارند آن تابوت را ۲۲ — چون‌دهان پُرشد زمرغ اوناگهان — در کشدشان و فرو بندد دهان
این جهان پر زنقل و پر زنان — چون دهان باز آن تمساح دان ۲۳ — بهرکرم وطعمه ای‌روزی‌تراش[17] — از فن تمساح دهر این مباش
روبه افتد پهن اندر زیر خاك — بر سر خاکش حبوب مکرناك ۲۴ — تا بیاید زاغ غافل سوی آن — پای او گیرد بمکر آن مکر دان
صدهزاران مکردرحیوان چوهست — چون بود مکر بشر کومهتر است ۲۵ — مصحفی بر کف چو زین‌العابدین — خنجری پر زهر[18] اندر آستین
گویدات خندان‌که ای مولای‌من — در دل او بابلی پُر سحر و فن ۲۶ — زهرقاتل‌صورتش شهداست وشیر — هین مرو بی صحبت پیر خبیر
جمله لذّات هوامکراست وزرق — سوز و تاریکیست گردِ نوربرق ۲۷ — برق نور کوته و کذب و مجاز — گرد او ظلمات و راه تو دراز
نی بنورش نامه تانی خواندن — نی بمنزل اسب تانی راندن ۲۸ — لیك جرم آنکه باشی رهن برق — ازتو روی اندر کشد انوارشرق
❁ خشم گیرد بر دلت آن آفتاب — می کشاند مکر برقت بی دلیل ۲۹ — چون توجوئی ازعطارد نوروتاب — در مفازهٔ مظلمی شب میل میل
گاه بر که گاه بر جو اوفتی — خود نبینی تو دلیل ای‌جاه[19]جو ۳۰ — که بدانسو گه بدین سو اوفتی — ور ببینی رو بگردانی ازو[20]
من‌سفر کردم دراین‌ره شصت میل — مر مرا گمراه گویند این دلیل ۳۱ — گرنهم من گوش سوی آن‌شگفت — زامر او را هم زسر باید گرفت
من دراین ره عمرخود کردم گرو — هر چه بادا باد ای خواجه برو ۳۲ — راه کردی‌لیك درظنی‌چوبرق[21] — عشر آن‌ره کن بی وحی‌چو شرق
ظنّ لایغنی من‌الحق خواندهٔ[22] — وز چنان برقی ز شرقی ماندهٔ ۳۳ — هین درآ در کشتی ما ای نژند — یا که آن کشتی باین کشتی بیند
گوید اوچون ترك گیرم گیرودار — چون روم من درطفیلت کوروار ۳۴ — کور با رهبر به از تنها یقین — زان‌یکی‌ننگست وصد ننگست‌ازاین
میگریزی از پشه در اژدها[23] — میگریزی از یمی در بحرها[24] ۳۵ — میگریزی از جفا های پدر — در میان لوطیان شور و شر
میگریزی‌همچو یوسف ازملال[25] — تا زنرتع تلعبت گردد وبال[26] ۳۶ — زین تفرّج در چه افتی همچو او — مر ترا لیك آن عنایت یار کو
گر نبودی آن بد ستوری[27] پدر — بر نیاوردی زچه تا حشر سر ۳۷ — آن پدر بهر دل او اذن داد — گفت‌چون این است میلت خیرباد
هر ضریری کز مسیحی سرکشد — او جهودانه بماند از رشد ۳۸ — قابل ضو بود اگر چه کور بود — شد از این اعراض اوکور وکبود
گویدش‌عیسی بزن برمن تودست — ای عمی کحل ضریری[28] با منست ۳۹ — از من ار کوری بیابی روشنی — بر قمیص یوسف جان بر زنی
کار وباری کِت‌رسد بعد شکست — اندر آن اقبال و منهاج ره است ۴۰ — کار و باری که ندارد پا و سر — ترك کن ای پیر خر ای پیرخر

۱ـ گنج ٤ـ نان‌شود‌طین‌شوده‌ـ از درد فراقش‌خون خورم ٦ـ دهم تاعشق بخشد صد سرم۷ـ هست از جان عاشق گرد روب ۹ـ چنگ عشق آن۱۰ـ امان ۱۱ـ ولی در ۱۳ـ عقل رهبری ١٤ـ گوی ۱۵ـ عقل١٦ـدهان بگرفته بهر صید ۱۸ـ قهر ۱۹ـ راه ۲۰ـ که کو ۲۳ـ کژدمی ۲٤ـ تو در نمی ۲۵ـ زاندهی ۲٦ـ تلعب افتی در چهی ۲۷ـ بفرمان ۲۸ـعزیزی (ن . ل)

---

(۲) مانع شد که بیابد روح فتوحی (۳) در سیر الی الله (۸) اشاره است بحدیث السیف محاء الذنوب یعنی شمشیر مجاهد در راه خدا محوّ کننده گناهان است و هر که در جهاد شهید شد گناه ندارد(۱۲) اشاره بآیه درسوره‌یوسف اذهبوا بقمیصی (تا آنجا که فرمود) قال ابوهم انی لاجدُ ریح یوسف (۱۷) آنست که بخیال خود جعل میکند که روزی من ازین‌طریق خاص می آید و تضییق میکند و حال آنکه وسایل خدا بسیار است خواجه پندارد که‌روزی ده دِهست❁ ده نمیکاریم و روزی میخوریم (۲۱) ره نوردیدی ولی در ظن و شك و بنور برق نه شمس حقیقت (۲۲) اشاره بآیه‌واقعه در سورهٔ والنجم وانّ الظنّ لایغنی من الحقّ شیئا یعنی بدرستیکه گمان بی نیاز نمیکند از حق یقین اصلاهیچ قدر

۞ کار و باری کان ندارد پاودست — ترک گیر ای بوالفضول گیج‌مست
در زمان گر[1] پیررا شد زیردست — روشنائی دید و از ظلمت برست
من نجویم زین سپس راه اثیر — پیر جویم پیر جویم پیر پیر
بی ز ابراهیم نمرود گران — کرد با کرکس سفر بر آسمان
گفتش ابراهیم کای مرد سفر — کرکست من باشم اینت خوبتر
آنچنانکه میرود تا غرب و شرق — بی ز زاد وراحله این دل چو برق
آنچنانکه عارف از راه نهان — خوش نشسته میرود درصدجهان[3]
این خبر ها وین روایات محق — صد هزاران پیر بر وی متفق
آن تحرّی آمد اندر لیل تار — وین حضور کعبه و وسط نهار
عقل جزوی کرکس آمد ای مقل — پرّ او با جیفه خواری متصل
بازِ سلطانم گشم نیکو پیم — فارغ از مردارم و کرکس نیم
چند بر عمیان دوانی اسب را — باید استا پیشه را و کسب را
آنچه گوید آن فلاطون زمان — هین هوا بگذار ورو بروفق آن
شاه ما خود هیچ فرزندی نزاد — بلکه سوی خویش زن‌راره‌نداد[6]
شاه گوید چونکه گفتی این مقال — زود ثابت کن که دارم من عیال
ورنه بی‌شك من ببرّم حلق تو — بر کشم از صوفی جان دلق تو
بنگر ای از جهل گفته ناحقی — پُر زسر های بریده خندقی
جمله اندر کار این دعوی شده — گردن خود را بدین دعوی زده
تلخ خواهی کرد بر ما عمر ما — کی براین میدارد ای دادِر ترا
بی سلاحی در مرو درمعرکه[10] — همچو بی باکان مرو درتهلکه[11]
سینه پُر آتش مرا چون منقل است — کشتِ کامل گشتِ وقت منجل است
صبر من مُردآن شبی که عشق زاد — در گذشت او حاضران را عمرباد
سر نگونم هین رها کن پای من — فهم کو در جملهٔ اجزای من
پُر سر مقطوع اگرصد خندق است — پیش درد من مزاح مطلق است
من علم اکنون بصحرا می زنم — یا سراندازی و یا روی صنم
دیده‌کان نبود ز وصلش در فره — آن چنان دیده سفید و کور به
اندر آن دستی که نبود آن نصاب — آن شکسته به بساطور قصاب
آنچنان پا درحدید اولی‌تر[16] است — آنچنان پا عاقبت درد سر است

۱ غیر پیر استاد و سر لشکر مباش — پیر گردون نی ولی پیر رشاد
۲ شرط تسلیم است نی کار دراز — سود ندهد در ضلالت ترك تاز
۳ پیر باشد نردبان آسمان — تیر پرّان از که گردد از کمان
۴ از هوا شد سوی بالا او بسی — لیك بر گردون نپرّد کرگسی
۵ چون ز من سازی ببالا نردبان — بی پریدن بر شوی بر آسمان
۶ آنچنانکه میرود شب ز اغتراب — حسّ مردم[2] شهرها دروقت‌خواب
۷ گر ندادستش چنین رفتار دست — این‌خبرها زان ولایت ازکی‌است
۸ یك خلافی نی میان این عیون[4] — آنچنانکه هست در علم ظنون[5]
۹ خیزای نمرود و پرجوی‌ازکسان — نردبانی نایدت زین کرکسان
۱۰ عقل ابدالان چو پرّ جبرئیل — می برد تا ظلّ سدره میل میل
۱۱ توك کرکس‌کن که من باشم‌کست — یك پر من بهتر از صد کرکست
۱۲ خویش رارسوا مکن درشهرچین — عاقلی جو خویش را زو درمچین
۱۳ جمله میگویند اندر چین بجد — بهر شاه خویشتن که لم یلد
۱۴ هرکه‌ازشاهان ازاین‌نوعش بگفت — گردنش با تیغ برّان گشت جفت
۱۵ مر مرا دختر اگر ثابت کنی — یافتی از تیغ تیزم ایمنی
۱۶ سرنخواهی بُرد هیچ از تیغ[7] تو — ای بگفته لاف کذب آمیغ[8] تو
۱۷ خندقی از قعر خندق تا گلو — پُر ز سرهای بریده زین غلو
۱۸ هین ببین این را[9] بچشم اعتبار — اینچنین دعوی میندیش و میار
۱۹ گر رود صدسال آنك آگاه نیست — بر عمی آن از حساب راه نیست
۲۰ این‌همه‌گفتندوگفت‌آن نا صبور[12] — که مرا زین گفتها آید نفور
۲۱ صدر را صبری بُداکنون آن نماند — بر مقام صبر عشق آتش فشاند[13]
۲۲ ای‌محدّث‌ازخطاب‌وازخطوب[14] — زان گذشتم آهن سردی مکوب
۲۳ اشترم من تا توانم میکشم — چون فتادم زار با کشتن خوشم
۲۴ من نخواهم زد دگر ازخوف‌وبیم — اینچنین طبل هوا زیر گلیم
۲۵ حلق‌کان نبود سزای آن شراب — آن بریده به بشمشیر ضراب[15]
۲۶ گوش کان نبود سزای رازِ او — برکنش که نبود آن بر سر نکو
۲۷ آنچنان پائی که از رفتار او — جان نپیوندد بنرگس زار او

بیان مجاهد که دست از مجاهده باز ندارد اگرچه داند که بسطت عطاء حق که آن مقصود است از طرف دیگر و بسبب عمل دیگر بدو برساند که دروهم او نبوده باشد و او در این‌طریق معین امید بسته همین درمیزند شاید که حقتعالی آن روزی را ازدر دیگر رساند که او آن تدبیر نکرده باشد و یرزُقه‌من حیث لایحتسب[17] العبد یدبّر واللهُ یقدر[18] و بود که بنده را هم بندگی بود که مرا ازغیر این در برساند اگرچه حلقهٔ این درمیزنم حقتعالی اورا هم ازاین‌درروزی رساند فی‌الجمله این‌همه درهای یك‌سرایست

یا در این ره می بیابم[19] کام من — یا چو بازآیم روم[20] سوی وطن
۞ تا حساب خطوتین فقد ووصل — گرددم روشن شود اشکال حل
یار را چندان بجویم جدّ وجست — تا بدانم که نمی بایست جست
کی کنم من از معیت فهم راز — جزّ که از بعد سفرهای دراز
۳۴ بوکه موقوف است کامم برسفر[21] — چون سفر کردم بیابم در حضر
۳۵ ۞ کی بجد می‌جستمی چندین ورا — چون نبود ازمن جدا یك ای فتی
۳۶ این معیت[22] کی‌رود از گوش من — تا نگردم گرد دوران زمن
۳۷ حق معیت گفت‌ودل را مُهرکرد — تا که عکس‌آن بگوش‌آید[23] نه‌طرد

۱ـ چون ٤ـ قرون ۷ـ زیر تیغ تیز ۸ـ آمیز ۹ـ آخر ۱۰ـ اندر مصاف ۱۱ـ مده سر از گزاف ۱۳ـ نشاند ۱٤ـ این خطاب از ذل بروب ۱۵ـ که تا گردد خراب ۱٦ـ اندر آهن بهتر ۱۹ـ آیدم این ۲۰ـ ز ره ۲۳ـ آید بگوش دل (ن . ل)

---

(۲) بسوی جزئیات بخلاف اولیا و عرفا که دل بسوی کلیات رود چنانکه فرمود دل‌همچو برق (۳) بجسد در ناسوتست و بجان در جبروت چون در اندیشهٔ ملأ اعلی بود و از عقول مجرده کلیه گوید بلکه درلاهوتست چون دراندیشه خدا بود و از خدا گوید بلکه چون وجود صرف ومطلق احاطی‌را رسد ازسنخ مدرك شود (٥) تشبیه بضدّ است که‌علوم ظنیه خلافیه‌است اوجدوا فیه اختلافاً کثیرا (٦) چه شاه حقیقی‌عالم‌معنی وعالم صورت حق حقیقی است که لم یتخذ صاحبةً ولاولدا بلکه صور و معانی مظاهر ذات و صفات اویند (۱۲) بحسب تأویل این سه برادر نفس ناطقه و عقل نظری و عقل عملی اند و این نصایح بسبب آن است که آن دو عقلند و اصلشان عقل کلی است و شأن عقل پند واندرز دادن است و قبول نکردن برادر بزرگتر که نفس ناطقه است بسبب آن بود که عاشق بود بر هیکل توحید که مجمع صورالعالمین باشد (۱۷) آیه در سورهٔ طلاق است و روزی دهد خدای او را از آنجا که گمان نبرد و در خاطرش نگذرد (۱۸) بنده تدبیر میکند ولی تقدیر خدا همیشه بر بندگان جاری است (۲۱) بحسب باطن سیر الی‌الله وفی‌الله در منازل توبه و انابه و محاسبه و مراقبه وتوکل و صبر و رضا و تسلیم وغیر اینها (۲۲) بمقتضای آیهٔ کریمهٔ وهو معکم اینما کنتم

چون سفرها کرد و داد راه داد — بعد از آن مُهر از دلِ او برگشاد ۱ — چون خطائین[1] آن حساب باصفا — گردش روشن ز بَعد دو خطا
بعد از آن گوید اگر دانستمی — این معیّت را کی او را جستمی ۲ — دانش آن بود موقوف سفر — ناید آن دانش به تیزیّ فکر
آن چنانکه وجه وام شیخ بود — بسته و موقوف گریهٔ آن وجود[2] ۳ — کودك حلوائی بگریست زار — توخته شد وام آن شیخ کبار
گفته شد آن داستان ممنوی — پیش از این اندر خلال[3] مثنوی ٤ — در دلت خوف افکند از موضعی — تا نباشد غیر آنت مطمعی
در طمع خود فائدهٔ دیگر نهد — وآن مرادت از کسی دیگر دهد ۵ — ای طمع بربسته بریکجای سخت — کایدم میوه از این عالی درخت
آن طمع زینجا نخواهد شد وفا — بل ز جای دیگر آید آن عطا ٦ — آن طمع را پس چرا در تو نهاد — چون نبودش نیت اکرام و[4] داد
از برای حکمتی و صنعتی — نیز تا باشد دلت در حیرتی ۷ — تا دلت حیران بود ای مستفید — کاین مُرادم از کجا خواهد رسید
تا بدانی عجز خویش وجهل خویش — تا شود ایقان تو در قلب[5] بیش ۸ — هم دلت حیران شود درمنتجع — که زچه رویاند مصرّف زین طمع
طمع داری روزئی در درزئی — تا ز خیاطی بری نان تازئی ۹ — رزق تو در زرگری آید پدید — که ز وهمت بود آن مکسب بعید
پس طمع در درزئی بهرچه بود — چون ترا ازجای دیگردر[6] گشود ۱۰ — بهر نادر حکمتی در علم حق — که نوشت آن حکم را در ماسبق
نیز تا حیران بود اندیشه ات — تا که حیرانی بود کل پیشه ات ۱۱ — یا وصال یار زین سعیم رسد — یا ز راهی خارج از سعی جسد
من نگویم زین طریق آید مراد — می طپم تا از کجا خواهد گشاد ۱۲ — سر بریده مرغ هر سو می فتد — تا کدامین سو رهد جان از جسد
تا مراد من برآید زین خروج ۱۳ — یا ز برجی دیگر از ذات‌البروج

حکایت مرد میراث یافته که در خرج اسراف کرده مفلس شد

بود زر میراثی را بی شمار[7] — جمله را خوردو بماند اوزار[8] زار ۱۵ — مال میراثی ندارد خود وفا — چون بناکام از گذشته شد جدا
او نداند قدرهم کارزان[9] بیافت — که بکدّ و کسب و رنجش کم شتافت ۱٦ — قدرجان زآن می ندانی ای فلان — که بدادت حق ببخشش رایگان
نقد رفت وجنس[10] رفت وخانه ها — ماند چون جغدان در این ویرانها ۱۷ — گفت یارب برگ دادی رفت برگ — یا بده برگی و یا بفرست مرگ
چون تهی شد یاد حق آغاز کرد — یارب و یارب اجرنی ساز کرد ۱۸ — چون پیمبر گفت مُؤمن مزمراست[11] — در زمان خالئی ناله‌گر است
چون شود پُرمطربش بنهدزدست — پُرمشو کاسیب دست‌او خوش است ۱۹ — تی‌شوو خوش[12] باش بین‌الاصبعین — کز می‌لااین سرمست است این[13]

در بیان سبب تأخیر در اجابت دعای مؤمن از حضرت عزت

رفت صفیان آب از چشمش گشاد — ابر چشمش زرع دین را آب داد ۲۱ — ❀ دردعا ولابه درزد هردودست — زرطلب شد بی تعب آن زر پرست
ای بسا مُخلص که نالد در دعا — تا رود دود خلوصش بر[14] سما ۲۲ — تا رود بالای این سقف برین — بسوی مجمر از انین‌المذنبین
پس ملایك با خدا نالند زار — کای مجیب هردُعا وای مستجار ۲۳ — بندهٔ مؤمن تضرّع می کند — او نمی داند بجز تو مستند
تو عطا[15] بیگانگان را میدهی — از تو دارد آرزو هر مشتهی ۲٤ — حق بفرماید که نز خواریّ اوست — عین تأخیر عطایاریّ اوست
❀ نالهٔ مؤمن همی داریم دوست — گو تضرّع کن که این اعزاز اوست ۲۵ — حاجت آوردش ز غفلت سوی من — آن کشیدش موکشان درکوی من
گر بر آرم حاجتش او وارود — هم درآن بازیچه مستغرق شود ۲٦ — گرچه مینالد بجان یا مستجار[16] — دل شکسته سینه خسته گوبزار[17]
خوش همی آید مرا آوازِ او — وان خدایا گفتن و آن راز او ۲۷ — وانکه اندر لابه و در ماجرا — می فریباند بهر نوعی مرا
طوطیان و بلبلان را از پسند — از خوش آوازی قفص درمیکنند ۲۸ — زاغ را و جغد را اندر قفص — کی کنند این خود نیامد درقصص
پیش شاهد باز چون آید دو تن — آن یکی کمپیرو آن یك خوش ذقن ۲۹ — هردو نان خواهند او زوتر فطیر — آرد و کمپیر را گوید که گیر
وان دگررا که خوشستش قدّ وخد — کی دهد نان بل بتاخیر افکند ۳۰ — گویدش بنشین زمانی بی‌گزند — که بخانه نان تازه می پزند
چون رسد آن نان گرمش بعدکد — گویدش بنشین که حلوا میرسد ۳۱ — هم بدین فن داردارش میکند — وز ره پنهان شکارش میکند
که مرا کاریست با تو یك زمان — منتظر میباش ای خوب جهان ۳۲ — ❀ تا بدین حیلت فریباند ورا — تا مطیع و رام گرداند ورا
❀ مثل آن کمپیردان بیگانگان ۳۳ — شاهد خوش روی مثل مؤمن آن

دیدن میراثی بخواب که در مصر بفلان موضع گنجی است ورفتن بشهر مصر در طلب آن

بی مرادی مؤمنان از نیك و بد — تو یقین میدان که بهر این بود ۳۵ — ❀ این‌جهان زندان مؤمن‌زین بود — کافران را جنت حالی شود[18]
خواجه چون‌میراث خوردوشد فقیر — آمد اندر یارب و گریه و نفیر ۳٦ — خود که کوبد این در رحمت نثار — که نیابد در اجابت صد بهار
خواب دیداو هاتفی گفت اوشنید — که غنای تو بمصر آید پدید ۳۷ — رو بمصر آنجا شودکار تو راست — کردگریه[19] اترا قبول‌اومرتجاست
درفلان موضع یکی‌گنجیست زفت — در پی آن بایدت تا مصر رفت ۳۸ — ❀ درفلان کوی‌وفلان موضع دفین — هست گنجی سخت نادر بس ثمین
بی‌درنگی هین ز بغداد ای نژند[20] — رو بسوی مصر ومنبت‌گاه قند[21] ۳۹ — چون ز بغداد آمد او تا سوی مصر — گرم شد پشتش‌چودید اوروی مصر
بر امید وعدهٔ هاتف که گنج — یابد اندر مصر بهر دفع رنج ٤۰ — لیك نفقه‌اش بیش‌وکم چیزی نماند — خواست‌کدیه[23] برعوام‌الناس‌راند
لیك شرم و همتش دامن گرفت — خویش را درصبر افشردن گرفت ٤۱ — باز نفسش از مجاعت بر طپید — از گدائی کردن او[23] چاره ندید

۲ـ عنود ۳ـ متان ٤ـ نخواستت زان طرف آن چیز ۵ـ غیب ٦ـ نخواست آن رزق زان جانب ۷ـ یك میراثیَ مال و عقار ۸ـ عورو ۹ـ کاسان ۱۰ـ کاله ۱۲ـ خالی آی‌و ۱٤ـ دود اخلاصش برآمد تا ۱۵ـ صلها ۱٦ـ او خوشگوار ۱۷ـ سوگوار ۱۹ـ کدیه ۲۰ پسر ۲۱ـ زر ۲۲ـ دقی ۲۳ـ زانتجاع و خواستن (ن. ل)

---

(۱) در حساب طریقه ایست که بسبب آن استخراج مجهولات کنند و آنرا خطائین نامند (۱۱) اشاره بحدیث نبوی است که فرمود « مثل‌المؤمن کمثل الزمار لایحسن صوته‌الابخلاء بطنه » یعنی مؤمن چون نای است که خوش نشود صوت‌آن مگر بخالی بودن درون او ویااینکه مؤمن تازمانی‌که باطن خود را خالی نسازد از غلّ وغش انوار واسرار از اوظاهر نشود و خلق او نیکو نگردد چه تهذیب اخلاق موقوفست بر تخلیهٔ باطن از اوصاف رذیله (۱۳) از می‌لامکان سرمست‌است مکان (۱۸) اشاره بحدیث الدنیا سجن‌المؤمن و جنةالکافر

گفت شب بیرون روم من نرم نرم — تا ز ظلمت نایمم از کدیه شرم ۱ — همچو شبکوکی کنم[1] من ذکر و بانگ — تا رسد از بامهایم نیم دانگ

رسیدن آن شخص بمصر و بیرون آمدن بکوی در شب بجهت شبکوکی و گدائی و گرفتن عسس اورا و مراد او پس از رنج حاصل آمدن و عسی ان تکرهوا شیئاً و هو خیر لکم[2] انّ مع العسر یسراً[3] وقوله علیه السلام اشتدی ازمة تنفرجی[4] وجمیع القرآن والکتب المنزله فی تقریر هذا

اندر این اندیشه بیرون شد بکو — واندراین فکرت همی شد سوبسو ۵ — یك زمان مانع همی شد شرم وجاه — یکزمانی جوع میگفتش بخواه

پای پیش و پای پس تا ثلث شب — که بخواهم یا بخسبم خشك لب ۶ — ناگهانی خود عسس او را گرفت — چوب ها زد بیمحابا[5] نا شگفت

اتفاقاً اندر آن شب های تار — دیده بُد مردم ز شب دزدان ضرار ۷ — بود شب های مخوف و منتحس — بس بجد میجست دزدان را عسس

تا خلیفه گفت که ببرید دست — هر که شب گردد و گر خویش من است ۸ — بر عسس کرده ملك تهدید و بیم — که چرا باشید بر دزدان رحیم

عشوهاشان از چه رو باور کنید — یا چرا ز ایشان قبول زر کنید ۹ — رحم بر دزدان و هر منحوس دست — بر ضعیفان زحمت و بیرحمی است

هین ز رنج خاص مگسل زانتقام — رنج او کم بین نگردد[6] رنج عام ۱۰ — اصبع ملدوغ[7] بُر در دفع شر — در تعدّی و هلاك تن نگر

کشته دزد انبه درآن ایام بس — کان فقیر افتاد در دست عسس ۱۱ — اتفاقاً اندر آن ایام دُزد — گشته بود انبوه و پخته و خام دزد

در چنین وقتش بدید وسخت زد — چوب ها و زخم های[8] بی عدد ۱۲ — نعره وفریاد ازآن درویش خاست — که مزن تا من بگویم حال راست

گفت اینك دادمت مهلت بگو — تا بشب چون آمدی بیرون بکو ۱۳ — تونهٔ زاینجا غریب و منکری — راست گو تا تو بچه مکر اندری

اهل دیوان برعسس طعنه زدند — که چرا دزدان کنون انبه شدند ۱۴ — انبهی از تُست و از یاران[9] تست — وانما یاران زشتت را نخست

ورنه کین جمله را از تو کشم — تا شود ایمن ز شر هر محتشم ۱۵ — گفت او از بعد سوگندان پُر — که نیم من خانه سوز و کیسه بُر

من نه مرد دزدی و بیدادیم ۱۶ — من غریب مصرم و بغدادیم

در بیان حدیث الصدق طمانینة والکذب ریبة[10]

قصهٔ آن خواب و گنج و زر بگفت — پس زصدق او دل آنکس شکفت ۱۸ — بوی صدقش آمد از سوگند او — سوز او پیدا شد از اسپند او

دل بیارامد ز گفتار صواب — انچنانکه تشنه آرامد ز آب ۱۹ — جز دل محجوب کو را علتیست — از نبی اش تا غبی تمیز نیست

ورنه آن پیغام کز موضع بود — بر زند بر مه شکافیده شود ۲۰ — مه شکافد وان دل محجوب نی — زانکه مردود است اومحبوب نی

چشمه شد چشم عسس زاشك مبل — نی ز گفت خشك بل ازبوی دل ۲۱ — یك سخن ازدوزخ آید سوی لب — یك سخن ازشهر جان درکوی لب

بحر جان افزا و بحر پر حرج — درمیان هردو بحر این لب مرج[11] ۲۲ — بحر جان افزا و بحر عبرگاه — هردوان برلب گذر دارند و راه

چون پینلو در میان شهر ها — از نواحی آمد آنجا بهر ها ۲۳ — کالهٔ معیوب و قلب کیسه بُر — کالهٔ پر سود و مستشرف چو دُر

زان پینلو هر که بازرگان تراست — بر سر و بر قلبها دیده ور است ۲۴ — شد پینلو مر ورا دارُ الرباح[12] — وان دگر را از عمی دارالجناح

هر یکی ز اجزای عالم یك بیك — بر غبی بند است و بر اُستاد فك ۲۵ — بر یکی قنداست و بردیگر چوزهر[13] — بر یکی لطف است و بردیگر چوقهر

بریکی دیو است و بردیگر چوحور — بر یکی نار است و بردیگر چونور ۲۶ — بریکی گنج است و بردیگر چومار — بریکی ورد است و بردیگر چوخار

بریکی شیرین و بردیگر ترش — بر یکی مبهوت و بردیگر چوهش ۲۷ — بر یکی پنهان و بر دیگر عیان — بر یکی سود است و بردیگر زیان

بریکی بند است و بردیگر گشاد — بریکی قید است و بر دیگر مراد ۲۸ — بریکی نوش است و بردیگر چونیش — بریکی بیگانه بردیگر چو خویش

بریکی روز است و بردیگر چوشب — بریکی عیش است و بردیگر تعب ۲۹ — بر یکی محبوب و بردیگر عدو — بر یکی راح است و بر دیگر کدو

بریکی آبست و بردیگر چوخون — بر یکی اعجاز و بر دیگر فسون ۳۰ — بریکی حلوا و بر دیگر چوسمّ — بریکی سنگ است و بردیگر صنم

بریکی جسم است و بردیگر چوروح — بریکی حبس است و بردیگر فتوح ۳۱ — بریکی تیراست و بردیگر کمان — بریکی نان است و بر دیگر سنان

بریکی نقص است و بردیگر کمال — بریکی هجر است و بردیگر وصال ۳۲ — هر جمادی با نبی افسانه گو — کعبه با حاجی گواه و نطق جو

بر مصلی مسجد آمد هم گواه — کوهمی آمد بمن از دور راه ۳۳ — برخلیل آتش گل و ریحان بود — لیك بر نمرود آن[14] مرگ است و درد

بار ها گفتیم این را ای حسن — می نگردم از بیانش سیر من ۳۴ — بار ها خوردی تونان دفع ذبول — این همان نان است چون گشتی ملول[15]

در تو جوعی میرسد نو زاعتدال — که همی سوزد از او تخمه و ملال ۳۵ — هر کرا درد مجاعت نقد شد — نو شدن باجزو جزوش عقد شد

لذّت ازجوع است نه ازنقل نو[16] — با مجاعت از شکر به نان جو[17] ۳۶ — پس زبیجوعیست و ازتخمهٔ تمام[18] — این ملالت نی ز تکرار کلام

چون زدکان و مکاس و قیل وقال — وز فریب مردمت ناید ملال ۳۷ — چون زغیبت واکل لحم مردمان[19] — شصت سالت سیرئی نامد از آن

۵ـ مشت و چوبش زد زصفرا ۶ـ بگزین و بنگر ۸ـ برسرو بریشت چوب ۹ـ امثال ۱۴ـ باز بر نمرودیان ۱۶ ـ ای پسر ۱۸ـ نان جو به از شکر ۱۸ـ مدام (ن. ل.)

---

(۱) شبکوکی نوعی از گدایانند که شب برسر بلندی درمحلهٔ برآیند ویك یك اهل آن محله را دعا کنند تا بایشان اکرامی شود (۲) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ بقره یعنی چه بسیار که کراهت داشتید ازچیزی واوخیر شما بود (۳) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ عم (٤) سختی بکش زمانی چند تا شاد شوی (۷) ملدوغ گزیده شده واینجا گزیده شده بمارمراد است چون ازحکیم آنچه آمده یا خیرمحض است یا خیر کثیر پس عضوی که شقاقلوس دارد باید برید که بهمهٔ تن سرایت نکند (۱۰) یعنی صدق و راستی دل را آرام دهد وتسکین قلب فزاید و دروغ دل را در شك و شبهه اندازد و متزلزل سازد (۱۱) اشاره بآیه واقعه درسورهٔ رحمن مرج البحرین یلتقیان ومرج کناره دریا وراه فاصله بین دودریا را گویند (۱۲) پینلو محلی را گویند که امتعه و اقمشه و غله را از اطراف در آنجا آورند مانند میدان حالیه و آنرا جوبه نیز خوانند و معنی متاع و غله را هم میدهد (۱۳) چون سمندر و ماهی این آن را در نار هلاك می بیند و آن در نور است و آن این را در شرور می بیند و این در فرح و سرور است (۱۵) حاصل این بیت و چند بیت بعد این است که نفس مسوّله چون در اینها تزیین میکند پس از تکرار ملولی نیست و در مطلب حق تزیین نفس نیست و تزیین عقل ضعیف است و مآرب جزئیه نفس بسیار و حال آنکه بتکرار حالها و علمها ملکه شود چون ملك مسدّد الی الصواب گردد و ذکر وفکر بتکرار بتحقق انجامد وبنای آسمان بر تکرار است (۱۹) اشاره بآیه شریفه «ولایغتب بعضکم بعضاً ایحبّ احدکم ان یاکل لحم اخیه میتا» یعنی غیبت مکنید بعضی از شما بعضی را آیا خوش دارد یکی از شما بخورد گوشت برادر مُردهٔ خود را

مدحها در صید شله[1] گفته تو — بی ملالت همچو گل بشکفته تو ۱ — بار آخر گوئیش خوزان وچست — گرمتر صد بار از بار نخست
درد داروی کهن را نو کند — درد هر شاخ ملولی خو کند ۲ — کیمیای نو کنندهٔ درد ها است — کوملولی آن طرف که درد خاست
هین مزن تو از ملولی آه سرد — درد جو و درد جو هین درد درد ۳ — خادع دردند و درمانهای ژاژ — ره زنند و زر ستانان رسم باژ
آب شوری نیست درمان عطش — وقت خوردن گر نماید سردوخوش ٤ — لیك خادع گشت ومانع شدزجست — زآب شیرینی کزاو صدسبزه رست
همچنین هر زر قلبی مانع است — ازشناس زر خوش[2] هرجا که هست ٥ — بال و پر ت را بتزویری برید — که مراد تو منم گیر ای مرید
گفت دردت چینم و خود درد بود — خاربود ارچه بصورت ورد[3] بود ٦ — رو ز درمان دروغین میگریز — تاشود دردت مصیب[4] ومشك بیز

گفتن عسس خواب خودرا باغریب ونشان گنج دادن در خانهٔ او

گفت نی دزدی تو و نی فاسقی — مرد نیکی لیك گول و احمقی ۸ — بر خیال و خواب چندین ره کنی — نیست عقلت را تسوئی روشنی
بر خیالی این چنین راه دراز — پیش گیری از سر جهل و زآز ۹ — بار ها من خواب دیدم مستمر — که ببغداد است گنجی مستتر
درفلان کو در فلان موضع دفین — بود آن خود نام کوی آن حزین ۱۰ — هست در خانهٔ فلانی رو بجو — نام خانه گفت و نام کوی او[5]
دیده ام این خواب را من بارها — که برو آنجا بیابی گنج را ۱۱ — هیچ من از جا نرفتم زین خیال — تو بیك خوابی بیائی بی ملال
خواب احمق لایق عقل وی است — همچواو بی قیمت است ولاشی است ۱۲ — خواب زن کمتر ز خواب مردان — از پی نقصان عقل و ضعف جان
خواب ناقص عقل وگول آمد کساد — پس زبیعقلی چه باشد خواب باد ۱۳ — گفت باخود گنج درخانهٔ من است — پس مرا آنجا چه فقر وشیون است
بر سر گنج از گدائی مرده ام — زانکه اندر غفلت و در پرده ام ۱٤ — زین بشارت مست شد دردش نماند — صد هزار الحمد بی لب اوبخواند
گفت بد موقوف این لت لوت من[6] — آب حیوان بود در حانوت من ۱٥ — روکه زین لت صاحب لوتی شدم[7] — کوری آن وهم که مفلس بدم
خواه احمق گو و خواهی عاقلم[8] — یافتم من آنچه میخواهد دلم[9] ۱٦ — من مراد خویش دیدم بی گمان — هرچه خواهی گو مرا ای بددهان
تو مرا پر درد گو ای محتشم — پیش تو پردرد و پیش خود خوشم ۱۷ — وای اگر برعکس بودی این مطار — پیش تو گلزار وپیش خویش خار[10]

مثل

با فقیری گفت روزی یك خسی — که ترا اینجا نمیداند کسی ۱۹ — گفت او گر می نداند عامیم — خویش را من نیك می دانم کیم
وای اگر برعکس بودی دردوریش — او بدی بینای من من کورخویش ۲۰ — احمقم گیر احمقم من نیکبخت — بخت بهتر از لجاج و روی سخت
این سخن بر وفق ظنت میجهد ۲۱ — ورنه بختم داد عقلم میدهد

بازگشتن غریب مصر ببغداد و یافتن گنج را در خانهٔ خود

باز گشت از مصر تا بغداد او — ساجد و راکع ثنا گر شکر گو ۲۳ — جمله ره حیران و مست او زین عجب — ز انعکاس روزی و راه طلب
کز کجا امیدوارم کرده بود — وز کجا افشاند بر من سیم جود ۲٤ — این چه حکمت بود کان کان[11] مراد — کردم از خانه برون گمراه و شاد
تا شتابان در ضلالت میشدم — هردم از مطلب جدا تر می بدم ۲٥ — باز عین آن ضلالت را بجود — حق وسیلت کرد اندررشدو سود
گمرهی را منهج ایمان کند — کژ روی را مقصد عرفان کند ۲٦ — تا نباشد هیچ محسن بی وجا[12] — تا نماند هیچ خائن بی رجا
کرد تا گویند ذواللطف الخفی — نیست مخفی در نماز آن مکرمت — در گنه خلعت نهد آن مغفرت
اندرون زهر تریاك آن حفی — ذل شده عز و ظهور معجزات ۲۸ — قصدشان ز انکار ذل دین بده — عین ذل عز رسولان آمده
منکران را قصد اذلال ثقات — معجزه وبرهان چرا نازل[14] شدی ۲۹ — خصم منکر تا نشد مصداق خواه — کی کند قاضی تقاضای گواه
گر نه انکار آمدی از هر[13] بدی — بهر صدق مدعی در بی شکی ۳۰ — طعنه چون می آمد ازهر ناشناخت — معجزه میداد حق ومی نواخت
معجزه همچون گواه آمد ز کی — جمله ذل او و قمع او شده ۳۱ — ساحران آورده حاضر نیك و بد — تا که جرح معجزهٔ موسی کند
مکر آل فرعون سیصد تو شده — اعتبار او ز دلها بر کند ۳۲ — عین آن مکر آیت موسی شده — اعتبار آن عصا بالا شده
تا عصا را باطل و رسوا کند — تازند بر موسی و قومش سبیل ۳۳ — ایمنی امت موسی شود — کو بتحت الارض و هامون در رود
لشکر آرد بیعدد[15] تا حول نیل — وهم از سبطی کجا زائل شدی ۳٤ — آمد و در سبط افکند او گداز — تا بدانی کامن در خوفست راز
گر بمصر اندر بدی او نامدی — نار بنماید ولی نوری بود[16] ۳٥ — نیست مخفی مزد دادن در تقا — ساحران را اجر بین بعداز خطا
این بود لطف خفی کو را صمد — ساحران را وصل داد اندربرش[18] ۳٦ — نیست مخفی صبر با پای روا[19] — ساحران را صبر بین در قطع پا
نیست پنهان وصل اندرپرورش[17] — که گذر کردند از دریای خون ۳۷ — امنشان از عین خوف آمد پدید — لاجرم باشند هر دم در مزید
عارفان زانند دائم آمنون — خوف همبین درامیدی ای صفی ۳۸ — آن امیر از مکر بر عیسی تند — عیسی اندر خانه رو پنهان کند
امن دیدی گشته در خوفی خفی[20] — خود ز شبه عیسی آمد تاج دار ۳۹ — هی میاویزید من عیسی نیم — من امیرم بر جهودان خوش بیم
اندر آید تا شود او تاجدار — عیسی است ازدست ما تخلیص[21] جو ٤۰ — چند لشکر میرود تا بر خورد — برگ اونی گردد وبرسرخورد[22]
زوترش بردار آویزید کو

۱ـ شعرها در مدح قحبه ۲ـ نقدکان ۳ـ مات بود ار چه بظاهر برد ٤ـ مطیب ٥ـ ونام او گفت آن عدو ۷ـ براوت شگرفی برزدم ۸ـ خوان مرا خواهی فرو ۹ـ آن من شد هرچه میخواهی بگو ۱۰ـ زار ۱۱ ـ که قبلهٔ ۱۳ـ خود انکار هرمنکر ۱٤ـ لازم ۱٥ـ او بگه ۱۷ ـ اندر پرورش مخفی وصال ۱۸ـ او در قتال ۱۹ـ ای فتی ۲۱ـ تخلیط (ن . ل .)

---

(٦) لت زدنست واوت خوردنی میگوید روزی من که یافتن همان گنج باشد موقوف بود براینکه عسس مرا بزند (۱۲) زیرا که خستگی وفشارش ازاو نعمتی وعطائی است (۱٦) زیرا که تحت هر قهر لطفی است وتحت هر جلالی جمالی وهر بلائی ولائی و هر نقمتی نعمتی و هر زحمتی رحمتی (۲۰) این امن در خوف پنهان را دیدی که قوم موسی از فرعون خوف میداشتند آخر فرعون غرق شد و ایشان در عین خوف محفوظ ماندند از فضل حق والحال خوف را در عین امن مشاهده کن که آن سردار یهود میخواست که چون حضرت عیسی علیه‌السلام را بآسمان برداشتند وسردار یهود بشبههٔ حضرت عیسی از دست قوم خود کشته شد اینجا خوف در عین امن بظهور آمد (۲۲) نیزه گردد وبرگ سامان و اسبابست و ممکن است نیست گردد مقصود باشد و در بعضی نسخ فی گردد یعنی غنیمت و خراج شود اسباب او برای خصمش

چند بازرگان رود بر بوی سود — عید پندارد بسوزد همچو عود ۱ — چند در عالم بود بر عکس این — زهر پندارد بود آن انگبین
بس سپه بنهاددل برمرگ خویش — روشنیها و ظفر آمد به پیش ۲ — ابرهه با پیل بهر ذُلّ بیت[1] — آمده تا افکند حی را چو میت[2]
تا حریم کعبه را ویران کند — جمله را زان جای سرگردان کند ۳ — تا همه زوار گرد او تنند — کعبهٔ اورا همه قبله کنند
وز عرب کینه کشد اندر گزند — که چرا در کعبه ام آتش زنند ٤ — عین سعیش عزت کعبه شده — موجب اعزاز آن بیت آمده
مکیان را عزّ یکی بُد صد شده — تا قیامت عزّشان ممتد شده ٥ — او و کعبه اش میشود مخسوف تر — از چه است این از عنایات قدر
از جهاز ابرههٔ همچون دده — آن فقیران عرب منعم شده ٦ — او گمان بُرده که لشکر می کشد — بهر اهل بیت خود زر می کشد
اندر این فسخ عزایم وان همم[3] — در تماشا بوده بر ره هر قدم ۷ — خانه آمد گنج زر را باز یافت — کارش ازلطف خدائی سازیافت
تا بدانی حکمت فرد قدیم[4] — ایمنیها می نهد در خوف و بیم ۸ — ❀ یادم آمد قصهٔ شهزادگان — گوش هوش آور بمن بشنو بیان

مکرر کردن برادران پند برادر بزرگ و قبول ناکردن او و بیطاقتی او وخود را بیدستوری پدر بدربار پادشاه چین رسانیدن

آن دو گفتندش که اندر جان ما — هست پاسخهاچو نجم اندر سما ۱۱ — گر نگوئیم آن نیاید راست نزد — ور بگوئیم آن دلت آید بدرد
همچو چنزیم اندر آب از گفت الم — وز خموشی اختناق است و سقم ۱۲ — گر نگوئیم آتشی[5] را نور نیست[6] — ور بگوئیم این سخن دستور نیست
درزمان برجست کای یاران وداع — انما الدنیا و ما فیها متاع[7] ۱۳ — پس برون جست او چو تیری ازکمان — که مجال گفت کم بود آن زمان
اندر آمد مست پیش شاه چین — زود مستانه ببوسید او زمین ۱٤ — شاه را مکشوف یك یك حالشان — اوّل و آخر غم و زلزالشان
میش مشغول است درمرعای خویش — لیك چوپان واقفست ازحال میش ۱٥ — کلکم راع بداند زآن رمه[8] — که علف خوار است و کدر ملحمه[9]
گرچه درصورت ازآن صف دور بود — لیك چون دف درمیان سور بود ۱٦ — واقف ازسوز و لهیب آن وفود — مصلحت آن بُد که خشك آورده بود
در میان جانشان بُد آن سمی — لیك خود را کرده قاصد اعجمی ۱۷ — صورت آتش بود پایان دیگ — معنی آتش بود در جان دیگ
صورتش بیرون و معنی اندرون — معنی معشوق جان دررگ چوخون ۱۸ — شاهزاده نزد شه زانو زده — ده معرّف شاهد[10] حالش شده
گرچه شه عارف بُد از کل پیش پیش — لیك میکردی معرّف کار خویش ۱۹ — در درون یك ذرّه نور عارفی — به بود از صد معرّف ای صفی
گوش را رهن معرف داشتن — آیت محجوبیست و حزر[11] وظن ۲۰ — آنکه اورا چشم ودل شد دیده بان — دید خواهد چشم او عین العیان
با تواتر نیست قانع جان او — بل ز چشم دل رسد ایقان او ۲۱ — پس معرّف نزد شاه منتجب — در بیان حال او بگشود لب
گفت شاها صید احسان تو است — پادشاهی کن که او آن تو است[12] ۲۲ — دست درفتراك این دولت زدست — بر سر سرمست او میمال دست
گفت شه هر منصبی و مُلکتی — کالتماسش هست یابد آن فتی ۲۳ — بیست چندان ملك کو شد زان بری — بخشمش اینجا و ما خود بر سری
گفت تاشاهیت دروی عشق[13] کاشت — جز هوای توهوائی کی گذاشت ۲٤ — بندگیّ تش چنان در خورد شد — که شهی اندر دل او سرد شد
شاهی و شهزادگی در باخته است — از پی تو در غریبی تاخته است ۲٥ — صوفئی کانداخت خرقه وجد در — کی رود او بر سر خرقه دگر
میل سوی خرقهٔ داده وندم — آنچنان باشد که من مغبون شدم ۲٦ — بازده آن خرقه این سوای قرین — که نمی ارزید آن یعنی بدین
دور از عاشق که این فکر آیدش — ور بیاید خاك بر سر بایدش ۲۷ — عشق ارزد صد چو خرقهٔ کالبد — که حیاتی دارد و حسّ و خرد
خاصه خرقهٔ مُلك دنیا کابتر است — پنجدانگ هستیش دردسر است[14] ۲۸ — ملك دنیا تن پرستان را حلال — ما غلام ملك عشق بی زوال
عامل عشق است معزولش مکن — جز بعشق خویش مشغولش مکن ۲۹ — منصبی کانم زرویت مُحجب است — عین معزولیست نامش منصب است
موجب تاخیر اینجا آمدن — فقد استعداد بود و ضعف تن[15] ۳۰ — بی ز استعداد برکانی روی — بر یکی حبهٔ نگردی محتوی
همچو عنینی که بکری را خرد — گر چه سیمین بر بود کی برخورد ۳۱ — چون چراغی بی ززیت وبی فتیل — نی کثیرستش ز نور و نی قلیل
در گلستان آید اندر اخشمی — کی شود مغزش ز ریحان خرّمی ۳۲ — همچوخوبی[16] دلبری مهمان غرّ — بانگ چنگ و بربطی درپیش کر
یا چو مرغ خاك کاید در بحار — زان چه یابد جز هلاك وجز خسار ۳۳ — یا چو بی گندم شده در آسیا — جز سپیدی ریش و مونبود عطا
آسیای چرخ بر بی گندمان — مو سپیدی بخشد وضعف جنان[17] ۳٤ — لیك با باگندمان این آسیا[18] — ملك بخش آمد دهد کار و کیا
اوّل استعداد جنت بایدت — تا ز جنت زندگانی زایدت ۳٥ — طفل نورا از شراب واز کباب — چه حلاوت وز قصور و از قباب
حد ندارد این مثل کم گو سخن — تو برو تحصیل استعداد کن ۳٦ — بهر استعداد تا اکنون نشست — شوق ازحد رفت وآن نامد بدست
گفت استعداد هم از شه رسد — بی ز جان کی مستعد گردد جسد ۳۷ — لطفهای شه غمش را در نوشت — شد که صید شه کند خود صید گشت
هر که دراشکار چون توصید شد — صید را نا کرده قید او قید شد ۳۸ — هر که جویای امیری شد یقین — پیش ازآن[19] اندراسیری شد رهین
عکس میدان نقش دیباچهٔ جهان[20] — نام هر بندهٔ جهان خواجهٔ جهان ۳۹ — ای تن کژ فکرت معکوس رو — صد هزار آزاده را کرده گرو
مدتی بگذر از این حیلت پزی — چند دم پیش از اجل آزاد زی ٤۰ — وردر آزادیت چون خرراه نیست — همچو دلوت سیرَ جزدرچاه نیست

۱ـ بادام وده ۲ـ از برای ذُلّ کعبه آمده ٤ـ حکیم ٥ـ آشتی ۱۰ـ شارح ۱۱ـ حرز ـ خزر ۱۲ـ بی بیرون شواست ۱۳ـ مهر ۱٥ـ فن ۱٦ـ چینی ۱۷ـ میان (ن . ل .)

---

(۳) اشاره بحدیث عرفت الله بفسخ العزم ونقض الهمم (٦) آتش وادی ایمن ونارالله که نفس نطقیه قدسیه است چگونه روا باشد که بینور باشد (۷) اشاره بآیهٔ در سورهٔ مؤمن یاقوم انما هذه الحیوة الدنیا متاع و انّ الآخرة هی دارالقرار (۸) اشاره بحدیث کلکم راع یسئل عن رعیته یعنی همهٔ شماها مانند چوپانید که سؤال خواهید شد از رعیت خود یعنی نیك و بد آنها از شما سؤال خواهد شد (۹) کدام راحت طلب وکدام درمجاهده است با نفس (۱٤) دانگ سدس درهم است و اینجا معنی اینست که پنج سدسش درد سر است و یکسدس که درد سر نیست بجهت وسیلهٔ الی الله است (۱۸) با استعدادان از علم و عمل (۱۹) در علم قضا وقدر (۲۰) بس درویشی که توانگری وتوانگری که درویشیست وماتمها سور و سور ها ماتم و چه بندگی که آزادیست و چه آزادی که بندگیست وچه زندگی که مردن است و چه مردن که زندگیست

مدتی رو ترک جان من بگو — رو حریف دیگری جز من بجو ۱ — نوبت من شد مرا آزاد کن[1] — دیگری‌را غیر من داماد کن[2]
ای تن صد کاره ترک من بگو ۲ — عمر من بُردی کسی دیگر بجو

قصهٔ زن جوحی و عشوه دادن او قاضی را وبمکر و حیله در صندوق کردن

هر زمان جوحی ز درویشی بفن — رو بزن کردی که ای دلخواه من ۴ — چون سلاحت هست‌روصیدی بگیر — تا بدوشانیم از صید تو شیر
قوس ابرو تیر غمزه دام کید — بهر چه دادت خدا از بهر صید ۵ — رو بی مرغی شکرفی دام نه — دانه بنما لیك در خوردش مده
کام بنما و کن او را تلخ کام — کی‌خورد دانه چوشد محبوس دام ۶ — شد زن او نزد قاضی در گله — که مرا افغان ز شوی ده دله
قصه کوته کن که شد قاضی شکار — از جمال و از مقال آن نگار ۷ — گفت ایدر محکمه است و غلغله — من نتانم فهم کردن این گله
گر بخلوت آئی ای سرو سهی — وز ستم کاری شو شرحم دهی ۸ — فهم آن بهتر کنم بدهم سزاش — آنچه حق باشد توزین غمگین مباش
❀ مرمرا معلوم گردد حال تو — شوهرت را نرم سازم بی عتو ۹ — گفت خانهٔ تو زهر نیك و بدی — باشد از بهر گله آمد شُدی
خانهٔ سر جمله پر سودا بود — صدر پُر وسواس و پُرغوغا بود ۱۰ — باقی اعضا ز فکر آسوده اند — وان صدورازصادران فرسوده‌اند
همچو شاخ از برگ و از میوهٔ کهن — گرد خالی تا رسد از امر کن ۱۱ — برگها و میوه های نو ز غیب — از پی آن کهنگی بی هیچ ریب
در خزان و باد خوف حق گریز — آن شقایقهای پارین را[3] بریز ۱۲ — کاین شقایق منع نو اشکوفهاست — که درخت دل برای آن نماست
خویش‌را درخواب کن زین افتکار — سر ز زیر خواب دریقظه برآر ۱۳ — همچوآن‌اصحاب‌کهف‌ای‌خواجه‌زود — رو بایقاظاً که تحسبهم رقود[4]
گفت قاضی کای‌صنم تدبیر[5] چیست — گفت خانهٔ این کنیزك بس تهیست ۱۴ — خصم درده رفت‌وحارس نیز نیست — بهرخلوت سخت زیبا[6] مسکنیست
امشب ار امکان بود آنجا بیا — کارشب بی سمعه است و بی ریا ۱۵ — جمله جاسوسان زخمرخواب مست — زنگی‌شب جمله‌را گردن زده است
خواند بر قاضی فسونهای عجب — آن شکر لب وانگهانی ازچه لب ۱۶ — چند با آدم بلیس افسانه کرد — چونکه‌حوّا گفت خور آنگاه خورد
اوّلین خون در جهان ظلم و داد — از کف قابیل بهر زن فتاد ۱۷ — نوح تابهٔ خانه می پرداختی[7] — واهله بر تابه سنگ انداختی[8]
مکر زن بر فنّ او چیره شدی — آب صافی وعظ او تیره شدی ۱۸ — قوم را پیغام کردی از نهان — که نگه‌دارید دین زین گمرهان
❀ لوط را زن همچنین بُدکافره — خوانده باشی قصهٔ آن فاجره ۱۹ — ❀ یوسف از کید زلیخای جوان — مانده در زندان برای امتحان
❀هر بلا کاندر جهان بینی عیان — باشد از شوی زن در هرمکان ۲۰ — مکر زن پایان ندارد رفت شب — قاضی زیرك سوی زن بهر دبّ

رفتن قاضی بخانهٔ زن جوحی و حلقه زدن جوحی بتندی و خشم بردر وگریختن قاضی در صندوق

زن دوشمع و نُقل مجلس ساز کرد — زان نوازش شاد شد قاضی فرد ۲۲ — ❀ چونکه بنشستند با هم ساعتی — تا بر آسایند اندر خلوتی
چون نشست‌اوپهلوی زن با مراد — گشت جان پُرغمش زان وصل‌شاد ۲۳ — اندر آن دم جوحی آمد در بزد — جُست قاضی مهربی تا در خزد
غیر صندوقی ندید او خلوتی — رفت درصندوق ازخوف آن فتی ۲۴ — اندرآمد جوحی‌وگفت ای حریف — ای وبالم در ربیع و در خریف
من چه دارم که فدایت نیست آن — تا ز من فریاد داری هر زمان ۲۵ — ❀ گفت شخصی نزد قاضی رفتهٔ — در حقم ناگفتنی ها گفتهٔ
بر لب خشکم گشادستی زبان — گاه مفلس خوانیم که قلتبان ۲۶ — این دو علت گر بود ای جان مرا — آن یکی از تُست و دیگر از خدا
من چه دارم غیراین صندوق‌کان — هست مایهٔ تهمت و پایهٔ گمان ۲۷ — خلق پندارند زر دارم درون — صله[9] واگیرند از من زین ظنون
صورت صندوق بس‌عالیست[10] لیك — ازرخوت وسیم وزر خالیست نیك ۲۸ — چون تن زُراق خوب‌و با وقار — واندرآن صله نیابی غیر مار
من برم صندوق را فردا بکو[11] — پس بسوزم درمیان چار سو[12] ۲۹ — تا ببیند مؤمن و گبر وجهود[13] — کاندراین صندوق جز لعنت نبود
گفت زن هی‌درگذرای مرد ازاین — خورد سوگندان که نکنم جزچنین ۳۰ — ❀ بارسن صندوق راهردم بیست — خویشتن را کرده بُد مانند مست
از پگه حمال آورد او چو باد — زود آن صندوق بر پشتش نهاد ۳۱ — اندرونش قاضی از بیم نکال — بانگ میزدکای حمال وای حمال
کرد آن حمال از هرسو[14] نظر — کز چه سو درمیرسد بانگ‌و خبر ۳۲ — هاتف‌است این داعی من ای‌عجب — یا پری‌ام میکند پنهان طلب
چون بپایی گشت آن آوازه بیش — گفت هاتف نیست بازآمد بخویش ۳۳ — عاقبت دانست کان بانگ و فغان — بُدز صندوق و کسی دروی نهان
عاشقی کو در پی[15] معشوق رفت — گرچه‌بیرون‌است‌درصندوق‌رفت[16] ۳۴ — عمر درصندوق بُرد از اندهان — جز که صندوقی نبیند از جهان
آن سری که نیست فوق آسمان — ازهوس اورا درآن صندوق دان ۳۵ — چون ز صندوق بدن بیرون شود — اوز کوری[17] سوی‌گوری‌میرود[18]
این سخن پایان ندارد قاضیش — گفت ای‌حمال‌و[19] ای‌صندوق‌کش ۳۶ — از من آگه کن درون محکمه — نایم را زود تر با آن همه
تا خرد این را بزر زین بی‌خرد — همچنین بسته بخانهٔ ما برد ۳۷ — ای خدا بگمار قومی رحم[20] مند — تا زصندوق بدن مارا[21] خرند
خلق را از بند صندوق فسون — که خرد جز انبیاء و[22] مرسلون ۳۸ — ازهزاران‌کس‌یکی‌خوش‌منظراست — که بداند کو بصندوق اندر است
❀ آنکه داند تونشانش آن شناس — کو ز روح اینجهان دارد هراس ۳۹ — آنجهان را دیده باشد پیش از آن — تا بدان ضدّ این ضدش‌گردد عیان
زین‌سبب‌که علم ضالهٔ مؤمن‌است[23] — عارف ضاله خود است‌وموقن‌است ۴۰ — آنکه هرگز روز نیکو را ندید — او در این ادبارکی خواهد طپید

۳- گو ۵- معمول - مقصود ٦- نیکو ۷- چون برتابه بریان ساختی ۹- داد ۱۰- زیباست ۱۱- بگاه ۱۲- تا بسوزانم میان چارراه ۱۳- یهود ۱٤- پیش وپس - راست وچپ ۱۵- غم ۱۷- نوری ۱۹- از صندوق ۲۰- روح ۲۱- مان وا (ن.ل.)

---

(۱) نوبت تجرّد من است از تن طبیعی (۲) یعنی بخطبهٔ دیگری درآی چنانکه شیوهٔ عناصر جسد ها است که هروقتی در حبالهٔ نفسی از نفوسند (٤) اشاره است بآیه کریمهٔ وتحسبهم ایقاظاً وهم رقود در سورهٔ کهف یعنی گمان میکردی ایشان را بیدار وحال آنکه در خواب بودند (۸) زن نوح واهله نامداشت یعنی تا بآن تابهٔ وعظ و نصیحت غذای روح پختی او سنگ برتابه زدی و آن پخته را خام کردی (۱٦) چه محدود است که بهرچه نفس رو آرد رنگ او پذیرد بخلاف عاشق حقیقت که محیط باشد و فوق آسمان (۱۸) ممکن است هم هر دو گور باشد یعنی اینجا در گور تن آنجا هم در گور عالم صور محاط است یا در هردو نا بینائی باشد (۲۲) نبوت دوقسم است تشریعی که موهبتی است و کسبی نیست و تعریفی که اعم است وهرولی را و هر مؤدبی را حتی‌المعلم فی المتعلمین را شامل است (۲۳) در خبر است که الحکمة ضالة المؤمن یعنی علم ودانش گمشدهٔ مؤمن است که دایم او را جوید

یا بطفلی در اسیری اوفتاد — یا ز اوّل خود ز مادر بنده زاد ۱ — ذوق آزادی ندیده جان او — هست صندوق صور میدان او
دائماً محبوس عقلش در صُور — از قفص اندر قفص دارد گذر ۲ — منفذش نی از قفص سوی علا — در قفس ها میرود از جا بجا
در نُبی ان استطعتم تنفذوا [1] — این سخن با انس وجن آمد زهو ۳ — گفت منفذ نیست از گردونتان — جز بسلطان و بوحی آسمان
گر ز صندوقی بصندوقی رود — او سمائی نیست صندوقی بود ٤ — فرجهٔ صندوق نونو منکر [2] است — در نیابد کو بصندوق اندر است [3]
گر نشد غرّه بدین صندوقها — همچو قاضی جوید اطلاق و رها ٥ — آنکه داند این شناسش زآن نشان — کو نباشد بی هراس و بی فغان
همچو قاضی باشد او را ارتعاد — گی برآید یك‌دمی ازجانش [4] شاد ٦ — ❀ رهروی را گفت آن‌حال شاد — که برو در محکمهٔ قاضی چو باد
❀نایبش را گوی کاین شد واقعه — بر سر قاضی بیامد قارعه ۷ — ❀شغل را بگذارو زود اینجا بیا — زو بخر سربسته این‌صندوق را
❀چونکه‌رهروشدرسالت‌را رساند — هر که زو بشنید این خیره بماند ۸ — ❀ برد القصه خبر صندوق کش — نایب قاضی حسن را از غمش

آمدن نایب قاضی میان بازار و خریداری کردن صندوق را از جوحی

نایب آمد گفت صندوقت بچند — گفت نهصد بیشتر زر میدهند ۱۰ — من نمی آیم فرو تر از هزار — گر خریداری تو پیش آزر شمار [5]
گفت شرمی دار ای کوته نمد [6] — قیمت صندوق خود پیدا بود [7] ۱۱ — گفت بی‌رؤیت شری خود فاسدیست — بیع ما زیر گلیم این‌راست نیست
بر گشایم گر نیارزد مخر — تا نباشد بر تو حیفی ای پدر [8] ۱۲ — گفت ای ستار بر مگشای راز — سر بسته مبخرم با من بساز
ستر کن تا با تو ستاری کنند — تا نبینی ایمنی بر کس مخند ۱۳ — بس‌دراین‌صندوق‌چون‌تومانده اند — خویش را اندر بلا بنشانده اند
آنچه برخودخواهدت بودن [9] پسند — بردگر کس آن‌کن ازرنج‌و گزند ۱٤ — آنچه تو بر خود روا داری همان — می‌بکن از نیك واز بد با کسان
وانچه نپسندی‌بخود از نفع وضرّ — بر کسی مپسند هم ای بی هنر ۱٥ — زانکه بر مرصادحق اندر کمین [10] — می دهد پاداش پیش ازیوم دین
آن عظیم العرش‌عرش او محیط — تخت دادش برهمه جان ها بسیط ۱٦ — گوشهٔ عرشش بتو پیوسته است — هین مجنبان جز بدین وداددست
رو مراقب باش براحوال خویش — نوش بین درداد وبعداز ظلم‌نیش ۱۷ — پس همین‌جا خود جزای‌نیك وبد — میرسد با هر کسی چون بنگرد
وانجزا کانجا رسد در یوم دین — هیچ او با این نماند نیك بین ۱۸ — بیحد و بی عد بود آنجا جزا — دوزخ و نار است جای نا سزا
گفت آری آنچه کردم استم است — لیك هم میدان که‌بادی‌اظلم است [11] ۱۹ — گفت نایب یك بیك ما بادئیم [12] — با سواد وجه اندر شادئیم
همچوآن‌زنگی که‌بدشادان وخوش — او نبیند غیر او بیند رخش ۲۰ — ماجرا بسیار شد در من یزید — داد صد دینار آن از وی خرید
هر زمان [13] صندوقئی‌ای نا [14] پسند — هاتفان و غیبیانت می خرند ۲۱ — این یقین میدان کاسیر و بندهٔ — زانکه در صندوق غمها ماندهٔ
بند هرچه گشتهٔ از نیك و بد — هر یکی‌بر توچوصندوقیست سدّ ۲۲ — تا نگردی زاین همه آزاد تو — کی شود ای جان ز غم‌دلشاد تو

در بیان حدیث نبوی که من کنت مولاه فهذا علی مولاه [15]

زین سبب پیغمبر با اجتهاد — نام خود وآن علی مولا نهاد ۲٤ — گفت هرکو را منم مولا و دوست — ابن عمّ من علی مولای‌اوست
کیست مولا آنکه آزادت کند — بند رقیّت ز پایت بر کند [16] ۲٥ — چون بآزادی نبوّت هادی‌است — مؤمنان را ز انبیا آزادی است
ای‌گروه مؤمنان شادی کنید — همچو سروسوسن آزادی‌کنید ۲٦ — لیك میگوئید هر دم شکر آب — بیزبان چون گلستان‌خوش‌خضاب
بی زبان گویند سرو وسبزه زار — شکر آب و شکر عدل نوبهار ۲۷ — حلها پوشیده و دامن کشان — مست ورقّاص وخوش‌وعنبرفشان
جزو جزو آبستن از شاه بهار — جسمشان چون دُرج‌پرُدرّ ثمار ۲۸ — مریمان بی شوی آبست از مسیح — خامُشان بی‌لاف‌و گفتاری فصیح
ماه ما بی نطق خوش برتافته است — هرزبان‌نطق‌از فراو [17] یافته‌است ۲۹ — نطق عیسی از فر مریمُ بود — نطق آدم پرتو آن دم بود
تا زیادت گردد از شکرای ثقات — بس نبات دیگر است اندرنبات ۳۰ — عکس آن اینجاست ذُل من قنع — اندراین طوراست عزّمن‌طمع [18]
در جوال نفس خود چندین مرو — از خریداران خود غافل مشو ۳۱ — ❀تا نمانی تو پریشان‌حال از آن — آنچنان فرمود ای صاحب دل‌آن

باز آمدن زن جوحی سال دیگر نزد قاضی و شناختن قاضی او را

بعد سالی باز آن‌جوحی ز فن [19] — روبزن کردو بگفت ای‌چست‌زن ۳۳ — آن وظیفهٔ پار را تجدید کن — پیش قاضی از گلهٔ من گوسخن
زن بر قاضی در آمد با زنان — مر زنی را کرد آن زن ترجمان ۳٤ — تا بنشناسد ز گفتن قاضیش — یاد ناید از بلای ماضیش
هست فتنهٔ غمزهٔ غماز زن — لیك آن‌صد توشود ز آواز زن ۳٥ — چون نمی‌یارست [20] آوازی فراشت — غمزهٔ تنهای زن سودی نداشت
گفت قاضی رو تو خصمت‌را بیار — تا دهم کار تو را باوی قرار ۳٦ — جوحی آمد قاضیش نشناخت زودْ — کو بوقت لقیه در صندوق بود
زو شنیده بود آواز از برون — در شری و بیع ودر نقص‌وفزون ۳۷ — گفت نفقهٔ زن چرا ندهی تمام — گفت کز جان شرع راهستم غلام
لیك اگر میرم ندارم من کفن — درقمارم‌مفلس [21] وشش‌پنج‌زن [22] ۳۸ — زین سخن قاضی مگر بشناختش — یاد آورد ان دغل وآن باختش
گفت آن شش پنج با من باختی — پار واندر شش درم انداختی ۳۹ — نوبت من رفت امسال آن قمار — با دگر کس بازدست ازمن بدار

۲ـ مسکر ۳ـ بسته صندوق وغافل زین سر است ٤ـ کی شود زین غم دلش یکلحظه ٥ـ گشا کیسه بیار ٦ـ ازاهل خرد ۷ـ کس بدان مقدار این را کی خرد ۸ـ مصر ۹ـ خواه آن باشد ۱۳ـ دمی ۱٤ـ بد ۱۷ـ ما ۱۹ـ جوحی‌ازمحن ۲۰ـ چونکه نتوانست ۲۱ـ مفلس این لعبم (ن. ل)

---

(۱) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ رحمن یا معشرالجن والانس ان استطعتم ان تنفذوامن اقطارالسموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان (۱۰) در سورهٔ فجر واقع شده انّ ربّك لبالمرصاد (۱۱) از امثلهٔ عرب‌است که‌البادی اظلم یعنی آنکه آغازستم نمود ستمکار تر است (۱۲) یعنی آنزن تو بادی است واشارتی‌دارد بآنکه جنبش از باد است در ما یك بیك (۱٥) فرمود علیه‌السلام که کسی را که باشم من‌مولای او یعنی دوست ومحب وناصر او پس‌علی‌مولا ودوست ومحب‌وآقای‌اوست(۱٦) چه به‌آداب نبوت وطریقت‌ولایت روح تابع وپیرو از بندگی نفس وشیطان خلاص شود پس نبی‌و ولی آزاد کننده اند تابعان را و مولای مؤمنانند وتعبیر از مطلق ولایت بعلی عالی بسبب کلیت آن جنابست (۱۸) اشاره است بحدیث عزّ من قنع و ذلّ من طمع میفرماید در اینجا بعکس است قناعت کردن بنعمتی از نعمای‌حق‌وبسبب شکر اورا زیاد نکردن مایهٔ ذلت است وطمع کردن در رحمت وبخشش الهی مایهٔ عزت‌است (۲۲) یعنی از مفلسی‌شش پنج قمار میزنم وهمه طور سعی‌درکارها کرده تلاش میکنم

ازشش و از پنج عارف گشت فرد — محترز گشت است زین شش پنج نرد ۱ — رست او زین پنج حس و شش جهت — از ورای آن همه کرد آگهت
شد اشاراتش اشارات ازل — جاوز الاوهام طرّاً و اعتزل[1] ۲ — زین چه شش گوشه گر نبود برون — چون بر آرد یوسفی را ازدرون
واردی بالای چرخ بی ستن[2] ۳ — جسم او چون دلو درچه چاره کن — یوسفان چنگال در دلوش زده — رسته از چاه و شه مصری شده
دلو های دیگر از چه آب جو — دلو او فارغ زآب[3] اصحاب جو ٤ — دلو ها غوّاص آب از بهر قوت — دلو اوقوت و حیات جان حوت
دلوها وابستهٔ چرخ بلند — دلو او در اصبعین زورمند ٥ — دلوچه یا حبل چه یا چرخ چی — این مثالی بس رکیکست ای اجی
از کجا آرم مثالی بی شکست — کفواو نی آید و نی[4] آمدست ٦ — صد هزاران مرد پنهان دریکی — صد کمان و تیر درج ناوکی
ما رمیتَ اذ رمیت فتنهٔ — صد هزاران خرمن اندر حفنهٔ ۷ — آفتابی در یکی ذرّه نهان — ناگهان آن ذرّه بگشاید دهان
ذرّه ذرّه گردد افلاك و زمین — پیش آن خورشید چون جست از کمین ۸ — این چنین جانی چه[5] درخورد تن است — هین بشو ای تن ازاین جان هر دو دست
ای تن گشته وثاق جان بس است — چند تاند بحر در مشکی نشست ۹ — ای هزاران جبرئیل اندر بشر — ای مسیحای نهان در جوف خر[6]
⊛ای کلیم الله نهان اندر نمد — واقف است از خوف و رست از بند و بد ۱۰ — ⊛ای حبیب الله نهان در غار تن — گنج ربانی نهان در مار تن
ای هزاران کعبه پنهان در کنیس — ای غلط انداز عفریت و بلیس ۱۱ — سجده گاه لا مکانی در مکان — مر بلیسان را ز تو ویران دکان
که چرا من سجدهٔ[7] این طین کنم — صورتی دون را لقب چون دین کنم ۱۲ — نیست صورت چشم را نیکو بمال — تا ببینی شعشعهٔ نور جلال

باز آمدن بقصهٔ شاهزاده و ملازمت او در حضرت پادشاه

شاهزاده پیش شه حیران این — هفت گردون دیده در یك مشت طین[8] ۱٤ — هیچ ممکن نی بیحثی لب گشود — لیك جان باجان دمی خامش نبود
آمده در خاطرش کاین بس خفیست — اینهمه معنیست پس صورت زچیست ۱٥ — صورتی از صورتت بیزار[9] کن — خفتهٔ مر خفته را بیدار[10] کن
آن کلامت میرهاند از کلام — وآن سقامت میجهاند از سقام ۱٦ — پس سقام عشق جان صحت است — رنجهایش حسرت هرراحت است
ای تن اکنون دست خود زین جان بشو ۱۷ — ور نمی شوئی جز این جانی بجو

در بیان نوازش و احترام شاه چین شاهزادهٔ غریب را

حاصل آن شه نیك اورا می نواخت — او ازآن خورشید چون مه می گداخت ۱۹ — آن گد از عاشقان باشد نمو[11] — همچو ماه اندرگدازش تازه رو
⊛جمله رنجوران دوا دارند امید — نالد این رنجور کم افزون کنید ۲۰ — جمله رنجوران شفا یابند و این — رنج افزون جوید و دردو حنین
خوبتر زین سمّ ندیدم شربتی — زین مرض خوشتر نباشد صحتی ۲۱ — زین گنه بهتر نباشد طاعتی — سالها نسبت بدین دم ساعتی
مدّتی بُد پیش آن شه زین نسق — گفت شاه ازهرکسی یك سر بُرید — من از او هر لحظه قربانم جدید
من فقیرم اززر و از سر غنی[12] — صدهزاران سر خلف داد آن سنی[13] ۲۳ — با دوپا در عشق نتوان تاختن — با یکی سر عشق نتوان باختن
هرکسی را خود دو پاو سرتن نادر است — با هزاران پاو سرتن نادر است ۲٤ — زین سبب هنگامها شد کل هدر — هست این هنگامه هر دم گرمتر
معدن گرمیست اندر لا مکان — هفت دوزخ از شرارش یك دخان ۲٥ — ⊛ز آتش دوزخ گریزان شد جحیم — زانکه ایشان راست پرناز ونعیم

دربیان حدیث جر یا مؤمن فان نورك اطفا ناری

زآتش مؤمن ازاین روای صفی — می شود دوزخ ضعیف و منطفی ۲۷ — گویدش بگذر سبك ای محتشم — ورنه زآتشهای تو مُرد آتشم
کفر که کبریت دوزخ اوست وبس[14] — بین چه بخسایند اورا این نفس[15] ۲۸ — زود کبریتت بدین سوزا[16] سپار — تا نه دوزخ بر تو تازد نه شرار
گویدش جنت گذر کن همچو باد — ورنه گردد هرچه من دارم کساد ۲۹ — که تو صاحب خرمنی من خوشه چین — من بتی ام تو ولایتهای چین
هست لرزان زوجحیم وهم جنان ۳۰ — نی مراین رانی مرآن را زوامان

وفات یافتن برادر بزرگ آن شاهزادگان و ملازمت کردن برادر میانه پادشاه چین را

رفت عمرش چاره را فرصت نیافت — صبر بس سوزان بُد وجان بر نتافت ۳۲ — مدتی دندان کنان این میکشید — تا رسیده عمر او آخر رسید
صورت معشوق ازاوشد در نهفت — رفت و شد با معنی معشوق جفت ۳۳ — گفت لبسش گر زشعر شوشتر است — اعتناق بی حجابش خوشتر است
من شدم عریان زتن او از خیال — میخرامم در نهایات الوصال ۳٤ — این مباحث تا بدینجا گفتنیست — هرچه آید بی سبب بنهفتنیست
گر بپوشی ور بگوئی صد هزار — هست بیگار و نگردد آشکار ۳٥ — تا بدریا سیر اسب و زین بود — بعد از آنت مرکب چوبین بود
مرکب چوبین بخشکی ابتر است — خاص مردریائیان را رهبر است ۳٦ — این خموشی مرکب چوبین بود — بحریان را خامشی تلقین بود
هر خموشی کان ملولت میکند — نعره های عشق زانسو میزند ۳۷ — تو همیگوئی عجب خامش چراست — او همی گوید عجب کوشش کجاست
من ز نعره کر شدم او بیخبر — تیز گوشان زین سمر هستند کر ۳۸ — آن یکی در خواب نعره میزند — صد هزاران بحث و تلقین میکند
این نشسته پهلوی آن بیخبر — خفته خود آنست و کرزان شور و شر ۳۹ — آن کسی کش مرکب چوبین شکست — غرقه شد درآب او خود ماهی است
نه خموش است ونه گویا نادریست — حال او را در عبارت نام نیست ٤۰ — نیست این دو هر دو هست آن بوالعجب — شرح آن گفتن برون است از ادب
این مثال آمد رکیك وبی ورود — لیك در محسوس از این بهتر نبود ٤۱ — ⊛حاصل آن شهزاده ازدنیا برفت — جانش پر آذر[17] جگر پرسوز تفت

۳ـ چاه ٥ـ که ۷ـ خدمت ۹ـ صورت از بی صورتی آباد ۱۰ـ منقاد ۱۲ـ محتشم ۱۳ـ دارد سرم ۱٤ـ کان کبریت نار دوزخ است ۱٥ـ که چون میرد از اوای خود پرست ۱٦ـ سودا ۱۷ـ دودو

---

(۱) یعنی گذشته عارف از عالم وهم و پندار همه و عزلت اختیار نموده (۲) اشاره بآیه در سورهٔ یوسف فارسلوا واردهم فاولی دلوه (٤) یکی از وجوه آیه لیس کمثله شئی آنست که «لیس کمثله الاعلی (بفتح ثاء) شیی» چه انسان کامل که مثل اعلای حق است ثانی ندارد چه وحدت او نیز وحدت حقه است ولی حقهٔ ظلیه نه وحدت عددیه چون مقام بشری او که وحدتش عددیه است ووحدت حق حقیقی تعالی وحدت حقه حقیقیه است (٦) یعنی در جوف خورشید (۸) چون شطری از انسان کامل گفت اینجا اشارت بتاویل بشاهی کرد که انسان کامل است که اسم اعظم حق است واسم از وجهی عین مسمی است واز وجهی غیر آن (۱۱) درآثار درعلامت نفس کلیه الهیه آمده است بقاءٌ فی فناء نعیمٌ فی شقاء عزٌ فی ذلٍ حیوةٌ فی مماة

آمدن برادر میانه بجنازهٔ برادر که آن برادر کوچك بر فراش رنجوری بود و نواختن پادشاه او را تا ملازم شود و صد هزار از غنائم غیبی و عینی بدو رسیدن از نظر شاه

کوچکین رنجور بود و آن وسط — بر جنازهٔ آن بزرگ آمد فقط ۳
پس معرّف گفت پور آن پدر — این برادر زان برادر خرد تر ٤
از نوازشهای آن شاه وحید[1] — در تن خودغیر جان جانی بدید[2] ٥
❀ در دل خود یافت حالی غلغله — که نیابد صوفی آن در صد چله ٦
ذرّه ذرّه پیش او چون آفتاب[4] — دمبدم میکرد صد گون فتح باب ۷
درنظرها چرخ بس[6] کهنه و قدید — پیش چشمش هردمی خلقی جدید[7] ۸
صدهزاران غیب پیشش شد پدید — آنچه چشم محرمان بیند بدید ۹
از غبار موکب آن شاه نر — یافت او کحل عزیزی دربصر ۱۰
گلشنی کز نقل[9] روید یکدم است — گلشنی کز عقل روید خرّم است ۱۱
علمهای با مزهٔ دانسته مات — زان گلستان یکدوسه گلدسته دان ۱۲
آنچنان مفتاحها هر دم بنان — می فتد هر دم دریغا از بنان ۱۳
باز استسقات چون شد موج زن — ملك شهری بایدت پر نان وزن ۱٤
اژدهای هفت سر دوزخ بود — حرص تو دانه‌است ودوزخ فخ بود ۱٥
چون تو عاشق نیستی ای نرگدا — همچو کوهی بی خبر داری صدا ۱٦
گفت تو زانرو که عکس دیگریست — جمله احوالت بغیر عکس نیست ۱۷
آن عوان را آن ضعیف آخر چه کرد[12] — که دهد او را بکینه زجر و درد ۱۸
تا که گفتارت ز حال تو بود — سیر تو با پرّ و بال تو بود ۱۹
باز صید آرد بخود از کوهسار — لاجرم شاهش خوراند کبك وسار ۲۰
منطقی کز وحی نبود از هواست — همچو خاکی برهواو در هباست ۲۱
تا که ما ینطق محمد عن هوی — ان هو الاّ بوحیٍ احتوی[15] ۲۲
❀ تا بدانی که محمد از هوا — وا نگفت و گفت از وحی خدا ۲۳
بی تحرّی و اجتهادات هدی — هر که بدعت پیشه گیرد از هوا ۲٤
عاد را باد است حمّال خذول — همچو برّه در کف مرد اکول ۲٥
عادیان را باد زاستکبار بود — یار می پنداشتند اغیار بود ۲٦
بادرا بشکن که بس فتنه است باد — پیش ازآن کت بشکنداو همچوعاد ۲۷
لشکر حق است باد و از نفاق — چند روزی با شما کرد اعتناق ۲۸
این همان باداست کایمن میگذشت — بودهمچون جان وهمچون مرگ گشت ۲۹
باد را اندر دهان بین رهگذر — هر نفس آیان روان با کرّ و فر ۳۰
کوه گردد ذرّه و باد و ثقیل — درد دندان داردش زار و علیل ۳۱
ای دهان غافل بدی ز این بادرو — از بن دندان در استغفار شو ۳۲
چون دم یزدان[19] نپذرفتی زمرد — وحی حق را هین پذیرا شوزدرد ۳۳
زانکه مامورم امیر خود نیم — من چو تو غافل ز شاه خود کیم ۳٤
عاریه‌ستم گشتمی ملك کفت[20] — کردمی بر راز خودمن واقفت[21] ۳٥
پس چو عادت سر نگونیها دهم — زاسپه تو[22] یاغیانه بر جهم ۳٦
آن زمان خود جملگان مؤمن شوند — آن زمان خودسر کشان برسردوند ۳۷
آن زمان زاری کنند و افتقار — همچو دزد و راهزن در زیردار ۳۸
رستی از پیکار و کار خودکنی — هم تو شاه وهم تو طبل خودزنی ۳۹

شاه دیدش گفت قاصد کاین کی است — که ازآن بحر است واین هم ماهی است
شه نوازیدش که هستی یادگار — کرد اورا هم بدین پرسش شکار
در دل خود یافت عالی عالمی — کان نیابد کس بصد خلوت همی
عرصه‌ودیوار وسنگ وکوه یافت[3] — پیش اوچون نارخندان می‌شکافت
باب که روزن شدی و که شعاع — خاك که گندم شدی وگاه صاع[5]
روح زیبا چونکه وارست ازجسد — از قضا بی‌شك چنین چشمش رسد
آنچه اواندرکتب بر خوانده بود[8] — چشم را بر صورت آن بر گشود
یافت او کحل عزیزی دربصر — جزوجزوش نعره زن هل من مزید
گلشنی کز گل دمد گردد تباه — گلشنی کز دل دمد وافرحتاه
زان زبون این دوسه گلدسته‌ایم — کاین در گلزار برخود بسته‌ایم
می فتد هر دم دریغا از بنان — گرد چادر گردی و عشوهٔ[10] زنان
ور دمی هم فارغ آرندت زنان — یکسرت بود این زمانی هفت‌سر
مار بودی اژدها گشتی مگر — باز کن درهای این نو خانه را
دام را بدران بسوزان دانه را — عکس غیراست آن‌صدا ای معتمد
کوه را گفتار کی باشد ز خود — شادی و قوّادی و خشم عوان
خشم‌وذوقت هست[11] عکس دیگران — جهد کن تا گرددت این واقعه
تا بکی عکس خیال لامعه[13] — لاجرم بی‌بهره است[14] ازلحم طیر
صید گیرد تیر هم با پرّ غیر — لاجرم شاهش خوراند لحم کبك
باز با پرّ خودآرد صید شبك — زاوّل والنجم برخوان چند خط
گر نماید خواجه را این دم غلط — جسمیان را ده تحرّی و قیاس
احمدا چون نیستت ازوحی پاس[16] — که تحرّی نیست در کعبهٔ وصال
گر ضرورت هست مرداری حلال — نی سلیمان است تا تختش کشد
همچو عادش بر برد باد و کشد — میبرد تا بکشدش قصاب وار
همچو فرزندش نهاده بر کنار — خردشان بشکست آن بش القرین
چون بگردانید ناگه پوستین — بر کند از دستتان این باد ذیل
هود دادی پند کای پرکبرخیل — چون اجل آید بر آرد باد دست
اوبسرّ با خالق خود راست است — وقت خشم آن دست میگرددبوس
دست آنکس گر بگردت دست بوس[17] — حق چو فرماید بدندان در رود[18]
حلق و دندانها از آن ایمن بود — که ببر این باد را ای مستعان
یارب و یارب بر آرد او ز جان — منکران را درد الله خوان کند
چشم سختش اشکها باران کند — گه خبر خبر آورم گه شور وشر
باد گوید پیکم از شاه بشر — چون سلیمان گشتمی حمّال تو
گر سلیمان وار بودی حال تو — میکنم خدمت تورا روزی سه‌چار
لیك چون تو یاغئی من مستعار — آن‌زمان کایمانت مایهٔ غم شود
❀ تا بغیب ایمان تو محکم شود — نی دو روزه مستعار و نی سقیم
رو نماید[23] پادشاهیّ مقیم — مالك‌دارین و شحنهٔ خود توئی[25]
لیك گر درغیب گردی مستوی[24] — کاش‌خوردی خاك این حلق‌ودهان

۱ـ از نوازشاه آن زارحنید ٤ـ همچون قباب ٦ـ چرخ بنموده ورا ۹ـ بقل ۱۰ـ عشق ۱۱ـ هردو ۱٤ـ گشت ۱٦ ـ وهم پاس ۱۷ ـکان بدهد عطاها بی عبوس ۱۸ـ فتد ۱۹ـ مردان ۲۰ـ ملکت زجان ۲۱ـ بودمی مأمور امرت جاودان ۲۲ـ برسپاهت ۲۳ـ شحنگی ۲٤ ـ اگر با غیب اکنون بگروی ۲٦ـ شاهنشه شوی (ن ٠ ل ٠)

---

(۲) یعنی ملئان شد از بادهٔ تجلی شاه که عقل کل است بحیثیتی که کأنّهُ خمرٌ ولا قدحٌ (۳) یعنی همه نورالله ومجلی تجلی‌الله شدند درشهود او (٥) اشاره است بسعهٔ مراتب وبآنکه ذرّه آفتاب گردد وخاك بر افلاك شود (۷) پیش چشم شاهزاده هردم تجلی تازه است اشاره است بآیه بل هم فی لبسٍ من خلقٍ جدید (۸) علم حصولی او حضوری شد ودانش بینش گردید (۱۲) ضعیف مقهور عوان داندکه قاهریت از شحنه‌است و عوان آلت اوست (۱۳) یعنی تا کی عکس خواهی بود جهد کن که باصل پیوندی و بکلی فانی دراو و باقی باو باشی (۱٥) اشاره بآیه واقعه در سورهٔ والنجم « والنجم اذا هوی ماضلّ صاحبکم وماغوی وما ینطق عن‌الهوی، ان هوالا وحیٌ یوحی » یعنی قسم بستاره در آن‌زمان که فرو رود که صاحب‌وآشنای شما که رسول‌است نه گمراه است‌و ازراه دور افتاده ونمیگوید بخواهش نفس‌خود مگر بوحی الهی‌که بر آن الهام میشود

این دهان خود خاک خواری آمده است — لیک خاکی را که آن رنگین شده است ۱
این کباب و این شراب و این شکر — خاک رنگین است[1] و نقشین ای پسر[2] ۲
چونکه خوردی و شد آنها لحم و پوست — رنگ لحمش داد و این هم خاک کوست ۲
هم ز خاکی بخبه بر گل میزنند — جمله را هم باز خاکی میکنند ۳
هندو و قبچاق و رومی و حبش — جمله یکرنگند اندر گور خوش ۳
تا بدانی کان همه نقش و نگار — جمله روپوش است و ملک[3] مستعار ۴
رنگ باقی صبغة الله است و بس — غیر آن بربسته دان همچون جرس ۴
رنگ کفران و شک و شرک و نفاق — تا ابد باقی بود بر صادقین[4] ۴
برق و فر روی خوب صادقین — تا ابد باقی بود بر جان عاق ۵
چون سیه روئی فرعون دغا — رنگ او باقی و جسم او فنا ۵
خاک را رنگی و فرهنگی[6] دهد — تن فنا شد وان بجا[5] تا یوم دین ۶
زشت آن زشت است و خوب آن خوب و بس — دایم این ضحاک و آن اندر عبس ۶
شیر و اشتر نان شود اندر دهان — طفل خویان را[7] بر آن جنگی دهد ۷
از خمیری اشتر و شیری پزند — کودکان از حرص آن کف میزنند[8] ۷
کودک اندر جهل و پندار و شک است — در نگیرد این سخن با کودکان ۸
دامن پر خاک ما چون کودکان — رفته از سر جهد اسباب و دکان ۸
طفل را استیزه و صد آفت است — شکر باری قوت او اندک است[9] ۹
وای از آن طفلان که پیری میکنند — لنگ مورانند و میری میکنند ۹
چون سلاح و جهل جمع آمد بهم — شکر آن کو بی فن و بی آلت[10] است ۱۰
وای از آن پیران طفل نااديب — گشته از قوت بلای هر لبیب[11] ۱۰
شکر کو خاک را رنگی دهد — گشت فرعونی جهانسوز از ستم ۱۱
شکر کن ای مرد در رویش از قصور — که ز فرعونی رهیدی و از کفور ۱۱
ایمن از فرعونی و هر فتنهٔ — خالی اشکم لاف اللهی نزد ۱۲
کاتشش را نیست از هیزم مدد ۱۲
اشکم خالی بود زندان دیو — کش غم نان مانع است از مکر و ریو ۱۳
اشکم پر لوت دان بازار دیو — تاجران دیو را در وی غریو ۱۳
تاجران ساحران لاشی فروش[12] — عقلها را تیره کرده از خروش ۱۴
خم روان گردد ز سحری چون فرس — کرده کرباسی ز مهتاب و غلس ۱۴
چون بریشم خاک را بر می تنند — خاک بر چشم ممیز میزنند ۱۵
چندلی را رنگ عودی میدهند — بر کلوخیان حسودی میدهند ۱۵
پاک آن کو خاک را رنگی دهد — همچو کودکان بر آن چنگی دهد ۱۶
دامن پر خاکان چون کودکان — در نظرمان خاک همچون زر کان ۱۶
طفل را با بالغان نبود جدال[13] — طفل را حق کی نشاند بارجال ۱۷
میوه گر کهنه شود تا هست خام — پخته نبود غوره خوانندش بنام ۱۷
گر شود صد ساله آن خام ترش — طفل و غوره است او بر هر تیزهش ۱۸
گرچه باشد ریش و موی او سپید — هم در آن طفلی خوف است و امید ۱۸
ماند خواهم نا رسیده یا رسم — حق کند با من غضب یا خود کرم ۱۹
که رسم یا نا رسیده ماندم — ای عجب با من کند کرم آن کرم ۱۹
با چنین نا قابلی و دوری — بخشد این غوره مرا انگوری ۲۰
نیستم امیدوار از هیچ سو — وان کرم میگویدم لا تیأسوا[14] ۲۰
کردآن خاقان ما طوئی نکو[15] — گوش ما را میکشد لا تقنطوا[16] ۲۱
گرچه ما زین نا امیدی در گویم — چون صلا زددست اندازان رویم ۲۱
دست اندازیم چون اسبان سپس[17] — در دویدن سوی مرعای انس ۲۲
گام اندازیم و آنجا گام نی — جام پردازیم و آنجا جام نی ۲۲
زانکه آنجا جمله اشیا جانی است — معنی اندر معنی و ربانی[18] است[19] ۲۳
هست صورت سایه معنی آفتاب — نور بی سایه بود اندر خراب ۲۳
چونکه آنجا خشت برخشتی نماند — نور مه را سایهٔ زشتی نماند ۲۴
خشت اگر زرین بود بر کند نیست — چون بجای[20] خشت وحی و روشنیست ۲۴
کوه بهر دفع سایه مندک است — پاره گشتن بهر این نور اندک است ۲۵
بر برون که چو زد نور صمد — پاره شد تا در درونش هم زند ۲۵
گرسنه چون برکفش زد قرص نان — واشکافد از هوس چشم و دهان ۲۶
صد هزاران پاره گشتن ارزد این — از میان چرخ برخیز ای زمین ۲۶
تا که نور چرخ گردد سایه سوز — شب ز سایهٔ تست ای باغی روز ۲۷
این زمین[21] چون گاهوارهٔ کودکان — باغ را تنگ میدارد مکان ۲۷
بهر طفلان حق زمین را مهد خواند[22] — شیر در گهواره بر طفلان فشاند ۲۸
خانه تنگ آمد ازین گهواره ها — طفلکان را زود بالغ کن شها ۲۸
هان مکن ای گاهواره خانه تنگ — تا تواند رفت بالغ بی درنگ ۲۹
خانه ایگهواره رو ضیق مدار — تا تواند کرد بالغ انتشار ۲۹

در بیان استغنا و عجب شاهزاده و زخم خوردن از باطن شاه

چون مسلم گشت بی بیع و شری — از درون شاه در جانش جری ۳۱
قوت میخوردی ز نور جان شاه — ماه جانش همچو از خورشید ماه ۳۱
راتبهٔ جانی ز شاه بی ندید — دم بدم در جان مستش میرسید ۳۲
آن نه کش ترسا و مشرک میخورند[23] — زان غذائی کش ملایک میچرند ۳۲
اندرون خویش استغنا بدید — گشت طغیانی ز استغنا پدید ۳۳
که نه من هم شاه و هم شهزاده ام — چون عنان خود بدین شه داده ام ۳۳
چون مرا ماهی بر آمد با لمع[24] — پس چرا باشم غباری را تبع ۳۴
آب در جوی من است و وقت ناز — ناز غیر از چه کشم من بی نیاز ۳۴
سر چرا بندم چو درد سر نماند — وقت روی زرد و چشم تر نماند ۳۵
چون شکر لب گشته ام عارض قمر — باز باید کرد دکان دگر ۳۵
سرو قد و ماه رخساری مراست — همچو من شهزادهٔ اکنون کجاست ۳۶
زین منی چون نفس زائیدن گرفت — صد هزاران ژاژ خائیدن گرفت ۳۶
صد بیابان زان سوی حرص و حسد — تا بدانجا چشم بد هم می رسد ۳۷
بحر شه که مرجع هر آب اوست — چون نداند آنچه اندر سیل و جوست ۳۷
شاه را دل درد کرد از فکر او — نا سپاسی عطای بکر او ۳۸
گفت آخر ای خس واهی ادب — این سزای داد من بود ای عجب ۳۸
من چه کردم با تو زین گنج نفیس — تو چه کردی با من از خوی خسیس ۳۹
من ترا ماهی نهادم در کنار — که غروبش نیست تا روز شمار ۳۹
در جزای آن عطای نور پاک — تو زدی در دیدهٔ من خار و خاک ۴۰
من ترا بر چرخ گشته نردبان — تو شده در حرب من تیر و کمان ۴۰
درد غیرت آمد اندر شه پدید — عکس درد شاه اندر وی رسید ۴۱
مرغ دولت در عتابش بر طپید — پردهٔ آن گوشه گشته پر درید ۴۱

۲ـ پدر ۳ـ مکر ٤ ـ عابدین ٥ ـ بقا ٦ـ رنگ و فن وشنگی ۷ـ همچو کودکان ۸ـ میگزند ـ میزنند ۱۰ـ قوت ۱۱ ـ رقیب ۱۳ـ مجال ۱۵ـ دائماً خاقان ما کردست طو ۱۸ـ اندر معنی ۲۰ـ بهای ۲۱ مکان (ن. ل.)

---

(۱) چون عنصر قالب خاك است والا اصول كائنات چهار عنصر است وهمه‌را كه باصل قابلی برگردانی همین‌خاك وآب وآتش‌وهوایند و باید بدانی كه هرحسن صوری ومعنوی كه هست از اصل فاعلی است له‌الملك وله‌الحمد (۹) این شكر ها برتوفیق جبریست كه آن هم نعمتی است عظمی خاصه برای نفوس نطقیهٔ ضعیفه (۱۲) چه متاع دنیا همه چون حباب وچون سرابست (۱٤) اشاره بآیه درسورهٔ یوسف لا تیأسوا من روح‌الله(۱٦) آیه در سورهٔ زمر لاتقنطوا من رحمةالله (۱۷) یعنی بعد از صلازدن (۱۹) چه نشئه معنی سه است معانی مضافه كه نفوس ناطقه باشند و معانی مرسله‌كه عقول كلیه‌اند ومعنی‌المعانی كه غیب‌الغیوب‌وفوق‌التمام است (۲۲) درسورهٔ عم است «الم‌نجعل‌الارض‌مهادا» آیانساختیم زمین را فراشی گسترده (۲۳) گرچه گبروترسا وظیفه خور دارد (۲٤) وقتیكه برای من ماه با این پرتو ونورانیت بالا آمد

چون‌درون‌خود بدیدآن‌خوش[1] پسر — از سیه کاری خود ناخوش[2] اثر ۱ — آن وظیفهٔ لطف و نعمت کم شده — خانهٔ شادیٔ او پر غم شده
با خود آمد او ز مستیٔ عقار — زان گنه گشته سرش خانهٔ خمار ۲ — ❀هر که خود بینی کند در راه دوست — مغز را بگذاشت کلی دید پوست
❀دشمن من درجهان خودبین مباد — زانکه از خود بین نیاید جز فساد ۳ — ❀می از آن آمد حرام اندر جهان — که خوری خودبین شوی اندر زمان
❀بهتر ازخود رو تصوّر نایدت — وین همه ازنفس خود بین زایدت ٤ — ❀آنکه باخود میخورد می باخوداست — اینچنین می خواره خوار و مرتداست
❀وانکه با او میخورد بادش حلال — وانکه بی اودم زند بادش وبال ٥ — ❀چونکه با اومی خورم از جام هو — چشم بگشایم ببینم روی او
❀بعد ازآن ازخود بکلی بگسلم — هم ز می‌خوردن شود این حاصلم ٦ — ❀ایکه میخواهی که ازخود بگسلی — تا کی اندر بند این جان و دلی
❀جان بجانان واگذارای جان من — تا ببینی یار دل رنجان من ۷ — ❀دل بدلداری ده و آزاد شو — غم خور او باش وازوی شادشو
❀نفس خود برخود مگردان چیرتو — زود او را باز گیر از شیر تو ۸ — ❀هرچه هست آن مستئی دارد یقین — خواه شیر و خواه خمر و انگبین
❀مستی گندمُ بد آن ای آدمی — که بکرد آن آدمی را اعجمی ۹ — خورده گندم حله زو بیرون شده[3] — خلد بروی بادیه و هامون شده
دیدکان شربت ورا بیمار کرد — زهر آن ما و منیها کار کرد ۱۰ — جان چون طاوس در گلزار ناز — همچو جغدی شد بویرانهٔ مجاز
همچو آدم دور ماند او از بهشت — در زمین میراند گاوی بهرکشت ۱۱ — اشك میراند او که ای هندوی[4] زاو[5] — شیر را کردی اسیر دُمّ گاو
کردی ای نفس بدبارد[6] نفس — بی حفاظی با شه فریاد رس ۱۲ — دام بگزیدی ز حرص گندمی — بر تو شد هر گندم او کژدمی
در سرت آمد هوای ما و من — قید بین بر پای خود پنجاه من ۱۳ — نوحه میکرد این نمط برجان خویش — که چرا گشتم ضد سلطان خویش
آمد او با خویش و[7] استغفار کرد — با انابت چیز دیگر یار کرد ۱٤ — درد کان از وحشت ایمان بود — رحم کن کان درد بی درمان بود
مر بشر را خود مبا جامهٔ درست — چون رهید از صبر در حین صدر جست ۱٥ — مر بشر را پنجه و ناخن مباد — کونه دین اندیشد آنکه نی سداد
آدمی اندر بلا کشته به است — نفس کافر نعمت است و گمره[8] است ۱٦ — ❀نفس کافر خود همی ندهد امان — گشت طاغی چونکه فارغ شد زنان
❀ آدمی خود مبتلا بهتر بود ۱۷ — زانکه زار و عاجز و مضطر بود

خطاب حقتعالی بعزرائیل که ترا رحم بر که بیشتر آمد از این خلایق که قبض روح ایشان کردی وجواب دادن او حضرت عزّت را

حق بعزرائیل میگفت ای نقیب[9] — بر که رحم آمد تورا از هرکئیب ۲۰ — گفت بر جمله دلم سوزد بدرد — لیك نتوان امر را اهمال کرد
تا بگویم کاشکی یزدان مرا — در عوض قربان کند بهر[10] فتی ۲۱ — گفت بر که بیشتر رحم آمدت[11] — ازکه دل پر سوزو بریان‌ترشدت
گفت روزی کشتئی بر موج تیز — در شکستم ز امرتا شد ریز ریز ۲۲ — پس بگفتی قبض کن جان همه — جز زنی با طفلکی اندر[12] رمه
هر دو آن بر تختهٔ در ماندند — موجها آن تخته را میراندند ۲۳ — ❀چون بساحل اوفکند آن تخته باد — از خلاص هر دو ام دل گشت شاد
باز گفتی جانِ مادر قبض کن — طفل را بگذار تنها ز امر کن ۲٤ — چون ز مادر بگسلیدم طفل را — خود تو میدانی چه تلخ آمد مرا
بس بدیدم درد ماتمهای زفت — تلخی آن طفل از یادم نرفت ۲٥ — گفت حق آن طفل را ازفضل خویش — موج را گفتم فکن در بیشه ایش
بیشهٔ پر سوسن و ریحان و گل — بر درخت میوه دار خوش اکل ۲٦ — چشمه های آب شیرین زلال — پروریدم طفل را با صد دلال
صدهزاران مرغ و مطرب خوش صدا — اندر آن روضه فکنده صد نوا ۲۷ — بسترش کردم ز برگ نسترن — کردم او را ایمن از صدمهٔ فتن
گفته مر خورشید را کو را مگز — باد را گفتم بر او آهسته وز ۲۸ — ابر را گفتم بر او باران مریز — برق را گفتم بر او مگرای تیز
زین چمن ای دی مبر آن اعتدال ۲۹ — پنجه‌ای بهمن[13] بر این روضه مال

ذکر کرامات شبان راعی و بیان معجزهٔ هود

همچوآن شبان که از گرگ عنید[14] — وقت جمعه بر رعا خط می‌کشید ۳۱ — تا برون ناید از آن خط گوسفند — نی در آید دزد و گرگ باگزند
بر مثال دائره تعویذ[15] هود — کاندر آن صرصر امان آن بود ۳۲ — هشت روزی اندراین خطّ تن زنید — وز برون مثله تماشا میکنید
بر هوا بردی فکندی بر حجر — تا دریدی عظم و لحم ازیکدگر ۳۳ — یك گرُه را برهوا برهم زدی[16] — تاچوخشخاش استخوان ریزان شدی[17]
آن سیاست را که لرزید آسمان — مثنوی اندر نگنجد شرح آن ۳٤ — گر بطبع این میکنی ای باد سرد — گرد خط دائرهٔ آن هود گرد
❀ وربحرص این میکند گرگ نژند — گو بیا در خط راعی کن گزند ۳٥ — ای طبیعی فوق طبع این ملك بین — یا بیاو محو کن از مصحف این
مقریان را منع کن بندی بنه — یا معلم را بمال و سهم ده ۳٦ — عاجزی وخیره کاین عجز از کجاست — عجز توتابی از آن روزجزاست
عجزها داری تو در پیش ای لجوج — وقت شد پنهانیان را نك خروج ۳۷ — خرّم آن کاین عجز و حیرت قوت اوستّ — در دوعالم خفته اندر ظلّ دوست
هم درآخر[18] عجز خودرا اوبدید[19] — مرده شد دین عجایز بر گزید[20] ۳۸ — چون زلیخا یوسفی بروی بتافت — از عجوزی درجوانی راه یافت
زندگی درمردن و در محنت است — آب حیوان دردرون ظلمت است ۳۹ — ❀ همچنان نمرود آن الطاف را — زیر پا بنهاد از جهل و عمی

۱ـ شه ۲ـ گرد و ٤ـ استاد ٦ـ سرد بد ۷ـ چونکه با خویش آمد ۸ـ عید قربان را چوقوچی فربه ۱۰ـ کشتی بجای هر ۱۱ـ رحم افزونتر بدت ۱۲ـ وغیر طفلی زان ۱٦ـ کوفتی برهم چنان ۱۷ـ که شدی ریزان چوخشخاش استخوان ۱۸ـ اوّل ۱۹ـ هم درآخور عجز دید (ن.ل.)

---

(۳) اشاره بمضمون آیه واقعه درسورهٔ طه «فبدت لهما سواتهما وطفقا یخصفان علیهما من ورق الجنة» (٥) زاو بنیاد وبنامعنی میدهد ولی دراینجا بمعنی قوی وزبردست و پرزورآمده (۹) نقیب عریف وسرشناس است ونقبا ازاولیای خدا آنانندکه متحقق اند باسم الباطن پس مشرفند بربواطن مردم بقوّت الله واستخراج ضمائرکنند باذن الله تعالی (۱۳) بهمن معانی زیاد دارد ودراینجا مناسب یا فرشته است یاماه دوم زمستان (۱٤) شبان راعی یکی ازمشایخ عرفاست که چوپانی میکرده ووقتی بنماز جمعه میرفت بدور گله خطی میکشید که نه گوسفندی از آن خارج میشد و نه گرگ و دزدی بدرون خط داخل میگردید (۱٥) تعویذ پناه دادن و بر طلسمات و عزائم هم اطلاق می شود (۲۰) اشاره است به علیکم بدین العجایز گویند عجوزی چرخهٔ خود را جرکت داد و گفت جائی که این چرخه بی محرکی حرکت نکند چرخ باین عظمت بی محرك و صانعی چگونه برپا ماند و حرکت کند و جمعی گویند که این حدیث نیست بلکه کلام سفیان ثوری است .

رجوع بقصهٔ پروردن حقتعالی نمرود را بشیر پلنگ

حاصل آن روضه چوباغ[1] عارفان[2] — از سموم و صرصر آمددر امان ۲ — یك پلنگی طفلکان نوزاده بود — گفتم اورا شیر ده طاعت نمود
پس بدادش شیرو خدمتهاش کرد — تاکه بالغ گشت وزفت‌وشیر مرد ۳ — چون فطامش شد بگفتم بابری[3] — تا در آموزند نطق و داوری
پرورش دادم مر اورا زین چمن — که بگفت اندر نیاید فن[4] من ٤ — داده من ایوب را مهر پدر — بهر مهمانی کرمان بی ضرر
داده کرمان را براو مهر ولد — بریدر من اینت قدرت اینت ید ٥ — مادران را مهر[5] من آموختم — چون بود شمعی که من افروختم
صد عنایت کردم و صد رابطه — تا ببیند لطف من بی واسطه ٦ — تا نباشد از سبب در کشمکش — تا بود هر استعانت از منش
تا خود از ما هیچ عذری نبودش — شکوهٔ نبود ز هر یار بدش ۷ — این حضانت دید[6] باصد رابطه — که بپروردم ورا بیواسطه
شکر او آن بود ای بندهٔ جلیل — که شد او نمرود وسوزندهٔ خلیل ۸ — همچنان کاین شاهزاده شکر شاه — کرد ز استکبار و استکثار جاه
که چرا من تابع غیری شوم — چونکه صاحب ملك واقبالی بوم[7] ۹ — لطفهای شه که ذکر آن گذشت — از تبختر بر دلش پوشیده گشت
همچنان نمرود آن الطاف را — زیر پا بنهاد از جهل و عمی ۱۰ — این زمان کافر شد و ره میزند — کبر و دعوی خدائی میکند
رفت سوی آسمان با جلال[8] — با سه کرکس تا کند بامن قتال[9] ۱۱ — صد هزاران طفل بی‌تلویم را[10] — کشت او تا یابد ابراهیم را
که منجم گفت اندر حکم سال — زاد خواهد دشمنی بهر قتال ۱۲ — هین بکن دردفع آن خصم احتیاط — هرکه میزائید میکشت از خباط
کوری او رست طفل وحی کش — ماند خونهای دگر در گردنش ۱۳ — از پدر یابیدآن ملك ای عجب — تا غرورش داد ظلمات نسب
دیگران را گراب وأم شد حجیب — او ز ما یابید گوهر ها بجیب ۱٤ — گرگ درنده است نفس بد یقین — چه بهانه مینهی بر هر قرین
در ضلالت هست صد کل را کله — نفس زشت کفر ناك پر سفه ۱٥ — زین سبب میگویم ای بندهٔ فقیر — سلسله از گردن سگ بر مگیر
گرمعلم گشت‌این‌سگ هم سگ‌است — باش ذلت نفسه کو بدرگ است ۱٦ — فرض می آری بجا گر طائفی — بر سهیلی چون ادیم طائفی
تاسهیلت واخرد از ننگ پوست — هم شوی‌چون موزهٔ برپای‌دوست ۱۷ — جمله قرآن‌شرح خبث نفسهاست — بنگراندرمصحف آن چشمت‌کجاست
ذکر نفس عادیان کالت بیافت — در قتال انبیا مو می‌شکافت ۱۸ — قرن قرن از نفس شوم بی‌ادب — میفتاد اندر جهان میزد لهب

رجوع بقصهٔ شاهزاده‌که زخم خورده از خاطر شاه پیش از استکمال فضایل دیگر از دنیا برفت

قصه کوته کن‌که رأی نفس کور[11] — برد اورا بعد سالی سوی گور ۲۰ — شاه چون‌از محوشد سوی وجود — خشم[12] مریخیش‌آن‌خون‌کرده بود
چون بترکش بنگرید آن بی‌نظیر — دید کم از ترکشش یکچوبه تیر ۲۱ — گفت‌کو آن تیروازحق باز جست — گفت اندر حلق او آن تیر تست
عفو کرد آن شاه دریا دل ولی — آمده بد تیر او بر مقتلی ۲۲ — کشته شد در نوحهٔ او میگریست — اوست جمله هم کشنده‌هم ولیست
ورنباشد هردواوپس‌جمله[13] نیست — هم کشندهٔ خلق و هم‌ماتم‌کنیست ۲۳ — شکر میکرد آن شهید زرد خد — کان بزد بر جسم و بر معنی‌نزد
جسم ظاهر عاقبت‌خود رفتنیست — تا ابد معنی بخواهد شاد زیست ۲٤ — آن عتاب ازرفت‌هم برپوست‌رفت — دوست بی آزار سوی دوست‌رفت
گر چه او فتراك شاهنشه گرفت — آخر از عین الکمال او ره‌گرفت ۲٥ — وآن سیم کاهلترین هرسه بود — صورت و معنی بکلی در ربود
❀ دختر وملك‌و خلافت‌اوگرفت — می سزد گر زاین نمانی‌درشگفت ۲٦ — ❀ من ز طول قصه‌گشتستم‌ملول — من غریق بحر معنی تو عجول
آن کهین از ذلت‌و عجز و نیاز — ۲۷ یافت مقصود از کریم وکار ساز

مثل وصیت‌کردن آنشخص‌که سه پسر داشت‌که میراث او بکاهل ترین اولاد او دهند

آن یکی مردی‌بوقت مرگ‌خویش — گفته بود اندر وصیت پیش‌پیش ۲۹ — سه‌پسربودش چو سه سر وروان — وقف ایشان کرده او جان‌وروان
گفت‌هرچه کاله و سیم و زراست — آن برد زان هرسه‌کوکاهلتراست ۳۰ — گفت با قاضی و بس‌اندرز کرد — بعد ازآن جام شراب‌مرگ وخورد
گفته فرزندان بقاضی کای کریم — نگذریم از حکم او ما سه یتیم ۳۱ — سمع‌وطاعت میکنیم‌اوراست دست — آنچه او فرمود بر ما نافذ است
ما چو اسمعیل ز ابراهیم خود — سر نپیچیم ار چه قربان میکند ۳۲ — گفت قاضی هر یکی با عاقلیش — تا بگوید قصهٔ از کاهلیش
تا ببینم کاهلی هر یکی — تا بدانم حال هر یك بیشکی ۳۳ — آن سوم کاهلترین هرسه بود — صورت معنی بکل او را ربود
عارفان از دو جهان کاهل ترند — زانکه بی شدیار[14] خرمن میبرند ۳٤ — کاهلی را کرده اند ایشان سند — کار ایشان را چو یزدان میکند
کار یزدان را نمی بینند عام — می نیاسایند از کد صبح و شام ۳٥ — ❀کار دنیا رازکل کاهل ترند — دررهٔ عقبی ز مه گو میبرند
❀این گزیند هرکه‌او باشد رشید — هین که دنیا رفت و عقبی دررسید ۳٦ — ❀مهترین راگفت قاضی باز گو — قصهٔ از کاهلی ای مال جو
هین ز حد کاهلی گوئید باز — تا بدانم حد آن از کشف راز ۳۷ — ❀هین زحد کاهلی شرحی دهید — تا ببینم من بچه‌حد کاهلید
بیگمان خود هر زبان پردهٔ‌دلست — چون‌بجنبدپرده‌سرها واصل‌است[15] ۳۸ — پردهٔ کوچك‌چو یك شرحهٔ کباب — می بپوشد صورت صد آفتاب
گربیان نطق کاذب نیز هست[16] — لیك‌بوی‌ازصدق‌وکذبش‌مخبراست ۳۹ — آن نسیمی که بیاید از چمن — هست پیدا از سموم گولخن
بوی صدق وبوی کذب گول گیر — هست پیدادرنفس‌چون مشك‌وسیر ٤۰ — ❀بوی اخلاص ونفاق بی مزه — هست ظاهر همچو عود وانگزه[17]
گر ندانی یار را از ده دله — از مشام فاسد خود کن گله ٤۱ — ❀ ورندانی توعجوز ازشاهدی — بیگمان گشته است چشمت فاسدی

۱ـ جان ٤ـ نگنجد لطف ٥ـ دأب ۷ـ نوم ۸ـ آن بیونا ۹ـ کشد یعنی مرا ۱۱ـ رشك آن غیور ۱۲ـ چشم ۱۳ـ کل ۱٥ـ رؤیت حاصل است ۱٦ـ رهبر است (ن.ل.)

---

(۲) یعنی روضه‌ای که پیش از ذکر کرامات شبان راعی ذکر شد (۳) یعنی چون موقع از شیر گرفتنش شد با پری گفتم (٦) این دایگی و محافظت شدن (۱۰) اگر علامت مفعول باشد متعلق است بطفل که مفعول لفظ کشت است و اگر مخفف رای باشد متعلق بتلویم است یعنی بی رای منسوب بملامت وعلی ای تقدیر معنی آنست که بجز نفس اماره و مسوله هیچ نبود ونفس لوامه که فی‌الجمله سعادتی دارد نداشت و در خون بیگناهان ریختن خود را ملامت نمیکرد ومیم تلویم بسکون است (۱٤) شدیار و شدکار هر دو بمعنی شخم کردن زمین است بجهت کشت (۱۷) بوی‌اخلاص و نفاق مثل بوی عود وصمغ است انگزه بمعنی‌صمغ وبسیار بدبو میباشد .

❀ ورتو نشناسی شکر راازصبر — بیگمان شد حسّ ذوق تو خدر ۱ — ❀ وریکی‌شد صوت بلبل‌باغراب — هست‌بی شك حسّ سمع توخراب
❀ور یکی‌گشتت سوروخاریشت — حسّ لمس تو بتو بنمود پشت ۲ — بانگ جزان و شجاعان دلیر — هست پیدا چون فن روباه وشیر
❀ چارهٔ کار حواس‌خویش کن — وانگهی راه طلب در پیش کن ۳ — یازبان همچون سردیگست‌راست[1] — چون بجنبد تو بدانی چه اباست[3]
از بخار آن بداند تیز هش — دیگ شیرین را ز سکباج ترش ٤ — دست بردیگ نوی چون زدفتا — وقت بخریدن بدید اشکسته را
❀ آن یکی‌پرسید صاحب دردرا — گفت درچندی شناسی مرد را ٥ — گفت دانم مرد را درحین زیوز — ور نگوید دانش اندر سه روز
وان دگر گفت ار بگوید دانش — ور نگوید در سخن پیچانش ٦ — گفت اگر این مکر بشنیده بود — لب ببندد در خموشی در رود
❀گفت میروگوی تا هفتم زمین — تا ابد پوشیده بادم حال این ٧ — ❀حال یکتن گر ندانم چه شود — واندر آن نقصان دینم چه بود

تمثیل

آنچنانکه گفت مادر بچه را — گر خیالی آیدت در شب فرا ٩ — یا بگورستان و جای سهمگین — تو خیالی زشت بینی پر ز کین
دل قوی دار و بکن حمله براو — او بگرداند ز تو در حال رو ١٠ — زانکه بی‌ترسی‌بسویش هرکه‌رفت — آن خیال دیو وش بگریخت تفت
گفت کودك با[2]خیال دیو وش — اینچنین گر گفته باشد مادرش ١١ — حمله آرد افتد اندر گرد نم — زامر مادر پس من آنکه چون‌کنم
توهمی آموزیم که چست ایست — آن خیال زشت را هم مادریست ١٢ — دیوومردم را ملقن آن یکیست[4] — غالب ازوی‌گرددارخصم اندکیست[5]
تاکدامین سوی باشد آن‌پراش[6] — الله الله رو تو هم زانسوی باش ١٣ — گفت اگر از مکر ناید در کلام — حیله را دانسته باشد آن همام
سرّ اورا چون شناسی راست گو — گفت من خامش نشینم پیش او ١٤ — صبر راسلم کنم پیش[7] درج — تا بر آیم بر سر بام فرج[8]
هست مر هر صبر را آخر ظفر — هست روزی بعد هر تلخی شکر ١٥ — ور بجوشد در حضورش از دلم — منطقی بیرون از این شادی وغم
من بدانم کو فرستاد آن بمن[9] — از ضمیر چون سهیل اندر یمن ١٦ — دردل من‌آن سخن زان‌میمنه‌است — زانکه‌از دل‌جانب دل روزنه است
❀هست باقی شرح‌این‌لیکن درون — بسته شد دیگر نمی آید برون ١٧ — ❀ مر بزرگی ورا گردن نهم — منتی هم بر دل و بر تن نهم
❀چون فتاد ازروزن دل آفتاب ١٨ — ختم شد والله اعلم بالصواب

خاتمه لولده الکامل المحقق بهاء الدین

مدتی زین مثنوی چون والدم — شدخمش‌گفتم‌ورا[10] کای‌زنده دم ٢٠ — از چه رو دیگر نمیگوئی سخن — از چه بر بستی در علم لدن
قصهٔ شهزادگان نامد بسر — ماند نا سفته دُر سوّم پسر ٢١ — گفت‌نطقم چون شترزین‌پس‌بخفت — نبستش با هیچکس تا حشر گفت
هست باقی شرح این‌لیکن‌درون — بسته شد دیگر نمی آید برون ٢٢ — همچو اشتر ناطقه اینجا بخفت — ار بگوید من زبان بستم زگفت
وقت رحلت آمد وجستن زجو — کل شیٔ هالك الا وجهه ٢٣ — باقی این گفته آید بی زبان — دردل آنکس کەدارد زنده[11]جان
گفتگو آخر رسید و عمر هم — مژده کامد وقت‌کرغم[12] وارهم ٢٤ — در جهان جان کنم جولان همی — بگذرم زین نم در آیم در یمی
زانکه اینعالم‌زنم زنده‌است‌وخوش — از یمی نم یافت‌زان‌خوبست‌وکش ٢٥ — چونکه جان درخاك ونم‌زنده بود — در جهان یم ببین تا چون شود
یم‌چوشهراست‌وچو دروازه‌است‌نم — نم چو قطره دان وبی‌اندازه یم ٢٦ — زین نمی کو همچو جانست اندرآ — در یم جانان که تا یابی بقا
چونکه نم ازبحر جانست‌اینطرف — پس ز راه‌جان طلب‌کن‌این‌شرف ٢٧ — تا ترا آنجا برد کو بوده است — جستن اندر خاك یم بیهوده است
جزو هر خاکی بخاکستان برد — موج بحر جان سوی‌جانان برد ٢٨ — پس‌زجان کن وصل جانان‌راطلب — بی لب و بی کام میگو نام رب
تارهی از حبس این فانی جهان — در جهان جان بمانی جاودان ٢٩ — تخمهای عمر را درشوره خاك — می بکاری تا شوی آخر هلاك
اینچنین عمر عزیز بی بها — بی عوض ضایع کنی[13] هردم چرا ٣٠ — غبن می ناید ترا ای مرد کار — تادهی گلزار وگیری خارزار[14]
عمر کان شد صرف دردنیا نماند — خرّم‌آنکس حق‌بسوی‌خویش‌خواند ٣١ — عمر معدود شمرده چون دهی — در ره حق گردد آن نا منتهی
بیشمار و بیحد و بیعد شود — عمر ده روزه که در طاعت‌رود ٣٢ — هین تجارت کن در این بازارتو — صدهزاران گل برازیکخار[15]تو
از یکی دانه که کاری صدهزار — دانه بر گیری ز فضل کردگار ٣٣ — خود شمار آنجا بود کاخر بود — بیشمار است آنطرف کان بربود
سوی کلّ خود روای‌جزوجدا[16] — از خودی بگذرزمانی باخودآ[17] ٣٤ — درتن همچون سبوهستی چو آب — گفتگو وصلح وجنگ‌چون حباب
چون‌حبابست این‌نقوش‌واین‌صور — بر سر آب درون ای نامور ٣٥ — یا چوکفی بر سر آب درون — تا شود سرّ درون پیدا برون
ازتف وازکفّ واز بوی قدور — می نماید خوردنیها در تنور ٣٦ — تا که شیرینی و یاترشی‌است آن — میشود ظاهر بر پیر و جوان
همچنین از قول و فعل مردمان — میشود پیدا که چه سانست جان ٣٧ — جان‌او درمرتبه‌چون‌است وچیست — مؤمن است او یا کەکافریاولیست
آب را اندر سبو بی یم مدار — تا نگردد آب شیرین ناگوار ٣٨ — کاب ساکن بی مدد ناخوش بود — رنگ‌وبوی‌وطعم‌آب[18] ازوی‌رود
گفت‌احمدهرکەدوروزش‌یکیست[19] — هست مغبون و گرفتار شکیست ٣٩ — بی یقینی میزید در ابلهی — پیر ز بادی همچو انبان تهی
هردمی پس‌میرود از پیش صف — میشود صافیش دُردی همچوکف ٤٠ — رنج او هر لحظه بد تر میشود — هر دمی اوزشت وابتر میشود
سوی دوزخ میرود آن ردّ باب — بی عذاب بحر درنار[20] عذاب ٤١ — پیش از آنکه کارتو آنجا رسد — هر دمی غفلت ترا وا پس برد
رو بسوی اصل خود همچون خلیل — بگذر ازاستاره‌و چرخ علیل[21] ٤٢ — پای همت بر خور و بر ماه نه — سر بر آن ایوان و آن‌درگاه‌نه
این خودی را خرج کن اندرخدا — تا نمانی همچو ابلیسی جدا ٤٣ — آب جان‌را ریزد اندر بحر جان — تا شوی دریای بیحد و کران
قصه کوته کن که رفتم در حجاب — هین خمش والله اعلم بالصواب ٤٤ — ❀شکر کاین نامه بعنوانی رسید — گم نشد نقد و باخوانی رسید
❀ نردبان آسمان است این کلام — هرکه از این بر رود آید ببام ٤٥ — ❀ نه ببام چرخ کان اخضربود — بل ببامی کز فلك برتر بود
❀بام گردون را از او آید نوا ٤٦ — گردشش باشد همیشه زان هوا

۱ـ باز ۲ـ چیست راز ۳ـ آن ٤ـ خداست ٥ـ آید برنهان زان گرگداست ٦ـ یواش ۷ـ سوی ۸ـ آیدصبرمفتاح‌الفرج ۹ـ مبمن ۱۰ـ گفتش ولد ۱۱ـ نور ۱۲ـ تن ۱۳ـ میدهیش بیعوض ۱٤ـ گل‌دهی ازدست وبستانی توخار ۱٥ـ برآر ازخار ۱٦ـ خدا ۱۷ـ گریز اندرخدا ۱۸ـ خوب ۲۰ـ بحر ۲۱ـ چو پیل (ن . ل .) ۱۹ـ اشاره‌است بحدیث نبوی که من‌ساوی یوماه فهومغبون یعنی هرکه دوروزش یکسان باشد زیان کاراست

تمّ المجلد السادس من المثنوی المعنوی

مثنوی معنوی

مناسبت هفتصد و پنجاهمین سال ولادت

مولانا جلال الدین محمد بلخی رومی

در سال ۱۳۱۶ هجری قمری چاپ شده

بقلم خاور

مثنوی معنوی

مولانا جلال الدین محمد بلخی رومی

شرح حال مولانا ملخصی از آثار مولانا، کتاب مجالس سبعه مولانا، شرح ابیات مشکله مثنوی، ذیل صفحات، دفتر هفتم منسوب بمولانا، کشف الابیات جامع، لطائف اللغات

مرحوم حاجی علی اصغر رمضانی کتابفروش

روز ۱۲ مهر ۱۲۵۰ هجری شمسی بدنیا آمد و شب ۲۰ آذر ۱۳۱۶ هجری شمسی دنیا را بدرود گفت

بپاس سی و سه سال عمری که برای تربیت من بنده صرف کرد

پنج سال زحمتی که برای تصحیح و مقابله و چاپ مثنوی کشیده‌ام

بروان پاکش تقدیم میدارم

و آرزو دارم توفیق یابم سی و سه جلد کتاب نفیس اخلاقی و دینی بنام او چاپ نموده تقدیم دوستداران اخلاق و دین و فرهنگ بنمایم

محمد رمضانی

مثنوی معنوی

مولانا جلال الدین محمد بلخی رومی

شرح حال مولانا ملخصی از آثار مولانا، کتاب مجالس سبعه مولانا، شرح ابیات مشکله مثنوی و ذیل صفحات، دفتر هفتم منسوب بمولانا، کشف الابیات جامع، لطائف اللغات

تصحیح و مقابله و همت

محمد رمضانی

دارندهٔ کلالهٔ خاور

از سال ۱۳۱۵ تا سال ۱۳۱۹ در تهران چاپ شد

بها صد ریال

چاپخانهٔ خاور «تهران»

تصویر مولانا محفوظ در تکیه یکی قاپو اسلامبول

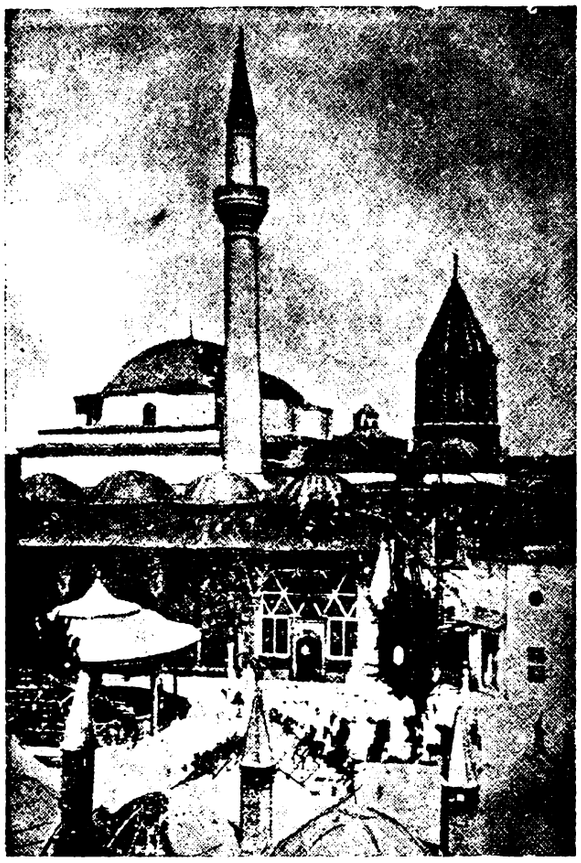

قبه خضرا و تربت شریف مولانا و یاران

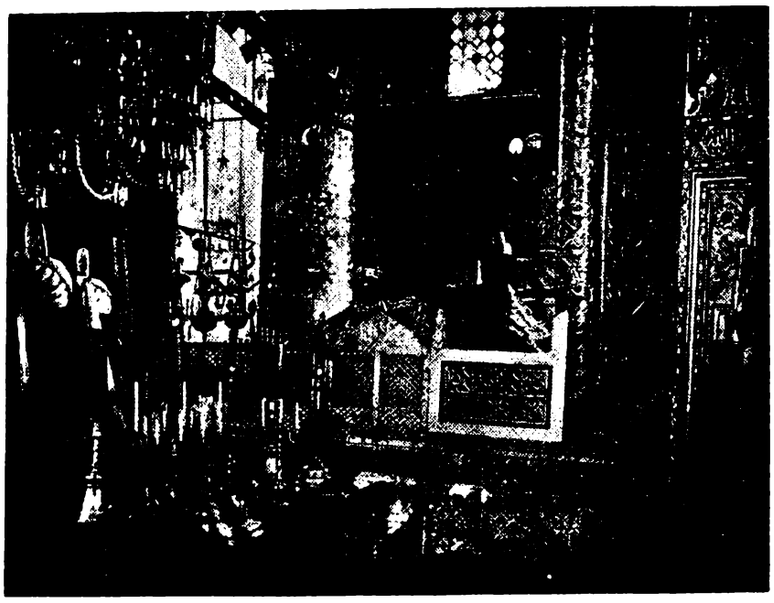

تربت مولانا

سر آغاز

کم کسیست که بادبیات پارسی و شعر و عرفان آشنائی داشته باشد و عارف نامی جلال الدین محمد بلخی مشهور بمولانای، روم قدس سره سرایندهٔ مثنوی معنوی را که یکی از بزرگترین نوابغ ایران و درخشنده ترین ستارهٔ فروزان مشرق است نشناسد. و کمتر کتاب تاریخ و تذکره ایست که از حالات و جذبات مولانا در آن ذکری نشده باشد

در مقدمهٔ بیشتر چاپهای مثنوی ترجمهٔ مختصری که حاجی زین العابدین مستعلیشاه شروانی در بستان السیاحه خود نگاشته نقل شده است و آن خلاصه و عصارهٔ کلیهٔ شروحی است که پیشینیان از احوال این بزرگترین مردان رسیدهٔ راه حقیقت نوشته اند

خوشبختانه در سالهای اخیر سه رساله ذیقیمت در ترجمهٔ حال و تتبع شخصیت مولانا بخامهٔ نویسندگان دانشمند معاصر طبع و نشر شده است :

(۱) ولدنامه یا مثنوی ولدی اثر شیخ بهاء الدین محمد معروف به سلطان ولد فرزند روحانی و جسمانی مولانا با مقدمه و تعلیقات آقای جلال همائی که در حدود ده هزار بیت و قدیمترین و صحیحترین سند تاریخی است که از خصوصیات زندگانی مولانا جلال الدین و پدرش بهاء الدین محمد ملقب بسلطان العلماء و یاران برگزیدهٔ وی سید برهان الدین محقق ترمدی و شمس الدین محمد تبریزی و صلاح الدین فریدون قونیوی و حسام الدین حسن چلبی و اصحاب و مریدان او بحث میکند

سلطان ولد برسر هر فصل و عنوان منظومهٔ ولدنامه نثرهای شیرینی نوشته است که اگر آنهارا جمع کنند رسالهٔ بسیار ساده و فصیحی در مطالب عرفانی و تاریخی و خلاصهٔ طریقهٔ مولویه که بیشتر آداب و رسوم قدیمش مولود خود اوست فراهم خواهد شد

(۲) شخصیت مولوی نگارش آقای حسین شجره که در ۲۳۸ صفحه با قلمی شیوا از اصل و منشأ تصوف و نبوغ عقل از نظر عرفان و نفوذ تصوف ایران در شرق و غرب و حالات مولانا و تدوین مثنوی معنوی و معنی و مفهوم اشعار مولوی و گفتار و نظریات مستشرقین و فضلای غرب در بارهٔ مولانا و مثنوی بحث کرده اند

(۳) رساله در تحقیق احوال و زندگانی مولانا جلال الدین محمد مشهور بمولوی و مشایخ و یاران و مریدان و معاصرین او نگارش محققانهٔ آقای بدیع الزمان فروزانفر با ۱۵ گراور و یک شجره نامه در ۲۳۲ صفحه که علاوه بر تتبعات دانشمندانهٔ خود از ده منبع قدیمی بسیار معتبر و از مجموعهٔ یادداشتهائی که آقای کاظم زادهٔ ایرانشهر در برلن از گفتهٔ بازماندگان و معتقدان مولانا گرد آورده استفاده کرده اند

اگرچه با انتشار این سه رساله احتیاج بنوشتن شرح حال در مقدمهٔ مثنوی خود نداشتیم ولی برای کسانیکه دسترسی بمطالعهٔ آثار نامبرده نداشته باشند اختصاری از ولد نامه و عین مقالهٔ بستان السیاحه و خلاصه ای از تحقیقات آقای فروزانفر را در رساله زندگانی مولانا با مراجعه بشرح حال مولانا بقلم سپهسالار بترتیب مینویسیم و در خاتمه از آثار مولانا و مزایای مثنوی حاضر بحث نموده و بفهرست جامعی از مطالب مثنوی گفتار خود را خاتمه میدهیم

محمد رمضانی

از کتاب ولدنامه

مرید شدن سید برهان الدین محقق مولانا بهاء الدین را و خواب دیدن مفتیان پیغمبر را

گفت برهان دین محقق حق — سبق برده ز سابقان بسبق
سخنش را هر آنکه بشنودی — دایم اورا بصدق بستودی
در جوانی ببلخ چون آمد — خواست کان جایگاه آرامد
جد مارا چو دید آن طالب — که بر و بود عشق حق غالب
لقبش بد بهاء دین ولد — عاشقانش گذشته از عد و حد
جمله اجداد او شیوخ کبار — همه در علم و در عمل مختار
اصل اورا نسب ابوبکری — زانچو صدیق داشت او صدری
مثل او کس نبود در فتوی — از فرشته گذشته در تقوی
بود اندر همه فنون استاد — حق بوی علم را تمام بداد
خوانده سلطان عالمان اورا — مصطفی قطب انبیاء خدا
مفتیان بزرگ اندر خواب — دیده یك خیمهٔ کشیده طناب
مصطفی اندرون خیمه بناز — زده تکیه بصد هزار اعزاز
ناگهانی بهاء دین ولد — از در خیمه اندرون آمد
مصطفی چون بدید جست از جا — پیش رفت و گرفت دستش را
برد پهلوی خویش بنشاندش — زان ملاقات گشت بیحد خوش
گفت از آنپس بمفتیان اینرا — که از امروز این شه دینرا
جمله سلطان عالمان گوئید — در رکابش بجان و دل پوئید
بامدادان باتفاق همه — از سر صدق بی نفاق همه
بر درش آمدند تا گویند — سر آن خواب را ازو جویند
پیش از آنی که دم زنند او گفت — خوابشانرا و سر نکرد نهفت
دادشان از مقام و حال نشان — وقعه را کرد بالتمام بیان
جمله پیشش فغان بر آوردند — بی دف و نای شورها کردند
گشت سید مریدش از دل و جان — تا روانرا کند ز شیخ روان
در مریدی رسید او بمراد — زانکه شیخش عطای بیحد داد
چشمهٔ عشق از دلش جوشید — جان او بادهٔ بقا نوشید
جمله غمهاش ذوق و شادی شد — سوی عشقش چو شیخ هادی شد
خار هجرش ز وصل گلشن گشت — شب تارش چو روز روشن گشت
مس جانش ز نار عشق گداخت — گشت زر چون به کیمیا در ساخت
عاقبت قطب گشت در عالم — سجده گاه ملك شد و آدم

رنجیدن سلطان العلماء از بلخیان و هجرت گزیدن از خراسان

چونکه از بلخیان بهاء ولد — گشت دلخسته آن شه سرمد
ناگهش از خدا رسید خطاب — کای یگانه شهنشه اقطاب
چون ترا این گروه آزردند — دل پاك ترا زجا بردند
بدر آ از میان این اعدا — تا فرستیمشان عذاب و بلا
چونکه از حق چنین خطاب رسید — رشتهٔ خشم را دراز تنید
کرد از بلخ عزم سوی حجاز — زانکه شد کار گر در او آن راز
بود در رفتن و رسید خبر — که از آن راز شد پدید اثر
کرد تاتار قصد آن کشور — منهزم گشت شاه شوم اختر
بلخ را بستد و بزاری زار — کشت از آن قوم بیحد و بسیار
نتوان گفت در ره آن سلطان — که چها داده با کهان و مهان
چه کرامانها که در هر شهر — مینمود آن عزیز روزبهٔ دهر
گر شوم من بشرح آن مشغول — فوت گردد از آن سخن مأمول
آمد از کعبه در ولایت روم — تا شوند اهل روم ازو مرحوم
از همه ملک روم قونیه را — برگزید و مقیم شد آنجا
رو نهادند سوی او خلقان — از زن و مرد و طفل و پیر و جوان
آشکارا کرامتش دیدند — زو چه اسرارها که بشنیدند
چند روزی بر این نسق چو گذشت — که و مه مرد و زن مریدش گشت
گشت سلطان علاء دین چون دید — روی اورا بعشق و صدق مرید
چونکه وعظش شنید شد حیران — کرد اورا مقام در دل و جان
دید بسیار ازو کرامت ها — یافت در خویش ازو علامتها
گفت دل لرزدم ز هیبت او — می هراسم بگاه رؤیت او
هیبتی میزند ازو بر من — که از آن لرزه می فتد در تن
شد یقینم که او ولی خداست — در جهان نادر است و بیهمتاست
دائماً با خواص این گفتی — روز و شب در مدح او سفتی

مردن سلطان العلماء و نشستن مولانا جلال الدین بجای پدر

بعد دو سال آن ولی خدا — سر ببالین نهاد او ز عنا
شاه شد از عنای او محزون — هیچ از این غصه اش نماند سکون
چون بهاء ولد نمود رحیل — شد ز دنیا بسوی رب جلیل
نار در شهر قونیه افتاد — از غمش سوخت بنده و آزاد
در جنازه اش چو روز رستاخیز — مرد و زن گشته اشك خونین ریز
علما سر برهنه و میران — جمله پیش جنازه با سلطان
شه ز غم هفت روز بر ننشست — دل چون شیشه اش ز درد شکست
هفته ای خوان نهاد در جامع — تا بخوردند قانع و طامع
تعزیه چون تمام شد پس از آن — خلق گرد آمدند پیر و جوان

همه کردند رو بفرزندش که توئی در جمال مانندش
شیخ مازین سپس توخواهی بود از توخواهیم جمله مایه وسود
شست برجای وی جلال الدین روبدو کرد خلق روی زمین
مفتی شرق وغرب گشت بعلم از جهان جهل درنوشت بعلم
رایت شرع احمدی افراخت هرکه دین داشت خواجه را بشناخت
بیقراران شدند ازاوساکن همه در ظل او زخوف ایمن

آمدن سید برهان الدین محقق ترمدی بقونیه

مدتی چون بماند در هجران طالب شیخ خویش شد برهان
گشت بسیارو اندر آخر کار داد با وی خبر یکی زکبار
گفت شیخت بدان که درروم است نیست پنهان بجمله معلوم است
آمداز عشق شیخ خودتازان با هزاران تبختر و نازان
گشته ازشیخ پرچوجام ازمی همچنان کز شکر شود پرنی
چونکه شادان بقونیه برسید شیخ خودرا ازشهریان پرسید
همه گفتند آنکه میجوئی هرطرف بهر او همی پوئی
هست سالی که رفت از دنیا رخت خودرا کشید درعقبی
جسم خاکیش رفت اندرخاك جان پاکش گذشت ازافلاك
گفت سید که شیخ اندرماست همچوروغن نهان شده درماست
عین شیخم زمن نماند اثر هیچ دیدی شکرجدا زشکر
آب اگر درمز رکوزه بود عاقل از کوزه ها زره نرود
آب جوید زکوزه تابخورد تشنه درنقش کوزه کی نگرد
خلق راپس بخویش دعوتکرد گشت ازجان غلام اوزن ومرد
شهر جمله مرید او گشتند در درون تخم مهر او کشتند

مرید شدن مولانا جلال الدین بسید و رسیدن بمقام قطبیت

گفت سید بشه جلال الدین گرچه درعلم نادری وگزین
لیك بدوالدتو صاحب حال جوی آنرا و درگذر ازقال
قال اورا گرفته ای بدودست همچومن شوزحال اوسرمست
وارث والدی تو اندرپوست مغزمن برده ام نگردردوست
از مرید پدر چو آن بشنید گشت جان و بگرد تن نتنید
شد مریدش زجان وسربنهاد همچو مرده به پیش او افتاد
بود در خدمتش بهم نه سال تاکه شد مثل او بقال وبحال
همسرو سر شدند در معنی زانکه یکدل بدند در معنی
ناگهان سید از جهان فنا کرد رحلت سوی سرای بقا
ماند بی او جلال دین تنها روزوشب کردروی سوی خدا
خواب وخورراد رآنهوس بگذاشت علم جستجوی را افراشت
پنج سال این چنین ریاضت کرد ازسرصدق و سوزوناله ودرد
عمل و دردراچو کرد قرین رفت همچون ملك بچرخ برین
خاص وعامش مریدوبنده شدند چون نبات از بهار زنده شدند
ده هزارش مرید بیش شدند گرچه اول زصدق دور بدند
وعظ گفتی همیشه برمنبر گرم وگیرا چو وعظ پیغمبر
صیت خوبش گرفت عالم را کرد زنده روان آدم را

رسیدن مولانا جلال الدین بشمس تبریزی و تغییر حال او

ناگهان شمس دین رسیدبوی گفت انی ز تاب نورش فی
از ورای جهان عشق آواز برسانید بی دف و بی ساز
گفت اگرچه بباطنی تو گرو باطن باطنم من این بشنو
دعوتش کرد در جهان عجب که ندید آن بخواب ترك وعرب
نزد یزدان چو بود مولانا از همه خاصتر بصدق و صفا
خضرش بود شمس تبریزی آنکه با او اگر در آمیزی
هیچکس را بیك جوی نخری برده های ظلام را بدری
بعد بس انتظار رویش دید گشت سرها براوچوروز پدید
شد براو عاشق وبرفت ازدست گشت پیشش یکی بلندی وپست
دعوتش کردسوی خانهٔ خویش گفت بشنو شها ازین درویش
پس از آن هردوخوش روانه شدند شادوخندان بسوی خانه شدند
شیخ استاد گشت نو آموز درس خواندی بخدمتش شب وروز
گرچه درعلم فقر کامل بود علم نو بود کان بسوی بنمود

حسدبردن مریدان مولانا برشمس

یکزمانی بهم همی بودند مدت یک دو سال آسودند
غیرت حق در آمدو ناگاه فج فج افتاد در همه افواه
در شناعت در آمدند همه آن مریدان بیخبر چورمه
گفته باهم که شیخ ما زچه رو پشت برما کند زبهر چه او
ما همه عاشقیم در ره شیخ بندهٔ صادقیم در ره شیخ
شده ما را یقین که مظهر حق اوست بی شك وزاو بریم سبق
چه کس است اینکه شیخ ما را او برداز جا چو یك کهی راجو
کرد اورا زجمله خلق نهان می نیابد کسی زجاش نشان
ساحراست این مگر بسحروفسون کردبرخویش شیخ را مفتون
همه درفکر این که کی ازشهر رود او یا فنا شود از قهر
جمله گشته بخون او تشنه ساخته بهر کشتنش دشنه
چون غلوشان براوزحد بگذشت دشمنیشان زحدوعد بگذشت
شمس تبریز رفت سوی دمشق تاشود پردمشق وشام زعشق
چون حزین شد زهجر مولانا گشت معرض زجمله آن دانا
دوستی را از آن نفر ببرید مرغ مهرش زلانه شان بپرید
چونکه آن رایشان نیامد راست عکس شد آنچه هریکی میخواست
گفته بودند اگر رود زینجا ماند آن شاه ما بما تنها
باردیگر زپندهای خوشش بجهیم ازجهان و پنج وششش
آنگروهی که بودشان غفلت کرده بودند از سفه جرأت
پیش شیخ آمدند لابه کنان که ببخشا مکن دگر هجران
توبهٔ ما بکن زلطف قبول گرچه کردیم جرمها ز فضول

فرستادن مولانا بهاء الدین ولدرا

بود شه را عنایتی بولد در نهان اندرون برون از خد
خواند اورا وگفت رو تورسول ازبرم پیش آن شه مقبول
ببر این سیم را بپایش ریز گویش از من که ایشه تبریز
آن مریدان که جرمها کردند زانچه کردند جمله واخوردند
همه سازند از دل و ازجان جانشان را فدای آن سلطان
رنجه کن اینطرف قدم را باز چند روزی بیا و با ما ساز
آنچه ازما سزیدا گر کردیم همچوخار خلنده سر کردیم
همچنین زین نمط بوی میگو دل او را بلابه ها میجو
باشد این گر بودمرا آن بخت نرم گردد نگیرد این را سخت
دهدم باز وصل از سرلطف بهلد هجر و بگذرد از عنف
پس ولد سر نهاد والد را شکر کرد اوخدای واحد را
گشت ازجان روان بسوی دمشق راه را میبرید از سر عشق
چون رسید او بنزد شمس الدین آن شه اولیای با تمکین
در سخن آمد و درر بارید در دل و سینه عشق نو کارید
سر سر حدیث وقرآن گفت کرد پیدا سری که بود نهفت
بی پرش بر فلك بپرانید بی تنش گرد عرش گردانید
حجب از پیش چشم دل برداشت شب تاریك را نمود چوچاشت
ظلمت از تن ببرد و ازدل وجان تاروان گشت همچو سیل روان

بازگشت ولد بقونیه در رکاب شمس الدین

چون شنید از ولد رسالت را خوش پذیرفت آن مقالت را
باز گشت ازدمشق جانب روم تا رسد در امام خود مأموم
شد ولد در رکاب او پویان نزضرورت ولی زصدق وزجان
در ره از وی هزار سربشنید صدجهان از ورای چرخ بدید
چون رسیدند پیش مولانا نوش شد جمله نیش مولانا
وانجماعت که منکران بودند منکر قطب آسمان بودند
جمله شان جانفشان باستغفار سر نهادند کای خدیو کبار
از سر صدق روی آوردیم توبه کاریم از آنچه ما کردیم
بعداز آن جمله ازوضیع وشریف حلقه گشتند گرد شاه ظریف
پهلوی شه نشسته مولانا چون دوخور که زنند سرزسما
شمس تبریز در سخن آمد زنده شد آنکه فهم کن آمد
هریکی زان سخن بعشق پرید هر یکی از خودی تمام برید

از امیر و توانگر و درویش هریکی قدر وسع وطاقت خویش
بخشش آورد و میهمانی کرد تا شود یار مهربانی کرد
مدتی این چنین گذشت زمان در حضور شهان هردو جهان
آن دو شه چون بهار وایشان دشت همه را تازه گشته زیشان کشت
شاخ و برگ درونشان پربار رسته بیخار هر طرف گلزار
درچنین عیش و درچنین وصلت همه پر نورو غرق در رحمت

گستاخی مریدان و ناپدید گشتن شمس الدین

باز شیطان بصورتی دیگر زد درایشان کدورتی دیگر
رخت اعمال جمله را دزدید هر یکی زاعتقاد برگردید
باز گشتند همچو اول بار می ومستی گذشت وماند خمار
روشنی شد بدل به تاریکی صحت تن به رنج باریکی
باز چون شمس دین بدانست این که شدند آن گروه پر از کین
گفت او باولد که دیدی باز چون شدند از شقا همه دمساز
که مرا از حضور مولانا که چو او نیست هادی ودانا
فکنندم جدا و دور کنند بعد من جملگان سرور کنند
خواهم این بار آنچنان رفتن که نداند کسی کجایم من
همه گردند در طلب عاجز ندهد کس زمن نشان هرگز
ناگهان گم شد از میان همه تا رهد از دل و زبان همه
یکدو روز او چو گشت ناپیدا کرد افغان زدرد مولانا
هیچ از وی کسی نداد خبر نی بکس بورسید ازاو نه اثر
شیخ گشت از فراق او مجنون بی سرو پا زعشق چون ذوالنون

استغراق و بیقراری مولانا از فراق شمس الدین

شیخ مفتی ز عشق شاعر شد گشت خمار اگر چه زاهد بد
نی زخمری که او بود زانگور جان نوری نخورد جز می نور
روز وشب در سماع رقصان شد برزمین همچو چرخ گردان شد
بانگ و افغان او بعرش رسید ناله اشرا بزرگ و خرد شنید
غلغله اوفتاد اندر شهر شهر چه بلکه در زمانه ودهر
کاین چنین قطب ومفتی اسلام کوست اندر زمانه شیخ وامام
شورها میکند چو شیدا او گاه پنهان و گه هویدا او
خلق ازوی زشرع ودین گشتند همگان عشق را رهین گشتند
حافظان جمله شعرخوان شده اند به سوی مطربان دوان شده اند
عاشقی شد طریق ومذهبشان غیر عشق است پیششان هذیان

رفتن مولانا درجستجوی شمس الدین بجانب شام

باچنان مستی و چنین جوشش باچنان عشق و باچنان کوشش
کرد آهنگ ورفت جانب شام در پیش شد روانه پخته و خام
چون رسید اندر آن سفر بدمشق خلق را سوخت او ز آتش عشق
همه گشتند عاشقش ازجان دیده در درد او دوصد درمان
جمله ازجان مرید و بنده شدند همچو سایه پیش فکنده شدند
شامیان هم شدند واله او کاینچنین فاضل پیمبر خو
ازچه گشته است عاشق ومجنون کاندرو مدرج است صدذوالنون
شمس تبریز خود چه شخص بود تا پیش این چنین یگانه رود
گفت اگرچه به تن ازو دوریم بی تن و روح هر دو یکنوریم
هردو باهم بدیم بی تن وجان پیش از آن کاین فلك شود گردان
بی زمین و زمان بهم بودیم از وجود جهان نیفزودیم
حالت ما بهم نمی ماند کیست کاحوال ما عیان داند
شمس تبریز را بشام ندید در خودش دید همچو ماه پدید
کرد رجعت بروم باز آمد رفت چون کبك وهمچو باز آمد
قطره اش چون فزود دریا شد بود عالی ز عشق اعلی شد
مطربانرا بخواند از سر او بی سر و پا ببام و بر در او
روز وشب یکدمش قرار نبود بی قدح خمر عشق می پیمود
حیرت خلق شد در او افزون کاین چه شور است واینچگونه جنون
چندسالی نشست وباز زعشق رفت با جمله خلق سوی دمشق
باز آنجا فکند صد غوغا جمله گفته عجب زهی سودا
ماهها در دمشق ساکن شد عاشقی کی ز عشق ساکن شد

بازگشتن مولانا بقونیه وبرگزیدن صلاح الدین زرکوب قونوی

بعداز آن باز گشت جانب روم تا زند بر جبین شیر رقوم
سرزد از چرخ روح آنخورشید تاسها را کند پر از ناهید
گفت چون من ویم چه میجویم عین اویم کنون زخود گویم
وصف حسنش که میفزودم من خودهمان حسن ولطف بودم من
درچنین جوش یک مرید از او یافت قربت سوار گشت نکو
لقبش بود شه صلاح الدین قطب هفت آسمان وهفت زمین
چون ورا دید شیخ صاحب حال برگزیدش ززمرهٔ ابدال
روبدو کرد وجمله را بگذاشت غیر او را خطا وسهو انگاشت
گفت از روی مهر بایاران نیست پروای کس مرا بجهان
سرشیخی چو نیست درسر من نبود هیچ مرغ همپر من
پس ازین جمله سوی او پوئید همه ازجان وصال او جوئید
پس ولدرا بخواند آنحق بین گفت بنگر رخ صلاح الدین
نظرش کیمیاست بر تو فتد رحمت کبریاست بر تو فتد
برهاند ترا ز مرگ و فنا برساند به تخت ملك بقا
کندت بر علوم سر دانا جمله اسرار ازو شود پیدا

آرام گرفتن مولانا با صلاح الدین از طلب شمس وحسد بردن مریدان

شورش شیخ گشت ازو ساکن وآنهمه رنج و گفتگو ساکن
زانکه بد نوع دیگر ارشادش بیشتر بود از همه دادش
آنچه از اولیا نبردی کس سالها میرسید ازو بنفس
شیخ با او چنانکه باآن شاه شمس تبریز خاص خاص اله
نظر شیخ جمله بروی بود غیر او نزد شیخ لاشی بود
ننشستی بهیچکس جز او چشم را بر نداشتی زان رو
باز در منکران غریو افتاد سخت درهم شدند اهل فساد
باز آغاز کرد جوش حسد زانکه بودند غرق نفس وجسد
گفته باهم کز آن یکی رستیم چون نگه میکنیم درشستیم
کاش کان اولینه بودی باز شیخ مارا رفیق و هم دمساز
نبداز قونیه بد از تبریز بود جان پرورونبد خونریز
همه این مرد را همیدانیم همه هم شهریم و هم خوانیم
نی وراخط وعلم ونی گفتار بر ما خود نداشت او مقدار
دائما در دکان بدی زرکوب همه همسایگان ازو در کوب
آنکسانیکه منکران بودند از ازل کور وهم کران بودند
ازخود او را بنقص کرده نظر جان جانرا شمرده چون پیکر
که چسان ترهات میگفتند از غم و غصه شب نمی خفتند
پیش ازین جاش بود صف نعال فخر کردی زما میان رجال
چون شود اینکه او را اکنون شیخ خوانیم بل زشیخ افزون
زین نمط فحشهای زشت ودرشت گاه گفته بروش و گه پس پشت
جمله را رأی اینچنین افتاد که چو زاسب مراد زین افتاد
سر ببازیم و زنده اش نهلیم چون ازو جان فکار وخسته دلیم
یك مریدی برسم طنازی شد از ایشان و کرد غمازی
درهمان لحظه نزد مولانا آمد و گفت این حکایت را
پس رسید این بشه صلاح الدین نورچشم و چراغ هر ره بین
خوش بخندید و گفت آنکوران که ز گمراهیند بی ایمان
نیستند اینقدر زحق آگاه که بجز زامر او نجنبد کاه
چون تواند کسی مرا کشتن یا بخاك و بخونم آغشتن
می برنجید ازاینکه مولانا کرد مخصوصم از همه تنها
خودندانسته اینکه آینه ام نیست نقشی مرا معاینه ام
درمن او روی خویش می بیند خویشتن را چگونه نگزیند
گشت واقف زراز شیخ علیم خشمگین شد بر آنگروه لئیم
راه بربست دیگر ایشانرا آن لئیمان کوربینان را
همه گشتند سرزد از آن گرمی رویشان سخت شد زبیشرمی
روزشان گشت همچو شب تاریك گردن جمله شد زغم باریك
هریکی دست خود همی خائید از دلش غصه ها همی زائید
گفته باهم اگرچنین ماند چه شود حال ما خدا داند

پیش از آنکه رویم جمله زدست چاره سازیم تا رهیم ز شست
سوی ایشان شویم توبه کنان وصل جوئیم تا رود هجران
همه جمع آمدند بر در او می‌نهادند بر زمین سر و رو
گریه زارشان چورفت ازحد بانگ و افغانشان گذشت ازحد
چون شنیدند آن دو زاریرا ساز کردند چنگ یاری را
در گشادند و راهشان دادند قفل های ببسته بگشادند

در گذشتن صلاح‌الدین ورسیدن خلافت به‌چلبی حسام‌الدین

شیخ بااو چودر دوتن یکجان بود آسوده و خوش‌وشادان
مست از همدگر شده ده‌سال داشته بی خمار هجر وصال
جمع یاران بگردشان زده صف آندوچون بحروباقیان چون کف
همه چون اختران وآندوچوماه همه چون بندگان و آندوچوشاه
درچنین عیش‌ودولت ونزهت در چنین جاه‌و ملکت و زینت
ناگهان شدصلاح‌دین رنجور گشت از صحبت بدن مهجور
شیخ فرمود در جنازهٔ من دهل آرید و کوس بادف زن
سوی گورم برید رقص کنان خوش‌وشادان‌ومست‌ودست‌افشان
تا بدانند کاولیای خدا شاد و خندان روند سوی لقا
کردچشمان فرازو رفت‌بناز ناز نازان بصد هزار اعزاز
اولیا را بود زمرگ حیات زانکه در مرگ دیده‌اند نجات
جسم پاك ورا چواندر خاك بنهادند رفت پاک بپاک
بود راضی‌شه از حسام‌الدین داده بودش هزار گنج گزین
مرشد جمله بود مولانا آن خدیو یگانهٔ والا
رتبت هر یکی براو روشن گشته همچون میان‌روح وبدن
شیخ گفت ای حسام‌حق آئین چونکه‌رفت‌ازجهان‌صلاح‌الدین
بعدازین نایب وخلیفه توئی زانکه اندر میانه نیست دوئی
آن یکی باز گفت مولانا زین سه مهتر کدام بود اعلی
گفتش اندرجواب کای‌همراه شمس چون‌مهربد صلاح چوماه
چون‌ستاره‌است‌شه‌حسام‌الحق زانکه گشته‌است باملك ملحق
شیخ اینرا بجای آن بنشاند بر سرش نور ها نثار افشاند
گفت اصحاب‌را که سربنهید پیش او عاجزانه پر بنهید
همه امرش ز دل بجا آرید مهر او در درون جان کارید

مصاحبت شیخ حسام‌الدین تاپایان زندگانی مولانا ومستفیدشدن یاران بی‌حدازهردو

بود با شیخ در زمانهٔ شیخ همدل و همنشین بخانهٔ شیخ
در صفاو وفابهم همدم همه اصحاب شادمان بیغم
بخشش هردو برهمه شامل همه از هر دو عالم و عامل
خوش‌بهم‌بوده مدت ده‌سال پاك و صافی مثال آب زلال
بعداز آن نقل کرد مولانا زین جهان کثیف پر زغنا
سال هفتاد و دو بده بعدد ششصد از عهد هجرت‌احمد
چشم‌زخمی‌چنین‌رسیدبخلق سوخت‌جانها زصدمت‌آن‌برق
لرزه افتاد در زمین آندم گشت نالان فلك در آن ماتم
مردم شهر از صغیرو کبیر همه اندر فغان وآه‌و نفیر
بجنازه همه شده حاضر از سر مهر و عشق نز پی‌بر
قوم هر ملتی براو عاشق اهل هر مذهبی براو صادق
عیسوی گفته‌اوست‌عیسی‌ما موسوی گفته‌اوست موسی ما
مسلمش‌خوانده‌سرونورر‌سول گفته هست‌اوعظیم‌بحر نقول
همه کرده‌زغم گریبان‌چاك همه از سوز کرده برسرخاك
آنفغان و خروش کانجابود کس‌ندیده‌است‌زیرچرخ کبود
همچنان‌این کشیدتاچل‌روز هیچ ساکن‌نشد دمی‌تف‌وسوز
روزوشب‌بودگفتشان‌همه‌این که‌شد آن گنج زیرخاك‌دفین
ذکراحوال‌وزندگانی او ذکر افوال‌و در فشانی او
ذکرعشق‌خداو تجریدش ذکرمستی‌و صدق‌و توحیدش
ذکرلطف‌وتواضع‌وکرمش ذکرحال وسماع چون ارمش
ذکرتذکیرووعظو گرمی‌او ذکر مهر و وفا و نرمی او
ذکراسرارولطف‌انوارش ذکر آن کشفها ز دیدارش
ذکرتقوی وحلم‌ورحمت‌او ذکر فتوی وعلم‌و حکمت او

از کتاب بستان‌السیاحه

برضمایر مهرمآثراولوالابصار مخفی ومستور نماند که ولادت باسعادت‌مولانا در قبة‌الاسلام بلخ من‌بلاد خراسان‌درششم‌ربیع‌الاول سنه ٦٠٤ ششصدو چهار هجری روی نمود

همان شراب کش بادهٔ خم‌جبروت همان همای‌بلند آشیان‌عرش‌نشین
رموز گوی‌ازل‌مولوی‌که‌دادنجات مقیدان هوا را زقید این سجین
زجلدهای کتابش‌که‌مینوشت‌گرفت جهات سته به پیرایهٔ ابد تزیین
سخن‌زمرتبهٔ‌شعراونه‌حدمنست که‌همچوعرش‌بلنداست‌وهمچوشرع‌متین

گویند آنجناب در پنج سالگی بهر سه چهار روز یکبار افطار میفرمود و در نسب از نسل ابوبکربن ابی‌قحافه خلیفهٔ اول بود بدین ترتیب :

هوابن بهاءالدین محمدبن حسین‌بن احمدالخطیب بن محمود بن ثابت بن مسیب بن مطهر بن‌حماد بن عبدالرحمن بن ابوبکر

ابأعن‌جدازعلماء نامدار عالیمقدار و از فضلاء کبار آندیار بودند و شیخ‌احمدالخطیب بلخی مریدقطب‌العارفین شیخ‌احمدغزالیست و فرزند ارجمند او شیخ حسین که‌جد مولاناست بغایت متقی و پرهیزکار و اسباب دنیوی در نظرش بیمقدار بود نقل است که در واقعه حضرت رسالت پناه صلعم خوارزمشاهرا فرمود که ما دختر ترا بشیخ حسین عقدکردیم تو نیز قبول کن و ایضاً وزیر خوارزمشاه همان خوابرا مشاهده نمود و شیخ حسین نیز درهمان شب خواب میبیند که حضرت رسول صلعم میفرماید که ماصبیهٔ خوارزمشاهرا بتو تزویج نمودیم خوارزمشاه بفرمودهٔ آنحضرت عمل نموده دختر پاکیزه گوهر خودرا بنکاح‌شیخ حسین درآورد و بهاءالدین محمد از آن عفیفهٔ مکرمه بوجود آمد چون بسن‌رشد و تمیز رسید بتحصیل علوم مشغول شده در اندك زمانی دراکثر علوم ماهر گردید و نیز در عنفوان شباب بعد از اکتساب علوم و آداب اولا تلقین ذکر از والد خود گرفته و او از پدرش امام احمد خطیب و بدینواسطه سلسلهٔ بهاء الدین متصل بشیخ احمد غزالیست بعداز آن صحبت شیخ‌الشیوخ نجم‌الدین کبری‌را دریافته است و از روی ریاضت و مجاهده با علی قلل مشاهده شتافته و مقبول همهٔ دلها شده و در بلخ متمکن میبوده و بدرس و فتوی نیز اشتغال مینموده‌و طالبانرا بکشف حقایق و معارف راهنمائی میکرده‌و از برای ارشاد عوام عقد مجالس نصایح و مواعظ می ساخته و بحال همهٔ طوایف میپرداخته و سلطان محمدخوارزمشاه از جملهٔ مریدان و معتقدان بوده و سید برهان‌الدین الترمدی که ازجملهٔ اقطاب بود ازمریدان آنجناب بشمار است که باتابکی‌مولانا جلال‌الدین محمدرومی اشتغال مینمود

آورده اند که شبی سیصد دانشمند مفتی از مشاهیر بلخ که از جملهٔ منکران بودند در خواب سیدکاینات را دیدند که درخیمهٔ سبز نشسته بود و مولانا بهاءالدین‌بازبدهٔ ممکنات صلی‌الله‌علیه‌وآله همنشین وحضرت‌رسول‌صلعم مولانارا نوازشها نموده‌وفرمودماترا سلطان‌العلماء لقب‌نهادیم آنجماعت چون‌بیدارشدندروی‌بخدمت‌مولانا نهادند وچون‌درراه‌بایکدیگر ملاقی‌شدند وازخواب‌دوشینه حکایت میکردند متعجب ومتحیر میماندندومولاناسلطان‌العلماء بعداز اداء صلوة‌واذکار بربام رفته بود و اینجماعت ازهیبت اینحال امکان در کوفتن‌ومجال‌اخبار نداشتند آخرالامرسراز بام فرو کرده‌فرمود : تاحضرت‌سیدالمرسلین‌علیه‌افضل‌الصلوات‌ازحال‌درویشان‌وروش‌ایشان اخبار نفرمودشمازنارانکارازمیان‌نگشودیدآنجماعت استغفار کردند ومریدومعتقدشدند.سلطان‌محمدبعداز استماع‌این‌کلام‌درخدمت‌اهتمام بیشتربتقدیم‌رسانیدوامام‌فخرالدین‌رازی‌نیز به‌تبعیت‌میآمدچه که‌معلم سلطان‌بود وجناب مولانا در اثنای موعظت مذمت مذهب حکمای یونان میفرمود و میگفت: جمعی که کتب آسمانی را در پس پشت انداخته و اقاویل وعقاید فلاسفه پیش گرفته اند چگونه امید نجات داشته باشند

امام‌فخرالدین ازاینمعنی عرق حسدش میجنبید ودائماً بگردسعایت وفساد میگردید امافرصت‌نمیدید اتفاقاًروزی سلطان‌بزیارت‌مولانا آمده‌بود کثرتی عظیم باشکوه بیش‌از پیش دید وفخرالدین‌رازی راخطاب کرده و گفت بیحد کثرتی مشاهده میشود وی‌فرصت‌یافته گفت اگر بتدبیر دفع این کثرت‌نشود بیم‌است که‌در ارکان‌سلطنت خلل افتد بواسطهٔ آنکه طباع برحسد مجبولست این‌سخن واهی برسلطان اثر کرده فرمود که‌تدبیر باید نمود درجواب گفت‌صواب آنست که کلید خزائن و قلاع را بخدمتش بفرستیم و بگوئیم که امروزجمعیت و کثرت آنحضرت راست وبواسطهٔ‌استیلای مریدان وشوکت معتقدان وهنی درامور مملکت ظاهر گشته و بجز کلید دردست‌ماراختیاری نمانده‌یا کلیدهاراقبول کنند یا ازدارالسلطنه بیرون روند وازمملکت‌هر کجا خواهند متمکن شوند چون‌براین سیاق عمل کردند دمار ازدودمان خویش‌برآوردند ازاستماع این سخن‌مولاناسخت‌برنجید وقسم‌یاد کرد که‌تامحمد خوارزمشاه‌پادشاه خراسان باشد بدانجا نیاید مثنوی

تادل مردخدا نامد بدرد هیچ قومی‌را خدا رسوا نکرد

گویند باعث انقراض دولت خوارزمشاهیان و تسلط چنگیزیان برمملکت‌ایشان نخست قتل مجدالدین‌بغدادی‌شد واومریدنجم‌الدین خوارزمی و مرشد شیخ فریدالدین عطار قدس الله اسرارهم بود وتفصیل احوال‌آن‌بزرگوار درکتب تواریخ مسطور است‌ودیگر رنجش خاطرمولانا بهاءالدین‌است.

نقلست که مولانا روز دیگر در میان مجلس گفت فردا عزم سفر دارم هر کرا ارادت درویشان‌است آماده‌باشدروزدیگر ازمریدان و معتقدان سیصد نفر درخدمتش روانه شدند درآنوقت‌مولانا جلال الدین بسن شش ساله بود و مولانا بهاءالدین در نیشابور باجناب شیخ فریدالدین عطار قدس سره ملاقات کرد وجناب شیخ کتاب اسرار نامه‌را که یکی از مؤلفات خودبودبمولانا جلال‌الدین‌عنایت نمود وببهاءالدین گفت که‌این فرزندرا گرامی‌بدار زودباشد که از نفس گرم آتش‌برافسردگان عالم زند مولانا بهاءالدین جناب‌شیخ را وداع‌نموده عازم بیت‌الله‌الحرام گردید و چون‌بدارالسلام بغداد رسید اکابرواعاظم و بزرگان مولانارا تعظیم تمام کردند و لوازم احترام نسبت‌بآن‌بزرگوار بجای‌آوردند مدت‌یکماه تفسیر بسم‌الله فرمود چنانکه‌تقریراول‌بثانی نسبت نداشت جمعی ازطرف سلطان علاءالدین کیقباد سلجوقی از کشور روم بدارالخلافه بغداد آمده بودند آن‌تقریردلپذیرازمولاناستماع نمودند وچون‌بروم‌باز گشتند دراثنای حکایات‌درحضرت سلطان از مناقب مولانا آنچه مشاهده کرده‌بودند عرضه داشتند سلطانرا درغیبت‌اعتقادی عظیم‌راسخ‌شد و دائماً تمنای ملاقات صوری‌داشت تا از تقدیر کردگار مولانارا عزیمت حجازافتاد وازحجازبطرف‌شام‌عبورفرموده‌ودرآنجامولانا برهان‌الدین ترمدی‌رحلت‌نمود آنجناب در حین‌وفات خدمت‌مولانا وصیت کرد که‌باید شما بطرف روم عزیمت نمائید که جهت شما در آن‌دیار فتوحی خواهد بود بنا بفرمودهٔ آن بزرگوار مولانا بمدینهٔ ارزنجان آمده در خانقاه عصمتیه تاج ملك خاتون که عمهٔ‌سلطان علاءالدین بود نزول نمود خاتون سعادت مقرون خدمات پسندیده بجای آورد و التماس کرد که آنجا متمکن شود قبول نفرمود وبزودی از آنجا عزیمت آنشهر نمود و فصل زمستان‌در آنجا اقامت کرد بعداز آن بطرف روم نهضت فرمود سلطان را معلوم شد که قرب منازل حاصل شده است قاصدان بخدمتش فرستاد استعجال حرکت مولانا نمود ملتمس سلطان باجابت لاحق شد چون بصحرای قونیه رسید سلطان باجمیع اکابروارکان‌دولت مولانارااستقبال نمود سلطان بعداز اظهار اخلاص و ارادت استر شمام نام که در گام‌زدن پیك باد شمال بود برسم نیاز پیشکش‌نمود وچندگام در رکاب مولانا پیاده رفت مولاناچندانکه مبالغه‌فرمود که سوار شود سلطان بر تواضع وفروتنی می افزود و میگفت جهت‌مزید دولت‌وسعادت خویش این‌عبودیت بتقدیم میرسانم‌آنگاه در منزلی که‌لایق آنجناب‌بود فرود آورد وچندان‌خدمات‌ومراعات نمود که عشر عشیرآن بشرح و بیان در نیاید در آن اوان مولینا جلال الدین بسن چهارده سالگی بود و در آن صغر سن از روی علوم وحکم عالمی بزرگ شده بود چون والد بزرگوارش در سنه ۶۳۱ هجری رحلت نمود مولانا بموجب وصیت والد بر مسند افاده قدم گذاشت ولوای نشر علوم و درس فنون وامر معروف و نهی منکر برافراشت

آورده اند که مولانا بعداز تحصیل‌علوم رسمی و اصطلاحی از اقسام علوم آنچه سیدبرهان‌الدین ازشیخ خود از حقایق مکتوم معلوم کرده‌بود مولانارا تعلیم‌و تلقین میکرد چون‌ذات‌ملك صفات اورا بریاضات و مجاهدات مکاشفات ومشاهدات دست داد و قابل اسرار احدی و محرم رموز کنوز احمدی شد بصحبت حضرت خضرعلی نبیناوعلیه السلام مشرف گشت و جمعی کثیر ازعرفای عصر را ملاقات نمود آخرالامر بخدمت تاج العارفین مولانا شمس‌الدین تبریزی رسیدوارادت آن‌جنابرا ازدل وجان‌برگزید ونسبت طریقت شمس‌الدین بجناب قطب الاولیاء و زبدت‌الاصفیاء علی‌بن موسی‌الرضاعلیه‌آلاف‌التحیة و الثناء میرسد براین‌موجب: شمس‌الدین مرید باباکمال جندی بود و او مرید شیخ نجم‌الدین خوارزمی و او مرید شیخ‌عمار بدلیسی واومرید شیخ نجیب‌الدین سهروردی و او مرید شیخ احمد غزالی واو مرید شیخ ابوبکر نساج واومریدشیخ ابوالقاسم کورکانی (و او مرید شیخ ابوعمران مغربی و او مرید شیخ ابو علی رودباری) و او مرید شیخ جنید بغدادی‌واومرید شیخ‌سری سقطی و او مرید شیخ معروف کرخی و او مرید و دربان علی‌بن موسی‌الرضا علیه التحیة والثناء بود

آورده‌اند که‌شمس‌الدین ولد علاءالدین‌بوداز نژاد کیا بزرگ‌امید گویندپدروی‌ترک‌مذهب‌اسمعیلی کرده شعار اسلام ظاهر نمود و در نهانی ولدخود شمس‌الدین‌را بخواندن علم به تبریز فرستاد و در آنجا علم وادب آموخت و انواع فضائل اندوخت جامی‌صاحب نفحات‌الانس آورده که شمس الدین از خاندان اسمعیلیان نیست بلکه‌او تبریزی‌الاصل پسربزازیست‌وبعضی‌گفته‌اند که‌اصل‌شمس‌الدین ازخراسان بوده وخود درشهر تبریز تولدنموده ودراین باب روایت دیگر نیزوارداشت راقم گوید شاخ گل هرجا که‌میروید گل‌است

نقلست که‌چون شمس‌الدین درعالم طلب سیاحت میکرد تا آنکه بخدمت باباکمال‌الدین جندی قدس‌سره رسید و به‌هزار جان ودل مریدش گردیدوقتی باباکمال جمعی از مریدانرا که‌ازآنجمله‌شیخ بهاءالدین زکریا و شیخ فخرالدین عراقی و امیر حسین هروی بودند در خلوت نشاند وشمس‌الدین را نیز بریاضت و خلوت امر کردشیخ فخرالدین عراقی لوایح اسرار را بصورت لوامع و اشعاراملا نموده بعرض شیخ کمال‌الدین‌رسانیدوشمس‌الدین اظهار اینمعانی نمیکرد روزی آن بزرگوار فرمود فرزند شمس‌الدین از حقایق و اسرار که فرزند فخرالدین باظهار آن قیام مینماید برتوهیچ لایح نمیشود عرض‌نمود بیش‌از آن حقایق مشاهده‌می‌افتد او از جهت‌اشتغال‌بمصطلحات‌علوم‌بعبارتی‌مناسب کشف‌بعضی‌اسرار مکتوب‌میتواند کرد ومرا دست‌نمیدهدشیخ‌فرمود که‌باریتعالی ترا مصاحبی‌روزی کند که‌معارف‌وحقایق‌اولین‌وآخرین‌را بنام‌تواظهار کندوینابیع‌حکمت‌ازدل‌اوبرزبانش‌جاری‌شودوهمهٔ آن کسوت‌مقالات مطرزبنام‌تو باشدبعداز آن‌باباکمال‌فرمود که‌ترابطرف‌روم‌بایدرفتن‌ودر آنجاسوخته‌ایست‌میبایداورامشتعل کردن‌شمس‌الدین‌بموجب‌فرمودهٔ وی عمل‌نموده متوجه روم گردیدودرحین گردش آن‌مرزوبوم‌بشهر قونیه‌رسیدودرکاروانسرای‌شکرفروشان‌منزل گزید

روزی‌دربازارمولاناجلال‌الدین براستری‌سواربکوکبهٔ تمام‌عبور مینمود و شمس‌الدین اورا دیده بفراست مطلوب‌را شناخت و در رکابش روان‌شده پرسید که‌غرض‌از مجاهده و دانستن علوم‌چیست

مولانا گفت روش سنت و آداب شریعت است شمس الدین فرمود این خود ظاهر است مولانا گفت ورای آن چیست شمس الدین گفت که علم آنست که ترا بمعلوم رساند و بشاهراه حقیقت کشاند و این بیت سنائی را برخواند

علم کز تو ترا نه بستاند جهل از آن علم به بود بسیار

مولانا از استماع این سخن متأثر و متحیر گشته مرید شمس الدین گردید و بروایت دیگر چون شمس الدین بقونیه رسید مولانا را ملاقات نمود در حالتی که مولانا در کنار حوض نشسته بود و کتابی چند پیش خود نهاده شمس الدین از مولانا پرسید که این چه مصاحفست مولانا جواب داد که این را قیل و قال گویند ترا بآن چه کار است شمس الدین فی الحال کتابها را در آب انداخت و مولانا را متحیر ساخت مولانا از روی تأسف فرمود که ای درویش بعضی فواید والا بود که دیگر یافت نمیشود دیوانگی کردی وضایع ساختی شمس الدین دست دراز کرد یکان یکان همهٔ کتابها را بیرون آورد که آب در آنها اثر نکرده بود مولانا پرسید که این چه سر بود که بظهور پیوست شمس الدین فرمود که این از ذوق و حال است ترا از آن چه خبر بعد از آن باهمدگر صحبت بسیار داشتند و مولانا فرجی و وضع دستار مشابه او ساخت و طریقهٔ سماع آموخت و بیمن تربیت او علم معرفت بر سر عالم افراخت چنانکه میفرماید

هزاران درج در دارد بناگوش ضمیر من از آن الفاظ وحی آسای شکربار شمس الدین
ز عقل و روحها بگذر حجاب عقل برهم در دو سه منزل از آنسو تر ببین بازار شمس الدین

منقولست که چون مولانا ربودهٔ شمس الدین گردید مدت شش ماه در خلوت با او مینشست و می آرامید موالی مولانا شور و غوغا بر آوردند و بر شمس الدین طعن و تشنیع آغاز کردند که سر و پا برهنهٔ و شکم گرسنهٔ ظهور نمود و مقتدای مسلمانان را گمراه کرده است شمس الدین بالضرورد بصوب تبریز روان گردید و مولانا را سوز عشق زبانه کشید و در فراق شمس الدین شعر های سوزناك گفتن گرفت آخر الامر طاقتش طاق شده سوی تبریز شتافت و بعد از زحمات بسیار مطلوب را دریافت در مثنوی از زبان وامدار بر اینمعنی اشارت نموده

ساربانا بار بگشا زاشتران شهر تبریز است و کوی دلستان
فر فردوس است این پالیزرا شعشعهٔ عرش است این تبریزرا
هر زمانی فوج روح انگیز جان از فراز عرش بر تبریزیان

مولانا و شمس الدین پس از چندی با یکدیگر بروم آمدند و چند گاه خالی از اغیار مشغول صحبت شدند باردگر دوستان مولانا که در حقیقت دشمنان بودند حسد و حقد آغاز نمودند

خدای تخم حسود از جهان براندازد اگر حسود نباشد جهان گلستانست

این بار شمس الدین بطرف شام فرار کرد و مدت دو سال در نواحی شام اقامت فرمود مولانا در آن مدت از فراق شمس الدین میسوخت و غزلهای عاشقانه میساخت و عشق شمس الدین بنیاد صبر مولانا را یکباره برانداخت آرام و قرار ازو گم گردید عاقبت مبلغ هزار دینار زر به پسر خود بهاء الدین ولد داده و گفت بزودی بسوی شام بخرام و شمس الدین را در مقام صالحیه خواهی دریافت که با فرنگی زادهٔ شطرنج میبازد زینهار بخاطر خطرهٔ میار که آن پسر یکی از مردانست و از این راه آگاهش میسازد و این زر را بعتبهٔ شمس الدین ایثار کن و کفش آنحضرت را بسوی روم گردان و این ابیات را بخوان

بروید ای حریفان بکشید یار ما را بمن آورید حالی صنم گریزپا را
اگر او بوعده گوید که دم دگر بیاید مخورید مکر او را بفریبد او شما را

از این غزل بهمین دو بیت اکتفا نمود بهاء الدین بحکم والد بشام رفته آنچه از والد شنیده بود دید و آنچه فرموده بود بانجام رسانید و شمس الدین بصوب روم مصمم گردید در آنسفر بهاء الدین در رکاب شمس الدین مسافت یکماهرا پیاده طی نمود هر چند آنجناب مبالغه کرد که سوار شود بهاء الدین قبول نکرد و گفت شاه سوار شود و بنده سوار چگونه خواهد بود

آفرین خدای بر پدری که تو پرورد و مادری که تو زاد

چون شمس الدین بقونیه رسید مولانا بشرف مواصلت مشرف گردید آنجناب در اثنای صحبت اظهار بهجت از بهاء الدین میفرمود و گفت من ازو راضی شدم مرا سری بود و سری سر بتو دادم و سر به پسرت بخشیدم اگر بهاء الدین ولد را هزار سال عمر بودی و همه را در راه طلب رضای خدا صرف نمودی آنچه در این سفر اورا حاصل گشت هزار یك آن حاصل نشدی

نقل است که شبی شمس الدین با مولانا در خلوت صحبت میداشت و اعلام طریقت بر فراز حقیقت می افراشت ناگاه کسی از بیرون در بشمس الدین اشارت کرد مولانا گفت کیست آنجناب فرمود بقتلم میخوانند چون بیرون رفت مولانا صیحهٔ شنیده بیرون دوید چون نظر کرد قطرهٔ خون ریخته دید از آنزمان تاحال از شمس الدین چون عنقا نامیست بعضی گویند بمولانا در عالم واقعه شمس الدین گفت که مرا کشته بچاه انداختند چون مولانا از خواب بیدار شد بسر چاه رسید وجسد آن یوسف مصر ولایت را از چاه بیرون کشید و در مقام مناسب دفن نمود

راقم گوید اینقول بصحت اقربست چنانکه اکنون مزار آن بزرگوار در آن دیار مطاف طائف خلق روزگار است در نفحات مسطور است که باعث هلاك شمس الدین علاء الدین محمد که به تیرانه لیس من اهلك نشانه شده پسر ناخلف مولانا بود و علاء الدین بعد از اقدام بر آن امر شنیع بمرضی مزمن گرفتار گشته بسرای دیگر انتقال نمود و مولانا بجنازهٔ او حاضر نگشت

مخفی نماناد که در کیفیت ملاقات شمس الدین با مولانا اخبار متعدده وارد است که از طول کلام اندیشیده از تذکار آن عنان قلم باز کشید شهادت شمس الدین در سنه ٦٦١ هجری روی نمود

آورده اند که مولانا جلال الدین بعد از واقعهٔ هایلهٔ شمس الدین همواره غمگین میبود و علی الدوام زاری و بیقراری مینمود و آخر الامر خاطر حزین و دل اندوهگین خود را بصحبت و تربیت حسام الدین چلبی المعروف بابن اخی ترك تسلی فرمود نسب وی بدان کس میرسد که فرمود امسیت کردیاً واصبحت عربیا حسام الدین در حجر تربیت مولانا نشوونما یافته و مهر شفقت و مرحمت مولانا بروجنات حال وی تافته و محبوب و منظور مولانا بوده و بحسن طاعت و انقیاد بدرجهٔ عالی ترقی نموده است و کتاب مثنوی که مشهور در السنهٔ صغار و کبار مذکور است باستدعای حسام الدین مولانا بسلك نظم کشیده الحق کتابی بدین نظم و نسق بزبان فارسی چشم زمانه ندیده و گوش روزگار نشنیده است بمرتبهٔ مقبول و مطبوع عرفا گردیده که شیخ بهاء الدین عاملی با آنهمه فضل و کمال در تعریف آن میفرماید

من نمیگویم که آن عالیجناب هست پیغمبر ولی دارد کتاب
مثنوی معنوی مولوی هست قرآنی بلفظ پهلوی
مثنوی او چو قرآن مدل هادی بعضی و بعضی را مضل

در نزد محققان هر قوم پسندیده است چنانکه راقم در جمیع بلاد اقالیم سبعه دیده و شروحی بسیار بزبان فارسی و عربی و ترکی و هندی بر آن نوشته اند

نقلست که حسام الدین شبی اندیشه نمود که در خدمت مولانا استدعا نماید که بوزن منطق الطیر شیخ فرید الدین عطار قدس سره کتابی بنظم آورد و در صبح آنشب بنیت مذکور بخدمت مولانا مشرف گشته مرکوز خاطر را عرضه داشت مولانا بعد از استماع سخن حسام الدین کاغذی از دستار خود بیرون آورده بدست وی داد و فرمود که دیشب وقتیکه از خاطر تو گذشت بر من وارد گشت که اینگونه کتابی منظوم شود و انجام رسد لهذا این ابیات همانوقت از خاطر من سر زد

بشنو از نی چون حکایت میکند وز جدائیها شکایت میکند

اولین شعر کتاب مثنوی تا

درنیابد حال پخته هیچ خام پس سخن کوتاه باید والسلام

بعد از آن مولانا بگفتن مثنوی مشغول گشت از اول شب مولانا نظم نمودی و آخر شب حسام الدین بآواز بلند در حضور مولانا خواندی و بسمع مجلسیان رساندی نوبتی حسام الدین بخدمت مولانا معروض داشت که در وقت خواندن مثنوی گویا میبینم از غیب شمشیرها

کشیده اند و گردن منکران را میزنند مولانا تصدیق نموده گفت نیك دیدی چنانچه درمثنوی بدان اشارت نموده

دشمن اینحرف ایندم درنظر — شدممثل سرنگون اندرسقر
ای ضیاء الحق تودیدی حال او — حق نمودت پاسخ احوال او
دیدهٔ غیبت چوغیبت اوستاد — کم مباداز این جهان این دیدوداد

چون جلداول مثنوی بانجام رسید زوجهٔ مکرمهٔ حسام الدین بسرای جاوید خرامید بدانسبب یا بسبب دیگر اختلال دراحوال حسام الدین ظاهر گردید مدت دوسال [تنظیم مثنوی] بتعویق افتاد ومولانا بگفتن مثنوی لب نگشاد بعداز انقضای مدت مذکوره باردیگر حسام الدین ازخدمت مولانا اتمام مثنوی استدعا نمود چنانچه در اول جلد دوم اشاره برین فرموده

مدتی این مثنوی تأخیر شد — مهلتی بایست تاخون شیرشد
تا نزاید بخت تو فرزند نو — خون نگردد شیر شیرین خوش شنو
چون ضیاء الحق حسام الدین عنان — باز گردانید زاوج آسمان
چون بمعراج حقایق رفته بود — بی بهارش غنچها نشکفته بود
مثنوی که صیقل ارواح بود — باز گشتش روز استفتاح بود
مطلع تاریخ این سوداوسود — سال اندر ششصدوشصت ودوبود

آنگاه بجدتمام وسعی مالا کلام باتمام مثنوی قیام فرمود جلد ششم بپایان نرسیده عارضهٔ بربدن شریفش روی نمود ودرآن بیماری ازجهان فانی بعالم جاودانی انتقال فرمود چنانکه بهاء الدین ولد در آخر مثنوی برآن ایمائی مینماید

مدتی زین مثنوی چون والدم — شد خمش گفتش وراکای زنده دم
از چه رودیگر نمیگوئی سخن — بهر چه بستی در علم لدن
گفت نطقم چون شتر زین پس بخفت — نیستش باهیچکس تاحشر گفت
همچو اشتر ناطقه اینجا بخفت — او بگوید من دهان بستم ز گفت
قصهٔ شهزادگان نامد بسر — ماند نا سفته در سیم پسر
باقی این گفته آید بیزبان — با درون آنکه دارد زنده جان
فهم میگوید شتر چون خفت او — وقت رحلت آمد و جستن زجو
گفتگو آخر رسیدو عمر هم — مژده کامد وقت کز تن وارهم
درجهان جان کنم جولان همی — نگذرم زین نم در آیم دریمی

فقیر گوید ازمحققان ملک روم و دانشمندان آنمرز وبوم بکرات استماع نمود واز ثقات دیار مصر و شام مکررشنود که مولانا از آن مرض صحت یافته دفتر دیگر برمثنوی افزوده آنرا هفت جلد فرموده است چنانچه شیخ اسماعیل قیصری که عالم معالم سخن پروریست درحدود هزار واند هجری شرحی بردفتر هفتم نوشته ودر عنوان آن کتاب مدعیست که ناظم جلدهفتم جناب مولویست وازملحقات نیست چون بعداز تدوین جلد ششم گفته شده لهذا بغیراز کشور شام وروم شهرت نیافته است والله اعلم بحقایق الامور گویند این اشعار از جلدهفتم است

ای ضیاء الحق حسام الدین سعید — دولتت پاینده فقرت بر مزید
چونکه ازچرخ ششم کردی گذر — بر فراز چرخ هفتم کن مقر
سعد اعداداست هفت ای خوش نفس — زانکه تکمیل عدد هفت است وبس

شیخ نجیب الدین رضا تبریزی الاصل اصفهانی المسکن که در زمان شاه سلیمان صفوی پایهٔ سلسلهٔ ذهبیه بوده و کتاب سبع المثانی را ببحرمثنوی تألیف نموده درعنوان آن کتاب فرموده که درعالم واقعه مولانا بمن خطاب کرده فرمود که جلد هفتم مثنوی را توباتمام رسان بنابفرموده مولانا کتاب سبع المثانی را بنظم آوردم فقیر گوید آنچه نزد درویشان روم وشام وعربستان درخصوص جلد هفتم بصحت اقربست قول اولست (آندفتر درآخر همین کتاب مسطوراست) اصحاب معرفت بعداز دقت معلوم میکنند که ناظم آن جناب مولوی بوده یانبوده

معاصرین مولانا ـ آورده اند که درعصر مولانا جلال الدین قدس سره درکشور روم وایران وغیره عرفای عظام ومشایخ کرام بسیار بوده از آنجمله شیخ اوحدالدین کرمانی وشیخ بهاء الدین زکریاء ملتانی وشیخ نجم الدین رازی وشیخ مصلح الدین سعدی شیرازی وشیخ محی الدین الاعرابی وشیخ صدرالدین قونیوی وشیخ مؤیدالدین جندی وشیخ ابوالحسن مغربی الشاذلی وشیخ ابوالعباس المرسی وابن الفارس الحموی المصری وشیخ عزیزالدین نسفی وشیخ ابوالحسن علی الصعیدی المعروف بابن صباغ وشیخ فخرالدین عراقی وشیخ نجیب الدین بزغش شیرازی و شیخ برهان الدین ترمدی وشیخ نورالدین عبدالرحمن اسفراینی و شیخ جمال الدین جوزقانی وشیخ رضی الدین علی لالا غزنوی وشیخ سیف الدین باخرزی وشیخ سعدالدین حموی وشیخ ابومحمد عبدالله المغربی وشیخ یاسین المغربی و شیخ عفیف الدین سلیمان قلمانی وشیخ ابوالغیث الیمنی وشیخ صلاح الدین زرکوب وشیخ موسی سدرانی وشیخ صدرالدین فرغانی وعین الزمان جمال الدین وحاجی بکتاش ولی قدس الله اسرارهم که اکثر آن بزرگوارانرا در شهر قونیه وغیره ملاقات نموده وطریق معاشرت پیموده

در شهور سنه ٦٧٢ هجری درهمان دیاربدارالقرار انتقال نمودمزارفیض مدارش درغایت اشتهاروزیارتگاه ابنای روزگاراست (وفات خواجه نصیرالدین طوسی هم در اینسال اتفاق افتاده)

از ملوك زمان که معاصر آنجناب بودند هلاکوخان وآباقاآن خان در ایران وبندوقدار درمصروشام وعلاءالدین کیقبادسلجوقی درکشورروم وناصرالدین ایلتمش در هندوستان حکومت مینمودند وازفرقهٔ حکما محقق طوسی معاصر آن بزرگوار بوده

روزی اصحاب راخطاب کرده فرمود: اوصیکم بتقوی الله فی السروالعلانیه و بقلة الطعام وقلة المنام وهجران المعاصی والآثام و مواظبة الصیام ودوام القیام وترك الشهوات علی الدوام واحتمال الجفاء من جمیع الانام وترك مجالسة السفهاء والعوام ومصاحبة الصالحین والکرام وان خیرالناس ماینفع الناس وخیرالکلام ماقل ودل

پوشیده نماناد که سلسلهٔ مولوی دربلاد روم ومصروشام وعرب وجزایربحرروم ودیار روم ایلی وعراق عرب جاری و معمولست ودر نزدخوردو کلان واعیان ودانا ونادان وحاجب وسلطان مقبولست لباسی خاص مخصوص درویشان آن سلسله است وتاج نمدی بیدرز برسر گذارند ومشایخ ایشان عمامهٔ نیز برآن تاج بیندند وذکروفکر ومراقبت اورادوسماع وحلقهٔ ذکرجلی درمیان ایشان متداولست ودرهنگام سماع نی ودف میزنند درآن سلسله قانون است که چون خواهد کسی در آن طریقه درآید باید که مدت هزارویکروز خدمت نماید براینموجب که چهل روز خدمت چهارپایان کند وچهل روز خدمت فقرا نماید و چهل یوم آب کشی وچهل یوم فراشی وچهل یوم هیزم کشی وچهل یوم طباخی وچهل یوم حوائج ازبازار آوردوچهل یوم خدمات مجلس درویشان کند وچهل یوم نظارت نماید برین نسق تامدت مقرره تمام شود اگر چنانچه یکروز ازآنمدت ناقص گردد باید که خدمت را ازسر گیرد و چون تمام کند آنکس را غسل توبه دهند ازجمیع محرمات و کسوت از سرکارخانقاه بوشانند وتلقین اسم جلاله براو کنند وحجره جهت آسایش وعبادت بوی دهند وطریق ریاضت ومجاهده تعلیم وی نمایند وآنکس برآن قاعده وقانون مشغول شود تاآنکه صفائی درباطن او ظاهر گردد

مخفی نماند که صوفیه گفته اند که مولانا رامذهب شیعه بوده وبر طریقهٔ حقه عمل مینموده وبر اینمطلب شواهد بسیاراست والله اعلم

خلاصه شرح حال مولانا

مولانا جلال الدین محمدبلخی مشهوربه مولانای روم درششم ماه ربیع الاول سال ٦٠٤ هجری قمری در قبة الاسلام بلخ (یکی از چهار شهربزرگ خراسان که پیش ازهجوم مغول منتهای آبادی راداشته) متولدشده در سال ششصدونودونه بمعیت پدربزرگوارش ازخراسان بآسیای صغیر مهاجرت گزیده وهم آنجا درپنجم جمادی الاخرهٔ ششصدو هفتادوسه بریاض خلدخرامیده وپهلوی ضریح پدرش مدفون شده است

مولانا درشعر چنانکه دربسیاری از غزلهایش بطریق تلمیح آورده است خاموش تخلص میکرده و اورا علاوه بر جلال الدین بلقب خداوندگار نیزمیخوانده اند و اطلاق خداوندگار بمناسبت سلطنت وحکومت ظاهری وباطنی اقطاب برمریدان خود دراعتقادصوفیان تناسب تام دارد. شهرتش برومی یامولانای روم بواسطهٔ طول اقامت

در آسیای صغیر بوده . وچون سلجوقیان آن خطه‌را از امپراتوری روم شرقی منتزع کرده بودند شاخه‌ای ازسلسلهٔ سلجوقی که در آنجا استقرار یافت معروف بسلاجقهٔ روم شد . ولی لقب مولوی تازه‌است

نسب مولانا به‌دو واسطه به‌ابوبکر صدیق می‌پیوندد ومطابق تحقیقات آقای کاظم‌زادهٔ ایرانشهر بدین ترتیب است : جلال‌الدین محمدبن بهاءالدین محمدبن‌حسین‌بن احمدبن محمودبن مودودبن ثابت‌بن مسیب‌بن مطهربن حمادبن عبدالرحمن‌بن ابی‌بکرالصدیق

نیای مولانا حسین‌بن‌احمدخطیبی از افاضل خطهٔ‌خراسان‌بشمار میآمده از خاندان علم وعرفان وپدربرپدرازمشایخ کبار بلخ‌بوده بروایت شمس‌الدین احمد افلاکی درمناقب‌العارفین امام‌رضی‌الدین نیشابوری از اجلهٔ فقهای قرن ششم درمحضروی تلمذ کرده.جدهٔ مولاناازخاندان‌جلیل‌خوارزمشاهیان‌وظاهراً دختر قطب‌الدین‌محمدبوده

پدر مولانا بهاءالدین محمدبن‌حسین ملقب بسلطان العلماء مشهوربه‌بهاءالدین‌ولد معروف‌به مولانای‌بزرگ ازبزرگان‌صوفیان ایران‌تربیت‌یافتهٔ شیخ‌اجل‌ابوالجناب نجم‌الدین‌احمدبن‌عمرخوارزمی معروف به کبری بوده و خرقه‌اش به‌سبب عماریا سر و ابوالنجیب سهروردی‌به‌شیخ‌احمدغزالی‌میپیوسته.بروایت‌فریدون سپهسالار(از یاران‌مولانا که‌رساله‌ای‌درسوانح‌زندگانی‌مولانا گردآورده)شهرت‌علمی سلطان‌العلماء،باندازه‌ای،بودکه‌ازاقصای‌خراسان‌فتاوای‌مشکل‌رابحضرت او آوردندی ودرشهر بلخ مسند افاضت و ارشاد داشته خواص و عوام آن‌خطه اوراعظیم معتقدبودندپیوسته بامر معروف ونهی‌از منکراشتغال‌داشت‌وهرگاه که‌مجلس میگفتی گروه بیشماری از هر طبقه درپای منبر وعظش گرد میآمدند واوبرهمهٔ دلها مشرف‌بود

مسلك تصوف ازقرن‌پنجم هجری باینطرف درمیان مسلمین رونق و عظمت تمام‌یافته ازخواص گذشته در تودهٔ عوام هم منتشر شده‌بود . اقطاب مشایخ‌روش‌خویش‌را بدین ومذهب‌نزدیك ساخته سخنان‌ومجالس خودرابذکرخداورسول وآیات‌واحادیث‌میآراستند و در دورهٔ که بیشتر علماء فقه وحدیث بواسطهٔ تصدی شغل قضا آلایش مادی پیدا کرده حدود شرع را مهمل میگذاشتند رؤسای صوفیه به‌ترك‌دنیا و اعراض ازامراء و عزلت و انقطاع ظواهر حال خودرا میآراستند

بواسطهٔ‌مخالفتی که میان صوفیه و حکما بود سلطان‌العلماء علناً در محضر وبرسرمنبر بآنان بد میگفته وپیروان فلسفهٔ‌یونانرا گمراه و مبتدع میخوانده خصوصاً بامام فخرالدین محمدبن عمر رازی از بزرگان حکماو متکلمین‌عصر که‌در آن اوقات درخوارزم اقامت داشته استاد و مصاحب‌سلطان علاءالدین محمد خوارزمشاه بوده است تعریض میکرده

بروایت افلاکی سلطان العلماء درنتیجهٔ دسته‌بندی علماءمعقول ومنقول ومکدرساختن صفای آئینه خاطر خوارزمشاه نسبت بوی‌از سلطان‌ومردم بلخ رنجیده تصمیم بمهاجرت داد (از جملهٔ ساعیان‌نام امام‌فخروقاضی‌زین‌فزاری ورشیدقبائی‌ذکرشده‌است)سلطان‌العلماء در نیشابورشیخ عطارراملاقات نمود که‌اسرار نامه‌را بمولانا که‌در آنوقت پنجساله بود بخشیدواز آنجا بعزم‌حج بیت‌الله‌الحرام رهسپار بغداد شدوبروایت‌نورالدین‌عبدالرحمن‌جامی درنفحات‌الانس‌روزیکه باخانواده‌ومریدان بدارالسلام درآمد جمعی‌پرسیدند که : اینان‌چه طائفه‌اند ، ازکجا میآیندوبکجامیروند؟ گفت : من‌الله والی‌الله‌ولا قوة الاباالله . این سخن‌را بسمع‌عارف مشهورشیخ‌شهاب‌الدین‌عمربن محمد سهروردی‌رسانیدندفرمود:ماهذاالابهاءالدین البلخی؟وموکب سلطان‌العلماء را استقبال کرد

باحسن‌پذیرائی شیخ واقبال‌خواص اهل‌عرفان سلطان‌العلماء سه‌روز بیشتر دربغدادنمانده‌روزچهارم ازمرکزخلافت‌اسلامی روانهٔ حجازشد وپس ازگزاردن مناسك حج وتشرف بمدینهٔ طیبه بعزم بیت‌المقدس وزیارت‌مزارسایرانبیاءعظام‌ازحجازرهسپارشام گردید، اهل‌شام‌خواستند اورا نگاهدارند نپذیرفت وبطرف‌ارزنجان‌رفت و چهارسال‌در آن‌خطه‌رحل‌اقامت‌افکندوازفخرالدین‌بهرامشاه‌حکمران ارزنجان‌وپسرش‌علاءالدین‌داودشاه‌اقبالهادیدمولانادرهیجده‌سالگی درشهرلارنده بفرمان‌پدر گوهرخاتون دختر خواجه‌لالای‌سمرقندی را بهمسری اختیار کرد وبهاءالدین محمدمعروف بسلطان‌ولد و علاءالدین‌محمد ازین اقتران بوجودآمدند بروایت افلاکی‌سلطان العلماء،پس‌ازچهارسال اقامت‌درملاطیه وهفت‌سال‌درلارنده‌بخواهش علاءالدین کیقباد دوازدهمین پادشاه سلجوقی روم بشهر قونیه که دارالملك‌بودرفت. شاه‌وامیران‌بزیارتش آمدند و ازسرصدق دست ارادت دردامانش‌زده درمراعات‌جانب‌او لوازم‌اهتمام بعمل‌میآوردند وپای‌وعظش‌می‌نشستند واهل‌روم ازجان‌ودل بوی گرویدند .

ازانتقال‌سلطان‌العلماء به‌قونیه‌بیش‌ازدوسال نگذشته‌بود که‌تن بربستر ناتوانی‌نهاده درسنهٔ ششصدوبیست‌وهشت زندگانی‌رابدرود گفت.مردم‌شهردرعزای‌اورستخیزعظیم‌برپا کردند.سلطان‌علاءالدین یکهفته درمسجدجامع‌خوان‌نهاد ومالهابفقرابخش کرد.چون‌پدرسر درحجاب‌خاك کشیدمولانا که‌در آنهنگام‌بیست‌وچهارساله‌بودبخواهش پادشاه وامراء والحاح‌مریدان‌برجای‌وی برمسندوعظ وافادت‌نشست ویکسال‌تمام‌دورازطریقت،مفتی‌شریعت‌بود که‌سیدبرهان‌الدین‌محقق ترمدی ازشاگردان سابق‌سلطان‌العلماءوخواص‌اولیاء صوفیه‌بقونیه رسیدو درآنشهربساط‌ارشاد ودستگیری‌خلایق بگسترد ومولانارا در علوم ظاهری بیازمود و گفت : پدربزرگوارت راهم علم قال بکمال‌بود وهم‌علم‌حال چون درعلوم شریعت وفتوی‌جانشین‌اوشدی میخواهم که درعلم‌حال‌هم سلوکها کنی تاخلف‌صدق‌پدرباشی‌اگر مریدشوی مرادیابی وآنچه ازاو بمن رسیده دیدنیست نه آموختنی مولانا برغبت تمام براوبگروید وبروایت‌سپهسالار مدت نه‌سال‌سرو کارش باسیدبرهان‌الدین بودوبراهنمائی آنعارف کامل طریق‌سیر وسلوك‌میپیمود .بروایت افلاکی مولانا دوسال‌پس‌ازمرگ‌سلطان العلماء باشارت سید باچندنفرازمریدان پدربجانب‌شام عزیمت کرد تامرتبهٔ کمال خودرا درعلوم ظاهر باکملیت رساند . ابتدا درشهر حلب بمدرسهٔ حلاویه‌نزول فرمود و از حوزهٔ درس‌مدرس‌دانشمند آن‌مدرسه‌کمال‌الدین‌ابوالقاسم‌عمربن‌احمدمعروف‌بابن‌العدیم‌استفادها برد وپس‌از آنکه سه‌سال درحلب به‌تحصیل علوم‌اسلامی پرداخت رهسپاردمشق‌شد.علماومعارف‌شهرمقدمش‌را گرامی‌داشته‌درمدرسهٔ قدسیه فرودش‌آوردند وخدمات‌شایان بتقدیم‌رسانیدند .

مولانا چهارسال در کرسی‌شام که در آنهنگام مرکزبزرگان و مجمع‌علم‌وعرفان‌بودبه‌زهدوریاضت‌تمام‌درتکمیل‌معارف‌دینی‌کوشیدو هدایه‌را که‌کتاب‌جامعیست درفقه حنفی دارای شروح وتعلیقات و حواشی بسیارتألیف شیخ‌الاسلام برهان‌الدین‌علی‌بن‌ابی‌بکرمرغینانی نزداساتیدفن بدقت‌دیدوهم درین شهربفیض صحبت عارف مشهور محی‌الدین العربی وبزرگان‌دیگرنائل گردید

مولانا پس‌از هفت‌سال مسافرت بقونیه‌بازگشت و بدستور سیدبرهان‌الدین بریاضت‌پرداخته‌سه‌چلهٔ‌متوالی‌برآوردتانقدوجودش بی‌غش‌وتمام‌عیار بلکه سراپا نور گردید . چون‌جان‌پاك‌سیددرسنهٔ ۶۳۸ ازخاکدان‌تن بقرب قدس‌انتقال یافت مولانا در دارالملك قونیه برمسند ارشاد وتدریس متمکن گردیده به‌تربیت مستعدان همت گماشت‌مریدان‌بسیار بروی گردآمدند وپروانه‌وارپیرامن‌شمع وجودش‌میگردیده‌حضرتش‌را پیشوای‌دین‌ومفتی‌شریعت وراهنمای طریقت میشناختند

مولانا نزدیك‌پنج‌سال بسنت جدوپدرهم درمدرسه‌بتدریس فقه ودیگرعلوم‌اسلامی‌میپرداخت وهم‌برسم‌زهدپیشگان‌آنزمان‌مجلس وعظوتذکیرمنعقدساخته ومردم‌را تبشیر وتنذیرمیکرد. همه‌روزه طالبان علم که بگفتهٔ دولتشاه‌سمرقندی عده‌شان بچهارصد میرسید متناوباً درمدرس‌ومحضرش برای‌استفاده‌حاضر میشدندوصیتش در اطراف جهان‌منتشر گردید .

مولاناسرگرم تدریس وقیل‌وقال مدرسه‌بود فتوای شرعی

مینوشت وازیجوزولایجوز سخن‌میراند وخاق بعلوم‌ظاهر وزهدو ریاضت اوفریفته شده‌بخدمت‌ودعای وی‌تبرك‌میجستند که ناگهان آفتاب عشق‌وشمس‌حقیقت پرتوی‌بر آن‌جان‌پاک افکند. آن‌طوفان عظیم که‌این‌اقیانوس آرام‌را‌متلاطم‌ساخت شمس‌الدین‌محمدتبریزی ژولیده پیری‌از پیران‌صوفیه بود که نفسی گرم و جاذبه‌ای قوی و بیانی مؤثر داشت

بروایت افلاکی شمس‌الدین محمدبن‌علی‌بن‌ملك‌دادتبریزی (که گویندپدرش اصلا ازباوردخراسان‌بوده وبتجارت به آذربایگان رفته) ابتدادست ارادت بدامان‌شیخ ابوبکرزنبیل‌باف که‌در کشف القلب‌یگانهٔ‌زمان‌خودبود زده چون‌درسیروسلوك درجهٔ کمال یافت درطلب‌کاملتری سفری‌شد وسالها گردبلادوامصاربر آمده ازشهری بشهری راه‌میپیمودوبااهل راز وریاضت‌انس والفت مینمود پیوسته نمدسیاه میپوشیدوهمه‌جادرکاروانسرای منزل‌میکردوبخدمت‌چندین ابدال واوتاد و اقطاب رسیده اکابرصورت ومعنی‌رادریافته‌بود

شمس‌تبریز بامداد روزدوشنبهٔ ۲۶ جمادی‌الاخره سال۶۴۲ بقونیه‌رسیده درخان‌شکر ریزان نزول کرد . ودریك مجلس چنان مولانارا مجذوب وفریفتهٔ‌خودساخت که منبر ومحراب وحوزهٔ‌درس ومسند ارشادرا رهاکرده حلقهٔ‌بندگی‌اورا بگوش کشید !

آفتاب‌دیدارشمس چنان‌برروان‌مولانابتافت‌وآتش درخرمن هستی اوزد که‌هرچه جزمعشوق‌باقی‌بسوخت

چگونگی‌دیدارپیرتبریزی را بامولاناباختلاف‌ذکر کرده‌اند محی‌الدین عبدالقادر مصری مؤلف الکواکب المضیئه فی‌طبقات الحنفیه درسبب‌تجرد وانقطاع مولانا مینویسد که: روزی درحجره نشسته‌بودو کتابی چند پیرامون خودنهاده وطالب علمان بروی‌گرد آمده‌بودند شمس‌الدین‌قلندروار درآمد وسلام‌گفت ودرصف نعال بنشست واشارت‌بکتب کرده پرسید : این‌چیست ؟ مولانافرمود تو این‌ندانی‌هنوزاین‌سخن بانجام‌نرسانیده‌بودکه آتش‌در کتابهاو کتابخانه افتاد ! مولاناپرسید این‌چه‌باشد؟شمس گفت‌تونیزاین‌ندانی!برخاست وبرفت‌مولانامجردواربر آمدوترك‌مدرسه و یاران‌وفرزندان گفت.

مطابق روایت سلطان ولدپسرمولانادر ولدنامه:عشق مولانا بشمس‌الدین مانند جستجوی موسی‌است ازخضر که بامقام شامخ رسالت ورتبهٔ کلیم اللهی‌بازهم مردان خداراطلب میکرده .

مولانا که‌تا آنروز خلقش‌بی‌نیازمیشمردند نیازمندواربدامن شمس که از مستوران قباب‌عزت‌بود درآویخته یکجا اسیرعشق و جذبهٔ‌وی گردید ومطلوب‌را بخانه‌برده‌بااوبخلوت‌نشست ودربرآشنا وبیگانه ببست و آتش استغنا در محراب‌ومنبرزده ترك‌مسندفتوی‌و تدریس و کرسی‌وعظ وتذکیربگفت وباهمهٔ‌استادی درخدمت معلم عشق‌زانو زده نوآموز گشت

بروایت افلاکی‌این‌خلوت‌بچهل‌روزیاسه‌ماه کشید

شمس‌الدین‌بمولانا چه‌آموخت وچه‌فسون‌ساخت که‌او ازهمه‌چیز وهمه کس گذشته خودرا نیز درقمار محبت‌باخت برمامجهول‌است . ولی کتب مناقب وآثاربرین متفقند که‌مولانا پس‌ازین خلوت روش خودرا بدل‌ساخت ، وبجای‌قیل‌وقال‌مدرسه واهل بحث وجدل گوش به نغمهٔ‌جانسوز نی وترانهٔ دلنوازرباب نهاد، بااینکه قبلاشب‌تابصبح درنمازبود وهرسه‌روزیکبار روزه‌میگشاد ـ وچیزیکه‌مولانارا از همهٔ رسیدگان‌جهان ممتازمیسازد همین تحول‌روحانی است که در پیوستن‌به پیر تبریزی برای‌اوپیش آمد

برشاگردان ویاران‌مولانا که‌باچشمهای‌غرض‌آمیز بشمس‌الدین مینگریستند تمکین‌او که شیخ‌وشیخ‌زاده ومفتی‌ومدرس ومذکربود نسبت بمردیکه بنظرشان لاابالی وبیرون ازاطوار معرفت میآمد سخت گران‌وناگوارمینمود.مریدان نیز شکایت وتشنیع آغاز کردند فقها وزهادحتی عوام قونیه‌هم ازتغییر روش مولانا خشمگین شدند

بالاخره‌شمس پس‌از شانزده‌ماه ازگفتارورفتار ایشان که اورا ساحر وجادو میخواندند رنجیده بیخبرسرخویش گرفت و برفت .

مولانا درطلب اوبقدم جد ایستاد وپس‌از جستجوی بسیار خبریافت که گمشدهٔ‌او دردمشق شام‌است . نامه وپیام متواتر کرد وپیك‌درپیك‌پیوست ، غزلهای سوزناك سروده بخدمت شمس‌الدین فرستاد آن‌نامه های‌منظوم که‌قدیمترین اشعار تاریخی مولاناست‌در دل شمس اثربخشیده متمایل گردید که‌باردیگرعنان مهر بسوی‌آن عاشق دلسوخته بتابد . مریدان ویاران مولاناهم که‌در نتیجهٔ‌غیبت شمس‌الدین و پژمردگی ودلتنگی مولانا ازفیض دیدار وحلاوت گفتار وذوق تربیت‌اوبی‌بهره مانده موردبی‌عنایتی شیخ‌خود واقع گردیده‌بودند از کرده‌پشیمان گشته دست انابت دردامن غفران وی زدند . مولاناعذرشان‌پذیرفته‌فرزندخودسلطان‌ولدرابدمشق‌فرستاد

سلطان‌ولد نقودچندی نثارقدم‌شمس کردوبندگیها نموده پیغامهای پدررا برسانید دریای مهرشمس جوشیدن گرفت و گوهر های حقایق‌برسلطان ولدافشانده رهسپار قونیه گردید وسلطان‌ولد بیش‌ازیکماه ازسرصدق ونیاز پیاده درركابش راه میپیمود

مولاناازرسیدن شمس‌خاطرش چون گل ازنسیم‌صباشکفت مریدان‌ویاران‌پوزشها کردند وهریك‌باندازهٔ‌وسع‌خویش‌خوان‌نهاده وسماع دادند ـ مولاناچندی باپیر تبریزی تنگاتنگ‌صحبت داشته درخلوت بروی غیر ببستند ،گاهی‌هم بااوبصحرا رفته وخوش‌شور وغوغائی داشتند ولی‌رفته‌رفته بازمریدان ویاران مولانا وخواص وعوام‌قونیه درخشم آمده بدگوئی وشناعت‌آغاز کردند مولانارا دیوانه وشمس‌الدین را جادو خواندند

ظاهراً علت تشنیع فقها وزهاد و هیجان عوام آن بود که مولانا پس از اتصال به‌شمس ترك وعظ و تدریس گفته بسماع و رقص نشست وجامه ودستار فقیهانه‌را به فرجی هندباری و کلاه‌پشم عسلی بدل کرد وفرمود رباب‌را که ازقدیم‌العهد عرب چهارسوبود شش‌خانه ساختند وشب و روز بوجدوسماع‌پرداختند

مولانا مریدان قدیم‌خالص داشت که‌بعضی ازبلخ‌دررکاب‌پدرش بقونیه آمده‌بودند وعدهٔ‌هم دربلاد آسیای‌صغیربدین خاندان پیوسته بودند و اورا عالم ربانی وپیشوای بحق وشیخ‌راستین وقطب‌زمان میدانستند پس‌از آمدن‌شمس‌الدین وانقلاب حال‌مولانا دستشان‌از دامان شیخ‌خود کوتاه ماندتشنیع فقها وزهادهم مقوی این کدورت گشته آنانرابدشمنی‌شمس وامیداشت،احتمال قوی میرود که‌دسته‌ای ازخویشان وبستگان مولانا نیز که‌ازشکست کارخود نگران بودند با این گروه در آزار شمس‌الدین‌همدست‌شدند

بروایت سلطان‌ولد چون مریدان و یاران وبستگان مولانا بکین شمس کمربستند پیر تبریز دل‌ازقونیه برکند و مصمم‌شد که چنان رود که دیگر خبرش‌هم بدورو نزدیك نرسد . این سخن‌را با سلطان ولد در بین نهاد و ناگهان از میان همه گم‌شد و انجام کارش معلوم نشد !

چون‌شمس‌حقیقت‌درزیر ابراسرار ناپدید شد اخبار واراجیف که‌شایدبعضی‌از آنراهم دشمنان‌برای رنجش‌خاطرمولانا میساختند ازهم نمیگسست ، خبرمرگ وقتل وحیات شمس‌الدین همه‌روزه بگوش میرسید ، مولانادرجوش و خروش ومیان امید ونومیدی سرگردان بود و بروایت دولتشاه در آرزوی شمس میسوخت و قوالان رامیفرمود تاسرودعاشقانه‌میگفتندوشب وروزبسماع اشتغال داشتند وبیشتر غزلیاتش درفراق‌شمس‌الدین‌است .

چون ازمجموع اخبار مستفادشد که مشرق‌آفتاب عشق دمشق شام‌است وتشنیع فقیهان وجنبش‌عوام قونیه‌هم خاطر مولانارا سخت افسرده بود درطلب یار گمشده رهسپار شام گردید وخلقی بسیار درپی اوروان گشتند.مولانا دردمشق‌همچنان مجلس سماع ورقص ساز کردوپیوسته بافغان وزاری شمس‌تبریزی‌راازهرکوی وبرزن میجست‌ونمی‌یافت وازشدت اشتیاق ناله‌های پرسوز ازدل‌برمیآورد و اشعار غم‌انگیز میسرود . دمشقیانی که اهل دیدبودند بمولانا گرویده مال‌وخواسته در قدمش‌نثار میکردند وبرخی دیگر که‌از

سر کار آگهی نداشتند از حالاتش در شگفتی میماندند و میگفتند آن کیست که این بزرگ مردرا چنین فریفته و دلباختهٔ خود ساخته است.

چون کوشش مولانا در طلب شمس الدین بجائی نرسید ناچار باجمع مریدان بقونیه باز آمد و سماع بنیاد کرد و پس از سالی چند باز عشق شمس سر از گریبان جانش در آورده بار دیگر روی بدمشق نهاده ماهها درشام بجستجو گذرانید لکن این بار نومیدی تمام بحصول پیوست. ولی بقول سلطان ولد اگرچه مولانا شمس را بصورت در دمشق نیافت ولی بمعنی درخود یافت - پس از آنکه مولانا از وصول بشمس الدین نومید شد بقونیه باز گشته بتربیت و اصلاح خلق پرداخت و بجدی تمام به تکمیل ناقصان و ارشاد سالکان مشغول شد

مولانا که در علم و عرفان بمقام بلندی رسیده بود نظر باستغراقی که خود در کمال مطلق و جلوات جمال ربوبیت داشت پیوسته یکی از یاران گزین را بدستگیری و ارشاد طالبان برمیگماشت. نخستین بار صلاح الدین فریدون زرکوب قونوی را منصب شیخی و پیشوائی داد . یاران و مریدان که در آتش عشق نگداخته و در بوتهٔ ریاضت و سلوك از غش هوی و وهم پاك برنیامده بودند بجز مولانا هیچکس را قبول نمیکردند و شیخ صلاح الدین را که بروایت افلاکی مردی بیسواد و در بازار قونیه بزرکوبی روزگار میگذرانید برای دستگیری و راهنمائی سزاوار نمیدیدند بار دیگر سراز فرمان مولانا پیچیده بدشمنی صلاح الدین برخاستند و سخنان گزنده درحقش گفته بر آن شدند که اورا ازمیان بردارند مولانا علی رغم منکران حسود دیده بر شیخ صلاح الدین گماشت و عنایت و لطف را نسبت باو بحدی رسانید که پیوستگان و فرزندان خودرا فرمان داد تا دست نیاز در دامن وی زنند و از فرط علاقه فاطمه خاتون دختر صلاح الدین را برای سلطان ولد عقد بست ولی پس از دو سال صحبت بی انقطاع ناگهان شیخ صلاح الدین رنجور شد و بیماریش سخت دراز کشیده درسنهٔ ۶۵۷ در گذشت

بعد از مرگ صلاح الدین توجه مولانا بحسام الدین حسن چلبی معروف به ابن اخی ترك معطوف شد و اورا منصب شیخی داد حسام الدین از نخبهٔ مریدان مولانا بود که در زهد و تقوی و معرفت دارای مقامی رفیع و در رعایت دقایق شریعت بی نهایت مراقب بود

دوستی مولانا نسبت به چلبی بجائی رسید که لحظه ای خاطرش بی او نمیشکفت و اورا برفرزندان خود ترجیح داده و آنچه از زخارف دنیوی برایش میرسید فوراً بحسام الدین میفرستاد و یاران و مریدانهم که در طول مدت مهذب و مؤدب شده بودند پیشوائی چلبی را با کمال میل پذیرفته در پیشگاه او سر تمکین نهادند

بهترین یادگار ایام صحبت مولانا با شیخ حسام الدین نظم مثنوی معنویست که یکی از شاهکارهای ادبی ایران و بزرگترین و عالیترین اثر متصوفهٔ اسلام می باشد

سبب افاضهٔ این فیض از وجود مولانا چلبی بوده که چون میدید یاران بیشتر بقرائت آثار شیخ فریدالدین عطار نیشابوری و شیخ ابوالمجد مجدود سنائی غزنوی مشغولند شبی در خلوت از مولانا درخواست کرد کتابی بطرز منطق الطیر عطار یا الهی نامه سنائی (حدیقه) بنظم آرد مولانا فی الحال از سر دستار خود برگی که هجده بیت از آغاز دفتر نخستین مثنوی بر آن نوشته بود بیرون آورده بدست او داد

جذب و کشش حسام الدین بار دیگر دریای طبع مولانا را بجنبش در آورد و شور و شوق دیگر داد . شبها حسام الدین در محضرش می نشست مولانا ببدیههٔ خاطر شعر میسرود و رموز و اشارات عالم غیب را بشیوهٔ سخن گستری بیان میکرد و او مینوشت . چون دفتر نخستین مثنوی بانجام رسید همسر حسام الدین در گذشت و شیخ را پراکنده دل و غرق سکوت کرد طبع مواج مولانا هم که مشتری نمیدید از تلاطم افتاد دو سال تمام در نظم مثنوی تأخیر شد تا بار دیگر تفرق خاطر چلبی بجمعیت مبدل و خواهان انجام مثنوی شد

صحبت مولانا با شیخ حسام الدین پانزده سال امتداد یافت و یاران و مریدان از اثر صحبت آندو فوائد بیشمار میبردند و به ارادت تمام بخدمت آنان مسابقت میورزیدند مولانا از زحمت ناقصان تاحدی آسوده خاطر و در صحبت چلبی بود و یاران پروانه وار گرد شمع وجودش میگردیدند که ناگاه آن توانای عالم معنی به حمای محرق در بستر ناتوانی بیفتاد ، هرچه طبیبان بمداوا کوشیدند سودی نبخشیده مقارن غروب روز یکشنبه پنجم ماه جمادی الاخرهٔ سال ۶۷۲ در سن شصت و هشت سالگی روح پرفتوحش بریاض قدس اتصال یافت. بروایت افلاکی در شب آخر که مرض مولانا سخت شده بود خویشان و پیوستگان اضطراب عظیم داشتند و سلطان ولد هم هردم بیتابانه بسر پدر می آمد مولانا این غزل آتشین را نظم فرمود :

روسر بنه ببالین تنها مرا رها کن ترك من خراب شب گرد مبتلا کن

مسلمین قونیه از خورد و بزرگ در تشییع جنازهٔ مولانا حاضر شدند یهود و نصارای آنشهر نیز که صلح جوئی و نیکخواهی ویرا آزموده بودند بهمدردی اهل اسلام شیون و افغان میکردند . بروایت محمود مثنوی خوان در ثواقب مسلمین از یهود و نصاری پرسیدند که : شمارا با مولانا چه تعلق بوده است ؟ گفتند: اگر مسلمانان را بجای محمد بود ما را هم موسی و عیسی بود و اگر شمارا پیشوا و مقتدی بود ما را هم همان بود که قلب و فؤاد ماداند ؛ شیخ صدرالدین ابوالمعالی محمد بن اسحاق قونوی از بزرگان علماء تصوف و مشاهیر شاگردان شیخ محی الدین عربی بر مولانا نماز گزارد و از شدت بیخودی و درد پس از سلام شهقهٔ زده از هوش برفت جنازه را بحرمت تمام برگرفته در ارم باغچه نزد ضریح منور پدرش (سلطان العلماء) مدفون ساختند

بروایت افلاکی قاضی سراج الدین ابوالثنا محمد بن ابوبکر ارموی از اجلهٔ علماء عصر در برابر تربت مولانا این بیتها برخواند

کاش آنروز که در پای تو شد خار اجل دست گیتی بزدی تیغ هلاکم برسر
تا درین روز جهان بی تو ندیدی چشمم این منم بر سر خاك تو که خاکم برسر

مدت چهل روز یاران و مردم قونیه تعزیت مولانا میداشتند و با ناله و گریه برفوت آن سعادت آسمانی دریغ و حسرت میخوردند

علم الدین قیصر که بروایت افلاکی از اکابر قونیه بود باسرمایهٔ سی هزار درم همت بست که بنائی بر سر تربت مقدس مولانا بنیاد کند وزیر معین الدین سلیمان بن علی مشهور به پروانه اورا به هشتاد هزار درم نقد و پنجاه هزار درم دیگر حواله مساعدت فرمود و قبهٔ موسوم به خضراء بر مرقد مبارك تأسیس یافت علی الرسم چندقاری و مثنویخوان در سر تربت مولانا بودند. سلطان العلماء پدرش و پنجاه تن از اولاد و جانشینان مولانا آنجا مدفونند .

آثار مولانا

آنمقدار از آثار مولانا را که باقی مانده بدو قسمت منثور (فیه مافیه - مجالس سبعه - مکاتیب) و منظوم (غزلیات - رباعیات - مثنوی) میتوان تقسیم کرد

۱ - فیه مافیه - مجموعهٔ تقریرات مولانا است که در مجالس خود بیان فرموده و پسرش سلطان ولد یا دیگری از مریدان یادداشت کرده و بصورت کتاب در آمده - موضوع فصول و مجالس و نتیجهٔ آنها مسائل اخلاق و طریقت و نکات تصوف و عرفان و شرح و تبیان آیات قرآن و احادیث نبوی و کلمات مشایخست، بسال ۱۳۳۳ هجری قمری در تهران و بعد در هندوستان و شیراز چاپ شده است و ما برای نمونه پارهٔ از موضوعات مختلف آنرا در صفحهٔ ۳۳ آثار مولانا نقل کرده ایم

۲ - مجالس سبعه که عبارت از ۷ مجلس از مواعظ مولانا است که بر سر منبر بیان فرموده و نسخهٔ خطی آن در اسکدار در کتابخانه سلیم آقا محفوظ بوده و سه سال قبل با اجازهٔ آقای ولد چلبی افندی و بسعی آقای محمد فریدون نافذ در استانبول چاپ شده است و ما برای آنکه همه بتوانند بآن دسترسی داشته باشند عین آنرا جزء آثار مولانا نقل کرده ایم

۳ - مکاتیب مولانا - مجموعهٔ مراسلات او بمعاصرین است که اخیراً در استانبول بسعی آقای فریدون نافذ چاپ شده و ما ۷ مکتوب آنرا جزء آثار مولانا انتخاب کرده ایم

۴ - غزلیات - که بنام دیوان شمس معروفست و دوبار در هندوستان چاپ شده در حدود پنجاه هزار بیت میباشد که قسمتی از آثار دیگرانهم با اشعار مولانا مخلوط گردیده - اکثر غزلیات مولانا

باشور وبیقراری ازعشق وارادتیکه بشمس‌داشته ساخته‌شده و بنام شمس‌تبریزی تخلص کرده بقسمی که اگر کسی آگاه نباشد تصور میکند شمس‌شاعری‌بوده که اینهمه‌غزل را بنظم آورده(قریب صد غزل بنام صلاح‌الدین‌وحسام‌الدین وقریب‌دویست‌غزل هم نام خمش یاخاموش درمقطع آن‌ذکرشده) مابرای‌آنکه خوانندگان بسبك غزلیات مولانا آشناباشند ۲۳ غزل گلچین نموده‌درصفحات ۳٤ و ۳۵ چاپ کرده‌ایم.منتخب دیوان شمس که‌بوسیلهٔ‌رضاقلیخان هدایت انتخاب شده چندین‌مرتبه‌درتهران‌چاپ شده‌است

۵ـ رباعیات‌مولانا ـ درمطبعهٔ اختراستانبول‌بسال ۱۳۱۲هجری قمری‌چاپ‌شده متضمن ۱٦۵۹ رباعی‌است که قسمتی از آن بیشك متعلق بمولاناست وقسمتی‌مشکوك میباشد وبرای‌نمونه ۵٤رباعی درصفحه ۳٦ نقل شده‌است

٦ ـ مثنوی چنانکه سابقاً ذکر شد مثنوی را مولانا بخواهش حسام‌الدین چلبی‌شروع فرموده وازسال ٦۵۷ تا ٦٦۰ دفتر اول آنرا برشتهٔ نظم کشید وپس‌ازفترت دوساله‌به‌نظم‌دفتردوم‌پرداخت. تا انتهای دفتر ششم که از جهت مطلب بریده ومقطوع‌ماندو قصه شهزادگان‌بسرنیامده‌مولاناجان‌تسلیم فرمود وسوای ۱۸ بیت آغاز دفتراول که‌بخط مولانا نوشته‌شده بقیه‌را میفرموده‌و حسام‌الدین و سایرمریدان مینوشتند وبعد برای‌مولانا میخواندند اما دفترهفتم با یك‌مراجعهٔ اجمالی‌بابیات آن‌ازحیث‌طرزشعر و الفاظ غریب واعتقاد صاحب‌اسرار بامام‌فخررازی وغیره‌واضحست که‌ازمولانا نیست وما برای اینکه خوبی واستحکام اشعار مولانا واضح گردد بچاپ‌دفتر هفتم بدون‌شرح‌مبادرت ورزیده‌ایم تابدانند که هر که مثنوی‌ساخت مولانانمیشود.مثنوی قریب‌صد مرتبه‌درایران‌وهند واروپاو مصر و ترکیه‌چاپ‌شده‌وملاحسین کاشفی آنراملخص‌وبحسب‌مرام‌مرتب‌ساخته لب‌ولباب‌نامیده‌وچندین‌نفردیگرهم‌قسمتی‌از آنرابنام‌مثنوی‌الاطفال‌و خلاصة‌المثنوی ومنتخبات مثنوی وغیره گلچین نموده‌چاپ کرده‌اند

مثنوی حاضر

این‌بنده دردیماه‌سال۱۳۱٤درصددچاپ‌مثنوی‌برآمده‌وبرآنشدم که‌نسخهٔ‌چاپ‌مرحوم میرزامحمود خونساری‌راکه بتصحیح میرزای جلوه ودیگران رسیده بود عیناً باکشف‌الابیات بطبع‌رسانم اتفاقاً مثنوی خطی کهنه‌ای که بسال ۸٤۳ هجری نوشته شده بدست آمد که متأسفانه‌ازاول وآخرآن چندصفحه‌افتاده‌داشت‌وپس‌ازمقابله معلوم‌شدمثنوی‌محتاج اصلاح بسیاریست،دراین‌اثناآگاه‌شدم که‌نسخهٔ نفیسی‌ازمثنوی‌دراختیارحضرت‌استادی آقای‌سرتیپ‌عبدالرزاق‌مهندس بنایری‌است که بیك‌واسطه از روی‌خط بهاءالدین‌ولد پسر مولانا نوشته شده ونسخهٔ‌خطی‌دیگری ازاستاد معظم آقای ملك‌الشعراء بهار بعاریت گرفته شد که‌مولوی‌عبداللطیف‌با ٤۸ نسخهٔ‌مثنوی‌مقابله کرده وامتیازاتی داشت‌وهمچنین بدورهٔ مثنوی چاپ‌استاد نیکلسن ونسخ‌مرغوب چاپ هند و ایران مراجعه کرده در نتیجه مقابله‌کلیه نسخ فوق‌مثنوی‌حاضربدست‌آمد وبرای‌آنکه‌ابیات ملحقه بمثنوی که درنسخ قدیمه نیست (چون‌حتماً نمیتوان گفت که درمثنوی نبوده) امتیازی‌داشته باشد باعلامت ستاره(*)در جلو آن‌را نشانه کردیم تاخوانندگان محترم بدانند که‌آن‌ابیات دردونسخه کهنه خطی ومتن نسخه‌چاپ نیکلسن‌نیست وازدفترسوم که‌کلیه‌نسخ‌فوق مهیا بودبرای مزیدفایده‌نسخه بدلهائی‌هم درذیل ابیات افزودیم . اماذیل وشرح ابیات مشکله دفترنخستین رایکی‌ازمعاصرین‌نوشته وچون‌مطلوب واقع‌نشددفاتربعدراازروی‌هفت شرح‌مثنوی قدیم که‌حاجی‌سبزواری ومولوی‌عبداللطیف‌وغیرهم‌نوشته‌بودند گردآوردیم که‌همگانرابکارآید دفترهفتم‌را ازاین‌رو چاپ کردیم‌تاپارهٔ کوتاه‌فکران که‌تصورمیکنند مثنوی‌از حیث شعربرجسته‌نیست‌باشتباه‌خودبرخورده‌فرق مابین‌اشعار مولاناودیگرانرا که مثنوی‌هاساخته و هیچیك نتوانسته‌اندباوبرسند ملاحظه کرده باشتباه‌خود واقف گردند وبدانند که مثنوی علاوه‌بر توجه‌بمعنی‌وحقیقت از حیث ظاهر لفظهم آراسته و پیراسته است

پس‌ازخاتمه‌چاپ‌مثنوی درصدد تهیه کشف‌الابیات‌برآمده ودراینراه چهارسال رنج‌بردم ودرنتیجه کشف‌الابیات‌حاضربدست‌آمد که‌بانسخ سابق فرق واضحی‌ازحیث ترتیب منظم وسهولت‌مراجعه ومخلوط نبودن ب و پ و ج و چ و ک و گ و غیره دارد . اما کتاب لطائف‌اللغات‌فرهنگ‌جامعی ازلغات‌مثنوی بقلم‌مولوی‌عبداللطیف میباشد که‌درنتیجه صرف‌عمری درراه مداقه درمثنوی و تدریس آن ومقابله صدهانسخه‌بایکدیگر گردآورده،سابقاً نسخهٔ‌مغلوط‌وناقصی ازآن‌درهند بچاپ‌رسیده بود که‌بامراجعه بنسخ خطی‌نفیس‌تصحیح‌و درآخر کتاب‌ضمیمه گشت.وپس‌ازچاپ‌متن کتاب‌و کشف‌الابیات‌ولغت درصدد تهیه مقدمه برآمده‌برای‌آنکه‌مثنوی کاملا جامع‌باشد علاوه بر فهرست مطالب که بابتدای کتاب افزوده شد تمام مجالس سبعه وقسمتهائی ازسایرآثار مولانا ضمیمه‌شد وعلاوه برمآخذی که‌در ابتدای‌شرح‌حال‌ذکرشده رسالهٔ‌شرح حال بقلم سپهسالار وسه‌دفتر کتاب‌ولدنامه(که‌از آقای‌الفت خریداری‌شده)ومناقب‌العارفین‌هم‌در دسترس‌استفاده قرار گرفت.چهارقطعه‌عکس‌ازمولاناوآرامگاه او از کتاب آقای‌فروزانفر برداشته‌شده‌سه‌قطعه‌درابتدای‌مقدمه وقطعه چهارم دراینجا چاپ میشود

درگاه تربت مولانا

از آقای سیدیعقوب انوار که بامراجعه‌دقیق بمثنوی حاضر بنده راباشتباهات آن‌واقف ساختندوبرای‌تهیه‌غلطنامه‌استفاده‌بسیار کردم وازآقای علی‌قویم که کمکهای‌ذیقیمتی‌نموده‌اند تشکر کرده خداراسپاسگزارم که مقابله و چاپ مثنوی باهمه اشکالاتی که پیدا کرد وموانعی که برای آن پیش‌آمدپس‌از پنج‌سال‌پایان یافت.

دراینجا بامادهٔ‌تاریخی که‌شاعرشیرین گفتارمعاصر آقای‌پژمان‌برای چاپ‌مثنوی‌ساخته‌اندمطلب‌خودراخاتمه‌میدهم۲۰ر۱۲ر۱۹ محمدرمضانی

مثنوی آنشمع یزدانی فروغ — کش‌بود خورشیدحکمت‌زیرظل
کردچون‌ازمطلع‌خاورطلوع — پرتو مهرش فرود آمد به‌دل
خواست‌پژمان‌مطلعی‌خورشیدفر — تاطلوعش را بدان بخشدسجل
لیك چشم طبع و پای دانشش — این‌بتاریکی فروشد آن به گل
یاری‌ازشیخ‌بهائی‌جست‌وخواست — مصرعی خاطر فروزوغم‌گسل
آن‌بزرگ‌آوردسردرجمع‌وگفت — مثنوی باشد چوقرآنی مدل

۱۳۵۸

بسم الله الرحمن الرحیم

مجلد هفتم ازجمله دفاتیر مثنوی و طوامیر معنوی که خزینهٔ ازهار امانی و گنجینهٔ انوار معانی اسرار الله است و چشمهٔ زندگانی زنده‌دلان خضر قدمان آگاهست زیرا که شایبهٔ شبهت و غایلهٔ ریبت بمصاقیل آن از مرآت ظلمت سرای خیالات فاسده و توهمات مهمله زایل توان کردن اما اگر توفیق یهدی من یشاء رفیق تواند بود که از ورطهٔ نفسانی و لجهٔ جسمانی که مقام اولئك کالانعام بل‌هم اضل است عبوری رفته باشد و بصفت اخلاق روحانی متصف گشته و لباس مذهب مهذب محبت حقیقی که طراز مفاخر اهل دل صاحب‌بصیرت صدیق است دربوشیده وجام مسکر جهان‌نمای مودّت یقینی برنوشیده وجمال فؤاد رای عطیه‌بخشای فیض‌پیمای عشق وعاشق و معشوق بچشم سر وعین سر مشاهده کرده که معین ومبرهن است که محبت برجمیع صفات رتبت سبقت دارد چرا از آنرو که هفت اجزای ارواح را نتایج سعادت سرمدی و فواید سیادت ابدی شرف یحبهم بوده که اگر طنطنهٔ اشراق نیراعظم یحبهم برقمهٔ قبهٔ فلك بسیط یحبونه سابق وشارق نبودی هیچ فردی‌را ازافرادزهره ویارای آن متصور و میسر نشدی که دم از محبت بر آوردی و هیچ احدی را از آحاد جرأت وجگر نه که لاف ازسیر آن قاف قربت روحانیت زدی * من ز آدم نیستم کان دم که آدم خود نبود * من بدم آن آدم آندم کز ولا دم مزدم پس این طایفهٔ عزیزالوجود که غرض‌از آفرینش عالم ایشانند که بزیور و تشریف ولقد کرّمنا بنی آدم اختصاص و امتیاز یافته امامتنوّع و منقسم علی اختلاف طبقاتهم و تباین حالاتهم و تفاوت درجاتهم بعض علی بعض شرف دارد و فضلنا درازل چنانکه استاد در بوته ریخت تغییر و تبدیل در آن متصوّر نیست لا تبدیل لخلق الله ومنقسم اند بهفت قسم طایفه را سعادت و طایفهٔ را شقاوت مادر زاد است و گروهی باکتساب حاصل کرده اندوقومی را موروثیست و جوقی بر قرار سابق و قس علی هذا در فیض فیاض حقیقی میل و تفاوت نه اما هر جسمی بقابلیت جوهر ذات خود کسب وحدت دارند مثال روشن بهر ادراك حس عموم خلایق عالم و سایر بنی آدم که احاطهٔ آن نقطه کنند و قدم از دایره فراتر ننهند و خیالات فاسده و توهمات فاحشه از الواح ضمایرشان محو گردد آنست که‌فصل تموز درتف وتاب آفتاب دربرّیه‌ذات‌العرق‌اعرابی در آلاچق‌دلق خویشتن‌را تغسیلی میدهد از مکمن غیب بادی صعبناك وزیدن گیرد و اوتاد واسباب آلاچق را از بیخ و بنیاد بر کند و در روی هوا پرّان سازد و اعرابی با تجملاتی که دارد در روی آفتاب ماند و در مجازی شعاع گرم نیر اعظم که فایض انوار کبرای عالم اصغریست برخاك نشیند وانواع تجملات و آلات و کالای او آن دلق مغسولست وقطعه جوهر یشم و شمعی و بیضه وسنانی و مطهرهٔ آب و نفس خودش فایض الانوار که آفتاب جهانتابست از سراپردهٔ کبریا اشراق داده و بر اعرابی این هفتگانه آلات او تافته اکنون واضح و لایح است که آن انوار به نسبت مخصوص بخواص فیض انوار هویت است امّاتفاوت اینجاپیدا آمد ـ مصراع * عباراتنا شتی وحسنك واحد * ازتابش آفتاب جوارح و عروق اعرابی غرق عرق شد یعنی تر گشت و دلق مغسول که تر بود خشك شد و شمع بگداخت و آب شد و آب مطهره در هوا بعضی متخلل و مضمحل شد و از غایت گرمی بجوش آمد و بیضه

که گداخته بود بست و حجم سنان ازاثر تف چنان متأثر گردید که انگشت پیرامون آن بردن متعذر ماند و بهیچ وجه‌دریشم که‌جماد ذاتیست حرارت‌سوزش تصرّف ننمودو ازقاعدهٔ طبیعت‌بارد خودتغییر نیاورد وتبدیل نیافت مرتبه اول که اعرابی خشك بود ترشد مستغرق انوار گردید واز هرمسامش نهری ساری و جاری گشت برسواحل افتادن او نادر ویاممتنع بود ومرتبه ثانی که نسبت دلق مغسولی دارد تردامنی بواسطه مجاورت تاب آفتاب ازو منسلب گشت چون جامه که از جمله ناگزیر وجود انسانست هم با مرتبه اصل تواصل یافت اگرچه در مراتب اولی ترافتاد مرتبه‌ثالث شمع که فسرده غیر ذاتی بود چیزی براو طاری شد که از گرم دلی بگداخت و بی‌سر و پا روی باطراف و جوانب نهاد بهر سوئی که قاید اورا میکشد مهار ارادت بدست اختیار او داده انقیاد واطاعت لازم اوضاع روزگار اوست زمام السفن بایدی الریاح از مطیعان مرتبه رابع بیضه است که گداخته و آب بود بسته و منجمد شد وحیران و شیدا شد و از حرکات وسکنات مجرد گشته و اختیار خود باختیار هوّیت معاوضه نمود مرتبه خامس که مطهرهٔ آبست آب بین ذلك واقع گشته با گرمی گرم و باسردی سرد مرتبه سادس که سنانست در او حرارت آفتاب تصرف کرد اگرچه‌ازتف تاب چون شراراست اما اواز آن حرارت و از خود بیخبر است مرتبه سابع که جماد صفتان خشك طبع خالی المعرفتند که حشو عالمند اما سبب کثرت و واسطه عمارت جهانند صفت یشم است که گرمی شعاع آفتاب در نهاد ظاهر و باطن او بهیچ گونه مدخل نتواند ساخت سنگ بدخشان گونه لعلی استفاده کرد وحجر جبل جملان هیأت لعلی نیافت وصخرهٔ صماء کمر سولان همان که دراصل بود از حضیض جمادیت برذروهٔ ترفع وتصاعد تفوّق ننمود نقصان و قابلیت است اگرنه علی الدّوام فیض الهیتش همه کس‌را برابراست پس مقرّر شد که مقصود بالذات ازایجاد مخلوقات وجود آن طایفه اند که عبارت از انسان صدر نشین غرفات اعلی علیین اند نه وجود بی وجود حسن جمادی که از اعداد دواب‌اند نه اینجا تمتع و نه آنجا تفلح نه دنیا و نه دین خسرالدّنیا والاخرة کار ما نه با آحاد عوام است بل باخواص‌است بیت * مرا رُخ بارخ اهل دلانست دلی کو قابل است اهل دل آنست * که بینات ابیات مثنوی معنوی آیات معارف ضمایر ایشانست والله اعلم بحقایق الامور والسلام بخیر ختام

ای ضیاء الحق حسام‌الدین سعید / دولتت پاینده فقرت بر مزید ۱ چونکه از چرخ ششم کردی گذر / بر فراز چرخ هفتم کن مقر
سعدالاعدادست هفت ای خوش‌هوس / زانکه تکمیل عدد هفت است و بس ۲ گر شماری حرف شمس الحق هفت / آنکه کار ما از او بالا برفت
هم ضیاء الحق هفت اندر علوم / اینچنین هفت دگر مولای روم ۳ شمس و مولای وضیاء الحق یکیست / در میانشان یکسر مو فرق نیست
لفظنا شتّی و معنی واحدٌ / واحداست او واحداست او واحدٌ ٤ جنس هفت و مور هفت و مار هفت / انس هفت و نور هفت و نار هفت
بحر هفت و نهر هفت و هم زمین / هفت آمد هم جوارح هفت بین ۵ نکتهٔ سیروا فی الارض باز هم / نکتهٔ سیروا فی الانفس زد علم
هم سما را آفریده هفت طاق / قوله سبعٌ سموات طباق ٦ اینچنین طاق و رواق بی ستنْ / در نگر در نفس خود فکری بکن
آسمان اول از آب آفرید / پس دوم از صفر و ثالث از حدید ۷ چارم از سیم است و پنجم از زر است / سادس از دُر هفت یاقوت احمر است
کوکب سیار هفت و هفته هفت / هر یکی از وی شده تابان و تفت ۸ الذی جعل لکم گفت النجوم / در قدم بودش چنین صنع از علوم
هفت تن قطب رسولان اله / که مدار این جهان بوده براه ۹ هر رسولی را اشارت کوکبی / آنچنانکه طالبان را مطلبی
ماه از نور رُسول ما بتافت / از اشاراتش باین معنی شکافت ۱۰ مه دو روز و نیم هر برجی بود / در مهی قطع همه گردون کند
پانزده روز است درهر برُج جا / تیر را کوه است دیوان سما ۱۱ پس بهر شش مه کند قطع فلك / برفلك این است اورا سیر و تك
پس سکون زهره بیست و پنج روز / هست در هر برُج ای عالم فروز ۱۲ تابده مه سیر گردون میکند / بر بقر عودی بقانون میکند
آفتاب عالم آرا ای همام / هست در هر برج یك ماهش مقام ۱۳ تا بسالی میبرد افلاك را / میکند روشن بساط خاك را
بس جگر در تیغ زن مرّیخ را / هست پنجه روز درهر برج جا ۱٤ او بسیزده سال گردون را برد / سیر او این آمد از حکم احد
نیز کیوان را بهر برُجی وطن / سی مه است ای فیلسوف انجمن ۱۵ تا بسی سال او کند قطع فلك / اینت صنع و صانع انس و ملك
هفت جوقند امّت احمد بدان / گر ترا هست آگهی از درد جان ۱٦ نغز ایشان خیل صدیقین بوند / بعد از ایشان عالمان دین بوند
بعد از آن ابدال ربّ العالمین / پس شهیدان وسر افرازان دین ۱۷ پس مطیعانند وآنکه عابدان / هفت شد این جوق شوق مابدان
دوزخ آمد هفت ای زین زمان / سبعة ابواب از قرآن بخوان ۱۸ اولین باشد جهنم ای فلان / در نُبی ان جهنم را بخوان
ثانیش بشنو سیصلون سعیر / ربّنا غلبت علینا شان نفیر ۱۹ ثالثش باشد سقر در خیل آن / ربّنا اخرج لنا منها فغان
از جحیم چارمین قوم عجیب / ربّنا اخرّنا الی اجل قریب ۲۰ از گروه پنجمین در حُطمه / ربنا نصرنا بیاید دمدمه
از ششم اندر لظی بی گاه وگاه / هم یخفف عنا آید تا اله ۲۱ قوم هفتم از درون هاویه / زان بلا و درد و سقم وناییه
میزنند افغان از آن قعر درك / ازنبی بر خوان ونادوا یا ملك ۲۲ تومگو باخود که دوزخ خود بدست / کو سر اعدای حق خواهد شکست

در بیان آنکه فیض القدس واحد است و هر آفریده بحسب قابلیت خویش ازو چیزی اخذ میکند و آتش که مخلوق و مأمور است مثل نور قدس تشبیه می افتد

میر لشکر اوست تُند وصف‌شکن / پر دل و دشمن‌کش و کوپال زن ۲۵ در مقامی آتشی شاعل شود / نور او جزشبی واحد کی شود
هر کسی بر قدر استعداد خود / استفاده میکند از نیك و بد ۲٦ هر کسی از قابلیت می تند / خوب‌خوب وزشت‌زشت اخذی کند
از جبلت هست اندر هر احد / طبع انسانیّت و اخلاق دد ۲۷ چیست آن روحانی اخلاق حسن / آن ردیّت خود رذایل در زمن
معنی دل آن مجاسن دان یقین / صورت تن آن قبایح ای حنین ۲۸ این یکی سامست وکنعان آن دگر / این ملك طبع آن عزازیل ازضرر
قابلیت چونکه در قابل نبود / کوی اقبال از میان هابل ربود ۲۹ کشتن او نیست مردن ای غوی / کشته قابل شد توگر منصف شوی
جان ما ایمان و ایمان جان بود / این کمال از فیض قدسی میشود ۳۰ آب سر بر میکند فار التنور / نان ما پخته شد و کفار کور
من خلیلم محترز از آفلین / چشم باطن بر گشا ظاهر مبین ۳۱ نزد تو سوزنده این نار و محن / لاله وریحان و نسرین نزد من
بندهٔ مامور امرم نی هوا / کی توانم سوخت ابراهیم را ۳۲ نکتهٔ یا نار کونی برد بین / بر دل نمرود داغ و درد بین
از برای ذلّ پرورده پلنگ / آن دنی را فضل حق بر پشت سنگ ۳۳ که زموج بحر وبیم وکش مکش / میرساند در چو روضه پیشه اش
نسر را حمال تختش میکند / چاه دل سوی سمایش میکند ۳٤ در هوا چاهش کند واندازدش / تا که گردن بشکند ننوازدش
کرکسش حمال و قتالش بقی / باچنین قدرت غرور اینت احمقی ۳۵ آتشی را گفت مامور من است / تا بسوزد خصم را هم پا ودست
دفع مامور خود ازخود کن بگو / این کروفرنیست درتو ای عدو ۳٦ دست فکرت نیست زان بازو برد / گربه سوهان لیسد وازخود خورد
خواجه‌را جزمال ودین وکیش نیست / بندهٔ مال و مآل اندیش نیست ۳۷ کرم پیله بهر خود بر دست خود / رفته در کار و کفنها می تند
شمع پندارد زآتش روشن است / روشنست آتش ورا گردن زنست ۳۸ اینکه چندین سال پرورده تواست / گر نهٔ کاذب درونه هر دو دست
گفتهٔ نار ولا عار این خطاست / ای فرومایه تورا فکرت کجاست ۳۹ هست اندرموجها غرق آن خسث / آتشی را می بخواند کای مغیث
او زتو درکار توجابر تر است / نه پرستش دارد ونی کس پراست ٤۰ آنکه کون خود نیارد گوش داشت / کی لوای دیگری داند فراشت
ور برهنه میگریزد گرسنه ٤۱ هیچش از اندیشهٔ خود ترس نه

داستان آن آتش پرست که اندر آب دریا غرق میشد و آتش را فریاد رس میخواند

آن مجوسی گبرك آتش پرست / بهر عزم هند در کشتی نشست ۲
باد شرطه کرد گم راه رشید / باد کشتی غرق کن را در رسید
گبر را نزدیك غرق آمد فراز / در تضرّع اوفتاد آن کینه ساز ۳
ناله میزد سوخته کای نار نار / الغیاث و الغیاث و زینهار
هر کسی بر ملت خود می تند / اعتماد اعتقاد خود کند ٤
کرده اعراض از طریق مستقیم / گشته گبر استغفر الله العظیم
کل حزبٍ بمسندٍ تفریح زد / غافل آنکو منهج تقبیح زد ٥
گبر در آب اوفتاد و دست وپا / چون وزغ میزد ولی دورازنجی
میزدی فریاد کای نار سنی / قبلهٔ مقصود و معبود منی ٦
کرده ام من چند سالت بندگی / از تو دارم مردگی و زندگی
زان پرستیدم ترا اندر زمن / تا چنین روزی رسی فریادمن ۷
غرق میگردم در این بحر غیور / از زن و فرزندوقوم‌وخویش دور
غیر تو پشت و پناهم نیست کس / غرق آبم آتشا فریاد رس ۸
آن یکی ملاح مرد پختهٔ / مانده بُد نزدیك او بر تختهٔ
خنده اش آمد برآن‌آتش‌پرست / گفت اورا ای زبادُ عجب مست ۹
آتشی که کردهٔ بر وی پناه / عبد اوئی و ازو فریاد خواه
اوهم ارچون‌تو درین‌ششدر بُدی / حال او ازحال تو بد تر بُدی ۱۰
خالق آتش بود فریاد رس / غافل از دولت مشو ای‌هیچ کس
ازکسی فریاد خواه ای نا بصیر / کش نباشد مثل و مانند ونظیر ۱۱
جان بداد وعقل دادو دین بداد / تو مرو در پیش کس جزاو بداد
دیده را بگشا ولیکن چشم جان / ای پسر حق بین‌شو ودیگربمان ۱۲
چون مگو وچون‌مگوبیچون‌شناس / نیست این مقصودرا حدّ وقیاس
حق بدان و غیر حق‌مشناس‌کس / نیست غیر ازحق کسی فریاد رس ۱۳
اوست هرچه هست هم‌بالا وپست / دست او بالای هرچه‌هست دست
چون یدالله فوق ایدیهم عُلاست / احیا و اموات بر دست خداست ۱٤
کرد او موجودت از کتم عدم / پس بکرّمنا مشرّف از کرم
هرچه داری‌از کمال فضل‌اوست / از جمیع هستی او مغز و پوست ۱٥
شمس فی کبد السماء وضوء ها / یغشی الافاق تحتاً فوقها
واجب آمد معرفت تحصیل کن / واقف و آگاه شو از امر کن ۱٦
معرفت جان است‌انسان‌جسم‌وی / آدمی بی معرفت لا شی نه شی

تفسیر من عرف نفسه فقد عرف ربه

ای شده غافل ز امر من عرف / چون خران مغرور برمشتی‌علف ۱۸
سیر کن‌در نفس‌خود اندیشه ساز / کار ها برخود مکن دور ودراز
هرچه در آفاق موجودات هست / همچنان تمثیل او در انفس است ۱۹
عالم صغری‌است‌آن‌بی آن واین / عالم کبری در انفس دان یقین
چون شدی زین‌عالمین آگاه تو / ره بری در قدرت الله تو ۲۰
این دوعلم اصل‌معنی دانی‌است / اولین ممنوع و ثابت ثانی است
بگذری از خود چو دانستی‌ورا / وارهیدی از شك و ریب و ریا ۲۱
اینچنین بر دولت آگه زدی / از تقلد بر تحقق ره زدی
علم ذات حقتعالی هر یکی / باز داند از رهیّ و مسلکی ۲۲
کنه ذات او چنانکه هست کس / می نداند ای حکیم این‌شرح‌بس
کاملان باطن و ظاهر درین / مانده هم سرگشته و حایر درین ۲۳
آنچنانکه هست ذات ذوالجلال / قادر مطلق قدیم لایزال
کس ندانست و نداند مطلقا / ربّنا انّا ظلمنا خالقا ۲٤
عقل خلق اولین و آخرین / اولیا و انبیا و مرسلین
گر چه دانسته ازین دریای‌نور / قطرهٔ والله اعلم بالامور ۲٥
چون‌بدانستی توخود رابعد ازآن / باز دانی خالق خود را بدان

تمثیل ادراك انسان در کنه ذات مطلق قصه آن کورانست که باحتیاط طاوس شاه رفتند

بود شهری در حدود مولتان / کور اهل شهر از پیر و جوان ۲۷
هفت قسم این مردم کور ضریر / خورده دان وکافی وروشن‌ضمیر
چونکه شه‌محمود آن‌صاحب قران / باز گردید از غزای هندوان ۲۸
چند طاوس آورید از بهر نام / فیل و طوطی و سمندر آن همام
بود یك طاوس بس آواره دار / تن ملوّن بابسی نقش و نگار ۲۹
مثل او نا دیده کس اندر جهان / هیچ چشمی را احاطت نی برآن
چون سپاه شاه پیروز و سعید / در حدود شهرآن کوران رسید ۳۰
بود شهری‌سخت‌خوش آب‌وهوا / گوشهٔ گوئی ز جنات العلا
شاه بالشکر ز هند و لرّ و ترك / زد سرا پرده در آن‌شهر بزرگ ۳۱
مردم شهری مرآن کوران چند / نام آن طاوس اشنیده بدند
آن جمیع هفت قوم آنجا شدند / نزد آن طاوس شه گرد آمدند ۳۲
تا ز کیفیات او واقف شوند / بر چه و چونش مگر راهی‌برند
هر گروهی برده بریك عضوراه / هفت قوم از هفت‌عضو مرغ شاه ۳۳
دست اول زد یکی بر تاج او / فوق بود از دیگران معراج او
گفت نامش طاوس‌وعنقای چین / لیك شاخ نرگس قافست این ۳٤
دیگری بر کلهٔ طاوس دست / برد گفت این هاتی بس نادراست
گنبدی گوئی بر او رسته گیاه / چیست گنبد را تحرّك یا اله ۳٥
گنبد گردون که زیب عالم‌است / زین نمودار سپهر اعظم است
قوم دیگر کرده لمس چشم وی / گفته بر تحقیق این بردیم پی ۳٦
فرقدان این‌است مارا شد یقین / بهتر از ما کس نشد آگادازاین
وانکه برمنقار او شد رهنمون / گفت این ناویست لیکن باژگون ۳۷
آنکه‌را برپشت او دست اوفتاد / گفت این کوهیست بس عالی نهاد
قوم دیگر دست بر دنبال او / چون نهادند آمدند اندر غلو ۳۸
کین درختی شاخ دارست‌وعظیم / نیست الاّ طوبی خلد نعیم
وانکه‌زد برپاش دست‌اندرزمان / نیست گفت این جز ستون‌آسمان ۳۹
هر گروهی را ازو علمی بقدر / گاه نجم وگاه شمس و گاه بدر
نکتهٔ وا رانده از مفهوم‌خویش / نه ز تحقیق وی از معلوم‌خویش ٤۰
کس ندانسته به تحقیق و یقین / هیچ گونه ذات رب العالمین
زو نشانها داده و نا برده راه / بر کماهیّ وی از بی گاه وگاه ٤۱
خویش را اوّل نکودان‌ای‌فتی / تا بدانی حسن صنع حق را
خوش یقینی بی شك وریب و ریا / از یقین ارباب عرفان می تنند ٤۲
کاملان بر سوی ایقان میزنند
چونکه دانستی یقین باید ترا / دور بودن از طریق مختلف ٤۳
جز یقین جان را نباشد بدرقه / بی یقین را بر سر آید مطرقه
چه یقینی خورده‌آب از لوکشف / واقف آن کیست جز زنده دلی ٤٤
مثنوی هفتمین گر غیب جست / ششصد و هفتاد تاریخ درست
میرسد این فتح بی در بی ولی / از تأنی یافت توضیح و درود ٤٥
تو ز شنبه تا بجمعه از زمان / تا بیك هفته رسی این رمز دان
چون چنین الهام دل آمد فرود / هم بسالی سبزه کرد ازخاك سر ٤٦
قرنها باید که سنگی کم بها / لعل گردد در عروق کوهها
گل بسالی آید از پنجه بدر / ما مطیع حکم این ایمان‌بس‌است ٤۷
چون زمبدء گشتی آگه ای قباد / دیده بگشا باش واقف از معاد
کارحکمت داردابن‌برهان‌بس‌است / پهر کاری آمدی ای‌اختیار ٤۸
نز برای هرزه و اهمال ولغو / عمر خود ضایع کنی درلعب‌ولهو
تو درین بحر عمیق بی کنار / آنچنان کن چونکه‌وا گردی بجا ٤۹
انفعالی باشدت زان رهنما

قصهٔ آن خواجه که غلام را بسفر فرستاد که اگر بافایده باز آئی مکافات آن مال و عمرت افزایم

خواجهٔ عالی جناب مفضلی ۱ منعمی شاهی کریمی کاملی ۲ بر همهٔ آفاق عام الطاف او
بندگان دارد فزون تر از قیاس ۳ جمله را از وی زرونان ولباس ۳ ساخته در شهر آن خواجه علیم
پس بکار انداخته خیل عباد ۴ داده هر یك را معاشی و معاد ۴ هر یکی را بر مهمی داشته
در تجارت در زراعت هر یکی ۵ پیش بگرفته مهم و مسلکی ۵ گفت روزی با غلامش کای فتی
چونکه دنیا هست مزرعة النعیم ۶ فانتبه عن رجعتك یابن الکریم ۶ روسفرکن شرق وغرب وبحروبر
صحت نفس وزر و سیمت زمن ۷ نفع و ضرّ امید وهم بیمت زمن ۷ سازمت آزاد و ملکی بخشمت
آنچه میفرمایمت آنرا بجان ۸ یاد داری و بجان آری چنان ۸ هرچه مطلوبت بود حاصل همه
ملکتی بیحد و خالی از زوال ۹ در کمال حسن و در اوج جلال ۹ خواجه خطی دادش ازسر تابین
گنج ومال وملك خرّم زان تو ۱۰ جمله درحکم تو من هم زان تو ۱۰ آنچه گفتم خواهمت دادن تمام
قول این کزحکم ما گر نگذری ۱۱ هرچه در خطست بر جا آوری ۱۱ شرط مقبل بنده فرمان بودن است
کرد خدمت خواجهٔ خودرا غلام ۱۲ کانچه فرمودی نمایم من قیام ۱۲ لیك اگر ازفضل واحسان وکرم
گر بوم من در سفر یا در حضر ۱۳ فضل تو باید رهی را راهبر ۱۳ پس ابد پیوند گردد دولتم
کوشش از من خیرو احسانم زتو ۱۴ جنبش از من قوّت جانم ز تو ۱۴ من قدم در ره نهادم تو دلیل
گر مرا بخت وظفر یاور شود ۱۵ آن کنم کان امر مرضایت بود ۱۵ در جمیع امر توفیق طلب
هم توام توفیق بخش ای ذوالکرم ۱۶ فرصتی کز امر حکمت نگذرم ۱۶ ای که در سیر سلوك افتادهٔ
سالك عارف شو ای جوهرشناس ۱۷ هی مکن مطلوب جز وی التماس ۱۷ مال ازو و نان ازو وجان ازو
عاشق او وعشق او معشوق او ۱۸ طالب او مطلوب نیز او ای عمو ۱۸ قال ازو وحال ازو تایید ازوست
بخت ازحق وطلب نیزازحق است ۱۹ نیست کس راغیرحق امکان ودست ۱۹ در قیامت چون برآید رستخیز
مصطفی را تا نیاید امر از او ۲۰ کامتان را کن شفاعت ای نکو ۲۰ او بود اندر پناه من صمت
چون ندای یشفع من عنده او ۲۱ بشنود آن سمع فرّخ بخت او ۲۱ در میان آید بر آرد دستها
یا الها ربنا معبودنا ۲۲ فاعف عنا ذنبنا وارحم لنا ۲۲ نحن مستحیی عن افعال الردی
این بود اکرام آن خواجهٔ سبیل ۲۳ پیش خلق و هم ملایك هم رسل ۲۳ دولت تایید رحمانیست این
هی طلب کی شاید آن حسن عمل ۲۴ داده باشندت بتقدیم از ازل ۲۴ پس نباید شد ز استدعا نفور
گرچه او داد است اما نور تو ۲۵ شبوهٔ لاشبی بود در نور او ۲۵ این سخن پایان ندارد بازران

هرچه گویم بیش ازآن اوصاف او
آن یکی فی الجمله آن دیگر عظیم
بر سر کاری علم افراشته
داده ام مالی فراوان مر ترا
چونکه باز آئی سلامت زین سفر
که نباشد هیچ از دولت کمت
همدمان و مونسان کامل همه
افعل ولاتفعل این کن آن مکن
وز توراضی باشم آن دم ای غلام
حکم منعم را زجان بشنودن است
از نظر نندازیم ای محترم
منتج آید اجتهاد و خدمتم
من خلیل نار عشق و تو جلیل
ازتو خواهم سال وماه وروزوشب
پای در راه طلب بنهاد
درد ازو مرهم ازو درمان ازوهٔ
شم ازو وسمع ازو دیدار ازوست
زنده گردد این وجود ژنده ریز
با وجود آن کمال مکرمت
از برای امّتان پیش خدا
ما لنا غیرك ملاذ یا وفی
ایك انکر طبع روحانیست این
قول ادعونی بخوان ای ناصبور

قصهٔ خواجه فراوان بندگان

رفتن آن غلام بسفر بیان مبدء فطرت و خلقت انسان است

خواجه چون باآن غلام این قول کرد ۲۶ او غم راه تجارت را بخورد ۲۶ پس زمام السفن فی ایدی الریاح
اولین افتاد بر کوهیش راه ۲۷ مدت چندی بماند آن جایگاه ۲۷ بعد از آنش راه بیرون ای عنود
زان ره اورا رهگذر تنها نبود ۲۸ کاین سفر بیرون زراه ما نبود ۲۸ آدم و عیسی ازاین ره بی اثر
گر مسیحارا گذر زین ره بدی ۲۹ کی مقام طعمهٔ دوزخ شدی ۲۹ می نبیند اوّلین را آن سفیه
دیدهٔ باید ز معنی پُر شده ۳۰ نور پایان بینیش در سر بُده ۳۰ گاو وخررا نیزهست این چشم باز
هست انسانی که باشد بی رشد ۳۱ جهل اورا سوی استوری کشد ۳۱ او ز نادانی قیاسی می کند
نیست آگاهی دل او را ازاین ۳۲ که نباشد غیر لا فی الآفلین ۳۲ فهم اگر داری نکو بگشای عین
اختیاری گرچه اورا نیست لیك ۳۳ بهرچیست این دوزخ غم مرده ریگ ۳۳ از ره آن نایژه آمد برون
مدتی آنجای با خون جگر ۳۴ سربزانو خون خوران بردی بسر ۳۴ مدتی دیگر هم آنجا نیز ماند
یك معلق زد بنص امر هو ۳۵ در بُکا واقف نه ازآن تکرهوا ۳۵ در تحیر در تردد کاین سفر
بی خبرزاندم که آن قوم شفیق ۳۶ منتظر او را و قیمت ما یلیق ۳۶ در برش گیرند چون جان عزیز
پس بکام و ناز اورا پرورند ۳۷ خون خود چون آب درخوردش دهند ۳۷ گر دمد برروش بادی گرم و سرد
درمشیمه باجنین آنرا خوش است ۳۸ کو مغفل از جهان دلکش است ۳۸ نکتهٔ ما سر مرموز است هی
آن دبیر العرف بر الواح کون ۳۹ صنع کلك کن نگر از چند لون ۳۹ صد تبارك احسن الخلاق را
چونکه یابد برتری زان ای عمو ۴۰ لعب ولهو است وره چوگان وگو ۴۰ میگذارد بر خوشی ایام خود
زان گذشته اعلم آمد طور او ۴۱ جمع اهل الفهم و العز اعلموا ۴۱ پایه پایه این سلم راهی رود
گر قرین اوست یهدی من یشا ۴۲ میکند فکر معادآن خوش ذکا ۴۲ نصب عین اوست پیوسته مآل
زاد و ساز ره مهیا می کند ۴۳ دولت بیدار از اینها می کند ۴۳ گر غراب من یضل گشتش دلیل
شر اخلاق ذمیمه سال و ماه ۴۴ می برد او را ز راه انتباه ۴۴ اینچنین او را نهنگ نارشد
هان برآور سرازاین خواب غرور ۴۵ چند ازاین غفلت خیالی شروشور ۴۵ هی الیس الصبح قریباً باز خوان
فضل ان احسنتم احسنتم خوش است ۴۶ لیك فعل ان اسأتم آتش است ۴۶ تا کی این راه پریشان می روی
چون غلام راه رو ازکوه و دشت ۴۷ زان منازلهای الوان درگذشت ۴۷ برته بحری رسیداو بس شگرف

صبح من دیك و من الله الصباح
نایژه باریك و بس تاریك بود
لیك ما را از دو صد تاده خبر
روشنی چشم را داند ز بیه
اشترو جاموش وهم گرگ وگراز
کج رود معنی نه بر صورت تند
چون قلوب افتاد بین الاصبعین
سوی دریای قوی موجش زخون
هم از آنجا رخت همت برفشاند
کرد آواره مرا زان خوش مقر
جان فدای او کنند و چیز نیزد
آید ایشان را ز شفقت جان بدر
دولتت بادا برو بردی تو پی
واهب جان باعث الارزاق را
آن صبی فارغ ز درد نیك و بد
تا که بر صدر خرد ثابت شود
نیستش پروای غیر و ملك ومال
از معاد اندیشی آمد او ذلیل
یکسری تا اسفل دوزخ کشد
آه اگر تو نیستی از نادمان
باخود آزین راه بی راه ای غوی
بس عجیب الوضع و تفت وزفت وژرف

دید جائی تنگ و تاریك و حقیر / حکم خواجه کردش آنجا گوشه‌گیر ۱ کرد اقامت او بمرداری حلال / قوت کرده روزنه شب ضعف حال
بعد چندین ماه زان بحر عمیق / گشته تقدیر جهانگیرش رفیق ۲ باز از آن دریا بآهنگ سفر / کرد عزم بحر کم مکثی دگر
ساخت زا بحرو دزکشتی نشست / گاه بر امواج بحر و گاه پست ۳ تکیه اش برباد واز ره موج آب / آتشش در کله و او خود تراب
روزی از ناگاه کشتی برشکست / ماند او بر تختهٔ بادش بدست ۴ باد تو ریحُ العقیم است ای‌عدو / راحة الراحش نهادی نام تو
گر مطیعست سلیمان وار راح / آن غدوها شهروآن شهر رواح ۵ غافل از عفریت خاتم بر مباش / میکنی ای خاکی از بادی تراش
جوی شیشه بر سر خاکت کشد / عشق ساق پای بلقیست کشد ۶ هم بیادت بر دهد باد غرور / تکیهٔ بر باد باز آرد فتور

قصهٔ آنکس که در دیار قبچاق بعلت قحط مبتلا شد وبرعزم قوت جهت عیال واطفال بباب الباب درآمد و بعد از زحمت بسیار تنگی آرد حاصل کرد و در کشتی نهاد و باوطن معاودت کرد چون میان قلزم رسید بحر در طلاطم آمد و کشتی در گردید و رفقا غرقه شدند میگفت آه فرزندانم بی‌قوت خواهند مردن سر آرد بگشاد و با باد گفت یا باد غیر تو همدمی و معینی ندارم امانت این آرد را بعیالانم رسان

بود در قبچاق یك مرد معیل / داشت فرزندان‌بیش از حدعلیل ۱۱ پس یکی قحطی درآن کشور فتاد / شد گرامی تر زجان‌نان ای عماد
قوت عاشق حبّ جانانست بس / قوت آن بل هم اضلّ نانست بس ۱۲ جز غذای روح را خو گر مباش / فی السماء رزقکم کافر مباش
خوردن ازبهر عبادت کردنست / زندگی پیش تو بهر خوردنست ۱۳ آن معیل بینوا بهر عیال / کرد عزم شهر شروان از ملال
ملك شروان بود مقصدگاه وی / بهر رزق کودکان نه روم و ری ۱۴ اعتقادش داشت بر باطن خلل / زان زشروان‌جست از باطل عمل
نان دهنده نیست غایب ای غلام / خواه شروان‌خواه روم‌وخواه‌شام ۱۵ میخوردازضعف‌دل آب‌این سخن / تو توکل جز که بر یزدان مکن
چون بشروان آمد آن‌جویای‌نان / کرد تنگی آرد حاصل آن فلان ۱۶ شاد شد گفتا اگر من این سفر / می نکردم بودمی اندر ضرر
کودکانم مرده بودندی ز جوع / سوی شهر خویش‌کردن‌شدرجوع ۱۷ اعتقادش نیست در نصّ حدیث / تابع ابلیس گشته آن خبیث
نشنود صدق کلام ایزدی ۱۸ گوش کرده قول شیطان آن‌ردی

قصه آن خواجه که با قاضی قزوین یار قدیم بود واز اوخر باستعاره خواست

آه ازین طغراچه نحس اختری / آه از این نا اهلی وجهل‌وخری ۲۰ سه گروهند اندراین دنیا قضات / زان‌سه فرقه یك گروه اهل نجات
در زمان مامران یك فرقه نیز / هست معدوم و نمی ارزد پشیز ۲۱ قاضی قزوین چه شد پیر دوتو / قوّت رفتار ساقط شد از او
شد بوهن العظم و رعشه مبتلا / اوفتادش لرز ها بر دست و پا ۲۲ لیك از حبّ زر و سیم و نوا / آمدی هر روز در دار القضا
چون توان رفتنش آنجا نبود / یك خری بخرید بهر خود عنود ۲۳ تا سوی دارالقضا با خر شدی / هر سحر گه با خر آنجا آمدی
ساخت پاگاه خرش آن پیشوا / گوشهٔ محدود با دارالقضا ۲۴ پهلوی دار القضا جای خرش / تا برد شب باز سوی منظرش
از خری بگذاشته عیسی جان / غافل از احیای انفاس روان ۲۵ دُمّ خر بگرفته و دنبال او / میدود آن کون خر از سوبسو
خواجه با آن قاضی ما یار بود / همدم و همخانه و غمخوار بود ۲۶ کرده هر دو جان فدای یکدگر / چونکه جان‌گفتی چه‌جای سیم‌وزر
احتیاجی شد بخر آن خواجه را / تا فرستد گندمی در آسیا ۲۷ نزد قاضی رفت کو بودش ندیم / بهر گندم خواست‌خراوزان‌سلیم
چونکه دست عشق با کیسه رسید / بود کاذب عشق از دل برپرید ۲۸ عشق ابنای زمان جز رنگ‌نیست / صلح‌این بی‌رسمکان‌جزجنگ‌نیست
هی مجو لذّات شکر از کبست / زانکه ارض الله واسع آمده‌است ۲۹ چون‌برقاضی شدآن خواجه‌حسن / گفت ای قاضی‌وای مخدوم من
اندکی گندم نهادم در جوال / تا بسازم آردش بهر عیال ۳۰ آن خرك را ساعتی میده مرا / تا برد آن گندمك در آسیا
باز وا پس آورندش این زمان / منتی باشد ز تو بر جسم و جان ۳۱ قاضی فی النار چون اورا شنید / ازخری باخواجه گفت ای بی‌مزید
خر چه باشد نیست سراز تودریغ / رو نه پیچم گر زنی برمن‌توتیغ ۳۲ کاشکی بودی مرا اندر بدن / این قدر قوّت که آن بار تومن
بر گرفتی بُردمی تا آسیا / زآنکه از جانی گرامی تر مرا ۳۳ لیك خر را این زمان پولاد ما / بُرد سوی باغ از بهر چرا
هرچه باشد گاو واستر اسب‌نیز / باشد از بهر چنین روزی عزیز ۳۴ کو بر آرد کار و باری مثل‌تو / که نداری مثل خوداز هیچ رو
لعنت بسیار بر پولاد ما / تا چرا بُردست خر را با چرا ۳۵ قاضی بد عهد با این اعتذار / تا که از پاگاه خر از اضطرار
ضرّه ضرّه نعرهای هول زد / تیزه تیز و طرّه طر ضرب لگد ۳۶ خواجه‌چون‌بشنیدازخر آن‌خروش / که شدش‌زان‌خُرّه‌خر آشفته‌گوش
سخت رنجید و بقاضی کرد رو / گفت ایا دیرینه یار راست گو ۳۷ جیف از یاریّ و از نان ونمك / ان قد بطل موالاتی معك
خر بیاکه حاضر و تو چاپلوس / میکنی بر من باستهزا فسوس ۳۸ خر به پیش تو ز یاری به بود / خانهٔ یاری چو تو در ده بود
این همه بی راه تو خود میکنی / از چه بر پولاد جرمی افکنی ۳۹ ای فکنده خویش را دربندوقید / پس‌نهاده جرم خود برعمروزید
دشمن تو هست در پیراهنت / کرده محکم دستها بر دامنت ۴۰ تو گناه خود نهی بر دیگران / ای سیه رو چنداین فعل خران
چونکه خواجه کرد باقاضی عتاب / قاضئی خر را نمی آمد حجاب ۴۱ گفت باخواجه که‌ای آشفته سر / من ندیدم از تو کس بی عقل تر
حق پی آن عقل‌از اوّل آفرید / کوست جمله بستگیها را کلید ۴۲ هرکه از عقل وخرد باشد بری / خر برو دارد شرف در بهتری
نیست ایخواجه ترا عقل و تمیز / انّ فی العقل کمالات عزیز ۴۳ بی تمیزی گو چرا تا گویمت / زنگ شك از لوح خاطر شویمت
من همی گویم که‌خردرخانه نیست / دردل تو صدق ای دیوانه‌نیست ۴۴ بانگ خر می بشنوی باور کنی / وین سخنهای مرا ابتر کنی
نشنوی از من سخن اما ز خر / بشنوی باور کنی ای خر سیر ۴۵ قاضی ابله همی گفت این پیام / خواجه مانده در تحیر زان کلام
کار دُنیا اینچنین شد سر بسر / کرد فعل و مدح او از حد عبر ۴۶ میدهد هر دم فریبی از نوت / تا نباشد زین درك بیرون شوت
بوالحکم از جهل پندارد که او / سروری یابد شود او سرخ رو ۴۷ بدر را بشکافته دید و نتافت / لاجرم در بدر سر بر تن نیافت
عقل تو در حیرتی افتاده است / خرمنت بر باد نکبت داده است ۴۸ روح‌فرعون آنکه طاهرگفته است / شمع پیش باد او خوش‌خفته‌است

حکم اغلب را پس کون می نهد — سر بیرف و کون به بیرون می‌نهد ۱ — موسی وفرعون را هر دو یکی — می شمارد اوفتادهٔ در شکی
آنکه ختم الاولیا خواند ورا — گو جحیم‌است وسقر ماوی ترا ۲ — این تصوّف نیست هم توحید نیز — این تصرّف عین کفراست‌ای‌عزیز
کرده ترك قول ختم الانبیا — که گرفتم راه ختم الاولیا ۳ — جادهٔ شرع است راه‌راست هان — کجروی بگذار و از منزل‌ممان
در شقاوت میزنی دایم قدم — پس تو ختم الاشقیائی ای‌عدم ٤ — درنصوص‌وحی صدق‌آر ازخلوص — دل تهی‌کن از فصوص‌وازنصوص
هم شریعت هم طریقت خوانده‌ام — رخش در راه حقیقت رانده‌ام ٥ — جادهٔ شرع است اصل‌ودم بشرع — پس طریقت پس‌حقیقت هم بشرع
آن همه ماخولیا و کرّ و فرّ — نیست جز تعذیب روح و درد سر ٦ — هرسفیهی مبتدع از پیش خویش — کرده رسمی اختراع آن‌بدعه‌کیش
میکنند این بی طریقان لثام — نیك نامان جهان را زشت نام ۷ — از پی تن پروری در ترّهات — رفته سر پیچیده از صوم وصلات
هم درین ره‌میدوند آن دیگران — ره غلط کرده ز احمال گران ۸ — حجتی آورده بتراشیده ریش — که طریق این است‌نه‌کبش‌کشیش
لیك آن‌کامل سوار این رهست — کز جمال و ازجلال اوآگه‌است ۹ — آگهی از روی تحقیق و نیاز — نز سر تحمیق و تقلید و مجاز
هر دلی را مشرب این‌راز نیست — که دراین ره هرکسی‌دمسازنیست ۱۰ — اولیاء الله صاحب شرع را — مشرب و مسلك بود سرّ خدا

دربیان تتمه قصه آن قبچاقی که پی قوت عیال رفت

چونکه قبچاقی ز شروان آنزمان — آرد در کشتی نهادو شد روان ۱۲ — با املها کرده سوی خانه رو — بر کشیده بادبان ملاح او
ناگهان بادی بر آمد تندوتفت — حاصل خواجه همه بر باد رفت ۱۳ — آن سفینه بر شکست و همرهان — غرقه گشتند آن همه پیر و جوان
ماند قبچاقی وان یك تنگ آرد — بر یکی تخته بیاریکی چو کارد ۱٤ — غرق نزدیك‌و املزو گشت دور — هوی هوی باد غم آورده زور
گفت‌من خود غرقه‌خواهم‌شدولی — وا دل من وا دل من وا دلی ۱٥ — من‌شدن‌خواهم ولی‌این آرد من — که برد در پیش فرزندان و زن
چون بغیر ازباد کس می‌را ندید — نه بجز آواز او چیزی شنید ۱٦ — روی اندر باد کرد و سر نهاد — گفت بادا جان بقربان تو باد
از عطایت یافته زیور بهار — وز تو روی آب پر نقش و نگار ۱۷ — گل ز بذلت خوردهٔ زر یافته — لاله خلعت نرگس افسر یافته
خسته و درمانده و بیچاره ام — از دیار و خان و مان آواره‌ام ۱۸ — کودکان واهل و فرزندم همه — مبتلای بحر و غرق دمدمه
کس ندارم غیر لطفت دستگیر — دستگیرم چون توئی نعم النصیر ۱۹ — دست‌ازجان‌من کنون‌خواهم‌فشاند — بهر فرزندان دلم در بند ماند
این جوال آرد را ای دم شکر — نزد ایشان بر بگوشان این قدر ۲۰ — او گذشت و این امانت را بیاد — تا بیارد بهر فرزندان بداد
من نمیگویم خلاص من بده — بر سر من منت وافر بنه ۲۱ — فکر کش گوید صبا آری نعم — آرد را پیش عیالانت برم
گشت‌جان‌دادن‌بر او آسان‌وسهل — گفت شکر این‌هست‌امین وباز هل ۲۲ — باد را چون او امانت داریافت — پس جوال آرد را سر برشکافت
سر نگون‌کرد و فرا بادش بداد — گفت امانت اینك ای‌فرخنده باد ۲۳ — من شدم زینسوی تو زانسو برو — نه بنرمی از سر تعجیل رو
بی توقف اندر این‌ره سر مخار — این امانت را بطفلانم سپار ۲٤ — ای دریغا حاصل عمر و حیات — اینچنین دادی بباد نایبات
اینجهان‌بحراست‌وکشتی‌این‌زمین — بادبان تو املها ای حزین ۲٥ — غافل از باد فنائی و مدام — کشتی افکنده در این‌بحر ظلام
ناگهان آن باد نکبت فوج فوج — در رسد اندازدت در عین موج ۲٦ — آنزمان واقف شوی تومرگ‌را — که زند باد خزانی برگ را
بیخبر زآنکس که باد و آب را — خاك را و آتش پرتاب را ۲۷ — آفرید و مبفرستد اینچنین — هرچه خواهد می کند وهوالمعین
ای رقیق القلب در خواب عدم — اهل و فرزندان خود را نیز هم ۲۸ — کن توکل بروی و اورا سپار — تا نجا یابی و گردی رستگار
تو ز حق بگذشته‌ای بی اعتقاد — می سپاری اهل و اطفالت بباد ۲۹ — صبح‌روشن‌چون‌زنددم زان‌امین — گردی آگه ما فعلتم نادمین
پس پشیمانی چه سود آندم ترا — این دم آگه شو ازین حفره برآ ۳۰ — یك سخن گویم ترا علم الیقین — انی اخاف الله رب العالمین
خود الاله‌خلق وامرای پرخیال — تکیه کردن جز برو باشد ضلال ۳۱ — اعتقاد و اعتقاد و اعتماد — غبن باشد جز که بر رب‌العباد
چشم معنی بر گشا واپس مرو — واقف ای عارف ز سر الله شو ۳۲ — همچو شاگرد رسن تاب ای‌غوی — بسته دل در چرخ واپس‌میروی
باد از پیش است وچاهت‌از قفا — تو ضریر و از کف افکنده عصا ۳۳ — سالکان عارف نا کرده نوم — پیش برده کار خود یوماً فیوم
تا توئی در اندرونت نیست کار ۳٤ — از میان برخیز و اینك ملك وبار

رسیدن غلام عریان بر ساحل که انموزج منزل اول دنیاست و استقبال قوم اورا

آن غلام از بحر ناگه در کنار — اوفتاد افغان کنان و آشکار ۳٦ — دید قومی بی مرو حد و کران — کرده استقبال او شادی کنان
بادف و نای و رباب و دمدمه — از پی خیر القدوم او همه ۳۷ — جمله چون دیدند اورا سربسر — تن برهنه زار و گریان بی سپر
شفقتی در جانشان آمد پدید — هر یك از فرط فرح برمی جهید ۳۸ — شاد و خندان لب گرفتندش ببر — بوسه دادندش بروی وچشم وسر
مدتی تیمار کردندش بناز — تا که شد فربه شگرف و سرفراز ۳۹ — روزی ازپیرو جوان گشتندجمع — بر سر تختی نشاندندش چو شمع
جمله گفتندش توشاه و ماغلام — ملك و تاج و تخت زان تو تمام ٤۰ — امر امر تست و مأموریم ما — تو سلیمان زمان موریم ما
هرچه‌خواهی‌کن که‌دولت‌زان تست — گوی طاق چرخ در چوکان‌تست ٤۱ — پس‌چوروزی‌چند اوفرمان‌براند — کام دل هرچون که می‌بتوان‌براند
چونکه بود اورا ز فضل داد گر — از ازل حسن هدایت راهبر ٤۲ — فکرت صائب گرفت اورا عنان — گفت با دل وقت خود دریاب‌هان
این شهی و ملکت وکارو کیا — که میسر شد بلا زحمت مرا ٤۳ — نیست‌بی حکمت سروکاری چنین — حکمتی در ضمن این باشد یقین
عاقبت این ملك‌و دولت‌روشنیست — این عروج وضنطنه بگذشتنیست ٤٤ — عمر را هم نیست چندان اعتبار — الحذر از کلفت دار القرار
دنبی دون بسته خود را زیوری — از جواهر داده بر سر معجری ٤٥ — خویش را آراسته نقش و نگار — کرده با خون فتی گلگون عذار
دمبدم در چشم تو چون ساحری — میدهد جلوه بنوع دیگری ٤٦ — تا رباید دل ز تو پس‌چون‌ربود — کرد از عشق خودت کور و کبود
رو بگرداند ز تو ای بی امان — تو شب وروز از قفای‌اودوان ٤۷ — عمر تو یوماً فیوماً در بدو — حرص تو هر روز افزون نو بنو
عمر رفت وعشق مال وزر همان — گو ممان جان و جوانی زر بمان ٤۸ — رفت حسن‌ورفت رنگ ورفت‌بو — از طمع ها باز نا کرده تو خو

ترک کن این رنگ و بوی مستعار / این گرامی جان غنیمت می شمار ۱ / من همی‌خوانم شمارا زین فسون / افمن هذا الحدیث تعجبون
لطف وفضل او نگر خودرا بدو / میفروش و بندهٔ شو شاد رو ۲ / دوست بهر معرفت گیر ای قباد / تا نماید ره ترا سوی مراد
لیك تا راهی بر آن شه بری / زانکه ازغیب‌است‌ونقص‌آن‌شه‌بری ۳ / رو دلیلی جو خبیر و هم بصیر / نادر الآثار منصوری کبیر
بیدلیلی نیست ممکن ای مقل / نه دلیلی گمرهی ضال و مضل ٤ / تا نباشی از اذا کان الغراب / در مزار کهنه بینی بوم و غاب

استشاره کردن آن هدایت یافته در کیفیات مال حال قوله تعالی و شاورهم فی الامر

چون غلام عاقبت اندیش راد / از کفایت اندرین فکرت فتاد ٦ / که ازین شاهنشهی حکم و داد / آخر اندر دست کس ناید زیاد
پس یکی‌را زان امیران سترگ / که بُد از جمله امیران‌او بزرگ ۷ / یار غار و محرم و دمساز ساخت / همدم و همخوابه وهمراز ساخت
دست در دامان رای او بزد / چون بدید او را امین و معتمد ۸ / گفتش ای حلال اشکال قضا / خاطرت آئینهٔ گیتی نما
جزووکل وقبض‌وبسط وحل‌وعقد / نفع وضرّ وعزل‌ونسب‌وجنس‌ونقد ۹ / جمله در کفّ کفایات تو است / بردهٔ در دانش از احرار دست
با تو رازی دارم‌ای زین زمن / بایدت پنهان نداری آن ز من ۱۰ / راز را از اهل پنهان داشتن / ماه را باشد بگل انباشتن
راز سه قسمست در جمع امور / عام‌وخاص‌وخاص‌خاص‌ایخوش‌حضور ۱۱ / عام را با جمله عالم گفتنیست / باخواص آن‌خاص ظاهرکرده‌نیست
خاص خاص آنست غیرازکردگار / کس بر آن عالم نگردد در دیار ۱۲ / طرز جسمك‌جسمی‌است ازره‌مرو / طور لحمك لحمی است ابترمشو
رازخاص ای‌خاص درچه هم مگو / گر نه نی در ناله آید ای عمو ۱۳ / میخورد زخم و زند آه و فغان / لیك ناجنس است وناواقف‌ازآن
زنگ شك بزدای از لوح یقین / زانکه این معنی بشرع مُرسلین ۱٤ / سرّ سبحان‌الذی‌اسری‌است‌راست / رمزالرحمن‌علی‌العرش‌استوی‌است
ای شه مردان و سرداران علی / ای وصیّ مصطفی و ای ولی ۱۵ / انت منی و انا منك ای فتی / لا فتی الا علی المرتضی
یار خاصی سرّ قدسی گوشدار / لایق این سرّ توئی ای هوشیار ۱٦ / با تو گفتم این وسه یار دگر / مقتدی صدیق و عثمان و عمر
سرّ پاك لی مع الله است این / امر عالم گیر آن شاه است این ۱۷ / محرم این راز این چار خواص / با توچیزی دیگراز مخصوص خاص
کرّم الله وجههُ در شان تو / تو از آن ما و هم ما زان تو ۱۸ / جمله ایشان نیز هم زان منند / فرق باشد در میان راز و پند
باز گرد ازرمزاین راز آن غلام / گفت با آن معتمد کای نیك نام ۱۹ / کن مرا تحقیق کین شاهی‌وجاه / که مرا بی زحمتی بخشید اله
چیست اندرضمن این‌چه‌حکمتست / آخر این تخت و شهی‌چه‌حالتست ۲۰ / آن مشیر راست گوی اختیار / گفت ای شاه سریر اقتدار
گفته اند المستشار مؤتمن / بر تو خواهم کردکشف‌این‌رازمن ۲۱ / ای بلند اختر بدان‌وآگاه باش / روشن و تابان مثال ماه باش
حال این اسرار خاصان حرم / نیکوان دانند نی هر بی قدم ۲۲ / در دیار و کشور ما عادتیست / که بجای دیگر آن عادات نیست
هست‌مارا هرسرسال ای جوان / پادشاهی حاکم و فرمان روان ۲۳ / چون شود شاهیش یکسال تمام / میشود بر وی شهنشاهی حرام
میکنم از تخت و بختش عزل‌باز / با دمی سازیمش امید دراز ۲٤ / هست فانی تاج و تخت‌وملك‌ومال / دولتی آن کو کند فکر مآل
زین رباط خشت آباد دو در / زین در آئی میکنی آن در گذر ۲۵ / چون چراغ عمر بر باد فناست / غنچه را دامان ازین غصه‌قباست
فی المثل دنیا چو گلزاریست ما / یافته چون گل در او نشو ونما ۲٦ / دربهاران چون شود خرّم‌جهان / گردد از فضل خدا خرّم زمان
بلبل‌وقمری ز هر سو در فغان / فانظروا آثار فضل المستعان ۲۷ / راح ایام الشتا جاء الربیع / انظروا صنع الحی الرّب الرفیع
خیمه گل در گلستان میزنند / بر سریر تخت نصبش میکنند ۲۸ / بر سر تخت شهی آید بناز / گشته غرّه با عملهای دراز
با زر و برگ جوانیّ و جمال / نازکیّ و شیوه و غنج و دلال ۲۹ / در چنین منصوبهٔ شاهنشهی / چتر دارش میشود سرو سهی
او شده درمملکت چشم وچراغ / نرگس اندر خدمتش دارد ایاغ ۳۰ / باد فرّاش سرا بستان او / آب گشته طایف ایوان او
سبزه گشته خاك بوس راه وی / نسترن خود نوکر درگاه وی ۳۱ / بید میر لشکر و اسپهبدش / پیش لشکر صف زده شمشیرکش
اوزفرط کبر و مغروری دولب / در تبسم بر گشاده روز و شب ۳۲ / گل درین کبرو غرور و انبساط / از مآل کار خود بی احتیاط
خنده را پیرایهٔ خود ساخته / با زر و برگ و نوا پرداخته ۳۳ / تاخت آرد ناگهان باد خریف / آن بروت اشکن سرانداز کثیف
چون بجنباند بروتی از غضب / اوفتد بر سرو و سبزی لرزوتب ۳٤ / گنبد گل در هوا پرّان شودَ / کخ و ایوانش همه ویران‌شود
قرع میگوید رسیدم من بسرو / عاشق من بلبل و کبك و تذرو ۳۵ / دولت تیزم نگر چون پردواند / دولت عالیم تا عرعر رساند
سرو در عالم بچندین ماه وسال / بر کشیده قدّ وقامت پرّ و بال ۳٦ / من بدین سُرعت‌ز اقبال‌است این / از عُلوّ فتح و اجلال‌است این
باد پائیزی حکم سازد اله / تا نماید هم باو آن عجب و راه ۳۷ / گشت ضحاك اول از فرط غرور / آن دهن‌ضحاك ودل از فتح دور
غافل از پایان کار خویشتن / در جهان افکنده صد ظلم وفتن ۳۸ / باد پائیز زوالش در رسید / پوست مغزش را زکله بر کشید
تو سیه دل باش تا فردا شود / هرکه باشد قلب خود رسوا شود ۳۹ / ای تو ضحاك ودلت کورو کبود / خاسری وبردهٔ ظن خیر وسود
ضحاك تو گریه شود اشتاب‌نیست / خالق کون‌ومکان درخواب نیست ٤۰ / گاو خرّاسی تو ای نا هوشیار / میزنی‌دوران‌که خودزین است کار
کاوهٔ حداد اینك میرسد / گاو مرکوب آن فریدون اسد ٤۱ / مغزما تا کی خوری ای مار سر / می بر آرد مغزت افریدون بدر
وارث ضحاك نمرود غوی / خوش گرفته آن شقی را پیروی ٤۲ / صفدر و میر سپاهت آزر است / صانع اصنام بختت آزر است
ای سیه دل ازصمد کردی فرار / گشتهٔ عبدالصنم اینت اعتبار ٤۳ / اوزر الوزرای توشیطان شده / اوستاد منجنیقت آمده
میرسد گردن زنت اینك خلیل / میر اسپاهت شدستش سلسبیل ٤٤ / از چه غرّه میشوی‌ای‌خیره سر / کرّ و فرّ نیم بقّ ما نگر
هین بگو تو کیستی ای خیره‌خو / تا خلیلم دست آلاید بتو ٤۵ / کر کست کو تاسوی چرخت برد / کو وزیرت تا که خونت وا خرد
خوش خلاصی یافتی جبار باش / با خلیل از نار بس قهار باش ٤٦ / ویلك انت نائم نوم الغرور / ویحك انت‌فی جف البحرالغرور
این حکم بین شاه‌را و حکم‌او / مغز بر من آورد زان کینه‌جو ٤۷ / هی تو ای نمرود مطرودآمدی / از در اقبال مردود آمدی
وارث فرعون اینك از عقب / میرسد هم غرّهٔ لهو و لعب ٤۸ / هم شود او نیز مکشوف القناع / غافل و زایل که الدنیا متاع

قول ما ینطق رسول بالهوی — کی هوا زاید ز معصوم خدا ۱ — گفت دنیا جیفه و طالب ورا — الکلاب الکلاب ای فتی
تو بسحر کاهنان غرّه مشو — راه بیچونی نگر در چه مرو ۲ — گفته هامانت که هامان از طریق — تو شده در بحر رزق او غریق
باد باشد قاتل قوم ثمود — قاتل تو آب خواهد گشت زود ۳ — ایکه داری عقل و تدبیروخرد — خوش تمیزی کن بفکرت نیك وبد
موسی ام دنیا و هم عقبی ببرد — زنده در عقبی و در دنیا نمرد ۴ — ابله آن نمرود و فرعون لعین — خائب و مغلوب نه دنیا نه دین
عاقبت اندیش باش ای شیرمرد — چون وفا با هیچ کس دنیا نکرد ۵ — برگ وزاد راه خود بفرست پیش — هم مدد ازحق طلب ای خوب کیش
از دلیلی راه خود جو طالبا — تا رسی در مقصد ای صاحب ذکا ۶ — رو بدست آور دلیلی راه بین — گیر دامانش بدستان یقین
چه دلیلی چون شه کون ومکان — صدروبدر این جهان وآن جهان ۷ — اوشفیع و هم شفیق وهم رشید — او امین وصادق القول و سعید
او دلیل راه وا پس ماندگان — خواجه او و ما سراسر بندگان ۸ — تو ازو مگسل باعدا دل مده — بر سر کوی اعادی خار نه
بین دلیلی اینچنین صادق سخن — بوالحکم گشته ز جهل اورا فتن ۹ — کور مادر زاد و گمراه تباه — گفته رنگی نیست بهتر از سیاه
چونکه دیدی معجز شقّ القمر — نطق مار وسنگ وآهوهم نگر ۱۰ — زهر را تریاك بین بر جسم او — دیو را لرزان نگر بر اسم او
ابر را بین سایه‌بان فرق او — والضحی برخوان صفات روش تو ۱۱ — مرده از انفاس او زنده شده — موسی و عیسیش هم بنده شده
چشم بگشا بین لعمرك زیورش — از فطهّر کسوه لولاك افسرش ۱۲ — او طبیب و میکشد جور مریض — نیك میداند ولی طور مریض
هم عزیز و هم حبیب پادشاست — هم دلیل و هم طبیب درد ماست ۱۳ — درد مارا شربت انفاس وی است — باد نوروزی نگر دفع دی است
آن طبیب ازوی ینزل درس خوان — آن طبیب حاذق شافی لسان ۱۴ — درد می باید بود درمان پذیر — نه از آن دردی که باشد حلق گیر
نیست در علم طبیبت کسر وکاست — هر خلل کههست آن رنج تراست ۱۵ — گر تو صاحب عقلی ودانا تری — ره بصنع خالق اینها بری
خالق عقلا قدیما صانعاً — مستعانا داد بخشا سامعاً ۱۶ — مالك الملکا رؤفا منعما — پادشاها ذو الجلالا مکرما
کار ساز مؤمن و کافر توئی — اوّل آخر باطن و ظاهر توئی ۱۷ — عقل و فهم و فکر ما را دادهٔ — در تن ما نور جان بنهادهٔ
هم تو دادی از که روز ازل — قوّت و علم و سعادات و عمل ۱۸ — هم تواندر دل فکندی این فکر — که بجوئیم آن دلیلی راهبر
ره تو دادیّ و دلیل رهنما — تا بنور تو نماید ره بما ۱۹ — آنچنان کان شاه پرسید ازمشیر — زان مشیر کافی نعم النصیر

شرح کردن مشیر چگونگی پایان کار باشاره مستشار که انماالاعمال بالخواتیم

آن مشیر کار دان بر مزید — گفت او را کای طلبکار سعید ۲۱ — هست شهری برتراز عرش عظیم — پادشاهی بس بزرگ آنجا مقیم
زو نشان آنجا دهند اما بدان — هست آثار وی اندر هر مکان ۲۲ — او علی التحقیق شاه عالم است — مفضل و مکرم حکیم و عالم است
حکم واجب امتثال او مدام — نافذاً فی الخافقین است ای همام ۲۳ — ملك وشهرماوهر ملکی کههست — تحت امر وحکم فرمان وی است
هست از آنجاتا بدان شهرشکوه — هفت بحروهفت دشت وهفت کوه ۲۴ — گر بگویم شرح آن کوه و بحار — زآن عقوبات مهیب بی شمار
همچو مارت پوست برتن بترکد — همچو توت از چشمهایت خون چکد ۲۵ — ساخته آنجا دوشهر آن شهریار — از بزرگی بی کران و بی کنار
آن یکی شهرش بغایت جان فروز — فارغ از سرد دی و گرم تموز ۲۶ — اندرو بستان و باغ بی شمار — جویهای خوش روان ازهرکنار
پس درختان از یسار واز یمین — تحتها الانهار شهد و انگبین ۲۷ — جوی دیگر منبع آب حیات — هرکه خورد ار وی نمی بیند ممات
خاك او مشك و عبیر وزعفران — سنگ او یاقوت ولعل و ارغوان ۲۸ — باد جان بخشش چو انفاس مسیح — دلگشا و راحت افزا و ملیح
عندلیبانش همه سحر آفرین — در ترنم جان فزا و خوش حنین ۲۹ — از درون باغ بر شاخ شجر — لون لون الحانشان با یکدگر
بانگ بر خاصان زده ازچهارسو — بلبل و دُرّاج و قمری فانظروا ۳۰ — ساخته شهری دگر شد بتکده — پر ز مار و کژدم و دام و دده
خاك آن ادبار و بادش زمهریر — آب آن سم وهوایش حلق گیر ۳۱ — میوهٔ او جز زقوم و نار نه — مرغها جز عقرب و جز مار نه
هرکرا آنجا وطن شداو شقیست — همدمش لاقیس و ابلیس ردیست ۳۲ — شرح قبح وزشتی آن شهر من — گر بگویم تو بگردی ممتحن
حاصل آن چون خسرو این شهر ما — مدت سالی چو شد فرمان روا ۳۳ — حکم آن شاه بزرگ آید بدم — عزل سازیدش فرستیدش برم
پس ز نزد آن شه آید قاصدی — آورد از شاه حکم نافذی ۳۴ — عزل سازد آن شه مارا روان — هرچه او دارد ز ملك و خانمان
پاك بستاند ز دستش جنس ونقد — حکم وفرمان شهیّ وحل و عقد ۳۵ — پس وراچشم ودهان و دست وپا — بندد و آنگاه بسپارد بما
چشم واکن گوش بگشا ای پسر — این چه سرّ است این چه رمز اندرنگر ۳۶ — نیست برآن شاه تنها این بساق — هم من و تو داخلیم و در نطاق
یراغ و احکام اینك در میان — ما نهاده بر سر وبرچشم وجان ۳۷ — صدق بر توقیع او داریم لیك — میکندمان کور حرص مرده ریك
واقف از عزلیم و ازعهد رحیل — نیستمان بالقوه بل بالقال و قیل ۳۸ — ایها الناس انتم قد تعجبون — لا تقولوا انّ ما لاتفعلون
میرسد اینك بزید پادشاه — پنبه بیرون کن ز گوش انتباه ۳۹ — خواجه بهر آن فرستادت سفر — تا کنی سود و شوی توبهره ور
سازدت آزاد و هم بخشد ترا — نعمت بی حدّ و حصر و منتها ۴۰ — سافروا و تغنموا قول نبی است — از تجارت به بعالم کار نیست
در تجارت جهد کن ای کامران — والذین جاهدوا فینا بخوان ۴۱ — جهد کن مردانه ای یار عزیز — تا کنی از جهد خودتحصیل چیز
چونکه حاصل گشت میکن بذل تو — لن تنالوا البر حتی تنفقوا ۴۲ — آفتاب از اوج این چرخ بنفش — چونکه شد ینبوع خیرونور بخش
مرد وزن می دوستدارندش نکو — روشنیّ عالم است آن نور او ۴۳ — نوردولت دردل وجان زانسواست — هرچه زانجا داده اندت باتواست
نور ازآنجا خواه لیکن گر بداد — خواهشت باشد مقام انقیاد ۴۴ — ازاطاعت روی گرداندن خطاست — هر که دارد انقیاد اهل نجاست

بیان آنکه عنایت ازلی در دل مطهر چون بارقهٔ انوار آفتابست که جمیع مشارق و مغارب کائنات را فروغ دهد از فوق و تحت و قبل و بعد و یسار و یمین و آن تعلق بعنایت ربانی دارد و خواهش بندهٔ هم ارادت حق است اگر تأیید عنایت ابد پیوند داد توفیق خواهش هم میدهد

چون سعادت داد توفیقت دهد — تا از او خواهی سعادت را مدد ۴۸ — چون بخواهی کام وگردی کامران — دولت خواهش هم ازیزدان بدان
آنکه محیای ومماتی صنع اوست — جمله صنع اوشناس ازمغز وپوست ۴۹ — چون شود تدبیر با تقدیر یار — صاف گردد من جمیع الوجه کار

چونکه خواهی کام بااخلاص ازآن کامران گردی هم ازمعبود دان ۱ کان ذلك فی الکتاب این نکته است آیهٔ نحن قسمنا نیز هست
دردل آن کاین گهر بنهاده اند ۲ از ازل اورا سعادت داده اند

رجوع بحکایت آن غلام پادشاه که از مشیران از چگونگی پایان کار سؤال میکرد

نایب شه چون ببستش دست وپا دست و پایش بسته بسپارد بما ٤ زورقی سازیم ما از بهر او نکتهٔ گوئیم در گوشش فرو
مدتی با او چو خوگر بوده ایم در پناه دولتش آسوده ایم ٥ با خروش وگریه و آه و فغان تا بدان زورق بریمش موکنان
پس ببحر اندرنهیم آن زورقش باز گردیم آه زن فریاد کش ٦ چیست آن دریای قتال ای غریب هست بابی که از آن باب مهیب
بشنو الباب و کل الناس از آن داخل تصدیق کن تصحیح دان ۷ فارق این بابست وزین درهر که او یافت امنی کو رهیدی ای عمو
حاصل آن ملاح شاه بسته را آن ضعیف و عاجز و دلخسته را ۸ بادبان را بر کشد او را روان تا بدان شهر عظیم آرد دوان
مدتی خواباندش همدم عمل نیك نیك آرد دغل آرد دغل ۹ بعد سالی چند و ایام فزون باز انگیزندش از جای سکون
میبرندش پیش آن شاه کبیر آن شه بی مثل و مانند و نظیر ۱۰ شاه ازو خواهد حساب کشورش گرچه واقف باشد از خیروشرش
هرچه او کرده بود باعام وخاص شاه فرماید ز عدل اورا قصاص ۱۱ گر شود منکر گواهش هم ازاو شه کند ناطق که گوید روبرو
پس بحکم الجروح از نیك وبد یابد از افعال و از اعمال خود ۱۲ این ترازو میل اصلا نیستش قایم است و راست جیلانیستش
آنکه سیلی زد کنیجه او دهد آنکه دادت گل هم او خارت نهد ۱۳ آنکه زخمت زد هم اومرهم دهد آنکه دردت داد درمان هم دهد
غیر را تو در میان اندر مبین هر چه می بینی ز حق میدان یقین ۱٤ زخم بر خاصان ز تشریفات دوست بر لئام آن زخم اززلات اوست

فرمان دادن پادشاه نایبی را در رفتن شکار مودیه برمقتضای والجروح قصاص

آن الغ خان حاکم صاحب یساق کرد روزی امر با التون تیاق ۱٦ گفت صید دشت البرزای درست دادمت فرمان که امروز آن تست
رو بصید ولیك مر نخجیر را که بود انداختن را او سزا ۱۷ خواه سگ بروی رها کن خواه تیر میزنش می بند مگذار و بگیر
چون طریق عدل را داری نگاه کس نگیرد هیچ گونه بر تو راه ۱۸ هر کسی کو لایق تیرت بود خود ز فعل خویش نخجیرت شود
هل جزا فرمود الاحسان احد هرکس آنچه کشت هم آن بدرود ۱۹ مثل مبش غفلتی ای خواجه تاش در چرا افتاده سر در بر مباش
گرگ درّان در کمین بنشسته است چشم اندر دنبهٔ تو بسته است ۲۰ هم تو گرگا امن و آسوده مباش تا بکی درّندگیها و تراش
در پی این گله تا کی خرصناك گاه بر قوچ گاه در تل گه مغاك ۲۱ لشکرش خواهند حلقه کرد هین تو بامید گله فارغ نشین
ناگهان بینی سگ شاهی دوان خون تو کرده زحلق وتن روان ۲۲ یا خوری بر ناف پیکانی چنان کز الم گردت بر آید زاستخوان
حاصل ازفرمان شه التون تیاق کرده بهر قصد نخجیران یراق ۲۳ پس سلاح مردی و پیکار بست بر پی قصد شکاران بر نشست
روی در البرز گیتی کرد باز آن مسلح نامور با یوز و باز ۲٤ کرد صید وافر از اطرافها ناگهان پیدا شد از روی هوا
یك عقابی هول پرّان سوی چرخ که برش عنقا نیرزیدی بفرخ ۲٥ بر گشاده گوی ارضش زیر بال از تکبر دم زده مغرور حال
در کمان بنهاد آن تیر سه پر زد چنان آن مرغ را برطرف پر ۲٦ که زدش بر پرّ و آمد بر زمین خاك وخون آلوده غلطان باحنین
چونکه اندر زخم خود دربنگرید آنچنان تیر سریع السیر دید ۲۷ زد یکی منقار و بیرونش کشید پیش خود بنهاد وگفتش ای شدید
هیأت را راست می بینم ولی هست از سختیت چون آهن دلی ۲۸ تو ندیده بر خود از من محنتی نه بدی و نه شری نه ذلتی
پس چرا برمن زدی این زخم سخت که مرا بر تخته افکندی زتخت ۲۹ گر ز من بر تو بدی واقع شدی پس قصاص القصه واجب آمدی
تو نهٔ از والجروح آگه مگر که مرا مجروح کردی از ضرر ۳۰ فعل نا احسن عقوبات خود است بدبخود کرده هرآنکه او بداست
ای خدنگی تیر خود برگوچرا که چنین زخمی زدی یکره مرا ۳۱ تیر بگشاد آن زبان تیز تاب گفت تو معذور میدارای عقاب
نیست این جرأت زدست وپای من که چو تو مأمور امرم در زمن ۳۲ من ندارم قدرت وحکمی دراین چیست درمان چونکه دارندم چنین
زرد روئی قددوتوئی هست لیك گوشه گیری سخت زوری مرده ریگ ۳۳ حاکم من اوست من دردست او همچو مرده مانده پیش مرده شو
هر طرف کاندازدم فرمان برم یکسر موئی ز فرمان نگذرم ۳٤ اختیاری نیست اندر دست من از کمان دان این هنر نزشصت من
من مطیع بنده فرمان عبد وار بی زده سر کوفته باریك و زار ۳٥ مرغ گفتا پس مرا دشمن وی است که مرا این زخم ازآن ناخوش پی است
راستی از هیأت صوری تو شاهد است ازکجروی دوری تو ۳٦ گفته فی ضرب المثل اهل فنون اینکه ظاهر هست عنوان درون
قد تو دال است بر گفت الف دوری آری از مقال مختلف ۳۷ چون مرا زخم از کمان برپررسید انتقام خود ازاو خواهم کشید
وزر اخری لا تذر گفتا خدا کل شاق ستناط برجلها ۳۸ تو بمن بنما کمان را تا که من زو ستانم انتقام خویشتن
تیر در پیش و عقابش در قفا تا سوی قوسش برد آن رهنما ۳۹ او هلالی دید زرد و با وبال نزد او زانو زده آمد بقال
گفت ایا کج هیأت گوشه نشین بی گنه بر جان من ورزیده کین ٤۰ میتوانم کاین دمت پی بشکنم مغزت از سر پوست ازتن برکنم
لیك تابامن نخواهی گفت راست با منت این کینه و بغض ازکجاست ٤۱ که فرستی تیر کو محکوم تست تا مرا زخمی زند بر بال چست
تو مرا هرگز ندیده من ترا بی گنه بر من چرا کردی جفا ٤۲ هم رسد در تو سزای کردهات هم خلد خار جفای خویش پات
تو بزه نازی ولی بر حلق تو زه نهد هم زه کند جیبت گلو ٤۳ هم ز کیشت برکند چرخ بلند هم بقربانت کند ای زور مند
سر مکش گر سر برآئی ای عدو زین ترفع عاقبت افتی فرو ٤٤ گر شوی ماهی تو با ماه و هلال کی خلاصی یابی از شست زوال
چند هر افتاده را در پی کنی زور بر اشکستگان تا کی کنی ٤٥ اینك از اشکستگان خسته من کز تو دارم زخم سختی در بدن
بر من این زخم ازچه آمد ازرهت ای بد ازظلم و ستم تا کوتهت ٤٦ هم خوری زخمی که پشتت بشکند در چهت این چاه کندن افکند

جواب دادن کمان عقاب را

چون کمان را این سخن درگوشها آمد و افتاد گفت آن ماجرا ٤۸ کای عقاب این کش مکش از من مبین ازکجا من دست و پا وبغض وکین

این گنه را دان تو از انگشتها ۱ که منم در پیش او پشت دوتا
حلّ و عقد کارمن درشست اوست ۲ کلّ وجزو فعل من دردست اوست
بندهٔ محکوم احکام ویم ۲ هر سوئی اویم کشاند بی‌روم
ماجرائی گر ترا هست ای عقاب ۳ پس بکن از دعوی من اجتناب
اینك انگشت امیر التون تیاق ۳ ماجرا با من بنه بالای طاق
جرم گرگ ازناب بگرفتن خطاست ۴ چون قلم سر گشتهٔ انگشتهاست

مناظره عقاب با انگشت بزبان حال غیبی

هان منه انگشت بر حرف خدا ۵ تو چه دانی حکمت حکم ورا
انبیا و اولیا سر گشته اند ۶ اختیار خود بداور هشته اند
حاکم است او در خلا ودر ملا ۶ او کشد آنگاه خواهد خونبها
چون اذا جاء اجلهم ای حرون ۷ قال لا یستاخرون یستقدمون
عمر تقدیری بر اوج تلّ صبد ۷ چون بریزد ناگهانی خون زید
عمر را هم اختیاری خود نبد ۸ در اجل تقدیم و تاخیری نشد
پس چرا جاریست حکم القصاص ۸ بر سر عمرو و نمی گردد خلاص
کی شود خود معرض جفّ القلم ۹ عمرو و زید وبکر و خالد نیز هم
گفت با انگشت آقا آن عقاب ۹ کای زتو بر بال من ظلم وعقاب
خورده‌ام زخمی معنّن تا بتو ۱۰ ره کنون آورده ام ای کینه جو
تو بر آوردی بظلم و زوردست ۱۰ تیر ضارب چون روان کردهٔ تواست
از کمان پرّان وزو دارد فغان ۱۱ وز تو مینالد بهر گوشه کمان
راست گو این سر مکن مخفی سخن ۱۱ میزنی تیر و کمان پنهان مکن
بر من و بر هر کسی کت قصد خاست ۱۲ بیوسیلت زخم وخون ریزی چراست
میتوانم گوشتت را بر درم ۱۲ تیز منقارم که خونت را خورم
لیك من مامور شرعم در زمن ۱۳ با تو دارم دعوی مشروع من
گر کنی توضیح و حجت آوری ۱۳ پس ندارم با تو روی داوری
گر نه اینك قاضی و شاه چوماه ۱۴ یادیت ده یا قصاص ای کینه خواه
حجت خود باز گو روشن مرا ۱۴ تا کنم کوتاه از تو ماجرا

جواب انگشت عقاب را

اصبع اندرجنبش آمد گفت هین ۱۶ ای دراز اندیشهٔ کوتاه بین
تو همی بینی بظاهر جنبشم ۱۷ نیستی از باطن آگاه ای عدم
جنبش وتحریك من نه ازمنست ۱۷ ظن مبر که تیغ ها گردن زنست
تیغ چون بینی بدست دیگران ۱۸ تو مبین از تیغ آن ضرب گران
دست دست او بود نه دست تیغ ۱۸ قطره از دریاست باران نه زمیغ
ضارب آمد فاعل این داروگیر ۱۹ پس تو این دادو ستد ازوی مگیر
تیغ وتیر اینجا بهانه است وجزاست ۱۹ حکمها بین الاصابع خداست
گر مناره میشوم من یاکه طاق ۲۰ هست بنایم در آن التون تیاق
قوت تحریك و اسکونم ازوست ۲۰ اوست مغزاین جنایت من چوپوست
گر ترا بحثیست با او اینك او ۲۱ نیست غایب حاضر است ای کینه جو
زانکه نه واصل نه فاصل ازمن است ۲۱ زانکه نه خارج نه داخل ازمن است
گرچه این زخم گران سنگ ازوست ۲۲ چون بانصاف آئی ازتو هم بتوست
از ره خوردهٔ ضربت رو متاب ۲۲ زخم خود شد بایدت دادن حساب
چون حساب اندر حلالست ای عقاب ۲۳ در حرام وظلم نبود جز عذاب
حالیا درخواب گرمی این زمان ۲۳ چون برآری سر ازاین خواب گران
آنگهی دانی که در چه بودهٔ ۲۴ با چه کس در خواب خوش آسودهٔ
لا تغافل عن مکافات العمل ۲۴ ان مکتوباً صعابك فی الازل
ای ما جامنك او دون او جیاد ۲۵ ان یستقبل الیك فی المعاد
چند درانگشت پیچی این صفات ۲۵ کرده باشی در دم موت و حیات
دمّ این نکته طویل است ودراز ۲۶ باز آور ماجرای باز باز
تو منه انگشت بر حرف قدم ۲۶ کی توان پی برد در حکم حکم
زامر ممضای قدم واکش قدم ۲۷ چون تراره نیست در صحن حرم
باز گوی وبرشمر بی رسم وفکر ۲۷ ذکر کن تو قصهٔ آن بنت بکر
تا چه شد با آن عقاب مدعی ۲۸ قصهٔ التون تیاق بردعی

دیدن عقاب التون تیاق را وعظمت جلال پادشاه را در چهرهٔ او مشاهده کردن

چون بدیداو که دراین نشو ونما ۲۹ اختیاری نیست هم انگشت را
حکم او وفعل نیکش یا بدش ۳۰ نیست اندر قبضهٔ حکم خودش
فعل بالقوه ورا از خیر و شر ۳۰ هست اندر قبضهٔ امری دگر
کیست آن التون تیاق تیر زن ۳۱ در بغل توقیع سلطان زمن
شد بر او چونکه از دورش بدید ۳۱ صولتش در چنبر رعشه کشید
لرزهٔ بر دست و پایش اوفتاد ۳۲ از سر وضع و اصول آن قباد
گفته اینجانیست جای قیل وقال ۳۲ که شدم از بیم این من درجوال
گر چومن صد را کشد بتواند او ۳۳ کی بحجت از کسی درماند او
تیر گفتم ضاربم شد یا عدو ۳۳ تیر ها صد بندهٔ مژگان او
از کمان نالم که در ظلم است طاق ۳۴ هان کمان ابروی التون تیاق
خود اصابع است خون وپوست وپی ۳۴ زیر دست اوست ده مانند وی
من شدم راضی باین زخم دژم ۳۵ دولتم از دست این گر جان برم
جانور با او در آید در جهات ۳۵ ممتنع دان این و از نا ممکنات
با سپه سرکه بر آید در جهان ۳۶ حجت او هست عالم را عیان
آدمی با مرگ بر ناید عزیز ۳۶ گر نه بجهد از کف اوهیچ چیز
در چرز کاریدن وین بردنست ۳۷ لیك در زرع خوش سرخوردنست

قصهٔ آن گربه که از خانه بخشم پیش شیر رفت و پیکار شیر با آدمی وگرفتار آمدن شیر

دُنبه خورد آن گربهٔ دزد ای عجب ۳۸ زد سرش بشکست وبینی زان غضب
گربه ازضربش قوی شد بی قرار ۳۹ کرد از ترس اجل ز انجا فرار
در بیابان سر نهاد و شد روان ۳۹ میدوید از هر طرف ازبیم جان
نا گهان زان حال برشیری رسید ۴۰ در دوید آندم که روی شیردید
همچو موش از بینی خوك اوفتاد ۴۰ گربه از بینی شیر است ای قباد
نسبت هر قوم با قومش رود ۴۱ اسب هم بااسب وخر با خر دود
بود گربه قوم شیر اژدها ۴۱ خون بجوشیدش چو دیدآن گربه را
آنچنان کوچك نهاد و تن فکار ۴۲ با خروش وگریه و زار ونزار
سوختش دل بروی وگفتا که هین ۴۲ ای تو قوم وخویش من ازراستین
چونکه هر جنس است باجنسش شبیه ۴۳ قال شعبی الولد مثل ابیه
من قوی هیکل چنین وزوردار ۴۳ تو چرائی اینچنین زار و نزار
واسطهٔ این ضعف وکوچك هیکلی ۴۴ نك بیان کن سر مدار ازمن خفی
گربه گفتا ای بزرگ و پیشوا ۴۴ دست ما من بعد و دامان شما
نیستم بی کس که دارم چون توکس ۴۵ ای کس و مخدوم من فریاد رس
در من این ضعف ونزاری وکمی ۴۵ هست از جور و جفای آدمی
گندمش از موش میدارم نگاه ۴۶ میکنم گرمش زمستان جایگاه
گر دهد چیزی خورم خدمت کنم ۴۶ ور نه صبری پیش گیرم تن زنم
چون رسد از جوع کارمن بجان ۴۷ ناگهان خود را زنم بر ریزه نان
او سرم بشکافد و چشمم کند ۴۷ چوب آرد دست و پایم بشکند
من ز دست جور او زینسان حقیر ۴۸ دست من گیر الغیاث ای دستگیر
چون شنید این نکته شیر بیدریغ ۴۸ شد ز غیرت برتنش هرمو چوتیغ
زدچنان یك نعره ازخشم آن عنید ۴۹ که دل کوه از صلابت بر درید

گفت هین پیش اُفت و دیگر دم مزن — تا رویم و آدمی بنما بمن ۱ — تا بخواهم کین تو زان پر ستم — پوستش از سر کنم مغزش خورم
گربه رو بادیه کرد و شیر نر — از قفای او دوان با شور و شر ۲ — ناگهان بر گلهٔ گاوان رسید — شیر نر چون گلهٔ گاوان بدید
گفت اینست آدمی برگوی هین — گفت هی او نیست بلکه اوبراین ۳ — قادر است و هم مسلط آنچنان — که نهد بر گردنش بار گران
گاه حرث و گاه گردونش کشد — گر کشد سر زار در خونش کشد ٤ — بر گذشتند و برفتند اندکی — پیش شان افتاد اسب پر تکی
شیر گفت اینست گربه گفت نه — او براین هم قادراست ای که تنه ٥ — برسرش آهن کند گردد سوار — گاه تازد گه کشد در زیر بار
پس بضرب مقرعه‌اش دربرکند — گه لگد گاهش مقرعها زند ٦ — باز هم رفتند از آنجا پیشتر — پیش افتاد اشتری شان بار ور
شیر گفت این باشد البت آدمی — کش در اعضا نیست اززفتی کمی ۷ — گربه گفتش نه که براین نیزدست — داردآن سنگین دل اشکم‌پرست
میکند در بینی اینهم مهار — می نهد بر پشت این که پاره بار ۸ — سود خود را در صحاری وقفار — میکشد او را قطار اندر قطار
گر بره یکذره کاهلتر رود — چوب و سنگش بر سروپهلوزند ۹ — شیر لا حولی بکرد و پیشتر — رفت و قهرش گشته دردل بیشتر
چون قریب دیه در بیشه رسید — پیر مرد ناتوانی را بدید ۱۰ — بس ضعیف و منحنی بهر گون — بسته بر پشتش کلنگی و رسن
گفت اینست آدمی گفتا بلی — خندهٔ زد شیر همچون غافلی ۱۱ — گفت سازم سرمه‌اش گر آهن است — بشکنم پشتش اگر روئین تن است
پس باستهزا و طنزش پیش رفت — پیر بیچاره ز عقل خویش رفت ۱۲ — لیك باز از عقل و دانش مردوار — خویش را میداشت برجا استوار
شیر گفتش آدمی هی هی توئی — با چنین جسم و یل وبال قوی ۱۳ — گربه کو از نسل اولاد من است — از جفای توچنین کوچك تن است
پس تو باشی دشمن من ای قلاش — من زبون کش نیستم آگاه باش ۱٤ — جنگ دارم با تو هین آهنگ کن — در صف آی و بامن اینك جنگ کن

خلاص یافتن پیر ازشر شیر بپایمردی عقل که مفتاح اقبالست قیل سمی العقل عقلاً لتعقله الاحرام والنفوس

گر بدی ازعقل اشرف هیچ چیز — خود نبودی عقل زاینگونه عزیز ۱٦ — مکرم مشهور حاتم شاه طی — قال العقل اعز من کل شی
عقل مفتاح حریم دولت است — عقل مصباح سریر حشمت است ۱۷ — عقل باشد رهنمای ملك جان — عقل باشد کار ساز و کار دان
عقل خورشید سپهر اعتلا ست — عقل دُرج ملك کبریاست ۱۸ — عقل عین الروضهٔ فتح است وفر — عقل ورد العین اقبال و ظفر
پیر خود را در بلای هول دید — رخت سوی عقل فرخنده کشید ۱۹ — گفت با خود کت هلاك آمد کنار — حیلهٔ عقلی بکن کافتاد کار
چارهٔ تو غیر رای عقل نیست — دستگیرت جز خدای عقل نیست ۲۰ — کرد رو آنگاه اندر شیر نر — گفت ای سلطان جمله جانور
بهر آن شاه وحوشی و طیور — که نهٔ از عقل و از انصاف دور ۲۱ — عدل کن بامن چوخواهی کرد جنگ — که ندارم طاقت آن ناب و چنگ
چون سلاح تست ناب وچنگ تو — که باینها هر دو باشد جنگ تو ۲۲ — آدمی را هم سلاح جنگ هست — تیغ تیزش آلت جنگ وی است
نیست بامن آلت جنگم کنون — بی سلاح آری بجنگ آیم زبون ۲۳ — هان مرا بگذار تا خانه روم — آن سلاح جنگ با خود آورم
نیست با مخدومیت جنگی مرا — هم بفرمانت کنم با تو وغا ۲٤ — گفت با دل خود سلاح این عدو — در گرانی گیر دو سه مثل او
با چنین دندان وزور ویال من — با چنین جرم قوی کوپال من ۲٥ — گر بود کوهی ز بنیادش کنم — گر بود فیلی که پشتش بشکنم
زد برو نعره که هی زود و بیار — چست باز آی و مده بیش انتظار ۲٦ — رفت ره پیر اندکی واگشت باز — گفت با آن شیر کای گردن فراز
تا مرا رفتن سلاح آوردنم — کار سازی بهر جنگت کردنم ۲۷ — تو بخواهی آبروی خویش ریخت — زین مقام ازترس من خواهی گریخت
شیر گفتش ای زعقل ودین بری — هیچ میدانی که چه گهٔ میخوری ۲۸ — من خلیلم گفت از علم یقین — حق پرستم لا احب الآفلین
رسم ابراهیم هست از واجبات — از کلام الله بر خوان این صفات ۲۹ — قال لم تؤمن بلی یا مستعن — صادقم لکن بقلبی مطمئن
از برای اطمنان قلب من — کن یکی کار ای جگر دار زمن ۳۰ — تا نگردد سعی آمد شد هبا — تو بده از لطف خودفرمان مرا
تا مرا باز آمدن بر این درخت — بندمت بااین رسن من بند سخت ۳۱ — چونکه باز آیم روان بگشایمت — بعد از آن در جنگ با پیش آیمت
خندهٔ زد زان سخن شیر دژم — گفت شاید ای زخر درعقل کم ۳۲ — گربه را گفت آدمی را اعتبار — با چنین عقل است و تدبیرو وقار
عقل وفکر وفهم دروی هیچ نیست — جز طلسم از هیچ پیچا پیچ نیست ۳۳ — بعد صدق از قول قرآن شریف — این که قال خلق الانسان ضعیف
با همه این ضعف وعجز ولاشئی — سخت بی فهم است وبی فکرت قوی ۳٤ — پس نهاد ازطنز هر دو دستها — بر درخت و گفت پیرا پیش آ
بر درختم بر مراد خود ببند — بیشتر زین بر بروت خود مخند ۳٥ — پس برو بازآی زود ای شور بخت — تا مرا بگشائی از بند درخت
مثل خود هم گر بیاری صدبیار — لیك زوتر آ مده مان انتظار ۳٦ — گر نیائی زود اینجا بی سخن — بر کنم من این درخت ازبیخ وبن
پس بیایم سوی ده تند و دژم — بردرانم از هم و خونت خورم ۳۷ — خون اهل ده بریزم سر بسر — هیچ نگذارم حجر را بر حجر
بگذر از خون جهانی زود آ — فکر کن از محنت یوم الجزا ۳۸ — در بغل نه مهرهٔ مکر و دغل — که صدم چون تو بمکر وهم حیل
پیر گفت ای شیرو ای شاه زمن — نیست با تو حرب کردن حد من ۳۹ — لیك چون دستورم از فرمان تست — می نخواهم بودن اندر کار سست
گرچه خواهی ریخت خون من چوباد — رو نگردانم نمایم اجتهاد ٤۰ — دون ماله دون نفسه من قتل — او شهید شرع باشد نه مضل
تا نباشم من مؤاخذ یوم دین — پیش معبود دو عالم آفرین ٤۱ — پس فرا شد پیر اورا بردرخت — پشت وپهلو دست وپا بربست سخت
بر کشید آنگه دو دستی آن تبر — بر سر و پهلو و پشت شیر نر ٤۲ — گربه بالای درخت ازترس آن — برشد و در مو مو افتاد و فغان
حاصلا چندان بزد برشیر پیر — که ز تاب وطاقت افتاد آن شریر ٤۳ — پشت وپهلوسینه‌اش درهم شکست — چشم وگوش ودست وپاسر هم شکست
چون بریداز خودامید آن شیرنر — رو بگربه کرد وگفت ای ام ضر ٤٤ — باز گو باری که تا من نیز هم — از ضعیفی همچو تو کوچك شوم
جان برم از دست این مکارمرد — خاك بر فرق چنین غدار مرد ٤٥ — گربه گفتش دست بر خاطر بنه — زحمت خودرا مده و جان بده
جان ز دست آدمی کی برد کس — تا بری تو ای مدمغ بوالهوس ٤٦ — چون انا گفتی چومنصور حلاج — زآن انا دار و رسن آمد علاج
جان خود رایافتی ازفعل خویش — بهره ازنوش است نوش ایشیش بیش ٤۷ — ظن مبرزین ورطه هرگز جان بری — جان بری آنگه شوی ازجان بری
گرخوری زخمی دراین راه ای پسر — آن مدان ازکس ولیك ازخود شمر ٤۸ — این بلا بر تو هم ازتو میرسد — همچنان کز پیر آفت بر اسد

زخم ازخودمیخوری نرشیخ وشاب آنچنان کز تیر آمد بر عقاب ۱ آنچه با آن می پری مغرور وار هم‌خوری زخمش شوی اوراشکار
من اعان ظالماً سلط علیه کل اعمال یجی فی الحشر الیه ۲ جز خدابر کس مبند ای خیره‌دل گر نهٔ ضال و مضلّ و تیره دل
گرچه زخمت او زندازدست کس هم ازو مرهم هم او فریاد رس ۳ از خدا دان درد ودرمان والم هم ازو دان تندرستیّ و سقم
از قضا واز قدر دان خیر وشر وز خدا دان آن قضا وآن قدر ٤ گرتو صاحب‌شرعی وایمان‌درست خیرازحق دان‌که‌شر ازنفس تست
زان سبب‌ای‌مؤمن ایمان پرست نیست درشرّش رضا درخیرهست ٥ این شریعت آن حقیقت ای‌پسر پا منه از جادهٔ ایمان بدر

بیان شش مرتبهٔ ایمان کسی که مقام تحت مسافران نو رسیده هدایت یافته است و این پایه زیرین معراج شرایع است که المجاز قنطرة الحقیقه و این متعلق بلواطف بدرقه بیچونست که تعزّ من‌تشاء وتذلّ من تشاء بیدك الخیر

تا بایمان منجیان آید فراز وا رهی از مهلکات جان گداز ۹ چونکه ادیان و ملل الوان فتاد هر گروهی بر طریقی دل نهاد
یك گروه از جمله ناجی رستگار وان دگرها را مکان وجای نار ۱۰ هست ایمان را دو پایهٔ سُلمی تا بسلمی ره بری چون محرمی
بخت ما هست از اصول ای‌متقی تا شود ظاهر حقیقت را حقی ۱۱ پس دلیل اولین پایهٔ سُلم مام و باب وقوم و اخوانست هم
ثانی الناطق معلم فاضلی عالمی کافی ضمیری کاملی ۱۲ کرده سجاده روان بر بحر نقل طایر عالی عروج اوج عقل
ناقل قال النبی المجتبی فی الاوامر و النواهی مقتدی ۱۳ شارح برهان قال الله نیز از نص احکام تنزیل عزیز
آمنوا بالله یا اهل الیقین ان لکم خلد ادخلوها خالدین ۱٤ خالق الارض السموات العلی ملکه من‌عرش الی تحت الثری
هم‌ورای‌عرش‌وفرش وهرچه‌هست آفریدهٔ او همه ملك ویست ۱٥ یك‌دراین‌که ذکر رفت‌ای‌یاد گیر آمنوا بالله الحیّ الکبیر
پس یقین دانستن نوع ملك هر کجا فرمود بر ارض و فلك ۱٦ دیگر آنکه از خدا بر انبیا چار و دیگر صد کتاب آمد فرا
چار تورات و زبور انجیل هم این عظیم ومحترم تنزیل هم ۱۷ آن صدی‌دیگرصحف‌برمرسلین جبرئیل آورده از حیّ مبین
صد هزار و اربع عشرین هزار انبیای حضرت پروردگار ۱۸ ما رعایا پادشاه برحق اواست صانع ایجاد وتکوین‌مطلق اواست
انبیا میزان عدل و رهنما سوی ملك حق نمایان آن بما ۱۹ گر نباشد حفظ چوپان در غنم بردرد شان گرگ دزّان الم
چونکه باشد در میان گله گرگ آفتی باشد غنم را بس بزرگ ۲۰ هم بنه‌بر شه ازاین گرگ سیاه گر اطاعت باشد از چوپان راه
یك دری دیگر بغایت صعبناك الغیاث ای قادر معبود پاك ۲۱ هست آن یوم القیام دل شکاف که نگنجد اندرو لاف و گزاف
آن ششم باب جگر تاب دگر که خواص و عام دارد زان گذر ۲۲ گر بیارم شرح آن‌یك‌یك فراز مثنوی را پا قوی گردد دراز
شرح رو ازقول وازتنزیل‌خوان الامان زان‌روزناف انداز امان ۲۳ طالبان خود از پی‌آن ره روند تا در آن ره از سبکباران شوند
هرکه‌را ره شد صراط المستقیم در نعیم خلد جا یابد مقیم ۲٤ نیست پایان این سخن را بازیاب قصهٔ التون تیاق و آن عقاب
در خبر خیرالکلام ای‌دین‌پرست ۲٥ فی جمیع الامر ما قل انسب‌است

سؤال عقاب در عجائب صنع ایزدی

پس عقاب از هیبت التون تیاق بر دل خود میزدی هذا فراق ۲۷ عود را زان راه‌چون چاره نبود شد برِ او و زبان را بر گشود
گفت ای شکل بدیع کلك کن نو گل مشموم این باغ کهن ۲۸ در نهادت عالم کبریست جمع صغری ازصورت ترامعنیست‌جمع
از زمین رویان نباتاتست ودود یافته از صنع ربانی ورود ۲۹ نك بیان کن این کلان اقلیم‌را نه مفصل بلکه بعضی مجملا

بیان آنکه هرچه درعالم آفاقست مثال آن درعالم انفس است علی الاجمال

آن نبات ودود وشعرو مملّ تن قدرت فرد قدیم ذو المنن ۳۱ حکمت افکنده درو بسطی غریب بر خلاف ملك آفاق عجیب
رسته سر بالا ازو بعضی و باز بعض دیگر سر نگون رسته دراز ۳۲ اندرو قصری مرصّع آبدار شاخ یك پاره عقیق تابدار
مرغ آن عالم کلام ای معتمد بلبل وقمریش نیك و زاغ بد ۳۳ بحر شیرین منبع آن مرغ ها که از آن دارند هم نشو و نما
درّ های ذوق ناب بی صدف فوق وتحت‌و رو برو آورده‌صف ۳٤ باد بانش بازگونه سرنگون باد او جان بخش ورنگش‌لعل‌گون
باز دو بحر دگر ای کامیاب بس غلیظ و ناخوش وبیزه آب ۳٥ مثل ناو آسیا او هم نگون در میان روضهٔ یاقوت گون
مبخر شم معبر ریح الحیات لیك بر بالای آن بحر فرات ۳٦ برتر آنهم دو بحر نور فر بسته دست صنع نقاش قدر
درّ آن دریای مالح نور ها منعکس دروی شب‌وروز ای‌فتی ۳۷ آب آن بحرین بس شور آمده بر سواحل تیغ‌ها بسته رده
باز آن بحرین دیگر تلخ ما از دوسو مخبر ز حال صوتها ۳۸ نه در آنجا مرغ وماهی را گذر لیك مرغان نفس ها را عبر
این همه در لاله زاری دلگشا از گل وریحان و سنبل‌خوش‌هوا ۳۹ باز آن گلزار همچون ارغوان بر سر سروی دواستون و روان
مثل این وصد چواین فی‌الاتساق مجتمع در هیأت التون تیاق ٤۰ احسن التقویم را حاوی شده در خور کسب کمالات آمده

متحیر ماندن عقاب از هیأت ترکیب نایب پادشاه و با ادب تمام پیش او رفتن و سؤال بر سبیل حاجت‌نه محبت

چون عقاب آن فرّ وضع معتبر دید وروی عقل پرّیدش ز سر ٤۳ شد بزانوی ادب پیشش نشست دست را بنهاد بر بالای دست
گفت ای اقبال را فرخنده بال جمع در ذاتت جمال وهم کمال ٤٤ ای قبای فضل بر قدّ تو راست اینچنین خلق مناسب کهتراست
باید از تو ناید افعال قبیح ما یصادر من ملیح الا ملیح ٤٥ من یکی سرگشتهٔ اوج هوا بی سرویائی در این ملك خدا
برمن ازتوزخم صعبی آمده‌است که ز مجروحی تنم خسته شده‌است ٤٦ حاش لله از کسی مثل تو شاه بر ولی گردی نشیند بی گناه
خاصه کز من با شما نارفته هیچ زلت و تقصیر و کاری پیچ پیچ ٤۷ یا بغیبت جرأت بی راهئی بی ادب کارّی دم اکراهئی
واسطهٔ این چیست فرما تو یقین ٤۸ تا بدانم من بقلبی مطمئن

جواب نایب شاه عقاب را

در جوابش گفت ای غافل زکار نیست مارا نیز چون تو اختیار ۲ نیست از فعل بدونیك ای عقاب ذرّهٔ در دست من از هیچ باب
حاکم و فرمان ده من در جهان هست الغ خان پادشاه کامران ۳ عادلست و مشفق وبنده نواز بر کسی ناکرده نا حق ترك تاز
بودهٔ تو لایق زخم الم کو مرا داد استطاعت محکم‌هم ٤ قوّتم در قبضهٔ قدرت نهاد بر کمانم زور مطلق ید بداد
پس کمان را سایق آن تیر کرد تا ترا چون صعوهٔ نخجیر کرد ٥ لایقی یا خود ز شرّ فعل خود بر تو آمد اینچنین آسیب بد
شاه اینك حاضر و فرمان روا هان کمان و تیر و من با من بیا ٦ پیش آن سلطان وهّاب غنی تا بحضرت رفع حال خود کنی
کیست آن التون تباق کامران آنکه بنهاده‌است سربرحکم خان ۷ نایب سلطان کسی باشد که او بنده فرمان باشد و آزاده خو
قابل بخت و سعادات و کمال یافته روز ازل توقیع آل ۸ هرکسی را آدمی نتوان شمارد زاهن بد اصل که سازید کارد
بس بصورت آدمی کو خر بود بلکه از خر نیز هم کمتر بود ۹ آدمی باشد بمعنی و نمك افضل و افزون و زاید از ملك
او سعادتمند کونین آمده پیکر کونین را عین آمده ۱۰ آدمی باشد بصورت آن لئیم نی ز معنیّ کم ز شیطان رجیم
نه ز گفت و نه شنید خیر و شر نه ز صورت نه ز معنی با خبر ۱۱ آدمی باشد که سیر آن قباد بر تر از اعلاء علیین فتاد
تو بصورت کم نگر ای جان من آدمی هرگز نشاید خواندن ۱۲ بس ددا کورا، چو آدم ساختند بلکه از دام و ددش کم ساختند

بیان اینکه شیخ فریدالدین عطار قدس سره در مختار نامه فرموده‌است شعر ✿ هست بُعدالمشرقین از آدمی تا آدمی ✿ یخرج الحی من‌المیت براین‌معنی‌گواه ✿ قابلیت آهنی را نعل و زنجیرخراست ✿ قابلیت‌آهنی راتیغ‌عالم‌گیر شاه ✿ انسان‌باجتهاد وکسب‌کمال خود را از مراتب ملکیت درگذراند اگر توفیق رفیق شود

زآدمی تا آدمی بس فرق دان تو وفضلناهم از قرآن بخوان ۱٦ زآدمی تا آدمی فرقست پُر چون عرب‌ترك‌وعجم کی بد چولر
این آدم بود موسیّ کلیم هم ز آدم بود فرعون لئیم ۱۷ کی بود نمرود مانند خلیل آن عزیز ذوالجلال وآن دلیل
آن یکی گِل کوزهٔ سلطان کنند آن یکی گِل لبنهٔ کهدان کنند ۱۸ پنبهٔ دستار را خاصیتی است کو برشتن قابل پاتابه نیست
کی قراسگبان چو ازبك خان بود کی وزیر شاه چون دربان بود ۱۹ جنس انس ای‌جان من نوع اوفتاد شکل وصوت و عقل و فهم واعتقاد
کی بود چون عالم مصری بعقل سبب سلطانست این‌آن نقره نقل ۲۰ روستائی در قراباء وضیاع با خر و گوساله گشته هم رضاع
هم حبل اندر صنایع لون لون اینچنین آمد مدار چرخ کون ۲۱ ترك ترك و تاز بر کوه و کمر یافته نشو و نما با اسب و خر
صوفی وقاضی بعقل‌وشکل وریش کی بهم مانند وعالم با کشیش ۲۲ زانکه ابله حشو این عالم بود ابله از گوساله و خر کم بود
من عجب ماندستم افتاده بوهم که چو ایزد کرد بخش عقل‌وفهم ۲۳ که کجا بودند آن دم ابلهان که ندارند آن طوایف عقل‌وجان
گر کنی با ابلهی تو همرهی کبّه بستانیّ و سرگینش دهی ۲٤ او نداند ز ابلهی آن فنّ تو از تو داند عقل خود اکثر دوتو
حکم شاهی گر بُدی دردست من ۲٥ ابلهان را سر همی کندم ز تن

تفسیر وضرب لنامثلاً و نسی خلقه

خواجه با دو دیده بیند عیب من نرگسان تنگش ز عیب خویشتن ۲۷ دیدهٔ باید ز حق انوار یاب تا که بیند عیب خود چون آفتاب
ازتکیف در جوالی بر کتف تو مرا گوئی که مست مختلف ۲۸ غالبا شد این جوالت احتجاب که‌شدت درچشم دردی‌گرم خواب
سر فرو بر درجوال حال خویش تا ببینی نوش را دانسته نیش ۲۹ این برنجینت بغایت سرد شد سردخود سهل‌است برزین‌کرد شد
میزنی برحال من ضرب‌المثل غافلی از باز خود اندر وحل ۳۰ تو برهنه گوئی و گوئی مرا که ز نا محرم بپوشان ساق پا

مثل زدن درزی برای ترك لاغ و نامتنبه شدن او از غفلت بسیار

کان یکی را میهمان از ره رسید کرد ترحیب او ز مهمان رشید ۳۲ گز کجا کی آمدی بر گوی راز گفت فردا آمدم ای دلنواز
گفت در غیبست خودفردا هنوز اینچنین معکوس حکمت را بسوز ۳۳ چونکه فردا از عدم نامد برون چون تو فردا آمدی‌ای‌ذوالجنون
گفت همراهم موافق اوفتاد هم کرایهٔ مرکب ارزان دست داد ۳٤ آمدم یك روز یارا پیشتر درد سر دیگر منه زین بیشتر
گفت یعنی نیستی راضی بدان که برابرآئی با این همرهان ۳٥ گشتهٔ اکنون عبید و پیشرو تا برو اندر نیائی در مدو
این‌چه قلماشئ مقالست‌ای مقل تو چرائی اینچنین ضال و مضل ۳٦ گفت مهمانش‌که ای پرگو مضیف بگذر آخر زین مضاحك با حریف
نیست اینجا و نه آنجا جای تو گفت باری چیست نامت باز گو ۳۷ گفت نامم نان خوراست‌وجامه در هیچکس بین هرکه خواهی ای زبر
میرسم اینجا من از عام‌الاتی شهر من اینست و نام این ای فتی ۳۸ گفت باری تا کجا خواهی شدن چونکه اینستت طریق آمدن
گفت ای مرد ندیم خوش جمال میروم من تا بشهر پارسال ۳۹ گفت احسنت ای هنرمند زمین ای بپوشیده تو موزه برجبین
ماهم از بهر تو دیشب آش و نان می پزیم ایمن نشین و خوش‌بیان ٤۰ باز از خندیدن آن ترك خطا برزمین افتاد و میزد دست و پا
گفت افسانه بسی اشنیده‌ام هم بسی نادان و ابله دیده‌ام ٤۱ لیك نادانی بدین پایان و حدّ از کسی نشنیده‌ام ای مستند
گفت این ومیزدی بردست دست میشدی هردم ز خنده مست مست ٤۲ ترك مست ازخنده و در افتراح گفت ازبهر خدا ای خوش مزاح
لاغ دیگر گوی‌وخوش کن وقت‌من که ندیدم چون تو استا خوب فن ٤۳ لاغ های تویك ازیك خوشتراست هرطعامی را چوملح اندرخورست
میکند لاغ و برد ز ایشان قبا خندهٔ ایشان خرد ها را عطا ٤٤ خنده میزن غنچه سان توای پسر بادل صد پاره وُپر خون جگر

باز لاغ طلب‌کردن ترك از درزی

باز گفتش ترك ما ای پُر هنر کی رسیمان ما بهم باری دگر ٤٦ دم رسید این دم غنیمت می‌شمار وقت توخوش وقت‌ماهم خوش بدار
چون ازاین‌دستست نوع لاغ تو کم مکن هیچ و دمادم لاغ گو ٤۷ گفت تا کی لاغ آرم در میان من خیاطم یا خود افسانه فشان
نیستم من مضحکهٔ تو بردرت من خیاط جامه دِر یانان خورت ٤۸ جامهٔ تو اطلس آن من پلاس کار خود گیرم که یابم من اساس

گفت هم جنسیم با هم ای قباد / هردو بس دانا دل وزیرك نهاد ۱ جنسیت‌چون‌فعل‌ضمّ است ای‌خلیل / گفته‌اند الجنس الی الجنس یمیل
چونکه جنسیت بهم داریم ما / پس کنفس واحدیم ای پیشوا ۲ بی تکلف لاغ دیگر باز گوی / زنگ غم از صفحهٔ جانم بشوی
باز درزی در مضاحك زد نفس ۳ گفت دروصف وی‌اویك لاغ بس

قصهٔ آن واعظ باخادم برسبیل مزاح

واعظی برمنبر آن‌جا مرد و زن / جمع گشته گفت یا اصحاب من ۵ چون شود روز قیامت بی‌حجاب / حق بخواهد ازهمه خلقان حساب
هرکه ناجی بُدجهید از تاب نار / لیك خاطی را بود دشوار کار ۶ امردان را از زنا بر خصیتین / می نهد اندر جهنم کلبتین
امردان را بند بر خایه کنند / بر کنندش خایه و بر جا زنند ۷ کهل را از ریش آویزند باز / برکنند اسبیل او یك یك بکاز
آورند آنکه زنان زانیه / موکشان اندر میان هاویه ۸ کلبتین برفرج و پستانشان نهند / اینچنین شان‌تاب و اشکنجه دهند
یك طواشی بود حاضر در میان / خندهٔ زد گرم گفت ای مردمان ۹ شکر لله نیستم من زین سه باب / که کند این نوع‌ها بامن عذاب
گفت قلابیت در کون افکنند / زآتشین داریت آونگان کنند ۱۰ هر کسی با خویش رائی میزند / در خطا افتاده فکری می کند
اوفتاده در میانه چون نقط / غافلست او از خیالات غلط ۱۱ خویش را بیند برون از دایره / لیك بالکل او درون نایره
این سخن از کل حزب می‌تند / کاینچنین آمد قبول دهر و رد ۱۲ گر شدی معدوم عقل از کائنات / کس نیگفتی منم کاهل صفات
در گریبان سر فرو بر در نگر / تا ز جسم خود چه‌بینی نحس تر ۱۳ غافلی از کار و دشمن از قفا / روز و شب میدزد از عمرت بقا
کار عالم سر بسر اینگونه است / ما شب و روز ازمی تغفیل‌مست ۱۴ گربخود نائیم ازاین خواب‌گران / دل بنه بر مرگ چون‌شد کاربان
آدمی با ریش و با دستار نیست / خانه روشنتر گذار روزنیست ۱۵ عقل باید معرفت علم و عمل / تا که در محشر نخوانندت دغل
معرفت باید نه شحم و لحم تن / زیت خوردن ریش را شانه زدن ۱۶ شحم ولحم از بهر گاو وخربود / آدمی را معرفت در خور بود
گر بسال عمر بودی اعتبار / پس زغن بودی امیر افتخار ۱۷ گفته بودیم آخر از اهل جهان / فرق و مابین و تفاوت در میان
جانور با جانور دارند فرق / بیشتر از غرب تا اقلیم شرق ۱۸ دیدهٔ می باید آخر فرق را / در درون تاثیر باشد حرق را

بیان امتیاز مقربان حضرت جبروت که از لذات فراغ حاصل کرده و از تنعمات عقبی استغنا یافته و طالب سلمی شده الا ان اولیاء الله لاخوف علیهم ولاهم یحزنون

شاه ما رادر جهان مرغ هماست / سایهٔ او را خواص کیمیاست ۲۱ مرغ دیگر بوم کو هر جا رود / آن عمارت بوم را ویران کند
باز را مسند سرو دست کبار / بلبلان را عیش خانه لاله زار ۲۲ مرجعل‌را تکیه جا سرگین خر / گر رسد بوی گل افتد بیخبر
طوطیان‌را روزو شب‌شکرکنار / زاغ را مردار خوردن کار و بار ۲۳ اسبی از خاصیت و فعل حسن / گشته مرکوب شهنشاه زمن
زین او بلغاری و گوهر نگار / از زر ونقره زبر تنگ و فسار ۲۴ اسبی از ادبار و بد خاصیتی / زیر پالان چون خران نکبتی
پشت ریش ودیده اعور ناتوان / کنده جلد و خیل دباغان کشان ۲۵ اشتر وایل مجوسی روز و شب / بهر آتشخانه حمال الحطب
از طرب‌وزذوق وشوق راهبر / این ز راه افتاده عاجز بیخبر ۲۶ اشتر محمل کش عالی خطر / بسته اندر دست و پا خلخال زر
آن شتر منقاد آن ایل مجوس / تا ممیز صوت حاج و عوّ کوس ۲۷ قانع از تکثیف خواب وخوردها / روی کرده سوی کعبهٔ اهتدا
این شترراکاین قناعت‌رهبراست / ناجی‌است‌وآن دگرکو مضطراست ۲۸ همتش مصروف از طمع جگر / دایما بر کاه خشك و خار تر
وین شترپیچیده رخسار ازعلف / غرقه در کفّ محیط عفّ عف ۲۹ میکند عف عف ز کفّ آن لبان / بر عموم قافله گوهر فشان
گرچه خلخالش ز اوّل بود زر / کرده در بیداء سیمستان گذر ۳۰ چونکه محمل کش شد ومنقادراه / داده بینی بر مهار انتباه
در مقام بندگی فریاد زن / سرّ دل تقریر کرده بی سخن ۳۱ خواب را ازدیده‌داده سه طلاق / با گروه لا ینام او را وفاق
با ترانه خوشنوا پس‌نای ودف / میزند پیوسته او در بحر عف ۳۲ اشتران شاه را این شد شعار / اندرین وادی قطار اندر قطار
هان مشو از رفتن ره ممتنع / از قطار ما مشو هی منقطع ۳۳ از اخ الموت‌ای برادر زینهار / الفرار و الفرار و الفرار
نیست این از نوع مما لا یطاق / بر میان جهد محکم کن نطاق ۳۴ این شتر های قطار اندر قطار / آن قلاوز میکشد شان خود مهار
متصل عنعن الی ذات الکمال / میرود این نکتهٔ افعل جمال ۳۵ این سوار و این پیاده از پیش / مست وکفك افکن زاشك‌پاخلش
گرچه او قطع منازل می کند / شمس و نجم انورش از دل زند ۳۶ فارغ از لیل الغمام و نور روز / کی بود لیل الغمام اندر تموز
این غمام اندرخریف ودی بود / فصل صیف عزّ ودولت کی بود ۳۷ عزم کعبه کردهٔ از خود مرو / غرّهٔ بار ای ضعیف خود مشو
عزم‌چون‌کردی براین حج هدی / از وشاورهم بده آنرا جلی ۳۸ چونکه عزمت یافت تصمیم وثبات / پس توکل کن علی الله ای نبات
بی قلاوز قطع کن زین‌ره‌قدم / تا نیفتی در دریغ و در ندم ۳۹ مغرب آباد است‌هین بی‌خواجه‌ضو / در شبستان حبش خاتون مرو
گر نباشد بسته بر پایش جرس / جنگل‌است‌این کی بیابی آن فرس ۴۰ تو شعیبی هان عصای موسوی / یا خود انفاس نفیس عیسوی
گر تو میگوئی که درشرم‌ولیك / این مثل آمد قطیف و تلّ ریگ ۴۱ فعل را گر بازگونه میزنی / غالباً دانستهٔ ره پر فنی
با همه دانستگیّ و معرفت / باش ای منزل نشین عابد صفت ۴۲ با برید شاه همراهی گزین / این زمان میرو که اقبالت قرین
خواجه بیدار است در خانه مرو / در هوس داری دلیلی راگرو ۴۳ تکیه بر افسون شومم گر کنی / در تف مه گردن خود بشکنی
از عدوی خویش آموزی‌فسون / آه گردن آه زانو آه کون ۴۴ قول و فعل و ملت و آئین ما / اعتقاد و اعتماد و دین ما
پیش آن سلطان در آن روز شدید / همچو خورشید آن زمان‌آید پدید ۴۵

بیان آنکه التون تیاق نایب و فرستادهٔ حضرت بود و تیر زدن او بر عقاب باشاره بود نه از هوا و هوس نفس که مأموراست و جزاء عمل او داد از طریق عدل و رفتن هر دو بدرگاه بداوری و فهم کردن او که آن زخم برو سزای عمل خودش بود قوله تعالی و لایحیق المکر السیئی الا باهله صدق الله‌العظیم

چون بدرگاه الغ خان کریم / آن شه و سلطان فیاض حکیم ۴۹ آمدند و دید از دور آن‌عقاب / آن چنین کریاس و در عالیجناب

زهر ها گشته زهیبت آب‌وخون دیدها و سر سرا سر سرنگون ۱ خلق در دریای حیرت غرقه ور مرغ وهم آنجا فکنده بال و پر
صد جهان اندر جهان بوالعجب صد هزاران کوه و دریا درکرب ۲ صد هزاران‌وادی ودشت عظیم پر رجا و خوف و پر امید وبیم
صدفلك صدکرسی وصدعرش وفرش فرش گشته فوق تحت افتاده عرش ۳ آفتاب اندر هوا دستك زنان ذرها چون عاشقان بازی کنان
مرغزار وباغ و بستان بی‌شمار لاله و نسرین و سرؤ وجویبار ٤ دیدها حیران زباغ و سبزه زار گل شکوفه ریخته بر شاخسار
چشم دولت بحر مطلق‌را رهین روح صد منصورانا الحق‌را رهین ٥ جوقی اندر بوستان بادوستان زمرهٔ دیگر ز دیده خون چکان
قومی از جام تواصل‌مست دوست ٦ قوم دیگر راچو دل‌درجوش پوست

مناجات

ای حکیم بی نظیر و مثل ویار ابر را درده قطار اندر قطار ۸ اندر آن روزی‌که در درگاه تو ما در آئیم از گنه پشت دو تو
گشت پرّان نامهٔ ما از شمال پس زبان ازعذر همچون‌لاله‌لال ۹ نیست ما را غیر فضلت هیچکس ای قدیم ذوالکرم فریاد رس
ای خدای جنت و حور و قصور ساقی آن بادهٔ ناب طهور ۱۰ چونکه‌ما را مست‌کردی زین‌نبید مستثنی خواهیم کردن زین سزید
دایما بر عاشقان کوی جان عارفان و لا ابالی شاعران ۱۱ در گشاده دار این میخانه را تا ازو یابند صد نشو و نما
تا رسد هیهای جام بزمشان بر سما و عرش و بالاتر از آن ۱۲ بادهٔ ما عشق تست و نقل ما ذکر و حمدت چون ملایك بر سما
مستی ما از شراب مثنویست های وهوی ما سرود معنویست ۱۳ باغ جان را زین کلام لاله‌زار چونکه کردی غنچه ریز وگل نثار
جویها در پای سرو و ارغوان از ظهور این‌سخن کردی‌روان ۱٤ هرکه دارد بوی‌عشق‌ورنگ‌عشق بر سر آن راه رو نه چنگ عشق
موی جان گیرودرین‌گلشن کشان بر سرش زین‌لاله‌و نرگس فشان ۱٥ سرو این گلزارمست وبیدمست نشئه اش کرده مه وخورشیدمست
چند جای عاشقان‌زین می خورند دستهٔ گل زین چمن باخود برند ۱٦ ای حکیم کارساز بی ندید صانع آفاق و این عرش مجید
ساختی این شاهد ما ز امر کن سرو بالا وظریف وخوش‌سخن ۱۷ جیم گوش وصاد چشم ودال‌مو قد الیف ونون چه واجب‌حرف‌کو
پس مراکردی زجام عشق مست خامهٔ سر مستیم دادی بدست ۱۸ کان ذالك فی‌الکتاب آئینه ام همدمی جفّ القلم دیرینه ام
خامه‌را بر روی این نامه زدم زلف وخالش را بدین خامه زدم ۱۹ عاشق او لولیان کوی راز محرمش شوریده حالان نیاز
این‌کله‌کج‌صف‌شکن‌یاریست‌خوش کن حمایل دستها در گردنش ۲۰ آنکه داری‌ای‌فتی دردست راست ذوالفقار شه حسام الدین ماست
هفت سر دارد مراین شمشیر تو تندو تیزش زن براین‌فرق عدو ۲۱ خصم خیبر دل ندارد انقیاد هین در خیبر بر آور از نهاد
ای ضیاء الحق‌حسام الدین من نه خطا کردم غلط گفتم سخن ۲۲ چون‌برست ازدوست‌صحن‌گلشنت نیست غیر ازلوکشف در مخزنت
پس کجا پروای غیری باشدت در درون فکری دگر کی آیدت ۲۳ ذوالفقارت در کفست اما که تو واله و شیدا و مست وصل هو
چونکه‌استغراق حاصل گشته‌است مو بمو ذرّات ازین‌خوش‌باده‌مست ۲٤ یار گفتم یار گفتم یار هی هی کجا برگ و سر اغیار هی
دم مزن ازسه‌وچاروپنج وشش هفت عضوت‌زان‌یکی‌یاراست‌خوش ۲٥ نیست‌غیرازشی‌واحد خواجه‌زاصل احول آنکو میکند تفسیر فصل
فرق‌گوی‌وچشم گوی‌و موی‌گوی دست گوی‌وپای‌گوی وروی‌گوی ۲٦ میکند اعداد لیکن او یکبست واحدیت منفصل از خواجه نیست
گر هزاران نام گوئی خواجه را شاید امّا واحد است آن پادشا ۲۷ قطرهای صدهزاران در هزار بر هم افتاده قطار اندر قطار
مبدء جمله ز بحر است‌ای قباد باز سوی بحرشان باشد معاد ۲۸ کل شیئی یرجع است آب سخن ما از آنجا میخ ما حبّ الوطن
قطرها در بحر چون باز آمدند قطره‌نتوان‌گفت چون دریاشدند ۲۹ نور از خورشید اگر شایع شود در جهان و منفصل زو چون بود

تفسیر یوم یفر المرء من اخیه و امه وابیه آن روزاست که هر نفسی از عمل خود مکافات یابد حلالها حساب وحرامها عذاب و صورت حسن و قبح در آئینه عمل مشاهده کند

چون بدان‌درگاه‌شد واصل عقاب واله ومدهوش ماند و در حجاب ۳۲ صمّ‌بکمٌ گشته‌خون ازوی روان مانده درحضرت چنان واله‌بجان
پادشاه از باطن و از ظاهرش بود آگه گفتش ای‌شوریده وش ۳۳ تیر وهم التون تیاق و هم کمان خود بهانه بود اینها در میان
حکم ما کردیم محکوم آن همه کی بود بی‌حکم چوبان خود رمه ۳٤ تو سزاوار چنان زخمی بدی لاجرم از خود گرفتار آمدی
گفت شاها من ندارم این خبر خود ز من گستاخئی نامد بدر ۳٥ شاه فرمان داد تا بار دگر نایبی بنهاد آن تیرش ببر
گفت نیکو بنگر واین خط تیر باز خوان‌وفعل خودرا ای‌خطیر ۳٦ دیدهٔ ماضی بدادش پادشاه از گذشته تا بیابد انتباه
چون‌بدان دیده‌به تیر او بنگرید پرّ تیر تیز پرّ خویش دید ۳۷ سرفکند ازروی شرم‌وخجله‌پیش فکر کرد وگفت دردل اوبخویش
گر کمان و تیر نالیدن خطاست کانچه بر ما آمدست آنهم‌زماست ۳۸ معترف باید بجرم خویش بود پادشاه ما کریم است و ودود
چون عقاب از کبر بر بالا مپر گرنه آمد تیر اوجت بر جگر ۳۹ هرچه می بینی ز فعل‌خویش بین هین مشو گر مردراهی‌خویش‌بین
چون یقین‌شد فعل‌خویشت ای‌عمو معترف شو از تصلف دست شو ٤۰ خویشتن بینی مکن ای بی خبر هم مکن درکس به کم بینی نظر
طالب معنی شو و صورت بمان ٤۱ من طلب شیئاً وجد جد بخوان

داستان آمدن فقیر بخانقاه ابو یزید قدس الله سره

چند درویش فقیر از راه دور آمدند اندر سرای شمع نور ٤۳ چونکه اندر خانقاهش درشدند از رخ آن شمع جان انور شدند
بود شب هنگام شیخ نیك نام کارئی کرد او و انواع طعام ٤٤ بر فروزانید نهصد شمع هم در میان خانقاه آن بوالکرم
مجلسی شاهانه او بر کار کرد وز برای خالق غفار کرد ٤٥ ابلهی ز آن خیل مهمانان راه در شك افتاده خیالات و گناه
دردل‌خود گفت این‌کاریست‌زفت راستی در وی نه الا هست‌شفت ٤٦ راه‌درویش‌و تکلف‌نیست‌راست این تکلف خود نه از آئین ماست
گر تکلف نیستی این جمله شمع پس چرا افروختی درپیش جمع ٤۷ آن‌مسافر کش نه نور دیده بود اندر این فکر غلط پیچیده بود
شیخ ز انوار ولایت در زمان در دلش الهام آمد ز آسمان ٤۸ که مرا یك میهمان نا ولی در غلط افتاده است از احولی

منکر این شمعهای تو شده است / در دلش این فکر باطل آمده است ۱ کاین همه شمع از تکلف وز ریاست / نه برای حق نه از بهر خداست
خار راه او شده فکر خطا / در رسش فریاد ای مرد خدا ۲ بر درختی بر شدی عالی نما / رفته بر شاخی و می برّد ورا
لیل دیجور است و راهش ناپدید / هین برش شمعی بدار ای بایزید ۳ مرشد مردان توئی ای بوالوفا / در کف این کور مبدان نه عصا
بر سر خود تیغ هندی میزند / غافلست و چاه خودرا می کند ۴ نایب مائی تقرّب هم تراست / ای فرو پیموده راه عشق راست
بوی مشك عشق شم کردت مشام / بیشتر از چند آیام و عوام ۵ که نشان زین دیه دزدان درنوا / دادهٔ آن شمع جمع قوم را
همتت بهر خلاص مرد و زن / دم نمیخواهد زدن در پیش من ۶ این مسافر راکه او مهمان تست / اکرموا الضیف واو برخوان درست
زود اندر یاب کش فکر غلط / در میان بگرفته مانند نقط ۷ چون اشارت یافت سلطان بایزید / که بگیرد دست آن مرد عنید
بر کشد او را از آن گرداب ظن / آورد بهرش یقین راچون سمن ۸ گرد رو در وی میان جمع در / گفت ای سالك خدایت راهبر
از خیالات و توهم در گذر / نیست جز هوای فلان درجر وبر ۹ خیزو زین مجموع شمع بزم ما / گر بر افروزیم از شید و ریا
هرچه هست آن نزد حقست ای فتا / میکش اندر یکدمش ای یار ما ۱۰ چون اشارت شد بوی برخاست او / گرد گرد شمعها از چار سو
بر همی گردید چون پروانهٔ / یف و یف میکرد چون دیوانهٔ ۱۱ پس بهریك شمع چندین بار او / از سر جدّی همی کردی یف او
گوئیا از دمّ سرد آن پسر / شمع میشد روشن و تابنده تر ۱۲ سبلت خود سوخت یك شمعی از آن / نه بمرد و نه بشد کم نور آن
دم برید اورا وبرجا خشك ماند / دمع پر چون شمع برچهره فشاند ۱۳ آمد ودر پای شیخ اندر فتاد / گفت الله ای جهان فضل وداد
من گنه کار و سیه رویم ازین / عفو فرما از کرم والکاظمین ۱۴ من گمان بردم که اینها از ریاست / خود غلط کردم که ازبهرخداست
هرچه بهر حق بود نوراست نور / از ریا وزرق و شیادیست دور ۱۵ کار کن لله فی الله ای پسر / از تکلف وز ریا اندر گذر
هرچه بهر حق بود زین سان بود / روز افزون باشد و تابان بود ۱۶ هرکه نز بهر خدا برخاست او / خاسر فی الدین والدنیاست او
آنکه دارد از تکلف وز ریا / پاس تن گو در جحیمت هست جا ۱۷ گفت پیغمبر انا و اتقیا / قد بری عن تکلف و الرّیا
نیك بین باش و جدا شو ازدوئی / نیست در آفاق جز یك ای غوی ۱۸ نیست موجودی جزاودرکن فکان / ذات او دان در مکان ولامکان
چشم جان بگشای غیر ازیك مبین / احولی را آن طرف نه ای حزین ۱۹ آنکه دارد دیده خود این دیده است / تا گذشته زانکه او بی دیده است
دیدهٔ سبطی شده پایان نگر / دیدهٔ قبطی سفید و گوش کر ۲۰ این دلیل انموزج ما آمد است / داد مفتاحی خدا ما را بدست
تا بیاری مشیری با خبر / ما شویم آگه تمام از خیروشر ۲۱ گر بمقصد ره بریم و جان بریم / نزد یزدان نقدهٔ ایمان بریم
باز گشت ما دگر باره بدوست / قادر اول او و آخر نیز اوست ۲۲ تو چنان کن که درآن روز جزا / در نمانی خود ز فعل نا سزا
خویشتن خورهم غم احوال خویش / کس نیارد از پست بفرست پیش ۲۳ داد جان و رزق داد وجاه داد / چشم داد و راه داد وچاه داد
راه را بین و بچاه اندر میفت / قافله بر بست رخت ره مغفت ۲۴ بر مثالی کان غلام از حکم شاه / یافت ملك ومال وسازوگنج وجاه
باز گرد و قصهٔ او باز گوی ۲۵ نکتهٔ خوبست باز این راز گوی

بیان آنکه هربندهٔ که دل بیدار و جان هشیار باشد غم فردا امروز خورد چنانکه آن غلام شاه که وجعلنا هم سلفاً و مثلاً للآخرین

آن غلام پادشه گشته خبیر / چون شنید این قصه را اوازمشیر ۲۸ که نخواهد ماند این ملکت برو / آن الغ خان خواهد استادن ازو
میکند با او مرآن سلطان خطاب / جمله را زومی بخواهد او حساب ۲۹ چون هدایت یافته بود آن فتی / رو نمود از غیب او را دولتی
گفت با خودچون ازین ملك دژم / رفت باید من غم پایان خورم ۳۰ عاریه است این ملك وآنجا پایدار / باز باید داد ملك مستعار
لیك باید کاری اکنون کردنم / که شود آنجا دل و دین روشنم ۳۱ این فنا کی عقل میل او کند / غافل از غفلت براین تن می تند

باز استشاره کردن آن غلام از مشیر کامل و هادی فاضل

چونکه کرد این فکر وآن مافی الضمیر / باز گفت او جمله را با آن مشیر ۳۳ باز از وی استشاره کرد باز / اندر آن اندیشهٔ پهن و دراز
که مرا اندیشه آید ای پدر / که از اینجا چون کنم آنجا سفر ۳۴ در حضور آن شه عالیجناب / من درست وراست آیم درحساب
تا مرا قدری بود در پیش او / زو بیابم جاه و حشمت ای عمو ۳۵ بس درآن بستان وگلزار چوجان / که زبهر عیش وعشرت ساخت آن
از کرم آنجا مرا جائی دهد / تاج عزّ و قربتم بر سر نهد ۳۶ ای تو گشته هم دلیل وپیرمن / من زخیل جوق تو تو میر من
آن ثمانین تن ز طوفان بلا / که بکرد آن غرق شرق وغرب را ۳۷ چون ینه جسته بکشتی نجی / برده جان ازخوف غرقه ای اچی
مصریان از قحط چون خون ریخته / در پناه یوسفی بگریخته ۳۸ روی اوآن فال را میمون شده / طالع ایشان همایون آمده
سبطیان در دامن عون کلیم / دست زد پس یافته ره مستقیم ۳۹ چون حواریون و قوم عیسوی / کرده بودند آن نبی را پیروی
رفتگان ناجی شده وین ماندگان / راه گم کرده مضلّ و مستهان ۴۰ دست ما و دامن ختم رسل / صدر عالم صاحب راه سبل
خواجهٔ لولاك ختم انبیا / از شکر شیرین تر آن ماه ضیا ۴۱ یافته ما از تمامی دولتی / زو صعود امتی و امتی
آن گلستان نکو چون شهر ماست / وان قصور وحور خود از بهر ماست ۴۲ هرکه را شمع هدی باشد دلیل / او بمطلب راه یابد چون خلیل

نشان دادن مشیر مرشد تاجران امین سلطان را بان طالب یقینی اگرچه همهٔ خلایق از اکابر و اصاغر بندگان درگاه شاهند اما مطیعان خواص که از منزل ماو من عبور کرده اند طایفه دیگرند

گفت با او آن مشیر رهنما / دوستان خاص شاه داد را ۴۵ این گروهند ای امیر تو چراغ / که ز خود آرائی اندامن وفراغ
تن برهنه سر برهنه خون جگر / لیك اندر دستشان این خاك زر ۴۶ ملکشان نه لیك شاه ملکها / چشم نه اما بصیر دو سرا
جامهٔ نه جملهٔ تن غرق نور / دور از زشتی و نزدیکان دور ۴۷ هیچشان در کف نه ومال جهان / بذل کرده یاد جانان هر زمان
آن فقیران الهی اهل دل / بر گذشته از صفات آب و گل ۴۸ زین جهان لیکن از آن هو شده / وصفشان الفقر فخری آمده

پس امین و تاجران شاه ما / این گروهند ای بقبح وفر سزا ۱ گر تومیخواهی در آن ملك عظیم / جا بیابی وارهی از ترس و بیم
هر بضاعت هرودیعت کاین زمان / میدهی این فرقه را ای کامران ۲ آن امینان سر بسر آنجا برند / مکسب بیحد ترا وایس دهند

تفسیر من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسیئة فلا یجزی الامثلها

هر یکی را ده بامر پادشاه / میدهندت باز ای دولت پناه ٤ گر متاع تو حسن باشد ترا / هر یکی را ده دهد سود و سزا
عشر گفت امثالها سلطان ما / خود دروغی نیست قول خان ما ٥ چون یکی را ده دهد سر باز هم / ملك و مال و باغ و بستان وحرم
پس کنیزان ظریف خوش عذار / هرچه میخواهد دلت بیش ازشمار ٦ هم دهد کش شرح گفتن نایدم / تا قیامت من اگر شرحش کنم
و العیاذ بالله الحیّ الاحد / گر بضاعات تو باشد قلب وبد ۷ مثل آن یابی بامر شه جزا / سیئات آمد معین مثلها
باز آن اجناس را باشد جزا / صد عذاب و صد عقاب وصد بلا ۸ حبذا آن سالکان بخت مند / که متاع خوب را چاره کنند
این قماش خوب بهر خود بود / هم ز بهر خود بود گر بد بود ۹ قال ان احسنتم احسنتم اله / ان اساتم مثلها اندر گناه
هرکه اینجا دید راه خویش دید / دیده‌اش روشن که راه ازپیش دید ۱۰ یافت کام ارنه در آن ملك وصال / گر طمع دارد بگو کم کن خیال

شناختن اهل معرفت قلاوز صراط مستقیم را بنظر معنی که نظر ظاهر را اگر اعتبار بودی اقوام ومعاصران انبیا و اولیا از جمله رستگاران بودی

مصطفی را شبه عتبه بوالحکم / دیده و آن چار یارش نیز هم ۱۳ دیدهٔ باید که درك او کند / روی باید که بمولی رو کند
شمع را پائین و نزدیك حضور / کم دهد عکس شعاع وفرّ نور ۱٤ چون دماغت پر شد ازبوی عبیر / کم شود مدرك مرآن بوی کبیر
با دو چشم صورت مغرورخواب / دیدهٔ معنیت باید نور یاب ۱٥ سالك راه خدائی جان من / تصفیهٔ دل کن نه خود تیمار تن
جوکئی بیچاره در فکر غلط / روسیاه و قطره دل مثل نقط ۱٦ کرده ضایع عمرو آنگاه‌ای عجب / دم فرو بسته نشسته روز و شب
پس ورا اندیشه و فکر و مجاز / اینکه دارم‌در جهان عمر دراز ۱۷ کار او اورا نهانی کشته است / خاسر دنیا و عقبی گشته است
فعل بلعم لایق جلد سگ است / زانکه اورا شیرشرز اندررگست ۱۸ وعده‌اش تا روز محشر داده‌است / دیده‌چون برهم نهی آن خودشده‌است
میرسد آنجا ولی در این سرا / همنشین فتنهٔ بی فتنها ۱۹ چونکه قطبیر ازدرون داردخبر / میرود از سلك کلبیت بدر
در لباس این گروه ارجمند / که شدند از سرّ کرّمنا بلند ۲۰ تو بصورت منگر و معنی نگر / دست در معنی زن ازصورت گذر
فعل شدادی چو تخم شده کاشت / در بهشت‌خویش سازاوره‌نداشت ۲۱ از بهشت خود بر آمد آن شدید / خود نخواهد در بهشت‌خودرسید
آن هم‌ازفعل‌خودش دروی‌رسید / هر گروهی باز خود خواهد کشید ۲۲ آن یزید کرده از راه انحراف / اوکشان ازفعل‌خود برخودمصاف
او دراین‌میدان‌بموت‌الکلب‌رفت / در بن شبران جزای تنگ وزفت ۲۳ خود به‌نسبت این مقام کنده اش / لایق‌آن ریش خام گنده اش
با چنان جائی که در روز قیام / خواهدش بود این بهشت شادکام ۲٤ گنده کوی مبرز دنیا یقین / جنتی دان پیش دوزخ ای‌حنین
هین بنه آن باررا اینجا ز دوش / جامهٔ ایذا و معصیت مپوش ۲٥ کردهٔ افعال و اعمال ردی / بر تو وا گردد که برخودمیزدی
هین مپرّان تو کبوترا در بخار / چونکه بادست وهبا این کار وبار ۲٦ تومخور مشنو مبین عمر است‌این / نه ز دنیا لذت و نه ذوق دین
ای تن تو هبهٔ خشك آمده / چون بود آن هبه در آتشکده ۲۷ گر قیاست از خلیل‌است ای‌پسر / بت‌شکن‌شو زآفلین خوش در گذر
دست‌بصری ازیدالله شوق‌داشت / گردن او از اطاعت طوق داشت ۲۸ لاجرم‌دستش دراین آتش‌بسوخت / شمع‌شمعون‌شمس دینش‌برفروخت
آن رفاعی و مواله در سند / چون دم از آل محمد میزند ۲۹ گر نسوزد دست وپایش زو مدان / کو سند دارد الی شیخ الزمان
هرکه امروز آن منازل راندید / هم نخواهد دیدن آن‌روزای‌عنید ۳۰ گر توئی زنده دل و پیر کهن / فکر آن روزینه را امروز کن
برگ اکنون ساز در راه مآل / زانکه در ره‌نیست خباز و بقال ۳۱ چشمها برجوی نقدی افکنی / جوی سنگین است کوزه نشکنی
فی حق الدنیا رسول المجتبا / قال اولها بکا اخر فنا ۳۲ از فنا بگذر بقا جو ای فتا / کی کند عارف بدل میل فنا
پادشاهی حالیا و خوف حال / غرّه با احشام وخیل‌و ملك ومال ۳۳ ادهمان گام زن را زین زر / بر نهی و بر نشینی ای پسر
پس‌فروخوان‌آن‌برات‌عرضه‌داشت / بر تو خواهند ازتو آفاترگماشت ۳٤ تا سرت‌را برکند از تن چوبرگ / خوش‌خوردریش‌وسبیلت‌مور مرگ
عارف از عامی ندانی وانگهی / کیست در عالم نظیرت ابلهی ۳٥ غرهٔ با دولت نا پایدار / میرسد میر اجل هین پایدار
هست چارت مادر هول‌وسترگ / هر یکی لخت یکی زیرین بزرگ ۳٦ وصف‌وشرح مادر تو مر تورا / یك بیك خواهم ادا کردن جدا
آن مصدّر مادرت از التهاب / صورتی دارد بغایت نور تاب ۳۷ گرچه رویش‌مشتعل‌چون آینه‌است / هر امانت کش سپاری خائن‌است
زان فرو نتوان دگر شیرین‌دمی / قحبه مستوری موافق همدمی ۳۸ دمدمه در بحر و بر انداخته / با سه فرزند جهان در ساخته
هرکه حیوانست در ملك احد / دمیدم بر لب ورا بوسه دهد ۳۹ لیك روی او ندیده هیچکس / گرچه جمله میزنند از وی نفس
گاه‌وبی‌گه سال‌وماه وصبح‌وشام / کار او اینست با جمله مدام ٤۰ وان فروتر نرم روی‌جانی است / کش وطن دایم در آبادانی است
بر زمین افتادهٔ لیکن روان / با همه خاص و عوام او در میان ٤۱ زو فزونتر آن بزرگین مادرت / که باو خوانند اصل وکشورت
خود کثیفی‌یستی وبس شوخگین / زیر هر کس اوفتاده ره نشین ٤۲ با وجود این همه تلبیس وکار / جز بدیشان نیست عالم را مدار
مادرت اینها پدر هم ای مقل / یوم الا حزان نطوی کالسجل ٤۳ گر ترا هست فنائی بر مجاز / بعد از آنی بر بقا آهنگ ساز
لیك اعلام حقیقی ای پسر / میکند ادراك این مادر پدر ٤٤ پس غرض در ضمن اصل معنوی / از وجود این پدر مادر توئی
آنکه این مادرپدر را داد دست / غایت مقصود آمالت وی‌است ٤٥ رو باو کن عزم دیدار ورا / ای هزاران جان فدای آن لقا

تفسیر انّ الینا ایابهم و انّ علینا حسابهم همه را آمد از اوست و باز گشت باو

چون بر امد مدّت موعود او / نور میزد طالع مسعود او ٤۷ عزل کردندش ز تخت وتاج خود / باز بستادند از وی نیك و بد
قوت و بود و وجودش بستدند / هرکه‌اینجا بود از او گردان‌شدند ٤۸ گشته اوبی مال‌وملك‌وتاب‌و زور / مانده ازیار وجلیس ودوست دور

نه در او نیرو نه جنبش نیز ماند / اوز هرچه داشت دامن برفشاند ۱ جز امیدی که بآن تجار شاه / داشت خود دیگر نبود اورا پناه
پس بپوشیدند او را در بدن / از همه اموال خود یك پیرهن ۲ جمع گشتند آن گروه مردمان / پس در آن کشتی خشك بی‌امان
زمرهٔ در گریه جوقی خنده جان / سوی شهر شاه کردندش روان ۳ این‌ره پرخوف لابد رفتنیست / این‌سفر از واجبات و کردنیست
آه از این راه مخوف پر خطر / بر دریده زهرهٔ شیران نر ٤ آنکه او برخاك دنیا بست دل / او مناره میکند از برق و گل
این جهان سفله‌پرور هیچ نیست / جز یکی بیغوله پیچا پیچ نیست ٥ ز اصفیای اولین و آخرین / که نهاد ازاهل عرفان دل برین
هرکه از دارالبقای جاودان / بیوقوفست و خبر چون جاهلان ٦ از سر غفلت در این دار غرور / دل نهاد و ماند از اقبال دور
گوشت نا دیده معوّد باکیه / در عجب ماند اگر بیند ریه ۷ آن جعل انداخته در زبل سر / از نسیم خوش دم گل بی خبر
از شره افتاد در جیفه کلاب / کی رسد او را طعام مستطاب ۸ جای خر دریا گه وکهدان بود / جای بوم شوم در ویران بود
گر شدی مکشوف‌از دیده‌حجاب / بر فتادی از رخ دولت نقاب ۹ یا نمودی روی آن عالی جمال / باز رستی قلب فکرت زین خیال

تفسیر لها ماکسبت و علیها مااکتسبت کار امروز نساختن غایت شقاوت باشد

چون بدان بنده هدایت یافته / ماه جان از نور دولت تافته ۱۱ از حدیث آن مشیر رهنما / او نکرد اعراض وتحذیر و ابا
دست اندرعدل و در نصفت گشاد / جملهٔ خلق خدا را داد داد ۱۲ رسم طاعات و عبودیات را / هم اقامت کرد آن عالی زکا
پس منادی داد فرمودن بشهر / از سر لطف ووفا نه‌عنف وقهر ۱۳ که تمام آن تاجران پادشاه / آن مقرّب پیشوایان سپاه
که بصورت نازل و هم کم بدند / لیك در معنی جهان‌را پشت مند ۱٤ جمله حاضر شد بآن قانون وساز / کرد اکرام همه آن سر فراز
پس‌هرآنچه داشت او ازسیم‌وزر / نقدوجنس وملك ومال وبوم و بر ۱٥ سر بسر برآن مهان ایثار کرد / تا درآن ملکش دهند آن کارکرد
هر چه میکردی و میگفتی همه / هرچه میخوردی و میخفتی همه ۱٦ هیچ بی اذن مشیر کار دان / می نکرد آن عصمتیّ کامران
چون مشیرش کامل وخوش کاربود / گشته ملهم از خداوند ودود ۱۷ هر چه میگفتی و فرمودی باو / وحی ایزد بود و ز امر حکم هو
از وما ینطق من الکذبش نوا / بود قول آن صاحب سردار‌را ۱۸ افصح الایام در حسن مقال / املح الآفاق در مهر جمال
هادی راه خواص خوب دم / صدر تخت و ملك اقبال وکرم ۱۹ نایب خاص الغ خان عزیز / همدم دیوان سلطان عزیز
آن مطیعان را نموده راه حق / اهل دولت کرده قولش‌راصدق ۲۰ سرو ونسرین وحیاض وماءوطین / گلعذار رحمةٌ للعالمین
چونکه آن بندهٔ مطیع پارسا / پی روی کردآن مبارك‌رای را ۲۱ از حدیث ورایش اعراضی نکرد / هیچ بیفرمان او آبی نخورد
لاجرم او دولت کونین یافت / قربت آنشاه زیب وزین یافت ۲۲ هرکرا عزّ و سعادت راهبر / شد بیابد دنیوی عقبی دگر

داستان اعرابی که از غایت قحط و نیاز در طلب رزق جانب دارالسلام بغداد شد

سالی در حی بنی خل ناگهان / قحط افتاد از قضای آسمان ۲٤ جمله اعراب قبیله سر بسر / سر ز جوع ودرد برسنگ و مدر
از شمر وز برکه و از بئر هم / آبهای شور ایشان گشت کم ۲٥ زان میان اعرابئی بهر نوا / سوی بغداد آورید او روی را
روز راه عجز سوی شهر کرد / تا کند از هر دری او کدّ خورد ۲٦ بر امید خورد او ره می برید / گرمی برّ و عذابی میکشید
آنچنان کرده درو عطشان اثر / که زبانش از دهان آمد بدر ۲۷ چشم‌پرُآب ولبان‌خشك ازعطش / دل ز جوع وتشنگی‌اش کرده‌غش
میبرید افتان و خیزان راه را / بر امید خوردن نان آن فتا ۲۸ مشك بر پشت و برّیه میبرید / ناگهان بر چشمهٔ صافی رسید
چشمه‌را چون‌دیدشد شاد ودوان / خویشتن را زد بر آن چشمهٔ‌روان ۲۹ یکنفس زان آب صافی بی‌ندید / سوخته از بیم جان اندر کشید
تشنه داند قدر آب صاف را / کی شناسد خودضحاك انصاف را ۳۰ تا نبینی در بلای هول مرگ / کی کنی دنیای‌دون را هیچ ترك
رهزنان ازراست وزچپ‌صف‌زده / بحر کو بر سر دمادم کف زده ۳۱ این گهر خواهند از چشمت بدر / بر کشیدن سینه خود را بدر
رخت در کشتی قلزم میکشی / بر امیدُ فایدهٔ خالی خوشی ۳۲ در دلت از غرق کشتی‌فکرنیست / حب جان و جسم چشم شورنیست

درخواست سلیمان از حضرت مستعان که یك روز شیطان رادر بند کن

آن سلیمان هم رسول و پادشاه / خواست از فضل خداوند اله ۳٤ که لعین ابلیس پر تلبیس را / او کند یك روز در حبس قضا
اندر آن زندان نهد بندی برو / بندش نطق و زبان ازگفتگو ۳٥ حق تعالی از کرمهای عمیم / داد فرمانش در این امر عظیم
پس بفرمان خدا ابلیس را / کرد یك روزش به بند آن مه‌لقا ۳٦ آن یکی روز اندر آفاق جهان / از صغار و از کبار مردمان
هیچکس را دردل و جان و نهاد / شور وتشویش ووساوس‌کس‌نداد ۳۷ پردهٔ غفلت شد از هردیده دور / از طمع کس را نشد میل وفتور
خلق‌گفتنداز‌جهان‌چون‌رفتن‌است / ترك این دنیای فانی گفتن است ۳۸ پس چرا ما غافل وعاطل زکار / عمر ضایع میکنیم و روز گار
هیچ کس آن روز اندر بحروبر / جز نماز و طاعت و روزه دگر ۳۹ هیچ‌چیزی می‌نخورد ومی نخفت / هیچ کاری می نکرد و می نگفت
کار عالم ماند باطل تا بشب / نه کسی‌را ذوق ونه عیش وطرب ٤۰ حق تعالی جل شانه بعد از آن / بر سلیمان کرد وحی اندر نهان
کای سلیمان حکمت ما وافراست / آدمی بر کار ما کی ماهر است ٤۱ ما همه کاری بحکمت کرده‌ایم / تا جهان را از عدم آورده ایم
سورهٔ والکهف برخوان ای‌پسر / تا شوی ز انا جعلنا با خبر ٤۲ کاین‌علی‌الارض‌آنچه‌من‌کردم پدید / زینت عالم بآنست و مزید
هیچ چیزی از هبا و از هدر / نافریدم از امور بحر و بر ٤۳ لیك عقل آدمی را چه محل / که رسد بر حکمت و حکم ازل
ای پدر تو بندهٔ از امر کن / بنده باش و بندگی او بکن ٤٤ هست بیچون آن حکیم کردگار / پس ترا با چه و با چونت چه‌کار
از فضولی دم مزن منقاد باش / بندگی آور بجا آزاد باش ٤٥ خود چه داند حکمت فتاح کس / خویش‌داند حکمت خودرا و بس

رسیدن عرب بر آب شیرین و متحیر شدن از عذوبت و نظافت آن و خجل شدن از هدیه خود

چون عرب زآن‌چشمهٔ آب زلال / در چشید و شدزعطشان‌بی‌ملال ٤۷ در همه عمرش نخورده بود او / آب شیرین و مهنا ای عمو
زآنکه در بر غیر آب شور دم / او ننوشیده بُد ز نشنیده هم ٤۸ چونکه ذوق آب شیرین‌درگلوش / رفت‌ودید آن لذت شیرین‌چه‌نوش

بستوی کی باشد آن ملح اجاج با فرات عذب و حلو خوش‌مزاج ۱ گفت با خودنیست این آب روان جز ز حوض کوثر باغ جنان
چون خداوند عظیم ذوالمنن دید این عجز و شکست حال من ۲ از کرم برحال من رحم آورید کرد بر من آب جنت را پدید
کودك و اطفال و اصحاب مرا جان رسیده بر لب از قحط وبلا ۳ بر سبیل هدیه گر این آب‌را من برم در شهر پیش پادشا
چونکه نوشد آنچنان آب جنان تازه گردد جانش و زنده روان ٤ کاین زلال خوش‌صفا ازجنت‌است آب جوی‌حوض‌فضل ورحمت‌است
او مرا چندان ببخشد سیم و زر خلعت و تشریفها لعل و گهر ٥ که غنی گردم تموّل یافته آفتاب دولتم بر تافته
بهر اطفال و عیال خویشتن من خرم آلات و خلعتهای تن ٦ بر سر آن چند خرواری دگر نعمت ما کول خورد و معتبر
بس کنم بار و برم از بهرشان وارهانم من ز قحط و قهرشان ۷ خوش خوریم وخوش‌بیاسائیم ما در میان عیش و عشرت سالها
بعد از آنی مشك خودبرآب کرد رو نهاد او جانب بغداد فرد ۸ بعد قطع برّ و آن راه شدید آن سواد شهر را از دور دید
کرد عزم آن سواد معتبر گشته از تفریح هدیه بی خبر ۹ راه او بر ساحل دجله فتاد رو بآن آب مبارك در نهاد
دید ناگاه آنچنان بحر روان گشت حیران وعجب درماندازآن ۱۰ شربتی نوشید ازآن‌جان بخش‌آب خوشتر ونازك تر ازمشك‌وگلاب
گفت در دل من کجا افتاده ام در غلط و اندر خطا افتاده ام ۱۱ آب اگراینست و ملك وشهراین یوف بر ما الوداع ای‌عقل ودین
ما خود آخردرچه‌پا چه بوده ایم در جمیع عمر کی آسوده ایم ۱۲ ای دریغا روزگار و عمر ما رفته چندین سال بر باد هوا
مرغ آب شور را در جوف بر زآب عذب دجله کی باشد خبر ۱۳ ای برادر این مثال حال‌ماست غفلت ما را گواه این ماجراست
گر دل ما زآخرت واقف بدی مایل این خانهٔ غم کی شدی ۱٤ هم مگر آن قادر غفارمان لطف فرماید دل بیدارمان

قال النبی صلی الله علیه و آله الموت کاس" وکل‌الناس شاربه والقبر باب" وکل‌الناس داخله

بر سر آن تختهٔ کشتی ورا از سپاه و خان‌ومان خود جدا ۱٦ باز بردند و بجای تنگ و تار در نهادندش وحید وخوار وزار
او در آن جای مهیب زهره در مانده تنها و عملهایش ببر ۱۷ داد فرمان پادشاه کامکار حاجبان خاص‌را و مرد کار
تا شدند آنجا به پیش آن فقیر با جمال خوب و بو های عبیر ۱۸ پیش او رفتند با اعزاز و ناز پس نشاندندش بفرّ و عزّ و ناز
هر چه او با تاجران پادشاه داده بود اندر زمان ملك و جاه ۱۹ جمله آنها را برات با نشان عرض کردند آن زمان بروی‌عیان
هر یکی را هفتصد داده خدا بهر او آماده آنجا بی ریا ۲۰ بی عدو و دشمن وخصم‌وحسود عیش‌وعشرت اندر آن کشور خلود
بهر او بخریده آنجا ملکها باغ وبستان کاخ و ایوان‌وسرا ۲۱ هم غلام و هم کنیز بی شمار هم جنیبتهای شاهی صد هزار
رفت بخشیشان بهم بهن ودراز پس بگردیدند پیش شاه باز ۲۲ شاه خود عالم بدو آگاه از آن لیك کردندش بحضرت آن عیان
گفت او ازبندگان خاص ماست کو مطیع صادق الاخلاص ماست ۲۳ هرچه ما فرموده او کرده قبول بندهٔ فرمان ما و آن رسول
هم بعلم و هم عمل آراسته هم بعدل و راستی پیراسته ۲٤ کار او خلق‌خوش وبذل‌وکرم او بلطف و جود در عالم علم
بوده ایمان حقیقی همدمش از سرایقان و صدق وقلب خوش ۲٥ شرك اندر سینهٔ او نامده کبر اندر باطنش سر نا زده
عقل را پیرایهٔ خود ساخته رایت عقل و خرد افراخته ۲٦ هرکه را در کار های خیروشر عقل باشد راهبر شد معتبر

بیان آنکه عقل اشرف اشیاست و بنی‌آدم‌برجمیع حیوانات فضل بعقل دارد اگر شریفتر از عقل چیزی بودی از همه اشیا آنچیز آفریده شدی

گر بدی از عقل چیزی بیشتر کردگار آن آفریدی بیشتر ۲۹ خود چه باشد به زعقل اندرزمن که خدا با آن توان بشناختن
کمتر و کوچك تر ازیك‌سوزنی در همه آلات و اشیا چیز نی ۳۰ سوزنی‌را چونکه‌بیند عقل چست لیك داند کو چنین ازخودنرست
هست اورا صانعی استاد کار که ورا سازید باصد کار و بار ۳۱ دریکی سوزن سی‌وسه‌زحمت‌است تا بدوزد او قبائی را بدست
کندن ازکان و ورا جوشاندن تا شود صافی دل و پاکیزه تن ۳۲ بعد از آن دادن گذار بیحدش تا از اوبیرون شود فعل بدش
گر بگویم که‌بد است اوچند بار میرسد تا میشود در خورد کار ۳۳ این‌حکایت میشود دور و دراز مثنوی می ماند از مقصود باز
سوزنی با آن ضعیفی و کمی کوچکین کالهای آدمی ۳٤ نیست ممکن کو بود بی اوستاد چون بود این عالم کون و فساد
اینچنین عقل معلا اقتدار که از او دارند انسان اعتبار ۳٥ نفس کل بااین عظیمی وشناخت که خدااورا ز عقل اخراج‌ساخت
اینچنین عرش بلند با وقار که‌فروست اینچرخ‌ازو درگیرودار ۳٦ در نبی فرمود برخوان ای فتی حق که الرحمن‌علی‌العرش‌استوی
استوی از قول هر عالی سند معنی تحقیق استیلا بود ۳۷ تا ترا در دل نباشد هیچ شك که‌ازآن‌شك‌چون سگ‌افتی‌دردرك
وین معلق هفت چرخ بی‌ستون قائم از خود تا که‌چون‌باشندچون ۳۸ ماه و خورشید و ستاره بر فلك واندر او صف صف‌زانواع ملك
وین مطبق ارض باسنگ‌وقار که باوست این جمله عالم‌را مدار ۳۹ خاك وآب و باد وآتش‌ای پدر چار ضدّ مختلف با یکدگر
وین موالید سه گانه در جهان در خور و بایست ادوار زمان ٤۰ جمله مصنوعات و مخلوقات هم کائنات و جمع موجودات هم
ای‌برادر گرتراعقل است‌ورای چون بود بی‌صانع‌این هردو سرای ٤۱ خالق و صانع یکی بی‌علت‌است که منزه ز احتیاج و آلت است
قادر و حیّ و قدیم و لا یزال نیست نقصانیش در عزّ و کمال ٤۲ اینهمه تعلیم حق است ای پسر کوست مرشد هم دلیل و راهبر
اندر این ره بایدت عقل مفید چون خلیل الله مختار سعید ٤۳ عقل از اقلیم ایمان و یقین بی کدورت لا احبّ الافلین
انقلاب ثابتات و سیّرات نیست مخفی آفلند و بی ثبات ٤٤ ماه افروزان براین پیروزه طاق نیست سالم ازخسوف وازمحاق
آفتاب اعظم فرخنده فال نیست ایمن از کسوف واززوال ٤٥ آن عظیم الشان خداوند مجید کاین‌همه از قدرت وصنع آفرید
اندرو تبدیل و تغییر و زوال وان محال از عقل تو داردکمال ٤٦ ذات او ازعیب وازعلت بریست زانقلاب و کلفت وآفت بریست
دین هرکس را که این آئین بود راستی ایمان تحقیق این بود ٤۷ گر ترا تحقیق نبود این چنین وای بر تو ای کم ازخاك‌زمین
کوه‌و دریا و درخت‌وبرگ‌و شاخ جمله مخلوقات این کاخ فراخ ٤۸ شاهدی بر وحدت ذات خدا دیدهٔ عقل ای برادر بر گشا

فخر رازی رحمة الله علیه آن امین الله موثوق الیه ۱ غیر اینجمله براهین و دلیل بر کمال ذات خلاق جلیل
از کمال عقل فرد کم خلیل کرده اخراج او هزار و یك‌دلیل ۲ هین ز آدم تا بخاتم این زمان مثل او چند آمده اندر جهان
هر یکی را نیز بر ذات احد چند از این روشن دلایلها بود ۳ تا تو از تقلید بر تحقیق پی ره نیابی کی شوی مؤمن تو کی
چون‌موحد خوانمت من‌ای‌ضریر که نهٔ ز ایمان تحقیقی خبیر ۴ ماخلقت الجن و الانس آمدست در کلام‌الله حق ای دین‌پرست
در تلفظ گر چه خوانی یعبدون در معانی یعبدون ای یعرفون ۵ هرکه را ایمان نباشد اینچنین جای او را اسفلی دان سافلین
شرح ایمان‌را بیانی دیگر است مرد ایقان را نشانی دیگراست ۶ شرك‌را دردل مبارای‌حق‌پرست گر کنی جرم‌وگنه حق‌غافراست
ای حکیم کارساز غیب دان ما ز توداریم هم‌ایمان و جان ۷ جانمان دادی و ایمان نیز هم از و فضلنا هم این جان محترم
وقت استرداد جان پر خصال چون از این قالب بماند انفصال ۸ دار ایمان همه ای پادشاه از شر تاراج شیطانی نگاه

فرستادن پادشاه ارکان دولت را استقبال آن غلام منقاد او را باعزاز و اکرام با مقاصد اصل برسانند هل جزاء الاحسان الا الاحسان

چونکه وقت دولت وصلت رسید نایب خان الغ دم در دمید ۱۱ کشتها را گشت هنگام درو حنطه راهم حنطه‌جورا نیز جو
کس از آنحضرت نبوده خاسره آری دنیا مزرعات الاخره ۱۲ آن شهنشاه جهان دار سمیع از پی آن بندهٔ بوده مطیع
خیل نوّاب و حجاب خویش‌را آن بزرگان سعادت کیش را ۱۳ گفت اسباب شهی‌وعزّ وناز باد پایان بغایت سر فراز
آوریدند و جنیبت پیش کش پس بگردندش سواره میر وش ۱۴ بر سرش چتر ظفر افراختند غاشیه بر کتف ماه انداختند
جمله چون خدّام‌در پیشش‌دوان تا ببردندش در آن شهر مهان ۱۵ آنچه در فکرو خیال او نبود از کمال وفضل وجود آن ودود
پادشه با او خطاب لطف کرد کردش ازتشویش و رنج وغصه‌فرد ۱۶ رتبت واقبال او را بر گشود زانکه بودش کام ازبذل ودرود
دید ودادندش هم از فرمان شاه پس نشاندندش فراز تخت گاه ۱۷ بر سریر اعتلاء واجتبا گشت او فرمان ده و فرمان روا
جوقی آنان کز سر انگشتشان در شب تاری شودروشن‌جهان ۱۸ جمله انگشت ادب در پیش‌او بر زمین عرضه بنهادند رو
سرو فتح ما بشاخ وبرگ شد تیغ ماگردن زن این مرگ شد ۱۹ سربریدیمش‌چوفوج آخر رواست هان فدیناه بذبح شأن ماست
فلسفی را دیده اینجا کور گشت آن سیه‌رو مضطر ومهجور گشت ۲۰ چونکه‌دراخ الصغیراین‌شیوه‌گشت پس چراالخ الکبیرت سر شکست
هرشب ازاخ الصغیر ای ابله‌این خود مقرّی که همی بینم یقین ۲۱ پس چرائی منکر اخ الکبیر امش فی‌قعر السقر بئس المصیر
آدم و عیسی پدر بود و پسر دو برادر خواندشان قومی‌دگر ۲۲ هردوبرهان راستست ای رزمساز از ره علم الحقیقه بر مجاز
آن بزرگین را توگردن می نهی بی ام و بابش گواهی میدی ۲۳ کوچکینش را چرا منکر شدی ژاژ خای‌ومرتد وکافر شدی
میدهد قرآن گواهی بی حبل از صفیّ و از مسیح آن مثل ۲۴ پیش‌آن‌کو خالق این عالم‌است خلق عیسی مثل خلق آدم است
خود برآن که تو مقرّی پیشکی قدرتین است وبر این عالم یکی ۲۵ آنکه دو سبلی زند بر گردنت از یکی عاجزشوی ای‌خرصفت
آنکه او بر ذروهٔ چرخ کبود میدهد ابلیس را بال صعود ۲۶ گردهد پرّی دگر مصلوب را تا کند پرواز بر چارم سما
توعجب‌داری‌وگوئی‌این‌خوداوست مغز می اندازی وگیری تو پوست ۲۷ از فراز اوج چرخ چارمین شمس می پرّد بیك دم برزمین
خودبه‌ازخورشیدعیسی‌پیش‌اوست خوبتر بی‌هیچ شك ازپشت‌روست ۲۸ گر پرید ازارض عیسی بر سما این عجب کی باشد ازصنع‌خدا
ای شده‌بر مرکب نخوت سوار ترکش غفلت به بسته دیو وار ۲۹ توسن فکرت دراین دار رشد چون حروفی هرزمان‌سرمی کشد
روی پیچیده ز روم و میدود تا خطائی باش تا فردا شود ۳۰ چون برآید صبح روز انوری با تو در تبریز دارم داوری
شمس تبریزی نبینی آن‌زمان امتی و امتی گو پیش خان ۳۱ آنکه نفس نفسی آرد در نوا هی مگیرش دامن ای‌بیدست و پا
تا که بینی‌از توجان سر نرکشد خود ترا راه تو در چنبر کشد ۳۲ دست دردامان شمس پاك‌زن سوی جوق خسرو لولاك زن
پادشاه ما کریم و کامل است هم علیم وهم حلیم وعادل است ۳۳ بر کسی ازوی نرفته‌ظلم وزور زانکه اوهست ازچنین‌اندیشه دور
اخلقوا باخلاقی اوفرموده است زانکه وصفش‌جمله نیکوبوده است ۳۴ خلق نیکو پیشه کن کار حسن تا نباشد شرمسار از ذوالمنن
هرکه را علم وعمل باشد شعار هرکه را عدل وکرم باشد دثار ۳۵ رستگار دنیی و عقبی بود خاص خاصان حق مولی بود

تفسیر یا داود انا جعلناك خلیفة فی الأرض فاحکم بین‌الناس بالحق

اینچنین فرمود دارای جهان خالق و پروردگار انس و جان ۳۷ کای خلیفهٔ ارض داود دلیر در صف ناورد خصم ماچوشیر
چون خلیفه ارض کردم من ترا آری القاب تنزل من سما ۳۸ بر کسانی حاکمی و ارجمند که بجسم وچهره هم‌جنس‌توانند
در میان اینچنین جمع عباد پیشه گیر آئین ورسم عدل وداد ۳۹ داوری بر منهج انصاف کن [illegible] داد معدلت را صاف کن
تابع نفس و هوای خود مباش از درون ارقام شهوت راتراش ۴۰ هرکسی کو تابع نفس و هواست [illegible] شرّ الناس و مردودان ماست
جادهٔ عدل است راه مستقیم رو مگردان زآنره ای‌شاه کریم ۴۱ سرّ خیر الناس من‌ینفع تراست در طریق [illegible] ودولت رهنماست
سرمکش از چنبر نصفت برون عدل آمد طاق گردون راستون ۴۲ دین‌و دولت راعمدعدل‌است‌وداد ظلم و عدوانست ملت را فساد

تفسیر الله الذی خلق السموات والارض بغیر عمد ترونها الی آخره

هست این طاق معلق را ستون نیست آن‌محسوس بیرون‌ودرون ۴۴ حق تعالی رافع عرش مجید بی ستون‌این چرخ گردون آفرید
گر چه‌فی‌الظاهر ستونش‌نیست‌دید هرکه‌فی المعنی نظرکرد آن بدید ۴۵ قائمهٔ افلاك انصاف است‌و داد این عمد محسوس نبود ای عماد
والعیاذ بالله از عدل جهان خیزد افتد بر زمین این آسمان ۴۶ در طبایع رخ نماید حادثات منعدس گردد مدار کاینات
هم عفن گردد نسیمات هوا تاختن آرد زلال و هم وبا ۴۷ انس و جنّ و ماهی‌ومرغ هوا از هوا دارند اسباب بقا
چون عفونت در هوا سیران‌کند پس اثر در جملهٔ حیوان کند ۴۸ منهدم گردد بنای روزگار منعدم گردند حیوان در دیار

عدل تنها نیست در سلطان‌ومیر این طریقت هم بباید در فقیر ۱ هرکسی برشهرجسم خودشه‌است فوق وتحتاً دست بربالای دست
هم تو در شهر وجود خویشتن عدل قائم دار و بر استم متن ۲ منکری سودی نداردچون شهود جسم تست آن‌روزخواهد باتوبود
ای ز مُلك وشاهی‌خود بیخبر ظلم بر خود میکنی بر دار سر ۳ این عمد در شهر تن قایم بدار این عمد که عدل گفتش کردکار
آنکه لبس عدل از تن دور کرد خویش را یك مدتی مهجورکرد ٤ ای اخی تسع و تسعون نعج نعجة لی و قصدت اینست لج
لاجرم فریاد دار و ناله زن چونکه بستادی از آن بیچاره زن ٥ چون شدی‌نایب همی‌داری چنین پادشاهست او یحب التائبین
درهمه‌کس‌واجب‌است‌این‌عدل‌وداد هیچکس بی عدل در عالم مباد ٦ ظلم را نار و عذاب پوست کن رو سیاهی و بلا رنج محن
عدل از آن‌جنت وحورو قصور بی نظیر آن رؤیت ربّ غفور ۷ راه وچاه اینك تودانی ای‌عزیز چشم وگوشت‌هست‌وهم‌عقل وتمیز

تتمه داستان آن بندهٔ مطیع که حساب را مکافات یافت ماتشتهیه الانفس و تلذ الاعین

چون حساب‌عدل‌وداد آن بنده‌را راست آمد پیش شاه کبریا ۹ داد او را غایت کام و مراد یافت با خاصان حضرت اتحاد
بعداز آن‌دیگر ندارد مرگ‌ودرد یافت مطلوب خوداز یزدان فرد ۱۰ هرکه را این بایدش‌دردو جهان گوچنان میزی چنین میر ای‌فلان

تفسیر ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا‌المضغة عظاماً فکسونا العظام لحماً ثم انشاناه خلقاً آخر فتبارك‌الله احسن الخالقین

ای شده مغرور در کبر و منی در فن وعجب و تکبر صد منی ۱۳ گر بدانی از کجائی آمده اصل جسمت از چه نا ثابت شده
از بروت خویش این باد منی با خود آئی و روان بیرون‌کنی ۱٤ در مشیمه بد جنینی بودهٔ در عدم بس قرنها آسودهٔ
پس خداوند جهانت بر فراخت از منی در جای تنگ‌نطفه‌ساخت ۱٥ نطفهٔ بودی وپس علقه شدی پارهٔ خیمه از اینسو تر زدی
آرمیدی آرمیدن نز تو بود بلکه از صنع خداوند ودود ۱٦ در میان توکبستی‌دست آن‌اوست هرچه هست‌ازفضل‌وازاحسان‌اوست
کرد ازصنع لطیفش از بدا پس خلقنا النطفة علقه خدا ۱۷ بعد از علقه حکیم حیّ فرد از کرمهای شریفش مضغه کرد
چارمینت منزلست آن ای پسر تو ز راه ومنزل خود بیخبر ۱۸ تو نهٔ اندر میان ای ارجمند بین مهازت تا چه منزل میکشند
هان مکش بینی‌اگر نه برشکافت زآب آن خونت بریه رنگ یافت ۱۹ آن عذاب ساربان جائی نرفت پشت و پهلوزخم شدازضرب‌تفت
آب درمشك است وتوعطشان‌راه گردنت کی میرسد در قعر چاه ۲۰ کی کند سودت جهیدن یا لگد چون زبانت از دهان بیرون فتد
خودمجال جنبش و زورآن زمان کی بود اندر رگ جان ای‌فلان ۲۱ بعدازآن‌آن‌مضغه‌را کرداستخوان از خلقنا المضغة برهان بخوان
پس برآن‌عظمت‌لحوم وپی کشید و ز نفخت فیه جان بروی دمید ۲۲ ثم انشأناه خلقاً آخره ساخته کافی دل و دین و سره
مایهٔ صحت نهادت در کنار پس فرستادت درین دارالقرار ۲۳ تاجری تو خواجهٔ تو آن عزیز هستیت داد وزر و جان عقل نیز
تا کنی کسبی در آن عالم بری در جزا یابی کمال و سروری ۲٤ قصهٔ آن‌خواجه و تاجر غلام که بیان بر صدر توکردم تمام
صورت احوال‌تست وفضل حق که ز رحمت کرده باتو در سبق ۲٥ همین‌بدان‌خودراو فضل خواجه را شرط امر خواجه را آور بجا
تا تو در یوم یفر المرء شاد باشی از طاعت بر ربّ العباد ۲٦ او بکرد و کارتو محتاج‌نیست پس غرض امرت بجا آوردنیست
تو برای جان خود کوش‌ای‌پسر لیك از طاعت مشو مغرور سر ۲۷ رسم و شرط بندگی آور بجا لیك بر فضل و کرم کن متکا
خط آزادی ما در عصمت است ۲۸ آیهٔ لا تقنطوا من رحمت است

مناجات در خاتمه

در مناجاتم توئی غیر تو کیست بی ثنای تو ندارم برگ زیست ۳۰ آفتابم را ز نامت ده شرف بحر دل‌را گوهری ده بی‌صدف
چیست دنیابردلم مُرده است‌سرد سرد تر گردان که هستی حیّ فرد ۳۱ خاتم دست سلیمان شاه نیو حیف باشد که رود در دست‌دیو
مثنوی دار العیار عاشقیست باده اش‌صافی و سکرش مطلقیست ۳۲ میخوری این باده ای یار قلاش هین ز نشو و مستیش هشیارباش
لاله رادرسر اگرچه ساغر است هست او رسوا به بیژ می برست ۳۳ بیخبر از مستی جام جم است منحنی را عمر فرسوده کم است
چشم نرگس را بشارت کی بود لالهٔ لال دنی کی حی بود ۳٤ نیست هست انگور نشو می بود مست آنکو مست صیف ودی بود
ای‌ضیاءالحق حسام‌الدین مست آفتابی از دلت سر بر زده است ۳٥ ای‌حسام و قاطع ضرغام عشق مست عشقی نوش بادت جام عشق
سوی میخانه سر ما را کشان جرعهٔ بر خاك ما زآن می‌فشان ۳٦ چونکه ما خاکیم دربزمت حقیر تو کله کج نه یکی ساغر بگیر
چون یکی‌دادی‌دو کن ای‌مولوی چون لقب شد میکدت را مثنوی ۳۷ حرف میگوئی‌تو دم درکش‌بیخش زیر رانم درکش‌از ادراك رخش
حرف گفتی حرف دانم ساختی شاخ مرغ دل زبانم ساختی ۳۸ من زحرف تو بگفتم چندحرف قطرهٔ خون ریخت بر بالای‌برف
سجع‌قمری شاعران‌را قافیه‌است عارفان‌را خط گردون کافیه است ۳۹ من ز جیفه روی گردانیده‌ام نیست الا ز فضل ذوالکرم
شاه بودم مستعار و بر گذر در گرفته شمع گیر و دار سر ٤۰ از قفای شمع دیدم تاب باد چون نیارم یاد توقیع معاد
ای‌خدا تو روشنائی ده مرا شمع دل را ساز با نور و ضیا ٤۱ گر نباشم درمیان من باك نیست نقد میراثم چو شمع روشنیست
شمع من‌در جمع خواهد دادنور رخت‌چون بردم در آن‌بحرحضور ٤۲ خواجه شمعم بر کف‌رجعت نهاد پس فرستادم سوی بحر السواد
هی لالی غوص کن ماهی مجو اندر این یم جز دُر شادی مجو ٤۳ باز خواهی آمدن در کوی ما از برای مجلس خوشبوی ما
از میان بحر شمعت را بر آر دور کن از روی‌آن‌شمع آن‌غبار ٤٤ آن ششم‌شمع ارچه رفته بودپیش هفتم ار چه دیر آمد بود پیش
ای‌غلام‌این شمع را از موم‌جان روشنی ده شمع گردون رابمان ٤٥ شمع‌گردون یوم‌الاخردود و درد بر شمال افتاد و رفتش دودومرد
شمع این دریاخورد آب ازیمین هذه جنات عدن خالدین ٤٦ نور شمعت‌زآب وباداست‌ای‌فلان شمع چون شد بازگونه در میان
در ریاضت کوش تا این مشکلت حل شود چون‌قند موزون بردلت ٤۷ چون یقینت شد فلاوز رشید کیسه پر شد از درمهای جدید
اربعین صبحاً آن‌زر برسر است خالصاً لله سکهٔ آن زر است ٤۸ چون‌مطلس‌را صفت مسکوك‌شد زد یقین خیمهٔ عدم مشکوك شد

ای صمد نقش درمها نام تست ۱ سکهٔ آنزر ز نام تو درست
خطبهٔ سکه زنامت شد قوی ۲ شاهد عقل زکی خود مثنوی
تزکیه چون شاهد ما را ز تست ۳ قاضی عدلی و میدانی درست
ده رواجی این‌درمها را تمام ٤ ای قدیم لا یموت و لاینام
پر دُراست‌این‌توبره مارا به‌پشت ٥ جوع راه برّیه ما را بکشت
گندم بریان به‌است اماچه سود ٦ ما قریب مردنیم و کار بود
لطف فرما ای سپهسالار ده ۷ این خریطه دُرستان گندم بده
نام گندم میبری هی ای پسر ۸ تو فرامش کردهٔ ردّ پدر
ده‌که‌چه گندم که چه گوهر که چی ۹ کان‌ذلك‌فی‌الکتاب است ای‌اچی
که بقول دشمن غول غوی ۱۰ کرد اورا اندر این ره پیروی
از تغافل پند دشمن را شنید ۱۱ خویش را در چنبر ردّی کشید
خود وکیل ماست لطفت ای‌دلیل ۱۲ مدعا اینست ای نعم الوکیل
هرچه‌خواهی کن مطیعم ازدرون ۱۳ ما نمیگوئیم ای بیچون که چون
ما غلام و مایه از تست اینهمه ۱٤ اسب و بار وملك و مال‌و دمدمه
حسبی الله ما عنان اختیار ۱٥ با تو داریم ای‌قدیم کرد گار

تمّ المجلد السابع من المثنوی المعنوی

مثنوی معنوی

مناسبت هفتصد و پنجاهمین سال ولادت

مولانا جلال الدین محمد بلخی رومی

در سال ۱۳۱۶ هجری قمری چاپ شده

بقلم خاور

مثنوی معنوی

مولانا جلال الدین محمد بلخی رومی

شرح حال مولانا ملخصی از آثار مولانا، کتاب مجالس سبعه مولانا، شرح ابیات مشکله مثنوی، ذیل صفحات، دفتر هفتم منسوب بمولانا، کشف الابیات جامع، لطائف اللغات

مرحوم حاجی علی اصغر رمضانی کتابفروش

روز ۱۲ مهر ۱۲۵۰ هجری شمسی بدنیا آمد و شب ۲۰ آذر ۱۳۱۶ هجری شمسی دنیا را بدرود گفت

بپاس سی و سه سال عمری که برای تربیت من بنده صرف کرد

پنج سال زحمتی که برای تصحیح و مقابله و چاپ مثنوی کشیده‌ام

بروان پاکش تقدیم میدارم

و آرزو دارم توفیق یابم سی و سه جلد کتاب نفیس اخلاقی و دینی بنام او چاپ نموده تقدیم دوستداران اخلاق و دین و فرهنگ بنمایم

محمد رمضانی

مثنوی معنوی

مولانا جلال الدین محمد بلخی رومی

شرح حال مولانا ملخصی از آثار مولانا، کتاب مجالس سبعه مولانا، شرح ابیات مشکله مثنوی و ذیل صفحات، دفتر هفتم منسوب بمولانا، کشف الابیات جامع، لطائف اللغات

تصحیح و مقابله و همت

محمد رمضانی

دارندهٔ کلالهٔ خاور

از سال ۱۳۱۵ تا سال ۱۳۱۹ در تهران چاپ شد

بها صد ریال

چاپخانهٔ خاور «تهران»

تصویر مولانا محفوظ در تکیه یکی قاپو اسلامبول

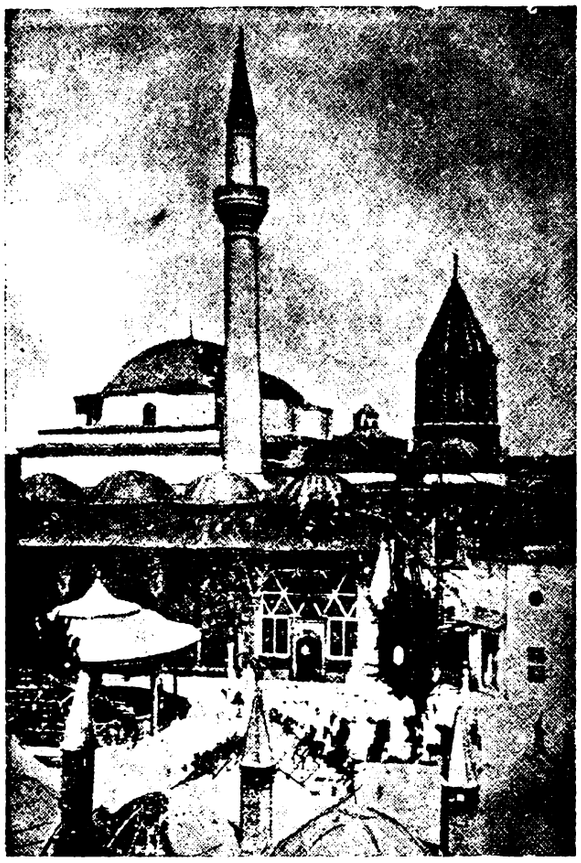

قبه خضرا و تربت شریف مولانا و یاران

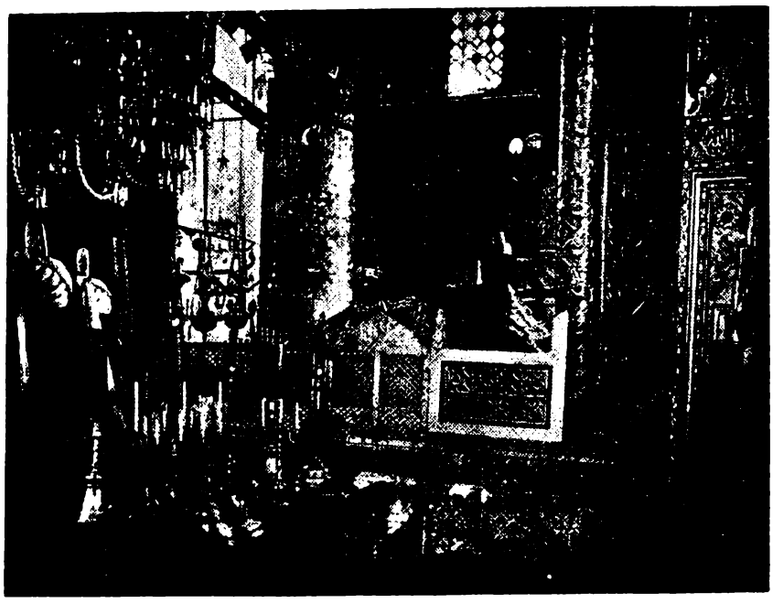

تربت مولانا

سر آغاز

کم کسیست که بادبیات پارسی و شعر و عرفان آشنائی داشته باشد و عارف نامی جلال الدین محمد بلخی مشهور بمولانای، روم قدس سره سرایندهٔ مثنوی معنوی را که یکی از بزرگترین نوابغ ایران و درخشنده ترین ستارهٔ فروزان مشرق است نشناسد. و کمتر کتاب تاریخ و تذکره ایست که از حالات و جذبات مولانا در آن ذکری نشده باشد

در مقدمهٔ بیشتر چاپهای مثنوی ترجمهٔ مختصری که حاجی زین العابدین مستعلیشاه شروانی در بستان السیاحه خود نگاشته نقل شده است و آن خلاصه و عصارهٔ کلیهٔ شروحی است که پیشینیان از احوال این بزرگترین مردان رسیدهٔ راه حقیقت نوشته اند

خوشبختانه در سالهای اخیر سه رساله ذیقیمت در ترجمهٔ حال و تتبع شخصیت مولانا بخامهٔ نویسندگان دانشمند معاصر طبع و نشر شده است :

(۱) ولدنامه یا مثنوی ولدی اثر شیخ بهاء الدین محمد معروف به سلطان ولد فرزند روحانی و جسمانی مولانا با مقدمه و تعلیقات آقای جلال همائی که در حدود ده هزار بیت و قدیمترین و صحیحترین سند تاریخی است که از خصوصیات زندگانی مولانا جلال الدین و پدرش بهاء الدین محمد ملقب بسلطان العلماء و یاران برگزیدهٔ وی سید برهان الدین محقق ترمدی و شمس الدین محمد تبریزی و صلاح الدین فریدون قونیوی و حسام الدین حسن چلبی و اصحاب و مریدان او بحث میکند

سلطان ولد برسر هر فصل و عنوان منظومهٔ ولدنامه نثرهای شیرینی نوشته است که اگر آنهارا جمع کنند رسالهٔ بسیار ساده و فصیحی در مطالب عرفانی و تاریخی و خلاصهٔ طریقهٔ مولویه که بیشتر آداب و رسوم قدیمش مولود خود اوست فراهم خواهد شد

(۲) شخصیت مولوی نگارش آقای حسین شجره که در ۲۳۸ صفحه با قلمی شیوا از اصل و منشأ تصوف و نبوغ عقل از نظر عرفان و نفوذ تصوف ایران در شرق و غرب و حالات مولانا و تدوین مثنوی معنوی و معنی و مفهوم اشعار مولوی و گفتار و نظریات مستشرقین و فضلای غرب در بارهٔ مولانا و مثنوی بحث کرده اند

(۳) رساله در تحقیق احوال و زندگانی مولانا جلال الدین محمد مشهور بمولوی و مشایخ و یاران و مریدان و معاصرین او نگارش محققانهٔ آقای بدیع الزمان فروزانفر با ۱۵ گراور و یک شجره نامه در ۲۳۲ صفحه که علاوه بر تتبعات دانشمندانهٔ خود از ده منبع قدیمی بسیار معتبر و از مجموعهٔ یادداشتهائی که آقای کاظم زادهٔ ایرانشهر در برلن از گفتهٔ بازماندگان و معتقدان مولانا گرد آورده استفاده کرده اند

اگرچه با انتشار این سه رساله احتیاج بنوشتن شرح حال در مقدمهٔ مثنوی خود نداشتیم ولی برای کسانیکه دسترسی بمطالعهٔ آثار نامبرده نداشته باشند اختصاری از ولد نامه و عین مقالهٔ بستان السیاحه و خلاصه ای از تحقیقات آقای فروزانفر را در رساله زندگانی مولانا با مراجعه بشرح حال مولانا بقلم سپهسالار بترتیب مینویسیم و در خاتمه از آثار مولانا و مزایای مثنوی حاضر بحث نموده و بفهرست جامعی از مطالب مثنوی گفتار خود را خاتمه میدهیم

محمد رمضانی

از کتاب ولدنامه

مرید شدن سید برهان الدین محقق مولانا بهاء الدین را و خواب دیدن مفتیان پیغمبر را

گفت برهان دین محقق حق — سبق برده ز سابقان بسبق
سخنش را هر آنکه بشنودی — دایم اورا بصدق بستودی
در جوانی ببلخ چون آمد — خواست کان جایگاه آرامد
جد مارا چو دید آن طالب — که بر و بود عشق حق غالب
لقبش بد بهاء دین ولد — عاشقانش گذشته از عد و حد
جمله اجداد او شیوخ کبار — همه در علم و در عمل مختار
اصل اورا نسب ابوبکری — زانچو صدیق داشت او صدری
مثل او کس نبود در فتوی — از فرشته گذشته در تقوی
بود اندر همه فنون استاد — حق بوی علم را تمام بداد
خوانده سلطان عالمان اورا — مصطفی قطب انبیاء خدا
مفتیان بزرگ اندر خواب — دیده یك خیمهٔ کشیده طناب
مصطفی اندرون خیمه بناز — زده تکیه بصد هزار اعزاز
ناگهانی بهاء دین ولد — از در خیمه اندرون آمد
مصطفی چون بدید جست از جا — پیش رفت و گرفت دستش را
برد پهلوی خویش بنشاندش — زان ملاقات گشت بیحد خوش
گفت از آنپس بمفتیان اینرا — که از امروز این شه دینرا
جمله سلطان عالمان گوئید — در رکابش بجان و دل پوئید
بامدادان باتفاق همه — از سر صدق بی نفاق همه
بر درش آمدند تا گویند — سر آن خواب را ازو جویند
پیش از آنی که دم زنند او گفت — خوابشانرا و سر نکرد نهفت
دادشان از مقام و حال نشان — وقعه را کرد بالتمام بیان
جمله پیشش فغان بر آوردند — بی دف و نای شورها کردند
گشت سید مریدش از دل و جان — تا روانرا کند ز شیخ روان
در مریدی رسید او بمراد — زانکه شیخش عطای بیحد داد
چشمهٔ عشق از دلش جوشید — جان او بادهٔ بقا نوشید
جمله غمهاش ذوق و شادی شد — سوی عشقش چو شیخ هادی شد
خار هجرش ز وصل گلشن گشت — شب تارش چو روز روشن گشت
مس جانش ز نار عشق گداخت — گشت زر چون به کیمیا در ساخت
عاقبت قطب گشت در عالم — سجده گاه ملك شد و آدم

رنجیدن سلطان العلماء از بلخیان و هجرت گزیدن از خراسان

چونکه از بلخیان بهاء ولد — گشت دلخسته آن شه سرمد
ناگهش از خدا رسید خطاب — کای یگانه شهنشه اقطاب
چون ترا این گروه آزردند — دل پاك ترا زجا بردند
بدر آ از میان این اعدا — تا فرستیمشان عذاب و بلا
چونکه از حق چنین خطاب رسید — رشتهٔ خشم را دراز تنید
کرد از بلخ عزم سوی حجاز — زانکه شد کار گر در او آن راز
بود در رفتن و رسید خبر — که از آن راز شد پدید اثر
کرد تاتار قصد آن کشور — منهزم گشت شاه شوم اختر
بلخ را بستد و بزاری زار — کشت از آن قوم بیحد و بسیار
نتوان گفت در ره آن سلطان — که چها داده با کهان و مهان
چه کرامانها که در هر شهر — مینمود آن عزیز روزبهٔ دهر
گر شوم من بشرح آن مشغول — فوت گردد از آن سخن مأمول
آمد از کعبه در ولایت روم — تا شوند اهل روم ازو مرحوم
از همه ملک روم قونیه را — برگزید و مقیم شد آنجا
رو نهادند سوی او خلقان — از زن و مرد و طفل و پیر و جوان
آشکارا کرامتش دیدند — زو چه اسرارها که بشنیدند
چند روزی بر این نسق چو گذشت — که و مه مرد و زن مریدش گشت
گشت سلطان علاء دین چون دید — روی اورا بعشق و صدق مرید
چونکه وعظش شنید شد حیران — کرد اورا مقام در دل و جان
دید بسیار ازو کرامت ها — یافت در خویش ازو علامتها
گفت دل لرزدم ز هیبت او — می هراسم بگاه رؤیت او
هیبتی میزند ازو بر من — که از آن لرزه می فتد در تن
شد یقینم که او ولی خداست — در جهان نادر است و بیهمتاست
دائماً با خواص این گفتی — روز و شب در مدح او سفتی

مردن سلطان العلماء و نشستن مولانا جلال الدین بجای پدر

بعد دو سال آن ولی خدا — سر ببالین نهاد او ز عنا
شاه شد از عنای او محزون — هیچ از این غصه اش نماند سکون
چون بهاء ولد نمود رحیل — شد ز دنیا بسوی رب جلیل
نار در شهر قونیه افتاد — از غمش سوخت بنده و آزاد
در جنازه اش چو روز رستاخیز — مرد و زن گشته اشك خونین ریز
علما سر برهنه و میران — جمله پیش جنازه با سلطان
شه ز غم هفت روز بر ننشست — دل چون شیشه اش ز درد شکست
هفته ای خوان نهاد در جامع — تا بخوردند قانع و طامع
تعزیه چون تمام شد پس از آن — خلق گرد آمدند پیر و جوان

همه کردند رو بفرزندش که توئی در جمال مانندش
شیخ مازین سپس توخواهی بود از توخواهیم جمله مایه وسود
شست برجای وی جلال الدین روبدو کرد خلق روی زمین
مفتی شرق وغرب گشت بعلم از جهان جهل درنوشت بعلم
رایت شرع احمدی افراخت هرکه دین داشت خواجه را بشناخت
بیقراران شدند ازاوساکن همه در ظل او زخوف ایمن

آمدن سید برهان الدین محقق ترمدی بقونیه

مدتی چون بماند در هجران طالب شیخ خویش شد برهان
گشت بسیارو اندر آخر کار داد با وی خبر یکی زکبار
گفت شیخت بدان که درروم است نیست پنهان بجمله معلوم است
آمداز عشق شیخ خودتازان با هزاران تبختر و نازان
گشته ازشیخ پرچوجام ازمی همچنان کز شکر شود پرنی
چونکه شادان بقونیه برسید شیخ خودرا ازشهریان پرسید
همه گفتند آنکه میجوئی هرطرف بهر او همی پوئی
هست سالی که رفت از دنیا رخت خودرا کشید درعقبی
جسم خاکیش رفت اندرخاك جان پاکش گذشت ازافلاك
گفت سید که شیخ اندرماست همچوروغن نهان شده درماست
عین شیخم زمن نماند اثر هیچ دیدی شکرجدا زشکر
آب اگر درمز رکوزه بود عاقل از کوزه ها زره نرود
آب جوید زکوزه تابخورد تشنه درنقش کوزه کی نگرد
خلق راپس بخویش دعوتکرد گشت ازجان غلام اوزن ومرد
شهر جمله مرید او گشتند در درون تخم مهر او کشتند

مرید شدن مولانا جلال الدین بسید و رسیدن بمقام قطبیت

گفت سید بشه جلال الدین گرچه درعلم نادری وگزین
لیك بدوالدتو صاحب حال جوی آنرا و درگذر ازقال
قال اورا گرفته ای بدودست همچومن شوزحال اوسرمست
وارث والدی تو اندرپوست مغزمن برده ام نگردردوست
از مرید پدر چو آن بشنید گشت جان و بگرد تن نتنید
شد مریدش زجان وسربنهاد همچو مرده به پیش او افتاد
بود در خدمتش بهم نه سال تاکه شد مثل او بقال وبحال
همسرو سر شدند در معنی زانکه یکدل بدند در معنی
ناگهان سید از جهان فنا کرد رحلت سوی سرای بقا
ماند بی او جلال دین تنها روزوشب کردروی سوی خدا
خواب وخورراد رآنهوس بگذاشت علم جستجوی را افراشت
پنج سال این چنین ریاضت کرد ازسرصدق و سوزوناله ودرد
عمل و دردراچو کرد قرین رفت همچون ملك بچرخ برین
خاص وعامش مریدوبنده شدند چون نبات از بهار زنده شدند
ده هزارش مرید بیش شدند گرچه اول زصدق دور بدند
وعظ گفتی همیشه برمنبر گرم وگیرا چو وعظ پیغمبر
صیت خوبش گرفت عالم را کرد زنده روان آدم را

رسیدن مولانا جلال الدین بشمس تبریزی و تغییر حال او

ناگهان شمس دین رسیدبوی گفت انی ز تاب نورش فی
از ورای جهان عشق آواز برسانید بی دف و بی ساز
گفت اگرچه بباطنی تو گرو باطن باطنم من این بشنو
دعوتش کرد در جهان عجب که ندید آن بخواب ترك وعرب
نزد یزدان چو بود مولانا از همه خاصتر بصدق و صفا
خضرش بود شمس تبریزی آنکه با او اگر در آمیزی
هیچکس را بیك جوی نخری برده های ظلام را بدری
بعد بس انتظار رویش دید گشت سرها براوچوروز پدید
شد براو عاشق وبرفت ازدست گشت پیشش یکی بلندی وپست
دعوتش کردسوی خانهٔ خویش گفت بشنو شها ازین درویش
پس از آن هردوخوش روانه شدند شادوخندان بسوی خانه شدند
شیخ استاد گشت نو آموز درس خواندی بخدمتش شب وروز
گرچه درعلم فقر کامل بود علم نو بود کان بسوی بنمود

حسدبردن مریدان مولانا برشمس

یکزمانی بهم همی بودند مدت یک دو سال آسودند
غیرت حق در آمدو ناگاه فج فج افتاد در همه افواه
در شناعت در آمدند همه آن مریدان بیخبر چورمه
گفته باهم که شیخ ما زچه رو پشت برما کند زبهر چه او
ما همه عاشقیم در ره شیخ بندهٔ صادقیم در ره شیخ
شده ما را یقین که مظهر حق اوست بی شك وزاو بریم سبق
چه کس است اینکه شیخ ما را او برداز جا چو یك کهی راجو
کرد اورا زجمله خلق نهان می نیابد کسی زجاش نشان
ساحراست این مگر بسحروفسون کردبرخویش شیخ را مفتون
همه درفکر این که کی ازشهر رود او یا فنا شود از قهر
جمله گشته بخون او تشنه ساخته بهر کشتنش دشنه
چون غلوشان براوزحد بگذشت دشمنیشان زحدوعد بگذشت
شمس تبریز رفت سوی دمشق تاشود پردمشق وشام زعشق
چون حزین شد زهجر مولانا گشت معرض زجمله آن دانا
دوستی را از آن نفر ببرید مرغ مهرش زلانه شان بپرید
چونکه آن رایشان نیامد راست عکس شد آنچه هریکی میخواست
گفته بودند اگر رود زینجا ماند آن شاه ما بما تنها
باردیگر زپندهای خوشش بجهیم ازجهان و پنج وششش
آنگروهی که بودشان غفلت کرده بودند از سفه جرأت
پیش شیخ آمدند لابه کنان که ببخشا مکن دگر هجران
توبهٔ ما بکن زلطف قبول گرچه کردیم جرمها ز فضول

فرستادن مولانا بهاء الدین ولدرا

بود شه را عنایتی بولد در نهان اندرون برون از خد
خواند اورا وگفت رو تورسول ازبرم پیش آن شه مقبول
ببر این سیم را بپایش ریز گویش از من که ایشه تبریز
آن مریدان که جرمها کردند زانچه کردند جمله واخوردند
همه سازند از دل و ازجان جانشان را فدای آن سلطان
رنجه کن اینطرف قدم را باز چند روزی بیا و با ما ساز
آنچه ازما سزیدا گر کردیم همچوخار خلنده سر کردیم
همچنین زین نمط بوی میگو دل او را بلابه ها میجو
باشد این گر بودمرا آن بخت نرم گردد نگیرد این را سخت
دهدم باز وصل از سرلطف بهلد هجر و بگذرد از عنف
پس ولد سر نهاد والد را شکر کرد اوخدای واحد را
گشت ازجان روان بسوی دمشق راه را میبرید از سر عشق
چون رسید او بنزد شمس الدین آن شه اولیای با تمکین
در سخن آمد و درر بارید در دل و سینه عشق نو کارید
سر سر حدیث وقرآن گفت کرد پیدا سری که بود نهفت
بی پرش بر فلك بپرانید بی تنش گرد عرش گردانید
حجب از پیش چشم دل برداشت شب تاریك را نمود چوچاشت
ظلمت از تن ببرد و ازدل وجان تاروان گشت همچو سیل روان

بازگشت ولد بقونیه در رکاب شمس الدین

چون شنید از ولد رسالت را خوش پذیرفت آن مقالت را
باز گشت ازدمشق جانب روم تا رسد در امام خود مأموم
شد ولد در رکاب او پویان نزضرورت ولی زصدق وزجان
در ره از وی هزار سربشنید صدجهان از ورای چرخ بدید
چون رسیدند پیش مولانا نوش شد جمله نیش مولانا
وانجماعت که منکران بودند منکر قطب آسمان بودند
جمله شان جانفشان باستغفار سر نهادند کای خدیو کبار
از سر صدق روی آوردیم توبه کاریم از آنچه ما کردیم
بعداز آن جمله ازوضیع وشریف حلقه گشتند گرد شاه ظریف
پهلوی شه نشسته مولانا چون دوخور که زنند سرزسما
شمس تبریز در سخن آمد زنده شد آنکه فهم کن آمد
هریکی زان سخن بعشق پرید هر یکی از خودی تمام برید

از امیر و توانگر و درویش هریکی قدر وسع وطاقت خویش
بخشش آورد و میهمانی کرد تا شود یار مهربانی کرد
مدتی این چنین گذشت زمان در حضور شهان هردو جهان
آن دو شه چون بهار وایشان دشت همه را تازه گشته زیشان کشت
شاخ و برگ درونشان پربار رسته بیخار هر طرف گلزار
درچنین عیش و درچنین وصلت همه پر نورو غرق در رحمت

گستاخی مریدان و ناپدید گشتن شمس الدین

باز شیطان بصورتی دیگر زد درایشان کدورتی دیگر
رخت اعمال جمله را دزدید هر یکی زاعتقاد برگردید
باز گشتند همچو اول بار می ومستی گذشت وماند خمار
روشنی شد بدل به تاریکی صحت تن به رنج باریکی
باز چون شمس دین بدانست این که شدند آن گروه پر از کین
گفت او باولد که دیدی باز چون شدند از شقا همه دمساز
که مرا از حضور مولانا که چو او نیست هادی ودانا
فکنندم جدا و دور کنند بعد من جملگان سرور کنند
خواهم این بار آنچنان رفتن که نداند کسی کجایم من
همه گردند در طلب عاجز ندهد کس زمن نشان هرگز
ناگهان گم شد از میان همه تا رهد از دل و زبان همه
یکدو روز او چو گشت ناپیدا کرد افغان زدرد مولانا
هیچ از وی کسی نداد خبر نی بکس بورسید ازاو نه اثر
شیخ گشت از فراق او مجنون بی سرو پا زعشق چون ذوالنون

استغراق و بیقراری مولانا از فراق شمس الدین

شیخ مفتی ز عشق شاعر شد گشت خمار اگر چه زاهد بد
نی زخمری که او بود زانگور جان نوری نخورد جز می نور
روز وشب در سماع رقصان شد برزمین همچو چرخ گردان شد
بانگ و افغان او بعرش رسید ناله اشرا بزرگ و خرد شنید
غلغله اوفتاد اندر شهر شهر چه بلکه در زمانه ودهر
کاین چنین قطب ومفتی اسلام کوست اندر زمانه شیخ وامام
شورها میکند چو شیدا او گاه پنهان و گه هویدا او
خلق ازوی زشرع ودین گشتند همگان عشق را رهین گشتند
حافظان جمله شعرخوان شده اند به سوی مطربان دوان شده اند
عاشقی شد طریق ومذهبشان غیر عشق است پیششان هذیان

رفتن مولانا درجستجوی شمس الدین بجانب شام

باچنان مستی و چنین جوشش باچنان عشق و باچنان کوشش
کرد آهنگ ورفت جانب شام در پیش شد روانه پخته و خام
چون رسید اندر آن سفر بدمشق خلق را سوخت او ز آتش عشق
همه گشتند عاشقش ازجان دیده در درد او دوصد درمان
جمله ازجان مرید و بنده شدند همچو سایه پیش فکنده شدند
شامیان هم شدند واله او کاینچنین فاضل پیمبر خو
ازچه گشته است عاشق ومجنون کاندرو مدرج است صدذوالنون
شمس تبریز خود چه شخص بود تا پیش این چنین یگانه رود
گفت اگرچه به تن ازو دوریم بی تن و روح هر دو یکنوریم
هردو باهم بدیم بی تن وجان پیش از آن کاین فلك شود گردان
بی زمین و زمان بهم بودیم از وجود جهان نیفزودیم
حالت ما بهم نمی ماند کیست کاحوال ما عیان داند
شمس تبریز را بشام ندید در خودش دید همچو ماه پدید
کرد رجعت بروم باز آمد رفت چون کبك وهمچو باز آمد
قطره اش چون فزود دریا شد بود عالی ز عشق اعلی شد
مطربانرا بخواند از سر او بی سر و پا ببام و بر در او
روز وشب یکدمش قرار نبود بی قدح خمر عشق می پیمود
حیرت خلق شد در او افزون کاین چه شور است واینچگونه جنون
چندسالی نشست وباز زعشق رفت با جمله خلق سوی دمشق
باز آنجا فکند صد غوغا جمله گفته عجب زهی سودا
ماهها در دمشق ساکن شد عاشقی کی ز عشق ساکن شد

بازگشتن مولانا بقونیه وبرگزیدن صلاح الدین زرکوب قونوی

بعداز آن باز گشت جانب روم تا زند بر جبین شیر رقوم
سرزد از چرخ روح آنخورشید تاسها را کند پر از ناهید
گفت چون من ویم چه میجویم عین اویم کنون زخود گویم
وصف حسنش که میفزودم من خودهمان حسن ولطف بودم من
درچنین جوش یک مرید از او یافت قربت سوار گشت نکو
لقبش بود شه صلاح الدین قطب هفت آسمان وهفت زمین
چون ورا دید شیخ صاحب حال برگزیدش ززمرهٔ ابدال
روبدو کرد وجمله را بگذاشت غیر او را خطا وسهو انگاشت
گفت از روی مهر بایاران نیست پروای کس مرا بجهان
سرشیخی چو نیست درسر من نبود هیچ مرغ همپر من
پس ازین جمله سوی او پوئید همه ازجان وصال او جوئید
پس ولدرا بخواند آنحق بین گفت بنگر رخ صلاح الدین
نظرش کیمیاست بر تو فتد رحمت کبریاست بر تو فتد
برهاند ترا ز مرگ و فنا برساند به تخت ملك بقا
کندت بر علوم سر دانا جمله اسرار ازو شود پیدا

آرام گرفتن مولانا با صلاح الدین از طلب شمس وحسد بردن مریدان

شورش شیخ گشت ازو ساکن وآنهمه رنج و گفتگو ساکن
زانکه بد نوع دیگر ارشادش بیشتر بود از همه دادش
آنچه از اولیا نبردی کس سالها میرسید ازو بنفس
شیخ با او چنانکه باآن شاه شمس تبریز خاص خاص اله
نظر شیخ جمله بروی بود غیر او نزد شیخ لاشی بود
ننشستی بهیچکس جز او چشم را بر نداشتی زان رو
باز در منکران غریو افتاد سخت درهم شدند اهل فساد
باز آغاز کرد جوش حسد زانکه بودند غرق نفس وجسد
گفته باهم کز آن یکی رستیم چون نگه میکنیم درشستیم
کاش کان اولینه بودی باز شیخ مارا رفیق و هم دمساز
نبداز قونیه بد از تبریز بود جان پرورونبد خونریز
همه این مرد را همیدانیم همه هم شهریم و هم خوانیم
نی وراخط وعلم ونی گفتار بر ما خود نداشت او مقدار
دائما در دکان بدی زرکوب همه همسایگان ازو در کوب
آنکسانیکه منکران بودند از ازل کور وهم کران بودند
ازخود او را بنقص کرده نظر جان جانرا شمرده چون پیکر
که چسان ترهات میگفتند از غم و غصه شب نمی خفتند
پیش ازین جاش بود صف نعال فخر کردی زما میان رجال
چون شود اینکه او را اکنون شیخ خوانیم بل زشیخ افزون
زین نمط فحشهای زشت ودرشت گاه گفته بروش و گه پس پشت
جمله را رأی اینچنین افتاد که چو زاسب مراد زین افتاد
سر ببازیم و زنده اش نهلیم چون ازو جان فکار وخسته دلیم
یك مریدی برسم طنازی شد از ایشان و کرد غمازی
درهمان لحظه نزد مولانا آمد و گفت این حکایت را
پس رسید این بشه صلاح الدین نورچشم و چراغ هر ره بین
خوش بخندید و گفت آنکوران که ز گمراهیند بی ایمان
نیستند اینقدر زحق آگاه که بجز زامر او نجنبد کاه
چون تواند کسی مرا کشتن یا بخاك و بخونم آغشتن
می برنجید ازاینکه مولانا کرد مخصوصم از همه تنها
خودندانسته اینکه آینه ام نیست نقشی مرا معاینه ام
درمن او روی خویش می بیند خویشتن را چگونه نگزیند
گشت واقف زراز شیخ علیم خشمگین شد بر آنگروه لئیم
راه بربست دیگر ایشانرا آن لئیمان کوربینان را
همه گشتند سرزد از آن گرمی رویشان سخت شد زبیشرمی
روزشان گشت همچو شب تاریك گردن جمله شد زغم باریك
هریکی دست خود همی خائید از دلش غصه ها همی زائید
گفته باهم اگرچنین ماند چه شود حال ما خدا داند

پیش از آنکه رویم جمله زدست چاره سازیم تا رهیم ز شست
سوی ایشان شویم توبه کنان وصل جوئیم تا رود هجران
همه جمع آمدند بر در او می‌نهادند بر زمین سر و رو
گریه زارشان چورفت ازحد بانگ و افغانشان گذشت ازحد
چون شنیدند آن دو زاریرا ساز کردند چنگ یاری را
در گشادند و راهشان دادند قفل های ببسته بگشادند

در گذشتن صلاح‌الدین ورسیدن خلافت به‌چلبی حسام‌الدین

شیخ بااو چودر دوتن یکجان بود آسوده و خوش‌وشادان
مست از همدگر شده ده‌سال داشته بی خمار هجر وصال
جمع یاران بگردشان زده صف آندوچون بحروباقیان چون کف
همه چون اختران وآندوچوماه همه چون بندگان و آندوچوشاه
درچنین عیش‌ودولت ونزهت در چنین جاه‌و ملکت و زینت
ناگهان شدصلاح‌دین رنجور گشت از صحبت بدن مهجور
شیخ فرمود در جنازهٔ من دهل آرید و کوس بادف زن
سوی گورم برید رقص کنان خوش‌وشادان‌ومست‌ودست‌افشان
تا بدانند کاولیای خدا شاد و خندان روند سوی لقا
کردچشمان فرازو رفت‌بناز ناز نازان بصد هزار اعزاز
اولیا را بود زمرگ حیات زانکه در مرگ دیده‌اند نجات
جسم پاك ورا چواندر خاك بنهادند رفت پاک بپاک
بود راضی‌شه از حسام‌الدین داده بودش هزار گنج گزین
مرشد جمله بود مولانا آن خدیو یگانهٔ والا
رتبت هر یکی براو روشن گشته همچون میان‌روح وبدن
شیخ گفت ای حسام‌حق آئین چونکه‌رفت‌ازجهان‌صلاح‌الدین
بعدازین نایب وخلیفه توئی زانکه اندر میانه نیست دوئی
آن یکی باز گفت مولانا زین سه مهتر کدام بود اعلی
گفتش اندرجواب کای‌همراه شمس چون‌مهربد صلاح چوماه
چون‌ستاره‌است‌شه‌حسام‌الحق زانکه گشته‌است باملك ملحق
شیخ اینرا بجای آن بنشاند بر سرش نور ها نثار افشاند
گفت اصحاب‌را که سربنهید پیش او عاجزانه پر بنهید
همه امرش ز دل بجا آرید مهر او در درون جان کارید

مصاحبت شیخ حسام‌الدین تاپایان زندگانی مولانا ومستفیدشدن یاران بی‌حدازهردو

بود با شیخ در زمانهٔ شیخ همدل و همنشین بخانهٔ شیخ
در صفاو وفابهم همدم همه اصحاب شادمان بیغم
بخشش هردو برهمه شامل همه از هر دو عالم و عامل
خوش‌بهم‌بوده مدت ده‌سال پاك و صافی مثال آب زلال
بعداز آن نقل کرد مولانا زین جهان کثیف پر زغنا
سال هفتاد و دو بده بعدد ششصد از عهد هجرت‌احمد
چشم‌زخمی‌چنین‌رسیدبخلق سوخت‌جانها زصدمت‌آن‌برق
لرزه افتاد در زمین آندم گشت نالان فلك در آن ماتم
مردم شهر از صغیرو کبیر همه اندر فغان وآه‌و نفیر
بجنازه همه شده حاضر از سر مهر و عشق نز پی‌بر
قوم هر ملتی براو عاشق اهل هر مذهبی براو صادق
عیسوی گفته‌اوست‌عیسی‌ما موسوی گفته‌اوست موسی ما
مسلمش‌خوانده‌سرونورر‌سول گفته هست‌اوعظیم‌بحر نقول
همه کرده‌زغم گریبان‌چاك همه از سوز کرده برسرخاك
آنفغان و خروش کانجابود کس‌ندیده‌است‌زیرچرخ کبود
همچنان‌این کشیدتاچل‌روز هیچ ساکن‌نشد دمی‌تف‌وسوز
روزوشب‌بودگفتشان‌همه‌این که‌شد آن گنج زیرخاك‌دفین
ذکراحوال‌وزندگانی او ذکر افوال‌و در فشانی او
ذکرعشق‌خداو تجریدش ذکرمستی‌و صدق‌و توحیدش
ذکرلطف‌وتواضع‌وکرمش ذکرحال وسماع چون ارمش
ذکرتذکیرووعظو گرمی‌او ذکر مهر و وفا و نرمی او
ذکراسرارولطف‌انوارش ذکر آن کشفها ز دیدارش
ذکرتقوی وحلم‌ورحمت‌او ذکر فتوی وعلم‌و حکمت او

از کتاب بستان‌السیاحه

برضمایر مهرمآثراولوالابصار مخفی ومستور نماند که ولادت باسعادت‌مولانا در قبة‌الاسلام بلخ من‌بلاد خراسان‌درششم‌ربیع‌الاول سنه ٦٠٤ ششصدو چهار هجری روی نمود

همان شراب کش بادهٔ خم‌جبروت همان همای‌بلند آشیان‌عرش‌نشین
رموز گوی‌ازل‌مولوی‌که‌دادنجات مقیدان هوا را زقید این سجین
زجلدهای کتابش‌که‌مینوشت‌گرفت جهات سته به پیرایهٔ ابد تزیین
سخن‌زمرتبهٔ‌شعراونه‌حدمنست که‌همچوعرش‌بلنداست‌وهمچوشرع‌متین

گویند آنجناب در پنج سالگی بهر سه چهار روز یکبار افطار میفرمود و در نسب از نسل ابوبکربن ابی‌قحافه خلیفهٔ اول بود بدین ترتیب :

هوابن بهاءالدین محمدبن حسین‌بن احمدالخطیب بن محمود بن ثابت بن مسیب بن مطهر بن‌حماد بن عبدالرحمن بن ابوبکر

ابأعن‌جدازعلماء نامدار عالیمقدار و از فضلاء کبار آندیار بودند و شیخ‌احمدالخطیب بلخی مریدقطب‌العارفین شیخ‌احمدغزالیست و فرزند ارجمند او شیخ حسین که‌جد مولاناست بغایت متقی و پرهیزکار و اسباب دنیوی در نظرش بیمقدار بود نقل است که در واقعه حضرت رسالت پناه صلعم خوارزمشاهرا فرمود که ما دختر ترا بشیخ حسین عقدکردیم تو نیز قبول کن و ایضاً وزیر خوارزمشاه همان خوابرا مشاهده نمود و شیخ حسین نیز درهمان شب خواب میبیند که حضرت رسول صلعم میفرماید که ماصبیهٔ خوارزمشاهرا بتو تزویج نمودیم خوارزمشاه بفرمودهٔ آنحضرت عمل نموده دختر پاکیزه گوهر خودرا بنکاح‌شیخ حسین درآورد و بهاءالدین محمد از آن عفیفهٔ مکرمه بوجود آمد چون بسن‌رشد و تمیز رسید بتحصیل علوم مشغول شده در اندك زمانی دراکثر علوم ماهر گردید و نیز در عنفوان شباب بعد از اکتساب علوم و آداب اولا تلقین ذکر از والد خود گرفته و او از پدرش امام احمد خطیب و بدینواسطه سلسلهٔ بهاء الدین متصل بشیخ احمد غزالیست بعداز آن صحبت شیخ‌الشیوخ نجم‌الدین کبری‌را دریافته است و از روی ریاضت و مجاهده با علی قلل مشاهده شتافته و مقبول همهٔ دلها شده و در بلخ متمکن میبوده و بدرس و فتوی نیز اشتغال مینموده‌و طالبانرا بکشف حقایق و معارف راهنمائی میکرده‌و از برای ارشاد عوام عقد مجالس نصایح و مواعظ می ساخته و بحال همهٔ طوایف میپرداخته و سلطان محمدخوارزمشاه از جملهٔ مریدان و معتقدان بوده و سید برهان‌الدین الترمدی که ازجملهٔ اقطاب بود ازمریدان آنجناب بشمار است که باتابکی‌مولانا جلال‌الدین محمدرومی اشتغال مینمود

آورده اند که شبی سیصد دانشمند مفتی از مشاهیر بلخ که از جملهٔ منکران بودند در خواب سیدکاینات را دیدند که درخیمهٔ سبز نشسته بود و مولانا بهاءالدین‌بازبدهٔ ممکنات صلی‌الله‌علیه‌وآله همنشین وحضرت‌رسول‌صلعم مولانارا نوازشها نموده‌وفرمودماترا سلطان‌العلماء لقب‌نهادیم آنجماعت چون‌بیدارشدندروی‌بخدمت‌مولانا نهادند وچون‌درراه‌بایکدیگر ملاقی‌شدند وازخواب‌دوشینه حکایت میکردند متعجب ومتحیر میماندندومولاناسلطان‌العلماء بعداز اداء صلوة‌واذکار بربام رفته بود و اینجماعت ازهیبت اینحال امکان در کوفتن‌ومجال‌اخبار نداشتند آخرالامرسراز بام فرو کرده‌فرمود : تاحضرت‌سیدالمرسلین‌علیه‌افضل‌الصلوات‌ازحال‌درویشان‌وروش‌ایشان اخبار نفرمودشمازنارانکارازمیان‌نگشودیدآنجماعت استغفار کردند ومریدومعتقدشدند.سلطان‌محمدبعداز استماع‌این‌کلام‌درخدمت‌اهتمام بیشتربتقدیم‌رسانیدوامام‌فخرالدین‌رازی‌نیز به‌تبعیت‌میآمدچه که‌معلم سلطان‌بود وجناب مولانا در اثنای موعظت مذمت مذهب حکمای یونان میفرمود و میگفت: جمعی که کتب آسمانی را در پس پشت انداخته و اقاویل وعقاید فلاسفه پیش گرفته اند چگونه امید نجات داشته باشند

امام‌فخرالدین ازاینمعنی عرق حسدش میجنبید ودائماً بگردسعایت وفساد میگردید امافرصت‌نمیدید اتفاقاًروزی سلطان‌بزیارت‌مولانا آمده‌بود کثرتی عظیم باشکوه بیش‌از پیش دید وفخرالدین‌رازی راخطاب کرده و گفت بیحد کثرتی مشاهده میشود وی‌فرصت‌یافته گفت اگر بتدبیر دفع این کثرت‌نشود بیم‌است که‌در ارکان‌سلطنت خلل افتد بواسطهٔ آنکه طباع برحسد مجبولست این‌سخن واهی برسلطان اثر کرده فرمود که‌تدبیر باید نمود درجواب گفت‌صواب آنست که کلید خزائن و قلاع را بخدمتش بفرستیم و بگوئیم که امروزجمعیت و کثرت آنحضرت راست وبواسطهٔ‌استیلای مریدان وشوکت معتقدان وهنی درامور مملکت ظاهر گشته و بجز کلید دردست‌ماراختیاری نمانده‌یا کلیدهاراقبول کنند یا ازدارالسلطنه بیرون روند وازمملکت‌هر کجا خواهند متمکن شوند چون‌براین سیاق عمل کردند دمار ازدودمان خویش‌برآوردند ازاستماع این سخن‌مولاناسخت‌برنجید وقسم‌یاد کرد که‌تامحمد خوارزمشاه‌پادشاه خراسان باشد بدانجا نیاید مثنوی

تادل مردخدا نامد بدرد هیچ قومی‌را خدا رسوا نکرد

گویند باعث انقراض دولت خوارزمشاهیان و تسلط چنگیزیان برمملکت‌ایشان نخست قتل مجدالدین‌بغدادی‌شد واومریدنجم‌الدین خوارزمی و مرشد شیخ فریدالدین عطار قدس الله اسرارهم بود وتفصیل احوال‌آن‌بزرگوار درکتب تواریخ مسطور است‌ودیگر رنجش خاطرمولانا بهاءالدین‌است.

نقلست که مولانا روز دیگر در میان مجلس گفت فردا عزم سفر دارم هر کرا ارادت درویشان‌است آماده‌باشدروزدیگر ازمریدان و معتقدان سیصد نفر درخدمتش روانه شدند درآنوقت‌مولانا جلال الدین بسن شش ساله بود و مولانا بهاءالدین در نیشابور باجناب شیخ فریدالدین عطار قدس سره ملاقات کرد وجناب شیخ کتاب اسرار نامه‌را که یکی از مؤلفات خودبودبمولانا جلال‌الدین‌عنایت نمود وببهاءالدین گفت که‌این فرزندرا گرامی‌بدار زودباشد که از نفس گرم آتش‌برافسردگان عالم زند مولانا بهاءالدین جناب‌شیخ را وداع‌نموده عازم بیت‌الله‌الحرام گردید و چون‌بدارالسلام بغداد رسید اکابرواعاظم و بزرگان مولانارا تعظیم تمام کردند و لوازم احترام نسبت‌بآن‌بزرگوار بجای‌آوردند مدت‌یکماه تفسیر بسم‌الله فرمود چنانکه‌تقریراول‌بثانی نسبت نداشت جمعی ازطرف سلطان علاءالدین کیقباد سلجوقی از کشور روم بدارالخلافه بغداد آمده بودند آن‌تقریردلپذیرازمولاناستماع نمودند وچون‌بروم‌باز گشتند دراثنای حکایات‌درحضرت سلطان از مناقب مولانا آنچه مشاهده کرده‌بودند عرضه داشتند سلطانرا درغیبت‌اعتقادی عظیم‌راسخ‌شد و دائماً تمنای ملاقات صوری‌داشت تا از تقدیر کردگار مولانارا عزیمت حجازافتاد وازحجازبطرف‌شام‌عبورفرموده‌ودرآنجامولانا برهان‌الدین ترمدی‌رحلت‌نمود آنجناب در حین‌وفات خدمت‌مولانا وصیت کرد که‌باید شما بطرف روم عزیمت نمائید که جهت شما در آن‌دیار فتوحی خواهد بود بنا بفرمودهٔ آن بزرگوار مولانا بمدینهٔ ارزنجان آمده در خانقاه عصمتیه تاج ملك خاتون که عمهٔ‌سلطان علاءالدین بود نزول نمود خاتون سعادت مقرون خدمات پسندیده بجای آورد و التماس کرد که آنجا متمکن شود قبول نفرمود وبزودی از آنجا عزیمت آنشهر نمود و فصل زمستان‌در آنجا اقامت کرد بعداز آن بطرف روم نهضت فرمود سلطان را معلوم شد که قرب منازل حاصل شده است قاصدان بخدمتش فرستاد استعجال حرکت مولانا نمود ملتمس سلطان باجابت لاحق شد چون بصحرای قونیه رسید سلطان باجمیع اکابروارکان‌دولت مولانارااستقبال نمود سلطان بعداز اظهار اخلاص و ارادت استر شمام نام که در گام‌زدن پیك باد شمال بود برسم نیاز پیشکش‌نمود وچندگام در رکاب مولانا پیاده رفت مولاناچندانکه مبالغه‌فرمود که سوار شود سلطان بر تواضع وفروتنی می افزود و میگفت جهت‌مزید دولت‌وسعادت خویش این‌عبودیت بتقدیم میرسانم‌آنگاه در منزلی که‌لایق آنجناب‌بود فرود آورد وچندان‌خدمات‌ومراعات نمود که عشر عشیرآن بشرح و بیان در نیاید در آن اوان مولینا جلال الدین بسن چهارده سالگی بود و در آن صغر سن از روی علوم وحکم عالمی بزرگ شده بود چون والد بزرگوارش در سنه ۶۳۱ هجری رحلت نمود مولانا بموجب وصیت والد بر مسند افاده قدم گذاشت ولوای نشر علوم و درس فنون وامر معروف و نهی منکر برافراشت

آورده اند که مولانا بعداز تحصیل‌علوم رسمی و اصطلاحی از اقسام علوم آنچه سیدبرهان‌الدین ازشیخ خود از حقایق مکتوم معلوم کرده‌بود مولانارا تعلیم‌و تلقین میکرد چون‌ذات‌ملك صفات اورا بریاضات و مجاهدات مکاشفات ومشاهدات دست داد و قابل اسرار احدی و محرم رموز کنوز احمدی شد بصحبت حضرت خضرعلی نبیناوعلیه السلام مشرف گشت و جمعی کثیر ازعرفای عصر را ملاقات نمود آخرالامر بخدمت تاج العارفین مولانا شمس‌الدین تبریزی رسیدوارادت آن‌جنابرا ازدل وجان‌برگزید ونسبت طریقت شمس‌الدین بجناب قطب الاولیاء و زبدت‌الاصفیاء علی‌بن موسی‌الرضاعلیه‌آلاف‌التحیة و الثناء میرسد براین‌موجب: شمس‌الدین مرید باباکمال جندی بود و او مرید شیخ نجم‌الدین خوارزمی و او مرید شیخ‌عمار بدلیسی واومرید شیخ نجیب‌الدین سهروردی و او مرید شیخ احمد غزالی واو مرید شیخ ابوبکر نساج واومریدشیخ ابوالقاسم کورکانی (و او مرید شیخ ابوعمران مغربی و او مرید شیخ ابو علی رودباری) و او مرید شیخ جنید بغدادی‌واومرید شیخ‌سری سقطی و او مرید شیخ معروف کرخی و او مرید و دربان علی‌بن موسی‌الرضا علیه التحیة والثناء بود

آورده‌اند که‌شمس‌الدین ولد علاءالدین‌بوداز نژاد کیا بزرگ‌امید گویندپدروی‌ترک‌مذهب‌اسمعیلی کرده شعار اسلام ظاهر نمود و در نهانی ولدخود شمس‌الدین‌را بخواندن علم به تبریز فرستاد و در آنجا علم وادب آموخت و انواع فضائل اندوخت جامی‌صاحب نفحات‌الانس آورده که شمس الدین از خاندان اسمعیلیان نیست بلکه‌او تبریزی‌الاصل پسربزازیست‌وبعضی‌گفته‌اند که‌اصل‌شمس‌الدین ازخراسان بوده وخود درشهر تبریز تولدنموده ودراین باب روایت دیگر نیزوارداشت راقم گوید شاخ گل هرجا که‌میروید گل‌است

نقلست که‌چون شمس‌الدین درعالم طلب سیاحت میکرد تا آنکه بخدمت باباکمال‌الدین جندی قدس‌سره رسید و به‌هزار جان ودل مریدش گردیدوقتی باباکمال جمعی از مریدانرا که‌ازآنجمله‌شیخ بهاءالدین زکریا و شیخ فخرالدین عراقی و امیر حسین هروی بودند در خلوت نشاند وشمس‌الدین را نیز بریاضت و خلوت امر کردشیخ فخرالدین عراقی لوایح اسرار را بصورت لوامع و اشعاراملا نموده بعرض شیخ کمال‌الدین‌رسانیدوشمس‌الدین اظهار اینمعانی نمیکرد روزی آن بزرگوار فرمود فرزند شمس‌الدین از حقایق و اسرار که فرزند فخرالدین باظهار آن قیام مینماید برتوهیچ لایح نمیشود عرض‌نمود بیش‌از آن حقایق مشاهده‌می‌افتد او از جهت‌اشتغال‌بمصطلحات‌علوم‌بعبارتی‌مناسب کشف‌بعضی‌اسرار مکتوب‌میتواند کرد ومرا دست‌نمیدهدشیخ‌فرمود که‌باریتعالی ترا مصاحبی‌روزی کند که‌معارف‌وحقایق‌اولین‌وآخرین‌را بنام‌تواظهار کندوینابیع‌حکمت‌ازدل‌اوبرزبانش‌جاری‌شودوهمهٔ آن کسوت‌مقالات مطرزبنام‌تو باشدبعداز آن‌باباکمال‌فرمود که‌ترابطرف‌روم‌بایدرفتن‌ودر آنجاسوخته‌ایست‌میبایداورامشتعل کردن‌شمس‌الدین‌بموجب‌فرمودهٔ وی عمل‌نموده متوجه روم گردیدودرحین گردش آن‌مرزوبوم‌بشهر قونیه‌رسیدودرکاروانسرای‌شکرفروشان‌منزل گزید

روزی‌دربازارمولاناجلال‌الدین براستری‌سواربکوکبهٔ تمام‌عبور مینمود و شمس‌الدین اورا دیده بفراست مطلوب‌را شناخت و در رکابش روان‌شده پرسید که‌غرض‌از مجاهده و دانستن علوم‌چیست

مولانا گفت روش سنت و آداب شریعت است شمس الدین فرمود این خود ظاهر است مولانا گفت ورای آن چیست شمس الدین گفت که علم آنست که ترا بمعلوم رساند و بشاهراه حقیقت کشاند و این بیت سنائی را برخواند

علم کز تو ترا نه بستاند جهل از آن علم به بود بسیار

مولانا از استماع این سخن متأثر و متحیر گشته مرید شمس الدین گردید و بروایت دیگر چون شمس الدین بقونیه رسید مولانا را ملاقات نمود در حالتی که مولانا در کنار حوض نشسته بود و کتابی چند پیش خود نهاده شمس الدین از مولانا پرسید که این چه مصاحفست مولانا جواب داد که این را قیل و قال گویند ترا بآن چه کار است شمس الدین فی الحال کتابها را در آب انداخت و مولانا را متحیر ساخت مولانا از روی تأسف فرمود که ای درویش بعضی فواید والا بود که دیگر یافت نمیشود دیوانگی کردی وضایع ساختی شمس الدین دست دراز کرد یکان یکان همهٔ کتابها را بیرون آورد که آب در آنها اثر نکرده بود مولانا پرسید که این چه سر بود که بظهور پیوست شمس الدین فرمود که این از ذوق و حال است ترا از آن چه خبر بعد از آن باهمدگر صحبت بسیار داشتند و مولانا فرجی و وضع دستار مشابه او ساخت و طریقهٔ سماع آموخت و بیمن تربیت او علم معرفت بر سر عالم افراخت چنانکه میفرماید

هزاران درج در دارد بناگوش ضمیر من از آن الفاظ وحی آسای شکربار شمس الدین
ز عقل و روحها بگذر حجاب عقل برهم در دو سه منزل از آنسو تر ببین بازار شمس الدین

منقولست که چون مولانا ربودهٔ شمس الدین گردید مدت شش ماه در خلوت با او مینشست و می آرامید موالی مولانا شور و غوغا بر آوردند و بر شمس الدین طعن و تشنیع آغاز کردند که سر و پا برهنهٔ و شکم گرسنهٔ ظهور نمود و مقتدای مسلمانان را گمراه کرده است شمس الدین بالضرورد بصوب تبریز روان گردید و مولانا را سوز عشق زبانه کشید و در فراق شمس الدین شعر های سوزناك گفتن گرفت آخر الامر طاقتش طاق شده سوی تبریز شتافت و بعد از زحمات بسیار مطلوب را دریافت در مثنوی از زبان وامدار بر اینمعنی اشارت نموده

ساربانا بار بگشا زاشتران شهر تبریز است و کوی دلستان
فر فردوس است این پالیزرا شعشعهٔ عرش است این تبریزرا
هر زمانی فوج روح انگیز جان از فراز عرش بر تبریزیان

مولانا و شمس الدین پس از چندی با یکدیگر بروم آمدند و چند گاه خالی از اغیار مشغول صحبت شدند باردگر دوستان مولانا که در حقیقت دشمنان بودند حسد و حقد آغاز نمودند

خدای تخم حسود از جهان براندازد اگر حسود نباشد جهان گلستانست

این بار شمس الدین بطرف شام فرار کرد و مدت دو سال در نواحی شام اقامت فرمود مولانا در آن مدت از فراق شمس الدین میسوخت و غزلهای عاشقانه میساخت و عشق شمس الدین بنیاد صبر مولانا را یکباره برانداخت آرام و قرار ازو گم گردید عاقبت مبلغ هزار دینار زر به پسر خود بهاء الدین ولد داده و گفت بزودی بسوی شام بخرام و شمس الدین را در مقام صالحیه خواهی دریافت که با فرنگی زادهٔ شطرنج میبازد زینهار بخاطر خطرهٔ میار که آن پسر یکی از مردانست و از این راه آگاهش میسازد و این زر را بعتبهٔ شمس الدین ایثار کن و کفش آنحضرت را بسوی روم گردان و این ابیات را بخوان

بروید ای حریفان بکشید یار ما را بمن آورید حالی صنم گریزپا را
اگر او بوعده گوید که دم دگر بیاید مخورید مکر او را بفریبد او شما را

از این غزل بهمین دو بیت اکتفا نمود بهاء الدین بحکم والد بشام رفته آنچه از والد شنیده بود دید و آنچه فرموده بود بانجام رسانید و شمس الدین بصوب روم مصمم گردید در آنسفر بهاء الدین در رکاب شمس الدین مسافت یکماهرا پیاده طی نمود هر چند آنجناب مبالغه کرد که سوار شود بهاء الدین قبول نکرد و گفت شاه سوار شود و بنده سوار چگونه خواهد بود

آفرین خدای بر پدری که تو پرورد و مادری که تو زاد

چون شمس الدین بقونیه رسید مولانا بشرف مواصلت مشرف گردید آنجناب در اثنای صحبت اظهار بهجت از بهاء الدین میفرمود و گفت من ازو راضی شدم مرا سری بود و سری سر بتو دادم و سر به پسرت بخشیدم اگر بهاء الدین ولد را هزار سال عمر بودی و همه را در راه طلب رضای خدا صرف نمودی آنچه در این سفر اورا حاصل گشت هزار یك آن حاصل نشدی

نقل است که شبی شمس الدین با مولانا در خلوت صحبت میداشت و اعلام طریقت بر فراز حقیقت می افراشت ناگاه کسی از بیرون در بشمس الدین اشارت کرد مولانا گفت کیست آنجناب فرمود بقتلم میخوانند چون بیرون رفت مولانا صیحهٔ شنیده بیرون دوید چون نظر کرد قطرهٔ خون ریخته دید از آنزمان تاحال از شمس الدین چون عنقا نامیست بعضی گویند بمولانا در عالم واقعه شمس الدین گفت که مرا کشته بچاه انداختند چون مولانا از خواب بیدار شد بسر چاه رسید وجسد آن یوسف مصر ولایت را از چاه بیرون کشید و در مقام مناسب دفن نمود

راقم گوید اینقول بصحت اقربست چنانکه اکنون مزار آن بزرگوار در آن دیار مطاف طائف خلق روزگار است در نفحات مسطور است که باعث هلاك شمس الدین علاء الدین محمد که به تیرانه لیس من اهلك نشانه شده پسر ناخلف مولانا بود و علاء الدین بعد از اقدام بر آن امر شنیع بمرضی مزمن گرفتار گشته بسرای دیگر انتقال نمود و مولانا بجنازهٔ او حاضر نگشت

مخفی نماناد که در کیفیت ملاقات شمس الدین با مولانا اخبار متعدده وارد است که از طول کلام اندیشیده از تذکار آن عنان قلم باز کشید شهادت شمس الدین در سنه ٦٦١ هجری روی نمود

آورده اند که مولانا جلال الدین بعد از واقعهٔ هایلهٔ شمس الدین همواره غمگین میبود و علی الدوام زاری و بیقراری مینمود و آخر الامر خاطر حزین و دل اندوهگین خود را بصحبت و تربیت حسام الدین چلبی المعروف بابن اخی ترك تسلی فرمود نسب وی بدان کس میرسد که فرمود امسیت کردیاً واصبحت عربیا حسام الدین در حجر تربیت مولانا نشوونما یافته و مهر شفقت و مرحمت مولانا بروجنات حال وی تافته و محبوب و منظور مولانا بوده و بحسن طاعت و انقیاد بدرجهٔ عالی ترقی نموده است و کتاب مثنوی که مشهور در السنهٔ صغار و کبار مذکور است باستدعای حسام الدین مولانا بسلك نظم کشیده الحق کتابی بدین نظم و نسق بزبان فارسی چشم زمانه ندیده و گوش روزگار نشنیده است بمرتبهٔ مقبول و مطبوع عرفا گردیده که شیخ بهاء الدین عاملی با آنهمه فضل و کمال در تعریف آن میفرماید

من نمیگویم که آن عالیجناب هست پیغمبر ولی دارد کتاب
مثنوی معنوی مولوی هست قرآنی بلفظ پهلوی
مثنوی او چو قرآن مدل هادی بعضی و بعضی را مضل

در نزد محققان هر قوم پسندیده است چنانکه راقم در جمیع بلاد اقالیم سبعه دیده و شروحی بسیار بزبان فارسی و عربی و ترکی و هندی بر آن نوشته اند

نقلست که حسام الدین شبی اندیشه نمود که در خدمت مولانا استدعا نماید که بوزن منطق الطیر شیخ فرید الدین عطار قدس سره کتابی بنظم آورد و در صبح آنشب بنیت مذکور بخدمت مولانا مشرف گشته مرکوز خاطر را عرضه داشت مولانا بعد از استماع سخن حسام الدین کاغذی از دستار خود بیرون آورده بدست وی داد و فرمود که دیشب وقتیکه از خاطر تو گذشت بر من وارد گشت که اینگونه کتابی منظوم شود و انجام رسد لهذا این ابیات همانوقت از خاطر من سر زد

بشنو از نی چون حکایت میکند وز جدائیها شکایت میکند

اولین شعر کتاب مثنوی تا

درنیابد حال پخته هیچ خام پس سخن کوتاه باید والسلام

بعد از آن مولانا بگفتن مثنوی مشغول گشت از اول شب مولانا نظم نمودی و آخر شب حسام الدین بآواز بلند در حضور مولانا خواندی و بسمع مجلسیان رساندی نوبتی حسام الدین بخدمت مولانا معروض داشت که در وقت خواندن مثنوی گویا میبینم از غیب شمشیرها

کشیده اند و گردن منکران را میزنند مولانا تصدیق نموده گفت نیك دیدی چنانچه درمثنوی بدان اشارت نموده

دشمن اینحرف ایندم درنظر — شدممثل سرنگون اندرسقر
ای ضیاء الحق تودیدی حال او — حق نمودت پاسخ احوال او
دیدهٔ غیبت چوغیبت اوستاد — کم مباداز این جهان این دیدوداد

چون جلداول مثنوی بانجام رسید زوجهٔ مکرمهٔ حسام الدین بسرای جاوید خرامید بدانسبب یا بسبب دیگر اختلال دراحوال حسام الدین ظاهر گردید مدت دوسال [تنظیم مثنوی] بتعویق افتاد ومولانا بگفتن مثنوی لب نگشاد بعداز انقضای مدت مذکوره باردیگر حسام الدین ازخدمت مولانا اتمام مثنوی استدعا نمود چنانچه در اول جلد دوم اشاره برین فرموده

مدتی این مثنوی تأخیر شد — مهلتی بایست تاخون شیرشد
تا نزاید بخت تو فرزند نو — خون نگردد شیر شیرین خوش شنو
چون ضیاء الحق حسام الدین عنان — باز گردانید زاوج آسمان
چون بمعراج حقایق رفته بود — بی بهارش غنچها نشکفته بود
مثنوی که صیقل ارواح بود — باز گشتش روز استفتاح بود
مطلع تاریخ این سوداوسود — سال اندر ششصدوشصت ودوبود

آنگاه بجدتمام وسعی مالا کلام باتمام مثنوی قیام فرمود جلد ششم بپایان نرسیده عارضهٔ بربدن شریفش روی نمود ودرآن بیماری ازجهان فانی بعالم جاودانی انتقال فرمود چنانکه بهاء الدین ولد در آخر مثنوی برآن ایمائی مینماید

مدتی زین مثنوی چون والدم — شد خمش گفتش وراکای زنده دم
از چه رودیگر نمیگوئی سخن — بهر چه بستی در علم لدن
گفت نطقم چون شتر زین پس بخفت — نیستش باهیچکس تاحشر گفت
همچو اشتر ناطقه اینجا بخفت — او بگوید من دهان بستم ز گفت
قصهٔ شهزادگان نامد بسر — ماند نا سفته در سیم پسر
باقی این گفته آید بیزبان — با درون آنکه دارد زنده جان
فهم میگوید شتر چون خفت او — وقت رحلت آمد و جستن زجو
گفتگو آخر رسیدو عمر هم — مژده کامد وقت کز تن وارهم
درجهان جان کنم جولان همی — نگذرم زین نم در آیم دریمی

فقیر گوید ازمحققان ملک روم و دانشمندان آنمرز وبوم بکرات استماع نمود واز ثقات دیار مصر و شام مکررشنود که مولانا از آن مرض صحت یافته دفتر دیگر برمثنوی افزوده آنرا هفت جلد فرموده است چنانچه شیخ اسماعیل قیصری که عالم معالم سخن پروریست درحدود هزار واند هجری شرحی بردفتر هفتم نوشته ودر عنوان آن کتاب مدعیست که ناظم جلدهفتم جناب مولویست وازملحقات نیست چون بعداز تدوین جلد ششم گفته شده لهذا بغیراز کشور شام وروم شهرت نیافته است والله اعلم بحقایق الامور گویند این اشعار از جلدهفتم است

ای ضیاء الحق حسام الدین سعید — دولتت پاینده فقرت بر مزید
چونکه ازچرخ ششم کردی گذر — بر فراز چرخ هفتم کن مقر
سعد اعداداست هفت ای خوش نفس — زانکه تکمیل عدد هفت است وبس

شیخ نجیب الدین رضا تبریزی الاصل اصفهانی المسکن که در زمان شاه سلیمان صفوی پایهٔ سلسلهٔ ذهبیه بوده و کتاب سبع المثانی را ببحرمثنوی تألیف نموده درعنوان آن کتاب فرموده که درعالم واقعه مولانا بمن خطاب کرده فرمود که جلد هفتم مثنوی را توباتمام رسان بنابفرموده مولانا کتاب سبع المثانی را بنظم آوردم فقیر گوید آنچه نزد درویشان روم وشام وعربستان درخصوص جلد هفتم بصحت اقربست قول اولست (آندفتر درآخر همین کتاب مسطوراست) اصحاب معرفت بعداز دقت معلوم میکنند که ناظم آن جناب مولوی بوده یانبوده

معاصرین مولانا ـ آورده اند که درعصر مولانا جلال الدین قدس سره درکشور روم وایران وغیره عرفای عظام ومشایخ کرام بسیار بوده از آنجمله شیخ اوحدالدین کرمانی وشیخ بهاء الدین زکریاء ملتانی وشیخ نجم الدین رازی وشیخ مصلح الدین سعدی شیرازی وشیخ محی الدین الاعرابی وشیخ صدرالدین قونیوی وشیخ مؤیدالدین جندی وشیخ ابوالحسن مغربی الشاذلی وشیخ ابوالعباس المرسی وابن الفارس الحموی المصری وشیخ عزیزالدین نسفی وشیخ ابوالحسن علی الصعیدی المعروف بابن صباغ وشیخ فخرالدین عراقی وشیخ نجیب الدین بزغش شیرازی و شیخ برهان الدین ترمدی وشیخ نورالدین عبدالرحمن اسفراینی و شیخ جمال الدین جوزقانی وشیخ رضی الدین علی لالا غزنوی وشیخ سیف الدین باخرزی وشیخ سعدالدین حموی وشیخ ابومحمد عبدالله المغربی وشیخ یاسین المغربی و شیخ عفیف الدین سلیمان قلمانی وشیخ ابوالغیث الیمنی وشیخ صلاح الدین زرکوب وشیخ موسی سدرانی وشیخ صدرالدین فرغانی وعین الزمان جمال الدین وحاجی بکتاش ولی قدس الله اسرارهم که اکثر آن بزرگوارانرا در شهر قونیه وغیره ملاقات نموده وطریق معاشرت پیموده

در شهور سنه ٦٧٢ هجری درهمان دیاربدارالقرار انتقال نمودمزارفیض مدارش درغایت اشتهاروزیارتگاه ابنای روزگاراست (وفات خواجه نصیرالدین طوسی هم در اینسال اتفاق افتاده)

از ملوك زمان که معاصر آنجناب بودند هلاکوخان وآباقاآن خان در ایران وبندوقدار درمصروشام وعلاءالدین کیقبادسلجوقی درکشورروم وناصرالدین ایلتمش در هندوستان حکومت مینمودند وازفرقهٔ حکما محقق طوسی معاصر آن بزرگوار بوده

روزی اصحاب راخطاب کرده فرمود: اوصیکم بتقوی الله فی السروالعلانیه و بقلة الطعام وقلة المنام وهجران المعاصی والآثام و مواظبة الصیام ودوام القیام وترك الشهوات علی الدوام واحتمال الجفاء من جمیع الانام وترك مجالسة السفهاء والعوام ومصاحبة الصالحین والکرام وان خیرالناس ماینفع الناس وخیرالکلام ماقل ودل

پوشیده نماناد که سلسلهٔ مولوی دربلاد روم ومصروشام وعرب وجزایربحرروم ودیار روم ایلی وعراق عرب جاری و معمولست ودر نزدخوردو کلان واعیان ودانا ونادان وحاجب وسلطان مقبولست لباسی خاص مخصوص درویشان آن سلسله است وتاج نمدی بیدرز برسر گذارند ومشایخ ایشان عمامهٔ نیز برآن تاج بیندند وذکروفکر ومراقبت اورادوسماع وحلقهٔ ذکرجلی درمیان ایشان متداولست ودرهنگام سماع نی ودف میزنند درآن سلسله قانون است که چون خواهد کسی در آن طریقه درآید باید که مدت هزارویکروز خدمت نماید براینموجب که چهل روز خدمت چهارپایان کند وچهل روز خدمت فقرا نماید و چهل یوم آب کشی وچهل یوم فراشی وچهل یوم هیزم کشی وچهل یوم طباخی وچهل یوم حوائج ازبازار آوردوچهل یوم خدمات مجلس درویشان کند وچهل یوم نظارت نماید برین نسق تامدت مقرره تمام شود اگر چنانچه یکروز ازآنمدت ناقص گردد باید که خدمت را ازسر گیرد و چون تمام کند آنکس را غسل توبه دهند ازجمیع محرمات و کسوت از سرکارخانقاه بوشانند وتلقین اسم جلاله براو کنند وحجره جهت آسایش وعبادت بوی دهند وطریق ریاضت ومجاهده تعلیم وی نمایند وآنکس برآن قاعده وقانون مشغول شود تاآنکه صفائی درباطن او ظاهر گردد

مخفی نماند که صوفیه گفته اند که مولانا رامذهب شیعه بوده وبر طریقهٔ حقه عمل مینموده وبر اینمطلب شواهد بسیاراست والله اعلم

خلاصه شرح حال مولانا

مولانا جلال الدین محمدبلخی مشهوربه مولانای روم درششم ماه ربیع الاول سال ٦٠٤ هجری قمری در قبة الاسلام بلخ (یکی از چهار شهربزرگ خراسان که پیش ازهجوم مغول منتهای آبادی راداشته) متولدشده در سال ششصدونودونه بمعیت پدربزرگوارش ازخراسان بآسیای صغیر مهاجرت گزیده وهم آنجا درپنجم جمادی الاخرهٔ ششصدو هفتادوسه بریاض خلدخرامیده وپهلوی ضریح پدرش مدفون شده است

مولانا درشعر چنانکه دربسیاری از غزلهایش بطریق تلمیح آورده است خاموش تخلص میکرده و اورا علاوه بر جلال الدین بلقب خداوندگار نیزمیخوانده اند و اطلاق خداوندگار بمناسبت سلطنت وحکومت ظاهری وباطنی اقطاب برمریدان خود دراعتقادصوفیان تناسب تام دارد. شهرتش برومی یامولانای روم بواسطهٔ طول اقامت

در آسیای صغیر بوده . وچون سلجوقیان آن خطه‌را از امپراتوری روم شرقی منتزع کرده بودند شاخه‌ای ازسلسلهٔ سلجوقی که در آنجا استقرار یافت معروف بسلاجقهٔ روم شد . ولی لقب مولوی تازه‌است

نسب مولانا به‌دو واسطه به‌ابوبکر صدیق می‌پیوندد ومطابق تحقیقات آقای کاظم‌زادهٔ ایرانشهر بدین ترتیب است : جلال‌الدین محمدبن بهاءالدین محمدبن‌حسین‌بن احمدبن محمودبن مودودبن ثابت‌بن مسیب‌بن مطهربن حمادبن عبدالرحمن‌بن ابی‌بکرالصدیق

نیای مولانا حسین‌بن‌احمدخطیبی از افاضل خطهٔ‌خراسان‌بشمار میآمده از خاندان علم وعرفان وپدربرپدرازمشایخ کبار بلخ‌بوده بروایت شمس‌الدین احمد افلاکی درمناقب‌العارفین امام‌رضی‌الدین نیشابوری از اجلهٔ فقهای قرن ششم درمحضروی تلمذ کرده.جدهٔ مولاناازخاندان‌جلیل‌خوارزمشاهیان‌وظاهراً دختر قطب‌الدین‌محمدبوده

پدر مولانا بهاءالدین محمدبن‌حسین ملقب بسلطان العلماء مشهوربه‌بهاءالدین‌ولد معروف‌به مولانای‌بزرگ ازبزرگان‌صوفیان ایران‌تربیت‌یافتهٔ شیخ‌اجل‌ابوالجناب نجم‌الدین‌احمدبن‌عمرخوارزمی معروف به کبری بوده و خرقه‌اش به‌سبب عماریا سر و ابوالنجیب سهروردی‌به‌شیخ‌احمدغزالی‌میپیوسته.بروایت‌فریدون سپهسالار(از یاران‌مولانا که‌رساله‌ای‌درسوانح‌زندگانی‌مولانا گردآورده)شهرت‌علمی سلطان‌العلماء،باندازه‌ای،بودکه‌ازاقصای‌خراسان‌فتاوای‌مشکل‌رابحضرت او آوردندی ودرشهر بلخ مسند افاضت و ارشاد داشته خواص و عوام آن‌خطه اوراعظیم معتقدبودندپیوسته بامر معروف ونهی‌از منکراشتغال‌داشت‌وهرگاه که‌مجلس میگفتی گروه بیشماری از هر طبقه درپای منبر وعظش گرد میآمدند واوبرهمهٔ دلها مشرف‌بود

مسلك تصوف ازقرن‌پنجم هجری باینطرف درمیان مسلمین رونق و عظمت تمام‌یافته ازخواص گذشته در تودهٔ عوام هم منتشر شده‌بود . اقطاب مشایخ‌روش‌خویش‌را بدین ومذهب‌نزدیك ساخته سخنان‌ومجالس خودرابذکرخداورسول وآیات‌واحادیث‌میآراستند و در دورهٔ که بیشتر علماء فقه وحدیث بواسطهٔ تصدی شغل قضا آلایش مادی پیدا کرده حدود شرع را مهمل میگذاشتند رؤسای صوفیه به‌ترك‌دنیا و اعراض ازامراء و عزلت و انقطاع ظواهر حال خودرا میآراستند

بواسطهٔ‌مخالفتی که میان صوفیه و حکما بود سلطان‌العلماء علناً در محضر وبرسرمنبر بآنان بد میگفته وپیروان فلسفهٔ‌یونانرا گمراه و مبتدع میخوانده خصوصاً بامام فخرالدین محمدبن عمر رازی از بزرگان حکماو متکلمین‌عصر که‌در آن اوقات درخوارزم اقامت داشته استاد و مصاحب‌سلطان علاءالدین محمد خوارزمشاه بوده است تعریض میکرده

بروایت افلاکی سلطان العلماء درنتیجهٔ دسته‌بندی علماءمعقول ومنقول ومکدرساختن صفای آئینه خاطر خوارزمشاه نسبت بوی‌از سلطان‌ومردم بلخ رنجیده تصمیم بمهاجرت داد (از جملهٔ ساعیان‌نام امام‌فخروقاضی‌زین‌فزاری ورشیدقبائی‌ذکرشده‌است)سلطان‌العلماء در نیشابورشیخ عطارراملاقات نمود که‌اسرار نامه‌را بمولانا که‌در آنوقت پنجساله بود بخشیدواز آنجا بعزم‌حج بیت‌الله‌الحرام رهسپار بغداد شدوبروایت‌نورالدین‌عبدالرحمن‌جامی درنفحات‌الانس‌روزیکه باخانواده‌ومریدان بدارالسلام درآمد جمعی‌پرسیدند که : اینان‌چه طائفه‌اند ، ازکجا میآیندوبکجامیروند؟ گفت : من‌الله والی‌الله‌ولا قوة الاباالله . این سخن‌را بسمع‌عارف مشهورشیخ‌شهاب‌الدین‌عمربن محمد سهروردی‌رسانیدندفرمود:ماهذاالابهاءالدین البلخی؟وموکب سلطان‌العلماء را استقبال کرد

باحسن‌پذیرائی شیخ واقبال‌خواص اهل‌عرفان سلطان‌العلماء سه‌روز بیشتر دربغدادنمانده‌روزچهارم ازمرکزخلافت‌اسلامی روانهٔ حجازشد وپس ازگزاردن مناسك حج وتشرف بمدینهٔ طیبه بعزم بیت‌المقدس وزیارت‌مزارسایرانبیاءعظام‌ازحجازرهسپارشام گردید، اهل‌شام‌خواستند اورا نگاهدارند نپذیرفت وبطرف‌ارزنجان‌رفت و چهارسال‌در آن‌خطه‌رحل‌اقامت‌افکندوازفخرالدین‌بهرامشاه‌حکمران ارزنجان‌وپسرش‌علاءالدین‌داودشاه‌اقبالهادیدمولانادرهیجده‌سالگی درشهرلارنده بفرمان‌پدر گوهرخاتون دختر خواجه‌لالای‌سمرقندی را بهمسری اختیار کرد وبهاءالدین محمدمعروف بسلطان‌ولد و علاءالدین‌محمد ازین اقتران بوجودآمدند بروایت افلاکی‌سلطان العلماء،پس‌ازچهارسال اقامت‌درملاطیه وهفت‌سال‌درلارنده‌بخواهش علاءالدین کیقباد دوازدهمین پادشاه سلجوقی روم بشهر قونیه که دارالملك‌بودرفت. شاه‌وامیران‌بزیارتش آمدند و ازسرصدق دست ارادت دردامانش‌زده درمراعات‌جانب‌او لوازم‌اهتمام بعمل‌میآوردند وپای‌وعظش‌می‌نشستند واهل‌روم ازجان‌ودل بوی گرویدند .

ازانتقال‌سلطان‌العلماء به‌قونیه‌بیش‌ازدوسال نگذشته‌بود که‌تن بربستر ناتوانی‌نهاده درسنهٔ ششصدوبیست‌وهشت زندگانی‌رابدرود گفت.مردم‌شهردرعزای‌اورستخیزعظیم‌برپا کردند.سلطان‌علاءالدین یکهفته درمسجدجامع‌خوان‌نهاد ومالهابفقرابخش کرد.چون‌پدرسر درحجاب‌خاك کشیدمولانا که‌در آنهنگام‌بیست‌وچهارساله‌بودبخواهش پادشاه وامراء والحاح‌مریدان‌برجای‌وی برمسندوعظ وافادت‌نشست ویکسال‌تمام‌دورازطریقت،مفتی‌شریعت‌بود که‌سیدبرهان‌الدین‌محقق ترمدی ازشاگردان سابق‌سلطان‌العلماءوخواص‌اولیاء صوفیه‌بقونیه رسیدو درآنشهربساط‌ارشاد ودستگیری‌خلایق بگسترد ومولانارا در علوم ظاهری بیازمود و گفت : پدربزرگوارت راهم علم قال بکمال‌بود وهم‌علم‌حال چون درعلوم شریعت وفتوی‌جانشین‌اوشدی میخواهم که درعلم‌حال‌هم سلوکها کنی تاخلف‌صدق‌پدرباشی‌اگر مریدشوی مرادیابی وآنچه ازاو بمن رسیده دیدنیست نه آموختنی مولانا برغبت تمام براوبگروید وبروایت‌سپهسالار مدت نه‌سال‌سرو کارش باسیدبرهان‌الدین بودوبراهنمائی آنعارف کامل طریق‌سیر وسلوك‌میپیمود .بروایت افلاکی مولانا دوسال‌پس‌ازمرگ‌سلطان العلماء باشارت سید باچندنفرازمریدان پدربجانب‌شام عزیمت کرد تامرتبهٔ کمال خودرا درعلوم ظاهر باکملیت رساند . ابتدا درشهر حلب بمدرسهٔ حلاویه‌نزول فرمود و از حوزهٔ درس‌مدرس‌دانشمند آن‌مدرسه‌کمال‌الدین‌ابوالقاسم‌عمربن‌احمدمعروف‌بابن‌العدیم‌استفادها برد وپس‌از آنکه سه‌سال درحلب به‌تحصیل علوم‌اسلامی پرداخت رهسپاردمشق‌شد.علماومعارف‌شهرمقدمش‌را گرامی‌داشته‌درمدرسهٔ قدسیه فرودش‌آوردند وخدمات‌شایان بتقدیم‌رسانیدند .

مولانا چهارسال در کرسی‌شام که در آنهنگام مرکزبزرگان و مجمع‌علم‌وعرفان‌بودبه‌زهدوریاضت‌تمام‌درتکمیل‌معارف‌دینی‌کوشیدو هدایه‌را که‌کتاب‌جامعیست درفقه حنفی دارای شروح وتعلیقات و حواشی بسیارتألیف شیخ‌الاسلام برهان‌الدین‌علی‌بن‌ابی‌بکرمرغینانی نزداساتیدفن بدقت‌دیدوهم درین شهربفیض صحبت عارف مشهور محی‌الدین العربی وبزرگان‌دیگرنائل گردید

مولانا پس‌از هفت‌سال مسافرت بقونیه‌بازگشت و بدستور سیدبرهان‌الدین بریاضت‌پرداخته‌سه‌چلهٔ‌متوالی‌برآوردتانقدوجودش بی‌غش‌وتمام‌عیار بلکه سراپا نور گردید . چون‌جان‌پاك‌سیددرسنهٔ ۶۳۸ ازخاکدان‌تن بقرب قدس‌انتقال یافت مولانا در دارالملك قونیه برمسند ارشاد وتدریس متمکن گردیده به‌تربیت مستعدان همت گماشت‌مریدان‌بسیار بروی گردآمدند وپروانه‌وارپیرامن‌شمع وجودش‌میگردیده‌حضرتش‌را پیشوای‌دین‌ومفتی‌شریعت وراهنمای طریقت میشناختند

مولانا نزدیك‌پنج‌سال بسنت جدوپدرهم درمدرسه‌بتدریس فقه ودیگرعلوم‌اسلامی‌میپرداخت وهم‌برسم‌زهدپیشگان‌آنزمان‌مجلس وعظوتذکیرمنعقدساخته ومردم‌را تبشیر وتنذیرمیکرد. همه‌روزه طالبان علم که بگفتهٔ دولتشاه‌سمرقندی عده‌شان بچهارصد میرسید متناوباً درمدرس‌ومحضرش برای‌استفاده‌حاضر میشدندوصیتش در اطراف جهان‌منتشر گردید .

مولاناسرگرم تدریس وقیل‌وقال مدرسه‌بود فتوای شرعی

مینوشت وازیجوزولایجوز سخن‌میراند وخاق بعلوم‌ظاهر وزهدو ریاضت اوفریفته شده‌بخدمت‌ودعای وی‌تبرك‌میجستند که ناگهان آفتاب عشق‌وشمس‌حقیقت پرتوی‌بر آن‌جان‌پاک افکند. آن‌طوفان عظیم که‌این‌اقیانوس آرام‌را‌متلاطم‌ساخت شمس‌الدین‌محمدتبریزی ژولیده پیری‌از پیران‌صوفیه بود که نفسی گرم و جاذبه‌ای قوی و بیانی مؤثر داشت

بروایت افلاکی شمس‌الدین محمدبن‌علی‌بن‌ملك‌دادتبریزی (که گویندپدرش اصلا ازباوردخراسان‌بوده وبتجارت به آذربایگان رفته) ابتدادست ارادت بدامان‌شیخ ابوبکرزنبیل‌باف که‌در کشف القلب‌یگانهٔ‌زمان‌خودبود زده چون‌درسیروسلوك درجهٔ کمال یافت درطلب‌کاملتری سفری‌شد وسالها گردبلادوامصاربر آمده ازشهری بشهری راه‌میپیمودوبااهل راز وریاضت‌انس والفت مینمود پیوسته نمدسیاه میپوشیدوهمه‌جادرکاروانسرای منزل‌میکردوبخدمت‌چندین ابدال واوتاد و اقطاب رسیده اکابرصورت ومعنی‌رادریافته‌بود

شمس‌تبریز بامداد روزدوشنبهٔ ۲۶ جمادی‌الاخره سال۶۴۲ بقونیه‌رسیده درخان‌شکر ریزان نزول کرد . ودریك مجلس چنان مولانارا مجذوب وفریفتهٔ‌خودساخت که منبر ومحراب وحوزهٔ‌درس ومسند ارشادرا رهاکرده حلقهٔ‌بندگی‌اورا بگوش کشید !

آفتاب‌دیدارشمس چنان‌برروان‌مولانابتافت‌وآتش درخرمن هستی اوزد که‌هرچه جزمعشوق‌باقی‌بسوخت

چگونگی‌دیدارپیرتبریزی را بامولاناباختلاف‌ذکر کرده‌اند محی‌الدین عبدالقادر مصری مؤلف الکواکب المضیئه فی‌طبقات الحنفیه درسبب‌تجرد وانقطاع مولانا مینویسد که: روزی درحجره نشسته‌بودو کتابی چند پیرامون خودنهاده وطالب علمان بروی‌گرد آمده‌بودند شمس‌الدین‌قلندروار درآمد وسلام‌گفت ودرصف نعال بنشست واشارت‌بکتب کرده پرسید : این‌چیست ؟ مولانافرمود تو این‌ندانی‌هنوزاین‌سخن بانجام‌نرسانیده‌بودکه آتش‌در کتابهاو کتابخانه افتاد ! مولاناپرسید این‌چه‌باشد؟شمس گفت‌تونیزاین‌ندانی!برخاست وبرفت‌مولانامجردواربر آمدوترك‌مدرسه و یاران‌وفرزندان گفت.

مطابق روایت سلطان ولدپسرمولانادر ولدنامه:عشق مولانا بشمس‌الدین مانند جستجوی موسی‌است ازخضر که بامقام شامخ رسالت ورتبهٔ کلیم اللهی‌بازهم مردان خداراطلب میکرده .

مولانا که‌تا آنروز خلقش‌بی‌نیازمیشمردند نیازمندواربدامن شمس که از مستوران قباب‌عزت‌بود درآویخته یکجا اسیرعشق و جذبهٔ‌وی گردید ومطلوب‌را بخانه‌برده‌بااوبخلوت‌نشست ودربرآشنا وبیگانه ببست و آتش استغنا در محراب‌ومنبرزده ترك‌مسندفتوی‌و تدریس و کرسی‌وعظ وتذکیربگفت وباهمهٔ‌استادی درخدمت معلم عشق‌زانو زده نوآموز گشت

بروایت افلاکی‌این‌خلوت‌بچهل‌روزیاسه‌ماه کشید

شمس‌الدین‌بمولانا چه‌آموخت وچه‌فسون‌ساخت که‌او ازهمه‌چیز وهمه کس گذشته خودرا نیز درقمار محبت‌باخت برمامجهول‌است . ولی کتب مناقب وآثاربرین متفقند که‌مولانا پس‌ازین خلوت روش خودرا بدل‌ساخت ، وبجای‌قیل‌وقال‌مدرسه واهل بحث وجدل گوش به نغمهٔ‌جانسوز نی وترانهٔ دلنوازرباب نهاد، بااینکه قبلاشب‌تابصبح درنمازبود وهرسه‌روزیکبار روزه‌میگشاد ـ وچیزیکه‌مولانارا از همهٔ رسیدگان‌جهان ممتازمیسازد همین تحول‌روحانی است که در پیوستن‌به پیر تبریزی برای‌اوپیش آمد

برشاگردان ویاران‌مولانا که‌باچشمهای‌غرض‌آمیز بشمس‌الدین مینگریستند تمکین‌او که شیخ‌وشیخ‌زاده ومفتی‌ومدرس ومذکربود نسبت بمردیکه بنظرشان لاابالی وبیرون ازاطوار معرفت میآمد سخت گران‌وناگوارمینمود.مریدان نیز شکایت وتشنیع آغاز کردند فقها وزهادحتی عوام قونیه‌هم ازتغییر روش مولانا خشمگین شدند

بالاخره‌شمس پس‌از شانزده‌ماه ازگفتارورفتار ایشان که اورا ساحر وجادو میخواندند رنجیده بیخبرسرخویش گرفت و برفت .

مولانا درطلب اوبقدم جد ایستاد وپس‌از جستجوی بسیار خبریافت که گمشدهٔ‌او دردمشق شام‌است . نامه وپیام متواتر کرد وپیك‌درپیك‌پیوست ، غزلهای سوزناك سروده بخدمت شمس‌الدین فرستاد آن‌نامه های‌منظوم که‌قدیمترین اشعار تاریخی مولاناست‌در دل شمس اثربخشیده متمایل گردید که‌باردیگرعنان مهر بسوی‌آن عاشق دلسوخته بتابد . مریدان ویاران مولاناهم که‌در نتیجهٔ‌غیبت شمس‌الدین و پژمردگی ودلتنگی مولانا ازفیض دیدار وحلاوت گفتار وذوق تربیت‌اوبی‌بهره مانده موردبی‌عنایتی شیخ‌خود واقع گردیده‌بودند از کرده‌پشیمان گشته دست انابت دردامن غفران وی زدند . مولاناعذرشان‌پذیرفته‌فرزندخودسلطان‌ولدرابدمشق‌فرستاد

سلطان‌ولد نقودچندی نثارقدم‌شمس کردوبندگیها نموده پیغامهای پدررا برسانید دریای مهرشمس جوشیدن گرفت و گوهر های حقایق‌برسلطان ولدافشانده رهسپار قونیه گردید وسلطان‌ولد بیش‌ازیکماه ازسرصدق ونیاز پیاده درركابش راه میپیمود

مولاناازرسیدن شمس‌خاطرش چون گل ازنسیم‌صباشکفت مریدان‌ویاران‌پوزشها کردند وهریك‌باندازهٔ‌وسع‌خویش‌خوان‌نهاده وسماع دادند ـ مولاناچندی باپیر تبریزی تنگاتنگ‌صحبت داشته درخلوت بروی غیر ببستند ،گاهی‌هم بااوبصحرا رفته وخوش‌شور وغوغائی داشتند ولی‌رفته‌رفته بازمریدان ویاران مولانا وخواص وعوام‌قونیه درخشم آمده بدگوئی وشناعت‌آغاز کردند مولانارا دیوانه وشمس‌الدین را جادو خواندند

ظاهراً علت تشنیع فقها وزهاد و هیجان عوام آن بود که مولانا پس از اتصال به‌شمس ترك وعظ و تدریس گفته بسماع و رقص نشست وجامه ودستار فقیهانه‌را به فرجی هندباری و کلاه‌پشم عسلی بدل کرد وفرمود رباب‌را که ازقدیم‌العهد عرب چهارسوبود شش‌خانه ساختند وشب و روز بوجدوسماع‌پرداختند

مولانا مریدان قدیم‌خالص داشت که‌بعضی ازبلخ‌دررکاب‌پدرش بقونیه آمده‌بودند وعدهٔ‌هم دربلاد آسیای‌صغیربدین خاندان پیوسته بودند و اورا عالم ربانی وپیشوای بحق وشیخ‌راستین وقطب‌زمان میدانستند پس‌از آمدن‌شمس‌الدین وانقلاب حال‌مولانا دستشان‌از دامان شیخ‌خود کوتاه ماندتشنیع فقها وزهادهم مقوی این کدورت گشته آنانرابدشمنی‌شمس وامیداشت،احتمال قوی میرود که‌دسته‌ای ازخویشان وبستگان مولانا نیز که‌ازشکست کارخود نگران بودند با این گروه در آزار شمس‌الدین‌همدست‌شدند

بروایت سلطان‌ولد چون مریدان و یاران وبستگان مولانا بکین شمس کمربستند پیر تبریز دل‌ازقونیه برکند و مصمم‌شد که چنان رود که دیگر خبرش‌هم بدورو نزدیك نرسد . این سخن‌را با سلطان ولد در بین نهاد و ناگهان از میان همه گم‌شد و انجام کارش معلوم نشد !

چون‌شمس‌حقیقت‌درزیر ابراسرار ناپدید شد اخبار واراجیف که‌شایدبعضی‌از آنراهم دشمنان‌برای رنجش‌خاطرمولانا میساختند ازهم نمیگسست ، خبرمرگ وقتل وحیات شمس‌الدین همه‌روزه بگوش میرسید ، مولانادرجوش و خروش ومیان امید ونومیدی سرگردان بود و بروایت دولتشاه در آرزوی شمس میسوخت و قوالان رامیفرمود تاسرودعاشقانه‌میگفتندوشب وروزبسماع اشتغال داشتند وبیشتر غزلیاتش درفراق‌شمس‌الدین‌است .

چون ازمجموع اخبار مستفادشد که مشرق‌آفتاب عشق دمشق شام‌است وتشنیع فقیهان وجنبش‌عوام قونیه‌هم خاطر مولانارا سخت افسرده بود درطلب یار گمشده رهسپار شام گردید وخلقی بسیار درپی اوروان گشتند.مولانا دردمشق‌همچنان مجلس سماع ورقص ساز کردوپیوسته بافغان وزاری شمس‌تبریزی‌راازهرکوی وبرزن میجست‌ونمی‌یافت وازشدت اشتیاق ناله‌های پرسوز ازدل‌برمیآورد و اشعار غم‌انگیز میسرود . دمشقیانی که اهل دیدبودند بمولانا گرویده مال‌وخواسته در قدمش‌نثار میکردند وبرخی دیگر که‌از

سر کار آگهی نداشتند از حالاتش در شگفتی میماندند و میگفتند آن کیست که این بزرگ مردرا چنین فریفته و دلباختهٔ خود ساخته است.

چون کوشش مولانا در طلب شمس الدین بجائی نرسید ناچار باجمع مریدان بقونیه باز آمد و سماع بنیاد کرد و پس از سالی چند باز عشق شمس سر از گریبان جانش در آورده بار دیگر روی بدمشق نهاده ماهها درشام بجستجو گذرانید لکن این بار نومیدی تمام بحصول پیوست. ولی بقول سلطان ولد اگرچه مولانا شمس را بصورت در دمشق نیافت ولی بمعنی درخود یافت - پس از آنکه مولانا از وصول بشمس الدین نومید شد بقونیه باز گشته بتربیت و اصلاح خلق پرداخت و بجدی تمام به تکمیل ناقصان و ارشاد سالکان مشغول شد

مولانا که در علم و عرفان بمقام بلندی رسیده بود نظر باستغراقی که خود در کمال مطلق و جلوات جمال ربوبیت داشت پیوسته یکی از یاران گزین را بدستگیری و ارشاد طالبان برمیگماشت. نخستین بار صلاح الدین فریدون زرکوب قونوی را منصب شیخی و پیشوائی داد . یاران و مریدان که در آتش عشق نگداخته و در بوتهٔ ریاضت و سلوك از غش هوی و وهم پاك برنیامده بودند بجز مولانا هیچکس را قبول نمیکردند و شیخ صلاح الدین را که بروایت افلاکی مردی بیسواد و در بازار قونیه بزرکوبی روزگار میگذرانید برای دستگیری و راهنمائی سزاوار نمیدیدند بار دیگر سراز فرمان مولانا پیچیده بدشمنی صلاح الدین برخاستند و سخنان گزنده درحقش گفته بر آن شدند که اورا ازمیان بردارند مولانا علی رغم منکران حسود دیده بر شیخ صلاح الدین گماشت و عنایت و لطف را نسبت باو بحدی رسانید که پیوستگان و فرزندان خودرا فرمان داد تا دست نیاز در دامن وی زنند و از فرط علاقه فاطمه خاتون دختر صلاح الدین را برای سلطان ولد عقد بست ولی پس از دو سال صحبت بی انقطاع ناگهان شیخ صلاح الدین رنجور شد و بیماریش سخت دراز کشیده درسنهٔ ۶۵۷ در گذشت

بعد از مرگ صلاح الدین توجه مولانا بحسام الدین حسن چلبی معروف به ابن اخی ترك معطوف شد و اورا منصب شیخی داد حسام الدین از نخبهٔ مریدان مولانا بود که در زهد و تقوی و معرفت دارای مقامی رفیع و در رعایت دقایق شریعت بی نهایت مراقب بود

دوستی مولانا نسبت به چلبی بجائی رسید که لحظه ای خاطرش بی او نمیشکفت و اورا برفرزندان خود ترجیح داده و آنچه از زخارف دنیوی برایش میرسید فوراً بحسام الدین میفرستاد و یاران و مریدانهم که در طول مدت مهذب و مؤدب شده بودند پیشوائی چلبی را با کمال میل پذیرفته در پیشگاه او سر تمکین نهادند

بهترین یادگار ایام صحبت مولانا با شیخ حسام الدین نظم مثنوی معنویست که یکی از شاهکارهای ادبی ایران و بزرگترین و عالیترین اثر متصوفهٔ اسلام می باشد

سبب افاضهٔ این فیض از وجود مولانا چلبی بوده که چون میدید یاران بیشتر بقرائت آثار شیخ فریدالدین عطار نیشابوری و شیخ ابوالمجد مجدود سنائی غزنوی مشغولند شبی در خلوت از مولانا درخواست کرد کتابی بطرز منطق الطیر عطار یا الهی نامه سنائی (حدیقه) بنظم آرد مولانا فی الحال از سر دستار خود برگی که هجده بیت از آغاز دفتر نخستین مثنوی بر آن نوشته بود بیرون آورده بدست او داد

جذب و کشش حسام الدین بار دیگر دریای طبع مولانا را بجنبش در آورد و شور و شوق دیگر داد . شبها حسام الدین در محضرش می نشست مولانا ببدیههٔ خاطر شعر میسرود و رموز و اشارات عالم غیب را بشیوهٔ سخن گستری بیان میکرد و او مینوشت . چون دفتر نخستین مثنوی بانجام رسید همسر حسام الدین در گذشت و شیخ را پراکنده دل و غرق سکوت کرد طبع مواج مولانا هم که مشتری نمیدید از تلاطم افتاد دو سال تمام در نظم مثنوی تأخیر شد تا بار دیگر تفرق خاطر چلبی بجمعیت مبدل و خواهان انجام مثنوی شد

صحبت مولانا با شیخ حسام الدین پانزده سال امتداد یافت و یاران و مریدان از اثر صحبت آندو فوائد بیشمار میبردند و به ارادت تمام بخدمت آنان مسابقت میورزیدند مولانا از زحمت ناقصان تاحدی آسوده خاطر و در صحبت چلبی بود و یاران پروانه وار گرد شمع وجودش میگردیدند که ناگاه آن توانای عالم معنی به حمای محرق در بستر ناتوانی بیفتاد ، هرچه طبیبان بمداوا کوشیدند سودی نبخشیده مقارن غروب روز یکشنبه پنجم ماه جمادی الاخرهٔ سال ۶۷۲ در سن شصت و هشت سالگی روح پرفتوحش بریاض قدس اتصال یافت. بروایت افلاکی در شب آخر که مرض مولانا سخت شده بود خویشان و پیوستگان اضطراب عظیم داشتند و سلطان ولد هم هردم بیتابانه بسر پدر می آمد مولانا این غزل آتشین را نظم فرمود :

روسر بنه ببالین تنها مرا رها کن ترك من خراب شب گرد مبتلا کن

مسلمین قونیه از خورد و بزرگ در تشییع جنازهٔ مولانا حاضر شدند یهود و نصارای آنشهر نیز که صلح جوئی و نیکخواهی ویرا آزموده بودند بهمدردی اهل اسلام شیون و افغان میکردند . بروایت محمود مثنوی خوان در ثواقب مسلمین از یهود و نصاری پرسیدند که : شمارا با مولانا چه تعلق بوده است ؟ گفتند: اگر مسلمانان را بجای محمد بود ما را هم موسی و عیسی بود و اگر شمارا پیشوا و مقتدی بود ما را هم همان بود که قلب و فؤاد ماداند ؛ شیخ صدرالدین ابوالمعالی محمد بن اسحاق قونوی از بزرگان علماء تصوف و مشاهیر شاگردان شیخ محی الدین عربی بر مولانا نماز گزارد و از شدت بیخودی و درد پس از سلام شهقهٔ زده از هوش برفت جنازه را بحرمت تمام برگرفته در ارم باغچه نزد ضریح منور پدرش (سلطان العلماء) مدفون ساختند

بروایت افلاکی قاضی سراج الدین ابوالثنا محمد بن ابوبکر ارموی از اجلهٔ علماء عصر در برابر تربت مولانا این بیتها برخواند

کاش آنروز که در پای تو شد خار اجل دست گیتی بزدی تیغ هلاکم برسر
تا درین روز جهان بی تو ندیدی چشمم این منم بر سر خاك تو که خاکم برسر

مدت چهل روز یاران و مردم قونیه تعزیت مولانا میداشتند و با ناله و گریه برفوت آن سعادت آسمانی دریغ و حسرت میخوردند

علم الدین قیصر که بروایت افلاکی از اکابر قونیه بود باسرمایهٔ سی هزار درم همت بست که بنائی بر سر تربت مقدس مولانا بنیاد کند وزیر معین الدین سلیمان بن علی مشهور به پروانه اورا به هشتاد هزار درم نقد و پنجاه هزار درم دیگر حواله مساعدت فرمود و قبهٔ موسوم به خضراء بر مرقد مبارك تأسیس یافت علی الرسم چندقاری و مثنویخوان در سر تربت مولانا بودند. سلطان العلماء پدرش و پنجاه تن از اولاد و جانشینان مولانا آنجا مدفونند .

آثار مولانا

آنمقدار از آثار مولانا را که باقی مانده بدو قسمت منثور (فیه مافیه - مجالس سبعه - مکاتیب) و منظوم (غزلیات - رباعیات - مثنوی) میتوان تقسیم کرد

۱ - فیه مافیه - مجموعهٔ تقریرات مولانا است که در مجالس خود بیان فرموده و پسرش سلطان ولد یا دیگری از مریدان یادداشت کرده و بصورت کتاب در آمده - موضوع فصول و مجالس و نتیجهٔ آنها مسائل اخلاق و طریقت و نکات تصوف و عرفان و شرح و تبیان آیات قرآن و احادیث نبوی و کلمات مشایخست، بسال ۱۳۳۳ هجری قمری در تهران و بعد در هندوستان و شیراز چاپ شده است و ما برای نمونه پارهٔ از موضوعات مختلف آنرا در صفحهٔ ۳۳ آثار مولانا نقل کرده ایم

۲ - مجالس سبعه که عبارت از ۷ مجلس از مواعظ مولانا است که بر سر منبر بیان فرموده و نسخهٔ خطی آن در اسکدار در کتابخانه سلیم آقا محفوظ بوده و سه سال قبل با اجازهٔ آقای ولد چلبی افندی و بسعی آقای محمد فریدون نافذ در استانبول چاپ شده است و ما برای آنکه همه بتوانند بآن دسترسی داشته باشند عین آنرا جزء آثار مولانا نقل کرده ایم

۳ - مکاتیب مولانا - مجموعهٔ مراسلات او بمعاصرین است که اخیراً در استانبول بسعی آقای فریدون نافذ چاپ شده و ما ۷ مکتوب آنرا جزء آثار مولانا انتخاب کرده ایم

۴ - غزلیات - که بنام دیوان شمس معروفست و دوبار در هندوستان چاپ شده در حدود پنجاه هزار بیت میباشد که قسمتی از آثار دیگرانهم با اشعار مولانا مخلوط گردیده - اکثر غزلیات مولانا

باشور وبیقراری ازعشق وارادتیکه بشمس‌داشته ساخته‌شده و بنام شمس‌تبریزی تخلص کرده بقسمی که اگر کسی آگاه نباشد تصور میکند شمس‌شاعری‌بوده که اینهمه‌غزل را بنظم آورده(قریب صد غزل بنام صلاح‌الدین‌وحسام‌الدین وقریب‌دویست‌غزل هم نام خمش یاخاموش درمقطع آن‌ذکرشده) مابرای‌آنکه خوانندگان بسبك غزلیات مولانا آشناباشند ۲۳ غزل گلچین نموده‌درصفحات ۳٤ و ۳۵ چاپ کرده‌ایم.منتخب دیوان شمس که‌بوسیلهٔ‌رضاقلیخان هدایت انتخاب شده چندین‌مرتبه‌درتهران‌چاپ شده‌است

۵ـ رباعیات‌مولانا ـ درمطبعهٔ اختراستانبول‌بسال ۱۳۱۲هجری قمری‌چاپ‌شده متضمن ۱٦۵۹ رباعی‌است که قسمتی از آن بیشك متعلق بمولاناست وقسمتی‌مشکوك میباشد وبرای‌نمونه ۵٤رباعی درصفحه ۳٦ نقل شده‌است

٦ ـ مثنوی چنانکه سابقاً ذکر شد مثنوی را مولانا بخواهش حسام‌الدین چلبی‌شروع فرموده وازسال ٦۵۷ تا ٦٦۰ دفتر اول آنرا برشتهٔ نظم کشید وپس‌ازفترت دوساله‌به‌نظم‌دفتردوم‌پرداخت. تا انتهای دفتر ششم که از جهت مطلب بریده ومقطوع‌ماندو قصه شهزادگان‌بسرنیامده‌مولاناجان‌تسلیم فرمود وسوای ۱۸ بیت آغاز دفتراول که‌بخط مولانا نوشته‌شده بقیه‌را میفرموده‌و حسام‌الدین و سایرمریدان مینوشتند وبعد برای‌مولانا میخواندند اما دفترهفتم با یك‌مراجعهٔ اجمالی‌بابیات آن‌ازحیث‌طرزشعر و الفاظ غریب واعتقاد صاحب‌اسرار بامام‌فخررازی وغیره‌واضحست که‌ازمولانا نیست وما برای اینکه خوبی واستحکام اشعار مولانا واضح گردد بچاپ‌دفتر هفتم بدون‌شرح‌مبادرت ورزیده‌ایم تابدانند که هر که مثنوی‌ساخت مولانانمیشود.مثنوی قریب‌صد مرتبه‌درایران‌وهند واروپاو مصر و ترکیه‌چاپ‌شده‌وملاحسین کاشفی آنراملخص‌وبحسب‌مرام‌مرتب‌ساخته لب‌ولباب‌نامیده‌وچندین‌نفردیگرهم‌قسمتی‌از آنرابنام‌مثنوی‌الاطفال‌و خلاصة‌المثنوی ومنتخبات مثنوی وغیره گلچین نموده‌چاپ کرده‌اند

مثنوی حاضر

این‌بنده دردیماه‌سال۱۳۱٤درصددچاپ‌مثنوی‌برآمده‌وبرآنشدم که‌نسخهٔ‌چاپ‌مرحوم میرزامحمود خونساری‌راکه بتصحیح میرزای جلوه ودیگران رسیده بود عیناً باکشف‌الابیات بطبع‌رسانم اتفاقاً مثنوی خطی کهنه‌ای که بسال ۸٤۳ هجری نوشته شده بدست آمد که متأسفانه‌ازاول وآخرآن چندصفحه‌افتاده‌داشت‌وپس‌ازمقابله معلوم‌شدمثنوی‌محتاج اصلاح بسیاریست،دراین‌اثناآگاه‌شدم که‌نسخهٔ نفیسی‌ازمثنوی‌دراختیارحضرت‌استادی آقای‌سرتیپ‌عبدالرزاق‌مهندس بنایری‌است که بیك‌واسطه از روی‌خط بهاءالدین‌ولد پسر مولانا نوشته شده ونسخهٔ‌خطی‌دیگری ازاستاد معظم آقای ملك‌الشعراء بهار بعاریت گرفته شد که‌مولوی‌عبداللطیف‌با ٤۸ نسخهٔ‌مثنوی‌مقابله کرده وامتیازاتی داشت‌وهمچنین بدورهٔ مثنوی چاپ‌استاد نیکلسن ونسخ‌مرغوب چاپ هند و ایران مراجعه کرده در نتیجه مقابله‌کلیه نسخ فوق‌مثنوی‌حاضربدست‌آمد وبرای‌آنکه‌ابیات ملحقه بمثنوی که درنسخ قدیمه نیست (چون‌حتماً نمیتوان گفت که درمثنوی نبوده) امتیازی‌داشته باشد باعلامت ستاره(*)در جلو آن‌را نشانه کردیم تاخوانندگان محترم بدانند که‌آن‌ابیات دردونسخه کهنه خطی ومتن نسخه‌چاپ نیکلسن‌نیست وازدفترسوم که‌کلیه‌نسخ‌فوق مهیا بودبرای مزیدفایده‌نسخه بدلهائی‌هم درذیل ابیات افزودیم . اماذیل وشرح ابیات مشکله دفترنخستین رایکی‌ازمعاصرین‌نوشته وچون‌مطلوب واقع‌نشددفاتربعدراازروی‌هفت شرح‌مثنوی قدیم که‌حاجی‌سبزواری ومولوی‌عبداللطیف‌وغیرهم‌نوشته‌بودند گردآوردیم که‌همگانرابکارآید دفترهفتم‌را ازاین‌رو چاپ کردیم‌تاپارهٔ کوتاه‌فکران که‌تصورمیکنند مثنوی‌از حیث شعربرجسته‌نیست‌باشتباه‌خودبرخورده‌فرق مابین‌اشعار مولاناودیگرانرا که مثنوی‌هاساخته و هیچیك نتوانسته‌اندباوبرسند ملاحظه کرده باشتباه‌خود واقف گردند وبدانند که مثنوی علاوه‌بر توجه‌بمعنی‌وحقیقت از حیث ظاهر لفظهم آراسته و پیراسته است

پس‌ازخاتمه‌چاپ‌مثنوی درصدد تهیه کشف‌الابیات‌برآمده ودراینراه چهارسال رنج‌بردم ودرنتیجه کشف‌الابیات‌حاضربدست‌آمد که‌بانسخ سابق فرق واضحی‌ازحیث ترتیب منظم وسهولت‌مراجعه ومخلوط نبودن ب و پ و ج و چ و ک و گ و غیره دارد . اما کتاب لطائف‌اللغات‌فرهنگ‌جامعی ازلغات‌مثنوی بقلم‌مولوی‌عبداللطیف میباشد که‌درنتیجه صرف‌عمری درراه مداقه درمثنوی و تدریس آن ومقابله صدهانسخه‌بایکدیگر گردآورده،سابقاً نسخهٔ‌مغلوط‌وناقصی ازآن‌درهند بچاپ‌رسیده بود که‌بامراجعه بنسخ خطی‌نفیس‌تصحیح‌و درآخر کتاب‌ضمیمه گشت.وپس‌ازچاپ‌متن کتاب‌و کشف‌الابیات‌ولغت درصدد تهیه مقدمه برآمده‌برای‌آنکه‌مثنوی کاملا جامع‌باشد علاوه بر فهرست مطالب که بابتدای کتاب افزوده شد تمام مجالس سبعه وقسمتهائی ازسایرآثار مولانا ضمیمه‌شد وعلاوه برمآخذی که‌در ابتدای‌شرح‌حال‌ذکرشده رسالهٔ‌شرح حال بقلم سپهسالار وسه‌دفتر کتاب‌ولدنامه(که‌از آقای‌الفت خریداری‌شده)ومناقب‌العارفین‌هم‌در دسترس‌استفاده قرار گرفت.چهارقطعه‌عکس‌ازمولاناوآرامگاه او از کتاب آقای‌فروزانفر برداشته‌شده‌سه‌قطعه‌درابتدای‌مقدمه وقطعه چهارم دراینجا چاپ میشود

درگاه تربت مولانا

از آقای سیدیعقوب انوار که بامراجعه‌دقیق بمثنوی حاضر بنده راباشتباهات آن‌واقف ساختندوبرای‌تهیه‌غلطنامه‌استفاده‌بسیار کردم وازآقای علی‌قویم که کمکهای‌ذیقیمتی‌نموده‌اند تشکر کرده خداراسپاسگزارم که مقابله و چاپ مثنوی باهمه اشکالاتی که پیدا کرد وموانعی که برای آن پیش‌آمدپس‌از پنج‌سال‌پایان یافت.

دراینجا بامادهٔ‌تاریخی که‌شاعرشیرین گفتارمعاصر آقای‌پژمان‌برای چاپ‌مثنوی‌ساخته‌اندمطلب‌خودراخاتمه‌میدهم۲۰ر۱۲ر۱۹ محمدرمضانی

مثنوی آنشمع یزدانی فروغ — کش‌بود خورشیدحکمت‌زیرظل
کردچون‌ازمطلع‌خاورطلوع — پرتو مهرش فرود آمد به‌دل
خواست‌پژمان‌مطلعی‌خورشیدفر — تاطلوعش را بدان بخشدسجل
لیك چشم طبع و پای دانشش — این‌بتاریکی فروشد آن به گل
یاری‌ازشیخ‌بهائی‌جست‌وخواست — مصرعی خاطر فروزوغم‌گسل
آن‌بزرگ‌آوردسردرجمع‌وگفت — مثنوی باشد چوقرآنی مدل

۱۳۵۸

صفحه	سطر	اول بیت
		آ
۱۴۳	۳	آب آتش خو
۷۲	۱۱	« آتش‌راکشد
۱۹۳	۱۳	« آتش راکشد
۴۳۸	۳۷	« آن بحرین
۵۶	۲۶	« آورده‌بتحفه
۱۴۴	۳۴	« ازبالابستی
۱۸۸	۴	« ازجوشش
۲۴۳	۲۶	« ازسر تیرد
۲۹۴	۲۷	« از هر سو
۲۳۳	۲۵	« استاده
۴۴۵	۱۱	« اگر اینست
۲۷۷	۳	« اگردرروغن
۲۰	۲۲	« اندر حوض
۳۲۱	۲۲	« اندرناودان
۳۹۱	۳۷	« این دریا
۳۲۱	۲۳	« باران باغ
۵۵	۶	« بارانست
۲۹۶	۳۵	« باغ‌اینرا
۲۸۱	۲۸	« بر روزد
۲۶۱	۴	« بر فرعون
۷۲	۲۷	« بگذارید و
۲۸۲	۷	« بهر آن
۲۵۲	۱۶	« بیحد
۴۰۵	۱۷	« بیرون
۲۸۷	۱۶	« پنهانست
۳۲۹	۱۳	« تتماجست
۲۵۸	۱۴	« تتماجش دهد
۲۵۸	۱۵	« تتماجش‌نگیر
۳۷۷	۱۶	« تتماجی
۴۲۵	۴۳	« جان را
۶۴	۱۵	« جو سرگین
۱۳۲	۳۸	« جونسبت
۳۵۳	۴	« جیحون
۷۲	۱۷	« چشمه
۲۲۸	۹	« چون‌آمیخت
۱۲۹	۲۷	« چون انبه
۲۸۲	۷	« چون بیکار
۳۰۲	۲۲	« حاضر باید
۲۰	۴	« حلم
۴۶	۲۱	« حیوان بود
۵۲	۲۹	« حیوان‌خوان
۱۴	۹	« حیوان را
۳۵۰	۶	« حیوان قبله
۲۰۶	۲۹	« خضر از
۴۰۰	۴	« خضر است
۱۸	۲۲	« خمّ و
۴۰	۱۴	« خواه
۲۳۳	۳	« خود شیرین
۲۶	۳۰	« خوش را
۲۸	۱۴	« خوش کو
۳۰۶	۳۸	« دادی
۳۷۰	۲۲	« دارد
۸۷	۴	« در جوزان
۴۲۲	۳۴	آب در جوی
۵۲	۳۵	« در غوره
۲۲	۳۱	« در کشتی
۴۴۷	۲۰	« در مشك
۲۷۹	۱۰	« دریا را اگر
۳۸۴	۲۵	« دریاراحکم
۵۷	۲۴	« دریا مرده
۳۰۱	۱۵	« دیدهٔ او
۳۰۶	۱۱	« دیده پیش
۳۰۰	۱۵	« دیده‌تا
۲۲۳	۱۸	« ذکر حق
۱۵۷	۲۱	آبرا آبیست
۱۵۴	۲۶	« آرند
۴۲۵	۳۸	« اندر
۸	۲۹	« ببرید
۳۲۱	۳	« بستود
۱۰۴	۱۲	« در چشمه
۱۰۴	۱۱	« در غوره ها
۱۶۶	۳۰	« هر دم
۹۰	۱۰	« و خاك
۱۰۸	۴۰	آب رحمت
۲۸۰	۱۱	« روح
۳۲۹	۱۲	آب روها را
۹۷	۳۵	آب زور
۴۲۸	۳۰	« سر بر
۴۱۶	۴	« شوری
۱۵۰	۱۲	« شیرین تا
۳۲۲	۱۱	« شیرین‌چون
۵۷	۱۱	« شیرین و
۳۲	۳۳	« صافی
۱۹۳	۱	« صبرت
۲۴	۱۹	« عذب
۳۵۰	۷	« عشق تو
۴۹	۳۰	« غالب
۲۶	۲۳	« کاهی را
۸۷	۲۰	آبکش داد و
۱۰	۳۹	آب کم جو
۱۸۹	۵	« کم جو
۲۰۰	۵	« کوزه
۲۱۳	۳۵	« گردد
۳۳۷	۱	« گشتی بی
۱۰۰	۸	« گفت
۱۷۳	۱۳	« گل
۳۰۰	۳۳	آبگینه هم
۱۷۳	۱۱	آب ما محبوس
۳۹۹	۱۰	« مبدل
۲۰۴	۱۰	« میخوردی
۲۳۳	۲۲	« میخورزعفران
۹۷	۲۰	« میزدبانگ
۲۲	۳۳	« نتواند
۹۸	۱۸	« نور او
۹۵	۳۷	« نیل از
۲۷۱	۶	« نیل‌است‌این
۲۱۶	۱۷	« نیلست و
۲۶۱	۲۸	آب و آتش
۲۴۲	۲۲	« وحی
۲۲۴	۱	« و خاك‌از
۱۱۵	۲۱	« و خاك و
۲۰۱	۱۶	« و دانه
۲۹	۱۱	« و دریا جمله
۱۳۹	۳۷	« و روغن
۲۰	۱۲	« و گل‌چون
۳۶۹	۲۶	« و گل‌میدید
۲۳۰	۳۰	« و گل میگفت
۲۹۶	۳۴	آبها را
۲۹۶	۳۳	آب هش را
۳۸۷	۳۵	آبی و خاکی
۱۸۷	۱۲	آتش آنرا
۲۰	۱۰	«ابراهیم‌ادندا
۱۲۹	۳۳	«ابراهیم‌انبود
۳۸	۱۸	« ابراهیم‌رانی
۱۲	۲	« ارچه
۷۲	۲۵	« ازاستیزه
۴۱۲	۱۴	« از خرمن
۱۴۴	۳۰	« ازخورشید
۲۷۵	۳۶	« از قهر
۲	۵	« است این
۸۱	۵	« اندرزن‌بگر
۴۵	۱۹	« اندرزن‌بهر
۲۷۳	۹	« او را سبز
۱۹۳	۷	آتشت اینجا
۱۵۲	۲۸	« را
۱۴۳	۲۵	آتش ترك
۱۹۳	۷	« تو
۱۰۰	۱	« چه
۱۱۸	۲۵	« حرص
۱۱۸	۲۴	« خشم
۳۸	۳۰	آتشش پنهان.
۴۸	۲۲	« سوزد
۱۷۸	۳۷	« کردند
۱۱۸	۲۴	آتش شهوت که
۲۰	۱۱	« شهوت‌نسوز
۱۹	۳۴	« طبعت‌اگرشاد
۱۹	۳۳	« طبعت‌اگرغم
۱۰۷	۱۰	« ظلم
۲۲۸	۱۲	« عشق از
۲	۵	« عشق است
۳۴۴	۲۶	« عشقش
۳۵۶	۲۱	« ماهم
۹۹	۳۷	آتشم من بر
۹۹	۳۶	« من گر
۳۸۲	۳۷	آتش‌نمرودابراهیم
۲۵۴	۲۲	« نمرود را
۱۰۴	۲۲	« وآبی
۳۴۶	۹	« و باد
۱۳۹	۱۷	« و دود
۲۷۱	۲۹	« وسواس
۱۲۰	۱	آتشی از تو
۱۰۶	۱۷	آتشی از عشق
۷۲	۲۳	« افتاد
۳۲۲	۱۹	« اندر
۳۴۴	۲۴	« باید
۲۹۹	۳۲	« بودش
۲۰	۲۱	« بودند
۳۱۰	۱۰	« خوش
۲۷۲	۱۲	« درجان
۳۸۵	۳۱	« دیدی
۲۸۶	۹	« را شکل
۱۰۴	۴	« راگفت‌رو
۴۲۸	۳۵	« راگفت‌مامور
۱۱۷	۳۴	« زد
۹۲	۳	« کاصلاح
۲۴۵	۳۵	« کاول
۳۱۰	۱۰	« کنز
۲۸	۱۵	« کوباد
۴۲۹	۹	« که کردهٔ
۱۰۵	۳۵	« گرنامده
۳۸۵	۳۰	آتشین است
۱۱۸	۱۹	آتنافی دار
۲۱۱	۱۹	اثنیاکرها مقلد
۲۰۹	۱۸	«کرهامهار
۱۳	۲۸	آخر آدم
۳۰۳	۷	« ازاستاد
۸۴	۳۳	« ازبشه
۱۰۳	۲۲	« ازروزن
۱۲	۶	« الامر
۲۷۰	۵	« این‌اقرار
۹۷	۷	« این‌جان
۲۶۶	۲۴	آخرت قطار
۱۵۵	۴	آخرون‌السابقون
۳۴۷	۲۳	آخرین بنهاد در
۱۲۶	۴	آخرین قرنها
۱۴۱	۳۸	« کرّت
۵۴	۸	آدما آن
۲۲۱	۱۶	آدمًا تونیستی
۳۴۶	۱۵	آدم ازخاکست
۳۵	۲	ازفردوس
۳۹۸	۲۶	« اصطرلاب
۴۰۶	۳۸	آدما معنی
۱۲۹	۱۰	آدم انبئهم
۱۰۴	۵	« خاکی برد
۲۳	۱۴	« خاکی زحق
۲۵۴	۱۸	آدمست
۱۵۷	۲۲	آدم وحوا
۴۳۰	۲۹	« وعیسی از
۴۴۶	۲۲	« وعیسی پدر
۴۲۳	۱۶	آدمی اندر
۲۳۵	۱۱	« اول
۴۴۰	۱۵	« باریش
۴۳۹	۱۰	« باشدبصورت
۴۳۹	۹	« باشد بمعنی
۴۳۹	۱۱	« باشدکه
۳۲۲	۲۹	آدمی باش و
۴۳۶	۳۶	« بامرگ
۱۹۰	۱۸	« برخنگ
۳۵۴	۵	« برقدر
۳۵۴	۴	« بسرشته
۲۵۴	۲۰	« چون‌زاده
۱۴۱	۳۹	« چون‌کشتی
۹۹	۳۷	« چون نور
۲۰۸	۳۸	« حیوان
۸۳	۱۸	« خوارند
۴۲۳	۱۷	« خود
۱۱۴	۲۸	« داند
۸۹	۲۳	« در حبس
۳۶۴	۳۷	« دید ست
۳۰	۲۶	« دیده‌است و
۱۹۳	۲۳	« را اندك
۴۰	۱۴	« رااو
۳۲۳	۳۲	« راباهز
۳۲۳	۳۳	« رابا همه
۲۰۲	۳۱	« راخر
۲۳	۲۸	« را دشمن
۲۳	۲۶	« را زین
۲۴۲	۱۳	« را شیر
۱۹۰	۸	« راعجز
۸۸	۲۶	« را فربهی
۳۲۹	۲۹	« راکس
۲۱۷	۲۸	« را نیز
۲۷۶	۱۱	« راهست حس
۱۸۵	۵	« راهست در
۴۳۷	۲۲	« را هم
۳۵۶	۲۲	« فربه
۱۲۰	۳۴	« کوعلم
۴۰	۳۱	« کومی
۱۵۳	۸	« کوهیست
۱۸۵	۳۰	« که بو
۹۲	۱۴	« مخفیست
۸۳	۵	« مر مار
۱۶۱	۳	« منکر
۲۰۵	۳۹	« نزدیك
۲۰۶	۲	« همچون
۱۱۱	۱۰	آرد را پیدا
۳۸۶	۱۶	« سازد
۳۰۴	۱۴	« گشتی
۳۵۸	۲	آرزو بگذار
۳۵۷	۳۳	« جستن
۵	۱۵	« میخواه
۱۹۰	۹	« ی‌گل
۴۴۷	۱۶	آرمیدی
۲۵	۱۵	آری این
۲۳۴	۱۱	آزمایش
۱۱۴	۳۴	آزمودم عقل
۱۹۸	۳۸	آزمودم مرگ
۱۹۸	۱۱	آزمودم من
۱۴۲	۲۹	آزمودی تو

صفحه	سطر	اول بیت
۳۷	۱۹	آستان و
۳۷۹	۱	آستین پیرهن
۴۲۸	۷	آسمان اول
۸۲	۵	« در
۱۸۳	۳۳	« را
۳۲۱	۲۲	« شو
۲۰۸	۱۵	« گوید
۲۰۸	۱۵	« مردو
۲۱۳	۲۰	« میگفت
۲۷۹	۱۱	« نسبت
۳۸۳	۳۰	آسمانها بنده
۲۴۵	۳۲	آسمانها و
۱۳۸	۳۰	آسمانی بس
۴۱۷	۳۴	آسیای
۳۵۶	۴۰	آشکارا
۱۷۹	۳۶	آشنائی عقل
۳۵۰	۱۱	« گیر
۲۶۹	۳۴	آشنا هیچست
۱۸۲	۹	آفتاب آفتاب
۴	۳۳	« آمد
۲۲۰	۴	« آهنگ
۴۰۲	۳۳	آفتا بابا
۷۹	۲۱	آفتابا ترك
۳۶۶	۲۳	آفتاب اربر
۲۲۵	۲۹	« ازامر
۴۳۴	۴۲	« ازاوج
۳۳۹	۱۸	« ازذره کی شد
۲۷۶	۲۷	« ازذره کی مد
۳۵۰	۱۹	« ازکوه
۴۴۵	۴۵	« اعظم
۲۱۶	۱۱	« اعواض
۳۲۲	۱۷	« اندرفلك
۴۴۱	۳	« اندرهوا
۲۲۵	۲۹	آفتاب گر
۳۸۳	۱۴	آفتاب حق بر
۶۸	۱۱	« حق چو
۶۰	۱	« روح
۱۰۳	۲۷	« شاه
۸۴	۶	آفتابش چون
۳۸۶	۲۶	آفتاب شرق
۴۲۸	۱۳	« عالم
۲۸۱	۱۱	« عقل
۱۵۳	۳۲	« گرم
۳۶۳	۲۶	« گنبد
۴۰۳	۴	« لطف
۴۴۷	۳۰	آفتابم را
۴۱۰	۱۱	آفتاب مشرق
۷۹	۲۲	« معرفت
۳۳۶	۲۶	« نیر
۳۶۶	۱۷	« وماه دو
۱۲۹	۱۵	« وماه واین
۱۰۴	۹	« ومه
۱۰۰	۲۴	آفتابی خویش
۱۸۰	۱۲	آفتابی درسخن

صفحه	سطر	اول بیت
۴۲۰	۷	آفتابی دریکی
۳۹۹	۱۶	آفتابی دید
۲۲۵	۳۴	« را
۳۶۸	۳۸	« رفت
۵	۱۵	« کز
۱۳۰	۱۶	« کوبتابد
۲۸	۱۱	« کوبرآید
۲۲۰	۴	« کودم
۱۹۵	۲۳	« که بگرداند
۴۰۲	۱۳	« که ضیا
۲۲۱	۱	« نام
۲۱۳	۲۶	آفت ادراك
۷۹	۵	« این
۳۹۶	۵	« مرغست
۱۹۷	۳۸	آفتی نبود
۱۱۹	۲۷	آفریدم
۲۹۵	۳۹	آفرین ای
۱۳۵	۲۶	« برعشق
۱۸۲	۱۹	« برعقل
۳۱۸	۵	آفرینها
۴۳۲	۲۷	آفریدو
۲۹۰	۳۵	آکل وماکول آمد
۲۷۳	۲۹	«وماکول آمدجا
۲۹۰	۳۳	« وماکول بود
۱۳۸	۱۸	« وماکول را
۲۹۰	۳۶	« وماکول کی
۲۹۱	۱۲	« وماکولی
۴۳۲	۹	آگهی از
۵۸	۱۴	آلت اشکار
۷۴	۳۲	آلت حقی
۷۴	۳۴	آلت خودرا
۸۴	۷	آلت زرگر
۳۹۴	۲۸	آلت شاهد
۳۴۳	۲۸	آلتش بشکست
۲۳۰	۱۷	آلت هر
۲۷۱	۲۲	آل موسی شو
۳۸۳	۱۰	آل موسی کو
۳۰	۳۱	آمد آنجا
۶۳	۱۲	آمد ازآفاق
۱۶۷	۱۳	آمد ازحضرت
۱۱۲	۱۴	آمد ازحق
۳۵۶	۳۴	آمد ازحمام
۲۳۲	۴	آمد ازغم
۱۱۳	۳۴	آمد ازوی
۳۰۶	۳۰	آمد اسرافیل
۱۷۰	۱۱	آمد الهام خدا
۱۶۴	۳۹	آمد الهامش
۱۴۹	۱۲	آمد اندر
۴۲۳	۱۴	آمد اوبا
۳۰۳	۳۳	آمدش آواز
۲۱۰	۵	آمدش پیغام از
۳۳۷	۱۰	آمدش مهمان
۴۰۱	۱۲	آمدم بر
۲۶۶	۳۹	آمدم تا

صفحه	سطر	اول بیت
۴۳۹	۳۴	آمده یك
۱۵۶	۲۸	آمدندآن
۷۱	۴	آمدند ازبهر
۴۰۶	۳۴	آمدند ازرغم
۳۹۲	۳۳	آمدن درآب
۳۲۰	۷	آمدندودست
۴۴۰	۴۹	آمدندودید
۴۵	۳	آمد و با صد
۴۴۲	۱۳	آمدو دریای
۱۶۲	۱۱	آمدو دررا
۴۱۶	۳۴	آمدودرسبط
۱۳۱	۱۲	آمدودید
۲۷۴	۱۱	آمده اول
۴۲۰	۱۵	آمده درخاطرش
۳۴۴	۲۲	آمده درقصد
۵۶	۲۳	آمده عباس
۵۶	۲۴	آمده عمر
۲۹۷	۱۵	آمدی اندر
۲۰۴	۲۰	آمدی در
۲۱۱	۲۷	آمدیم آنجا
۲۸۵	۲۰	آمدیم اکنون
۱۶	۲۶	آمدیم اندر
۴۳۸	۱۴	آمنوا
۲۲۱	۲۵	« ابوجهل ازیه
۹۱	۳۸	آن ابوجهل ازمح
۳۸	۳۲	« اثرمیماند
۳۸	۳۲	« اثرهم
۱۴۳	۱۱	« ادب کرد
۳۹۰	۲۹	« ادب که
۱۵۵	۱۶	« اساطیر
۲۶۶	۱۳	« اسیران
۳۹۱	۱۷	« اشرچون
۱۷۹	۱۳	« اصول دین
۱۵۵	۳۸	« اگر
۴۳۵	۱۶	« الغ
۳۸۵	۳۳	« الف
۱۲۸	۱۵	« امیراز بند
۳۶۹	۲۶	« امیرازحال
۴۱۶	۳۸	« امیرازمکر
۳۱۳	۲۷	« امیران بر
۳۱۴	۱۰	« امیران جمله
۱۳	۳۸	« امیران در
۱۶	۲۹	« امیران دگر
۲۶۰	۱۷	« امیران عرب
۱۶	۲۸	« امیر دیگر
۴۴۳	۲	« امینان
۳۴۸	۳۱	« انائی بر
۳۴۸	۳۵	« انائی سرد
۱۱۷	۴۰	انابیوقت
۳۱۳	۱۴	« انارا
۱۱۷	۴۰	« انامنصور
۳۱۰	۱۷	« ایازاز
۳۴۴	۳۳	« بت شیرین
۱۸	۲۱	« بت منحوت

صفحه	سطر	اول بیت
۱۹۹	۸	آن بخاری غصهٔ
۲۰۸	۲	« بخاری نیز
۴۱	۱۷	« بخاك
۲۲۰	۱۳	« بخور عود
۲۷۰	۳۵	« بدغاریتی
۱۱۸	۷	« بدی
۳۷۸	۲۴	« براهیم
۱۷۸	۳۳	« برهنه گت آ
۱۷۸	۳۲	« برهنه گت تر
۴۴۶	۲۳	« بزرگین را
۴۱۲	۷	« بزرگین گفت
۴۰۹	۲۸	« بزرگین
۱۴۲	۷	« بزکوهی
۱۵۰	۵	« بزکوهی برآن
۳۷۶	۴	« بزی رامانی
۲۱۱	۶	« بقاصد
۲۸۱	۲۱	« بکن که
۳۶۳	۱۵	« بگو ای
۳۳۰	۱۴	« بگوید
۳۱۴	۲۳	« بلا در
۱۴۰	۳۳	« بلال
۳۵۴	۱۴	« بلیس ازجان
۲۷۳	۳۴	« بلیس ازخمر
۹۱	۳۷	« بلیس ازننگ
۲۳۴	۱۵	« بنای انبیا
۳۴۵	۹	« بنسبت باطل
۷۵	۲۹	« بنسبت باکمال
۲۸۹	۲۷	« به آید
۱۲۴	۲۷	« بهاران لطف
۱۱۳	۴۲	« بهاران مضمر
۴۲	۱۷	« بهاری
۱۹۹	۱۴	« بیابان
۲۵۰	۱۶	« بیاض مو
۲۰۲	۳۶	« بیان اولیا
۴۱۲	۳۷	« پدر بهر
۲۶۸	۱۱	« پدر سگ
۲۵۴	۱۷	« پری
۲۶۷	۳	« پسرباخویش
۷	۸	« پسر راکش
۲۳۷	۱۹	« پشیمانی قضای
۱۳۰	۳۴	« پشیمانی وبارب
۱۹۷	۳۷	« پناهم
۱۲۲	۳	« تأسف
۴۱۳	۹	« تحرّی
۳۷۶	۹	« ترش روئی
۳۰۷	۱۸	« تعال او
۳۰۱	۴	« تعمق در
۱۶۱	۲۸	« تفاوت هست
۲۵۳	۱۹	« تقاضا کرد
۸۰	۱۹	« تقاضای
۲۵۱	۱۹	« تکبر
۱۹۳	۱۲	« تکلف
۲۸۸	۲۷	« تنی را
۱۹۶	۷	« تو افکندی

صفحه	سطر	اول بیت
۱۵۷	۳۶	آن توئی زفت
۱۶۳	۱	« آن توئی که
۲۹	۴	« توئی وان
۱۶۸	۳۳	« تو با تو
۳۷۲	۳۲	« توکیل
۱۱۰	۲۵	« تو همهات
۴۴۲	۳۷	« ثمانین
۴۴۴	۷	« جعل
۲۰۱	۳۸	« جفا با تو
۷۲	۱	« جلود
۱۳	۹	« جماد از
۱۳	۱۰	« جمادی
۱۳	۲۴	آنجماعت را
۲۹۸	۲۹	« راکه
۳۹	۱	« کت
۲۹۵	۱۱	آنجمال و قدرت
۴۲۹	۳۲	آنجمع
۲۰۲	۱۵	آنجنودا
۱۳۲	۳۶	آنجوابات
۱۳	۹	آنجوادی
۳۵۲	۲۹	آنجهان جز
۳۳۹	۳۲	آنجهان چون
۴۱۸	۳۹	آنجهانرا
۳۵۲	۳۱	آنجهانست
۱۱۹	۳	آنجهان شهریست
۳۸۰	۲۸	آنجهان صورت
۳۰۰	۱۷	آنجهان گردیده
۴۳	۲۳	آنجهان و راهش
۳۲۸	۱۳	آنجهود از
۱۸	۱۶	آنجهود سگ
۳۸۷	۲۸	آنجهود و
۲۳۹	۲۲	آنچراغ او
۲۲۳	۱۲	آنچراغ این
۲۲۳	۱۲	آنچراغ شش
۲۹۰	۲۰	آنچنان ابری
۲۴۰	۳۳	آنچنان افکند
۳۳۴	۱۶	آنچنان برخاك
۱۵۶	۳۴	آنچنان بر خود
۲۵۷	۱۴	آنچنان بگشایدت
۴۱۳	۲۷	آنچنان پائی
۴۱۳	۲۸	آنچنان پا در
۲۶۵	۲۴	آنچنان پر شد
۷۷	۱	آنچنان پرگشته
۱۷۳	۳۵	آنچنان پنهان
۱۸۲	۱۴	آنچنان پیلان
۳۹۰	۳	آنچنان خندانش
۲۳۸	۱۶	آنچنان خوش
۳۰۵	۵	آنچنان دلها
۱۰۰	۱۷	آنچنان دیوانگی
۲۸۸	۲	آنچنان روئی
۳۳۰	۳۱	آنچنان روکه غلاما
۱۴۷	۱	آنچنان روکه همه
۲۶۰	۳۰	آنچنان زین آ
۳۶۷	۱۷	آنچنان زینت

صفحه	سطر	اول بیت
۲۱۰	۸	آنچنان شادندانذر
۲۱۰	۱۴	« شادند در
۴۰۲	۲۵	آنچنانش انس
۲۱۸	۳۱	« تنگ
۱۶۷	۳۳	« شرح
۲۷۷	۱۸	آنچنان فرخ
۱۱۷	۳۲	« کادم
۳۸۰	۲۷	« کاندرتن
۴۰۷	۳	« کاندر دل
۲۳۱	۳۲	« کاندرزمستان
۲۹۰	۲۱	« کاندر صباح
۳۱۶	۱۸	« کاندر نماز
۲۱۸	۳۲	« کان زن
۴۳۴	۱۹	« کان شاه
۲۰۴	۲۲	« کان طعمه
۶۶	۲۳	« کان کاتب
۱۵۶	۲۵	« کردو
۴۴۴	۲۷	« کرده
۳۶۸	۴۰	« کر شد
۲۲۳	۲۰	« کز آب
۴۴	۱۵	« کز بیم
۲۶۸	۳۸	« کز عطسه
۲۵۶	۱۳	« کز عکس
۱۷۸	۳۸	« کز فربهی
۱۷۲	۲۲	« کز فقر
۳۸۰	۱۵	« کز نور
۱۵۷	۲۹	« کز نیست
۳۴۳	۱۱	« کس رابباید
۱۲۹	۱۱	« کس راکه
۳۹۲	۳۲	« کن از
۴۲۹	۴۹	« کن چون
۱۴۰	۴۰	« کن که
۴۳۶	۴۱	« کوچك
۱۷۳	۱۷	« که آب
۴۰۰	۳۶	« کانبیا
۳۳۴	۲	« که برسرت
۱۵۲	۴	آنچنانکه یار
۶۵	۱۳	« پرتو
۳۰۹	۱۵	« جان
۲۰۱	۱۵	« چار
۱۸۵	۱۴	« حق
۳۹۶	۱۸	« خلق
۲۸۱	۲	« خون
۲۷۲	۱	« داد
۲۲۳	۱۶	« سوزد
۴۱۳	۷	« عارف
۱۶۳	۸	« عاشقی بر
۲۲۳	۱۷	« عور
۱۶۷	۳۲	« فاضل
۳۶۹	۲۲	« کاردانی
۲۶۵	۱۵	« گفت پیغمبر
۲۰۱	۱۰	« گفت جالینوس
۴۲۵	۹	« گفت مادر
۲۶۴	۲۶	« گوش

صفحه	سطر	اول بیت
۳۵۳	۲۴	آنچنانکه لمعهٔ
۳۵۶	۱۳	« مادران
۳۳۴	۱۳	« مادر دل
۳۶۷	۳۵	« ماند
۵۱	۴	« مرتبهٔ
۴۱۳	۶	« میرود تا
۴۱۳	۶	« میرود شب
۱۷۲	۲۰	« ناگهان
۱۱۸	۲	« نیش
۴۱۴	۳	« وجه
۲۵۱	۳۹	« وقت
۴۲۹	۲۳	« هست
۴۰۲	۱۸	« یوسف از
۱۷۴	۳۶	« یوسف صدیق
۳۵۹	۶	آنچنان گرم او
۱۸۱	۹	« گوید
۴۰۵	۳۰	« لرزد
۱۴۸	۱۹	« مستی
۱۱۴	۲۷	« معمور
۴۲۱	۱۳	« مفتاحها
۳۶۷	۱۷	« مهتاب
۳۱۵	۲۱	« نامهٔ
۳۹۱	۲۴	« نامی
۱۵۰	۷	« نزدیك
۱۸۰	۴	« و اینچنین
۳۷۶	۲۷	آن چوکه
۹۵	۲۴	آنچه آبست
۸۳	۹	« آن خر
۳۶۷	۲۷	« آن دم
۴۱۰	۲۹	« آنرا میخورم
۴۱۰	۲۹	« آنرامی‌نوشم
۲۰۳	۳۰	« ابرو را
۱۲۵	۳۲	آنچهارم
۱۸	۱۴	آنچه از دریا
۳۴۶	۱۷	« اصل است
۴۰۸	۱	« اندر
۴۲۱	۹	« او اندر
۳۰۱	۱۵	« او بیند
۸۹	۳۷	« اوخواهدرسا
۳۲۹	۶	« اوخواهدمر
۳۹۸	۲۱	« او داد
۲۹۹	۳۰	« او نوشیده
۱۵۱	۱۷	« این فرعون
۴۳۸	۱	« با آن‌میری
۱۵۷	۲	« باشد مر
۱۷	۲	« با معنی‌است
۴۱۹	۱۴	« بر خود
۱۰۵	۲۱	« بر دارد
۲۵۱	۳۶	« بر دست
۹۰	۱۴	« بر صورت
۲۲۸	۴۹	« بر فرعون
۴۰۴	۳	« بعدالعسر
۳۳۴	۱۹	« بیند آن
۱۹۴	۲۲	« بیند در

صفحه	سطر	اول بیت
۱۷	۲	آنچه پر مغزاست
۴۰۹	۳۷	« پنجه سال
۹۹	۱۵	« پیدا
۴۱۹	۱۴	« تو بر خود
۸۱	۳۲	« تو درآینه
۲۸۳	۱۷	« تو کردی
۵۰	۲۶	« توگنجش
۸۶	۳۵	« چشمست
۳۴۷	۸	« چندین
۲۳	۱۴	« حق آموخت
۲۳	۱۳	« حق‌آموخت
۳۸۷	۱۴	« حق است
۲۷۰	۲۳	« خواهد بود
۹	۲۷	« خواهم
۳۹۲	۲۳	« خواهی
۳۱۴	۹	« خورد
۳۹	۱۶	« خوردی
۱۰۰	۱۵	« خوف
۲۶۳	۱۱	« دادی تو
۱۷۸	۲۰	« داغ او است
۳۹۹	۱۸	« در جو
۱۸۱	۱۶	« در خرگوش
۲۶۲	۲۰	« در ده سال
۳۸۲	۴۱	« در ره
۱۳۶	۲۱	« در صد
۱۵۲	۲۵	« در فرعون
۴۴۶	۱۵	« در فکر
۲۶	۲۹	« در کونست
۱۴۷	۳۸	« دی خوردم
۷۳	۳	« دیدی‌برتر
۷۳	۱	« دیدی بهتر
۷۳	۲	« دیدی که
۷۳	۲	« دیدی که
۳۹۹	۲۵	« روید
۲۰۳	۲۹	« زد برسرو
۱۷	۱	« شیرین
۱۹۴	۲۲	« صاحب دل
۳۹۷	۲۴	« طورش
۳۹۷	۲۴	« طورش
۴۱۱	۳۵	« عیسی
۲۶۳	۲۹	« عین لطف
۲۳۲	۸	« فضل تو
۲۸۳	۲۰	« قوت مرغ
۱۷۵	۱۵	« کاری
۲۷۴	۲۲	« کردی اندر
۲۹۵	۲۴	« کردی ای
۳۳۶	۱۷	« کردی با
۱۹۴	۲۱	« کوسه داند
۱۱۲	۳۷	« گفت آن
۸	۲۴	« گفت‌استفت
۳۷۳	۱۳	« گفتم از
۱۵۲	۲۶	« گفتم جملگی
۴۳۰	۱۰	« گفتم‌خواهمت
۴۳	۳۰	« گفتم‌ز آگهی

صفحه	سطر	اول بیت
۳۱۷	۳۸	آنچه گفتندم
۳۲۹	۲۷	« گفتی
۲۰۳	۲۸	« گل‌راگفت
۹۴	۲۴	« گندم
۴۱۳	۱۳	« گوید آن
۱۱۳	۴۳	« گوید نفس
۳۸۲	۳۰	« لحیانی
۲۸۵	۱۳	« ماند
۹۰	۱۵	« محسوس
۹۰	۱۳	« معشوقست
۳۴۹	۱۱	« معلوم‌تو
۳۰۲	۱۲	« مقصوداست
۱۱۲	۳۱	« من‌خوردم
۳۲۴	۳	« من‌دیدم
۲۳۹	۲	« منصب
۱۶۷	۱۰	« میخوانی
۹۴	۱۸	« میدانست
۹۳	۲۹	« میدانم
۱۰۹	۲۹	« میدیدم
۴۳۰	۸	« میفرمایمت
۱۲۶	۲۲	« میگویددراین
۹۶	۳۵	« میگویدز
۱۷۰	۳۸	« میگویم
۱۹	۱۹	« میمالند
۲۸۵	۱۳	« میماند
۳۷۵	۳۸	« نپسندی
۲۰۳	۲۹	« نی‌راکرد
۲	۱۸	« نی میگوید
۱۸۶	۵	« یعقوب
۳۸۶	۷	آن حبیب
۲۳۵	۳۷	« حسن نامی
۱۰۳	۱۳	« حسودان
۳۸۵	۱۶	« حسی که
۱۲۸	۳۷	« حقیقت
۵	۲۷	« حکیم‌خارچین
۵۰	۳۲	« حکیمش
۳۹	۲۶	« حکیم‌غزنوی
۳۸۵	۲۲	« حکیمك
۶	۷	« حکیم مهربان
۳۸۵	۳	« حکیمی‌را
۱۱۱	۱۹	« حکیمی‌گفت
۳۱۸	۱۸	آنحوالی
۱۳۱	۴	آن خبیث
۱۶۷	۱۵	آن‌خبیری که
۱۸۶	۱۳	آنخدائی‌کز
۳۲۳	۴۰	آنخدائی که ترا
۹۳	۶	آنخدائی که‌فرستاد
۲۲۱	۳۴	آنخدارامیرسد
۲۶۱	۳۰	آنخدا گوینده
۲۰۶	۳۸	آنخدایرندان
۹۳	۷	آنخداوندی که‌از
۲۶۰	۱۴	آنخداوندی که تو
۲۶۰	۱۳	« که دادند
۲۶۰	۱۳	« که دزد

صفحه	سطر	اول بیت
۲۶۰	۱۲	آن‌خداوندی که‌بو
۳۸۵	۱۰	آن خراسی
۱۰۷	۳۰	« خرعیسی
۴۳۱	۳۰	« خرك
۸۳	۷	« خرمسکین
۳۰۱	۳۵	« خرنر
۲۶۳	۱۳	« خریدش
۲۹۳	۳۵	« خری شد
۴۲	۲۷	« خزان
۳۱۲	۱۷	« خسان
۱۴۸	۲۲	« خضر
۳۶۸	۱۹	« خطاباتی
۷۳	۱۰	آنخطادیدن
۱۶	۵	آنخلایق
۳۵۴	۲۵	آن‌خلیفه‌زادگان
۳۴۵	۱۷	« خلیفهٔ گول
۲۱۰	۲۲	« خورد حلوا
۲۸۴	۱۷	آنخیالات
۴	۲	آنخیالاتی که‌دام
۲۳۱	۲۸	آنخیالاتی که‌دیدند
۳۰۹	۲۱	آنخیال از
۱۷۱	۱۱	آن خیال او
۲۳۷	۳۴	« خیال باغ
۱۷۳	۲۵	« خیال سیم
۱۶۱	۲۳	« خیالش
۳۴۵	۱۱	« خیال نور
۳۲۴	۱۴	« خیال ووهم
۱۸۶	۱۲	« خیالی ازاثر
۴	۲	« خیالی را
۴۳۰	۴۰	آن‌دبیر العرف
۱۸۴	۱۳	« در زبکوته
۱۹۳	۵	« درختان
۹۸	۶	« درخت‌بد
۲۷۲	۳۰	« درخت هستی
۲۱۴	۱۲	« درختی‌جنبد
۱۰۳	۱۰	« درختی را
۷۹	۱۷	« درختی‌کو
۴۶	۱۲	« درم
۲۶۴	۲۳	« دروغت
۱۸۲	۱	« دروغست
۳۳۱	۲۸	« درو گرحاکم
۱۴۶	۱۲	« دروگرروی
۴۳	۱۲	« درونی
۳۱۶	۳۷	« دعا از
۱۷۲	۳۱	« دعاحق
۱۷۲	۳۱	« دعای بیخود
۱۷۴	۶	« دعای‌کهنه
۳۰۹	۲۹	« دغل
۱۶۸	۹	« دقوقی‌داشت
۱۷۲	۶	« دقوقی‌در
۱۶۸	۳۸	« دقوقی رحمة
۳۸۷	۲۰	« دکان
۲۹۳	۳۴	« دگرتسخر
۲۴۶	۳۸	« دگرراخوانند

صفحه	سطر	اول بیت
۳۵۸	۱۱	آن دگر را گفت
۳۸۸	۲۳	آن گر شاخش
۵۰	۳۳	آن دگر گفت آسمان
۳۰۹	۲	« گفت از
۳۹۴	۵	« گفت ای
۲۰۰	۱۷	« گفتی
۱۸۲	۲۶	« گوید
۳۲۵	۳۲	آن دل قاسی
۱۸۷	۳۰	« دل مردی
۳۱	۶	« دل از
۲۹۳	۲۰	« دلی آور
۱۷۳	۱۰	« دلی کز
۱۷۳	۲۰	« دلی کو عشق
۸۱	۳۱	« دلی کو مطمع
۳۹۳	۹	« دلیل قاطعی
۳۲۱	۴۰	« دلیلی کو
۲۱۴	۱۴	« دماغی
۱۴۰	۲۹	« دست سوگند
۳۲	۳۶	« دم لطفش
۳۷۷	۱۵	« دم اولاك
۳۲	۳۷	« دم نطقت
۳۶	۲۵	« دمی را
۳۶	۲۴	« دمی کز آ
۳۶	۲۵	« دمی کزوی
۱۲۵	۲۰	« دو اشتر
۶۲	۱	« دوانبازان
۱۲۱	۱۸	« دوخصم
۱۸۸	۳۵	« دودیده
۱۵۵	۳۲	« دوساحر
۴۰۹	۱۶	« دوسه تار
۳۸۹	۱۵	« دوفاضل
۲۴۰	۴	« دوقوم آسود
۳۸۸	۶	« دوکس
۳۸۸	۹	« دوگفتندش ز
۴۱۷	۱۱	« دوگفتندش ک
۴۱۲	۱۵	« دوگفتندش نصب
۱۹	۲۱	« دهان کز
۱۴۰	۴۰	« دهانی
۳۹۲	۱۷	« دهد حقشان
۱۲۷	۲۳	« دهل
۹۲	۲۹	« ذکی را
۳۰۸	۱۱	« رخام خوب
۲۹۵	۱	« رخی که تار
۳۱۸	۴	« رسن
۳۳	۵	« رسول از
۳۳	۴	« رسول اینجا
۳۵۴	۳۸	« رسول پاك
۳۰۶	۹	« رسول حق
۳۳۴	۱	« رسول مجتبی
۱۲۲	۴۱	« رسول مهربان
۴۴۳	۲۹	« رفاعی
۵۹	۲۳	« رهی که بار
۷۳	۳۳	« رهی که پخته
۷۳۰	۳۲	« رهی که زر

صفحه	سطر	اول بیت
۷۳	۳۳	آن رهی که سرخ
۲۹۰	۹	آن زبانهٔ آتشی
۲۵	۳۰	آن ز تیزی
۳۲۸	۱۱	آن زجاجی
۲۸۶	۲۳	آن ز خدمت
۲۰۱	۲۹	آن ز دور
۲۴۴	۲۰	آن زرشك
۷۶۲	۲۴	« زردوان
۲۰۷	۲۶	« زری کاین
۲۰۷	۲۷	« زر که دل
۴۰۷	۲۵	« ز سرمی
۲۸۶	۲۳	« ز صیدی
۳۱۵	۳۷	« ز عشق
۲۸۶	۲۴	« ز فرعونی
۴۰۴	۳۵	« ز کثرت
۱۴۵	۱۲	« ز کی دان
۴۱۱	۲۵	« زلیخا از
۲۳۴	۱۰	آن زمن آن
۳۶۰	۳۴	« از ترس
۳۶۰	۳۴	« بست
۴۳	۲۶	« حق
۴۲۱	۳۷	« خود
۱۷۹	۲	« داند
۳۷۷	۲۱	« را
۴۲۱	۳۸	« زاری
۲۰۴	۲۶	« شیرین
۹۳	۳۳	« کاین جان
۹۳	۳۲	« کاین دست
۲۲۲	۹	« کت
۳۵۷	۱۴	« کز
۳۴۱	۱۴	« که او
۳۲	۲۲	« که بحث
۴۰۹	۳۱	« که بود
۳۲	۱۰	« که پیش
۳۶۰	۲۳	« که حرص
۱۵۶	۵	« که خفته
۳۶۰	۲۶	« که دیو
۱۵	۱۱	« که میشوی
۴۳۲	۲۶	« واقف
۴۰۵	۱۸	یك
۱۶۵	۲۶	آن زمانی که
۴۰۸	۳۸	آن زمرد باشد
۶۶	۲۳	آن ز من
۴۰۹	۹	آن زنان از
۱۴۲	۶	« با
۳۳۳	۳۳	« چون
۱۷۶	۳۰	آن زنت او
۲۷۲	۳۶	« زنی میخواست
۱۹۲	۳	آن زنی هر دل
۱۴۳	۱۹	آن سباز اهل
۱۷۸	۲۵	آن سبا ماند
۳۴۰	۹	آن سبد خردرا
۵۷	۲۷	آن سبوی آبدانشها
۵۷	۱۰	آن سبوی آبرا

صفحه	سطر	اول بیت
۵۷	۳۰	آن سبوی تنگ
۳۹۸	۳۷	« ستاره
۴۴	۲	« ستون را
۱۰۸	۳۶	« ستونهای
۲۵۹	۲۲	« ستیزه
۲۰۴	۳۳	« ستی گوید
۳۹۸	۲۲	« سخا درهم
۱۹۳	۸	« سخنهای
۳۹۵	۲۹	« سرشته
۲۶۲	۱۸	« سرش گوید
۳۶۲	۱۸	« سر میدان
۴۱۸	۳۵	« سریکه
۱۰۷	۳۶	« سزد از
۴۳۲	۱۳	« سفینه
۴۰۹	۱۸	« سکون سابح
۳۲۳	۲۴	« سگ اصحاب
۱۸۵	۱۶	« سگان
۱۱۵	۱۷	« سگ عالم
۲۳۲	۴۲	« سگی در کو
۱۴۶	۳۰	« سگی کو
۱۴۶	۳۰	« سگیکه کشت
۱۶۶	۱۵	« سگیکه میگزد
۲۸۶	۳۲	« سگی میبرد
۱۲۷	۳۰	« سلاحت
۱۳۶	۱۸	« سلیمان بیشر
۴۴۴	۳۴	« سلیمانهم
۲۳۴	۲۴	« سلیمانی
۲۱۳	۱۰	« سمعی تو
۹۳	۸	« سنا برقی
۲۳۴	۹	« سواد فحم
۱۰۸	۵	« سوار آبرا
۴۴	۸	« سواری
۱۶۱	۲۳	« سوم آن
۴۲۴	۳۳	« سوم کاهل
۱۲۵	۳۲	« سوم گفت
۴۲۳	۳۴	« سیاست را
۱۸۸	۱۲	« سیه حیرا
۳۴۰	۳۵	آن شب آنجا
۴۱۰	۲۰	آن شب گردك
۱۸۷	۳۶	آن شتر بان
۴۴۰	۲۷	آن شتر منقاد
۳۸	۲۸	آن شش خواند
۲۰۶	۲۵	آن شخولیدن
۱۴۱	۱۲	آن شده
۳۶۲	۱۰	آن شراب حق بدان
۹	۸	آن شراب حق خدا
۱۰۹	۱۳	آن شرر گر
۴۳۸	۲۲	آن ششم باب
۴۴۷	۴۴	آن ششم شمع
۲۴۵	۱۵	آن شعاع آفتاب
۱۴۶	۱۵	آن شعاعی بود
۱۴۹	۲۱	آن شغالان
۱۴۹	۱۸	آن شغال رنگ
۱۴۸	۲۶	آن شغالك

صفحه	سطر	اول بیت
۱۶۸	۶	آن شفاعت
۱۲۵	۴	آن شفای
۳۳۹	۹	آن شفیعان
۲۲۸	۳۳	آن شکایت
۳۸	۲۷	آن شی گوید
۱۶۷	۱۷	آن شل بیدست
۲۸۷	۲۴	آن شنیدستی که آ
۳۹	۳۱	آن شنیدستی که در
۱۳۹	۱۳	آن شنیدی تو
۲۴۴	۳۱	آن شنیدی داستان
۱۰۴	۲۹	آن شود
۲۸۳	۱۰	آن شهادت را
۱۸۲	۲۸	آن شه شطرنج
۴۴۶	۱۲	آن شهنشاه
۲۴۹	۴	آن شه والنجم
۳۷۰	۳	آن شهی
۲۱۰	۲۱	آن شیاطین بر
۲۹۹	۷	آن شیاطین خود
۳۵۷	۵	آن صحابی
۴۳۸	۱۷	آن صدی
۶۸	۳۵	آن صفای
۱۹۳	۴	آن صفت در
۴۰۷	۱۱	آن صور در
۳۰۷	۷	آن ضعیف
۳۷۵	۱۲	آن ضمان
۳۴۱	۱۹	آن ضمیر رو
۳۳۷	۲۷	آن ضیاء
۴۳۴	۱۴	آن طیب از
۴۰۶	۱۷	آن طبیبان انچنان
۲۳۶	۳۲	آن طبیبان از
۱۸۰	۵	آن طبیبانرا
۱۸۰	۱	آن طبیبان طبیعت
۱۸۰	۲	آن طبیبان غذا
۱۸۴	۳۲	آن طیب وآن
۳۸۷	۳۴	آن طرف کش
۴۰۱	۸	آن طرف که بهر
۴۰۱	۸	آن طرف که دل
۱۹۸	۳۵	آن طرف که عشق
۴۱۴	۶	آن طمع را پس
۴۸	۳۴	آن طمع را ماند
۴۱۴	۶	آن طمع زینجا
۴۲۴	۲۴	آن عتاب
۲۳۲	۷	آن عجائبها
۴۰۳	۲	آن عجب کو
۳۷۱	۳۰	آن عجوز
۳۹۸	۳۳	آن عداوت
۷۲	۴	آن عدم او را
۱۸۲	۲۸	آن عدوئی
۲۴۶	۲۳	آن عدو در
۴۴۷	۱۹	آن عذاب
۵۶	۱۲	آن عرابی
۵۷	۲۸	آن عرب باری
۵۸	۱۵	آن عرب را
۱۳۵	۱	آن عرب گفتا

صفحه	سطر	اول بیت
۹۴	۹	آن عرضها
۲۹۴	۱۱	آن عزیز مصر
۴۰۳	۲۴	آن عصا کش
۱۰۳	۲۸	آن عطارد
۱۴۲	۱۰	آن عصای
۴۴۵	۴۵	آن عظیم الشأن
۴۱۹	۱۶	آن عظیم العرش
۱۸۹	۳۶	آن علایش
۱۹۷	۱۸	آن علف تلخ
۵۶	۲۵	آن علف کش
۲۵۶	۱۸	آن عمر نی
۴۰۲	۷	آن عماد الملك
۱۱۴	۱۵	آن عنایت
۱۶۴	۲۳	آن عوان بدرید
۴۲۱	۱۸	آن عوان را
۸۲	۱	آن عین
۱۲۱	۳۲	آن غیبن
۹۶	۱	آن غذای
۱۳۳	۳۳	آن غریب از
۲۰۵	۲	آن غریب شهر
۳۹۸	۷	آن غریب ممتحن
۱۲۵	۴۱	آن غزان
۴۳۲	۳۶	آن غلام از
۳۳۲	۳۹	آن غلامان را
۷۰	۱۹	آن غلامان میوده
۲۳۰	۱۰	آن غلامان و
۴۴۲	۲۸	آن غلام بادشه
۱۹۱	۴	آن غلامش
۳۵۶	۱۰	آن غلامك دم
۹۲	۲۵	آن غلامك را
۱۹۰	۹	آن غم آمد
۱۹۴	۱۴	آن فراخی
۳۴۵	۴۱	آن فراست
۸۸	۲۹	آن فرح آید
۲۳۶	۹	آن فرشته
۱۳۲	۲۸	آن فزونی
۳۲۲	۱۰	آن فسون
۴۴۲	۴۸	آن فقیران الهی
۱۳۲	۱۷	آن فقیران لطیف
۱۳۲	۱۷	آن فقیری بهر
۱۸۵	۲۸	آن فقیری کو
۴۱۰	۲۶	آن فقیه از جای
۴۱۰	۲۲	آن فقیه افتاد
۱۴۷	۱۰	آن فلان روزت
۳۸۱	۲۱	آن فلان قبه
۱۰۹	۱۰	آن فلانی
۳۴۰	۳۴	آن قراریکه
۳۷۴	۳۷	آن قسم بر
۳۷۷	۳	آن قفاها
۲۰۱	۳	آن قفص
۲۱۸	۲۵	آن قیاسش
۳۲۸	۱۰	آن قیامت
۱۷۰	۱۰	آن قیام و

صفحه	سطر	اول بیت
۳۸۲	۱۱	آن کبوتر را
۲۹۸	۳۱	« کرامتها
۲۵۷	۶	« کرم کاندر
۶۶	۲۸	« کری را گفت
۹۳	۹	« کز آدم
۱۸۹	۲۱	آنکسی را کش
۷	۱۷	« را که چنین
۱۸۹	۲۰	« را که معرف
۲۴۵	۸	« کنز
۹۱	۴۱	« کش مثل
۴۲۰	۳۹	« کش مرکب
۹۲	۳۶	« که او
۲۳۰	۱۴	« که بانگ
۱۷۷	۱۲	آنکشنده گاو
۱۷۳	۱۴	آن کشیدن چیست
۱۴۱	۱۲	آن کشیدن زیر
۵۸	۱۹	آن کفش را
۴۲۰	۱۶	« کلامت
۲۳۵	۴۰	« کلامی
۴۰۹	۳۰	« کلید
۱۴۷	۲۶	« کمان و تیر
۳	۱۷	« کنیزك از
۳۱۶	۸	« کنیزك جست
۳۱۵	۳۳	« کنیزك زنده و
۳۰۲	۳۴	« کنیزك میشد و
۳۷۸	۲۶	آنکه آتش
۱۸۸	۳۴	« آدم را
۲۴۹	۱۲	« آن اصحاب
۱۹۵	۲۲	« آن خورشید
۲۸۵	۲۷	« ارزد
۶۳	۲۷	« ارض الله
۳۳۲	۱	« ارمنبل شوی
۷۳	۴۱	« ازبادی
۲۹	۲۷	« ازپنجه
۲۸۳	۲۲	« ازجوع
۷	۸	« ازحق
۳۵۷	۶	« ازدادش
۲۸۹	۴۰	« ازغیری
۴۹	۲۵	« ازکبرش
۴۹	۲۶	« ازنازش
۳۲	۳۵	« ازوی
۳۹	۵	« اندردامنت
۱۶۸	۲۰	« اندر سیر
۳۸۸	۱۷	« اندرعقل
۴۰۶	۲۶	« انکار
۲۱	۲۷	« اواز آسمان
۲۵۰	۱۸	« اواز پرده
۷۶	۲۰	« اواز مخزن
۲۲۱	۳۶	« او افراشت
۹۶	۲۳	« او باشد حسود
۲۴۰	۲۵	« او باشد مراقب
۴۴۴	۴	آنکه او بر خاك
۴۴۶	۲۶	« بر ذروه
۳۷	۲۴	« بسته

صفحه	سطر	اول بیت
۲۹۲	۲۳	آنکه او بعد از
۱۱۷	۳۹	« بی درد
۶۳	۲	« بی نقش
۱۰	۲۵	« پنجه
۷۶	۱۴	« تن
۳۶۰	۱۰	« تنها
۱۶۴	۲۷	« دانست
۴۱۷	۲۰	« را چشم
۳۸	۵	« شاهست
۱۵۹	۳۹	« گاهی
۲۴۸	۲۷	« گل
۲۲۲	۱۸	« مغلوب
۱۵۹	۳۶	« موقوف
۳۶	۲۱	« هشیار
۳۶۹	۲۸	« بنظر
۳۳۶	۲۳	آنکه ایمان
۴۴۳	۴۵	« این
۴۲۳	۴	« با خود
۹۷	۱	« باشد با
۲۷	۲۱	« بد
۱۹۱	۱۲	« بدهد بی
۱۰۱	۳۸	« بر افلاك
۷۹	۱۲	« بر خلوت
۴۰۳	۶	« بر دیوار
۲۷۶	۳۸	« بر نگذشته
۱۸۶	۸	« بستد
۴۹	۲۵	« بندهٔ
۲۰	۲۱	« بوند است
۳۷۵	۸	« بهر حق
۱۰۵	۳	« بی آن
۲۶۴	۲۹	« بی تعلیم
۱۰۷	۲۲	« بیرون
۸۴	۱۱	« بی جفت
۱۶۶	۶	« بی وزر راست
۱۳۶	۲۰	« بیند او
۱۶۴	۶	« بیند این
۵۵	۲۷	« بی همت
۱۰۶	۳	« بی یسمع
۳۷۲	۳۸	« پایان
۱۵۸	۲۲	آن که پست
۸۱	۲۳	آنکه تخم
۱۸۹	۲۰	« تعریفش
۳۷۸	۲۸	« تن را جان
۳۸۵	۱۷	« تن را مظهر
۳۶۰	۱۳	« تنها خوش
۸۴	۳۱	« تو مستش
۷	۹	« جان بخشد
۸۵	۳۷	« جان بوسه
۸۵	۳۷	« جان در روی
۲۹۱	۲۰	« جز انکار
۴۹	۲۷	« جز خون
۲۹	۲۸	« جز ظلمش
۴۹	۲۷	« جز گردن
۳۶۴	۳۱	« جو دید

صفحه	سطر	اول بیت
۲۷۲	۱۶	آنکه جوی و چشمه
۴۰۶	۲۴	« چشمش
۳۹۴	۲۲	« چندین
۱۱۴	۱۷	« حق پشتش
۴۳۲	۲	« ختم
۳۰۶	۱۳	« خواهی
۲۱۱	۱	« خود را
۳۱	۴	« خوفش
۳۳۹	۲۲	« خو کرده
۴۴۲	۱۷	« دارد از
۴۴۲	۱۹	« دارد دیده
۴۴۱	۲۰	« داری
۴۱۹	۵	« داند این
۴۱۸	۳۹	« داند تو
۷۵	۱۳	« داند و خت
۱۴۷	۳۶	« داند نیم
۲۲۰	۶	« در تون
۲۵۷	۵	« در جنگ
۴۹	۲۶	« در جو رو
۴۰۳	۲۹	« در چه
۳۶۹	۲	« در خواش
۲۷۵	۶	« در ذاتش
۱۵۵	۱۳	« در عقل
۱۶۸	۱۹	« در قوی
۲۸	۱۰	« در هر
۳۳۰	۳۶	« دزدد
۴۴۶	۲۵	« دو سبلی
۸۴	۱۱	« دو گفت
۶۲	۳۹	« دولت
۳۹۵	۳	« دیدستت
۴۲۹	۳۷	« را بر
۲۵۵	۷	« رمزی
۲۹۲	۱۷	« روزی شاهد
۲۱۴	۲۰	« روزی نیستش
۱۳۵	۲	« رومی بود
۷۵	۳۰	« رویانید
۱۲۲	۲۴	« زاول
۴۳۵	۱۳	« زخمت
۲۹۳	۲۸	« زرق او
۴۸	۱۶	« زلف و
۳۷۸	۲۷	« زوهر سر و
۵۲	۲۲	« زیرکتر
۴۰۳	۳۸	« سازد در
۸۰	۲۹	« سرمه
۲۴۵	۲۴	« سرها
۳۶۰	۱	« سنت
۴۳۵	۱۳	« سبلی
۳۹۴	۲۱	« شب
۳۷۸	۲۸	« شد موجود
۱۴۶	۳۱	« شیران مر
۳۳۵	۳۶	« صد مبلش
۴۰۵	۴۱	« عاشق
۹۸	۲۲	« عاقل بود در
۲۵۱	۵	« عاقل بود عزم

صفحه	سطر	اول بیت
۴۹	۲	آنکه عالم
۳۸	۱۶	« غافل
۲۲۱	۲۳	« فرزندان
۲۰۶	۲۴	« فرموده است
۱۲۶	۲۰	« کالانعام
۲۹۵	۱۳	« کرد او
۳۶۹	۳۷	« کس بود
۶	۲۹	« کشتستم
۳۲۸	۳۱	« کف را دید آب
۳۲۸	۲۹	« کف را دید باش
۳۲۸	۳۱	« کف را دید پا
۳۲۸	۳۰	« کف را دید پر
۳۲۸	۲۹	« کف را دید در
۳۲۸	۲۸	« کف را دید سر
۳۲۸	۳۰	« کف را دید گر
۳۲۸	۲۸	« کف را دید نیز
۴۲۸	۴۰	« کون خود
۹۶	۲۱	« کر بر
۲۲۷	۱	« گر خواهد
۱۴۲	۸	« کتاخ
۱۰۶	۳	« گفت انی
۳۷۸	۲۷	« گل آرد
۳۱۵	۲۳	« گل را
۱۴۴	۱۸	« گندم را
۱۲۴	۱۷	« گوید جمله
۲۳۰	۱۵	« گوید رمز
۲۲۰	۵	« گوید مال
۲۰۵	۳۶	« گویند
۱۵۹	۳۸	« که ناقص
۴۴۷	۴	« لبس عدل
۱۴۲	۴۱	« مادر
۲۱	۳	« مانند
۴۳۴	۴۹	« مجای
۱۴۷	۳۹	« مرداری
۱۹۲	۲۴	« مردن پیش
۷۶	۵	« مردن
۲۹۵	۴	« مردی در
۲۳۱	۴۰	« مضطر
۲۳۵	۸	« معرض را
۱۹۱	۳	« معصوم آمد
۳۷۶	۱۸	« معصوم ره
۳۰	۲	« ملکش
۱۹	۱۹	« مبدرید
۳۳۲	۱۹	« می لرزد
۱۰۵	۲	« می گرئی
۲۹۱	۱۷	« می گفتی اگر
۱۴۲	۷	« میگفتی که
۴۱۱	۳۸	« نشناسد
۴۴۶	۳۱	« نفس
۱۸۶	۳۰	« نگذارد ترا
۱۸۶	۳۱	« نگذارد کر
۲۹۲	۱۴	« نو دید او
۱۰۱	۳۷	« واقف
۴۱۸	۴۰	« هرگز

صفحه	سطر	اول بیت
۲۶۴	۳۲	آنکه هست
۱۴۰	۲۵	« یابد
۱۶۹	۱۲	« یکدم
۱۶۹	۱۱	« یکدیدن
۲۶۰	۲	آنکهی کو داشت
۴۲۴	۲	آنکهین
۳۲۵	۱۳	آن گدائی
۲۸۳	۲۱	« گدا چشمی
۳۷۱	۱۹	« گدا در
۴۲۰	۱۹	« گداز
۸۷	۹	« گدا گوید
۳۳۰	۷	« گرفتی
۲۰۱	۴۲	« گروهی کر
۳۷۵	۲۰	« گروهی کر
۳۸۶	۲۱	آنکره کوزد
۲۶۷	۳	آنکرههای
۵۴	۲	آن گشادیشان
۷	۱۵	« گل
۴۴۲	۴۲	« گلستان
۱۳	۳۱	« گمان انگیز
۷۷	۴	« گمان بروی
۳۱۴	۲۰	« گنه اول
۳۳۱	۳۴	آنکه آن می
۲۳۵	۲۶	« ارخاکش
۲۰۴	۴	« ازشهرو
۷۰	۲۳	آنکهان بنگر
۱۵۳	۳۹	« بیاد
۱۶۸	۳	« خندد
۱۵۵	۳۶	« گفتند
۹	۲۵	آن گهم از
۶۸	۱۱	آنکهی بینید
۴۳۶	۲۳	« دانی
۲۱۰	۲۶	« کازاد
۳۷۹	۳۵	آن لجاج کفر
۱۰۴	۱	« لطافت
۱۰۴	۲۸	« لطافتها
۵	۲۶	« لگدکی
۲۹۲	۴	« مبدل
۱۸۱	۱۸	« مثل آوررن
۱۸۱	۲۱	« مثالت
۱۲۶	۳۸	« مجازاست
۴۲۹	۲	« مجوسی
۲۷۷	۲۳	« محك که
۲۱۰	۲۱	« محمد خفته
۵۳	۱۹	« مرائی
۲۴۹	۳۰	« مریدان
۳۸۳	۴۰	« مرید ذوالفقه
۳۰۱	۹	« مرید ساده
۱۲۹	۳۹	« مرید شیخ
۱۱۹	۵	« مساس
۴۴۱	۴۷	« مسافر
۱۱۰	۳۷	« مسلمان ترك
۱۱۰	۵	« مسلمان سر
۱۷۸	۲۳	« مسیحا را

صفحه	سطر	اول بیت
۸۶	۲	آن مسیحا مرده
۹۷	۱۱	« مسیحی نه
۴۳۳	۲۰	« مشیر راست
۴۳۴	۲۱	« مشیر کار
۴۴۳	۳۷	« مصدر
۴۴۴	۲۰	« مطیعان
۴۳۱	۱۳	« معیل
۲۵۰	۱۷	« مقلد چون
۳۹۸	۳۱	« مقلد سخره
۱۲۵	۱۲	« مقلد شد
۳۲۱	۱۵	« مقلد صد
۳۰۱	۴	« مقلد همت
۱۳۲	۲۰	« مقیم
۲۴۷	۳۷	« مکن کاخر
۳۰۴	۳۶	« مگر سلطان
۲۴	۳۲	« مگس بر
۲۴	۳۶	« مگس نبود
۳۵۴	۱۳	آنملایك
۱۸۸	۳۲	آنملك با
۴۱۱	۸	آنملك برخاست
۱۸۸	۳۲	آنملك چون
۳۷۹	۶	آن ملیحان
۳۶۹	۲۷	« مناره
۸	۱۶	« منافق با
۸۳	۲۶	« منافق مشك
۲۱۰	۱۱	« من بالا
۳۱۱	۵	« منجم
۹۹	۳۴	« منم خم
۲۷۳	۱۰	« منی و
۳۷۹	۲۷	«موالیدا زتجلی
۳۷۹	۲۷	« موالیدازره
۲۷۶	۱۷	« مهابت
۱۲	۲۵	« میسر
۸۳	۲۸	« نبات آنجا
۴۳۸	۳۱	« نبات ودود
۱۲۵	۱۸	« نبد بیگار
۳۴۴	۳۶	« نتایج
۱۷۹	۱۷	« نثار
۲۰۴	۲۹	« نخود گفت
۴۳	۲۷	« ندا که
۲۵۲	۲۴	« ندامت از
۲۵۲	۲۵	« ندم از
۲۳۱	۳۸	« ندیدی
۴۲۴	۳۹	« نسیمی
۱۲۶	۴۱	« نشانها
۳۱۷	۹	« نصوح از
۳۱۷	۳۳	« نصوح رفته
۱۵۴	۳۶	« نصیب جان
۲۰۰	۲۸	« نصیحت
۳۵۸	۳۱	« نظر در بخت
۱۰۳	۲	« نظر که بنگرد
۳۹۶	۲۰	« نظر که کرد
۲۲۶	۱۷	« نظرها سوی
۹۳	۳۷	« نکاح زن

صفحه	سطر	اول بیت
۳۰۰	۱۴	آن نماز او عجب
۳۸۰	۱۴	« نمك زار
۴۱	۱۸	« نمك کر
۱۴۸	۱۴	« نمیبینی که فر
۲۸۹	۲۵	« نمیبینی که هر
۲۱۸	۳۱	« نمیدانست
۳۸۴	۳۶	« نمیگوید که
۴۳	۱۱	« نوا که
۱۴۴	۱۲	« نه بازی
۴۲۲	۳۲	« نه کش با
۲۰۱	۲	« نه کوبر
۹۲	۳۱	« نه که
۲۱۳	۱۱	« نیوشیدن
۳۵	۲۱	« آن وجمها
۱۵	۲۳	« وزیر از
۱۱	۲۴	« وزیرك
۳۴۲	۳	« وصیتهای
۴۲۳	۱	« وظیفهٔ لطفها
۴۱۹	۳۳	وظیفه یار
۴	۳	« ولیّ حق
۳۰۹	۳۱	« هزاران حجة
۱۵۰	۷	هزاران گز
۳۷۰	۲۶	« هلال از
۳۷۰	۲۶	« هلال و
۲۴۵	۷	« هلیله پرورید
۲۴۵	۸	« هلیله رسته
۲۵۳	۱۸	« هلیله وان
۴۴۳	۲۲	« هم از
۱۷۸	۱۹	« همان رنج
۳۵	۳۰	« همه اندیشه
۲۷۷	۱۹	« همه تعظیم
۱۳۳	۴	« همه حبرو
۹۱	۱۶	« همه خون
۱۹۲	۳۱	« همه سختی
۴۳۲	۶	« همه ماخولیا
۳۹۵	۱۲	« هنر فی
۳۸۹	۱۴	« هنرمندان
۳۹۵	۱۳	« هنرها جمله
۳۹۵	۱۲	« هنرها کردن
۲۴۲	۲۴	« هنرهای
۴۴۳	۲۲	« یزید
۱۰۷	۱۲	« یقین
۳۳۷	۳	« یخی
۱۶۳	۱۳	آن یکی آمد به پیش
۶۱	۲۱	« آمد در
۲۵۳	۱۳	« آمد زمین
۱۲۱	۳۷	« از جمع
۲۱۴	۱۱	« از حقد
۹۱	۲۱	« از خشم
۹۳	۲۱	« از زهر
۳۶۹	۱۶	« اسبی
۲۲۰	۹	« افتاد
۱۴۱	۲	« الله
۳۶۵	۳۵	« اندر

صفحه	سطر	اول بیت
۲۴۳	۳۵	آن یکی با دلق
۱۱۹	۳۲	« بازی
۳۲۸	۱۷	« با شمع
۲۴۲	۳	« بانگ اینکه
۲۴۱	۳۹	« بانگش
۱۸۸	۲۳	« بدری است
۱۵۷	۱۷	« بر پشت
۳۳۱	۲۰	« بر رفت
۱۷۸	۲۹	« بس دور
۱۱۰	۵	« بگذشت
۳۴۳	۲۱	« بودش
۳۸۰	۲	« بیچارهٔ
۳۶۱	۱۴	« بیکار و
۸۷	۲۶	« پایش
۱۱۱	۲۳	« پر آن
۳۰۰	۱۴	« پرسید از
۳۲۰	۳۳	« پرسید اشتر
۴۲۵	۵	« پرسید صاحب
۱۳۲	۴۱	« تا کعبه
۵۵	۳۳	« جودش
۳۹۷	۱۴	« چشمش
۴	۵	« چون تشنه
۳۶۵	۳۶	« چون نوح
۲۴۲	۸	« چون نیست
۱۶۸	۲۷	« حرص
۳	۱۲	« خر
۱۱۱	۲۱	» خورشید
۱۱۱	۲۴	« خلقی
۲۲۰	۹	« دباغ
۱۳۲	۴۱	« در پاك
۱۷۸	۸	« در پی
۸۸	۳۰	« در چشم
۳۲۲	۲۵	« در خانهٔ
۴۲۰	۳۸	« در خواب
۱۶۰	۱۰	« در عهد
۲۸۴	۱۶	« در کشتی
۴۰۲	۲۸	« در کنج
۱۸۶	۱۷	« در مرغزار
۲۵۱	۱۷	« در وقت
۳۹۶	۳۴	« درویش ز
۲۲۷	۱۴	« درویش گفت
۲۲۷	۲۲	« درویش هیز
۳۵۹	۱۹	« دزدیست
۲۲۰	۱۲	« دستش
۳۸۹	۳۶	« دو دست
۳۵۲	۲۰	« ذرّه
۳۴۰	۲۹	« را بیگهان
۹۰	۲۱	« راتوندانی
۱۱۶	۱۰	« را چون
۳۱۵	۱۹	« را در
۱۵۷	۱۶	« را دست
۹	۳	« را روی
۳۸۸	۴۰	« یکی راسر
۳۶۱	۱۴	« را قبله

صفحه	سطر	اول بیت
۳۸۶	۳۷	آن یکی را کرده
۱۵۷	۱۵	« را کف بخر طو
۱۵۷	۱۶	« را کف چو
۴۸	۲۲	« را نعمت
۱۵۹	۲۵	« را یار
۳۷۲	۲	« رنجور
۴۴۴	۳۶	« روز
۲۴	۱۸	« ریگی
۳۸۲	۳۳	« زان سوی
۳۲۰	۴	« زاهد
۱۵۹	۴	« زد
۳۷۸	۳۹	« زن
۱۶۱	۲۱	« زیرك
۳۰۹	۲۶	« سرسبز
۱۱۱	۲۴	« سرور
۱۱۱	۲۳	« سلطان
۱۳۴	۳۹	« شخص
۴۳۴	۲۶	« شهرش
۳۵	۱۵	« طوطی
۲۹۹	۲۸	« عاشق
۳۵۹	۱۴	« قچ
۶۲	۲	« کرباس
۲۴۵	۳۳	« کرمی
۱۳۵	۳	« کز
۱۳۴	۳۸	« کش
۲۲۰	۱۱	« کف
۱۷۴	۳۴	« کورم
۳۳۲	۳۴	« گستاخ
۲۱۰	۱۵	« گفت ار
۳۸۸	۱۶	« گفتا که
۳۶۹	۲۳	« گفت اندرین
۳۹۴	۴	« گفت ایگروه
۳۹۴	۳	« گفت ایگروه
۱۲۹	۳۱	« گفتش ادب
۹۱	۲۱	« گفتش که از
۱۱۵	۴	« گفتش که اندر
۱۲۱	۳۶	« گفتش که پیغمبر
۳۶۴	۲۲	« گفتش که تو
۳۶۹	۲۹	« گل دید
۴۳۹	۱۸	« گل کوزه
۸۳	۱۵	« گوشش
۱۸۲	۲۵	« گوید در
۱۲۴	۴	« گوید بریده
۱۲۴	۵	« گوید شتر
۱۱۱	۲۲	« ماهی که
۷۳	۱۵	« ماهی همی
۱۵۹	۲	« مرد دو مو
۴۲۴	۲۹	« مردی بوقت
۳۴۳	۳۲	« مردیست
۲۵۱	۳۲	» مرغی
۴۲۹	۸	« ملاح
۳۹۵	۳۷	« موری
۳۲۷	۱۹	« میخورد
۳۰۳	۲۹	« میدید

صفحه	سطر	اول بیت
۱۲۱	۳۵	آن یکی میرفت
۳۶۵	۲۰	« میزد سجوری
۲۰۱	۴۰	« میزد یتیمی
۳۷۸	۱۹	« میشد
۱۸۱	۲۸	« میگفت این
۱۸۱	۳۰	« میگفت بیکار
۱۸۱	۲۹	« میگفت بالا
۱۸۱	۳۰	« میگفت جو
۱۱۵	۴	« میگفت خواه
۳۰۹	۲	« میگفت خوش
۱۳۰	۲۶	« میگفت در
۱۸۱	۲۸	« میگفت دنیا
۱۸۱	۲۹	« میگفت کاین
۲۶۱	۱۹	» میگفت گردو
۲۹۷	۲۴	« میگفت من
۳۱۰	۲۳	« میگفت هی
۲۸۵	۲۴	« میگیرد
۲۲۸	۲۹	« نائی
۵۷	۲۱	« نحوی
۲۶۵	۲۸	« نسبت
۳۳۹	۳۷	« نقشش
۱۱۱	۲۱	« نوری
۲۱۷	۱۷	« واعظ
۱۹۷	۸	« وهمی
۱۴۰	۱۸	« همره
۲۹۶	۵	« یاران
۱۹۳	۱۹	« یاری
۱۲۹	۳۰	« یکشیخ
۳۹۲	۵	آن یکی خانه
۱۱۱	۲۲	آن یکی یوسف
۳۶۷	۲۸	آن یتایع
۱۹	۱۷	آن یهودی
۴۴۰	۸	آورند
۳۶۸	۱۵	آوریدش تا
۴۴۶	۱۴	آورید ند
۱۶۲	۳۴	آه آهی
۳۰۳	۶	آه از آنروزی
۴۴۴	۴	آه از این راه
۱۱۶	۱	آه از درد و
۱۰۷	۳۳	آه از ین صفرا
۴۳۱	۲۰	آه از ین ظفرا
۵	۳۲	آه سردی
۱۶۸	۲۷	آه سری
۲۰۸	۲	آه سوزانش
۳۱۸	۳	آه کرده
۴۵	۱۲	آه کز
۲۵۷	۲	آه گرداد
۶۴	۲۷	آه می کرد و
۱۸۷	۱۳	آهن آنرا
۲۵۵	۱۴	آهن ارچه
۱۴۸	۱۵	آهن از داود
۱۷۷	۵	آهن اندر دست
۱۳۰	۳۴	آهنش را
۴۰۴	۳۷	آهن و سنگ از

صفحه	سطر	اول بیت
۱۸	۲۰	آهن وسنگست اصل
۱۹	۴۷	« وسنگ ستم
۱۸	۱۸	« وسنگست نفس
۱۵۱	۱۶	آهنی برسنگ
۲۵۵	۱۷	« کابینهٔ
۲۹۲	۳۱	آهوازوحشت
۸۶	۷	آهوافغان
۲۹۲	۳۰	آهوئی را
۳۶۰	۲۴	آمودودو
۳۰۶	۱۱	آموزاری
۱۰۲	۴	آیدازخواجه
۳۹۳	۱۷	آیدوگیرد
۲۴۷	۲۷	آید ومنعش
۶۴	۳	آینه آوردمت
۸۰	۲۳	آینهٔ آهن
۳	۴	آینه ات
۱۲۰	۲۱	آینه انداخت
۶۴	۴	آینه بیرون
۳۲۴	۲۶	آینهٔ بی نقش
۶۹	۲۸	« توجست
۸۰	۲۴	« جان
۲۷۷	۲۵	« جور است
۹۹	۱۸	« خالص
۸۰	۱۰	« دل چون
۱۱۰	۳۵	« دل صاف
۱۵۹	۲۰	« روشن
۶۴	۵	« صافی
۳	۴	آینه کز
۸۰	۲۶	« کلی بر
۸۰	۲۶	« کلی ترا
۲۷۷	۲۴	« کو عیب
۲۷۷	۲۴	« نبود
۶۹	۲۹	« ومیزان کج
۶۹	۲۹	« ومیزان محك
۶۴	۴	« هستی
۳۵	۲۴	آیهٔ انسوکم
		اب
۱۳۱	۳۸	ابتدای
۱۷۸	۲۰	ابتلا رنجی
۳۵۵	۱۱	ابتلایم
۵۵	۲۰	ابجد و هوز
۳۴۱	۱۹	ابر اگر چه
۴	۱۴	« بر ناید
۴۳۴	۱۱	« را بین
۲۹۰	۱۴	« را تابی
۲۹۰	۹	« را سایه
۴۲۳	۲۸	« راگفتم
۲۸۲	۱۸	« را گوید
۳۶۶	۲۴	« را هم
۳۹۸	۹	ابرکی یا
۲۹۰	۱۳	ابر ما را شد
۷۳	۵	« موسی
۱۳۶	۳۳	« میبارید
۹۷	۳۶	« ابروان چون

صفحه	سطر	اول بیت
۲۶۱	۷	ابر و خورشید
۴۱۷	۲	ابرهه با پیل
۷۳	۴	ابرها گندم
۳۶۸	۳۷	ابشروا
۱۹۸	۱۲	ابنعی یا
۳۶۰	۲۶	ابك لی قبل
۳۶۰	۲۵	ابك لی یا
۴۳۴	۴	ابله آن نمرود
۱۲۶	۳۷	ابلهان تعظیم
۵۱	۱۰	ابلهانش
۳۳۴	۲۶	ابلهان گفتندمجنو
۵۱	۱۱	ابلهان گفتندمرد
۱۳۳	۳۹	ابلهان گویند
۲۳۸	۳۰	ابلهانند
۴۴۱	۴۵	ابلهی زان
۱۱	۱۰	ابلهی صیاد
۲۳۸	۲۹	ابلهی کوواله
۲۳۸	۲۹	ابلهی نی کو
۴۳۹	۱۷	ابن آدم
		ات
۱۶	۱۶	اتحاد یار
۱۳۵	۱۷	اتحادی خالی
۱۶۹	۱۱	اتصالاتی
۲۲۸	۲۵	اتصالی بی
۲۹۳	۱۶	اتصالی که
۴۱۵	۱۱	اتفاقاً اندرآن ایام
۴۱۵	۷	اتفاقااندرآن شبها
۱۶۴	۱۷	اتفاقاً دزد
۳	۹	اتفاقاً شاه
۱۰۶	۲۷	اتفاق افتاد
۲۰۰	۲۶	اتفاقی نیست
		اج
۲۷۴	۹	اجتهاد گرم
۳۳۸	۱۸	اجتهادی
۱۶۸	۳۴	اجعل الخضر
		اح
۵۹	۴	احتما اصل
۳۳۰	۲۹	احتمال عجز
۵۹	۲	احتما کن
۵۹	۳	احتماها بر
۵۹	۳	احتماها مر
۴۳۱	۲۷	احتیاجی
۸۷	۲۰	احتیاطش
۳۶۷	۲۳	احسن التقویم از
۳۶۷	۲۲	احسن التقویم در
۴۳۸	۴۰	احسن التقویم را
۲۵۷	۱۶	احمد آخرزمان
۱۱۱	۴	احمدا اینجا
۲۸۷	۱۰	احمداچون کوه
۴۲۱	۲۲	احمداچون نیستت
۸۵	۴	احمدا خود
۱۱۰	۴۰	احمدا دیدی
۲۷۶	۳۲	احمد ار بگشاید
۱۱۱	۳	احمدا نزد

صفحه	سطر	اول بیت
۸۵	۱۸	احمد خضرویه
۱۴۴	۲	احمدم در
۲۳	۱۸	احمد وبوجهل در
۲۲۹	۱۶	احمد وبوجهل در
۲۴۷	۸	احمق ار حلوا
۲۴۵	۳۲	احمق است و
۱۸۱	۵	احمقان را
۲۳۹	۸	احمقان سرور
۳۰	۲۴	احمقانه از
۴۱۶	۲۰	احمقم گیر
۱۲۸	۷	احمقی ام
۳۸۶	۶	احولی از چشم
۸۴	۱۲	احولی چون
۳۹۹	۴۰	احولی دوبین
۹۲	۲	احولیها اندك
		اخ
۲۴۹	۶	اخ اخی
۳۵۰	۱۲	اختر ار با
۳۹۷	۱۰	اختران بسیار
۳۶۶	۱۸	اختران چرخ
۳۶۶	۱۹	اختران چشه
۱۸	۷	اختراند
۳۶۶	۱۸	اختران هم
۲۸	۱۲	اختراني تافته
۳۷۸	۱۷	اخترت گوید
۲۲۴	۲۶	اختر گردون
۲۷۱	۲	اختری بودی
۱۳۴	۴۴	اختلاف خلق
۱۶۱	۲۹	اختلاف عقلها
۱۹۰	۱۲	اختیار آمد
۲۸۹	۳۰	اختیار آن
۳۲۹	۳۲	اختیار اندر
۳۲۹	۳۲	اختیارت هست
۳۱	۲۶	اختیارجبرایشان
۳۲۹	۲۸	اختیار خود
۳۳۱	۲۵	اختیارش اختیارت
۳۳۱	۲۵	اختیارش اختیارما
۳۳۱	۲۷	اختیارش زید
۳۱	۲۸	اختیار وجبردرتو
۳۲۹	۳۳	اختیارو داعیه
۲۲۲	۱۹	اختیاری را
۳۳۱	۱۲	اختیاری کردهٔ
۴۳۰	۳۴	اختیاری گرچه
۱۷۰	۲۸	اختیاری میکنی
۴۳۵	۳۴	اختیاری نیست
۳۳۰	۱۰	اختیاری هست در
۳۲۹	۲۸	اختیاری هست ما
۱۴۰	۳۰	اخسئوا آید
۱۰۹	۳۶	اخسئوا بر
۲۳۴	۹	اخگرازحرص
۴۴۶	۳۴	اخلقوا
		اد
۳۴	۳۳	ادخلوا
۲۷۰	۳۸	ادخلی

صفحه	سطر	اول بیت
۴۴۳	۳۳	ادهمان گام
		ا ـ ذ
۱۰۵	۲۲	اذکروالله شاه
۲۶۵	۹	اذکروالله کار
۲۶۴	۲۶	اذن مؤمن
		ا ـ ر
۴۴۷	۴۸	اربعین صبحاً
۳۰۰	۶	ارجعی بشنید
۳۴۲	۱۴	ارمغان
		ا ـ ز
۴۴۰	۳۳	از اخ الموت
۴	۱۵	از ادب پرنور
۲۷	۷	از ادب نبود
۳۳۶	۵	از اذانت
۳۴۲	۲۵	از اسیر نیم
۲۴۸	۳۱	از اشارتهای
۱۷۹	۱۴	از اصولیت
۴۳۴	۴۴	از اطاعت
۳۹۴	۲۶	از الم نشرح
۲۸۷	۲۰	از الوهیت
۳۸۷	۳۵	از امید عود
۳۴۸	۳۶	از انا چون
۳۲۲	۳۲	از انار و
۱۸۷	۲۱	از انس
۲۴۵	۶	از اوس
۳۱۰	۲۸	از ایاز این
۲۰۹	۳۰	از بتان
۴۲۵	۴	از بخار
۲۵۵	۸	از بدی چون
۵۱	۱۵	از برای آب
۲۰۰	۲۰	از برای آزمون
۲۹۳	۲۰	از برای آن دل
۱۵۱	۴۰	از برای آنکه
۴۳۷	۳۰	از برای اطمنان
۳۲۰	۵	ازبرای امتحان ا
۱۳۹	۱۹	ازبرای امتحان خ
۲۸۷	۵	از برای این که
۳۹۰	۱۰	از برای اینقدر
۷۳	۵	ازبرای پخته خوا
۶۷	۱۲	ازبرای چارهٔ
۳۳۷	۱۳	ازبرای چشم
۳۵۹	۳۳	از برای حفظ
۴۱۴	۷	از برای حکمتی
۲۵۸	۲۹	از برای حق
۲۶۴	۳۰	از برای دفع
۱۵۷	۱۴	از برای دیدنش
۴۲۸	۳۳	ازبرای ذل
۱۰۳	۱۷	از برای شاه
۲۷۶	۲۰	از برای عام
۳۳۷	۲۷	از برای علم
۳۲۷	۲۷	از برای غصه
۳۲	۳۵	از برای فائده
۱۱۹	۲۵	از برای لطف
۱۲۴	۵	از برای مزدگانی

صفحه	سطر	اول بیت
۳۰۴	۱	ازبرای مشتری
۲۹	۳۶	ازبرحق
۴۴۷	۱۴	ازبروت خویش
۳۳	۱۱	ازبرون آواز
۱۴۰	۱۱	ازبرون بر
۱۲۶	۳۳	ازبرون بیرست
۱۹۲	۲۳	« حس
۳۹۸	۳۰	« دان
۲۸۰	۱۶	« زنجیر
۱۳۳	۴۰	« شهر
۲۳۰	۱۸	ازبزرگی
۳۰۳	۱۸	« بشربگرفت
۱۶	۲۹	« بغل
۴۱۲	۲۱	« بقیهٔ خور
۱۹۹	۲۵	« بلابگریختی
۳۶۹	۱۱	« بلال او
۲۵۰	۱۵	« بلیس او
۲۶۱	۲	« بن دندان برو
۱۲۱	۳۰	« بن دندان بگه
۳۹	۲۸	« بهاران
۵۲	۱۱	« بهشت آورد
۱۲۰	۳۴	« بهشت انداخت
۴۴۳	۲۱	« بهشت خود
۲۳۸	۱۲	ازبدرآموزایروش
۲۲۱	۱۲	« آموزکادم
۳۴۲	۲	« آنرا
۲۶۸	۱۰	« برتو
۳۹۳	۶	« چون
۸۷	۱۷	« وزمادر
۴۲۴	۱۳	« یابید
۲۴۵	۱۹	ازپس آن سالها
۱۷۰	۲۱	« آن محو
۱۱۹	۱۲	« در
۱۹۶	۲۶	« ده سال او
۲۷۰	۲۵	« ده سال بلکه
۳۸۲	۲۹	« صد ساله
۹۱	۴۵	« هرپرده
۴۱۸	۳۱	از پگه حمال
۱۹۷	۲	« پناه حق
۱۵۵	۲۹	ازپی آنکه
۲۱۹	۲۲	ازپی آن گفت حق
۲۱۹	۲۲	« آن گفت حق
۲۱۹	۲۳	« آن گفت حق
۳۰۹	۲۵	از پیازو
۵۴	۱۳	ازپی اظهار
۱۴۴	۱۰	از پیام اندر
۱۷۹	۶	ازپی این عاقلان
۴۵	۲۸	« این عیش
۱۲۹	۳۷	« تعلیم
۵۲	۱۰	« تقلید
۴۳۲	۷	« تن
۴۰۰	۱۱	« توزیع
۲۴۵	۲۱	« روپوش عامه
۳۰۲	۷	« روپوش می

صفحه	سطر	اول بیت
۲۵۱	۲۰	از بی سوراخ
۳۹۶	۲۴	« صورت
۹۶	۱۰	« طاق
۱۳۹	۱۷	« فرزند
۱۴۴	۱۸	« گندم
۳۱۴	۳۶	« مردم
۷۶	۲۱	« نظاره
۳۲۳	۳۰	« هر آدمی
۱۹	۲۴	« هر گریه
۲۸۰	۳۹	« هیکل
۲۴۶	۱۴	از ترازو
۳۵۹	۲۲	« ترهب
۹۷	۳۶	« تشنج
۲۱۹	۳	« تعجب گفت
۱۰۹	۳۰	« تعجب مردمان
۴۴۸	۱۱	« تغافل
۳۹۱	۱	« تف آن
۴۲۵	۳۶	« تف وازکف
۳۵۰	۴	« تقاضای تو
۲۴۸	۱۵	« تکبر جمله
۲۶	۳۸	« تکبرنی
۴۳۹	۲۸	« تکیف
۳۶۶	۴۲	« تنش
۱۴۴	۳۶	« تواضع
۳۷۳	۱۸	« توام
۸۰	۲	« توای بی نقش
۷۳	۱۹	« تو برمن تافت
۷۳	۱۸	ازتو برمن تافت چ
۱۲۰	۵	« بود
۱۱۷	۷	« تهدید
۲۸۳	۱۷	« جانم
۸۷	۳۷	« خواهم
۱۹۲	۲۹	« رستست
۲۷۹	۲۱	« عالم
۲۷۲	۷	« مسخی
۱۲۵	۱۵	« می دزدیدمی
۲۸۴	۵	« نوشند
۱۹۶	۳۱	« هم
۲۸۲	۲۱	از تیمم
۲۳۵	۲۷	« ثریا
۴۲۸	۲۷	« جبلت
۴۲۸	۲۰	« جحیم
۲۲۱	۶	« جدائی
۳۷۴	۱	« جز ازتو
۲۹۲	۷	ازجمادی بی خبر
۲۳۰	۲۷	« چون
۱۵۳	۲۰	« در
۱۹۹	۳۷	« مردم و
۸۸	۳۴	از جمال یوسف
۱۱۸	۲۷	« جنان
۱۱۵	۸	« جنون خود
۱۵۲	۲۱	« جنون میکشت
۳۰۴	۳۵	« جوالش
۴۱۷	۶	« جهاز ابرهه

صفحه	سطر	اول بیت
۲۴۱	۳۹	از جهان دوبانگ
۲۹۸	۲	« جهان مرگ
۳۸۰	۱۶	« جهود و
۲۵۲	۱۲	« چپ و
۲۳۴	۲۹	« چنو شاعر
۱۸۴	۴	« چنین محسن
۲۶۰	۱۰	« چنین همراه
۱۱۶	۳۲	« چوما
۸	۳	« چه ای کل
۲۷۱	۳۶	« چه بس
۲۴۴	۷	ازچه تاریك
۲۸۱	۳۰	« در دهلیز
۴۸	۳	« دم ازشاه
۴۲۵	۲۰	« رو دیگر
۲۶۴	۱	« رو فایده
۲۷۵	۱	« ره می آید
۴۳۳	۴۴	« غره
۳۷۳	۱۶	« گریی دولت
۳۷۳	۱۰	« نام برگ
۳۴۴	۲۳	از چهی بنمود
۲۹۰	۱۱	« حجاب ابر
۱۰۷	۱۷	« حجامت
۳۸۱	۹	« حجب
۲۵۱	۱۳	« حدث
۲۱۰	۲۹	« حدوث
۴۴۴	۱۱	ازحدیث آن
۴۲	۲۹	« اولیا
۱۳۹	۶	« اینجهان
۱۳۵	۱۰	« شیخ
۴۴۴	۲۱	« و
۱۰۲	۳۹	از حریصی عاقبت
۲۸۹	۳	« حریصی کم
۳۰۳	۳۵	« حریصی وز
۱۰۰	۲۹	« حسد بر یوسف
۱۰۳	۱۳	« حسد جوشان
۹۱	۳۷	« حسد میخواست
۴۰۹	۲۹	« حشم هر که
۱۱۲	۱۸	« حضور اولیا
۱۱۷	۴	« حضور نور
۲۹۷	۶	« حطب بشناس
۶۸	۱۰	« حق آن
۳۷۷	۳۱	« حکایتهای
۳۳	۲۶	« حلاوتها
۱۴۱	۳۸	« خجالت باز
۳۱۴	۱۱	« خجالت جمله
۴۰۴	۲۵	« خدا امید
۴	۸	« خدا جوئیم
۳۸۲	۲۶	خدا خواه
۴۳۸	۴	« خدا دان
۲۹۱	۲۹	« خدا غیر
۲۱۸	۱۵	« خدا لابه
۱۷۴	۲	« خدا میخواست
۲۰۴	۳۶	« خدا میخواه تا
۲۵۸	۳۹	« خدا میخواه دفع

صفحه	سطر	اول بیت
۴۷	۵	ازخدا نه بوئی
۱۰۸	۳۲	« یابی
۱۲۶	۱۴	« یت چاره
۲۲۷	۸	از خراج
۲۷۴	۳۵	« خرد
۳۵۴	۱۷	« خر عیسی
۳۲۰	۲۷	« خری او را
۴۰۶	۱۸	« خری باشد
۴۳۱	۲۵	« خری بگذاشته
۱۳۲	۳۷	« خضر
۴۰۶	۳	« خطر پرهیز
۱۱۷	۹	« خطر هاروت
۳۰۰	۲۰	« خلیل آموز
۲۹۹	۲۰	« خلیل حق
۸۴	۴	« خلیلی
۴۲۲	۷	« خیبری اشتر
۲۸	۱۸	« خود ای
۱۸۶	۳۵	« خودی بگذر
۱۴۷	۸	« خودی خود
۲۴	۳۱	« خودی سرمست
۱۶۵	۲۴	« خورش
۱۰۲	۱۹	« خوشی
۲۸۴	۱۵	« خیال آن
۸۹	۱۲	« خیالات تو
۴۴۲	۹	« خیالات وتوهم
۸۸	۳۴	« خیال بد
۳۴۵	۱۳	« خیال حرب
۳۴۵	۱۱	« خیال دشمن
۳۲۴	۱۳	« خیال زشت
۱۱۰	۲۱	« خیال ووسو
۳۹۳	۲۴	« خیال ووهم
۳۷۲	۱۵	« خیالی دوست
۲۸۴	۱۳	« خیالی گشته
۱۲۳	۱۶	« درخت انی
۲۱۲	۳	« دردل چون
۱۴۲	۲۰	« دردل و اهل
۲۹۷	۳۱	« درشتی
۲۵	۶	« درمها
۴۳۴	۲۹	« درون باغ
۹۱	۸	« درون خویش
۲۴۷	۱۷	« درون خویشتن
۲۳۲	۹	« درون کعبه آمد
۲۳۲	۳۰	« درون کعبه آواز
۲۴۴	۳۴	« درون کوزه
۵۵	۲۳	« دعا های
۳۳۱	۸	« دکانی
۷۳	۳۱	« دگر انجم
۴۰۰	۵	دگر جوها
۱۱	۳	« دگر خوبان
۱۰۳	۱۹	« دل سوراخ
۲۱۳	۱۹	« دلش چندان
۶۴	۱۲	« دل و از
۳۴۸	۵	« دل هر یك
۴۳۲	۶	« دلیلی راه
۱۸۷	۱۳	« دم آن مرده

صفحه	سطر	اول بیت
۳۴۶	۱۴	ازدهجبریل
۲۵۱	۷	« حب
۸۳	۱۹	« دیو
۳۰۷	۲۵	« شمشیر
۲۶۵	۲۶	« غم
۶۰	۱۹	« و
۱۱۶	۳۵	از دو پاره یه
۶۸	۳۰	« دو صد
۱۹۱	۱۷	« دهان آدمی
۲۰	۱۳	« دهانت
۱۷۱	۲	« دهانت نطق
۱۴۰	۳۹	« دهان غیر
۱۶۷	۳۶	« دهان لقمه
۳۱۶	۱۰	« ذکر باقی
۷۶	۴	« رحم زادن
۱۶۷	۲۲	« رضا که
۲۰۳	۳۷	« رمه چوپان
۴۳۰	۳۴	« ره آن تازه
۴۰۵	۱	« ره پنهان
۷۳	۳۲	ره پنهان که دور
۸۷	۳۲	« ره تقلید آنصوفی
۱۶۵	۱۰	« تقلید تو
۱۵۲	۳۵	« ره حس
۵۸	۳	« ره خشك
۴۳۶	۲۲	« ره خوردهٔ
۳۲۳	۲۵	« ره سر
۱۶۸	۴۰	« ره و منزل
۲۴۴	۱۵	« رهی که
۲۴۰	۶	« ریاضت
۲۲۴	۲۴	« زبان تا
۹۳	۳۶	« زراعت
۱۴۶	۱۷	« زر اندود
۴۰۲	۶	« زروزن
۲۲۴	۱	اززمین آب
۱۹۶	۳۵	« بر رست
۴۳۸	۲۹	« رویان
۳۶۸	۲۸	از زمینم
۲۲۳	۳۸	« زمین وآسمان
۴۰۵	۵	« زمین و
۱۶۲	۳۷	زنان
۳۷۳	۳۹	« زن دیگر
۱۹۱	۱۰	« زیان مال
۱۶۴	۳۱	« سبب اندیشه
۲۹۲	۵	« سبب دانی
۱۳	۳۲	« سبب سازیش
۱۰۸	۳۰	« سبب گفتن
۳۵۳	۲۰	« ستاره
۲۲۱	۲۵	« ستیزه
۲۵	۲۷	« سخن صورت
۲۶۹	۱۰	« سخن گوئی
۱۵۴	۱۵	« سخن میگویم
۱۹۷	۳۲	« سرافرازان
۱۳	۳۷	« سر اکرام
۲۷۲	۲۹	« سرامرودبن بنه

صفحه	سطر	اول بیت
۴۸	۲۹	ازسر امرودبن بنه
۲۷۳	۲	« امرودبن من
۸۷	۲۲	« تقصیر
۴۴۴	۶	« غفلت
۱۸۰	۲۹	« که بانگ
۳۱۸	۳۴	« که جانب
۱۸	۱۴	« که سیلها
۵۴	۱۶	« مهرو
۲۷۰	۲۲	« هر کوه
۳۵۴	۱۴	از سعادت
۱۴۶	۶	« سفر بیدق
۱۷۳	۲۳	« سلام حق
۲۲۹	۳۱	« سلیمان آن
۳۳۳	۴	« سلیمان هیچ
۱۷۹	۳۸	« سموم نفس
۳۸۶	۱۵	« سواد شب
۲۶۵	۳۳	« سوی تن
۷	۲۵	« سوی خانه
۲۱۱	۱۴	« سوی دوزخ
۳۹۳	۲۹	« سوی عرشی
۳۶۶	۳۳	« سوی معراج
۱۵۱	۲۲	سوی میدان
۱۷۷	۲۶	« سیاهی
۳۸۹	۳۶	« شتاب
۴۴۴	۸	« شره
۲۶	۳۱	« شراب قهر
۳۹۳	۱۴	« شراب لایزالی
۴۲۰	۱	« شش و از پنج
۴۲۸	۲۱	« ششم
۳۰۲	۴	« شکاف در
۲۴۴	۱۳	« شکاف وروزن
۲۴۴	۱۴	« شکافی که
۵۸	۲۰	« شکرگر
۲۳۱	۳۱	« شکوه و ترس
۲۱۸	۳۴	« شما پنهان
۲۲۷	۲	« شما کی کدیه
۱۳۹	۱	« شمال و از
۴۴۴	۲۵	شمروز
۳۰	۳۳	« شهانم
۲۴۷	۱	« شهی تو
۱۱۲	۵	« صحابه
۱۴۲	۱۵	صدا آن
۳۰۷	۳۹	صداع و
۳۵۰	۱۰	« صحاف
۲۰۴	۱۹	« صفاتش
۲۴	۷	« صفا گردم
۹۷	۲۰	« صفای بانگ
۶۸	۱۷	« صفت واز
۱۰	۲۷	« صفیری
۱۸۹	۲۶	« ضرورت
۱۲۱	۶	« ضعیفی
۱۵۵	۳۹	« ضلال آئیم
۱۷۲	۳۶	« ضلالت بوسه
۳۸۴	۹	« ضمیر او

صفحه	سطر	اول بیت
۱۷۰	۱۵	از ضمیر من
۳۰۲	۱۴	« طرب گشته
۴۴۰	۲۶	« طرب وز
۳۰۸	۳۰	« طعام‌الله
۱۳۹	۹	« طمع بیزار
۴۸	۲۵	« طمع هرگز
۲۲	۲۰	« عجب
۲۵۰	۲۳	« عدم چون
۳۹	۱۳	« عدمها سوی
۴۴۰	۴۴	« عدوی خویش
۳۳۴	۱۷	« عزا چون
۴۴	۱۳	« عصا
۳۲۳	۱۵	« عطارد
۴۳۲	۱۷	« عطایت
۱۵۱	۲۳	« عطای شاه
۴۶	۲۰	« عطایش بحر
۱۲۷	۱۹	« علمهای
۷۲	۳۲	« علی آموز
۳۲۱	۳۷	« علی میراث
۳۲	۳۱	« عمر چون
۴۱۰	۹	« عنایت گر
۳۰۴	۱۴	« عنب عشری
۲۱۷	۳	« عوانی
۳۷۴	۳۶	« غبار ار
۴۲۱	۱۰	« غبار موکب
۱۲۱	۳۲	« غبین
۲۵۴	۳۱	« غذای
۷۴	۹	« غرض حرّم
۱۵۰	۳۶	« غرض غافل
۲۶۹	۳۳	« غروری سر
۴۰۹	۳۵	« غری ریش
۸۵	۳۳	« غریو کودك
۳۱۷	۳۲	« غریو و نعره
۳۶۴	۱۸	« غریو و نعره‌ها
۳۱۹	۱۹	« غزا باز
۲۵۸	۱۵	« غضب آن
۴۸	۲۳	« غضب بر من
۳۴۸	۱۱	« غفوری تو
۷۳	۲۰	« غلط
۳۷	۲۹	« غم و شادی
۳۳۸	۲۸	« فدائی
۴۴۶	۲۷	« فراز
۲۸۰	۱۷	« فراش خویش
۱۹۶	۲۷	« فراق این
۲۲۰	۳۵	« فراقت زرد
۴۹	۲۱	« فراق تلخ میگو
۳۴۸	۲۱	« فراق تلخ میگو
۴۳	۳۵	« فراق تو
۳۲۴	۴۲	« فرح خلقی
۳۱	۱۵	« فسون او
۳۱۸	۲۳	« فسون واز
۳۸۷	۱۲	« فضولی تو
۴۴۴	۴۵	« فضولی دم
۱۳۸	۲۸	« فطام

صفحه	سطر	اول بیت
۳۸۳	۳۴	از فقیر
۳۳۷	۱۱	« فلان راهب
۱۱۴	۹	« فلك آویخته
۴۴۳	۳۲	« فنا بگذر
۴۰۵	۴۱	« قدح گر
۴۰۶	۳۶	« قدحهای
۴۱۰	۱۹	« قدیم و
۹۶	۵	« قران مردو
۳۲۴	۸	« قرین بی
۳۵۳	۱۹	« قرح در
۳۱۶	۶	« قش خود
۲۶۷	۲۹	« قصور چشم
۲۷	۱۴	ازقضا این
۳۶۹	۳۶	« رنجور
۳	۱۸	« سرکنگبین
۲۶۶	۲۵	« کمیرك
۳۹۱	۱۵	« موشی
۴۳۸	۴	« واز
۱۶۲	۲۹	ازقضای آسمان
۴۴۷	۴۰	از قفای شمع
۴۸	۱	« قناعت کی
۳۱۹	۳۶	« قناعت هیچکس
۸	۴	« قیاسش
۶۷	۱۳	« قیاسی
۱۴۰	۱۸	« کبابش
۳۶	۱۴	« کبد فارغ
۳۷۹	۳۵	« کبی خویان
۲۴۷	۱۳	« کتاب و
۴۲۰	۶	« کج آرم
۶۲	۱۷	« کجا آموختی
۱۰۴	۲۸	« کجا آورده‌اند
۲۹۷	۳۷	« کجا این قوم
۳۶۵	۷	« کجا جوئیم علم
۳۶۵	۷	« کجا جوئیم هست
۱۶۴	۱	« کدامین بند
۷۳	۳۱	« کدامین ره
۴۴۲	۳۶	« کرم آنجا
۴۴۵	۲	« کرم برحال
۲۷	۳۱	« کرم دان آن
۱۴۶	۳۴	« کرم دانست آن
۱۴۶	۳۴	« کرم دانست مرغ
۲۳۱	۱	« کرم شیر
۳۶۲	۲۹	« کرم من هر
۴۰۴	۱۹	« کساد آن
۲۴۷	۳۵	« کسل و
۴۲۹	۱۱	« کسی فریاد
۲۶۲	۳۴	« کسی یاری
۲۱	۵	« کلیله
۱۶۸	۳۱	« کلیم حق
۲۱۱	۹	« کمال حزم
۹۵	۲۲	« کمال طالع
۴۴۶	۲	« کمال عقل
۳۹۷	۲۳	« کمال قدرت
۴۳۶	۱۰	« کمان پران

صفحه	سطر	اول بیت
۴۳۶	۳۳	از کمان نالم
۲۵۲	۲۲	« کمی عقل
۱۷۶	۶	« کمین
۱۰۵	۲۰	« کواکب
۱۷۸	۱۰	از که اینسو
۲۲	۲۲	« بگریزیم
۳۶۲	۳۵	« پنهان
۳۶۳	۱	« پنهان
۱۱۹	۲۳	« خورده
۲۳۱	۳۵	« نالم باکه
۳۹۱	۲۷	از کهی که
۲۴۷	۴	« گران احمقان
۲۲۶	۱۵	« گرفت من
۴۲۸	۲۰	« گروه پنجمین
۱۵۵	۱	« گرافه
۳۲۱	۲۰	« گرروز
۲۶۷	۸	« گلاب
۳۹۷	۱۶	« گلهٔ انبه
۲۰۳	۲۷	« گمان واز
۲۹۹	۴	« گواه و
۱۸۴	۳۸	« لئیمی
۲۸۱	۳۱	« لجاج
۲۲۳	۳۳	« لعاب
۶۸	۵	« لعب
۹۶	۴	« لقای
۲۶۱	۳۱	« مؤذن
۴۱	۳	« مؤنث
۲۹۲	۳	« مبدل
۱۶۸	۱۹	« مثال و
۳۸۳	۴	« مثل و از
۲۹۲	۳۱	« مجاعت
۱۰۲	۲۶	« محبت تلخها
۱۰۲	۲۹	« محبت حزن
۱۰۲	۲۷	« محبت خار
۱۰۲	۲۷	« محبت دار
۱۰۲	۲۶	« محبت درد
۱۰۲	۲۸	« محبت سجن
۱۰۲	۳۰	« محبت سقم
۱۰۲	۲۹	« محبت سنگ
۱۰۲	۳۰	« محبت مرده
۱۰۲	۲۸	« محبت نار
۱۰۲	۳۰	« محبت نیش
۸۷	۶	« محقق
۳۹۲	۹	« مروت
۲۷۳	۱۶	« مزارعشان
۳۰۵	۱۷	« مسبب میرسد
۱۳۶	۲۱	« مسبب یابد
۲۵۹	۲۵	« مشارق
۳۸۵	۲۴	« مفلسف
۲۰۵	۱۷	« مقامات تبتل
۳۸۶	۲۹	« مقامات وحشر
۴۱	۱۲	« ملال یار
۱۱۴	۳۱	« ملك بالا
۱۴۷	۲۳	« ملوك

صفحه	سطر	اول بیت
۳۶۰	۱۲	از ملولی
۴۱۸	۳۶	« من آگه
۱۹۱	۲۴	« من آن آمد
۱۸۸	۹	« من آید
۴۱۲	۳۹	« من ارکوری
۸۷	۱۶	« من ارکوه
۲۹۷	۲۸	« منازل خفته
۳۱	۹	« منازلهای
۳۲۱	۳	« منافق
۱۵۰	۲۴	« منجم
۳۶۷	۳۳	« منش واخر
۳۲۴	۲۴	« من و
۳۱۰	۱۴	« منی
۹۴	۴	« مهندس
۴۴۷	۴۴	« میان بحر
۸۶	۲۶	« میان برجست
۳۷۰	۹	« میان پای
۱۸۴	۲۸	« میان فال
۴۴	۲۳	« میان مشت
۲۴۴	۱۴	« نبی برخوان که
۲۹۹	۸	« نبی برخوان که
۵۹	۲۶	« نبی بشنو ضلال
۲۸۰	۳	« نبی بشنو که
۱۳۵	۳۳	« نزاع ترك
۱۴۸	۲۸	« نشاط از
۳۶۴	۱۰	« نصیحتهای تو
۳۹۷	۳۷	« نظر این
۱۲	۱۹	« نظر چون
۲۸۷	۱۴	« نظرشان
۱۵۷	۱۲	« نظرگاهست
۱۵۷	۱۸	« نظرگه
۳۵۴	۲۸	« نظرهای
۳۵۹	۴	« نفوس و از
۳۸۹	۳۷	« نفیر و فتنه
۳۰۶	۲۳	« نماز شام
۱۳۰	۴۰	« نمازوا ززکوة
۸۹	۱۰	« نماز و صوم
۴۲۱	۵	« نوازشهای
۴۰۹	۳۸	« نوایت
۴۳	۸	« نوایش
۲۸۳	۲۸	« نهانخانه
۱۰۴	۱۷	« نیاز واعتقاد
۱۰۴	۱۹	« نیاز و اعتقاد
۳۶۱	۳۹	« وبای
۱۰۷	۲	« وجود او
۱۹۷	۳۳	« وجودم
۴۱	۲۱	« وجود و از
۳۷۴	۷	« وجودی
۱۲۷	۳۷	« وطن پرسید
۲۶	۱۹	« وظیفه بعد
۳۴۱	۱۷	« وفا و
۲۹۸	۲۴	« وفای
۴۴۴	۱۸	« وماینطق
۴	۳۳	« وی ارسایه

صفحه	سطر	اول بیت
۹۱	۲۶	از وی این
۱۵۶	۱۸	« هراس و
۸۷	۳۰	« هزاران اندکی
۴۱۸	۳۸	« هزاران کس
۲۶۸	۲۱	« هزاران من
۳	۱۹	« هلیله قبض
۱۷۲	۱۱	« همه امید
۳۸۴	۱۵	« همه اوهام
۳۵	۲۳	« همه دلها
۶۰	۳	« همه طاعات
۲۵۳	۳۵	« همه عیش
۱۷۳	۴۰	« همه کار
۱۹۵	۲۱	« همه محرومتر
۱۷۲	۱	« همه نومید
۲۳۱	۷	« هوا بشنید
۲۹۳	۳۰	« هوا رانی
۲۳۷	۲	« هوا زیر
۴۱۳	۴	« هوا شد
۱۲۱	۲۲	« هوا من
۶۸	۱۶	« هواها
۱۲	۱۹	« هوای خویش
۴۰	۲۷	« هوای لقمهٔ
۳۰۴	۲	« هوای مشتری
۳۰۳	۳۵	« هوای مشتری و
۲۳۴	۱۲	« هوس آن دام
۱۷۰	۲۶	« هوس از
۳۱۸	۵	« هوس در
۱۷۰	۲۷	« هوس گراز
۱۹۷	۱۲	« هوس وزحرص
۴۲۹	۴۲	« یقین
۹۵	۸	« یك اندیشه
۲۰۰	۲۷	« یکی تا
۴۰۶	۱۲	« یکی چون
۴۲۵	۳۳	« یکی دانه
۵۹	۶	« یکی روضد
۳۳۴	۲۹	« یکی کوزه
		أ ـ ژ
۱۵۳	۱۰	اژدهائی چون
۱۰۸	۳۵	« خرس
۱۵۳	۶	« مرده
۲۶۰	۳۲	« می شود
۳۶۱	۳۷	« نا
۱۵۲	۲۲	اژدها بد
۱۵۲	۲۳	« بود
۲۵۳	۲۲	« ر اژدها
۱۰۹	۱۶	« را اوبدین
۱۵۴	۱	« را دار
۱۰۹	۱۶	« را هست
۱۵۳	۳۰	« کز
۳۰۱	۲۴	« گردد
۱۱۴	۱۰	« گشتست
۱۱۴	۱۱	« ومار
۱۵۳	۳۶	« یك لقمه
۲۶۰	۳۲	اژدهای کوهئی

صفحه	سطر	اول بیت
٤٢١	١٥	اژدهای هفت
		ا - ب
٣٧٨	١٤	اسب ایمان
١٩٠	٢٧	« این خواجه
٢٥٩	٢٦	« باغي
٩٩	٦	« بی راکب
٦	١٧	« تازی
١٠	٢٩	« جانها
١٩٥	١٥	« خود را ای
٢٥	١٤	« خود را یاوه
٢٥	١٣	« خود را یاوه
٩٩	٣	« داند اسب
١٩٥	٢٠	« داند بانك
٤٠٢	٣٧	« را اندر
١٩٠	٣١	« رابفروخت ج
١٩٠	٢٨	« رابفروخت چ
٤٠١	٣٢	« رنگین
٢٩٦	٢٦	« زیر ران
٢٠٩	٨	« زیرك
٢٨٧	٢٢	« سر کش
١٠١	١	« سکسك
٣٤٣	٢٩	« کشت و
١٩٠	٣٠	« کش گفتی
١٣	٢٧	« همت
٣٢٩	٣٤	« هم حوحو
٤٤٠	٢٤	اسبی از ادبار
٤٤٠	٢٣	« خاصیت
٣٢١	٩	اسپر آهن
٤٠٥	٢٣	اسپرت باشم
٣٦٧	٢٩	اسپر خود
٢٤٧	٣٧	استخوانت را
١٨٣	٢٢	استخوان حرص
٣٦٧	٣١	« و باد
٦٢	٢٣	« و پشم
٣٨٠	٣٠	« و موی
٥٩	٢٧	استخوانهاشان
٣٣٧	١٧	استخوانها رفته
٨٩	١٠	استعیذالله
٢٩٦	١٣	استعینوا
٤٣	٣	استن این عالم
٤٣	٣٣	استن حنانه
٢٣٥	٥	استن من
٤٤٥	٣٧	استوی از
٣٨٦	٥	اسجد والادم
٣٩٨	١٠	اسرحی یا
٤٠٦	٢	اسلم الشیطان
٦٨	١٨	اسم خواندی
٢١٩	٢٤	اسم مشتق است
٢٧	١٩	اسم هرچیزی بر
٢٧	١٩	اسم هرچیزی تو
٢٧	١٦	اسم هرچیزی چنا
		ا - ش
٥١	٩	اشباهی و
٣٦٢	١١	اشباهی هست

صفحه	سطر	اول بیت
٤٠	٢٩	اشتر آمد
٤٠	٢٩	اشترا تنگ
١٣١	٢٧	اشتر از چستی
١٧٤	٢٩	اشتر از قوت
٣٦٢	١٢	اشتراك لفظ
٣٨٤	١١	اشتران بخشیم
١٨٧	٣٥	اشترانشانرا
٤٤٠	٣٢	اشتران شاه
٣٢٢	١٣	اشتران مصر
٨٩	٢٦	اشترش بردند
٢٣٧	١١	اشتر کوری
٤٤٠	٢٦	اشتر محمل
٤١٣	٢٣	اشترم من
٤٤٠	٢٥	اشتر و ایل
٣٨٨	٣٥	اشتر و گاو
٣٥٥	١٢	اشتری ام
٢٠٣	١٠	اشتری بد کو
١٢٤	٣٦	اشتری گم کردهٔ
١٢٣	٣٤	اشتری گم کردی
٢٩٧	٣٤	اشتها داری
٣٩٠	٣١	اشتها صادق
٣٨٣	٣	اشتهای گول
٨	٥	اشقیا را
٢٥٨	١٦	اشك از آن
٢٦١	٢٥	اشك خون بررخ
٢٨٦	٣٩	اشك خونست
١٤	٢٧	اشك دیده
٣٨٣	٦	اشکش از
٣٧	١٧	اشك کان
٤٢٢	١٣	اشکم پر لوت
٤٢٢	١٣	اشکم خالی
١٤٨	٣٥	اشکمش
٣٠٩	٣٤	اشك می باردچو
٣٠٨	١٧	اشك می باروهمی
٤٠٧	٣٣	اشك می بارید
٤٢٣	١١	اشك میراند
١٧٢	٣٠	اشك میرفت
		ا - ص
٤٣٦	١٦	اصبع اندر
١٦٧	١٠	اصبعت در
١٨١	١٣	اصبع لطفست
٤١٥	١٠	اصبع ملدوغ
٦٧	٢٣	اصطلاحاتی است
٤١١	١٩	اصطلاحاتی میان
٦٩	١٤	اصل آب
١٦٥	٧	اصل آن ترکیب
٢٤٤	٤	اصل ارض الله
٢٠	١٩	اصل ایشان
٢٩٧	٧	اصل این شاخست
٢٤٧	١١	اصل این نور
٣٠٨	٤	اصل بیند دیده
٣٧٤	٢٣	اصل خود جذب
٣٤١	٢٤	اصل دان
٣٢	٣٢	اصل را

صفحه	سطر	اول بیت
٥٠	٢٣	اصل روغن
١٧٩	١٦	اصلشان بد
٣٣٣	٣٤	اصل صد یوسف
٢١٢	١٢	« ظلم
٣٧	١٣	« غیرتها
٨٣	٢٩	« کینه
٢٤٧	٣٤	« لشکر
١٩١	٢	« مارا حق
٢٥٢	٣٦	« ما و اصل
١٨٦	٣٢	« ماهی
١٤٤	٣٥	« نعمتها
١١٩	٢٥	« نقدش
١٤٣	٢	« و اجداد
١١٦	٣٧	« و سرچشمه
		ا - ض
١٨٢	٥	اضطراب ماه
١٨٢	١٢	اضعف مرغان
		ا - ط
٢٩٦	١٤	اطلب الدر
١٦	١٥	اطلب المعني
١٦٠	١٨	اطلبوا الارزاق
٣٧٨	١٣	اطلست عمرو
٢٤٤	٧	اطلس تقوی
٣٧٧	٣٦	اطلس چه
٣٧٨	١٤	اطلس عمرت
٣٧٨	١٣	اطلسی کز
		ا - ع
٢٥٠	٥	اعتباری گیر
٧٤	٣٣	اعتراض او را
٢١٩	١٤	اعتقاد اوست
٤٣١	١٤	اعتقادش داشت
٤٣١	١٧	« نیست
٤٣٢	٣١	اعتقاد واعتقاد
١٢	١٠	اعتماد جمله
٢١٨	٢٤	« زن
١٤٥	١	اعتمادش بر
٣٣٢	٣٧	« برهزار
٢١٨	٢٥	« بود از
١٧٤	٢٠	« بود بر
٣٢٧	١٢	« نیز
٢٧٩	٢٩	« نیست
٦٦	٤	اعتمادی بود
١٧٤	٢١	« داشت
٤٠٨	١١	« کرد
٣٦٢	٩	اعجمی ترکي
١٩١	٦	« چون
٢٧٧	١	اعطماشاؤا
١١١	٥	اعمی روشن
٢٤٣	١٦	اعور آن
		ا - غ
٢٨٣	٣٠	اغتذبالنور
٦٨	١٠	اغلب الظنین
٢١٩	٣٦	اغنیا مانندهٔ
		ا - ف

صفحه	سطر	اول بیت
٢٥٧	٨	افتخارازرنگ
٢٧٧	٢١	افتد اندر دام
٤٤٤	١٨	افصح الایام
١٤٥	٢٤	افرحوا
١٨٤	٣٤	افعئی برپشت
٩٥	٢٧	افکن این
		ا - ق
١٧١	٢٥	اقتدا کردند
٣٥٤	١١	اقتضای جان
١٧٦	٣٨	اقتضای
١٩٨	٣٨	اقتلونی اقتلونی
٧٦	٧	اقتلونی یا
٣٢٥	٧	اقرضوا الله اقرض
٢٨١	١٣	اقرضوا الله قرض
		ا - ك
٢٣٨	٢٨	اکثراهل
٦١	٢٨	اکه وابرص
		ا - ل
١١٧	٣٠	البقة
٢٢٨	٢١	التجا بر تست
١٨٢	٣٢	الحذر ای گل
٦٥	٢١	الحذر ای مؤمنان
١٩٢	٢٥	الحذر ای مرگ
٣٥٥	٣٠	الحذر ایناقصان
٤٠٢	٣٨	الحق اندر
٢٢٠	٢٢	الخبیثات
٤٢٨	٨	الذی جعل لکم
١٠٣	٣٨	السماء
٦٩	١٠	الشقی
١٥٠	٢٨	الصلا ای جمله
١٩٢	٢٦	الصلا ای لطف
٤٧	٩	الصلا ساده
٢٢٧	٣٩	الصلا گفتیم
٣٨٨	٣	الضیافه
٣٥٥	١	الغیاث
٥٤	٧	الف این
٣٥٥	٣٠	الفرار ای
٣٨٨	٣	الکیاسه
٩٠	٢٦	النبي قد
٣٨	٢٢	الوداع ای خواجه
٣٨	٢١	الوداع ایخواجه
١٥	٢٥	الوداع ایدوستان
٣٠١	١١	الله الله الله
١٤	١	« این جفا
٣٤٢	٢٤	« این چه
٢٥٨	٧	« با چنین
٢٥٨	٥	« تاکنون
٢٥٨	٤	« ترك
٢٥٨	٣	« تو گمان
١٤١	٣٢	« جمله
٢٥٨	٦	« چون ز
٢٥٨	٥	« چون عنایت
٣٦٢	١٦	« چونکه
٢٥٨	٦	« چونکه عصبا

صفحه	سطر	اول بیت
١٩٩	٢٣	الله الله در
٤٠٥	٣٧	« زان
٢٥٨	٢	« زود بشتاب
٢٥٨	١	« زودبفروش
٢٥٨	٤	« زودتر
٢٥٨	٣	« زوددریاب
٣٤٠	١١	« گرد
٢٥٨	٢	« گوی شد
٨٧	٩	« میزنی
٢٥٨	١	« هیچ
١٤	٢٢	« یك نظر
		ا - م
٧٣	٨	امت احمد
٢٢٩	٣٥	امت العشق
٢٩٥	١٧	امت الکفران
١٤٩	١	امتحان برامتحان
٢٢١	٢	« چشم
٢٢١	٣٧	« خود
٧٠	٢١	« راکار
٣٢٠	١٢	« زین
١٨٠	١١	امتحانست
٢٢٢	٣	امتحانش گر
١٢٠	١٢	امتحان شیر
٢٢١	٨	« کردم
٧٠	٢٢	« کن جمله
٤٨	٣٤	« کن فقر
١٥٠	٢	« میکرد
١٢٤	٢٣	« های
٢٢٢	٥	« همچون
٢٢٢	٦	امتحاني گر بدانست
٣٩٤	٢٤	امت خود را
٦٢	٢٣	امت مرحومه
٣٩٣	٢	امتناع پیل
٧٣	٣٥	امت وحدی
١٥٢	١٣	امر آمد سوی
٣٥٣	٩	« آید در
٤١١	٧	امرؤالقیس آمد
٤١١	٥	« از
٣٣٢	٥	امر امرآن
٤٣٢	٤٠	« امر تست
٣٨٤	٣٢	« حق آمد
٢٣٧	٣٢	« حق بشنوکه
٣٢٥	٤	« حق جانست
٤٦	٧	« حق را باز
١٨٤	٨	« حق راماگروه
٤٤٠	٦	امردان را از
٤٤٠	٧	« بند
٤٠٨	٤٠	امردی و
٣٤٧	٤١	« سلطان به
٢٧٣	١٧	امرش آمد
٦٠	٣٦	امرشاورهم
٣٣١	٣٢	امر عاجز را
١٧١	٢	امر غضوط
٣٣٣	١١	امر قل زین

صفحه	سطر	اول بیت
۳۰۷	٤	امر کردی در
٦۲	۱۲	« کن
۳٤۸	۸	« ما پیش
۳۸۳	۲۵	« معروف
٤۳	۲٤	« می‌آمد
۳۲۵	۱۲	« وفرمان‌بود
۲۲۵	۲۵	« و فرمان‌را
۳۲۹	۳۱	« و نهی و
۳۷٦	۱۲	« هم‌شوری‌بخ
۳۹۱	٤	« هم‌شوری‌بر
٤۱۸	۱۵	امشب ارامکان
۱٤۷	۱٦	« باران
٤۱٦	۳۸	امن دیدی
٤۱٦	۳۷	امنشان
۲۹۱	۱	امن مأکولان
		ا - ن
۳۳۲	۳٦	انبساطی
۳۹۰	۲۲	ان‌بعض‌الظن
٤۱۵	۱٤	انبهی از تست
۲۱٦	۱٤	انبیا با دشمنان
۳۸۸	۲۸	« بودند
۲۵۹	۵	« چون‌جنس‌رو
۱۵	۲۰	« چون‌جنس‌عل
۱۷۷	۱۷	« در قطع
۱۵	۱۸	« در کار
۲۲۱	۲	« را امتحان
۱۹٤	۷	« را تنگ
٤۰۷	۳٤	« را حق
۳۹۸	۲۸	« را داد
۱۵	۱۹	« را کار
۱۰۰	۲٦	« را گفته
۹۱	۳۹	« را واسطه
۳۳۹	۲۲	« زان
۳٦۷	۱۸	« شان
۱۲۰	۱۹	« طاعات
۱۸۰	۳۷	« گفتند آوه
۱۸٦	۳۷	« گفتندباخاطر
۱۷۹	۳۰	« گفتنددردل
۱۸٤	۲٦	« گفتند فال
۱۸۳	۳٦	« گفتندکاری
۱۸۰	۱۰	« گفتند کاین
۱۸٤	٤	« گفتندنومیدی
۱۷۱	٤۱	« گویند
٤۳۸	۱۹	« میزان
٤۳٦	۵	« و اولیا
۳۲۵	۷	« هر یك
۳۳٤	۳۸	انت سر
۳۰۹	۳٦	انتظار چیستی
۲۳۵	۳۱	انتظارم کشت
۳۰۸	۳۲	انتظارنان
۳٦۲	۲۱	انت عقلی
۳۳۵	۱	« کالریح
٤۳۳	۱۵	« منی
٤	۲۳	« مولی

صفحه	سطر	اول بیت
۳٦۲	۲۰	انت وجهی
۳۵٤	۲۸	انجم آمد
۱۹	۱۲	اندرآئیداندر
۱۹	۱۰	« ای‌مسلمان
۱۹	۱۰	« ای‌همه‌پر
۱۹	۱۱	« ای‌همه‌مس
۱۹	۱۱	« و
۳۸۲	۲۹	اندر آینه
۱۹	٤	« آ اسرار
۷٤	۱۷	« آ اکنون
۲۸۲	۲۳	« آتش
۱۹۲	۱۵	« آخر حمزه
۳٤۸	۳	« آدرجو
۱۷٤	۱۷	« آدر حبس
۵۹	۳۷	« آدر سایه
۷۷	۱۳	« آدرگلستان
۷٤	۱٦	« آ کازاد
۱۹	۳	« آمادربین
۱۹	۷	« آمادر بحق
۱۹	۸	« آمادر که‌اقبا
۱۹	۲	« آمادر که‌من
۳۷۰	۹	« آمداوز
۳٦۲	۲٤	« آمد پیش
٤۱۸	۲٤	« آمدجوحي
۲٦	۲۲	« آمد چون
۱۹۹	۲۱	« آمددربخارا
۱٦۲	۱	« آمددیگری
٦	۱۷	« آمد شاد
۱۹	۱۳	« آمد مادر
٤۱۷	۱٤	« آمد مست
۷٤	۲٤	« آمن در
۹۷	۳۱	« آن ایام
۷۹	۲۵	اندرآن‌بازار
۲۰۷	۲۵	« بازی
۱۹۲	۱۱	« باغ
۲۳۳	۲٤	« بحرو
۲۰٤	۱۷	« بستان
۲۱٦	۲۳	« بودیم
۹۸	۲۱	« تقریر
۳۲٦	۳۷	« جز
۱۹٤	۳	« حلقه
۳۱۷	۵	« حمام
۱۲۲	۱۲	« حمله
٤۱۳	۲۷	« دستی
٤۱۸	۲۳	« دم
۱۷۸	۳٤	« ده
۲٤۳	۲۷	« رقعه ثنا
۳۸۱	۲۰	« رقعه‌نوشته
٤٤۱	۸	« روزی
۱٤٦	٤۱	« ره
٤۰۲	۲۷	« زندان ز
٤٤٤	۳۵	« زندان نهد
۱۲۵	۱۱	« صحراکه‌آن
۲۰۲	۳۳	« صحرا که

صفحه	سطر	اول بیت
۳٤۹	۳۱	اندرآن‌صفها
۲۵۰	۱٦	« طفلی
۲۰۲	۳۳	« عالم
٤۰٦	۳٤	« قامه
۲۹۸	۳٤	« کاریکه‌ثا
۲۹۸	۳۵	« کاریکه‌دا
۲۲٦	۲٦	« کفه
۱٦۳	۲٤	« که بود
۲۰۳	۱۱	« مزرع
۳۳۷	۱۲	« می
۱۸۷	۳۳	« وادی
۳۷۷	۱۹	« هنگامه
۱۹	٤	اندر آوآب
۱۹	۹	« آودیگران
۳۷۵	۳	« آوردش
٤۱٦	۳۹	« آید تا
۲۷۱	۲۵	آید لیك
۲۷٦	۲۵	« احمد
۱۵۹	۱۵	« استغنا
۱٤۰	۱۷	« افتادند چون
۲۷۳	۳۸	« افتادند در
۳۱۳	۳٦	« افتادنددرهم
۱٤۷	۳۰	« افتادن‌ز
۳۲۷	۳۸	« افتد
۱۸۷	۲۹	« افتم
۲۰۳	۲۵	« الهیکم بجو
۲۰۳	۲٦	« الهیکم بیان
۲۷۹	۲۷	« انبان
۱٤۷	۳۱	« او اشکال
۳۰۹	۲۸	« اویك خیرو
٤٦	۲۲	« ایام
۵۱	٦	« ایشان‌بنگر
۲۹	۳	« ایشان‌تافته
۲۱۹	۳۷	« ایشان‌حرص
۱۹	٦	اندراین آتش
۲٦۰	۳۱	« آخر
۲۲۳	۳٤	« آهنگ
۳۲۳	۲۲	« امت
٤۱۵	۵	« اندیشه
۳۸٤	۵	« بود او
۳۸۷	۱۱	« بود او
۳۷٦	۳۵	اندر اینجاآفتاب
۱۲۳	۱٤	« هیچ
۳۹۹	٤۲	اندراین جوغنچه
٤۰۰	۵	« جوهرچه
٤۰۰	٦	« جوهرچه
٤۰۰	٦	« جوهرچه
۳۱۳	۱۱	« دو
٤٤۵	٤۳	« ره‌بایدت
۷٤	۳٤	« شهر
٤۷	۱۹	« عالم
۱۷	۱٦	« فتنه
٤۱۷	۷	« فسخ
۳۹۹	٤۰	« کاشان

صفحه	سطر	اول بیت
۲٤۱	۲٤	اندراین کون
۱۲٤	۲۰	« گردون
٤۰۲	٦	« گرمی
۲۱۳	۳٦	« معنی‌پیر
۳٤۱	۳۱	« معنی‌حک
۱۰۳	۲۹	« معنی‌شنا
٤۳٤	۲٦	اندروبستان
٤٤۵	٤٦	« تبدیل
٤۳۸	۳۲	« قصری
٤۰۲	۳٦	اندرون پر شور
۳٦	۱۸	« تست
۹۱	۱۷	« خانه
٤۲۲	۳۳	« خویش
٤۱٦	۲۷	« زهر
٤۱۸	۳۱	اندرونش
٤۰٤	۳۸	اندرون‌گاو
٦٤	۲٦	« میسوختنت
۱۷۸	۲۸	اندرو نوع
۱۲۰	۳۵	اندرون هر
۱۰۸	۲۵	اندرونی حیله
۱۲۵	۹	اندرین‌اشتر
۱٦٦	۳۵	« اندیشه‌تشو
۷۱	۳	« اندیشه‌میبو
۱۲۳	۲٤	« اندیشه‌خوا
۳٤۰	۳۷	« باران
۳٤۹	۲	« بحث
۱۸۹	۲۱	« بودند
۸۰	۲۸	« چشم
۲۹۳	۸	« دشمن
۲۳۸	۳۳	« ره ترك
۳۸	٦	« ره مبتراش
۳۱	۲	« فکرت
۱۵۲	۱۲	« کوچه
۱۵۸	۱۱	« گفتن
۲۱۲	۲۷	« محضر
۱۸٦	۲۱	« معنی‌بگویم
۱۳٤	٤٤	« معنی مثالی
۳٦۳	۳٦	« نشات
۱۱	۱٦	« وادی
۱۵۵	۷	« ویران
۱۷۸	۲۲	اندك‌اندك‌آب را
۲۵۰	۲٦	« خوی
۹۰	۱۹	« می‌ستا
۲۹	۱۰	« نور
۱٦۱	۲۲	اندکی اندر
٦۳	۲٦	« جنبش
۱۵٦	۳۳	« چون
۳۹۲	۲۲	« زان
۲۹۵	۲۰	« زین شرب
۲۲۰	۱٦	« سرگین
٦۳	۲۵	« صرفه
۲۵۵	۳۱	« گفتم بتو
۳۳۳	۲۱	« گفتم زآن
٤۳۱	۳۰	« گندم

صفحه	سطر	اول بیت
۳۱۸	۲۲	اندکی من
۲۹٦	۱٤	ان رأیتم
۱٤٦	۱٤	انس تو با دایه
۱٤٦	۱٤	« تو با شیر
۱٤٦	۱۳	« تو با مادر
٤٤٦	٤۷	« وجن
۲۷۹	۹	ان شیئاً
۱۸۰	۱۷	انصتوابذیر
۱۳۱	۳۷	« را
۳۳۳	۱۱	« یعنی
۲۸۸	۱۸	انفقوا گفتست
۲۸۳	۳۰	ان‌فی‌الجوع
۷٦	۸	ان‌فی‌موتی
٤٤۵	٤٤	انقلاب
۳۰٦	۳۸	انگبین دارو
۳۵۲	۱۰	« گر زانکه
۱۹٦	۱۱	انهم تحت
		ا - و
۲٦۳	۲٦	او ادب
۱۷٦	۲٤	« از او صد
۱٦۰	۲۷	« از این
۳۳۸	۲	« اگر دیوانه
۲۳٦	۲۱	« اگر معزول
۳٤٦	۲۹	امین من
۲۸٦	۸	« بیند نور
۱۹۳	۲۱	« بینی
۱۰۱	٤۰	« بپوشد
۱۲۷	۱۰	« بتسبیح
۷۷	۲۳	بتیغ
۲۸۰	۳۵	« بجد می‌شست
۱٦۲	۱۰	« بحسن وجلوه
۱۳۹	۲	« بحکم حال
۳۱٦	۳۱	« بحمام
۱۷٦	۱۵	بخودبرداشت
۳۰۵	۲۸	« بداد کل
۳٤٦	٦	« بدان قوت
۱۹۱	۳۳	« بدریا رفت
۱٤۹	۵	« بدعوی
۱٤۳	۹	« بر آرد
٦۲	۳۱	برون رفته
۱۷۹	۱	« برهنه آمد و
٤۲۱	۲۸	« بسر با خالق
۱۰	۱۳	« بسر دجال
۱۷٤	۱۸	« بسوی آسمان
۱۲۷	۱۸	« بسوی سفل
٤۲۸	۱٤	« بسیزده سال
۳۳۷	۲۹	« بسی کوته
۱۵۵	۲۵	« بسی مردم
۳۰۷	۳۲	« بصنعت
۱۰	۸	« بظاهر
۲۰۰	۱۲	« بعکس شمعها
۱۸٤	۷	« بفرمودستان
٤۷	۱٤	« بقصد
٤۱	۷	« بقول

صفحه	سطر	اول بیت
٤٤٧	٢٦	او بکردوکار
٧٤	٢٣	« بکوشد تا
٤٠٦	٢٥	« بگرداند دل
٣٢٦	٣٧	« بگفتی خانه
٤٠٥	٢٠	« بگفتی مر
١٦٨	٢٤	« بگفتی یارب
٣٩٩	٣٥	« بگوید رو
١٨٤	٣٦	« بگوید نی
٢٩٢	٣٥	« بمانده در
٥٧	٣	« بمانده دور
٢٢٢	١٧	« بنسبت
٢٩٩	١٥	« بنوروحی
٤٣٠	٢٠	« بود اندر
٣٦٥	٣١	« بود حاضر
١٥٩	٣٦	« بود سلطان
١٣٥	٣١	« بود محروم
١٤١	٣٥	« بهانه ساختی
١٤١	٣٥	« بهر سالی
١١٣	١٣	« بهر شهری
٨٦	٣٣	« بیابد
١٠	٧	« بیان میکرد با
١٠	٨	« بیان میکرد
٣٧٤	٢٩	« بیك مشتم
٢٦٤	٢٨	« پذیرای
٣٩٨	١٢	« پریراز
٣٧٩	١٢	« پس از تو
١٧٠	٣٤	« پلیدی را
٦٩	٣٠	« ت گوید
٤٠٧	٣٦	« تو است
١٠٩	٢٤	« توئی خودرا
٨٠	١٣	« جبلست
٢٤	١١	« جواب
٩٨	٨	« جوانتر
٥٩	١٢	« جهان
٢٩٥	١٥	« چراغ خوش
١٦٥	٥	« چنان پنداشت
٥٩	٢١	« چنان پیراست
٢٩٠	٣٤	« چنان غرقست
١٠٢	٢٠	« چنین خوش
٦٨	٣	« چنین و
٣٨٧	٥	« چوآبدیده
٢١٢	٢٤	« چو آمد من
١١	٣١	« چو باشد
٢٣٦	١٦	او چو بیداریست
٣٨	٢٨	« بیند
٣٧	٩	« جانست
١٤٩	١٥	« ذوق
٣١٨	٢٩	« عقل
١٤٢	٢٥	« فارغ
٢٧٤	٣	« فرعونست
٩١	١٨	« موسی
٨٠	٢١	« میخواند
٩١	٤٤	« نور است
١٧٢	٢١	او چه اندیشد

صفحه	سطر	اول بیت
٣٣٧	٤١	او چه داند
٣٨	١١	« چه کرد
١٠٥	١٢	« چه می بیند
١٨٧	٢١	« حکایت کرد
٣٠١	٧	« حملناهم بود
٧٢	٣٣	« خدوانداخت
٧٢	٣٣	« خدوانداخت
٣١٢	١٠	« خروس
٣٨٥	١	« خود از
٩٦	٣٣	« خورد
١٩٧	١٧	« در آخر
١٦١	٣٦	« در آمد
٤٤٥	١٧	« در آنجای
٤٠٢	٣٧	« در این حیرت
٤٤٣	٢٣	« دراین میدان
٢٠٧	٣٠	« درخت
٩٥	٢٥	« درون دام
٢٠٩	٩	« دات را
٣٥٦	٢٧	« دلش دادی
٤٣٤	٨	« دلیل راه
٣٧٣	٣٥	« دو آلت
١٩٨	٣٦	« دو صد جان
١٢٩	٢٣	« روانست و
٩٧	٣٠	« ز بانگ
٩٦	١٨	« زبحرعذب
٣٧٠	١٩	« ز بیجونی
١٩٨	٢٤	« ز تو آهن
٤٢٨	٤٠	« ز تو درکار
٨٤	١٦	« ز تو رو
٣٠٠	٤	« ز جمله پاك
٣٩٧	٢١	« ز حق در
٢٤٠	٩	« ز حیوانها
١٧٤	٧	« ز خشم آمد
٤٣٣	٤٣	او زرالوزرای
٣٩٨	١٩	او زرم داد و
١٩٦	٢١	« ز روی
١٥٣	١٢	« ز سرماها
١٠١	٩	« ز شرعامه
١٥٠	٨	« ز صیادان
١٠١	٩	« ز عار
٤٣٣	٣٢	« ز فرط
٣٤	٢١	« ز قعر
١٠٩	٢١	« ز موسی
٤٣٠	٣٢	« ز نادانی
١٩٢	٣٣	« زنا کرد و
١٣	٢	« ز یك رنگی
٣٣٠	١١	اوستادان
٢٥٦	٨	اوست بر هر
١١٨	١٧	اوست بر هر
٢٧٦	٢٧	اوست بی تغییر
١٦٦	٣٦	اوست تنها
١١٦	٢٠	اوست دیوانه
٤٢٩	١٣	اوست هر
٣٣٦	٨	اوستیزه کردو

صفحه	سطر	اول بیت
٤٣٦	٤٧	او سرم بشکافد
٤٣٩	١٠	« سعادتمند
١٤٦	٢٩	« سگ فرخ
٤٠١	٢٦	« سواره گشت
١٤٤	٣١	« شده تسلیم
٤٣٣	٣٠	« شده درمملکت
١١٢	٣٤	« شریفی میکند
٣٥٤	٢٠	« شفیع است
٤٣٤	٧	« شفیع و
١٤١	٤	« شکسته
٣٧٢	٣١	اوش افزاید سخت
٣٧٢	٣٠	« و
١٠٤	٣٠	او شناسد بوی
٣٨٥	٣٤	« صله است
٨٥	٢٨	« طبق
٤٣٤	١٢	« طبیب و
١٢٥	١٢	« طلبکار
١٨٦	١٧	« عجب مانده
١٦٩	٢٩	« عجب میماند
٣٣٠	٣٥	« عدوی جان
٤٤	١١	« عصاتان
٤٣٤	٢٢	« علی التحقیق
٢١٧	٧	« عوان را
٤٤٠	١١	« فتاده در
٣٢٤	٣١	« فرو افکند
١٧٣	٣٢	« فضولی بود
٣٧٢	٢٢	« قفایش دید
٣١١	٢١	« کجا بود
٣٩٨	١٩	« کله بخشید
٤٣٢	٢٠	« گذشت و
٣٤٩	١	« گریزان و
١٩١	٤	« گریزانید
١٩٩	١٧	« گلستانی نهانی
١٦٥	١٢	« گمان برده که او
٤١٧	٦	« گمان برده که اش
٨	١٥	« گمان برده که من
١١١	١٢	« گمان دارد که با
٣٠٣	١٩	« گمان دارد که می
٢٠٨	٣	« گناهی کرد
٢٥١	٣٥	اول آن پند
٦٧	١٧	اول آنکس
١٣٥	٢٠	اولا اخوان
٢١٣	١٢	« بشنو که
٥٩	٥	« بشنو که
٣٩٧	٣٣	« بر بست
٣١٧	٤٠	اول ابلیسی
١٤٦	٢	اولا خرگاه
١١٥	٢٦	« دزدید
٣٧٠	٣٢	اول ارشد
٢٦٢	١٥	« از بهر
٤١٧	٣٥	اول استعداد
٣١٧	٣٦	« او را
٣٦٥	٢١	اولا وقت
١٠	١٦	اول ای جان

صفحه	سطر	اول بیت
١٧٢	١٧	اولش پوشیده
٢٣٧	١٥	اولش دودو
٢٥٩	٣٢	« دود و در
٢٩٦	١٣	« علمست
٣٧٢	٣٧	اول صف
٩٤	٥	« فکر آخر
٢٢٤	٣٥	« فکر آخر
٣٥٥	١٠	اولم این
١٣٣	١	اول و آخر باید
٢٧٢	١٠	« و آخر توئی
١٣٣	٢	« و آخر نشانت
٣٩٣	٣٠	« و آخر هبوط
١٤٦	١	« هر آدمی
١٤٦	٢	« هر میوه
٦٣	٢٩	اولیا اصحاب
١٣٩	١٨	« اطفال
٤٣٢	١٠	« ء الله
١٩٤	١٦	« را خواب
١٩٣	٨	« را داشتی
٣٩	٣٥	« را در
٣٥	٢٢	« را هست
٤٣٠	٢٨	اولین افتاد
٤٢٨	١٨	« باشد
٢١٣	٩	« خلعت
٣٥٥	٢٠	« خون
١٤٢	٣٤	« در را
١١٦	٨	او مجال راز
٢٧٧	٢٢	« محك میخواهد
٣٢٥	٥	« مذلت خواست
٤٤٥	٥	« مرا چندان
١٢٠	٢٢	« مرا غماز
٤٠١	٩	« مع الله
٣٠١	٩	« مقلد وار
٢٧٣	١	« مکرر کرد
٦٩	١٣	« مگر بنظر
٣٥٥	٢٥	« مهذب
٣٠٥	٢٢	« میان بست
٣٩٠	١٩	« میان بنمود
١٣٥	١٢	« میانجی شد
٥٣	١٠	« نباشد
٢٤٠	١	« نبیند جز که
٣٥٦	٥	« نبیند غیر
٢٨٧	٢٤	« نخواهد کاین
٣٦١	١١	« ندارد خواب
٣٣٨	١	« ندارد خود
٤٧	٩	« ندا کرده
٤٣٩	٢٤	« نداند زابلهی
٤١٤	١٦	« نداند قدر
٢٠١	١٥	« نداند کان
١٩٤	١٥	« نداند که تو
٣٨	٢٩	« نداند که هزار
١٢٥	٢	« نشان کو
١٢٧	٣٧	« نشسته برسر
٦٧	١٠	« نشسته خوش

صفحه	سطر	اول بیت
٣٣٧	١٥	او نظر میکرد
٢٦٦	٤	« نکرد این
٧	٧	« نگشتش
١٦١	١٤	« نگردد گرمتر
٣٤٣	٢٣	« نگشتی
٣٩٨	٣٢	« نگفت این
١٥	١٨	« نماید هم
٣٦٨	١٠	« نمودت
١٠٣	٢٣	« نمی خندد
٢٢٠	١٢	« نمیدانست کاند
١٦٥	٦	« نمیدانست کایشه
١٤٣	٣٠	« نمیدانست گرد
٢٤٩	٣٩	« نه اینست
٨٤	١٧	« نیابد
١٦١	١٥	« نیفتد در
٣٩٨	٢١	« وثاقم
٣٩٨	٢٠	« وظیفه
٤١٧	٥	« وکیه
٤٣٤	٣٩	« هلالی دید
٤٢٩	١٠	« هم ارچون
١٤٩	٢٥	« هم از نسل
١٦٢	٣٨	« همان دست
٣٩٩	٣٨	« همت زانسو
٩٦	٢٧	« همه نور است
٧٤	٣٠	« همی افتد
١٤٢	١٥	« همی بانگی
١٤٠	٣	« همی بیند
١٥٣	٦	« همی جستی
٢٥٢	١٤	« همی جوشید
٢٠١	٧	« همی خواهد کز
١٤٢	٢	« همی خواهد که
٢٢٨	٤	« همی دانست
١٤٧	٦	« همی دیدش
٣١٧	١٦	« همی زاریه
١٥٤	٢٩	« همی شداژدها
١٨٨	١٨	« همی شدبی سر
٣٦٦	١٢	« همی گردانده
٢٥٢	١٤	« همی گفت از
١٨١	٣١	« همی گفت این
١٤٧	١١	« همی گفتش چه
٧٤	٢٩	« همی گوید بکش
١٤٣	١٤	« همی گوید عجب
٢٨٤	٢٩	« همی گوید که از
٣٣٠	١٧	« همی گوید که ا
٤٠٦	٢٧	« همی گوید که ه
١٤٤	٢	« همی گوید که ه
٢١٩	١٤	« همی گوید مراد
١٥٣	١١	« همی مرده
٣٤٧	٢٠	« همین گفت و
٢٤٩	٢٤	اوی او
٣٣٦	٢٧	او یکی جان
		ا ـ ه
٣٩٥	٢٦	اهبطوا افکند
٣٩٥	٢٥	«

صفحه	سطر	اول بیت
۲۷۱	۱	اهدنا گفتی
۲۴۲	۱۹	اهل آن عالم
۱۹۰	۱۶	اهل الهام
۱۴۶	۴۰	اهل تن را
۶۹	۲۵	اهل جنت
۶۸	۲۶	اهل چین
۳۶۵	۵	اهل دل همچون
۴۰۲	۲۰	« دنیا جملگی
۲۹۲	۱۵	« دنیا زان
۱۸۵	۱۴	« دنیا سجده
۳۱۲	۱۴	« دنیا عقل
۷۲	۲۹	« دین را
۴۱۵	۱۴	« دیوان
۹۲	۱	« صف
۵۵	۲۷	« صورت
۶۸	۳۸	« صیقل
۱۷۲	۹	« کشتی از
۲۱۸	۱۴	« کشتی همچنین
۵۲	۱۴	« نار و اهل
۵۲	۱۲	« نارو خلد
۵۲	۱۴	« نارو نور
۱۴۵	۲۰	« وفرزندان
		ا - ی
۲۹۵	۲۲	ای اجل وی
۲۰۲	۱۶	« اخاف الله
۴۴۷	۴	« اخی تسع
۳۸۷	۸	« اخی دست
۳۹۲	۳۲	« اخی من
۱۷۰	۳۲	« امام چشم
۳۳۲	۲۵	« امین الدین
۳۳۵	۲۹	« ایاز از تو
۳۱۱	۱	« ایاز از درد
۳۳۷	۴	« ایاز استاره
۳۴۷	۲۷	« ایاز اکنون بگ
۳۱۴	۳۵	« ایاز اکنون بیا
۳۱۵	۷	« ایاز این کار
۳۳۴	۷	« ایاز این مهر
۳۴۱	۲۶	« ایاز پر
۳۴۹	۴	« ایاز گشته
۳۴۷	۷	« ایاز نره
۷۹	۲۶	« بیرده رخت
۲۲۵	۲۳	« بیرده عقل
۳۶۱	۳۳	« بیسته
۱۹۹	۱۵	« بخار اعقل
۱۴۸	۲۰	« بخورده از خیا
۴۵	۱۰	« بخورده خون
۱۷۲	۲۷	« بداده
۱۷۶	۲۱	« بده
۲۹	۷	« بدیده خال
۲۱۲	۳۱	« بدیده در
۳۴۷	۸	« بدیده لذت
۲۴۱	۲۸	« بدیده لوتهای
۳۳	۲۵	« بدی که
۲۷۱	۱۷	« برادر این

صفحه	سطر	اول بیت
۴۴۵	۱۳	ای برادر این مثال
۶۵	۴	« بر
۱۴۱	۳۰	« بود
۸۳	۳۱	« تو
۳۰	۲۰	« چون
۱۸۷	۳۰	« خود
۲۶۷	۱۴	« دانکه
۷۱	۱۵	« دست
۲۸۵	۲۲	« دوستان
۶۰	۲۵	« صبر
۸۶	۱۳	« طفل
۳۹	۱۷	« عقل
۱۳۴	۷	« قصه
۴۴۵	۴۱	« گر ترا
۲۰۵	۵	« من
۱۱۳	۴۱	« موضع
۳۹	۱۶	« یکدم
۱۲۰	۷	ای براین
۳۳۵	۵	« برون از
۳۸۳	۲۸	« بریده آن
۳۵۹	۲	« بزر بفت
۱۴۶	۹	« بسا از نازنینان
۱۰	۳۲	« بسا اصحاب
۴۶	۵	« بسا امساك
۳۹۸	۲۵	« بسا بنیاد
۱۵۶	۲۹	« بسا بیدار
۱۶۴	۳۰	« بسا حاجی
۱۴۶	۹	ای بسا حمال
۳۴۳	۲۸	« خامی
۱۰۹	۲۲	« دانش
۳۹۶	۳۰	« در گور
۱۸۱	۴	« دولت
۲۵۰	۱۳	« ریش
۳۹۰	۳۸	« زجری
۳۰۳	۵	« زراق
۲۵۰	۲۰	« زرسیه
۳۹۵	۱۶	« زر که
۳۰۲	۱۵	« سرمست
۱۴۱	۱۴	« سگ
۳۰۳	۵	« شوخان
۵۲	۲۱	« شیرین
۲۸۹	۲۵	« صیاد
۲۱۴	۷	« طوطی
۲۹	۳	« ظلمی
۱۸۶	۹	« عالم
۳۸۷	۲۲	« علم
۱۶۴	۲۹	« قاضی
۱۸۴	۵	« کاراکه
۴۰۵	۴	« کاریز
۱۱۹	۲۲	« کز وی
۹۷	۷	« کس را
۲۵۳	۳۲	« کس رفته
۹۰	۳۲	« کس مرده
۸۶	۲۸	« کس همچو

صفحه	سطر	اول بیت
۶۴	۳۰	ای بسا کفار
۲۸	۱۳	« که
۱۳	۲۲	« گنج
۱۶۴	۲۸	« ماهی
۴۱۴	۲۲	« مخلص
۱۶۲	۳۸	« مرد
۱۶۴	۲۷	« مرغا
۱۶۴	۲۸	« مرغی
۲۵۰	۲۰	« مس
۱۶۴	۲۹	« مستور
۲۳۴	۱۶	« مسجد
۱۸۱	۴	« معشوق
۳۵۶	۳	« مهتر
۲۸۷	۳۷	« ناز آوری
۲۸۷	۳۵	« نازا که
۳	۱۶	« ناورده
۳۴۳	۳۰	« نفس
۲۶	۳۶	« هندو
۳۶۴	۳۶	ای بصورت
۲۴۲	۱۷	« بکرده اعتماد
۳۸۶	۳۴	« بکرده یار
۴۰	۳۰	« بگشته
۴۱	۹	« بلال افراز
۴۱	۹	« بلال ای
۲۸۲	۲۲	« بلال خوش
۴۳۳	۲۱	« بلند اختر
۱۲۰	۳۶	« بلبس
۲۱۰	۲۷	« بنازیده
۲۵۶	۲۳	« بیك برگی
۳۰۸	۳۳	« پدر الانتظار
۴۴۴	۴۴	« پدر تو
۱۷۸	۴۱	« پسر هر
۱۶۰	۳۵	« تقاضا گر
۱۰۰	۴	« تن آلوده
۴۲۰	۱۷	« تن اکنون
۴۴۳	۲۷	« تن تو
۴۱۸	۲	« تن صد
۴۱۷	۳۹	« تن کز
۴۲۰	۹	« تن گشته
۳۶۶	۸	« تن من
۴۵	۲۲	« تو از حال
۲۵۱	۱۹	« تواضع
۸۷	۲۱	« توانگر
۲۲۶	۳۵	ای تو بنده
۳۴۹	۱۲	« پاك از
۳۷۹	۷	« جویای
۲۱۲	۹	« در اطباق
۲۲۹	۷	« در پیکار
۳۶۷	۲۶	« در صدق
۱۵۷	۲۱	« در کشتی
۳۴۶	۱۹	« سبحان
۲۹	۲۴	« شیری
۴۳۳	۳۹	« ضحاك
۲۴۴	۳۷	« کام جان

صفحه	سطر	اول بیت
۳۷۴	۳۸	ای تو کرده
۴۴۲	۳۶	ای تو گشته
۳۳۸	۱۱	ای تو مات و
۳۶۲	۲۴	ای تو میر آب و
۵۵	۱۹	ای تو نارسنه
۳۰۴	۳۹	ای جفایت به
۳۳	۲۵	ای جفای تو
۳۶۸	۲۷	ای جهانرا
۳۷	۲۸	ای جهان کهنه
۷۷	۱۰	ای جهودان
۴۰۰	۲۰	ای چوبجراز
۱۷۳	۵	ای چو خربنده
۴۲۰	۱۰	ای حبیب الله
۳۳	۲۲	ای حریفان با
۲۰۳	۱۴	ای حریفان من
۲۴۹	۱	ای حسام الدین
۴۴۷	۳۵	ای حسام و
۲۳۱	۸	ای حطیم امروز آرد
۲۳۱	۷	ای حطیم امروز آ
۲۳۱	۸	ای حطیم امروز
۴۴۱	۸	ای حکیم بی نظیر
۴۴۱	۱۶	ای حکیم کارساز
۴۴۶	۷	ای حکیم کارسازغ
۴۱	۱	ای حمیرا
۳۵۲	۱	ای حیات دل
۳۶	۳۴	ای حیات عاشقان
۴۵	۲۱	ای خبرهات
۱۱۳	۳۸	ای خجسته
۳۱۷	۱۳	ای خدا آن کن
۳۹	۸	ای خدا ای فضل تو
۷۵	۲۴	ای خدا ای فضل ت
۳۹	۸	ای خدا ای قادر
۱۰۹	۲۷	ای خدا این سنگ
۴۱۸	۳۷	ای خدا بگمار
۱۵	۲۱	ای خدا بنما تو
۳۰۹	۴	ای خدا بنمای
۴۴۷	۴۱	ای خدا تو
۶۲	۸	ای خدا جان را
۴۵	۱۳	ای خدا فریاد
۳۱۷	۱۸	ای خدا و ای خدا
۱۴۳	۱	ای خداوندای
۵۵	۸	ای خداوند این
۱۰۸	۱۹	ای خداوند و
۴۶	۴	ای خدایا مسکان
۴۶	۴	ای خدایا منفقان
۴۵	۱۰	ای خدای با
۲۸۴	۴	ای خدای بی
۹۰	۷	ای خدای پاك
۴۴۱	۱۰	ای خدای جنت
۲۳۷	۲۶	ای خدای راز
۱۰۵	۲۷	ای خدای من
۴۳۵	۳۱	ای خدنگی
۳۲۷	۳	ای خر از استیزه
۱۴۵	۲۷	ای خران کور

صفحه	سطر	اول بیت
۲۵۴	۲۵	ایخرد برکش
۴۰۹	۳۴	ایخرد کو
۳۱۲	۱۳	ای خروسان
۱۴۸	۱۰	ای خری کاین
۳۲۵	۳۸	ای خس بی شرم
۱۸۲	۲۷	ای خلیفه زادگان
۲۷۹	۲۰	ای خلیل اندر
۲۸۶	۵	ای خلیل اینجا
۲۳۳	۳۲	ایخنك آنجان
۹۷	۳۱	« آنرا که او
۱۰۸	۱۶	« آنرا که بیند
۲۳۸	۱	« آنرا که بیش
۳۳۵	۲۰	« آنرا که ذات
۲۵۹	۳۶	« آنرا که ذات
۱۹۸	۸	« آنرا که ذلت
۳۲۱	۶	« آنکس
۱۱۷	۱۲	« آنکو جهاد
۲۴۲	۴	« آنکو زاول
۳۳۸	۲۹	« آنکو فدا
۲۷	۲۹	« آنکو نکو
۳۳	۷	« آن مرده
۸	۲۸	« جانی
۱۲۵	۳۳	« جانی که
۹۶	۴۳	« جغدی
۳۹۶	۴	« چشمی که
۱۹	۲۴	« چشمی که
۹۹	۳۱	« زشتی
۲۱۲	۳۹	ای خود ما
۱۴۰	۲۳	ای خورنده
۲۲۱	۲۱	ای دراز
۳۶۸	۳۹	ای در این
۳۸۵	۲۴	ای دروغی
۳۳۳	۱	ای دریده پوستین
۲۷۴	۲۴	ای دریده پوستی
۳۶	۱۶	ای دریغا اشك
۱۸۱	۲	ای دریغ آن دیده
۳۶	۲۰	ای دریغا ای دریغا
۲۵۶	۳۷	ای دریغا ایدریغا این
۲۵۶	۳۷	ای دریغا بود
۲۸۸	۳۲	ای دریغا پیش
۷۷	۲۶	ای دریغا تو
۴۳۲	۲۴	ای دریغا حاصل
۴۴۵	۱۲	ای دریغا روزگار
۲۲۱	۱۹	ای دریغا هزنان
۱۳۸	۷	ای دریغا عرصه
۱۲۲	۳۶	ای دریغا کان
۱۸۰	۳۷	ای دریغا که
۹۴	۲۷	ای دریغا گر
۲۵۶	۳۶	ای دریغا گنج را
۴۸	۳۶	ای دریغا مر ترا
۳۶	۶	ای دریغا مرغ خوش
۳۶	۶	ای دریغا مرغ خوش
۳۶	۱۳	ای دریغا مرغ خوش
۳۶	۷	ای دریغا مرغ کارزا

صفحه	سطر	اول بیت
۳۶	۱۲	ای دریغا نور
۲۳۹	۲۵	« وقت
۱۵۲	۲۶	ای دریغ این چه
۲۸۴	۶	« دعا ناکرده
۱۷۴	۱۲	« دغا تا
۱۷۳	۳۹	« دقوقی با
۱۷۰	۶	« دقوقی تیز
۱۱۸	۳۲	ای دل آنجا
۲۴۳	۳۱	« از کین
۱۲۴	۶	« این
۳۶۱	۲۸	« بیخواب
۴۰۰	۲۱	ای دات بیو
۱۸۷	۲۵	« دل ترسنده
۴۰۹	۳۳	« دلی که
۳۸۹	۲۵	« دلیلت گنده
۳۸۹	۲۶	« دلیل تو
۳۸۹	۲۷	« دلیل ما
۲	۱۶	« دوای
۲۱۰	۲۳	« دو دیده
۲۲۸	۳۵	« دوصد بلقیس
۷۹	۶	« دهان تو
۴۲۱	۳۲	« دهان غافل
۲۰۷	۱۸	« دهلهای
۳۷۴	۲	« دهندهٔ عقلها
۲۹۸	۳۴	« دهندهٔ قوت
۴۰۱	۲۹	« رخ شاهان
۳۳۹	۱۲	« رخ گلگونه ات
۲۲۶	۳۸	« رسولان
۱۷۵	۳۴	« رسول حق
۱۵۶	۲۰	« رسول ما
۳۶۱	۱۰	« رفیقان راه
۳۹۵	۲۵	« رفیقان زینها
۴۳۲	۲۸	« رفیق
۱۰۸	۱۸	« روان پاك
۳۷	۲۰	« رهیده
۳۶	۸	« زبان توبس
۴۰۹	۳۴	« زبان که
۳۶	۸	« زبان هم آتش
۳۶	۹	« زبان هم گنج
۲۹۱	۱۱	« زبون گیر
۸۹	۳	« زتو خوش
۲۵۱	۱۲	« زتو کس
۱۰۸	۱	« زتو مر
۳۶۱	۶	« زتو ویران
۲۴۱	۲۵	« ز خوبی
۱۴۲	۱۴	« زدودی
۲۴۹	۳۶	« زده بر
۴۰۹	۳۵	« زدلها برده
۳۴۹	۲۰	« ز دوزخ
۲۴۳	۳	« زراندوده
۲۵۴	۶	« زغفلت
۱۲۶	۲۳	« زغم
۵۸	۹	« ز غیرت
۱۲۰	۸	« زفرزین

صفحه	سطر	اول بیت
۴۴۷	۳	ای ز ملك
۳۰۲	۳۵	« زمن دزدیده
۴۸	۳۳	« زن ار
۱۵۲	۴	« زنان
۲۵۶	۳۳	« ز نسل
۳۷۲	۲۸	« زنده
۱۷۱	۳۳	ایستادن را
۱۸۹	۱۵	ایستاده برسر تو
۴۰۲	۳۵	« پیش سلطان
۱۷۱	۲۹	« پیش یزدان
۱۳۶	۲۶	« تازه
۴۰۲	۸	« راز
۴۱۲	۱۹	« مار
۴۹	۶	ای ستیزه
۲۱۳	۸	« سرافیل
۱۴۴	۳	« سعادت بخش
۳۲۹	۱۵	« سگ دیو
۲۰۶	۱۶	« سگ طاعن
۱۴۹	۳۰	« سگ گرگین
۱۲۱	۲۴	« سگ ملعون
۲۷	۲	« سلیمان بهر
۲۲۸	۳۴	« سلیمان درمیان
۲۳۴	۳	« سلیمان مسجد
۳۸۹	۱۵	« سلیم گول
۴۳۳	۴۳	« سیه دل
۳۴۴	۲۰	ایش ابالی
۲۷۰	۲۰	ایشتر که
۶	۱۸	ای شده اندر
۴۴۶	۲۹	« برمرکب
۳۱۲	۱۵	« توصبح
۳۴۲	۲۲	« عاجز
۴۲۹	۱۸	« غافل
۴۴۷	۱۳	« مغرور
۱۴۹	۲۰	ای شغالان
۱۴۹	۳۱	« شغال بی
۳۰۷	۳	« شفا ورحمت
۳۰	۷	« شهان
۴۳۳	۱۵	« شه مردان
۳۴۹	۳۴	« شهنشه
۷۹	۲۷	« صفات
۴۴۸	۱	« صمد
۱۳۸	۷	« ضیاءالحق بج
۲۱۶	۱۸	« ضیاء الحق تو
۳۸۲	۱۲	« ضیاءالحق حسام الدین برانش
۵۹	۱۶	« بگیر
۲۷۱	۲	« بگیر
۱۱۴	۹	« بیا
۲۲۲	۱۰	« بیا
۳۵۴	۳۱	« بیا
۱۳۸	۱	« بیار
۲۱۶	۱	« توئی
۲۷۷	۷	« درآر
۱۷۱	۶	« راد
۲۷۹	۱	« راد

صفحه	سطر	اول بیت
۴۲۸	۱	« سعید
۱۷۸	۴۱	« عیان
۳۷۰	۲۳	« که نور
۴۴۷	۳۵	« مست
۴۴۱	۲۲	« من
۳۸۲	۲۱	« ودل
۴۲۳	۳۵	ای طبیعی
۴۱۴	۵	ای طمع
۳۳	۲۴	ای عجب آن
۱۹۵	۲۷	ای عجب از سوز شت
۱۶۴	۳	ای عجب این بند
۳۳۶	۲۷	ای عجب اینست
۲۲	۱۸	ای عجب این کرده
۱۷۰	۴	ای عجب چندین
۱۵۴	۳۳	ای عجب چون
۳۷۰	۴	ای عجب چونست
۳۹۳	۱۵	ای عجب چه
۲۸۸	۲۶	ای عجب حسنی
۲۱۲	۱۱	ای عجب درعهد
۲۱۱	۱۳	ای عجب کز
۴۰۱	۵	ای عجب کو آن دم
۴۰۱	۴	ای عجب کو آن عقـ
۴۰۱	۴	ای عجب کو لعل
۳۶۳	۱۱	ای عجب گر نیستی
۳۲۰	۷	ای عجب مرده اسـ
۳۷۱	۴۱	ای عجوزه
۱۹۵	۲۶	ای عدو آفتابی
۳۶۱	۳۲	ای عدو شرم
۳۹۳	۲۵	ای عزیز مصر جا
۳۹۳	۲۶	ای عزیز مصر و
۱۷۲	۲۸	ای عظیم ازما
۷۳	۱۱	ای علی که
۴۴	۳۱	ای عمر
۲۰۶	۱۰	ای غریب
۱۸۸	۱۲	ای غلام اکنون
۴۴۷	۴۵	ای غلام این شمع
۳۳۹	۱۶	ای غلامت
۴۰۰	۱۹	ای غم
۱۰۵	۳۱	ای فدای
۳۷۸	۶	ای فرورفته
۳۷۸	۳	ای فسانه
۲۰۰	۴	ای فسرده
۳۹۵	۳۴	ای فغان
۴۰۰	۱۹	ای فقیران
۴۳۱	۳۹	ای فکنده
۱۲۶	۱۲	ای فلان
۱۱۴	۲۵	ای فلك از
۲۲۵	۱۷	« بر
۲۴۵	۱	« پیمای
۱۱۴	۲۴	« در
۴۰	۸	ای فناتان
۴۳۸	۴۴	ای قبای
۲۸۵	۶	ای قدیم
۳۲۸	۲۳	ای قراری

صفحه	سطر	اول بیت
۱۸۱	۱۳	ای قلم
۳۵۵	۹	« کریم ذوالجلال
۱۷۲	۲۶	« کریم وای
۳۴۸	۱۰	« کریمی که
۴۰۵	۴	« کشیده
۴۲۰	۱۰	« کلیم الله
۳۸۷	۱۴	« کمان و
۳۴۷	۹	« که از تعظیم
۵۵	۱۸	« که اندر
۲۴	۳	ایکه با شیری
۲۸	۳۵	« تو از
۲۱۱	۶	« تو بر
۲۲۸	۱	« تو طالب
۹۰	۱۷	« تو هم
۳۶	۱۹	« جان از
۲۹۱	۳۶	« جان خبره
۱۴۴	۳۲	« جزو
۱۴	۳	« چون
۲۹۱	۳۶	« خاك تیره
۲۹۱	۳۵	« خاك شوره
۵۷	۲۵	« خلقان
۳۲۹	۲۰	« خود را
۴۳۴	۳	« داری
۵۶	۱۵	« درروتان
۴۳۰	۱۶	« در سیرو
۳۳۳	۷	« در معنی
۱۲۶	۱۷	ایکه صبر تنیست از آ
۱۲۶	۱۵	« پاك
۲۶۷	۲۵	« دنیای
۱۲۶	۱۵	« دنیای
۱۲۶	۱۶	« فرزند
۱۲۶	۱۶	« ناز
۱۹۹	۲۵	ایکه عقلت بر
۳۹۲	۱۹	« من زشت
۱۹۲	۲۸	« مبترسی
۴۲۳	۶	« میخواهی
۱۲۶	۱۷	« میگوئی
۱۸۴	۳۳	« نصح
۳۷	۲۷	« هر
۵۶	۱۵	« یکدیدار
۳۶	۳۶	ای گران جان
۳۰۵	۱۴	« گرفتار
۱۴۸	۲۰	« گرفته
۴۱۹	۲۶	« گروه
۳۴۸	۱۰	« لطیفی
۲۸۰	۳۳	« لعرك
۴	۲۲	« لقای
۴۳۶	۲۴	ای ما جا
۱۷	۷	ای مبارك خنده
۱۰۸	۱۶	« مبارك ساعتی
۲۹۱	۳۴	« مبدّل
۳۸۲	۳۲	« محال وای
۴۱۳	۲۲	« محدث
۳۲۲	۱	« مخنث

صفحه	سطر	اول بیت
۱۲۶	۳۰	ای مدمغ
۴	۶	« مرا تو
۳۴	۲۴	« مری
۳۶۱	۳۹	« مزوّر
۲۵۱	۷	« مسافر
۱۷۴	۱۲	« مسلمانان
۲۲۸	۳۰	« مسلمان
۱۰۷	۳۲	« مسبح خوش
۳۹۴	۴۰	« مشیر ما
۱۰۶	۳۱	« معاف
۳۰۱	۵	« مقلد از
۱۶۱	۳۵	« مقلد تو
۱۷۳	۴	« مقیم حبس
۱۰۰	۱۲	« ملامت
۲۸۷	۳۶	ایمن آباد است
۱۴۵	۲۹	« آباد است
۶	۲۹	ای من آن پیلی
۶	۲۸	« آن روباه
۱۷	۱۶	ایمن از شر
۱۵۱	۱۱	« از عمران
۲۷۹	۳۰	« است از
۲۰۸	۵	ایمنان را
۴۰۰	۲۲	ای من و صد
۴۱۶	۳۳	ایمنی امت
۱۱۴	۳۴	ایمنی بگذارو
۲۹۲	۲۳	ایمهان
۳۳۹	۱۳	ای مه تابان
۸۶	۳۰	« مبسر
۱۵۵	۱۲	این از آن آمد
۴۳	۱	« ازآن لطف
۳۹۹	۳۶	« از اینجا
۳۸۸	۱۱	« اسد غالب
۳۸۸	۱۰	« اسدغالب
۶۹	۲۷	« اشارتها
۳۲۹	۱۶	« اعوذ
۳۳۶	۳۵	« اگر
۳۸۷	۱	« الف چیزی
۳۸۷	۱	« الف وین
۳۰۱	۲۰	« الم وحم
۳۰۱	۱۸	« الم وحم
۱۱۷	۳۸	« امانت در
۱۳	۸	« امانت زان
۳۱۳	۱۵	« اناهو
۲۲۴	۵	« باصل خویش
۳۷۳	۲	« بین باری
۳۷۶	۲۶	« بین و
۲۲۴	۲۳	« بتقدیر
۲۶۱	۱۶	« بتقلید از
۳۳۶	۲۴	« بجلت
۲۷۵	۲۰	« بخارات
۱۹۸	۶	« بخارا
۲۸۱	۱۶	« بخور
۲۲۲	۱	« بدان بی
۱۳۴	۲	« بداند

صفحه	سطر	اول بیت
۱۴۵	۱۵	این بدانسو
۱۲۲	۱۱	« بدان مانده
۱۸۰	۲۸	« بدان مانده
۸۶	۲۲	« بدن خرگاه
۲۶۴	۳۷	« بدن مانند
۲۷۶	۱۹	« برای خاص
۳۳۲	۸	« برای گرم
۴۳۹	۲۹	« برنجینت
۲۵	۱۹	« برون از
۳۷۵	۲۴	« بصورت
۲۹۲	۵	« بقاها
۴۰۸	۱۲	« بقدر
۴۱۰	۴۱	این بگفتندو
۱۵۰	۱۷	« بگفتندوقضا
۳۶۰	۱۷	« بگفت وآن
۲۵۲	۳	این بگفت و بر
۱۴۰	۱۶	« خبر
۳۸۱	۶	« دست
۱۱۳	۲	« دست
۷	۲	« رفت
۱۷۵	۱۹	« گریه‌در
۲۱۳	۱۸	« گریه‌در
۳۲۶	۱۲	« گریه‌در
۲۱۷	۱۱	« بگوید زید
۲۵۵	۸	« بلا از
۴۳۷	۴۸	« بلا بر
۱۰۹	۹	« بلندی
۲۳۵	۲۷	« بمن بگذار
۲۱۰	۱۹	« بمنگیدند
۲۲۴	۵	« بناز آب
۴۱۱	۱۶	« بود آن
۳۰۲	۳۰	« بود اظهار
۴۳۰	۲۳	« بود اکرام
۱۵۳	۲۳	« بود تاویل
۱۸۴	۳۸	« بود خوی
۴۱۶	۳۵	« بود لطف
۳۴۶	۸	« بهار نو
۴۰۳	۱۸	« بهانه بود
۳۲۶	۱۷	« بهانه کرد و
۳۵۴	۳۵	« بهانه هم
۲۴۶	۸	« بیابان خود
۲۳۳	۲۴	« بیابان در
۱۸۸	۳۵	« بیان اکنون
۲۸۵	۱۸	« بیان بط
۱۴۰	۳۴	ای نبی و
۲۴۲	۲	این پذیرفتی
۲۳۵	۱۶	« پیمبر گفت
۱۹۳	۲۵	« تانی
۳۲۷	۳۳	« تب و لرزه
۳۵۳	۱	« تخالف
۵۱	۸	اینت خورشیدی
۹۶	۲۴	« درد
۵۱	۸	« دریائی
۳۷۶	۳۵	این ترا باور

صفحه	سطر	اول بیت
۲۴۶	۱۴	این ترازوبهر
۴۳۵	۱۲	« ترازو میل
۳۶۸	۱۱	« تراو آن‌مرا
۱۴۵	۱۴	« تردد حبس
۱۴۵	۱۵	« تردد عقبهٔ
۳۵۵	۵	« ترددهست‌در
۳۵۸	۲۲	« ترددهست که
۴۰۶	۲۶	« تسفسط
۲۰۳	۲۰	« تصور
۴۳۲	۲	« تصوف
۲۷۵	۵	« تعلق را
۹۷	۹	« تعلقها
۳۵۲	۳۰	« تفانی
۲۶۲	۴	« تفاوت حق
۲۸۶	۱۹	« تفاوت‌عقلها
۹۴	۱۹	« تقاضاها
۳۱۱	۲۸	« تکبر از
۳۱۱	۲۹	« تکبرچیست
۲۵۹	۳۷	« تکبر زهر
۲۵۹	۳۶	« تکبر زهر
۲۸۳	۱۹	« تکلف
۶۱	۳۳	اینت لشکر
۷۷	۲۷	« لطف
۹۶	۳۶	« مالیخولیا
۲۵۲	۲۴	این تمنی هم
۲۴۹	۳۵	« تن تو
۴۰۷	۳۶	« توئی ظاهر
۱۳۱	۲۹	« توقف
۲۲۹	۸	« توکی باش
۱۳	۱۲	« ثنا
۱۵۲	۲۸	اینجراحتها
۲۷۴	۲۶	این جزا تسکین
۱۱	۱۹	« جسد
۲۵۵	۲۶	« جفا بر
۳۰۴	۳۷	« جفای
۲۷۲	۱۷	« جگر که بود
۷۴	۱۴	« جگرها
۱۹۷	۶	« جلالت
۶۸	۶	« جماع
۱۱۲	۲۹	« جنبدت
۷۳	۳۰	« جنین در
۱۳۳	۳۷	« جنین مر
۲۰۱	۱۴	« جنین هم
۲۰۱	۱۸	« جواب آن
۶۶	۳۲	« جوابات
۲۰۹	۳۲	اینجواب ماست
۴۰۲	۳۴	اینجوان زین
۱۷۶	۱۲	« مر
۴۳۲	۲۰	این جوال آرد
۳۴۳	۱۰	« جهاد اکبر
۹۰	۳	اینجهان از
۳۸۰	۱۱	« با
۱۱۹	۶	« بازیگر
۴۳۲	۲۵	« بحراس

صفحه	سطر	اول بیت
۲۶۶	۳۰	اینجهان بر شاه
۲۱۴	۲۴	« برآفتاب
۴۱۲	۲۳	« بر
۱۰۳	۷	« تن
۱۱۷	۱۸	« تبه است
۲۹۶	۱	« جادواست
۳۵۲	۱۹	« جنگ‌است
۹۹	۱۰	« چون
۲۲۹	۱۱	« خم‌است
۱۶۵	۸	« خواست
۱۳	۱۸	« خود
۱۲۷	۱۱	« دریا
۳۵۷	۳۳	« دامست
۱۹	۶	« را چون
۱۶۵	۱۰	« را که
۴۱۴	۳۵	« زندان‌مؤم
۲۲	۳۰	« زندان و
۳۵۲	۲۵	« زین
۴۴۴	۵	« سفله
۲۲۹	۱۷	« شهوتی
۷	۲	« کوهست
۱۱۲	۳۲	« کوهست‌و
۳۵۴	۲۱	« گوید
۱۳	۱۹	« محدود
۳۶۵	۹	« منتظم
۴۶	۱۵	« نفی
۹۸	۳۵	« نیست
۲۹۱	۱۰	« و آن
۹۴	۲۱	وآنجهان
۲۴۲	۱۸	« و اهل
۱۳۸	۱۶	« وساکنانش
۱۳۸	۱۶	« وعاشقانش
۴۳	۳	« ویران
۲۲۱	۳	« همچونخرا
۱۵۷	۳۱	« همچون
۹۴	۹	« یك
۱۳۸	۲	این چراغ
۳۴	۱۱	« چرا کردم
۲۶۴	۱	« چرا گفتن
۳۵۷	۲۵	« چنین آتش
۱۶۸	۲	« چنین آمد
۳۱۷	۱۲	اینچنین اندوه
۴۳۰	۴۵	« او را
۳۳۷	۱۹	« باده
۴۲	۱۰	« باران
۵۲	۳۶	« باشدتفاو
۳۴۰	۶	« باشد چو
۱۶۴	۳۳	« باشدچو
۳۳	۲۱	« باشدوفا
۴۲۹	۲۱	« بر دولت
۱۲۹	۳۲	« بهتان
۴۱۰	۱۸	« پیچید
۸۱	۶	« تلبیس
۲۸۱	۱۷	« تهدید

صفحه	سطر	اول بیت
۴۲۰	۸	اینچنین جانی
۲۴۱	۲	« جذبیست
۵۵	۱۳	« حسها
۴۹	۳۱	« خاصیتی
۳۶۵	۲	« خم را
۳۰۸	۱۵	« خوابی
۲۰۹	۲۶	« درمانده
۱۸۷	۲۷	« دستار
۲۹۳	۱۲	« دل
۱۴۷	۲۸	« دندان
۱۰۰	۱۹	« ذوالنون
۱۱۳	۲	« رخصت
۱۴۸	۴	« رسوا
۱۱۷	۱۴	« رنجورئی
۳۷۲	۲۰	« رنجور
۳۵۶	۲۳	« ژاژی
۲۰۲	۳۲	« ساحر
۳۴۴	۲۱	« سوزان
۲۴۱	۱	« سیریست
۶۰	۳۵	« شه
۴۲۸	۶	« طاق و
۱۷۵	۳۲	« ظلم‌صری
۱۷۵	۳۹	« ظلم‌وجفا
۶۱	۶	« ظن
۴۴۵	۳۶	« عرش
۴۴۵	۳۵	« عقل‌معلا
۱۲۷	۴۲	« عقل و
۴۲۵	۳۰	« عمر
۲۶۹	۳۵	« فرمودآ
۴۴۶	۳۷	« فرموددا
۱۲۷	۴۰	« فکر
۱۱۶	۳۲	« قفل
۲۱۰	۳۱	« قندی
۱۸۰	۴	« قولی
۳۴۲	۱	« قومی
۳۹۰	۹	« کاری
۱۸۲	۲۹	« کرده‌است
۱۲۲	۲۹	« کزبازئی
۱۲۲	۳۰	« کزبازئی
۱۹۵	۲	« کس‌اص
۱۷۸	۶	« کس‌گر
۲۴۱	۱۸	« که چار
۳۵۶	۱۶	« گرای
۸۷	۱۵	« گستاخ
۳۰۲	۱۲	« گوین
۱۶۰	۲۶	« گیجی
۱۹۸	۲	« لطفی‌چو
۱۹۸	۱	« لطفی که
۲۸۶	۹	« لعب
۱۶۰	۲۴	« مخذول
۱۶۰	۲۵	« مدبر
۱۴۹	۴۰	« مستی
۱۹۸	۲	« مشکین
۲۲۲	۱۷	« معدوم

صفحه	سطر	اول بیت
۲۵۹	۲	اینچنین می را
۲۷۲	۱۰	« می گفت
۹۰	۹	« مینا
۳۱۵	۲۵	« نامه
۱۹۸	۱	« نخلی
۳۷۱	۳	« نفرین
۳۲۹	۳۱	« واجستها
۳۶۰	۳۶	« همبی‌نمک
۳۴۲	۳۵	« هوشی
۲۰۷	۳۲	این چو سازنده
۳۶۷	۳۱	« چه باد است
۴۱۶	۲۴	« چه حکمت
۲۳۱	۳۰	« چه‌دم‌اژدها
۱۰۵	۳۳	« چه‌ژاژاست‌ا
۱۲۲	۱۸	« چه‌ژاژاست‌و
۸۶	۸	« چه سر است
۳۲۵	۳۸	« چه سفری‌و
۱۰۲	۲۲	« چه‌صبر است
۴۳۹	۳۶	« چه‌قلماشئت
۱۵۴	۲۵	« چهل
۱۸۲	۶	« چه ماند
۲۴۱	۲۱	« چه مکراست
۱۷۴	۱۰	« چه میگوئی
۲۸۷	۳۴	« چه نا شکری
۱۸۰	۲۴	« چه نسبت
۱۰۸	۳۷	« چه یاری
۶۶	۱۶	اینحدیث آخر
۲۵۹	۲۰	« آمد
۱۲۰	۳۳	این حدیثش
۲۷۶	۳۷	« حدیث منقلب
۱۸۱	۱۴	« حروف
۲۳۵	۳۸	« حسن
۳۶۰	۱۵	« حصیری
۴۲۴	۷	« حضانت
۱۲۴	۹	« حقیقت دان
۳	۵	« حقیقت را
۶۰	۱۳	این‌حکایت‌بشنواز
۱۹۲	۳	« بشنوو
۲۱۹	۱۸	« رابدان
۲۱۶	۱۹	« را که
۲۱۶	۲۰	« گر
۵۸	۲۶	« گفته
۴۰۹	۳۹	« گوش
۴۴۵	۳۳	« میشود
۱۵۵	۱۶	« نیست
۳۳۶	۲	« یادگیر
۴۳۳	۴۷	این حکم بین
۲۳۱	۲۵	« حلیمهٔ
۴۱	۲	« حمیرا
۳۷۵	۲۹	« حیات از
۳۴۸	۳۳	« حیاتی خفیه
۲۴۸	۳۲	« خبر ها از
۴۱۳	۸	« خبرها وین
۹۶	۳۱	« خراب آباد

صفحه	سطر	اول بیت
۲۷۴	۳۰	این خران را
۲۶۹	۸	« خردازخاك
۱۱۶	۲۸	« خریداران
۳۴۸	۷	« خسان چه
۳۴۶	۱۲	« خماراشکوفه
۱۷۳	۱۶	« خمارغم
۴۲۰	۳۶	« خموشی
۲۹۵	۴	« خود آثار
۳۸۲	۱۷	« خودآن
۲۸	۱۰	« خوداجزایند
۲۹۸	۳۱	« خوداکرامي
۴۲۵	۴۳	« خودیرا
۲۰۴	۱۷	ای تخوده‌بخوش
۸	۱۰	این خوردزاید
۸	۹	« خوردگردد
۳۰۹	۲۰	« خیال‌اینجا
۳۴۵	۱۴	« خیال سمع
۳۲۷	۵	« خیال کج
۳۱۴	۱۷	« خیانت بر
۲۲۱	۳۷	ای ندانسته
۲۲۹	۱۶	« در آمد
۲۸۴	۱۷	« درآنجیرانشد
۳۲۲	۳۶	« درآنجیرانکه
۲۳	۱۹	« در آید
۱۲۲	۴۰	این دراز است
۱۶۸	۴۰	« دراز وکوته
۲۲۵	۲	« درازوکوتهی
۲۵	۳۱	« درازی
۱۷۰	۱۱	« درختانرا
۴۱	۲۶	« درختانند
۲۷۳	۱۳	« درخت تن
۳۷۹	۲	« درشت است
۳۶	۱۴	« دریغها
۲۰۹	۳۱	« دعا بسیار
۳۸۶	۳۵	« دعا تو
۲۵۱	۱۸	« دعاکه
۱۷۴	۱۶	« دعاکی‌باشد
۱۱۷	۳۱	« دعاگر
۱۶۳	۳۸	« دعا میخواهد
۱۶۰	۱۰	« دعا میکرد
۱۱۶	۳۴	« دعاهم‌بخشش
۷۰	۲۷	« دل چون
۲۸۵	۶	« دل سر
۳۷۶	۷	« دلم‌باغست
۱۱۰	۱۰	« دلم هرگز
۳۹۳	۸	« دلم هرگز
۴۴۲	۲۰	« دلیل‌انوزج
۱۲۹	۳۴	« دلیل راه
۳۷۵	۲۹	« دم آن
۴۲	۱۸	« دم ابدال
۳۰۴	۲۸	« دم‌اریارانت
۳۰۴	۲۶	« دم او را
۱۵۸	۹	« دم سرد
۳۰۱	۲۰	« دم‌عیسی‌است

صفحه	سطر	اول بیت
۳۶۲	۱۷	این دو انبازند
۱۸۳	۳۹	« دواها ساخت
۳۶۴	۴۰	« دوئی
۶۵	۳۱	« دودزد
۱۳۳	۲۰	« دو دعوی
۶۵	۳۲	« دوراپرچم
۲۱۴	۲۲	« دوراگبرد
۶۵	۳۰	« دورامشهور
۹۷	۲۶	« دو روزك
۳۳۰	۲	« دو ضد
۴۲۹	۲۰	« دو عالم
۴۱۸	۲۶	« دو علت
۱۹۷	۲۸	« دووصف‌از
۲۴۰	۲۸	« دو همره
۷۹	۶	« دهان بر
۱۹۷	۲۰	« دهان بستی
۴۲۲	۱	« دهان خود
۳۲۹	۳۸	« دهانش
۱۲	۹	« دهو آن دو
۴۰۰	۱۱	ای ندیده
۱۱۰	۴۰	این رئیسان
۳۶۴	۲۰	« رئیسی
۳۹	۲۵	« رباعی
۷۰	۳۷	« رجاو خوف
۲۰	۳	« رسنهای
۱۹۵	۱۱	« رسولان‌ضمیر
۳۳	۲۰	« روا باشد
۱۷۹	۱۰	« روا وان‌ناروا
۳۳۳	۲۸	« روش خصم
۲۸۴	۱۶	« روشها
۲۳۵	۲۱	« رهاکن‌زانکه
۱۴۵	۳۵	« رهاکن‌صورت
۲۰۹	۳	« رهاکن‌عشق
۴۴۴	۳	« ره پرخوف
۱۹۱	۱۱	« ریاضتها
۴۳	۱	« ز بارانها
۳۴	۱۲	« زبان
۳۶۱	۴۲	« زبسیاری
۴۰۷	۹	« ز حد
۳۶۵	۳۶	« ز دنیا
۲۰۷	۲۴	« زر ظاهر
۲۲۶	۱۳	« زر من
۱۸۶	۶	« ز عشقش
۲۸۱	۳۵	« زکوة و
۶۷	۲	« زمان از
۲۳۵	۳۴	« زمان او
۲۰۰	۱۰	« زمان این
۸۲	۱۴	« زمان بشنو
۳۴۶	۱	« زمان بکشم
۶۹	۹	« زمان پیدا
۳۳۰	۶	« زمانت
۳۶۳	۳۰	« زمان جز
۳۸۰	۱۹	« زمان سرها
۲۵۱	۲۹	« زمان سودی

صفحه	سطر	اول بیت
۱۹۰	۴	این زمان قائم
۴۲۴	۱۰	« کافر
۴۰۳	۱۱	« که
۲۴۸	۱۱	« گرم
۳۳۰	۷	« ما را
۱۲۵	۱۴	« همدرد
۱۰۷	۱	این‌زمین ازحلم
۲۸	۱۳	« باسکون
۸	۱۰	« پاك
۴۲۲	۲۷	« چون
۴۹	۵	« را از
۲۵۴	۲۳	« راگر
۱۹۴	۹	« وآسمان
۳۰۴	۲۰	« وسختیا
۲۹۹	۲	این زنانی‌کز
۴۱۰	۲۱	« زن دنیا
۵۳	۱۳	« زن و
۱۵۹	۵	« سؤال از
۱۵۹	۳	« سؤال و
۲۰	۲	« سبب چبود
۱۹	۳۸	« سبب‌را آن
۱۶۵	۱۹	« سبب را باز
۲۰	۱	« سبب‌رامحره
۲۳۰	۱۸	« سبب رامن
۱۹۳	۲	« سببها آن
۳۰۵	۱۶	« سببها بر
۱۹۳	۲	« سببها چون
۹۴	۲۲	« سببها نسل
۳۷۲	۱۴	« سببها و
۱۰۷	۲۳	« سبب‌همچون
۳۹۹	۲۵	« سبد را
۱۷۱	۱	« سبو را
۵۵	۶	« سبوی آب
۳۵۳	۲۳	« ستاره
۹۸	۳۱	« سخا
۲۴۵	۲۶	« سخن آخر
۳۴۰	۱۸	« سخن ازحد
۴۴۰	۱۲	« سخن‌ازکل
۲۲۱	۲۰	« سخن‌اشکسته
۴۱۶	۲۱	« سخن‌بروفق
۲۸۱	۲۶	اینسخن‌پایانندارد
		آنعرب
۴۰۰	۱۰	« آنغریب
۴۰۶	۳۲	« آنفریق
۱۶۴	۹	« آنفقیر
۳۸۱	۲	« آنفقیر
۴۰۷	۲۹	« آنگروه
۳۳۳	۱۲	« ایدر
۲۵	۷	« ایسر
۲۷۶	۲۵	« ایجواد
۶۴	۱۹	« ایجواز
۳۶۲	۲۲	« ایعزیز
۳۸	۷	« ایعمو
۱۶۸	۳۶	« ایعمو
۵۷	۷	« ایغلام

صفحه	سطر	اول بیت
۳۲۵	۲۴	اینسخن‌پایانندارد
		ایفلان
۳۷۲	۱۶	« ایقباد
۳۵	۱۰	« ایکبا
۴۰۶	۲	« ایکروه
۶۹	۱۶	« بازران
۱۳۹	۳۲	« بازران
۴۳۰	۳۵	« بازران
۲۴	۱۱	« بازگرد
۶۲	۱۲	« بازگرد
۶۳	۱۹	« بازگرد
۹۲	۲۳	« بازگرد
۱۱۱	۳۲	« بازگرد
۱۵۵	۲۰	« بازگرد
۲۴۵	۱۰	« بازگرد
۲۶۸	۳۱	« بازگرد
۳۰۱	۲۸	« بازگرد
۳۵۷	۹	« بازگرد
۱۹۳	۳۱	« بازگو
۱۹۹	۱۹	« تیزران
۱۷۰	۳۱	« تیزرو
۷۶	۹	« چاکرم
۷۰	۱۶	« چون‌که
۷۰	۳۱	« خیززید
۳۴۵	۲۵	« درکمال
۱۶۳	۲۳	« رازگو
۷۱	۲۹	« زیدکو
۴۱۸	۳۶	« قاضیش
۳۲۲	۳۸	« کن‌رجو
۲۸	۱	« گشت‌دی
۳۹۱	۳۳	« گفت‌موش
۱۵	۲۱	« لیك‌ما
۱۵۳	۲۴	« مارگیر
۲۸۳	۱۰	« مصطفی
۱۵۲	۲۰	« مکرهاش
۲۷۳	۳۷	« موسیا
۲۷۴	۲۹	« موسیا
۳۹۵	۲۹	« موش‌ما
۲۴۳	۲۱	« وان‌خفیه
۳۸۸	۱۵	« هرسه‌یار
۲۳	۲۳	« هوشدار
۶۱	۳۳	« هین‌بتاز
۳۸۱	۱۸	این‌سخن‌پیدا
۱۷۰	۱۷	« چون‌آمد
۲۵	۲	« چون‌بوسه
۳۶۳	۱۹	« خائی
۲۹۸	۲۱	« در سینه
۲۵۷	۲۸	« در گوش
۲۰۴	۲۳	« را ترجمه
۱۰۱	۱۵	« رامقطع
۴۴	۲۷	« رانستایان
۳۲	۳۱	« رانستایان
۲۹۱	۲۵	« رانستایان
۷۷	۱۳	« رانستایان
۲۰۷	۳۴	« رانستایان

صفحه	سطر	اول بیت
۸۸	۳۷	اینسخن‌رانیستحد
۴۸	۳۷	« شیر است
۲۲۰	۵	« گرچه
۱۰۵	۱۵	« ناقص
۲۵	۲۶	« و آواز
۳۹	۱۸	« هائی
۹۷	۱۳	« ها خود
۱۲۷	۱۹	« ها را
۳۶۴	۶	« هاراوصیتها
۳۵۳	۲۳	« همچون
۱۹۵	۳۸	« هم راست
۱۵۷	۲۳	« هم ناقص
۱۲۶	۱۳	« هم نی
۱۳	۲۴	این سر او
۸۵	۱۱	« سرت وا
۲۷۷	۵	« سر خر
۲۴۵	۴	« سرخم‌را
۸۴	۲۴	« سزای آنکه
۱۴۷	۲۲	« سزای آنکه
۱۴۷	۲۴	« سزای آنکه
۴۰۸	۱۰	« سزای آنکه
۱۴۷	۲۱	« سزای آنکه
۸۶	۳۲	« سزای آنکه
۱۰۷	۳۵	« سزید
۱۵۷	۱۰	« سفال و
۱۶۶	۱۶	« سگان را
۳۷۱	۱	« سگان‌شصت
۲۳۹	۱۶	« سگان‌کرند
۲۸۹	۲۸	« سلاح عجب
۴۴۰	۳۵	« سوار و
۲۴۰	۱	« سوم هست
۳۶۸	۱۰	« سیاه اسرار
۱۷۷	۲۷	« سیاه‌و آن
۴۴۰	۲۸	« شتر را
۴۴۰	۳۴	« شترهای
۴۳۸	۵	« شریعت‌آن
۲۹۰	۸	« شعاع باقی
۲۹۰	۶	« شعاع فانی
۱۴۹	۶	« شکم خصم
۲۰۷	۱۲	« شکوه‌بانگ
۲۲۸	۳۱	« شکایت‌گر
۳۸	۲۶	اینش گوید من
۳۸	۲۷	اینش گویدنیست
۲۱۸	۱۰	این شمال‌واین
۱۴۴	۱۳	« شنو
۱۶۳	۱۵	« شنیدم لیك
۱۹۰	۳۴	« شنید و آن
۵۲	۲۸	« شنیدی
۲۹۵	۲۶	« شهیدان
۴۳۲	۴۳	« شهی و
۱۵۱	۲۴	« صدا جان
۹۹	۲۴	« صدا در
۲۶۴	۱۸	« صدفها نیست
۹۵	۵	« صدفهای

صفحه	سطر	اول بیت
۹۳	۴۰	این صفت کردن
۳۹۹	۱۱	« صفتها
۱۰۸	۲۸	« صفت هم
۲۸۳	۲	« صلوة و
۴۰۷	۱۴	« صورچون
۴۰۷	۱۵	« صوردارد
۲۴۴	۲۴	« طبیان بدن
۱۸۰	۲۰	« طبیان را
۲۴۴	۲۶	« طبیان نو
۳۰۷	۱۴	« طپانچه
۱۵۹	۶	« طراق از
۴۰۶	۱۱	« طرق را
۴۴	۱۵	« طریق نکر
۲۹	۱۴	« طلب درما
۱۶۰	۱	« طلب مفتاح
۱۶۰	۲	« طلب همچون
۲۰۲	۳۷	« طلسم سحر
۳۴۸	۱	ای نظرتان
۳۵۲	۱۴	این عبارت
۲۰	۱۵	« عجائب
۴۳	۲۹	« عجب بلبل
۱۶۹	۲۳	« عجب ترکه
۲۳۱	۳۸	« عجب قرنی
۵۰	۲۳	« عجب کاین
۲۴۸	۱۶	« عجب که جان
۱۶۳	۳۲	« عجب که دام
۲۸	۲۰	« عجب نبود که
۳۹۳	۱۰	« عجب نبود که
۲۶۵	۲۸	« عجب یك چیز
۲۹۵	۳۸	« عدم را
۹۴	۱۱	« عرض باجوهر
۹۴	۱	« عرضها نقل
۹۳	۳۴	« عرضهای
۲۶۰	۳۳	« عصا از
۲۶۰	۳۷	« عصائی بود
۴۴	۱۰	« عصا چبود
۲۳۳	۱۳	« عصا را
۱۹۴	۳۱	« عقول
۱۲۰	۱۵	« علفها
۴۴۷	۳	« عمد
۲۹۶	۱۲	« عمل
۲۱۷	۳۱	« عوان در
۲۳۷	۳۵	« غرور آنست
۱۸۱	۵	« غلط ده
۴۴۰	۳۷	« غمام
۴۷	۲۲	« غمان
۲۵۴	۲۶	« فرستادن
۲۶۰	۶	« فروعست
۲۳۲	۱۴	« فضیلت
۳۹۲	۱۱	« فقیر بی
۳۳۰	۵	« فلان روزت
۱۶۴	۲۲	« فلان شیخست
۱۹۱	۳۷	« فنا جا
۴۴۲	۳۱	« فنا کی
۱۲۹	۴۲	این فناها
۱۰۶	۳۷	این قبول
۳۹	۹	اینقدر ارشاد
۴۴	۳۲	« از بهر
۱۶۷	۳۸	« بشنو
۹۸	۲۷	« تخمی
۳۴	۲۸	« تعظیم
۳۸۴	۱۴	« خود
۲۲	۳	« عقلی
۹۸	۲۷	« عمری
۳۷۴	۲۲	« گفتیم
۳۱۰	۳۱	« هم
۳۰	۱۲	اینقدم
۱۶۹	۳۵	اینقرائت
۳۱۶	۶	این قش و
۲۷۴	۲۵	این قصاص
۲۷	۲۸	این قضا ابری
۳۹۴	۳۸	این قضا بر
۱۱۴	۱۰	این قضا راهم
۲۲۳	۳۰	این قضا رفته است
۲۷	۳۰	این قضا صدبار
۱۵۰	۲۰	این قضا می گفت
۳۹۶	۳	این قفص پیدا
۱۸۱	۱۵	این قلم داند
۴۴۳	۹	این قماش
۴۸	۲	این قناعت
۶۷	۲۱	این قیاسات
۶۷	۳۲	این قیاس حال
۶۷	۱۴	این قیاس خویش
۱۹۶	۱۸	این قیاس ناقصان
۹۹	۳۰	این قیامت زان
۴۳۵	۴۵	اینك از اشکستگان
۴۳۶	۳	اینك انگشت
۶	۱۶	اینك این خلعت
۲۴	۳۳	اینك این دریا
۱۶	۲۸	اینك این طومار بر
۱۵	۳۱	اینك این طومار و
۴۲۲	۱	این کباب واین
۱۶۵	۱	این کرامت بهر
۱۶۴	۴۱	این کرامت را
۲۳۰	۲۵	این کرم چون
۲۵۶	۳۰	این کریرا
۳۵۵	۱۲	این کراوه
۲۸۸	۲۸	این کسی داند
۱۸۸	۲	این کسی دیده است
۱۸۸	۳	این کسی دیده است
۳۶۹	۲	این کشاکش
۴۴۱	۲۰	این که کج
۱۳۴	۶	این کلیله
۳۲۵	۱۱	این کلوای ابتلا
۱۶۴	۳۲	این کمینه
۸	۱۶	این کمنداز
۳۴۴	۱۱	این کنیزك
۳۵۸	۲۱	این کنم یا آن
۱۷۵	۱۴	اینکه بخشیدت
۹۹	۲	اینکه برکار است
۵۴	۹	اینکه جان ما
۴۲۸	۳۸	اینکه چندین سال
۳۴۰	۲	اینکه دروقت است
۳۳۰	۲۵	اینکه فردا
۲۹۹	۱۵	اینکه کرمنا
۳۰۵	۱۰	اینکه موسی را
۱۸۹	۱۴	این کیت
۳۱۹	۲۸	این گدا چشمی
۱۲۹	۱۷	این گدایان
۱۳۱	۳۵	این گذشتن
۳۹۲	۲	این گرفته پای
۳۴۹	۲۹	این گروه مجرمان
۴۴۲	۴۵	این گروهند ای
۳۳۰	۶	این گره بابا
۲۸۸	۱۳	این گریزد
۴۲۴	۳۶	این گزیند
۳۷۹	۲۹	این گل گویاست
۳۶۴	۱۳	این گلوی مرگ
۲۱۹	۲۳	این گله زان
۱۴۳	۵	این گمان بد
۴۳۶	۱	این گنه را
۲۸۲	۳۰	این گواه فعل
۲۸۳	۱	این گواهی چیست
۳۶۷	۲۰	این گهر از
۴۴۴	۳۱	این گهر خواهند
۱۳۸	۱۰	اینگهی بخشد
۳۸۴	۳۰	این لباس
۱۹۰	۲۵	این لب نانی
۴۱۰	۱۸	این لعب
۲۸۴	۳۷	این لقب شد
۱۴۵	۹	اینما قد
۴۲۰	۳۴	این مباحث
۳۸۰	۶	این متیم
۴۲۰	۴۱	این مثال آمد
۱۸۱	۲۱	این مثال آورد ابلیس
۱۸۱	۲۳	این مثال آورد شدا
۱۸۱	۲۴	اینمثال آورد فرعو
۱۸۱	۲۲	اینمثال آورد قارو
۱۸۱	۲۲	اینمثال آورد نمرود
۱۸۱	۲۴	اینمثال آورد هر
۱۸۱	۲۳	اینمثال اندیش
۱۸۱	۲۵	اینمثالت را
۲۲۳	۲۹	اینمثال جان
۲۲۳	۳۱	اینمثال نور
۲۳۴	۱۵	اینمثل از
۳۸۷	۱۹	اینمثل اندر
۱۸۱	۳۳	اینمثل بشنو که
۳۳۱	۵	اینمثل بشنو مشو
۲۸۲	۲۳	اینمثل چون
۴۰۷	۴	اینمثل نا
۱۰۲	۳۱	این محبت هم
۲۱۱	۱۹	این محب حق
۲۱۱	۲۰	این محب دایه
۲۵۲	۲۹	این محك
۱۳۸	۶	این مزاجت
۴۴۲	۶	این مسافر را
۱۲۲	۱۵	این مسلمان
۹۶	۹	این معانی
۳۹۰	۲۱	این معاین
۳۱	۲۴	این معیت با
۴۱۳	۳۶	این معیت کی
۲۴۹	۱	این مگر باشد
۳۴	۱۱	این مگر خویش
۲۴۳	۲۵	این مگیر ازفرع
۲۵۲	۳۷	این من ومائی
۳۷	۲۱	این من وما بهر
۱۳۶	۳۲	ای نموده تو
۲۲۹	۱	ای نموده ضد
۲۷۳	۵	این منی و
۱۲۹	۳۲	این نباشد در
۶۹	۳۱	این نباشد ما
۳۸۵	۲۱	این نبود و
۱۷۰	۳۷	این نجاست بویش
۱۷۰	۳۵	این نجاست ظاهر
۱۸۴	۳۱	این نجوم ما
۲۳۶	۳۳	این نجوم وطب
۳۷۶	۱۶	این نخواندی
۱۵۴	۲۰	این نخواهد شد
۵	۱۷	این ندارد آخر
۴۳	۶	این ندارد حد
۸	۷	این ندانستند
۲۹۷	۲۷	این ندانستید
۳۶۲	۱	این ندانم
۳۷۶	۱	این ندانی
۲۳۲	۳۳	این نسب خود
۳۷۸	۲۴	این نسوزد وان
۱۰۵	۲	این نشان آن
۱۲۵	۶	این نشان چون
۶۵	۳۴	این نشان خسف
۱۰۵	۱۳	این نشان در
۲۶۵	۱۳	این نشان دید
۱۵۶	۷	این نشان راست
۲۸۳	۲	این نشان زر
۱۲۸	۲۵	این نشان ظاهر
۱۰۵	۱	این نشانها
۱۲۷	۴	این نشانها
۱۷۶	۷	این نشاید از
۴۲۰	۳۹	این نشسته
۲۲۴	۲۱	این نصیب
۲۲۶	۳۲	این نظر از
۱۸۳	۵	این نظر با آن
۵	۵	این نفس
۳۱۰	۲۶	این نکردست
۲۶۳	۹	این نکردی تو
۱۲۵	۳۸	این نگر که
۲۸۱	۳۵	این نماز وروزه
۲۰۷	۳۲	این نماید نور
۴۱	۱۸	« نمك باقی
۳۸۰	۱۴	« نمك زار
۴۰۲	۲۹	« نمی بینی
۲۶۶	۲۸	« نود ساله
۱۳۳	۲۵	« نوشته
۳۸۰	۱۵	« نوی را
۴۱	۳	« نه آن جان
۲۰۶	۱۷	« نه آن شیر
۲۶۲	۱۴	« نهاده بهر
۳۳	۲۹	« نه بلبل
۱۵	۸	« نه جبر
۳۲۸	۱۵	« نه مرداند
۶۷	۱۹	« نه میراث
۱۲۱	۱۷	« نه وقت
۱۸۸	۳۷	« نیاز
۱۳۳	۱	« وسط
۱۶۰	۲۳	« وصدچندین
۱۱۰	۲۴	« وصدچندین و
۱۶۷	۳۲	« وصدچندینی
۱۲۴	۳۰	« وعبد و
۱۷۹	۳۳	« هم از تأثیر آن
۱۶۳	۳۱	« هم از تأثیر حکم
۲۹۱	۲۸	« هم از تأثیر لعن
۴۲۱	۲۹	« همان باد
۱۲	۳۰	« همه آغاز
۴۰۰	۲۴	« همه از حق
۱۴۱	۳	« همه الله
۲۷۷	۱۹	اینهمه انکار
۳۵۳	۳۳	« اوصاف
۱۹۱	۱۴	« بازار
۳۰۷	۱۹	« بشنید
۴۳۱	۳۹	« بی راه
۳۸۵	۱۴	« ترسنده
۴۴۵	۴۲	« تعلیم
۲۷۷	۱۳	« خواندی
۱۵۳	۱	« خوشها
۳۷۶	۲۸	« خون و
۱۸۷	۱۶	« دارند
۲۷	۲۵	« دانست
۴۳۸	۳۹	« درلاله زاری
۳۱۷	۲۸	« روی
۹۱	۳	« عالم
۲۴۰	۱۱	« علم
۴۷	۲۲	« غمها
۱۵۱	۳۲	« کردیم
۳۰۰	۱	« کردی نمردی
۲۴۷	۳۴	« که مرده
۴۱۳	۲۰	« گفتند و
۱۱۰	۱۱	« گفت و
۳۹	۷	« گفتیم
۲۵۵	۳۶	« گه باز
۳۴۳	۲۷	« مردن
۳۲۴	۱۲	« وهم

صفحه	سطر	اول بیت
۴۷	۲۲	این همه هست و
۱۷۲	۱۵	این همی آمد
۱۷۵	۸	« جستم
۲۶۸	۴۷	« دانم
۱۶۰	۲۶	« گفتش
۶۷	۲۸	« گفتند
۳۱۲	۲۰	« گفت و دل
۱۹۷	۳۲	« گفت و ذبالهٔ
۱۹۳	۳۴	« گفت و رخشه
۱۶۸	۲۱	« گفتی
۳۳۰	۱۶	« گوید جهان
۱۶۱	۶	« گوید که
۱۳۰	۲۳	« گویند و بندش
۲۱۸	۳۶	« گویند و
۲۸۲	۲۶	این هنرها
۲۸	۱۴	« هوا با
۵۹	۳۱	« هوا را
۳۰۴	۳۸	« یقین دان کاندر
۲۴۷	۸	« یقین دان گر
۴۱۹	۲۱	« یقین میدان
۴۰۲	۴	« یکی اسب
۳۷۶	۲	« یکی حکمت
۴۲۸	۲۸	« یکی سامست
۶۱	۵	ای وجود
۲۳۰	۱	ایها السالون
۳۶۸	۳۶	ایها العشاق اقبال
۲۳۰	۱	ایها العشاق السقیا
۲۸۳	۲۹	ایها المحبوس
۴۳۴	۳۸	ایها الناس
۴۲۰	۹	ایهزاران جبرئیل
۴۲۰	۱۱	ایهزاران کعبه
۳۰۶	۳۲	ای هلاکت
۳۴۸	۹	« همائی
۴۰	۴	« همه پوسیده
۳۳۹	۱۳	« همه دریاچه
۵۶	۱۶	« همه ینظر
۳	۲۵	« همیشه
۳۷۲	۲۹	« هوا را طب
۳۹۴	۴۰	« یرانا
۱۷۰	۳۱	« یگانه

ب ـ ا

صفحه	سطر	اول بیت
۸۵	۳۶	با اجل
۱۰۱	۱۷	« ادب
۴۳۲	۱۲	« املها
۳۴۶	۳۴	« امیرت
۳۳۹	۲۷	« بت زنده
۴۴۰	۴۲	« برید شاه
۴۲۱	۷	باب که روزن
۳۵۲	۴	با بیانی کان
۲۶۸	۱۲	« پدر چون
۱۹۳	۲۲	« تأنی
۳۴۴	۱۳	« تبرك
۱۵۳	۳۳	« تجبر
۴۴۰	۳۲	« ترانه
۳۰۶	۲۶	« تضرع باش
۴۱۷	۲۱	« تواتر
۲۹۳	۱۸	« تو اوچونست
۱۴۳	۸	باتو باشد
۱۴	۲۱	« برخاك
۲۱۲	۴۰	« بی لب
۱۹۸	۱۹	« دوزخ
۸۱	۳۱	« دیوار است
۴۳۳	۱۰	« رازی
۳۷۶	۳۸	« قلماشت
۴۳۳	۱۶	« گفتم
۳۰۱	۲۷	« گویم در
۳۲۵	۳۱	« گویند این
۲۱۶	۷	« ما چون
۱۴	۱۹	« ما را
۱۵۸	۱۸	« می گفتم
۱۹۹	۹	با جمال جان
۳۴۵	۲۷	باچنان انکار
۴۴۳	۲۴	« جائی
۸۶	۱۰	« چشمی
۳۹۲	۶	« رحمت
۳۴۴	۳۳	« شیری
۱۶۰	۲۰	« عزی
۱۳	۱۷	« قادر
۵۳	۷	« قوت
۳۱۰	۲۰	باچنین اکرام
۱۷۸	۱۴	« برهان
۳۶۲	۳۴	« پنهانی
۱۶۸	۲۰	« تقوی و
۱۶۸	۳۱	« جاه و
۲۹۲	۱۶	« حالت
۴۳۷	۲۵	« دندان
۱۳	۲۱	« غالب
۲۷۵	۳۶	« قهری
۱۷۸	۳۹	« کبزی
۴۲۲	۲۰	« نا قابلی
۱۱۶	۳۳	« نزدیکئی
۲۳۸	۲۷	« نوری
۱۳۶	۲۷	با حبیب
۳۹۲	۱۶	با حدث کان بدتر

صفحه	سطر	اول بیت
۲۲۰	۱۹	با حدث کرده است
۴۰۲	۱۰	« حضور آفتاب
۵	۲۸	« حکیم او
۳۳۸	۹	باخت دست
۱۷۲	۱۰	« خدا باصد
۱۲۰	۲	« خدا گفتی
۴۳۵	۵	با خروش و
۴۲۳	۲	« خود آمد او
۴۰۴	۳۱	« خود آمد گفت ا
۱۷۵	۲۹	« خود آمد گفت را
۲۴۹	۳۶	« خودی با
۱۱	۴	« خودی تو
۱۷۱	۲۰	« خیالی
۱۶۴	۱۰	باد آمد شاخ
۱۷۹	۱۸	« آن میوه
۳۶۵	۴۱	« آهی
۴۳۲	۳۳	« از پیش
۲۳۱	۳۴	« با حرفم
۴۳۴	۳	« باشد
۴۳۵	۸	بادبان را
۴۳۸	۳۴	بادبانش
۱۸۶	۱	باد بدبر
۲۴۶	۱۳	« بر تخت
۲۴۴	۳۴	« بوی آور
۴۳۳	۳۸	« پائیز زوالش
۴۳۳	۳۷	« پائیزی
۱۶۳	۲۹	« پر را
۳۷۲	۳	« پنهان
۲۶۶	۲	« تند است
۴۳۱	۴	« توریح
۱۹۶	۲۷	« جان افزا
۴۳۴	۲۸	« جان بخشش
۹۷	۴	« جنس آتش آید
۲۵۹	۶	« جنس آتش است
۲۱۲	۲۳	« چون بشنید
۳۹۱	۳۰	« چون گفتار
۲۰	۹	« حرص
۱۵۳	۱۶	« حمال
۱۴۸	۳	« خرکره
۷۳	۴۱	« خشم و
۲۵	۴	« در مردم
۲۲	۳۳	« درویشی
۲۱۸	۸	« دم را در تو
۴۲۱	۳۰	« را اندر
۴۲۱	۲۷	« را بشکن که
۲۵۴	۲۱	« را بی چشم
۴۳۲	۲۲	« را چون
۲۱۸	۶	« را حق
۲۲۸	۳۸	« رادیدی که با
۲۱۸	۳	« رادیدی که می
۲۲	۱۶	« را فرمود
۳۸۲	۲۷	« سبلت
۳۶۶	۱۷	« سرگردان
۲۰۵	۶	« سوزان است

صفحه	سطر	اول بیت
۴۲۹	۲	باد شرطه
۶۶	۶	« صرصر
۳۸۵	۸	« طوفان
۳۸۵	۸	« طوفان
۳۵۴	۳۳	« عمرت
۴۳۳	۳۰	« فراش
۴۳۲	۳۷	بادف و نای
۱۵۸	۲	باد قهر است
۴۲	۲۰	« کار خویش
۷۴	۱	« کبر و باد
۵۷	۲۲	« کشتی را
۳۵۳	۵	« که را
۴۲۱	۳۳	« گوید بیکم
۴۰۳	۳۱	با دل خودشه
۳۱۸	۱۱	« گفت
۱۵۱	۳۳	بادل خوش
۱۲۶	۹	« و با اهل
۱۵	۲	باد ماو بود
۱۳۰	۱۱	با دم شیری تو
۲۰	۴	باد و آتش
۴۲۰	۲۳	بادو باد ر عشق
۱۶۱	۱۳	« پر بر
۴۴۳	۱۵	« چشم
۱۹	۳۵	باد و خاك
۲۴۳	۱۶	بادو دیده
۲۳۲	۱۰	« صد اقبال
۲۱۳	۲۲	« عالم
۲۳۶	۱۲	« عقل از
۳۳۴	۸	« کهنه
۳۸۷	۲۹	« گره
۳۳۴	۳۶	باده از غیب
۲	۱۳	« مامست
۳۷	۳۴	« مامست
۱۲۴	۲۳	بادها و ابرها
۳۱۱	۱۱	بادهٔ او
۱۴۸	۸	« حق
۱۵۳	۱۴	« خاك
۲	۱۲	باده در جوشش
۳۷	۳۳	« در جوشش
۲۴۹	۲۷	بادهٔ را می بود
۳۳۹	۱۰	« سرمایه
۳۳۷	۱۱	باده شان کم بود
۳۳۷	۱۶	بادهٔ کان بر
۳۳۹	۱۲	بادهٔ کاندر خم
۴۴۱	۱۲	بادهٔ ما عشق
۲۴۶	۱۳	بادهم گفت ای
۳۳۷	۱۰	باده میبایستشان
۴۱۶	۱	بار آخر
۳۰۰	۲۹	بار اول از ره
۱۰۲	۱۱	بار بازرگان چو
۱۴۸	۱	« برگیرند
۹۸	۲۱	« تو باشد
۲۰۰	۹	بار خ چون
۳۵۷	۲	بار خود بر

صفحه	سطر	اول بیت
۳۱۱	۱۲	باردیگر آمدم
۲۰۰	۱	« ازملك
۳۵۷	۱۳	« برگمان
۳۵۷	۱۴	« سوخت
۱۸۳	۱۲	« سوی
۲۳۵	۹	« شاعر
۱۵۲	۳	« شد
۶۳	۱۶	« کوفتند
۴۵	۲	« گرد
۳۲	۲۶	« ما بقصه
۴۱۸	۳۰	بارسن صندوق
۳۰۲	۲۱	بار سنگین
۹۰	۲۸	بار صبر و شکر
۲۹۷	۳	بارکن پیکار
۱۴۸	۱	بارکه نهد
۴۰۰	۲	« گوناگونست
۲۴۶	۴	بارنامهٔ روح
۹۸	۹	بارها از خوی
۹۸	۹	« از فعل
۲۱۸	۲۹	« پوشد
۴۱۵	۲۴	« خوردی
۱۸۳	۹	« در دام
۲۱۸	۳۰	« زن نیز
۲۲۵	۲۲	« گفتند
۴۱۵	۳۴	« گفتیم
۳۴۶	۳۵	« من امتحانش
۴۱۶	۹	« من خواب
۴۰۲	۲	« می شد
۱۳۰	۱۷	باری ار دوری
۳۵۳	۱۴	« افزوده
۳۷۹	۱۸	« اکنون
۳۳۸	۲۹	« این مقبل
۲۷۶	۱۲	باز آتش
۲۷۲	۱۱	بازآمد او بهوش
۲۳۱	۱۲	« سوی آن
۵۶	۲۱	« سوی دام
۳۶۶	۲۸	« شاه
۷۶	۱۱	« کایعلی
۱۹	۲۱	« کایمحمد
۳۵۸	۱۰	« گفت
۲۳۸	۱۳	بازآن ابلیس
۴۴۳	۸	« اجناس
۳۱۴	۲۳	« افیون
۹۶	۲۵	« باشد
۴۳۸	۳۸	« بحرین
۶۳	۱۸	« جان چون
۶۳	۱۷	« جان چونکه
۲۵۹	۸	« جانها
۲۷۱	۱۶	باز آنسو کرد
۳۸۸	۲۸	بازآن غشیان
۴۳۸	۳۹	« گلزار
۲۵۸	۳۵	« هاروت
۱۶۹	۱۰	« یکبار
۳۰۹	۱۲	باز آید جان

صفحه	سطر	اول بیت
۲۸۲	۲۰	باز آید زانطرف
۳۶۶	۶	« احد بشنید
۳۳۴	۳۴	« اخوانرا
۳۸۰	۷	« ارجاء
۲۷۴	۱۸	بازاز آن‌خوابش
۴۳۱	۲	« آن دریا
۳۸۸	۲۴	« آن‌صقعه
۳۳۰	۲	« بعد گنه
۲۷۴	۱۶	« حیوان
۴۳۹	۴۰	« خندیدن
۳۰۷	۱۹	« نوع
۴۴۲	۳۳	« وی‌استشاره
۳۳۴	۳۵	« وی‌مر
۲۲۳	۲۹	« هندوی
۳۵۷	۱۷	« یادش
۱۲۲	۷	باز اسپیدم
۲۵۸	۱۱	« اسپیدی
۵۷	۱۹	« استادی
۴۲۱	۱۴	« استسقات
۳۹۶	۲۵	« اشهب را
۹۵	۱۷	« افزونست
۳۵۴	۲	« اگر باشد
۳۲۹	۱۰	« اگر بیگانه
۳۹۰	۴	« امروز
۳۸۸	۲۹	« املاکی
۵۲	۶	« اندر چشم
۳۸۱	۱۴	« اندرخاطر
۳۷۲	۲۶	« اندیشید
۶۲	۲	« اوآن خشك
۳۷۱	۳۲	« او آن عشر
۳۰۰	۳۰	« او پرسد
۳۸۴	۱	« اولاحول
۱۱۷	۳۳	بازئی دیدو
۳۳۵	۳۵	باز ایمان
۲۰۹	۳۳	« این‌اندیشه
۱۴۲	۲۱	« این‌در را
۹۲	۹	« این دلهای
۲۲۷	۳۱	« این را بند
۲۸۵	۲۴	« این‌را میهل
۱۵۰	۱۱	« این مستی
۴۲۱	۲۰	« با پر
۳۸۸	۲۶	« باخود آمدم
۱۶۷	۲	« باخودگفت‌صب
۵۰	۱۸	« با خود گفته
۷۳	۲۱	« باش‌ایاب‌بر
۷۳	۲۲	« باش‌ایاب‌رح
۶۵	۲۵	بازبان حال‌زر
۸۳	۹	« حال‌بگفت
۳۶۴	۱	« حال میگفتم
۴۱	۲۷	« سبز و
۲۹	۲۰	« شطاعه
۴۴	۱۹	« گرچه
۱۱۶	۱۵	باز بانگش
۲۰۷	۱۰	باز بانگی

صفحه	سطر	اول بیت
۱۱۱	۲۵	بازبان معنوی
۱۶۹	۱۴	باز با هوش
۲۴۶	۳۵	« باید گشت
۱۶۷	۱۶	« بخشد
۴۴۵	۱۶	« بردند و
۴۹	۳۳	« بر زن
۳۱	۱۶	« بر موجود
۳۳۸	۳۴	« بشنو قصهٔ
۹۰	۱۱	« بعضی را
۳۲۴	۶	« بفرستادت
۲۰۷	۱۰	« بگریزی
۱۸۸	۱۵	« بهرمصلحت
۱۳۳	۲۲	« بی الهام
۶۱	۳۲	« بی شك
۴۰۷	۱۸	« بی‌صورت
۱۴۸	۱۱	« پراز شبد
۳۶۵	۱۷	« پران کن
۳۶۶	۶	« پندش داد
۹۸	۲۰	« پهنا میرویم
۱۲۳	۱۸	« پیغمبر
۱۸۳	۱۳	بازت‌آنتواب‌بگش
۱۸۳	۱۰	« آنتواب‌لطف
۵۲	۲۷	باز تره
۲۷۰	۱۹	« توبه‌میکندبا
۳۵۳	۳۵	« جان چون
۲۵۸	۲۱	« جانم باز
۳۵۳	۱۱	« جانهارا
۵۵	۱۴	« جوی وباز
۳۷۱	۳۳	« چادر راست
۲۷۶	۲۲	بازچون آید
۲۹۰	۱۰	« ابری
۱۸۳	۱۳	« پروانه
۲۷۲	۲۲	« تجدید
۲۲۳	۳۱	« خورشید
۳۲۸	۱	« شب
۱۶۹	۳۲	« من
۴۳	۹	باز چه گر
۲۵۴	۱۲	« حس کز
۱۶۹	۱۷	« حیران‌گشتم
۲۴۰	۱۸	« حیوان راچو
۱۳۸	۱۳	« خاك آمد
۱۳۸	۱۲	« خاکیرابخشد
۱۱۶	۳۱	« خرمارا
۳۶۶	۳۰	« خرم گشت
۴۴۷	۴۳	« خواهی‌آمد
۳۳۸	۲۷	« خود پیدا
۳۳۸	۲۶	« خودراسر
۱۱	۱	« دان‌کزچیست
۲۱۶	۲۸	« دربستندش
۲۷۶	۱۳	« درتن شعله
۵۲	۳۶	« در خم
۱۲۳	۲۱	« در دل
۳۱۳	۴۰	« دردیوارها
۴۴۰	۳	« درزی

صفحه	سطر	اول بیت
۳۱	۱۷	باز درگوشش
۹۶	۲۷	« در ویرانه
۱۷۱	۵	« دریا آن
۴۷	۲۱	« دست
۳۹۳	۳۷	« دل را
۴۳۸	۳۵	« دو بحر
۴۱۷	۲۶	« ده آن
۱۶۷	۱۲	« ده دو
۱۰۰	۱۵	« دیوانه
۱۴۴	۲۱	بازرا گویند
۴۴۰	۲۲	« مسند
۱۱۶	۱۵	باز راند این‌سو
۳۵۸	۴	« ران سوی
۳۱۸	۱	« رحمت
۳۳۶	۱۶	« رستم
۴۳۳	۲۹	« رو برگ
۳۹۰	۱۶	« رو تا قصه
۳۵۷	۹	« رو در کان
۱۹۹	۱۱	« روسوی‌حدیث
۷۵	۳۵	« روسوی‌علی‌و
۲۴۳	۷	« روسوی‌غلام
۱۹۱	۲۴	« زاری کرد
۲۱۹	۱۶	« سترو پاکی
۳۶۶	۳۶	« سلطان است
۴۱۳	۱۱	« سلطانم
۳۰۵	۲	« سلطانی
۱۴۱	۴۰	« سوگندان
۱۲۳	۱۳	« سوگندی
۲۹۲	۸	« سوی عقل
۳۸۱	۲۰	« سوی‌قصهٔ
۵۰	۱۶	« شاخی را
۲۷۹	۲۲	بازشان زنده
۳۴۹	۲۳	« وقت
۲۹۷	۳۴	باز شاه از
۳۲۷	۳۹	« شب‌اندر تب
۷۵	۱	« شب منسوخ
۹۵	۹	« شکل و
۲۳۵	۲۲	« شه بر
۲۴۸	۸	« صف
۱۵۹	۱۷	« صندوقی پر
۱۵۹	۱۸	« صندوقی که
۲۱۹	۱۳	« صوفی عذر
۴۲۱	۲۰	« صید آرد
۲۰۷	۹	« عزم دین
۱۲۹	۳	« عقل از
۳۹۹	۱۳	« عقلش
۶۶	۲	« عقلی
۴	۱۰	« عیسی
۴۱۶	۲۵	« عین آن
۲۲۲	۳۴	« غیر عقل
۳۹	۱۵	« فرمان‌آیداز
۱۷۱	۳۵	« فرمان‌آیدش
۱۷۱	۳۴	« فرمان میرسد
۱۵۸	۳۱	« فرمود او

صفحه	سطر	اول بیت
۱۱۲	۱۵	باز فرمودش
۹۲	۳۰	« قابلتر
۱۹۰	۱۵	« کافر خورد
۳۹۴	۳۴	« کرداز حق
۳۹۴	۳۵	« کرد از رطب
۳۶۷	۳۶	« کرد استیزه
۲۴۱	۱۹	« کن آنرا
۲۴۱	۸	« کن سرنامه
۲۲۹	۳	« کن طب را
۳۸۵	۴۰	بازگرداز بحر
۴۳۳	۱۹	« رمز
۲۶۰	۳۴	« کفرسوی
۲۵۶	۲	« کفرواین
۱۱۰	۲	« گرگی
۹۰	۴	« هست
۳۷۴	۶	باز گرد اکنون
۳۱۱	۱۵	بازگردان‌قصه
۴۱۰	۴۰	بازگردای عاشق
۲۶۰	۳۵	« گمره
۱۴۳	۱۹	باز گردد قصه
۹۶	۱۳	بازگرد شمس
۲۱۲	۲۹	بازگردم جانب
۱۷۱	۲۴	« زانکه
۳۲۱	۲۴	« سوی آن
۳۴۶	۲۱	« سوی‌توبه
۴۴	۲۸	بازگردوحال
۴۴۲	۲۵	بازگردوقصهٔ او
۳۱۳	۲۱	« او
۳۷۲	۱۸	« رنجو
۲۷۳	۲۰	« قبطی
۲۲۳	۳۶	« مسج
۲۸۹	۲۲	بازگردو کن
۲۲۶	۱۳	بازگردید ای
۳۱۴	۷	بازگردیدندسوی
۴	۱۱	بازگستاخان
۴۱۶	۲۳	بازگشت ازمصر
۳۴۴	۲۶	« ازموصل
۴۴۲	۲۲	« ما
۱۶۴	۱۶	باز گشتم سوی
۱۵۲	۱۷	« گشتند آن
۳۵۸	۱۲	« گشت وگفت
۳۵۴	۲۲	« گشته از دم
۲۱۹	۶	« گفت‌ارآرد
۲۷۶	۳۴	« گفتا کز بیم
۳۱۸	۳۷	« گفت‌الصبر
۲۷۶	۳۴	« گفت‌اورا
۲۵۷	۲۵	« گفت‌اواین
۸۴	۳۱	« گفت ای‌شه
۱۲۷	۴۱	« گفتش‌ایحکیم
۴۳۹	۴۶	« ترك
۱۱۰	۱۲	« من
۲۲۵	۲۴	بازگفتند ارکاد
۲۲۶	۴	بازگفتی بعد
۴۲۳	۲۴	بازگفتی جان

صفحه	سطر	اول بیت
۸۳	۶	بازگفتی حزم
۳۱۰	۲۷	« دور
۲۹	۳۵	بازگو آن قصه
۲۱۷	۳۹	« احوال آن
۲۲۹	۲۳	« احوال‌ابراه
۵۳	۲۹	« از
۵	۱۳	« اسرار
۷۳	۳۴	« ای‌بازپر
۷۳	۱۴	« ای‌بازعرش
۷۳	۳۴	« ای‌بازعنقا
۴۳۷	۴۴	« باری
۲۹	۳۴	« تا چون
۲۹	۳۳	« تا قصه
۷۳	۱۲	« دانم
۲۰۷	۲	« کان
۲۹	۳۴	« کز
۲۲۶	۳۴	بازگونه ای
۱۴۴	۲۰	بازگوید بط
۲۵۸	۲۰	« خشم
۱۷۱	۳۶	« سر
۳۸۵	۲۰	« کور
۹۶	۳۰	« من چه
۲۶	۷	بازگویم چون
۴۳۶	۲۷	بازگوی‌وبرشمر
۲۰۴	۱۳	باز لطف‌آید
۳۰۹	۲۷	« مانده دید ها
۳۰۲	۳۹	« مرغان چنبر
۱۸۳	۴	« مرغی فوق
۱۸۳	۶	« مرغی کان
۲۹۲	۹	« منزلهای‌خشك
۲۹۲	۱۰	« منزلهای‌دریا
۱۰۳	۲۸	« منشوری
۹۶	۴۱	بازم‌ودرمن
۱۹۰	۱۹	باز موسی داد
۱۲۴	۳	« میجوئی
۸۳	۱	« مبدید
۱۶۹	۱۰	« میدیدم که
۱۲۳	۲۳	« میزارید
۳۰۵	۲۷	« میکائیل
۵۶	۱۲	« میگردم سوی
۳۷۱	۲۸	« میگردم سوی
۲۹۵	۱۲	« میگردند
۳۴	۸	« میگردیم از
۱۱۵	۲۸	« میگردیم‌سوی
۸۸	۷	« میگشتم که
۸۳	۴	بازمی‌گفت آدم
۲۵۲	۱۵	« اوکه
۸۳	۳	« ایعجب
۸۳	۶	« اینکمان
۲۰۹	۳۵	باز میگفتندا گرچه
۸۳	۱۶	« ای
۳۱۲	۲۱	باز میگویدبحق
۱۶۹	۳۴	« میگویم
۸۴	۲۶	« میبالید

صفحه	سطر	اول بیت
۱۵۸	۲۳	با زمین آن
۳۸۸	۲۵	« هموار
۶۳	۱۷	باز نان را
۳۸۴	۲	باز نفسش
۴۱۴	۴۱	باز نفسش
۲۵	۲۰	باز نورنور
۴۳۱	۳۱	باز واپس
۸۴	۵	باز والیل
۱۵۲	۱۹	باز وحی آمد
۳۹	۱۴	باز وقت
۳۱۲	۳۱	بازویش بست
۱۴۱	۳۷	باز هر سال از
۱۶۹	۱۹	باز هریك مرد
۶۲	۱۰	باز هستی تنگ
۶۲	۱۰	باز هستی جهان
۶۶	۱۳	بازهم آن باد
۴۳۷	۶	بازهم رفتند
۴۰۹	۳۹	بازی آن تست
۳۲۹	۲۶	بازی خودکردی
۲۳۶	۲۰	باژگونه رفت خواه
۲۶۳	۱۴	باژگونه رفت و
۴	۳۳۲	باژگونه زاین سخن
۱۸۲	۳	باژگونه کردهٔ
۳۷۶	۱۱	باژگونه نعل
۱۸۸	۵	باسبها
۲۰۳	۱۰	با سپاهی همچو
۴۸	۳	باسگان براستخوان
۳۰	۵	با سگان بگذار
۱۳۶	۱۷	با سلیمان پای در
۱۳۶	۷	با سلیمان خوکن
۲۶	۳۸	باسلیمان یك
۳۰۷	۲۵	باسنان وتیغ لابه
۳۸۲	۳۶	با سیاسنهای
۴۳۶	۳۵	با سیه سر که
۱۹۳	۲۷	باش تا اعضای
۱۷۸	۹	با شتاب او
۲۳	۳۰	باش تا حسهای
۱۵۳	۱۳	باش تا خورشید
۹۵	۱۸	باش تاروزیکه آن
۶۸	۸	باش تاروزیکه
۱۷۸	۱	باش تا شیران
۱۶۳	۲	باش تا مرغ
۱۹	۲۵	باش چون دولاب
۶۶	۲۶	باشدآن تصویر
۲۴۱	۸	« فهرست
۱۴۳	۲۰	« کفران
۳۳۶	۴۲	باشد آنکه
۱۵۰	۹	باشد اغلب
۹۲	۳۴	باشد او درمن
۳۰۸	۳۱	باش درروزه
۳۱۹	۳	باش راضی
۱۱۲	۳۹	با شریف آن
۳۲۷	۲۹	باش فارغ تو
۲۳۹	۱۲	باش کشتیبان

صفحه	سطر	اول بیت
۲۷	۴	باش همراه
۱۶۱	۳۰	باطل است این
۱۱۰	۳۰	باطلان راچه
۲۹	۱۲	با طلب
۳۹۵	۵	باطلندومی
۱۹۵	۲۵	با عدو
۴۴	۸	با عصا
۴۰۹	۱۳	با عنایت
۲۷۲	۲۷	با عوام این
۱۵۲	۱۶	با عوانان
۲۷	۲۶	باغبان را
۷۵	۴	باغبان زان
۱۲۰	۲۵	باغبان گویداگر
۱۲۰	۲۴	باغبان گویدخمش
۱۲۰	۱۴	باغبانم شاخ
۱۰۳	۱۰	باغبان ملك
۵۹	۱۱	باغبان هم
۱۱۲	۲۱	باغبانی چون
۲۳۲	۲۵	باغ پنهان کرده
۴۴۱	۱۳	باغ جان را
۱۱۲	۲۷	باغ چبود
۱۹۶	۲۸	باغ چون جنت
۳۹	۱۷	باغ دل را
۳۷	۲۴	باغ سبز
۱۹۲	۶	باغ گفتم
۳۶۰	۱۱	با غلیظی جز
۱۳۳	۳	باغ و بیشه
۲۳۷	۳۳	باغها و سبزها
۲۳۰	۱۱	باغها و قصرها
۲۳۷	۳۴	باغها و میو ها
۱۴۴	۳	با فراقت
۴۱۶	۱۹	با فقیری
۲۲	۲۷	باقضا پنجه زدن
۲۱	۱۴	با قضا پنجه مزن
۳۶۶	۱۱	با قضا هرکو
۲۲۲	۳۰	با قضای ما
۱۳۸	۱۷	باقیات الصالحات
۴۱۸	۱۰	باقی اعضا
۱۶۱	۹	باقیان زین
۱۶۴	۵	باقیانش جمله
۳۴	۳۴	باقیان هم
۴۲۵	۲۳	باقی این گفته
۱۵۸	۱۴	باقی تن
۲۲۵	۳۷	باقی درهای
۳۹۲	۳۸	باقیش چون
۲۱۹	۹	با کبوتر بازکی
۳۷۹	۳۶	با کبی خویان
۱۰۳	۱۸	با کدام استاد
۱۷۵	۱	باکدامین روی چو
۳۲۴	۱	باکدامین روی من
۱۸۴	۳۹	با کریمی گر
۲۹۳	۱۶	با کفش دریای
۳۸۶	۳۳	با کفش نا
۱۶۹	۳۳	با کمال احتیاج

صفحه	سطر	اول بیت
۲۵۵	۲۳	با کمال تیرگی
۴۱۱	۱۸	« کنایت راز ها
۳۱۵	۳۲	« کنیزك گفت
۳۸۲	۲۰	« که خفتی
۲۹۸	۱۱	« که گویم
۱۰۶	۱	« که میگوئی
۱۳۵	۳۲	« گره کم
۱۴۵	۸	« گل
۱۴۰	۱۴	« گیاه وبرگها
۱۴۷	۶	« لئیمان
۱۸۵	۱	« لئیمی چون
۱۸۵	۲۰	« لئیم نفس
۳۷۴	۵	بال بازان را
۲	۱۹	با لب دمساز
۱۸۵	۲۸	بال نی و
۴۱۶	۵	بال و پرت
۳۲۵	۲۷	با محمد بود
۱۳۲	۱	« مخالف
۱۶۲	۳۳	بامدادان آمدند
۱۹۰	۲۳	« ازبرای
۳۷۷	۲۷	« اطلسی
۱۸۷	۸	« چون
۲۴۹	۱۸	با مریدان
۳۴۳	۱۶	« مسلمانان بکافر
۳۴۳	۲۵	«مسلمانان بکر او
۱۵۰	۲۵	« معبر گفت
۴۲۵	۴۶	با م گردون
۴۰۰	۳۲	با ملایك گفت
۹	۲۰	« ملك
۲۶	۱۳	« من از بهر تو
۱۱۴	۳۶	« من اینرا
۳۵۳	۲۷	« منجم این
۱۴	۲۰	« مه روی
۲۰۴	۱۳	« نخود گوید
۲۱۰	۳۲	« نشاط آنزهر
۵۷	۹	« نقبان
۲۶۸	۱۹	بانگ آبش
۳۶۱	۱۷	« آبم من
۳۲۴	۳۴	« آمد روز
۲۰	۱۸	« آمد کار
۳۱۷	۸	« آمد که همه
۴۴	۳۰	« آمد مر
۳۱۷	۳۱	« آمدناگهان
۳۶۹	۲۳	« آمد نی
۲۱۴	۱۱	« اسبان
۱۴۹	۳۵	« اشکسته
۲۴۲	۲	« اشکونه اش
۳۸۶	۲	« او تو
۹۷	۲۲	« او چون
۴۳۴	۳۰	« بر خاصان
۷۵	۲۰	« بر زد
۴۰۹	۳۷	« بر لشکر
۱۹۷	۳۱	« بروی زد
۲۱۸	۱	« بروی زدبهمت

صفحه	سطر	اول بیت
۲۴۳	۱۲	بانگ پررسته
۱۵۰	۳۰	« چاووشان چو
۲۷۶	۱۹	« چاووشان و
۴۰	۸	« حق
۴۲۵	۲	« حیزان
۲۴۲	۱	« خارو
۴۳۱	۴۴	« خر
۴۰۳	۲۲	« در بشنو
۴۰۳	۲۰	« دردان
۴۰۳	۲۰	« درمحسوس
۱۵۱	۲	« درویشان
۲۰۷	۱۴	« دیوان
۲۱۸	۲۸	« زدآن دزد
۲۱۲	۲۲	« زدآن شه
۶۰	۲۰	« زد او
۲۲۹	۲۵	« زدبرروزن
۳۸۳	۱۳	« زد بروی
۴۱۰	۲۷	« زد بر
۲۱۲	۳۰	« زد درگوش
۱۵۶	۲	« زدگای جان
۱۱۰	۲۴	« زدگوساله
۶۱	۲۴	« زد یارش
۱۰۹	۳۱	« زشتم مایه
۳۰۳	۳۴	« سگ اندر
۸۶	۳	« سگ هرگز
۲۴۶	۳۳	بانگش آمداز
۳۴۴	۳۸	بانگشان در
۳۳۰	۹	بانگ شیرو
۳۰۵	۲۶	« صورش
۱۴۹	۲۳	« طاوسان
۳۴۳	۲	« طبل
۲۴۲	۳۵	« طشت
۹۱	۵	« غولان
۱۳۲	۱۵	« کردند
۲۰۳	۱۱	« کوس و
۲۲۸	۷	« گردشهای
۴۰۳	۲۱	« گفت بد
۱۰۸	۳۶	« مظلومان
۱۶۹	۲۷	« میامدزسوی
۱۶۹	۲۷	« میامدزغیرت
۳۴۹	۲۵	« می آیدتعالو
۵۵	۳۰	« میاید کای
۱۴۹	۳۵	« می آید که تعر
۹۱	۶	« می دارد
۲۸۶	۴	« میزد آتش
۱۹	۱۴	« میزددرمیان
۱۰۸	۹	« میزدکای امیر
۴۵	۸	« میزدکای خدا
۲۶۸	۲۶	« میزدکای مبث
۱۸۵	۲۴	« میزدنك نوای
۲۸۰	۲۱	« میزد واثبورا
۲۴۲	۲۳	« وصیتی جو
۲۵۹	۲۳	بانگها زد گریها
۲۴۳	۱۲	بانگ هدهد

صفحه	سطر	اول بیت
۲۸	۷	بانگ هرچیزی
۱۰۶	۳۷	با نماز اوبیالوده
۱۲۱	۳۸	« نیازو
۴۴۳	۴۲	« وجود اینهمه
۱۱۶	۱۸	« وجود تو
۲۶۷	۲۳	« وجود زال
۲۴	۱۳	« وحوش
۳۳۶	۱۵	باورش نامد
۸۸	۳۹	با وکیل قاضی
۱۴۵	۲۲	« هزاران آرزو
۱۴۵	۱	« هزاران حزم
۷	۲۸	« هزاران غصه
۲۰۹	۲۴	« هزار انکار
۴۳۷	۳۴	باهمه این ضعف
۹۲	۲۹	« بنشین
۱۶۰	۲۳	« تمکین
۴۴۰	۴۲	« دانستگی
۳۳۹	۶	« سالوس
۵۹	۳۰	با هواو
۴۳۸	۴۵	بایدازتونماید
۱۲	۱	بایدش خودرا
۱۱۳	۳۳	بایزید آن
۳۳۶	۳۶	« یزیدار این
۱۶۴	۳۱	« یزید از بهر
۱۱۳	۳۳	« یزیدا کعبه
۱۱۳	۲۲	« یزید اندرسفر
۹۳	۲۲	« یزیداندرمزید
۱۱۳	۲۵	یزید او را
		ب - ت
۱۳۱	۴۰	بت پرستان
۵۸	۲۳	« پرستی
۱۸	۲۱	« درون
۱۸	۲۰	« سیاه
۳۷۵	۱۵	« ستودن
۱۸	۲۳	« شکستن
۳۲۱	۳۹	« شکستی
۲۲۹	۱۵	« شکن بوده است
		ب - (ج-چ-ح)
۲۸۵	۳	بجهد از
۱۷۲	۴	بچه بیرون آر
۲۶۲	۲۲	بحث املاك
۸۷	۳۶	« با توجیه
۳۲	۲۱	« جان
۳۲۰	۲۳	بحثشان
۳۲	۲۰	بحث عقلست
۳۲	۲۳	« عقل وحس
۳۲	۲۱	« عقلی گر
۳۹۲	۳۴	« کردند
۲۵	۱۰	بحر بی پایان
۳۱۴	۳۰	« قعراست
۸	۲۲	بحر تلخ و
۱۰۰	۱۰	بحر تن بربحر
۴۱۵	۲۲	« جان افزا
۴۱۵	۲۲	« جان افزاو

صفحه	سطر	اول بیت
۹۳	۲۸	بحر جان‌وجان
۲۹۵	۳۴	« را پوشید
۳۴۹	۳۲	« را پیمود
۱۰۴	۷	« را گویم
۵۲	۱۶	« را نبیش
۴۲۲	۳۷	« شه که
۴۳۸	۳۳	« شیرین
۳۳۹	۱۷	« علمی
۸۲	۱۴	« کف
۲۶	۱۱	« کوآبی
۱۷۳	۱۲	« گوید
۱۱۴	۱۳	« مکار است
۱۲۰	۸	« مکری
۹۶	۱۸	« میگوید
۳۸۲	۳۱	« وحدانیست
۴۶	۱۹	« وکان
۴۲۸	۵	« هفت
		ب (خ ـ د ـ ذ)
۴۳۰	۱۹	بخت از حق
۳۶۸	۹	« با جامه
۲۰۹	۲۶	« مارا
۴۳۸	۱۱	« ماهست
۳۰۱	۷	بخشش بسیار
۳۱۰	۶	« محضی
۳۸۹	۳۱	بخشم اورا
۷۴	۵	بخل من
۹۳	۱	« نادیدن
۲۷۰	۲۹	بد بیاید
۳۰۷	۱۶	بدترین قهرش
۱۳۰	۱۴	بدچه‌باشدآتشی
۱۳۰	۱۳	« سرکشی
۱۳۰	۱۲	« مس
۱۳۰	۱۱	بدچه‌میگوئی
۷۱	۶	بد خیال
۲۶۲	۲۸	بد دلان
۲۳۹	۱۵	بدر بر صدر
۴۳۱	۴۷	بدررابشکافته
۲۴۱	۲۶	بدر رادیدي
۱۱۰	۱۷	بدرگ‌وخود
۱۴۸	۹	بدرگی و
۱۹۹	۱۵	بدر میجویم
۲۹۳	۱	بدرومتان
۳۶۹	۳۶	بد زرنجوریش
۴	۱۶	بد زگستاخي
۲۷	۲۰	بد عمررا
۱۳۰	۱۳	بدکه باشد
۳۱۲	۱۶	بدگمان باشد
۳۱۷	۳۴	بدگمان بردیم
۱۱۰	۱۷	بدگمان و
۴	۱۲	بدگماني کردن
۳۷۶	۳۷	بدگمانی نعل
۲۳۸	۳۸	بدگهررا علم
۲۲	۲۸	بد محالی‌جست
۲۳۷	۲۲	بدندانی
۳۵۷	۷	بد نماند چون
۳۶۹	۲۴	بد هلال
۲۲۷	۲۴	بدهم‌این‌زر را
۳۳۲	۲۲	بدهمی‌گویند
۲۲۷	۳۶	بذل شاهانه
		ب ـ ر ـ ز
۲۶۶	۱۳	بر اسیر شهوت
۲۸۴	۲۵	برامید آتش
۱۱	۲۴	« آنکه از
۸	۲	« آنکه‌مرغ
۳۹۶	۳۷	« او
۴۴۴	۲۶	« خورد
۱۲۳	۱۱	« راست
۳۰۸	۱۷	« راه بالا
۱۴۶	۱۲	« زنده
۱۲۲	۱۵	« شفقت
۹۶	۱۱	« عز
۴۰۰	۳۷	« کف
۲۸۴	۲۲	« گوهر
۳۴۸	۲۳	« وصل
۴۱۴	۴۰	« وعدهٔ
۲۴۶	۱۱	برامیرومطبخی
۶۷	۲۷	بربدیهای بدان
۲۸۰	۱۰	بر برادر بی
۴۲۲	۲۵	بربرون که
۴۱۱	۱۲	بربزرگان
۶۵	۲۲	بر بلیس و دیو
۲۴۴	۱۰	بر بهارش
۴۳۸	۳۶	برتر آنهم
۳۲۵	۶	برتر ازکرسی
۳۰	۳	برتراز نوبت
۶۸	۴۲	برترند از
۳۰۸	۳	بر تن او
۱۷۸	۱۷	بر تن مرده
۶۰	۱۳	بر تن ودست
۱۲	۲۲	برتو آسان
۲۰۲	۲۹	« اوازبهر
۳۷۲	۲۹	« خندید
۱۲۷	۱۳	« خود را
۱۱۰	۹	« دل می
۱۳۳	۷	« زندان
۳۰۲	۱۸	« سرگین را
۲۶۲	۱۹	بر توکل تا
۲۳۷	۱۷	بر تو گر پیدا
۱۹۸	۲۶	« گرده
۱۲۶	۳۵	« میخندد
۲۶۳	۸	« می ننهیم
۱۳۹	۷	« هم طمع
۴۳۰	۴۸	برته بحری
۲۰۸	۱۷	برج آتش
۲۰۸	۱۷	« بادی
۲۰۸	۱۶	« خاکی
۳۰۸	۱۰	« زندان‌را
۳۷۲	۸	« برجمادات‌آن
۱۰۲	۳۲	برجمادی رنگ
۱۵۹	۴۰	برج مه باشد
۳۵۷	۱	برجنازه هرکه
۳۶۱	۱۸	برچه‌ایعاشق
۵	۲۶	برجهدآن خار
۳۶۳	۱۳	برجهید آن‌ترك
۳۳۸	۹	« آن‌دلقك
۱۹۹	۳۶	« آن کشته
۲۵۷	۲۶	« از جا
۴۰۴	۲۶	« از خواب
۳۴۴	۲۹	« اوکون
۲۰۷	۲۱	« و بانگ
۲۱۳	۷	« و بر
۲۶۳	۵	« و زود
۱۰۱	۲۳	« و سنگ
۱۱	۳۲	برچنان سبزه
۶۰	۱۴	« صورت
۲۳۵	۳۸	برچنین صاحب
۴۲۱	۱۰	برچنین‌گلزار
۳۸۶	۱۳	برچه بگشادی
۵۲	۸	برچه میگرئی
۳۰۱	۱۷	برحدث چون
۳۷۵	۵	برحدوتعزیر
۱۶۵	۳۲	برحواس خود
۱۶۰	۱۱	برخران پشت
۳۴۹	۲۹	برخطا و جرم
۱۱۸	۳۰	برخطوفرمان
۱۶۱	۲۹	برخلاف قول
۲۹۰	۸	برخلاف‌موم
۴۱۵	۳۳	بر خلیل آتش
۴۰۸	۲۲	بر خموشی
۲۸۴	۴۱	برخیال آن‌صفا
۳۶۷	۳۷	« آنکه
۳۴۵	۱۳	« حرب
۲۸۶	۲۵	« حیله
۲۸۵	۱	برخیالش گر
۴۱۶	۸	برخیال و
۴۱۶	۹	برخیالی این
۴	۱	« صلحشان
۳۴۲	۱۷	برد آنصوفی
۴۱۹	۸	برد القصه
۲۳۱	۲۳	برداورا پیش
۱۰۸	۸	برداورازخم
۲۱۷	۳۱	برد بیند
۳۰۷	۳۷	بردتاحق تربت
۳۸۸	۲	برد حلوا
۳۲۸	۷	برد خر را
۳۹۸	۳۰	برد خرگوشیش
۱۴۲	۲۵	بردرآن‌صومعه
۱۴۲	۲۱	بردرآن منعمان
۱۷۸	۴۰	بردرارجوئی
۲۵	۱	بردران ایدل
۱۲۶	۳۷	بردراینخانه
۱۱۲	۳۳	بردر خانه بگو
۳۲۲	۳۷	بر درختان شکر
۲۳۸	۱۵	بردرخت جبر
۴۰۶	۳۲	بردرخت گندم
۴۳۷	۳۵	بردرختم بر
۴۴۲	۲	بردرختی بر
۳۲۹	۱۳	بردرخرگاه
۱۹	۳۲	بردرخرگ‌سگان
۳۹۶	۳۷	بر درش بود
۱۴۷	۵	« درش ماندند
۳۲۹	۱۴	« درکهف
۲۸۵	۲۹	« درم ساکن
۳۴۳	۱۲	« درودیوار
۱۳۴	۱۷	« دروغان
۶۳	۲۱	« دریاران
۱۴۳	۳۳	« دریدآنکوسفند
۳۰۲	۲۶	« دریداززخم
۲۴۵	۳۴	« دریده
۲۲۵	۱۶	« دریدی در
۲۳۵	۲۱	برد شاعر
۱۵۵	۳۵	بردشان بر
۷	۲۲	بر دکان بودی
۶۵	۲۳	« دکان هر
۳۳۵	۱۸	« دل آن
۵۲	۸	« دل تاریك
۱۳۰	۲۹	« دلت زنگار
۸۶	۲۱	« دل خودکم
۴۲	۳۱	« دل عاقل
۲۰۳	۳۱	« دلم زد
۱۰۶	۲۳	« دل‌موسی
۳۶۴	۲۹	« دل‌ودین
۱۷۰	۱۶	« دلی‌کودر
۳۴۶	۱۰	« دمد آن
۲۴۲	۷	برد مقناطیس
۵۲	۹	بردم ودندان
۱۷۸	۱۳	بردمی بروی
۱۶۱	۳۱	بردمید اندیشهٔ
۱۰۹	۳۲	بردوکوری‌رحم
۳۹۷	۲۹	بر دوکون اسب
۳۷۰	۳۱	« دوبدی چون
۹۰	۱۱	بردهٔ از خویش
۲۴۹	۲	بر دهان‌تست
۲۴۶	۲۱	« دهانم نه
۱۴۱	۸	« دهان‌و برلبش
۳۸۶	۳۷	برده در دریای
۳۹۶	۱۴	برد هم جنسی
۲۶۲	۱	بر رخ سیم
۳۴۲	۲۳	« رخ صوفی
۱۲۲	۴۰	« رسول حق
۲۴۳	۳۱	« زبان الحمد
۳۱۴	۱۰	« زبان بیخ
۸۳	۲۷	« زبان‌نام
۳۹۷	۱۳	« زدندی چون
۳۹۷	۱۳	« زدندی‌خویش
۲۵۰	۲	« زمان خوش
۴۴۳	۴۱	بر زمین افتادهٔ
۲۴۸	۲۱	« پهلوت
۶۰	۲۴	« زدسوزن
۲۴۱	۲۰	« زدکهنه
۱۶۲	۶	« گرنیم
۱۶۸	۹	« مبشد
۳۵۴	۶	« وچرخ
۴۰۹	۱۱	بر زنخدان
۳۷۲	۹	« زند ازجان
۲۸۱	۲۰	« زند بر پا
۱۱۲	۳۵	« زن‌وبرفعل
۱۲۲	۱۴	« زن‌و فرزند
۱۴۸	۳۹	« سبال چرب
۵۵	۲۱	« سبو لرزان
۴۴۵	۳	« سبیل هدیه
۴۰۶	۳۳	« ستیز قول
۵۲	۹	« ستیز و
۲۵۲	۱۳	« سرآتش‌بیشت
۱۷۸	۳۶	برسر آتش‌نهادند
۱۷۸	۲۱	« آردزخم
۴۴۵	۱۶	« آن تخته
۴۴۵	۶	« آن چند
۸۱	۴	« اغیار
۳۰۵	۲۶	برسرافیلت
۴۹	۸	برسراین ریشها
۳۵۳	۳۹	« بارو
۳۶۶	۴۱	برسرت‌چندان
۴۳۳	۲۸	برسر تخت‌شهی
۲۹۵	۲۵	برسرت ریزم
۲۹۶	۲۵	« نانست
۳۵۹	۱۵	برسر چاهی
۳۷۴	۳۸	« حرف
۲۲۱	۱۳	« خاکستر
۳۸۶	۲۳	« خرقه
۲۱۸	۱۲	« خرمن
۴۴۲	۴	« خود تیغ
۲۴	۳۴	« دریا
۲۵۱	۳۵	« دیواربدهم
۱۶۲	۶	« دیوارعالی
۹۷	۲۹	« دیوار هر
۹۷	۳۷	« ره‌زاد
۲۲۵	۲۱	« زر تا
۳۹۷	۷	« زین
۴۳۷	۵	برسرش‌آهن کند
۱۶۴	۱۰	برسر شاخی
۴۴۶	۱۴	برسرش چتر
۳۳۹	۶	« چندان
۳۱۶	۱۱	« زد
۸۱	۷	برسر شطرنج
۱۱۲	۲	برسرش کوبد
۳۳۱	۸	« کوبی
۲۹۷	۳	برسر عیسی
۲۲۱	۳۰	« قصری
۳۲۴	۳۰	« که رفت

صفحه	سطر	اول بیت
۲۳۹	۲۰	برسر کوریش
۴۱۶	۱۴	« گنج
۳۹۲	۲۱	« گورم
۱۱۹	۲۲	« ما دست
۳۹۸	۴	« ملك
۳۲۲	۶	« میدان
۱۹۹	۱۷	« ورویش
۶۴	۱۶	« هر ریش
۳۲۷	۳۱	« هر لقمه
۹۶	۲۸	برسری جغدانش
۴۴۶	۱۷	برسریر اعتلا
۲۴۴	۸	« سرّ
۱۷۵	۳۸	بر سگان کور
۱۶۶	۱۵	« سگانم رحمت
۲	۱۳	« سماع راست
۵۶	۵	« سماع راست
۱۸۶	۲	« سمندر باشد
۲۲۴	۱۳	« سیم پایه
۸۹	۲۶	برشتر بنشست
۲۸۷	۱۴	« چشم
۱۳۱	۲۸	« زد
۳۷۶	۳۰	بر شمار برگ
۳۳	۱۹	« شما کرداو
۴۰۷	۳۷	« صدف لرزان
۳۹۸	۲۷	« صطرلابش
۲۸	۳۶	« ضعیفان
۶۶	۶	« ضعیفی گیاه
۲۴۱	۲۹	« طبق کو
۲۸۴	۹	« عدم باشیم
۳۱	۱۵	« عدمها
۲۳۱	۲۵	« عرب حق
۴۱۵	۸	« عسس کرده
۴۲	۷	« عمامه
۳۰	۱۸	« عمر
۳۵۳	۱۷	برف‌راخنجر
۴۴۱	۴۴	بر فروزانبد
۱۵۷	۷	« فشانم
۲۹۵	۲	برف گشته
۳۸۷	۳۶	« گوناگون
۳۶۶	۲۴	بر فلان وادی
۲۰۸	۷	« فلك‌برهاست
۱۵۱	۲۸	« پیدا
۲۷۷	۹	« محمودی
۲۰۳	۲۲	برفها زان
۱۰۲	۳۶	برق آفل
۲۶۸	۲۰	« آیینه است
۱۲	۳	« اگرچه
۱۰۲	۳۷	« خندد بر
۱۰۲	۳۸	« خود را
۱۳۲	۲۷	برقرین خویش
۳۵۸	۲۳	برقضا کم نه
۱۵۱	۴۶	« هر کو
۲۶۹	۱۲	برق عقل‌ما
۱۵۹	۵	برقفای تو

صفحه	سطر	اول بیت
۳۷۲	۲۳	بر قفای صوفی
۳۷۵	۳۵	« قاضی
۳۰۶	۲۰	برق می‌انداخت
۴۱۲	۲۷	« نور
۴۲۲	۶	« وفر
۴۰۰	۱۷	بر کریمی کردهٔ
۴۴۶	۳۸	« کسانی حاکمی
۴۴۶	۳۳	« کسی از وی
۴۴۲	۸	« کشد اورا
۴۳۷	۴۲	« کشید آنگه
۳۳۶	۳۴	« کشیدش بود
۳۹۶	۷	« کشیدش قوق
۱۰۲	۳۸	« کف دریا
۲۵۱	۳۷	« کفش چون
۳۸۲	۲۵	« کف من نه
۹۰	۱۶	« کوخی دل
۲۵۰	۱	« کنار بامی
۲۳۸	۱۰	« کن از بیخش
۲۹۰	۱۸	« کنم پر راو
۲۸۹	۲۷	« کنم پرهای
۲۹۱	۱۹	« کنم من بیخ
۲۵۶	۲۲	« کنی این
۱۱۸	۲	« کنی دندان
۱۷۸	۱۶	« که سنگین
۱۵۰	۶	« کهی دیگر
۴۴۳	۳۱	برگ اکنون
۱۰۰	۱۴	برگ بی‌برگی ترا
۷۶	۳	« ترا
۲۴۸	۲۶	« نشان
۲۱۰	۱۴	« همه
۲۸۱	۱۲	برگ‌تن بی‌برگی
۴۳۷	۴	برگذشتند و
۲۵۱	۲۸	« گذشته حسرت
۱۱۱	۳۶	« گرفت آن
۹۳	۸	« گرفت از نار
۲۱۲	۳۰	« گرفتش سر
۴۳۱	۳۳	« گرفتی بردمی
۲۱۸	۷	« گروه عاد
۲۴۸	۲۵	برگ زردریش
۴۱	۲۰	بر گشا از نور
۴۳۵	۲۵	« گشاده‌گوی
۱۳۸	۱	« گشا گنجینهٔ
۴۱۹	۱۲	« گشایم گر
۳۶۶	۹	برگ کاهم
۳۶۹	۴۰	بر گمان آن
۴۳۴	۵	برگ وزادراه
۲۹	۲۰	برگها چون
۱۳۸	۱۴	« را برگ
۴۱۸	۱۱	« و میوها
۱۹۳	۲۹	« همرنگ
۱۹۳	۲۹	برگهای جسمها
۲۴۸	۲۵	« زرد او
۲۴۸	۲۶	« نو رسیده
۵۹	۸	برگ یك گل

صفحه	سطر	اول بیت
۴۰۷	۱۰	برلب بام ایستاده
۹۲	۴۱	« جو بخل
۷۱	۲	« جوبردظنی
۹۷	۱۷	« جو بود
۳۷۲	۲۲	« جو صوفی
۳۹۲	۳۳	« جومن‌بجان
۳۹۱	۳۴	« جومن ترا
۴۱۸	۲۶	« خشکم
۱۵۳	۲۵	« شط
۳۱۶	۳۵	بر لبش قفل
۲۵۰	۹	« لبیب آید
۱۰۵	۷	« مثال برگ
۴۲۳	۳۲	« مثال دایره
۲۷۶	۱۱	« مثال سنگ
۲۲۳	۳۲	« مثال عنکبوت
۸۲	۶	« مثال موجها
۴۴۲	۲۴	« مثالی کان
۱۲۵	۲۷	« محك زن
۲۷۱	۱۴	« مراد تو
۳۷۲	۲۱	« مراد دل
۲۳۳	۱۲	« مسلمانان پل
۱۹۱	۲۲	« مسلمانان زبان
۲۶۸	۶	« مسلمانان نمی
۲۵۵	۱۹	« مشوران
۴۱۰	۳۳	« مصلی
۲۳۵	۲۳	« مقام او وزیر
۲۸۹	۷	برمکن آن پر
۲۸۸	۱	« این پر
۲۸۸	۱۶	« پر را
۱۹۵	۱۰	برملولان این
۲۸۶	۷	برمن آرد رحم
۹	۲۵	بر منادی گاه
۴۳۸	۴۶	برمن از توزخم
۳۱۳	۷	« از هستی
۷	۱	« است
۴۳۵	۴۶	« این‌زخم‌ار
۳۱۵	۱۰	« مسکین
۴۳۶	۱۱	« وبرهرکسی
۱۱۵	۵	بر نئی گشته
۲۴۵	۱۷	« نشستند
۱۲۶	۳۲	« نتابد دو
۱۰۶	۲۷	« نشان پای
۳۷۵	۳۰	« نشسته او
۸۹	۳۴	« نشستی اشترم
۳۰۷	۱۵	« نفیر تو
۱۴۹	۲۲	« نکندی یك
۲۰۱	۳۸	« نمد چوبی
۱۲۸	۲۷	« نمیداری‌سوی
۳۱۲	۴	« نوشته هیچ
۵۹	۲۰	« نویس‌احوال‌پیر
۲۷۱	۵	« نویس‌احوال‌خو
۱۱۴	۶	« نیائی باوی
۱۱۲	۲۲	« نیایم یك
۴۰۴	۸	« نیفتد از

صفحه	سطر	اول بیت
۳۷۳	۳۳	بره بدهی
۳۷۳	۳۳	« پیش
۱۴۶	۱۵	برهر آنچیزی
۴۰۱	۲۷	« آنعضوی
۷۷	۳۰	برهمان بو
۱۴۲	۳۵	« درهمچو
۴۳۰	۲	برهمه‌آفاق
۲۱۷	۱۸	برهمه تسخر
۴۰۰	۳	« جوها
۳۲۲	۱	« درس
۲۱۷	۷	« زهرو
۱۶۶	۱۴	« کفار
۴۴۲	۱۱	برهمی‌گردید
۱۴۰	۲۲	برهوا انداخت
۳۸۹	۸	« برداشت
۴۲۳	۳۳	« بردی
۲۴	۲۹	« تاویل
۲۸۵	۳۸	بر بسارش بس
۴۱۵	۳۰	بر یکی آبست
۳۹۲	۴	« اشتر
۴۱۵	۲۸	« بند است
۴۱۵	۲۷	« پنهان
۴۱۵	۳۱	« تیر است
۴۱۵	۳۱	« جسم
۴۱۵	۳۰	« حلوا
۴۰۰	۳	« خر بار
۴۱۵	۲۶	« دیو
۴۱۵	۲۹	« روز
۴۱۵	۲۷	« شیرین
۴۱۵	۲۵	« قند است
۴۱۵	۲۶	« گنج‌است
۴۱۵	۲۹	« محبوب
۴۱۵	۳۲	« نقص
۴۱۵	۲۸	« نوش
۶۱	۱۲	بز مراکه بز
۳۹۰	۴۰	بزم‌وزندان
		ب ـ س
۲۴۱	۳۰	بس اناملی
۳۷۹	۸	« بجوشیدی
۴۲۳	۲۵	« بدیدم درد
۳۷۵	۲۵	« بدیدی‌مرده
۱۲۵	۲۸	بر آنمسجد
۴۳۹	۹	« بصورت
۲۶۹	۳۲	« بکوشی و
۲۶۳	۳۱	« بلاورنج با
۲۶۳	۳۰	« بلاورنج‌می
۱۳۴	۳۶	« بلند و
۷۱	۱۵	« بودخورشیدر
۲۸۰	۲	« تأنی دارد
۴۰۱	۲۸	« تجسس
۲۴۳	۴۰	بستدم جمله
۴۲۳	۲۷	بسترش کرد
۳۴۰	۳۰	بستر مارا
۳۴۲	۳۴	بس تن بی سر

صفحه	سطر	اول بیت
۱۵۳	۳۰	بسته بودش
۱۵۷	۲۴	« پائی
۱۵	۱۵	« در زنجیر
۳۵	۲۲	« درهای
۳۲۴	۴	« شد پایم
۱۵۷	۲۷	بستهٔ شیر
۲۱۰	۳۱	« قهر
۲۲۷	۳۳	بسته کرد آن
۲۸۵	۲	« هرجوینده
۱۰۸	۲۰	بس ثنایت گفتمی
۴۲۸	۱۴	« جگر در
۲۹۳	۲	« جوال زر
۱۲۰	۱۰	« چو بلعم
۳۱۷	۳۷	« حلالیها
۷۴	۱۹	« خجسته
۴۳۹	۱۲	« ددا
۴۴۲	۳۵	« در آن
۳۷	۳۵	« درازاست ای
۲۶۷	۱	« درازاست‌این
۱۹۸	۲۱	« درازاست‌این
۲۰۲	۳۷	« درازاست‌این
۴۱۹	۱۳	« دراین
۸۱	۱۳	« دعاها
۱۳	۲۱	« دل چون
۶۵	۶	« رباطی که
۴۱۰	۱۶	بسرشد گاهش
۳۶	۳۲	بس زبون
۳۹۴	۱۸	« زروزربفت
۷۵	۶	« زیادتها
۳۲۴	۳۷	« سؤال و
۴۱۷	۲	« سیه بنهاد
۱۰	۱۸	« ستارهٔ آتش
۱۲۰	۹	« ستارهٔ
۳۶۵	۳۰	« سرای
۱۳۶	۲۷	« سیاحت
۳۰	۳۴	« شدستم
۲۱۳	۳۹	« شکنجه‌کرد
۳۹۰	۶	« شهان
۴۳۷	۱۰	« ضعیف و
۱۴۳	۱۷	بسط دیدی
۱۳۹	۱۶	بس ظریفند و
۳۲۴	۳۰	« عجائب دید
۳۰۳	۳۰	« عجب‌آمدورا
۱۱۳	۲۴	« عجب‌درخوا
۲۳۲	۲۰	« عجب‌فرزند
۲۸۰	۲۹	« عداوتها
۱۷۹	۳۶	« عزیزی
۱۷۸	۲۷	« عظیم و
۲۵۷	۲۵	« عنایتهاست
۱۷۹	۳۵	« غذائی که
۱۴۲	۲۰	« غذای وجد
۳۴۹	۲۶	« غریبیها
۲۱۴	۱۳	« غلط گشتم
۳۱۱	۲	« فسانه

صفحه	سطر	اول بیت
۲۹۸	۳۸	بس فنا شد
۱۱۲	۱۱	« فواید
۳۷۸	۱۰	« قامت تنگ
۴۰۶	۲۲	« کس از عقد
۲۶۷	۳۶	« کسا عزمی
۲۰۱	۳۰	« کسا کاویخت
۲۱۴	۲۲	« کسا که نان
۱۲۷	۲۸	« کسانرا
۱۳۴	۲۴	« کسان ضعفشو
۶۷	۸	« کسان کایشان
۲۲۳	۲۱	« کسانی کز
۴۰۶	۲۱	« کسی از
۸۴	۱۴	« کلام پاك
۱۸۵	۱۹	« کن ارشرحی
۱۰۵	۲۰	« کن ای بیهوده
۷۵	۹	« کن ایدون
۲۵۷	۴	« کن ایبوسی
۴۴۵	۷	« کنم بار و
۲۶۰	۸	« کنم خود
۱۹۹	۳	« کنم دلبر
۷۴	۱۳	« کنم گراین
۴۴۳	۶	« کنیزان
۲۱	۷	« که آن شیر
۳۶۵	۴۲	بسکه افزود
۲۵۳	۲۱	« خودراکردذ
۳۰	۳۵	« خوردم
۳۵۷	۲۵	« ظلمت
۳۷۷	۲۲	« غدر
۵۲	۱	« کردید
۳۰۵	۳۱	« لابه کرد
۱۷۹	۱۷	« می افتاد
۱۴۳	۶	بس گرفتی
۲۱	۲۱	« گریزند از
۳۹۰	۲۲	« گمان و وهم
۹۲	۱۰	« مثال و
۱۹۵	۷	« محال
۱۲۰	۱۰	« مسلمان
۴۰۳	۳۲	« مناسب
۲۵۰	۲۲	« منافق
۱۷۶	۲۱	« موکلهای
۲۵۷	۳	« نکوگفت آن
۲۸۶	۱۴	« نکوگفت آن
۲۵۸	۲۹	« نموده
۳۳۴	۳۷	« نهان
۱۴۲	۳	« وصیت کرد
۳۰۵	۲	« وصیت کردو
۳۰۴	۱۶	« وصیتها
۴۰۱	۳۸	« همایون
		ب ـ ش
۹۳	۲۴	بشر حافی
۲۱۳	۷	بشکفید از
۷۷	۵	بشکن آن
۳۶۴	۱۷	بشمرند آن
۱۰	۱۷	بشنو از اخبار
۳۰۴	۳۹	« ازعقل

صفحه	سطر	اول بیت
۴۲	۱۱	بشنواز قول
۴۰۱	۲۱	« من
۲	۱	« نی
۵۸	۳۰	بشنواکنون اصل
۲۰۷	۱۹	« این
۲۸۹	۲۴	« تو
۴۰۴	۱۴	« داد
۳۳	۱۴	« داستانی
۸۲	۱۹	« صورت
۲۰۷	۱۷	« قصهٔ آنها
۱۶۷	۲۱	« قصهٔ آنره
۱۳۹	۱۱	« قصهٔ تمثیا
۵۱	۱۴	« قصهٔ صالا
۳۰۶	۳۹	« ماجرای
۶۳	۱۰	« یك مثال
۴۳۵	۷	بشنو الباب
۶۸	۲	« الفاظ
۱۴۱	۲۸	بشنواین افسانه
۳۹	۲۵	« پند از
۲۰۴	۷	« تمثیل
۳۹۳	۳۱	« زاری
۸۷	۱۹	« قصه
۹	۶	بشنود آن مرغ
۲۷۳	۲۵	بشنوم یا من
۱۵۷	۳۵	بشنوی ازخویش
۲۱۴	۹	« از قال
۲۰۶	۱۴	« تو نشنود
۳	۸	بشنوید ای
۱۴۵	۱۲	بشنوی غمهای
		ب ـ ط
۲۷۹	۲۶	بط حرص آمد
۲۷۹	۲۵	« حرص است
۴۱۲	۱۲	« راز
۱۴۴	۲۰	« عاقل
۲۰۵	۳۱	بطن چارم
۲۷۹	۲۴	بط و طاوس
		ب ـ ع
۳۱۷	۳۱	بعدآن خوفی
۲۰	۱۹	بعدازآن آتش
۶۸	۳۲	« آمدبسو
۳۱۸	۹	« آمدکسی
۲۳۴	۳	« آمد ندا
۴۴۷	۲۱	« آن
۴۲۸	۱۷	« ابدال
۱۸۹	۷	« ازبانگ
۶	۲۴	« ازبهراو
۴۲۳	۶	« ازخود
۱۵۶	۳۷	« اطلاق
۳۵۶	۲۹	« اندر
۴۵	۱۸	« او را
۳۶۲	۱۹	« این دو
۷۲	۱۱	« این نار
۲۲۴	۱۶	« برجای
۲۰۷	۲۳	« برخاستآ
۶	۷	« برخاستغز

صفحه	سطر	اول بیت
۲۲۷	۳۲	بعدازآن برداشت
۲۷۳	۸	« بر رو
۳۶۸	۱۴	« بگرفت
۳۲۰	۱۳	« بگشاد
۳۸۳	۳۹	« پرسان
۱۲۹	۲۰	« پریابد
۲۴۶	۱۸	« تاجش
۲۴۶	۵	بعداز آنت جان
۳۸۸	۳۱	بعدازآن ترسا
۱۲۵	۱۳	« تنها
۲۲۳	۱۹	« تو
۳۹۴	۱۵	« جمله
۱۶	۳	« چلروز
۲۱۶	۲۵	« چندان
۹۸	۲۰	« چیزی
۳۶۶	۴	« خلوت
۲۲۳	۲۰	« خواهی
۳۱۲	۱	« خود
۳۴۷	۱۶	« دادش
۴۴۵	۳۲	« دادی
۱۷۵	۴۰	« داود
۹	۲۴	« در زیر
۱۰۶	۲۳	« در سر
۱۴۴	۲۸	« درمان
۳۸۴	۱۰	« در مشکل
۱۵۲	۱۰	« دستان
۱۷۰	۹	« دیدم درخ
۳۸۸	۲۱	« دیدم که
۴۴۷	۱۰	« دیگر
۶۲	۱۵	« رو
۳۳۴	۱۷	« زانکور
۱۶۱	۲۵	« سوگند
۳۸	۹	بعدازآنش از
۳۳۵	۳۲	« داد
۱۵۶	۳۴	بعدازآن شد
۴۳۰	۲۸	بعدازآنش راه
۲۴۶	۱۸	« کز
۳۹۷	۳۴	بعدازآن صبرش
۳۶۶	۳۵	« صدیق
۷۰	۱۴	« عالم
۳۴۳	۲۶	« قوت
۱۶۴	۳۸	« قوم
۴۰۹	۱۰	« کودك
۳۱۳	۹	« گردوست
۱۵۱	۵	« گفت ازبرای
۶۷	۱	« گفت ازطبیب
۲۲۷	۳۰	« گفت ایخدا
۳۲۰	۲۴	بعدازآن گفتش بدا
۱۷۶	۳۶	« بیا
۶۷	۱	« چه
۳۱	۶	« سخنها
۲۸۶	۳۶	« کهای
۱۲۷	۳۸	« کهاینا
۳۰۲	۱۱	« که چا
۲۵۱	۳۸	« کهدر

صفحه	سطر	اول بیت
۳۶۰	۱۸	بعدازآن گفتش که که
۱۵۵	۳۵	بعدازآن گفتندای
۱۸۷	۲۶	« با
۲۴	۳	« کای
۱۹۲	۹	« کاین
۱۷۰	۱۸	« مارا
۲۳۳	۳۰	بعدازآن گوشت
۴۱۴	۲	« گویداگر
۳۶۵	۳	« گویدحقم
۷۰	۲۲	« مارا
۳۴۰	۳۳	« مهمان
۷۰	۲۴	« میراند
۱۵۷	۶	« میگفت هان
۳۶۱	۱	« نوحه
۱۹۰	۱۱	« وحی
۲۷	۵	« هدهد
۷۹	۲۳	« هر جا
۱۴۶	۳۲	« هر صورتی
۱۶۵	۲۰	« هم
۷۰	۱۵	« یا
۴۴۵	۸	بعدازآنی مشك
۱۶۱	۱۳	بعدازآن یمشی
۳۲۶	۳۰	بعدازاین از
۳۵۳	۱۲	« باریك
۴۰۵	۳۱	« تان
۱۷۵	۱۰	« جمله
۳۷۵	۱۷	« حرفیست
۱۷	۲۰	« خونریز
۲۶	۱۸	« زان
۳۲۵	۵	« کدیه
۳۸۶	۳۱	« ما
۳۱۸	۱۳	« محنت
۳۲۶	۲۶	« می ده
۴۴۷	۱۷	بعد از علقه
۱۵	۲۴	« ازین دستور
۱۰۶	۲۴	« ازین گرشرح
۳۶۱	۳۵	« ازین من
۴۰۸	۶	« بسیاری
۳۲	۱۴	« توبه
۳۹۵	۳	« تو مرگیست
۲۴۵	۱۱	« چندین سال
۳۲۷	۲۳	« چندین سال
۴۳۱	۲	« چندین ماه
۳۶۰	۲۲	« در ماندن
۱۴۲	۱	« ده سال
۱۷۰	۱۳	« دیری
۴۱۹	۳۳	« سالی باز
۲۳۴	۳۶	« سالی چندبهر
۴۳۵	۹	« سالی چندو
۲۶۷	۹	« سالی گفت
۵۱	۲۳	« سه روز دگر
۷	۲۸	« سه روز و
۲۹۳	۵	« سه روز و
۲۴۵	۲۵	« شکر کلك

صفحه	سطر	اول بیت
۴۳۷	۳۳	بعد صدق
۱۹۷	۲۸	« ضد
۳۹۶	۱۷	« غیبت
۶۳	۲۱	« قصه
۴۴۵	۸	« قطع بر
۲۹۹	۳۳	« گریه
۱۴۶	۴۳	« ماهی چون
۱۶	۶	« ماهی خلق
۳۶۱	۲۵	« نصف
۱۸۴	۵	« نومیدی
۳۰۶	۲۴	« نومیدی
۳۹۶	۱۲	« نه سال
۱۵۲	۳	« نه مه
۲۵۹	۳۸	« یکدم زهر
۳۴۷	۱۹	« یکساعت بدست
۱۸۷	۲۳	« یکساعت برآو
۳۹۰	۱	« یکساعت که
۲۴۹	۶	بعره رای
		ب (ف ـ ك ـ گ)
۳۵۵	۱۳	بفکن از من
۲۹۲	۳۳	بکشمش
۲۴۶	۵	بگذرازانسان
۴۳۷	۳۸	« خون
۲۴۸	۲۹	« زر
۳۵۹	۳۲	« سنگ
۷	۱۲	« ظن
۲۰	۱۷	« کشتن
۳۶۱	۴۰	« مستی
۱۱۶	۵	« من
۷۵	۲۳	بگذران از
۲۵۹	۱۳	بگذر ایمؤمن
۱۱۱	۱	بگذرد این
۱۶۱	۳۱	« ز اندیشهٔ
۴۲۹	۲۱	بگذری ازخود
۳۵۴	۷	« زان
۲۹۱	۲۰	بگسل این
		ب ـ ل
۳۶۲	۲۲	بل اغالطهم
۱۱۷	۲۳	« بجای
۲۶۳	۳۵	« برای
۳۹	۳۲	بلبل از
۱۱۸	۲۶	بلبلان ذکر
۱۱۱	۲۵	« را
۳۲۲	۳۷	« گرد
۳۶۳	۵	بلبلانه نعره
۱۳۶	۲	بلبل ایشان
۲۲۸	۳۵	« بسیار
۴۳۳	۲۷	« و نعری
۷۹	۴	بلبلی زینجا
۳۳۲	۲۳	بل جفا را
۲۷۴	۶	« چنان
۳۷۶	۳۷	« حقیقت
۳۹۳	۳۴	« زچشمت
۳۸۵	۲۵	« ز کشتیها

صفحه	سطر	اول بیت
۲۰۷	۲۶	بل ز مضروب
۱۸۷	۵	« زیان دارد
۱۹۵	۲۰	« عدوخویش
۳۵۰	۱۶	« عطارد
۶۵	۲۸	بلعم باعوررا
۱۴۹	۳	« با عورو
۲۱۴	۲۱	« باعورو
۳۵۸	۲۰	بل قضاحق است
۲۱۷	۱۴	بلك ازاوکن
۹۰	۲۷	بلکه آتشه
۲۵۳	۵	« آتغدار
۳۳۲	۱۶	« آنمعنی
۲۶۲	۱۰	« از بهر
۲۹۸	۳	« از چسبیدگی
۵۷	۲۹	« از دجله
۱۸۳	۳۹	« اغلب
۵۳	۶	« اندر
۱۶۶	۵	« ایشان را
۲۷۴	۲۳	« این خنده
۲۲۲	۳۵	« این شادی
۶۷	۱۹	« این میراثها
۲۹۸	۳۲	« باشد در
۱۴۵	۲۳	« باغ
۳۹۸	۳۷	« باید دل
۳۳۹	۱	« بگذارد
۱۷۰	۳۸	« بویش
۱۸۸	۴	« بی اسباب
۱۹۴	۳۰	« بیرون
۲۴۴	۲۷	« بیش از
۳۲۰	۳۷	« تقلید
۳۶۵	۳۳	« توفیقی
۳۴۵	۱۶	« جمله تن
۲۳۵	۳	« جملهٔ ماهیان
۱۹۱	۳۶	« جمله‌مردگان
۲۳۵	۳	« جمله موجها
۵۸	۲۷	« چون‌آبست
۳۴۹	۵	« چون‌نطفه
۲۳۵	۴	« خاك‌وآب
۲۵۶	۲۰	« خواهان
۱۰۰	۳۷	« خودازآدمی
۱۴۰	۹	« خودرادر
۱۶۴	۳۰	« در هاروت
۵۱	۱	« دفعش
۱۷۷	۳۱	« رزقی
۱۴۸	۱۹	« زان مستان
۳۵۸	۱۸	« سلطان
۳۸۸	۱۵	« سنگ و
۱۳۵	۳۸	« سوی
۳۰۵	۹	« شرط
۳۰۴	۳۴	« شکر حق
۳۲۳	۳۰	« طبعاً
۶۵	۱۸	« عکس
۱۶۱	۱۶	« گر دریا
۵۸	۲۱	« گیرد
۱۵۳	۲۲	بکه مر بیننده
۴۰۸	۳۸	« مرگش
۱۶۲	۷	« می افتی
۳۷۶	۳۶	« می داند
۲۲۲	۲۲	« والی گشت
۳۶۵	۳	« وحدت
۱۶۱	۳	« هفتاد و
۳۴	۶	بل مکان
		ب - ن
۶۴	۳۱	بند آهن
۲	۱۴	« بگسل
۶۴	۳۱	« پنهان
۱۶۴	۱	« تقدیر و
۲۹۶	۲۹	« چشم
۳۶	۳۰	« کن چون
۲۷۶	۳۸	« کن مشك
۱۷۲	۳۲	بندگان حق
۱۰۱	۳۶	« خاص
۴۳۰	۳	« دارد
۳۰۶	۸	« دارند
۲۵۹	۲۹	بندگانمان
۲۹۶	۳۰	بندگوش
۲۶۹	۲۳	بندگی او به
۴۱۷	۲۴	« تش
۷۱	۱۰	« در غیب
۳۲۵	۲۱	« کن
۲۷۳	۲۹	« نا کرده
۲۱۳	۲۴	« وسلطنت
۱۷۷	۲۴	بند معقولات
۳۲۵	۲۲	بنده آزادی
۱۵۳	۳۴	بندها بگسست
۹۴	۱۱	بنده ات چون
۳۲۹	۵	« این دیو
۳۵۲	۴۲	« باش و بر
۴۹	۱۸	« بر وفق
۳۳۲	۳۵	« پروردن
۵۱	۵	بنده خود
۳۲۵	۲۲	« دایم
۴۴	۳۰	« داریم
۲۲۱	۳۳	بنده را کی
۴۱۹	۲۲	بند هرچه
۲۵۲	۳۴	بنده زاده
۵۷	۱	« سوی
۷۴	۱۰	بندهٔ شهوت بتر
۷۴	۱۱	« شهوت‌ندارد
۲۵۲	۳۸	« فرعون
۳۰۷	۲۱	« فرمانم
۳۲۵	۲	« فرمانم که
۱۶۸	۳	« کش
۳۱۰	۳	« گوید
۳۳۹	۱	« ما را
۴۲۸	۳۲	« مأمور
۴۳۶	۲	« محکوم
۴۱۴	۲۳	« مؤمن
۱۸۷	۳۷	بندهٔ میشد
۲۱۷	۲۲	بنده مینالد
۳۳۵	۵	« نشکیبد
۲۵۳	۱	« یاغی
۱۴۷	۲۳	« یکمرد
۲۱۰	۶	بنگرآخر چون
۱۴۹	۱۸	« در
۱۳۱	۶	بنگر آن سالوس
۲۴۳	۴	« آنها راکه
۳۶۱	۳۶	« آنها راکه
۱۴۰	۱۰	« اکنون
۹۴	۳	« اندر خانه
۹۴	۲	« اندر خود
۱۶۳	۳۴	« اندر دلق
۲۸۲	۳۱	« اندر فعل
۲۵۴	۱۴	« اندر من
۴۱۳	۱۷	« ای از
۱۳۱	۹	« اینجا هیچ
۱۴۸	۱۸	« این کان
۳۶۱	۳۷	« این کشتی
۲۹۸	۲۳	« این هرسه
۲۰۶	۱۳	بنگردصدگفتگو
۲۷	۱	بنگره از
۲۱۰	۲۸	« درغوره
۲۱۰	۲۸	« سر
۳۶۲	۳۰	بنگرید آن پای
۶۲	۲۷	« ایسرکشان
۱۸۲	۱۱	« ایمردگان
۱۰۵	۹	بنگری در
۳۱۳	۳۷	بنگریدند
۳۹۷	۱۹	بنهد اندر
		ب - و
۲۷	۱۶	بوالبشر
۳۸۹	۲۴	بوالحکم آخر
۴۳۱	۴۷	« از
۹۱	۳۸	« نامش
۲۲۵	۳۶	بوالعجب مینا
۲۴۸	۱۴	بوالفضولی از
۳۲۸	۱۷	« گفت‌اورا
۱۸۵	۲۶	« گفت‌صوفی
۱۴۶	۲۶	« گفت‌کای
۱۱۳	۱	بو حنیفه
۳۷۰	۶	بود آخور
۷۹	۹	« آدم
۳۹۲	۱۳	« آلایش
۱۹	۱	« آنزن
۲۹۰	۲۲	« ابرو
۳۰۲	۱۳	« ازمستی
۳۲۴	۲۹	« افطارش
۳۳۷	۸	« امیری‌خو
۴۰۱	۲۶	« امیریرا
۸۴	۸	« اناالحق
۲۱۶	۲۳	« اندر باغ
۲۴۲	۳۳	بود اندر عهد
۳	۲۹	« اندر منظره
۳۴۷	۳۵	« اورا بیم
۲۷۳	۱۵	« اول برگ
۲۱۴	۳	« اول مونس
۳۳	۱۶	« بازرگانی
۷	۲۲	« بقالی
۲۶۰	۲۶	« بوجهل
۲۴	۳۴	« بیجد
۲۸	۳	« پیشاپیش
۲۲۷	۲۵	« پیشش
۳۹۶	۱۶	« جنسیت
۱۷	۱۴	« در انجیل
۳۱۵	۳۲	« در حمام
۴۳۱	۱۱	« درقبچاق
۱۶۳	۶	« درویشی‌بکه
۱۳۲	۷	« درویشی‌درو
۳۷۱	۲۸	« درهمسایه
۶۸	۲۷	« دو خانه
۱۷	۱۴	« ذکر
۳۱۶	۳۰	« روی او
۴۱۴	۱۵	« زر میراثی
۳۱۹	۱۱	« سقائی
۱۸۶	۲۴	« سنقر
۲۴۳	۱۴	بودشان تمیز
۱۵۰	۳۱	« حرص
۹	۱۰	بود شاهی‌درجهو
۳	۹	« شاهی‌درزمان
۴۱۵	۷	« شبهای
۴۴۱	۴۴	« شب هنگام
۱۳۴	۳۱	« شخصی‌عالمی
۸۸	۲۲	« شخصی‌مفلسی
۱۷۸	۲۷	« شهری بس
۴۲۹	۲۷	« شهری در
۴۲۹	۳۰	« شهری‌سخت
۸۵	۱۷	« شیخی‌دائماً
۱۶۵	۳۴	« شیخی‌رهنمائی
۳۴۷	۳۴	« عارف
۳۹۶	۱۰	« عبدالغوث
۱۵۱	۱۰	« عمران‌هم
۱۹۳	۲۴	« عیسی را
۲۵۹	۹	« قبطی
۳۷۰	۳۵	« کمیری
۱۰۹	۲۹	« کوری که
۳۳۵	۳۲	« گبری
۴۳۶	۴۱	« گربه
۱۰۱	۳۹	« لقمان بنده
۷۰	۱۸	« لقمان پیش
۷۰	۱۹	« لقمان در
۲۵۷	۱	بودم از گنج
۳۱۰	۵	« امیدی
۳۳۲	۳۶	بود محتاج
۳۰۴	۱۲	« مردیصالحی
۳۱۶	۳۰	« مردی پیش
۳۳۶	۳۱	بود مردی‌کدخدا
۳۸۸	۱۲	« مغلوب او
۳۸۶	۳۹	بودمی آگه
۴۱۱	۵	بود نازك
۸۳	۳۷	« نقدوقلب
۳۹	۲۰	بو دوای چشم
۳۴۰	۸	بود هاروت
۲۵۹	۱۰	« هامان
۴۴۵	۲۵	بوده ایمان
۴۳۹	۴	بودهٔ تو
۴۰۲	۱	بود هر محتاج
۳۵۵	۳۷	« هم این
۳۲۶	۳۱	« یکسال دگر
۴۲۹	۲۹	« یك طاوس
۲۳۳	۳۳	بوستان با او
۳۷۸	۳	بوسه افشان
۱۷	۱۵	« دادندی
۹۹	۱۵	« ده بر تبر
۲۴۴	۱۱	بو شناسانند
۳۹	۱۹	بو قلاووزاست
۲۸۵	۱	بو قلاووزاست
۳۹۴	۹	بوکم دانم
۳۴۱	۲۰	بوکه آن
۲۵۶	۱۰	« از تأثیر
۲۵۶	۱۲	« از عکس
۱۰۹	۲۶	« استادی
۳۹۰	۱	« باز آید
۳۸۱	۳۰	« بختت
۹۹	۲۹	« بر اجزای
۴۰۸	۳۲	« بیند
۳۲۳	۱۷	« توبه
۱۹۰	۱	« حیوانات
۱۸۷	۹	« روزی
۲۵۶	۹	« زان
۳۵۲	۴	« فیمابعد
۳۹۱	۵	« مصباحی
۴۱۳	۳۴	« موقوف
۱۲۰	۷	بولهب هم
۲۴۳	۹	بومسیلم را بگو
۹	۸	« را لقب
۲۴۳	۹	« گفت
۳۵۳	۱۴	بو نگهدارو
۱۹۹	۲	بوی آن دلبر
۴۲۴	۴۰	« اخلاص و
۴۲	۴	« ایشان
۳۹	۲۰	« بد مر
۱۵۳	۴	« براز
۱۲۵	۸	« برد از
۲۱۰	۲۰	« پیراهان
۲۶۷	۳۰	« پیراهان
۳۷۰	۷	« پیغمبر
۳۶۶	۳۳	« جانی
۱۴۳	۳۲	« خشم شیر
۲۴۴	۳۲	« خوش آمد

صفحه	سطر	اول بیت
۲۴۴	۳۳	بوی خوش را
۲۴۵	۲	« راپوشیده
۲۴۵	۶	« رامین
۱۴۰	۲۵	« رسوا
۳۲۱	۴	« سیش
۲۴۴	۱۱	« سیر بد
۴۱۵	۱۸	« صدقش
۴۲۴	۴۰	« صدق و
۲۲۰	۱۰	« عطرش
۱۴۰	۲۸	« کبر و
۲۵۱	۲۰	« گل بهر
۳۹	۱۹	« گل دیدی
۵۶	۱۷	« لطف او
۴۴۲	۵	« مشك
۱۴۰	۲۰	« میکردآن
		ب ـ ه
۴۲۳	۴	بهتراز خود
۵۰	۱۴	« ماهی
۳۳۴	۲۶	« وی
۹۶	۸	بهترین رنگها
۳۳۶	۶	بهر آسایش
۷	۱۳	بهرآن‌است‌امتحان
۳۱۴	۳۲	« داده است
۱۴۷	۳	« روی
۷	۱۲	بهرآنست‌این‌ریاضت
۴۳۷	۲۱	بهرآن‌شاه
۲۱۴	۳۱	« کردی
۶۴	۶	« که هستی
۲۹۴	۴	« گفت آن
۲۵۰	۱۷	« گفتیم
۳۰۵	۲۴	« لطفی
۲۰۸	۲۰	« میل است
۴۱۱	۲۴	بهر استبقای‌آنچ
۴۱۱	۲۴	« استبقای‌آنرو
۲۴۰	۱۲	« استبقای‌حیوا
۴۱۷	۳۶	« استعداد
۴۴۵	۶	« اطفال و
۲۶۴	۱۹	« اظهار است
۴۴۵	۲۱	« او بخریده
۴۰۴	۲۳	« او بنهاده ام
۳۸۹	۲۳	بهراین‌آوردمان
۱۲۸	۲۹	« بو
۳۱۴	۳۱	« پیغمبر
۳۵۴	۲۲	« خاتم
۳۷۸	۳۵	« دکان
۲۶۳	۲۷	« دنیاست
۲۶۶	۸	« فرمودآن
۴۰۵	۴۰	« فرمودباآن
۱۴۰	۳۸	« فرمودبامو
۲۲۵	۶	« فرمودپیغمبر
۵۲	۲۸	« فرمود حق
۳۸	۵	« فرمودرحم
۲۲۴	۳۳	« فرموده اس
۳۹۱	۸	« کرده‌است
۳۸۵	۳۹	بهراین‌گفت‌آنخدا
۳۶۴	۱	« گفت‌آنرسو
۹۵	۱	« گفتنداکابر
۴۶	۳۳	« گفتنددانا
۳۱۴	۳۷	« لفظ
۳۷۴	۳۰	« مرده
۱۰	۹	« معنی‌صحابه
۲۶۶	۹	بهر اینمعنی همه
۲۷۱	۲۹	« این مقدار
۴۶	۱۱	« این‌مؤمن
۳۳۱	۴۰	« تحریض‌است
۲۸۷	۳۴	« تحریك
۱۵۶	۳۶	« تمیز
۳۸۴	۱۶	« تو من
۴۱۱	۲۵	« جان
۳۶۰	۲۸	بهرحق این خلق
۱۴۶	۳	« این را
۱۴۷	۱۹	« مگذارم
۳۴۳	۲۳	« یکبارگی
۳۲۲	۲۸	بهر خرگیری
۶۷	۱۰	« خود او
۲۷۱	۱۲	« خود یك‌طاس
۳۱۸	۱۸	« خوردن
۳۳۵	۱۵	« خوشنودی
۴۰۵	۳۹	« دیدهٔ
۲۰۸	۵	« دیگ سرد
۱۹۷	۲۶	« روز مرگ
۱۲۳	۱۰	« سوگندان
۲۶۵	۱۶	« شرح
۳۴۷	۳۲	« صورتها
۳	۱۰	« صبدي
۴۲۲	۲۸	« طفلان
۱۲۹	۳۶	« طفلی نو
۹	۳۲	« عیسی
۲۱۰	۸	« عین
۲۳	۲۹	« غسل
۷۲	۲۸	« فخرو
۵۶	۱۹	« فرجه
۸۵	۲۹	« فرمان‌جملگی
۲۹۱	۲۵	« فرمان حکمت
۱۷۱	۸	« کتمان
۴۱۲	۲۳	« کرم و
۱۵۸	۲۴	« کتمانی
۵۸	۲۳	« کبکی تو
۹۲	۲۸	« کبکی نو
۵۵	۲۵	« گبر و
۳۵	۲	« گریه
۲۱۳	۱۲	« گستاخی
۱۴۴	۱۶	« گندم تخم
۳۶۵	۲۲	« گوشی
۴۰	۲۶	« لقمه
۳۹۳	۱۹	« مالی
۱۱۷	۳۰	« مانی
۳۳۹	۳۴	« مخمور
۱۴۳	۳۵	بهر مظلومان
۳۳۶	۳۲	« مهمان
۴۱۴	۱۰	« نادر
۱۵۶	۲۸	« نازش
۳۲۶	۳	« نان در
۵۶	۱۸	« نان شخصی
۱۰۲	۳۶	« نقصان
۳۳۸	۲۸	« هر محنت
۳۱۹	۱	بهره ور
۱۵۳	۵	بهر یاری
۱۶۸	۱	« یزدان
۲۱۹	۱۶	به زما
		ب ـ ی
۳۴۹	۲۸	بی اثر
۳۸۲	۹	« اجابت
۱۹۶	۲۰	« ادب باشد
۱۹۶	۱۹	« تر
۴	۸	« تنها
۱۰۰	۴	« حاضر
۱۰۶	۴	« گفتی
۴۳	۱۹	بی پر و
۹۲	۱۶	« تأمل
۴۲۱	۲۴	« تحری
۱۴۵	۱۶	« تردد
۲۷۵	۳	« تعلق
۲۷۴	۲	« تف آتش
۲۱۳	۳۶	« تفکر
۴۴۰	۲	« تکلف لاغ
۱۶۷	۳۹	« تکلف نی
۱۲۶	۱۹	« تماشای
۴۳۱	۴۳	« تمیزی
۴۳۲	۲۴	« توقف اندر
۱۴۲	۲۸	« توقف جمله
۷۷	۱۴	« توقف زود
۱۴	۲۰	« تومارا
۱۶۱	۱	« تو نظم
۱۵۹	۲۵	بیتها در
۱۰۸	۱۱	بیجنایت بی
۲۱۹	۱۷	بیجهازی
۲۷۵	۲	بیجهت‌دان‌عالم
۲۷۵	۲	« عالم
۲۷۵	۳	« عقل
۱۶۷	۱۹	بیچراغی
۳۷۶	۳۱	بی چگونه
۳۹۷	۲۸	« چنین آئینه
۳۶۳	۳۰	« حجابت باید
۴۰۴	۱۰	« حجاب درد
۹۲	۵	« حجابی
۳۷۱	۲۶	بیحد است
۴۱۹	۱۸	بی حدو بی
۱۱۷	۲۸	« حدی تو
۱۱۷	۲۹	« حدی‌خویش
۱۴	۶	« حس و
۴۴۷	۳۳	بیخبر از مستی
۲۷۵	۲۷	بیخبربودم‌او
۴	۲۷	« بودنداز‌حال
۴۲	۲۷	« بودنداز‌سر
۲۸۵	۲۱	« چون دام
۴۳۰	۳۷	« زانم
۴۳۲	۲۷	« زانکس
۵۱	۲۰	« کزار
۱۱	۱۱	« کن
۱۴۳	۱۶	بیخ پنهان
۱۶۹	۲۱	بیخشان از
۳۱۶	۲۱	بیخ عمرت را
۳۱۴	۹	« گرچه
۲۵۰	۹	بیخود از می
۳۶۷	۲۵	« و سرمست
۲۹۰	۱۰	بیخودی بی
۳۴۸	۱۸	« نامد
۲۲۳	۱۳	بیخوروبی‌خواب
۲۸۷	۲۲	بیخ و شاخ
۹۷	۴۰	بیخهای خوی
۱۶۹	۲۰	بیخ هریك
۲۰۰	۲۸	بیخیانت این
۴۱۴	۳۹	بی درنگی
۳۲۴	۳	« دل‌وجان
۲۱۳	۳۸	« دل‌وشوریده
۴۳۳	۴	« دلبلی
۸۲	۱	« دماغ و
۴۳۳	۳۱	بید میر لشکر
۱۶۷	۳۰	بی رضای
۴۱۳	۴	« زابراهیم
۴۱۷	۳۰	« ز استعداد
۴۱۹	۲۷	« زبان گویند
۳۸۲	۱۱	« زبان میگفت
۲۳۴	۳۲	« زبان‌و لب
۲۹	۲۱	« زبان هر
۴۰۱	۲۱	« ز تقلیدی
۳۸۰	۳	« ز جهدی
۴۰۷	۲	« زدستی
۱۶۰	۲۴	« زره بافی
۳۴۲	۴۲	« زره رفتم
۳۸۴	۱۹	« ز ضدی
۴۱۲	۱۸	« ز مفتاح
۲۰۸	۲۰	« زمین کی
۱۰۷	۲۲	بی‌سبب بیند چو
۱۰۷	۲۳	« بیند نه
۳۰۵	۱۳	« گر عز
۱۷۷	۱۸	« مربحر
۱۶۴	۱۹	بیست از دزدان
۴۱۷	۲۳	« چندان
۱۹۲	۵	« فرزندش
۲۳۸	۱۷	« مرده
۳۰	۳۵	بی سلاح
۴۱۳	۲۰	« سلاحی در
۱۷۲	۲۷	بیش‌از استحقاق
۷۴	۸	« این
۲۱۹	۲۹	بیشان دانسته
۴۰۰	۳۳	بیشانی
۳۰۵	۱۲	بیشتر احوال
۳۸۷	۲۳	« اصحاب
۲۸۵	۲۳	« رفتست
۲۵۷	۵	« زان ملك
۳۰۴	۱۹	« کارد
۳۸	۱۸	بی شریکی
۲۲۲	۲۳	بیشکال اندر
۳۷۹	۴	بیشك این
۳۰۰	۱۷	بیشکی گیرد
۴۲۵	۳۲	بیشمار و بیحد
۱۰۰	۳۴	بیشهٔ آمد وجود
۴۲۳	۲۶	« پر سوسن
۶۸	۲۲	بی‌صحیحین
۱۹۳	۲۷	بیضهٔ مارا زچه
۲۹	۱۲	بی طلب تو
۲۹	۱۴	« طلب هم
۴۰۱	۳۷	« طمع بود و
۱۹۱	۱۶	« طمع‌نشنیده‌ام
۳۱۳	۴۰	بیعدد لاحول
۴۴۵	۲۰	بیعدودشمن
۳۶۷	۳۷	بیع کرد و
۳۹	۷	بیعنایات
۱۷۴	۱۶	بیع و بخشش
۲۶۹	۳۳	بیغرض میکرد
۵۶	۲۸	« نبود
۲۵۴	۳۳	بیغضب غالب
۲۲۳	۱۳	بی فتیله و
۲۳۹	۱۲	« فروغت
۳۷۶	۲۶	« قراری
۴۴۰	۳۹	« قلاوز
۲۷۲	۱۹	« کتاب و اوستا
۳۱۹	۲۵	« کلید این در
۱۴۲	۸	« کین و
۴۰۲	۱۱	« گمان ترك
۴۲۴	۳۸	« گمان خود
۳۲۳	۳۳	« گناهی بر
۱۲۰	۴۲	« گنه لعنت
۳۴۸	۲	« گهر جانی
۱۷۱	۴	« گهست
۱۶۵	۱۵	« لباس
۲۲۲	۲۲	بیمثال و
۲۷۴	۲	بیمجاعت
۱۰۸	۷	بیمحابا
۲۵۲	۲۹	بیمحك
۲۰۹	۱	بیمرادان
۱۶۷	۳۱	بیمراد او
۲۲۷	۴	بیمراد تو
۲۰۹	۱۵	بیمرادی شد
۴۱۴	۳۵	« مؤمنان
۳۳۸	۲۲	بیمرادیهای
۴۰۸	۳	بیمرض دیدیم
۵۳	۶	بیم سرپا

صفحه	سطر	اول بیت
۱۳۱	۲۰	بیمصلی
۲۴۸	۲۶	بیمقرگاهی
۳۲۴	۲۵	بیمن‌ومائی
۱۹	۱۶	بیموکل‌بی
۲۹۱	۱۳	بین‌ایدی‌خلفهم
۳۴۴	۲۲	« ایدی سد
۲۱۷	۲	بیند آنمعشوقه
۳۷۴	۲۶	« اندر
۴۳۴	۹	بین دلیلی
۲۲۳	۲۷	بی نشان از
۱۸۲	۱۷	بی نصیب آئی
۱۴۴	۳۳	بین که اندر
۳۷۸	۲۳	« با این
۳۷۸	۲۱	« با بسیاری
۴۷	۸	بینوا از
۸۹	۲۹	بینوائی بد
۲۸۰	۷	بینوائیم و
۲۰۷	۷	بینوا گردی
۳۰۸	۳۲	بینوا هر دم
۱۷۶	۱۴	بینوایانرا
۴۰۴	۲	بی‌نهایت آمد
۱۳۳	۲	« چون
۱۶۸	۲۹	« حضرتست
۴۰۷	۹	« کبشها
۵۵	۱۰	« گردد
۱۱	۲۵	بینی آن باشد
۶۵	۱۲	بینی از گند
۳۹۲	۱۱	بینیازی
۶۸	۲۰	بینی اندردل
۲۲۵	۳۵	بینبش مسکین
۸۵	۸	بینی طفلی
۳۵۸	۱۵	بی وصیت
۱۴۱	۳۷	بیوفائی چون
۱۴۱	۳۸	« دان
۳۰۹	۳۷	بیهده چه
۴۰۵	۸	بیهده نسبت
۷۱	۳۴	بیهشانرا
۲۷۶	۳۶	بیهشیهاجمله
۲۸۸	۱۸	بی هوانهی
۴۲	۳۹	بی یقینی

پ - ا

صفحه	سطر	اول بیت
۳۰۲	۲۵	پا بر آورد و
۱۲۸	۳	پابرهنه تن
۱۵۰	۱۹	« چون
۱۶۸	۳۹	« رفته ام
۲۲۵	۱۵	پا بکش در
۴۹	۹	پا تهی گشتن
۹۳	۴۱	پادشاها جز که
۴۴۱	۳۳	پادشاه از باطن
۲۹۸	۲۲	پادشاهان‌بین
۲۲۷	۶	« جهان
۲۵۴	۳۲	« خون
۶۳	۶	« را چنین
۲۵۹	۲۵	« لب
۳۹۹	۸	« مظهر
۴۴۶	۳۳	پادشاه ما
۴۱۰	۲۸	پادشاهم کار
۱۳۴	۲۲	پادشاهی این
۲۶۳	۳	« برندیمی
۱۰۳	۱۶	« بس
۹۵	۲۱	« بندهٔ
۴۰۴	۴۲	« بوداورا
۲۳۹	۳۱	« بود و
۴۴۳	۳۳	« حالیا
۲۶۵	۲۳	« داشت
۹۲	۱۳	« دو غلام
۳۸۵	۹	« را خدا
۳۹۹	۷	« زید
۳۳۹	۱۰	« کن بیخش
۱۹۱	۳۰	« کن برو
۳۳۲	۱۸	« که
۴۰۹	۴۱	« مست
۲۲۷	۴	« نیستت‌بر
۴۴۶	۱۶	پادشه با او
۱۸۲	۲۲	پارسی‌گوئیم‌هین
۲۰	۲۶	پارسی‌گوئیم یعنی
۱۹۹	۲	پارسی‌گوگر
۳۷۷	۳۸	پارهٔ اطلس
۱۷۲	۳۵	پارهاندروبهان
۱۹۱	۹	پارهای نان
۲۵۶	۳۴	پارهٔ‌برکن
۲۴۱	۱۶	پاره پاره دلق
۲۵۳	۱۶	« پاره‌کرددزدی
۳۳۲	۴۰	« پاره‌کردشان
۲۷۲	۲۳	« پاره کردمت
۱۶۲	۳۷	« پاره کرده
۳۷۷	۳۵	پارهٔ دزدید
۲۰۸	۶	پاره دوزم
۲۵۶	۳۲	دوزی چیست
۲۵۶	۳۱	دوزی‌میکنی
۱۹۱	۱	پاسبان‌آفتابند
۱۹۱	۱	« آفتابیم
۱۳۲	۳۱	« برخوابناکا
۳۷۰	۲۳	« تست
۳۶۰	۳۰	پاسبان درهی
۳۶۰	۲۹	پاسبان شب
۹۶	۳۹	پاسبان من
۱۴۲	۱۷	پاسبان‌وحارس
۳۶۰	۲۹	پاسبانی بود
۱۸۶	۲۹	پاسخش این
۱۵۱	۶	پاسخش دادند
۱۷۰	۱۶	پاسخم دادند
۷۱	۱۲	پاس دارد قلعه
۳۴۶	۳۴	پاس دار و
۱۵۵	۱	پاشکسته میروند
۴۲۲	۱۶	پاك آن‌کو
۳۶۵	۱	پاك‌ازآغاز
۲۹۹	۱	پاك‌الهی
۴۳۴	۳۵	پاك بستاند
۴۰۳	۱۹	پاك بنائی
۷	۱۴	پاك بود از
۳۵۳	۱۳	پاك سبحانی
۹۳	۷	پاکشان کرد
۱۰۹	۱	پاك کن دوچشم
۱۰۰	۵	پاك کو از
۱۷۳	۱۰	پاك گشته
۳۸۱	۳۸	پاك می‌بازد
۳۰۱	۲۵	پاك‌می‌دانستش
۱۰۰	۵	پاکی این حوض
۱۰۰	۶	پاکی محدود
۴۲۸	۱۱	پانزده روز است
۳۹۲	۱۰	پانصد استسقا
۲۰۳	۲۸	پانهم گستاخ
۱۶۵	۱۴	پا و زانویش
۴۴	۶	پای استدلالیان
۶۶	۳۲	پای‌اورا آزمود
۳۷۸	۱۹	پای اومی‌سوخت
۲۲۱	۲۰	پای بسته چون
۲۴۸	۲۸	پای پیرازسرعت
۱۷۴	۳۱	پای پیش و
۴۱۵	۶	پای پیش و
۲۴۸	۱۶	پای تا سر
۱۳۳	۸	پای تو در گل
۲۰۲	۱۵	پای خود واپس
۱۱۲	۴۱	پای دار اکنون
۲۱	۳۰	پای‌داری‌چون
۱۰۰	۲	پای در دریا
۲۴۰	۳۴	پای‌را بربست
۲۸	۲۷	پای‌راواپس
۲۰۸	۲۹	پایشان از
۱۳۶	۳	پای طاوسان
۳۴۰	۱	پای ظاهر
۹۲	۱۱	پای کژرا
۸۴	۲۰	پایکش بست و
۳۰۹	۱۴	پای کفش خود
۷۱	۳۴	پای‌کوبان دست
۴۰۳	۳۲	پای گاو اندر
۳۱۶	۱۷	پای‌گوید من
۴۰۰	۱۲	پای مرد آمد
۴۰۴	۲	پای مردش
۴۴	۷	پای نابینا
۳۱۹	۲۰	پایهاشان
۳۴۹	۲۷	پایهای پر
۴۳۰	۴۲	پایه‌پایه این‌سلم
۱۰۳	۶	پایه‌پایه برود
۲۱	۲۹	پایه‌پایه رفت
۴۲۵	۴۲	پای همت

پ (خ - ر)

صفحه	سطر	اول بیت
۹۹	۲۰	پخته گردو
۶۱	۲۳	پخته گشت آن
۱۳۶	۵	پر آن مرغی
۲۸۰	۹	پر بود اجسام
۲۹۰	۲۳	پر بی‌غبراست
۶۴	۲۴	پرتو آن نا گهش
۶۴	۲۲	پرتو آن وحی
۶۴	۲۳	پرتو اندیشه‌اش
۲۲۷	۲۸	پرتو حالی که
۴۹	۳۵	پرتو حق است
۹۰	۱۶	پرتو خورشیدبر
۲۹۵	۱۲	پرتو خورشید
۱۳	۷	پرتو ذاتش
۶۵	۱۳	پرتو روح است
۲۱۳	۳۵	پرتو ساقیست
۳۰۰	۳۱	پرتو شیخ آمد
۳۰۰	۳۲	پرتو شیخ است
۹۰	۱۷	پرتو عقل است
۲۵۰	۷	پرتو مستی
۹۱	۴	پرتوی بر قلب
۳۶۲	۱۷	پر خماران
۲۸۷	۳۲	پر خود میکند
۴۴۸	۵	پر دراست این
۲۶۲	۲۸	پر دلان‌درجنگ
۶۵	۲۴	پرده‌ای ستار
۳۳۴	۲۱	پردها را این
۸۰	۹	پردهای دیده
۵	۱۴	پرده بردار
۲۲۸	۳۷	پرده دار تو
۷۵	۲۱	پردهٔ صدآدم
۴۴۴	۳۷	پردهٔ غفلت
۴۰۳	۱۹	پرده کرد
۴۲۴	۳۸	پردهٔ کوچك
۱۰۳	۱۹	پرده میخندبرو
۳۰۹	۲۹	پرز سر تاپای
۳۴۹	۲۵	پرزنان ایمن
۳۴۹	۲۴	پر زنان بار
۱۹۸	۳۱	پرسبك دارد
۳۶۵	۱۲	پرس‌پرسان‌کاین‌بچ
۳۳۶	۱۰	« کاین‌مؤ
۱۵۲	۳۶	« مژدگانی
۳۶۴	۱۹	« میشد
۴	۲۰	« میکشید
۴۱۳	۲۴	پر سر مقطوع
۲۰۷	۲۲	پرشد آن مسجد
۲۴۵	۳	پرشد از تیزی
۲۸۷	۹	پر طاوست
۵۸	۱۱	پرفکرت شد
۳۸۷	۳۳	پرگشاده هردمی
۳۸۷	۳۲	پرگشاده‌هریکی
۱۱۷	۶	پرگنه باب
۳۷۲	۳۶	پر مساز
۲۹۰	۱۷	پرمن‌ابراست
۳۰۳	۳۲	پرمن‌بگشای
۱۳۳	۱۳	پرمن رسته
۲۹۰	۲۷	پرنانی‌کند
۳۵۶	۳۰	پرنگارش
۱۷۱	۲۱	پر نگهدارو
۳	۲	پر و بال‌ما
۳۸۰	۳۱	پر و بال مرغ
۱۳	۳۱	پرورد در
۴۲۴	۴	پرورش دادم
۳۹۸	۳	پرورش‌مر
۳۵۵	۳۷	پروریده از
۱۳۱	۱۰	پرومالامال
۳۶۵	۲۹	پر همی بیند
۳۵۶	۴	پر هنر را

پ - س

صفحه	سطر	اول بیت
۴۳۰	۱۳	پس‌ابد
۴۰۲	۲۴	« ادب کردش
۹۹	۴	« ادب کن
۱۰۲	۴	« از آن‌عالم
۳۹۴	۳۸	« ازآن‌لولاك
۳۹۰	۱۵	« ازآن یاری
۵۵	۳۲	« ازاین فرمود
۴۰۶	۸	« از این یغوی
۱۵۶	۳۶	« ازین‌روعلم
۱۱۸	۱۲	« ازاین‌روکفرو
۳۱۰	۱۹	« اشارت کرد
۲۱	۳۲	« اشارتهاش
۳۲۹	۱۶	« اعوذ
۱۱۱	۳۰	« اگر ابلیس
۱۹۵	۳۴	« اگر گوئی
۹۱	۴۳	« امام حی
۲۲۱	۳۲	« امبرش
۴۴۳	۱	« امین و
۳۴۸	۸	« ایاز مهر
۴۳۷	۱۲	« باستهزا
۴۳۵	۶	« بیحر اندر
۳۳۱	۲۲	« بیستش
۲۳۶	۲۵	« بیرس از
۱۳۶	۲۹	« بیرسیدش
۲۴۴	۳۵	« بیرسیدش
۲۶۸	۲۵	« بیرسیدند ازو
۳۹۴	۱۳	« بیرسیدند
۲۳۷	۱۸	« بیوشید اول
۴۴۴	۲	« بیوشیدند
۸۳	۱۰	« بیهلو گشت

صفحه	سطر	اول بیت
۳۷۷	۳۱	پس به پیمود
۴۲	۲۹	« بتاویل
۱۳	۲۷	« بترزین
۳۱۷	۷	« بجد جستن
۲۷۸	۱۸	« بجنبانم من
۳۲۹	۳۵	« بجنبداختیارت
۱۵۱	۴	« بجوشیدند
۱۴۸	۳۰	« بجوشیدی
۲۳۷	۲	« بچنگال
۳۷۸	۳۳	« بچه‌نام و
۴۳۵	۱۲	« بحکم
۷۹	۱۹	« بخسبم‌باشم
۳۸۸	۱۲	« بخفتند آن
۳۸۵	۳۰	« بخوان‌قاموا
۳۴۶	۳۸	« بخود خواند
۳۶۰	۲۲	« بخوردآن
۴۲۴	۳	« بدادش
۲۱۸	۶	« بدان‌احوال
۱۵	۱۳	« بدان‌این‌اصل
۲۲۱	۳۸	« بدان بی
۱۳۰	۳۲	« بداند زود
۲۴۵	۲۸	« بداند که‌خطائی
۳۴۶	۱۷	« بدان‌رنجت
۴۰۸	۲۹	« بدانستن
۲۱۰	۱۷	« بدانستیم کو
۲۰۶	۳۶	« بدان‌کاب
۲۰۷	۳۱	« بدانکه شمع
۹۵	۲	« بدانکه‌صورت
۲۱	۲۰	« بدانکه کسبها
۱۰۲	۱۰	« بدان‌مشغول
۲۵۴	۱۵	« بدانی‌چونکه
۲۵۶	۲۱	« بدست خویش
۲۱۷	۸	« بد مطلق
۲۶۱	۳	« بدندان
۱۱۱	۱۴	« بدوگفت‌آن
۳۸۸	۷	پس‌بدوگفتند زین
۳۶۰	۳۱	« کای
۱۸۷	۳۸	« مبخوا
۵۶	۱۴	« یاوجه
۱۸۴	۳۵	پس‌بدو گوئی
۳۹۴	۳۳	« بدید او
۳۸۹	۳۴	« بدیوان
۲۵۲	۷	« بر آرم
۱۴۸	۲۶	« بر آمد
۴۴۷	۲۲	« بر آن
۱۴۷	۴۰	« براوتکلیف
۲۲۶	۲۶	« برای کفهٔ
۲۲۶	۲۱	« بر عطار
۴۳۷	۳۵	« برو باز
۲۶۹	۲۹	« برو خاموش
۲۰۴	۲۴	« برو شیرین و
۳۸۰	۲۲	« برون آیند
۴۱۷	۱۳	« برون‌جست‌او
۱۶۲	۲۶	« برون جستند

صفحه	سطر	اول بیت
۲۶۸	۳۴	پس‌بروهم
۴۱	۱۶	« بزرگان‌این
۴۰۱	۳۵	« بسرهنگان
۲۹۴	۱۲	« بشر آمد
۲۵۸	۳۳	« بشر فرمود
۲۷۲	۳۶	« بشوهر
۴۰۶	۹	« بشه گفتند
۲۷۶	۱۵	« بصورت‌آدمی
۲۲۴	۳۱	« بصورت عالم
۲۵	۲۳	« بضد نور
۴۳۷	۶	« بضرب
۹۳	۱	« بعالم
۷۱	۱۳	« بغیبت نیم
۴۴۴	۳۶	« بفرمان خدا
۱۶۴	۲۰	« بفرمود از
۲۶۴	۱۳	« بفرمودش‌خدا
۶	۲۰	« بفرمودش که‌بر
۱۵	۲۷	« بفرمودند در
۳۲۰	۹	« بقاصد مرد
۲۱۰	۱۶	« بقهردشمنان
۴۳۰	۴	« بکار
۴۳۰	۳۸	« بکام و
۹۱	۲۵	« بکش اورا
۲۳۹	۱۸	« بکش تو زین
۳۵۷	۳۱	« بکن دفعش
۷۳	۲۸	« بگفت‌آن‌نو
۳۷۰	۳	« بگفتش کان
۲۲۷	۲۲	« بگفتم من
۳۲۰	۸	« بگفتند این
۳۵۸	۱۷	پس‌بگفتندش‌امیرا
۱۵۷	۷	« باقبال
۲۶۸	۴	« چه جای
۳۲۶	۳۶	« چه‌دانستی
۲۳۴	۳۱	« فلان
۳۹۴	۲	« کئی
۲۳۵	۳۳	« که‌آندستی
۳۴۲	۱۵	« که‌آوردی
۲۴۳	۳۷	« که‌احوال
۳۷۷	۲۴	« که‌ازتو
۳۸۹	۱۶	« که‌توابله
۲۲۹	۲۶	« که‌توبر
۳۴۲	۱۴	« که‌خشمینی
۱۴۹	۲۲	« که‌طاوسا
۳۸۹	۱۹	« که و
۲۴۳	۴۱	« مبارك
۳۹۷	۳۸	پس‌بگفتندی
۱۳۵	۴	« بگفتی او
۲۳۶	۲	« بگفتی‌تا کنون
۴۲۳	۲۲	« بگفتی قبض
۱۶۳	۱۷	« بگوئی‌خواجه
۱۲۵	۵	« بگوئی‌راست
۲۲۷	۴۰	« بگوئیدش
۲۳۷	۳۷	« بگورستان
۳۷۴	۱۳	« بگو کو

صفحه	سطر	اول بیت
۶۵	۸	پس‌بگوید آفتاب
۲۲۰	۲	« تو
۲۳۹	۳۴	« خرکه
۲۳۰	۳۰	پس‌بگویم شرح
۹	۲۹	« بگویم من
۳۶۷	۶	« بماند آب
۱۳۶	۲۷	« بماندند
۲۲۴	۳۲	« بمعنی‌آن‌شجر
۴۰۰	۲	« بمعنی باغ
۴۰۷	۲۳	« بمعنی سوی
۴۰۷	۲۲	« بمعنی میروی
۲۷۶	۲۱	« بمیرد آن
۲۲۷	۶	« بنالی که
۳۵۲	۲۶	« بنای خلق
۳۹۹	۱۰	« بنایش نیست
۱۴۰	۷	« بنه‌بر
۸۰	۸	« بنی آدم
۱۷۳	۱۹	« بود دل
۲۳۶	۷	« بود ظلمات
۱۲۴	۱۶	« بود کالا
۹۱	۴۲	« بهر دوری
۴۲۸	۱۱	« بهرشش
۴۴۲	۱۱	« بهر یك
۱۸۸	۱۸	« بیامد بادو
۳۲۳	۲۷	« بیامد زود
۴۳۷	۳۷	« بیایم
۱۴۰	۱۹	« بیفتادند
۱۲۹	۱۶	« بیفزا
۲۹۴	۱۴	« بیك دردی
۱۴۸	۲۳	« بیك سوزن
۳۷۳	۱۸	« پدر مر
۴۳۲	۳۰	« پشیمانی
۲۷۵	۸	« پیمبردفع
۳۷۰	۱۰	« پیمبر روی
۳۵۷	۳۵	« پیمبرگفت‌استغ
۲۹۶	۱۱	« پیمبرگفت بهر
۱۶۴	۳۷	« تبسم
۳۲۷	۳	« ترا باطن
۲۵۶	۳۵	« ترا بیرون
۳۳۷	۳۲	« ترا خودعقل
۲۷۴	۳۷	« ترا عقلت
۲۴۶	۲۱	« تراهرغم
۳۵۸	۲۳	« تردد را
۳۳۰	۱۵	« تسفسط
۳۶۴	۹	« تضرع
۲۳۴	۳۱	« تفحص کرد
۵۹	۳۷	« تقرب
۲۷۰	۲	پست منکر
۷۴	۸	« میگویم
۳۲۷	۲۰	پس‌توانم که
۲۱۴	۲۳	« توای‌ادبار
۱۳۰	۱۰	« توای نا
۴۳۷	۱۴	« توباشی
۲۷۲	۲۶	پست‌و بالایش

صفحه	سطر	اول بیت
۲۷۲	۲۶	پست وبالایش
۲۲۴	۱۴	پس‌توچون جستی
۲۷۶	۳	« توحیران
۲۸۵	۲۵	« توخودرا
۲۵	۲۸	« تورا هرلحظه
۱۵	۱۶	« توسرهنگی
۷۰	۲۹	« تو هر حقی
۳۹۶	۲۹	« توهم‌الجار
۳۹۰	۱۹	پسته‌رایا
۹۷	۲۷	پستی دیوار
۱۹۳	۳۷	پس‌جزاوجمله
۴۰۲	۲۱	« جزای آنکه
۳۷۲	۶	« جلیس‌الله
۱۰۰	۱۷	« جنون
۱۲۰	۴۰	« جواب‌او
۳۶۸	۴	« جوابش داد
۲۹۴	۲۲	« جواهرها
۱۱۵	۲۶	« جهاد اکبر
۹۷	۱۲	« جهان زاید
۳۸۸	۱۸	« جهودآورد
۹۵	۱۳	« چرا ازابلهی
۱۶۳	۳۱	« چرا ایمن
۴۴۶	۲۱	« چرائی منکر
۴۳۵	۲۹	پس‌چرابرمن
۲۰۵	۳۷	« پنهان
۱۹۳	۱۷	« تو خویش
۴۳۶	۸	« جاریست
۲۴۴	۱۸	« جانهای
۱۸۷	۱۱	« در کار
۳۷۰	۲۹	« شش
۳۳۲	۲	« صد
۱۵۵	۳	« علمی
۲۱۴	۲۷	« کارم
۱۶۸	۵	« گوید
۱۶۸	۴	« لابه
۴۴۴	۳۸	« ما
۳۷۶	۳۲	پس‌چنان بحری
۳۱۶	۱۹	« چنان کن
۲۲۰	۲۰	« چنین‌گفته‌است
۲۵۵	۱۳	پس‌چو آهن
۱۵۳	۲۳	« از تسبیح
۳۸۳	۲۵	« تن باشد
۱۲۹	۱۶	« حاجت
۱۳۳	۲۸	« حکمت
۳۵۷	۳۰	« دانستی
۳۹۴	۳۵	« دید آن
۴۳۲	۴۱	« روزی
۲۵۱	۲۷	« صیادان
۴۲۱	۳۶	« عادت
۱۰۷	۲	« کافر
۹۵	۱۱	« می‌بینی
۶۶	۱	« وحشی
۱۹۶	۱۰	« یعرف
۲۱۳	۲۴	پس‌چه‌باشد عشق
۷۷	۳	« مکه

صفحه	سطر	اول بیت
۱۳۰	۳۷	پس‌چه‌چاره
۴۰۷	۲۰	« چه عرضه
۶۵	۳۷	« چه عزت
۱۲۵	۲۶	« حقایق را
۱۴۲	۴۱	« حق‌حق
۳۸۵	۱۴	« حقیقت بر
۸۴	۲	« حقیقت‌روز
۳۸۴	۲۴	« حکم کرد
۲۲۸	۶	« حکیمان
۶	۲۲	« حکیمش
۲۳۱	۲۲	« حلیمه
۱۸۹	۱۹	« حنوط آنم
۱۶۶	۳۱	« حواس چیره
۱۳۸	۲۶	« حیات ماست
۲۲۰	۱۵	« خبر بردند
۳۸۱	۲۷	« خبرکردند
۳۲۳	۲۲	« خدا آنقوم
۱۰۳	۲۴	« خداعی
۲۴۹	۲۵	« خداوندپیری
۴۴۷	۱۵	« خداوندجهانت
۲۳۸	۹	« خراب مسجد
۱۹۰	۲۷	« خروسش
۳۵۲	۱۵	« خریداراست
۵۹	۱۰	« خزان‌او
۲۹۵	۳۲	« خزانهٔ‌صنع
۲۹۰	۲۵	« خضرکشتی
۲۲۲	۲۸	« خطاب آمد
۳۲۰	۳۸	« خطرباشد
۳۷۳	۱۴	« خلیفه‌اش
۳۸۴	۲۰	« خلیفه ساخت
۲۶۸	۳۷	« خموشی به
۳۷۵	۱۱	« خودی را
۲۵۶	۲۲	« در آتش
۹۱	۱۲	« درآدر
۲۹۹	۶	« درآن‌اقبال
۴۰۳	۱۲	« درآن‌رنجور
۱۳۵	۲۵	« درانگوری
۴۰۹	۲۳	« دراین قسمت
۳۱۷	۶	« در حمام
۴۳۴	۲۷	« درختان
۳۱۶	۱۵	« دروغ آمد
۳۱۶	۱۸	« دروغ آمد
۱۲۱	۱۳	« دروغ و
۲۴۰	۱۳	« درین ترکیب
۲۹۹	۶	« درین مردار
۱۴۲	۲۶	« دعا کردی
۱۴۰	۲۹	« دعاها کرد
۲۹۸	۲۷	« دعای خشك
۲۹۳	۲۱	« دل پوسیده
۹۲	۸	« دل عالم
۲۰۶	۲۶	« دلم می‌سوزد
۱۰۳	۲۱	« دل من کار
۴۳۸	۱۱	« دلیل
۵۸	۱۴	« دمی‌مردار

صفحه	سطر	اول بیت
۱۰۹	۲۹	پس دوباره
۶۱	۳۶	« دوتابايد
۲۲۱	۱۸	« دوچشم‌روش
۲۲	۳۴	« دهان دل
۲۵۷	۲۰	« رجال از
۲۱۰	۲۵	« رسول‌آن
۱۸۹	۲۷	« رسولش‌شک
۱۸۹	۱۷	« رسولشگفتا
۴۳	۳۶	« رسولشگفتک
۳۰۹	۳۲	« روانگرددبز
۳۰۹	۳۰	« روانگرددچ
۲۲۵	۲۶	« روان‌گشتند
۳۹۴	۲۰	« روان‌گشتند
۲۶۹	۲۹	« روو صامت
۱۱۰	۳۸	« ره پندو
۵۹	۲۴	« رهی‌را
۱۹۱	۳۸	« ریاضت را
۱۳۵	۱۰	« ریای
۳۰۵	۲۳	« زبان بگشاد
۲۶	۳۶	« زبان‌محرمی
۴۱۵	۳۶	« زبیجوعیست
۲۶۲	۲۳	« زپس میبیند
۲۰۱	۱۷	« زجالینوس
۹۷	۱۱	« زجان‌جان
۴۲۵	۲۸	« زجان‌کن
۳۰۳	۱۶	« زجنس
۳۰۹	۳۵	« زحق
۲۹۴	۲۹	« زد انگشتك
۳۷۴	۲۲	« ز درد
۵۱	۲	« زدفع‌آن
۵۱	۱	« ز دفع‌خاطر
۱۷۵	۱۸	« ز دل آهی
۲۹۱	۹	« ز ده یار
۳۹۹	۳۶	« زدی‌اشراة
۱۶۷	۴	« زره‌سازید
۳۲۶	۲۹	« ز زیر
۱۹۶	۳۰	« ز شرح
۳۰۶	۳۵	« ز عرش
۳۷۰	۱۰	« زگنج‌آخور
۴۳۰	۲۷	« زمام
۱۳۸	۲۱	« ز ماهي
۱۵۰	۱۶	« ز مستیها
۵۶	۲۲	« ز مکتب
۲۲۴	۳۵	« زمن زائید
۳۶۹	۴۱	پس‌زمین بوس
۱۲۴	۲۲	« تیره
۲۳۷	۸	« دل که
۱۵۷	۵	« را
۲۰۸	۱۹	« وچرخ
۱۵۲	۱۱	« زنان قابله
۳۵۶	۷	پس زنان گفتند
۴۳۴	۳۴	« ز نزد
۳۶۲	۱۵	« زنقش
۳۹۷	۳۵	« زنی گفتش

صفحه	سطر	اول بیت
۲۸۹	۳۲	پس زیانش
۲۲۴	۱۴	« سؤالشکردش
۴۲	۳۳	« سؤالشکردص
۱۴۳	۲۱	« سبا گفتند
۴۰۶	۲۲	« سبب‌گردان
۳۹۹	۲۶	« سبد را
۵۵	۲۰	« سبوبرداشت
۶۲	۲۱	« سپاس‌اورا
۲۰۲	۲	« سپاهی اندکی
۲۳۷	۱۵	« ستون‌اینجها
۹۳	۲	« سخا از
۱۳۰	۱	« سراین تن
۳۵۶	۱۲	« سرش‌را
۹۴	۷	« سری که
۴۲۰	۱۶	« سقم
۳۲۹	۱۲	« سگ شیطان
۴۳۵	۲۳	« سلاح
۲۳۸	۵	« سلامش‌کردد
۳۷۷	۲۸	« سلامشکردگر
۳۱۹	۱۳	« سلامشکرد و
۳۱۸	۳۴	« سلامی‌گرم
۲۰۷	۹	« سلح‌بربندی
۲۳۸	۷	« سلیمان‌آزمای
۲۳۰	۱۳	« سلیمان‌ازدلش
۲۴۶	۱۷	« سلیمان‌اندرو
۲۳۶	۳۲	« سلیمان با
۱۳۶	۱۷	« سلیمان بحر
۲۱۲	۱۰	پس‌سلیمانگفت ایا
۲۲۷	۴۰	« ایه
۲۱۲	۱۹	« ایز
۲۷	۸	« ایه
۲۳۰	۳۳	« با
۲۷	۳	« شو
۲۱۲	۲۳	« کای
۲۳۰	۱۹	« گر
۵۳	۷	پس سلیمان‌همتي
۲۳۴	۲۴	« سلیمانی‌کند
۴۲۸	۱۲	« سکون
۳۷۸	۱	« سوم بار
۹۴	۲۶	« سوی کاری
۲۸۸	۱۴	« سیه کاری
۲۵۱	۴	« شتابیدند
۳۸۸	۳۲	« شدم
۲۰۹	۱۶	« شدنداشکسته
۳۳۷	۲	« شدی درمان
۷۵	۱۲	« شکستن
۱۳۵	۶	« شماخاموش
۲۷۷	۱۲	« شناسائی
۸۵	۲۱	« شهیدان
۱۴۴	۳۶	« صفات آدمی
۳۸۴	۲۰	« صفای
۱۱۲	۹	« صلهٔ‌یاران
۳۳۷	۳۱	« ضیا چون
۳۱۲	۳۰	« طبیب آمد

صفحه	سطر	اول بیت
۲۴۴	۲۵	پس طبیبان الهی
۱۲۶	۳۱	« طبیبش
۴۱۰	۱۵	« طبید آن
۳۸۱	۳۳	« طلب‌کردآن
۳۳۶	۴	« طلب‌کردند ا
۱۷۸	۳۶	« طلب‌کردند و
۴۱۴	۱۰	« طمع در
۱۳۹	۸	« طمع کورت
۲۸۵	۳۰	« طناب اندر
۲۰۰	۲	« عدم گردم
۲۱۶	۱۳	« عدو جان
۱۲۸	۴	« عرب گفتش
۲۶۶	۷	« عروسی‌خواسته
۳۶۴	۲۶	« عزابرخود
۱۲۲	۲	« عرازیلش
۱۸۹	۲۶	« عقاب‌آن
۴۳۸	۲۷	« عقاب از
۳۱	۳	« علیکش گفت
۴۰۳	۷	« عمادالملك
۴۴	۳۲	« عمر زان
۴۵	۱۸	« عمرگفتش که
۴۵	۵	« عمرگفتش‌متر
۱۵۲	۱۵	« عوانان‌بیمراد
۱۵۲	۱۵	« عوانان‌خانه
۲۱۷	۳۶	« عوان که
۱۱۳	۵	« عبادت
۹۴	۱۳	« عیان‌بودی
۲۲۸	۱۱	« غذای‌عاشقان
۴۴۳	۴۴	« غرض
۲۳۹	۱	« غزا زین
۳۵۶	۹	« غلام خواجه
۴۲	۲۵	« غنیمت‌باشد
۲۲۷	۳۴	« غنیمت دار
۳۹۳	۲۹	« فتادم زان
۴۳۷	۴۱	« فرا شد
۸۰	۲۰	« فراق آن
۲۷۴	۴	« فراموشش
۳۲۳	۱۰	« فراموشش
۶	۱۴	« فرستادآنطرف
۳۹۹	۳۷	« فرستادش
۱۵۶	۳۷	« فرستادند
۳۶۷	۳۴	« فرستاد و
۳۲۹	۳۷	« فرشته و
۲۷۴	۳۱	« فرو پوشان
۴۴۳	۳۴	« فرو خوان
۲۳۷	۳۱	« فرو رفت
۴۰۳	۱۰	« فرو شد
۱۳۰	۳	« فزون از
۹۲	۷	« فقیرآنست
۹۲	۷	« فقیرآنست
۱۳۲	۳۵	« فقیرآن‌شیخ
۲۴۱	۱۸	« فقیهش
۲۳۵	۲۹	« فکندش
۱۲۹	۲	« فلك قشر

صفحه	سطر	اول بیت
۲۱۷	۲	پس قرین‌میکرد
۷۱	۲۱	« قرین هر
۱۵۸	۳۳	« قضا راخواجه
۲۶۰	۲۴	« قضیب
۳۳۲	۱۳	« قلم
۶۷	۱۸	« قیاس
۹۴	۱۴	« قیامت بودی
۵۹	۷	« قیامت روز
۳۶۴	۲	« قیامت شو
۲۶۸	۱۷	« قیامت نقد
۴۴۱	۲۳	« کجا پروای
۸۴	۲۷	« کجا نالد
۱۹۸	۱۷	« کدامین شهر
۳۳۱	۱۲	« کرم کن
۱۲۶	۳	« کرمهای
۱۳۸	۱۷	« کریم‌آنست
۳۸۳	۳۹	« کسی گفتش
۴۱۰	۱	« کشیدندش
۳۸۱	۲۳	« کلند آورد
۲۸۸	۲۰	« کلوا ازبهر
۳۱۵	۱۰	« کلوخ
۴۳۹	۵	« کمان را
۳۸۱	۲۲	« کمانی سخت
۳۹۴	۱۷	« کمند انداخت
۱۲۹	۱۵	« کمند هستها
۳۰۳	۲	« کنیزك‌آمد
۳۰۲	۸	« کنیزك جمله
۱۸۶	۱۳	« که داند
۵۵	۳۳	« گدایان آینه
۲۵۲	۱۱	« گرفتش
۱۷۵	۲۷	« گریبانش
۹۸	۱۶	« گریزان‌است
۳۷۳	۹	« گریزت
۳۹۵	۲۲	« گریزد مرد
۲۰۲	۷	« گریزند و
۳۹۸	۱۵	« گلاب‌وآب
۹۴	۲۰	« گلابه تن
۱۶۰	۳۴	« گلوی‌گاو
۲۸۳	۶	« گواهی‌باتناقض
۵۵	۱	« گواهی بایدم
۵۵	۳	« گواهی‌زاندرو
۲۹۶	۱۶	« لباس کبر
۵۲	۲۳	« ابش ردش
۳۵۳	۱۰	« له‌الخلق
۲۳۰	۲۸	« مثال تو
۴۰۲	۳۲	« مثل بشنو
۱۲۴	۲۸	« مجاهد
۲۸۲	۳۸	« مجو از وی
۱۵۵	۴	« مجو پیشی
۳۱۶	۱	« محبت وصف
۲۱۱	۲۱	« محب حق
۹۱	۵	« محك باید
۱۲۴	۳۱	« محك‌میبایدش
۳۱	۲۲	« محل وحی

صفحه	سطر	اول بیت
۳۶۳	۳۶	پس محمد صد
۱۰۹	۲۷	« مرا دست
۲۲۷	۱۶	« مرازان
۸۱	۲۷	« مراقب
۴۴۱	۱۸	« مرا کردی
۳۸۹	۱۳	« مراگفت
۳۹۳	۲۰	« مسافر آن
۳۶۷	۷	« مس رسوا
۳۸۹	۱۲	« مسلمان‌گفت
۲۰۲	۶	« مشو همراه
۳۲۷	۲	« مصفا کن
۴۲۸	۱۷	« مطیعانند
۱۳۸	۲۰	« معاني را
۴۲۱	۴	« معرف گفت
۴۱۷	۲۱	« معرف نزد
۳۰۰	۳۱	« مقلد نیز
۱۲۴	۱۲	« مگو این
۱۲۴	۱۳	« مگو جمله
۲۴۱	۳۳	« مگو دنیا
۹۳	۳۹	« مگو که‌من
۲۶۳	۱۴	« ملامت
۴۱۴	۲۳	« ملایك با
۷۱	۱۸	« ملایك را
۱۱۸	۲۲	« ملك گوید
۴۴۴	۱۳	« منادی
۳۴۲	۳۲	« میان حمله
۳۱۱	۲۷	« میفزا
۴۳۰	۲۴	« نباید شد
۱۲۵	۲۳	« نبي فرمود
۳۹۴	۳۲	« نبیند جمله
۲۲۵	۱۸	« نثاری
۱۵۶	۲۷	« نشان‌دادند
۲۹۷	۳۲	« نشاندش
۳۸۵	۲۸	« نشان نشف
۱۰۵	۱۴	« نشانها
۳۱۳	۱۳	« نشاید که
۹۵	۱	« نشین ای
۱۷۱	۳۷	« نشیند
۲۳۰	۳۶	« نظر کردآن
۹۲	۹	« نظر گاه
۲۶۴	۲	« نقوش‌آسمان
۵۶	۱۳	« نقیبان
۵۸	۲	« نقیبی را
۳۰۲	۲۰	« نکاح آمد
۲۹۱	۱۶	« نگه کن
۳۰۰	۱۹	« نمازش‌پیشکی
۱۲۵	۳۳	« نماز هر
۴۳۷	۳۴	« نهاد از
۲۵	۲۴	« نهانیها
۳۳۴	۲	« نیاری هیچ
۱۵۹	۳۱	« نیم‌مطلوب
۴۴۳	۱۷	« ورا اندیشه
۴۳۴	۳۵	« ورا چشم
۳۹۰	۱۷	« وزپرش‌گفتا

صفحه	سطر	اول بیت
۲۳۴	۲۹	پس‌وزیرش‌گفت
۲۶۷	۲۴	« وصال این
۷۴	۲۵	« وفاگررا
۴۴۴	۱۵	« هرآنچه
۹۸	۱۴	« هلاك نار
۳۹۸	۱	« هماره
۳۳۳	۱۶	« همان‌دردو
۲۳۰	۲۹	« هم انکارت
۱۷۶	۲۰	« همان‌کس
۳۳۴	۳۲	« همه اجسام
۱۶۵	۲۱	« همه پستی
۱۲۹	۳۸	« همه خلقان
۲۱۸	۱۶	« همه‌دانسته‌اند
۲۳۶	۲۰	« همی گفتندبا
۶۷	۲۹	«همی گفتندکای
۵۹	۱۳	« همی‌گویند
۲۲۷	۲۶	« همی منکید
۴۱۹	۱۷	« همینجا خود
۱۷۶	۱۸	« همینجادست
۲۷۶	۴	« همینجیران
۲۸۹	۳۰	« هنر آمد
۴۳۸	۱۶	« یقین‌دانستن
۱۵۶	۵	« یقین دانید
۲۱۸	۱۷	« یقین‌در
۱۵۶	۳۵	« یقین شان
۱۰۴	۴	« یقین شد
۱۵	۱۳	« یقین‌گشت‌آن
۴۰۱	۳۲	« یقینکشتش ه
۲۶۶	۳۱	« یقینکشتش ه
۴۳۳	۷	« یکی‌را
۴۳۱	۱۱	« یکی‌قحطی
۷۷	۱۲	« یهودان
		پ - ش
۴۳	۱۰	پشت او خم
۹۰	۲۵	« خردکان
۳۴۸	۱۹	« دارت
۱۳۹	۲۰	« دارجمله
۹۷	۳۷	« دوتا
۴۴۰	۲۵	« ریش‌و
۳۴۸	۲	« سوی
۳۱۹	۱۲	« پشتش‌از
۳۸۱	۲۱	« پشت‌کن‌در
۴۰۰	۲۰	« ماگرم
۴۳۷	۴۳	« وپهلو
۲۶۶	۲۴	پشم بگزینی
۱۴۸	۲۷	« رنگین
۲۱۲	۶	پشه آمد
۲۶	۲۵	پشه‌ای نمرودرا
۳۰۱	۱۶	پشه‌بگریزد
۱۱۴	۲۹	« کی داند
۱۸۱	۷	« مرده
		پ - ن
۱۴	۶	پنبهٔ آنگوش
۱۴	۵	پنبه‌اندرگوش
۳۱۵	۳۶	« درآتش

صفحه	سطر	اول بیت
۴۳۹	۱۸	پنبه دستار را
۳۴۲	۴	« را پرهیز
۳۱	۲۱	« وسواس
۱۰۹	۱	« وسواس
۴۰۶	۳۵	پنج ازآن‌چون
۱۲۸	۳۰	« حس‌بایکدگر
۲۴۸	۹	« حس ظاهرو
۳۶۱	۵	« حس ظاهرو
۱۳۸	۵	« حس‌وشش
۷۰	۱۲	« حسی‌از
۷۹	۲۵	« حسی هست
۱۶۴	۹	« روز آن
۵۲	۲۷	« سال‌و
۱۴۷	۱۴	« سالهرنج
۲۰۷	۴	« کرت
۳۸۰	۳	« گوهر
۱۴۷	۱۲	پنجمین شب
۲۶۰	۲۸	پنج نوبت
۳۹۱	۳۵	« وقت
۶۵	۲۶	پنجه بامردان
۱۹۷	۲۹	« راگرقبض
۶۵	۲۶	« زدبا آدم
۶۵	۲۹	« زدباموسی
۳۹	۲۶	پند اورا از
۱۳۹	۱۱	« پیران‌را
۱۹۸	۳۲	« دادالقصه
۲۲۴	۹	« دادی
۲۲۴	۱۰	« فعلی
۲۵۲	۳	« گفتن با
۳۵۳	۲۲	« مادرتو
۹۸	۳۰	« من‌بشنوکه
۱۹۱	۲۸	« موسی‌بشنو
۳۶۷	۱	« هادادم
		پ - ی
۶۷	۲۰	پور آن بوجهل
۹۳	۲۳	« ادهم
۳۳۲	۲۵	« سلطان
۳۳۳	۳۰	پوز بند
۱۴۶	۲۷	« سگ دائم
۲۱۷	۲۷	پوست ازدارو
۲۹۸	۲۲	« افزون
۲۵	۳	« باشد
۲۵	۲	« چبود
۸	۲۹	« رابشکافد
۳۱۱	۲۷	پوستهابر
۳۳۳	۱۶	پوستین آن
۷۵	۲۰	« راباژگونه
۳۵۵	۲۲	« و چارق
۱۴۳	۳۶	« یوسفان
		پ - ه
۳۴۴	۱۹	پهلوان تن
۳۴۴	۱۷	« چه
۱۴۹	۱۳	« درلاف
۶۰	۱۷	« در ناله

صفحه	سطر	اول بیت
۳۴۴	۲	پهلوان شد
۳۴۴	۳۱	« مردانه
۳۴۴	۱	پهلوانی‌را
۴۳۱	۲۴	پهلوی دارالقضا
۱۵	۲۶	« عیسی
		پ - ی
۲۷۵	۵	پی‌پایی
۳۸۷	۲	پیچ دیگر
۸۱	۳۲	پیر ایشانند کاین
۴۱۳	۳	« باشد
۲۵۰	۱۴	« پیر عقل
۵۹	۲۰	« تابستان‌و
۴۵	۲	« چنگی
۵۲	۱۱	« خرنی
۴۳۷	۱۹	« خودرادر
۴۵	۲۷	« دامن
۴۲	۱۴	« داناانند
۵۹	۲۳	« رابگزین
۳۷۱	۱	« سگرا
۳۳۴	۱۹	« عشق‌تست
۱۷۳	۲۶	« عقل‌آمد
۲۹۱	۵	« عقلت
۲۳۱	۲۴	« کرد اورا
۴۳۷	۳۹	« گفت ایشیر
۴۵	۸	« لرزان
۲۳۱	۱۷	« مردی
۲۰۶	۳۷	پیروپیغمبرانی
۲۵۰	۳۰	پی رونور
۱۲۵	۷	پیروی تو
۳۷۸	۸	پیره طفلان
۲۴۵	۱۶	پیرهن‌درمصر
۳۵۰	۵	پیش آب زندگا
۲۹۶	۲۶	« آب‌و
۲۸۱	۱۹	« آردهی
۱۶۹	۱۶	« آن انوار
۱۱۵	۹	« آنچشمی که
۳۶۳	۶	« آنخورشید
۴۴۰	۴۵	« آنسلطان‌در
۴۳۹	۶	« آنسلطان‌وها
۱۲۵	۷	« آن‌کس‌کو
۴۴۶	۲۴	« آن کو
۴۰۵	۲۰	« ازآن‌ازراست
۳۸۱	۲۸	« ازآنك‌اشکنجه
۹۷	۳۴	« ازآن‌کایام
۴۰	۳۱	« ازآن‌کاین‌خار
۳۹	۱۰	« ازآن‌کاین‌خاک
۳۶۰	۲۳	« ازآن‌کاین‌دانه
۱۴۳	۱۱	« ازآن‌کاین‌قبضه
۲۰۵	۱۳	« ازآن‌کاین قصه
۲۵۶	۳۴	« ازآن‌کاین‌مها
۹۵	۲۹	« ازآنکت
۳۰۴	۳۰	« ازآن‌کزدست
۲۵۶	۱	« ازآن کزقهر
۳۶۰	۲۷	«ازآن که‌اشکب

صفحه	سطر	اول بیت
۳۰۴	۲۹	پیش ازآنکه‌روز
۳۵۹	۸	« ازآنکه‌شب
۴۲۵	۴۱	« ازآنکه‌کار
۲۷۷	۱۳	« ازآنکه‌نقش
۲۷۳	۱۴	« از افکندن
۸۳	۳۷	« ازایشان
۸۱	۳۳	« ازاین‌تن
۳۷۳	۵	«ازاین‌رمزی
۱۵۸	۱۷	« ازاین‌طوفا
۳۸۲	۹	« ازاین‌کو
۶۹	۹	« ازاین‌هرچ
۶۴	۲۱	« ازعشا
۱۴۹	۳۷	«ازین‌زان
۱۷۴	۳	« ازین‌گفتیم
۵۷	۱۷	« استاداصول
۵۷	۱۸	« استادفقیه
۵۷	۱۸	« استادیکه
۳۰۷	۱	« اسرافیل
۱۷۰	۲۱	« اصل خویش
۱۵۴	۳۹	« افتدآن
۲۶۹	۱۷	« اوآئید
۲۴۹	۳۵	« اوآمد
۳۹۶	۱۸	« اواستارگا
۱۹۶	۳۴	« او بررست
۴۴	۳۱	« اوبرکای
۱۱۳	۲۶	« اوبنشست
۱۲	۷	« اوبنوشت
۲۰۳	۱۲	« او چبود
۱۲	۱۰	« او دروفت
۱۳۳	۲۲	« او دعوی
۴۴۵	۱۸	« او رفتند
۳۲۶	۳۵	« او روشن
۴۰۷	۱۴	« اورویند
۱۴۳	۳۷	« اوکوساله
۱۶۶	۳۴	« او مهمان
۱۴۶	۲۵	« اومیگشت‌خا
۳۳۴	۱۵	« او هرذرهٔ
۸۹	۲	« اوهیچست
۱۲۸	۱۹	« اهل تن
۱۲۸	۱۹	« اهل دل
۱۶	۲۴	« این‌الماس
۲۳۹	۱۴	« این‌جمعی
۳۹۹	۲۸	« این‌خورشید
۳۳۲	۲۰	« این‌شاهان
۳۱۳	۲۹	« با همت
۳۷۵	۱۴	« بزازان
۲۲۶	۳۸	« بلقبس
۹۴	۲۶	« بنشاندش
۱۲۹	۴۱	« بیجد
۲۴۹	۵	« بینابردهٔ
۲۴۸	۳۵	« بیناشد
۱۲۸	۲۱	بینایان حدیث
۲۴۸	۳۵	« بینایان‌خبر
۱۲۸	۲۰	« بینایان کنی

صفحه	سطر	اول بیت
۲۶۹	۷	پیش‌بینی خرد
۱۹۷	۲۶	« پیش آن
۲۲۶	۸	« پیشت‌میرود
۲۷۲	۲۶	« پیغمبر جهان
۱۸۹	۱۲	« پیغمبردرآمد
۷	۲۰	پیشتر آنا
۸۲	۳	« از خلقت
۸۱	۳۳	« ازنقش
۲۰۱	۳۰	« اروانعه
۲۲۸	۱۷	« در آب
۲۲۸	۱۶	« در آب
۱۶۹	۱۳	« رفتم‌دوان
۱۶۹	۱۷	« رفتم که
۸۱	۳۶	« ز افلاك
۱۹۲	۲۷	پیش ترك‌آئینه
۳۶۵	۲۶	« توآن‌سنگ
۳۶۵	۲۶	« تواستون
۲۵۹	۳۲	« تواین
۳۰۶	۱۲	« توبس‌قدر
۳۶۵	۲۴	« توخونست
۴۱	۱۹	« توشسته
۳۶۵	۲۵	« توکه‌بس
۱۶۵	۲۸	« توگرد
۳۳۵	۱۴	« جوحی
۸۸	۱۸	« چشم او
۲۹	۸	« چشمت
۳۱۷	۱۰	« چشم‌خویش
۳۸۱	۱۲	« چشمش
۲۷۱	۳۵	« چشم‌نقش
۲۳۰	۳۶	« چوب‌وسنگ
۵۰	۲۱	« چوگانها
۳۰۹	۳۹	« چه بود
۲۴۳	۵	« حالی‌بین
۱۹	۳۶	« حق آنش
۳۵۸	۳۴	« حق پیدا
۷۵	۱۷	« حکم حق
۱۵۴	۱۵	« خقان
۲۰۵	۳۶	« خلق‌ایشان
۱۷۵	۳	« خلق‌این
۱۱۸	۳۴	« خویشان
۱۷۱	۲۴	« درشد
۳۳۵	۲۱	« دل‌جوز
۱۳۳	۲۳	« زیرك
۶۳	۱	« سبحان‌بس
۱۹۳	۲۱	« سگ
۱۵۹	۲۱	« سلطان‌خو
۳۳۷	۲۰	پشش آمد
۱۵۴	۳۵	پیشان بردم
۲۳۵	۱۰	پیشان شعری
۱۹۱	۵	پیش شاهان‌در
۱۰۰	۱۱	« شاهان گر
۴۱۴	۲۹	« شاهد
۳۳۲	۲۱	« شاهی کو
۱۴۵	۳۴	« شهرعقل

٤٠٥	١	پیش شه	
٨٥	٣٣	« شیخ آمد	
١٩٨	٧	« شیخی در	
١٩٦	١٧	« شیری آهوئی	
٣٥٤	٧	« صورتهای	
٢٥٠	١٩	« ظاهر بین	
٢٢٦	٢١	« عطاری	
٢٢٠	٣	« عقل این	
١٨٥	٣١	« قبطی	
١٥	٥	« قدرت	
٣٣٢	٩	« قرآن	
٤٠١	٣٣	« کافر	
٣٥٢	٢	پیشکش بهر	
٣٥٢	٢	« می آرمت	
١١٠	٢٨	پیش گاوی سجده	
١٧٩	٢٩	« ما این	
٤١١	٩	« ما باشی	
١٨٤	١٢	« ماصدسال	
٣٤٥	٢٦	« ما فرج و	
٣٦٤	٢٣	« مؤمن کی	
٣٦٤	٢٣	« مؤمن ماتم	
١٩٢	٥	« مردان خدا	
١٣٤	٢	« مریم	
٣٦٦	٤٢	« مشرق	
٦٦	٨	« معنی چیست	
٢٢٨	٢٤	« من آوازت	
٨٩	٢٢	« من افلاس	
٧٦	١٣	« من این تن	
٤٥	٦	« من بنشین	
١٥١	٢٥	« می آمد	
٣١١	٣٣	پیشوا ابلیس	
٢٧٠	٢٧	« چشم است	
٣٣٥	٢٢	پیشوای به	
٢٦٨	٢١	پیش وهم این گفت	
١١٩	٢	پیشهٔ آموختی	
١١٩	٣	« آموز	
٢٠١	٢٠	پیشهائیکه	
٣٥٤	٢١	پیشه اش	
٣٦	١	پیشها و اندیشها	
٣٥	٣٣	« وخلقها از	
٣٥	٣١	« وخلقها هم	
١١٩	١٩	پیشهٔ اول	
٨٩	٢٧	پیش هر حمام	
٥٨	٢٨	« هر صوفی	
٣٥	٣١	« پیشهٔ زرگر	
١٣	١٣	پیش هست	
٣٥٠	١٥	پیشهٔ مریخ	
٣٥	٣٠	پیشه و فرهنگ	
١٣٣	٢٠	پیشی و خویشی	
٣٩	٢٧	پیش یوسف	
٣٠١	٦	پیك اگر چه	
٢٨٣	٣٢	پیل اگر چه در	
١٥٧	١٤	« اندر	
١٨٠	٣٤	« باور کرد	
٢٦٥	٧	پیل باید تا	
١٣٩	١٦	« بچگانند	
٢٠٤	٣١	« چون در	
١٨٢	١١	« خود چبود	
٣٩٣	٤	« را حق	
١٧٧	٢١	« را سوراخ	
٢٣٥	٤	« وگرگ	
١٣٩	١٥	« هست اینسو	
		ت - ا	
١٨٢	١٥	تا ابد از	
٦٨	٣٨	« ابد نونو	
٥٤	١	« ابد هر	
٢٩٩	١٨	« احب لله آئی	
٧٤	٤	« احب لله آید	
١٩٥	١٢	« ادبهاشان	
٣٧٢	٨	« ازآن جامد	
١٣٠	١٨	« ازآن راهت	
٣٩٠	٣٢	« ازآن رخنه	
٢٦٤	٨	« ازآن واقف	
٣٠٦	٣٩	« ازاینها	
١٠	٣١	« ازین طوفان	
٢٠٤	٣	« ازین گرداب	
٣٩٩	٢٣	« اگر ابری	
٢٠	٢٤	« اله	
٢٣	٧	« امان یابد	
٧٦	١٦	« امیری را	
٤٠٣	٣٦	« باخر چون	
١٧٣	٣	« بافسون	
٤٣٨	٩	« بایمان	
٢١٢	١٤	« بالا بر	
١٥٣	٢٥	« بغداد آمد	
٢٤٦	٢	« بغدادو	
٦٧	٨	« بیند دشمن	
١٢٤	٣٣	« بیند طعم	
٤١٨	٢٩	« بیند مؤمن	
٢٣١	١٩	« بینم این	
٢٢١	٣٥	« بینم غایت	
١٦٩	٣	« بینم قلزمی	
٤٢٤	٣٣	« بینم کاهلی	
٦٥	٣١	« بینند اهل	
١٦٥	٣١	« بینی جامعیم	
٢٨٥	٢٩	« بینی چاشنی	
٢٥٢	٣٠	« بینی خویش	
٢٧٣	١٤	« بینی خیر	
٢٩٥	٢٨	« بینی درعدم	
٦٤	٣	« بینی روی	
٩٨	٣٥	« بینی عالم	
٢٢٧	٩	« « کاین	
٧٣	٢٥	« « نابدت	
١٢٤	٢٢	« بیالائیم	
١١٤	١٩	« بیای خویش	
١٦٦	٣٦	« بیرسم نی	
٢٣٢	٣٢	« بیشت آدم	
٦٠	٣٤	« بیشت همدگر	
٢٨	٣١	تا بیشتی	٤١٤
٧٠	٢	« بیوشاند جهان	٢٩٤
١٠٧	١	« بیوشد آن	٣٣٨
٥٩	١٠	« « حسن	١٥١
١٦	٧	« بجای او	٣٣٣
٢٠٤	١٤	« « نعمت	٣٣٧
٩٥	١٧	« بجسمی در	٢٢٦
٢٦٤	٢٥	« بجنباند	٣١٣
٣٢٩	٣٦	« بجنبد اختیار	٢٧٩
٣٦٥	٣٤	« بجوشد	٨٣
٣٠٦	٣٦	« بجویند اصل	٢٧٣
٢٣٤	١٣	تاب حرص از	٥١
٣٠١	٦	تا بخارای دگر بینی	٢٧٤
١٥٥	١٤	« بخارای دگر یابی	١٧١
٤٣٧	١٥	« بخواهم کین	١١٤
١١٠	١٣	« بخسبی	٩٨
٢٠٢	١٩	« بخوردیم آن	٣٥٦
٢٣٠	٢٣	« بداند در چه	١٢٤
٨٥	٤	« بداند سعد	٣٣٨
٢٩٥	١١	« بداند کان حلل	٢٨٠
٣٠٢	١٦	« « کانخیال	١٩٤
١٩٥	٣٣	« « کودك	٤٢٣
٢٢٦	٣٩	« « که بزر	٥٦
١١٧	٣٦	« « که هر	١٩٣
٢٩٠	١٦	« « ملك	٣٦٤
٩٢	٣٨	« بدانم که تو	٢٨٢
٢٦١	٤	« بدانی پیش	٦٧
٢٩١	٢٢	« « حق	١٦٣
٤١٧	٨	« « حکمت	٢٩٦
٤١٤	٨	« « عجز	٤٨
٣٨١	١٧	« کاسمانهای	١٥
٣٠٤	٢٤	« کاصل	٢٦٦
١٦٥	٢٦	« کان ازو	٤٢٨
٤٢٢	٣	« « کان همه	٤٢٨
٢٥٤	٢٩	« « کوحکیم	٣٩٨
٢٥٥	٥	« « کوخبیر	٨٩
١٦٢	٤١	« « که تن	٣٦٤
٢٩٥	٢٥	« « که خدای	٩١
١٩١	٣٨	« « که زیان	٤٠٢
٤٢١	٢٣	« « که محمد	٢٨٠
١٨٨	٢٩	« « که هانم	٢٠٩
٢٠٦	١٢	« « ناله	١٤٢
٣٢٠	١٣	« « واز	١٣٦
٤٤	٢	« « هر که	٤٤٦
٤٢٠	٣٥	« بدریا	٤٢١
٩	٢٨	« بدست خویش	١٥٧
٣٩٧	٢٨	« بدلالی	١٩١
٤٢٨	١٢	« بده مه	٣٦٣
٣٢٤	٢	« بدیدم	١١٣
٢٠٦	١٩	« بدیدید	١٥٤
٣٦٨	١٧	« بدیری	٣٥٥
٥٦	١٨	« بدینجا بهر	٤٢١
٢٩٤	٦	« « پیش	١٩٠
٣٩٠	٢٩	« بدین حد	٤٦

۱۸۷ ٤ تاجر ترسنده
۳۹۵ ۲٦ تاجرش داند
۳۹۵ ۲۲ تاجری بردر
٤٤۷ ۲۳ « تو
۱٤٦ ۱۱ « دریا
۳۳۷ ۲۸ تاج شیخ
۳۳۹ ۱٤ تاج کرمنا
۲۸٦ ۱۵ تا جلا باشد
۲٦۱ ۹ « جمادات دگر
۳۵٦ ۲۸ « جماعت مژده
۲٤٦ ۲۰ تاج ناطق
۲۸ ۱۱ تا جهان که
۳۸۰ ۱۲ تاجهان لرزان
۱۲۳ ۵ « جهودی را
۱۹٤ ۱۹ تاچرد آن بره
۱۲۲ ٤ تا چنان آهی
۱۹ ۱۷ « چنان شد
۱۱۸ ۳۸ « « گردد
۲۰۷ ۱۲ « چنان نومید
۱۸۳ ۱٦ « چنین خدمت
۳٦۵ ٤ « « سر
۲۷٤ ۳۲ « چوبجهند
۱۱۸ ۳۵ « « زن
۱٦۱ ۲٤ « « سی کودك
۲۰۲ ۲٦ « « فرصت
۳٤۱ ۱٦ « « واگردد
۵۵ ۱۰ « « هدیه
۱٤۵ ۱۱ « چها دیداز
۳۳۷ ۲۵ « چه باشد
۳٤۵ ۱۹ « « خواهی کرد
۱۲۰ ۳۲ « « دارد
۲٤۱ ۱۰ « « داری
۳۷۳ ۲۰ « « دوزخ
٤۰٤ ۲۷ « « دیدی
۲۹۵ ۸ « « زلت
٤۰۳ ۱٦ « « سرمه
٤۳٦ ۲۷ « « شدبا
٤۰۷ ۵ « « صورت
۲۵ ۱۰ « « عالمهاست
۱۱۲ ٤۰ « « کین دارند
٤۱۱ ۱۱ « « گفتش
۷۳ ٦ « چهل سال آن
۱٦۵ ۲٤ « چهل سالش
۱۵۰ ۱۳ « چه مستیها
۳۹۲ ۱۳ « حدث در
٤۱۷ ۳ « حریم کعبه
۳۵٤ ۳۲ « حروفش
٤۱۳ ۳۵ « حساب
۳۸٤ ۲۸ « حلبی
٤۳۳ ۳۳ تاخت آرد
۷۷ ۳۲ تا خدایش
۸۸ ٤ تا خر از هر
٤۱۸ ۳۷ « خرد این
٤۰٤ ۳۹ « خری پیری
٤۱۵ ۸ تا خلیفه گفت
۳۸۰ ۱۲ تاخم یکرنگی
٤۲٤ ۷ « خود ازما
۳۹۰ ٤۱ « خوردمر
۳۰۲ ۳٦ « خوری دانه
۲۸۰ ٤ « « زشت
۱۱۸ ۳۰ « خیال دوست
۳۷۹ ۱٦ « خیال عجل
۳۵٦ ۲۱ « خیال وفکر
۳۱۵ ۳۱ « درآمد حکم
۲۷۲ ۳۰ « درآنجائی
۱۲۸ ۳۵ « درآنجا سنبل
۱۱۷ ۱٤ « درآنعالم
۱۲۵ ۲ « دراشتر
۲۲۵ ۳٦ « درا کسیری
۲۵۵ ۱۵ « دراواشکال
۷۱ ۹ « دراین ظلمت
۱٤ ۱۰ « « فکری
۳۹۰ ۲۷ « درو باشد
۱۳٤ ۳۲ « دعای او
۲۵۵ ۱۳ « دلت آئینهٔ
٤۱٤ ۷ « دلت حیران
۲۹٦ ۱۹ « دلش راشرح
۱۲٦ ۳۹ « دل مرد خدا
۱۱٤ ۱۹ « دلیر اندر
۳۸ ٦ « دم آخر
۲۵۳ ۲۲ « دم آن از
۳۹ ۲۸ « دم عیسی
۳۵۵ ۱۷ تادمی ازهوشیار
۱۰۳ ٤ تا دیر باشی
۳۲٦ ۲٦ تا دوسال این
۱۲۲ ۱۱ تادوسه
۳۱۹ ٤ تادهد دوغم
٤۳۲ ٤٦ تاربایدل
۸۷ ۳٤ تارسد در
٤٤۱ ۱۲ تارسد هیهای
۱۲۱ ۳۱ تارسی اندرجما
۲٦۷ ۲۲ تارسی اندرنفوس
۱۵۰ ۲٦ تارسیدآن
۲۷۷ ۲ تارسیدن در
۲۰۳ ۹ تارمیدی مرغ
۱۵۰ ۳۵ تارود آنجا
٤۱٤ ۲۲ تارودبالای
۱۷۵ ۲۰ تاروم من
۱۸۹ ۳۷ تازهاندپاش
۲۷۱ ۳ تارهدآن شیر
۲۱۱ ۲۹ تارهد از مرگ
۲۷٤ ۱۷ تارهدزین
٤۲۵ ۲۹ تارهی ازحبس
۲۵۹ ۵ تارهی ازفکر
۲٦۷ ۱۵ تارهی زین
۱٦۱ ۲۰ تارهیم از
۲۲۱ ٤ تا زبانم چون
۱۹۰ ۳۵ تا زبان مرغ
۳۲٦ ٤ تازبرگ
۳۹۳ ۳۵ تازبس
٤۰٤ ۲۰ تا زبسیاری
۲۲۵ ۳۸ تا زبون گردد
۲۱۷ ۲۷ تازجانها
۳۳۸ ۳۲ تازجرمت
۱۳٦ ۱۸ تا زجهل
۳۹۸ ۲۷ تا ز چرخ
۳۷۰ ۱۹ تازچونی
۷۳ ۲٤ تازدرویشی
۳۹۳ ۲۵ تازدلداری
۲۱ ۵ تا زراندودیت
۳۵٤ ۱۹ تازراه
۱۱۷ ۱۳ تازرنج
٦۹ ٤ تازروز و شب
۱۰۱ ۱۱ تاز زخم لخت
۱۰۱ ۱۰ تا ز زخم لخت
۳۸۰ ۲۱ تاز زرق
۱۲ ۳۲ تاز زهرو
۳٤۳ ۱۳ تا ز سحرآن
۲۰۱ ۳۹ تا زسکسك
۲٦۵ ۲٦ « ز شادی
۸۱ ۵ « زغیرت از
۲۱۹ ۳۰ « ز غیرت تیر
٤۰۵ ۲ « زفرزند
۲٤٤ ۲٤ « زفاروره
٤۲۹ ۳۲ « زکیفیات
۲۲٤ ۱۸ « زگرمی
٤۰ ۲٤ تازگی و
۳۹۲ ۳۰ تازگی هر
۱۲۷ ۱٦ تا زلالا
۳۸۵ ٤۰ « زلعبت
۲۵۵ ۳۵ « زمغرب
۵ ٦ « زمین وآسمان
۲۷۷ ۹ « زمینی
۷۲ ۱٤ « زنار
۳۷۲ ۲ « زنبض آگه
۱۲۷ ۲۷ « زند تیری
۳٤۹ ۱۵ « زنم من
۵٦ ۱٦ « زنبدآن
۲٤ ۲۸ تازه کن
٤۰۵ ۲ تازه میباشد
۲۹۲ ۱۲ تازه میگیر و
٤۱۹ ۳۰ تا زیادت
۲٦٦ ۳٤ « زیارب یا
۳٤٤ ۳۰ تازبان چون
۳۵۷ ٦ تازیانه از
۳۸٤ ٦ « اش
۱۰٦ ۳۳ « بر
۱۲۷ ٤۰ تا سبك گردد
۳۸٦ ۲۵ « سحرجمله
۲٤ ۱ « سخنهای
٤٤۳ ۳٤ « سرت رابر
۲۷۷ ۷ « سرخرچون
۲٦ ۲۱ تاسزای او
۱۸۹ ۹ « سقاهم
۱۰۸ ٤۰ « سقاهم ربهم
۱۳۵ ۳٤ « سلیمان امین
۲۹۲ ۳۳ « سلیمان گفت
٦ ۱٤ « سمرقند
۲٦۲ ۱۳ تاسوم چارم
٤۳۱ ۲۳ تاسوی دار
۹٤ ۲۰ تاسهٔ نوآن
۸۰ ۱۸ تاسهٔ توجذب
۹٤ ۲۱ تاسهٔ توشد
۱۰٤ ۳٤ تاسه شب خامش
٤۲٤ ۱۷ تاسهیلت
۱۰۸ ۱۳ تاشبانگه
۱۹۲ ٦ تاشبی بنورد
۳۳۵ ٦ تاشپش جویم
٤۱٦ ۲۵ تاشتابان
٤٤۵ ۱۸ تاشد آنجا
۱۲۲ ۳٤ تاشعار دین
۳٦۲ ۲۹ تاشما بی من
۱۵۰ ۲۸ تاشمارا رد
٦۲ ۲۲ تا شنیدیم آن
۱۷۰ ۱۹ تاشودآن
۳۰۵ ۱ تاشودایمن
۳۸٤ ۳۰ تاشود برتن
٦۰ ۱٦ تاشود پشتم
٤۰۰ ۳۳ تا شود پیدا
۲٤۱ ۱٤ تاشود زفت
۵۵ ۹ تاشودزین
۱۲۲ ۳۵ تاشود شب
۳۰ ۱۵ تاشودشیر خدا
۲۲۷ ۸ تاشودشیرین
۱۲٤ ۳۱ تاشود فاروق
۲۸۹ ۳۷ تاشود کم
٦ ۹ تاشودمحبوب
۱۰۵ ۱۸ تاشودمعلوم
۳۲۵ ۳ تاشوم غرق
۳۷۰ ۲ تاشوم من
۲۱۷ ۱٤ « شوی ایمن
۳۳۵ ۲٤ « شوی چون
٦۷ ۳۱ « شویم اعجوبهٔ
۲۷۳ ۲۸ « طبیعی خویش
۳۷۳ ۱ « عدمهارا
۱۱۷ ۱۱ « عذاب
٤۱٦ ۳۲ « عصارا
۹۲ ۲۸ « علاج
۱۵۰ ۵ « علف چند
٤٦ ٦ « عوض
۲۰٤ ۱۰ تا غذا کردی
۲٤۷ ۱۱ تا غذای اصل
۱۲۲ ۳۳ « غریبی یابد
۸۵ ۲٦ « غریبان
۱۷ ٤ تا غلاف اندر
۱۰۳ ۱٤ تاغلام خاص

صفحه	سطر	اول بیت
۱۱۷	۵	تافت زان
۳۷	۳۲	« نور
۲۶۴	۲۴	تا فرستد حق
۳۰۶	۱۴	« فرود آید
۲۵۴	۳۸	« فرو گیرند
۳۶۵	۴	« فزاید در
۳۶۹	۴۲	« فزاید قصر
۲۹۲	۱۵	« فزایدکوری
۱۵۴	۱	« فسرده‌می
۱۱۷	۲۸	« فضیحتهای
۲۵۹	۷	تاقیامت آن
۹۷	۱۳	« این
۱۵۶	۱۹	« باقیش
۳۸۳	۲۹	« تف
۱۹۵	۸	« گربگویم
۹۷	۱۲	« گر
۳۳۳	۲۶	« ماند
۱۴۱	۱۴	« میخورد
۲۰۶	۱۷	« میزند
۱۲۸	۱۲	« نیست
۱۸	۳	« هرکه
۱۵۷	۱۰	« هست
۲۳۶	۳۳	تا کتبهای
۳۸۴	۱۵	تا کجا آنجا
۱۳۹	۳۵	« بوی
۱۳۹	۳۴	« یابد
۲۷	۲	تا کجایست‌و
۳۸	۴	تا کدامش‌دست
۴۲۵	۱۳	« کدامین سوی
۲۴۰	۲	« غالب
۱۳۲	۱۴	« کرا باشد
۶۹	۲۰	« کسوف آید
۲۳۲	۲۶	« کسی درچار
۸۶	۴	« ندهد
۳۳۱	۲۶	« کشد بی
۳۸۴	۱۶	« کشی خندان
۷۲	۳	« کشیدت
۳۲۱	۱	« کف دریا
۲۸۹	۲۰	« کله برداری
۸۹	۳۶	« کوخ و سنگ
۱۱۸	۱۱	« کمال دانشش
۳۱۱	۵	« کند بهرش
۳۱	۲۰	« کند محبوسش
۲۴	۲۷	« کنون اختر
۱۷۶	۱۴	« کنون ازبهر
۱۹۳	۳۴	« کنون اندر
۱۷۶	۱۳	« کنون حلم
۳۲۷	۱۲	« کنونش‌فضل
۲۴	۲۶	تا کنون فرمان
۲۵۵	۱۸	« کردی‌چنین
۱۵۸	۵	« کردی و
۲۵۹	۲۶	« معبود
۶	۲۲	تا کنیزك
۳۱	۲۲	« کنی فهم

صفحه	سطر	اول بیت
۴۴۷	۲۴	تا کنی کسبی
۲۵۵	۲۴	« کمتر
۳۳۳	۱۰	« مرغبر
۱۲۸	۲۷	تا که آن بوجا
۱۲۸	۲۸	« آن‌بوسوی
۱۶۴	۴۱	« آن‌بیچارگان
۳۴۰	۱۱	« آید
۲۹۹	۲۰	« ابغض
۳۴۹	۲۴	« از تن
۱۰۳	۳	« از عمری
۱۷۹	۴۱	« از کهنه
۲۳۵	۱۲	« اصل
۷۴	۵	« اعطا
۱۵۱	۳۹	« امشب
۲۰۸	۳۰	تاکه‌این‌ترکیبها
۹۷	۲۸	« دیوار
۲۱۸	۳۰	« هردو
۳۳۳	۲۴	« هفتاد
۳۸۰	۲۴	تاکه‌بازان
۴۱۰	۸	تاکه‌باشد
۲۰۲	۱۱	« بر احمد
۱۳۰	۲۴	« بربندند
۶۸	۱۶	« بررهوار
۷۱	۱۰	« بس
۲۸۰	۲۸	« بفریبی
۳۷۳	۳۷	« بینایان
۴۴۶	۳۲	« بینی از
۱۰۰	۳	« بایم
۳۲۱	۱۱	« پشکی
۲۸۰	۲۸	« پیش از
۸۴	۱۹	« تتماجی
۲۵۶	۳۲	« تیشه
۱۶۶	۱۹	« جزواست
۱۲۹	۴	« جنبشهای
۲۱۷	۲۵	« چوبش
۶۵	۱۲	« چون در
۳۴۱	۱۵	« چون بامه
۵۴	۱۰	« حجتها
۲۰۴	۳۰	« خودرا
۱۰۳	۳	« خوفت
۳۱۳	۳۳	« در چاه
۳۷	۴	« درهرگوش
۳۱۴	۳۶	« رحمت
۱۰	۳۰	« روزش
۲۶۶	۴	« روزی‌کاین
۱۶۰	۳۳	« روزی‌ناگها
۲۷۳	۱۹	« رهبنود
۳۲۷	۳۸	« زفت و
۲۴۱	۲	« زوتر
۱۸۹	۳۳	« زیرك
۶۲	۸	« سازد
۳۷۱	۳۱	« سفرهٔ
۲۲	۱	« شاخ
۱۶۰	۲۸	« شددر شهر

صفحه	سطر	اول بیت
۳۷	۳	تاکه شیرینی ما
۴۲۵	۳۶	« شیرینی و
۳۳۸	۲	« شیطان
۳۶۶	۳	« صدیق
۱۲	۱۶	« عجز
۲۷۴	۳۳	« عدل
۲۷۷	۲۵	« عین
۳۴۹	۳۱	« غسل
۲۸۲	۵	« غناری
۳۸۴	۲۶	« فرعونرا
۲۱۶	۱۲	« قلب و
۲۰۶	۱۱	« قوالی
۲۳۵	۱۳	« کرّو
۳۴۳	۲۱	« گردد
۴۲۱	۱۹	« گفتارت
۲۹۱	۳۰	« لعنت
۱۰۲	۱۶	« لقمان
۶۲	۲۲	« ما از
۴۲۱	۲۲	« ما ینطق
۲۸۹	۱۶	« مرداری
۲۹۹	۲	« مردانی
۲۹۴	۲۴	« مستانت
۲۶۸	۳۵	« معشوقت
۲۳۸	۸	« من باشم
۹۱	۱۵	« موسی
۲۰۴	۱۴	« مهمان
۲۲۰	۱۴	« می خورده
۶۴	۲۶	« ناموسش
۵۹	۱۵	« نان
۵	۲۹	« نبض
۹۷	۶	« نفریبد
۱۸۲	۳	« نفس
۹۸	۱۲	« نور او
۴۲۲	۲۷	« نور چرخ
۲۱۶	۱۲	« نورش
۳۲۴	۱۸	« هذا
۷۲	۲۰	« هیزم
۳۸۰	۲۴	« یهالك
۳۲۲	۶	تاکی ازجامه
۲۸۳	۲۶	« ای قانع
۴۳۰	۴۷	« این راه
۴۵	۲۰	تا گره بانی
۱۳۵	۳۰	« گره بندیم
۲۸۰	۲۲	« گریزد او
۳۸۴	۳۱	« گریزی از
۳۵۵	۲۶	تاگشاید دخمه
۲۸۸	۷	« عقدهٔ
۲۹۷	۱۴	« قفل و
۱۴۲	۳۲	تا گلستان شان
۵۳	۲۰	« گمان آید
۴۰۸	۲۸	« گمان آید که
۱۷۶	۲۸	« گناه وجرم
۲۸۱	۲۸	« گواهی بدهم
۵۳	۱۷	« گواهی‌داده

صفحه	سطر	اول بیت
۲۹۲	۸	تا لب بحر
۳۹۲	۲۸	« لب جو
۱۱۶	۸	« لگد بر تو
۲۷۹	۲۸	« مبادا باغئی
۳۲۹	۵	« مبادا کین
۱۲۲	۳۲	« مبارك
۹۳	۳۵	« مبدل گشت
۱۵۸	۲۱	« مثنی بشنوم
۱۰۸	۲۶	« محال از
۵۳	۲۴	« محبت در
۴۰۷	۱۸	« مدد گیرد
۴۳۷	۳۱	« مرابازآمدن
۲۹۳	۱	« مرا بوبکر
۴۱۴	۱۳	« مراد من
۴۳۷	۲۷	« مرا رفتن
۲۲	۱۵	« مرا زینجا
۱۱۳	۳۷	« مرا صحت
۴۴۲	۳۵	« مرا قدری
۳۰۵	۱۷	« مسبب‌بیند
۳۱۲	۵	« مشرف
۲۹۱	۹	« معبت
۳۵۲	۲۹	« مگر زین
۳۰۵	۲۵	« ملائك را
۵۴	۱	« ملك
۲۷۳	۲۸	« منافق
۲۷۶	۲۰	« من و ما
۳۷	۲۲	« من‌وتو ها
۲۶۱	۲۸	« من‌وتوهر
۲۱۰	۱۹	« موکل‌نشنود
۲۲۰	۱۹	« میان اندر
۱۲۴	۲۶	« میان قهر
۱۱۴	۱۶	« میسر
۴۲۴	۶	« نباشد از
۱۰۴	۲۳	« نباشد برق
۱۷۴	۲۵	« نباشدربلا
۱۲۴	۱۱	« نباشدراست
۱۰۴	۲۳	« نباشد گریه
۴۱۶	۲۶	« نباشد هیچ
۴۳۷	۴۱	« نباشم من
۴۳۳	۴	« نباشی از
۲۴۱	۳۶	« نباشی‌همچو
۱۴۴	۱۴	« بایددیگران
۱۴۷	۲۸	« نباید گرگ
۳۷۲	۳۳	« نبرد تبغت
۲۵۳	۱۵	« نبشکافی
۳۵۵	۲۷	« نبندد دخمه
۲۸۰	۲۷	« نبیند خصم
۲۵	۱۳	« نبیند دل
۱۹۱	۱۴	« نبیندکودکی
۴۴۴	۳۰	« نبینی در
۱۹۳	۱۲	« نبینی نور
۲۷۴	۲۲	« نپنداری
۷۹	۱۶	« نپوشدروی
۳۳۵	۲۸	« نپوشدستر

صفحه	سطر	اول بیت
۱۶۸	۱۵	تا نپیوندد
۲۳	۱۶	« ندند شیر
۳۵۳	۱۲	« نجوشددیگها
۱۱۳	۳۹	« نخسبم
۲۹۹	۲۱	« نخوانی‌لا
۳۰۶	۱۶	« نداندخویش
۴۰۴	۷	« ندرد پردهٔ
۱۷۳	۲۴	« ندّرددامنت
۳۵۹	۱۲	« ندزددمرکبت
۲۷۹	۶	تا ندش‌پوشید
۱۲۵	۳۸	تا نرویدریش
۶۹	۱۳	« نزاد او
۷۹	۱	« نزاید
۱۸۹	۶	« نزاید طفلك
۹۸	۱۹	« نسوزد او
۲۵۳	۱۶	« نسوزدخلطم
۳۶۱	۳۴	« نسوزم‌کي
۹۲	۲۲	« نسوزی
۱۳	۸	« نشان حق
۳۱۳	۱۱	« نشد او
۲۵	۱۱	« نشد بر
۸۸	۱۰	« نشد تحقیق
۱۳۲	۳	تا نشد زر
۲۶۷	۲۱	تا نفخت فیه
۶۸	۴۱	تا نقوش
۲۵۳	۱۹	تا نکوبی‌گندم
۳۴۶	۳۵	تا نگردد او
۲۸۹	۳۹	تا نگردد تیغ
۲۳۰	۲۲	تا نگردد خسته
۵	۱۶	تا نگردد خون
۴۰۴	۶	تا نگردد راز
۴۳۷	۳۰	تا نگردد سعی
۳۹۱	۸	تا نگردد فوت
۳۳۳	۲۴	تا نگردد مازم
۹۲	۱۰	تانگرددنیکوئي
۴۰۴	۷	تانگردد هیچکس
۳۶۴	۳	تا نگردی‌این‌تو
۹۰	۳۱	تا نگردی‌تو
۴۱۹	۲۲	تا نگردی زاین
۳۱۲	۷	تا نگردی‌غرق
۸۵	۱۵	تا نگرید ابرکی
۲۸۱	۷	تا نگرید ابرکی
۸۶	۱۳	تا نگرید کودك
۳۶۳	۲۷	تا نگشتنداختراز
۳۰۱	۱۱	تا نگوئی دیدم
۱۳۸	۱۰	تا نگوئي سر
۱۳۲	۲۱	تا نگوئی‌مرمرا
۱۱۵	۲۴	تا نگوید دزد
۲۲۲	۱۰	تا نگهداردترا
۴۰۸	۳۴	تا نگیرد آن
۱۱۷	۳۸	تا نگیردمادرازا
۲۱۲	۱۴	تا نلرزدعرش
۸۵	۳۵	تا نماز دیگر
۵۸	۲۲	تا نماند بر

صفحه	سطر	اول بیت
۳۲۶	۴۰	تماندتیرگی
۱۹۳	۱۷	« «درتفکر
۹	۲۲	« «در جهان
۱۶۷	۳۴	« «هیچ
۴۱۹	۳۱	« مانی تو
۲۰	۳	« « صفر
۹۸	۲۸	« نمردست
۳۶۱	۴۰	« نمیبینم همی
۳۴۳	۱۶	« نمیردتن
۳۱۷	۱۷	« « هیچ
۱۰	۳۰	« نمیرم‌من تو
۱۶۴	۳۸	« « من‌مگو
۴۰۸	۱۳	« نمیری‌سود
۳۶۳	۲۳	« « نیست
۳۲۴	۵	« ننوشم
۱۲۵	۳۷	« نهٔ ایمن
۶۴	۱۸	« نه پنداریکه
۱۲۵	۱۵	« نیابیده
۲۹۳	۴	« نیاری‌سجده
۳۴	۳۱	« نیاموزد
۲۰۷	۱۵	« نیامیزد
۷۴	۳۰	« نیایدبرمن
۲۵۰	۳	« نیایدبرولا
۲۴۲	۲۳	« « وحی
۲۱۲	۲۰	« « هردو
۲۰۰	۲۲	« نیفتدبانگ
۳۵۶	۴۰	« نیفتی‌چون
۳۵۳	۱۵	« نیندایند
۱۲۶	۴۱	« هلاك قوم
۸۰	۳۴	« هلال‌روزه
۵۹	۱۶	« هیبه
۲۴	۲۸	« هواتازه
۲۴۷	۲۴	« همارەدوست
۷۳	۶	« هم ایشان
۳۱۶	۱۹	« همه تن
۲۷۴	۲۹	« همه‌زان
۴۱۷	۳	« همه زوار
۲۰۹	۲۲	« همی خائید
۲۸۶	۷	« « سوزید
۱۳۴	۴	« « گفت
۳۵۶	۲۹	« یقین‌شدمر
۲۲۱	۳۲	« « گردد
۲۴۶	۳۲	«یکی‌روزی‌بیامد
۳۳۲	۳۸	« یکی‌روزیکه
۸۰	۳۱	« « مو
۲۰۰	۲۰	« « مهمان
۱۲۳	۲۰	« « یاری‌ز
		ت ـ (ج ـ خ)
۳۲۳	۱۶	تجربه‌کر
۱۶۱	۳۰	« و تعلیم
۲۲۴	۷	تخت او سیار
۷۱	۲۸	« دل
۴۰۸	۲۷	تختها بر
۲۲۷	۳	تخته‌بنداست
۲۹۳	۸	تختهٔ مرده
۴۰۷	۳۵	تخم‌ازمن
۹۵	۲۷	« اول
۸۷	۲۵	« باطل
۱۳۶	۱۰	« بطی
۱۲۰	۲۶	« تو بد
۵۴	۶	« خدمت
۱۲۵	۱۸	« دولت
۱۰۷	۲۰	« مایهٔ
۳۷۱	۳۵	« نادر
۸۵	۲۳	تخمهامیکاشت
۴۲۵	۲۹	« ی‌عمر
۱۶	۳۲	« ی‌فتنه
۳۸۸	۵	تخمه‌بودند
		ت ـ (ر ـ ز ـ س)
۳۲۳	۱۶	تربیهٔ‌آن
۲۰	۲۴	ترتقی‌انقاسنا
۴	۲۲	ترجمان‌هرچه
۱۸۰	۳۵	ترس‌ترسان‌باز
۲۲۶	۲۸	« « که
۲۵۰	۳	« جان
۳۲۷	۲۶	« جوع
۳۹۰	۳۰	« دار
۲۲	۱۶	« درویشی
۳۶۳	۳	ترسم ارخامش
۳۱۲	۳۸	« ای فصاد
۳۱۵	۴۰	ترس‌موئی
۱۴۱	۷	« وعشق
۳۸۵	۲۱	« ولرزه
۱۰۹	۸	« ونومیدیت
۲۱۱	۲۹	ترك‌آن‌کردیم
۲۲۷	۳	« « گبرید
۳	۱۶	« استثنا
۳۰۴	۱۸	« اغلب
۲۳۳	۲	« این‌تزویر
۲۱۹	۳۷	« « تون
۱۸۰	۳۱	« « چشمه
۳۸۷	۱۳	« « سخته
۱۹۰	۱۹	« « سودا
۳۰	۴	« « شرب
۲۳۷	۲۱	« « فکر
۳۸۱	۳۷	ترکتازی‌تن
۴۳۹	۲۱	ترك‌ترك
۲۰۹	۵	« جلدی
۴۹	۷	« جنگ و
۱۹۷	۲۱	« جوشی
۸۶	۲۲	« چون‌باشد
۱۰۲	۲	« خدمت
۳۴۷	۵	« خشم و
۳۷۸	۱۱	« خنده
۲۶	۵	« خواب و
۱۲	۲۱	« دنیا
۳۷۷	۲۷	« راآن
۳۷۷	۳۶	« را از
۱۰	۲۶	ترك‌روزآخر
۱۱۹	۳۰	« سجده
۱۱	۱۲	ترکش عمرش
۴۰۰	۱۴	ترك‌شکرش
۲۷۳	۳۴	« شهوت‌کن
۹۸	۳۱	« « ها
۱۰۷	۲۶	« عیسی
۱۲۸	۱۶	« کرد
۴۱۳	۱۱	« کرکس
۱۶۸	۲	« کفرش
۴۳۳	۱	« کن‌این‌رنگ
۳۳۳	۶	« «جبر
۳۳۳	۵	« « «جبر
۳۱۴	۳۸	« « تا
۳۶۲	۳۱	« « زیرا
۳۳۳	۶	« « معشوقی
۱۷۳	۱۱	« گل
۲۶۵	۱۴	« گیرد
۲۳۰	۱۰	« مال و
۳۲۹	۹	ترکمان را
۵۳	۲۷	ترك‌ماهیات
۴۳۹	۴۲	« مست‌از
۴۰۸	۱۲	« مکر
۳۰۵	۲۳	« من‌گو
۳۳۰	۳۰	« میگوید
۱۴۳	۱۰	« وردی‌که
۳۲۹	۱۸	« هم‌گوید
۴۷	۳۴	ترهات‌ازدعوی
۳۸۳	۱۴	« چون
۲۰۸	۲۶	ترّی تن‌را
۲۸۳	۴	ترکیه باید
۴۴۸	۳	« چون
۲۱۹	۲۶	تسخروطنزی
		ت ـ (ش ـ ف ـ ك ـ ل ـ ن)
۵۶	۲۵	تشنه آمد
۹۷	۱۷	« ای‌مستسقی
۴۴۴	۳۰	« داند
۱۳۳	۲۹	« راچون
۲۲۸	۱۸	« « خود
۱۳۶	۱۹	« « درد
۲۱	۴	« « گر
۳۲۸	۷	« شد از
۳۶	۲۹	تشنگان‌گر
۹۷	۲۱	تشنه‌گفت‌آبا
۴۱۱	۳۳	تشنگیش از
۳۲۱	۹	تشنهٔ محتاج
۲۰۸	۱۲	تشنه میناله
۲۷۷	۱۰	تفرقه برخیزد
۲۴۸	۱۹	« جویای
۸۲	۸	« در
۷۰	۳۴	تك مران
۴۳۱	۳	تکیه‌اش‌برباد
۴۴۰	۴۳	« برافیون
۲۳	۴	« «جبار
۴۰۸	۳	تکیه‌بر عقل
۱۵۴	۳۳	« « وی
۳۷۰	۳۲	« کردی
۳۹۳	۱	تلخ‌آمدبر
۱۴۶	۸	« از شیرین
۸۳	۳۱	« با تلخان
۷۵	۲۴	تلختر از
۴۱۳	۱۹	تلخ خواهی
۳۰۸	۱۳	« کی باشد
۲۰۳	۳۹	« گردانم
۳۰۸	۹	« نبود
۲۱۷	۲۹	« وتیزو
۵۲	۲۰	« وشیرین‌زین
۲۰۲	۳	« « گر
۳۴۸	۲۳	تلخی‌هجراز
۲۱۸	۱۸	تن‌بجان جنبد
۱۵۶	۲۲	« بخفته
۲۴۳	۳۷	« برهنه
۴۴۲	۴۶	« «
۳۸۴	۳۶	تن‌بمردت
۲۹۰	۲۳	« بوداما
۳۶۴	۳۲	« به‌پیش
۳۱۱	۴	« چواسطرلاب
۱۷۱	۲۷	« چو اسمعیل
۲۸۱	۱۲	« « با
۳۷۳	۲۵	« « شد
۶۹	۱۰	« « مادر
۱۷۲	۸	تندبادی
۳۳۷	۲۰	تن زآتشهای
۴۰۵	۵	« زاجزاء
۲	۴	« زجان و
۲۸۱	۱۴	« زسرگین
۳۶۷	۳۴	« سپید و
۱۸۸	۳۰	« شناسان
۳۶۶	۲	« فدای
۳۸	۲۶	« قفس
۳۷۷	۳۰	تنگ بالابهر
۶۲	۹	« ترآمد
۲۹۲	۳۸	تنگشان آورد
۲۴۰	۳۲	تنگ‌شدبروی
۳۲۸	۲۳	« گرداند
۱۲۷	۶	« وتاریك
۳۹۹	۱۹	تن‌مبین و
۳۶۹	۳۱	« منارهٔ
۶۵	۱۰	« همی نازد
		ت ـ و
۳۰۴	۳۴	توازآن‌اعراض
۱۶۵	۲	« بگذشته
۴۰۲	۹	« خود
۲۹۲	۲	« روزی
۴۱۱	۲۲	« مرغ
۱۵۵	۱۰	« اینسو
۴۳۴	۸	توازو مگسل
۲۳۶	۲۱	تواگرانگشتری
۲۳۳	۱۹	تواگرخواهی
۱۵۶	۲۱	« درزیر
۲۴۴	۲۰	« شبی
۴۰۹	۱۵	« صد
۳۴۸	۳۰	تواناربی
۲۷۹	۶	تو ببخشابر
۲۹۷	۱۷	« بینداچشم
۱۰۴	۳۱	« بینی خواب
۱۷۵	۹	« بپرس‌از
۲۵۴	۳۰	« بتأویلات
۱۳۶	۱۵	« بتن‌حیوان
۱۹۲	۳۴	« بجای‌آن
۳۵۶	۱۱	« « مادری
۲۳۷	۱۶	« بجدکاری
۳۲۲	۱۹	« بحال
۲۸۰	۹	« بخشم‌شه
۳۸۱	۵	« بخوان‌آنرا
۴۳۷	۲۷	« بخواهی
۳۷۹	۱۳	« بدان‌رنگی
۷۷	۳۰	« « عادت
۱۵۴	۱۱	« « غرّه
۲۵۹	۳۴	« « فخری
۲۲۰	۳۴	« « مانی
۲۱۴	۲۴	« « نادر
۳۶۴	۷	« « نیت
۳۳۷	۱۳	« بدلق
۱۳۲	۴۰	« بدمرکت
۲۷۱	۲۱	« بدین‌تزویر
۱۸۶	۲۵	« « دکان
۳۴۶	۷	« « سستی
۲۳۰	۲۵	« برآن‌عاشق
۳۲۶	۴۱	« «آنی‌هر
۴۳۶	۱۰	« « آوردی
۳۱۲	۵	برادرموضع
۴۴۷	۲۷	« برای‌جان
۳۷۳	۱۷	« براین تخت
۱۰۶	۱۰	« برای‌وصل
۳۲۷	۳۰	« برفتی‌ماند
۶۰	۳	« برو در
۴۰۳	۳	« برون شو
۳۹۷	۲۱	« برمگفت
۴۳۹	۳۰	« برهنه‌گوی
۳۳۱	۹	« برین عذر
۲۹	۱۰	« بزن‌یاربنا
۴۳۵	۴۳	« بزه نازی
۲۷۲	۳۸	« بزیر او
۴۳۴	۲	« بسحرگاهنان
۱۷۷	۴	« بسه سنگ
۲۷۴	۳۱	« بسی‌کردی
۲۵۱	۳۳	« « گاوان
۳۰۵	۳	« بصد
۱۳۴	۳۶	«بصورت‌رفته‌ای
۱۳۴	۳۷	« « « کم
۴۳۹	۱۲	« « کم

صفحه	سطر	اول بیت
٤٤٣	٢٠	تو بصورت منگر
١٣٦	١٣	« بطی بر
٣٧٧	٢٤	« بعقل خود
٣٣٠	٣١	« بعکس آن
١٢٨	٢٠	« بعکسی پیش
١٤٣	١	« بفرمودی که
٢٣٣	٢٣	« بکردی او
٢٩٣	٢١	« بگردی سالها
١٨٠	١٣	« بگوئی آفتابا
١٨٤	٢٧	« « فال بد
١٨٤	٢٩	« « «
١٧٣	٣٦	« « مرد
٢٩٣	١٩	« « نك
١٦١	٣٢	« بگو دادهٔ
٣٠٤	٢٨	« بگو نك
١٤٣	٠٧	« بماندی در
٢٣٣	٣٧	« بمانی چون
٤٣٥	٣٨	« بمن بنما
١٧١	٧	« بنادر
٤٨	٩	« بناه
٣٧٧	٩	« بنشنیدی
٢٢٦	٨	« بنور او
٤٠٥	٢٩	توبه آرندو
٣٣٥	٢	تو بهاری ما
٣٢٣	١٣	توبها کرده است
٣١٧	١٥	توبه‌ام بپذیر
٣١٦	٣٣	توبها میکرد
١٣	٣٩	توبهانه میکنی
٢٩٢	٢٦	توبه او جوید
٣٢٣	١٣	« او را
٣٦١	٥	« بی توفیقیت
١٦٥	٢٢	« بینی
٢٥٥	٣٥	« را از
٣٦٦	٢٩	« « بار
٣٦٦	٨	« « زین
١٥٩	٤٣	تو بهر حالی
٢٢٩	٧	« « صورت
٢٥٥	٤	توبه کردم از
٣١٨	١٢	توبهٔ کردم حقیقت
٣٦٦	٧	توبه کردن
٣٦٧	٢	« کرم و
٣٢٢	٢	« کن اشك
٢٩٩	١٧	« « بیزار
٣٥٨	٣٢	« « مردانه
١١٠	١	« « وز
٣٥٧	١٢	« می آرند
١٣٠	٣٣	« نندیشد
٢٩٨	١١	تو بیك خواری
٣٩٠	٣٢	« بی دفع
٧٧	٢١	« تبار و اصل
٤٩	١٧	« تبر آکن
٧٧	٢٠	« ترازوی
٥٩	٣٦	« تقرب جو
١٤٨	١٤	« توهم میکنی

صفحه	سطر	اول بیت
٣٧٨	١٥	تو تمنا میبری
٩٦	٢١	تو تبای کبریائی
٨٨	٢	تو جگر بندی
٤٧	٢٦	« جوان بودی
١٥٥	٣٧	« جهان راستان
٣١١	٧	« جهان را
١٢٢	٢٠	« جهت گو
٣٨٩	١٧	« جهود از
١٢١	٢٤	« چرا بیدار
٣٦٨	٢٥	« « تنها
٣٩٣	٧	« « مارا
١٤٩	٢٢	« چنان جلوه
٤٤٢	٢٢	« « کن که
٣٣٥	٢	« چوجانی
١٤٨	١٣	« چو خودرا
٢٠٧	٦	« چو عرم
٣٣٥	٣	« چو عقلی
٢٤٥	٣٣	« چو کرمی در
٣٤	٢٩	« چو گوشی
١٣٥	١٣	« چو موری
١٣٤	٤١	« چه برجستی
٢٣٦	٣٠	« چه داروئی
٢٧٠	٢٠	« چه داری که
٩٣	٣٠	« « « و
٢٣٨	٢٤	« چه‌دانی ای
١٣٦	٥	« چه‌دانی بانگ
٢١٤	٩	« چه‌دانی تا
٣٥	٣	« چه‌دانی ذوق
٣٥	٤	« « «
١٢٧	١٦	« « «
١٨١	١٩	« چه‌دانی سر
١١٧	١٧	« چه طاقت
١١٠	٣٩	« حریصی بر
٩١	٣٦	« حسودی
٤٠٠	٢٦	« حیاتی میدهی بس
٤٠٠	٢٥	« « « در
١٢٦	٣١	« خراحمق
١١٣	٤٣	« خلافش
٢٧٩	١٨	« خلیل وقتی
١٢٠	٤٢	« خوری حلوا
٣٣٩	١٤	« خوشی و
١٢٢	٩	« در این خبر
١٠٢	١	« درشتی کن
١٨٢	١٧	« درون چاه
١٦٢	١٢	« « خانه
٤٢٩	٤٨	« درین بحر
٢٠٤	٢٩	« « جوشش
٢٦٣	٩	« درین مستعملی
١٧٣	٧	« دلامنظور
٢٩٣	١١	« دل خودرا
٣٥٦	٢٠	« دلش خوش
٣٨٤	٣١	« دوقله
٣٧٢	٣٥	« رسن بازی
١٣١	٣٦	« رغبت

صفحه	سطر	اول بیت
٣٠٧	٣٨	تو روا داری خدا
٣٣٢	١٥	« روا
١٤٤	٢٧	« « که آیم
٣١٥	٢٤	« « که آن
١٧٥	١٣	« « که من
٨٣	٣٣	« رهائی جو
١١٢	٢	« زاوفوا
٢٧٠	٢٨	« زاولاد
٢٩١	١٢	« زبونی با
٢٠٧	٧	« زبیم بانگ
٢٠٤	٢٥	« زتلخی
٢٩٧	١٥	« زجائی
٣٢٢	٣٠	« زچرخ
٣٠	٢٤	« زچشم
٢٥٦	٣٥	« زحسرت
٤٣٢	٢٩	« زحق بگذشت
١٢٠	٤١	« « ترس
٣٦٤	٣٥	« زخرمنهای
٢٣٣	٣٨	« زخودکی
٢٠٧	٣٠	« زخودمی
٢٠٦	٥	« زدوری دیدهٔ
٢٠٦	٥	« زدوری می نبینی
٢٠٢	٧	« زرعنایان
١٠٦	٢٠	« زسرمستان
٢٣٢	٣٩	« زشادی
٢٦٦	١٨	« زشح و
٤٢٩	٤٥	« زشنبه
٤٠٥	١٤	« زصد
٢٧٠	٢٦	« زضعف چشم
١٣٣	٧	« زضعف خود
١٨٨	٥	« زطفلی
٣٣٨	٣٣	« زغفلت
١٥	٧	« زقرآن باز
١٣٦	١٣	« زکر منا
٢٤٨	١٠	« زگفتار
١٢٠	٤١	« زمن باحق
٢٤٧	٣٨	« ستوری
٢٥٥	٣	« ستیزه روی
٢٥٨	١٤	« سزائی در
٤٤١	٣٤	« سزاوار
١٦٩	١	« سفر کردی
٣٣٠	٣٢	« سگی باخود
٢٣٧	٧	« سلیمان وار
٤٤٦	٢٩	تو سن فکرت
٤٣٣	٣٩	تو سیه دل
١٠٧	٣٣	« شب و روز
١٠٥	١٢	« شدی بیهوش
٤٠١	١٣	« « سوی
٢٧٤	٣٦	« « غافل
٤٤٠	٤٠	« شعیبی
١٥٤	٤	« صمع داری
٤٤٦	٢٧	« عجب داری
١٩٥	٢٦	« عدو او
١٧٩	٣٢	« عدو این

صفحه	سطر	اول بیت
٣٣٧	٣٨	تو عدو را
٣٥٠	١٩	« عدوی وز
٣٠٢	٢٨	« عذاب الغزی
٣٥٨	٢٥	« عسل خوردی
١٠٧	٣٤	« عسل ما
٧٥	٣٣	« عصا کش
٤١٤	٢٤	« عطا
١٧٦	٣١	« غلامی
٢٩	٣٢	« فرشتهٔ آسمانی
٣٠٦	٣٣	« « رحمتی
١٩٩	١٨	« فسرده
٣٢٨	٣٨	« قبامیخواستی
١٣١	٣٠	« قلاوزی
٦٦	٩	« قیاس از چرخ
٣٧	٣٠	« « از حالت
٧	٢٠	« « از خویش
٣٠١	١٢	« قیاسی گریه
١٨٢	٣١	« « گبر
٤٠٠	٤٠	« کجائی تابری
٤٠٠	٣٩	« « تا بصد
٤٠٠	٣٩	« « تادوصد
١٠٥	٢٦	« « تا شوم
١٠٥	٢٧	« «تاکه خدمتها
٤٠٠	٣٨	« «تاکه خندان
٤٠٠	٤٠	« « تامرا
١٢١	٣٦	« کجا در
٣١١	٦	« کرا مطرلاب
١٠٩	٢٧	« کم از خرسی
٢٩١	١٤	« « مرغی
٧١	٣٠	« که باشی
٣٣٢	٢٩	« « پنجه سال
١٥٩	٧	« « بی دردی
١٧٤	٣٥	« « بینائی
٣٧٢	٣٢	« « تریاقی
٣٢	٣٧	« « جزوی
٤٩	١٦	« « درجان
٢٥٤	١٣	« « فرعونی
٣٠٧	٢	« « کان
٢٣٣	٢١	« « کرد
٢٨١	٥	« «کلی خوار
٢٨١	٤	« « « خاضع
٩٨	٦	« « میگوئی
٣٦٦	٢١	« « یکجزوی
٣٩	٢١	« « یوسف
٧	١١	« گمان کردی
٤٣١	٤٠	« گناه خود نهی
١٩٢	٣٢	« گناهی کردهٔ
١٢١	٣	« گنه بر من
٥٥	٢	« گواهی
١٢٠	١٦	«گیاه واستخوان
١٢٠	١٧	« « «
١٦٨	٣٩	تو مبین این پایها
٣٧٨	٢٢	« « اینوافها
٣٧٨	٢٢	« « تخسبر

صفحه	سطر	اول بیت
٢٠٦	٣	تو مبین زافسون
٢٠٦	٤	« زافسونش
٣٧٨	١٧	« قلابی
٢١٤	٣٣	« که بر
٢٠٦	٤	« مبین مرآن
١٥٤	٢٧	تو مترس و
٩٨	١٣	« مثال دوزخی
٣٣٥	٣	« مثال شادی
٢٣	٥	« مجو بدنامی
٣٤١	٢٢	« مخوان دو
٤٨	٢	« مخوانم
٤٤٣	٢٦	« مخور مشنو
٩٦	١٥	« مرا باور
٢٤	٢٢	« مرا بگذار
١٢٢	٩	« مرا بیدار
٤١٦	١٧	« مرا پردرد
١٠٨	١٧	« مراجویان
٢١٩	٢٨	« مراچون بره
٤٩	١٣	« مرادردرد
٣٣٣	٨	« مراگوئی حسد
٣٧٠	٢٠	« « که
٣٦٨	٢٦	« مرامیدار
٤٣٥	٤٢	« مرا هرگز
١٣١	٣٣	« مری با
٤٧	٢	« مریدو
٣٨٩	١٨	« مسیحی
٢٩٨	١٥	« مشوغره
١٤٩	٩	« مشوهیچ
١٢	٢٦	« معسر از
١٤٢	٣٠	« مغفل رشتهٔ
٨٨	٣٦	« مکانی
٥٣	٥	« مکن باغیر
١٩٨	٣٥	« مکن تهدیده
٢٣٣	٢٢	« مکن در کرد
٢٨٥	٢٧	« مگر آئی و
٥	١١	« مگر خود
٣٨	٣٠	« مگو آن مدح
٤٢٨	٢٢	« مگو با خود
٣٤١	٢٣	« مگو فرعیست
٣٧٠	٤	« مگو کو بنده
٣١	٢٨	« مگو کاین مس
٣١	٢٧	« « « نافه
٥٠	٢٨	« مگو که من
٣٩٦	١	« مگو گندم
٧	٥	« مگو مارا
٢٤٤	١٢	« ملاف از
٤٣٦	٢٦	« منه انگشت
٢٢١	١	« منی من
٧٤	١٨	« منی و
٣١٢	٣٥	« نبردی بوی
١٣٩	٢٨	« نبینی برگها با
١٣٩	٢٩	« « « را
١٣٩	٢٩	« « لبك
٢٥٣	٤	« نثانی ابروی

صفحه	سطر	اول بیت
۲۹۱	۲	تو نتانی کر
۴۰۵	۲۵	« نترسیدی
۱۴۲	۱۴	« نخواندی
۴۰۷	۳۵	« ندانی
۴۳۵	۲۸	« ندیده
۹۴	۱۶	« نشانی
۳۸۴	۳۵	« نظر
۱۹۲	۱۲	« نکردی قصد
۷۷	۱۸	« نگاریده
۱۵۸	۱۷	« نگنجی در
۳۵۴	۸	« نگوئی من
۴۰۰	۲۳	« نمردی
۱۹۸	۳	« نمی‌بینی که یار
۲۶۱	۲۲	« « هلال
۱۸۷	۱	« نمیدانی که آخر
۱۲۴	۳۶	« « « آن
۱۸۷	۲	« « « از
۷۲	۱۰	« « « خصما
۲۸۱	۸	« « « دایه
۱۶۵	۳۶	« نمی‌گریی
۱۳۱	۸	« نمیگفتی که
۳۲۹	۱۸	« نمی‌یاری
۱۰۷	۳۷	« نه آن
۴۳۵	۳۰	« نه ازو الجروح
۴۴۷	۱۸	« نه اندر
۸۰	۱	« نه این باشی
۳۶۴	۳۶	« نه این جسم
۳۲۷	۲۸	« نه زان
۴۱۵	۱۳	« « زاینجا
۱۶۵	۱۸	« نیائی در
۸۸	۳	« « و
۲۲۰	۱	تو نیان را
۱۲۵	۳۹	تو نیفتادی که
۱۱۶	۱۶	« ورای عقل
۳۶۷	۱۵	« وکیلم
۲۵۵	۱	« هلا در بند
۲۴۶	۲۴	« هم از بیرون
۳۹۸	۳۲	« هم از دشمن
۱۷۳	۳۸	« همان دیدی
۱۰۷	۳۴	« « کن که
۲۲۱	۲۳	« هم ای عاشق
۲۲	۲۱	« همه کار
۴۲۵	۱۲	« همی آموزیم
۴۳۶	۱۶	« « بینی
۲۲۶	۲۹	« « ترسی
۱۴۰	۲۷	« « خسبی
۱۷۵	۲	« « دانی و
۱۵۸	۱۵	« « دانی
۸۸	۶	« « گفتی
۱۸۴	۳۳	« گوئی خش
۴۲۰	۳۷	« « عجب
۱۹۲	۳۲	« « که من
۳۲۸	۲۷	« « که مو
۱۷۳	۸	« « مرا

صفحه	سطر	اول بیت
۱۹۷	۳۷	تو همی گیری
۲۹۶	۲۰	« هنوز از
۴۰۷	۳۸	توی آخر
۲۴۶	۳۳	« بر تو
۴۰۷	۳۷	« بیگانه
۴۰۷	۳۸	« تو در
۱۲۲	۲۶	تو بقین میدان که
۳۸۴	۶	« « «
۹۱	۳۴	« یکی بنگر
۱۵۷	۳۶	« « تو
۲۷۲	۱۴	« « شاخی
۳۲۸	۳۷	قصر و
۲۵۱	۳۲	« « مرغی
		ت [ه-ی]
۳۷۲	۲۴	تهدکه است
۳۱۴	۱۸	تهمتی بر بنده
۲۰۳	۴	« تر ما
۱۱	۱۱	تیر اندازد
۱۲۷	۲۶	« اندازی
۴۳۵	۳۱	« بگشاد
۹۹	۱۳	« پر آن
۳۴۲	۴۳	« خوردن
۴۳۵	۳۹	« درپیش
۱۴۷	۲۹	« را بگشاد
۹۹	۱۳	« رامشکن
۴۰۶	۱۹	« سوی راست
۴۰۷	۳۱	« غمزه
۳۳۸	۳	« قهر
۴۳۶	۳۳	« گفتم
۴۴۱	۳۳	« وهم
۱۴۵	۲۸	تیرها پران شده
۱۴۵	۲۸	« « کمان
۲۵۵	۱۸	تیره کردی
۲۱۱	۸	تیز چشم آمد
۲۸۶	۳۴	« چشم و
۴۱	۲۷	« گوشان
۴۱۴	۱۹	تی شود
۱۷۵	۲۳	تیشه در هر
۶۶	۷	« را
۳۴۳	۳۱	تیغ آن تیغست
۲۶۰	۳	« بهر اوست
۴۱۲	۱۰	« جانها را
۱۷	۵	« چوبین
۴۳۶	۱۷	« چون بینی
۱۹۲	۱۹	« حرمت
۷۷	۲۴	« حلم از
۷۳	۱۱	« حلمت
۷۴	۳	« حلمم
۲۳۸	۳۸	« دادن
۱۹۰	۱۳	« دردستش
۱۷	۶	« درزراد
۲۸۸	۲۵	« لادر
۴۳۶	۱۹	تیغ و تیر

صفحه	سطر	اول بیت
		ث-ا
۲۱۳	۱۳	ثالثا تا از
۴۲۸	۱۹	ثالثش باشد
۲۵۶	۱۹	ثانیا باشد
۲۱۳	۱۳	« بشنو
۴۳۸	۱۲	ثانی الناطق
۴۲۸	۱۹	ثانیش بشنو
		ث-م
۴۴۷	۲۲	ثم انشانا
۲۰	۲۵	« تاتینا
۲۰	۲۵	« تلجینا
		ج-ا
۱۷۰	۱	جاء همبید
۶۳	۲۲	جنمونا و
۳۶۲	۲۱	جنت واقرب
۳۳۱	۳۶	جادوان فرعون
۱۹	۳۰	جادوئی کردت
۴۰۱	۳۰	« « دست
۲۶۶	۲۶	« کردش
۱۵۶	۹	« که
۲۶۷	۲	جادوئیها دید
۲۴۲	۲۵	« را
۲۶۷	۶	جادوی کیپر
۱۸۵	۳۱	جاده باشد
۳۹۳	۱۸	جادهٔ شاهست
۴۳۲	۵	« شرع است
۴۳۲	۳	« « «
۴۴۶	۴۱	« عدلست
۱۲۰	۲۶	جاذب آب
۲۵۹	۱۶	« جنسیت
۱۸۶	۱۱	جاریه پیش
۳۷۷	۶	جام صحت را
۱۳۱	۹	« ظاهر
۱۶۵	۲۵	جامع این
۹۵	۲۱	جامگی او
۳۴۷	۲۰	« هاتان
۱۳۱	۱۰	جام می هستی
۳۵۹	۱۸	جامها برکند
۱۰۵	۲۸	جامه‌ات شویم
۳۴۱	۴	جامه ازرق
۳۳۲	۳۴	جامهٔ اطلس
۴۰۱	۱۸	جامه اندر دست
۴۲	۸	جامهایت می
۹۸	۳	جامهای خلق
۲۴۰	۱۰	« زر
۱۷۹	۲۱	جامهٔ ایشان
۱۳۲	۳۲	جامه پوشان را
۴۳۹	۴۸	« تو اطلس
۲۶۹	۴	« خفته
۱۶۲	۱۸	« خواب آورد
۱۶۲	۲۱	« « افکند
۲۸۰	۳۰	« « « پر
۱۶۲	۱۵	« « « مرا
۱۰۶	۸	« را بدرید

صفحه	سطر	اول بیت
۷۵	۱۰	جامه شوئی
۱۳	۳	جامهٔ صد رنگ
۴۶	۲۵	« ما روز
۴۴۲	۴۷	« نه جمله
۲۱۹	۸	جامه نیمی اطلس
۴۰	۲۳	جان آتش
۹۳	۱۰	« ابراهیم از
۱۰۳	۵	« « باید
۳۰۷	۲۲	« ازاو
۴۳	۱۸	« او آنجا
۱۳۰	۳۸	« او بشنید
۱۰۱	۱۳	« او بیند
۳۲۱	۱۵	« او خالی
۴۲۵	۳۷	« او در مرتبه
۳۵۴	۱۳	« اول مظهر
۲۳۹	۲	« او مجنون
۴۱۱	۱۴	« این سه
۲۰۴	۳۷	جانب آن عاشق
۱۵۶	۱۰۰	جان بابا این
۱۵۶	۸	« بابا چون بخسد
۱۵۶	۲۵	« بابا چونکه
۸۱	۶	« بابا گویدت
۳۴۴	۲۵	جانب اتمام
۲۱۱	۳۶	جان بجانان داد
۴۲۳	۷	« « وا
۴۱۰	۲۳	« بجان
۳۱۷	۲۵	« بحق
۲۹۳	۹	جانب خوار زمشه
۴۲۹	۱۱	جان بدادو
۳۸۱	۱۱	جانب دکان
۱۴۱	۱۵	« بده از بهر
۶۰	۲۱	جانب دیگر خلش
۶۰	۲۰	« « گرفت
۱۸۴	۸	جان برای امر
۴۳۷	۴۵	« برم از
۳۶۳	۲۳	« بسی کندی
۳۹۳	۳	جانب کعبه
۳۵۳	۲۹	جان بی سو
۳۳۹	۱۸	« بی کیفی
۱۷	۴	« بیمعنی
۲۳۱	۹	« پاکان
۹۹	۲۷	« پذیرفت
۲۸۶	۶	« پروانه
۳۰۹	۱۲	« تن
۲۶۳	۱۵	« تو بخرید
۲۱۲	۳۱	« تو کاندر
۴۹	۱۴	« « کر بهر
۶۵	۱۴	« جان چون
۱۴۱	۸	« جاهل زین
۹۳	۱۳	« جرجیس
۱۷۷	۷	« جمله معجزات این
۳۶۹	۳۱	« جمله معجزات
۱۷۹	۱۲	« جمله عدمها
۱۷۹	۱۲	« « «

صفحه	سطر	اول بیت
۲۸۳	۳	جان چنین افعال
۱۳۰	۵	« چوافزون
۳۱۷	۲۶	« « بازو
۲۸۵	۱۴	« « بی این
۳۰۸	۲۲	« « خفته
۳۹۵	۳۶	« « مور
۴۲۳	۱۰	« چون طاوس
۳۵۴	۱۰	« چه باشد با
۳۹۹	۵	« « تاتو
۳۰۷	۲۳	« « تا گر
۲۲۳	۲۷	« حیوانی بود
۲۰۵	۵	« « فزاید
۲۲۲	۳۴	« « ندارد
۳۰۸	۲۲	« خفته چه
۴۳۷	۴۷	« خود را
۹۳	۱۱	« داوداز
۹	۳۳	« دریغم
۴۱	۱۷	« دشمن
۲۵	۱۶	« زپیدائی
۴۳۷	۴۶	« زدنت
۲۴۶	۴	« زریش و
۲۴۰	۲۹	« زهجر
۱۲۷	۲۹	« سپر کن
۲۸۲	۲۲	« سفر رفت
۳۱۷	۱۴	« سنگین دارم
۲۲۹	۲۸	« سیمرغیکه
۴۰۱	۳۶	جانش از درد و
۳۴۸	۲۰	جانشان
۳۹۸	۸	جانش خندان
۳۶۳	۳۳	« را
۳۸۳	۲۴	جان شرع و
۱۸۸	۳۰	« شناسان
۱۸۸	۳۱	« شود از
۴۶	۱۵	« شور و
۳۰۹	۱۳	« عالم سوی
۲۹۰	۲۴	« فدا کردن
۴۰۵	۲۳	« فدای تو
۴۵	۲۹	جانفشان افتاد
۴۵	۲۹	« ای
۲۶۸	۳۶	جان قسمت گشته
۳۱۱	۶	« کراسطرلاب
۹۷	۱۰	« کل با
۴۱	۸	« کمالست و
۲۳	۲۰	« کمست آن
۱۸۲	۱۸	« که اندر
۲۳۷	۵	« که اردنباله
۲۵۰	۳۸	« کورش
۲۶۹	۱۹	« گرفت و
۲۲۳	۱	« گرگان و
۲۴۰	۲۹	« گشاید سوی
۴۰	۲۸	« لقمان که
۲۹۲	۴۰	« ما آن تو
۱۳۰	۲	« ما ازجان
۴۲۸	۳۰	« ما ایمان

صفحه	سطر	اول بیت
۳۷۳	۳۸	جان‌مادرچشم
۱۸۴	۲۱	جان ما فارغ
٤٤٦	۷	جانمان دادی
۳۰۸	۱۳	جان مجرد
۲۵۵	۲۰	« مرده
۲٦٦	۱	« من بر
۳٦۱	۸	« من‌بستان
۳	۱۳	« من‌سهلست
۳۸	۲٤	« من کمتر
۱۰۰	۱۳	« من کوره
٤۰	۲۳	« ناری
۱۷۸	۲۹	« ناکرده
۲۱۲	۳۸	« نامحرم
۱۳۰	۲	« نباشد
۳۳۹	٤	« نخواهد
۳۵٤	۱۵	« نشد
٤۰۱	۳	« نهان
۱۳	۱۱	« و دل را
٤۳٦	۳۵	جانور با او
٤٤۰	۱۸	« باجانور
۳۵٦	۲۲	« فربه
۱۰۰	۳	جان وعقل
۲۹	۱۳	« و نان
۳۵۳	۲۷	« ویست و
۳٤	۱٤	جانها دراصل
۲٤۲	۹	جان‌هامان
۲۰۱	۱٦	جانهای انبیا
۲۹	۲۲	« بسته
۲۱	۲۵	« خلق
٤۰	٦	« مرده
۲۸۲	۱٤	جان هر درد
۲٦۵	۸	« همچون‌پیل
۱۱	٦	« همه روز
۳۷۷	۷	جاودان‌بودی
۷٤	۲۵	جاودانه‌پادشاهی
۳۸۷	۱۷	جاهدوافینا
۸٤	۲۲	جاهل ارباتو
۳۷۳	۳٤	« ارباتونماید
۲۱۲	۳٤	جاهلست‌واندر
۱۲۱	۱۹	« وغافلست
۳۳۹	۳٤	جای‌بلبل‌گلبن
۳۹۰	۵	« تخت
٤٤٤	۸	« خر
۹۰	٤	« دخلست
۳۹٤	۱۷	« دیگرخاك
۳٤۱	۲۱	« دیگرسود
۱۳۰	۱۹	« راهموار
۳۳۹	۳۳	« روح پاك
۱۳٦	۲٤	« زاهد
٤۱۱	۲۲	« سیمرغان
ج ـ ب		
۲۸۳	۳۱	جبرئیل‌ارسوی
۲۰۵	٤	جبرئیلا رو
۲۹٤	۳٦	جبرئیلاسجده
۲۰۵	٤	جبرئیلاگرچه
۲۷٦	۳٦	جبرئیلاگرشریفی
۲۹٤	۳٤	جبرئیلش‌میکشاند
۳۰۵	۲۱	جبرئیل صدق
۳۸۲	۱۵	« عشقم
۱٤۳	۳۷	جبرئیلی را
۳۷٤	٤	جبر باشدپر و
۲٤۲	۱٤	جبر بودی‌کی
۲۱	۳٤	جبر توخفتن
۲٤	۲٤	جبر چبود
۲۲	۲	جبر خفتن
۳۱	۲۵	جبررا ایشان
۳۵۹	۹	جبه را برد
ج ـ [د ـ ذ]		
۳۰۲	۳	جد را باید
۲۸۵	۱۰	« طلب
۳۵۹	۳	« وخویشانمان
۲۰۸	۱۳	جذب‌آبست
۱٦۵	۲۵	« اجزا
۳۹٦	۱۹	« جنسیت
۳۷۷	۱۳	« سمعست
۲۰۸	۲۹	جذبهٔ این
۳٦۸	۲۱	جذب‌یزدان‌با
۳۵۵	۳	« یکراهه
ج ـ ر		
۲۲۲	۳	جرأت‌وجهات
۳۰٦	۳٦	جرعهٔ‌برخاك‌تیره
۲۹۵	۲۱	« برخاك‌وفا
۲۸۵	۱۱	« برروی
۲۸۵	۷	« بربریختی
۲۸۵	۱۱	« بر لعل
۲۸۵	۹	« بر ماه
۲۸۵	۱٦	« چون
۲۸۵	۸	« حسنست
۲۸۵	۸	« خاك‌آمیز
۳۳۷	۱۲	« زان جام
۲۸۵	۱۰	« گوئیش
۲۵۸	٤۰	« می را
۳٦٦	۳۷	جرم‌او این
۳۵۸	۳۰	« برخود
۳۵۸	۳۰	جرم‌خودرا
۲۹۵	۱۰	جرمش‌آنکه
۳۷٤	۳۹	جرم‌گردون
٤۳٦	۳	« گرگ
۳۹۳	۲۲	جرمها
ج ـ ز		
۳۰۷	۲۱	جزازآن‌خلاق
۱٦۳	۲٦	« ازآن‌میوه
۲۹۸	۲٦	« اشارت که
٤٤٤	۱	« امیدی
۱۷۰	۳٦	« بآب
۱۲٦	۲۰	« بامید
۱۷۳	۱٦	« باندازه
۷٤	۲	« بیاد او
٤۱۲	۱٦	جز بتدبیر
۱۹۸	۷	« بخواری
۱۲۹	۱۹	« بدزدی‌او
۲۲۱	۵	« بدست‌خود
۱۵۹	۲۰	« برای‌یاری
۳۵٤	۳۵	« برمزذکر
۱۰۷	۲۵	« بشب‌جلوه
۲۲۱	۵	« بشمشیرخود
۲۸۸	۳۰	« بضدضدرا
۱٦۷	۳۷	« بفرمان
۲۸۸	۱۲	« بمصنوعی
۳۸۰	۲۷	« بنادر
۲٦۷	۲۱	« بنفخ
۱۲	۲۵	« پشیمانی
۲۷۲	۹	« توپیش که
۳۱۸	۱۰	« تودلاکی
۱۲	۱۵	« توکل‌جز که
۳۹۷	۲۲	« چنین‌خرقه
٤۳۸	۲	« خدا
۱۵۸	۷	« خضوع و
۳۰۵	۱۸	« خیال‌منعقد
۱۹۷	۳۵	« خیالی‌عارض
٤۱۵	۱۹	« دل محجوب
۱۲۷	۱۷	« ذکر نی
۲۲۵	۳۲	« روان‌پاك
٦٦	۱۰	جزرومدخل
٤۰۱	۱۰	« ومدش‌بد
۱۹۱	۱٦	جز سلام
۲٦۰	۲٦	« سه‌کس
۲۵۷	۱۱	« شباب‌تن
۲٦۳	٤	« عمادالملك
۱۵۰	۲۱	« عنایت
٤۳۱	۱۲	« غذای
۱۵۹	۸	« غم دین
٤۰۵	۲۸	« کسانی را
۱٤۵	۳	« کسی‌کاندر
۲۸٦	۲	« کسی که‌بر
۲۵۰	۵	« کنار بام
۲۲	۹	« که‌آن قسمت
۸	۱۱	« که‌صاحب‌ذوق
۸	۱۲	« که‌صاحب‌ذوق
۳۰۸	۳۵	« که‌صاحب‌ضیف
۲۷۵	۱۱	« که‌لااحصی
۳۲٦	٤۱	« گل آبه‌در
۲۲۱	۱۵	« مقام‌راستی
۲۸۵	۳	« مگر آن‌تیز
۱۸٦	۱٤	« مگر آن‌دل
٤۰۷	۱۹	« مگرآنصورتی
۸۷	۳۰	« مگرآنصوفئی
۱۵۰	۱٤	« مگرآنها که
۳۰۲	۱٦	« مگربندهٔ
۱۲٦	۳۳	« مگرپیری
۳۳۲	۲۷	« مگردزدی
۳۱٦	۵	« مگرکاید
۳۹۲	۵	جز مگرمردی
۲۳۰	۸	« مگرمرغی که‌بد
۱٤۱	۲۷	« مگرمرغیکه‌خر
۸۸	۱۸	« مگرمستی
۳۵۳	۲۲	« مگر مفتاح
٤۰۲	۲۰	« مگرنادر
۲۸٤	۲	« نجاست
۳۵۰	۱۱	« نظاره
٤۰۵	۷	« نفخت‌کان
۱۸۱	۱۵	« نیازو
۱٦۸	۱٦	جزواز این
۱٦۸	۱۵	« ازکل
۱۸۸	۳۸	« اوبی
۲۱۸	٤	« بادی که
٤۲	۲۸	« تو از
٤۱۹	۲۸	« جزوآبستن
۳۷۹	۱۹	« جزوت‌تا
۲۲۹	۲	« جزوت‌لشکر
۵۸	۱۰	« جزوخم
۳٤۰	۱	« جزوش
۳۹۲	۱۵	« خاکی‌گشت‌از
۳۹۲	۱۵	« « « شد
۳۹۲	۱٤	« « « و
۱۱۸	۳٤	« رااز
۳۸۳	۲۳	« سوی‌کل
۱۱۹	۳٤	« شش‌ازکل
۲۰٤	۲۰	« شیدو
۲۱	۸	جزوظیفه‌درپی
۲۷٤	۱٤	جزوعقل‌این
۵۸	۳۰	جزو کل نی
۳۷۹	۲۰	« ماند
٤۷	۲٤	« مرگ
۱۷٦	۲۳	« نارم
٤۳۳	۹	« وکل
۳۷٤	۳٦	« هابرحال
۱۸	۱۲	« هاراروی
٤۲۵	۲۸	« هرخاکی
۵۷	٦	« یك رو
۳۹۵	۱۲	جزهمان خاصیت
۲۷٤	۱۳	« همان‌میلی
٤۲۹	٤۳	« یقین
۲۱٦	۲٤	« یکی‌لقبه که
۷۷	۱۲	جزبه‌پذرفتند
ج ـ س		
۲۱٤	۳۰	جست از بیم
۳۰	۳۰	« او رآ
۲۸۵	۷	« بر زانف
۳۷۳	٦	« بنا
٤۵	۲٤	جستجوئی‌ماوراء
۳۷۳	٦	جست سقا
۵٦	۲۰	« عیسی
۲۰۱	۲٤	جستن مهلت
۷	۲٤	جست‌وازصدر
۱۳٤	۲۵	« وجوئی
۲۷٦	۲۸	جسم احمدرا
۲٤٦	۱	از جان
۲٤۵	۱٤	« اوهمچون
۱۲۷	۲	« توکه
۲	۱۷	« خاك از
۵٤	۸	« خاکت‌را
۲۷۲	۲	« خاکست و
۳۰۹	۱۳	« خود
۲۵٤	۱٦	« را چشمی
۲٤٦	۱	« را نبود
٤۰۱	۲	« سایه
۹۵	۹	« سلطان
۲۹	۲۳	جسمشان در
۱۳۸	٤	« را
۲۸۰	۱۲	جسم ضخمی
۱۲۹	۲	« ظاهر
٤۲٤	۲٤	« ظاهرروح
۲۲۵	۱۱	« عارف را
۳۷٦	۳۳	« گوید من
۸۲	۱٦	« ماجوزو
۲۲۹	۱۹	« مارو پوش
۳۱۲	۲۹	« مجنون‌را
٤۹	۱۲	« وجان
۳٦۲	۱۲	جسمها چون
ج [ع ـ غ ـ ف ـ ل]		
۱۳۳	۱۳	جعفر طیاررا
۲٤۹	۱٤	« طیار زان
۹٦	۳۸	« چبود
۳٦٦	۳۸	جغد را
۹٦	۳۲	« گفتا
۳٦٦	۳۷	« ها بر
۳۸۹	۷	جفت آن
۱۹۳	۳۳	« او
٤۷	۲۹	« این یك
٤۷	۲۸	« باید که
۱۵۱	۱۵	« شد با او
۳٤٤	۳٤	« شدبااوبشهوت
۹۳	۳۷	« کردن‌اسب
۱۸۳	۱۱	« کردیم‌این
۲۱۸	۲۲	« گشته با
٤۷	۲۸	« مائی
٦٦	۲	« وفرزندان
۲۹۸	۵	جفته اندازد
۳۱	۸	جلوه بیند
۳۱	۸	« کرده
۳۵٤	٦	« کردی‌هیچ
۲۸۹	۳۱	« گاه و
ج ـ م		
۱۵٤	۱۹	جمع آرم
۲۲۰	۱۱	« آمدخلق
۱۵۳	۲٦	« آمد صد
۱۵۳	۲۸	« «
۲٦۸	۳۳	« باید کرد
۲۲	٤۰	« بنشستند

صفحه	سطر	اول بیت
۱۵۹	۱۴	جمع صورت
۱۵۹	۱۶	« ضدین
۸۶	۲۹	« کرده مال
۲۶۸	۳۵	« کن خودرا
۳۱۲	۲	« گردد بر
۴۴۴	۲	« گشتندآن
۲۹	۳۱	« گشتندآن
۱۴۲	۲۴	« گشتندی
۳۸۹	۳۵	« گشته بر
۲۲۳	۱	« گفتم جانها
۱۳۵	۳۷	« مرغان
۳۵۹	۲۳	جمعه شرطست
۱۶۴	۱۷	جمعی ازدزدان
۸۹	۲۸	جملگان آوازها
۳۰۶	۲۲	« ازبامها
۳۰۶	۲۱	« بربامها
۱۴۲	۲۷	« چون
۳۸۹	۱۰	« دانند
۲۳۵	۶	« کبسه
۳۰۶	۲۴	جملگی آواز
۱۵	۳۳	« طومارها
۷۳	۷	« گفتند
۱۶۷	۲۵	« یکسان
۴۴۵	۱۹	جمله آنهارا
۱۴۴	۳۷	« اجزادر
۱۴۹	۶	« اجزای تنش
۳۶۵	۲۷	« اجزای جهان
۹۴	۵	« اجزای جهانر
۲۰۸	۱۴	« اجزای جهانرا
۱۹۷	۷	جمله ادراکات بر
۱۹۷	۸	« « را
۲۲۲	۱۸	جملهٔ ارواح در
۱۷۶	۳۴	جمله ازداود
۱۶	۶	« از درد
۳۷۴	۱۹	« استادان
۱۶۱	۳۴	« استادند
۶۶	۱۴	جملهٔ اطباق
۴۴۴	۲۴	جمله اعراب
۳۲۵	۱	« اعیان و
۲۲	۹	« افتادنداز
۱۸۲	۸	« اندرحکم
۴۱۳	۱۸	« اندرکار
۴۴۶	۱۸	« انگشت
۲۸۰	۱۴	« اهل البیت
۸۹	۱۹	« اهل محکمه
۴۳۳	۹	« ایشان
۶۸	۷	« با شمشیر
۲۲	۶	« باوی
۱۷۶	۹	« برخیزند
۲۴۱	۷	« برفهرست
۱۴۲	۲۸	« بیدردو
۳۱۰	۲۹	« پاکیها
۳۳۶	۲۶	« پستی
۴۲	۳	« پندارندگاین

صفحه	سطر	اول بیت
۲۶۲	۶	جمله پندارندکرک
۳۹۹	۱۲	« تصویرات
۱۷۰	۲۳	« تلوینهاز
۴۱۸	۱۵	« جاسوسان
۶۹	۱۱	« جانهای
۳۰۳	۷	« جسنی باز
۴۴۶	۱۵	« چون خدام
۴۳۲	۳۷	« چون دیدند
۴۴۴	۱۴	« حاضر
۲۳۶	۳۵	« حرفتها
۲۲۳	۱۴	« حسهای بشر
۶۵	۳۵	« حیوانات
۶۵	۳۴	« حیوانرا
۱۳۳	۱۰	« خلقان سخره
۲۰۰	۱۰	« خلقان منتظر
۲۴۵	۲۰	جملهٔ خوهای او
۱۷	۶	جمله دانایان
۳۵۵	۱۸	« دانسته که
۲۱۴	۱۹	« دانندابن
۳۷۲	۲۸	« درابذای
۲۰۳	۱۶	« دربازار
۳۱۴	۲	« درحیرت
۱۴	۲	« درخشکی
۲۱۱	۱۵	« درزنجیر
۴۳۳	۹	« درکف
۳۷۷	۲	« دنیارا
۱۴۹	۳۹	جملهٔ دیگر
۱۰۰	۲۴	جمله ذرات دروی
۲۲۸	۳۸	جمله ذرات زمین
۱۵۳	۱۸	جملهٔ ذرات عالم
۱۶۶	۴۱	جمله راباهمدگر
۳۱۷	۲۲	« راجستیم
۶۹	۱۸	« راچون روز
۳۵۶	۴۲	« راحمال
۳۱۹	۲۹	« رارزاق
۱۸۸	۱	« رازان
۸۲	۲۳	« راضی رفت
۴۲۰	۲۰	« رنجوران دو
۴۲۰	۲۰	« « شفا
۱۹۰	۱۷	« رندان چون
۱۳۱	۱۵	« رندان نزد
۴۱۶	۲۳	« ره حیران
۱۵۰	۱۸	جملهٔ ره استخوان
۱۴۸	۲۲	جمله زین سوئی
۲۰۵	۱۸	« سرتاسر
۱۷۲	۲۳	جمله شان ازخوف
۶۸	۷	جمله شان گشته
۳۶	۲۷	جمله شاهان بردهٔ
۳۶	۲۷	« « پست
۳۲۷	۳۶	« صحرا راچرد
۳۸۱	۳۳	« صحرا گر
۲۳۹	۳	« صحرا مارو
۳۸۳	۱۹	« ظاهرها
۱۳۸	۱۵	« عالم آکل و

صفحه	سطر	اول بیت
۹۴	۸	جمله عالم خودعرض
۱۹۰	۱۳	«عالم خودمسبح
۲۵۹	۲۴	« عالم رامسخر
۴۰۹	۳۲	« عالم را نشان
۳۵۵	۱۷	« عالم زاختیار
۳۷	۹	« عالم زان
۸	۵	« عالم زین سبب
۳۶۵	۶	« عالم زین غلط
۲۱۴	۲۵	« عالم شرق و
۲۵۴	۸	« عالم گر بود
۳۳۰	۱۷	جملهٔ عالم مقر
۳۳۲	۲۲	جمله غمازان
۳۹۶	۱۲	« فرزندانش
۱۱۷	۳۶	« فرزین بندها
۳۱۵	۲۰	« فسق و
۳۳۰	۲۶	« قرآن امر
۱۷۷	۱۹	« قرآنست
۴۲۴	۱۷	« قرآن شرح
۱۸۱	۱۴	« قصدو
۳۷۵	۱۶	« کفار آن
۳۸۸	۲۷	« کفهادر
۹۶	۲۲	« کورانرا
۹۶	۲۲	« «
۳۳۶	۹	جمله گان خائف
۱۶۶	۲۴	جمله گرمردند
۲۱	۱۳	« گفتندایحکیم
۱۴	۱۳	« گفتندایحکیم
۱۴۸	۲۸	« گفتندایشفالك
۳۱۳	۳۷	« « اینمکان
۱۴	۲۷	« « ای وزیر
۴۳۲	۴۰	« گفتندش تو
۱۴۹	۲۱	« « چه
۳	۱۴	« « که جان
۱۵۰	۲۶	« « که تدبیر
۳۹۳	۶	« « میندیش
۳۹	۲	« گویندت چو
۴۱۲	۲۷	« لذات هوا
۳۱۶	۲۲	« ماضیها
۶۲	۳۶	« ماومن
۱۸۰	۲۹	« محروم
۳۸۰	۲۳	« مرغان آبی
۲۶	۳۵	« مرغان ترك
۳۹۱	۲۸	« « «
۱۳۵	۳۴	« « منازع
۲۶	۳۷	« « هریکی
۴۴۵	۴۰	« مصنوعات
۴۰۰	۷	« مطلوبات
۳	۱	« معشوقست
۲۳۷	۳۶	« مفروران
۱۸۷	۲۳	« مهمانان
۱۶۹	۲۸	« میگفتندکاین
۴۱۳	۱۳	« میگویندانذر
۳۲۷	۱۷	« ناخوش از
۹۶	۱۶	« هستی ها

صفحه	سطر	اول بیت
۶۵	۲۱	جمله هفتادودو
		ج - ن
۱۰۵	۲۱	جنبش اختر
۲۴۵	۳۴	« او
۲۲۰	۳۱	« اهل
۲۱۸	۴	« این
۲۱۸	۵	« باد
۱۸۶	۳۸	« خلق
۲۳۳	۸	« فانیم
۱۵۷	۲۰	« کفها
۳۳۵	۴	« ماهر
۲۳۳	۸	جنبشم زین
۳۴۳	۹	جنبش وآرامش
۳۱۹	۲۵	« وآمدشد
۴۳۶	۱۷	« وتحریك
۲۳۷	۱۰	« هرکس
۲۶۴	۳۱	جنبشی بایست
۱۲۹	۳	« بینی
۴۳۹	۱۹	جنس انس
۲۳۵	۲۹	« اووهمچو
۱۳۹	۳	« چیزی
۱۱۸	۲۵	« رابین
۲۵۸	۲۵	« سوی جنس
۹۶	۳۵	« شاهست او
۲۰۸	۲۵	« مائی
۹۷	۴	« ماچون
۳۹۶	۶	« وناجنس
۸۳	۳۴	جنسها با
۴۲۸	۴	جنس هفت
۴۴۰	۱	جنسیت چون
۷۵	۳	جنگ پیغمبر
۱۰۷	۱۸	« حمالان
۶۸	۶	« خلقان
۴۳۷	۱۴	« دارم باتو
۳۵۲	۲۴	« فعلی جنگ
۳۵۲	۲۱	« « هست
۳۵۲	۲۴	« ماوصلح
۱۹۷	۲۴	« میکردند
۳۵۳	۲	جنگهاین
۳۴۲	۱۳	« کرده
۱۵۳	۲	جنگهای خلق
۱۵۳	۵	« می آشتی
۳۴۶	۱۴	جنی ازنار
۲۰۵	۲۷	جنیان وانسیان
		ج - و
۲۶۸	۳۳	جوجوی چون
۴۱۹	۳۶	جوحی آمد
۹۲	۴۲	جود جمله از
۵۵	۳۰	جود محتاج است
۵۵	۳۱	« میجوید
۳۷۸	۳۶	جوردوران
۴۷	۳۱	« واحسان
۳۸۲	۳۸	« وکفر
۴۰۳	۱۴	جوزپوسیده

صفحه	سطر	اول بیت
۳۱۵	۱۲	جوز را در
۱۶	۳۲	« ها شکست
۳۹۵	۳۸	جوسوی گندم
۳۸۲	۱۶	جوش ده آن
۱۷۷	۱	جوشش خون
۴۰۴	۳۵	« وافزونی
۲۸۵	۱۷	جوش کرد آن
۳۹۱	۱۸	« نطق
۲۷۶	۲۴	جوشن وخود
۲۱۴	۱۳	جوش ونوش
۳۲۷	۱۶	جوع خود
۳۲۷	۲۸	« رزق
۳۲۷	۲۱	« مرخاصان
۳۲۷	۱۶	« نور
۱۶۴	۱۱	« وضعف
۳۲۷	۲۱	« هر
۱۸۶	۸	« یوسف
۲۰۶	۳۰	جو فروبر
۳۹۳	۲۱	جوق جوق اسپاه
۱۴۲	۲۶	« « مبتلا
۲۸۶	۳	« « وصف
۲۰۱	۴	« مرغان از
۴۴۶	۱۸	جوقی آنان
۴۴۱	۵	« اندر
۴۴۳	۱۶	جوکئی بیچاره
۳۱۹	۱۲	جوکجا ازکاه
۳۹۶	۴۰	« که دارد
۸	۲	جولقئی سربرهنه
۲۲۹	۹	جوهرآن باشد
۳۸۰	۲۲	« انسان
۳۳۹	۱۵	« ست انسان
۲۶۴	۲۳	« صدقت
۹۳	۳۴	جوهری داری
۶۴	۱۵	جوی خودرا
۲۰۰	۵	« دیدی کوزه
۴۳۴	۲۷	« دیگر
۳۰۶	۳۴	« شیرو
۴۳۱	۶	« شیشه بر
۱۹۳	۲۵	جویکی کوچك
۴۴۱	۱۴	جویهادریای
		ج - ه
۱۶۶	۱۷	جهد بنماید
۱۵۰	۲۱	« بی توفیق جان
۱۵۰	۲۲	« « خود
۷۶	۲۰	« پیغمبر
۲۲	۳۵	« حقست
۱۵۰	۲۴	« فرعونی چو
۱۹۸	۳۲	« کن پروا
۳۴۵	۱۷	« کن تا آن
۳۰۸	۲۰	« « تااین
۲۵۰	۲۳	« « تاپیر
۳۲	۲۹	« « تاترك
۳۲۷	۱۱	« « تاجان
۳۹۳	۳۹	« « تاحس

صفحه	سطر	اول بیت
۲۵۹	۱۹	جهد کن تاخصمت
۳۱۳	۱۵	» تاسنگیت
۷۲	۷	» تاصد
۲۱۱	۱۸	» تامزد
۳۲۱	۱۹	» تامست
۲۱۱	۱۶	» تانور
۲۱	۱۸	» جدی
۲۶۷	۲۸	» دربیخود
۳۳۱	۳۴	» کرجام
۳۴۵	۱۵	» کرکوش
۴۳۴	۴۱	» مردانه
۳۱۹	۳۴	» واندر
۲۲	۲۶	» میکن تاتوانی
۶۰	۱۰	» تارهی
۱۱۸	۲۳	جهدها کردید
۳۴	۲۳	جهل آید
۲۱۲	۳۶	» اومر
۱۰۰	۲۶	» ترسا
۱۲۱	۲۱	» رابی‌علتی
۹۵	۱۵	» محضی در

ج ـ ی

صفحه	سطر	اول بیت
۳۸۳	۹	جیفة‌اللیل
۲۶۷	۲۷	جیفه بینی
۳۸۰	۲۵	» و
۴۴۱	۱۷	جیم گوش وصاد
۳۵۷	۲۹	» وعین

حرف ج

ج ـ ا

صفحه	سطر	اول بیت
۱۱۸	۳۶	چاپلوس و
۲۱۹	۲	چادر خودرا
۳۱۶	۳۲	» وسربند
۱۴	۱۵	چاربا را
۴۳۸	۱۷	چارتورات
۷۰	۴	» جوی
۲۹۷	۱۸	» چشمی
۳۸۵	۳۸	» چوب
۸۶	۶	» صد
۱۰۴	۵	» طبع و
۳۵۲	۲۵	» عنصر
۳۳۴	۹	چارقت ربع
۳۱۴	۳۲	» نطفه
۱۰۵	۳۴	چارق وپا
۱۹۱	۲۷	چارکس بردند
۱۳۴	۴۶	» راداد
۴۲۸	۷	چاره از
۲۷۹	۲۳	چارمرغ معنوی
۲۰۸	۲۸	» مرغند
۱۲۱	۲۵	» میخت
۲۴۳	۱۵	» میخ شه
۴۴۷	۱۸	چارمیت منزل
۲۷۸	۱۸	چاروصف است
۲۷۹	۱۹	» » تن
۸۰	۱۳	چاره آن باشد
۳۰۵	۹	چارهٔ آن دل
۲۰۹	۲۰	چارها کردیم
۲۶۶	۵	چاره اندیشید
۴۳۷	۲۰	» تو
۱۵۵	۳۱	» جویان
۴۹۰	۳۳	» دفع
۱۵۵	۳۱	» سازید
۴۲۵	۳	» کار
۳۲۸	۳۹	» کرباس
۱۵۵	۳۲	» میباید
۲۰۴	۲	» میجوید
۲۱۷	۳۷	» نبود هم
۱۲۵	۳۰	چارهندو
۲۷۹	۳۴	چاش گل
۱۲۱	۲۲	چاشنی گیر
۶۳	۲۹	چاشنیی دان
۲۵۲	۴	چاك حمق و
۱۵۶	۱۹	چاکرانت
۹۴	۱۰	چاکرت شاها
۳۴۲	۳۶	چالش است
۴۰۶	۲۵	چاه را تو
۱۷۴	۲۴	» شد
۲۸	۳۴	» مظلم
۴۰۶	۲۰	چاهها کنده

ج ـ ر

صفحه	سطر	اول بیت
۱۴۲	۲۲	چربش
۲۹۴	۲۳	چرب و
۴۰۱	۱۲	چرخ آن
۲۱۳	۲۱	» برخوانده
۲۲۴	۲۶	» پاصد
۳۲۲	۳۰	» چارم
۴۱۰	۱۱	» را چرخ
۱۰۸	۴۱	» را درزیر
۲۸	۱۶	» سرگردان
۳۲۸	۲۲	» گردان را
۲۰۵	۳۸	» گردید و
۱۸۷	۲۲	چرکن وآلوده

ج ـ ش

صفحه	سطر	اول بیت
۵۲	۲۱	چشم آخربین
۱۰۳	۱۲	» آخربین
۲۷	۲۳	» آدم
۱۷۳	۳۸	» ابلیسانه
۵۴	۲۲	» احمد
۲۵۴	۱۲	» احول
۴۰۰	۱	» ازاین
۹۹	۴	» اسب از
۹۹	۵	» اسبان
۲۷۰	۱۲	» اشتر
۷۱	۲۱	» اعمش
۱۴۲	۱۰	» اگر
۳۶۶	۴	» اوبر
۱۵۰	۶	» او تریك
۸۰	۳۰	» او خانه
۱۳۶	۱۹	» اوماندست
۲۱۷	۱۵	» او من
۱۰۳	۱۸	» اوبنظر
۲۴۸	۲۰	چشم این
۱۸۲	۱۴	» باری
۸۰	۱۹	» بازار
۱۵۴	۳۴	» بازو
۱۶۳	۳۴	» بازو
۳۹۳	۳۴	» بد را
۱۷۷	۱۶	» براسباب
۳۷۶	۱۵	» براستارگان
۱۲	۲۷	» برسر
۱۱۳	۲۴	» بسته خفته
۴۳	۲۰	» بسته عالمی
۳۷۷	۳۹	» بسته عقل
۱۴۳	۲۸	» بسته میشود
۲۵۴	۸	» بستی
۲۵۸	۱۸	» بگذشه
۴۳۴	۱۲	» بگشا بین
۱۶۵	۳۰	» بگشا حشر
۳۹۷	۷	» بگشا قلعه
۲۰۴	۷	» بگشاومسبب
۱۹۴	۱۰	» بند آمد
۴۰۱	۱۹	» بند از
۱۹	۳	» بنداست آتش
۱۹	۳۰	» بنداست ای
۳۸۶	۳۲	» بندخلق جز
۳۸۶	۱۲	» بندخلق چون
۱۶۹	۸	» بندي بد
۱۱۷	۳۴	» بندی بود
۲۸۶	۵	» بندی کرد
۴۰۸	۵	» بینا
۲۴۴	۲۷	» پر آب و
۱۰۲	۳	» پر بودند
۳۳۸	۱۷	» پردرد
۱۷۲	۱۴	چشمتان تر
۷۳	۱۴	چشم‌توادراك
۱۳۳	۶	» توبیدار
۱۲۵	۵	» توروشن
۲۴۴	۱	» توکر
۳۸۶	۲۹	» تیز و
۴۴۲	۱۹	» جان بگشا
۱۳۹	۱۰	» جانت
۴۱	۲۳	» جانرا
۳۹۵	۷	» جناب
۳۷	۲۳	» جسمانه
۸۰	۱۷	» چون‌بستی
۸۰	۱۸	» چون‌بستي
۲۹۷	۱۷	» چون بندی
۲۹۵	۳	» چون نرگس
۴۰۳	۲۴	» چون نرگس
۹۹	۳	» حس‌اسب
۳۶۴	۴۰	» حس‌افسرده
۸۰	۴	» حس را
۱۵۷	۱۹	» حس‌همچون
۹۹	۲	» خاکی را
۲۴۳	۱۹	» خرچون
۲۱۷	۱۳	چشم خود بربند
۴۰۳	۱۷	» خودبگذاست
۳۷۶	۱۲	» خودراچار
۴۰۱	۲۰	» داری
۸۳	۳۸	» داند فرق
۸۳	۳۹	» داند گوهر
۲۵۸	۱۷	» دریابسطانی
۱۵۷	۱۹	» دریا دیگر
۱۱۰	۲۸	» دزدیدی
۳۰	۲۰	» دل از
۳۹۹	۳۱	» دل را
۴۴۱	۵	» دولت‌بحر
۳۲۲	۱۸	» دولت‌سحر
۱۸۱	۳	» دیوانه
۱۹۵	۱۶	» را از
۹۰	۳	» را ای
۲۶۷	۳۱	» رااین‌نور
۳۹۱	۲۱	» را با
۲۵۷	۲	» را بر
۱۳۶	۳۱	» را بگشود
۱۰۹	۱۹	» را در
۳۴۲	۲۶	» را وا
۲۵۹	۲۹	» روشن‌دشمنا
۲۷۰	۹	» روشن کن
۲۶۵	۳۱	» زخمی
۴۲۱	۳۲	» سختش
۲۴۵	۲۴	» سربا
۴۱۰	۲۴	چشمشان‌افتاد
۳۰۷	۴۱	» باشد
۳۹۷	۲۵	» مشکرة
۳۹۳	۳۵	چشم شه بر
۴۰۳	۱۵	» شه دوکر
۴۰۱	۲۷	» شه را
۴۲	۷	» صدیقه
۸۸	۳۵	» ظاهرسایه
۳۳۹	۳۹	» ظاهرضابط
۳۹۴	۲۵	» عارف‌دان
۹۵	۲۳	» عارف‌راست
۳۹۶	۵	» غرّه
۹۲	۱۸	» کژ
۱۳۵	۲۳	» کو آن
۱۹۷	۱۷	» کودك
۳۶۴	۲۵	» کوران
۳۰۹	۲۷	» گردان‌سوی
۱۰۵	۶	» گردان‌کردهٔ
۲۸۱	۱۱	» گریان
۳۱۶	۱۷	» گوید
۲۵۸	۱۷	» مازاغش
۴۳۲	۳۲	» معنی بر
۳۹۵	۱	» من از
۱۷۵	۱۰	» من تریك
۳۹۷	۹	» من‌چون دید
۸۰	۳۰	» من‌چون سر
۱۳۳	۵	» من خفته
۳۹۴	۲۴	چشم من ره
۴۰۱	۲۹	» من سبر
۳۴۵	۲۴	» موسی
۴۰۳	۱۶	» مهتر
۲۳۱	۱۱	» می انداخت
۴۲	۶	» می‌دزدند
۱۶۹	۳۱	» میمالم بهر
۱۷۰	۱۳	» میمالم که‌آن
۱۷۰	۳	» میمالم که‌این
۱۲۸	۲۸	» نابینات
۴۴۷	۳۴	» نرگس را
۷۵	۳۱	» نرگس‌کور
۱۲۹	۱۸	» ننهادست
۱۱۳	۳۲	» نیکو باز
۲۸۷	۱۷	» نیکو شد
۴۳۴	۳۶	» واکن
۴۰۵	۱۵	چشمهٔ آبی
۹۸	۱۶	» آن آب
۴۴۳	۳۱	چشمهابرجوی
۳۰۹	۲۶	» بیرون
۱۸۸	۱۴	» پرآب
۳۷۴	۲۵	» چون
۳۲۲	۱۷	» مخمور
۳۸	۱۵	» وخشمها
۱۵۰	۲۰	» وگوشها
۹۷	۲۲	چشمهای قوت
۳۱۰	۳۰	» نیك
۱۱۳	۴۱	چشمهٔ حیوان
۱۰۴	۸	» خورشید
۱۰۳	۳۲	چشم هدهد
۱۸۸	۱۳	چشمهٔ دیداز
۴۴۴	۲۹	» راچون
۳۸۶	۹	» رحمت
۷۳	۱۶	چشم هرسه
۲۰	۲۷	» هرقومی
۴۱۵	۲۱	چشمه شد
۲۹۶	۲۰	» شیر
۴۲۳	۲۶	» های آب
۱۵۹	۳۰	» می‌بینم

ج ـ (غ ـ ل)

صفحه	سطر	اول بیت
۳۹۲	۳۷	چغزجان
۳۹۵	۳۳	» مبگفت
۸۸	۱۶	چل هزار

ج ـ ن

صفحه	سطر	اول بیت
۲۵۴	۵	چنبره دید
۴۷	۳۶	چند آخر
۱۴۲	۳۰	» آن‌لنگی
۸۷	۲۴	» ازاین‌صبر
۱۵۸	۸	» ازاینها
۱۰۶	۱۷	» ازین‌الفاظ
۳۶	۱۱	» امانم
۱۸۳	۱۶	» اندررنجها
۴۱۸	۱۶	» با آدم
۳۹۵	۲۳	» بار آن

صفحه	سطر	اول بیت
۱۳	۵	چند باران
۱۱۱	۳۴	« بارش
۱۴۰	۲۰	« باری گرد
۴۱۷	۱	« بازرگان
۹۵	۳	« بازی‌عشق
۹۵	۴	« باشی
۸۵	۱۰	« بت
۴۱۳	۱۲	« برعبان
۲۵۵	۳۲	« بگریزی
۱۰۶	۲۴	« بیخود
۳۲۸	۲۶	« بینی
۳۱۵	۱۷	« بحتی
۲۸۹	۲۶	« تیرانداز
۱۸۲	۲۹	« جابندش
۴۴۱	۱۶	« جای
۱۹۰	۳۷	« چند آخر
۱۳۰	۲۸	« چندت
۱۴۳	۳۳	« چوپانشان
۴۷	۳۵	« حرف
۲۸۴	۶	« حرفی
۳۱۵	۱۸	« خوردی
۱۳	۶	« خورشید
۱۳	۶	« خورشید
۱۷۹	۳۱	« خوش
۱۰۵	۴	« در آتش
۴۳۶	۲۵	« درانگشت
۴۱۲	۹	« دردفرقتش
۲۸۱	۳۰	« دردهنیز
۴۱۷	۱	« در عالم
۴۴۱	۴۳	« درویش
۳۷۱	۳۶	« دزدی‌حرف
۳۷۱	۳۶	« دزدی‌عشر
۱۳۰	۲۶	« دید از
۳۷۲	۳۸	« روزی‌سیر
۱۱۹	۲۸	« روزی گر
۳۴۵	۳	« روزی‌هم
۳۶۰	۱۲	« رخم‌چرب
۴۰۸	۳۳	« زرانداخت
۲۹۱	۳	« زنبور
۴۱۰	۱۲	« سیلی
۳۱۵	۱۸	« شبها
۲۳۰	۲۹	« صنعت
۲۳	۱۷	« صورت
۲۵۱	۴	« صیادی
۴۲۹	۲۸	« طاوس
۲۴۶	۲۵	« فرعونا
۲۳۵	۴۰	« کرت
۱۷۱	۷	« کردم
۳۹۷	۸	« کس
۱۳۹	۳۸	« کوبد
۱۸۵	۳۷	« کوبیم
۸۱	۲۹	« گاهش
۲۱۸	۲۷	« گاهی او
۳۱۵	۱۶	« گاهی بی‌لب

صفحه	سطر	اول بیت
۳۱۵	۱۶	چند گاهی بی‌لب
۳۳۶	۸	« گفتندش
۳۱۵	۱۷	« گفتی
۳۷۱	۳۰	« گلگونه
۲۴۹	۹	« گوئی ای
۳۳۴	۸	« گوئی بادو
۱۰۶	۳۶	« گوئی چون
۴۰۱	۵	« گوئی فاخته
۱۳	۲۸	« گوئی من
۲۹۴	۱۸	« گوئی همچو
۳۵۵	۳۱	« گویم من
۴۱۶	۴۰	« لشکر
۴۲۲	۱۵	چندلی را
۳۶۱	۴۱	چندنازی
۲۷۴	۸	« نوبت
۴۳۵	۴۵	« هرافتاده
۳۳۳	۱۴	« هنگامه
۴۵	۶	« یزدان
۳۷۷	۱۳	چنگئی کو
۴۰۳	۲۱	چنگ حکمت
۲۵۴	۴۰	« در
۴۳	۱۵	« را
۴۳	۱۶	« زد
۱۹۴	۱۷	چنگلوکم
		ح — و
۳۳۱	۲۴	چوب حق
۴۰۱	۱۷	« در
۲۷۲	۲۱	« را
۱۱۰	۲۳	« شد
۹۳	۱۸	چون ابابکر
۱۱۰	۳۳	« ابوبکر
۷۳	۸	« ابیت
۹۴	۲۲	« اثر
۴۳۶	۶	« اذا
۱۵۷	۳۳	« ازآن اقبال
۱۵۳	۱۵	« ازآن سو
۳۹۵	۲۳	« از او
۸۲	۶	« ازایشان
۴۳۹	۴۷	« ازاین دست
۳۳۴	۲۲	« ازاین سو
۲۸۸	۳۱	« ازین جا
۱۰۷	۱۶	« اساس
۱۱۲	۱	« اسیری
۴۴۲	۱۰	« اشارت شد
۲۱	۳۱	« اشارتها
۴۴۲	۷	« اشارت یافت
۳۴۰	۴	« الف ازاستقا
۳۸۵	۳۶	« الف ازخود
۳۸۶	۴۰	« الف چیزی
۳۲	۲۹	« الف گرتو
۱۸۶	۲۶	« امام و
۳۷۳	۷	« امیدت
۳۵۸	۶	« امران
۲۷۹	۲۳	« امیر جبلهٔ

صفحه	سطر	اول بیت
۳۲۵	۳۷	چون امیرش
۳۸۳	۲۶	« اناالحق
۴۳۷	۴۶	« انا گفتی
۳۸۳	۲۷	« انای بنده
۳۷۳	۸	« انیس طبع
۲۴۵	۷	« اویس از
۳۱۲	۳	« ایاز آن
۳۴۸	۴	« ایاز این
۳۷۲	۱۴	« بآثر
۳۵۸	۴۱	« بآخر
۴۱۹	۲۵	« بآزادی
۲۵۷	۳۵	« باصل خود
۵۷	۳	« باصل خویش
۲۱	۲۶	« بامراهبطو
۱۹۳	۵	« بامرتست
۲۲۳	۳۷	« بامرحق بنا
۲۲	۲۱	« بامرحق بهند
۳۲۰	۱۸	« بانبازیست
۳۳۵	۳۷	« بایمان
۲۸۹	۳۸	« باین نیت
۱۹۶	۲۰	« بباطن
۳۹	۳	« بیمنامی
۱۷۳	۴	« بیستانی
۲۵۹	۶	« بیندی تو
۳۶۹	۱۸	« بیندی شهوة
۳۴۰	۱۳	« بیندروی
۶	۱۰	« بیند سیم
۲۰۳	۱۷	« بیند کله
۷۴	۲۳	« بیند کان
۲۸۹	۲۱	« بیند نان
۳۲۰	۳۸	« بیند نور
۶۶	۲۹	« بیینم کن
۳۹۲	۲۹	« بیینی بر
۲۲۶	۳۰	« بیینی تو
۳۸۲	۳۵	« بیینی مجرمی
۳۸۲	۳۵	« بیینی مشك
۱۵۷	۳۲	« بیخت
۹۶	۴۰	« بیراندمرا
۱۴۷	۳	« بیرسیدند
۲۰۴	۳۳	« بیوشیدم
۳۴۶	۲۰	« بیوشیدی
۳۵۶	۴۱	« بیوستی
۳۸۷	۳۶	« بتابد
۳۰	۲۵	« بتفکیر و
۲۷	۳۱	« بترساند
۴۲۴	۲۱	« بترکیش
۱۸۱	۶	« بت سنگین
۳۵۶	۸	« بجستر وبیج
۹۸	۴	« بجمحاکم
۱۶۲	۳۶	« بجد مشغول
۳۴۴	۱۸	« بجست ازخو
۳۰۳	۳۱	« بجست ازواة
۲۰	۸	« بجمعه
۴۳۳	۳۴	« بجنباند

صفحه	سطر	اول بیت
۳۹۴	۱۴	چون بجنبانم
۲۱۳	۳۴	« بجوئی تو
۴۰۵	۱۵	« بجوشد
۱۱	۶	« بحق بیدار
۱۵۱	۴	« بحیلتشان
۱۹۸	۲۴	« بخارا
۲۱۲	۳۲	« بخانهٔ
۲۳	۳	« بخرگوش
۳۰۹	۳۰	« بخواند
۱۷۸	۱۲	« بخوانی
۱۹	۳۵	« بخواهد
۳۸۲	۲۳	« بخواهم
۴۳۴	۴۸	« بخواهی
۲۴۹	۲۴	« بخود آید
۲۴۰	۲۶	« بخودباز
۱۰۲	۲۱	« بخورد ار
۳۰۲	۱۹	« بخوردی
۳۸۰	۳۹	« بخوی خود
۳۴۲	۲۴	« بخویش آمد
۳	۲۳	« بخویش آمدز
۳۸۱	۷	« بخویش آمدز
۲۱۶	۲۶	« بدان آسیب
۴۴۴	۱۱	« بدان بنده
۴۴۱	۳۲	« بدان درگه
۴۴۱	۴۷	« بدان دیده
۴۲۹	۲۵	« بدانستی تو
۲۲۰	۱۸	« بدانستی سبب
۲۲۱	۳۸	« بدانستی که
۳۳۵	۱۹	« بدانستیم
۲۲۶	۱۶	« بدانه داد
۲۸۸	۱۰	« بدانی حد
۱۳۲	۱۱	« بدرد آمد
۴۰۹	۳۶	« بدرد دیگری
۳۶۱	۹	« بدرد شرم
۴۴۰	۴۹	« بدرگاه
۳۶۴	۳۸	« بدریا
۱۱۵	۱۱	« بدرد دزد
۳۳۲	۱۴	« بدزدد دست
۲۰۳	۳۳	« بدزدم
۳۸۱	۴	« بدزدی
۲۶۰	۷	« بدوزنده
۲۹۴	۲۹	« بدیدآن چشم
۳۶۸	۱۶	« بدیدآن خسته
۲۲۱	۱۲	« بدیدآن عالم
۱۹۷	۲	« بدیدآن غمزه
۴۴	۲۵	« بدیدآن معجزه
۱۰۸	۱۴	« بدیداز خود
۲۱۱	۳۵	« بدیداوچهره
۴۱۰	۱۴	« بدیداورا
۴۳۶	۲۹	« بدید او که
۳۳۶	۱۷	« بدیدش گفت
۱۲۵	۱۱	« بدیدش یاد
۱۷۴	۶	« بدیده گو
۳۹۳	۳۲	« بدیده لطف

صفحه	سطر	اول بیت
۲۶۰	۲۵	چون بدیدنداز
۱۵۶	۳۲	« بدیدندش
۳۲۸	۲۴	« بدیدی گردش
۳۰۹	۳۷	« بدیدی نامهٔ
۱۵۵	۲۹	« بدیشان
۲۳۷	۲۳	« بدی عاجز
۳۳۱	۱۶	« بدین داور
۳۶	۵	« بدین رنگ
۱۴۳	۱۴	« بدین قبض
۲۵۷	۲۹	« بدین لطف
۱۴	۱۸	« برآرد
۴۰۵	۲۹	« برآرند
۲۶۶	۲۵	« برآمداین
۲۷۲	۳۷	« برآمدبردرخ
۳۹۵	۳۱	« برآمدبرهوا
۴۳	۹	« برآمدروزگا
۴۴۳	۴۷	« برآمدمدت
۱۴۰	۴۲	« برآمدنام
۲۱۲	۱۲	« برآمدنور
۱۲۳	۳	« برآن
۳	۲۶	« برآورد
۳۰۹	۲۳	« برآید آفتاب
۳۲۷	۳۷	« برآیدصبح بینه
۲۸۴	۲۶	« برآیدصبح دم
۴۴۶	۳۰	« برآیدصبح رو
۲۳۰	۲۰	« برآید گوهر
۲۸۴	۲۳	« برآیند از
۱۳۳	۳۶	« برابر
۱۷۱	۲۰	« برابدی شهوة
۳۷۵	۷	« برای حق
۲۷۱	۱۳	« برای خود
۳۳۱	۱۴	« بردیکعبه
۲۰۸	۸	« برست از
۲۵۲	۲۶	« برفت آن
۴۳۱	۲۹	« برقاضی
۳۱۸	۲۸	« برنجد
۵۳	۸	« برونشست
۱۶۳	۱۷	« بروبی خاك
۳۶۴	۲۸	« برون انداخت
۳۷۴	۹	« برون رفت
۱۷۶	۲۸	« برون رفتند
۳۳۳	۲۳	« برون شو
۱۱۲	۳۴	« بره کردش
۱۱۲	۲۸	« بره کردند
۳۴۰	۵	« برهنه رفت
۲۶۱	۲۲	« بریداز جنس
۴۳۷	۴۴	« بریداز خود
۱۶۰	۳۵	« بریدش سر
۱۰۲	۱۹	« برید وداد
۱۶۴	۳۳	« بریده شد
۷۵	۶	« بریده گشت
۴۲۲	۱۵	« بریشم خاك
۳۱۱	۳۵	« بزین ره
۱۳۴	۱	« بزائید

صفحه	سطر	اول بیت
۱۹	۵	چون بزادم
۶۹	۱۲	« بزاید
۲۱۸	۲۳	« بزدصوفي
۴۲۳	۲۳	« بساحل
۳۸۴	۱۷	« بسازی
۳۴۱	۳۷	« بسربر
۹۹	۳۵	« بسرخی
۹	۵	« بسی ابلیس
۳۰۱	۱۰	« بسی بگریست
۴۵	۹	« بسی بگریست
۱۳۴	۲۸	« بسی دید
۳۷۱	۳۳	« بسی مبکرد
۱۸۳	۲۳	« بشد
۴۳۱	۱۶	« بشروان
۶۴	۱۳	« بشورانی
۲۲۵	۲۱	« بصحرای
۱۴۷	۱۳	« بصدالحاح
۳۸۳	۱	« بصدحرمت
۱۶	۱۹	« بصورت آمد
۴۰	۷	« بصورت اولیا
۱۶	۱۱	« بصورت بنگر
۴۵	۲۰	« بطوف خود
۱۲۹	۲۷	« بغایت تیز
۱۲۹	۲۸	« بغایت ممتلی
۴۳۲	۱۶	« بغیر از باد
۱۹۳	۳۷	« بغیر مردم
۲۹	۵	« بقعر
۱۰۰	۲۷	« بقول
۱۵۴	۳۲	« بقوم
۳۵۸	۲۹	« بکاری جو
۳۰۴	۲۲	« بکاری در
۵۸	۴	« بکشتي در
۵۸	۳	« بکشتي در
۲۱۳	۲۹	« بکوشم تا
۴۲۱	۲۶	« بگردانید
۸۵	۱۴	« بگریانم
۲۸۷	۱	« بگرید
۳۵۶	۲۵	« بگفت آن
۳۷۸	۳۳	« بگفتی ای
۴۱۱	۲۶	« بگفتی موم
۲۳۸	۱۲	« بگوئی جاهل
۴۰۰	۱۸	« بگورآن
۱۴۲	۹	« بگورستان
۲۷۵	۱۸	« بگویدبس
۱۵۹	۳۴	« بگویدحال
۱۱۵	۲۵	« بگوید هم
۳۶۳	۱۶	« بگویم از
۶۶	۳۰	« بگویم چونی
۲۳۲	۲	« بگویند ایش
۳۷۱	۳	« بگویندش ک
۱۱۸	۳	« بگیری سخت
۲۵۴	۴۱	« بگیری شهره
۱۹۳	۳۳	« بلال از
۳۶۸	۱۶	« بلال این

صفحه	سطر	اول بیت
۲۸۱	۲۹	چون بلی گفتیم
۲۸۴	۵	« بمابوئی
۱۱۵	۲۳	« بماند از
۲۱۸	۱۳	« بمانددیر
۱۹۷	۱۱	« بمانددیر
۶۲	۲۸	« بمردم از
۵۷	۲۵	« بمردي تو
۲۳۰	۲	« بمرغانت
۱۵۶	۲۶	« بمصر از
۱۵۹	۱۹	« بمطلوبت
۷۹	۲	« بمعراج
۳۸۲	۴۱	« بمقصد
۲۱۲	۳۷	« بمن
۳۹۲	۲۱	« بمیرم
۳۲۷	۳۰	« بمیری
۲۳۵	۱۲	« بنادر
۳۴	۳	« بنالد
۳۰۵	۳۲	« بنام
۲۹۱	۱۵	« بنزددانه
۱۷۷	۳۶	« بنزدیك ولی
۱۷۰	۱۴	« بنزدیکی
۳۵	۲۵	« بنسیان
۳۰	۳	« بنوبت
۳۷۰	۱۲	« بود آن
۳۷۰	۱۸	« بود آن
۲۳۸	۱۶	« بود اکراه
۵۸	۲۸	« بودفکرش
۳۶۸	۱۸	« بود مسی
۱۶۶	۱۰	« بودمویش
۲۳۶	۱	« بهامان که
۲۳۶	۱	« بهامان مشور
۵۰	۲۲	« به بیرنگی
۱۴۷	۲	« به بینی
۱۰۲	۹	« بهرفکری
۳۹۶	۱۴	« بهشتی
۳۹۸	۱۸	« بهوش
۴۱۲	۲	« بیابد او
۲۶	۳۹	« بیابد برده
۳۱۸	۲۲	« بیابم قوتی
۱۵۹	۳۳	« بیابیش
۱۶۶	۲	« بیارایند
۹۲	۲۶	« بیامدآن
۱۲۳	۷	« بیامد از
۲۹۸	۲۱	« بیامد بر
۱۸۸	۲۴	« بیامد بیش
۳۵۷	۱۳	« بیامدسوخت
۷۱	۳۲	« بیامد شام
۵۸	۲۱	« بیامدمؤمني
۲۷۵	۱۱	« بیانش بیحد
۲۱۳	۳۲	« بیابد شام
۱۱۲	۲۶	« بیابد مر
۳۸۷	۱۳	« بیفتد
۲۱۳	۳۴	« بیفزاید
۳۹۹	۳۴	« بیك دکان

صفحه	سطر	اول بیت
۳۹۹	۳۹	چون بیك دکان
۴۰۳	۱	« بیك شب
۱۲۵	۲۳	« پدیدآمد
۵۸	۵	« پذیرفت از
۱۴	۱۴	« پذیرفتی
۴۴۱	۲۲	« پرست از
۲۴۹	۲۳	« پری را این
۳۹۹	۵	« پری را قوت
۲۴۹	۲۲	« پری غالب
۳۹۳	۱۸	« پسرچشم
۱۴۷	۲۵	« پشیمان گشت
۱۴۷	۲۵	« پشیمانی
۳۰۴	۳۳	« پکهتر
۴۴۲	۳۷	« پنه
۴۱۸	۳۳	« پیاپی
۲۷۳	۲۲	« پیاپی
۲۰۱	۲۳	« پیادهٔ
۱۳۳	۳۲	« پیمبر از
۱۶۵	۳۴	« پیمبر در
۱۱۳	۳۶	« پیمبر دید
۲۴۸	۱۴	« پیمبر سرور
۴۱۴	۱۸	« پیمبر گفت
۱۳۱	۳۵	« پیمبر نیستی
۱۱۶	۲۲	« پی دانه
۴۹	۲۸	« پي بسکن
۱۵۹	۱۳	« تجلی
۴۷	۱۵	« تحرّی
۱۱۲	۸	« ترا آن
۳۶۸	۲۹	« ترادیدم بد
۳۶۸	۳۰	« ترادیدم محا
۳۶۸	۳۰	« ترادیدم من
۸۴	۲۹	« ترا ذکرو
۱۶۶	۱	« ترارحمی
۲۹۶	۶	« ترا روز
۳۷۴	۳۳	« ترازودید
۳۱۰	۱	« ترازوی
۱۲۲	۲۵	« تراشه
۳۲۴	۲۳	« تراوهم
۱۳۳	۲۷	« ترا یاد
۳۰۶	۲۵	« تضرع را
۳۰۶	۱۵	« تضرع مي
۴۳	۶	« تعلق
۳۰۲	۴	« تفحص کرداز
۷۰	۲۰	« تفحص کردلقما
۱۵۴	۲	« تف خورشید
۴۵	۲۶	« تقاضا بر
۲۵۷	۳۷	« تقاضا میکند
۲۰۰	۲۳	« تمنوا الموت
۱۲۹	۱	« تنازع افتد
۴۱۸	۲۸	« تن زراق
۳۸۲	۱۶	« توآن
۲۳۹	۲۳	« تواسرافیل
۴۳۱	۲۳	« توان رفتنش
۶۱	۲۲	« توئی تو

صفحه	سطر	اول بیت
۷۳	۲۱	چون توبابی
۲۵۳	۲۸	« توباپر
۲۳۳	۳۷	« توباشی
۴۹	۱۵	« تو بامن
۲۵۳	۳۰	« توبرگردی
۲۰۳	۵	« توبسیار
۹۰	۲۴	« توبینائی
۳۴۷	۱	« توجانباز
۱۵	۱۷	« ترجیراو
۸۳	۳۰	« توجزودوزخ
۲۵۳	۲۹	« توجزوعالمی
۱۱۲	۷	« توچشم
۳۸۳	۲۰	« توخفاشان
۳۳	۸	« تودرقرآن
۴۰۹	۴	« توزندیقی
۴۱	۴	« توشیرین از
۳۹	۲۱	« توشیرین نیستی
۴۲۱	۱۶	« توعاشق
۱۹۲	۱۰	« توکاهل
۲۹۷	۱۳	« توکل کرد
۴۰۳	۲۲	« تومی بینی
۷۵	۲۷	« تو ندهی
۳۸۳	۳۵	« تو ننگی
۱۴۳	۱۰	« تو وردی
۴۱۴	۱۸	« تهی شد
۳۱۷	۲۴	« تهی گشت
۲۳۸	۲۶	« تیمم با
۳۹۹	۳۰	« جدا بینی
۳۰۰	۳۳	« جدا گردد
۲۴۳	۲۴	« جری کم
۳۱۰	۲	« جزا
۲۲۰	۲۱	« جعل
۱۴۳	۹	« جفا آری
۷۴	۲۴	« جفا گررا
۳۵۳	۱۵	« جمادند و
۱۸۷	۲۵	« جمادی را
۳۵۹	۲۵	« جماعت رحمت
۶۸	۵	« جماع طفل
۳۶۲	۲۷	« جمال احمدی
۹۳	۲۱	« جنبد از
۱۳۸	۲۷	« جنبن بد
۱۳۸	۲۷	« جنبن بد
۱۶۵	۲۳	« جنین رادر
۷۳	۳۰	« جنین رانوبت
۲۰۱	۱۲	« جنین کش
۲۳۹	۲۷	« جواب احمق
۲۴۶	۸	« جواب نامه
۲۴۱	۱۰	« جوال بس
۱۹۲	۱۸	« جوان بودی
۳۱۵	۱۱	« جهان پر
۱۹۷	۱	« جهان را
۲۸	۲۴	« جهان رنجور
۳۳۳	۲۵	« جهان ظلمت
۳۷۶	۱۰	« جهنم گریه

صفحه	سطر	اول بیت
۴۳۳	۲۵	چون چراغ عمر
۴۱۷	۳۱	« چراغی بی
۴۰	۱۷	« چراغی نور
۲۴۰	۳۳	« چنان افکند
۳۸۷	۶	« چنان چشم
۱۸۱	۲۰	« چنان شاهی
۴۲۹	۴۵	« چنین الهام
۲۰۴	۲۱	« چنین بردیست
۲۱۶	۳	« چنین خواهی
۱۰	۵	« چنین دیدند
۳۶۳	۲	« چنین رشکی
۳۵۷	۳۴	« چنین رفتی
۲۶	۲۸	« چنین شد
۳۷۰	۲	« چنین گفت
۲۲۲	۸	« چنین وسوا
۳۷۸	۱	« چهارم بار
۴۲۵	۳۵	« حبابست
۱۳۲	۳۰	« حدث کردی
۱۴۹	۳۷	« حدیث آسمان
۵	۴	« حدیث روی
۳۰۲	۲۰	« حریص
۴۳۶	۲۲	« حساب اندر
۴۴۷	۹	« حساب عدل
۳۷۹	۱۴	« حشیشی
۱۹۱	۳۹	« حقت
۳۴۵	۲۵	« حقیقت
۵	۱۹	« حکیم از
۵۰	۳۱	« حکیمك
۳۵۹	۲۷	« حمارست
۴۴۲	۳۹	« حواریون
۱۵۷	۲۶	« حیات از
۳۱۱	۲۹	« خبر شد
۳۵۴	۱۲	« خبرها
۲۳۲	۳	« خبر یابید
۳۹۲	۱۷	« خبثان
۳۱۷	۴	« خدا از
۱۶	۹	« خدا اندر
۱۷۵	۳۶	« خدا پوشید
۴۰۲	۵	« خدا پوستگی
۱۹	۲۲	« خدا خواهد
۱۹	۲۳	« خدا خواهد
۳۰۸	۲	« خدا خواهد
۱۲۳	۱۷	« خدا سوگند
۳۷۶	۲۴	« خدا فرمود
۶۹	۳۱	« خدا مارا
۲۲۵	۳	« خدامی
۳۲۸	۳۶	« خدامیخواست
۴۴۵	۲	« خداوند
۷۷	۱۷	« خدو
۳۱۹	۲۱	« خران را
۳۸۵	۲۷	« خرتشنه
۲۷۴	۳۴	« خرد باتست
۲۳۹	۳۳	« خری بایسته
۳	۱۱	« خریداورا

صفحه	سطر	اول بیت
۱۳۰	۱۹	چون‌خری‌در
۳۰۲	۱۸	» خری را
۳۵٤	۳۳	» خضر و
٤۱٤	۱	» خطائین
۹۷	۱۹	» خطاب
۷۱	۱۸	» خفاشی
۱۸۳	۱۷	» خلاصت
۱۹٦	۳	» خلاصی
۱۳۱	٤۳	» خلاف
۳۲۷	٤	» خلالی
۸۵	۲۲	» خلف
۳٤۹	۲۱	» خلقت
۱٤٤	۳۲	» خلقنا
٤٤٦	۳۸	» خلیفه‌ارض
۵۸	۱	» خلیفه دید
۳٤۵	۲۹	» خلیفه کرد
۸۰	۱۱	» خلیل آمد
۱۰۳	٦	» خلیل از
۲۸٦	٦	» خلیل حق
۲٤۷	۱۲	» خوری
۳۰۹	۲۲	» خیال‌آن
۱۱۰	۲٦	» خیالت
۱۹۷	۳٤	» خیالی‌در
۳۳٦	۲۲	» خیالی‌در
۳٤٤	۱۸	» خیالی‌دید
۱۵۵	۳۳	» دبیرستان
۱٦۱	۲۲	» درآئی
۳٦۲	۲۵	» درآمدآن
۲۱۷	۱	» درآمدخوش
۱۱٤	۲۲	» درآمد در
۲۲۲	۱۲	» درآمدعزم
۷٤	۸	» درآمد علتی
۲۳۱	۳۲	» درآنحالت
۹۹	۳٤	» درآنخم
۲۳۰	۲۷	» درآندم
۲۸۹	۱٦	» در آنکوچه
۲۰۱	۳۱	» درآیداندرو
۳۱۲	۷	» در آید وقت
۳۸٤	۲۳	» درازی
۲۱٦	۲۷	» درافتادند
۳۰۲	۳۷	» درافتد
۲٦۷	۱۵	» درافکندت
۱۷٤	۲۲	» درافکندند
۷۱	۵	» درانگشتش
۳۹۹	۱۸	» دراین‌جو
۲٤	۲۵	» دراین ره
۲۹۸	۱۳	» درخت‌آدمی
۲۷۳	۹	» درخت موسو
۲٦۱	۱۲	» درخت‌وسنگ
۲۰۳	۳۱	» درزراد
۵۸	۱۱	» درمعنی
۲٤٤	۳۵	» دروآثار
۲۲٤	۳	» درودیوارتن
۲۲٤	۲	» درودیوارخلق

صفحه	سطر	اول بیت
۷۹	۷	چون دروکمی
۳۲۷	۲	» درون‌آب
۹	۱۲	» درون‌خانه
٤۲۳	۱	» درون‌خود
۷۰	۳۷	» دربدی‌برده
۲۱٤	۲۹	» دری‌میکوفت
۱۱۰	۲۷	» درین تزویر
۳۷۱	۲۰	» درینجا
۲۰۸	۱۱	» درین‌دل
۳۸٦	۳٦	» دعامان‌امر
۱۷۲	۲۵	» دقوقی
۱۰۰	۲۷	» دل‌آن
۱۰۳	۲۵	» دل‌او
۳۲۳	۲۳	» دل‌بوزینه
٦۰	۲۷	» دانش
۲۰۱	۵	» دل‌و
۳۸۹	۲٦	» دلبلت
۹٤	۳۱	» دمادم
٤٤۳	۱٤	» دماغت
۹۷	۲۳	» دم‌رحمن
٤۰۳	٦	» دمی حیران
٤۲۱	۳۳	» دم‌بزدان
۱۱۰	۳۸	» دوایت
۲٤۳	۱۷	» دوچشم
۱۱۷	۲۳	» دو دل
۳۹۹	۳۱	» دودیدی
۳۰٤	۲۳	» دوسه
۱۱۱	۱۷	» دوکس
۲۹۲	٦	» دوم از
۱۹٤	۲۹	» دوم بار
۱٦۱	٤	» دوناطق
۱۸۰	۳۳	» دو هفته
٤۱۲	۲۲	» دهان‌پر
۲۰۳	۲۷	» دهانم
۹	۱٦	» دهد
۳٤٤	۲۹	» ذکر
۱۸۳	۱۲	» رباید
۱۲۸	۱۸	» رجاو
۳۷۱	٤۱	» رخت
۹۱	۷	» رسدآنجا
٤۱٤	۳۱	» رسدآن‌نان
٤۳٦	٤٦	» رسد از
٤۰٦	۳۷	» رسدباده
۲۰۳	۲۳	» رسد در
۳٦۳	۲٤	» رسن یك
۳٤٤	۹	» رسول‌آمد
۵۷	٦	» رسولان از
۳۰	۲۷	» رسول روم
۳٤٤	۱۱	» رسولش باز
۳۱٦	۸	» رسیدآنزن
۱٤۷	۱۲	» رسیدآنکارد
۳	۲۹	» رسیدآنوعده
۲٤۵	۱۷	» رسیدآنوقت
۳۳٦	۵	» رسید از تو

صفحه	سطر	اول بیت
٦	۱۹	چون‌رسیدازراه
۲۲۹	۲۹	» رسید اندر
۲٦	۳	» رسیداوبیشتر
۱۵۲	۲۵	» رسیداینجابیا
۲٤۹	۳۸	» رسیداینجاس
۲۳۱	۱۸	» رسیدم‌در
۱٦۹	٤	» رسیدم‌سوی
۱۰۱	۱۷	» رسیدندآن
۳۸۸	۱	» رسیدند این
۳۰	۲۲	» رفیقی
۳٤۷	۱٤	» روا دارم
۲۳۳	۳۵	» روان
۲۵۲	۳۷	» رودجان
۱۰۱	۳۹	» رود خواجه
۳٦۷	٤	» رود نور
۱۸۳	۱۷	» رها کردت
٤۰۳	۲۹	» رها کردی
۱۱۹	۳۳	» رهاند
۱۹٦	۳	» رهانید
۱۳۹	۲۷	» رهند از
۲۳۸	۲۳	» رهی از
۱۷۳	۲۹	» رهید آن
٤۰۳	۲۸	» رهیدی بینی
۱۸۳	۱٤	» رهیدی‌شکر
۱۹۸	۲۵	» رهیدی و
۱۳٦	۲۸	» زاستغراق
۱۹۰	۱	» زبانهای
۱۹٦	۱۵	» زبانه‌شمع
٤۱٤	۳۹	» زبغداد
۳۱۳	۳۳	» زبند
۱۲	۱۱	» زبون
۳۷۳	۳۱	» زبی صبری
۲۷٦	۱۷	» زبیم‌وترس
۲۳۷	۲۳	» زترك
۷۹	۱۱	» زتنهائی
٦۲	۲۸	» زجان
٤۷	۲۳	» زجزو
۱٦۸	۳٤	» زجو
۲۱٤	۱۸	» زچاهی
۳٤۲	۳۲	» زچشم‌آن
۲۲۹	۲۸	» زچشم‌خویش
۳۲۰	۲۹	» زچشمه
۱٤۳	۲٦	» زحدبردنداص
۱۷۹	۲٤	» زحدبردندتا
۲۸۱	٦	» زحدبیرون
۳٦۳	۱۳	» زحدشد
۳۵۳	٦	» زحرف
۱۵۳	۲٤	» زحس
۲۷	۲۷	» زحیرت
۱٦۳	۷	» زخالق
۱۹۳	٦	» زخشم
۱۷۹	۵	» زخوابش
۹۹	۲۱	» زخور
۲۵	۲۷	» زدانش

صفحه	سطر	اول بیت
۷۹	۳	چون زدریا
۱۹۲	۳۷	» زدستت‌رست
۱۹۳	٦	» زدستت‌زخم
۳۷۲	۲۵	» زدش
٤۱۵	۳۷	» زدکان‌و
۳۷۲	۵	» زذات
۳۵۲	۲۲	» زذره
۲۱۳	۲۸	» زراز و
۹۰	۱۸	» زراندود
۳٤۹	۱٤	» زرخت‌من
۵	۳٤	» زرنجور آن
٦	۲٤	» زرنجوری
۳۹۹	۲۷	» زروی
۹۳	۱۹	» زرویش
۳۷۳	۲۵	» زره دان
۱٤٦	۱٦	» زری با
۲۸۷	۳۹	» ززنده
۱۷۰	۲٤	» زساعت
۳۳٤	۲۳	» زسنگی
۲٤۷	۱۵	» زسینه
۱۱٦	۱۳	» زشوی
۳٦۳	۲٤	» زصدپایه
٤۱۸	۳۵	» زصندوق
۲۷۵	۱۰	» زصنعش
۱۱۲	۳۲	» زصوفی
۱۷۸	٤	» زصیادی
۲۰۳	۲۰	» زطفلی
۱٦۱	۱۲	» زظن
۱۳۱	۳۹	» زعادت
۲۲۰	۲۳	» زعطر
٤۹	۲۰	» زعفو
۷۱	۲۷	» زعلت
۱۰۰	۱٤	» زغم
٤۱۵	۳۷	» زغیبت
۲۷٦	۳	» زفهم
۲۲۷	۳۵	» زقربانی
۳۰۹	۲۵	» زقندیل
۲۳٤	۱٤	» زکودك
۱۱۵	۲٤	» زکوری
۹۹	۲٦	» زکه آن
٦۱	۱	» زکه در
۱۱۰	۳۲	» زکرگی
۹٤	۲۵	» زگرمابه
۲۸۹	۲٤	» زگریه
٤۲	٦	» زگورستان
۳۵	۸	» زلقمه
٤۲۳	۳۸	» زلیخا
٤۲۳	۲٤	» زمادر
٤۲۹	٤۷	» زمبده
۲۸۷	۳۸	» زمرده
۱٦۰	۳٦	» زمفلس
۵۰	۳۳	» زمقناطیس
٤۱۳	۵	» زمن سازی
۱۵۲	۱	» زمین با

صفحه	سطر	اول بیت
۱۹٤	۲٤	چون‌زمین بر
۱٦۰	۱٤	» زمین را
۳۵۳	۱٦	» زمین‌زین
۲٦۱	۱۱	» زمین‌کش
۱۹۹	۳۳	» زمین‌و
۳۲۲	۲	» زنامرد
۱۵۲	۷	» زنان
۳۵۹	۱	» زنخ
۱۸٤	۳۵	» زند افعی
٦۳	۳	» زنداین
۳٤٤	۲۷	» زند شهوت
۱۵۱	۲٦	» زن‌عمران
۲۱۹	۱۹	» زن‌صوفی
۳٦	۲۱	» زنم‌دم
۱۲۳	۱۷	» زنوروحی
۱۳	۲۵	» زنی‌از
۳۷۹	۲۳	» زنی‌که
۲۳۰	۲۰	» زوحدت
۳۷٦	۲٤	» زیك بطنند
۳۷٦	۲۲	» زیك دریا
۳۷٦	۲۳	» زیك سرمه
۲۱۷	۲۱	» سبب‌ساز
۳٤٦	۲۸	» سبب کردی
۲۲۰	۱۷	» سبب معلوم
۳۰۵	۱۵	» سبب نبود
۱۸۸	٦	» سببها رفت
۳۰۰	۳۲	» سبد بر
٤۰۵	۲۱	» سپاه رنج
۳۸۱	۱۰	» سپاه زنگ
٤۲۹	۳۰	» سپاه شاه
۲۰۲	۱۲	» سپه گرد
۹٦	٤	» ستاره با
۱۵۷	۲۹	» ستاره سبز
۲۹٦	۲	» ستداو
۳۷۱	۷	» ستد زو
۳٦٦	۲۲	» ستوری
۲٦۱	۱۲	» ستون
۱۹۲	۳٦	» سجودی
۳٦۱	۲۷	» سحر از
۱۲۰	٤۰	» سخن‌درروی
٤	۳۲	» سخن‌دروصف
۳٤۹	۳۲	» سخن‌دروصف
۵۹	۱۹	» سررشته‌بدست
۲۷۲	۲۳	» سررشته‌نگهد
۳۷۰	۳۵	» سرسفره‌رخ
۳۵٤	۱۰	» سروماهیت
۹۳	۲۵	» سری
۱۸	۱۷	» سزای
٤۳٤	٤۸	» سعادت
۱٤۹	۳٤	» سفاین
۵٤	۱۰	» سفر رمود
۱۰۷	٤	» سفر کردم
٤۱٤	۱	» سفرها
۱۰۰	۲۵	» سفیهان

صفحه	سطر	اول بیت
۷۰	۲۶	چون سقوا
۱۱۰	٤	» سگ اصحاب
۹٦	۲۹	» سگان کوی
۱٤۲	۳۳	» سگان هم
۱٥٤	۳۰	» سگ صیاد
۱٤۱	۱۳	» سگ کهفی
۳۹٤	۱٦	» سگی بانگی
٤۱۸	٤	» سلاحت
٤۳۷	۲۲	» سلاح تست
۲۳۸	۳٦	» سلاحش
٤۲۲	۱۱	» سلاح و
٤۱۱	۲۱	» سلیمان از
۲۳٤	۲۳	» سلیمان باش
۲۲٤	۹	» سلیمان در
۲٦	۳٤	» سلیمان را
۲۳۰	۸	» سلیمان سوی
٦۳٦	٦	» سلیمان شاه
۹۳	۱۱	» سلیمان شد
۲۳٤	۲۲	» سلیمان شو
۲۲۳	۳٦	» سلیمان کرد
۱۳٥	۱۱	» سلیمان کز
۲۳٦	۲۹	» سلیمان نبی
۷۰	۱۳	» سلیمانی دلا
۸۷	۳۱	» سماع
۱۹۹	۱٦	» سواد
٤۲۲	٥	» سیه روئی
۱۳۰	۳۱	» سیه شد
۸۹	۳۳	» شبانگه
۳۹۱	۲۳	» شدآدم
۳۸٥	۲۹	» شد آن
۳۹٥	۳۳	» شد اندر
۱۱۱	۲۰	» شدم
٤۰٦	۳۳	» شدند از
۲٤۳	۱	» شدی اول
۱٥۹	۱۹	» شدی بر
۳۷٥	۱۲	» شدی بیخود
۱۹۲	۱۸	» شدی پیر
۲٥٤	۷	» شدی تو پاك
۲۰٤	۳٥	» توروح
٥۸	۱۳	» توسیر
۳۹	٤	» درخو
۳٥۷	۳٤	» درضد
۳۹۸	۲	» زیبا
٤۲۹	۲۰	» زین
۱٤۳	٤	» سر
۲۷۰	۳٤	» منصف
٤۰	۱۱	» من کان
٤٤۷	٥	» نایب
۳۸۰	۸	» نومید
۳۲٥	۱۰	» شراری
۹۳	۱٥	» شعیب آگاه
۱۳۰	۳۸	» شعیب این
۱۳۱	۲	» شعیب این
۱۰٤	۱۸	» شعیبی

صفحه	سطر	اول بیت
۲۸٥	۲٦	چون شکار خوك
۳۷۳	۲٤	» شکار فقر
۱۹۷	۹	» شکاری
۷۱	۸	» شکافم
٤۱	٥	» شکرگردی
٤۲۲	۳٥	» شکرلب
۳۸	۳٥	» شکر ماند
۳۱۷	۲٤	» شکست آن
۲۰۹	۹	» شکست او بال
۳٤۷	۳۹	» شکست او گوه
۳۰۸	۱۲	» شکستن
۷٥	۱۱	» شکسته بند
۲٤۳	۲	» شکسته دل
۲٥۹	۲	» شکسته میرهد
۳۳٦	٤۱	» شکستی سر
۲۷٤	۱	» شکم پر
۱٤۹	۱۱	» شکم خود
٥۹	۱٤	» شکوفه ریخت
٥۹	۱٥	» شکوفه ریخت
۱۱۸	۲٥	» شما اینجمله
۱۱۸	۲۳	» » این نفس
۱۸۰	۸	» » بسته
۷۱	۲٥	» » تاریك
۱۸۰	۹	» » در دام
٦۲	٦	» » راحاجت
۳۱۰	۸	» شمارد جرم
۹	۲۷	» شمارندم
۱۰	۲	» شمارندم
۱٥۳	۱۹	» شما سوی
۲۷۷	۱۱	» شناسد اندك
۲۷۷	۱۰	» شناسد جان
۳۰۰	۲	» شنود آن
۲۸۹	٦	» شنید آن پند
۳۸۱	۲۸	» شنید آنشخص
۳٦	٤	» شنید آنمرغ
۱٥۰	۳٤	» شنید آن مژده
٤٤	۲٤	» » ازسنگها بو
۲۳۱	۳۱	» » ازسنگها بو
۱٥۱	۳۷	» » از غصه
۳۸۹	۷	» » از گاو
۳۷۷	۲۹	» » از وی
۳۹۹	۳۷	» » او هم
۱۲۲	۱۳	» » این مرد
٤۳٦	٤۸	» » این نکته
۱۹۱	۲۱	» » اینها
٥۱	۲۹	» شنیدند آن
٥۱	۲٦	» شنیدند این
۳٦۹	۱۱	» شنیدی بعض
۳۷٤	۱۸	» » شرح
۲۰٦	۳۰	» » کاندر
۱۲۱	۱۲	» شود از
۳۰۹	۱٦	» » بیدار
٤۱٤	۱۹	» » پر
۳٦۷	٤	» » پیدا

صفحه	سطر	اول بیت
٤۳٤	٤۹	چون شود تدبیر
۲۸۲	۲۰	» » تیره
٦۳	٤	» » جانش
٤۰٥	۳	» » چشمه
٤٤۰	٥	» » روز
٤۳۳	۲۳	» » شاهیش
۱۰۳	۱٤	» » فانی
۲۱۱	۱۷	» » واقف
۲۸۲	۱۰	» شوم آلوده
٥۲	٤	» شوم غمگین
۳٤۹	۳٦	» » هشیار
۹	۲٦	» شوند آن
۳۹۱	۱۲	» شوی تمیز
۱۱۳	۷	» شوی دور
۲۲٥	۳۲	» » محرم
۳٤۳	۱	» شهادت روز
۲٥۰	۲۲	» شهادت گفت
۲٤٤	۱٦	» شیاطین
٤۱۰	۳٥	» صبوری
۲۱۷	۳۰	» صفابیند
۱۸۱	۱۱	» صفت
۲٥۷	۱۷	» صفر آمد
۲٥۷	۱۹	» صفر بربست
٦۷	۲۲	» صفیرش
۲۱۳	۱	» صلای وصل
٤۰۷	۲۰	» صور بنده
۳٤۱	۳٤	» ضرورت
۷۹	۲	» ضیاءالحق
۸٦	۷	» طبق را از
۸٥	۳۰	» طبق خالی
۱۸۰	۱۹	» طبیبان را
٤۳٥	۱۸	» طریق عدل
۱۰٥	۱۱	» طلب کردی
۳۹۰	۲٦	» طمانینه
۳٤۰	۱٤	» طمع بستی
۳۲٥	٤	» طمع خواهد
۱۸٥	٥	» عبادت بود
۳٤۰	۸	» عتاب
۲۸۸	۱٦	» عدو نبود
۳۳٤	۹	» عرب با
٤٤٤	٤۷	» عرب زان
۳۷۱	۲۹	» عروسی
۹۳	۱۳	» عصا از
۱٥۳	۱٤	» عصا از
۱٥۳	٤	» » در
۳۸٤	۳۳	» » را
٤٤	۱۱	» » شد آلت
٤٤	۱۳	» » شد مار
۳۸۸	۲۷	» » و
۱٥۳	۱۳	» عصای
۱۱۸	۳۳	» عطارد
٤٤٦	٤۸	» عفونت
٤۳۸	٤۳	» عقاب آن
٤٤۱	۳۹	» » از

صفحه	سطر	اول بیت
٥۰	۲٦	چون عمارت
۲۱۸	۲۸	» عمر آن
۳۲	۲۲	» ازعقل
۳۱	۱۱	» اغیار
۸۰	۳٤	» بر
۹۳	۱۸	» شیدای
۹٤	٦	» عمل
۱۰	۲۰	» عنایاتت
۲۰۷	۲۹	» عنایتها بر
۱٥۲	۱۲	» عوانان
٦۷	۷	» عبادت
٤۱۲	۱۰	» غبار تن
۳۷٤	۱٥	» غبارنقش
۳۹٥	۳۱	» غراب البین
۹	۱٥	» غرض آمد
٤۰۳	۹	» » دلاله
۳۸۰	۲٦	» غزا
۱۹۰	۳٤	» غلام او
٤٦	۷	» » باغئی
٤۳۰	٤۸	» » راه
٤۳۳	٦	» » عاقبت
۹۱	۳۲	» » هندوی
۱۸۱	۲۰	» غلط شد
۸۱	۲۱	» غم خود
٤۲٥	۱۸	» فتاد از
۱٤۳	٤	» فدای
۸۰	۲۰	» فراق آن
۲٦۷	۲٥	» فراق نقش
۱۸٦	۳۳	» فراموشت
۱۸٦	۳٤	» فراموش خود
۳٥	۲۸	» فراموشی
۲۱٤	۱	» فرستادی
۹۰	۱۸	» فرشته بود
۳۳۳	٤	» فرشته گشت
۲۰۲	۲۲	» فرشته وعقل
۲۷۳	٦	» فرود آئی از آ
۲۷۳	٥	» فرود آئی از ا
۲۷۲	۳۱	» فرود آئی ببینی
۲۷۲	۳۱	» فرود آئی فرو
۲۷۲	٤۰	» فرود آمد بر
۳٦۹	٤۱	» فرود آمد ز
۳۷۹	۳۳	» فروگیرد
۳٤٦	۳۲	» فزونی
۲۱	۲٥	» فضولی
۳۳۲	۲۸	» فضیل
٤۲٤	۳	» فطامش
٦۲	۳٦	» فقیر آئید
٤۱۰	۲۷	» فقیهش
۳۸۱	۲۲	» فکندی تیر
۱۸۷	۲۷	» فکندی زود
۲٦٥	۳۲	» فنارا شد
۲۹۰	٤	» فناش از
۹۷	٥	» فنا شد
۲۸٥	۳۱	» قبور

صفحه	سطر	اول بیت
۳٤	۲۲	چون قبول
٤۰٥	۲٤	» قدم
۳۰۱	۱۷	» قدیم
٤۹	۲٤	» قرارش
۳٦٦	۱٥	» قراری
٤۳۷	۱۰	» قریب
۲۰۲	۱٤	» قریش
۲۳۷	۱۹	» قضا آورد
۱٤٤	۳۸	» قضا آهنگ
۲۷	۱۳	» قضا آید شود
۱٤۳	۲۷	» قضا آید شود
۳	۱۸	» قضا آید طبیب
۳۰۸	۳	» قضا آید طبیب
٥۰	٥	» قضا آید فرو
٥۰	٥	» قضا آید نماند
۲٦	۲۷	» قضا آید نه بینی
٥۰	٦	» قضا بگذشت
۱٤٥	۲	» قضا بیرون
۱٦۷	۳۹	» قضای حق
۲۰۹	۱۰	» قضایش
۳۷۷	۱	چون قفا دیدی
۳۸۷	۳۲	» قفص را
٤۱۰	۳٤	» قلاوزی
۲٥	۳	» قلم از
٤	۳۱	» قلم اندر
۱۰۰	۲٥	» قلم دردست
۲۳۹	٤	» قلم دردست
۲٦۱	۱۱	» قمر که
۳۱۹	۳۳	» قناعت
۱۷۱	۲۸	» قیامت پیش
۹۹	۳۰	» قیامت کوهها
۳٦	۱	» کبوتر
۲۰٥	۱۸	» کتاب
۱٤	۱۷	چونك دندانها
۲۱۱	۳۲	چون کراهت رفت
۲۱۱	۳۳	» » رفت
۲٥٦	۲۳	» کرم
۲۲٥	۲۳	» کساد
۳٤۹	۱۳	» کسم
۲٦۸	۱٦	» کسی با
۳٤٦	٤۰	» کسی را داد
٥	۲۳	» کسی را خار
۹٥	۳۹	» کسی کو
٦۷	٥	» کسی که
۳۲۹	۱	» » نا
۲۱۱	۷	» کشانندت
٦٦	۱٥	» کشید از
۲۲٦	۱۸	» کشیدت
۱۸۸	۱	» کشیدندش
۳۸٦	۳۹	» کفم زین
۲٦٦	۳۸	» کف موسی
٤۳٥	٤۸	» کمان را
۱۷۹	۳	» کنار کودکی
۳۲۹	۲۰	» کند آن

صفحه	سطر	اول بیت
۱۳۰	۳۳	چون کند اصرار
۹۷	۱۴	» کند تقصیر
۶۵	۲۳	» کند جان
۹۸	۱۸	» کند چکچك
۲۱۱	۱۸	» کند در
۱۴۸	۵	» کند دعوی
۳۳۹	۲۵	» کند مستسقی
۵۴	۱۸	» کنم در دست
۸۴	۲۴	» کنی از خلد
۱۱	۲۱	» کنی بر بی
۱۵۷	۲۵	» کنی پارا
۳۶۸	۴۰	» کنی خامش
۵۷	۱۳	چونکه آب جمله
۲۵۷	۲۱	» آب خوش
۳۲۸	۱۵	» آبش
۱۳۱	۳۷	» آزادیت
۳۵۹	۱۴	» آگه شد
۲۶۳	۶	» آمد پای
۴۴۴	۲۱	» آن بنده
۴۲۲	۲۴	» آنجا خشت
۲۶۹	۵	» آنجا گفت
۲۳۰	۱۴	» آن خلاق
۷۷	۲۸	» آن سبزیش
۱۹۶	۱	» آن مخفی
۱۵۴	۳	» آن مرد
۱۰۹	۳۵	» آوازش
۳	۲۷	» آیداو
۳۷۱	۳۸	» آیدخیز
۳۳۱	۱۴	» آیدنوبت شکر
۳۳۱	۱۳	» » » نفس
۳۸۲	۲۴	» اخوانرا
۴۳۸	۹	» ادیان
۱۶۴	۱۱	» ازامرود
۴۲۸	۱	» ازچرخ
۱۰۸	۶	» ازعقلش
۶۸	۲	» ازمیخانه
۳۵۵	۲۴	» ازهستی
۳۹۴	۲۱	» استادند
۴۴۱	۲۴	» استغراق
۲۵۱	۱۱	» استنجا
۲۵۱	۱۰	» استنشاق
۶	۱	» اسرارت
۹۳	۱۰	» اسمعیل
۳۷۴	۱۸	» اصل کار
۲۷۰	۳۶	» اصلی بود
۱۱۰	۳۹	» اعمی
۴۴۱	۴۳	» اندرخانقاه
۱۰۵	۵	» اندرخواب
۴۳۵	۲۷	» اندر زخم
۱۲۲	۲۲	» اندرقعر
۷۷	۸	» اندرمرگ
۳۲۴	۹	» اوافکند
۲۳۴	۴	» او بنیاد
۸۰	۳۶	» اوترکرد

صفحه	سطر	اول بیت
۲۹۳	۱۴	چونکه اوحق را
۲۹۹	۱۴	» اوحی
۶۰	۱۷	» اوسوزن
۲۱۰	۱۵	» اومبدل
۳۶۴	۲۷	» ایشان
۱۹۱	۲۶	» ایمان
۲۴۴	۵	» این ارض
۳۷۶	۲۱	» این جمله
۳۸۱	۲۴	» این را
۴۲۳	۵	» با او
۲۱۴	۶	» بابی برگی
۱۷۱	۲۵	» با تکبیر
۳۰۲	۹	» باجاروب
۴۱۱	۳۶	» باحق
۹۲	۱۴	» بادی
۳۸۷	۷	» باران
۴۳۷	۳۱	» باز آیم
۳۳	۱۶	» بازرگان
۲۴۱	۱۹	» بازش
۴۳۸	۲۰	» باشد
۲۲۵	۷	» باشیخی
۲۵۷	۱۰	» با کودك
۲۴۸	۳۳	» با معشوق
۱۵۰	۸	» بجهد در
۳۷۴	۱۳	» بحرافکند
۳۷۵	۸	» بحر عشق
۲۱۸	۲۷	» بد کردی
۱۸۷	۵	» بر بوکست
۱۲۵	۳۴	» بر سر
۲۵۹	۳۵	» برگردد
۴۸	۲۹	» برگردی
۱۰۳	۲۷	» برگ روح
۳۶۶	۲۲	» برمیخت
۱۱۹	۳۲	» بر نطعش
۲۱۴	۵	» بروی
۱۳۵	۵	» بسپارید
۲۰۷	۱۹	» بشنود
۱۰۴	۱۳	» بشنید
۲۳۰	۹	» بلقیس از
۴۱۸	۲۲	» بنشستند
۳۷۸	۱۲	» بنهادآن
۱۱	۲۶	» بوئی برد
۴۳۲	۴۲	» بوداو
۲۲۰	۲۹	» بوی آن
۱۶۷	۱۸	» بی آتش
۲۶۷	۲۶	» بی این
۳۲۲	۲۸	» بی تمیز
۳۶۱	۷	» بی تو
۱۶۷	۱۹	» بی چشمت
۱۴۳	۱۶	» بیخش بد
۳۸۲	۱۰	» بی دف
۵۰	۲۱	» بی رنگی
۱۱۱	۳۹	» بی سوگندیر
۱۱۱	۳۸	» بی سوگندگو

صفحه	سطر	اول بیت
۹۸	۲۳	چونکه بیگه گشت
۱۶۹	۱۲	» پایانی
۳۱۰	۲	» پای چپ
۳۳۰	۳	» پردهٔ
۲۵۲	۲۲	» پرش
۱۹۲	۳۶	» پرید
۱۷۷	۱	» پیدا گشت سر
۴۷	۱۱	» » » کا
۱۸۳	۲۰	» تابستان
۱۸۳	۲۰	» »
۳۴	۹	» تا اقصای
۲۵۸	۱۳	» تتماجش
۱۱	۹	» تخم
۳۲۹	۱۷	» ترك از
۳۸۱	۳۲	» تعویق
۴۰۳	۲۳	» تقصیر
۱۶۶	۳۰	» تقوی
۲۱۷	۳۹	» تنهایش
۱۳۱	۳۹	» تو گلخوار
۲۹	۹	» تو بنظر
۲۸۶	۱۱	» جادو
۶۴	۷	» جامه
۱۴۴	۲۳	» جان باشد
۲۲۹	۴	» جان جان
۴۲۵	۲۵	» جان درخاك
۳۱۷	۲۵	» جانش
۲۱۸	۱۰	» جزو باد
۳۰	۱۱	» جزودوزخ
۵۶	۳۲	» جزوی عاشق
۳۹۷	۴	» جعفر رفت
۳۸۲	۳۳	» جفت احولان
۱۸۳	۱۱	» جفتی
۶۲	۴	» جمع
۴۴۰	۲	» جنسیت
۳۲۱	۲	» چشمش باز
۳۰۰	۳۴	» چشمش را
۲۱۹	۲۸	» چشمم
۱۵۶	۸	» چوپان
۱۰۲	۱۲	» چیزی
۲۰۲	۱۹	» حارث
۴۳۴	۴۲	» حاصل
۳۳۲	۷	» حاکم او
۳۵۸	۲۹	» حاکم این
۹۸	۳	» حاکم را
۳۸۰	۳۵	» حرفی
۷۴	۱۶	» حرم
۸۲	۸	» حق رش
۳۸۴	۲۹	» حق قهری
۱۲۴	۳۰	» حق و
۱۰۰	۲۲	» حکم اندر
۲۷۶	۵	» حیران
۲۳۷	۳۷	» خواب
۳۵۶	۱۲	» خواتون
۴۳۱	۴۱	» خواجه

صفحه	سطر	اول بیت
۳۵۳	۱۱	چونکه خواهد
۳۲۹	۲	» خواه نفس
۴۳۵	۱	» خواهی
۲۹	۱۷	» خرگوش از
۳۲۲	۹	» خرگوشی
۶۲	۳۲	» خرمن
۲۸	۳۳	» خصم
۱۶	۳	» خلق
۳۷۷	۳۴	» خندیدن
۲۹۴	۲۸	» خوبی زنان
۳۴۴	۳۲	» خود راو
۱۳۳	۲۸	» خودرا پیش
۴۲۲	۲	» خوردی
۲۹۱	۷	» دادی دست
۳۷۶	۲۳	» دارالضرب
۲۶	۳۹	» دارد از
۱۷۵	۵	» داود
۴۲۹	۴۲	» دانستی
۴۴۶	۲۰	» دراخ
۱۳۳	۱۵	» در تو
۳۱۴	۲۲	» در جنت
۲۸	۳۲	» درچه
۳۸۰	۴	» درخلاقیم
۳۱۳	۳۵	» درددنبلش
۱۸۵	۲۵	» دردو شور
۱۰۰	۲۱	» درریش
۱۲۱	۱	» درسبزه
۳۵۴	۲۳	» در صنعت
۲۹۸	۲۴	» در عهد
۳۱۲	۸	» درمانی
۱۳۳	۱۶	» درمعده
۳۶۵	۱۴	» درملکش
۴۰۵	۳۱	» دریابر
۳۷۶	۱۳	» دریاران
۳۱۷	۲۷	» دریاهای
۱۰۱	۴	» دزدی باری
۳۷۷	۱۹	» دزدیها
۲۹۱	۶	» دست خود
۴۳۱	۲۸	» دست عشق
۱۶۶	۲۹	» دست عقل
۴۰۵	۱۷	» دشمن
۱۲۹	۱	» دعوی
۳۷۲	۳	» دل
۱۵۸	۱۳	» دندان
۴۳۰	۶	» دنیا
۳۷۶	۳۰	» دومثل
۲۹۴	۳۱	» دید آن
۳۴۵	۵	» دید او
۳۰	۲۶	» دید دوست
۱۸۳	۱	» دیدی دانه
۴۳۴	۱۰	» دیدی معجز
۴۹	۳۰	» دیگی
۹۳	۲۵	» ذوالنون از
۱۰۱	۲۲	» ذوالنون این

صفحه	سطر	اول بیت
۱۰۱	۴	چونکه ذوالنون سوی
۴۴۴	۴۸	» ذوق
۶۰	۳۷	» رفتند آن
۳۸۲	۴	» رقعه گنج
۳۲۳	۳	» روباهش
۴۰۷	۳۲	» روحانی
۵۰	۲۴	» روغن
۴۱۹	۸	» رهرو شد
۳۸۷	۳۳	» ره وا شد
۴۰۶	۳۸	» ریگی
۷۹	۲۰	» زاغان
۱۸۰	۳۴	» زد خرطوم
۴۱۱	۶	» زد عشق
۶	۲۷	» زرگر
۶	۲۵	» زشت و
۹۳	۱۴	» زکریا
۳۰۰	۷	» زین
۶۶	۱۵	» ساکن
۹۳	۲۰	» سبطین
۲۶۲	۲۱	» سد
۲۱۲	۲	» صر بر
۳۵۲	۹	» سر که
۶	۱۳	» سلطان از
۲۰۳	۹	» سلطان شاه
۱۱۶	۲۴	» سوی
۴۰۱	۳۴	» شاهنشه
۲۵۹	۳۹	» شاهی
۲۵	۱۸	» شب آن
۱۰۰	۶	» شب این
۱۶	۸	» شد ازپیش
۱۶	۸	» شدخورشید
۲۵۲	۲۵	» شد رنج
۸۱	۲۹	» شکر گام
۴۲۹	۲۸	» شه محمود
۲۸	۳۲	» شیر
۳۰۵	۲۱	» صانع
۲۶۷	۲۶	» صبرت
۳۶۶	۳۵	» صدیق
۸۳	۱۴	» صوفی
۲۶۲	۶	» ظاهر بین
۳۰۱	۲۶	» ظاهر ها
۴۰۸	۲۹	» عاجز
۳۶	۳۰	» عاشق او
۱۹۹	۳	» عاشق توبه
۹۳	۱۹	» عثمان
۴۴۰	۳۸	» عزمت
۲۵۲	۲۱	» عقلت
۴۸	۵	» عقل تو
۱۴	۸	» عمر اندر
۳۶۰	۳۵	» عمرت
۸۵	۲۳	» عمر شیخ
۸۶	۲۴	» عیسی دید
۱۹	۳۴	» غم
۷۱	۱۴	» غیب وغایب

صفحه	سطر	اول بیت
٤٥	٢٣	چونکه‌فاروق
٤٣٩	٣٣	» فردا
٤٣٢	١٢	» قبچاقی
٣٩٨	٣٤	» قبح
١٩٧	١٦	» قبض آید
١٩٧	١٣	» قبضي
١٩٠	١٧	» قدرت رفت
٢٨٩	١٥	» قدرت نیست
٣١٨	٣٦	» قسام
١٧٧	٢٥	» قشرعقل
٤٥	٢٧	» قصهٔ
٤٤٣	١٩	» قطمیر
٨٣	١٧	» قوت
٢٨٠	٣٠	» کافر
٩٣	٢٢	» کرخی
١٣١	٤٠	» کرد ابلیس
٢٧٦	١٦	» کردالحاح
٤٠٦	٦	» کرداومنع
٤٤٢	٣٣	» کردابن
٣٦٢	١٩	» کردند آشتی
٣٩٣	٤	» کردندی
٢٤٧	٢٥	» کردی‌دشمنی
٣٦٩	١٩	» کردي دم
١٠١	١٣	» کشته گردد
٢٨٤	٢١	» کعبه
٣٦٦	٢١	» کلیات‌پیش
٢٨	١٩	» کلیات را
٣٣١	٤	» کلی
٢٤٨	٣٧	» کوته
٢٧٥	٣٠	» کوه
١٠٧	٦	» گردانید
٢٢٤	٨	» گشت‌آن
٢٨٧	٢٦	» گشتی
١٢٤	٢١	» گفتت
٢٢٨	٢٩	» گفت‌من
٣٣١	٣١	» گفتی کفر
١٦	٩	» گل بگذشت
٢	٢٠	» گل‌رفت
٢	٢٠	» گل‌رفت
١٥٤	٣٩	» گله باز
٤٠٧	٢٦	» گم شد
١١٢	٧	» گنجی
٢٥٢	٢٣	» گوهر
٣٢١	١٦	» گوینده
١٠٢	١٨	» لقمان آید
١٦٧	٣	» لقمان تن
٧٠	٢٥	» لقمان‌را
٤٤٧	٣٦	» ماخا کیم
٤٤١	١٠	» مارا
٢١٢	١١	» مازادیم
٢٢	٣٢	» مال و
٧٩	١٥	» مؤمن
٣٧١	٩	» مجلس
٤٤٠	٣٠	» محمل

صفحه	سطر	اول بیت
٢٨٨	٢٠	چونکه محمول به
٦٣	٢٨	» محمولی
٧٧	٣	» مخزنهای
٩٩	١٩	» مخلص
٣٢١	٣٧	» مردی
٢٩٨	٢٨	» مریم درد
١٩٧	٣١	» مریم مضطر
٢٧٤	٤	» مستغني
٣٤٩	٣٥	» مستم
٤٣	١٣	» مطرب
٣٢٩	٣٥	» مطلوبی
٢٤٢	٣٢	» معجزهات
٣١١	٨	» مغز من
١٠٩	١٤	» مقصودازشجر
٢٧٣	١٩	» ازوجود
٣٣٣	٢٣	» مقضی
٢٨٧	٤	» مکرت
١٠٢	٣٣	» ملعون
٨٢	١١	» من از
٢٢٧	٢٣	» من فارغ
٦٢	٢٩	» من من
٨١	٢	» موئی
١٠٦	٢٦	» موسی این
١٥٥	٢٢	» موسی باز
٢٠٦	٨	» موسی بر
٨٥	٥	» موسی‌رونق
٢٦٤	١٤	» موسی کشت
١٣٨	٥	» موصوفی
٣٠٦	٣	» میکائیل
١٩٧	١٠	» ناپیدا
١٠٩	٣٦	» نالهٔ
٤٩	١	» نامحرم
١٨١	٦	» ناید
٢٨٨	٢١	» نبود
٢٨	٤	» نزد
١٠٢	١٣	» نقدت
٣٥٢	٩	» نگذارد
٤٢٥	٢٧	» نم
٥٣	٢٣	» نور الله
٩٩	٩	» نورحس
١٠	٢٨	» نورصبحدم
٤٤٥	٤	» نوشد
٢٠٩	٣٢	» وادیدیم
٢٥٧	١٦	» واقف شد
٣٠	١٣	» واگشتم‌زبیکر
٢٣١	٢٠	» واگشتم‌زحیر
٧٣	٢٩	» وقت‌آید
٤٤٦	١١	» وقت‌دولت
٢٨٥	١٢	» وقت‌مرگ
٢٠٢	٢١	» ویران کرد
٢٠٨	٣٤	» هرجزوی
٤٣٦	٤٢	» هر جنس
١٢٨	٣٧	» هوحس
٣٥٢	٢٧	» هردم راه

صفحه	سطر	اول بیت
١٦٦	٨	چونکه هستیش
٤٠٣	١٠	» هنگام
٣١٧	٢٣	» هوشش‌رفت
٣١٧	٢٦	» هوشش‌رفت
٧٢	٢١	» هیزم
٤٣٠	٤١	» یابد
٩٣	١٥	» یحیی
١٢٨	٣٣	» یك حس
٤٠٥	٣٨	» یوسف
٣٠٦	٢١	» یونس از
٩٣	١٤	» یونس‌جرعهٔ
٥٥	٣٢	چون‌گدا
٣٨١	١٠	» گذاره شد
٣٣٨	٣٦	» گذر سازد
٨٧	٣٣	» گذشت‌آنجو
٢٤٩	١٨	» گذشت‌آن
٤	٢٥	» گذشت‌آنمج
٢٧٦	٣٣	» گذشت‌احمد
٣٥	١٧	» گذشت از-
٢٥١	٤١	» گذشت و
١٦٨	٢٨	» گذشتی
٢٠٦	٣١	» گران‌دیدی
١٠٧	١٩	» گرانیها
٥٨	١٣	» گرسنه
٢٧	٨	» گرفتارآمدی
١١٧	٦	» گرفتارگنه
٦٠	٤	» گرفتی پیر
٦٢	١٩	» گرفتی‌عبرت
٢٦١	٣٣	» گروبستند
٣٧	٢٧	» گریزانی
١٤٤	٢٩	» گریزد
٣٦١	٧	» گریزم
١١٥	١٣	» گزدسگ
٦٠	١٠	» گزیدی
٤٠٢	٢٦	» گشادت
٧٣	٢٣	» گشاده‌شددر
٣٨٧	٣١	» گشاده‌شدره
٢٢٦	١٨	» گشایند
٥٠	٢٤	» گل از
١٤٩	١٩	» گلستان
٤٢١	٣٩	» گلو تنگ
٧٤	١٣	» گناه‌اوست
٦٦	١٨	» گناه وفسق
٣٦٦	٢٦	» گنه کمتر
١٢٦	١٩	» گواردلقمهٔ
٢٨٣	٧	» گواهت‌ترکیه
٢٠١	٣٧	» گواهت‌خواه
١٦٦	٢٢	» گواه رحم
٧٤	١٥	» گواهی‌بندگ
٧١	١٧	» گواهی‌داد
٢٩٦	٢٨	» گهر در
١٣٨	١٢	» گیاهش‌خور
١٥٥	١٩	» اب جو
٣٩٥	٩	» لسان‌وجان

صفحه	سطر	اول بیت
١٢٧	٣١	چون مبارك
٣٩٩	١٧	» مبدل گشته
٧٤	٢٢	» مبدل‌میکند
٢٦٢	٢٩	» محك آمد
٢٤٢	٣٥	» محك‌پنهان
١٤٩	٢٩	» محك‌دیدی
٣٣٨	١٣	» محله پر
٣٠	٢١	» محمد پاك
١١٠	٣٢	» محمد را
٢٣١	٢٦	» محمد گفت
٩٣	١٧	» محمد یافت
٣٢	١١	» محیط
١٣٢	٤٠	» مرا پنجاه
٢٠٥	١٠	» مراتب
١٦٠	١١	» مراتو
٢٠٩	١٦	» مراداتت
٣٨٤	١٩	» مرادوحاکم
١١٣	٣١	» مرادیدی
٤٣٥	٣٧	» مرا زخم
٧٦	٥	» مرا سوی
٢٥٥	٧	» مراقب
٤٢٢	٣٤	» مرا ماهی
٣٥٦	١	» مراهق
١٣٨	٢٣	» مزاج‌آدمي
١٣٨	٢٤	» مزاج زشت
١٦١	٢	» مسبح کردهٔ
٣٧١	١١	» مسن گشت
٤٢٢	٣١	» مسلم
٤٤٤	١٧	» مشیرش
٤٤٧	٤٨	» مطلس
٢٤	٢١	» معلم بود
٣٧٥	٩	» معلم زد
٩١	٤١	» مقررشد
٣٦٨	٢٢	» مقلد بود
١٥١	٤٦	» مکان بر
٨٩	١	» مگس‌حاضر
٣٤٩	٤٨	» مگس در
٤٢٩	١٢	» مگو وچون
١٣٣	١٢	» ملالم
٤٠٢	٣٦	» ملایك او
١٢٧	٣٢	» ملایك گوکه
١٥٥	٥	» ملایك‌گوی
٨١	٣٥	» ملایك مانع
٢٧	٢٤	» ملایك نور
١٤٧	٢٠	» ملخ بر
٣٤٤	٣	» ملخهایی
٢٨٤	١٢	» ملك‌ازلوح
٢٧	٢٣	» ملك‌انوار
١٨٨	٣١	» ملك باعقل
٢٨٣	٣١	» ملك تسبیح
٢٩٥	٣٥	» منارهٔ خاك
١٦١	٤	» من‌ازتسبیح
١٢٩	٧	» مناسبهای
٣٦٨	١٣	» منافق از

صفحه	سطر	اول بیت
١٩٣	٣	چون منی‌تو
٤٤٦	٤	» موحد
٣٠٩	٣٢	» موکل آن
١٧٦	١٨	» موکل‌میشود
١٧٦	١٩	» موکل‌میشود
١٩٨	٢٦	» موکل‌نیست
٧١	١٩	» مه نوبا
٣٤٥	٣٠	» میان پای
٢٥٩	٣٧	» می پرزهر
٢٢٦	٧	» نباشدحارس
٢٨٩	٣١	» نباشدحفظ
١٣١	٤٤	» نباشد خوی
١٣١	٤٤	» نباشد خوی
١٨٤	١٤	» نباشد روز
١٧٩	٤	» نباشدطفل
٣	١	» نباشدعشق
٣٥٩	٣٧	» نباشد قوتي
٢٣٨	٢٤	» نباشد منتش
٣٨٧	٦	» نباشم زاشك
٣٧	١٥	» نباشم‌هیچو
٣١٥	٢٢	» نباشی‌راست
٣٠٨	٣٣	» نباشی‌منتظر
١١٠	٣٣	» نبد بوجهل
٣٥٤	١٥	» نبودش آن
٣٥٧	١٨	» نبودش‌تخم
٢٢٦	٢٧	» نبودش‌تیشه
٦٧	٦	» نبودش‌صبر
١١٠	٢٥	» نبودی بد
٦١	١٥	» نبودی‌فانی
١٨٤	٢٨	» نبي آگه
٦٤	٢١	» نبي‌ازوحی
٣٥٩	٣٤	» نبی السیف
٣٨٥	١٩	» نبیند اصل
٣١١	٣٠	» نبیند مغز
١٦٧	٢	» نپرسی
٣٥٨	٣	» نتانی جست
٢٨٢	٢٤	» نتانی‌شد
١١٣	٨	» نتیجه
١٧٠	٣٦	» نجس
٣٥٧	٥	» نخواهی
١٧٣	٥	» ندادت
١٥٣	٢١	» نداردجان‌تو
٣٢٧	١١	» نداردجان‌جا
٥٩	٨	» نداردروی
٢٨٢	٢٨	» نداردسیر
١٧٤	٣٢	» نداردشرح
٨٣	١٧	» نداردکس
٢٥٣	٣٤	» نداردمدرکی
١٢٣	١١	» ندارد مرد
٣٢٨	١١	» ندارد نور
٢٨٩	٢٦	» ندارم زور
٢٨٩	٣٦	» ندارم زورو
٢٨٩	٣٥	» ندارم عقل
٣٣٩	٣٦	» ندارند

صفحه	سطر	اول بیت
٦٠	٢٥	چون نداری طاق
١٢٨	٢١	« نداری فطنه
١٦٦	٢٢	« نداری نوح
١٦٦	٢٠	« نداندراه
٢٠٢	٥	« نداندره
٢٦٢	١٩	« نداندسیر
٢٧٤	١٩	« ندانستم
١٠٣	٢٦	« ندانی تو
٣٠٢	٢٣	« ندانی دانش
٤٣٠	٢١	« ندای
١٢٧	٢٤	« ندیداندر
٢٤١	١٢	« ندیداوخیره
٢٨٨	٢٨	« ندیداوعمر
٢٨٨	٢٩	« ندیداومار
٦١	١٤	« ندیدش مغز
٢٨٩	٣٩	« ندیدمزور
٢٢٠	٤٣	« نزدبروی
١٢٥	٣	« نشان راست
٢٠٩	٣٦	« نشان مؤمنا
١٢٣	٩	« نشانی چند
٤١٨	٢٣	« نشست او
٤١٢	٢٠	« نشیندبهر
٢١٤	١٨	« نشینی
٢٨	١٨	« نصیب
٤٥	٥	« نظراندر
٣٢٨	١٤	« نظر برروح
٣٢٨	١٤	« نظربرطرف
٨٢	٧	« نظربرقرص
٢٦٢	٢٢	« نظرپس
٢٦٢	٢٣	« نظردرپیش
٣٧٢	١٣	« نظردرفعل
١٣٠	٨	« نفاذامر
٢٠٠	٢٢	« نفخت
٢٥٦	٢٨	« نکردآن
٢٦١	٨	« نکردی فهم
١٢٧	٣٠	« نکردی هیچ
٢٢٢	٥	« نگنجداو
١٧٣	٣٢	« نگه کردم
٢٣٩	٨	« نمائی چون
٢٧	٩	« نمائی مستی
٣٨٨	٥	« نمازشام
٣٨٥	٣٨	« نماندبیشه
٣٨٥	٣٩	« نماندخاك
٢٢٣	٨	« نماندخانها
٢٩٥	١٤	« نماندشیشها
٢٠٨	١٦	« نماندگرمیش
٢٨٢	١٥	« نماندمایه
٢٨٢	٢٦	« نماندواسطه
٢٢٥	٣٣	« نمایدذره
٣٢٤	٣٢	« نمرداز
٣٦٣	٢٦	« نمردی گشت
٢٦٠	٦	« نمردی و
١١٧	٣١	« نمودی
١٦١	٢٠	« نمی آید
٩٦	١١	چون نمی آیند
١٤٠	١	« نمی بیند
٢٧١	٣٢	« نمی بینند
٣٨	٣٤	« نمی یابد
٣٧٤	٣١	« نمیتانست
٢٤١	١٢	« نمیتانی
٣٥٧	٢٦	« نمیداند
٣٥٨	١٢	« نمیدانست
٨٦	٣٣	« نمیرد
١٩	٢٨	« نمیسوزی
٣٥٧	٢٦	« نمیگوئی
٤١٩	٣٥	« نمی یارست
٣٧	١٥	« ننالم
٣٧٠	٢٥	« نوشتی
١٣٠	٣٥	« نویسی بر
١٣٠	٣٥	« نویسی کاغذ
٢٦٣	٢٢	« نهاراز آب
١٦٠	٦	« نهادی در
٢٢٨	٢٣	« نهالی کاشتی
٣٧١	٢٠	« نه بازی
٣٣١	٣٣	« نه رنجور
٣٤	٢١	« نه سباح
١٣١	٣٦	« نه کامل
٣٩٦	٢٢	« نهددرتو
٣٩٦	٢٣	« نهددرتو
٣٩٦	٢٢	« نهددرزن
١٧١	٣٨	« نه سرمایه
٢٠١	٣١	« نه شیری
١٨٧	١	« نهی بریشت
٨٨	٥	« نیائی و
٨٩	١٢	« نیابدصورت
١٩٤	٣٣	« نیابدنص
٣٧٢	١١	« نیابی این
١٠٢	٢٣	« نیاوردی
٣٩٨	١٢	« وثاق محتشم
٤٧	٣	« ورانوری
١٠	٣	« وزیرآنکو
١١	٢٧	« وزیراز
١٣٤	٦	« وزیرشیر
١٣	٣٤	« وزیرماکر
٢٤٩	١٩	« وصیت
٩٠	١٥	« وفاآن
٢٩٨	٢٠	« وفایت
١١٥	٧	« ولیی
٤٤٢	٢٩	« هدایت
٣٣٧	١٩	« هریسه گشته
٣٣٧	١٨	« هریسه لحم
٢٩١	١٦	« هلاکت
٢٤٩	٢٨	« همای
١٢٦	٣٢	« همه اجزاه
١٠٢	٢٤	« همه اجزایم
٣٧٦	٢٢	« همه انوار
٥١	٣١	« همه درناامید
٤١٠	٦	« همه ناراست
٢٣١	٦	چون همو آورد
١٥٣	٢٩	« همی حرافه
٣٣٠	٣٣	« همی خائی
١٦٢	٢٤	« همی خواندند
٢٥٤	٢١	« همی دانست
١٤٦	٢١	« همی دیدند
٣٩٨	٢٤	« همیکرداز
٤٠٠	٤١	« همیگنجد
١٧٦	٢٠	« همیگیرد
٢٨٥	١٢	« همو مالی
١٠١	١٨	چونی ای دریا
١٠٧	٣٢	« ای عیسی
٤١٥	٢٣	« بینلودر
٣١٦	١	« یحبون
٤٢٩	١٤	« یدالله فوق
١٠٨	٢٦	« یدالله فوق
٣٠٤	٢٦	« یفرالمره
٤٤٧	٤٧	« یقینت شد
٣٧٢	٣٤	« یقینت بست
٢٣٢	٨	« یقین دیدم
٤٤١	٤٠	« یقین شد
٣٣٦	١٥	« یقین گشتش ر
٣٤٧	٣١	« یقین گشتش
٤٥	٣	« یقین گشتش ک
٦١	٢٥	« یکی باشد
٩	١٤	« یکی بشکست
٣٨٥	٣٥	« یکی حرفی
١٢٨	٣٣	« یکی حس
٤٤٧	٣٧	« یکی دادی
٤٤٣	٥	« یکی را
٢٤٢	٤	« یکی زین
١٢٧	٣١	« یکی لحظه
٨١	١	« یکی مو
چ ـ ه		
٢١٧	٣٦	چه امیدستش
٣٠٢	١٤	« بزان
١٨٢	٧	« بلادو
٩١	٧	« بودآن
٣٧	٢٨	« بهانه
١٨٢	٨	« تراب و
٢٢٢	٦	« تصرف
١٢٩	٢٢	« تعلق
١٢٦	١٤	« حلال ای
٣١٧	٣٨	« حلالی
٢٧١	٥	« خبرجان
٣٨٨	٣١	« خبرداری
١٥٢	٢٧	« خرابت
٤٦	٢٩	« خطا
١٤٠	٢	« خیالست
٣٢٢	٣٢	« درافتدیم
٤٣٤	٧	« دلیلی
١٨١	١	« رئیسی
٢١٤	٢٦	« رهاکن
٢٧٠	٣٣	« زیان دارد
٢٣	٢١	چه زیانستش
٤١٠	٢٣	« شراب و
١٨١	٢	« شرف
٢٧٤	٣٥	« عجب گرخال
٢٧٤	٧	« عجب گرو
١٠٢	٧	« عجب گرسر
٢٠	١٤	« عجب گرکوه
٣٩١	٢٨	« عجب گرمرغ
٢٠٢	٣٠	« عجب گرمرگ
٤٦	٣٠	« عطا
٤٦	٢٩	« غزا
٣٣٢	٢٦	« غلام
٢٢٢	٧	« قدر
٥١	٧	« قلاوز
٧٢	١٣	« کشداین
٣٨٩	٢٤	« کشیداز
٣١٦	٤	« مجال
٣١٠	٢٤	« محل
١٨٢	٦	« مه و
١٨٢	٧	« وحوش
٤٢٩	٤٣	« یقینی
چ ـ ی		
١٧٩	٤٠	چیزدیگرتازه
١٥٧	٣٤	« دیگرماند
٢٢٨	١٠	چیزکی از
٤٠١	٣٣	چیست آنجاذب
٤٣٥	٦	« آندریا
٦٣	٣٠	« آنذات
٤٢٨	٢٧	« آنروحانی
٥٥	٨	« آنکوزه
١١٨	٢٨	« احسان
٩٤	٤	« اصل
٣٨٥	٣	« امعان
٢٢٩	١٠	« اندرخم
٤٣٣	٢٠	« اندرضمن
٢٦١	١٦	« برهان
٣٣٥	٢٥	« بوی
٣٧٠	٢٤	« پرده
٦٠	٢٩	« تعظیم
٦٠	٢٩	« توحید
٧٢	٦	« جان
٣٩٦	٢٠	« جنسیت
٤٠٣	٢٥	« حبل الله
١٢٦	١	« حکمت
٢٣٩	٢١	« خود
٩٥	٣٨	« درعالم
٢٢	٣٠	« دنیااز
٤٤٧	٣١	« دنیابر
٨٨	١٦	« مزد
٢٣٥	٣٦	« نام این
٢٤٥	١٢	« نامش
٣٦٤	٢١	« نامو
٢٩٩	١٣	« نفع
٢٦	٣٢	« هستی
٣٦	٣١	چیست هستی
٣٨٢	١٣	چینه و
٦٨	٣١	چینیان چون
٦٨	٢٨	چینیان صد
٦٨	٢٦	چینیان گفتند خدم
٦٨	٢٥	چینیان گفتند ما
٦٨	٢٧	چینیان گفتند یك

حرف ح

صفحه	سطر	اول بیت
ح ـ ا		
٣٩٦	٣٥	حاتم اربودی
٤٠٠	٢٥	« ارمرده
٩٢	٥	حاجب آتش
٦٣	٨	حاجبان
٤١٤	٢٥	حاجت آوردش
٥٦	١٣	« او
٣٩٢	٢٠	« این
١٨٩	٧	« تو
٢٢١	٢٤	« خودعرض
٣٢٦	٣٥	« خودگر
٢٠٥	٣٧	حاجتش نبودبسو
٢٨٢	٣٠	حاجتش نبودبفعل
٥٣	٢٤	حاجتش نبودیی
١٣٦	٢٣	حاجیان آنجا
١٣٦	٢٤	حاجیان حیران
٢٢٥	٣١	حادثات
٢٤٧	٢١	حارسی از
٢١٩	٣١	حارسی دارم
٣٥٩	١٨	حازمی باید
١٠١	٨	حاش لله ار
٤٣٨	٤٦	« لله ار
٣٢٩	٦	« لله ایش
٥٨	٢٧	« لله این
١٣٢	١٦	« لله بل
٣٢٩	١٩	« لله ترك
٤٠١	١	« لله تو
٤٨	٢٥	« لله طمع
٢٧	٢٢	حاصل آمدآن
١٨٥	٢٠	« آن آمد
٤١٠	٢٢	« آنجا
٤٣٤	٣٣	« آن چون
٢٤	١٣	« آن خرگو
٤٢٤	٢	« آن روضه
١٩٢	٨	« آن زن
٤٢٠	٤١	« آنشهزاده
٤٢٠	١٩	« آن شه نیك
٢٤٢	١٥	« آن کاندر
٣٩٧	٣٠	« آن کز لبس
٢٠٢	٣٦	« آن کز زهر
٢٦٢	٣٠	« آن کروسوسه
٣٧٣	٣٧	« آن کز هر
٣٧٣	١٥	« آن کودك
١١٨	١٧	« آن که او
٣٠٠	٢١	« آنکه تا

صفحه	سطر	اول بیت
۱۸۸	۹	حاصل آنکه درسب
۲۵۵	۲۱	« آنکه کم
۲۰۸	۳۸	« آنکه هر
۴۳۵	۸	« آن ملاح
۲۶۰	۹	« آن هامان
۴۳۷	۴۳	حاصلاچندان
۴۳۵	۲۳	حاصل ارفرمان
۵۳	۲۰	« افعال
۱۶۵	۹	« اندرخوا
۱۵۹	۱۸	« اندروصل
۲۲۵	۱	« اندریك
۱۱۲	۱۱	« این آمد
۲۱۰	۱۳	« ابن اشکه
۲۳۰	۳۵	حاضر آمد
۸۷	۲۵	« آوردند
۲۰۷	۳۳	حاضران از
۴۸	۳۲	« گفتند
۲۴۲	۱۷	حضري ام
۱۷۰	۲۸	حافظانرا
۲۵۶	۶	حافظ هرچیز
۴۳۶	۶	حاکم است او
۱۴۳	۱۰	حاکم اندیشه
۱۰۴	۲	حاکمست و
۳۴۱	۲۶	حاکمی بر
۴۳۵	۳۳	حاکم من
۴۳۹	۳	حاکم وفرمان
۹۹	۲۴	حاکی اندیشه
۹۸	۲۴	حال آن سه
۲۶	۲۵	« آن کو
۳۴۰	۲۲	« امروزی
۱۴۴	۴	« اواین است
۲۴۶	۳۴	« اوزان
۱۳۵	۳۳	« ایشان
۳۱۹	۱۸	« این اسبان
۴۳۳	۲۲	« این اسرار
۳۴۰	۲۰	« باطن
۳۷۷	۷	« بودی
۳۷	۳۰	حالت دیگر
۳۶۷	۳۵	« صورت
۱۳۳	۴	« من
۲۴۴	۲۸	حال تودانند
۳۱	۷	« چون
۲۷۰	۲	« خودتنها
۳۵۶	۱۶	« خودرا
۲۸	۱۶	« دریا
۳۷۹	۳۲	« رفت
۴	۱۷	« شاهو
۱۰	۲۴	« عارف
۱۰	۵	« عالم
۲۶	۲۶	« فرعونی
۲۳۷	۱۸	« کاخر
۴۷	۴	« ماابن
۳	۲۴	« حال ماو
۱۰۶	۳۴	« من اکنون

صفحه	سطر	اول بیت
۲۹۱	۲۱	حال نمرود
۴۵	۲۵	حال وقالی
۱۵۹	۳۷	حالها موقوف
۴۳۶	۲۳	حالیادر
۴۲۵	۷	حال یك تن
۳۷۹	۲۴	حاملان و
۲۴	۲۶	حامل دین
۳۰۵	۲۹	حامل عرش
۶۸	۸	حاملندو
۳۴۲	۲	حامله شد
۱۹۴	۲۰	حامله گریان
۶۳	۲۸	حاملي نو
۲۱	۳۲	حاملی مجهول
۲۵۶	۲۹	حایل گنج
		ح ــ ب
۱۸۰	۹	حب جاه
۲۸۵	۱۵	حبذا آن خرمن
۴۴۳	۸	حبذا آن سالکان
۲۸۸	۲۳	« آن شرط
۲۸۵	۱۵	« آن مطبخ
۲۸۴	۳۲	« ارواح
۳۶۹	۲۰	« اسبان
۳۷۲	۹	« خوان
۲۸۳	۳۴	« خوانی
۲۸۵	۱۶	« دریای
۳۷۲	۳۷	« دوچشم
۴۰۵	۱۴	« کاریز
۳۲	۳۴	حبس کردی
۱۲۱	۲	حبك الاشیاء
۱۶۴	۴	حبل وهیزم
۲۶۶	۲۰	حبهٔ آن
۶۴	۱	حبهٔ را
		ح (ج ــ د)
۳۷۰	۲۴	حجب این
۲۳۰	۲۶	حجت انکار
۱۷۴	۹	« بارد
۴۳۶	۱۴	« خود
۳۴۵	۲۱	حجتش این
۲۶۱	۳۴	حجت منکر هماره
۲۶۲	۳	حجت منکر همین
۴۳۲	۸	حجتی آورده
۳۱۳	۳۵	حجره را
۲۱۶	۸	حج زیارت
۲۸۸	۱۰	حداعیان
۲۴۶	۲	حدجسمت
۳۱۹	۳۳	حدخود
۲۵۱	۱۳	حدمن
۲۹۳	۳۱	حدندارد این سخ
۴۱۰	۳۷	حدندارد این سخ
۴۱۷	۳۶	حدندارد اینمثل
۱۱۷	۱۲	حدندارد وصف
		ح ــ ر
۱۲۱	۱۲	حرص آدم
۱۶۸	۲۵	حرص اندرعشق

صفحه	سطر	اول بیت
۲۳۴	۱۲	حرص اندرکار
۲۸۷	۱۹	« بطاز
۲۸۷	۱۹	« بطیکنا
۳۱۳	۳۱	« تازد
۲۲۰	۳	« توچون
۲۳۴	۸	« تودر
۳۰۲	۳۳	« جوید
۳۳۱	۵	« چون
۲۸۷	۲۱	« حلق
۳۲۱	۲۷	« خوردن
۳۷۰	۳۸	« در
۱۴۰	۳	« دنیا
۲۹۱	۱۳	« صیادي
۳۱۳	۳۲	« غالب
۳۱۳	۳۱	« غالب
۲۳۴	۱۰	« کارترا
۳۰۴	۵	« کورت
۳۲۷	۱۰	« کورو
۱۶۸	۲۶	« مردان
۱۷۸	۴۳	« نابینا
۱۲۱	۳	« وکین
۲۸۳	۲۱	« ووهم
۲۸۹	۱۷	حرصهای رفته
۳۰۳	۲۰	حرف آموزد
۳۶	۲۳	حرف چبود
۸۹	۳۲	حرف حکمت بر
۱۵۷	۲۸	« حکمت خور
۹	۶	« درویشان بد
۴۷	۷	« درویشان بد
۴۷	۶	« درویشان بد
۳۰۳	۲۱	« درویشان بد
۲۴۳	۱۳	« درویشان و
۸	۲۲	« ظرف
۹۰	۲۳	« قرآن راضر
۲۰۵	۳۰	« قرآن رامد
۳۶۳	۴	« گفتن
۴۴۷	۳۸	« گفتي
۳۵۳	۷	« گوی و
۴۴۷	۳۷	« میگوئی
۳۶	۲۴	« وصوت
۳۰۱	۱۹	حرفها ماند
۲۴۸	۲۷	حرفهای خط
۲۸۴	۸	« طرفه
۱۷۲	۲۹	حرمت آنکه
۱۲۱	۳۹	« این
۱۷۸	۱۵	« ذات
۳۲۶	۱	« وآب
		ح ــ ز
۱۸۲	۲۶	حزم آنباشد که بر
۱۴۱	۲۱	« آنباشد که بهر
۱۴۱	۲۵	« آنباشد که چو
۱۴۲	۵	« آنباشد که ظن
۱۴۱	۲۰	« آنباشد که گو
۱۴۱	۱۹	« آنباشد که نفر

صفحه	سطر	اول بیت
۱۸۳	۹	حزم ازاو
۱۸۲	۲۵	« چبود
۱۷۲	۲۰	« چه بود
۱۴۲	۶	« سوءالظن
		ح ــ س
۷۹	۲۶	حس ابدان
۱۶۶	۲۷	« اسیر
۴۴۸	۱۵	حسبی الله
۳۹۳	۵	حس بیل
۱۳۰	۲۰	« تواز
۳۸۵	۱۶	« حیوان
۱۴	۸	« خشکي
۷۹	۲۴	« خفاشت
۸	۲۶	« دنیا
۱۶۶	۳۱	« رابیخواب
۵۳	۲۲	« راتمیز
۳۳۰	۱۸	« راحیوان
۳۳۵	۲۹	حسرت آزادگان
۳۷۴	۱۲	« آنمردگان
۱۵	۱۱	« و
۴۰۵	۴۲	حسن حق
۲۶۶	۲۳	« دختر
۳۵۶	۲	« صورت
۱۶۷	۱۳	« ظن است
۱۶۷	۲۳	« ظنی
۳۴۵	۲۳	« یوسف
۹۵	۳۶	« یوسف
۹۸	۱۷	حس وفکر
۱۲۸	۳۶	حسهابا
۱۶۶	۲۸	« واندیشه
۷۱	۳۲	« وعقلها
		ح ـ (ش ـ ص ـ ض ـ ف)
۳۰۹	۱۹	حشراصفر
۱۰۰	۳۲	« پرحرص
۱۰۷	۱۳	« تو گوید
۲۰۱	۲۲	حصبه و
۱۴۴	۲۲	حصن ما
۱۶۸	۲۳	حضرتش
۵۰	۸	حضرتي
۲۸۱	۲۲	حفت الجنه بچه
۱۰۷	۱۹	حفت الجنه بمکر
۳۴۷	۷	حفت الجنه مکار
۳۱۳	۳۹	حفرهاشان
۱۴۳	۳	حفظ کردم
۲۸۳	۴	حفظ لفظ
		ح ــ ق
۹۳	۲۸	حق آن آنی
۱۱۳	۲۹	« آن حقی
۱۱۴	۲۷	« آنشه که
۵۰	۱۷	« آنقدرت
۱۱۷	۲۷	« آنقوت
۵۴	۱۶	« آن کف
۱۱۴	۲۵	« آنکه چرخهٔ
۱۱۴	۲۶	« آنکه دایگی

صفحه	سطر	اول بیت
۹۳	۲۷	حق آن نور
۵۱	۲۰	« ازآن
۲۷۱	۳۷	« اگرچه
۲۸۲	۸	« بیردش
۲۶۶	۱۰	« بحکمت
۴۲۹	۱۳	« بدان و
۲۹	۳۷	« بدورو
۳۱۷	۴۰	« بدید
۲۲۷	۱	« برای
۴۲۳	۲۰	« بعزرائیل
۴۱۴	۲۴	« بفرماید
۳۷۵	۲۷	« بکشت
۵۱	۳۶	« بگفته
۹۴	۱۶	« بمن بنمود
۲۱۲	۱۹	« بمن گفته
۳۳۲	۷	« بودتاویل
۳۰	۲۳	« پدیداست
۱۷۱	۹	« پذیرد
۴۳۱	۴۲	« پی آن
۴۰۵	۲۱	« پی شیطان
۱۳۹	۹	« تراباطل
۴۴۴	۳۵	حقتعالی از
۴۴۴	۴۰	« جل
۲۲	۲۵	« جهد
۶۳	۲۲	« خلق
۳۰۲	۳۲	« داد
۴۴۶	۴۴	« رافع
۴۸	۲۱	« عادل
۱۴۲	۳۷	« فخر
۱۸۹	۳	« کاین
۱۲۴	۲۹	« گرم
۱۳۰	۲۷	« گفت در
۱۱۹	۴	« گفت کاین
۱۵۴	۲۴	« وحی
۳۹۶	۲۱	حق چواندر
۳۹۹	۲	« چوبخشش
۲۷۵	۱۷	« چوخواهد
۲۸	۶	« چوسیما
۳۰۷	۱۰	« حق
۳۲۴	۷	« ذات
۲۴۲	۲۷	« زایجاد
۲۳۹	۲۸	« زبحر
۳۶۰	۱۶	« زهرجنسی
۴۹	۴	« زمین
۳۸۵	۱۳	« سنون
۴۵	۷	« سلامت
۳۰۷	۱۰	« شاهی
۱۲۴	۱۳	« شب
۲۹۱	۱۷	« شکنجه
۳۹۷	۳۷	« شنید
۸۳	۳۶	« فرستادانبیا
۸۳	۳۵	« فرستادانبیا
۱۸	۱۰	« فشاند
۳۰	۱۱	« قدم

صفحه	سطر	اول بیت
۸۴	۱	حق قیامت
۳۴۱	۲۸	« کرا
۴۰۱	۱۱	« کشیدت
۳۲۴	۵	« گشاده
۱۴۲	۳۹	« مادر
۳۲	۱۱	« محیط
۱۱۱	۲۸	« مراچون
۵۲	۲	« مراگفته
۳۹۹	۲۰	« مراورا
۴۱۱	۳۷	« معیت
۲۴۹	۱۹	« منزه
۳۳۲	۳۸	« میان
۲۷۱	۳۸	« نجنباند
۴۱۰	۴	« ندارد
۲۵۰	۳۳	« نداند
۱۷۵	۳۰	« نمودش
۱۷۴	۳۷	« نهان
۳۷۰	۲۸	« نه‌قادر
۱۴۲	۲	حقها بروی
۳۶۸	۸	حقه پرلعل
۱۴۲	۴۰	حق هزاران
۳۶۸	۸	حقهٔ سربسته
۳۹۴	۳۱	حق همیخواهد که
۷۰	۳۴	« همیخواهد که
۷۰	۳۶	« همیخواهد که
۳۷۷	۳۵	« همی‌دید
۱۷۱	۲۹	« همیگوید چه
۳۹۴	۳۱	« همیگوید غر
۲۱۷	۲۲	« همیگوید که آ
۱۴۴	۵	« همیگوید که آ
۸۷	۱۵	« همیگوید که ا
۲۲۴	۳	« همیگوید که د
۱۷۳	۸	« همیگوید نظ
		ح ـ ك
۱۰۰	۳۵	حکم آن خو
۴۳۴	۴۳	« آن شاه
۴۳۲	۱	« اغلب
۳۳۳	۵	« اوبر
۴۳۶	۲۹	« اووفعل
۳۵۹	۳۱	« اوهم
۱۶	۱	« این طومار
۷۱	۲۸	« بردل
۳۸۳	۱۹	« برظاهر
۲۶۹	۳	حکمت اظهار
۴۳۸	۳۱	« افکنده
۳۳۶	۳۷	« این
۲۰۸	۱۳	« حق در
۲۰۸	۳۰	« حق مانع
۱۲۸	۸	« دنیا
۱۲۳	۳۲	« قرآن
۲۹۴	۱۸	« کشتن
۷۰	۲۵	« لقمان
۱۲۸	۸	حکمتی کز
۳۳۶	۴۱	« که
۱۶۳	۲۰	حکم چون بر
۲۳۹	۶	« چون در
۲۴۶	۲۷	« حق بر
۱۵۹	۹	« حق را
۳۳۱	۱۱	« حق گر
۵۴	۱۱	« حق گسترد
۱۱۴	۱۱	« خذها
۴۳۹	۲۵	« شاهی
۲۵۰	۱۰	« غالب
۴۴۱	۳۴	« ماکردیم
۴۳۴	۲۳	« واجب
۳۱۵	۳۱	« وتقدیر
۱۲	۱۳	حکمهای هر
۸۶	۲۵	حکم یزدان
		ح ـ ل
۲۸۸	۹	حل این اشکال
۷۵	۷	حلق انسان
۱۷۷	۲۲	« ببریده جهد
۷۵	۸	« ببریده خورد
۱۳۸	۹	« بخشد جسم
۱۳۸	۱۱	« بخشد خاك
۱۳۸	۱۹	« بخشید او
۸۵	۲۱	« بینی آورد
۷۵	۸	« ثالث
۱۳۸	۲۲	« جان
۷۵	۷	« حیوان
۱۳۸	۲۲	« عقل
۴۱۳	۲۵	« کان
۱۳۸	۲۱	« نفس از
۴۲۱	۳۰	« ودندانها
۳۱۳	۲۱	حلقه آن در
۸۲	۱۹	حلقهٔ آن صوفیان
۱۰۰	۱۶	حلقهای سلسله
۳۶۷	۲۴	حلقه بر در
۱۹۴	۲	حلقهٔ خاصش
۳۸۸	۲۹	« دیگر
۶۱	۲۴	حلقه زد بر در
۲۳۰	۲۸	« زن زین
۲۹	۳۱	« کردند
۴۴	۱۲	« کوران
۱۵۳	۲۷	« گرداو
۲۴۹	۷	حلم او خود
۵۴	۱۵	« ایشان
۱۷۶	۳۷	« حق
۲۷۶	۲۲	« درحلم
۲۴۹	۱۰	حلمشان بیدار
۲۴۹	۱۰	« همچون
۴۰۰	۳۵	حلم موسی
۴۳۶	۱	حل وعقد
۴۱۹	۲۷	حلها پوشیده
۲۹۴	۳۶	حله میبرد
۲۴۵	۱۳	حلیهای روح
۲۴۵	۱۳	حلیهٔ تن
۲۴۵	۱۴	حلیهٔ روح
		ح ـ م
۳۸۵	۱۳	حمد ایزد
۱۰۶	۳۶	« تونسبت
۲۴۴	۹	« شان
۲۴۴	۶	« عارف
۲۴۴	۶	« گفتی
۱۱۸	۱۶	« لك
۹۸	۳۴	« لله
۴۷	۲۰	« میگوید
۱۹۲	۳۷	« وتسبیحت
۳۷۹	۲۳	حمل نبود
۴۲۵	۱۱	حمله آرد
۷۲	۱	« آرند
۶۶	۱۴	حملها ورقص
۲۹	۵	حمله برخود
۲۵۴	۳۸	« بردند
۲۵۴	۴۰	« بردی
۱۹۹	۳۸	حملهٔ دیگر بمیرم
۱۴۴	۳۳	« دیگر تو
۳۲۱	۴	« زن در
۳۲۱	۷	« ماده
۱۵	۱	حمله مان
۳۲۹	۱۵	« میکن
۶۶	۲۰	حمیت دین خواند
۶۶	۲۰	« دین را
۱۴۳	۳۵	حمیتی بد
		ح - (ن - و)
۱۴۶	۵	حنظل از
۳۵۰	۱۳	حوت اگرچه
۲۹۰	۱۳	حوررا
۳۴۹	۲۷	حوریان
۱۲۹	۴۰	حوض با
		ح - ی
۱۳۵	۳۵	حیث ماکنتم
۲۴۱	۳۱	حیدری
۳۳۴	۴	حیرت آنرغست
۲۳۱	۱۳	« اندرحیرت ا
۲۷۶	۳۵	« اندرحیرت
۳۳۶	۳۶	« اندرحیرت
۴۰۷	۲	« محض
۴۵	۲۴	حیرتی آمد
۳۳۳	۳۵	« آید
۱۵۴	۳۷	« باید
۴۳۱	۳۷	حیف از یاری
۳۴۳	۱۷	حیفش آمد
۹	۳۳	حیف میآید مرا
۱۹۵	۲۵	حیلت او از
۱۰۹	۱۵	« ومردی
۱۴۴	۷	« ومکر
۱۲۸	۹	حیله آموزان
۲۰۴	۱	« اندیشی
۲۲	۲۵	حیلهاشان جمله
۱۵۴	۲۶	« را
۱۵۲	۲۴	حیلها وچارها
۲۲۱	۱۰	حیلهای تیره
۱۷۳	۱	حیلهٔ باریك
۱۰۹	۱۷	« خودرا
۱۵۰	۳۵	حیله راخوردند
۲۱	۲۲	« کردانسان
۲۱	۸	« کردند آمدند
۲۸۰	۱۸	حیلهٔ کردوبخوا
۱۱۲	۲۳	حیله کردوکرد
۴۰۳	۳۷	حیلهٔ محمود
۱۴۵	۶	حیله میکردند
۳۱۸	۳۳	« وافسون
۱۲۷	۳۵	« ومکر
۱۴۱	۷	« هاوچاره
۳۳۴	۱۴	حی وقائم
		حرف خ
		خ - ا
۳۲۱	۴۰	خائفان راه
۲۳۴	۲۳	خاتم تو
۴۴۷	۳۱	« دست
۲۳	۲۶	« ملك
۴۱۶	۳	خادع دردند
۸۶	۶	خادم آمد شیخ
۸۷	۳۵	« آمدگفت
۸۲	۲۹	« این گفت
۱۹۰	۲۳	خادمه سفره
۹۸	۸	خاربن دان
۹۸	۷	« در
۹۸	۷	« هر
۵۹	۹	خاربیمعنی
۲۳۲	۲۵	خارپشتا
۶۰	۲۸	« جمله
۲۳	۳۰	« خارحیله
۶۷	۲۹	« خاردو
۲۷۰	۱۲	« خورتا
۴۰	۲۸	« دان آنرا
۵	۲۴	« درپاشد
۵	۲۴	« دل را
۲۷۰	۱۳	« راز
۴۴۲	۲	« راه
۱۴۳	۲۵	« سه سویست
۳۱۹	۱۶	خارش و
۱۵۱	۸	خازنش
۲۶	۱۰	خاص از بهر
۴۳۳	۱۲	« خاص آنست
۳۱۰	۲۴	« خاص مخزن
۳۱۷	۳۵	« دلاکش
۳۸۹	۳۴	« وعام
۵۵	۲۶	« وعامه
۲۳۳	۲۳	خاصه آن ارضی
۲۴۹	۱۲	« آن باده
۳۵۲	۱۳	« آن دریا
۳۴۱	۱۳	« آن را
۳۹۲	۲۷	« آن سبلی
۸۵	۲۰	خاصه آن منفق
۲۷۰	۱۵	« ازبالای
۶۷	۱۴	« ایخواجه
۲۸۶	۸	« این آتش
۲۸۸	۱۴	« این آتش
۳۹۹	۲۱	« این روزن
۱۲۸	۲۶	« باغی
۲۹۸	۶	« پنجه
۸۸	۸	« تقلید
۲۸	۱۹	« جزوی
۱۲۵	۲۱	« چرخی
۲۲۱	۱۹	« چشم
۲۷۴	۸	« چنین
۴۱۷	۲۸	« خرقه
۷۹	۲۲	« خورشید
۳۷۴	۲۱	« درویشی
۱۷۶	۱۹	« درهنگام
۱۱۹	۱۶	« دزدی
۶۶	۲۹	« رنجور
۱۱۱	۲۰	« شهبازی
۲۹۱	۲۹	« عمری
۳۹۰	۲۷	« کاندر
۴۳۸	۴۷	« کزمن
۲۷۲	۲۸	« گفتندی
۲۳۵	۱۴	« مردحق
۵۶	۵	« مرغ
۳۲۴	۱۵	« من
۳۹	۱۳	« هرشب
۲۵۸	۴۰	خاصیت بنهاده
۳۹۵	۱۴	« در
۱۵۵	۸	خاطر آردبس
۲۶۲	۳۵	« توهم
۶۷	۵	« رنجور
۸۲	۱۵	خاطرش شد
۲۰۸	۴	خاطر مجرم
۳۸۰	۸	خافض است
۱۰۳	۳۷	خاك آدم
۴۳۴	۳۱	« آن ادبار
۳۹۸	۳۶	« ازاستیلا
۱۰۳	۳۸	« ازدردی
۳۹۶	۲۸	« ازهمسایگی
۳۲۹	۱۹	« اکنون
۱۳	۷	« امین
۱۶	۵	« اوکردند
۱۴۰	۹	« اوگردی
۴۳۴	۲۸	« اومشك
۹۹	۱	« برباداست
۸۶	۳۴	« برسراستخو
۱۷۵	۴۱	« برسرکرد
۴۴	۲۷	« برفرقش
۳۰۷	۸	« برقانون
۳۹۴	۱۶	« بوکرد
۳۵۰	۵	« بی بادی
۳۸۰	۱۳	« بین

صفحه	سطر	اول بیت
۱۴۷	۲۲	خاك پاکان
۹۷	۶	« پایش
۳۹۶	۲۹	« توهم
۹۶	۲۸	« درچشمش
۳۳۷	۳۵	« درچشم قلا
۸۰	۱۲	« درگاهت
۳۳۶	۴۰	« رابرسر
۴۹	۱۶	« رابرسیم
۲۹۵	۳۵	« رابینی
۲۳۰	۲۶	« راتصویر
۳۲۵	۳۰	« رادادیم
۴۱	۲۵	« رادرگور
۳۲۸	۲۴	« رادیدی
۴۲۲	۷	« رارنگی
۴۰۸	۱۷	« رازربخش
۱۸۳	۳۱	« راگونی
۳۰۷	۳۶	« رامشغول
۳۲۵	۳۰	« رامن
۲۳۰	۲۴	« راونطفه
۳۹۹	۲۷	« رهچون
۱۹۵	۸	« زرشدسنگ
۳۶۳	۳۲	« زرشدهیئت
۱۰۳	۳۴	« زن در
۹۷	۵	« شدجان
۳۵۳	۸	« شدصورت
۱۷۷	۳۵	« شودر
۹۷	۳۵	« شوره
۱۱	۲۲	« شومردان
۳۷	۱۷	« غم
۲۰	۱۲	« قارون را
۱۵۳	۱۷	« قارون را
۲۸	۱۵	« کوشد
۳۶۱	۴	« گرگین
۲۹۶	۲۸	« گوراز
۲۰۸	۲۵	« گوید
۳۰۶	۴	« لوزید
۳۸۶	۳۵	« مارا
۳۰۶	۱۰	خاکم اززاری
۵۸	۱۲	خاك میخوردیم
۴۴۵	۳۹	« وآب
۳۸۶	۱۰	خاکها پر
۹۹	۱	خاك همچون
۳۲۱	۱	خاکی است آن
۳۹۹	۳	خالدین شد
۳۴۹	۳۷	« فی
۴۲۹	۱۰	خالق آتش
۱۸۳	۳۳	« افلاك و
۲۵۶	۵	« افلاك و
۴۳۸	۱۴	« الارض
۲۷۱	۲۱	« تزویر
۲۵۶	۶	« دریا
۴۳۴	۱۶	« عقلا
۱۹۳	۲۴	« عیسی
۴۴۵	۴۱	« وصانع

صفحه	سطر	اول بیت
۳۳۰	۲۸	خالقی کو
۲۲۴	۲۴	خاله را خایه
۴۱۱	۳۶	خالی از خود
۴۲۲	۱۲	« اشکم
۶۱	۲۲	خام را جز
۲۱۳	۱۴	خام سادر
۱۹۹	۵	خامشند و
۳۹۳	۱۳	خام شوخی
۲۴۸	۳۰	خامشی
۴۴۱	۱۹	خامه را بر
۲۲۰	۳۶	خامی و هرگز
۴۰۹	۵	خانقاهی
۴۰۹	۷	خانقه چون
۸۷	۳۳	« خالی
۲۹۸	۷	خان و مان جغد
۱۶۳	۳۶	« ومان رفته
۱۱	۱۹	« ومانها از
۴۱۷	۷	خانه آمد گنج
۳۲۶	۱۶	« آن تست
۱۲۷	۶	« آن دل
۲۵۶	۳۰	خانهٔ اجرت
۲۳	۱۳	خانها سازد
۹۵	۱۲	« وقصر
۴۲۲	۲۹	خانه‌ای
۹۶	۳۲	خانهای ما
۳۵۷	۲۸	خانهٔ با این
۳۵۷	۲۷	خانه با بنا
۲۵۶	۲۴	« برکن
۱۲۷	۲	خانهٔ بی زینهار
۱۴۵	۱۳	« پردود
۴۰۲	۳۰	« پرنقش
۴۲۲	۲۸	خانه تنگ آمد
۱۹۴	۱۷	خانهٔ تنگ و
۲۱۹	۱۵	خانه تنگی
۵	۲۰	« خالی کرد
۵	۲۱	« « ماند
۲۴۲	۵	« « یافت
۱۷۱	۸	« خودرا شناس
۳۶۱	۳۴	خانهٔ خودرا همی
۳۹۰	۱۲	« داماد
۲۲۴	۷	« دل
۸۳	۱۸	« دیواست
۲۸۶	۱۰	خانه را او
۱۳۴	۱۱	« رابخرید
۳۹۷	۳۹	خانهٔ را کش
۷۵	۱۳	خانه را کند و
۳۲۶	۳۸	« رامن
۷۵	۱۴	« راویران
۴۱۸	۱۰	خانهٔ سر
۲۱۲	۳۳	« مرغ
۱۵۹	۳۲	« معشوقم و
۹۷	۳۲	خانه معمور
۳۴۱	۱۰	« میروبد
۱۱۳	۲۰	خانهٔ نو

صفحه	سطر	اول بیت
۹۷	۳۸	خانهٔ ویران
۳۹۰	۱۳	خانه‌ها را
		خ (ب ـ ت)
۲۱۷	۲۰	خبث و جور
۹۴	۲۹	« یارش
۱۹۲	۲۴	ختم کرده
۳۵۴	۱۹	ختمهائی
		خ ـ (د ـ ذ)
۱۳۲	۳	خدمت اکسیر
۳۹۹	۲۱	« او
۱۹۲	۹	خدمتت بسیار
۳۲۴	۳۶	« این
۳۳۹	۱۶	« برجمله
۸۴	۲۹	خدمت خودرا
۳۸۸	۳۸	« شیخی
۱۱۳	۳۱	« من
۳۶۵	۱۸	خدمتی میکن
۳۵	۲۶	خدتموا
		خ ـ ر
۱۷۳	۳۷	خر از این
۴۳۱	۳۸	« بیاگه
۳۱۹	۱۵	« بدو
۸۷	۳۱	« برفتو
۹۰	۲۶	« برهنه
۳۴۱	۳۴	خربزه چون
۱۰۲	۱۷	خربزه آورده
۳۲۷	۷	خرسی
۲۰۵	۱۵	خربطی
۴۳۱	۳۸	خربه پیش
۴۵	۱۱	خرج کردم
۸۳	۱۲	خرجهنده
۹۰	۲۵	خرچو باشد
۹۰	۲۴	« چوهست
۴۳۱	۳۲	خرچه باشد
۳۲۱	۲۶	« دوسه
۲۳۹	۳۱	خردهای خدمت
۲۳۰	۱۹	خرده کاری بود
۲۴۰	۱۰	« کاریهای
۴۷	۷	« گرددر
۵	۲۵	خرز بهر دفع
۳۲۳	۴	« زدورش
۳۱۹	۱۵	« زهرسو
۱۰۹	۱۵	خرس چون
۱۱۰	۱۸	« را
۱۱۰	۴	« هم
۲۶۴	۱۲	خرفروشان خصم
۸۳	۱۲	« فروشانه
۲۹۸	۵	خرقه بر ریش
۳۷۴	۲۸	خرقهٔ تسلیم
۱۶۵	۱۵	« مارا
۴۰۹	۷	خرکجا ناموس
۲۹۴	۴	« کمیز
۱۰۸	۱۷	« گریزد
۳۲۰	۲۶	خرم آن حیوان

صفحه	سطر	اول بیت
۴۲۳	۳۷	خرم آن کاین
۳۰۲	۲۵	خرمؤدب
۲۶۰	۱۰	خرمن فرعون
۳۰۹	۳	خرمنی بودی
۳۰۲	۶	خرمهذب
۲۶۵	۸	« نبیند
۲۴۷	۳۹	« نخواندت
۶۵	۳۸	« نشاید
۸۳	۸	« همه شب
۳۰۲	۱	« همی شد
۳۰۲	۵	« همی گاید
		خ ـ س
۱۶۶	۲۹	خس س انبه
۸۶	۱	« خسانه
۸۳	۸	خسته از زه
۴۳۲	۱۸	« ودرمانده
۲۵۹	۲۸	خسرو اول
۳۲۲	۱۲	خسرو شیرین
۳۸۲	۳۱	خس نهٔ
		خ ـ ش
۴۰۹	۱۳	خشت اگر پر
۴۲۲	۲۴	« اگر زرین
۳۴۵	۳۰	« خشت
۴۰۹	۱۶	« رامگذار
۲۵۳	۳۶	خشک بر میخ
۱۱۴	۲۲	« دیدآن
۲۶۵	۲۴	« شداز
۱۲۰	۲۴	« گوید باغبا
۱۲۰	۲۵	« گوید راست
۲۴۶	۳۸	« می آورد
۱۵۹	۴۴	خشکی اب
۴۰۵	۳	« نخلش
۳۷۵	۲۷	خشم احیا
۳۳۱	۲	« اشتر
۷۴	۲	« بر
۲۷۱	۱۹	« بنشان
۱۴۰	۳۵	« پیغمبر
۱۹۳	۱۰	« تو
۹۹	۱۴	« خود
۳۳۹	۷	« خونخوارش
۳۳۱	۱	« درتو
۱۱۷	۲۴	خشمش آتش
۱۹۸	۲۸	خشم شاه عشق
۴۰۳	۲۷	« شحنه
۴۱۲	۲۹	« گبرد
۱۶۲	۹	خشمگین بازن
۱۱۱	۳۵	« شد
۱۸۲	۱۰	خشم مردان
۱۸	۹	« مربخی
۴۰۱	۱۵	« مبارد
۴۲۱	۱۷	« رذوقت
۹	۱۵	« وشهوت
۱۵۳	۳	خشمهای خلق
۱۵۳	۲	« خلق

صفحه	سطر	اول بیت
		خ (ص ـ ض ـ ط)
۲۱۲	۲۰	خصم تنها
۱۲۲	۲۰	« خوردرا
۴۴۱	۲۱	« خیبر
۴۱۸	۱۴	« در
۴۸	۶	« ظلم
۱۷۴	۳۸	« گفتش
۴۱۵	۲۹	« منکر
۳۱۵	۳	« ویار
۳۸۵	۳۲	« هرشیر
۲۶۰	۱	خضر کشتی
۹۳	۱۶	« والیاس
۲۳۹	۱۴	« وقتی
۴۴۷	۲۸	خط آزدی
۳۵۷	۲۸	« باکاتب
۴۴۸	۲۰	خطبهٔ سکه
۲۵	۵	« شاهان
۲۴۰	۳۱	خطوتینی
		خ ـ ف
۶۰	۲۸	خفتگانی کز
۱۱	۷	خفته آن باشد
۱۰	۲۴	« ازاحوال
۱۰۸	۶	« ازخواب
۱۶۲	۳۳	« استا
۳۵۵	۱۴	« باشم
۲۶۷	۳۳	« باشی
۲۲۹	۲۴	« برتختی
۳	۲۸	« بودآنخواب
۲۲۸	۳	« بودآن شه
۲۷۶	۳۰	« بودآنشیر
۲۹۳	۶	« بوداو
۳۶۴	۲۶	« بودستبد
۱۵۴	۳۶	خفتهٔ بیدار
۲۰۷	۲	خفته درمسجد
۲۶۷	۳۸	« راگر
۱۰۸	۷	« زان
۲۷۶	۳۰	« سازد
۲۶۸	۱	« می بیند
۳۶۹	۳۷	« نه روز
۳۸۰	۹	خفض ارضی
۳۸۰	۹	« ورفع این
۳۸۰	۱۰	« ورفع این
۳۸۰	۱۰	« ورفع روزگ
۳۸۱	۳	خفیه زان
۴۱۲	۱۵	« کردندش
۱۴۵	۱۰	« میکردند
۱۴۵	۷	« میگفتند
۱۵۶	۱۷	« میگویند
		خ ـ ل
۱۴۹	۲۳	خلعت طاوس
۳۴۷	۴۷	« وادرار
۳۱۰	۷	« هستی
۳۴۰	۶	خلعتی بوشید
۶۴	۲۹	خلفهم سدا

صفحه	سطر	اول بیت
۲۱۷	۱۰	خلق آبی را
۷۲	۲۶	« آمد
۶۸	٤	« اطفالند
۱٦٦	۲٦	« اندرخواب
۲۹۷	۲۵	« بروی
۹۵	۱۰	« بی‌پایان
۳۳۸	۱۳	« بیرون
۱۹۲	۱٦	« پرسیدند
٤۱۸	۲۷	« پندارندزر
۱۷۱	۲۱	« پندارندعشر
۲۳	۲۸	« پنهان
۳۷۰	۲۹	خلقت آدم
۳۷۰	۳۰	« طفل
۱۷۷	۲	خلق جمله سر
۱۷۸	۳	« جمله علتی
۱٦۹	۸	« جویان
۱٦	٤	« چندان جمع
۳۸٦	۲۷	« چون یونس
۳۲	۸	« حق
۱۹	۱٦	« خودرا
۱۹۳	۳۰	« دربازار
٤٤۱	۱	« دردریا
٤۰۳	۲٦	« درزندان
۳٦۵	۳۵	« درصف
۲۳٤	۵	« دیوانند
۱۳	۳۵	« دیوانه‌شدند
٤۱۸	۳۸	« راازبند
۱۵۳	۴۳	« راازجنبش
٤۰۰	۲۷	« راازگرگ
۳۰٤	۳۷	« راباتو
۲٤۸	۱۵	« رابنگر
۱۰۰	۲۰	« راتاب
۳۹۹	٦	« راچون
۱٦٦	۱۷	« راخواند
۳۷۷	۱۰	« رادردزدي
۷۲	۷	« رادودیده
۹٦	۱۰	« راطاق
۲۷۹	۲۲	« راگرزندگی
۱۵٤	۹	« رامیخواند
۲۲۰	۲۸	« رامیراند
۳۷۲	۲۷	« رنجور
۳۹۸	۳٤	« زشت
۷۱	۴۳	« عالم جملگی
۹۵	۱۱	« عالم چون
٤٤٤	۳۸	« گفتنداز
۲۳٦	۱۵	« گفتنداین
۱۷٤	۱٦	« گفتنداین
۷۲	۲۷	« گفتندش
۲۳۵	۲۵	« گفتندش
۱٦۹	۳۰	« گوناگون
۱۷۰	۲	« گویان
۳۰۸	۲۱	« گوید
۲۳۵	۱۳	« مابرصورت
۱۲۱	۱٤	« مست

صفحه	سطر	اول بیت
۱٦۰	۱٦	خلق میخندند
۲٦۸	٦	« میمیرند
۳۹۵	۳۲	« می‌گفتند
٤٤٦	۳٤	« نیکو
۱۷٦	۳	« هم‌اندر
۲۵۳	۲٤	« یکدل
۱۲۳	۲٦	خلم بهتر
۷۹	۱۳	خلوت از
۳٤۰	۳	« وچله
		خ ـ م
۲۷۳	۳۳	خمرتنها
۳۰٦	۳۷	« دفع
٤۲۲	۱٤	خم روان
۲۹٤	۲۵	خمروچنگ
۵۸	۹	خم‌شکسته
۳۵۲	۱۲	« که‌ازدریا
۳۲۲	۱۰	خمهای
		خ ـ ن
۱۱٤	۲٤	خنجرتیزی
۷٦	۱٤	« وشمشیر
۲۲۵	۲٦	خندش آمد
۱۵۰	۳	خندق و
٤۱۳	۱۷	خندقی از
۳۷۸	٤	خندمین تر
۱٤۹	۱٤	خنده آمدحاضر
٤۱۰	۲۸	« آمدشاه
۳۷٦	۱۰	خندهادر
٤۲۹	۹	خنده‌اش آمد
٤۰۸	۲۵	« اش آمد
۲۷٤	۲۱	« اش گیرد
۳۷٦	۲۷	خندهٔ او
٤۱۱	۳۷	خنده بوی
۳۷۸	۱۱	خندهٔ چه
٤۳۳	۳۳	خنده‌راپیرایه
۲٦۵	۲۹	« رادر
۳۸۳	۲	خندهٔ زد
٤۳۷	۳۲	خنده‌زدزان
۳۰۰	۳٤	خنده‌ش آید
۵۷	۱۱	« می‌آمد
٤۳۹	٤٤	« میزن
		خ ـ و
٤۱۵	۱۲	خواب احمق
٤۳	۱۷	« بردش
۱٦۵	۱۱	« بیداریت
۷۹	۲۰	« بیداریست
۱۹٤	۱۵	« توآن
۳۸۹	۲۰	« توبیدار
۳۸۹	۱۹	« «
۳۸۹	۲۱	« «
۳۸۹	۲۰	« «
۳۸۹	۲۱	« «
۳۸۹	۲۲	« تومانند
۱٦۹	۳۲	« چبود
۳٤۸	۱٤	« چون

صفحه	سطر	اول بیت
۲۵۱	۲۵	خواب خرگوش
۳۱۲	۲٤	« خودرا
۳۳٦	۳	« خوش بر
٤۰٤	۳۲	« در
۲٦۵	۲۳	« دیداو
٤۱٤	۳۷	« دیداو
٤۰٤	۲۹	« دیدم خواجه
٤۰٤	۳۰	« دیدم خواجه
٤۰٤	۲۸	« دیده
٤٤۰	۳۱	« راز
۳٦۱	۳٦	« رابگذار
۲۵۸	٤۱	« رایزدان
٤۱۵	۱۲	« زن
۲٦۵	۷	« عام است
۷۲	۹	« مرده
۲۰۷	۳	« مرغ
۱۷۹	۵	« می‌بیند
٤۱۲	۱۳	« می‌بینم
۱۹٤	۱٦	« می‌بینند
٤۱۵	۱۳	« ناقص
۳٦۱	۱٦	خواباناکی کو
۲٦۷	۳۷	خواباناکی لیك
۳٦۱	۳	خوابهابیزار
۳٦۸	۲۸	« می‌دید
۱۰۲	۲	خواجگان این
۵	۳۱	« وشهر
۳۵۵	۳۲	خواجه آخر
۱۸۸	۲۲	« ازدور
٦٤	۸	« اشکسته
۱۰۱	۲۸	« اش میداشت
۳۱۱	۱۷	« امن
۳۸	۲	« اندرآتش
٤۳۱	۲٦	« باآن
۳۸	۲۳	« باخود
٤۳۹	۲۷	« بادو
۲٤۸	۱۲	« بازآاز
۲۵۲	۲	« بازآمد
۳۱٦	۲۹	« برتوبه
۱٤۷	۳۵	« برجست
۱۸۸	۱۹	« برره
۳٤۱	۳۳	خواجهٔ بود
٤۳٤	۳۹	خواجه بهرآن
٤٤۰	٤۳	خواجه بیدار
۱٤۵	۳۱	« پنداردکه
٦۷	۱۳	« پنداردکه
۵۰	۱٦	« تاشانیم
۱٤٦	۱۰	« تاشب
٤۰۰	۳٦	« توباری
۳۵٦	۲۸	« جمعیت
٤۳۰	۲۷	« چون با
٤۳۱	۳٦	« چون بشنید
۳٦	٤	« چون دید
۳۵٦	۲۷	« چون دید
٤۱٤	۳٦	« چون میرا

صفحه	سطر	اول بیت
۲۱	۳۰	خواجه چون پیلی
۱٤٤	۲۵	« حازم
۳۸	۱۰	« حیران
٤۳۰	۹	« خطی
۱۰۵	۸	« خیرست
۳۱۵	۳۳	« درخانه
٤۸	۱۸	« درعیب
۱٤۵	۲۰	« درکار
۳۹۹	۱٤	« راازچشم
۳۵۵	۳٦	خواجهٔ رابود
۳۹۹	۱۵	خواجه راجان
٤۲۸	۳۷	« راجز
۳۹۹	۱۳	« راچون
٤۰٤	۲۹	« رادیدم
۱۷٦	۳۱	« راکشتی با
۱۷٦	۲۹	« راکشتی و
۳۹۹	۱٤	« راکو
۷۰	۲۰	« راگفتند
۷	۲۳	« روزی
۱۷۷	۱٤	« زاده عقل
۳۵٦	۱٤	« زاده ما
٤٤۷	٤۲	« شمعم بر
۳۹۸	۲۰	« شمعم داد
٤۳۰	۲	خواجهٔ عالی
۱۰۳	۳۵	خواجه فردا
٤۰٤	۵	« گفت ای
۳۵۷	۲٤	« گفت این
۳۸	۲۲	« گفتش
۱۰۲	۵	« لقمان ازین
۱۰۱	۳۲	« لقمان بظاهر
۱۰۲	۱۵	« لقمان چو
٤٤۲	٤۱	« لولاك
۳۵۷	۲٤	« می‌پنداشت
۱٤٦	۵	« وبچگان
۱٤۱	۳۷	« هرسالی
۳۹۹	۳۰	« هم
۱٦۳	۳۵	خوارگشته
۳٤۳	۸	« وخودرو
٦٤	۹	خواری ودونی
۱۸۹	۲۲	خواست آبي
۳۵٦	۱٤	« آن
۱۹	۲	« تااو
۲۱۹	٦	« دختر
۲۸۱	۲٦	« دیوانه
۳۳۱	۳۰	خواستش میگو
۳۷۲	۲۵	خواست صوفی
۳۳۸	۳	« کشتن
۱۱۵	۱	خواستم این
٤۰٤	۱٦	« تاآن
۲۲۷	۳۲	« تااز
۹	۳۰	« تادین
۲٦۵	۲۵	خواست مردن
۱٤۹	۳۸	خواستم گفتن
٤۰۵	۳۵	خواستند ازش

صفحه	سطر	اول بیت
٤۰۲	۱۸	خواست یاری
۳۲۸	۳۷	خواستی مسجد
۳۱۹	۲	خوان او
۸۲	۲۰	« بیاوردند
۱۱۲	۳۸	خواندافسونها
۱۰۳	۳۲	« اوآن
۸۹	٤	« اورا
۲۸	۲۵	« برشیر
٤۱۸	۱٦	« برقاضی
۳۸٤	۹	« بروی
۳۷۵	۱٦	خواندش اندر
۸٦	۲۵	خواندعیسي
۱۷۸	۱۷	خواندم اورا
۲۳۹	۱۰	خواندمزمل
۱٤۱	۱۱	خواندن بی‌درد
۳٤۰	۲۹	خوان کشید
۵۳	۸	« که
۲۸۱	۳٦	« ومهمانی
٤۱۵	۱٦	خواه احمق
٤۰	۱۸	« ازنور
۱۷۳	۱۵	« باغ و
٤۰	۱۹	« بین نور
۳۱۳	۱۰	« خودرا
۷۰	۳٦	خواهد آن رحمت
۲۸۱	۳۳	خواه درصدسال
۲۳۲	۳۸	خواهرانت جمله
۲۳۲	۳۷	« را
۲۳۲	۳٦	« ساکه
۲۳۳	۳۱	« یافته
۳۳٦	۱٤	خواهرش گفتا
٤۰	۱٦	خواهرآدم
٤۳۵	۱۷	« سگ
٤۷	۱۹	« صاف و
٤۰	۱۹	« نوراز
۳٦٦	۲۷	« نیك و
٤۰۷	۲۹	خوبتر زان
٤۲۰	۲۱	« زین
۱۱۸	۱۱	خوبرادر
۳۹۹	۱۱	خوبرویان
۱٤٦	۷	خوب گشته
۱۱۸	۱٦	« گوید
۲۸۷	۳۷	خوبی بازار
٤۰٤	۱۷	خوداجل
۲۱۸	۱۹	« ادب
٤۰۷	۱۵	« ازاو
۳۱۲	٦	« ازاین بالوده
٤۳٦	۳٤	« اصابع
۱۱۹	۳۵	« اگر
٤۳۲	۳۱	« الاله
٤۰٦	۵	« بدان قلعه
۱۰۸	۲۸	« بدانی چون
۲۲۹	۵	« بدانی چون
۲۰٦	۱۸	« بدیدید
٤٤٦	۲۵	« برآن

صفحه	سطر	اول بیت
۱۲۴	۳۴	خودبرتو
۵۴	۵	« بزرگی
۳۵۸	۱۹	« بگفتی
۳۶۳	۱۷	« بگوتا
۲۶۲	۱	« بگیراین
۱۹۷	۳۳	« بنه‌و
۴۴۶	۲۸	« به‌ازخورشید
۴۴۳	۲۳	« به‌نسبت
۱۹۵	۱۷	« پشیمانی
۲۰۳	۱۳	« تبوراکست
۳۸۳	۲	« تراکاری
۳۱۰	۴	« توپوشیدی
۳۶۸	۲۰	« تودانی
۳۶۸	۲۰	« تومیدانی
۳۱۱	۲	« تومیخوانی
۳۲۰	۲۲	« توکل
۵	۹	« ثنا
۵۹	۱۱	« جهان‌آن
۵۹	۱۲	« جهان‌آن
۳۵۴	۱۲	« جهان‌جان
۴۴۵	۲۹	« چه‌باشدبه
۳۱۰	۱۲	« چه‌باشدپیش
۳۷۸	۲۹	« چه‌باشدگر
۵۵	۲۳	« چه‌باشدگوه
۲۹۹	۳۵	« چه‌برسم
۴۳	۲۸	« چه‌جای‌ترك
۱۵۷	۴۷	« چه‌جای‌حد
۹۶	۳۴	« چه‌جنس
۴۴۶	۴۵	« چه‌دانند
۲۰۹	۳۴	« چه‌شد
۳۷۷	۶	« چه‌کم‌گفتی
۵۴	۱۵	« چه‌گویم
۹۱	۳۶	« حسد
۶۷	۹	« حقیقت
۲۶۹	۸	« خرد
۱۷۱	۱۱	« خیالش
۲۸۷	۳۳	« دات
۲۴۲	۲۰	« دوپیغمبر
۱۷۳	۱۸	« رواداری
۲۲۹	۴	« رها کن
۱۳۵	۳۱	« زبون
۴۰	۲۵	« زیبم‌این
۱۵۲	۱۰	« زن‌عمران
۳۶۸	۱۱	« سزای
۴۲۵	۳۳	« شمار
۲۳۸	۳۵	« صلاح
۲۲۷	۲۴	« ضمیرم
۲۶۳	۲۰	« طواف
۳۸۸	۳۲	« عجبهای
۲۴۶	۲۴	« عدوت
۱۵۹	۱۶	« عصامعشوق
۲۸۲	۱۹	« غرض
۵	۱	« غریبی‌در
۱۶۱	۳۲	« فزون‌آن

صفحه	سطر	اول بیت
۹۱	۱۴	خودقضابر
۵۹	۲۲	« قوی‌ترمی‌بو
۵۹	۲۲	« قویترمیشود
۴۴۳	۴۲	« کثیفی
۱۵۱	۱۱	« کجادر
۱۸۰	۲۵	« کجاکو
۴۳	۱۱	« کدامین
۲۵۷	۳۷	« کراآمد
۷۵	۱۵	« کرازهره
۳۵۹	۳۲	« کلوخ‌و
۷۲	۱۵	« کندرنجور
۲۱۰	۲۶	« کنیدایشان
۱۹۳	۳۶	« که‌بیند
۴۱۴	۳۶	« که‌کوبد
۲۵۷	۳۲	« که‌یابد
۱۳۰	۲۱	« گرفتستت
۱۸۴	۶	« گرفتم‌که
۲۴۳	۴۲	« گرفتم‌مال
۸۱	۲۰	« گرفتی
۶۷	۳	« گمانش
۳۵۳	۲۱	« مؤثرتر
۳۵۳	۲۰	« مؤثرتر
۴۴۷	۲۱	« مجال
۱۴۸	۷	« مخنث‌را
۱۶۲	۱۰	« مراآنکه
۱۰۳	۲۰	« مرااستا
۲۴۸	۶	« ملایك
۳۰۷	۸	« من‌آن
۱۹۷	۵	« نباشدآفتابی
۳۲۷	۲۰	« نباشدجوع
۳۷۹	۹	« نبوداز
۲۵۹	۲۸	« نبودست
۱۶۲	۳۹	« نبیند
۴۱۲	۳۰	« نبینی
۲۷۶	۲۹	« نتانم
۱۶۳	۲۵	« نچینم
۳۸۷	۳	« ندادم
۲۶۲	۳۳	« ندانندکه‌جز
۱۴۴	۱۷	« نشدحرص
۳۸۱	۲۹	« نشدیک‌حبه
۲۵۱	۳۳	« نگشتی‌سیر
۳۸۶	۲۰	« نگفتم
۴۰۶	۱۸	« نگفته
۲۵۸	۱۹	« نمی‌یابم
۲۴۵	۳	« نه‌آن‌بو
۳۸۶	۲۴	« نه‌من‌می
۳۰۴	۴	« نیابی
۱۱۰	۱۶	« نیامد
۱۲۶	۳	« ورابکشید
۴۴۸	۱۲	« وکیل
۲۲۹	۲۷	« همان‌بد
۹۰	۲۰	« هم‌اوآب
۲۸۸	۲۶	« هم‌اوبود
۳۱۵	۲۱	« همین‌جا

صفحه	سطر	اول بیت
۳۸۹	۹	خودهمه‌کس
۳۸۹	۲۵	« هنر
۳۵۴	۳۶	« یکی
۲۶۵	۲	خورجه‌اداست
۲۹۸	۲۷	خوردم‌ودانه
۴۳۱	۱۳	خوردن‌ازبهر
۲۷۳	۳۱	« تن
۴۳۶	۹	خورده‌ام‌زخمی
۴۲۳	۹	خورده‌گندم
۲۴۱	۳۲	خوش‌ببین
۴۳	۱۸	« بدی‌جانم
۱۶۵	۲۱	« برآیم
۲۲۵	۱۴	« براقی
۳۶۱	۳۵	« بسوز
۲۱۶	۷	« بکش
۲۵	۵	« بود
۲۰۵	۱۴	« بیان
۵	۱۲	خوشترآنباشد
۱۶۵	۱۶	« ازتجرید
۱۹۸	۲۰	« ازهردو
۴۳۳	۴۶	خوش‌خلاصی
۴۴۵	۷	« خوریم
۳۷۶	۶	« دلم‌در
۸۹	۳۱	« دمست‌او
۱۷۲	۲۶	« سلامتشان
۲۹۵	۲۱	« کندآن
۴۱	۴	« کندست
۱۳۲	۱۳	« مربع
۳۶	۲۳	« نشین‌ای
۲۴۳	۳۰	« نگردد
۱۵۸	۴	« نیامد
۲۶۸	۸	خوشهادرموج
۱۷۹	۱۹	خوشهای‌زفت
۲۱۴	۶	« فکرتش
۴۱۴	۲۷	خوش‌همی‌آید
۱۴۵	۱۸	خوف‌آنکس
۳۴۵	۱۰	« اوخود
۱۸۵	۱۷	« ایشان‌از
۱۸۷	۹	« حرمان
۳۴۷	۳۶	« طی‌شد
۱۲۴	۲۹	« وجوع
۶۵	۳۶	خون‌آنها
۴۳۷	۳۷	« اهل‌ده
۶۵	۳۶	« ایشان
۳۱۲	۲۹	« بجوش‌آمد
۲۲۲	۱۵	« بسی‌رفته
۳۱۴	۲۰	خونبهای‌جرم
۱۱۶	۲۷	« من
۱۰۶	۳۸	خون‌پلیداست
۴۸۸	۴۱	« چکان
۱۳۹	۲	« خوری
۲۴۴	۳۸	خونداریم
۶	۲۶	خون‌دویداز
۱۶	۳۱	« روان‌شد

صفحه	سطر	اول بیت
۱۷۶	۱۱	خون‌شده
۷۴	۱۴	« شودروزی
۱۳۹	۲۴	« شودکهها
۱۰۶	۱۹	« شهیدانرا
۳۵۸	۲۴	« کندزید
۱۰۷	۱۵	« کنددل
۷۳	۴۰	« نپوشد
۲۷۴	۲۵	« نخسبدبعد
۱۷۶	۳۷	« نخسبدبر
۲۷۲	۲۱	« نیامیزم
۱۹۸	۳	« همی‌گوید
۲۵۳	۱	خونی‌وفداری
۳۸۰	۳۹	خوی‌آنرا
۳۹۶	۲۵	« آن‌هاروت
۳۷۳	۳۲	« بااوکن
۳۷۳	۳۲	« بااوکن
۳۷۳	۳۰	« باحق
۲۷۰	۳۵	« بدر
۱۷۵	۲۱	« دارم
۵۷	۱۲	« شاهان‌در
۲۳۸	۲۷	خویش‌ابله
۴۹	۱۹	خوی‌شاهانه
۶۶	۱۹	خویش‌بین‌چون
۷۵	۱۹	« بینی
۷۷	۹	خویشتن‌آراسته
۲۵۱	۲۶	« افکند
۴۴۱	۴۰	« بینی
۴۴۲	۲۳	« خور
۱۷۰	۲۰	« درخاك
۱۵۳	۹	« راآدمی
۱۵۱	۳۴	« راآعجمی
۲۰۲	۲	« راباشما
۱۱۲	۳۵	« رابوعلی
۱۵۱	۳۵	« راترش
۳۱۳	۱۲	« رادوست
۲۹۵	۹	« رادید
۳۷۶	۱۹	« راساز
۱۴۷	۳۷	« راعارف
۱۴۸	۱۲	« راعاشق
۲۵۶	۳۲	« راکور
۲۷۳	۳۲	« راگم
۱۳	۲۶	« رامسخ
۲۳۲	۵	« رامن
۲۳۲	۵	« رامن
۲۰۰	۱۵	« رانیك
۲۴۹	۸	« گرخفته
۲۷۱	۲۸	« مشغول‌کر
۴۲	۵	« مشغول‌م
۹۶	۳۱	« مکشید
۱۵۳	۸	« نشناخت
۲۸۱	۱۸	خویش‌جالینوس
۶۶	۱۹	« درآئینه
۲۸۰	۱۹	« درویرانه
۴۳۲	۴۵	« راآراسته

صفحه	سطر	اول بیت
۱۴۸	۱۱	خویش‌رالزرهر
۴۲۹	۴۱	« رااول
۲۸۴	۲۵	« رابرآتشی
۱۵۳	۳۷	« رابراستنی
۲۰۰	۶	« رابرنخل
۷۲	۵	« رابین‌چو
۴۴۰	۱۱	« رابیند
۳۵۸	۳۸	« راپیچیده
۷۳	۱۰	« راتاویل
۱۰۲	۸	« راتسلیم
۳۳۳	۹	« راتعلیم
۴۱۸	۱۳	« رادرخو
۱۵۱	۳۸	« رادرمضه
۳۹۴	۱۹	« رادزدید
۱۱۷	۲۷	« رادیدیم
۴۱۳	۱۲	« رارسوا
۳۳	۱۲	« رارنجور
۶۸	۲۰	« راصافی
۳۸۷	۲۳	« راعریان
۱۴۸	۹	« رامنصور
۳۸۷	۹	« راموزون
۲۳۸	۱۱	« رانادان
۳۹۳	۱۲	« راهم‌زین
۶۶	۲۴	« راهم‌لحن
۳۶۹	۴	« رایکدم
۴۹	۱۴	« من‌والله
۴۶	۲۷	« وبیگانه
۲۹۵	۱۸	خویشی‌و
۱۱۹	۲۴	خوی‌کن‌با
۲۹۵	۱۴	« کن‌بی
۳۲۱	۱۳	« معده
		خ-ی
۱۶۲	۳۵	خبرباشداوستا
۱۶۱	۲۱	« باشدرنگ
۱۸۱	۳۴	« باشدنیمشب
۳۸۹	۱	« تواین‌است
۳۸۸	۳۸	« شان
۲۴۷	۲۴	« کن‌باخلق
۳۹۰	۳۷	« مطلق
۳۵۹	۲۴	« ناس‌ان
۲۳۴	۱۳	« هاتنزند
۱۲۸	۱۵	خیره‌شددر
۶۰	۲۳	« شددلاك
۱۶۹	۷	« گشتم
۲۱۳	۱۹	« گویان
۳۸۹	۱۴	خیزای‌پس
۴۸۶	۱۷	« ای‌داود
۴۱۳	۹	« ای‌نمرود
۲۳۳	۲۹	« بلقیسابجاه
۲۳۳	۳۲	« بلقیسابابار
۲۴۳	۲۹	« بلقیسابایپیش
۲۳۲	۳۷	« بلقیسابیادولی
۲۳۲	۳۶	« بلقیسابیاو
۲۲۹	۲۳	« بلقیساچواد

صفحه	سطر	اول بیت
۲۳۲	۳۸	خبز بلقیسا در آدر
۲۴۲	۳۹	« « سعادت
۲۴۳	۲۸	« « کنون
۲۳۳	۲۸	« « که
۲۴۴	۳۰	« « ومسته
۲۳۹	۲۲	« دردم
۲۳۳	۳	« شیران
۱۶۵	۱۴	« فرعونا
۲۹۳	۷	« کاین سلطان
۲۳۹	۱۳	« وبنگر
۴۴۲	۹	« وزین
۳۴۳	۳	« هنگام
۱۹۹	۳۱	خیك اشکم
۴۴۶	۱۳	خیل نواب
۱۴۱	۳۳	« وفرزندان
۱۹۲	۲۴	خیمه‌درخیمه
۲۵۹	۱	« گردون
۴۳۳	۲۸	« گل‌در
۳۷۴	۳۰	« ویرانست

حرف د

د — ا

صفحه	سطر	اول بیت
۱۳۰	۱۴	دائم آتش
۲۴۸	۱۷	دائما پهلو
۱۸۴	۱۲	دائما ترو
۳۹۰	۲	« دستان
۱۸۲	۳۳	« صیاد
۳۴۸	۱۲	« غفلت
۴۱۹	۲	« محبوس
۱۹۵	۴	دائم اندر آب
۲۶۴	۲۷	دائما هرگز
۱۴۸	۱۰	داد او را جملهٔ
۴۴۷	۹	« او را اثابت
۲۹۷	۲۶	« ایشانرا
۵۸	۱	« بخششها
۴۰۸	۱۵	« بسیار او
۱۴۴	۱	« تو
۴۴۲	۲۳	« جان و
۳۳۶	۲۰	« جمله
۱۴۲	۱۶	« حق اهل
۳۹۹	۳	« حق با تو
۳۴۶	۳۱	« حقمان
۴۵	۱۴	« خوداز
۴۵	۱۴	« خردچون
۳۹۹	۱	« دادحق
۳۶۴	۳۹	« دریا
۲۱۲	۹	« دمارا از
۲۱۲	۷	« دمارا که
۳۴۵	۴	« سوگندش
۱۷۹	۱۶	« شان چندان
۴۵	۱۱	« عمری حق
۴۴۵	۱۷	« فرمان
۳۴۴	۱۰	« کغذ
۳۴۸	۲۸	« مارا فضل
۲۱۲	۱۷	دادما و انصاف
۱۴۱	۹	« مرفرعون
۳۸۳	۳۶	دادمی این
۳۹۷	۹	داده بودش
۳۷	۳۳	دادهٔ تو
۱۰۰	۱۶	داد هر حلقه
۴۲۴	۵	داده کرمان
۴۲۴	۴	« من
۴۴۶	۸	دار ایمان
۳۱۵	۱۳	دارد آوازی
۳۴۸	۳۳	دار قتل
۳۵۸	۲۷	« کی ماند
۳۳۵	۳۴	دارم ایمان
۳۲۲	۳	داروی مردی بخ
۳۲۲	۳	« مردی کن
۱۰۹	۳	« مردی کن
۲۶۴	۱۴	داس بگرفت
۳۴۷	۹	داستان ذوق
۲۷۴	۳۲	داشت طغیان
۳۸۹	۳۰	« کاری
۱۱۸	۲۷	داعی حق
۱۸۷	۸	« هر پیشه
۳۹۳	۳۳	دافع هر چشم
۵۶	۲۱	دام آدم
۲۵۲	۱۳	« افکندند
۴۲۳	۱۲	« بگزیدی
۹۵	۳۱	« خودرا
۳۹۶	۶	« دیگر بد
۲۹۴	۲۵	« دیگر خواهم
۴۲۱	۱۵	« رابدران
۲۸۵	۲۱	« راچه
۲۹۴	۲۷	« محکم ده
۲۶	۲۴	« مکر او
۱۸۶	۱۶	دامن اوامر
۱۴۳	۷	« او گبرای
۱۱	۱۵	« او گبر زوتس
۴۴	۱۲	« او گبر کو
۴۲۲	۸	« پرخاك ما
۴۲۲	۱۶	« پرخاکمان
۱۷۳	۲۴	« تو آن
۳۳۰	۱۵	دامنش سوزد
۲۵۲	۱۷	دامن عاقل
۱۸۶	۱۶	« فضلش
۳۱۹	۲۹	دام ودد
۲۲	۲۶	دامهاشان
۳۱۲	۳۹	داند آن عقلی
۱۷۹	۹	« او خاصیت
۳۱۲	۲۵	« او کان
۲۳۸	۱۹	« او کو
۳۸۹	۹	« اینرا
۱۶۴	۷	« و بوشد
۶۱	۳	« وخررا
۴۱۴	۲	دانش آن بود
۲۹۶	۱۸	« آنرا
۲۹۶	۱۷	دانش انوار
۲۳۶	۳۶	« پیشه
۱۱۶	۲۱	« من
۱۰۲	۴۲	« ناقص کجا
۱۰۲	۳۳	« ناقص ندا
۱۵۵	۲	دانشی باید
۳۸۶	۵	« دیگر
۳۰۸	۹	دانکه ایشانرا
۳۰۲	۲۸	« این
۱۱۰	۱	« بایوسف
۴۷	۲۳	« هر رنجی
۲۷۳	۳۳	« هر شهوت
۱۷۱	۱۵	« هر مدحی
۴۰۰	۴۷	دانم آنجا در
۱۹۳	۲۸	دانه آبی
۳۸	۱۴	دانه باشی
۱۳۱	۱	دانهٔ بی مغز
۵۳	۲۶	دانه بین کز
۱۷۰	۲۰	دانهٔ پر مغز
۳۸	۱۴	دانه پنهان کن
۱۳۵	۱۳	دانهٔ جو را
۳۵۸	۳۷	« چندی
۶	۲	دانه چون اندر
۴۱۲	۲	« چون گم
۱۵۰	۱	دانهٔ دامش
۲۵۷	۳۲	دانه راصد
۷۶	۶	دانهٔ کش
۳۰۲	۳۶	دانه کمتر خور
۱۹۰	۲۴	دانه گندم
۲۲۶	۱۷	« گوید
۲۶۴	۱۶	« لایق
۷۶	۷	« مردن
۳۲۵	۲۱	دانهٔ مر مرغ را
۱۳۴	۷	« معنی
۱۴	۱۶	« هر مرغ
۱۴۴	۳۵	« هر میوه
۱۹۳	۲۸	دانی ای عاقل
۴۴۶	۳۹	داوری بر
۴۴۱	۱۱	دایما بر عاشقان
۲۴۵	۳۵	دایه‌اش پنبه
۱۳۶	۱۲	« رابگذار
۲۹۰	۱۷	« عاریه
۱۳۸	۲۵	« کوشیر
۱۴۸	۲۴	« کو طفل
۱۰۹	۵	« ومادر

د — خ

صفحه	سطر	اول بیت
۳۱۶	۳۳	دختران خسروا
۳۳۹	۳۵	« رالعبث
۳۵۰	۱۸	« نعش
۴۱۸	۹	دختر شاهت
۴۲۴	۲۶	« وملک
۲۶۶	۱۱	دختری خواهم
۴۰۸	۸	« دارد
۳۳۶	۱۱	« دارم
۳۰۴	۲۱	دخل از آنجا
۳۰۴	۱۷	دخلها و میوها

د — ر

صفحه	سطر	اول بیت
۴۳۸	۳۷	در آن دریا
۲۴۲	۲۶	در اثر افزون
۲۲۱	۲۱	در اگرچه
۱۷۴	۳۰	در الست آن
۲۵۷	۳	در الهی نامه بس
۱۹۷	۲۱	در الهی نامه گوید
۳۴۶	۳۶	در امانت
۴۰۲	۱	در امیری
۴۰۳	۱۸	در بیست از
۲۱۹	۴	در بیستم تا
۲۱	۲۲	در بیست و دشمن
۱۹۶	۲۰	در بخارا بنده
۴۰۸	۱۵	در بخارا خوی
۱۹۹	۸	در بخارا در هنر
۳۲۵	۸	در بدر این شیخ
۱۱۳	۱۰	در بدر میکرد
۵	۳۳	در برخود
۴۳۰	۳۷	در برش گیرند
۶۰	۱	در بشر رو
۴۹۱	۷	در بصرها
۴۸۱	۱۲	در بغل زد
۴۳۷	۳۸	در بغل نه
۱۴۹	۳۳	در بلاهم
۲۷۰	۳	در بلندی کوه
۲۲۳	۳۸	در بنا هر سنگ
۲۴۳	۳۷	در بنایش دیده
۳۹۸	۴	در بن چاهی
۳۴۰	۷	در بن طاعت
۴۲	۲۵	در بهاران جامه
۴۳۴	۲۶	در بهاران چون
۱۴۹	۳۴	در بهاران خطه
۳۴۶	۹	در بهاران سرها
۴۳۶	۳۹	در بیابان سر
۲۲۶	۳	در بیابانهای
۱۸۱	۲۷	در بیابانی که
۳۸۵	۵	در بیان آنکه
۲۳۴	۲۶	« این حدیث
۲۴	۷	« این سه
۳۹	۳۱	« این شنو
۳۰	۱۶	« این شنو
۸۲	۱۱	« نایدجمال
۳۴۳	۳۶	« نایدکه
۴۰۴	۱۹	در بیوع آن
۲۵۸	۸	در پذیر این
۲۸۲	۱۰	در پذیرم جمله
۲۸۴	۱۵	در پری خوانی
۳۰۳	۱۵	در پس آینه
۲۴۵	۳۶	در پناه بنه
۲۲۵	۷	در پناه جان
۱۷۳	۷	در پناه شیر
۳۸	۱۶	در پناه لطف
۴۰۰	۲۹	در پی او تا
۲۳۷	۱۳	« او کی
۴۳۵	۲۱	« این گله
۲۶۵	۶	« تعبیر آن
۳۶۸	۳۳	« جنت
۳۹۶	۲۷	« خوباش
۳۶۹	۳۹	« خورشید
۴۰۶	۲۰	« سودی
۱۰۱	۴۰	در پیش چون
۱۴۹	۱۱	« کردند
۳۸۸	۱۹	در پی موسی
۴۹۱	۲	در تأنی بر یقین
۳۷۰	۲۷	در تأنی گوید
۴۳۴	۴۱	در تجارت جهد
۴۳۰	۵	« در
۳۶۵	۱۴	« نیستش
۱۷۱	۱۳	در تحیات و
۴۳۰	۳۶	در تحیر در
۱۷۳	۳۵	« ماندم
۴۳	۳۴	« مانده
۶۰	۳۶	در ترازو جو
۴۱	۱۵	« هردو
۱۵۴	۸	در تردد از تو
۳۵۸	۲۱	« مانده
۳۵۵	۶	« میزند
۳۱	۱۹	« هرکه
۳۲۵	۳۳	در تصور در نیاید
۵	۳	« ذات او
۴۰۷	۲۱	در تضرع
۲۷۱	۳۲	در تعجب مانده
۴۰۸	۹	در تفحص آمدند
۳۰۲	۳	« اندر
۳۲۶	۳۹	در تنگ آب
۶۴	۱۴	در تنگ جو
۱۵۱	۳	« دریا
۳۸۵	۲۶	در تلافی
۴۴۶	۵	در تلظ
۱۰۳	۱۵	در تماشای
۱۴۰	۷	در تمامی کارها
۸۲	۴	در تموز
۱۳۵	۳	در تنازع
۳۸۷	۳۴	در تن خود
۱۰۱	۳۷	در تن گنجشك
۳۴۲	۴۳	در تنم یکجایگه
۱۷۹	۲۱	در تنور انداختند
۱۵۲	۱۳	« انداز
۱۸۷	۲۲	در تنور پر
۴۲۵	۳۴	در تن همچون
۴۹	۲۱	در توازمن
۲۷	۱۲	در تو تا کافی
۴۱۵	۳۵	در تو جوعی
۷۲	۱۸	در تو علت
۳۲۰	۲۳	در تو کل هیچ
۳۴	۲۰	در تو نمرودیست

صفحه	سطر	اول بیت
۳۳۷	۴۳	درتونوری
۱۲۶	۴۰	« هست
۲۳۴	۳۲	درثنای
۲۶۱	۱۷	« جدال‌و
۴۰۴	۳۸	درج‌در
۴۲۲	۴۰	درجزای‌آن
۳۱۷	۱۲	« جگرافتاد
۳۴۰	۱۰	« جگرچون
۲۶۱	۶	« جمادات‌از
۱۲۵	۲۵	« جمادات‌اینچنین
۲۶۱	۶	« جماداز‌لطف
۲۰۴	۳۵	« جمادي‌گفتمی
۳۷۹	۲۶	« جمال‌حال
۴۳۰	۱۵	« جمیع‌امر
۲۲۱	۱۰	« حوایش‌بر
۴۳۹	۲	« جوابش‌گفت‌ا
۳۵۹	۲۵	« جوابش‌گفت‌ص
۲۴۱	۱۱	« جوال‌آن
۴۱۹	۳۱	« جوال‌نفس
۱۹۲	۱۵	« جواني‌حمزه
۳۴۳	۲	« جهاداکبر
۱۹۰	۱۶	« جهان‌این
۱۰۱	۳۳	« جهان‌بازگونه
۱۱۹	۲	« جهان‌پوشیده
۴۲۵	۲۴	« جهان‌جان
۲۵۹	۱۹	« جهان‌جنگ
۴۶	۱۹	« جهان‌خاك
۳۵۳	۹	« جهان‌روح
۲۳۳	۱۸	« « گرلطف
۲۲۲	۲۰	« « گرلقمه
۳۳۹	۳۲	« « مرده
۱۲۵	۳۷	« « معروف
۳۴۸	۲۲	« « نبودبتر
۳۲۴	۱۰	« « نبودبتر
۴۰۵	۱۹	« « نبودمدد
۸۰	۱۵	« « هرچیز
۲۴۲	۶	« « هرچیز
۲۴۲	۶	« « هرچیز
۴۳۶	۳۶	« چرزکاویدن
۳۰۳	۳۱	« چله‌کس‌نی
۱۶۶	۲	« چنان‌روز
۱۳۲	۱۳	درچند
۳۳۷	۳۵	درچنین‌راه
۱۵۹	۱۵	« چنین‌مستي
۴۳۳	۲۹	« چنین‌منصوبه
۲۹	۲۴	« چنین‌ننگی
۴۱۵	۱۲	« چنین‌وقتش
۲۸۹	۳۶	« چه‌اندازم
۳۷۱	۲۳	« چه‌بازاری
۱۰۰	۲۳	« چه‌دریای
۳۹۸	۲۹	« چه‌دنیا
۱۸۱	۳۵	« چه‌کاري‌گفت
۳۵۸	۲۶	« چه‌کردی
۷۴	۱۲	« چهی‌افتاد

صفحه	سطر	اول بیت
۷۴	۱۲	درچهي‌انداخت
۲۲۱	۱۷	درحدث‌افتد
۲۹۱	۸	درحدبیه‌شدی
۹۵	۲	درحدیث‌آمد که
۱۶۳	۲۹	« «
۳۰۹	۱۱	« «
۲۵۹	۱۵	« «
۲۳۹	۳۹	« «
۱۶۳	۳۰	« دیگر
۱۲۱	۱۱	« راست
۲۱	۱۳	درحذر
۵۹	۶	درحروف
۳۰۲	۵	درحسدشد
۴۱۲	۲۰	درحشایش
۴۰۲	۱۰	درحضورآفتاب
۴۴۲	۳۴	« آن
۲۴۹	۴	« مصطفا
۳۲۵	۹	درحق‌اوخورد
۱۰۶	۱۲	« اومدح
۱۰۶	۱۲	« اونور
۱۰۶	۱۳	« اونیك
۳۶۵	۲۵	« توآهن
۱۳۴	۴۰	« دیگر
۱۳۴	۳۹	« دیگر
۱۸۷	۱۹	درحقیقت‌آتش
۴۰۷	۲۴	« حق
۱۹۴	۲۸	« خالق
۲۱۷	۲۴	« دوستا
۹۱	۳۳	« رهزن
۱۷۱	۱۷	« مادح
۱۱۷	۳۳	« قمع
۲۱۷	۲۳	« هرعدو
۴۰۹	۱۴	« هریك‌ا
۴۰۹	۱۴	« هریکی
۵۸	۱۶	درحکایت
۳۶۱	۹	درحیاپنهان
۱۱۹	۱۰	درخبرآمد
۲۰۲	۲۸	« بشنو
۱۳۲	۲۶	« خیرالامو
۴۳۸	۲۵	« خیرالکلام
۱۸	۲۴	درخدای
۱۳۱	۱۶	درخرابات
۱۳	۳۰	درخرابی
۳۳۰	۱۲	درخرد
۳۹	۱۴	درخزان‌بین
۷۹	۱۸	« چون
۴۱۸	۱۲	« وباد
۷	۲۳	درخطاب‌آدمی
۳۹۳	۲۶	درخلاص‌او
۲۶۴	۱۸	درخلایق
۳۶۷	۳۰	درخلای‌گوش
۴۰۹	۲۷	درخموشی‌هر
۲۹	۴	درخوداین
۲۰۸	۷	درخورآن

صفحه	سطر	اول بیت
۱۹۱	۳۲	درخوردریا
۲۵۴	۲۹	« سر
۲۶۸	۳۱	« عقل
۲۹۱	۱۹	« فهم
۲۸۴	۸	« هر
۳۶۳	۳	درخوشي‌گفت
۳۸۵	۱	درخیال‌از
۱۱۰	۱۴	« افتاد
۳۷۳	۱۱	« او
۶	۱۸	درخیالش
۴۰۳	۱۳	درخیال‌صورتی
۱۴۱	۱۰	دردآمدبهتر
۶۰	۲۳	دردافزون‌گشت
۲۹۶	۱۵	دردباغی‌گر
۳۴۹	۱۶	دردبودم
۱۱۳	۳۹	« پشتم
۱۱۷	۳۷	« خیزد
۴۱۶	۲	« داروی
۱۵۳	۳۱	دردرنگ
۳۸۰	۲۱	دردرون‌بیشه
۲۵	۱۷	« خود
۱۰۱	۳۶	« دل
۱۰	۱۲	« سینه‌مهر
۲۶۷	۱۷	« سینه‌نفاثا
۲۹۴	۱۲	« شیران
۱۰۶	۲۰	« کعبه
۳۴۱	۵	« هردو
۴۱۷	۱۹	« یکذره
۲۲۳	۱۶	دردزخم
۱۹۴	۱۹	« زه
۱۶۲	۲۵	« سر
۳۴۶	۳۱	« صاحب
۱۷۲	۱۳	دردعاایشان
۲۷۲	۱۱	« بود
۸۱	۱۲	« میخواستی
۴۱۴	۲۱	« ولابه
۲۸۴	۳۹	دردعسر
۴۲۲	۴۱	« غیرت
۳۶۴	۱۴	دردقایق
۴۲۳	۱۴	دردکان‌از
۳۷۵	۱۳	« کفش
۴۳۵	۲	دردل‌آن
۵۳	۲۶	دردلالت
۸۲	۴	دردل‌انگور
۲۰۲	۲۴	دردل‌اوسوراخه
۳۳۶	۱۲	« اومهر
۴۴۴	۳۲	دردلت‌از
۴۱۴	۴	« خوف
۲۰۸	۱۱	دردل‌تو
۴۰۳	۹	« خوارزم
۴۴۱	۴۶	« خودگفت
۴۲۱	۵	« خودیافت
۴۲۱	۶	« خودیافت
۲۹۶	۱۸	« سالك

صفحه	سطر	اول بیت
۳۲	۱	دردل‌سفره
۹۶	۳۹	« سلطان
۳۴۵	۴۰	« شاهان
۲۷	۲۶	دردلش‌تاویل
۳۵۸	۲۸	دردل‌شحنه
۳۹۴	۳۳	دردلش‌خورشید
۱۷۵	۱۹	دردلش‌نه‌آنچه
۳۹۲	۳	دردل‌عاشق
۳۸۲	۲۲	« که
۱۸۴	۱۱	« مالاله
۵۴	۴	« مؤمن‌گنج
۳۹۷	۲۷	« مؤمن‌نگنج
۳۴۵	۳۸	دردلم‌زین
۳۹۲	۳	دردل‌معشوق
۱۷۴	۱۹	« من‌آن‌دعا
۴۲۵	۱۶	« من‌آنسخن
۳۹۷	۱۲	« موش
۲۹۹	۱	« نه‌دل
۱۳۳	۳۱	« هر
۴۳۴	۱۳	دردمارا
۲۱۲	۳۸	دردم‌قصاب
۱۵۹	۷	دردمندانرا
۱۱۰	۳۴	دردمندی‌کش
۴۳۴	۱۴	دردمیاید
۳۰۶	۳۲	دردمی‌درصور
۳۰۶	۳۱	« «
۸۰	۲۹	دردوچشم
۱۹۶	۱۶	دردوصدمن
۴۷	۲۴	دردهاازمرگ
۸	۲۵	دردهان‌زنده
۳۶۵	۱۰	دردهانش
۳۸۲	۲۷	دردهای‌ساقی
۳۶۶	۳۹	« جغدان
۳۰۴	۱۲	« ضروان
۴۳۳	۲۲	دردیاروکشور
۱۹۰	۲۴	دررپودآن
۲۴۱	۱۷	دررپوداو
۶۹	۱۶	دررخم‌پیدا
۳۶۴	۳۰	دررخت‌گر
۱۳۰	۱۵	« رخ‌مه
۳۹۷	۱۸	« رخی‌بنهد
۹۸	۳۴	« رسن‌زن
۲۳۲	۳۲	« رکاب‌او
۳۹۸	۳۱	« روانسر
۱۲۹	۲۳	« روانی
۱۰۱	۳۵	« روددر
۳۹۱	۳	« روش
۲۵	۹	« ره‌آمدبعد
۸۳	۲۰	« ره‌اسلام
۳۶۰	۹	« ره‌این
۲۴۱	۱۷	« ره‌تاریك
۳۰۲	۲۹	« ره‌نفس
۴۴۷	۴۷	دررياضت
۱۲۹	۳۷	« زبان‌او

صفحه	سطر	اول بیت
۲۶۱	۲۴	درزبان‌میناید
۱۷۰	۲۷	درزمان‌آخر
۱۶۴	۲۲	« آمد
۲۶۰	۲۱	« ابری
۱۵۱	۲۰	« ازسوی
۱۴۰	۲۲	« او
۷۲	۳۴	« انداخت
۴۱۷	۱۳	« برجست
۲۰۷	۲۱	« بشکست
۳۸۷	۲	« بهشی
۸۹	۱	« بیش
۳۴۲	۵	« حال
۸۵	۲۷	« خادم
۱۹۴	۸	« خواب
۱۵۵	۱۲	« درد
۱۲۳	۲۵	« درو
۲۲۷	۲۹	« دیدم
۱۰۹	۱۳	« شاخ
۱۳۵	۱۱	« عدلش
۴۱۳	۲	« گر
۴۳۱	۲۱	« مامران
۲۸۵	۲۶	درزمانه‌صاحب
۲۹۶	۴	« مر
۲۱۷	۸	« هیچ
۲۲۷	۳۱	درزمان‌هزم
۱۸۶	۲۲	درزمانی‌بود
۳۹۷	۱۷	« شان
۳۷۱	۲۳	درزمستان‌سوی
۴۲	۲	درزمستانشان
۴۲	۱	«
۵۴	۹	درزمین‌بودیم
۳۹۴	۳۴	« حق‌را
۲۴۴	۳	« حق‌زرا
۲۳۷	۸	« گر
۱۳۳	۸	درزمینم‌باتو
۸۳	۲۴	درزمین‌مردمان
۵۴	۳	« و
۱۶۷	۳۷	درزمینها
۱۲۹	۱۰	درس‌آدم
۴۰۶	۲۱	درسبب‌چون
۱۳	۳۲	« سازش
۴۰۶	۲۳	« گیري
۱۰۶	۳۹	درسجودت
۲۴۳	۳۹	درسخای‌آن‌شه
۲۲۱	۶	درسخن‌آبادم
۱۳۲	۲۴	« بسیار
۳۶۲	۱۸	درسرآنچه
۲۷۰	۱۸	« آید
۲۷۰	۱۶	« آیم
۲۴۴	۱۸	درسرایت
۴۲۳	۱۳	درسرت‌آمد
۳۶۷	۲۱	درسرحیوان
۲۹۶	۲۴	« خود
۲۷۱	۲۶	درسرودر

صفحه	سطر	اول بیت
۱۹۹	۵	درسشان
۱۱۹	۱۹	درسفرگر
۱۶۸	۲۱	« معظم
۱۰۱	۲	درسگ اصحاب
۳۷۰	۲۷	درس گوید
۱۹۹	۱۴	درسمرقند
۳۴۰	۳۲	درسمرگفتند
۳۷۷	۱۱	« میخواند
۱۴۷	۳۶	درسه تاریکی
۲۴۰	۲۷	« روزه
۵۳	۳۲	« گرقالب
۲۹۲	۱۷	درسیاهی
۵۱	۲۴	درسیم گردد
۴۰۲	۱۲	درشب ارخفاش
۴۰۲	۱۲	« ارخفاش
۳۹۲	۹	درشبانروزی
۷۲	۸	درشب بدرنگ
۷۲	۸	« تاریك
۴۱	۱۱	« تعریس
۳۹۴	۲۶	« دنیا
۸۵	۳۸	« مهتاب
۷۳	۳	درشجاعت
۲۵	۹	درشدن خرگوش
۷۴	۹	درشریعت من
۱۱۶	۱۸	« نیست
۱۷۰	۳۲	« هست
۳۹۰	۳۵	« هم
۳۶۲	۲۸	درشعاع بی
۳۹۵	۱۹	« نور
۳۴۵	۴	درشفاعت
۴۳۲	۴	« شقاوت
۴۵	۲۸	« شکاریشه
۳۱۷	۸	« شکاف فوق
۳۱۲	۱۴	« شکر غلطید
۲۱۴	۳۲	« شکست
۵۲	۴	« شماچون
۱۰۵	۱۶	« شمار اندر
۹۲	۲۱	« شنودگوش
۹۶	۲	« شهیدان
۱۵۹	۱۱	« صحابه کم
۱۲۲	۳۹	« صف آید
۲۲۳	۲۱	« صفات حق
۱۳۹	۱	« صفت ناید
۲۲۵	۱۳	« صف معراجیا
۱۳۱	۱۳	« ضرورت
۸۵	۱	« ضعیفو تو
۴۲۴	۱۵	« ضلالت
۴۴۶	۴۶	« طبایع
۱۵۲	۳۲	« طلب زن
۱۶۰	۷	« طلب چالاك
۴۱۴	۵	« طمع خود
۴۰۵	۳۴	« طواف شهرها
۲۷۰	۳۸	« عبادش
۳۳	۲۶	« عجب افتاد

صفحه	سطر	اول بیت
۲۸۷	۱۰	درعجب درماند
۱۱۱	۱۹	« عجب ماندم
۲۸۳	۱۹	« عجب ماندند
۲۷۵	۱۰	« عجبهایش
۳۵۴	۹	« عجوزه جان
۳۵۴	۸	« عجوزی
۷۲	۲	« عدم افشرده
۳۵۷	۳۲	« عدم بودی
۴۰۴	۳۷	« عدم پنهان
۲۸۴	۱۲	« عدم تحریر
۲۹	۱۳	« عدم کی
۳۸۶	۳۴	« عدم مارا
۳۸۶	۳۳	« عدم ما مستحق
۲۹۵	۲۹	« عدم هست
۳۳۶	۱۲	« عذاب و درد
۱۴۰	۱۱	« عذاب منکر
۱۶۴	۳۶	« عریش او
۳۲۶	۲۸	« عطای ما
۳	۲۸	« علاجش سحر
۴۰۲	۳۵	« عمادالملك
۳۷۹	۳۶	« عمارتها
۵۰	۲۷	« عمارت هستو
۱۱۲	۶	« عیادت رفتن
۱۱۳	۷	« عیادت شد
۲۵۳	۲	« غریبی خوار و
۳۴۳	۷	« غزا بجهم
۷۲	۳۲	« غزا بر
۱۸۲	۲	« غلط افتاده
۲	۱۰	« غم ما روز
۱۸۹	۲۵	« فتاداز
۷۲	۲۳	« فتاد اندر بنا
۲۸	۳۴	« فتاد اندر چهی
۳۹۶	۲۶	« فتاد نداز
۵۴	۲	« فراخی
۴۰۶	۴	« فرج جوئی
۳۰۲	۲۳	« فروبست آن
۱۷۵	۲۹	« فروبست و
۱۴۷	۴	« فروبستنداه
۶۸	۲۹	« فروبستندو
۳۵۲	۲۳	« فروغ
۲۱۱	۱۰	« فره دادن
۳۵۸	۳۳	« فسون
۲۵	۱۴	« فغان
۲۱۰	۹	« فقیری
۱۵۲	۱۹	« فکن در
۱۳۴	۲۶	« فلان بیشه
۳۶۱	۲۳	« فلان حجره
۱۷۱	۱۰	« فلان صحرا
۴۰۴	۱۸	« فلان طاقیش
۴۱۶	۱۰	« فلان کو در
۴۱۴	۳۸	« فلان کوی
۴۱۴	۳۸	« فلان موضع
۲۳۲	۳۱	« فلان وادیست
۲۹۲	۱۱	« فاها

صفحه	سطر	اول بیت
۱۷۳	۳۴	درفباب حق
۲۲۸	۲۳	« قبول آرند
۲۲۸	۲۲	« قبول تست
۳۵۲	۱۴	« قران این
۱۶۷	۲۳	« قضا ذرقی
۹۳	۱۲	« قضا یعقوب
۳۰۱	۳۶	« قضیبش
۳۸۷	۳۰	« قفص افتند
۴۰۸	۵	« قناعت خواند
۲۶۶	۱۹	« قناعت میگرید
۱۷۱	۳۲	« قیام این
۲۵۴	۲۵	« قیامت این
۴۰۰	۱۶	« قیامت بنده
۴۳۰	۱۹	« قیامت چون
۲۹۰	۱۶	« قیامت مهر
۱۷۴	۱۷	« کدامین دفتر
۳۰۵	۲۴	« کشاکشهای
۱۵۱	۱۵	« کشیدش
۴۰	۲۷	« کف او خار
۳۰۲	۹	« کف او نرمه
۲۰۶	۲	« کف حق
۱۰۱	۳۸	« کف داود
۳۰۹	۱۶	« کفش بنهند
۱۴۷	۱۷	« کفش تیرو
۳۲۵	۳۶	« کفش زنبیل
۱۵۷	۱۸	« کف هرکس
۲۵۱	۳	« کلیله خواند
۳۹۲	۲۰	« کمال زشتیم
۳۱۱	۲۳	« کمال صنع
۴۳۵	۲۶	« کمان بنهاد
۳۰	۱۲	« کمان نهند
۲۹۴	۲۸	« کمند آرم
۳۵۸	۳۸	« کمین
۳۳۰	۲۴	درك وجدانی
۳۷۳	۲	درگدائی طالب
۳۲۵	۳	« لفظ
۳۸۸	۱	درگداز اید
۳۷۴	۱۶	« این
۲۳۶	۲۵	درگذر از صورت
۹۱	۴۰	« از فضل
۳۸۹	۲۲	« از فضل
۱۵۶	۳۹	« ازما
۱۳۴	۴۳	« ارنام
۲۴۱	۴	« زین قصه
۳۵۰	۱۸	« زین رمز
۳۹۳	۹	گذشت از وی
۱۴۰	۱۳	درگریبان
۳۵۴	۲۳	درگشاد ختمها
۲۸۸	۸	« عقدها
۲۸۰	۱۷	درگشادن
۲۸۰	۲۵	درگشادو
۴۴۱	۱۱	« گشاده
۱۷۳	۹	« گل تیره
۴۱۷	۳۲	« گلستان آید

صفحه	سطر	اول بیت
۱۸۴	۱۵	درگلستان عدم
۸۱	۸	« گلو ماند
۱۷۰	۱	« گمان افتاد
۳۲	۱۳	« گه او
۱۷۳	۳	« گوی و در
۱۱۹	۲۳	« گه طفلی
۲۳۴	۳۷	درگهی را
۴۴۳	۲۰	درلباس این
۲۱۶	۵	« لب و گفتن
۹۳	۳۱	« لحد کاین
۳۷۸	۲۱	« لواطه
۱۸۴	۲۴	« مثال قصه
۲۴	۱۰	« مثالی بسته
۴۰۶	۱۳	« مجاعت بس
۳۹۱	۶	« مجالس
۶۳	۱۵	« محاق ار
۳۰۴	۱۸	« محل دخل
۷۳	۳۵	« محل قهر
۳۷۳	۳	« مدارس
۳۹۲	۲۸	« مدزد
۲۷۹	۲	« مدیحت
۷۳	۴	« مروت ابر
۳۹۱	۱۰	« مری اش
۱۳	۳۵	« مریدان
۳۷۳	۳	« مزارع
۳۹۶	۱۷	« مشارق در
۴۳۰	۳۹	« مشیمه با
۴۴۷	۱۴	« مشیمه بد
۴۰۷	۱۳	« مصاف
۱۴۳	۱۲	« معاصی
۱۲	۳۱	« معانی اختلا
۱۶	۱۶	« معانی قسمت و
۴۴۰	۳۱	« مقام بندگی
۳۱۱	۳۱	« مقام سنگی
۴۲۸	۲۵	درمقامی آتشی
۵۲	۳۲	« جور
۵۲	۳۴	« حنظل
۵۲	۳۱	« خار
۵۲	۳۱	« خوف
۵۲	۳۳	« درد
۵۲	۳۰	« زهر
۵۲	۳۴	« ظلم
۵۲	۳۳	« عیب
۵۲	۳۲	« مقه
۱۶۸	۱۰	« مسکنی
۵۲	۳۰	« هست
۲۶۶	۲۲	درملاحت خود
۱۵۵	۲۴	« ممالك
۲۸	۹	« من آمد آنچه
۲۸	۹	« من آمد آنکه
۹۶	۴۳	« من آویزید
۴۴۷	۳۰	« مناجاتم
۷۲	۱۹	« من ار
۴۳۶	۴۵	« من این ضعف

صفحه	سطر	اول بیت
۶۰	۳۱	درمن و ما
۳۰۹	۲۰	« مهندس بین
۲۹۲	۳۰	درمیان آخر
۱۸۷	۳۳	« آن بیابان
۳۸۴	۲۱	« آن دولشگ
۴۳۰	۲۱	« آید
۳۵۹	۱۴	« امت
۴۴۶	۳۹	« اینچنین
۳۷۴	۱۷	« این دوفر
۱۵۸	۲۷	« این دوفرق
۲۶۵	۲۷	« این دومر
۱۳۶	۳۲	« این مناجا
۱۶۸	۲۴	« بحر
۱۴۷	۳۴	« بیست
۴۰۳	۳	« بیضه
۴۰۸	۳۰	« بیوگان
۴۴۷	۱۶	« تو
۱۱۸	۳۳	« جان ایشا
۱۱۸	۳۲	« جان ترا
۴۱۷	۱۷	« جانشان
۳۳۳	۲۲	« جبری
۲۸۳	۳۵	« چوب
۲۰۱	۳۴	« حمله
۲۸۴	۱	« خاك
۳۰۲	۲۴	« خانه آورد
۴۰۴	۳۱	« خانه افتاد
۱۱۶	۳۴	« خون
۱۲۴	۱۴	« داق
۱۸۰	۱۶	« روز
۳۱۸	۱۷	« سنگلاخی
۹	۲۶	درمیانشان
۱۲	۶	درمیان شاه
۳۲۱	۳۵	درمیانش خنجر
۳۹۹	۲۲	درمیان شمس
۵۵	۱۲	« شهر
۱۳۴	۵	« شیرو
۳۹۱	۹	« صالحان
۸۸	۲	« صد
۴۰۳	۳۳	« قصرها
۴	۹	« قوم
۳	۲۶	« گریه
۸۸	۲۷	« مارو
۴۳	۳۳	« مجلس
۳۶۰	۱۶	« مرغ
۱۴۸	۳۳	« منعمان
۱۷۲	۷	« موج
۲۴۴	۱۵	« ناقدان
۳۸۸	۴۱	درمیانه بیدلی
۳۱۷	۲۲	درمیان بارب
۵۱	۳۲	درنبی آورد
۴۱۹	۳	« ان استطه
۴۶	۹	« انذار
۳۵۵	۵	« بشنو
۲۸۳	۱۵	« شارکهم

صفحه	سطر	اول بیت
٤٤٥	٣٦	در نبی فرمود بر
٧٧	٩	« نبی فرمود که
٣٦٢	١٥	« نبی فرمود که
٢٠٤	٧	« نخود بنگر
٤٣٢	٤	« نصرص
٥٢	٣	« نصیحت
٢٣٣	٤	« نظارهٔ
٤٠٣	٨	« نظر آنچه
٣٩٤	٢٨	« نظر بودش
٤٢١	٨	« نظرها
٢٩٨	٣٦	« نعیم فانی
٢٢٨	١٥	« نولی
٢٩١	٢١	« نگر احوال
٢٣٩	٢٤	« نگرای
١٩٨	٢٣	« نگریس
٢٩١	٢٢	« نگر توقعهٔ
٢٩٦	٢٢	« نگر در شرح
١٦٥	٢٩	« « صنع
٣٢٥	٢٣	« نگنجد عشق
١٣٦	١٥	« نماز استاده
١٧٢	٣	« نماز این
٣٧٦	١٤	« نماز جمعه
٨	١٧	« نماز و روزه
٤٠٨	٣٣	« نمد پیچید
٥٥	١٦	« نمدر
٩٩	٣٣	« نمکسار
٣٦٣	٢٠	« نوا آرم
٤٣٨	٢٨	« نهادت
٣٦	٩	« نهان جان
٥٠	١٨	« نهان خاکی
٢	١٢	« نیابد حال
٣٦٤	٨	« نیاز خشک
٤٥	٣٠	« وجود آدمی
١٩٥	٣٩	« وجود از
٥٣	٣٠	« وجود تو
٣٠٨	٢	« وجودش
١٠٠	٣٥	« وجود ما
٣٨٥	٣٣	« وجود و
١٣٠	٢٠	« وحل
٢٥١	١٠	« وضو
١٧٣	٣٤	در ها بودند
٤٣٨	٣٤	در های ذوق
٢٤٧	٢٨	در هر آنجا
٨٠	١٤	« هر آنچیزی
١٥	١٨	« هر آنکاری که
١٥	١٧	« هر آنکاری
٢٥٩	٢٧	« هزار آتش
٨	٢٥	« هزاران لقمه
١٥٣	٣٥	« هزیمت بس
١٦٩	٣٤	« هزیمت زین
٢٢٤	٢٧	« همش آرد
١٣١	١٤	« همه خمخانها
٣٦٧	٢٧	« همه ز آئینهٔ
٣٦٤	٥	« همه عالم

صفحه	سطر	اول بیت
٤٤٤	٤٧	در همه عمرش نخ
١٤١	٩	« همه عمرش ند
٤٤٧	٦	« همه کس
٣١١	١٨	« هنر من
٤٢٨	٣٤	« هوا چاهش
١٢٠	٤	« هوا چون
١٥٤	٣١	« هوا میکرد
١٧٣	٦	« هوای آنکه
٣٥٣	٢٦	« هوای پای
٣٩٧	٣٣	« هوای عشق
٢٩	٢٢	« هوای عشق
٤٠١	١	« هوای غیب
١٦٣	٣٥	« هوای نابکار
١٢٩	٢١	« یکی بیهی
٣٣١	٩	« یکی تره
١٢	١٣	« یکی راه
٤٤٥	٣١	« یکی سوزن
٣٩٤	٨	« یکی کان
١٢	٢٠	در یکی گفته بکس
١٢	١٤	« « ریاضه
١٢	١٨	« « کزا
١٢	٢١	« « که آچ
١٢	٢٦	« « که اس
١٢	٢٨	« « که اس
١٢	١٦	« « که امر
١٢	٢٩	« « که این
١٢	٢٢	« « که بگذ
١٢	١٤	« « که جو
١٢	٣٠	« « که صد
١٢	١٧	« « که عج
١٢	١٥	« « که وا
١٢	١٨	« « مکا
١٢	٢٤	« « مبسر
١٦٦	١٠	« یکی موی

د ـ ز

صفحه	سطر	اول بیت
٣٥٧	٢٣	دزد آمد در
١١٩	١٥	« آید از
١٠١	٣	دزدئی کن
١٤٣	١٣	دزد چون
١٢٢	١٢	« دیگر
١٢٢	١٨	« را از
٣٣٧	٣٧	« را تو
٣٥٧	١٠	« را چون
٣٣٢	٢٤	« را گر
١٢٥	١٩	« سوی
١١١	٩	« شب
٢١١	٤	« قهر
٨١	١١	« کی از
٢٩٠	٣٣	« گرچه
٢١٦	١٥	« وفا بست
١٢٤	٢٥	« یعنی خاک

د ـ س

صفحه	سطر	اول بیت
٤٢١	٢٩	دست آنکس
٤٣٢	١٩	« از جان

صفحه	سطر	اول بیت
٢٨٧	٢	دست اشکسته
٤٢٢	٢٢	« اندازیم
٤٤٤	١٢	« اندر عدل
١٠٢	١١	« اندر کاله
١٤١	٤٠	« او بگرفت سه
٢١٢	٣٦	« او بگرفت که
٤١١	١١	« او بگرفت و
١١٠	١١	« او بگرفت و
٦٠	٥	« او را حق
٤٢٩	٣٣	« اول
١٦٣	٣٨	« بازو
٢٦٦	٣٥	« بر بالای
٤٢٥	٤	« بر دیگ
١٤٨	٣٤	« بر سبلت
٣٠٤	٢٣	« بر سر
١٥١	٣٦	« بر سینه
٢٢٩	١	« بر کافر
٤٠٩	١	« بر کودک
٢١٧	١٧	« بر میداشت
٥	٢٢	« بر نبشتن
١٢٥	٤٢	« بستندش
٣٩٤	٢٠	« بسته سوی
١٦٦	٢٧	« بسته عقل
٣٤٢	٢٠	« بسته گیر
٤٤٣	٢٨	« بصری
٤	١٩	« بگشادو
٤٠٥	٣٥	« بوس شاه
٣٧	١١	« بوسش چو
٩٩	١١	« پنهان
٦٠	٧	« پیراز
٢٩١	٧	« تواز
٢٣٤	٢٥	« جنباند
٢٢٤	٢٣	« چبود
٦٣	٦	« چشان
٦١	٢٧	« حق باید
٦٠	٦	« حق میراند
٢٥٦	٢٨	« خائی بعد
٦٦	١٨	« خائیدن
٢٠٢	٢٠	« خودخشم
٣٢٠	١٦	« دادستت
٤٣٣	٨	« در دامان را
٤٤٦	٣٢	« در دامان ش
٧٠	٩	« در دست
٣١٥	٩	« در کرده
٤١٧	٢٢	« در فتراک
٢٥٠	٣٢	« در وی زد
٤٣٦	١٨	« دست او
٣٣٨	٨	« دیگر
١٨	٢٥	« را اندر
١٩١	٣١	« را بر اژدها
٢٩١	٥	« را مسپار
١٦٤	٢١	« زاهد
١٧	١٢	« زن در ذیل
٣٣٥	١٦	« زن در کرد

صفحه	سطر	اول بیت
٣٢٦	٢٩	دست زیر بوریا
٣٠٥	٢٢	« سوی خاک
١٨٩	٢٤	« سوی موزه
٥٢	١٠	دستشان کژ
١٥٢	٢٣	دست شد بالای
٣٧٦	٣	« ظالم را
٣٣٩	٣٩	« ظاهر
١٦٦	٢٨	« عقل
٤٢٨	٣٦	« فکرت
٣٢	١٨	« کان ارزان
١٠٥	٢٩	دستک بوسم
٢١١	١٠	دست کوتهی
٤٠٣	٢٥	« کورانه
١٩١	١٢	« کی جنبد با
٣٤٧	١٨	« کی جنبد مر
٣١٦	١٦	« گوید من
١١٦	٣١	« گیراز
٣٩٢	٢٣	« گیر در
١١٨	٤	« گیرنده
٥٩	٣٩	« گیر و بندهٔ
١٧٢	٢٩	« گیر و رهنه
٧٥	٢٥	« ماچون
١٦٤	٢٦	« ماو پای
١٦٦	٣	« ما و دامن ت
٤٤٢	٤٠	« ما و دامن خ
١٨٠	٦	« مزدی
٢٥١	١٢	« من اینجا
٧	٢٧	« من بشکسته
١٠٨	٢٧	« من بنمود
٢٧٢	٢٠	« موسی
٢٤٨	٣٢	« میدادش
٢٤٩	٥	« میزد بهر
٢٩	١٩	« میزد چون
٨٧	١٤	« میمالید
٣٤	٢٣	« ناقص
٢٨٦	٣٨	« نایدبی درم
١٥	٦	« نی تا
٢٢٥	١٦	« نی و پا
١٦٥	٢٩	« نی و جزو
٨٤	١٠	« وآلت
٢٢٩	١٩	« و یا انداخت
٣١٦	١٦	« و یا بدهد
١٦٣	٩	« و یا بی میل
١٧١	٣١	« و یا دادمت
٣٣٢	٢٩	« و یا دادند
٧٠	٨	« و یا در امر
١٠٦	٦	« و یا در حق
١٦٣	١	« و یا در خوا
٤٠٩	١٨	« و یا ساکن
١٨٨	٣٨	« و یا شاهد
٣٥٣	٢٦	« و یا مریخ
٤٤	١٨	« و پای او
١٨٨	١٤	« و پایش ما
٣٣١	٣٦	« و پای ما

صفحه	سطر	اول بیت
٤	٢٠	دست و پیشانیش
٦٩	٢١	دستها ببریده
٣٤٢	١٩	دستها بسته
١٧٢	٩	دستها در نوحه
١٨٨	١٦	دستهای مصطفی
٨٤	٢١	دست هر
١٥٤	٣٥	دسته گل
٢١	٣١	دست همچون پیل
١٩٩	٣٢	دست همچون دف
٦٩	٢٦	دست همدیگر

د ـ (ش)

صفحه	سطر	اول بیت
٣٨٢	٣٦	دشمن آبست
٩١	٣٠	« آن باشد کز
٩١	٢٩	« آنباشد که
٢٦	٢٦	« ارچه
١٩٥	٢٤	« ارگبری
٤٨	١٥	دشمنان او را
٢١٦	١٧	دشمن این حرف
١٥٤	٣٧	« این خواب
٢٥٩	٣١	« توجز
٤٣١	٤٠	« تو هست
٩١	٢٨	« خود بوده
٣٣٧	٣٦	« راه خدا
٥٩	٢٩	« راهست
٨٣	٣٩	« روزند
٦	٢٧	« طاوس
٤٢٣	٣	« من در
٢٩٣	٢٤	دشمنی آن
٢٠٢	٢٣	« داری
١٠٨	٣٣	« غافلان

د ـ (ع ـ ف)

صفحه	سطر	اول بیت
١٤١	٢٥	دعوت ایشان
٣٠٦	١٢	« زاریست
١٤٩	١٥	دعوتش کردند
١٥١	٢	دعوت مکارشان
٢٩٧	٣٥	دعوی پیغمبری
١٥٣	٢١	« دیدن
١٨٠	١١	« مارا
٤١٢	١١	« مرغابئی
٨١	٢٧	دفتر صوفی
١٧٩	٣٤	دفع آن علت
٣٥٦	٢٤	دفع او را
٣٢٩	٤	دفع او میخواهد
١٨٠	١٩	دفع این کوری
١٢٣	٧	دفعشان گفت
١٧٩	٤١	دفع علت
١٠٩	٢	دفع کن از
٤٢٨	٣٦	دفع مامور
١١٦	١٧	دفع میگفتم
٢٣٧	٣	دفن کردش
٢٠٧	٢٣	دفن میکردو

د ـ ل

صفحه	سطر	اول بیت
١٥٤	١٠	دل از این
٢٣٧	٢٨	دل بیند

صفحه	سطر	اول بیت
۷۰	۸	دل بخواهد یا
۷۰	۹	« بخواهد دست
۱۱۶	۲۹	« بخورتا
۹۹	۲۳	« بدست او
۱۲۳	۲۳	« بدستم
۴۲۳	۷	« بدلداری
۱۰	۱۲	« بدو
۳۶	۲۸	دلبران
۱۸۴	۱۱	دلبر و مطلوب
۱۰۴	۱۸	دل بسختی
۲۲۵	۲	« بکعبه
۴۱۵	۱۹	« بیارامد
۱۷	۱۱	« ترادر
۱۷۳	۱۸	« توابن
۲۰۶	۳۶	« چو برانوار
۷۰	۱۱	« چه میگوید
۱۰۰	۹	« زپایه
۱۵۵	۲	« زدانشها
۹۶	۳	« زهریاری
۵۷	۲۲	« شکسته
۱۳۴	۱۸	« فراخان
۲۹۱	۱۸	« فراراز
۱۸۴	۱۰	« فروبسته
۱۳۳	۹	دلق بیرون
۲۸۲	۱۱	دلق چرکین
۱۲۸	۱۴	دلق خود
۳۹۰	۱۷	دلقك ازده
۳۸۹	۳۲	دلقك اندرده
۴۲۵	۱۰	دل قوی دار
۳۷	۲۳	« که او بسته
۳۹۱	۱۰	« که دلبر
۲۹۳	۱۲	« که گر
۵۴	۱۸	« میوشان
۱۷۳	۲۲	« محیط
۲۲۲	۲۸	« مدار
۲۹۸	۱۰	« مدزد
۱۲۱	۱۱	« مگر رنجور
۷۰	۱۱	« مگر مهر
۱۱۶	۳۰	« نباشد آنکه
۹۲	۸	« نباشد تن
۱۷۳	۲۱	« نباشد غیر
۶۳	۲۷	« نگردد تنگ
۱۲۸	۱۸	« نگهدارید
۱۵۷	۱۲	« نهادم بر
۱۲۱	۱۰	« نیارامد
۴۲۰	۵	دلوچه یا
۴۲۰	۴	دلوها غواص
۴۲۰	۵	دلوها وابسته
۴۲۰	۴	دلوهای دیگر
۳۰۷	۱۳	دل همی سوزد
۳۷	۱۸	دل همیگوید از
۲۵۸	۲۲	دل همیگوید خمو
۲۳۴	۱۹	دل همیلرزد

د - م

صفحه	سطر	اول بیت
۳۶۹	۱۷	دم این استور
۴۳۶	۲۵	دم این کته
۱۷۳	۲	دم بجنبانیم
۲۲۳	۱۹	دم بخور در
۳۰۸	۱۹	دمبدم از آسمان
۳۰۸	۱۸	« از آسمان
۲۹۵	۳۱	« از نیستی
۱۰	۱۴	« پابسته
۳۵۸	۳	« چون
۲۴۴	۱۷	« خبط
۴۳۲	۴۶	« درچشم
۲۶۷	۳۲	« درو
۱۹۸	۱۳	« درسوز
۴۰۱	۱۵	« درصفحهٔ
۸	۱	« مکفت
۵۵	۲۵	« هرسو
۴۴۲	۱۳	دم بریداو
۴۳۱	۲۵	دم خر بگرفته
۱۸۶	۳۸	دم خر بسودن
۲۴	۱۵	دمدمه ایشان
۳۸۲	۱۹	« این نای
۲	۹	دمدمهٔ این نای
۴۴۳	۳۸	دمدمه در
۸۳	۲۲	دمدهدتا
۸۳	۲۱	دم دهد گوید
۴۳۹	۴۶	دم رسید
۱۰۶	۳۵	« که هر مرد
۱۷۷	۲۲	« گاو کشته
۴۴۱	۲۵	« مزن از سه
۱۵۷	۴۸	« مزن تا بشنوی
۱۵۷	۳۹	« «
۱۵۷	۳۸	« «
۱۵۷	۳۷	« «
۱۵۷	۳۹	« مزن تادم
۱۰۴	۳۴	« مزن سه
۲۱۸	۸	« نمیگردد
۳۳۴	۳	« نیاری

د - (ن - و)

صفحه	سطر	اول بیت
۱۴۸	۳۳	دنبه پاره
۴۳۶	۳۸	دنبه خورد آن
۴۳۲	۴۵	دنبی دون
۱۵۵	۲۶	دوجوان بودند
۲۰۹	۳	دود آن عشق و
۱۹۷	۵	« آن نارم
۱۹۴	۲۵	« پیوسته
۱۲۳	۲۵	« درحلقش
۲۴۶	۳	دودرم
۱۰۱	۱۸	دود گلخن
۸۷	۲۸	« مطبخ
۱۸۴	۳۲	« می بینیم
۲	۷	دودهان داریم
۳۸۲	۱۷	دودهان داریم
۲۴۳	۲۲	دور از او وز
۴۱۷	۲۷	دور از عاشق

صفحه	سطر	اول بیت
۱۱۱	۱۵	دور از عقل
۱۲۹	۳۱	« از و
۳۱۲	۹	« این خصلت
۲۸۵	۲	« باش غیرتت
۲۷۶	۱۸	« باش و
۱۲۸	۵	« بر آن
۳۲۳	۳	« بود از شیر
۳۲۳	۶	« بود حمله
۲۶۹	۶	« بیانند
۲۶۷	۳۳	« بیند دور
۱۳۵	۲۸	« بینی کور
۸۵	۵	« تست
۳۷۸	۲۹	« دارد
۱۰۱	۸	« دوراز
۱۰	۲	« دور عیسی
۳۸۴	۲۴	« دورو
۲۳۱	۲۹	« شوای
۲۳۱	۲۹	« شو بهر
۱۱۶	۱۴	« شو تا اسب
۲۲۴	۱۳	« عثمان
۳۳۷	۹	« عیسی بود
۳۴۴	۱۴	« گردون را
۳۸۴	۱۳	دورم از تحسین
۱۰۳	۹	دور ماند از
۱۱۵	۳۴	« میشد این
۳۶۴	۲۸	« ملکست و
۲۶۷	۳۴	« میبینی سر
۱۵۹	۲۶	دوری و رنجور
۴۲۸	۱۸	دوزخ آمد
۱۱۸	۲۲	« آنبود
۲۳۳	۱۷	« آن خشم
۲۳۳	۱۸	« آن خشم
۱۹۶	۲۹	« از فرقت
۲۵۹	۱۴	« از مؤمن
۲۵۹	۱۶	« از وی
۱۸۴	۱۶	« اندر وهم
۱۶۸	۷	« اوصاف
۳۳۱	۱۵	دوزخت را
۲۵۶	۱۵	دوزخ درویش
۱۷۵	۲۲	دوزخست آن
۳۰	۸	« این
۱۱۸	۲۸	دوزخ مانیز
۶۹	۲۲	« وجنات
۱۲۶	۳۶	« وجنت
۱۱۴	۱۲	دوزخی افروخت
۳۴۹	۱۶	« بودم
۳۱۱	۲۵	« که پوست
۳۳۷	۱۵	دوسبو بستند
۲۵۹	۳۱	دوست از دشمن
۱۰۱	۵	دوستان از
۱۰۱	۲۴	« بین
۱۰۱	۷	« در
۵	۲۹	« شهر
۴۳۳	۲	دوست بهر

صفحه	سطر	اول بیت
۳۱۵	۲	دوست بینی
۲۱۱	۳۳	« حق
۳۸	۴	« دارد
۱۳۵	۲۵	« دشمن
۲۴۷	۲۳	« رامازار
۳۵۰	۲۰	« شورز
۳۷۲	۱۵	« گیری
۱۰۱	۲۶	« همچون
۱۰۸	۳۳	دوستی ابلهان
۱۰۸	۳	« بامردم
۲۶۳	۱۲	« ببرید
۱۰۶	۱	« بیخرد
۱۴۲	۴	« تخم
۲۷۲	۱۳	« توزجب
۳۷۳	۳۸	« جهل
۳۳۴	۱۱	« دروهم
۱۱۰	۶	« زاله
۵۴	۲۱	« مقبلان
۱۳۹	۳۳	« نفس
۳۰	۲۳	دوسر انگشت
۱۷۷	۱۶	دوش چیزی خور
۱۷۷	۱۵	« «
۴۰	۲۶	دوش دیگر
۳۸۴	۲۱	دوعلم افراخت
۳۷۹	۱۳	دوغ ترشی
۵۳	۱۹	« خورده
۲۶۴	۳۲	« روغن
۱۳۵	۱۹	دوقبیله
۴۰۴	۲۵	دوقضیه
۱۲۵	۴۱	دوکس از
۴۳۰	۲۳	دولت تابید
۱۰۵	۱۰	دولت پاینده
۲۵۱	۳۸	دولت تو
۴۳۳	۳۵	« تبزم
۲۹۵	۲۷	« رفته
۳۸۵	۴	دولقب را
۳۹۹	۲۹	دومگوی و
۱۴۱	۳۱	دومه وسه
۲۹۶	۱۲	دون ترین
۴۳۷	۴۰	دون ماله

د - ه

صفحه	سطر	اول بیت
۱۶	۱۴	ده چراغ
۱۴۵	۳۴	ده چه باشد
۷۰	۱۲	« حس
۲۶۰	۱۴	« خداوندی
۳۵۷	۴	« دهش اکنون
۳۵۷	۳	« «
۴۴۸	۴	« رواجی
۳۷	۲۵	« زکوة
۴۴۸	۹	« کچه
۱۴۵	۳۱	« مروده
۸۹	۲۸	« منادی
۸۰	۱۷	« هزاران
۲۳۴	۳۰	« هزارش

د - ی

صفحه	سطر	اول بیت
۱۸۷	۳۴	دید آنجا
۳۱	۱۲	« آن مرشد
۴۸	۳۰	« احمد
۱۷۵	۳۰	« احوالی
۲۳۰	۱۵	« از دورش
۴	۲۸	« اززاریش
۳۰	۳۰	« اعرابی
۱۶۴	۴	« بریشت
۱۹۹	۱۰	« بردانش
۲۳۸	۵	« بس نادر
۴۰۴	۴	« پامرد
۷	۲۵	« پرروغن
۱۳	۲۳	« پیری
۲۰۹	۲۱	« پیغمبر
۱۴۰	۱۹	« پیلی
۴۳۱	۱	« جائی
۲۲۱	۱۴	« جان
۱۴۸	۲۷	« خودرا
۴۰۳	۲۳	« خودمگذار
۱۶۶	۳۴	« درایام
۳۸۱	۲	« درخواب
۳۳۷	۲۲	« درشب
۱۹۲	۸	« درقصری
۵۵	۲۴	« درگاهی
۴	۲۷	« رنج و
۳۹۵	۵	« روی
۲۳۷	۱	« زاغی
۲۰۳	۲۶	« زاید
۳۸۴	۸	دیدش از دور
۲۰۹	۲۱	دیدشان در
۳	۳۰	دیدشخصی
۴۰۸	۲۸	دیدش و
۳۴۴	۳۰	دید شیر
۱۳۱	۷	« شیشه
۲۰۲	۱۴	« شیطان
۳۴۵	۶	« صدچندان
۴۸	۳۱	« صدنقش
۳۷۴	۲۹	« صوفی
۲۴۱	۳۶	« طین
۳۷۲	۳۸	« عرش و
۲۲۶	۲۸	« عطاران
۴۳۲	۳۶	« قومی بیمر
۵۵	۲۶	« قومی در
۱۳۶	۲۸	« کابش
۴۲۳	۱۰	دیدکان شربت
۳۴۷	۳۴	دیدکو سابق
۲۱	۲۴	دیدمارا
۲۵۶	۳۹	دیدم اندر
۳۲۳	۳۷	دیدمت در
۲۰۱	۴۰	دیدمردی
۱۹۶	۳۴	دیدمریم
۲۸۵	۳۸	دیدمش از
۱۳۱	۵	دیدمش اندر

صفحه	سطر	اول بیت
۲۲	۲۰	دیدمش اینجا
۱۰۵	۲۶	دیدموسی
۳۲۹	۳۴	دیدن آمد
۱۶۴	۳	« آن بند
۴۴۵	۱۰	دیدناگاه
۸۴	۲۳	« ناگه
۹	۴	دیدن دانا
۱۲۸	۳۱	« دیده
۱۵۷	۱۵	دیدنش با
۲۵	۲۲	دیدن نور
۴۴۶	۱۷	دیدو دادندش
۲۶۷	۴۷	« ولاف
۱۳۴	۳	دیدها بسته
۴۴۱	۴	دیدها حیران
۲۰۶	۶	دیدها را کرد
۳۶۷	۱۹	دیدها شانرا
۴۱۶	۱۱	دیده ام این
۱۸۸	۲۷	« صدری
۱۷۶	۱	دیدهٔ آنگاه
۱۰۰	۲۲	دیده این شاهان
۳۶۸	۶	دیدهٔ این هفت
۱۸۶	۱۴	دیده بان دل
۴۳۹	۲۷	« باید زحق
۴۳۰	۳۱	« باید زمعنی
۳۰۵	۱۶	دیدهٔ باید سبب
۴۴۳	۱۳	دیده باید که
۲۴۲	۳۲	« بخشم
۱۱۴	۲۳	« بینا
۳۶۲	۱۴	دیدهٔ تن
۸۰	۲۵	« تو
۸۲	۳	دیده چون
۱۰۳	۳۴	« حس را
۲۲۵	۳۷	دیدهٔ حسی
۲۳۰	۳۷	دیده در وقتی
۶۸	۱۷	دیدهٔ دلال
۲۹۲	۱	« دل کو
۳۵۷	۱۱	« ده
۳۰	۲۷	دیده را برجستن
۳۱۱	۳۳	« را برلب
۴۲۹	۱۲	« را بگشاد
۱۸۲	۱۶	« را نادیده
۳۸۶	۴۰	« «
۴۴۲	۲۰	« سبطی
۳۲۴	۱۰	دیدهٔ عقلت
۳۷۹	۸	« عمری
۲۱۶	۱۸	دیده غیبت
۲۹۵	۳۷	« کاندر
۴۱۳	۲۶	« کان نبود
۳۶۵	۸	دیدهٔ کواز
۲۱	۲۳	دیده ما چون
۴۴۱	۳۶	« ماضی
۱۱	۴	دیدهٔ مجنون
۲۹۷	۲۹	دیده منزلها
۴۴۰	۱۸	« می باید

صفحه	سطر	اول بیت
۱۱۳	۲۳	دیده نابینا
۱۸۱	۱۲	« ودل
۳۳۷	۲۱	« هرساعت
۱۷۴	۲۰	دیدیوسف
۴۷	۱۰	دیر باید
۱۱۸	۵	« گبرد
۸۷	۲۹	« یابد
۲۰۲	۱۸	دی زعیم
۱۵۸	۳۰	« سؤالی
۲۸۸	۱	« شوی بینی
۳۷۰	۲۸	دیگ را تدریج
۲۴۹	۸	« راگبر
۲۶۶	۲۹	دیگران از ضعف
۳۶۱	۱۵	« چون
۴۱۰	۳۳	دیگران را بس
۴۲۴	۱۴	« گر
۱۸۹	۳۴	دیگران کردند
۴۳۸	۱۶	دیگر آنکه از
۲۷۰	۲۷	دیگر آنکه چشم
۳۶۵	۲۱	« آنکه نهم
۲۵۷	۲۰	دیگری آمد
۴۲۹	۳۴	« برکلهٔ
۳۵۸	۹	« راگفت
۲۵۰	۳۱	« که نیم
۲۲۰	۳۵	دیگ ز آتش
۱۸۵	۱۹	« لبسی
۳۲۸	۲۵	دیگهای فکر
۴۱۲	۹	دین من از
۱۲	۴	« ودل را
۴۴۶	۴۲	« ودولت
۴۴۵	۴۷	« هرکس
۱۷۲	۱۳	دیو آندم
۲۸۳	۲۷	« از آن
۴۰۶	۱	« اگر عاشق
۲۷۳	۲۰	« الحاح
۴۱۱	۲۱	« بر شبه
۱۴۴	۲۱	« چون باز
۲۹۹	۸	« چون عاجز
۳۸۶	۱۹	« حرص و
۲۵۴	۳۴	« خانه کرده
۲۸۳	۲۷	« بردنباست
۳۷۴	۳۳	« درشبشه
۲۴۴	۱۹	« دزدانه
۱۱	۸	« راچون
۲۲۶	۱۷	« راحق
۱۴	۱۸	« رانطق
۷۱	۳	« رفت از
۳۹	۳	« سوی آدمی
۲۳۶	۱۸	« شان از
۱۱۷	۳۲	« کبود
۲۳۶	۱۵	« گر خود را
۳۵۹	۳۹	« گرگست
۳۳۰	۴	« گوید ای
۳۱۲	۹	« گوید بنگرید

صفحه	سطر	اول بیت
۳۸۳	۴۰	دیو می آورد
۲۸۱	۱۵	« مبتر ساندت
۷۲	۴	« میسازد
۲۳۶	۱۷	« میگفتی
۴۷	۶	« ننموده
۳۶۷	۱۸	« وغول
۴۲۵	۱۲	« ومردم را
۲۳۴	۲۵	« هم وقتی
۲۳۴	۲۲	« یکدم
۲۰۲	۱۸	دی هبگفتی
۲۶۱	۱۴	« یکی

حرف ذ

ذ - (ا - ر)

صفحه	سطر	اول بیت
۳۱۱	۱	ذات جسمی
۴۴۵	۴۶	ذات اواز
۲۸۳	۲۵	« ایمان
۵۳	۲۲	« زرش
۱۳۸	۱۳	ذرها دیدم
۱۰۵	۱۵	« راکی
۳۱۱	۸	ذرهٔ از عقل
۳۵۲	۲۰	ذره بالا
۲۶۱	۱۵	« خود
۴۲۱	۷	« ذره پیش
۳۴۴	۱۶	« ذره عاشقان
۳۹۵	۶	« ذره کاندر
۴۲۰	۸	« ذره گردد
۱۸۶	۳۳	« ذره گر شود
۱۶۹	۲۵	« رابیند
۱۰۳	۳۶	ذرهٔ زان
۴۰۹	۱۲	ذره سایه
۳۵۲	۲۱	« کو محو
۳۳۲	۲۰	ذرهٔ گر جهد
۳۳۲	۱۷	ذره گر در تو
۳۱۷	۲۷	« لاغر
۳۳۶	۲۵	« نبود

ذ - ك

صفحه	سطر	اول بیت
۲۰۵	۲۰	ذکر آدم
۳۷۴	۲۳	« آرد
۳۷۹	۳۱	« آن ارباح
۴۰۶	۱۰	« استثنا
۲۰۵	۲۱	« اسماعیل
۲۰۵	۲۴	« الیاس و
۳۴۵	۲۹	« او کرد
۲۰۵	۲۴	« ایوب
۸۳	۲۷	« بالا و
۲۰۵	۲۲	« بلقیس
۱۰۵	۲۳	« جسمانه
۱۴۰	۴۱	« حق پاکست
۹۱	۸	« حق کن
۲۰۵	۲۳	« حمل مریم
۲۰۵	۲۳	« صالح
۲۰۵	۲۲	« طالوت
۲۰۵	۲۲	« عیسی

صفحه	سطر	اول بیت
۲۰۵	۲۶	ذکر فضل
۳۲۴	۱۷	« کوکب
۱۵۷	۸	« موسی بند
۱۵۷	۹	« موسی بهر
۲۰۵	۲۵	« موسی و
۳۷۹	۱۸	« نعمتهای
۴۲۴	۱۸	« نفس
۲۰۵	۲۰	« نوح و
۱۴۴	۳۸	« وتسبیحات
۴۳	۱۹	« وفکری
۱۹۹	۷	« هرچیزی
۲۶۵	۹	« هندستان
۲۰۵	۲۱	« یوسف

ذ - ل - م - و

صفحه	سطر	اول بیت
۲۲۹	۳۵	ذاة الارواح
۲۷۹	۵	ذم خورشید
۴۱۹	۱	ذوق آزادی
۱۳۱	۱	« باید
۱۷۷	۳۲	« پنهان
۱۸۴	۲۲	« جمعیت
۲۰	۲۷	« جنس از
۳۷۶	۹	« خنده
۱۲۱	۳۳	« داردهر
۳۷۶	۱۱	« درغبها
۱۹۳	۱	« طاعت
۱۵۸	۳۶	« نکتهٔ
۴۴۱	۲۳	ذوالفقارت

حرف ر

ر - ا

صفحه	سطر	اول بیت
۲۱۳	۱۴	را بما چون
۴۲۲	۳۲	راتبه جانی
۷۶	۹	راجم آن
۱۵۴	۳۸	راجمون
۴۳۳	۲۷	راح ایام
۱۸۹	۳۹	راحت جان
۳۳۶	۱۶	راحتم این
۷۳	۱۷	راز بگشا
۲۶۹	۳	« پنهان
۳۵۲	۵	« جز باراز
۴۳۳	۱۳	« خص
۴۳۳	۱۰	« راازاهل
۱۰۱	۲۱	« راازدوستان
۱۰۱	۲۰	« راانددرمیان
۱۰۱	۲۰	« راانددرمیان
۴۱۱	۱۸	« راغیر
۲۷۹	۱۰	« راگر
۴۳۳	۱۱	« سه
۳۳۴	۱۲	« گوئی
۳۹۱	۱۷	« گویان
۱۰۲	۵	« میدانست
۱۱۷	۲۱	« میگفتند
۳۴۶	۸	« هارا
۳۳۴	۱۴	« هاگوید

صفحه	سطر	اول بیت
۱۲۳	۱۱	راستان را
۲۷۳	۷	راست بینی
۳۰	۱۳	« شو
۳۸۵	۲۳	« را
۳۷۴	۹	« فرمود آن
۱۷۲	۱۶	« فرموده
۸۱	۲	« کن
۹۲	۱۹	« گردان
۱۴۸	۳۷	« گرگفتی
۲۵۴	۱۵	« گفتست
۹۲	۳۳	« گوئی
۳۴۳	۴	« گوای نه
۴۳۶	۱۱	« گواین
۱۲۱	۸	« گونا
۱۹۵	۳۶	« گوداند
۱۲۳	۱	« مبفرمود
۴۷۵	۳۵	« میکرداز
۲۴۶	۱۶	« میکرداو
۴۷	۳۰	« ناید
۴۳۵	۳۶	راستی از
۱۴۹	۸	« پیش آر
۱۴۹	۱۶	« رابیشه
۳۷	۱۹	« کن ای
۹۲	۳۲	« ونیك
۱۸	۸	راسخان در
۱۵۸	۳۳	راضیم بر کفر
۲۰۱	۱۰	« کزمن
۱۵۴	۱۴	« من شاکرم
۳۱۸	۳۷	« من قسمت
۴۵۳	۱۰	راکب و مرکوب
۱۰	۴	راندا ورا
۴۹۸	۱۴	« اوکشتی
۲۹	۳۳	« حق
۲۶۹	۲۲	« دیوان
۱۱۶	۱۲	« سوی او
۱۱۶	۷	« سوی او
۱۵۱	۲۹	« عمران
۴۲	۲۶	راویان این
۱۸۸	۲	راویه پر
۱۸۸	۲۲	« ما
۲۴۷	۱۷	راه آبش
۴۴۵	۹	« اوبر
۵۳	۲۱	راهبر که
۳۶۰	۷	راه جانبازیست
۳۸۹	۳۸	« جست و
۳۶۰	۹	« چبود
۷۹	۲۴	« خس
۴۴۱	۴۶	« درویش
۳۴۹	۳۰	« ده
۳۶۰	۸	« دین زان
۳۶۰	۸	« دین هر
۱۱۸	۲۰	راهرا برما
۴۴۲	۲۴	راهرا این
۱۶۰	۱۷	راه روزی

صفحه	سطر	اول بیت
۲۶۰	۱	راهزن‌مرکز
۳۶۰	۲	راه سنت
۴۵	۲۱	« فانی
۴۱۲	۳۲	« کردی
۳۹۸	۱	« کن‌در
۳۴۵	۳	« گم‌کرد
۴۰۲	۲۸	« لذت
۱۷۸	۳۹	« مرگ
۳۱۰	۱۸	« می‌ندهد
۲۴۰	۳۱	« نزدیك
۴۴۷	۷	« وچاه
۱۲۹	۱۲	راهها داند
۱۵۷	۳۰	راههای آمدن
۲۱۴	۳	« چاره
۱۸۴	۱۷	« صعب
۱۲	۲۴	« مختلف
۲۸۲	۱۹	« مختلف
۲۴	۱۶	راه‌هموار
۱۶۱	۲۶	رای آنکودك
۴۶	۱۸	رایت اکرام
۱۵۱	۴۱	رایتان این
۲۵۱	۱۸	رایحهٔ جنت
۹۷	۹	رایحه‌در
		ر(ب-ت-ج)
۳۹۵	۲	رب اتمم
۳۲۰	۳۵	« اعلی
۳۴۱	۱۸	« اوزعنی
۳۴۸	۳۰	« برمربوب
۱۵۹	۱۴	ربع قرآن
۳۴۶	۳۲	ربنا اناظلمنا سهو
۲۷	۲۷	« گفت
۲۲۱	۱۳	« گفت
۵۳	۴	رب هب لی
۱۸۸	۶	« همی گوید
۱۸۵	۱۷	ربی الاعلی
۴۴۶	۱۶	رتبت و
۱۱۵	۲۱	رجف کرد
		ر-ح
۳۷۸	۲	رحم آمد بر
۱۳۱	۳۴	« آمد مر
۴۱۵	۹	« بردزدان
۱۰۷	۲۷	« برعیسی
۲۶۸	۵	رحمت ازما
۳۷۳	۱۳	رحمت الله
۱۰۸	۴۱	« اندر
۳۰۷	۵	« اوبیحد
۲۶۷	۲۲	« اوسابق
۱۹۵	۲۸	« بیچون
۲۶۹	۴	« بیحد
۳۴۰	۱۰	« بیعلتی
۳۰۶	۳۳	« تو
۱۶۶	۱۸	« جزوش
۱۶۶	۱۹	« جزوی بکا
۱۶۶	۱۸	« جزوی بود

صفحه	سطر	اول بیت
۲۰۴	۱۱	رحمتش بر فهر
۲۸۷	۱۸	« برنقمة
۱۹۵	۲۷	« بی‌زحمة
۲۰۴	۱۱	« سابق
۲۰۹	۴	« مشتاق
۱۰۳	۳۱	رحمت صدتو
۲۰۹	۲۴	« عالم
۴۰۰	۱۵	« مادر
۱۹۵	۲۸	« مخلوق
۸۵	۱۵	رحمتم موقوف
۹۳	۲۷	رحمت ورضوان
۱۹۱	۳۷	رحمتی افشان
۳۷۸	۲۳	رحمتی دان
۱۹	۲۶	رحم خواهی
۱۶۸	۶	« خودرا
۲۱۷	۳۲	« ربانی
۱۲۷	۴۱	رحمش آمد بر
۱۸۷	۳۵	« گفت
۳۲۰	۱۰	رحمشان آمد که
۳۶۸	۳۶	رحم فرما
۳۴۸	۲۱	« کن بر
۴۹	۲۲	« کن پنهان
		ر-(خ-ز)
۸۷	۳۴	رخت از حجره
۷۳	۳۸	رخت خودرا
۳۰۴	۳۱	« دادم
۴۴۴	۳۲	« درکشتی
۳۰۹	۳۱	« دزدی بر
۹۵	۳۰	« دزدیده
۱۹۹	۱۸	« عقلت
۱۲۴	۲	« مانده
۷۵	۲۵	« ماهم
۳۱۷	۷	رختها جستند
۱۰۵	۴	« دادی
۳۷۶	۱۴	« را
۲۹۹	۳۵	رخ نگردانم
۳۱۹	۳۰	رزق آید
۳۰۴	۲۴	« ازوی
۴۱۴	۹	« تو
۱۷۷	۳۲	« جانی
۱۲۶	۳۱	« جوئی
۱۹۷	۱۹	« حکمت
۱۶۰	۱۴	« را
۳۸۰	۳۷	« ماز
۱۳۸	۱۴	رزقهارا
۳۸۳	۳۳	« هم
		ر(س-ش-غ)
۴۲۰	۱	رست اوزین
۱۷۲	۳۴	رست کشتی از
۴۴۶	۳۵	رستگار دنیی
۵۶	۲۷	رستم از آب
۱۵۰	۱۰	« ازچه
۲۶۲	۲۹	رستمان را
۴۹	۲۹	رستم زال

صفحه	سطر	اول بیت
۳۷۸	۳۴	رستم وحمزه
۳۲۲	۴	رستمی گر بایدت
۳۲۲	۵	« گرمایلی
۷۴	۱۷	رسته از کفر
۳۰۴	۳۶	« باشی
۳۸۶	۲۷	« چون
۴۳۸	۳۲	« سربالا
۱۷۸	۵	« وبربسته
۴۲۱	۳۹	رستی از پیکار
۴۳۷	۲۹	رسم ابراهیم
۴۴۴	۱۲	« طاعات
۴۴۷	۲۷	« وشرط
۱۳۴	۲۹	رشتهٔ امید
۶۱	۲۶	رشته‌را
۶۱	۳۰	« یکتا
۳۶۳	۱	رشك از آن
۳۴۶	۴۰	« وغیرت
۳۵۰	۴	رغبت ما
۴۰۶	۶	رغبتی
۲۱۳	۳۰	رغم انفم
۲۸۹	۳۷	رغم این
		ر-ف
۳۹۸	۱۳	رفت آنطاوس
۲۵۱	۲۵	« آنباهی
۶۱	۲۳	« آنمسکین
۲۳۵	۳۴	« ازما
۳۵۲	۲۲	« ازوی
۴۰۲	۳	« اوپیش
۴۴۵	۲۲	« بخشیشان
۱۸۱	۳۴	« بربام
۱۱۲	۳۱	« برمن
۴۰۸	۳۱	« پس
۲۴۳	۲۱	« پیش از
۱۳۴	۳۲	« پیش شیخ
۳۱۶	۳۴	« پیش عارفی
۳۳۷	۴۰	« پیش میر
۳۷۰	۶	« پیغمبر
۳۳۵	۱۱	« جوحی
۴۳۲	۴۸	« حسن و
۸۲	۳۰	« خادم
۳۵۶	۳۳	« درحمام
۱۰۱	۱	« درسگ
۱۰	۲۶	« درصحرا
۳	۲۳	« درمسجد
۳۸۲	۴۰	« درویشی
۳۵۷	۲۱	« دزدی
۲۷۵	۱۵	« ذوالقرنین
۳۲۳	۱۲	« روبه
۴۳۷	۲۶	« رهبر
۱۸۶	۲۵	« سنقر
۴۲۴	۱۱	« سوی
۲۳۵	۱۶	« شاعر
۳۷۵	۳	« صوفی سوی
۱۱۲	۲۴	« صوفی گفت

صفحه	سطر	اول بیت
۴۱۴	۲۱	رفت طغیان
۳۴۰	۳۶	« عریان در
۳۰۷	۸	« عزرائیل
۴۲۰	۳۲	« عمرش
۶۸	۳۹	« فکرو
۳۸۱	۱۳	« کج
۴۴۲	۴۰	رفتگان ناجی
۱۶۶	۴۱	رفت لقمان
۳۸۱	۳۰	« ماهی
۳۵۸	۳۷	« مرغی
۲۵۲	۳۲	« موسی بر
۵۶	۲۰	« موسی کا
۳۰۶	۹	« میکائیل
۶۲	۶	رفتن این
۳۱۶	۲۰	« بنده
۳۹۵	۳۸	« جو
۱۷۵	۲۵	رفتنم سوی
۸۱	۳۰	رفتن یك
۳۵۸	۹	رفت وآمد
۸۲	۳۰	« واز
۳۵۸	۸	« وپرسید
۱۸۳	۵	« ودانه
۱۷۵	۳۷	رفته است
۳۰	۳۴	« امدر
۳۲۴	۱	« در
۳۴۲	۱۲	رفت یك صوفی
		ر-(ق-گ-م)
۱۳۹	۲۶	رقص آنجا
۱۳۹	۲۷	« وجولان
۲۴۵	۳۰	رقعه‌اش
۲۴۱	۴	« پرجنگ
۲۴۶	۱۰	« پنهان
۲۱۸	۱۶	رقعهٔ تعویذ
۲۴۶	۱۰	« دیگر
۳۸۱	۴	رقعه‌شکلش
۲۱۴	۲	« گر
۱۸	۳	رگ رگست
۳۱۲	۳۰	« زدن
۲۱	۱۷	رمز الکاسب
۷۴	۳۵	رمز نسخ
		ر-ن
۴۲۵	۴۰	رنج او هو
۳۵۹	۲۳	« بدخویان
۱۰۱	۲۵	« برخود
۳۲۷	۱۵	« جوع از
۳۲۷	۱۵	« جوع اولی
۳۷۲	۲۷	« دق
۳۳۸	۱۵	« دیده
۳۵۸	۳۱	« راباشد
۲۲۰	۲۶	« راصد
۴	۲۸	رنجش از
۲۷۹	۵	رنج کی ماند
۱۱۳	۴۰	« گنج
۱۴۳	۱۲	« معقولت

صفحه	سطر	اول بیت
۲۲۰	۲۴	رنج وبیمار بست
۳۷۸	۳۷	« ودرد
۲۵	۲۳	« وغم را
۲۵۱	۲۶	رنجها بسیار
۱۸۳	۳۸	« دادست
۱۸۳	۳۸	« دادست
۲۶۸	۷	رنج یکجزوی
۹۹	۳۵	رنگ آهن
۴۲۲	۴	« باقی
۳۷۱	۳۷	« بربسته
۱۸۸	۲۹	« دیگر
۲۳۸	۱۴	« رنگ
۲۸	۸	« رواز
۴	۲۶	« روونبض
۵۱	۲۳	« روی جمله
۲۸	۸	« روی سرخ
۲۸	۵	« رویم را
۱۲۵	۴	« روی وقوت
۵۰	۱۹	« زر
۳۷۰	۳۳	« سبزت
۶۴	۲۹	« صحرا
۴۲۲	۴	« صدق
۳۶۹	۲۷	« طین
۴۲۲	۵	« کفران
۲۹۵	۳	« لاله
۲۵۷	۷	« وبودر
۲۸	۶	« وبوغماز
۳۲۱	۸	« وبوی
۹۱	۱۰	رنگهایینی
۱۸	۱۳	رنگهای نیك
		ر-و
۸۱	۴	رواشداه
۴۴۳	۴۵	روباوکن
۲۳۵	۳۶	روایشان
۳۵۸	۸	روبپرس
۲۹۳	۳	روبتابید
۷۵	۱۷	روبترس و
۳۴۹	۳۰	روبتوکردند
۷۹	۱۲	روبجو
۳۰۷	۹	روبحق
۳۵۹	۲	روبخاك
۱۱۳	۹	روبخسب اندر
۳۶۱	۱۶	روبخسب ای
۵۲	۵	روبخود کرد
۳۸۲	۳۰	روبدریا
۴۳۴	۶	روبدست آور
۱۷۱	۴۰	روبدست راست
۳۷۸	۲۰	روبدوکرد آن
۱۲۸	۲۵	روبدوکردو
۱۷۵	۱۵	روبدمال
۱۸۹	۶	روبسین بالا
۱۳۲	۳۰	روبرآنها
۵۵	۱۳	روبرسلطان
۳۲۶	۱۴	روبرو

صفحه	سطر	اول بیت
٦٧	٤	روبره
١٦٦	٢٣	« بزن
٤٢٥	٤٢	« بسوی
٣٩٥	٩	« بشاه
٣٢٤	٤٢	« بشهرآوردآ
٢٦٠	٢٢	« بشهرآوردس
١٤١	٣٢	« بشهری کرد
٣٢١	١٢	« بصحرای
٤٣٥	١٧	« بصبد
١٧١	٤٢	« بگرداندبسو
١٢٢	٣٩	« بگرداندچو
٤٣٢	٤٧	« بگرداندزتو
٢١٤	٧	« بگورستان
٢٣٥	٣٥	« بگیراین
٤١٤	٣٧	« بمصر
١٧	٣	« بمعنی کوش
٤٠٩	٥	« بمن آرند
٢٨	١٩	« به آتش
٦٢	٢٠	روبه آن دم
١٧٣	٦	روبهااین
١٧٢	٣٦	« پارا
٦٢	١٨	« چون
٤١٢	٢٤	روبه افتد
١٢٧	٢٤	روبهان ترسند
٣٢٢	٨	روبه اندر
٣١٨	٣٢	روبهانه
١٨٥	١٨	روبه پیش
٩١	١٣	روبه ستی
٢٧٦	٢٩	روبهش گر
٣٧٨	٨	روبهك خورد
٤٠٩	٢٦	روبهم کردند
٢٢	٣٨	روبه وآهو
١٢٧	٢٣	روبهی اشکار
٣٩٦	٤١	« که
٢٨٦	٢٧	« و
٢٨٠	٨	روبیاران
٢٩٣	٢٣	روبیادر
٣٧٨	٢٠	روبیك زن
٤١٨	٥	روبی مرغی
٣٣٧	٣٢	روت بس
٣٠٢	٨	روترش کردو
٣٠٢	١٠	روترش کردی
٢٣	٢٥	روتوروبه
٣	٥	روتوزنگار
٢١	١٧	روتوکل کن
١٠٧	٢٤	روتوکهگل
١٥٩	٤٢	روچنین عشقی
١٠٤	٢٩	روح آنکس
٨٢	٥	روح ازانگور
٨٢	٩	روح انسانی
٩٥	٢٢	روح اوبا
٣٥٩	٤	روح اوخود
٢٩٢	٣٥	روح بازاست
٨٠	١	روح باعلمست

صفحه	سطر	اول بیت
٣٣٦	٣٨	روح بی قالب
٤٠١	٣	« چون
٣٤١	٢٨	« حیوانرا
٢٤٠	١٤	« حیوانی
٢٢٣	٢٥	« خودرا
١٦٣	٢	« دارد
٣٩٣	٣٠	« رااز
٣٩٣	٢٤	« راتابان
٣٥٤	١١	« راتاثیر
١٦٢	٤١	« راتوحید
٤٠٣	٢٨	« درغیب
٣٤٣	٣٠	« رهزن
٤٢١	٨	« زیبا
٣٦٤	٢٧	« سلطانی
١٨٢	١٣	روحشان بشکست
٥١	١٨	روح صالح بر
٥١	١٩	« صالح قابل
٥١	١٩	« صالح قابل
٤٣١	٤٨	« فرعون
٦٠	٣٧	« قالب
٣٤٤	١٥	« کی
٢٢٣	٢٤	« محجوب
١٣	٢٦	« می بردت
١٢٩	٥	« وحی از
١٢٩	٦	« وحیی
٣٣	١١	روحهائی کز
١٠	٢٩	روحهای بنده
٢٢٩	٢٩	« مرده
٥١	١٨	روح همچون
١٥٦	٣٥	رودرافتادن
٣٨٣	٣٧	رودعاکن
٤٣٣	٣	رودلیلی
٤٠٩	١٧	رودوتامو
٢٤٢	١٥	روزآخر
٢٢٥	٣٣	« آن باشد
٣٥٦	٣٣	« آوردند
١٦٨	١٢	« اندر
٥١	٢٤	« اول رویتان
٥١	٣٠	« اول روی خو
٤١١	٣٩	« اوو
١٦٠	١٥	روزئی خواهم
٤١	٢٢	روزباراست
١٠٤	١٥	« برجست
٣٩٢	١	« برشب
٩٧	٣٩	« بیگه
١٩٠	٣٢	« ثالث
١٩٧	١٨	« حکمت
١٩٥	٢١	« خفاشك
٣٩٨	٨	روزدارالملك
١٦٥	١١	روزدرخوابی
٤١٦	٦	« درمان
٣٥	٢٩	« دلهارا
٢٤١	٢٦	« دیدی
١٩٠	٣٧	« دیگرآن سگ

صفحه	سطر	اول بیت
٣٦٦	٥	روزدیگراز
٤٠٨	٢٧	« بازگو
٤٠٨	١٩	« برتهی
٤٠٨	١٨	« برعلویا
٤٠٨	١٩	« بریتیما
٤٠٨	٢٠	« بهر
١٧٥	٣١	« جمله
٢٢	١٧	« وقت
١٩٠	٢٩	« همچنا
٤٤٤	٢٦	روزراه
٣٦٨	١٩	« روشن گردد
١٨٠	١٣	« روشن هر که
١٤٦	٧	« روی از
٣٥٦	٣٦	« رویت
٦٩	٨	« زادن
١١	١٦	« سایه
٣٦٠	٣٠	« شدبیدار
٣٣٠	٩	« شدچون
٨٣	١١	« شدخادم
١٥١	٢٨	« شدگفتش
٨٤	٢٢	« شدر
٢٨٦	٣٤	« صیادم
٣٦٤	٢٢	« عاشورانمیدا
٣٦٤	١٦	« عاشوراهمه
١٣١	٧	« عبدالله
٣٨٠	٢٨	« عدل
٢٠٥	٣٢	« قرآن
٧	٢٦	روزك چندی
٤٠٤	١١	روزکشتن
٢٩	٢٢	روزکی چند
٢٤٠	٣٠	روزگارم رفت
١٦١	٣٤	روزگشت وآمدند
٢٤٩	٣٣	« گشت وآن
٢٢٦	٥	« گشتی پاش
٢٢٦	٥	« گشتی پای
٣٣٧	٣٠	« مجلس
٩٤	٢	« محشرهرعر
٣١٦	١٥	« محشرهرنها
٣٠٥	٢٩	« محشرهست
٩٣	٣١	« مرگ
٥٠	١٢	« موسی
١٥١	٤٤	« میلادش
١١٣	٢١	روزن ازبهر
١٧٥	٢١	« جانم
٢٩٧	٣٦	« چشمم
٣٨٠	٢٣	روزنحر
٣٩٢	٨	روزنور
١١٩	٢١	« نیکو
٣٧٩	١٩	« وشب افسانه
١٧٤	١٤	« وشب اندر
٢٤٠	٢٢	« وشب در
٢٠٨	٢٢	« وشب ظاهر
٢٩٣	٣٣	روزهاآن
٣١٥	١٩	« بردی

صفحه	سطر	اول بیت
٢	١١	روزهاگر
٣٤٠	١٥	روزه داران را
٢٨٢	١	« گوید
٧٥	١٩	روزی آدم
٢٤٤	٣١	« آنسلطان
٤٣٢	٣٩	« ازپیر
٤٣١	٤	« ازناگاه
١٧٧	١٣	« بیرنج او
١٧٧	٣٠	« بیرنج جو
١٧٧	١٤	« بیرنج می
٣٤١	٣٠	روسبی باشد
٣١٠	٦	روسپس کردم
١٤٦	٤٣	روستائی بین
١٤١	٣٠	« چون
١٤٤	١٠	« درتملق
٤٣٩	٢٠	« درقرایا
٨٧	١٣	« شد
٨٧	١٣	« گاو
٣٦١	٤٥	روسرافلی
٤٣٠	٦	روسفرکن
١٩٤	٢٧	روسفیداز
٣٧٧	١٧	روسگ کهف
٩٣	٢٠	روشن ازنورش
٣٣١	٤	« است
١٠٩	١٨	روشنی بخشد
٢١٦	١٥	« بردفتر
٣٧٦	٨	« خانه
٩٦	٤١	« عقلها
٩٢	٢	روشنیی کو
٤٠٤	٣٣	روضهٔ در
٢٦٤	٣١	روغن اندردوغ
٢٦٤	٣٤	«
٣٥	٧	روغنی کاید
٣٣٢	١٠	« کوشد
٣٦١	٣٨	روکزاین جو
٢٤٧	٢٠	روکسی جو
٣١٨	١١	روکسی دیگر
٢٧٠	٣٧	روکه اکنون
٤٠	١١	« بی سمع
٢٧٠	٣٧	« رستی
٤١٦	١٥	« زین
١٧٦	٢	« فرزندان
١٤٨	١٣	« نشناسم
٤١٩	١٧	رومراقب
٨٤	٢٨	« مکن زشتی
١٢٢	٨	« مکس میگیر
٦٧	٣٣	رومیان آن
٦٧	٢٩	رومیان گفتند
٩٠	١٩	رونعمره
١٥٦	١٦	رونقت را
٢٤٣	٣٠	رونق دنیا
٢٤٣	٢٩	« کار
٢٤٢	٢٤	« وطاق
٢٠٣	٣٥	رونگردانید

صفحه	سطر	اول بیت
٤٠٦	٩	رونگردانیم
٣٤٤	٣٥	« نمایدازطری
٤٢١	٣٧	« نمایدپادشاه
٣٦٢	٣١	« نمایم صبح
١٩٩	١٣	« نهادآن
٣٠	٢٥	« وسردرجامه
٤١٠	٥	« همی گرداند
١٩١	٢١	« همی مالید
٢٩٣	٢٩	« هوابگذارتا
٢٩٣	٢٩	« « تاخ
١٢٩	٢٥	روی آب جو
٣٩٧	٥	« آورد
٣٠٤	٢٧	« ازنقاش
٤٣٢	١٦	« اندر
٤٤٢	٣٨	« اوآن
٣٨	١٠	« بالا
٣٣٨	٥	« بایدآینه
١٧٦	٧	« برداود
١٥	٢٤	« بردیوار
٢٢٦	٤	« پس ناکرده
١٤٧	١	« پنهان
٤٤٦	٣٠	« پیچیده
٣٥٩	١	« خواهم کرد
٥٥	٣١	« خوبان
٣٢٦	٣٠	رویدالله
٢٠٦	٨	روی داود
١٥٨	١٩	« دراطلال
٤٣٥	٢٤	« درالبرز
١٧٠	٢٩	« درانکار
٣٤٤	١٣	« دختر
٣٨٢	٨	« درروی
٢٦١	٣٦	« دینار
٩٦	١	« زرد
١٩٤	٢٧	« سرخ
٢٤١	١٦	« سوی
٢٢٦	٢٧	رویش آنسو
٢٢	١٣	« ازغم
٢٤٥	١١	« ازگلزار
٣٨٨	١٣	روی شستند
١٤٢	٦	« صحرا
٣٩٧	٢٠	« موسی
١٨٦	٧	« ناشسته
٢٨٨	٦	« نفس
١٠٧	٥	« واپس
٤٠٥	٣٧	« وپشت
٢٩٤	٣٠	« وخال
١٤٧	٢	رویهاباشد
٢٤١	٣٥	روی هریك چو
٩	٤	« هریك مینگر
		رهـ
٤٣٤	١٩	رهتودادی
٤١٩	٦	رهروی را
٤٠٥	٢٧	رهزده
٤٤٤	٣١	رهزنان از

صفحه	سطر	اول بیت
٦٥	٣٠	رهزنان‌را
١٢٠	٢٩	رهزنی‌تو
٢٣٩	١٣	رهشناسی
١٤١	١٨	رهنمایم
٢٣٩	٦	رهنمیداند
٢٩٣	٥	رهگذربودو
٩٨	٢	رهگذریانش
٤٤	٢٦	رهگرفت‌و
١٠	١٧	رهندانی‌جانب
٣٥٠	١٠	رهنیابد
		ری
٢٣١	١٤	ریخت‌چندان
٢٠٧	٢٢	« چندین
٣٧٠	٣٦	« دندانهاو
٣٧٠	٣٨	« دندانهای
٢٨٢	١٨	ریختم‌سرمایه
٣٢٠	١١	ریختنداندر
١٩٨	٣٠	ریختی‌برسر
١٧٣	٢٢	ریزهٔ‌دل‌را
١٠	١٨	ریزه‌ریزه
١٦٥	٣٠	ریسمان‌و
١٥٩	٣	ریش‌اوبیرید
٥٥	١٠	« اوبر
٧٠	٢٨	« بدرا
٧	٢٦	« برمیکند
٢٣٣	١٩	ریشخندی‌کرده
٣٣٥	٢٤	ریش‌خودرا
٣٣٥	٢٣	« راشانه
٥٦	٣٣	« گاو
١٥١	٣٠	« ومو
٢٤٤	٥	ریع‌آنرا
١٩٩	١٣	ریگ‌آمو
١٨٣	٣٧	« راگوئی
١٧٧	١٨	ریگهاهم
		حرف ز
		ز-ا
٩٨	١٧	زآب‌آتش
٣٢٩	١١	« تتماجی
١٨	١٩	« چون
٣٥٠	٧	« حیوان
٣٨٧	٤	« دیده
٢٠٤	٢٥	« سرد
٢٩٥	٢٤	« شور
٧٧	٤	زآبگینه
٣٩٠	١٨	زآب‌وروغن
١٠٠	٩	زآب‌هر
٩٢	٢١	زآتش‌ار
١٠٧	٣٦	« این
٣٥	٤	« دل
٤٢٠	٢٥	« دوزخ
٣٦٣	٢	« رشک
٣٨٥	٣١	« عشق
٤٢٠	٢٧	« مؤمن

صفحه	سطر	اول بیت
٤٣٩	١٦	زآدمی‌تاآدمی
٤٣٩	١٦	«
١٦٩	٢٣	زآرزوی‌سایه
١٧٤	٢٩	« ناقه
٢٦٧	٩	زآزمون
١١٠	٢٢	زآسمان‌چل
٢٣٩	٢٥	« حق
٢٦٤	١١	زآشنائی
٣٤٥	١٠	زآفتاب‌از
٢٥٥	٢٣	زآهن‌تیره
٣٩٧	٣١	زآهنین
١٦٣	١١	زابتدای‌کار
٨٦	٣٧	زابرگریان
٢٠٤	١٩	زابروخورشید
٣٤٤	٣٤	زاتصال
٣٤٧	٢٨	زاتفاق
٧٤	٦	زاجتهاد
٧١	٢٠	زاجنحهٔ
١٧٨	٢١	زاحمقان
١٦٠	٢٥	زاحمقی‌خواهد
٣٩٨	٢٥	زاختران
٢٨٢	٢١	زاختلاط
١٣٥	٣٥	زاختلاف
١٠٧	٢٩	زاخروهن
٨١	٢٨	زاددانشمند
٤٣٠	٤٤	زادوساز
٣٦٣	٣٧	زادهٔ‌ثانیست
٦٧	٢٠	« خاکی
٢٤٢	١٩	« دنیا
٢٤٥	١٩	زاده‌شدآن
٣٧٩	٢٨	« گفتیم
١٠٩	٢٦	زارئی‌میکن
٣٧٥	٣٤	زارورنجور
١٥	٨	زاری‌ماشد
٢٨٦	٢٩	« مضطر
١٠٩	٥	« وگریه
٥١	٣٥	زاستخوانها
١٦٩	٣٣	زاشتیاق
٤٤٤	٥	زاصفیای‌اولین
٣٩٣	١٥	زاعتقادسست
١٧٤	٢١	زاعتمادآن
٤٨	٧	زاغ‌اگر
١٣٦	١	« ایشان
٣٩	١٥	« پوشیده
٢٧	٥	« چون
٣٥٢	١٥	« دررز
٤١٤	٢٨	« راوجند
٢٧	١٢	« کو
٢٤٠	٨	« گردد
١٤٩	١	زامتحانات
٣٤٧	٣٦	زامتحان‌شاه
٣١٤	٣٠	« شرمنده
٣٧٦	٨	زامرحق
٤٠٨	١	« شاه

صفحه	سطر	اول بیت
٤٣٦	٢٦	زامرمضای
٥٠	٦	زان‌امام
٣٤٨	٣٥	« انائی
٣٤٨	٣٦	« انای‌بی
٢٨١	٣١	« بخواندندت
٧٦	١٥	« بظاهر
٢٨٨	٣٥	« بفرموده
١٩٤	٣٦	« بقرصی
٢٠٩	٨	« بگرداند
٣٦٩	٣	« بلاها
٣٩	١٨	زانبهی‌برگ‌پنهان
١٦٩	١٩	« برگ‌پیدا
٣٩٣	١٦	زان‌بیابان
٣٩٣	١٦	«
٣٠٥	٤	زانبیاناصحتر
١٦٦	١٦	زان‌بیاورد
٣٠٤	١٩	« بیفشاند
٤٢٩	٧	« پرستیدم
١٢	٧	زانتظارم
٥١	٢١	زان‌تعلق
٢٧٣	١٨	« تغافل
٢٠٤	١٢	« تقاضا
٣٤٢	١٥	« تلطف
٢٤٥	٢٧	« جرای‌خاص
٢٤٥	٢٧	« جرای‌روح
٤٣	٥	زانجهان‌اندك
٢٢١	٣	زانچنین
٤٠٤	٢١	زانچه‌دادم
٣٧٣	٩	« داری
٣٠٥	٥	« سنگ
١٩٦	٣١	« گشتی
٣٣٣	٢	« میافی
٣٢٠	٣٠	« میگوئی
٢٠٤	٢٤	زان‌حدیث
٤٠٢	٢٢	« خطائی
٤١٠	٣٠	« خورانم
٤١٠	٣٠	« خورانم
٢٨٠	٢٠	زاندرون‌او
٢٤٨	٣٠	زاندرونم
٢٥٨	١٦	زان‌دوچشم
٤١	١٠	« دمی
٤٠٢	٢٧	« رحم
٣٢٧	٨	« رسولی
٤٣٠	٢٩	« رهاورا
٣٣٨	١٨	« رهش
٧٥	٣٣	« زاهریمن
٤٢١	١٢	« زبون
١٨٨	٢٨	« زمانی که
٣١١	٣٤	« زمرد
٢٤٩	١٣	« زنان‌مصر
١٣٠	٤	« سبب‌آدم
٤٣٨	٥	« سبب‌ایمؤمن
٢٠١	١٩	« سبب‌جانش
٣١٣	٨	« سبب‌فانی

صفحه	سطر	اول بیت
٨٤	٣	زان‌سبب‌فرمود
٢٤	١٤	« سبب‌کاندر
٣٤٦	٣٩	« سبب‌کزغیر
١٦٨	١٤	« سبب‌که‌جمله
٣٤٥	١٥	« سپس
٣١٣	٣٩	« سگالش
٢٥٨	٣٧	« سگان
١٩١	١٨	« سلام
٦٢	١١	« سوی‌حس
٢٦٦	٢٧	« سیه‌روئی
٢٥٨	٣٣	« شدستند
٣٦٦	٣٠	« شراب
٢٦٣	١٢	« شفیع
٢٨٥	٢٣	« شکارو
٢٦٤	٣٧	« شناسی
٣٩٧	٣٢	« شودآتش
٣٩٦	٣	« شودعیسی
٣٠٤	٢٧	« شودهر
٩٩	٢٧	« شهنشاه
٣٥٧	٨	« صدف
٧١	٢٦	« ضعیفم
٣١٤	١	« ضلالتهای
٢١٦	٨	« ضباگفتم
٣٩٠	١٤	« طرف
١٠١	٣	« عجب‌بیشه
١١٠	٣٠	« عجب‌تردیدهٔ
٢١٣	٣٣	« عرب‌بنهاد
٤٠٨	٤١	« عزب‌خانه
١١	٣٢	« علی
٢٤١	٢٠	« عمامه
٢٠٢	٢٨	« عوان‌سر
٢٠٢	٢٧	« عوان‌مقتض
١٩٠	٨	« غناوزان
٢٨٤	٣٤	« فراخ‌آمد
٤٤٣	٣٨	« فروتوان
٣٩٥	٢٠	« فکنده
٢٩٢	٦	« فناها
٣٥٥	٢٤	« قویتر
٩	٥	زانك‌صیاد
٢٦٩	٢١	زان‌کله‌بر
٥	٢٧	« کنیزك
٣١١	٢٨	« که‌آتش
٣٥	١	زانکه‌آدم
٥٤	٢٦	« آلت
٣٥٧	١	« آن‌تابوت
٨٨	١١	« آن‌تقلید
٤٢٢	٢٣	« آنجا
٣٨٥	٢٠	« آندم
٤٨	٢٤	« آن‌دندان
٢٩٣	٢٧	« آن‌صاحب
١٣٥	٩	« آن‌گرمی
٢١٢	٤٠	« آن‌لبها
٣٦٧	٣	« آن‌مس
٣٨	١٢	« آوازت

صفحه	سطر	اول بیت
٣١٦	٣٢	زانکه‌آوازو
١٦٤	٢	« آهنگر
٤٣٩	٢٢	« ابله
٢٤٣	٢٨	« ابرآنچه
٢٨٦	٢٠	« ابراز
٥٣	١٨	« احسان
٣٥٢	٧	« ازبانگ‌و
١٠٨	٢	« ازعقل
٢٩٢	٢٤	« ازعزت
٢٠٤	٣٦	« ازقرآن
١٠٦	٧	« ازکون
٣٤٩	١٣	« ازنقشم
٢٤٠	١٧	« استعداد
٣١٤	٣٧	« استفهام
٣٤٨	١٥	« استکمال
١٥٨	٢٠	« اطلال
٤٠٧	٣٠	« افبونشان
١١٢	١٢	« انبوهی
٢٠٤	٣١	« انسان
٢٩٢	١٩	« اوازاصل
٢٩٣	٢٤	« اوباز
٢٤١	٣٣	« اوبنمود
٢٩٩	١٩	« اوبوجهل
٦٢	٣٧	« اوباکست
١٧٧	٤٠	« اودرخانه
١٧٨	١	« اودرخانه
٣٧٥	٩	« اورابهر
٤٠١	٣١	« اورافاتحه
٣١٣	١٤	« اوسنگ
١٠٣	٣٥	« اوکف
٣٤	٣٢	« اول
٥٩	٣٨	« اوهر
٨٧	١	« ایشان‌در
٥٥	١٧	« ایشان‌زآب
١٢٤	٢٨	« این‌آب
٢٦٣	٢١	« این‌اسما
٢٧٩	٢١	« این‌تن
٥٤	١٣	« این‌دمها
٣٨٢	٦	« این‌دیوانگ
٢٩٣	٢٦	« این‌زاغ
٤٢٥	٢٥	« این‌عالم
٢٦٤	٣٣	« این‌فانی
١٩٥	١	« این‌نوری
٣٧٨	٣٧	« اینها
٢٥٧	٣٣	« این‌هوی
٥٦	١٠	« باجامه
٤٢	٢٤	« باجان
٧٩	١٠	« باعقلی
٣١٨	٢٠	« باقی
٢٠٩	٣٥	« بخت
٣١٥	٢٩	« بدزن
١٤٤	١٤	« بربانگ
٨٧	١	« بردل
٣٩٧	٣٩	« بردیوار

صفحه	سطر	اول بیت
۴۱۹	۱۵	زانکه برمرصاد
۳۳۴	۲۱	« بس
۱۴۹	۳	« بودند
۲۵	۶	« بوش
۴۲۵	۱۰	« بی‌ترسی
۱۲۹	۱۳	« بی‌حاجت
۱۴۱	۲۸	« بی‌حزمی
۱۲۴	۱۰	« بی‌حق
۳۳۱	۳۱	« بی‌خواه
۲۴۹	۳۶	« بیخود
۲۰۸	۲۳	« بی‌شب
۲۲	۳	« بی‌شکری
۷۹	۲۱	« بی‌گلزار
۲۰۴	۱۲	« بی‌لذت
۳۷۹	۲۰	« بی‌لذت
۳۲	۲۴	« بینائی
۱۳۸	۲۶	« پستان
۱۸۶	۱۰	« پیراهن
۳۶۳	۳۴	« پیش‌از
۳۱۰	۳۷	« پیلم‌دید
۵۷	۱۴	« پیوسته
۳۱۶	۳	« تاریخ
۳۴	۱۳	« تاریك
۷۳	۹	« تاویل
۳۰۰	۲۰	« ترك‌تن
۳۷۴	۲۴	« ترك‌کار
۸۷	۲	« تقلید
۱۰۲	۳۵	« تکمیل
۱۲۱	۲۰	« توعلت
۲۹۰	۳۲	« توهم
۷۵	۲۶	« جان‌چون
۳۳۹	۲۳	« جانشان
۲۴۰	۸	« جانی
۲۵۲	۴	« جاهل‌جه
۳۸۷	۲۰	« جاهل‌داش
۱۸۵	۱۳	« جباران
۲۴۵	۲۳	« جنت‌از
۲۲۴	۴	« جنت‌را
۳۲۰	۱۷	« جمله
۱۳۳	۳۲	« جنس‌بانك
۲۵۹	۱۵	« جنس‌نار
۲۵۸	۳۴	« جنسیت
۲۴۳	۱۸	« چشم
۲۶۵	۳	« چون‌مرده
۱۵۹	۱۱	« چون‌مغز
۲۳۷	۷	« حال
۱۲۰	۳۷	« حجت‌در
۲۷۵	۹	« حدمست
۳۹۵	۷	« حس
۱۰۰	۳۲	« حشر
۱۰۴	۳۰	« حکمت
۱۶۳	۲۷	« حکم‌کار
۳۹۰	۳۹	« حلوا
۱۹۵	۳	« خاکی

صفحه	سطر	اول بیت
۳۲۳	۳۱	زانکه‌خبث
۱۷۱	۱۴	« خود
۲۲۸	۳۲	« خوش‌خو
۱۳۲	۱	« خوی‌بد
۲۹۴	۲۳	« خویشان
۲۳۲	۱۵	« دارد
۲۶۳	۳۳	« داندکاین
۷۵	۱۶	« داندهرکه
۱۹۷	۲۴	« درآن
۶۱	۱۷	« درالا
۲۷۱	۳۱	« درباغی
۴۴۴	۴۸	« دربر
۲۰۵	۸	« درپرتو
۸۸	۳۱	« درچشمت
۱۹۷	۱۴	« درخرجی
۳۴۳	۹	« درخلوت
۱۴۱	۱۱	« دردو
۹۹	۱۸	« درراهست
۴۸	۲۰	« درویشی
۲۰۱	۲۰	« دل‌بر
۱۰۶	۱۶	« دل‌جوهر
۱۰۰	۶	« دل‌حوضی
۱۴۷	۱۵	« دل‌ننهاد
۱۹۹	۱۰	« دنیا
۲۵۹	۱۳	« دوزخ
۲۵۴	۳۲	« دیداو
۸۴	۱	« روزاست
۲۰۲	۱	« زادوکم
۴۲	۳۱	« زان
۱۱۸	۳۷	« زایشان
۳۱۲	۶	« زاین‌بالود
۳۰۱	۲۴	« زین‌ترکیب
۵۸	۱۵	« سگ
۲۱۶	۵	« شاکر
۱۸۳	۸	« شاه
۷۱	۱۷	« شعشاع
۲۷۶	۶	« شکل
۱۷۱	۱۹	« شهوت
۴۰۹	۱۲	« شیطان‌خش
۲۸۰	۳	« شیطانش
۳۴	۱۷	« صحت
۵۱	۱۴	« صورت
۸۸	۱۲	« صوفی
۶۴	۱۰	« ضدرا
۱۴۹	۳۱	« طاوسان
۴۸۷	۲۵	« طفل
۲۳۲	۱۸	« ظاهر
۳۱۳	۱۲	« ظلمانی
۳۱۷	۳۴	« ظن
۱۹۶	۳۷	« عادت
۲۶۸	۲۸	« عاشق‌در
۳۳۴	۱۸	« عشق‌افسو
۷	۳	« عشق‌مردگ
۲۸۶	۱۵	« عقلت

صفحه	سطر	اول بیت
۲۵۹	۸	زانکه‌عقلش
۳۵۹	۲۶	« عقل‌هر
۱۰۷	۳۰	« غالب
۳۵۹	۲۸	« غیرحق
۸۱	۷	« فرزین
۲۷۵	۴	« فصل
۳۷۱	۸	« قدر
۳۱۳	۲۸	« قفل
۳۶۷	۸	« کان‌را
۳۷۳	۴	« کان‌و
۲۷۵	۸	« کرداز
۱۹۰	۱۴	« کرمنا
۹۱	۴۰	« کس‌را
۱۷۳	۹	« گرآبست
۱۱۷	۳۷	« گراهیچ
۹۴	۱۳	« گرپیدا
۳۹۱	۲۲	« گردد
۳۶۶	۱۶	« گردشهای
۳۸۹	۲	« گرگ
۲۶۸	۳۶	« گفتن‌از
۳۴	۲۷	« گفتندش
۱۸۹	۳۴	« گل
۲۲۲	۲	« گندم‌را
۳۵۳	۱۷	« لاشرقی
۵۷	۱۲	« لطف
۱۰۲	۶	« لقمان‌را
۱۰۱	۲۹	« لقمان‌گر
۳۸۳	۳۰	« لولاك
۳۵۳	۱	« مافرعیم
۱۹۰	۱۵	« مؤمن
۴۲۱	۳۴	« مامورم
۱۹۵	۳۹	« ماهیات
۳۷۶	۱۸	« ماینطق
۳۴۶	۲۷	« مثل‌آن
۴۰۲	۹	« محتاجند
۶۸	۳۶	« محدود
۹۹	۸	« محسوسات
۳۳۰	۱۸	« محسوس‌ا
۹۹	۱۷	« مخلص
۲۵۵	۱۹	« مردم
۱۸۳	۲	« مرغی
۷۶	۲	« مرگم
۱۳۳	۳۹	« مریم
۳۸۲	۶	« ملت
۱۶۱	۳۵	« منبع
۹۳	۴	« من‌در
۱۳۳	۹	« من‌زاندیش
۲۹۲	۹	« منزلهای
۲۷۱	۱۱	« موسی‌جاد
۵۰	۱۳	« موسی‌را
۵۰	۱۳	« «
۳۹۱	۷	« میراث
۳۰۶	۶	« میکائیل
۱۴۶	۳۸	« نادر

صفحه	سطر	اول بیت
۳۲	۹	زانکه‌ناطق
۱۰۲	۳۴	« ناقص
۳۳۵	۳۶	« نامی
۲۰۷	۱۳	« نبود
۱۱۲	۱	« نفس‌آشفته
۱۷۹	۳۷	« نفسش
۱۷۷	۳۱	« نفم‌نان
۹۵	۱۵	« نقشی
۲۰۶	۳۵	« نورازدل
۲۲۳	۲۶	« نورانیا
۲۲۳	۱۴	« نورعلتی
۴۳۶	۲۱	« نه‌خارج
۷۶	۶	« نهی
۱۸۴	۳۰	« نیکو
۱۲۵	۳۴	« نیم‌او
۲۶۴	۹	« نیم‌علم
۲۹۸	۲۹	« وافی
۳۶۲	۲۵	« واقف
۳۱۸	۲۸	« وجد
۲۸۰	۱۹	« ویرانه
۲۰۶	۳۲	« هربادی
۲۵۸	۳۸	« هربدبخت
۱۱۰	۳۱	« هرجنسی
۲۶۶	۳۱	« هرچاره
۸	۲	« هرچه
۱۳۰	۳۰	« هرچیزی
۲۴۲	۱۳	« هرکره
۲۷۹	۱۹	« هرمرغی‌ا
۱۵	۱۹	« هرمرغی
۲۵۹	۳	« هرمعشوق
۳۰۸	۱	« هریك
۲۰۳	۲۴	« هست‌اندر
۲۷۰	۲۸	« هستم‌من
۳۱۱	۱۶	« هستی‌سخ
۹۱	۴۵	« هفتصد
۳۹۰	۲۵	« هم‌پر
۱۰۹	۳۰	« یك‌کور
۱۴۱	۲۲	« یك‌نوشت
۷۳	۷	زانگداروئی
۴	۱۳	زانگدارویان
۴۳۰	۴۲	زان‌گذشته
۴۰۵	۱۹	« لقب‌شد
۳۹۱	۲۶	« مئی
۳۹۳	۳۲	« مثال
۳۹۴	۲۵	« محمد
۱۲۹	۴	« مناسب
۳۶	۲۰	« موالید
۳۳۹	۳۷	« مهان
۳۳۳	۲۱	« مهمتر
۴۴۴	۲۵	« میان
۳۴۰	۲۱	« نبات
۲۶۷	۱۶	« نبی
۳۰۰	۵	« نجاسات
۲۰۴	۹	« نجوشانم

صفحه	سطر	اول بیت
۲۲۹	۳۰	زان‌ندادینها
۷۵	۹	« نداری
۱۲۱	۲	« ندانی
۱۰۴	۳۳	« نشان‌با
۳۵۰	۲۱	« نشد
۱۸۸	۱۳	« نظر
۳۶۵	۹	« نمایدآن
۳۱۴	۳۳	« نمایدچند
۱۱۴	۱۸	« نمایدذوالفقار
۱۱۴	۱۳	« نمایدمختصر
۲۱۰	۳۴	« نمی‌برم
۶۴	۱۱	« نمی‌برد
۲۱۱	۱۲	« نمی‌خندم
۳۱۹	۲۱	« نوا
۲۱۲	۱۵	« نهادیم
۲۶۳	۲۰	« نیامد
۵۱	۳۲	زانوآندم
۴۰۶	۳۵	زان‌هزاران
۲۶۶	۲	« همه‌برمن
۲۲۳	۲۶	« همه‌جنگند
۲۴۳	۲۹	« همه‌کار
۱۰۷	۴	« همه‌میلش
۲۱۰	۳۵	« همی‌برم
۲۶۳	۳۶	« همی‌پرسی
۲۳۷	۱۶	« همی‌تانی
۲۱۱	۱۳	« همی‌خندم
۱۷۸	۳۷	« همی‌خوردند
۲۱۰	۳۴	« همی‌کردم
۱۰۳	۲	« همی‌گرداند
۱۰۰	۳۳	زانبان‌را
۴۱۵	۲۴	زان‌بینلو
۱۰۹	۲۰	« یکی‌بازی
۳۸۸	۲۲	« یکی‌شاخی
۴۰۳	۱۷	« یکی‌عیبش
۴۰۳	۳۳	زاوابدان‌را
۲۳	۲۷	زاویری
۱۶۷	۲۱	زاولیااهل
۲۶۰	۲۵	زاهتمام
۳۳۸	۲۱	زاهدان‌را
۳۱۶	۴	زاهدباترس
۲۳	۱۵	« ششصد
۱۷۲	۱۲	« وفاسق
۱۳۶	۲۳	زاهدی‌بد
۱۶۳	۳۶	« بیند
۳۲۴	۲۹	« در
۳۱۵	۲۹	« رابد
۸۶	۱۷	« راگفت
۱۱۵	۲۸	زاهل‌دل
۳۵	۹	زایدازلقمه
۳۵	۱۰	«
۲۰۶	۳۵	زاینچنین‌امداد
۳۳۱	۱۰	« عذر

ز-(ب)

صفحه	سطر	اول بیت
۴۰۴	۳۶	زبل‌گشته

صفحه	سطر	اول بیت
ز - (ج-خ)		
۱۵	۹	زجراستادان
۴۳۸	۱	زخم‌ازخود
۴۳۵	۱۴	« برخاصان
۳۴۴	۴	« تیرو
۳۴۳	۱۵	« خورد
۱۰۸	۱۲	« دبوس
۳۹۰	۴۰	« درمعنی
۳۴۳	۲۶	« دیگر
۱۰۰	۳۱	« کرد
۲۵۳	۱۰	« کبکی
۲۸۸	۲	« ناخن
۶۵	۱	« نیش
۳۱۹	۱۹	« های‌تیر
۶۲	۳۳	« یابد
ز - (د-ر)		
۴۳۷	۲۶	زدبرو
۳۴۴	۳۲	« بشمشیر
۴۳۶	۴۸	« چنان
۳۳۷	۳۸	« زغیرت
۱۵۱	۳۳	« ستاره
۳۸۹	۳۱	« منادی
۱۱۳	۴	« ورا
۴۳۵	۲۷	« یکی
۳۹۸	۲۲	زرازآن
۱۴۱	۲۲	« اگرپنجاه
۶	۱۱	« اگرچه
۳۳۷	۱۶	« بدادو
۴۷	۲۷	« بدی
۴۰۸	۱۶	« بکاغذ
۳۱۳	۳۰	« به‌از
۱۰۰	۲۸	« خالص
۶	۱۱	« خرد
۲۰۳	۱۷	« درانبانها
۴۳۰	۳۳	زردروئی
۳۴۰	۱۲	زردی‌رو
۱۴۶	۱۸	زرزروی
۳۶۸	۵	زرسرخ
۳۲۶	۳۲	زرشدی
۱۸۹	۸	زرع‌جان
۲۶۸	۳۲	زرعقلت
۲۴۲	۱۸	زرق‌چون
۸	۲۳	زرقلب
۲۳۲	۱۱	زروکان
۶	۲۱	زرگرفت
۱۴۶	۲۰	زرگان
۲۹۴	۲۱	« وسیم
۱۳	۲۳	« ونقره‌چیست
۶	۳	« ونقره‌گر
۲۴۲	۳۷	« همی‌گوید
ز - ش		
۴۲۲	۶	زشت‌آن
۱۰۹	۳۲	« آوازم
۱۱۸	۱۰	« رادر
۱۲۰	۲۰	زشت‌راو
۱۹۲	۲۸	« روی
۳۶۷	۱۹	« گرداند
۱۱۸	۱۵	« گویدای
۲۴۱	۱۲	« نبود
۳۰۲	۱۷	زشتهاراخوب
۲۰۲	۳۱	« راتغز
۱۰۹	۳۳	زشتی‌آواز
۱۰۴	۱۶	« اعمال
۸	۲۱	« این
۱۴۹	۲۹	زشتیت
۱۵۸	۳۵	زشتی‌خط
ز - (ف-ل-م)		
۲۷۶	۵	زفت‌زفت
۱۸۳	۲۱	« گردد
۳۵۶	۲۵	« گشت
۲۸۷	۲۰	زلت‌آدم
۳۴	۴	« او
۲۴۱	۳۲	زلف‌جعد
۴۴۴	۳	زمرهٔ‌درگریه
۱۷۸	۲۳	زمهریر
ز - ن		
۴۸	۱۱	زن‌ازاین‌گونه
۳۳۶	۳۲	« بخوردش
۴۱۰	۱۶	« بدست
۱۵۱	۱۳	براوافتاد
۴۷	۳۴	« براوزد
۴۱۹	۳۴	« برقاضی
۳۴۱	۳	« بسی
۱۵۲	۱۴	« بوحی
۳۴۰	۳۵	« بیامد
۳۴۱	۲	« پشیمان
۱۶۲	۱۶	« توقف
۲۵۸	۳۱	« چنان
۳۴۵	۳۴	« چودیدآن
۴۹	۱۱	« چودیداورا
۳۴۶	۵	« چوعاجز
۴۹	۱۲	« درآمد
۲۸	۲۱	زندگانی‌آشتی
۲۸	۲۰	«
۲۹۱	۲۷	زندگی‌بی‌دوست
۸۶	۲۱	« تن
۱۶۷	۴۰	« خود
۴۲۳	۳۹	« در
۱۶۷	۲۸	« ومرگ
۴۱۸	۲۲	زن‌دوشمع
۱۵۸	۱۵	زنده‌ازتو
۴۱۲	۱۲	« زین
۱۱۳	۳۶	« شداو
۱۰۱	۱۱	« شدکشته
۲۸۳	۱۲	« کرده
۳۴۹	۲	« کی
۲۵۰	۳۶	« نی‌تا
۲۵۰	۳۷	« نی‌ومرده
۱۲۷	۸	زنده‌وزنده
۳۱۵	۳۰	زن‌زغیرت
۴۱۶	۹	« کنیزک
۱۳۰	۲۹	زنگ‌تو
۸۰	۱۷	« راهم
۴۴۳	۱۴	« شك
۶۹	۱۱	زنگیان
۵۵	۲۱	زن‌مصلی
۲۷۲	۳۹	« مکرر
۵۳	۱۴	« همی‌جوید
ز - و		
۱۰۳	۲۵	زوبخندند
۱۰۸	۱۴	« برآمد
۲۶۹	۲۳	« بردل
۱۲۸	۹	زوبعان
۲۳	۲۷	زوبلنگ
۴۱۶	۴۰	زوترش‌بردار
۲۴۰	۱۸	زوچواستعداد
۳۹۹	۶	« حیات
۱۹۰	۳۲	زوداستر
۳۰۷	۳	« اسرافیل
۴۴۲	۷	« اندریاب
۱۲۲	۱۳	« باش
۲۵۸	۳۰	« درمان
۱۴۲	۳۲	زودشان
۳۴۵	۳۸	« شمشیر
۲۳۲	۴	« عبدالمطلب
۴۲۰	۲۸	« کبریتت
۱۷۵	۳۲	« گاوم
۳۴۱	۱	« مهمان
۳۸۷	۲۱	« ویران
۱۹۶	۸	زورآدم
۳۲	۳	« جان
۲۸۶	۲۸	« رابگذار
۴۳۵	۴	زورقی‌سازیم
۴۱۹	۳۷	زوشنیده
۴۴۳	۴۱	« فزونتر
۳۶۳	۳۷	« قیامت
۴۳۴	۲۲	« نشان‌آنجا
۴۲۹	۴۱	« نشانهاداده
۲۸۲	۱۵	« یتیمان
ز - ه		
۳۸۳	۲۴	زهداندر
۳۳۸	۱۴	« وبیری
۳۵۸	۴۰	« وتقوی
۳۴۱	۲۴	زهرآمد
۱۹۵	۷	« آنجا
۳۳۴	۳۱	« باشد
۲۹۷	۵	« تن
۲۱۰	۷	« خواری‌را
۳۲۵	۱۹	« دد باشد
۱۶۷	۲۴	« در
۴۳۴	۱۰	« راتریاك
۴۱۲	۲۶	« قاتل
۲۱۷	۹	زهرمارآن
۴۱	۵	« محضست
۲۵۷	۲۹	زهرمات
۴۴۱	۱	زهرهاگشته
۳۸۱	۷	زهره‌اوبر
۳۵۲	۱۹	زهرهاهر
۱۰۸	۲۳	زهرهای
۳۵۳	۲۵	زهره‌چنگ
۲۷۱	۲۳	« دارد
۲۷۱	۲۲	« دارد
۳۱۵	۸	« کبود
۲۵۷	۳۰	زهرهٔ‌کز
۲۰۹	۲۲	زهره‌نی‌با
۴۱۱	۱۵	« نی‌تالب
۱۵۱	۲۴	« نی‌عمران
۲۶۲	۲	« نی‌کس‌را
۳۹۷	۵	« «
۲۲۴	۱۷	« «
۸۸	۲۳	« «
۱۹۷	۴	« نی‌مر
ز - ی		
۲۱۷	۱۱	زیداندر
۳۵	۱۹	« پرانید
۷۱	۳۰	« راآکنون
۱۳۴	۱۴	« واقف
۱۳۴	۱۳	« وعمرو
۲۱۷	۱۲	« یك‌ذاتست
۲۰۵	۳۰	زیرآن‌باطن
۲۰۵	۳۱	« «
۳۳۸	۱۰	« بالشها
۳۱۹	۱۶	« پاشان
۲۱۹	۲	« چادر
۳۰	۳۱	« خرما
۳۷	۳۲	« دریا
۳۶۱	۲	« دست‌تو
۳۴۲	۳۵	« دست‌و
۴۷	۱۱	« دیوار
۳۴۹	۲۶	« سایهٔ‌این
۲۷۳	۱۰	« ظلش
۳۸۷	۲۵	زیرکان‌با
۳۲۶	۵	زیرکان که
۳۲۰	۳۴	زیرکان گفتند
۳۷۹	۳۷	زیرکان‌و
۴۱	۷	زیرك‌و
۲۳۸	۱۹	زیرکی‌آمد
۲۳۸	۲۱	« بفروش
۲۳۸	۲۸	« چون
۳۸۷	۲۴	« شد
۳۸۷	۲۴	« ضد
۳۰۲	۱۱	زیرلب گفت
۳۶۸	۳۸	« لب‌میگفتی
۴۱	۲۰	« وبالا
۶۴	۱	زیره‌را
۴۴۰	۲۴	زین‌اوبلغاری
۱۷۱	۱۹	زین‌بتان
۲۵۵	۳۱	« بترها
۲۹۲	۳۴	« بدن
۳۳۷	۲۹	« برادر
۴۱۶	۱۴	« بشارت
۲۱۴	۲۹	« بیان‌بگذر
۳۲	۱۹	« پشیمانی
۲۸۱	۱۴	« یلبدی
۱۹۳	۲۸	« تانی
۲۲۹	۶	زینت‌او
۳۵۵	۶	زین‌تردد
۲۳۲	۱۷	« ترش
۴۱۲	۳۶	« تفرج
۴۰۰	۴	« تنگ
۱۷۰	۵	« تنازعها
۲۷۳	۸	« تواضع
۱۶۶	۲۶	« جهان‌خودر
۳۶۸	۳۷	« جهان‌کو
۴۴۲	۴۸	« جهان‌لیکن
۲۲۳	۲۴	« چراغ
۴۲۳	۲۹	« چمن
۱۰۵	۵	« چنین‌بیچاره
۳۷۱	۲	« چنین‌عمری
۸۹	۲	« چنین‌قحط
۳۳۲	۲۷	« چوسگ
۴۲۰	۲	« چه‌شش
۴۰۲	۳۳	« حجاب
۸۷	۳۲	« حراره
۲۸۴	۷	« حروفت
۳۹۷	۲۶	« حکایت
۳۷۴	۴	« حوالت
۲۳۱	۳۰	« خبرخون
۱۵۰	۳۴	« خبرگشتند
۲۳۳	۳۱	« خران
۱۱۴	۳۲	« خرد
۲۴۷	۱۰	« خورشها
۳۲۴	۲۰	« خیال
۲۴۸	۲۴	« درخت
۳۷۱	۲۴	« دکان‌با
۱۸۷	۱۲	« دکان‌رفتن
۷۲	۱۸	« دوآتش
۲۰۴	۳۴	« دوجوشش
۳۵۵	۴	« دوره
۳۵۵	۴	« دوره
۱۹۷	۲۹	« دووصفش
۴۳۳	۲۵	« رباط
۳۹۰	۱۴	« رسالات
۲۳۱	۳۹	« رسالت
۱۴۵	۱۷	« روش
۳۹۶	۲	« سبب‌آمد
۲۶۵	۱۲	« سبب‌ادهم
۱۸۵	۲۱	« سبب‌بد
۲۱۷	۲۶	« سبب‌بر
۴۱۹	۲۴	« سبب‌بیغمبر

صفحه	سطر	اول بیت
۱۱۱	۱	زین سبب تو
۲۷۷	۱۲	« « جان
۴۰۳	۳۵	« « در
۸۴	۹	« « عیسی
۱۶۳	۲۷	« « فرمود
۴۰۰	۱۵	« « فرمود
۳۶۴	۳۸	« « قل
۴۱۸	۴۰	« « که علم
۱۶	۲۴	« « من
۴۲۴	۱۵	« « میگوید
۱۶۷	۱۶	« « نبود
۴۲۰	۲۴	« « هنگام
۲۵	۱	« سپس من
۱۴۶	۱۹	« سپس میجو
۳۷۰	۳۰	« سحرتا
۱۷۶	۲	« سخن داود
۴۱۹	۳۸	« سخن قاضی
۳۵	۱	« سخن گر
۲۳۸	۳۱	« سراز
۳۴۲	۲۲	« سرپشته
۱۲۳	۶	« سفرچون
۱۱۳	۴۰	« شکستن
۱۴۳	۳۸	« شکنجه
۷۴	۲۲	« شود
۱۱۶	۱۹	« ضرورت
۸۰	۲۵	« طلب
۱۷۰	۵	« عجب
۳۲۷	۹	« عذاب
۸	۱۳	« عصا
۳۵۳	۱۳	« غمام
۲۲۳	۱۸	« فلان و
۱۶۱	۲۸	« قبل
۴۰۶	۳۶	« قدحهای
۲۶۹	۹	« قدم
۳۹۵	۸	« کششها
۱۴۱	۱۶	« کمین
۲۴۰	۳۴	« کندنفرین
۳۶۶	۲۷	« گذرکن ای
۲۰۲	۳۸	« گذرکن باز
۳۲۶	۷	« گذرکن پند
۲۰۱	۲۷	« گذرکن جان
۴۲۰	۲۱	« گنه
۴۱۱	۱۹	« لسان
۲۷۴	۲۶	« لعب
۴۹	۲۸	« للناس
۳۰۹	۶	« مقام
۳۷۲	۳۴	« مناره
۴۲۲	۳۶	« منی
۳۱۰	۳	« نسق آید
۱۲۷	۳	« نسق اوصا
۱۹۲	۲۰	« نسق غم
۴۹	۲۳	« نسق میگفت
۱۲۵	۸	« نشان
۲۶۹	۱۰	« نظر
۱۴۴	۲۸	زین نمط اوصد
۱۹۶	۱۲	« بسیار آه
۲۲	۳۶	« بسیار بر
۱۰۵	۳۱	« بیهوده
۱۲۷	۵	« دارند
۴۶	۳۱	« زین ماجر
۱۳	۲	« زین نوع
۳۸۸	۳۰	« میگفت
۴۲۵	۲۶	زین نمی کو
۲۷۵	۶	« وصیت
۳۵۵	۳۱	زینهارای جاهلا
۵۷	۱۹	زینهه انواع دا
۱۳۹	۷	« انواع نعمت
۲۱۳	۵	« بگذر
۳۸۴	۳۵	زین همی گوید

حرف ژ

صفحه	سطر	اول بیت
۲۴۱	۱۵	ژندهاز
۳۱۵	۱۴	ژغژغ آن زان
۱۴۱	۲۳	« آن عقل
۱۵۴	۳۲	« دندان
۲۶۵	۳۳	ژیغ ژیغ

حرف س

س ـ ا

صفحه	سطر	اول بیت
۳۲۴	۲۱	سائل آن باشد
۳۷۱	۱۶	سائلی آمد
۲۸۶	۳۳	« بگذشت
۳۳۵	۱۲	« پرسید
۲۱۳	۱۵	سابم از
۲۳۰	۳۷	ساجد و مسجود
۴۱۶	۳۱	ساحران آورده
۸	۱۳	« باموسی
۳۴	۲۸	« چون
۳۴	۲۶	« درعهد
۳۸۶	۳۱	« راچشم
۱۶۵	۴	« رانی
۲۸۶	۱۲	ساحرانش
۱۵۶	۳۳	ساحران قصد
۲۹۵	۳۹	« مهتاب
۳۹۶	۴۰	« واقف
۳۰۷	۳۶	ساحرانه اش
۲۴۹	۱۳	ساحرانهم
۲۶۷	۱۷	ساحرهٔ دنیا
۲۸۶	۱۰	ساحری صحن
۴۳۱	۲۴	ساخت پاگاه
۴۳۱	۳	« زاد
۱۸۵	۱۵	« سرگین
۱۲	۱۱	« طوماری
۱۸۵	۱۳	« موسی
۴۳۴	۲۵	ساخته آنجا
۴۳۰	۴	« درشهر
۴۳۴	۳۰	« شهری
۴۴۱	۱۷	ساختی این
۱۴۸	۸	ساختی خودرا
۳۸	۱۱	« مکری
۲۱۴	۱۵	سادساز
۲۲	۱۳	ساده مردی
۱۰۲	۱۶	سؤراو
۳۹۸	۱۰	ساربانا
۳۹	۳۴	سازداسرافیل
۴۳۴	۴۰	سازدت آزاد
۴۳۰	۶	سازمت
۱۰۵	۳۰	سازم و
۱۷۰	۲۵	ساعت از
۱۲۲	۳۴	ساعتی آن
۱۹۹	۱۶	ساعتی افتاد
۳۳۸	۱۹	« اوبا
۱۷۰	۲۲	« باآن
۳۳۸	۱۹	« بابخت
۲۳۱	۳۳	« بادم
۳۲۶	۱۵	« بسیار
۲۷۰	۳۲	« بگریست
۲۷۱	۱۶	« بنشست
۱۰۲	۲۱	« بیخود
۳۶۱	۲۵	« بیدار
۱۷۰	۲۴	« بیرون
۱۶۹	۱۴	« بی عقل
۲۴	۱۴	« تأخیر
۱۱۱	۱۵	« درروی
۳۵۶	۳۵	« دروی
۳۴۷	۱۶	« شان
۲۲۰	۳۰	« شد
۹۹	۱۷	« کافر
۱۰۰	۳۶	« گرگی
۷۹	۵	ساعدشه
۲۵۹	۱۸	ساغر صدق
۴۳۴	۴۰	ساغر واو
۳۱۴	۲۱	ساقی حلم
۲۸۱	۶	ساکنش کرد
۹۸	۲۵	سال بیگه
۲۸۲	۸	« دیگر آمد
۱۴۱	۳۶	« دیگر گر
۹۸	۲۲	« شصت آمد
۳۷۶	۷	« قحط
۱۱۹	۱۸	سالکان راه را
۱۶۷	۲۹	سالکان راه هم
۴۳۲	۳۳	« عارف
۴۴۳	۱۵	سالک راه
۴۳۰	۱۷	« عارف
۵۵	۲۴	سالم از دزدان
۳۳۷	۲۲	سال و مه در
۱۶۸	۳۸	« و مه رفتم
۱۲۵	۳۶	سالها ابلیس
۱۵۱	۴۰	« ادرار
۳۸۴	۲۵	« اندر میانشا
۲۷۴	۱۲	« اندر نباتی
۲۰۷	۱۱	« اورا
۲۶۴	۲۴	سالها این دوغ
۳۶۴	۱۱	« این مرگ
۵۲	۲۶	« بایدکه
۴۷	۱۰	« بروعده
۱۷۴	۵	« بوده است
۱۶۸	۳۵	« پرم
۳۹	۲۹	« توسنگ
۱۳۴	۳۵	« جستم
۱۰۷	۲۸	« خر
۳۲۸	۲	« خوردی
۳۶۱	۲۱	« دربند
۱۷۳	۳۶	« درحسرت
۱۵۱	۴۳	« دفع
۱۱۷	۱۸	« ره
۳۸۰	۵	« زو
۷۳	۲۵	« گرظن
۱۸۳	۴۱	« گفتند
۸۷	۱۰	« گوید
۲۷۴	۵	« مردی
۳۱۶	۴۱	« میکرد
۱۳۴	۲۳	« میگشت
۳۵۹	۳	« هم
۴۴۴	۲۴	سالی درحی
۱۱۰	۲۶	سامری خود
۳۸۹	۲۳	سامری را
۱۰۹	۲۱	« وار
۱۸	۸	سایران در
۳۶۹	۲۵	سایس اسبان
۳۶۹	۲۵	سایسی کردی
۱۶۹	۲۴	سایه آنرا
۲۱۲	۲۶	سایهائی کان
۲۷۴	۱۵	سایه اش فانی
۳۹۸	۱۳	« گر
۸۸	۳۵	سایه اصلست
۷۳	۳۹	« امن
۲۱۶	۲۴	« اورا
۳۹۶	۳۰	« بوده
۲۱۴	۱۷	سایهٔ حق
۵	۱	« خواب
۱۶۵	۶	« خودرا
۳۶۱	۲	« خویش
۳۳۷	۳۳	سایه در روز
۹۵	۱۶	« راتو
۴۰۸	۴	سایهٔ رهبر
۲۷۴	۱۵	« شاخ
۱۱۳	۸	سایه شاهان
۲۶۹	۲۵	« طوبی
۱۹۷	۶	« کبود
۵۷	۴	سایهٔ مرغی
۲۱۲	۲	« وعاشقی
۱۱	۱۳	« یزدان بود
۱۱	۱۲	سایه یزدان چو

س ـ ب

صفحه	سطر	اول بیت
۳۴۴	۱۷	سبح لله
۵۰	۲۰	سبز کردم
۲۹۳	۹	سبز و اراست
۶۵	۹	سبزها گویند
۲۶۹	۱۹	سبزهٔ جان بخش
۲۶۹	۱۸	سبزه رویاند
۲۶۹	۱۹	« گردی
۴۳۳	۳۱	« گشته
۲۷۲	۸	سبطی آندم
۳۸۳	۸	« انداین
۴۴۲	۳۹	سبطیان در
۲۷۱	۱۱	« زان
۲۷۲	۸	سبطی و قبطی
۲۸۲	۴	سبق برده
۲۷۶	۱	« بیچون
۳۰۶	۸	« رحمت بر
۲۸۷	۱۷	« رحمت راسد
۳۰۷	۵	« رحمت گشت
۳۶۱	۶	سبلتان توبه
۲۵۵	۲	سبلتت را
۲۹۵	۲۶	سبلت تزویر
۲۴۷	۹	سبلتت گنده
۲۵۵	۲	سبلت تو تیز
۴۴۲	۱۲	« خود

س ـ (ت ـ ج)

صفحه	سطر	اول بیت
۲۱۳	۲۹	سترچه
۴۱۹	۱۳	سترکن تا
۳۸۳	۱۷	سجده آدم
۹۷	۲۸	« آمد
۲۹۲	۳۹	« آوردند
۱۰۸	۳۱	سجده امیکرد
۱۶۲	۴	سجدهٔ خلق
۳۸۶	۳	سجدهٔ خودرا
۱۶۲	۲۶	سجده کردند و بگ
۱۵۱	۴۲	« کردند و بگ
۲۶۷	۴	« کرد و بر
۳۴۸	۹	« کرد و پس
۱۳۰	۱۰	« کرد و رفت
۶۲	۱۵	« کرد و گفت
۱۷۵	۱۸	« کرد و گفت
۳۴۶	۱۸	« کن صد بار
۴۲۰	۱۱	« گاه لا
۱۳۱	۲۱	« گاهم
۲۲۲	۸	« گه را
۲۶۶	۳۲	« میکرد او
۲۸۱	۴	« میکرد او
۲۷۷	۱۴	« میکردند
۶۵	۲۸	« ناوردند
۹۷	۲۹	« نتوان
۴۴۷	۳۹	سجع قمری

س ـ (ح ـ خ ـ د)

صفحه	سطر	اول بیت
۸	۱۲	سحر را با
۲۴۲	۳۴	« رفت و
۷۳	۱۶	« عین است
۲۰۲	۳۰	سحرگاهی را

صفحه	سطر	اول بیت
۲۸۹	۱۳	سحر وضد
۲۴۲	۲۵	« های
۳۷۳	۱۹	سخت بیرحمی
۱۹۸	۶	« بی‌صبر
۳۶۹	۱۷	« پس‌پس
۲۱۳	۲۲	« پنهان
۳۶۴	۱۰	« ترافشرده
۱۹۸	۳۴	« ترشد
۳۸۱	۳۵	« جانی
۲۶۷	۲۴	« چون‌آید
۷۷	۳۱	« خاك
۲۲۴	۲۰	« خوش
۲۴	۱۶	« درماند
۱۷۶	۱۱	« راسخ
۴۳۱	۴۷	« رنجید
۳۸۱	۳۸	« روئی که
۲۲۱	۲۴	« روئی‌گر
۲۰۳	۳۵	« روشد
۲۲۶	۲۴	« زیبالیك
۱۵۷	۳۲	« گبرد
۱۵۷	۳۳	« گبری‌و
۲۱۳	۲۷	« مست‌و
۳۷۸	۱۵	« میتولی
۳۴۵	۳۵	« میخندید
۳۷۸	۱۵	« میرنجی
۲۷۰	۱۷	سخرهٔ ابلیس
۸۰	۴	« حس
۲۵۴	۴۱	سدشدی
۱۸۴	۱	سده‌چون‌شد
۳۰۷	۴۰	« ودیدان
		س ـ ر
۳۱۱	۲۴	سراب
۱۸۲	۲	سرآنخرگوش
۴۱	۱۱	« ازآن‌خواب
۶۵	۱۴	« ازآنرو
۴۰۶	۲۳	« استثنا
۳۹۴	۷	« الناس
۳۳۲	۴۹	« اوبامن
۳۱۶	۳۴	« اودانست
۴۲۵	۱۴	« اوراچون
۶۸	۲۲	« امسینالکر
۶۸	۲۳	« امسیناو
۸۶	۱۲	« این
۱۷۹	۲۷	« بیخشد
۲۷۹	۲۴	« بیراین
۳۴۲	۱۶	« بیرش
۲۰۴	۱۶	« بیرم
۳۳۳	۷	« بجنبانید
۴۰۹	۳۸	« بدی‌پیوسته
۲۳۰	۲۱	« برآردآفتاب
۱۷۱	۳۴	« برآردازرکو
۲۶۰	۴	« برآردازز
۱۷۱	۳۵	« برآرداو
۳۴۸	۲۸	« برآرد

صفحه	سطر	اول بیت
۱۲۸	۲۳	سربرآوردنداز
۲۹۵	۲۸	سربرآوردندباز
۳۰۸	۳۵	« برآورهمچو
۲۷۴	۱۱	« برون
۱۷۲	۱۰	« برهنه
۱۱۸	۱	« بریدن‌چیست
۱۵۲	۸	« بریدندش
۱۴۰	۴	« بریدن‌واج
۴۴۶	۱۹	« بریدیش
۲۸۷	۱۵	« بریده‌از
۴۱۴	۱۲	« بریده‌مرغ
۴۴۴	۱۵	« بسربر
۱۳۹	۳۱	« بسرگوش
۲۳۸	۳۴	« بکوب
۲۲۰	۲۸	« بگوشش
۲۷۰	۲۱	« بلندم
۲۰۴	۱۵	« به‌پیش
۳۴۶	۱۰	« بیخ‌هر
۴۳۳	۱۷	« پاك
۹	۲۱	« پنهان‌است
۲	۱۸	« پنهانست‌اند
۳۳۵	۲۸	« چارق
۴۲۲	۳۵	« چرابندم
۲۹۳	۳۶	« چنین‌کرداو
۱۷۰	۲۲	« چنین‌کردند
۷۲	۲	« چه‌می‌پیچی
۹۶	۷	« سرخ‌روئی
۵۱	۳۰	« شد
۱۰۳	۲۹	« وسبز
۱۰۷	۱۴	سرخون‌و
۴۴۶	۴۱	« خبر
۲۱۹	۳۱	سردبود
۱۸۷	۲۹	سردراندازم
۳۵۴	۱۶	« دیگر
۷۲	۹	« زخفتن
۸۵	۱۳	« زشکر
۲۰۱	۵	« زهر
۴۳۳	۱۴	« سبحان
۳۱۵	۲۰	« سیه
۲۲	۲۸	« شکسته
۱۹۱	۳۲	« غیب
۳۴۸	۵	« فروانداختند
۴۳۹	۲۹	« فروبردر
۲۲۹	۲۵	« فروکردند
۴۴۱	۳۷	« فکند
۳۵۷	۲۱	سرفهٔ بشنید
۸۴	۲۷	سرکجا
۷۰	۳۰	سرکشان‌را
۱۳۹	۳۱	سرکشدگوش
۱۷۳	۱۷	سرکشیدی‌تو
۵۱	۲	سرکشی‌از
۲۶۹	۲۱	سرکلاه‌چشم
۱۰۷	۳۵	سرکه‌افزودیم
۳۳	۲	« راگرراه

صفحه	سطر	اول بیت
۱۳۵	۸	سرکه‌راگرگرم
۴۸	۳۵	« مفروش
۳۲۲	۱۶	« نه‌ساله
۶۳	۲	« مارا
۵۴	۱۷	سرمپوشان
۲۹۸	۱۰	« مدزد
۴۴۶	۴۲	« مکش‌از
۲۳۹	۱۰	« مکش‌اندر
۴۳۵	۴۴	« مکش‌گر
۲	۴	« من‌از
۴۰۸	۳۶	« موتوا
۳۰۷	۴۲	سرمهٔ توحید
۲۹۷	۴	سرمه‌را
۱۴۷	۱۱	سرمهر
۲۷۰	۸	سرمه‌کن
۴۱۳	۱۶	سرنخواهی‌برد
۱۰۹	۲۳	« که
۵۸	۲۶	سرنداردکز
۲۴۴	۱۹	سرنگون‌از
۳۷۲	۳۵	« افتادگا
۲۴۰	۳۲	« خود
۳۴۰	۹	« زان
۴۳۲	۲۳	« کرد
۴۱۳	۲۳	سرنگونم‌هین
۹۱	۳۲	سرنگون‌می‌افتد
۲۷۵	۹	سرنگونی‌آن
۴۳	۲۷	سرنهاد
۸۳	۲۲	سرنهد
۴۴۱	۱۵	سرواین
۴۳۳	۳۶	سرودرعالم
۴۶	۱۱	سروران‌مکه
۱۳۱	۴۲	سروری‌چون
۱۳۱	۴۱	« زهر
۴۴۶	۱۹	سروفتح‌ما
۴۲۲	۳۶	سروقد
۴۴۴	۲۰	سروونسرین
۳۹۶	۲۷	سرهمان
۱۶	۷	« همه‌بر
		س(ع ـ غ ـ ف ـ ق)
۲۷۹	۱۴	سست‌چشمانی
۳۱۶	۳۶	« خندید
۲۹۵	۶	سستی‌او
۳	۱۹	سستی‌دل
۴۲۸	۲	سعدالاعداد
۲۱۷	۴	سعددارش
۳۹۳	۲۳	« دیدی
۳۴۱	۱۴	« ونحس
۱۷۹	۱۱	« هاو
۲۲	۲۴	سعی‌ابرار
۲۱	۳۳	« شکر
۲۸۳	۶	سعیکم‌شتی
۱۱۴	۱	سعیها‌کردند
۱۴۶	۳۳	سغبهٔ صورت
۱۸۶	۶	سفرهٔ او

صفحه	سطر	اول بیت
۱۳۸	۳	سقف‌گردون
		س (ك ـ گ ـ ل ـ م)
۲۴۸	۲	سکسکانید
۲۶۱	۳۵	سکه‌شاهان
۳۰۳	۳۰	سگ‌بچه
۳۲۹	۳۳	« بخفته
۱۲۰	۱۵	« چواز
۳۹۵	۱۵	« چوبیدار
۱۱۵	۱۸	« چوعالم
۱۸۳	۱۹	« زمستان
۲۰۴	۲۷	« شکاری
۱۱۵	۱۹	« شناسا
۱۷۹	۲۰	« کلبچه
۱۱۵	۱۴	« کند
۸۶	۳۵	« نهٔ
۲۱۰	۳۳	« نیم
۸۵	۳۸	« وظیفه
۱۷۶	۵	« هماره
۱۹۹	۶	سلسلهٔ این
۳۵۵	۲۸	« زرین
۱۷۹	۱۸	سله‌برتو
۳۱۳	۱۷	سمع‌شو
۴۲۴	۳۱	« وطاعت
		س ـ ن
۲۹۴	۲	سنبل‌ولاله
۱۸	۱	سنت‌بد
۳۰۵	۱۳	« وعادت
۳۰۵	۱۲	سنتی‌بنهاد
۱۸۶	۲۳	سنقرآمد
۱۸۶	۲۷	« آنجا
۱۱۱	۳۵	سنگ‌آورد
۱۵۳	۱۸	« احمد
۱۷۷	۳	« باتودر
۲۱۴	۱۹	« برآهن‌زد
۱۹	۳۶	« برآهن‌زنی
۱۷۶	۳	« برسینه
۲۳۱	۳۹	« بیجرم
۲۲۳	۳۹	« بیجمال
۱۷۳	۲۵	« پرگردی
۱۷۸	۱۸	« خارا
۳۸۴	۳۴	« در
۱۸۳	۳۰	« راصد
۳۳۱	۳	« راگر
۱۸۳	۳۷	« راگوئی
۳۲۹	۲۹	« راهرگر
۱۱۱	۳۶	« روی
۲۵۴	۲۴	« ریزه
۳۳	۷	« سرمه
۲۲۸	۴۰	« می‌بارید
۱۷۶	۲۶	« می‌گردد
۱۰۹	۱۲	« وآهن‌اول
۱۹	۳۷	« وآهن‌خود
۱۸	۱۹	« وآهن‌در
۱۵۴	۳۰	« وآهن‌رابد

صفحه	سطر	اول بیت
۳۴	۱۲	سنگ‌وآهن‌راه
۱۸	۱۸	« زا
۱۰۹	۱۱	« زیند
۲۷۶	۱۲	« مول
۴۴	۱۹	سنگهااندر
۳۴۷	۲۸	« درآستین
۱۲۳	۲۴	سنگهاش‌اندر
۳۰	۹	سنگهاوکافران
۱۴۸	۴۰	سنگهای‌امتحان
۱۷۷	۴	سنگهایت‌صد
۱۶۱	۵	سنی‌از
		س ـ و
۸۹	۲۲	سوبسو
۲۰۷	۲۸	سوخت‌پرش
۴۳۶	۴۲	سوختش
۳۶	۱۹	سوختم‌من
۳۶	۲۰	سوخته‌چون
۳۷۱	۲۵	سوداو
۴۳۷	۸	« خودرا
۲۵۰	۳۸	« ندهد
۴۰	۲	سورة‌الرحمن
۴۴۴	۴۲	سورهٔ‌والکهف
۲۸۱	۱۰	سوزمهرو
۱۲۸	۲۳	سوزن‌زرین
۴۴۵	۳۴	سوزنی‌باآن
۴۴۵	۳۰	سوزنی‌را
۲۸۵	۳۹	سوی‌آن‌آتش
۳۱۰	۷	« آن‌امید
۱۹۳	۱۴	« آن‌مرغابیه
۲۶۱	۱۸	« آن‌هنگامه
۴۰۶	۱۹	« آهوئی
۲۹۴	۲۶	« اضلال
۱۳۵	۲۴	« انگوری
۴۰۸	۹	« اونه
۳۸۲	۱۰	« اونی
۴۰۶	۳۷	« باده
۲۵۸	۳۲	« بام‌آمد
۱۹۶	۴	« بحث
۲۷۱	۳۴	« تودانه
۲۷۱	۳۳	« توماهست
۲۰۰	۴	« تیغ
۳۸۸	۴۰	« جامع
۲۵۸	۳۱	« جنس
۲۶	۲۲	« چاهی‌کو
۲۷۲	۲۵	« چشم‌خود
۳۸۶	۷	« چشمه
۹۹	۶	« حسی‌رو
۲۲۵	۳۱	« حق‌گر
۱۷۷	۳۹	« حوضت
۱۴۲	۱۴	« خانه‌خویه
۱۱۹	۷	« خانه‌گور
۱۰۹	۱۴	« خرس
۴۱	۲۶	« خلقان
۱۴۸	۲	« خوداعمی

صفحه	سطر	اول بیت
۴۰۲	۳۴	سوی خودکن
۱۴۶	۳۳	« دام
۲۵۱	۲۳	« دریا
۲۳۸	۳۲	« دشت
۶۰	۱۴	« دلاکی
۴۲۵	۴۱	« دوزخ
۳۰۹	۲۳	« دیوان
۲۲۷	۳۹	« ساحل
۱۱۶	۳۶	« سوراخی
۳۶۴	۲۸	« شادروان
۱۳۹	۲۳	« شامست
۶	۱۹	« شاهنشاه
۱۲۸	۲۶	« شهراز
۱۴۹	۲۸	« طاوسان
۳۲	۲۳	« عقل و
۱۴۳	۲۹	« فارس
۸۹	۴	« قاضی
۲۶۷	۱	« قبله
۵	۲۸	« قصه
۱۸۷	۳۷	« کتبان
۲۳۵	۱۱	« کسب و
۴۰۵	۲۴	« کفرش
۴۲۵	۳۴	« گل خود
۳۸۳	۲۸	« گردون
۲۶۷	۲	« گورستان
۲۶۶	۳۹	« گورستان
۴۴	۳۳	« گورستان
۳۷۵	۳۷	« گوش
۱۲۲	۳۷	« لطف
۱۹۲	۲۲	« مردن
۱۱۳	۱۳	« مکه
۲۲۷	۲۷	« من آمد
۴۸	۴	« من منکر
۲۳۱	۱۳	« منزلها
۴۴۷	۳۶	« میخانه
۱۵۱	۳۶	« میدان
۲۹	۲۵	« نخجیران
۳۸	۲۳	« هندستان
		س-ه
۴۲۴	۲۹	سه پسر
۲۶۷	۸	« شبانروز
۴۳۱	۲۰	« گواهند
۳۵۶	۳	سهل باشد
۳۶۸	۷	« دادی
۴۰۸	۲	« دانستیم
۳۰	۱۵	« شیری
۱۶۰	۳۶	« کردان
۱۹۶	۴	« گیرش
۱۰۸	۱۵	سهم آن
۸۶	۳۶	سهو باشد
۲۹۱	۳۵	« ونسیان
۲۲۴	۲۷	سه هزاران
		س-ی
۳۱۶	۲۲	سیئاتت را

صفحه	سطر	اول بیت
۱۲۵	۱۶	سیئاتم چون
۱۲۵	۱۶	« شد
۱۰۸	۸	سیب پوسیده بس
۱۶۹	۲۶	« پوسیده همی
۱۰۸	۹	« چندان
۳۹۹	۲۴	« روید
۹۲	۳	« وآبی
۱۱۳	۱۷	سیدالاعمال
۳۸۹	۳۰	سیدترمد
۳۸۹	۱۲	« سادات
۳۶۸	۲۳	« کونین
۱۸۷	۳۹	« وسرور
۱۴	۷	سیر بیرونیست
۱۰۰	۳۶	سیر تی کان
۱۶۹	۱	سیر جان بیچون
۱۶۹	۲	« هر
۱۶۹	۲	سیر جسمانه
۱۴	۹	« جسم خشك
۱۲۶	۹	« چشمان را
۸۱	۳۰	« زاهد
۳۱۵	۴۸	« عارف
۳۰	۱۰	« کشتی
۴۲۹	۱۸	« کن در
۱۴۶	۴۱	« گشته
۳۴۹	۲۵	« نبود
۱۸۳	۲۶	« نوشی
۱۷۹	۲۵	سبزده
۱۸۴	۱۳	سیصدونه
۳۲۴	۳۴	سیف وخنجر
۳۹۰	۳۹	سیلئی در
۲۷۲	۱۴	سیل بود آنکه
۳۳	۵	« چون
۱۶۷	۲۸	« وجو
۳۷۲	۲۴	سیلیش اندر
۳۹۲	۲۶	سیلی نقد
۲۹۶	۱	سیم بر بایند
۱۵۵	۲۷	« برده
۱۵۵	۲۸	« برده
۲۹۸	۶	« وزر
۲۰۲	۲۰	سینه اش را
۱۹۲	۱۶	« بازو
۴۱۳	۲۱	« پرآتش
۲	۲	« خواهم
۲۵۱	۲۴	« رایا
۳۰۴	۴	« سوزان
۲۳۱	۱۵	« کوبان
۶۳	۸	سینها صیقل
۶۸	۳۴	«
		حرف ش
		ش-ا
۲۵	۳۱	شاخ آتش
۱۲۰	۲۷	« تلخ
۲۵۴	۳۵	« تیزت

صفحه	سطر	اول بیت
۱۴۸	۱۸	شاخ خشك از
۱۴۸	۱۷	« خشك و تر
۵۰	۱۷	« را
۳۵۴	۲۶	« گل
۳۴۶	۱۲	« واشکوفه
۲۹	۱۹	« وبرگ از
۲۹۸	۱۴	« وبرگ نخل
۲۶۸	۲۰	شاخها رقصان
۳۵۳	۶	شاخهای تازه
۲۳۶	۵	شادآنشاهی
۲۴۵	۲۶	« آن صوفی
۱۴۵	۲۶	« ازغم
۱۴۵	۲۵	« ازوی
۲۶۵	۲۵	شادئی آمد
۲	۱۶	شادباش ای
۵	۳۶	« و
۲۳۳	۲۰	شادباشید
۱۸۳	۶	« پرو
۲۱۰	۱۶	« شدجانش
۴۳۱	۱۶	« شدگفتا
۹۴	۲۸	« گشتی
۱۴۵	۲۱	شادمانان
۱۴۶	۵	شادمانه
۱۸۳	۱	شادمرغی
۲۵۲	۱۱	شادمیشداو
۴۳۲	۳۸	شادوخندان
۹۷	۸	شادی اندر
۲۶۲	۱۱	« بچگان
۲۷۲	۲۲	شادیت راغم
۲۶۵	۲۹	شادی تن
۳۴۰	۲۲	« هرروز
۱۲۹	۳۰	شارب خمر
۴۳۸	۱۳	شارح برهان
۲۳۵	۳۰	شاعر اندر
۲۳۵	۳۰	شاعرش چندان
۲۳۴	۲۸	شاعری آورد
۵۹	۳۰	شاوروهن
۲۶۷	۴	شاه آئین بست
۴۱۰	۲۵	« آمد
۱۲۸	۱۱	« آن باشد
۷	۱۱	« آن خون
۱۰۱	۳۱	« آن دان
۹	۱۱	« احول
۱۰۳	۱۵	« ازآن اسرار
۱۵۱	۲۰	« ازآن هیبت
۹	۱۶	« ازحقد
۴۳۵	۱۰	« ازوخواهد
۳۸۳	۲۶	« امروزبنه
۲۶۵	۳۰	« اندیشید
۴۳۹	۶	« اینك
۹۴	۲۳	« باو
۳۴۶	۲۵	« باخودآمد
۲۶۵	۲۷	« باخودگفت
۳۳۸	۷	« بادلقك

صفحه	سطر	اول بیت
۴۱۰	۱۰	شاه باساقی
۴۲۹	۳۱	« بالشکر
۲۶۶	۳۰	« بس
۹	۳۰	« بوئی
۴۴۷	۴۰	« بودم
۷	۱۷	« بودو
۱۵۶	۳۱	« بیدار
۳۵۸	۷	« بیرون
۲۹۹	۱۲	« پرسبدش
۱۸۰	۳۰	« پیلان
۸	۲۷	« جان مر
۴۲۴	۲۰	« چون از
۲۶۶	۱۷	« چون با
۲۱۱	۳۸	« چون دید
۱۰۰	۱۲	« چون شیرین
۳۴۷	۲۲	« چون کرد
۳۴۷	۱۹	« خلعت
۲۶۶	۱۱	« خودآن
۴۴۵	۲۲	« خودعالم
۵۳	۱۸	شاهدت که
۶۴	۳۰	شاهدتو
۲۴۴	۱۰	« شاهد
۳۹۴	۳۶	« مطلق
۴۴۵	۴۸	شاهدی بر
۴۰۳	۱۵	شاهدیدآن
۶	۲۰	« دیداورا
۲۹۷	۳۰	« دیدش بس
۴۲۱	۳	« دیدش گفت
۲۸۲	۳۴	شاهدیش
۲۹۵	۹	شاهدی کز
۲۲۹	۲۰	شاه دین را
۲۵۴	۳۳	« رابابد
۳۹۴	۲۲	« رابرتخت
۳۱۰	۲۵	« رابروی
۲۳۹	۵	« رادرخانه
۴۲۲	۳۸	« رادل
۳۹۵	۱۳	شاهراشرم
۳۱۴	۱۹	« غافل
۳۷	۱۲	« راغبرت
۲۹۷	۲۹	« راگفتنداش
۳۱۰	۱۸	« راگفتنداو
۱۰۵	۲۴	« راگوید
۴۱۷	۱۴	« رامکشوف
۱۱۶	۳۶	شاهراه باغ
۴۲۰	۱۴	شاهزاده پیش
۲۶۷	۶	« در
۴۱۷	۱۸	« نزد
۳۱۰	۲۹	شاه شاهانست
۲۳۶	۶	« عادل
۲۳۶	۷	« فرعون
۴۴۱	۳۵	« فرمان
۳۱۰	۱۹	« فرمود
۱۴۴	۲۶	« کارنازکم
۲۹۴	۱۵	« گردد

صفحه	سطر	اول بیت
۹۳	۳۰	شاه گفت اکنون
۶	۸	« گفت اکنون
۲۴۶	۱۹	« گفت ای
۹	۲۱	« گفتش بس
۴۱۳	۱۵	« گوید
۴۱۳	۱۴	« ماخود
۴۴۰	۲۱	« مارا
۳۳۷	۹	« مردان
۲۳۴	۲۸	« مکرم
۳۱۲	۱۸	« میدانست
۳۴۴	۵	« موصل
۲۷۱	۲۶	شاهنامه یا
۹	۲۹	شاه واقف
۱۶۰	۱۹	« وسلطان
۱۵۵	۳۰	« ولشکر جمله
۱۹۷	۳	« ولشکر حلقه
۴۱۷	۲۵	شاهی وشهزادگ
		ش-ب
۱۳۱	۶	شب بیردش
۴۶	۲۸	« بخفتم روز
۱۰۴	۱۴	« بخفت و
۱۲۱	۳۹	« بخواب
۲۲۳	۱۱	« بهرخانه
۱۹۷	۱۳	« پدید
۵۴	۲۵	« پرانرا
۱۰۷	۲۴	« چراغت
۲۰۸	۲۲	« چنین با
۳۷۷	۲۰	« چوروز
۳۶۱	۲۴	« درآن
۳۸۳	۲۳	« روان و
۳۲۷	۳۷	« زاندیشه
۳۱۹	۱۷	« زدردیشت
۱۰	۲۲	« ززندان
۱۵۱	۳۲	« ستارهٔ
۳۵۹	۷	« شدو
۳۸۶	۳۶	« شکسته
۲۸۵	۲۵	« شوددر
۱۱۹	۶	« شوددر
۱۴۷	۳۳	« غلط
۷۵	۱	« کند
۲۶۳	۱۹	« کشاه
۴۷	۲۶	« گذشت
۳۰۱	۱۶	« گریزد
۳۳۶	۷	« گهی کردند
۲۰۰	۱۷	« مخسب
۲۵	۲۱	« نبدنور
۳۷۷	۵	« ندزدیدی
۲۵	۲۱	« ندیدی
۳۸۶	۳۸	« نرفتی
۱۴۷	۲۱	« همه شب جمله
۱۴۵	۷	« همه شب می
۴۴	۶	شبهمی
۱۹۹	۲۳	شب همی جوشم
		ش-(ح-خ)

صفحه	سطر	اول بیت
۳۷۴	۱۶	شحم تو در
۴۴۰	۱۶	« ولحم از بهر
۲۱۴	۸	« ولحم زندگا
۱۶۴	۲۳	شحنه آمد
۴۰۳	۲۷	« اجسام
۴۰۹	۱۵	شحنهٔ از
۱۲۴	۲۵	« تقدیر
۱۶۴	۲۰	« حالی
۱۶۴	۱۹	شحنه را
۱۹۹	۲۳	« صدر
۳۸۲	۱۴	شحنهٔ عشق
۵۱	۱۷	« قهر
۱۲۴	۲۶	شحنه گاهش
۳۴۲	۱۸	شخص آمد
۱۱۱	۳۴	« خفت
		ش-د
۴۹	۲۴	شد از آن
۱۱۲	۴۲	« از او
۳۹۴	۳۹	« اسیر
۴۲۰	۲	« اشاراتش
۴۳۶	۳۱	« براو چونکه
۳۵۹	۶	« برهنه
۴۳۸	۴۳	« بزانوی
۴۳۱	۲۲	« بوهن
۳۴	۱۰	« پشیمان
۲۸۰	۱۸	« تقاضا
۲۳۶	۲۶	« تمام القصه
۱۹۸	۱۹	« جهنم
۳۲۰	۲۶	« چنین شیخی
۹۷	۱۸	« حجاب
۷۱	۳۱	« حواس
۹۰	۲۷	« خرنفس
۳۶۸	۱۵	« خلالی
۴۱۰	۲۵	« درازو
۲۷۳	۱۱	« درخت
۳۵۲	۱۳	« دهانشان
۳۸۱	۱۶	« زجیب
۱۴۴	۸	« زحد
۲۴۳	۲۶	« زخشم
۳۱۱	۳۰	« زدید
۹۹	۳۶	« زرنگ و
۲۳۳	۱۱	« زعیسی
۲۳۲	۲۰	« زمین و
۴۱۸	۶	« زن او
۳۹۶	۱۱	« زنش
۳۲۲	۱۸	« زیوسف
۱۸۸	۱۷	« سپید آن
۲۲۷	۱۷	« سخن از من
۲۳	۲۰	« سرشیران
۱۰۸	۲۱	« سرم کالیوه
۳۹۸	۷	« سوی تبریز
۵۱	۳۱	« سیه روز
۱۱۲	۴۰	« شریف از
۵۳	۹	« شفیع

صفحه	سطر	اول بیت
۳۹۳	۳۶	شد صفیر
۳۱۱	۱۷	« عزازیلی
۸۴	۹	« عصا اندر
۱۱۰	۲۳	« عصامارو
۹۶	۲	« غذای
۳۲۳	۳۸	« فراموش
۹۳	۲۴	« فضیل
۴۱۰	۳۲	« فقه و
۳۹۹	۲۸	« فنا
۲۰۷	۱۸	« قیامت
۱۳۵	۱۲	« کبوتر
۱۶۰	۲۸	« مثل در
۲۹۲	۳۸	« محمد
۳۷۱	۳۴	« مصور
۲۶۶	۱۲	« مفازه
۱۵۰	۳۳	« منادی
۱۸۱	۱۰	« مناسب عضو
۱۸۱	۱۲	« مناسب وصة
۱۸	۴	« نثار
۲۱۱	۳۱	« نشان صدق
۸۶	۵	« نماز
۱۸۷	۱۴	« ورادر
۷۷	۹	« هوای
۴۱۵	۲۴	« پینلو
		ش-ر
۴۳۰	۴۵	شراخلاق
۳	۲۰	شربت وادویه
۲۷۲	۱۶	شربتی خوردم
۳۳۹	۲	شربتی کان
۴۴۵	۱۰	« نوشید
۲۳۰	۳۱	شرح آنرا
۳۴۶	۵	« آن گردك
۴۴۶	۶	« ایمان
۶۵	۲	« این از
۳۷	۱۴	« این بگذارم
۳۱۶	۲۹	« این توبه
۲۶۰	۷	« این در آینه
۱۶	۲۳	« این را
۵۳	۱۰	« این فرض
۳۴	۶	« این کوته
۵	۹	« این هجران
۲۷۹	۳	« تو
۱۵۴	۱۶	« حق
۲۹۸	۸	« دارالملك
۴۳۸	۲۳	« رواز
۳۲۰	۲۸	« روضه گر
۳۱۶	۲	« عشق
۴۳۴	۳۲	« قبح
۵۷	۹	« کن
۳۷	۲۹	« گل
۲۱۹	۱۸	« مستوری
۵۶	۴	« میخواهد
۱۴۷	۹	« میکردش
۲۰۵	۱۷	« وحد

صفحه	سطر	اول بیت
۴۰۸	۲۰	شرط آن بد
۱۳۸	۲۳	« تبدیل
۴۱۳	۲	« تسلیم
۲۷۹	۱۳	« تعظیم
۳۶۵	۶	« روز
۴۳۰	۱۱	« مقبل
۹۳	۳۳	« من
۲۹۹	۳	شرع بهر دفع
۳۷۵	۲۰	« بهر زندگا
۱۲۳	۳۱	« بی تقلید
۲۹۹	۵	« راهمچون
۳۸۳	۱۱	« وتقوی
۲۶۵	۲	شرق خورشیدی
۴۴۵	۲۵	شرك اندر سینه
۴۴۶	۶	« رادردل
۴۱۰	۳۱	شرم دارم
۲۴۴	۲۱	« دارو
۱۷۶	۶	« شیران را
۱۰۲	۲۴	شرم آمد که
۳۰۵	۳۳	« آمد گشتم
۲۴۱	۲۱	شرم نامد
۱۹۱	۲۸	« نابد
		ش (س-ش-ص-ع-غ-ف-ق)
۲۳۳	۳۳	شسته در باطن
۱۵۰	۹	شسته صیادان
۲۳۱	۱۰	شش جهت خالی
۳۵۲	۳	« جهت را
۱۸۷	۱۸	« جهت عالم
۸۸	۳۶	« جهت بگریز
۲۶۷	۱۹	شصت سال از
۱۸	۵	شعلها با گوهران
۳۱۰	۱۱	شعله در
۶۶	۸	« را
۲۸۹	۱۸	« شعله
۳۱۱	۲۲	« میزد
۴۱۹	۷	شغل را بگذار
۴۳۲	۳۸	شفقتی در
۳۹۰	۴۱	شق باید
		ش-ك
۳۴۸	۳۲	شکر آن کز
۱۸۳	۱۵	« آن نعمت
۱۴۲	۱۶	« آن نگذاشتن
۲۹۱	۳۷	« از نی
۴۲۴	۸	« او آن
۴۰۰	۱۳	« او شکر
۱۸۳	۲۴	« جان نعمت
۱۸۳	۲۷	« جذب
۸۱	۱۳	« حق را
۱۰۸	۳۲	« حق گوید
۱۱۴	۲۸	« دانستیم
۱۵۸	۱۹	« طوفان
۳۰۴	۳۲	« کاین قلبیش
۴۲۵	۴۴	« کاین نامه
۹۳	۱۶	« کرد ایوب

صفحه	سطر	اول بیت
۴۲۲	۱۱	شکر کن ایمرد
۳۱۹	۴	« کن تا
۶۵	۵	« کن غره
۳۷۵	۲۶	« کن که
۱۱	۲۷	« کن مر
۴۲۲	۱۲	« که مظلومی
۱۸۵	۲۲	« کی روید
۶۶	۲۱	« گوئید
۳۱۸	۳۶	« گویم
۴۴۰	۹	« لله
۱۷۹	۲۶	« منعم
۴۲۴	۲۳	« می کرد
۴۰۰	۱۴	« می کن مر
۴۷	۲۰	« می گوید
۱۱۶	۳۸	« نعمت چون
۱۸۳	۲۴	« نعمت خوشتر
۲۱	۳۴	« نعمت نعمتت
۱۷۹	۲۷	« نعمت نعمت
۱۹۰	۳۵	« هامیکرد
۲۴۳	۳۶	« هاوحمدها
۱۲۲	۴۱	« های آن
۸۰	۱۱	« یزدان را که
۱۰	۱	« یزدان رو
۳۳	۱	« یزدان طو
۲۰۷	۳۳	شکل شعله
۱۵۵	۲۷	« کرباسی
		ش-ل-م
۳۷۳	۳۶	شله از مردان
۳۵۰	۱۴	شمس اگر شب
۹۶	۱۴	« باشد بر
۵	۳	« تبریزی که
۴۴۶	۳۱	« تبریزی تو
۲۱۶	۱۰	« چون عالی
۵	۲	« درخارج
۲۱۶	۱۰	« راقرآن
۴۲۹	۱۵	« فی کبد
۴۲۸	۳	« ومولای
۳۹۲	۱۴	« هم معده
۱۹۵	۱۰	شمع از برق
۲۸۴	۲۹	« اوگریان
۲۸۴	۲۸	« اوگوید
۴۴۷	۴۶	« این دریا
۲۰۷	۲۷	« بود آن
۴۲۸	۳۸	« پندارد
۲۷۳	۳۲	« تاجر
۲۹۰	۷	« چون در
۲۷۶	۳۷	« چون دعوت
۳۸۳	۱۸	« حق را
۴۴۳	۱۴	« رایائین
۳۵۶	۳۱	« راهنگام
۳۵۷	۲۹	« روشن
۲۹۰	۵	« شد
۴۴۷	۴۵	« گردون
۲۸۴	۳۱	« مرده

صفحه	سطر	اول بیت
۱۹۸	۴	شمع مریم
۲۴۳	۱۰	« مقصد را
۴۴۷	۴۲	« من
۲۵۰	۳۴	« نی تا
۳۳۶	۹	« وحلوا
۱۰۸	۱۹	شمع زین حال اگر
۱۰	۲۵	شمع زین حال عار
		ش-و
۱۰۰	۱۹	شور چندان
۱۹۱	۲۷	شورش مرگست
۲۹۲	۱۶	شور میخور
۲۵۶	۱۲	شوره ام را
۲۰۴	۱۸	شوغذا و
۶۳	۲۵	« قلیل
۱۰۸	۱۰	شوم ساعت
۱۵۱	۱	شومی آنکه
۱۲۳	۲۲	« یاری
۳۴۰	۳۳	شوهر از
۳۱۶	۹	شوی خود را
۳۱۶	۱۰	« رابر
۴۱۰	۲۰	« وزنرا
۴۷	۱۸	« گفتش
		ش-ه
۴	۴	شه بجای
۲۶۶	۲۶	« بچه شد
۶	۲۳	« بدو بخشید
۱۱۰	۲۹	« بر آن عقل
۹۶	۴۲	« برای من
۱۵۱	۱۳	« برفت
۲۷۶	۱۶	شهپری
۴	۱۹	شه چو پیش
۵۷	۱۳	« چو حوضی
۴۱۰	۲۶	« چو دوزخ
۳	۲۲	« چو عجز
۲۷۹	۱	« حسام الدین
۶۸	۱۳	« درآمد
۲۷۶	۲۱	شهر از آن
۲۴۷	۳۰	« پردزد
۱۵۳	۳۷	« خالی
۲۷۴	۵	« دیگر بیند
۳۶۴	۱۹	« رابفریبد
۱۷۷	۳۸	« رابگذاشت
۱۷۸	۳۴	« راهشتند
۱۳۴	۲۳	« شهراز
۵	۳۱	« شهرو
۳۲۲	۱۴	« مافردا
۱۴۳	۲۲	« هانزدیك
۲۰۶	۲۸	شهره کاریزیست
۲۱۲	۸	شهره مادر ضعف
۲۱۳	۲۰	شهر هم همرنگ
۱۴۷	۲۴	شهریان خود
۳۶۹	۲۲	شه سواران
۱۵۱	۸	« شبانگه
۳	۱۳	« طبیبان

صفحه	سطر	اول بیت
۳۹۸	۵	شه‌غلام
۹۶	۳۸	« کندتوده
۲۶۶	۲۰	« که‌اواز
۳۹۴	۱۹	« معین‌دید
۳۹۰	۲۳	« نگیرد
۴۲۱	۴	« نوازیدش
۳۰۲	۱۹	شهوت‌ازخوردن
۲۴۰	۳	« ازغالب
۳۶۹	۱۸	« اورا
۲۶۲	۱۶	« خوردن
۲۱۹	۳۵	« دنیا
۲۸۹	۲۰	« رنجور
۳۹۰	۳۱	« کاذب
۱۶۸	۲۶	« وحرص
۷۲	۲۰	« ناری
۲۹۴	۱۹	شهوتی‌است
۹	۱۹	شه‌وزیری
۲۸۰	۱۰	شه‌یکی‌جانست
ش-ی		
۸۵	۲۶	شیخ‌اشارت
۱۶۴	۳۵	« اقطع
۱۳۴	۳۵	« خندید
۱۶۶	۲۳	« دانا
۳۲۵	۶	« درمیگشت
۳۰۰	۲۸	« راچون
۲۲۲	۲	« راکه
۱۳۲	۲۳	« راگفتند
۱۱۶	۱۱	« راندانذر
۱۳۲	۲۵	« روآورد
۱۳۳	۱۵	« روزی‌بهر
۳۲۵	۳۶	« روزی‌چار
۴۴۱	۴۸	« زانوار
۱۲۸	۲۲	« سوزن
۸۵	۳۶	« فارغ
۸۶	۱۱	« فرمود
۹۹	۲۲	« فعالست
۳۱	۱۲	« کامل
۱۰۳	۱۲	« کوبنظر
۱۶۶	۷	« که‌بود
۸۵	۳۰	« گفتااز
۳۲۵	۱۴	« گفتاخالقا
۱۶۶	۱۴	« گفت‌او
۱۳۱	۱۱	« گفت‌این
۸۵	۲۵	« گفت‌این
۳۲۷	۲۶	« میشد
۳۲۱	۱۹	« نورانی‌زره
۳۶۹	۳۰	« نورانی‌زره
۳۲۷	۲۷	« واقف‌بود
۱۲۸	۱۷	« واقف‌گشت
۸۵	۲۲	« وامی
۳۶۶	۴۰	شبدآوردی
۱۴۸	۲۹	« کردی
۱۷۴	۳۸	« می‌آری
۳۵	۱۶	شیرآن‌ایام

صفحه	سطر	اول بیت
۲۶	۲	شیراندر
۱۰۶	۲	« اونوشد
۳۷۶	۳۴	« این‌سو
۶۱	۸	« بااین‌فکر
۲۸	۳	« باخرگوش
۶۰	۱۹	« بی‌دم‌باش
۶۰	۲۴	« بی‌دم‌وسرو
۹	۷	« پشمین
۵۲	۳	« تازه
۶۱	۴	« چون‌دانست
۳۲۸	۸	« چون‌واگشت
۳۹۳	۳۶	« چه‌کان
۷۳	۳۷	« حقم
۱۵۷	۲۷	« خواره‌چون
۱۸۵	۲۹	« خواره‌کی
۲۹	۲	« خودرا
۳۰۶	۳۷	« داده
۷۷	۸	« دنیا
۱۵۵	۲۶	« دوشیده
۱۲۴	۳۲	« ده‌ابمادر
۳۱۸	۱۹	« راباپیل
۱۱۲	۳۹	« رابچه
۶۳	۱۴	« رابرگردن
۲۹	۱۸	« راچون‌دید
۲۹	۱۸	« راچون‌دید
۲۹	۱۷	« راچون‌دید
۲۹	۲۳	« راخرگوش
۲۹	۶	« رادر
۲۸	۳۳	« عکس
۳۸۴	۵	« غران
۳۴۶	۶	« کشتن
۲۲	۲۴	« گفت‌آری
۶۱	۱۳	« گفت‌ای‌گرگ
۴۳۷	۷	« گفت‌این‌باش
۴۳۷	۵	« گفت‌اینست
۴۳۷	۱۳	« گفتش‌آدمی
۴۳۷	۲۸	« گفتش‌ای
۲۸	۲۷	« گفتش‌تو
۲۴۹	۲۵	« گیرارخون
۲۴۹	۲۵	« گیرازشیر
۴۱۰	۱۳	« گیرو
۴۳۷	۹	« لاحولی
۱۰۸	۳۵	« مردانند
۳۶	۲۲	« مستی
۲۴	۳۹	« میگفت‌از
۳۴۴	۳۱	« نر
۱۶۰	۲۲	« وآهو
۳۱۲	۳۲	« وخرس
۳۲۵	۱۸	« وگرگ‌ودد
۶۰	۴۳	« وگرگ‌وروبا
۴۲۲	۸	« واشتر
۲۶	۱۴	شیری‌اندر
۳۱۸	۲۰	شیریکروباه
۲۹۵	۱۳	شیشهای

صفحه	سطر	اول بیت
۳۱۰	۳۲	شیشهٔ‌دلرا
۹	۱۴	شیشه‌یك
۲۸۷	۲۳	شیطنت‌گردن
حرف ص		
ص-ا		
۳۷۸	۳۴	صابرین‌و
۱۷۷	۳۳	صاحب‌این
۳۳۱	۲۰	« باغ
۳۱۲	۲۳	« تاویل‌ایا
۲۴	۳۵	« تاویل‌با
۱۹۱	۸	« خانه‌بخو
۳۲۹	۱	« خانه‌بدی
۳۲۲	۲۵	« خانه‌بگفت
۳۵۷	۲۲	« خانه‌شب
۳۶۴	۳۵	« خرمن
۳۰۳	۱	« دام
۲۹۳	۱۳	« دل‌آینه
۲۹۳	۲۷	« دل‌جو
۳۴	۱۷	« دل‌را
۳۵	۲۶	« ده
۱۱۵	۶	« رایست
۱۳۵	۴	« سری
۲۴۷	۳۶	صاحبش‌دریی
۱۷۴	۴	صاحب‌گاوش
۸۶	۵	« مالی
۱۲۵	۲۴	« مسجد
۱۳۸	۸	صاردکاً
۸۸	۱۱	صاف‌خواهی
۲۸۴	۴۰	« خواهي
۸۰	۱۶	« را
۵۲	۲	« کرده
۵۱	۳۵	صالح‌آن
۵۱	۳۳	« ازخلوت
۲۵۸	۲۱	« ازیکدم
۱۶۶	۵	صالحان‌امتم
۱۲۰	۱۴	صالحان‌راپیشوا
۵۲	۱۶	صالح‌وطالح
۷۳	۱۲	صانع‌بی
ص-ب		
۷۱	۳۳	صبح‌چون‌دم
۳۰۹	۱۵	« حشر
۳۸۶	۲۶	صبحدم‌چون
۴۳۲	۲۹	صبح‌روشن
۳۷	۳۱	« شدای
۹۱	۹	« صادق‌راز
۲۴۳	۶	« صادق‌راط
۳۱۲	۱۳	« کاذب‌آمد
۳۱۲	۱۵	« کاذب‌خلق
۲۴۳	۶	« کاذب‌صد
۳۱۲	۱۴	« کاذب‌کارو
۱۴۴	۵	« نزدیکست
۱۴۴	۶	« نزدیکست
۷۷	۳۲	صبرآردآرزو

صفحه	سطر	اول بیت
۴۱۰	۳۶	صبرآردعاشقان
۸۸	۲۹	« ازایمان
۳۷۳	۲۹	« اگرکردی
۳۴	۱۶	« باشد
۳۸۲	۳۷	« بانااهل
۳۸۲	۳۸	« بانامرد
۴۱۰	۴۱	« بگزیدند
۴	۲۱	« تلخ‌آمد
۳۷۳	۲۷	« جمله
۱۲۷	۱۵	« چون
۳۲۰	۲۴	« درصحرا
۱۶۷	۵	« راباحق
۴۲۵	۱۴	« راسنم
۱۶۶	۳۸	« سوی
۲۹۸	۳۵	« شان
۳۷۳	۲۷	« شیراندر
۸۸	۲۸	« شیرین
۴۱۰	۳۵	« صدر
۱۴۱	۱۵	« کردن‌بهر
۱۲۷	۱۴	« کردن‌جان
۱۶۶	۳۷	« کردو
۱۴۱	۱۶	« کن‌از
۳۱۳	۱۶	« کن‌اندر
۴۸	۳۵	« کن‌با
۶۰	۴	« کن‌بر
۲۶۹	۳۲	« کن‌در
۱۸۶	۲۸	« کن‌نك
۱۶۶	۳۷	« گنجست
۳۸۹	۶	« گبریم
۴۱۰	۳۶	« مفتاح
۴۱۳	۲۲	« من
۳۷۳	۲۶	« مه
۱۹۷	۲۷	« می‌بیند
۲۸۸	۱۷	« نبود
۱۲۸	۱۰	« وایثار
۳۷۲	۲۰	« وپرهیز
۱۸۰	۱۶	« وخاموشی
۲۸۰	۲۷	صبغة‌الله‌گاه
۱۸	۱۳	صبغة‌الله‌نام
۹۹	۳۳	صبغة‌الله‌هست
ص-ح		
۳۷۰	۵	صحبت‌اوبا
۱۴۴	۱۷	صحبت‌اوخیر
۳۷۳	۳۱	صحبتت‌چون
۱۷	۲۱	صحبت‌صالح
۲۶۶	۲۹	« کبیر
۱۴۲	۴	صحبتی‌باشد
۱۴۲	۵	« باشد
۸	۲۶	صحت‌این‌حس
۸	۲۷	« «
۴۳۰	۷	« نفس
۳۲۲	۳۶	صحن‌ارض‌الله
۳۰۲	۲۷	« خانه
ص-د		

صفحه	سطر	اول بیت
۲۲۴	۲۵	صداثردر
۲۵۵	۳	« ازاینها
۲۲۵	۳	« امیداست
۳۷۱	۳۵	« بلبسی
۴۲۲	۳۷	« بیابان
۵۴	۱۴	« پدر
۴۳۰	۴۰	« تبارك
۸۸	۴	« تدارك
۲۹۳	۱۷	« جوال
۴۴۱	۲	« جهان
۲۲۳	۲۵	« چراغت
۱۵۴	۱۱	« چنین‌آری
۲۱۷	۶	« چنین‌ادبار
۲۸۹	۱۹	« چنین‌سگ
۲۹۴	۳۴	« چوآدمرا
۲۱	۱	« چوتوفانیست
۱۳	۱۷	« چوعالم
۴۰۳	۱	« چوماه‌است
۸۸	۲۰	« حکایت
۳۴۴	۲۸	« خلیفه
۲۸۷	۲۳	« خورنده
۳۵۹	۱۷	« درم‌بدهم
۲۶۵	۳۲	« دریچه
۶۵	۵	« دریغ
۳۵۴	۳۶	« دل‌وجان
۳۲۱	۱۰	« دلیل
۲۶۶	۱۴	صدرخواندندش
۴۱۳	۲۱	« راصبر
۳۵۳	۳۱	صدرشان
۱۸۴	۳۱	صدره‌ار
۱۹۹	۲۷	« ومخلص
۱۷۷	۳۷	صدزبان
۲۰۶	۱۴	« سؤال
۱۸	۲۲	« سبورا
۲۹۹	۳۲	« سخن
۲۰۹	۷	« عزیمت
۴۲۴	۶	« عنایت
۲۸۱	۲۲	« فسون
۴۴۱	۳	« فلك
۳۲۶	۱۴	صدق‌احمد
۳۲۶	۱۲	« بود
۴۳۴	۳۷	« برتو
۱۲۸	۳۱	« بیداری
۱۲۵	۱۷	« تو
۳۴۳	۲۷	« جان
۳۳۵	۱۷	« رازین
۳۲۶	۱۳	« عاشق
۳۲۶	۱۳	« موسی
۵۵	۳	« میباید
۱۸۲	۱۹	صدقوارسلا
۱۸۲	۲۱	« من
۱۴۸	۳۰	صدق‌وگرمی
۱۸۲	۲۰	صدقوهم‌هم
۱۸۲	۲۰	«

صفحه	سطر	اول بیت
۱۸۲	۲۱	صدقوهم‌هم
۳۳۳	۲۸	صدق‌هردو
۳۹۰	۳۴	صدقه‌نبود
۴۰۶	۱۱	صدکتاب‌ار
۲۴۳	۴۱	« کراهت
۲۴۷	۳	« کس‌از
۱۲۳	۲۸	« کمرآنقوم
۱۲۳	۲۷	« کمربسته
۱۱۰	۲۰	« گمانت
۱۹۱	۱۵	« متاع
۲۴۴	۲	« نشان‌باشد
۶۸	۴۲	« نشان‌دارند
۳۹۰	۱۶	« نشانست
۳۵۰	۳	صدهزارآثار
۲۴۸	۲۱	« آلودگا
۸۳	۲۱	« ابلیس
۶۵	۲۹	« ابلیس‌و
۳۴۰	۲۱	« احوال
۳۵۴	۲۴	صدهزاران‌آفرین
۱۴۸	۴	« امتحا
۲۱۴	۲۱	« انبیا
۱۳۹	۲۳	« اولیا
۸	۹	« اینچنی
۲۵۸	۴۲	« اینچنی
۲۱۳	۱۰	« بارای
۹۶	۱۴	« باربیر
۱۳	۵	« بحر
۱۰۳	۲۶	« بلبل
۹۳	۲۶	« پادشا
۴۲۲	۲۶	« پاره
۴۸	۳۶	« جان‌تل
۹۲	۴۰	« جان‌خ
۱۷۱	۵	« جانور
۱۷۷	۶	« چشم‌ت
۲۴۸	۸	« چشم
۱۱۹	۳۷	« چون
۲۴۹	۹	« حلم
۲۹۳	۷	« حشر
۳۸۳	۷	« خام
۲۶۳	۶	« خشم
۲۶۱	۳۲	« خلق‌ا
۳۶۵	۳۷	« خلق‌ت
۱۵۴	۵	« خلق‌ز
۲۱۴	۲۳	« خلق‌ز
۲۵۸	۳۶	« خوی
۲۸۲	۱۴	« دارو
۱۰	۱۳	« دام
۲۲	۶	صدهزاراندرهز
۱۳	۲۰	صدهزاران‌دفتر
۷۳	۱۳	« روح‌بخ
۲۶۱	۳۲	« روح‌ش
۴۴	۵	« زاهل
۲۶۱	۳۳	« زین
۶۵	۲۵	« سال‌ا

صفحه	سطر	اول بیت
۳۵۵	۱۵	صدهزاران‌سال‌بو
۵۹	۲۶	« ساله
۳۸۰	۱۶	« سایه
۷۵	۴	« سربر
۴۱۱	۱۵	« سربو
۳۴۱	۲۱	« سرنها
۱۹۷	۳	« شاه
۱۸۲	۹	« شهر
۶۲	۳۱	« شیربو
۳۸۴	۷	« شیرزی
۳۴۹	۱۰	« صفع
۳۹	۱۲	« ضد
۱۳	۲۰	« طب
۴۲۴	۱۱	« طفل‌ب
۲۱	۲۳	« طفل‌ک
۹۱	۱۵	« طفل‌ک
۱۵۲	۲۱	« طفل‌م
۲۷۱	۱۸	« ظلمت
۲۳۲	۱۳	« عاشق
۲۳۵	۱	« عاقل
۹۵	۳۰	« عقل
۴۲۱	۹	« غیب
۳۲	۳۶	« فائده
۱۷۹	۹	« فصل
۲۲	۷	« قرن‌از
۳۱۱	۱۶	« قرن‌پی
۳۲۴	۲۲	« کشتی
۱۶۷	۶	« کیمیا
۱۰۰	۳۱	« گرگ
۳۹۷	۱۷	« گور
۲۴۸	۷	« گوشها
۱۵۳	۹	« مار
۱۳۲	۱۲	« ماهی
۱۳۲	۱۱	« ماهی
۱۲۸	۲۲	« ماهی
۴۲۰	۶	« مردینه
۱۰	۷	« مردتر
۱۶	۳۱	« مردتر
۱۳۵	۳۲	« مرغ‌پر
۱۲۰	۳	« مرغ‌ر
۴۲۳	۲۷	« مرغ‌و
۳۴۸	۲۲	« مرگ
۳۰۵	۱۰	« معجزا
۱۱۰	۲۱	« معجزه
۴۱۲	۲۵	« مکر
۹	۱۷	« مؤمن
۱۲۳	۱	« موی
۷۴	۱۳	« می
۴۱۱	۳۲	« نام‌آگ
۳۰۲	۱۷	« نام‌خ
۱۳۴	۴۰	« نام‌و
۱۴	۱۹	« نیزه
۳۵	۲۹	« نیک
۴۴۱	۲	« وادی

صفحه	سطر	اول بیت
۱۵۵	۲۸	صدهزاران‌همچ
۴۳۸	۱۸	صدهزاروار‌بم
ص(ا-ر-ف-ل-م-ن)		
۳۹۱	۲۹	صرصری‌بر
۳۹۱	۲۹	« می‌برد
۲۸	۲۱	صلح‌اضداد
۲۸	۲۲	« دشمن
۲۶۸	۱۷	« کن
۱۱۸	۳۷	صفع‌شاهان
۴۳۳	۴۲	صفدرومبر
۴۴۱	۳۲	صم‌بکم
۴۰۷	۵	صنع‌بی‌صورت
۱۲۲	۲۱	صنع‌بیند
۳۵۹	۳۷	صنعت‌این
۳۶۸	۲۱	« حق
۳۵۷	۳۰	« خوب
۱۶۷	۱	« زراد
ص-و		
۳۰۳	۸	صوتکی‌بشنیده
۴۱۷	۱۷	صورت‌آتش
۳۹۵	۳۶	« آمدچون
۲۷۵	۲۷	« آمدچون
۴۱۱	۲۰	« آواز
۴۴۷	۲۵	« احوال
۴۰۷	۱	« ازبی‌صور
۲۵	۲۸	« ازبی‌صو
۲۵	۲۵	« ازمعنی
۱۳۵	۲۱	« انگور
۲۶۶	۸	« این
۳۵۷	۱۰	« بدرا
۵۲	۱۸	« برهم
۶۸	۴۵	« بی‌صور
۲۶۷	۳۰	« پنهان
۱۴۶	۳	صورت‌تن‌خرگاه
۲۰۰	۲۱	صورت‌تن
۲۷۷	۶	« حرف
۳۵۰	۱۴	« خرچنگ
۵۶	۸	« خندان
۴۰۷	۷	« خوبی
۴۰۷	۸	« خوبی
۱۴۶	۳۲	« خود
۳۸۶	۹	« درویش
۴۰۷	۱۶	« دیوار
۱۴	۲۲	« رفعت‌بر
۱۴	۲۱	« رفعت‌بو
۴۰۷	۶	« زخمی
۱۶	۱۷	« سرکش
۴۰۷	۷	« سبری
۹۰	۱۴	صورتش‌برجام
۳۴	۵	« برخاک
۲۹۰	۲۰	« بنماید
۴۱۷	۱۸	« بیرون
۳۵۵	۲۸	« جنت
۹۵	۵	« دیدی

صفحه	سطر	اول بیت
۲۹۴	۵	صورتش‌را
۵۶	۷	« غمگین
۲۶۷	۳۲	« نور
۴۰۷	۲۲	صورت‌شهری
۴۱۸	۲۸	« صندوق
۹۵	۴	« ظاهرفنا
۱۳۴	۴۲	« ظاهرچه
۴۰۵	۴۲	« عاشق
۵۶	۸	« غمگین
۴۰۷	۱۰	« فکر
۲۳۶	۱۵	« کار
۳۵۴	۹	« گرمابه
۲۵	۱۱	« ماندر
۴۰۷	۸	« محتاجی
۱۲۷	۲۲	« مردان
۴۰۷	۱۲	« مردو
۴۲۰	۳۳	« معشوق
۴۰۷	۱۲	« نان
۴۰۷	۶	« نعمت
۱۸	۲۳	« نفس
۱۴۲	۳۵	« نقض
۹۶	۳	« هرآدمی
۳۳۴	۴۲	« هرنعمتی
۱۳۴	۴۲	« وهیئت
۴۰۷	۲۳	« یاری
۴۲۰	۱۵	صورتی‌ازصورتت
۴۰۷	۱۹	« ازصورتد
۲۷	۲۱	« بود
۳۳۴	۱۲	« پیدا
۳۵	۳۲	« کان
۱۴۲	۳۹	« کردت
۳۶۵	۳۱	« کو
۱۹۶	۳۶	« که
۳۳۴	۳۴	صورت‌یوسف
۲۱۸	۲۲	صوفئی‌آمد
۳۴۳	۱۱	« آن
۲۴۵	۲۳	« ازفقر
۲۸۴	۳۶	« بدرید
۱۸۵	۲۴	« برمیخ
۲۳۷	۳۱	« درباغ
۸۷	۱۹	« درخانقاه
۳۹۲	۲۵	« راگفت
۴۱۷	۲۵	« کانداخ
۲۸۴	۴۱	« گشته
۸۱	۲۶	« میگشت
۳۴۳	۱۵	« دیگر
۵	۱۰	صوفی‌ابن‌الوقت
۵	۱۱	« ابن‌الحال
۸۲	۴۱	« ازره
۸۳	۷	« اندر
۱۳۲	۲۳	صوفیان‌بر
۸۷	۲۱	« درویش
۶۳	۷	« را
۸۷	۲۶	صوفیانش

صفحه	سطر	اول بیت
۳۴۹	۲۸	صوفیان‌صافیان
۸۵	۳۲	« طبل
۲۲۶	۳	« گفتند
۸۲	۱۶	صوفی‌صورت
۴۳۹	۲۲	« وقاضی
۲۹۵	۲۳	صوفییم‌و
۱۴۲	۲۴	صومعه‌عیسی
ص-ی		
۲۶۶	۲۳	صیددین
۴۲۱	۱۹	« گیرد
۲۸۶	۳۵	« می‌کردی
۲۵۵	۱۶	صیقل‌عقلت
۲۵۵	۱۴	صیقلی‌دید
۲۵۵	۱۶	« را
۹۳	۳۹	« کردن
۳۷۱	۳۹	« کن‌یك
حرف ض		
۴۳۶	۱۸	ضارب‌آمد
۱۲۳	۳۴	ضاله‌چه‌بود
۲۵۲	۲۳	ضبط‌ودرك
۴۳۳	۴۰	ضحك‌تو
۳۸۴	۲۳	ضدابرهیم
۴۰۴	۳۳	« اندرضد
۳۸۳	۴۱	« رابا
۳۷۶	۲۹	« ضدرا
۳۸۶	۱۲	« طبع
۳۰۴	۲۹	« من
۳۷۶	۲۸	« وندش
۱۵	۳۳	« همدیگر
۳۴۸	۲۶	ضربت‌فرعون
۳۵۶	۳۲	ضرب‌کف
۴۳۱	۳۶	ضره‌ضره
۲۷۰	۱۹	ضعف‌اندر
۱۱	۹	« سر
۳۱۸	۲۹	« قطب
۱۴	۱۵	« وعجزو
۳۲	۲۴	ضوءجان
۳۰۸	۳۴	ضیف‌باهمت
۴	۴	« غیبی
حرف ط		
ط-ا		
۲۷۲	۱۵	طاس‌آوردش
۲۷۱	۱۵	« رااز
۲۷۱	۱۵	« راکز
۱۸۶	۲۳	« ومندیل
۲۶۱	۹	طاعت‌سنگ
۱۳۰	۴۱	طاعتش‌نغز
۱۲۲	۲۳	طاعت‌عامه
۷۱	۱۴	« و
۲۳۹	۱۶	طاعنان
۴۱۲	۸	طاقت‌من
۳۹۹	۲۹	طالب‌است‌و

صفحه	سطر	اول بیت
٤٠٩	٢٢	طالب الدنیا
٤٣٨	٢٣	طالبان خود
٣٤٩	١	طالب اوئی
٢٥	٣٢	« این سر
٢٤	٢٠	« حکمت
١٧٣	٢	« حیرانی
١١٦	٢٩	« دل
٩١	٣	« زرگشته
١١٦	٢٣	« علم
٣٨٦	٣	« گنجش
٤٤١	٤١	« معنی
٢٥٣	٣٣	« هرچیز
٣٣٧	٢٤	« یزدان
١٠٥	١٨	طالم آنکس
١٨	٦	طالعش گر
١٠٧	٢٦	طالع عیسی
٦٠	١٥	طالعم شیر
٢١	٧	طایفهٔ نخجیر
١٧	١٥	طایفهٔ نصرانیان
		ط-ب
٣٨٢	٧	طب جمله
١٢٠	١	طبعت ای
٢٤١	٣١	طبع تیز
٢٤٧	٢٦	« خواهد
٢٢٨	٣٤	« راکشتند
١٠٧	٢٨	« راهل
١٤٦	١٧	« سیرآمد
٢٠٢	٨	« طاوس
٢٩٤	٧	« گاوی
٢٨٥	٣٢	« مسکینت
١٩	٣١	« من دیگر
٣١	٢٧	« ناف
٨٩	٣٥	طبل افلاسم
٩٧	٢	طبل باز من
٣٢٠	١٨	« خواری
٣٨٣	٢٩	« ورایت
٢٧٦	٢٣	« وکوس
٨٣	٣٥	طبلها بشکست
٨٣	٣٣	طبلهادر
		ط-(ر-ع-ف)
٤٣٣	١٢	طرز جسمك
٣٥٣	٣	طرفه آن جنگی
٤٦	٨	« ترکان
١٣٩	٢٥	« کوری
٨٦	٣٠	طعمه بنموده
٣٩٦	٢٤	طعمه جوی
١٤٣	٣٤	طعمهٔ گرگیم
٤١٦	٣٠	طعنه چون
١٩	١	طفل ازو
١٤	٢٨	« بادایه
٢١	٢٤	« تاگیرا
٢٣٢	٢٦	« تو
٣٥	٥	« جان
١٠٩	٦	« حاجات
٤١١	٤٠	طفل داندهم
٢١١	٢٠	« راازحسن
٤٢٢	١٠	« رااستیزه
٤٢٢	١٧	« رابابالغان
١٦٠	١٥	« راچون
٣٠١	٣	« راچه
١٤	١٦	« راگر
١٩٥	٣٢	« رانبود
٢٣٩	٧	« راه فقر
٣٠١	٢	« رهرا
٥٦	٢٢	« شد
٢١٩	٢٥	طفلك نو
١٣٣	٣١	طفل گوید
٢٥٠	١٥	« گیرش
١٩٥	٣١	« ماهیت
٧	١٩	« میترسد
٤١٧	٣٥	« نورا
٣٩١	٢٧	« نوزاده
٢٨١	٧	« یکروزه
		ط-(م-ن)
٢٠٢	٢٩	طمطراق
٩٠	٢٩	طمع خامست
٤١٤	٩	« داری
١٣٩	٨	« ذوق
٨٨	١٢	« لوت
١٢٥	٩	« ناقه
٣٢١	٢٦	طنطنه
		ط-(و-ه-ی)
٣٠٣	١٥	طوطئی درآینه
٣٤	١٠	« زان
٣٦	١٧	« کاید
٣٥٤	١٦	طوطیان خاص
٨	٣	طوطی اندر
٤٤٠	٢٣	طوطیان را
٤١٤	٢٨	« و
١٣٦	٣	طوطی ایشان
٣٠٣	١٦	طوطیك
٣٨	٩	طوطی مرده
٣٦	١٦	« من
١٨٤	٢٢	« نقل
٢٣٣	٣٤	طوف مکن
٢٤١	٣٤	طوق زرین
٣٧٣	١٥	طول وعرض
١١	٢١	طهرابیتی
٨٣	٢٨	طیبات آمد
٨٠	١٤	« ازبهر
٣٢	١٦	« ازبهر
		حرف ظ
		ظ-ا
٣٤	١٣	ظالم آن قومی
١٩٤	٩	ظالم ازظلم
١٧٦	٤	« ازمظلوم
١٧٦	٤	« «
٢٣٥	١٧	ظالمان مردند
٢١٢	٣٥	ظالمست
٣٧٦	٣	ظالمی را
٦١	٧	ظانین
٢٢٤	٢٨	ظاهر آن اختران
٢٢٤	٣١	« آن شاخ
٤٩	٣١	ظاهر آبرزن
١٩٥	٢٩	ظاهر است آثار
٢٦٠	٣٧	« است این
٢٠٥	٢٦	« است و
١١٦	١٩	ظاهر آشوریده
٢٥٣	١٠	« کار
٤٤٠	١٧	ظاهر الفاظشان
٥٠	٢٨	ظاهر امی
٢١٩	١٧	ظاهر او
٢٧٦	١٤	« این دو
٢٣٢	٢٣	ظاهرت از تبرگی
٢٣٢	٢١	« باباطنت
٢٤١	١٥	ظاهر دستار
٢٤٣	٢٨	« رقعه
٢٣٢	١٧	ظاهرش باباطنت
٢٣٢	١٥	« «
٢٠٦	٣	« چوبی
٣٠٣	٣	« دیدی
٢٧٦	١٥	« رایشهٔ
٢٣٢	١٠	« راشهرهٔ
٢٥٧	٣٥	« گم گشت
٢٣٢	١٦	« گوید
١٤٦	١	« گیر
٣٠١	٢٥	« ماند
٧٦	٤	« مرگ
٢٣٢	١٦	« منکر
١٢	١	« میگفت
٣٠٣	٤	ظاهر صنعت
٢٠٥	٣٣	« قرآن
١٧٠	٣٧	« کافر
٤٧	٥	« ما
١٢	٢	« نقره
١٠٠	٣٤	« وباطن اگر
٨٩	٣٠	« وباطن ندا
		ظ-(ل-ن)
٥٩	٣٨	ظل او
٢٨٤	٣١	ظلت الارباح
٢٦٩	٢٦	ظل ذلت
٣٣٢	١٥	ظلم آري
٢١٢	١٧	« اوبرما
٢٥٠	٢٧	ظلمت اشکال
١٨١	١	« افزود
٢٨	٢٩	« چه
٢٣٢	٢٢	ظلمتش بانور
٧١	٢٦	ظلمتی دارم
٤٠	١٣	« را
٣٧٥	٣١	ظلم چبود
٢٩٧	٢	« چه بود
٤٤٧	٦	ظلم را نار
١٧٦	١٦	« مستوراست
٢٧٧	٦	ظن بیرداز
٤١٢	٣٣	« لایغنی
٢٤٦	٢٢	« مبربر
٤٣٧	٤٧	« مبرزین
١١٠	١٦	« نیکش
٣٢٤	١٣	« نیکو
		حرف ع
		ع-ا
٣٢٤	٢٤	عاجزم من
٢٣٧	٢٤	عاجزی بی
٤٢٣	٣٦	« و
١٢٦	٤٠	عادت آن
١٠٤	٦	« خود
٤٢١	٢٥	عادر اباد
١٢٠	٥	عادر اتو
٤٢١	٢٦	عادیان را
٤٣٩	٣	عادلست و
٣٦١	٢٩	عاذلا چند
٢٠١	٤٣	عذلانش از
٣٥٦	٦	عارفا تو
٤٤٣	٣٥	عارف از عامی
٣٩٤	٣٩	عارف از معروف
٤٢٤	٣٤	عارفان از
٣١١	٧	« را
٢٣٢	٢٤	« رو
٣٤٧	٣٣	« زآغاز
٤١٦	٣٧	« زانند
٢٢٧	١١	عارفانش
٣١٦	٣٥	عارفان که
٣٤٧	٣٥	عارفست او
٣٩٤	٢٣	عارف شه
٣٧٩	١١	عارفی پرسید
٦٣	١٣	عارنبود
١٧٩	١٣	عاریت را
٤٠٥	٧	عاریه است این
٤٤٢	٣٠	«
٤٢١	٢٥	عاریه ستم
٦٣	٩	عاشق آئینه
٣٣٣	١٣	« آن عاشقان
٣٢٥	١٧	« آن لیلی
٢٠٣	٣٢	« آنم
٥٦	٣	« آنوهم
٢٣٨	١١	عاشقا خروب
٤١	٦	عاشق از حق
٣٣٩	٢٦	« ازمعشوق
٣٦٧	١	« است اورا
٣٢٧	٣٢	« است و
٢١٩	٢٩	عاشقان ازدرد
١٨٥	٢٩	عاشقان اندر
٣٣٣	١٣	عاشقانت
٧	١٠	عاشقان جام
٣٦٦	١٣	عاشقان در
٣٣٧	٣٤	« راباده
٢٨٨	٢٣	« راشاد
١٩٩	٤	« راشد
١٨٥	٢٧	« راکار
١٩٨	٣٦	« راهرزما
١٠٦	١٨	« راهرنه
٣٤٠	١٥	« عریان
٥٦	٣٢	« کل
٢٩٨	٣٧	« لعبتان
٣١٣	٣٦	« درفتد
١١٨	٣١	عاشقانی گر
٤٤١	١٩	عاشق اولولیان
٤٣٠	١٨	« او و
٥٦	٣	« تصویر
١٥٩	٣٨	« حالی
٥٦	١	« حق است
٢١٢	١	« حقی
٣٦١	٢٦	« خودرا
١٨١	٨	« خویشندو
٥٧	٢	« دیوار
٣٦	١٣	« رنج
١٥٨	٢٦	« صنع تو
١٥٨	٢٦	« صنع خدا
٣٢٥	١٦	« عشق
٣٣	٣٠	« گل
٣٧	١٦	عاشقم بر رنج
٣٦١	٨	« برفن
٣٣	٢٨	« برلطف
٢٠٣	١٣	« من
٣٢٢	١١	عاشق من باشد
٣٧٠	٣٧	« میدان
٣٨٠	٣٨	« نان
٢١٣	٢٨	« ومستی
١٤٨	١٢	« ومعشوق
٣٦٧	٩	« ومعشوقه
٣٣٨	٣٠	« ومعشوق و
٢١٦	٢٦	« هربیشه
٢٥٠	٢٧	« هرجا
٣٦١	٢١	عاشقی بودست
٤	٢٩	« پیدا
١٥٩	٣١	« تو بر من
٢٩٣	٣٠	« تو بر نجات
٣٧	٢٥	« زین
٣٣٣	٣٠	« شو
٣٥٤	٢	« کالوده
٣٢٥	١٥	« کز
٤١٨	٣٤	« کو
٤	٣٠	« گر
٣٦٧	٢	« وتوبه
١٦٦	٤	عاصیان و
٢٥٦	٢٧	عاقبت آن
٢٠١	٢٥	« آید
٤٣٤	٥	« اندیش

صفحه	سطر	اول بیت
۳۹۳	۱۴	عاقبت او
۴۳۲	۴۴	« این
۱۰۲	۳۹	« بین است
۱۶۳	۲۰	« بینان
۱۰۹	۲۰	« بینی که
۱۰۹	۱۹	« بینی نشان
۱۵۱	۱۹	« پیدا
۱۴۰	۸	« تو
۱۶۰	۷	« جوینده
۳۶۱	۲۲	« جوینده
۳۷۱	۳۷	« چون
۴۱۸	۳۳	« دانست
۱۰۶	۳۰	« دریافت
۵۱	۱۱	« دیدن بود
۱۲	۲۷	« دیدند
۱۲	۲۸	« دیدن نباشد
۲۴۳	۲	« رادید
۱۴۹	۴	« رسوائی
۳۰۴	۲۵	« زینها
۱۵۱	۳۷	« زرها
۲۳	۱	« شد
۳۱۴	۳	« نومید
۳۶۸	۹	« واحسرتا
۱۵۵	۲۳	« هامان
۲۸	۲۳	« هریك
۱۰۸	۲	عاقل آرد
۲۵۰	۳۰	« آن باشد که
۶۲	۲۰	« آنباشد که عی
۱۹۷	۲۳	« ازانگور
۶۲	۲۴	« ازسر
۲۰۹	۱۵	عاقلان ازبی
۲۰۹	۱۷	« اشکسته
۱۶۳	۱۰	« خود
۴۷	۱۸	عاقل اندر
۳۸۸	۱۸	عاقلان راچون
۲۹۹	۳۱	« رایك
۲۰۹	۱۷	عاقلانش
۱۶۹	۳۰	عقلان و
۱۹۱	۲۳	عاقل اول
۱۴۷	۳۸	« ومجنون
۳۷۵	۷	عاقله او
۱۰۸	۵	عاقلی براسب
۱۱۰	۱۸	« را
۲۲۸	۱۶	« گفتش که
۲۰۳	۱۲	« گفتش مزن
۷۳	۱۷	عالم ارهژده
۲۶۷	۵	« ازسر
۳۱۹	۲۳	« اسباب
۱۵۳	۱۲	« افسرده
۴۶۶	۵	عالم السر
۹۵	۱۴	عالم اندر
۹۴	۱۰	« اول
۲۴۵	۳۷	« تاریك
۳۷۱	۳۸	« خاموشی

صفحه	سطر	اول بیت
۲۸۹	۱۲	عالم سفلی
۲۴	۳۵	عالمش چندان
۴۲۹	۱۹	عالم صغری
۵۱	۱۰	« کبری
۲۵۴	۱۰	عالم من
۲۳	۲۲	عالم وعادل
۳۲۴	۱۸	« وهم و
۳۲۴	۱۶	« وهم و
۳۵۳	۳۲	عالمی اندر
۴۱۲	۱۹	« دردام
۶۳	۱۸	« رازان
۳۰	۱۰	« رالقمه
۳۴	۱۴	« رایك
۲۹۴	۳۲	« شدواله
۴۰۲	۲۳	عام اگر
۴۳۳	۱۱	« رابا
۴۱۷	۲۹	عامل عشق
۳۸۴	۱۲	عام ماو
۴۱۱	۳۵	« میخوانند
۲۶۱	۲۷	« وخاص
۳۷۷	۱۶	عامه را از
۲۷۲	۲۸	« گفتندی
۳۳۱	۲۱	عامیانه
۱۳۱	۱۹	عایشه روزی
ع-(ب-ج)		
۱۸۹	۳۳	عبرتست
۲۳۰	۲۳	عبرت جانش
۱۹۰	۲	« وبیداری
۲۸۷	۱۳	عبرتی گیر
۱۴۵	۳۰	عج الی القلب
۱۹۵	۳۸	عجزاز
۳۷۲	۱۱	« بخش
۱۱۶	۳۸	« تواز
۳۶۴	۹	« زنجیریست
۳۳۰	۲۹	« نبود
۴۲۳	۳۷	« هاداری
۳۸۳	۱۵	عجل بآن
۱۴۵	۲۳	عجلوا اصحابنا
۱۱۹	۱۴	عجلوا الطاعات
ع-(د-ذ)		
۱۹۸	۱۲	عدت با
۳۹۹	۹	عدل آن عدلست
۴۴۷	۱	« ازآن جنت
۴۶	۸	« این
۲۲۸	۵	« باشد
۴۴۷	۷	« تنهانیست
۳۹۰	۳۶	« چه بود آب
۲۹۷	۱	« چه بود آب
۳۹۰	۳۶	« چه بود وضع
۲۸۰	۱	« شه را
۲۴۲	۱۴	« قسامست
۴۳۷	۲۱	« کن با
۶۷	۳۱	« ورزیم
۲۹۷	۱	« وضع

صفحه	سطر	اول بیت
۳۱۴	۱۱	عذر آن کرمی
۱۶۲	۲۹	« آوردندکای
۱۵۱	۳۱	« آوردندو
۲۶	۹	« احمق
۲۶	۹	عذرت ای
۳۷	۳۲	عذرخواه
۴۹	۲۲	« خواهم
۲۰۱	۲۵	« خود
ع-(ر-ز-س)		
۵۴	۵	عرش با
۲۷۷	۲۶	« چه
۳۰۶	۳۴	« معدن گاه
۶۲	۹	عرصهٔ بس
۲۲۵	۲۲	« کش
۴۲۱	۶	عرصه و دیوار
۳۸۱	۲۷	عرضه کردند آن
۴۱۰	۱	« کردندش
۱۰۷	۱۳	« کردی
۷۷	۲۲	« کن بر
۴۱۰	۴	« میدارند
۲۵۸	۲۴	عرق جنسیت چنا
۱۵۵	۳۳	« جنسیت چو
۳۵۹	۳۴	« مردی
۹۸	۳۲	عروة الوثقی
۱۵۴	۱۶	عزت آن
۳۱۱	۳۱	« اینجا
۳۳۳	۲۷	« کعبه
۳۳۳	۲۵	« مخزن
۳۳۳	۲۶	« مقصد
۶۵	۳۷	« وحشی
۴۳۴	۳۴	عزل سازد
۴۴۳	۴۷	« کردندش
۴۴۰	۳۸	عزم چون
۴۰۵	۳۴	« ره
۳۵۷	۱۸	« کرده
۴۴۰	۴۷	« کعبه
۲۰۹	۱۳	عزمها و
۲۸۴	۳۹	عسر با یسر
ع-ش		
۳۳۳	۳۳	عشر امثالت
۴۴۳	۵	« گفت
۳۷۱	۳۲	« هابر روی
۳۷۱	۳۱	« های
۳۰۴	۱۵	« هردخلی
۷	۴	عشق آن بگزین
۷	۴	« آن زنده
۲۸۸	۲۴	« آن شعله
۴۳۱	۲۸	« ابنای
۴۱۷	۲۷	« ارزد
۲۱۳	۳۹	« ازاول
۹۰	۱۲	« اوپیدا
۳۳۵	۷	« اوخرگاه
۱۸۶	۷	« باشد
۳۴۴	۱۴	« بحری

صفحه	سطر	اول بیت
۳۳۳	۳۵	عشق برد
۳۳۴	۱۸	« برمرده
۳۲۵	۲۷	« بشکافد
۳۶۷	۸	« بینایان
۱۹۸	۲۷	« پنهان
۱۴۶	۱۶	« توبر
۲	۱۷	« جان
۲۱۳	۳۳	« جوشد بادهٔ
۳۲۵	۲۶	« جوشد بحر
۲۰۱	۳۷	« چون دعو
۲۳۸	۲۱	« چون کشتی
۲۹۸	۱۲	« چون وافب
۳۹۴	۳۷	« حق و
۲۵۷	۱	« خانه
۳	۳	« خواهد
۴۱۱	۱۶	« خودبی
۳۱۱	۲۴	« دان
۲۳۰	۱۱	« درهنگام
۳۵۲	۳	« رابا پنج
۳۱۶	۳	« راپانصد
۳۸۲	۵	« رادرپیچ
۲۹۸	۱۲	« راصد
۳۶۷	۱۰	« ربانیست
۳۶۷	۳	« زاوصاف
۷	۳	« زنده
۳۷۱	۲	عشقشان و
۳۱۵	۳۴	عشق شش
۵۷	۱۶	« شنگ
۳۷۰	۳۶	« شوی و
۴۰۷	۳۲	« صورت در
۳۳۴	۲۰	« صورتها
۳۲۶	۶	« غیرت
۳۶۶	۹	« قهار
۳۹۲	۱	« مستعقبست
۲۰۹	۲	« معشوقان
۲۴۰	۳۵	« مولی
۲۸۵	۲۸	« میگوید
۱۸۵	۲۷	« نان بی
۳۱۲	۳۶	« نان مردهٔ
۴۱	۱۲	« وجان
۳۹۷	۴۰	« ورزی
۲۴۰	۲۴	« وسودا
۳۱۵	۴۰	« وصف
۳۶۱	۳۱	« وناموس
۶	۲۵	عشقهائی
۱۷۲	۳۵	عشقها بادم
۲۳۲	۱۲	« داریم
۴۱۵	۹	عشوه‌هاشان
۸۳	۲۰	عشوه‌های
ع-(ص-ض)		
۱۵۲	۱۴	عصمت یانار
۶۶	۲۲	عصمتی گر
۲۹۲	۲۵	عضو گردد
۳۸۵	۲۸	« هر

صفحه	سطر	اول بیت
ع-ف		
۳۳۲	۲۴	عفو باشد
۳۴۹	۲۲	« خلقان
۳۱۸	۳	« کرد آن جملگ
۴۲۴	۲۲	« کرد آن شاه
۳۴۶	۳۳	« کردم
۱۵۶	۳۹	« کردو
۱۰۸	۲۱	« کن ای خوب
۳۴۹	۵	« کن ای عفو
۳۳۸	۳۲	« کن ای میر
۳۳۸	۳۳	« کن تا عفو
۳۴۹	۲۲	« کن زین
۳۴۸	۲۰	« هاگفته
۳۴۹	۲۳	« هاهرشب
۳۴۸	۱۹	« های جمله
ع-ق		
۱۱	۱۸	عقبهٔ زین
۳۴۷	۱	عقد کردش
۲۸۸	۷	عقده را
۲۸۸	۷	عقدهٔ کان
۳۱۴	۲۴	عقل آمد سوی
۲۴۹	۲۰	« آمد نقل
۴۱۳	۱۰	« ابدالان
۱۹۴	۳۶	« اثررا
۱۲۹	۵	« احمد
۳۸۵	۴۱	« ازآن بازی
۴۴۵	۶	« ازاقلیم
۱۹۴	۳۴	« ازجان
۲۱۱	۸	« ازین
۱۷۷	۱۲	« اسیر
۲۴۰	۳	« اگر
۲۴۶	۲۶	« اوبر
۲۵۰	۱۴	« اورا
۲۳۹	۳۲	« اوکم
۲۹۰	۳۴	« اومشغول
۳۰۱	۲۶	« اوو
۲۴۷	۲۷	« ایمانی
۶۸	۳۷	« اینجا
۱۰۳	۳۳	« باحس
۴۰۹	۸	« باشد ایمنی
۴۳۷	۱۷	« باشد رهنما
۴۱۲	۱۷	« باشد مرد
۷۹	۱۳	« باعقل
۴۴۰	۱۵	« باید معرفة
۲۸۹	۳۵	« باید نور
۱۹۶	۱	« بحثی
۱۵۵	۱۴	« بفروش
۲۳۹	۳۳	« بودی
۲۵	۱۲	« پنهانست
۲۴۷	۱۶	« تحصیلی
۴۶۶	۲۵	« تواز آفتابی
۲۲۱	۳۶	« تواز بس
۲۴۷	۱۴	« توافزون
۴۳۱	۴۸	« تودر

صفحه	سطر	اول بیت
۲۶۸	۳۲	عقل توقسمت
۳۲۴	۹	« توگر
۲۳۶	۳	« تومغلوب
۵۱	۵	« توهمچون
۳۲۴	۱۹	« ثابت
۸۲	۹	« جزاز
۴۵	۲۶	« جزواز
۱۶۲	۵	« جزوی آفت
۳۲۱	۷	« جزوی اش
۲۳۶	۹	« جزوی را
۴۱	۶	« جزوی عشق
۲۳۶	۳۴	« جزوی عقل ا
۲۸۶	۲۲	« جزوی عقل ر
۴۱۳	۱۰	« جزوی کرک
۱۵۵	۱۳	« جزوی گاه
۲۶۹	۱۲	« جزوی همچو
۲۵۰	۲۴	« چون از
۲۶۱	۷	« چون باران
۲۴	۲۲	« چون جبریل
۲۰۹	۵	« حیران کاین
۲۱۳	۲۱	« حیران که
۳۳۱	۳	« حیوانی
۴۲۹	۲۴	« خلق اولین
۴۸	۴	« خودرا از
۱۱۴	۳۰	« خودرا مینما
۵۳	۱۵	« خودزین
۲۴۹	۲۱	« خودشحنه
۴۳۷	۱۸	« خورشید
۱۹۶	۲۸	« دراك
۲۴۷	۳۰	« درتن
۴	۳۲	« درشرحش
۲۴۷	۷	« دشنامم
۱۷۷	۲۶	« دفترها
۲۴۷	۱۳	« دو
۲۴۷	۱۵	« دیگر
۳۹۵	۳۴	« راافغان
۲۵۲	۲۰	« راباشد
۲۸۱	۲۴	« راباعقل
۴۴۵	۲۶	« راپیرایه
۲۷۱	۳۸	« راخدمت
۲۸۴	۹	« راخط
۸۲	۱۰	« راخود
۲۳۶	۱۱	« رادو
۲۴۹	۲۸	« راسبل
۵۸	۲۹	« راشو
۲۳۸	۳۰	« راقربان
۲۵۲	۳۰	« راگر
۱۱۵	۲	« راهم
۳۸۱	۳۶	« راه نا
۲۵۲	۲۱	« راباد
۲۶۹	۱۴	« رنجور
۲۴۹	۲۱	« سایه
۳۵۳	۳۰	« سرتیز
۳۵۳	۳۱	عقلشان در

صفحه	سطر	اول بیت
۳۴۳	۳۴	عقلشان یکدم
۲۴۷	۱۲	عقل شیدا
۲۵۲	۲۸	« ضد
۱۷۷	۲۴	« عقلت
۵۱	۶	« عقلند
۲۴۷	۳۱	« عقل و
۴۳۷	۱۸	« عین
۱۲۰	۶	« فرعون
۲۳۸	۲۲	« قربان
۱۱۴	۶	« قوت
۳۰۹	۴	« کاذب
۲۹۱	۶	« کامل را
۲۵۰	۳۶	« کامل نیست
۳۲۳	۱۴	« کان
۳۶۴	۳	« کردی
۳۰۳	۱۹	« کل را از
۲۳۷	۴	« کل را گفت
۲۴۷	۳۱	« کل سر
۲۸۶	۲۱	« کل و
۲۶۹	۱۴	« کودك
۴۱۰	۱۲	« کوعقل
۱۰۳	۱	« کومغلوب
۳۳۰	۲۷	« کی حکمی
۲۱۲	۲۶	« کی ماند
۱۷۷	۳۴	« گاهی
۳۹۶	۲	« گوید چشم
۳۷۶	۳۴	« گوید کاین
۳۷۶	۳۳	« گوید مر
۳۵۰	۹	« لرزان
۲۳۷	۴	« مازاغت
۴۰۱	۹	« ماکو
۴۰۱	۳۴	« محجوبست
۴۳۷	۱۷	« مفتاح
۱۱۶	۲۰	« من
۱۲۹	۸	« موسی
۲۵۲	۲۰	« میگفتش حما
۵۲	۷	« میگفتش که
۳۹۵	۳۵	« میگفتش که
۳۵۶	۱۰	« میگفتی
۱۷۷	۴۰	« نورانی
۳۶۷	۱۶	« وایمان
۲۸۹	۱۰	« ودلها
۴۳۷	۳۳	« وفکر
۴۳۴	۱۷	« وفهم
۲۳۸	۳۱	عقلها آنسو
۲۳۹	۲۱	عقلها از نور
۳۱۵	۳۹	عقلها زین
۲۷۴	۱۷	عقلهای اولینش
۲۸۶	۲۱	عقلهای خلق
۳۶۱	۳۸	عقل هر عطار

ع ـ ك

صفحه	سطر	اول بیت
۳۹۹	۲	عکس آخر
۴۱۹	۲۰	« آن اینجا
۶۸	۴۲	« آن تصویر
۳۹۸	۳۶	« پنهان

صفحه	سطر	اول بیت
۸۸	۹	عکس چندان
۶۵	۳	« حکمت
۳۶۳	۲۸	« خود در
۲۹	۲	« خودرا
۳۹۸	۲۹	« درچه
۸۸	۹	« ذوق
۸۴	۲	« راز
۶۱	۲	« طمع
۱۸۹	۳۰	« عبدالله
۸۸	۱۰	« کاول
۴۱۷	۳۹	« میدان
۱۳۰	۲۸	« میگوئی
۱۸۹	۳۰	« نورانی
۳۹۹	۱۹	« هارا ماندا
۳۹۹	۱۶	« هارا ماندو
۱۸۹	۳۱	« هرکس
۶۸	۳۷	« هرنقشی

ع ـ ل

صفحه	سطر	اول بیت
۲۰۸	۲۸	علت آید
۶۴	۱۲	« ابلیس
۱۹۴	۲۹	« اولی
۴۰۸	۴	« پنهان
۶۲	۱۱	« تنگی
۲۵۴	۱۶	« دیدن
۴	۲۹	« عاشق
۳۴۰	۴	« وپرهیز
۶۴	۱۱	علتی بدتر
۲۹۶	۱۶	علم آموزی
۸۴	۱۹	« آن بازی
۲۶۳	۲۱	« الاسماء
۳۲۳	۱۵	« الانسان
۳۶۹	۳۰	« اندر
۳۶۹	۳۳	« اواز
۳۵۶	۴	« بودش
۱۲۹	۸	« تقلیدی بود
۱۱۴	۳۲	« تقلیدی وبال
۱۱۶	۲۲	« تقلیدی وتعلیم
۳۸۷	۲۲	« تیرانداز
۳۳۹	۱۵	« جوئی
۲۰۳	۲۴	« جویای
۱۱۵	۱۸	« چون آموخ
۶۸	۱۳	« چون بر
۳۲۱	۲۱	« چون در
۴۰۹	۱۹	« دریا
۳۰۲	۲۲	« دیگ و
۴۲۹	۲۲	« ذات
۱۶۱	۱۱	« رادو
۲۴۰	۱۲	« راه حق
۳۹۹	۷	علمشان و
۶۸	۱۴	علم کان
۱۱۶	۲۶	« گفتاری
۳۲۶	۵	« نیرنجات
۳۵۵	۳۶	« وآدابش
۳۷۸	۳۵	« وحکمت بهر

صفحه	سطر	اول بیت
۳۵	۷	علم وحکمت زاید
۲۳۹	۱	« ومال
۶۸	۱۲	علمهای اهل
۲۳	۱۶	« اهل
۴۲۱	۱۲	« با

ع ـ م

صفحه	سطر	اول بیت
۳۱۶	۲۱	عمر اگر بگذشت
۱۱۴	۸	« اگر صدساله
۲۹۱	۳۰	« بیشه ده
۲۹۱	۳۱	« «
۴۳۶	۷	« تقدیری
۱۴۰	۵	« تومانند
۴۳۲	۴۷	« تویوماً
۲۴	۱۷	« چون
۱۷۱	۳۰	« خودرا
۲۹۱	۳۱	« خوش
۳۵	۲۰	عمر ودایم
۲۸۸	۱۱	عمر درمعمول
۴۱۸	۳۴	« درصندوق
۱۳۴	۱۲	عمر وراجرمش
۴۳۶	۷	عمر راهم اختیار
۴۳۲	۴۴	« راهم نیست
۴۳۲	۴۸	« رفت
۹۷	۳۸	« ضایع
۴۲۵	۴۱	عمر کان شد
۲۶۲	۵	« کرکس
۴۲۵	۳۱	« معدود
۲۹۱	۲۸	« ومرگ
۲۲۱	۱۶	« هاباید
۸۱	۱۹	« هابایست
۴۱۲	۱۱	« برطبل
۴۱۰	۱۵	« هابوده
۱۱۳	۲۹	عمره کردی
۲۵	۳۰	عمر هم چون

ع ـ (ن ـ و)

صفحه	سطر	اول بیت
۴۳۴	۲۹	عندلیبانش
۲۰۱	۲۱	عنکبوت ار
۳۹۸	۲۸	« این
۲۰۷	۱۴	« دیو
۱۲۲	۶	عنکبوتی تو
۴۳۸	۲۷	عودرازان
۱۰۸	۱	عودسوزد
۱۷۹	۸	عورترسان
۱۳	۲۵	عورتی
۱۷۸	۴۴	عورمیترسد

ع ـ ه

صفحه	سطر	اول بیت
۱۱۱	۳۷	عهداو
۲۲	۳۹	« چون
۹	۱۰	« عیسی
۲۹۸	۱۳	« فاسد
۳۲۴	۴	« کردم
۱۱۷	۲۶	« مابشکست
۱۱۷	۲۶	« ماکاه
۱۵	۱۲	« وپیمان

صفحه	سطر	اول بیت
۲۹۸	۲۵	عهدوقرض
۱۶۴	۱۴	« هابستیم
۲۲	۳۸	« هاکردند

ع ـ ی

صفحه	سطر	اول بیت
۲۳۹	۳	عیب اومخفیست
۹۲	۳۹	« اومهر
۱۴۰	۳۴	« باشداول
۴۱	۱۳	« باشدکو
۲۷۶	۲	« برخود
۳۵۴	۲۷	« جویانرا
۹۳	۳	« جوی و
۱۷۸	۴۴	« خود
۹۳	۲	« دیگر
۴۱	۱۴	« شد
۲۳۷	۲۷	« کار
۱۲۵	۳۵	« کردن
۲۵۷	۲۷	« کل
۱۳۲	۴	« کم
۱۳۰	۱۷	عیبهاز
۱۴۶	۲۷	عیبهای سگ
۸۶	۱۹	عیسی روح
۱۷۸	۸	« مریم
۲۳۳	۱۱	عیسیم لیکن
۲۵۸	۳۴	عیسی وادریس
۲۰۵	۷	عین آتش
۱۳	۳۰	« آن تخیر
۶۴	۲۲	« آن حکمت
۲۶۷	۳۶	« آن عزمت
۴۱۶	۳۲	« آن مکر
۱۴۳	۲۴	« تازی
۴۱۷	۴	« سمبش
۹۶	۱۶	« صنع

حرف غ

غ ـ ا

صفحه	سطر	اول بیت
۷۱	۱۲	غائب ازشه
۶۰	۸	غائبان را
۶۰	۸	«
۱۳۹	۱۸	غائبی مندیش
۱۰	۳۲	غاربانو
۳۸۰	۴۰	غازئی خوش
۲۵۴	۳۹	غازیان حملهٔ
۲۵۴	۳۹	غازیان غیب
۳۴۲	۲۳	« کشتند
۳۲۶	۲	غاشیه بر
۴۳۲	۲۵	غافل از باد
۴۳۳	۳۸	« ازیابان
۴۳۱	۵	« ازعفریت
۲۷۵	۳۵	غافلان را
۹۲	۳۵	غافلند این
۴۴۰	۱۳	غافلی از کار
۹۸	۱۰	« باری
۷۳	۲۴	« ناگه
۲۵۷	۳۰	« هم

صفحه	سطر	اول بیت
۲۵۷	۳۱	غافلی هم
۳۲۷	۷	غالب آمد حرص
۳۴۵	۳۵	« آمد خنده
۲۶۶	۲۲	« آمد شاه
۴۳۹	۲۸	غالبا شد
۱۸۰	۲۵	« ما
۳۵۳	۳	غالبست و
۳۹۵	۸	غالبی بر جاذبان
۲۱۱	۵	« بر خواجه
۱۹۵	۲۳	غایت لطف
		غ-(ب-د-ر-ز-ژ)
۴۲۵	۳۰	غبن می‌ناید
۱۹۹	۲۴	غدر کردی
۱۶۸	۱۱	غرة المسکن
۳۶۳	۲۵	غرق این
۳۶	۳۱	« حق
۴۰۴	۹	« دریائیم
۳۷	۱	« عشقی
۳۲۴	۱۹	« گشته
۴۲۹	۷	« میگردم
۴۳۲	۱۴	« نزدیك
۷۴	۳	« نورم
۲۵۰	۳۳	غرقه اندر
۱۵۹	۴۱	غرقهٔ نوری
۴۵	۲۵	« نی
۲۴۷	۲۹	غرهٔ او
۴۴۳	۳۵	« بادولت
۱۴۹	۳۰	« شیرت
۲۷۱	۴	« کن
۱۹۸	۳۱	غره گشتی
۳۴۲	۳۸	غزوه کی
۲۵۸	۳۲	غژغژان
		غ-(ص-ف-ل)
۳۴۶	۲۸	غصب کردم
۳۲۵	۳۲	غصه را
۱۹۴	۲۴	غفلت از تن
۱۵۹	۸	« وبی
۲۵۳	۲۶	« وکفر
۳۴۸	۱۲	« وگستاخی
۳۴۸	۱۳	« ونسیان
۱۰۹	۴	غل بخل از
۲۵۲	۱۲	غلط غلطان
۳۸۹	۲۷	غلغل و
۱۷۵	۱	غلغلی در شهر
		غ-(م-ن)
۱۴۵	۲۶	غم بود
۱۹۷	۲۷	غم چو آئینه
۱۹۷	۲۳	غم چو بینی
۱۹۷	۲۲	غم خور و
۳۹۰	۱۸	غمدرا
۳۴۱	۱۲	غم زدل
۱۵۲	۱۱	غمز کردندش
۳۴۱	۱۲	غم کند
۱۴۵	۱۴	غمگساری

صفحه	سطر	اول بیت
۸۶	۱۹	غم مخور از
۲۳۱	۳۷	غم مخور یاوه
۲۲۲	۲۹	غم مدار
۶۵	۱۱	غنج و نازت
۳۸۶	۱۵	غنچه را
۱۹۸	۱۱	غن لی
		غ-و
۱۳۵	۲۴	غورهای
۲۲۰	۳۷	غورهٔ تو
۲۵۰	۳۷	« کز
۱۳۵	۲۲	« کو
۱۴۵	۲۱	غوره وانگور
۸۵	۶	غوطه ده
۵۹	۲۵	غولت از
۲۳۴	۱۱	غولهٔ را
		غ-ی
۴۲	۱۵	غیب را ابری
۷۰	۴۳	« مطلوب
۳۱	۲۵	« وآینده
۳۶۱	۳۱	غیر آن جمد
۳۴۴	۳۵	« آنچه بود
۳۱۱	۱۲	« آن زنجیر
۳۷۹	۱۷	« آن عجلی
۴۴	۷	« آن قطب
۴۰۵	۳۶	« آن قلعه
۱۴۵	۴	« آنکه
۴۳	۱۲	« آواز
۲۹۵	۱۹	« اهل شکر
۴۰۸	۲۵	« این پیر
۴۴۶	۱	« اینجمله
۴۱۱	۱۴	« این دو
۳۳۳	۳۲	« این عقل
۳۳۳	۳۱	« این معقولها
۴۱۳	۱	« پیر استاد
۳۶	۱۵	غیرت آن
۳۹۱	۵	« حق بردهٔ
۳۷	۱۳	« حق بر مثل
۳۶	۱۵	« حق بود
۱۶۴	۱۶	« حق گوشه
۳۶۱	۱۰	غیر تسلیم
۲۳۱	۳۵	غیرتش از
۴۰۶	۱	« بر
۲۵۸	۲۲	« را
۳۸۱	۳۲	غیرتشویش
۳۶۲	۳۴	غیرت عقل
۳۳۳	۱۲	غیرتم آید
۱۱۱	۲۶	غیرت من
۴۲۹	۸	غیرتو پشت
۷۵	۳۴	غیرتو هر
۴۰۸	۹	غیرتی دارد
۴۰۱	۲۸	غیرچستی
۱۸۴	۹	« حق جان
۳۱۹	۳	« حق جمله
۳۳۰	۳۲	« حق را

صفحه	سطر	اول بیت
۴۰۹	۲۴	غیر دنیا آخرت
۴۰۹	۲۳	« دنیا بس
۴۳۵	۱۴	« راتو
۳۹۹	۲۳	« راه این
۲۶۳	۱۷	« شه
۴۱۸	۲۴	« صندوقی
۳۴۸	۱۱	« عفو
۲۷۵	۴	« فضل و
۲۲۲	۳۳	« فهم
۲۴	۲۰	« مردحق
۴۰۸	۳۶	« مردن
۲۸۸	۲۴	« معشوق
۲۶۲	۳۵	« من
۲۶	۳۷	« نطق
۳۷۵	۱۵	« واحد
۲۱۳	۲۳	« هفتاد

حرف ف

صفحه	سطر	اول بیت
		ف-ا
۹۷	۲۱	فائده اول سماع
۱۱۲	۶	فائده اول که
۹۵	۳۴	« توگر
۳۲	۳۳	« فرما
۴۰۱	۳۰	فاتحه خواند
۶۷	۱۱	فاتقوا النار
۱۱۳	۱۰	فاخته سان
۱۳۵	۱	فارسی گفتا
۱۳۴	۴۶	« وترک
۴۴۰	۳۶	فارغ از لیل
۴۰۹	۱۱	« است
۲۰۳	۱۵	فارغم از
۱۵۷	۲۶	فارغ و مستغنی
۲۲۷	۱۵	فارغیم از
۴۳۵	۷	فارق این
۱۱۱	۹	فارقم فاروقم
۵۷	۱	فازن بالحره
۲۶۷	۲۰	فاسقی بد
۱۵۳	۲۰	فاش تسبیح
۳۶۶	۷	« کرد
۶۹	۱۵	« گردد
۱۵۶	۳	« مطلق
۳۹۱	۲۴	« میگفتی
۱۰۶	۵	فاطمه مدحست
۴۰۷	۱۷	فاعل مطلق
۴۰۵	۲۶	فاعل و مفعول
۱۹۶	۲۲	فاعلی چه
۱۰	۲۸	فالق الاصباح
۱۶۲	۱۹	فال بد
۹۸	۲۴	فانتبه ثم
۶۲	۱۴	فانتقمنا
۹۵	۳۵	فایدهٔ تو گر
۹۷	۲۶	فایدهٔ دیگر
۲۶۲	۴	فایده هر
۳۸۸	۱۷	فایق آید

صفحه	سطر	اول بیت
		ف-(ت-ج-ح-خ)
۳۳۷	۱۷	فتنها و
۲۸۷	۲۸	فتنهٔ تست
۲۰۵	۹	« زاد
۳۵۰	۱	فتنه که
۵	۱۶	« وآشوب
۱۱۳	۱	فتویت اینست
۲۸۳	۲۰	فجفجی افتاد
۳۸۹	۳۳	فجفجی در
۱۷۳	۲۹	فجفجی افتادشان
۱۰۱	۲۲	فحش آغازید
۲۶۳	۱۹	فخر آنسر که
۴۴۶	۱	فخر رازی
		ف-ر
۱۱۵	۶	فراو
۲۳۳	۱۶	فربهش
۳۹۹	۴	فربهی گر
۲۲۶	۱۴	فرج استر
۴۱۹	۴	فرجهٔ صندوق
۳۵۳	۵	فرجه کن
۱۹۵	۱۵	فرخ آن
۳۸۴	۱۳	فردی ما
۲۲۴	۶	فرش بی فراش
۳۱۵	۲	« سوزان
۱۲۲	۳۱	فرش و سقف
۱۴۷	۲۷	فرصت آن
۴۲۴	۱۶	فرض می‌آری
۳۰	۲۷	فرع دید
۳۹۸	۱۱	فرفردوسیست
۲۷۱	۲۷	فرق آنگه
۳۷۵	۲۸	« بسیار است بد
۶۰	۹	« بسیار است و
۳۳۲	۱۷	« بنهادم
۲۶۹	۲۴	« بین و
۱۱۹	۲۶	فرقت از قهرش
۱۹۸	۸	« صدر
۷۶	۸	فرقتی لو
۴۲۹	۳۶	فرقدان این
۳۹۶	۴	فرق زشت و
۴۴۱	۲۶	« گوی و
۱۶	۱۴	« نتوان
۳۳۲	۱۹	« نکند
۲۲۳	۸	« و
۲۲۳	۹	فرقها
		ف-(ص-ض)
۶۵	۹	فصل تابستان
۲۸۴	۲۶	فضل آن آتش
۲۳۴	۱۷	« آن مسجد
۴۳۰	۴۷	« ان احسنتم
۱۸۰	۱۵	« بی علت
۲۷۰	۳۳	« توبر
۳۴۹	۳۷	« توگوید
۲۸۲	۴	« حق با
۱۰	۱۰	« ظاهر

صفحه	سطر	اول بیت
۲۴۱	۳۷	فضل مردان بر
۲۴۱	۳۸	«
۲۴۳	۳	فضل مسها را
۲۳۲	۱۹	فضلها دزدیده
۴۰۴	۱۶	فضله ماند
		ف-ع
۳۰۲	۲۱	فعل آتش را
۳۱۶	۱۴	« او کرده
۴۲	۱۹	« باران
۴۳۶	۳۰	« بالقوه
۴۰۷	۱۱	« برارکان
۴۴۳	۱۸	« بلعم
۳۴۳	۲	« تست
۳۵۸	۲۶	« توکان
۲۹۶	۷	« تووافی
۴۲	۵	« حق
۳۰	۱۸	« رادرغیب اذ
۳۵۸	۲۷	« رادرغیب ص
۴۴۰	۴۱	« راگر
۴۴۳	۲۱	« شدادی
۴۳۵	۳۰	« نااحسن
۲۸۲	۲۹	« وقول آن
۲۰۴	۲۲	« وقول صدق
		ف-ق
۳۷۳	۲۲	فقر آنمحمود
۳۷۳	۲۳	« آنمحمود
۱۹۰	۷	« ازین
۲۹۶	۱۷	« خواهی
۹۹	۲۲	« را
۲۹۰	۲۶	« فخری بهر
۲۹۰	۴	« فخری را
۴۸	۲۳	« فخری نز
۵۵	۳۷	« لقمه
۶۱	۹	« ورنجوری
۵۷	۲۷	« فقه فقه و
		ف-ك
۱۲۸	۱۰	فکر آن باشد
۸۲	۲	فکرت از
۲۸۸	۶	« بد
۹۲	۱۹	فکرتت را
۴۳۲	۴۲	فکرت صائب
۳۴۱	۲۰	« غم
۱۰۹	۲۴	فکر تو
۳۴۱	۲۲	فکرتی کز
۸۲	۲	فکر چه آنجا
۲۶۷	۳۹	« خفته
۳۰۷	۱۲	« خودرا
۳۴۱	۱۷	« درسینه
۳۴۱	۹	« را
۲۹۱	۲	« زنبور
۳۰۱	۳	« طفلان
۳۴۱	۱۰	« غم
۲۶۵	۱	« کان
۴۳۲	۲۱	« کس

صفحه	سطر	اول بیت
۳۵۳	۱۲	فکر کو
۱۲۶	۲۱	« گاهش
۲۵	۲۹	« ماتیریست
۳۲۱	۲۳	« واندیشه
۳۹۳	۲۲	« هااز
		ف-ل
۴۱۱	۱۰	فلسفه گفتش
۱۲۴	۸	فلسفی از نوع
۳۸۷	۱۶	« خودرا
۴۴۶	۲۰	« رادیده
۴۴	۱۸	« رازهره
۲۶۱	۳۰	« راسوخت
۶۵	۱۷	« کومنکر
۶۵	۱۶	« گوید
۶۵	۱۹	« مر
۱۰۴	۱۲	« منطقی
۶۵	۱۶	« منکر
۱۵۶	۲۳	« و
۲۶۱	۱۴	فلسفی گفت
		ف-(و-ه-ی)
۱۵۱	۴۳	فوت شداز
۲۵۱	۳۹	فوت کردی
۱۰۹	۱۱	فوقی آنجا
۱۷۱	۱	فهم آبست
۴۱۸	۸	فهم آن بهتر
۳	۶	« اگردارید
۴۳۰	۳۳	« اگرداری نک
۳۶۲	۱۶	« توچون
۲۶۱	۳۴	« کردم کانکه
۱۶۳	۱۶	« کردم لیك
۲۴۰	۲۶	« کردی زو
۳۲۶	۸	« کن موقوف
۱۹۷	۱۹	« نان کردی
۱۳	۲۲	« وخاطر
۵۶	۴	فهمهای کهنه
۱۴۳	۲۳	فهولا یرضی
۱۰۹	۷	فی السماء
۴۳۳	۲۶	فی المثل دنیا
۴۴۳	۳۲	فی حق دنیا
۱۴۰	۲۴	فیل بچه
۱۲۵	۶	فیه آیات
		حرف ق
		ق-ا
۱۷۴	۲۳	قائل این
۴۴۶	۴۵	قائمه افلاك
۲۱	۳۳	قابل امر
۵۹	۴	قابل این
۴۳۹	۸	« بخت
۲۳۶	۳۴	« تعلیم
۲۷۶	۲۶	« تغییر
۹۶	۷	« خوردن
۴۱۲	۳۸	« ضوبود
۱۱۷	۳۹	قابله گوید
۴۲۸	۲۹	قابلیت چونکه
۳۰۵	۱۱	قابلی گرشرط
۴۳۷	۳	قادراست و
۴۴۵	۴۲	قادروحی و
۳۶۰	۳۶	قادری بیگاه
۲۱۸	۲۴	قاصداً آنروز
۲۳۲	۲۴	قاصداچون
۱۳۳	۱۱	« خودرا
۲۶۴	۹	« سائل
۴۱۴	۷	« شه
۱۳۳	۱۲	« زیر
۱۵۶	۲۲	قاصدان را
۱۲۳	۹	قاصدان زو
۱۳۴	۲۷	قاصدشه بسته
۶	۹	قاصدی بفرست
۱۳۴	۲۲	« دانا
۳۳۴	۳۰	قاصرات الطرف
۳۳۴	۳۰	«
۱۲۱	۱۷	قاضئی بنشاندند
۴۴۱	۴۵	قاضی ابله
۳۹۴	۲۹	قاضیا نرادر
۲۵۰	۲۱	قاضیانی که
۴۳۱	۳۵	قاضی بدعهد
۴۳۱	۳۱	« فی النار
۴۳۱	۲۱	« قزوین
۳۷۵	۳۴	« وصوفی
۴۰۵	۱۸	قاطع الاسباب
۲۳۷	۲۸	قاعدهٔ هرروز
۱۸۸	۱۰	قافله حیران
۳۳۶	۶	« می شد
۳۶	۲۲	قافیه اندیشم
۴۳۰	۱۸	قال ازوو
۵	۱۰	قال اطعمنی
۴۴۳	۹	قال ان احسنتم
۳۳۶	۳۸	قالب بی جان کم
۳۳۶	۳۹	« نمی
۳۳۶	۳۹	قالبت پیدا
۱۳۶	۱۶	قالب خاکی
۴۳۷	۲۹	قال لم تؤمن
۲۰۵	۸	قامت تو
۴۴۰	۲۷	قانع از
۲۹۵	۱۵	قانعی با
۲۱۱	۵	قاهری دزد
		ق-ب
۱۴۳	۱۵	قبض دل
۱۴۳	۱۷	« دیدی
۴۰۳	۳۵	« وبسط
۱۴۳	۱۵	قبضها زندان
۲۷۱	۱۲	قبطیان نك
۳۸۲	۸	قبله ازدل
۳۸۰	۳۵	قبلهٔ باطن
۲۸۴	۱۸	« جان
۴۶	۲۰	قبله حاجت
۳۹۱	۱۱	« راچون
۳۸۰	۳۴	قبلهٔ زاهد
۳۸۰	۳۳	قبله عارف
۳۸۰	۳۶	« عاشق
۳۸۰	۳۶	قبلهٔ فرعون
۳۷۴	۱۱	قبله کردم
۳۸۰	۳۴	« مردان
۳۸۰	۳۵	« معنی
۳۹۹	۱۷	قبلهٔ وحدانیت
۲۴۲	۱۷	قبهٔ برساختستی
		ق-(ت-ح-د)
۱۴۳	۲۴	قتل الانسان
۳۹۳	۲۸	قحطاز
۴۷	۴	قحطده سال
۲۴۵	۱۲	قداوا ورنگ
۴۳۵	۴۷	قدتو
۲۳۴	۷	قدجلنا
۲۹۴	۳۱	قدچون سرو
۳۶۸	۳۵	قدح اورا
۳۳۲	۱۸	قدر آن ذره
۱۹	۸	قدرت آن سگ
۱۹۰	۱۸	قدرت سرمایهٔ
۳۳۱	۲۹	قدرت تو
۱۲	۱۷	« خود
۳۳۱	۳۰	قدرتش برجنگ
۲۷۹	۸	قدرتو بگذشت
۴۱۴	۱۶	« جان
۴۰	۱۴	قدرجعنا
۸۵	۱	قدرفندق
۳۱۵	۳۹	« هر
۲۶۲	۲۵	« همت
۷۶	۲۱	قدسیان
۱۴۴	۱۶	قدفضضتم
		ق-ر
۱۳۳	۲۱	قرب آوازش
۱۴۸	۱۶	« برانواع
۲۷۴	۳۸	« بیچون چو
۲۷۴	۳۸	« بیچونست
۷۷	۲۳	« پنجه
۱۴۸	۱۵	« خلق
۱۴۶	۳۶	« ماهی
۲۱۰	۱۲	« نی بالا
۴۰۵	۱۶	قرة العینت
۳۴۰	۳	قرص خورشید
۴۶	۲۶	« مه
۲۹۵	۲۰	قرض ده زین
۲۸۱	۱۳	« ده کم
۴۳۳	۳۵	قرع میگوید
۲۳	۲	قرعه برهر
۲۳	۱	« برهر
۴۲۴	۱۸	قرن قرن و
۴۲۹	۴۶	قرنها باید
۳۹۹	۹	قرنها برقرنها
۴۰۷	۳۱	قرنها راصورت
۳۹۹	۸	قرنها بگذشت
		ق-س-ش
۸۰	۱۵	قسم باطل
۱۸۶	۱۱	قسمت حق است
۳۵۸	۱۷	قسمت حقست
۱۲۲	۲۷	قسمت خود
۸۶	۲۹	قسمتش کاهی
۲۴۹	۲	قسم تو
۱۸۳	۳۴	قسمتی کرده
۲۴۰	۶	قسم دیگر
۲۸۳	۳۵	قسمشان
۱۶۴	۲۶	قسم من
۲۲	۳۹	« هر
۱۵۹	۱۲	قشرجوز
۲۲۱	۷	« راگفتیم
۱۲۹	۲۵	« هابر
۱۲۹	۲۶	« هارا
۲۶۸	۳۰	« های
		ق-ص
۳۴۴	۲۷	قصد آن مه
۳۸۵	۱۰	« او آن
۱۲۳	۴	« ایشان
۳۴۶	۲۶	« جفت
۱۲۸	۳۹	« جنگ
۱۲۳	۲۹	« خانه
۱۰۶	۵	قصد خون تو
۲۹۸	۲	« خون تو
۱۲۵	۴۲	« خون من
۱۴۳	۲۷	« خون ناصحا
۱۱۳	۱۷	« درمعراج
۳۸۸	۱۱	قصدشان آن
۱۲۳	۵	« تفریق
۴۱۶	۲۸	« زانکار
۳۸۵	۹	قصدشاه
۲۲۸	۴	« شه
۳۸۲	۲۲	« کردستند
۱۱۳	۱۶	« کعبه
۱۱۳	۱۵	« گنجی
۲۲۸	۲۴	قصدم از
۲۱۹	۱۲	قصدماستر
۲۲۸	۱۸	« من
۱۱۲	۸	« هردرویش
۳۹۴	۱۱	قصراگرچه
۴۰۲	۲۹	« چیزی
۱۱۹	۱۰	« رااز
۱۹۴	۶	« هاخود
۲۵۱	۳	قصهٔ آن آبگیر
۴۱۵	۱۸	« آن خواب
۴۴۷	۲۴	« آن خواجه
۱۴۵	۶	« اصحاب
۱۴۴	۸	« اهل
۳۲۸	۳	« این گاو
۳۰۱	۲۸	قصه باطول
۲۸۰	۲۳	« بسیاراست
۳۷۷	۱۰	قصهٔ پاره
۱۸۲	۵	قصهٔ خرگوش
۳۷۹	۳۲	« دور
۲۴۱	۵	« راز
۱۱۶	۳۷	« رنجورگو
۴	۲۵	« رنجورو
۱۰۳	۹	« شاه
۴۰۵	۳۲	« شهزادگان آ
۴۲۵	۲۱	« شهزادگان نا
۴۳	۳۰	« طوطی
۶۵	۳۳	« عاد
۲۲۴	۱۲	« عثمان
۳۱۱	۱۳	« عشق
۲۱۱	۱۱	« عهد
۳۴۲	۲۷	قصه کوته کن کر
۴۲۴	۲۰	« کوته کن که را
۴۲۵	۴۴	« کوته کن که ر
۴۱۸	۷	« کوته کن که ش
۴۱۱	۱۳	« کبخسرو
۲۳۴	۳۰	« گفت آن
۲۲۹	۳۴	« گویم
۳۱۰	۳۷	قصه محمود
۱۱۰	۶	« واگفت
۱۷۱	۶	« هاآغاز
۳۰۶	۲۵	« یونس
		ق-ط
۳۱۸	۳۰	قطب آن باشد
۳۱۸	۲۷	« شیرو
۱۹۶	۲	« گوید
۲۷۲	۲	قطرهٔ آبی
۴۴۱	۲۹	قطرها در بحر
۱۵۰	۱۲	قطرهٔ از باد
۵۸	۶	« ازدجله
۴۴۱	۲۷	قطرهای صد
۳۳۶	۲۱	قطرهٔ ایمانش
۱۹۵	۲۴	قطره باقلزم
۲۴۴	۴۸	قطرهٔ برزیر
۳۹	۹	قطرهٔ دانش
۲۳	۱۷	« دل
۳۸۷	۷	« زان
۳۹	۱۰	« علمست
۳۴۹	۱۸	قطره فطره
۳۹	۱۱	« کان در
۱۰۳	۳۶	قطرهٔ کز بحر
۳۷۴	۳۵	قطره گرچه
۵۲	۷	« مبارید
۳۲۵	۲۳	« های بحر
۱۶۸	۱۷	قطع و وصل
		ق-(ع-ف)
۲۵۵	۲۰	قعرجو
۲۸	۲۹	قعرچه بگزید
۱۸۳	۲۹	قفل بردلها
۳۱۳	۲۷	« رابر
۱۸۶	۳۲	« زفت است
۳۱۵	۹	« کردن

صفحه	سطر	اول بیت
۲۹۵	۲۷	قفل مشکلها
۳۵٤	۲۰	قفلهای نا
		ق - ل
۲۹٦	۳	قل اعوذت
۲۷۷	۲۰	قلب آتش
۲۹۲	۱	« اعیانست
۲٤۲	۳۸	« اگردر
٦۵	۲٤	« پهلو
۲۲۹	۱۸	« چون
۳٦۸	۷	« راکان
۱۸۳	۳۲	« راگوئی
۱۲۰	۱۳	« رامن
۳۰٤	۳۲	« ماندی
۲۷۷	۲۰	« میزد
۲٤۲	۳۷	« میگوید
۲۱۳	۱۱	قلبهای من
۳٦۳	۱۵	قلتبانا
۲٤۸	۱۲	قل تعالوا قل
۲٤۸	۳	«
۲٤۸	۳	«
۲٤۸	۲	«
۲٤۷	٤۰	قل تعالوا گفت از
۵٤	۲۵	« حق
۲٦٦	۱۹	قلتی کان
۲۱۰	٦	قلعهاهم
۷۱	۱۱	قلعه داری
٤۰۵	۱٦	« راچون
۱۱۸	۱٤	قلعهٔ سلطان
۹	۱	« ویران
		ق - ن
۳۵۲	۱۱	قنداورا
۱۱٤	۲۳	« بیند
۳۸۰	۲۵	« حکمت
۳۵٤	۱۸	« خررا
۱۹۷	۲۲	« شادی
		ق - و
۱٦۳	۲٤	قوت آن درویش
۱٦٤	۱٤	« آن کو
۱۷۱	۳۳	« استدن
۹۵	٤۱	« اصلی بشر
۹۵	٤۰	« اصلی را
۹٦	۹	« اذ ر
۸۹	۹	« ایمانی
۱۷۱	۳٦	« پا
۱۳۸	۲	قوت از
٤۳٦	۲۰	قوت تحریك
۳۲	۲	« جان
۱۳۸	۳	« جبریل
۱۳۱	۲۳	« حق
٤۳۱	۱۲	« عاشق
۲۹	۳٦	قوتم بخشید
٦۲	۳٤	« بگسست
٤۳۹	٤	« در
٤۲۲	۳۱	قوت میخوردی

صفحه	سطر	اول بیت
۱۵۸	۳۵	قوت نقاش
٤٤۳	٤۸	« وبود
۳۵۹	۳٦	قوتی باید
۳۰	۱٤	« خواهم
۳۷۲	۱۳	« کان
۱۲۸	۳۰	قوت یك
۲۲۸	۱۱	قوتی گیرد
۱۷٤	۲۳	« وراحتی
٤۱۸	۵	قوس ابرو
۳۵۰	۱۳	« اگر
۱۳۵	۱۵	قول ان من
٤۳۰	۱۱	« این
۳۳۱	٤۰	« بنده
۲٤	٦	« پیغمبر بجان
٤۲	۲۱	« پیغمبر شنوا
۱٤۵	۳۲	« پیغمبر شنوا
۱٦۲	۱۹	« پیغمبر قبوله
۳۸٦	۲۱	« حق را
۸٤	۳	« دیگر
٤۳٤	۱	« ماینطق
۲۸۲	۲۸	« وفعل آمد
۲۸۳	۷	« وفعل اظهار
۲۸۲	۳۱	« وفعل او
۲۸۳	۵	« وفعل بی
٤٤۰	٤٤	« وفعل و
۳۵۲	۱۱	قوم بروی
۲۳۳	۱	« تودر
٤۲۹	۳۸	« دیگر دست
۱۳٦	۳۵	« دیگر را
۱۸۷	۱٦	« دیگر سخت
٤۲۹	۳٦	« دیگر کرده
۱٦۷	۲۲	« دیگر می
۱۳٦	۳۵	« دیگر نا
٤۱۸	۱۸	« را
۱۲	۸	« عیسی
۱۸٤	۲۱	« گفتندار
۱۸۷	۲٤	« « ای صـ
۱۸۳	٤۱	« « ایگرو
۱۸۰	۸	« « ایگرو
۱۸۳	۲۸	« « ای نصـ
۱۸۰	۲۲	« « اینهمه
۳٤۲	۳۱	« گفتندش به
۲٦۰	۲۱	قوم گفتندش که افز
۳۰	۱۹	« که اورا
۲۳	۱۱	« که ای
۳٦۰	۳۲	« که ای
۲۳	۵	« که چند
۳۹٤	۱۵	« که فط
۲۱	۲۰	« که که
۲٦۰	۱۹	« که ما
۲۰۰	۲۵	« که هین
۲۰۱	۲۹	« مکن
۱۷۰	۱٤	قوم گفتندم
۱۷۹	۲۸	« گفته شکر

صفحه	سطر	اول بیت
۳۸٦	۱۱	قوم معکوس اند
۱۱۷	۱۹	« موسی راه
۲۷۱	۱۸	« موسی شو
۱۲۰	٤	« نوح
٤۲۸	۲۱	« هفتم
٤٤۱	٦	قومی از
۵۰	۲۹	قومی اندر
۳۰٦	۲۰	قوم یونس
		ق - ه
۲۲۵	۱۰	قهر اورا
۳۰۷	۱٦	« حق
۷	۱۸	« خاصی
۱٦۱	۷	« راز
۳۵۲	۱۰	« سر که
۵۲	۲۰	« شیرین
۳۷۰	۸	« گردد
۲۱۱	۲	« میگردید
۱۲۰	۱۷	« ولطفی
۱۰۱	۲۳	قهقهه خندید
۳٦۸	۲	« زد
		ق - ی
۷۰	۲٤	قی در افتادند
٤۰٤	۱۸	قیمت آن
۳٤۷	۱۸	قیمتش بگذار
۳٤۷	٤۰	قیمت گوهر
۱۷۹	۱۱	« هرکاله
۱۷۷	۲۷	« همیان
		حرف ك
		ك - ا
۳٤۲	۱٦	کاب راگر
٤۲۵	۳۸	کاب ساکن
۱٤۷	۳۵	کابله طرار
۲٦۷	۱٤	کابلی ساحره
٦۷	۲۵	کاتب آنوحی
۱۳۵	۲۷	کاتحاد
۲۷۱	۲۸	کاتش وسواس
۱۸۱	۳	کادمی کو
۱۲۵	۱۰	کاذبی با
۲۹۸	۳۲	کار آن دارد خو
۹۵	۲۳	« آن دارد که پـ
۹۵	۲۸	« آن دارد که حـ
۲۱۱	۳۰	« آنکار
۳٤۳	۱۰	« آنکس
۱۷۳	۳۷	« ازین ویران
۲۰۹	۲۷	« اواز
٤٤۳	۱۷	« اواورا
۲۸۲	۱۱	« اواین
٤٤۵	۲٤	« اوخلق
۳٦۱	۱۵	« اودارد
۳۳۹	۵	« اوسالوس
٤۰	۲	« ایشانست
۹۰	۳۰	« بخت است
۳۰۲	۳٤	« بی استاد

صفحه	سطر	اول بیت
۹	۱	کار بیچون
۳۱۱	۲۳	« بی علت
۸	٤	« پاکان
۱۰۲	۷	« پنهان
۲۸۵	۲۲	کارت این بود
۳٤۲	۳۸	کار ترکانست
۳۵٦	٦	« تقوی
۱۲۲	۷	« تواین
۲۹۱	۳٤	« توتبدیل
۹۱	۱۱	« چون بر
٤۲۹	٤۷	« حکمت
۲۷۳	۳۱	« خود
۳۲۰	۱۰	کار دآوردند
۱۷٦	۳۲	کار دراز اشتاب
٤۸	۲۰	کار درویشی
٤۳۱	٤٦	« دنیا اینچنین
٤۲٤	۳۵	« دنیارا
۲۷۳	۳۰	« دوزخ
۳۷۲	۲۳	کار زورا
٤۳٤	۱۷	کارساز
۲۰۲	۳۲	« سحراین
٤٤۰	۱٤	« عالم سر
٤٤٤	٤۰	« عالم ماند
۸٦	۱	کارك خود
۹۱	۱۱	کار کن در کار
٤٤۲	۱۵	« کن لله
۳۳۳	۳	« کن هین
۳٤۹	۱۷	« کو ترچیست
۳۱۳	۱۹	« کی میکن
۲۱۷	۳۲	« گاه خشم
۹۰	۵	« گاه صنع
۲۱۰	۱۳	« «
۹۱	۱۲	« گه چون
۹۱	۱۳	« گه چون
۲۳۲	۱٤	« ما اینست
۹	۷	« مردان
۱۰٤	٦	« من بی علت
۲٦۳	۱۸	« من سر
۳۱۳	۱۹	« میکن
۲۱۱	۳۷	« نایداز
۲۰٤	۲۳	کاروان دایم
۳۹۳	۱۷	« درکارو
۱۲٤	۱	« دریابد
۱٦۹	۲۵	کاروانها بینوا
۳۵۸	۷	کاروانی دید
۳۲۰	٦	« راه
٤۰۳	۲	کاروبار انبیا
٤۱۳	۱	« وباری کان
٤۱۲	٤۰	« وباری کت
٤۱۲	٤۰	« وباری که
۲۳۹	۱۹	« هادی این
۱۷۲	۱۷	« هاز آغاز
۲۳٦	۲٦	« هرکس
۳٤۲	۳۷	« هر نازك

صفحه	سطر	اول بیت
٤۲٤	۳۵	کار یزدان را
۱۵۳	۱۱	کاژدهای
۱۹۳	۱۰	کاسمان
۳۳٤	۲٤	کاسهادان
۳۲۷	۲۹	کاسه بر کاسه
۳۳٤	۳۳	« پیدا
۱۰۷	۳	کاش از خاکی
٤٦	٦	کاشتران قربان
۱۲٤	٤	کاشتری دیدیم
۳۳	۱۳	کاشتهار خلق
٤۹	۱۵	کاش جانت
۱۰	۳۱	« چون اصحا
۲۳۸	۲۵	« چون طفل
۲۳۲	۱۸	کاشف السریم
٦۲	۳٤	کاشکی آن زخم
٦	۲٦	« آن ننگ
۲۳۸	۲۵	« او آشنا
٤۳۱	۳۲	« بودی
۲٦۹	۳۵	« کو
۳۱۷	۱۳	« مادر
۹۱	۲	« معمور
۸۵	۳۲	« من گرد
۲۱۳	۲۵	« هستی
٦۳	۱۲	کاشنا بودند
۲۷۳	۲۵	کاصل هر مکری
۲۸۳	۳	کاعتقادم راست
۳۱۲	٤	کاغذی جوید
۲۹۱	۲٦	کاغ کاغ و
۸	۱٤	کافران اندر مر
۱۵	۲۰	« چون
۱۰۳	۳۳	« دیدند
۳۰۲	۳۰	« رابیم
۲٦۸	۲۸	« راندرد
۳۳۹	۳٦	« قانع
۲۲۹	۱۸	« قلبند
۱۸۵	۱	« کارند
۱٤٤	٤	« گویند
۷۸۰	٦	« مهمان
۲۵۸	۳۵	« همجنـ
۳٤۲	۱۸	کافر بسته
۵۰	۸	کافر بیرار
۳۳۳	۲۰	« جبری
۹۲	۲۵	کاف رحمت
۲۸۰	۳۸	کافرك را
۲۲	۲۷	کافرم من
۱۷٦	۱۵	کافر و فاسق
۸۷	۸	« و مؤمن
۲۷۲	۱۷	کاف کاتی
٦۱	۳٦	کاف و نون
۲۷۲	۱۸	کافیم بدهم
۲۷۲	۱۹	« بی دارویت
۲۷۲	۱۸	« بی نان
۲٤۱	۵	کالبدنامه است
۱٤۸	۳۱	کالتفات خالق

صفحه	سطر	اول بیت
۳۰۴	۱۶	کالله‌الله
۱۱۵	۲۷	کالهٔ‌حکمت
۴۰۵	۶	« دزدیده
۳۶۵	۱۳	کاله‌راصدبار
۳۷۱	۲۴	کالهٔ‌که‌هیچ
۳۰۴	۳۰	« معیوب‌بخر
۴۱۵	۲۳	« معیوب‌و
۱۴۸	۲۳	کام‌ازذوق
۴۱۸	۶	« بنماو
۲۸۹	۱۴	کامتحان‌را
۱۵۶	۳۸	« کردیم
۸۶	۱۴	کام‌تومو‌قوف
۲۷۳	۱۳	کامدش‌پیغام
۲۸۰	۷	کامدیم‌ایشاه
۳۱۰	۲۳	کامرسلطانست
۴۰۶	۱۴	کامشان‌پرزهر
۲۴۴	۲۷	کاملان‌از
۴۲۹	۲۳	« باطن
۹	۲	« کز
۳۴	۲۲	کاملی‌گر
۱۵۰	۲۹	کان‌اسیران
۱۰۶	۳۸	« بغیرآب
۱۸۹	۳۹	« بلادفع
۳۹۵	۲۴	« بلیس‌از
۹۱	۲۷	کانبیارانی
۳۸۴	۱۷	« رنج
۳۸۴	۱۰	کان‌تحمل
۹۰	۲۰	« جمال‌دل
۲۱۴	۱۶	« جوان‌در
۳۸۰	۱۳	کانجهان‌همچو
۲۳۵	۳۲	کانچنان
۲۹۹	۳۶	کانچه‌اصل‌اصل
۱۴۹	۴	« پنهان
۴۱۰	۲۱	« توبا
۱۷۲	۱۶	« جاهل
۹۵	۶	« دارد
۲۷۳	۲۳	« ماکردیم
۳۸۱	۱۷	« میجستی
۴۰۷	۳۴	« میکاری
۶۴	۲۳	« میگوید
۳۰۸	۳۱	کان‌خدای‌خوب
۸۲	۳۱	« خرش‌در
۲۴۳	۳۶	« خلیفه‌داده
۱۴۶	۱۸	« خوشی
۳۰۱	۲۳	کاندرآن‌ترکیب
۹۲	۱۵	« آن‌خانه
۱۳۹	۱۰	« آن‌در
۳۹۱	۱۳	« آن‌دم
۱۹	۱۸	« ایمان
۸۹	۷	« این‌زندان
۸۸	۴۰	« این‌زندار
۳۴۴	۱۰	« این‌کاغذ
۸۸	۳۱	« این‌یك
۱۰۳	۱۱	کاندرختان

صفحه	سطر	اول بیت
۳۰۲	۳۹	کاندرون‌دام
۲۹۶	۱۹	« سینه
۳۷۲	۶	کاندرونشان
۱۶۳	۳۷	کاندرین‌ادبار
۲۱۰	۵	« خواري
۱۱۱	۲	« فرصت
۳۹۱	۹	کاندعاشد
۳۱۷	۴	کاندهای‌شیخ
۲۲۳	۱۰	کان‌دلیرآخر
۴۴۱	۱۸	« ذلك‌فی
۴۴۵	۱	« ذلك‌فی
۴۰۹	۲۲	کانرسول‌حق
۳۶۰	۲۴	کانزمان‌پیش
۴۳	۲۲	کانزمین‌و
۳۰۸	۳۶	کان‌سرکوه
۶۰	۳۳	« سباهم
۱۳۰	۳۶	کانسباهی‌بر
۲۷۴	۳۳	کانشهی‌که
۴۰۶	۱۴	کان‌طبیبان
۱۳۲	۲۱	« عجب‌زین
۲۶۶	۳۵	« عجوزه
۱۶	۴	« عدورا
۱۰۷	۳۷	« عودی
۱۷۱	۴	« عوضها
۱۷۸	۱۶	« فسون‌و
۹۴	۳	« فلانخانه
۱۷۶	۳۸	« فلان‌خواجه
۳۳	۱۹	« فلان‌طوطی
۲۱۴	۲۰	« فلانکس
۹۰	۲۹	« فلانی‌یافت
۳۶۶	۳۶	« فلك‌پیما
۱۱۶	۲۱	« قندم
۳۹۷	۲۲	« کسابرنور
۲۰۳	۳۶	« کلوخ
۳۷۵	۴	« که‌اززجر
۱۸	۱۶	کانکه‌این‌بت
۲۵	۱۵	کانکه‌دزدیده
۳۲۵	۸	کان‌گدائی‌که
۶۰	۲۶	« گروهی‌که
۱۵۹	۴۴	« لب‌خشکت
۲۱۶	۴	« لله‌بودهٔ
۲۵۷	۳۳	« لله‌دادن
۲۲	۱۷	« مسلمان‌را
۳۷۵	۱۰	« معلم‌نایب
۹۰	۳۲	« منافق‌در
۴۰۶	۵	« نبدمعروف
۳۴۸	۲۴	« نظرشیرین
۲۲۵	۳۸	« نظرنوری
۸۱	۱۹	« نفس
۳۷۷	۱	« نه‌آن
۲۸۱	۱	« یدالله
۱۵۲	۲۴	« یکی‌دریا
۴۳۹	۳۲	« یکی‌را
۹۴	۳	کاوزاول‌دم

صفحه	سطر	اول بیت
۴۴۳	۴۱	کاوهٔ‌حداد
۱۴۱	۱۷	کاه‌باشدکه
۳۶۶	۱۱	« برگی‌پیش
۱۱۴	۲۰	« برگی‌مینماید
۲۷۳	۴	کاهلان‌امرود
۱۶۰	۱۳	« وسایه
۱۶۰	۱۲	کاهلم‌چون
۱۶۰	۱۲	« من
۴۲۴	۳۴	کاهلی‌راکرده
۴۰۳	۷	کای‌اخي‌بس
۱۵۰	۳۳	« اسیران‌را
۱۵۰	۳۳	« اسیران‌سو
۳۳۹	۹	« امیرازتو
۳۱۲	۱۹	« امیران
۱۱۵	۱۵	« امیرصید
۷۵	۳۱	« بسوزیده
۱۲۶	۴۳	« پدر
۱۴۴	۱	« خداافغان
۱۷۵	۲	« خدااین
۴۰۵	۳۰	« خداتان
۸۵	۲۰	« خداتو
۱۷۶	۲۵	« خداخصم
۱۴۹	۷	« خدارسوا
۳۳۲	۳۵	« خدازین
۳۲۰	۲۲	« خداکار
۴۰۲	۸	« خداگر
۳۵۵	۳	« خداوند
۴۶	۳	« خدایا
۱۹۰	۲۹	« خروس
۱۴۰	۳۵	« خسان
۴۲	۳۳	« خلاصه
۴۴۶	۳۷	« خلیفه‌ارض
۲۵۶	۳۶	« دریغاآن
۳۰۸	۱۱	« دریغ‌آن
۳۵۷	۱۵	« رخت‌تابان
۱۲۲	۳۲	« رسول‌حق
۱۲۹	۲۱	« رهاننده
۲۴۳	۲۷	« زبحرو
۱۰۶	۳۹	« سجودم
۲۷۵	۳۰	« سخنگوی
۴۴۴	۴۱	« سلیمان‌حکم
۲۱۲	۶	« سلیمان‌معدا
۱۱۲	۳۳	« شریف‌من
۱۵۵	۲۳	« شه‌صاحب
۲۹۱	۱۵	کایعجب‌پیش
۲۴۶	۹	« چونم
۵۸	۵	« لطف
۲۷	۲۵	« نهی
۴۳۵	۴۸	کای‌عقاب
۱۵۲	۱۶	« عوانان
۳۳۰	۲۸	« غلام‌بسته
۳۰۷	۹	« غلام‌خاص
۳۰۶	۳۱	« فرشته
۳۸۶	۲۸	« کریمی

صفحه	سطر	اول بیت
۱۴۰	۳۸	کای‌کلیم‌الله
۳	۲۴	« کمینه
۶	۱۵	« لطیف
۶۵	۳	« محب‌عفو
۱۲۴	۲	« مسلمانان‌که
۳۱۰	۸	« ملایك
۳۸۳	۱۱	کاین‌اباحت
۲۷۷	۲۱	« اگرنه
۳۵۸	۶	« ایازتو
۲۲۲	۳۱	« بجهدتو
۲۲۰	۳۰	« بخواندانه
۲۲۷	۲۶	« بوداندیشه
۷۴	۱۱	« بیك‌لفظی
۲۸۰	۲	« تانی
۲۹۷	۹	« تحرك
۲۸۱	۱۸	« تراسود
۲۰۹	۳۳	« تفکر
۳۴۶	۲۰	« جزا
۱۲۸	۶	« جوال‌گند
۲۱۰	۳۳	« جهان‌جیفه
۱۳۹	۴	« جهان‌چاهی
۴۰۸	۲۴	« جهان‌خور
۲۱۶	۱۴	« چراغی‌را
۱۶۹	۷	« چگونه
۲۳۱	۱۷	« چنین‌آتش
۲۳۱	۱۱	« چنین‌بانگ
۱۲۳	۲۰	« چنین‌پیران
۲۵۴	۲۷	« چنین‌دارو
۳۸۳	۴۱	کاینچنین‌زنرا
۱۸۰	۳	« فعلی
۲۸۱	۳۱	« کردم
۲۷۷	۱۴	« کس
۳۰	۲۸	« مردی
۱۳	۳۹	کاین‌چه‌بدبختی
۳۴۷	۳۹	« چه‌بیباکیست
۱۶۷	۱	« چه‌شاید
۶۶	۳۴	« چه‌شکر
۵۰	۱۲	« چه‌غلست
۲۶۳	۳۰	« حروف
۲۱۶	۹	« حسام‌و
۱۲۸	۳۶	« حقیقت
۳۲۴	۳۲	« حیات‌اورا
۱۲۳	۳	« خبیثان
۳۹۱	۴	« خردها
۳۷۹	۳	« درشت‌و
۳۱۱	۳۲	« دودایه
۴۴۵	۴	« زلال
۲۲۶	۳۴	« زمان
۲۵۳	۱۳	« زمینرا
۱۹	۳۸	« سبب
۳۹۸	۳۵	« ستاره
۲۰۵	۱۶	« سخن‌پست
۲۰۹	۶	« سخن‌را
۲۴۱	۱	« سفرزین

صفحه	سطر	اول بیت
۲۴	۸	کاین‌سه‌را
۶۰	۲۲	« سیم‌جانب
۳۲۵	۱۸	« شدست
۴۱۸	۱۲	« شقایق
۷۱	۱۹	« ضیاما
۳۰۸	۲۰	« طلب‌در
۱۶۰	۱	« طلب‌کار
۱۴۶	۲۸	« طلسم
۹۱	۱۸	« عدو
۴۴۴	۴۲	« علی‌الار
۳۹۴	۳۲	« غرضها
۱۳۲	۸	« فقیر
۲۶۰	۱۹	« قران
۳۹۳	۱۰	« قضا
۴۰	۱۶	« کدو
۱۴۸	۳۴	« گواه‌صدق
۱۳۹	۳	« محالست
۵۷	۵	« مدمغ
۲۳۳	۲	« مریدان
۱۰۱	۷	« مگرقصد
۱۱۰	۱۴	« مگرقصد
۴۵	۱۵	« منی‌از
۶۷	۱۲	« نمازم
۲۳۶	۴	« نه‌برجایه
۳۶۷	۲۵	« ولی‌الله
۲۷۳	۱۷	« همه‌اعجاز
۴۴۲	۱	« همه‌شمع
۴۶	۲۴	« همه‌فقر
۱۶۲	۲۲	« همه‌کردیم
۲۳۶	۱۰	« هوابر
		ك-(ب-ج-ح-خ-ذ)
۳۱۱	۳۲	کبرزان
۴۷	۳۶	« زشت‌و
۶۴	۲۸	« وکفران
۱۳۶	۴	کبك‌ایشان
۲۳۰	۵	« جنگی
۲۳۸	۳۴	کجرواست
۲۷۰	۷	کحل‌دیده
۱۸۵	۲۵	کخکخی‌و
۳۹۰	۲۶	کذب‌چون
		ك-ر
۳۴	۳۲	کراصلی
۱۷۸	۴۳	کرامل‌رادان
۳۰۰	۳۰	کربخندند
۶۷	۳	کربرون‌آمد
۷۴	۲۸	کردآگه
۴۱۸	۳۲	« آنحمال
۴۲۲	۲۱	« آنخافان
۱۹۱	۳۵	« اجابت‌زن
۴۴۷	۱۷	« ازصنع
۸۵	۲۹	« اشارت‌با
۳۸۹	۳۹	« اشارت‌دلقك
۳۴۸	۷	« اشارت‌شه
۳۶۲	۳۳	« اشارت‌عایشه

صفحه	سطر	اول بیت
٤٠٩	٤١	کرد اشارت کش
٤٣١	١	« اقامت
٢٨٣	١٨	« الحاحش
٤٢٩	١٤	« او موجودت
٣٤٧	١٥	« ایثار
٣٤٦	٣٨	« باأویك
٣٥	١٢	« بازرگان
١٠	٣	« باوی شاه
٨٩	٢٥	« بیچاره
٣٠٢	٧	« خاموش
٤٣٠	١٢	« خدمت خواج
٣١	٢	« خدمت مر
٧١	٤	« درانگشت
١٥١	٥	« دلداری
٦٦	٣٣	کرد رآمد
١٠	٤	کرد رسوایش
٤٣٧	٢٠	« روآنگاه
٤٤٢	٨	« رودر
٤٠٨	٢٦	« زاربها
١٨٢	٣٠	« شان آنجا
٢٦٣	٣	« شه شمشیر
٣٣٧	٣٠	« شیخ اسلام
٤٣٥	٢٤	« صید
٤٤٥	٩	« عزم آن
١٣٤	٢٩	« عزم باز
١٥١	٣٤	« عمران
٤	١٢	« عیسی
٢١٢	٣٤	« فضل
٤٠٧	٣٠	« کار خویش
٢٥٨	٤١	« مجنون را
٣٤٥	٨	« مردی
٣٤١	٥	« مهمانخانه
٢١٧	٢١	کردمی از زخم
٢٣٦	٢٣	کردمی من
٣٠٢	٦	کرد نادیده
١١٨	٩	« نقاشی
١٠٩	٣٣	« نیکو
٤٣	٢٨	« وترک
٢٢	٨	« وصف
١٩٤	٥	« ویران تا
٨	٢٨	« ویران خانه
١٤٦	١٠	کرده آهنگر
٤٢٩	٤	کرده اعراض
٤٤٣	٢٥	« افعال
٣١٧	١١	« ام آنها
٥٩	٢١	« ام بخت
٤٢٩	٦	« ام من
٢٢٢	٣٢	کرده او کرده تسه
٢٦٣	٢٩	« او کرده شاه
٣١٤	١٢	کرده ایم آنها
٨٦	١١	« باچشمت
٢٨٢	٣	« بدظن
٨٦	٣٦	کرده بر دیگران
٢٤	٢٩	« تأویل

صفحه	سطر	اول بیت
٤٣٢	٣	کرده ترك
٤١٢	٢١	« تماحی
٦٤	٢٧	« حق
٢٨٦	٣	« ذوق
١٨٨	١٠	کرده رو بوش
٤٣٨	١٢	کرده سجاده
٢٢	٨	« مکرو
٤٤٣	١٦	« ضایع
٣٨٧	٣٠	« منزل
١٣١	١٦	کرده می راتو
٤٣١	٢٦	کرده هر دو
٤١٢	١٤	کرده یوسف
٤٢٣	١٢	کردی ای نفس
٣٥٦	٧	کردیك داماد
٣٠٢	٢٦	کرسی از یك
٦٩	٢٦	کرشد این
٣٤٩	٣٨	کرکسان مست
٤٣٣	٤٥	کرکست کو
٤٢٨	٣٥	کرکش حمال
٤٣٣	١٨	کرم الله وجهه
٤٢٨	٣٧	کرم پیله
٩٨	٢٥	کرم در بیخ
٢٨٤	١	کرم سرگین
١٥٣	٣٩	کرمکست این
١١٤	٢٩	کرم کاندر
٢٥٦	٢٤	کرم کرمی
٢٢٠	٣٢	کرم کوزاده است
٢٦١	١٥	کرمکی کاندر
٣١٠	١٣	کرمکی و از قذر
١٤٩	١٩	کرو فر و آب
١٧٨	٣٣	کرهمی گوید که
٥١	٢٥	کره ناقه بسوی
٥١	٢٨	کره ناقه چه
		ك (ز-ژ)
٩٠	٣١	کز اگر گفتن
٢٩٩	٢٨	« برای تو
٥	٥	« برای حق
١٢٢	٣٠	« برای عز
٦٩	٣٠	« برای من بیو
٢٢٤	٣٤	« برای من بد
٣٠٧	٤	« برون فرمان
٣٠٣	١٧	« پس آینه
١٦	٢٦	« پس این
١٧٨	١٠	« پی مرضات
٣٦١	١	« تناقضهای
١٦٠	٣	« جوار طالبان
١٤٤	٣٧	« جهان زنده
١١٩	٢٩	« چنان روئی
٢٧٠	١٤	« چه در رو
٣٠٣	٣٣	« حجاب و
٢٨٧	١٦	« حسدوز
٢٢٠	٢٠	« خلاف
٣٦٦	٢٣	« ذنب
١٨٠	٢٨	« رمهٔ پیلان

صفحه	سطر	اول بیت
٣٤٤	٢٤	کز زلیخای
١٤٦	٦	« سفرها بنده
٢٠٥	١٥	« شعاع
١٧١	١٨	« شقاوت
٢٦	٣	« شکسته
٣٤١	٣٥	« ضرورت بود
١١٥	١٥	« ضرورت دم
٤٢١	٢٣	« ضرورت هس
٨٧	٢٢	« ضرورت هس
٣٣٨	٢١	« ضجر
٤٨	١٩	« طمع عیش
٣٤٤	٣٧	« عمل زائید
٤٦	٣١	« عناو
٣٧٣	١٤	« غزای
٢٨٩	٧	« فضولی
٢٣	٨	« فلك
٢٢٢	٤	« قیاس خود
١٤٠	٢١	« کباب پیل
٢٣٠	٢٤	« کجا آوردمت
٤١٦	٢٤	« کجا امیدوارم
٤٣٩	٣٢	« کجا کی آمدی
٣٧	٢٦	« کرشمهٔ
٤٤١	٣٨	« کمان و تیر
٩٧	٢٧	« کمی خشت
٣٤١	١٦	« محبت با
٢	١	« نیستان
١٧٢	٢	« همه نومید
٣٧٢	٤	« یمین است
١٢١	١٣	کز دم از گندم
٣٣٢	١٤	کز روی جف
٢٧٠	١٦	کز شود یالان
٥٢	٦	کز مخوان ای
٣٦٦	٢٥	کز منه ای
٣٠٧	٢٠	کز مینديش
٩٢	٣٣	کز نگویم آن
١٧٥	٢٥	کز نهم تا
		ك-س
٤٤٦	١٢	کس از آن
٢٢	١٠	کسب جز
٣٣١	١٥	کس بدین حجت
١١٩	٧	کسب دین عشقه
١٧٥	١٤	کسب راهمچون
٥	٢٥	کس بزیر
٣٢٠	٢١	کسب شکرش
١١٩	٨	« فانی
٩٠	٣٠	« کردن
٢٢	٣٥	« کن
٣١٧	٣٩	کس چه میداند
٣٦٥	٢٢	کس در اینجا
٢٩٧	٣٦	« زکوه و
٣٣٥	٧	« نبودش
٥١	٢٧	« نتانست
١٥٦	١٥	« نتاند بیش
٣٣٤	٢٣	« نخواند بعد

صفحه	سطر	اول بیت
٥	٢٠	کس ندارد گوش
٤٣٢	١٩	« ندارم
١١٥	١٠	« نداند از
٣٢٤	٢٣	« نداند روسه
٣٥٩	١٩	« نداند مکر
٤٢٩	٢٤	« ندانست و
٤٢٩	٤٠	« ندانسته
٢٦٤	٣	« نسازد
٣٢٩	٣٠	« نگوید سنگ
٢١٨	٢	« نمی جنبد
٢٢٠	١٥	« نمی داند که
٥١	٢١	« نیابد بر دل
٦٨	٤٠	« نیابد بر دل
		ك-ش
٣٢١	٣٨	کشتی سازی
١٢٦	٥	کشت ایشان را
١٧٥	٦	« گاوم
١٧٥	١١	کشتم آنرا تا
٩١	٢٤	کشتم او را
٧	٧	کشتن آنمرد
٤٢٨	٢٩	« او نیست
٣٠	٧	« این کار
١٩٣	١١	« این نار
٤١١	١٧	کشتنش به
٩٥	٢٦	کشت نو کارند
١٧	١	کشتن و مردن
٣٣٨	٣١	کشتنی اندر
٢٦٨	٥	کشت و باغ
٤٤٦	١١	کشتها را گشت
٣٧٥	٢٣	کشته از ذوق
١٠١	١٢	کشته بر جست
١٤٧	٣٢	« خر کره
٢٥٣	٧	کشتهٔ ذریت
٤٢٤	٢٢	کشته شد در
١٧٧	٧	« شد ظالم
٢٥٣	٧	کشتهٔ و خو نشان
١٩٨	١٠	کشته و مرده
٢٠٦	٣٣	کشتی بی لنگر
٢٧٠	١	« نوحیم
١٧٧	٢٣	کشف این
١٨٧	٤٠	کشکشانش
		ك-(ظ-ع-ف)
٢١٧	٣٥	کظم غیظ است
٦٧	٦	« اینست
٣٨٠	٣٣	کعبهٔ جبریل
٣٠٤	١٣	« درویش
٢٣٤	١٦	« راکش
١١٣	٣٢	کعبه را یکبار
٦٧	٢٢	« نادیده
١١٣	٣٠	« هر چندی
٢٩٥	٣٦	کف بحس
٩٤	٣٠	« بر آورد
١٥٨	٣٤	کفر از روی
٣٨٣	١٦	« ایمان

صفحه	سطر	اول بیت
١٦٧	٢٥	کفر باشد نزد
١٠٦	٣١	« تو دینست
١٥٨	٣٤	« جهل است
١٢٩	٤١	« راحد است
٣٣٦	٢٤	« صرف
٢٦٨	٢٩	« قشر خاك
٤٢٠	١٢	« که کبریت
٤٩	١٩	« گفتم نك
٥٠	١١	« وایمان عاشق
١٢٩	٤٢	« وایمان نیست
٢٦٨	٢٩	« وایمان هر دو
٣١٦	١٣	« وظلم
١٠٢	٣٥	« وفرعونی
٤١	١٤	« هم نسبت
٣٠٤	٢٠	کفشگر هم
١٧٤	٢٨	کفك تصدیقش
٥٨	١٨	کف کرکر
١٥٤	٣١	کفك می انداخت
٣١٤	٣٣	کف گندم
٢١٩	٩	کفو باید هر دو
٢٩٥	٣٦	کف همی بینی
٤٠٠	٣٠	« همی مالید
		ك-ل
٣٦٤	٧	کل آت آت
١٦٣	٢٨	کل اصباح
٢١٨	١١	« باداز
٤٤٠	٨	کلبتین بر
٢٧٩	٢٠	کل توئی و
٤٢٩	٥	« حزب
٢٨٦	٣٩	« خود را خوار
٢٩١	٣٧	« زگل
٥	٧	کلشی قال
٧٥	٣٥	« ماخلا
٦١	١٦	« هالك
٤٤١	٢٨	« یرجع
٥٨	٦	کل عالم را
٢٦٨	١٦	کل عالم صورت
٤١٧	١٥	کلکم راع بداند
٢٠٣	٣٧	« نبی
٣٨٨	٤	کل لیل
٣٥٧	١٧	کلماهم اوقدوا
٨٦	٢٦	کله اش بر
٣٢٣	١٤	کله خرگوی
٣٨٨	٤	کل یوم فی
٦١	٢٩	« یوم هو
		ك-م
٤٩	٣٤	کم بودشان
٤٤٥	٣٠	کمتر و کوچکتر
٢٩١	٣	کمترین آکلانه
٩٦	٣٧	« جغد
٢٧٣	١٨	« حکمت
٢٣٢	٣٤	« خلعت
٢٥٨	٣٦	« خوشان
٢٥٠	٢٤	« زان

صفحه	سطر	اول بیت
۹۲	۳۹	کمترین عیبش
۴۰۷	۱	« غیبی
۳۲۴	۲۲	« فرعون
۶۱	۳۰	« کارش
۳۷۶	۳۱	« لعبت
۳۰۸	۳۰	کم خوری خوي
۲۱۳	۲	« زآب
۲۱۳	۳	« زیادی نی
۲۱۳	۴	« زچوبی
۷۹	۱۷	« زخاکی
۲۹۱	۱۴	« زعصفوری
۲۱۳	۴	« زکوه
۲۱۳	۳	« زناری
۱۸۱	۱۰	« فضولی
۲۸۶	۲	« کسی بر
۱۶۱	۸	« کسی داند
۹	۲۰	« کش ایشان
۱۸۳	۱۴	« کن ای پروانه
۳۸۵	۲۶	« گریز از
۲۶	۱۱	« نخواهد گشت
۲۲۳	۳۳	« نشین بر
۱۲۹	۳۶	« نگردد فضل
۱۱۴	۱۵	« نمود اورا
۱۱۴	۱۷	« نمودن بس
۱۱۴	۱۶	« نمودن مر
۱۶۰	۲۹	« نمیکرداز
۲۷۰	۱۵	« همی افتي
ك ـ ن		
۸۵	۹	کنت کنزاً رحمة
۲۶۴	۲۰	« گفت
۱۶۳	۲۳	کن تمام
۴۳۲	۲۸	« توکل
۸۸	۲۵	کنج زندان
۲۶۲	۱۷	کندبینش
۳۸۱	۲۳	« شدهم او
۴۴۵	۳۲	کندن از کان
۲۳۶	۳۸	کندن گوری
۱۰۹	۳	کندهٔ تن
۳۲۱	۴۵	« رالوطئی
۱۶	۲۰	کنگره ویران
۱۲۷	۲۱	کنگ زفنی
۴۳۳	۱۹	کن مرا تحقیق
۳۱۴	۲۹	کن میان
۴۲۹	۲۲	که ذات
ك ـ و		
۳۷۵	۶	کوادب از
۳۶۷	۱۴	کواسیر الله
۳۲۹	۱۱	« اشداء
۱۳۱	۲۲	« اگرزهری
۲۰۹	۳۶	« باشکسته
۶۳	۱	« ببندسرو
۲۲۶	۱۰	« ببخشدهم
۳۳۳	۳۶	« بترسدگر
۱۳۱	۲۳	« بدل گشت

صفحه	سطر	اول بیت
۴۳۱	۳۴	کو برآرد
۳۱۲	۲۲	« بقذف زشت
۸۹	۲۱	« بکواورا
۲۲۰	۲۹	« بکف سرگین
۱۸۳	۱۹	« بگوید کاین
۳۸۶	۲۵	« بلی گو
۳۶۸	۴	« بنزدمن نیرز
۳۶۸	۵	« بنزدمن همي
۱۶۰	۲۱	« بهر وعظی
۶۵	۱۵	« تحدث
۳۴۸	۱۶	« تهاون کرد
۴۲۱	۳	کوچکین رنجور
۴۴۶	۲۳	کوچکینش
۱۰	۹	کوچه آمیزد
۹۹	۲۹	کوحمیت تا
۱۲۶	۱۸	« خلیلی کو
۲۲۸	۲۸	« خیالی میکند
۳۲۸	۲۱	« دراین دو
۲۳۳	۲۵	« درون خویش
۸۹	۲۴	کودغاومفلس
۳۱۲	۱۸	کودفینه دارد
۸۵	۳۱	کودك ازغم
۴۰۸	۴۲	« امرد
۱۶۲	۲۱	کودکان آنجا
۱۷۸	۲۶	« افسانها
۳۳۶	۳	« ترسان
۱۴۵	۲۷	« چون
۳۲۹	۱۰	« خانه
۱۹۵	۳۵	« خرددر
۳۳۰	۳۵	« خردرا
۲۰۵	۱۹	« خردفهم
۱۹۷	۱۶	« خندان
۱۴۲	۱	« خواجه
۴۲۲	۹	کودك اندر
۳۱۳	۳۴	کودکان راحر
۲۳۴	۱۴	« راحر
۲۱۱	۱۶	« رامیر
۱۱۹	۵	« سازند
۲۰۷	۲۵	« کاسهٔ
۲۴۸	۶	« گرچه
۱۶۲	۳۱	« گفتند
۱۶۱	۱۹	« مکتبي
۴۳۱	۱۷	کودکانم مرده
۴۳۲	۱۸	کودکان واهل
۳۵۹	۵	« هرچند
۳۴	۳۰	کودك اول
۴۱۴	۴	« حلوائی
۱۸۹	۱۸	« دوماهه
۳۸۵	۴۱	« دیوانه
۴۴۵	۳	« واطفال
۲۴۱	۲۷	کودکی ازحسن
۴۰۹	۲	« بیمارم
۸۵	۲۵	« حلوا
۱۲۶	۴۳	« درپیش
۲۰۳	۸	« کو

صفحه	سطر	اول بیت
۳۳۵	۲۰	کودکی گرید
۱۷۴	۳۳	کوراز خلقان
۲۲۱	۱۵	« اگراز بند
۴۱۲	۳۴	« بارهبر
۳۷۰	۱۷	« براشکم
۲۲۴	۲۰	« چون شد
۱۱۵	۲۷	« دل با
۱۷۸	۳۵	« دیدو
۱۷۰	۳۳	« راهرهیز
۲۲۱	۱۷	« راخود
۹۰	۲۳	« راقسمت
۱۶۵	۱۳	« راهر
۱۷۰	۳۵	« ظاهر
۱۱۵	۱۴	« عاجز
۱۷۸	۳۲	« گفت اینك
۲۳۳	۱	« گفتش
۱۴۲	۱۲	« لرزان و
۴۳۴	۹	« مادرزاد
۱۷۴	۳۵	کورم ازغیر
۱۳۵	۳۶	کورمرغانیم
۱۱۵	۱۱	کورنشناسد که
۱۱۵	۱۹	« نشناسدنه
۱۲۸	۱۶	کورها کرد
۳۸۳	۱۰	کوره پیغمبرو
۴۲۴	۱۳	کورهٔ اورست
۴۲	۳	کوری ایشان
۱۷۰	۳۴	« باطن
۲۵۳	۸	« تو
۱۸۰	۱۴	« خودرا
۱۷۴	۳۴	« عشق
۲۴۳	۱۴	« کوران
۱۲۹	۱۷	« وشلی
۱۸۷	۱۹	کوزآتش
۱۱	۱۸	کوزآدم
۲۵۰	۲۶	کوزشب مظلم
۳۷۵	۱۹	کوزبنده کو
۱۴۸	۲۴	کوزهاسازی
۳۶۲	۱۳	کوزهٔ این تن
۵۵	۹	« باپنج
۳	۱۲	کوزه بودش
۲	۱۵	کوزهٔ چشم
۳۱۱	۲۶	« چوبین
۲۲	۳۲	« سربسته
۲۴۴	۳۳	« کواز
۴۰۱	۱۷	کوزه گربا
۱۶۵	۱۲	« گرگو
۳۳۴	۲۹	« می بینی
۲۴۲	۵	کوزهٔ نو
۲۵۲	۶	کوسوی دریا
۴۰۸	۴۱	کوسه رابد
۴۱۱	۲۰	کوسلیمانی که
۴۳۰	۱۴	کوشش ازمن
۲۸۲	۵	کوششش را
۱۴۴	۶	کوشش من

صفحه	سطر	اول بیت
۲۶۶	۳۴	کوشنیده بود
۱۸۸	۲۳	« غلام ما
۱۸۸	۲۶	« غلام من
۱۹۱	۱۳	« غنی است
۲۰۲	۲۱	کوفت اندر
۱۱۲	۲۹	« صوفی
۳۶۵	۱۳	کوقدوم و
۴۲۸	۸	کوکب سیار
۱۲۳	۲۱	کوکرم کو
۶۰	۹	« کسی که
۳۵۶	۱۵	« که باشد
۷۱	۱۱	« که مدح
۸۵	۹	« گرسنه خفته
۳۸۹	۱۰	« گشاده
۱۷۸	۳	« مبدل گشت
۲۰۶	۳۴	« مددهای
۱۳۱	۴۳	« مرااز
۲۹۱	۸	« نبی وقت
۹۰	۲	کون پرچاره
۲۸۷	۱۸	کونتیجهٔ زحمت
۳۶۵	۳۲	« نداتاخود
۸۴	۱۰	« نداندنقص
۳۹۰	۲	« ندیده بود
۳۲۰	۲۷	« نشاط
۲۴۴	۱	« نشان پاك
۲۴۳	۳۸	« « شکر
۲۴۳	۴۲	« « عشق
۲۲۶	۱۵	« نظرگاه
۲۴۱	۲۵	کون میگوید
۱۳۱	۴۲	کوه اگر پر
۲۰۶	۹	« باداود
۳۸۶	۱۶	« باوحشت
۱۸۲	۱۰	« برخود
۲۷۵	۳۳	« برفی میزند
۲۷۵	۳۴	« «
۲۷۵	۳۳	« برکه
۳۷۲	۳۱	« بودآدم
۴۲۲	۲۵	« بهردفع
۳۱۱	۳	« بیچاره
۲۷۱	۲۰	« درسوراخ
۳۶۴	۳۷	« راغرقه
۲۷۱	۲۰	« راکه کس
۴۲۱	۱۶	« راگفتار
۱۰۴	۷	« راگویم
۲۰	۱۴	« طوراز
۱۳۸	۸	« طوراندر
۳۹۷	۲۳	« قاف
۴۲۱	۳۱	« گردد
۱۸۰	۲۳	کوهما کوشه
۴۰۱	۷	کوهمانجا که امید
۴۰۱	۷	« که بوق
۴۰۱	۶	« که دل
۴۰۱	۶	« که صفا
۷۴	۱۱	کوهم وهستی

صفحه	سطر	اول بیت
۱۸۲	۳۲	کوهمی بیند
۳۰۵	۱	« ترساندت
۳۸۶	۲۳	کوهنرکو
۴۴۵	۴۸	کوه ودریاو
۲۲۵	۱۵	« ودریاها
۳۸۳	۲۲	« وکنعان را
۱۶۰	۲۲	« ومرغان
۱۷۷	۵	کوهها باتو
۳۸۲	۴۰	« ببرید
۹۵	۱۸	« بینی
۳۵۰	۱	« چون
۳۲۴	۲۰	« راهست
۱۳۸	۳۰	« وبحر
۱۵۳	۱۶	« هم لحن
۳۱۱	۴	کوه هم داند
۳۸	۱۸	« یحیی را
۳۴	۱	کویکی مرغی
۱۷	۱۰	کوی نومیدی
ك ـ ه		
۳۷۲	۱۲	که اثرها بر
۶۹	۵	« ازآن سو
۳۰۳	۱	« ازآنها
۲۱۷	۲۴	« ازاو اندر
۲۳۱	۲۶	« ازوفرزند
۲۷۰	۸	« ازین شاگرد
۴۳۳	۶	« ازین شاهنشه
۲۰۵	۱۹	« اساطیر است
۱۶۷	۳۸	« اشمر دبرگ
۳۰۴	۲۱	« اصول دخل
۲۹۵	۱۸	« اضل اعمالهم
۳۴۱	۱۸	« اعذنی
۳۸۸	۳۶	« اکابررا
۲۰۱	۱۳	« اگر بیرون
۲۰۹	۳۱	« اگرحق است
۲۱۴	۲۵	« اگرحق است
۳۴۴	۱	« اگرندهد
۲۹۶	۲۱	« الم نشرح
۳۰۶	۶	« امانم ده
۱۴۸	۶	« بیراین رابط
۳۷۷	۲۹	« بیراین راقبا
۱۶۵	۴	« بیرم دست
۱۰۰	۱۳	« بیوئی دل
۳۲۰	۵	« بینم رزق
۳۵۸	۱۴	« پرس آن
۲۹	۲۱	« پرورداصل
۲۰۳	۳	« بتاسانید
۳۶۸	۳۵	« بجویم اشپش
۱۲۳	۱۳	« بحق این کلام
۳۰۷	۱	« بحق ذات
۱۴۳	۳۸	« بخود اینست
۳۲۷	۲۲	« بخور توهم
۳۳۳	۱۴	« بخوردندت
۳۹۴	۴	« بدانم سگ
۳۹۲	۳۵	که بدست آرند

صفحه	سطر	اول بیت
۱۶۲	۵	که بدعوی الهی
۳۴۱	۶	« بدم یار
۴۳	۲۱	« بدوایوب
۳۸۱	۱۳	« بدین سان
۳۰۶	۲۷	« برابر مینهد
۲۳۸	۲۳	« برآیم برسر
۴۰۱	۱۶	« بردحقد
۱۴۲	۱۹	« بروآنجا
۲۸۷	۱۵	« بروازیه
۲۳۱	۲۷	« بروای پیر
۲۵۷	۱۰	« بروکتاب
۱۴۳	۳۴	« بروماخود
۱۵۰	۲۷	« برون آرند
۲۹۵	۳۰	« برویدآن
۴۴۴	۱۴	« بصورت
۴۴	۵	« بظن تقلید
۴۱۰	۲	« بعمرخود
۷۳	۲۸	« بفرمایا
۳۶۶	۲۶	« بقدرجرم
۴۴۸	۱۰	« بقول دشمن
۱۱۳	۱۶	« بکاری بر
۳۳۰	۲۷	« بگفتم که
۱۳۰	۲۷	« بگفتی چند
۲۶۵	۶	« بگواین
۲۳۱	۲۱	« بگویدگر
۳۳۸	۸	« بگیراینك
۲۱۷	۳۰	« بلای دوست
۲۸۷	۹	« بلغزدکوه
۱۲۵	۱	« بلی منهم
۳۸۴	۳۳	« بمردیم اغلب
۱۴۸	۱۰	« بنشناسم
۲۵۳	۳۵	« بودافتاده
۱۶۵	۵	« بودشان
۳۳۴	۱۶	« بوقت زندگی
۵۸	۲	« بوی ده این
۱۳۱	۴۱	« به ازمن
۱۰۱	۱۰	« به بندم ای
۱۷۶	۱۶	« به بینیدم
۶۹	۸	« بهشتی که
۱۱۶	۱۲	« بیاآخر
۳۵۳	۲۴	« بیائیدازجهت
۲۲۷	۳۸	« بیائیدای عزیز
۲۳۹	۷	« بیاتاما
۱۸۰	۳۲	« بیارابم
۲۰۲	۱۳	« بیارم من
۳۸۲	۱۴	« بیاسوی
۳۶۱	۱۱	« بیامن باش
۱۴۱	۲۰	« بیامهمان
۲۸۰	۳۱	« بیاورمطهره
۳۰۶	۵	« بیزدان لطیف
۴۰	۱	« پری وآدمی
۱۹۳	۲۰	« تأنی هست
۲۶۵	۱۵	« تجافی آرد
۲۴۹	۲۷	« ترا ازتو

صفحه	سطر	اول بیت
۴۰۰	۱	که ترا ازعین
۳۷۴	۳۱	« ترازوی حق
۱۹۹	۲۲	« ترامیجوید
۲۴۰	۱۱	« تعلق
۴۴۴	۱۳	« تمام آن
۷۵	۲۹	« توپاکی
۲۲۲	۲۹	« توراگفتیم
۴۰۵	۲۲	« توراگوید که
۱۷۴	۲۲	« توروزی شه
۱۴۶	۲۳	« توروی یار
۸۵	۷	« توزان دور
۹۲	۲۷	« توزاهل
۳۰۶	۳۳	« توزوری
۲۲۰	۶	« توشش سله
۴۲۰	۲۹	« توصاحب
۲۶۰	۱۷	« تومیری هر
۲۰۴	۸	« چراآتش
۲۵۳	۱۷	« چرااین اطا
۳۳۰	۳۴	« چرابرمن
۳۰	۱۴	« چراپیغام
۳۶۶	۲	« چراتویاد
۳۵۳	۱۸	« چراجزمن
۳۷۴	۱۱	« چراقبله
۲۶۴	۱۵	« چراکشتی
۴۲۴	۹	« چرامن تابع
۴۲۰	۱۲	« چرامن سجد
۳۴۳	۲۲	« چرامی نفکند
۳۶۶	۳۸	« چرامی یاد
۲۵۹	۲۴	« چگونه گفت
۲۵۸	۱۳	« چنین تتماج
۴۱۱	۱۳	« چودر کشتی
۲۵۵	۲۵	« چوزشتی لا
۳۹۱	۱۰	« چوماوراورا
۳۳۵	۳۲	« چه باشدگر
۴۰۲	۲۲	« چه تقصیر آمد
۲۶۸	۲۷	« چه جای مژد
۲۳۷	۳۲	« چه جنسی
۱۷۵	۳۳	« چه چندین
۳۲۷	۳۹	« چه خواهم خ
۳۲۸	۲	« «
۲۷۴	۱۹	« چه غم بود
۳۵۴	۳۷	« چه گویندم
۲۲۶	۳۹	« چهل منزل
۱۰۷	۱۰	« چه مقصود
۳۸۳	۱	« چه میخواهی
۳۴۴	۵	« چه میخواهی
۲۳۴	۱۵	« چه میکردم
۱۶۰	۱۷	« چه میگوید
۳۸۴	۲	« چه نسبت
۲۵۶	۲۱	« حجاب گنج
۴۰۲	۴	« حرم باهر
۲۴۶	۲۹	« حسن باشد
۱۳۶	۱۴	« حملناهم
۲۰۲	۲۵	« خدا آن

صفحه	سطر	اول بیت
۳۷۷	۲۱	که خدا اسباب
۲۲۷	۱۵	« خداشیرین
۲۰۲	۲۵	« خنوسش
۳۷۲	۳۰	« خوریداین
۳۶۲	۲۸	« درافکندم
۱۳۴	۳۴	« درختی هست
۱۳۲	۸	« درین کشتی
۱۶۴	۶	« دعائی همنی
۱۱۴	۲۶	« دگرگون
۲۹۳	۲۲	« دل آوردم
۲۸۰	۳۵	« دلش میگفت
۳۹۰	۵	« دل شه
۲۷۱	۳۷	« دوصد
۱۰۵۵	۳۶	« دومرداورا
۵۱	۳	کهربادارند
۲۰۹	۲	« عاشق
۲۴۲	۷	« هم هست
۵۱	۳	کهربای خویش
۴۳	۱۳	« فکر
۱۰۴	۲۰	« مسخ
۴۲۲	۱۹	که رسم یا
۲۸۰	۱۱	« رعیت دین
۲۶۹	۱۶	« رویدآنجا
۱۲۰	۹	« رهداز مکر
۲۲۲	۱۴	« زآواز
۱۸۲	۳۱	« زاشک
۳۳۰	۱	« زالهام و
۲۰۶	۳۲	« زجواندر
۳۳۲	۱۶	« زدست من
۴۳۵	۲۶	« زدش بر بر
۲۰۸	۹	« زدل
۳۸۹	۳۵	« زده دلقك
۳۷۱	۳۹	« زسایه
۷۵	۳	« زضد
۳۴۲	۳۳	« زطاقاطاق
۳۴۲	۳۳	« زفشانش
۲۰۵	۱۴	« زقرآن
۱۲	۲۰	« زکشتن
۳۴۰	۲۰	« زلطف یار
۱۶۷	۹	« زمصحف
۴۲۸	۳۳	« زموج
۱۵۰	۱۸	« زموی و
۱۴۸	۳	« زمین را
۳۲۴	۳۷	« زمین وآسما
۲۱۹	۲۰	« زهر ناشسته
۲۶۱	۱۰	« زیزدان
۲۷۳	۲۷	« سبها
۲۶۹	۲۴	« سری کم ک
۸۸	۳۹	« سلام ما
۱۸۷	۳۶	« سیاهی بر
۳۸۸	۲۳	« شفای جملهٔ
۲۱۰	۳۵	« شمابروانه
۲۹۷	۲۷	« شماچون
۲۹۹	۹	« شمایاریدبا

صفحه	سطر	اول بیت
۳۰۹	۱۴	که شناسا
۲۵۵	۳۰	« صدامی
۹۳	۲۹	« صفات خواج
۲۵۷	۱۸	« صفربگذشت
۲۳۸	۱۷	« صواب اینه
۳۴۰	۱۳	« طعم لاغر
۲۶۲	۳۷	« عبادت مر
۲۷۵	۲۴	« عجایب
۲۸۳	۱	« عرض اظهار
۲۸۷	۲۵	« عقیم است
۳۲۰	۳۶	« علاماتست
۴۰۱	۳۶	« عمادالملك
۳۹۹	۳۸	« عمررانان
۱۷۶	۱۳	« عیال خواجه
۱۵۳	۲۲	« غرض تسبیح
۲۰۰	۲۵	« غریبی
۴۴۵	۵	« غنی گردم
۱۴۸	۳۸	کهف اندر
۳۸۲	۱	که فتوت
۴۳۵	۴۱	« فرستی تیر
۳۲۳	۳۲	« فلانجا حوض
۲۹۸	۱	« فلانجا شاهد
۳۹۱	۳۱	« فلانی
۲۵۸	۱۲	« کجابودست
۴۳۹	۲۳	« کجابودند
۲۳۷	۱	« کجغائب
۳۹۴	۴	« کدامین خا
۳۹۰	۸	« کسی خواهم
۲۶۸	۲۵	« کسی مان
۳۲۹	۳	« کسی ناخواه
۲۸۷	۴	« کعبهٔ این
۲۰۹	۳۸	« کندخود
۲۵۸	۲۳	« کنم بارای
۲۲۹	۲۱	« که باشد
۲۰۲	۱	« گرایشان
۳۱۳	۲۹	« گروهی بر
۱۸۷	۴۰	« گروهی را
۱۸۵	۲	« لئیمان در
۴۴۰	۷	کهل را از
۴۴۴	۳۴	که لعین
۸۷	۱۶	« لوانزلنا
۳۱۰	۲۶	« مبادا کباین
۳۶۸	۲۷	« مرا ازبندگی
۱۴۷	۳۷	« مرا ازخوی
۲۲۵	۲۷	« مرا ازغیب
۴۴۲	۳۴	« مرا اندیشه
۲۶۶	۳۸	« مرا این علم
۳۸۲	۲۶	« مرا بروای
۲۵۳	۹	« مرا بینی
۳۸۹	۸	« مراخود
۱۰۴	۴۱	« مرادتو
۲۶۳	۲۶	« مرادت هست
۱۳۱	۱۳	« مرارنجی
۱۲۲	۲۶	« مراروزی

صفحه	سطر	اول بیت
۳۳۱	۱۱	که مرا صد آرزو
۱۵	۲۳	« مراعیسی
۲۲	۱۹	« مرافرمود
۴۱۴	۳۲	« مراکاریه
۳۹۶	۱۱	« مراوراگرگ
۳۴۳	۶	« مراهرروز
۴۴۱	۴۸	« مرایك
۲۰۷	۶	« مروزانسو
۳۴۵	۱۲	« مشوغره
۲۳۵	۳۳	« مضاعف زو
۳۸۰	۱۸	« معانی آن
۲۸۰	۱۳	« مقیم خانه
۱۷۲	۳۴	« مگر بازوی
۱۶۴	۴۰	« مگر سالوس
۱۱۷	۲	« مگر نوعی
۲۷۴	۶	« من آنجا
۱۷۹	۴۰	« من اینرا
۴۲۴	۱۲	« منجم گفت
۳۳۴	۲۰	« منم آن اصل
۱۳۱	۴	« منم برحال
۳۱۲	۲۱	« منم کباین
۲۳۶	۲۳	« منه این
۲۴۱	۹	« موافق هست
۳۳۳	۲۹	« مهان ما
۳۲۱	۱۱	« نبایدخورد
۳۵۸	۲۵	« نخواهدشد
۴۴۲	۲۸	« نخواهدماند
۲۶۱	۳۱	« نسوزیدست
۴۴۲	۵	« نشان زین
۲۲۶	۱۴	« نظرگاه
۲۳۶	۱۱	« نفرساید
۲۶۳	۲۲	« نقاب حرف
۳۳۳	۳	« نگرددسنت
۲۵۷	۲۲	« نگرددصاف
۳۹۷	۲۷	« نگنجیدم در
۵۵	۲۲	« نگهدارآب
۱۴۳	۲۰	« نمی باید
۲۳۱	۷	« نمی ماند
۲۹۸	۹	کهها نشانند
۱۴۱	۱۹	که نه چربش
۳۰۸	۲۹	که نه حبس
۲۶۹	۳۲	کهنه دوزان
۴۲۲	۳۳	که نه من هم
۲۹۲	۱۳	کهنه و پوسیده
۲۵۵	۴	که نهم بر ریش
۷۳	۴۰	« نیم کوهم
۴۰۴	۱۵	« وفای دام
۲۵۶	۲۶	« هزاران خانه
۲۷۲	۱۲	« هلا بشتاب
۲۲۱	۱۴	« هلا بیش
۲۰۷	۸	« هلافردا
۱۷۹	۲۵	« هلا نعمت
۱۷۹	۱۰	« همی دانم
۴۱	۲۱	« همینی در

صفحه	سطر	اول بیت
۱۳۳	۳۶	که یقین دیدم
۹۲	۴۲	« یکی راده
۲۴۶	۳۷	« یکی رقعه
		ك ـ ی
۲۵۱	۲۱	کی از اینجا
۱۵	۱۵	« اسیر
۲۵۴	۱۱	« ببینم من
۲۵	۱۷	« ببینی سبز
۷۴	۲۱	« بدیدندی
۲۸۱	۱۰	« بدی معمور
۴۱۳	۳۵	« بجد
۱۰۳	۱۱	« برابر دارد
۱۰۴	۲۴	« بروید سبزه
۳۳۳	۳۱	« بری زان
۳۷۶	۳۲	« بگنجد در
۱۰۴	۲۷	« بگوید لکلک
۲۴۳	۱۰	« بمانم مرده
۴۹	۳	« بود آواز
۲۰۱	۶	« بود اورا
۲۱۹	۷	« بود این
۲۹۳	۲	« بود بوبکر
۴۳۹	۲۰	« بود چون
۳۴۶	۱۵	« بود طاعت
۳۸۱	۹	« بود کان
۱۱۷	۲۴	« بود که حلم
۱۹۵	۳۲	« بود ماهیت
۴۳۶	۱۷	« بود نمرود
۲۱۹	۸	« بود همرنگ
۸۰	۲۲	« به بینم روی
۱۰۴	۲۶	« بیاید بلبل
۱۱۱	۱۷	« پر دمرغی
۱۳۰	۵	« پسندد
۲۵۴	۲۶	« تحدث
۶۴	۱۶	« تراشد
۲۲۹	۲۰	« توان اندود
۲۹۷	۳۰	« توان اورا
۱۸۸	۳۶	« توان باشیعه
۴۳۸	۱۱	« توان حق
۱۸۳	۳۴	« تواند آسمان
۴۸۴	۳	« تواند ساخت
۲۴۵	۲	« توان وشیه
۳۴۲	۳۴	« توانی کرد
۳۴۴	۱۵	« جمادی
۳۵۴	۱۷	« چشم درویش
۱۰۴	۲۵	« چناری
۲۴۸	۱۸	« چنین گوید
۹۱	۳۱	« حجاب
۳۸۵	۲۳	« دروغی
۹۴	۱۴	« درین عالم
۴۰۲	۱۹	« دهند زندانی
۳۰۳	۳	کردیدی
۱۹۵	۱۳	کرسانند آن
۱۸۱	۱۸	کرسدتن
۱۸۶	۱۰	کی رسد جاسوس
۲۲۱	۳۳	کی رسد مر بنده
۲۲۱	۲۷	« رسد همچون
۳۱۶	۵	« رسد این
۳۲۳	۳۴	« رسید اورا
۴۰۶	۸	« رمد از نی
۱۹۲	۲۰	« روا باشد که
۳۷۵	۳۲	« روا باشد که
۱۱۷	۲۲	« زسنگی
۴۳۶	۳۰	کیست آن التون
۴۳۹	۷	« آن التون
۱۱۲	۲۶	« آنصوفی
۲۱۲	۱۰	« آنظالم
۲۰۹	۷	« آن کت
۱۴۳	۳۶	« آن یوسف
۲۰۱	۳۲	« ابدال
۷۱	۲۴	کی ستاره
۳۲۶	۱	کیست اینجا
۸۳	۲۴	« بیگانه
۱۳۲	۴	« دلدار
۱۳۰	۱	« کافر
۴۰۶	۷	« کر
۱۸۲	۱۲	« کو نشنید
۱۸۲	۱۳	« کو نشنید
۱۳	۴	« ماهی
۴۱۹	۲۵	« مولا
۲۸۲	۱۲	کیسهای زر
۷۲	۲۱	کی سیه گردد
۱۰۴	۲۵	« شکوفه
۱۱۵	۲۵	« شناسد کور
۳۲۷	۴	« شناسی
۳۸۶	۱۰	« شود این
۶۱	۲۷	« شود باریك
۲۵۳	۱۵	« شود بستان
۲۴۲	۲۰	« شود پژمرده
۶۴	۸	« شود چون
۴۳۶	۸	« شود خود
۳۸۳	۱۸	« شود در باز
۹۵	۲۵	« شود دل خو
۳۷۴	۳۴	« شود راضی
۳۴۹	۳	« شود کشف
۲۵۳	۱۴	« شود گلزار
۳۰۸	۴	« شود محجوب
۲۷۱	۱۹	« طفیل
۲۵۵	۶	« فرستادی
۱۰۴	۲۶	« فرزد
۱۱	۱۵	کیف مدالظل
۳۱۰	۳۸	« باتی
۱۴۵	۹	« بغفل
۱۶۸	۳۲	کقبادی
۴۳۹	۱۹	کی قراسکیان
۱۰۱	۲۴	« کران گیرد
۲۱۹	۳۰	« کم از ره
۲۱۲	۳۵	« کار اندر
۳۴۱	۳۵	« کند آن
۴۴۷	۲۰	کی کند سودت
۴۱۳	۳۷	« کنم من
۸۲	۱۲	« گذارد آنکه
۳۸۱	۱۴	« گذارد حافظ
۳۹۷	۳۶	« گذارد گنج
۲۷۰	۴	« گذارد موعظ
۱۰۴	۲۴	« گلستان
۱۵۱	۱۰	« گمان بردی
۳۰۶	۵	کیل ارزاق
۲۷۲	۱۳	کیمیائی بود
۲۲۵	۳۵	« که
۳۹۸	۲	کیمیاداری دوای
۹۰	۹	کیمیاداری که
۱۳	۱۲	« ساواست
۲۶۵	۱۰	« سازان
۱۵۹	۳۵	کیمیای حال
۸۱	۲۴	« زهر
۲۴۳	۱	« فضل
۱۷۹	۳۵	« مرگ و
۱۲۸	۲	« مس
۴۱۶	۲	« نو
۵۴	۷	کین تعلق
۵۵	۱۷	« چنین اندر
۴۲۹	۳۸	« درختی
۱۳۰	۲۱	« روا باشد
۳۶۵	۱۱	کی نظارهٔ
۲۵۵	۵	« نکو کردی
۵۵	۲	کین گواهی
۱۰۴	۲۷	کی نماید کودکان
۱۷۳	۳۶	کی نماید کودکان
۸۳	۲۹	کین مدار آنها
۱۳۵	۱۹	کینهای کهنه
		حرف گ
		گ ـ ا
۳۱۸	۱۷	گازری بود
۹۱	۳۴	« گر
۱۴۵	۱۶	گام آهو
۴۲۲	۲۲	« اندازیم
۱۰۶	۲۷	« پای
۱۴۵	۲۹	« در صحرا
۱۴۲	۱۱	« زانسان
۲۲۹	۲۴	گامهای تند
۳۹۵	۱۹	گاو آبی
۳۸۰	۶	« آوردش
۱۹۹	۳۵	« اگر خسبد
۲۳۷	۱۳	« اگر واقف
۲۹۴	۷	« باشی
۳۸۵	۱۱	« بشتابد
۲۹۴	۱۳	« تن
۳۳۱	۳۳	« چون
۴۳۳	۴۰	« خراسی
۲۰۳	۳۴	« در غداد
۱۱۱	۱۱	« راالله
۱۸	۱۲	گاو ارنگ
۱۱۰	۲۹	« زین بانگ
۳۷۹	۱۷	« طبعی
۱۹۱	۹	« قربانی
۱۳	۲۳	« کبود
۱۰۱	۱۴	« کشتن
۱۷۵	۳۳	« کشته
۶۰	۳۸	« کوهی
۳۳۱	۳۲	« گریوغی
۱۶۰	۳۴	« گستاخ
۳۸۹	۶	« گفتا
۱۹۹	۳۶	« موسی بود
۱۹۹	۳۵	« موسی دان
۱۷۵	۳	« میخواهند
۱۱۰	۲۷	« میشاید
۱۰۱	۱۵	« نفس
۹۵	۳۸	« وخر را فایده
۴۳۰	۳۱	« وخر را نیز
۲۹۲	۳۲	گاه آهو
۴۵	۲۲	« بانگ
۳۸۰	۷	« بدظن
۱۰۶	۲۹	« برخاکی
۴۱۲	۳۰	« برکه
۴۱۰	۱۷	« پهنش
۲۴۶	۲۲	« جنگش
۶۶	۱۱	« جیمش
۱۰۶	۲۸	« چون موجی
۴۳۷	۴	« حرث و
۱۰۶	۲۹	« حیران
۲۵۵	۲۷	« حیوانی
۷۹	۲۷	« خورشید
۳۶۶	۱۹	« درسعد
۸۷	۲۹	« دست افشان
۲۱۸	۵	« دمرا
۲۵۵	۲۸	« دیده
۴۱۰	۱۷	« ریزد
۲۴۴	۳۶	« سرخ
۲۳۱	۳۴	« طفلم
۳۱۴	۲۲	« علم
۲۱۴	۵	« فریادش
۲۱۴	۴	« گفتی
۲۵۵	۲۶	« میدیدی
۸۰	۳	« نقش خویش
۱۵	۶	« نقش دیو
۴۴۳	۴۰	« وبی که
۲۱۴	۴	« هستی
		گ ـ ب
۷۷	۱۹	گبر این
۲۰۲	۴	« ترسان
۴۲۹	۵	« در آب
۲۳۷	۱۲	« دیدی
۲۸۰	۱۶	« راز
۴۲۹	۳	« رانزدیك
۳۳۰	۱۶	« گوید
۳۴۲	۲۰	گبر میخائید
۳۴۸	۲۴	گبر میگوید
		گ ـ ر
۳۷۲	۷	گر اثر بر
۶۶	۲۲	« از آن معنی
۳۹۱	۱۳	« از این انبار
۲۵۹	۳۳	« از این دولت
۲۸۹	۲	« از این زوتر
۲۶۹	۲۶	« از این سایه
۲۶۹	۲۰	« امین آئید
۱۴	۲۴	« امینم متهم
۱۷	۷	« اناری
۳۷۳	۸	« انیس
۳۹۲	۳۰	« بار دشب
۲۲۵	۱۷	« باری گوهر
۳۱۴	۱۳	« ببخشی جرم
۳۱۴	۱۳	« ببخشی یافت
۲۶۳	۱۸	« بر داو
۲۷	۱۱	« ببطلان
۱۳۸	۲۵	« بیندد ره
۴۰۶	۱۷	« بینمی بر
۸۶	۱۸	« بیند نور
۱۶۵	۹	« بینی خواب
۱۶۳	۹	« بینی میل
۲۶۷	۲۷	« بینی یك
۱۵	۷	« بیرانیم
۳۶۸	۲۳	« بپرسد عقل
۳۱۶	۱۲	« بپرسی گبر
۸۹	۳۲	« بپوشد بهر
۱۲۷	۲۹	« بپوشی تو
۲۲۱	۱۱	« بپوشیمش
۴۲۰	۳۵	« بپوشی ور
۵۴	۱۷	« بپشت امتحان
۵۴	۲۱	« بپیوندی
۳۱۱	۱۱	« بتازی
۱۷۲	۲۲	« بترسیدی
۵۸	۲۰	« بت زرین
۲۲۰	۷	« بتون انباز
۵۱	۲۹	« بجا آید
۳۲	۲۶	« بجهل
۲۹۷	۱۸	« بخسبی
۳۲	۲۸	« بخشم و
۴۱۸	۸	« بخلوت
۱۶۵	۸	« بخواب اندر
۷۰	۱۰	« بخواهد برعد
۷۰	۵	« بخواهد رفت
۷۰	۶	« بخواهد سو
۷۰	۶	« «
۳۸۵	۱۷	« بخواهد عین
۷۰	۱۰	« بخواهد کچه
۱۵۹	۳۵	« بخواهد مرگ
۴۶	۲۷	« بخواهم از
۳۰۱	۱۸	« بخواهی تو
۲۴۳	۱۱	« بخواهی ور

صفحه	سطر	اول بیت
٤٤٠	١٤	گر بخود نائیم
٣٨٦	٣٨	« بخویشم هیچ
٣٩٦	٣٦	« بدادی تشنه
٩٤	١٥	« بدامی افکنم
٢٩٢	٢	« بدانحالت
٨٦	٣٢	« بدانقسمت
٨٧	١٠	« بدانستی
١٤٨	٢١	« بدانسو
١٠٥	٢٩	« بدانم
٤٤٧	١٣	« بدانی از
٣٧٣	٢٣	« بدانی رحم
٣٤٨	٢٧	« بدانی سر
٢٨٨	٩	« بدانی که
١٥٦	٦	« بدزدیدش
٢٢٦	٢٩	« بدزدی وز
٣٤٧	٢	« بدش سستی
٨٧	١١	« بدل در
٢٩	١	« بدندانش
٤٣٧	١٦	بدی از عقل ا
٤٤٥	٢٩	بدی از عقل
٢٣٦	٣٨	بدی این فهم
١٠٣	٢٤	« بدی با
٢٨٩	١	« بدی بدتا تو
٣٩٧	٣٠	« بدی پرده
١٧٧	٢٨	« بدی جان
٧	١٦	« بدی خون
٩٤	٢٣	« بدیدآن
٣٣٧	١	« بدیدی برف
٨٠	٦	« بدیدی حس
٣٨٦	٤	« بدیدی ز آینه
٢٣٩	٣٤	« بدیدی سر
٩١	١٦	« بدیدی کار
١٨٦	١٥	« بدیدی مطله
٣٧١	٤	« بدیدی یك
٢٨٩	٣٣	« بدی صبر
٢٨٧	١١	« بدی غیر
٤١٤	٢٦	« برآرم حاجة
٢٧٦	١٣	« برآری از
٤٣	٢	« برآن آتش
١٢٧	١٨	« برآیدتا
٨٥	٣٤	« براستا
٣٨٢	١٢	« برانی مرغ
٣٤٧	٣١	« برداسبش
٤٠٢	٥	« برداین
٨١	٩	« بردمالت
٩٥	٢٦	« برویدور
٤٣٧	٩	« بره بکدره
٤٦	١٣	« بریزدبرگها
١٩٩	٣٢	« بریزدخونم آ
١٩٨	٣٧	« بریزدخونمن
٢	١٤	« بریزی بحر
٢٢٩	٢١	« بریزی خاک
٣١٤	١٢	« بریزی خون
٣٣٥	٢٢	« بریش وخایه

صفحه	سطر	اول بیت
٢٠١	٣٩	گر بزد مراسب
٤٤٠	١٧	« بسال عمر
١٦٧	١٧	« بسوزد باغت
١٢٠	١٦	« بسوی استخ
٤٠٢	١٤	« بشب جوید
٢٣	١٨	« بصورت آدم
٩٥	٧	« بصورت بنگ
٢٢٤	٣٤	« بصورت من
٢٥٠	٢٥	« بصورت وا
٤٢٣	٣٤	« بطبع این
٢٨٢	٢	« بطراری
٢٠٥	٣٨	« بظاهر
٣٦٣	٤	« بفرد
٢٤٨	٣٦	« بفرماید بگو
٢٢٥	٢٥	« بفرمایند
٢٦٩	١٢	« بفضلش
٢٣	٢٦	« بکاوی کوشه
٢٥٣	٥	« بکشتم من
٢٧٤	٣	« بگریدور
٢٢٠	٢٤	« بگفت آرید
١٣٤	١٦	« بگوئی احوا
١٨٧	٢	« بگوئی تا
١٩٥	٣٥	« بگوئی چون
٢٢٩	٢	« بگوید چشم
٢٠٣	٢	« بگوید دشمن
١٥٧	٢٣	« بگوید زان
٥٨	١٧	« بگوید فقه
٣٢٥	١٢	« بگوید کیمیا
١٣٥	٢٣	« بگویم آنچه ا
٢٦٠	٨	« بگویم آنچه دا
٢٣٠	١٦	« بگویم آنسبب
٢٢٨	٤١	« بگویم از جما
١٩٦	٢٩	« بگویم از فرا
١٦٢	٢٠	« بگویم او خیال
١٣٨	٢٤	« بگویم این بیا
٢٧٧	٢٣	« بگویم تا قیام
٥٩	٣٩	« بگویم تا قیام
٢٣١	٣٦	گر بگویم چیز
٤٣٤	٢٤	« شرح آ
٢٠٨	٣٧	« شرح ای
١٧٩	٢٢	« شرح نعـ
٤٠	٤	« شمهٔ
٢١٣	١٧	« فوت
٣٦٧	٢٣	« قیمت
٤٤٥	٣٣	« که
١٦٢	١٨	« متهم
١٣٣	١٩	« نیمشب
١٠٥	٩	« یك
٣٣٢	٣	گر بگویند آنچه
٣٣٢	١	« بگویند آنچ
٢١٩	٢٦	« بگویند این
٤٨	٢٤	« بگیرم مار
١٧٩	٣٩	« بگیری گوه
١٨٩	٣٨	« بلاآید

صفحه	سطر	اول بیت
٢٤٠	١٩	گر بلا در خورد
٣٣٦	١٨	« بمال وملك
٤١٦	٣٤	« بمصر اندر
٣٦١	١٣	« بمظر وفش
٣٢	١٠	« بمعنی رفت
٤٤٢	٢١	« بمقصده
٢٩٥	٧	« بمیر داستخو
٢٢٣	٢٨	« بمیر داین
٩٢	٣٦	« بمیر دنور
٣٠٠	٢	« بمیری زنگ
١٠٤	١٥	« بنالیدی
١٩١	٢	« بناهنگام
١٤٤	١٣	« بود آن سود
٣٩٧	١٥	« بود اعداد
٤٣	٢١	« بود این چرخ
١٧	٥	« بود چو بین
٣٩٩	١	« بود داد
٨٢	[illegible]	« بود در راه
٦٩	١٢	« بود رنگی
٢٨٩	٢١	« بود صبار
٢٨٢	٣٢	« بود صیاد
٢٥٠	٨	« بود عاقل
٢٥٣	٣٧	« بود فردوس
٢٨١	٢٣	« بود کوهی چو
٤٣٧	٢٥	« بود کوهی ز
٢٥٤	١١	« بود مشك
٢٩٦	١١	« بود نیکو
٤٣٠	١٣	« بوم من
١٤٩	١٣	گر به آمد
٤٣٦	٣٨	« از ضربش
٢٥٩	١٧	گر بهامان
١٨٥	١٦	گر به باشد
٤٣٧	٤٢	« بالای درخت
٧	٢٤	« برجست
٣٩٦	١١	« پیش
٢٤٧	٢٩	« چه شیر
١٩٢	٢٩	« خاری
٣٦٦	١٢	« در انبانم
١٤٥	٣٥	« در ره نیست
٣٦١	١٣	« در سوراخ
٣٦١	١٣	گر به دیگر
٤٣٧	٣٢	گر به را گفت
٣٤٣	٢٩	گر بهر خونریزئی
٤٣٧	٢	گر به روبادیه
١٣٠	١٥	گر بهشت اندر
٢٠١	٢١	گر به کرده جنگ
٤٣٧	١٣	« کواز
٤٣٦	٤٤	« گفتای
٤٣٧	٤٥	« گفتش دست
٤٣٧	٧	« گفتش نه
٢٠١	٢٢	« مرگست و
٢٠١	١١	« می بند
٣٨١	١٥	« بابان بر
١٥٣	٣٨	« بابد آلت

صفحه	سطر	اول بیت
٤٣٨	٢٢	گر بیارم شرح
٢٦١	٢٦	« بیاری من
١٩٩	٣٠	« بیاماسد مرا
٣٣٠	٣٧	« بیامد باد
١٩٠	٥	« بیاموزم
٦٦	٢٥	« بیاموزی
٥٣	١٦	« بیان معنوی
٤٢٤	٣٩	« بیان نطق
٢٩٨	٧	« بیابد باز سلطا
٢٢٢	٤	« بیابد ذره
٣٧٥	٨	« پدرزد
٢٣٦	١٨	« پدید آید
١٢٦	١٠	« پذیرد چیز
٢٩٣	٢٦	« پذیرند آن
٢٠٣	٢١	« پذیری پند
٤٤٦	٢٨	« پرید از
١٩٥	١٧	« پشیمانی
٣٥٢	١٧	« پلیدان
٣٧٠	٢٠	« پلیدم
٣٥٢	١٦	« پلیدی
٣٥	٢٤	گرت برهان
١٢٦	١١	گر تحمل کرد
٣٠٨	١٩	« ترا آنجا
٥٠	٢٢	« ترا آید بر
١٩٢	٣١	« ترا آید ز
٢٤	٧	« ترا اشکال
١١٥	٩	« ترا باز است
١٨٦	٣٥	« ترا باید
٤٣٦	٢٠	« ترا بحثیست
١٢٠	٢٧	« ترا بیدار
١٣١	٣٢	« ترا تا زانو
٤٤٥	٤٧	« ترا تحقیق
٣٨٣	٢٧	« ترا چشم
٩١	٣٥	« ترا حق
١٣٦	١٢	« ترا دایه
١٠٨	١٠	« ترا ز اصلست
٨٨	١٣	« ترا ز ورا
٢٩٩	٥	« ترا ز و نبود
٣٢٧	٣٢	« ترا صبری
٤٢	٢٨	« ترا عقلیست ج
٢٦٠	٣٠	« ترا عقلیست ک
٢٦	٢٧	« ترا فندی
١٠٨	٢٢	« ترا من گفتمی
١٠٨	٢٩	« ترا من گفتمی
١٣١	٢٤	« ترا وسواس
٤٤٣	٤٣	« ترا هست
٣٤١	١٣	« ترش روئی
٣٣	٢	« ترش رو بود
١٩٧	١٥	« ترش رو سه
٤٤١	٤٧	« تکلف نیستی
٢٥٥	١٥	« تن خاکی
٢٤١	٢٧	« تن سیمین
٣٠٨	٢١	« تن من
٢٢٩	١٠	« تو آدم

صفحه	سطر	اول بیت
١٤٧	١٨	گر تو آن خدمت
٧٥	١٢	« تو آنرا
٢٨٧	٥	« تو احوال
٣٢٣	٨	« تو انی بار
٣٥٩	١٦	« تو انی در رو
٥١	٢٦	« تو انیدش
٨٥	١٢	« تو انی شکر
٢١٨	١٧	« تو اور امی
٤٠٣	١٤	« تو اول بنگر
١٥٦	٣٠	« تو اهل و
٤٤٣	٣٠	« تو ئی زنده
٣٥	٥	« تو این انبان
٢٥٣	٣١	« تو باشی تنگد
١٠٠	١١	« تو باشی راسـ
١٢٤	٣٣	« تو بر تمیز
٤٢	١٤	« تو بگشائی
٣١٩	٢٦	« تو بنشینی
٨٧	١٧	« تو بی تقلید
١٩٣	١١	« تو بی نوری
٦٣	٣١	« تو بینشان
٢٩٧	٣٧	« تو بیغام زنی
٢٨	٣٧	« تو بیلی
٣٤٨	٢٩	« تو ترك
١٨٤	٢٦	« تو جائی
١٥٤	٢٢	« تو چیزی و
٢٩	١١	« تو خواهی آ
١٧٧	٣٥	« تو خواهی ایه
١٨٠	٥	« تو خواهی ایـ
٢١٤	٣٣	« تو خواهی ا
١٨٦	٣٤	« تو خواهی ح
١١٨	٦	« تو خواهی ش
١٢٨	٧	« تو خواهی ک
٢١٧	١٢	« تو خواهی گ
٣٢٠	٤	« تو خواهی و
٣١٥	١٢	« تو خود را بشـ
٤١	١٩	« تو خود را یـ
٣٦٧	٢٦	« تو را صد قیـ
٢٩٧	١٩	« تو را نانی
١٧	٩	« تو سنگ
٤٣٨	٤	« تو صاحب ش
٤٣٤	١٥	« تو صاحب عقل
١٧٧	٣٦	« تو صاحب گا
١٦	١٥	« تو صد سبب
١٩٣	١٦	« تو صراف
٧٥	٢٧	« تو طعنه میزنـ
٥٧	٢٦	« تو علامه زمانـ
٢٩٥	١٦	« تو کردی شکـ
٢٢	٤	« تو کل میکنی
٢٧٠	٣	« تو کمانی
١٦٢	١٤	« تو کور و کر
٨٠	٩	« تو کوری
٣٧٦	٣٦	« تو گوئی از
٩٥	٣٢	« تو گوئی فائد
٢٦١	٢٥	« تو گوئی کا

صفحه	سطر	اول بیت
۱۹۵	۶	گر تو ماری
۱۰۶	۴	« تو مرد بیرا
۲۰۹	۳۷	« تو مشك و
۳۲۰	۲۹	« تو میائی
۴۴۳	۱	« تو میخواهی
۳۳۶	۴۰	« تو میخواهی
۱۸۵	۷	« تو میخی
۴۴۰	۴۱	« تو میگوئی
۱۶۴	۳۵	« تو نام
۳۱۹	۳۸	« تو نشتابی
۲۴۲	۱۰	« تو نشناسی
۱۴۸	۳۹	« تو نقدی
۲۴۳	۳۶	« تو نیکو
۱۳۳	۱۹	« تو هستی آشنا
۵۶	۲	« تو هم میکند
۶۴	۲۵	« تو نبوع الهی
۲۰۴	۱۸	« جدا از
۱۱	۲۰	« جسد خانه
۲۶۳	۱۵	« جفا کردی
۳۲۸	۱۰	« جگر بودی
۳۳۶	۲۰	« جماع اینست
۱۳۸	۲۹	« جنین را کس
۷۲	۱۶	« جوابش
۳۷۹	۴	« جهادو
۲۸۳	۳۴	« جهان باغی
۱۳	۲۹	« جهان پر بر
۳۶۱	۴۲	« جهان پر شد
۳۶۱	۴۳	« جهان پر شد
۱۳	۱۸	« جهان پشت
۴۹	۶	« جهان را بر
۱۵۶	۷	« جهان فرعون
۳۱۵	۲۴	« چپی با
۱۱۹	۱	« چنان گشتی
۲۰۶	۲۱	« چنان گند آز
۱۷۴	۱۳	« چنین بودی گ
۱۷۴	۱۳	« چنین بودی ه
۲۱۱	۲۲	« چنین و گر
۲۲۵	۴	« چو پیله چشم
۲۲۵	۸	« چو شیری چ
۴۳۶	۳۲	« چو من صد
۲۴۵	۳۷	گرچه آتش
۳۸۶	۲۲	« آسانت
۱۶۰	۲	« آلت
۳۰۶	۴۵	« آلودست
۲۴۷	۲	« آمرزم
۵۲	۴۵	« آنجا آن
۳۷۲	۳۶	« آنصوفی
۱۹۹	۴	« آنعاشق
۳۸۴	۷	« آنمحسوس
۱۷۱	۹	« آنمدح
۲۸۳	۲۵	« آنمطعوم
۳۲۵	۳۱	« آنمعنیست
۲۱۲	۲۵	« آن وصلت
۲۸۸	۱۹	« آورد
۶۵	۷	گرچه آهن سرخ
۲۶۳	۲۴	« از خشم
۲۲۲	۲۰	« از لذات
۳۰	۱۹	« از میری
[illegible]	۲۳	« از یك وجه
۳۷۳	۲۴	« اندر برور
۲۳۶	۳۶	« اندر مکر
۶۶	۵	« او باشاخ
۳۵۵	۲۳	« او خود
۴۳۰	۲۰	« او داداست
۴۲۴	۲۰	« او فتراك
۴۴۰	۳۶	« او قطع
۲۶۳	۲۸	« او محو
۲۲	۳۴	« این جمله
۱۲۰	۱۹	« این دو
۴۳۶	۲۱	« این زخم
۲۳۰	۱۶	« این کلك
۶۸	۳۶	« ین صورت
۳۶۱	۴۴	« این مستی
۲۹۹	۱۹	« باباي تو
۳۲۱	۲	« باروباه
۲۹۸	۸	« باز آورد
۳۶۰	۳۵	« باشدبی
۴۲۲	۱۸	« باشدریش
۱۱۶	۲۶	« باشدوقت
۱۵۶	۲۱	« باشی خفته
۳۵۷	۱۹	« بر آتش
۲۲۷	۸	« بر ماریخت
۲۲۲	۳۲	« بر نایدبجهد
۲۲۲	۳۱	« بر نایدبجهد
۳۴۹	۳۳	« بشکستند
۱۶۶	۲۵	« بیرونند
۴۰۲	۳۰	« پر نقش
۳۱۴	۸	« پنهان بیخ
۲۳	۲۹	« پنهان خار
۱۶۴	۲	« پیدا نیست
۳۸۸	۳۷	« پیر انرا
۳۰۱	۲۱	« ترکیبش
۴	۳۱	« تفسیر
۳۴۷	۲۱	« تقلید
۸۹	۳۸	« توهستی
۵۹	۱۸	« جسمت
۵۹	۱۸	« جسم نازکت
۲۲	۳۶	« جمله
۲۴۲	۳۳	« چون دریا
۳۹	۱۱	« چون نشفش
۱۷۰	۳۳	« حافظ
۸۴	۱۵	« حکمت را
۶۵	۳۸	« خررا
۲۷۴	۱۸	« خفته
۴۴۰	۳۰	« خلخالش
۳۹۸	۱۸	« خواجه
۴۳۷	۴۰	« خواهی
۴۰۷	۱۶	« خوداندر
۶۴	۱۳	گرچه خود را بس
۲۱۷	۴	« خوی آن
۳۰۸	۸	« خویش از
۴۱۹	۲۵	« دانسته
۳۵۶	۵	« دانی وقت
۳۸	۳۱	« داني کوز
۳۷۹	۲۵	« در آب
۳۳۵	۳۴	« در ایمان
۳۵۰	۱۵	« در تأثیر
۱۳	۴	« در خشکی
۶۵	۴	« در خود خا
۶۳	۱۵	« در دانه
۴۱۷	۱۶	« در صورت
۹۰	۱	« در مان
۳۷۹	۲۵	« دریا
۲۳۲	۱۹	« دزداز
۸۹	۳۳	« دزدی جامهٔ
۱۳۳	۲۷	« دعوی
۱۹۸	۱۴	« دل چون
۱۳۰	۱۸	« دوری دور
۳۵۵	۲۹	« دوزخ
۷	۱	« دیوار
۲۹۷	۱۴	« رخنه
۴۴۳	۳۷	« رویش
۳۱۵	۳۸	« زاهد
۶۰	۳۴	« زایشان
۴۳۸	۳	« زخمت
۳۵۹	۲۹	« سایه
۳۷	۱۲	« سر بریا
۵۳	۱۵	« سر قصه
۸۵	۲	« سنگم هست
۱۸۴	۶	« سنگین دل
۹۴	۷	« شاخ
۱۰۹	۲۳	« شاهی خو
۵۳	۲۵	« شدمعنی
۲۸۰	۳۹	« شرمین بو
۵۵	۲۲	« شویم
۸۴	۳۰	« شه باتو
۴۱۷	۱۹	« شه عارف
۹۲	۲۶	« شه ناخوش
۳۲۶	۱۸	« صادق
۱۰۰	۲	« صدچون
۲۷۰	۲۹	« صدطاعت
۷۵	۲	« ظلمت آمد
۲۷۹	۸	« عاجز
۲۱۷	۳۷	« عالم را
۲۳۰	۳۴	« عفریت
۱۱۴	۳۱	« عقلت
۶۱	۱۶	« غالب
۳۳۷	۲۸	« فاضل
۱۳۴	۳۸	« فردست
۴۴۶	۴۵	« فی الظاهر
۱۹۳	۲۳	« قادر
۲۴۹	۲۷	« قرآن
۳۷۵	۲۲	گرچه کشت این
۶۰	۵	« کشتی
۲۲۶	۹	« گرددر
۱۹۴	۱۲	« گرمابه
۱۳۴	۱۰	« گفتی
۳۵۲	۱۸	« ماران
۴۲۲	۲۱	« مازین
۳۵۵	۲۹	« مؤمن
۲۲۶	۳۰	« مشغولم
۵۹	۱۹	« مصباح و
۱۸۵	۸	« مقصود از بث
۱۸۵	۶	« مقصود از کشا
۴۲۴	۲	« من تنگ
۳۲۱	۵	« می بینی چو
۲۱۳	۹	« میدانی بصفو
۱۳۱	۲۰	« میدانی که
۴۱۴	۲۶	« مبنالد بجان
۱۵۵	۵	« میوه
۸۴	۳۲	« ناخن
۳۰۵	۳	« ناصح را
۷۵	۱۱	« نان بشکست
۲۷۹	۹	« نتوان خورد
۶۸	۴۱	« نحوو
۳۴۸	۱۶	« نسیان
۲۱۰	۲۰	« نشنید
۳۱۴	۱۷	« نفس
۶۷	۲۶	« هاروتید
۸	۱۸	« هردوبر
۱۸۹	۲۸	« هرغیبی
۱۷۷	۲۹	« هرفرنی
۷۱	۷	« هست اظهار
۳۶۵	۲۴	« هست این دم
۲۹۰	۱۵	« همرنگ
۳۹	۳۶	« همنفهٔ
۷۹	۹	« یك موبد
۳۴	۱۵	گر حباب از
۳۴۹	۳۳	« حجابستت بر
۱۴۰	۳۰	« حدیثت
۳۲۱	۱۷	« حدیثش
۲۹۰	۳۵	« حشیش آب
۲۶۴	۲	« حکیمی
۳۳۷	۳۴	« حلال آید
۲۱۷	۵	« خبر آید
۱۷	۲۲	« خبرخواهی
۳	۱۵	« خدا خواهد
۳۵۰	۲	« خدادادی مر
۳۲۳	۹	« خدا روزی
۳۱۴	۲	« خداع
۱۱۶	۲۵	« خدایش برد
۳۲۷	۹	گر خر اول توبه
۳۲۲	۲۰	« خریر امیر
۳۱۸	۲۱	« خری یابی
۵۵	۷	« خزانه اش
۷	۱۴	« خضر در
۲۲۱	۷	گر خطائی آمد
۱۷۶	۲۵	« خطا کشتم
۹۰	۸	« خطا گفتیم
۱۰۶	۱۹	« خطا گوید
۱۱۱	۷	« خفاشی راز
۴۰۲	۲۴	« خفاشی رفت
۴۹	۸	« خمش گردی
۲۲۲	۳۵	« خورد این
۱۱۱	۳۸	« خورد سوگند
۴۳۷	۴۸	« خوری زخم
۱۴۰	۲۸	« خوری سوگ
۳۰۸	۲۹	« خوری کم
۳۶۴	۱۶	گرد آید مرد
۱۱۰	۲۲	« از دریا
۳۳۲	۳	« او گردان
۳۸۲	۱۵	« این بام
۱۱۹	۱۲	« برگشت
۱۰۰	۱۰	« پایهٔ حوض
۲۲۸	۱۹	« جو و گرد
۲۸۸	۱۳	« خان اورا
۳۷۵	۲۶	« خشم و
۱۳۱	۱۴	« خم خانهٔ
۳۳۲	۵	« خواجه
۳۵۸	۲۴	« خود برگرد
۲۸	۳۶	« خود چون
۳۸۰	۱۸	گردد آنکه
۷۷	۶	گردد ابلیس
۲۲۹	۱۵	گرد رآئیم
۳۲۶	۳۹	گرد رآبی نخل
۲۹۹	۳۴	« آتش رفت
۱۱۱	۲۸	« آمیزد بمن
۱۲۶	۱۰	« آمیزد تو
۱۱۱	۲۷	« آمیزد ز
۸۳	۳۴	« آمیزند
۷۹	۱۰	« آنحالت
۳۹	۱۲	« آید در
۴۰	۲۴	« افتد در
۲۹۷	۲۰	« انبان
۴۲	۱۹	گرد رخت خشکه
۱۲۰	۳۰	« من
۳۵۹	۱۷	گرد ری در
۱۵۵	۶	گرد رین مکتب
۷۰	۱۳	« ملکت
۱۸۱	۹	گرد سر گردان
۱۹۰	۱۲	گردش اورانه
۶۶	۱۰	« این باد
۶۶	۹	« این قالب
۲۰	۲	« چرخ
۳۴۲	۲۶	« چشمش
۳۳۵	۴	« سنگ
۳۶۶	۱۴	گردشش بر
۳۲۸	۲۷	گردش کف
۲۷۵	۱۵	گرد عالم
۷۷	۵	گرد فارس

صفحه	سطر	اول بیت
۳۶۱	۲۶	گردکان چندش
۳۶۱	۲۸	« ما
۴۴	۳۴	گردگورستان
۴۴۵	۱۴	گردل ما
۲۸۹	۳۸	« دلم خوی
۱۱۷	۲۱	« دل موسی
۲۹۷	۴	« دلی رو ناز
۳۲۱	۳۹	« دلبلت هست
۱۲۹	۳۵	« دلیلی گفت
۱۹۹	۷	گردم خلم و
۴۳۰	۳۸	گردمدبر روش
۳۴۲	۳۱	گرد مطبخ
۳۵۷	۲۷	« معقولات
۱۱۳	۱۴	« میگشتی که
۳۸۲	۱۳	گردمی منکر
۳۱۹	۳۲	گردنادر گشتن
۲۲۳	۳۳	گردن اسب
۲۱۶	۲	گردن این مثنوی
۳۷۷	۲	گردنت زین
۵۹	۲۷	گردن خر
۲۹۷	۲۴	گردنش بستند
۲۹	۲۸	گردنش بشکست
۹۵	۲۹	گردنفس دزد
۱۸۴	۱	گردوارا
۶۲	۱	گردو پاکر
۳۷۶	۱۶	« دوحرف صدق
۱۱۱	۵	« دو سه ابله
۱۱۱	۶	« دو سه احمق
۲۴	۹	« دو سه پرنده
۳۱۴	۲۹	« دوصد بارت
۳۶۱	۱۴	« دوعالم پر شود
۱۸۲	۱۶	« دوعالم پر بود
۴۴۶	۲۶	« دهدیری
۴۳۶	۴۶	« دهدچیزی
۱۴۱	۲۳	« دهدخود
۳۱۳	۱۸	« رسدجذبه
۲۹۷	۲۵	« رسول آنست
۴۴	۲۰	« رسولی چیست
۳۴۸	۱۸	« رسیدی مستثنی
۲۵۳	۲۳	« رضدادی
۳۱۲	۳۴	« رگ عشقی
۲۸۵	۱۷	« روابدناله
۴۰۴	۲۴	« روان من
۲۶۶	۷	گررودسوی
۴۱۳	۱۹	گررودصدسال
۲۳۷	۶	گرروی رو
۲۸۷	۳	گررهائی یابدت
۱۷۳	۱۳	گررهاندپای
۱۶۶	۹	گررهیداز
۳۰۹	۱۷	گرریاضت
۲۴۸	۲۹	گرزاسرار
۲۴۳	۳۸	گرزبانت مدح
۳۲	۴	گرزبان گوید
۳۶۳	۲۷	گرزبرخودزن

صفحه	سطر	اول بیت
۳۶۳	۲۸	گرزبرخودمیزنی
۳۵۴	۲۵	گرزبغداد
۳۲۸	۳۹	گرزبون شد
۳۶۱	۱۲	گرزبی سویت
۳۵	۳	« پشت آدمی
۳۳۵	۱۸	« پیری در
۲۹۳	۱۷	« توراضیست
۱۵۲	۲۷	« توگوید
۱۵	۱۴	« جبرش
۲۴۷	۳۶	« چشمم
۹۸	۱۰	« خسته
۲۱۱	۴	« خواجه
۴۸۵	۲	« خودوز
۵۷	۲۹	« دجله
۴۹	۱۳	« درویشی
۱۷۱	۳	« دریا
۳۱۵	۸	« دلق و
۳۶۴	۱۴	« رابگرفت
۲۲۵	۲۴	گرزروگر
۶۲	۳۰	گرزروی صورتش
۳۶۶	۳۲	« زخم خار
۸۹	۶	« زندانم
۳۲۹	۳۳	« سقف خانه
۱۴۶	۳۵	« شادی
۳۰۰	۱۶	« شوق حق
۱۹۷	۲۰	« شیردیو
۴۱۹	۴	« صندوقی
۱۴۶	۳۱	« صورت
۱۳۹	۳۸	« عزرائیل
۱۰۷	۴۱	« عیسی
۲۲۳	۲۳	« قرآن
۱۴۰	۶	« کهستانی
۳۷۵	۲۵	« گوری بر
۴۱۰	۵	« گوشش
۲۹۷	۱۳	گرزلیجا
۳۵۴	۲۶	گرزمغرب سر
۱۳۰	۲۳	« میآگاه
۴۳۵	۲۹	« من برتو
۲۶۳	۷	گرزمیزو
۶۸	۱۹	« نامو
۲۲۶	۳۱	گرزنای چشم
۱۳۰	۳۰	گرزنه آن دود
۲۰۳	۴۸	« زندبانگی
۱۹۵	۳	« زندبر خاک
۳۱۲	۲۴	« زنم صدتیغ
۶۵	۳۳	« زنی برنازنین
۳۶۶	۱۵	« زنی درشاخ
۱۴۰	۲	گرزهاوتیغها
۲۱۶	۶	گرزیادت میشود
۲۱۷	۳	گرزیان کردم
۱۰۲	۲۵	گرزیك تلخی
۹۵	۳۳	گرسؤالت را
۳۸۵	۲۹	« سبدخواهی
۱۷۹	۳	« ستانی پارهٔ

صفحه	سطر	اول بیت
۴۱۱	۳۲	گر ستودی
۱۳۵	۷	« سختنان
۳۴	۱۵	« سخن خواهی
۲۳۷	۹	« سخن کش
۸۷۰	۳	« سخن گوید
۲۶۲	۱۸	« سرش جنبد
۳۱۸	۶	« سر هر مو
۳۷۲	۳۳	« سعدی از
۱۱۳	۹	« سفر داری
۲۶	۴۰	« سگی گردیم
۳۶	۷	« سلیمانرا چنین
۴۲۱	۳۴	« سلیمان وار
۷۱	۶	« سمای نور
۴۱۱	۳۳	گر سنه بودی
۴۲۲	۲۶	« چون
۱۳۹	۱۳	« مانده
۵۸	۲۵	گرسیاهست
۳۱۶	۲۰	« سیه کردی
۳۳۱	۱	« شتربان
۲۲۱	۴	« شدم در راه
۲۰۵	۳	« شدیداندر
۳۵۳	۴	« شدی عطشان
۲۳۷	۱۲	« شدی محبوس
۴۴۰	۱۲	« شدی معدوم
۴۴۴	۹	« شدی مکشوف
۱۱۲	۴۱	« شریف و
۹۱	۲۷	« شکال آرد
۴۲۸	۲	« شماری حرف
۲۵۸	۲۷	گرش میخوانم
۳۳۶	۴۲	گرشنیدی
۳۸۵	۳۷	« شود بیشه
۹۱	۳۳	« شود بیمار
۶۶	۵	« شود پرشاخ
۶۰	۷	« شود پرنور
۱۴۴	۲۹	« شود ذرات
۲۲۴	۲۲	« شود صدتو
۴۲۲	۱۸	« شودصد ساله
۱۳۱	۱۷	« شود عالم
۱۱۱	۸	« شود قلبی
۳۹۳	۱۲	« شود مات
۴۳۵	۱۱	« شود منکر
۵۹	۱	« شوم مشغول
۴۳۵	۴۴	« شوی ماهی
۶۳	۳۲	« صدایت شنود
۸۷	۲	« ضریری
۲۹	۱	« ضعیفی
۷۲	۱۶	« طبیبت گوید
۳۸۲	۷	« طبیبی را رسد
۱۸۴	۲۹	« طبیبی گویدت
۳۰۷	۱۴	« طیانچه
۸۸	۱۳	« طمع در
۱۱۹	۲۴	« عتابی کرد
۳۹۹	۳۴	« عمرنامی
۲۳۳	۱۵	« عصاهای

صفحه	سطر	اول بیت
۱۲۰	۱۸	گر غذای نفس
۴۳۰	۴۴	« غراب من
۱۵۰	۲۹	« فتادندی
۱۲۷	۱۰	« فراموشت شد
۳۵۵	۱۵	« فراموشم شد
۳۳۳	۲۲	« فرو ماندی
۳۲۱	۳۸	« فسونی
۱۲۲	۳۸	« قدمرا
۴۳۰	۴۳	« قرین اوست
۲۹۴	۱	« قضا افکند
۲۷	۲۹	« قضا پوشد
۲۷	۳۰	« قضا صدبار
۴۴۳	۲۷	« قیاست از
۱۸۷	۱۸	« کریمی گویدت
۲۹۹	۹	« کسی را ره
۱۹۵	۳۴	« کسی گوید
۴۶	۳۰	« کسی مهمان
۱۶۹	۲۸	« کسی میگفتشان
۳۴۶	۳۰	« کشم کیه
۲۲۵	۳۰	« کشندت
۱۰۳	۳۷	« گرکف خاکی
۱۴	۲۵	« کمالم با
۸۴	۳۳	« کمر بجنبیم
۲۴۷	۳	« کم عقلی
۱۲۰	۱۸	« کنماوخدمت
۷۴	۳۳	« کند برفعل
۲۹۳	۱۴	« کندر داز
۱۰۴	۱	« کند سفلی
۴۳۹	۲۴	« کنی با ابلهی
۲۴۹	۳۷	« کنی تف
۴۳۶	۱۳	« کنی توضیح
۲۸۶	۲۸	« کنی زاری
۳۶۰	۱	گرگ اغلب
۳۷۳	۳۴	« اگر باتو
۳۱۷	۲۹	« بابره
۱۴۷	۲۶	« بروی
۱۱۰	۳۱	« بریوسف
۱۲۱	۵	« بیچاره
۶۱	۱۳	« خودچه
۲۸۱	۱۵	گرگدازی زین
۲۹۴	۱	« گدا گشتم
۱۵۱	۳	« گدایان
۴۳۵	۲۰	گرگ دران در
۴۲۴	۱۴	« درنده
۳۸۹	۲	« دریابد
۶۲	۱۴	« را بیکند
۱۵۳	۳۶	« را بیدار
۸۳	۵	« راخود
۱۵۲	۳۲	گرگران وگر
۱۶۰	۲۹	« وگر
۱۱۱	۲۶	گرگریزانی
۱۹۷	۷	گرگریزدکس
۸۸	۲۴	گرگریزی بر
۳۲	۴	گرگشایددل

صفحه	سطر	اول بیت
۱۵۸	۳۶	گرکشایم بحث
۱۰۰	۳۰	گرگ ظاهر کرد
۸۳	۳۲	گرگلابی بر سرو
۱۱۱	۸	« « را
۸۳	۳۲	« گلست اندیشه
۸۱	۲۳	« گلی گیرد بکف
۲۶۸	۱۱	گرگ میدیدند
۳۰۳	۳۴	« نادیده
۲۸۳	۵	گرگواه قول
۳۱۲	۳۳	گرگ و خرس
۶۱	۱	« وروبه
۸۰	۲۱	گر لطیفی
۱۲۵	۱۹	گرم باش
۳۷۷	۲۸	گرم پرسیدش
۴۴۳	۴	گرمتاع تو
۱۹۰	۳	گرمتر شد
۳۷۷	۲۵	« گشت او
۲۴۸	۲۸	گرمثل خواهی
۵۳	۱۶	« محبت فکرت
۲۱۱	۲۳	« محب حق
۹۱	۴	« محك داری
۶۵	۱۱	گرم دارانت
۶۲	۲۱	گرمرا اول
۳۱۷	۱۰	« مرا این بار
۳۰۷	۳۳	« مرا باران
۴۳۰	۱۵	« مرا بخت و
۳۰۷	۳۳	« مرا چشمه
۱۱۶	۳	« مرا خود
۳۶	۳۳	« مرادت در
۳۴۴	۶	« مرادت ملك
۱۱۶	۴	« مرا رأی
۸۶	۳۱	« مرا روزی
۳۰۷	۳۲	« مرا ساغر
۳۰۷	۳۴	« مرا شکر
۳۰۷	۳۵	« مرا شیطان
۴۱۲	۱۳	« مرا صد بار
۲۸۹	۳۴	« مرا عقلی
۲۵۵	۶	« مراقب
۳۰۷	۳۴	« مرا ماری
۲۷	۷	« مرا ورا این
۳۶۹	۲۰	گرمرد چون
۲۰۳	۱۸	گرمزان مانده
۱۲۷	۱۲	گر مسیح باشد
۴۳۰	۳۰	« مسیحا را
۲۴۸	۱۱	« مسی گردد
۳۹۶	۳۹	گرم شد پشتش
۴۳۱	۵	گر بطبعست
۴۲۴	۱۶	« معلم گشت
۱۱۵	۳۰	« مکنز اره
۳۶۸	۶	گرمکیسی
۱۹۵	۱۶	گرم گرداند
۲۴	۳۶	گرمکس تاویل
۴۲	۳۰	گرم گوید سرد
۱۱۴	۸	« گویدوعد

صفحه	سطر	اول بیت
٤٣٦	١٩	گر مناره
٨	٢٠	« منافق خوانیم
١٤٩	٣٣	« منافق رفت
٣٥٣	٣٣	« منی گندم
٤٢	٣٠	گرمو سردش
٨٣	٢٥	گرمیان مشک
١٧٨	٢٢	گرمیت را
٢٠٨	٢٧	گرمی تن
١٢	٢٣	گرمیسر گردن
٢٢٤	١٩	گرمیشر اضجرت
١٣٥	٨	گرمی عریتی
٣٧٠	٢١	گرنباشد آبها
٤٤٠	٤٠	« بسته
٢٣٣	١٦	« جاه
٣٢٧	١٣	« جوع
٤٣٨	١٩	« حفظ
٢٤١	٦	« درخور
١٩٤	١٨	« درد
٥٩	٢٥	« سایه
٣٢	٨	« فعل
١٢٤	١٢	« گندم
٣٦٠	١٥	« یاری جو
٣٦٠	١٤	« یاری رو
٤٤٧	٤١	گر نباشم درمیان
١٥٥	٦	« نباشی همدار
١٠٥	٣٤	نبندی زین
٣٣٧	٣٧	« نبندی دستش
٤١٢	٣٧	گر نبودی آنبدست
٣٩٩	٣٥	« احول
١٥	٩	« اختیار
١٤٨	٦	« امتحان
١٢٧	٩	« اومسبر
١١٢	٣٧	« اونتیجه
٣٨٣	٣٢	گر نبودی او نیابیدیچ
٣٨٣	٣٣	« اونیابیدیچ
٣٨٣	٣٢	« اونیابیدیز
٣٨٣	٣١	« اونیابیدیغ
٣٧٩	٣٧	« این بزوغ
٢٨٢	١٢	« این بلیدیز
٢٧٥	٣٤	« این چنین
٣٨٢	١٩	« نبودی بالم
٣٢٥	٢٨	گر نبودی بهر
٣٤٨	٣٢	گر نبودیت این
٩	٣٢	گر نبودی جان
٣٩٢	٣٨	« جذب
٢٦٤	٣٦	« جنبش
٢٥٤	٢٤	« چشم
١٢٩	١٣	« حجت
٢٧٤	٣٦	« حاضر
٢٤٨	٨	« حبس
٨٠	٧	« حس
٢٣٣	١٧	« خصم
٢٧٩	٢	« خلق
٤٨	٨	« دام

صفحه	سطر	اول بیت
١٢٤	١٠	گر نبودی در جهان
٣١٥	١١	« زحمت
٧٤	٢٠	«
٢٨١	٩	« سوز
١٢٩	٢٤	« سیر
١٩٧	١٢	« شب
٣١٢	٣٥	« عشق
٢٣٧	٣٥	« عکس آن
٢٧٥	٣٥	« عکس جهد
٧	١٣	« کارش
١٣	١٣	« کور
٨٥	١١	« کوشش
٣٧٧	١٤	« گوشهای
١٤٨	٣٦	« لاف
٩٣	٤١	« مرعرض
٢٢٤	٣٢	« مبل
٢	١٠	« نالهٔ
٣٨٣	٣٥	« نسبت
٦٢	٣٠	« نوح
٢٥٤	٢٢	« نیل
٢٠	٥	« واقف
٣٤٥	٢٢	گر نبیند کودکی
٢٠٦	٣١	« نبیند کور آب
٢٠٦	٢٩	« نبینی آب
٢٦٥	١١	« نبینی خلق
١٢٩	٢٦	« نبینی رفتن
٣٨٣	٧	« نبینیش و
٣٨٥	١٨	« نبینی کشتی
١٧٢	١٨	« نبینی واقعه
٢٢٧	١٠	« نجس شد
٣٠٨	٢٤	« نخواهد بیند
٣٠٨	٢٣	« « زیست
٨٥	١٤	« نخواهم داد
٣١	٢١	« نخواهم دو
١٧٩	٣٨	« نخواهی دوست
٢٩٨	٢٠	« نخواهی رشک
١٨٠	١٧	« نخواهی نیک
٢٦٩	٧	« نخواهی هر
٤١٣	٧	« نداد ستش
٩٥	٣٢	« ندارد این
٧٥	١٠	« ندارد صبر
٣١٢	١٦	« نداری از نقا
٢١٤	١٤	« نداری بو
١٤٠	٣٦	« نداری تو دم
٢٩٨	٢٨	« نداری دانه
٢٥٩	٣٨	« نداریز هر بیش
٢٢٦	٢٥	« نداری سنگ
١٥١	٤٥	« نداریم این
١٤٨	٥	« نداند عامه
٣٤٦	١٨	« نمانی این
٢٩٧	١٦	« نمانی تا
٥٩	٢٩	« نمانی ره
٤٢٤	٤١	« نمانی یار
٢٢٥	٢	« ندیدندی هز

صفحه	سطر	اول بیت
٢٧٦	١	گر ندیدی این
٦٥	١٩	« ندیدی دیو
٧	١٩	« ندیدی سود
٣٣٢	٣٧	« ندیم شاه
٢٤٤	٤	« نرویدخوشه
٤٤٣	٢٩	« نسوزد دست
٥١	٢٥	« نشان خواهید
٢١١	٣١	« نشد امان
٤١٩	٥	« نشد غره
١٣٥	٢٧	« نظایر گویم
١٥٧	١١	« نظر در شیشه
٧٥	١٥	« نفرمودی
٤٤	١٠	« نکردی رحمة
٢٩٩	٣	« نکردی شرع
٢٤٤	٣	« نگرد در رع
٢٨٢	٢٦	« نگشتی دیو
٢٠٥	٦	« نگشتی هیزم
٣٤٣	٥	« نگوئی راست
٤١٧	١٢	« نگوئیم آتشی
٤١٧	١١	« نگوئیم آن
١٠٥	١٩	« نگویم آن
١٢١	٣١	« نماز از وقت
١٢٢	٢	« نماز فوت
١١٤	٥	« نماز و روزه
٤٦	١٣	« نماند از جود
٣٩٩	٤	« نماند اشتهای
٤٢١	٢١	« نمایه خواجه
٤٠١	٣١	« نمایه غیر
٢٣٧	٢٥	« نمودی عیب
٤٣	٢٩	« نمی آید بلی
٣٦٦	١٦	« نمیبینی تو تدبیر
٣٦٦	١٤	« نمیبینی تو جو
٢٥٠	٤	« نمیبینی کبار
٢١٨	١٤	« نمیداند کش
٣٣٢	١٠	« نمیدانی بجو
١١٧	١٥	« نمیدیدم کنون
٤٠٦	٤	« نمیگفت این
٢٠٨	١٩	گر نه از هم
٤١٦	٢٩	« انکار
٣٨٣	٣١	« او بودی
٤٣٦	١٣	« اینک
٨	٢١	« این نم
٢٩٤	٢٠	« بهر
٤٤	٩	« بینایان
١٢٦	٣٤	« پیدایند
٣٩٣	٢١	« تصویرات
١٩٤	٨	« تنگ
١١١	١٦	« جنسیت
٣١٥	١٣	« خوش
٣٤٨	٣	گر نه در راه
١١١	١٦	گر نه دیدی
٣٢٣	٣٥	« زانگونه
٢٥٩	٤٠	« زهر است
٣٨٤	١١	« صبر

صفحه	سطر	اول بیت
٧٧	٧	گر نه فرزند
١٦٤	١٥	« فضلت
٢٩	٨	« کوری
٢٥٤	٢٣	« کوه و
٢٩١	٣٢	« گه خوار
٢٦٣	١٣	« مجنونست
١٠	١٧	« موش دزد
١٢٤	١٥	« معنویات
٤١٢	٣١	گر نهم من گوش
٤٤	١٤	گر نه نامعقول
٢٠٢	٢٧	« نفس از
٤٣٧	٣٦	گر نیائی زود
٣٨١	٣٦	« نیابی نبودت
٢٤٨	٤	« نیابندای
٣٦١	٣	« نیم لایق
٤٤	٤	« نیندی واقفان
٨٦	٢٧	« ورامغزی
١٢٢	٢٣	« وزیری را
٢٥١	٨	« وطن خواهیم
٢٦	١٩	« وظیفه بایدت
٥٣	٤	« وا زهری
٣٣٦	٢٨	« وی این است
٧١	٢	« وبست این
٧٤	١٠	گر هزاران بنده
١٠	٢٠	« دام
٢٥٨	١٨	« چرخ
٣٠٨	٢٨	« رطل
٤٠٩	٢٠	« سال
١٩٥	١١	« طالب
٣٩٤	٢٩	« مدعی
٣٩٧	١٠	« موش
٤٤١	٢٧	« نام
١٣٨	١٨	گر هزاران
٣٦٦	١٠	گر هلالم ور
١٩٧	١٤	« هماره فصل
١٢٥	٣٥	« هماره عیبت
٣٠٢	١	« همه لخت
١٦١	١٤	« همه عالم
٧٤	٧	گر همی بینم
٢٦٩	١٦	« جوئیه
٤٣	٣٦	گر همیخواهی ترا
٩٨	١٥	« تو
٣٧٣	١	« سلاء
٨٦	١٥	« کآ
٦٠	٣٠	« کبه
٨٦	١٤	« کمشد
٢٣٧	٢٢	گر همی دانی ره
١٠٥	٣٥	« همو دانی که
٣٢٣	٢٣	« هنر بودی
٢٥٥	١٧	« هوا رایند
١٠٤	٢	« هوا و نار را
١٣٢	٢٦	« یکی خاطی
٥٩	٢٨	« یکی دم
٧٥	١٤	« یکی سر را

صفحه	سطر	اول بیت
١٢٠	٣٢	گر یکی فصل
٤٧	٢٩	« کفش
١٦٠	٥	« گنجی
٨٤	١٢	« گوئی
١٦٠	٤	« موری
٢٨١	٩	گریه ابر است
٢٨٦	٢٩	« اخوان
١٦٦	٢٥	« از هجران
٣٠١	١٤	« اوخنده
٣٠١	٢٥	« اوخنده
٣٠١	١٤	« اونزغم
٢٨٩	٩	« باصدق
٢٨٩	١٠	« بی صدق باش
٢٨٩	٩	« بی صدق بی
٤٩	٢٣	گریه چون از حد
٥١	٣٤	« چون از حد
٢٦٥	٣٠	« رادر
٣٠١	١٢	« کر
٣٧٣	١٦	« میکرد
١٥٩	٢٦	« وافغان
٣٤٥	٣٦	« وخنده
٢٧٤	٢٣	« ودرد

گ-(ز-س-ش)

صفحه	سطر	اول بیت
٢٩٦	٢	گنز کند کرباس
١٥٠	١٦	گتر بدیهی
٤٣	١٧	گشت آر اداز
٣٥٢	١	« ارجذب
١٦٢	٩	« استا
٤٣	١٠	« اواز
٥٨	١٩	« این دشنام
٣٤١	٣٣	« بالغ
٨١	١٧	« باعیسی
١٥١	١٤	« بیدار او
٢٨٠	٢٠	« بیدارو
٢٦٧	٧	« بیهوش
٣١٥	٣٤	« پران جانب
٤٤١	٩	« پران نامه
١٢١	٣٥	« پرسان
٩٣	٣٦	« پرهیز
٣٨٢	٤	« پس ایمن
٣٤٢	٣	« پیدا
٨٩	٥	« ثابت
٤٣٢	٢٢	« حاندادن
٣٧٠	١٨	« چونی
٢٧٣	١٥	« حاکم
٢٣١	٩	« حیران آنجا
٧٢	٣٤	« حیران آنجه
٧٧	٣١	« خاک
٧٠	٢٣	« خواجه
٢٩٨	٣٠	« دریاه شکم
٢٩٨	٣٠	« دریاها مسخ
٥٦	٢٣	« دین را
١٣٩	٢٢	« شهرستان
١٣٣	٣٧	« ضحاک

۳۶۸	۳۱	گشت عالی
۲۵۱	۴۰	« غمناک
۳۴۰	۵	« فرداز
۳۷۵	۳۸	« قاضی
۱۷۱	۲۸	« کشته
۲۸۳	۱۱	« مؤمن
۱۹۶	۳۷	« مریم
۱۴۹	۲۶	« مستک
۱۳۲	۳۶	« مشکلهاش
۳۹۷	۲۵	« مشکوة
۳۴۴	۱۲	« معلومش
۲۸۳	۱۸	« مهمان
۲۸۴	۳۶	« نام آن
۴۳۹	۳۵	گشته اکنون
۵۶	۲۴	« اندر
۴۴۳	۴۸	« اوبی مال
۲۶۸	۲۴	« ایشان
۱۷۹	۲۰	« ایمن
۴۰۴	۲۲	« باشد
۲۷۷	۱۸	« بایک
۳۹۷	۳۲	« بودآن تو بر
۳۹۷	۳۱	« بودآن تو بر
۳۲۷	۸	« بودآن خر
۲۸۸	۳۲	« بودم
۳۵۵	۲۳	« بوکبر
۳۶۵	۲	« دریغی
۴۱۵	۱۱	« دزدانه
۲۹۰	۲۲	« ریزان
۳۱۳	۳۲	« صدتو
۲۷۴	۲۴	« گگان
۴۱۱	۹	« مردان
۱۱۸	۱۴	« یاغی
		گ-ف
۱۰۰	۸	گفت آب این
۳۰۰	۱۵	« آب دیده
۸۲	۲۴	« آبش ده
۱۹	۳۱	« آتش
۲۳۷	۳۳	« آثارش
۱۷۸	۱۱	گفت آخر آن
۳۳۱	۲۳	« از
۳۰۷	۱۱	« امر
۱۲۶	۲	« او
۴۲۲	۴۸	« ابخس
۳۷۱	۱۷	« پاره
۳۱۲	۳۲	« تو
۳۶۹	۲۹	« چشم
۱۳۲	۲۴	« چه گله
۲۱۸	۱	« خلوتی
۱۱۵	۳۳	« در
۶۰	۱۸	« شیر
۱۸۶	۲۹	« مسجد
۴۰۹	۴	« من
۳۹۷	۶	« نی
۶۹	۳۲	« هیچ

۷۵	۲۱	گفت آدم توبه
۳۲	۱۳	« آدم که
۴۱۹	۱۹	گفت آری آنچه
۱۷۸	۱۳	« آن صم
۱۲۶	۲۷	« انقطاع
۲۲۱	۳۱	« او
۲۴۳	۳۵	« بد
۳۳۷	۳۱	« بس
۲۶۸	۲۶	« بعد
۱۱۲	۱۶	« بنده
۹۱	۲	« پهلوی
۳۲۳	۱۱	« تجربه
۲۵۲	۲	« خوش
۳۵۹	۳۶	« گر بود
۲۱	۱۶	« گر توکل
۳۲۳	۱۰	« گر خدا
۲۱	۱۰	« گر وفا
۱۷۸	۱۲	« گفت آن
۱۷۸	۱۴	« گفت پس
۲۹۴	۲	« لاف
۳۶۴	۲۵	« لیک
۸۰	۳۶	« موی
۲۳۰	۳۴	گفت آصف من
۱۴۷	۳۴	« آن برمن
۳۰۷	۱۲	« آن تأویل
۱۱۵	۳۳	« آنچه خورده
۲۸۰	۳۸	« آن حجره
۳۵۶	۲۳	« آنخاتون
۸۷	۳۵	« آنخادم
۸۳	۱۶	« آنخر کو
۴۴	۱	« آنخواهم که
۲۹۹	۱۳	« آنخود چیست
۳۸۶	۱۹	« آندرویش کی
۱۶۳	۲۵	« آندرویش یا
۳۶۰	۳۳	« آنده
۱۴۹	۱۲	« آندنیه
۱۷۳	۳۱	« آندیگر
۸۸	۷	« آنراجمله
۳۶۹	۱۶	« آنرامن
۱۹۴	۲	« آنزویت
۳۸۳	۶	« آنسالوس
۴۱۹	۳۹	« آن شش
۲۸	۲۸	« آن شیر اندر
۸۶	۳۱	« آن شیر ای
۱۲۵	۱۳	« آن صادق
۳۷۷	۴	« آن صافی
۱۱۶	۷	« آن طالب
۳۰۰	۱	« آن عشق
۱۱۳	۲۱	« آن فرعست
۹۱	۲۴	« آن کس
۱۶۲	۲۴	« آن کودک
۵	۳۵	« آنکه آن
۳۰۱	۲۶	« آنکه بامن
۱۸۶	۳۰	« آنکه بسته

۳۹۷	۶	گفت آنکه ترک
۲۶۹	۲۵	« آنکه هست
۲۵۱	۲۲	« آنماهی
۳۶۰	۳۹	« آنمرغ
۲۷۵	۲۵	« آنمور اصبر
۲۷۵	۲۵	« آنمور سیم
۱۲۵	۳۱	« آن هندو
۱۵۲	۳۴	« آن یعقوب
۲۵۶	۵	« آن یک
۲۹۴	۳۵	« آوخ
۵۴	۲۴	« آوه
۲۹۳	۳۷	« آهوبا
۱۲۱	۳۷	« آه و دود
۱۲۰	۲۱	« آینه
۲۶۳	۲۷	« ابراهیم
۱۲۰	۱۲	« ابلیسش
۲۹۴	۲۰	« ابلیس لعین
۴۳۹	۳۹	« احسب ایم
۲۵۷	۲۳	« احسنت نکو
۲۳۱	۱۸	« احمدرار
۴۸	۳۱	« احمدراسم
۳۷۰	۱۵	« احمدگر
۴۸	۳۰	« احمدمر
۴۲۵	۳۹	« احمدهر
۹	۱۲	« احول
۲۱۸	۱۹	« ادب
۱۰۹	۶	« ادعوالله
۱۴۳	۲۸	« اذاجاء
۳۴۷	۱۷	« اردابن
۷۴	۱۵	« ارسلناک
۱۷۸	۱۱	« ازاعمق
۱۱۱	۶	« اراقرار
۳۳۱	۲۱	« ازباغ
۲۹۰	۶	« ازبهر
۱۲۶	۲۵	« ازبرست
۱۲۶	۲۶	« «
۱۲۶	۲۶	« «
۴۹	۱۱	« ازتوکی
۱۳۲	۱۶	« ازتهمت
۱۶۵	۲۰	« ازمشم
۴۳	۱۶	« ازحق
۳۲۰	۳۳	« ازحمام
۱۵۹	۶	« ازدرد
۶۰	۱۸	« ازدمگاه
۳۷۰	۵	« ازرنجش
۱۵۲	۴۵	« ازروح
۱۵۹	۲	« ازریشم
۱۹۲	۱۱	« ازمن
۱۳۴	۱۴	« ازناچار
۲۱۷	۳۵	« ازبن خشم
۶۹	۶	« ازین ره
۴۴۶	۱۳	« اسباب شهر
۳۰۷	۲۹	« اسباب
۹	۱۳	« استاد

۹	۱۱	گفت استاد احولی
۱۶۲	۲۵	« استاراست
۱۶۱	۳۶	« استانیست
۱۶۵	۱۸	« استربا
۲۷۰	۳۲	« استرراست
۴۱۷	۳۷	استعداد
۱۸۸	۲۸	« اسرار تو
۳۰۶	۳۰	« اسرافیل
۱۳۱	۳۱	« اشترنا
۱۲۷	۴۳	« اشترچند
۱۳۹	۱۹	« اطفال
۶۴	۲۸	« اغلالا
۱۸۰	۱۸	« افزون را
۳۴۷	۲۷	« افزون زانچه
۴۳۹	۴۱	« افسانه
۳۴۶	۳۳	« اکنون ای
۶۱	۲۵	« اکنون چون
۱۲۲	۶	« اکنون راسم
۹۲	۳۷	« اکنون عیبه
۲۰۵	۲۷	« اگر آسان
۳۷۱	۷	گفت اگر آنست
۴۲۵	۱۳	« ازمکر
۱۷۰	۱۸	« اسمی
۴۲۵	۶	« این
۳۲۸	۹	« بودی
۲۹۳	۷	« پایم
۲۲۴	۱۵	« جایم
۳۶۸	۳	« جدت
۱۰۵	۲۲	« چه پاکی
۳۲۸	۳۳	« خواهد
۴۰۹	۳	« داری
۳۱۰	۳۳	« درجنگ
۲۶۳	۵	« دیواست
۷۷	۱۱	« رابید
۳۵۳	۳۹	« رویش
۲۳۵	۳۱	« زرنه
۲۴۶	۱۷	« صبره
۱۱۴	۳	« کودک
۱۰۸	۲۲	« من گفته
۸۱	۲۰	« من نیستم
۲۹۷	۳۵	« نانم
۹۸	۵	گفت الایام
۱۴۵	۸	« الایعلم
۲۵۳	۲۳	« الحق
۲۰۰	۲۷	« الدین
۳۹۰	۳۳	« الصدقه
۲۹۱	۱۰	« العره
۶۶	۱۳	« المعنی
۲۳۵	۱	« الهنافی
۱۲۸	۲۴	« الهی
۶۲	۳۸	« الیس الله
۱۱۴	۲	« امر مشور
۱۵۴	۲۹	« امر آمد
۳۰۶	۱۳	امیدمن

۳۲۶	۲	گفت امیر ابنده
۷۷	۱۷	« امیرالمؤمنین
۳۵۸	۱۴	« امیرانرا
۱۱۹	۳۷	« امیراورا
۱۲۰	۲۹	« امیرای
۲۱۸	۲۹	« امیرش
۲۳۸	۶	« اندرتو
۸۲	۲۴	« اندرجو
۱۱۹	۱۱	« اندرقصر
۱۲۷	۳۸	« اندریک
۱۱	۳۱	« انسان
۲۹۱	۲۷	« انظرنی
۱۸۳	۱۰	« ان عدتم
۱۵۸	۱۳	« اوازاهل
۴۱۵	۱۵	« اوازبعد
۴۴۵	۲۳	« اوازبندگان
۲۰۰	۴۰	« اوای ناصحا
۹۰	۴۵	« اواین را
۱۹۰	۳۳	« اوبفروخت
۷۴	۴۲	« اوپس
۹۲	۴۱	« اودردو
۱۹۰	۳۰	« اوراآن
۱۶۴	۳۶	« اوراای
۳۳۵	۱۵	« اوراجوحی
۸۵	۲۷	« اوراکاین
۱۴۱	۵	« اوراکه
۳۵۸	۳۹	« اوراکیستی
۲۰۱	۱۴	« اوراکی
۱۱۵	۳۴	« اورامحتسب
۴۰	۹	« اورامن
۱۹۸	۲۳	« اوراناصحی
۲۴۵	۳۱	« اورانیست
۲۳۵	۲۸	« اوراو
۲۷۶	۳۳	« اوراهین
۲۰۲	۳۴	« اوسحر
۲۱۸	۱۸	« اوگرابلهم
۱۳۲	۱۴	« اوکشتی
۴۱۶	۱۹	« اوگرمی
۹۴	۲۹	« اول وصف
۱۱۵	۱۶	« اوهم از
۱۲۱	۱۸	« اوچون
۱۳۰	۹	« اوماهی
۲۵۱	۲۷	« اومن
۲۵۳	۱۴	« ای ابله برو
۱۲۲	۱۷	« ای ابله چه
۱۲۶	۳۰	« ای احمق
۳۴۷	۴۱	« ایاز ای
۹	۱۳	« ای استاد
۴۳۸	۴۴	« ای اقبال
۴۳۵	۴۰	« ایاکج
۳۳۱	۲۲	« ای ایبک بیا
۳۳۶	۲۴	« ای ایبک تا
۴۵	۹	« ای بوده
۴۰۰	۱۸	« ای پشت

صفحه	سطر	اول بیت
۲۷۱	۱۴	گفت ایجان جهان
۲۱۲	۳۹	« ایجان رمیده
۱۹۴	۱	« ایجان و
۳۰۳	۲	« ایخاتون
۱۱۲	۳۸	« ایخر
۱۶۲	۱۴	« ایخواجه بیارم
۳۵	۱۴	« ایخواجه پشیما
۱۴۷	۱۶	« ایخورشید
۲۴۷	۱۹	« ایخوش
۳۲۴	۳۵	« ایدانای راز
۳۰۶	۱۰	« ایدانای سر
۱۷۵	۷	« ایداود
۴۱۸	۷	« ایدرمحکمه
۳۲۰	۱۱	« ایدل
۱۳۱	۱۵	« ایرندان
۶۲	۱۷	« ایروبه
۸۱	۱۷	« ایروح الله
۳۲	۱۲	« ایزدجان
۶۸	۱۳	« ایزدیحمل
۱۸	۲۷	« ایزن پیش
۴۸	۱۵	« ایزن توزنی
۱۶۲	۱۳	« ایزن توهنوز
۲۷۲	۳۹	« ایزن هبن
۳۷۹	۲	« ایزن یک
۴۱۹	۱۲	« ای ستار
۱۳۶	۲۰	گفتنی سرمست
۱۷۶	۲۹	گفت ای سگ جد
۱۱۲	۲۸	« ای سگ صوفی
۱۸۶	۲۷	« ایستقر
۱۵۱	۳۸	« ایشانرا
۸۹	۱۸	« ایشان متهم
۴۳۸	۲۸	« ای شکل
۱۱۶	۱۶	گفت ایشه باچنین
۲۷	۱۱	« برمن
۱۷۵	۱۶	« توهم
۳۱۵	۷	« جملگی
۲۳۵	۲۴	« خرجها
۵	۱۹	« خلوتی
۱۶۷	۳۱	« راست
۱۰۱	۳۰	« شرم
۶۱	۱۲	« گاو
۹	۲۴	« گوش
۲۱۲	۲۴	« مرگ
۳	۲۷	« مژده
۹۲	۳۸	« من
۲۶	۱۰	« ناکسی
۲۹۷	۳۳	« هستم
۲۶	۴۰	« یک هنر
۲۱۸	۲	گفت ای شیدا
۳۶۸	۲۵	« ایصدیق
۳۶	۵	« ایطوطی
۱۵۱	۹	« ایعمران
۲۱۳	۸	« ایعنقای
۲۳۱	۲۴	« ایعزی

صفحه	سطر	اول بیت
۴۰۹	۲	گفت ای فی النار
۳۷۷	۲۲	« ای قصاص
۵۱	۳۶	« ایقوم بباطل
۳۹۳	۳	گفتش که خشک
۳۰۱	۱۰	گفت ای گریان
۱۶۷	۱۱	« ای گشته
۴۳۹	۳۹	« ایمرد
۲۲۲	۱۶	« ای مغلوب
۱۲۷	۲۱	« ایمن باش
۳۲۸	۳۵	« اینصف
۱۰۶	۳۲	« ایموسی از آ
۱۹۰	۶	« ایموسی بیامو
۱۹۰	۳	« ایموسی چو
۲۵۷	۶	« ایموسی چو
۱۰۶	۸	« ایموسی دهند
۲۵۶	۸	« ایموسی کداه
۲۵۶	۴	« ایموسی کداه
۷۲	۲۶	« این آتش ر
۴۳	۲	« این از بهر
۳۳۵	۳۳	« این اسلام
۱۹۸	۳۴	« ای ناصح
۲۴۰	۲۷	« ای ناقه
۱۱۶	۱۷	« این او باش
۲۴۹	۱۸	« این بار ار
۱۶۷	۳۰	« این باری
۱۳۴	۱۲	« این پیمانه
۳۶۳	۱۴	« این تکرار
۱۶۶	۳۰	« اینجاای
۱۵۹	۲۸	« اینجاحاضر
۱۳۱	۳۰	« این جوئی
۲۶۴	۱۷	« این دانش
۳۹۳	۸	« این دانم که
۱۴۷	۹	« ایندم با
۱۴۴	۲۵	« ایندم کار
۲۰۲	۱۷	« ایندم من
۸۶	۱۲	« ایندینار
۳۴۷	۲۳	« این زان
۴۳۷	۳	« اینست آدمی
۴۳۷	۱۱	« اینست آدمی
۲۸۱	۲۷	« اینسو آ بیامد
۲۸۱	۲۷	« اینسو آ مکن
۲۴۷	۲	« این سهلست
۴۰۹	۱	« این سی خشت
۱۲	۸	« اینک انمر
۱۲۲	۱۶	« اینک بین
۴۱۵	۱۳	« اینک دادمت
۲۷۵	۳۲	« اینک دشت
۱۳۴	۱۶	« اینک راست
۱۶	۲۷	« اینک تایب
۱۱۷	۵	« اینک بادم
۳۲۰	۶	« ایمرد آنطر
۴۵	۱	« این نبود
۱۶۷	۴	« این نیکو
۱۵۸	۲۳	« ای نوح

صفحه	سطر	اول بیت
۴	۲۱	گفت ای نور حق
۴۳۹	۴۲	« این و میزدی
۳۵۶	۸	« اینها تابع
۲۵۳	۸	« اینهارا
۵۷	۱۰	« این هدیه
۱۲۷	۴۲	« این هردو
۲۳	۸	« ای یاران از
۲۳	۱۲	« ایاران حقم
۱۹۸	۱۳	« ایاران روا
۱۷۶	۹	« ایاران زما
۲۳	۷	« ایاران مرا
۲۸۰	۸	« ایاران من
۴۸۸	۸	« ایاران نه که
۳۹۲	۸	« ایار عزیز
۱۲۲	۱۶	« ایار نکو
۳۸	۱۹	« ای یحیی بیا
۱۰۵	۳۲	« باآنکس
۱۰۴	۱۴	« باامر
۴۳۶	۹	« باانگشت
۴۴۲	۴۵	« باآوآن
۱۱۴	۳	« باومشورت
۹۲	۲۷	« بااین شکل
۱۱۲	۲۲	« بااینهامرا
۲۵۱	۵	« بااینهانه ارم
۳۴۲	۴	« باباچون
۱۵۸	۹	« باباچه
۱۵۸	۸	« باباسالها
۳۱	۱۶	« باجسم
۴۳۱	۴۱	« باخواجه که
۳۴۶	۲۵	« باخود آنچه
۲۲۶	۲۳	« باخود پیش
۴۴۲	۳۰	« باخود چون
۴۳۷	۱۹	« باخود کت
۳۶۷	۱۶	« باخود کز
۶۶	۲۸	« باخود گر که
۴۱۶	۱۳	« باخود گنج
۳۰	۳۳	« باخود من
۴۴۵	۱	« باخود نیست
۲۲۰	۱۸	« باخود هست
۲۰۷	۲۰	« باخود هین
۴۳۷	۲۴	« بادل خود
۱۱۴	۳۶	« بادلفک
۳۷۱	۱۸	« باری آب
۴۳۹	۳۸	« باری تا
۱۹۰	۲۲	« باری نطق
۹۶	۴۷	« بازاریك
۵	۴۳	« بازرگانم
۱۲۲	۱۴	« باشدکان
۱۵۱	۲۳	« باشدکاین
۱۴۷	۷	« باشدمن
۴۰۸	۳۵	« باصدر
۴۲۴	۳۰	« باقاضی
۳۱	۱۷	« بانی تا که
۲۵۸	۹	« باهامان بگو

صفحه	سطر	اول بیت
۲۵۹	۲۳	گفت باهامان چو
۲۵۸	۹	« باهامان مگر
۱۹۱	۳۵	« بخشیدم
۳۱۷	۳۷	« بدفضل
۴۱۶	۱۵	« بدموقوف
۸۲	۲۷	« بر پشتش
۴۲۳	۲۰	« برجمله
۶۰	۱۶	« برچه موضع
۱۹۸	۹	« برخزم
۴۲۳	۲۱	« برکه
۲۷	۱	« برگوتا
۷۳	۱	« برمن تیغ
۳۴۴	۱۹	« برهیچ آب
۴۰۸	۲۴	« بس بیشرم
۳۱۹	۱۴	« بسپارش
۸۲	۲۶	« بستان شانه
۳۲۲	۲۷	« بس جدند
۲۶	۲۱	« بسم الله بیا
۳۶۹	۴۲	« بسم الله مشرف
۱۲۱	۳۰	« بسیار آن
۳۴۷	۱۴	« بشکن گفت
۳۴۷	۱۷	« بشکن گفت
۲۶	۱۲	« بشنو گر
۱۶۳	۱۵	« بشنیدم سخن
۲۹۴	۳۵	« بعدازعز
۲۳۵	۲۶	« بفشارم
۲۷۶	۱۰	« بنماتا
۲۷۳	۷	« بنماجزو
۲۴۱	۲۲	« بنمودم دغل
۴۴	۲۲	« بوجهل
۲۴۵	۵	« بوی بوالعجب
۲۲۶	۲۵	« بهتر این
۴۲	۹	« بهر آن
۳۲۲	۲۶	« بهر سخره
۲۶۳	۱۶	« بهر شاه
۲۴۳	۲۲	« بهر مصلحت
۱۶۷	۲۷	« بهلول آن
۲۶۱	۲۰	« بی برهان
۲۲۲	۱۴	« بی جرمی
۲۸۵	۳۷	« بیچون دیدم
۱۱۹	۱۳	« بیدارم چرا
۴۱۹	۱۱	« بیرؤیت
۲۷۶	۳۵	« بیرون زین
۱۵۸	۱۴	« بیزارم ز
۱۱۵	۲۳	« بیزاریم جمله
۱۱۳	۳۷	« بیماری مرا
۸۲	۲۲	« پالانش
۲۸	۵	« پاوابس
۱۲۶	۲۸	« پایم سست
۹۴	۱۷	« پس از گفت
۱۲۸	۱	« پس از نقد
۱۶۶	۲۱	« پس چون
۱۵۹	۳۰	« پس من
۱۲۶	۲۹	« پشتم

صفحه	سطر	اول بیت
۲۱۲	۱۶	گفت پشه
۱۳۱	۱۲	« پیر آندم
۲۳۱	۳۳	« پیر اگر
۲۳۱	۳۶	« پیرش کای
۱۲۶	۲۵	« پیری مر
۲۸	۳۰	« پیش آز خم
۶۱	۱۴	« پیش آ کس
۴۴۲	۱۷	« پیغمبر انا
۲۸	۷	گفت پیغمبر بتمیز
۳۶۲	۳۳	« برای
۲۴	۴	« بکن
۷۴	۲۸	« بگوش
۲۱	۱۶	« به آواز
۶۷	۱۱	« بیك
۴۳	۳۴	« چه خوا
۴۲	۸	« چه میجو
۸۸	۳۰	« خدا
۲۳۵	۱۸	« خنك
۳۱۳	۲۰	« رکوعه
۴۲	۲۴	« زسرما
۲۸۳	۱۶	« زغبب
۲۰۱	۳۴	« سپهدار
۱۶۸	۱۴	« شمارا
۶۹	۳	« صباحی
۱۰۸	۳	« عداوت
۵۹	۳۵	« علی را
۴۸	۱	« قناعت
۱۲۳	۶	« که آری
۱۲۳	۱۴	« که آواز
۲۴۷	۶	« که احمق
۱۳۱	۲۱	« که از
۷۱	۲۳	« که اصحا
۲۰۲	۳۵	« که ان
۳۴	۲۰	« که ایطالا
۲۵۰	۱۳	« که ایظا
۳۱۹	۲۴	« که بر روز
۲۰۳	۱۵	« که جاد
۳۵۷	۴	« که جنت
۲۱۱	۱۷	« که چون
۱۱۹	۲۷	« که حق
۵۴	۳	« که حق ذ
۱۵۵	۳۱	« که خسبد
۴۶	۳	« که دایم
۸۵	۱۹	« که در باز
۳۷۶	۱۵	« که در بح
۸۷	۳۷	« که دست
۲۹۲	۲۲	« که رحم
۲۴	۲۴	« که رنجو
۱۶۶	۳	« که روز
۴۹	۳۳	« که زن
۱۲۳	۱۲	« که سوگ
۱۶۵	۳۵	« که شیخ
۱۳۳	۵	« که عینا
۲۱۰	۱۱	« که مرا

صفحه	سطر	اول بیت
٤٠	٢١	گفت پیغمبر که نفحتها
٢٦٠	٢٢	« که وقت
٩٢	٤١	« که هر که
٦٨	٢١	« که هست ا
٢١١	٩	« که هستند
٩٠	١	« که یزدان
١١٨	١٩	« مرآن
١١٧	٢	« مرآن
١٢١	٩	« نشانی
٦	٢	« هرآن
٩٢	٣٢	گفت پیوسته
٨٩	٣٤	« تا اکنون چه
١٢٥	١٤	« تا اکنون فسو
٣٨١	٢٩	« تا این رقعه
١٩٦	٢٦	« تاب فرقتم
٢٤٦	١٥	« تا جا کز
٣٤٢	٧	« تا چشمش
١٢٦	٢٩	« تاریکست
١٣١	٣١	« تازانو
١٦٤	٣٢	« تا سالی
٤١٧	٢٤	« تا شاهیت
٤٣٩	٤٧	« تا کی
٦٠	٢١	« تا گوشش
٢٣٨	٨	« تا من هستم
١٢٦	١	« تا هیبت
٢٩	٣٥	« تا بید
٦	٨	« تدبیر
٩	١٩	« ترسایان
٣٢	١٥	« ترسیدم
٨٢	٢١	« ترکن آن
٨٠	٣٥	« ترکن دست
٦٩	٤	« تشنه بودم
٢٦٤	١٧	« تمییزم
٣٢	٣٤	« توبحث
١٣١	٣٤	« توبه کردم از
٣٣١	٢٤	« توبه کردم از
١١٧	١٧	« توبه کردم ای
١٢٧	٣٩	« تو چون بار
١٠٨	١٥	« تو خود جبر
١٢٩	٣٩	« تو خود را
٤٢١	١٧	« تو زانرو
٢٧٥	١٦	« تو کوهی
١٩١	٢٥	« تیری جست
١٦٣	١٤	« جاروبی
١١١	١٤	« جالینوس
١٣١	٨	« جامم را
١٣	٣٨	« جانم
٨٢	٢٥	« جایش
٢٢٢	١٣	« جرمم
١٩٣	٣٨	« جفت امشب
١٩٣	٣٨	« جفتش
١٢٧	٣	« جوحی با
١٢٧	٤	« جوحی را
٣٢٧	١٩	« جوع از

صفحه	سطر	اول بیت
٢٥٧	٧	گفت چارم آنکه
٨٣	٢	« چاره چیست
٣٤٢	٦	« چشمش
٢٠١	٤١	« چندان آن
١١٠	٣٧	گفت چون از جدو
٢٧٠	٣٤	« اقرار
٣٧٠	١١	« باشد خو
٣٧٠	١٦	« باشد سگ
١٦٧	٢٧	« باشد که
١٧٦	١	« بخت
٦٣	١٤	« بودی
٥	٣٠	« بیرون
٢٠٧	١٧	« ترسم
٤٠٠	١٢	« توفیق
٤٤	٢٢	« خواهی
٣٤٢	٦	« دانم
١٢١	٩	« دانی
١٦٧	٩	« درچشم
٦٢	١٨	« درعشق
٦١	١٥	« دید
٣٤٧	١٣	گفت چونست و
٥٤	٢٦	گفت چون شاه
٢٦٢	٣٣	« طفلی
٣٨٩	١٦	« فرمود
٣٣٥	١٤	« قدر
٣٤٢	٢٥	« قصد
٢٦١	٢٦	« قلبی
٨٧	٢٧	« میدید
١٢٦	٢	« وهمت
٢٨٦	٣٧	« ندهی
٣١٨	٣٥	گفت چونی اندر
٦٦	٣٤	« چونی گفت
٤٢	٩	« چه پرسر
٢٦٢	٣٢	« چه خصلت
٦٠	١٥	« چه صورت
٢٦	٨	« چه عذر
٢٤٧	١	« حاجب
٢٠٢	١٦	« حارث
١٩٠	٣٨	« حاشا از من
٢٥٣	٢	« حاشا که
٢٦١	٢١	« حجت در
١٤	٢٤	« حجتهای
٣٩٧	٣٥	« حسرت
١٤٣	٣٠	گفت حق آنرا
٢٧٣	٢٦	« آنسگ
٤٢٢	٢٥	« آنطفل
١٨٩	١٤	« آموخت
٨١	٢٢	« ادبار
١٤٢	٣	« است این
٣٢٨	٢٥	« ایوب
٢٤٢	٣١	« تمییز
٣٥٤	٢٧	« چشم
٤٠٥	٢٦	« خود او
٢٦٤	٧	« دانم

صفحه	سطر	اول بیت
٦٠	٢٧	گفت حق در
٢٠١	٣٣	« حق ز اهل
١١٣	٣	« حقست
٣٩٠	٢٠	« حق سبا هم
٦٦	٢١	« حقشان
٣٩٤	١٢	« حقش کای
١٢٣	٨	« حقش کی
٤٥	١	« حق فرموده
١١٣	١٤	« حق کاندر
١٥٠	١٩	« حق که بندگا
١٤٨	٣٧	« حق که کج
١٤٩	٨	« حق گر فاسقا
٦٧	١٨	« حق نی
١٧٨	١٨	« حکمت چیست
١٦٤	٣٩	« حکمت را
٢٣٠	٣٥	« حمدالله
١٩٢	٢٢	« حمزه چون
٣٥٦	١١	« خاتون را
٢١٩	٣	« خاتونیست
٨٢	٢٠	« خادم را که
٢٨٦	٣٨	« خاک بر سر
٨١	١٨	« خامش کن
٨٩	٦	« خان و مان
٤١٨	٩	« خانهٔ تو
٣٢٤	٣٥	« خدمت آنکه
٣٢٠	٢١	« خر به از
٣٢٣	٤٠	« خر روهین
٣١٩	٢٨	« خر ضعف
٣١٨	٣٥	« خر گردر
٢٦	٧	« خر گوش
٣١٩	٣٦	« خرمگوس
١٥١	٩	« خسبم هم
١٢١	١٩	« خصمان عالمند
٥٠	٤	« خصم جان
٦٩	٦	« خلقان
١١٠	١٣	« خواب آمد
٢٨٠	٢١	« خوابم بد
١٠٢	١٨	« خواجه با غلام
١٤١	٣٩	« خواجه جسم
٣٥٦	١٩	« خواجه صبر
٣٥٦	٢	« خواجه مال
٣٥٦	٢٤	« خواجانی
٢٥٣	٩	« خواری
٣٢٨	٢٠	« خواهم مرد
١٣٥	١٥	« خود خالی
٢٢١	٣١	« خود را اندر
٣٥٦	٣٥	« خود کسر
٣٧٧	٢٣	« خطا طیست
١٥١	٣١	« خیر است
١٢١	٣٨	« دائم آه
١١٣	٢٧	« دارم از
١٨٧	٢٨	« دارم بر
٢٦	١٢	« دارم من
١٣٤	٢١	« دانائی

صفحه	سطر	اول بیت
٩٤	٣١	گفت دانستم ترا
٥	٣٦	گفت دانستم که
١٣٩	١٤	« دانم کز
٤٢٥	٥	« دانم مرد
٢٠٦	١٠	« داود اتو
١٧٥	١٣	« داود این
١٧٥	٦	« داودش بگو
١٧٥	٣٦	« داودش خمش
٣٤١	٣٦	« دختر ای پدر
٣٣٦	١٣	« دختر چیست
٣٤١	٣٥	« دختر را
٤٥	٤	« در باطن
١٩٣	٢٠	« در بیعی
٢٦٨	٧	« در چشم
٤١٦	٦	« در دت چینم
٤٤٥	١١	« در دل من
٣٣٨	٤	« در رو گفتن
٣٨٨	١٩	« در ره
٣٩٤	١٣	« در ریشم
٣٧٨	١٠	« در زی
١٣٤	١٠	« در شطرنج
٤٣٩	٣٣	« در غیبست
٣١	١٨	« در گوش
٢٨٦	٣٣	« در ملکم
٢٨٥	٣٧	« درویشی
١٦٨	١٠	« در یکخانه
٣٦٤	٣١	« دزدان
٣٣١	٧	« دزدی
٣٢٦	١٦	« دستوری
٧٦	٢	« دشمن را
٣٢٠	١٢	« دل دانم
٣٩٠	٢٨	« دلقک ای
٣٩٠	٢١	« دلقک با
٣٩٠	٢٤	« دلقک را
٣٩١	١	« دلقک من
٨٢	٢٦	« دم افسار
٤٣٤	١	« دنیا جیفه
٦٨	٤	« دنیا لعب
١٨٩	٢٩	« دور از تو
٢٥٤	٣١	« دور از دولت
٢٤٣	٢٣	« دهلیزیست
٣٩٢	٢٦	« ده نیمی
٢٦١	١٧	« دیدم اندر
٥١	٢٨	« دیدید
٢٥١	٣٧	« دیگر بر
٣٠٣	١٧	« را آموخت
٣٣	١	« را گر
١٧٠	٨	« راندم
١٣٢	٣٧	« راه او سط
١٢٧	٤٣	« رخت
٢٧٥	١٦	« رگهای
٩٤	٢٨	« رمزی زان
١٧٨	١٩	« رنج احمقی
٢٨٦	٣٥	« رنجش چیست

صفحه	سطر	اول بیت
٦٧	٤	گفت رنجور این
٣٢٣	٣٤	« روباه آن
١١٠	١٢	« رو بر من تو
١٩١	٢٢	« رو بفروش
٣١٩	٣٢	« رو به آن
٣٢٠	١٦	« رو به این
٣١٩	٢٣	« رو به جستن
٣٢٨	٩	« رو به را
٣١٨	٣٣	« رو به شیر را خ
٣٢٣	٥	« رو به شیر را ک
٣٢٤	١٢	« رو به صاف
١١٦	٢	« رو تو از
٣٧٩	١	« رو حم
١٦٣	١٣	« رو خواجه
٣١٨	١٠	« رو رو دست
١١٠	٨	« رو رو کار
١٨٥	٢٦	« رو رو نقش
٢٧٠	١٣	« روزی استر
٤٣٠	٥	« روزی باغلا
٩٨	٥	« روزی حاکم
٣٤٧	١٢	« روزی شاه
٤٢٣	٢٢	« روزی کشتهٔ
١٦٩	٣	« روزی میشد
١١٥	٢٩	« روزین حلقه
٣٦١	٢٢	« روزی یار
١٠١	١٢	« روشن
٢٧٥	٣١	« رو کان
١٢٧	٢٨	« رو که نیک
٢٦٧	١٠	« رو من
١٦٢	١٥	« رو نه تو
٢٦٦	٢١	« رو هر کو
٣٧٢	٢١	« رو هین
٣٧٧	٢٦	« رهن
٣٧٩	١٢	« ریشت
١٠	١١	« زان نصلی
١٨٧	٢٤	« زانکه
٨٦	١٧	« زاهد از
٣٣٧	٢٣	« زاهد در سبو
٣٦٠	٣٩	« زاهدنی
١٠٩	٣١	« زشت آوازم
٥٣	٣١	« زن آهنگ
١٦٢	١٢	« زن ابخواجه
١٦٢	١١	« زن خیر
٥٥	٤	« زن صدق
٣٤٠	٣١	« زن فرمان
٣٣٦	٣٣	« زن کاین
٢١٩	١٣	« زن من
٥٤	٢٠	« زن نک
٢٧٣	١	« زن نی
٤١٨	٣٠	« زن هی
٣٩٠	٧	« زوتر
١٠٤	١٤	« زین دو
٢٤٥	١٠	« زین سو
٣٣٥	١٣	« سائل آن

صفحه	سطر	اول بیت
۲۶	۱۴	گفتمش ما بندهٔ
۱۵۹	۲۷	گفت معشوق این ا
۲۹۹	۳۶	« معشوق اینهم
۴	۶	« معشوقم
۱۹۸	۱۷	« معشوقی بعاش
۳۱۳	۶	« معشوقی بعاش
۲۲۲	۱۵	« مغلوب
۳۶۰	۲۰	« مفتی
۵	۱۳	« مکشوف
۶	۲۸	« من آن آهویم
۱۴۷	۱۳	« من آن حقها
۴۸	۳۲	« من آیینه
۱۲۲	۱۹	« من از حق
۳۲۵	۱	« من از خود
۱۰۲	۲۳	« من از دست
۲۴۳	۳۹	« من ایثار
۲۶۱	۲۵	« من اینها
۱۷۴	۱۰	« من باحق
۲۷۰	۱۴	« من بسیار
۳۲۳	۷	« من پنداشتم
۷۷	۲۰	« من تخم
۷۳	۴۷	« من تیغ
۳۲۸	۱۹	« من جویای
۶۳	۳۴	« من چند
۸۷	۳۶	« من خررا
۴۳۲	۱۵	« من خود
۳۱۴	۳۱	« من دانم
۳۱۳	۷	« من در تو
۳۹۰	۷	« من درده
۲۴	۳۳	« من دریا
۲۱۳	۱۶	« من رعد
۲۲۰	۱۷	« من رنجش
۱۷۴	۵	« من روزی
۲۸	۳۰	« من سوزیده
۵۴	۲۲	« من شه را
۳۷۷	۲۳	« من ضامن
۲۵۲	۳۳	« من عقلم
۴۱۹	۳	« منفذ
۱۸۴	۳۷	« من کردم
۲۶۱	۲۰	« منکر گشته
۱۵۸	۳	« من کی پند
۶۱	۲۱	« من گفتش
۲۴	۱۵	« من گفتم که
۱۹۹	۲۹	« من مستقیم
۳۶۰	۱۹	« من مضطرم
۸۸	۱	« من مغلوب
۱۸۷	۳۸	« من نشناسم
۱۳۴	۳۱	« من نومید
۳۴۴	۹	« من نه ملك
۱۶۲	۴۵	« من هم بی خبر
۲۴۶	۳۱	« من هم نیز
۳۶۰	۳۲	« من یك
۲۵۲	۹	« موتوا کلکم
۱۳۱	۳۲	« مورتست

صفحه	سطر	اول بیت
۲۵۷	۴	گفت موسی آن س
۲۶۴	۶	« موسی ایخدا
۱۰۷	۹	« موسی ایکر
۱۹۱	۳۶	« موسی اینجه
۱۵۴	۲۲	« موسی این م
۱۶۸	۳۳	« موسی این م
۱۱۰	۲۰	« موسی بایکی
۱۹۱	۳۰	« موسی درمنا
۲۶۲	۳۲	« موسی را بو
۱۸۹	۴۱	« موسی رایکی
۱۹۰	۲	« موسی رو
۲۴۲	۳۱	« موسی سحر
۱۵۷	۱	« موسی عفو
۲۵۶	۱۸	« موسی کاولین
۲۶۰	۱۲	« موسی لطف
۱۴۰	۳۹	« موسی من ند
۲۵۲	۳۴	« موسی نسبتم
۱۰۵	۳۲	« موسی های
۱۹۰	۲۲	« موسی هین
۱۹۰	۵	« موسی یارب
۳۷۸	۲	« مولع
۱۱۰	۷	« مهر ابلهان
۴۰۴	۲۷	« مهمان درچه
۴۳۹	۳۶	« مهمانش
۳۵۴	۳۴	گفتمی از لطف
۳۶۴	۴	« برهان
۱۸۹	۱۶	گفت می بینی تو
۳۴۰	۳۶	« میترسیدم
۳۲۸	۱۸	« میجویم
۳۲۸	۳۴	« میخواهد
۱۱۶	۹	« میخواهم
۲۴۷	۲۵	« میدانم ترا
۱۶۴	۲۴	« میدانم سبب
۲۹۳	۳۶	« میدانم که
۲۸۰	۳۴	« میدانم ولیك
۴۲۵	۷	« میرو
۲۶۰	۱۸	« میری
۳۳	۲۰	« میشاید
۳۰۶	۳	« میکائیل
۳۲۲	۲۷	« میگیرند
۲۱۹	۵	« میلش
۲۹۶	۲۹	گفتن آن کو
۸۴	۲۰	گفت نااهلان
۳۲۸	۲۱	« نادر
۶۷	۱۷	« ناراز
۱۴۰	۱۴	« ناصح
۳۸۳	۴	« نافرجام
۲۹۴	۳	« نافم
۳۵۹	۱۵	« نالان از
۲۳۸	۶	« نامت چیست
۳۲۴	۳۱	« نامد نوبت
۴۲۹	۳۴	« نامش
۱۸۹	۱۷	« نامم بیش
۴۳۹	۳۷	« نامم نان

صفحه	سطر	اول بیت
۳۰۵	۳۲	گفت نامی که
۷۲	۲۸	« نان بر رسم
۲۸۶	۳۷	« نان و زاد
۱۹۱	۳	« ناهنگام
۴۱۹	۱۹	« نایب
۴۴	۲۵	« نبود مثل
۳۰۷	۱۱	« نتوانم بدین
۲۷۶	۱۰	« نتوانی و
۱۳۴	۱۱	« نحوی زید
۳۳۶	۲۵	گفتن ذره
۲۹۲	۴۰	گفت نرهانید
۴۲۵	۲۱	« نطقم
۴۱۹	۳۷	« نفقه
۴۰۸	۷	« نقش
۱۵۸	۳۰	« نکته
۶۲	۲۷	« نوح اندر
۱۶۲	۴	گفتن هر یك
۱۱۵	۱	گفت نه مستور
۳۰۲	۳۱	« نی آن نار
۸۵	۲۸	« نی از صوفیان
۳۴	۲۷	« نی اول
۱۴۷	۳۱	« نی بادی
۳۰۷	۲۰	« نی برخیز
۳۳۵	۱۷	« نی بردل
۳۵۲	۳۳	« نی خامش
۴۱۶	۸	« نی دزدی
۱۵۸	۲	« نی رفتم
۲۱۷	۱۹	« نیکوئی
۴۴۱	۳۶	« نیکو بنگر
۱۴۷	۳۲	« نیکوتر
۱۲۷	۳۹	« نیم گندم
۱۵۸	۱	« نی من آشنا
۱۳۴	۱۳	« نی من آن
۳۷۹	۱۱	« نی من پیش
۳۵	۱۳	« نی من خود
۱۱۹	۱۵	« نی نی این غر
۱۹۴	۱	« نی نی بلکه
۱۸۸	۲۶	« نی نی در نگیر
۱۵۸	۲۴	« نی نی راضیم
۳۳۹	۲۰	« نی نی من حر
۱۵۴	۲۴	« نی نی مهلتی
۲۴۸	۲۲	« نی نی یار سو
۹۳	۶	« نی والله
۱۰۷	۳	« واپس رفته
۳۶۹	۱۴	« واپس واپس
۲۱۶	۶	« واسجد
۳۳۵	۱۲	« واعظ
۱۳۴	۳۳	« واگو کز
۸۸	۶	« والله آمدم
۱۱۰	۷	« والله از
۲۸۲	۱۱	« والله تا ابد
۵۳	۳۱	« والله عالم
۱۲۸	۳	« والله نیست
۱۷۵	۳۷	« واویلا

صفحه	سطر	اول بیت
۵۶	۱۴	گفت وجهم گر
۲۳۴	۳۶	« وقت
۲۰۵	۱۰	« وگو بسیار شد
۲۶۱	۲۲	« وگو بسیار گشت
۱۴	۱۱	« وگوی ظاهر
۸۰	۲۷	« وهم کان
۳۹۴	۲۳	« وهو معکم
۱۹۴	۳	« ویران گشت
۱۲۱	۱۰	گفته است الکذب
۱۴	۵	گفت هان ای
۴۴۳	۲۱	گفته اند المستشار
۳۰۶	۱۵	گفته اند رنبی
۳۶۴	۳۹	گفته اوجمله
۱۳	۳۶	« ایشان بی
۲۳۲	۴۲	« ایم اینرا
۴۳۶	۳۲	« اینجا نیست
۸	۶	« اینك ما
۲۰۸	۳	« باخود در
۴۴۰	۱۷	« بودیم آخر
۴۰۶	۱۳	« بودیم از سقا
۳۲۴	۱۷	گفت هذا ربی
۱۶۹	۲۶	« هر برگ و
۳۷۲	۱۹	« هرچت
۸۴	۲۳	« هرچند
۴۲۴	۳۰	« هرچه کاله
۴	۲۶	« هردارو
۲۴	۶	« هر رازی
۳۷۵	۳۷	« هرشش
۲۵۷	۱۸	« هرکس
۴۱۹	۲۴	« هرکو
۱۳۶	۲۹	« هرگاهی
۱۲۰	۳۹	« هرمردی
۱۳۵	۶	« هریکتان
۱۵	۲۸	« هریك را
۱۷۳	۳۰	« هریك من
۲۲۶	۲۳	« هستم در
۲۵۳	۲۶	« هستم غرق
۲۷۱	۱۰	« هستم یار
۱۴۱	۳۶	« هستند آن
۴۱۴	۴	گفته شد آن
۳۷۳	۵	گفته شد که هر
۴۲۴	۳۱	« فرزندان
۴۴۰	۱	گفت هم جنسیم
۴۲۳	۲۸	گفته مرخور شید
۴۳۹	۳۴	گفت همراهم
۲۶	۱۶	« همره را
۴۲۸	۳۹	گفته نارو
۳۵	۲۳	« ناگفته
۱۱۹	۱۴	گفت هنگام
۴۳۵	۳۶	گفته نی ضرب
۴۳۴	۲	« هامانت
۱۱۹	۱۳	گفت هی تو
۳۶۹	۱۳	« هجده
۵۷	۲۱	« هیچ از
۱۱۵	۳۲	« هی مستی

صفحه	سطر	اول بیت
۱۴۱	۴	گفت هین از
۲۲	۱۴	« هین اکنون
۱۷۵	۲۰	« هین امروز
۴۳۷	۱	« هین بیش
۶۹	۲۸	« هین در کش
۱۱۷	۱۶	« هی هی این
۳۷۱	۱۹	« هی هی گفت
۳۹۸	۹	« یاحادی
۱۱۷	۳	« یادم
۳۷۰	۱۱	« یار اتو
۲۶۱	۲۳	« یار ادر درون
۱۹۰	۶	« یارب او
۸۵	۶	« یارب اینچه
۳۱۷	۱۰	« یارب بارها
۴۱۴	۱۷	« یارب برگ
۳۰۷	۴۱	« یارب بندگان
۲۹۴	۳۳	« یارب بیش
۱۹۲	۱۰	« یارب تا بصد
۳۸۶	۲۲	« یارب توبه
۷۹	۱۸	« یاربدبلا
۳۰۷	۳۸	« یارب دشمنم
۱۳۰	۳۹	« یارب دفع
۲۶۴	۱۵	« یارب زان
۳۰۳	۳۲	« یارب زین
۲۲۷	۲۸	« یارب گر ترا
۱۳۲	۹	« یارب مرغلام
۱۷۲	۲۵	« یارب منکر
۲۷۳	۲۴	« یارب میفریب
۲۳۵	۳۷	« یارب نام
۱۱۲	۱۶	« یارب نیست
۶۱	۳۵	« یارش
۸۵	۷	« یاموسی
۹۲	۱۶	گفتی اندر
۱۴۸	۴۰	گفت یزدان از
۸۸	۳۲	« یزدانت
۱۹۰	۱۱	« یزدان تو بده
۳۷۳	۳۶	« یزدان زان
۳۰۷	۷	« یزدان زود
۳۰۷	۳۷	« یزدان که بعلا
۲۷۱	۳۴	« یزدان که تر
۲۱۸	۳۸	« یزدان وصفة
۳۲۶	۳۰	« یزدان ما
۱۴۹	۳۳	« یزدان مرنبی
۳۰۸	۸	« یزدان هر که
۳۷۹	۳۳	گفتیش ای عقبه
۴۳۹	۳۵	گفت یعنی
۷۰	۱	« یك اصبع
۳۹۴	۶	« یك خاصیتم
۳۹۴	۶	« یك خاصیتم
۳۷۱	۶	« یکروزی
۱۴۷	۱۷	« یك گوشه
۳۹۴	۱۰	« یك نك
۱۲۸	۲۹	« یوسف این
۶۳	۳۴	« یوسف هین

کتابخانه خصوصی
غلامحسین - سرود

صفحه	سطر	اول بیت
گ - ل		
۱۰۷	۱۶	گل برآرند
۴۲۹	۴۶	« بسالی
۱۵۲	۲۹	گلخن نفس
۴۳۳	۳۲	گل درین
۴۳۲	۱۷	« زبذلت
۱۸۶	۱	گلستان
۱۷۴	۲۷	گلشکر آنرا
۲۴۴	۱۲	« خوردم
۱۴۵	۳۰	گلشن خرم
۴۲۱	۱۱	گلشنی کز گل
۴۲۱	۱۱	« کز نقل
۳۱۵	۳۷	گل فروشست
۱۱۶	۲۸	« مخر
۲۹۵	۸	« نماندخار
۳۲۹	۱۴	گله گله از
گ - م		
۴۱۶	۲۶	گمرهی را
۲۹۵	۱۷	گمشداز
۲۹	۲۹	« و
۲۳۱	۲۸	گم شود
۱۳۴	۴۳	گم شوی
گ - ن		
۴۲۹	۳۵	گنبد گردون
۴۳۳	۳۴	« گل
۳۲۳	۴	گنبدی کرد
۴۲۹	۳۵	« گوئی
۳۳۷	۱۴	گنج آدم
۳۱۹	۵	« بی مارو
۱۹۷	۲۵	« زری
۲۵۶	۲۶	« زیرخانه
۵۸	۷	« مخفی بد
۵۸	۷	« مخفی بد
۳۳۷	۱۴	« وگوهر
۴۳۰	۱۰	« ومال
۳۹۰	۸	گنجها بدهم
۲۰۷	۲۴	« بنهادآن
۱۲۸	۲	« بنهاده
۲۹۰	۲۶	« رادر
۳۲۵	۱۳	« ی خاك
۲۲۰	۲۶	گندشرك
۱۰۵	۳۳	« کفرتو
۲۲۱	۲۲	گندم ار بشکست
۱۴۴	۳۴	« ازبالا
۴۴۸	۶	« بریان
۱۰۰	۳۳	گندمخفی
۴۳۶	۴۵	گندمش از
۱۹۰	۲۵	گندم وجو
۷۷	۲۶	گندمی خورشید
۶۳	۱۶	« را
۳۵۶	۳۹	گنده پیراست
۳۶۲	۲۶	« پیران
۸۳	۲۵	« پیرجاهل
۴۴۳	۲۴	« گوی

صفحه	سطر	اول بیت
گ - و		
۴۴۲	۱۲	گوئیا ازدم
۲۸۸	۳۱	گوئی آنجاخاك
۲۹۳	۲۳	گوئی آندل
۳۹۳	۱۱	گوئیادل
۶۶	۳۳	گوئیار نجور
۱۸۳	۲۳	گوئی ازتوبه
۱۸۷	۱۰	گوئی ازچه
۱۰۳	۲۲	گوئیش پنهان
۱۸۴	۳۴	« خاموش
۱۰۵	۸	« خبر
۱۰۵	۱۰	« من
۳۸۷	۱۶	گوبدوچندانکه
۱۹۹	۳۴	گوبران بر
۱۲۵	۲۷	گوراوهرگز
۲۳۳	۴	« چه از
۱۴۰	۱۰	« خانه
۱۲۷	۷	« خوشتر
۱۱۵	۱۷	« بیجویند
۱۱۵	۱۶	« میگیرند
۲۷۲	۲۷	« هایکسان
۸۹	۳	گوززندان
۴۰۰	۳۰	گوسفنداز
۱۴۳	۲۱	گوسفندان بوی
۱۲۸	۳۴	« حواست
۴۷	۲۵	« راز
۲۰۳	۳۶	« گر
۴۰۰	۲۹	گوسفندی از
۱۳۸	۱۱	گوش آنکس نوشد
۳۴۵	۱۶	« انگیزد
۲۴۸	۴	« بعضی زین
۱۹۱	۱۹	« بنهاده
۲۱۳	۱	« بیگوش
۳۲	۳	گوشت پاره آدمی
۳۱۰	۱۲	« پاره آلت
۱۱۶	۳۵	« پاره که
۳۰۱	۲۲	« دارد
۱۲۵	۲۴	« کاندر
۴۴۴	۷	« نادیده
۳۳۶	۳۵	« نیم من
۱۴۵	۱۳	گوش تو اورا
۸۹	۳۵	« تویر
۳۱	۲۳	« جان
۹۲	۲۲	« چون
۶۷	۱۵	« حس
۲۳	۲۵	« خر
۲۱۱	۳۵	« داراکنون
۸۴	۱۳	« دارای
۴۰۱	۲۰	« داری تو
۹۲	۲۰	« دلالست
۱۴۹	۳۸	« دل را
۱۴۵	۱۱	« راکنون
۴۲۲	۹	« رابربند
۳۴۵	۹	« رابگرفت

صفحه	سطر	اول بیت
۱۳۹	۵	گوش رابندد
۴۱۷	۲۰	« رارهن
۴۰	۵	« رانزدیك
۱۳۹	۳۰	« سر
۳۳۹	۳۸	« ظاهر
۴۱۳	۲۶	« کان
۱۱۳	۴	« کردم
۳۵۸	۲	« کن استفت
۱۴۵	۱۰	« کن اکنون
۱۳۳	۲۶	« کن چون حلقه
۲۷۰	۴	« کنعان
۱۴۹	۳۹	« کن هاروت
۲۵۴	۹	« گویدمن
۲۵۴	۹	« گویدمن
۱۸۹	۸	« گیری
۲۸۴	۴	« ماگیر
۳۳۷	۲۱	گوشمال محنت
۱۴	۱۹	گوش ماهوش
۳۰۷	۲۲	« من ازغیر
۳۰۷	۲۴	« من کر
۲۱	۱۱	« من لایلدغ
۲۹۸	۲۵	« نه اوفوا
۹۱	۲۸	« نه تو
۵۹	۵	گوشواره چه
۱۷۱	۳۱	گوش و چشم و
۳۰۰	۲۹	گوشوریکبار
۴۰	۲۱	گوش وهش
۲۸۱	۲۰	گوشهایت گیرد
۱۵۵	۹	گوشهٔ بی گوشه
۱۴۷	۲۰	« خالی
۲۴۱	۵	« رو
۴۱۹	۱۶	« عرشش
۲۰۱	۲۳	« گوشه
۱۸۸	۲۵	گوغلامم را
۵۵	۷	گوکه مارا
۴۰۵	۲۷	گول راوغول
۲۸۵	۲۸	گول میکن خویش
۸۳	۲	گونه گون میدید
۴۰۶	۱۲	گونه گونه خوردنیها
۳۳۴	۳۶	گونه گونه شربت
۳۱۷	۳۵	گوهر اربرده
۳۴۸	۴	« امرشه
۳۵۳	۲	« جان
۹۱	۱۰	« چه
۱۷۱	۳۰	« دیده
۱۳۳	۱۶	« معقول
۱۶۱	۷	« هریك
۳۱۷	۶	گوهری از
۲۹۳	۶	« اندر
۳۴۷	۱۳	« بیرون
۲۸۱	۳۷	« دارم
۸۴	۱۳	گوی آنکه
۱۷۱	۲۷	« الله اکبر
۲۹۳	۲۵	گویدآری از

صفحه	سطر	اول بیت
۲۰۸	۲۶	گویدآری لیك
۴۴	۴	« آری نی
۱۰۳	۲۰	« آن استاد
۲۸۹	۲	« آن بد
۲۴۱	۲۹	« آن دانه
۱۳۹	۳۹	« آن رنجور
۲۴۶	۶	« ارآیم
۲۱۳	۳۲	« ازجام
۳۰۱	۱	« ازچندین
۱۸۹	۳۵	« ازخاری
۱۷۹	۸	« ازکارم
۳۶۴	۱۳	« اندرنزع
۱۸۴	۳۷	« اوآزرده
۴۱۲	۳۴	« اوچون ترك
۱۸۳	۲۱	« اوچون زفت
۳۱۶	۱۳	« اوکاین
۶۵	۱۸	« اوکه پرتو
۱۷۹	۷	« اوکه روزگار
۲۱۳	۳۱	« اومجبوس
۲۳۳	۷	« اومنگر
۲۰۸	۳۱	« ای اجزا اجـ
۲۰۸	۳۴	« ای اجزای
۱۰۲	۱	« ای بنده
۴۰۰	۱۶	« ای رب
۴۰	۶	« این آواز
۴۸	۱۸	« این شرمنده
۳۰۸	۱۴	« ای یزدان
۲۹۳	۲۲	گویدت این
۲۰۲	۳۴	« تریاق
۴۱۲	۲۶	« خندان
۷۲	۱۷	« دردل
۹۸	۱۴	گویدش بگذر زمن
۴۲۰	۲۷	« بگذر سبك
۴۱۴	۳۰	« بنشین
۴۲۰	۲۹	« جنت
۴۰۰	۱۷	« حق
۱۸۳	۲۲	« دل
۱۸۸	۷	« ردوا
۱۸۸	۷	« زین پس
۴۱۲	۳۹	« عیسی
۶۵	۱۰	« کای
۴۰۲	۵	« گیرم
۳۴۸	۱۷	« لیکن
۳۰۸	۱۵	« یزدان
۲۴۰	۳۵	گوی شو میگرد
۱۹۹	۳۰	گویم آنکه
۱۹۸	۱۰	« افکندم
۱۰۴	۸	« ایخورشید
۲۷۷	۴	گوی مرگلخواره
۲۱۳	۳۰	گویمش رو
۲۱۳	۳۱	« زان
۱۱۵	۵	گوی میبازد
گ - ه		
۹۹	۱۱	گه بیحرش میبرد

صفحه	سطر	اول بیت
۸۹	۹	گه بدرویشی
۱۵۲	۳۳	گه بگفت و گه
۹۹	۱۲	« بلندش
۳۶۶	۲۰	« بهار وصیف
۸۰	۳	« تراگوید
۲۳۲	۱۲	« ترنج تخت
۳۸	۳	« تناقض
۴۰	۱۲	« توئی گویم
۱۲۹	۶	« جنون بیند
۹	۲	« چنین بنماید
۲۳۲	۱۳	« چنین شاهی
۴۰۳	۳۴	« چوکابوسی
۲۸	۱۷	« حضیض و
۲۳۲	۱۱	« حمایلهای
۲۵۵	۳۰	« خطاب آمد
۸۹	۱۵	« خیال آسیا
۸۹	۱۵	« خیال آشتی
۸۹	۱۳	« خیال فرجه
۸۹	۱۴	« خیال کاله
۸۹	۱۳	« خیال مکسب
۸۹	۱۴	« خیال نقره
۱۳۴	۳۷	« درختش
۲۵۵	۲۸	« زبامی اوفتاد
۲۵۶	۱۴	« زعکس جوشـ
۲۵۶	۱۳	« زعکس نار
۲۸	۱۷	« شرف گاهی
۴۰۷	۱۷	« گه آن
۳۵۶	۲۶	« گهی میگفت
۸۰	۲	« مشبه را
۲۵۵	۲۹	« ندات آمداز
۲۵۵	۲۹	« ندات آمدصـ
۱۸۳	۴	« نظر اورا
۲۵	۲۲	« نظر بر نور
۲۵۵	۲۷	« نگون اندر
۶۶	۱۱	« یمینش میبرد
۹۹	۱۲	« یمینش میبرد
گ - ی		
۴۱۲	۱	گیج کرد
۱۷۰	۳	« گشتم
۴۱۲	۱	« نبود
۲۹۴	۲۲	گیر این دام
۳۶۰	۱۰	گیرم آن
۳۰۴	۲۲	« اکنون
۲۰۶	۱۶	« ای کر
۲۹۹	۱۴	« این وحی

حرف ل

صفحه	سطر	اول بیت
ل - ا		
۳۸۱	۳۷	لاابالی عشق
۴۱۲	۷	« گشته ام
۳۹۶	۳۸	« گشته بود
۳۹۶	۱۶	« لاابالی
۳۱۰	۹	« مرکسی
۳۱۰	۹	« وارآزاد

صفحه	سطر	اول بیت
۱۹۲	۱۹	لاابالی وار
۸۴	۵	لااحب
۱۶۸	۱۱	لااعود
۲۳۰	۱۲	لااله الاهو
۴۴	۲۴	« گفت و
۳۸۶	۶	« گفت و
۴۱	۸	لابود
۲۶۳	۷	لابه‌ات را
۴۷۷	۴۷	« کردش
۳۰۶	۲۸	« کردو
۳۸۰	۲	« کردی در
۲۶	۱۷	« کردیش
۳۴۱	۳	« وزاری زن
۱۳	۳۶	« وزاری همی
۳۴۸	۱۵	لاتؤاخذ
۳۱	۴	لاتخافوا هست
۱۲۵	۳۶	لاتخافوا از خدا
۲۷۷	۱	لاتخالفهم
۱۴۵	۱۸	لاتخف
۷۵	۲۳	لاتزغ
۴۰۳	۳۰	لاتطرق
۴۳۶	۲۴	لاتغافل
۵	۷	لاتکلفنی
۴۰۳	۳۰	لاتکن طوع
۱۸۴	۲	لاجرم آماس
۱۴۲	۴۱	« آن راه
۱۵۴	۴	« آن فتنها
۲۵	۲۵	« ابصارنا
۲۸۶	۱۱	« ازسحر
۲۸۶	۱۲	« ازسحر
۲۵۹	۱۰	« ازصدر
۳۷۴	۱۹	« استاد
۲۴۰	۱۷	« اسفل
۱۱۵	۲۲	« اشفقن
۲۵۴	۶	« اعمی
۲۴۸	۱	« اغلب
۴۴۴	۲۲	« اودولت
۲۸۷	۲۱	« اوزود
۲۵۰	۷	« بسیار
۲۰۵	۷	« برتو
۳۷۳	۳۰	« تنها
۱۶	۱۱	« چون بر
۱۷۱	۱۶	« چون سایه
۳۷۳	۱۱	« چه
۴۰۰	۳۵	« حقش
۱۸۵	۹	« حق هردو
۳۲۸	۱۲	« در
۴۴۳	۲۸	« دستش
۲۸۸	۳۰	« دنیا
۲۸۶	۴	« زآتش
۲۶۵	۱۳	« زنجیر
۱۰۰	۳۰	« زین
۲۹۵	۳۸	« سرگشته
۴۴۷	۵	« فریاد
۲۸۰	۶	لاجرم کافر
۶۶	۱	« کفار
۱۰۶	۲۶	« کوتاه
۲۷۶	۱۴	« گفت
۳۰۱	۲۷	« محجوب
۳۲۱	۶	« مغلوب
۱۰۹	۲۲	« موسی
۹۱	۱۴	« میخواست
۲۸۰	۱	« نشتابد
۱۸۸	۴۳	« هردو
۱۵۴	۹	« هرکس
۱۱۸	۱۱	« هرمرغ
۸۲	۱۵	لازم آمد
۳۷۴	۷	لاشئی بر
۲۶۳	۱۰	لاشدی پهلوی
۳۷۸	۸	لاغ او
۳۷۸	۷	« این
۳۶۹	۳	« باخوبان
۴۳۹	۴۳	« دیگر
۴۳۹	۴۳	« های تو
۹۶	۳۴	لاف ازشه
۱۴۸	۳۵	« تومارا
۱۷۳	۱۲	« تومحروم
۱۴۸	۲	« درویشی
۳۹۰	۱۱	« شیخی
۲۰۱	۴۳	« غره
۳۸۳	۸	« کیشی
۱۴۹	۵	« واداد
۱۳۳	۱۴	« ودعوی
۲۲۹	۳۴	لافت الاشباح
۳۴۹	۲۱	لالان اربح
۴۴۷	۳۳	لاله رادرسر
۱۵۵	۱۷	لامکانی که
۳۴	۵	لامکانی نی
۱۶۷	۱۸	لانسلم
۳۵۵	۲۰	لانفوذ
۳۵۵	۲۱	لاهدی الا
۷۷	۲	لایسع فینا
۳۸۰	۴	لایعد این
۶۴	۲	لایق آن دیدم
۳۸۰	۳۸	« آنکه
۱۸۵	۱۵	« این
۳۱۶	۱۱	« ذکر
۸۲	۲۹	« هر
۴۳۹	۵	لایقی با
		ل - ب
۴۰۲	۷	لب بیست و
۱۲۹	۹	« بیسته
۳۶۷	۲۴	« بیند آنجا
۲۵۰	۱	« بیندارچه
۳۳۳	۳۶	« بیند دسخت
۷۰	۳	« بیند و غور
۹۸	۳۰	« بیند و کف
۲۰۹	۶	« به بندم هر
۳۰۸	۱۸	لب فروبند
		ل - (ج - ح)
۳۹۵	۲۴	لجم بیند
۳۰۹	۲۴	لحظه لحظه
۱۹۸	۴	لحم او وشحم
۳۲۵	۱۹	« عاشق
۱۳۹	۳۵	« های
۱۸۲	۱۸	لعن داودی بسنگ
۹۵	۳۶	« داودی چنان
۶۶	۲۴	« مرغان
		ل - (ذ - ز)
۱۳۳	۲۱	لذت آواز
۴۱۵	۳۶	« ازجوع
۱۵	۳	« انعام
۳۴۹	۳۵	« تحصیص
۱۰۲	۲۵	« دست
۱۵	۲	« هستی
۱۹۶	۳۵	لرزه بر اعضای
۴۳۶	۳۱	« بردست
		ل - ش
۴۱۶	۳۳	لشکر آرد
۴۲۱	۲۸	« حق
۴۳۵	۲۱	لشکرش خوانند
۶۱	۳۱	لشکری از
۱۳۱	۲۴	« رامرغکی
۶۱	۳۱	« زارحام
۶۱	۳۰	« زاصلاب
		ل - ط
۵۷	۱۶	لطف آب بحر
۲۸۲	۲۵	« ازحق
۲۵۸	۷	« اندر
۲۶۱	۵	« او
۲۸	۲۳	« باری
۲۲۷	۲۹	« توخواهم
۲۸	۲۴	« حق
۲۰۱	۱۲	« رویش
۱۱۹	۳۰	« سابق
۵۹	۱	« سبزه
۵۷	۱۵	« شاهنشاه
۸۴	۲۸	« شه
۱۷۳	۱۹	« شیرو
۵۷	۱۵	« عقل
۴۴۸	۷	« فرما
۲۴۵	۴	« کن ای راز
۱۴۳	۲۱	« کن این
۳۰۷	۱۵	« مخفی
۳۹۵	۱	« معروف
۲۹۰	۱۲	« مه
۳۸	۲۹	« وسالوس
۴۳۳	۲	« وفضل
۳۱۴	۳۸	« وقهری
۴۱۷	۳۷	« های شه غمش
۴۲۴	۹	« های شه که
۳۰۷	۱۷	« های مضمر
		ل - ع
۲۰۳	۱۹	لعبت مرده
۲۸۶	۲۴	لعب معکوس
۳۹۱	۲۵	لعل او گویا
۴۰۳	۵	« رازان
۱۰۶	۲۱	« راگر
۴۰۴	۱۷	« ویاقوت
۸	۱۴	لعنة الله
۱۲۰	۲	« این باشد که
۱۱۷	۳۵	« اینباشد که کز
۴۳۱	۳۵	« بسیار
		ل - ف
۳۱	۲۳	لفظ جبرم
۱۲۹	۲۲	« چون
۱۲۵	۲۰	« درمعنی
۳۶۲	۱۴	« رامانده
۱۲۲	۳۶	« کاید
۴۲۸	۴	لفظنا شتی
۲۴	۱۷	لفظها و نامها
		ل - ق
۳۰۲	۳۲	لقمه اندازه خور
۳۰۲	۳۱	« اندازه نخور
۱۳۸	۹	« بخشی آید
۳۵	۹	« تخمیست
۱۷۴	۲۶	« تلخی چو
۱۷۴	۲۶	« حکمی که
۲۶۰	۹	« دولت
۳۸۴	۲۹	« راکه
۸۸	۲۲	« زندانیان
۳۵	۶	« کان
۳۴	۲۹	« ونکته
		ل - (ك - ل - م - ن)
۱۳۶	۱	لکلك ایشان
۷۰	۲۸	المخبیثات
۱۸۴	۱۵	لم یذق لم
۱۵۸	۵	لم یلد لم یولد است
۱۰۶	۶	لم یلد لم یولد او را
۲۰۶	۳۴	لنگر عقلست
۱۵۲	۳۳	لنگ و لوك
		ل - و
۸۷	۲۸	لوت خوردند
۴۰۴	۳	لوتش آورد
۳۲۸	۳	لوت و بوت
۲۴۷	۱۴	لوح حافظ تو
۲۴	۲۱	« حافظ لوح
۱۰۷	۱۴	« راول
۳۹۶	۲۶	« محفوظ از
۲۴۵	۲۰	« محفوظ است
۳۹۱	۲۰	« محفوظ است
۴۱۸	۱۹	لو طرازن
۴۰۸	۴۲	لو طی دب
۵۵	۱۱	لولها بربند
		ل - ی
۵۴	۲۴	لیتنی کنت
۱۹۹	۱	لی حبیب
۳۵۵	۲۰	لیس للجن
۳۷۴	۱۰	« للماصنین
۲۳۴	۸	« من
۳۳۷	۳	« یألف
۳۱۲	۲	لبك آدم
۲۸۷	۱۲	« آمد
۲۵۶	۲۷	« آن تو
۶۲	۳	« آن دو
۲۹۴	۳	« آنرا که
۴۰۷	۲۵	« آنسر
۲۲۱	۲۶	« آنصدیق
۸۸	۱۹	« آنصوفی
۴۳۲	۹	« آنکامل
۱۲۲	۲۵	« آن کاول
۲۶۹	۲	« آن مستی
۱۲۳	۲۲	« آن نقش
۹۲	۴	« آهن را
۲۵۲	۷	« ازآن نندیشد
۱۵۲	۲۲	« ازاو فرعون
۳۳۶	۱۹	« ازایمان
۱۶۴	۵	« ازتأثیر
۴۱	۲	« ازتانیث
۳۵۴	۳۴	« ازچشم
۴۳۱	۲۲	« ازحب
۱۹۶	۱۰	« ازرشك
۹۵	۴۱	« ازعلت
۳۱۲	۳۸	« ازلیلی
۳۰۳	۲۱	« ازمعنی
۱۹۲	۲۳	« ازنور
۱۸۵	۷	« ازومقصود
۹۶	۱۷	« اسب کور
۴۰۶	۱۰	« استثنا
۱۵۱	۴۴	« استغفار این
۱۰۴	۱۶	« استغفارهم
۴۴۳	۴۴	« اعلام
۳۰۵	۱۵	« اغلب بر
۲۵۰	۱۰	« اغلب چون
۴۰۲	۱۱	« اغلب هوشه
۲۴۲	۲۷	« افزون
۹۵	۳۹	« اگرآن
۴۳۰	۲۱	« اگرازفضل
۲۹۵	۶	« اگرباشد
۳۵۵	۱۱	« اگربودیش
۷۳	۱۹	« اگردرگفت
۴۱۹	۳۸	« اگرمیرم
۲۱۴	۸	« اگریک
۱۳۹	۱۵	« الله
۳۸۳	۲۱	« اندرچشم
۳۴۴	۳۶	« اندرغیب
۹۵	۶	« اندرهرصدة
۲۲۵	۱۱	« اوبیند
۳۷۲	۲۶	« اوراخسته
۲۸۹	۱۳	« اول

صفحه	سطر	اول بیت
۲۳۵	۲۳	لیك این بار آن
۲۲۴	۱۹	« این گرمی
۲۶۶	۳۲	« این مسکین
۳۰۹	۱۹	« این ناقه
۳۸۴	۸	« این یك
۲۹۷	۳۱	« باا وگویم
۳۶۱	۴۳	« بااین جمله بال
۱۶۶	۱۲	« بااین جمله چ
۴۱۷	۳۴	« با باگندمان
۱۹۵	۱۴	« بابیرغبتی
۳۸۳	۳۶	« باخانهٔ
۶۱	۴	« باخود
۶۷	۲۱	« باخورشید
۴۳۷	۱۲	« بازاز
۴۴۲	۳۱	« بایدکاری
۲۲۸	۵	« بدمقصودش
۶۶	۷	« بربرگی
۲۹۶	۴	« برخوان
۵۹	۳۵	« برشیری
۲۱۶	۱۳	« برقلاب
۳۴۳	۱	« برمقتل
۲۸۹	۳۳	« برمن
۲۶۳	۳۱	« بعض
۴۲	۲۶	« بگریزید
۱۵۶	۴	« بنمایم شمارا
۱۵۶	۳	« بنمایم نشانی
۱۰	۳۰	« بهرآنکه
۳۴۶	۱۶	« بی اصلی
۳۱۰	۴	« بیرون
۷۶	۱۳	« بی غم شو
۳۳۰	۲۷	« بی هیچ
۴۰۴	۵	« پاسخ
۱۵۷	۲۵	« پایت
۲۸۴	۲۷	« پروانه
۹۵	۸	« پوشیده
۹۹	۸	« پیدا
۲۵۰	۱۸	« پیر
۸۶	۲۰	« پیکار
۳۲۶	۴۰	« تاآب
۴۳۵	۴۱	« تابامن
۴۳۳	۳	« تاراهی
۱۵	۳۰	« تامن
۳۵۵	۳۲	« تلخ
۳۵۳	۲۹	« تمثیلی
۲۶۵	۱۰	« توآیس
۳۳۹	۲	« جان از
۱۹۴	۳۵	« جان در
۴۱۲	۲۸	« جرم
۳۹۷	۱۵	« جمعیت
۳۲۳	۱۱	« چون آدم
۲۲۸	۹	« چون آمیخت
۶۸	۱۴	« چون این
۲۸۶	۲۷	« چون پروانه
۴۲۱	۳۵	« چون تو

صفحه	سطر	اول بیت
۲۵	۱۸	لیك چون در رنگ
۴۳۷	۳۹	« چون دستور
۳۰۶	۲۲	« چون دیدند
۲۶۲	۲۷	« چون رنجی
۳۴۹	۳	« چون من
۲۵	۲۶	« چون موج
۳۷۷	۳	« حاضر باش
۲۲۷	۷	« حق بهر
۳۸۶	۳۲	« حق بی پرده
۳۸۵	۱۱	« حق دادش
۲۸۰	۲۹	« حکمت بود
۱۵۶	۹	« حیوانی
۳۵۶	۲۶	« خاتون
۴۱۶	۴	« خادع
۴۰۸	۲۱	« خامش بر
۱۰۸	۲۰	« خامش کرده
۴۳۱	۳۳	« خررا
۴۰۲	۱۳	« خفاشی
۲۳۰	۲۱	« خود
۳۸۶	۱۳	« خورشید
۲	۸	« داندهر که او
۳۸۲	۱۸	« داندهر که او
۱۹۱	۲۵	« درخواهم
۱۰۳	۲۳	« درروبت
۲۳۲	۶	« درسبای
۲۲۸	۳۲	« درشیخ
۱۰	۱۹	« درظلمت
۶۹	۳۲	« درکش
۱۹۵	۴	« درکه
۲۲۳	۹	« دروقت
۵۵	۳۶	« درویشیکه آن
۵۵	۳۶	« درویشیکه بش
۳۵۲	۵	« دعوت
۳۰۶	۱۶	« دلهاشان
۲۲۷	۵	« ذوق
۳۲۳	۳۷	« رفت
۴۴۳	۳۹	« روی او
۴۰۷	۲۴	« روی خود
۹۰	۲	« زان درمان
۳۸۸	۲۵	« زیرپای
۲۳۳	۱۵	« زین شبرین
۲۰۲	۳۵	« سحری
۳۴۰	۱۲	« سرخی
۲۰۹	۴	لیکش از
۴۱۴	۴۱	لیك شرم و
۵	۲	« شمسی
۲۰۰	۱۱	« شمع عشق
۴۰۲	۱۴	« شهبازی
۲۲۹	۱۷	« شهوت
۲۰۴	۳	« شیرینی
۱۵۹	۴۱	« صافی غرق
۱۵۹	۳۷	« صافی فارغ
۶۸	۳۴	« صیقل
۲۰۸	۱۰	« عشق

صفحه	سطر	اول بیت
۴۴۴	۴۳	لیك عقل
۳۸۸	۳۶	« عمر
۱۹۰	۳۱	« فردا استرش
۱۹۱	۸	« فرداخواهد
۲۴۱	۶	« فتح نامهٔ
۱۴۸	۱۶	« قربی
۲۱۹	۳۶	« قسم
۲۲۶	۲۲	« کل سنگ
۱۴۸	۱۷	« کوآن
۳۲۴	۳۸	« کوته
۳۲۶	۶	« کوشیدند
۳۴۶	۱۱	« کی دانی
۲۸۶	۱۶	« گرآیینه
۱۸۸	۳۶	« گردرده
۴۲۱	۳۸	« گردرغیب
۳۳۳	۲۰	« گرمن
۲۷۱	۳۰	« گرواقف
۱۸۹	۳۸	« گفت آن
۳۲۳	۷	« گفتم زور
۲۲۸	۲۵	« گفتم ناس
۳	۲۵	« گفتی
۳۸۶	۱۱	« گویدبا
۱۶۱	۸	« لطفی گشته
۲۸۵	۳۹	« لعب بازگونه
۴۱۰	۱۹	« لعب هر
۲۷۹	۳	« لقمه
۲۲۳	۱۵	« مانند
۱۱۸	۱۳	« مؤمنزدان
۲۷۹	۲۹	« مؤمن زاعتما
۳۷۵	۱	« محبوسی
۴۱۱	۱۷	« مرج جان
۲۴۷	۲۶	« مردعاقلی
۳۵۹	۱۱	« مرکب را
۲۰۱	۳۳	« مستی
۳۵۳	۸	« معنیشان
۲۰۴	۱۶	« مقصودم
۱۸۸	۸	« من آن
۳۸۶	۸	« من اینك
۴۳۶	۱۲	« من مأمور
۳۴	۲۶	« موسی را
۳۱۱	۳	« موسی فهم
۱۷۷	۱۵	« موقوفست
۴۶	۳۳	« مهمان
۱۲۳	۳۱	« میترسم ز
۲۶۴	۸	« میخواهی
۴۱۹	۲۶	« میگوئید
۴۱	۱۳	« میگوید بگو
۲۷۰	۵	« میگویم حدیث
۲۰۹	۱	« میل
۲۱۸	۳۳	« نادانسته
۴۳۹	۴۱	« نادانی
۴۷	۱۴	« نادر
۲۴۰	۲۵	« ناقه
۱۹۲	۳۰	« نبود

صفحه	سطر	اول بیت
۱۹۵	۳۳	لیك نسبت کرد
۳۲۸	۳۴	« نفس
۴۱۴	۴۰	« نفقه
۲۸۲	۳۳	« نورعارفی
۲۵۷	۳۱	« نی چندان
۲۲۰	۳۴	« نی مرغ
۱۰۹	۳۴	« وهابان
۱۱۵	۷	« هردیوانه
۱۳۲	۲	« هرکس
۱۰۵	۲۳	« هرگز
۳۶۰	۳	« هرگمراه
۳۲	۹	« هست آن
۱۰۵	۱۷	« هم بعضی
۶۲	۳۵	« هم رمزی
۱۸۶	۴۹	« هم میدان
۱۴۷	۴	« هنگام
۲۲۳	۷	« یك باشد
۷۱	۸	« یك درصد
۳۸۰	۱۷	« یك رنگی
۴۰۲	۲۵	« یوسف را
۴۴۲	۳	لیل دیجور
۲۶۳	۱۶	لی مع الله

حرف م

م - ا

صفحه	سطر	اول بیت
۴	۹	مائده از آسمان در
۴	۱۱	« از آسمان شد
۲۴۷	۹	« عقلست
۲۹۷	۲۶	ما از آنجا
۱۴	۱۴	ما اسیر انیم
۳۱۱	۱۰	ما اشتهیت
۱۱۸	۲۹	« اگر قلاش
۱۸۹	۳۶	« التصوف
۱۶۶	۱	« بامید تو
۳۵۲	۲۳	« بیحر نور
۲۳۶	۲۲	« بیوش و
۱۸۰	۲	« بدل پیوسته
۳۳	۱۲	« بدین رستیم
۲۸۰	۳۳	« برای خدمت
۱۸۴	۱۰	« براین درگه
۶۷	۳۰	« براین گردون
۱۰۶	۱۵	« برون رانگری
۱۰۶	۱۳	« بری از پاك
۱۴۴	۲۲	« بری از دعوی
۱۰۴	۱۳	« بزخم پیل
۲۳۵	۳۵	« بصد حیلت
۱۱۵	۲۲	« بعکس آن
۱۱۲	۲۵	« بفتوای تو
۱۴	۱	« بگفتار خوشت
۲۲۰	۲۵	« بلغو و لهو
۴۰	۷	« بمردیم و
۳۶	۳۴	« بها و خونبها
۲۹۷	۲۸	« به بیداری
۲۸۹	۱۴	« بیاموزیم

صفحه	سطر	اول بیت
۳۹۰	۲۸	ما پس این
۴۰۶	۱۶	« پی گل
۳۸۲	۲۸	ما تو اوشو
۶۲	۱۹	ما تراوجمله
۱۹۶	۲۱	ما تزید
۱۵۴	۲	ما تکن اورا
۲۱۷	۶	ما تمی درجان
۱۵۱	۱۷	ما تو بزد
۴۳۶	۲	ماجرائی گر
۴۱۹	۲۰	ماجرا بسیار
۱۳۴	۹	ماجرای بلبل
۱۳۴	۹	« شمع
۵۳	۱۲	« مردوزن
۵۳	۱۲	« مردوزن
۳۱۰	۳۸	ماجنون واحد
۲۳۲	۲۷	ماجهانی را
۴۷	۱۶	ماچرا چون
۱۷۹	۲۹	ماچنان پژمرده
۲۰۶	۳۷	ماچو آن کوه
۴۲۴	۴۲	« اسمعیل
۱۴	۲۸	« چنگیم و
۱۵۵	۱۵	« خودرا
۱۷۳	۱	« روباهان
۳۷	۳۴	« زنبوریم
۱۴	۲۹	« شطرنجیم
۱۳	۳۷	« طفلانیم
۸۶	۹	« کران
۱۵۷	۲۰	« کشتیها
۷۵	۳۲	« مصنوعیم
۱۴	۲۹	« نائیم و نوا
۴۰۴	۶	« واقف
۳۶	۲۶	ما چه باشد در
۱۹۰	۳۸	« خروسان
۱۸۵	۶	« خلقت الجن
۴۴۶	۴	« خلقت الجن
۴۴۵	۱۲	« خود آخر
۳۸	۳۱	مادحت گر هجو
۲۷۹	۵	مادح خورشید
۳۰۶	۲۳	مادر آن بچگان
۱۴۰	۲۴	مادر آن فیل
۲۰۱	۴۲	مادر ار گوید
۴۲۴	۵	مادر ار امهر
۱۶۲	۲۸	مادر انشان
۱۶۲	۳۰	مادر ان گفتند
۱۰	۱۵	مادر این انبار
۲۸۱	۲۹	مادر این دهلیز
۱۸	۱۷	مادر بتها
۴۴۳	۴۳	مادرت اینها
۱۳۶	۱۰	مادر تو بط
۳۵۶	۳۴	مادرش آنجا
۱۸۹	۱۳	« از خشم
۱۵۲	۲۰	« انداخت
۱۹	۱۲	« انداخت
۲۰۶	۲۵	« پرسید

صفحه	سطر	اول بیت
۲۶۲	۳۴	مادرش گر
۲۶۶	۱۷	مادرشهزاده
۱۹	۱۳	مادرش هم
۱۹۴	۱۸	مادرطبعم
۲۰	۲۲	« فرزندجویا
۳۴۶	۳۹	« فرزندرا
۳۷۳	۲۱	مادرم کو
۲۹۳	۱۹	مادروباباو
۱۸۲	۳۰	« وبابای
۱۳۳	۳۵	« یحیی بمریم
۱۳۳	۳۵	« یحیی چوحال
۱۳۴	۱	« یحیی کجا
۱۵۷	۸	مادرین فن
۳۸۰	۴۰	مادگی خوش
۱۴۵	۲۲	ماذخیرهٔ
۳۲۴	۷	ماربدجانی
۳۲۴	۸	« بدزخم
۴۲۱	۱۴	« بودی
۱۸۹	۲۹	« درموزه
۱۳۲	۲	« شهوت را
۴۳۸	۱۸	مارعایا
۱۹۲	۳۴	مارکی ماند
۴۸	۹	« گویدای
۱۵۳	۱۰	مارگیرآن
۱۵۳	۷	« ازبهر
۱۵۳	۳۵	« ازترس
۱۵۳	۷	« اندر
۸۱	۱۲	« ش دید
۱۵۳	۲۶	« ی اژدها
۱۵۲	۳۱	« ی رفت
۳۲۰	۳۴	مارموسی
۲۱۱	۱۲	مارمیت اذرمیت آم
۲۴۳	۲۵	« « ابتل
۳۹۹	۲۰	« « اح
۱۹۶	۷	« « از
۳۸۵	۳۶	« « بیو
۲۲۸	۲۶	« « خو
۱۱۸	۴	« « را
۴۲۰	۷	« « فتنه
۲۶۳	۱۰	« « گشت
۹۹	۱۴	« « گف
۸۸	۲۸	ماروکردم
۱۷۲	۲۸	مازحرص
۱۱۶	۳۳	« خودسوی
۲۱۲	۱۶	« ظلم او
۹۶	۲۰	« عشق
۲۱۹	۱۱	« مال وزر
۸۶	۱۰	« موسی بند
۱۶۵	۳۶	« هجرو
۵۷	۲۸	ماسبوها
۴۰۹	۱۹	ماسیاه
۱۵۳	۱۹	ماسبعیم
۹۹	۱۶	ماشکاریم
۱۶۲	۳۰	ماصباح

صفحه	سطر	اول بیت
۱۵۵	۱۷	ماضی ومستقبل
۱۸۰	۳	ماطبیبان نعالیم
۱۸۰	۱	ماطبیبانیم
۱۴	۳۰	ماعدمهائیم
۲۹۵	۲۳	ماعوض دیدیم
۲۱	۲۶	ماعیال حضرتیم
۴۴۸	۱۴	ماغلام ومایه
۳۱۰	۱۱	مافرستادیم از
۳۹۳	۲۳	ماکثیم اینرا بیا
۳۹۸	۲۴	ماکجابودیم
۱۸۰	۲۴	ماکجاوین
۱۰۹	۱۷	ماکران بسیار
۴۰۷	۳۳	ماکنون دیدیم
۳۲	۲۸	ماکه ایم اندر
۳۹۲	۱۸	« ایم اینرا بیا
۱۴	۳۰	« باشیم
۲۵۰	۲۱	« باطن
۸۶	۹	« کورانه
۹۶	۱۳	« واپس
۳۲۶	۱۹	ماگدایانه
۴۳۰	۱۷	مال ازوو
۱۷۶	۱۲	« اوبرداشته
۱۴۶	۳۹	« اوبابد
۱۴۰	۲۳	« ایشان
۳۶۰	۱۹	« ایتام
۷۲	۲۹	« تخم
۳۱۱	۳۴	« چون
۸۱	۸	« خس
۴۰۰	۱۳	« خود
۲۴۳	۴۰	« دادم
۲۴۴	۲	« درایثار
۲۲۶	۳۲	« دنیادام
۶۱	۸	« دنیاشد
۲۲	۳۱	« راگربهر
۱۵۱	۳۹	« رفت وآبرو
۲۹۹	۲۹	« رفت وزور
۳۰۴	۳۱	« رفته
۴۰۲	۱۵	مالشت بدهم
۴۳۴	۱۶	مالك الملکا
۳۹۷	۱۸	مالك الملکست بدهم
۳۹۷	۱۶	« « جمع
۲۲۷	۵	« « هرک
۳۹۳	۳۸	مالك الملکی
۹۷	۲	مالك ملکم
۸۵	۳۵	مال ماخوردی
۱۴۹	۲۷	« مارآمد
۴۱۴	۱۵	« میراثی
۲۹۶	۵	« ناید
۲۰۳	۲۱	« وتن برفند
۳۶۵	۲۸	« وتن در
۴۸	۱۵	« وزرسر
۲۳۹	۴	« ومنصب
۳۳۰	۵	مامحب روح
۱۰۱	۲۱	مامحب صادق

صفحه	سطر	اول بیت
۱۲۵	۳۱	مؤذن آمدزان
۲۱۹	۱۲	ماملولیم
۱۱۸	۱۵	مؤمن آن قلعه
۲۹	۹	مؤمن ارینظر
۳۳۵	۳۰	مؤمن آن باشد
۲۹	۷	مؤمنان آینه
۳۸۰	۷	« ازدست
۱۱۸	۲۰	« در
۸	۱۷	« را
۱۹۰	۱۴	« کان
۲۲۸	۷	« گویند
۲۲۲	۳۳	« معدود
۳۳۵	۳۵	مؤمن ایمان
۲۴۵	۲۲	مؤمنا بنظر
۲۵۰	۳۱	مؤمن خویش
۸	۱۹	مؤمنش گوید
۱۲۴	۱۵	مؤمن کس
۱۱۰	۱۰	مؤمنم بنظر
۳۸۸	۱۴	مؤمن وترسا
۳۸۸	۱۴	« وترسا
۱۱۸	۲۱	« وکافربر
۸۳	۳۶	« وکافرمسلما
۳۰۸	۱۶	مؤمنی آخر
۶۳	۳	« اومؤمن
۳۲۵	۱۵	« باشم
۱۵	۴	مانبودیم و
۱۸۰	۱۰	مانخواهیم
۳۴۲	۱۷	ماندآنجا
۳۰۰	۳	« آن خنده
۲۴	۳۱	« احوالت
۳۵۶	۲۰	ماندانستیم ای
۸۶	۸	ماندانستیم مارا
۲۸۸	۲۵	ماندالاالله
۱۴۴	۱۵	« پیغمبر
۳۰۴	۷	« حسرت
۳۵۸	۱۰	« حیران
۴۲۲	۱۹	« خواهیم
۳۴۲	۱۲	« صوفی
۴۳۲	۱۴	« قبچاقی
۱۰۲	۲۰	« کرجی گفت
۲۵۶	۳۹	ماندم اندر
۳۴۰	۳۲	ماندمهمان
۲۶	۱۷	مانده آن همره
۱۱۷	۱۵	« ام ازذکر
۲۲۷	۱۹	« بوداز
۳۸۷	۳۱	« در
۳۷۴	۱۲	ماندیدیم
۲۴۰	۱۹	ماندیك قسم
۱۷۹	۲۴	مانع آیداز
۲۵۵	۲۱	« آیداو
۳۸۴	۳۲	« باران
۹۱	۳۱	« خویشند
۹۷	۱۸	مانعش از
۴۰۴	۳۴	مانقش

صفحه	سطر	اول بیت
۲۳۱	۲۷	مانگون و
۱۴۰	۱	مانمی بینیم باشد
۱۴۳	۲۲	مانمیخواهیم این
۳۸۶	۳۰	« غیر
۱۷۹	۳۰	« نعمت
۴۰۹	۳۰	مانمی گفتیم کاندر
۴۰۹	۲۹	« کم
۱۸۰	۳۵	مانه زان پیلان
۲۸۴	۳۴	مانه مرغان
۲۲۵	۶	ماواصحابیم
۴۲۸	۱۰	ماه ازنور
۴۴۵	۴۴	« افروزان
۳۶۸	۱۸	ماهئی پژمرده
۱۲۸	۲۴	ماهئی دیگر
۱۵۳	۱۷	ماه بااحمد
۷۳	۲۰	« بی گفتن
۱۸۰	۳۳	« چون شد
۳۶۶	۱۰	« رابازفتی
۹۴	۲۷	« روئی جعد
۸۰	۳۳	« روزه گشت
۲۰۹	۲۵	ماهزاران مرد
۲۳۱	۲۳	ماهزاران گم
۴۰۲	۳۹	ماه عرصهٔ
۲۸	۱۲	« کوافزود
۳۶۶	۲۰	« گردون
۴۱۹	۲۹	« مابی نطق
۲۹۰	۱۴	« مارا
۲۰۹	۳۴	ماهم ازایام
۴۳۹	۴۰	« ازبهرتو
۸۷	۲۴	« ازخلقیم
۱۱۹	۲۰	« ازمستان
۳۵۰	۱۶	« ازمهر
۲۶۴	۱۲	« ازوی
۲۲۸	۸	ماهمه اجزای
۱۶۶	۱۱	« امید
۱۵	۱	« شیران
۴۰۴	۹	« عینیم
۴۴۴	۴۱	« کاری
۱۷۷	۲	« کوران
۴۰۴	۸	« گوشیم
۱۳۶	۱۶	« مرغابیانیم
۷۵	۳۲	« نفسی و
۵۴	۱۲	ماهمی دانیم
۷۱	۲۵	ماه میگوید بابر
۳۶۹	۳۹	« میگوید که اص
۱۸۰	۳۰	« میگوید که ای
۳۰۳	۳۶	« نادیده
۴۴۵	۳۸	« وخورشید
۲۴۳	۱۵	ماهیا آخر
۱۳۰	۹	ماهیان ازپیر
۱۴۵	۲	« افتند
۱۲۷	۱۲	ماهیان جان
۴۰۳	۲۶	ماهی اندر
۱۸۶	۳۱	ماهیان رابحر

صفحه	سطر	اول بیت
۱۲۷	۱۴	ماهیان راگر
۴۱۱	۳۹	« رانقد
۱۳۰	۸	« سوزن
۱۹۵	۶	« قمر
۱۲۷	۱۳	ماهیانی جمله
۱۵۸	۱۶	ماهیانیم و
۱۰۵	۱۴	ماهی آواره
۳۹۱	۱۹	« بریان
۵۵	۳۸	« خاکی
۱۰۷	۱۱	مایه خونابه
۳۶۵	۱۵	« دربازار
۴۴۷	۲۳	« صحت
۳۰۱	۵	« کان
		م - (ب - ت - ث)
۳۱۲	۲۲	مبتلاچون
۴۰۸	۱۸	مبتلایان را
۴۳۸	۳۶	مبخرشم
۴۴۱	۲۸	مبدءجمله
۲۹۵	۳۲	مبدع آمد
۳۴	۲۴	مبدعست و
۲۲۳	۱۰	متحدنقشی
۳۴۳	۱۰	متصل شد
۴۴۰	۳۵	« عنعن
۱۶۶	۲۰	« گرددبحر
۲۷۱	۳	« گرددبدان
۲۰۸	۹	« نبود
۱۵۸	۱۶	« نی
۱۶۱	۲۵	متفق گشتند
۲۷۱	۱۷	متقی آنست
۱۳۲	۱۸	متهم چون
۳۱۴	۱۸	« راشاه
۹۱	۲۳	« شد
۳۵۸	۳۲	« کن
۱۲۱	۵	« گشتم
۱۳۲	۱۸	« نفس
۳۴۲	۱۳	مثقلان
۴۱۴	۳۳	مثل آن کبیر
۴۴۳	۷	« آن یابی
۴۲۹	۲۹	« اونادیده
۴۳۸	۴۰	« این و
۴۳۷	۳۶	« خود
۲۹۹	۴	« میزانی
۴۳۵	۱۹	« میش
۴۳۸	۳۵	« ناو
۱۹۲	۷	« نبوداین
۳۵۳	۳۰	« نبودلیك
۲۱۶	۴	مثنوی ازتو
۲۲۸	۲۱	« اندراصول
۲۲۸	۲۲	« اندراصول
۲۲۸	۲۰	« اندر فروع
۲۱۶	۲	« بویان
۲۲۸	۴۱	« چندان
۴۴۱	۳۲	« دارالعیار
۴۳	۲۲	« درحجم

صفحه	سطر	اول بیت
۳۶۰	۱۷	مثنوی‌راچابك
۲۱۶	۳	« راچون
۳۵۴	۳۱	« رامسرح
۲۷۷	۸	« صورت
۷۹	۳	« که‌صیقل
۳۷۵	۱۴	« ما
۴۲۹	۴۴	« هفتمین
		م - ج
۳۳۶	۴	مجتمع‌گشتندمر
۱۵۵	۲۲	« گشتندو
۱۹۴	۳۳	مجتهدهرکه
۳۱۴	۳۵	مجرمانت
۳۹۴	۱۴	مجرمانرا
۱۵۶	۳۸	مجرم‌شاهیم
۳۹	۳۲	مجلس‌ومجمع
۴۴۱	۴۵	مجلسی‌شاهانه
۴۰۱	۱۴	مجمع‌وپای
۳۷	۲	مجملش‌گفتم
		م - ح
۴۰۱	۳۷	محترمترزو
۳۹۶	۳۵	محتسب‌بوداو
۱۱۵	۳۲	« درنیمشب
۱۱۶	۲	« گفت
۱۷۹	۴	محتشم‌چون
۲۵۱	۲۳	محرم‌آن‌راه
۴۱۱	۳۱	محرمان‌را
۴۳۳	۱۷	محرم‌این‌راز
۲	۹	« این‌هوش
۳۸۲	۲۳	« مردیت
۱۰۶	۳۳	« ناسوت
۲۳۵	۱۰	محسنان‌باصد
۲۳۵	۱۷	« مردند
۴۰۱	۱۳	« هستند
۲۲۳	۲۳	محضرون‌معدوم
۱۰۸	۳۷	محض‌مهرو
۳۲	۳۲	محوشد
۵۷	۲۴	محومیباید
		م - خ
۱۴۶	۳۶	مختصرکردم
۳۴۵	۵	مختصرگویم
۱۰۱	۳۲	مخزن‌آن
۳۳۰	۱۰	مخلص‌آنکه
۳۷۴	۳۲	« است
۱۶۴	۱۲	مخلصان‌باشند
۲۶۷	۱۱	مخلص‌این‌قصه
۳۷۸	۱۲	مخلصش‌بشنو
۳۰۹	۲۲	مخلصم‌زین
		م - د
۱۹۶	۲۵	مدت‌ده‌سال
۳۵	۱۹	« سالی
۱۲	۴	« شش‌سال
۶	۲۳	« ششماه‌می
۳۸۱	۳۱	« ششماه‌و
۴۳۰	۳۵	مدتی‌آنجای
۳۲۴	۳۶	مدتی‌ازاغنیا
۷۹	۱	« این‌مثنوی
۴۳۵	۵	« بااو
۴۲۰	۲۲	« بدبیش
۱۶۳	۲۶	« برندز
۱۶۰	۱۶	« بسیار
۴۱۷	۴۰	« بگذر
۳۹۶	۱۰	« بگذشت‌و
۴۳۲	۳۹	« تیمارکردند
۲۰۴	۳۴	« جوشیده‌ام
۲۵۴	۵	« حس‌را
۴۳۵	۹	« خواباندش
۴۲۰	۳۲	« دندان
۴۳۰	۳۵	« دیگرهم
۴۱۸	۱	« روترك
۴۲۵	۲۰	« زین مثنوی
۳۱۵	۳۰	« شد
۹۸	۴	« فرداوفردا
۳۳۲	۴۰	مدت‌یکماهشان
۷۱	۹	مدتی‌معکوس
۳۴	۳۰	« میبایدش
۳۱۸	۱۹	« واماند
۱۷۱	۱۸	مدح‌اومه
۲۷	۲۴	« این‌آدم
۲۷۹	۴	« تعریف
۳۹۹	۲۴	مدحت‌وتسبیح
۲۷۹	۴	مدح‌توحیف
۱۷۱	۱۳	« توگویم
۱۱۷	۲۵	« حاضر
۱۷۱	۱۵	« هاجز
۴۱۶	۱	« هادرصید
۱۷۱	۱۴	« هاشد
۴۰۷	۱۳	مدرسه‌تعلیم
۳۹۴	۳۰	مدعی‌دیدست
۴۷	۱۵	« راقحط
۱۷۷	۳۷	« گاونفس‌آمد
۱۷۷	۱۱	« گاونفس‌تست
۱۷۰	۵	« گفت‌ای
		م - ر
۳۶۳	۳۵	مرابوبکرتقی
۲۶۶	۱۲	مراسیرانرا
۴۰۲	۲	مربدانرا
۴۲۵	۱۷	مربزرگی‌ورا
۴۲۳	۱۵	مربشرراینجه
۴۲۳	۱۵	مربشرراخود
۱۰۱	۳۳	مربیابان‌را
۳۷۳	۳۹	مربدزرا
۵۱	۴	مرتبه‌انسان
۱۱۵	۸	مرترا‌آن‌فهم
۲۱۹	۱۹	« ای‌هم
۲۲۹	۳۱	« بادا
۲۷۲	۱	« چیزی
۱۱۸	۳۶	« سیلی
۱۲۵	۱۷	« صدق
۲۶۰	۳۳	مرتراگوید
۲۵۸	۳۹	« مشغولئی
۳۶۰	۱۲	« میگوید
۱۰۸	۲۹	« نی‌قوت
۳۷۶	۳۸	« هر
۲۲۱	۳۰	مرتضی‌راگفت
۳۲	۲۰	مرتعش
۴۰۵	۲۲	مرتورایاری
۳۶۴	۲۱	مرثیه‌سازم
۲۵۲	۳۵	مرجع‌این‌جسم
۴۴۰	۲۲	مرجعل‌را
۴	۲۳	مرحبابامجتبی
۹۶	۲۳	مرحسودت‌را
۱۹	۲۶	مرحمت‌فرمود
۲۴۱	۲۸	مرخبث‌را
۲۲۰	۲۳	مرخبیثانرا
۳۶۷	۲۲	مرخران‌را
۳۴۳	۳۵	مرخلیفه
۱۳۰	۳۱	مردآهنگر
۵۰	۴	« ازآن‌گفتن
۴۸	۷	« افسونگربخو
۴۸	۸	« افسونگرز
۳۸۰	۳۱	« اوبر
۳۶۹	۳۲	« اوسط
۲۴۵	۳۶	« اول‌بسته
۳۲۴	۲۱	« ایقان
۳۴	۸	« بازرگان
۱۲	۲۹	« باش‌و
۲۴۹	۱۱	« برنازان
۱۶۵	۱۳	« بینادید
۴۸	۱۲	« چون‌این
۳۶۳	۳۱	« چون‌بالغ
۵۸	۲۴	« حجي
۴۸	۱۶	« حق‌باشد
۲۰۷	۲۹	« حق‌را
۲۴۵	۱۶	« خفته‌درعدن
۴۰۱	۲	« خفته‌روح
۱۰۷	۱۷	« خودزر
۲۱۸	۳۴	« دق
۱۷۹	۱	« دنیا
۱۵۳	۲۹	« راازن
۳۴۷	۳۲	« راباسب
۲۷	۲۲	« رابرعاقبت
۲۹۴	۱۳	« راخوش
۱۲۷	۱۷	« راذوق
۶۵	۱	« رازنبور
۲۰۵	۳۳	« راصد
۱۳۰	۳۲	« رومی‌گر
۳۳۸	۴	« زاهد
۶	۱۰	« زرگر
۸۸	۴۰	« زندانی
۳۴۰	۳۰	« زن‌را
۴۹	۵	« سفلي
۳۸	۳	« غرقه
۴۷	۳۱	مردقانع
۳۶۱	۲۳	« قربان
۲۹۵	۳۰	« کارنده
۲۴۱	۳۸	« کانبر
۲۹۸	۲۲	« کم‌گوینده
۲۴۸	۲۰	مردگان‌باغ
۱۹۴	۷	« رااین
۲۹۸	۹	« کهنه
۵۵	۱۶	مردگفت‌آری
۵۳	۲۹	« گفت‌اکنون
۵۰	۷	« گفت‌ایزن
۳۱	۱۴	« گفتش‌کای
۳۳۶	۳۳	« گفتش‌گوشت
۱۷۹	۱۹	« گلخن‌تاب
۱۳۳	۶	مردلم‌را
۱۹۹	۲۸	مردم‌ازجوانی
۶	۱۶	مردمال‌وخلعت
۲۹۷	۳۲	مردمانرادور
۲۳۵	۱۹	مردمحسن
۱۷۸	۲۸	مردم‌ده
۲۳	۹	مردمش‌چون‌مر
۳۵	۲۷	« چون‌مر
۴۲۹	۳۱	مردم‌شهری
۱۹۳	۳۶	« نادیده
۲۱	۱۱	« نفس
۳۴۰	۳۷	مردمهمان‌را
۱۶۷	۸	« مهمان‌صبر
۱۵۳	۲۸	مردم‌هنگامه
۸۵	۱۳	مردمیراثی‌چه
۱۹۱	۱۹	مردن‌تن
۵۷	۲۶	مردنحوی‌را
۱۷۶	۱۰	« وزن‌از
۱۷۵	۸	« وزن‌بر
۳۷	۲۰	« وزن‌چون
۴۳۴	۴۳	« وزن‌نی
۲۵۰	۳۵	مرده‌آن‌عاقل
۴۳۴	۱۱	« ازانفاس
۲۲۴	۲۲	« ازخود
۴۰۸	۳۴	« اززبر
۳۷۵	۲۱	« ازیك
۱۹۱	۱۸	« است‌از
۲۱۰	۲۵	« اندایشان
۳۴۷	۶	« باشم
۲۱	۱۴	« بایدبود
۱۵۳	۳۲	« بودوزنده
۳۱۸	۳۲	« پیش‌او
۸۱	۲۲	« خودرا
۳۳۹	۲۷	« راکس
۲۲۳	۱۰	« زنده
۱۵۳	۱۵	« زینسو
۲۸۷	۳۹	« شوتا
۳۱۷	۲۸	« صدساله
۲۴۰	۷	« گرددشخص
۲۵۲	۸	« گردم
۱۲۰	۳۶	مردی‌مردان
۳۷۳	۳۵	مرذکررا
۲۰۴	۳۷	مررسن‌را
۲۰۳	۳۰	مرزبان‌را
۲۳۰	۱۲	مرزمردرا
۱۵۲	۵	مرزنان‌را
۱۳۲	۳۵	مرسؤال‌شیخ
۸۵	۱۲	مرسرت‌را
۲۰۶	۳۳	مرسفیهان‌را
۱۴۲	۳۶	مرسگان‌را چون
۱۹۰	۲۸	مرسگان‌راعید
۱۴۲	۱۷	مرسگی‌رالقه
۱۲۳	۲۹	مرسبه‌رویان
۴۴۲	۳	مرشدمردان
۶۱	۵	مرشمارابس
۳۱۲	۲۰	« دادم
۳۳۴	۲۸	« سرکه
۲۰۲	۱۳	« عون
۳۶۵	۱۱	« نیز
۲۸	۳۷	مرضعیفان‌را
۳۶۱	۴	مرعدم‌را
۴۶	۲۸	مرعرب‌را
۲۱۷	۱	مرعس‌را
۳۴۵	۲۳	مرعصارا
۱۶۸	۱۷	مرعلی‌را
۴۵	۴	مرعمررا
۴۴۵	۱۳	مرغ‌آب
۳۷۲	۱۰	« آبی‌در
۴۳	۲۰	« آبی‌غرق
۴۳۸	۳۳	« آن‌عالم
۲۲۶	۳۱	« ازآن
۲۵۴	۱۹	« ازباد
۳۰۲	۳۸	« اندردام
۱۷۷	۲۱	« بابیلي
۱۱	۱۰	« بربالا
۳۶۰	۲۱	« بس‌در
۳۱	۱۴	« بی‌اندازه
۲۶	۸	« بیوقتي
۱۴۰	۴	« بیهنگام‌شد
۳۷۰	۳۷	« بیهنگام‌و
۱۷۱	۴۱	« بی‌هنگامی
۱۴	۱۷	« پرنارسته
۲۹۲	۱۸	« پرنده
۶۷	۲۵	« پری
۱۴۱	۲۶	« پندارد
۳	۱۱	« جانش‌در
۲۰۱	۱۸	« جانش‌موش
۱۳۵	۱۶	« جانهاراچنا
۱۳۵	۱۴	« جانهارادرا
۲۳۰	۳	« جبریرا
۳۷۴	۲۵	« جذبه
۳۲۰	۳۷	« چون‌بر
۱۹۳	۱۴	« خاکی

صفحه	سطر	اول بیت
٥٦	١	مرغ خانه است
٢١٢	٣٢	« خانه اشتری
٢٩٢	١٨	« خانه بر زمین
٢٢٩	٩	« خویشی
٤٢٢	٤١	« دولت
٤٤٠	٢١	« دیگر
٢٠١	٤	« راانذر
٣٥٤	١	« راپر
٢٧٦	٢	« راجولانگه
٣٦٠	١٨	« راچون
٢١	٣	« راگرذوق
٤٤١	٤	مرغزار و باغ
٣٢٠	٢٥	مرغزاری
٣٨٧	١٢	مرغزی و
٢٣٤	٢٠	مرغشانرا
٢٣٠	٣	مرغ صابر
٣٠٢	٣٨	« غافل
٢٢٦	١٦	« فتنه
٥٥	١٨	« کاب شور
٣٥٨	٣٩	مرغك آمد
٤١٢	٢٢	مرغکان بینند
١٤٦	٣٥	« در
٣٦٩	٣٣	« موی
٣٣	١٠	مرغ کو اندر
١٣٦	٦	« کو بی این
٢٨٨	٢٩	« کو ناخورده
٢٩٠	٣٢	مرغکی اندر
١٩٣	٢٦	مرغکی ماند
٤٣٥	٣٥	« گفتا پس
٣٥٩	٢٢	« گفتش خواج
٢٥١	٤١	« گفتش نی
٢٣٣	٦	« مرده اش
١٤١	٢٦	« مرده پیش
١٧٨	٣٥	« مرده خشك
٢٣٣	٥	« مرده مضطر
١٧١	١٠	« ماهی داند
٢١٢	٧	« ماهی در
٣١٩	١	« ماهی قسمت
١٣٠	٦	« ماهی و پری
١٦١	١١	« یك پر
٣٤	٩	مرکب استانید
٣٥٧	٢	« اعناق
٣٥٩	١١	« توبه
٤٢٠	٣٦	« چوبین
٣٤٤	٢٠	« عشقش
٢٣٠	٤	مرکبوترا
١٣٦	٢٠	مرکب همت
٣٨٩	٣٢	مرکبی دو
٣٥٧	٣	« راکاخرش
١٨٧	٢٦	مرکلوخ کعبه
٣٥٠	٦	مرگ آشامان
١٩١	١٠	« اسب و
٢٠٠	٣	« اوآبست
١٦٨	٤	« اوومرگ
٣٠٢	٢٧	مرگ بدبا
٧٦	٣	« بی مرگی
٢٠٧	٨	« بینی
٢٥٢	٩	« پیش از
٢٤٢	٣٨	« تن
٢٥٦	٢٠	« جو باشی
٢٠٠	٢	« دان آن
٣٠٩	٣	« راتو
٢٠١	٣	« شیرین
٦٨	٤٠	« کازوی
١٩	٥	« می دیدم
١٧٢	١٤	« وجسك
١٩٢	٢٧	« هریك
٣٥٨	٤١	« همسایه
٣٧٥	٢١	« یك
١٨٥	٩	مرلئیمان را
١٤٠	٢١	مرلب هر
١٠١	١٩	مرمحبان را
٢٤٤	١٦	مرمحك را
٢٥١	٣٤	مرمرا آزاد گرد
٨١	١٨	« آموز
١٦٢	٢٠	« ازخانه
١٩٧	٣٦	« اصل
١١٢	٣٠	« اغیار
٢٠٦	١٨	« افسانه
١٥٤	١٨	« بخریده
٢٧٦	٩	« بنمای
٨٨	٨	« تقلید
٣١٣	٦	« تو
٤٩	٧	« چه
١١٢	٤٢	« دادی
٤١٣	١٥	« دختر
٦٨	٢١	« زان نور
١٢٨	٤	« زین حکمت
٢٢٧	١٥	« سوی
١٧٤	٣٦	« لطف
١٩٠	٤	« محروم
٤١٨	٩	« معلوم
٨٨	٢٤	مرمروت را
٣٢٨	٣٣	مرمغی را
١٣٦	١٤	مرملایك را سو
١٠٧	١٢	مرملایك را نمود
٢١٨	٣	مروحهٔ تصریف
٢١٨	٩	« تقدیر
٢١٨	٩	« جنبان
١٠٢	٦	مرورا آزاد
٣٣٨	١٦	« دردو
٤٧	١٦	« رو
٢١٧	١٩	« گفتند
١١٥	١٠	مرولی راهم
٢٣٦	١٠	مرهوارا تو
٣٩٤	٢٧	مریتیمی را
١٣٨	٢٠	مریقین را
٢١٧	٩	مریکی را
١٩٧	٣٤	مریما بنگر
٤١٩	٢٨	مریمان بی شوی
١٣٣	٤٠	مریم اندر
		م - (ز - ژ)
١٨٤	٩	مزد تبلیغ
١٩٧	٢٥	« حق
١١١	٢	مزدحم میگردیم
٣١٢	٣١	مزدخود
١٩٢	٣٠	« مزدوران
٢٩	٢٦	مژده مژده ای
٢٩	٢٦	« « کان
٢٩	٢٧	« « کز
		م - س
١٣٠	١٢	مس اگر از
١٩٩	٦	مسئله کبس
٢٧٣	٣٥	مست آن باشد
٢٩٦	٢٧	« آن و پیش
٨٧	٣	مستثی دارد
١٤٧	٤٠	« کاید
١٤٩	٤٠	مست بودند از
١٥٠	١	« بودند و
١٤٩	٧	مستجاب آمد
٢٩٦	٢٨	مست چیز و
١٨٨	٣٧	مستحق شرح
٢٤٩	١١	مست را بین
٣٦١	٤٥	« راچون
٣٦١	٤٤	« زابرار و
٢٦٤	١١	مستفید اعجمی
٢٤٩	٢٠	مست گشت او
٣٨٢	٢٤	« گشتم
٤١٠	١٣	« گشت و
١٨٦	١٠	مستمع از وی
٣٦٧	٣٢	« اوفائل
٤٩	١	« چون تاز
٤٨	٣٧	« چون تشنه
٢٣٧	١٠	« چون نیست
٣٧٧	١١	« چون یافت
٣٦٧	١٢	« چون یافت
٢٣٣	٢٦	« خفته
٣٣٤	١٥	« داند
١٤٨	٧	مست می هشیار
١٤٧	٣٩	« وبنگی
٤٠٤	٣٠	« وبیخود این
٣١٤	٢١	« وبیخود نفس
١٧	١٨	مستهان و خوار
١٧	١٨	« وخوار
١٥٠	١١	مستی آن
٣٤٩	٣٤	« ایشان
٣٧٢	٤	« دل را
٤٢٣	٩	« گندم
٤٤١	١٣	« ماز
٢٣٨	٩	مسجد است این
٢٣٤	٢١	« اقصی
٢٠٥	٢	« اگر
١٢٥	٢٥	« اهل
١٢٢	٣٣	مسجد روز گل
١٨٥	٤	« طاعاتشان
١٢٢	٣٥	« واصحاب
١٢٣	٤	« ی بر حسن
١٨٦	٢٤	« ی در ره
١٢٦	٣٨	« ی کان
٣٢٣	٢٤	مسخ صورت
٣٦٥	٣٤	مس خود را
٣٦٦	٤٠	مسکن مارا
١٩٨	١٤	« یاراست
٢٤٤	١٧	مسلکی دارند
٣١٠	١٣	مسمم او آن
٤٣	٣٥	مسندت من
		م - ش
٣٨٥	١٩	مشت براهمی
١٣٥	٣	« برهم
٣٠٥	٣٤	« خاکی
٣٠٤	٣	مشتریئی جو
٢٩٧	١٩	مشتری خواهی
٣٦٥	٣٨	« خواهی که
٣٥٠	١٧	« رادست
٣٠٤	٦	« راصابرا
٣٦٥	١٦	« شو
١٢٩	٩	« علم تحقیق
٣٠٤	١	« کوسود
٣٦٥	١٧	« گرچه
٣٠٤	٢	« ماست
١١٦	٣	« من خدا
٣٠٣	٣٦	« نادیده
١٢٠	٣٠	« نبود
٣٧٨	١٦	« وزهره
٤٠٨	٤٠	مشتغل ماندند
١٩٦	٨	مشت مشت تست
٦٣	٧	مشرف و اهل
٩٦	١٢	مشرق او نسبت
٢٦٥	١	« این باد
١١٢	١٤	مشرقت کردم
٩٦	١٢	مشرق خور شید
٢٥٩	٣٣	« ومغرب چ
٢٥٩	٣٤	« ومغرب که
٢٤٨	٧	مشرقی و
٤٠٦	٢٤	مشرکان را در
٢٢٠	٣٢	مشرکان را زان
٣١٠	٢٢	مشعله بر کرده
١٣٥	١٦	مشفقان گردند
١٦٨	١٣	مشفقی بر
٣٢٤	١٤	« گر
٣٣٧	٨	« مسکین
٣٢١	١٠	مشك آلوده
٤٠١	١٨	« باسقا
٤٤٤	٢٨	« بر پشت
١٨٨	٣	« خود
٨٣	٢٦	« رابر تن
٤٩	٣	« راحق
٢١٢	٨	مشکلات هر
١٣٦	٣٠	مشکل ما
٧٢	٢٤	مشکهای آب
٣٩٠	٢٠	مشنو این
٢٤	٤	مشورت ادراك
١١٤	٤	« بانفس
١١٤	٥	« بانفس
١١٥	٢٩	« جوینده
٢٤	٩	« دارند
١١٤	١	« درکاره
٢٥١	٦	« رازنده
١٦١	١٩	« کردند
٢٤	١٠	« کردی
٣٩١	٣	« کن با
٣٤٤	٢١	« کو عقل
٨١	٣٥	« میرفت
٢٤٧	١٩	« میکرد
		م - ص
١٧٧	٣٩	مصحف سالوس
٤١٢	٢٥	مصحفی بر کف
٤٤٢	٣٨	مصریان از قحط
١٥٠	٣٨	« راجمع
١١٢	٥	مصطفی آمد عیاد
٤١	١	« آمد که
٣٦٨	١٧	« اش
١٤٦	٣٩	مصطفائی کو
٢٨٠	١٣	مصطفی بر دش
٣٦٩	٣٨	« بهر
٤١	١٠	« بیخویش
٤١٠	٣٤	« بین
١٤٠	٢٦	« چون
١٨٨	١٦	« دست
٢٣١	١٠	« رابر زه
٤٣٠	٢٠	« راتانیاز
٢٣١	٥	« راچون
٢٥٨	٢٤	« رارای
٤٤٣	١٣	« راشبه
١٥٦	١٤	« راوعد
٣٣٨	٢٥	« راهجر
٤١	٢٥	« روزی
٣٦٧	١٢	« زین قصه
٢٢٤	٣٣	« زین گفت
٣٦٣	٣٢	« زین گفت
٣٣٨	٢٦	« ساکن
٢٨٠	٢٥	« صبح
٩٨	١٣	« فرموداز
٣٦٧	١٣	« فرمودا
٣٦٧	١٤	« فرمودکا
٦٤	٢٥	« فرمودکا
٤٠٠	٣٢	« فرمودکه
١٠٨	٢٣	« فرمودگ
٤١٠	٣٢	« کرداین
٨٦	٢	« مه میشکا
٢٨٠	٢٨	« میدید

صفحه	سطر	اول بیت
۲۷۶	۹	مصطفی میگفت
۸۱	۱۴	مصلح است و
۱۹۷	۱۱	مصلحت آنست تا
۱۵۵	۲۴	« آنست کز
۳۵۹	۳۵	« داده است
۳۵۹	۳۵	« دردین
		م (ض - ط - ظ)
۲۹۳	۴۳	مضطرب در
۱۱۷	۷	« میگشتم
۲۴۳	۲۳	مطبخی ده
۳۶۲	۲۰	مطرب آغاز بدبیت
۳۶۳	۱۰	« آغاز بدنزد
۳۲۲	۸	« آنخانقه
۳۶۲	۱۰	« ایشانرا
۲۰۶	۱۱	مطربان خواهی و
۱۳۹	۲۸	« شان
۳۶۲	۹	مطرب جان
۲۱۳	۲۳	« عشق
۴۳	۸	مطربی کروی
۲۵۶	۷	مطلم او بر
۸۱	۳۶	« برنقش
۷۹	۴	« تاریخ
۷۹	۲۳	« شمس
۴۰	۹	مطلق آن
۱۶۱	۱۷	مطمئن و
۳۷۷	۲۵	مطمعانش
۲۸۶	۲۲	مظهر حق است
۳۸۳	۱۷	« عشق
۱۴۹	۲۰	« لطف
		م - ع
۱۸۵	۸	معبد مرد
۴۴۱	۳۸	معترف باید
۲۳	۱۲	معجبی یا خود
۳۷۰	۸	معجزات از بهر
۴۰۳	۴	معجزات اینجا
۱۶۰	۲۰	معجزانش بی
۳۷۲	۵	معجزاتی و
۴۴	۲۶	معجزه او
۳۷۲	۱۰	« بحر
۱۳۲	۱۹	« بیند
۲۹۰	۲۱	« پیغمبری
۲۲۱	۲۶	« جست
۳۷۲	۷	« کان
۳۲۰	۳۵	« گر
۴۱۶	۳۰	« همچون
۱۴۶	۲۰	معدن دنیه
۳۰۶	۷	« رحم
۳۰۵	۳۰	« شرم
۴۲۰	۲۵	« گرمیست
۱۱۱	۴	« لعل
۳۲۱	۱۳	معده تن
۳۱۵	۱	« حلوائی
۲۴۲	۱۰	« خر
۳۲۲	۴	« رابگذار

صفحه	سطر	اول بیت
۳۲۱	۱۲	معده را خوکن
۲۸۰	۱۵	« طبلی
۳۹۵	۶	« نازرا
۴۴۰	۱۶	معرفت باید
۴۲۹	۱۶	« جان
۱۲۰	۳	« های
۴۰	۱	معشر الجن
۷۴	۱۸	معصیت کردی
۴۳	۱۴	« ورزیده
۹۰	۲۲	معنی آن باشد
۹۰	۲۲	« آن نبود
۳۰	۵	« الترك
۲۳۴	۳۷	« الله
۳۳	۴	« اندر
۳۱۱	۲۶	« انسان
۱۷۲	۲	« تسلیم
۱۷۱	۲۶	« تکبیر
۹۰	۲۱	« توصورت
۳۳۲	۲۳	« جف
۲۸۷	۱۲	« چشم
۴۲۸	۲۸	« دل
۲۲۹	۲۷	معنیش پنهان
۳۳۲	۹	معنی قرآن
۳۹	۲۷	« مردن
۳۵۴	۱۸	« نختم
۳۱۱	۲۵	« ومغزت
		م - غ
۴۴۰	۳۹	مغرب آباد
۲۲۶	۶	مغربی را
۳۳۸	۱۴	مغزا و خشکست
۲۳۲	۳۳	« اوخود
۱۶۹	۲۹	« این مسکین
۴۱۰	۶	« بیرون
۳۰۵	۲۷	« جان
۱۷۷	۲۵	« جوی از
۱۴۳	۳۱	« حیوانات
۱۸۰	۲۳	« خر
۲۶۸	۳۰	« خوداز
۲۲۰	۱۲	« راخالی
۱۵۹	۱۲	« علم افزود
۱۹۴	۲۸	« کواز
۴۳۳	۴۱	« ماتا کی
۳۴۷	۶	« مردی
۴۱۰	۸	« نغزو
۱۹۲	۱۳	« نغزی
۱۲۰	۶	« نمرود
۱۹۲	۱۲	« هرمیوه
۳۳۴	۲۲	مغفرت میخواند
		م (ف - ق)
۸۲	۷	مفترق شد
۸۹	۲۹	مفلس است و
۲۱	۴	مفلسان گر
۸۹	۲۳	مفلسی دیو
۴۰	۱۵	مقتبس شو زود

صفحه	سطر	اول بیت
۱۵۰	۲۵	مقدم موسی
۱۰۴	۱۱	مقرئی میخواند
۴۲۳	۳۶	مقر یانرا
۱۴۵	۲۱	مقصد مارا
۳۰۹	۷	مقعد صدق و
۲۴۴	۹	« صدقی که
۳۰۹	۶	« صدقی نه
۳۵۶	۳۰	مقنعه و
		م (ک - گ)
۲۲	۲۹	مکر آنباشد
۱۴۳	۲۹	« آنفارس
۴۱۶	۳۱	« آنفرعون
۳۸۹	۳	« ازآن
۱۲۶	۲۱	« اوسر
۲۸۷	۳	« حق را
۴۰۳	۳۷	« حق سرچشمه
۷۰	۱۶	« خودرا
۱۳	۳۴	« دیگر
۴۱۸	۲۰	« زن بر
۴۱۸	۱۸	« زن پایان
۱۹۵	۵	« شان گر
۳۲۳	۶	« شیطانست
۱۹	۱۸	« شیطان هم
۲۸۶	۲۶	« کن تا کمتر
۲۸۶	۲۶	« کن تاوا
۲۸۶	۲۵	« کن درراه
۴۰۳	۳۶	« که کرد
۴۳۷	۱۶	مکرم مشهور
۱۰۳	۱۶	مکر میسازند
۱۷۸	۲	« نفس و
۲۴۰	۹	« وتلبیسی
۲۲	۲۹	« هادر
۲۲	۷	« ها کردند
۲۴	۳۹	« های جبر
۱۹۳	۱۹	« هرکس
۱۷۴	۱۵	مکسب کوران
۴۱۷	۵	مکیان را
۲۳۱	۱۴	« گفتند
۲۲۵	۸	مگسل از پیغمبر
		م - (ل - م)
۱۰۶	۲۱	ملت عشق
۲۶۰	۲۷	ملك بر بسته
۲۲۸	۳	« برهمزن
۳۲۹	۴	ملکت اورا
۳۹۸	۴	« حسنش
۴۳۰	۹	ملکتی بیحد
۳۴۵	۱۸	« کان
۲۲۸	۲۷	ملك جسمت را
۳۸۸	۱۰	« حق و
۴۸	۲۱	« درویشان
۴۱۷	۲۸	« دنیا
۲۲۹	۵	« رابگذار
۳۴۵	۱۸	« راتو
۲۱۲	۱۳	« زان

صفحه	سطر	اول بیت
۴۴۲	۴۶	ملکشان نه
۴۳۱	۱۴	ملك شروان
۳۲۸	۹	ملك ملك او
۴۳۴	۲۳	« وشهرما
۳۵۵	۲۷	« ومال
۱۲۸	۱۷	« هفت
۱۰۸	۱۳	ممتلی و
۳۱۴	۱	ممکن اندای
		م - ن
۳۶۳	۲۵	من آخر اصل
۹	۳۱	« ازآن
۳۰۷	۲	« ازاین تقلیب
۱۵۹	۲۹	« ازاین چشمه
۴۳۸	۲	« اعان
۳۱۷	۱۶	« اگراین
۱۱۶	۴	« اگرباعقل
۲۷	۲۸	« اگردامی
۳۲۹	۳	« اگرننگ
۱۲۷	۲۲	« اگرهولم
۲۹۳	۳۷	« الیف
۳۸۳	۱۵	« بیادی
۳۶۵	۳۳	« بیودانم
۲۷۲	۱۵	« بیوی آب
۲۷	۱۳	« بینم دام
۲۸	۳۱	« بیشتی تو
۲۰۸	۴	« بترسانم
۱۹۷	۱۵	منبتش را
۲۵۳	۲۷	من بجادویان
۲۵۳	۲۸	« بجادویان
۲۵۳	۲۷	« بجادویان
۱۲۰	۳۳	« بحجت
۳۲۵	۲۹	« بدان افراشته
۳۴۵	۳۹	« بدانم دردل
۴۲۵	۱۶	« بدانم کو
۱۳۳	۲۶	« بدم آن
۱۶۲	۳۶	« بدم غافل
۱۲۱	۴	« بدی کردم
۴۳۳	۳۶	« بدین سرعت
۳۴۵	۴۱	« بدین شمشیر
۳۹۱	۳۴	« بدین وقت
۳۹۲	۱۰	« بدین یکبار
۳۳۹	۵	« برانم بر
۵۶	۲۶	« براین در
۲۳۵	۲۴	« بربع عشر
۴۱۸	۲۹	« برم صندوق
۲۲۴	۱۲	منبر مهتر
۱۵۶	۱۶	« ومحراب
۱۴۰	۱۵	من برون کردم
۲۶۱	۳۶	منبری کو
۱۶	۱۸	منبسط بودیم
۳۵۹	۸	من بصحرا
۲۴	۱۸	منبع حکمت
۸۷	۷	منبع گفتار
۳۸۹	۱۷	من بفرمان

صفحه	سطر	اول بیت
۵۲	۱	من بگفته
۱۵۸	۲۲	« بگویم او
۶۶	۳۱	« بگویم بس
۶۶	۳۰	« بگویم شکر
۶۶	۳۱	« بگویم صبح
۲۷۹	۱۲	« بگویم وصف
۳۱۲	۳۷	منبلم بیزخم
۲۰۰	۳۰	« بیزخم
۲۰۱	۱	منبلی ام
۲۰۱	۱	« نی کو بود
۲۰۱	۲	« نی کو بکف
۳۵۴	۳۹	من بمانم در
۳۱۸	۱۲	« من بمردم
۲۶	۱۳	« بوقت
۱۵۹	۲۸	« به بیشت
۱۴۰	۱۵	« به تبلیغ
۱۹۹	۳۱	« بهرجائی
۲	۳	« بهرجمعیتی
۲۷۵	۱۷	« بهرشهری
۳۰	۱۶	« پشیمان گشتم
۱۹۹	۳۴	« پشیمانم
۳۲۳	۹	منت بسیار
۱۹	۲۲	من ترا افسوس
۱۵۶	۱۵	« ترا اندر
۴۲۲	۴۰	« ترابر
۱۶۵	۱	« ترابی این
۱۲۲	۳	« ترابیدار
۲۴۷	۲۲	« ترابی هیچ
۳۲۳	۳۶	« تراخود
۱۶۳	۱۴	« ترازوئی
۲۰۳	۳۹	« تراگریان
۴۲۲	۳۹	« تراماهی
۱۷۰	۲۶	منتصب بر
۱۵۳	۲۷	منتظر ایشان
۳۶۱	۲۴	« بنشست
۳۹۶	۲۳	« بنهاده
۲۸۰	۳۴	« بودند
۱۹۷	۱۰	« چشمی
۳۴۴	۳۸	« درغیب
۲۸۰	۲۲	« کاکی
۵۱	۳۳	« گشتند
۳۸۲	۲۵	« گوباش
۱۹۳	۸	« مانی
۳۰۹	۳۴	« می ایستد
۳۴۴	۳۷	« می باش
۳۵	۲۸	من تمام اینرا
۲۲۲	۱۹	منتهای اختیار
۲۶۶	۳۶	منتهای دستها
۳۲۵	۲۸	منتهی در عشق
۱۵۹	۳۴	« نبود
۲۵۱	۴۰	من چرا آزاد
۳	۲	« چگونه هوش
۵	۸	« چگویم یك
۱۵۸	۲۰	« چنان

صفحه	سطر	اول بیت
۳۳۹	۲۱	من چنان خواهم
۷۴	۲۶	« چنان مردم
۱۹۴	۵	« چو آدم
۲۳۱	۱۹	« چو آن العان
۱۵۱	۱۶	« چو ابرم
۲۰۳	۱۴	« چو اسماعیلیا
۲۱۳	۲۶	« چو باسودا
۱۶۶	۲۴	« چو بینمشان
۴۱۰	۳۱	« چو بوشم
۷۳	۳۹	« چو تیغم بر
۷۳	۳۸	« چو تیغم وان
۱۷۵	۲۴	« چو خورشید
۳۴۶	۷	« چو دیدم
۱۸۲	۱	« چو رفتم
۱۹۷	۳۵	« چو صبح
۳۰۷	۳۵	« چو کلکم
۳۷	۲	« چو لب
۱۳۳	۱۱	« چو مرغ
۱۱۱	۱۰	« چو میزان
۴۱۸	۲۷	« چه دارم غیر
۴۱۸	۲۵	« چه دارم که
۲۷۲	۲۴	« چه دانستم که
۳۶	۳۱	« چه غم دارم
۴۲۲	۳۹	« چه کردم
۱۹۷	۴	« چه گویم چون
۳۰۱	۲	« چه میستم
۳۹۸	۲۳	« چه میگویم
۱۲۲	۴	« حسودم از
۳۷۶	۱	« حفر بئر
۷۶	۱۱	« حلالت
۳۷	۲۶	« حلالش
۲۰۴	۱۵	« خلیلم تو
۴۳۷	۲۸	« خلیلم گفت
۴۲۸	۳۱	« خلیلم محترز
۲۶۳	۲۴	« خلیل وقتم
۲۲۷	۳۰	« در آن بیخود
۱۶۷	۱۴	« در آندم
۳۰۱	۱	« در آنوادی
۴۱۲	۳۲	« در این ره
۳۴۶	۲۶	« در خانهٔ
۱۹۱	۲۳	« درون خشت
۱۸۷	۳	« در بن ره
۱۷۴	۳۳	« دعا کورانه
۱۷۴	۱۸	« دعاها
۳۶	۳۵	« دلش جسته
۸۸	۱۵	« دلیلم حق
۱۰۱	۳۰	« دوبنده
۱۴۵	۲۴	« رباح الله
۳۴۱	۱	« روان گشتم
۳۴۴	۶	« روم بیرون
۴۷	۳۰	« روم سوی
۳۱۱	۲۱	« ز آتش
۳۶۸	۳	« ز استیزه
۱۶۳	۱۸	« زاول
۱۵۴	۳۴	من ز ایشان
۸۲	۲۸	« ز تو استا
۴۱۲	۸	« ز جان بر
۳۷	۱۸	« ز جان جان
۴۴۷	۳۹	« ز جیفه
۴۴۷	۳۸	« ز حرف
۱۶۷	۱۱	« ز حق در
۳۹۴	۷	« ز خاك
۳۲۶	۱۷	« ز خود
۳۵۵	۲	« ز دستان
۴۳۶	۴۷	« ز دست جور
۲۵۳	۶	« ز دم مشتی
۳۸۶	۲۰	« ز دیگی
۱۹	۹	« ز رحمت
۱۰۶	۳۲	« ز سدره
۱۲۱	۲۶	« ز سر که
۱۲۱	۲۷	« ز سر گین
۱۹	۳۳	« ز سگ
۱۴۳	۵	« ز سهو
۳۴۸	۱	« ز شه
۳۷	۳	« ز شیرینی
۱۲۱	۲۸	« ز شیطان
۲۹۳	۱۱	« ز صاحب
۴۲۴	۲۶	« ز طول
۱۸۹	۱۸	« ز عزی
۲۵۶	۱۴	« ز عکس
۳۸۹	۱۸	« ز فخر
۳۷۳	۲۰	« ز گفت
۱۱۴	۷	« ز مکر
۴۲۰	۳۸	« ز نعره
۱۲۱	۲۶	« ز هر کس آن
۱۱۹	۲۹	« سلب
۴۹	۱۸	« سیاناخ
۳۹۳	۳۳	« سپند
۳۱۰	۳۲	« سر هر ماه
۱۱۳	۳	« سزاوارم
۴۱۲	۳۱	« سفر کردم
۲۵۳	۶	« سگی گشتم
۲۲۶	۳۳	« سلیمان
۳۹۰	۹	« شتابیدم
۴۳۶	۳۴	« شدم راضی
۴۳۲	۲۳	« شدم زینسو
۴۲۰	۳۴	« شدم عریان
۴۳۲	۱۵	« شدن خواهم
۱۶۶	۴	« شفیع عاصیان
۱۶۴	۲۵	« شکستم حرم
۱۶۴	۲۵	« شکستم عهد
۲۴۲	۱	« شکوفه خارم
۱۵۱	۴۱	« شمار ابر دردم
۱۵۷	۱	« شمار اخود
۲۱۰	۳۰	« شمار اسر نگ
۲۱۰	۲۹	« شمار اوقت
۱۵۱	۴۲	« شمار اهیزم
۳۵۴	۳۷	منصب اجداد
۲۶۹	۱۱	منصب تعلیم
۴۱۷	۲۹	منصبی کانم
۴۰۸	۲۲	من صمت منکم
۲۷۱	۱۳	« طفیل تو
۱۳۶	۴	منطق الطیر آن
۲۳۰	۲	« الطیر سلیم
۶۷	۲۴	« الطیری
۴۲۱	۲۱	منطقی کز
۳۹۴	۳۷	منظر حق
۲۰۱	۳۶	من عجب دارم ز
۴۳۹	۲۳	« عجب ماند ستم
۱۵۵	۱۵	« عدم
۲۴۷	۲۱	« عدوم چاره
۲۴۷	۲۰	« عدوم مر
۲۵۴	۲۸	« عصا و نور
۲۳۳	۱۲	« عصایم
۳۶۷	۳۸	منعقد چون
۴۰۸	۲۳	منع کرد
۴۱۳	۲۵	من علم اکنون
۴۰۴	۳۲	منعمی پنهان
۳۰۴	۲۵	« زو
۵۶	۱۷	من غریبم از
۷۷	۲۱	« غلام آنچراغ
۶۵	۶	« غلام انکه او
۲۸۷	۱	« غلام آنکه نفر
۲۸۷	۲	« غلام آن مس
۷۷	۲۲	« غلام موج
۵	۳۷	« غم تو میخورم
۴۱۹	۲	منفذش نی
۲۹۶	۲۱	منفذی داری
۲۷۱	۴	منفذی یابد
۳۲۵	۲۹	منفعتهای دگر
۱۴۹	۱۴	منفعل شد
۴۶	۵	منفق و ممسك
۴۲۰	۲۳	من فقیرم
۲۴۸	۵	منقبض کردند
۴۳۰	۱۴	من قدم در ره
۱۶۸	۱۲	منقطع از
۴	۱۰	« شد
۴۳۶	۴۳	من قوی هیکل
۱۵۶	۱۴	« کتاب و
۱۱۹	۱۶	« کجا باور
۳۸۴	۳۴	منکر آن دیدو
۸۸	۵	من کر اگیرم
۴۱۶	۲۸	منکران را قصد
۴۲	۲	منکران گویند
۴۲	۵	« همچون
۴۴۲	۱	منکر این شمعها
۳۶۷	۲۱	« بحر است
۳۳۰	۱۳	« حس
۳۳۰	۱۳	« فعل
۳۵۳	۱۹	« ی این
۴۴۷	۲	« ی سودی
۸۵	۸	من کریم
۳۵۰	۳	منکسر تر
۳۶	۲۶	من کسی در
۲۰۶	۱۹	« کلام حقم
۱۱۰	۹	« کم از خرسی
۲۱۲	۳۷	« کنم اورا
۳۴۹	۱۰	« که آرم
۳۸۴	۱	که باشم با
۳۵۵	۲	که باشم چرخ
۳۴۹	۹	« که باشم که بگو
۳۴۹	۹	« که باشم که بوم
۲۳۸	۷	« که خروبم
۲۹۰	۱	« که خصمم
۲۶۸	۱۸	« که صلحم
۵۰	۱۵	« که فرعونم
۲۶	۴	« که گاو انرا
۳۴۹	۱۱	« کیم تا
۳۱۲	۳۹	« کیم لیلی
۱۹۴	۶	« گدا بودم
۲۴۳	۵	منگر آنهارا که
۲۱۷	۱۳	« از چشم
۲۵۴	۱۳	« از خود در
۳۹۲	۱۸	« اندر زشتی
۱۲۴	۲۰	« اندر غیظ
۱۵	۴	« اندر ما
۱۵۹	۴۲	« اندر نقش زشت
۵۸	۲۴	« اندر نقش و
۲۱۲	۱۵	« ای مظلوم
۱۵۹	۴۳	« این را
۲۷۲	۲۴	من گمان بردم که
۴۴۲	۱۴	« گمان کردم
۵۰	۷	« گنه کار توام
۴۴۲	۱۴	« گنه کار و
۱۲۰	۲۲	« گواهم بر
۲۳۶	۳۱	« مر آنرا
۴۱۶	۱۶	« مراد خویش
۳۹۸	۲۳	« مر اورا
۴۳۵	۳۵	« مطیع
۳۴۶	۱۹	« معین
۱۵۶	۱۸	« مناره
۲۱۳	۱۷	« میان گفت
۳۰۵	۳۱	« نبود ستم
۹۲	۳۵	« نبینم روی
۲۸۲	۹	« نجس ز اینجا
۱۲۱	۲۸	« نجویم پاسبان
۴۱۳	۳	« نجویم زین
۱۴۷	۱۹	« نخسبم
۹۶	۳۰	« نخواهم بود
۲۹۰	۱۸	« نخواهم دایه
۱۲۶	۱۸	« نخواهم در
۲۶۳	۱۷	« نخواهم رحم
۱۸۷	۳	« نخواهم رفت
۴۱۳	۲۴	« نخواهم زد
۱۴	۲۵	« نخواهم شد
۳۶۱	۲۹	« نخواهم عشوه
۱۶۴	۴۰	من نخواهم کان
۲۹۰	۱۹	« نخواهم لطف
۳۳۵	۳۳	« ندارم طاقت
۴۳۵	۳۲	« ندارم قدرت
۳۶	۳۶	« ندانم آنچه
۳۰۷	۲۳	« ندانم خیر
۲۶۹	۶	« ندیدم تشنگی
۲۳۶	۸	« ندیدم جز
۹۱	۳۹	« ندیدم در
۲۲۶	۲	« ندیدم ظلمتی
۲۵۲	۱۵	« نسازم
۱۲۳	۲	« نشسته
۲۵۶	۲۹	« نکردم آنچه
۸۳	۳	« نکردم باوی
۱۰۶	۱۵	« نکردم پاك
۱۰۶	۱۴	« نکردم خلق
۳۹۵	۴	« نکردم لا
۲۲۵	۲۷	« نگفتم که
۴۱۴	۱۲	« نگویم زین
۲۰۳	۳۲	« نلافم
۴۱۹	۱۰	« نمی آیم
۲۰۵	۱۳	« نمی رنجم
۲۲۷	۲۷	« نمیکردم سخن
۲۱۰	۳۲	« نمیکردم غزا
۱۷۴	۱۹	« نمیکردم گزا
۴۳۲	۲۱	« نمیگویم خلاصه
۱۱۱	۱۱	« نه گاوم تا
۲۳۳	۷	« نه مردارم
۴۱۵	۱۶	« نه مرد دزدی
۱۴۴	۲۶	« نیارم ترك
۲۱۲	۲۱	« نیارم روز
۹۷	۳	« نیم جنس
۲۵۲	۱	« نیم خود
۳۸۴	۱۲	« نیم درامر
۳۴۴	۱۲	« نیم در عهد
۷۷	۷	« نیم سگ
۲۸۶	۱۳	« نیم فرعون
۲۲	۱۹	« ورا از خشم
۴۴۶	۴۸	منهدم گردد
۲۴۸	۵	منهزم گردند
۲۱	۱۰	من هلاك
۲۶۶	۱۰	« هم از بهر دوا
۳۶۵	۳۷	« هم از بهر خدا
۱۵۴	۱۰	« هم از شرت
۲۳۲	۹	« هم اورا
۳۳۶	۱۴	« همه عمر اینچنین
۳۷۱	۳۴	« همه عمر این نو
۱۶۵	۱۹	« همی افتم
۲۶۸	۸	« همی بینم بهر
۲۶۸	۱۹	« همی بینم جها
۴۳۳	۱	« همی خوانم شه
۲۲۰	۳۹	« همی دانسته
۲۱۹	۲۷	« همی دانسته
۲۱۹	۲۷	« همی دانسته

صفحه	سطر	اول بیت
۳۷۸	۳۶	من همیدانم که تو
۳۱۷	۳۹	« همیدانم و آن
۲۱۱	۱	« همیرانم
۱۱۷	۱۳	« همیگفتم که
۷۴	۳۱	« همیگویم برو
۴۰۰	۴۱	« همیگویم بس
۱۷۰	۴	« همیگویم چو
۷۴	۲۹	« همیگویم چو
۴۴۱	۴۴	« همیگویم که
۳۷۳	۲۱	« همی لرزیدمی
۳۱۴	۱۹	« هنایشفع
۲۹۳	۴	« منهیان انگیخ
۲۷۹	۲۵	منیتش آنکه
۱۷۴	۱۱	من یقین دارم
۱۰۷	۱۱	« یقین دانم که
۲۶۱	۲۳	« یقین دانم نشا
۲۶۱	۱۸	« یکی از جمع
۴۳۸	۴۵	« یکی سرگشته
		م - و
۱۳۹	۲۶	مو بمو بیندز حرص
۱۳۹	۲۵	« بیندز صرفه
۱۰	۱۰	« وذره
۲۸۹	۱۷	« یهر
۳۲۴	۳۳	موت را از
۳۲۴	۳۴	موت را چون
۳۷۰	۷	موجب ایمان
۴۱۷	۳۰	موجب تأخیر
۲۶۸	۱	موج بروی
۳۲۳	۲۸	موجب کین
۱۴	۱۰	موج خاکی
۲۰	۱۱	« دریا
۲۳۳	۱۳	« طوفان
۳۰۲	۲۸	« لشکر
۲۰۸	۸	« مزد
۳۸۳	۲۱	« های تیز
۵۲	۱۹	« های جنگ
۵۲	۱۸	« های صلح
۳۹۶	۱	مور اسود
۳۶۴	۳۴	« بردانه از
۳۷۴	۳۷	« بردانه چرا
۳۹۵	۳۷	« داند
۲۷۵	۲۴	« کی بر
۱۹۵	۳۷	« لنگم
۳۱۵	۴	« ومارو
۱۸۹	۲۸	موزه بر بودی
۳۱۵	۲۲	« چپ
۱۸۹	۲۵	« را
۲۷۲	۲۰	موسئی را دل
۲۶	۲۴	موسئی فرعونرا
۱۰۶	۱۸	موسیا آداب
۸۵	۲	موسی آمد
۱۸۱	۱۹	« آنرا که
۳۸۶	۳۰	« آنرا نار
۲۵۶	۱۵	موسیا باشد که بگ
۲۵۶	۱۶	موسیا باشد که یا

صفحه	سطر	اول بیت
۱۳۲	۲۸	موسیا بسیار
۱۳۲	۲۹	« بسیار
۲۶۴	۱۳	« تخمی
۱۶۸	۳۲	« توقوم
۱۵۴	۱۹	« خودرا
۲۷۷	۲	« درپیش
۳۴۵	۱۲	« کشف
۴۳۴	۴	موسی ام دنیا
۳۲۲	۱۲	« جان
۲۷۲	۲۳	« رحمت
۱۵۷	۲۲	« وعیسی
۱۵۷	۹	« وفرعون در
۴۳۲	۱	« وفرعون را
۵۰	۱۱	« وفرعون م
۱۴۹	۲۸	« وهرون چ
۲۷۷	۱۱	« وهرون ش
۱۳۱	۲۹	موش آنجا
۱۰	۱۶	« تاانبار
۳۹۲	۳۷	« تن
۳۹۵	۳۲	« درمنقار
۱۰	۱۱	موشکفان صحابه
۳۳۸	۳۴	« قدر
۱۸۵	۱۸	موش کی ترسد
۱۳۱	۲۷	موشکی در کف
۱۲۹	۱۱	موش گفتم
۳۹۰	۳۵	موضم رخ
۱۵۵	۷	« معروف
۱۳۵	۲۹	مولعیم اندر
۴۳	۲۴	مول مولی
۲۹۰	۵	موم از
۳۳	۶	موم وهیزم
۳۸۰	۳۲	مونس احمد
۲۹۳	۱۵	موهبت را
۳۶۹	۳۲	موی آن نوری
۳۷۱	۲۹	« ابرو
۹۷	۳۹	« برسر
۴۴۱	۱۵	« جان گیر
۱۲۲	۴۲	« راناديده
۸۱	۱	« کز
		م - ه
۴۲۴	۳۶	مهترین را
۲۶۰	۳	مهتری نفت
۲۸۵	۱۴	مه چو بی این
۲۹۰	۱۱	« خیالی
۱۶۶	۹	مهدر عیسی
۴۲۸	۱۰	مه دو روز
۹۱	۴۳	مهدی وهادی
۱۱۱	۳۷	مهر ابله بهر
۳۵۳	۲۱	« اودرجان
۱۷۲	۳۳	مهربان بی رشوتا
۱۰۸	۳۸	مهربانی شد
۱۸۴	۲۷	« مرتورا
۱۲۳	۱۵	مهر بر گوش
۱۷	۱۰	مهر پاکان در

صفحه	سطر	اول بیت
۱۵۴	۲۷	مهر پیوندند
۵۲	۱۹	« تلخان را
۸۴	۲۱	« جاهل را
۲۴۶	۲۶	« حق بر
۱۴۹	۱۴	« دانائیش
۲۵۱	۶	« زاد و بود
۱۶۸	۲۳	« من داری
۹۹	۲۳	« مومش
۴۹	۳۴	« ورقت
۳۰	۳۲	« وهیبت
۳۹۶	۱۵	« هاراجمله
۴۱۵	۲۰	مه شکافد
۲۹۰	۱۲	« فراغت
۳۸۳	۲۲	« فشاند نورو
۳۵۲	۸	« فشاند نو رو
۲۰۱	۲۴	مهلتی خواهی
۲۷۶	۳۲	مه همه
		م - ی
۴۲۳	۳	می از آن آمد
۱۰۴	۲۲	می یابد تاب
۲۶۵	۵	می بیند خواب
۱۳۰	۱۶	می بیوشی آفتابی
۳۶	۱۸	میبر دشادیت
۱۲۶	۴۴	میبر ندت خانه
۴۳۵	۱۰	میبر ندش پیش
۳۰۹	۳۳	« میسبوز
۴۴۴	۲۸	می بریدافتان و
۶۹	۲۵	می بساید
۷۵	۳۰	« بسوزد
۲۳۶	۳۱	« بگفتی هر
۱۳۰	۲۲	« بگوید اندر آن
۷	۱۶	« بلرزد عرش
۲۶۲	۵	« بمبرداز
۱۸۹	۱۶	« بیاموزد مرا
۱۹۴	۳۰	« پردچون
۲۲۵	۲۸	« پرستید آفتاب
۲۲۵	۲۸	« پرستید اختر
۳۹۵	۳۰	« تندبر
۱۲۹	۱۹	« تواند زیست
۴۳۵	۴۰	« توانم کاین
۴۳۶	۱۲	« توانم گوشتت
۲۰۴	۲	« توانم هم
۲۷۰	۶	« توانی دید
۱۰۸	۱۱	« جهد خون از
۲۷۳	۳۰	« چردآن
۳۹۵	۲۱	« چرددر نور
۲۵۸	۱۹	« چکیدآن آب
۲۸۹	۸	« چکیداز چشم
۲۸۹	۸	« چکیداز چشم
۳۳۹	۱۷	« چه باشد
۳۱۷	۳۳	« حلالی
۳۶۶	۲۸	« خرامد بخت
۳۶۵	۳۸	« خرد از مالت
۴۳۱	۱۵	« خورد از ضعف

صفحه	سطر	اول بیت
۲۷۰	۱۸	میخورد از غیب
۴۳۳	۱۳	« زخم
۸۶	۳	« شه
۳۱۹	۲	میخورند و
۱۷۰	۲	میخورومیده
۴۴۷	۳۲	میخوری این باده
۷۷	۲۹	میدراند کام
۹۹	۱۶	میدردمیدوزد
۳۷۸	۷	« میدوزد این
۳۶۸	۳۹	میدمد در گوش
۲۹۶	۳	میدمند اندر
۲۶	۲	میدود بی دهشت
۱۰۷	۱۸	« حمال
۱۹۳	۴	« در
۱۲۴	۱	میدوی این
۱۰۵	۷	« درکوی
۳۷۹	۱۵	« هرروز
۱۱۹	۲۶	میدهد جان
۳۸۲	۱	« حق
۱۴	۲	« دل
۶۹	۱۴	« رنگ
۴۴۶	۲۴	« قرآن
۱۰۲	۸	میدهند افیون
۴۳۱	۴۶	میدهد هردم
۳۲۲	۳۱	میر آخر دیگر
۳۲۲	۳۱	« گرچه
۲۴۷	۳۹	میر آخور بود
۳۱۹	۱۳	« دید
۱۵۹	۳۳	میر احوال
۱۸۶	۲۶	« از بهر
۲۶۵	۱۵	میر بود نداند کی
۴۰۲	۳۸	میر بودی
۳۳۸	۳	میر بیرون جست
۳۳۷	۴۰	« چون آتش
۱۹۸	۳۰	« دیدی خویش
۳۶۹	۴۰	« راگفتند
۴۴۳	۱۹	میر سد آنجا
۴۲۹	۴۴	« این فتح
۴۳۴	۳۹	« اینك
۴۳۳	۴۴	« گردن
۴۳۹	۳۸	میر سم اینجا
۳۵۶	۱	میر سید از جانب
۳	۳۰	« ازدور
۷۲	۲۵	« اورامد
۱۸۶	۲۲	میر شد محتاج
۳۳۸	۳۶	« گفت او
۴۲۸	۲۵	« لشکر
۲۴۵	۱	« مجلس
۲۵۹	۱۴	میر مد آن
۳۶۳	۲۰	« اثبات
۱۰۰	۳۷	میر و داز
۲۵۰	۳۴	« اندر
۶۳	۳۱	« این هر دوا
۶۳	۳۲	« این هر دو کا

صفحه	سطر	اول بیت
۳۶۰	۵	میرود باتو برای
۳۶۰	۴	« باتو که
۶۲	۷	« بی بانگ
۳۶۲	۳۵	« بی روی
۳۶۳	۳۳	« چون
۲۰۲	۴	« در
۴۰۹	۱۹	« سباح
۲۶۹	۵	« کان
۲۱۱	۱۷	« کودك
۳۱۱	۱۵	« هرروز
۳۱۰	۱۷	« هرروز
۲۵۲	۸	میروم بروی
۱۶۸	۳۴	« تا
۱۶۸	۳۵	« یعنی
۲۹۷	۱۶	میروی در خواب
۲۳۷	۱۱	« که
۲۰	۲۳	میرهاند میبرد
۱۰	۱۴	میرهانی هر
۳۵۵	۱۶	میرهم زین
۱۰	۲۱	میرهند ارواح
۷۶	۱۶	میری او بینی
۲۶۰	۲۰	میری من تا
۳۴۰	۲۶	میزبان تازه
۳۵۷	۲۲	میزد آتش
۳۶۶	۳	« اندر
۲۸۱	۳	« اوبرسر
۲۸۱	۲	« اودودست
۴۲۹	۶	میزدی فریاد
۱۸۷	۲۸	میزری چبود
۲۶۹	۱۷	میزن آن حلقه
۱۹۸	۲۸	میزند آنرا
۳۹۸	۳۵	« برآب
۲۳	۲۲	« برتن
۳۶۹	۱	« برروش
۳۰۸	۲۳	« جان
۲۰۴	۹	« کهلیز
۱۵۴	۲۳	میزنم باتو
۱۵۴	۲۳	« تادر
۳۱۸	۶	« نعره
۵۰	۱۵	میزنند آن طاس
۴۲۸	۲۲	« افغان
۴۳۹	۳۰	میزنی بر حال
۲۶۷	۳۴	« درخواب
۱۴۹	۳۴	« دستی
۳۹۰	۲۴	میزنیدش چون
۹۹	۲۶	میزهاند کوه
۳۶۵	۴۰	میستاند آه
۳۶۵	۳۹	« این
۳۶۵	۳۹	« قطرهٔ
۸۹	۸	میستانم که بمکر
۱۳۴	۲۶	میستودندش
۳۱۳	۳۰	میشتابیدند
۲۰۶	۲۴	میشخولیدند
۱۱۷	۱۶	می شدم از دست

صفحه	سطر	اول بیت
۱۶۹	۱۳	می‌شدم مدهوش
۲۶	۲۴	می‌شدند آن
۳۴۱	۴	میشد و صحرا
۲۳۲	۲۱	میشکافد
۳۱۹	۲۰	میشکافیدند
۱۵۳	۳۴	میشکست آن
۳۶۹	۱	می‌شکنجد
۱۴۰	۶	میشمارد
۱۰۵	۱۶	میشمارم برگها
۴۱۷	۱۵	میش مشغولست
۲۵۹	۳	می‌شناسا
۲۵۹	۴	« شناسا
۱۰۸	۳۰	« شنیدم فحش
۲۷۱	۱۰	« شنیدم که
۳۲۹	۳۷	« شود ز الهام
۳۶	۲۸	« شود صیاد
۳۷۱	۴۰	« شود مبدل به
۳۷۱	۴۰	« شود مبدل ز
۲۸۴	۲۸	« طپید اندر
۲۲۸	۱۵	« فتاد از جوز
۲۱۳	۱۸	« فتد از دیده
۶۸	۳	« فتد او
۳۴۹	۴	« فتد این
۱۶۱	۱۲	« فتد می‌خیزد
۱۴۸	۲۱	« فتی اینسو
۷۰	۱۸	« فرستاد او
۴۰۳	۱۲	« فروشی هر
۲۸۸	۱۲	« فزاید در
۳۴۱	۱۱	« فشاند برگ
۲۶۵	۱۴	« فشاند خاك
۲۳۴	۶	« کشاند شان سر
۲۰۹	۲۳	« کشاند شان م
۴۱۲	۲۹	« کشاند مکر
۱۵۴	۳	« کشانش در
۱۰	۱۹	میکشد استارگان
۳۰۹	۳۳	« پا
۱۷۴	۲۸	« چون
۳۱۵	۱	« حق
۲۰۳	۲۵	« دانش
۶۳	۳۰	« شان بی
۲۳۴	۷	« شان سوی
۱۷۲	۲۱	« شیر
۳۶۴	۳۴	« یکدانه
۲۱۱	۱۵	میکشند این
۲۴۴	۳۶	میکشی بوی
۲۱۲	۲۹	میکشیداز
۱۷۴	۹	میکشیدش
۷۵	۵	میکند از باغ
۳۴۱	۱۱	« از بیخ
۱۳۵	۲۹	« از مشرق
۴۴۱	۲۶	« اعداد
۱۹۸	۲۵	« اوتبز
۲۵۲	۲۶	« اوتوبه
۴۴۲	۲۹	« با او
۲۹۹	۴۱	میکند تکرار
۴۳۷	۸	« در بینی
۷۵	۵	« دندان بد
۲۲۳	۱۷	« زنبور
۱۳۰	۴۱	« طاعات
۴۴۰	۲۹	« عف عف
۳۲۱	۱۶	« گستاخ
۴۳۹	۴۴	« لاغ
۲۱۸	۷	« یکباد
۴۳۳	۲۴	میکنم از تحت
۲۲۸	۲۷	« لاحول نی
۲۲۸	۲۸	« لاحول یعنی
۴۳۲	۷	میکنند این
۲۹۱	۳۸	میکنی جزو
۱۳۵	۴۷	میکنیم از غایت
۴۳۰	۴۱	میگذارد بر
۲۳۱	۶	می‌گریزانیدش
۲۰۱	۲۶	می‌گریزد از
۱۴۰	۴۲	« ضد
۲۸۹	۴۰	می‌گریزم تا
۲۳۷	۳۶	می‌گریزند از اصـ
۳۵۵	۱۸	« از خود
۴۱۲	۳۵	میگریزی از پشه
۴۱۲	۳۵	« از جفا
۴۱۲	۳۶	« همچو
۱۴۲	۳۴	میگزندش تا
۱۴۲	۳۵	« کای
۱۴۲	۱۹	« که
۲۰۸	۲۱	میل اندر
۲۵۹	۷	« بادش
۲۰۸	۳۵	« تن
۴۰	۳۰	« توسوی
۲۰۸	۳۶	« جان اندر ترق
۲۰۸	۳۵	« جان اندر حیـ
۲۰۸	۳۶	« جان در
۱۳۶	۱۱	« خشکی مر
۱۳۶	۱۱	« دریا که
۱۰۷	۶	« روحت چون
۴۱۷	۲۶	« سوی
۲۴۰	۲۳	« مجنون
۲۱۱	۲۸	« معشوقان
۱۶۷	۳۶	« ورغبت
۳۰۲	۱۵	« وشهوت
۲۰۸	۳۷	« وعشق
۲۸۹	۱۵	میلها همچون
۱۰	۲۷	میل هر جانی
۲۰۸	۲۱	« هر جزوی
۸	۲۰	میبوو او
۱۹	۲۹	می‌نبخشائی
۴۳۰	۳۰	می‌نبیند اولین
۷۲	۳	مینبینی صنع
۲۰۲	۱۷	مینبینی غیر
۲۷۱	۳۶	می‌نجنباند
۳۹۲	۱۲	می‌نجوید
۴۱۰	۳	می‌نخورده
۱۷۴	۳۷	می‌نداند خلق
۸۱	۱۵	می‌نداند کو
۳۶۳	۱۱	می‌ندانم تا
۳۶۳	۱۰	« که تو
۳۶۳	۱۲	« که مرا
۲۱۷	۱۸	می‌نکردی او
۳۵۲	۲۸	می‌نگردد خود
۳۸۷	۱۲	می‌نگفتم
۸۶	۲۴	می‌نگیرد
۲۶۲	۷	می‌نماند در
۲۷۲	۳	مینماید آنکه
۶۵	۲۰	« اعتقاد
۳۱۰	۲۱	« او وفا
۱۵	۱۲	« بر تو
۲۷۰	۲	« پست
۹۵	۱۳	« پیش
۱۱۴	۲۱	« تا
۳۵۶	۳۸	« در نظر
۹۶	۳۳	« سیری
۲۷۱	۳۵	« صورت
۱۲۴	۱۸	« مارت
۱۱۴	۲۱	« موج
۳۴۸	۳۴	« نور
۸	۱	مینمود آن مرغرا
۱۲۲	۴۲	« آن مکر
۳۵۷	۲۳	مینهاد آنجا
۲۰۲	۲۶	می‌نهان گردد
۴۹	۲۰	مینهم پیش
۳۷۳	۱۹	می‌نیابی هیچ
۲۷۴	۷	می‌نبارد باد
۳۱۲	۳۳	« نیاید شان
۱۴۱	۳	« نیاید یك
۳۰۰	۱۹	« نیرزد آن
۱۰	۱۵	« نیندیشم
۴۷	۲۷	میوه‌ات باید
۴۳۴	۳۱	میوه او جز
۲۸۳	۲۲	« جنت
۴۰۴	۳۶	« شیرین
۱۶۹	۲۱	« که بر
۴۲۲	۱۷	« گرکهنه
۵۹	۱۴	« معنی
۲۲۷	۲۳	« مکروه
۹۴	۶	میوه‌ها در فکر
۲۳۳	۳۴	میوه‌ها لابه

حرف ن

ن - ا

صفحه	سطر	اول بیت
۱۵۰	۱۴	ناامید از
۱۵۵	۳۹	ناامیدانیم
۷۴	۲۱	ناامیدی را
۲۹۵	۲۷	« رفته
۱۳۰	۳۷	« هابه
۶۴	۷	ناتراشیده
۳۲۳	۲۸	ناجوانمرد اچکرد
۳۲۳	۲۷	« چه کر
۱۴۷	۳۰	« که
۲۲۸	۳۳	ناحمولی
۳۷	۱۶	ناخوش او
۳۵۳	۱۸	ناخوشت
۲۵۸	۱۲	ناخن و منقار
۲۵۸	۱۱	ناخنی که
۴۰۸	۲۳	نادر اروزی
۳۸۱	۳۵	نادر افتد
۳۳۱	۲۹	« این باشد
۷۰	۲۷	نار از آن آمد
۲۷۱	۱	« بودی
۷۲	۱۲	« بیرونی
۷۲	۱۴	« پاکانرا
۳۳	۲۶	« تواین
۷۲	۱۰	« خصم
۱۷	۸	« خندان
۴۱۰	۷	« دوزخ
۱۸۳	۳۱	« راکوئی
۷۲	۱۳	« شهوت را
۷۲	۱۲	« شهوت می
۷۲	۱۹	« صحت
۹۸	۵	« ضد نور
۳۶۴	۴	« گردی نار
۸۰	۱۶	ناریان مر
۳۸۴	۱۴	ناز آن ابله
۱۵۸	۶	« فرزندان
۲۸۷	۳۶	« کردن
۳۳۴	۳۷	نازنین تر
۲۳۵	۲۲	« شعری
۳۰۴	۳۵	« یاری
۶۵	۳۲	نازنینی تو
۳۶۲	۲۷	نازهای هر
۱۴۲	۳۱	ناسپاسی و
۲۲۸	۲۶	ناس مردم باشد
۴۰۶	۱۵	ناشده واقف
۲۱۱	۲۷	ناشکیباکی
۲۱۴	۳۱	ناشناسا
۲۲۰	۲۲	ناصحان اورا
۲۰	۱۸	ناصحان را دست
۱۴۳	۲۶	ناصحانشان
۲۰	۱۷	ناصحان گفتند
۱۱	۲۹	ناصح دین
۳۳۶	۴	ناصحی ربانئی
۱۶۷	۳۳	ناطق کامل
۷۰	۳۳	ناطقه چون
۶۲	۷	« سوی
۳۲۸	۲۲	ناظر فرعی
۱۰۶	۱۶	« قلبیم
۲۱۰	۲۷	نافتاده شخص
۱۱۹	۲۰	ناف ما بر
۵۱	۱۶	ناقة الله
۴۳۸	۱۳	ناقل قال
۵۱	۲۲	ناقهٔ جسم
۲۱۲	۳۳	« چون
۵۱	۱۵	« صالح بصورت
۵۱	۱۶	« صالح چو
۲۱۶	۱۹	ناکسان را
۱۳	۱۶	ناگزیر جمله
۴۶	۳۲	ناگه ار روزی
۱۲۰	۴	ناگهان آمد زحق
۱۰۵	۱۱	« آمد سوار
۴۳۲	۲۶	« آن باد
۳۰۳	۲۹	« آواز سگ
۳۱۹	۱۸	« آوازهٔ
۹۷	۱۹	« انداخت
۴۳۲	۱۳	« بادی
۳۴۱	۳۶	« بجهد
۴۳۷	۲	« برگله
۴۳۵	۲۲	« بینی سگ
۱۴۷	۲۹	« تمثال
۱۷۲	۷	« چشمش
۱۶۰	۳۳	« درخانه
۱۴۰	۱۷	« دیدند
۲۵۱	۲۸	« رفت او
۴۳۶	۳۹	« زانحال
۲۰۱	۲۷	« گیرند
۱۱۹	۱۱	« مردی
۱۸۷	۳۴	ناگهانی آن
۴۱۵	۶	« خود
۳۷	۱۴	نالم ایرا
۳۳	۲۷	نالم و ترسم
۵۱	۳۴	ناله از اجزای
۳۹۳	۳۱	« از اخوان
۲۸۲	۱۶	« از باطن
۱۰۷	۲۷	« خر
۲۲۸	۶	« سرنا
۱۴۱	۱۳	« سگ در
۱۰۹	۳۵	« کافر
۱۹۸	۲۹	« کردی
۲۷۴	۳۰	« گرگان
۴۱۴	۲۵	« مؤمن
۲۳۰	۱۴	« مخفی
۴۲۹	۳	« میزد سوخته
۸۳	۱۰	« میکرداز
۸۵	۳۱	« میکردو
۲۶	۲۸	« میکن
۸	۱۹	نام آن محبوب
۱۷	۱۹	« احمد چون چ
۱۷	۲۰	« احمد چون ح
۲۵	۷	« احمد نام
۱۹۵	۳۶	« او خوانند
۴۱۱	۲۶	« او در
۳۶۴	۲۰	« او والقاب
۱۷۶	۳۳	« این سگ
۱۷	۸	نام مبارك
۲۰۲	۲۴	نام پنهان

صفحه	سطر	اول بیت
۱۵۶	۱۷	نام توازترس
۴۸	۱۰	« حق بستاند
۳۹۴	۳۶	« حق عدلست
۴۸	۱۰	« حقم بست
۲۳۶	۲۴	« خودکرده
۸۷	۱۱	« دیوی
۹۳	۲۶	« شان از
۲۶۰	۲۸	« شانراسبل
۵	۳۰	« شهری
۸۰	۸	نامصوریامصور
۸۰	۸	نامصوریامصور
۲۴۰	۱۳	نام کالانعام
۴۴۸	۸	« گندم
۳۱۸	۲	« من در
۳۵۶	۴۱	« میری و
۱۲۹	۷	نامناسب مینمود
۲۳۵	۱۸	نام نیك اوز
۱۸۲	۱۵	نام نیك و
۲۳	۱۵	نام وناموس
۳۰۹	۲۸	نامهٔ آید بدست
۳۰۹	۳۶	نامه ات آنست
۲۴۱	۷	« بگشادن
۳۱۶	۱۲	« برظلم
۲۴۸	۳۴	« خواند
۲۴۶	۳۷	« دیگر
۴۹۱	۲۳	نام هرچیزی
۹۱	۶	« هریك
۳۲۹	۲۷	نامهٔ عذر
۱۷۵	۲۲	« وباران
۵۶	۲۷	نان برون برد
۳۲۰	۹	« بیاوردند
۳۲	۲	نانت قوت
۳۱۲	۳۶	نان توشد
۳۳۷	۳۶	« جوحقا
۳۹۹	۲۶	« چواطلاق
۳۲	۱	« چودرسفره
۷۷	۲۹	« چومعنی بود
۷۷	۲۷	« چومعنی بود
۳۲۵	۱۱	« خوریرا
۴۳۱	۱۵	« دهنده نیست
۳۵۳	۷	« دهنده و
۴۶	۱۲	« دهی ازبهر
۳۱۹	۳۷	« زخوکان
۲۷۱	۲۴	« کجااصلاح
۳۸۷	۸	« کهسدو
۳۸۸	۲	« کرمو
۵۸	۱۲	« کلست و
۴۶	۲۵	« مان نی
۹۹	۳۲	« مرده چون
۲۸۰	۱۴	« وآش و
۴	۱۳	« وخوان از
۳۷۱	۶	« همی باید
۴۱۹	۱۰	نایب آمدگفت
۳۷۵	۶	نائب حق است

صفحه	سطر	اول بیت
۴۴۴	۱۹	نایب خاص
۵۴	۲۰	« رحمان
۴۳۹	۷	« سلطان
۴۱۹	۷	نایبش را
۴۳۵	۴	نایب شه
۴۴۲	۴	« مائی
۶۱	۱۱	« من
۴۲	۱۵	نایدآن الا
۲۲۸	۳۰	نای رابر
۴۹	۴	« راحق
ن - (ب - ج)		
۲۶۲	۱۷	نبت راچه
۵	۳۲	نبض اوبر
۳۷۲	۱۸	« اوبگرفت
۵	۳۴	« جست و
۱۹۶	۱۸	« عاشق
۲۴۷	۷	نبودآن دشنام
۵۳	۲۳	« آنکه
۳۲۷	۲۲	« اندر
۲۸۸	۳۵	« اوراحسرت
۴۹۱	۲۱	نجم اندر
۲۱۰	۲۲	« ثاقب
ن (ح - خ - د - ذ)		
۱۹۹	۲۶	نحس خرگوشی
۱۰۳	۱۷	« شاگردی
۱۰۵	۱۷	« کیوان
۳۶۰	۲۵	نحعلي
۴۳۰	۲۲	نحن مستحی
۳۵۲	۱۸	نخلها بر کوه
۲۵۸	۲۳	نخوت شاهی
۳۸۲	۲۸	نخوتش برما
۴۷	۳۵	نخوت ودعوی
۱۹۵	۱۲	نخوتی دارند
۳۷۶	۲۹	ندچبود
۱۶۴	۱۳	نذررا باید
۳۴۳	۸	« کردم که
۱۶۴	۱۵	« مارا
ن - ر		
۴۲۵	۴۵	نردبان آسمان
۲۶۰	۵	« خلق
۹۳	۱۷	نردبانش
۳۲۲	۳۴	نردبانهائیست
۳۸۶	۱۴	نردبس
۲۳۱	۱	« خدمت
۳۹۱	۱۶	« دل
۲۴۱	۳۰	نرگس چشم
۲۷۷	۳	نرم گولیکن
۵	۲۱	« نرمك
۲۶۴	۶	نرومادة
۳۴۷	۵	نری خرگو
ن - ز		
۲۹۹	۳۰	نزبرای منتی
۴۲۹	۴۸	« هرزه
۱۰۸	۱۸	نزبی سودو

صفحه	سطر	اول بیت
۲۷۵	۱۹	نزدآنکس که
۱۳۳	۱۴	« آنکه لم
۳۲۵	۱۷	« اویکسان
۱۲۳	۳۱	« پیغمبر
۴۲۸	۳۱	« توسوزنده
۳۶۷	۲۰	« خر
۷۱	۱۳	« شه
۱۸۶	۲	« عاشق
۲۰۵	۳۹	« عاقل
۴۳۱	۲۷	« قاضی
۲۸۹	۲۸	« من جان
۲۷	۲۰	« موسی نام
۴۰۸	۱۱	نزطریق
۱۶۸	۵	نزع فرزندان
۲۳۱	۲۰	نزکسی دیدم
۱۰۳	۲۱	نزمنت
ن (س - ش)		
۱۹۶	۶	نسبت اثبات
۲۵۲	۳۵	« اصلم
۲۵۴	۱۹	« ابن
۱۵۵	۱۸	« زیرو
۹۰	۱۰	نسبتش دادی
۴۳۶	۴۰	نسبت هرقوم
۵۴	۲۳	نسبتي باید
۲۵۴	۲۰	« گرهست
۴۲۸	۳۴	نسرراحمال
۳۵۰	۱۷	نسرطائر
۱۷	۱۷	نسل ایشان
۳۸۵	۲۷	نشف کردستت
۳۹	۳۵	نشنودآن
۴۳۱	۱۸	« صدق
۳۹	۳۶	« نغمه
۴۳۱	۴۵	نشنوی ازمن
ن (ص - ط - ظ)		
۴۳۰	۴۳	نصب عین
۲۴۳	۱۷	نصف قیمت
۱۹۴	۳۴	نص وحی
۳۴۶	۱۳	نطفه از نانست
۴۴۷	۱۵	« بودی
۶۵	۱۷	نطق آب و
۱۲۵	۲۱	« اسطرلاب
۲۷۷	۵	« جان
۴۱۹	۲۹	« عیسی
۳۴	۳۳	« کان
۱۳۲	۲۷	« موسی
۲۷۹	۱۱	« هانسبت
۱۶۱	۱	نظم وتجنیس
ن - (ع - غ)		
۲۸۱	۳	نعره زد
۳۳۵	۱۶	نعره زدسخت
۳۹۸	۱۴	« زدمرد
۳۳۵	۱۹	« لاضیر بر
۳۴۸	۲۶	« لاضیر بشنید
۳۰۶	۱۳	« مؤذن

صفحه	سطر	اول بیت
۳۶۶	۳۱	نعره مستانه
۱۹	۱۴	« میزد
۴۱۵	۱۲	« وفریاد
۳۸۲	۲۱	« یانار
۱۴۳	۱۳	نعطمن اعرض
۲۸۱	۲۱	نعل اوباشد
۳۰۲	۲	نعلبندانرانمود
۲۸۵	۳۰	نعل بینی
۳۲۵	۳۷	نعلهای بازگونه
۵۰	۲۹	« بازگونه
۱۸۳	۲۵	نعمت آرد
۳۰۲	۳۷	« ازدنیا
۱۷۹	۳۱	« ازوی
۱۷۱	۳۷	نعمت دادم
۳۶۵	۱۰	نعمت جنات
۱۷۹	۲۸	« چه
۲۹۷	۲	« حق را
۱۸۳	۲۵	« شکرت
۱۸۳	۲۶	« وهاب را
۴۲۸	۱۶	نغزایشان
۳۳۰	۲۴	« میآید
۲۰۶	۱۲	نغمهٔ اجزای
۴۰	۳	نغمهای اندرون
ن - ف		
۲۶۷	۲۰	نفخ اواین
۳۷۵	۲۸	« دروی
۳۰۹	۱۱	« صورامر
۴۰	۲۲	نفخه آمد
۴۰	۲۲	« دیگر
۱۱۱	۷	نفرت خفاشگان
۳۲۸	۱	نفس آن گاو
۳۸	۳۶	« ازبس
۱۷۷	۳۴	« اژدرهاست
۲۴۲	۲۲	« اکرچه
۹۱	۱۹	« اودر
۳۴۳	۲۲	« اوفریاد
۱۸۶	۳۹	« اول
۱۱۱	۳۹	« اومیراست
۳۴۳	۵	« بانگ
۷۹	۱۱	« بانفس دگرچ
۷۹	۱۴	« بانفس دگرخ
۲۴۲	۲۱	« بی عهد
۱۵۳	۳۸	نفست اژدرها
۹۲	۲۵	نفس تواست
۳۲۰	۳۶	« توتا
۱۷۶	۲۲	« توهردم
۱۷۷	۳۳	« چون با
۳۴۳	۳۱	« چون مبدل
۲۹	۲۵	« خرگوشت
۱۱۹	۸	« خس
۴۲۳	۸	« خودبر
۱۱۴	۴	« خودرازان
۱۷۷	۱۱	« خودراکش
۳۴۴	۲۵	« خودراکی

صفحه	سطر	اول بیت
۱۷۷	۳۸	نفس راتسبیح
۳۵۵	۱۹	« رازان
۱۸۴	۳۹	« رازین
۱۴۳	۲۴	« زین سانست
۱۳۲	۱۹	« سوفسطائي
۲۱۹	۳۲	« شهوانی زه
۲۱۹	۳۲	« شهوانی ندا
۲۷۴	۱	« فرعون
۴۲۳	۱۶	« کافر
۹۱	۲۶	« کشتی
۴۴۵	۳۵	« کل با
۱۷۷	۱۳	« گوید
۳۰۲	۲۹	« مارا
۳۴۳	۳	نفسم ازباطن
۲۱۷	۲۶	نفس مؤمن
۲۱۴	۱۰	« مایکسان
۱۲۹	۱۲	« موسی
۱۱۴	۲	« میخواهد
۱۱۸	۲۶	« نار برا
۱۲۹	۳۴	« نمرود
۱۳۵	۱۷	« واحد
۳۲۸	۳۶	« وشیطان خو
۱۸۸	۳۴	« وشیطان نیز
۲۰۲	۲۲	« وشیطان هر
۲۴۷	۴۰	« هاراتا
۲۴۲	۲۱	« هارالایق
۵۳	۱۴	« همچون
۴۲	۱۶	نفح باران
۳۹۰	۳۸	« وضر
۳۷۸	۴۰	نفقه وکسوه
۱۹۶	۶	نفي آن یك
۳۶۲	۳	« بگذارو
۳۶۲	۲	« بگذارو
۳۶۲	۱	« بهرثبت
۹۶	۲۴	« خورشید
۲۹۵	۳۷	« رااثبات
۳۵۳	۳۰	« ضدکرد
۳۶۳	۲۹	« ضدهست
۱۶۲	۱	« کرداما
ن - ق		
۳۹۴	۱۸	نقب زن
۳۶۵	۴۰	نقد آورتا
۱۰۲	۱۲	« ایمان را
۳	۸	« حال
۱۷۸	۵	« رااز
۴۱۴	۱۷	« رفت و
۴۰۰	۲۳	« ماوجنس
۳۰۹	۲۴	« نیکو
۲۵	۴	نقش آبست
۲۴۰	۵	« آدم
۲۷۶	۳۱	« احمد
۲۲۹	۶	« اکرخود
۵۶	۶	« اکرغمگین
۲۷۷	۱۷	« اوبرروی

صفحه	سطر	اول بیت
۲۷۷	۱۷	نقش اورا
۲۴۹	۳۶	« اوفانی
۲۵۳	۴	« اوکردست
۲۷۷	۱۶	« اومی
۱۵	۵	« باشدبیش
۶۱	۶	« بانقاش
۱۵۲	۱	« بانقاش پنجه
۲۳	۱۹	« بردیوار
۲۶۵	۱۱	« بندانند
۳۳۳	۹	« توباتست
۸۰	۲۲	« جان خویش
۲۱	۲	« جنسیت
۳۷۴	۱۴	« چون کف
۷۷	۱۹	« حق را
۳۴۳	۳۶	« درکاغذ
۵۵	۳۷	« درویش
۳۴۵	۱۴	« رستم
۳۴۳	۱۲	« صوفی
۲۶۲	۱۳	« ظاهر
۱۰۷	۹	« کرمز
۲۴۵	۱۵	« گل در
۱۸۳	۳۰	« ما این
۵۶	۶	« ماهی را
۵۵	۳۸	« ماهی کی
۸۰	۲۸	« من از
۱۰۶	۳۴	« میبینی که
۶۸	۳۹	« وقشر
۵۶	۹	« هائی کاندر
۳۴۳	۱۳	« هارامیخورد
۴۰۱	۱۴	« هاگر
۳۲۴	۱۶	« های این
۲۵۵	۲۴	« های بد
۱۱۸	۹	« یوسف
۱۰۲	۳۴	نقص عقل
۶۴	۹	« ها آیینه
۳۲۳	۲۱	نقض عهد
۳۲۳	۲۱	« میثاق وشکست
۱۲۳	۱۲	« میثاق وعهود
۹۴	۸	نقل اعراض
۳۶۳	۳۴	« باشد
۳۲۲	۱۶	« برنقلست
۳۵۲	۱۶	« خارستان
۲۷۳	۴	« کن زامرود
۳۲۰	۲۵	« کن زینجا
۹۳	۳۵	« نتوان
۹۴	۱	« هرچیزی
		ن . (ک . گ)
۳۴۸	۳۱	نك اناما ئیم
۳۶	۱۱	« بیرانیده
۲۶۷	۳۵	« بدان سو
۱۱۸	۲۱	« بهشت و
۴۳۸	۲۹	« بیان کن
۱۷۸	۵	« بیابی
۲۷۹	۱۵	نکتهای مشکل

صفحه	سطر	اول بیت
۵۲	۲۹	نکته دیگر تو
۳۱۴	۳۴	« زان
۴۲۸	۵	« سیروا
۲۴۲	۲۹	« شدباریك
۳۵	۱۶	« کان جست
۵۳	۵	« لاینبغی
۴۳۰	۳۹	« ماسر
۴۲۹	۴۰	« وارانده
۱۶	۲۳	« هاچون
۱۱	۳۰	« هامیگفت
۴۲۸	۳۲	« یانار
۵۱	۷	نك جهان درشب
۱۹	۷	« جهان نیست
۳۸۶	۲	« خیال
۴۰۸	۲	« درافتادیم
۲۲	۱۵	« زدرویشی
۹۵	۱۶	« زغیبت
۱۷۶	۳۰	« سرش
۳۵۹	۱۰	« شبانگاه
۲۶۹	۱۵	« شباطین سوی
۲۱۲	۱۲	« شباطین کسب
۱۲۳	۱۰	« صریح
۲۶۰	۳۱	« عصا
۶	۱۵	« فلان شه
۴۵	۷	« قراضهٔ
۱۱۳	۳۸	« مرادر
۲۰۶	۲۰	« منم ینبوع
۲۵۵	۱	« منم سرهنگ
۱۸۰	۳۲	« نشان آنست
۱۲۲	۱۷	« نشان پای
۳۶۶	۳۱	« هلالی
۳۷۹	۱۶	نگذری زین
		ن - (م - ن)
۲۴۷	۴	نم بارد ابر
۴۶	۲۶	ننگ درویشان
۲۹۳	۱۸	ننگرم درتو
۱۸۸	۸	« عهد
۱۵۸	۲۵	« کس
۳۰۷	۴۲	ننگرنداندر
		ن — و
۳۱۷	۱۱	نوبت جستن
۴۰۸	۲۶	« روز
۳۸۰	۲۰	« زنگیست
۳۸۰	۱۹	« صدرنگی
۳۸۰	۲۰	« گرگ است
۴۰۹	۳۳	« ماشد
۵۰	۱۴	نوبتم گر
۴۱۹	۳۹	نوبت من رفت
۴۱۸	۱	« من شد
۲۶	۴۰	« هدهد
۳۹۲	۱۹	نوبهارا
۹۳	۹	نوح از آن کوهر
۱۸۱	۲۷	« اندر
۴۱۸	۱۷	« تابه خانه

صفحه	سطر	اول بیت
۸۵	۳	نوح چون
۳۰	۲۵	« راگفتند
۱۵۸	۱۱	« گفت ای
۳۹۱	۲۵	« نهصدسال در
۳۵۲	۶	« نهصدسال ده
۱۹۴	۳۵	« وار
۳۸	۱۷	« وموسی
۳۱۷	۱۷	نوحها میکرد
۱۲۰	۳۵	نوحه اناظلمنا
۳۹۲	۲۲	« خواهی
۴۰۷	۴	« راصورت
۸۷	۵	« گرباشد
۸۷	۶	« گرگوید
۴۲۳	۱۳	« میکرد
۲۸۹	۶	« وگریه
۱۹۳	۱۳	نورآبی دان
۲۲۳	۲۸	« آنخانه
۱۷۵	۲۴	« آندانی
۲۶۷	۳۱	« آنرخسار
۲۲۳	۳۰	« آنصد
۲۸۲	۳۸	« آنکوهر
۴۳۴	۴۴	« ازآنجا
۲۴۲	۲۶	« ازآنخوردن
۲۱۶	۹	« ازآنماه
۴۴۱	۲۹	« ازخورشید
۱۴۶	۱۹	« ازدیوار
۳۹۴	۲۷	« اوبردر
۳	۳	« اودر
۳۹۲	۱۲	« اورازان
۵۴	۱۱	« این تسبیح
۲۲۶	۷	« این شمس
۷۹	۷	« باقی
۱۰۱	۳۵	« بایدپاك
۲۴۶	۳	« بی این
۳۴۰	۱۴	« بی سایه
۳۱۵	۳	« بینی روش
۲۵۰	۱۹	« پاکش
۲۴۸	۱۷	« پنهانست
۳۶۸	۳۱	« جستم خود
۱۵۶	۴	« چشمانم
۹۷	۳۳	« چشم وقوت
۲۷۵	۱	« چشم ومردم
۳۲۶	۷	« چشمی که
۹۹	۱۰	« حس بااین
۲۲۳	۱۵	« حس جان
۹۹	۷	« حس رانور
۹۹	۹	« حسی کو
۹۹	۷	« حسی میکشد
۹۲	۳۷	« حسی نبود
۹۹	۵	« حق برنور
۲۳۲	۳۴	« حق راکس
۲۵	۲۴	« حق رانیست
۴	۳	« حق ظاهر
۲۷۹	۱۲	« حقی

صفحه	سطر	اول بیت
۴۰	۱۵	نورخواه از
۷۰	۲۹	« خواهی مست
۱۱۳	۲۲	« خوداندر
۱۳۱	۱۱	« خورشیدار
۲۰۶	۲۰	« خورشیدم
۲۷۰	۲۶	« درچشم
۹۳	۳۲	« دل ازجان
۴۳۴	۴۳	« دولت
۳۰۰	۷	« دیده نور
۳۸۸	۲۰	« دیگراز
۲۵۴	۱۷	« راباپیه
۱۴۲	۳۸	« راهم نور
۱۸	۵	« روزن
۳۹۷	۲۰	« رویش
۳۹۷	۳۸	« روی یوسفی
۳۹۷	۲۶	« شان حیران
۲۸۲	۳۲	« ش اندر
۳۲۸	۱۳	« شش قندیل
۴۴۷	۴۶	« شمعت
۱۸	۱۰	« غالب
۹۲	۱۷	« فرقان
۹۲	۱۸	« گوهر
۲۴۳	۴	« محشر
۳۸۳	۱۳	« مردان
۳۲۸	۱۲	« مصباح
۱۱۵	۲۰	« موسی
۳۰۰	۴	« مه آلوده
۲۹۰	۱۵	« مه برابر
۳۶۷	۵	« مه راجع
۲۷۹	۱۴	« میکش
۳۲۵	۱۰	« مینوشد
۲۵	۲۰	« نورچشم
۱۶۹	۶	« وشعله
۱۰۲	۳۷	« های برق
۱۶	۱۲	« هردو
۹۲	۱۷	« هرگوهر
۲۷۹	۱۳	« یابد
۱۰۲	۱۲	نوش چون
۹۵	۴۰	« رابگذاشته
۲۶۷	۷	نوعروسی دید
۱۸۷	۳۰	نوع ها تعریف
۲۳۸	۴	نوگیاهی دید
۲۳۶	۳۰	« رسته
۲۳۷	۶	« هردم
۴۰۹	۱۷	نوم عالم
۲۶۵	۴	« ماچون
۲۸۴	۷	نون ابرو
۲۱۰	۳۰	نوندیدم
		ن - ه
۴۲۵	۴۵	نه بیام چرخ
۳۶۳	۱۸	نه بقول
۳۰۹	۳۸	نه ترا از روی
۳۱۰	۱	« برظلم
۳۰۹	۳۹	« حفظ

صفحه	سطر	اول بیت
۳۰۹	۳۸	نه تراشبها
۹	۳	نه چنین
۴۲۰	۴۰	نه خوش است
۴۳۸	۳۸	نه درآنجا مرغ
۴۴۴	۱	نه دراو نیرو
۳۶۳	۱۷	نه زبغداد
۳۶۷	۳۰	« پیه آن
۴۳۹	۱۱	« گفت و
۳۶۳	۱۶	« هندو
۵۸	۱۰	نه سبو پیدا
۱۹۵	۲	نه سحابش ره
۹۵	۱۹	نه سمایینی
۲۵۷	۱۳	نه شود مویت
۳۶۳	۱۹	نه قدید
۲۵۷	۱۳	نه کسی در شهوت
۱۹۲	۴	نه مهم باراست
۳۹۶	۳۴	نه هزارش وام
۴۰۱	۱۰	نه هزارم وام
۴۰۶	۷	نهی براهل
		ن - ی
۱۳۵	۲۲	نی اخی
۲۳۴	۱۸	« ادبشان
۷۱	۳۱	« ازاونقشی
۱۷۲	۱	« ازاین سو
۱۷۳	۳۳	« بچپ نی
۳۳۴	۱۳	« بدانجا
۲۲۵	۳۰	« بدرگاه
۱۱۹	۲۸	« برای آنکه
۷۴	۲۰	« بسجر ساحرا
۱۱۷	۸	« بغیر
۲۵۹	۲۷	« بکش
۲۶۷	۲۳	« بگفتست
۷۱	۱۶	« بگویم
۲۰۶	۲۱	« بگیرم گفت
۲۱۶	۲۵	« بلابه
۴۱۲	۲۸	« بنورش
۳۴۱	۲۷	« بوقت خشم
۳۴۱	۲۶	« بوقت شهوت
۲۳۸	۱۳	« بهانه
۳۹۱	۳۵	« به پنج
۲۹۰	۱	« بهنداست
۱۵۸	۱۰	« پدراز
۱۴۱	۶	« ترادر
۳۷۱	۱۴	« تعصب
۱۱۳	۱۸	« نیت مؤمن
۲۱۸	۳۷	نی تنوری
۲۹۹	۱۶	« تواعطیناك
۱۹۵	۲۲	« تواندر
۱۴۷	۱۰	« تو بودی
۲۰۴	۱	« توصیادی
۲۳۹	۱۷	« توگفتی
۱۵۷	۳۴	« توگوئی
۱۹۲	۳۳	« جزای
۱۲۶	۴۴	« چراغی در

صفحه	سطر	اول بیت
۱۳۴	۴	نی چنان افسانها
۳۷۰	۱۷	« شیری
۱۱	۸	« که از
۲۰۱	۶	« مرغ
۳۶۳	۳۱	« مرگی
۲۲۲	۲۱	« معدوم
۲۲۷	۳۴	نی چو آن ابله
۳۷۰	۳۱	« تو ایخام
۳۶۹	۱۲	« تو پس
۳۴۲	۶	« حاکم
۱۴۳	۸	« عیسی
۳۸۷	۲۱	« کنعان
۲۲۵	۱۴	« معراج بخار
۲۲۵	۱۳	« معراج زمین
۲	۷	نی حدیث
۳۷۷	۱۴	« حراره
۲	۶	« حریف
۱۲۷	۵	« حصیر و
۲۵۴	۳۴	« حلیمی
۱۲۵	۲۶	« حیاتش
۳۸۲	۲	« خدارا
۳۸۵	۳۲	« خیال و
۳۸۰	۱۷	« درازی
۱۲۷	۱	« در آن از
۱۲۷	۷	« در آن دل
۱۸۱	۸	« در آن دم
۷۵	۲	« در آن ظلمت
۳۶۷	۶	« در او نوری
۱۲۷	۱	« درش معمور
۱۷۳	۲۱	« دل اندر
۱۰۸	۲۴	« دلش را
۱۶	۱۰	« دو باشد
۱۳۹	۳۷	« دهان دزدیده
۳۷۱	۱۲	« دهنده
۳۷۱	۱۴	« رهی ببریده
۲۱۱	۱۱	نیز اندر غالبی
۳۷۱	۱۳	نی زبان
۳۱۳	۲۸	« زبخل
۴۱۴	۱۱	نیز تا حیران
۹۹	۲۸	نی ز جان یك
۳۲۳	۸	نیز جوع و
۱۷۲	۱۲	نی ز چشان
۲۲۶	۶	« زخاك و
۱۴۵	۱۷	« زدریا
۱۷۶	۲۴	نیز روزی
۱۴۷	۵	نی ز غفلت
۴۴	۹	« زکوران
۴۲۸	۱۵	نیز کیوان
۳۰۰	۶	نی ز گلخنها
۴۰۹	۱۰	« زمردان
۱۰۰	۱	« زمسجود
۲۹۸	۲۶	« زمین
۲۶۰	۲۷	نیز هر اگر
۲۶۰	۲۳	« راهمچو

صفحه	سطر	اول بیت
۲۶۰	۲۴	نیزها گم گشت
۲۳۹	۱۷	نیزه بازی
۹۶	۱۹	« گردانیست
۲۸۶	۱۴	نیست آتش
۴۳۰	۳۳	« آگاهی
۳۳۴	۱۱	« آگه آن
۴۲	۱۰	« آنباران
۲۷۴	۳۹	« آن جنبش
۲۳۸	۳۲	« آنسو
۲۷۰	۲۵	« آن بنظر
۱۲۱	۱	« از ابلیس
۳۰۵	۱۱	« از اسباب
۳۸۲	۶	« از عاشق
۴۳۹	۲	« از فعل
۱۴۸	۳۱	« الاحیله
۱۰۰	۲۱	« امکان
۳۸۲	۳۲	« اندر بحر
۲۴۹	۲۹	« اندر جبه
۲۷۰	۲۶	« اندر چشم
۲۳۹	۴۰	« اندر عنصر
۲۸۹	۳۲	« انگارد
۳۰۴	۴	« اور اخود
۴۳۱	۴۳	« ایخواجه
۲۲۷	۲۵	« این از ران
۴۴۰	۳۴	« این از نوع
۴۳۹	۳۷	« این جاو
۴۳۵	۴۲	« اینجرئت
۴۲۰	۴۰	« اینده هر
۳۸۱	۳۴	« اینکار
۳۶۲	۲	« این و
۲۱۹	۲۳	« اینها بر
۱۵۵	۳۰	« با ایشان بغی
۱۵۵	۳۷	« با ایشان سلا
۲۳۶	۱۹	« بازی
۱۹۶	۱۶	« باشد روشنی
۱۹۶	۱۷	« باشد طعم
۳۹۰	۳۷	« باطل
۴۳۷	۲۴	« با مخدومیه
۴۳۷	۲۳	« با من
۱۲۹	۴۰	« بحری
۴۳۴	۳۶	« بر آن شاه
۲۲۵	۱	« بر این کار و
۴۳۲	۴۳	« بی حکمت
۴۳۸	۲۴	« پایان این
۴۱۶	۳۶	« پنهان
۲۹۲	۱۰	« پیدا اندر
۲۶۱	۲۴	« پیدا سر
۲۴۰	۲۸	نیست بر وفق
۲۶۲	۲۶	نیست تخصیص
۶۴	۲	« تخمی
۳۰۱	۲۲	« ترکیب محه
۳۹۷	۱۲	« جمعیت
۳۹۶	۷	« جنسیت بصـ
۹۷	۳	« جنسیت زر

صفحه	سطر	اول بیت
۴۷	۲	نیست چیره
۲۶۹	۱۷	« حاجتان
۱۷۶	۲۲	« حاجت شهر
۵۶	۳۳	« حاکم
۲۶۴	۱۶	« حکمت این
۷۱	۲۸	« حکمت گفتن
۳۴۲	۳۶	« حمزه
۹۱	۲۹	« خفاشك
۲۵۳	۳	« خلقش
۱۶۳	۳۲	« خوداز
۱۱۰	۲۰	« خود بیچشم
۲۵۴	۱۸	« خود مانند
۲۲۲	۱۳	« در تقدیر
۱۳۰	۲۲	« در سوراخ
۲۱۸	۳۵	« در سوراخ
۳۷۶	۱۷	« در ضبطت
۴۳۴	۱۵	« در علم
۱۸۷	۶	« دستوری د
۲۴۶	۲۰	« دستوری ک
۲۹۵	۳۱	« دستوری گ
۱۷۵	۲۶	« دستوری و
۱۲۹	۳۳	« دون القلتبن
۲۵	۱۹	« دید
۲۰۵	۱۶	« ذکر و
۲۹۵	۳۴	« رابنمود
۲۱۰	۱۲	« راچه
۳۹۱	۳۶	« زرغباً
۳۹۱	۳۶	« زرغباً
۴۰۲	۲۶	« زندانی
۴۰۶	۱۵	« سرگردانی
۶۱	۲۶	« سوزن
۳۹۲	۲	نیستشان از
۴۲۲	۲۹	نیست شاه
۳۷۵	۳۰	نیستش بر خر
۲۴۵	۳۱	« درد فراق
۳۷۴	۱۰	نیستش درد و
۱۳۸	۱۵	نیست شرح
۶۲	۳۹	« شه را طمع
۴۲۰	۱۲	« صورت
۳۳۷	۳	« ضایع
۲۵۸	۲۸	« عاقل
۲۵۰	۳۵	« عقلش
۱۱۸	۵	« غم گر
۴۴۱	۲۵	« غیر از
۲۴۷	۱۰	« غیر نور
۲۷۴	۳۴	« قاصر
۱۹۰	۷	« قدرت
۱۲۸	۱	« قوت و
۴۳	۱۵	« کسب امرو
۲۱	۲۱	« کسبی از
۱۰۴	۳	« کس راز هر
۲۷۱	۳۰	« گردد
۳۸۰	۲۶	« لایق
۳۴۲	۳۷	« لوت

صفحه	سطر	اول بیت
۴۴۱	۹	نیست مار اغیر
۴۲۲	۲۰	نیستم امید
۳۴۶	۱۳	نیست مانده
۳۲۵	۲	نیستم بر عزم
۳۰۷	۱۳	« بی رحم
۴۳۶	۴۴	« بی کس
۱۵۵	۱۹	نیست مثل
۱۶۷	۱۲	نیستم حافظ
۲۰۳	۲۱	نیست معرم
۴۱۶	۲۷	« مخفی در
۴۱۶	۳۶	« مخفی سبر
۴۱۶	۳۵	« مخفی مزد
۱۵۸	۷	نیستم شوهر
۴۴۵	۳۴	نیست ممکن کو
۴۳۹	۴۸	نیستم من مضحکه
۱۵۸	۶	« مولود
۴۴۲	۱۸	نیست موجودی
۱۸۴	۱۶	« موهوم
۲۴۳	۷	« نقدی
۲۶۹	۱۳	« نور
۳۷۵	۱۰	« واجب
۴	۱	« وش
۳۴۶	۲۹	« وقت کین
۲۵۱	۲۲	« وقت مشور
۳۴۲	۷	« هر عقل
۳۸۰	۲۹	« هر مطلوب
۴۴۷	۳۴	« هست
۲۶۶	۳۷	« همتا
۳۵۵	۱۹	نیستی باید
۳۷۴	۲۰	« چون هست
۳۷۱	۲۱	« طاوس
۱۳	۴	نیست بکر نگی
۶۴	۶	نیستی و نقص
۳۲۲	۱۵	نیشکر کو بید
۱۱۸	۲۹	نی شما گفتید
۳۵۹	۷	نی شنیدی انما
۲۵۷	۱۲	« شود زورت
۹۹	۲۸	« صدای
۱۱	۷	« صفا میماندش
۲۱۸	۳۲	« طریق و
۷۴	۱۹	« عمر را قصد
۲۵۴	۳۳	« غضب غالب
۳۴۰	۲۵	« غلط گفتم که آ
۳۱۱	۲۲	« غلط گفتم که
۲۳۰	۹	« غلط گفتم که گ
۱۶	۱۰	« غلط گفتم که نا
۱۰	۲۲	« غم و اندیشه
۲۰۹	۲۳	« فدائی میستا
۴۱۱	۲۳	« فراق
۲۰۷	۳۱	« فطام
۳۷۴	۲۴	« قبول
۲۴۶	۹	« قرارش
۱۵۸	۴۱	« قضای
۱۴۱	۱۸	« قلاوز

صفحه	سطر	اول بیت
۲۶۲	۲۷	نیکبختی را
۱۷۳	۴۰	نیك بنگر اندر
۳۹۳	۱۹	« بنگر ما
۳۸	۳۳	« بنماید
۴۴۲	۱۸	« بین باش
۲۳۴	۱۷	نی کتبشان
۱۲۰	۲۰	نیك را چون
۱۱۷	۱۱	« کردندو
۲۱۳	۲	نی کم از خاکست
۱۸	۴	نیکوان راهست
۱۲۰	۱۳	« را رهنه
۱۸	۲	« رفتند
۱۶۸	۱۳	نیك و بد را
۱۴۱	۶	نی که آن الله
۳۸۱	۱۸	« اول
۳۶۸	۲۲	« تأثیر
۳۲	۱۴	« تقدیر
۱۵۸	۱۸	« عاشق
۵۰	۱۹	« قلب و
۱۹۲	۱۷	« لاتلقوا
۱۰۱	۲۸	« لقمان
۱۱۹	۲۱	« مارا
۳۱۹	۱۷	« مخلوق
۲۲۲	۱۶	« هر مغلوب
۵۰	۲۷	« هست
۱۷۷	۳۰	« هم تورية
۳۹۳	۵	« یعقوب
۱۹۵	۱۴	نی گدایانه
۳۲۶	۹	« گمانی برده
۳۱۱	۹	« گناه اورا
۲۶۱	۵	نیل تمییز
۲۶۱	۳	« را بر
۸۸	۳۲	نیم او مؤمن
۷۷	۱۸	« بهر حق
۱۸۱	۳۳	« بیداری
۳۲۱	۱۴	« تو مشك
۷	۱۸	« جان بستاند
۲۴۰	۲	« خر خود
۲۶	۴	« خر گوشی
۲۴۹	۳۳	« دانش
۲۵۲	۳۶	نی مدداز
۵۲	۱۷	نیم دیگر تلخ
۴۰۰	۳۱	« ذره تیرگی
۴۰۸	۱۱	« ذره زان
۱۳۲	۱۵	نی مرا او تهمت
۱۲۶	۱۲	« مرا پروای
۲۹۷	۳۳	« مرا خانه
۳۷۱	۱۲	« مرا اورا
۲۸۹	۱۸	نیم زیرش
۳۱۰	۲۲	نیمشب آن میر
۱۶۷	۸	« آواز باهو
۲۰۷	۳	« آواز قرآ
۴۰۴	۴	« بگذشت
۳۳۰	۸	« چون

صفحه	سطر	اول بیت
٤١١	٦	نیم شب دلقی
٣٦٥	٢٠	« میزد
٦٥	٢	نی مشو نومید
٧٢	٢٤	نیم شهر از
٣٥٩	٩	« عمر از
٢٣٧	٢٠	« عمرت
١١٧	٨	نی مقام صبر
٣٠٢	١٠	نیم کاره
٣٤٢	٢١	نیم کشتش
٤٠١	١٦	« لحظه مدرکات
٣٩٦	١٥	نی نبی فرمود
٢٤٥	٢١	« نجومست
٢٥٧	١٢	« نشان پیریت
١٠١	٢٥	« نشان دوستی
١٥٧	٣١	« نگویم زانکه
٢٣٣	٣٥	« نهنگ غم
٣٧١	١٣	« نیاز و
٣٩٠	١٥	« ولیکن
٢٥٠	٨	« همه جا
١٢٤	١٤	« همه شبها
٣٩٨	٣	« همه ملك
٢٩٤	٢٦	« یکی از
٣٣٨	١٧	« یکی کحال
		حرف و
		و - ا
٣١٩	٢٤	وابتغوا
٥	٤	واجب آمد چونکه
٤٢٩	١٦	« آمد معرة
٣٢٦	٩	« است و
٢٦٤	١٩	واجبست اظهار
٢٥٣	٣	واحد اندر
٤٠٠	٢٤	« کالالف در
٣٥٢	١٢	« کالالف کو
٢٩٥	٢٢	وادهد و بشان
٤٠٤	٢٠	وارثانم را
٤٣٣	٤٨	وارث
٤٣٣	٤٢	وارث ضحاك
٤٠٠	٢٦	وارثی نابوده
٤٢٠	٣	واردی بالای
٣٦٧	٥	وارود آن
١٩٨	٩	واروم آنجا
٣٣٤	٢٧	وارهان خود
٦١	٧	وارهانم چرخرا
٢٥٤	١٤	وارهی از
٨١	١١	وارهید آن
٣٠٨	١٠	وارهید نداز
٣٣٩	٢٠	وارهیده از جها
٢٤٤	٨	« ازغم
٣٩٩	٤٢	وارهیدی
٣٠٨	٢٨	وارهی زین
١٠	١	واز جهود
٩	٢٨	واز حیل
٢٣٨	٣٥	واستان از
٣٧١	١١	واستان هین
٢٩٥	١٠	واستانیم آنکه
٤٣٨	٤٨	واسطهٔ این چیست
٤٣٦	٤٣	« این ضعف
٢٨٢	٢٤	« حمام
٩٢	٦	« دیگی
١٧٢	٣٢	« مخلوق
٢٩٢	٤	« هرجا
١٢٢	٢١	واصلان چون
١٢٩	٣٥	« رانیست
٣٣٥	١١	واعظی بد
٤٤٠	٥	« بر
٣٥٣	٣٨	« راگفت
١٨٣	٣٦	وافریداو
٢٩٨	١٩	وافیانرا چون
١٢٣	٣٠	واقعات ارباز
٢٥٤	٢٧	واقعاتی دیده
٢٥٤	٢٨	« سهمگین
١٩٦	٢	« که
٤٠٠	١٠	واقعهٔ آن
٣٢٢	٢٦	« چونست
٤١٧	١٦	واقف از سوز
٤٣٤	٣٨	« ازعزلیم
٦٩	٢١	واکشایم هفت
٨٤	٨	والت اسکاف
٤١١	١	والدین و ملك
٢٩٢	٢٢	والنی کان
٤٤٦	٤٦	والعیاذ بالله از
٤٤٣	٧	« بالله الحی
٣٣	٢٨	والله ارزین
٨٨	٢٦	« ارسوراخ
٣٧٥	٢٣	« ازعشق
١٤٧	٧	والهم روز و
٨٥	١٩	وام اورا
٨٥	٢٤	« خواهان گرد
٨٥	٢٤	« خواهان گشته
٣٢٦	٣١	« داران را
٣٩٦	٣٩	« داران رو
٤٠٤	١٥	« دارد
١٧١	٢٢	« دارشرح این
١٧٤	٣١	« دارشرح اینم
١٤٠	٣٦	وامشورانید
٤٠٠	٣٨	وام کردم نه
١٥١	١٩	وامگردان هیچ
١٠١	١٩	وامگیر از ما
٣١٢	١٧	وان امیران خسه
١٥	٢٩	« امیران دگر
٢٩٩	٧	« بنی آدم
٣٨٨	٢٦	« بیابان
٣٣٠	٢٥	« پشیمانی
٤١٩	١٨	« جزاکسانجا
٣٤٧	٤٠	« جماعت جمله
١٧٢	٦	« جماعت در
١٢٧	٣٦	« جوال دیگر
٩٧	٣٢	وانجوانی همچو
٣٣٢	٢٨	وانچنانکه ساحرا
٣١٩	٣٧	« عاشقی
٢٢٨	٣٩	وآنچه آن بابیل
٦١	٣٢	« ازجانها
٨٩	٣٨	« اوخواهد
٣٩٠	٣٠	« باشد طبع
١٨٦	٥	« دروی
٣٦٩	٢٧	« گفتی
٧٤	٦	« لله
١٢٦	٢٢	« میگوید
٤١٩	١٥	« نپسندی
٢٥٠	٣٢	وانخری کر
٢٩٣	٣٥	« گفتی
٢٣٠	٤	وآنخفاشی را
٤٠٣	١١	وآنخیالی باشد
٥	٢٢	واندر آن شهر
٢٢٤	١٩	« آن وهم
١٣٨	١٩	واندر وافزون
١١٣	٨	واندر مهاپیش
١٩٥	٥	واندرین یم
٨١	١٤	واندها گوینده
١٧٨	٣٠	واندگریس
٥٢	٢٢	« بشناسدش
٢٨٤	١٤	« بهرترهه
١٩٧	٩	« چون
٦٢	١٦	« خرگوش
٢١١	٢١	« خود
٥٢	٢٣	« دربیش
٨٣	١٥	« درنعل
١٢٤	٨	« درهردو
٥٢	٢٥	« رابعد
٥٢	٢٤	« رادرحد
٥٢	٢٤	« رادرکلو
٣٨٩	١٣	« راعیسی
٤١٤	٣٠	« راکه
٣٩٧	١٦	« سوراخ
٣٨٨	٢٤	« شاخ
١٧٨	٣٠	« عور
٢٣٧	٢٦	« کاری
٢٨٤	٢٣	« کوبرد
٢٦١	١٩	« گفت آن
٤٢٥	٦	« گفت ار
٢٠٠	١٨	« گفتاکه
٢٠٠	١٦	« گفتی
٣٦٩	٢٨	« میدید
٢٢٠	١٤	« نبضش
١٢١	٢٠	وان دوعالم
٢٦٢	١٦	« دوم بهر
٢٥٢	١	« دوم پندت
١٦٣	١٦	« زرتوهم
٢٨٢	١	« زکوتش
١٢٤	٢٧	« زمستان
٢٠	١	« سیها
٢٩٥	١	وان سرو آن فرة
٣٩٥	١٤	« سگ آگاه
١١٦	١٠	« سوم هیچ
٢٩٢	٢٤	« سیم آن
٢٥١	٣٦	« سیم پندت
٤٢٤	٢٥	« سیم کاهلتر
٢٢٠	١٣	« شده خم
١٠٩	١٢	« وان شرراز
٩٣	٢٣	« شقیق
٢٩٤	٣٠	« صفای
٩٢	١	« صف پیش
٢٨٢	٢٩	« طبیب روح
٢٥٤	٣٠	« طبیب و
٦١	٢٩	« عدم کر
٢٧٦	٢٦	« عظیم الخلق
٤٠٨	٣٧	« عنایت
٨٥	٣٤	« غریبان
١٢٦	٨	« فراراز
٣٢٩	٣٦	« فرشته خیر
٣٣٠	٤	« فرشته گوید
٤٤٣	٤٠	« فروترزم
٢٦٣	٣٥	« فزونی
٨٤	١٤	« فسون
٢٥٣	٣٦	« فضای
٢٩٥	٢	« قدصفدر
١٧٧	٦	« قوی تر
١٣٦	٢	« کبوتر
٦٩	٢٣	« کسانکه تشنه
٦٩	٢٤	« کسانکه تشنه
١٥٩	٣٩	وانکه آفل
٢٤٩	٣٢	« آگه
١٠٩	٣٤	« آواز
٣٧٥	٥	« ازتوزخم
١٢٥	١	« اشتر
١٩٥	١	« اندرقرص
٤١٤	٢٧	« اندرلابه
٢٢٤	٢١	« اواین نور
١١٠	٣٤	« اوجاهل
٢٤٩	٣٢	« اورازخم
٤٤	٣	« اورانبود
٢١٤	٢٨	« اونگذشت
٤٢٣	٥	« بااومیخورد
٣٣٩	٢٤	« باشد خفته
٤٢٩	٣٧	« برمنقار
١١٣	٢٥	« بیدار است و
٢٤	٢٥	« پایش در
٦٩	٢٤	« تشنه
٤٢	٢٠	« جاهد
٥٥	٣٤	« جزاین
٢٨٨	٢٨	« چشم
٢٩٢	٢٦	« چون سگ
٢٠٩	٣٠	« حق و
٣٠٦	١٤	« خواهی
١٠٥	٣	« دادی
١١٢	٣	وانکه داند عهد
٤٦	١٤	« درانبار
٣٣٩	٢٤	« درجوع
٢٠١	٢٦	« درظلمت
١٥٦	٢٩	« دل بیدار
٥٨	٨	« دیدندش
١٠٥	١٩	« راطالع
٣٢٤	٢١	« رانور
٤٢٩	٣٩	« زدبر
٩١	٤٤	« زین قندیل
٥٩	٩	« سرتاپا
٢٢٨	٤٠	« سنگ
٢٨٦	١	« شد
١٨٦	٩	« صد
٣٣٠	٣٦	« قصد
٢٦٤	٢٨	« کوشش
٣٠٤	٦	« گردانید
٩٦	١٧	« گردشها
١٣٦	٨	« لنگ و
١٤٥	٣٣	« ماهی
١٩٢	٢٥	« مردن
٢٨٩	٧	« میرسید
٢٩١	١٨	« میگفت این
٤٠٩	٦	« ناموسیست
١٦٨	٢٢	« نشناسد
١٨٤	١٩	« نشنید
٢٩٥	٧	« نورش
١١٦	١٣	« نیمی
١٧	١٧	وانگرد داز
١٧	١٧	وان گروه دیگر
٢٨٦	١٦	وان گزین
١٤٣	٣٢	وانگشتند
٣٩٥	٢٧	وان گلی کز
٣٩٨	٣٣	وان گنه دروی
٢٣٨	٢٠	وانگهان دریای
٢٤٣	٣٢	« گفته
١٥	٢٨	وانگهانی آن
٨	٢٢	وان که این هردو
٦٧	٢٣	وانگهی از خود
١٨٤	١٤	« ننمودشان
٣٣٦	٧	وان مؤذن
١٣٦	٣٠	وانماسری
١٠١	١٤	وانماید خونبان
٦٩	٢٣	وانمایم حوض
٦٩	٢٠	وانمایم راز
٦٩	٢٢	وانمایم من
٢١١	٢٢	وان محب
٨٧	٢٥	وان مسافر
٦٤	١٧	وان مگس
٢٧٣	٢٧	وان ملخها
١٨	١١	وان نثار
٢٦٣	١١	وان ندیم
٢٦٢	٢٠	وان نظرها
٥٥	١٢	وان نمیدانست

صفحه	سطر	اول بیت
۱۶۰	۲۷	وان همی خندید
۱۶۱	۶	« همی گوید
۲۰۹	۹	« هوای
۸۷	۲۷	« یکی افشاند
۱۴۰	۱۲	« یکی بینی
۲۴۲	۸	« یکی راصعب
۷۳	۱۵	« یکی سه
۲۶۲	۲۶	واهب همت
۱۳۹	۳۶	وای آن افسوسش
۴۰۸	۱۰	« آن دل
۳۳	۸	« آن زنده
۲۳۶	۵	« آنشه
۲۳۵	۱۹	« آنکو مزد
۳۲۱	۵	« آنکه عقل
۴۱۲	۱۷	« آنرغي
۴۲۲	۱۰	« ازآن پیران
۴۲۲	۹	« ازآن طفلان
۴۱۶	۱۷	« اگر بر عکس
۴۱۶	۲۰	« اگر بر عکس
۱۱۴	۱۸	« اگر صدرا
۳۷۶	۲	« براحکام
۳۷۰	۲۲	« برمشتاق
۲۲۴	۲۲	« بروی گر
۴۵	۱۳	« کرآواز
۴۵	۱۲	« کرتری
۱۸۹	۲۷	« کوگستاخ
۲۷۹	۳۰	وایمنست
۴۳	۲۳	واین جهانی
		و - ح
۱۲	۳۲	وحدت اندر
۳۷۶	۲۵	وحدتی که
۲۴۸	۱۸	وحشتت همچون
۱۰۶	۱۰	وحی آمد سوی
۳۹۳	۳	« حق دان
۲۴۵	۲۲	« دل گبرش
۳۶۹	۳۸	وحیش آمد
۲۲۲	۱۲	وحی کردش
		و - ر
۵۳	۲۲	ور اثر نبود
۲۷۴	۳۷	« ازوغافل
۲۵۵	۱۰	« ازین افزون
۲۳۴	۲۱	« ازین دیوان
۲۲	۲	« اشارتها
۳۵۷	۷	« بامرحق
۴۰۴	۲۲	« بینددر
۳۵۸	۴	« بیندی چشم
۲۴۹	۳۷	« بینی روی
۱۶۳	۱۰	« بینی میل
۱۶۷	۳	« پرسی
۲۳۹	۳۵	« بتندیدی
۱۶۸	۱۶	« بجنبد نیست
۴۲۵	۱۵	« بجوشد در
۲۸۳	۱۵	« بچه گیرد
۴۲۳	۳۵	« بحرص

صفحه	سطر	اول بیت
۸۹	۳۱	ور بحکم آرید
۱۹	۳۲	« بخرگه بگذرد
۱۳۲	۲۵	« بخسبد
۳۲	۲۷	« بخواب آئیم
۱۲۲	۸	« بخوانی تو
۳۸۱	۱۵	« بخوانی صد
۳۳	۹	« بخوانی و
۲۳۵	۸	« بخواهی از
۱۰۲	۱۷	« بخوردی بی
۲۳۷	۱۴	« بخوردی کی
۲۰۲	۶	« بداندره
۱۱۴	۳۰	« بداند کرم
۱۳۴	۵	« بدانستند
۶۶	۲۵	« بدانی از قیاس
۵۵	۱۹	« بدانی نقلت
۳۰۹	۱۷	« بداودی پاك
۳۰۹	۱۸	« بداودی خام
۲۲۹	۳	« بدندان گوید
۱۳۴	۱۷	« بدوخندد که
۳۲۴	۱۵	« بدی آن بد
۴۱۱	۳۴	« بدی درویش
۵۸	۸	« بدیدی قطره
۹۲	۴۰	« بدیدی کی
۱۰۶	۲	« برای بنده
۷۵	۲۶	« بردجان
۱۲۲	۲۲	« برنگ آب
۴۲۸	۴۱	« برهنه
۲۱۴	۱	« بسوی زن
۱۷۴	۳۰	بشداندر
۳۹۲	۶	« بعقل
۲۳۶	۲۲	« بغفلت
۲۴۸	۳۶	« بفرماید که
۲۹۴	۶	« بکاوی ترک
۳۹۶	۳۶	« بکردی ذره
۳۲۵	۹	« بکردی نیز
۱۱۷	۲۲	« بکل بیزار
۲۰۹	۱۴	« بکلی بی
۳۲	۲۷	« بگریم ابر
۴۱۱	۲۷	« بگفتی آبها
۴۱۱	۲۸	« بگفتی برگها
۴۱۱	۲۹	« بگفتی چه
۴۱۱	۳۰	« بگفتی دوش
۴۱۱	۳۱	« بگفتی که بدر
۴۱۱	۲۹	« بگفتی که سقا
۴۱۱	۲۸	« بگفتی گل
۴۱۱	۲۷	« بگفتی مه
۴۱۱	۳۰	« بگفتی هست
۲۴	۸	« بگوئی با یکی
۳۸۶	۸	« بگوئی خود
۳۴۶	۱	« بگوئی راست
۱۳۱	۳۸	« بگوئی شکل
۱۹۵	۳۷	« بگوئی من
۲۷۴	۴	« بگوئی نی
۴۰۴	۲۱	« بگویداو

صفحه	سطر	اول بیت
۱۵۷	۲۴	ور بگوید رمثا
۵۸	۱۸	« بگوید کژ
۵۸	۱۷	« بگوید کفر
۱۰۶	۲۵	« بگویم شرح
۱۰۶	۲۵	« بگویم عقلها
۲۶۵	۵	« بگویندت که
۱۵	۳	« بگیری کیسه
۱۷۹	۳۹	« بگیری نکتهٔ
۵۳	۲۷	« بماهیت
۲۸۱	۲۳	« بود آب
۳۱	۲۴	« بود این
۴۱۰	۷	« بود بر
۳۵۴	۳	« بود جندی
۲۲۹	۱۴	« بود شهوت
۲۸۲	۳۳	« بود صدیق
۹۵	۳	« بود صورت
۴۸	۱۷	« بود عیبی
۹۱	۳۵	« بود کشت
۱۸	۷	« بود مریخی
۱۴۰	۳۱	« بود معنی
۱۳۵	۹	« بود یخ
۱۵۰	۳۱	« به بیند روی
۲۵۹	۱۷	« بهر دو
۶۰	۱۱	« بهر زخمی
۲۵۹	۳۹	« بیابد خستهٔ
۱۱۱	۲۷	« بیامیزی تو
۳۳۰	۳۷	« بیابد سبل
۳۹۹	۳۹	« بیک دکان
۳۷۵	۱۱	« پدرزد
۳۳	۱۰	« پذیرائی
۳۵۴	۴	« پلنگ و
۱۰۵	۲۸	« ترا بیمارئی
۳۷۴	۳۴	« ترازو
۳۶۵	۴۲	« تراشکي
۴۳	۵	« ترشح
۱۰۹	۲۵	« ترش می آید
۵۹	۲	« تو اشکالی
۸۲	۱۷	« تو اندر
۳۴۱	۲۳	« تو اور افرع
۲۹۸	۱	« تو بیغام
۸۳	۳۰	« توجزو
۷۵	۲۸	« توچرخ و
۲۵۳	۳۱	« توخوش
۲۵۳	۳۰	« تودر کشتی
۷۲	۵	« تودست
۷۰	۱۵	« تودیو
۵۷	۵	« توگوئی جزو
۳۱۴	۳۴	« توگوئی خود
۱۵	۱۰	« توگوئی غافل
۲۰۵	۱۱	« توگوئی موج
۱۱۸	۶	« توگوئی هم
۷۵	۲۸	« توماه و
۱۵	۱۶	« تو می بینی که
۴۲۵	۱	« تو نشناسی

صفحه	سطر	اول بیت
۱۶	۱۷	ور تو نگذاری
۳۳۳	۲۹	« جوابش
۹۵	۳۴	« جهان از
۳۵۲	۱۷	« جهانی
۲۹۹	۳۵	« چو یوسف
۸۴	۱۵	« چه بنویسی
۸۴	۳۲	« چه پرم
۲۶۷	۳۹	« چه چشمش
۲۳۶	۱۲	« چه عقلت
۳۸	۳۵	« حب و مطبوخ
۳۷۹	۶	« حذر
۱۱	۱۷	« حسد گیرد
۱۳۲	۲۰	« حقیقت
۲۱۷	۵	« خبر آید
۱۹	۲۳	« خدا خواهد
۳۴۵	۳۹	« خلاف راستی
۳۲۵	۲۰	« خورد خود
۱۳۲	۳۹	« خورد هر
۳۸	۳۴	« خوری حلوا
۸۸	۲۷	« خیالاتش
۴۱۷	۴۰	« در آزادیت
۵۷	۱۴	« در آن حوض
۴۹	۲	« در آید محرم
۶۵	۸	« در و دیوار
۱۵۶	۳۰	« دلت بیدار
۴۲۱	۱۳	« دمی هم
۳۹۹	۴۱	« دو چشم
۳۳۰	۸	« دو کس
۲۲۴	۱۵	« دوم پایه
۳۱۰	۳۱	« دهان بابم
۳۴۴	۲	« دهد ترکش
۵۲	۲۵	« دهندش مهلت
۲۶۵	۳۱	« رسد خاری
۹۱	۱	« رسیدي مبهما
۴۰۴	۲۴	« روادارند
۲۸۳	۱۴	« رودبی تو
۳۳۹	۴	« رود در سنگ
۲۴۷	۱۶	« ره نبعش
۷۰	۳۰	« رهی
۱۹۱	۳۹	« ریاضت
۲۰۱	۳۲	« زابدالی
۲۰۱	۱۷	« زجالینوس
۲۳۹	۳۵	« زجرم
۷۰	۱۴	« زدستت
۲۲۰	۳۳	« زرش نور
۳۰۰	۱۸	« زرنج و
۲۱	۲	« زغیر جنس
۴۰۷	۲۱	« زغیر صورتت
۲۹۹	۳۴	« زگریه
۲۶۸	۳۴	« زمثقالی
۱۰۴	۳	« زمین و
۹۵	۳۳	« سؤالت
۲۴۹	۲۶	« سخن پردازد
۱۳۵	۷	« سخنتان

صفحه	سطر	اول بیت
۲۳۷	۹	ور سخن کش
۱۶۶	۱۱	« سرموئی
۵۸	۲۵	« سفبداست
۱۴۲	۱۸	« سگی آید
۱۳۰	۳۶	« سوم باره
۳۵۴	۱	« سوی شهر
۲۶۳	۸	« شدی ذره
۲۰۹	۳۷	« شکستی ناگها
۳۸۱	۶	« شود آن دیر
۳۸۱	۵	« شود آن فاش
۳۳۹	۳	« شود چون
۹۶	۱۵	« شوم نومید
۲۱۴	۲	« صبارا
۳۶۰	۲۱	« ضرورت
۱۱۲	۱۰	« عدو باشد
۱۴۲	۱۱	« عصای
۹۹	۲۱	« عیان خواهی
۳۶۴	۸	« غرضها
۳۳۲	۲۶	« غلام
۳۳	۲۴	« فراق بنده
۳۰۰	۱۸	« فغان از
۳۳۴	۳	« کست شیرین
۲۲۱	۱۸	« کسی بروی
۲۹۹	۱۰	« کسی جان
۲۲۷	۳۳	« کسی راره
۷۴	۷	« کشم باری
۲۹۴	۱۴	« کشی مهمان
۱۶۶	۲۱	« کند دعوت
۳۳۲	۸	« کند سستت
۲۹۳	۲۵	« کند نرمی
۸۹	۲۴	« کنی اورا
۱۳۱	۲۵	« کنی با او
۳۸۱	۱۶	« کنی خدمت
۲۳۷	۲۰	« کنی عادت
۲۴۳	۱۸	« کنی یکچشم
۱۳۱	۵	« که باور
۳۱۳	۱۰	« که خور را
۴۸	۱۹	« گدا گوید
۴۰۹	۸	« گریزم
۲۶۷	۱۸	« گشادی عقد
۲۵۰	۲۵	« مثال احمقی
۶۸	۲۳	« مثالی خواهی
۳۴۴	۷	« مرادت گوهر
۳۶۷	۷	« مکیس
۱۸۴	۳۰	« منجم گویدت
۹۵	۳۵	« منم زان فایده
۲۱۰	۷	« نباشد آن تو
۲۶۵	۳	« نباشد آن چو
۲۳۹	۲۴	« نباشد اهل این
۲۳۵	۱۵	« نباشد اهل زا
۲۸۹	۲۲	« نباشد صبر
۲۶۴	۲۷	« نباشد طفل
۱۱۲	۹	« نباشد قطب
۳۴	۳۱	« نباشد گوش

صفحه	سطر	اول بیت
٤٢٤	٢٣	ورنباشدهر
١٨٨	٣٩	« نباشی مستحق
٢٩٢	١٣	« نباشی نخل
١٥٦	٦	« نبتوانیدهان
١٣	١٤	« نبودی او
١٢٩	١٤	« نبودی حاجت
٣٧٧	١٥	« نبودی دیدها
٣٧٨	٣٢	« نبودی نفس
٣٤٥	٢٢	« نبیندعاقلی
٣٠	٢٤	« نبینی این
٢٢٠	١	« نبینی روش
٣٧٧	٢٦	« نتاندبرد
١١٨	١٢	« نتانی زشت
١١٦	٢٥	« نجویدپر
٨٤	١٦	« نخوانی وبه
٨٦	١٨	« نخواهددید
١٠٩	٢٥	« نخواهی خدم
٢٩٨	١٤	« نداردبرگ
٣٤١	٢١	« نداردگوهر
٣٨٧	٣	« ندارم هم
٩٥	٣١	« نداری باور
٢٢٠	٢	« نداری بو
٢٩٧	٨	« نداری پا
٢٣٧	٢١	« نداری کار
١٩٣	١٧	« ندانی این
٤٢٤	٤١	« ندانی تو
١٣٤	٣	« ندیدش نز
٣٦١	١٢	« ندیدی چون
١٣٢	٣١	« نرفتی خشك
١٣٢	٢٩	« نرفتی وزستیز
٢٨٣	١٤	« نشیندبی تو
١٥٧	١١	« نظربرنور
٣٠٩	٧	« نکردی زندگ
٢٩٥	١٦	« نکردی شکر
٤١٠	٩	« نکوبدماندا و
٢٠٩	١٤	« نگاریدی
١١٢	١٠	« نگرددوست
١٤٨	٣٨	« نگوئی عیب
١٠٧	٧	« نگونسار
٣٧٩	٥	« نگویدکت
٣٨٧	٥	« نماندآب
٢٣٧	٢٥	« نمودی علت
١٤٨	٣٦	« نمودی عیب
١٨٠	١٤	« نمیبینی گمانی
١٠٩	٤	« نمیتانی بکعبه
٢١٧	٢٩	« نمیتانی رضا
٤٦	١٦	« نمیتانی شدن
١٣٢	٣٣	« نمیتانی که کل
١٢٦	٣٤	« نمیدانندشان
٩٠	٣٣	« نمیبایی تو نقص
٣٥٨	١٩	« نه آدم
٣٦٤	٢٩	« نه آگه
٤١٥	٢٠	« نه آن پیغام
١٧٦	٥	« نه آن ظالم
٢٢٧	٧	ورنه ادهم
٣٠٩	٥	« نه ازچاهی
٨٨	١	« نه ازسرکشی
٣٢٤	٦	« نه اندرمن
٣١٤	٨	« نهان گردید
١٠٣	٥	« نه این خواهی
٢٤٣	١١	« نه این زاغان
٢٦٣	٣٦	« نه این گفتن
٣٢٣	٣٨	« نه باتوگفتمی
١٣٢	٥	« نه باشی هیچ
٨٤	٤	« نه برفانی
٦٢	٢٤	« نه بنهد
١٣٠	٤	« نه بهتر
٤١٣	١٦	« نه بیشك
٢٧١	٢٧	« نه پشك و
٢٦٤	٧	« نه تادیب
٢١٩	٢٤	« نه تسخر
٢١٧	٢٨	« نه تلخ و
٣٣١	١٣	« نه چون بگزید
٢١٠	١٧	« نه چون خندد
٩٨	١١	« نه چون صدی
٣٩	١	« نه چون لطفت
٢٩٧	٦	« نه حمال
٢٤١	١١	« نه خالی کن
٣٧٧	٤	« نه خلعت
٤٠	٢٥	« نه خوداشفقن
٢٥٥	٩	« نه خودتیری
٩٨	٢٣	« نه درتابه
٣٧٩	٧	« نه دردلشان
٢٧٦	٣١	« نه درعالم
٢٦٠	٣٤	« نه درمانی
٦٤	١٧	« نهدمرهم
٣٤١	٣٠	« نه شهوت
٢٤١	٣٧	« نه شیر
١٩٣	٢٢	« نه قادر
١٧٥	٤٠	« نه کارت
٣٨٩	٣	« نه کی اندر
١٣٩	٢١	« نه کی کردی یه
١٣٩	٢١	« نه کی کردی یه
٩٤	١٩	« نه کی گیرد گلا
٤١٥	١٥	« نه کین
٢٦٩	٣١	« نه گرچه
١٩٢	٧	« نه لاعین
١٨٠	١٥	« نه مانی در
٣٢٣	٣٥	« نه من از
٨٠	٣٥	« نه من بینا
١٨٠	٣١	« نه منان
٦٣	٢٤	« نه منکر
١١٧	٢٥	« نه موسی کی
٢٥٥	٩	« نباید تبرت
١٥٨	٣٢	« نیم راضی
٣٣٦	٢٨	« وی آنست
١٢٤	١٦	« همه عیب
١٦١	١٥	« همه گویند
٣٦٤	٣٠	ورهمی بیندچرا
٢٧١	٣٣	« همی بینندابن
١٢٦	٣٥	« همی دانندبه
٣٥٤	٣	« همی شیری
١٤٤	٣١	« همی طوفان
٤٢٥	١	« یکی شد
٤١	١٥	« یکی عیبی
٤٢٥	٢	« یکی گشتت
		و - ز
٣٧٧	٣٢	وزبخیلان و
٣٤٠	٣٤	« برای خواب
١٧٧	٣	« توماصد
٨٩	١٩	« تومیخواهند
٦٣	٢٦	« جهان چون
٩٥	١٤	« جهان فکرتی
٢٣٢	٣	« چنان بانگ
٢٩٨	٣٦	« حسودی
٢٨٤	١٤	« خیالی آن
٤٠٣	٣٤	« درونشان
١٣٥	٢٠	« دم
٤٣٥	٣٨	وزراخری
١٣	٢٩	وزراووزر
٣١	١٠	وززمانی
١٢٦	٧	« سبکداری
٣٣٠	٣	« سخنشان
٤	٢٣	« سرسوزن
١٠٧	٣١	« ضعیفی
١٥٤	٦	« طمع
٤١٧	٤	« عرب
١٥٣	٣١	« غلوخلق
١٣٨	٢٨	« فطام
٣٣٠	٣٠	« فلان سو
٩٦	٥	« قران خاك
٩٦	٦	« قران خرمی
٩٦	٦	« قران سبزها
١٣٠	٣	« ملك جان
٢٠٠	١	« ملك هم
٢٧٤	١٢	« نباتی
٢٢٤	٢٨	« نفوس پاك
٣١	٧	« نوازشها
٣١٠	٥	« نیاز
٣١	١٠	« هوائی
١٢٦	٨	« هوس
		و - (س - ص)
٢٢٢	٧	وسوسه این
١١٢	٢٧	« کردو
٣١٣	٩	وصف آن سنگی
٢٥	٣٢	« اواز
٢٠٠	٦	« اوفانی
٢٤	٣٢	« بازان
١٥٦	٣٢	« بیداری
٣٠٠	٥	« پاکی
٣٤٥	٦	« تصویرات
٢٤٠	٧	« جبریلی
٣١٦	٢	وصف حق
٣٢١	٨	« حیوانی
٣١٣	١٧	« سنگی
٢٣	٣١	« صورت
١٥٩	١٣	« مطلوبی
٤٤٣	٣٦	« وشرح
٢٥	١٦	« هارامستم
١٨١	١١	« هرجائی
٣١٣	١٦	« هستی
٣٨٨	٢٢	« هیبت
٨٤	٦	وصل بیدا
		و - ع
١١٤	٧	وعدها بدهد
١٥٧	٦	وعدهاشان کرد
٤٤٣	١٨	وعده اش تا
٦	٤	« اهل
٢٥٩	٢٢	وعدهای آن
١٤١	٣٤	وعده دادی
٦	٥	« رابابد
١٩٣	٩	« فردا
١٥٨	١٢	« کردی
٦٣	٢٤	« مهمانیش
٦	٤	« هاباشد
٦	٣	« هاو
٣٩١	٢٦	وعظرا
		و - ق
٢٠٧	٢٠	وقت آن آمد که
٣٦١	٣٢	« آن آمد که من
٣٩٥	١٠	« آن شدای
٤٤٦	٨	« استرداد
٢٠١	٣٦	« اندیشه
٢٢٧	١١	« بازی
٤٠٤	١١	« بدرودن
٤٠٩	٣٦	« پنددیگر
١٦٢	٢٨	« تحصیلست
٣٣٠	١٠	« تحلیل
٣١٧	١٤	« تنگ آمد
٢٣٩	٢٦	« تنگست و
٢٣٩	٢٧	« تنگ وخاطر
٢٧٩	٢٨	« تنگ وفرصه
٢٠٦	٢٨	« تنگ ومیرو
١٨٨	١٥	« حیرت
٢٣٩	١٥	« خلوت
٢٧٤	٣٩	« خواب و
٣٢٨	٢٠	« خشم و
٢٨٠	١٥	« خفتن
٣٥٢	٣٢	« خودبینی
٣٣٣	١٥	« دردوغم
١٥٥	١١	« دردومرگ
٢٩٦	١٥	« دم آهنگر
١٧١	٢٦	« ذبح الله
٢٠١	٣٥	« ذکر
٤٢٥	٢٣	« رحلت
٤١١	٣٤	« سرما
١٠٧	١٥	وقت شستن
٣٣٣	١٥	« صحت
٣٧٣	٧	« صید
٣٧٨	٣٠	« طالب
٤٨	١٧	« عرضه
٢٧٧	٤	« عصر
٣٤٨	١٤	« غارت
٢٥٧	٢٦	« کشت
٢٤٢	٣٦	« لافستت
٢٠١	٣٥	« لاف غز
١٥٥	١١	« محنت
١٠٢	٩	« مرگ از
١٧٩	٢	« مرگش
٣٢٦	٨	« نازک
٢١٠	٤	« واگشت
٣٩١	٣٣	« هاخواهم
٣٣٧	١٨	« هشیاری
		و - ل
٨٧	٢٣	ولوله افتاداندر
٩٦	٢٩	« افتاددر
١٧٦	٣٤	« درخلق
٣٩٠	١٣	« که
		و - ه
١٠٧	٢٥	وه که چون
٣٤٥	٣١	وهم آن کز
٧١	٥	« آنگاهست
١٩٤	٢٦	« افتددر
١٦٥	٢	« تفریق
٢٥٢	٢٨	« خوانش
٣٩٠	٤	« دروهم
٢٦٨	٢٧	« رامژده
٥٦	٢	« مخلوقست
٢٥٢	٣٢	« مرفرعون
٧	١٥	« موسی
٣٨٩	٣٩	« می افزود
٦٨	١٢	« وحس و
٣٦٦	٤١	« وسودائی
٢٩٠	٣٦	وهویطعمکم
		و - ی
٢٥٣	٣٢	وی بسا کس
٢٥٣	٣٣	« بسا کس
٢٩٨	٣٨	ویس ورامین
١٤١	٢٤	ویسه ومعشوق
٤٣٣	٤٦	ویلك انت
٣٢٥	١٦	وین بدن که
٦٢	١٦	« بزاز
٢٤٠	٤	« بشرهم
٢٥٩	٤٠	« دگرراپی
٩٢	٣٠	« دگرراگفت
١١٢	٢٥	« دگرشهزاده
٥٣	١٣	« دریابسته
٢٠٨	١٨	« زمین کدبانو
٢٣٥	٦	« زمین گوید
١٢٩	١٤	« زمین مضطر

صفحه	سطر	اول بیت
۱۹۱	۱۷	وین سلام
۴۴۰	۲۹	« شتر
۳۹۰	۶	« شه ترمد
۲۰۳	۲۲	« عجب
۱۴۰	۸	« عمارت
۱۰۲	۴	« غلامان
۵۶	۷	« غم و
۱۳۴	۲۵	« مراعاتش
۴۴۵	۳۹	« مطبق
۴۴۵	۳۸	« معلق
۴۴۵	۴۰	« موالید
۲۵۶	۱۹	« نباشد
۲۰	۲۴	« نفس
۲۸۷	۳۸	« نیازارچه
۳۴۰	۱۴	« همی بیند

حرف ه

ه - ا

صفحه	سطر	اول بیت
۴۱۸	۳۲	هاتف است این
۲۳۲	۳۱	هاتفش گفتا
۳۸۱	۳	هاتفی گفتش
۳۹۱	۲۰	هادی راهست
۴۴۴	۱۹	« راه صواب
۲۹	۱۵	هکذا انعم
۲۰	۲۶	« تعرج
۲۸۴	۲۴	« پیلوکم
۲۱۲	۲۷	هالک آمد
۴۳	۴۶	هان برآور سر
۸۹	۱۶	« بگو لاحول
۹۶	۲۰	« ضیاء الحق
۲۹۲	۳۴	« کدامست
۱۱۴	۲۰	« که آنکه
۱۳۹	۳۶	« که بوبای
۲۲	۱	« مخسب
۴۳۷	۲۳	« مرا بگذار
۴۴۰	۴۳	« مشواز
۱۱	۳۰	« مشو مغرور
۴۴۷	۱۹	« مکش بینی
۴۲۲	۲۹	« مکن ای
۴۳۶	۵	« منه انگشت
۱۳۹	۲۰	« وهان این دا
۵	۳۷	« وهان این را
۸۹	۳۰	« وهان با او
۱۳۱	۲۲	« وهان ترک
۱۰۶	۴۵	« وهان گر
۱۲۷	۲۷	« وهان منگر
۲۱۳	۲۷	« وهان هش
۱۶۵	۷	هاون گردون
۱۴۹	۲۷	های ای فرعون
۱۱۶	۱۴	« وهوئی کرد
۱۰۹	۷	« وهوی بادو

ه - ب

صفحه	سطر	اول بیت
۱۳۵	۳۸	هدهد ایشان
۱۰۳	۳۱	هدهدی نامه
۲۸۱	۳۶	هدیها و ارمغان
۵۳	۱۷	« ی دوستانه
۲۲۵	۲۰	هدیه بلقیس
۲۳۵	۹	« شاعر
۷	۲۷	« هامیداد

ه - ر

صفحه	سطر	اول بیت
۱۹۵	۱۳	هر ادبشان
۳۰۱	۲۱	« الف لامی
۱۶	۳۰	« امیری داشت
۱۵	۳۱	« امیر یرا
۴۰۰	۳۴	« امیری کوشت
۱۵	۲۹	« امیری کوکش
۲۶۰	۲۳	« امیری نیزه
۳۵۷	۸	« بدی که
۴۴۳	۲	« بضاعت
۴۱۸	۲۰	« بلا کاندر
۲۵۳	۱۷	« بنای کهنه
۳۶۷	۱۳	« بها که
۲۸۷	۳۳	« پرت را
۱۵۵	۳	« پری بر
۱۴۷	۲۷	« پشه هر
۲۳	۸	« پیمبر امتان
۲۰۳	۳۴	« پیمبر سخت
۵۱	۹	« پیمبر فرد
۱۵۱	۲۶	« پیمبر که در آید
۳۰۶	۲۷	« تضرع
۲۷۳	۳	« جدی هزلست
۱۷۴	۲۴	« جفا که
۴۱۵	۳۲	« جمادی با نبی
۱۳	۱۰	« جمادی را
۳۵۳	۳۴	« جمادی کو
۹۲	۲۰	« جوابی کان
۲۰۴	۴	هر چه آسان
۲۱۴	۳۲	« آن بر تو
۶۸	۳۳	« آنجا بود
۲۶۰	۴	« آن هموار
۳۳۶	۳۱	« آوردی تلف
۳۴۰	۲۶	« آید از جهان
۵۴	۱۲	« آید بر زبانتان
۱۶۷	۲۴	« آید پیش
۱۴۴	۳۰	« آید ز آسمان
۱۸۹	۳۵	« از تو
۱۹۶	۳۰	« از وی
۱۴۴	۱۲	« از یارت
۳۸۷	۱۸	« افزونتر
۶۸	۳۰	« اندر ابر
۱۲۶	۳۶	« اندیشی پند
۳۴۵	۳۶	« اندیشید
۱۰۲	۱۰	« اندیشی و
۴۴۵	۱۹	« او با تاجران
۳۳۲	۶	« او خواهد
۳۷۱	۱۸	« او در خواست
۴۳۵	۱۱	« او کرده
۴۳۱	۳۴	« باشد گاو
۴۰۸	۳۲	هر چه بد هدنیمهٔ
۴	۱۴	« بر تو آید
۱۴۷	۱۵	« بر مردم
۴۲۲	۱۶	« بهر حق بود
۴۲۲	۱۵	« بهر حق بود
۳۲۶	۳۸	« بینم اندرو
۲۶۴	۳	« بینی در جهان
۱۱۴	۳۳	« بینی سود
۳۶	۲	« بینی سوی
۲۶۲	۷	« پیدا کرد
۲۷۴	۲۰	« تو در
۳۵۹	۲۸	« جز آن
۷۲	۶	« جز عشق خد
۳۲۵	۲۰	« جز عشقست
۱۰۶	۷	« جسم آمد
۳۰۵	۱۴	« خواهد آن
۳۷۲	۱۹	« خواهد خاط
۳۲۶	۲۸	« خواهندت
۳۲۶	۱۵	« خواهی از خ
۴۳۲	۴۱	« خواهی کن ک
۴۴۸	۱۳	« خواهی کن م
۲۵۷	۲۲	« خواهی یابی
۴۲۹	۱۵	« داری از کما
۱۶۰	۴	« داری تو
۴۲۹	۱۹	« در آفاق
۱۰۹	۱۸	« در پستی
۲۲۱	۱۱	« در دل داری
۳۲۶	۳۶	« در دل داشت
۳۲۱	۲۰	« در دو شاب
۳۹۸	۱۱	« دروی
۱۲۴	۲۴	« دزدیدست
۱۲	۲۴	« ذوق
۴۹	۲	« راخوب
۱۸۹	۳	« روئید
۳۶	۱۷	« روزی
۱۷۶	۳۰	« زوزائید
۱۹۴	۲۰	« زیر چرخ
۳۵۸	۱۵	« زین سی
۲۱۸	۲۰	« زین کوزه
۲۳۶	۳	« صد روز
۲۵	۱۲	« صورت
۱۴۵	۲۵	« غیر اوست
۳۶۱	۳۰	« غیر شورش
۲۹۹	۳۳	« فرمائی بجا
۱۷۲	۳	« فرمائی تو
۹۵	۲۸	« کاری از
۳۱۸	۱	« کردم جمله
۲۱۱	۳۷	« کردند از بخو
۳	۱۷	« کردند از علا
۳۲۰	۱۴	« گفتست آن
۲۱۳	۲۵	« گوئی ای
۲۹۷	۳۶	« گوئی باز
۳۲۱	۲۱	« گوئی باشد
۳۳۱	۳۵	« گوئی گفته
۵۳	۳۰	هر چه گوئی مر
۲۴۹	۲۲	« گوید او پری
۵۸	۱۶	« گوید مرد
۴	۳۰	« گویم عشق
۲۳۴	۲۰	« گویم من
۳۴	۲۴	« گیرد
۴۰۴	۱۰	« ما دادیم
۴۴۵	۲۳	« ما فرموده
۳۱۰	۲۷	« محبوبم
۹۰	۱۲	« محبوس ا
۸	۱۵	« مردم
۴۳۰	۸	« مطلوبت
۴۴	۱۴	« معقولست
۲۱۷	۱۵	« مکروهست
۳۴۴	۷	« می باید ترا
۴۴۱	۳۹	« می بینی ز
۴۴۴	۱۶	« میکردی
۴۴۴	۱۷	« میگفتی و
۵	۸	« میگوید مواه
۲۳۸	۱۸	« نفست
۴۲۳	۸	« هست آن مس
۴۴۲	۱۰	« هست آن ز
۲۹	۳۲	« هستی جان
۲۸۷	۲۵	« یابد او
۳۱۰	۲۰	« یابی مر
۱۴۶	۴۰	هر حریصی هست
۱۲۸	۳۵	هر حست پیغمبر
۱۱۹	۳۱	« حسد از دوست
۱۵۲	۳۴	« حسی خود را
۳۹۳	۳۸	« حسی را چون
۱۴۱	۳۱	« حوائج را
۲۳۳	۲۰	« حوبجی
۲۹۲	۳۹	« خراج و
۳۶۰	۱۱	« خری کر
۱۷۸	۴	« خسی دعوی
۱۵۴	۵	« خسی را این
۳۶۶	۲۹	« خماری
۴۲۰	۳۷	« خموشی کان
۱۷۹	۳۴	« خوشی کاید
۲۹۱	۱	« خیالی را خیال
۴۱۱	۲۳	« خیالی را که دید
۳۰۹	۲۱	« خیالی کو کند
۳۷۹	۲۴	« درختی در رض
۱۶۹	۳۰	« درختی شاخ
۱۲۰	۳۹	« درونی که
۳۷۵	۱۳	« دکانی
۲۶۳	۲۸	« دل او سامم
۱۰۴	۲۱	« دلی را سجده
۴۳۲	۱۰	« دلی را مشرب
۳۱۰	۳۳	« دلی کاندر
۲۸۸	۱۱	« دلیلی بی نتیجه
۲۶۵	۱۲	« دم آسیبیست
۴۰۲	۳	« دم ارصد
۳۸۵	۱۸	« دمت طوفان
۲۴۲	۳۶	هر دمت عزی
۳۷۹	۳۴	« دمت گر
۳۴	۳	« دمش صد
۲۳۵	۵	« دمش لابه
۹۸	۲	« دمی آن خار
۴۳	۲۹	« دمی از وی
۳۴	۴	« دمی اورا
۴۲۵	۴۰	« دمی بس
۳۹۷	۲۹	« دمی زین
۳۷۷	۵	« دمی شوری
۳۵۰	۸	« دمی مرگی
۲۴۴	۳۷	« دمی یعقوب
۱۵۶	۲۶	هر دو از گورش
۴۲۳	۲۳	« ان بر
۳۳۶	۳۷	« او باشد
۴	۵	« بحری
۴۴۶	۲۲	« برهان
۵۲	۱۷	« برهم
۳۴۰	۳۱	« بستر
۱۸۹	۲۴	« پاشست
۳۹۱	۱۵	« تن
۳۲	۱۹	« جنبش
۳۷۳	۱۰	« چشمت
۳۷۰	۲۵	« چون
۲۵۹	۱۸	« در جنگند
۳۱۵	۳۵	« درهم
۱۹۳	۱۶	« دلالان
۲۱۱	۲۴	« را این
۳۹۱	۱۶	« را دل
۳۴۲	۱	« روزی
۲۹۶	۳۵	« سبزند
۲۵۹	۱۱	« سوزنده
۶۷	۳۰	« شان
۸	۱۱	« صورت
۳۱۵	۳۵	« عاشق
۳۶۲	۱۱	« گریك
۶۷	۲۸	« گفتندای
۸	۸	« گون آهو
۳۷۹	۲۹	« گون تمثال
۸	۷	« گون زنبور
۳۷۹	۳۰	« گون سر
۱۱۸	۱۰	« گونه
۲۵۹	۴	« مستی
۲۹۹	۱۰	« می خایند
۱۸۹	۱۹	« می گفتند
۴۱۴	۲۹	« نان
۸	۸	« نی خوردند
۱۳۹	۳۴	هر دهان را
۱۸۰	۲۲	« رسول شاه
۴۲۸	۹	« رسولی را
۸۵	۳	« رسولی یکتنه
۳۳۳	۲۷	« روش هر
۱۵۳	۳	« زدن بهر
۴۵	۳۰	« زمان از

صفحه	سطر	اول بیت
۴۱۸	۴	هرزمان جوحی
۳۲۳	۳۱	« خواند
۱۰۱	۲	« درسینه
۱۲۹	۲۰	« درگلشن
۱۶۳	۳۰	« دل را
۱۶۳	۲۸	« دل را
۲۳۱	۳۷	هرزمانش ازرشد
۸۳	۱۴	« خلق
۴۱۹	۲۱	هرزمان صندوق
۳۴۱	۹	« فکری
۱۰۵	۱۳	« کز
۱۶۷	۱۴	« که قصد
۲۰۳	۳۸	« گوید
۲۵۴	۳۷	« مبدل
۱۵۸	۲۵	هرزمانم غرقه
۲۵۶	۳۳	هرزمان میدرد
۲۸۱	۵	« میکرد
۱۰۸	۱۲	« میگفت
۱۵۱	۲۵	« میگفت
۱۰۸	۳۱	« میگفتم
۱۴۰	۵	« نزعی
۲۶۸	۱۸	« نوصور
۳۰۹	۳۵	هرزمانی روی
۲۵۰	۲	« که شوی
۳۹۸	۱۱	« موج
۲۰۴	۸	« می برآید
۲۶۷	۲۹	« هین
۹۶	۸	هرزمینی کان
۱۵۲	۷	هرزنی نوزاده
۱۰۹	۱۰	هرسبب بالا
۴۰۹	۳۱	هرسپه را
۳۶	۳۳	« ستاره اش
۳۵۳	۲۸	« ستاره خانهٔ
۳۵۲	۲۶	« ستونی
۴۳۲	۶	« سفیهی مبتدع
۴۰۹	۲۶	« سه دریك
۱۷۸	۳۸	« سه زان
۳۸۸	۲۰	« سه سایه
۴۱۰	۴۰	« سه شهزاده
۱۹۳	۳۵	« سیه دل
۴۴۶	۲۱	« شب از
۱۰	۲۱	« شبی ازدام
۲۵۷	۱۷	« شبی تاروز
۳۸۶	۲۴	« شی تدبیر
۳۴۹	۱۱	« شرابی بنده
۷۴	۳۵	« شریعت را
۶۲	۳۷	« شکارو
۳۶۵	۲۴	« شکستی
۳۱۵	۲۳	« شمالی را
۲۳۶	۲۹	« صباح اورا
۱۴۴	۲۷	« صباح و
۲۴۶	۳۰	« صباحی آید
۶۸	۲۸	« صباحی ازخز
۲۴۶	۳۰	« صباحی تیز

صفحه	سطر	اول بیت
۲۴۶	۳۱	هرصباحی رو
۴۰۸	۱۷	« صباحی فرقهٔ
۱۲۳	۳۰	« صحابی دید
۴۱۲	۳۸	« ضریری
۳۰	۲۸	« طرف اندر
۳۹۶	۲۱	« طرف چه
۱۹۳	۳	« طرف خواهی
۳۲۰	۲۶	« طرف دروی
۱۴۱	۱۷	« طرف غولی
۴۳۵	۳۴	« طرف کانداز
۳۱۳	۳۸	« طرف کندند
۷۰	۷	« طرف که دل
۱۵۵	۲۵	« طرف که ساحر
۱۶۸	۷	« طروقی
۱۰۲	۱۵	« طعامی
۸۴	۷	« عبارت خود
۸۳	۴	« عداوت را
۲۸۴	۳۳	« عقابی
۳۳	۱۷	« غلام و
۳۵	۱۲	« غلامی را
۳۴۶	۱۱	« غمی
۱۲	۹	« فریقی
۲۶۷	۳۵	« قدم زین
۱۶۵	۲۲	« قدم من
۲۸۴	۳۳	« کبوتر میپرد
۳۷۷	۲۰	هرکجا آئی تو
۱۹	۲۵	« آب روان
۱۸۴	۲۳	« افسانهٔ
۱۶۷	۴۰	« امرقدم
۱۸۴	۲۳	« اندر
۱۲۵	۱۰	« او مبدود
۳۷۴	۲۰	« این نیستی
۲۴۸	۱	« باشد ریاض
۱۹۸	۱۸	« باشد شه
۱۳۱	۱۹	« باشد نماز
۲۹۲	۱۴	« باشند
۱۵۰	۳۹	« بدمصرئی
۱۵۲	۳۶	« بوی
۲۷۷	۱۶	« بیمارئی
۱۲۰	۲۳	« بینم درخ
۱۲۰	۲۳	« بینم نهال
۱۱۸	۳۸	« بینی
۴۰	۱۲	« تابم
۴۰	۱۳	« تاریکی
۱۹۸	۲۰	« تو بامنی
۲۷۷	۱۵	« حرب
۲۶۱	۱	« خواهد خ
۱۶۷	۲۹	« خواهد فر
۷۰	۴	« خواهیم
۲۹۱	۱۱	« دام است و
۱۸۲	۳۳	« دانه
۱۸۹	۴	« دردی دوا
۱۰۸	۳۸	« دردی دوا
۴۰۵	۳۶	« دلتان

صفحه	سطر	اول بیت
۳۴۴	۳۵	هرکجا دوکس
۱۹۴	۲۵	« سایه
۳۸۱	۳۱	« سخته
۱۱۸	۳۱	« شمع
۱۳	۱۱	« گوشی
۱۲۲	۳۸	« لشکر
۱۵۳	۱	« لطفی
۱۰۸	۳۹	« مشکل
۱۸۹	۵	« مشکل
۸۶	۳۷	« نوحه
۹۹	۲۵	« هست
۲۱۳	۱۶	« یابی تو
۱۹۸	۱۸	« یوسف
۲۵۳	۲۹	هرکرا افعال
۱۳۲	۳۸	« باشد
۵۳	۹	« بدهی و
۱۶۰	۱۳	« پاهست
۱۳۴	۲۴	« پرسید
۲	۱۵	« جامه
۸	۲۴	« درجان
۴۱۵	۳۵	« درد
۲۹۹	۱۸	« دیدی
۳۴۷	۳۰	« فتح
۳۴۵	۲۶	« فرج
۴۴۴	۲۲	« عزو
۳۳۹	۳۳	« گلشن
۸۵	۱۰	هرکرا مانی که
۲۵۹	۳۵	هرکرا مردم
۳۹۳	۱	هرکراهت در
۲۱۶	۱۱	هرکس اندر نور
۲	۳	هرکسی ازظن
۴۲۸	۲۶	« ازقابلیت
۴۴۰	۱۰	« باخویش
۴۴۷	۱	« برشهر
۴۲۸	۲۶	« برقدر
۷۲	۳۰	« برقوم
۴۲۹	۴	« برملت
۳۳۱	۱۰	« پس
۲۸۵	۹	« پیش
۲۲	۴۰	« تدبیر
۱۷۹	۷	« ترسان
۳۹۵	۱۷	« چون بی
۳۸۸	۳۳	« دانند
۶۰	۲	« درطاعتی
۳۸۱	۲۶	« درگفتگوئ
۳۸۱	۲۶	« درگفتگوی
۴۳۹	۸	« راآدمی
۱۶۳	۸	« رابهر
۳۸۰	۳۲	« راجفت
۳۵۲	۸	« راخدمتی
۴۲۰	۲۴	« راخود
۲۴۲	۳۴	« رادعوی
۱۰۶	۱۱	« راسیرتی
۷۱	۲۳	« راگربدی

صفحه	سطر	اول بیت
۲۱۶	۲۸	هرکسی راهست
۲۸۴	۳۲	« روسوی
۲۶۲	۲۴	« زاندازهٔ
۲۸۴	۱۳	« شد بر
۱۳۴	۲۱	« کزمبوه
۱۱	۲۵	« کوازحسد
۲۴۸	۱۰	« کواز صف
۴۴۶	۴۰	« کوتابع
۲۷۹	۷	« کوحاسد
۲	۲	« کودور
۲۸۱	۳۷	« کوشد
۴۳۵	۱۸	« کولایق
۵۹	۳۶	« گرطاعتی
۹۲	۳۴	« گرعیب
۲۰۰	۱۶	« گفتی
۲۸۰	۳۲	« میجست
۲۱۶	۱۶	هرکش افسانه
۳۸۷	۱۹	هرکمانی کو
۲۷۰	۶	هرکه آخربین بود
۲۷	۱۸	هرکه آخربین بود
۲۴۱	۳۵	« آخربین تر
۲۷	۱۸	« آخرمؤمنه
۴۲	۱۵	« آرد حرمة
۴۰۴	۲۳	« آنجابگذرد
۱۱۹	۱	« ازاستا
۲۹۲	۲۵	« ازجام الست
۳۴۹	۳۶	« ازجام تو
۸۰	۶	« ازحس
۲۰۳	۳۳	« ازخورشید
۴۴۴	۶	« ازدارالبقا
۸۸	۱۹	« ازدیدار
۴۱۳	۱۴	« از شاهان
۲۴۸	۳۴	« ازطفلی
۴۳۱	۴۲	« ازعقل
۲۸۳	۱۳	« ازهمسایگی
۲۱۴	۲۸	« استیزه
۴۴۳	۳۰	« امروز آن
۳۷۰	۲۱	« اندر حوض
۲۹۳	۱۳	« اندر شش
۲۴۹	۳۰	« اندر شیخ
۳۱۰	۲۱	« اندر عشق
۲۱۱	۳۲	« اندر کار
۶۱	۱۷	« اندروجه
۳۷	۱	« اوارزان
۶۳	۹	« اوازصلب
۲	۱۹	« اوازهمزبا
۲۰۴	۲۶	« اواندربلا
۲۴۸	۳۳	« اواندرنظر
۱۵۲	۶	« او این
۶۲	۳۸	« اوبرحق
۲۹۳	۲۸	« اوبرخوی
۱۸	۱	« اوبنهاد
۱۵	۱۴	« اوبیدارتر
۲۳۸	۳۳	« اوبی سر

صفحه	سطر	اول بیت
۱۷۹	۳۳	هرکه اوبیگانه
۳۶۸	۱۵	« اوبیمایه
۵۹	۲۴	« اوبیمرشد
۱۳۴	۱۸	« اوجنس
۲۳۹	۱۸	« اوچل گام
۶۲	۳۲	« او درپیش
۳۲۰	۱۷	« او درمکه
۳۸۷	۱۵	« اودوراسه
۱۳۲	۳۹	« اورااشتها
۶۵	۲۲	« اورا برگ
۸۹	۸	« اورا قوت
۱۸۳	۸	« اورامقتدا
۲۳۳	۶	« اوزین باغ
۲۴۹	۳۱	« اوسوی
۱۷۹	۳۲	« اوشد
۲۴۷	۶	« اوعاقل
۲۹۸	۲۳	« اوعصبان
۱۱۲	۳	« اوگوید
۱۶۳	۱۹	« اول بنگرد
۱۶۳	۱۹	« اول بین
۲۲۲	۲۱	« اومغلوب
۳۹۵	۱۶	« او یکبار
۹۶	۳۶	« این باور
۴۴۳	۱۰	« اینجادید
۲۰۰	۲۶	« این مسجد
۸۸	۳۳	« این نیمه
۳۴۶	۲۷	« بااهل
۳۵۹	۳۱	« بااین قوم
۸۴	۲۶	« با جاهل
۲۳۲	۲۲	« باخود
۲۴۷	۲۳	« با دشمن
۲۱۰	۹	« بادلبر
۳۷	۱۱	« باسلطان
۱۱۲	۳۶	« باشداززنا
۶۰	۳۸	« باشد دربی
۹۷	۱	« باشدشاه
۶۱	۲	« باشدشیر
۱۸	۹	« باشد طالع
۳۹۵	۲۰	« باشد قوت
۲۴۷	۲۲	« باشد همنشه
۲۶۰	۵	« بالاتر
۸۱	۳	« با ناراستان
۶۱	۱۸	« بردراو
۳۸۳	۲۰	« برشمع
۱۱۲	۳۰	« برگردد
۱۲۴	۳	« برگوید
۱۱۴	۳۳	« بستاید
۲۸۳	۱۲	« بگزیند
۳۱۲	۱	« بنهد
۱۱	۲۶	« بویش
۴	۱۵	« بیباکی
۱۱	۵	« بیدار
۲۰	۷	« بیرون بو
۸۰	۵	

صفحه	سطر	اول بیت
۳۲۴	۲۵	هر که بی‌من شد
۲۲۴	۱۸	« بینا ناظر
۲۰۳	۱۶	« بیندمر
۱۹۸	۲۹	« بینی در
۲۶۳	۳۲	« پایان بین
۳۴۷	۳۰	« پایندان
۱۴۶	۳۸	« تازد
۳۱	۳	« ترسدمر
۳۱	۱	« ترسیداز
۷۲	۱۵	« تریاق
۱۱۳	۵	« تنهاماند
۶۰	۷	« تنهانادرا
۲۴	۲۳	« جبرآورد
۱۲	۳	« جزآگاه
۲	۱۱	« جزماهی
۱۷۸	۲	« جنس
۱۸۹	۴	« جویاشد
۴۱۷	۳۸	« جویای
۳۱۹	۲۸	« جویدپادشاه
۱۳۴	۴۱	« جویدنام
۴۹۵	۲۱	« چون‌زنبور
۵۹	۷	« چون‌هند
۱۶۰	۵	« چیزی
۴۴۳	۳۹	« حیوانست
۳۸۸	۱۶	« خوابش
۱۷۴	۲۷	« خوابی‌دید
۳۲۶	۲۷	« خواهدازتو
۳۸۸	۸	« خواهدقسم
۳۶۳	۳۵	« خواهدکو
۱۱۲	۱۷	« خواهدهمنش
۴۲۳	۲	« خودبینی
۱۲۱	۱۴	« خودرا
۳۸	۱۴	« داداوحس
۴۴۱	۱۴	« داردبوی
۶۳	۱۰	« داردروی
۴۷	۸	« داندمر
۲۸۵	۴۰	« درآتش
۴۱۷	۳۸	« دراشکار
۲۱۹	۳۸	« درتونست
۸۰	۵	« درحس
۲۱۹	۳۸	« درحمام
۸۳	۱۹	« دردنیا
۱۹۹	۹	« درخلوت
۱۱	۵	« درخوابست
۱۲۴	۴۲	« درروز
۱۴۶	۴۷	« دررهی
۱۰۷	۲۰	« درزندان
۱۱۹	۳۴	« درشش
۱۰۷	۲۱	« درقصری
۳	۱۴	« درمان
۲۳۹	۲۰	« درمکر
۲۰۰	۱۵	« دروی‌بیخبر
۱۴۳	۱۷	« دروی‌لقمه
۸۹	۲۲	« دعوی

صفحه	سطر	اول بیت
۲۹	۶	هر که دندان‌ضعیف
۲۱۴	۱۲	« دوراز حالت
۸۸	۲۳	« دوراز رحم
۳۸۷	۱۵	« دوراندازد
۱۲۷	۱۱	« دیدآن‌بحر
۱۴۹	۲۶	« دیدآن‌جاه
۹۹	۳۱	« دیدآن‌مرح
۱۹۴	۱۴	« دیداومر
۲۱۱	۳۰	« دیداونباشد
۱۹۹	۲۲	« دیدش
۷۵	۳۴	« راآتش
۴۳۴	۳۲	« راآنجا
۷۵	۱۶	« راآنعکم
۴۸	۳۳	« راآیینه
۳۱۶	۳۶	« رااسرار
۱۶۰	۱۸	« رااوپیشه
۲۷	۱۷	« رااومقبل
۴۴۶	۵	« راایمان
۴۴۷	۱۰	« رااین‌بایدش
۱۸	۶	« راباختری
۳۰	۲۲	« راباشدزسینه
۴۴	۳	« راباشدزیز
۸۸	۱۷	« راباشدطعم
۲۹۸	۱۹	« راباشدمزا
۲۹۲	۳۲	« راباضد
۱۴۶	۱۱	« راباهرده
۲۲۸	۳۱	« راپینی‌شکار
۱۶۰	۳	« راپینی‌طالب
۳۷۳	۲۸	« راپینی‌یکی
۲۸۴	۲۷	« راپرسوخته
۸۹	۲۰	« راپرسید
۳۶۵	۳۰	« راخواهی
۹۱	۴۲	« راخوی
۱۸	۱۱	« رادامان
۱۷۳	۲۳	« رادامن
۲۸۵	۴	« رادردست
۶۵	۲۰	« رادردل
۴۴۵	۲۶	« رادرکارها
۱۷۳	۴۱	« رادل
۱۳۴	۱۹	« رادندان
۲۵۸	۳۷	« رادیداو
۳۷۳	۲۸	« رادیدی‌برهه
۱۰۷	۲۱	« رادیدی‌بزر
۲۹۹	۱۷	« رادیدی‌زک
۱۱۲	۱۸	« رادیواز
۴۳۸	۲۴	« رارهشد
۳۴۹	۱۷	« راسوزید
۳۹۴	۵	« راشب
۴۴۲	۴۲	« راشمع
۳۳۹	۳۵	« راعدل
۴۴۶	۳۵	« راعلم‌و
۱۲۵	۳	« راگوئی
۲۲۰	۳۱	« رامشك
۳۳۹	۲۳	« رانور

صفحه	سطر	اول بیت
۳۰	۲۱	هر که راهست
۳۱۳	۲۰	« رنجی
۱۴۵	۳۲	« روزی
۱۲۶	۷	« زایشان
۳۶۲	۲۶	« زیباتر
۲۹۱	۳۸	« سازد
۸۹	۱۱	« سردت
۲۸۵	۴۰	« سوی‌آب
۲۸۳	۱۳	« سوی‌خوان
۲۸۶	۱	« سوی‌راسه
۳۷۹	۹	« شاگردیش
۳۷	۱۰	« شدمر
۴۷	۲۵	« شیرین
۱۱	۲۹	« صاحب
۳۴	۱۶	« صبر
۲۶۲	۲۴	« صیقل
۲۸	۳۵	« ظالم‌تر
۹۷	۳۰	« عاشق‌تر
۳۶	۲۹	« عاشق‌دیدن
۳۶۷	۹	« قلبی
۱۱۳	۱۵	« کاردقصد
۴۶	۱۴	« کاردگردد
۱۵۴	۳۸	« کاملتر
۳۲۱	۱۴	« کاه‌وجو
۲۳۳	۹	« کج
۴۰۸	۲۱	« کردی
۲۳۲	۲۳	« کوشید
۴	۱۶	« گستاخی
۲۸۴	۳۸	« گلخوار است
۲۳۹	۲۳	« گویدکوقیام
۱۸۰	۱۲	« گویدکوگوا
۲۰۲	۵	« گویدهای
۳۰۱	۱۹	« گیرداو
۱۴۶	۳۷	« گیردیشه
۱۸۴	۱۸	« ماراکشت
۲۴	۲۳	« مانماز
۳۳۸	۲۰	« محبوس‌است
۲۳۵	۲۱	« محجوبست
۳۷	۱۰	« محراب
۶۰	۲۶	« مرد
۳۷۳	۲۹	« مستوحش
۱۵۰	۳۹	« می‌آمدبگفتا
۱۴۶	۲۲	« می‌آمدز
۳۸۹	۳۸	« می‌پرسید
۲۸۹	۱	« میردخود
۳۸	۷	« میکوشد
۴۴۰	۶	« ناجی‌بد
۴۴۲	۱۶	« نزبهر
۶۴	۱۰	« نقص
۱۹۲	۲۶	« یوسف
۱۹۴	۲۶	هرگرانی‌وکسل
۳۰۸	۳۴	هرگرسنه
۴۲۹	۳۳	هرگروهی‌برده
۴۲۹	۳۹	« را

صفحه	سطر	اول بیت
۳۲۲	۳۵	هرگره‌را
۱۹	۲۹	هرگزای‌آتش
۴۲	۴	هرگلی‌کاندردر
۳۹۵	۲۷	« کاندردل
۲۰۳	۲۳	هرگمان‌تشنه
۲۱۷	۲۰	هرگهی‌که‌رو
۱۰۷	۵	هرگیاراکش
۲۷	۱۷	هرلقب‌کو
۶۱	۲۸	هرمحال‌از
۳۷۱	۸	هرمحدث‌را
۳۰۸	۱	« مرض‌دارد
۱۳۸	۶	« مزاجی‌را
۲۱۱	۱۴	« مقلدرا
۵۴	۶	« ملك‌میگفت
۱۲۳	۱۰	« منافق
۱۵۱	۲۹	« منجم
۱۹۸	۲۷	« موکل‌را
۵۲	۲۶	« نبات‌و
۳۵۳	۳۴	« نباتی‌کو
۱۵۸	۲۱	« نبی‌زان
۸۸	۱۴	« نبی‌میگفت
۶۲	۳	« نبی‌و
۳۶۰	۱۳	« نبی‌اندر
۲۳۵	۷	« نبی‌زو
۱۰۹	۸	« ندائی‌که‌ترابا
۱۰۹	۹	« ندائی‌که‌تراحا
۱۴۶	۲۲	« نسیمی‌کز
۱۷۰	۲۵	« نفررا
۱۸	۲۴	« نفس‌مکری
۲۵	۲۹	« نفس‌نو
۲۵۰	۴	« نکالی
۳۴۴	۳	« نواحی
۳۵۰	۲۵	« وجودی
۳۳۷	۴	« وفارا
۳۸۰	۲۵	« ولی‌را
۲۴۳	۱۳	« هلاك
۵۷	۱۷	« هنر
۷۳	۲۲	« هواو
۱۳۶	۶	« یك‌آهنگش
۳۲۲	۳۵	هریکی‌ازحال
۱۹۴	۲۱	« ازدرد
۱۲۳	۲۷	« ازدیگری
۴۰۴	۴۲	« ازدیگری
۳	۱۴	« ازما
۳۳	۱۷	« ازوی
۲۳۳	۲۱	« باجنس
۱۷۳	۳۰	« بایکدگر
۳۴۴	۱۶	« برجا
۳۸۵	۱۲	« بردرد
۱۲۵	۳۰	« برنیتی
۳۱	۱۱	« پروازش
۳۸۹	۵	« تاریخ
۱۶۱	۲	« تسبیح
۱۹۸	۳۷	« جازا

صفحه	سطر	اول بیت
۳۳۸	۳۰	هریکی چونکه
۲۴۹	۳۰	« چون‌ملك
۳۹۵	۱۱	« خاصیت
۲۰۸	۲۳	« خواهان
۲۶۰	۱۸	« دربخش
۲۷۵	۷	« درپرده
۳۵۰	۱۲	« دردفع
۴۰۳	۶	« درکف
۱۳۲	۱۲	« دری
۳۶۰	۱۴	« دیوار
۴۹۷	۸	« رااوبگ
۱۵	۳۲	« رااویکی
۴۳۰	۴	« رابرمهه
۱۶	۳۰	« راتیغ
۲۳۴	۱۸	« راداده
۴۴۳	۴	« راده
۱۵	۳۲	« راکرد
۳۴۵	۴۷	« رامخزن
۱۱۲	۲۳	« رامن
۴۴۶	۳	« رانبز
۴۱۱	۴۷	« راهست
۴۴۵	۲۰	« راهفتصد
۳۵۸	۱۳	« رفتند
۴۱۵	۲۵	« زاجزا
۲۵۲	۱۰	« زان‌قاصد
۱۷۳	۱۵	« زانهاتر
۱۲۴	۹	« زین‌ره
۸	۱۸	« سوی
۲۳۴	۱۹	« شانرا
۳۸۹	۳۷	« فالی
۱۲	۳۱	« قولیست
۱۶۱	۲۴	« گفتش
۳۸۶	۲۸	« گوید
۱۹۳	۱۵	« مراصل
۳۹۶	۱۹	« نام
۲۶۱	۸	« نابد
۲۸۰	۱۲	« یاری
		ه ـ ز
۲۷۳	۳	هزل‌تعلیمست
۱۷۸	۲۶	هزلها
		ه ـ س
۲۶۱	۲۷	هست‌آتش
۳۲۷	۱۰	« آسان
۹۲	۴	« آن‌آهن
۳۰۱	۱۳	« آن‌ازبعد
۹۵	۱۰	« آن‌اندیشه
۲۳۴	۶	« آن‌بندو
۹۳	۳۸	« آن‌بستان
۲۷۵	۷	« آن‌پندار
۲۹۳	۱۰	« آنخوارزم
۳۵۸	۳۳	« آندرات
۲۴	۱۹	« آنریگ
۲۴۱	۹	« آنعنوان
۱۶۶	۸	« آنموی

صفحه	سطر	اول بیت
١٦٦	٧	هست آن موی
٣٧٩	٢٢	« آن بخ
٤٣٨	٢١	« آن یوم
٣٣١	٢٨	« آهنگر
٣٨٣	١٦	« اباحت
٣٥٢	٢٧	« احوالت خلا
٣٤٠	١٩	« احوال تو
٣٩٩	٤١	« احول را
٤٠٣	١٣	« از آغاز
٤٣٤	٢٤	« از آنجا
١٩٦	١٤	« از روی
٦٩	٥	« ازل را
٣٥٤	٢٤	« اشارات
٢٤٢	٢٨	« افزونی اثر
٢٤٢	٢٨	« افزونی هر
٢٨٧	٢٧	« الوهیت
١٧٢	٤	« امیدی
٣٦٤	٥	« انجیر
٢٩٠	٧	« اندر دفع
٤٢٨	٣٩	« اندر موجها
٦٢	٢٩	« اندر نقش
٤٣٠	٣٢	« انسانی
٣٨٥	١٥	« او اندر
٤٤٥	٣١	« او را صانعی
٣٨٥	١٥	« او محسوس
٣٧٤	٣٢	« او مقراض
٢٦٢	٣٧	« ایاك
٤٣٨	١٠	« ایمان را
١٦٨	١	« ایمانش بر ا
٣٣٦	١٨	« ایمان شما
٢٦٢	٣٦	« این ایاك
٢٢٤	١٦	« این بالا
٢٥٦	٣١	« این دکان
١٥	١٠	« این را خوش
٢٣٤	٥	« این زنجیر
٤٤٦	٤٤	« این طاق
٣٦٨	٣٤	« این نسبت
٢٠٢	٣	« بادام
٤٢	١٦	« باران از
٤١	٢٢	« بارانها
٢٦٤	٣٦	« بازیهای
١٩٦	١٥	« باشد ذات
٤٢٥	٢٢	« باقی شرح
٤٢٥	١٧	« باقی شرح
١٧٧	١٧	« بر اسباب
٣١١	١٣	« بر پای
٨٩	٣٧	« بر سم و
٢٣٠	٢٢	« بر ماسهل
٩٥	٣٧	« بر مؤمن
٣١	٩	« بسیار
٤٤٤	٤٤	« بیچون
١٤١	٢٧	« بیجزمی
٣٥٢	٣١	« بیرنگی
٣١	٢٦	« بیرون
٤١٠	١٠	هست پنهان حاکم
٣٧٢	١٢	« پنهان معنی
٢٩٧	٨	« پیدا
٦٤	١٤	« پیر راه
٢٠	١٣	« تسبیحت
٣٣٣	٨	« تعلیم
٥٣	٢٥	« تفصیلات
٣٩٢	٣٦	« تن چون
٣٥٩	٢٦	« تنهائی
٣٩٧	١١	« جمعیت
٢٥٥	٣٦	« جنت
٤٤٣	٣٦	« چارت
٢١٧	٢٥	« حیوانی
١٢٩	٢٤	« خاشاك
٢٨٥	١٨	« در بط
٢٢٧	١٠	« در چاه
٤١٦	١٠	« در خانه
٢٢٤	٨	« در دل
١٦٠	١٩	« در فرمان
١٨٧	١٠	« در کوشش
٣٥٩	١٦	« در همیان
٣٣٤	٣١	« در یا خیمه
٩٦	١٩	« دست راست
٣٦٠	٢٠	« دستوری
٢٤٤	١٣	« دل مانده
٨٤	٢٥	« دنیا جاهل
٣٨٠	٣٠	« دنیا قهر
٣٤٩	١٩	« دزوخ همچو
٣٤٩	١٩	« دوزخ همچو
٣٤٩	٢٠	« دوزخ همچو
٢٧٦	٢٣	« دیوان
٣٥٨	٣٤	« ذرات
٣٠١	١٣	« زان سوی
٣٤٧	٣٣	« زاهد
١٨٥	٤	« زندان
٢٠٨	١٨	« سرگردان
٢٠٨	٦	« سر مرد
٣٦٠	٢	« سنت ره
١٦١	٥	« سنی را
٢٨٢	٢٥	« سیری از
٢٧٦	١٨	« شاهان را
١١٩	٣١	« شرط
٤٣٤	٢١	« شهری
٢٩٢	١١	« صد چندان
١٩٩	٢٦	« صد چندین
٤٢٢	٢٢	« صورت
٢٨٤	٤٠	« صوفی آنکه
١٥٩	٤٠	« صوفی صفا
٢٨٢	٢	« صیاد
١٨٥	٢١	« طاغی
١٥٥	٨	« عشقش
٢٨٦	٢٠	« عقلی چون
٢٨٦	١٩	« عقلی همچو
٤٣٣	٢٤	« فانی
٤١٩	٣٥	هست فتنه
٣٧٤	٣٥	« قاضی
١٥٦	٢٠	« قرآن حال
٣٣	٩	« قرآن مر
٢٢٠	٢٥	« قوت
١١٨	١٣	« کرها
٩٩	٢٥	« که کاوا
٢٨٢	٣	« گربه
٣١٦	١٤	« لایق
٩٧	١٤	« لیکی
٤٢٠	٣٠	« لرزان
٣٧٤	٢	« مادر
٣٠٩	[illegible]	« ماراخواب
٤٣٣	٢٣	« ماراهر
٢٩٧	٧	« مانندا
٣٤١	٢٧	« مردی این
٣٢٨	١٩	« مردی گفت
٤٢٥	١٥	« مرهر صبر
٨٨	١٥	« مزد
٣١٢	٣	« مطلق
١١٢	١٧	« معذوریش
٣٥٥	٢٢	« معراج
١٥٩	٣٢	« معشوق
٢٤٨	١٩	« منهاجی
٢٤٢	٩	« موسی
٣٤٠	٢٥	« مهمانخانه
٢٥٩	١	« میهای سعاد
٢٥٨	٤٢	« میهای شقاو
٤٠٣	٨	« ناقص
٣٧٣	٤	« هاراسوی
٢٠٨	١٤	« هرجزوی
٣٣٤	٣٣	« هرجسمی
٤٥	١٩	« هشیاری
٢٠٨	٢٧	« هفتادو
٣٦٩	٢١	« هفتصد
٦٤	٥	« هستی اندر نیستو
٦٠	٣٠	« هستیت در هست
٢٠٤	٢١	« هستی حیوان
٣٤٠	٢	« هست یک
		ه - ش
٢٤٦	١٦	هشت بارش
٣٢٥	١٤	« جنت گر
٦٩	٧	« جنت هفت
٤٢٣	٣٢	« روزی
٢٢٠	٣٦	« سالت جوش
٢١٩	٣٣	« سالت زان
٢٤٦	١٩	« کرت
٣٨٣	٩	« هشته اندر این
٦٥	٣٥	هش چه باشد
		ه - ف
٧٣	٢٩	هفت اختر
٤٢٨	٩	« تن
٤٢٨	١٦	« جوقند
٣٥٣	٢٥	« چرخ
٣٩٣	٢٧	هفت خوشه
٣١٠	٢٨	« دریا اندر
٣٠	٨	« دربارا
١٣٣	٣	« دریا گر
٣٥٠	٩	« دریا هر
٣٢٦	٣	« سال از
٣٤١	١٥	« سال ایوب
٤٤١	٢١	« سر
١٦٩	٦	« شمع از
١٦٩	١٦	« شمع اندر
٤٢٩	٢٧	« قسم
٢٩٤	١١	« گاو فربه
٣٩٣	٢٧	« گاو لاغر
٣٤٦	٢	« مصحف
١٧٠	٨	« میشد
١٨٦	٢٨	« نوبت
٣٤٤	٤	هفتهٔ کرد
		ه - ل
٤٣٥	١٩	هل جز افرمود
٣١١	١٠	« جنونی
٢٣٨	٢٠	« سباحت را
٦٩	١٩	« مرا تا پرده
٢٥١	٣٤	« مرا تا که
		ه - م
٣٥٥	١٠	هم از آنجا کاین
٣٩٩	٢٢	« آن خورشید
١٨٩	١٢	« آن ده یك
٢٢٠	٢١	« آنسر گین
١٥٥	٩	« آنسو جو جو
١٥٥	١٠	« آنسو جو که
٣٨٦	١٤	« این بدبختی
١٤٤	١١	« اینجا
٢٦٦	٣٦	هم از وگیرند
٢٥٨	٢٨	« اشارترا
١٢١	٤	« امیدی
٣٩٩	١٢	« باصل خود
٧٠	٣٥	« بامیدی
٤٣١	٦	« بیادت
٤٠١	٣٨	« بیدل
١٦٦	٣٢	« بیداری
٣٩٦	٣٨	« بیشتی آن
٣٥٥	١٤	« بتقلیب
١٧٦	٣٦	« بدان تیغش
١٦٤	٢١	« بدانجا
٣٩٣	١١	« بداندهم
١٨٣	٢	« بدان قانع
٤١٤	٣١	« بدین فن
٢٨١	١٦	« بدین نیت
٢١٦	٢٧	« بر آن بو
١٤٢	١٨	« بر آن در باشد
١٤٢	٣٣	« بر آن در گرد
٢٣٧	٢٧	« بر آن عادت
٣٠٢	٢٤	« بر آن کرسی
٢٣	٢	« بر این کردند
٣٦٩	٢٤	هم برون افکن
٣٥٤	٣٢	« بسمی تو
٩٥	٧	« بصورت دست
١٣٩	٣٩	« بصورت مینما
٤١٠	٣٣	« بطبع آور
٤٤٥	٢٤	« بعلم
١٧٤	٣	« بگوئیمش کجا
١٩٦	١٩	« بنسبت دان
١٩٦	١١	« بنسبت گیر
٤٣٨	٢٠	« بنه بر شه
٨٥	١٨	« بوام و
٨٠	١٠	« به بینی نقش
١٤٠	٢٦	« بیابدلیك
١٠٥	٣٠	« پنیرو
٢٨٥	٢٠	همت او
١١٧	٤	« پیغمبر
٤٤٢	٦	همت بهر
٨١	٣	همتر از ورا
٣٦٩	٢١	همت سبر
١٤٦	٢٩	همتش بین
٤٤٠	٢٨	« مصروف
٢١٦	١	همت عالی
٤٣٠	١٦	هم توام توفیق
٤٣٤	١٨	« اندر
٣٤٩	١٥	« بودی
٣٦٥	٨	« ثانی کرد
٣٦١	١٧	« خودرا
٤٣٤	١٨	« دادی
٤٤٧	٢	« در شهر
٢٦	١٥	« راوهم
٢٣٣	٣٦	« شادو
٤٣٥	٢٠	« گرگا
٢٤٨	٢٣	« گفتی
٣٧٤	٣	« گوی و
٤٨	٦	« ماری
١٦٣	٣٧	همتی تابو
٤٠١	١١	« میدار
٢٤٦	٢٩	همچنان آمد
٢٦٧	١٠	« باشد
٣٨٠	٣٧	« برمیشمر
١٥٧	٢	« بیگانه
٣٠٣	١٨	« در آینه
٣٤٧	٢٢	« دردور
١٩٣	٣٠	« درمرگ
٢٣٨	٤	« روزی
٣٠٤	٥	« کاصحاب
١٥٠	٣٨	« کانجا
٣٦٩	١٢	« کانخواجه
٢٦٨	٤	« کانزاهد
٢٤٥	٣٠	« کان شخ
٢٦٢	٣٦	همچنانك ایاك
٤٢٤	٨	همچنان کاین شا
١٧٦	٢٣	« کاین ظا
٥٨	٤	« کردند و دا

صفحه	سطر	اول بیت
۲۶۱	۲۹	همچنان کردند در
۱۶۷	۱۵	« کردهر
۲۷۴	۳۷	« کردهم
۴۹۳	۲۰	« کز پردهٔ
۳۶۷	۲۹	« کز چشمه
۷۷	۱۰	« که آرزو
۱۳۹	۶	« که ان جنب
۲۷۲	۲۵	« که این جها
۲۶۵	۴	« که چشم
۱۳۹	۴	« که خلق
۱۲۱	۱۵	« که در حکا
۲۷۰	۲۲	« که دید
۱۷۴	۲۵	« که ذوق
۱۶۳	۷	« که سهل
۲۲۷	۳۸	« که شه
۵۲	۱۵	« که عقد
۱۷۷	۲۸	« که قدر
۳۳۴	۱	« که گفت
۱۱۴	۱۴	« که لشکر
۳۶۴	۲	« که مرده ام
۳۰۶	۷	« که معدن
۲۴۸	۳۷	« که من در
۱۲۳	۱۶	« که موسی
۱۹۳	۱۵	« که وسوسه
۱۶۵	۳۱	« که وقت
۱۲۴	۶	« که هر کسی
۳۴۶	۳۰	« کین ظلم
۴۹۷	۳۴	« مرد مجاهد
۲۵۲	۱۰	« مرد و شکم
۱۵۹	۲۷	« میخواهد
۲۳۰	۵	« میرو
۴۲۳	۳۹	« نمرد
۴۲۴	۱۰	« نمرود
۳۴۳	۲۵	همچنین آنصوفی
۱۷۵	۳۱	« آنماجرا
۴۷۹	۲۶	« اجزای
۲۸۹	۳	« از بخل
۴۷	۲۱	« از بشه
۴۲۵	۳۷	« از قول
۲۲۱	۲۲	« اشکسته
۲۷۴	۱۶	« اقلیم
۳۷۹	۳	« ایخواجه
۶۶	۱۲	« این آبرا
۶۶	۱۲	« این بادر
۳۸۴	۲۲	« این دو
۱۳۸	۴	« این قوت
۲۰	۱۰	« باد
۳۷۷	۳۸	« بارسوم
۱۰۴	۱۷	« برعکس
۱۰۴	۲۰	« برعکس
۲۱۷	۱۰	« برمیشمر
۳۰۵	۳۰	« برمیشمر
۲۴۸	۳۱	« بیوسته
۱۷۱	۳۲	« بیغامها

صفحه	سطر	اول بیت
۲۴۶	۱۵	همچنین تاج
۳۸۴	۲۶	« تدور
۳۵۸	۱۳	« تاسی
۴۰	۱۸	« تاصدچر
۲۹۲	۳	« تاصدهز
۱۶۲	۲	« تارهم
۳۳۲	۱۳	« تاویل
۲۰۵	۳۲	« تاهفت
۱۷۹	۶	« ترسائی
۳۰۱	۲۳	« ترکیب
۱۷۵	۳۸	« تشنیع
۳۸۵	۳۴	« جمله حر
۳۵۶	۳۸	« جمله نعیم
۲۱۲	۲۵	« جویای
۲۸۸	۱۹	« چون شا
۲۵۱	۲۱	« حب
۱۴۶	۲۱	« خندان و
۳۸۰	۱۱	« دان جمله
۱۷۵	۲۶	« داود
۲۱۸	۱۵	« دردرد
۲۱۸	۱۳	« درطلق
۴۲	۱۸	« درغیب
۴۵	۱۶	« درگریه
۸۳	۱۱	« درمحنه
۲۴۱	۲۴	« دنیا اگر
۲۷۴	۲۰	« دنیا که
۳۸۴	۲۲	« دوردوم
۱۷۷	۲۳	« زآغاز
۴۲	۱۷	« سرما
۱۷۱	۳	« سوراخ
۲۰	۸	« شبان
۲۰۳	۱۸	« علم
۳۵۷	۱۱	« قلاب
۱۷۶	۳۳	« کردند
۳۵	۲۱	« کسب و
۳۳۱	۲	« گربر
۳۴۷	۲۱	« گفتند
۳۰۳	۱۲	« لب در
۲۲۸	۲۰	« مقصود
۲۵۷	۲۱	« موسی
۶۰	۳۵	« مه را
۳۳۸	۲۷	« میبود
۲۶۲	۱۵	« میبین
۲۷۵	۲۶	« میرفت با
۱۷۲	۳۰	« میرفت
۲۵۲	۱۶	« میکرد
۱۵۸	۱۰	« میگفت ا
۶۹	۲۷	« میگفت
۲۵۳	۱۸	« نجارو
۲۳۷	۲۴	« هرآرزو
۲۳۰	۱۷	« هرآلت
۷۰	۷	« هرپنج
۳۷۹	۲۲	« هرجزو
۲۴۱	۳۴	« هرجزو

صفحه	سطر	اول بیت
۲۴۸	۹	همچنین هرحس
۳۸۱	۲۴	« هرروز
۴۱۶	۵	« هرزر
۱۷۳	۱۴	« هرشهوت
۲۳۷	۱۷	« هرفکر
۲۸۴	۲۴	« هرقوم
۳۸۵	۱۲	« هرکسا
۲۶۲	۲۱	« هرکس
۲۸۴	۳۷	« هرنام
۱۵۷	۱۷	« هریک
۲۱۴	۱۰	« یکسان
۱۳۶	۳۳	همچو آب از مشک
۲۶۳	۳۲	« آب نیل آمد
۳۷۴	۵	« آب نیل دان
۲۶۱	۱۰	« آب نیل دان
۲۱	۱	« آب و نان
۴۰۱	۳۵	« آتش در
۳۳۶	۲۱	« آتش ذرهٔ
۳۷۷	۳۲	« آتش کرد
۴۲۳	۱۱	« آدم دور
۲۷۰	۳۶	« آدم ذلتش
۲۲۴	۲	« آدم کز
۸۶	۲۰	« آن ابله که ا
۵۷	۲	« آن ابله که تا
۲۳۸	۱۵	« آن ابلیس
۱۲۳	۲۸	« آن اصحاب
۳۵۵	۱۳	« آن اصحاب
۴۱۸	۱۳	« آن اصحاب
۳۳۵	۶	« آن چوپان
۴۰۵	۳۸	« آن حجره
۲۴	۳۷	« آن خرگوش
۲۲۶	۲۴	« آن دلاله
۶۷	۲۴	« آن زنجور
۶۲	۳۵	« آن رویه
۳۳۶	۱۹	« آن زن کو
۴۱۹	۲۰	« آن زنگی که
۲۵۵	۲۵	« آن زنگی که د
۹۷	۴۰	« آن شخص در
۳۸۰	۵	« آن شخصی ک
۴۲۳	۳۱	« آن شیبان
۳۶۳	۲۹	« آن شیری
۱۱۹	۴	« آن طفلی
۶۷	۹	« آن کر
۴۵	۱۵	« آن کو
۲۶۹	۳۳	« آن مرد
۱۹۹	۲۱	« آن مستی
۳۷۹	۳۱	« آن میوه
۱۵۷	۳۵	« آن وقتی
۲۲۵	۲۰	« آن هدیه
۲۲۳	۷	« آن یکنور
۶۸	۱۹	« آهن
۲۵۱	۲۴	« آهو کز
۴۱۱	۱	« ابراهیم
۳۶۸	۱۳	« ابر بی نم

صفحه	سطر	اول بیت
۲۹۱	۲۶	همچو ابلیس از
۳۵۸	۲۰	« ابلیسی که گا
۸۹	۷	« ابلیسی که م
۳۹۴	۹	« احمد که برد
۳۹۴	۱۲	« احمد که کند
۳۹۴	۱۱	« احمد که کند
۲۲۳	۳۹	« از آب و
۳۶۷	۲۸	« از سنگی
۳۵۷	۳۱	« اسپاه
۲۴۷	۳۵	« استوری
۳۹	۴۳	« اسرافیل
۷	۹	« اسمعیل
۴۲۵	۲۲	« اشتر
۱۵۱	۳۰	« اصحاب
۵۶	۱۹	« اعرابی
۴۷	۳	« اعمش
۳۹	۲	« امرد
۴۱۰	۳	« اهل نفس
۳۹۰	۱۱	« این خامان
۳۸۷	۱۸	« این درویش
۷۰	۵	« این دو چشمه
۲۶۲	۱۴	« بازیهای
۴۲	۱	« بطان
۱۰۸	۲۵	« بوبکر
۳۵۶	۹	« بیمار
۳۵۷	۱۲	« پروانه زد و
۲۰۰	۱۱	« پروانه شرر
۱۲۳	۲	« پروانه شما
۷۱	۲۰	« پرهای
۲۶۸	۲۴	« پوران
۲۶۹	۲	« پیغمبر
۲۰۴	۳۰	« پیلم
۳۷۹	۲۱	« تابستان
۳۹۵	۳۰	« تاری شد
۳۳۴	۱۰	« ترسا
۱۵۴	۱۲	« توبسیار
۳۴۲	۲۱	« توکر
۲۳۶	۸	« جان باشد
۴۵	۲۳	« جان بی
۴۰۸	۸	« جان و
۳۷۵	۲۲	« جرجیس ا
۱۴۲	۴۰	« جزو
۱۳۵	۳۶	« جغدان
۸۷	۴	« جویست او
۷۰	۳	« چشمه
۴۱۷	۱۲	« چغزیم
۲۱۱	۳۶	« چوب خشک
۳۱۳	۱۸	« چه کن
۲۴۰	۱۵	« حس
۸۳	۲۳	« خادم
۷۷	۲۸	« خار سبز
۱۳۵	۲۶	« خاک .
۱۲۱	۲۵	« خشخاشی
۳۵۰	۸	« خفتن

صفحه	سطر	اول بیت
۴۱۷	۳۲	همچو خوبی
۴۰۸	۱۶	« خورشید
۱۶۸	۲۵	« داودم
۵۲	۱۵	« درکان
۳۱۷	۲۳	« دیواری
۷۹	۸	« دیوازوی
۲۲۵	۳۴	« ذره بینش
۲۷۶	۲۸	« رنجوری
۳۱۸	۳۱	« روبه صید
۵۱	۲۷	« روح پاك
۲۰۳	۳۴	« روی آفتاب
۳۰۸	۱۴	« زندانی
۲۱۲	۴	« زوربشه
۳۱۸	۲	« سرو
۳۶۶	۱۳	« سنگ آسیا
۲۳۶	۲	« سنگ منجنیق
۳۱۳	۸	« سنگی کو
۴۱۸	۱۱	« شاخ از برگ
۳۳۹	۲۱	« شاخ بید
۳۶۹	۱۹	« شاخی که
۴۳۲	۳۲	« شاگرد
۴۱۵	۱	« شب کوکبی
۷۱	۲۷	« شهدو
۲۶۷	۲۸	« شهزاده
۱۳	۱۶	« شه نادان
۸۳	۲۳	« شیر آن صید
۲۱۲	۳	« شیری خور
۲۹۴	۶	« شیری در
۲۰۲	۱۲	« شیطان در
۲۰۲	۱۱	« شیطان کز
۹۱	۱۷	« صاحب نفس
۸۱	۲۸	« صیادی سو
۵۷	۴	« صیادی که
۳۶۲	۳۰	« طاوسان
۴۱۱	۴۰	« طفل است
۶۸	۹	« طفلان
۲۸۹	۳۴	« طفلم
۴۲۱	۲۴	« عادش
۲۶۶	۳	« عارف
۲۱۸	۳۷	« عرصه
۴۱۷	۳۱	« عنبی
۳۷۰	۱۵	« عیسی
۱۹۶	۹	« فرزندان
۴۲۱	۲۵	« فرزندش
۱۴۹	۲۵	« فرعون مر
۲۴۶	۲۵	« فرعونی تو
۲۴۶	۲۳	« فرعونی که
۴۱۹	۶	« قاضی باشد
۱۶۷	۳۴	« قرآن
۲۵۷	۳۴	« قطره
۴۴	۱۷	« قلابان
۵۶	۳۲	« قندیلی
۳۷۹	۱۵	« قوم موسی
۲۸۴	۲۱	« قومی که

صفحه	سطر	اول بیت
۳۲۳	۲۹	همچو کردم
۲۱۸	۳۵	« گفتاری
۲۷۰	۱۷	« کم عقلی
۲۴۸	۲۲	« کمان سر
۲۷۰	۱	« کمان سوی
۱۵۷	۴۱	« کمان کاشنا
۳۸۷	۱۷	« کمان کو
۱۰۰	۱۴	« کوره
۸۸	۳۳	« گاوی
۱۲۱	۲۷	« گبران
۲۴۷	۲۸	« گربه
۴۸	۵	« گرگ زشت
۶۲	۳۳	« گرگ شیر
۱۹۴	۱۲	« گرمابه که
۱۹۶	۳۶	« گرپشش
۱۰۰	۷	« گوئی سجـ
۲۸۵	۳۱	« گورکافرا
۳۶۸	۱۲	« گورکافرا
۲۸۱	۱۹	« لبهای
۴۳۴	۲۵	« مارت
۳۶۸	۱۲	« مال
۹۶	۴۰	« ماه و آفتابو
۴۰۲	۳۹	« ماه و چون
۲۶۷	۱۹	« ماهی بسته
۳۳۴	۷	« مجنون بر
۳۹۴	۸	« مجنون بو
۲۴۰	۲۲	« مجنور در
۱۴۶	۲۵	« مجنون کو
۲۴۰	۲۳	« مجنونند
۵۴	۲۳	« مجنونی
۳۶۸	۳۴	« مدح
۲۲۰	۱۰	« مردار
۲۳۳	۵	« مرغ مرده
۱۳۵	۳۰	« مرغی کو
۳۴۹	۱۸	« مرهم بر سر
۲۷۵	۱۹	« مرهم ساکن
۹۷	۱۰	« مریم جان
۱۹۶	۳۲	« مریم گوی
۱۶۸	۲۸	« مستسقی
۳۴۸	۱۷	« مستی
۳۸	۳۳	« مطبوخست
۱۵۰	۱۰	« من از مستی
۳۷۰	۱۶	« من که بر
۸۲	۱۲	« موری اند
۲۰۷	۲۸	« موسی بود
۲۶۹	۱۰	« موسی نور
۴۳۶	۴۰	« موشی از
۱۰۸	۲۴	« موشی بیش
۱۱۶	۲۳	« موشی هر
۱۱۶	۲۴	« موشی هر
۲۷۴	۱۳	« میل کودکا
۲۷۴	۱۴	« میل مفرط
۸۷	۵	« نائی
۲۷۹	۱۶	« نخلی

صفحه	سطر	اول بیت
۳۴۲	۱۹	همچو نر بالای
۱۷۱	۱۶	« نوری
۲	۶	« نی زهری
۲۰۰	۳	« نیلوفر
۳۶۸	۱۴	« وعدهٔ مکرو
۶۶	۴	« هاروت و
۱۱۷	۹	« هاروت و
۲۸۹	۱۲	« هاروت و
۳۷۴	۶	« هندو
۳۷۹	۳۰	« یخ
۲۷۹	۲۷	« یغماچی
۳۱۲	۲۳	« یوسف خو
۲۴۷	۲۹	« یوسف کـ
۱۴۴	۱۱	« یوسف کش
۲۷۰	۲۴	« یوسف کو
۴۳۹	۲۱	هـ حیل اندر
۱۵۵	۳۸	« خبر دد
۴۰۵	۲۸	« خر و خرگیر
۳۶	۱۰	« خفیر و رهبر
۳۲۹	۲	« خلق کردم
۳۷۸	۱۴	« خیبری خمر
۴۳۵	۴۶	« خوری زخم
۳۸۶	۴	« خیالانش
۳۸۷	۴	« در آب
۴۲۳	۳۸	« در آخر عجز
۲۴۴	۳۲	« در آنجا
۸۷	۲۳	« در آندم آن
۱۹۱	۲۶	« در آندم حال
۳۰۰	۳	« در آندم شد
۱۶۴	۱۲	« در آندم گوش
۱۷۰	۲۳	« در آساعت
۲۵۷	۲۷	« در آنمجلس
۳۴۵	۲۱	« در این عالم
۲۲۴	۴	« درخت میوه
۴۳۲	۸	« درین ره
۲۰۱	۱۹	« درین سورا
۱۰۳	۱	« درین نحسی
۹۰	۸	« دعا از تو
۳۴۹	۱۴	« دعا از من
۷۰	۱	« دغل را
۴۱۴	۸	« دات حیران
۴۴۳	۶	« دهدکش
۴۳۵	۴۲	« رسد در تو
۱۴۰	۲۷	همره انفاس
۲۲۷	۹	« جانت
۳۹۹	۱۵	« خورشید
۱۱۳	۴۲	« غم
۲۷	۳	« ما
۳۶۰	۳	همرهی را
۳۶۰	۴	« نی
۲۰	۲۰	هم ز آتش زاده
۲۰	۲۰	« ز آتش زاده
۱۲۸	۱۴	« ز ابراهیم
۲۶۹	۳۱	« ز استعداد

صفحه	سطر	اول بیت
۶	۲۱	هم ز انواع روانی
۲۷۲	۹	« ز اول
۲۶	۳۴	« ز بان و
۲۶	۳۵	« ز بانی
۴۴	۱۶	« ز بیم
۳۱۲	۳۴	« ز جنس
۳۱	۲۰	« ز حق
۳۰۴	۱۴	« ز حلوا
۴۲۲	۲	« ز خاکی
۳۹۰	۱۲	« ز خود سالك
۳۰۴	۱۳	« ز خوشه
۲۶۱	۱	« ز دندانت
۱۲۲	۳۷	« ز دورش
۳۹۰	۳	« ز زیر خنده
۳۰۵	۲۸	« ز عزرائیل
۴۳۵	۴۳	« ز کشت
۴۰۲	۳۱	« ز لطف و جوش
۴۰۲	۳۲	« ز لطف و عکـ
۹۰	۱۲	« ز مین و بحر
۲۴۴	۲۶	« ز نبضت
۲۴۴	۲۵	« ز نبض و
۶۴	۲۴	« ز نساخی
۱۱۷	۳۵	« ز یان جان
۲۶۴	۱۰	« سؤال از
۱۱۱	۳۱	« سجود هر
۸۴	۳۰	« سخن دیدی
۱۴۶	۲۶	« سر و پایش
۸	۶	« سری با انبیا
۲۲۴	۶	« سر برو
۳۰۵	۲۵	« سفیر انبیا
۱۳۵	۲۸	« سلیمان هست
۱۳۵	۱۴	« سلیمان هست
۴۲۸	۶	« سمارا آفریده
۱۴۷	۳۳	« شب و هم ابرو
۱۷۲	۸	« شب و هم ابرو
۳۹۱	۳۰	« شده حمال
۸۶	۴	« شدی توزیع
۴۳۲	۵	« شریعت هم
۴۰۸	۳۰	« شناسیدش
۴۰۴	۱۴	« شنیده بودم
۴۳۳	۴۸	« شود او نیز
۳۰۳	۲۰	« صفیر مرغ
۳۶	۱۰	« صفیر و رهبر
۲۶۴	۱۰	« ضلال از
۴۲۸	۳	« ضیاء الحق
۳۷۴	۳	« طلب از
۴۶	۲۱	« عجم
۵۸	۲۹	« عرب
۹۳	۳۸	« عرض
۱۶۲	۳۴	« عرق
۴۳۴	۱۳	« عزیز و
۲۳۳	۱۴	« عصائی بود
۲۳۳	۱۴	« عصابد
۴۴۶	۴۷	« عفن گردد

صفحه	سطر	اول بیت
۹۱	۱	هم عیال تو
۴۴۵	۲۱	« غلام و
۲۳۶	۲۴	« قناعت
۱۸۷	۱۷	« کراستشان
۲۰۰	۹	« کفن هم
۱۲۲	۲۴	« گاهی
۱۱۱	۳۱	« گواه
۲۲۳	۱۱	« مثال
۱۷	۱۹	« مخبط
۱۱۶	۵	« مرا
۱۰۷	۲۹	« مزاج
۷۰	۳۵	« مشرف
۱۰۹	۲۴	« مشیرش
۸۷	۸	« مقلد
۴۴۵	۱۴	« مگر آن
۱۸۸	۳۲	« ملک
۴۱۱	۱۰	« من و هم ملك
۳۸۸	۲۱	« من و هم موسـ
۳۷۱	۲۲	« نه بلبل
۳۷۱	۲۱	« نه طوطی
۳۷۱	۲۲	« نه هدهد
۷۷	۰	« نبردش
۳۲۰	۸	« نجنبید و
۳۰۲	۳۵	« نچیدی دانه
۱۷	۴	« نشین اهل
۲۰۶	۱۳	« نشینان
۱۸۶	۱۸	« نشیناهین
۱۳۳	۹	« نشینت من
۳۸۴	۲۷	« نکر سازید از
۳۸۴	۲۸	« نکر سازید بر
۳۸۴	۲۷	« نکر سازید به
۳۰	۹	« نگردد ساکن
۲۰۶	۷	« نگه دارندهٔ
۴۳۸	۱۵	« ورای عرش
۱۷۰	۹	« هویدا

هـ ـ ن

صفحه	سطر	اول بیت
۳۵۶	۳۱	هندوك فریاد
۴۲۲	۳	هندو و قبچاق
۱۰۶	۱۴	هندیان را

هـ ـ و

صفحه	سطر	اول بیت
۴۲۱	۲۷	هود دادی
۳۸۵	۷	هود گرد مؤمنان
۲۰	۷	هود گرد مؤمنان
۳۵۹	۲۷	هوش او
۳۴۷	۲۴	« تو
۱۵۷	۳۰	« رایگذار
۲۹۶	۳۳	« را تو زیع
۱۴۷	۸	« من از غیر
۴۳	۴	هوشیاری آفتاب
۴۳	۴	« زان
۲۵۷	۳۴	هوی فانی

هـ ـ ی

صفحه	سطر	اول بیت
۴۳۵	۲۸	هیأت را
۴۳۰	۴۶	هی الیس الصبح
۲۰۷	۱۳	هیبت بازاست
۲۰۷	۱۱	هیبت بانگ
۳۱	۱	« حق
۳۴۸	۱۳	هیبتش بیداری
۲۲۴	۱۷	هیبتی بنشسته
۳۰	۳۲	« زان
۱۱۰	۸	هی بیابان
۴۰۵	۲۵	هی بیامن
۴۳۳	۴۷	هی تو ای نمرود
۹۱	۲۲	هی تو مادر
۱۰۶	۳۰	هیچ آدابی
۲۲۱	۳۵	« آدم
۲۰۷	۱۱	« آژنگی
۹۹	۱۹	« آبیه
۱۸۳	۳۲	« از آن او صا
۳۵۲	۶	« از گفتن
۱۳۴	۲۸	« از مقصود
۳۴۶	۱۶	« اصلی
۹۹	۲۰	« انگوری
۳۰۸	۱۶	« او حسرت
۲۷۷	۲۲	« اولاف
۳۴۶	۱۱	« این سودا
۱۸۷	۴	« بازرگانی
۳۵۸	۲۲	« باشد این
۲۰۸	۱۲	« بانگ
۱۶۷	۳۵	« برگی
۷۴	۳۱	« بغضی
۴۴۴	۱۶	« بی اذن
۲۹۳	۱۵	« بی او
۷۳	۹	« بی تاویل
۲۱۸	۳۶	« پنهان خانه
۲۱۷	۲۵	« پنهان می
۱۲۷	۱۵	« تسبیحی
۳۷۸	۳۹	« تیمارم
۳۴۶	۱۳	« چاره می
۱۲۶	۱۳	« چاره نیست
۴۴۴	۴۳	« چیزی از
۴۴۴	۳۹	« چیزی می
۲۳۶	۳۵	« حرفت را
۳۳۰	۳۴	« خشمی آیدت
۲۶۲	۱۲	« خطاطی
۳۳۰	۲۶	« دانا هیچ
۵۷	۲۳	« دانی آشنا
۱۳۹	۵	« در گوش
۱۶۷	۳۰	« دندانی
۲۳۵	۲	« دیوانه
۳۲۷	۴۰	« روزی که
۳۰۸	۱۲	« زندانی
۳۴۵	۳۷	« ساکن
۲۵۹	۲۹	« سایه
۲۳۶	۱۹	« سحرو
۲۹۳	۳	« سودی
۴۰۶	۱۶	هیچشان این
۴۴۲	۴۷	هیچشان در

صفحه	سطر	اول بیت
۲۸۷	۲۶	هیچ شو واره
۲۹۹	۲۹	« صبحم
۲۰۸	۱۰	« عاشق
۲۲۲	۱	« عاقل افکند
۳۳۰	۱۲	« عاقل مر
۲۶۳	۳۳	« عقدی
۳۰۲	۲	« علت
۳۷۱	۲۵	« قلبی
۲۶۲	۱۲	« کاسد
۳۸۸	۳۰	« کافر
۳۵٤	۵	« کرمنا
٤٤٤	۴۹	« کس آنروز
۳۹۲	٤	« کس باخویش
۳۳۹	۲۶	« کس بر غیر
۵۲	۵	« کس بر مرگ
۳۲۹	۷	« کس در ملک
۲۰۰	۱٤	« کس در وی
۳٤٤	۲۳	« کس را با زنان
۳۵۵	۲۱	« کس را تا
۳٤۹	۱۲	« کس را تو
۱۶۰	۲۱	« کس را خود
٤٤٤	۳۷	« کس را در
۲۶۳	٤	« کس را ز هر
۳٤۳	۶	« کس را نیست
۹۱	۲۲	« کس کشته
۸۹	۲۱	« کس نسبه
۸۸	۲۵	« کنجی
۲۶۲	۱۱	« کوزه
۲٤۶	۱۱	« گرد خود
۲۰	۹	« گرگی
۳۵	۸	« گندم
۳۳۰	۱۱	« گوئی سنگ
۱۳۳	۲۹	« گوید تشنه
۱۲۹	۱۸	« گوید نان
۱۸٤	۷	« ما را
۲۳۰	۱۳	« مال و
۱۹۲	۳۵	« ماند آب
٤۰۷	۳	« ماند این
۷۱	۲٤	« ماه و
۱۹۵	۳۱	« ماهیات
۳۳۹	۱۱	« محتاج
۳۰۹	۵	« مرده
۱۹۹	۲۹	« مستسقی
۲۱۸	۲۳	« معهودش
۱۰۹	۲	« مگذار
٤۰۸	۳۱	« مگشا
٤۲۰	۱٤	« ممکن
٤۱۶	۱۱	« من از جا
۲۵۷	۲۸	« میدانی چه
۳۶۵	۲۹	« میگویند کن
۳۶۵	۳۲	« میگویند کاین
۶۸	۱۸	« نامی
٤۰۰	۱۱	« ناورد
۲۶۳	۳٤	« نبود پس

صفحه	سطر	اول بیت
۲۶۳	۳٤	هیچ نبود منکری
۲۲۷	۱۸	« نعمت
۲۶۲	۱۰	« نقاشی
۱۱۸	۳	« نکشد
۳۲۷	٤۰	« نندیشد که چه
۲۶۲	۳	« نندیشد که هر
۱۶۶	۶	« واز روزر
۹۰	۲۸	« و از روزر
۳۸۵	۲۲	« وهمی
۱۸۸	۲۷	هی چه میگوئی
۱۶۱	۱۶	هیچ بگذره
۳۶۵	۵	هی زچه
۹۹	۳۲	هیزم تیره
۲۹۷	۵	هیزم دوزخ
٤۳۰	۲٤	هی طلب کن
۳۶۵	۱۶	« کجا بودی
۲۸۱	۱	هیکلش از
٤٤۷	٤۳	هی لالی غوص
٤۳۱	۲۹	« مجولذات
٤۱۶	۳۹	« میاویزید
۱۷۸	۶	هین از او بگریز
۲۳۵	۷	« از او خواهید
۳۰۶	۲۶	« امید اکنون
٤۱۳	۱۸	« ببین این
۳۷٤	۱۵	« ببین کز
۱۰٤	۲۱	« بهشتی
۷۹	۱۵	« بجاروب
٤۱۰	۲	« بجای می
۲۷۳	۲۶	« بجنبان آن
۲۷۳	۲٤	« بجنبان لب
۱۸٤	۱۸	« بجوئید از
۱۷۲	۳۳	« بجو این قوم
۳۵۰	۲۱	« بجو تریاق
۱۷۳	۳۹	« بجو که رکن
۳۷٤	۱	« بچه زین
۱٦٤	۲٤	« بحل کن
۲۳۸	۱٤	« بخوان رب
۲۸۶	۱۳	« بخوان قرآن
۱۶۹	۳۵	« بخوان ما
۲۲۷	۱۶	« بخور پاك
۳٤۸	۲۹	« بدار از
٤٤۷	۲۵	« بدان خود را
۲۹۲	۱۲	« بده ای زاغ
۲۵۷	۳۶	« بده ای قطره
۲۵۷	۳۶	« بده ای قطره
۳۵۳	۱۶	« بر آراز
۲۶۶	۱	« بر و بر خوان
۲۰۳	٤	« برو جلدی
۱۹۰	۲۰	« برو درد
۲۰۳	۵	« برو کوتاه
۸۹	۱۶	« برون کن
۲۹۶	۳٤	« بزن آن
۳۲۸	۲۶	« بصبر خود
۶۷	۲۶	« بظنی

صفحه	سطر	اول بیت
۶۸	۱۵	هین بکش بهر خدا
٤۲٤	۱۲	« بکن در
۲۹۱	۱۱	« بگردان از
۲۶٤	۳۳	« بگردانش
۲۱٤	۱۶	« بگو احوال آ
۳٤۰	۱۸	« بگو احوال خ
۲۵۶	۱۶	« بگو بر من
٤۳۳	٤۵	« بگو تو
۱۷۷	۲۹	« بگو که
۶۹	۱۸	« بگویم
۲۳۹	۱۷	« بگذار ای
۲٤۷	۳۸	« بگریز از
۳۰	۲	« بملك
٤٤۳	۲۵	« بنه آن
۳۶۱	۳۰	« بنه بر پایم
۲۵۹	۲	« بهر مستی
۲۸۲	۹	« بیائید ای
۳۹۲	۲۷	« بیا ای شادی
۲۲۸	۱	« بیا ای طالب
۳٤۸	۲۷	« بیا اینسو
۲٤۶	۳٤	« بیا اینسو
۲۲۸	۳۷	« بیا بلقیس
۲۵٤	۱۰	« بیا بینی
۱۸۶	۱۹	« بیا جانا
۱۵۷	٤۱	« بیا در کشتی
۲۲۹	۱٤	« بیا که من
۲۶۱	۲۱	« بیاور حجت
۳۱۳	۳۸	« بیاور سیخها
۱۷۵	۷	« پراکنده
٤۲۵	۳۲	« تجارت
۱٤٤	۷	« تعمل
۲۰۶	۲۷	« تو کار
۳۲۷	۳۱	« تو کیل
۱۷۱	٤۲	« جواب خویش
۱۸۶	۱۸	« چرا خشکی
۱٦٤	۳۷	« چرا کردی
۱۷٤	٤	« چرا کشتی
۲۲۲	۹	« چو و سواس
۶۳	۲۳	« چه آوردید
٤۰۲	۲۳	« چه تقصیر
۳۷۵	۳۳	« چه داری
۳۳۶	۱۰	« چه راحت
۲۸۶	۳۲	« چه سازم
۲۳	۱۱	« چه لافست
۳۲۸	۱۸	« چه میجوئی ت
۲۲۹	۲۶	« چه میجوئید
۳۷۵	۱۷	« حدیث
۳٤۰	۱۹	« حکایت
۳۷۹	۲۸	« خمش
٤۱۲	۳۳	« در آذر
۳۶۵	٤۱	« در این بازار
۳۹۷	٤۰	« دریچه
۱۶۲	۲۲	« دگر اندیشه
۱۳۹	۳۰	« دهان بربند

صفحه	سطر	اول بیت
۲۰۵	۹	هین دهان بربند
۲۳۹	۱۹	« روان کن
۱٤۲	۲۷	« روان گردید
۳۵۵	۳۳	« روش برگیر
۳۳۵	۲۳	« روش بگزین
۳۰۷	۱۷	« رها کن بدگم
۹۰	۱۳	« رها کن عشقه
۳۹۱	۲	« ره صبر و
٤٤۶	۲	« ز آدم
۳۹۵	۱۵	« ز بدنامان
۲۱۶	۱۶	« ز چارم
٤۲٤	۳۷	« ز حد کاهلی
٤۲٤	۳۷	« ز حد کاهلی
۳۰۲	۳۳	« ز حرص
٤۱۵	۱۰	« ز رنج
۳۵۹	۳۰	« ز سایه
۳۲۶	۲۷	« ز گنج
٤۰	۳	« ز لای نفی
۲۷۷	۸	« ز ما صورت
۶٤	۱۸	« ز مرهم
۲۵۶	٤	« ز من بپذیر
۱۵۲	۵	« ز نان امسال
۳۸۵	۲	« سخن خا
۸۶	۳٤	« سگ یک
۳۵۹	۱۰	« سوار
۱۸۰	۶	« صلا
۲۶۷	۱۸	« طلب کن
۲۷۲	۳	« طلسمست
۱۶۵	۲۸	« عزیزا
۲۱۱	۷	« عنان
۱۷	۱۱	« غذای
۲۵۶	۱	« غنیمت دار
۹۷	۳٤	« غنیمت دان
۲۷۳	۲	« فرود آ
۲۶۷	۱۶	« فسون
۲٤۳	۱۰	« قلاوزی
۲۳۹	۱۱	« قم اللیل
۱۷۹	۲۶	« کرم بینید
۲۵۸	۳۸	« کمالی
۱۱۷	۲۹	« که از
٤۰	۵	« که اسرافیل
۳۱۰	۳۳	« که امروز
۳۸۳	۳٤	« که معکوس
۲۵۸	۸	« که یکبازی
۳۶۵	۱	« گذر از
۲۹۱	٤	« گریز از
۱۸٤	۱۷	« گلوی خود
۳۶۱	۳۳	« گلوی صبر
۷۶	۱۷	« گمان
۱۸۲	۲٤	« گواهیهای
۶۷	۲۷	« مبادا غیرت
۱٤۰	۱۶	« مبادا که طمعتا
٤۰۶	۳	« مبادا که هو
۱۶۰	۶	« مباش ای

صفحه	سطر	اول بیت
۲۲۵	۹	هین میرالا
٤٤۳	۲۶	« میران
۲۰۵	۳	« مرا بگذار
۲۳۱	۲۲	« مرا بنمای
۲۵۵	۱۰	« مراقب
۲۳۳	۹	« مرا مرده
۳۹۵	٤	« مران از
۲۳۷	۵	« مروانمر
۱۵۰	۱۷	« مروگستاخ
٤۱۶	۳	« مزن تو
۲۳۹	۱۱	« مشو پنهان
۲۹۰	۲٤	« مشو چون
۳۷۶	۱۷	« مشو شارع
۳۹۵	۳۵	« مشو صورت
۸۷	۷	« مشو غره
۳۵۶	۳۹	« مشو مغرور
۲۲٤	۲۵	« مشو نومید
۲۱۲	۲۲	« مقابل شو
۶۸	۱۵	« مکن بهر هو
۳۰٤	۳	« مکش هر
۲۱٤	۲۷	« مکن استیزه
۱۵۸	٤	« مکن با با
۸۱	۲٤	« مکن بر
۳٤۸	۳٤	« مکن تعجیل
۲۰۳	۲	« مکن جلدی
۲۸۸	۱۷	« مکن خود
۲۵۵	۳۳	« مکن زین پس
۱۵۸	۱	« مکن کاین
۱۵۸	۳	« مکن که کوه
۱٤۶	۱۳	« مکن مونس
۲۸۱	۱۷	« مگردان
۹۸	۲۸	« مگو فردا
۲۱٤	۲۶	« مگو کاینک
۳٤۰	۲۷	« مگو که
۱۹۷	۳۶	« مگو لاحول
٤۱۲	۱۶	« منه بر ریشها
۱۰۰	۲۰	« منه تو
۵۹	۲۸	« مهل
۱۰۵	۱	« میاور
۶۱	۳	« نگهدار ای
۹۸	۲۶	« وهین ای
۲۹۶	۲۷	هی نه اسبست
۱۱٤	۱۲	هین یدو بیضاء

حرف ی

ی - ا

صفحه	سطر	اول بیت
۳۸۲	۲۰	یا ابیت عند
۳۲۲	۳۳	یا از آن بازان
۳۲۲	۳۳	« آن دریا
۳۲۲	۳٤	« آن مرغان
٤۳۰	۲۲	یا الهاربنا
۳۳٤	۳۷	یا الهی سکرت
۶۳	۲۳	یا امیدباز
۳۶۳	۱۸	یا بیرسم که

صفحه	سطر	اول بیت
۱۴۱	۳۳	یابتابستان
۱۴۳	۲۳	« بتازی گفت
۳۰۳	۲۲	« بجز آن
۱۸۲	۲۴	« بحال اولینان
۴۰۹	۳	« بخانه یك
۳۴۷	۲۹	« بخواب این
۲۳۷	۱۴	یابخوردی از
۱۸۵	۳۰	یابدازبو
۱۰۴	۱۹	یابدریوزه
۳۷۵	۴	یابزخم دره
۴۹۱	۴	یابسوی آنکه
۲۴۶	۳۲	یابصورت شیخ
۱۳۳	۳۰	یابطفل شیر
۴۱۹	۱	یابطفلی در
۲۳۸	۲۶	یابعلم نقل
۴۳۸	۴۷	یابغیبت
۲۷۲	۷	یابفر دست
۹۸	۱۲	یابگلبن وصل
۴۲۵	۹	یابگورستان
۱۳۳	۲۵	یابگوید صوفئ
۴۸۲	۳۴	یابنوبت که
۳۳۵	۱۳	یابنوره
۳۶۰	۵	یابوداشتر
۲۵۶	۱۱	« کز عکس
۲۵۶	۱۱	« کز لطف
۳۳	۲۳	یابیاد این
۳۷۳	۲۲	یا پدر کوتا
۲۹۰	۲۵	یابی احسنت
۳۵۵	۲۵	یابی تعلیم
۹۸	۱۱	یاتیر بردار
۱۲۸	۵	یاتو آنسورر
۳۲۸	۳۸	یافیدی
۴۰۵	۶	« پنداری که بر
۲۷۱	۲۳	« پنداری که تو
۲۷۱	۲۴	« پنداری که حر
۲۷۱	۳۱	« پنداری که رو
۷۳	۱۸	« واگو
۲۰۶	۹	یا جبال اوبی
۳۶	۱۲	یاجواب من
۳۶۶	۳۱	یاچرا یادت
۲۶۴	۲۹	یاچو آدم
۴۱۱	۲	« ابراهیم
۳۸۲	۳۴	« احوال
۴۱۱	۲	« اسمعیل
۲۸۹	۱۹	« بازانند
۹۷	۲۲	« بانگ رعد
۹۷	۲۳	« بر درویش
۹۷	۲۴	« بوی احمد
۹۷	۲۴	« بوی یوسف
۴۱۷	۳۳	« بی گندم
۲۰۱	۱۴	« چشم
۳۹	۳۴	« داود
۳۲۳	۲۹	« دیوی
۲۸۴	۲۲	« غواصان

صفحه	سطر	اول بیت
۴۲۰	۳۵	یاچوکهی
۴۱۷	۳۳	« مرغ
۳۰۳	۱۴	« مستغرق
۲۹۹	۱۲	یاچه بخشد
۲۸۳	۲۸	یاحریص البطن
۱۱۰	۱۵	یاحسد دارد
۳۱۸	۲۱	یاخری
۳۳۴	۳۸	یاخفیاقد
۳۳۵	۱	یاخفی الذات
۴۳۵	۲۲	یاخوری بر
۱۷۳	۲۰	یاخیالاتیکه
۳۳	۲۱	یاد آریدای
۳۱۵	۳۶	« آمددر
۳۳	۲۷	« آوراز
۱۱۷	۳	« آورچه
۲۶۷	۹	« آورزان
۱۱۱	۳	« الناس
۱۷۲	۱۵	« تان ناید
۶۳	۱۳	« دادش جور
۵۳	۳۲	« دادش لوح
۹۰	۷	« دهمارا
۴۴	۱	یادرآن عالم
۹۲	۱۵	« گنج
۳۸۸	۳۷	یادرآن لوتی
۴۱۳	۳۴	یادراین ره
۲۰۱	۱۳	یادری بودی
۳۴۵	۳۴	یادش آمد
۳۶۴	۱۱	یاد صنعت
۱۷۰	۱۰	یادکردم قول
۱۴۳	۲	یاد کن لطفی
۱۷۴	۲	یادم آمد آن
۱۷۸	۲۵	« آمد قصه اهل
۴۱۷	۸	« آمد قصه شهز
۴۰۲	۱۹	یاد من کن
۴۹	۱۷	« میکن آن
۳۱۲	۸	« ناری از
۴۰۰	۲۲	« ناورده
۱۴۰	۴۱	یادهان خویشتن
۳۳	۲۲	یادیاران
۴۰۲	۲۱	یادیوسف
۴۱۱	۳۸	یارآمد عشق
۷۹	۱۶	« آینه است
۳۲۸	۳۵	« او خواهم
۳۱۸	۳۰	« ئی ده
۵۳	۲۱	یارب آن تمییز
۱۶۸	۲۲	یارب آنهارا که
۳۷۶	۱۳	یارباشد راه
۴۰۹	۶	یارباناموس را
۶۰	۶	یاربابدراهرا
۱۱۶	۳۰	یارب این بخشش
۷۵	۲۲	« این جرئت
۲۳۸	۱۰	یاربد چون
۳۶۰	۶	« مار
۳۷۳	۲۶	« نیکو

صفحه	سطر	اول بیت
۴۲۱	۳۱	یارب و یارب
۳۰۴	۳۳	یار تو چون
۱۴۱	۲۴	« تو خرجین
۳۵۹	۳۰	« جسمانی
۷۹	۱۴	« چشم تو
۳۹۱	۱۹	« چون با
۴۴۳	۱۶	« خاصی سر
۳۶۰	۷	« راازره
۱۹۷	۳۸	« راالغیار
۳۶۰	۶	« را ترسان
۴۱۳	۳۶	« راچندان
۳۹	۳۳	« سائل بود
۶۹	۱۹	یارسول الله بگو
۲۴۸	۲۳	« چوآ
۲۸۷	۱۳	« درآن
۲۴۸	۲۴	« دراین
۲۸۳	۱۶	« رسالت
۳۹۲	۳۴	یارسولیا
۳۹۵	۲	یار شب را
۱۹۲	۳۵	« شدیامار
۳۵۹	۳۹	« شوتایار
۴۳۳	۷	« غاروهجرم
۲۶۲	۲	« غالب شو
۲۶۸	۹	« فرعون
۳۵۹	۵	« کان پنجروز
۳۸۲	۵	« کرداو
۴۴۱	۲۴	« گفتم یار
۲۶	۱۸	یارم از زفتی
۲۸	۲۸	یارمن بستد
۲۶۸	۱۰	« موسی خرد
۳۵۹	۳۸	« میجو
۳۴۰	۷	« ناخوش
۱۴۳	۶	« نیکت رفت
۳۸۵	۴	یاروان شد
۱۰۳	۴	یارها کن تا
۳۱۸	۳۱	یاریت در تو
۱۸۴	۳۶	یازبالایم
۴۲۵	۳	یازبان همچون
۱۷۱	۱۷	یازچاهی عکس
۳۰۰	۱۶	« خوف حق
۱۳۲	۳۲	« عریانان
۲۵۶	۱۰	« عکس جوی
۹۷	۲۶	« لیلی بشنود
۲۷۹	۷	« نور
۱۴۱	۲۱	یاسرم دردست
۲۳۲	۶	یاسر و سجده
۹۷	۲۵	یاسوی مس
۱۵۰	۳۰	یاسه آن بد
۱۹۲	۴	یاسه مه
۳۵۲	۷	یاشب مهتاب
۲۰۱	۱۱	یاعدم دیده
۳۸۹	۳۴	یاعدوی قاهری
۲۱۹	۲۵	یاعلم باشد
۶۰	۲	یاعلی از جمله

صفحه	سطر	اول بیت
۷۵	۲۲	یاغیاث المستغیثین
۱۴۲	۱۰	یاغیاثی عند
۳۹۳	۳۷	یافت بینی
۱۱	۲۰	یافت پاکی
۳۱۷	۳۲	یافت شد
۹۲	۱۳	یافتش زیرک
۴۴۳	۱۰	یافت کم ارنه
۳۰۲	۱۳	یافتم خلوت
۴۱۰	۲۴	یافت هر بکشان
۴۴۲	۴۱	یافته ما از
۳۷۴	۳۹	یافراموشت
۲۷۵	۳۱	یاقلم را
۱۹۹	۳۷	یاکرامی ارجوا
۳۳۸	۳۱	یاکرامی ارحموا
۳۵۵	۹	یاکریم العفوحی
۲۶	۲۹	یاکریم العفوست
۲۶۵	۳۹	یاکسی کو
۲۶۴	۲۵	یاکلام بندهٔ کان
۲۷۱	۲۵	یاکلام حکمت
۲۶۱	۲	یاکند آب
۲۳۹	۵	یاکند بخل
۳۳۸	۱۶	یاکه بود
۱۳۶	۲۶	« پایش
۳۵۵	۲۶	« دید
۱۹۴	۱۳	« کفش
۱۱۰	۱۵	یاگر و بسته
۳۵۷	۳۲	یاگریز از وی
۳۳۲	۴	یاگریزی از
۱۳۳	۳۰	یاگواه و حجتی
۳۷۹	۲۱	یامثال یخ
۱۳۲	۱۰	یامجیبی عند
۳۱۱	۹	یا مجیر العقل
۲۱۱	۲۳	یامحب حق
۲۸۳	۲۹	یامریض القلب
۲۶۴	۳۰	یامسیحی که
۴۱۲	۱۸	یامظفر
۹۲	۶	یامکنی در
۱۶۴	۱۳	یامکن نذری
۲۱	۱	یامگر آن قابل
۲۹۰	۱۹	« ابری
۱۸۸	۲۴	« اورا
۱۶۶	۱۲	« خود دل
۳۸۳	۳	« دیوت
۲۹۹	۱۶	« فرعونی
۱۸۱	۷	« مرده
۱۲۶	۱۱	یامنافق وار
۱۶۹	۳۱	یامنم دیوانه
۲۶۱	۲۹	یامن و تو
۷۱	۷	یؤمنون بالغیب
۱۹۹	۱	یامنیر الخد
۳۳۸	۱۵	یانبود آن
۱۸۷	۱۱	یاندیدی کهل
۹۷	۲۵	یانسیم روضه
۴۴۴	۹	یامودی روی

صفحه	سطر	اول بیت
۲۸۸	۳	یانمیبینی تو
۱۸۷	۱۷	یانمیدانی کرمها
۱۷۵	۲۳	« که نور
۱۳۳	۲۴	یا نویسد کاتبی
۲۸۰	۲۶	« نهان شد
۵۰	۲۵	« نه این است
۵۰	۲۵	« نه جنگست
۴۱۴	۱۱	« وصال یار
۱۹۱	۱۳	« ولی حق
۱۳۲	۷	یاوه شده بیان
۲۸۷	۳۵	یاهمی دانی و

ی (خ - ر - س - ش)

صفحه	سطر	اول بیت
۲۹۵	۲۹	یخرج الحی
۴۳۴	۳۷	یرلغ واحکام
۱۶۵	۲۳	یستوی الاعمی
۴۴۵	۱	« کی
۸۰	۳۱	یشم را آنکه
۷۱	۱۶	یشهدالله

ی (ط - ع - ق)

صفحه	سطر	اول بیت
۱۴۳	۲۳	یطلب الانسان
۶۸	۹	یعرج الروح
۱۹۶	۹	یعرفون الانبیاء
۱۷۱	۴۰	یعنی ایشاهان
۳۸	۱۳	یعنی ای مطرب
۳۱۱	۳۵	یعنی این غم
۲۴۰	۱۴	یقظه آمد
۷۹	۱۹	یقظه شان

ی - ك

صفحه	سطر	اول بیت
۲۴۹	۳۱	یك اثرنی
۱۷۲	۴۳	« از ایشانرا
۱۶	۲۷	« امیری
۱۱۲	۱۹	« بدست از
۲۲۰	۱۶	« برادر داشت
۳۹۳	۱۳	« بلاز
۲۲۳	۲۷	« بمیرد
۸۱	۲۶	« بهیمه
۳۴۷	۲۳	« بیك دیدند
۳۱۷	۹	« بیکر احاجبه
۶۹	۷	« بیکر امیشنا
۲۱۹	۵	« پسر را در
۴۲۴	۲	« پلنگی
۳۲۲	۱۵	« ترش در
۱۵۵	۱۸	« تنی اورا
۳۲۷	۳۶	« جزیره
۱۴۷	۱۴	« جفاز
۱۳۶	۳۴	« جماعت زا
۱۲۸	۶	« جوالم
۲۱۳	۳۸	« جوانی برزنی
۲۴۷	۳۳	« جوانی را
۳۲۳	۳۶	« جهان بینوا
۷۷	۱۱	« جهودی
۳۴۵	۴۰	« چراغی
۱۵۲	۳۱	یك حکایت بشنواز
۳۳	۱۳	« حکایت بشنواز

صفحه	سطر	اول بیت
۱۲۷	۳۵	یك حکایت بشنوایم
۸۰	۳۳	« حکایت بشنوایکا
۳۸۷	۲۸	« حکایت بشنوایم
۲۰۰	۱۴	« حکایت گوش
۸۸	۱۷	« حکایت گویمت
۱۶۳	۶	« حکایت گویمت
۲۱۱	۲۸	« حکایت هست
۲۱۹	۱۱	« حکایت یاد
۲۹۳	۳۴	یك خرش گفتو
۴۱۳	۸	« خلافی نی
۴۶	۱۸	« خلیفه بود
۱۸۶	۱۲	« خیال نیک
۴۳۸	۱۵	« درایکه
۱۷۰	۹	« درخت از
۲۷۳	۶	« درخت سخت
۱۳۵	۵	« درمتان
۳۹۲	۲۵	« دره خواهی
۴۳۸	۲۱	« دری دیگر
۲۱۳	۲	« دگر راجد
۲۲۹	۳۰	« دگر رامژده
۲۴۰	۲۴	« دم‌ار مجنون
۹۶	۴۲	« دمم باجفد
۳۹۱	۳۷	« دم‌هجران
۴۰۱	۱۹	« دمی بر
۱۷۵	۴۱	« دمی دیگر
۵۰	۲۰	« دمی ماهم
۳۸	۲۱	« دوبندش
۳۰	۴	« دوروزچه
۳۲۲	۵	« دوگامی
۱۷۸	۹	« دومیدان
۳۱۰	۳۰	« دهان خواهم
۲	۸	« دهان نالان
۳۸۲	۱۸	« دهان نالان

صفحه	سطر	اول بیت
۱۱۱	۲۹	یك رگم زایشان
۳۵۰	۲	« زبان دارم
۴۰۹	۲۸	« زمان ارآنه
۲۷۵	۲۸	« زمان ازوی
۸۲	۱۰	« زمان بگذار
۹۴	۱۸	« زمان بیکار
۲۲۹	۸	« زمان تنها
۲۲۵	۱۰	« زمان چون
۲۷۲	۲۹	« زمان درچشم
۳۹۱	۱۲	« زمان زین
۲۸۱	۳۲	« زمان کار
۴۱۵	۵	« زمان مانع
۲۷۹	۲۶	« زمان نبود
۴۰۹	۲۷	« زمانی اشك
۱۷	۹	« زمانی صحبة
۲۲۵	۹	« زمانی موج
۳۸۸	۱۳	« زمانی هر
۱۳۸	۲۹	« زمین خرمی
۲۰۸	۲۷	« زنی آمد
۱۸	۲۷	« زنی باطفل
۱۹۱	۵	« زیان دفع
۳۵۳	۳۸	« سؤالستم
۳۱۷	۵	« سبب انگیخ
۲۹۶	۲۴	« سبدپرنان
۳۳۶	۲۲	« ستاره درمحه
۳۳۶	۲۳	« ستاره درمحه
۴۱۵	۲۱	« سخن از
۴۳۲	۳۰	« سخن گویم
۷۰	۲	« سرانگشت
۳۹۲	۳۹	« سررشته
۷۶	۱۲	« سرمو
۳۹۲	۳۵	« سری بر

صفحه	سطر	اول بیت
۲۴۷	۳۳	یك سریه
۸۹	۱۱	« سگست ودر
۱۱۵	۱۳	« سگی در
۴۸۹	۱	« سلامی بشنو
۱۹۱	۱۵	« سلامی نشنو
۳۹۷	۴	« سواره تاخت
۱۰۰	۲۳	« سواره میرو
۱۲۷	۲۶	« سواری با
۲۶۶	۲۷	« سیه رو
۴۶	۲۴	« شب اعرابی
۳۹۴	۲	« شبر میگشت
۹۸	۱۹	« شر رازوی
۱۴۸	۲۹	« شغالی
۱۷	۲۲	« شه دیگر
۳۴۷	۱۲	« صباحی جانب
۱۶۰	۳۵	« صباحی گفتش
۴۴۰	۹	« طواشی
۱۳۶	۳۴	« عجایب در
۱۲۷	۳۶	« عرابی بار
۲۶۷	۵	« عروسی
۴۳۵	۲۵	« عقابی
۴۰۸	۳۷	« عنایت به
۹۰	۳۵	« غریبی خانه
۳۶۴	۱۸	« غریبی شاعر
۳۸۱	۸	« فرح آن کز
۳۸۱	۸	« فرح آن کز
۳۸۱	۱۱	« فرح آنکه
۹۵	۱۹	« فسانه راست
۱۱۲	۲۱	« فقیه و
۲۴۱	۱۴	« فقیهی
۳۳	۲۳	« قدح
۱۰۶	۲۸	« قدم چون

صفحه	سطر	اول بیت
۷۹	۸	یك قدم زد
۳۰۱	۳۶	« کدوئی
۳۰۵	۴	« کس نامستمع
۲۱۸	۱۱	« کف گندم
۱۵۰	۲	« کمین وامتعا
۳۴۳	۳۵	« کنیزك دارد
۴۱۰	۱۴	« کنیزك دیدر
۳	۱۰	« کنیزك دیدش
۳۰۱	۳۵	« کنیزی نز
۴۳۸	۱۰	« گروه ازجمله
۲۳۴	۴	« گروه ازعشق
۲۳۹	۴۰	« گروه دیگر
۴۲۳	۳۳	« گره رابرهو
۲۳۹	۳۹	« گره راجمله
۱۰۱	۳۴	« گره را خود
۱۰۱	۳۴	« گره را ظاه
۲۴۰	۵	« گره مستغرق
۱۳۶	۷	« گزی ره
۱۶	۱۹	« گهر بودیم
۳۳۶	۲	« مؤذن
۱۲۲	۲۹	« مثال دیگر
۳۴۵	۸	« مثالی گویم
۱۸۶	۲۱	« مثل آمد
۹۷	۱۵	« مثل آوردمت
۳۲	۱۸	« مثل ایدل
۳۰۰	۲۸	« مریدی اندر
۳۷۷	۳۴	« مضاحك
۴۳۰	۳۶	« معلق زد
۲۶۱	۳۵	« مناره در
۳۹۶	۱۳	« مهی فرزند
۳۹۶	۱۳	« مهی مهمان
۱۱۱	۲۹	« نشان آدم

صفحه	سطر	اول بیت
۱۱۱	۳۰	یك نشان دیگر
۱۰۴	۳۲	« نشانی آنکه
۱۳۰	۴۰	« نشانی آنکه
۱۰۴	۳۳	« نشانی اینکه
۱۰۴	۳۲	« نشانی که
۳۶۷	۳۶	« نصاب نقره
۳۷۴	۱۷	« نظر دوگز
۱۲۴	۲۱	« نظر قانع
۲۰۲	۲۳	« نفس حمله
۴۴۴	۲۹	« نفس زان

ی-(م-و)

صفحه	سطر	اول بیت
۴۲۵	۲۶	یم چوشهر است و
۹۸	۳۳	یوسف آمد
۴۰۹	۹	یوسف اززن
۴۱۸	۱۹	یوسف زکید
۱۰۰	۲۸	یوسف ازرشك
۱۰۰	۲۹	« ازمکر
۴۲۰	۳	« چنگال
۳۲۲	۱۳	« غیب
۹۸	۳۳	یوسف حسنی تو
۳۹۳	۲۸	یوسفم در
۹۳	۱۲	یوسف مهرو
۴۱۱	۸	« وقتی دو
۱۲۷	۸	« وقتی و
۳۹۷	۱۹	« وموسی
۳۶۸	۳۳	یوسفی جستم
۱۸۸	۱۷	« شد
۷۰	۲۶	یوم تبلی
۶۹	۱۵	« تبیض
۶۵	۱۵	« دین
۲۲۶	۹	« لایجزی
۱۲۷	۹	یونست در

مجموع ابیاتیکه دراین مثنوی چاپ شده ۲۹۷۳۴ بیت است

دفتر اول - ۴۵۳۷ - دفتردوم- ۴۱۵۶- دفترسوم ۵۲۴۶ - دفترچهارم- ۴۱۳۱ - دفتر پنجم - ۴۵۴۵ - دفتر ششم - ۵۳۵۷ - دفترهفتم- ۱۷۶۲ بیت

ازحرف	مجموع ابیات شروع ازصفحه	ستون
آ	۱۶۵۵	۴۴۹	۱
ا	۲۹۵۰	۴۵۵	۱
ب	۲۱۳۳	۴۶۶	۲
پ	۱۰۸۲	۴۷۴	۲
ت	۱۳۸۹	۴۷۸	۲
ث	۹	۴۸۳	۲
ج	۷۰۵	۴۸۳	۲
چ	۲۰۷۹	۴۸۶	۱
ح	۴۷۹	۴۹۳	۵
خ	۹۰۸	۴۹۵	۴
د	۱۴۳۶	۴۹۹	۱
ذ	۶۵	۵۰۴	۳
ر	۶۴۲	۵۰۴	۴
ز	۸۳۳	۵۰۷	۱
ژ	۵	۵۱۰	۲
س	۵۵۳	۵۱۰	۲
ش	۵۳۶	۵۱۲	۲

ازحرف	مجموع ابیات شروع ازصفحه	ستون
ص	۳۸۲	۵۱۴	۳
ض	۲۲	۵۱۵	۵
ط	۱۰۸	۵۱۵	۵
ظ	۶۵	۵۱۶	۲
ع	۵۹۲	۵۱۶	۴
غ	۱۳۸	۵۱۸	۵
ف	۱۷۶	۵۱۹	۳
ق	۳۴۹	۵۲۰	۱
ك	۱۳۴۱	۵۲۱	۳
گ	۲۸۰۹	۵۲۶	۳
ل	۴۴۹	۵۳۶	۵
م	۱۸۳۶	۵۳۸	۴
ن	۹۳۳	۵۴۵	۳
و	۷۹۰	۵۴۹	۱
ه	۱۸۵۰	۵۵۶	۱
ی	۴۳۵	۵۶۲	۵

مثنوی معنوی

مناسبت هفتصد و پنجاهمین سال ولادت

مولانا جلال الدین محمد بلخی رومی

در سال ۱۳۱۶ هجری قمری چاپ شده

بقلم خاور

مثنوی معنوی

مولانا جلال الدین محمد بلخی رومی

شرح حال مولانا ملخصی از آثار مولانا، کتاب مجالس سبعه مولانا، شرح ابیات مشکله مثنوی، ذیل صفحات، دفتر هفتم منسوب بمولانا، کشف الابیات جامع، لطائف اللغات

مرحوم حاجی علی اصغر رمضانی کتابفروش

روز ۱۲ مهر ۱۲۵۰ هجری شمسی بدنیا آمد و شب ۲۰ آذر ۱۳۱۶ هجری شمسی دنیا را بدرود گفت

بپاس سی و سه سال عمری که برای تربیت من بنده صرف کرد

پنج سال زحمتی که برای تصحیح و مقابله و چاپ مثنوی کشیده‌ام

بروان پاکش تقدیم میدارم

و آرزو دارم توفیق یابم سی و سه جلد کتاب نفیس اخلاقی و دینی بنام او چاپ نموده تقدیم دوستداران اخلاق و دین و فرهنگ بنمایم

محمد رمضانی

مثنوی معنوی

مولانا جلال الدین محمد بلخی رومی

شرح حال مولانا ملخصی از آثار مولانا، کتاب مجالس سبعه مولانا، شرح ابیات مشکله مثنوی و ذیل صفحات، دفتر هفتم منسوب بمولانا، کشف الابیات جامع، لطائف اللغات

تصحیح و مقابله و همت

محمد رمضانی

دارندهٔ کلالهٔ خاور

از سال ۱۳۱۵ تا سال ۱۳۱۹ در تهران چاپ شد

بها صد ریال

چاپخانهٔ خاور «تهران»

تصویر مولانا محفوظ در تکیه یکی قاپو اسلامبول

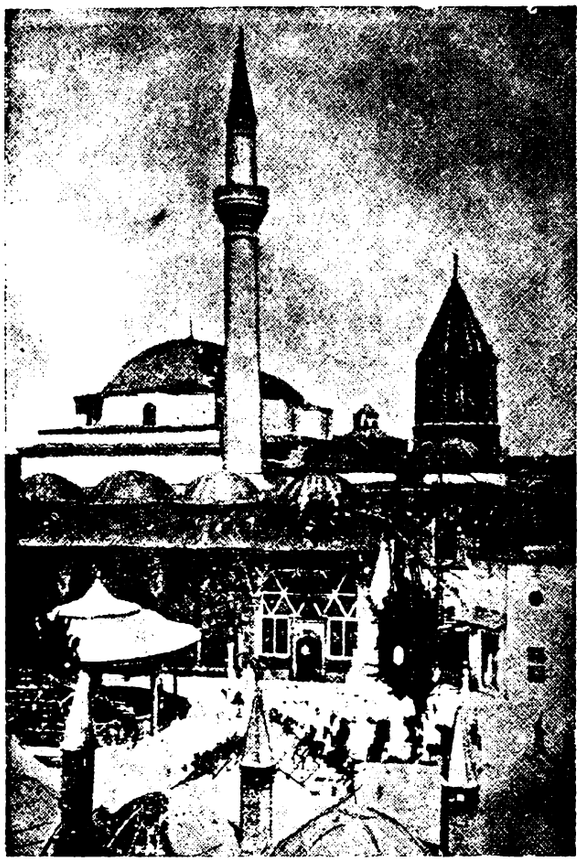

قبه خضرا و تربت شریف مولانا و یاران

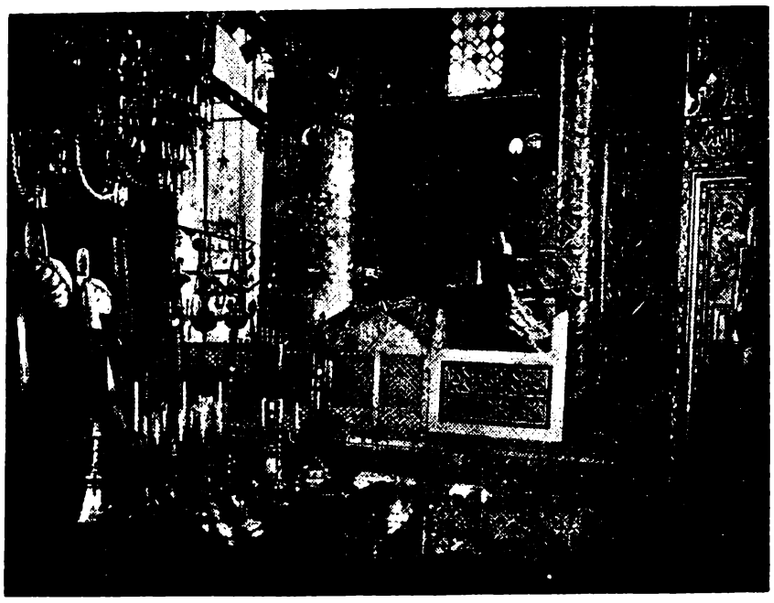

تربت مولانا

سر آغاز

کم کسیست که بادبیات پارسی و شعر و عرفان آشنائی داشته باشد و عارف نامی جلال الدین محمد بلخی مشهور بمولانای، روم قدس سره سرایندهٔ مثنوی معنوی را که یکی از بزرگترین نوابغ ایران و درخشنده ترین ستارهٔ فروزان مشرق است نشناسد. و کمتر کتاب تاریخ و تذکره ایست که از حالات و جذبات مولانا در آن ذکری نشده باشد

در مقدمهٔ بیشتر چاپهای مثنوی ترجمهٔ مختصری که حاجی زین العابدین مستعلیشاه شروانی در بستان السیاحه خود نگاشته نقل شده است و آن خلاصه و عصارهٔ کلیهٔ شروحی است که پیشینیان از احوال این بزرگترین مردان رسیدهٔ راه حقیقت نوشته اند

خوشبختانه در سالهای اخیر سه رساله ذیقیمت در ترجمهٔ حال و تتبع شخصیت مولانا بخامهٔ نویسندگان دانشمند معاصر طبع و نشر شده است :

(۱) ولدنامه یا مثنوی ولدی اثر شیخ بهاء الدین محمد معروف به سلطان ولد فرزند روحانی و جسمانی مولانا با مقدمه و تعلیقات آقای جلال همائی که در حدود ده هزار بیت و قدیمترین و صحیحترین سند تاریخی است که از خصوصیات زندگانی مولانا جلال الدین و پدرش بهاء الدین محمد ملقب بسلطان العلماء و یاران برگزیدهٔ وی سید برهان الدین محقق ترمدی و شمس الدین محمد تبریزی و صلاح الدین فریدون قونیوی و حسام الدین حسن چلبی و اصحاب و مریدان او بحث میکند

سلطان ولد برسر هر فصل و عنوان منظومهٔ ولدنامه نثرهای شیرینی نوشته است که اگر آنهارا جمع کنند رسالهٔ بسیار ساده و فصیحی در مطالب عرفانی و تاریخی و خلاصهٔ طریقهٔ مولویه که بیشتر آداب و رسوم قدیمش مولود خود اوست فراهم خواهد شد

(۲) شخصیت مولوی نگارش آقای حسین شجره که در ۲۳۸ صفحه با قلمی شیوا از اصل و منشأ تصوف و نبوغ عقل از نظر عرفان و نفوذ تصوف ایران در شرق و غرب و حالات مولانا و تدوین مثنوی معنوی و معنی و مفهوم اشعار مولوی و گفتار و نظریات مستشرقین و فضلای غرب در بارهٔ مولانا و مثنوی بحث کرده اند

(۳) رساله در تحقیق احوال و زندگانی مولانا جلال الدین محمد مشهور بمولوی و مشایخ و یاران و مریدان و معاصرین او نگارش محققانهٔ آقای بدیع الزمان فروزانفر با ۱۵ گراور و یک شجره نامه در ۲۳۲ صفحه که علاوه بر تتبعات دانشمندانهٔ خود از ده منبع قدیمی بسیار معتبر و از مجموعهٔ یادداشتهائی که آقای کاظم زادهٔ ایرانشهر در برلن از گفتهٔ بازماندگان و معتقدان مولانا گرد آورده استفاده کرده اند

اگرچه با انتشار این سه رساله احتیاج بنوشتن شرح حال در مقدمهٔ مثنوی خود نداشتیم ولی برای کسانیکه دسترسی بمطالعهٔ آثار نامبرده نداشته باشند اختصاری از ولد نامه و عین مقالهٔ بستان السیاحه و خلاصه ای از تحقیقات آقای فروزانفر را در رساله زندگانی مولانا با مراجعه بشرح حال مولانا بقلم سپهسالار بترتیب مینویسیم و در خاتمه از آثار مولانا و مزایای مثنوی حاضر بحث نموده و بفهرست جامعی از مطالب مثنوی گفتار خود را خاتمه میدهیم

محمد رمضانی

از کتاب ولدنامه

مرید شدن سید برهان الدین محقق مولانا بهاء الدین را و خواب دیدن مفتیان پیغمبر را

گفت برهان دین محقق حق — سبق برده ز سابقان بسبق
سخنش را هر آنکه بشنودی — دایم اورا بصدق بستودی
در جوانی ببلخ چون آمد — خواست کان جایگاه آرامد
جد مارا چو دید آن طالب — که بر و بود عشق حق غالب
لقبش بد بهاء دین ولد — عاشقانش گذشته از عد و حد
جمله اجداد او شیوخ کبار — همه در علم و در عمل مختار
اصل اورا نسب ابوبکری — زانچو صدیق داشت او صدری
مثل او کس نبود در فتوی — از فرشته گذشته در تقوی
بود اندر همه فنون استاد — حق بوی علم را تمام بداد
خوانده سلطان عالمان اورا — مصطفی قطب انبیاء خدا
مفتیان بزرگ اندر خواب — دیده یك خیمهٔ کشیده طناب
مصطفی اندرون خیمه بناز — زده تکیه بصد هزار اعزاز
ناگهانی بهاء دین ولد — از در خیمه اندرون آمد
مصطفی چون بدید جست از جا — پیش رفت و گرفت دستش را
برد پهلوی خویش بنشاندش — زان ملاقات گشت بیحد خوش
گفت از آنپس بمفتیان اینرا — که از امروز این شه دینرا
جمله سلطان عالمان گوئید — در رکابش بجان و دل پوئید
بامدادان باتفاق همه — از سر صدق بی نفاق همه
بر درش آمدند تا گویند — سر آن خواب را ازو جویند
پیش از آنی که دم زنند او گفت — خوابشانرا و سر نکرد نهفت
دادشان از مقام و حال نشان — وقعه را کرد بالتمام بیان
جمله پیشش فغان بر آوردند — بی دف و نای شورها کردند
گشت سید مریدش از دل و جان — تا روانرا کند ز شیخ روان
در مریدی رسید او بمراد — زانکه شیخش عطای بیحد داد
چشمهٔ عشق از دلش جوشید — جان او بادهٔ بقا نوشید
جمله غمهاش ذوق و شادی شد — سوی عشقش چو شیخ هادی شد
خار هجرش ز وصل گلشن گشت — شب تارش چو روز روشن گشت
مس جانش ز نار عشق گداخت — گشت زر چون به کیمیا در ساخت
عاقبت قطب گشت در عالم — سجده گاه ملك شد و آدم

رنجیدن سلطان العلماء از بلخیان و هجرت گزیدن از خراسان

چونکه از بلخیان بهاء ولد — گشت دلخسته آن شه سرمد
ناگهش از خدا رسید خطاب — کای یگانه شهنشه اقطاب
چون ترا این گروه آزردند — دل پاك ترا زجا بردند
بدر آ از میان این اعدا — تا فرستیمشان عذاب و بلا
چونکه از حق چنین خطاب رسید — رشتهٔ خشم را دراز تنید
کرد از بلخ عزم سوی حجاز — زانکه شد کار گر در او آن راز
بود در رفتن و رسید خبر — که از آن راز شد پدید اثر
کرد تاتار قصد آن کشور — منهزم گشت شاه شوم اختر
بلخ را بستد و بزاری زار — کشت از آن قوم بیحد و بسیار
نتوان گفت در ره آن سلطان — که چها داده با کهان و مهان
چه کرامانها که در هر شهر — مینمود آن عزیز روزبهٔ دهر
گر شوم من بشرح آن مشغول — فوت گردد از آن سخن مأمول
آمد از کعبه در ولایت روم — تا شوند اهل روم ازو مرحوم
از همه ملک روم قونیه را — برگزید و مقیم شد آنجا
رو نهادند سوی او خلقان — از زن و مرد و طفل و پیر و جوان
آشکارا کرامتش دیدند — زو چه اسرارها که بشنیدند
چند روزی بر این نسق چو گذشت — که و مه مرد و زن مریدش گشت
گشت سلطان علاء دین چون دید — روی اورا بعشق و صدق مرید
چونکه وعظش شنید شد حیران — کرد اورا مقام در دل و جان
دید بسیار ازو کرامت ها — یافت در خویش ازو علامتها
گفت دل لرزدم ز هیبت او — می هراسم بگاه رؤیت او
هیبتی میزند ازو بر من — که از آن لرزه می فتد در تن
شد یقینم که او ولی خداست — در جهان نادر است و بیهمتاست
دائماً با خواص این گفتی — روز و شب در مدح او سفتی

مردن سلطان العلماء و نشستن مولانا جلال الدین بجای پدر

بعد دو سال آن ولی خدا — سر ببالین نهاد او ز عنا
شاه شد از عنای او محزون — هیچ از این غصه اش نماند سکون
چون بهاء ولد نمود رحیل — شد ز دنیا بسوی رب جلیل
نار در شهر قونیه افتاد — از غمش سوخت بنده و آزاد
در جنازه اش چو روز رستاخیز — مرد و زن گشته اشك خونین ریز
علما سر برهنه و میران — جمله پیش جنازه با سلطان
شه ز غم هفت روز بر ننشست — دل چون شیشه اش ز درد شکست
هفته ای خوان نهاد در جامع — تا بخوردند قانع و طامع
تعزیه چون تمام شد پس از آن — خلق گرد آمدند پیر و جوان

همه کردند رو بفرزندش که توئی در جمال مانندش
شیخ مازین سپس توخواهی بود از توخواهیم جمله مایه وسود
شست برجای وی جلال الدین روبدو کرد خلق روی زمین
مفتی شرق وغرب گشت بعلم از جهان جهل درنوشت بعلم
رایت شرع احمدی افراخت هرکه دین داشت خواجه را بشناخت
بیقراران شدند ازاوساکن همه در ظل او زخوف ایمن

آمدن سید برهان الدین محقق ترمدی بقونیه

مدتی چون بماند در هجران طالب شیخ خویش شد برهان
گشت بسیارو اندر آخر کار داد با وی خبر یکی زکبار
گفت شیخت بدان که درروم است نیست پنهان بجمله معلوم است
آمداز عشق شیخ خودتازان با هزاران تبختر و نازان
گشته ازشیخ پرچوجام ازمی همچنان کز شکر شود پرنی
چونکه شادان بقونیه برسید شیخ خودرا ازشهریان پرسید
همه گفتند آنکه میجوئی هرطرف بهر او همی پوئی
هست سالی که رفت از دنیا رخت خودرا کشید درعقبی
جسم خاکیش رفت اندرخاك جان پاکش گذشت ازافلاك
گفت سید که شیخ اندرماست همچوروغن نهان شده درماست
عین شیخم زمن نماند اثر هیچ دیدی شکرجدا زشکر
آب اگر درمز رکوزه بود عاقل از کوزه ها زره نرود
آب جوید زکوزه تابخورد تشنه درنقش کوزه کی نگرد
خلق راپس بخویش دعوتکرد گشت ازجان غلام اوزن ومرد
شهر جمله مرید او گشتند در درون تخم مهر او کشتند

مرید شدن مولانا جلال الدین بسید و رسیدن بمقام قطبیت

گفت سید بشه جلال الدین گرچه درعلم نادری وگزین
لیك بدوالدتو صاحب حال جوی آنرا و درگذر ازقال
قال اورا گرفته ای بدودست همچومن شوزحال اوسرمست
وارث والدی تو اندرپوست مغزمن برده ام نگردردوست
از مرید پدر چو آن بشنید گشت جان و بگرد تن نتنید
شد مریدش زجان وسربنهاد همچو مرده به پیش او افتاد
بود در خدمتش بهم نه سال تاکه شد مثل او بقال وبحال
همسرو سر شدند در معنی زانکه یکدل بدند در معنی
ناگهان سید از جهان فنا کرد رحلت سوی سرای بقا
ماند بی او جلال دین تنها روزوشب کردروی سوی خدا
خواب وخورراد رآنهوس بگذاشت علم جستجوی را افراشت
پنج سال این چنین ریاضت کرد ازسرصدق و سوزوناله ودرد
عمل و دردراچو کرد قرین رفت همچون ملك بچرخ برین
خاص وعامش مریدوبنده شدند چون نبات از بهار زنده شدند
ده هزارش مرید بیش شدند گرچه اول زصدق دور بدند
وعظ گفتی همیشه برمنبر گرم وگیرا چو وعظ پیغمبر
صیت خوبش گرفت عالم را کرد زنده روان آدم را

رسیدن مولانا جلال الدین بشمس تبریزی و تغییر حال او

ناگهان شمس دین رسیدبوی گفت انی ز تاب نورش فی
از ورای جهان عشق آواز برسانید بی دف و بی ساز
گفت اگرچه بباطنی تو گرو باطن باطنم من این بشنو
دعوتش کرد در جهان عجب که ندید آن بخواب ترك وعرب
نزد یزدان چو بود مولانا از همه خاصتر بصدق و صفا
خضرش بود شمس تبریزی آنکه با او اگر در آمیزی
هیچکس را بیك جوی نخری برده های ظلام را بدری
بعد بس انتظار رویش دید گشت سرها براوچوروز پدید
شد براو عاشق وبرفت ازدست گشت پیشش یکی بلندی وپست
دعوتش کردسوی خانهٔ خویش گفت بشنو شها ازین درویش
پس از آن هردوخوش روانه شدند شادوخندان بسوی خانه شدند
شیخ استاد گشت نو آموز درس خواندی بخدمتش شب وروز
گرچه درعلم فقر کامل بود علم نو بود کان بسوی بنمود

حسدبردن مریدان مولانا برشمس

یکزمانی بهم همی بودند مدت یک دو سال آسودند
غیرت حق در آمدو ناگاه فج فج افتاد در همه افواه
در شناعت در آمدند همه آن مریدان بیخبر چورمه
گفته باهم که شیخ ما زچه رو پشت برما کند زبهر چه او
ما همه عاشقیم در ره شیخ بندهٔ صادقیم در ره شیخ
شده ما را یقین که مظهر حق اوست بی شك وزاو بریم سبق
چه کس است اینکه شیخ ما را او برداز جا چو یك کهی راجو
کرد اورا زجمله خلق نهان می نیابد کسی زجاش نشان
ساحراست این مگر بسحروفسون کردبرخویش شیخ را مفتون
همه درفکر این که کی ازشهر رود او یا فنا شود از قهر
جمله گشته بخون او تشنه ساخته بهر کشتنش دشنه
چون غلوشان براوزحد بگذشت دشمنیشان زحدوعد بگذشت
شمس تبریز رفت سوی دمشق تاشود پردمشق وشام زعشق
چون حزین شد زهجر مولانا گشت معرض زجمله آن دانا
دوستی را از آن نفر ببرید مرغ مهرش زلانه شان بپرید
چونکه آن رایشان نیامد راست عکس شد آنچه هریکی میخواست
گفته بودند اگر رود زینجا ماند آن شاه ما بما تنها
باردیگر زپندهای خوشش بجهیم ازجهان و پنج وششش
آنگروهی که بودشان غفلت کرده بودند از سفه جرأت
پیش شیخ آمدند لابه کنان که ببخشا مکن دگر هجران
توبهٔ ما بکن زلطف قبول گرچه کردیم جرمها ز فضول

فرستادن مولانا بهاء الدین ولدرا

بود شه را عنایتی بولد در نهان اندرون برون از خد
خواند اورا وگفت رو تورسول ازبرم پیش آن شه مقبول
ببر این سیم را بپایش ریز گویش از من که ایشه تبریز
آن مریدان که جرمها کردند زانچه کردند جمله واخوردند
همه سازند از دل و ازجان جانشان را فدای آن سلطان
رنجه کن اینطرف قدم را باز چند روزی بیا و با ما ساز
آنچه ازما سزیدا گر کردیم همچوخار خلنده سر کردیم
همچنین زین نمط بوی میگو دل او را بلابه ها میجو
باشد این گر بودمرا آن بخت نرم گردد نگیرد این را سخت
دهدم باز وصل از سرلطف بهلد هجر و بگذرد از عنف
پس ولد سر نهاد والد را شکر کرد اوخدای واحد را
گشت ازجان روان بسوی دمشق راه را میبرید از سر عشق
چون رسید او بنزد شمس الدین آن شه اولیای با تمکین
در سخن آمد و درر بارید در دل و سینه عشق نو کارید
سر سر حدیث وقرآن گفت کرد پیدا سری که بود نهفت
بی پرش بر فلك بپرانید بی تنش گرد عرش گردانید
حجب از پیش چشم دل برداشت شب تاریك را نمود چوچاشت
ظلمت از تن ببرد و ازدل وجان تاروان گشت همچو سیل روان

بازگشت ولد بقونیه در رکاب شمس الدین

چون شنید از ولد رسالت را خوش پذیرفت آن مقالت را
باز گشت ازدمشق جانب روم تا رسد در امام خود مأموم
شد ولد در رکاب او پویان نزضرورت ولی زصدق وزجان
در ره از وی هزار سربشنید صدجهان از ورای چرخ بدید
چون رسیدند پیش مولانا نوش شد جمله نیش مولانا
وانجماعت که منکران بودند منکر قطب آسمان بودند
جمله شان جانفشان باستغفار سر نهادند کای خدیو کبار
از سر صدق روی آوردیم توبه کاریم از آنچه ما کردیم
بعداز آن جمله ازوضیع وشریف حلقه گشتند گرد شاه ظریف
پهلوی شه نشسته مولانا چون دوخور که زنند سرزسما
شمس تبریز در سخن آمد زنده شد آنکه فهم کن آمد
هریکی زان سخن بعشق پرید هر یکی از خودی تمام برید

از امیر و توانگر و درویش هریکی قدر وسع وطاقت خویش
بخشش آورد و میهمانی کرد تا شود یار مهربانی کرد
مدتی این چنین گذشت زمان در حضور شهان هردو جهان
آن دو شه چون بهار وایشان دشت همه را تازه گشته زیشان کشت
شاخ و برگ درونشان پربار رسته بیخار هر طرف گلزار
درچنین عیش و درچنین وصلت همه پر نورو غرق در رحمت

گستاخی مریدان و ناپدید گشتن شمس الدین

باز شیطان بصورتی دیگر زد درایشان کدورتی دیگر
رخت اعمال جمله را دزدید هر یکی زاعتقاد برگردید
باز گشتند همچو اول بار می ومستی گذشت وماند خمار
روشنی شد بدل به تاریکی صحت تن به رنج باریکی
باز چون شمس دین بدانست این که شدند آن گروه پر از کین
گفت او باولد که دیدی باز چون شدند از شقا همه دمساز
که مرا از حضور مولانا که چو او نیست هادی ودانا
فکنندم جدا و دور کنند بعد من جملگان سرور کنند
خواهم این بار آنچنان رفتن که نداند کسی کجایم من
همه گردند در طلب عاجز ندهد کس زمن نشان هرگز
ناگهان گم شد از میان همه تا رهد از دل و زبان همه
یکدو روز او چو گشت ناپیدا کرد افغان زدرد مولانا
هیچ از وی کسی نداد خبر نی بکس بورسید ازاو نه اثر
شیخ گشت از فراق او مجنون بی سرو پا زعشق چون ذوالنون

استغراق و بیقراری مولانا از فراق شمس الدین

شیخ مفتی ز عشق شاعر شد گشت خمار اگر چه زاهد بد
نی زخمری که او بود زانگور جان نوری نخورد جز می نور
روز وشب در سماع رقصان شد برزمین همچو چرخ گردان شد
بانگ و افغان او بعرش رسید ناله اشرا بزرگ و خرد شنید
غلغله اوفتاد اندر شهر شهر چه بلکه در زمانه ودهر
کاین چنین قطب ومفتی اسلام کوست اندر زمانه شیخ وامام
شورها میکند چو شیدا او گاه پنهان و گه هویدا او
خلق ازوی زشرع ودین گشتند همگان عشق را رهین گشتند
حافظان جمله شعرخوان شده اند به سوی مطربان دوان شده اند
عاشقی شد طریق ومذهبشان غیر عشق است پیششان هذیان

رفتن مولانا درجستجوی شمس الدین بجانب شام

باچنان مستی و چنین جوشش باچنان عشق و باچنان کوشش
کرد آهنگ ورفت جانب شام در پیش شد روانه پخته و خام
چون رسید اندر آن سفر بدمشق خلق را سوخت او ز آتش عشق
همه گشتند عاشقش ازجان دیده در درد او دوصد درمان
جمله ازجان مرید و بنده شدند همچو سایه پیش فکنده شدند
شامیان هم شدند واله او کاینچنین فاضل پیمبر خو
ازچه گشته است عاشق ومجنون کاندرو مدرج است صدذوالنون
شمس تبریز خود چه شخص بود تا پیش این چنین یگانه رود
گفت اگرچه به تن ازو دوریم بی تن و روح هر دو یکنوریم
هردو باهم بدیم بی تن وجان پیش از آن کاین فلك شود گردان
بی زمین و زمان بهم بودیم از وجود جهان نیفزودیم
حالت ما بهم نمی ماند کیست کاحوال ما عیان داند
شمس تبریز را بشام ندید در خودش دید همچو ماه پدید
کرد رجعت بروم باز آمد رفت چون کبك وهمچو باز آمد
قطره اش چون فزود دریا شد بود عالی ز عشق اعلی شد
مطربانرا بخواند از سر او بی سر و پا ببام و بر در او
روز وشب یکدمش قرار نبود بی قدح خمر عشق می پیمود
حیرت خلق شد در او افزون کاین چه شور است واینچگونه جنون
چندسالی نشست وباز زعشق رفت با جمله خلق سوی دمشق
باز آنجا فکند صد غوغا جمله گفته عجب زهی سودا
ماهها در دمشق ساکن شد عاشقی کی ز عشق ساکن شد

بازگشتن مولانا بقونیه وبرگزیدن صلاح الدین زرکوب قونوی

بعداز آن باز گشت جانب روم تا زند بر جبین شیر رقوم
سرزد از چرخ روح آنخورشید تاسها را کند پر از ناهید
گفت چون من ویم چه میجویم عین اویم کنون زخود گویم
وصف حسنش که میفزودم من خودهمان حسن ولطف بودم من
درچنین جوش یک مرید از او یافت قربت سوار گشت نکو
لقبش بود شه صلاح الدین قطب هفت آسمان وهفت زمین
چون ورا دید شیخ صاحب حال برگزیدش ززمرهٔ ابدال
روبدو کرد وجمله را بگذاشت غیر او را خطا وسهو انگاشت
گفت از روی مهر بایاران نیست پروای کس مرا بجهان
سرشیخی چو نیست درسر من نبود هیچ مرغ همپر من
پس ازین جمله سوی او پوئید همه ازجان وصال او جوئید
پس ولدرا بخواند آنحق بین گفت بنگر رخ صلاح الدین
نظرش کیمیاست بر تو فتد رحمت کبریاست بر تو فتد
برهاند ترا ز مرگ و فنا برساند به تخت ملك بقا
کندت بر علوم سر دانا جمله اسرار ازو شود پیدا

آرام گرفتن مولانا با صلاح الدین از طلب شمس وحسد بردن مریدان

شورش شیخ گشت ازو ساکن وآنهمه رنج و گفتگو ساکن
زانکه بد نوع دیگر ارشادش بیشتر بود از همه دادش
آنچه از اولیا نبردی کس سالها میرسید ازو بنفس
شیخ با او چنانکه باآن شاه شمس تبریز خاص خاص اله
نظر شیخ جمله بروی بود غیر او نزد شیخ لاشی بود
ننشستی بهیچکس جز او چشم را بر نداشتی زان رو
باز در منکران غریو افتاد سخت درهم شدند اهل فساد
باز آغاز کرد جوش حسد زانکه بودند غرق نفس وجسد
گفته باهم کز آن یکی رستیم چون نگه میکنیم درشستیم
کاش کان اولینه بودی باز شیخ مارا رفیق و هم دمساز
نبداز قونیه بد از تبریز بود جان پرورونبد خونریز
همه این مرد را همیدانیم همه هم شهریم و هم خوانیم
نی وراخط وعلم ونی گفتار بر ما خود نداشت او مقدار
دائما در دکان بدی زرکوب همه همسایگان ازو در کوب
آنکسانیکه منکران بودند از ازل کور وهم کران بودند
ازخود او را بنقص کرده نظر جان جانرا شمرده چون پیکر
که چسان ترهات میگفتند از غم و غصه شب نمی خفتند
پیش ازین جاش بود صف نعال فخر کردی زما میان رجال
چون شود اینکه او را اکنون شیخ خوانیم بل زشیخ افزون
زین نمط فحشهای زشت ودرشت گاه گفته بروش و گه پس پشت
جمله را رأی اینچنین افتاد که چو زاسب مراد زین افتاد
سر ببازیم و زنده اش نهلیم چون ازو جان فکار وخسته دلیم
یك مریدی برسم طنازی شد از ایشان و کرد غمازی
درهمان لحظه نزد مولانا آمد و گفت این حکایت را
پس رسید این بشه صلاح الدین نورچشم و چراغ هر ره بین
خوش بخندید و گفت آنکوران که ز گمراهیند بی ایمان
نیستند اینقدر زحق آگاه که بجز زامر او نجنبد کاه
چون تواند کسی مرا کشتن یا بخاك و بخونم آغشتن
می برنجید ازاینکه مولانا کرد مخصوصم از همه تنها
خودندانسته اینکه آینه ام نیست نقشی مرا معاینه ام
درمن او روی خویش می بیند خویشتن را چگونه نگزیند
گشت واقف زراز شیخ علیم خشمگین شد بر آنگروه لئیم
راه بربست دیگر ایشانرا آن لئیمان کوربینان را
همه گشتند سرزد از آن گرمی رویشان سخت شد زبیشرمی
روزشان گشت همچو شب تاریك گردن جمله شد زغم باریك
هریکی دست خود همی خائید از دلش غصه ها همی زائید
گفته باهم اگرچنین ماند چه شود حال ما خدا داند

پیش از آنکه رویم جمله زدست چاره سازیم تا رهیم ز شست
سوی ایشان شویم توبه کنان وصل جوئیم تا رود هجران
همه جمع آمدند بر در او می‌نهادند بر زمین سر و رو
گریه زارشان چورفت ازحد بانگ و افغانشان گذشت ازحد
چون شنیدند آن دو زاریرا ساز کردند چنگ یاری را
در گشادند و راهشان دادند قفل های ببسته بگشادند

در گذشتن صلاح‌الدین ورسیدن خلافت به‌چلبی حسام‌الدین

شیخ بااو چودر دوتن یکجان بود آسوده و خوش‌وشادان
مست از همدگر شده ده‌سال داشته بی خمار هجر وصال
جمع یاران بگردشان زده صف آندوچون بحروباقیان چون کف
همه چون اختران وآندوچوماه همه چون بندگان و آندوچوشاه
درچنین عیش‌ودولت ونزهت در چنین جاه‌و ملکت و زینت
ناگهان شدصلاح‌دین رنجور گشت از صحبت بدن مهجور
شیخ فرمود در جنازهٔ من دهل آرید و کوس بادف زن
سوی گورم برید رقص کنان خوش‌وشادان‌ومست‌ودست‌افشان
تا بدانند کاولیای خدا شاد و خندان روند سوی لقا
کردچشمان فرازو رفت‌بناز ناز نازان بصد هزار اعزاز
اولیا را بود زمرگ حیات زانکه در مرگ دیده‌اند نجات
جسم پاك ورا چواندر خاك بنهادند رفت پاک بپاک
بود راضی‌شه از حسام‌الدین داده بودش هزار گنج گزین
مرشد جمله بود مولانا آن خدیو یگانهٔ والا
رتبت هر یکی براو روشن گشته همچون میان‌روح وبدن
شیخ گفت ای حسام‌حق آئین چونکه‌رفت‌ازجهان‌صلاح‌الدین
بعدازین نایب وخلیفه توئی زانکه اندر میانه نیست دوئی
آن یکی باز گفت مولانا زین سه مهتر کدام بود اعلی
گفتش اندرجواب کای‌همراه شمس چون‌مهربد صلاح چوماه
چون‌ستاره‌است‌شه‌حسام‌الحق زانکه گشته‌است باملك ملحق
شیخ اینرا بجای آن بنشاند بر سرش نور ها نثار افشاند
گفت اصحاب‌را که سربنهید پیش او عاجزانه پر بنهید
همه امرش ز دل بجا آرید مهر او در درون جان کارید

مصاحبت شیخ حسام‌الدین تاپایان زندگانی مولانا ومستفیدشدن یاران بی‌حدازهردو

بود با شیخ در زمانهٔ شیخ همدل و همنشین بخانهٔ شیخ
در صفاو وفابهم همدم همه اصحاب شادمان بیغم
بخشش هردو برهمه شامل همه از هر دو عالم و عامل
خوش‌بهم‌بوده مدت ده‌سال پاك و صافی مثال آب زلال
بعداز آن نقل کرد مولانا زین جهان کثیف پر زغنا
سال هفتاد و دو بده بعدد ششصد از عهد هجرت‌احمد
چشم‌زخمی‌چنین‌رسیدبخلق سوخت‌جانها زصدمت‌آن‌برق
لرزه افتاد در زمین آندم گشت نالان فلك در آن ماتم
مردم شهر از صغیرو کبیر همه اندر فغان وآه‌و نفیر
بجنازه همه شده حاضر از سر مهر و عشق نز پی‌بر
قوم هر ملتی براو عاشق اهل هر مذهبی براو صادق
عیسوی گفته‌اوست‌عیسی‌ما موسوی گفته‌اوست موسی ما
مسلمش‌خوانده‌سرونورر‌سول گفته هست‌اوعظیم‌بحر نقول
همه کرده‌زغم گریبان‌چاك همه از سوز کرده برسرخاك
آنفغان و خروش کانجابود کس‌ندیده‌است‌زیرچرخ کبود
همچنان‌این کشیدتاچل‌روز هیچ ساکن‌نشد دمی‌تف‌وسوز
روزوشب‌بودگفتشان‌همه‌این که‌شد آن گنج زیرخاك‌دفین
ذکراحوال‌وزندگانی او ذکر افوال‌و در فشانی او
ذکرعشق‌خداو تجریدش ذکرمستی‌و صدق‌و توحیدش
ذکرلطف‌وتواضع‌وکرمش ذکرحال وسماع چون ارمش
ذکرتذکیرووعظو گرمی‌او ذکر مهر و وفا و نرمی او
ذکراسرارولطف‌انوارش ذکر آن کشفها ز دیدارش
ذکرتقوی وحلم‌ورحمت‌او ذکر فتوی وعلم‌و حکمت او

از کتاب بستان‌السیاحه

برضمایر مهرمآثراولوالابصار مخفی ومستور نماند که ولادت باسعادت‌مولانا در قبة‌الاسلام بلخ من‌بلاد خراسان‌درششم‌ربیع‌الاول سنه ٦٠٤ ششصدو چهار هجری روی نمود

همان شراب کش بادهٔ خم‌جبروت همان همای‌بلند آشیان‌عرش‌نشین
رموز گوی‌ازل‌مولوی‌که‌دادنجات مقیدان هوا را زقید این سجین
زجلدهای کتابش‌که‌مینوشت‌گرفت جهات سته به پیرایهٔ ابد تزیین
سخن‌زمرتبهٔ‌شعراونه‌حدمنست که‌همچوعرش‌بلنداست‌وهمچوشرع‌متین

گویند آنجناب در پنج سالگی بهر سه چهار روز یکبار افطار میفرمود و در نسب از نسل ابوبکربن ابی‌قحافه خلیفهٔ اول بود بدین ترتیب :

هوابن بهاءالدین محمدبن حسین‌بن احمدالخطیب بن محمود بن ثابت بن مسیب بن مطهر بن‌حماد بن عبدالرحمن بن ابوبکر

ابأعن‌جدازعلماء نامدار عالیمقدار و از فضلاء کبار آندیار بودند و شیخ‌احمدالخطیب بلخی مریدقطب‌العارفین شیخ‌احمدغزالیست و فرزند ارجمند او شیخ حسین که‌جد مولاناست بغایت متقی و پرهیزکار و اسباب دنیوی در نظرش بیمقدار بود نقل است که در واقعه حضرت رسالت پناه صلعم خوارزمشاهرا فرمود که ما دختر ترا بشیخ حسین عقدکردیم تو نیز قبول کن و ایضاً وزیر خوارزمشاه همان خوابرا مشاهده نمود و شیخ حسین نیز درهمان شب خواب میبیند که حضرت رسول صلعم میفرماید که ماصبیهٔ خوارزمشاهرا بتو تزویج نمودیم خوارزمشاه بفرمودهٔ آنحضرت عمل نموده دختر پاکیزه گوهر خودرا بنکاح‌شیخ حسین درآورد و بهاءالدین محمد از آن عفیفهٔ مکرمه بوجود آمد چون بسن‌رشد و تمیز رسید بتحصیل علوم مشغول شده در اندك زمانی دراکثر علوم ماهر گردید و نیز در عنفوان شباب بعد از اکتساب علوم و آداب اولا تلقین ذکر از والد خود گرفته و او از پدرش امام احمد خطیب و بدینواسطه سلسلهٔ بهاء الدین متصل بشیخ احمد غزالیست بعداز آن صحبت شیخ‌الشیوخ نجم‌الدین کبری‌را دریافته است و از روی ریاضت و مجاهده با علی قلل مشاهده شتافته و مقبول همهٔ دلها شده و در بلخ متمکن میبوده و بدرس و فتوی نیز اشتغال مینموده‌و طالبانرا بکشف حقایق و معارف راهنمائی میکرده‌و از برای ارشاد عوام عقد مجالس نصایح و مواعظ می ساخته و بحال همهٔ طوایف میپرداخته و سلطان محمدخوارزمشاه از جملهٔ مریدان و معتقدان بوده و سید برهان‌الدین الترمدی که ازجملهٔ اقطاب بود ازمریدان آنجناب بشمار است که باتابکی‌مولانا جلال‌الدین محمدرومی اشتغال مینمود

آورده اند که شبی سیصد دانشمند مفتی از مشاهیر بلخ که از جملهٔ منکران بودند در خواب سیدکاینات را دیدند که درخیمهٔ سبز نشسته بود و مولانا بهاءالدین‌بازبدهٔ ممکنات صلی‌الله‌علیه‌وآله همنشین وحضرت‌رسول‌صلعم مولانارا نوازشها نموده‌وفرمودماترا سلطان‌العلماء لقب‌نهادیم آنجماعت چون‌بیدارشدندروی‌بخدمت‌مولانا نهادند وچون‌درراه‌بایکدیگر ملاقی‌شدند وازخواب‌دوشینه حکایت میکردند متعجب ومتحیر میماندندومولاناسلطان‌العلماء بعداز اداء صلوة‌واذکار بربام رفته بود و اینجماعت ازهیبت اینحال امکان در کوفتن‌ومجال‌اخبار نداشتند آخرالامرسراز بام فرو کرده‌فرمود : تاحضرت‌سیدالمرسلین‌علیه‌افضل‌الصلوات‌ازحال‌درویشان‌وروش‌ایشان اخبار نفرمودشمازنارانکارازمیان‌نگشودیدآنجماعت استغفار کردند ومریدومعتقدشدند.سلطان‌محمدبعداز استماع‌این‌کلام‌درخدمت‌اهتمام بیشتربتقدیم‌رسانیدوامام‌فخرالدین‌رازی‌نیز به‌تبعیت‌میآمدچه که‌معلم سلطان‌بود وجناب مولانا در اثنای موعظت مذمت مذهب حکمای یونان میفرمود و میگفت: جمعی که کتب آسمانی را در پس پشت انداخته و اقاویل وعقاید فلاسفه پیش گرفته اند چگونه امید نجات داشته باشند

امام‌فخرالدین ازاینمعنی عرق حسدش میجنبید ودائماً بگردسعایت وفساد میگردید امافرصت‌نمیدید اتفاقاًروزی سلطان‌بزیارت‌مولانا آمده‌بود کثرتی عظیم باشکوه بیش‌از پیش دید وفخرالدین‌رازی راخطاب کرده و گفت بیحد کثرتی مشاهده میشود وی‌فرصت‌یافته گفت اگر بتدبیر دفع این کثرت‌نشود بیم‌است که‌در ارکان‌سلطنت خلل افتد بواسطهٔ آنکه طباع برحسد مجبولست این‌سخن واهی برسلطان اثر کرده فرمود که‌تدبیر باید نمود درجواب گفت‌صواب آنست که کلید خزائن و قلاع را بخدمتش بفرستیم و بگوئیم که امروزجمعیت و کثرت آنحضرت راست وبواسطهٔ‌استیلای مریدان وشوکت معتقدان وهنی درامور مملکت ظاهر گشته و بجز کلید دردست‌ماراختیاری نمانده‌یا کلیدهاراقبول کنند یا ازدارالسلطنه بیرون روند وازمملکت‌هر کجا خواهند متمکن شوند چون‌براین سیاق عمل کردند دمار ازدودمان خویش‌برآوردند ازاستماع این سخن‌مولاناسخت‌برنجید وقسم‌یاد کرد که‌تامحمد خوارزمشاه‌پادشاه خراسان باشد بدانجا نیاید مثنوی

تادل مردخدا نامد بدرد هیچ قومی‌را خدا رسوا نکرد

گویند باعث انقراض دولت خوارزمشاهیان و تسلط چنگیزیان برمملکت‌ایشان نخست قتل مجدالدین‌بغدادی‌شد واومریدنجم‌الدین خوارزمی و مرشد شیخ فریدالدین عطار قدس الله اسرارهم بود وتفصیل احوال‌آن‌بزرگوار درکتب تواریخ مسطور است‌ودیگر رنجش خاطرمولانا بهاءالدین‌است.

نقلست که مولانا روز دیگر در میان مجلس گفت فردا عزم سفر دارم هر کرا ارادت درویشان‌است آماده‌باشدروزدیگر ازمریدان و معتقدان سیصد نفر درخدمتش روانه شدند درآنوقت‌مولانا جلال الدین بسن شش ساله بود و مولانا بهاءالدین در نیشابور باجناب شیخ فریدالدین عطار قدس سره ملاقات کرد وجناب شیخ کتاب اسرار نامه‌را که یکی از مؤلفات خودبودبمولانا جلال‌الدین‌عنایت نمود وببهاءالدین گفت که‌این فرزندرا گرامی‌بدار زودباشد که از نفس گرم آتش‌برافسردگان عالم زند مولانا بهاءالدین جناب‌شیخ را وداع‌نموده عازم بیت‌الله‌الحرام گردید و چون‌بدارالسلام بغداد رسید اکابرواعاظم و بزرگان مولانارا تعظیم تمام کردند و لوازم احترام نسبت‌بآن‌بزرگوار بجای‌آوردند مدت‌یکماه تفسیر بسم‌الله فرمود چنانکه‌تقریراول‌بثانی نسبت نداشت جمعی ازطرف سلطان علاءالدین کیقباد سلجوقی از کشور روم بدارالخلافه بغداد آمده بودند آن‌تقریردلپذیرازمولاناستماع نمودند وچون‌بروم‌باز گشتند دراثنای حکایات‌درحضرت سلطان از مناقب مولانا آنچه مشاهده کرده‌بودند عرضه داشتند سلطانرا درغیبت‌اعتقادی عظیم‌راسخ‌شد و دائماً تمنای ملاقات صوری‌داشت تا از تقدیر کردگار مولانارا عزیمت حجازافتاد وازحجازبطرف‌شام‌عبورفرموده‌ودرآنجامولانا برهان‌الدین ترمدی‌رحلت‌نمود آنجناب در حین‌وفات خدمت‌مولانا وصیت کرد که‌باید شما بطرف روم عزیمت نمائید که جهت شما در آن‌دیار فتوحی خواهد بود بنا بفرمودهٔ آن بزرگوار مولانا بمدینهٔ ارزنجان آمده در خانقاه عصمتیه تاج ملك خاتون که عمهٔ‌سلطان علاءالدین بود نزول نمود خاتون سعادت مقرون خدمات پسندیده بجای آورد و التماس کرد که آنجا متمکن شود قبول نفرمود وبزودی از آنجا عزیمت آنشهر نمود و فصل زمستان‌در آنجا اقامت کرد بعداز آن بطرف روم نهضت فرمود سلطان را معلوم شد که قرب منازل حاصل شده است قاصدان بخدمتش فرستاد استعجال حرکت مولانا نمود ملتمس سلطان باجابت لاحق شد چون بصحرای قونیه رسید سلطان باجمیع اکابروارکان‌دولت مولانارااستقبال نمود سلطان بعداز اظهار اخلاص و ارادت استر شمام نام که در گام‌زدن پیك باد شمال بود برسم نیاز پیشکش‌نمود وچندگام در رکاب مولانا پیاده رفت مولاناچندانکه مبالغه‌فرمود که سوار شود سلطان بر تواضع وفروتنی می افزود و میگفت جهت‌مزید دولت‌وسعادت خویش این‌عبودیت بتقدیم میرسانم‌آنگاه در منزلی که‌لایق آنجناب‌بود فرود آورد وچندان‌خدمات‌ومراعات نمود که عشر عشیرآن بشرح و بیان در نیاید در آن اوان مولینا جلال الدین بسن چهارده سالگی بود و در آن صغر سن از روی علوم وحکم عالمی بزرگ شده بود چون والد بزرگوارش در سنه ۶۳۱ هجری رحلت نمود مولانا بموجب وصیت والد بر مسند افاده قدم گذاشت ولوای نشر علوم و درس فنون وامر معروف و نهی منکر برافراشت

آورده اند که مولانا بعداز تحصیل‌علوم رسمی و اصطلاحی از اقسام علوم آنچه سیدبرهان‌الدین ازشیخ خود از حقایق مکتوم معلوم کرده‌بود مولانارا تعلیم‌و تلقین میکرد چون‌ذات‌ملك صفات اورا بریاضات و مجاهدات مکاشفات ومشاهدات دست داد و قابل اسرار احدی و محرم رموز کنوز احمدی شد بصحبت حضرت خضرعلی نبیناوعلیه السلام مشرف گشت و جمعی کثیر ازعرفای عصر را ملاقات نمود آخرالامر بخدمت تاج العارفین مولانا شمس‌الدین تبریزی رسیدوارادت آن‌جنابرا ازدل وجان‌برگزید ونسبت طریقت شمس‌الدین بجناب قطب الاولیاء و زبدت‌الاصفیاء علی‌بن موسی‌الرضاعلیه‌آلاف‌التحیة و الثناء میرسد براین‌موجب: شمس‌الدین مرید باباکمال جندی بود و او مرید شیخ نجم‌الدین خوارزمی و او مرید شیخ‌عمار بدلیسی واومرید شیخ نجیب‌الدین سهروردی و او مرید شیخ احمد غزالی واو مرید شیخ ابوبکر نساج واومریدشیخ ابوالقاسم کورکانی (و او مرید شیخ ابوعمران مغربی و او مرید شیخ ابو علی رودباری) و او مرید شیخ جنید بغدادی‌واومرید شیخ‌سری سقطی و او مرید شیخ معروف کرخی و او مرید و دربان علی‌بن موسی‌الرضا علیه التحیة والثناء بود

آورده‌اند که‌شمس‌الدین ولد علاءالدین‌بوداز نژاد کیا بزرگ‌امید گویندپدروی‌ترک‌مذهب‌اسمعیلی کرده شعار اسلام ظاهر نمود و در نهانی ولدخود شمس‌الدین‌را بخواندن علم به تبریز فرستاد و در آنجا علم وادب آموخت و انواع فضائل اندوخت جامی‌صاحب نفحات‌الانس آورده که شمس الدین از خاندان اسمعیلیان نیست بلکه‌او تبریزی‌الاصل پسربزازیست‌وبعضی‌گفته‌اند که‌اصل‌شمس‌الدین ازخراسان بوده وخود درشهر تبریز تولدنموده ودراین باب روایت دیگر نیزوارداشت راقم گوید شاخ گل هرجا که‌میروید گل‌است

نقلست که‌چون شمس‌الدین درعالم طلب سیاحت میکرد تا آنکه بخدمت باباکمال‌الدین جندی قدس‌سره رسید و به‌هزار جان ودل مریدش گردیدوقتی باباکمال جمعی از مریدانرا که‌ازآنجمله‌شیخ بهاءالدین زکریا و شیخ فخرالدین عراقی و امیر حسین هروی بودند در خلوت نشاند وشمس‌الدین را نیز بریاضت و خلوت امر کردشیخ فخرالدین عراقی لوایح اسرار را بصورت لوامع و اشعاراملا نموده بعرض شیخ کمال‌الدین‌رسانیدوشمس‌الدین اظهار اینمعانی نمیکرد روزی آن بزرگوار فرمود فرزند شمس‌الدین از حقایق و اسرار که فرزند فخرالدین باظهار آن قیام مینماید برتوهیچ لایح نمیشود عرض‌نمود بیش‌از آن حقایق مشاهده‌می‌افتد او از جهت‌اشتغال‌بمصطلحات‌علوم‌بعبارتی‌مناسب کشف‌بعضی‌اسرار مکتوب‌میتواند کرد ومرا دست‌نمیدهدشیخ‌فرمود که‌باریتعالی ترا مصاحبی‌روزی کند که‌معارف‌وحقایق‌اولین‌وآخرین‌را بنام‌تواظهار کندوینابیع‌حکمت‌ازدل‌اوبرزبانش‌جاری‌شودوهمهٔ آن کسوت‌مقالات مطرزبنام‌تو باشدبعداز آن‌باباکمال‌فرمود که‌ترابطرف‌روم‌بایدرفتن‌ودر آنجاسوخته‌ایست‌میبایداورامشتعل کردن‌شمس‌الدین‌بموجب‌فرمودهٔ وی عمل‌نموده متوجه روم گردیدودرحین گردش آن‌مرزوبوم‌بشهر قونیه‌رسیدودرکاروانسرای‌شکرفروشان‌منزل گزید

روزی‌دربازارمولاناجلال‌الدین براستری‌سواربکوکبهٔ تمام‌عبور مینمود و شمس‌الدین اورا دیده بفراست مطلوب‌را شناخت و در رکابش روان‌شده پرسید که‌غرض‌از مجاهده و دانستن علوم‌چیست

مولانا گفت روش سنت و آداب شریعت است شمس الدین فرمود این خود ظاهر است مولانا گفت ورای آن چیست شمس الدین گفت که علم آنست که ترا بمعلوم رساند و بشاهراه حقیقت کشاند و این بیت سنائی را برخواند

علم کز تو ترا نه بستاند جهل از آن علم به بود بسیار

مولانا از استماع این سخن متأثر و متحیر گشته مرید شمس الدین گردید و بروایت دیگر چون شمس الدین بقونیه رسید مولانا را ملاقات نمود در حالتی که مولانا در کنار حوض نشسته بود و کتابی چند پیش خود نهاده شمس الدین از مولانا پرسید که این چه مصاحفست مولانا جواب داد که این را قیل و قال گویند ترا بآن چه کار است شمس الدین فی الحال کتابها را در آب انداخت و مولانا را متحیر ساخت مولانا از روی تأسف فرمود که ای درویش بعضی فواید والا بود که دیگر یافت نمیشود دیوانگی کردی وضایع ساختی شمس الدین دست دراز کرد یکان یکان همهٔ کتابها را بیرون آورد که آب در آنها اثر نکرده بود مولانا پرسید که این چه سر بود که بظهور پیوست شمس الدین فرمود که این از ذوق و حال است ترا از آن چه خبر بعد از آن باهمدگر صحبت بسیار داشتند و مولانا فرجی و وضع دستار مشابه او ساخت و طریقهٔ سماع آموخت و بیمن تربیت او علم معرفت بر سر عالم افراخت چنانکه میفرماید

هزاران درج در دارد بناگوش ضمیر من از آن الفاظ وحی آسای شکربار شمس الدین
ز عقل و روحها بگذر حجاب عقل برهم در دو سه منزل از آنسو تر ببین بازار شمس الدین

منقولست که چون مولانا ربودهٔ شمس الدین گردید مدت شش ماه در خلوت با او مینشست و می آرامید موالی مولانا شور و غوغا بر آوردند و بر شمس الدین طعن و تشنیع آغاز کردند که سر و پا برهنهٔ و شکم گرسنهٔ ظهور نمود و مقتدای مسلمانان را گمراه کرده است شمس الدین بالضرورد بصوب تبریز روان گردید و مولانا را سوز عشق زبانه کشید و در فراق شمس الدین شعر های سوزناك گفتن گرفت آخر الامر طاقتش طاق شده سوی تبریز شتافت و بعد از زحمات بسیار مطلوب را دریافت در مثنوی از زبان وامدار بر اینمعنی اشارت نموده

ساربانا بار بگشا زاشتران شهر تبریز است و کوی دلستان
فر فردوس است این پالیزرا شعشعهٔ عرش است این تبریزرا
هر زمانی فوج روح انگیز جان از فراز عرش بر تبریزیان

مولانا و شمس الدین پس از چندی با یکدیگر بروم آمدند و چند گاه خالی از اغیار مشغول صحبت شدند باردگر دوستان مولانا که در حقیقت دشمنان بودند حسد و حقد آغاز نمودند

خدای تخم حسود از جهان براندازد اگر حسود نباشد جهان گلستانست

این بار شمس الدین بطرف شام فرار کرد و مدت دو سال در نواحی شام اقامت فرمود مولانا در آن مدت از فراق شمس الدین میسوخت و غزلهای عاشقانه میساخت و عشق شمس الدین بنیاد صبر مولانا را یکباره برانداخت آرام و قرار ازو گم گردید عاقبت مبلغ هزار دینار زر به پسر خود بهاء الدین ولد داده و گفت بزودی بسوی شام بخرام و شمس الدین را در مقام صالحیه خواهی دریافت که با فرنگی زادهٔ شطرنج میبازد زینهار بخاطر خطرهٔ میار که آن پسر یکی از مردانست و از این راه آگاهش میسازد و این زر را بعتبهٔ شمس الدین ایثار کن و کفش آنحضرت را بسوی روم گردان و این ابیات را بخوان

بروید ای حریفان بکشید یار ما را بمن آورید حالی صنم گریزپا را
اگر او بوعده گوید که دم دگر بیاید مخورید مکر او را بفریبد او شما را

از این غزل بهمین دو بیت اکتفا نمود بهاء الدین بحکم والد بشام رفته آنچه از والد شنیده بود دید و آنچه فرموده بود بانجام رسانید و شمس الدین بصوب روم مصمم گردید در آنسفر بهاء الدین در رکاب شمس الدین مسافت یکماهرا پیاده طی نمود هر چند آنجناب مبالغه کرد که سوار شود بهاء الدین قبول نکرد و گفت شاه سوار شود و بنده سوار چگونه خواهد بود

آفرین خدای بر پدری که تو پرورد و مادری که تو زاد

چون شمس الدین بقونیه رسید مولانا بشرف مواصلت مشرف گردید آنجناب در اثنای صحبت اظهار بهجت از بهاء الدین میفرمود و گفت من ازو راضی شدم مرا سری بود و سری سر بتو دادم و سر به پسرت بخشیدم اگر بهاء الدین ولد را هزار سال عمر بودی و همه را در راه طلب رضای خدا صرف نمودی آنچه در این سفر اورا حاصل گشت هزار یك آن حاصل نشدی

نقل است که شبی شمس الدین با مولانا در خلوت صحبت میداشت و اعلام طریقت بر فراز حقیقت می افراشت ناگاه کسی از بیرون در بشمس الدین اشارت کرد مولانا گفت کیست آنجناب فرمود بقتلم میخوانند چون بیرون رفت مولانا صیحهٔ شنیده بیرون دوید چون نظر کرد قطرهٔ خون ریخته دید از آنزمان تاحال از شمس الدین چون عنقا نامیست بعضی گویند بمولانا در عالم واقعه شمس الدین گفت که مرا کشته بچاه انداختند چون مولانا از خواب بیدار شد بسر چاه رسید وجسد آن یوسف مصر ولایت را از چاه بیرون کشید و در مقام مناسب دفن نمود

راقم گوید اینقول بصحت اقربست چنانکه اکنون مزار آن بزرگوار در آن دیار مطاف طائف خلق روزگار است در نفحات مسطور است که باعث هلاك شمس الدین علاء الدین محمد که به تیرانه لیس من اهلك نشانه شده پسر ناخلف مولانا بود و علاء الدین بعد از اقدام بر آن امر شنیع بمرضی مزمن گرفتار گشته بسرای دیگر انتقال نمود و مولانا بجنازهٔ او حاضر نگشت

مخفی نماناد که در کیفیت ملاقات شمس الدین با مولانا اخبار متعدده وارد است که از طول کلام اندیشیده از تذکار آن عنان قلم باز کشید شهادت شمس الدین در سنه ٦٦١ هجری روی نمود

آورده اند که مولانا جلال الدین بعد از واقعهٔ هایلهٔ شمس الدین همواره غمگین میبود و علی الدوام زاری و بیقراری مینمود و آخر الامر خاطر حزین و دل اندوهگین خود را بصحبت و تربیت حسام الدین چلبی المعروف بابن اخی ترك تسلی فرمود نسب وی بدان کس میرسد که فرمود امسیت کردیاً واصبحت عربیا حسام الدین در حجر تربیت مولانا نشوونما یافته و مهر شفقت و مرحمت مولانا بروجنات حال وی تافته و محبوب و منظور مولانا بوده و بحسن طاعت و انقیاد بدرجهٔ عالی ترقی نموده است و کتاب مثنوی که مشهور در السنهٔ صغار و کبار مذکور است باستدعای حسام الدین مولانا بسلك نظم کشیده الحق کتابی بدین نظم و نسق بزبان فارسی چشم زمانه ندیده و گوش روزگار نشنیده است بمرتبهٔ مقبول و مطبوع عرفا گردیده که شیخ بهاء الدین عاملی با آنهمه فضل و کمال در تعریف آن میفرماید

من نمیگویم که آن عالیجناب هست پیغمبر ولی دارد کتاب
مثنوی معنوی مولوی هست قرآنی بلفظ پهلوی
مثنوی او چو قرآن مدل هادی بعضی و بعضی را مضل

در نزد محققان هر قوم پسندیده است چنانکه راقم در جمیع بلاد اقالیم سبعه دیده و شروحی بسیار بزبان فارسی و عربی و ترکی و هندی بر آن نوشته اند

نقلست که حسام الدین شبی اندیشه نمود که در خدمت مولانا استدعا نماید که بوزن منطق الطیر شیخ فرید الدین عطار قدس سره کتابی بنظم آورد و در صبح آنشب بنیت مذکور بخدمت مولانا مشرف گشته مرکوز خاطر را عرضه داشت مولانا بعد از استماع سخن حسام الدین کاغذی از دستار خود بیرون آورده بدست وی داد و فرمود که دیشب وقتیکه از خاطر تو گذشت بر من وارد گشت که اینگونه کتابی منظوم شود و انجام رسد لهذا این ابیات همانوقت از خاطر من سر زد

بشنو از نی چون حکایت میکند وز جدائیها شکایت میکند

اولین شعر کتاب مثنوی تا

درنیابد حال پخته هیچ خام پس سخن کوتاه باید والسلام

بعد از آن مولانا بگفتن مثنوی مشغول گشت از اول شب مولانا نظم نمودی و آخر شب حسام الدین بآواز بلند در حضور مولانا خواندی و بسمع مجلسیان رساندی نوبتی حسام الدین بخدمت مولانا معروض داشت که در وقت خواندن مثنوی گویا میبینم از غیب شمشیرها

کشیده اند و گردن منکران را میزنند مولانا تصدیق نموده گفت نیك دیدی چنانچه درمثنوی بدان اشارت نموده

دشمن اینحرف ایندم درنظر — شدممثل سرنگون اندرسقر
ای ضیاء الحق تودیدی حال او — حق نمودت پاسخ احوال او
دیدهٔ غیبت چوغیبت اوستاد — کم مباداز این جهان این دیدوداد

چون جلداول مثنوی بانجام رسید زوجهٔ مکرمهٔ حسام الدین بسرای جاوید خرامید بدانسبب یا بسبب دیگر اختلال دراحوال حسام الدین ظاهر گردید مدت دوسال [تنظیم مثنوی] بتعویق افتاد ومولانا بگفتن مثنوی لب نگشاد بعداز انقضای مدت مذکوره باردیگر حسام الدین ازخدمت مولانا اتمام مثنوی استدعا نمود چنانچه در اول جلد دوم اشاره برین فرموده

مدتی این مثنوی تأخیر شد — مهلتی بایست تاخون شیرشد
تا نزاید بخت تو فرزند نو — خون نگردد شیر شیرین خوش شنو
چون ضیاء الحق حسام الدین عنان — باز گردانید زاوج آسمان
چون بمعراج حقایق رفته بود — بی بهارش غنچها نشکفته بود
مثنوی که صیقل ارواح بود — باز گشتش روز استفتاح بود
مطلع تاریخ این سوداوسود — سال اندر ششصدوشصت ودوبود

آنگاه بجدتمام وسعی مالا کلام باتمام مثنوی قیام فرمود جلد ششم بپایان نرسیده عارضهٔ بربدن شریفش روی نمود ودرآن بیماری ازجهان فانی بعالم جاودانی انتقال فرمود چنانکه بهاء الدین ولد در آخر مثنوی برآن ایمائی مینماید

مدتی زین مثنوی چون والدم — شد خمش گفتش وراکای زنده دم
از چه رودیگر نمیگوئی سخن — بهر چه بستی در علم لدن
گفت نطقم چون شتر زین پس بخفت — نیستش باهیچکس تاحشر گفت
همچو اشتر ناطقه اینجا بخفت — او بگوید من دهان بستم ز گفت
قصهٔ شهزادگان نامد بسر — ماند نا سفته در سیم پسر
باقی این گفته آید بیزبان — با درون آنکه دارد زنده جان
فهم میگوید شتر چون خفت او — وقت رحلت آمد و جستن زجو
گفتگو آخر رسیدو عمر هم — مژده کامد وقت کز تن وارهم
درجهان جان کنم جولان همی — نگذرم زین نم در آیم دریمی

فقیر گوید ازمحققان ملک روم و دانشمندان آنمرز وبوم بکرات استماع نمود واز ثقات دیار مصر و شام مکررشنود که مولانا از آن مرض صحت یافته دفتر دیگر برمثنوی افزوده آنرا هفت جلد فرموده است چنانچه شیخ اسماعیل قیصری که عالم معالم سخن پروریست درحدود هزار واند هجری شرحی بردفتر هفتم نوشته ودر عنوان آن کتاب مدعیست که ناظم جلدهفتم جناب مولویست وازملحقات نیست چون بعداز تدوین جلد ششم گفته شده لهذا بغیراز کشور شام وروم شهرت نیافته است والله اعلم بحقایق الامور گویند این اشعار از جلدهفتم است

ای ضیاء الحق حسام الدین سعید — دولتت پاینده فقرت بر مزید
چونکه ازچرخ ششم کردی گذر — بر فراز چرخ هفتم کن مقر
سعد اعداداست هفت ای خوش نفس — زانکه تکمیل عدد هفت است وبس

شیخ نجیب الدین رضا تبریزی الاصل اصفهانی المسکن که در زمان شاه سلیمان صفوی پایهٔ سلسلهٔ ذهبیه بوده و کتاب سبع المثانی را ببحرمثنوی تألیف نموده درعنوان آن کتاب فرموده که درعالم واقعه مولانا بمن خطاب کرده فرمود که جلد هفتم مثنوی را توباتمام رسان بنابفرموده مولانا کتاب سبع المثانی را بنظم آوردم فقیر گوید آنچه نزد درویشان روم وشام وعربستان درخصوص جلد هفتم بصحت اقربست قول اولست (آندفتر درآخر همین کتاب مسطوراست) اصحاب معرفت بعداز دقت معلوم میکنند که ناظم آن جناب مولوی بوده یانبوده

معاصرین مولانا ـ آورده اند که درعصر مولانا جلال الدین قدس سره درکشور روم وایران وغیره عرفای عظام ومشایخ کرام بسیار بوده از آنجمله شیخ اوحدالدین کرمانی وشیخ بهاء الدین زکریاء ملتانی وشیخ نجم الدین رازی وشیخ مصلح الدین سعدی شیرازی وشیخ محی الدین الاعرابی وشیخ صدرالدین قونیوی وشیخ مؤیدالدین جندی وشیخ ابوالحسن مغربی الشاذلی وشیخ ابوالعباس المرسی وابن الفارس الحموی المصری وشیخ عزیزالدین نسفی وشیخ ابوالحسن علی الصعیدی المعروف بابن صباغ وشیخ فخرالدین عراقی وشیخ نجیب الدین بزغش شیرازی و شیخ برهان الدین ترمدی وشیخ نورالدین عبدالرحمن اسفراینی و شیخ جمال الدین جوزقانی وشیخ رضی الدین علی لالا غزنوی وشیخ سیف الدین باخرزی وشیخ سعدالدین حموی وشیخ ابومحمد عبدالله المغربی وشیخ یاسین المغربی و شیخ عفیف الدین سلیمان قلمانی وشیخ ابوالغیث الیمنی وشیخ صلاح الدین زرکوب وشیخ موسی سدرانی وشیخ صدرالدین فرغانی وعین الزمان جمال الدین وحاجی بکتاش ولی قدس الله اسرارهم که اکثر آن بزرگوارانرا در شهر قونیه وغیره ملاقات نموده وطریق معاشرت پیموده

در شهور سنه ٦٧٢ هجری درهمان دیاربدارالقرار انتقال نمودمزارفیض مدارش درغایت اشتهاروزیارتگاه ابنای روزگاراست (وفات خواجه نصیرالدین طوسی هم در اینسال اتفاق افتاده)

از ملوك زمان که معاصر آنجناب بودند هلاکوخان وآباقاآن خان در ایران وبندوقدار درمصروشام وعلاءالدین کیقبادسلجوقی درکشورروم وناصرالدین ایلتمش در هندوستان حکومت مینمودند وازفرقهٔ حکما محقق طوسی معاصر آن بزرگوار بوده

روزی اصحاب راخطاب کرده فرمود: اوصیکم بتقوی الله فی السروالعلانیه و بقلة الطعام وقلة المنام وهجران المعاصی والآثام و مواظبة الصیام ودوام القیام وترك الشهوات علی الدوام واحتمال الجفاء من جمیع الانام وترك مجالسة السفهاء والعوام ومصاحبة الصالحین والکرام وان خیرالناس ماینفع الناس وخیرالکلام ماقل ودل

پوشیده نماناد که سلسلهٔ مولوی دربلاد روم ومصروشام وعرب وجزایربحرروم ودیار روم ایلی وعراق عرب جاری و معمولست ودر نزدخوردو کلان واعیان ودانا ونادان وحاجب وسلطان مقبولست لباسی خاص مخصوص درویشان آن سلسله است وتاج نمدی بیدرز برسر گذارند ومشایخ ایشان عمامهٔ نیز برآن تاج بیندند وذکروفکر ومراقبت اورادوسماع وحلقهٔ ذکرجلی درمیان ایشان متداولست ودرهنگام سماع نی ودف میزنند درآن سلسله قانون است که چون خواهد کسی در آن طریقه درآید باید که مدت هزارویکروز خدمت نماید براینموجب که چهل روز خدمت چهارپایان کند وچهل روز خدمت فقرا نماید و چهل یوم آب کشی وچهل یوم فراشی وچهل یوم هیزم کشی وچهل یوم طباخی وچهل یوم حوائج ازبازار آوردوچهل یوم خدمات مجلس درویشان کند وچهل یوم نظارت نماید برین نسق تامدت مقرره تمام شود اگر چنانچه یکروز ازآنمدت ناقص گردد باید که خدمت را ازسر گیرد و چون تمام کند آنکس را غسل توبه دهند ازجمیع محرمات و کسوت از سرکارخانقاه بوشانند وتلقین اسم جلاله براو کنند وحجره جهت آسایش وعبادت بوی دهند وطریق ریاضت ومجاهده تعلیم وی نمایند وآنکس برآن قاعده وقانون مشغول شود تاآنکه صفائی درباطن او ظاهر گردد

مخفی نماند که صوفیه گفته اند که مولانا رامذهب شیعه بوده وبر طریقهٔ حقه عمل مینموده وبر اینمطلب شواهد بسیاراست والله اعلم

خلاصه شرح حال مولانا

مولانا جلال الدین محمدبلخی مشهوربه مولانای روم درششم ماه ربیع الاول سال ٦٠٤ هجری قمری در قبة الاسلام بلخ (یکی از چهار شهربزرگ خراسان که پیش ازهجوم مغول منتهای آبادی راداشته) متولدشده در سال ششصدونودونه بمعیت پدربزرگوارش ازخراسان بآسیای صغیر مهاجرت گزیده وهم آنجا درپنجم جمادی الاخرهٔ ششصدو هفتادوسه بریاض خلدخرامیده وپهلوی ضریح پدرش مدفون شده است

مولانا درشعر چنانکه دربسیاری از غزلهایش بطریق تلمیح آورده است خاموش تخلص میکرده و اورا علاوه بر جلال الدین بلقب خداوندگار نیزمیخوانده اند و اطلاق خداوندگار بمناسبت سلطنت وحکومت ظاهری وباطنی اقطاب برمریدان خود دراعتقادصوفیان تناسب تام دارد. شهرتش برومی یامولانای روم بواسطهٔ طول اقامت

در آسیای صغیر بوده . وچون سلجوقیان آن خطه‌را از امپراتوری روم شرقی منتزع کرده بودند شاخه‌ای ازسلسلهٔ سلجوقی که در آنجا استقرار یافت معروف بسلاجقهٔ روم شد . ولی لقب مولوی تازه‌است

نسب مولانا به‌دو واسطه به‌ابوبکر صدیق می‌پیوندد ومطابق تحقیقات آقای کاظم‌زادهٔ ایرانشهر بدین ترتیب است : جلال‌الدین محمدبن بهاءالدین محمدبن‌حسین‌بن احمدبن محمودبن مودودبن ثابت‌بن مسیب‌بن مطهربن حمادبن عبدالرحمن‌بن ابی‌بکرالصدیق

نیای مولانا حسین‌بن‌احمدخطیبی از افاضل خطهٔ‌خراسان‌بشمار میآمده از خاندان علم وعرفان وپدربرپدرازمشایخ کبار بلخ‌بوده بروایت شمس‌الدین احمد افلاکی درمناقب‌العارفین امام‌رضی‌الدین نیشابوری از اجلهٔ فقهای قرن ششم درمحضروی تلمذ کرده.جدهٔ مولاناازخاندان‌جلیل‌خوارزمشاهیان‌وظاهراً دختر قطب‌الدین‌محمدبوده

پدر مولانا بهاءالدین محمدبن‌حسین ملقب بسلطان العلماء مشهوربه‌بهاءالدین‌ولد معروف‌به مولانای‌بزرگ ازبزرگان‌صوفیان ایران‌تربیت‌یافتهٔ شیخ‌اجل‌ابوالجناب نجم‌الدین‌احمدبن‌عمرخوارزمی معروف به کبری بوده و خرقه‌اش به‌سبب عماریا سر و ابوالنجیب سهروردی‌به‌شیخ‌احمدغزالی‌میپیوسته.بروایت‌فریدون سپهسالار(از یاران‌مولانا که‌رساله‌ای‌درسوانح‌زندگانی‌مولانا گردآورده)شهرت‌علمی سلطان‌العلماء،باندازه‌ای،بودکه‌ازاقصای‌خراسان‌فتاوای‌مشکل‌رابحضرت او آوردندی ودرشهر بلخ مسند افاضت و ارشاد داشته خواص و عوام آن‌خطه اوراعظیم معتقدبودندپیوسته بامر معروف ونهی‌از منکراشتغال‌داشت‌وهرگاه که‌مجلس میگفتی گروه بیشماری از هر طبقه درپای منبر وعظش گرد میآمدند واوبرهمهٔ دلها مشرف‌بود

مسلك تصوف ازقرن‌پنجم هجری باینطرف درمیان مسلمین رونق و عظمت تمام‌یافته ازخواص گذشته در تودهٔ عوام هم منتشر شده‌بود . اقطاب مشایخ‌روش‌خویش‌را بدین ومذهب‌نزدیك ساخته سخنان‌ومجالس خودرابذکرخداورسول وآیات‌واحادیث‌میآراستند و در دورهٔ که بیشتر علماء فقه وحدیث بواسطهٔ تصدی شغل قضا آلایش مادی پیدا کرده حدود شرع را مهمل میگذاشتند رؤسای صوفیه به‌ترك‌دنیا و اعراض ازامراء و عزلت و انقطاع ظواهر حال خودرا میآراستند

بواسطهٔ‌مخالفتی که میان صوفیه و حکما بود سلطان‌العلماء علناً در محضر وبرسرمنبر بآنان بد میگفته وپیروان فلسفهٔ‌یونانرا گمراه و مبتدع میخوانده خصوصاً بامام فخرالدین محمدبن عمر رازی از بزرگان حکماو متکلمین‌عصر که‌در آن اوقات درخوارزم اقامت داشته استاد و مصاحب‌سلطان علاءالدین محمد خوارزمشاه بوده است تعریض میکرده

بروایت افلاکی سلطان العلماء درنتیجهٔ دسته‌بندی علماءمعقول ومنقول ومکدرساختن صفای آئینه خاطر خوارزمشاه نسبت بوی‌از سلطان‌ومردم بلخ رنجیده تصمیم بمهاجرت داد (از جملهٔ ساعیان‌نام امام‌فخروقاضی‌زین‌فزاری ورشیدقبائی‌ذکرشده‌است)سلطان‌العلماء در نیشابورشیخ عطارراملاقات نمود که‌اسرار نامه‌را بمولانا که‌در آنوقت پنجساله بود بخشیدواز آنجا بعزم‌حج بیت‌الله‌الحرام رهسپار بغداد شدوبروایت‌نورالدین‌عبدالرحمن‌جامی درنفحات‌الانس‌روزیکه باخانواده‌ومریدان بدارالسلام درآمد جمعی‌پرسیدند که : اینان‌چه طائفه‌اند ، ازکجا میآیندوبکجامیروند؟ گفت : من‌الله والی‌الله‌ولا قوة الاباالله . این سخن‌را بسمع‌عارف مشهورشیخ‌شهاب‌الدین‌عمربن محمد سهروردی‌رسانیدندفرمود:ماهذاالابهاءالدین البلخی؟وموکب سلطان‌العلماء را استقبال کرد

باحسن‌پذیرائی شیخ واقبال‌خواص اهل‌عرفان سلطان‌العلماء سه‌روز بیشتر دربغدادنمانده‌روزچهارم ازمرکزخلافت‌اسلامی روانهٔ حجازشد وپس ازگزاردن مناسك حج وتشرف بمدینهٔ طیبه بعزم بیت‌المقدس وزیارت‌مزارسایرانبیاءعظام‌ازحجازرهسپارشام گردید، اهل‌شام‌خواستند اورا نگاهدارند نپذیرفت وبطرف‌ارزنجان‌رفت و چهارسال‌در آن‌خطه‌رحل‌اقامت‌افکندوازفخرالدین‌بهرامشاه‌حکمران ارزنجان‌وپسرش‌علاءالدین‌داودشاه‌اقبالهادیدمولانادرهیجده‌سالگی درشهرلارنده بفرمان‌پدر گوهرخاتون دختر خواجه‌لالای‌سمرقندی را بهمسری اختیار کرد وبهاءالدین محمدمعروف بسلطان‌ولد و علاءالدین‌محمد ازین اقتران بوجودآمدند بروایت افلاکی‌سلطان العلماء،پس‌ازچهارسال اقامت‌درملاطیه وهفت‌سال‌درلارنده‌بخواهش علاءالدین کیقباد دوازدهمین پادشاه سلجوقی روم بشهر قونیه که دارالملك‌بودرفت. شاه‌وامیران‌بزیارتش آمدند و ازسرصدق دست ارادت دردامانش‌زده درمراعات‌جانب‌او لوازم‌اهتمام بعمل‌میآوردند وپای‌وعظش‌می‌نشستند واهل‌روم ازجان‌ودل بوی گرویدند .

ازانتقال‌سلطان‌العلماء به‌قونیه‌بیش‌ازدوسال نگذشته‌بود که‌تن بربستر ناتوانی‌نهاده درسنهٔ ششصدوبیست‌وهشت زندگانی‌رابدرود گفت.مردم‌شهردرعزای‌اورستخیزعظیم‌برپا کردند.سلطان‌علاءالدین یکهفته درمسجدجامع‌خوان‌نهاد ومالهابفقرابخش کرد.چون‌پدرسر درحجاب‌خاك کشیدمولانا که‌در آنهنگام‌بیست‌وچهارساله‌بودبخواهش پادشاه وامراء والحاح‌مریدان‌برجای‌وی برمسندوعظ وافادت‌نشست ویکسال‌تمام‌دورازطریقت،مفتی‌شریعت‌بود که‌سیدبرهان‌الدین‌محقق ترمدی ازشاگردان سابق‌سلطان‌العلماءوخواص‌اولیاء صوفیه‌بقونیه رسیدو درآنشهربساط‌ارشاد ودستگیری‌خلایق بگسترد ومولانارا در علوم ظاهری بیازمود و گفت : پدربزرگوارت راهم علم قال بکمال‌بود وهم‌علم‌حال چون درعلوم شریعت وفتوی‌جانشین‌اوشدی میخواهم که درعلم‌حال‌هم سلوکها کنی تاخلف‌صدق‌پدرباشی‌اگر مریدشوی مرادیابی وآنچه ازاو بمن رسیده دیدنیست نه آموختنی مولانا برغبت تمام براوبگروید وبروایت‌سپهسالار مدت نه‌سال‌سرو کارش باسیدبرهان‌الدین بودوبراهنمائی آنعارف کامل طریق‌سیر وسلوك‌میپیمود .بروایت افلاکی مولانا دوسال‌پس‌ازمرگ‌سلطان العلماء باشارت سید باچندنفرازمریدان پدربجانب‌شام عزیمت کرد تامرتبهٔ کمال خودرا درعلوم ظاهر باکملیت رساند . ابتدا درشهر حلب بمدرسهٔ حلاویه‌نزول فرمود و از حوزهٔ درس‌مدرس‌دانشمند آن‌مدرسه‌کمال‌الدین‌ابوالقاسم‌عمربن‌احمدمعروف‌بابن‌العدیم‌استفادها برد وپس‌از آنکه سه‌سال درحلب به‌تحصیل علوم‌اسلامی پرداخت رهسپاردمشق‌شد.علماومعارف‌شهرمقدمش‌را گرامی‌داشته‌درمدرسهٔ قدسیه فرودش‌آوردند وخدمات‌شایان بتقدیم‌رسانیدند .

مولانا چهارسال در کرسی‌شام که در آنهنگام مرکزبزرگان و مجمع‌علم‌وعرفان‌بودبه‌زهدوریاضت‌تمام‌درتکمیل‌معارف‌دینی‌کوشیدو هدایه‌را که‌کتاب‌جامعیست درفقه حنفی دارای شروح وتعلیقات و حواشی بسیارتألیف شیخ‌الاسلام برهان‌الدین‌علی‌بن‌ابی‌بکرمرغینانی نزداساتیدفن بدقت‌دیدوهم درین شهربفیض صحبت عارف مشهور محی‌الدین العربی وبزرگان‌دیگرنائل گردید

مولانا پس‌از هفت‌سال مسافرت بقونیه‌بازگشت و بدستور سیدبرهان‌الدین بریاضت‌پرداخته‌سه‌چلهٔ‌متوالی‌برآوردتانقدوجودش بی‌غش‌وتمام‌عیار بلکه سراپا نور گردید . چون‌جان‌پاك‌سیددرسنهٔ ۶۳۸ ازخاکدان‌تن بقرب قدس‌انتقال یافت مولانا در دارالملك قونیه برمسند ارشاد وتدریس متمکن گردیده به‌تربیت مستعدان همت گماشت‌مریدان‌بسیار بروی گردآمدند وپروانه‌وارپیرامن‌شمع وجودش‌میگردیده‌حضرتش‌را پیشوای‌دین‌ومفتی‌شریعت وراهنمای طریقت میشناختند

مولانا نزدیك‌پنج‌سال بسنت جدوپدرهم درمدرسه‌بتدریس فقه ودیگرعلوم‌اسلامی‌میپرداخت وهم‌برسم‌زهدپیشگان‌آنزمان‌مجلس وعظوتذکیرمنعقدساخته ومردم‌را تبشیر وتنذیرمیکرد. همه‌روزه طالبان علم که بگفتهٔ دولتشاه‌سمرقندی عده‌شان بچهارصد میرسید متناوباً درمدرس‌ومحضرش برای‌استفاده‌حاضر میشدندوصیتش در اطراف جهان‌منتشر گردید .

مولاناسرگرم تدریس وقیل‌وقال مدرسه‌بود فتوای شرعی

مینوشت وازیجوزولایجوز سخن‌میراند وخاق بعلوم‌ظاهر وزهدو ریاضت اوفریفته شده‌بخدمت‌ودعای وی‌تبرك‌میجستند که ناگهان آفتاب عشق‌وشمس‌حقیقت پرتوی‌بر آن‌جان‌پاک افکند. آن‌طوفان عظیم که‌این‌اقیانوس آرام‌را‌متلاطم‌ساخت شمس‌الدین‌محمدتبریزی ژولیده پیری‌از پیران‌صوفیه بود که نفسی گرم و جاذبه‌ای قوی و بیانی مؤثر داشت

بروایت افلاکی شمس‌الدین محمدبن‌علی‌بن‌ملك‌دادتبریزی (که گویندپدرش اصلا ازباوردخراسان‌بوده وبتجارت به آذربایگان رفته) ابتدادست ارادت بدامان‌شیخ ابوبکرزنبیل‌باف که‌در کشف القلب‌یگانهٔ‌زمان‌خودبود زده چون‌درسیروسلوك درجهٔ کمال یافت درطلب‌کاملتری سفری‌شد وسالها گردبلادوامصاربر آمده ازشهری بشهری راه‌میپیمودوبااهل راز وریاضت‌انس والفت مینمود پیوسته نمدسیاه میپوشیدوهمه‌جادرکاروانسرای منزل‌میکردوبخدمت‌چندین ابدال واوتاد و اقطاب رسیده اکابرصورت ومعنی‌رادریافته‌بود

شمس‌تبریز بامداد روزدوشنبهٔ ۲۶ جمادی‌الاخره سال۶۴۲ بقونیه‌رسیده درخان‌شکر ریزان نزول کرد . ودریك مجلس چنان مولانارا مجذوب وفریفتهٔ‌خودساخت که منبر ومحراب وحوزهٔ‌درس ومسند ارشادرا رهاکرده حلقهٔ‌بندگی‌اورا بگوش کشید !

آفتاب‌دیدارشمس چنان‌برروان‌مولانابتافت‌وآتش درخرمن هستی اوزد که‌هرچه جزمعشوق‌باقی‌بسوخت

چگونگی‌دیدارپیرتبریزی را بامولاناباختلاف‌ذکر کرده‌اند محی‌الدین عبدالقادر مصری مؤلف الکواکب المضیئه فی‌طبقات الحنفیه درسبب‌تجرد وانقطاع مولانا مینویسد که: روزی درحجره نشسته‌بودو کتابی چند پیرامون خودنهاده وطالب علمان بروی‌گرد آمده‌بودند شمس‌الدین‌قلندروار درآمد وسلام‌گفت ودرصف نعال بنشست واشارت‌بکتب کرده پرسید : این‌چیست ؟ مولانافرمود تو این‌ندانی‌هنوزاین‌سخن بانجام‌نرسانیده‌بودکه آتش‌در کتابهاو کتابخانه افتاد ! مولاناپرسید این‌چه‌باشد؟شمس گفت‌تونیزاین‌ندانی!برخاست وبرفت‌مولانامجردواربر آمدوترك‌مدرسه و یاران‌وفرزندان گفت.

مطابق روایت سلطان ولدپسرمولانادر ولدنامه:عشق مولانا بشمس‌الدین مانند جستجوی موسی‌است ازخضر که بامقام شامخ رسالت ورتبهٔ کلیم اللهی‌بازهم مردان خداراطلب میکرده .

مولانا که‌تا آنروز خلقش‌بی‌نیازمیشمردند نیازمندواربدامن شمس که از مستوران قباب‌عزت‌بود درآویخته یکجا اسیرعشق و جذبهٔ‌وی گردید ومطلوب‌را بخانه‌برده‌بااوبخلوت‌نشست ودربرآشنا وبیگانه ببست و آتش استغنا در محراب‌ومنبرزده ترك‌مسندفتوی‌و تدریس و کرسی‌وعظ وتذکیربگفت وباهمهٔ‌استادی درخدمت معلم عشق‌زانو زده نوآموز گشت

بروایت افلاکی‌این‌خلوت‌بچهل‌روزیاسه‌ماه کشید

شمس‌الدین‌بمولانا چه‌آموخت وچه‌فسون‌ساخت که‌او ازهمه‌چیز وهمه کس گذشته خودرا نیز درقمار محبت‌باخت برمامجهول‌است . ولی کتب مناقب وآثاربرین متفقند که‌مولانا پس‌ازین خلوت روش خودرا بدل‌ساخت ، وبجای‌قیل‌وقال‌مدرسه واهل بحث وجدل گوش به نغمهٔ‌جانسوز نی وترانهٔ دلنوازرباب نهاد، بااینکه قبلاشب‌تابصبح درنمازبود وهرسه‌روزیکبار روزه‌میگشاد ـ وچیزیکه‌مولانارا از همهٔ رسیدگان‌جهان ممتازمیسازد همین تحول‌روحانی است که در پیوستن‌به پیر تبریزی برای‌اوپیش آمد

برشاگردان ویاران‌مولانا که‌باچشمهای‌غرض‌آمیز بشمس‌الدین مینگریستند تمکین‌او که شیخ‌وشیخ‌زاده ومفتی‌ومدرس ومذکربود نسبت بمردیکه بنظرشان لاابالی وبیرون ازاطوار معرفت میآمد سخت گران‌وناگوارمینمود.مریدان نیز شکایت وتشنیع آغاز کردند فقها وزهادحتی عوام قونیه‌هم ازتغییر روش مولانا خشمگین شدند

بالاخره‌شمس پس‌از شانزده‌ماه ازگفتارورفتار ایشان که اورا ساحر وجادو میخواندند رنجیده بیخبرسرخویش گرفت و برفت .

مولانا درطلب اوبقدم جد ایستاد وپس‌از جستجوی بسیار خبریافت که گمشدهٔ‌او دردمشق شام‌است . نامه وپیام متواتر کرد وپیك‌درپیك‌پیوست ، غزلهای سوزناك سروده بخدمت شمس‌الدین فرستاد آن‌نامه های‌منظوم که‌قدیمترین اشعار تاریخی مولاناست‌در دل شمس اثربخشیده متمایل گردید که‌باردیگرعنان مهر بسوی‌آن عاشق دلسوخته بتابد . مریدان ویاران مولاناهم که‌در نتیجهٔ‌غیبت شمس‌الدین و پژمردگی ودلتنگی مولانا ازفیض دیدار وحلاوت گفتار وذوق تربیت‌اوبی‌بهره مانده موردبی‌عنایتی شیخ‌خود واقع گردیده‌بودند از کرده‌پشیمان گشته دست انابت دردامن غفران وی زدند . مولاناعذرشان‌پذیرفته‌فرزندخودسلطان‌ولدرابدمشق‌فرستاد

سلطان‌ولد نقودچندی نثارقدم‌شمس کردوبندگیها نموده پیغامهای پدررا برسانید دریای مهرشمس جوشیدن گرفت و گوهر های حقایق‌برسلطان ولدافشانده رهسپار قونیه گردید وسلطان‌ولد بیش‌ازیکماه ازسرصدق ونیاز پیاده درركابش راه میپیمود

مولاناازرسیدن شمس‌خاطرش چون گل ازنسیم‌صباشکفت مریدان‌ویاران‌پوزشها کردند وهریك‌باندازهٔ‌وسع‌خویش‌خوان‌نهاده وسماع دادند ـ مولاناچندی باپیر تبریزی تنگاتنگ‌صحبت داشته درخلوت بروی غیر ببستند ،گاهی‌هم بااوبصحرا رفته وخوش‌شور وغوغائی داشتند ولی‌رفته‌رفته بازمریدان ویاران مولانا وخواص وعوام‌قونیه درخشم آمده بدگوئی وشناعت‌آغاز کردند مولانارا دیوانه وشمس‌الدین را جادو خواندند

ظاهراً علت تشنیع فقها وزهاد و هیجان عوام آن بود که مولانا پس از اتصال به‌شمس ترك وعظ و تدریس گفته بسماع و رقص نشست وجامه ودستار فقیهانه‌را به فرجی هندباری و کلاه‌پشم عسلی بدل کرد وفرمود رباب‌را که ازقدیم‌العهد عرب چهارسوبود شش‌خانه ساختند وشب و روز بوجدوسماع‌پرداختند

مولانا مریدان قدیم‌خالص داشت که‌بعضی ازبلخ‌دررکاب‌پدرش بقونیه آمده‌بودند وعدهٔ‌هم دربلاد آسیای‌صغیربدین خاندان پیوسته بودند و اورا عالم ربانی وپیشوای بحق وشیخ‌راستین وقطب‌زمان میدانستند پس‌از آمدن‌شمس‌الدین وانقلاب حال‌مولانا دستشان‌از دامان شیخ‌خود کوتاه ماندتشنیع فقها وزهادهم مقوی این کدورت گشته آنانرابدشمنی‌شمس وامیداشت،احتمال قوی میرود که‌دسته‌ای ازخویشان وبستگان مولانا نیز که‌ازشکست کارخود نگران بودند با این گروه در آزار شمس‌الدین‌همدست‌شدند

بروایت سلطان‌ولد چون مریدان و یاران وبستگان مولانا بکین شمس کمربستند پیر تبریز دل‌ازقونیه برکند و مصمم‌شد که چنان رود که دیگر خبرش‌هم بدورو نزدیك نرسد . این سخن‌را با سلطان ولد در بین نهاد و ناگهان از میان همه گم‌شد و انجام کارش معلوم نشد !

چون‌شمس‌حقیقت‌درزیر ابراسرار ناپدید شد اخبار واراجیف که‌شایدبعضی‌از آنراهم دشمنان‌برای رنجش‌خاطرمولانا میساختند ازهم نمیگسست ، خبرمرگ وقتل وحیات شمس‌الدین همه‌روزه بگوش میرسید ، مولانادرجوش و خروش ومیان امید ونومیدی سرگردان بود و بروایت دولتشاه در آرزوی شمس میسوخت و قوالان رامیفرمود تاسرودعاشقانه‌میگفتندوشب وروزبسماع اشتغال داشتند وبیشتر غزلیاتش درفراق‌شمس‌الدین‌است .

چون ازمجموع اخبار مستفادشد که مشرق‌آفتاب عشق دمشق شام‌است وتشنیع فقیهان وجنبش‌عوام قونیه‌هم خاطر مولانارا سخت افسرده بود درطلب یار گمشده رهسپار شام گردید وخلقی بسیار درپی اوروان گشتند.مولانا دردمشق‌همچنان مجلس سماع ورقص ساز کردوپیوسته بافغان وزاری شمس‌تبریزی‌راازهرکوی وبرزن میجست‌ونمی‌یافت وازشدت اشتیاق ناله‌های پرسوز ازدل‌برمیآورد و اشعار غم‌انگیز میسرود . دمشقیانی که اهل دیدبودند بمولانا گرویده مال‌وخواسته در قدمش‌نثار میکردند وبرخی دیگر که‌از

سر کار آگهی نداشتند از حالاتش در شگفتی میماندند و میگفتند آن کیست که این بزرگ مردرا چنین فریفته و دلباختهٔ خود ساخته است.

چون کوشش مولانا در طلب شمس الدین بجائی نرسید ناچار باجمع مریدان بقونیه باز آمد و سماع بنیاد کرد و پس از سالی چند باز عشق شمس سر از گریبان جانش در آورده بار دیگر روی بدمشق نهاده ماهها درشام بجستجو گذرانید لکن این بار نومیدی تمام بحصول پیوست. ولی بقول سلطان ولد اگرچه مولانا شمس را بصورت در دمشق نیافت ولی بمعنی درخود یافت - پس از آنکه مولانا از وصول بشمس الدین نومید شد بقونیه باز گشته بتربیت و اصلاح خلق پرداخت و بجدی تمام به تکمیل ناقصان و ارشاد سالکان مشغول شد

مولانا که در علم و عرفان بمقام بلندی رسیده بود نظر باستغراقی که خود در کمال مطلق و جلوات جمال ربوبیت داشت پیوسته یکی از یاران گزین را بدستگیری و ارشاد طالبان برمیگماشت. نخستین بار صلاح الدین فریدون زرکوب قونوی را منصب شیخی و پیشوائی داد . یاران و مریدان که در آتش عشق نگداخته و در بوتهٔ ریاضت و سلوك از غش هوی و وهم پاك برنیامده بودند بجز مولانا هیچکس را قبول نمیکردند و شیخ صلاح الدین را که بروایت افلاکی مردی بیسواد و در بازار قونیه بزرکوبی روزگار میگذرانید برای دستگیری و راهنمائی سزاوار نمیدیدند بار دیگر سراز فرمان مولانا پیچیده بدشمنی صلاح الدین برخاستند و سخنان گزنده درحقش گفته بر آن شدند که اورا ازمیان بردارند مولانا علی رغم منکران حسود دیده بر شیخ صلاح الدین گماشت و عنایت و لطف را نسبت باو بحدی رسانید که پیوستگان و فرزندان خودرا فرمان داد تا دست نیاز در دامن وی زنند و از فرط علاقه فاطمه خاتون دختر صلاح الدین را برای سلطان ولد عقد بست ولی پس از دو سال صحبت بی انقطاع ناگهان شیخ صلاح الدین رنجور شد و بیماریش سخت دراز کشیده درسنهٔ ۶۵۷ در گذشت

بعد از مرگ صلاح الدین توجه مولانا بحسام الدین حسن چلبی معروف به ابن اخی ترك معطوف شد و اورا منصب شیخی داد حسام الدین از نخبهٔ مریدان مولانا بود که در زهد و تقوی و معرفت دارای مقامی رفیع و در رعایت دقایق شریعت بی نهایت مراقب بود

دوستی مولانا نسبت به چلبی بجائی رسید که لحظه ای خاطرش بی او نمیشکفت و اورا برفرزندان خود ترجیح داده و آنچه از زخارف دنیوی برایش میرسید فوراً بحسام الدین میفرستاد و یاران و مریدانهم که در طول مدت مهذب و مؤدب شده بودند پیشوائی چلبی را با کمال میل پذیرفته در پیشگاه او سر تمکین نهادند

بهترین یادگار ایام صحبت مولانا با شیخ حسام الدین نظم مثنوی معنویست که یکی از شاهکارهای ادبی ایران و بزرگترین و عالیترین اثر متصوفهٔ اسلام می باشد

سبب افاضهٔ این فیض از وجود مولانا چلبی بوده که چون میدید یاران بیشتر بقرائت آثار شیخ فریدالدین عطار نیشابوری و شیخ ابوالمجد مجدود سنائی غزنوی مشغولند شبی در خلوت از مولانا درخواست کرد کتابی بطرز منطق الطیر عطار یا الهی نامه سنائی (حدیقه) بنظم آرد مولانا فی الحال از سر دستار خود برگی که هجده بیت از آغاز دفتر نخستین مثنوی بر آن نوشته بود بیرون آورده بدست او داد

جذب و کشش حسام الدین بار دیگر دریای طبع مولانا را بجنبش در آورد و شور و شوق دیگر داد . شبها حسام الدین در محضرش می نشست مولانا ببدیههٔ خاطر شعر میسرود و رموز و اشارات عالم غیب را بشیوهٔ سخن گستری بیان میکرد و او مینوشت . چون دفتر نخستین مثنوی بانجام رسید همسر حسام الدین در گذشت و شیخ را پراکنده دل و غرق سکوت کرد طبع مواج مولانا هم که مشتری نمیدید از تلاطم افتاد دو سال تمام در نظم مثنوی تأخیر شد تا بار دیگر تفرق خاطر چلبی بجمعیت مبدل و خواهان انجام مثنوی شد

صحبت مولانا با شیخ حسام الدین پانزده سال امتداد یافت و یاران و مریدان از اثر صحبت آندو فوائد بیشمار میبردند و به ارادت تمام بخدمت آنان مسابقت میورزیدند مولانا از زحمت ناقصان تاحدی آسوده خاطر و در صحبت چلبی بود و یاران پروانه وار گرد شمع وجودش میگردیدند که ناگاه آن توانای عالم معنی به حمای محرق در بستر ناتوانی بیفتاد ، هرچه طبیبان بمداوا کوشیدند سودی نبخشیده مقارن غروب روز یکشنبه پنجم ماه جمادی الاخرهٔ سال ۶۷۲ در سن شصت و هشت سالگی روح پرفتوحش بریاض قدس اتصال یافت. بروایت افلاکی در شب آخر که مرض مولانا سخت شده بود خویشان و پیوستگان اضطراب عظیم داشتند و سلطان ولد هم هردم بیتابانه بسر پدر می آمد مولانا این غزل آتشین را نظم فرمود :

روسر بنه ببالین تنها مرا رها کن ترك من خراب شب گرد مبتلا کن

مسلمین قونیه از خورد و بزرگ در تشییع جنازهٔ مولانا حاضر شدند یهود و نصارای آنشهر نیز که صلح جوئی و نیکخواهی ویرا آزموده بودند بهمدردی اهل اسلام شیون و افغان میکردند . بروایت محمود مثنوی خوان در ثواقب مسلمین از یهود و نصاری پرسیدند که : شمارا با مولانا چه تعلق بوده است ؟ گفتند: اگر مسلمانان را بجای محمد بود ما را هم موسی و عیسی بود و اگر شمارا پیشوا و مقتدی بود ما را هم همان بود که قلب و فؤاد ماداند ؛ شیخ صدرالدین ابوالمعالی محمد بن اسحاق قونوی از بزرگان علماء تصوف و مشاهیر شاگردان شیخ محی الدین عربی بر مولانا نماز گزارد و از شدت بیخودی و درد پس از سلام شهقهٔ زده از هوش برفت جنازه را بحرمت تمام برگرفته در ارم باغچه نزد ضریح منور پدرش (سلطان العلماء) مدفون ساختند

بروایت افلاکی قاضی سراج الدین ابوالثنا محمد بن ابوبکر ارموی از اجلهٔ علماء عصر در برابر تربت مولانا این بیتها برخواند

کاش آنروز که در پای تو شد خار اجل دست گیتی بزدی تیغ هلاکم برسر
تا درین روز جهان بی تو ندیدی چشمم این منم بر سر خاك تو که خاکم برسر

مدت چهل روز یاران و مردم قونیه تعزیت مولانا میداشتند و با ناله و گریه برفوت آن سعادت آسمانی دریغ و حسرت میخوردند

علم الدین قیصر که بروایت افلاکی از اکابر قونیه بود باسرمایهٔ سی هزار درم همت بست که بنائی بر سر تربت مقدس مولانا بنیاد کند وزیر معین الدین سلیمان بن علی مشهور به پروانه اورا به هشتاد هزار درم نقد و پنجاه هزار درم دیگر حواله مساعدت فرمود و قبهٔ موسوم به خضراء بر مرقد مبارك تأسیس یافت علی الرسم چندقاری و مثنویخوان در سر تربت مولانا بودند. سلطان العلماء پدرش و پنجاه تن از اولاد و جانشینان مولانا آنجا مدفونند .

آثار مولانا

آنمقدار از آثار مولانا را که باقی مانده بدو قسمت منثور (فیه مافیه - مجالس سبعه - مکاتیب) و منظوم (غزلیات - رباعیات - مثنوی) میتوان تقسیم کرد

۱ - فیه مافیه - مجموعهٔ تقریرات مولانا است که در مجالس خود بیان فرموده و پسرش سلطان ولد یا دیگری از مریدان یادداشت کرده و بصورت کتاب در آمده - موضوع فصول و مجالس و نتیجهٔ آنها مسائل اخلاق و طریقت و نکات تصوف و عرفان و شرح و تبیان آیات قرآن و احادیث نبوی و کلمات مشایخست، بسال ۱۳۳۳ هجری قمری در تهران و بعد در هندوستان و شیراز چاپ شده است و ما برای نمونه پارهٔ از موضوعات مختلف آنرا در صفحهٔ ۳۳ آثار مولانا نقل کرده ایم

۲ - مجالس سبعه که عبارت از ۷ مجلس از مواعظ مولانا است که بر سر منبر بیان فرموده و نسخهٔ خطی آن در اسکدار در کتابخانه سلیم آقا محفوظ بوده و سه سال قبل با اجازهٔ آقای ولد چلبی افندی و بسعی آقای محمد فریدون نافذ در استانبول چاپ شده است و ما برای آنکه همه بتوانند بآن دسترسی داشته باشند عین آنرا جزء آثار مولانا نقل کرده ایم

۳ - مکاتیب مولانا - مجموعهٔ مراسلات او بمعاصرین است که اخیراً در استانبول بسعی آقای فریدون نافذ چاپ شده و ما ۷ مکتوب آنرا جزء آثار مولانا انتخاب کرده ایم

۴ - غزلیات - که بنام دیوان شمس معروفست و دوبار در هندوستان چاپ شده در حدود پنجاه هزار بیت میباشد که قسمتی از آثار دیگرانهم با اشعار مولانا مخلوط گردیده - اکثر غزلیات مولانا

باشور وبیقراری ازعشق وارادتیکه بشمس‌داشته ساخته‌شده و بنام شمس‌تبریزی تخلص کرده بقسمی که اگر کسی آگاه نباشد تصور میکند شمس‌شاعری‌بوده که اینهمه‌غزل را بنظم آورده(قریب صد غزل بنام صلاح‌الدین‌وحسام‌الدین وقریب‌دویست‌غزل هم نام خمش یاخاموش درمقطع آن‌ذکرشده) مابرای‌آنکه خوانندگان بسبك غزلیات مولانا آشناباشند ۲۳ غزل گلچین نموده‌درصفحات ۳٤ و ۳۵ چاپ کرده‌ایم.منتخب دیوان شمس که‌بوسیلهٔ‌رضاقلیخان هدایت انتخاب شده چندین‌مرتبه‌درتهران‌چاپ شده‌است

۵ـ رباعیات‌مولانا ـ درمطبعهٔ اختراستانبول‌بسال ۱۳۱۲هجری قمری‌چاپ‌شده متضمن ۱٦۵۹ رباعی‌است که قسمتی از آن بیشك متعلق بمولاناست وقسمتی‌مشکوك میباشد وبرای‌نمونه ۵٤رباعی درصفحه ۳٦ نقل شده‌است

٦ ـ مثنوی چنانکه سابقاً ذکر شد مثنوی را مولانا بخواهش حسام‌الدین چلبی‌شروع فرموده وازسال ٦۵۷ تا ٦٦۰ دفتر اول آنرا برشتهٔ نظم کشید وپس‌ازفترت دوساله‌به‌نظم‌دفتردوم‌پرداخت. تا انتهای دفتر ششم که از جهت مطلب بریده ومقطوع‌ماندو قصه شهزادگان‌بسرنیامده‌مولاناجان‌تسلیم فرمود وسوای ۱۸ بیت آغاز دفتراول که‌بخط مولانا نوشته‌شده بقیه‌را میفرموده‌و حسام‌الدین و سایرمریدان مینوشتند وبعد برای‌مولانا میخواندند اما دفترهفتم با یك‌مراجعهٔ اجمالی‌بابیات آن‌ازحیث‌طرزشعر و الفاظ غریب واعتقاد صاحب‌اسرار بامام‌فخررازی وغیره‌واضحست که‌ازمولانا نیست وما برای اینکه خوبی واستحکام اشعار مولانا واضح گردد بچاپ‌دفتر هفتم بدون‌شرح‌مبادرت ورزیده‌ایم تابدانند که هر که مثنوی‌ساخت مولانانمیشود.مثنوی قریب‌صد مرتبه‌درایران‌وهند واروپاو مصر و ترکیه‌چاپ‌شده‌وملاحسین کاشفی آنراملخص‌وبحسب‌مرام‌مرتب‌ساخته لب‌ولباب‌نامیده‌وچندین‌نفردیگرهم‌قسمتی‌از آنرابنام‌مثنوی‌الاطفال‌و خلاصة‌المثنوی ومنتخبات مثنوی وغیره گلچین نموده‌چاپ کرده‌اند

مثنوی حاضر

این‌بنده دردیماه‌سال۱۳۱٤درصددچاپ‌مثنوی‌برآمده‌وبرآنشدم که‌نسخهٔ‌چاپ‌مرحوم میرزامحمود خونساری‌راکه بتصحیح میرزای جلوه ودیگران رسیده بود عیناً باکشف‌الابیات بطبع‌رسانم اتفاقاً مثنوی خطی کهنه‌ای که بسال ۸٤۳ هجری نوشته شده بدست آمد که متأسفانه‌ازاول وآخرآن چندصفحه‌افتاده‌داشت‌وپس‌ازمقابله معلوم‌شدمثنوی‌محتاج اصلاح بسیاریست،دراین‌اثناآگاه‌شدم که‌نسخهٔ نفیسی‌ازمثنوی‌دراختیارحضرت‌استادی آقای‌سرتیپ‌عبدالرزاق‌مهندس بنایری‌است که بیك‌واسطه از روی‌خط بهاءالدین‌ولد پسر مولانا نوشته شده ونسخهٔ‌خطی‌دیگری ازاستاد معظم آقای ملك‌الشعراء بهار بعاریت گرفته شد که‌مولوی‌عبداللطیف‌با ٤۸ نسخهٔ‌مثنوی‌مقابله کرده وامتیازاتی داشت‌وهمچنین بدورهٔ مثنوی چاپ‌استاد نیکلسن ونسخ‌مرغوب چاپ هند و ایران مراجعه کرده در نتیجه مقابله‌کلیه نسخ فوق‌مثنوی‌حاضربدست‌آمد وبرای‌آنکه‌ابیات ملحقه بمثنوی که درنسخ قدیمه نیست (چون‌حتماً نمیتوان گفت که درمثنوی نبوده) امتیازی‌داشته باشد باعلامت ستاره(*)در جلو آن‌را نشانه کردیم تاخوانندگان محترم بدانند که‌آن‌ابیات دردونسخه کهنه خطی ومتن نسخه‌چاپ نیکلسن‌نیست وازدفترسوم که‌کلیه‌نسخ‌فوق مهیا بودبرای مزیدفایده‌نسخه بدلهائی‌هم درذیل ابیات افزودیم . اماذیل وشرح ابیات مشکله دفترنخستین رایکی‌ازمعاصرین‌نوشته وچون‌مطلوب واقع‌نشددفاتربعدراازروی‌هفت شرح‌مثنوی قدیم که‌حاجی‌سبزواری ومولوی‌عبداللطیف‌وغیرهم‌نوشته‌بودند گردآوردیم که‌همگانرابکارآید دفترهفتم‌را ازاین‌رو چاپ کردیم‌تاپارهٔ کوتاه‌فکران که‌تصورمیکنند مثنوی‌از حیث شعربرجسته‌نیست‌باشتباه‌خودبرخورده‌فرق مابین‌اشعار مولاناودیگرانرا که مثنوی‌هاساخته و هیچیك نتوانسته‌اندباوبرسند ملاحظه کرده باشتباه‌خود واقف گردند وبدانند که مثنوی علاوه‌بر توجه‌بمعنی‌وحقیقت از حیث ظاهر لفظهم آراسته و پیراسته است

پس‌ازخاتمه‌چاپ‌مثنوی درصدد تهیه کشف‌الابیات‌برآمده ودراینراه چهارسال رنج‌بردم ودرنتیجه کشف‌الابیات‌حاضربدست‌آمد که‌بانسخ سابق فرق واضحی‌ازحیث ترتیب منظم وسهولت‌مراجعه ومخلوط نبودن ب و پ و ج و چ و ک و گ و غیره دارد . اما کتاب لطائف‌اللغات‌فرهنگ‌جامعی ازلغات‌مثنوی بقلم‌مولوی‌عبداللطیف میباشد که‌درنتیجه صرف‌عمری درراه مداقه درمثنوی و تدریس آن ومقابله صدهانسخه‌بایکدیگر گردآورده،سابقاً نسخهٔ‌مغلوط‌وناقصی ازآن‌درهند بچاپ‌رسیده بود که‌بامراجعه بنسخ خطی‌نفیس‌تصحیح‌و درآخر کتاب‌ضمیمه گشت.وپس‌ازچاپ‌متن کتاب‌و کشف‌الابیات‌ولغت درصدد تهیه مقدمه برآمده‌برای‌آنکه‌مثنوی کاملا جامع‌باشد علاوه بر فهرست مطالب که بابتدای کتاب افزوده شد تمام مجالس سبعه وقسمتهائی ازسایرآثار مولانا ضمیمه‌شد وعلاوه برمآخذی که‌در ابتدای‌شرح‌حال‌ذکرشده رسالهٔ‌شرح حال بقلم سپهسالار وسه‌دفتر کتاب‌ولدنامه(که‌از آقای‌الفت خریداری‌شده)ومناقب‌العارفین‌هم‌در دسترس‌استفاده قرار گرفت.چهارقطعه‌عکس‌ازمولاناوآرامگاه او از کتاب آقای‌فروزانفر برداشته‌شده‌سه‌قطعه‌درابتدای‌مقدمه وقطعه چهارم دراینجا چاپ میشود

درگاه تربت مولانا

از آقای سیدیعقوب انوار که بامراجعه‌دقیق بمثنوی حاضر بنده راباشتباهات آن‌واقف ساختندوبرای‌تهیه‌غلطنامه‌استفاده‌بسیار کردم وازآقای علی‌قویم که کمکهای‌ذیقیمتی‌نموده‌اند تشکر کرده خداراسپاسگزارم که مقابله و چاپ مثنوی باهمه اشکالاتی که پیدا کرد وموانعی که برای آن پیش‌آمدپس‌از پنج‌سال‌پایان یافت.

دراینجا بامادهٔ‌تاریخی که‌شاعرشیرین گفتارمعاصر آقای‌پژمان‌برای چاپ‌مثنوی‌ساخته‌اندمطلب‌خودراخاتمه‌میدهم۲۰ر۱۲ر۱۹ محمدرمضانی

مثنوی آنشمع یزدانی فروغ — کش‌بود خورشیدحکمت‌زیرظل
کردچون‌ازمطلع‌خاورطلوع — پرتو مهرش فرود آمد به‌دل
خواست‌پژمان‌مطلعی‌خورشیدفر — تاطلوعش را بدان بخشدسجل
لیك چشم طبع و پای دانشش — این‌بتاریکی فروشد آن به گل
یاری‌ازشیخ‌بهائی‌جست‌وخواست — مصرعی خاطر فروزوغم‌گسل
آن‌بزرگ‌آوردسردرجمع‌وگفت — مثنوی باشد چوقرآنی مدل

۱۳۵۸

لطائف اللغات

فرهنگ لغات مثنوی ملای روم

تدوین و تألیف عالم جزیل و فاضل جلیل القدر مولوی عبداللطیف طاب ثراه

بسم الله الرحمن الرحیم

این فرهنگی است مشتمل برحل لغات غریبه عربیه والفاظ عجیبهٔ عجمیه **مثنوی مولوی معنوی** که بیمن تایید لطیف خبیر که فرهنگ بخش هرصغیر وکبیر است **اقل العباد عبداللطیف** بن عبدالله کبیر بنیروی سعی واجتهاد از کتب معتبرعربیه وفارسیه مثل **قاموس** که در علم لغت بحریست بیقیاس و **صراح وصحاح** که در فن مذکور قمریست وسیع رفیع الاساس **وکنز اللغه** که گنجیست بی شبیه ووسواس وفرهنگ میرجمال الدین حسین انجو که مسماست به **فرهنگ جهانگیری** که از چهل و چهار فرهنگ معتبره منتخب و ملتقط شده و بی تکلف در وادی خود کتابیست استغنا بخش عام وخاص و **کشف اللغات** شیخ عبدالرحیم سور بهاری که در حد ذات آن هم بهاریست کاشف قلوب ارباب شك والتباس و **مدار الافاضل** شیخ الهداو سرهندی که مدار افاضل سراپای اهل هند وشعراست و **مؤیدالفضلای** شیخ لاد دهلوی که الحق در حل لغات مؤیدعلما وفضلاست و **شرح اصطلاحات صوفیه** شیخ ابن عطار وشیخ عبدالرزاق کاشی و **فرهنگهای متفرقهٔ مثنوی** که بعضی ارباب طلب درخور جهد وقیاس جمع نموده‌اند وتحقیقات بی قیاس که در مدت دوازده سال از تلمذ وتتبع این کتاب مستطاب وسماع ثقات حاصل شده بود فراهم آورده در سلك تدوین کشیده مسمی به **لطائف اللغات** گردانیده **(و اول حرف را باب و آخر را فصل قرارداده)** وچون لغات در هم نوشته شده برهر لغت علامتی نهاده :

عربی (ع) و فارسی (ف) و ترکی (ت) و سریانی (س) و برکلمه‌ای که میان عربی و فارسی مشترکست (عف) و برلفظی که میانهٔ ترکی و فارسی مشترکست (تف) ولغتی که میانهٔ فارسی و هندی مختلط است (فه) وآنچه میانهٔ عربی وهندی ملتبس باشد (عه) علامت نهاده که هرعامی وعالمی در تفرقه و تمیز السنه محتاج بتحقیق و تفتیش نباشد و آنچه از نهایت اهتمام وغایت سعی است در این باب بتقدیم رسانیده چون امثال این تألیفات میباید که عام الفیض و عموم الفهم باشد و مبتدی ومنتهی را بآن احتیاج واقع میشود تفرقه نادر و مشهور باقصی غایت نکرده هرچه در مثنوی واقع شده عموماً بتحریر درآمده باوجود آنکه هرچه مبتذل و زبان زدعوام وخواص بود ازآن احتراز نموده میتواند بود که درین جمع بعضی لغات ازین عالم داخل شده باشد که در نسخه ناسخهٔ مثنوی این فرهنگ بجهت آن ترتیب یافته نشود اما چون لغات مثنوی که برخی از سلف نوشته‌اند داخل بود بملاحظهٔ آنکه شاید در جائی نسخه باشد یا درکتاب دیگر یافته شود وبعداز تفحص درین فرهنگ نیابند ترك آن لایق ندانست ونیز چون یك لغت درفرهنگ های مختلفه و کتب متعدده بچندین معنی آمده و در اثنای تتبع اطلاع بر همه حاصل شده هر چند که در یك مثنوی بیك معنی یا دومعنی مستعمل شده باشد بواسطهٔ مزید فایدهٔ طالبان وزینت کلام ومعتدبه شدن نسخه همه آن معانی را درین مجموعه ایراد نموده که متفحصان مطالب علیه مثنوی هرمعنی که بقرینهٔ مقام ومقتضای کلام مقصود و مطلوب باشد ازآنجمله اخذ نمایند باقی معانی نهانیش در مقاصد دیگر بکارآید بلکه فوائد کثیره قطع نظر ازحل لغات مثنوی از مطالعهٔ این کتاب حاصل گردد **اگر** بمقتضای بشریت خطائی وزللی واقع شده باشد چون کمینه مؤلفی وناقلی وراویی بیش نیست واز کتب مذکوره صدراستنباط واستخراج نموده توقع وترصد از ارباب فتوت ومروت واصحاب نظر وفکرت آنست که بذیل عفو وکرم درپوشند ودر طعن وتمسخر نکوشند واین فرهنگ از قسم فرهنگهای فارسی که بمحض قیاس وتمکین تدوین یافته باشد وانگیرند و در تحقیق و تشخیص وتنقیح بمنزلهٔ کتب معتبرهٔ عربیه مثل قاموس وصراح اعتماد نمایند **(بیت)**

هر که سخن را بسخن ضم کند　　قطرهٔ از خون جگر کم کند

یقین هر کس که ازجهان معنی بهره دارد و سره و ناسرهٔ کلام را دریافته و الم تتبع و تفحص کشیده و دردتألیف و تصنیف چشیده ببدیهه بیدردانه زبان طعن زود زود برخون جگر کسی دراز نخواهد نمود وطریق انصاف از دست نخواهد داد هر که ازین عالم خبری ندارد و بیدرد است ازسخن اوچه باك والله الموفق وعلیه التکلان .

در جمع وتألیف این مجموعه فرهنگ دانش دوست برجادهٔ حقیقت وخلوص مستقیم مولانا ابراهیم دهلوی که مدتی با مسود این سطور در تدریس مثنوی حاضر بوده قرائة وسماعاً تلمذ نموده و مستحضر الفاظ ومعانی گردیده جزو اعظم بود ودر تسوید این نسخه حق عظیم دارد شکرالله سعیه درین مقدمه این دوبیت انوری که از امداد جمال الدین خطیب که درقوافی گفته نسبت بمشارالیه حال جامع این جمع است :

قطعه

هیچکس دریك قوافی بنده را یادی نکرد　　هر که بیتی شعر دانست از رعیت وزرعات

جزجمال الدین خطیب ری که برخوانداز نبی　　تائبات عابدات سایحات تیبات

باب الف

فصل الف

استثنا (ع) چیزی از جمله بیرون آوردن وانشاء الله تعالی گفتن کما قال الله تعالی فی سورة القلم فی قصة اصحاب الجنه «اذ اقسموا لیصرمنها مصبحین ولا یستثنون» الحی لایقولون انشاءالله و سمی استثناء وان کان شرطاصورة لان یودی سوای الاستثناء لمن حیث ان معنی قولا اخرجن انشاءالله تعالی ولا اخرج الاان یشاءالله واحد

استیلا (ع) دست یافتن وغالب شدن ورسیدن بنهایت کار وطلب ولایت کردن

اژدها و اژدرها (ف) با اول مفتوح و ثانی زده چهار معنی دارد اول ماری باشد بس بزرگ وعظیم الجثه وآن رابسبب عظم جثه بصیغه جمع آورده‌اند دوم شجاع و دلاور وخشمگین بود سوم حکیم فردوسی درشاهنامه بمعنی پادشاه ظالم عموماً وضحاك خصوصاً آورده چهارم علم اژدها بپیکر رانامند .

اقصا (ع) بفتح دورتر و بکسر دور کردن وبپایان چیزی برسیدن

آسا (ف) هفت معنی دارد اول زیب وزینت بود دوم دهان دره باشد وآنرا فازه وفاژه نیز گویند سوم شبه ومانندرا خوانند چهارم بمعنی وقار است پنجم بمعنی آسودن آمده ششم هیبت و صلابت بود هفتم روش و قاعده را خوانند

انگشت نما (ف) بمعنی مرتبه متارالیه ومشهور آمده

انطفا (ع) بکسر اول وطاء مهمله فرومردن آتش وچراغ

آشنا (ف) بمد همزه سه معنی دارد اول شناوری کردن دوم اسم فاعل است یعنی آنکه درآب شناوری کند سوم ضد بیگانه امادر شناوری بحذف همزه ونیز درشعرا کابر واقع شده است که شناوشناه باشد.

احتما (ع) بکسر خود راازچیزی نگاهداشتن وپرهیز دربیماری .

اعطاء (ع) بکسر بخشیدن.

ابا بعربی بکسر سرباز زدن باشد ازکاری وبفارسی نان خورش و بفتح بمعنی پاکه بتازی مع گویند .

اتقیا (ع) بروزن افعلاست جمع تقی بوزن فعیل یعنی پرهیزگار .

استوا (ع) بکسر قصد کردن و غلبه کردن و برابر شدن وظاهر شدن و بتمامی جوانی رسیدن و قرارگرفتن و خط استوا که میگویند عبارتست ازدایرهٔ عظیمه که احداث میکند اوراسطح دایره معدل النهار برسطح محیط برزمین .

اخوان الصفا (ع) یاران وبرادران روشن یعنی جماعتی که ازمقتضیات کدورات بشری رسته باشند و باوصاف کمالات روحانی آراسته

ارتقا (ع) بکسر بر آمدن بر نردبان و بالا رفتن درجه درجه و حشم داشتن .

ابتلا (ع) آزمودن ودر بلا افتادن .

اصغا (ع) بکسر گوش فراداشتن ودیدن و میل کردن .

استغنا (ع) بکسر بی نیاز شدن وطلب غنا و بی نیازی کردن .

اقتدا (ع) بکسر پیروی کردن .

اردا (ع) بکسر همزه و بالف مقصوره بمعنی هلاك کردن .

افترا (ع) بکسر دروغ بربافتن و پوستین پوشیدن

احیا (ع) بکسر زنده کردن و در فراخی نعمت شدن و در باران شدن ازباب افعال و بفتح زندگان

اوریا (س) بضم نام مردی که داود علیه السلام اورا با لشکر کثیر به حربی نامزد کرد چون بتقدیر الله تعالی آنجا شهادت یافت زنش را بحبالهٔ خویش درآورد سلیمان علیه السلام ازاو متولد شد امام زاهد در تفسیر خویش میگوید که این قصه افتراست بر حضرت داود علیه السلام وچنین امر از آحاد امت نامناسب است وهیچ مسلمانی نخواهد که زن همسایه را به نکاح خود درآرد واورا بکشتن رضا دهد این گمان برانبیا چگونه توان کرد بلکه واقع چنان بود که اوریا آن زن راخواستگاری برای خود کرده بود ازپدر وی وحضرت داود نیزبرای خود خطبه کرد پدر اوبایشان راضی شدوباوریاجواب داد این معنی اگرچه بحسب شرع جایز است اما ازمنصب نبوت دوراست ازاینجهت بحضرت داود عتاب شد وازحضرت امیرالمؤمنین علی علیه السلام منقول است که کسی که این سخن برحضرت داود بگوید من اورا هشتاد تازیانه بزنم که تعزیر افتراء انبیا علیه السلام ضعف تعزیر افترای مؤمنان است وحد تعزیر افترای آحاد مؤمنان چهل تازیانه است .

ارمیا (س) بضم نام خضر علیه السلام وقیل اسمه بلبان بن ملکان علیهم السلام و درتاریخ شاه شجاع مینویسد که خضرلقب اوست ونام بلبان است و از فرزندان ملوك بنی اسرائیل است ترك ملك وپادشاهی داده زهد اختیار کرده بود اورا خضر ازآن گفتند که برهرزمینی که نشستی سبزه پیداشدی وهرجا که نماز گذاردی حوالی آنموضع همه سبز شدی وگویند ارمیا نام الیاس است .

آشپا (ف) بمعنی بیقرار و بی آرام و بیصبر وناشکیبا .

التجا (ع) بکسر پناه آوردن .

استبقا (ع) بکسر باقی گذاشتن .

اجتبا (ع) بکسر برگزیدن و برتافتن سخن وفراهم آوردن

اغوا (ع) بکسر گمراه ساختن .

اعضا (ع) بفتح جزوهای بدن .

اخصا (ع) بکسر خصی کردن .

اذا (ع) چون و وقتی وپس وناگاه و اوبمعنی اول شرطاست و بمعنی دوم ظرف و بمعنی سوم ادات جزاء همچون وبمعنی چهارم مفاجات است و بمعنی پس خورده نیز آمده .

املا (ع) بکسر بمعنی درازی امید درعیش و ازیاد چیزی نوشتن و غیری رانبشتن فرمودن ودبیر گردانیدن وبطت زکام مبتلا گردیدن.

اجترا (ع) بکسر دلیر شدن .

اقتضا (ع) بکسر تقاضا کردن .

استسقا (ع) بکسر آب خواستن و نیزنام علتیست که صاحب آن علت هرچندآب خورد تشنگی اونرودوشکمش هرروز بزرگتر گردد

استقاء (ع) ازباب افتعال بمعنی آب خوردن است.

انثی (ع) بضم زن مفرد .

افنا (ع) بکسر نیست کردن .

اعتبا (ع) بفتح بمعنی سرکشان است جمع عتو .

اشیاء (ع) بفتح چیزها .

انجلا (ع) بکسر جلا دادن و صاف وروشن کردن و روشنائی

اصطفا (ع) بکسر برگزیدن .

ارجا (ع) بکسر پس افکندن و نزدیك آمدن براه و بتاریك شدن شب و امیدوار گردانیدن ومؤخر گردانیدن وبفتح جمع رجا بمد وبقصر کرانه چاه .

الا (ع) بفتح بدان وآگاه باش و اوحرف تنبیه است .

الا (ع) بالکسر والتشدید مگر و بفتح و مدو تخفیف اللام نعمت ونیکی

اسما (ع) بفتح جمع اسم ونیز نام زن امیرالمؤمنین حسن علیه السلام که او را بزهر کشته ونیز نام معشوقه سعد که آنرا اسمابنت اسما گفتندی و بکسر نام کردن .

انسا (ع) بکسر فراموش گردانیدن .

انشا (ع) بکسر پیدا کردن وآفریدن

آوا (ف) آواز باشد .

انا بکسر همزه و نون ممدوده ظرف و جای آب ـ آینه جمع اوانی جمع الجمع و بفتح همزه و قصر بمعنی من .

ایرا (ف) بمعنی زیرا .

استا (ف) بکسر امراست یعنی ستایش بکن و ستاینده نیز وبضم کتاب مغان از اختراعات زرتشت .

ایما (ع) بکسر اشارت .

اجرا (ع) بکسر راندن و چون در حساب خرج را مجرا دهند و صحیح کنند گویند اجرا کرد چنانچه قاضی سجل کند گویند امضا کرد

اشقیا (ع) بروزن افعلاست مفرد اوشقی است بروزن فعیل یعنی بدبخت

اجزا (ع) جمع جزء بمعنی پاره چیزی

ابدا (ع) بکسر بمعنی آشکارا کردن و حدیث کردن .

ایفا (ع) بکسر دادن و گذاردن .
اما (ع) بکسر جمع امه است امت کنیزك باشد .
اقنا (ع) بکسر سرمایه دادن .

فصل ب

اصطرلاب (ع) بضم اول ترازوی آفتاب وآن طاسی وحلقه‌ایست از جام کیخسرو استخراج نموده اند وبسین مهمله و صاد هردو آمده و نیز گویند که درزبان یونان اصطرترازورا گویند ولاب بمعنی آفتاب و میگویند لاب نام حکیم واضع او و نام پسر ارسطو و نام ادریس علیه‌السلام و صحیح آنست که واضع او ارسطو است وآنرا اصطرلاب و صطرلاب و اسطرلاب و سطرلاب و صلابت نیز گویند اگرچه احوال سبع سیاره وافلاك همه در اصطرلاب معلوم میشود اما باسم اینجا جزو اعظم که آفتاب است تسمیه شده است .
آشوب (ف) بمد و واو فارسی شور و غوغا و فتنه باشد
اکتساب (ع) حاصل کردن بسعی خود وتصرف کردن در کسب .
اصحاب (ع) یاران و خداوندان و این جمع صحب است و صحب جمع صاحب و جمع اصحاب اصاحیب می‌آید .
اضطراب (ع) خلل یافته شدن و پریشان حال شدن و جنبیدن و باهمدیگر شمشیر زدن و بهم واکوفتن ونیز در مثنوی معنوی بمعنی جاها بمعنی مضطرب است که مصدر بمعنی فاعل واقعشده .
ابواب (ع) جمع باب .
اصلاب (ع) جمع صلب بضم بمعنی استخوان پشت مرد که محل نطفه است و ناقهٔ پیر وبفتح چیزی سخت وپردهٔ از پرده های چشم .
اب (ع) بفتح پدر **آب** (ف) بمد که بعربی ماء خوانند و رونق و جاه وفیض و عطا ورواج و رحمت وکشت و نیز مدت ماندن آفتاب دربرج اسد که رومیان آنراآب‌ماه‌خوانندوآبان نیز گویند و بادهای بی‌منفعت‌دروی می‌وزد .
انساب (ع) بانون و سین مهمله جمع نسب .
اقطاب (ع) بفتح قطبها و قطب یك تن است و آنرا غوث نیز گویند ورتبه قطب‌ازسایر اولیا ارفع‌است .
اشتاب (ف) بمعنی شتاب باشد .
اباب (ع) بکسر پوست .
آداب (ع) جمع ادب .
ادیب (ع) بفتح‌ادب دارنده .
آسیب (ف) پرتو راگویند و در قنیه مذکور است که چون جوتن دوش بدوش یا پهلو بر پهلوی هم‌سایند وباهم رسندویکدیگررا کوفتگی رسدگویند آسیب رسید وعرب آنرا صدمه نامند وبدانکه آسیب اعم‌است‌هم‌صدمه‌را نامند وهم پرتورا وآنکه مزاحمت دیو وپری را آسیب میگویند بدین سبب که پرتو ایشان است و بعضی که اینرا صدمه مینامند باعتبار تعلق ومساس و نیز گاهی بطریق استعاره‌آفت و کلفت و اثررا گویند .
ایاب (ع) بکسرباز داشتن از حاجت وکاری کردن که از آن کسی‌را شرم آید وبازگشت .
اجتذاب (ع) بکسر ـ کشیدن .
اصوب (ع) بفتح یکم‌وسوم وسکون‌دوم ـ صواب‌تر .
اجتناب (ع) بکسر پرهیز کردن و جنب شدن و دور شدن
اقتراب (ع) بکسرهمزه‌نزدیکی جستن ونزدیك شدن‌ونزدیك آمدن
ام‌الکتاب (ع) قرآن وسورهٔ محمدص وسورهٔ‌فاتحه ونیزبمعنی‌عرش ولوح محفوظ ودراصطلاح سالکان عقل اول‌را گویند که اشارت بمرتبهٔ وحدتست که حقیقت محمدی‌ص ونورمحمدیست
ارنب (ع) بفتح یکم وسوم خرگوش ودر دستور بمعنی گورخر است ونیزنام داروئیست وارانب‌جمع آنست
اکتیاب (ع) بکسر تاء فوقانیه ویای تحتانیه‌اندوهگین ودردمندشدن
اذناب (ع) بکسر گناه کردن وبفتح دمها و کنایتست از بندگان وکنیزکان و اتباع .
اغتراب (ع) بکسر بغربت شدن

التهاب (ع) بکسر زبانهٔ آتش .
اعجاب (ع) بکسر شگفت کردن ازچیزی .
احتساب (ع) بکسر نهی منکر کردن .
احتجاب (ع) بکسر درپرده شدن .
اعراب (ع) بکسر سخن باعراب گفتن و بیان کردن وپیدا کردن و فحش گفتن و واضح و روشن گردانیدن چیزی و دور کردن و فساد چیزی و زاده شدن فرزند عربی بفتح تازیان و بیابان نشین واعراب جمع‌عرب نیست بلکه لفظ جمعیست که واحد ندارد
اکباب (ع) بکسر بروی در افتادن و بفتح جماعة من‌الخیل والابل
اشهب (ع) بفتح‌اسب سفید وبازسفید وجزآن
اسباب (ع) بفتح جمع سبب بمعنی ریسمان
اریب (ع) بضم کج رفتن وپهلورفتن و بینوله نگریستن وجذب‌ـ وریب بواو نیز آمده
ارتیاب (ع) بکسر بشك شدن من‌الریب
اعقاب (ع) بفتح از پس آیندگان و پاداشها وبکسرپاداش بردن و از پی در آوردن

فصل ت

انانیت (ع) دراصطلاح صوفیه حقیقتیست که‌اضافت کرده میشود بسوی او هر شیئی‌را از بنده مانند روح من‌ونفس و ثوب من‌وسیف من‌وانیته بفتح تحقیق وجود عینی خارجی است از حیثیت رتبهٔ ذاتی باقطع نظر از عوارض و این‌خاص بممکن است پس گفته نمیشود انیت‌الله بواسطهٔ عدم توفیق .
استقامت (ع) راست شدن وراست استادن .
امهات (ع) بالضم جمع ام بمعنی مادران ونیز اصل ودراصطلاح حکما عناصروطباع راگویند چنانکه آباءافلاك وانجم راخوانند .
آفات (ع) بمد جمع آفت بمعنی رنج وزحمت .
اخافت (ع) ترسانیدن .
ابیات (ع) بفتح اول و سکون‌با ویای تحتانیه‌جمع بیت وجمع‌بیت بیوت‌نیزآمده بمعنی خانه وعیال‌وهردومصراع‌از شعر که بهم بندندو جمع‌الجمع ابابیت وبیوتات باشد .
آبست (ف) با بای مفتوح بسین‌زده ـ سفیدی درون پوست که آنراگوشت ترنج گویند با یای مکسور بمعنی آبستن است .
انیت (ف) بکسراول‌وسکون‌یای تحتانیه‌ونون‌زهی که کلمهٔ تحسین‌است
انعکاسات (ع) جمع انعکاس بمعنی واژگون شدن .
اصحاب‌سبت (ع) یعنی یاران روز شنبه که ایشان ازبنی‌اسرائیل بودند آنچه مشهور است ودر اکثر تواریخ وتفاسیر مسطور آنست که باهل قریه که بقول بعضی باملة موسوم است ومیان مدین وطور برساحل دریا واقعشده و بقول برخی عبارت از طبریه شام است‌حق تعالی امر فرموده که روزشنبه ماهی صید نکنند وچون ایشان تعظیم یوم سبت میکردند ماهیان‌در آنروز ایمن میبودند وهمه برروی‌آب می‌آمدند ایشان چون ممنوع بودند ازگرفتن ماهی رخصت نداشته میرفتند وحوضهای بزرگ بر ساحل دریا میساختند و آب در آن میگشودند ماهیان درآنجا جمع میشدند ایشان راهها فرومیبستند وروز یکشنبه میگرفتند ومیخوردند مدتی بدینمنوال بگذشت شیطان بیامد و ایشانرا وسوسه کرد که حق تعالی شما را از ماهی خوردن منع کرده است نه ازگرفتن روز شنبه ایشان بقول شیطان فریفته شدند و روز شنبه میگرفتند و روز های دیگر میخوردند چندگاه بر این بگذشت وحجاب از میان برداشتند و دست در شکار روز شنبه نهادند وماهی میگرفتند ومیخوردند ومیفروختند چون ظلم وتعدی ایشان ازحد گذشت باریتعالی همه را مسخ کرد یکبارگی بوزینه شدند و این در روزگار داود علی نبینا و علیه السلام بود بدلیل لعن‌الذین کفروا من بنی اسرائیل علی‌لسان داود .
انائت (ع) بکسر همزه اول و بفتح همزه ثانی از تأنی است یعنی تأخیروآهستگی وحلم کردن وقیل انات بوزن‌قنات بمعنی‌آهستگی و زن آهسته .

استمالت (ع) بکسر دلخوش نمودن و بسوی خود میل‌دادن.
آلات (ع)بفتح ومدجمع آلت‌وآلت چیزیکه سبب‌حصول‌چیزی شود.
ازمت (ع) بفتح همزه و کسر زاء معجمه وفتح میم کفر و سختی و رنج و سال قحط راگویند .
اباحت (ع) بکسر حلال کردن .
اناخت (ع) بکسر ـ خوابانیدن شتر .
اعادت (ع) بکسر بازگردانیدن
امارت(ع)بکسر فرماندهی و حکومت کردن.وبفتح‌علامت‌امارات جمع.
استعانت (ع) بکسر یاری جستن
انابت (ع) بکسر بازگشتن و توبه پذیرفتن
امنیت بضم اول و سکون میم بمعنی آرزوست .
آیت(ع) بمد و فتح نشان حرفهای قرآن الهی و آیات جمع .
استحالت (ع) بکسر ناممکن شدن دروجود وحال بحال‌بگردیدن چنانکه آب سردگرم شود وآب‌گرم سرد شود .
التفات(ع) بکسر بگوشهٔ‌چشم‌نگریستن وپس‌نگریستن وروی‌بچیزی‌کردن
افاضت(ع)بکسر درسخن‌خوض کردن‌وآب‌ریختن‌وبانبوهی‌بازگردیدن
استکانت (ع) فروتنی کردن
اصابت (ع) بکسر رسیدن براه راست و یافتن و خواستن و صواب گفتن .
اجازت (ع) بکسر روا داشتن ورخصت‌دادن .
امت (ع) بضم اول وفتح میم مشددگروه دین و امام و بالای مردم وهنگام ـ امم جمع امت .
افروخت(ف)افروخته وذکراین‌درفصل(ها)خواهدآمد

فصل ث

اثاث (ع) بفتح کالای خانه و مال از اشترو گوسپند وغیرآن .
اناث (ع) بکسر همزه ونون زنان و او جمع انثی است و مراد باناث که‌درقرآن‌آمده‌است « که‌این یدعون من‌دونه الااناثا» بمعنی‌بتهای ماده است .
انتکاث (ع) بکسر از هم جدا شدن

فصل ج

اخراج (ع) بکسر بیرون کردن .
ابتهاج (ع) بکسر شاد شدن .
استدراج (ع) طلب درجه نمودن و در اصطلاح متکلمان‌خارق عادت کافران راگویند چنانکه مؤمنانرا کرامت و درحل لغاتست نزدیك گردانیدن خدای تعالی بندهٔ خودرا بختم وعقوبت خود وطلب گذشتن کردن وسخن ازدهان بیرون آوردن و اندك‌اندك نزدیك گردانیدن
ارتجاج (ع) بکسر جنبیدن و لرزیدن .
آهنج (ف) باهای مفتوح بنون زده بمعنی کشیدن‌و کشنده‌و انداختن واندازنده‌وبکش و بیانداز بود و نیز بمعنی قصد و آهنگ آمده .
ابلوج (ف) باول مفتوح وبثانی زده قند وشکر راگویند .
استخراج (ع) بکسر طلب بیرون آوردن کردن .
ایلاج (ع) بکسر درآوردن ودربردن چیزی درچیزی وازینجاست قول حق تعالی یولج‌اللیل فی‌النهار و یولج‌النهار فی‌اللیل .
ازدواج (ع) بکسر جفت کردن وبا یکدیگر جفت شدن .
انضاج (ع) بکسر پختن .
ابراج (ع) بفتح جمع برج و برج بالضم کوشك و نیز دوازدهم حصهٔ فلك، حکما فلك البروج را دوازده قسم کرده اند وهرقسم را برج نام نهاده چنانچه در علم هیئت مبین است .
ایج (ف) بکسر اول بمعنی هیچ باشد .
ارج (ف) باول مفتوح بثانی زده پنج معنی دارد اول قدر و مرتبه باشد و ارجمند صاحب قدر و خداوند مرتبه را گویند چه مند بمعنی صاحب و خداوند آمده دوم بمعنی کندنست سوم بمعنی کرگدن که تعریفش انشاالله مرقوم خواهد شد چهارم نام مرغیست که پر آن درغایت نرمی باشد و بالش بدان پر سازند وآنرا بترکی پرتو خوانند پنجم بمعنی قیمت آمده و آنرا ارزنیز نامند .
اوج (ف) ارتفاع و بلندی و هوا و عروج باشد .

فصل ح

الواح (ع) بفتح اول جمع لوح که تخته باشد .
املح(ع) سیاه و سپید و نمکین‌تر .
افصح (ع) سخن‌گوتر ونیز زبان‌آورتر .
اصباح (ع)بفتح‌همزه بامدادها و اوجمع صباح‌است‌وبکسرهمزه بامداد
اصطلاح(ع)رسم‌وآئین و اتفاق‌قومی برچیزی‌وبایکدیگرصلح کردن.
استفتاح (ع) بکسر گشودن‌وبیان کردن وخواستن ازمشکلات‌قرآن. ویاری خواستن و طلب فتح جستن و روز پانزدهم ماه رجب را روز استفتاح میگویند آنست که درهای رحمت خدای تعالی ودرهای‌بهشت در آن روزگشاده میشود برای مؤمنان و نیز مقرراست که در کعبهٔ معظمه در این روز بجهت زوار میگشایند بعضی گویند که در این روز زبانهای کودکان گشاده میشود چنانچه زبان عیسی‌علیه‌السلام‌درآن روزگشاده شد و در مثنوی بمعنی اخیراست
افتضاح(ع) بکسر رسوا شدن .
ارتیاح (ع) بکسر شاد شدن و رحمت کردن .
انتصاح (ع) بکسر نصیحت پذیرفتن .
اشباح (ع) بفتح سیاهیها که ازدور دیده شود واجسام‌وکالبد .
انتطاح (ع) بکسر سروزدن‌گاو وقوچ ومثل‌آن .
الحاح (ع) بکسر زاری کردن و در خواستن و ستیهیدن و مبالغه کردن ودایم باریدن باران .
اقتراح (ع) بکسر بی‌اندیشه سخن‌گفتن و بدیهه شعرگفتن و چیزی از کسی بتحکم درخواستن !
ارباح (ع) بکسر سودمند کردن وبفتح‌سودها ونفعها جمع ربح.
انجاح (ع) بکسر روا کردن و روا شدن حاجت .
اقماح(ع)بکسرسربرآوردن‌سوی‌آسمان چنانکه‌چشمهاسوی زمین باشد.
ارتباح (ع) بکسر سود کردن .
اصلاح (ع) نیکی کردن ضد افساد .

فصل خ

اوساخ (ع) جمع وسخ بفتحتین ریم و چرك .
اخ (ع) باول مفتوح وثانی زده‌برادر.
آخ (ع) بمد بمعنی آفرین است .
اخ اخ (ف) مکرر باهر دو الف مفتوح بمعنی خوش خوش که بتازی‌طوبی وبخ بخ گویند ونیز کلمه‌ای بود که‌در مقام حیرت وتأسف برزبان‌رانند وبااول‌مضموم کلمه‌ایست که‌دروقت‌نهایت‌خوشی‌وحظ گویند.
آوخ وآوخ (ف) با همزه ممدوده وواو مفتوح دو معنی دارد. اول بمعنی‌آه آمده دوم نصیب باشد .
اوستاخ (ف) بمعنی گستاخ .

فصل د

ابجد(ع)بفتح‌اول‌از آبی‌جارحکیم‌است که حروف تهجی‌رابطریق‌خاص. اوجمع کرده وآنراحساب‌جمل بضم اول نیز گویند وحساب‌جمل‌بدوطریق. است‌صغیر وکبیرآنچه متعارفست آنرا صغیر گویند وکبیرآنست که. باهیئات‌حساب کنند قال‌النبی‌صلی‌الله‌علیه‌وآله‌وسلم‌وین‌لعالم‌جهل‌من‌تفسیر الابجدقیل‌فی‌تفسیر ابجدای وجدآدم فی‌المعصیته هوزای‌اتبع هواه‌فزال. عندنعیم‌الجنه وحطی ای حطه‌عنه ذنبه‌بالتوبة و الاستغفارکلمن‌تکلم بکلمات. فتاب علیه بالقبول والتوبه . سعفص ای‌ضاق علیه الدنیا فعوض علیه . قرشت‌ای اقرذنبه فسترعلیه بالکرم ثخذای اتخذ من‌الله القوه . ضظغ. ای شجع عن وسواس الشیطان بعزیمة لااله الاالله .
افراد (ع) بکسر تنها کردن ویك بچه زادن .
اتحاد(ع) یکجا و یگانگی داشتن ودراصطلاح صوفیه شهود وجود واحد مطلق است که‌کل یا موجود است پس متحد میشود و باوکل از حیثیت که‌کل‌راوجودخاصه‌است که‌متحدشده باوچه‌اتحاداثنین‌محال‌است.
اعداد (ع) جمع عدد است .

فصل د

اخذ (ع) بفتح الف وسکون خا گرفتن و بعد و کسر خا گیرنده

فصل ر

ایثار (ع) بکسر برگزیدن وافزودن و پیش داشتن و بمعنی عطا دادن و حظ دیگری برحظ خود اختیار کردن نیز آمده است

انبار (ع ف) با اول مفتوح چهار معنی دارد اول معنی پر و مملو آمده دوم فروریختن و در افتادن خانه و دیوار و امثال آن باشد سوم خس و خاشاك و سرگین آدم و سایر حیوانات و امثال آن را گویند که در بیغوله‌ها تودها سازند و مزارعان آنرا در زمین زراعت بریزند تامزروع قوت گیرد چهارم برکه‌را گویند و آنرا آب انبار نیز خوانند و نیز کرمی که پوست شتر برفتن او ورم آرد .

اشعار (ع) بکسر بخون آلوده کردن کوهان شتر که بحرم فرستند برای قربان و آگاه کردن و مشهور ساختن و بیم دردل انداختن و جامه اندرونی پوشانیدن و باموی گشتن عضو و مو برآوردن و باموکردن عضو

آخر (ع) باخای مضموم دومعنی دارد اول جای علف خوردن اسبان را خوانند و آن معروفست دوم استخوانی را گویند که در زیر گردن و بالای سینه باشد و آنرا آخرك نیزنامندو بتازی ترقوه نیز خوانند

آبخور (ف) بابای موقوف و خای مضموم و واو معدوله سه معنی دارد اول نصیب باشد دوم مشربه‌را گویند سوم ازکنار استخر تالاب و رودخانه جاریرا گویند که مردمان و جانوران از آنجا آب خورند و بتازی آنرا عطن و منهل و مورد خوانند .

آذر (ف) بذال معجمه و مد آتش و نام شهر رمضان و ایام جشن مغان که آن مدت ماندن آفتاب است در برج قوس و آنرا آذر ماه نیز گویند و بزای معجمه‌نام پدر ابراهیم علیه السلام‌است .

استغفار (ع) آمرزش خواستن .

ابرار (ع) جمع برنیکوکاران .

اکسیر (ع) بکسر کیمیا .

اختیار (ع) برگزیدن و بخواهش دل کاری کردن .

اشتهار (ع) شهرت دادن و شهرت یافتن .

اتجار (ع) بتای فوقانیه مشدده تجارت کردن .

افکار (عف) جمع فکرفارسیان بکاف فارسی بمعنی ریش پشت چارو استعمال کنند و بدینمعنی بحذف همزه نیزآمده .

اندرخور (ف) بمعنی اندر خورد است که از همین باب در فصل دال مذکور شد .

ادبار (ع) بدال مهمله و بای موحده پس رفتن و برگشتن بخت و دولت و ازپس در آمدن و پشت اسب ریش کردن .

اکدر (ع) آنکه تیرگی دارد و بوزن افعل از کدورت ،

افتخار (ع) نازیدن

اعتذار (ع) عذر خواستن و بکارت بردن چه عذرا بمعنی بکر است و نام معشوقه آمده .

اختر (ف) هفت معنی دارد اول بمعنی ستاره‌است دوم علم را گویند و آنرا درفش نیزگویند سوم طالع‌را نیزگویند چهارم درفرهنگ هندوستان بمعنی فال میآرد پنجم در فرهنگی بمعنی نام منزلی از منازل قمر مرقوم ساخته ششم فرشتهٔ است که در عالم آمین گویان میگردد وهردعائی که بآمین او پیوست باجابت میرسد هفتم درقنیه بمعنی فالگیر و منجم مینویسد .

ابتر (ع) بفتح بی فرزند شدن و دم بریده .

انفطار (ع) بنون و فاء و طاء مهمله آفریدن و پدیدآوردن و نوساختن و پاره پاره شدن .

اضمار (ع) بضاد معجمه دردل نهان‌داشتن بود وضمیر درکلمه آوردن

اخطار (ع) بکسر درخطرانداختن یعنی درتهلکه انداختن و بفتح

همزه جمع خطر یعنی هلاکی .

اصرار (ع) بکسر پیوسته بر معصیت ایستادن .

اضرار (ع) بکسر گزند رسانیدن و اوسنی شدن وزن بر سر زن بردن وسخت نزدیك شدن و بدندان گرفتن ولجام گزیدن اسب وشتاب نمودن

ایدر (ف) بکسر اول بمعنی اینجا واینك واکنون بود .

ادبیر (ع) اماله ادبار است که درصفحهٔ قبل مرقوم شد .

افتقار (ع) درویش و محتاج شدن و درویشی و محتاجی .

اوفر (ع) بمعنی بسیارتر و تمام‌تر .

ایزار (ع) ازار باشد که بمعنی زن و لنکوته که برمیان بندند و شلوار آمده .

استبصار (ع) بکسر بینا دل شدن وطلب بینائی کردن .

آبگیر (ف) دو معنی دارد اول کوی‌را گویند که آب باران در آن فراهم آید و آنرا استخر واژیمه وآبریز وتالاب و کولاب نیز خوانند دوم افزاری باشد مانند جاروبی که شومالان دارند و آنرا در آب فرو برده و برتانی که بجهت بافتن ترتیب دهند بیفشانند.

اسغر (ف) با اول مضموم بثانی زده و غین معجمه مضمومه جانوری است که خارهای ابلق مانند سیخها بربدن دارد و چون کسی قصد گرفتن آن کند بدن خودرا چنان جنبشی دهد که سیخها از اندام او جسته بر آن کس بخورد و گویند هرچند که آنرا بزنند فربه‌تر شود آنرا اشغر بشین معجمه هم گویند واسفرنه وسفرنه وسکر وسکرنه وسیخول نیز گویند و بزبان هندی سیهی بیای فارسی نامند .

اسپر (ف) با اول مکسور بثانی زده بمعنی سپر باشد که معروفست و بتازی جنه خوانند .

انشار (ع) بکسر زنده کردن .

احضار (ع) بکسر حاضر کردن و دویدن اسب وآهو و غیر آن

اغبر (ع) بفتح گرد آلوده .

ابکار (ع) بکسر بامداد کردن و بفتح همزه جمع بکره بضم بمعنی بامداد ایضاً جمع بکر بکسر اول .

انذار (ع) بکسر ترسانیدن و بیم کردن و آگاهی دادن از کار

استکثار (ع) بکسر بسیار گفتن و بسیار کردن .

اجر (ع) بفتح اول و سکون جیم مزد وکابین اجور جمع و مصدر از باب نصر ینصر و ضرب آمده یعنی مزد دادن و مزدور کسی بودن و بربستن استخوان پس از شکستن

امر (ع) کار فرمودن و مصدر از باب نصر یعنی فرمودن و بسیار کردن آمده امور و اوامر جمع آنست.

ابوذر (ع) نام یکی از اصحاب رسول صلی‌اله‌علیه‌وآله‌وسلم که اورا ابوذر غفاری گفتندی غفاری بتخفیف فا است .

احجار (ع) بفتح جمع حجر سنگ.

اسفار (ع) جمع سفر بکسر سین کتاب ومیشاید که جمع سفر بفتح سین و فا باشد .

اثیر (ع) بفتح اول و ثای مثلثه و یای تحتانیه کره ناری که عنصر اعلای عناصر اربعه است وازبعضی بکسر همزه نیز مسموع است

افسار (ف) آنچه بدان اسبانرا بندند و فسار بحذف همزه نیز آمده

اعور (ع) بفتح وعین مهمله یك چشم وفاسد وازمطلوب وحاجت خود بازمانده

ابتشار (ع) بکسر یکم وبای موحده وتای فوقانیه وشین معجمه خبر دادن و بشارت یافتن .

اطوار (ع) بفتح طریقها و حالها و نوعها .

اطیار (ع) بفتح جمع طائر باشد .

استکبار (ع) بکسر اول خودرا بزرگ دانستن وگردن کشی کردن .

اقتدار (ع) بکسر همزه توانا شدن وقادر شدن بر چیزی ودر دیگ چیزی ساختن

اختطار (ع) شکیبا شدن و شکیبائی .

اغتفار (ع) بکسر آمرزیدن .

آوار (ف) بمعنی آواره است که در فصل‌ها مرقوم خواهد شد

آغار (ع) بقصر ومد نیز سه معنی دارد اول بمعنی نم وخیسیدن باشد وآنرا فرغار و فرغر نیز گویند دوم بمعنی آمیختن و سرشتن بود سوم برانگیختن وتحریك کردن و آنرا برغلانیدن نیز گویند و بتازی اغرا خوانند وبمعنی سرشت وطینت نیز آمده و در فرهنگی بمعنی زمین که در او آب و نم رفته باشد ونیك سرشته بود و در حل لغات بمعنی چیزی بهم پیوسته و نم گرفته ازآب یاازخون نوشته وبکسر همزه درعربی از غیرت مأخوذ است .

اذفر (ع) بفتح یکم وسوم بوی تیزخوش وناخوش ومتك اذفر متك تیز

اضطرار (ع) بکسر بیچارگی کردن وبیچاره گردانیدن وبیچارگی وعاجزی

اشر (ع) بفتح وکسر شین معجمه شادان وحریص و او مشتق است ازاشر بفتحتین که سخت شادی نمودن است وسرگشته ومدهوش شدن

احمر (ع) بفتح سرخ وعجم ومرگ سخت ومرگ برچهار قسم است و هر کدام رنگی دارد چنانکه از عبارت توریت معلوم میشود و آن اینست که‌را نیاکالیا بیلیا هولیا یعنی سرخ وسیاه وزرد وسفید موت یعنی موت احمر و آن شدت و غایت قتل بود بسیف و غیره چنانچه بخون غرقه گشته و سرخ شده باشد و موت سیاه که در آتش سوخته باشد و موت زرد که از کثرت بیماری پیدا شده باشد و موت سپید که درآب غرق شده باشد اما ارباب تحقیق نوع دیگر قرار داده‌اند چنانچه حاتم بن عنوان الاصم قدس سره گفت هر که در این طریق درمیآید باید که چهار موت برخود قرار دهد موت ابیض و آن گرسنگی است و موت اسود وآن صبر کردن است برایذای مردم و موت احمر و آن مخالفت نفس است و موت اخضر و آن پارها دوختن است برپوشش .

استفسار (ع) بکسر پرسیدن و خواهش تفسیر کردن .

ادرار (ع) بکسر فروگذاشتن سیل وباران وپیوسته گردانیدن عطا.

اسحار (ع) بفتح سحرها و بکسر در سحر رفتن .

انذار (ع) با اول مفتوح میرجمال‌الدین حسین انجو در فرهنگ خود بدال مهمله تصحیح نموده وبمعنی افسانه نوشته و این بیت مولوی باستشهاد آورده بیت : لیك تلخ آید ترا گفتار من خواب میگیرد ترا انذار من وسیاق داستان تقاضای این نمیکند و آنچه بتصحیح رسیده بکسر اول و ذال معجمه است بمعنی ترسانیدن .

اختصار (ع) بکسر کوتاه کردن وناقص گردانیدن .

احتضار (ع) بکسر و حاء مهمله و ضاد معجمه حاضر کردن .

انتشار (ع) بکسر ازباب افتعال پراکنده شدن و آشکارا کردن و از خواب بیدار کردن .

اخضر (ع) بفتح اول چیزی سبز واسب واشتر سیاه وسبز رنگ وآب صافی

اثر (ع) بفتحتین نشان پا ونشان زخم وسنت رسول‌الله صلی‌اله‌علیه وآله‌وسلم آثار جمع آنست .

اعذار (ع) بکسر عذر آوردن وبسیار گناه شدن و بسیار عیب شدن

فصل ز

انباز (ف) باول و بثانی زده شریك باشد .

اندرز (ف) با اول مفتوح و ثانی زده بمعنی وصیت و نصیحت آمده

اهتزاز (ع) بکسر جنبیدن .

احتراز (ع) بکسر پرهیز کردن و خویشتن رانگاه داشتن .

امتیاز (ع) بکسر جدا کردن .

آبریز [ف] چهار معنی دارد اول طهارت‌خانه راگویند دوم دلو را نامند سوم ظرفی باشد که در هنگام غسل کردن بدان آب برسر و بدن بریزند چهارم گردابی بود که بجهة ریختن آبهای مستعمل کنده باشد و آنرا پارگین نیز خوانند .

آز (ف) بمد حرص باشد در افعال مذمومه و امور دنیاوی .

ارز [ف] باول مفتوح بثانی زده دو معنی دارد اول قیمت باشد دوم قدر ومرتبه بود .

انجاز [ع] بفتح اول و سکون نون باجیم نام ولایتی است از ترکستان که پادشاه و ساکنان آنجا همه مغانند .

اهواز [ع] بفتح اول نام شهریست از ولایت خوزستان که هوای بدی دارد هر که یکسال در آنجا مقام کند البته درعقل او نقصان پدید آید و عقرب آنجا هر کس‌را بگزد جان نبرد .

ازیز [ف] بفتح اول و کسر زای معجمه بایای تحتانیه بانگ کردن رعد وجوش کردن دیگ وجوش .

اعزاز [ع] بکسر اول وعین مهمله عزیز و ارجمند ساختن .

فصل س

اساس (ع) بقصر همزه مفتوحه‌وسین مهمله بنیاد و اصل بنا اساسیس بوزن مساجد و اسس بضمتین جماعت .

افسوس (ف) سه معنی دارد اول‌دریغ وحسرت بود دوم‌سخرولاغ باشد وآنرا افسون وفسوس نیز گویند سوم‌ظلم وستم وبیراهی باشد وباواومعروف درعربی‌نام شهر دقیانوس بود .

الماس (ع) گوهریست مشهور که جز بارزیز نشکند و بمعنی تیغ آبدار و جنسی از پولاد و بمعنی آبگینه نیز آمده .

انیس (ع) آرام دهنده و همدم و مصاحب .

آیس (ع) بمد و یاء تحتانیه نا امید .

التباس (ع) بکسر پوشیده شدن وآشفته شدن وآمیخته شدن .

انعکاس (ع) بکسر اول ونون وعین مهمله واژگون شدن .

انس(ع) بضم اول وسکون آرام یافتن بچیزی وبکسر همزه‌انسان واناس بضم‌جمع وبفتحتین‌نام یکی‌ازصحاب رسول‌الله‌صلی‌الله‌علیه‌وآله‌وسلم که بسعادت خدمت آن سرور علیه‌السلام مخصوص بود .

امس (ع) بفتح همزه وسکون میم دیروز و مراد حضرت از این مصراع که « شمس جان باقیست کوراامس نیست» آنست که شمس جان را زوال و فنا نیست که لازم معنی ماضی است .

اویس بضم یکم وفتح دوم‌نام ولی معروف که ازقرن بود ونیز نام پادشاهی که ممدوح سلمان‌ساوجی بوده‌وگرگ را نیز گویند

ابلیس (ع) بکسر همزه ناامید ازرحمت خدایتعالی ابالسه جمع.

انفس (ع) جمع نفس بسکون فا شخص وکالبد آدمی وجزآن .

انجاس (ع) بفتح جمع نجس .

استیناس (ع) بکسر وتای فوقانیه و یای تحتانیه ونون طلب انس وآرام کردن وخوگر شدن بچیزی .

اوس (ع) بفتح عطا دادن و عوض دادن از چیزی وگرگ ونام قبیله‌ایست از یمن .

اکیس (ع) بفتح اول وسکون ثانی ویای مفتوح وسین مهمله افعل‌تفضیل بمعنی زیرک تر .

ایناس (ع) بکسر خوگرشدن و دانستن و شنفتن و دیدن و الفت وآرام دادن وشاد کردن .

اقتباس(ع) بکسراظهار کردن و واپژوهیدن واز کسی‌فراگرفتن

اوجس(خ) بیم در دل گذاشتن ومحتبس گردانیدن وپنهان کردن.

انفاس (ع) جمع نفس بفتحتین دم .

ادریس (ع) پیغمبری بود مرسل علی نبینا وعلیه‌السلام واهل‌تاریخ چنین ایراد نموده اند که مولد شریف او در دیار مصر بوده در قریهٔ منصف واو پیغمبر سریانی بود و اورا عرب هرمس وادریس مثلث‌النعمة خوانند و مراد از هرمس عطارد است چون معرفت سیر کواکب و مهارت در احکام خواص و مزایای نجوم و ابداع خط وقلم و اصطناع رقوم از خصایص آن حضرت بود و همواره بتدریس شرایع ودراست صحف آبا واجداد ومعارف الهیه وذکر بستن انبیای متقدمه و متأخره مبادرت مینمود بادریس ملقب گشت و اول کسیکه صنعت خیاطت ازوی بظهور آمداوبود واسلحه برای حرب‌اوترتیب کرد وسنت جهاد را او درمیان خلق نهاد گویند ادریس علیه‌السلام فرمود که من سی سال با زحل گرد سموات بر آمدم و ازحقایق و دقایق عالم علوی خبردار گشتم و بر اسرار و رموز ملکوت واقف و مطلع شدم‌ودرتواریخ آمده که ادریس‌علیه‌السلام قوم‌خودرا ازاعدادپیغمبران خبرداد که بعداز او مبعوث خواهند شد و از واقعهٔ طوفان خبر داد از برای صیانت فتور دوستان از تاراج امواج طوفان و بایکی‌ازعظمای ارکان دولت بفرمود تا گنبداهرمان‌را درمصربنا کرد و خود از مصر رحلت فرمود وتمامی‌ربع مسکون‌را طواف کرد و باز بمصر مراجعت نمود بعد از آن حضرت رفیع‌الدرجات جل جلاله بمقتضای و رفعناه‌مکانا علیا رفعت منزلت و علو درجتش کرامت فرمود و بحیات ابد و جنت مخلدش مخصوص گردانید و در سبب رفعت او روایات بنظر در آمده اما این‌مختصر راگنجایش آن نبودبنابرآن متروك افتاد والله‌اعلم .

فصل ش

ارتعاش (ع) بکسرسرلرزیدن و لرزیدن بی اختیار .

اوباش (ف) بفتح مرد فرومایه و ناکس و مرد ازهرجنس آمیخته و دراستعمال مرد دیوانه و قلندر وسرگشته و پریشان و اوجاش‌مثله

اسکالش (ف) مصدر اسکالش‌سکالست که بااول مکسور سه معنی داردداول دشمنی و خصومت باشد دوم اندیشه بود سوم سخن‌راگویند و بدسکال بمعنی بدگو و بداندیش آمده .

آغوش (ف) دومعنی دارد اول بر باشد و دوم بنده راگویند .

افتاش (ع) بکسر رفتن و شتافتن‌گروه و بمعنی تفتیش کردن نیز آمده .

انباش (ع) دزدیدن کفن مرده و برهنه کردن .

اکدش (ف) بفتح اول و بکسر اول نیز بنظر آمده و کسر سوم سه معنی دارد اول امتزاج و اتصال دوچیزرا گویند بایکدیگر دوم اسبی راکه پدر او ازجنسی و مادر او از جنسی دیگر باشد و آنرا بتازی مجنس گویند سوم محبوب ومطلوب باشد این‌لغت ترکیست .

انتعاش (ع) بکسر برخاستن و نیکو شدن حال کسی دورست خاستن افتاده و بلند شدن .

اعمش (ع) بروزن ابجد ضعیف شدن چشم .

ارش (عف) بااول و ثانی مفتوح دومعنی دارد اول از آرنج‌باشد تاسر انگشتان و آنرا بتازی ساعد خوانند دوم شهریست از ولایت شیروان و با اول مفتوح و ثانی زده درعربی دو معنی دارد اول دیت جراحت باشد دوم بدی‌افکندی‌میان دوقوم وبرافروختن آتش وانگیختن جنگ بود .

اشپش (ف) بضم اول و سوم شپش که بتازی قمل گویند و نیز کرمکی باشد که اکثر و اغلب در فصل تابستان و هوای گرم درپوستین و نمد و سقرلاط و صوف و دیگر پشمینها وگندم و دیگر غلها بیفتد و ضائع سازد و آنرا شپشه بااول‌و ثانی مکسور و اشپشه و شپوش نیز خوانند که در محل خود نوشته خواهد شد .

فصل ص

اشخاص (ع)جمع شخص‌کالبد مردم‌وجزآن .

افتیاص (ع) بکسر رهانیدن از سخن .

ابرص (ع) بوزن افعل پیس .

اقتناص (ع) صید کردن و اسیر کردن وکسب کردن .

فصل ض

اعراض (ع) بکسر روی گردانیدن و بفتح همزه جمع عرض بفتحتین ضد جوهر و بمعنی امتعه نیزآمده .

امراض (ع) بکسر بیمار کردن و نزدیك شدن بفکر و صواب و بفتح بیماریها .

انقباض (ع)گرفته شدن .

اعواض (ع) جمع عوض .

اغماض (ع) بکسر آسان فراگرفتن‌درمعاملت وچشم فروخوابانیدن

اعتیاض (ع) بکسر بدل گرفتن .

ابیض (ع) بروزن افعل چیز سپید بودبیض جمع‌آن وشمشیروجوان را نیز گویند و نام کوهیست .

اغراض (ع) بفتح جمع غرض یعنی خواهش .

اعتراض (ع) بکسر بانکار پیش آمدن و رد کردن سؤال .

فصل ط

ارتباط (ع)بستن‌وپیوستن.

اخلاط (ع) بفتح جمع‌خلط و بکسر خلط‌گردانیدن .

انبساط (ع) بکسر گستاخ شدن وگستاخی کردن‌وگشاده روی شدن و پهن واشدن و بهتر شدن و بمعنی خوشی و انشراح و اختلاط نیز مستعمل است .

اوساط (ع) جمع وسط‌میانه هرچیزی .

افراط(ع) بکسر ازحد در گذشتن وشتابیدن وگذاشتن وفراموش

کردن وپیش دستی نمودن و پیش فرستادن وپر کردن توشهٔ راه و حوض مملواز آب وبفتح اوّل جمع فرط است یعنی زمینهای بلند و فرط بضمتین کاری که در وی از حد گذرانیده باشند یعنی بسیار و بیحد و نیز افراط از حد گذشتن در مدح و تفریط ازحد گذشتن در ذم و بمعنی تأخیر کردن هم آمده.

اشراط (ع) بفتح جمع شرط یعنی پیمان و تعلیق کردن چیزی بچیزی، و بکسر نشان کردن شتر و گوسپند بجهت فروختن ونشانها وفرومایگان وبزرگواران و این از لغت اضداد است کذا فی کشف اللغات.

اسباط (ع) جمع سبط بکسر سین فرزند و نیز قبایل و امم باشد در بنی اسرائیل چنانکه قبایل و امم در عربست.

فصل ظ

ایقاظ (ع) بکسر بیدار کردن.

فصل ع

اصداع (ع) جمع صدع و در اصطلاح صوفیه فرقست بعدازجمع بظهور کثرت در وحدت و باعتبار آن کثرت در وحدت.

اتباع (ع) بکسر همزه وتای مشدده پس روی کردن ودرپی فرستادن و رسیدن بکسی و در سخن دو لفظ در پی یکدیگر آوردن که بیك سجع باشند چون حسن و بسن وقبیح وسقیح وبفتح و تخفیف جمع تابع

اشیاع (ع) جمع شیعه یعنی گروه و پیرو.

اتساع (ع) بکسر والتشدید فراخ شدن.

امتناع (ع) بکسر باز داشتن.

اقطاع (ع) بکسر بریدن.

ارتفاع (ع) بکسر بلندی گرفتن کوکب وغیر آن.

اقرع (ع) مثل افعل ازقرع یعنی بیموی شدن سر قرع بضمتین وقرعان جمع او.

اصبع (ع) بکسر همزه وسکون صاد وفتح وکسر با وبفتح همزه و کسر باوضم همزه وفتح با [انگشت] اصابع جمع آنست ونشان واثر نیك راصبع گویند

اقطاع (ع) بفتح اطراف و جوانب

ابداع (ع) بکسر نو آوردن و شعر نو گفتن و کند شدن مرکب در رفتار.

اصلع (س) بفتح آنکه موی پیشانی ندارد یعنی کل و باریك کردن

انتفاع (ع) بکسر سود برداشتن.

اجتماع (ع) بکسر فراهم آمدن وگرد آمدن و ببلاغت رسیدن و نام شکل چهاردهم رمل.

انتجاع (ع) بکسر گرسنه شدن و گیاه و آب جستن و نزدیك کسی رفتن برای طلب نیکوئی.

اطلاع (ع) بکسر دیده ور گردانیدن ودیده ور شدن و واقف شدن

اقطع (ع) بفتح بریده دست.

فصل غ

آمیغ (ف) بمد بمعنی آمیخته.

الپ الغ (ت) بفتح وپ موقوف و با الف ولام مضمومتین دلیر و بزرگ چه الپ بمعنی دلیر و الغ بزرگ و این هردو لفظ مرکب است و درمرکبات اظهار اعراب آخر اول کلمه نشاید.

ازیغ (ع) نفرتی که از قول یافعل کسی دردل نشیند.

استفراغ (ع) بکسر تمام توانائی خودرا بذل کردن درکاری و تهی کردن معده را از افزونی طعام.

الاغ (ت) بضم اسپ و در مؤید الفضلا بنظر درآمده آنکه برای او اسپ و توشه مهیا دارند تابجائیکه نامزد شده باشد بزودی برسد و اورا اسکدار نیز گویند و الاق بقاف نیز درست است.

فصل ف

ایتلاف (ع) بکسر سزاوار آمدن باهم وجمع شدن.

اختلاف (ع) بکسر ناموافقت کردن و پیش کسی آمد و شد نمودن و بهم در رفتن.

اسکاف (ع) بکسر کفشگر.

اعتراف (ع) بکسر اقرار کردن بگناه وصبر فرمودن وپرسیدن خبر

اغتراف (ع) از کف آب خوردن.

اعتزاف (ع) روی برتافتن از چیزی.

اتلاف (ع) بکسر و تای مشدده نیست کردن.

اشکاف (ع) بمعنی شکاف است که سوراخ باشد.

اسلاف (ع) بفتح پیشینگان ودرگذشتگان وآن جمع سلف است و اسلاف بکسر چیزی ببیع وسلم دادن.

ارتشاف (ع) بکسر مکیدن.

ازلاف (ع) بکسر نزدیك گردانیدن وجمع کردن وواجب شدن.

آصف (ع) بمدنام وزیر سلیمان علیه السلام بود واویکی ازعلماوعظمای بنی اسرائیل بود اول برخیا نام داشت وبعضی گویند برخیا نام پدر او بود و بفتحتین کبر.

اصناف (ع) بفتح بمعنی انواع صنف بکسر حصه.

الیف (ع) بفتح خوگر.

احتراف (ع) بکسر صاحب پیشه شدن.

اسراف (ع) بکسر بی اندازه خرج کردن و برگزاف کاری کردن و از حد درگذشتن.

اکتناف (ع) بکسر پناه بردن.

انتکاف (ع) بکسر عارداشتن.

اشکرف (ف) بکسر همزه وبثانی زده بمعنی شگرف باشد.

التفاف (ع) درختان بهم درشده وبکسر درهم شدن.

انعطاف (ع) بکسر مهربانی کردن.

الف (ع) بکسر همزه والف والفت هردو بضم وسکون لام دوستی گرفتن.

انف (ع) بفتح وسکون نون بینی و انف بالتحریك واناف بکسر و انوف بضم جموع آنست اول هرچیزی و کرانهٔ کوه و کرانهٔ دندان پیشین دروقت برآمدن ومهتر رانیز گویند.

آنف (ع) بهمزهٔ ممدوده بروزن فاعل اشتری که ازمهار بینی بنالداسم فاعل آمده از انف از باب ضرب یعنی بر بینی زدن و تابینی رسیدن آب وغیره وتر کردن، انف بمعنی اکنون نیز آمده است.

اعراف (ع) واسطهٔ میان دوزخ و بهشت ودر اصطلاح صوفیه عبارت از مطلعه است که آن مقام شهود حق است درشبی از اعیان ممکنات و اوصاف آن ممکنات درحالت بودن الله تعالی متجلی بصفات که این شیی مظهر آن صفاتست وآن مقام اشراقست.

فصل ق

اطلاق (ع) ازبندرها کردن وروا کردن وگشادن وبزبان آوردن سخن ونیکوئی

احتراق (ع) سوخته شدن وسوختن.

انفاق (ع) نفقه کردن.

آفاق (ع) بمد همزه جمع افق بضمتین کرانهٔ آسمان ومردبغایت رسیده را نیز گویند و نیز خربزه را خوانند و بمعنی گرداگرد گوش آمده.

اعتناق (ع) بکسر دست درگردن یکدیگر کردن.

ارتفاق (ع) بکسر برمرفق تکیه کردن و بچیزی یاری گرفتن.

ابریق (ع) آوندی وظرفی که آنرا دسته و لوله باشد و شمشیری که تابنده بود.

الاچق (ت) بضم اول و ضم جیم فارسی خانهٔ صحرائیان که از موی بز و جز آن سازند.

اختناق (ع) بکسر گلو گرفته شدن.

استنشاق (ع) بکسر گرفتن چیزی وآب دربینی کردن.

ازرق تتق (ع) مرکب کنایت از آسمانست.

ارتزاق (ع) بکسر روزی ستاندن و روزی یافتن.

اطباق (ع) بکسر اتفاق کردن وطبق برچیزی افکندن وهرچیزی پوشانیدن و بفتح جمع طبق و بطریق استعاره مراتب مراداست.

اعناق (ع) بکسر گردن بند ساختن وقلاده درگردن کردن وبفتح بزرگان قوم وگردنها **استراق** (ع) بکسر دزدیده گوش فراداشتن.

الحاق (ع) بکسر پیوستن وبرچسبانیدن.

ارواق (ع) بفتح جمع اروق است و اروق دراز دندانرا خوانند

آهن گسل (ع) سخت باقوت وجاهل .
اصیل (ع) شبانگاه ونیز صاحب اصل .
اوصال (ع) بفتح اول جمع وصلست بکسر وضم
استکمال(ع)بکسر تمام کردن وتمام شدن وخواستن .
اغلال (ع) بفتح بندهای آهنین که بر گردن مردم نهند وآبهای روان که درمیان درختان رود وبکسر کینه داشتن وخیانت کردن
اصحاب شمال (ع) آنانکه نامهای اعمال ایشان رابدست چپ بدهند .
آل (ع) بمد شخص هرچیزی و اولاد و شراب که بامداد وشبانگاه خورند و بغیر مد و کسر الف ولام ولایت و در نصاب الصبیان بمعنی پیمانست ودر شرح نصاب بکسر وتشدید لام بمعنی خدای تعالی وخداوند زینهار وهمسایگی وبیم وسوگند وخویشی ومستعمل پارسیانست بمعنی ماهی درم دار که آنرا بال ودوال نیز گویند وآفت ورنگ سرخ ومزعفر که آنرا آل رنگ گویند وچوبهای خیمه وسراب و کوراب را نیز گویند و اسب بوزود بستان و مرضیست که گاهی زنان نو زائیده را تا هفت روز واقع شود وعوام راعقیده آنست که جنی است باین نام که مزاحم زنان نوزائیده میگردد وبزبان ترکی مهر پادشاهانرا آل تمغا گویند وبزبان هندی نام درختیست که ازبیخ آن رنگ سرخی حاصل شود مانند رنگ روناس ودر هندوستان جامه ها را بدان رنگ کنند و دردواها نیز بکاربرند .
اکمال (ع) بکسر تمام کردن .
اعتزال (ع) بکسر یکسو شدن و گوشه گرفتن و منکر باطن شدن و در محسوس ماندن .
انتقال (ع) بکسر ازجای بجای رفتن .
احتمال (ع) بکسر بازداشتن و باربرنهادن .
اکول (ع) بفتح فراخ شکم و بضم جمع آکل .
ارتحال(ع) بکسر باربرنهادن وبی اندیشه چیزیرا ازجائی برداشتن وبجائی رفتن ودرحل لغات بار از منزل برداشتن وبرپشت کسی نشستن.
اعتلال (ع) بکسر علتمند شدن و بهانه آوردن و بازداشتن کسی را ازکاری .
اطلال(ع) بکسر باطل کردن خون ومشرف شدن وبفتح نشانهای خانه وسرا و جایهای خراب شده .
امتهال (ع) بکسر آهستگی و زمان دادن و نوال دادن یعنی مهلت دادن وراست ایستادن وآرمیدن ونیز بمعنی سستی است .
اختلال (ع) بکسر زیان زده شدن و بهم وادوختن و نیازمند گشتن ولاغر وضعیف شدن وخلل پذیرفتن .
انسال (ع) بکسر فرزند شدن .
انحلال (ع) بکسر گشاده شدن ومنحل شدن .
انزال (ع) بکسر فرودآوردن و بفتح جمع نزل است .
احتیال (ع) بکسر حیله ساختن وحیله پذیرفتن .
اسهال (ع) بکسر داروی شکم راندن و بزمین نرم و زمین دشت رسیدن .
اکمل (ع) بفتح تمام تر .
انفعال (ع) بکسر شرمنده شدن وشرمندگی .
افول (ع) بضمتین پنهان وناپدید شدن .
احیال (ع) جمع حیل .
ابناءالسبیل (ع) یعنی مردهای رهگذری .
ابدال (ع) بکسر بدل کردن و بفتح بدلها و بعضی از بندگان خاص خدایتعالی که آن هفت تن اند و وجه تسمیهٔ آنان بابدال آنست که هرگاه یکی از اینها اراده مسافرت از موضع خود نماید جسدی را بصورت خود بنوعی که اهل آن موضع فقدان اورا درنیابد گذاشته مسافرت میکند واینست معنی بدل
اصطنبل (ع) نام شهریست مشهور از ولایت روم وبسین وتای منقوطه نیز مینویسند .
امهال (ع) بکسر مهلت دادن .
احتبال (ع) بکسر صید کردن بدام .
اعتدال (ع) بکسر برابر بودن .

امتثال (ع) بکسر فرمان برداری کردن .
افضال (ع) بکسر بزرگی کردن بیش ازحدو بفتح جمع فضل .
اسرائیل (س ف) لقب یعقوب علیه السلام است و معنی او بزبان عبری برگزیدهٔ خدا وگفته‌اند بندهٔ خدا و بنی اسرائیل اولاد یعقوبند
آفل (ع) غروب شونده و هلاك شونده یعنی فرو رونده و ناپدید شونده مأخوذ از افول بمعنی غروب .
اعزل (ع) بروزن افعل مرد بی سلاح .
استافیل انگور را گویند بزبان رومیان .
اندودن خورشید بگل (ف) یعنی چیزی که درغایت شهرت باشد خس پوش کردن و پنهان داشتن آشکارا .
اضلال (ع) بکسر گمراه ساختن وضایع گردانیدن وهلاك کردن .
اقبال (ع) بکسر پیش آمدن و رو آوردن بچیزی ضد ادبار و چیزی پیش کسی داشتن .
ازل (ع) بفتحتین دیرپایگی وهمیشگی وزمانیکه آنرا ابتدا نباشد وبتشدید لام آنکه ران وسرونش لاغر باشد وبفتح یکم وسکون دوم تنگی وسخت جانی وبازداشت وبکسر دروغ .

فصل میم

الهام (ع) بکسر دردل افکندن چیزی بطریق فیض وراز گفتن.
احکام (ع) بکسر استوار گردانیدن و بفتح جمع حکم .
احتجام (ع) بکسر حجامت کردن یعنی خون کشیدن .
الم (ع) بفتحتین درد و بفتح یکم وضم دوم غله‌ایست مثل کال ودر حل لغات برینمعنی بضمتین نوشته شده .
اکرام (ع) بکسر گرامی کردن و بزرگ داشتن و نواختن و بخشش کردن .
استم (ف) با اول مکسور همان ستم باشد .
اسم (ع) بکسر نام اسما و اسامی جمع در اصل سمو بود واورا حذف کردند وهمزه وصل در اول او درآوردند و در آن سه لغت دیگر است اُسم بضم اسم بکسر وسُم بضم سین و در اصطلاح صوفیه اسم لفظ وتسمیه نیست بلکه ذاتیست مسمی باعتبار صفت وجودیه مانند علیم وقدیر یا عدمیه مانند قدوس وسلام .
آشام (ف) چهار معنی دارد اول در کشیدن آب وشربت و مانند آن باشد و مصدر آن آشامیدن بود دوم خوراك بقدر حاجت رانامند وآنرا بتازی قوت گویند سوم نام ولایتیست مابین مشرق وشمال بنگاله که در آن عود بغایت خوب میشود چهارم آبی را گویند که حین پختن پلو از خشکه بگیرند [آب‌چلو] .
اقلیم (ع) بکسر کشور یعنی رکنی و بخشی از زمین و اقالیم بفتح جمع و در عرف اقلیم هفتم حصه دنیا است و تمام دنیا را حکما هفت بخش کرده اند و هر بخشی حواله بستاره‌ای است هندوستان حوالهٔ کیوان است و کیوان زحل را گویند و جای او هفتم آسمانست و رنگ او سیاه ومزاج او سرد و خشك و مؤثر برخاکست واو پاسبان و دهقان فلك است و اقلیم چین حواله برجیس و برجیس مشتری را گویندوجای او فلك ششم استو رنگ او سفید و زرد و قامت ومزاج اوگرم وخشك و مؤثر برهواست و اقلیم ترکستان حوالهٔ بهرام است وآنرا مریخ نیز نامند و جای او پنجم فلك است و رنگ او سیاه وسرخ است و مزاج اوگرم و خشك و مؤثر بر آتش است و اقلیم خراسان حوالهٔ آفتاب است و جای او فلك چهارم و رنگ اوسرخ و زردفام است ومزاج‌اوگرم‌و خشك‌و معتدلست و آرایش و آسایش عالم از اوست زیرا که نوروز ازوست و نورشب که ماه دارد هم ازوست و نشو ونمای نباتات از تأثیر اوست و اقلیم ماوراء النهرحوالهٔ زهره است و جای او برفلك سوم است و رنگ او سپید و روشن است و مزاجش سرد و تر و او مطربهٔ فلك است واقلیم روم حوالهٔ عطارداست و جای او بر فلك دوم است و رنگ او هفت رنگ است و مزاج او آمیخته و او را دبیر فلك خوانند و اقلیم بلخ حوالهٔ ماهست و جای او بر فلك اولست و رنگ او سپید و تیره است و مزاج او سرد و تر است ومؤثر برآبست .

ارحام (ع) خویشیها و زهدانها .
اهرم (ف) بفتح ورای مفتوح بمعنی اهرمن است .
انجام (ف) آخر کاروفرجام نیزبهمین معنی است ونیزعضوی‌ازعضوها
اخشم (ع) بروزن افعل آنکه بنامه او آفت رسیده باشد که ادراك روایح نتواند کرد .
اصم (ع) بفتح ومیم مشدده کر وناشنوا .
اهرم (ع) بضم رای مهمله جمع هرم نوعی از خیمه ها .
ادام (ع) بکسر نانخورش .
ادیم (ع) بفتح پوست و روی زمین ودرتاج است که ظاهر هرچیزی راگویند ادیم نهار یعنی بیاض او و روی هرچیزی و پوست سرخی که هنگام طلوع سهیل رنگ و بوی آنرا حاصل آید و آن دو قسم است ادیم یعنی و ادیم طائفی .
اولوالعزم (ع) پنج پیغمبرند نوح و ابراهیم و موسی و عیسی و محمد مصطفی صلی‌الله علیه وآله .
اعزم (ع) بفتح آهنگ و صبروثبات درکارخدایتعالی جل جلاله وکار مفروض و مقطوع باشد .
اوزم (ت) بضم اول وسوم لفظ ترکیست بمعنی انگور .
ازدحام (ع) بکسر انبوهی کردن .
انام (ع) بفتح خلق عالم .
احتشام (ع) بکسر خداوندخدم وحشم‌شدن در بزرگی‌وشرم‌داشتن.
استعصام (ع) بکسر چنگ درزدن و واایستادن .
اعلام (ع) بکسر معلوم کردن و بفتح جمع علم .
اغنام (ع) جمع غنم که گوسپند باشد .
ایتام (ع) بفتح بی پدران نابالغ .
اشتلم (ف) بضم اول و تا دانسته برکسی ستم کردن وبناحق ازکسی چیزی گرفتن ودرشتی کردن وکسی را برچیزی داشتن وشتلم بحذف همزه نیز مستعمل است .
ادهم (ع) بروزن افعل سیاه و زنجیرآهنین که در پای‌بندیان نهند ونام پدر ابراهیم که پادشاه بلخ بود .
آفتاب‌متجم (ف) کنایت از قرآنست .
اهم (ع) بفتحتین وبا میم مشدده مقصودترومهمتر .
آزرم (ف) بازای مفتوح و رای‌زده چهارده معنی دارد اول‌شرم وحیا دوم رحم وشفقت و نرمی و آنتی سوم بزرگی وعزت چهارم‌عدل و انصاف پنجم راحت وسلامت ششم بمعنی نگاهداشت آمده هفتم خشم هشتم تاب و طاقت نهم نام دختر خسرو پرویز که چهار ماه پادشاهی کرده و آزرمی دخت نیز گویند دهم ظاهر و آشکارا یازدهم غم و اندوه‌دوازدهم مسلمان‌شدن‌سیزدهم‌خواری گذاشتن‌چهاردهم گناهرا گویند
انجام (ع) بکسر برآمدن ستاره و سرو ونبات وفتنه .
ارم (ع) بکسر وفتح‌را نام‌شهریست که شدادابن عاد آنجابهشت ساخته بود و بهشت هشتم همانست آورده اند که بعد از شش ماه یك خشت بالای آن برفتی ودر کنزاللغه مینویسد که ارم شهر عاد است ونام‌پدر عاد ونام مردیست‌وبکسر اول و سکون‌دوم‌بمعنی‌نشانهٔ‌راه است
امام (ع) بفتحتین پیش و بکسر پیش نماز و پیشوای مردم در امور دینیه ودنیاویه‌وراهیکه درزمین پیدا شود ودر صحاح گوید چوبیست که بنایان بآن بنا راست کنند وکتاب و ناحیت زمین و ناحیت راه را امام گویند .
آدم (ع) بمد و فتح دال آدم صفی‌ابوالبشر علیه‌السلام وابومحمد بن عباس میگوید که ویرا آدم گفتند بجهت آنکه از ادیم زمین‌است یعنی روی زمین مخلوق شده وبعضی برآنند که ویرا آدم نام کردند بجهت آنکه رنگ او گندم گون بوده و برقول‌اول از ادیم و برقول دوم از ادمت بالضم ماخوذ بود و بعضی برآنند که ویرا از آنجهت آدم گفتندی که طینت او از خاك و آب مخلوط بوده من ادمت بین‌الشیئین اذا خلطت بینهما و این کلام دلالت میکند بر آنکه‌آدم اسم عربیست والا عجمی را اشتقاق نیست میگویند آدم دو معنی دارد اول الادمه گندم گون شدن دوم شتر سفید باشد .

واقع میشود امتداد حضرت الهی است که مندرج میشود ازل وابد درو وقت حاضر بودن بر آنچه در ازل است براحائن ابد و بودن هریك از حین از آن احائن مجمع ازل و ابد پس متحد میشود بآن دایم ازل و ابد ووقت حاضر و از همین جهت گفته میشود آنرا باطن زمان و اصل زمان بواسطهٔ اینکه آنات زمانیه نقوش وتغیرات است که ظاهر میشود بآن تغیرات احکام آنزمان وصور آن وآنزمان ثابت است همیشه .

آمون (ف) رودخانه‌ایست مشهور میان ایران و توران گویند دهیست آمو نام که این رودخانه بنام آن ده مشهور است .

آبستان (ف) آبستن باشد .

اسگالیدن (ف) و سگالیدن مصدر سگال است .

آفرین (ف) سه معنی دارد اول کلمه تحسین وستایش بوددوم هستی دهنده بود و این را بدون ترکیب اطلاق نمیکنند مانند جهان آفرین سخن آفرین سوم نام روزاول است ازخمسهٔ مسترقه سالهای ملکی

انجمن (ف) مجلس و مجمع باشد .

ارغنون وارغن وارغون (ف) نام سازیست که افلاطون واضع آنست واکثر واغلب رومیان و نصاری دارند .

ارسلان (ف) بمعنی شیر آمده و نیز پادشاه راگویند .

ایقان (ع) بکسر بی گمان داشتن .

النون (ف) بقصر مادر وکنیزك درم خریده و زرسرخ و نام حرم طغانشاه .

الپ ارسلان (فت) شیر دلیرچه الپ بمعنی دلیر است وارسلان بمعنی شیر و نام پادشاهی است بس بزرگ .

اغصان (ع) جمع غصن بضم شاخ درخت وهمچنین غصون وغصوان.

اکسون (ف) بکسر نوعی ازدیبای سیاه رنگ که بغایت نفیس و قیمتی است .

انین (ع) بفتح بمعنی نالیدن و ناله .

انین المذنبین (ع) ناله وزاری گناهکاران .

این (ف) بفتح همزه و نون بمعنی کجا و هرکجا و با نون موقوف رنج و ماندگی و نیز آنجهان و اینجهان .

افتتان (ع) بکسر در فتنه افتادن ومال وعقل رفتن کسی‌را وتفتن کردن در عبارت.

افراشتن وافراختن (ف) بلند ساختن .

اُذن (ع) بضم وبضمتین گوش وبکسر دستوری و بمد الف وکسر ذال دربان و نیز بضمتین و بمد الف وفتح ذال حیوان بزرگ گوش.

اسکنجبین (ف) ترکیبی است از عسل وآب سرکه .

ابن اللبون (ع) شتربچه شیرخواره .

آمن (ع) بمد و میم مکسور امر است مشتق از ایمان یعنی ایمان آر وبحق وبحق گرو وبفتح یکم وسکون دوم ایمن شدن یعنی بی ترس شدن و بمعنی ایمن کردن و امین کردن هم آمده است .

ادکن (ع) خاك رنگ و این مشتق ازدکنه است بضم رنگی که بسیاهی زند .

امتحان (ع) بکسر آزمایش کردن چیزی وچیزی‌را دایم بکارداشتن و خدمت کردن .

امتهان (ع) بکسر خوار و ضعیف داشتن وخواری .

اُنسان (ع) بضم از انس است که الفت باشد .

امعان (ع) بکسر دورتر رفتن و سیراب شدن و شتافتن جو رفتن و روان شدن آب وحق کسی‌را بردن ودرکاری شتافتن و نیك نگریستن .

امکان (ع) بکسر دست دادن وممکن گشتن ومکنت وقوت ومرتبت

اندودن واندائیدن (ف) ملمع وزر اندود کردن وپر کردن وکاه گل کردن .

آب وروغن (ف) در اصطلاح سخن آراستن و دروغ بربستن و تکلف و مکر و فریب .

آئین (ف) سه معنی دارد اول آفرین بود دوم روش و رسم سوم درنزدیکی آن غار که مومیائی حاصل میشود دهیست و نام آن ده

آئین بود و بدین سبب این داورا موم آئین نام کرده اند که به مرور ایام و تغییر السنه مومیائی خواندند .

اعیان (ع) جمع عین است .

العین و الذات هستی و بزرگ و شریف و مشهور و اگر بمعنی بصر باشد جمع وی عیون آید .

اساطین (ع) جمع اسطوانه است ستون خانه باشد و نیز افسانه را گویند .

امام‌مبین (ع) لوح محفوظ را خوانند .

امتنان (ع) بکسر نعمت دادن و منت نهادن و بیان کردن نیکی خویش بر کسی .

ایمان (ع) بفتح جمع یمین است یعنی سوگندودست راست وبکسر معروف .

اوطان (ع) جمع وطن .

اندوختن (ف) باول مفتوح بمعنی جمع کردن و فراهم آوردن بود و آنرا انفختن و انفخیدن و انفغدن نیز گویند .

فصل ه

استیزه (ف) باول و ثانی مکسور سه معنی دارد اول جنگ و خصومت بود دوم لجاج و سرکشی باشد سوم خشم و کین است وآنرا ستیزه و ستیز نیز خوانند .

آواره (ف) هفت معنی دارد اول بمعنی کم و نابود شده دوم پراکنده و پریشان سوم حسابرا خوانند و اواره بفتح نیز خوانند چهارم خراب پنجم ستم ششم بمعنی یقین بود و آنرا آور نیز خوانند هفتم ریزهٔ آهن‌را گویند که ازسوراخ کردن نعل بیفتد و آواربحذف ها نیز بهمین معنی آمده .

اکمه (ع) نابینای مادر زاد آنکه او جای چشم نداشته باشد کمه بضمتین جمع .

آوه (ف) بمد وواومفتوح و اظهارها بمعنی آه باشد .

آتش‌زنه (ف) چخماخ را گویند .

اعجوبه (ع) بمعنی نوباوه وشگفت‌آور .

انتباه (ع) بکسر بیدارشدن و بیداری .

اوقیه (ع) بضم وکسر قاف چهل درم سنگ وزنیست از متعارفات عرب وآنراوقیه بحذف‌الف‌نیز خوانند که در باب واونوشته‌خواهدشد

آسیه (ع) بمد همزه و کسر سین زن فرعون که پنهانی بموسی علیه‌السلام ایمان آورده بود حق تعالی آن معصومه‌را از شر فرعون محفوظ داشت چنانکه هروقتی که خواستی باوی‌جمع بشود حق تعالی دیوی را بصورت آسیه بر فرعون فرستادی تا او باوی جمع آمدی و بعضی گویند اوعنین بود هرگز بروی قدرت نیافت ودر کتب عقاید مذکور شده که چهارکس اززنان پیغمبر بوده اند زوجهٔ آدم حوا وزوجهٔ فرعون‌آسیه ومادر موسی‌یعنی‌سیده روخانده یابوخابزودربعضی ازکتب نوخابه و بوخابه نیز بنظر رسیده است مادر عیسی مریم اما فتوی برینست که ولیه بوده اند بیشك نه‌نبیه‌مصطلح ودر روایتی‌نبیه واقع شد مراد از این لفظ معنی لغویست یعنی مرتفع القدر عندالله تعالی وگویند که آسیه بنت‌مزاحم‌خاله‌زاده‌حضرت‌موسی علیه‌السلام‌بوده اسیه بکسر وسین مهمله اماله آسیه است که مذکور شد .

اسکیزه (ف) بکسر بوزن استیزه برجستن وجفته‌انداختن ستور را گویند وآنرا سکیز و سکیزه نیز خوانند .

اقچه (ف) بفتح چیزی که درکشت نصب کنند و بمعنی مهر زر و نقره نیز آمده وآنرا اخچه نیزگویند .

اسکره (ف) بضم‌کاسه‌گلی راگویند سکره بحذف الف نیز آمده در باب سین مرقوم میشود .

انطاکیه (ع) بفتح نام شهریست بشام که در او عمارتهای عجیب‌است و درمثنوی معنوی در باب انطاکیه واقع شده وجه او آنست که‌در حلب دروازه‌ایست بجانب انطاکیه از ایجهة‌اورا باب‌انطاکیه‌خوانند

اوّاه (ع) بفتح و واومشدده رحیم و مؤمن و آه‌کننده و نیز اواه کسی‌راگویند که اورا بزبان حاجت نباشد هرچه کند بدل کند .

ابرهه (ع) نام سرلشکر اصحاب فیل که از قبل نجاشی والی حبشه برای تخریب خانه کعبه فیل سپید راکه محمودی نام داشت با چهار هزار فیل و ششصد هزار مردم همراه آورده بود بقدرت‌الله العزیزهمه هلاك شدند وآن قصه درسوره الم ترکیف مبین‌است .

اماره (ع) بفتح و میم مشدده فرماینده ببدی .

ام‌الهاویه (ع) چاهی بود در دوزخ و اصل آن .

اقمشه (ع) جمع قماش متاع و رخت خانه ازهرجنس که باشد .

افگنده (ف) انداخته وکنایه ازسرگین نیز دانسته شده .

آخته (ف) بمد برکشیده .

ایکه (ع) ریشه درختان باشد .

آسمانه (ع) بمد سقف خانه .

اشباه (ع) بکسر مانند شدن و بفتح جمع شبه است .

انگوزه وانگزه (ف) بقصر شیریست که ازرستنی گیرند وکثیف‌الرائحه است‌بتازیش حلتیت گویند .

آب سیاه (ف) آب طوفان‌و نام رودی‌است درساوه که بتولدحضرت رسول صلی‌الله‌علیه وآله آن رود خشك گشت .

اندوخته (ف) گردکرده و پیداکرده و حاصل نموده .

فصل ی

اچی (ت) بفتح برادر کلانرا گویند .

آب‌درجوی (ف) در اصطلاح بمعنی دولت و بخت و اقبال و فرماندهی آمده .

آشفتگی (ف) بمعنی پریشانی است .

ادیم طایفی (ع) قسمی است از ادیم منسوب بطایف که نام‌شهری است از عرب چنانکه ادیم‌یمنی منسوب بیمن است .

اجری (ع) بکسر وظیفه وروان .

ابی (ع) بفتح بمعنی سرکش .

املی (ع) بکسر اماله املاء است که در فصل الف‌ذکر شد .

اسماعیلی (ع) قربانی ونیز طایفه ایست منسوب باسماعیل که مردی بوده است صاحب مذهب ترسایان که نره اسپ میپرستید

ابالی (ع) باك میدارم از مبالات بمعنی باك داشتن .

انائی (ع) بفتح بیدانش و ناکرده‌کار .

آبی (ع) بمد سه معنی دارد اول رنگی باشد معروف دوم نام میوه‌ایست که آنرا بهی خوانند سوم نام نوعی از انگور باشد .

افعی (ع) مار بزرگ چنانکه برهرکه نظرش افتد آنکس بمیرد و چون چشم آن بزمرد افتد کور شود .

اعجمی (ع) آنکه برگفتار قادر نباشد و سخن پیدا و فصیح نتواند گفتن اگرچه ازعرب باشد و غیر عربی .

امی (ع) نا نویسنده و نا خواننده منسوب بام مادر و اورا امی از آن گویند که تربیت نیافته و ناخوانده و نا نویسنده مانده .

باب ب و پ

فصل الف

برصیصا (ع) بفتح نام ولی است که بوسواس شیطان کافرگشته و قصه او در منطق الطیر و غیره مشروح و مذکور است .

پهنا (ف) بفتح بمعنی فراخ آمده .

بکا (ع) بضم گریه و بمد و قصر مصدر بمعنی گریستن وکسی رابگریستن غلبه کردن و مراد از ممدود او اشك و از مقصور او بیرون آمدن اشك وگفته اند بمدآواز بلندکردن با رفتن آب چشم و بقصرآواز بلندکردن بی میلان .

بلوا (ع) بفتح آزمایش و ابتلا و بلا .

بنا (ع) بفتح وتشدید نون و مد راز راگویند که بتازی‌معمارش خوانند و نیز بمعنی رشتهٔ رازکه بتازیش مسطر خوانند .

بوسینا (ع) نام پدر ابوعلی که وزیر فخرالدوله پادشاهری‌بود .

بغا (ف) بفتح حیز و پشت‌مالی بود وآنرا بتازی مخنث‌خوانند .

بکارندوآن رامچه و بزاندنیزخوانند وبیشتر ازمیان زراعت گندم‌ودیگر غلات و کنارهای جوی آب بروید دوم جوی آب باشد که برزگران از منبع بجانب زراعت خود ببرند .

بحت (ع) بفتح و حای مهمله محض‌وصرف شراب‌بی‌آمیغ .

بخت (ف) دولت و طالع باشد .

بنیت (ع) بضم وکسر اول نهاد و آفرینش چیزی .

بیت (ع) خانه و عیال و هردو مصراع از شعر که بهم بندند و باقی تفصیل آن درلغت ابیات نوشته شده .

بحردست (ف) یعنی جوانمرد و سخی که بعدازدادن پشیمان‌نشود

پوت (ف) بضم‌جگر راگویند ولهذا قلیه که ازجگر سازند قلیه‌پوتی خوانند لیکن در اکثر اشعار پوت‌را مترادف لوت که معنی آن اقسام خوردنیها وانواع طعامها و مشروبات بوده باشد نظم نموده‌اند .

فصل ث

بعث (ع) برانگیختن‌و فرستادن ومرده را زنده کردن و بیدار کردن و نیز نام شاعری ازتمیم .

بعوث (ع) جمع باعث اسم فاعل .

باحث (ع) متکلمین راگویند .

بث (ع) اندوهی که برآن صبر نتوان کرد و پراکنده و آشکارا کردن راز البث‌الحزن الشدید .

بحث(ع) بفتح‌بازجستن‌و کاویدن‌و کسی‌را بسخن‌آوردن‌مصدرازباب‌فتح

فصل ج

بسیج (ف) یعنی ساختگی و آماده شدن وقصد باشد .

بهیج (ع) زیبا و شاد از بهجت که زیبا وشادمان ونیکوشدن‌است

برج (ع) بضم کوشك ویکی از دوازده بخش فلك و بفتح سپید و سخت سفید و سیاه و سخت سیاه .

فصل خ

برزخ (ع) بفتح چیزی که میان‌دو چیز حائل باشد خواه میان‌واجب و ممکن و خواه دنیا و آخرت و آن از وقت موت است تا وقت نشر و آنچه در قرآن آمده است که برزخ الی یوم یبعثون مراد قبر است زیرا که واقع شده است میان دنیا و آخرت و جسم مظلم میان رؤیت معقولات مجرده و باصطلاح صوفیه روح اعظم راگویند و نیز خطیست میان دوزخ و بهشت و برزخ البرازخ که به‌برزخ جامع‌نیز مسمی میشود مرتبهٔ وحدتست که تعین اول عبارت از آنست و بنور محمدی‌وحقیقت محمدی نیز مفسر میشود .

برخ(ف) بفتح چهارمعنی‌دارد اول پاره ازجمع باشد دوم برق‌راگویند سوم زمین پستی باشد که آب باران در آن جمع شود که آنرا تالاب و برم نیز خوانند چهارم شبنم راگویند .

بطیخ (ع) بکسرتین خربزه و بطیخ‌الهندی هندوانه که تربز گویند و بتازی رابوعه نامند .

پاسخ (ف) جواب .

بخ (ع) بفتح وخای مشدده و مخففه کلمه ایست که وقت فرح ورضا بچیزی گفته میشود و برای مبالغه مکرر میگویند .

فصل د

برد (ف) بضم ضد آورد و نوعی از جامهای پوشش زمستانی و چادررا نیز نامند و نیز جامه ایست که دریمن بافند وآنرا بردیمانی گویند .

برد (عف) بفتح بمعنی‌دورشو آمده ونیز سرما وراحت‌وخوابرا گویند

بارد (عف) آب‌سرد و باد که‌پیوسته وزد وروز سرد وبمعنی ثابت نیز آمده .

بند (ف) بفتح نوزده معنی دارد اول فاصله میان دوعضو که‌آنرا بتازی مفصل خوانند دوم زنجیری که بپای مجرمان و دیوانگان نهند سوم تنگه‌آهن که بجهت استحکام برصندوق وتخته در وامثال آن زنند چهارم قفل پنجم مکر وحیله ششم عهد وپیمان هفتم غم و غصه باشد هشتم گره وعقد نهم سدّی که درپیش آب بندند دهم

خیال ومقام بود مثلا اگر گویند که در بند سفرم یا دربند آزار است اراده آنست که در خیال سفرم و در مقام آزار است یازدهم کمربند و میان‌بند دوازدهم ریسمان وطناب سیزدهم بند ترجیع و ترکیب بود وآن بیتی باشد که بعداز چند بیت بیاورند چهاردهم گرو و رهن پانزدهم حیله کشتی گیری شانزدهم جفت گاوی رانامند که بجهت زراعت و ارابه بهم بندند هفدهم طومار کاغذ هیجدهم گرفتن برده از غنیم و دارالحرب نوزدهم جمیع بندها راگویندمانند بند شمشیر و بند قبا و بندکارد وغیره .

پایمرد (ف) مددکار را گویند .

پامزد (ف) اجرت که قاصدان را دهند وچیزی که بندی بانان از اسیران بطریق روز مره ستانند .

برند (ف) امر از رند است .

پدرود (ف) بفتح دو معنی دارد اول سلامت دوم وداع .

پرسید (بتشدید را) .

وپورسید وپررسید (ف) هرسه بمعنی پرسید آمده.

بعاد (ع) بکسر از کسی دور شدن‌وکسی را ازخود دور کردن.

بعد (ع) بفتح پس و بفتحتین خوار شده وخوارشدگان وبضم‌دور شدن وکسی را از خود دور کردن وهلاك شدن و دور و هلاك‌از باب کرم .

بئس‌المهاد (ع) بدگسترانیدن .

بتاسانید (ف) یعنی بترسانید .

برلامی‌تند (ف) دراصطلاح بمعنی جستجوی بیهوده و بیحاصل میکند.

پنجه زد (ف) یعنی همسری و برابری کرد .

بسرشد (ف) یعنی خمیر کند .

بید (عف) جمع بیدا بمعنی بیابان‌وبیوند وهلاك شدن. ابادالله یعنی اهلك‌الله وبمعنی غیر نیز آمده وبکسر با نام درختی است که‌بار ندارد وآن هفده نوع است چنانچه گربه بید و خربید و مجنون‌بید و مشك بید و بیدموش و بید طبری و غیرهم و نیز نام دیوی است مازندرانی و بپای پارسی موش و ایضاً باشید آمده چنانکه استاد فرماید بیت : میان بسته‌دارید وبیدار بید — همه درپناه جهاندار بید و مترادف باد هم‌آید و بمعنی باد بیهوده و ناسودمند باشد استاد فرماید بیت : که‌بهرام دادش‌بایران نوید—سخن گفتن او شود بادبید ونیز نام کتب کفار هند که برهمنان آنرا کلام خدا می گویند و آن در اصل یك کتاب است مشتمل بر چهار دفتر و بهمین جهتش چهار بید نامیده‌اند دفتر اول سیام بید دوم رکدبید سوم حجر بید چهارم اتهربن‌بید ودر سه بید اول اوامر و نواهی و وعد و وعید و سایر احکام شریعت ایشان است‌و بید چهارم مناسبت بسه دفتر اول و نیم آخرش بتمام صفت محمدیست صلی‌الله تعالی علیه وآله وسلم و کلمه لا والا که عبارت از کلمه طیب است درآن بسیار است و از اول آفرینش تاآخر دنیا وهرچه درآن میان است از مقدرات درآن نبشته شده استاد فرماید بیت :

نه ارژنگ مانم نه دیو سپید نه پولاد هندی نه سبحه نه بید

بغداد (ف) شهر مشهور است و او را پیش‌از آبادانی باغ داد می گفتند ازآنکه هرهفته نوشیروان عادل درآن باغ بارعام دادی ومظلومان را باصاف رساندی بمرور ایام شهری آبادان شد الف را ساقط کرده بغداد گفتند .

بد (عف) بفتح‌بند نیك وپارچه نیم سوخته سخت کهنه و سوده که در آن آتش زودگیرد وگیاهی است که زهر چخماخ نهند و بپای پارسی‌نام درختی است وبضم اول ودال‌مشدده‌چاره وعلاج ونیزمرکب میآید چنانچه لابد و بضم و تخفیف مختصر بود .

فصل ذ

بوذ (ف) بمعنی بود که فارسیان دال را بذال خوانده‌اند و لهذا درمثنوی در بیتی قافیه اعوذ واقع شده .

فصل ر

بشیر (ع) بفتح مژده دهنده و خوب روی ونام حضرت رسول‌صلی‌الله علیه وآله .

بسر (ع) بکسر وفتح دوم‌گویند نام وزیر نصرانی بود که در قوم نصاری عداوت افکند وقصهٔ آن در دفتر اول مثنوی مندرجست واگر بفتح اول وکسر دوم خوانده شود بهتر است .

بادگیر (ف) روزنی که بررخ باد نهند وبالاخانهٔ تابستان .

بر (عف) با اول مفتوح ده معنی‌دارد اول بالا وزیر دوم بار درخت سوم سینه چهارم کنار و آغوش پنجم مخفف برگ ششم پهنا هفتم زن جوان هشتم یاد وحفظ و از بر هم گویند نهم بمعنی طرف بود چنانکه‌اگر گویند که‌بیك‌برشود مراد بیك طرف‌شود است‌دهم‌درخانه وسرای ونیز در فرهنگی بمعنی نزدیك وتن و بقع زمین‌خنك و پزنده وپستان زن جوان وبفتح‌و رای مشدده نیك ومهربان وبیابان و بکسر با نیکوی و درحل لغات است بمعنی راندن بُز وآنچه نزدیك فرستند از هدیه وبضم گندم .

بدر (ع) بفتح ماه تمام شب چهاردهم بدور جمع و ازآنجهت‌آنرا بدرگویند که ماه در شب چهاردهم مبادرت میکند برآفتاب در طلوع وگویند در غروب ونام غلامی ونام چاهی که درکنار آن جنگ واقع شده که‌آنرا جنگ بدر نامند .

پندار (ف) بکسر تکبر و امر از پنداشتن بود .

بخار (ع) با اول مضموم غباری که ازجای نمناك برآید ودودیکه ازآب‌گرم و رطوبات خیزد و دودیکه‌از دهان‌و ازآبها درزمستان برآید ونیز بمعنی علم باشد فرخی فرماید بیت :

فخرکند روزگار تو بتو زیرا کاصل بزرگی‌توئی واصل بخاری

و بخارا ازاین لفظ مشتق است ومعنی آن بسیار بود و چون درآن شهر علما وفضلا بسیار بوده‌اند آنرا ببخارا موسوم ساختند .

بار (عف) بیست معنی دارد اول میوهٔ درخت دوم نامی‌است از نامهای حقتعالی سوم رخصت وآن درآمدن مجلس‌بودخصوصاً چهارم کرت و مرتبه پنجم بارگاه ششم بیخ وبن هفتم مرادف کار هشتم جای انبوهی و بسیاری چیزی را گویند مانندگنج بار و دُر بار نهم بارنده را خوانند مانند زلف‌مشکبار و ابر باران بار دهم‌حاصل نباتات را گویند ازگل ومیوه یازدهم غشی بود که میان زعفران ومشك وغیرآن کنند حکیم‌خاقانی فرماید بیت : هرجا که محرمی است خسی هم حریف اوست — آری‌ز گوشت‌گاو بودبار زعفران دوازدهم دیگدان بسحاق اطعمه راست بیت : عشق یخنی دل ما برد بیغما امروز — مطبخی خیز و برو دیگ کلان نه بر بار سیزدهم برده چهاردهم دوست وآنرا باره نیز گویند مثل زن بار یعنی زن دوست پانزدهم حمل زنان و ماده چهار پایان را نامند شانزدهم غم و اندوه هفدهم انبار هیجدهم سازها را گویند که مطربان نوازند مانند چنگ و رباب وامثال آن نوزدهم برنج و ارزنی راکه بجهت بوزه مهیا ساخته وهنوز صافی را از درد جدا نکرده باشند بیستم نام دهی است ازمضافات نیشابور ونیز بمعنی حمل بود چون بارشتر و امثال آن وبمعنی بزرگ چنانکه‌گویند بارخدا یعنی بزرگ خدا ونیز بمعنی نصیب چنانچه جامی راست تو داده بار هرخسی من مردم ازغیرت بسی — یکبار میرد هر کسی بیچاره جامی بارها ، وبمعنی تنگ جامه وجز آن نیز آمده

بلعم باعور (ع) نام مردی که در زمان حضرت موسی‌علیه‌السلام مستجاب‌الدعوه بود و بدعای وی حضرت موسی چهل سال‌دربیابان تیه ماندآخرالامر بدعای‌یوشع‌علیه‌السلام‌و گویند بدعای‌موسی‌علیه‌السلام ایمان او مسلوب‌گشت نام پدرش باعور بود .

بهر (ف) بوزن شهرنام ولایتی است و نیز حظ و نصیب و برخ‌و مهرمترادف اوست وصاحب‌صراح گوید که بمعنی هلاك ونگونساریست ونیز بمعنی عجب آمده .

پیکر (ف) بفتح اول جثه آدمیان .
بوتیمار (ف) نام مرغی است که آنرا غم خوارك نیز گویند که برلب آبها نشیند و ازغم آنکه مبادا آب کمی پذیرد با وجود نهایت تشنگی آب نخورد و آنرا بتازی یمام نامند گویند خوردن گوشتش بیخوابی آورد و مقوی قوهٔ حافظه وذهن باشد .
پایدار و پادار (ف) سه معنی دارد اول همیشه و باقی وبرقرار دوم نام روز بیستم است ازماههای ملکی سوم تند وجلد و نیز بمعنی ایستاده‌شو و منتظرباش و بجای خود بایست .
بردبار (ف) بضم متحمل و باوقار وآهسته و باسکون باشد .

فصل ز

پوز (ف) پیرامون دهن بود و نیز در فرهنگی بمعنی منقاروساق آمده
پرواز (ف) چهار معنی دارد اول طیران دوم نثار سوم پرتو نور چهارم نشیمن‌و نشستگاه مرغان ونیز بمعنی پرورش و جای آرام وپرباز کردن مرغان وقت پریدن آمده .
پائیز (ف) خزان است یعنی تحویل آفتاب بمیزان و عقرب وقوس که بین تابستان و زمستان است .
باز (ف) ده معنی دارد و از اتفاقات بحساب ابجد نیز عدد آن ده است اول دیگر دوم امر از بازیدن و بازنده را نیز گویند و این معنی بدون ترکیب گفته نمیشود مانند قمار باز سوم گشاده چهارم مسافت میان هردو دست از سرانگشت دست تا سرانگشت دستی‌دیگر و آنرا بازه نیز نامند و بتازی باع و بترکی قلاج خوانند پنجم به معنی ضد فراز است که آنرانشیب خوانند ششم نام پرنده‌شکاری مشهور هفتم تمیزو تفرقه میان دوچیز هشتم جدا نهم سوی وجانب دهم گذرگاه سیل بود و در فرهنگی بمعنی شراب نوشته و نیز بمعنی فرشته آمده و باژای عجمی چهار معنی دارد اول زرو مال و اسباب و اشیائی را گویند که پادشاه قوی از پادشاه و حاکم زیر دست بگیرد دوم زری باشد که راهداران وگذربانان از سوداگران و تجار و دیگرآیندها و روندها بستانند سوم خاموشی بود که مغان در وقت بدن شستن و خوردنی خوردن بعداز زمزمه اختیار کنند چهارم نام قریه ایست از قرای طوس که تولد حکیم فردوسی درآن قریه بوده
پشیز (ف) چهارم حصه‌از دانگ و درمی است کم ارز که درخرید و فروخت درسمرقند بجای سیم رواج داشته و بعربی فلس گویند و در بعضی فرهنگها بنظر درآمده که پشیز چیزی‌قلب باشد که بجای درم خرج کنند و آن زری باشد که از برنج زنند .
پالیز (ف) باغ‌و بستان و کشتزاررا گویندعموماو کشت‌خربزه خصوصاً
بدپوز و بدفوز و بتپوز و بتفوز (ف) هرچهارلغت بمعنی پوز است ونیز بمعنی بهره مند بنظر درآمده .

فصل س

پاس (ف) چهار معنی دارد اول نگاهداشتن دوم یك بخش ازهشت بخش شبانروز سوم تنگی دل و اندوه چهارم پاسبان
باس (ع) بمعنی ترس آمده .
بوالهوس (ف) آنکه بمراد نفس و هواکار کند .
پلاس (ف) پشمینه وگلیم که مردم صحرانشین از آن خانه سازند وهم بپوشند واکثر سیاه باشد ونیز کنایت ازفکر زشت دنیاوی است .
باریك ریس (ف) فکر دقیق و خیال محال کننده راگویند .
بخس (ع) دومعنی دارد اول پژمرده و فراهم آمده مانند پوستی که تف آتش باورسیده باشد دوم‌زمینی‌را که بی‌آب دادن‌بآب باران‌درآن زراعت شودو آنرا للم نیز خوانند و در عربی زر قلب ناسره‌را گویند با اول مکسور نرمه بینی بود و بمعنی شتر نیز آمده و هم درفرهنگی بمعنی نگاهداشتن وپیدا کردن وعشوه وگداز و رنج‌وگم کردن‌حق کسی مرقوم ساخته و باپای فارسی گذارش وکاهش دل و بدن‌باشد از شدت غم و اندوه و کثرت محنت و مشقت وگداختن روغن وپیه و موم و امثال آن ازگرمی آتش یا از حرارت خورشید و نیز در فرهنگی بمعنی عشق بنظردرآمده‌و با اول مفتوح وخای معجمه‌مکسور

بمعنی ناقص و کم‌عیار آمده .

پس (ف) باول مضموم پسر را گویند حکیم فردوسی میفرماید :
پس آگاه کردند از آن کارزار — وپس شاه را فرخ اسفندیار .

بایس (ع) سخت محتاج و درویش الباس و البوس سخت محتاج شدن و سخت دلیر شدن بکسر ماضی و فتح مضارع بادگرم سخت .

بررس (ف) بفتح اول و سوم دومعنی دارد اول بمعنی پرس آمده ثنائی فرماید : آزبگذار که با آز بحکمت نرسی — گرجهان بایدت ازحال ثنائی بررس دوم رسیدن سوزنی گفته :
شاهی که ماه‌رایت منصوراوبقدر ازماه درگذشت وبخورشید بررسید

فصل ش

پورشش (ف) نام آن درزیست که مضاحك میگفت وقصهٔ او در دفتر ششم مثنوی بیان شده .

بخش (ف) بوزن رخش بهره که عرب نصیب خوانند و نرخ وبمعنی بخشیدن ازگناه یا چیزی دادن و نرمه بینی وسستی و در معنی اخیر بسین هم بنظر درآمده .

پاداش (ف) مکافات نیکی وآنرا پاداشت وپاداشن نیز نامند .

بوش (ف) کرّ و فرو خود نمائی بود و مرد درویش بسیار عیال ومردم مختلف —اوباش جمع وهذاالجمع مقلوب

باش (ف) جائی بودن و امر است برای بودن و در ترکی بمعنی جراحت و سر و عدد پنج آمده و با ماله مشهور است که بیش باشد .

بوالوحوش (ع) گورخر را گویند .

بادریش (ف) بمعنی خودنمائی و لاف .

بشاش (ع) بفتح وتشدید شین تازه روی وخندان .

پوزش (ف) عذر باشد .

پیل آبکش (ف) ابرسیاه .

پنج وشش (ف) پنج حواس وشش جهة یا از پنج مراد پنج طبقه باشد و منقولست از فوایدالفؤاد که پیغمبر علیه‌السلام فرموده است: امت من بعداز من پنج طبقه باشند و مدت هرطبقه چهل سال باشد طبقه اولی طبقه علم و مشاهده وطبقه ثانیه طبقه برّ وتقوی وطبقه ثالثه تواصل‌وتراحم وطبقه رابعه تقاطع وتدابروطبقه خامسه‌هرج ومرج

بنات‌النعش (ع) ستارگان هفتگانه که بزبان فارسی هفت‌اورنگ و بترکی یدکن گویند .

فصل ض

بیض (ع) بکسر جمع ابیض بمعنی سپیدتر وهرچه سفید باشد و شمشیر و جوانی و نام کوهی است وبفتح تخم مرغ .

بئس‌العوض (ع) بدل بد .

بعض (ع) بفتح پارهٔ ازچیزی ابعاض جمع آنست .

بنات‌الارض (ع) بفتح گیاههای زمین وجوهای خرد .

فصل ط

بسیط (ع) بفتح زمین‌فراخ وجای فراخ وچیز فراخ ونام‌بحریست ازشعر و باصطلاح ارباب معقول سه معنی‌دارد اول چیزی که قبول قسمت نکند اصلا دوم آنکه از اجزای مختلفة‌الطبائع مرکب‌نباشد سوم آنکه برهرجزو او اسم‌کل اطلاق توان کرد معنی اول صادق نمی‌آید الا برمجردات وجوهر فرد که عبارت از جزء لایتجزی‌باشد اما ثانی وثالث را چهار روش اعتبار کرده‌اند اول آنکه ازاجزای مختلفة الطبایع مرکب نباشد حقیقة دوم آنکه مرکب نباشد حساً سوم آنکه برهر جزو او اسم‌کل اطلاق نکنند حقیقة چهارم آنست که اطلاق کنند حساً بمقتضای اعتبار اول فلك وعناصر در تعریف بسیط داخل باشد و اعضای بسیط حیوانی خارج چه اعضای بسیط حیوانی ازاجزای مختلفة‌الطبایع مرکب است حقیقة اما اعتبارثانی برهمه شامل‌است چه اعضای‌بسیط حیوانی حساً از اجزای‌مختلفة‌الطبایع مرکب‌نیست و از اعتبارسوم فلك خارج‌است وآن دو داخل چه‌برهر جزو اطلاق فلك اسم‌کل نمیتوان کرد بخلاف عناصر واعضای بسیط حیوانی واعتبار چهارم شامل‌است‌همه را وگاه‌بساطت‌را بروحدت‌حقیقی اطلاق کنند چنانکه واجب راعلت منبسط‌گویند وچون معنی‌بسیط روشن شد حاجت به بیان مرکب نیست .

بساط (ع) بکسر عرصهٔ شطرنج و شادروان یعنی جامه خانه و پرده که بردر بندند وچیزی گستردنی و بفتح زمین فراخ‌وهموار

بسط (ع) بفتح‌دست‌فراخی‌و نیز آنچه گسترده شود برزمین مثل‌حصیر و در مصادر بمعنی گسترانیدن و فراخ کردن و قبول کردن و بکسر شتر ماده که بچه رها کرده شده باشد و بچه‌را ازو باز نگیرند ونیز دست گشوده یعنی غیر مقید و در اصطلاح صوفیه داروئیست که‌اقتضا میکند اشارت قبولیت و لطف و رحمت و انس‌را برای صاحب آن من عنداله و این از احوال قلب است و هرمقامی را لایق بآن مقام بسطی وقبضی است .

فصل ع

بدیع (ع) عجیب وشگفت و نوباوه ویکی ازنامهای‌خدای عزوجل

بقاع (ع) بکسر جمع بقعه .

بیع (ع) بفتح خرید وفروخت و بکسراول وبفتح یاکلیسای‌ترسایان

بضع (ع) بکسر و سکون ضاد میانه سه تابنه و بعضی گویند میان سه تابده و این قول اجماعیست و بعضی گفته اند میان یکی‌تابده و قول اول معتبر تر است در تفسیر قول حق تعالی سیغلبون فی بضع سنین زیراکه قول اول منقول است از حضرت رسول کذافی الکشاف وبضم نکاح و فرج زن و بالفتح گوشت بریدن و شکافتن جراحت و سیراب شدن .

فصل غ

پناغ (ف) بفتح بناغ هم آمده‌سرماسورهٔ ریسمان خام که برسردوك ریسندوسبزی‌است که‌تنه ندارد وچوب‌وخنك وچیزی‌سست‌است وتنیده عنکبوت و تارریسمان خام و بکسر نیز آمده و نیز چون دوزن در حباله یك مرد باشندآنزنان یکدیگررا پناغ یا بناغ خوانند(هوو).

بلاغ (ع) بفتح رسانیدن وکافی شدن .

بوغ (ع) بضم مهره که در گرمابها جهت اعلام نوازند و بهندیش سنگه نامند .

بزوغ (ع) بضمتین بمعنی طلوع یعنی بر آمدن ماه و آفتاب و ستاره و بیرون آمدن دندان‌شتر وگشادن رگ ازباب نصر .

بازغ (ع) طلوع کننده .

فصل ق

بلق (ع) بضمتین صدای‌آب هنگامی که سنگ وکلوخ دروی‌اندازند

بیذق (ع) بفتح اول وسوم پیاده شطرنج وغلوله گل بیاذیق جمع .

برهان‌محقق (ع) سیدبرهان‌محقق‌ترمدیست که خلیفه حضرت‌سلطان العلماء بهاء الدین ولدوالد حضرت مولوی بوده وشمس‌الدین‌افلاکی در مناقب العارفین که مشتمل برمناقب سلسله حضرت مولوی است احوالش‌را بتفصیل نوشته مشهور بسید شروانست و حضرت مولوی‌ازو تربیتها یافته اند .

بغلطاق و بغطاق وبخطاق (ت) باغین مفتوح در اول و در دوم و سوم بضم باکلاه درویشان وگدایان و قبای بغل‌بند وکذر و برگستوان و نیز آنچه براو جامه پوشیدنی بربندند ونیز نوعی ازکسوت خطائی است .

بکیارق (ت) بفتح اول و ضم را غلامان‌ونوکران یکه‌احب چون خواجه تاشان

بریق (ع) ساکن و تابان

براق (ع) برای مشدده بسیارروشن وبضم‌نام اسب بهشتی که حضرت رسول شب معراج تا مسجداقصی برآن سوار بودند .

بارق (ع) روشن وتابان شونده ونیز ابری که ازو برق بیرون جهد و نام قبیله است از یمن و نام موضعی است نزدیك کعبه و دراصطلاح صوفیه بارقه عبارت‌از لاحه‌ایست که وارد میشود برسالك ازجناب اقدس وبسرعت منطفی میشود واین از اوایل کشف است .

بود از کتف تاسر ناخن و سم و از جانوران پرنده جناح دوم نوعی از ماهی باشد که بغایت بزرگ بود در دریای زنگ بهم رسد و فسادبسیار کند و گوشتش خوش مزه باشد سوم بمعنی نمو کردن وامراز نمو کردن است چهارم بالارا خوانند هم بمعنی قامت وهم بمعنی فوق و در عربی دو معنی دارد اول ماءالعسل را نامند و این معنی از اختیارات بدیعی نوشته شده دوم دل‌را گویند و نیز بمعنی عظمت و عیش فراخ وتن وکار و حال بنظر در آمده

بقل (ع) بفتح تره و سبزی مثل خیار و بادرنگ و جزآن وبقول جمع آنست .

بابیل (غ) همان ابابیل است .

بدیل (ع)عوض و نام حکیم خاقانی است و نیز بدل چیزی که بجای چیزی دیگر باشد ویکی‌از بدلا راهم گویند که بندگان خاص خدااند

بابل (ع) بکسر سوم و صحیح همین‌است ومیگویند بضم سوم‌چاهیست معروف اما در بعضی از اشعار استادان هردو واقعشده هم بقافیه‌مقابل و هم بقافیه بلبل وگویند بضم اعراف بود که میان بهشت و دوزخ است وگویند موضعی‌است در میانه عراق و نیز نام ولایتی‌است که آن چاه درآن ولایتست و یونانیان مشتری راگویند همچنین در عجائب البلدان و در بابل چاهی است که هاروت و ماروت در آن معذبند و ساحران استخراج سحراز آن چاه می کنند .

باطل (ع) در اصطلاح صوفیه ماسوای‌حق‌است از محدثات‌چه‌ماسوای حق نزد صوفیه معدوم است و درطور ایشان وجود حقیقی نیست مگر حق‌را وعالم عدمیست که ظاهراست بظل وجود الهی خواه عین باشد و خواه معنی ،

برطل (ع) مثل قنفذ وارون قلنسوه یعنی کلاه کذافی القاموس ودر مثنوی بمعنی التزامی کلاه راست میآید .

بعال (ع) جمع بعل بفتح و سکون عین مهمله نام بتی است‌ازبتان قوم الیاس علیه‌السلام و بازی کردن زن و شوهر باهم و زمین‌باران نارسیده و خرما و نبات که بیخ اوآب خورد بی‌آب دادن ونباتی که از آسمان آب خورد و زمین بلند که آب بدان نرسد ورب و مالك چیزی‌را بعل گویند و بمعنی جماع نیز آمده و مصدر از باب فتح یعنی شوهر کردن و سرباز زدن .

بطال (ع) بفتح و بطای مشدده بغایت بیکار و دروغ گوی .

بئس‌البدل (ع) یعنی عوض بد .

بحل (ع)بکسر تین‌عفو ازگناه .

بصل (ع) بفتحتین پیاز و بصله واحد .

بوسبل (ع) خداوند راهها .

بذل (ع) بفتح چیزی بخشیدن باذل و بذول بخشنده .

فصل م

بومسیلم (ع) نام شخصی که‌در زمان خلافت ابوبکر دعوی‌نبوت کرده بود و بعضی از قریش مرتد شده باو پیوستند با ابوبکر جنگی عظیم کرد چنانکه هفتصد مرد حافظ قرآن در آن جنگ کشته شدند و آخر مخذول و مقهور شده و روی بهزیمت نهاد و بیومسیلم کذاب مشهور گشت و اورا ابومسیلم و مسیلمه و ابومسیلمه نیز گویند .

بسیم (ع) بفتح اول وکسرثانی تبسم کننده

بم (ف) بفتح سه معنی دارد اول دست زدن باشد برسر و دستار کسی دوم تارکنده راگویند و آن ضد زیراست سوم قلعه ایست از توابع کرمان .

بالدم و پاردم (ف) دنب افسار باشد وآنرا دمچی نیزگویند وآن دوالی‌باشد که زیر دم اسب بود .

بزم (عف) بفتح دومعنی دارد اول مجلس شراب و عیش ومهمانی و خوشحالی دوم نام دیهیست از بوانات شیراز گویند که یکی از امامزاده‌ها درآنجا مدفون است و در عربی دومعنی دارد اول گزیدن بدندان پیشین دوم دوشیدن شیر بانگشت سبابه و وسطی .

پرچم(ف) بفتح دومعنی دارد اول دم نوعی ازگاوان کوهی باشد

که در کوهها که مابین ملك ختا و هندوستان واقع است پیداشوند و آنرا غزعاو نیز گویند و بترکی قطاس خوانند وآنرا برسرچوب علم وگردن اسب ببندند دوم کاکل را خوانند .

بوم (ف) بضم سه معنی دارد اول زمین راگویند دوم نام پرنده ایست که بنحوست وشآمت اشتهاردارد وکلان تر ازجغداست سوم بمعنی سرشت وطینت آمده .

بکم (ع) بضم جمع ابکم یعنی گنگ .

بهرام (ف) بفتح چهار معنی دارد اول سروشی است که محافظهٔ مردم مسافر حوالهٔ بدوست و امور و مصالحی که در روز بهرام واقع شود متعلق باو باشد دوم نام ستارهٔ مریخ که آن مربی کشور سیم باشد سیم نام بیستمین روز از ماه شمسی است چهارم نام دوپادشاه ذی شوکت مشهور است یکی بهرام گور و دیگری بهرام چوبین .

فصل ن

بینی کندن و بینی زدن (ف) بمعنی انکار کردن وحسد بردن آمده

بهمن (ف) بفتح دوازده معنی دارد اول راست گفتار و درست کردار دوم بمعنی کوچك بسیار دان است سوم دراز دست را گویند چهارم اسم امشاسپند نام فرشته ایست که تسکین خشم دهد و موکل باشد برگاوان وگوسپندان واکثر چهارپایان وتدبیر امور ومصالحی که در ماه بهمن واقع شود باو متعلق است پنجم نام پسر اسفندیار بن گشتاسب که اردشیر نام داشت ششم ماه یازدهم باشد از سال شمسی وآن ماه دوم است از فصل زمستان و مدت ماندن نیراعظم بود دربرج دلوو دردهم این ماه جشن سده بود هفتم رستنی بود که درماه بهمن گل کند و بیخ آنرا در دواها بکار برند وآن دوگونه است سرخ وسپید هشتم نام روز دوم باشد از هرماه شمسی وبنا برقاعده کلیه که نزد فارسیان مقرر است که چون نام روز بانام ماه موافق آید آنرا روز عید گیرند در این روز از این ماه عید کنند و جشن نمایند وانواع طعامها پزند وگل بهمن سرخ وسپید را برطعامها بپاشند وبهمن سرخ رامیده کرده با نبات وقند بخورندو بهمن سپید را سابیده باشیر بیاشامند وآنرا مقوی قوت حافظه دانند وگویند که این روز را خاصیت تمام است در کندن گیاهها وبیخهای دوائی از کوهها و وادیها وگرفتن روغنها وکردن بخورها ونیکست دراین روز جامهٔ نو بریدن و پوشیدن وناخن چیدن وموی پیراستن وعمارت کردن واین روز را بهمن جنه خوانند نهم نام پرده ایست از موسیقی دهم قلعهٔ بود درنواحی اردبیل و درآنجا جادوان بسیار بوده اند گویند که کیخسرو در اوایل سلطنت خویش طلسمات آنرا شکسته آن قلعه را فتح نمود یازدهم برکنه های برفرا گویند که بسبب حرارت خورشید از کوه جدا شده وبیفتد دوازدهم عقل اول را نامند چنانچه درشرح دیوان حضرت امیرالمؤمنین علی علیه السلام قاضی میرحسین میبدی آورده که عقل نزد مثائین ده است ومیگویند که خدا واحد محض است و از واحد محض غیرواحد صادر نمیشود وآن واحد که از خدایتعالی صادر شده عقل اول است که حکمای فرس اورا بهمن گویند

بطلان (ع) بضم باطل شدن

بدن (ع) بفتحتین تن و زره کوتاه و مرد سال دار وبزکوهی سال دار .

پایماچان و پاماچان (ف) بجیم پارسی آنکه درویشان بواسطهٔ گناهی گناهکار را در صف نعال که محل سیاست اینانست بریکپای بایستانند وگوش اورا بدست اوگیرانند وبجیم تازی نیزآمده و آنرا صف نعال هم خوانند

بالین (ف) آنچه زیر سرنهند وقت خواب که درعرف بالشت و تکیه گاه گویند وتازیان وساده خوانند

پنج نوبت زدن (ف) دراصطلاح بمعنی فخر کردن و پادشاهی کردن بود .

بوالحزن (ع) خداوند غم واندوه

پنگان (ف) بکسر پوشیده نماند که شبانه روزیرا بده هزار قسمت کرده اند و هر قسمتی را یك پنك گویند وپنك یك کاسهٔ باشد مسینه یا روئینه که درته آن سوراخ کنند چنانچه آنکاسه را بروی آب نهند همینکه یك پنك شود آن کاسه پرآب گردد ودرآن آب نشیند واکثر آبیاران مانند آن کاسه داشته باشند و درمقسم آب نهند وآنرا طشت وسبو نیز خوانند ومعرب آن فنجانست وبطریق عموم هرکاسه را پنکان خوانند و نیز صحنك روئین که بهندی نهالی نامند وتازیان طاس گویند و کماهوحقه چیزیرا شناختن وآنرا پنك بکسر پ نیز خوانند

برهان (ع) حجت براهین جمع آنست .

بالیدن (ف) بزرگ شدن وبرآمدن ونمو کردن باشد .

بنان (ع) بفتح سرهای انگشتان جمع آن بنانه است .

پالودن و پالیدن و پالائیدن (ف) بمعنی دیدن وجستن و تفحص کردن وگداختن و صاف کردن آمده .

پروین وپرن (ف) بفتح وکلمه دوم بفتحتین شش ستاره وگویند هفت ستاره که یك جا واقعند وآن منزل قمر است دربرج ثور وبتازی ثریا خوانند .

برین (ف) بضم اول کرح یعنی نیم خربزه وامثال آن که تازیان آنرا شمسه نامند و با اول مفتوح وکسر رای مهمله دومعنی دارد اول بمعنی بالا آمده یعنی ازهمه بالاتر وبلندتر و ازینست که فلك الافلاك را چرخ برین خوانند دوم بمعنی بادصبا استو باد برین نیز گویند وبکسر اول سوراخ راگویند وآنرا برینه هم خوانند

بطن (ع) بفتح شکم وجانب درازی پرمرغ و برشکم زدن ودر رفتن و باطن چیزیرا شناختن بفتح اول وکسر دوم و سکون سوم زمین فرونشسته وبندهٔ شکم وقبیله را هم گویند و نیز بمعنی اندرون چیزی بطن البلد اندرون شهراست.

بادبان (ف) دومعنی دارد اول پردهٔ باشد که بر تیر کشتی بندند دوم پرده قبا باشد که برزیر سینه واقع شود وآنرا ازجانب راست بچپ و از چپ بجانب راست می بندندوآنرا دست زیر ودست بالا گویند و بتازی جیب خوانند چنانچه درکلام مجید واقع است و ادخل یدك فی جیبك تخرج بیضاء من غیر سوء وبعضی تیر کشتی و سرآستین را نیزنامند .

پشت پازدن (ف) دراصطلاح ردکردن و ترك دادن باشد .

بادبیزن (ف) مروحه که بفارسی پکهه هم گویند .

باطن (ع) درون وپنهان و دانندهٔ نهان و بدینمعنی اخیر است قول حقتعالی هوالظاهر والباطن .

بین (ع) بفتح جدائی و دوری وفراق ومیانه چیزی البینه والبینونه جدا شدن وبهم پیوستن واین ازلغات اضداد است وبمعنی فایق شدن هم بنظر درآمده وبتشدید یا هویدا وآشکارا .

بین بین (ع) هردو بفتح بتکرار یعنی میانه نیك وبد ومیانه کوتاه وبلند ومیانه سخت ونرم ومیانه سبك وسنگین ومثله و در فرهنگی متردد شدن میانهٔ دو چیز بنظر درآمده

بن دندان (ف) بضم اول غایت فرمان برداری ونهایت اطاعت وکمال تواضع از ته دل وته دلی .

بنکران (ف) بضم اول فتح کاف برنجی راگویند که درته دیگ بریان شده باشد وآنرا بکران نیز خوانند .

مولوی در مثنوی فرماید : بنکرانی پیش آن مهمان نهند واین معنی قیاس میرجمال الدین حسین انجو است والا بنگرانی بکاف فارسی تصحیح یافته واین معنی ارجح واولیست .

پابندان (ف) سه معنی دارد اول صف نعال وکفش گر را خوانند دوم ضامن وکفیل راگویند سوم بمعنی رهن وگرو آمده .

بزان (ف) بضم اول شهوت زنان .

بزگرفتن (ف) بضم اول هزل کردن و تمسخر وتسخیر کردن .

پهلو تهی کردن (ف) گریختن وکناره کردن بود .

پهلوزدن (ف) برابری کردن در مرتبه .

پرویزن وپروزن (ف) هرچیز پرسوراخ ومشبك را نامند عموماً و آرد بیز را خصوصاً .

از نی باشد که بیشتر شبانان بنوازند و آنرا توتك نیز گویند و بایای معروف ریسمانی راگویند که از بیش یعنی لیف خرمابتابند و آنرا کیار نیز گویند .

پرده (ف) بفتح چیزیکه در میان حائل بود از جامه و غیر آن و پوست رقیق که در چشم پدید آید و نیز پرده سرود بمعنی فلك الافلاك نیزآمده .

بهره (ف) با اول مفتوح حصه و حظ و نصیب باشد .

باده (ف) هم بمعنی شراب و هم بمعنی پیاله آمده و نزدصوفیه عبارت از عشق است .

باره (ف) با رای مفتوح نه معنی دارد اول اسب راگویند دوم دیوار قلعه و شهر وامثال آن سوم کرّت و مرتبه چهارم دوست وآنرا بار نیزخوانند پنجم حق ششم طرز وروش‌هفتم مشروبی مسکر که از برنج سازند هشتم زلف راگویند نهم گله و رمه گاوان و گوسپندان و امثال آن .

بربسته (ف) بفتح جماد است و هرچه بیفزاید و منجمد باشد ودر محاورات مراد از بربسته برساخته است.

بررسته (ف) بفتح ورای مضموم نباتات راگویند و در اصطلاح‌چیزی که ساختگی باآن نباشد .

بازگونه (ف) دو معنی دارد اول‌واژگونه راگویند وآن‌معروفست دوم شوم و نحس‌و نامبارك بود وآنرا واژون و واژونه و وارون و وارونه نیز خوانند .

بایسته (ف) بایای مکسور بمعنی ضرور و ضروری باشد و نیز بمعنی خواهش و آرزو آمده و آنرا بایست و بایا نیزخوانند.

بادیه (ف) صحرا و دشت .

بازیچه (ف) مسخره و آنچه بدان بازی کنند .

بالوده (ف) بمعنی بزرگ شده و برآمده و نموکرده باشد و مصدر آن بالیدن آمده که مرقوم شد .

بهیمه (ع) بفتح وکسر ثانی حیوان چهار پای بود .

بنبه (ف) بفتح اول و سوم منکرشدن و محوکردن و نرم‌ساختن و پراکنده کردن وگریزانیدن چنانکه گویند پنبه کنید یعنی‌منکر شوید و محوکنید و نرم سازید وگریزانید و پراکنده سازید و نیز کنایت از پراکنده ساختن وپریشان کردن باشد و اثیراخسیکتی فرماید :رای توپنبه کرد سربوالفضول‌را —کاکنده بودگوش قبول از ندای ملك در فرهنگ میرزافتح‌الله رازی پنبه ببای‌فارسی بهمین معنی بنظر درآمده و اصح همین مینماید .

بوشیده (ف) بفتح کرو فر یافته شده .

پرّه (ف) بفتح اول و تشدید دوم پنج معنی دارد اول حلقه زدن لشکر باشد از سواره‌و پیاده دوم بمعنی دامن وکناره بود مثل پره بیابان و پرّه بینی وپرّه کوه وامثال آن سوم جزوی از قفل راگویند که قفل بدان محکم و مضبوط گردد چهارم برگ کاه است پنجم پرّه‌آسیاو درلاب و امثال آن باشد .

بالوعه (ع) بضم لام آرایش و جای شستن و جای ریختن‌آب در خمار خانه و چاه میانه سراکه در وی آب مستعمل وچرکین جمع شود و آنچه ازکتب‌فقه معلوم میشود حوضچه خردکه‌نزدیك چاه باشد و بزبان هند چهله گویند .

پایه (ف) چند معنی دارد چون اکثر معانی مشهور و معروف‌بود به بیان همین هفت معنی اختصار نمودم اول قدر و مرتبه باشد دوم بمعنی زبون آمده در مثنوی میفرماید :«جمله فرع و پایه‌اندو او عرض» سوم بزبان گیلانی‌چوب راگویند چهارم فروریختن باران باشد پنجم زینه پایه‌ایست ششم بناراگویند هفتم پایابرا خوانند .

بلمه (ف) بفتح اول دراز ریش و انبوه ریش‌را خوانند .

بنه (ف) بضم اول و فتح دوم دو معنی‌دارد اول رخت و اسباب خانه دوم بیخ و بنیاد .

بنگاه وبنگه (ف) بضم‌اول جائی‌راگویند که‌زر ورخت درآنجانهند.

بلیله (ف) بوزن هلیله باد نمناك و نیز داروئیست معروف که‌اهل هندش بهیره گویند .

برطله (ع) با اول مضموم همان برطل بمعنی کلاه باشد .
بره (ف) بفتحتین وتشدید را بچه گوسپند که عرب آنرا حلان و حلام گویند حلوان غلط است ومعنی حلوان آنست که مردی کابین دختران بستاند برای خود واین را درعرب عار می‌پندارند وحلوان مرأة بمعنی کابین زنست ومرد قال گوی .
بازنامه (ف) سه معنی دارد اول اسباب تجمل وحشمت راگویند دوم منت سوم‌غرور وتفاخر وبعضی گویند بازنامه لقب بدیانیك‌نهادنست.
بوزینه وبوزنه وبوزنینه (ف) بضم اول میمونرا گویند .
بصره (ع) بفتح نام شهریست مشهور وسنگ سپید و نرم و بضم انگور که درپخت آید .
پیغاره‌وبیغاره (ف) ناکس ودنی وطعنه وسرزنش‌وملامت وبیهوده وباطل وبهتانرا خوانند .
باکوره (ع) بضم کاف میوهٔ نورسیده و در حل لغات میوهٔ که زودتر رسد .
پاچله (ف) بکسر ج وفتح لام چیزی باشد مانند غربال کوچك که‌بجهة کوفتن برف پیادها بربسته‌برف را بکوبند تالشکر و قافله بر زبر آن بآسانی بگذرند ونیز بمعنی پاتاوه آمده یعنی پارچهٔ جامه که بآن موزه پوشند وآلتی که کفش‌تنگ را بآن گشاد کنند وآنرا پاشنه گیر نیز گویند .
بطانه(ع)بکسر آستر‌ودوست‌نهانی که‌باو راز گویند‌بطانات‌وبطائن‌جمع
بیضه (ع) بفتح اول وسکون دوم وسوم واحد بیض است یعنی خایه مرغ وخود که برسر نهند وسختی گرما وآماس دست اسب را نیز بیضه خوانند وخصیه ومیان شهروبمعنی خوار وعاجز ویگانه‌در کارها وبکسر با شهریست .
بومره (ف) اسم کنیت ابلیس است .
بذله (ع) بفتح وسکون ذال لطیفه .
پادشاه (ف) نامی است پارسی باستانی و معنی‌پاد بسه طریق‌بنظر درآمده اول‌بمعنی پاس دوم پائیدن ودارندگی سوم تخت چنانکه در ذیل لغت پاد در دیگرفرهنگ‌ها مرقوم یافته وشاه بچهار معنی دیده‌آمده اول چیزی بود که درصورت وسیرت از امثال بهتر و بزرگتر باشد چنانچه بیت خوب را شاه بیت و سوار خوب را شاه سوار و راه وسیع را شاه‌راه و تیربزرگی که بدان خانه را بپوشند شاه‌تیر خوانند و امثال آن بسیار است دوم بمعنی داماد سوم بمعنی‌اصل وخداوند بود پس‌معنی‌این اسم‌شریف‌بدین‌تقدیر ازچهار وجه‌بیرون نتواند بود اول‌پاسبان بزرگ چون‌سلطان پاسبان خلق‌است اگراین معنی‌را اخذ کنند بغایت شایسته باشد دوم‌همیشه داماد چون ملك را بعروس تشبیه نموده اند اگر خداوند ملك را باین اسم‌نامند مناسب مینماید سوم‌چون پادشاه نسبت بسایر مردمان اصل‌وخداوند باشد و پائیدن و دارندگی بحال او انسب است اگر او را باین نام بخوانند بس لایق بود چهارم خداوند تخت واین معنی از جمیع انسب و اولی بود .
بسوده (ف) بضم اول دست زده وپوسیده و ژولیده را خوانند .
بیله (ف) بکسر سه معنی دارد اول زمین خشکی راگویند که‌در میانه دریا و رودخانه واقع شود حضرت‌مولانا فرماید : یاد کن‌لطفی که کردم آن صبوح — باشما از حفظ در کشتی‌نوح — بیله بابایتان را آنزمان دادم ازطوفان و از موجش امان دوم بمعنی بیلك است سوم بمعنی رخساره بود .
پیله (ف) بکسر پنج معنی دارد اول آغوزهٔ ابریشم را گویند وآن معروف است دوم خریطه راگویند سوم دارو بود این هردو معنی را حکیم‌خاقانی نظم کرده‌بیت : درهمه‌پیلهٔ فلك پیله‌ورزمانه‌را ـ نیست ببخت خصم تو داروی دردمدبری وپیلور دارو فروش راگویند چهارم پلك چشم باشد پنجم گرهی باشد که درمیان دنبل بهم رسد وچون آنرا بردارند دنبل نیك شود .
پیرایه (ف) آرایش و آنچه بدان زیب وزینت زنان بیفزاید و در اصطلاح زرینه که زنان درگوش و گردن کنند و تازیان آنرا حلی گویند .

باه (ع) شهوت راگویند .
بوته (ف) چهار معنی دارد اول درختی باشد که بسیار بلندنشود و بزمین نزدیك باشد دوم بچه آدمی وسایر حیوانات را گویند عموماً وبچه‌شتر را خوانند خصوصاً سوم نشانهٔ تیر را نامند چهارم‌ظرفی باشد که‌ازگل سازندو زر وسیم و امثال آن درمیانه آن‌نهاده‌بگدازند
پیشگاه (ف) هم صدر وهم مجلس بود ونیز جامهٔ که درپیش خانه بگسترند وصحن پیش درکه در وی مجلس کنند ومقدمه جای .
پتیاره (ف) هفت معنی‌دارد اول آفت و بلا باشد دوم زشت و مهیب راگویند سوم مکنون و مخزون‌راگویند چهارم خجلت‌پنجم سختی وشدت ونفاذ حکم ششم مکر وحیله هفتم شور وغوغا وآشوب.
پیه (ف) بکسر اول و دوم چربی باشد که تازیان آنرا شحم گویند
بزه (ف) دومعنی دارد اول‌گناه دوم شخص مسکین مرحوم بود
بیهده و بیهوده (ف) معروف و جامه‌نیم سوخته که بهیچ کارنیاید
بغتة (ع) ناگاه و دفعة
بینه (ع) بکسر یا بنیاد

فصل ی

بعداللتیا واللتی (ع) حادثهٔ بزرگ و بعد چنین و چنان وبعداز این وآن وکنایت از زمان درازکه بهرزه وبیکاری گذشته باشد.
بهی (ف) بکسرتین نیکوئی ونیز نام میوه‌ایست مشهور وبضم با وتشدید یا درعربی بمعنی زیبا وخوب شدنست .
باغی (ع) ستم کننده .
پی (ف) بفتح اول هفت معنی دارد اول پی که آنرا بتازی‌عصب خوانند دوم پای بود سیم نشان پای راگویند چهارم دنبال وتعاقب باشد پنجم بهر و برای‌آمده ششم بار و مرتبه بود هفتم نشان‌باشد وپی بردن بمعنی نشان یافتن .
برسری (ف) باری که بالای بار نهند وآنرا بتازی علاوه‌خوانند.
بشرحافی (ع) بکسر نام ولی که برهنه پا گشتی و وجه تسمیه آنکه حافی پای برهنه راگویند و او دایم پابرهنه بودی وهرگز پایش‌آلوده نشدی و تازنده بود سرگین وامثال آن درشهرنیافتندی. روزی درکوچه نجاست یافتند بخلیفه عمر اظهار کردند که بایستی بشرحافی از عالم رفته باشد چون تحقیق کردند همچنان بود .
بختی (ف) بضم نوعی از شتر سرخ مو و شتر دو کوهانه که ابر میگویندش و بختی منسوب به بخت است بضم نام پادشاهی است جبار که پدرش نصر نام داشت که ماده و نرشتر عجمی وعربی‌را جفت ساخته بود ازآن نتیجه که حاصل شد بختی گویند .
بوبکر ربانی (ع) نام مردی ربانی که بدین کنیت مشهور است و درهزل ومسخرگی و سخنان مضحك گفتن نظیر نداشت گویند بعداز آن خاموشی اختیار کردهو تا باقی عمر اصلا سخن نگفت و نیز میگویند که از اولیای مجذوب مستورالحال بوده که درمدت هفت سال خاموشی اختیار کرد و باکسی سخن نگفته .
بری (ع) بفتح وکسر را بمعنی پاك وبیزار وبی‌عیب و بتشدید را آنچه درخشکی باشد .
پای (ف) دومعنی دارد اول پا دوم بمعنی تاب وطاقت آمده‌و وآنرا پایاب نیز گویند و درفرهنگی بمعنی بیخ درخت و فرد هر چیزی وبنیاد و دیوار وپاینده مرقوم ساخته .
بادپیمای (ف) بمعنی بیحاصلی .
بادی (ع) بفتح اول وکسر دال آغازکننده و اول هر چیزی و نیز بمعنی باشی تو واین درحالت خطابست چنانکه درغایب بادا .
پیشانی (ف) دو معنی دارد اول معروفست دوم سختی و بی‌شرمی وشوخی بود .
باحثی (ع) یعنی‌متکلمی که بقواعد علم کلام بحث کند .
بلوی (ع) بفتح بمعنی بلو است که درفصل الف ذکر شد .
بوی (ف) بمعنی اثر چیزی چنانکه بوی ازو مانده است بمعنی بهره ونصیب وامیدهم آمده .
بینی (ف) بمعنی معروف و بمعنی بدضدنیك ونیز بمعنی نیکو ودر

ترجیب (ع) بزرگ داشتن وتعظیم کردن

فصل ت

تفرقت (ع) دراصطلاح صوفیه توزع وتجزی خاطر از جهت اشتغال بخلق یازهول از ظهور حضرت صمدیت .

تفت (ف) سه معنی دارد اول گرم مطلق را گویند وگرم شدن ازخشم وگرم رفتن وگرم آمدن وگرم گفتن وامثال آن باشد و تفته بمعنی گرم شده دوم گیاهی است دوائی که خوردن بیخ آن جنون آورد وآنرا شوگران نیز خوانند صاحب اختیارات بدیعی آورده که چون سه مثقال ازآن بخورند عقل زائل گردد سوم نام موضعیست از مضافات یزد .

تعزیت (ع) بصبر فرمودن مصیبت زده را ودلخوشی دادن .

تجارت (ع) بکسر بازرگانی کردن .

تینات (ع) نام موضعی است بده فرسخی مصر .

تربیعات (ع) جمع تربیع است .

تهنیت (ع) از باب تفعیل مبارکباد گفتن وبگوارانیدن .

تربت (ع) بضم گور وبمعنی خاك ونام شهریست ازمضافات خراسان

ترت مرت (ف) بفتح بمعنی تاخت و تاراج و زیر وزبر باشد و آنرا تار ومار نیز گویند .

تحیت (ع) بفتح وتشدید یا درود وپادشاهی وتحیات وتحایا جمع ومصدر نیز آمده یعنی پادشاهی کردن وزندگانی دادن وسلام کردن

ترهات (ع) بضم وتشدید را راههای باریك که از شاهراه بیرون شوند و بطریق استعارت بسخنان بیهوده وهرزه اطلاق کنند و نیز شطحیات مشایخ راگویند .

فصل ث

تثلیث (ع) شرح آن درلغت تربیع نوشته خواهدشد .

تحدّث (ع) ازباب تفعل حدیث کردن یعنی خبر کردن .

تشبث (ع) چنگ در زدن .

فصل ج

تتماج (ف) بضم آش چهار پاره بود بوسحاق اطعمه گفت بیت :
کفچه آمد برقدح زد دورباش — گفت ای تتماج از نان دورباش

تشنج (ع) ازباب تفعل فراهم شدن پوست بودمانند عضو پیران و کشیدگی رگها وکشیده شدن رگها .

تفرج (ع) از باب تفعل آرمیده شدن وانس جستن وغم و اندوه را بردن وگشادگی گرفتن وفارسیان بمعنی تماشا استعمال کنند .

تهیج (ع) برخاستن باد وگرد وغبار وامثال آن .

تبهج (ع) یعنی شادی نمودن .

تدریج (ع) برکاری شدن اندك اندك .

تزوج (ع) زن بردن و شوهر کردن .

فصل ح

ترشح (ع) تراویدن آب از جائی یعنی چکیدن آب .

تسبیح (ع) خدای عزوجل را بپاکی یاد کردن ونماز گزاردن .

ترح (ع) بفتحتین اندوهناك شدن .

تنقیح (ع) بفتح پاك کردن و مغز از استخوان بیرون آوردن و بریدن شاخها از درخت تاپاك وآزاد گردد .

تمساح (ع) بکسر نهنگ و مرد شیرین سخن تماسیح جمع آن.

ترجیح (ع) بفتح افزونی دادن ومیل کردن .

تصریح (ع) بفتح آشکارا گفتن و آشکارا کردن وپاك و صافی شدن وبرچیزی قایم شدن وبرچیزی ایستادن .

فصل خ

تاریخ وتورخ (ع) وقت پیدا کردن .

تشیخ (ع) پیری نمودن .

توبیخ (ع) بفتح سرزنش کردن .

تناسخ (ع) عبارت از انتقال روح است از بدن عنصری ببدن عنصری دیگر خواه اعلی باشد و خواه ادنی همچو کتابی که از صفحه انتساخ بصفحهٔ دیگر برند و اعتقاد این طایفه انواعست اول

آنکه اعتقاد کرده‌اند که ابدان که مظاهر ارواح اند منحصر در اجسام مادی اند و از ابدان مکتسبه مثالیه برزخیه غافلند ومجازات اعمال بطریقیکه موعود انبیا علیهم‌السلام است قائل نشده‌اند دوم آنکه چون قائل برآنند که نفوس قدیمه اند ومنحصر درعدد متناهی میگویند که علی‌الدوام همان نفوس مکرره اند که بابدان مستعده متعلق میشوند وندانسته اند که هرلحظه حق را شئون وظهور بنوعی دیگراست وهرنفسی بتجلی دیگرمتجلی میگردد وتکراردر تجلی الهی واقع نیست . سوم آنکه چون از ریاض قدس نسیمی بمشام جان ایشان نرسیده و روح ایشان روح عالم نزاهت ولطافت ندیده است نفی استقلال ارواح قدسی نموده‌اند و مقید افتقار باجسام عنصری داشته و حقیقت حال درنیافته اند که ارواح باقی‌اند و بجهت لقاء احتیاج باجسام مادی ندارند .

فصل د

تقلید (ع) بفتح پیروی کاری کردن وکاردر عهده کسی کردن و در گردن افکندن حمایل وجز آن ونیز کاری کردن بی‌دانستن حقیقت ومصطلح آنکه قبول قول غیری بی‌دلیل وحکم کردن وثبوت یکی از طرفین وقوع ولاوقوع که زایل شود بتشکیك مشکك .

تأیید (ع) قوت دادن از باب تفعیل .

تردّد (ع) از باب تفعل آمد و شد کردن وگردیدن .

تهدید (ع) بفتح ترسانیدن .

توحید (ع) بفتح یکی دانستن ویکی گفتن و یکی در دل اعتقاد کردن وآن منقسم به پنج قسم است — ایمانی — علمی — رسمی — الهی - جانی وتعریف هر کدام در کتب معتبره حقایق مثل عوارف ونفحات و غیرهما مبسوط ومذکور است و در اصطلاحات صوفیه عبارت از اسقاط اضافات است .

تند (ف) بضم پنج معنی دارد اول مترادف تیز باشد وآن معروف است دوم خشم وخشمگین بود سوم میر جمال‌الدین حسین انجو بمحض قیاس در دوبیت مثنوی تند را بمعنی دیو نوشته و درهیچ فرهنگ دیگر یافت نشده و درست هم نمیآید چهارم سرکوه وآنرا چکاو و چکاوه نیز خوانند پنجم بمعنی بلندی و بلند آمده استاد فرماید : گه شکار فرود آرد وبرون آرد — ز کوه تندپلنگ و زآب ژرف نهنگ

تار و پود (ف) معروف وکنایت از اجزای وجود است .

تزاید (ع) بفتح افزون شدن .

تولید (ع) بزایانیدن و از گوسپند بچه گرفتن وچیزی از اصل پدید آوردن .

تخته بند (ف) بفتح آنچه از جامه بر استخوان شکسته بندند و تازیانش جبیره خوانند وهندیان پتی گویند و در اصطلاح اهل ظلم آنکه اورا میان دوتخته بندند و ارّه را برسر او کشند تانتواند جنبید و دوپاره‌اش کنند .

تربد (ف) بکسر وسکون را وفتح با داروئیست مسهل که هندیان نسوت گویندو بمعنی چوب نی‌میانه خالی نیز در ادات مرقوم ساخته .

تابید (ع) بکسر همیشه بودن .

تردید (ع) بازگردانیدن ومیان دوچیز متردد بودن .

تجرید (ع) برهنه کردن زمین از نبات و جزآن و برکشیدن شمشیر وپیراستن درخت کذا فی‌الصراح و دراصطلاح صوفیه تجرید بمعنی قطع تعلقات ظاهری است .

تفرید (ع) قطع تعلقات باطنی .

تناد (ع) بفتح روز قیامت ومعنی او یکدیگر را خواندنست که درآن روز بعضی مربعضی را خوانند و استغاثه نمایند وهیچکس بفریاد نرسد .

فصل ذ

تعویذ (ع) پناه گرفتن و پناه دادن .

ترمذ (ع) بکسر نام شهریست از ولایت ماوراءالنهر .

فصل ر

تعییر (ع) بفتح اول سرزنش کردن .

تزویر (ع) بفتح بیاراستن دروغ ونیکو گردانیدن چیزی وراست کردن چیزی را .

تذکیر (ع) بفتح بیاد دادن و پند دادن وکلمه را مذکر کردن و وعظ گفتن بالای منبر .

تصویر (ع) صورت کردن .

تسخر (ع) بر وزن عنبر را فارسیان درمحل تسخیر بروزن تفعیل بمعنی هزل استعمال کنند .

تاجر (ع) بکسر جیم بازرگان وشراب فروش تجر وتجار جماعه .

تیر (ف) بیست وچهار معنی دارد اول معروفست دوم اسم فرشته‌ایست که بر ستوران موکل میباشد وتدبیر امور ومصالحی که در روزتیر وماه تیر واقع شود بدو متعلق است سوم ماه چهارم بود از سال شمسی چهارم نام روز سیزدهم باشد از ماه شمسی گویند که نیکست درآن روز دعا کردن و حاجت خواستن وبنا برقاعده کلیه که نزد پارسیان مقرراست که چون نام روز با نام ماه موافق افتد آنروز را عید گیرند و جشن کنند درین روز ازین ماه عید کنند و جشن نمایند ومانند نوروز ومهرگان مبارك گیرند واین روز راتیرگان نامند پنجم بمعنی حصه وبهره وحظ ونصیب آمده شمس فخری بمعنی روزو ماه وحصه نظم نموده — بروزتیرومه تیر عیش و شادی کن که ازسپهر ترافتح ونصرت آمد تیر — ششم نام ستاره‌ایست بر فلك دوم که دبیر فلك نامندو مربی علماو فضلاو مشایخ وقضات که بتازیش عطارد نامند هفتم قهروغضب وخشم را گویند امیرخسرو راست — سهلست اینکه تیر توبر که نه ایستاد — آن به که ایستاده به پیش تو گاه تیر — هشتم بمعنی تنگ که آنرا بتازی ضیق خوانند حکیم سنائی فرموده بیت: آنکه درپیش سخن تیغ زبانش گه زخم — ازپی فایده چون تیر میان بندد تیر — نهم تیره و تاریك بود حکیم سوزنی فرموده : پیری چوعمر من بمه وسال صید کرد - شد روز های روشن من چون شبان تیر — دهم فصل پائیز که آن را خزان نیز نامند حکیم سوزنی گفته بیت : سال عالم عنف و لطف و مهر و کینت مایه کرد — تا زمستان و بهار آورد تابستان و تیر یازدهم قدر ومرتبه شیخ فیضی فرموده بیت : قسم بقبضه قدرو کمان قدرت حق — که با تو نیست کس از روزگار دریك تیر — دوازدهم هرچوب راست راگویند چون تیر که خانه را بدان بپوشند وتیری که درمیان کشتی نصب کنند و بادبان در آن بیاویزند و چوبی که هردو پله ترازو ازآن آویخته باشند وتیر عماری و چوبی که نانرا بدان تنك کنند وتیر تتماج وتیری که قادان شیره بقوام آمده را بآن بزنند وامثال آن سیزدهم صاعقه را نامند چهاردهم شکوفه خرما باشد وآنرا بتازی طلع گویند پانزدهم طاقت بود شانزدهم نوعی از مار هفدهم جنسی از مرغ بود هیجدهم رسته را گویند نوزدهم تریز جامه باشد بیستم موی را گویند بیست ویکم کرباس راخوانند بیست و دوم نام نرگس است بیست و سوم چیزی را نامند که از انواع و اجناس خود بهترباشد بیست وچهارم گلوله توپ وتفنگ بود

تیمار (ف) بکسر اول و یای معروف غم باشد وتیمار داشتن غم خوردن ومحافظت کردن بود .

تبر (ف) بفتح اول وثانی معروف وبکسر اول و سکون دوم نام مرغیست و درعربی زر راگویند .

تبار (عف) با اول مفتوح دودمان و خویشاوندان را گویند و در زبان تازی بمعنی هلاك آمده .

تمر (عف) با اول مفتوح بثانی زده گویند نام زن اعرابیست که قصهٔ او در اوائل دفتر اول مثنوی مندرج است وبتازی خرما را گویند وبکسر اول و سکون دوم نام علتی است که هرگاه عمر آدم بچهل سال رسد درچشم پدید آید وبدآن سبب بینائی نقصان پذیرد وچون سن از پنجاه تجاوز نماید آن علت خود بخود برطرف گردد و دربعضی ازفرهنگها مرقوم ساخته‌اند که آب مروارید را تمر خوانند وبفتح اول و ضم ثانی تیرگی آهن باشد و با اول و ثانی مکسور وراء زده بزبان علمی اهل هند تاریکی بود .

تصغیر (ع) کوچك کردن و مصغر ساختن کلمه یعنی حرف اول را

چه بودت که گشتی چنین زرد فام ودر فرهنگی بمعنی سفله‌ومختصر تازه و امر ازتاختن و تازنده وسگ تازی مرقوم ساخته اما نادراست وبزبان ترکی اسپ ابرش راگویند .

تموز (ف) بفتح گرما ومدت ماندن آفتاب دربرج سرطان وآنرا رومیان یکماه شمرند .

تجهیز (ع) بفتح ساز کردن و ساختن جهاز عروس ومسافر ومرده و دوانیدن اسب بر کسی .

ترکتاز (ف) با اول مضموم تاخت آوردن بیخبر و ناگاه برسبیل تاراج وغارت .

توز (ف) معنی این از توختن که درفصل نون ذکرشده‌ظاهرمیشود

فصل س

تلبیس (ع) بفتح مکر و حیله کردن وآشفته کردن کار وعیب چیز فروختنی برخریدار پوشانیدن و بحیلت کار کردن .

تعریس (ع) بآخر شب فرود آمدن مسافر وبعداز آن روان‌شدن

تسلس (ع) بتشدید لام مضموم‌سالوسی اگر اشتقاق آن از سالوس باشد واگر از سلس باشد پس معنی‌آن روان کردن آید .

تدریس (ع) درس گفتن .

تقدیس (ع) بفتح پاك کردن و بپاکی یاد کردن وپاك خواندن

تجنیس (ع) بفتح مجانست و نیز نام‌صنعتی‌است معروف درعروض یعنی مجانس گردانیدن دوکلمه وآن انواع است .

تفس (ف) بفتح گرم شدن ومختصر تفسیدن .

فصل ش

تفتیش (ع) کافتن و تفحص کردن .

تجمش (ع) از باب تفعل بچشم درآوردن و ستردن موی ولطف نمودن ویاری کردن .

تعریش (ع) چفته کردن برای رز انگور وبرتخت بردن وبرتالار وکوشك بردن و سربرداشتن و دهن باز کردن خر درحین توجه کردن او بطرف کله خود .

تراش (ف) بفتح زائدی که هنگام آراستن چیزی‌برزده وتراشیده و جدا کرده باشند ونیز بمعنی آراستن بنظر درآمده و درفرهنگی بمعنی ستدن وگرفتن مرقوم ساخته .

تپش (ف) بفتح اول وکسر دوم دومعنی دارد اول گرمی باشد دوم تابش که پرتو باشد .

فصل ص

تخلیص (ع) خلاص کردن و رهائی دادن .

تخصیص (ع) خاص گردانیدن .

تربص (ع) بوزن تفعل چشم داشتن .

فصل ض

تحریض (ع) بجنگ برانگیختن کسی را وحریص گردانیدن بر چیزی وتحریص بصاد مهمله باینمعنی درلغت نیامده واستعمال کردن باین‌معنی غلط است .

تبغیض (ع) بفتح دشمن گردانیدن .

تمحیض (ع) خالص ساختن وپاکیزه کردن .

تفویض (ع) تسلیم نمودن وسپردن .

فصل ط

توسیط (ع) درمیان انداختن و چیزیرا ازمیان دونیم کردن .

تفسطط (ع) هذیان گفتن و خود را حکیم نمودن و در اصطلاح انکار حقایق کردنست چنانکه گویند انسان حیوان ناطق نیست و آتش حار نیست و هرچه بدین ماند .

توسط (ع) واسطه آوردن یعنی سبب آوردن .

تخلیط (ع) آمیختن وفساد کردن درکارهای ناصواب .

فصل ع

تتبع (ع) بفتحتین پیروی کردن ونیز پیروی کننده .

تشنیع (ع) زشت گفتن بر کسی وستوه آمدن و زشت گردانیدن و عیب کردن وچست شدن .
توزیع (ع) بفتح وابخشیدن چیزی میان گروهی و پراکنده کردن و قسمت نمودن چیزی برچیزی برای دیگری وجدا کردن .
تضرع (ع) بوزن تفعل زاری نمودن
تضییع (ع) بفتح ضایع وباطل کردن .
ترفع (ع) بوزن تفعل بلندی نمودن وبلند نمودن خودرا بر کسی .
تجوع (ع) گرسنه بودن وخودرا گرسنه داشتن بقصد .
تربیع (ع) مربع گردانیدن ومصطلح اهل تنجیم از چهارمین خانه نظر کردن دو کوکب بیکدیگروابن دلیل نیمه دشمنیست چنانکه یکی درحمل باشد دوم در سرطان واگر دو ستاره نظر به پنجم و نهم دارند دوستی تمام باشد و این را تثلیث گویند مثلا یکی اگر درحمل باشد و دوم در اسد پس آنچه درحمل است نظر او به پنجم است وآنچه در اسد است نظر او بنهم است زیرا که ازحمل تا اسد پنج خانه است و از اسد تا حمل نه خانه واگر بسوم ویازدهم نظر دارند چنانکه یکی درحمل باشد ودومی در جوزا دلیل نیم دوستی است واینرا تسدیس خوانند واگر به اول وهفتم نظر دارد دشمنی تمام آرد و این را مقابله گویند واگر دوستاره دریك برج باشند آنرا قران نامند تربیعات جمع ونیز نقشی است که چهار درچهار کشند و آن بغایت نحس است .
تراجع (ع) بفتح وضم جیم باهم بازگشتن .
تنازع (ع) بفتح وضم ز دشمنی کردن .
تقریع (ع) بفتح ملامت سخت کردن در کوفتن .
تقطیع (ع) پاره پاره کردن و بریدن جامه و جامه را نیز گویند بطریق مصدر اراده مفعول که مقطع است یعنی جامه تقطیع کرده شده
تصدیع (ع) جدا جدا کردن و دردسر دادن .

فصل غ

تبلیغ (ع) بفتح رسانیدن و فروگذاشتن عنان اسب تا خوشتر برود
تلداغ (ع) گزیدن مار وغیره .

فصل ف

تصرف (ع) از باب تفعل شروع در کاری و بخود واکشیدن و حیله نمودن .
تصاریف (ع) جمع تصریف است که ازباب تفعیل بمعنی گردانیدن آمده
تعفف (ع) پرهیزگاری کردن و آشامیدن عفافه یعنی بقیه شیر که دربستان باشد وسخت گردانیدن وخمر صرف خوردن .
تخلف (ع) از باب تفعل سپس ماندن ازکسی و واپس ایستادن و خلاف ورزیدن .
تخویف (ع) بفتح ترسانیدن .
تزئیف (ع) بفتح زبون و ناچیز کردن و بی بهره گشتن سیم و زر یعنی قلب و معیوب گشتن مشتق است از زیف وخرامیدن .
تعرف (ع) از باب تفعل بعرف کاری کردن وشناساندن وپرستیدن ونیز نام کتابی است درعلم سلوك .
تصحیف (ع) خطا درنوشتن ونقطه بدل دادن .
تشریف (ع) بزرگوار گردانیدن .
تکلیف (ع) رنج چیزی کشیدن و ازکسی درخواستن چیزی را . که اورا ازآن رنج رسد .
تکیف (ع) بفتحتین چگونگی دانستن .
تکلف (ع) از خویشتن چیزی نمودن که آن درو نباشد .
تلف (ع) بفتحتین هلاك شدن وتباه گشتن .

فصل ق

تصدق (ع) بفتح باور داشتن و راستگو دانستن وصدقه دادن .
تتق (ع) بضمتین پرده وآنچه پیش تخت عروس وقت جلوه باشد.
تریاق (ع) بمعنی تریاك آمده که پازهر نیز گویند و پازهر در اصل پاوزهر بوده یعنی پاك کننده وشوینده زهرچه پاو بمعنی پاك کردن و شستن آمده وبمرور ایام وتغییرالسنه واو را حذف نموده پازهر خوانده‌اند و معرب آن فازهر است .
تفریق (ع) بفتح جدا کردن وپراکنده کردن تفاریق جمع است.
توافق (ع) بفتح بایکدیگر موافقت کردن .
تملق (ع) ازباب تفعل چاپلوسی کردن و دوستی ولطف نمودن و بسیار تواضع کردن .
تعویق (ع) ازکار واداشتن و گران کردن .
تفتیق (ع) گشادن وشکافتن .
توفیق (ع) موافقت دادن وموافق گردانیدن اسباب موافق مطلوب و ساز وار گردانیدن .
تفتق (ع) بفتح آواز برهم زدن دندان ازغایت سرما ودرفرهنگی بمعنی آواز کافتن دیوار مرقوم ساخته و بهر دو طای مهمله نیز بنظر درآمده .
تخریق (ع) نیك دریدن وبسیار دروغ گفتن .
تحقیق (ع) بفتح حقیقت کردن وحقیقت دانستن و استوار گردانیدن. سخن و استوار بافتن جامه .
تعمق (ع) از باب تفعل ژرف ودر رفتن در چیزی .
تایق (ع) بکسر همزه آرزومند مشتق از توقان که آرزو خواستن. است از باب نصر ینصر وقیل تایق از تیق است وتیق بدخو وخشمگین شدن و تایق سخت بدخو شدن وسخت خشمگین شدن است .
تلاق (ع) بفتح ملاقات نمودن .
تعوق (ع) از باب تفعل باز ایستادن ازکاری وسستی کردن درکاری.
تعلیق (ع) از باب تفعیل درآویختن وعاشق گردانیدن .
تلفیق (ع) ترتیب دادن ودو سخن را بهم درآوردن .
تشوق (ع) نزاع النفس وحرکة الهوی (قاموس).

فصل ک

تاجیك (ف) عربزاده که درعجم کلان شود ونام ولایتی و طایفه. وآنکه غیر عربی باشد .
تدارك (ع) ازباب تفاعل دریافتن و بایکدیگر رسیدن وبدست آوردن.
تنگ (ف) با اول مفتوح ده معنی دارد اول معروفست دوم یك. لنگ بار باشد سوم صفحه یا تختهٔ راگویند که نقاشان و مصوران اظهار صنعت خودرا بر آن کنند عموماً ونگارخانه مانی را خوانند خصوصاً وآنرا ارتنگ و ارژنگ نیزنامند چهارم نواریك دوالی بود که زین بر پشت اسبان وباربر پشت باربران بدان محکم ومضبوط سازند پنجم دره کوه. رانامند ششم بمعنی قریب ونزدیك است هفتم نایاب وعدیم المثال باشد هشتم بمعنی ستوده بود نهم نام ولایتی است ازملك بدخشان قریب بدره که آنهم ولایتی است ازآن ملك ومردم تنگ ودره بخوش. صورتی اشتهار تمام دارند دهم تیر عماری بود و با اول مضموم. کوزه باشد سر تنگ کوتاه کردن و با اول مکسور منقار مرغانرا گویند.
تشکك (ع) ازباب تفعل بگمان افتادن .
تمسك (ع) ازباب تفعل چنگ درزدن .
تارك (عف) کله سر باشد و به رای مکسور درعربی بمعنی ترك کننده آمده .
تنسك (ع) از باب تفعل عبادت کردن خدایرا .
تبوك (ع) اسم موضعی است که حضرت رسالت پناه صلی الله علیه واله وسلم آنجا غزا کرد وجعفر برادر امیرالمؤمنین علی علیه السلام در آن غزوه بشهادت رسید و آنرا غزوة جیش العزیز گویند وبتوك درباب با درفصل کاف نیز بهمین معنی نوشته شده اما بصحت نرسیده.
تك (ف) با اول مفتوح بثانی زده پنج معنی دارد اول بمعنی بن وپائین آمده چون تك حوض وتك درخت دوم بمعنی دو باشد که مشتق است از دویدن چنانچه گویند تك و دو سوم بوم و زمین را گویند چهارم فریاد بلند کردن باشد پنجم خرما بود واینمعنی از کتاب اخیر ژند نوشته شده ونیز گروهی اند در هند راه زن .
تبوراك (ف) بفتح هفت معنی دارد اول طبلکی باشد که مزارعان دارند بجهت رمانیدن جانوران از کشت زارها در مثنوی است :

آمدن ازتکلف ورنج چیزی کشیدن .
تبسم (ع) آهسته خندیدن ودندان برهنه کردن بخنده .
تفخیم (ع) بزرگ گردانیدن و اماله کردن حرف را .
تنجیم (ع) بفتح جزو جزو کردن چیزیرا و برنجوم حکم کردن وپاره پاره گذاردن دام را .
تلویم (ع) بفتح سخت ملامت کردن .
تفهیم (ع) بفتح فهمانیدن .
تحشم (ع) بتشدید شین شرمگین شدن و منقبض شدن و حشمت و حرمت داشتن ورنج چیزی کشیدن .
تسنیم (ع) بهترین شربت اهل بهشت وآن رودخانه ایست در بهشت .
تفحیم (ع) سیاه گردانیدن و درتاریکی شب سیر کردن

فصل ن

ترجمان (ع) بضم اول و ثالث وفتح اول و ضم ثالث شخصی را گویند که لغتی را بزبان دیگر تقریر کند .
تافتن (ف) بفتح گردانیدن و تاب دادن رشته وبیچیدن وجز آن.
تازیان (ف) قصد کنان و شتابان وعربان و اسبان تازی موافق اول و دوم سعدی فرماید : هنوز از پیش تازیان میدوید — که جو خورده بود از کفش یا خوید .
توسن (ف) بفتح اول وسوم اسب سرکش راگویند .
تن‌زدن (ف) یعنی خاموش بودن و برجا ماندن آمده تن زن امر است ازو .
تلقین (ع) بفتح یکم و کسر سوم فهمانیدن وسخن فرازبان کسی دادن
تون (عف) نام محلی است از خراسان و قرارگاه نطفه در رحم که زهدانش نیز گویند و رودهٔ گوسپند که در او سرگین باشد و بعضی گویند محل سرگین وخاکستر انداختن است چنانکه گویند تون حمام وتونیان کناسان باشند .
تولیدن (ف) رمیدن وآنرا توریدن و فاتولیدن نیز گویند ودر مثنوی است : سخت می‌تولی زتربیعات او — وز دلال وکینه وآفات او و درفرهنگی بمعنی فریاد کرن وفریدن و بانگ کردن شیر از وحشت وغضب مرقوم ساخته .
تلوین (ع) بفتح رنگ کردن ورنگ آوردن میوه وگوناگون کردن
تلوّن (ع) رنگ گرفتن .
تمکین (ع) بفتح پا برجا کردن وجای داشتن و دست دادن در کاری وگویند مرتبه و فرمانبرداری کردن
تازان (ف) دوان و تاخت کنان .
تکوین (ع) بفتح در وجود آوردن و پیدا کردن .
ترنجیدن (ف) کشیدن و درشت شدن .
تخمین (ع) بفتح گمان وبگمان سخن گفتن و اندازه کردن .
تاوان (ف) بفتح غرامت یعنی بدل چیزی که تلف کرده باشد .
ترکان (ف) بفتح لقب زنان است از عالم بی‌بی وبیگه وبیجه .
تهاون (ع) بفتح خوار داشتن وسستی کردن .
تنین (عف) بکسر و نون مشدّده مکسور اژدها وستاره زهره و جوزا و راس وذنب .
توختن و توزیدن (ف) بضم اول این لغت از اضداد است وچهار معنی دارد اول بمعنی خواستن اسدی گوید به تیغ وسنان هر کجا کینه توخت — گهی دل درید و گهی سینه دوخت — دوم بمعنی گذاردن رضی الدین نیشابوری راست — : ایا ستوده بزرگی که وام شکر ترا — زبان بنده تو توختن نمیداند — سوم بمعنی فرو کردن سنائی فرماید — : خلق اگر درتو توخت ناگه خار — توگل خویش ازو دریغ مدار — چهارم بمعنی کشیدن بود .
تراویدن (ف) بمعنی چکیدن بود .
تبیان (ع) هویدا شدن .
تین (ع) بکسر انجیر .
تگین (ف) بکسر نام پادشاه وپهلوان وآتش وبفتح حوض خرد.

فصل و

تو (ف) بضم بمعنی عدد فرد است .

تسو (ف) مقدارچهار جو .
تفو (ف) بضمتین آب دهن انداختن بسوی کسی باستخفاف و لعنت و شکایت .
توبرتووتوبتو (ف) یعنی ته بته یا درجه درجه ودفعه دفعه بر یکدیگر نهاده بزیادت یا نیز بهمین معنی آمده .

فصل ه

تاسه (ف) اضطراب و بیقراری بود ونیز درفرهنگی بمعنی سیاه روئی وعلت تنگ نفسی و آوازی که از مردم فربه برآید وقت دم زدن وپیاپی آمدن دم از مردم و اسب .
تجزیه (ع) پاره پاره کردن .
تعبیه (ع) آراستن لشکر بترتیب برای جنگ و بوی خوش انگیختن و ساختن .
تابه (ف) آنچه برآن نان پزند و تاوه نیز گویندش ونیز بمعنی بر ضدبحر در فرهنگی بنظر درآمده .
تره (ف) بفتح و رای مشدده رستنی که سرش توان خورد و آنرا تره‌تیزك نیز خوانند .
تیرماه (ف) ماه چهارم بود از سال‌شمسی یعنی سرطان وخریف را نیز تیرماه خوانند .
تبه (ف) باطل و کار نا آمده و آنرا تباه و تبوه نیز گویند .
تیره (ف) بفتح بمعنی تاریك آمده وآنرا تار وتاره نیزخوانند .
تنزیه (ع) از باب تفعیل دور کردن صفات زشت و کسی را بدور بودن‌فرمودن و نیز در اصطلاح‌صوفیه تقدیس ذات حق‌است ازصفات نقص یا از صفات ممکنات مطلقاً .
توجیه (ع) از باب تفعیل بیان کردن ورو بسوی چیزی کردن و کسی را نزدیك کسی ویا بر کاری فرستادن .
تخمه (ع) با اول مضموم دو معنی دارد اول اصل ونژاد دوم نوعی از بیماری‌باشد که انواع مرغان را بهم رسد خصوصاً کبوتررا وبتازی نا گواریدن طعام باشد و آنرا هیضه نیز خوانند جمع تخمات .
تهلکه (ع) بفتح هلاك شدن و این از مصادر شاذ است و جای هلاك شدن .
ترنجیده (ف) بضمتین دومعنی دارد اول چین وآژنگ (ارژنگ) و آنجوخ گرفته‌را گویند مولوی فرماید(بیت): سیب بگفت‌ای‌ترنج ازچه ترنجیدهٔ ـ گفت‌من از چشم بد می‌نشوم خود جدا ـ دوم‌بمعنی کشیدن آمده عنصری‌فرماید (بیت): بیا راست خود را چومردان‌جنگ ـ ترنجیده بر بارگی تنگ تنگ و ترنجیدن مصدر آنست .
تنقیه (ع) از باب تفعیل پاك کردن .
تمویه (ع) پاك کردن و آب دادن شمشیر وکارد را زراندودن ودروغ بربافتن .
تزکیه (ع) بپاکی یاد کردن و پاك گردانیدن و ستودن وزکوة دادن و زکوة ستاندن .
تیه (ع) بکسر بیابان که رونده در آن هلاك شود و اتیاه جمع و مصدر از باب ضرب یعنی گیر کردن و حیران شدن .
توبه (ع) باز ایستادن ازگناه التوب والتوبة والمتاب توبه کردن از باب نصر .
تره (ف) بفتح اول وکسر را باطل وکنیت ابوجهل است .
تالوسه (ف) بمعنی تاسه باشد .
پتیاره (ف) بفتح تب و لرزه باشد .
ترتازه (ف) نان با نان خورش و چرب .
توخته (ف) ادا کرده و واگذارده .

فصل ی

تی‌تی (ف) بکسر هردو تای‌طلب کردن‌مرغ بچگان را برای دانه .
تونی (ف) کناس و میر عضدالدوله در فرهنگ خود بضم اول‌بمعنی دزد و عیار نوشته .
تاری (ف) تیره و تاریك .
تفانی (ع) بفتح باهم نیست شدن .
تلاقی (ع) بفتح بهم رسیدن وهمدیگر را دیدن .
تحرّی (ع) صواب جستن و قصد کردن و درنگ کردن وطلب سزاوار ترین و بهترین کردن ازکارهای عقلی ونقلی .
تجافی (ع) یکسو شدن و جدا شدن از چیزی .
تعالی (ع) بلند شدن .
تولی (ع) دوست داشتن‌و برگشتن‌و ولایت راندن بر کسی وبکار کسی قیام نمودن .
تجلی (ع) روشن شدن حقیقت کار و هویدا شدن و عبارت است از آنچه ظاهر شود بر قلب از انوار غیوب .
تعدی (ع) از حد گذشتن در کاری .
تانی (ع) آهستگی درکاری کردن .
تریاق لانی و تریاك لانی (ف) پازهریکه منسوب باشد بلان (لان وشبانکاره دو کوه‌اند ازمضافات‌آذربایجان وپازهر آنجا بهتر و اعلی میباشد) .
تازی (ف) عربی .
تی (ف) بکسر مختصر تهی است .
تالی (ع) در برابر مقدم است که دوجزء قضیه شرطیه اند ودر اصطلاح اهل منطق چنانچه در حملیه موضوع ومحمول میگویند در شرطیه مقدم و تالی میخوانند .

باب ث

فصل الف

ثریا (ع) پروین و آن شش ستاره است .
ثنا (ع) صفت کردن وستایش .

فصل ب

ثیاب (ع) بکسر جمع ثوب وباز آمدن آب وجمع شدن آدمیان و پرشدن حوض وچاه وجامه ومثل آن .
ثواب (ع) پاداش وجزای عمل نیك .
ثرب (ع) پیه تنك بر روده ومعده از بیرون پیچیده .
ثاقب (ع) درخشنده وشتر ماده پرشیر وستاره روشن و نام علتی است که در اندام سوراخها کند .

فصل ت

ثبات (ع) بفتح ایستادن و بر جای بودن و مرد ثابت عقل و قرار و استوار .
ثبوت (ع) بضمتین ایستادن و برجای بودن .
ثبت (ع) بفتح مرد ثابت دل وثابت زبان وبفتحتین حجت .
ثروت(ع)بفتح‌بمعنی‌مهتریست‌امامحقق‌ومعروف‌بمعنی‌توانگری‌ونعمت‌است
ثقات (ع) بکسر جمع ثقه استواری واستوار .

فصل ج

ثج (ع) ریختن و رفتن عرق از چارپا وخوی از اسب ازباب‌نصر
ثجاج (ع) ریزنده .

فصل د

ثرید (ع) ریزه کردن نان باشد درمیان شیره وشربت وآش و آب گوشت وامثال آن وآنرا اشکنه نیزگویند و بفارسی تریت وترید با اول مضموم و ثانی مکسور خوانند .
ثمود (ع) نام قبیله‌ایست ازعرب وایشان قوم صالح علیه‌السلام‌اند که ناقه را پی کردند وبشومی آن بی‌ادبی همه سوختند .

فصل ر

ثمر (ع) میوه وفایده ثمار وثمره واثمارجمع وثمر بکسرتازیانه را نیز خوانند والثمر ایضاً المال‌الذی ینفع صاحبه .
ثبور (ع) بضم زبان کشیدن و واهلاکاه گفتن اینمعنی از تفسیر منقول است وهلاك شدن و هلاکی .
ثور (ع) بفتح گاونر ونام برجی است از بروج آسمان که‌آنرا گاوگردون گویند و باره کوشك و سرخی شفق ونام غاریست که

جابلقا و جابلسا (عف) دو شهر عظیم‌اند بسرحد مشرق و ازآنطرف آنشهر ها آبادانی نیست کذا فی عجائب البلدان سلمان ساوجی گفته بیت: ـ بهرجائیکه خواهی رفت خواهی خورد رزق خود ـ نخواهد بیش و کم گشتن بجابلقا و جابلسا ـ و جابرصا و جابرقا نیز بنظر در آمده و گفته اند بمعنی مشرق و مغرب است واز حدیث معلوم شده که نام دو شهر است یکی در مشرق ویکی در مغرب واین مجازی است از بُعد .

فصل ب

جناب (ع) بفتح آستان و گرداگرد سرا .

جیب (ع) گریبان پیراهن .

جذب (ع) بفتح کشیدن و ربودن و کم‌شیر شدن وجدا کردن بچه از مادر وخشك شدن آب دهن جذوب کشنده .

جواب (ع) پاسخ دادن مشهور است وجفان کالجواب که در کلام مجید واقع شده دراصل جوابی بوده است یعنی حوضهای بزرگ و اوجمع جابیه است یا از او حذف کرده شده برای خفت .

جنوب (ع) بفتح جیم و ضم نون باد دست چپ و گفته اند بادی که از طرف دست راست آید چون روی بقبله آری و نیز طرف دست راست راگویند واین قاعده در ولایت عرب است و درهند برعکس دانند و در کنزاللغات صریح آورده است که جنوب بفتح بطرف دست راست کسیکه روی بمشرق دارد وبادی که ازین طرف آید .

جلب (ع) بفتح کشیدن وبرانگیختن وبفتحتین زن فاحشه که اورا پارسیان روسبی گویند ونیز بمعنی بانگ زدن اسب را وقت دوانیدن وبمعنی سود نیز بنظر درآمده وبسکون لام بمعنی کشیدن وربودن و بره گوسپند و برانگیختن آمده .

جلاب (ع) بضم وتشدید معروف وبسیار کشنده وآنکه قماش و جزآن از شهری بشهری کشد .

جذاب (ع) بکسر باهمدیگر کشیدن چیزیرا ونزاع کردن در کشیدن چیزی وبفتح اول و ذال مشدده بمعنی بسیار کشنده .

جوع الکلب (ع) علتی است که هرچند خورد سیر نشود .

جاذب (ع) رباینده و کشنده وشترماده کم‌شیر .

جدب (ع) بفتح تنگ سال وقحط .

جنب (ع) بفتح پهلو وبضمتین دور وجنابت رسیده مشتق است از جنوب که دور کردن است .

فصل ت

جمعیت (ع) اجتماع تمام همت اواست ـ درتوجه بسوی حضرت دوست

جرأت (ع) دلیری نمودن .

جبروت (ع) بفتحتین بزرگی وعظمت وتکبر کردن و دراصطلاح سالکان جبروت مرتبه واحدیت راگویند که بقول بعضی حقیقت محمدی صلی‌الله علیه وآله است وتعلق بمرتبهٔ صفات دارد .

جنات (ع) بضم جمع جانی یعنی گناهکاران که لایق قصاص باشند

جفات (ع) بضم جمع جافی است .

جنایت (ع) بکسر گناه کردن

جنت (ع) بفتح وتشدید نون بهشت وبضم اول سپر و بفتحتین مخفف یعنی گناه کردن .

جاهلیت (ع) پیش از زمان پیغمبر راگویند .

جفت (ف) با اول مفتوح تالار باشد وآن عمارتی است که چهار ستون بر چهار طرف صفه برزمین فرو برند وبالای آنرا بچوب و تخته بپوشند و بمعنی پروستبر نیز آمده و با اول مضموم دو معنی دارد اول تنگ و چسبانرا گویند و آنرا چست نیز خوانند دوم چوبی باشد که در زیر عمارت شکسته نهند تا نیفتد و نیز چوبی که بآن از جغرات مسکه کشند .

جهت (ف) بکسر اول وفتح ثانی جانب .

جالوت (ع) نام ملکی کافر است که در زمان شموئیل علیه‌السلام با طالوت جنگ کرد وچون داود علیه السلام همراه طالوت بود

درآن جنگ جالوت را بسنگ فلاخن بکشت .

جبال راسیات (ع) کوههای سربلند و برجای ایستاده واستوارشده

فصل ح

جرح (ع) بفتحتین زخم و ریش کردن وخسته کردن وگویند بفتح اول وسکون دوم خسته کردن وعیب وگواهان آشکارا و بضم وسکون ریش یعنی جراحت و بضمتین جمع ومصدر از باب فتح .

جناح (ع) بضم گناه و بزه و بفتح و گویند بکسر بال مرغ و دست آدمی .

فصل خ

چرخ (ف) هفت معنی دارد اول فلك دوم گریبان سوم کمان این سه معنی را در این دو بیت امیر خسرو نظم نموده : — کسی کش چشم زخم از چرخ روزیست — رسد گر چش جهان درچرخ دوزیست چو زخم از تیر بی تدبیر چرخست — نه کمتر تیر چرخ از تیر چرخ است چهارم پیراهن وآنرا گریبانی و کرته نیز خوانند پنجم نام دیهیست ازمضافات غزنین ششم طاق ایوان و طاق درگاه سلاطین و امثال آنرا گویند هفتم حرکت دوری را نامند مانند چرخ زدن درویشان هنگام سماع وگشتن چرخ ابریشم تابی و چرخ دولاب وچرخ عماری وچرخی که بدان پنبه ریسند وامثال آن و این چیز ها که مرقوم گشت همانا بمناسبت دوران بچرخ فلکرا باین نام خوانند .

چارمیخ (ف) عناصر اربعه وبمعنی نگون وآنکه بردست و پایش میخ زده باشند .

چارشاخ (ف) نوعی از بند وغل است که درگردن بندیان کنند جهت تعذیب و آن دو شاخ نیز میباشد .

فصل د

جرید (ع) گروهی جدا کرده ومهمی نامزد کرده وبمعنی قاصد وجاسوس نیز آمده .

جهود (ع) کافررا گویند و نام درختی بلندبالا که چون میوه آویخته گردد ازمیان بترکد چنانکه هسته او بغایت متفرق شود .

جود (ع) بضم بخشش و جوانمردی از باب نصر یعنی سخاوت کردن وگرسنه شدن و بفتح باران نیك اجواد جمع او است و مصدر از باب نصر یعنی نیک باریدن باران .

جواد (ع) بفتح بخشنده ونام حضرت عزت جل شانه و اسب نیک رفتار و نیکدو و بضم تنگی وتشنه شدن و فرق میان سخی وجواد آنست که سخی هرچه در دست داردمیدهد وجواد اگرچیزی دردست ندارد قرض میکند و میدهد .

جماد (ع) بفتح زمینی که باران بوی نرسیده باشد و چیزی که آنرا نشو ونما نباشد ونیز هرچه جان ندارد .

جامد (ع) فسرده یعنی بسته ومنجمد شده .

جحود (ع) بضمتین وجحد بفتح یا بضم انکار کردن و کم خیرشدن و درویش و محتاج وبفتحتین اندك نعمت شدن و اندك خیر شدن جاحد انکار کننده .

جهد (ع) بفتح کوشش وسختی وبسیار خوردن و آرزوی طعام کردن وبضم طاقت .

جهاد (ع) بکسر کارزار کردن وبفتح زمین سخت .

جد (ع) بکسر کوشش کردن وسخن حقیقت گفتن وبفتح وتشدید پدر پدر و پدر مادر و بزرگی و توانگری وبخت و بضم جامه کهنه وگویند بفتح بریدن وخداوند نعمت شدن وبزرگ شدن و توانگر گشتن .

جزرومد (ع) زیر وبالا کشیدن وبیشی و کمی در آب دریا .

چغد (ف) بضم دومعنی دارد اول جانور معروف که بتازی بوم نامند و بنحوست اشتهار دارد وآنرا کنگر نیزنامند دوم کنگره حصار باشد و دربعضی فرهنگها بمعنی موی سر بود که برقفا گره کرده فروگذارند وآنچه باز را برونشانند درگریز خانه و جغد نیز خوانده اند .

چرید (ف) یعنی غالب آمد وفرو برد .

جلود (ع) جمع جلد یعنی پوست .

جند (ع) بضم لشکر وشهر شام وباران وجنود واجناد جمع آن و بفتح و گویندبتحریك زمین درشت سنگستان که درآن سنگهای سپید باشد ونام شهریست در یمن .

جاد (ع) صیغه ماضی است از جود یعنی بخشش کرد .

جید (ع) بکسر گردن اجیاد جمع وبالتحریك درازی ونیکوئی کردن

جمود (ع) بضمتین فشردن وایستادن وبفتح اول وضم دوم آسمان بی ابر وچشم بی گریه .

جسد (ع) بفتحتین وسین مهمله مشهور .

چخید (ف) یعنی خودرا بهم کشید چه چخیدن خودرا بهم کشیدن بود بوقت جماع از خوشی .

جگربند (ف) دل وجگر وشش و دل بند نیز بهمین معنی است و بمعنی مال وفرزند و زر وفرزند نیز بنظر درآمده .

جلاد (ع) بفتح و تشدید لام تازیانه زننده بر پوست وپوست کشنده .

فصل ر

جبر (ع) شکسته را وا بستن و نیکو کردن حال کسی و توانگر گردانیدن وبرویانیدن ومرمت خاطر کسی کردن .

جبار (ع) بفتح وتشدید با بزرگ وتکبر کننده وغضب کننده و مرد شکننده — و درخت خرمای دراز و اسب بلند و نام خداوند تعالی یعنی شکننده کامها .

جگر (ف) بکسر معروف ومشقت ورنج و میانه هرچیزی و بمعنی شفقت نیز بنظر درآمده .

جهاد اکبر (ع) یعنی مجاهده کردن با نفس اماره .

جهاد اصغر (ع) یعنی کارزار کردن با کفار برای خدا .

جوهر (ع) بفتح گوهر واصل و دانه قیمتی و نیز آنچه عرض بدو قایم بود .

جار (ع) همسایه و شریک و نگهبان و زنهار داده شده کذا فی کنز اللغه .

جهر (ع) بفتح آشکارا کردن وآواز بلند کردن .

جر (ع) بالفتح مع التشدید کشیدن و جنایت کردن و مخفف بمعنی سبو .

جوع البقر (ع) یعنی اشتهای گاو که ازخوردن فرو نماند وروز بروز فربه تر شود و آن زحمتی است مشهور ومعروف .

جرار (ع) بالفتح مع التشدید بسوی خود کشنده ولشکر بسیار و بکسر با دوم مخفف خرمهره ها و چیز های سفالین ونیز سبوها و بمعنی کژدم نیز آمده .

جسر (ع) بکسر اول وسکون سین مهمله پل مطلق ونیز پل چوبین وبفتح جیم مردم تناور واستر بزرگ جسور جمع آن .

جعفر طیار (ع) برادر امیرالمؤمنین علی علیه السلام است واو را طیار از آن گویند که چون شهید شد وهر دو بازوی وی رفت بجای آن حق سبحانه وتعالی پرها داد که در بهشت می پرد وگویند درحربی بعد از جنگ بسیار بشهادت رسید کافران خواستند که بتن مبارك او نوعی اهانت کنند از این حال پیغمبر صلی الله علیه وآله وسلم را اطلاع دادند پیغمبر علیه السلام دعا کرد که خداوندانمیخواهم که پسر عم مرا چنین اهانت رسد حق سبحانه وتعالی اجابت کرد دوبال چنانکه دوبازو بریدن اوظاهر شد فی الحال ازآنجا پرید وبجانب آسمان طیران نمود از آنجهت اورا جعفر طیار گویند .

جعفر طرّار (ع) بدبختی بود که پرهای عملی ساخته بود و بدان می پرید .

جابر (ع) بکسر با بازبندنده و نام یکی از اصحاب بوده رضی الله عنه

جوار (ع) بکسر وبضم همسایگی کردن وهمسایه شدن وهمسایگی در زینهار کسی وبکسر افصح .

جدار (ع) بکسر دیوار .

جهار (ع) بکسر آشکارا .

فصل ع

جمع (ع) بفتح همه وگروه مردم ونخل بسیار بار وفراهم آمدن و در اصطلاح متصوفه جمع شهود حق است بی خلق و جمع الجمع شهود خلق است قایم بحق از روی مشاهده کشفی نه عقلی .

جزع (ع) بفتحتین نا شکیبائی ضدصبر وبسکون ز قطع مسافت کردن وبریدن وادی ونیز مهره ایست که یمانی سیاه وسپید باشد منسوب بچشم شاهدان و بکسر جیم گردشگاه وگشت رود یعنی آنجا که رود بدو شاخ شود .

جامع (ع) فراهم آرنده وماده چیزیکه اول مرتبه آبستن شود .

جوع (ع) بضم گرسنگی ومصدر از باب نصر وجوعان نقل است مشتق از جوع وبفتح اول وسکون ثانی شخصی که گرسنه باشد و آنکه دربعضی شروح گفته اند که جوعان یافته نشده جیعانست غیر واقع است چه درمذهب یافته شد .

جذع (ع) بکسر وسکون تنه درخت ونیز خانه جذوع بضم جمع

فصل غ

چاه مغ (ف) بفتح میم چاه عمیق و دور آب وتاریك چه مغ بفتح بمعنی تاریك آمده که درمحل خود تشریح خواهد یافت .

جزوغ (ع) بفتح بی صبر .

فصل ف

جلف (ع) بفتح پوست کندن وگل به بیل فرا رفتن وبریدن واز بن برکشیدن و بکسر سخره و بی باك وکمینه وبی عقل و مرد جافی وخم تهی .

جوف (ع) بفتح میانه خالی وبمعنی اندرون .

جف (ع) بفتح و تشدید خشك وکاه خشك .

جیف (ع) بکسر مردار بوگرفته .

فصل ق

چارطاق (ف) نوعی از خیمهای مخصوص برای مطبخ ونیز خیمه چارتو و بطریق استعاره فلك را نیز گویند .

چارق (ف) بضم را یکنوع کفشی است که صحرائیان پوشند و بندی دارد که پایان شتالنگ آنرا می بندند .

جوق (ف) بفتح یعنی گروهی از سوار و پیاده که بتازی فوج خوانند وجوخ نیز آمده .

چاقاچاق (ف) آواز زخم تیر که بپایی رسد وآواز هر چیز که ازگسیختن آید و آنرا چقاچق وچق چق نیز خوانند .

فصل ك

جسك (ف) بفتح رنج وبلا باشد سنائی فرماید : ازره مرگ و جسك ماده و نر — آرزومند مرگ یکدیگر .

چنگ (ف) بفتح شش معنی دارد اول خمیده و منحنی شده وآنرا چفته و چمچاخ وخفته نیز نامند دوم قلاب راگویند عموماً و قلابی که فیل را بدان نگاهدارند خصوصاً و آنرا چنگك هم خوانند سوم چنگال باشد چهارم سازیست مشهور این چهار معنی را سوزنی نظم نموده:

«پیران چنگ پشت وجوانان چنگ زلف—در چنگ جام باده و در گوش بانگ چنگ —وهمانا که قلاب وچنگال وساز مشهور رابواسطه خمیدگی چنگ گفته اند پنجم نام نگارنامه مانی است وآن کتابی بود

مشتمل برصنائع وبدایع وتصویر ونقاشی که مانی اختراع کرده و آنرا ارجنگ و ارتنگ و انکلیون نیز خوانندحکیم سنائی فرماید: بیت:—ای سنائی نشود کارتو امروزچوچنگ — تابخدمت نروی و نکنی پشت‌چو چنگ . ششم بمعنی شل آمده وآنکسی‌بود که‌دستش ازحرکت وکار باز مانده باشد و با اول‌مضموم دومعنی دارد اول سخن و گفتار بود دوم برچیدن مرغ باشد دانه را اززمین وبااول مکسور منقار جانوران ونوك سنان وپیکان وامثال آنرا گویند .

چیك‌چیك (ف) بکسر (هردو باهم‌ومفرد) بمعنی‌غیرفصیح وسخنی که فهمیده نشود وزبان مرغان .

چك‌چك (ف) بفتح سه معنی‌دارد اول‌آواز زدن شمشیر وگرز وچوب ومشت ومانند آن بوددوم‌صدای چکیدن‌آب باشد قطره‌قطره سوم‌صوت برهم زدن دندان باشد از سرمای سخت یا وقت طعام خوردن و بضم هردو چ سخنی راگویند که در افواه افتد وآنرا چکاچك‌نیز گویندوبکسر هردو چ آوازسوختن فتیله ترشده راخوانند

چاك (ف) پنج معنی دارد اول معروف است دوم قباله بود و آنرا چك هم‌گویند سوم سفیدهٔ صبح را خوانند چهارم صدای‌زدن شمشیر وخنجر و تیر زین ومانند آن بود پنجم دریچه باشد که در میان دروازه‌های کلان و درقلعه وسرا بسازند وگفته اند شکاف فرج و مدبر .

جو سنگ (ف) بفتح چیزی بقدر جووزن یعنی‌مقدار جو وهم‌چند جو وهمچنین بمعنی پارسنگ ترازو آمده .

چربك (ف) بفتح سه معنی‌دارد اول چربه باشد وآنچنان بود که‌کاغذ حریری تنك را چرب کرده برصفحهٔ تصویر یا نقاشی یا خطنهند وبقلم مو نقش‌آنرا بردارند دوم نان تنك راگویند که در روغن بریان کنند و باحلوا بخورند وبیشترآن باشد که بروح اموات تصدق نمایند سوم سرشیر بود وآنرا چربه نیز گویند و بترکی قیماغ وبهندی ملائی خوانند و با اول مضموم چهار معنی دارد اول‌گفتن دروغ راست مانند باشد درحق‌کسی ظهیرفاریابی گفته : بیت مرا بچربك صاحب غرض زبیخ مکن — که من‌بباغ فصاحت درخت بارورم . دوم بمعنی طنز وسخره آمده سوم‌خجلت وانفعال راگویند چهارم چیستان باشد وآنرا بتازی لغز خوانند .

چنگلوك (ف) بفتح آدمی وحیوانی راگویند که دست وپای اوکژ وناراست باشد و در وقت نشستن هردو دست بهردو زانو نهدعنصری‌راست :— بگردن بآب‌اندرون چنگلوك — به‌از رستگاری به نیروی غوك .

چهاردانگ (ف) باجیم پارسی چهار بخش چهار گوشه وچهار جانب چنانکه‌گویند که چهار دانگ هندوستان ودو دانگ‌خراسان و دانگ چهارم حصه از پول .

فصل ل

جهل (ع) دوقسم‌است بسیط ومرکب بسیط ضدعلم که‌نادانستن است ومرکب حکم‌است‌وبه‌ثبوت یکی‌از طرفین‌وقوع یالاوقوعی که زاین نشود بتشکیك مشکك وغیرمطابق واقع باشد .

جندل (ع) بفتح سنگ ونام مردی وچوب صندل ونام قبیله‌ایست اما بکسر دال سنگستان راگویند .

جبال (ع) جمع جبل یعنی کوه .

جلال (ع) بفتح بزرگ شدن و بزرگواری و بزرگ بدانکه صفات حقتعالی منحصر است درجمال وجلال وآنچه‌دراو لطف‌ورفق باشد آنرا جمال‌گویند وآنچه در او قهر وجبر باشد آنرا جلال خوانند ونیز جلال را صفات باطن نامند وصفات ظاهری را جمال ونیز مراد از جلال صفات قهاری وجباری است ودراصطلاح صوفیه احتجاب حق سبحانه‌وتعالی است ازممکنات معرفت خود ازاینکه بشناسیم ما اورا بکنه وحقیقت او چنانچه میشناسد او سبحانه ذات خودرا وبضم اول بزرگ وبکسر جلهای چهارپایان .

جدل (ع) بفتحتین خصومت ودشمنی وبحث .

جهول (ع) بفتح سخت نادان .

جعل (ع) بضم اول‌و فتح‌ثانی‌سرگین غلطانك وآنراجدانك‌نیز گویند.

جلیل (ع) بفتح بزرگ و نام خدای‌تعالی .

جوال (ع) بضم معروف و نوعی ازپوشش درشت درویشانه .

جامغول (ف) حرامزاده راگویند وآنرا اوغول وختوك وسند نیز خوانند .

جمل (ع) بفتحتین شترنر اجمال وجمالات وجمال وجمائل‌جمعهای آنست وبفتح اول‌وسکون دوم‌پیه وچربش گداخته‌وبضم‌یکم وفتح‌دوم مشدده ریسمان و بتخفیف جلها وبسکون میم نام زنی .

چکل (ف) بکسر نام شهریست ازترکستان که مردم آنجابغایت صاحب جمال باشند و در تیراندازی بیمثل و عدیلند .

چنگال (ف) بفتح دومعنی دارد اول پنجه مردم وجانوران‌باشد دوم آنست که نانرا ریزه کنند و باروغن وشیرینی نیك‌بمالند و آنرا مالیده نیز نامند .

جهدالمقل (ع) کوشش درویش وسعی اندك .

جدول (ع) بمعنی معروف وجوی خرد وکاریز جداول جمع‌آن.

جمال (ع) نیکوئی ومصدر از باب کرم یعنی نیکوئی کردن و زیب و دراصطلاح صوفیه تجلی حق سبحانه وتعالی است ذات خودرا بذات خود .

فصل م

جرم (ع) گناه جرائم جمع آن .

جام (ف) چهار معنی دارد اول پیاله دوم آبگینه بود که در تابدان خانه بکاربرند سوم نام ولایتی است ازخراسان چهارم نام حاکم بعضی ازمضافات ملك تته وسند باشد .

جحیم (ع) بفتح اول وکسر ثانی یکی از نامهای دوزخست و آن پنجم دوزخ است وآتش بزرگ که درمغاکی افروخته باشد .

جسم (ع) تن چیزی ، جسوم و اجسام جمع .

جذام (ع) بضم علتی است که ازانتشار سودا دربدن بهم‌میرسد ومزاج اعضا را فاسد میکند وبسیار است که بسقوط اعضامیرسد.

جرم (ع) بکسر وسکون تن وگونه وجسم بی‌جان اجرام جمع .

فصل ن

چمین (ف) بفتح اول وکسر ثانی بمعنی بول وغایط هردو آمده وآنرا چامین نیز گویند درمثنوی درین بیت بمعنی بول آمده: چاره نبود این‌جهان را از چمین — لیک نبود این چمین ماء معین ودراین بیت بمعنی‌عایط بسته — بلبلان را جای میزیبد چمن—مرجعل را در چمین خوشتر وطن .

چرخ زدن (ف) بمعنی رقص‌کردن وگردیدن باشد .

جن (ع) بکسر پری وبضم سپر .

جانمین (ع) برسینه خفتگان وهلاك شدگان‌وبیحس‌وحرکت‌شدگان

جیحون (ع) بفتح نام رودی است در بلخ و درحدیث آمده که چهار جوی ازبهشت فرود آمده جیحون و سیحون و سند وفرات که درکوفه است [کشف‌اللغات] .

جامه‌کن (ف) خانه باشد بیرون حمام که رخوت پوشیدنی آنجا فرود آورده بحمام درآیند .

جنان (ع) بفتح اول دل‌و بزرگترقوم وجامه که بپوشند کسی‌را و درآمدن شب وجماعت مردم و بکسر بهشت‌ها وبوستان و او جمع جنت است .

جنون (ع) دیوانه شدن ودیوانگی وتاریك شدن شب و نشاط کردن مگسان بآواز بلند .

جنین (ع) بفتح بچه که در شکم مادر باشد و مردهٔ که در گور باشد .

چاك‌ران (ف) کنایت از دبر است وفرج یعنی سوراخ زیرین .

چربیدن (ف) بفتح فزون آمدن وفره بردن یعنی غالب آمدن .

جفان (ع) بکسر کاسه های بزرگ وشاخهای رز .

جان (ع) بتشدید نون پدر پریان همچنان که آدم پدر انسیان است .

جذبه (ع) عبارت از تقرب بحق است باقتضای عنایت حق .
چرخه (ف) بفتح بمعنی چرخ است که مرقوم شد .
جلوه (ع) بکسر تجلیات حسن و خوب نمودن بفتح نیزخوانند.
چیره (ف) بکسر شجاع ودلیر راگویند وآنرا چیر نیز خوانند .
جاده (ع) راه فراخ وروشن وراه راست .
جاریه (ع) کشتی و آفتاب وکنیزك وآب روان— جاریات و جواری جمع کذا فی التحفة الحل .
جائزه (ع) عطا و پل کوچك و نیز آنچه شاعر را صله دهند و باصطلاح اهل حساب خطی که بجهت تصحیح وتجویز کشند .
جارحه (ع) جراحت کننده و دست و اندام مردم ومرغ شکاری و لیکن ید را درخداوندان عقل وجارحه را در غیراو استعمال کنند جوارح جمع آن .
جیفه (ع) بهمان معنی مردار که درتحت جیف مرقوم شد .
جزیه (ع) گزیه (ف) باشد وبمعنی خراج نیز آمده .
چگره (ف) بفتح قطره ریزه راگویند که بریختن آب بجهد و آنرا بتازی رشحه گویند مولانا فرماید : پای آهسته نه که تابجهد چگره خون دل بهر دیوار .
جمره (عف) دم ستدن زمین ودر تمام سال سه جمره میشود وآغاز آن بهار است ونیز انگشت [زغال] افروخته وسنگیکه درمناسك حج اندازندو سپاه مقدار هزار مرد وگویند چون در قبیله سیصدسوار جمع شوند ونیز مستعمل است دربوستدن ازعود سوخته و مجمر از آن مأخوذ است وبمعنی عندلیب نیز بنظر درآمده .
جرّه (ع) بفتح و تشدید خر مهره و سبو وبضم وتشدید همتای باز که اورا جره بازگویند و نیزبمعنی دام آهوآمده‌است ودر کنزاللغه میآرد که جره‌چوبیست که‌بر سراو دام‌نهند و درمیان اوریسمان کنندو بآن‌صیدآهو کنند وبکسرجیم آنچه‌شتر ازحلق بیرون‌آرد تانشخوار کند
جهودانه (ف) بضم اول پارچه زردی که جهودان در روز یکشنبه قطعه قطعه بردوش‌خود دوزند و آنرا ازجمله عبادات‌دانند و نیزنام درختی است که کلك بکسر اول صمغ اوست درغایت تلخی‌چنانچه سوزنی میگوید بیت : حاسدان تو کلك و تورطبی — ازقیاس رطب نباشد کلك .
چرب روده وچرب رود (ف) روده بریان .
چانه (ف) گرداگرد دهان .
جفته (ف) بضم چاه وگود سوراخ .
چینه (ف) بکسر غله‌ایست که آنرا ارزن گویند.
چنبره (ف) همان چنبر که درفصل ر گذشت .
جزیره (ع) بلندی وخشکی که درمیان آب باشد جزایر جمع .
جنه (ع) بضم وتشدید سپر فراخ وپوشش و دیوانگی .
جفته (ف) لگد زدن ومیان پستی انداختن اسب و خر وجزآن .
چفته (ف) بفتح خمیده وسرگوسپند وتهمت وبرابر وچفت انگور .

فصل ی

جافی (ع) جفا کننده .
جولقی (ف) ژنده پوش را گویند .
جری (ع) بکسر وظیفه روان وبفتح یکم وکسردوم وبتشدیدسوم وکیل و رسول وبهمزه بمعنی دلیر بوزن فعیل از جرأت از باب ضرب یعنی دلیرشدن جاری فاعل از جری از باب ضرب یعنی رفتن
چرخ دولابی (ف) کنایت از آسمان است .
جامکی (ف) دومعنی دارد اول وظیفه وراتبه باشد که آنرابتازی رزق خوانند : بنان جامکی خوار خیل تواند— که در کشورحسن سلطان توئی . دوم رشتهٔ چند باشد که باهم تاب داده سر آنرا روشن کنند تا بندوق را بآن درگیرانند .
جوجی (ف) نام مسخرهٔ مشهور .
جلی (ع) بفتح پدید وآشکارا وروشن‌فعیل بمعنی فاعل ازجلابکسر

وآن ناقص واویست از باب نصر یعنی ظاهرشدن واز خان و مان بدر شدن و اندوه بازبردن .

جواری (ع) بکسر وتشدیدیا کنتیها و کنیزکان ودختران که در جاریه مرقوم شد .

جبری (ع) دراصطلاح صوفیه طایفهٔ اند که افعال خودرا بالکل بحق نسبت میدهند و سلب اختیار از بنده مینمایند مولوی فرماید :
درخرد جبر ازقدر رسواتراست — زانکه جبری حس خودرا منکراست.
منکرحس نیست آن مرد قدر — فعل حق حسی نباشد ای پسر .

باب ح

فصل الف

حیا (ع) بفتح باران که زمین را زنده کند وشرم وفرج استر و فراخی سال احیا و احیه جمع .

حمیرا (ع) بضم لقب عائشه رضی‌الله عنها .

حصا و حصبا (ع) بفتح سنگریزه .

حبذا (ع) بفتح وتشدید با نیکو ومحبوب وشاد وعربان این کلمه را در محل مدح استعمال کنند ونیز گیاهی سبز که از خوردن آن تغییری درمزاج پیدا آید .

حاشا (ع) یعنی دور باد وایضا بمعنی پاك آمده و درسکندریست بمعنی جز که ومگر که وحاش‌لله گویند وبمعنی باز داشت وپناه‌خواهم بخدا اراده نمایند وگفته‌اند پاکی و بیزاری خدایرا ازاین کار حاش‌لله ای معاذالله ونام داروئیست ونیز بمعنی همچنین نیست .

حورا (ع) بفتح زن سپید روی سیاه چشم حور وحواری جمع .

حرّا (ع) بکسر ومد نام کوهیست که حضرت رسول صلی‌الله علیه وآله وسلم پیش‌از بعثت در آنجا بعبادت مشغول بودند و بفتح و تخفیف گرداگرد چیزی .

حشا (ع) بفتح اندرون تهیگاه وآنچه اندرون پهلو باشد ودمه باد که ازدهان میرود وناحیت ، احشا جمع ومصدر ازباب علم‌یعنی دمه برافتادن ودل چون درون پهلو است حشا گویند .

حوّا (ع) بفتح وتشدیدواو ومد مادرآدمیان‌تأنیث او احوی واین احوی افعل صفت است از حوة بضم حا وتشدید واو یعنی‌نگارگون شدن ونامیده شده است حوا ازجهت حسن او ولطافتهای‌او وگویند جهت‌آن حوا می گویند که از حی پیداشده یعنی ازآدم وآن قصه مشهور است .

حسن‌القضا (ع) قضای نیك .

حسن‌الجزا (ع) پاداش نیکو .

فصل ب

حسب (ع) بفتحتین‌شمرده وشمار واندازه وبزرگی از روی‌نسب و بزرگواری ودین ومال وبکسر اول وفتح دوم شمردن وپنداشتن وبفتح حاء وسکون سین پسند شدن وشمردن وبس کننده وپایندانی کننده وحساب وحسبات‌جمع .

حطب (ع) بفتحتین هیمه نیکو و بسکون طاء کار بزرگ ومرد سخت لاغر .

حجیب (ع) امالهٔ حجابست که بمعنی پرده و شب‌آمده .

حب (ع) بفتح دانه وتخمهای دشتی که از وی قوت نشود واحدحبه جمع حبوب حب‌الغمام تگرگ یعنی ژاله وایضاً حب داروئیست سهل که برای‌اطلاق دهندوبضم خم‌بزرگ و سه‌پایه که کوزه‌وسبو بروی نهند ودوست‌داشتن‌ودوستی‌وبکسر دوست‌وحب‌وحبه نصف‌طسوج.

حدب (ع) مهربانی کردن‌وبلندشدن وبلند برآمدن و کوژپشت شدن

حراب (ع) بکسر جمع حرب یعنی جنگ وبمعنی جنگی نیزآمده

حرب (ع) بفتحتین خشمگین شدن و گرفتن مال کسی بغضب و کلمه‌ایست که بوقت تلف مال گویند و جنگ کننده را نیز گویند .

حالب (ع) رگی است در بن دندان ودوشنده .

حقب (ع) بضم و سکون هشتاد سال و گویند بیش‌ازین و بفتحتین تنگ پالان شتر وبضمتین روزگار وبکسر یکم وفتح دوم سالها و او جمع حقبه است .

حلب (ع) بسکون لام و بفتحتین نیز شیردوشیدن گویند حلبت‌الناقه وبفتحتین شهریست درشام .

حباب (ع) بضم قپك آب .

حاجب (ع) بکسرجیم ابرو و دربان حواجب جمع

حجاب (ع) بکسر پرده حجب بضمتین جمع ایضاً حاجب اسم‌فاعل از حجب ازباب نصر یعنی بازداشتن وبضم وتشدید جمع او است مثل نواب و دراصطلاح صوفیه عبارت از انطباع صور کونیه درقلب که مانع‌است قبول تجلی‌حقایق الهی را و ظهور اورا بصورت‌عالم .

فصل ت

حروف عالیات (ع) دراصطلاح صوفیه عبارت است از شئون‌ذاتیه الهیه که مندمج است در غیب هویت بصور علمیه مانند درخت در دانه که مخفی است دراو اغصان و اوراق و ثمارآن .

حرمت (ع) بزرگ وارجمند داشتن کسی را وحرام شدن.

حنت (ع) بفتحتین میل کردن .

حلاوت (ع) شیرینی .

حمیت (ع) بفتح اول وکسر میم ویای تحتانیه مشدده ننگ وعار داشتن‌وغضب از حمی‌بفتح و حمی مصدر است ازباب علم‌یعنی گرم‌شدن.

حیات (ع) بفتح اول وتخفیف یا زندگانی وبتشدید یا جمع حیه یعنی مار .

حانوت (ع) بضم نون دکان حوانیت جمع

حریت (ع) بضم آزادی ودراصطلاح صوفیه عبارت از انطلاق ورهائی ازبندگی اغیار وآن مراتب دارد عام وخاص واخص عام‌ازشهوات وخاص از مرادات واخص خاص از رسوم وآثار وجود .

حصانت (ع) دایگی کردن ودور کردن بفتح ماضی وضم مضارع.

حوت (ع) بضم ماهی حیتان و احوات جمع و برجی از بروج دوازده‌گانهٔ فلك .

حسبت (ع) بکسر تدبیر ومزدکار .

حرفت (ع) بکسر پیشه .

حکمت (ع) بکسر علمیست باحوال اعیان موجودات چنانچه موجودات است درنفس‌الامر بقدر طاقت بشری .

فصل ث

حدث (ع) بفتحتین مرد نوخاسته وچیزنو پیدا شده و بی وضوئی وپلیدی.

حارث (ع) شیر درنده‌وجمع کننده مال و برزگر و نام شخصی .

حدوث (ع) بضم چیزی نو پیدا شدن که نبوده باشد .

حدیث (ع) بفتح‌نو وجدید و خبررسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وآله‌وسلم و جز آن و احادیث جمع .

حرث (ع) بفتح کشت وکشت کردن و شورانیدن آتش و لاغر کردن شتر از بسیار راندن و قرآن خواندن ودرس قرآن کردن ومال جمع کردن .

حارث (ع) اسم فاعل از حرث از باب نصر یعنی برزگر و شیر را نیز حارث گویند .

حراث (ع) بضم و تشدید و حارثون جمع‌ونیز حراث نام کوهیست در شام .

فصل ج

حرج (ع) بفتحتین بزه و تنگی وسختی و لاغر وتابوت مرده و مصدر آن تنگ شدن وحرام شدن ودرگناه افتادن وخیره شدن چشم و ناقه دراز وباریك ودریافتن بیکی از حواس‌خمسه ونیز دردیست که درحین وضع حمل زنان نفساء را حادث شود و سرمائی که گیاه را بسوزاند .

حویج (ع) آنچه بالای دیگ پخته برای‌خوشبوئی اندازند و آنچه ضروری باشد و ما لابد خانه باشد حوائج جمع و در بعضی فرهنگها بهای هوز آورده‌اند و این لفظ عربی است اما درفارسی بیشتر استعمال یافته .

حریر گویند .
حفیر (ع) بفتح اول و کسر دوم گور کننده یعنی موراخ کننده.
حسیر (ع) بفتح اول و کسر دوم مانده و رنجه شدن .
حسور (ع) بفتح مانده شدن وفروماندن بینائی از دیدن دور .
حمار (ع) بکسر خر حمر و حمرات و حمیر و احمر جمع .

فصل ز

حجاز (ع) شهر مشهور وریسمانی که دستهای شتر بآن بندند ونام پردهٔ سرود واین را باماله نیز خوانند .
حرز (ع) بکسر جای استوار و تعویذ .
حیز (ع) بفتح اول و کسر یای مشدده مکان و جای وبفتح وبسکون دوم نیز بهمین معنی است و بمعنی گروه نیز آمده احیاز جمع وبکسر اول بمعنی مخنث و میر جمال‌الدین انجو هیز تصحیح نموده و در اصطلاح صوفیه بمعنی مکان است که درباب میم نوشته خواهدشد.

فصل س

حس (ع) بکسر و تشدید دانستن وآگاه شدن و در یافتن بیکی از حواس خمسه و آن پنج اند سامعه—باصره—ذائقه—لامسه— شامه و نیز دردی است که درحین وضع حمل زنان نفسا راپیدا شودو سرمائی که گیاهرا بسوزاند .
حبس (ع) بفتح اول بازداشتن و زندان کردن و وقف کردن و بفتح و بسکون با زندان وبازداشتن کسی را ازکاری و از چیزی .
حارس (ع) بفتح پاسبان .
حرس (ع) بفتحتین نگاهبان درگاه و بکسر جمع و حراس بضم و تشدید اسم فاعل از حرس است از باب نصر .
حسیس (ع) بفتح بانگ آتش و آواز نرم وآواز پنهان کردن

فصل ش

حشیش (ع) گیاه حشایش جمع .

فصل ص

حصص (ع) بفتحتین کم موی شدن سر و کم‌شدن‌موی و بهره‌دادن کسی را و دویدن وبکسراول وفتح صاد جمع حصه یعنی بخش .
حفص (ع) بفتح جمع کردن و بچه شیر و زنبیلی که از پوست باشد ونام راوی از آن عاصم .
حرص (ع) بکسر وسکون‌سخت آرزومندشدن بچیزی وآرزومندی و بفتح سرشکستن وشکافته کردن جامه در وقت کوفتن آن و شکافت پوست و غیر آن .
حریص (ع) بفتح آرزومند وسال بی‌نفع وخیر .

فصل ض

حرض (ع) بفتحتین بیماری که از عشق و اندوه باشد وایضاً فساد بدن وفساد مذهب وفساد عقل ونیز بیماری که مشرف بموت باشد
حضیض (ع) بفتح و کسر ضاد پایان و دامن کوه و نشیب وآن موضع زمین که دامن کوه آنجا تمام شود و مطلق زمین حضاض جمع
حامض (ع) بکسر میم ترش .

فصل ط

حائط (ع) دیوار حیطان جمع .
حنوط (ع) خوشبوئی که برچیزی پاشند ودرفرهنگی بنظردرآمده که بفتح درختیست چون سدره که چوب آن برای مرده بکارآید.

فصل ظ

حفظ (ع) بکسروسکون نگاهداشتن ویادگرفتن حفظه فرشتگان نگاهبان ونویسنده ودر اصطلاح صوفیه حفظه عهدعارتست ازوقوف وامساك نزدیك چیزی که حد کرده است الله مالی بربنده‌های خود
حافظ (ع) نگاهبان وراه پیداآور .
حفاظ (ع) بکسر نگاهبانی کردن وضم وتشدید جمع وبفتح و تخفیف عار وحمیت مؤید .
حظ (ع) بهره وبخت ونصیب حظوظ وحظاظ واحظ جمع

فصل غ

حکمة بالغ (ع) دانش تمام وکامل .

فصل ف

حریف (ع) هم پیشه و همصحبت و هم معامله .

حرف (ع) بفتح معروف وبمعنی نوع و سخن وبکسر کسب کردن وگرانی وماده شتر لاغر وکرانه کشتی و کرانه شمشیر وتیزی سر کوه ومصطلح اهل سلوك بمعنی روح مجرد است وحروف اصلی نزداهل سلوك عبارتست از اشیاء مندرجه در احدیت ذات وحروف عالیات که بجای خود نوشته شده مرادف اینست .

حیف (ع) بفتح جور وستم کردن وستم

حروف مختلف (ع) کنایت از خلقت کونی است.

حف (ع) بفتح پیراستن ریش وموی سبلت گرفتن وخدمت کردن ومهربانی نمودن وموی از روی بر کندن و پژمرده شدن موی از بی روغنی و چوبی که بدان جامه را بافند وآنرا بپارسی کار چوب گویند وزین کوهه .

حلاف (ع) بفتح و تشدید مبالغه از حلف یعنی سوگندخوردن حالف اسم فاعل از باب ضرب .

فصل ق

حاذق (ع) استاد وبرنده دانا وماهر وزیرك اسم فاعل ازحذق بفتح وسکون یعنی دانائی وزیرکی وماهری .

حریق (ع) آتش زبانه کشنده و سوزاننده .

حالق وحلاق (ع) سترنده از حلق یعنی موی سترندن وبرگلو زدن .

حذق (ع) بکسر زیرکی وبفتح استاد شدن وزیرك شدن درکار وبکسر وگویند بفتح یکم و کسر دوم .

حق (ع) بکسر و تشدید اشتر سه ساله که درچهار درآمده باشد احقاق وحقایق جمع و بفتح خلاف باطل و سزاوار ودرست وراست و واجب حقوق جمع ودر اصطلاح صوفیه حق الیقین عبارتست از شهود حق حقیقة درمقام عین جمع احدی .

حمق (ع) بضم وسکون گولی ونادانی .

حرق (ع) سوختن ودراصطلاح صوفیه عبارتست از واسطه تجلیات که جاذب است سالکرا سوی فنا که اول او برق است و آخر او اطمس .

فصل ك

حبك (ع) بضمتین وبای ابجد جمع حبیکه یعنی راههای ستارگان و شکن زره آب و موی مجعد .

حنك (ع) بفتحتین کام وزیر زنخ و منقار زاغ سیاه وبسکون نون مصدر از باب نصر توشه کردن شترو کام کودك مالیدن بخرما و غیر آن و دانستن .

حایك (ع) جولاهه .

حسوك (ع) بفتح اول خار دار وکینه کش و حرامزاده .

حلك (ع) بضم وگویند بفتح سیاهی ونام جوی حلوك بضمتین سیاه شدن حالك سیاه شونده .

حس مشترك (ع) یکی ازحواس باطن است که در لفظ «ده حس» شرح خواهد شد .

فصل ل

حیل (ع) بفتح قوت وتوانائی وحیله نمودن وقوت یافتن .

حامل (ع) باربردار حمول ایضاً .

حمال (ع) مبالغه یعنی بسیار باربردار .

حمل (ع) بکسر بار وگناه احمال جمع مصدر از باب ضرب یعنی برداشتن بسر وبه پشت .

حائل (ع) مانع یعنی باز دارنده وبچهٔ ماده شتر .

حال (ع) بتشدید لام فرود آینده وبتخفیف لام میانهٔ پشت و زمانی که دراو میباشیم ووقتیکه موجود باشد وگل سیاه ویك پشته جامه که بر کتف بردارند و دراصطلاح متصوفه حال اشارت است از آنچه وارد شود بردل سالك از موهبت وهاب وباز از آن ترقی کند ویا تنزل نماید ونیز آورده‌اند که الحال مایرد علی القلب من طرب اوحزن اوبسط او قبض والحال سمی حالا لتحوله و گویند عطای حقتعالی که بردل سالك فرود آید بغیر کسب .

حصول (ع) بضمتین پیدا شدن وبدرد آمدن شکم .

حبل (ع) بفتح اول وسکون ثانی عهد کردن وبدام گرفتن شکار ودام نهادن برای شکار وامان یافتن وریسمان و عهد کردن وامان وکار پیوسته وریگ پشته دراز حبال جمع وبفتحتین آبستن شدن حبول جمع و بکسر حاسختی زمانه .

حول (ع) بفتح قوت وتوانائی وگرداگرد چیزی وسال وحیله و گذشتن و جدائی افکندن وباز داشتن وبفتحتین کج بین شدن یعنی یکی رادودیدن وبکسر یکم وفتح دوم گردیدن و رفتن از جائی بجائی وبضم آبستن ناشدن مادیان و شترو غیر ذلك .

حجل (ع) بفتح وکسر بند کردن پای بر نجن وبفتحتین کبکها وکبك و اومفرد و جمع هر دو آمده است و بضم یکم و فتح دوم جمع حجله .

حجال (ع) بکسر جمع حجله است وحجله شتر یا زینت وخلخال زنان

حیض الرجال (ع) گناه و دروغ و افترا و سخن چینی و غیبت وکلام بیفایده و لایعنی .

حنظل (ع) بفتح اول و ظاءمعجمه کدوی تلخ وگویند خربزه تلخ و هندوانه تلخ .

حلل (ع) بضم یکم وفتح دوم بردهای یمانی و حلهای بهشت .

حلول (ع) بضمتین فرود آمدن .

حل (ع) بفتح و تشدید گشادن و روغن کنجد وفرود آمدن .

حسن الفعال (ع) نیکوکردار .

فصل م

حشم (ع) بفتحتین خدمتکاران وقومی‌اند که درصحرا و خرابهامیان خانه جامها روزگار گذرانند وبسکون شین بخشم آوردن وشرمنده کردن

حلم (ع) بکسر دیرغضب شدن و نرمی وآهستگی نمودن درعقوبت کسی و خردمند شدن وبضم بلوغ صغروبضمتین خواب دیدن وخواب

حمیم (ع) بوزن فعیل بمعنی فاعل من الحم بفتح وتشدید خویشاوند و تابستان وباران وگرما وتب گرفته وآب گرم .

حزم (ع) بفتح استوار کردن واستوارتنگ براسب بستن وهشیاری و بیداری درکار وزمین پشته درشت و سخت .

حرم (ع) بضم یکم و فتح دوم حرمتها و بضم اول و سکون دوم احرام حج بستن وبضمتین احرام بستگان وحرمت واشتها وماههای حرام (و آن ذیقعده وذیحجه و محرم و رجب است) وبکسر اول حرام

حمام و حمامة (ع) بفتح کبوتر و تا از برای وحدتست چنانچه ثمر وثمره و او مفرد و جمع هردو آمده حمایم و حمامات جمعهای آنند وعرب هرمرغ طوق‌دار را حمام گویند چون فاخته وقمری وغیر اینها وعامه عرب گویند که حمام مرغیست که انس گرفته باشد در خانه وبکسر مرگ وتب اشتر واشترتب گرفته وبفتح وتشدید گرمابه.

حجم (ع) بسکون جیم پری و سطبری .

حازم (ع) بکسر زای معجمه آگاه و دوراندیش .

حکم (ع) بفتحتین دانستن و میانجی کننده وتمیز کننده نیك ازبد و بکسر اول و فتح دوم حکمتها و بضم وسکون فرمودن حکم .

حکیم (ع) بفتح آنست که بطریق استدلال اشیای موجوده راچنانچه اشیاست بقدر طاقت بشری دانسته باشد و عمل برمقتضای علم نموده والا باصطلاح محققان بمجرد علم حکیم نمیخوانند .

حطیم (ع) دیوار بیرون کعبه از جانب مغرب .

حطام (ع) بضم و طای مهمله شکسته و ریزه وگیاه واسباب وسرمایه ومال دنیوی .

حسام (ع) بضم شمشیر برآن ازحسم از باب ضرب یعنی بریدن .

فصل ن

حسن (ع) بضم و سکون خوبی محاسن جمع خلاف قیاسی ومصدر

حاش لله (ع) پاکی و بی‌عیبی است خدایرا و این کلمه تنزیه است که چون خواهند کسیرا وصف بخوبی و بی‌عیبی کنند اول این کلمه را بیاورند چنانچه در شأن یوسف علی‌نبینا و علیه‌السلام گفتند «حاش لله ماهذا بشراً»

حمزه (ع) تره تیزك ونام عم رسول علیه‌الصلوة والسلام ونام پهلوانی.

حدیبیه (ع) بضم اول وفتح دال موضعیست در دوفرسخی مکه.

حذیفه (ع) بضم نام یکی‌از اصحاب رحمة‌الله علیه .

حراره (ع) بفتح آواز چیزی وغوغای مردم و ترانه وآوازی که ازچند ساز وچند حلق یکمرتبه برآید در وقت حجله عروس و امثال آن.

حرفه (ع) بکسر پیشه وبسته‌کار شدن وکم‌حظ ونصیب شدن.

حرقه (ع) بضم سوخته شدن وبآتش سوخته .

حربه (ع) بفتح دشنه ونیزه‌کوتاه وچوب دستی وتازیانه .

حنجره (ع) بفتح نای گلو .

حصبه (ع) بفتح مانند آبله دانه سرخ که از عضو بیرون‌آید و اورا جدری وصفراوی گویند وآن‌قاتل‌است ونیز مرضی‌است که از فساد خون بهم رسد وآنرا بزبان گیل سرخچه گویند وبفتح یکم و کسر دوم زمین سنگستان .

حفنه (ع) بفتح درکف دست ازطعام وچیزی اندك ودومشت‌غله.

حدیقه (ع) باغ ونام کتابی معروف ودرشرح نصاب بمعنی گرد در گرفتن و باغ را ازآن گویند که گردآن دیوار است و گویند مرغزار با درخت .

حلیمه (ع) بفتح نام زنی است که حضانت پیغمبر علیه‌السلام کرده و ضرب‌المثل بود در شهرت .

حرّه (ع) بضم وتشدید زن آزاد وبزرگوار وبکسر تشنگی و بفتح و تشدید سنگستان که در او سنگ سیاه باشد حرات وحرّاة و حرون جمع .

حظیره (ع) محوطه که برای چارپا وغیرآن کنند و دیواریست وگویند جای شب بودن ستوران که از شاخ وچوب درخت راست کنند وگورستان وجای بودن .

حاشیه (ع) لشکر وکرانه حواشی جمع .

حراقه (ع) بفتح وتشدید آلت نفط‌اندازی و کشتی که در وی نفط‌اندازی کنند وبضم وتخفیف سوخته وزبانه آتش‌وشعلها چون تیز شود ونزد عامه بضم وتشدید است .

حبه (ع) بفتح وتشدید با، نصف تسو و پاره ازهرچیزی وفلوس‌ریزه که اورا جتیل نامند .

حیه (ع)بفتح و تشدید مار حیات جمع .

حساسه (ع) بفتح و تشدید بسیاردریابنده .

حامله (ع) زن بار دار .

حنانه (ع) بفتح و تشدید بسیار نوحه کننده وگرینده ونام‌ستونی وآن قصه چنانست که درسال هفتم ازهجرت‌ایجاد منبر واقع‌شدو در وقت‌منبر ساختن‌وتعیین‌اسناد اختلاف بسیاراست‌ودر کتب سیرمذکور علی اختلاف الروایات چون منبر ساخته شد برجانب محراب نهادند و درآن مسجد ستونی از چوب پیش‌از ساختن منبر بود که‌آنحضرت پشت مبارك برآن ستون می‌نهاد و خطبه و وعظ بتقدیم میرسانید روز جمعه بود که حضرت عزیمت صعود منبر کرده ازآن‌درگذشتند وبرمنبرآمدند وبنیاد خطبه کردند چون‌آواز آن‌سرور شنیدوآنحضرت را نزد خود ندید آغاز حنین و ناله کرد مانند طفلی که از مادر جدا شود ومادر را خواهد و از آنجهت‌آنرا ستون حنانه‌خواندند.

حفره (ع) بفتح اول وسکون ثانی محتفره یعنی کنده شده‌قاموس

فصل ی

حفی (ع) بفتح مهربان و دانا جمع حفیون فعیل است از حفاوت از باب علم یعنی نیکی ولطف کردن وباستفسار از حال کسی‌پرسیدن

حاکی (ع) حکایت کننده .

حجی (ع) بکسر والف مقصوره خوردوکرانه چیزی وزمزمه گیران

وبفتحتین وبالف مقصوره حریص شدن وبخیل شدن وملائم شدن .
حنی (ع) بکسر وتشدید نون حنا باشد .
حی (ع) بفتح زنده ومیانه ده ومشتق است از حیا وقبیله‌ایست از عرب که مجنون ازآن بوده وگیاه تر وتازه احیا جمع .
حری (ع) بفتح یکم وکسر دوم سزاوار .
حافی (ع) پای برهنه .
حیی (ع) بضم اول وفتح یای اول وتشدیدیای ثانی شرمگین وبا حیا و ضد قبح .
حواری (ع) بفتح نان سپید ویاران عیسی علیه‌السلام .
حلی (ع) بضم زیور وزینت .

باب خ

فصل الف

خطا (ع) بفتح شهر معروف و ضد صواب
خضرا (ع) قمریست عظیم بنام و سبزه و لشکری که سیاه نماید از بسیاری سلاح آهنین وزره که پوشیده باشند ونیز آسمان وسیاه وگیاه سبز وزن خوب شکل وبد اصل را نیز گویند
خلا (ع) بفتح خالی شدن ودر خلوت شدن وافسوس داشتن و میانه زمین وآسمان وبکنایت جای استنجا وجای خالی راگویند
خارا (ف) دو معنی دارد اول سنگ سخت دوم نوعی از بافته ابریشمی که مانند صوف موج دار بود .
خفا (ع) پنهان وپوشیده شدن .
خون پالا (ف) خون صاف کننده زیرا که پالائیدن وپالودن صاف کردن است وکنایت از خون ریز وخون ریختن باشد .

فصل ب

خراب (ع) بفتح ویران شدن وویران وبسیار مست .
خطوب (ع) بضم جمع خطب بفتح یکم وسکون دوم کار بزرگ
خروب (ع) بضم و تشدید گیاهیست که بهر بنائی بروید آن بنیاد ویران شود .
خنب (ع) با اول مضموم خم باشد .
خائب (ع) ناامید .
خضب (ع) بفتح رنگ کردن .
خضاب (ع) رنگ.
خطاب (ع) بکسر سخن در روی گفتن باشد و دربعضی مردم نام و لقب است .
خطیب (ع) سخن در روی گوینده .
خرب (ع) بفتح اول وکسر دوم اسم فاعل است از ضرب ازباب علم یعنی ویران شدن .
خلاب (ع) بکسر خلیش یعنی زمین گلناك که پای بگیرد .
خورشید عرب (ف) ذات پاك مطهر منور خیرالبشر صلی‌الله‌علیه‌وآله
خوشاب (ف) بمعنی روشن و صاف .
خشب (ع) بفتحتین چوب .
خب (ع) بفتح موج زدن دریا و بلند شدن گیاه وگاه برین پا و گاه برآن پا ایستادن ومردگریز ومحیل ومکار وبکسر فریب دادن و گریزی نمودن یعنی حیله‌گری و مکاری کردن .

فصل ت

خلوت (ع) بفتح جای خالی و خلوت کردن با کسی وگیاه رویانیدن زمین و در اصطلاح عبارتست ازترك محسوسات ومألوفات جسمانیه وقطع خواطر وهمیه و خیالیه .
خسارت (ع) بفتح زیانکار شدن و زیان کاری .
خیانت (ع) بکسر با کسی دغل کردن و ناراستی نمودن .
خصومت (ع) بضمتین داوری و جنگ .
خارپشت (ف) بضم پ جانوریست از خزندگان که بر پشتش خارها دراز باشند چون قصد او کنند خودرا بیفشارد و باآن خارها که از اندامش برجهد آنکس را مجروح سازد هر چند آنرا بزنند فربه‌تر شود وآنرا اشغر وسغر و سغرنه و سکر وسکرنه وسیخول و آتشی و چیز چیزك و حکاشه و لکاشه و روباه ترکی وزکاشه وسکاشه نیز گویند و هندسیه نامند تاج مآثر بیت: منگر بدین غزالهٔ گل روی خارپشت — منگر بدین نوالهٔ خوش طعم بدگوار . و بتازی قنفذ گویند وآن نوع دیگریست از خارپشت که هم در آب میباشد و هم در صحرا .
خلاعت (ع) بکسر ترسیدن از فراق عشق وبمعنی برکشیدن وجامه کشیدن وخلعت دادن و ازمرض غم خوردن وبفتح بی‌سامان شدن و از فرمان مادر وپدر بیرون گشتن وکابین فروختن زن بطلاق وبطلب ناکردن از کسی جرم ویرا .
خلاقت (ع) کهنه شدن و کهنگی .
خشیت (ع) بفتح ترس و ترسیدن .
خشت خشت (ف) آواز کاغذ و جامه و غیرآن باشد و آنرا خش خشت نیز خوانند .
خلت (ع) بضم اول ولام مفتوح مشدد دوستی داشتن ودوستی ازمیان دل ودوست وگیاهی که شیرین طعم باشد ودراصطلاح صوفیه عبارت است از تحقق عبد بصفات حق بحیثیتی که حق دراو تجلی کند
خطرت (ع) بفتح عظمت وبزرگی وترس ودراصطلاح صوفیه خطره عبارتست از داعیه که میخواند عبد را بسوی پروردگار خود بحیثیتی که عبد دفع او نتواند .
خست (ف) بفتح چهارمعنی دارد اول قصد بود دوم بمعنی آزرده آمده وخسته آزرده‌را گویند سوم رنگ را خوانند که بتازی لون است چهارم نفع باشد و با اول مضموم دو معنی دارد اول قرار و آرام باشد وآنرا دهال نیز خوانند دوم بمعنی آستین آمده .
خاربست (ف) آنچه از خاربنان وامثال آن گرد برگرد باغ و گلزار وکشت بندند جهت محافظت و آنرا برچین نیز گویند و هندیان بار خوانند.
خلعت (ع) بکسر معروف .

فصل ث

خبیث (ع) بفتح پلید .
خبث (ع) بضم پلیدی وبفتحتین ایضاً .

فصل ج

خروج (ع) بضمتین بیرون آمدن وبیرون رفتن.
خراج (ع) بکسر باج وآنچه حاکمان ازکاروانیان ورعایا وزیر دستان بگیرند .
خداج (ع) بکسر نقصان وناقص و ناتمام ونیز ناقص عقل و ناقص خلق و بچهٔ خام انداختن شتر ماده.
خزرج (ع) بفتح اول وسوم نام قبیله‌ایست از عرب

فصل د

خلد (ع) بضم بهشت وهمیشگی .
خلود (ع) بضمتین همیشه بودن .
خورد (ف) معروف وخورشی ازطعام ومیوه ولایق بمعنی درخور .
خد (ع) بفتح وتشدید رخساره وبمعنی شکاف زمین خدود جمع آن والاخدود شق من‌الارض.
خود (ف) بضم و واو فارسی آنچه وقت جنگ برسرنهند عرب بیضه ومغفر خوانند وعجم دولغه نامند .
خرد ومرد (ف) حرف اول وچهارم مضموم بمعنی ریزه ریزه و در تاج مصادر ترجمه آن شکستن مندرجست .
خمود (ع) بضمتین فرو نشستن آتش وگرمی ومردن وبیهوش شدن وآرام گرفتن وبضم وتشدید میم جائیکه آتش را پنهان کنند و نگاهدارند .
خاد (ع) غلیواژ و آن نئی است که بدان کبوتر پرانند وآنرا خاده نیز گویند وچوبی که کشتیبانان بآن کشتی برانند وچوبی که جاروب

فصل ز

خاك بیز (ف) محنت کش وقومی اند که ازخاك بیخته سیم وزر بر آرند.

خامیاز (ف) خمیازه باشد وآنرا خامیازه ودهن دره وآسا وفازه نیز گویند .

خفت و خیز (ف) آهسته وبتدریج شونده و گویند بیقراری ونیز کنایت ازجماع است نظیر معنی اول (بیت) دولت تیز رستخیز بود — دولت آن به که خفت خیز بود .

خز (ف) بفتح بلندی بیرون ران باشد وبتشدید در عربی جامه ابریشمی را گویند .

خرز (ف) بفتح اول وسکون دوم درز موزه دوختن وبمعنی تخمین نیز بنظر درآمده و بفتح دوم خرمهره باشد وبضم درز های منك وبفتح اول نام شهریست .

خباز (ع) بضم اول و تشدید با نان پز .

فصل س

خس (ف) بفتح اول و سکون دوم چهار معنی دارد اول معروف است دوم مردم دون و دنی وفرومایه را گویند سوم زنل وبخیل بود و آنرا زفت نیز نامند شیخ نظامی راست بیت : جهاندار بخشنده باید نه خس خصال جهانداری اینست و بس ایضاً خسیس چهارم نام جانوریست که پایکهای باریك دارد و بروی آب بدود وجثه اوشبیه بدانه جو بود لیکن از جو کوچکتر است چنانکه خواجه عبدالله انصاری فرموده : که اگر بر آب روی خسی باشی واگر بر هوا پری مگسی باشی دل بدست آر تا کسی باشی ودرفرهنگ میرزا ابراهیم وفرهنگهای دیگر بمعنی مرغ سپیدی که بزرگتر از کلنگ باشد نیز مرقوم است ودرزبان عربی کاهورا گویند سوزنی راست : خس بود در لفظ تازی کوك اندرشاعری — کوك زن بر سوزنی گر خوش نراند لفظ خس وبهندی نام قومی است از کفار که در کوهها که مابین هندوستان و ملك خطا واقع است ساکنند امیرخسرو راست : گردون اگر نه هردم ازایشان فنی کند : کی رخنه خس بسینه روئین تنی کند .

خرس (ع) بفتحتین گنگ شدن و بضم اول وسکوم دوم جمع اخرس یعنی گنگ وبفتح اول کشتن وبکسر اول وسکون دوم نام جانوریست سیاه دشتی درنده درغایت شهرت .

خراس (ع) بفتح آسیای بزرگ که بخر و ستورش گردانند .

خنوس (ع) بفتحتین پنهان و سپس چیزی ماندن وسر در خود کشیدن ووسوسه کننده .

خناس (ع) بفتح باتشدیددیو سرکشنده و وسوسه کننده .

خرمگس (ف) مگسی است سبزه چون برریش و گوشت نشیند تباه کند وآنجا کرم افتد وآنرا مژنیز گویند .

خمس (ع) بضم اول وسکون میم یك پنجم حصه .

خمیس (ع) بکسر میم ویای تحتانیه لشکر پنج رکن مقدمه وقلب ومیمنه ومیسره و ساقه .

خبیس (ع) بفتح خوش طبع وظریف بود .

فصل ش

خامش وخمش وخموش (ف) هر سه مختصر خاموش بود .

خواجه تاش (ف) خداوند خانه ونیز غلامان وچاکران یکخواجه از اینها یکی مردیگری را خواجه تاش میشود .

خویش (ف) بکسر اول شش معنی دارد اول معروف است و دوم بمعنی خود وآنرا خویشتن نیز گویند سوم قلبه باشد وآنرا گاو آهن هم گویند وخویش کارمزارع راخوانندحکیم فردوسی راست : ببخشم زگنج ودرم صد هزار ❀ بدرویش هر کو بود خویش کار چهارم بمعنی وجود آمده مولانا فرماید بیت : خویش من والله که بهرخویش تو — هرنفس خواهد که میرد پیش تو ❀ پنجم بمعنی خوب و خوش و نیك آمده ششم نوعی از بافته کتان باشد وآنرا خیش

وکیش هم گویند امیر خسرو فرماید بیت : خانه خویش از خنکی وتری یافته از خرگه مه برتری

خفاش (ع) بضم شب پرك بقول قاموس وحل اللغات ولی مشهور بفتح است وآنرا خفاف نیز گویند .

خشخاش (ف) کوکنار که بتازی قنرخوانند و نیز مردم که باصلاح باشند .

خواب خرگوش (ف) در اصطلاح بمعنی تغافل وخفته ساختن خود را ونیز بمعنی فریب ودغا نظامی راست :

حذر کن زخشم جهانجوش من مباش ایمن ازخواب خرگوش من

خرخاش (ف) جمع خرخشه است که باهر دوخای مفتوح خصومت ومجادله بیجا وبیموقع بود .

خلش (ف) بفتح اول وکسرلام خلیدن وبمعنی وسواس وپریشانی

خروش (ف) باواو پارسی فریاد باگریه وخروشیده امر آن و بانگ مردم .

خام ریش (ف) بی عقل وبی خرد ومسخره بود حافظ فرماید : یارچون شد بتکلم تورها کن کلمات — خام ریشی وحکایات توخام است هنوز .

خوان باش (ف) بمعنی خوان سالار است .

فصل ص

خبیص (ع) روغن وخرمای بهم آغشته ودرصراح بمعنی حلوا است

خلوص (ع) بضمتین خالی بودن .

خصوص (ع) خاص شدن و یگانه شدن .

خلاص (ع) بفتح اول معروف وبمعنی خالص آمده .

خرص (ع) بکسر تخمین کردن زراعت ومثل آن وبفتح وکسر دروغ گفتن .

فصل ض

خوض (ع) بفتح غور کردن در چیزی وشورابه شدن شراب وشروع در کاری و نیز درآب شدن ودر رفتن درباطل ودربازی وجنبانیدن شمشیر درجائی که زده باشند وبسخن درآمدن .

خواض (ع) بفتح اول وواو مشدده بآب فرو شونده .

خفض (ع) بفتح فرو داشتن آواز واندازه وآسان کردن و تن آسان وعیش وزمین نرم .

فصل ط

خط (ع) بفتح نوشتن ونوشته وبانگشت خط کشیدن فال درریك خطوط جمع وبر وجه استعاره وتشبیه اطلاق خط برریش نو رسیده میکنند ونیز نام مقامی است که نیزه خطی منسوب است بدو و در اصطلاح صوفیان خط اشارتست بحقیقت محمدی صلی الله علیه وآله ونیز گویند که خط عبارتست ازعالم ارواح .

خبط (ع) بفتح برآمیختن وآنکه گویند خبط دماغ شد آمیختگی عقل با جنون شده و عقل خالص نمانده است و دست و پا زدن ستور و خودرا بهرجای انداختن برای خواب .

خباط (ع) بضم علتی است مانند دیوانگی وخودرا دیوانه ساختن بی آنکه دیوانه باشد وفرو افکندن ومردم کله خنك وبکسر داغ سرین ستور .

خیاط (ع) بکسر سوزن وبفتح و تشدید درزی .

خلط (ع) بفتح آمیختن .

خطاط (ع) بفتح با تشدید نیك نویسنده .

خیط (ع) بفتح رشته وازآن سپیدی صبح و سیاهی شام نیز مراد داشته اند وبکسر گله شتر مرغ .

خربط (ع) بط کلان ونیز بمعنی احمق مستعمل است مختاری گفته دید کس گاو چون من خربط — گفت کس غول چون من نسناس

فصل ع

خداع (ع) بکسر دغا وفریب .

خدع (ع) بفتح وکسر فریفتن وفریب دادن .

خضوع (ع) بضمتین فروتنی کردن و میل کردن ستاره بفرو شدن و فروتنی .

خشوع (ع) بضمتین ترس و فروتنی کردن وآرام گرفتن و چشم فرو خوابانیدن .

خاشع (ع) ترسان وفروتنی کننده .

خاضع (ع) فروتنی کننده .

خلع (ع) بضم طلاق گرفتن زن بر بدل کابین وشکستن و بفتح جامه کشیدن وخلعت دادن .

خادع (ع) فریبنده ومقید ومتلون وناقص .

فصل ف

خائف (ع) ترسنده .

خسف (ع) بفتح بیرون آمدن کاه وآب چاه و چاهی که آبش منقطع شود و گرسنه و بزمین فرو رفتن وفرو بردن و نقصان شدن

خسوف (ع) بضمتین گرفته شدن ماه و بزمین فرو شدن و بگور فرو رفتن جسم .

خلف (ع) بفتحتین فرزندنیك واز پس آینده وبفتح وسکون پس .

خطف (ع) ربودن .

خریف (ع) بفتح اول وکسردوم خزان ضد ربیع که بهار است و آن فصلی است که اقتطاف درآن کنند یعنی میوه از درخت باز کنند و باران آن وقت را نیز گویند .

خزف (ع) بفتحتین سفال .

خرف (ع) بفتح اول و کسر دوم پیرفرتوت ودرفرهنگی بمعنی بیخود و آنکه از پیری چیزی بگوید وندانند که چه میگوید ونیز حیوانی است دریائی که عرب آنرا اظفارالطیب خوانند .

خفیف (ع) بفتح اول وکسر دوم چیزی سبك از خفت یعنی سبك شدن و در خدمت شتافتن ازباب ضرب خفاف جمع .

خف (ع) بفتح رکوی سوخته که زیر چقمق نهند تا آتش زودگیرد و بتازی حراقه خوانند و در فرهنگ میر عضدالدوله انجو بنظر درآمده که گیاهی باشد نیك نرم که زود آتش در گیرد و آنرا بر زیر سنگ آتش زنه بر نهاده چخماخ بزنند تا آتش در گیرد و آنرا بده نیز خوانند و بتازیش مرخ گویند مختاری راست — نازك برنرم تو خف است و دلم آتش — دارند نگه زآتش افروخته خف را .

فصل ق

خلق (ع) بفتح اول وسکون ثانی آفریدن وآفرینش و آفریده شدگان واندازه کردن و دروغ گفتن وبفتحتین هموار شدن وستاره وکهنه و بفتح اول وکسر دوم آفریننده و سازنده و در اصطلاح سالکان خلق عالمی است که موجود بماده ومدت باشد مثل افلاك و عناصر و موالید یعنی جمادات ونباتات و حیوانات که این عالم را عالم خلق وعالم شهادت نامند وخلق جدید دراصطلاح صوفیه عبارتست ازاتصال امداد وجود ازنفس رحمان ممکنات .

خارق (ع) پاره کننده وآنکه گویند خارق عادتست یعنی پاره کننده ودور کننده عادتست حاصل آنکه خلاف عادتست .

خریق (ع) بفتح پرده درنده وبمعنی مفعول آید یعنی پرده دریده شده .

خفرق (ع) بفتح یکم وسوم زشت وبدخوی ونگون بخت فارسیان در محل دشنام استعمال کنند .

خنریق (ع) نیز بمعنی خفرق آمده اما اصل لغت او معلوم نشده

خناق (ع) بضم مرضی است که ازغلبهٔ خون پیدا میشود در حلق و حلق را بگیرد و بکسر ریسمانی که درحلق کسی کنند وبآن حلق او بگیرد وگلو گرفتن .

خلاق (ع) بفتح و تشدید آفریدگار .

خورشیدعراق (ف) چون آفتاب ازنیم روز میل کندوبگردد .

فصل ك وگ

خنگ (ف) با اول مکسور هرچیز سپید راگویند عموماً چنانچه

آنرا خال خوانند و سبب زینت شمرند و گویند خال عبارت ازنقطهٔ روح انسانیست وازین بیت شمس الدین محمد مغربی که گفته بیت : «الکون خال قدبدا من خده—ولقد تجلی خده من خاله »—چنان مفهوم میشود که خال در مصراع اول بمعنی کون باشد که عبارت از اعتبار ظهور حسن وجود است ودر مصراع ثانی بمعنی تعین حق .

خمول (ع) بضمتین بی نام شدن .

خامل (ع) فرومایه وگمنام شونده .

خل (ع) بکسر دوست وبفتح آواز کردن جامه بخلال وخلال چوبیست که بدان جامه پیچند و بفتح و تشدید سرکه ومرد ضعیف ولاغر وجامه کهنه ورگیست درگردن که بسر پیوسته است وراهی که میان ریگ باشد وجانوریست درریگ .

خذول (ع) بفتح اول وضم ثانی فروگذارنده پای وشرمنده .

خلیل (ع) دوست اما آن دوستی که از ته دل باشد ولقب حضرت ابراهیم (ع) خلیل الله .

خیل (ع) بفتح اسب خیول جمع .

فصل م

ختم (ع) بفتح تمام وآخر ونشان ودرحل لغات بمعنی عسل آورده و قرآن تمام خواندن وبآخر رسانیدن ومهر کردن .

خشم (ف) بکسر وگویند بفتح غضب .

خصم (ع) بفتح دشمن واحدوجمع مذکر ومؤنث در اویکسانست وگاه بر خصوم جمع کنند و بمعنی صاحب نیز آمده ومصدر بمعنی غلبه کردن بخصومت بر کسی و شاد شدن .

خصام (ع) بکسر پیکار کردن باهم .

خلم (ع) با اول مکسور بثانی زده سه معنی دارد اول خلطی باشد که ازبینی برآید و آنرا بتازی مخاط نامند دوم بمعنی خشم وغضب آمده سوم گل تیره چسبنده راگویند که پای درمیان آن بند شود و بآسانی برنیاید وباول و ثانی مضموم بمیم زده نام قصبه ایست از توابع بلخ که در سرحد بدخشان واقع است وبده فرعون اشتهار دارد .

خم (ع) با اول مضموم دو معنی دارد اول ظرفی باشد بس بزرگ که درآن آب و دوشاب وسرکه و شراب و امثال آن پر کنند دوم گنبد عمارت و با اول مفتوح سه معنی دارد اول کج وناراست و منحنی و زبون باشد دوم گریز باشد وآنرا پس خم نیز گویند سوم بمعنی قصد آمده چنانچه گویند فلان درخم فلانی است یعنی در قصد اوست .

خرطوم (ع) بضم یکم وسوم بینی پیل وشراب ومهتر قوم .

خاتم (ع) بکسر تا آخر هرچیزی وبفتح مهر وهردو بمعنی انگشتری نیز آمده وخواتیم جمع آن و در اصطلاح صوفیه عبارتست از کسی که قطع کرده باشد مقامات راورسیده بود بنهایت کمال .

خطام (ع) بکسر اول وطاء مهمله مهار شتروخطم مهار کردن شتررا .

ختام (ع) بکسر وتای فوقانیه گل و موم که بردرمهر کنند ختامه وخاتمه آخر کار .

خیام (ع) بکسر جمع خیمه که معروفست .

خام (ف) شراب مقطر ومرد بی تجربه و ضد پخته وچربی که درویشان پوشند .

خرام (ف) چند معنی دارد اول رفتار بناز بود دوم نوید مهمانی باشد سوم زنان خوش شکل راگویند .

فصل ن

خان (ف) چهار معنی دارد اول پادشاه ترکستان راگویند چنانچه پادشاه روم راقیصر گویند و پادشاه چین را فغفور نامند دوم سراو خانه باشد سوم کاروان سرا را نامند چهارم شان عسل وشان زنبور را گویند .

خافقین (ع) مشرق ومغرب خافق واحداواست .

خوردهدان (ف) عیب دان و باریك دان ونکته دان ودانا .

خارقان (ف) نام دهیست از خراسان در کوهستان بسطام سر راه استراباد واور خرقان بفتحتین نیز گویند .
خرزن (ف) با اول مفتوح وبثانی زده مقرعه باشد .
خشن (ع) بفتح اول وکسر دوم رنجیست که بسبب وی خلطی درشت پیدا شود وعلامتش درشتی پوستست صفت از خشونت ازباب کرم یعنی درشت شدن و درشت .
خازن (ع) بکسر زای معجمه گنجور یعنی نگاهبان گنج .
خطوتین (ع) بضم دوگام خطوات جمع .
ختن (ع) بضم اول وفتح ثانی نام شهریست درحدود چین که مثك خوب ومحبوب ومرغوب آنجا پیدا شود .
خاك رنگین (ف) بمعنی زر .
خوشحالان (ف) رحمانیان وروحانیان و درعرف آنانکه اوقاترا بعیش گذرانند .
خان ومان (ف) ازقبیل توابع اند که استعمال آن در خانه واسباب خانه کنند .
خزان (ف) ضد بهار یعنی برگ ریزان وبیرون رفتن واین را مکرر نیز استعمال کنند چنانکه گویند خزان خزان وخز خزان .
خادان (ف) بدال مهمله جمع خاده وخاد — نی را گویند که کبوتران بدان پرانند و بعضی گویند که خادان جمع نیست مفرد است همچنانکه ساران .
خانه کن (ف) بفتح کاف بدبخت ومدبر و نا خلف که خانه پدر بر اندازد .
خارکن (ف) بفتح کاف کننده خار ونیز نام نوائیست ازموسیقی .
خسران (ع) زیانکاری .

فصل و

خو (ف) با اول مفتوح هفت معنی دارد اول چوب بندی بود که بنایان وکتابه نویسان ونقاشان ودیگر استادکاران در بیرون ودرون عمارت ترتیب دهند وبرزبر آن نشسته یا استاده کار کنند حکیم نزاری راست بیت : زبهرچهارطاق رفعت اوست — که گردون بسته بر هفت آسمان خو دوم گیاهی باشد خود رو که در باغها وکشتزار ها بروید وآنرا تا نکنند زراعت نشوونما نکند ناصر — خسرو فرموده : چون بخارو خومن برنم رحمت بچکید — بارور شد زنم رحمت توخاروخوم — سوم بمعنی کندن آمده سنائی راست : شده اعدای شان ازایشان خو ❀ همچو ریش کهن زشانهٔ نو — چهارم بریدن ودرو کردن راگویند سنائی فرماید : خوشهٔ ملك پخته شد خو کن — جامهٔ ملك کهنه شد نو کن — پنجم کف دست را نامند فلکی شروانی فرماید بیت : — ما راست جهات سته یك گام — ماراست بعارسبعه یك خو ششم کفل وساغری اسبانرا خوانند و آنرا فرخش نیز گویند هفتم عشیقه راگویند وآن گیاهی است خودرو که بهر درخت که پیچد آنرا بخشکاند .
خدووخیو (ف) لغت اول با اول وثانی مضموم ولغت دوم بکسر اول وضم ثانی بمعنی آب دهن باشد وآنرا تفو نیز گویند درمثنوی معنوی خدو واقع شده بیت : او خدوزد بررخی که روی ماه — سجده آرد پیش او در شاهراه .
خدیو (ف) بکسر وگویند بضم اول پادشاه قوی وخداوندبزرگ

فصل ه

خفته (ف) با اول مفتوح بثانی زده بمعنی خمیده مسعود سعد سلمان گوید : بیت — ناگهم تیر غمزه زد بردل — ابروی خفتهٔ هلال آسا جمال الدین عبدالرزاق گوید بیت : بی سروپای کوفته گویم ❀ بیدل ودست خفته چوگانم : وخفته در مثنوی که فرماید (لنگ و لوك و خفته شکل و بی ادب) بر همین معنی خمیده است که مردم بجهت عدم اطلاع برلغت خفته بضم خای معجمه میخوانند .
خیره (ف) بر وزن تیره شگفت و بسیار وبیهوده وضعیف وشوخ و بی باك وسرکش چنانکه گویند خیره سر بمعنی سرکش وخیره کش بمعنی ضعیف کش وتاریك وخجالت وریم وآشکارا کردن وسست شدن ودر خواب شدن اعضا بدونها نیز آمده و در حل لغات بمعنی فرو مانده ومتحیر وهرزه گوی بنظر درآمده .
خرگه وخرگاه (ف) بکسر وبفتح معروف یعنی جای خوش و استراحت چه خر بفتح اول وگویند بکسر بمعنی خوشی است درزبان پهلوی .
خسته (ف) بااول مفتوح چهار معنی دارد اول تخم میوه راگویند مانند تخم شفتالو وخرما دوم بمعنی بیمار وآزرده سوم بمعنی برخاسته آمده شرف شفروه نظم نموده : نه جز خفته درخواب دیدست مثلث — نه جز خسته بیدار دیدست نامت — چهارم زمین راگویند که آنرا شدیار کرده باشند یا مردم وحیوانات برزبر آن آمد وشد بسیار نموده باشند و خاك آن در زیر پای آدمی وحیوانات نرم شده باشد .
خطه (ع) بکسر و تشدید آنجا که خط کشند تادیگری فرودنیاید و در عرف شهر کلان را خطه گویند وپارهٔ زمین .
خدعه (ع) بضم فریب .
خرده (ف) با اول مضموم بثانی زده شش معنی دارد اول ریزه هرچیز راگویند و آن معروفست . دوم نکته بود سوم عیب وگناه چهارم خس وخاشاك بود شیخ سعدی این دو معنی را بنظم درآورده بر اندیش برخورده چون دست یافت ❀ درون بزرگان بآتش بتافت بخرده توان آتش افروختن ❀ پس آنگه درخت کهن سوختن پنجم نام سنگیست ازجمله بیست ویك سنگ ژند استاد دقیقی گفته بیت : به بینم آخر روزی بکام دل خودرا گهی ایازده خوانم شها گهی خرده — ششم بمعنی شراره آمده .
خنبره (ع) بضم اول وسوم و سکون دوم خم وکوزه کوچك سر تنگ راگویند .
خزانه (ع) بکسر وگویند بفتح معروف اما تحقیق آنست که گفته اند القصعة لا تکسر والخزانة لاتفتح یعنی لفظ قصعه که بمعنی کاسه است کسر داده نشود بدو معنی یکی آنکه اورا بفتح خوانند و کسر ندهند دیگر آنکه یعنی آنرا نشکنند وخزانه را فتح داده نشود نیز بدو معنی یکی آنکه گشاده نشود دوم بفتح نخوانند و بکسر خوانند و در حل لغات سکندری بمعنی چوب ترازو مرقوم ساخته .
خه (ف) بفتح اول بمعنی خوش وزه باشد وخه خه بمعنی خوشا خوشا آمده واین کلمه بمنزله بخ بخ است که عربان گویند انوری فرماید بیت : بخ بخ ای یارو خه خه ای دلدار — هم وفا دار و هم جفا بر دار
خراقه (ف) بفتح اول وتشدید دوم نام آلت بازیست .
خلابه (ع) بفتح فریفتن بزبان .
خمره (ف) با اول مضموم خم کوچك را گویند و آنرا خنبره نیز خوانند .
خلوه (ع) بضم رسوا وبفتح تنهائی .
ختنه (ع) بفتح سر ذکر وفرج بریدن آنقدر که سنت باشد .
خائبه (ع) محروم و نا امید التخیب نومید کردن .
خطوه (ع) بضم گام وبفتح میان دوگام وگام زدن .
خصاصه (ع) هر دو صاد مهمله درویشی وبد حالی و تهی دستی و محتاج شدن .
خنیعه (ع) بفتح انگشتانه ازپوست که تیر انداز درابهام میکند جمع خنایع .
خرقه (ع) پاره ودر اصطلاح ژنده درویشان که از پاره وریزه برهم دوزند وخرقه تصوف و در اصطلاح صوفیه عبارتست ازآنچه میپوشد مرید ازشیخ که در آمده است در ارادهٔ او وتائب بدست او شده .
خفیه (ع) بضم نهان وآشکارا از اضداد است .
خلیفه (ع) بجای کسی ایستاده که پیش از وی بوده باشد من الخلافه بفتح ماضی وضم مضارع .

فصل ب

دارضرب (ع) ضرابخانه .

دوشاب (ف) بمعنی شیره انگور .

دب (ع) بفتح از پس رفتن یعنی از دبر جماع کردن و نقش ونگاری که بر جا مها کنند وپنهان کردن چیزی درزمین ونگاهداشت و بتشدید نرم رفتن وبضم و تشدید خرس .

دباب (ع) لواطه استاد گفته بیت: همه حدیث دباب و جماع باید گفت — همه حکایت کیش و فتار باید کرد .

دنب (ف) بضم دم معروف .

دبیب (ع) بفتح نرم کوفته .

داب (ع) بفتح اول و سکون همزه خوی مردم‌الداب والدوب پیوسته کاری کردن و رنجیدن بضم ماضی ومضارع .

دولاب (ف) بمعنی دلو آب که آب ازچاه بدان کشند .

فصل ت

دست (ف) بفتح نه معنی دارد اول دست آدمی دوم نفع و فایده باشد سوم‌نصرت وظفر وغلبه بود حضرت‌مولوی فرماید: بیت —شادشد جانش که بر شیران نر — یافت آسان نصرت و دست و ظفر چهارم صدر ومسند ملوك وصدر اکابر و وزرا را گویند وآنرا چار بالش نیز نامند پنجم قدرت‌وقوت آمده ششم طرز وروش باشد هفتم یك‌چیز تمام بود چون یکدست جامه ازدستار تا پای جامه ویکدست سلاح از خود تا موزه آهنی و یکدست خانه تمام از نشیمن و جای خواب تا مطبخ وپایگاه حکیم فردوسی راست — گران مایه دستی بپوشید رخت — بدرگاه کسری خرامید تفت . هشتم کرت و مرتبه را خوانند چون یکدست بازی ویکدست سفر یعنی یك کرت بازی و یکمرتبه سفر . نهم بمعنی دستور آمده و بمعنی دشت و صحرا نیز بنظر در آمده .

درخواست (ف) در اصطلاح صوفیه بمعنی طلب و جستجو و استغفار بود .

درست (ف) با اول وثانی مضموم بسین زده سه معنی دارد اول معروف دوم تنگه زر راگویند که باشرفی اشتهار دارد سوم باصحت وتندرست را خوانند ناصر خسروگفته: باند سال همی زیستم بمحنت و رنج — نه شاد و نه‌دژم و نه درست و نه بیمار .

دعوت (ع) بفتح اول وسوم و سکون ثانی بطعام خواندن .

دیت (ع) بکسر خونبها .

دور دست (ف) جای دور ومکان بعید .

درنوشت (ف) یعنی درنوردید و درپیچید .

دولت (ع) گردش زمان وتتمه مال وفتح درجنگ .

فصل ث

دیوث (ع) معرب بی رشك وبی غیرت .

فصل ج

درج (ع) بفتح اول وسکون دوم خط نقش آمیز ومقامی که آن سرور درشب معراج ازآن درگذشت وطبله وپیرایهٔ زنان وطومار و کاغذ نبشته ونورد نامه و نوردیدن بضم دوکدان وطبلهٔ عطر و صندوق بی سرپوش ودر شرح فصوص بمعنی تجلی ذاتست .

دواج (ع) بکسر لباس .

داج (ع) اسم فاعل از دجو بضم ازباب نصر یعنی تاریك شدن شب و تاریك .

فصل خ

دیولاخ (ف) خرابه دور از آبادانی درمیان بیابان و چراگاه دور ومسکن دیوان وزمین سخت که سبزه ضعیف وباریك روید .

فصل د

درد (ف) بضم شراب تیره وهرچه ته نشین باشد .

دربند (ف) قلعه را گویند .

دست مزد (ف) مزدوری که بتازیش اجرت خوانند .

درود (ف) بضم رحمت ازخدای عزوجل واستغفار ازملائکه علیهم السلام ودعا ازمؤمنان وتسبیح ازبهایم وطیور وبفتح وگویند بکسر بمعنی بریدن غله نظامی گوید — چو دردانه باشد تمنای سود کدیور درآید بکشت و درود .

دم سرد (ف) بفتح نومیدی همچنین آه سرد .

فصل ر

دار (ع) سرا وآلت سیاست معروف ودر بعضی کتب بمعنی پلپل دراز وچوب درخت آورده .

دور (عف) بااول مفتوح سه معنی دارد اول خواندن درسهای گذشته دوم پیاله شراب سوم نوشتن اخبار باشد که جاسوسان اخبار امرا و مردم اعیان را تحقیق نموده بپادشاه نویسند وجاسوسی که اخباررا مینویسد نیز دور نامند وعهد وزمانرا گویند که دور هرستاره هزار سال است ودور آخرین قمر است که درآن بعثت خاتم‌النبیین شد ونیز نام بازیست وآن دو چوبست یکی‌را قله دوم مقله خوانند گردش و گرد کردن و در اصطلاح ارباب معقول دور توقف‌الشی علی ما یتوقف هو علیه .

دوار (ع) بفتح گرد گردنده وبضم گشتن سربعلتی ونام بتی است .

داروگیر (ف) فرماندهی وهای وهوی وامر ونهی .

دستور (ف) بفتح پنج‌معنی دارد اول وزیر دوم رخصت وآنرا دستوری نیز خوانند سوم چوب کنده درازی را گویند که در بالای کشتی بعرض بنهند و میزان کشتی بآن نگاهدارند چهارم طرز وروش پنجم پیشوای امت زردشت مانند هیربد وموبد ودر عرف اسم معین راگویند .

دیر (ف) بفتح اول معبد راهبانرا گویند .

دهر (ع) بفتح روزگار وهمیشه وفرودآمدن .

درخور (ف) یعنی لایق و زیبا وشایان .

دمار (ع) بفتح هلاکی ودود که بتازیش دخان خوانند و از بیخ وبن برکندن‌و هلاك کردن .

در (ع) بفتح وتشدید شیر که لبن نیز خوانند وبمعنی نیك و غنیمت وخیر نیز آمده .

دثار (ع) بکسر جامه که بالای جامه پوشند ضد شعار که تحت الدثار است .

دبور (ع) بفتح بادی که از قبله آید وقتی که روی بسوی قبله باشد وپشت بمشرق وبهرقومی که باد بجهت عذاب‌فرستادند همین باد بود و در اصطلاح صوفیه صولت داعیه هوای نفس و استیلای آن بجنبشی که صادر شود از شخصی چیزی که مخالف عقل و شرع است و مقابل میشود اوراصبا که عبارت‌ازقبول‌است .

دست‌افزار (ف) آنچه باآن کار کنند یعنی آلت کارمثل‌نشکرده سراجان وتیشه درودگران و امثال آن .

دبر (ع) بضمتین جمع دبور و راه پس وبفتحتین پس پشت و بکسر وسکون مال بسیار وبفتح وسکون جماعة منه .

دادار (ف) نام حق سبحانه و تعالی جل جلاله وگاه این نام برپادشاهان عادل نیز اطلاق کنند و معنی آن داد آرنده بود .

داور (ف) سه معنی دارد اول نام حق‌تعالی جل جلاله باشد دوم عادلرا گویند ودراصل دادوربود و بمرور آنرا تخفیف داده داور گفتند سوم بمعنی دارو ودرمان باشد .

دینار (ع) زرسکه زده دنانیر جمع .

دیار (ع) بکسر ویای تحتانیه، ولایت‌وملك وبفتح‌وتشدیدصاحب سرای ویکی وفرد .

دبیر (ف) منشی ونویسنده .

دارالغرور (ع) دنیا .

دق‌الحصیر (ع) بوریا کوبی چون کسی خانه نو سازد وطعام مهیا کند ومردم را دعوت کند آنرا در عجم بوریا کوبی و در عرب دق‌الحصیر گویند و بطریق استعارت محنت ومشقت نیز مراد میتواند بود .

دیجور (ف) بفتح شب تاریك وشب بیست‌و هشتم ازهر ماه .

دریابار (ف) کنارهٔ دریا وجزایر ونام شهریست درجزایردریا.

دادر (ف) بفتح هردو دال بزبان‌فرغانیان یعنی ماوراءالنهریان برادر راگویند .

درلوزینه‌سیر (ف) عبارت ازرنج وعذاب وغم رسانیدنست کسی را در حالت خوشی وراحت وغرض آنست که چون در لوزینه سیرافتد فاسد وبیمزه گردد انوری گفته: — ده زبان چون سوسن وده دل چو سیرم کس‌ندید—آخرم تا کی‌دهی‌بی‌جرم درلوزینه‌سیر

فصل ز

دهلیز (ف) بکسر سرسراوجلوخوان عمارت .

دمساز (ف) بفتح محبت ویار موافق .

دست آموز (ف) مرغ آموخته بر صید و طعمه و انس گرفته

دژ (ف) بکسر دو معنی دارد اول بد و زشتی و خشم دوم قلعه

دیر باز (ف) بمعنی‌دراز باشد سوزنی گفته بیت : در امل تا دیر بازی‌و درازی ممکن است — چون امل بادا ترا عمر دراز ودیرباز

دست آویز (ف) آنچه مردم بدان چنگ در زنند وپناه گیرند و برو اعتماد کنند

دست انداز (ف) آنکه‌بمال مردم دست درازی کندو غارت‌گری و یغماچی و بمعنی رقاص و شناور نیز آمده .

فصل س

داس (ف) پنج معنی دارد اول بمعنی‌آلت درودن غله و امثال آن که در عربی منجل خوانند دوم خسهای سر تیز که بر سر دانهای گندم و جو بود که درخوشه باشد سوم نوعی دام باشد و آنرا بادام نیز گویند چهارم نام بوتهٔ است که برگ آنرا در داروها بکار برند و بتازی سداب خوانند پنجم استخوان ماهی را نامند

دقیانوس(ع) نام‌پادشاهیکه‌اصحاب کهف ازوی گریخته درغارشدند

دبس (ف) بکسر دوشاب یعنی شیره انگور

دیس (ف) بکسر اول و یای مجهول شبه و مانند را گویند سعدی فرماید بیت : چه قدر آورد بنده حوردیس — که زیر قبا دارد اندام پیس

دبوس (ف) بضم‌وتشدید وتخفیف‌دو معنی دارد اول گرز و تازیانه وتبر وآنکه بتازی آنرا مقمعه خوانند و عمود آهنین که به‌ترکی چوماق نامند منوچهری گفته بیت : چون زند برمهرهٔ شیران دبوس شست من—چون زند بر گردن‌گردان عمود گاوسار دوم منزلیست که در جهاز و کشتی باشد و آنرا دبوسه نیز گویند

دردیس (ع) بوزن خنده ریس بمعنی پیر مرد و پیر زن وکنده پنیر وسختی وبلا .

ده‌حس (ف) بدان ای‌طالب سالك نورالله بصیرتك بنورالعیان که هریك ازاین حواس را کاری و شغلی مخصوص است که دیگری از آن عاجز است چنانکه کار قوت باصره آنست که اشکال و الوانرا ادراك کند یعنی تفرقه میان درازی و کوتاهی و سبزی و سپیدی و مانند اینها تواند کردن وحواس دیگر ازاین کار عاجزند و کار سمع ادراك اصوات است یعنی آواز ها را از یکدیگر جدا بواسطه آن درتوان یافت و حواس دیگر از این شغل عاجزند و قوت شامه

اخیر و وسط جای وهم است و حفظ — ز تجویف آخر نباشد بدر

فصل ش

دو رباش (ف) بضم نیزه بود که سنان آنرا دو شاخه سازند چنانچه در این وقت درهندوستان مثل آن نیزه در پیش پیلان مست می برند وآنرا کره مینامند و در زمان قدیم متعارف بوده که چوب آنرا بزر و جواهر زینت میداده اند و پیشاپیش پادشاهان میبرده اند بدان جهت که چون مردم آنرا از دور مشاهده کنند بدانند که پادشاه میآید و از راه یکطرف روند و راهراخالی سازند و نیز در روز جنگ اگر کسی کمندی بجانب پادشاه اندازد بآن دفع کنند و گاه بطریق استعاره از آه تفسیر کنند چنانکه ازتیر ناوك نمایند نظامی فرموده بیت:
چو دارا جواب سکندر شنید — یکی دور باش از جگر بر کشید

دستخوش (ف) بمعنی بسخره و دست مال و زبون و دست آموز آمده .

درخش (ف) بضمتین و بعضی بفتحتین تصحیح نموده‌اند چهار معنی دارد اول برق دوم فروغ هرچیزی سوم نام آتشکده‌ای در شهر ارمنیه بوده و بانی ارمنیه و آتشکده درخش و شهر شیراز راس مجوسی است که اورا راس نعل نیز گویند و درهم نعلی باو منسوب است چهارم دهیست از قاین و قهستان که در آنجا گلیم خوب می‌بافند

دش (ف) بفتح خودرا آراستن و ساختن بود .

درفش (ف) علم سیاه و آلتی که کفش و موزه بدان دوزند وآن انبان سختیان که آهنگران درپیش آویزند تاآتش جامه ایشانرا نسوزد ودرفش کاویان نزد اهل فرس از کاوه آهنگر که فریدون را پرورده مشهور است

دوش (ف) شب گذشته و کتف

دختران نعش (ف) یعنی بنات‌النعش که دواند کبری وصغری کبری هفت ستاره ایست که بشکل کشتی می‌نماید وصغری آن هفت ستاره که بافرقدین بهم اند نزدیك قطب شمالی

فصل ص

دلاص (ع) بکسر روشن و تابان

فصل ض

داحض (ع) لغزنده و بر گردنده و باطل شده در حجت خود و زوال آفتاب الدحض لغزیدن پای ودور کردن والدحوض باطل شدن بفتح ماضی و مضارع

فصل ط

دریای محیط (ف) دریائیست که‌عالم را احاطه کرده وآفتاب درآن غروب میکند وآب آن دریا گرم و سطبر است‌مانند سیماب

فصل ع

دمع (ع) بفتح آب چشم‌دموع جمع آن دراصطلاح حکما علتی که آب از چشم بیرون میآید

درع (ع) بکسر زره جمع دراع و دروع

فصل غ

دماغ (ع) بکسر مغزسر ادمغه جمع‌و بمعنی عجب و تکبر نیز گویند

دباغ (ع) بفتح و تشدید پوست آراینده‌و دبه گرو دباغت‌دور کردن رطوبات چرم و بوی بد او و رنگ کردن آن

فصل ف

دست باف (ف) عمل خود بی آنکه از استاد بگیرد و ساخته دست خود

دار الضیف (ع) مهمان سرا

فصل ق

دقیق (ع) آرد و مرد بیخرد و چیزی باریك

دلق (ع) بفتحتین دله و آن جانوریست مانند گربه که ازپوست او پوستین سازند و بفتح و بسکون مصدر از باب نصر یعنی شمشیر از نیام بر آوردن ایضا پشمینه ایست با موهای آویخته که درویشان پوشند و فرو مایه وناکس وبفتح اول و لام مسکور بمعنی تیز زبان و گشاده زبان است

دق (ع) بفتح و تشدید کوفتن و عطای شعر و نقد طلبیده گرفتن وجامه ایست نفیس پیش بها که در مصر بافند و گدائی و خرمن کوفته و فراهم ناکرده و آرد کردن و اعتراض بسو سخن کسی و بکسر زحمتی است که صاحبش روز بروز بکاهد و لاغر و ضعیف گردد ودر هند راج روك گویند

دبق (ع) بکسر اول و سکون بای موحده سریش و در صحاح گوید چیزیست چسبان که بآن مرغ راصید کنند .

فصل ك و گ

درنگ (ف) بکسر اول وفتح ثانی پنج معنی دارد اول وقت وساعت بود دوم ثبات وآرام و تأخیر باشد سوم آخرت راگویند و این معنی را حکیم فردوسی نظم نموده بیت: چو سازی درنگ اندرین جای تنگ — شود تنگ برتو سرای‌درنگ— چهارم بمعنی رنج و محنت باشد و آنرا ادرنگ نیز خوانندپنجم نوائی راگویند که ازنواختن تار وساز وزنگ وناقوس وشکستن آبگینه وامثال آن برآید شیخ ابوسعید ابوالخیر فرموده : ازباده رخ شیخ برنگ آوردن — اسلام زجانب فرنگ آوردن — ناقوس بکعبه دردرنگ آوردن — بتوان نتوان ترا بچنگ آوردن .

درك (ع) بفتح دریافتن ونهایت فقر وبمعنی دستار چه و بفتحتین طبقات دوزخ درکات جمع .

دلاك (ع) بفتح و تشدید بسیار مالنده الدلك مالیدن ودراصطلاح خادم گرمابه راگویند .

دنگ (ف) بفتح سه معنی دارد اول دیوانه و بیهوش و حیران مانده دوم صدای را نامند که ازبهم خوردن دوسنگ ویا دو چوب وامثال آن پدید آید سوم نشانه ونقطه پرگار را خوانند .

دانگ (ف) بکاف پارسی چهارم حصه پول وحصه وبخش .

دلقك (ع) نام مسخره ایست معروف دلق بحذف کاف نیز میآید بجای قاف خا نیز بنظر درآمده .

دوك (ف) بوزن خوك آلت آهنین است که بآن ریسمان ریسند وماشوره بران پیچند ازچوب نیز میشود .

دلوك (ع) بضمتین برآمدن آفتاب وغروب شدن آن .

فصل ل

دخیل (ع) بفتح اسبی که میان دو اسب در میدان درآید ودر عرف آنراگویند که در آینده در چیزی باشد ودوست خالص .

دغل (ع) با اول وثانی مفتوح مکرو حیله وناراستی بود وکسیکه دغل کندآن‌را نیز دغل گویند وزروسیم ناسره وحرامزاده ودرفرهنگی بمعنی جنگل وعیب و فساد و خاشاکی که بمطبخ وحمام سوزند و خیانت وکاهل وکند رو وبی همت ونیك بهم آمیخته وطی ودرختان انبوه نیز بنظر درآمده .

دلال (ع) بفتح وبکسر ناز وحسن وبفتح وتشدید معروف‌وبضم سوسن وارغوانرا گویند.

دول (ع) بکسر اول و فتح دوم وگویند بضم اول و فتح دوم جمع دولت است با اول مضموم و واو مجهول شش معنی دارد اول دلو آبکشی دوم برج دلو سوم مکار و محیل وشطاح و بیحیا باشد مسعود سعد سلمانراست بیت: دول آشفته را برون آرند— بنگرش تا گرفته چون آرند چهارم دلو آسیا راگویند وآن ظرفی بود که از چوب بسازند مربع ودر ته آن سوراخ کنند وآنرا پراز غله نمایند و بکنار آن چوبکی نصب کنند بعنوانی که چون آسیا بگردش در آید آن چوبك که بکلك موسوم است بحرکت در آید وغله در آسیا افتد وآرد شود پنجم تیر کشتی شنم کیسه وخریطه باشد و از اینست که خریطه راکه برمیان بندند دولمیان خوانند .

دلیل (ع) راه وراه نما و در اصطلاح اهل مناظره عبارتست ازآنچه لازم آید از دانستن وی دانستن چیزی دیگر و در اصطلاح حکما بول رنجور که طبیب مرض بیمار ازآن معلوم کند .

دقل (ع) بفتحتین نخل پربار .

ده‌دل (ف) منافق راگویند که با هیچکس بیك حال نبود .

دریادل (ف) جوانمرد وسخی وجواد .

دلدل (ف) بهر دو دال مضمومه اسب معروف ومشهور است .

فصل م

دُرِیتیم (ف) مروارید یگانه و بزرگ که در صدف همان تنها باشد و کنایت از حضرت رسول صلی الله علیه و آله است

دام (ف) دو معنی دارد اول آلت صید دوم وحشی را گویندامیر خسرو راست:—هرجنس زمردم‌و ددودام — درصحبت جنس گیردآرام

دژم (ف) بفتحتین بمعنی افسرده و اندوهگین آمده و مخمور و سرمست و اندیشناك را نیز گویند .

دم (ف) بفتح ده معنی دارد اول نفس دوم فریب سوم نخوت‌وتکبر چهارم بوی و آنرا بتازی شم نامند پنجم وزن شعر ششم انبانی باشد که آهنگران بدان آتش‌افروزند هفتم بمعنی آه‌آمده هشتم افسون نهم لب و دهن بود دهم بمعنی زمان باشد و بمعنی خون و تیزی‌تیغ و فربه و دم صبح ولاف زننده و نفس و هوای کثیف آمده

دارالسلام (ع)خانه سلامت و بهشت را نیز گویند و آن بهشتی‌است از هشت بهشت که اززبرجد آفریده شده (دارانوار از یاقوت سرخ و دارالخلد از نقره خام و جنات عدن از زر سرخ و جنات‌النعیم و جنات‌الماوی و فردوس و جنان از نور)

دمیم (ع) زشت روی و مالیده شده

دوستکام (ف) آنکه کارها بحسب مراد دل دوستان او باشد

فصل ن

دون (ف) بضم غیر و کمینه و سواء

دربندان (ف) بمعنی دربند است که قلعه باشد و بمعنی محاصره نیز آمده

دست بردن (ف) بمعنی غالب شدن

دندان زدن (ف) میل کردن و طمع کردن و چربیدن وخریدن آمده است

دست دادن (ف) در اصطلاح بمعنی غلبه دادن و ظفر دادن بمعنی غلبه دادن و مرتبه دادن آمده است

دستان (ف) چهار معنی دارد اول نام زال پدر رستم دوم مکر و حیله سوم نغمه و سرود چهارم حکایت و افسانه و بمعنی جادو ونام موضعی است از سمرقند

دِرمکنون (ع) در قیمتی

دفین (ع) بفتح در زیر خاك کرده و زری که پنهان باشد وچاه انباشته

دیدبان (ف) شخصی را گویند که بر بلندی نشیند و از آنجا بهر طرف نگاه کند هرچه از دور ببیند از لشکر دشمن و غیره خبر دهد ومعلم کشتی را نیز خوانند دیده‌بان هم نویسند

دمان (ف) با اول مفتوح سه معنی دارد اول فریاد کنان بود از روی شادی مفرط ودمنده وفریاد کننده را گویند دوم‌تیزرفتن—سوم بمعنی زمان‌آمده اینمعنی‌از کتاب‌ژند گرفته‌شده‌ونیزدر فرهنگی بمعنی تندوسخت‌حمله ومست بنظردرآمده و این لفظ بترکیب مستعمل است و جز در وصف مارو پیل و شیر نیاید و در فرهنگی بمعنی دوست

دمن (ع) بکسر جمع دمنه وسرگین جمع گشته در شبانگاه وستوران خوب‌و آراسته و تر وتازه و بفتحتین لاف زدن وحمله آوردن ورستن

گویند وبضم زیر دم چارپا .

دواسبه (ف) معروف وشتابان .

دوره (ف) مرطبان کوچك راگویندو بمعنی دور نیزبنظر درآمده

دریوزه ودر ویزه (ف) بمعنی گدائی باشد و آنرا دریوز نیز خوانند .

دیوچه (ف) دو معنی دارد اول نام کرمیست که اززمین برآید وهر چه بر زمین افتاده باشد بخورد وضایع سازد وبیشتر چیزهای پشمینه را تباه کند که آنرا بتازی ارضه و بهندی دیوك گویند دوم نام کرمیست سیاه رنگ دراز که استخوان ندارد و چون بر عضوی بچسبانند خون فاسد را بمکد و آنرا زلوك وزلو و زروندلو نیز خوانند وبهندی جوك نامند .

دبه (ع) بفتح اول معروف وبمعنی آماس نیز آمده وبضم خرس .

دشنه (ف) بفتح نوعی ازخنجر است که مردم دلاور دارند .

داله (ف) زن وزن نازکننده وبمعنی دالان نیز آمده وراهنما .

دنبه (ف) بضم معروف است ونام طعامی وفریب .

دمنه (ع) بفتح دو معنی دارد اول نام شکالیست که در کتاب کلیله و دمنه احوال او مسطور است دوم سوراخی بود که برای دمکشی تنور بگذارند تا بخار تنور بیرون برود ونیز در فرهنگی بنظر در آمده بکسر اول بمعنی کینه و آنچه سیاه بود و در محل مکاری مردم استعمال کنند .

دانگانه (ف) آن باشد که چون جمعی بسیر وگشت روند هر کدام زری بدهند تا ازآن سرانجام خوردنی کنند .

دره (ف) بکسر پوست چندی باشد که برهم بدوزند وگناهکاران را بآن بزنند وگاه نقاره و دهل را بدان بنوازند و بفتح اول درهم باشد وآن زریست رائج وبا اول مضموم بی تشدید وبا تشدید شکنبه بود .

دمغزه (ف) بضم اول وفتح سوم بیخ دم و استخوان میان دم را گویند وآنرا دم غازه نیز گویند .

دوده (ف) سه معنی دارد اول دودمان دوم دود چراغ باشد که بجهت ساختن سیاهی بگیرند سوم بمعنی فرزند و پسر مهتر آمده وعدد بیست را نیز گویند وبمعنی کرم هم آمده .

ده (ف) بکسر کلمه نفرین باشد ودهکه دادن ویکسو کردن و از پیش راندن وبفتح اول امر معروف ونهی از منکر بود .

دابه (ع) هر جنبنده که بر روی زمین باشد و غالب بر چهار پای آمده .

دیباچه (ف) یك نیم روی چیزی راگویند ودیباچه کتاب یك نیمه معنی اجمالی کتاب باشد و یك نیمه تفصیلی در کتاب پس دیباچه خطبهٔ کتابرا بدینمعنی گفته اند چه معنی کتاب یا اجمالی باشد یا تفصیلی .

دوشیزه (ف) یعنی بکر .

دردزه (ف) دردی که زنانرا بهنگام زادن پیدا شود .

دوشاخه (ف) نوعی ازبند و غل ا چوب و آهن که درگردن بندیان کنند ونوعی ازتیر وبمعنی وسوسه وتردد نیز آمده .

فصل ی

داوری (ف) جنگ وخصومت باشد وبمعنی پرستش نیز آمده .

دهری (ع) آنکه عالمرا قدیم میگوید .

دنی (ع) ناکس .

دوسری (ف) هر دو سرای یعنی دین و دنیا و بطریق استعاره بمعنی نفاق آمده .

دی (ف) بفتح نام ماه دهم سال شمسی که مدت ماندن آفتاب است در برج جدی و نهم روز از هر ماه شمسی و بکسر روز گذشته

دوی (عف) بفتح اول وکسر واو آواز باد و آواز مگس شهد وآواز مرغ هنگام پریدن .

دعی (ع) بفتح پسر خوانده وولدزنا .

داعی (ع) خواهنده وبمعنی دعاگوی وپسر خوانده .
درباقی (ف) یعنی بی باکی
دعاوی (ع) بفتح واو جمع دعوی است وبکسر واو نیز بنظر آمده .
ده دهی (ف) بفتح هردو دال خالص وویژه وزر کامل عیار .

باب ذ

فصل الف

ذکا (ع) بضم آفتاب وبفتح تیزی طبع ودانش وافروخته شدن آتش و زیرکی و پاکی
ذا (ع) یعنی این مرد

فصل ب

ذنوب (ع) بضم جمع ذنب یعنی گناه وبفتح دلوپر آب و نصیب از چیزی و گوشت پشت واسب درازدم واسم موضعی ایضاً و دنباله چشم
ذهاب (ع) بکسر گذشتن و رفتن راه و سپردن و غرقاب و چشمه و بفتح بارانهای بسیار واو جمع ذهبه است .
ذولباب (ع) خداوند خالص یعنی خداوند عقل و فهم
ذنب (ع) بفتح اول و سکون دوم گناه و بفتحتین نام ستاره‌ایست دراز دم و آخر هر چیز و دنبال چشم
ذئب (ع) بکسر گرگ جمع ذئاب
ذباب (ع) بضم مگس و نام کوهیست در مدینه
ذاب (ع) سخت تشنه چنانکه لبهای او از تشنگی خشک شده باشد و بمعنی گداخته
ذهب (ع) بفتحتین زر سرخ و فراموشی ونیز خیره شدن چشم از دیدن راه و زرده خایه مرغ راگویند وپیمانه ایست دریمن
ذب (ع) بفتح و تشدید در آمدن

فصل ت

ذلت (ع) بکسر و تشدید خوار شدن و خواری و گناه
ذرّیات (ع) بضم وتشدیدرا جمع ذرّیت یعنی فرزندان وفرزندزادگان و فرزندان زاده و او مفرد و جمع آمده است
ذکاوت (ع) تیزی طبع و تیزی شمشیر و غیر آن ذکاوات جمع
ذات (ع) هستی و خداوند جانب
ذکات (ع) چیزی که بآن چیزی را روشن کنند و اخگر رخشنده وبمعنی ذبح نمودن حیوان

فصل ج

ذات البروج (ع) خداوند برجها یعنی کرسی

فصل ح

ذبح (ع) بفتح بسمل کردن وذبیح بسمل کرده شده و بسمل کننده ذبیحه بسمل کرده شده ذابح اسم فاعل از ذبح

فصل ر

ذات الصدور (ع) خداوند سینه‌ها یعنی دانای ضمایر یااولیاو باصطلاح حکما ورم سینه
ذراير (ع) جمع ذره
ذوالخمار (ع) اسودبن کعب عینی را باین نام مینامیدند بجهت آنکه خمار برو انداختی و مردی بود کاهن و بغایت متعبد و از وی امور عجیبه وافعال غریبه ظاهر شدی ودلهای مردم بسخن خود مایل ساختی قصه اش مشهور است
ذکر (ع) بکسر یاد کردن و یادآوردن ویاد و آوازه وثنا وبزرگی و نیز قرآن و بفتحتین معروف

فصل ع

ذرایع (ع) جمع ذریعه یعنی وسیله و آنکه صیاد در زمین نهان کند تا صید را در آن اندازد

فصل ق

ذوق (ع) چشیدن از ذائقه و در اصطلاح صوفیه عبارتست از اول درجات شهود حق بحق در اثنای بوارق نورانی

فصل ك

ذوالحبك (ع) خداوند راهها یعنی آسمان الاحتباك استوار کردن و نیکو کردن هر چیزی

فصل ل

ذیل (ع) بفتح دامن جامه و دامن بر زمین کشیدن و خرامیدن اذیال و ذیول جمع
ذهول (ع) بضمتین مشغول شدن بغفلت و فراموش کردن
ذاهل (ع) غافل اسم فاعل از ذهول
ذبال (ع) بضم جمع ذباله است وذباله فتیله و شعله لازمه اوست وگاه است که بمعنی شعله هم آید و آنچه مور بدهان گیرد .
ذبل (ع) بفتح ایضاً
ذبول (ع) بفتح وگویند بضم پژمرده شدن و کاهیدن
ذلیل (ع) خوار و گناهکار و رام و نرم و آسان از ذل بضم و تشدید خوار شدن
ذات الشمال (ع) جانب دست چپ و کسانیکه نامهٔ اعمالشان بدست چپ آید و از این مراد گناهکاران و کافرانند .

فصل م

ذم (ع) بفتح و تشدید نکوهیدن
ذمیم (ع) نکوهیده و بوی ناخوش و آب بینی ایضاً چیزی چون بیضهٔ مور که از مشام بیرون آید .

فصل ن

ذهن (ع) بکسر یکم وسکون دوم وبفتحتین زیرك بودن و یادداشتن و قوت و تیزی خاطر و توانا بودن
ذقن (ع) بفتحتین زنخ اذقان جمع وبفتح یکم و سکون دوم بر زنخ زدن و مشت بر حلق زدن
ذات الیمین (ع) جانب دست راست و کسانیکه نامه اعمالشان بر دست راست آید و مراد از مؤمنان است
ذو النورین (ع) کنایت از عثمان (رض) است
ذوالنون (ع) یونس پیغمبر و تیزنام ولی که ذوالنون مصری گویندش
ذوفنون (ع) بضم صاحب هنرها

فصل و

ذو (ع) بضم خداوند اشارت یعنی آن مرد و همچنین ذی

فصل ه

ذخیره (ع) بفتح یعنی پس‌افکنده که برای روز پسین بگذارند

فصل ی

ذکی (ع) بتشدید یاو گویند بتخفیف زیرك وتیزطبع از ذکا ازباب علم
ذوی (ع) بفتح اول وکسر دوم صوت و نغمهٔ خوش وخوب باشد از آن مرغ و ملخ و آدمی بسان ناله نازك و آواز پریدن زنبور و دوی هم آمده است که گذشت

باب ر

فصل الف

ریا (ع) بکسر نمایش یعنی کاری که برای مردم کنند و نیز گوسپند کوهی مارخوار که کف دهانش تریاك باشد وسرون اوبرای استخوان شکسته بکار آید گویند در ماهتاب بر سر کوهی بر آید و باشتیاق روشنائی ماه در زیر کوه می‌افتد و استخوانش خورد و شکسته می گردد چون سرون خود بمالد درست میشود و در اصطلاح سالکان در اعمال و عبادت ظاهری و باطنی نظر برخلق داشتن و از حق محجوب گشتن باشد
ردا (ع) بکسر چادر و نیز جامه که بر سر فروگیرند ودر اصطلاح

رایت (ع) علم ونیزه رایات جمع .
راحت (ع) آسانی و کف دست جمع راح و راحات ومصدر از باب نصر یعنی خوش شدن .
رجلیت و رجولیت (ع) مردی ومردانگی .
رشوت (ع) بضم و کسر معروف .

فصل ث

رفث (ع) بفتح سخن زشت و بفتحتین جماع و سخن فحش گفتن در جماع .
رث (ع) بفتح وتشدید چیز کهنه وبد حال رثاث جمع و مصدر از باب نصر یعنی کهنه شدن جامه وجز آن وباران ضعیف آمدن .

فصل ج

رتاج (ع) بکسر دربزرگ که دری خرد درمیان آن باشد ونیز بند در وشتران لاغر ومردم ضعیف .
رواج (ع) بکسر روانی .

فصل ح

روح (ع) بضم جان و رحمت و قرآن و جبرئیل وگویند عیسی علیه‌السلام ونام فرشته ایست عظیم‌الجثه که روز قیامت تنها در یك صف بود وفرشتگان دیگردرصف دیگر وزندگانی بیمرگ وفراخی و در اصطلاح متصوفه لطیفه ایست انسانیه مجرد و در اصطلاح اطبا بخاریست لطیف ومتولد دردل وقابل حیات و حس و حرکة است حکما روح وقلب را نفس ناطقه میگویند در روضة‌الاحباب بنظر در آمده که روح جماعتی‌اند که ملائکه ایشانرا نبینند مگردر شب ونیز روح عبارت ازروح انسانیست که مدرك معانی ومعلم علوم ربانیست وبفتح باد خنك وخوش آینده وروز خوش ورحمت وآسانی وبخشایش وبوی خوش .
ربح (ع) بکسر و سکون وبفتحتین سود وپیه اشتر و اسبی که برای فروختن برند وسود کردن .
ریح (ع) بکسر بوی وباد وگویند بوئی که ازباد آید وبمعنی دولت کقوله تعالی «ویذهب ریحکم» ریاح وارواح جمع
رباح (ع) بفتح سود وسود کردن ونام ساقیست ونام یکی از موالی آن سرور علیه‌السلام وجانوریست مانند گربه که کافور ازو بگیرند وکافور ریاحی باو منسوبست .
راح (ع) شراب وشادمانی وجمع راحت یعنی کف دست وآسانی .
رماح (ع) بکسر جمع رمح بضم نیزه‌الرمح نیزه زدن و لگد زدن ستور ورماح بضم وتشدید نیزه‌گر و رماحه بکسر نیزه‌گری .

فصل خ

رسوخ (ع) بضمتین استوار وپای بر جای و استوار بودن و ثابت بودن .

فصل د

رقود (ع) بضم خواب کنندگان وگویندرقاد ورقود ورقدخواب کردن راقد خواب کننده .
رد (عف) بفتح فاسد وزبون وبازگردانیدن یعنی نا قبول و در پارسی بمعنی دانا و خرد مند وحکیم وپهلوان آمده .
رشد (ع) بضم وفتح راه راست یافتن .
رشاد (ع) بفتح وضم راه راست یافتن وراه راست گرفتن و راست تقریر .
ریشخند (ف) بمعنی سخره و استهزاء یعنی بازی ونیز بازیگرانی که از چرم گوسپند ریش راست میکنند وبر روی می‌بندند .
رسد (ف) بفتحتین بمعنی سزد وزیبد .
رعد (ع) بفتح عاشق رباب وتندر ونام فرشتهٔ که ابر را میراند وگویند آوازهای ابر وبرق تازیانه اوست وگویند که رعد آواز هولناك فرشتگانست وبرق آه پرسوز آنها وباران گریه ایشان است وبمعنی عاشق و بجای رعد دعدهم آمده .

رند(ف)بکسر منکری که انکاراو از زیرکی باشد نه ازجهل وآنکه کار خود بفراست کند و گویند منکر و متحرك و چاپلوس و محیل که آنرا گربز نیز خوانند و ایضاً آنکه خود را ظاهر در ملامت نمایدو باطن در سلامت باشد ودر اصطلاح سالکان شراب خوار وشراب فروش را گویند که شراب نیستی میدهد و نقد هستی سالك میستاند و نیز کسی که اوصاف و احکام کثرات و تعینات از خود دورساخته باشد و بهیچ قید مقید نباشد بجز الله ولاسواه و با اول مفتوح بثانی زده شش معنی دارد اول سخن باشد دوم بمعنی تراش و تراشه که از چوب جدا شود آمده و دست افزاربرا که بدان تخته و چوب تراشیده هموارسازند رنده خوانندسوم خوشبوی را گویند چهارم گردرانامند و خاك رنده گردیکه از خاك بر آید پنجم بمعنی ربودن و دزدیدن آمده مولوی فرماید بیت : نفس موشی نیست الا لقمه رند ـ قدر حاجت موش را عقلی دهند ششم چیزی بود زمخت مانند هلیله و مازو و پوست انار

رغد (ع) بفتحتین بسیار شدن نعمت بی‌رنج وفراخ ونیك‌شدن عیش و خوردنی پاکیزه

رصد (ع) بفتحتین چشم داشتن وقوم چشم دارندگان و دراصطلاح حکما چبوتره که بارتفاع هفتصد گز بر تیغ کوه شامخ بندند و بر آن حکما ومنجمان و مهندسان نشینند و طلوع و غروب ستارگان و اسرار فلك معاینه و مشاهده کنند و نیز چبوتره باجگاه را گویند و بمعنی نگاهبان راه و پاسبان وجای نگاهداشتن و اول باران و جهنده و گیاه اندك هم آمده

رصد بند (ف) واضع قوانین نجوم باشد .

رشید (ع) حلال زاده و راست تدبیر و راست تقدیر وراه نما وراه راست .

رمد (ع) بفتحتین چشم درد و بدرد آمدن چشم .

راکد (ع) آب ایستاده رواکد جمع از رکود از باب نصر یعنی بایستادن آب وآرام گیرنده وهرچه درجای قرار گیرد از باد و کشتی.

ریش پرباد (ف) بمعنی غرور و تکبر .

راد (ع) چهار معنی دارد اول کریم وجوان مرد باشد دوم شجاع ودلاور سوم حکیم ودانا چهارم سخنگوی بود .

فصل ز

رستخیز ورستاخیز (ف) بفتح اول قیامت .

رز (ف) با اول مفتوح چهار معنی دارد اول پارهٔ انگور راگویند وآن معروفست دوم باغ باشد مولوی فرماید : ازره رخنه چو دزدان برز خود رفتم — همچو دزدان شکر ازگلبن خود می‌چیدم — در زبان فارسی باغبان راگویند سوم رنگ بود شیخ‌نظامی راست: کسیرا که جانش بآهن گزم—بسی جامهادرسکاهن رزم—چهارم زهررا گویند حکیم فردوسی‌راست — کمانرا بزه کرد آن تیر گز— که پیکانش را داده بود آب رز .

روز (ف) بضم یوم وبمعنی قیامت آمده .

راز (ف) پنج معنی دارد اول پوشیده وپنهانرا گویند سعدی فرماید بیت چنان دردلت این سخن دار راز—که از دل بجوئی نیابیش باز دوم رنگ کردن و امراز رنگ کردن بود و آنرا رز نیز خوانند سوم خارپشت را گویند چهارم نام قریه ایست که در یك فرسنگی سبزوار واقع است پنجم اسم شاهزاده .

رمز (ع) بفتح و سکون بابرو اشارت کردن

ریش چغز (ف) آن ریشی که تا چاك نکنند به نشود هندوان دندارو گویند

فصل س

رأس (ع) بفتح سرو رئیس قوم ومصدر از باب فتح یعنی بر سر زدن

روح‌القدس (ع) بضم قاف و دال جبرئیل علیه‌السلام

رفس (ع) بفتح بپا زدن چیزی را

فصل ش

رش (عف) بفتح وتشدید چکیدن آب و اشك و آب زدن جای را و باران اندك باریدن رشاش جمع ودر فارسی با اول مفتوح و تخفیف هشت معنی دارد اول اسم فرشته‌ایست که عدل بدست اوست و تدبیر امور و مصالحی که در روز رش واقع شود بدو متعلق است دوم نام روز هیجدهم باشد از ماه شمسی سوم‌قسمی از جامه ابریشمی بود بس لطیف و گران مایه چهارم ارش را گویند و آن از سر انگشتان دست باشد تا آرنج و مسافت دو دست وقتیکه فرازکنند پنجم زمین پشته را خوانند ششم نام‌قسمی ازخرما باشد که بالیده و سیاه رنگ شود هفتم سیماب‌را نامند. هشتم نوعی از انجیر است

رخش (ف) نام اسب رستم

فصل ص

رخیص (ع) بفتح ارزان

رهیص (ع) بفتح بنیاد دیوار نهادن و بکسر بنیاد دیوار و سنگ ریزه .

رصاص (ع) بفتح و بکسر ارزیز که قلعی باشد

فصل ض

ربض (ع) بفتحتین گرداگرد شهر و گرد هرچیزی وگرد قلعه و باین معنی تفسیر سور است

رفض (ع) بتحریك وسکون فروگذاشتن وبرانداختن وترك‌دادن و ترك و چرنده

ریاض وروض (ع) جمع روضه یعنی بوستان و مرغزار و باقی آبی که درحوض بماند .

رایض (ع) آنکه اسب وستور سرکش را رام کند .

فصل ط

رباط (ع) بفتح خانه وبمعنی پل بند و آب‌بند ستوران ودرعربی سخت وچیزی که باو سخت بندند چیزیرا و رام و اسبی که‌اورا باز بسته باشند در راه خدا وپیوسته درگذرگاه دشمن وجای ترس مقیم بودن وجای فرود آمدن مسافران .

رهط (ع) بفتح قوم وقبیله واز سه یا از هفت تا ده وماورای ده و لنکوته پوست که زنان حائض برمیان بندند .

رابط (ع) بکسر با بربندنده و پیوستگی دهنده .

فصل ع

رضاع (ع) بفتح وگویند بکسر شیر خوردن بچه از مادر .

ریع (ع) بفتح حاصل و محصول و آنرا دخل نیزگویند و زیان وافزونی وزیادت شدن و افزایش کردن وبکسر زمین بلند .

رضیع (ع) بچه شیرخوار وهمشیره .

ربع (ع) بضم چهارم حصه ونام ساز منجمانست مانند نیم اصطرلاب که بدان ارتفاع کواکب گیرند و بفتح منزل وسرای و کشت و محلت ومال ورباع وربوع جمع وبکسر تب دوروز درمیان .

رجع (ع) بفتح باز آمدن وبازگردیدن وقلم برسر خط وابردن و جواب باز دادن ودست وپا برداشتن چارپا در وقت رفتار وباران وپارهٔ آب سیل که جائی ایستاده باشد وسرگین سبع .

رفع (ع) بفتح برداشتن رافع بر دارنده رفیع برداشته شده .

ربیع (ع) بفتح اول و کسر دوم نزد عرب دو ماه است ربیع الاول و ربیع الثانی و ضد خریف و بهار عبارت از آنست وچاریك چیزی و جوی خرد جمع اربعا فعیل از ربع از باب فتح یعنی چهارم شدن و چهاریك شدن و چهار توکردن و باران بهاری آمدن .

فصل غ

راغ (ف) دامن کوه که بجانب صحرا فرو رود وصحرا و بن کوه و کشت‌زاروباغ سبز کذا فی‌البختری ودرخشیدن‌تینها چون‌چراغ

شرعیه ومشروط است با او کتاب .

رمال (ع) بفتح وتشدید آنکه علم رمل داند وبکسر وتخفیف میم جمع رمل بمعنی ریگ .

رمل (ع) بفتح بمعنی ریگ ونام بحریست ازعروض ونام علمی معروف که شانزده شکل دارد ومصدر بمعنی بوریا بافتن وبفتحتین زود دویدن واندك باران شدن سال وباران اندك .

رسایل (ع) کتابها ونامها وجمع رسیل بمعنی همزبان وهم آواز

رسیل (ع) بفتح همراه وهم آواز وهمرو درتیر اندازی وجز آن وپیغمبر وفرستاده وگویند پیرو و بمعنی همزبان نیز بنظر درآمده

رأس مال (ع) سرمایه تجارت واصل مال .

رجل (ع) بفتح اول وضم ثانی مرد رجال وارجل و رجلات جمع وبکسر وسکون پای جمع آن ارجل است .

رطل (ع) بفتح وگویند بکسر دوازده اوقیه که هر اوقیه چهل درهم است ومرد سست و جام شراب وپیمانه .

رحیل (ع) بفتح وکسر حاکوچ کردن .

رذیل (ع) بفتح فرومایه وناکس .

فصل م

رجم (ع) بفتح وسکون سنگسار کردن .

رجیم (ع) بفتح وکسر جیم رانده شده و باز مانده و سنگسار کرده شده وکشته شده .

رجوم (ع) راننده .

رحم (ع) بفتح اول وکسر دوم زهدان وخویشی و بفتح و سکون مهربانی کردن از باب علم .

رسم (ع) بفتح نشانه وآئین ونوشتن و نشانه کردن و تعریف کردن و نشانه سرای ویران و نیز عهدهٔ قریب صاحب مثل جامه داری و جز آن وداغ و ایضاً طریقهٔ قدیم از آبا واجداد و رسوم جمع آن وصاحب این عهدهارا رسمی گویند ودر اصطلاح سالکان عبادتی که بی نیت بود آنرا رسم وعادت گویند نه عبادت .

رغم (ع) بفتح اول وسکون دوم کاری بعکس کردن وبخاك رسیدن بینی ومقهور شدن وقدرت نداشتن وخواری و بمعنی ناکس نیز آمده بکسر ماضی وفتح مضارع

رام (ف) نه معنی دارد اول ضدوحشی باشد یعنی مطیع ضد سرکش دوم نام سروشیست که موکل است بر افعال بندگان و تدبیر امور ومصالحی که در روز رام واقع شود سوم روز بیست ویکم است ازماههای شمسی چهارم آرام پنجم بمعنی روان آمده ششم نام شخصی که واضع سازوچنگ اوست واو را رامتین نیز گویند هفتم خوش و خوشا هشتم نام درّه ایست درملك هندوستان نهم نام عاشق ویسه و او را رامین ورامینه نیز گویند .

رخام (ف) بضم سنگ سپید و نرم ونام موضعی است وگویند نام شهریست که مسکن جن است .

رم (ف) بفتح دو معنی دارد اول رمیدن دوم رمه بود ودرعربی بفتح اول و ثانی مشدد سه معنی دارد اول خوردن دوم بصلاح آوردن باشد هرچیزیرا سوم بمعنی گریز و در فرهنگی نوشته که نام دشت ونام رودیست که آنرا رود رم گویند و بکسر را و میم مشدده مغز خاك و مال بسیار وبضم مرمت کردن خانه وصفه را که شکسته باشد.

رتم (ع) رشته که بجهت یادداشت بانگشت بندند آنرا بفارسی یاد آور گویند رتمه واحد اوست .

رزم (ف) بفتح دو معنی دارد اول جنگ و جدل باشد و رزمگه ورزمگاه جنگ گاه را گویند و آنرا پیکار و پرخاش و فرخاش و نبرد وناورد نیز گویند دوم هیزم .

روم (ع) بفتح مرام جستن بفتح ماضی و مضارع .

رقم (ع) بفتحتین نبشتن و مهر کردن .

رمیم (ع) بفتح و کسر میم استخوان پوسیده و کهنه شده .

فصل ن

روزدیرشدن (ف) دراصطلاح بمعنی روز ضایع شدنست وچند جا

در مثنوی باین معنی آمده .

روان (ف) بفتح دومعنی دارد اول شتاب رفتن دوم نفس ناطقه چنانکه ابوعلی سینا در رساله معراجیه آورده که مراد از روان نفس ناطقه است واز جان روح حیوانی و مولوی در دفتر ششم مثنوی باین طریق فرموده: آن حکیمی را که جان از بندتن—باز رست او شد روان اندر چمن—یا روان‌شد خود بسوی هاویه—همچو موش از زاویه درزاویه—دو لقب را او برین هردو نهاد—بهر فرق‌ای آفرین بر جانش باد .

رایگان (ف) چیزی را گویند که در راه‌یابند بی بدل و عوض‌و تحمل مشقت کسی و در اصل راه‌گان بوده حرف ها را بهمزه‌ملینه بدل کردند بصورت یانویسند .

رزان (عف) بفتح در عربی بمعنی آرمیده و در فارسی جمع رز یعنی انگور ودرنگ کننده .

ریحان (ع) بفتح نام گلی که اسپر غم نیز خوانندش‌وبقولی‌همه گلها راگویند و ملك کشت و نام خطی است و جنسی از شراب وروزی وطلب روزی کردن — ریاحین جمع .

رخشان (ف) بضم تابان و بحذف نون نیز خوانند .

رهین (ع) بفتح درگرو کرده ومحبوس و بکسرتین کهنه چیزی و بفتح نیز .

رامین (ع) نام عاشق ویسه باشد که‌هردودرزمان یونانیان بوده‌اند و فخرگرگانی قصه آنها را نظم کرده ونیز نام چنگی که چنگ خوب مینواخت گویند واضع چنگ ودر تبختری نام‌زن چنگ زنست

ریب‌المنون (ع) گردش زمانه و حوادث روزگار و کمان مرد و سختی روزگار.

رهان (ع) بکسر جمع رهن‌بمعنی گرو ونیزبمعنی گرو بستن آمده.

رهبان (ع) بضم ترسیدن و بفتح ترسنده رهبانیت از خلق کناره گرفتن و نیز بضم زاهدان ترسایان باشد و او جمع راهب است و در فارسی بفتح راهرو و راه بر و نگاهبان راهرا گویند

رکون (ع) بضم آرام گرفتن و بسوی چیزی میل کردن وساکن‌شدن

رضوان (ع) بکسر خشنود شدن و نام دربان بهشت .

ریستن (ف) بکسر ریدن .

فصل و

ریش گاو (ف) احمق‌ومسخره و خام طمع و کوته اندیش‌راگویند

ریو (ف) بکسر دو معنی دارد اول مکر و حیله باشد دوم نام پسر کیکاوس که داماد طوس بود ونام پهلوانی از ایران زمین .

رکو (ع) بضمتین لته و جامه کهنه را گویند و بمعنی چادر یك تخته و ریزنده نیز آمده وآنرا رکوك نیزخوانند وبحرکات ثلاثه بمعنی ابریق چرمین مرقوم است .

فصل ه

رخنه (ف) با اول مفتوح معروف و بااول مضموم کاغذ باشد .

رهزده (ف) بفتح مانده و کوفته وآزرده راه ودرفرهنگی بمعنی مخمور نیز بنظر در آمده .

رمه (عف) بااول‌مفتوح‌دومعنی‌دارداول گله گوسفند وسایرحیوانات اهلی دوم پروین را گویندوآنرا پرن نیز خوانند که بتازی ثریاباشد ودرعربی با ثانی مشدد استخوان پوسیده وپوسیده شدن بود وبا اول مضموم هم درعربی دومعنی‌دارد اول ریسمان کهنه‌وپوسیده باشد دوم بمعنی همه آمده و درپارسی بمعنی سپاه‌و لشکر نیز آمده وبطریق استعاره بمعنی گروه مرقوم است .

رایحه (ع) بکسر وبای تحتانیه بوی خوش و ناخوش‌روائح‌جمع.

روضه (ع) باغ و مرغزار و باقی آبی که در حوض بماند .

راویه (ع) شتر آبکش و گویند ظرف آب که از چرم سازندو بمعنی توشه دادن نیز آمده .

ربوه (ف) بکسر بلندی و بفتح و بضم و بکسر نیز پشته زمین و جای بلندی و مراد از زمین بیت‌المقدس بجهت آنکه بلندترین زمینهاست وگویند زمین بیت‌المقدس از زمین هند چهار فرسخ بلندتر است یا مراد دمشق است یافلسطین که شهریست بزمین شام‌وبعضی گویند که ربوه تلی است بزرگ نزدیك دمشق ربی‌وروابی‌جمع.

رسته (ف) بفتح چهار معنی دارد اول خلاص یافته دوم‌بازارسوم روش وقاعده چهارم صف زده چون رسته مردم و رسته دندان وبا اول مضموم دو معنی دارد اول نام حلوائی است شبیه بقروت که آنرا بتازی کعب‌الغزال خوانند دوم بمعنی روئیده باشد .

رقعه (ع) بضم اول و سکون ثانی و فتح ثالث پاره که در جامه دوزند ونامهٔ خرد .

راحله (ع) بکسر حا مرکب .

رده (ف) بضمتین رسته که عرب آنرا صف گویند فردوسی راست رده بر کشیدند ایرانیان — ببستند خون ریختن را میان .

رابحه (ع) خریدو فروش با سود .

ریزه (ف) خوش و خرد .

فصل ی

روبه‌شانگی (ف) روبه بازی یعنی مکر و حیله و فریب

راعی (ع) شبان و نیز کنایت از آن سرور است و بمعنی نگاهبان وحاکم نیز آمده ولقب مردی و در اصطلاح صوفیه عبارتست از کسی که متحقق باشد بمعرفت علوم سیاست واکتساب‌امورتمدنیه

رهی (ف) بکسرتین غلام و بنده وچاکر وناکس وبفتح ایضاً.

راوی (ع) روایت کننده .

روسبی (ف) زن فاحشه و بدکاره و قواده راگویند .

رامی (ع) اندازنده تیرو سنگ و غیر آن .

روی (عف) بفتح اول وکسر واو سیراب وتازه وحرف اول‌در قافیه شعر وروایت کننده راوی ایضاً :

راضی (ع) خشنود .

راجی (ع) امید دارنده و ترسنده .

رعی (ع) بفتح و سکون چریدن وچرانیدن و چوپانی کردن و حتم داشتن وبکسر اول و فتح دوم علف وگیاه .

رای (عف) عقل و خرد باشد ونیزنام ملوك هند راگویند

ری (ف) بفتح شهری مشهورکه اورا ری شهریار نیز گویند و بفتح و تشدید سیراب شدن .

روی‌شوی (ف) چیزیست که زنان باو روی‌شویند از جهت صفا وآرایش زینت ونیز دغا باز وحیله گر وفریب دهنده

باب ز و ژ

فصل الف

ژرفا (ف) عمق باشد ونگاه کردن بعمق .

ژاژخا (ف) بیهوده گوی باشد

زهرگیاوزهرین‌گیا (ف) گیاهی باشد که چون حیوانات آنرا بخورند بمیرند سوزنی راست : جان افعی زده را نسخهٔ تریاك دهد نطق‌جان پرور تو برورق زهرگیا .

زهربا (ف) طعامی که زهر دروی اندازند جهت هلاك دشمن.

فصل ب

زهراب (ف) بفتح آبی که بدان گرده پنیر بندند و نیز آبی که در وی زهر تعبیه بود .

زب (ف) بفتح دو معنی دارد اول رایگان دوم آسان آمده ودرفرهنگ میراجو زب نوشته شده.

زهاب (ع) بفتح اول تراویدن آب ازکنارچشمه‌رودخانه وتالاب وامثال آن جمال‌الدین عبدالرزاق گوید : خلقت بمثل نهال‌طوبی- دست تو زهاب آب کوثر .

که بجانب ساعد باشد و استخوانی را که بجانب کف دست است رسغ نامند ودرفرهنگ مدارالافاضل بمعنی آواز خوش و نغمه ایست نظامی‌راست: ترنگاترنگی که زد ساز او—به‌اززند زردشت وآوازاو و اگر در این بیت بمعنی کتاب خوانده شود درست نمیآید مگر که آن کتابرا بآواز و الحان میخوانده باشند و نام رودیست در صفاهان که آنرا زنده رود خوانند .

فصل ذ

زوذ (ف) بمعنی زوداست چه در فارسی بجای دال مهمله ذالی معجمه خوانده‌اند واکثر در اشعار متقدمین است

فصل ر

زیر (ف) بکسر و یای معروف رود باریکی صدبم و آنکه با زنان سخن گوید وآنانرا دوست دارد ودر شرح مخزن آورده‌اند که نام پرده‌ایست یکی زیر بزرگ که در نیم‌شب سرایند دوم زیر خورد که در آخر شب نوازند ونیز از چهار تار رباب آن یکم زیر که آن آتنی‌است دوم مثنی است که هوائیست سوم مثلث که آبیست وچهارم بم که خاکی است ودرفرهنگ میرعضدالدوله‌بسه معنی دیگر بنظر درآمده اول پوشیده وپنهان دوم نام گیاهیست که‌بغایت زرد وباریك‌باشد که آنرا اسپرك نیزخوانندسوم هرچیزی باریك و ضعیف راگویند مانند تارباریك و آواز باریك وآدمی لاغر وامثال آن .

زنهار وزینهار (ف) با اول مکسور ده معنی دارد اول‌امان باشد دوم عهد و پیمان سوم بمعنی البته چهارم امانت پنجم ترس و بیم ششم شکایت واین هردو معنی را شیخ سعدی نظم نموده بیت: زینهار از کسی که در غم دوست — پیش بیگانه زینهار کند .هفتم پرهیز باشد هشتم حسرت و افسوس بود سوزنی نظم نموده بیت : خوردند زینهار بر اموال خویش وبرد — اموال خویش‌را بوآن زینهار خوار نهم بمعنی شتاب‌آمده دهم بمعنی هوش‌وآگاهی آمده وزینهاری امان طلب راگویند و زنهار خوار عهد شکن راگویند: هر که زنهارخوار عهدتو گشت — بسپارش بعالم خونخوار— ومراد از زینهار دار امان دهنده باشد .

زار (ف) بانگ شیر و در مؤید است که پارسیان بمعنی ناله ازینجاگرفته‌اند بخاطر میرسد که زار درفارسی بمعنی ناله نیست بلکه بمعنی غم و اندوه است و این زار صفت ناله واقعشده گویند نالهٔ زار وگریهٔ زار ونیزگویند که بعجز و زاری پیش آمد امادر ابراهیمی گفته که ناله زار اندوه زدگان با گریه ودم سرد ودر سکندری گفته جای چیزی که چیزی از آنجا خیزد چنانکه‌لاله‌زار وگلزار و بنفشه‌زار و این موضع بجهت کثرتست چه‌اگر یك گلبن ازجائی بروید گلزار نتوان گفت وازعالم‌ستانست که لفظ زار باگل وغیره مرکب میشود

زحیر (ع) بفتح پیچیدن شکم و رفتن شکم و بسختی نفس کشیدن و نالیدن .

زجیر(ع) بمعنی‌زاجر است‌وزاجر دراصطلاح‌صوفیه عبارتست ازواعظ الله‌تعالی دردل مؤمن وآن نوریست انداخته شده که داعی است‌او را بعبادت حق .

زمهریر (ع) بفتح سرمای سخت و آن سرمائی است که بدان کافرانرا عذاب کنند وباد سرد و فوق کره ارضی‌است

زنبور (ف) بضم‌مگس شهدوآن دونوع است از یکی شهد وازدوم نیش‌مصرع — از یکی زنبور نوش‌وازدگر جزنیش نیست—ودرعرف عام بفتح خوانند .

زنار (ف) هررشته راگویندعموماً و رشته راکه آتش پرستان باخود دارند خصوصاً ونزد صوفیه عبارتست از استظهار معشوق .

زجر (ع) بفتح منع .

زور (ع) بضم عقل و دروغ وبت و معبودی که غیر حق باشد و

سخن دروغ وبمعنی فکر نیز آمده و بفتحتین میل کردن و خروج کردن و دخول کردن و بفتح یکم و سکون دوم زیارت کردن کذا فی کشف‌اللغات .

زوار (ع) بضم و تشدید زیارت کنندگان و مستعمل پارسیان بفتح‌و گویند خدمتکار بندیان و بیماران .

زبور (ع) بفتح کلام خدایتعالی که برداود علیه‌السلام فرودآمده و نیز نوشته شده ولوح محفوظ .

زهر (ع) بفتح وسکون دوم نی زدن و بفتحتین اندك موی‌شدن و اندك مروت شدن و بضم یکم وفتح دوم گروهها واو جمع زمره است ونام‌سوره‌ایست ازسوره‌های قرآن وبفتح‌یکم و کسر دوم‌اندك موی واندك مروت

زبر (ع) بضمتین جمع زبور ولوح محفوظ وآهن پارها وکتابها و پاره های هرچیزی وبفتح عقل وبکسر کتاب .

فصل ژ

ژاژ(ف) گیاهی بود که بی تخم روید ودر غایت بی مزگی‌باشد و چندانکه او را اشتر بخاید نرم نشود و سخنان بیمزه را بهمین اعتبار ژاژ خائیدن گویند .

فصل ع

زرع (ع) بفتح کاشتن و رویانیدن زروع جمع .

فصل غ

ژغژغ (ف) بفتح‌هردو ژ آوازی را گویند که‌درمحل‌چیزی‌خوردن وخائیدن و بسبب کثرت سرما یا از بسیاری قهر وغضب ازدندانها برآید یا ازگردکان و بادام و پسته و امثال آن که پوسیده باشد در جوال اندازند و برهم خورده صدا دهد

زاغ (عف) سه معنی دارد اول معروفست دوم گوشه کمان‌راگویند سوم قولی باشد از موسیقی امیر خسرو در صفت قلم گوید : که بصریرآمده چون مرغ باغ—نغمه بلبل زده ازقول زاغ— زیغا جمع آن ودر عربی بمعنی گشت وگردید و میل کرد چنانچه « مازاغ البصر وماطغی » مؤید این معنی است و آدمی متحرك و فتنه انگیزرا نیز باین نام خوانند .

فصل ف

زلف (عف) درفارسی مشهور و درعربی پیش شدن و نزد صوفیه عبارت از هویت حق است که هیچکس رابدان راه وقوف نباشد

ژرف (ف) بفتح درجمیع‌معانی باقول مترادفست و همچنانکه تفول وعمیق بمعنی دور و درازست کقوله تعالی « من کل فج عمیق» ژرف نیز بمعنی دور ودرازآمده امیر خسروراست بیت : هر آنچه‌آفریدی درین جوی‌ژرف —نهفتی‌درو کیمیای‌شگرف— و ژرفاعمق باشدونگاه کردن بژرفی و احتیاط کردن و بتعمق نظر نمودن بود در کار ها حکیم فردوسی راست بیت : سپه را بیاری‌زسالارخویش - بژرفی نگهدار پیکار خویش .

زیف (ع) بفتح‌خرامیدن دررفتار وشتابیدن وزبون ونادرست شدن زر وغیرآن .

زفاف (ع) بکسر فرستادن زن بخانه شوهر و عروس و داماد را بهم رسانیدن ازفاف بشتاب رفتن .

زحف (ع) فرا چنگ شدن و خزیدن و رفتن و جمع شدن برای جنگ وگذشتن .

زهف (ع) بفتحتین چست شدن وشتابیدن .

فصل ق

زرق (ع) بفتح کبود چشم وبمعنی ویل نیز آمده و بفتحتین کبود شدن چشم وصاف شدن چیزی وگربه چشم شدن وبضم اول کبودچشمان و در جملة اللغه بمعنی آب صاف بنظر درآمده .

زندیق (ع) بکسر ملحد وبیدین و نیزآنکه عمل بر کتاب‌مغان کند.

زلق (ع) بتحریك خزیدن‌ولغزیدن وآنچه‌پای برو لغزد وزمین هموار وبی گیاه وسرون چاروا وبفتح یکم وکسردوم بمعنی مردم زود خشم آمده وبفتح اول وسکون دوم سرتراشیدن بود .

زهق (ع) بفتحتین زمین دشت و هامون یعنی هموار و بکسرها چست وتیز رفتار وهلاك شونده ونیست شدن وفانی شدن

زهوق (ع) هلاك شدن و درگذشتن تیر از نشانه وباطل شدن وگریختن ورفتن و محکم شدن مغز دراستخوان .

زراق (ع) صاحب نفاق و ریا .

فصل ك

زاك (ع) بفتح بهتکری واجناس آن در کتب طب معروف است .

فصل ل

زوال (ع) بفتح نیست شدن و بگردیدن ونیز میل کردن آفتاب ازخط استوا سوی مغرب .

زلال (ع) بضم آب خوش و خوشگوار وصاف ودرحل‌لغات است. آنچه زود وآسان فرو رود .

زلل (ع) بفتحتین جای لغزیدن .

فصل م

زحم (ع) بفتح تنگ کردن .

زمام (ع) بکسرمهار ورشته که درچوب بینی شتر به بندند ودوال نعلین که بریشت پای بود .

زعیم (ع) بفتح دعوی کننده وپایندانی کننده ومهتر .

زقوم (ع) بفتح نام درختی است در دوزخ که شاخ وبرگ وی ازآتش‌است ومیوه‌های‌او سرهای شیاطین‌است کما قال‌الله‌تعالی«شجرة تخرج فی‌اصل‌الجحیم طلعها کانه رؤس‌الشیاطین » و طعامی است از خرما وروغن تازه که بهم آمیخته باشند ونیز درختی است دربادیه که سقمونیا صمغ اوست .

فصل ن

زمن (ع) بفتح اول وکسر دوم افکار شده و مبتلاگشته بآفت زمانه و زمانه آفتی است که در حیوانات پیدا شود و در فارسی استعمال آن بجا مانده و کوری که بپای رفتن نتواند و بقوت عصا و امثال آن رود و بفتحتین روزگار .

ژیان (ف) بکسر تند و خشمناك باشد و این لفظ برجمیع جانوران پرنده وچرنده که درایشان صفت‌غضب‌وخشمناکی باشد اطلاق‌می‌یابد.

زین (ع) بفتح آراستن و آرایش وخوبی وتاج‌خروس وبکسرمختصر زینت است .

زدودن (ف) بااول مکسور پاك کردن بود چنانکه دلرا از غم وآئینه و شمشیر و امثال آنرا از زنگ و اعضا را از چرك و ملك را از فتنه ومانندآن .

زمان (ع) بمعنی مرگ باشد وبمعنی عهد ووقت وفرصت نیزآمده.

زهیدن (ف) جوشیدن و بیرون آمدن چنانکه‌میگویندمی‌زهدیعنی میجوشد وبیرون می‌آید .

زوبعان (ع) شیطانان و شریران در قاموس الزوبعه‌اسم للشیطان اورئیس للجن وفی مجمل‌اللغه تزبع اذاتهیأللشر .

فصل و

زو (ف) با اول مضموم مخفف زود است وبا اول مفتوح دو معنی دارد اول نام پادشاهی بوده دوم دریا باشد .

زاو (ف) پنج معنی دارد اول بناراگویند و آنرا زاژ نیز نامند دوم قوی وزبر دست و پر زور را خوانند سوم شکاف باشد چهارم دره کوهرا نامند پنجم خشت شکسته بود .

فصل ه

زله (ع) آنچه از بهر کسی نهند از طعام و ایضاً دو عدد نان تنك بکسر اول وفتح وتشدید نام جانوریست مانند ملخ که بخانه و صحرا درهوا های گرم فریاد کند وآنرا جرذ نیز گویند .

زکی (ع) پارسا و پاك از گناه و پاك مطلق نیز ومصدر بمعنی بالیدن کشت و زیاده شدن و بناز زیستن وبصلاح آمدن

ژندگی (ف) کهنگی که از ژنده است

زردهدهی (ف) زر خالص را گویند

باب س

فصل الف

سیمیا (ف) علمی وطلسمی که ازآن انتقال روح دربدن دیگری بشود و بمعنی طلسم مطلق نیز آمده امیر خسرو راست : بیت — این چه نیرنگ وسیمیا کاریست—یارب این خواب یا به بیداری است

سقا (ع) بکسر مشك و بفتح آب دادن .

سودا (ف) میانه دل وبمعنی سیاه وپارسیان اورا درمحل تجارت وخیال ومایه خلل دماغ استعمال کرده‌اند وبمعنی اندیشه وحرارت و شوریدگی وخلط سیاه از اخلاط اربعه و مایهٔ پیوست که در دماغ مردم افتد وازآن خیالات فاسده زاید وخلل دماغ آردو بعضی گفته‌اند که خلقت آدمی ازطبایع وعناصر است ونتایج اینان سودا و صفرا وخون وبلغم است واین را خلط نامند .

سیما (ع) بکسر وسکون وبمد و قصر نیز علامت درروکه ازآن خیر وشر معلوم شود ونشانه ورنگ سرخ ودر فارسی بمعنی رخسار و روی آمده و بتشدید یا بمعنی خاصه .

ستا (ف) با اول مکسور پنج معنی دارد اول ستودن و امراز ستودن بود واین معنی بدون ترکیب درآخر کلمات گفته نشود مانند آفتاب‌ستا وخودستا ، وستودن وستائیدن مصدرآنست دوم نوعی از چادر باشد که آنرا شامیانه نیز خوانند سوم نام لحنی است از موسیقی چهارم تنبوره که سه تار داشته باشد نظامی باین دو معنی فرموده : ستازن بر آورد بانگ سرود — سرودی نو آئین تر از صد درود . پنجم شراب سه ساله را خوانند که بموجب قرار داد حکما درنهار بنوشند تامعده را ازاخلاط ریه بشوید وغسل دهد وآنرا بتازی ثلثه غساله میگویند و ستا بمعنی تنبوره و ثلاثه غساله را منفصل نیز نویسند بلکه منفصل نوشتن اولیست .

سینا (ع) بکسر سوراخ کننده ونیز نام پدر بوعلی حکیم و نام کوهی که حضرت موسی علی نبینا وعلیه‌السلام را برآن تجلی شده بود ونیزنام درختی است .

سویدا (ع) بضم میانه دل وسیاهی اندك ونقطه سیاه که دردل است که چون عشق به کمال رسد آن نقطه سپید گردد .

سنا (ع) بفتح روشن و روشنی وگویند روشنی فروتر از نور وبزرگی ونام گیاهی ونام چوبی که از آن مسواك سازند و سناء ممدوده بمعنی بلند شدن و بکسر سیر کردن و از جائی بجائی بردن شراب .

سها (ف) بضم ستاره‌ایست خرد نزدیك بنات‌النعش کبری که مردمان روشنائی چشم بدان امتحان کنند ودرتاج اسامی این کلمه را درباب یا آورده‌اند اما پارسیان بالف استعمال کنند وبکسر زمینها وآرمید گیها واو جمع سهو است .

سبا (ع) بفتح نام شهریست بیمن که بلقیس ملکه آن بوده و قبایل بنی سبا ونام پدر بنی‌سبا وبکسر بمعنی‌می وگویند دل بردن معشوق عاشق را وباین معنی اخیر درفصل یا ازهمین باب مرقوم میشود

سوءالقضا (ع) قضای بد

سکبا (ف) بکسر اول آش معروف

فصل ب

سبب (عف) بفتحتین پیوستگی و عهد و صله و واسطه و جماعت و علت و جهت و آلت و ریسمان وگوشه و دو راه

سجودالقلب (ع) درلغت معروف وسجود قلب دراصطلاح صوفیه عبارتست از فنای فی‌الله نزد شهود عبد او را بحیثیتی که مشتمل نباشدازاستعمال جوارح‌ومولوی که‌درمثنوی فرموده: هردلی‌را سجده

هم دستور نیست — اشاره باین سجود است

سیب (عف) بفتح بمعنی بخشش و دهش و بکسر میوه معروف

سراب (ف) آنکه درنیم روز ازتابش آفتاب‌ویا درشب ازماهتاب از دور همچو آب نماید و نباشد

سنب (ف) بضم سه معنی دارد اول سمّ چهارپایان دوم پای و آنرا سم نیز نامند سوم سوراخ کردن و امراز سوراخ کردنست

سفیان حرب (ع) بضم نام شخصی از اصحاب

سالب (ع) رباینده

سطرب (ع) بکسر اول بمعنی ستبر که بعد خواهد آمد

فصل ت

سومنات (ف) بضم و واو پارسی و میم موقوف بتخانه‌ایست در ولایت سورته مشهور بجونه که موسوم به دوارکا از مضافات ملك گجرات احمد آباد که در قصبه جکت کنار دریای شور واقعشده و صورت کشن در آنجا بوده است وگویند نام دیوی

سخت (ف) بفتح چهار معنی دارد اول معروفست دوم بمعنی سنجیده بود و سخته سنجیده را گویند وباین معنی‌دوم بضم‌مشهور است سوم بخیل و رذل و بی همت و لئیم باشد چهارم بمعنی بسیار آمده ودر فرهنگی بمعنی درشت وتنگ ودشوار ونهایت شوخ مرقوم ساخته

سرشت (ف) بکسرتین طینت وخلقت وطبیعت بود .

سیئآت (ع) جمع سیئه یعنی بدی .

سبات (ع) بضم زمانه و خواب‌گران و آنکه روح در بدنش باشد اما حرکت منقطع شود حکیم انوری راست : فتنه را آن هوا نمیسازد —زان‌برنج سبات رنجور است

سنگ بست (ف) میوه نرسیده که اثر خامی دراو ظاهر باشد .

سعت (ع) بکسر فراخ بودن وفراخ رسیدن و بفتح توانگر و توانا شدن .

سلوت (ع) خوش عیش شدن وپرنعمت شدن و آرام وبینعمی و نعمت وخوش عیش .

سیاحت (ع) برزمین گشتن ورفتن .

سباحت (ع) شنا کردن وبشتاب رفتن .

سکوت (ع) بضمتین خاموش شدن و آرمیده شدن و خاموش و آرام .

سرایت (ع) بکسر بمعنی تأثیر .

سنت (ع) بضم‌اول فتح وتشدیددوم‌آنچه پیغمبرعلیه‌السلام وصحابه برآن عمل کرده اند و طریق ایشان و بمعنی صورت وروی و نوعی از خرمای مدینه .

سبت (ع) بفتح روز شنبه وکودك شوخ واسب بسیار رو ونیز بمعنی دهر و آسایش سبوت جمع و بکسر پوستهای گاو دباغت کرده وکفش .

سباقت (ع) پیش دستی گرفتن .

سیاقت (ع) راندن .

فصل ج

سراج (ع) بکسر اول آفتاب وچراغ سروج جمع وبفتح وتشدید زین دوز را خوانند .

سمج (ف) بضم جائی راگویند که درزیر زمین یا درکوهها بکنند و چنان سازندکه در درون آن توان ایستادن و خفتن چنانکه درویشان ومحتاجان بجهت خود وچوپانان وگاوبانان برای گوسپندان و گاوان بسازند مسعود سعد سلمان گفته : درین سمج هر گز نگنجید می — بصد چاره و جهد و نیرنگ و رنگ — وآنرا سمجه بضم نیز نامند .

سمج (ع) بفتح زشت وبدسرشت و شیر چرب بد طعم و ناخوش و نا شیرین راگویند .

سکباج (ف) بمعنی سکبا با اول‌مکسور نام‌آشی است که ازسرکه وبونج بپزند چه سك سرکه راگویند وبا بمعنی آش است .

فصل ح

سرح (ع) بفتحتین مال چرنده و درختان دراز وبزرگ وبضمتین شترماده چست رفتار واسب چست رفتار ونرم وبفتح سین وسکون را بچراگذاشتن چارپا ورها کردن آن .

سماح (ع) بفتح وگویند بضم جوانمردی وبخشیدن .

فصل خ

سپاناخ (ف) بکسر نوعی از سبزی باشد که درآشها اندازند و آنرا اسپناج نیزگویندودرهندش پالك نامند

سلاخ (ع) بفتح وتشدید پوست کن .

سنگ لاخ (ف) زمین سنگستان وسنگ سخت وسعدن سنگ .

فصل د

سواد (ع) بفتح سیاهی وشخصی وشهروده وعددبسیار—سوادالقلب حبه راگویند ومیانه دل وگرد شهر واول تصنیف را سواد ومسوده گویند و مال بسیار و صورتی‌که بخواب بینند و اقلیمی است که ده هزار فرسنگ وسعت اوست .

ساعد (ع) بازوی مردم وبال مرغ ودر اصطلاح سالکان عبارت از محض قدرت باشد وبمعنی دستوانه نیز بنظر درآمده .

سند (ف) با اول مکسور سه معنی دارد اول نام ولایتی است از ملك هندوستان دوم حرامزاده اسدی این دو معنی را بترتیب نظم نموده : شناسند هریك همه هندوسند—که هستی تودرگوهرخویش سند—سوم نام رودی عظیم بود که در میان ملك‌هند وولایت واقع است و به‌نیلاب مشهور است

سدید (ع) بفتح استوار و درست و راست و راستی در سخن ودر تیر انداختن .

سعد (ع) بضم مشکك وآن بیخ‌گیاهی است وخوشبو که هندش موته نامند وبفتح نیك وخجسته ونام عاشق اسما نیك‌بخت‌گردانیدن

سداد (ع) بفتح راستی درکار ودرستی درگفتار وراست شدن ودرست شدن .

سد (ع) بفتح وتشدید کوه استوار و بلند وبند راه و پرده میان دو چیز ودیوار استوار ونیز استوارکردن ورخنه رهگذر بستن .

سعاد (ع) بضم نام زن کعب وغیرها وبفتح مصدر ازباب سعدیسعد بمعنی یاری کردن .

سرمد (ع) بفتح همیشه .

سعود (ع) بفتح نیك بخت شدن ومبارك شدن ونیز جمع سعد و بضمتین منزلی ازمنازل قمر .

سود (عف) بضم جمع اسود یعنی سیاه و در فارسی با اول مضموم وواو معروف دومعنی دارد اول فایده و بهره ودوم بمعنی جشن و میزبانی وشادمانی آمده .

سید (ع) بفتح وتشدید مهتر وشوهر وبکسر سین وسکون یاگرگ وشیر درنده .

سپند (ع) بکسر اول و فتح ثانی دومعنی دارد اول دانه سوختن معروف دوم نام کوهیست .

سند (ع) محرکة—الانسان المعتمد قاموس

فصل ر

سمر (ع) بفتحتین‌افسانه وحکایت وحدیث شب وشبی که در آن ماه نباشد وبسکون میم افسانه گفتن ومیخ آهنی برچیزی زدن .

سوار (ف) بضم وبکسردست برنجن وآن نام پیرایه ایست مشهور وبضم سبکباری ازشادی یا ازخشم ونام شهری ازبلغار .

سکر (ع) بضم مستی ومست شدن وسخت خشم‌گرفتن وبضم وتشدید شکر و فتح اول و سکون ثانی بستن آب رودخانه و چشم بستن و بفتحتین مست شدن وبه شدن و در اصطلاح سالکان حیرت و دهشت واله را گویند که چون بمشاهده جمال معشوق رسد عقلش مغلوب گردد وتمیز ازمابین برخیزد وازغایت بیخودی نداند که چه‌میگوید

نام ولایتی است از ملك هند که درآنجا عود پیدا شود وآنراسمند و سمندور وسمندل و سمندول نیز خوانند .

سنقر (ف) بسین و قاف هر دو مضموم پرنده درّنده که بدان شکار کنند و آن بردوگونه است سیاه و سپید که در هندوستان بواسطه بسیاری حرارت نزید خاقانی راست : عدلش بدان سامان شده کاقلیمها یکسان شده — سنقر بهندستان شده طوطی بیلغار آمده ودر تبختری نام یکی از غلامان است .

سار (ف) هفت معنی دارداول سررا گویندچنانچه نگونسار نگون‌سر وگرزگاو سارگرزگاوسر وسکسار مخلوقی است که سر او مانند سگ باشد و بدن مثل آدمی دوم نام جانوریست پرنده سیاه رنگ که خالهای سپیددارد و خوش آواز بودو بیشتر شکار ملخ کندخاقانی راست : سار از تو متعبد چمن گشت —هندوی چهارپاره‌زن گشت .سوم محل و جای راگویند و محل انبوهی چیز ها را خوانند مخصوصاًمانند نمکسار و کوهساروشاخسار و باین معنی بدون ترکیب درآخر کلمات گفته نمیشود چهارم بمعنی شبه ومانند آمده پنجم شتر را نامند وساربان شتربان بود استاد رودکی فرماید: داشتی آن تاجر دولت شمار—صد قطار سار اندر زیر بار . ششم رنج و محنت آمده خسروانی‌گفته: جانم بلب آمد ازغم وسار — مردم زجفا و جور بسیار . هفتم کلك ونی‌میان تهی راگویند .

ستر (ع) بکسر پرده و بفتح پوشیدن و در اصطلاح صوفیه عبارتست از چیزی که حجاب شود تراازمعاینه همچوعطای کون‌ذات‌الله‌تعالی را.

سریر (ع) بفتح پنهانیها و او جمع سریرتست و در اصطلاح صوفیه عبارت است از فنای سالك در حق وقت وصول تمام .

ستبر (ف) بکسر اول و فتح ثانی لك وگنده و غلیظ راگویند .

سفر (ع) بکسر اول وسکون ثانی کتاب ونامه‌وبفتحتین بجای دور رفتن و در اصطلاح صوفیه عبارت است از توجه قلب بسوی حق و سیر و سفر در این اصطلاح مرادف یکدیگرند .

سحور (ع) بفتح طعام سحری و بضمتین جمع سحر .

سعتر (ع) بفتح گیاهیست‌مثل تره که صوفیان بجهت ریاضت با نان خورند وگویند گیاهی که بزلف خوبان ماند وسعتری شاهدی راگویند که زلف خودرا بیاراید وزن شوخ و بدکاره و فاحشه راکه بآلت چرمین برزن دیگر فراهم آید نیز سعتری‌گویند و نام مقام خوبان خیز و داروئی که هندش موچرس خوانند .

ساطور (ع) کارد بزرگ گوشت بر .

سمور (ع) بفتح‌پوستین‌و نام‌جانوریست که ازپوست او پوستین‌سازند

فصل ز و ژ

سرسبز (ف) بمعنی حیات و تازه‌عیش و جوان و پادشاه و اهل دولت

ساز (ف) هفت معنی‌داردداول معروف دوم سامان واستعداد بودفرخی راست: بدل نیك تو داده‌است خداوند بتو— اینهمه‌نعمت سلطان‌جهان وین همه ساز . سوم‌سلاح جنگ چهارم مهمانی‌و ضیافت‌فردوسی راست: سرش را همانا زتن باز کرد — دد و دام را از تنش ساز کرد . پنجم مکر وحیله وفریب انیرا خسیکتی گوید : نرگس جادوش به نیرنگ وساز — خواب سحر برحدقهٔ من ببست . ششم بمعنی مثل و مانند آمده هفتم نفع باشد .

سوز (ف) امراز سوختن بود .

سپوز (ف) بکسر اول و ضم ثانی بمعنی برآوردن انوری راست : چون دهد باد شهوت جانش—برسپوزد سراز گریبانش—وبمعنی چیزی فرو بردن بزور سوزنی راست : ولی راگاه‌نه برگاه بنشان — عدورا چاه کن برچاه‌بسپوز . و این لغت از اضداد است .

سنوردژ (ت) بضم اول و ثانی لغت ترکی رومی است بمعنی سرحد که فاصله باشد میان دو ولایت و دو پادشاه و در اکثر مثنویها در عنوان داستانی که آخر دفتر چهارم است سیوز بااول‌مکسور وباء زده بنظر در آمده‌اما از عزیزی که ترکی رومی و اصطلاح آن‌دیارخوب میدانست چنین بتحقیق رسید که مذکورند و بمعنی دژ معروفست .

فصل س

سالوس (ف) نام و ننگ و دروغ و فریب و فریبنده و چرب زبان ومحیل ومکار .

فصل ش

سست ریش (ف) بمعنی احمق بود .

سبزپوش (ف) زاهد و اهل مصیبت وبمعنی فرشته .

سکالش (ف) با اول مکسور مصدر سکال است .

فصل ط

سقط (ع) بفتحتین خطا کردن در کتابت ودرحساب وکالای زبون وکار زشت ولرزیدن ودر آمدن وافتادن وبکسر اول وفتح دوم خطا درقول وفعل ونیز بمعنی سر و دست وپای گوسپند و بفتح وسکون مردن چارپایان و بکسرتین و سکون قاف بچه که نا تمام از شکم مادر بیفتد وآتشپاره که در وقت آتش زدن بیفتد .

ساقط (ع) افتاده ومرد ناکس وفرومایه .

سماط (ع) بکسر صف مردم وقطع وحور و غلمان و کندوری که سفره خوانندش وبفتح اسب کوتل ونشانها وجانب .

سخوط (ع) بفتح اول مکروه از قاموس .

سبط (ع) بکسر گروه و قبیله و نیز نام قوم موسی علی نبینا و علیه‌السلام وفرزند زاده و از سبطین بفتح طاءمراد حضرت امام حسن وحضرت امام حسین صلوات‌الله علیهما اند و بفتح راست قد وبفتحتین موئی که جعد نباشد یعنی فروهشته باشد .

سخط (ع) بفتح وضم خشم گرفتن ونا خوشنود شدن .

فصل ع

سماع (ع) بفتح شنیدن وقبول کردن و سرود ورقص کردنرا نیز گویند وبفتح وتشدید نیك شنونده وجاسوس وبکسر بچه گرگ .

سبع (ع) بفتح یکم وضم دوم ددو دام و بفتح هفت و هفت یك ستاندن ودشنام دادن وعیب کردن وبضم هفت یك .

فصل ف

سجاف وسجیف (ف) بروزن کتاب وکتیب و بفتح وکسر آنچه درکناره جامه دوزند بجانب درون و پوشیدن حجله عروس بجامها وبمعنی پرده نیز آمده .

سیف (ع) بفتح شمشیر وشمشیر زدن سیوف جمع آن و سیف بکسر کنارهٔ دریا .

فصل ق

سبق (ع) بفتحتین گرو پیش بردن دراسب تاختن وتیر انداختن و جزآن و سبقی که پیش استاده خوانند وآنچه گذشته باشد وبفتح اول و سکون دوم پیشی گرفتن ودر گذشتن .

ساق (ع) معروف وکبوتر نر .

سائق (ع) نگاهبان ورانده .

سباق (ع) بفتح با کسی پیشی کردن دردویدن و پیش شونده .

سنا برق (ع) برق روشن وبطریق استعاره آه نیز مراد دارند .

سغراق (ف) بضم قدح بزرگ و بفتح پیالهٔ می و بمعنی می نیز آمده تاج مآثر .

فصل ك وگ

سالك (ع) درلغت راهرو ودر اصطلاح صوفیه عبارتست از سائر الی‌الله‌تعالی — متوسط مابین‌مریدومنتهی درسیر .

سمك (عف) بفتحتین ماهی، سموك جمع وبفتح یکم و سکون دوم سقف و مقدار بلندی و بلند گردانیدن و برداشتن و در فارسی بمعنی رعنائی وبی هنری است .

سماك (ع) بکسر نام ستاره ایست ومنزلی از منازل قمر وتابنده ونیزسماکان بکسر گویند ودو ستاره خوانند یکی‌اعزل‌ودیگری رامح

سترگ (ف) با اول مکسور وثانی مضموم بغایت بزرگ ودرشت ولجوج وبی آزرم راگویند .

سکسك (ف) با هردو سین مضموم وهردو کاف زده دو معنی دارد اول‌اسبی‌راگویند که راه نداشته باشد وقطره رود دوم‌نام‌درختی است که چوب آنرا هیزم سازند و آتش آن از هیزمهای دیگر بیشتر بماند و آنرا تاغ و تاج نیز خوانند .

فصل ل

سفول (ع) بزیر فرو شدن .

سفل (ع) بکسر وضم پستی و نشیب و زیرین وسافل مثله .

سنبل (ع) با اول مضموم بثانی زده خوشه کشت و نام برج ششم و گیاهی است ودوائی که شبیه باشد بزلف محبوبان و خوشبوی بود و درعطریات بکار برند وآنرا بتازی سنبل‌الطیب خوانند که خورش آهوان مشك همین است .

سلسل وسلسال (ع) آب صاف وآب روان وخوشگوار .

سکال (ف) با اول مکسور دو معنی دارد اول دشمنی وخصومت و دشمن باشد سنائی راست بیت: با سنائی همه عتاب مساز—باخرا باتیان سکال مکن . دوم اندیشه بود امیر خسرو از زبان معشوق گوید: در عشق ما کسی نزید وانکه میزید —ازکاهلی‌غمزه آفت سکال‌ماست وسکالش و سکالیدن مصدر آنست .

سلسبیل (ع) بفتح نام چشمه ایست در بهشت ونیز چیزی‌نرم‌وخوشگوار .

ساحل (ع) بکسر حا دریا و بمعنی کنارهٔ دریا نیزآمده .

سبیل (ع) بفتح راه و فارسیان بمعنی مباح استعمال کرده‌اند و هم در عربی بمعنی سبب و صله آمده .

سلاسل (ع) بفتح زنجیر ها واو جمع سلسله است و بضم آب‌روشن و خوشگوار که بگلو بآسانی فرورود .

سبال (ع) جمع سبله معروف و بمعنی ثبات نیز آمده .

سبل (عف) بضمتین جمع سبیل یعنی راه و بفتحتین علتیست که‌چشم را موی در فرود پلك برآید و از چشم آب جاری‌شود ودرد کند و خوشه و نیزه باران وبفتحتین وپای فارسی سم‌شتر وامثال آن که در قنیه و کشف اللغات است .

سحرحلال (ع) بیان‌فصیح که‌بمنزله سحررسیده‌باشد ونام کتابی‌است ازاهلی‌شیرازی بدو وزن‌و قوافی‌مکرر‌بمعانی‌مختلفه وصنعتی درشعر که در مصراع اول لفظی واقعشده ومعنی آن در مصراع ثانی تمام‌گردد

سل (عف) بکسر علتیست مشهور که مردم راضعیف و لاغر کندو نیزیکی از اسلحه هندوان که آنرا سیل خوانند وبفتح امراست یعنی بپرس و در خواه کن و در پارسی بااول مفتوح‌آن باشد که چوبی چند برهم بندند بجهت گذشتن از آبهای ژرف .

سجل (ع) بکسرتین و تشدید لام حکمنامهٔ قاضی و پیاده‌قاضی وکتاب و صحیفه وبفتح دلو بزرگ باآب .

سفال (ع) بضم‌گل ناپخته وریزه آوندگلین و پوست جوز وپسته و فندق و مانند آن و گفته اند بکسر .

فصل م

سلیم (ع) بفتح درست وسلامت ورهیده وگزیده مار .

سپرغم (ف) بکسر اول و فتح ثانی ریحان و آنرا شاه‌اسپرغم وشاه اسپرم نیز خوانند و بتازی ضمیران گویند .

سلم (عف) بفتح نام پسر بزرگ افریدونست وبا اول مکسور ولام مفتوح تخته باشد که کودکان بر آن چیز نویسند و بعربی لوح گویند و بفتحتین در عربی دو معنی دارد اول پیش دادن بها بود چنانکه غله هنوز خام باشد و آنرا ارزانتر بها کنند وزرش بصاحب غله دهند و هر گاه که برسد بگیرند وآنرا بیع سلم خوانند دوم گردن نهادن باشد و بااول مضموم و ثانی مشدد مفتوح هم در عربی نردبانرا گویند و با اول مکسور و ثانی زده درعربی آشتی را خوانند .

سقام (ع) بفتح بیماری .

سالم (ع) بکسر لام رهیده بود وپوستی که‌میان بینی وچشم است‌ونام شخصی است .

فصل و

سدیو (ف) میگویند نام‌دیو یست که انگشتری مهرسلیمان علیه‌السلام برده بود .

سازگاو (ف) عبارت ازتسمهٔ چرم گاواست که‌بدان چهاربا میرانند

ساو (ف) چهارمعنی دارد اول زری بود که پادشاه‌قوی ازپادشاه ضعیف میگیرد دوم زر خالص راگویند که شکسته و ریزه ریزه باشد و آنرا بتازی قراضه گویند نزاری قهستانی گوید : صیقل گر این رواق ازرق — ریزد زرساو برکرانه ، وین صحن زمردین شود راست — از ریزهٔ ساو چون دهانه ، سوم‌بوته خاردار سفید رنگ که بلندی آن‌قریب‌بیك‌گز شود وآنرا بجای هیمه بسوزانند و نیز در میان کرمهای پیله بگذارند تا پیله را برآن بتند چهارم سودن راگویند .

سو (عف)بضم بدی را گویند و نیز هرآفتی که باشد خواه‌برص خواه دیگرآنرا سوگویند و در فارسی بضم چهار معنی داردداول طرف وجانب دوم بمعنی مانند وسان‌آمده سوم مخفف سوداست چهارم روشنائی وبزبان‌ترکی آب راگویند وبا اول مفتوح‌وثانی زده نام چشمه‌ایست ازولایت طوس که‌بچشمه سبز اشتهار دارد.

فصل ه

سخره (ع) با اول مضموم دومعنی دارد اول بیگاربود یعنی کار بیمزد دوم زبون و زیر دست راگویند و بمعنی استهزا و افسوس نیز آمده .

سوفسطائیه (ع) بضم قومی‌است که نفی حقایق اشیا میکنند .

سره (ف) بفتحتین پنج معنی دارد اول زر رایج باشد و آن ضد قلب است دوم آب عمیق راگویند که از سر آدمی بگذرد سوم چیزی نیکو و اعلی راگویند چنانکه چیزی زبون و ادنی را پایه گویند چهارم شقه علم باشد پنجم بمعنی اصل آمده چنانچه پایه

فرع را خوانند .

سررشته (ف) بفتح مقصود یعنی ترکیب.

سرشته (ف) بکسرتین یعنی خمیر شده و در هم مالیده و خلعت کرده .

سوخته (ف) پنج معنی دارد اول معروفست دوم لته سوخته باشد که بدان از آتش‌زنه آتش بگیرند سوم نام یکی از گنجهای خسرو پرویز چهارم بمعنی سنجیده آمده و آنرا سخته نیز گویند پنجم درولایت روم مردم طالب علم را نامند .

ستیره (ع) مؤنث پرده نشین باشد .

سغبه (ع) بفتح و گویند بضم دو معنی دارد اول فریفته راگویند دوم چیزی چرب وگرسنه وتثنه را نامند امابمعنی تشنه مستعمل نیست

ساده (ف) چهار معنی دارد اول بمعنی بی نقش وبی ریش ونادان ومجرّد و خالص آمده دوم صحرا راگویند سوم بمعنی ایستاده بود چهارم نام برگ درختیست دوائی که از دیار هند بهم رسد ومعرب سادجست وآنرا بهندی پترج گویند و در فرهنگی بمعنی مردم بی اندیشه وبزرگ قوم وگشاده دل وبی تکلف مرقوم ساخته .

سالفه (ع) پیشینه وطرف‌وگردن آدمی که دربناگوش باشد .

سکته (ع) بفتح نام علتیست که مریض را خاموش گرداند چنانکه بنداری‌مرده است‌ونیزآنکه درقرآن‌خواندن بازماند ونیزنام حرفهائی که سکته خوانند و مصطلح شعر آنکه در وزن اندك توقفی باشد که دربعضی جا قبیح وبعضی ملیح پندارند ودرصراح است آنچه کودك را بوی باز دارند وخاموش کنندش .

سفه (ع) بفتحتین بی زری وسبکی وبیخردی

سدره (ع) بکسر درخت کنار و سدرةالمنتهی درختیست در هفتم آسمان .

سفیه (ع) بفتح بیخرد وکمینه .

سیبویه (ع) نام نحویست که درعلم نحواکثر ذکر او است .

سبحه (ع) بضم وگویندبفتح تسبیح و نماز و ذکر ونام کتابی از تصنیفات مولانا عبدالرحمن جامی .

سکره (عف) با اول مضموم کاسه گلی‌راگویند و آنرا اسکوره نیز خوانند واسکره بزیادتی الف نیز آمده‌و با اول وثانی مضموم و رای مشدد مفتوح نیز مرقوم است .

سله (عف) بفتح و تشدید آنچه دریا پوشند و نیز بمعنی زنبیل و سبد طعام و سبدی که درومار کنند و بکسر سنگ بزرگ

سده (عف) بضم و تشدید علتی است که درسر آدمی را پیداشود و گرفتگی بینی و بمعنی بیماری و با اول و ثانی مفتوح سه معنی دارد اول نام جشنی است که پارسیان دردهم ماه بهمن کنندوواضع این جشن کیومرث است و بعضی گویند که این جشن را هوشنگ ابن سیامك اختراع کرده بود دوم نام تریه‌ایست از قرای سپاهان سوم نام درختی است که در دارالمرز وماوراءالنهر ازدیگر بلاد ایران و توران بیشتر شود و بمشابهی بزرگ باشد که تنه آن بدشواری دربغل سه چهار کس درآید وباقی حقیقتش ازفرهنگ میر عندالدوله‌معلوم می‌توانکرد

سفره (ف) بضم طعام مسافروکندوری جامگی وچرمین و جز آن که‌برآن خورندونیزدرزیر شمع‌و دروقت دست شستن‌زیر طشت گذارند و بفتحتین نویسندگان و از او مراد فرشتگان دارند چنانچه در تفاسیر مذکور است .

سراقه (ع) بضم نام یکی از صنادید قریش است .

سفینه (ع) بفتح کشتی و نیز کتاب اشعار را سفینه گویند بدین‌سبب که‌حامل جواهرالفاظ وکثالی‌معانی‌است ودیگرآنکه بتقطیع طولانی نویسند که چون در هردو صفحه نظر کنند شکل کشتی یافته میشود بدان جهت آنرا تشبیه بکشتی داده‌اند .

ستنبه (ف) بکسر اول و فتح ثانی صورتی بود که ازغایت کراهت وزشتی طبع از دیدنش‌زمان و هراسان باشد امیر خسرو راست: ستنبه صورتی آهرمن آثار—هزار آهرمن از رویش بزنهار —ودر بعضی فرهنگها نوشته‌اند که دیوی باشد که در خواب مردمان را فرو گیرد وآنرا بتازی کابوس خوانند و بمعنی ستیهنده نیز در بعضی فرهنگها مرقوم است .

سرّیه (ع) بفتح‌یکم وکسر دوم و تشدیدیا گروهی از لشکروپارهٔ لشکر که هندش چوکی خوانند و لشکر مقدار چهارصد سوارو در اصطلاح اهل‌سیر لشکری که‌حضرت رسالت پناه‌خود بذات مقدس‌درآن نباشد و بسر کردگی اصحاب فرستد .

ستوه(ف) بضمتین بمعنی ملول و بتنگ آمده

سکیزه (ف) با اول و ثانی مکسور برجستن و تیز زدن و جفته انداختن ستور راگویند و آنرا اسکیز و اسکیزه نیز خوانند .

سرفه (ف) بضم جانوریست که از چوبکهای خورد خانه سازد و در آن خانه رود و همانجا بمیرد و نام زحمتی است که بتازی سعال خوانند .

سطوه (ع) بفتح قهر کردن و حمله بردن .

ساهره (ع) روی زمین و قیامت وگفته‌اند زمین قیامت و زمین سپید هموار وبی خوابی .

سقطه (ع) بضم چیزی که ساقط شود از چیزی

فصل ی

سلوی (ع) بفتح والف مقصوره شهد ونیز جانوریست که درفارسی آنرا ولج نامند و با اول و ثانی مفتوح شبیه به‌تیهو لیکن از تیهو کوچکتر وآنرا درتیج ووشم وبودنه نیز گویند .

ستی (ع) بفتح اول وکسر ثانی نوعی ازنیزه باشد وآنرا بهندی ستیهی نامند و بمعنی کدبانو نیز آمده و در هندی زنی را گویند که با شوی مرده خود بسوزد .

سنی (ع) بفتح بلند .

سامی (ع) بلند .

سمی (ع) بفتح بلند شدن وهم نام .

سری (ف) بفتح اول وکسر ثانی چهار معنی دارد اول سرداری بود دوم بمعنی سرای آمده سوم چیزی باشد که از آهن بسازند و در روز جنگ بر سر اسب ببندند تا از زخم ایمن باشد و آنرا بترکی قشقه گویند — چهارم نام یکی از اولیا است که سری سقطی گویندش واو مشتق از سرور است و با الف مقصوره و بضم بمعنی شب رفتن بود .

سامری (ع) نام مردی که در اصل نام او موسی‌بن ظفر بود و از او بنی‌اسرائیل گوساله پرست شدند واو منسوب بود بقبیله سامره از عظمای بنی‌اسرائیل دروقتیکه فرعون فرزندان بنی‌اسرائیل رامیکشت او متولد شد مادرش اورا در جزیرهٔ که کنار نیل بود بیفکند حق تعالی‌جبرئیل‌را فرمود تا اورا بپرورد ازآن‌جهة اوجبرئیل‌را میشناخت وخاکپای اسب جبرئیل ع راگرفته درگوساله کرد که او بسخن در آمد واین قصه درتفاسیر مشروحاً مندرج است .

ساعی (ع) کوشنده وزکوة ستاننده تا بمستحقان دهد یعنی والی زکات وسخن چین وعیب گوی .

سبی (ع) بفتح دل بردن معشوق مرعاشق را واسیر کردن و دور کردن وبفتح سین وکسر با وهمزه یعنی بد .

سغری (ف) بفتح مخفف ساغری است بمعنی سخت روی .

سغری (ف) بکسر اول و سکون‌ثانی‌روی گشادن زن وخانه‌روفتن.

سوفسطائی (ع) منقسم بسه‌قسم اند عنادیه وعندیه و لاادریه عنادیه قائل بحقایق اشیاء نیستند و میگویند عالم وهم و خیال‌بیش نیست‌مولوی فرماید : این همی گوید جهان خود هیچ نیست — هست سوفسطائی اندر پیچ پیچ ، عندیه منکرند بثبوت اشیاء و تابعند مراعتقادات خودرا و میگویند اگر اعتقاد کنیم‌شیئی راجوهر جوهر است و اگر عرض عرض است و اگر قدیم قدیم است و اگر حادث حادث و لاادریه منکراند ثبوت راونفی را وزعم کرده‌اند که شاکند و درشاك بودن‌هم شاکند وهلم جرّا .

شکیفت (ف) با اول و ثانی مکسور دو معنی دارد اول بمعنی عجب که آنرا شگفت نیز گویند دوم قراروآرام وصبر بود وآنرا شکیب نیز خوانند .

شماتت (ع) بفتح شادی کردن برخواری دشمن .

فصل ث

شیث (ع) بکسر نام پیغمبری مشهور و بلغت سریانی بدله را گویند وچون او عوض هابیل بود او را باین نام نامیدند .

فصل ج

شکنج (ف) بکسر اول و ضم ثانی گرفتن عضوی باشد بسر دو ناخن چنانکه بدرد آید و آنرا اشکنج ونشکنج نیز خوانند وشکنجیدن مصدرآنست ودرشیراز پنج بکسر اول میگویندویا اول و فتح ثانی پنج معنی دارد اول چین زلف و موی وجامه وریسمان وامثال آن باشد دوم شکنجه بود سوم نوعی ازمار راگویندچهارم اصول باشد پنجم مکر و حیله را خوانند و آنرا شکن نیز گویند

شطرنج (ع) اسم بازی مشهور است که ستر نگ هم خوانده شده

فصل ح

شرح (ع) بفتح آشکارا وگشاده کردن وشرحه کردن گوشت فربه یعنی بریدن .

شح (ع) بضم بخیلی و حریصی کردن وبخل و حرص .

شحیح (ع) بفتح بخیل .

فصل خ

شاخ شاخ (ف) بمعنی پاره پاره بود چه شاخ بمعنی پاره آمده .

شخ (ع) با اول مفتوح سه معنی دارد اول کوه بود دوم زمین محکم راگویند که در دامن کوه باشد خصوصاً و هرچیز محکم را خوانند عموماً سوم مخفف شاخ است و با اول مضموم بمعنی شوخ است یعنی چرك .

شیخ (ع) پیر و خواجه و در اصطلاح صوفیه عبارتست از انسان کامل در علوم ثلثه که شریعت و حقیقت و طریقت باشد .

شاخ (ف) دوازده معنی دارد اول شاخ درخت دوم شاخ حیوانات باشد سوم پاره را گویندچهارم ظرفی راگویند که بدان شراب خورند و از ثقه شنیده شد که در ولایت گرجستان شراب وبوزه را بشاخ گاوو بز کوهی میانه تهی میخورند پنجم چوبی بود دراز که بام خانه رابدان پوشند وآنرا شاه تیر نیز خوانند ششم پیشانی بود هفتم دست را نامند از انگشتان تا کتف هشتم جوی کوچکی را گویند که از رودخانه و جوی بزرگ جدا شود یا جدا سازندنهم تریز جامه باشد دهم خوشبوئی که ازحیوان شبیه بگربه حاصل شود و آنرا بتازی زبادخوانند یازدهم استخوان پهلوراگویند دوازدهم پا باشد از سر انگشتان تا بیخ ران و آنرا لنگ نیز خوانند .

فصل د

شاهد (ع) در لغت گواه و یکی از اسامی آن سرور صلی الله علیه وآله است ودر اصطلاح صوفیه چیزیست که حاصل میشود قلب را ازاثر مشاهده .

شهود (ع) بضمتین حاضر شدن وگواهان و حاضر شدگان و در اصطلاح سالکان شهود رؤیت حق است بی حجاب یعنی سالکی که از مراتب کثرات موهومات صوری عبور نموده باشد و بمقام توحید عیانی رسیده و بدیدهٔ حق بین بحکم کنت بصره الذی یبصربه در صور جمیع موجودات مشاهدهٔ حق نماید چون خود را و همهٔ موجودات را قایم بحق بیند لاجرم غیریت و اثنینیت از پیش نظرش برخاسته باشد وهرچه بیند حق بیند وهرچه داند حق داند نظم : رؤیت حق بحق شهود بود — خاصهٔ حضرت وجود بود .

شید (ع) بکسر سه معنی دارد اول چیز بسیار روشن راگویند و آنرا بتازی کثیر الشعاع خوانند دوم نامی از نامهای نیر اعظم که بواسطه کثرت نور و روشنی و شعاع آنرا باین نام خوانده اند و

آنرا شیده نیز خوانند سوم نام پسر افراسیاب بود واوراپشنگ نیز گویند چون او بغایت صاحب جمال بود پدرش بشیده ملقب ساخت و در بعضی از فرهنگها مرقوم است که نام یکی ازشاگردان سنمار نیز شیده است که بجهت بهرام گور خورنگه و سدیر راساخت و با اول مفتوح بمعنی مکر و حیله و زرق آمده .

شدید (ع) بفتح سخت و بخیل شداد جمع آن .

شارد (ع) رمنده وبمعنی تند تیز بنظر در آمده .

فصل ر

شرار (ع) بفتح پارهٔ آتش که بجهد شرر مثله وبکسر جمع شریر.

شپر (ف) بفتح و پ مشدد بمعنی شپره است که درعربی آنراخفاش بضم اول خوانند وگفته‌اند شبیر و شبر در زبان یونانی بمعنی امام حسن و امام حسین علیهما السلام آمده است .

شکور (ع) بفتح سپاسگزار و ستوری که باندك علف قانع شود و ثواب و مژده دهنده بضمتین سپاسگزاری کردن و آزادی کردن و پسندیدن و ستودن و ثواب دادن .

شمر (عف) بفتحتین آب گیر را گویند وآن زمین پست باشد که درآن جاآب‌باران جمع شود ونیز آنچه که برروی شیر بندد ودرهندش ملائی نامند و زنجیره و شکن آب و بمعنی ناله و بکسر نام قاتل امام حسین علیه السلام و در عربی بفتح بتکبر رفتن .

شب‌دیجور (ف) شب بغایت تاریك .

شعر (ع) بفتح موی و جامه ابریشمی باریك وبکسر دانش وسخن موزون وبضم مردی که براندام او مو باشد .

شاخسار (ف) دو معنی دارد اول جای انبوهی درختان بسیار شاخ را گویند دوم آهنی باشد که آنرا پهن ساخته و سوراخهای کوچك کرده باشند وسیم کشان سیم را ازمیان آن بر کشند و آنرا شفشاهنگ وشفشاهیخ نیز گویند .

شبر (ع) با اول مکسور وثانی زده نام قاتل امام حسین علیه السلام که اورا شمرنیز گویند و بزبان عربی بدست را خوانند و آنرا وجب نیز نامند وبا اول وثانی مفتوح شعله آتش بود .

ششدر (ف) مراد از شش خانهٔ نرد است که بسته شده باشد و مهرهٔ نرد ازآن نتواند گذشت وجهات سته را نیز خوانند وآنرا شش دره هم گویند .

شکر (ع) بضم در لغت آن فعلی است که دال بر تعریف منعم باشد ازجهت بودن او اگرچه منعم آن تعریف بزبان یا بدل بجوارح باشد ودر اصطلاح صوفیه صرف کردن بنده است جمیع آنچه انعام کرده است حق سبحانه تعالی ازسمع و بصر وغیر هما از نعم دیگر بسوی چیزی که خلق کرده شده و انعام کرده شده است این نعم را از برای آن چیز مثل باصره بجهت مشاهدهٔ صنایع حق و سامعه بجهة استماع سخنان حقانی وقلب بجهت ذکر وبرهمین قیاس .

شبگیر (ف) بفتح دو معنی دارد اول صبح باشد وبعضی سحر را گویند قطران فرماید بیت : هست مردم را شب و شبگیر موی و روی تو—موی‌را شب‌دان مدام وروی را شبگیر گیر—ودربن روزگار راه رفتن شب را شبگیر گویند را کثر شعرای متأخرین باین معنی نظم نموده اند دوم نام مرغی است که دروقت صبح آواز حزین کند و درتبختری بمعنی تاخت وراه بندی آخرشب مرقوم ساخته

شاطر (ع) پیك ودلاور و چالاك و شطرنج باز وشوخ و بیباك وآنکه برنج آورده باشد اهل خودرا دربد کاری .

شنار (عف) با اول مکسور سه معنی دارد اول شناور راگویند دوم بمعنی شوم ونحس و نا مبارك بود سوم بمعنی ننگ وعارآمده ودر عربی دشمن ودشمن داشتن بود .

ششتر (ف) بفتح نام شهری مشهور که جامهٔ ششتری بآن منسوب است وگفته اند بضم وآنرا شوشتر نیز خوانند .

شدیار وشدگار (ف) بضم زمینی را گویند که بجهت زراعت شکافته باشند مختاری درمذمت دنیا گوید : برزه گاویست کو خورد ناچار — برتخمی که خود کند شدیار .

شیرگیر (ف) بمعنی نیم مست آمده .

شعار (ع) بکسر وفتح جامهٔ که متصل بتن باشد وعلامت .

فصل ز

شکرریز (ف) معروف وگریه وشادی وکلام شیرین و بمعنی نثار وعروسی .

شبدیز (ف) دو معنی دارد اول نام اسب خسرو پرویز باشد گویند که رنگ آن اسب مشکین بود ودر تاریخ طبری مسطور است که از همهٔ اسبان جهان چهار بدست بلندتر بود واز روم بدست وی افتاده بود و چون آن اسب سیاه رنگ بود بطریق استعاره شب را بآن تشبیه میدهند ونیز بنظر درآمده که دیز بمعنی رنگست وشب معروف چون آن اسب سیاه بود اورا شبدیز گفتند دوم لحنی بود ازموسیقی ازمصنفات باربد .

شهباز (ف) جانوریست شکاری که بجثه از باز کلانتر باشد و لیکن آن کبریائی که باز دارد دراو نیست .

شهناز (ف) عروس را خوانند .

فصل س

شموس (ع) بفتح بمعنی آفتاب شدن روز وآشکار شدن دشمن وآفتاب ویکنوع قلاده وبضمتین جمع .

شق‌نفس (ع) بکسر عبارت از مشقت نفس‌ها است .

فصل ش

شهرتاش (ف) باشندگان یك شهر .

شورش (ف) بضم بی قراری وجنگ وفتنه وآشوب .

شپش (ف) با اول مکسور دو معنی دارد اول جانوری است که بتازی قمل گویند که درجامه مردم ازچرك و نا شستن اندام پدید آید دوم کرمی باشد که اکثر واغلب در فصل تابستان وهوای گرم در پوستین ونمد ومقرلاط وصوف و دیگر پشمینها وگندم و دیگر غله‌ها بیفتد وتباه و ضایع سازد وآنرا شپشه و سوس نیز خوانند

شش (ف) بضم معروف که بتازی ریه خوانند ونیز کنایت ازپستان زال است .

فصل ط

شرط (ع) بفتح نشان و پیمان و بچیزی دانستن قول وفعل خود را وآنچه دانسته باشد ازقول ویا فعل وکنار جوی و جوی خرد و بضم یکم وفتح دوم جمع شرط است یعنی عهد و پیمان وگفته‌اند بضم باد موافق وعلامت ونشانی .

شط (ع) بفتح کرانه رود وجوی .

فصل ع

شعشع (ع) روشنائی وآمیختن شراب با آب .

شاع (ع) فاش وآشکارا .

شیاع (ع) بکسر فاش واشگارا وبانگ مزمار .

شارع (ع) راه عام وبمعنی صاحب شرع — شوارع جمع .

شبع (ع) بکسر یکم وفتح دوم سیری .

فصل ف

شگرف (ف) بکسر اول و فتح ثانی بزرگ ونیکو و محتشم و قوی و دلیر و سطبر و زیبا و با شکوه را گویند نظامی راست : بادهرنکوئی بکن ای‌نیك مرد— دهر بجای من و تو بد نکرد. جهد بسی کردو شگرفی بسی — تا کند از ما بتکلف کسی .

شغاف (ع) پردهٔ دل وبیماری زیر تهیگاه ازجانب راست .

شعاف (ع) بکسر سرهای کوهها .

فصل ق

شق (ع) بفتح وتشدید شکاف چیزی وشکافتن ودریدن وجدا کردن

فصل م

شادکام (ف) معروف و نام برادر فریدون بوده .

شحم (ع) بفتح پیه و سپیدی چشم و بفتحتین آرزومند پیه شدن

شم (عف) بفتح چهار معنی دارد اول بمعنی رم و آشفته شده و پریشان گشته بود و شمیدن بمعنی رمیدن و آشفته گشتن است دوم ناخن را گویند و وجه تسمیه شمشیر از این معنی حاصل میگردد سوم نام پهلوانی است چهارم مخفف شوم بود و بضم اول دو معنی دارد اول پای افزاری بود که از چرم دوزند و آنرا بترکی چارق گویند دوم بمعنی نفرت ودوری آمده ودرعربی بفتح بوئیدن و بوی و بلند پیشانی .

فصل ن

شمن (ع) بفتحتین بت پرست و گفته اند بت .

شیبان (ع) بفتح نام ولی معروف و نام قبیله ایست از جن و بکسر نام شهریست

شین (ع) بفتح عیب وگدائی و زشتی و پراکنده و شك و گویند درخت پر خار بسیار شکوفه دار .

شادروان (ف) چهار معني دارد اول پردهٔ بزرگی باشد مانند شامیانه و سرابرده که در پیش خانه و پیش ایوان بکشند دوم فرشی باشد بس بزرگ و منقش و این معنی هم نزدیك بمعنی نخست است سوم نام نوائی است از مصنفات باربد مطرب که آنرا شادروان مروارید نیز گویند چهارم زیر کنگره‌های عمارات عالی را نامند مانند کنگره قلعه و قصر ملوك .

شبیخون و شبخون (ف) در شب غفلة برسر دشمن تاختن و کنایه از کارهائی است که بی اطلاع طرف صورت گیرد .

شمیدن (ف) بفتح بی هوش شدن و رمیدن و بوئیدن و بیم زده شدن .

شجن (عف) بفتحتین اندوه و حاجت واندوهگین کردن و منع کردن شجون جمع آن و بفتح یکم وسکون دوم راه رودخانه و در صراح است باز داشتن حاجت و کسی ر از کار و راه و وادی بسیار پر درخت .

شحن (ع) بفتح پر کردن ظرف و کشتی بچیزی و راندن و بزرگ شدن آهو از مادر .

شحون (ع) قوی و بزرگ شدن .

شخودن (ف) بفتح ریش کردن بناخن و بناخن کندن بود .

شیون (ع) ناله وفریاد راگویند ودراصطلاح صوفیه عبارت است

از اعتبار نفس اعیان ثابته و حقائق ذات احدیت چنانچه شجره در نوات .

شان (عف) خانهٔ زنبورعسل است که درآن عسل باشد وآنرا شانه وکواره نیزگویند و در بعضی فرهنگها بمعنی جامه سپیدی که در دیار هند بهم رسد مرقوم است ودر عربی چهار معنی دارد اول کار وکار کردن دوم بمعنی حال سوم مرتبه راگویند چهارم پاك وفکر داشتن بود از چیزی و بمعنی حق نیز بنظر درآمده و دشمن را هم گویند .

فصل ه

شرحه (ع) بفتح اول بمعنی پاره است .

شیره (ف) بکسر نوعی از بوزه بود که بنگ در او داخل نباشد وبمعنی شراب نیز آمده .

شمه (ع) بفتح وتشدید بوی و بمعنی اندکی وبکسر اول و فتح دوم چربی که برشیر وجغرات باشد ودر هندش ملائی نامند .

شحنه (ع) بفتحتین گروهی نگاهبانان شهر فارسیان بسکون ح استعمال کنند ودرصراح بکسر شین مرقوم ساخته .

شبهه (ع) بضم پوشیدگی و بضم یکم وفتح دوم پوشیدگیها واو جمع شبهت است .

شبه (ف) بفتحتین مهره سیاه یمانی راگویند سنگیست درفنان سبك وزن وگفته اند مهره سیاه باریك که هندش پوست خوانند و در فرهنگی بنظر درآمده که در زمین یمن کوهیست که ازسرآن کوه آب بدو طرف می‌افتد و پیش از آنکه بزمین برسد منجمد میگردد و شبه حاصل میشود وآن دوگونه است سیاه وسپید .

شکوفه (ف) بکسر دو معنی دارد اول شکوفه گیاه وگل‌ودرخت راگویند دوم قی و استفراغ بود .

شانه (ف) سه معنی دارد اول عضوی از بدن و شانه که بر موی کشند دوم بمعنی شانست که خانه زنبور عسل است سوم بمعنی جست و خیز اسب باشد .

شه (ف) بفتح درهرسه معنی بشاه مترادف‌است وبضم اول کلمه‌ایست که در محل نفرت وکراهیت گویند .

شره (ع) بفتحتین حریص شدن وحرص درصراح است بفتح یکم وکسر دوم حریص وگیاهی که هندش تلسی نامند و در حل لغات بکسر نشاط وتیزی جوانی وحرص .

شکوه (ف) بمعنی عظمت وهیبت وترس آمده .

شبکه وشبکه (ع) لغت اول بفتح وثانی بفتحتین دام .

شرفه (عف) بفتح وبکسر نیزگفته اند هرآواز راگویند عموماً و آواز پای راگویند خصوصاً مولوی فرماید : کاروان شکر از مصر رسید—شرفه وبانگ‌درامی‌آید—سوزنی گوید: ازشرفه جلاجل شاهین عدل‌تو— عنقای ظلم گشت پس‌قاف درنهان — و بضم‌درعربی کنگره را گویند اعم ازآنکه کنگره قلعه یا دیوار یا بام خانه باشد.

شله (عف) بفتحتین مخفف کشتن، قاتل بود درعوض مقتول وآنرا بتازی قصاص خوانند وبثانی مشدّد سه معنی دارد اول بت دوم بت پرست‌سوم تك بار راگویند بضم اول و تخفیف ثانی نوعی از طعام معروف است وبثانی مشدد سه معنی دارد اول فرج زنان دوم سرگین وجای خاشاك و پلیدیها بود که درکوچه ها باشد سوم لته راگویند که زنان درزمان حیض بندند ودر عربی دو معنی دارد اول نیت باشد دوم کار دور (امربعید) را خوانند

شاه (ف) چهار معنی دارد اول اصل و خداوند بود دوم داماد را گویند سوم کشت کردن شاه شطرنج بود چهارم برهرچیزی که‌آن‌در بزرگی وخوبی بحسب صورت باین معنی ازامثال خود ممتاز باشد اطلاق کنند مانند شاه توت وشاه سوار وامثال آن .

فصل ی

شقی (ع) بد نفس .

شاکی (ع) گله کننده ونالنده وتمام سلاح پوشنده .

شافی (ع) شفا دهنده .

شهی (ف) سه‌معنی دارد اول بمعنی پادشاهی‌است دوم داماد را گویند وآنرا شاهی نیز خوانند چه شه و شاه داماد را نامند سوم هرچیز شیرین‌را خوانند عموماً وحلوائی راگویند که ازنشاسته وتخم مرغ بپزند خصوصاً وبمعنی خواهان نیز بنظر درآمده .

شعری (ع) بکسر اول والف مقصوره که دریارسی با ماله خوانند و یا ظاهر شود ستاره ایست که آنرا شاهنگ نیزگویند ودرصراح نام ستارهٔ بزرگ است که بعداز جوزا بر آید وبعضی طوائف در جاهلیت آنرا می‌پرستیدندی .

باب‌ص

فصل الف

صفرا (ع) بفتح‌زردی ویکی از اخلاط اربعه یعنی تلخه وتیز علتی که آدمی را باشد که ازآن خلل دماغ پیدا شود و بمعنی‌گرمی و حرارت وغصه هم آمده وکمان چوبین ونام‌گیاهی .

صبا (ع) بادی که از مشرق آید ودر تذکرهٔ شیخ واحدی مذکور است که‌صبا از زیر عرش برآید و بوقت صبح می‌وزد وگلها از تاثیر او بشکفد وعاشقان دل شده راز با او میگویند و در اصطلاح عبدالرزاق کاشی مراد ازصبا نفخات رحمانیه است که بجهت مشرق روحانیان آید ودر اصطلاح صوفیه ابن عطا چنین بنظر درآمده که صبا صولت داعیه روح واستیلاء آن بحیثیتی که صادر شود از شخص چیزی که موافق شرع وعقل است ودبور که بجای خود ذکر یافت مقابل این‌است والصباء بفتح ومد میل کردن دل بود بچیزی وکودکی کردن وبا کودکان بازی کردن وبکسر و قصر کودکی و بازی و عاشقی .

صدا (ع) بفتح مغز سر وجای شنوائی درسر وآوازیکه ازکوه بلندی وچاه وامثال آن خیزد وبفتح ومد زنگارگرفتن وسیاه وسرخ شدن و بضم صاد و مد قبیله ایست از یمن و در اصطلاح صوفیه اندك پوششی که ازظلمت هیئت نفس بر وجه دل باشد ومحجوب گرداند دل را از قبول حقایق و تجلیات انوار .

صلا (ع) بفتح افروختن آتش برای دفع سرما و آوازی‌که برای استحضار طعام کنند و بکسر بریان .

صفورا (ع) بفتح نام دختر مهترشعیب علیه‌السلام که در حباله موسی علیه‌السلام بود .

فصل ب

صب (ع) بفتح ریزانیدن وآرزومند شدن و ریختن و مردعاشق و مشتاق و بضم باران سیاه .

صعب (ع) بفتح دشوار وترس و تندی یعنی آنکه رام نباشد

صاب (ع) بضم درشت وسخت و استخوان پشت وز مین درشت و بزرگی و درازی و ناقه پیر و بفتح چیزی سخت و پردهٔ از پرده های چشم و بفتحتین بردار کردن صلاب جمع آن .

صائب (ع) راست و درست و رسیده و فرود آینده .

فصل ت

صورت (ع) در لغت پیکر ودر اصطلاح صوفیه صورت حق عبارت‌ازذات مقدس‌محمدیست بواسطه‌متحقق بودن ذات‌نبوی بحقیقت احدیت و احدیت را در صورت اللهی عبارت است از انسان کامل بواسطه متحقق بودن او بحقائق اسماء الهیه .

صنعت و صناعت (ع) بفتح کار وپیشه وآنچه درکلام ازعلم ترصیع و تجنیس و جز آن واقع شود و صناعات جمع .

صلابت (ع) بفتح درشتی و سختی

صلات (ع) بکسر جمع صله یعنی عطا و بخشش وپیوند .

صامت (ع) خاموش و زر و سیم و مال صامت چنانکه حیوان و

مختلف گردند که یکی بیاید و یکی برود و لرزش و بیماری که بیهوشی بیاورد و کف در دهن پیدا شود وانداختن ونوع وصبح و شام صروع جمع آن وبکسر مانند .

صداع (ع) بضم درد سر ومصدر منه .

صدع (ع) بمعنی شکافتن و بدونیم کردن کله گوسپند و بریدن وآشکارا کردن چیزی وفرمان بردن وسبکتر وگیاه وبر گردانیدن .

صفع (ع) بفتح وسکون سیلی زدن وسیلی .

صنیع (ع) بفتح کار واسب نیکو پرورده را هم گویند .

فصل غ

صبغ (ع) بفتح رنگ کردن جامه وبکسر رنگ ونان خورش .

صباغ (ع) بفتح وتشدید رنگرز وبکسر وتخفیف نانخورشها .

فصل ف

صرف (ع) بفتح گردانیدن وخرج کردن و حیله کردن و توبه کردن ونام علمی است معروف و افزونی درم بر درم و نیکوئی وقیمت وبمعنی فضل وادب وحیله و عقل وتوبه وحادثه زمانه و گردش زمانه وصروف جمع آن وبکسر محض چیزی و خالص چیزی وشراب خالص و سرخی که دوال نعل بدان رنگ کنند و نیز بمعنی بخل و خرج و کذا فی مؤیدالفضلا .

صف (ع) بفتح و تشدید رشته هر چیزی ونمازگاه وگوشت در سیخ کردن وصف کشیدن شترانرا و بریان کردن گوشت و درجه بدرجه شدن و کردن ودرجه بدرجه داشتن وبکسر ابر .

صیف (ع) بفتح تابستان وباران تابستانی وخطا شدن تیر .

صحف (ع) بضم نامها ومکتوبها صحائف مثله .

صحاف (ع) بکسر اول کاسهای پهن وبزرگ صحائف جمع .

صواف (ع) کاروان واسبان و شترانیکه برسه پا ایستند و بر کنارهٔ سم چهارم تکیه کنند و گویند شترانیکه برای قربانی ایستاده باشند وصف کشنده وگویند جمع صف .

فصل ق

صدیق (ع) بکسر وتشدید آنکه بغایت تصدیق کسی کند و گفتار خود را بکردار راست گرداند چنانچه یوسف علی نبینا وعلیه‌السلام وابی بکر رضی‌الله‌عنه راگفتند وبفتح وتخفیف دوستان ودوست واو مفرد وجمع آمده .

صادق (ع) راستگو جمع صدوق بضم صاد مهمله .

فصل ل

صندل (ع) بفتح چوب معروف وشتر بزرگ سر .

صف نعال (ع) صف آخرین که درویشان بواسطهٔ گناهی گنه کار را در صف آخرین که محل سیاست ایشان است بر یکپای بایستانند وگوش اورا بدست اوگیرانند وآنرا یاماجان وپایماچان نیز گویند .

صهیل (ع) بفتح بانگ اسب وآواز لگام وبانگ زخم شمشیر وبانگ آهن صهال فاعل آن .

صقال (ع) بتشدید مهره زن و آنکه آهن را روشن کند و شمشیر بزداید .

صیقل (ع) بفتح آنچه آهن را بدان روشن کنند و شمشیر و شمشیر بزدوده .

فصل م

صنم (ع) بفتحتین بت خواه ازچوب باشد وخواه ازسنگ وخواه ازمس وخواه ازنقره وزر .

صمصام (ع) بفتح شمشیر تیز و برنده که بزخمگاه فرو رود و گفته‌اند آنکه از زخمگاه بجهد .

صارم (ع) بفتح اول وکسر سوم تیغ برنده ومرد جلد ودلیر .

صوم (ع) بفتح روزه وروزه داشتن وایستادن آفتاب در نصف

روز و سرگین شتر مرغ و روزه دارندگان و مسجد نماری ونام درختی است و نگاهداشتن خود را از چیزی .

فصل ن

صلاح‌الدین (ع) نام‌بزرگیست از خلفاء مولوی که بزرگوب اشتهار دارد که احوال او در مناقب العارفین شمس‌الدین محمد افلاکی بتفصیل مذکور است که از جمله مریدان سید شروان بوده وجامی در نفحات احوال این دو بزرگ را بطریق اجمال نوشته است .

صولجان (ع) بفتح چوگان .

صاحب قران (ع) بکسر قاف آنکه ولادت و یا مسقط نطفهٔ او در وقت قران عظیم باشد ومصطلح اهل تنجیم آنکه درسال ولادت او زحل و مشتری را قران بوده باشد و این قران بعد از سالها شود و آن پادشاه سعادتمند بود و دیر سال و باظفر باشد

صحن (ع) معروف یعنی گشادگی سرای و میان بیابان و زمین هموار و قدح بزرگ و صلح کردن میان قوم، وطشت ازهرچه باشد

صون بفتح و **صوان** بکسر (ع) نگاه داشتن وبرطرف‌هم ایستادن اسب از برای سوده شدن سم از بی نعلی .

فصل و

صحو (ع) بفتح هشیار شدن و هشیاری و رفتن سرما و وا شدن ابر و روز بی ابر .

فصل ه

صخره (ع) بفتح سنگی است در بیت المقدس صخرهٔ صما وصخرهٔ سما نیز میگویند و سنگ بزرگ و بضم رنگ سرخ و زرد و موضعی است از سنگستان .

صرفه (ع) بفتح‌حیله کردن وحیله و مکر و افزونی ونام مهره‌ایست و منزلی از منازل قمر و عدل و فضل و نیز بمعنی بخل آمده .

صفه (ع) بضم و تشدید خانه و جای بلند وزیر پوش‌زین وبکسریکم و فتح دوم نشان .

صله (ع) بکسر و تشدید پیوستن و هدیه دادن و مزد و پیوند و خویشی و عطا و مخفف نیز نامند .

صعوه (ع) بفتح نام مرغیست که در فارسی سربچه و هندش مولا خوانند .

صومعه (ع) بفتح‌خلوتخانه نماری که سر آن بلند باشد وباریك صوامع جمع .

صیحه (ع) بفتح آواز و فغان و عذاب .

صعقه (ع) بفتح بیهوش شدن .

صاعقه (ع) آواز محکم که از رعد برآید با آتش ومرگ و عذاب را هم میگویند .

صدمه (ع) بفتح‌زدن‌و کار بسختی رسیدن ویکبار بهم‌واکوفتن

فصل ی

صوفی (ع) پشمینه پوش و در اصطلاح سالکان صوفی‌آنرا گویند که‌نگاهدارد دل‌خودرا از ماسوی‌الله یعنی‌خطره نفسانی وشیطانی را دخل در سرا پرده دل ندهد و دائم در عبادت و بریاضت بر جاده شرع مستقیم باشد .

صفی (ع) بفتح دوست و یگانه و برگزیده .

صبی (ع) بفتح یکم و کسر دوم کودك خرد و بکسر و با الف مقصوره میل کردن بچیزی و کودکی کردن و با کودکان بازی کردن و بمعنی مردمك چشم و کناره سر شمشیر و زنخ‌بند نیز آمده

صابون سلطانی (ع) در اصطلاح توزیع را گویند .

صیرفی (ع) بفتح صراف و مرد حیله گر و متصرف در کارها .

باب ض

فصل الف

ضیا (ع) بکسر روشنی و در اصطلاح صوفیه عبارت است از رؤیت اشیاء بعین حق

فصل ب

ضراب (ع) بکسر جماع کردن اشتر نر و با کسی شمشیر زدن و بفتح اول و تشدید ثانی درم‌زن و رود زن .

ضب (ع) بفتح و تشدید کینه دل و سوسمار و شکوفه خرما و دردی که بر لب پیدا میشود و از آن درد خون از لب می آید و ورمی است که برگرد سم اشتر پیدا میشود .

ضرب (ع) بفتح زدن و رفتن و باز داشتن و آشکارا کردن و رمیدن و گونه و باران سبك و طریق و دست کسی ازمال وی فرو بستن و مرد کم گوشت و هم مانند و گوشت پستان شتر و کتفی کردن اشتر و جستن رگ و ریش وجراحت و از دو ریسمان کلاوه کردن و نیم شب آمدن و صفت کردن و فروختن جامه و بفتحتین شهد سپید باشد و گویند سبز و غلیظ ضروب جمع آن

فصل ت

ضجرت (ع) بفتح تنگدل شدن و بی آرامی از غم و دل تنگی نمودن .

ضراعت (ع) بفتح زاری کردن و خوار شدن و زاری .

ضنت (ع) بکسر و نون مفتوح مشدد بمعنی بخیلی .

فصل د

ضد (ع) بکسر دشمن و مخالفت و مانند و همتا و یار .

فصل ر

ضریر (ع) بفتح نابینا و کنار رودخانه و نفس و شکیبائی و باقی زندگانی و مرد لاغر و باقی تن چون ضعیف ولاغر بود .

ضمیر (ع) بفتح اندرون و اندیشه هرچیزی پوشیده وآنچه در دل‌گیرند ضمائر جمع آن .

ضر (ع) بفتح وتشدید را زیان چون مقابل نفع مذکور گردد و گزند رسانیدن و بضم سختی ولاغری وبد دلی وبکسر وتشدید زن خواستن بر زن پیشین .

ضجر (ع) بسیار آواز کردن‌شتر وطپیدن دل از غم وتنگدل شدن

ضائر (ع) هلاك کننده و گزند رساننده .

ضرار (ع) بکسر گزند رسانیدن یکدیگر را .

ضیر (ع) بفتح اول گزند و گزند رسانیدن .

فصل س

ضرس (ع) بکسر دندان و سخت شدن زمانه .

فصل ط

ضبط (ع) بفتح نگاهداشتن چیزی را بهوش و آگاهی نمودن و بفتحتین هردو دست در کاری کردن .

ضنط (ع) بکسر و نون مفتوح مشدد تهمت نهادن .

فصل ع

ضرع (ع) بفتحتین پستان‌گاو و گوسپند وزاری کردن وضعیف و لاغر و زاری کننده و گیاهی است در عرب .

ضجیع (ع) بفتح هم بستر و بر پهلو خفتن و خسبیدن ضجوع بضمتین مثله .

فصل ف

ضیف (ع) بفتح مهمان شدن و مهمانی ومیل کردن واو جمع هم آمده است یعنی مهمانان ومهمانی کردن وبکسر کنار رودخانه وپهلوی چیزی

و هیچ عرصه و قصری نباشد که شاخی از آن در آن نباشد و دو چشمه سلسبیل و کافور از زیر آن جاری باشد .

فصل ب

طروب (ع) صاحب طرب و شادیها .

طاق و طرنب (ع) تکلف با کر وفر بجای بامیم هم آمده

طیب (ع) بفتح و تشدید یعنی پاکیزه وحلال طیبات جمع آن .

طلوب (ع) بفتح طالب .

طلب (ع) بفتحتین جستن و جستجوی و بضم و فتح جویندگان واو جمع طالب است و بضم و سکون بمعنی گروه آمده .

طب (ع) بحرکات ثلثه علاج بدن و نفس و رفق و سحر و دراصطلاح صوفیه طب روحانی علم است بکمالات قلوب و امراض آن وادوات آن و کیفیت حفظ صحت آن و اعتدال جسمانی و روحانی آن ورد امراض که متوجه است بسوی آن قلب .

طالب (ع) جوینده و نیز نام مردیست ودراصطلاح سالکان آنرا گویند که از شهوات طبیعی ولذات نفسانی عبور نماید و پردهٔ پندار از روی حقیقت براندازد و از کثرت بوحدت رود تا انسان کامل گردد و این مقام را فنای فی‌الله گویند که نهایت سیر طالبان است و شیخ شرف‌الدین منیری در مکتوبات خود نوشته است که طالب را در هیچ جا مقام نه ودر هیچ منزل آرام نه بلکه در هردو کون سکون بروی حرام است چنانکه گفته اند السکون حرام علی قلوب الاولیاء و بواسطه تطویل بهمین قدر اختصار رفت .

طبیب (ع) پزشك ودراصطلاح صوفیه عبارت است ازشیخی که عارف باشد بطب روحانی و قادر برارشاد و تکمیل خلق .

فصل ت

طاغوت (ع) آنچه سوای حق از صورت و غیر آن پرستند ودر تاج بمعنی دیو است و بمعنی فال گیر نیز بنظر آمده .

طالوت (ع) نام مردی سقا که بپادشاهی رسید و با داود علیه السلام عهد کرده بود که اگر جالوت را بکشی نیمی ازملك ودختر بتودهم داود چون جالوت را بکشت طالوت ازعهد خود برگشت وملك ودختر خود را نداد و چند سرهنگ برای قتل داود گماشت دختر طالوت او را خبر داد و او بجای خود در بستر مشکی گذاشت که سرهنگان بر آن تیغ زدند و داود سلامت ماند و پس از طالوت بسلطنت رسید

طریقت (ع) نخل نیك و بلند و برگزیده قوم ودر اصطلاح صوفیه عبارت است از سیرت مصطفوی که مختص است بسالکان الی‌الله وبالله و فی‌الله از قطع منازل و ترقی در مقامات .

طشت (ف) بفتح جای شستن رخوت و غیره و بسین مهمله نیز آمده .

فصل ث

طمث (ع) بفتح جماع کردن و بکارت بردن وسوزن زدن بچیزی و حایض شدن زن و خون حیض وبسودن بکسی .

فصل ح

طرح (ع) انداختن و جای دور وپارسیان بمعنی رشته بنا استعمال کرده‌اند ونیز آنچه نقاشان نشانی برای رنگ آمیزی کنند .

طالح (ع) بدمرد ضد صالح وبی سامان کار .

فصل د

طشت از بام افتاد (ف) یعنی آوازه بدنامی برخاست وبلند شد وهر کسی شنید ونیز کنایت از غروب شدن آفتابست .

طرد (ع) بفتح راندن و دور کردن و اندیشه و آبی که ستوران در آن درآمده باشند وباصطلاح ارباب معقول واصحاب منقول طرد کنایت ازمانعیت تعریف غیر افراد خود را وعکس عکس آن که جامعیت باشد .

طود (ع) بفتح و سکون کوه بلند وبزرگ باشد .

فصل ر

طهور (ع) بفتح پاك کننده وپاك .

طبل خوار (ف) بسیار خوار وبمعنی بسیار خورنده .

طهر (ع) بضم پاك شدن ازحیض .

طرار (ع) بفتح اول و رای مشدده مفتوح گره‌بر و آنکه بادبان کشتی بشکافد .

طر (ع) بفتح وتشدید تیز کردن سر نیزه وشکافتن و بریدن و چیزی بگل اندودن وبضم وتشدید بمعنی همه .

فصل ز

طراز (ف) بکسر نام شهریست درحدود چین خوبان خیز وبمعنی نقش و نگار و علم جامه و ایضاً بمعنی روشنی و چتر وآراستگی و نقش علم .

طنز (ع) ناز وسخره وخنده وطعنه وخوشی ورفتار با ناز و افسوس داشتن ونشاط کردن .

طناز (ع) بفتح و تشدید ناز کننده و با ناز خرامنده و سخن برموز و لغز گوینده وسخت فسوس کننده وخندان .

طرز (ع) بفتح صورت وشکل وشکوفه ونهال وبضم گوشهٔ بام .

فصل س

طاس (ع) ظرف شراب و آنچه از هفت جوش سازند هندش کهریال نامند وظرفی که درحمام باشد .

طبس (ع) بفتحتین نام شهریست معروف از خراسان .

طمس (ع) بفتح ناپدید کردن ودر اصطلاح صوفیه عبارتست ازذهاب رسوم‌سیار بالکلیه‌درصفات باریتعالی‌عزاسمه واین‌انتهای مرتبه سیراست

فصل ع

طبع (ع) بفتح یکم و سکون دوم سرشت و خوی ومهر کردن و درم زدن برسکه وشمشیر زدن و آلوده و کاهل وآشکارا وبفتحتین چرك و زنگار گرفته شدن و چرکین شدن و بکسر یکم و سکون دوم جوی ورودخانه .

طالع (ع) بر آینده و صبح کاذب و برآمدن آفتاب وباصطلاح اهل تنجیم ولادت مولود که موافق با افق برجی باشد و بمعنی بخت وطالع نیزآمده ودر اصطلاح صوفیه چیزیست که ظاهر میشود ازتجلیات اسمای الهی بر باطن بنده که نیك میکند اخلاق و صفات بنده را بتنویر باطن او .

طایع (ع) بکسر یا فرمان بردار وگردن نهنده .

فصل ف

طرف (ع) بفتح‌چشم ومنزلی از منازل ماه ونگریستن ونام دوستاره که آنراعین‌الاسد خوانند وبفتحتین پارهٔ ازچیزی‌وکرانهٔ زمان و کناره چیزی وبند بقره وآهن که بر کمربندند وبر کرانه چرا کردن ستور وبکسر سب گرانمایه وطرف بوزن ظرف جنبانیدن پلك چشم وجنبیدن چشم وچیزی درچشم کسی زدن وگردانیدن چیزی وگوشهٔ چشم .

طریف (ع) نوزاد .

طواف (ع) گرد برگرد بر آمدن و سرگین آدمی و خیکهای پر باد که بهم بسته باشد تا بآن برسرآب درگذرند .

طائف (ع) نزدیك گوشه کمان وخیالی که در خواب نماید و نام مقامی قریب بمکه معظمه وطواف کننده ونام شهری ونام ولایتی .

طواف (ع) بفتح و تخفیف گرد برگرد بر آمدن و بفتح و تشدید گرد برگرد بر آینده وبسیار طواف کننده .

فصل ق

طمطراق (ع) بفتح تکلف باکروفر طم یعنی چیزی پر کرده و طراق آوازی که سبب فزع باشد و مجموع عبارت ازکروفر باشد وبمعنی خودنمائی نیز آمده وشطحیات مشایخ را نیز طمطراق گویند .

طابق (ع) بفتحتین علتی که اسبان را میشود و طبق آسمان زیر یکدیگر و باران عام و جماعتی از مردم که مانند جماعتی دیگر باشند و پالان وحال و پرسش و پارهٔ از شب و روز و مهرهٔ پشت و بیشتر و بزرگتر چیزی و همه جا فرا رسیده و آنچه مانند کاسه چوب و مس و غیرهما ساخته باشند قوله تعالی « طبقاً عن طبق » یعنی حالا بعد حال و بکسر طریق و دستور .

طلق (ع) بفتح اول وسکون دوم دروازه و درها و زبان گشاده و روی گشاده و روز خوش و شب خوش و یك نوع داروئیست ازسنگ که بزبان‌هند ابهرك گویندش و بضمتین وگفته اندبفتحتین مرد گشاده رو و گشاده زبان و بفتح یکم و کسر دوم حلال مطلق و آزاد از کاری .

طراق (ع) بفتح آوازی که از زخم مقرعه‌باشد و از شکستن چوب و استخوان و جز آن برآید و مکررنیز بهمین معنی گویند .

طروق (ع) بفتح راه رو بضمتین بشب آمدن و رفتن شتر نر برماده و راهها .

طقطق (ع) بفتح آواز برهم زدن دندان از غایت سرما .

طاق‌طاق (ع) آواز سخت که از گسستن چیزی برآیدو جزآن .

طارق (ع) در شب آینده و بشب بند شونده و نام ستاره است که وقت صبح طلوع کند و ساحر .

فصل ك

طنك (ف) بفتح اول و سکون دوم صدای دره کوه و آواز طاس و آنچه بدان ماند و بمعنی آواز مطلق نیز آمده .

فصل ل

طفیل (ع) بضم یکم و کسر دوم نام مردی که بطفیل دیگران‌بضیافت رفتی و طفیلی منسوب بدوست که ناخواه بطعام خوردن رود و بفتح یکم و کسر دوم نام کوهی .

فصل م

طلسم (ع) بکسرتین تعبیه برانگیختن در چیزی و حکمت مزوره .

طم (ع) بکسر دریا و بفتح وتشدید انباشتن و بریدن موی ومال‌بسیار وگاهی‌است که درمحل کثرت‌استعمال کنندچنانچه گویندطم ورم‌یعنی مال کثیر و بضمتین گره زدن درموی .

فصل ن

طین (ع) بکسر گل و سرشت و بگل اندودن و بگل مهر کردن

طغیان (ع) بضم از حد درگذشتن و گمراهی و بیفرمانی و تجاوز از حد .

طاحون (ع) آسیای آب .

طعن (ع) بفتح نیزه زدن و عیب کردن و بدگفتن و دربیابان رفتن وعنان کشیدن اسب برای رفتن .

طمانین (ع) حاصل بمصدر یعنی آرامش .

طنین (ع) بفتح بانگ کوس و طاس و طنبور و جز آن و آواز پشه و مگس و زنبور .

طاق کهن (ف) کنایت از فلك است .

طاعون (ع) شآمت و مرگ عام طواعین جمع آن .

طالقان (ع) نام شهریست معروف .

فصل و

طو (ع) بمعنی عروسی است طوی نیز آمده .

فصل ه

طعمه (ع) بضم روزی خورش و وجه کسب .

طبله (ع) بفتح غلك درم و دینار و خریطه‌ادویه وغیره کذافی‌الصراح

طنطنه (ف) بانگ رود و بربط وبمعنی کروفر و بانگ رودخانه بزرگ و بانگ ناودان و جز آن .

طویله (ع) بفتح رسنی دراز وسطبر که بدان اسبان را بندند و امروز مصطلح است برای جای اسبان و خران و غیره .

طیره (ع) بکسر و گفته‌اند بفتح فال بد و نیك و غضب و خجالت‌و عیب و خشم و سبکساری و نارسیدن تیر بهدف .

طره (ع) بضم و تشدید کرانه ازار و کرانه جوی و طره هر

علت اولی (ع) حکما خدای تعالی را گویند جل شانه و عقل اول‌را نیز گویند .

علت اخری(ع) عبارت از عقل آخر و فلك آخراست دراصطلاح حکما که فلك قمر باشد وآنرا عقل عاشر گویند .

علیا (ع) بفتح ومد جای بلند و سر کوه که بلند باشد و بضم زن بزرگ وسخن با تدبیر و سخن بلند.

عزا (ع) بفتح و تشدید سال سخت وصبر کردن برمصیبت و سختی مخفف نیز خوانند .

عمیا (ع) بفتح کور چشم ونابینا .

عبا (ع) بفتح گلیم وبکسر بارو گرانی .

علالا (ع) بضم آواز بلند وشور و غوغا .

عذرا (ع) بفتح زن دوشیزه یعنی بکر و نام معشوقه وامق و برج سنبله وآشکارا ونیز هر که پی درپی از حریف یازده ندب برد گویند که عذرا برد و وزیر عیسی علیه‌السلام و مروارید بی سوراخ ومکابره و گل ناشکفته .

عزی (ع) بضم وتشدید والف مقصوره نام بتی وزن عزیزتر .

علیها (ع) ازتتبع مناقب‌العارفین شمس‌الدین افلاکی چنان ظاهر شد که لفظ علیها درآن زمان در روزمره بمعنی علاوه مصطلح بوده وچندین جا در عبارات مناقب این لفظ واقع شده .

فصل ب

عتیب (ع) بکسر اول باماله بمعنی عتاب .

عتب (ع) خشم گرفتن وعتاب کردن .

عذاب (ع) بفتح شکنجه وبکسر جمع عذب .

عذب (ع) مأخوذ از عذوبت است چنانچه در نص هفتم در کلمهٔ اسمعیلیه واقع شده .

عتاب (ع) بکسروتخفیف زجر وسرزنش کردن وناز کردن وخشمی پیدا کردن وبفتح وتشدید نام واضع خارای عتابی .

عذب (ع) بفتح یکم و سکون دوم باز داشتن و پاکیزه و آب خوش .

عیب (ع) بفتح نا پسندی وبی هنری و خشم گرفتن وبد گفتن وبدی کردن در حق کسی و پیدا شدن و نا پسندیدن و بمعنی بوقچه نیز آمده .

عندلیب (ع) بفتح هزاردستان یعنی بلبل عنادل جمع آنست .

عجب (ع) بضم تکبر کردن و بکسر و بفتحتین شگفت داشتن و شگفت و بفتح یکم و سکون دوم استخوانی که نشست مردم بدو بود .

عجاب (ع) بضم وتخفیف چیزی که ازاو شگفت آید .

عزب (ع) بفتحتین مرد بی‌زن وزن بی مرد وعزاب بضم جمع .

عطب (ع) بتحریك هلاکی وهلاك شدن .

فصل ت

عبادت و عبودة و عبودیت (ع) در لغت بمعنی خضوع دل وتعبداست ودراصطلاح صوفیه عبادت‌عبارتست ازغایت تذلل بدرگاه الهی بصوم و صلوة و مانند آن و این برای عامه مسلمین است و عبودیت تصحیح نیت است بحضرت الهی بصدق و قصد در سلوك طریق واو مختص است بخواص اهل طریقت و عبودت شهود نفس است بمشاهده که قائم است بذات الهی درعبودیت او واین مخصوص است باخص خواص اهل حقیقت .

عنکبوت (ع) معروف و پردهٔ از پرده های چشم و صفحهٔ بالای اصطرلاب که مدار اصطرلاب برآنست .

عاصفات (ع) جمع عاصفه است یعنی باد سخت وتند .

عدات (ع) بضم جمع عدد است .

عیادت (ع) بکسر بیمار پرسیدن.

عنت (ع) بتحریك خطا کردن وهلاك شدن و زنا کردن و گناهکار شدن وگناه ونزه یعنی زنا و درکار دشوار افتادن که از آن بیرون

نتوان آمدن وفروتنی ورنجور شدن وتباه کردن .

عفریت (ع) بکسر دیوستنبه و گفته اند آدم و پری سرکش و نام دیوی معروف .

عبارت (ع) بکسر تعبیر کردن خواب و بیان کردن .

عصات (ع) بضم گناهکاران .

عظات (ع) بکسر جمع عظت بمعنی پند .

عین‌الحیات (ع) در اصطلاح صوفیه باطن اسم حی‌است کسی که تحقق پیدا کرد بآن اسم خورد از آبحیاتی که هر که او را خورد هرگز نمیرد .

فصل ث

عبث (ع) بفتحتین بازی و بیفایده وبیهوده و بفتح یکم و سکون دوم آمیختن و کشك در آفتاب نهادن تا خشك شود .

عابث (ع) بفتح آمیختها و کشك ها و بازی کننده .

فصل ج

عاج (ع) بتخفیف جیم‌استخوان پیل یعنی دندان پیل ودر تاج بمعنی مشك مرقوم ساخته وبتشدید جیم راه براز مردم وغیر آن .

عج (ع) بضم امر است یعنی آواز بکن از عج بفتح وتشدید وعجیج بمعنی بانگ بلند کردن وبسیار گفتن آمده .

عرج (ع) بفتحتین لنگ شدن وفرو رفتن آفتاب و بفتح رمه شتر ونام موضعی وبکسر رمه وبضم لنگ شدگان واو جمع عرج است .

عروج (ع) بضمتین بالا برشدن و بالا برآمدن .

عوج (ع) بفتحتین کژ شدن و بد خلق شدن و بکسر یکم و فتح دوم کژی دردین و درمعیشت و در رأی و بفتح یکم وسکون دوم کژی‌دربالای چیزی ایستاده چون دیوار ودرخت ومانندآن وبضم نام پسر عنق و مادرش دختر آدم علیه‌السلام بود وعمرش سه‌هزارو پانصد سال بود طوفان نوح تا کمرگاه او بود و تا زمان موسی علیه‌السلام بزیست چون قصد کشتن او کرد کوهی بمقدار دو فرسنگ بر سر گرفت تا بر لشکر موسی زند حق تعالی هد هد را فرستاد تا آن سنگ را سوراخ کرد و درگردن او افتاد وموسی علیه‌السلام عصا بر کعب او زد بیفتاد وجان داد .

فصل د

عدّ و عداد (ع) بکسرهما کالند والقرن من‌القوم من‌یعد فیهم قاموس والعدد مایعد به‌الشی ونزدیك بعضی چیزی است که شمرده شودباو اشیاء ونصف مجموع حاشیتین قریبتین یابعیدتین که مساوی در بعد باشد.

عنود (ع) بضمتین‌مصدراست وبفتح مردی که از راه راست بگردد و لشکر ورگی که ازو خون بدر آید .

عاد (ع) بمعنی بازگشت و عادتها وقوم هود علیه‌السلام .

عهد (ع)بفتح پیمان وسوگند و وصیت وامان وننگ وعار وروزگار و یاران اولین ومنزلی که مرجع ومآب بود .

عمود (ع) بفتح یکم وضم دوم ستون و چوب خیمه ومهتر قوم .

عمد (ع) بفتحتین جماعه ودر اصطلاح صوفیه عمد معنوی عبارتست از روح عالم و قلب آن و نفس آن و آن حقیقت انسان کامل است .

عد (ع) بفتح شمردن وبکسر بسیاری اعداد وبفتح جماعه وبکسر شمار و عد بضم امراست از عود که بفتح بمعنی بازگشت آمده .

عقد (ع) بفتح بستن وگره برزدن و پیمان کردن ونکاح کردن و طاق خانه و نام ده عدد و بکسر گردن بند زنان و سلك مروارید و بتحریك گرفته شدن زبان در گویائی وبضم‌یکم وفتح دوم گرهها وبندها

عید (ع) درلغت معروفست و در اصطلاح صوفیه چیزیست که عاید شود بر قلب از تجلی جمالی یا وقت تجلی بهر روش که باشد خواه جمالی خواه جلالی .

عنید (ع) بفتح حیران وسرگردان و ستیزه کننده .

عود (ع) بفتح بازگشتن وبضم چوب خوشبوی معروف ونام سازی که بربط نیز گویندش واصل مردم عواید جمع .

عضد (ع) بضمتین مردن وبفتح یکم و ضم دوم بازو ونام عالمی که کتاب عضدی منسوب باوست وبفتح یکم و سکون دوم بر بازو زدن وبازی کردن و درخت بریدن وبفتحتین دردناك شدن .

عتید (ع) بفتح آماده و موجود ساخته برای کاری و حاضر و بمعنی رمنده .

عابد (ع) پرستنده وفروتنی کننده وخشم گیرنده وعار دارنده .

عناد (ع) بکسر دشمنی کردن با کسی .

فصل ر

عور (ع) بضم برهنه وبفتح‌عین وسکون واو گرفتن وبردن ویك چشم کور کردن وبفتحتین یك چشم شدن .

عقور (ع) بفتح گزنده .

عذار (ع) بکسر روی وراه وبناگوش وافسار اسب وخط ریش .

عذر (ع) بضم‌بهانه ومعذور داشتن وسبب گناه گفتن وپاداش دادن وبفتحتین خداوند عیب وفساد شدن وبفتح یکم وسکون دوم ختنه کردن ومعذور داشتن .

عیار (ع) بفتح وتشدید مرد زیرك عالم‌گرد وشیر درنده واسب به نشاط جولان کننده ومرد بیباك و شب‌رو وبکسر و تخفیف راست کردن وپیمانه و ترازو ونیز مقدار زرکه ازمحك معلوم میشود هندش پان خوانند وگفته اند بفتح بمعنی رنگ و گونه و گوهر و فرو شدن آفتاب .

عشر (ع) بفتحتین ده وبضم ده یك مال ستاندن ودهم شدن .

عسر (ع) بضم دشوار شدن و دشواری و بفتح یکم و کسر دوم دشوار و بفتح قرض بازگرفتن در وقت تنگدستی قرضدار و بفتحتین دشوار شدن کارها وبدست چپ کار کردن .

عصر (ع) بفتح زمانه و فشردن و نماز دیگر و بخش کردن وآخر روزگار وتباه وبضم مثله .

عر (ع) بضم سرگین وبفتح کسی‌را غمگین کردن و کسی را بگناه آلوده کردن وبمعنی چرب وسرگین در زمین زدن وسرافکندن حیوان

عقار (ع) بضم شراب وجامه سرخ وبفتحتین زمین ملکی ده و آب ودرخت خرما ورخت‌واسباب‌خانه وبضم وتشدیددارو‌عقاقیر جمع آنست .

عثار (ع) بکسر بسر درآمدن .

عزیر (ع) بضم نام پیغمبری است که قصه او در کلام مجید وارد است .

عبور (ع) بضمتین بر چیزی گذشتن و گفته اند گذشتن از آب و بفتح نام ستاره ایست که بعد از جوزا برآید .

عبر (ع) بکسر کنار دریا و کنارهٔ جوی و وادی و بفتح یکم و سکون‌دوم ناگهان‌برجستن‌اسب‌وجولان کردن‌او به‌نشاط ورمیدن‌وعیب کردن وچشم برهم زدن ونگریستن و بفتحتین وبضم بینی وگرمی چشم. که از آن آب چشم ریزد و بمعنی بسیار منفعت آمده است .

عقر (ع) بفتحتین کشتن وپی کردن وریش کردن .

عازر (ع) بفتح‌ز، نام مردی که کافر مرده‌بود وبعد ازقرنها عیسی علیه‌السلام اورا زنده ساخت وایمان آورد ودرهمان زمان باز مرد .

عصفور (ع) بضم گنجشك وسپیدی پیشانی اسب ورگ دل و پارهٔ ازدماغ و کتاب و شیخ کشتی و استخوان بیرون آمده بر چهار سوگاه اسب وگرسنگی ونوعی از حبوبات بصورت منقار گنجشك و ملخ و میخهائی که چوب پالان را بود وسبزه پاکیزه وفلك عصافیر جمع آن .

عقیر (ع) بفتح نا امید ونا آبست وگزنده وگیرنده .

عسیر (ع) بفتح دشوار .

عصیر (ع) بفتح شیره وشراب وفشرده .

عبهر (ع) بفتح بوستان افروز وبعضی نرگس راگویند ومرد فربه وآگنده گوشت .

فصل ز

عزیز (ع) بی‌همتا وغالب وچیزی درشت وپادشاه مصررا گویند وپیش ازین وزیررا میگفتند وارجمندونایاب ونادر وآرزومند ودشواروخوارو سخت وضعیف وعبدالعزیز دراصطلاح‌صوفیه‌عبارتست از کسی که عزیز گردانیده

عمیق (ع) بفتح مغاك وجوی دور فرو برده وبزغاله .

عراق (ع) بکسر معروف و آن دو عراق است عراق عرب و عراق عجم و استخوان خائیده ودوال که بدان درزهای مشك بدوزند ونام پرده سرود .

عنق (ع) بضمتین گردن و بسکون دوم نیز آمده و مهتر قوم و بزرگ قوم .

عروق (ع) بضمتین رگها وریشه های درخت و رفتن در زمین و گیاهیست زرد و دوائی که زردچوبه نیز گویندش وگویند بمعنی زرد چوبه بکسر اول آمده .

عرق (ع) بفتحتین زنبیل وصف چیزی و خوی کردن وخری آمدن وبخشش که از جهة محبت باشد وبفتح گوشت از استخوان باز کردن و خوردن و استخوان کم گوشت و شیری که در پستان باشد و بکسر بیخ ورگ و بمعنی ظالم عروق بضمتین جمع آن .

عناق (ع) بفتح بزغاله ماده وزن دراز گردن وسختی زمانه وبی ثمره ویکنوع جانوریست مانندیوز وبکسر دست در گردن یکدیگر کردن .

عشیق (ع) بکسرتین با تشدید بغایت عاشق .

علوق (ع) بفتح مرگ وآنچه درآویزد بمردم و بچهٔ که درشکم باشد وفرج زن وجامه و زیور درگاو و آهو دردام .

عقوق (ع) بضمتین نا فرمانی کردن کسی را که حق او گزاردن واجب باشد یعنی مادر وپدر واستاد وبفتح یکم وضم دوم زن باردار واسب آبستن عقق جمع آنست .

عیوق (ع) بفتح و تشدید نام ستاره ایست روشن بر کرانه مجرّه بسوی راست چون برآید آبها بکاهد مگر رود نیل .

عتق (ع) بکسر آزادی وآزاد شدن و بخشش کردن وبصلاح آمدن و بزندان گرفتن وجمال وبفتح یکم و کسر دوم خوبی .

فصل ل

عقل (ع) بطور حکما جوهریست مجرّد از ماده مؤثر در بدن ادراك میکند محسوسات را بمشاهده ومغیبات را بوسائط وتعلق اوببدن از عالم تعلق عاشق است بمعشوق یا وزیر بملك ودر اصطلاحات صوفیه عبارت از نور محمدیست صلی‌الله علیه و آله که مسمی میشود بدره بیضاء بدلیل حدیث نبوی که اول ما خلق‌الله نور اول ما خلق‌الله درة بیضاء اول ما خلق‌الله العقل اول ما خلق‌الله الروح اول ما خلق‌الله القلم وهی موجود واحد مسمی باعتبارات مختلفه .

عقول (ع) بفتح خردمند و داروی قابض و بضمتین بکوه بلند پناه ساختن آهو و بز و گفته اند جمع عقل .

عامل (ع) کارکن و سرنیزه که زیرسنان بود عمال بتشدید جمع .

عاطل (ع) خالی و بیکار و زن بی زیور .

عیال (ع) بکسر خورندان و زن و فرزند و توابع و بفتح و تشدید اسب خرامان رفتار و مرد خرامنده در رفتار .

عول (ع) بفتح کسی را عیال خود ساختن و بسیار عیال شدن و بخشش و قسمت زیاده کردن وغلبه کردن و جور کردن ونفقه دادن عیال را و آواز برداشتن در گریه و میل کردن .

عجل (ع) بفتحتین گردونها و دولابها و شتاب کردن و شتافتن و بفتح اول و کسر دوم و بضم اول وفتح دوم شتابنده وبکسر گوساله و نام قبیله ایست .

عزل (ع) بفتح جدا کردن و بیکار کردن و جدا و دور شدن از زن و کنیز و بضم مرد بی سلاح .

عین الکمال (ع) چشم زخم .
عایل (ع) درویش و عیالمند و آنکه گم شده را بیابد .
عجول (ع) بفتح شتابنده و ناقهٔ که بچه خود را گم کرده باشد و حیران و پریشان بود .
عاذل (ع) رگیست که ازو خون استحاضه بیرون آید و ملامت کننده
عتل (ع) بضمتین سخت دل و غلیظ طبع و سخت خصومت و نیزه ستبر و بفتح کمانهای سخت کشیدن بدرشتی و بکسر اول وتشدید لام شتاب کننده دربدی .
عتال (ع) بکسر زانوبند شتر و بندیکه بردست و پای چارواپهند و صدقه و زکوة و خراج یکساله و بضم و تشدید لنگی ستور .
عدول (ع) بضمتین برگشتن و برگردانیدن و تجاوز کردن وجمع عادل نیز آمده .
عادل (ع) داد دهنده و برابری کننده وترازوی راست
علیل (ع) بفتح بیمار .

فصل م

عالم (ع) بفتح لام، ماسوی‌الله ودر اصطلاح صوفیه عبارتست ازظل ثانی حق که اعیان خارجیه باشد وظل اول صور علمیه که عبارت ازاعیان ثابته است .
عم (ع) بفتح برادر پدر و جماعت آدمیان و بکسر امر است یعنی خوشحال باش و خوش عیش باش .
عاصم (ع) باز دارنده .
عظام (ع) بضم بزرگ وبفتح استخوان وبکسر جمع عظم یعنی استخوان
علام (ع) بفتح و تشدید دانا و بضم و تشدید حنا .
علم (ع) بفتحتین کوه و رایت پادشاه و درفش و علم و جامه و چاکی که درلب بالائین باشد و نشانه وعلم الثوب میلی که برجامه اندازند دروقت بافتن و نشان که در بیابان بود و کوه بلند و نام مردی
علم (ع) بکسر و سکون دانش ودانستن ودر اصطلاح صوفیه بمعنی صورت حاصله از شیئی نزد عقل وظن و شك و وهم و یقین و تقلید و جهل مرکب از جمله افراد علم باین معنی است که در تحت هر کدام از این لغات معانی آن قید شده و بفتح شکافتن لب و غلبه کردن بر کسی .
عظم (ع) بضم بزرگی و تکبر و بزرگتر و بیشتر چیزی و بکسر عین خلاف الصغر .
عقیم (ع) بفتح درخت بی میوه وزن نازاینده و باد بی نفع و زن بی فرزند و بی نیاز .
عزم (ع) بفتح و بضم آهنگ وصبر و ثبات در کار خدایتعالی وکار مفروض و مقطوع وبفتحتین دل نهادن وقصد کردن وبضم نیز آمده عزائم جمع آنست .
عصم (ع) بفتح یکم و کسر دوم نگاهداشته شده و نشان و بقیه چیزی باقی مانده .

فصل ن

عنوان (ع) بضم و کسر سر فصل وصاحب نام .
عنان (ع) بکسر دوال لجام که سوار در دست گیرد وابرو آشکارا چیزی و مقدار آسمان که آشکارا شده باشد و برابری کردن وبفتح اطراف الشجر و من السماء نواحیها .
عریان (ع) بضم برهنه .
عوان (ع) بفتح میانه سال از هرچیزی و زن میانه سال و بفتح وتشدید بمعنی سخت گیر عوانان جمع .
عمان (ع) بفتح و تشدید نام دریائیست که مروارید از آن بهم رسد و بضم و تخفیف نام شهریست و اسم موضعی .
علیین (ع) بکسر خانهای بلند در بهشت ودر تفسیر مذکور است آنکه جانها و کتابهای اعمال مؤمنان در آنجا بود و گویند آن بر هفتم آسمان است و این جمعی است که واحدش نیست و لفظ .
علتین (ع) این لفظ که در مثنوی واقع شده بمعنی نکال الاخرة والاولی است

عدن (ع) بفتحتین نام شهریست از یمن که عقیق وشاخ مطر آنجائی خوب میشود و نام بهشتی است که جنات عدن گویندش و بفتح مقیم شدن در جائی و اقامت کردن .
عنین (ع) بکسر و تشدید آنکه برجماع قادر نباشد و نامرد و هیز
علن (ع) بفتحتین آشکارا شدن و آشکارا .
عجین (ع) بفتح خمیر .
عمران (ع) بکسر آبادانی و اسم مردیست .
عین (ع) بفتح چشم و چشم زخم و چشمه آب و چشمه آفتاب و چشمه ترازو و چشمه زانو ودینار و زر و دیدبان وجاسوس ومال نقد و بهتر و نفیس و آشکارا و ابری که از طرف قبله آید وباران پیوسته وبرگزیده از هرچیزی و مرد بزرگوار و هستی از هرچیزی و چربی و یك پلهٔ ترازو و منظر و مشاهده ونام کتابی و کوهان شتر وبکسر صفت حور و بمعنی فراخ چشم کذا فی الصحاح عیون بضم جمع عین .
عطن (ع) بفتحتین خوابگاه شتر نزدیك آب و کندن پوست و افتاده شدن آن در دباغت و پیراسته شدن پوست و گرداگرد حوض و آب خورد و آب خوردنگاه شتر .
عرین (ع) بفتح گوشت و بیشه و نام قبیله ایست .
عدوان (ع) بضم ستم کردن و از حد در گذشتن و دویدن وبفتح یکم و سکون دوم نام قبیله ایست و بفتحتین دو ده .
عرجون (ع) خم شاخ خرما کژ شده .
عطشان (ع) بفتح تشنه .
علویان (ع) بکسر سیارات سبعه و ملائکه .
عفن (ع) فتحتین پوسیده شدن و بد بو شدن وبفتح اول و کسر دوم پوسیده و بد بو

فصل و

عمو (ع) مشهور و بمعنی خوشحال باشید بشب یعنی شب شما بخیر باد نیز آمده است و اوامر است برای جمع مذکر مخاطب در اصل عموان بوده است که همزه و نون را حذف کرده اند برای تخفیف کذا فی کنز اللغات .
عرخو (ع) آواز گربه و سگ که در هنگام غصه کند .
عوعو (ع) آواز سگ .
عتو (ع) بضم از حد در گذشتن یعنی سرکشی کردن و بغایت پیری رسیدن و بزرگی بر خود گرفتن و بغایت تاریك شدن .
عضو (ع) بضم و کسر جزوی از بدن .

فصل ه

عمامه (ع) بکسر اول مغفر و بیضه و چیزیکه بر سر پیچیده شود .
عامه (ع) درلغت مشهور و در اصطلاح صوفیه جماعتی اند که مقتصر شده است عمل آنها برشریعت مصطفوی بمجرد تقلید بدون دلیل .
عائده (ع) عود کننده یعنی بازگردنده .
عقیله (ع) بفتح بزرگترین و برگزیده ترین و پای بند .
عشوه (ع) بکسر فریب و بضم شعلهٔ آتش و بفتح باریکی کار و گفته‌اند بکسر شب کوری و ارتکاب برامری بی حجت و بیان .
عرصه (ع) بفتح میانه سرو گشادگی میانه سرو هر گشادگی که درو درخت و کاه نباشد ونیز بساط شطرنج وعرصات جمع آنست که دشت قیامت را هم گویند
عمره (ع) بضم یکی از ارکان حج .
عبادیه (ع) بضم اول و بای مشدده مفتوح عبادت کنندگان .
عاقله (ع) مرد و زن که عاقل و بالغ باشد و زن خردمند و مهتر قوم و قوم .
عکاشه (ع) بضم عنکبوت و نام یکی از اصحاب نبی باشد و بتای مثلثه نیز آمده و قصه حرب او در سوره بقره واقع است .
عقیده (ع) بفتح در دل گرفته و مربی .
عصیده (ع) بفتح نوعی از حلوا و در صراح میگوید نوعی از طعام
عانه (ع) زهار و موی زهار که زیر ناف باشد تا آلت و کله خران و گفته‌اند کله خردشتی که گور خر باشد وستاره ایست فروتر از قوس
عقده (ع) بضم گره و بستگی زبان و قضیب سگ و نیز اجتماع رای

غوث (ع) بفتح فریاد وفریاد رسنده و آن دو تن که یمین ویسار قطب اند و در اصطلاح صوفیه بنظر در آمده که غوث همان قطب اعظم است وقت النجا باو .

غیث (ع) بفتح باران و گیاه ومصدر بمعنی باران باریدن وبارانیدن غیوث جمع .

فصل ج

غنج (ع) بفتح بوزن رنج ناز و کرشمه وبضم سرین مردم وغیر آن وبفتحتین و بضم یکم و سکون دوم کرشمه وبتحریك مصدر ازآن یعنی خرامیدن و کرشمه کردن

فصل د

غمد (ع) بکسر نیام شمشیر وبفتح شمشیر درغلاف کردن .

فصل ر

غاتفر (ع) با تای موقوف و فای مفتوح سه معنی دارد اول نام شهری ازترکستان خوبان خیز که درآن سرزمین سروخوب شود دوم نام محله ای از محلات سمرقند سوم نام یکی از پهلوانان تورانی .

غرور (ع) بضم فریفتن وگفته‌اند فریفتن بقیدومتاع دنیوی و بفتح فریبنده وشیطان وداروی غرغره

غرار (ع) بکسر مقدار و اندك ونقصان و کمی در هرچیز وپیاپی ومانند و کار ناآزمودگی ونادانی وغفلت ولب شمشیر وطریقه وطور وکاسد شدن بازار وتمام ناکردن رکوع وسجود درنماز .

غر (ع) با اول مضموم بمعنی دبه خایه و با اول مکسور مردغافل و کار نا آزموده راگویند وبفتح اول بددل وزن فاحشه .

غدیر (ع) گودال آب دردشت وسیل گرد آمده و مغاك بافندگان و آب گیر وتاریك راگویند .

غور (ع) بفتح فائده رسانیدن و بزمین گوفرو رفتن و فرو شدن وزمین نرم وپست وقعر چیزی و بزمین فرو رفته و قعر مغاك و فکر و اندیشه وضم نام شهریست وولایتی .

غیور (ع) بفتح رشك بر ناموس .

غابر (ع) بازنده وهلاك شونده و ماضی و مستقبل واین از اضداد لغات است .

غمر (ع) بضم وضمتین گولی یعنی احمق و نادان وبفتح آب بسیار وفرا پوشیدن آب چیزی را ومرد سخت بخشنده و آب چست رفتار و بکسر کینه گرفتن و تشنه شدن و بضم یکم وفتح دوم قدح و بفتحتین بوی گوشت و بوی ماهی .

غرر (ع) بفتح روشنائی و خطر ونهی و بیع غائب یعنی بیع کردن چیزی که در تصرف نباشد چون بیع ماهی در آب و مرغ در هوا و جز آن واین نهی‌است وضم سپیدیهای پیشانی و اوائل ماهها و بزرگوار تریها وسه شب اول ماه و بخشنده و آمرزنده

غدار (ع) بفتح و تشدید بی‌وفا ومکار وگفته‌اند لشگر انبوه

غافر (ع) پوشنده و بخشنده و آمرزنده .

غیر (ع) بفتح منفعت رسانیدن و باران دادن صراح.

فصل ز و ژ

غژوغیژ (ف) امراست از غژیدن .

غز (ت) بضم جنسی از ترکان .

غمز (عف) نشاندن بزمین واشاره کردن بچشم وسخت افشردن و تهمت کردن و عیب گوئی کردن و مژگان بر هم زدن و لنگیدن و سخن چینی کردن .

غماز (ع) بتشدید میم سخن چین و عیب جوی و اشارت کننده و طعنه زننده .

فصل س

غرس (ع) بفتح درخت نشاندن ونهال خرما بوقت نشاندن وبکسر نهال

غلس (ع) بفتحتین تاریکی آخر شب .

فصل ش

غش (ع) بکسر آب تیره وگفته اند بفتح و نیز بمعنی خیانت و کدورت و تشویش چنانکه میگویند فلانی غش میدهد درین کار و بیهوش و حیرت در وقت تعلق خاطر و تشبه و خلاف و بفتح و تشدید خیانت کردن .

غرش (ع) بضم و تشدید وکسر ر بمعنی آواز کردن شیر و امثاله بود در وقت خشم

فصل ص

غواص (ع) بفتح و تشدید بدریا فرورونده بطلب مروارید و بغور معنی رسنده .

فصل ض

غرض (ع) بفتحتین مقصود وخواست وقصد و نشانه و آرزومند گشتن وتنگدل شدن ازملال وبفتح یکم وسکون دوم تنگ پالان شتروتنگ بر شتر و از شیر باز گرفتن کودك پیش از وقت و بکسر اول و فتح دوم تازه شدن .

غض (ع) بفتح فرو خوابانیدن چشم و کم کردن قدر چیزی وفرو داشتن آواز .

فصل ظ

غیظ (ع) بفتح بخشم آوردن وخشم پنهان ازعجز .

غلیظ (ع) بفتح ستبر و درشت و بدخوی بود .

فصل ف

غرف (ع) بضم یکم و فتح دوم بالاخانها و دریچها واو جمع غرفه است .

فصل ق

غسق (ع) بفتحتین تاریکی‌اول شب‌پس ازشفق و تاریك شدن چشم و ریخته شدن اشك ازآن .

غرنوق (ع) بکسروگفته‌اند بضم و**غرنیق** بکسر وفتح نون بت و جوان خوش‌شکل غرانیق جمع آن ویاجمع غرنیق بضم‌اول‌وآن‌نوعی از مرغان آبی است .

فصل ل

غلول (ع) بضمتین خیانت کردن در غنیمت و روان شدن آب در میان درختان و بفتح طعام .

غول (عف) چهار معنی دارد اول جائی راگویند که در کوهها و صحراها بکنند تاگوسپندان وگاوان شبانگاه در آنجا باشند و آنرا آغال‌و آغل نیز خوانند دوم حرامزاده‌را خوانند سوم دو طفل‌راگویند که از مادر توامان زاده باشند چهارم گوش بود وتخمی هست که‌آنرا اسپغول نامند بدان سبب که برگ او بگوش اسب شبیه است و بتازی نوعی ازدیو و جن است که درشعاب کوه ها و جاهای غیر مامون دور ازآبادانی باشندوبهر شکل که‌خواهند برآیند ومردم را از راه ببرند و هلاك سازند .

غل(ع)بضم بندآهنین و زنجیر وحرارت و تشنگی اغلال جمع آن‌وبکسر کینه و کینه ور شدن وخیانت و کدورت .

غیم‌هاطل (ع) ابر ریزنده چه غیم بمعنی ابریست که آسمانرا بپوشد و هاطل بمعنی ریزنده .

غلیل (ع) بفتح تشنه شدن و تشنگی و کینه .

غزل (عف)بفتحتین شعر گفتن ودوست داشتن صحبت زنانرا و باایشان گفت و گوی کردن و متحیر شدن سگ از بانگ آهو بره در وقت طلب کردن آهو بره ونوعی از شعر است و آن کم از پنج بیت وزیاده از بیست نباشد و درآن ذکر محبت وعشق وشراب و وصال بود وگفته اندآفتاب روشن وبمعنی جوانان رعناوغزال بفتح وتشدید ریسمان فروش .

فصل م

غنم (ع) بفتحتین گوسپند و بضم غنیمت گرفتن .

غریم (ع) بفتح قرضدار و قرض خواه و تاوان زده .

غنائم (ع) بفتح مالها که از کافران بجنگ بگیرند .

غرم (ع)بضم تاوان ومصدر بمعنی تاوان زده شدن وآرزومند گوشت شدن و در مؤید است بفتح تاوان و تاوان دادن وبضم بز کوهی ومیش دشتی وگفته اند گوسپندی که بدان کودکان سواری آموزند .

غمام (ع) بفتح ابریکه آفاق را بپوشاند .

غیم(ع) بفتح ابریکه آسمان را بپوشد وگرمی وتشنگی اندرون و مصدر بمعنی تشنه شدن غیوم جمع وغایم ابر پوشنده .

فصل ن

غبین (ع) بفتح ضعیف رای .

غمان (ف) بفتح جمع غم و بمعنی غمناك .

غژیدن و غیژیدن (ف) بااول مفتوح نشسته رفتن بود چنانچه اطفال و مردم زمن ولنگ روند و بمعنی خزیدن نیز آمده و در فرهنگ هندوشاه بمعنی برهم نشستن و برهم چسبیدن مرقوم است و غژ وغیژ امر است ازاو .

غصون (ع) جمع غصن که بضم و سکون بمعنی شاخ درخت آمده

غبن (ع) بفتح و سکون زیان رسانیدن کسی را در بیع و شری و غیرآن و نیز فریفتن و بفتحتین ضعیف رای شدن و نقصان‌دررای

غلیان (ع) بفتحتین جوشیدن دیگ .

غشیان (ع) بکسر و سکون مجامعت کردن وبتازیانه زدن کسی را و بفتحتین بیهوش شدن و بر چیزی در آمده و بزیر چیزی در آمده و بیهوش .

غین (ع) حرفی از حروف هجا و بحساب جمل هزار و در لغت‌ابر و ابریکه آسمانرا بپوشاند و شتر که برآب آید و نیز شوریدن و فراپوشیدن چیزی دل را و فریفتن و تشنه شدن و ابر تشنه و سپید و شتر مست و فرا پوشیدن چیزی زمین را و بکسر درختان سبز بسیار شاخ

فصل و

غلو (ع) بضمتین ازحد درگذشتن وهجوم‌و بفتح تیرپرتابی انداختن

غزو (ع) قصد کردن و بجنگ کافران رفتن .

غلیو (ع) بکسرتین سرگشته‌و حیران راگویند وآنرا کالیو نیز خوانندودربعضی ازمثنویها قلیو وفلیو بنظر آمده که‌آنهم بهمین‌معنی‌است

غدو (ع) بضمتین بامداد کردن وبامداد بجائی رفتن وبامدادان واوجمع غدوه است و بفتح فردا .

فصل ه

غره (ع) بفتح و تشدید وفریفتن وفریفته شدن و بضم بزرگترین چیزی وگزین ترین مهترو آواز شیر و غیره و سپیدی پیشانی اسب و اول تاریخ تاسه روز هر ماه و اول هرچیزی و غلام وکنیزك و بکسر و تشدید فریفتگی و غافلی و غفلت و زن کار ناآزموده و بفتح‌مغروری.

غمزه (عف) اشارت و طعنه ومژه‌چشم و چشم برهم زدن بناز و اصل بستن و گشادن چشم است و چشم خوابانیدن‌و اشارت کردن .

غصه (ع) بضم‌اول طعام و استخوان درگلو مانده و بمعنی‌اندوه و خشم‌نیز آمده .

غراره (ع) بفتح غافل شدن وناآزموده کار شدن .

غادیه (ع) ابری که بامداد پیدا شود وبامداد .

غبطه (ع) نیکوئی حال وآرزوی نعمت دیگری ومیانهٔ حسد وغبطه فرق کرده‌اند حسد آنست که زوال نعمت دیگری را برای خود خواهدوغبطه آنکه آرزوی‌نعمت‌دیگری کند بی‌آنکه زوال‌اوخواهد

غله (ع) بفتح و تشدید وظیفه و مشاهره وبمعنی گندم وجو و شالی‌وجزآن‌وبااول‌وثانی مفتوح مخفف‌اضطراب باشد وبااول مضموم‌و ثانی مشدد کوزه کوچك بودوغله دان کوزه‌راگویند که سرآنرا

تعقید لفظی با فصاحت مفردات .

فصل ث

فرث (ع) بفتح شکافتن و پاره پاره کردن جگر وسرگین که در شکنبه باشد و واکردن هسته خرما فروث جمع آن .

فصل ج

فرج (ع) بفتحتین گشایش وبفتح وسکون عورت زن ومرد وشکاف کوه وجایگاه بیم ومصدر بمعنی باز بردن اندوه وگشادن و شکافتن وگشادگی میان دو چیز فروج بضم جمع آن .

فجفج (ع) معرب پچ پچ است بکسر بمعنی آهسته باهم سخن گفتن

فصل ح

فتوح (ع) بضمتین گشایشها وفیروزی وآبی که از چاهی بیرون آید یا از چشمه .

فیح (ع) بفتح بوی خوش دادن وفراخ شدن وجوش کردن دیك .

فلاح (ع) بفتح رستگاری وفیروزی و بقاء طعام سحری و بفتح و تشدید کشاورز وچاه کن .

فضوح (ع) بضمتین رسوائی و رسوا شدن وپیدا شدن صبح وغیرآن

فاضح (ع) رسوا ورسوا کننده .

فصل خ

فخ (ع) بفتح و تشدید دام که صیاد برای صید جانور نصب کند و در لسان‌الشعرا بضم تصحیح کرده اند و در ادات بمعنی دامن گفته فخاخ وفخوخ جمع آن .

فرخ (ع) بفتح وسکون جوزه (جوجه) مرمرغی وجای مغز سر و شاخ رز که ازدانه بدر آمده باشد ونزدیك باشد که شاخ شود وبفتح یکم وضم دوم مشدد مبارك وهمایون وزیبا رخ و فرخ دراصل فررخ بوده است وفر بمعنی زیبا است .

فرسخ (ع) بفتح فرسنگ وآن سه میل باشد فراسخ جمع آن .

فصل د

فاسد (ع) تباه .

فرید (ع) بفتح یگانه وتنها ودر بزرگ یگدانه که درمیان درها ممتاز باشد .

فصد (ع) بفتح رگ زدن .

فؤاد (ع) بضم دل و درد دل .

فقد (ع) بفتح وسکون طلب نایاب کردن و نا یافتن چیزی و گم کردن وفقدان بضم و کسر مثله وبفتحتین داروئیست .

فدفد (ع) بفتح هردو ف زمین هموار ودور وبیابان .

فصل ر

فشر (ع) بضم اول مرد بیهوده وهذیان ماخوذ از فثار است .

فقر (ع) درلغت احتیاج و درویشی و نزد اهل شرع فقیر آن که اندك چیز دارد و مافوق آن محتاج است و مسکین آنکه چیزی ندارد و بعضی برعکس این گفته اند و بطور محققین از صوفیه فقر مرادف عتق است .

فر (عف) بفتح چهار معنی دارد اول شکوه دوم بمعنی بر یعنی فوق سوم نور ومردم نورانی را فرهومند وفرمند خوانند چهارم سیلاب و در عربی برای مشدد بمعنی گریز آمده وگریزندگان وگریزنده نیز و اوجمع ومفرد هردو آمده وگریختن و واکاویدن از چیزی .

فتور (ع) بضمتین سست شدن وشکسته شدن و سستی وشکستگی وزمان میان دو پیغمبر .

فکار (ف) بکسر عضوی زخم یافته و ریش شده و آنرا افکار و فکال نیز خوانند .

فاخر (ع) چیزی خوب وگرانمایه .

فکر (ع) بکسر اندیشه و حاجت وبفتح اندیشه کردن ودراصطلاح سالکان رفتن سالك است بسیر کشفی که از کثرات و تعینات که بحقیقت باطلند یعنی عدمند بسوی حق یعنی بجانب وحدت وجود

مطلق که حق حقیقی است واین رفتن عبارت از وصول سالك است بمقام فناء فی‌الله ومحو ومتلاشی گشتن ذرات کائنات دراشعهٔ نوروحدت ذات کالقطرة فی‌الیم وبکسر اول و فتح ثانی هم بهمین معنی است .

فطور (ع) بضمتین جمع فطر بفتحتین بمعنی شکافتن‌چیزی آمده .

فاتر (ع) سست وزبون وآب نیم‌گرم .

فشار (ع) بکسر امراز فشردن‌است یعنی شپلیدن که مرقوم خواهد شد ونیز بمعنی دشنام آید و بمعنی پاشیدن و ریختن باشدوبفتح اول نیز آمده ونیز بضم اول بمعنی هذیان ودشنام آید .

فرار (ع) بکسر گریختن وواکاویدن ازچیزی .

فطیر (ع) بفتح خمیر بی مایه وشیر تازه دوشیده .

فجار (ع) بفتح وتشدید بسیار بدکننده وبضم جمع آن .

فصل ز

فراز (ف) با اول مفتوح دوازده معنی دارد اول گشاده و پهن دوم بمعنی بسته سوم قریب ونزدیك چهارم جمع پنجم پیش ششم ازین باز هفتم فروز وفرازان بمنزله فروزان بودهشتم زیروبالا نهم بلند دهم سرکش یازدهم خرزه دوازدهم نشیب .

فوز (عف) بفتح فیروزی یافتن و رفتن و رستن و هلاك شدن و رستگاری وفیروزی‌ورسیدن بمطلوب وبضم‌اول درفارسی سه‌معنی دارد اول بیرامون دهن باشد و آنرا پوز نیز نامند دوم غلبه و هجوم سوم آواز وصدای جماع کردن .

فصل س

فسوس (ف) سه معنی دارد اول سخر ولاغ باشد و آنرا افسوس نیز گویند دوم از راه بیراه شدن و بیراهی کردن سوم دریغ و حسرت بود .

فردوس (ع) بکسر بوستان وبهشت فرادیس جمع آن ونام موضعی

فریس (ع) بفتح اول و کسر ثانی چنبر چوبین‌وبمعنی کشته‌هم‌آمده

فطس (ف) بتحریك پهن بینی و پهن بینی شدن .

فصل ش

فاش (ف) آشکارا و گشاده پراکنده وبا اماله نیز مستعمل است که در قافیه درویش و خویش آورده اند

فحش (ع) بضم و بفتح سخن زشت وناسزا .

فراش (ع) بکسر افکندنی وکار فراخ کردن هر کسی .

فصل ص

فیص (ع) رسانیدن از سخن افتیاس مثله .

فصل ض

فائض (ع) فروریزنده و آبی که بعد از پرشدن رود فرو ریزد از اطراف رودخانه .

فیض (ع) رود نیل وفاش‌شدن خبر وآشکارا شدن سرو رفتن اشك از چشم ورفتن ومردن و ریختن و رود بصره و بسیار چیزی و مصطلح آنکه افکندن امری در دل بطریق الهام و بسیار شدن باران و ریختن آب و بانبوهی بازگردیدن وسبز شدن و بیرون آمدن .

فصل ط

فقط (ع) بس بس .

فرط (ع) بفتح و سکون بسیار وپیش دستی و شتافتن بر کسی و از پیش شدن و تقصیر کردن و هنگام و وقت و ستم کردن و رفتن برای آب و ضایع کردن و بفتحتین پیش رونده بسوی آب و پیش روندگان بسوی آب واو جمع ومفرد آمده است و اول صبح ونشانه زمین و بضمتین ترك کرده شده واز حد درگذشتن واسب تیز رو .

فصل ع

فرع (ع) بالای چیزی و یا کوه رفتن وغلبه کردن کسی بفضل و یا بحسن و جمال و شاخ درخت و کمان که از شاخ درخت سازند فروع بضمتین جمع وفرع بفتحتین تا تمام موی سرشدن واولین بچه شتر ونیز مال وفائده ونام موضعی .

فقاع (ع) بضم شیشه وحباب و بتشدید نوعی ازشراب که ازجوسازند

فزع (ع) بفتحتین ترسیدن وفریاد کردن وپناه بردن وترس وبیم .

فصل غ

فراغ (ع) بفتح پرداخته شدن ازچیزی و پرداختن از کاری و فرصت وخوش دلی و باد سرد ومهتر .

فصل ف

فلسف (یف) بفتح اول وکسر سین همان فلاسفه .

فصل ق

فالق (ع) شکافنده وآفریننده .

فریق (ع) بفتح فرق کننده وبمعنی گروه وآن زیاده ازطائفه است .

فوق (ع) بفتح یعنی بالا و درگذشتن از چیزی بفضل و مرتبه .

فارق (ع) جدا کننده و اشتر ماده و یا خر ماده که دردزه پیدا کرده باشد .

فندق (ع) بکسر یکم و ضم سوم و بکسر یکم و فتح دوم میوه ایست مانند کنار در غایت شهرت ونیز آنچه بچگان از ریسمان چون گوی سازند وبرزمین میزنند و آن می‌جهد و آنرا درهند گنبذ نامند و بمعنی عناب را خوانند ودر تاج بمعنی کاروانسرا مرقوم ساخته .

فسوق (ع) بضمتین بیرون آمدن از فرمان خدا و بیرون آمدن خرما از پوست .

فروق (ع) بضمتین جمع فرقه است و فرق بکسر یکم و سکون دوم مثله .

فستق (ع) بکسر وگفته اند بضم تعریب پسته .

فرق(ع)بفتح‌وسکون‌سرو بمعنی گشادگی‌میان‌سر که هندش‌مانك گویند وبضم‌قرآن وبکسر اول و فتح دوم جمع فرقه بمعنی گروه وبکسر رمه گوسفند و گروه مردم و پارهٔ ازچیزی و بفتحتین بمعنی ترس التفریق والتخویف کذافی‌القاموس

فائق (ع) درگذشته و افزون آمده وموضع پیوستگاه کردن و سر

فلق (ع) بفتح یکم و سکون دوم وگفته اند بفتحتین شکافتن و سپیده دم وصبح و همه خلق عالم وجائی است در دوزخ وزمین دشت که در میان دو کوه بود وکندهٔ چوبین که برپای محبوس بنهند و بکسر کار عجب وسخن نادر وکمان خوب .

فصل ك

فلاسنگ (ف) بفتح فلاخن باشد وآنرا فلاخان نیز گویند وبمعنی سنگ کلان وصحرا نیز آمده .

فرهنگ (ف) بفتح اول و سوم شش معنی دارد اول دانش دوم ادب سوم عقل چهارم کتاب لغات فارسی پنجم نام مادر کیکاوس ششم شاخ درختی که بخوابانند برای ریشه‌دار شدن وآنرا آهنج‌نیزخوانند

فلك (ع) بضم و سکون کشتی وکشتیها واو جمع و مفرد آمده است وبفتح‌وسکون‌دوم بادریسه وبفتحتین معروف وگردش وپاره‌ای زمین‌گرد برگرد و بلند .

فتراك (ع) بکسر دوالی راگویند که از پس زین بیاویزند .

فك (ع) بفتح جدا کردن و آزاد کردن بنده و خلاص کردن و گرو باز ستاندن و مهر شکستن ودهن باز کردن از پری .

فصل ل

فصل (ع) جدا کردن و بریدن و جدائی و فصل کتاب و یکی از چهار فصل سال و حد وصل فصول بضمتین جمع اوست .

فضول (ع) بضمتین شخصی که خودرا فاضل گوید ونباشد وزیاده خرج کننده و غنیمتی که زیاده آمده باشد و بخش آن نتوان کرد برلشکریان مثل یك اسب ویك شتر وشخصی زیاده وزیاده سیروبی‌ادب

فضیل (ع) بضم وفتح نام ولیست مشهور .

فصال (ع) بکسر از شیر بازگرفتن بچه را و اشتر بچه که از مادر جدا شده باشد واو جمع فصیل است‌و بفتح و تشدید رگ زن .

که ظرف سیاهی است و کنار رودخانه که از آنجا آب بر کشند و موضع کناردریا که کشتی آنجا بکنار آید وبمعنی فرجه بضم مرقوم شده

فچفچه (ف) بضم دو فا سخنی را گویند که در افواه و السنه افتد بطریق خفیه وآنرا پچپچه نیز گویند .

فرغنده (ع) بفتح اول وسوم گیاهی باشد که بیخ ندارد و بر هر درخت پیچد آنرا خشک گرداند و آنرا ارغج و سرند نیز خوانند وبتازی عشیقه خوانند شمس فخری گوید : باغ عمر ترا مباد خزان — شاخ عمر تو ایمن ازفرغند و دربعضی فرهنگها بمعنی چیز پلید وناخوش و بد بوی نوشته اند وآنرا فرغند نیز گویند .

فرغوده (ف) بفتح بمعنی آمیخته وآنرا فرغنده نیز گویند .

فخفره (ف) بفتح اول وسوم جو باشد حکیم شطرنجی گفته : گر شره و حرص ز دل گم شود — فخفره نزدیك تو گندم شود

فصل ی

فلسفی (یف) قومی هستند که بوجوب ممکن قائلند و اشتقاق فلسفه ازفیلاسوف است چه فیلا بزبان یونانی محب و سوف حکمت راخوانند و فلاسفه و فلسفه و فلسف نیز خوانند .

فدی (ع) بکسر بطریق اماله بمعنی باز خریدن وفدیه دادن وقربان کسی شدن و سر بها و سر خرید و بکسر و بمد نیز خوانند .

فیٔ (ع) بفتح سایه و خراج ملك و غنیمت یعنی مال که ازکافران بمسلمانان رسیده باشد و باز گشتن و با زن مجامعت کردن و بکسر بمعنی در است .

فرزانگی (ف) بفتح حکمت و دانائی .

باب ق

فصل الف

قضا (ع) بفتح معروف و فرق میانهٔ قضا و قدر آنست که قضا حکم ازلیست در مرتبهٔ اجمال و قدر در مرتبهٔ تفصیل و گاهی بمعنی اتفاق و ارادهٔ حق بغیر قصد نیز آمده چنانچه گویند قضا را چنین شد .

قثا (ع) بکسر نوعی از خیار است دراز و پاره کژ .

قطا (ع) بکسر و گویند بفتح مرغیست که بپارسی سنگ خواره گویندش

قری (ع) بفتح و الف مقصوره شهرها و دهها وفراهم آوردن آب بحوض و یا بجای دیگر و بکسر و الف مقصوره و بفتح و الف ممدوده مهمان کردن .

قبا (ع) بفتح و مد جامه که او را یلمق نیز خوانند و بغیر مد و ضم نام موضعی است در حجاز که مسجد قبا بآن منسوب است .

فصل ب

قلب (ع) بفتح ، دل و خلاصه و واژگونه و بمعنی میانه وصدر است و ناسره و یکی از منازل ماه و میان لشکر و عقل و مغز چیزی و بفتحتین باز گردیدن لب وشارح اصطلاح صوفیه میگوید قلب جوهری است مجرد نورانی که متوسط است میان روح و نفس وآن چیزیست که متحقق میشود بآن انسانیت وازهمین جهت مقرر شده میانهٔ اهل کشف وعقلا اینکه نیست قلب مگر انسان را ونیست قلب ملك وجن و شیاطین وغیرهم را وحکما آنرا مسمی میسازند بنفس ناطقه وروح باطن اوست ونفس حیوانی مرکب او وظاهراو متوسط است او ومیانهٔ جسد چنانچه تمثیل داده شده درین آیت مثل نوره کمشکوة فیها مصباح المصباح فی زجاجة الزجاجه کانها کوکب دری یوقدمن شجرة مبارکة زیتونة لا شرقیة ولا غربیة ـ شجرة نفس است و مشکوة بدن وآن قلب وسط است در وجود و مراتب تنزلات بمثابهٔ لوح محفوظ در عالم .

قلاب (ع) بفتح و تشدید گرداننده ازسره بناسره یعنی دغا باز و بضم و تخفیف درد دل و بیماری کشنده و بضم و تشدید گزك وقلابهٔ آهنی

قباب (ع) بضم قبهای سیرها و قبهای عمارات و او جمع قبه است و بکسر بمعنی پرده است اولیائی تحت قبابی .

قرب (ع) بضم نزدیك شدن ودر اصطلاح صوفیه عبارت است ازوفاء

بعهدی که سابق است در ازل وبکسر و بفتح راء جمع قربه بکسر .

قضیب (ع) زرد شاخ باریك و شمشیر باریك و نرهٔ مردم وجز آن وشاخ درخت وشتر نر .

قوت القلوب (ع) کتابیست ازمصنفات شیخ ابوطالب محمدبن علی بن عطیة الحارثی المکی است که درجمادی الاخر سنه ۳۸۶ وفات یافته .

فصل ت

قلت (ع) کمی .

قوت (ع) بضم و سکون روزی بقدر حاجت .

قنوت (ع) بضمتین فرمان و فرمان برداری کردن و در نماز دعا خواندن و خاموش شدن و نیز دعائیست معروف و بفتح کاریزها و مهره های پشت .

قانت (ع) بکسر نون بمعنی فرمان بردار .

قناعت (ع) بکسر بر هرچیز اکتفا کردن که باشد .

قرابات (ع) بکسر نزدیکها .

قل ماشئت (ع) بضم بیهوده وهرزه و یاوه و آنرا قلماش نیز خوانند و اگر بزبان تازی قل ماشئت مرکب گفته شود بمعنی بگو هرچه خواهی تو خواهد بود وازین معنی هم بیهوده مستفاد میگردد .

قساوت (ع) بفتح سخت دل شدن وسخت دلی قسوت سختی .

فصل ح

قبیح (ع) بفتح زشت و طرف استخوان مرفق .

قیح (ع) ریم .

قبح (ع) بضم زشتی وزشت شدن وبفتح نفرین کردن ودور کردن از خیر و نیکی .

قدح (ع) بفتحتین کاسهٔ گرد و ژرف و بفتح یکم وسکون دوم عیب کردن و طعنه زدن در نسب کسی و آتش زدن وشکستن ونزد صوفیه عبارت ازوقت است .

قوس قزح (ع) کمان شکلی ملون وآن جز درهوای ابرنباشد و سبب ظهور وی آن است که آفتاب از حجاب ابر بر زمین نمناك تابد ودر هوا از عکس آن قوس قزح پدید آید واگر آفتاب مغربی باشد ظهور وی از جانب مشرق شود و اگر آفتاب شرقی باشد از جانب مغرب ظهور کند .

قمح (ع) بفتح گندم و پست .

قزح (ع) بضم اول وفتح ثانی کوهیست و نام شیطان و در صراح آنچه کمان شکل ملوّن درهوا پدید آید آنرا کمان رستم دانند و بفتح یکم و سکون دوم بول سگ و بکسر دیك افزار یعنی حوایج که بالای دیگ پخته اندازند جهت خوشبوئی .

فصل د

قباد (ع) پدر نوشیروان و بتعظیم هر پادشاه را گویند و نام پادشاهی کیانی .

قید (ع) بفتح بند وگفته اند نام اسبی معروف ودوال که سرهای پالان وخوگیر بهم فراگیرد وبکسر مقدار و اندازه .

قود (ع) بفتحتین قصاص کردن و دراز گردن و دراز پشت شدن و قصاص .

قاید (ع) کننده ولشکرکش وبینی کوه .

قواد (ع) بفتح اول وتشدید ثانی قلتبان .

فصل ذ

قنفذ (ع) بضم یکم وسوم جانوریست که آنرا خار پشت گویند و در تاج ترجمه عکاشه آورده است .

فصل ر

قیر (ع) بکسر چیزی است که بر خیك وکشتی وغیر آن مالند تا محکم شود وآب درو نرود وبیرون هم نیاید ونیز روغنی است سیاه که بر اشتران گرکین مالند و سیاه و در فرهنگی بمعنی دانه کلونجی مرقوم ساخته که سیاه دانه باشد .

قطار (ع) بفتح معروف و در عرف بمعنی ده شتر است وگفته اند بکسر شتران و در صراح قطار بکسر جماعت ویك دسته شتر که آن ده شتر باشد وبالفعل در هند پنج شتر را قطار گویند .

قعر (ع) تك چیزی و بن چاه و غیر آن و مصدر بمعنی بر کندن درخت و بقعر چیزی رسیدن .

قشر (ع) بکسر پوست هرچیزی و درعرف پوست خنخاش و قهوه نیز آمده وجامه و بفتح پوست باز کردن و دراصطلاح صوفیه عبارتست از علم ظاهر که نگاه میدارد علم باطن راکه لب اوست از فساد چنانچه شریعت نسبت بطریقت وطریقت نسبت بحقیقت .

قدر (ع) بکسر اول وسکون دال دیگ و بفتحتین اندازه هرچیزی درازل که قضاوقدر گویندش وگفته اند حکم کلی ازل را قضا گویند و جزئیات را قدر یعنی قضا در مرتبه اجمال و قدر در مرتبه تفصیل و بفتح اندازه ومرتبه واندازه کردن ومقدار یعنی آلت اندازه کردن وبفتحتین تقدیر کردن حق چیزی را و آفریدن ونوشتن وتوانا شدن

قاهر (ع) قهر کننده وشکننده .

قیصر (ع) پادشاه روم راگویند هر که باشد .

قبور (ع) بضمتین جمع قبر بفتح بمعنی گور و در گور کردن آمده است .

قنطار (ع) بکسریك پوست گاو پراز نقره ویا زر وبعضی گویند صدو بیست من و نزد بعضی چهار هزار دینار بود قناطیر بفتح جمع او وگفته اند جمع قنطره .

قروقروقراقر (ع) بضم نام آبی است و نیك آواز و بفتح آواز های کبوتران وآواز های شکم .

قریر (ع) بفتح خنك شدن چشم ودرسکندریست سرد وروشن وروشنی

قفار (ع) بکسر جمع قفر است که بفتح بمعنی در پی کسی رفتن و بیروی کردن وزمین خالی وبیابان بی آب وگیاه آمده

قفر (ع) بفتحتین اندك گوشت شدن .

قصر (ع) بفتح یکم وسکون دوم کوشك یعنی بناء بلند وبازداشتن و بازگردیدن و کوتاه و آخر روز وکرانه هر چیزی و وقت نماز دیگر و بشکستن وبکسی زدن ونزدیك آمدن وکم کردن نماز وپرده فروگذاشتن و چیزی بر کسی فرو داشتن و کوفتن جامه و شستن .

قصور (ع) بضمتین از کاری باز ماندن و عاجز شدن و شبانگاه شدن وجمع قصر که بمعنی کوشك آمده .

قمار (ع) بکسر اول معروف و بفتح نام موضعیست که در آنجا عود می شود .

فصل ز

قلاوز (ف) راهبر و سواران بیرون لشکر که آنرا چوکی گویند وآنرا قلاور وقلاویز نیز گویند .

قیماز (ع) بفتح اول کنیز وخدمتکار راگویند .

قزّ (عت) بفتح و تشدید ابریشم و نوعی از ابریشم که در هند تسر گویند وپرهیز کاری کردن و مرد پرهیزکار و نفرت کردن ازچیزی ودر ترکی بفتح گران بها .

قزاز (ع) بفتح وتشدید ابریشم فروش .

فصل س

قدس (ع) بفتحتین وگفته اند بضم یکم و سکون دوم پاك وپاك بودن و کوهیست بزرگ بزمین بخارا وزمین بیت المقدس .

قواس (ع) بفتح و تشدید کمانگر .

ققنس وققنوس (ع) بضم یکم و سوم جانوریست خوش آواز که درمنقار اوسیصدوشصت سوراخ دارد وهزارسال بزیدوچون هنگام مرگش در رسد تودهٔ هیزم جمع کند و مقابل باد بر آن توده هیزم بنشیند وازهر سوراخ منقار او آوازی لطیف ودیگرگون برآیدواز سماع آن آوازها مست شود وازغایت مستی پر زدن گیرد چندانکه ازپرهای اوآتش خیزد ودرآن هیزم افتاده بهم سوخته گردد وخاکستر شود چون باران ببارد حق تعالی ازآن خاکستر بیضهٔ پیدا آرد وازآن بیضه بازمثل آن جانور بیرون شود .

فصل ق

قنق (ت) بضمتین مهمان و بفتح نیز آمده .

قلق (ع) بفتحتین بی آرامی وبی آرام شدن وخلجان وجنبیدن و برانگیختن و ترسیدن و برانگیزنده و ترسنده .

قطاع الطریق (ع) راهزنان .

قطاریق (ع) بفتح هیاهوی جنگ یعنی شور وغوغا که دروقت جنگ و امثال آن برآید .

قپچاق (ف) نام بیابانیست و نیز اصلیست از ترکان که ایشانرا قپچاقیان گویند و آنرا خفچاق بکسر خا نیز گویند .

قرناق وقرنق (ت) بضم در ترکی کنیزك و خدمتکاران .

فصل ك

قدر مشترك (ع) عبارتست از مفهوم کلی که در افراد خودمشترك باشد مانند وجود مطلق که ماهیتش مقداریست مشترك درافراد موجودات مثل انسان و حیوان وغیرهم .

فصل ل

قابل (ع) پذیرنده وسزاوار ومرد پسندیده و سال آینده .

قندیل (ع) بکسر معروف آنکه در مساجدومحافل بسوزند وباستعاره سنارگان رانیزمراددارند قنادل جمع و قندیل بفتح حاضر شدنگاه مردم .

قتال (ع) بکسر جنگ کردن وبفتح وتشدید بسیار جنگ کننده و بفتح جان وبقیه تن .

قتیل (ع) بفتح کشته شده .

قصیل (ع) بفتح جو نو برآمده ونارسیده که بپارسی خویدخوانند

قبیل (ع) بفتح گروه و نقیب و پایندانی کننده و جماعت مردمان ازگروه مختلف که از سه کس زیاده باشند .

قائل (ع) بفتح گوینده و نام دریائی که درو مروارید پیدا شود .

قوال (ع) بفتح و تشدید بسیار گوینده و در عرف سرودگوئی را گویند و بفتح و تخفیف دوال نعلین .

قیل (ع) بفتح اول و سکون یا پادشاه اقیال جمع آن .

فصل م

قسم (ع) بفتح و سکون بخش کردن و تدبیر کار کردن و نوبت و بکسر بهره و بخش و بفتحتین سوگند .

قوام (ع) بکسر نظام کار و کسیکه کار مردم باو قائم باشد وبفتح عدل و راستی قامت نیك و دست و پای اسب و شتر و امثال آن و بضم و تشدید ایستادگان و بتخفیف دردی و علتی که گوسپندانرا در دست و پای پیدا شود .

قیام (ع) بکسر ایستادگان وبرخاستن وپایان بردن کار و ایستادن و شکم رفتن و بضم و فتح مثله .

قلم (ع) بتحریك خامه تراشیده و برقمار و در اصطلاح صوفیه عبارت است از حضرت تفصیل که کنایت از حضرت واحدیت باشد بعضی گفته اند که قلم عبارتست از نفس کل و بطور بعضی از لوح قدری .

قدم (ع) بفتحتین پای و پیش پای و اثر نیك و سابقه وچیزی از چیزی وبضم در پیش رفتن وبکسر اول وفتح دوم دیرینه شدن ودیرینه و پیش رونده و در اصطلاح صوفیه عبارت است از سابقه که حکم کرده است بآن حق بربنده ازلا و کامل میشود بنده بآن .

قوائم (ع) بفتح دست و پای آدمی و اسب و شتر و جز آن

قلزم (ع) بضم یکم و سوم دریا و چاه بسیار آب و بفتح سوم نیز آمده ودر عجائب المخلوقات نوشته که دریائیست که ازهند برآید و قلزم شهریست که درکنار آن آبادانست و بآن نام خوانندوپارسیان قرزم نیز خوانند .

فصل ن

قرن (ع) بفتح صور و کوه خرد و کرانهٔ سرو کرانهٔ آفتاب که اول بدید آید و پارهٔ جوی و شاخ گوسپند و جزآن و چندسال معین بحسب اختلاف عرف که حالا بفتوای متاخرین بیست سال را گویند و بمعنی سال وشیر و طرف‌رو و بفتحتین نام محلهٔ از یمن وقبیلهٔ ازو و بمعنی گروه و همزاد و پهلوی سر و موی سر زنان و اهل یك زمانه وترکش و شمشیر وتیر با پیکان و بکسر همسر وپیوستگی و حریف و ممد درشجاعت و کشتی .

قربان (ع) بکسر نزدیکی و بضم مخصوصان و نزدیکان پادشاه و حیوانیکه در منا قربان کنند و فدا و کتمان و بفتح قدحی که نزدیك باشد که پر شود و بعضی از حضرت اسمعیل علیه‌السلام مراد دارند .

قرآن (ع) بضم و بهمزالف نبی یعنی کلام خدایتعالی و بمعنی صلوة نیزآمده چنانکه ازقرآن الفجر صلوةالفجر مراد است وبکسر آنکه قصد حج و عمره یك مرتبه کند بیك احرام و یك رسن که بدان دو چیز و دوشتر بهم بندند و شتریکه باشتر دیگری قرین کرده باشند و نزدیکی و پیوستگی ومطلع اهل تنجیم پیوستن دو ستاره ببرجی و بمعنی خوانده شده و با هم نزدیك شدن و حج و عمره با هم کردن .

قرون (ع) بضمتین جمع قرن که مرقوم شد و بمعنی پردهٔ ازپرده های چشم و بکسر همتائی در جنگ .

قرین (ع) بفتح یار و مصاحب و همتا وهم تن واسیر .

قلتبان (ع) شخصی را گویند که بر احوال قبیح‌زن خود واقف گردد و چشم پوشی و دیده نادیده کند و نیز سنگی مدور که آنرا بام غلطان نیزنامند .

قرطین (ع) بضم تثنیه قرط که بمعنی گوشوار آمده یعنی دو گوشواره و از این حسنین علیهما سلام‌را نیز مراد داشته اند .

قازغان و قزغان (ف) دیگ مسی .

قانون (ع) اصل هرچیز و رسم و قاعده قدیم و نام کتابیست در علم طب از مصنفات بوعلی سینا و نیز نوعی از مزامیر که بغدادیان نوازند و آن سه گوشه است و این معربست قوانین جمع آن .

قیروان (ع)بکسر کاروان ونام شهری بمغرب زمین ومغرب ومشرق را نیز گویند و نام ولایتی درغایت معموری .

فصل و

قتو (ع) بفتح خدمت کردن و بضم نام شهریست .

فصل ه

قاروره (ع) شیشهٔ که اطبا از ادرار در آن مرض معلوم نمایندو مطلق شیشه و نام سلاحی و شیشه نفط و قندیل و نوعی از تیرو پیکان

قرابه (ع) بفتح وتشدید آوند شراب مانند صراحی و امثاله وبکسر نزدیك شدن و نزدیکی

قرعه (ع) بضم فال وکعب درانداختن و طرق قرعه بسیار است یك طریق آنست در کعب رقمها کنند و هر رقم که بیرون آید از راستای خودشمارگیرند بهر عددمنتهی شود آن چیز او را باشد و رسم عرب آنست که کسانیکه در حلقه حاضر باشند مشت بندند و کسی یك انگشت گشاید و کسی دو و کسی سه و کسی چهار و کسی پنج آن فال گیر همه انگشتان بشمارند و از راستای خودشروع کنند بهر که منتهی شود آن قرعه اورا باشد .

قراضه (ع) بضم ریزهای زر و سیم .

قبله (ع) بکسر مشهور و جهت و بضم بوسه .

قبضه (ع) بفتح پنجه و دسته شمشیر و کمان و جز آن و بمعنی مقبوضه هم آمده و بضم مقداری که درمشت آید وبضم یکم و فتح دوم آنکه زود چیزی یادگیرد و زود فراموش کند .

قابله (ع) دایه .

قبه (ع) بضم سر سپر و سربارگاه و سر گنبد وخرگاه‌و چیزی که در ایام عروسی آرایند .

قافیه (ع) پس واز پی آینده و کلمهٔ که آخر شعر بآن بندند و شعر بی‌او درست نباشد .

قعده (ع) بفتح نشستن ومرکب و بضم یکم وفتح دوم بسیارنشیننده وبضم یکم وسکون دوم اعتقاد کرده شده و پسندیده .

قوصره (ع) بفتح مثل تنگی که ازبرگ خرما سازند و خرما پر کرده بدریاها می برند .

قله (ع) بضم وتشدید سر کوه وبالای هرچیزی وتارك مردم .

قره (ع) بضم و تشدید روشنائی چشم و خنکی چشم و فرزند فرمان بردار .

قارعه (ع) سختی زمانه وقیامت و فراخی درسرای وزن گوینده .

قربت (ع) بضم خویشی ونزدیکی و بکسر مشك آب وبند مشك .

قاها قاه وقاه قاه و قهقهه (ع) بمعنی خنده بآواز بلند .

قدوه (ع) پیشوا بحرکات ثلثه .

قیله (ع) بکسر بمعنی قیلوله است .

فصل ی

قبطی (ع) نام مردی بوده که موسی علیه‌السلام اورا بمشت کشته و درصراح است که قبط اهل مصر وتبعهٔ فرعون وقبطی منسوب بدوست .

قاسی (ع) سخت دل وسیاه قلب .

قدری (ع) بفتحتین طایفهٔ اند که افعال را بالکل به بنده نسبت میدهند ونسبت افعال بحق را اسناد ظلم بخالق میدانند .

قذی (ع) بفتح چیزی که بیفتد درچشم وشراب یعنی خاشاك .

باب ك و گ

فصل الف

کیا (ف) بکسر سه معنی دارد اول پادشاه پادشاهان را گویند که بتازی ملك‌الملوك خوانند وکی مترادف اینست و بمعنی پادشاه جبار و در زمان قدیم پنج پادشاهرا گفته اند کیومرث و کیکاوس و کیخسرو و کیقباد و کی‌لهراسب دوم هریك ازعناصراربعه راخوانند سوم بمعنی پاکیزه آمده وجمع کی کیان میشود وبضم اول خیمه گرد را خوانند وآنرا گنبدی نیز خوانند کیان جمع اوست .

کدخدا (ف) بفتح صاحب خانه چه کد بمعنی خانه است و در عرف مرد معتبر وموقر راگویند و منجمان دلیل روح را گویند که درلغت کدبانو بتفصیل مذکور میشود .

گیرا (ف) بکسر گیرنده و چفسنده و چسبنده بود .

گزا (ف) بفتح گزنده وگزند رساننده راگویند .

کالا (ف) دو معنی دارد اول رخت ومتاع بود دوم بمعنی فریاد و بانگ آمده و معنی اخیر ازکتاب ژند مرقوم شد .

کیمیا (ف) درلغت مشهور ودر اصطلاح صوفیه عبارتست از قناعت بموجود و ترك شوق بمقصود وکیمیای سعادت عبارت از تصفیهٔ نفس است از رذائل وتزکیه او بآن واکتساب فضائل وتخلیه او بآن و این کیمیای خواص‌است اما کیمیای عوام ابدال متاع اخرویست بحطام دنیوی اما کیمیای اخص خواص تخلیص قلب است از کون مسمی بغیر مکون .

کهربا (ع) سنگیست زرد مشهور دافع علت یرقان وکاهرا بخود کشد و هندش کپور نامند و در عجائب‌البلدان است که صمغی است از درخت که آتش درو زودگیرد چون او را بگدازند مانند روغن شود وگویند درحدود روس چشمه ایست که برمی‌جوشد و چون باد بوی رسد بسته گردد وآنرا کاه ربا نیز گویند .

کارکیا (ف) دومعنی دارد اول پادشاهرا گویند دوم هریك ازعناصر اربعه بود بمعنی اخیر مولوی راست : ای ممدن نور و صفا ای شمس تبریزی بیا—کاین روح بیکار وکیا بی تابش تو خامد است — در کشف‌اللغات ومؤیدالفضلا بکاف دوم فارسی تصحیح نموده بمعنی کار فرما وکار دار .

گیج (ف) بکسر پریشان و پراکنده را گویند و کسی را که مغز پریشان شده باشد گویند که گیج شده است .

کاج (ف) شش معنی دارد اول لوچ را گویند که بتازی احول خوانند دوم بمعنی کاشکی بود خواجه حافظ شیرازی فرماید : فتاد در دل حافظ هوای چون توشهی — کمینه بندهٔ خاك در تو بودی کاج سوم نام درختی است که آنرا ناژ و ناژو و نوز نیز خوانند چهارم سیلی باشد مولوی فرماید ، اگر هستی فروشد نفس سرکش — بزن بر گردنش آندم دوصد کاج، پنجم آبگینه را گویند وخشت وظروف گلی که زیر آن آبگینه ریخته باشند کاجی نامند چون در زبان پارسی تبدیل جیم بشین جائز داشته‌اند بکاشی اشتهار دارد یااینکه تعریب نموده کاشی گفته اند ششم نام رباطی است میانه قم وری .

گرج (ع) بضم اول و سکون ثانی ولایتی است که آنرا گرجستان نامند وبا گاف و ج پارسی شوشه خربوزه و هندوانه باشد و بااول مفتوح شکاف گریبان و کرته و پیراهن را گویند بکسر اول و فتح ثانی و جیم زده گچ باشد که در عمارت بکاربرند .

فصل خ

کاخ (ف) سه معنی دارد اول قصر باشد دوم بارانرا گویند وآنرا کاخه نیز خوانند سیم نام قصبه ایست از مضافات تون و در بعضی فرهنگها بمعنی خانه بی روزن بنظر در آمده .

کخ کخ (ف) باهر دوکاف مکسور دو معنی دارد اول کلمهٔ باشد که در محل نفرت گویند دوم آواز خنده باشد سنائی فرماید : از پی مصلحت بروخندد کخکخی بربروت او بندد وبا هردوکاف مضموم آواز سرفیدن بود .

گستاخ (ف) بضم دلیر و بی ادب و تند و تیز و شوخ و آنرا گوستاخ و اوستاخ نیز گویند .

کرخ (ع) بفتحتین دومعنی دارداول نام موضعی ازماوراءالنهر و گفته‌اند نواحی بغداد دوم بی حس و بی شعور باشدوآنرا کرخت نیزخوانندوبتازی خدره گویند و بفتح اول و سکون ثانی نام دهیست درزمین بغداد که شاپور ذوالاکتاف آنرا بنا کرده و گفته‌اند محله‌ایست دربغداد .

کوخ (ع) خانه را گویند که از چوب و نی و علف سازند و اهل خراسان کرم را گویند .

فصل د

کد (ف) بفتح دومعنی دارد اول خانه باشد دوم بمعنی نخست آمده و در عربی بمعنی رنجیدن ورنجانیدن و بانگشت اشارت کردن وآب چاه چندان کشیدن که هیچ آب درو نماند و کوشش کردن بطلب چیزی و کوشش و کوفتن ومرد چست رفتار ومانند هاون چیزیست که دروی چیزی کوبند و بگاف فارسی مفتوح گدا باشد وگدائی را نیز گویند .

کرد (ف) بضم چهار معنی دارد اول نام طائفه ایست مشهور صحرا نشین مولوی فرماید: چه داند روستائی مخزن شاه کماج ودوغ داند جان کردك — دوم قطعه زمینی را گویند که کنارهای آنرا بلند ساخته ودر میانش زراعت کنند وآنرا کراره و کردوو کرز و کرزه نیز خوانند سوم آبگیر باشد که آنرا اژبروژی نیز گویند وبتازی شمر خوانند چهارم چوپان وشبان را نامند و بفتح اول دو معنی دارد اول کردار باشد دوم شاخی را گویند که بوقت پیراستن ازدرخت بریده باشند

گرد(ف) بفتح یازده معنی دارد اول غبار و بمعنی زمین نیز آمده و بمعنی خاك بطریق عموم اوحدی راست : تن بی روح چیست مشتی گرد روح بیعلم چیست بادی سرد— وچون مآلا هرسه معنی یکیست بیکجای قرار داده شد دوم گردیدن وامراز گردیدن بود سوم گردون وفلك را گویند چهارم اسمی است از اسامی نیرّ اعظم پنجم بوی خوش بود ششم بمعنی نفع وفائده آمده هفتم عکس را نامند هشتم شاد و بیغم و شادی و بیغمی باشد نهم غم واندوه است نظامی فرماید جوابی که در گوش گرد آورد — نیوشنده را دل بدرد آورد و این لغت در معنی هشتم ونهم اضداد است دهم بمعنی برق آمده یازدهم جنسی از ابریشم

چیده و سره را خوانند و با اول مضموم شجاع ودلیر وبهادر باشد و با اول مکسور چهار معنی دارد اول مدور دوم شهر راگویند و آنرا بتازی مصر و مدینه وبلده نامند چون سیاوش گرد که مراد شهرسیاوش باشد سوم بمعنی جمع و گرد آمده بمعنی جمع آمده باشد چهارم خرگاه راگویند وآنرا گردك نیز نامند .

کید (ع) نام مردی که رای قنوج بوده ومعاصر اسکندرذوالقرنین بودومکرو فریب وحیله وجنگ کردن و حائض شدن زن ونام ستاره

کبد (عف) بفتح وسکون بر جگر زدن وجگروبفتح یکم و کسر دوم بمعنی جگر و میانهٔ هرچیز آمده عموماً و قبضه کمان خصوصاً وبفتحتین سختی وبفارسی بمعنی فربه گوشت آور باشد .

گشاد (ف) بضم چهار معنی دارداول فراخ باشد دوم فتحرا نامند شاه قاسم انوارفرماید : نغمهٔ مطرب خوشگوهمه پنداست و کلام—سافر ساقی مه رو همه فتحست وگشاد—سوم بمعنی خوش و خوشی آمده مولوی فرماید چندین حلاوت ومزهومستی وگشاد— درچشمهای مست تونقاش چون نهاد چهارم رها کردن تیر بود از شست امیرخسرو راست : گردون گشاد شست توچون در دعا شنید— خواند ارغنون مرگ صریر چغانه را .

کاد (ف) حرص وشره .

گردباد (ف) بکسر بادی که بر مثال آسیا گردد و آنرا گرد باده بزیادت ها نیز خوانند .

کاسد (ع) زر وسیم نارواج .

گزند (ف) بفتح اول و**کشند**بضم اول بمعنی گزنده وکشنده‌است و بضم اول آفت و چشم زخم .

کند(ف) بفتح اول و سکون ثانی سه معنی دارد اول شکر باشد ومعرب آن قند است دوم جراحت وریش بود سوم بمعنی گریز آمده و با اول مضموم سه معنی دارد اول پهلوان و دلیرو مردانه بود و آنرا کند وکند آور نیز گویند دوم آلتی است که برپای مجرمان نهند سوم ضد تیز باشد و با اول مفتوح بترکی شهر و ده را گویند و آنرا کنت نیز گویند

گند (ف) بفتح معروفست و با اول مضموم خصیه را گویند .

کنود (ع) بفتح یکم وضم دوم ناسپاسی و زمینی که درو گیاه نروید و بفتحتین ناسپاسی کردن ودر شرح اصطلاحات صوفیه مذکور است کنود در شریعت عبارتست از تارك فرائض و واجبات الهی و در طریقت تارك فضائل و در حقیقت کنایه از کسی که اراده کند چیزی را که نکرده است او را حق تعالی واین هرسه معنی از این آیه متخذ است که «ان‌الانسان لربه لکنود و انه علی ذلك لشهید و انه‌لحب‌الخیر لشدید .»

کساد (ع) بفتح نا رواج شدن و ناروائی متاع وجز آن .

کلند (ف) بفتحتین سه معنی دارد اول افزاری باشد مر گلکاران راکه بدان زمین را بکنند وآنرا کنند نیز گویند مولوی فرماید : اگر بدیدهٔ من غیر آن خیال‌آید— بکنده باد مرا هر دو دیدگان بکلند دوم قفل چوبین بود و آنرا کلیدان نیز گویند سوم چیز کنده نا تراشیده بود عموماً وچوبی باشد که در قلادهٔ سگ بندند خصوصاً و آنرا بتازی ساجور نامند .

فصل ر

کمر (عف) بفتحتین آنچه برمیان بندند ومیان کوه .

کبر (ف) بکسر وسکون‌بزرگ شدن و بزرگی و بکسر یکم و فتح دوم پیری وبضم یکم وسکون دوم بزرگترین چیزی وبزرگترین فرزند و بفتحتین نام داروئیست که در خراسان بهم رسد و میوه ایست که از آن اچار سازند وآنرا اصف نیز خوانند .

گبر(ف) بفتحتین‌درفرهنگ انجوبسه معنی بنظردرآمده‌اول صنگیست که از آن ظروف واوانی وکاسه وصحنك سازند دوم شهری بود از ولایت بجور و بجور ولایتی است مابین هند و کابل سوم خیمه را گویند که آنرا بیك ستون بر پا کنند وتا اول مفتوح بثانی زده دو معنی دارد اول مغ را گویند دوم سلاحی باشد که آنرا خفتان نیز گویند وبعضی بمعنی خود آهنین مرقوم ساخته اند .

کدر (ع) بفتحتین تیره شدن و تیرگی و بفتح اول و کسردوم تیره رنگ بود .

کر (عف) بوزن زر — ناشنوا و بمعنی مقصود ومراد و بفتح و تشدید بازگردانیدن و حمله بردن واو متعدی ولازم آمده است وریسمانی که بآن بر درخت خرما برونددوریسمان بادبان کشتی کرور جمع آن و بضم آبی که در زمین ریگستان رود و هفت هزارو صد رطل وبرنج ونیز نام رودیست .

گر (ف) بفتح پنج معنی دارد اول بمعنی اگر است دوم جوشنی باشد مشهور ناصر خسرو فرماید : گرنخواهی رنج گراز گرگیان پرهیز کن—جهل گر است ای‌پسر پرهیز کن زین زشت گرسوم بمعنی مقصود ومراد آمده چهارم قدرت بود پنجم کننده و سازنده راگویند مانند آهنگر و کاسه‌گرو کوزه گر واین کلمه بدون ترکیب در آخر کلمات معنی نبخشد .

کافر (عف) پوشنده و ناگرونده وآنکه بربالای زره جامه پوشیده باشد ودریا وجوی و رودبزرگ وکشاورز وشب تاریك ودراصطلاح متصوفه کافر آنراگویند که ازمرتبهٔ صفات واسماء وافعال درگذشته بود و پوشندهٔ حق و فارسیان بفتح فا قافیه خنجر نیز آرند و تخمی که در زمین باشد .

گور (ف) بضم سه معنی دارد اول قبر دوم دشت همواری بود سوم خر دشتی راگویند :

کفور (ع) بفتح ناسپاس وآنکه انکار نعمت کند دراصطلاح صوفیه همان معنی کنود است .

کرّوفر (ف) حمله بردن وگریختن ونیزبمعنی شکوه ودبدبه است

کرار (ع) بفتح وتشدید حمله برنده وبازگردنده وبازگردانیده .

گل‌احمر (ف) گل سرخ مشهور .

گنجور (ف) خازن یعنی صاحب گنج چه ور بمعنی صاحب است چنانچه هنرور ودانشور وامثاله و در استعمال بسکون واو میخوانند مانند دستور و رنجور .

گوار (ف) بضم چیزی را گویند که در ذائقه خوش باشد گوارا همچنین .

کبار (ع) بضم وتخفیف بزرگ وبضم وتشدیدبس‌بزرگ وبکسر بزرگان

کفتار (ف) بفتح جانوریست صحرائی که قصهٔ گرفتن‌او مشهور است .

کیفر (ف) بفتح اول و سکون ثانی مکافات و جزای بدی باشد فردوسی گوید : اگر بد کنی کیفرش‌بد کشی — نه‌چشم زمانه بخواب اندر است .

کنار (ف) بضم میوهٔ مشهور است که بهندی بیر گویند و بکسر وگفته اند بفتح بمعنی آغوش و نیز بمعنی جدائی آید و در اصطلاح متصوفه کنار دریافتن اسرارتوحید ودوام مراقبه را گویند .

گرمسیر (ف) بفتح جائی راگویند که خاصیت‌زمین آنجا گرم‌باشد .

گوهر (ف) دومعنی دارد اول اصل ونژاد دوم جوهر ودرفرهنگ هندو شاه بمعنی عوض وبدل نیز مرقوم است .

گیرودار (ف) بمعنی فرماندهی وحکومت .

کسر (ع) بفتح شکستگی وحرکت زیر حرف .

گنده پیر (ف) بفتح پیر خرف وفرتوت وازآن دنیا نیزمراداست

گرمدار (ف) بکاف فارسی مفتوح دوست دار واخلاص نمارا گویند

فصل ز

کز (ف) بفتح چیزی زمخت راگویند .

گز (ف) پنج معنی دارد اول بمعنی ذرع و اندازه است دوم گزیده وامراز گزیدن بود سوم درختی باشد که بیشتر در کنار رود خانها وجویهای آب روید وگزخوردنی ازآن درست میشود چهارم نوعی از مار است وآنراگرزه نیز گویند پنجم نوعی از تیر باشد بی پرو پیکان که هردو سرش باریك ومیانش گنده بود وآن مشهور است

فصل ش

کیش (ف) بکسر هفت معنی دارد اول ترکش را گویند دوم دین و مذهب سوم نام جزیره‌ایست که بهرمز مشهور است چهارم نوعی از جامه که از کتان بافند و آنرا خیش نیز گویند پنجم نام جانوریست که از پوست آن پوستین کنند ششم درخت شمشاد را گویند و نام شهریست که در کنار دریا و در جزیرهٔ که آن جزیره هم بدان ملقب است هفتم پر بفتح باشد .

کشش (ف) بفتح اول و کسر دوم ناز و کرشمه و بمعنی طلب و سعی نیز آمده .

کش (ف) بفتح سه معنی دارد اول نام شهریست ازولایت ماوراءالنهر قریب بسمرقند دوم هر گوشه و بیغوله را گویند عموماً و بیغوله ران وبغل را خوانند خصوصاً سوم سینه را گویند و با اول مکسور خطی را گویند که بجهت بطلان برنوشته بکشند و آنرا کشته نیز خوانند .

گش (ف) بفتح بمعنی خوش و رعنا آمده .

کوش (ف) کوشش و امر از کوشیدن .

گوش (ف) پنج معنی دارد اول گوش آدمی دوم بمعنی گوشه آمده سوم نام فرشته‌ایست که موکل است بر مهمات خلق چهارم روز چهاردهم ماه است از ماه شمسی و پارسیان دراین روز عید کنند پنجم بمعنی نظر و انتظار و منتظر باشد نظامی راست: پاس میداشتم برای و بهوش — درخطای کسم نیامد گوش — وبمعنی نگاهداشتن نیز بنظر درآمده حافظ فرماید : ای ملك العرش مرادش بده — وز خطر چشم بدش دار گوش .

کشیش (ف) بفتح پیشوای نصاری باشد دو علم و زهادت و معرب آن قسیس است .

کنش (ف) بضم اول و کسر ثانی کردار را گویند و آنرا کنشن بزیادت نون آخر نیز خوانند .

کاش (ف) دو معنی دارد اول کلمه‌ایست که در محل طلب چیزی بطریق آرزو گویند و آنرا کاج نیز خوانند دوم نام شهر کاشان است

فصل ع

کرع (ع) بفتحتین وگفته اند بفتح یکم وسکون دوم آب باران ایستادن وبر کنار آب دهن برآب نهادن و آبخوردن و باریك ساق شدن کروع بضمتین همچنین .

فصل غ

کاغ (ف) سه معنی دارد اول آتش را گویند دوم نشخوار باشد که آنرا بتازی نشوار بکسر اول خوانند و بقیهٔ کاهی که بعد از خوردن اسب وستور بماند سوم ناله و فریاد بود عموماً وفریاد کلاغ خصوصاً وآنرا کاغه نیز خوانند کاغ کاغ مکررهم بهمین معنی است

فصل ف

کسوف (ع) بضمتین گرفتن آفتاب .

کنف (عف) بفتحتین ریسمانیرا گویند که از پوست کتان بنابند و آن بغایت محکم ومضبوط بود وآنرا کنب نیزخوانند ودر کشف اللغات بفتحیین نگاهداشتن و یاری کردن وبر گردیدن ومرغی که بشب بیند و بروز کور باشد و آنرا بوم خوانند و سامه و ستر و خرز و شانه جولاهه بنظر در آمده و بکسر نون آوندی که در آن اسباب شبان باشد و بوزن الف پناه وجانب و بال مرغ و در شرح خاقانی بمعنی پوست آهو بنظر درآمده که درویشان دارند .

گزاف (ف) با اول مکسور دومعنی دارد اول بمعنی هرزه وبیهوده دوم بسیار وبیحساب وبیحد بود ودربعضی فرهنگها بضم اول بمعنی تخمین وغیر معلوم و سخن دروغ بی تحقیق و دروغ مرقوم ساخته اند و آنرا گزافه نیز گویند ومآل هرسه معنی منجر بهمان بیهوده میگردد .

کتف (ع) بکسر و گفته اند بفتح یکم و کسر دوم شانه و شانه گاه و بفتحتین پهن شدن شانه و بستگی ستور و بفتح یکم وسکون دوم آهسته رفتن و دو دست واپس بستن اما بمعنی شانه مشهور بکسر اول وسکون دوم است .

کیف (ع) بفتح چون وچگونه .

کثیف (ع) بفتح تیره ضد لطیف .

کاف (ف) معروف وبمعنی شکاف نیز آمده .

کهف (ع) بفتح پناه و غاری که در کوه باشد وسوراخ .

کفاف (ع) بفتح آنقدر قوت که بس باشد یعنی روزگذار ومانند چیزی و اندازه و بکسر گرداگرد چیزی و دامنهای ریگ پشته ها و دامنهای پیراهنها .

کف (عف) بفتح وتشدید باز داشتن و باز ایستادن و بفتح پنجه و کف دست ودر پارسی زبدرا گویند چنانچه کف دریا و کف صابون وجز آن ونیز سوخته چقماق را گویند .

کشف (ع) بفتح یکم و سکون دوم واستریدن و برداشتن چیزی از روی چیزی و روشن و پیدا ساختن و دور شدن پرده و حجاب و وبفتحتین جانوریست آبی که آنرا باخه وسنگ پشت نیز خوانند .

فصل کاف و گاف

کنگ (ف) بضم اول دو معنی دارد اول مرد ستبرتن وقوی هیکل دوم خوشه خرما و با اول مکسور بی‌حیا وزبان آور و بفتح اول بال باشد وآن ازسر انگشتان بود تا کتف واز جانوران پرنده جناح و از درختان شاخ .

گنگ (ف) بفتح اول اسم بتخانه وشهرو کوهیست وبمعنی امردقوی جثه وبضم اول لان باشدولولهٔ سفالین که برای جریان آب درزیرزمین کنند

کفك (ف) بفتح کف شیر و کف شیره و کف آب و کف صابون و کف دهن و امثال آن باشد و آنرا کفج نیز گویند و بتازی رغوه خوانند .

کلك (ف) بفتحتین هشت معنی دارد اول نیش رگ زن باشد وآنرا نشتر ونیشتر نیز گویند دوم چوب ونی وعلف بود که بجهت گذشتن از آبهای ژرف برهم بندند وگاه باشد که خیك ومشك پرباد ساخته برآن نصب کنند سوم نام موضعیست از مضافات دامغان که در آنجا گندم خوب شود چهارم دردسر پنجم شوم ونامبارك وبسبب نحوست وشآمت کوف وبوم را بهمین نام خوانند و در فرهنگی مرقوم ساخته که کلمه ایست که در محل کراهت ونفرت ونفرین گویند و در معنی از فرهنگها مرقوم است که کلك بااول مفتوح وثانی مکسور نام بوم بود ششم خربوزه نارسیده وآنرا کالك وسفچه نیز نامند هفتم نام غوزه پنبه بود که هنوز نشکفته باشد هشتم گاو میش نر جوان را گویند و بفتح اول و سکون ثانی بغل بود وبااول مضموم بثانی زده پشم نرمی را گویند که ازبن موی بز بروید وآنرا بشانه بر آورده بریسند وشال و امثال آن ببافند واز آن پشم نمد و مانند آن بمالند و آنرا کرك وبزشم وکلغر نیز نامند وبکسرتین سه معنی دارد اول لوچ وکاج را خوانند و بتازی احول نامند دوم درد شکم را گویند سوم انگشت کهین باشد و آنرا بتازی خنصر گویند وبکسر اول وسکون ثانی سه معنی دارد اول نی را گویند عموماً ونی قلم را خصوصاً دوم منقل وآتش دان را گویند سوم نام صمغی است در غایت تلخی که از درختی حاصل شود که آنرا جهودانه گویند

گردك (ف) بکسر چهارمعنی دارداول خرگاه را گویند دوم حجله را گویند که بجهت عروس بیارایند سوم چیستان باشد وآنرا پزدك نیز خوانند وبتازی لغز گویند چهارم ثانی بود که در اندرون آن قند و انواع مغزها مثل بادام وگردکان وغیره نهاده پزند ودرفرهنگی عروس مطبق نیز بنظر در آمده ،

فصل ل

کل (عف) با اول مفتوح دو معنی دارد اول آنکه میان سرش مو نباشد دوم نر جمیع بهائم را خوانند عموماً ونر گاومیش را خصوصاً با اول مضموم سه معنی داردا ول بمعنی گوژ ومنحنی آمده دوم ده را گویند سوم کوتاه وناقص را خوانند وبضم اول و تشدید ثانی لفظ واحد است ومعنی او جمعست ودراصطلاح متصوفه کل واحد مطلق را گویند که کل اسم حق است تعالی وتقدس باعتبار حضرت واحدیت والهیت جامع مجموع اسماء است وبفتح بارگران وعیال ونیز آنکه نه اورا فرزند باشد نه پدر .

گل (ف) بضم اول گل سرخ مطلق را نامند مگر که اضافت کنند آنزمان مراد گل دیگر باشد چون گل نسرین و گل یاسمین وامثال آن .

کول (ف) بضم نادان واحمق را گویند وبوم وجغد و کو یعنی مغاك وگفته اند بفتحتین دلق و گلیم کهنه با کاف فارسی و بضم وهمچنین کاف تازی کتف وخزینه آب وبوم وجغد .

کلیل (ع) بفتح کنگ وکنگی .

کسل (ع) بفتحتین کاهل .

گسل (ف) بضم اول و کسر دوم آزار دهنده وپاره کننده وامر بپاره کردن چیزی .

کفل (ع) بفتحتین سرین و بکسر نیز صحیح است ومیانهٔ دوسرین وگلیمی که برپشت ستور اندازند تا برآن بنشینند وایضاً بکسر بهره وهم چند چیزی قوله تعالی «یؤتکم کفلین من رحمته» وآنکه برستور نتواند قرار گرفتن .

کیل (ع) بفتح پیمانه و آتش بیرون نیاوردن آتش زنه و صاع مثل آنست وبمعنی نرخ .

کیال (ع) بفتح وتشدید پیمانه کننده .

گسیل (ف) بضم دفع کردن وفرستادن ونامزد کردن ودرفرهنگ میر عضدالدوله بمعنی وداع مرقوم ساخته وآنرا گسی بضم نیز گویند .

کلل (عف) بفتحتین پری را گویند که پادشاهان وجوانان خوبصورت ومردم شجاع ودلاور دربزم ورزم بر سر دستار وکلاه خود بزنند برای زیبائی و خوش آیندگی و آنرا جیغه وکلگی نیز گویند و بکسر کنگی وبسته زبانی .

گال (ف) نه معنی دارد اول بمعنی دور وامراز دور شدن باشد ومگال بمعنی دور مشوبود دوم نام غله ایست که بغایت ریزه باشد وآنرا کاورس وکاورسه نیز خوانند سوم شگال وآنرا شکال نیز خوانند چهارم فریاد بلند پنجم فریب ششم غلطیدن هفتم نوعی از عنکبوت زهردار وآنرا غنده نامند وبتازی رتیلا خوانند هشتم غوزه پنبه را گویند که سبز ونا شکفته باشد نهم خروس را نامند .

کال (ف) هفت معنی دارد اول خم را گویند دوم بمعنی جای بود میانه کال یعنی میانه جای سوم بمعنی ژولیده ودرهم بود چهارم چیزی خام را گویند پنجم کدو باشد ششم نوعی از گل باشد هفتم بمعنی گندنا آمده وآنرا کالوخ وکالو نیز نامند .

کنگل (ف) بفتح اول سخره وهزل وظرافت باشد .

کهل (ع) بضم مرد میانه سال .

کحل (ع) بضم سرمه ومال بسیار وبفتحتین مصدر .

فصل م

کریم (ع) بفتح بخشنده وبزرگوار وگرانمایه وگناه بخش .

کام (ف) مراد ومقصود وآنرا کامه نیز گویند .

گام (ف) سه معنی دارد اول قدم باشد دوم لگام اسب را گویند سوم ده و روستا را خوانند .

کرشم (ف) همان بمعنی کرشمه باشد .

کوزم (ت) با اول مضموم چشم من .

کنام (ع) بفتح از کنم است یعنی پنهان داشتن راز .

گرم (ف) بضم دو معنی دارد اول غم واندوه سخت باشد دوم بمعنی گرفتن اندك چیزی ازجمله طلب بسیار و بمعنی گرفتگی دل بکاف تازی نیز بهمین معنی است

کروم (ع) بضمتین تیر که پیکانش روشن شده باشد و جمع کرم یعنی رز که انگور باشد وجمع کرم بمعنی غم واندوه وگرفتگی دل نیز آمده :

کانون (ف) آتشدان باشد .

گربه درانبان (ف) بکاف مضموم یعنی مکر وحیله درذات کسی و بمعنی مضطرب نیز آمده .

کودبان (ف) کوهان .

کمین (ع) پنهان ودلاور .

فصل و

کدبانو (ف) دو معنی دارد اول بی‌بی وخاتون خانه را گویند چه کد بمعنی خانه و بانو بمعنی بی‌بی وخاتون بود ودرعرف زنی را گویند که معتبر و موقر باشد و ترتیب خانه و سامان سرا بروجه لایق کند دوم منجمان دلیل جسم را خوانند چنانچه کدخدا دلیل‌روح را گویند و کیفیت و کمیت عمر ودلائل آنرا ازاین دواصل که کدبانو بی کدخدا و کدخدا بی کدبانو بکار نیاید هم چنانکه جسم بی‌روح وروح بی جسم وهر کدام ازاین دواصل که بی دیگری باشد عمر مولود را بقا نباشد و کدبانو را بزبان یونانی هیلاج بفتح ها خوانند این لفظ بزبان هندی بمعنی چشمه زندگیست .

گو (ف) بفتح دو معنی دارد اول زمین پست ومغاك دوم شجاع و دلیر و بهادر و پهلوان و با اول مضموم دو معنی دارد اول آلت بازی و دوم تکمه جامه را گویند وهمچنین مخفف بگو است .

کالیو (ف) دومعنی دارد اول‌سر گشته و گیج شده سنائی‌راست بیت آنکه زونفس کل بود کالیو—چکند نقش نفس مایهٔ دیو — دوم‌بمعنی کر آمده وآنرا کالیوه نیز خوانند .

کنج گاو (ف) بضم متفحص ومتجسس راگویند .

گنج گاو (ف) بفتح نام گنجیست از گنج‌های جمشید که درزمان بهرام ظاهر شد .

کفو (ع) بضم بمعنی همال وهمتا وانباز .

گلو (ف) بضمتین معروف .

کلو (ف) کلانتر و رئیس محله و بازار را گویند و بعضی بکسر اول خوانده اند .

کندو (ف) بضم ظرفی باشد مانند خم بزرگ که از گل سازند و پراز غله کنند ومعرب آن کندوج است .

کیرگاو (ف) کنایت ازآلت سخت است .

فصل ه

کوره (ف) بضم دومعنی دارد اول آتشدان راگویند دوم حصهٔ بود ازپنج حصه فارس که حکماء فارس تمام ملك را به پنج قسمت منقسم ساخته اند بدین ترتیب اول کورهٔ اردشیر دوم کورهٔ استخر سوم کورهٔ داراب چهارم کوره شاه پور پنجم کوره قباد وآنرا خوره نیز گفته اند وبفتح‌اول وسکون‌ثانی زمینی را گویند که سیلاب آنرا کنده باشد ودرعربی بمعنی شهرستان آمده و کور جمع آنست .

گزیده (ف) بضم پسندیده بود وبفتح اول وحذف ها دو معنی دارد اول زری بود که ازرعایابگیرند وآنرا بتازی خراج گویند دوم زری راگویند که‌از کفاردمی‌گیرند ودربعضی فرهنگهابضم اول بنظردرآمده

کلیله (ف) نام شغال مشهور قصهٔ کلیله و دمنه .

کرم پیله (ف) کرم ابریشم راگویند

کره (عف) بضم وتشدید بچه اسب وستور وخر وجز آن و بتخفیف هرچه گرد باشد وگوئی که بچوگان بازند وبضم یکم و سکون دوم ناخوشی وسختی ورنج وبفتح اول واظهارهاجبر ونارضائی باشد .

گره (ف) بکسرتین معروف که بتازیش عقده گویند وبفتح اول وکسر ثانی بروزن خجل گریه .

کاله (ف) چهار معنی دارد اول متاع بود وآنرا کالا نیز گویند دوم کدو را گویند عموماً و کدوئی که درآن‌شراب کنندخصوصاً سوم خربزه نارسیده را گویند و آنرا کالك نیز نامند چهارم زمینی را گویند که بجهة زراعت آراسته ومهیا باشد .

کاژه (ف) وکازه نشستگاه چوبین وصومعه که برسر کوه باشد ومغلی که صیاد از شاخهای درختان و کاه سازد و برابر دام بر پای کند تا مرغان اورا نبینند ونرمند

کالیوه (ف) بمعنی کالیو.

کاشانه (ف) خانه محقر را گویند و این لفظ بر آشیانه مرغان نیز اطلاق کنند چنانچه خاقانی گفته — از مزاج اهل عالم مردمی کم جو از آنك — هرگز از کاشانهٔ گردون همائی برنخاست.

کلابه (ف) بفتح چیزی است از ریسمان و گفته اند چرخه جولاهگان که ریسمان برو تنند وآنرا کلاوه و کلافه نیز خوانند

کلمه (ع) درلغت یك سخن ودراصطلاح صوفیه کنایتست ازهرواحد ماهیات امکانیه واعیان وحقایق موجودات خارجیه .

گزافه (ف) بکسر دو معنی دارد اول بمعنی هرزه وبیهوده دوم بسیار وبیحساب وبیحد را گویند .

کسره (ع) بفتح حرکتی که زیر حرف باشد و بکسر پاره شکسته ازچیزی .

کاغه (ف) کول ولاده .

کفه (ف) بفتح خوشهٔ نیم کوفته و آنچه درو دانه باشد و بکسر و تشدید پلهٔ ترازو ودام وخط گرد مانند دائره که بر دست نقش کرده باشند و بضم چیزی دراز و گرداگرد دامن پیراهن یعنی حاشیه پیراهن .

کنده (ف) بفتح اول وسوم گودالی که بر گرد حصار وقلعه ولشکرگاه بکنند تا مانع درآمدن دشمن شود ومعرب آن خندق است وبا اول مضموم هرچوب کنده را گویند عموماً وچوبی را که پای گنهکاران در آن مضبوط سازند خوانند خصوصاً .

گنده (ف) بضم دومعنی دارد اول بزرگ وضخیم دوم کوفته را که مدور وبزرگ ساخته درمیان آشها بیندازند .

گردکوه (ف) نام کوهی است در نواحی ری که ملحدان دوزمان امام فخر بالای آن جمع شده بودند .

کباده (ف) بفتح کمان لیزم .

گلگونه (ف) بضمتین چیزیست که زنان برای زینت بررو مالند وآنرا گلفونه نیز خوانند .

کلاپیه (ف) بفتح اول و کسر پ گشتن چشم باشد از حال خود چنانکه سیاهی چشم پنهان شود بسبب لذت بسیاری شهوت یا بواسطه ضعف وسستی ویا بجهت خشم واعراض .

کوسه (ف) دو معنی دارد اول تنك ریش دوم نام شکلی است از اشکال رمل که آنرا بتازی فرح گویند و معرب آن کوسج می باشد .

گردنامه (ف) بکسر دعائی باشد که بر اطراف کاغذ پاره بنویسند ونام غلام و کنیزك گریخته را در میان آن رقم کنند وآن کاغذ پاره را در محلی نهند تا گریخته بجائی نتواند رفت و باز بهمان محل بیاید وبمعنی ترکیبی شهرنامه است چه بزبان پهلوی گرد شهر را گویند مولوی فرماید بگرد نامه لطفم بشهر بازآورد — خیال دوست باکراه اختیار آمیز .

کفته (ف) بفتح بمعنی شکافته بود و با اول مضموم دو معنی دارد اول مخفف شکفت وشکفته دوم مخفف کوفت و کوفته باشد و با اول مکسور کتف را گویند .

فصل ی

کافی (ع) بس کننده و پایندانی کننده و سالم و نیز نام سه کتاب درعلم فقه ونحو ورمل بود .

گوهری (ف) سه معنی دارد اول چیزی بود که ازگوهر ساخته باشند دوم خداوند اصل ونسب سوم گوهر فروش که آنرا جوهری نیز خوانند .

گیتی (ف) بکسر دنیا و روزگار وبایای معروف بمعنی گیج و احمق ودیوانه ومبهوت نیز آمده .

کندوری (ف) بفتح دستار خوان باشد که امروز سفره نامند .

کپی (ف) بفتح اول وکسر ثانی میمون را گویند .

کروبی (ف) بفتح وتشدید فرشته نزدیکی.

کرسی (ع) بضم فلك هشتم ونیز تخت خرد .

کشی (ف) بفتح زیبائی و خوبی باشد .

کشتی (ف) بضم دومعنی دارد اول بمعنی زور آزمائی باشد که در اصل کشتی بوده چه کشتن بمعنی کوفتن است که چون دو کس بهم تلاش کنند تا دیگریرا برزمین بکوبند آنرا کشتی گویند رفته رفته بمرور کشتی شد قطران گوید: غم و تیمار گوئی هست، با جانم بکشتی در — زدردوغم شوم هزمان بدین بت پرستی در — معنی دوم کشتی زناز باشد خاقانی راست ریسمان سبحه بگسستند و کشتی تافتند — گوهر قندیل بشکستند و ساغرساختند — وبفتح سفینه و هر پیاله که بشکل کشتی سازند وبکسر کاف غلط است .

کلامی (ع) طائفه اند منسوب بعلم کلام وکلام عبارت ازمعرفت عقائد است بادله عقلیه مؤید بنقل یعنی متکلمان که ذوق توحید عیانی درنیافته اند و نور وحدت حقیقی بدیدهٔ مکاشفه ندیده و راه معرفت الهی بپای استدلال رفته و آنچه از دلائل نقلی بایشان رسیده بتقلید فراگرفته وبحقیقت آن مطلع نگشته اند .

باب ل

فصل الف

لقا (ع) بکسر ومد دیدار کردن ودیدار ورمیدن وکارزار کردن وبمعنی موت نیز آمده است و در اصطلاح عاشقان ظهور معشوق را گویند چنانکه عاشق رایقین شود که اوست .

لا (عف) یعنی نه و درفارسی بمعنی تااست یعنی تا برتا وته برته

لالا (ف) دو معنی دارد اول بنده و خادم را گویند مولوی فرماید هین بزن دستی که آن شاهد رسید — هان بکن رقصی که لالا میرود دوم گیاهی است که در طرف مکه معظمه بروید وبجهت بواسیر بخور کردن آن بغایت نافع است و درفرهنگی بمعنی فرح تمام و درخشنده مرقوم ساخته ولی باین معنی جز در صفت لؤلؤ مستعمل نیست .

لوا (ع) بکسر ومد علم بزرگ و بی مد نیز خوانند .

لوبیا (ف) بضم دانه ایست از جنس غله که آنرا سیاه چشمك نیز گویند ودر کتب فقه ترجمه باقالا آورده اند و ازینجا معلوم شده که پارسی است .

فصل ب

لب (ف) بفتح دو معنی دارد اول معروف است وآن دواست لب زیرین و لب زبرین دوم کاج وسیلی بود .

لهب (ع) بفتحتین زبانه آتش وغبار بالا رونده وبالارفته وتشنه شدن وبفتح وکسر گشادگی میان دوکوه ودره تنگ که میان دو کوه باشد .

لغوب (ع) رنجور و درمانده شدن .

لباب (ع) بضم بهترین چیزی و چیزی بی غش و میانهٔ چیزی ونام کتابی در نحو .

لزب (ع) بفتح اول وکسر دوم چسبنده .

لقب (ع) بفتحتین نامی که دلالت برمدح یاذم کند و در اصطلاح نحویان در میان علم ولقب فرق آنست که درلقب معنی منظور باشد و در علم نباشد .

لب (ع) بضم مغز وخالص هرچیزی ومیانهٔ هر چیزی ودل ومی و عقل وتنهٔ درخت وخرد ونام کتابی درنحو وکتاب تاریخ که او را لب التواریخ گویند ودراصطلاح صوفیه عبارتست از عقلی که منور باشد بنور تقدس وصافی از اوهام وتخیلات ظلمانیه نفسانیه و لب اللب عبارتست از مادهٔ نور قدسی که تایید می یابد باو عقل انسانی وصاف میشود از قشور مذکور وادراك میکند صاحب او علومی که متعالیست از ادراك قلب و روح متعلق بکون و مصون است از فهم که محجوبست بعلم رسمی واین تایید الهی از

لوند (ع) بفتح یکم و کسر دوم آنکه خرابانیان را مهمان طفیلی باشد وسرهنگ و بی باك که اورا نه ترس خداوند و نه شرم خلق باشد وحق مردمان بر خود مباح داند .

لبد (ع) بفتح نام موضعی که دجال در آن کشته میشود لد نیز بنظر درآمده ظاهراً سهو کاتب باشد و بکسر نمد و بضم یکم و فتح دوم پرو بشم برهم گرفته وبفتح یکم و کسر دوم گوسپند .

لباد (ف) با اول مفتوح جامه بارانی باشد و با اول مضموم چوبی باشد که بر گردن گاو بندند تا ارابه و قلبه را بکشد و آنرا لباده نیز گویند .

لبید (ع) بفتح یکم و کسر دوم نام شاعری معروفست از عرب وبضم یکم وفتح دوم جوال خورد .

لوید (ف) بفتح اول و کسر ثانی دیك سر گشاده را گویند نظامی درصفت زنگی گفته : دهانی فراخ وسیه چون لوید— کزو چشم بیننده گردد سپید .

فصل ر

لمتر (ف) بفتح اول وضم سوم فربه و قوی و گنده آمده مولوی فرماید —فربه شده عشق وزفت و لمتر — بنهاد خرد بلاغری روی .

فصل ز

لغز (ف) بضم یکم و فتح دوم سخنی مخفی که فارسیان چیستان گویندش ودر هندی پهیلی نامند وآن مقابل معما واقع میشود وسوراخ موش وبوزن نغز معروف وفرو خزیدن .

لهز (ف) بفتح آمیختن ومشت بر سینه ویا بر گردن کسی زدن و نیزه برسینه زدن

فصل س

لبس (ع) بضم پوشیدن جامه وبکسر پوشش و جامه و بفتح پوشانیدن کار بر کسی و در اصطلاح صوفیه عبارت است از صورت عنصریه که متلبس شود بآن صورت حقایق روحانیه وازاین قبیل است لبس حقیقت الحقایق بصورت انسانی .

لمس (عف) بفتح سودن و جماع کردن و در فارسی چیزی سست و نرم را خوانند .

لبیس (ع) بکسر اول و ثانی امالهٔ لباس یعنی پوشش

لابس (ع) بیای مکسور جامه پوشنده

لیس (ع) بفتح اول و سکون دوم از افعال ناقصه است و این فعل ماضی بمعنی نفی است که در اصل لیس کفرح بوده فسکن تخفیفاً کذافی القاموس

فصل ش

لاش (ف) سه معنی دارد اول تاراج وغارت دوم ضایع وزبون وفرومایه شاه داعی شیرازی نظم نموده : هله اسرار خدا فاش نمی باید کرد— اینچنین کار سخن لاش نمی باید کرد— سوم بمعنی هیچ وچیز اندك بود سعدی فرماید :بدین زمین که توبینی ملوك طبمانند— که ملك روی زمین پیش شان نیرزد لاش .

لواش (ع) بفتح نان تنك را گویند .

فصل ظ

لحظ (ع) بفتح نگه کردن بگوشهٔ چشم .

فصل ع

لمع (ع) بفتح درخشیدن وروشن شدن وبضم درخشندگی وروشنی ولوامع جمع آنست که دراصطلاح صوفیه عبارت است ازانوار ساطعه که لامع میشود بنور ازل بداهات از ارباب نفوس ظاهره پس منعکس میشود از خیال بحس مشترك ومشاهده کرده میشود حواس ظاهره .

فصل غ

لاغ (ف) دومعنی دارد اول بازی دوم هزل وظرافت .

لیغ (ع) بکسر بمعنی ذلیل بد دل .

لذیغ (ع) بفتح مار و کژدم وگزنده .
لذغ (ع) بفتح گزیدن مار و کژدم و عیب کردن و تباه کردن کسی را بسخن .

فصل ف

لهف (ع) بفتحتین اندوهگین شدن وبیچاره و مضطر شدن و دریغ وحزن خوردن وبفتح یکم وسکون دوم ستم کردن .
لحاف (ع) بکسر نوعی ازاسلحه که آنرا قزا کند نیز گویند وبمعنی برگستوان و نهالی وغلاف آمده .
لطاف (ع) بفتح وسکون نیکوئیها وپاکیزگیها ونرمیها و نازکیهاو لطیفه و در اصطلاح صوفیه عبارت از اشارت دقیقی که مرتسم شود در فهم از روی معنی وعبارت گنجایش آن نداشته باشد .

فصل ق

لبق (ع) بفتح یکم وسکون دوم زیرکی و هشیاری و چرب سخنی و زیبا شدن و بفتح یکم و کسر دوم چابك وزیرك و شیرین سخن و بفتحتین لایق شدن واستاد شدن درکار .
لق (ع) بفتح بی‌مو وصاف و ساده وفریب و در مؤید این لفظ را داخل ترکی کرده وگفته که بمعنی لغ بکسر آمده از عالم آت لغ ودوست لغ و بفتح بی‌مو شدن .

فصل ك وگ

لالنگ (ف) با لام مفتوح زله ونان پاره گدارا گویند .
لنگلگ (ف) بفتح بمعنی تیز زبانی وبانگ پلنگ وپرنده‌است شبیه بکلنگ مارخوار وآنرا بتازی لقلق گویند وهرچیز دورنگ .
لکاك (ف) سخنان بیهوده وهرزه باشد وباهردو لام مکسور چوبکی را گویند که بر دول آسیا بنوعی نصب کنند که چون آسیا بگردش آید سرآن چوب بجنبد وبردول خورد ودانه ازدول به تندی بآسیارود.
لك (عف) بفتح پنج معنی دارد اول صدهزاررا نامند دوم ابله ونادان سوم هزیان و هرزه چهارم جامه کهنه و پاره پاره و احیاناً بمعنی مردم دستار و رخت پوشیدن را گویند اعم از آنکه نویا کهنه باشد پنجم اسم طایفهٔ باشد از کردان و در عربی بمعنی مرتر است چنانك گویند الحمد لك و الشکر لك و الملك لك ویا اول مضموم سه معنی دارد اول چیزی گنده را گویند دوم رنگی باشد و آن شینمی است که بسبب برودت هوا بر شاخ بعضی درختان که مخصوص بهندوستان است منجمد گردد و آنرا کوفته طبخ کنند و از آن رنگ سرخی حاصل شود که جامهای ابریشمی بآن رنگ کنند ورنگ آن برقرار باشد و مصوران و نقاشان در تصویر و نقاشی بکار برند و صقل آنرا در دسته خنجر و شمشیر و امثال آن محکم کنند و نیز در بسیار جاها بکار برند و آنرا لاك ولکا نیز خوانند سوم شتالنگ باشد وآنرا بتازی کعب خوانند وبااول مکسور جانوریست که گوشت لذیذ دارد .
لوك (ف) بضم اول دو معنی دارد اول قسمی از شتر باشد و آن معروفست دوم چیز حقیر و زبون را گویند مولوی فرماید : لنگ و لوك وخفته شکل و بی ادب — در رهش می‌غیژ و او را میطلب

فصل ل

لال (ف) سه معنی دارد اول گنگ باشد دوم رنگ سرخ راگویند فرخی فرماید—آن تاره گل لال که در باغ بخندد—در باغ نکوتر نگری چشم شود لال — سوم نام جوهریست گرانمایه که رنگ آن سرخ باشد و بهترین اجناس آن از کوه بدخشان حاصل شودو معرب آن لعل است .
لعل (ع) بفتحتین با تشدید مگر و شاید که و امید که و آن را در محل امیدواری استعمال کنند و بفتح یکم و سکون دوم گوهریست قیمتی که در فارسی آنرا لال گویند که مرقوم شد و بمعنی سرخ و لب معشوق نیز آمده .

فصل م

لائم (ع) ملامت کننده .
لئیم (ع) بفتح بخیل و ناکس لئام بکسر جمع آنست .

فصل ن

لحن (ع) بفتح یکم و سکون دوم خطا کردن در اعراب و خطا کردن در سخن و دریافتن سخن و سخن گفتن با کسی که او دریابد و میل کردن و آواز خوش و خوش خوانی و بمعنی سرود و سخن گفتن نیز آمده وبفتحتین زیرك شدن—لحون بضمتین جمع—ودرحدیث آمده است که اقرء القرآن بلحون العرب .
لین (ع) بکسر نرم شدن درخت خرما و نرمی و بفتح یکم و کسر دوم به تخفیف و تشدید نرم .
لبن (ع) بفتحتین شیروبسیار شیرشدن وشیرآشامیدن ودرد کردن‌گردن از ناهمواری بالش و بکسر اول و سکون دوم خشت و بفتح یکم و سکون دوم شیر بخورد کسی دادن و شیر خورانیدن و بضم اشتران و گوسپندان شیر دار و آن جمع لبون است .
لون (ع) بفتح رنگ وگونه چون زردی و سرخی و مانندآن ونوعی از خرما .
لائیدن (ف) گفتن چه لای بمعنی سخن گفتن آمده چنانچه هرزه‌لای بمعنی هرزه گوی بودنجیب الدین جربادقانی گفته : جائیکه ازسخاوت طبعت سخن رود—هم بحر سفله باشدوهم ابرهرزه‌لای — ومی‌لاید بمعنی میگوید مولوی راست: ملامتم مکنیدار دراز میلایم— ودکه کشف شودحال بنده پیش شما
لان (ف) چهار معنی دارد اول بمعنی بی وفائی و بی حقیقتی باشد دوم امراز جنبانیدن باشد و ملان یعنی مجنبان سنائی فرماید : اینچنین کن نماز و شرح بدان — ورنه بر خیز و خیره ریش ملان ، سوم‌محل انبوهی و بسیاری چیزی را خوانند چون شاخسار و نمکسار چهارم گوی و مناك را گویند و نیز لان وشبانگاه دو کوه است ازمضافات آذربایجان که تریاك لانی بآن منسوب است .
لگن (ف) بفتحتین چهار معنی دارد اول طشت و آفتابه که دست‌دو میان آن بشویند وگاه باشد که شمعدان‌را نیز درمیان آن بنهندتاموم گداخته برفرش ریخته نشود مولوی راست : همچو پروانهٔ مسکین که مقیم لگن‌است—تا نسوزد پر وبالش ز لگن می‌نرود—دوم عود سوز راگویند وآنرا بتازی مجمرخوانند سوم کرته فانوس باشد مولوی فرماید : آورده سحر بیرون از زیر لگن شمعی — کز خجلت نور آن برچرخ نماند اختر— چهارم‌شمعدان‌را گویند .
لبان (عف) بفتح سینه ودر فارسی جمع لب خلاف قیاس و بکسر شیردادن و بضم کندر و آن درختی است مانند سیته که میوه و تخم ندارد .
لسن (ع) بفتح وسین مکسور زبان آور وبسیارزبان راندن‌برکسی و بر زبان گرفتن کسی را و بفتحتین گویا شدن و زبان آوری و فصاحت و در اصطلاح صوفیه چیزی است که واقع میشود از فیضان الهی بگوشهای ره سیران طریق مستقیم الی الله تعالی باینکه تعلیم میکنند آنها را .
لسین (ع) بفتح یکم و کسر دوم گویا و فصیح .
لمعان (ع) بفتح روشن شدن و درخشیدن .

فصل و

لهو (ع) بفتح بازی کردن و بازی و برگشتن از چیزی که ازعمل خیر باز دارد و جماع کردن و جماع زن و فرزند .
لغو (ع) چیزیست از اقوال و افعال که بهیچ کار نیاید .

فصل ه

لابه (ع) سه معنی دارد اول تملق و فروتنی و چرب زبانی دوم سخن سوم بازی و در این هر سه معنی بالاوه مترادف است .
لوزینه (ع) بفتح حلوای بادام و طعامی معروف .
لوله (ف) بضم یکمشت پشت خمیر کرده و نول مثربه وجز آن .
لانه (ف) سه معنی دارد اول آشیانه و خانه جانوران پرنده و

منقا (ع) بروزن معما پاك کرده شده و نوعی از انگور وبادام .
متا (ع) بفتح و بالف مقصوره کی و چون .
مانا (ف) سه معنی دارد اول نام خدای عزو جل در کتاب زندوم مانند سوم بمعنی همانا آمده .
ملتجا (ع) بضم پناه گرفتن وجای پناه .
مینا (ف) بکسر دو معنی دارد اول آبگینه دوم کیمیا .
مغتذا (ع) بضم مأخوذ از غذا است .
مثوی (ع) بفتح و بالف مقصوره جائی و جائی بودن وبالف دراز نیز نویسند .
مرتضی (ع) بضم وبالف مقصوره برگزیده .
مجتبی (ع) بضم وبالف مقصوره برگزیده وپسندیده .
مستوفا (ع) بضم تمام شده وبالف مقصوره نیز آمده .
ماشرا (ع) ورم سرخ که‌ازغلبه خون دررو بهمرسد .

فصل ب

منقلب (ع) بضم اول ولام مکسور واگردنده‌وبفتح لام واگردیدن کار وواگردیده شده .
مشوب (ع) بفتح مخلوط یعنی آمیخته شده .
معجب (ع) بضم اول و کسر سوم در عجب اندازنده و متکبر . و خوش آینده .
مراقب (ع) بضم یکم و کسر چهارم چشم دارنده وترسنده و بفتح چهارم چشم داشته شده .
مجیب (ع) بضم جواب دهنده .
مشرب (ع) بفتح آشامید نگاه یعنی جای آشامیدن وبمعنی مزاج ومذهب نیز آمده مشارب جمع آن .
مصلوب (ع) بفتح آنکه بردار کرده شده باشد .
مقلوب (ع) بفتح بدل کرده شده و نا سره کرده شده و نام شعبه از عراق .
محجب (ع) بضم یکم و کسر سوم پوشنده وبفتح سوم پوشیده شده
مستطاب (ع) بضم خوش آمده وپاك آمده .
مصاب (ع) بضم رنج رسیده شده از مصیبت .
منجذب (ع) بضم کشیده وربوده شده .
منتخب (ع) بضم اول وفتح چهارم برگزیده وبرکشیده وبضم یکم و کسر چهارم همچنین است .
مستحب (ع) بضم دوست داشته شده .
ملتهب (ع) بضم اول و های مکسور شعله زن .
مصیب (ع) بضم صواب گوینده و صواب یابنده و صواب خواهنده و رسنده .
مستجیب (ع) بضم اجابت کننده .
محلب (ع) بکسر ظرف دوشیدن شیر وبضم یکم و کسردوم‌بازیگر
مهذب (ع) بضم یکم وفتح دوم وسوم مشدد پاك کرده شده .
مؤدب (ع) بضم یکم و فتح دوم وسوم مشدد ادب داده شده و با سوم مکسور ادب دهنده .
معیب (ع) بضم عیب دار .
میرآب (ف) بکسر اول معروف یعنی حواله دار آب و آنرا میر بحر نیز گویند .
مربوب (ع) بفتح بمعنی مخلوق .
منصب (ع) بفتح یکم و کسر سوم مرتبه و اصل و بپای داشتن گاه مناصب جمع آن وبکسر یکم و فتح سوم دیك پایه آهنی .
منعصب (ع) بضم پشتی کننده .
مثاب (ع) بفتح بازگشتنگاه وجمع شدن گاههای آدمیان وجمع شدن آب درحوض واو جمع مثابت است و بضم میم راهی که در کوه باشد وپاداش دادن یعنی جزای نیك و بد دادن .
مستصحب (ع) بضم اول و کسر ح صحبت دارنده وبرهوا برآینده.

مکروب (ع) بفتح اندوهناك .
منسجب (ع) بضم میم و کسر جیم کشنده و بفتح جیم کشیده شده .
منوب (ع) بضم قائم مقام کرده شده وبفتح قائم مقام .
مکاتب (ع) بضم بنده که او بمال وافروخته شده باشد و کسیکه برو نامه نوشته شده باشد .
مهرب (ع) بفتح گریزگاه مهارب جمع آن .
مرتعب (ع) بضم خائف وترسنده باشد .

فصل ت

مساحت (ع) بکسر اول زمین پیمودن .
ملت (ع) بکسر ولام مشدد مفتوح بمعنی گروه .
مسروقات (ع) چیزی که از دزدی بهم رسد .
منازعت (ع) بضم با کسی کشاکش کردن بخصومت وآرزومند شدن
مقدرت (ع) بفتح اول و کسر سوم توانگر بودن .
منحوت (ع) بفتح تراشیده شده .
مشکات (ع) بکسر روزن ودریچه ناگذرا و طاق چراغ ونام کتابی مشهور از احادیث .
مشیت (ع) بفتح یکم و کسر دوم ویای مشدد مفتوح خواستن وخواست .
ماهیت (ع) حقیقت چیزی ماهیات جمع آن .
موت (ع) مرگ ومردن و در اصطلاح صوفیه عبارت است ازقمع هوای نفس و غافل نبودن ازیاد خدا که موت کاملین همین باشد جمع آن موات .
ملکت (ع) بضم بمعنی ملك است و در نصاب بمعنی شهی است و در شرح نصاب مصدر بمعنی پادشاه شدن .
مطاوعت (ع) بضم فرمانبرداری کردن .
معدلت (ع) بفتح داد دادن .
مسامحت (ع) بضم با کسی کار آسان فراگرفتن و نرمی کردن و فروگذاردن .
مقامات (ع) بوزن و معنی کرامات .
مرضات (ع) بفتح خشنودیها .
منبت (ع) بضم اول وسکون دوم روئیده ورویاننده وبضم یکم وفتح دوم رویاننده و پرورنده و بفتح روئیدگی .
منات (ف) اسم بت مشهور است .
ممارات (ع) بفتح گذشتها و ماجرا ها و مجادله و ستیزه کردن
منیت (ع) بضم امید وآرزو و بفتح یکم و کسر دوم و سوم مفتوح مشدد شرمندگی .
محبت و مودت (ع) بفتح دوستی .
مجاعت (ع) بفتح گرسنه شدن و مسخرگی و بی باکی کردن و گرسنگی .
مبت (ع) بفتح عار و ننگ .
منقبت (ع) بفتح هنر و ستودگی .
مدحت (ع) بکسر مدح کردن وتعریف کردن .
موات (ع) بروزن غراب مردن وموات بروزن سحاب چیزی که ذی حیات نباشد و زمینی که او را مالك نباشد .

فصل ث

محدث (ع) بضم ودال مکسور پیدا شونده
مغیث (ع) بضم فریاد رس .
مستحث (ع) بضم میم و کسر ح برانگیزنده وبفتح حا برانگیخته شده

فصل ج

معراج (ع) بکسر نردبان و نیز قرب حق تعالی چنانکه گویند معراج موسی علیه السلام بر کوه طور بود و معراج آن سرور بر لامکان معارج و معاریج جمع آنست .
منهاج (ع) بکسر راه روشن و راه فراخ و راه راست منهج مثل و مناهیج جمع آن .

مضج (ع) بضم اول و کسر دوم ببانگ آورنده و ناله و بانگ کننده .
مندمج (ع) بضم اول و بکسر میم دوم درهم رفته .
مرج (عف) بوزن و بمعنی مرز یعنی زمین و در عربی بمعنی از هم گشودن و اندر هم گذاشتن و چراگاه و مرغزار آمده قوله تعالی «مرج البحرین یلتقیان» یعنی درهم گذاشت دوبحر را وبا اول مضموم نام شهریست در کوهستان و با اول و ثانی مفتوح جنبیدن خاتم در انگشت و جنبیده شدن و تباه شدن و آشفته شدن .

فصل ح

مسیح (ع) بفتح دوست و از این جهت حضرت عیسی علیه السلام را مسیح گویند و آنکه دروغ گوید ویك چشم ویك ابرو ندارد وازاین سبب دجال را مسیح نامند و درم بی نقش و خوی و چیزی مالیده و آنکه زمین را مساحت کند و مردی که بسیار مجامعت کند و نیز سیم گداخته .
مصباح (ع) بکسر چراغی و قدحی که بدان شراب خورند و نام کتابی مصابیح بفتح جمع آن است .
مفتاح (ع) بکسر کلید و نام کتابی مفاتح و مفاتیح جمع .
مرح (ع) بفتحتین سخت شادی و خرمی کردن و نیز تکبر کردن و فاسد شدن و شادی .
مسرح (ع) بفتح اول و سوم چراگاه .

فصل خ

مسخ (ع) بفتح از صورت مردم بصورت دیگر گردانیدن و بدل کردن و بفتحتین طعمه و بکسر زشت و بی نمك و گوشت بیمزه .
مرخ (ع) بفتح مالیدن و نام درختی و چوب آتش زنه .
مطبوخ (ع) بفتح پخته و آنکه چند ادویه جوشانیده بمریض دهند.
مطبخ (ع) بفتح میم پختنگاه .
منسوخ (ع) بفتح نیست و دور کرده شده چیزی بچیزی .
مناخ (ع) بفتح جای خواب کردن و فرود آمدن و نگاه و نام مقامی .
مخ (ع) بضم دماغ و مغز و خالص هر چیزی است و لگامی است سنگین که مر اسبان سرکش را کنند تا نرم شوند و بفتح زنبورو درلسان الشعرا بهر دو معنی بضم مصحح است و در تبختری بفتح اسب سرکش مرقوم ساخته .
مسلخ (ع) بفتح پوست کشیدنگاه و کشتنگاه .

فصل د

مقالید (ع) کلید ها جمع اقلید و مقلاد ومقلید است .
مشید (ع) بفتح بنای بلند گچ کرده شده و محکم .
موجد (ع) بضم یکم و کسر سوم پیدا کننده
مسند (ع) بفتح بالش بزرگ و بضم و فتح نون زمانه وپسر خوانده وحرامزاده وپشت باز داده شده وخطیکه ازطرف قبیله حمیر نویسند.
موالید (ع) جمع میلاد بکسر که بمعنی زادنست و موالید سه اند نبات و جماد و حیوان .
معهود (ع) بفتح دیده و دانسته و شناخته و قرار داده شده .
مجاهد (ع) بضم یکم و کسر چهارم غازی .
مرید (ع) بضم خواهنده و آنکه دست بیعت بشیخ داده باشد وبفتح دبوستینه وخرما درشیر نهاده وآغشته وسرکش وازحد درگذارنده ورانده.
مجهود (ع) بفتح بمعنی استطاعت و قدرتست ماخوذ از جهد بضم
متحد (ع) بضم و تای مفتوح مشدد خدایرا بیگانگی پرستنده و بیگانگی گوینده و یگانه .
ملند (ف) بفتح اول ولام مضموم یعنی لاف گزاف مزن چه لند بااول مضموم بدو معنی آمده اول لاف و گزاف دوم سخن کردن در زیر لب از غایت خشم و غضب و آنرا دندیدن و ژکیدن نیز گویند و با اول مفتوح پسر را خوانند.

فصل ذ

منفذ (ع) بفتح جای نفاذ ومخرج .

فصل ر

مر (عف) بفتح و تشدید ریسمان و یکبار و گذشتن و کلند و نام قبیله ایست از قبائل بنی سبا و بفتح اندازه معلوم که درموقع شمارش اشیاء زیاد بوسیله آن حساب نگه میدارند و میر عضدالدوله بفتح بدو معنی نویسد اول عدد پنجاه چه نزد محاسبان فارسی مقرراست که چون عدد به پنجاه رسد گویند یك مرشد خاقانی گوید«مرّما مرّمن حساب العمر- چون به پنجه رسد حساب مراست - دوم از کلمات زائده باشد که از برای حسن کلام آرند مانند آنکه مر اورا گفتم مراد باشد که باو گفتم ودر عربی بمعنی شمار آمده وگاه گاه افاده معنی حصر نیز کنند چنانکه سعدی فرماید - بیت :مراورا رسد کبریاو منی- که ملکش قدیم است و ذاتش غنی - یعنی تنها او را رسد کبریا ومنی و بضم وتشدید درعربی بمعنی تلخ ونام شخصی ونام داروئیست وبسکون را فعل امر است یعنی بفرما .

مرغزار (ف) بفتح زمینی راگویند که درآن سبزه بسیار رسته باشد چه مرغ نوعی از سبزه باشد وآنرا فرزد وفرزه نیز گویند .

ماکر (ع) بکاف مکسو ربد سگال یعنی بد اندیشنده وبد گوینده و بد شنونده و مکاره .

مستجیر (ع)بضم پناه جوینده و پناه دهنده .

مشتهر (ع) بضم اول وفتح سوم شهرت داده شده .

مصر (ع)بکسر شهر وحدمیان دوچیز وبفتح بقیه شیر بسرانگشتان دوشیدن وتمام شیر پستان را دوشیدن .

منکر (ع) بضم یکم وفتح سوم ناشایسته و ناشناخته و غیر مشروع ونام فرشتهٔ که درگور سؤال کند مردمان را وبضم یکم وکسر سوم مسلم ندارنده و باور ندارنده وانکار کننده .

مستمر (ع) بضم اول وکسر سوم استوار وروان .

مصدر (ع) بفتح جای بازگشتن وجای بدر آمدن .

معشر (ع) بفتح گروه .

مؤثر (ع) بضم اول وکسر سوم مشدد تاثیر کننده و بتخفیف سوم مختار یعنی ایثار کننده کما قال الله تعالی « یؤثرون علی انفسهم » .

مزور (ع) بضم و تشدید دروغ وآشامی که بیماررا دهند .

مسیر (ع) بفتح رفتن .

منکدر (ع) بضم تیره .

مخبر (ع) بفتح جای خبر دادن وبضم یکم وکسر سوم خبر کننده وبضم یکم وفتح سوم خبر کرده شده .

مطر (ع) بفتح یکم وسکون دوم باریدن وبارانیدن واو لازم ومتعدی آمده و بفتحتین باران .

مستنیر (ع) بضم طلب روشنی کننده .

مجیر (ع) بضم نجات و پناه دهنده .

مشیر (ع) بضم مشورت واشارت کننده .

مهار (ع) بضم بینی بند شتر و بکسر نیز مسموع است .

مطار (ع) بضم محل باریدن و محل پریدن .

مدار (ع) بفتح جای رجوع و بمعنی قرار و مرکز زمین یعنی میانه زمین .

مضر (ع) بضم ضرر رساننده .

مبشر (ع) بضم یکم و فتح دوم و کسر سوم مشدد بشارت دهنده و نیز عیسی علیه السلام که بشارت داده بود امت خودرا از آمدن پیغمبر ما (ص) و بفتح سوم مشدد بشارت داده شده ومراد پیغمبر ماست صلعم .

مدر (ع) بفتحتین کلوخ و گل و شهر ها و بمعنی دوم جمع مدرتست بفتح و سکون دوم اندرون زمین و حوض بی گل .

مصر (ع) بضم و کسر با تشدید ثابت ایستادن برچیزی .
مننشر (ع) بضم پراکنده .
ممر (ع) بفتحتین و تشدید سوم رهگذر و جای گذشتن .
معبر (ع) بفتح جای گذر و بکسر بچیزی که بگذرند چنانچه کشتی و پل گذر گاه و بضم یکم وفتح دوم و کسر سوم مشدد گذراننده از گذرگاه و تعبیر کننده خواب .
مدبر (ع) بضم یکم و سکون دوم ضد مقبل یعنی بدبخت و رانده و بضم یکم و فتح دوم‌و کسر سوم مشدد تدبیر کننده و پادشاه‌وبفتح‌سوم مشدد بنده ایکه وی را مالك گوید که بعد از موت‌من تو آزاد باشی
مستقر (ع) بضم یکم و فتح ق جای آرام گرفتن مقر همچنین .
مگر (ف) بفتحتین بمعنی الاو همانا و شك و یقین و تمنی
مکر (ع) بضم اول و کاف مکسور مکر کننده و بفتح و سکون حیله و بدسگالیدن و فریفتن .
مستعیر (ع) بضم عاریت خواهنده .
معسر (ع) بضم اول و کسر سوم گداو بضم اول‌و فتح دوم وکسر سوم مشدد دشوار .
مستتر (ع) بضم اول و تای دوم مکسور پوشیده .
مستنکر (ع) بضم و کاف مکسور بمعنی منکر .
مناصر (ع) بفتح محل نصرتها و بضم یاری دهنده بیکدیگر .
مثمر (ع) بضم اول و فتح سوم درخت بارور وبکسر سوم باردهنده
موفور (ع) بفتح وافر کرده شده و تمام کرده شده .
مضطر (ع) کسی که دل از هستی خود برداشته چون غریق بحریا گم شده در بیابان بی پایان و یابیمار ناامید از صحت .
ماسور (ع) بفتح بول گرفته و اسیر کرده .
محضر (ع) بفتح سجل قاضی وجای حاضر آمدن و کسی که غائب را به نیکی یاد کند و باز رفتنگاه آب .
موسر (ع) بضم اول و کسر سوم تونگر .
میزر (ع) بفتح شلوار و لنگوته و ازار
منذر (ع) بضم یکم و کسر سوم ترساننده .
منذجر (ع) بضم اول وجیم مفتوح ترسانیده شده و از کاری بازداشته شده و بکسر جیم فاعل .
مؤتمر (ع) بضم فرمانبردار و بکسر میم دوم فرماینده و مشورت کننده الایتمار مشاورت کردن و فرمان یکدیگر بردن .
موت احمر (ع) موت سخت .
منکسر (ع) بضم میم و کسر سین شکننده
من الاخیر (ع) آنمقدار باریکه چون بر کشتی پر بار نهند کشتی غرق شود .
مغیر (ع) بضم غارت کننده و شتابنده .
مزمر (ع) بکسر و فتح سوم بربط و آن نام سازیست و بمعنی مزمار یعنی نای مزامیر جمع آن .
مغفر (ع) بکسر خود .

فصل ز

میز (ف) بکسر دو معنی دارد اول اسباب میزبانی باشد دوم پیتاب را گویند و میزیدن یعنی شاشیدن و میزك تصغیر اوست .
محترز (ع) بضم میم و کسر را احتراز کننده و بفتح را احتراز کرده شده .
معز (ع) بفتح یکم وسکون‌دوم بز .
مبارز (ع) بفتح دلیر و مردانه .
مبرز (ع) آب ریزان جای حاجت و بمعنی غایط .
مفاز (ع) بفتح جای رستگاری و جای هلاکت چه این لفت از اضداد لغات است و بمعنی بیابان هم مسموع شده .
مرز (عف) بفتح اول سه معنی دارد اول زمین بود و آنرا در عربی مرج گویند دوم زمینی را گویند که مربع ساخته و کنارهای آنرا بلند کنند و در میان آن چیزی بکارند و آنرا کرزه و کرز نیز نامند سوم مجامعت ومباشرت و در عربی چیزی‌را بچنگال گرفتن بود بآهستگی وچیزی رابریدن و خراشیدن باشد و با اول مضموم دو معنی دارد اول مقعد دوم موش راگویند و گیاهیست دوائی که بگوش شباهت دارد وآنرا مرز گوش گویند یعنی گوش موش .

فصل س

مقتبس (ع) بضم میم و کسر با اقتباس کننده یعنی روشنی گیرنده واخذ کننده از چیزی .
مقناطیس (ع) با اول مضموم و گفته اند بکسر اول و سکون ثانی سنگ آهن رباکه معدن آن در قعر دریا است و در قنیه بجای قاف غین هم بنظر در آمده کذا فی مؤید الفضلا .
مهندس (ع) بضم‌اندازه کننده‌و اندازه گیرنده ونویسنده وحکیم ودانا وباریك بین .
مقوقس (ع) بفتح نام پادشاهی که در شام بوده .
مکیس (ع) بضم اول و کسر دوم دو معنی دارد اول مبالغه درمعامله و نهایت طلبی کردن در کاری باشد و آنرا بتازی استقصا گویند دوم زری وچیزی باشد که برسم دستوری از آینده وروند بگیرند و آنرا مکاس بضم نیزگویند و بتازی باج خوانند .
محسوس (ع) بمعنی آشکارا .
مغرس (ع) بفتح جای درخت نشاندن .
مکتنس (ع) بضم و نون مکسور بمعنی پوشنده و روبنده .
منکوس (ع) بفتح سرنگون شده .
مقدس (ع) بضم و دال مفتوح مشدد پاك و زمین بیت‌المقدس .
مانس (ع) الفت گیرنده .
مکناس (ع) بکسر آلت خانه روبیدن وبمعنی خانه‌روب وجاروب
مقیاس (ع) بکسر اندازه و آلت اندازه .
منطمس (ع) بضم نیست کرده شده .
متنجس (ع) بضم نجس شده

فصل ش

مرتعش (ع) بضم و فتح سوم مردجهوله زده که دست وپایش‌درلرزه باشد و بکسر عین لرزاننده .
مفرش (ع) بفتح جامه خانه و بستر مفارش جمع .
معاش و معیش (ع) هر دو بفتح زندگانی کردن و آنچه بآن زندگانی کنند و جای زندگانی کردن ودنیا .
متوحش (ع) بضم و حای مکسور رمنده و گریزنده .

فصل ص

مخلص (ع) بضم‌یکم‌و کسر سوم دوست پاك و بی‌ریا وبا دوم‌مفتوح خلاص کرده شده و رهائی یافته و در اصطلاح صوفیه مخلص آنکه طلب محبت خدا کند و بفتح لام آنکه خدا اورا دوست دارد وبفتح اول محل خلاصی .
مقنص (ع) بضم اول و نون مکسور شکار کننده و اسیر کننده .
محیص (ع) بفتح بگردیدن از چیزی و رستگاری یافتن و خلاص گردانیدن و شتر سخت و محکم و محاص و محص مثله .
مناص (ع) بفتح گریزگاه و گریختن و باز ایستادن .
مفص (ع) بفتح گسستن و درد کردن روده و پیچش کردن ناف و بکسر یکم‌و فتح دوم شتران نیك پسندیده .
مجصص (ع) بضم اول و فتح سوم گچ کرده شده .

فصل ض

محض (ع) بفتح صرف و خالص چیزی و دوستی خالص و شیرخالص
معرض (ع) بکسر جای‌پیدا شدن و جامه که در آن جلوه دهند کنیزکان راو برمردم عرض کنند تاخوب نمایند و چون کسی را گویند که فلان در معرض هلاکت است یعنی بمنزل هلاکت‌است
متعرض (ع) بضم پیش آینده و حائل شونده .
مخاض (ع) دردزه گرفته و درد زائیدن پیدا کردن .

اول قضیه حمایه را موضوع و ثانی را محمول نامند و در اصطلاح اهل حکمت عبارت از محلی است که عرض باو قایم شود .

منتجع (ع) بضم میم و کسر جیم نیکو کار و در فرهنگی بمعنی جایگاه آب و گیاه و قرار و قربت نزد عاقل جستن .

مسبع (ع) بفتح محل سباع یعنی بیشه .

مرتع (ع) بفتح آبدان وچراگاه فراخ که آب وعلف دارد .

مشاع (ع) بفتح بخش نا کرده یعنی مشترك وفاش کرده شده .

فصل غ

مغ (عف) بفتح دو معنی دارد اول ژرف دوم رود خانه و بضم آتش پرست وبکسر مخفف میغ .

میغ (ف) بکسر ابرو بمعنی سیاه .

ماغ (ف) مرغ آبی سیاه فام و درفرهنگ انجو بمعنی نرم که آنرا تمن نیز گویند و آن تیرگی و بخاری باشد که در زمستان در هوا پدید گردد وازو نمی فرود آید وهمچنین نوعی از کبوتر که سینه و هر دو بال وگردن او سبز باشد یا سرخ و آنرا سبز ماغ و سرخ ماغ خوانند و بمعنی سیاه وسپید نیز آمده .

مراغ (ع) بضم غلطیدن درخاك .

فصل ف

معرف (ع) بضم اول وفتح دوم و کسر سوم مشدد شناسنده و بفتح میم واحد معارف .

مصاف (ع) بکسر نام کوکب وبفتح جایهای صف کشیدن و بضم با یکدیگر صف کشیدن .

مسرف (ع) بضم بی اندازه وبیجا خرج کننده ونیز نام مردی .

مشرف (ع) بضم اول و کسر سوم دیده ورشونده از بالا ونویسنده که گماشته شود برای تفحص دیوان وبفتح اول وسوم جای بلندمشارف جمع وبضم اول وفتح ثانی بزرگی داده شده ورسنده بچیزی .

منکسف (ع) بضم تیره شونده .

مصروف (ع) بفتح خرج کرده شده وگردانیده شده .

مستحف (ع) بضم ستم کننده .

مکتنف (ع) بضم پناه جوینده و پك شونده وگرد چیزی درآینده و پناه گیرنده .

منصرف (ع) بضم بازگردنده .

مطاف (ع) بفتح طوافگاه وگشتگاه .

مؤتلف (ع) بضم ولام مکسور الفت گیرنده .

مستخف (ع) بضم ترسنده .

محفوف (ع) بفتح نگاهداشته شده وگرد کرده شده .

مغرف (ع) بضم و کسر دوم وسوم بدست آب گیرنده

ماناف (ف) دایه زچه .

متحرف (ع) بضم پیشه ور .

منصف (ع) بضم دادگر و با انصاف .

محلف (ع) بضم اول و کسر سوم کبوتر بچه .

فصل ق

مضیق (ع) بضم هشیار .

مذاق (ع) بفتح وتخفیف چشیدن وجای چشیدن ومشتق از ذوق است وبفتح وتشدید آنکه دوستی با کسی ندارد ازروی خلوص .

محقق (ع) بضم تحقیق کننده و بعضی گویند آنکه سخن را بدلیل ثابت کند ومدقق آنکه دلیل را بدلیل ثابت کند ودر اصطلاح صوفیه کاملیست که حقیقت اشیا کما ینبغی برو ظاهر ومنکشف گشته باشد و اینمعنی کسی را میسر است که از حجت وبرهان گذشته بمرتبه کشف الهی رسیده باشد و بعین العیان مشاهده نموده که حقیقت همه اشیاء حق است و بغیر از وجود واحد مطلق موجودی دیگر نیست و موجودیت اشیاء دیگر مجرد واضافهٔ بیش نیست .

منجنیق (ع) بفتح فلاخن بزرگیست که دیوار قلعه را از بیرون

ویران سازند و از درون خصم را از آمدن بجلو منع کنند و بفارسی منجنیك گویند.

معلق (ع) بضم یکم وفتح دوم وسوم مشدد در آویخته و عاق‌شده

منطق (ع) بفتح میم وکسر ط سخن وگفتار و نام علمی معروف و بکسر یکم وفتح سوم کمرومیان‌بندو کمربند زنان .

منطیق (ع) بکسر نیك سخن گوی .

مطلق (ع) بضم از بند رها کرده شده و روان کرده و ضد مقید و اسبیکه یکدست و یکپای او سفید باشد .

منفق (ع) بضم نفقه دهنده ودرویش .

مشاق (ع) بفتح سختیها .

محقوق (ع)بفتح راست ودرست کرده شده .

محاق(ع) ضم و بفتح‌و بکسرهرسه‌آمده آخرماه و شب آخر ماه ودر فرهنگی گرفتن ماه مرقوم داشته و نیز سه روز آخر ماه که درآن ماه نا پدید شود کذا فی‌التاج و بمعنی کاهیدن .

مسترق (ع) بضم دزدیده شده ومشتق از رق یعنی اسیر کرده شده .

مفترق (ع) بضم جدا کرده شده

ملحق (ع) بضم یکم وفتح سوم بر چسبانیده بچیزی ووا بسته و حرامزاده وبکسر سوم چسبنده .

موثق (ع) بضم اول وکسر سوم مرد استوار عهد .

میثاق (ع) بکسر استوار وعهد بسته وروز میثاق کنایه از روزیست که ارواح عهد بسته وقالوا بلی گفتند .

ماق (ع) بفتح وسکون محو کردن و شستن جامه و دوست داشتن ولطف نمودن وچاپلوسی کردن وبتحریك زمین هموار ودوستی ونرمی کردن وبفتح یکم وبکسر دوم آنکه بزبان بخشد ودلش راضی‌نباشد

مثاق (ع) بفتح جای پیمان وعهد استوار .

مسلق (ع) بفتح مصاف وجای راندن .

متفق (ع) بضم‌یکم‌و کسر سوم اتفاق کننده وبفتح اتفاق کرده شده .

مروق (ع) بضم اول و سکون دوم بیرون گذشتن و بر جستن تیر از نشانه و بیرون شدن از دین و سنت و پشم بر کندن از پوست و بضم یکم وفتح دوم و سوم مشدد شراب صاف کرده و بکسر اول و سکون دوم وفتح سوم در شگفت آوردن وخوشحال ساختن .

محق (ع) بفتح وسکون باطل کردن و پاك کردن و کاهانیدن و وسوختن گرما چیزی را و بضم وکسر آنکه حق بجانب او باشد و در اصطلاح صوفیه عبارتست از فنای وجود عبد در ذات حق چنانچه محو فنای افعال بنده است درفعل حق .

مطوق (ع) بضم اول وفتح دوم وسوم مشدد طوق کرده شده .

مضیق (ع) بضم وبفتح جای تنگ مضایق جمع آن .

مصداق (ع) بکسر دلیل راستی سخن وتصدیق کننده چیزی .

مسبوق (ع) گذشته وآنچه چیزی براو سابق باشد .

معتق (ع) بکسر سوم آزاد کننده وبفتح سوم آزاد کرده شده .

ممتحق (ع) بضم نیست کرده شده .

مغرق (ع) بضم یکم و کسر سوم غرق کننده و بفتح سوم غرق شونده خواه در آب وخواه در چیزی مثل زر وسیم وغیر آن .

مشوق (ع) بفتح بمعنی شایق ومخفف معشوق .

مراهق (ع) بضم یکم و کسر ها کودکی که ببلوغ رسیده باشد

مدقوق (ع) بفتح باریك ولاغر کرده شده .

مستشرق (ع) بضم یکم وکسر را روشن وتا بان .

منجوق (ع) آنچه بالای علم از زر ونقره وغیره نهند مثل قبه .

مغلق (ع) بضم‌سخن‌مشکل سر بسته .

مطراق (ع) بکسر تازیانه .

فصل ك وگ

ممالك (ع) جمع مملکت که احاطه ملك بود بکمال قدرت .

محك (ع) بکسر یکم و فتح دوم آزمایش و نام سنگی که بدان امتحان عیار زر کنند وخط تراش وبکسر دوم مرد ستیزه کننده وبفتح یکم‌و سکون دوم ستیزه کردن .

مسلك(ع) بفتح راه مسالك جمع .

منفك (ع) بضم یکم و فتح سوم جدا کرده شده وگردانیده و بکسر سوم گرداننده .

میزك (ف) بکسر تصغیر میز است یعنی شاشه .

مليك (ع) بفتح مالك وصاحب .

مهلك (ع) بفتح یکم وسوم وگفته اند بفتح یکم وکسر سوم هلاك شدن ونیست شدن وجای افتادن وجای فوت شدن مهالك جمع آنست .

مدرك (ع) بضم اول وکسر سوم رسنده و دریابنده و بفتح سوم دریافته شده .

مشبك (ع) بضم‌یکم وفتح‌سوم مشدد رخنه‌دار مانند دام وسوراخ‌پنجره

مضاحك (ع) بفتح اول وکسرحا جمع‌ضحك‌یعنی خنده .

منهلك (ع) بضم اول وکسر لام در معرض هلاك اندازنده .

مرد ریگ (ف) بمعنی باز مانده از مرده یعنی میراث .

ملك (ع) بضم در لغت ماسوی‌الله از ممکنات موجوده و معدومه و مقدوره و در اصطلاح صوفیه از عالم شهادت عبارتست چنانکه ملکوت عالم غیب و جبروت عالم انوار قاهره و لاهوت ذات حق است .

مندك (ف) بفتح بمعنی پاره پاره و در فرهنگ انجو بمعنی کسادی و ناروائی متاع و کالا آمده .

مرغ زیرك (ف) مرغیست که بدوپا از درخت آویزان شده بآواز بلندحق‌حق گوید و بعضی‌مراداز ابلیس‌دارند و برخی‌هاروت و ماروت اراده نمایند .

محراك (ع) بکسر جنباننده و نام اسرافیل وبسیار افسون کننده

منهتك (ع) بضم یکم و کسر تاپرده‌درنده و بفتح تاپرده دریده‌شده

مردمك (ف) بفتح سیاهی که در چشم باشد وآنرا انسان‌العین گویند ومردم و مردمه نیز خوانند .

مشکنیك (ف) بضم نام حلوائیست .

مچاچنگ (ف) آلت چرمین که زنان بد استعمال کنند .

مالك (ع) پادشاه و خازن دوزخ و نام خدایتعالی .

ملاك (ع) سنگی که برآن عطر سایند .

منسك (ع) طاعتگاه و قربانگاه .

فصل ل

مثال (ع) بکسر مقدار و مانند و فرمان پادشاه وبستر وکالبد و مردمان و در مؤید است جنسی از شمع .

مآل(ع) بفتح باز گشتن ومهیا شدن برای کار ورجوع وآخرکار

مال (ع) خواسته یعنی سیم و زر وشخص‌بسیار مال و علت گفتن مال مایل بودن طبع سلیم است بآن .

مزابل (ع) بفتح جمع مزبله یعنی سرگین دان .

مقبل (ع) بضم خوشبخت ومقبول .

مثل (ع) بفتحتین صفت قصه‌و داستان که‌معروف باشد وبکسر وسکون مانند و بفتح مثله کردن یعنی گوش‌وبینی بریدن وتغییرصورت‌نمودن .

موکل (ع) بضم یکم وفتح سوم مشدد کسیکه کار باوسپرده شده وبکسر سپارنده کار بدیگری .

محمول (ع) بار برداشته‌شده ومنطقیون خبر راگویند .

مسال (ع) بفتح و تشدید لام جوال دوزها و او جمع مسله است و بتخفیف‌لام‌ماخوذ از مسئله سال یسال و بضم‌میم وتخفیف لام طرف ریش و سر و گردن .

محال (ع) بضم نابودنی‌و سخن‌ناراست وبکسر مکروحیله کردن

مستحیل (ع) بضم طلب محال و نابودنی کننده و گردنده از حالی بحالی .

مل (ع) بضم شراب وبفتح ازچیزی سیرشده واندوه یافته .

مول(عف) بضم پنج معنی دارد اول معشوق زن دوم بودن و امراز بودن ودرنگ درکارها سوم بازگشت چهارم ناز پنجم حرامزاده ودر عربی عنکبوت و بفتح صاحب مال شدن و هم مال .

فصل م

متهم (ع) بضم وتای مفتوح مشدد تهمت کرده شده .

مقیم (ع) بضم ضد مسافر وبرپا همیشه وبضم یکم و فتح دوم و کسر سوم مشدد برپا شونده .

معلم (ع) بضم یکم و کسر سوم مشدد آموزاننده و بفتح سوم آموزانیده وبفتح یکم وسوم مخفف نشانی که برراه نهند .

محرم (ع) بفتح یکم وسوم صاحب سروحرام شده وآنکه در حرم راه دارد و آنکه نکاح بوی روا نبود .

مظلم(ع)بفتح یکم و کسر سوم تاریك وچون لازمست مفعول از آن نمی آید

معدوم (ع) نیست شده ونایافت شده و کنایه از کمرودهن محبوب

مقدم (ع) بضم وفتح سوم مشدد پیش رونده وپیش داشته شده ودلیر وکنج چشم که بطرف بینی باشد و منزلی از منازل قمر و بفتح جای قدم نهادن وهنگام قدم نهادن مقدوم جمع .

محتشم (ع) بضم صاحب حشمت وجاه .

مبرم (ع) بضم یکم وفتح سوم استوار وجامه که تار وپود آن محکم باشد

مشام (ع) بفتح بینی ها و جای شمیدن .

مظالم (ع) بفتح ولام مکسور جمع مظلمه .

منعم (ع) بضم نیست کرده شده

مختوم (ع) بفتح مهر کرده شده وبآخر رسانیده شده .

مقام (ع) بفتح وبضم استادن وجای استادن وجای بودن وشمار گاه قیامت ومغنیان پردهٔ سرود را گویند ودر اصطلاح سالکان مرتبه ایست که بنده را حاصل میشود درآغازسلوك بدرجهٔ که بدوتوسل کرده است که گفته اند مقام عبارت از اقامت بنده است در عبادت و شرط سالك آنست که از مقامی دیگرترقی کند تا از نود و نه مرتبه تلوین در گذرد وبصدم مرتبه تمکین مقام کند و در عوارف آورده که من رضی بمقامه حجب عن امامه و در شرح اصطلاح صوفیه مقام عبارتست از استیفای حقوق مراسم .

مهم(ع) بضم یکم و کسر دوم وسوم مشدد کارسخت ودشواروضروری

منتجم (ع) بضم روشن وتابان وآفتاب منتجم کنایه ازقرآن است .

منخرم (ع) بضم یکم وفتح سوم و کسر چهارم نگون افتاده وبینی بریده وگوش سوراخ کرده .

مکتوم (ع) بفتح پوشانیده شده .

منعم (ع) بضم و کسر سوم مالدار ونعمت دهنده .

ملهم (ع) بضم یکم وفتح سوم الهام کرده شده وبکسر سوم الهام کننده

موهوم (ع) بفتح گمان وسهو کرده شده .

موثم (ع) بضم یکم وفتح دوم وسوم مشدد گناهکار .

مستنجم (ع) بضم طلب روشنائی کننده وروشن .

منهزم (ع) بضم از جنگ گریخته .

متظلم (ع) بضم ولام مکسور مشدد فریاد خواه .

مدام (ع) بضم شراب وهمیشه ومی چون دائم درخم است مدام گویندش

مرجوم (ع) بفتح کشته و سنگسار شده ودشنام داده شده

متیم (ع) بضم ویای مفتوح مشدد مشتاق ودردمندالتیم بعشق بند کردن

مستتم (ع) بضم طلب تمامی کننده وتمام .

موسم (ع) بفتح و کسر سوم گرد آمدن ووقت گرد آمدن و وقت .

فصل ن

من (عف) بفتح وتشدید ترنجبین که بر قوم موسی میبارید وهرنمی که بردرخت بارد وبسته و منجمد گردد و در فارسی بفتح سوراخی که شاهین ترازو را ازآن بگذرانند ووزنیست .

میان (ف) بکسر دو معنی دارد اول وسط قد و کمر دوم غلاف کارد و شمشیر و امثال آن و آنرا بتازی نیام خوانند مولوی فرماید چون زبانم گرفت خونریزی—هم چو شمشیر درمیان کردم— ونزدصوفیه عبارت است از وجود سالك وقتی که دیگر حجاب نمانده باشد .

مان (ف) پنج معنی دارد اول خانه و اصحاب خانه دوم بمعنی مارا باشد سوم شبه و مانند چهارم امراز گذاشتن بود و بمان اصح است پنجم بیلی باشد که بآن زمین را بکنند .

مادون (ع) بمعنی ورای وسوای وفروتر
مرجان (ع) بمعنی بسد بضم و تشدید و آنرا از قعر دریا بیرون آورند و دونوع است سرخ وسپید ودافع صرع هم هست .
میلان (ع) بطرفی میل کردن وخمیدن .
مفتون (ع) بفتح در فتنه انداخته شده و آزموده شده و سوزانیده و در شرو بلا انداخته شده ودیوانه شده .
مستهان (ع) بضم خوار کرده شده .
معدن (ع) بفتح یکم و کسر سوم کان زرونقر وامثاله و مرکز هرچیزی
مرغ گردون (ف) عبارت ازفرشتگان است .
متن (ع) پشت و گوشت تازه رجای سخت بلند ومرد باقوت وستبری تیر زبر پر ونیز سطور پر که در میان صفحه بنویسندضد حاشیه .
مؤتمن (ع) بضم آنکه به او ایمن باشند ومعتمد .
مقترن (ع) بضم وابسته وپیوسته .
مهان (عف) بضم خوار کرده شده وبکسر جمع مه یعنی بزرگان .
مستعان (ع) بضم یاری خواسته شده .
مسن (عف) بکسر یکم و با نون مشدد سنگی که بدان کارد و شمشیر تیز کنند وبضم یکم بسیار سال دارنده .
محن (ع) بکسر یکم وفتح دوم اندوهها وجمع محنت وبفتح بخشیدن وآزمودن و زدن وخاك وگل ازچاه بدر کردن .
میمون (عف) بضم مبارك ودرفارسی بوزینه .
موزون (ع) بفتح سنجیده وآراسته وخوش طبع .
مجمع البحرین (ع) عبارت از ملتقای بحر فارس و روم و بعضی دربند شروان را گفته اند و در اصطلاح صوفیه عبارت است از قاب قوسین از جهت اجتماع بحرین وجوب وامکان وآن نورمحمدیست .
مامن (ع) بفتح جای امن .
مغیلان (ع) وام غیلان بضم نام درختی خاردار .
محسن (ع) بضم نیکوئی کننده ودانده .
منن (ع) بکسر جمع منت .
مبین (ع) بضم یکم و کسر دوم ظاهر وآشکارا .
مهین (عف) بفتح خوار و ضعیف و سست و بضم خوار کننده و بکسر تین ضد کهین .
موقن (ع) بضم یقین کننده .
مابون (ع) نام مردی ونیز مبتلا بمرض ابنه .
مداین (ع) بفتح نام شهری وجمع مدینه .
مدین (ع) بفتح یکم وکسر دوم بنده وقرض دار و خوار کرده شده و جزا داده شده و بفتح یکم و سوم شهریست بر ساحل دریای مغرب ونام قریه شعیب است .
معین (ع) بضم یاری دهنده وبفتح آب روان وبضم وفتح سیم مشدد تعیین کرده شده و ضم وفتح سوم فعل گاو
ممتهن (ع) بضم خوار کرده شده ماخوذ ازمهانت .
ممتحن (ع) بضم میم وکسر حا آزماینده وبفتح حاآزموده
مجان (ع) بفتح یکم و تشدید دوم رایگان و بضم و تشدید جمع ماجن یعنی بی باك و مسخره .
مؤذن (ع) بضم یکم وکسر سوم مشدد بانگ نمازگوینده وبضم یکم وکسر سوم آگاهاننده .
مکمن (ع) بفتح هردو میم کمین گاه .
مرتهن (ع) بضم گرو کرده شده .
مطمئن (ع) بضم آرمیده وفرمان بردار .
مجن (ع) بکسر یکم وفتح دوم ونون مشدد سپر .
مفتتن (ع) بضم یکم وفتح هردوتا فتنه انگیزانیده شده
منگیدن (ف) بفتح آهسته سخن کردن بود درزیر زبان ولب .
مستعین (ع) بضم اعانت خواهنده .
مکنون (ع) بفتح پنهان داشته .
مزمن (ع) بفتح یکم وکسر سوم برجا مانده یعنی کسی که دست و پا نداشته باشد .

مغبون (ع) بفتح زیان زده .
مستبین (ع) بضم ظاهر .
ماذون (ع) دستوری داده شده .
مطحن (ع) بفتح آسیا .
مزن (ع) بضم ابرهای سفید وروشن و بمعنی مفرد هم آمده .
مدیون (ع) بفتح قرض دار وبمعنی دیوانه هم درست است .
ممنون (ع) نعمت داده شده ومنت نهاده شده ونقصان کرده شده .
ملقن (ع) بوزن مفعل تلقین کرده شده و بکسر قاف تلقین کننده .
مزیدن (ف) بفتح مکیدن .
میدان (ف) بفتح آوند شراب وپیاله وبکسر جای تاختن اسبان .
ماهان (ف) جمع ماه ونام مردی ونام شهری در کرمان .
مروسیدن (ف) پرسش ازبیمار وروان کردن .

فصل و

محو (ع) بفتح ستردن وپاك کردن نبشته ونقش ازلوح و جز آن ونیزنام موضعی وسیاهی ماه و در اصطلاح صوفیه محو حقیقی که آنرا محوالجمع نیز گویند عبارت از فنای کثرت خلقیة در وحدت الهی .
میو (ف) بکسر وسکون دومعنی دارد داول مخفف میوه دوم بمعنی موی آمده
مولو (ف) نائی ازشاخ آهو که جوکیان زنند .
مشکو (ف) بفتح مشك خرد و بضم حرمخانه .
مو (ف) بفتح آواز گربه باشد .
ماشو (ف) گلیم و نیك پیر .
مرو (ع) بفتح یکم وسکون دوم وسوم سنگ سپید تابان که درو آتش باشد و نوعی از ریاحین و گل کبود بر سر شاخ ونام شهریست که مرو شاه جهان نیز گویند .
ماکو (ف) ازآلات دوزندگی وبافندگی .

فصل ه

مایده (ع) خوان آراسته و آرد باریك که آنرا میده گویند و نیز مجلس طعام وخوانی که بر آن طعام باشد .
محجوبه (ع) چوبی که پیش درنهند وبینی را گویند که ردیفش پیش از قافیه رفت مانند: لعل توزیر لب شکر آرد—زان بخنده شکرهمی بارد
مقصوره (ع) جای ایستادن در نماز وپرده زنان وزن درپرده .
منظره (ع) بفتح جای دیدن و گوشك .
موقنه (ع) زن صاحب یقین .
منزه (ع) بضم یکم وفتح سوم پاك ودور گردانیده شده از زشتیها و بکسر سوم در اصطلاح صوفیه شخصی است که ذات حق را بصفت تنزیه دانسته باشد واز حیثیت ظهور درمظاهر ندیده وندانسته .
ملحمه (ع) بفتح جای جنگ عظیم ودر صراح فتنه وجنگ بزرگ گویا ماخوذ از لحم است چنانچه مسلخه از سلخ .
منبه (ع) بضم یکم وفتح دوم وکسر سوم آگاه .
مشتبه (ع) بضم پوشیده .
مایه (ع) دستگاه یعنی کثرت اسباب غنا و سرمایه وقدرت وماده و بنیاد و بکسر صد .
ماهگانه (ف) مشاهره .
مشاهده (ع) دیدن وباکسی درجائی حاضر بودن .
ماشطه (ع) ومشاطه آراینده وآرایندهٔ عروس .
مشبه (ع) بضم یکم و فتح دوم و سوم مشدد بچیزی مانند کرده شده وبا سوم مکسور مشدد بچیزی مانند کننده و در اصطلاح صوفیه طائفهٔ که قائل بوده اند که حق مانند جسمست ودرجهت فوق ومماس عرش است وبعضی گفته اند مجازی عرش است وتنزیه ذاتی حق ندانسته اند ومنحصر در تشبیه داشته اند .
مانسته (ف) با نون مکسور مانند کرده شده .
مخمصه (ع) بفتح گرسنگی وگرسنه شدن واز ایام مخمصه ایام قحط مراد دارند .
معتزله (ع) بضم قومی مشهورند در برابر اشاعره که دراکثراصول با اهل سنت وجماعت اختلاف دارند .
مه (عف) بکسر مهتر وبفتح بمعنی نه ومخفف ماه است .

مستوی (ع) بضم غالب و قادر و برابر .
مثنی (ع) بضم سر نگون و دوتا .
میناگری (ع) بکسر مینا کار و کیمیا گر .
مستسقی (ع) بضم بیماریکه از آب سیر نشود .
متحلی (ع) بضم آراسته .
مطوی (ع) بفتح پیچیده شده .
ممتلی (ع) بضم و لام مکسور یعنی پر .
موسی (ع) نام پیغمبر مشهور و استره .
ملتجی (ع) بضم پناه جوینده .
منحنی (ع) بضم گوژ پشت و خمیده .
ملتوی (ع) بضم پیچیده شده .
منشی (ع) بضم انشاء کننده و نو پیدا کننده .
منسی (ع) بفتح فراموش کرده شده .
مغتذی (ع) بضم طعام خورنده ماخوذ از غذا .
مقضی (ع) بفتح گذارده شده .
ملی (ع) بضم اول و لام مکسور بمعنی توانگر .
مفتنی (ع) بضم فتنه کننده .
معتنی (ع) بضم تیمار دارنده و عنایت کننده .
مکاری (ع) بضم خربنده با ماله نیز خوانند .
منهی (ع) بفتح باز داشته شده و بضم خبر دهنده و جاسوس .
متواری (ع) بضم پوشیده شونده .
متنفی (ع) بضم دورشونده .
مختبی (ع) بضم پنهان کننده .
محتوی (ع) بضم در بر گیرنده .
منطفی (ع) بضم فرونشاننده .
ماهی (عف) جانور معروف و منسوب بماه و ایضاً علمی از مراتب ملوك و نیز لوزینه را تشبیه بماهی کرده اند و در اصطلاح صوفیه عبارتست از عارف کامل و اینمعنی بحسب استغراقیست که کاملان را در بحر معرفست .

باب ن

فصل الف

نوا (تف) بفتح پنج معنی دارد اول نغمه‌را گویند عموماً ونام مقامی خصوصاً دوم جمعیت و سامان و سرانجام و سازگاری و توانگری سوم روزی و خوراك که آنرا بتازی قوت خوانند چهارم سپاه و لشکر پنجم گروی که در مقابل زر یا چیزی میگذاشتند که بتازی رهن خوانند و در ترکی نام طایفه‌ایست از مغلان .
نهی (ع) بضم و بالف مقصوره عقلها وبالف دراز نویسند و بفتح اول و کسر ثانی باز داشتن و بفتح حوض بزرگ و گفته‌اند بعضی از آب سیل که جای مانده باشد .
نیوشا (ف) بکسر شنونده .
ندا (ع) بفتح و قصر نم ز بکسر و مد آواز دادن و آواز و کسی را خواندن و دور رفتن و غایت و سخاوت و باران .
نیا (ف) بکسر جد یعنی پدر پدر ونیاکان اجداد ودرمدارالافاضل بمعنی برادر مادر یعنی خال وپدر و مادر و بزرگ قدر و زاری کننده و بمعنی و برادربزرگ مرقوم ساخته .
نقا (ع) بضم پاکی .
نما (ع) بفتح افزونی .
نبا (ع) بکسر قرآن وخبر .

فصل ب

نصیب (ع) بفتح بهره و حوض و دام برپا کرده شده .
نقیب (ع) شاهد قوم و ضامن قوم و معرف قوم .
نهیب (ع) بکسر هیبت و قدرت و عظمت و بیم .
نهب (ع) بفتح غارت کردن غنیمتی که از کفار گیرند وغارت نهاب جمع

نجیب (ع) بفتح گزیده و بزرگوار و بخشنده .
نصاب (ع) بکسر حد مال که زکوة بآن تعلق گیرد وبمعنی رتبه ومرتبه ودسته کارد وشمشیر ونشکرده وجز آن ونام اسبی واصل مردم
ناب (عف) دو معنی دارد اول خالص دوم بمعنی ناو و در عربی خالص وصاف و چهار دندان پیشین و آن گودال که در پشت اسب از فربهی افتد و بمعنی ناخن مرغ وشتر پیر ودندان بزرگ .
نشیب (ف) بکسر تین پست و فروخزنده .
نسیب (ع) بفتح بلند گوهر وهم اصل مأخوذ ازنسب .

فصل ت

نبوت (ع) بضمتین اخباریست از حقایق الهیه یعنی از معرفت ذات حق و اسماء وصفات و احکام او و بکسر یکم و سکون دوم آرام نا یافتن و دور شدن .
نخست (ف) بضمتین اول .
نقت (ع) مایع مشهوری است که برای روشنائی وقوای محرکه بکار آید .
نهفت (ف) بکسر اول وضم ثانی دومعنی دارد اول بمعنی پنهان وپنهان کردن دوم نام شعبه ایست از موسیقی
ندامت (ع) بفتح پشیمانی وپشیمانی کردن .
ناحیت (ع) بکسر ح کنار وگوشهٔ زمین نواحی جمع آن .
نهمت (ع) بفتح همت بستن درچیزی وگفته اندمراد .
نخوت (ع) بفتح ناز وتکبر وبزرگی ومستی .
نقمت (ع) بکسر و بفتح عقوبت وکینه .
نارنجات ونیرنجات (ع) علم سحر وافسون .
نعمت (ع) بکسر دست و دسترس ونیکی ومال وناز وآنچه کرده شود از نیکوئی در حق کسی .
نبت (ع) بفتح بمعنی رستنی .
نابت (ع) بکسر سوم رویندہ .
نفاثات (ع) دمیدنهای جادوان برعقد .
نزهت (ع) بضم دوری از ناخوشی و نیکوئی وفرصت یعنی وقت حصول چیزی وپاکیزگی وناز کی ونام کتابی معروف .

فصل ج

نایج (ع) بفتح زایندگان وبچگان که دریك سن باشند
نموذج (ع) بفتح مثال چیزی ومعرب نموده است وانموذج غلطاست
نسج (ع) بافتن جامه وچوبی که بآن نانرا دراز سازند .
نیرنج (ف) نیرنگ وسحر وافسون .

فصل ح

ناصح (ع) اندرز کننده یعنی نصیحت کننده وپند دهنده ونیکخواه و خیاط و شهدو سپید و خالص هر چیزی .
نفح (ع) دمیدن بوی خوش و وزیدن باد خوش و شمشیر زدن و بخشیدن نفحات جمع .
نصوح (ع) بفتح وبضم بمعنی پاك وصاف و شهد خالص ونیز توبه استواری که دیگر گناه نکند ومصدر بمعنی راست شدن وسخن راست گردانیدن ونیز نام مردی دلاك که در مثنوی ذکر شده .
نصح (ع) بضم نصیحت کردن .

فصل خ

نسخ (ع) بفتح نیست کردن ودور کردن چیزی بچیزی احسن و کتاب ونیز نام خطی وقلمی ازشش خط که اختراع یاقوت معتصمی بوده
نخ (ف) نهالچه و تار ابریشم ونوعی از جامه گرانمایه .
ناچخ (ف) نام سلاحی ونیزه خورد وتبرزین .
نرخ (ع) بکسر بها .
نفخ (ع) بفتح دمیدن دم درچیزی و باد از دبر بدر دادن وبتحریك آماسیدن خایه .
نساخ (ع) بفتح وتشدید صیغه مبالغه نسخه نویسنده ونسخ کننده .
نفاخ (ع) بفتح وتشدید سخت دردمنده دم را وبادانگیز .

فصل د

نژاد (ف) بفتح اصل ونسب وتخم مردم واصیل وخداوند نسب .
نمرود (ع) بفتح مردی که ادعای خدائی کرد .
ندید (ف) بفتح بمعنی نظیر بی ندید بمعنی بی نظیر .
نبرد (ف) بمعنی کارزاروشجاع ودلیر .
نژند (ع) بفتحتین و بکسر اول نیز خوانده اند خوار و افسرده واندوهگین وبمعنی پست ونشیب وخشمگین آمده
نعم العبید (ع) نیکو بنده چه عبید هم جمع وهم تصغیر عبداست .
ناهید (ف) دختر ناریستان وستارهٔ زهره ونام مادر ذوالقرنین .
نبید (ع) بضم یکم وکسر دوم خبر خوش که نوید نیز خوانند وبمعنی شراب
نوید (ف) بضم یکم و کسر دوم بمعنی خوشی باشد و آنرا خرام ونبید نیز خوانند و خبر خوش و بمعنی آگاهی ضیافت و وعده عظیم وبضم یکم وفتح سوم یعنی نوحه کننده وناله کننده .
نورد (ع) بفتح پنج معنی دارد اول بمعنی پیچ و نوردیدن یعنی پیچیدن بود دوم برابر وشبیه ومانند سوم چوبی باشد مدور درپارچه بافی هرقدر که پارچه بافته شود بدان بپیچند چهارم جنگ و خصومت وآنرا ناورد نیز خوانند پنجم پسندیده و در خورد و بمعنی بساط وبضم اول وسکون را نام شهر کازرون کهنه است .
نقاد (ع) بفتح وتندید شناسنده ناقد مثله .
ند (ع) بکسر مانند وهمتا وبفتح رمیدن ورفتن ندور بضمتین مثله .
نشکهد (ف) نترسد .
نرد (ف) بفتح اسم بازی معروف وتنه درخت .
نشید (ع) بفتح شعر مشهور وآنکه با یکدیگر شعر خوانند و شعر خواندن فقط ونیزشعر غیری خواندن وبلند کردن آوازوبکسر تین سرود
نهاد (ع) بکسر سرشت وخلقت ورسم وبنیاد .

فصل ذ

نبیذ (ع) بفتح شراب خرما نوعی از بکنی و بوزه که از حبوب و جزآن سازند و دراشعار بعضی ازمتقدمین بدال مهمله بنظر درآمده .
نافذ (ع) بکسر فا روان وگذرنده وفرمانی که فرمان برداری شده باشد و نافد هم گفته اند .
نفاذ (ع) بفتح روان شدن قضا و روان شدن فرمان ونامه وگذشتن تیر از آنچه درو رسد نفوذ بضمتین مثله وبدال نیز خوانند ،

فصل ر

نور (ع) بضم روشنی وآهوان رمنده وزنان پاك و اسمیست از اسماء الهی و در اصطلاح صوفیه عبارتست از تجلی حق باسم ظاهر یعنی وجود ظاهر در صور اکوان و نورالانوار عبارت از ذات حق است .
نیمور (ف) بفتح ذکر یعنی مردی مرد .
نفور (ع) بضمتین گریختن و رمیدن و بفتح رمنده .
ناصر (ع) یاری کننده و نام شاعری .
نفر (ع) بفتحتین بمعنی گروه از سه تانه .
نظیر (ع) بفتح شبیه و عدیل .
نضیر (ع) بفتح قبیله ای از یهود خیبر .
نفیر (ع) بفتح گریز و فریاد و رمیدن وبیرون رفتن و غلبه کردن و دور شدن و فریاد کردن و پناه گرفتن و آماسیدن و نفار بکسر و نفور بضمتین مثله .
نخجیر (ف) بفتح دو معنی دارد اول شکار دوم جانوری که شکار کنند عموماً وبز کوهی را خوانند خصوصاً .
نکر (ع) بضمتین نا سپاسی و مرد زیرك و نا شناخته و بضم یکم و سکون دوم مثله و بمعنی شگفت و ناخوش و نا شایسته و بفتح یکم و کسر دوم زیرك و بفتح یکم وضم دوم مثله .
نمر (ع) بفتحتین پلنگ رنگ شدن و بفتح یکم و کسر دوم پلنگ نمور جمع .
نهر (ع) بفتح جوی وفراخی وروشن و بتحریك مثله .

که مسمی ساخته شده باسمي و صفتی مخصوصه باعتبار مظهر و محل و چگونه چنین نباشد که بدیهة عقل جازم است بآنکه مشارالیه یانادره یا واحد است و آن روح روحانی است که محل تنزل ملك قدوس وعرش سلطنت اوست تبارك وتعالی و نفس بقولی منقسم است بسه قسم اماره ولوامه ومطمئنه اماره مبداء شرور است و لوامه آنست که نورانی شده بنور قلب بقدر تنبیه ازنوم غفلت ومطمئنه آنست که منور شده است بنور قلب و منخلع گشته از صفات ذمیمه و نفس ناطقه بطور حکما جوهریست مجرد از ماده مدبر در بدن وتعلق او به بدن همچو تعلق سلطان است بملك از حیثیت تدبیر و تصرف و همچو تعلق عاشق است بمعشوق از حیثیت وقوف تدبیر کمال خود .

فصل ش

نیش (ف) بکسر دومعنی داردا ول صدمهٔ حیوانات نیش دار و دوم نوعی از خرما که بخرمای ابوجهل اشتهار دارد

نوش (ف) بضم تریاك وتریاق وپازهر و چیزی شیرین وآب حیوة وعسل ونیز بنظر درآمده امراز نوشیدن .

نکوهش (ف) بکسر یکم و چهارم سرزنش و گله .

ناعش (ع) بکسر سوم زندگی بخش .

فصل ص

نقص (ع) بفتح کم کردن و کم شدن و کمي ومتعدی ولازم آمده

نص (ع) بفتح و تشدید آشکارا کردن و نیك رفتن وعرض کردن سخن و برداشتن حدیث و خبر و قرآن .

فصل ض

نعم العوض (ع) بکسر بدل نیکو .

نقیض (ع) بفتح ضد چیزی ومخالف چیزی و آواز پرعقاب و ماکیان و آواز معمل و نیز شکننده و پیوند ها و انگشت وآواز مزیدن حجام شیشه خون را و بعضی میان ضد ونقیض فرق کرده اندضد آنکه نه جمع شود نه برطرف و نقیض جمع نگردد وبرطرف شود .

فصل ط

نمط (ع) بفتحتین نوع و گونه از چیزی و گروه آدمی که بیك کار باشند و نوعی از بساط و ظرفیست که زنان متاع خود در آن نهند و بفتح نیز آمده .

فصل ع

نزع (ع) بفتح جان کندن و کشیدن و بر کندن و بتحریك روئیده شدن موی سر آدمی .

نطع (ع) بفتح سفره چرمین و چرمی که برای سیاست میگسترانند وبساط شطرنج وبمعنی گستردن و بضمتین هم در کنف اللغه مرقوم ساخته

نزاع (ع) بکسر جنگ و خصومت و آرزومند نشستن و با کسی در چیزی و اکوشیدن .

نبع (ع) بفتح ماخوذ از منبع (چشمه) .

فصل ف

نشف (ع) بفتح در خود کشیدن جامه خوی را و کاغذ سیاهی را و حوض آب را و بفتح و تحریك سنگ سیاه و سنگهای سیاه و نشاف با شین مشدد درخود کشنده و بمعنی نشف بتخفیف جنون .

نوف (ف) صدائی که زیر گنبد و عمارات مرتفع باز گردد که در عربی صدا خوانند .

نحیف (ع) بفتح لاغر و نزار .

نسف (عف) بفتح بر کندن نی و بنا وعلف پاشیدن در خرمنگاه و در فارسی بضمتین نام شهریست و بفتحتین هم گویند .

فصل ق

ناطق (ع) سخن گوی و مال زنده یعنی حیوان .

نسق (ع) بفتح سخن برسیاق راندن وبترتیب کردن و بنظام آوردن چیزی و بفتحتین سخن ترتیب داده شده و رسته دندان هموار .

فصل ك و گ

نهنگ (ف) بفتح یکم و گفته اند بکسر شیر آبی که بتازیش تمساح خوانند و باستعاره بر تیغ و قلم اطلاق کنند .

نسك (عف) بفتح و سکون عدس و خار و خسك و بفتحتین در عربی شستن و پاك کردن و بضم و سکون قسمتی از کتاب ژند و در عربی عبادت و پرستش خداو قربانی کردن و بضمتین هم درعربی قربانیهاست.

ناوك (ف) چوب میانه خالی جای تیر وبمعنی تیرهم مستعمل است

فصل ل

نال (عف) پنج معنی دارد اول بمعنی فغان دوم نی سوم رینهای باریك که در میان نی قلم بهم رسد چهارم جوی و رودخانه کوچك پنجم نام مرغکی است کوچك که بغایت خوش آواز باشد .

نغول (ف) بفتح جائی که در کوهها و صحرا ها بجهة چارپایان بسازند تا شب در آنجا بسر برند وآنرا آغال وآغل ونغل نیز گویند وبضم عمیق و ژرف و دور ودراز و تمام و تعمق را نامند و بکسر نردبان مسقف که آنرا ناغول نیز گویند .

نوال (ع) بفتح صواب و بخشش نایل مثله و نواله در اصطلاح صوفیه چیزی است که میرساند حق اهل قرب را از خلعتهای رضا .

نزل (ع) بضم روزی و بفتح آنچه پیش آینده نهند .

نخل (ع) بفتح خرما و نوردجولاهه وآن چوبیست که پارچه بر آن پیچند

نحل (ع) بفتح زنبور یعنی مگس انگبین و سخن بستن بر کسی که نگفته است و بضم عطیه دادن و عطیه .

نحول (ع) بضمتین گداختن و لاغر شدن تن و لاغری و ضعیفی .

نبیل (ع) بفتح دانا و استاد و نیکو .

نبل (ع) بفتح وتحریك بیضه شتر مرغ که آب درآن پر کرده دربیابان دفن کنند برای احتیاج آب و فرا پیش کشیدن چیزی را .

نکال (ع) بفتح عقوبت و رنج .

نیل (ع) بفتح یافتن وبکسر رود دمشهور مصر که از کشور زنگبار آید ورنگی معروف واسپند سوخته که دربناگوش بچگان مالند بجهت دفع چشم زخم

نکول (ع) بضم از سوگند خوردن باز ایستادن واز دشمن بازرمیدن یعنی بد دل شدن .

نول (ع) بضم منقار مرغان وباستعاره نابزه صراحی و مشربه مراد دارند

نغل (عف) بفتح یکم و کسر دوم آغل گوسفندان در عربی بدنسب و کینه ور شدن و پوست خراب و بفتحتین در عربی تباه شدن پوست در دباغت و تباه شدن وسیر آب شدن .

نقل (ع) بفتح و سکون از جائی بجائی بردن چیزی و بفتحتین تیز زبان و حاضر جواب و سنگستان با درخت و سنگ وبیماری شتر و بفتح یکم و کسر دوم همچنین و بضم شیرینی است .

فصل م

ندیم (ع) بفتح همصحبت و همنشین وحریف شراب وندام بکسر جمع

نجوم (ع) بضمتین جمع نجم ستاره وپدید آمدن ستاره وفتنه وبرآمدن گیاه و شاخ غیر آن و نیز تخم گیاه .

نشیم (ف) بکسر آشیان مرغ وجای نشستن وآنرا نشیمن نیز گویند.

ناکام (ف) ناچار و بمعنی ترکیبی نامراد و ناخواست .

نظام (ع) بکسر رشته جواهر و سلك مروارید و سخن موزون وشعر وصلاح کار و راستی کار و کسی که کار باو راست شود .

نعیم (ع) بفتح بهشت ونعمت و مال و نیکی و انعام کرده شده .

نعم (ع) بفتحتین آری و بلی وچهار پایان بکسر یکم و فتح دوم نعمتها و بضم نازکی و نرمی و نکوئی و نام زنی است .

فصل ن

نیوشیدن (ف) شنیدن .

ننگین (ف) معیوب و زشت .

نسیان (ع) بکسر فراموشی و فراموش کردن و ترك کردن .

نیسان (ف) بفتح مدت ماندن آفتاب در حمل و نام باران بهاری و بیمانند ومحال و ماه هفتم از سال رومی .

نعل ریختن (ف) بمعنی شتاب رفتن و ماندن اسب از رفتار وعاجز شدن

نعل در آتش نهادن (ف) برای جلب توجه وبدست آوردن دل معشوق (یعنی کسیکه نسبت بطالب استغنا داشته باشد) نعل در آتش می نهند

نای انبان (ف) سازیست معروف وآنرا ناانبان نیز گویند .

نسرین (عف) بفتح نام گلی است معروف و نام جزیرهٔ که عنبر از آنجا آورند وبفتح یکم و سوم نسر طائرو نسر واقع دوستارهٔ معروف

نون (عف) بمعنی اکنون و تنه درخت باشد و آنرا نرد نیز خوانند و بطریق استعاره چاه زنخدان را گویند و در عربی پنج معنی دارد اول ماهی دوم شمشیر وتیزی شمشیر سوم نام شهریست چهارم مرکب وسیاهی بود پنجم دوات و بحساب جمل پنجاه و بمعنی شب نیز بنظر درآمده .

نکوهیدن (ف) بکسر سرزنش کردن و ملامت نمودن و آنرا نکوهش نیز خوانند .

فصل و

نمو (ع) بضمتین و بفتح برآینده و افزون شونده .

نیرو (ف) قوت و توانائی و زور .

نشو (ع) بفتح پیدا شدن .

نیو (ف) پهلوان و دلیر .

فصل ه

نسیه (ع) بکسر فراموشی و ضد نقد و بفتح مهلت .

نوباوه (ف) میوه تازه رسیده و هرچیز نو که بچشم خوش آید .

نفحه (ع) بفتح بوی خوش و بخشیدن و عذاب اندك و یکبار دردمیدن وبادی که درشکم باشد وبکسر آماسیدن شکم و باد گرفتن .

نره (ف) بفتحتین شش معنی دارد اول مقابل ماده دوم زشت و کریه و ناهموار سوم نام پدر سام که اورا نریمو نریمان نیز خوانند چهارم آلت رجولیت پنجم موج آب ششم شاخ میانی درخت .

نایزه (ف) نی میانه تهی وبمعنی لوله بطریق استعاره .

نزه (ع) بفتح یکم وکسر دوم بمعنی پاك و دور وبزرگوار وبلند همت .

نظاره (ع) بفتح ناظر شدن بچیزی .

نبیه (ع) بفتح و کسر ثانی آگاهی دهنده و آگاه .

نهبه (ع) بضم بمعنی غارت .

نیفه (ع) بکسر یکم وفتح سوم بند کش ازار وشلوار و لباس وبمعنی بقچه و پوستین روباه و نوعی از جامه ابریشمی وآنرا لیفه نیز گویند .

نغوله (ف) زاف و کلاله زاف پرشکن و آواز درد و فریاد .

نحله (ع) بکسر کابین دادن زن بی عوض وبضم بمعنی عطا وصدقه و آنچه در لغت نحل مرقوم شد .

نجده (ع) دلیری و مردانگی .

فصل ی

نفی (ع) بفتح نیست کردن و نیست شدن و راندن و رانده شدن .

نبی (ف) بضم یکم و گویند بکسر قرآن و مصحف .

ناجی (ع) شتر نر چست رفتار ورهنده .

نامی (ع) افزایش کننده و رهیده و رستگار و نامدار .

نبی (ع) بفتح یکم و کسر دوم پیغامبر .

نای (ف) همان نی است که می نوازند و نام قلعه‌ای که مسعود سعد سلمان در آن محبوس بوده و نای گلوو نوازنده نی .

نقی (ع) بفتح پاك و بکسر و سکون مغز استخوان و پیه چشم .

نرگسی (ف) بفتح جنسی از باده و جامهٔ که بشکل گل نرگس نقش شده و نام غذائیست مشهور .

ناسی (ع) فراموش کننده .

ناشی (ع) نوجوان و نو پیدا شده و تازه کار .

نوی (عف) بضم و بکسرتین معنی نبی است یعنی مصحف و بالف مقصوره از جائی بجائی رفتن و بفتح و بکسر دوم بمعنی تازگی و تجدید آمده .

باب‌واو

فصل الف

وفا (ع) بفتح‌وبمد بسر بردن دوستی وعهد و نام عاشق مهر واولاد بزرگ وبزرگ بقدر وجاه و بلندی ونوعی از پارچهای قیمتی‌ابریشمی

ورا (عف) بفتح فرزند و خلق وپس اما بدینمعنی بمد والف مقصوره آمده وباماله‌نیز خوانندوبمعنی برتر وبیرون وغیر—میانه‌وراوغیر فرقست‌از آنکه‌صفات خدای‌راورای‌ذات گویندنه‌غیروبفارسی‌مخفف‌اوراوبمعنی بیش

وطا (ع) بفتح و مد جامه‌هودج و بستر و با کسی همکاری وموافقت کردن و در خور آمدن و نهالی گسترده و چادر و شقه .

واویلا و واویلتا (ع) کلمه‌ایستکه‌در وقت اندوه ومصیبت گویند

ولا (ع) بکسر دوستی و یاری و بفتح ومد یاران ودوستی وخویشی و میراث و بندهٔ آزاد و بمعنی محبت و نصرت و تواتر و نزدیکی .

ورقاء (ع) بفتح کبوتر و فاخته ودراصطلاح صوفیه نفس کلی است که قلب عالم است .

واهی‌العرا (ع) بضم عین دست آویز .

وغا (ع) بفتحتین جنگ و کارزار و بانگ وفریادوغوغا .

وا (ف) بمعنی آتش و بازو گشودن و بجای با و در زمان شدت مرض‌استعمال‌شود

وجا (ع) بفتح کارد زدن و میلی زدن و درد .

فصل ب

وهاب (ع) بفتح و تشدید بسیار بخشنده و دهنده واز اسماء خدا .

وریب (ع) بضم‌یکم‌وکسردوم کج‌ومنحرف‌واریب‌هم خوانند وبفتح یکم و کسر دوم کج و بمعنی زیرك و هوشیار .

فصل ت

واقعت (ع) درلغت‌آسیب و در اصطلاح صوفیه چیزی که وارد شود برقلب‌بهر طریق که باشد خواه بقوت قلب خواه بغیر آن .

وحدت (ع) بفتح یگانه شدن و تنها شدن و یگانگی و تنهائی و یکی و نزد اهل تصوف عبارت است از تعین اول که حقیقت‌محمدیست صلی الله علیه و آله .

وسیلت (ع) بفتح نزدیکی‌ودست آویز وآنچه‌سبب نزدیکی باشد

ولایت (ع) بکسر تصرف کردن ودست یافتن وزمین‌آبادان ودوستی

وحشت (ع) بفتح غم و اندوه و تنهائی و درماندگی و خالی و نفرت و گرسنگی .

وصیت (ع) بفتح اندرز و اندرزیکه زمان موت کنند .

وقاحت (ع) سختروی‌شدن وسختروئی‌و بی‌شرمی‌ووقیح‌بی‌شرم‌وشوخ

وشت (ف) بفتح دومعنی‌دارد اول خوش وخوب باشد وآنرا وش‌نیز گویندودوم‌رقص بود و وشتن بمعنی رقصیدن .

ودیعت (ع) بفتح امانت‌وزنهاری .

وشات (ع) بضم سخن چینان‌و بکسر دروغ گفتن وسخن دروغ‌آراستن

فصل ج و خ

ورتاج (ف) گیاهیست که آنرا نیلوفر هم گویند .

وسخ (ع) بتحریك خون وریم وریمناك‌شدن‌دست‌واندام وجزآن و بکسر دوم چرکین .

فصل د

ورد (ع) بفتح گل‌و گل لعل‌و گلگون و بضم‌لشکر ورخت و بکسر وظیفه و روزینه و آبخوردو گروه روی بآب نهاده و نزدآب‌آمدن

وارد (ع) درآینده وحاضر شونده وفرودآینده ودر اصطلاح متصوفه آنچه نازل شود بر دل از معانی بغیر کسب بنده .

وحید (ع) بفتح تنها و یگانه .

واداد (ف) بفتح رد کردن و واپس دادن .

وعید (ع) بفتح بیم و وعده و عقوبت .

ودود (ع) بفتح دوست دارنده و دوست داشته و نام خدایتعالی .

وجد (ع) بفتح عاشق شدن و شیفته شدن و اندوهگین شدن و غم و دوستی‌و حالتی که عاشق را روی دهد و بکسر توانگر شدن و توانا شدن و یافتن .

وفود (ع) بضمتین‌برسولی‌فرستادن وجمع وفد و وافد بمعنی گروه .

ولاد (ع) بکسر زادن .

ورود (ع) بضمتین درآمدن و فرود آمدن و حاضر شدن .

ود (ع) بضم و تشدید دوستی و بضم دانا و حکیم و بفتح یکم‌وتشدید نام بت قوم‌نوح که بصورت‌مرد ساخته‌وآنرامیپرستیدندوبفتح میخ‌چوبی

وداد (ع) بحرکات ثلثه دوست داشتن و دوستی و آرزو بردن و بفتح آواز کردن و خواستن .

وصید (ع) بفتح آستانه در و نباتی که بیخهای او در یکدیگرباشد و میان سرا .

وتد (ع) بفتح‌وکسر میخ اوتاد جمع و بتحریك و سکون میخ زدن

وجود (ع) هستی و یافتن مطلوب و بکسر گم شده یافتن .

فصل ر

وزر (ع) بکسر گناه و بار و سلاح و پشتوارهٔ جامه .

وازر (ع) بکسر سوم گناه‌کار و بار بردارنده .

وقار (ع) بفتح آهستگی و آرمیدگی و عقل بکمال رسیدن .

وکر (ع) بفتح و سکون آشیانه .

وافر (ع) بفتح تمام و بسیار پسندیده و تمام کار .

فصل س

ویس (عف) بفتح یعنی وای و همانا پنداری و بمعنی خوار داشتن وخوار شمردن و در فارسی نام پرنده ایست و نام ولیی و بکسر نام معشوقه رامین که ویسه نیز گویند .

وکس (ع) بفتح نقصان کردن و زیان کردن و حیله ونقصان وزیان و آنجا که ماه گیرد .

وسواس (ع) بفتح شیطان و دیو و اندیشهٔ بد و آواز نرم صیادان‌و آوازبیرایه وزیور و بکسربدی‌و ناصواب‌در دل انداختن‌وساوس‌جمع‌آن

فصل ش

وش (ف) بفتح خوب و خوش و سره و شبه و مانند و شمله دستارکه آنرا فش نیز خوانند و نام شهری از ترکستان خوبان خیز و نسیج ابریشمی آنجا بغایت زیبا ولطیف میباشد ومنسوب به وش راوشی‌نامند

وحش (ع)بفتح اول وکسرثانی بمعنی‌وحشت نما وبفتح حیوان‌وحشی و وحوش بضمتین جانوران رمنده صحرائی

وحش (ع) بفتح و سکون نام شهری ازولایت‌ختلان و بفتحتین مرض اسب و استرو خر که بدان سبب لنگی کنند وآنرا اوفه نیزخوانند و بمعنی ازل و انتها کردن کارها و مرد زبون وفرومایه آمده .

فصل ط

وسط (ع) بفتح در میان شدن و میان‌چیزی و بفتحتین میانه وراست و برگزیده و بزرگوار و عدل .

وسیط (ع) بفتح میانه وبزرگوارتر وآنکه درنسبت میانه باشد و در محل و مرتبه رفیع بود و نام کتابی است در علم فقه .

وطواط (ع) شب پره و مرد بدل .

فصل ع

وعوع (ع) بفتح دو واو آواز سگ مانند عوعو .

وضع (ع) بفتح نهادن‌وامانت پیش کسی نهادن و بشتاب رفتن‌و مقنعه ازسرا نداختن زن وچیزی خارج کردن وبضم بچه که‌درآخر طهربرحم متعلق شود وفتح مصطلح اهل‌سیاق چیزی دور کردن .

وجع (ع) فتحتین درد و رنج و دردمندی وجاع جمع آن .

وقاع (ع) بکسر کنایه از جماع‌زن و بفتح و تشدید مرد غیبت کننده

فصل ف

وقوف (ع) بضمتین دانستن واطلاع وایستادن وواداشتن .

فصل ق

ودق (ف) هزار دستان ومرغ چمن ومرغ سحر و زندباف وهزارآوا .
وثاق (ع) بفتح و کسر بند وازار بند وبضم وگویند بکسر خانه.
وارق (عف) ابر شب و روز بارنده .
وفاق (ع) بکسر موافقت و سازگاری کردن و با کسی در خور آمدن و همکاری کردن .
وراق (ع) بفتح و تشدید کاغذ برنده و نویسنده و بتخفیف سبزی زمین از گیاه .
وشق (ع) بفتحتین جانورکی است مانند روباه که از پوست آن پوستین سازند و بفتح گوشت قاق کرده یعنی خشك کرده و وشق و وشاق بضم خدمتکار و غلام .
وامق (ع) بکسر میم دوست دارنده و نام عاشق عذرا .

فصل ل

وصل (ع) پیوند و پیوستن ودراصطلاح صوفیه وحدت حقیقی است .
وبال (ع) بتحریك سختی و دشواری و مصیبت و سبب هلاکی و سرانجام بد و در اصطلاح اهل تنجیم درآمدن کوکبست در برج مقابل خانه خود که عبارتست از برج هفتم آن خانه .
وجل (ع) بفتحتین ترسیدن و بفتح یکم و کسر دوم ترسنده .
وحل (ع) بفتحتین و بفتح و سکون خلاب یعنی گل نرم ودر میان گل و لای افتادن .
ویل (ع) بفتح وای وسختی و افسوس و عذاب ونام بیابانیست در دوزخ

فصل م

وخم (ع) بفتح یکم و کسر دوم ناگوار وگرانی وناسازگاری
وسم (ع) بفتح نشانه و داغ و نشان کردن وبمعنی حمله وعیب .
وهم (ع) بفتح دل بچیزی رفتن بیقصد وگمان بغلط بردن .
ورم (ع) بفتحتین آماس و بمعنی و اگر مرا و اگر من .

فصل ن

ورزیدن (ف) اقبال در کار حاصل کردن .
وسن (ع) بفتحتین مقدمهٔ خواب و بفتح یکم و کسر دوم آنکه در چاه رفته وبوی گند چاه را و چیز متغیر الطعم و در فارسی آلوده .
وهن (ع) بفتح سستی وسست کردن ونزدیك به نیمه شب وبعضی ازشب
وثن (ع) بفتحتین بت وثنی بت پرست و بضم جمع .

فصل ه

واقعه (ع) چیزی که نازل شود بردل ازمعانی غیب بهر طریق که باشد
واله (عف) بکسر لام حیران و سرگشته و شیفته شده از افراط عشق ودرفارسی بفتح لام واخفای ها نوعی از بافته ابریشمی وسراب و زاری کردن و مبالغه نمودن باشد در کاری .
وجه (ع) بفتح روی و طور و طریقه و برابر و اول روز و آنچه از ملوك و سلاطین متعین شود مانند ده و مشاهره وزمین وجوه جمع
وساده (ع) بکسر بالش وساید جمع .
وتیره (ع) بفتح راه و روش و نهاد شیئی و حلقه که بدان نیزه زدن آموزند .
وله (عف) بفتحتین بی خودی وحیرانی وسرگشتگی ازعشق ودرفارسی بمعنی خشم ووله زده خشمگین راگویند ودربعضی فرهنگها بمعنی عاشق زار
ورطه (ع) بفتح زمین که درو راه نباشد ومحل هلاکت ودشواری و گرداب را نیز گویند .
وقیه (ع) بضم یکم و دوم چهل درم و وزنیست مقابل چهل درم .
واهله (ع) بکسر سوم و فتح چهارم نام زن نوح .

فصل ی

وحی (ع) بفتح الهام و پیغام و راز و آواز آتش وبمعنی فرشته و اشارت و سخن پنهان و کتاب و در دل انداختن چیزی و نوشتن و پنهان سخن گفتن واشارت کردن .

واهی (ع) سست و گمراه .
وافی (ع) بفتح تمام و بسیار و بسنده و تمام کار و پسندیده .
وطی (ع) بفتح جماع کردن و سپردن زیر پای .
والی (ع) حاکم وپادشاه ومتکفل امور یعنی پایندانی کننده کار
واعی (ع) بفتح نگاه دارنده و یاد دارنده .
وصی (ع) بفتح پیوستن و وصیت کرده شده .

باب ه

فصل الف

هویدا (ع) بضم سخت آشکارا .
هبا (ع) بفتح غبار وگرد و گرد سم ستوران .
هیولا (ع) بفتح اصل چیزی .
هیجا (ع) بفتح و مد جنگ و جای جنگ وبقصر هم آمده .
همتا (ف) بفتح همزاد و هم جنس و هم زاد و همسر .
هوا (ع) بتحریك آرزو کردن و کام و دوست داشتن و بی فرزند شدن مادر و آنچه آرزوی نفس بآن باشد و میانه آسمان و زمین و در اصطلاح متصوفه میل نفس است بمقتضیات طبع و اعراض از جهت علویه و توجه بجهت سفلیه .
هلا (ع) بفتح کلمه تنبیه و بفتح ها و تشدید لام بمعنی چرانه .
هجا (ع) بکسر نکوهیدن خلاف مدح و بمد ایضاً .
هدایا (ع) جمع هدیه است و بمعنی این که .

فصل ب

هرب (ع) بفتحتین و گفته اند بفتح گریختن .
هارب (ع) گریزنده .

فصل ت

همت (ع) در اصطلاح صوفیه ترك مخلوقات است برای خالق .
هوخت (ع) نام حصاریست .
هاروت (ع) فرشته ای که در چاه بابل معذب است .

فصل ج

هرج (ع) آشوب و فتنه .
هیلاج (ف) بفتح سال عمر و دلیل عمر و قوت حیات .
هیج (ع) بفتح راست کردن و نصب .

فصل د

هود (عف) بضم نام پیغمبری مشهور در فارسی بضم دو معنی دارداول راکوی سوخته که بربالای سنگ آتش زنه نهند و چخماخ بر آن زنند تا آتش در آن افتد وآنرا خف نیزخوانند دوم جامه که نزدیك بسوختن رسیده وزرد گشته و آنرا برهود نیز خوانند و بفتح در عربی توبه کردن وبحق باز گشتن وجهود شدنست وبفتح اول وثانی کوهانهای شتر را گویند و آن جمع هوده است .
هنود (عف) بضمتین هندوان وزنانی که مسمی بهنداند .

فصل ر

هدر (ع) بفتحتین و گفته اند بفتح و سکون باطل و هرزه شدن و جوش زدن شراب و ستبر و آماسیدن و باطل و ضایع و ناچیز .
هنجار (ع) بفتح راه و روش و رنگ ولون و ترك راه .
همبر (ف) قرین و همسر و همجنس .
هجر (ف) بفتح جدائی و جدا کردن و فراق .
هنگامه گر (ف) افسانه گروبازیگر .
هموار (ف) بفتح بمعنی همیشه وهنوز وآنچه دروکژی نباشد

فصل ز

هز (ع) بفتح و تشدید جنبیدن .
هرمز (ف) ستاره مشتری و نام شهری و پسر نوشیروان .
هزاهز (ف) جنبشی که از ترس خصم در لشکر افتد .

هزه (ع) بکسر وتشدید جنبش و غوغای سواران و نشاط و حرمی و آواز جوش دیگ .

هروله (ع) بفتح و سکون دویدن ونوعی از رفتار بشتاب

هماره (ف) بفتح مخفف همواره و اندازه وحساب که آنرا امار و اماره هم خوانند .

فصل ی

هزارمیخی (ف) جامه و کسوت درویشان .

هی (عف) بفتح بمعنی هست وآلت تهدید وتخویف .

هدی (ع) رهنمائی وگاوی که بخرمن بندند وگردون وپیکان تیر .

همسنگی (ف) رفیقی وهمراهی دردویدن و تك زدن

هی‌مری (ت) ترکی است و بارگیر ترکان درمخاطبات .

باب ی

فصل الف

یرغا (ف) بفتح بمعنی ایلغار چه یراغ ویرغ بفتح اسبی است که از بسیاری سواری قابل شده باشد که برونشسته ازجائی بجائی ایلغار کنند .

یغما (ع) بفتح بمعنی تاراج ونام شهری ازترکستان منسوب بخوبرویان

ینگا (ت) بفتح زن برادر وزن عمو وپیشکار ومشاطه وندیمه .

فصل ب

یثرب (ع) بفتح نام شهر مدینه ونام مردی .

یارب (ع) کلمهٔ تمنی است چنانچه ای پروردگار وآواز ناله وآه بمعنی تحیر و تعجب .

یعسوب (ع) ملکهٔ زنبوران که بحضرت علی علیه السلام ایمان آورده

فصل ت

یاقوت (ع) جواهر مشهور و نام خطاطی و در اصطلاح صوفیه عبارتست از نفس کلی بواسطهٔ امتزاج نوریهٔ او بظلم تعلق جسم

یبوست (ع) بضمتین خشکی .

فصل د

یوم‌التناد (ع) روز قیامت چه معنی تناد بیکدیگر رسیدن است .

یهود (ع) جهودان جمع یهودی .

فصل ر

یاقدار (ت) پاسبان .

یسر (ع) بضم وبضمتین آسان شدن و آسانی وبفتح براست تابیدن ریسمان که درحین تابیدن دست راست بطرف خود کشیده شود ودست چپ بطرف بالا برده شود .

یوم‌النشور (ع) مشهور یعنی روز قیامت .

یاقر (ف) بازیگر .

یسار (ع) بفتح توانگری ودست چپ .

فصل ز

یوز (ف) بضم درندهٔ مشهور از جنس پلنگ و بمعنی جستن وگریختن و سگ کوچك .

فصل ش

یواش (ت) بضم اسبی که برای سواری ملوك و سلاطین مرتاض کرده باشند .

یرش (ف) بضم نهضت وتوجه باشد .

یاش (ت) سبزه ترکیست .

فصل ع

ینبوع (ع) چشمهٔ بزرگ وچه دراج ینابیع جمع .

یتوع (ف) بفتح داروئیست ازجنس گیاه وگفته‌اند یتوعان هفت‌اند.

فصل غ

یوغ (ف) بضم چوبی که برگردن گاو جفتی وگردونی نهند .

فصل ق

یعتاق و یغلتاق (ت) زیور و نیز جامه ایست .
یتاق (ف) بفتح پاس داشتن و پاس .
یلمق (ف) قبا .

فصل م

یم (عف) بفتح دریا وقصد کردن ودر دریا انداختن جفت ضد طاق
یغام (ف) بفتح غول بیابانی .
یشم (ع) بفتح سنگ سبز و سفیدی که بتازی یشب گویند و نگاهداشتن آن باخود بجهة دفع آفت برق مفید است .
یتیم (ع) بی پدر یا بی مادر و ستور بی مادر و جواهر بی نظیر

فصل ن

یمن (عت) بضم خجسته و مبارك وسخی و بفتحتین نام ولایتی ودر ترکی بمعنی عیب و بد .
یاسمین و یاسمن و یاسمون (ع) نام گلی خوش بو که سرخ و سفید و زرد و کبود شود .
یمین (ع) بفتح دست راست و سوگند و منزلت نیکو و قوت و توانائی و سوی دست راست .
یازان (ع) بمعنی قصد و حمله کنان .
یگران (ف) بفتح اسب اشقر که دم وفش او سفید یا بور بود .
یقطین (ع) بوتهٔ کدو .

فصل واو

یپنلو (ع) بفتح اول و دوم وسکون سوم میدان محل فروش حبوب وامتعه واسباب وغیره و آنرا چوبه هم خوانند و بمعنی قافله و کالا .

فصل ه

یاسه (ع) بفتح سین واخفای ها رسم و قاعده و آرزو را گویند .
یشمه (ف) چرم خام .
یرتکه (ت) بضم جای چوکی و آتش خانه را گویند .
یارنده (ف) قصد کننده و اندازنده و بیرون کننده .
یافه (ع) بفتح نا گم شده وسخنان هرزه و سردرگم را بهمین اعتبار یافه و یاوه گویند .
یاره (ف) دستوانه و طوق .
یلمه (ف) بفتح قبا .

فصل ی

یکسری (ع) سراسری وجائی و بمعنی تمام وتنها و ناگهان .
یوفی (ع) یافه گوی یعنی بیهوده گوی .
یخنی (ف) ذخیره و طعام معروف .
یاوری (ف) یاریگری و یاریدهی .
یارای (ف) مجال و قدرت و توانائی .
یتاقی (ت) پاسبان شب .
یارگی (ف) قدرت و توانائی وحال .

کتاب لطایف اللغات تمام شد

پایان مثنوی

الجزء الاول

من كتاب لطائف المنن

والاخلاق في بيان وجوب التحدث

بنعمة الله على الاطلاق وهي المنن الكبرى الجالبة

للسرور والبشرى للعالم العلامة والحبر البحر

الفهامة القطب الرباني والعارف

الصمداني سيدي عبد الوهاب

الشعراني نفعنا الله بنفحاته

وأعاد علينا

من بركاته

آمين

ولاجل تمام النفع وضع بهامشه كتابان جليلان أحدهما (كتاب لطائف المنن في مناقب أبي العباس المرسي وشيخه أبي الحسن) والثاني (كتاب مفتاح الفلاح ومصباح الارواح) كلاهما للعالم الفاضل الشيخ تاج الدين أحمد بن عطاء الله السكندري رضي الله عنهم أجمعين

(طبع بالمطبعة الميمنية)

على نفقة أصحابها (مصطفى البابي الحلبي وأخويه)

(بمصر)

ماشاء الله

بسم الله الرحمن الرحيم

(يقول) الفقير الى الله تعالى عبد الوهاب بن أحمد بن على الشعرانى الشافعى عفا الله عنه وعن مشايخه ووالديه وجميع من شاء الله من الموحدين (أحمد) الله رب العالمين وأصلى وأسلم على سيدنا محمد وعلى سائر الانبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين (وبعد) فهذه جملة من النعم والاخلاق التى تفضل الحق تعالى بها على أوائل دخولى فى محبة طريق القوم رضى الله تعالى عنهم أجمعين كان الباعث لى على تأليفها ورقمها فى هذه الطروس أمورا * أحدها ليقتدى بى اخوانى فيها فيتخلقوا بها ويشكروا الله تعالى على ذلك وقد مكثت متخلقا بها عدة سنين ولا يشعر اخوانى بذلك وكنت آمرهم بالتخلق بها فلا يسمعون فقال لى يوما جماعة منهم هذه الاخلاق التى تأمرنا بها لم نجد أحدا تخلق بها من أهل عصرنا حتى نقتدى به فيها فاستخرت الله تعالى وأظهرت لهم تخلقى بها قطعا لحجتهم وقلت لهم انظروا الى هذه الاخلاق التى أذكرها لكم فى هذا الكتاب فكل خلق رأيتمونى متخلقا به فاتبعونى عليه وما بقى لكم حجة فى ترك التخلق به فلولا ذلك لربما كان الكتمان لها أولى كما سيأتى بيانه ان شاء الله تعالى فى المقدمة وكان ذلك من جملة شكر نعمة الله تعالى على اذ خلقنى بهذه الاخلاق بعد أن كنت معرى منها كما أن من أنقذه الله تعالى من الغرق يتأكد عليه ان ينقذ كل من رآه غريقا * ثانيها قصدى بذلك دوام الشكر لله تعالى بعد موتى مدة بقاء الكتاب فان شكر اللسان ينقضى بموت العبد وشكر الله فى الكتاب قد يتأخر أثره بعده فيكون كالنائب فى الشكر عن المؤلف وكأن ذلك الشاكر لم يمت * ثالثها اعلام أهل عصرى بدرجتى فى العلم والعمل ليقتدوا بى فى حفظ كتب الشريعة والتخلق بما قسم لى من ذلك فان طريق القوم محررة على الكتاب والسنة كتحرير الذهب والجوهر فيحتاج سالكها الى ميزان شرعى فى كل حركة وسكون * رابعها استغناء من يريد من اخوانى أن يذكر شيأ من مناقبى عن الفحص عنها والتتبع لها وربما زاد فيها أو نقص كما يقع فيه من يجمع مناقب العلماء والصالحين ثم بتقدير صدقه فيما يذكره بواسطة أحد من الثقات فهو لا يبلغ الى مرتبة ما يذكره الانسان عن نفسه اذا كان صادقا فان غاية ما يحكيه الانسان عن غيره بواسطة انما هو الظن لا اليقين وفى الحديث فليقل أحسبه كذا أو أظنه كذا ولا يزكى على الله أحدا أى لانه تعالى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى فتح لاوليائه باب محبته وأنشط نفوسهم من عقال القطيعة فقاموا له بوجود خدمته وأمد عقولهم بنوره فعاينت عجائب قدرته وحرس قلوبهم من الاغيار ومحا منها صور الآثار حتى ظفرت بمعرفته كشف لارواحهم عن قدس كماله ونعوت وجود جلاله فهم سبايا حضرته متع أسرارهم بقربه بخطفات جذبه فتحققوا بشهود أحديته أخذهم منهم وأفناهم عنهم غرقوا فى بحور هويته فرق جيوش التفرقة بكتائب الجمع لاهل خصوصيته وحمى حمى الاسرار بمدد الانوار أن يكون مظهرا لغير فرديته أطلع كواكب العلوم فى سماء الفهوم تهدى السائرين لحضرة ربوبيته وأضاء قمر التوحيد فى قيد التفريد فانطوت الكائنات فى وجود أزليته وما كانت معه له حتى تكون معه بابديته بل هو الاول

هو أعلم بمن اتقى وكان الشيخ محيي الدين بن العربي يقول ليس فوق مرتبة من زكى نفسه اذا كان صادقا الا مرتبة من زكاه الحق تعالى عموما أو خصوصا كما في نحو قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وكما في نحو قوله تعالى في حق يحيى عليه الصلاة والسلام وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا مع نحو قول عيسى عليه الصلاة والسلام وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا فان بعض العلماء قال ان سلام الله تعالى على يحيى وتزكيته له أعلى مرتبة من سلام عيسى على نفسه وتزكيته لها في الجملة مع انه عليه الصلاة والسلام معصوم عن أن يخبر عن نفسه بخلاف الواقع قال وسلام عيسى على نفسه أعلى مرتبة من سلام الحواريين عليه انتهى * خامسها اقتدائي في ذلك بالسلف الصالح رضي الله عنهم وقد سبقني الى مثل ذلك جماعة ذكروا مناقبهم في طبقاتهم تحدثا بنعمة الله عز وجل وتعريفا باحوالهم ليأخذ الناس عنهم العلم والطريق منهم الشيخ الامام الفقيه المحدث عبد الغافر الفارسي أحد حفاظ الحديث ومنهم الشيخ الامام العالم العلامة العماد الكاتب الاصفهاني ومنهم الشيخ الامام المقرئ الفقيه ياقوت الحموي ومنهم الشيخ الامام العالم العلامة لسان الدين بن الخطيب ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى أبو عبد الله القرشي ومنهم شيخه العارف بالله تعالى أبو الربيع المالقي ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى صفي الدين بن أبي المنصور ومنهم الشيخ الامام المجتهد الزاهد أبو شامة ومنهم الشيخ الامام المحدث الحافظ تقي الدين الفارسي ومنهم الشيخ الامام الورع الزاهد أبو حيان ومنهم الشيخ الامام المحدث الحافظ ابن حجر ومنهم تلميذه خاتمة الحفاظ بمصر الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى فانه ذكر مناقب نفسه في طبقات الفقهاء وفي طبقات المحدثين وفي طبقات المفسرين وفي طبقات النحاة وفي طبقات الصوفية وفي طبقات المقرئين وقال في كتابه التحدث بالنعمة انما ذكرت مناقبي اقتداء بالسلف الصالح وتعريفا بحالي في العلم ليأخذه الناس عني وتحدثا بنعمة الله عز وجل لا افتخارا على الاقران ولا طلبا للدنيا ومناصبها وجاهها معاذ الله تعالى ان أقصد ذلك وأي قدر للدنيا حتى يطلب تحصيلها بما فيه ذهاب الدين واللعنة والطرد عن حضرة الله تعالى وقد ظهر شيبي ومضى أطيب عمري وعيشي ودنا رحيلي انتهى وكذلك أقول فلم أقصد بما ذكرته لك من الاخلاق في هذا الكتاب الافتخار على الاقران معاذ الله ان أهدي الى حضرته تعالى كتابا مشتملا على ما استحق به اللعنة والطرد هذا هو قصدي الآن وأرجو من الله تعالى دوام هذه النية الصالحة الى الممات وما ذلك على الله بعزيز فاياك يا أخي ان تبادر الى الانكار على أولئك القوم الذين اقتديت بهم أو علي في ذكر مناقبي وأخلاقي التي تفضل الله تعالى بها علي في هذا الكتاب وغيره وتقول انه ليس من الادب أن يذكر العبد مناقبه في كتاب فان ذلك جهل وسوء ظن بالعلماء والعارفين الذين ذكرناهم بل الواجب عليك أن تحمل القوم على المحامل الحسنة كنحو أنهم ما ذكروا لاخوانهم شيأ من مناقبهم وأحوالهم الا ليقتدوا بهم فيها هذا هو اللائق بمقام العلماء كما سيأتي بسطه في المقدمة ان شاء الله تعالى واعلم يا أخي ان مما جرأني على ذكر مناقبي وأخلاقي في هذا الكتاب مع علمي بالمحو والاثبات حسن ظني بالله عز وجل وأنه لا يسلب مني ما وهبه لي على عادة الكرام وهو تعالى أكرم الاكرمين وأيضا فان المعارف لا تسلب وانما تسلب الاحوال لسرعة استحالتها من حال الى حال اذ هي كالثوب الذي يخلع ويلبس بخلاف المعارف فانها كالذوات لا يدخل فيها محو ولا اثبات وجميع ما ذكرناه في هذا الكتاب انما هو من قسم المعارف لا الاحوال ولولا ان أولياء الله تعالى يعلمون من كرمه وفضله تعالى أنه تعالى لا يسلبهم ما وهبهم من المعارف والاخلاق ما وضعوها في كتاب ولا نشروها في المجالس لان أفعالهم وأقوالهم حينئذ تكذب دعواهم ثم لا يخفى عليك يا أخي أن التحدث بالنعم لا يشترط في ذكره تكرارها على العبد طول عمره بل يكفيه أنه ينتفع بها أو يتخلق بها ولو لحظة واحدة من عمره قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فمن تخلق بخلق ولو لحظة صار من أهل ذلك الخلق على كل حال فاذا قال أعطاني الله كذا وكذا فقد صدق وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول أذكر كما لاتك ما استطعت فان بذلك يكثر شكرك لله واياك والاكثار من ذكر نقائصك فان بذلك يقل

الآخر لا بالاضافة لبريته والظاهر الباطن كذلك وما الكون حتى يقاس بقدوسيته أحده والحمد واجب لصفات جلاله وعظمته وأشكره والشكر مستحق له لسبوغ نعمته وأرجوه وكيف لا أرجوه وهو الذي وسع كل شيء برحمته وغمر العباد في الغيب والشهادة بطول منته واعترف له بالتقصير عن القيام بحقوق أحديته وأعلم أنه لا يحاط بذاته وصفته ليس للعبد منه الا ما من به عليه ولا يضاف له من المحاسن الا ما أضافه اليه ولا ينتصر في المصادر والموارد الا بالتوكل عليه العزيز القادر الحكيم القاهر الرقيب على فعل كل فاعل ونظر كل ناظر لا يخفى عليه ما في الضمائر ولا يعزب عن علمه مستكنات السرائر أظهر في ملكه حكمته وفي ملكوته قدرته وتعرف لكل شيء ولا شيء يجحد ربوبيته ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وكل شيء

خصوصيته القائم لمولاه بكمال الوفاء فى عبوديته صلى الله عليه وعلى آله وصحابته صلاة تدوم بدوام أبديته وسلم تسليما كثيرا أما بعد فانى قصدت فى هذا الكتاب أن أذكر فيه جملا من فضائل سيدنا ومولانا الامام قطب العارفين علم المهتدين حجة الصوفية مرشد السالكين منقذ الهالكين الجامع من علم الاسماء والحروف والدوائر * المتكلم بنور بصيرته الكامل فى السرائر * كهف الموقنين ونخبة الواصلين مظهر شموس المعارف بعد غروبها ومبدى أسرار اللطائف بعد عزوبها الواصل الى الله والموصل اليه شهاب الدين أبى العباس أحمد ابن عمر الانصارى المرسى أسكنه الله تعالى حضيرة قدسه ومتعه على ممر الساعات بموارد أنسه واذكر شيخه الذى أخذ عنه ومنازلاته التى نقلت عنه وسمعتها منه وكراماته وعلومه وأسراره ومعاملاته مع الله سبحانه وتعالى وما قاله فى تفسير آية من كلام الله عز وجل واظهار لمعنى خبر نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام على حقيقة نقلت عن أحد من أهل الطريق وأشكل معناها ولم

شكرك فما ربحته من جهة نظرك الى عيوبك خسرته من جهة تعاميك عن محاسنك التى جعلها الله فيك وكان يقول شهودكم المحاسن فيكم هو الاصل وأما النقائص فانما طلب من العبد النظر فيها بقدر الحاجة حتى لا يعجب بنفسه لا غير وكان يقول اياكم ومجالسة الاكابر من الملوك والعلماء خوفا أن تستصغروا ما أنعم الله تعالى به عليكم بالنظر لما رأيتموه من نعم هؤلاء انتهى ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة اياك ومجالسة الاغنياء وكان يقول من كمال الكمل شدة الخوف من الله تبارك وتعالى على الدوام وعدم طمأنينتهم من الطرد عن حضرته فى ليل أو نهار حتى ان سيدى عبد القادر الجيلى رحمه الله كان يقول أعطانى الله أربعين عهدا وميثاقا أنه لا يمكر بى حين رأيته فى المنام ومع ذلك فانا غير آمن مكره تعالى بى لعلمى بسعة اطلاقه وأنه يفعل ما يشاء اهـ وقد وقع لى أننى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرنى ان الله تعالى غفر لى جميع ذنوبى ومع ذلك فانا غير آمن من نحو الخسف والمسخ كما سيأتى بسطه آخر الكتاب ان شاء الله تعالى وقد شيدت من هذا الكتاب وأخلاقه بجملة من أخلاق سيدنا وقدوتنا الى الله تعالى الشيخ ابراهيم المتبولى وجملة من أخلاق تلميذه العارف بالله تعالى سيدى على الخواص وجملة من أخلاق أخى الشيخ الصالح أفضل الدين الاحمدى رضى الله عنهم وانما خصصت تشييد الكتاب باخلاق هؤلاء الاشياخ الثلاثة دون غيرهم لما تواتر عن أصحابهم انهم كانوا يقولون ان مشايخنا أخذوا طريقهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة بالشروط المعروفة بين القوم فبينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق سيدى ابراهيم المتبولى رجلان ومن طريق غيره رجل واحد كما سيأتى بيانه فى المقدمة ان شاء الله تعالى فكل أخلاق هؤلاء الثلاثة محمدية فاياك والمبادرة الى اعتراضك على شئ مما أذكره عنهم فى هذا الكتاب ببادئ الرأى من غير تثبت فتخطئ طريق السنة فانى لم أر أحدا من مشايخ العصر متخلقا بشئ من أخلاقهم الا قليلا وفى كلام الفضيل بن عياض رحمه الله الزم طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين واياك وطريق البدعة ولا يضرك كثرة الهالكين وقد فصلت لك يا أخى الاخلاق والنعم تفصيلا فجعلت كل خلق أو نعمة فى مبحث ليسهل اطلاع الناظر فيه على كل مبحث أراد مطالعته كما سيأتى بيانه فى الفهرسة وكررت فيه بعض النعم عمدا لا سهوا بقصد تأكيد العمل بها والاعتراف بها لكن بعبارة أخرى واخترت فيه من صيغ التراجم قولى ومما أنعم الله به على كذا أو ومما من الله به على كذا اشارة الى أنه ليس قصدى بذكر مفاخرى وأخلاقى ومناقبى الفخر على الاخوان وانما قصدى بذلك الاعلان بكثرة شكر الله عز وجل بالاصالة (ثم) ان لزم من ذلك مدح نفسى فليس ذلك مقصودا بالاصالة وانما هو باللازم ولازم المذهب ليس بمذهب على الراجح عند علماء الاصول ويؤيده قول علمائنا وقرأ الجنب القرآن لا بقصد قرآن جاز قالوا لانه لا يكون قرآنا الا بالقصد فرادى بقولى ومما أنعم الله تعالى به على كذا مثلا الاعلام بان ذلك من فضل الله عز وجل لا بحولى ولا بقوتى ولا باستحقاقى لشئ منه وأنا أحث جميع الاخوان على مطالعة هذا الكتاب وطلب التخلق بما فيه واحذرهم من أن يطالعوا فيه ثم يتخذوا ذلك ميزانا يزنون بها على الناس ويسوا نفوسهم كما هو شأن غالب مريدى هذا الزمان فترى أحدهم يقول ما بقى أحد من أهل هذا الزمان يصدق عليه اسم المريد ويقصد بذلك غيره بدليل انه يتكدر ممن ينفيه من طريق المشيخة فضلا عن طريق الارادة وقد قالوا من علامة انتفاع المريد بشيخه ان يصير يعتقد فى الناس كلهم الخير الا نفسه فلا يكاد يرى فى أحد نقصا واذا سمع أحدا ينقصه لم يتغير منه شعرة بل يرى ان ذلك المنقص له صادق فيما قال فاذا الواجب على كل من يطالع كلام القوم أو غيرهم مما يطلب العمل به ان ينظر فى نفسه فاذا رآها متخلقة بذلك الامر فليشكر الله تعالى وان رآها متجردة عنه فليستغفر الله تعالى وياخذ فى تحصيل طريق الوصول الى التخلق به على انى لم أذكر فيه مما تخلقت به من أخلاق المريدين الا نبذة يسيرة تأنيسا للاخوان فان الداعى الى خير ان لم يكن متخلقا به قبل المدعو بن قل نفعهم به وكأنه يقول انظروا الى كل شئ تخلقت به فاتبعونى فيه وما لم أتخلق به فانا وأنتم فيه سواء فاكرم به من كتاب احتوى على غالب ما يسهل التخلق به على من يريده فى هذا الزمان (وسميته) بحمد الله تعالى بلطائف المنن والاخلاق فى بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الاطلاق ورتبته على مقدمة وستة عشر بابا وخاتمة وضمنت كل باب منه جملة صالحة من

الاخلاق الحسنة والنعم الجميلة بحسب الوارد فلا أزال أقول ومما من الله به على كذا أو ومما أنعم الله به على كذا الى أن يفرغ الوارد وقدمت فهرسة الابواب والخاتمة ليكون ذلك أهون فى الكشف على من يريد الاطلاع على خلق من الاخلاق أو نعمة من النعم فينظر أولا فهرسة الباب لينظر مظنة تلك المنة أو ذلك الخلق هل هو فى أوائل الباب أو وسطه أو آخره والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه * اذا علمت ذلك فاقول وبالله التوفيق (المقدمة) هى كالدهليز الذى يدخل منه الى صحة الاعتقاد فى العارفين وقلة الاعتراض عليهم وفيها بيان مقام سيدى على الخواص الذى ورثنا هذه الاخلاق عنه فانه كان من أكابر الاولياء المجهولين عند غالب الناس فمن لم يطالع هذه المقدمة ويمعن النظر فيها فبعيد عليه أن ينتفع بشئ من أخلاق هذا الكتاب (الباب الاول) وفيه من النعم نعمة شرف نسبى لكونى من ذرية الامام محمد بن الحنفية ثم حفظى للقرآن العظيم وأنا فى سن التمييز ومواظبتى على الصلوات الخمس فى أوقاتها من حين كان عمرى ثمان سنين فلا أتذكر أنى أخرجت صلاة عن وقتها عمدا الى وقتى هذا ثم حفظى من الآفات وأنا يتيم من الابوين وتسخير التمساح لى حين غرقت فى بحر النيل فوقف تحت رجلى حتى استرحت وعمت ثم مهاجرتى من بلاد الريف الى مصر لقراءة العلم ثم حفظى لمتون كتب العلم التى لم يحفظها أحد من أهل عصرى وبيان عددها بذكر أسمائها ثم شرحى لمحفوظاتى على الاشياخ كالشيخ زكريا والشيخ برهان الدين بن أبى شريف والشيخ عبد الحق السنباطى والشيخ أمين الدين والشيخ شهاب الدين الرملى واضرابهم وكذلك بيان قراءتى لتفسير القرآن العظيم وعلم الحديث عليهم وبيان ما كنت أطالعه من الكتب حال القراءة عليهم مما لم يتيسر مطالعته لاحد من أقرانى ثم أخذى بالاحوط فالاحوط فى دينى وعدم الاخذ بالرخص الا بالطريق الشرعى ثم عدم التعصب لمذهبى من غير دليل مع اعتقادى ان سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم ولكن كل من حكم الحديث لقوله فهو أرجح عندى ثم كثرة تأويلى للقوم كلامهم وزجر كل من طعن فى طريقهم من غير دليل شرعى ثم عدم جزمى بما فهمته انه مراد الله تعالى أو مراد رسوله صلى الله عليه وسلم أو مراد أحد من الائمة ومقلديهم وذلك لان الكلام على مراد صاحب الكلام من غير توقيف منه لا يكون الا بكشف صحيح أو الهام لا يخطئ أو نحوهما وأنى لى بذلك الا بعناية الله تعالى ثم حفظى من دعوى العلم على وجه التكبر به على أحد من العوام والاقران ثم اذن سيدنا ومولانا شيخ الاسلام الشيخ زكريا بتدريس علم الفقه والتفسير والتصوف ثم عدم المبادرة الى القول بتعارض الادلة وأقوال الائمة بل أتربص وانتحل لهما محملا صحيحا أدبا مع الشارع فان منصبه ومنصب الائمة يجل عن التعارض ثم حفظى من الجدال ورفع الصوت مع اخوانى المخالفين لى فى الفهم فضلا عن الاشياخ ثم كثرة مطالعتى لكتب الشريعة وآلاتها من تفسير وحديث وأصول وتصوف ثم بيان عدد الكتب التى طالعتها ثم مطالعتى لكتب مذاهب الائمة الثلاثة زيادة على مذهبى لاتحرز من مخالفة الائمة فى أعمالى كلها ويكون عملى موافقا لهم حسب الطاقة ثم كثرة توجهى وتقريرى لمذاهب المجتهدين حين تبحرت فى العلم حتى كأنى واحد من أمهر فحول مقلدى ذلك المذهب وذلك لاطلاعى على أدلة الائمة وما استندوا اليه من نص أو قياس أو اجماع ثم اعطائى الفهم فى القرآن والحديث وكلام الائمة ثم تاليفى كتبا كثيرة فى الشريعة وغالبها لم أسبق اليه انما استنبطته من الشريعة وذلك ككتاب العهود وكتاب المنن وكتاب مشارق الانوار القدسية وغير ذلك ثم اجازة علماء المذاهب الاربعة لمؤلفاتى ومدحها ومدح مؤلفها خلاف ما أشاعه الحسدة عنى فى مصر والحجاز ثم موت جميع أشياخى فى الفقه والتصوف وغيرهما وهم عنى راضون ثم انشراح صدرى من حين كنت صغيرا للعمل بالكتاب والسنة وانقباض خاطرى عن العمل بالبدعة خلاف ما أشاعه الحسدة عنى ثم الهامى لمجاهدة نفسى بغير شيخ لما تبحرت فى العلم ثم بشيخ ليساعدنى على ازالة الموانع التى توقفنى عن العمل بما علمته ومبالغتى فى الورع حتى كنت لا أمر فى ظل عمارة أحد من الولاة ثم ظهور ان جميع ما كنت عليه من الاعمال بلا شيخ كأنها كانت رياء وسمعة ونفاقا بالنسبة لما نهى عليه الشيخ ثم اعطاؤه تعالى لى الفهم فى القرآن على مصطلح العارفين ثم اعطاؤه لى تعالى الفرقان بين المقامات والعلوم وما كل الرجال أعطوا الفرقان ثم

يفهم مغزاها وما نقله عن شيخه الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه وما قاله هو من الشعر أو قيل بحضرته أو قيل فيه مما يتضمن ذكر الطريق وأهلها وأنقل ما يمكن اثباته من أخباره كثيرها وقليلها وكان أصحاب الشيخ الامام القطب أبى الحسن قدس الله روحه قد أثبتوا جملا من كلامه وان كان هو رضى الله تعالى عنه لم يضع كتابا وقد بلغنى عنه انه قيل له يا سيدى لم لا تضع الكتب فى الدلالة على الله تعالى وعلوم القوم فقال رضى الله تعالى عنه كتبنى أصحابى وكذلك شيخنا أبو العباس رضى الله عنه لم يضع فى هذا الشأن شيأ والسبب فى ذلك ان علوم هذه الطائفة علوم التحقيق وهى لا يحتملها عقول عموم الخلق ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضى الله تعالى عنه يقول جميع ما فى كتب القوم عبرات من سواحل بحر التحقيق ولا أعلم ان أحدا من أصحاب شيخنا أبى العباس رضى الله تعالى عنه تصدى الى جمع كلامه وذكر ما فيه وأسرار علومه وغرائبه فجذبنى ذلك الى وضع هذا الكتاب بعد أن استخرت الله تعالى وطلبت منه المعونة وهو خير معين وسألته أن يهدينى الى الطريق المستبين * وقسمته الى مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة أما المقدمة فتشتمل على اقامة الدليل على ان نبينا محمدا صلى الله

سكون القلب عن طلب الاجر على الاعمال لعلمى بان الله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا ثم علمى بكون الحق تعالى يكرهنى أو يحبنى وذلك بوزنى اعمالى على الكتاب والسنة ثم قصدى بتعليم العلم نفسى أولا ثم الخلق ثانيا والله تعالى أعلم (الباب الثانى) وفيه من النعم نعمة نفرة نفسى ممن زعم أنه يعلم علم جابر أو يفتح المطالب من حين كنت صغيرا وفيها تلخيص رسالة الشيخ أفضل الدين فى بيان الحجر المكرم ومراتب أهل ذلك العلم ثم بلوغى مقام الزهد الى أن صار عندى الذهب والتراب على حد سواء من غير ترجيح ثم بعد أن أحكمت ذلك المقام رجعت الذهب على التراب عملا بما جعله الله تعالى فيه من الحكمة ثم ذكرت انى بلغت فى مقام الزهد الى أنه لو أمطرت السماء ذهبا وصار الناس ينتهبونه لم أجد لى داعية الى أخذ شئ منه الا لامر مشروع ولو اننى مررت على تلال الذهب والفضة من غير مزاحم عليها من أبناء الدنيا ولا حساب عليها فى العقبى لم أتناول منها دينارا واحدا الا لضرورة شرعية ولو أن البغلة دخلت دارى فى الليل محملة ذهبا من مطلب ونحوه أخرجتها من دارى بذهبها خوفا من طول الحساب يوم القيامة ثم انه لو كان عندى ما شاء الله من الذهب فسرقه انسان أو أخذه من بين يدى وأنا أنظره لا أتبعه ولا بوكيلى هو انا بالدنيا ثم كراهتى للاكل من شئ اعطيته من الناس على أنى من الصوفية لانه أكل بالدين ثم كثرة شفقتى على جميع المسلمين وولاة أمرهم حتى انى ربما أمرض لمرض صاحبى أو ولى أمرى وأشفى لشفائه وحتى انى أحفظ جميع الولاة وبيوت الناس وحوانيتهم وزروعهم وجسورهم كل يوم وليلة وقد يغفلون هم عن ذلك وفيها ذكر رؤيتى انى شربت من عين العرش فى واقعة ثم عدم مدحى لاصولى وفروعى عند من لا يعرفهم الا لغرض شرعى ثم تمييزى لحظ نفسى من حظ البارى جل وعلا فلا أحب انه يعفو عنى من حيث ان فى ذلك راحة لى وانما أحب العفو من حيث انه يحب العفو فلولا محبته تعالى للعفو ما أحببت العفو وان كان فى جزء يحب العفو فهو جزء ضعيف لا أكاد أحس به ثم عدم بداءتى بالزيارة لمن علمت انه يكافئنى على ذلك خوفا من تكليفه لزيارتى نظير البداءة بالهدية كما أشار اليه عند بعضهم قوله تعالى ولا تمنن تستكثر ثم عدم نصبى على الناس حتى يحبونى أو ياخذوا عنى أدب القوم بابهامهم انى أعرف علم الكيمياء وان كل من صحبنى علمته ذلك كما وقع فيه بعض أهل هذا العصر ثم الهامى جوامع الكلم من التسبيح والاستغفار حيث ذهلت عما ورد فى السنة لدهشة وارد أو نحوه ثم ترادف رؤيتى للعلماء والمشايخ الذين ماتوا لما دخلت سنة احدى وستين وتسعمائة وأمرهم لى بطلب التزود الرحيل من هذه الدار ثم نظرى الى الوقت الذى أنا فيه دون الماضى والمستقبل ثم نصحى لاصحابى بما صرحت به الشريعة فقط تخفيفا عليهم الان أجمع العلماء على ذلك الامر ثم فرارى الى الله تعالى فى جميع الشدائد قبل خلقه ثم تربية الحق لى برؤيتى العبر فى غيرى ثم نفرة نفسى من الدنيا وممن يحبها ثم حمايتى من الاتباع الذين يتعصبون لى بالباطل ثم كثرة اعتقادى فى أهل عصرى من غير مطالبة بدليل ثم غيبتى عن التطلع لما فى أيدى الخلائق ثم دوامى على التقشف النسبى الى وقتى هذا ثم كتمانى ما أطلعنى الله عليه من غائب الحوادث المستقبلة ثم عدم تسلقى على مقامات الصالحين ثم وجود الرجاء والخوف عندى فى وقت واحد ثم توبتى كلما أتناول شهوة ثم حفظه تعالى لفرجى من الفواحش ثم عدم اشتغالى بالنعمة عن الله ثم فناء اختيارى مع الله تعالى بقدر الطاقة البشرية ثم عدم شهوة أعضائى للمعصية من حين بلغت الاربعين سنة ثم حمايتى من وقوع الانتظار لرزق معين ثم معرفتى بالله عز وجل بحيث لا تزلزلنى النقول ثم كتمان مصائبى عن الخلق ثم عدم وعدى لاحد بما لا أقدر على الوفاء به ثم حمايتى من أكل الشبهات ثم توالى الآلام على جسدى ثم رضائى بالدون من الدنيا ثم عدم قولى فى دين الله بالرأى ثم كثرة شكرى لله تعالى اذا زوى عنى الدنيا ثم حمايته تعالى لقلبى أن يقيم فيه محبة أحد من الخلق الا باذنه تعالى ثم كثرة حثى لاصحابى على كثرة ذكر الله محبة فى الله لا لعلة أخرى ثم فرحى بالفقر اذا أقبل ثم عدم تدبيرى مع الله تعالى اذا نزل بى بلاء ثم عدم بغضى أو محبتى لاحد بحكم الطبع ثم عدم تكدرى من صاحبى اذا فارقنى وعادانى ثم محبتى لكثرة مخالطتى للعلماء والصالحين مع الاعتراف بعجزى عن القيام بواجب حقوقهم ثم صبرى على جفاء من دعوتهم الى خير وأبوا ثم عدم سخطى على مقدورات ربى اذا نزل بى ما أكره ثم كونه تعالى لم يجعل الدنيا أكبر همى من صغرى الى وقتى هذا ثم ملاطفتى لمن رأيت عنده حسدا

لاخيه

عليه وسلم أفضل بنى آدم بل أفضل البشر وأفضل الخلق كافة وأفردت كل مقام باقامة الدلالة عليه من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وبينت أن مدد الاولياء من الحقيقة المحمدية وان الاولياء انما هم مظاهر أنوار النبوة ومطالع شوارقها وأعلمت ان أنوار الولاية قائمة الثبوت للزوم دوام أنوار النبوة وذكرت الفرق بين الرسالة والنبوة والولاية وبينت من هو الاولى بالميراث فى قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء وبينت ما هو العلم الذى أثنى الله تعالى عليه ومن هم العلماء الذين هم أولى بالزلفى لديه وبينت أن الاولياء الظاهرين فى أوقات الظلمة أولى بان يكثر الله أنوارهم ويجزل لهم من وجوه اليقين ما يوجب انتصارهم ليدافعوا ظلمة الاوقات وليهزموا بعساكر أنوارهم جيوش الغفلات وذكرت أقسام الولاية وغزارة قدر الولى وفخامة رتبته وتفوق منزلته مما تضمنه الكتاب العزيز والاحاديث النبوية ليكون ذلك توطئة لك بتصديق ما يرد عليك من أخبار أوليائه وكرامات أصفيائه وأما الابواب * فالباب الاول فى التعريف بشيخه الذى أخذ عنه هذا الشان وشهادة من عاصره من العلماء الاعيان انه قطب

لاخيه المسلم وصبرى عليه حتى يرجع عن حسده ثم اطلاعه تعالى لى على بعض المنعمين والمعذبين فى قبورهم ثم حجبى عن ذلك رحمة من الله تعالى بى ثم عدم أمنى من مكر الله تعالى فى ساعة من ليل أو نهار وعدم اغترارى بما أعطاه الله تعالى لى من المكاشفات والكرامات ثم عدم التمادى فى استحسان شئ من أحوالى وأقوالى ثم حمايتى من الحاجة الى سؤال الناس وغنائى عنهم بالقناعة فلم أجده يحوجنى قط تعالى الى كتابة قصة لاحد ليعطينى شيأ من الدنيا ثم عدم طمأنينة نفسى الى دوام النعمة على لعدم استحقاقى لها وكثرة التحويل والتغيير لمثلى عقوبة له على سوء أدبه ثم فزعى لذكر الله والى الصلاة اذا احتجت الى شئ من أمور الدنيا ثم تقديمى الاهم فالاهم من المأمورات الشرعية من حين كنت صغيرا ثم عدم محبتى للشبع من الحلال فضلا عن الاكل من الحرام والشبهات ثم عدم صبرى على البعد من حضرته تعالى ساعة من ليل أو نهار كلما أغفل أو أخرج من الحضرة ثم رمى للدنيا الزائدة عن حاجتى الحالة الراهنة فى بداية أمرى ثم أخذى لها وجمعها فى آخر عمرى تحققا بالفقر والفاقة لفضل الله وكف نفسى عن السؤال لعيالى وأصحابى ثم مبادرتى الى تفتيش نفسى اذا دعوت الله فى حاجة ولم يجب دعائى لان الاجابة ربما توقفت لاجل معصية ارتكبتها والله أعلم (الباب الثالث) وفيه من النعم نعمة رد نفسى فورا الى الرضا بتقدير الله عز وجل اذا حصل عندى لمحة خاطر اشمئزازا منه ثم عدم طلبى لشئ من مناصب الدنيا من منذ وعيت على نفسى ثم عدم تسليمى للنفس ما تدعيه من ترك الحظوظ فان لها غوائل ثم تسليمى لمن ادعى انه خرج عن حظوظ نفسه وصارت ارادته موافقة لارادة ربه ثم تنبيهى بتصاريف القدرة فى بما أكره على وجود ذكر الله لى وعدم غفلتى عن التمادى فى الغى وحظوظ النفس ثم حسن ظنى بربى اذا قسى على قلوب عباده وكف لسانهم عن حمدى وأطلق لسانهم على بالذم ثم معرفتى بمداواة من رأيته يتسخط اذا سأل ربه شيأ ولم يعطه ثم وجود منازعة نفسى لى وميلها الى الشهوات المباحة أو آخر عمرى ليحصل لى أجر مجاهدتها فافارق الدنيا على المجاهدة ثم عدم سؤالى لله تعالى شيأ الا مع التفويض اليه فيه لكونه أعلم بمصالحى من نفسى ثم مبادرتى لشكر ربى اذ حفظنى من مضلات الفتن دون العجب ورؤية النفس على من وقع فيها ثم مداومتى على الاعمال التى كنت أعملها أيام بدايتى الى وقتى هذا ثم شهودى أن صفات نفسى الناقصة دائمة معى على الاعمال حتى أموت فلا أمان لى من الوقوع فيما لا يحل لى ثم عدم شهوة نفسى لشئ من المطاعم والملابس اذا دخلت سوق الطعام واللباس ثم غضبى باطنا على كل من رأيته يدعى التلبس بشئ من مقامات القوم دعاوى باطلة ثم اعلامى له بكذبه فيما بينى وبينه ليتوب من الدعوى ثم طلبى لكل حاجة احتجت اليها من باب الله تعالى دون خلقه الا بجعل خلقه بابا من أبوابه كالقناة الجارى لنا منها الماء فقط ثم عدم استبعادى على نفسى أنها تقع فى أكبر الكبائر ولو صارت معدودة من مشايخ العصر ثم عدم اعتمادى على غير الله عز وجل فى الشدائد ثم كثرة أدبى مع ولاة الزمان ظاهرا وباطنا من حيث كون الحق تعالى ولاهم علينا وجعلنا تحت حكمهم ثم كراهتى لتردد أحد من الاكابر الى من عالم أو صالح أو أمير اجلالا لهم وتعظيما ثم ردى كل شئ يأتينى من مال الولاة وان قبلته رميته بين الحاضرين ولا آخذ منه شيأ ثم عدم خوفى من أحد من الولاة لانهم لا يسلطون الا على من يحب الدنيا غالبا ثم حلى للعلماء الذين يدخلون على الامراء ولا ينصحونهم على العجز دون المداهنة لاجل دنياهم ثم عدم خوفى من مخلوق مطلقا من حية أو عقرب أو تمساح أو لص أو جن أو غيرهم الا عملا بامر الشارع صلى الله عليه وسلم لى بالذب عن بدنى ثم تنبيهى فى المنام على الامور التى تقع منى فى المستقبل أو فى الماضى ولم أشعر بكونها مذمومة ثم محبتى لرفع صوتى مخاصما بالذكر حتى أود أن يسمع ذكرى أهل المشرق والمغرب ضد ما كنت عليه فى بداية أمرى ثم محبتى للتقلل من مجالسة الاكابر من العلماء والصالحين وقضاة العساكر ونحوهم خوفا من اخلالى بواجب حقهم ثم كثرة تعظيمى للشرفاء ولو من جهة الام فقط وان طعن الناس فى صحة نسبهم ثم معرفتى بصوت الشريف وتمييزه عن غيره اذا كلمنى من وراء جدار مثلا ولو لم اجتمع به قبل ذلك ثم كراهتى للاكل من الصدقات الخاصة دون العامة كالاوقاف على فقراء المسلمين ثم استئذانى بقلبى لربى أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحد أئمة العلماء اذا كنت أقرأ القرآن أو الحديث أو العلوم الشرعية وكلمنى انسان فى حاجة بنحو قولى

بالتمام واخباره هو عن نفسه بما من به عليه من النعم الجسام وشهادة الاولياء له انه بلغ من الوصول الى الله لافضل مرام * الباب الثالث فى مجرياته ومنازلاته وما اتفق لاصحابه معه ومكاشفاته * الباب الرابع فى علمه وزهده وورعه ورفع همته وحلمه وصبره وسداد طريقته * الباب الخامس فى آيات من كتاب الله تكلم على تبيين معناها واظهار فحواها * الباب السادس فيما فسره من الاحاديث النبوية وابداء أسرار فيها على مذهب أهل الخصوصية * الباب السابع فى تفسيره لما أشكل من كلام أهل الحقائق وحمله لذلك على أجمل الطرائق * الباب الثامن فى كلامه فى الحقائق والمقامات وكشفه فيها الامور المعضلات * الباب التاسع فيما قاله من الشعر أو قيل بحضرته أو قيل فيه مما يتضمن ذكر خصوصيته * الباب العاشر فى ذكره ودعائه عقيب كلامه وحزبه الذى رتبه للآخذين من علومه وافهامه ولوازم ذلك

من ذكر شيخه أبى الحسن وحزبه ليتم العقد بنظامه وأما الخاتمة ففى اتصال نسبتنا اليه ووصايا نثرا ونظما تنهض الى الله وتجمع عليه وهى

دستور يارب اكلم عبدك فلانا فى حاجته ثم اقبل عليه أو دستور يارسول الله أو دستور يامحمد يا ابن ادريس ونحو ذلك بحسب الكلام الذى أقرره ثم كراهتى لمدرجلى فى ساعة من ليل أو نهار الا بعد قولى دستور يا الله أو دستور يارسول الله أو دستور يا أولياء الله ثم أمدها بعد ذلك ثم شدة كراهتى للنوم على حدث أكبر أو أصغر أو على الاصرار على شئ من الذنوب خصوصا على نحو غل أو حسد أو كبر أو محبة للدنيا ونحو ذلك ثم شدة كراهتى للنوم فى الثلث الآخر من الليل كشدة كراهة وقوعى فى المعاصى الظاهرة والله تعالى أعلم (الباب الرابع) وفيه من النعم نعمة كثرة ثنائى على الله تعالى اذ نزل بى مايسوءنى عادة ثم عدم استعمالى الدواء الا ان كان الداء يشغلنى عن الله تعالى ثم شدة كراهتى لخطاب الحق وفى بدنى نجاسة ثم حضورى مع الحق تعالى عند الاكل والشهوات ثم كثرة مراعاتى اليتيم ولامرأة الجار اذا غاب زوجها أكثر من مراعاتى لمن له والدا ولمن زوجها حاضر ثم نفرتى من اعتقاد الناس فى ثم عدم اجابتى للتصدر فى نحو دعاء الاستسقاء ثم احساسى بمشاركة جميع المسلمين فى جميع البلايا والمحن التى تصيبهم حتى انى قد أشارك المعاقبين فى بيت الوالى وأشارك المرأة حال طلقها وأحس بالولادة ثم مساعدة أصحاب النوبة فى حفظ ادراكهم فى سائر أقطار الارض ثم استئذانى أصحاب النوبة كلما خرجت من بيتى لحاجة أو الى سفر أو رجعت منها أو دخلت بيت حاكم أو طلعت القلعة لشفاعة ثم حفظى من تصريف أرباب الاحوال فى مع كثرة شفاعتى عند الحكام وكثرة معارضتى لهم من حيث لا أشعر ثم حمايتى من الوقوع فى المعاصى والشهوات اذا كنت فى حلة وسيأتى شروط قضاء الحوائج عند الحكام ثم الهامى الى أنى أطلب الحوائج من أبوابها دون غيرها ثم قضاء الحوائج من الحكام مع عدم الوقوع فيما ينقص دينى بسبب ذلك من تزكية نفسى على ألسنة الوسائط أو غيرها ثم كثرة توجهى لكلام الائمة من المجتهدين والصوفية وليس فى هذا الكتاب أطول من هذه القولة وفيه ذكر افتراء الحسدة على أننى ادعيت الاجتهاد المطلق وبيان من امتنع من الكتابة على السؤال ومن وقع ثم عدم قطعى للبر والاحسان عن كفر بتربيتى ونكث عن صحبتى بل أدوم على الاحسان اليه ثم عدم طلبى للثواب على شئ من أعمالى الا من باب الفضل والمنة دون الاستحقاق ثم عدم تكدرى اذا قدر الله تعالى على سهوا أو نسيانا فى الصلاة بل أفرح لكونى أحتاج الى الوقوف بين يديه تعالى زمنا آخر بسبب الاعادة أو التدارك ثم عدم طلب نفسى مقاما عند الخلق دون الله تعالى ثم عدم احتياجى لقبولى مرتبا من بيت مال المسلمين أو مسموحا ولو سألونى فى ذلك ثم حمايتى من الاكل من هدايا الظلمة وأعوانهم ثم انصافى لكل من عاملنى فى بيع أو شراء واذا استأجرنى شخص دولابا أو رزقة أو مركبا ولم ينتفع بها الا آخذ منه أجرة ولو سالنى هو فيها رددتها عليه ثم شهودى ان جميع ما أقاسيه من الشدائد فى هذه الدار انما هو كالادمان على تحمل أهوال يوم القيامة فهو رحمة بى ثم حمايتى من الاكل من طعام من شفعت عنده أو شفعت له أو قبولى هدية من أحدهما ثم عدم قبولى هدية أعانى بها صاحبها مثلا قبل مجيئها الى ثم عدم بخلى بشئ دخل فى يدى من الدنيا على من يستحقه سواء النقود وغيرها ثم غلبة الحياء على من الله تعالى ومن الخلق حتى انى أجعل الطيلسان على رأسى من شدة الحياء وتحرزا عن فضول النظر ثم كراهتى للاكل من ضيافة الاوقاف التى تحت نظرى أو نظر غيرى وعدم استقرارها فى جوفى اذا أكلت منها ولو سهوا ثم جعلى الحظ الاوفر للوقف اذا زرعت فى أرضه فاعطى جهة الوقف الاكثر من الخراج أو الحب فانه كمال اليتيم فى يد وليه والله أعلم (الباب الخامس) وفيه من النعم نعمة كراهتى للاكل من صدقة أو هدية علمت أن فى بلد المتصدق أو المهدى من هو أحوج الى ذلك منى بل ان قدر أنى قبلتها صرفتها فيما أعلم انه أربح فى ميزانه من أكلى منها ثم كراهتى لشئ يقيم فى باطنى من محاب الدنيا سواء كان ولدا أو زوجة أو نقدا أو ثيابا أو نحو ذلك ثم كثرة اضافة الافعال المذمومة الى نفسى الامارة قبل اضافتها الى ابليس عكس ما عليه غالب الناس ثم عدم مبادرتى الى سوء الظن باحد من المسلمين ثم عدم مطالبتى أحدا من الخلق بالوفاء بعهدى وهو يخل بعهود الله ورسوله ثم كثرة توجهى الى الله تعالى فى تسهيل رزق عيالى من غير حصول منة لاحد من الخلق فى طريقه ثم محبتى لكل تقدير شئ ينكس رأسى بين يدى الله أو يورثنى الحياء منه من حيث التقدير لا من حيث الكسب وهروبى من كل شئ

يمكن اثباته وقصدت بذلك ان تنتفع به هذه الطائفة خصوصا وغيرهم عموما ليؤمن باحوال هذه الطائفة من قسم الله له نصيبا من المنة وجعل فى قلبه نورا من الهداية وليرجع المكذب الى الاعتراف والمكابر الى وجود الانصاف وليستبين لمن أراد الله تعالى به الهدى المحجة وتقوم على من لم تنصره عناية الله تعالى الحجة فيكون للمصدق بتصديقه بهذه الطائفة نصيب من الولاية وذنوب من العناية وقد قال الجنيد رضى الله تعالى عنه التصديق بعلمنا هذا ولاية واذا فاتتك المنة فى نفسك فلا يفتك ان تصدق بها فى غيرك فان لم يصبها وابل فطل وقد قال بعض العارفين التصديق بالفتح لا يكون الا بفتح ومصداق ما قال هذا العارف قول الله سبحانه وتعالى ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور وقال سبحانه وتعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقال ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وقال انما يتذكر أولوا الالباب واذا أراد الله بعبد خيرا جعله من المصدقين لاولياء الله تعالى فيما جاؤا به وان قصر عقله عن ادراك

رفع رأسي بين الناس ويورثني العجب والزهو ثم رؤية منة الله تعالى علي اذا أقامني بين يديه في الاسحار ولم أجد لذة في مناجاته ثم عدم الجهر بالقرآن في صلاة الليل وذهاب الخشوع مني اذا جهرت ثم عدم نوم قلبي ليلة الاحد فتنام عيني فيها ولا ينام قلبي بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم شهودي عدم كمال الاخلاص في كل عبادة فعلتها ثم عدم مبادرتي الى الرحمة والشفقة لمن رأيته جيعانا أو عطشانا أو عريانا بل أتربص في ذلك فربما فعل الحق تعالى معه ذلك لحكمة لانه أرحم مني به بيقين ثم شدة قربي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وطي المسافة بيني وبينه حتى اني في بعض الاوقات أضع يدي على قبره الشريف وأنا في مصر ثم تعويلي في الشدائد كلها على الله تعالى ثم على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم جعلي عبادتي كلها مقاصد لا وسائل ثم سترتي لمن دخل علي من الفقهاء وقرر كلام القوم على غير وجهه ثم عدم تزوجي لابنة شيخي اجلالا لها ثم سترتي لمن أطلعني الله تعالى عليه أنه ارتكب معصية ولم يتب ثم شهودي أن جميع ما بيدي من الخير انما هو ببركة ملاحظة أشياخي لي بارادة الله تعالى ثم محبتي لاطعام الطعام لكل داخل علي ثم سياحتي في الجبال والبراري حتى وصلت الى مواضع قل من سلكها ثم اقامة العذر للفقيه اذا بادر الى الانكار على بعض أهل الطريق ثم كثرة أدبي مع المجاذيب وأرباب الاحوال ثم وجود البركة في رزقي حتى ربما أقدم للضيف ما يأكله واحد فيكفي العشرين نفسا ثم طاعة الجن لي واعتقادهم في الصلاح والعلم ثم كراهتي للاكل من طعام العزاء والجمع وتمام الشهر ثم عدم مبادرتي الى الانكار على من تزيا بزي الفقراء حتى المطاوعة الا أن أرى منهم ما يخالف الشريعة ثم عدم حرماني للسائل ولو كان قويا على الكسب فربما يكون له عذر ثم تفقد قلبي صباحا ومساء من دخول الصفات المخالفة للاخلاق الحميدة ثم ندمي في بعض الحيثيات على كل نومة نمتها في ليل أو نهار ثم معرفتي للولي اذا زرته في قبره هل هو حاضر أو غائب وغير ذلك (الباب السادس) وفيه من النعم نعمة كراهتي للاختصاص عن الفقراء بشيء ولو أنه موقوف على وحدي ثم تعففي عن الاكل من طعام كل شخص عرف بالكرم في هذا الزمان ثم حمايتي من أخذ معلوم على فعل شيء من القربات الشرعية الا لضرورة شرعية ثم عدم قبولي شيأ أعطاه الى الناظر من وقف المرتب زائدا على رفقتي من المستحقين ولو عزم علي به ثم عدم مطالبتي لمن لي عليه حق دنيوي ما دمت أجد الرغيف والخلقة ثم عدم رؤيتي أنني أحق بشيء مما في يدي من الدنيا من المحتاجين ثم عدم التفات نفسي الى شيء من الدنيا اذا ضاع مني سواء قل أو كثر الا أن يكون لغيري ثم عدم مزاحمتي لشيء مما فيه رياسة دنيوية أو يؤل الى الدنيا من جاه أو نشر صيت ثم كثرة حذري من ابليس كلما ترقيت في مقامات الطريق ثم كثرة تعظيمي لاخواني عند كل أمير صحبته حتى ربما يترك صحبتي ويصحبهم ثم انشراح صدري لتقديم زيارتي لمن يكرهني على زيارة من يحبني ثم قصدي بزيارتي نفعه هو بالاصالة وفيه ذكر سيدي علي المرصفي رضي الله عنه ثم حسن سياستي لمن رأيته ينقص أخاه المسلم حتى يتوب من التنقيص ثم عدم تقديم نفسي على اخواني في أمور الدنيا باختيار مني وطيب نفس ثم عدم شهودي الملك الحقيقي لشيء أعطانيه الله في الدنيا والآخرة لانني عبده في الدارين ثم خفض جناحي لفسقة المسلمين حتى يسمعوا نصحي ثم كثرة نصحي لاخواني ثم عدم ترددي الى بيوت الحكام لغير ضرورة شرعية لكن ان بدأني أحد منهم بالزيارة كافأته على ذلك بالتردد اليه مرات وفاء بحقه وبه قال جماعة ثم عدم تكدري على شيء فاتني من الدنيا أو ممن صدها عني عادة ثم انشراح صدري اذا أصبحت أو أمسيت وليس عندي شيء من الدنيا ثم عدم مبادرتي للانكار على من رأيته يأخذ مال الولاة فربما أخذه للضرورة الشرعية ثم شكري لله عز وجل اذا ضيق علي الرزق كشكري له اذا وسعه علي من حيث خوف الطغيان ثم رضاي عنه اذا قدر علي شيأ من المعاصي من حيث علمي بانه حكيم حليم فأستغفره من حيث الكسب وأرضى عنه من حيث التقدير ثم عدم اعتمادي على شيء من طاعاتي دون فضل الله عز وجل ثم حسن سياستي للمقاريض في أعراض الناس ثم عدم اعتقادي في نفسي انني من علماء الزمان العاملين ثم نفرة نفسي ممن يمدحني في المجالس بنظم أو نثر ثم موافقة من يمدح عدوي في المدح ثم عدم المبادرة الى الانكار على من رأيته يسعى

لهم سوء الخاتمة وقد قال أبو تراب النخشبي من لم يصدق بهذه الكرامات فقد كفر أي غطى عليه الامر وسترعنه شهود قدرة الله تعالى جعلنا الله واياك من المعترفين بفضله في عباده ومن المصدقين بآثار عنايته في أهل وداده انه ولي ذلك والقادر عليه ولم أخل الكتاب من الكلام على الشيء المشكل وحل الامر المعضل والتنبيه على أمور جليلة واظهار أسرار أبصار من لم يؤمن بهذه الطائفة عنها كليلة فالله سبحانه وتعالى يجعل ذلك لوجهه خالصا ومن أوحال القطيعة خالصا وان يمن علينا بالصدق في الاقوال والافعال والاحوال وان يجعلنا من العارفين به في الحال والمآل وان يتفضل علينا بالفهم عنه وحسن الاستماع منه انه الاله القدير وبالاجابة جدير

(وسميته) لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن وهذا أوان ابتدائي بما قصدت واظهار ما أردت وبالله أستعين وعليه أتوكل

وبجاه سيد المرسلين أتوسل وهو حسبي ونعم الوكيل (أما المقدمة) فاعلم ان الله سبحانه وتعالى لما أراد اتمام عموم نعمته وافاضة فيض رحمته واقتضى فضله العظيم أن يمن على العباد بوجود معرفته وعلم سبحانه وتعالى عجز عقول عموم العباد عن التلقى من ربوبيته جعل الانبياء والرسل لهم الاستعداد العام لقبول ما يرد من الهيته يتلقون منه بما أودع فيهم من سر خصوصيته ويلقون عنه جمعا للعباد على أحديته فهم برازخ الانوار ومعادن الاسرار رحمة مهداة ومنة مصفاة حرر أسرارهم فى أزله من رق الاغيار وصانهم بوجود عنايته من الركون الى الآثار لا يحبون الا اياه ولا يعبدون ربا سواه يلقى الروح من أمره عليهم ويواصل الامداد بالتأييد اليهم وما زال ذلك النبوة والرسالة دائرا الى ان عاد الامر من حيث الابتداء وختم بمن له كمال الاصطفاء وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو السيد الكامل القائم الفاتح الخاتم نور الانوار وسر الاسرار والمجلى فى هذه الدار وفى تلك الدار على المخلوقات أعلى المخلوقات منارا وأتمهم فخارا دل على ذلك الكتاب المبين قال الله سبحانه وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ومن رحم به غيره فهو

على وظائف الناس ثم حسن سياستى للامير الذى صحبه أحد من اخوانى للخدمة وفيه ذكر حزة الكاشف والشيخ أبى المجد الزفتاوى ثم عدم عداوتى لاحد ممن يحضر المواكب الالهية كالمؤذنين وأضرابهم ثم كثرة أدبى مع قضاة زمانى وعدم قولى ببطلان أحكامهم الا بطريق شرعى ثم موالاتى لمن والى شيخى أو امامى ثم كثرة أدبى مع الامام مالك وأصحابه لكونه شيخا لامامى فى الجملة ثم حمايتى من الاكل من طعام المتهورين فى مكاسبهم كالظلمة واضرابهم ثم عدم أكلى من طعام من يعتقد فى الصلاح خوفا من الاكل بدينى ثم عدم أكلى من طعام العباد الذين لا حرفة لهم ويأكلون بدينهم ثم حمايتى من الاكل من طعام النذور والعرس والعزاء ونحو ذلك ثم حمايتى من الاكل من طعام الصنائعى الذى يعمل بالقوت ثم حمايتى من الاكل من طعام من علمت ان عليه دينا وهو قادر على وفائه فضلا عن كونه عاجزا ثم حمايتى من الاكل من هدية علمت بالقرائن أن لها قدرا عظيما عند صاحبها ثم كراهتى للاكل وحدى ثم عدم ردى للسائل المحتاج ثم اعتقاد الجن وكثير من المسلمين والنصارى وغيرهم فى الصلاح ثم كثرة تصديقى وتسليمى لكل من ادعى ممكنا فى العادة حتى القطبية الكبرى ثم كشف الحجاب عنى حتى سمعت تسبيح الجمادات ثم عدم قولى بالجهة فى جانب الحق جل وعلا ثم عدم تسليمى للنفس ما ادعته من العجز عن القيام الى الصلاة فى المرض الا بعد امتحانها ثم حمايتى من الاكل من طعام من شفعت فيه شفاعة ثم كراهتى لقبول شئ من هدايا الولاة والعمال ثم عدم مزاحمتى على صحبة أحد من الولاة وعدم صحبتى للامير اذا لم ترج صحبته شرعا على تركها ثم كثرة قبول شفاعاتى عند الامراء ومشايخ العرب والعمال ثم حسن سياستى للامير الذى أشفع عنده وفيه ذكر محمد العبادى فاقول للامير اذا كان التأديب بلغ حده فى فلان فشفعنا فيه والا فنحن معكم على تأديبه ثم حمايتى من الاكل من ضحايا الولاة التى يرسلونها الى الزاوية ثم حمايتى من مساعدة الظلمة لى فى حجاتى الثلاث ثم حمايتى من وقوع مجاورتى بمكة لعجزى عن القيام بآداب المجاورة وفيه ذكر شروط ذلك ثم حمايتى من الاكل من صدقات الناس ثم كثرة شكرى لله تعالى اذا زوى عنى الدنيا ثم عدم شهود فضلى على من أحسن الله تعالى اليه على يدى ثم انشراح صدرى للاسرار بالصدقة والله تعالى أعلم (الباب السابع) وفيه من النعم نعمة عدم تشوف نفسى الى مكافأتى على هديتى ثم كثرة رحمتى وشفقتى على من غيرو بدل من الفقراء أو رجع الى محبة الدنيا ثم عدم قطع برى لمن كفر بوساطتى فى رزقه ثم عدم شح نفسى على الهرة بالدجاجة وعدم تمكينى أحدا يتبعها اذا خطفتها من السفرة خوفا من ازعاجها ثم حضورى مع الله تعالى حال أكلى وشربى كما أحضر فى الصلاة ثم عدم التكدر ممن ذهبت الى زيارته فلم يفتح لى الباب وفيه ذكر الخطيب الشربينى وأدبه ثم صحة توجهى الى الله تعالى فى دفع الدنيا عنى ثم تنبهى على ما أكلته من الحرام والشبهات بعلامات أعرفها ثم عدم تقدمى للضيف ما فيه شبهة وعدم تكلفى له ثم كتمانى لعمل وليمة أو مولد علمتهما عن أصحابى خوفا من أن يتكلف أحد منهم ويساعدنى ثم حمايتى من التداوى باشارة يهودى ثم شهودى ان الابتلاء الذى يقع لى انما هو بمحبة الحق تعالى لى ثم تحملى عن بعض المرضى مرضه ثم عدم غفلتى عن الصلاة اذا مرضت ثم ارسال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى رسولا كلما أمرض يبشرنى بالخلاص من ذلك المرض ثم رضاى عن ربى اذا قسم لى يسيرا من الطاعات ثم أخذى كل كلام سمعته من واعظ أو خطيب فى حق نفسى دون غيرى ثم فرحى بكل شيخ سكن فى حارتى وانقلب اليه جماعتى حتى لم يبق أحد منهم حولى ثم حفظى للادب مع أصحاب الوقت من العلماء والصالحين فلا أجلس مجلس وعظ مثلا حتى أقول دستور يا أصحاب الوقت حتى لا يرتج على الكلام ثم شهودى أن جميع الكرامات التى تقع على يدى ليس لى فيها تعمد وانما هى كلها فعل الله وحده حقيقة ثم عدم مبادرتى للانكار على من رأيته يلبس ملابس أهل الدنيا عادة من العلماء والصالحين وفيه ذكر سيدى محمد البكرى ثم كراهتى للجلوس فى المسجد على حدث أصغر ثم كراهتى اخراج الريح فى المسجد ثم كثرة تبجيلى لاخوانى فى غيبتهم وحضورهم ولا أواجه أحدا منهم بنصح فى الملا الا ان كان قد بايعنى على ذلك ثم محبتى لزيارة جميع أقرانى الا الحسود وفيه ذكر اجلالى للخطيب الشربينى وسيدى محمد البكرى وكثرة توجهى الى الله تعالى ان لا يمشى أحد منهما الى تعظيما لهما ثم كراهتى لحضور

المحافل

المحافل الكثيرة التى لم يشرع لنا حضورها ثم حمايتى من النوم على غير وتر ثم عدم اجابته تعالى دعائى على أحد من المسلمين وسؤالى له قبل ذلك ان لا يستجيب لى فيهم دعوة حال غضبى ثم عدم مجادلة من جادلنى بغير حق حتى تخمد نار نفسه وينزل الشيطان من على ظهره ثم كثرة مشاورتى لاصحابى فى كل أمر لم يأمرنى به الشارع بخصوصه ثم عدم هجرى أحدا من المسلمين لحظ نفسى فوق ثلاث ثم حضورى مع الله تعالى حال جماعى كما فى الصلاة فى أصل الحضور وان تفاوت الحضوران من حيثيات أخر بجامع الامر بكل منهما ثم عدم جماعى مع الغفلة أو أنا مخاصم لاحد أو محب للدنيا فربما أتى الولد على صورة والده حال الوقاع وفيه ذكر الشيخ أحمد بن عاشر ثم عدم بخلى على عيالى باجرة دخولهن الحمام كلما أجامع ولو تكرر ذلك كل يوم ثم تقبيلى لرجل العالم أو الصالح اذا زرته بحضرة تلامذته بقصد زيادة اعتقاد مريديه فيه ثم أرى فعلى ذلك من بعض حقوقهم على ثم تحفظى من طول الجلوس عند أحد من اخوانى خوفا من وقوعى أو وقوعه فى غيبة أحد فقل مجلس طال وسلم من ذلك ثم كثرة سترى لعورات المسلمين الذين لم يتجاهروا بالمعاصى لاسيما عدوى ثم عدم مبادرتى الى الرد على من أشيع عنه أنه قال ما يخالف الشرع أو جمهور العلماء وفيه ذكر واقعة الشيخ عبد المجيد الناملى المقيم بالمحلة الكبرى فى قولنا اللهم صل وسلم على أفضل مخلوقاتك وأنه نهى عن مثل ذلك وبيان ان ذلك كذب عليه وافتراء ثم مشاركتى لجارى فى الفرح والسرور اذا ولد له مولود مثلا ثم عدم منى بالاكل على صاحبى اذا حصل بينى وبينه وقعة ولا أقول له تذكر العيش الذى بيننا وبينك ثم معرفتى بحال قضاة الزمان فى تشوشهم ممن يصلح بين الناس ويعطل محاكمهم وأنهم معذورون فى مثل ذلك ثم عدم جمعى بين الضرتين ولو باذن القديمة منهما لان ذلك أمر لا يدوم والله أعلم (الباب الثامن) وفيه من النعم نعمة عدم بغضى أحدا من الاشراف أو الانصا ولو طعن الناس فى نسبهم ثم حفظى لحرمة مشايخى الاحياء والاموات فلا أرى نفسى أهلا لخدمتهم ولو بلغت مقام مشايخ العصر ثم عدم مزاحمتى لاحد من مشايخ عصرى على المشيخة كاخذ العهد وتلقين الذكر ورؤيتى أنهم أفضل منى ثم عدم افتتاحى مجلس الذكر وهنالك من هو أكبر منى سنا أو أحد من الاشراف ولو صغيرا ثم عدم أخذى العهد على مريد نث عهد شيخه وعدم اظهارى البشاشة له وفاء بحق شيخه الذى نكث عهده ولو لم يعلم بذلك شيخه ثم عدم تقييدى على أحد ممن صحبنى أنه لا يجتمع بغيرى أو لا يصلى الجمعة الا عندى أو انه يجلب أحد الصحبتى الا لغرض شرعى ثم حمايتى من الوقوع فى شئ يغير قلب شيخى على يوما من الدهر ثم عدم تغير خاطرى على مريدى اذا زار غيرى من مشايخ العصر ولا أظهر له التغير الا بطريق شرعى ثم عدم تكدرى من شيخ عقد له مجلس ذكر تجاه مجلسى ولو فى زاويتى بل أذهب بجماعتى اليه وأكون فى طاعته لكل خير ظاهرا وباطنا وآمر أصحابى كلهم بذلك ثم كراهتى للتميز عن اخوانى فى مجلس علم أو ذكر ولا أجلس على سجادة مثلا الا لعذر شرعى ثم كراهتى للاكل من طعام مريدى الا ان كان يعتقد أن جميع ما بيده كالملك لى دونه ثم عدم تكدرى ممن صحبنى من الامراء ومشايخ العرب مثلا اذا زار أحدا من أقرانى بل أحسن اعتقاده فى جميع أهل الخير من أقرانى ليصحبهم ويتركنى ثم كثرة ارشادى لاصحابى أن ينظروا فى أنفسهم اذا خالفهم خادمهم أو زوجهم فربما كان سبب مخالفة الخدم والعيال مخالفة الانسان لربه عز وجل مجازاة ثم كثرة ارشادى للمريدين أن يتحملوا كثرة الاذى من الناس ولا يجيبوا عن أنفسهم بجواب الا لغرض شرعى ثم حفظى للادب مع أقرانى حال غيبتهم عنى وذكر مناقبهم ومفاخرهم فى كتاب الطبقات وقل من يفعل مثل ذلك مع أقرانه ثم عدم أمرى للذاكرين بالسكوت آخر المجلس الا بعد قولى بقلبى دستور بالله أسكتهم فانهم ملوا أو وراءهم ضرورات ثم اذن شيخى الشيخ محمد الشناوى لى بانى آخذ العهد على المريدين وأربيهم ثم كثرة محبتى وتعظيمى لاولاد مشايخى من ذكور واناث فى حياة والدهم وبعد مماته وكذلك محبة جميع أصحابهم ثم شهودى فضل معلمى على ولو جاوزت مقامه فى زعمى ثم ارشادى لاخوانى من الامراء والمباشرين وغيرهم اذا عزل أحدهم من ولايته مثلا أن يكثر من الاستغفار ويتفقد ذنوبه التى عملها طول عمره ويتوب منها كلها فان ذلك أسرع فى تحصيل غرض أحدهم ثم عدم غفلتى عن نصح أصحابى اذا سألك أحدهم بنفسه مسالك التهم ثم كثرة احترامى للاولياء بعد مماتهم فلا أتزوج

من قوله صلى الله عليه وسلم انى سيد بنى آدم ولا فخر وأما تفضيله على آدم عليه السلام فمن قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ومن قوله آدم فمن دونه من الانبياء يوم القيامة تحت لوائى وبقوله انى أول شافع وانى أول مشفع وأنا أول من تنشق الارض عنه وحديث الشفاعة المشهور الذى أخبرنا به الشيخ الامام الحافظ بقية المحدثين شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبى الحسن الدمياطى بقراءتى عليه أو قرئ عليه وأنا أسمع قال أخبرنا الشيخان الامام فخر الدين وفخر القضاة أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد العزيز الجباب التميمى وأبو التقى صالح بن شجاع ابن سيدهم المدلجى الكنانى قالا أخبرنا الشريف أبو المفاخر سعيد بن الحسين بن محمد بن سعيد العباسى المأمونى قال أخبرنا أبو عبد الله الفراوى قال أخبرنا عبد الغافر الفارسى قال أخبرنا أبو أحمد محمد بن عيسى ابن عمرويه الجلودى قال أخبرنا أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه قال حدثنا أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى قال حدثنا

أبو الربيع العتكي قال حدثنا حماد بن زيد قال حدثنا معبد بن هلال الغنوي وحدثنا سعيد بن منصور واللفظ له قال حدثنا حماد بن زيد قال حدثنا معبد بن هلال الغنوي قال انطلقنا الى أنس بن مالك وتشفعنا بثابت فانتهينا اليه وهو يصلي الضحى فاستأذن لنا ثابت فدخلنا عليه وأجلس ثابتا معه على سريره فقال له يا أبا حمزة ان اخوانك من أهل البصرة يسألونك ان تحدثهم حديث الشفاعة قال حدثنا محمد صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم الى بعض فيأتون آدم صلى الله عليه وسلم فيقولون اشفع لذريتك فيقول لست لها ولكن عليكم بابراهيم عليه السلام فانه خليل الله فيأتون ابراهيم عليه السلام فيقول لست لها ولكن عليكم بموسى عليه السلام فانه كليم الله فيأتون موسى فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى عليه السلام فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى عليه السلام فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم فيأتوني فأقول أنا لها فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الا أن يلهمنيه الله عز وجل ثم أخر له

لاحد منهم زوجة ولا غير ذلك مما فيه اخلال بواجب حقوقهم ثم محبة نفسي للجلوس في طرف الحلقة ثم ذهاب فهمي الى الاتعاظ اذا سمعت القرآن أو الحديث قبل ذهابه الى الاستنباط للاحكام ونحو ذلك ثم عدم احتجابي عن المكروب والملهوف ثم أدبي مع أصحاب الحضرة الالهية في ليل أو نهار فلا أسبق للوقوف بين يدي الله تعالى قبلهم الا لعذر كأن أعلم ان ذلك أرضى لله تعالى ثم محبتي لجميع الطاعات لكون مجالسة الحق تعالى تحصل فيها وبغضي للمعاصي من حيث حجابي عن الحق تعالى فيها فلا أحب ولا أبغض لعلة ثواب ولا عقاب ثم رؤية نفسي أن لحيتي تحت نعل كل عالم أو صالح زرته فضلا عن كوني أرى نفسي مثله وفيه ذكر جماعة من العلماء يعتقدوني بغير دليل كالطبلاوي والرملي ثم تصديقي للصالحين في كل شيء يخبرون به في وقائعهم مما تحيله العقول عادة ثم نفرتي بالطبع ممن يقبل يدي في المحافل أو يمشي معي الى الباب اذا خرجت من عنده الا لغرض شرعي والله تعالى أعلم (الباب التاسع) وفيه من النعم نعمة كثرة اكرامي لاهل الحرف النافعة ثم عدم ازدرائي لاحد منهم الا بطريق شرعي فأزدري صفاتهم وأفعالهم لا ذواتهم ثم تخفيفه تعالى علي مدة المرض في الغالب وكثرة ضجيجي الى الله تعالى دون اظهاري التجلد قال سيدي عمر * ويقبح الا العجز عند الاحبة * ثم هروبي من تحمل منن الاخوان وان لم يقع منهم من علي ثم محبتي لتحمل بلاء جاري عنه حتى اني أود ان كل بلاء نزل علي كان نزل علي وفاء بحقه ثم كثرة محبتي واكرامي لاهل العلم والقرآن من حيث كونهم حملة شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لعلة أخرى ثم ستري لطالب العلم فلا أقول له قط قرر كلام القوم الا ان علمت منه انه يقرر الكلام على مصطلح القوم خوفا ان يفتضح عند الحاضرين من الفقراء ثم كراهتي للتقدم للامامة في الفرائض وغيرها خوفا من تحمل نقص صلاة المأمومين ثم مبادرتي للشكر اذا قدر الله لي خيرا أو الى الاستغفار لو قدر علي شر ا ثم تحملي هم أصحابي اذا خرج أحدهم لزيارتي ولم يجدني في البيت ولذلك كنت لا أخرج من بيتي قط الا ان قلت بتوجه تام اللهم ان كان أحد خرج لزيارتي فعوقني له وان كان لم يخرج فعوقه عن الخروج حتى أرجع الى بيتي ثم صلاتي للاستخارة كل يوم على مصطلح القوم ثم أقول اللهم ان كنت تعلم ان جميع ما أتحرك فيه أو أسكن أو يتحرك فيه غيري أو يسكن في حق نفسه أو نفسي أو أحد من المسلمين خير لي في ديني ومعاشي الى آخره ثم كثرة اجتماعي بالاموات وهم في قبورهم ثم رؤيتي للاولياء الذين ماتوا في المنام ومباسطتهم لي كالامام الشافعي وغيره ثم اطلاعه تعالى لي في المنام على أوقات الحوادث التي تقع في مستقبل الزمان ثم رؤيا جماعة من الحكام وغيرهم في المنام ما يزيدهم اعتقادا في ثم شهودي بعين قلبي تصور أعمالي صورا وهي صاعدة الى المكان الذي منه برزت من عرش أو كرسي أو سماء لا بعين بصري ثم ترتيب أوراد ي فابدأ بالافضل فالافضل وبجوامع الكلم قبل غيرها ثم احترامي لكل من كان له جمعية قلب مع الله تعالى أو مع رسوله صلى الله عليه وسلم فأتحمل منه الاذى ما لا أتحمله من غيره ثم عدم دعائي على الشريف اذا وقع منه شيء يؤذيني ثم حصول الفرح والسرور اذا جفاني أصحابي الذين ليس لي بهم نفع بل أعد عدم زيارتهم لي يوم عيد ثم كثرة المعتقدين في من الفلاحين حتى ان أولادهم يحلفون بي ثم عدم اهتمامي بشيء من أمور الدنيا فلا أعمل قط عرسا وأحضر الطباخين ثم عدم وجود احد من الزوالق حولي كما هو الغالب على العلماء والفقراء ثم كراهتي لسماع الآلة المطربة ثم حسن ظني باهل الخرق كالاحمدية والبرهامية والمطاوعة فلا أنكر عليهم الا ما خالف صريح الشرع أو خالف الاجماع ولا أنكر عليهم شيأ من المختلف فيه الا على وجه التنزيه ثم عدم تحجيري على مريدي أن لا يصلي الجمعة الا عندي وقد مرت هذه أوائل الباب أيضا ثم حفظي لمقام صاحبي أو مقام من أكلت عنده خبزا وملحا يوما من الدهر ثم نفرتي بالطبع فضلا عن الشرع من كل من ينقل الي نقائص الناس من نفسي أو غيري بغير غرض صحيح وفيه ذكر الشيخ زين العابدين البلقيني ثم حفظي لمقام العالم أو الصالح اذا خاصمه أحد بغير حق فلا أقول ما لهذا الصالح يتخاصم مع فلان وانما أقول ما لهذا الفاسق يؤذي سيدي الشيخ مثلا ثم صبري على غضب صاحبي الاحمق اذا أمرته بمعروف وتكدرمني ثم قلة عيادتي للظلمة اذا مرضوا الا لمصلحة شرعية ثم مداواة المريد اذا تكدر من شيخه اذا لم يعده في مرضه ثم صبري على عوج زوجتي وخادمي اذا اعتقدت ان أصل ذلك العوج مني

ثم

ثم خدمة زوجتي اذا مرضت ثم كراهتي للخلوة بالاجنبية ثم عدم معاتبتي لاحد تخلف عن الصلاة على ميتي ثم حسن تدبيره تعالى لي في الحلات الثقيلة التي أدخل فيها ثم عدم قبولي هدية من تحملت حلته ثم كثرة حنيني الى الوحدة وكراهتي لتردد الناس الي الا لمصلحة ثم تغتيشي لجوارحي صباحا ومساء لأشكر الله على عافيتها واستغفره من معصيتها ثم عدم اعتمادي على شئ من أعمالي دون الله تعالى وقد تقدمت هذه المنة مرارا ثم عدم اتعاب سري في تحرير كتاب صنفته خوفا من حصول العجب فيه ثم جمعه تعالى في جميع الاخلاق المذكورة في هذا الكتاب ثم اطلاعه تعالى لي في واقعة على جميع ما يتفضل به علي في الدار الآخرة الا ما استثناه الشرع (الباب العاشر) وفيه من النعم نعمة حمايتي من أني لم أدع أحدا من الصالحين والعلماء الى زفة عرس أو ختان اجلالا لهم وفيه ذكر سيدي محمد البكري نفعنا الله ببركاته ثم عدم تمكيني لاحد من أصحابي أن يتصدر للرد على أحد من الفرق الاسلامية الا اذا خالفوا صريح السنة المحمدية أو قواعد علمائها ثم عدم تنفيذ غضبي فيمن غضبت عليه عند القدرة ثم حفظي للادب مع أشياخي وأصحابي فلا أمدح أحدا منهم الا بحضرة من يعتقدهم خوفا ان يسبهم كما يقع للروافض في حق أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ثم عدم اعتنائي بحضور عمارة بيت أو مركب أو غرس بستان أو شجرة ثم عدم اهتمامي بشئ من ملابس الدنيا والتعنت في شرائها ثم تعففي عن المبادرة الى اجابة من دعاني الى التنزه في بستانه أنا وجماعتي خوفا من قطع الثمار قبل كمالها أو تكليف صاحب البستان ونحو ذلك ثم حيائي من الله عز وجل اذا مشيت وحدي في طريق من شدة هيبة الله عز وجل ثم كراهتي لكثرة تردد الاخوان الي خوفا من العجز عن مكافأتهم وقد تقدمت هذه المنة مرارا بغير هذه العبارة ثم حفظ زوجاتي من حضور الاعراس التي لا تنضبط أصحابها على الشرع ثم محبتي للاشراف ولو كانوا من جهة الام فقط وان كانوا على غير قدم الاستقامة وقد تقدمت هذه المنة مرارا ثم زيارتي كل قليل لاهل البيت المدفونين في مصر وقراها ولو بعض أعضائهم بقصد صلة رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كثرة اهتمامي بشأن الامير الذي يجتمع على أحد من أقراني اذا حصلت له بلية وفاء بحق صاحبي لاسيما ان كان من المحسنين الي ثم عدم شهودي أني وفيت بحق الله عز وجل أو حق أحد من عباده في حال من الاحوال ثم عدم مجادلتي مع من غلب عليه حكم الطبع ومحبة الرياسة ثم حث جميع الاخوان على عمل الحرف والصنائع وتقديم ذلك على حضور مجلس وردي أو وعظي الا لغرض شرعي ثم عدم شهودي أني بلغت مقام من هو فوقي في الكمال في اسلامي أو ايماني أو احساني ثم حمايتي من أني ادعي مقاما لم أبلغه خوف الحرمان له ثم تفويضي الى الله تعالى في تربية أولادي وأصحابي لكن مع مناقشتهم في الافعال والاقوال البارزة على يدهم ووزنها على الكتاب والسنة ثم شهودي الكمال في صاحبي وشهودي النقص في نفسي ولذلك كنت لا أحب العزلة عن الاخوان الا بحكم الشرع لا الطبع ثم عدم الركون والميل الى أحد من اخواني دون الله تعالى وقد تقدمت هذه المنة مرارا ثم شهودي ان الله تبارك وتعالى أرحم بنفسي مني ببادئ الرأي من غير تفكر في ذلك ثم كوني لا آكل ولا ألبس الا ان وجدت ذلك من مالي دون الدين الا لضرورة ثم عدم الاكباب على معاشرة الناس وعدم انقباضي عنهم ثم كثرة صبري على كتمان سري وعدم افشائه لاعز أصدقائي الا لغرض صحيح ثم عدم كثرة امتحاني لاصحابي خوفا من ظهور عيوبهم لي ولو بالمكاشفة ثم عدم تنفيري للاخوان ان يرسلوا الي طعاما من بيوتهم أو هدية من غير استدعاء مني ثم كثرة مسامحتي للاخوان فيما يتعلق بالاخلال في الادب معي وعدم مسامحتهم في ذلك في حق غيري ثم عدم اغترارى برؤيا صالحة رأيتها أو رؤيت لي ثم شهودي لمحاسن العوام من المحترفين وتفضيلهم على نفسي ثم اقامة العذر باطنا للاخوان اذا أخرجوا أخلاقهم الرديئة على بعضهم بعضا ثم عدم اعطائي الحكمة غير أهلها أو الادب غير أهله ثم عدم مشاورتي للنساء والعباد بغير علم في فعل شئ أو تركه لنقص عقول النساء وجهل العباد بخلاف العارفين ثم كراهتي لتعلم علم الحرف والرمل والهندسة والسيمياء وغير ذلك من علوم الفلاسفة ثم هروبي من كثرة النصح للاخوان على طريق التجسس خوفا من الاستدراج لي ثم ردي للامانات التي جعلها الحق تعالى عندي اليه تعالى من مال أو علم أو قال أو حال ثم عدم جوابي لمن سألني مسئلة في العلم وقلبه غافل عن العزم على

ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فاقول ربي أمتي أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من ايمان فاخرجه منها فانطلق فافعل ثم أرجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فاقول أمتي أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجه منها فانطلق فافعل ثم أعود الى ربي فاحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فاقول يا رب أمتي أمتي فيقال لي انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من الايمان فاخرجه من النار فانطلق فافعل هذا حديث أنس الذي أنبأنا به فخرجنا من عنده فلما كنا بظهر الجبانة قلنا لو دخلنا الى الحسن نسلم عليه وهو مستخف في دار أبي خليفة فدخلنا وسلمنا عليه قلنا له يا أبا سعيد خرجنا من عند أخيك أبي حمزة فلم نسمع بمثل حديث حدثنا به في الشفاعة قال هيه فحدثناه الحديث فقال هيه قلنا ما زادنا قال قد حدثنا به من منذ عشرين سنة وهو يومئذ جميع ولقد ترك شيئا ما أدري أنسي

العمل بها اجلالا للعلم ومصلحة للسائل ثم اذعانى وخدمتى بالطريق الشرعى لكل من ظهر بمظهر دعوى العلم والمعرفة بطريق القوم ثم شدة حرصى على وقوع ماينفع الاخوان فى دينهم ودنياهم ثم شدة حذرى من صحبة العارفين والعلماء العاملين مع محبتى للقرب منهم وقد تقدمت هذه المنة فى الابواب السابقة ثم كثرة نصحى للاخوان من التجار والمباشرين وغيرهم وتحذيرى لهم من الاسراف فى مأكل أو ملبس فى هذا الزمان لكساد البضائع وقلة الرزق ثم حرصى على حصول الخير لطلبة العلم والذاكرين بتعليمهم آداب العلم والذكر *(الباب الحادى عشر)* وفيه من النعم نعمة نفرة نفسى من الصفات التى يكرهها الله تعالى ومحبتى للصفات التى يحبها سبحانه وتعالى ثم تعليمى لمن عزل من ولايته مثلا طريق اقامة الحجة على نفسه دون الله تعالى ودون خلقه ثم معرفتى بطب أرباب الاحوال اذا مرضوا من الحال على اختلاف طبقاتهم ثم سرورى بالمرض اذا جاء وتمنيه بطريقه الشرعى اذا أبطأ طلبا لتكفير سيآتى ثم عدم معاجلتى بالجواب فى مجلس المذاكرة والمناظرة فى العلم ثم عدم طلبى أحدا يساعدنى اذا عارضنى أحد من أرباب الاحوال ثم ميلى الى الدواء اذا حصل عندى مرض فابادر الى التداوى بكل ما يصفه لى الطبيب المسلم ولا أترك التداوى على زعم التوكل فان التداوى لا ينافيه ثم اخذى بالاحتياط فى عدم كتابتى فى المحاضر التى يبنون عليها تولية أحد من أرباب الولايات ولا أكتب فيها ولا أزكى أحدا من أصحابها الا ان غلب على ظنى صلاحيته لتلك الولاية وتعيينها على مثله خوفا من أن أكون شريكا له فى ظلمه فى تلك الولاية ثم اعطاء الحق تعالى لى جانبا عظيما من علم الفراسة الناشئة من نور الايمان لا على طريقة أرباب الطبائع من الفلاسفة ثم معرفتى بالآفات التى تطرق الانسان فى أعماله وعقائده وأحواله ثم نظرى الى أدب ذوى البيوت من الاكابر فان معهم من الآداب مالا يوجد فى كتاب ولا أنظر الى شئ من مساويهم ثم حفظى للادب مع سائر المسلمين على اختلاف طبقاتهم ثم عدم سياحة فكرى فيما تشابه من آيات الكتاب العزيز ثم حمايتى من كثرة النوم الزائد على العادة فى الليل والنهار ثم محبتى لمن يبصرنى بعيوبى ونقائصى وتقديمه فى المحبة على الصديق الذى يداهننى ثم كراهتى من أصحابى أن يكثروا اللغو عندى ويجروا قوافى الولاة وغيرهم خوفا على دين نفسى وعليهم ثم كثرة ارشادى لطلبة العلم أن لا يكثروا من الجدال ورفع الصوت عند قراءة التفسير للقرآن أو الشرح للحديث وربما أغار على أحدهم أن يذكر اسم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو على غير طهارة ثم مطابقتى بين ما عليه العارفون من أسرار الطريق وبين ماقاله الائمة المجتهدون ومقلدوهم من معتمد الاحكام الشرعية عندهم ثم العمل على طهارة ايمانى بالتوبة واصلاح الطعمة ثم عملى على تحصيل مقام الصديقية والشهادة بحكم الارث لابى بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما ثم حفظى من الندم على فوات معصية أو طاعة بطريقه الشرعى ثم نصحى لمن استشارنى فى الاخذ عن أحد من مشايخ العصر الذين جلسوا بانفسهم من غير اذن من شيخهم أن لا يأخذوا عنه ثم كراهتى للاكل من الاطعمة الفاخرة فى أوانى الصينى أو الفرنجى ونحوها ثم تشريفى برؤيا البارى جل وعلا مرتين فى المنام وبالاجتماع برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالسيد عيسى عليه السلام مرارا وبالخضر وبالقطب عليهما السلام مرارا ثم عدم شكوى من يؤذينى الى الله تعالى أو الى نفسى لان ولينا كلنا الله تعالى وهو يرحمه ويسمع مايقع من عباده ثم ايمانى بالغيب من صغرى سواء كان من الغائب عن بصرى أو عن عقلى ثم جعله تعالى لى بحمدى المقام لجمعه مقامات جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام ثم زهدى فى الدنيا من حيث كونها مبغوضة لله عز وجل لا لعلة أخرى وزهدى فيما بايدى الناس ليحبونى فيشفعوا لى عند الله تعالى لا لعلة أخرى ثم حصول مقام التجريد فى الباطن حتى انى لو تعريت عن لبس مازاد على العورة لشاكلت باطنى ولم يكن على بذلك لوم ثم حفظى من أكل أموال الناس بغير اذنهم من حين شهدت انهم لا يملكون مع الله شيأ فى الدارين الى وقتى هذا ثم عدم ادعائى لمقام المحبة المشهور بين القوم ثم خوفى من وقوع يدى على ذكرى فى ليل أو نهار فى عبادة أو غيرها ثم عدم مبادرتى الى الاخذ للعهد على مريد طلب منى أن يكون تحت تربيتى واشارتى حتى أعلم صدقه ثم رؤيتى فى نفسى اذا جلست مع الفقراء فى مجلس خير أننى أكثرهم ذنوبا ولذلك أتأثر منهم لما يقبلون بدى ولكن أعذرهم لغيبتهم عن مشهدى والله أعلم *(الباب الثانى عشر)* وفيه من النعم نعمة ايثار جناب

أحدثكموه ثم قال أرجع الى ربى فى الرابعة فاجده بتلك المحامد فاخر له ساجدا فيقول لى مثل ماقال فى الاول فاقول يارب ائذن لى فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك لك أو قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله فاشهد على الحسن انه حدثنا به انه سمع أنس بن مالك قرأه قبل عشرين سنة وهو يومئذ جمع فانظر رحمك الله ماتضمنه هذا الحديث من فخامة قدره صلى الله عليه وسلم وجلالة أمره وان أكابر الرسل والانبياء لم ينازعوه فى هذه الرتبة التى هى مختصة به وهى الشفاعة العامة فى كل من ضمه المحشر فان قلت فما بال آدم أحال على نوح فى حديث وعلى ابراهيم فى هذا ودل نوح على ابراهيم وابراهيم على موسى وموسى على عيسى وعيسى على محمد صلى الله عليه وسلم ولم تكن الدلالة على محمد صلى الله عليه وسلم من الاول فاعلم انه لو وقعت الدلالة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاول لم يتبين من نفس هذا الحديث ان غيره لا يكون له هذه الرتبة فاراد الله سبحانه

الحق جلا وعلا على جنابي فلا أمكن مريدي من رسوخ محبتي في قلبه ثم كثرة ارشادي لفقراء لاحدية والرفاعية والبرهامية وغيرهم ان يتلمذوا الشيخ بربهم من الاحياء ولا يكتفوا بالاموات ثم عدم انكاري على أحد من أهل الكشف اذا رأيته يضرب انسانا مثلا من غير ذنب ظاهر ثم عدم اجابتي لامير أو شيخ عزب طلب ان يتلمذ لي لعجزه عادة عن استعمال ما أصفه له من الدواء النافع للمريد ثم سلبي من الحال التي تؤثر فيمن جنى على أو آذاني ثم تربيتي لخواص أصحابي بالنظر من غير قول ولا اشارة ولا أمر ولا نهي ثم اطلاعه تعالى لي على عدد أصحابي الذين انتفعوا بصحبتي ويحشرون معي وأحشر معهم ثم تقريب الطريق على الصادقين من أصحابي باشتغالهم بالتوحيد ثم عدم رجوعي في شئ خرجت عنه في سري لاحد ولو عمامتي أو جوخي ثم عدم اتباعها نفسي ثم كثرة أدبي مع كل من تزيا بزي القوم لاسيما حال بسطه ومما زحته لي فلا أخالطه الا بالادب ثم كراهتي لوقوع شئ من الخوارق على يدي في هذه الدار ثم رؤيتي لاولاد كل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين التي كنت أنظر بها الى والدهم لو أدركته رضي الله عنهم أجمعين ثم رؤية بعض الصالحين الاثني عشر اماما من أهل البيت ووجوههم كالقمر وعليهم ثياب نفيسة فقال لهم ماجاء بكم فقالوا نسلم على عبد الوهاب فانه ليس في مصر أحد يحبنا الآن مثله ثم تقليدي للعارفين في كل مافهموه من القرآن مما لم يذكره المفسرون ثم وصولي في مقام الايمان الى حد صرت أتألم كما يتألم أخي المؤمن وأحس بالمه كما يحس هو بالالم ثم افادتي لكل فقيه جلس الي بالادب عدة فوائد كلما جلس مما لم يكن عنده ثم اعطائي لارباب الاحوال كل ما يطلبونه مني ولو عمامتي ولا أشح عليهم بشئ لي قدرة عليه ثم عدم تشويشي من الفقير اذا دخل علي وتشرط علي في الاكل لاسيما بعد العشاء الآخرة ثم عدم اصغائي باذني الى من يقول بكفر الحلاج من صغري الى وقتي هذا ثم اجتماعي وصحبتي لاولياء الله الاكابر الظاهرين بالكرامات والخوارق ثم قراءة القرآن على الجني فيحترق في الوقت أو يحجب عن رؤيتي في الليل والنهار ثم صحبتي لجماعة من الاولياء يجتمعون بملك الموت وبجبريل في هذه الايام ثم اخذي الطريق عن أمي لا يقرأ ولا يكتب وهو سيدي علي الخواص رضي الله عنه لان علوم الامين علوم وهب ثم تعظيمي للفقير الذي عليه زي الفقراء بمبادئ الرأي ثم ندائي بقلبي لمن شئت من أصحابي أن يحضر فيحضر من غير لفظ أو يرد من غير لفظ ثم جعله تعالى لي ممن يحيي السنة ويميت البدعة بعد الفترة التي كانت بعد أشياخي وفيها ذكر الخطيب الشربيني والشيخ نجم الدين الغيطي وسيدي محمد البكري وسيدي علي المرصفي رضي الله عنهم ثم عدم الجزم بتفضيل أحد من علماء العصر وأوليائه على غيره ثم اقتدائي بالسلف الصالح في كتمان الاسرار التي منحتها بفضل الله تعالى وفيه ذكر سيدي محمد البكري ثم معرفتي باهل الدعاوى الصادقة والكاذبة ثم كثرة شفقتي على الايتام والعميان ثم عدم مروري على أحد من العلماء والصالحين أو الفقراء وأنا راكب ثم كراهة نفسي للقرب من الملوك والامراء الا ان أعطاني الله تعالى الكشف التام الذي احتمي به من سوء عاقبة ذلك ثم عدم طلبي لكثرة المريدين الا ان وطنت نفسي على تحمل كثرة البلاء الزائد على بلاء جميع الاقران ثم فلاح ولدي عبد الرحمن وحسن فهمه وعقله وافادته لي عدة فوائد وهو دون سبع سنين وفيه ذكر سيدي محمد البكري وسيدي علي بن المنير وسيدي زين الدين ابن سيدي علي المرصفي وجماعة من أولاد فقراء العصر ثم عدم عداوتي لاحد من مشايخ عصري من أقران مشايخي ثم حمايتي من صغري الى وقتي هذا من الوقوع في شئ من أعمال قوم لوط أو غيرهم مما أهلك الله به الامم السالفة ثم صحبتي لجماعة من الفقراء الكمل في مقام الايمان بحيث لا يتخلاني فيهم تهمة اذا ناموا عند عيالي في غيبتي مع ان ذلك لم يقع لي انما ذلك على سبيل الفرض ثم صحبتي لجماعة من ملوك الآخرة المطلعين على الاسرار والكوائن التي تقع في مستقبل الزمان ثم وقوفي عند ما حده لي شيخي من فعل كذا دون كذا حتى لو نهاني عن صحبة من يصحب الملوك ثم صحبهم هو توقفت عن صحبته الا باذن جديد ثم عدم خروجي من بيتي في غالب الايام الى الزاوية أو غيرها الآن الا ان عاملت من نفسي القدرة بارادة الله تعالى على آداب الخروج الثلاثة وهي النصيحة للخلق وترك المؤاخذة لهم على جنايتهم علي وعدم السكوت على ترك معروف أو فعل منكر ثم كوني لا آكل ولا أشرب ولا أجامع ولا أضحك اذا جنى علي أحد جناية حتى أتوجه الى الله تعالى في سؤال العفو عنه ويلقى في قلبي انه عفا عنه ثم وصولي بحمد

وتعالى أن يدل كل واحد على من بعده وكل واحد يقول لست لها مسلما للرتبة غير مدع لها حتى أتوا عيسى عليه السلام فدل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنا لها وفي الحديث من الفوائد ان الايمان يزيد وينقص وفيه من الفوائد ان المعارف لا تتناهى لقوله لا أقدر عليه الا أن يلهمنيه الله عز وجل ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ويشهد له قوله سبحانه وتعالى ولا يحيطون به علما الى غير ذلك من الفوائد التي لو تكلمنا عليها خرجنا عن غرض الكتاب ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضي الله تعالى عنه يقول جميع الانبياء خلقوا من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم هو عين الرحمة قال الله سبحانه وتعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فدعا صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى بالبصيرة الواضحة والبينة الفائقة وقرب المدارك وبين المسالك وحث على سلوك سبيل الهدى واجتناب سبيل الردى فما ترك شيئا يقرب الى الله الا ودعا اليه ولا أدبا يصلح أن يكون العبد به مع الله تعالى الا حث عليه ولا شيئا يشغل عن الله تعالى الا وحذر العباد منه ولا عملا يقطعهم عن الله تعالى الا وأخرجهم عنه لا يألو نصحا في تخليص العباد من

الله تعالى الى مقام فى الايمان باحوال الساعة حتى لو كشف الغطاء ما ازددت به يقينا ثم اجلالى لحانوت شيخى سيدى على الخواص رضى الله عنه كلما مررت عليه بعد موته وتأخذنى عند رؤيته رعدة وهيبة حتى كان شيخى جالس فيه حيا ثم معرفتى بالعمل الواقع على يدى هل هو حسن أو قبيح لاشكر الله على حسنه عادة واستغفره من قبحه كذلك والله أعلم *(الباب الثالث عشر)* وفيه من النعم نعمة كثرة شهودى لاصل ولاة الزمان حال ولايتهم وضخامتهم فلا يحجبنى أحد الحالين عن الآخر فاشهد الامير ترابا حال كونه أميرا ونحو ذلك ثم خوفى من فعل شئ بغير قلب أحد من الفقراء الذين ظهروا فى العصر وتعرفوا بنا وتعرفنا بهم ثم اطلاعى على اسرار الحروف أوائل السور والمفرقة فى الهجا على غير طريق أهل علم الحرف الآن ثم تكرمى بثيابى وما عندى من الطعام على كل محتاج سواء كان من المعارف أو غريبا من غير توقف ولا اتباع نفس ثم عدم غفلتى عن نصح الشباب المقيمين عندى فى الزاوية فلا أكاد اغفل عن رعايتهم لانهم بشعبة من الجنون ثم استحيائى من الله عز وجل ان أقرب من زوجتى أو أكثر من ملاعبتها لاستيلاء سلطان الغيرة الالهية على قلبى ثم حسن سياستى ونصحى لمن عرف بالفجور فى العبيد والمماليك مع عدم سوء الظن به ثم كتمى على الاموات من أصحابى ما رأيتهم فيه من العقوبة بعد موتهم ولا أخبر بذلك أحدا من أصدقائهم فضلا عن غيرهم ثم عدم كونى أتصدى للدعاء للخلق فى زوال ضروراتهم الا ان اجتمعت فى ثلاث خصال جمعية القلب على الله وعدم الالتفات الى غيره ووجود الاضطرار اليه ثم كثرة تصديقى للاولياء فيما يدعونه مما هو من مرتبتهم عادة ثم عدم مبادرتى بالانكار على من قام وتواجد ولو كان من الظلمة فان فى لمحة تقع الصلحة ثم عدم رضائى بما يقع من اخوانى من البغى والفساد على بعضهم بعضا ثم حمايتى من جعلنى قاضيا أو حاكما أو شاهدا الخفاء غالب القضايا على الحكام والشهود ثم شدة زجرى لاصحابى عن الكذب وتغيظى عليهم بسبب ذلك ثم عدم قبولى شيئا من الغمام مطلقا ولو كان معدودا من مشايخ العصر ثم المبادرة الى التوبة فورا اذا جرى على قلبى غيبة أحد ولو لم أتلفظ بذلك ثم كسر قفص طبعى حتى خرجت عن الحياء الطبيعى ثم ارشادى لاخوانى المهمومين ان يأمر أحدهم أحدا من المحبين له أن يؤذن فى اذنه فانه يذهب همه لوقته ثم كثرة زجرى لمن رأيته من اصحابى يتجسس على عيوب الناس ثم شهودى ببادئ الرأى فضل من قبل صدقتى أو فضل من قضيت له حاجة ثم كثرة رفقى ورحمتى لمن شكا الى ثم كثرة محبته للمعاصى ثم غض طرفى عن رؤيتى النساء الاجانب وما قاربهن ثم غيرتى على اذنى ان تسمع زورا أو باطلا أو عينى ان تنظر الى محرم أو لسانى ان يتكلم بباطل لاجل كونى اسمع كلام الله أو أنظر فى المصحف أو أتلوا القرآن ثم شدة ندمى على اجتماعى باحد من الامراء وكراهتى للظالم منهم ولو أحبنى ثم اقامة العذر باطنا لمن قدر الله تعالى عليه شيأ من أمارات الساعة المذمومة وانكارى عليه ظاهرا قياما بواجب الشرع ثم كثرة محبتى لمن ينصحنى وزيادة محبته على من يحبب عنى ثم موت أبى وامى قبل بلوغى سن التكليف ثم عدم سؤالى الله تعالى ان يعطينى المنازل العالية فى الجنة الا بعد توطينى نفسى على كثرة الصبر على البلاء لكون البلاء مقرونا بذلك وعكسه ثم اعطائى الخبز حقه من الاكرام والتعظيم وتقبيله ووضعه على العين ثم عدم اجتماعى بمن دخل فى عهد شيخ قبلى أو بعدى الا ان علمت سلامته من الآفات عند اجتماعه بى ثم رؤية بعض الصالحين ان الائمة الاثنى عشر من أهل البيت دخلوا مصر لزيارتى وشهادتهم لى بالمحبة لاهل البيت ثم محبتى لعيالى محبة الاخوة فى الاسلام لا محبة لطبع فتزيد محبتها بالدين عندى وتنقص بقلة الدين ثم عدم مبادرتى لصحبة انسان الا بعد مجالستى له أياما كثيرة ومعرفتى بتعظيمه لاوامر الله عز وجل ثم عدم مطالبتى العارفين والعلماء العاملين بدليل فى جميع أحوالهم فان مثلهم لا يفعل ما هو بدعة ثم رؤيتى لجملة من مشايخى بعد موتهم وتعظيمى لهم وخدمتهم ثم حسن ظنى فى الله عز وجل انه يجيب دعائى ولو كنت أكثر أهل الارض خطايا وفيه ذكر بعض آداب الدعاء ثم عدم اقامتى ميزان عقلى على علماء عصرى وعدم سب احد منهم الا بطريق شرعى ثم حمايتى من الخديعة والغدر لاحد من المسلمين ثم حفظى من السرقة والخيانة من منذ وعيت على نفسى ثم حمايتى من أكل الحرام الصرف ثم عدم ذكرى للامير الذى دخلت عليه شيأ من اخبار الامير الذى كان قبله الا لمصلحة ثم تأدبى مع الامير الذى كان لى عليه أياد قبل أن يتولى تلك

فرفع صلى الله عليه وسلم من الدين لواءه وتمم نظامه وقرر فرائضه وأحكامه وبين حلاله وحرامه وكما بين للعباد الاحكام كذلك فتح لهم باب الافهام حتى قال الراوى لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الطير ليتحرك فى السماء فنستفيد منه علما بحق قال الله تعالى لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى وقال سبحانه وتعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا وقال صلى الله عليه وسلم تركتها بيضاء نقية فجزاه الله خير ما جزى نبينا عن أمته ولما أكمل صلى الله عليه وسلم البيان لسبيل الرشاد وأظهر السالك الموصلة الى الله تعالى للعباد توفاه الله تعالى الى الدار التى هى خير له وأولى بعد ان خير فاختار الرفيق الاعلى ثم جعل الله تعالى الدعاة فى أمته أبدا ودائما سرمدا بما ورثوا منه وأخذوا عنه وقد شهد لهم الحق بذلك وجعلهم أهلا لما هنالك قال الله سبحانه وتعالى قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى قال الشيخ أبو العباس رضى الله تعالى عنه أى على معاينة تعين سبيل

الولاية وعدم طلبي منه انه يدخل تحت حكمي كما كان معي قبل ولايته ثم كثرة تعظيمي وتبجيلي لكل من زاد علي في كثرة تحمل البلاء من تجريح الناس في عرضه ونحو ذلك ثم الهامي لقراءة السور الفاضلة والآيات العظيمة التي ورد انها تعدل ألف آية أو ربع القرآن أو نصف القرآن أو ثلث القرآن اذا ضاق علي الوقت في قيام الليل أو نحو ذلك ثم عدم رؤيتي حماية نفسي حال طاعاتي من وقوع العذاب علي عكس ما كان الحال في الزمن الماضي ثم عدم تكليفي لاصحابي ما لا يطيقونه من الاعمال ثم شهودي قرب الحق مني في حال سجودي كحال قيامي على حد سواء ثم انشراح صدري لكثرة ذكر الله تعالى والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من منذ وعيت على نفسي ثم مطابقة رؤيتي في المنام ما يطابق ما جاء عن الشارع وغير ذلك ثم عدم افشائي الاسرار المتعلقة بالتوحيد ودقائق الشريعة لاحد من الخلق الا بعد طول امتحان ثم شهودي ان ذاتي وروحي معي كاليتيم تحت كفالة وليه ثم حفظي للادب مع السلطان وتوابه فلا اعترض عليهم في فعل ما هو من ملازمهم عادة دوني كاركابهم الفرنج الخيل ومعارضتهم لنا في هدم كنيسة ونحو ذلك ثم ملاطفتي لاخواني من الفقهاء فلا آمرهم الا بفعل ما هو من مقامهم في الورع الا ان طلبوا ذلك مني وفيه جواز اعارة الكتب المشروط عدم اخراجها ليطالع الطالب فيها في مسجد آخر مثلا ثم صبري على مجالسة الثقلاء والله اعلم (الباب الرابع عشر) وفيه من النعم نعمة كثرة شفقتي على كل دابة ركبتها وكراهتي حملي سوطا اذا ركبت ثم عدم سبي ولعني الدابة اذا عثرت ورمتني على الارض على وحل أو قذر أو نحو ذلك ثم مواظبتي على الوضوء لكل ما يستحب له الوضوء ثم عدم غفلتي عن تبغيض كل من صحبني من الحشاشين في بلع الحشيشة وعدم زجري له عن ذلك بعنف ثم شهودي بنور الايمان وسر الايقان ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل خلق الله على الاطلاق فلا أحد من أهل السموات والارض يساويه في مقام من المقامات ثم عدم مزحي مع أحد وهو في عبادة من صغري الى الآن أدبا مع الله عز وجل ثم عدم مبادرتي للانكار على الولاة من أمير أو قاض في تغاليهم في شراء المماليك الصباح الوجوه ثم عدم الوسوسة في الوضوء والصلاة والقراءة فيهما مع أني بلغت الغاية في الورع التي لم يصل اليها هؤلاء الموسوسون ثم طيب نفسي بالقراءة على أقراني واظهار انني من طلبتهم ثم تعظيمي لاقراني كلما خفي أمرهم ونفر عنهم المعتقدون ثم حمايتي من أن يكون لي ديوان سر بين أصحابي في تنقيص أقراني ثم اذا واجهتهم أكبرهم كما عليه طائفة اخرى ثم عدم احتقاري من رأيته على معصية الا ان اطلعني الله عز وجل على سوء عاقبته التي يبعث عليها ثم عدم سب السكران أو ضربه اذا طلع المسجد وخيف عليه من تنجيسه ثم كثرة اهتمامي بامر الضيف وغدائه وعشائه مع كثرة اشتغالي بامور أخر من تأليف وقراءة قرآن وتدريس علم وقضاء حوائج الفقراء عند الحكام غالب النهار وغير ذلك وفيه ذكر سيدي محمد البكري وسيدي محمد الرملي ثم رؤيتي لمحاسن أعمال العلماء والصالحين وسائر أعمال المسلمين وعدم التعرض لمقاصدهم في الباطن لان ذلك الى الله تعالى لا الى العبد ثم تفتيش نفسي والتوبة من كل صفة مذمومة كلما قمت الى الصلاة من حسد ومكر ونفاق ورياء وغير ذلك ثم عدم اكلي اذا ركبت حمارة باجرة أو عارية لكوني اصير بالاكل ثقيلا زيادة على ما كنت عليه حال استئجارها أو استعارتها ثم عملي بالامور التي علق الحق زيادة العمر أو الرزق أو الموت على الايمان بفعلها ولا أتكل على ما سبق به العلم ثم كثرة توجهي الى الله تعالى في حفظ رأس مال عمل كل من بات عندي في كل مولد عملته من النقص أو الاحباط من مقرئين ومداحين وسامعين خوفا ان يقع أحدهم في غيبة أو رياء فيحبط عمله أو ينقص ويرجع من مولدي خاسرا ثم عدم ظني النجاة في طاعة من الطاعات بعد اذ سمعت قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ثم تصويبي لكل من زهد في صحبتي وفارقني وقولي ان فلانا قد أصاب في مفارقتي مثلا ثم تنزيل الناس منازلهم في الاكرام بحسب ما هم عليه من ذل النفس ثم عدم تكديري ممن أمرته بأمر فلم يمتثل ذلك الامر علا بقوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ ثم مبادرتي الى النظر في حكمة كل شيء وقع في الوجود من المعاصي والمخالفات دون الاعتراض فلا اعترض الا بعد ذلك ثم عدم تكديري ممن لم يحضر مولدي أو لم يساعدني فيه بماله أو ببدنه ثم شهودي في نفسي انني دون من اربيه من المريدين في المقام لانهم مشايخي في الحال وأنا

حسب اختلاف سبلهم فقال لبلال رضى الله تعالى عنه أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالا وقال لآخر أراد أن ينخلع عن ماله كله أمسك عليك مالك فانك ان تدع ورثتك أغنياء خير لك من أن تدعهم عالة يتكففون الناس وقال رجل أوصني فقال له صلى الله عليه وسلم استح من الله كما تستحي من رجل صالح من قومك وقال له آخر أوصني فقال له لا تغضب وسمعت شيخنا أبا العباس يقول فتح الحق سبحانه وتعالى بقوله ومن اتبعني باب البصائر للاتباع يريد الشيخ ان قول الله سبحانه قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني أي ومن اتبعني يدعو الى الله على بصيرة على ما يقتضيه اللسان لانك اذا قلت زيد يدعو الى السلطان على نصيحة هو وأتباعه أي وأتباعه يدعون اليه على نصيحة اذا ثبت هذا فالرسول صلى الله عليه وسلم يدعو على بصيرة الرسالة الكاملة والاولياء يدعون على حسب بصائرهم قطبانية وصديقية وولاية وقد

قال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء وقال صلى الله عليه وسلم فان الانبياء لا يورثون

الله عليه وسلم لم يقل علماء أمتي كرسل بني اسرائيل فمن الناس من ظن ان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي نبئ في نفسه والرسول هو الذي أرسل لغيره وليس الامر كما ظن هذا القائل وان كان كذلك فلم خص الانبياء دون الرسل بالذكر في قوله علماء أمتي كانبياء بني اسرائيل ومما يدلك على بطلان هذا المذهب قوله سبحانه وتعالى وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبي الآية فدل على ان حكم الارسال يعمهما وانما الفرق ما قال بعض أهل العلم ان النبي لا يأتي بشريعة جديدة وانما يجيء مقرر الشرع من كان قبله كيوشع ابن نون فانه انما أتى مقرر الشريعة موسى عليه السلام وآمرا بالعمل بما في التوراة ولم يأت بشرع جديد والرسول كموسى عليه السلام انما أتى بشرع جديد وهو ما تضمنته التوراة فقال صلى الله عليه وسلم علماء أمتي كانبياء بني اسرائيل أي يأتون مقررين ومؤكدين وآمرين بما جئت به لا أنهم يأتون بشرع جديد (اعلام وبيان) اعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء علماء أمتي كانبياء بني اسرائيل

شيخهم بالقال ثم شهودي في نفسي انني من جملة العصاة على الدوام اما بوقوعي في المخالفة واما بتقصيري في العبادة ثم عدم تكديري ممن نفاني من طريق الصوفية وقال فلان ليس هو من أهل الطريق ولا ذاق منها شيأ ثم تسليمي لكل من ادعى من الفقراء انه من أهل الكشف ولكنه تنزه عنه ثم عدم تغييري ما كنت عليه من الضحك والمزح اذا دخل علي من يستحي منه عادة خوفا من النفاق ثم عدم محبتي للبس ثياب مخصوصة دون غيرها لحظ نفسي ثم تحبيبي لمن أراد من الناس ان يأخذ عن أحد من أقراني في الاخذ عنه ثم تكدري اذا دخل على أحد من الامراء والاكابر وأنا في قراءة حزبي أو محفلي صباحا ومساء مثلا ثم خوفي من المواظبة على الاذكار ومجالس الخير أن يكون ذلك رياء ودوامه استدراجا ثم عدم اخذ اخواني معي في الولائم الا ان غلب الخلاص في ذلك ثم اخذي كل كلام وعظت به الناس وفي حق نفسي أولا وفي حق الناس ثانيا واستغفاري من ذلك ثالثا ثم عدم تمكيني أحدا من الاخوان يمشي بين يدي اذا ركبت في وليمة أو حاجة ثم شهودي في نفسي انني عاجز عن رد كيد ابليس عني فضلا عن رد كيده عن مريدي ثم عدم تمكيني أحدا من الاخوان ان يتفوه باني من الاولياء والصالحين لانه غرور وجهل ثم محبتي لكل من انتسب الى هذه الطائفة ثم عدم سؤالي عن ثمن قمح أو حطب أو غير ذلك بحضرة من يساعدني في حقه من الاخوان خوفا أن يتكلف معي في ثمنه ثم عدم تعاطي أسباب تميل خاطر الاغنياء الى الالغرض صحيح ثم محبتي لكل من كان أكثر طاعة لله مني وتقديمه على نفسي لكون الحق تعالى يحب من أطاعه أكثر ثم انشراح صدري لتقديم الناس أحدا من أقراني الذين اخذوا معي على شيخ واحد على في المقام ثم عدم ميلي لخروجي مع الناس للاستسقاء الا بشرط عدم رؤية نفسي على الناس اذا خصني نائب السلطان بالخروج بالناس دون أحد من اقراني ثم عدم امتناعي من الاجابة الى وليمة اذا علمت أن أحدا من اقراني هنالك ثم اذا دخلت قبلت ركبته أو رجله بحضرة ذلك الجمع العظيم وأجعل المجلس كله له ثم عدم تعريضي لاصحابي أن يحملوا كل شيء صدر من افعالي واقوالي على المحامل الحسنة وذلك لعدم عصمتي بل احثهم على أن ينصحوني جهدهم ثم شهودي نقص نفسي اذا سمعت القرآن أو الحديث أو كلام السلف الصالح ولم أبك دون قولي ان البكاء لا يكون الا للناس الناقصين دون الكاملين ثم عدم اغترارى بكثرة أتباعي المعتقدين في وكلما كثروا رأيت ذلك من جملة الابتلاء وانه قد يكون من الاستدراج واخاف أن اشتغل بهم عن الله عز وجل والله أعلم *(الباب الخامس عشر) وفيه من النعم نعمة سماعي للقرآن في زاويتي ليلا ونهارا على التواصل في اغلب الاوقات فلا ينتهي قارئ الا ويبتدئ قارئ آخر وكذلك لا يفرغ قارئ كتب الحديث أو التصوف أو الفقه من كتاب الا ويبتدئ قارئ في كتاب آخر وهذا لا يكاد يوجد الآن في زاوية من زوايا مصر الا نادرا ثم نعمة ارساله تعالى لنا في الزاوية شخصا اسمه الشيخ منصور فيطلع المنارة من أول نصف الليل الثاني فلا يزال يذكر الله تعالى بصوت عال يسمعه من بعد من الزاوية حتى يوقظ أهل الزاوية وأهل الحارة فيواصل الذكر والقراءة من حين يصعد المنارة الى ضحوة النهار ثم من جملة فقراء الزاوية شخص آخر اسمه محمد الترساوي يقرأ في الليل قراءة تحن لها القلوب القاسية ويطرب لها الحيوان لا يكاد يغفل ليلة واحدة بجواري وهذا لا يكاد يوجد الآن عند أحد من فقراء مصر ثم تتعاقب بعده جماعة أخرى الى الفجر ثم كثرة وجود الرزق عندي في الزاوية حتى انه يفيض عن أهلها وأهدي منه الى الاصحاب في دورهم من ارز وعسل ودجاج واوز وغير ذلك ثم اصلاح زوجاتي الاربع اللاتي تزوجتهن على التعاقب في أمر دينهن ثم تأهلي لخدمة الفقراء القاطنين عندي للاشتغال بالعلم والقرآن والادب والاوراد من منذ ثلاثين سنة من غير تقلق مني ولا تعب في تحصيل امر معاشهم ثم محبة الفقراء الطالبين للآخرة في الاقامة عندي من بلاد شتى ولو بذلوا لاحدهم مالا جزيلا ليفارقني لم يفعل ثم كثرة تفرقتي على الفقراء كل ما يدخل الزاوية على اسمي أو على اسمهم فافرق عليهم كل سنة أكثر من عشرين ألف نصف ولا أشاركهم في شيء سوى اللقمة ثم بلغ من العميان عندي نحو ثلاثين نفسا وزوجت من المجاورين نحو أربعين نفسا وغير ذلك ثم تيسير الفرن الذي يخبز فيه للفقراء في البيت وتيسير الوقود فيأتينا كذا كذا وسقا في المركب الى أن ترسى على الزاوية فتصير نساء المجاورين يخبزن بتبن طاهر طول السنة دون الزبل ثم تيسير جميع

مايحتاج اليه فى الزاوية من طعام ولباس وغيرهما من غير سؤال ولا ذل فى طريق الوصول الى ذلك ثم ارسال الحق جل وعلا الى كل سنة من العسل النحل نحو عشرة قناطير ومن عسل القصب نحو خمسة عشر قنطارا ومن القمح ثلاث مائة أردب وغير ذلك مما سيأتى بيانه فى هذا الكتاب ثم ارساله تعالى لنا كل سنة من البطيخ الهندى نحو الفى حبة فنطعم منها الفقراء والضيوف طول السنة حتى يطلع البطيخ الجديد غالبا ثم عدم اعتمادى على وقف أو هدية أو على مخلوق دون الله تعالى ثم حمايته لى تعالى من الاكل من خراج رزقة أو بيت قيل لى ان فى شرائه حيلة لا يقبلها الشرع ثم موافقة اخوانى المجاورين على ردما يأتينا الى الزاوية من هدايا الامراء والظلمة بطيبة نفس ثم حماية أصحابى من الاكل من خبز ابن عمرو بن بغداد لمارتبه فى مصر ثم مطاوعة اخوانى فى عدم القراءة بالفلوس على القبور وفى بيوت الناس وعدم الاكل من طعام العزاء والجمع وتمام الشهر والاعراس الواسعة التى لا تورع عند أصحابها ثم جمعى للفقراء فى الزاوية لاجل نفع نفوسهم دون نفع نفسى الا بحكم التبع وسماعهم لاشارتى اذا قلت لاحدهم لا تأكل من هذه الهدية أو لا تأخذ شيأ من هذه الفلوس أو نحو ذلك ثم كثرة مجالستى لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم فى مجلس الذكر والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من سنة ثمانية عشر وتسعمائة الى وقتى هذا وهو سنة ستين وتسعمائة والله أعلم (الباب السادس عشر) وفيه من النعم نعمة كثرة سماعى للقرآن والذكر ليلا ونهارا وأنا جالس فى بيتى مما لم يقع للملوك مثله ثم تأدب المجاورين معى اذا عاتبت أحدا منهم على زلة وقعت منه وعدم جوابه عن نفسه الا باذن ثم دوام الاشتغال بالعلم والقرآن فى الزاوية طول السنة على شيخ الزاوية ثم حمايته جميع وقف زاويتنا من ظلمة الحكام فى مصر والريف فلا أحد يقف لنا فى طريق مع كوننا لا مرسوم معنا من جهة السلطان ثم عدم وقوفى لاحد من الحكام اذا نازعنى أحد فى بيتى أو رزقتى أو زاويتى بل اسلمها له بمجرد دعواه ولا أقف بنفسى ولا بوكيلى هو انا بامور الدنيا ثم معرفتى باسم الله الاعظم وعدم تصرفى به ادبا مع الله عز وجل ثم كثرة افاضة الخير على فى الملابس حتى انى كسوت خلقا كثيرا لا يعلم عددهم الا الله تبارك وتعالى ثم بيان جماعة كسوتهم على التعيين ثم ملاطفة المريدين والمعتقدين أول اجتماعهم على فلا امقتهم فى الصدق قط خلاف ماعليه بعضهم ثم حذرى من مكايد النفس اذا قام على عدو وصار ينقصنى فى المجالس وصرت أنا اثنى عليه خيرا ثم تعظيمى للناس بحسب مراتبهم فى الدين فاقدم العارف بالله وبشرعه على كل من كان بالضد من ذلك ثم جعله تعالى لى من أهل الالهام الصحيح فى أغلب الاوقات ثم حفظى من الخوض فى آيات الصفات من غير علم ثم استئذانى الحق تعالى بقلبى اذا كنت فى عبادة مستحبة وأردت الجماع لاعفاف نفسى أو زوجتى ثم شهودى فى نفسى انها كاذبة فى دعوى الارادة فضلا عن المشيخة ثم حفظى من الآفات التى تطرقنى اذا أمرت أحدا بخير ثم خوفى من ترك التظاهر بالدعاوى أكثر من خوفى من الدعاوى ثم نصح اخوانى على سبيل الكر والفر من غير رؤية نفسى عليهم ثم شهودى خوف كثرة غشى لاصحابى كلما كثروا الانى لو نصحتهم لما كثروا غالبا ثم كونى لا ينصحنى قط ناصح وأرى نفسى مستغنية عن نصحه ثم استئذانى لربى اذا قمت من الليل ولم أجد عندى داعية الى الوقوف بين يديه ثم شهودى أن ضرر نصحى للاخوان أكثر من نفعى لهم لكونى أقيم عليهم الحجة بنصحى يوم القيامة ثم حمايتى من نصرة نفسى اذا غار منى حاسد ثم كونى لا أنكر على أحد شيأ الا بعد شهودى من ناصيته بيده ثم كونى لا أنصح أحدا عن شئ الا بعد تحققى وقوعه فى ذلك الشئ ثم عدم نسبة النقص الى أحد تاب من ذلك النقص ثم فرحى برجوع العصاة الى الله تعالى بلا واسطتى أكثر من فرحى بهم اذا رجعوا بواسطة نصحى لهم ثم معرفتى بنفسى اذا نصحنى ناصح هل أنا من أهل الخير أو من أهل الشر ثم أمرى بالمعروف ونهيى عن المنكر فى حال تسليمى للقدرة مافعلت ثم شهودى العلل فى أعمالى ثم موافقة باطنى لظاهرى فى الاعمال ثم ترجيحى للمنع على العطاء لفناء اختيارى مع الله تعالى ثم رجائى من الله تعالى انه يحبنى لما زهدت فى الدنيا ثم امساكى الدنيا بعد الزهد فيها على وجه الادب مع الله تعالى ثم ايمانى بان أفعال العباد خلقا لله تعالى فى حال نسبتها اليهم ثم اطلاعه تعالى لى على مقام رفع الخلاف من آيات الصفات وأخبارها ثم على ميزان يرجع جميع أقوال الائمة للشريعة فلا يخرج عنها من

متعلم وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم وقوله سبحانه وتعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم وقال الذين أوتوا العلم بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وحيثما وقع العلم فى كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما المراد به العلم النافع المحمد للهوى القامع الذى تكتنفه الخشية وتكون معه الانابة قال الله سبحانه وتعالى انما يخشى الله من عباده العلماء الآية فلم يجعل علم من لم يخشه من العلماء علما وقال داود عليه السلام يارب ما علم من لم يخشك وما خشيك من لم يطع أمرك فشاهد العلم الذى هو مطلوب الله الخشية لله وشاهد الخشية موافقة الامر ما علم تكون معه الرغبة فى الدنيا والتملق لاربابها وصرف الهمة الى اكتسابها والجمع والادخار والمباهاة والاستكثار وطول الامل ونسيان الآخرة فما أبعد من هذا العلم علمه من أن يكون من ورثة الانبياء وهل ينتقل الشئ الموروث الى الوارث الا بالصفة التى كان بها عند المورث عنه ومثل من هذه الاوصاف أوصافه من العلماء كمثل الشمعة تضئ على غيرها وهى تحرق

أقوالهم قولا واحدا ثم جمعه تعالى فى جميع اخلاق هذا الكتاب والله أعلم (الخاتمة) وفيها من النعم نعمة شهودى فى نفسى أننى دون كل جليس من المسلمين كشفا وذوقا ثم كثرة تحملى للبلايا والمحن الواقعة لى فى الدنيا ببعض ذنوبى حتى كأنى قطب للبلاء ثم قلة ضجرى ممن يؤذينى وفرحى كلما زادنى أذى ثم مبادرتى للشكر كلما آذانى انسان لانه يهدى الى حسناته ثم عدم تمكينى أحدا من أصحابى يجيب عنى اذا رمانى أحد بزور أو بهتان وفيها ذكر محن الملوك من عصر الصحابة الى عصرنا هذا وذكر محن الاولياء والعلماء ثم تنبيهى للشكر لله كلما حسدنى حاسد ونقضنى فى المجالس ثم صبرى على الحسدة والاعداء حين دسوا فى كتبى ما يخالف الشريعة ثم أشاعوا ذلك عنى وذكر بعض وقائع صبرت عليها ولم أقابل أهلها بنظير ما نقصونى به ثم انتصاره تعالى لى كلما أوذيت من أعدائى غيرة منه تعالى من غير سؤال منى فى ذلك ولا دعاء عليهم ثم كثرة محبتى وشفقتى على دين كل من رأيته مقراضا فى الناس وقيامى بواجب حقه اذا ورد على ثم كثرة شفقتى وحنوى على كل من بالغ فى ايذائى وترجيح محبته على محبة من أحسن الى واعتقدنى ثم كثرة شفقتى وخوفى على دين من آذانى أن ينقص بسبب ايذائه لى حتى ان ذلك يشغلنى عن مراعاة التأذى بالشئ الصادر منه لى فاتأثر على نقص دينه أكثر مما يتأثر هو ثم عدم اتعاب سرى فى تدبير حيلة تؤذى من آذانى بقول أو فعل ثم مبادرتى لاقامة العذر لكل من آذانى لكونه ما آذانى الا بعد مخالفتى لهواه أو بعد وقوعى فى ذنب يقتضى عنده ذلك ثم كثرة تعظيمى وتبجيلى لكل عالم أنكر على وبالغ فى الانكار لكونه غار لظاهر الشريعة على قدر عقله ثم كثرة مبادرتى للشكر كلما نقصنى منقص عند أحد من الامراء والاكابر كما أشكر الله تعالى اذا مدحونى وعظمونى عند الاكابر على حد سواء ثم كثرة محبتى لمن نفر عنى أبناء الدنيا وجرحنى عندهم من تجار ومباشرين وأمراء وغيرهم وذلك لكونى لا أمد طرفى الى شئ مما فى أيديهم من الدنيا ولو اننى مددت عينى الى ذلك لكرهت كل من ينفرهم عنى ثم كثرة تحملى لهموم الاخوان وهروبى من هداياهم خوفا على نفسى من الهلاك لانى اذا كنت أكاد أموت من كثرة تحمل همومهم من غير هدية فكيف حالى اذا قبلت هديتهم ثم كراهتى للجواب عن نفسى اذا نقصنى منقص الا لمصلحة شرعية ترجح على السكوت ثم شكرى لله تعالى اذا نقصنى أحد من الاعداء بشئ لم يقع منى لانه نفعنى على كل حال بتحذيرى من الوقوع فيه ثم عفوى وصفحى عن جميع من جنى على فى مال أو عرض أو بدن من جميع هذه الامة المحمدية اكراما لله عز وجل من حيث كونهم عبيده ثم اكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث كونهم أمته لا لعلة أخرى وأشهدت الله تعالى وملائكته على ذلك فلا أرجع عنه ولو جئت القيامة صفر اليدين من سائر الاعمال الصالحة ثم مسامحتى لكل من اغتابنى بعد موتى أو فى حال حياتى ولم تبلغنى غيبته وان لم أكن أعلم ذلك فالله يعلمه ثم مسامحتى لكل من سمع غيبتى وصدق المغتاب فيها من المستهزئين والمتهورين فى دينهم ثم عدم جوابى عن نفسى حياء من الله تعالى لا لعلة أخرى ثم شهودى أن كل ما يؤذينى به الناس من جملة المصالح لى لانه ربما كان عندى عجب باحوالى فانتبه لها بذلك الاذى وفى ذلك أيضا ادمان على تحمل أهوال الآخرة ثم شدة كراهتى لكل من ينقل الى أخبار الناس الناقصة التى يستحى أن يواجههم بها لانها كلها غيبة ثم محبتى لان أفدى جميع العلماء والصالحين بنفسى وأود أن كل الناس ينقصونى بكل ما ينقصونهم به ولا يضيفوا النقص الى أحد منهم ثم عدم تكديرى ممن رفع أحدا من أقرانى فوقى ثم كثرة اجلالى للعلماء والصالحين والامراء فلا أدعو أحدا منهم الى وليمة عملتها ثم رحمتى لعدوى وتأثرى اذا نزل عليه بلاء ثم مبادرتى لاقامة الحجة على نفسى دون الله تعالى اذا ظلمنى ظالم ثم حمايتى من الحسد لاحد من أقرانى اذا أقبلت الدنيا وأهلها عليه دونى ثم عدم تكديرى ممن نادانى باسمى المجرد عن اللقب أو الكنية أو السيادة أو الشياخة ونحو ذلك ثم عدم نفرة نفسى من عشرة المخنثين لكونهم أصحاب بلايا وأمراض فاقرب منهم لاداويهم من أمراضهم وأشكر الله تعالى على معافاته لى من مثل أمراضهم ثم توجهى الى الله تعالى فى أن يمحو من قلب مريدى كل علم تعلمه ولم يخلص لله فيه الى آخر التوجهات ثم عزمى على العمل بعلم كل عالم رأيته لا يعمل بعلمه فاساعده على تحصيل ثواب علمه بعملى انابه فربما أثابه الله تعالى على كونه كان سببا فى عملى أنا بعلمه ثم عدم اصغائى الى قول عدو ما لا ينبغى فى حق عدوه ثم مخالطتى

سها جعل الله العلم الذى علمه من هذا وصفه حجة عليه وسببا فى تكثير العقوبة لديه ولا يغرنك أن يكون به انتفاع البادى والحاضر فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ومثل من تعلم العلم لاكتساب الدنيا وتحصيل الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة بملعقة من ياقوت فما أشرف الوسيلة وما أخس المتوسل اليه ومثل من قطع الاوقات فى طلب العلم فمكث أربعين سنة أو خمسين سنة يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل من قعد هذه المدة يتطهر ويجدد الطهارة ولم يصل صلاة واحدة اذ مقصود العلم العمل كما ان المقصود بالطهارة وجود الصلاة ولقد سأل رجل الحسن البصرى عن مسئلة فافتاه فيها فقال الرجل للحسن قد خالفك الفقهاء فزجره الحسن وقال ويحك وهل رأيت فقيها انما الفقيه من فقه عن الله أمره ونهيه وسمعت شيخنا أبا العباس رضى الله تعالى عنه يقول الفقيه من انفتأ الحجاب عن عينى قلبه واذ قد عرفت ان الدعاء الى الله لا يزال أبدا فاعلم ان الانوار الظاهرة فى أولياء الله انما هى من اشراق أنوار النبوة عليهم فمثل الحقيقة المحمدية كالشمس وأنوار قلوب الاولياء كالاقمار وانما أضاء القمر لظهور نور

العدوى باطنا اذا ادعى محبتى ظاهرا وعدم اعلامه بانه يكرهنى خوفا أن يخجل ثم عدم تكدرى من صاحبى اذا عاشر عدوى وحمله على المحامل الحسنة ثم كثرة شكرى لله تعالى وكثرة استغفارى اذا كثر حسادى وأعدائى ثم كثرة اهتمامى بحمل هم عدوى أعظم من اهتمامى بهم صديقى ثم كثرة تحفظى من الوقوع فى غيبة عدوى أكثر من تحفظى من الوقوع فى غيبة صديقى عادة ثم رد كيد أعدائى فى نحورهم من غير توجه منى الى الله تعالى فى ذلك ثم وجود جماعات كثيرة يحبونى وأحبهم وأما المعتقدون فى فلا يحصى عددهم الا الله تعالى وبيان الفرق بين المحب والمعتقد ثم كثرة رؤيا جماعة من العلماء والامراء وغيرهم لى المرائى الحسنة التى تزيدهم اعتقادا فى مع كونى لست بصالح فى معتقدى على الحد الذى أرضاه لنفسى ثم انصافى لكل من تعب لى على تحصيل رزقة أو جوالى أو شئ من أمور الدنيا فأشركه معى فيما أتانى به ثم عملى بالسنة فى النظر الى المخطوبة ولا أترك ذلك حياء نفسانيا وتحرزى من النظر فوق الوجه والكفين ثم أدبى مع كل من علمنى سورة أو آية من القرآن ولا أرى نفسى عليه ولو صرت شيخ الاسلام ثم عدم شهودى فى نفسى أننى فعلت شيا من النوافل لان النوافل انما تكون لمن كملت فرائضه وأما مثلنا انما هى جوابر ثم سماحة نفسى بمقاسمة اعدائى فى حسناتى فى الآخرة وأموالى فى الدنيا ثم شدة بغضى لاهل المعاصى ولو أحبونى وأحسنوا الى واعتقدونى ثم محبتى لجماعة من العلماء والصالحين من غير اجتماع ثم وجود جماعة يكرهونى على الدوام ليدوم لى الاجر من جهة صبرى عليهم ثم حلمى لمن يكرهنى على أنه انما يكرهنى بحق ثم طرح نفسى بين يدى الله تعالى اذا أطلعنى على وقوعى فى معصية فى المستقبل وأساله التحويل ان لم يكن حق بها التقدير وزوالها من شهودى وان كانت فى الواح المحو والاثبات ثم عدم استشراف نفسى لهدية من صاحبى اذا جاء من الحجاز ونحوه وعدم تحديث نفسى بذلك ثم زهدى فى المطاعم والملابس والنساء والفرش الوطيئة وكثرة الروائح الطيبة الخارجة عن العادة وقناعتى بالكسرة اليابسة من غير ادام ثم ذكرى لمناقب جميع الحسدة والاعداء فى كتاب طبقات العلماء والصالحين مع شدة مبالغتهم فى ايذائى ثم مواظبتى أوائل دخولى فى محبة طريق القوم على ذكر الله بلفظ الجلالة أربعا وعشرين ألف مرة كل يوم وليلة عدد الانفاس الواقعة فى الثلثمائة وستين درجة ثم كثرة تفويضى جميع أمورى الظاهرة والباطنة الى الله تعالى وحده وعدم اعتمادى على شئ من أعمالى ثم عدم اتعاب سرى فى تحرير كتاب ألفته الا بنية صالحة لا ليمدحنى الناس على ذلك ثم جمعه تعالى فى جميع هذه الاخلاق التى فى هذا الكتاب تحققا وتخلقا قبل تأليفه ولولا ذلك لكان فعلى يكذب قولى ثم اطلاعه تعالى لى على جميع ما تفضل به على فى الدار الآخرة فى واقعة فى عالم غيب الخيال وذلك بمشهد من الانبياء والاولياء ثم شمى لرائحة المعاصى من نفسى وغيرى اذا وقعنا فى معصية وكذلك ترك الصلاة نسيانا ثم كثرة حلمه تعالى على وعدم معاجلته بالعقوبة مع كون ذنوبى لو قسمت على أهل الارض لاستحقوا بها الخسف والله أعلم (انتهت فهرست أبواب الكتاب بعون الملك الوهاب) ولنشرع فى مقدمة الكتاب فاقول وبالله التوفيق

(مقدمة) فى ذكر أمور هى كالدهليز الذى يتوصل منه الى عدم الاعتراض على من ذكر مناقبه فى كتاب وهى مشتملة على بيان الطريق الموصلة الى التخلق باخلاق هذا الكتاب وعلى بيان أدلة تقتضى الحث على ذكر العبد ما أنعم الله تعالى به عليه حسب الطاقة فى دينه ودنياه وأنه ان لم يذكر ذلك عصى ربه وعلى بيان أننى لم أذكر من أخلاق هذا الكتاب كلها الا ما تحققت به خوفا ان يقول معترض كيف يدعى فلان التخلق بهذه الاخلاق وأفعاله تكذبه وعلى بيان قرب سندنا بهذه الاخلاق من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أبينا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وغير ذلك مما يأتى بيانه اذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق * اعلم يا أخى أن الله تعالى قد أمرنا بشكره على نعمته التى أسبغها علينا وجعل ذلك علينا من جملة فرائضه ولا سبيل لنا الى احصاء نعمه كلها لا بلساننا ولا بجناننا ولا باركاننا مع انه تعالى قد طالبنا بشكره باللسان والقلب والجوارح فشكر اللسان لا يكون الا باعترافنا بنعمه انها من عنده مع تركنا اضافتها الى الخلق الا من حيث كونهم واسطة كالقناة التى يجرى لنا منها الماء فالشكر حقيقة لمن أجرى الماء فى القناة لا للقناة وفى الحديث لا يشكر الله من

لا غروب لها فقد فهمت من هذا انه يجب دوام أنوار الاولياء لدوام ظهور نور رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فالاولياء آيات الله يتلوها على عباده باظهاره اياهم واحدا بعد واحد تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وقد سمعت شيخنا أبا العباس رضى الله تعالى عنه يقول فى قوله عز وجل ما ننسخ من آية أو ننسأها نأت بخير منها أو مثلها أى ما من ولى لله الا ونأتى بخير منه أو مثله وقد سئل بعض العارفين عن أولياء الله أينقصون فى زمن فقال لو نقص منهم واحد ما أرسلت السماء قطرها ولا أبرزت الارض نباتها وفساد الوقت لا يكون بذهاب أعدادهم ولا بنقص أمدادهم ولكن اذا فسد الوقت كان من الله سبحانه وتعالى وقوع اختفائهم مع وجود بقائهم فاذا كان أهل الزمن معرضين عن الله تعالى مؤثرين لما سوى الله تعالى لا تنجع فيهم الموعظة ولا تميلهم الى الله التذكرة لم يكونوا أهلا لظهور أولياء الله فيهم ولذا قالوا أولياء الله تعالى عرائس ولا يرى العرائس المحرمون وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا

لا يشكر الناس ومثال من حصل لنا على يديه خير كالغلام الحامل لطبق الهدية فالحقيق بالحمد من أهدى لا من حمل وأما شكر القلب فلا يحصل الا باعتقاد العبد جزما أن جميع ما بيده من النعم والمنافع واللذات والحركات والسكنات من فضل ربه لا من غيره وذلك ليكون شكر العبد بلسانه مطابقا لما في قلبه ومعبرا عما فيه اذ ليس للعبد منعم سوى ربه عز وجل وأما شكر الجوارح فلا يكون الا بجعل العبد جميع حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة كلها في مرضاة الله عز وجل حتى لا يجد كاتب الشمال شيأ يكتبه ولا تجد الملائكة في صحيفته شيأ يفتضح به يوم القيامة وهذا الشكر قليل فاعله وغاية ما عند غالب الناس من الشكر باللسان دون العمل وقد قال تعالى اعملوا آل داود شكرا ونحن أولى بالشكر بالعمل من أمة داود عليه السلام ثم لا يخفى عليك يا أخي أن جميع ما أذكره لك في هذا الكتاب من الاخلاق والمنن انما هو حالي أيام شروعي في سلوك الطريق لأن هذه الأخلاق كلها من أخلاق المريدين أوائل دخولهم في الطريق فلا تظن يا أخي أنها من أخلاق كمل العارفين كما توهمه من لم يدخل طريق القوم فانه لا ذوق لامثالنا حين ذاك في أخلاق الكمل حتى نتكلم عليها لكونها لا تأتيهم الا من طريق الوهب أو بعد طول المجاهدة العظيمة وكما أنه لا ذوق للاولياء في مقامات الرسل فكذلك ليس للمريدين ذوق في مقامات الكمل وايضاح ذلك أن بداية مقام النبوة يبتدى من بعد انتهاء مقام الولاية فلا تشترك الولاية مع شئ من أجزاء النبوة انتهى فافهم وقد اطلع بعض علماء العصر على بعض أخلاق من مسودة هذا الكتاب فطالع فيها أياما ثم أتاني بها وقال هذه الاخلاق لا تكون الا للانبياء عليهم الصلاة والسلام اه فعذرته في ذلك وعلمت انه لم يدخل مبادى طريق القوم اذ لو دخلها لعرف أنها من جملة أخلاق المريدين وكان لسان حاله يقول شئ لم أذقه أنا مع علمي الذي وصلت اليه فكيف يذوقه جاهل من هؤلاء الناس فذوقه صحيح وحكمه غير صحيح وسبب ذلك اندراس العمل باخلاق القوم في هذا الزمن حتى لا يكاد العبد يجد أحدا من المتمشيخين فيه يتخلق بشئ من أخلاق القوم فكان ذكري لهذه الاخلاق الخاصة بالمريدين كالتكذيب لكل مدع في هذا الزمان فيقال له اذا كنت قد عجزت عن التخلق باخلاق المريدين فكيف تدعي التخلق باخلاق كمل العارفين فكل ما ذكرناه في هذا الكتاب كالسيف الماحق لاصحاب الدعاوى والرعونات ولو أنهم ملكوه لاحرقوه لكونه يكشف اهم وللناس عن جهلهم بالطريق التي يزعمون أنهم من أهلها ويتجلسون بجلاسهم فيها فأسأل الله تعالى أن يحميه منهم بحوله وقوته ليتم مقصودي بالانتفاع به فاذا رأيت يا أخي في هذا الكتاب شيأ من أخلاق الكمل فليس ذلك مقصودا وانما ذلك سبق قلم أو استطراد أو استشهاد أو تأنيس للمريدين ولم يزل يقع من السالكين هذا الغلط فضلا عن غيرهم فيقولون عن كل مقام لم يترقوا اليه هذا خاص بالكمل فاذا ذاقوه وترقوا مقاما آخر فوقه عرفوا أن الاول من مقام المريدين فما برحت الارادة مع السالك فضلا عن غيره في كل مقام ذاقه الى أن يلقى الله تعالى فان النهاية منقولة غير معقولة وتنتهي همم العارفين وهم مع الحق تعالى على أول قدم فلم تف لهم أعمارهم بما تعلقت به هممهم من معرفة الله تعالى ويؤيد ما قلناه ما نقل عن شيخ الطائفة أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه أنه قال مكثت زمانا وعندي وقفة في قول بعضهم ان الذاكر لله تعالى يصل الى حالة لو ضرب وجهه بالسيف لم يحس الى أن وجدت الامر كما قاله انتهى ثم ان أكثر من يقع في الغلط في ذلك المؤلفون لكتب الرقائق من المتصوفين الذين لم يذوقوا مقامات الطريق فينقلون عن الولي كل ما بلغهم عنه ولا يعرفون الفرق بين ما قاله ذلك الولي في بدايته أو توسطه أو نهايته ويسمون كل ما لم يذوقوه في الطريق مقاما للكمل فاذا طالع الكامل في كتبهم أي أولئك المؤلفين عرف جهلهم ولو أن هؤلاء المؤلفين ذاقوا مقامات الطريق لم يذكروا عن الولي من مناقبه الا ما عمله أو قاله في حال نهايته لان هذا هو الذي يصلح أن يكون منقبة له كما فعلت أنا ذلك في كتاب طبقات العلماء والصوفية فلم أذكر عن أحد منهم الا ما قاله أو عمله حال نهايته * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يسأل ربه الزيادة من العلم فما ظنكم بغيره هذا مع قوله صلى الله عليه وسلم عن نفسه انه أوتي علم الاولين والآخرين واعتقادنا أنه تعالى أجاب دعاءه وزاده علما عن علم الاولين والآخرين فعلم أن أحدا

تمنعوها أهلها فتظلموهم فاذا كان الله سبحانه وتعالى وصانا على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم أن لا نؤتي الحكمة غير أهلها فهو أولى بهذا الخلق العظيم منا وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا رأيت هوى متبعا وشحا مطاعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك فسمعوا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فآثروا الخفاء بل آثر الله لهم ذلك مع انه لا بد أن يكون منهم في الوقت أئمة ظاهرون قائمون بالحجة سالكون للمحجة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من ناواهم الى قيام الساعة وقد قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من مخاطبته لحميد بن زياد اللهم لا تخل الارض من قائم لك بحجتك أولئك الاقلون عددا الاعظمون عند الله قدرا قلوبهم معلقة بالمحل الاعلى أولئك خلفاء الله في عباده وبلاده واشواقه الى رؤيتهم وروى الامام الرباني محمد بن علي الترمذي رضي الله تعالى عنه في كتاب الختم له برفعه الى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمتي كالمطر لا يدري أوله خير أم آخره وروى أيضا برفعه الى أبي

لا يصح له مقام النهاية الا اذا وصل الى حالة لا مقام بعدها لاحد وهذا غير واقع لغيره صلى الله عليه وسلم اذا علمت ذلك فاياك ان تنكر على فقير سمعته يقول أنا أعبد الله الآن لا خوفا من ناره ولا رجاء لثوابه فان ذلك من مقامات المبتدئين فى الطريق لا من مقام الكاملين وذلك ان المريد اذا واظب على الذكر وأكثر منه ليلا ونهارا يرق حجابه ضرورة واذا رق حجابه رأى الفعل لله تعالى لا للعبد ويسمع نداء الحق تعالى من قلبه بنحو ما من معناه ومن أظلم ممن عبدنى لجنة أو نار ولو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا لان أعبد فيخجل العبد ويستحى من الله تعالى أن يعبد الله تعالى خوفا من نار أو رجاء لثواب لان أحدا لا يطلب قط أجرا على فعل غيره وانما يطلب الاجر على فعل نفسه فكل من رق حجابه من المريدين يشهد أنه لا مدخل له فى وجود أفعاله الا بقدر نسبة التكليف فقط أدبا مع الشريعة المطهرة ويرى كشفا ويقينا أنه كالآلة التى يحركها المحرك على الفارغ وكما أنه خالق لذات العبد فكذلك هو خالق لفعله ونظير ذلك أيضا ما اذا سمعت أحدا يقول لا ملك الا الله وليس أحد يملك معه شيأ فان ذلك مقام يذوقه المريد أول دخوله فى الطريق وليس قائله يدعى مقام النهاية قد يتوهم فان من أول قدم يضعه المريد فى الطريق شهوده الملك لله اذ هو الخالق لكل شئ وفى عبارة المنهاج للنووى: ولا يملك العبد بتمليك سيده فى الاظهر فافهم واذا صح لعبد شهود الملك لله وحده صح له مقام الزهد فى الدنيا وعدم الشح بها على أحد من الخلق الا لغرض شرعى ومن علامة ذوق العبد لهذا المقام أيضا أنه لو كان عنده أردب من الذهب فسرقه أحد لم يتغير منه شعرة واحدة لاجله بل ينشرح لمن يأخذه منه خوفا من الحساب عليه من حيث المصرف يوم القيامة وصاحب هذا المقام يتساوى عنده عطاء الله تعالى ومنعه له على حد سواء من حيث عين العطاء والمنع لا من حيث ما على العبد نفسه من نحو الرضا والشكر لانه لا يرى له ملكا مع ربه فى الدارين ولو أعطاه شيأ لا يرى أنه يملكه الا بقدر نسبة العطاء اليه لاجل الشكر لا غير ثم يتبرأ منه الى ربه الذى هو المالك الحقيقى له ولذاته * وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول متى أعطى الله تعالى العبد شيأ ولم يشهد خروجه عن ملكه الى ملكه تعالى بعد نسبة التحقق بالعطاء على الفور فقد عصى الله تعالى عندنا وادعى الشركة معه فى الملك قال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فشمل شرك العموم وشرك الخصوص وكل عن مقامه يترجم انتهى ومن هنا تساوى عند الفقراء الصادقين الذهب والتراب فى عدم ميل القلب اليه من غير ترجيح الذهب عليه لانهم لا ملك لهم مع الله تعالى فهم يأكلون ويلبسون من مال سيدهم ويسكنون فى ملكه فى الدارين رضى الله عنهم أجمعين ونظير ذلك أيضا ما اذا سمعت أحدا يقول لا موجود الا الله فاياك أن تظن به أنه يدعى الكمال فان ذلك من مقامات المريد لان المريد من شدة تعشقه فى الطريق وترحل قلبه عن محبة غير الله تعالى ما عدا من أمره الله تعالى بمحبته يصير قلبه محجوبا عن شهود الاكوان كما يقع لصاحب المصيبة اذا مات له ولد أو تلف له مال فانه من شدة المصيبة يصير يدخل الدار ويخرج ولا يرى صاحبه الجالس على بابه من بكرة النهار ويصير يقول ما رأينا فلانا اليوم فيقولون له ان له من بكرة النهار على بابك فيقول والله من شدة الهم ما رأيته فهذا مثل من صار لا يشهد الا الله لما تعلقت محبته بقلبه فليس مراده فى ذلك أن ينفى وجود العالم كله كما يظنه من لا علم له باحوال أهل الطريق بل مراده ان الله تعالى قد أخذ حبه بمجامع قلبه حتى حجبه عن شهود الخلق ما عدا ذات المشاهد اذ لو حجب عن شهود نفسه فمن يكون هنالك يشهد الحق تعالى فتأمل. وبالجملة فاذا كان النساء اللاتى خرج عليهن يوسف عليه الصلاة والسلام ذهلن عن أنفسهن حتى قطعن أيديهم ولم يشعرن بالم القطع فكيف بمن يشهد سر معنى جمال رب العالمين فى حضرة الاحسان فتأمل يا أخى فى هذا المحل واسلك الطريق لتعرف المقامات ذوقا وتميز ما كان للمريدين وما كان للعارفين وتعرف ان مقام الارادة قد عز فى هذا الزمان فكيف بمقامات العارفين * وقد روى القشيرى عن الشبلى أنه كان يزور شيخه الحصرى كل يوم جمعة فقال له الحصرى يوما يا أبا بكر ان خطر فى بالك غير الله تعالى من الجمعة الى الجمعة فلا تعد تأتنا فانه لا يجئ منك شئ فجعل خطور غير الله تعالى على باله من الجمعة الى الجمعة من أحوال المريدين ولو عرض مثل ذلك على غالب مشايخ العصر لقالوا هذا خاص بخواص الاولياء ثم لا يخفى عليك يا أخى أن نهاية كل عارف ترجع الى صورة بدايته لكن على غير الوجه الذى يشهده

واعلم جعلك الله من خاصة عباده وعرفك لطائف وداده انه سواء منهم الظاهر والخفى والصديق والولى فساد الوقت لا يكدر أنوارهم ولا يحط

الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير أمتى أولها وآخرها وفى أوسطها الكدر وروى أيضا رفعه الى عبد الرحمن بن سبرة قال جئت مبشرا من غزوة مؤتة فلما ذكرت قتل جعفر وزيد وابن رواحة ومن معه بكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام ما يبكيكم فقالوا ومالنا لا نبكى وقد قتل خيارنا وأشرافنا وأهل الفضل منا فقال عليه السلام لا تبكوا انما مثل أمتى مثل حديقة قام عليها صاحبها فاجتاب رواكبها وهيأ مسالكها وجلق سعفها فاطعمت عاما فوجا ثم عاما فوجا فلعل آخرها طعما يكون أجودها قنوانا وأطولها شمراخا والذى بعثنى بالحق ليتخذن ابن مريم من أمتى خلفاء من حواريه وروى أيضا رفعه الى سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى أصلاب أصلاب رجال من أصحابى رجالا ونساء يدخلون الجنة بغير حساب ثم تلا وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم الآية وروى أيضا رفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال فى كل قرن من أمتى سابقون

المبتدى ومثاله ان المريد فى حال بدايته يجب عليه عند القوم أن يترك كل شئ يشغله من الدنيا عن الله عزوجل فاذا انتهى الى الحضرة التى ينتهى سلوكه اليها على مصطلح القوم وعرف الله تعالى المعرفة الثابتة التى لا تزلزلها الادلة فهنالك لا يصير شئ يشغله فى الدارين عن الله عزوجل لانه حينئذ يجد الحق تعالى مع كل شئ كان أمر بتركه فى حال سلوكه حين كان ضعيف الحال فمثل هذا يمسك الدنيا بحذافيرها ويتصرف فيها تصرف حكيم عليم ويزاحم الناس على الرياسة ويشاح الناس على جديد نقرة ويؤاخذ الناس بكل شئ فعلوه معه من الاذى ولا يسامح أحدا الا ان رجعت تلك المسامحة فى الحكم لله تعالى فى اعتقاده وتصير صورته صورة أبناء الدنيا المحبين لها وقصده مختلف مع أن كماله فى ذلك ومتى خالف ذلك نقص مقامه وايضاح ذلك ان العبد اذا تحقق بمعرفة الله تعالى كان مشهده السر القائم بالذوات لا الذوات ولم يصر يرى غير ذلك السر حتى يشتغل به عن الله عزوجل فيقصد بامساكه الدنيا كف نفسه عن سؤال الناس وتحمل منتهم ويقصد بها الانفاق فى سبيل الله والفوز بلذة خطاب الله تعالى لاهل الجدة والغنى بقوله أقرضوا الله قرضا حسنا فانه لم يخاطب بذلك الا من معه مال وفات الفقير لذة ذلك الخطاب ويقصد بمزاحمته على الرياسة التخلق بها من حيث كونها من أخلاق الله عزوجل لا شوف نفسه على الاخوان بل ليقوم بين الناس بالعدل واعطاء كل ذى حق حقه ولو أنه لم يكن عنده رياسة ما سمع أحد كلامه ولا قدر على تخليص حقوق الناس من بعضهم بعضا ويقصد بمشاحة الناس فى المال والعرض تخليصهم من منة المسامحة ونحو ذلك فقد رجعت صورة العارف الى صورة بدايته والقصد مختلف ونظير ذلك أيضا ان المريد فى بداية سلوكه يجب عليه ترك شهوات الدنيا كلها فلا يشرب الماء المبرد فى الكيزان ولا ينام على طراحة ولا يضع جنبه على الارض ثم اذا انتهى سلوكه وعرف الله تعالى المعرفة الثابتة بين القوم أمر بالاحسان الى نفسه لكونه مسؤلا عنها وعن حقها فيأكل الشهوات وينام على أوطأ الفرش ويشرب الماء المبرد فى الكيزان وينزل ضد ذلك حتى لا يسمى ظالما لرعيته ومطيته فيما طول ما أسهرها الليالى الطويلة الباردة أو الحارة وياطول ما أجاعها وأعطشها وألبسها الخشن من المسوح والمرقعات فلما أوصلته الى مقصده من حضرة العرفان كانت كالاجير الذى عمل ما استؤجر عليه فيجب تعجيل الاجرة له وعدم مماطلته مع القدرة قبل أن يجف عرقه وقد كان مامورا أولا بظلم نفسه فى مرضاة الله تعالى كما أشار اليه قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه الآية قال بعض العارفين انما صح لمن يظلم نفسه الاصطفاء لكون ذلك الظلم لنفسه كان فى مجاهدتها طلبا لمرضاة الله عزوجل فليس المراد بها من يظلم نفسه بالمعاصى كما فهم اه فعلم أن المبتدى لو لم يظلم نفسه فى مرضاة الله كما ذكرنا بل أطعمها اللذيذ وأسقاها المبرد وأنامها على أوطأ الفرش لكان لم يبرح من مكانه وعدم الترقى جملة كما قالوا ان من خصائص الطريق أن الانسان اذا أقبل عليها بكليته أعطته بعضها وان لم يقبل عليها بكليته لم تعطه شيأ منها كما هو شأن العوام الذين لا يطلبون الترقى عما هم فيه ونظير ذلك أيضا الايثار على النفس فانه مطلوب من المبتدى جزما ليخرج عما فتح عينه عليه من شح النفس وبخلها على نفسها فضلا عن اعطائها شيا لغيرها ولذلك مدح الله تعالى الصحابى حين آثر غيره على نفسه تشجيعا له ثم انه اذا بلغ السالك النهاية فى السلوك أمر بالاحسان الى نفسه لكونها أقرب جار اليه والاقربون أولى بالمعروف كما ورد وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك ثم عمن تعول فلو أمر المبتدى بالبداءة بنفسه ما ترقى فى الطريق ذرة ولو أن الكامل يقدم على نفسه غيرها لاساء اليها ولخرج عن حكم العدل فقد رجعت صورة نهاية الانسان فى تقديمه نفسه على غيره الى صورة حال المبتدى فى تقديمه نفسه والقصد مختلف وسيأتى فى أبواب الكتاب ايضاح ذلك ان شاء الله تعالى فاعلم ذلك وتامله فانك لا تجد التصريح به فى كتاب ولندخل لباب التخلق باخلاق هذا الكتاب من طريق الجد والاجتهاد كما درج عليه السلف الصالح فقد كان سيدى على الخواص رحمه الله يقول من طمع أن يدخل طريقنا وهو لم يزهد فى نعيم الدارين فقد رام المحال اه وبالجملة فجميع الاخلاق التى نذكرها فى هذا الكتاب لا يوصل اليها الا باحد طريقين اما بالجذب الالهى واما بالسلوك على يد شيخ صادق ومن لم يدخل من أحد هاتين الطريقين فمحال ان يصل الى شئ من هذه الاخلاق وقد طلب أقوام الوصول الى التخلق

وتكدر بتكدره وقد قال الامام أبو عبد الله الترمذى رضى الله تعالى عنه الناس صنفان صنف منهم عمال الله تعالى يعبدونه على البر والتقوى فهم محتاجون الى خير الزمان واقبال دولة الحق لان تايدهم من ذلك وصنف منهم أهل اليقين يعبدون الله على صفاء ووفاء التوحيد من كشف الغطاء وقطع الاسباب فهم غير ملتفتين الى اقبال الزمان وادباره ولا يضرهم ادباره وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا يغذوهم برحمته يحييهم فى عافيته تمر بهم الفتن كقطع الليل المظلم لا تضرهم وقوله صلى الله عليه وسلم يكون فى أمتى فتن لا ينجو منها الا من أحياه الله بالعلم قال الترمذى يعنى بالعلم العلم بالله فيما يرى ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضى الله تعالى عنه يقول رجال الليل هم الرجال وان أولياء هذا الوقت ليؤيدون بشئ من الغنى واليقين فالغنى لكثرة ما عند الناس من الافلاس واليقين لكثرة ما عند الناس من الشكوك وقال بعض العارفين ان لله عبادا كلما اشتدت عليهم ظلمة الوقت كلما قويت أنوارهم

بها من غير طريق الجد فكان غايتهم الحرمان لظنهم انها طريق قال بغير حال مثل غيرها من الطرق وغاب عنهم أن طريق التصوف طريق علم وعمل كما يعلم من أخلاق هذا الكتاب وكان الشيخ مفرج رضى الله عنه يقول من علامة الصدق فى أول قدم يضعه المريد فى الارادة ان يعطى ثلاث خصال تقوية لعزمه أن يمشى فى الهواء وعلى الماء وينفق من الغيب فمن لم يحصل له هذه الثلاث فهو ممن لم يشم من الارادة رائحة انتهى وبالجملة فمن أراد أن يحيط علما بما قلناه فليطالع أخلاق هذا الكتاب ويطالب نفسه بالتخلق بما فيه فهنالك يعرف حقيقة علم التصوف وطريقه فان بعض الناس بنى طريقه على ظاهر الفقه ونفى طريق التصوف جملة وقال ليس لنا طريق تقرب الى الله تعالى غير ما نحن عليه من ظاهر الفقه بحسب فهمه هو وبعضهم ظن أن علم التصوف حفظ نقول فقط من غير عمل فاخذ نحو رسالة القشيرى وعوارف المعارف وجلس يدرس للناس فيه بحسب فهمه المخالف لما عليه القوم وظن بنفسه أنه صار صوفيا من غير تخلق بما يدرسه وهذا خطأ ظاهر وغاب عنه ان دائرة الولاية تؤخذ من بعد انتهاء دائرة غيرها كما مر فكما ان دائرة النبوة تؤخذ بدايتها من بعد نهاية الولاية فكذلك علم التصوف يبتدأ من بعد نهاية أهل الفهم والفكر فلا يسمى صوفيا الا من عمل بعلمه على وجه الاخلاص كما عليه الائمة المجتهدون وصالحو مقلديهم ولو ان طريق القوم يوصل اليها بالفهم من غير شيخ يسير بالطالب فيها لما احتاج مثل حجة الاسلام الامام الغزالى والشيخ عز الدين بن عبد السلام أخذ أديهما عن شيخ مع انهما كانا يقولان قبل دخولهما طريق القوم كل من قال ان ثم طريقا للعلم غير ما أبدينا فقد افترى على الله عز وجل فلما دخلا طريق القوم كانا يقولان قد ضيعنا عمرنا فى البطالة والحجاب وأثبتا طريق القوم ومدحاها وقد سلك الامام الغزالى على الشيخ أبى محمد البازغانى وسلك الشيخ عز الدين بن عبد السلام على الشيخ أبى الحسن الشاذلى وصار يقول مما يدلك على أن القوم قعدوا على قواعد الشريعة وقعد غيرهم على الرسوم ما يقع على يدهم من الكرامات والخوارق ولا يقع ذلك على يد فقيه قط الا ان سلك طريقهم اهـ قال ذلك لما قطع سلسلة باب القلعة بالكراس الورق كما سيأتى بسطه فى الباب الثانى ان شاء الله تعالى فعلم أن مثال من يحفظ نقول أهل الطريق بغير ذوق ولا تخلق مثال من حفظ له كتابا فى علم الطب على ظهر قلب من غير معرفة الداء والدواء فكل من سمعه وهو يقرأ ويقول الداء الفلانى دواؤه الشئ الفلانى يقول ما هذا الا طبيب عظيم فاذا قال له أعلمنى باسم هذا الداء الذى فى وأخبرنى باسم الدواء وقال له لا أعلم ذلك يقول انه جاهل بعلم الطب وقد كان علماء السلف الصالح رضى الله عنهم يعملون بكل ما يعلمون على وجه الاخلاص لله تعالى فيه فنارت قلوبهم وخلصت من العلل القادحة فى الاخلاص فلما ذهبوا وخلف بعدهم أقوام لا يعتنون بالاخلاص فى علمهم وعملهم أظلمت قلوبهم وعجبت من أحوال القوم فانكروها وبعضهم اذا سمع بشئ من أخلاق القوم يقول هذا منزع صوفى لا شرعى فيوهم السامعين أن التصوف أمر خارج عن أصل الشريعة والحال أنه لب الشريعة كما يعلم ذلك من طالع فى مثل هذا الكتاب فانه لا يكاد يجد خلقا واحدا مما فيه يخالف الشريعة أبدا لكثرة مناقشات أهل الطريق لانفسهم وأخذهم بالعزائم فان حقيقة طريق القوم علم وعمل سداها ولحمتها شريعة وحقيقة لا أحدهما فقط فينبغى للفقيه اذا قال عن مسئلة هذا منزع صوفى أن يعقب ذلك بقوله لا يقدر أحد من أمثالنا على المداومة على العمل به ليزيل ما فى نفوس السامعين ممن لا يفهم الامر على وجهه (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول كثيرا

لا تسلكن طريقا لست تعرفها * بلا دليل فتهوى فى مهاويها

انتهى ولم تزل طريق القوم عزيزة فى كل عصر لقلة صبر من يصبر تحت تربية شيخه ومناقشته فى جميع أعماله ولذلك صار الشيخ يرى الاخلاق المحمدية من ورع وزهد وخشية وخوف من الله تعالى ونحو ذلك فى يد أهل الله تعالى فلا يقدر على الوصول الى التخلق بخلق منها على وجهه لان طريق القوم كلها مجاهدة للنفس وأين من يقدر على التخلق والتقيد بمخالفتها ايثارا لجناب مراد الحق تعالى على مرادها هذا لا ينال الا ببذل الروح فعلم ان الائمة المجتهدين والعلماء العاملين هم الصوفية حقيقة (فان قال قائل) لو أن طريق التصوف أمر

الكواكب تنكدر
وأنوار قلوب أوليائه
لا انكدار لها وأنوار
الكواكب تهدى الى
الدنيا وأنوار قلوب
أوليائه تهدى الى الله
ولنا فى هذا المعنى
شعر
أمر تقب النجوم من
السماء
نجوم الارض أبهى فى
الضياء
فتلك تبين وقتا ثم
تخفى
وهذى لا تكدر
بالخفاء
هداية تلك فى ظلم
الليالى
هداية هذه كشف
الغطاء
وقال صوفى يوما بحضرة
فقيه ان لله عبادا هم فى
أوقات المحن والمحن
لا تضرهم فقال ذلك
الفقيه هذا ما لا أفهمه
فقال الصوفى أنا أريك
مثال ذلك الملائكة
الموكلون بالنار هم فى
النار والنار لا تضرهم
وسمعت شيخنا أبا العباس
رضى الله تعالى عنه
يقول الدنيا كالنار
وهى قائلة للمؤمن جز
يا مؤمن فقد أطفأ نورك
قناعتك لهبى واعلم ان
شان الولاية والولى عظيم
والخطب فيهما جسيم
ويكفيك فى ذلك

قال أخبرنا الامام أبو المبارك عبد العزيز بن محمد بن منصور الشيرازي الادمي قراءة عليه وأنا أسمع في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة قال حدثنا الشيخ الامام أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد التميمي الحنبلي املاء في يوم السبت السادس عشر من صفر سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة باصبهان قال أخبرنا أبو عمر عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن مهدي الفارسي قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد بن حفص العطار الخطيب الدوري حدثنا محمد بن عثمان ابن كرامة بن خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال عن شريك بن أبي نمر عن عطاء عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قال من عادى لي وليا فقد آذنني بالحرب وما تقرب الي عبدي بشيء أحب الي مما افترضت عليه وما زال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذني

مشروع لوضع فيه الائمة المجتهدون كتبا ولا نرى لهم قط كتابا في ذلك (قلناله) انما لم يضع المجتهدون في ذلك كتابا لقلة الامراض في أهل عصرهم وكثرة سلامتهم من الرياء والنفاق ثم بتقدير عدم سلامة أهل عصرهم من ذلك فكان ذلك في بعض أناس قليلين لا يكاد يظهر لهم عيب وكان معظم همة المجتهدين اذ ذاك انما هو في جمع الادلة المنتشرة في المدائن والثغور مع أئمة التابعين وتابعيهم التي هي مادة كل علم وبها يعرف موازين جميع الاحكام فكان ذلك أهم من الاشتغال بمناقشة بعض أناس في أعمالهم القلبية التي لا يظهر بها شعار الدين وقد لا يقعون فيها بحكم الاصل ولا يقول عاقل قط ان مثل الامام أبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد رضي الله عنهم يعلم أحدهم من نفسه رياء أو عجبا أو كبرا أو حسدا أو نفاقا ثم لا يجاهد نفسه ولا يناقشها أبدا ولولا أنهم يعلمون سلامتهم من تلك الآفات والامراض لقدموا الاشتغال بعلاجها على كل علم فافهم (وقال القشيري) رحمه الله وأصل تسمية الصوفية صوفية كان حين ظهرت الاهواء والبدع في عصر الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه فسموا كل من تمسك بالكتاب والسنة وعمل بهما صوفيا دون غيره قال وقد روينا عن الامام أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه انه كان يقول طريقنا هذه مشيدة بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به فيها (وقال الشيخ محيي الدين) في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات اعلم أنه ما ثم لنا دليل يرد طريق الصوفية ولا قادح يقدح فيها شرعا ولا نقلا وانما يطعن فيها من طعن بالجهل انتهى (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول قد أجمع أشياخ الطريق على أنه لا يجوز لاحد التصدر لتربية المريدين الا بعد تبحره في الشريعة وآلاتها كما دل عليه السادة الشاذلية فكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه وسيدي أبو العباس المرسي وسيدي ياقوت العرشي والشيخ تاج الدين بن عطاء الله لا يدخلون أحدا في الطريق الا بعد تبحره في علوم الشريعة بحيث يقطع العلماء في مجالس المناظرة بالحجج الواضحة فان لم يتبحر كذلك لا يأخذون عليه العهد أبدا وهذا الامر قد صار أهله في هذا الزمان أعز من الكبريت الاحمر فعلم ان كل من لم يسلك الطريق على هذه القواعد لا يقدر على التخلق بشيء من أخلاق هذا الكتاب وقد قالوا من ضيع الاصول حرم الوصول (وكان سيدي علي الخواص) رحمه الله يقول لا يصح لعبد ابتداء السير في طريق العارفين حتى يزهد في نعيم الدارين ولا يكون له محبوب الا الله تعالى ورسوله وكمل ورثته انتهى (وكان) يقول أخذت طريقي هذه عن سيدي ابراهيم المتبولي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتارة يقول أخذت طريقي هذه عن أبينا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام انتهى ولا منافاة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يتبع ملة ابراهيم عليه السلام في محاسن الاخلاق وان كانت أخلاق ابراهيم عليه السلام هي بالاصالة لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه نبي الانبياء كلهم وصورة أخذ الاولياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن روحهم تجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة من حيث أرواحهم لا من حيث أجسامهم فليس اجتماعهم به صلى الله عليه وسلم كاجتماع الصحابة فافهم (وكان سيدي أبو العباس المرسي) رحمه الله يقول لا يكمل مقام فقير الا ان صار يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه في أموره كما يراجع التلميذ شيخه وقد بلغنا ان سيدي محمدا الغمري لما عمر جامعه بمصر استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة فقال له قل له عمر وتوكل على الله انتهى فلا أدري أكان ذلك قبل الكمال أو استأذن بالواسطة حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا هو اللائق بمقامه فانه كان مشهورا بالكمال (وكان سيدي ياقوت العرشي) رحمه الله يقول من ادعى أنه يأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الادب والعلم فاسألوه عن كيفية ما وقع له فان قال رأيت نورا ملأ المشرق والمغرب وسمعت قائلا يقول لي من ذلك النور في ظاهري وباطني لا يختص بجهة من الجهات اسمع لما يأمرك به نبي ورسولي فصدقوه والا فهو مغتر كذاب انتهى فعلم أن مقام الاخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا واسطة مقام عزيز لا يناله كل أحد (وقد سمعت) سيدي عليا المرصفي رحمه الله يقول بين الفقير ومقام الاخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا واسطة مائتا ألف مقام وسبعة وأربعون ألف مقام وتسعمائة وتسعة وتسعون مقاما وأمهاتها مائة ألف مقام وخاصتها ألف مقام فمن لم يقطع هذه المقامات كلها فلا يصح له الاخذ

المذكور (وكان سيدى ابراهيم المتبولى) رحمه الله يقول نحن فى الدنيا خمسة لا شيخ لنا الا رسول الله صلى الله عليه وسلم الجعيدى يعنى نفسه والشيخ أبو مدين والشيخ عبد الرحيم القناوى والشيخ أبو السعود بن أبى العشائر والشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنهم أجمعين * واعلم يا أخى انى لا أعلم فى مصر الآن أحدا من الفقراء الظاهرين أقرب سندا فى طريقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منى فان بينى وبين رسول صلى الله عليه وسلم فيها رجلين فقط سيدى على الخواص وسيدى ابراهيم المتبولى فقط فجميع أخلاق الكمل المذكورة فى هذا الكتاب المأخوذة عنهما مأخوذة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تصريحا واشارة كما أخبرنى به سيدى على الخواص رحمه الله تعالى وأخبرنى الشيخ أبو الفضل الاحمدى أن سيدى عليا لم يمت حتى صار يأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا واسطة فبينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الوجه رجل واحد وهذا الامر شبيه بسندى بالمصافحة فانى صافحت الشيخ ابراهيم القيروانى وهو صافح الشريف الساوى بمكة وهو صافح بعض الجن الذين صافحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة رجال (وقد أحببت) يا أخى أن أذكر لك نبذة من أحوال سيدى على الخواص تأنيسا لك وتعريفا ببعض مقامه لتسلك طريق اتباعه بعزم فانه رجل كان الغالب عليه الخفاء فلا يكاد يعرفه بالولاية الا العلماء العاملون لانه رجل كامل عندنا بلا شك والكامل اذا بلغ مقام الكمال فى العرفان صار غريبا فى الاكوان ولذلك كانت طريقته غريبة لعلو مراقيها وقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث سندها كما مر * اذا علمت ذلك فاقول وبالله التوفيق هو الشيخ الامام الكامل الراسخ الامى المحمدى صاحب الكشوفات الظاهرة والاحوال السنية المرضية بين أكابر الاولياء سيدى على الخواص البراسى رحمه الله تعالى * من كراماته رضى الله عنه انه كان يسمى بين الاولياء النسابة لكونه كان يعرف نسب بنى آدم وجميع الحيوانات الى آبائها الاول التى لم يتقدمها أب * ومنها انه كان اذا نظر فى الميضأة التى يتوضأ منها الناس يعرف جميع الذنوب التى غفرت وخرت فى الماء من غسالتها ويعرف أهل تلك الذنوب التى غفرت على التعيين ويميز بين غسالة كل ذنب عن الآخر من كبائر وصغائر ومكروهات وخلاف الاولى وأطلعنى عليها مرة فى ميضأة المدرسة المزهرية بسويقة اللبن فرأيتها عروقا عروقا مجاورة لبعضها بعضا ولم أر فى غسالة الكبائر أقبح ولا أنتن ريحا ولا أغلظ عروقا من غسالة اللواط والوقوع فى أعراض الناس والتهاون فى الناس والاستهزاء بهم وقتل النفس التى حرم الله قتلها وقد سمع بعض المنكرين سيدى عليا مرة وهو يقول لا جزى الله تعالى من اغتسل فى هذا المغطس خيرا فانه قذره وأنتنه وكان شخص من أعوان الظلمة قد اغتسل فيه وذلك المنكر ينظر اليه فلما سمع كلام الشيخ ذهب الى ذلك الشخص وقال أقسمت عليك بالله تعالى ما سبب غسلك آنفا فقال قد وقع منى فاحشة فى عبدى ثم رجع المنكر وقال للشيخ سألتك بالله تخبرنى عن سبب قولك آنفا فى المغطس ما قلت فقال له ما معى اذن أن أهتك سر الناس فقبل ذلك المنكر رجل الشيخ واعتقده من ذلك اليوم وهذا أمر ما رأيت أحدا يطلع عليه من فقراء العصر سوى سيدى على هذا وهو كان مقام الامام أبى حنيفة رضى الله عنه فان له فى الماء المستعمل ثلاثة أقوال أحدها انه كالنجاسة المغلظة الثانى انه كالنجاسة المتوسطة الثالث انه طاهر فى نفسه غير مطهر لغيره وجه الرواية الاولى الاخذ بالاحتياط وهو حمل الغسالة على انها غسالة كبائر ووجه الرواية الثانية الاخذ بالاحتياط المتوسط وهو حملها على أنها غسالة صغائر ووجه الرواية الثالثة الاخذ بحسن الظن بالمتوضئين وهو ان الاصل عدم ارتكابهم الكبائر والصغائر والمكروهات وأنهم لم يرتكبوا سوى خلاف الاولى كما بسطنا الكلام على ذلك فى كتاب اليواقيت والجواهر * ومنها انه كان اذا رأى فى دواة الحبر برى الحروف التى تكتب منها الى أن يفرغ الحبر قال أخى أفضل الدين وقد أرانى مرة ذلك فى دواة مع فقيه وقال أول ما يكتب منها السطر الفلانى فكتمت ذلك عن صاحب الدواة ولكن قلت له أرنى الكلام الذى تكتبه من تلك الدواة أولا فان لى به حاجة فكتب ذلك السطر الذى قاله الشيخ بحروفه لم يخط حرفا واحدا فتحققت صدق الشيخ فى كشفه * ومنها انه كان اذا رأى أنف انسان يعرف جميع زلاته السابقة واللاحقة الى أن يموت على التعيين من صحة فراسته كما سيأتى ايضاحه أول الكتاب فى نعمة الفراسة

مساءته ولا بد له منه وهذا الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه وقد روى هذا الحديث من طريق آخر فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا وقلبا وعقلا ويدا ومؤيدا فأصح رحمك الله تعالى الى ما تضمنه هذا الحديث من غزارة قدر الولى وفخامة رتبته حتى ينزله الحق سبحانه وتعالى هذه المنزلة ويحله هذه الرتبة فقوله صلى الله عليه وسلم عن الله من عادى لى وليا فقد آذننى بالحرب لان الولى قد خرج عن تدبيره الى تدبير الله عز وجل وعن انتصاره لنفسه الى انتصار الله عز وجل وعن حوله وقوته بصدق التوكل على الله تعالى وقد قال الله سبحانه وتعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال عز وجل وكان حقا علينا نصر المؤمنين وكان ذلك لهم لانهم جعلوه مكان همومهم فدفع عنهم الاغيار وقام لهم بوجود الانتصار وأخبرنى الشيخ شهاب الدين الابرقوهى قال دخلت على الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه فسمعته يقول يقول الله عز وجل عبدى اجعلنى مكان همك أكفيك همك عبدى ما كنت بك فانت فى محل البعد وما كنت بى فانت فى محل القرب واختر

ور بما قال عند رؤية وجه الانسان اللهم اكفنا السوء بما شئت وكيف شئت لكونه كان يرى ما قدر على ذلك الانسان من المعاصي ورآه مرة فقيه وهو يملأ قعاوى الكلاب ويلامس النجاسات فقال له يا شيخ علي لا ينبغي لك أن تملأ قعاوى هؤلاء الكلاب وتلامس النجاسات فقال له الشيخ في أذنه وكذلك أقول لك أنا الآخر لا ينبغي لك أن تزني بامرأة جارك على قبة الفرن لما سرح زوجها يحصد من الغيط فتغير وجه الفقيه فقلت له ما لك فقال أخبرني الشيخ بأمر وقعت فيه بنواحي دمياط من منذ خمسين سنة وما كنت أعرف أن أحدا من الخلق اطلع عليه ثم اعتقد الشيخ من ذلك اليوم وتلمذ له وحصل له خير كبير * ومنها انه كان يرى في الليل والنهار معاريج أعمال الناس الى السماء على التعيين ودعوت مرة للامير محيي الدين بن أبي اصبع لما طال عليه الترسيم في القلعة فرأى الشيخ معراج دعائي في تلك الليلة للامير محيي الدين فارسل يقول لي من الفجر قد عجبت الليلة من دعائك في حق فلان وقد بقي عليه من مدة الترسيم خمسة شهور وسبعة أيام فكان الامر كما قال * ومنها انه كان يطلع على ما يصنعه الناس في بيوتهم من الرذائل فيقول لاحدهم يا فلان تب من كذا ولا تغتر بحلم الله عليك فان الحق تعالى غيور فربما حول النعمة عنك فقاسيت العذاب الاليم فيتوب ذلك الشخص الى الله تعالى * ومنها انه كان يعرف مدة ولاية الولاة ومتى يولى أحدهم ومتى يعزل في سائر أقطار الارض * ومنها انه كان يعرف مدة أعمار الخلائق فيقول يموت فلان في اليوم الفلاني فلا يخطئ أبدا ورأى مرة شخصا من جماعة القاضي شرف الدين الصغير ومعه كفن للشيخ عبد الله البتنوني وكان محتضرا في تربة يشبك الدوادار فقال له الشيخ ارجع بالكفن فانه بقي من عمره سبعة شهور فكان الامر كما قال وأصل ذلك ان مطمح بصر الشيخ كان اللوح المحفوظ يعني من المحو بخلاف غيره فان مطمح بصره ربما كان ألواح المحو والاثبات الثلاثمائة وستين لوحا فربما أخبر هذا عن شئ ثم انه يمحى بعد ذلك ثم ان السامع لم يسأل بعد ذلك عن المحو فربما أساء به الظن وظن انه يخبر عن غير حقيقة والحال أنه صادق في اخباره ولو أنهم كانوا سألوه بعد ذلك عن ذلك الامر لاخبرهم بمحوه ولكنهم لم يسألوه فهو صادق في الحالتين وأما من كان مطمح بصره اللوح المحفوظ فلا يصح مخالفة ما أخبر به أبدا * ومنها انه كان يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم ويخبر عنه بالامور المستقبلة في أوقات معينة فلا يخطئ أبدا من وباء أو قحط أو موت سلطان ونحو ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أخبره بنزول بلاء في وقت معين يتأهب لذلك بكثرة الاستغفار والبكاء والتضرع ويصير لا يأكل ولا ينام حتى ينقضي أمده وكان أولياء مصر اذا شكوا في نزول بلاء يرسلون أصحابهم اليه ينظرون هيئته في الجلوس في حانوته فان رأوا ظهره الى الشارع ووجهه لداخل حانوته أو وجدوه في داره يعلمون ان البلاء نازل * ومنها ما أخبرني به أخي الشيخ أفضل الدين رحمه الله ان الله أعطى سيدي عليا الخواص القدرة على استنباط جميع أحكام القرآن من الفاتحة وكذلك استنباط جميع أدلة المجتهدين منها بل أعطاه القدرة على تخريج جميع الاحكام الشرعية من أي حرف شاء من حروف الهجاء انتهى وهذا أمر ما بلغنا أنه حصل لاحد ممن تقدمه من الاولياء * ومنها أنه كان يعرف أولياء الاقطار كلها ويعرف أصحاب النوبة في كل قطر ومن تولى منهم ومن عزل وأخبرني ان درك بحر الهند مع الشيخ محيسن المجذوب ودرك بحر الروم مع الشيخ محمد الشربيني وانهم يحفظون ادراكهم المذكورة وهم في مصر انتهى وقد ذكرنا مناقبه في الطبقات * وأما بيان أدلة ذكر العلماء العاملين مناقبهم في كتاب والاعلان بها على رؤس الاشهاد فاقول وبالله التوفيق من جملة ذلك قول الملائكة عليهم السلام ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وقولهم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وقول السيد يوسف عليه الصلاة والسلام للعزيز اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وقول السيد داود عليه الصلاة والسلام وقول ولده سليمان عليه السلام الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وقول سليمان عليه الصلاة والسلام أيضا علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ ان هذا لهو الفضل المبين وقول عيسى عليه الصلاة والسلام اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت الى آخر النسق وقول سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم أنا أول شافع وأول مشفع وأنا أول من تنشق عنه الارض وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر اه وانما خص النبي صلى الله عليه وسلم سيادته

لنفسك وقد جاء في الحديث من شغله ذكري عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين فاذا كان الحق سبحانه وتعالى قد رضي لهم أن يشغلهم ذكره عن مسئلته فكيف لا يرضى لهم أن يشغلهم ذكره والثناء عليه عن الانتصار لنفوسهم ومن عرف الله تعالى انسد عليه باب الانتصار لنفسه اذ العارف قد اقتضت له معرفته أن لا يشهد فعلا لغير معروفه فكيف ينتصر من الخلق من يرى الله تعالى فعالا فيهم فكيف يدع أولياءه من نصرته وهم قد ألقوا نفوسهم بين يديه سلما واستسلموا لما يرد عنه حكما فهم في معاقل عزه تحت سرادقات مجده يصونهم من كل شئ الا من ذكره ويقطعهم عن كل شئ الا عن حبه ويختارهم من كل شئ الا من وجود قربه ألسنتهم بذكره لهجة وقلوبهم بانواره بهجة وطن لهم وطنا بين يديه فقلوبهم حائمة في حضرته وأسرارهم محققة لشهود أحديته ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضي الله تعالى عنه يقول ولي الله تعالى مع الله تعالى كولد اللبوة في بحرها أتراها تاركة ولدها لمن أراد اغتياله وقد جاء في الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان في بعض غزواته وامرأة تطوف على ولدها رضيع فلما وجدته حنت عليه وألقمته الثدي

بيوم القيامة لان فيه تجتمع الاولون والآخرون فلا يكون أحد من بني آدم غائبا في ذلك اليوم وهو سيدهم كلهم وانما قال ولا فخر أي ليس سيادتي وفخري بعلو قدري وانما الفخر لي بالعبودية فافهم فاذكر صلى الله عليه وسلم مثل ذلك الا تحدثا بالنعمة عليه لقوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث (وقال بعض العارفين) لم يبلغنا ان أحدا من العارفين زكى نفسه رياء وسمعة وانما زكاها لغرض صحيح شرعي كما قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر فأعلم أمته انه سيد ولد آدم وانه أول شافع وذلك ليريحهم من التعب في ذلك اليوم الشديد ومن ذهابهم الى نبي بعد نبي رجاء أن يشفع لهم وأرشدهم انهم يمكثون في مكانهم وينتظرونه حتى تأتيه النوبة ويقول أنا لها أنا لها فاذهب الى نبي بعد نبي من الناس الا من لم يبلغه هذا الحديث أو بلغه ثم نسيه وكان في قول كل نبي قبله لست لها بيانا لشرف محمد صلى الله عليه وسلم وبيانا لعلو مقامه فهو أفضل الرسل على الاطلاق انتهى وعلم من هذا التقرير أنه لم يحوج شيخه من المريدين الى تزكية نفسه الا من هو جاهل بمقام شيخه ولو انه كان عالما بمقامه لم يحوجه الى الوقوع في تزكية نفسه فقصد الشيخ بقوله مثلا خذ مني هذا الكلام المحقق الذي لا تجده عند غيره ان المريد يأخذه باعتقادي واعتنائي ولا يتهاون به وبالجملة فقد أمرنا الله تعالى بالتأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في كل أمر لم يكن خاصا به ومن التأسي به أن نتحدث بكل نعمة أنعمها علينا ولا نكتمها ولا نتحدث في سرائرنا بها بل نعلن بها على رؤس الاشهاد (وقد روى) الطبراني والبيهقي وغيرهما مرفوعا التحدث بالنعمة شكر زاد في رواية البيهقي وتركه يعني الشكر كفر وأخرج ابن جرير في تفسيره وغيره عن أبي نضرة الغفاري قال كان المسلمون يرون ان من شكر النعمة اظهارها والتحدث بها لقوله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فتوعدهم على كفرهم بالنعمة بالعذاب الشديد وروى الطبراني مرفوعا من أعطي الشكر لم يحرم من الزيادة (وكان الحسن البصري) يقول في قوله تعالى ان الانسان لربه لكنود أي يعد المصائب التي تصيبه وينسى التحدث بالنعم وروى أبو نعيم في الحلية عن وهب بن منبه انه سئل عن سبب سلب بلعام بن باعورا بعد تلك الآيات والكرامات فقال ان بعض الانبياء سأل ربه عن سبب ذلك فأوحى الله تعالى اليه انه لم يشكرني يوما قط على ما أعطيته ولو شكرني على ذلك مرة واحدة لما سلبته نعمتي ولكن جرى بذلك قضائي وتمت فيه ارادتي ومشيئتي (وروى) الديلمي وأبو نعيم ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه صعد المنبر يوما فقال الحمد لله الذي صيرني ليس فوقي أحد ثم نزل فقيل له في ذلك فقال انما فعلت ذلك اظهارا للشكر انتهى (وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي) يقول لا يكمل شكر العبد حتى يرى نعمة ملوك الدنيا دون نعمته هو من حيث انهم مسخرون له وايضاح ذلك ان جميع من هو فوق مقام العبد من جملة نعم الله عليه كالانبياء والملوك فلولا الانبياء ما اهتدى ولولا الملوك ما أمن على نفسه وماله وحريمه فكل من هو فوقه ممن ذكر من جملة نعم الله عليه فكأنهم مسخرون له وهو الرئيس عليهم فافهم ومن هنا ورد سيد القوم خادمهم (وكان سفيان الثوري) يقول من لم يتحدث بالنعمة فقد عرضها للزوال وروى البيهقي في سننه عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال لا باس أن يشتكي المريض الى بعض أصدقائه ما هو فيه من الألم كما انه لا باس بان يحدث الثقة من اخوانه بما فعله من الخير لقوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وكان عبد الله بن غالب التابعي الجليل يقول أعلنوا باعمالكم الصالحة واذكروها لمن لا يعلم بها فان ذلك مما يرضي ربكم عز وجل وكان يقول للناس كثيرا صليت الليلة كذا وكذا ركعة وسبحت كذا وكذا ألف تسبيحة وتصدقت بكذا وكذا درهم فقال له شخص يوما لو انك تخفي ذلك عن الناس لكان أفضل لك فقال له عبد الله ما لك لا تفقه أما تقرأ قوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث لو أنك أمرتني باظهار أعمالي لكان أفضل لك ولي فان نعمة الله تعالى على العبد في دينه من أعظم النعم وهي أولى بالتحدث بالنعم الدنيوية كقولك ان الله تعالى أعطاني الليلة ألف دينار مثلا انتهى (وكان السري السقطي) يقول لا فرق بين قول العبد ان الله خلقني ورزقني وصورني وعلمني العلم والقرآن وجعلني مباركا وبين ان يقول أنا ولي الله وأنا من العلماء العاملين ونحو ذلك لان كل مؤمن ولي لله تعالى قال الله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ولا يخلو العالم قط من العمل بعلمه ولو في مسئلة واحدة فيشكر

الحق لهم وجار بته لاعدائهم اذهم حمال أسراره ومعادن أنواره وقد قال الله سبحانه وتعالى الله ولي الذين آمنوا وقال تعالى ان الله يدافع عن الذين آمنوا غير ان مقابلة الحق سبحانه وتعالى لمن آذى وليا ليس يلزم أن تكون معجلة لقصر مدة الدنيا عند الله تعالى ولان الله سبحانه لم يرض الدنيا أهلا لعقوبة أعدائه كما لم يرضها أهلا لاثابة أحبابه وان كانت معجلة فقد تكون قساوة في القلب أو جمودا في العين أو تعويقا عن طاعة أو وقوعا في ذنب أو فترة في الهمة أو سلب لذاذة خدمته وقد كان رجل من بني اسرائيل أقبل على الله تعالى ثم أعرض عنه فقال يا رب كم أعصيك ولا تعاقبني فأوحى الله تعالى الى نبي ذلك الزمان أن قل لفلان كم عاقبتك ولم تشعر ألم أسلبك حلاوة ذكري ولذاذة مناجاتي وفائدة هذا البيان أن لا يحكم لانسان آذى وليا من أولياء الله تعالى بالسلامة اذا لم تر عليه محنة في نفسه وماله وولده فقد تكون محنة أكبر من

أن يطلع العباد عليها وقوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله عز وجل وما تقرب الي المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم فاعلم أن الفرائض

الله تعالى الذى جعله من العلماء العاملين ومن نفى عن نفسه الولاية والعلم مطلقا فقد قل شكره انتهى (وكان الامام الليث بن سعد) يقول أنا أعرف شخصا من منذ وعى على نفسه ما عصى ربه قط فكان أصحابه يتحدثون فيما بينهم انه يعنى بذلك نفسه لان أحدا لا يعرف ذلك من غيره الا بوحى من الله تعالى وغمز رجل قدم أبى العباس السيارى أحد رجال رسالة القشيرى فقال له أبو العباس اتغمز قدما ما مشى الى معصية الله قط (وكان الشيخ عبد القادر الجيلى) يقول قدمى هذه على رقبة كل ولى لله عز وجل يعنى من أهل عصره (وكان أبو القاسم الجنيد) يقول لا يكمل أحد فى مقام الشكر لله تعالى حتى يرى نفسه انه ليس باهل أن تناله رحمة الله عز وجل وانما رحمة الله تعالى له من باب المنة والفضل وكان الشيخ أبو عبد الله القرشى يقول صحبت ستمائة شيخ ثم وزنت بهم فرجحتهم وكان أبو العباس المرسى يقول والله ما سارت الابدال من ق الى ق الا ليصادفوا رجلا مثلى يربيهم ويرقيهم الى مقامات الرجال وكان يقول والله لو احتجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة واحدة ما عددت نفسى من جملة المسلمين وكان يقول كثيرا والله لو علم أهل العراق والمغرب والشام ومصر ما تحت هذه الشعيرات ويشير الى لحيته من العلوم والاسرار لأتوها ولو سعيا على الوجوه وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى يقول ما بقى بحمد الله عند غيرنا من أهل عصرنا علم نستفيده وانما ننظر فى كلام غيرنا لنعرف ما من الله به علينا دونهم بما هو فوق مقامهم فنشكر الله على ذلك (واخبرنى الشيخ على الشاذلى ربيب الشيخ أبى المواهب) قال سمعت سيدى أبا المواهب يقول كنت وأنا مريد أتكدر من مدح الشاذلية نفوسهم وأقول كيف ينبغى لفقير أن يزكى نفسه بين الناس حتى وصلت الى مقامهم الذى مدحوا منه نفوسهم فرأيت ان ذلك من أوجب الواجبات على العبيد وانه لا يكفى الانسان أن يشكر ربه فى نفسه فقط من غير لفظ وانما عليه أن يشيع ذلك بين العباد حتى يعلم به الخاص والعام فانه تعالى يحب من عباده أن يشكروه ويذكروا فضله واحسانه عليهم بين عباده ويصفوه بالجود والكرم والفضل انتهى ورأيت بخط الشيخ جلال الدين فى كتابه التحدث بالنعمة ما نصه أنا أعلم خلق الله الآن قلما وفما ثم قال فان اعترض علينا معترض قلنا له هذا موكول الى تخصيص العقل ذلك بعالم زماننا أو بلدنا أو اقليمنا لا غير وعلى ذلك حمل العلماء قوله تعالى فى بنى اسرائيل وأنى فضلتكم على العالمين وقالوا لا يدخل فى ذلك الانبياء ولا الملائكة قال الشيخ جلال الدين ولولا اعتبار هذه القاعدة التى ليس عنها براح لكان التلقيب بقاضى القضاة واقضى القضاة محرما غير مباح لانه شامل لكل نبى بل ولرب العالمين انتهى (وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى) يقول كثيرا لاصحابه اعلنوا بطاعاتكم اظهارا لعبوديتكم كما يتظاهر غيركم بالمعاصى وعليكم بالاعلام للناس بما منحكم الله تعالى من العلوم والمعارف فهذه بعض نقول من كلام السلف الصالح تؤذن بان العلماء والصالحين ما مدحوا نفوسهم فخرا ورياء حاشاهم من ذلك وانما بنوا أمرهم فى ذلك على قواعد صحيحة واغراض شرعية فاياك يا أخى ان تبادر الى الانكار على أحد من العارفين اذا مدح نفسه وتحمله على الاغراض النفسانية بعد اطلاعك على هذه الادلة والنقول التى ذكرناها وعليك بحملهم على أحسن المحامل وقد مدح الله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه بقوله أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول عليكم بالاعلان بما تفضل الله به عليكم فان الله تعالى يستحى من عبده اذا قال أعطانى الله كذا وكذا أن يسلب منه ذلك لئلا يجعله بين عباده وسمعته أيضا يقول التحدث بنعمة الله تعالى من غير فتنة ولا اغراض نفسانية خاص بالاكابر من الاولياء فى كل عصر بخلاف غير العارفين فربما دخل الرياء على أحدهم فى تحدثه بما أنعم الله به عليه انتهى قلت وايضاح ذلك ان للعبد فى اظهار اعماله ثلاث حالات احداها أن يظهر اعماله رياء وسمعة كما هو شان بعض العوام والعباد الذين ليس لهم شيخ يربيهم ويرقيهم الى مقام توحيد الافعال لله رب العالمين أو لم يحفهم توفيق فان من وصل الى مقام توحيد الافعال لله ذهب عنه الرياء والسمعة والعجب والكبرياء باعماله جملة واحدة كما ستأتى الاشارة اليه فى مواضع من هذا الكتاب لانه حينئذ يرى الفعل لله وحده لا شركة له فى الفعل الا بقدر نسبة التكليف لا غير ومعلوم ان أحد الا يرائى الا بما يشهده فعلا له وأما ما يراه فعل غيره فلا يصح له الرياء به أبدا

التى اقتضاها الحق سبحانه وتعالى من عباده على قسمين ظاهرة وباطنة فالظاهرة الصلوات الخمس والزكاة وصوم رمضان والحج والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وبر الوالدين الى غير ذلك والباطنة العلم بالله والحب له والتوكل عليه والثقة بوعده والخوف منه والرجاء فيه الى غير ذلك وهى أيضا تنقسم على قسمين فعل وترك شئ اقتضى الحق منك ان تفعله وشئ اقتضى الحق منك أن لا تفعله وقد جمع ذلك فى آية واحدة قال الله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى فهذا أمر طلب منك ان تفعله ثم قال تعالى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى فهذا أمر اقتضى منك ان تتركه ثم اعلم رحمك الله تعالى ان الله تعالى لم يامر العباد بشئ وجوبا أو يقتضيه منهم ندبا الا والمصلحة لهم فى فعل ذلك الامر ولم يقتض منهم ترك شئ تحريما أو كراهة الا والمصلحة لهم فى تركه أمرهم بتركه وجوبا أو ندبا ولسنا نقول كما قال من عدل به عن طريق الهدى انه يجب عليه رعاية مصالح عباده بل انما نقول ذلك عادة الحق وشريعته المستمرة فعلها مع عباده على سبيل التفضل فليت شعرى اذا قالوا يجب على الله رعاية مصالح عباده

لان

لان الناس يكذبونه كما فى العارفين بالله يكذبونه اذا رأى الفعل لنفسه حقيقة وهذا هو مذهب الجبرية بعينه فان الجبرية قوم وصلوا بالعقل الى مقام توحيد الافعال لله وحده ولم يصلوا الى مقام الكمل فى اضافتهم الافعال الى الخلق فاخطؤا الشرائع من اضافتها الافعال الى العباد بنحو قوله تعالى يعملون يفعلون يكسبون فلذلك ذمهم أهل السنة لكون ذلك يؤدى الى أن الله تعالى يؤاخذ العبد بما ليس من كسبه ولا من فعله جملة واحدة ولا يخفى ما فى ذلك من رائحة اقامة الحجة على الله تعالى وان كان الحق من مرتبته أن يفعل ما يشاء وله مؤاخذة من لم يذنب لكن لم يفعل ذلك بل رتب الاسباب والمسببات وهذا المذهب وان كان يدخله الخطأ فهو أحسن من مذهب المعتزلة على كل حال لتأييده بنحو قوله تعالى الله خالق كل شئ ونحو قوله والله خلقكم وما تعملون ولم يات لنا شرع بان العبد يخلق افعال نفسه استقلالا بغير اذن من الله أبدا فافهم فعلم ان من كمال ايمان العبد أن يشهد العمل لله تعالى ايجادا وللعبد اسنادا كما سيأتى ان شاء الله تعالى فى الحالة الثالثة * ثانيها يعنى الاحوال أن يحس من نفسه شهود اخلاص العمل لله تعالى خلقا لا شركة لغير الله فيه من غير أن يتمكن فى المقام فهذا يخاف على نفسه من اظهار اعماله للناس كما يخاف من أنها تحبط لرائحة اعتماده عليها دون الله تعالى كما هو شان العباد سلفا وخلفا فهذا لا يقدر على اظهارها * ثالثها يعنى الاحوال ان يحس بنفسه يقينا الخلاص من الرياء بالكلية حين تمكن من حقائق التوحيد فهذا لا يخاف من اظهار شئ من عمله لانه يشهده لله تعالى وحده كما يشهد ذاته خلقا لله تعالى على حد سواء فكما انه لا يقدر على شئ من كون ذاته خلقا لله تعالى وحده كذلك لا يقدر على أن يصف شيأ من اعمال نفسه لنفسه بل يراها لله رب العالمين ما عدا نسبة التكليف ثم اذا انتفى المحظور وأخلص العبد عمله لله رب العالمين لا شريك له فحينئذ يؤمر باظهار كل ما أجراه الله تعالى على يديه من الاعمال وكساه له من الاخلاق اعترافا له بالنعمة وهذا هو حقيقة الشكر التى ينتهى اليها الصديقون فان جميع الاعمال التى يرى العبد ان يشكر الله بها من جملة نعمه عليه أيضا فصاحب هذا المشهد يرى نفسه كالآلة الفارغة التى يحركها المحرك على الفارغ ويرى نفسه عبدا غارقا فى فضل سيده ونعمته سداه ولحمته نعم فعلم انه يجب على صاحب هذا المقام اظهار جميع نعم الله عليه والتحدث بها وان ذلك أفضل فى حقه من الاسرار بها لعدم خوفه على نفسه من آفات الاظهار وعلم أيضا أن كل من لم يصل الى هذه الحالة الثالثة ذوقا وتحققا فكتمان الاعمال الصالحة والاخلاق الحسنة فى حقه واجب أو أولى خوفا عليه من دخول الآفات وأما شهوده نسبة العمل له من حيث التكليف فلا يقدح حينئذ فى هذا المقام لانه أمر لا بد منه وقد أجمع أهل التوحيد على انه لا يقدح فى توحيد العبد شهوده نسبة الفعل اليه كما أشار اليه نحو قوله تعالى واياك نستعين فافهم وبما قررناه يعلم أن من قال ان اخفاء الاعمال أولى مطلقا اخطأ أو اظهارها مطلقا أفضل اخطأ ومن فصل فى المسئلة فقد أصاب (وسمعت) سيدى عليا الخواص يقول الناس فى اظهار الاعمال واخفائها على أقسام فمنهم من علانيته أفضل من سريرته ومنهم من تساوت سريرته وعلانيته ومنهم من رجحت سريرته فى الخير على علانيته ومنهم من غاب عن ذلك كله فالاقسام الثلاثة الاول قد يطرق صاحبها الرياء والسمعة لشهوده الترجيح بخلاف من غاب عن ذلك كله أى عن التقيد بشئ من هذه الاقسام الثلاثة بحكم اختياره الطبعى بل بحكم الاختيار الشرعى فيكون فانى الاختيار فى اختيار الحق تعالى فما رجح الشرع اظهاره رجح هو اظهاره وما لا فلا قال وعلى هذه الحالة الرابعة يحمل حديث الاخلاص سر من أسرارى أودعه قلب من شئت من عبادى لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبى مرسل ولا شيطان غوى أو ما هذا معناه انتهى (وقد أجمع) الاشياخ على أن من شهد فى نفسه الاخلاص احتاج اخلاصه الى اخلاص (وقد سمعت) سيدى عليا الخواص يقول ارج الناس ميزانا يوم القيامة من كان فى اعماله كالدابة المحملة لا تعلم بنفاسة ما هى حاملته ولا بخسته ولا تعلم هو لمن ولا تطالب مع ذلك أجرا وهى مع ذلك صابرة على ثقل ما حملت منكسة الرأس لا تدرى أين تذهب انتهى وفى كلام ابن عطاء الله ادفن نفسك فى أرض الخمول فان ما نبت من الحب من غير دفن لا يتم نتاجه يعنى لعدم تمكنه لان الرياح ربما عصفت فقلعت عروقه من الارض فمات بخلاف ما دفن فان نباته يشق الارض ويخرج فلا تزعزعه الرياح فعلم مما قررناه ان

الجمع على الله تعالى وكل منهى عنه أو مكروه يتضمن التفرقة عنه فاذا مطلوب الله تعالى من عباده وجود الجمع عليه لكن الطاعات هى أسباب الجمع ووسائله فلذلك أمر بها والمعصية هى أسباب التفرقة ووسائلها فلذلك نهى عنها وأما الفرائض الظاهرة فلا تنفك عن فروض باطنة والفرائض الباطنة شروطها وعمدة لها وبين الفروض الظاهرة والباطنة ما بين الظاهر والباطن وافهم ههنا قوله عليه الصلاة والسلام نية المؤمن خير من عمله وكذلك الذنوب الباطنة كاثرها وصغائرها أشد من الذنوب الظاهرة كبيرها وصغيرها ولما كانت الفرائض اقتضاها الحق من عبده اقتضاء الزام حتمه عليه لم يدخل العبد فيها الا باختيار الله تعالى له فاندفع هوى العبد فيها لان الله سبحانه وتعالى وقت أعدادها وامدادها وأسبابها فلما كان ذلك كان قيام العبد فيها منقطعا عن اختياره لنفسه راجعا الى اختيار الله تعالى له فاوجبت القرب من

الله تعالى ما لم يوجبه غيرها فلذلك قال ما تقرب الى المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم ثم قال وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى

من يخاف محظورا من اظهار اعماله فكتمانه لها أولى كما مر ومن كان قصده باظهارها اقتداء الاخوان به أو اظهار فضل الله تعالى وكرمه عليه أو غير ذلك من النيات الصالحة فلا حرج عليه في اظهارها (وسمعت) سيدي عليا الخواص يقول اذا علم العبد كشفا ويقينا انه عبد مستحق للعقوبة وان جميع ما عنده من الكمالات من فضل سيده عليه عارية عنده ليس له منها شئ جاز له الاعلان بالنعم والتحدث بها على رؤس الخلائق لانه لا يرى له بها فخرا على أحد من خلق الله تعالى انتهى وهذا مشهدي الآن بحمد الله تعالى كما سيأتي بسطه آخر الخاتمة ان شاء الله تعالى فاني والله ثم والله ثم والله أرى نفسي في بعض الاحيان قد استحقيت الخسف بي من سنين لولا فضل الله تعالى وحلمه علي ثم والله لا أرى أحدا على وجه الارض أكثر اقتحاما للمعاصي مني ولا أقل حياء مني ولو أن أحدا من المعتقدين في أقام لي الادلة على ضد ذلك ما أصغيت اليه وكثيرا ما أشهد أن جميع ما يقع على مصر وقراها من البلاء انما هو بسبب ذنوبي وحدي وان ذنوب غيري كلها مغفورة لا أتعقل غير ذلك فيصير جسمي ذائبا كالذي شرب رطلا من السم وهذا أمر لا يذوقه الا أهل هذا المقام كما سيأتي بسطه في الباب الثالث ان شاء الله تعالى والله ثم والله ثم والله اني أود أن يكون لي ذوات وجوارح بعدد ذوات الوجود وكل ذات وجارحة تفعل فعل اخوانها وتعبد الله بعبادة أهل السموات والارض اضعافا مضاعفة من افتتاح الوجود الى انتهائه ثم مع ذلك لا أرى نفسي تستحق ذرة واحدة مما تفضل الله تعالى به علي في الدنيا والآخرة بل أرى اني لو عبدت الله تعالى بعبادة الثقلين الى يوم الدين لا أرى اني قمت بشكره تعالى على تمكيني أن أقف بين يديه خلف كل عاص على وجه الارض ولو غاية لاعنه وكيف أقوم بذرة من شكره وهو خالق لذاتي ولاعمالها فما بقي شكر للعبد الا بالاعتراف بالنعم لا غير فافهم والله ثم والله ثم والله اني لم أقصد بذكري لاخلاقي ومناقبي في هذا الكتاب فخرا على الاخوان وانما قصدت بذلك اقتداءهم بي في تحصيلها والتخلق بها بعد ان سمعت بعضهم مرارا عديدة يستغرب قيام أحد بهذه الاخلاق ويقول ما بقي أحد من فقراء هذا الزمان يصلح أن يقتدى به في شئ من أخلاق القوم لعدم تخلقه بها (ووقع لي) مرة اني قلت لواحد من اخواني أحب لك أن تزهد في الدنيا فقال حتى أجد من يزهد فيها فأتبعه فلما سمعت مثل ذلك من الاخوان من ظنهم ان أخلاق القوم قد فقدت بالكلية أبرزت لهم نبذة من أخلاق المريدين التي من الله تعالى بها علي أوائل صحبتي للقوم رجاء ان أجدا يتبعني على ذلك وقطعا لحجة الكسالى اذ الداعي الى خير ان لم يكن فاعلا به فدعاؤه ناقص وان كان فعله ليس بشرط فيه فان لسان حال المدعو يقول للداعي انصح أنت نفسك وربما صرح بذلك بالقال فلذلك صرحت في هذا الكتاب بامور كان الاولى لنا كتمها لولا الامر لي باظهارها ولولا اقامة الحجة علينا من المدعوين فانهم اذا رأونا متخلقين بما ندعوهم اليه اذعنوا لكلامنا ضرورة وان لم يعملوا به وكذلك لم أقصد بقولي في كثير من الاخلاق وهذا الخلق لم أره فاعلا الفخر على الاخوان وانما أقصد به بيان عزته ليلقي الاخوان بالهم الى الاهتمام به لتحصيله والتخلق به لا غير ومعاذ الله أن أؤلف كتابا وأهديه الى حضرة الله عز وجل وهو مشتمل على ذنب ابليس الذي أخرج به من الحضرة وطرد ولعن مع اني بحمد الله قد خرقت ببصيرتي الى الدار الآخرة وشهدت يوم الحساب وعرفت بميزان الشريعة من هذه الدار ما يصح ان يقبل من الاعمال وما يرد وصار ذلك عندي كأنه رأي عيني فاياك أن تظن في أنني وضعت هذا الكتاب على غفلة عن شهود الآخرة وأحوالها فاني انما وضعته عن حضور وأرجو من فضل الله دوام الحضور والشهود الى طلوع روحي وما ذلك على الله بعزيز والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(الباب الاول في أمور يجب عند ابتداء الطريق فعلها قبل طلب طريق القوم وذلك حتى لا يصير عند الطالب التفات الى غيرها ويجمعها كلها التبحر في العلوم الشرعية ثم المجاهدة للنفس على يد شيخ صادق وما زاد على ذلك فهو من التوابع والكمالات كما ستراه ان شاء الله تعالى)

(فما من الله تبارك وتعالى به علي من فضله) شرف نسبي وان كان ذلك لا ينفع الا مع التقوى غالبا فقد يقع

أحبه فاعلم ان النوافل هي الزيادة ولذلك يسمى النفل نفلا وهو ما ينفله الامام لمن يراه زائدا على نصيبه من الغنيمة قال الله سبحانه وتعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك أي زيادة لك من فضلنا على ما اقتضته الفرائض لك واعلم انه سبحانه وتعالى لم يوجب شيأ من الواجبات غالبا الا وجعل من جنسه نافلة حتى اذا قام العبد بذلك الواجب وفيه خلل جبر بالنافلة التي هي من جنسه ولذلك جاء في الحديث انه ينظر في صلاة العبد فان قام بها كما أمره الله تعالى جوزي عليها وأثبت له وان كان فيها خلل كملت من نافلته حتى قال بعض أهل العلم انما تثبت لك نافلة اذا سلمت لك الفريضة ولما علم الله تعالى ان في عباده المؤمنين أقويا وضعفاء كما جاء في الحديث المؤمن القوي خير وأحب الى الله تعالى من المؤمن الضعيف وفي كل خير ففسح على الضعفاء بالاكتفاء بالواجبات وفتح للاقوياء باب نوافل الخيرات فعباد انهضهم الى القيام بالواجبات خوف عقوبته فقاموا لها تخليصا لانفسهم من وجود الهلكة وملاقاة العقوبة فما قاموا لله تعالى شوقا وطلبا للوفاء مع ربوبيته فلو قوبلوا بالحاقة لم يقبل منهم قيامهم هذا لانهم لم ينهضوا الا لاجل غيره

غيره تفضلا من الله تعالى في الجملة كما أشار اليه بقوله تعالى وكان أبوهما صالحا فلولا أن يكون والدهما صالحا مادخلا في هذه النعمة وما كان للتصريح بصفة الصلاح فيه كبير فائدة فأنا أحمد الله تعالى حيث جعلني من أبناء ملوك الدرني بحمد الله تعالى فاني بحمد الله تعالى عبد الوهاب بن احمد بن علي بن احمد بن علي بن محمد بن زوفا ابن الشيخ موسى المكي في بلاد الهنسا بأبي العمران جدي السادس ابن السلطان احمد ابن السلطان سعيد ابن السلطان قاشين ابن السلطان محيا ابن السلطان زوفا ابن السلطان ريان ابن السلطان محمد بن موسى ابن السيد محمد بن الحنفية ابن الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكن رأيت في نسبتنا القديمة اسمين مطموسين قبل السيد محمد لا أدري من هما وكان جدي السابع الذي هو السلطان أحمد سلطانا بمدينة تلمسان في عصر الشيخ أبي مدين المغربي رضي الله عنه ولما اجتمع به جدي موسى قال له الشيخ أبو مدين لمن تنتسب قال والدي السلطان أحمد فقال له انما عنيت نسبك من جهة الشرف فقال أنتسب الى السيد محمد بن الحنفية فقال له ملك وشرف وفقر لا يجتمعن فقال له ياسيدي قد خلعت ماعدا الفقر فرباه فلما كمل في الطريق أمره بالسفر الى صعيد مصر وقال له اسكن بناحية هو فان بها قبرك فكان الامر كما قال رضي الله عنه فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) وأنا صغير ببلاد الريف حفظ القرآن وأنا ابن ثمان سنين وواظبت على الصلوات الخمس في أوقاتها من ذلك الوقت فلا أتذكر انني أخرجت صلاة عن وقتها الى وقتي هذا الا نسيانا مرة واحدة فنسيت الظهر في طريق الحجاز حتى دخل وقت العصر من غير نية تأخير وكثيرا ما كنت أصلي بالقرآن كله في ركعة وأنا دون البلوغ فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) وأنا دون البلوغ انني عمت بحر النيل أيام الوفاء فتعبت ونزلت في قعر البحر لاموت فارسل الله تبارك وتعالى لي تمساحا فوقف تحت رجلي حتى استرحت وكنت أحسبه بحرا حتى شرع ثم عام حولي يساندني حتى وصلت الى ساحل البحر الآخر ثم غطس وهذا من جملة نعم الله علي مع كوني اذ ذاك صغيرا لا أعرف طريق مغاملته فحماني باللطف من التلف بالمتلف وذلل هذا الوحش تحت رجلي حتى استرحت وكذلك تعرض لي بعض الفسقة بكلام فاحش فابتلاه الله تعالى بالجذام بعد سبعة أيام حتى صار الناس يتقذرونه الى أن مات وكذلك تعرض لي شخص آخر فسافر الى الروم فاسره الفرنج وتنصر عندهم ووقائعي في مثل ذلك كثيرة مع انى كنت يتيما من الابوين فكان الحق تعالى هو ولي وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرتي من بلاد الريف الى مصر ونقله تعالى لي من أرض الجفاء والجهل الى بلد اللطف والعلم وقد أشار الى نحو ذلك السيد يوسف عليه الصلاة والسلام بقوله وقد أحسن بي اذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو فذكر أن مجيء اخوته من البدو من جملة احسان الحق تعالى اليه وانهم بحكم التبعية فكأنه عليه الصلاة والسلام أثنى على الحق تعالى بما فعله مع اخوته ومعه وفي الحديث مرفوعا من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى أبواب السلطان افتتن وكان مجيئي الى مصر افتتاح سنة احدى عشرة وتسعمائة وعمري اذ ذاك ثنتا عشرة سنة فاقمت في جامع سيدي أبي العباس الغمري وحنن الله تعالى على شيخ الجامع وأولاده فكنت بينهم كأني واحد منهم آكل مما يأكلون وألبس مما يلبسون فلا يحاجزهم عني الا الله تعالى فاقمت عندهم حتى حفظت متون الكتب الشرعية وآلاتها وحللتها على الاشياخ ولم أزل بحمد الله محفوظ الظاهر من الوقوع في المعاصي معتقدا عند الناس يعرضون علي كثيرا من الذهب والفضة والثياب فتارة أردها وتارة أطرحها اباحة في صحن الجامع فيلتقطها المجاورون وكنت كثيرا ما أطوي الايام وأنا دون البلوغ تعففا عما في أيدي الناس وخوفا من هواني في أعينهم كما سيأتي بسط ذلك في نعمة مجاهدتي لنفسي بالاشياخ ان شاء الله تعالى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) حفظ متون الكتب فحفظت أولا أبا شجاع ثم الآجرومية في بلاد الريف وحللتهما على أخي الشيخ عبد القادر بعد وفاة والدي ثم لما جئت مصر حفظت كتاب المنهاج للنووي ثم ألفية ابن مالك ثم التوضيح لابن هشام ثم جمع الجوامع ثم ألفية العراقي ثم تلخيص المفتاح ثم الشاطبية ثم قواعد

تفوسهم ولم يطلبوا الا حظوظهم فقاموا الواجبات الله تعالى مجرورين بسلاسل الايجاب كذلك جاء في الحديث عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل وأما العباد الآخرون فعندهم من غليان الشغف ووجود الحب ماليس تكفيهم الواجبات بل قلوبهم منفلتة الى الله تعالى من عوائق هذه الدار فلو لم يحجر عليهم التنفل بالصلوات في أوقات النهي لسرمدوا الاوقات بها ولحملوا أنفسهم فوق مايطيقون ومما يدلك ان الناس انقسموا على هذين القسمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث بادروا بالاعمال سبعا هل ينظر أحدكم الا غنى مطغيا أو فقرا منسيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر فهذا الحديث يقتضي انهاض الهمم الى معاملة الله تعالى والحث على المبادرة الى طاعة الله تعالى ومسابقة العوارض والقواطع قبل ورودها فهذا خطاب للفريق الاول فطالبهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالمبادرة بالاعمال وجاءت أحاديث أخر آمرة للعباد بالاقتصاد في الطاعة لئلا يطيعوا باعث الشغف فيحملوا أنفسهم فوق مايطيقون فيؤدي

ذلك الى عجزهم عن طاعة الله تعالى أو قيامهم فيها بوجود التكلف وقال صلى الله عليه وسلم اكلفوا من العمل ما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا وقال القصد القصد تبلغوا وقوله ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق وقوله ولا تبغض الى نفسك عبادة الله تعالى ومثل القائم بالواجبات المكتفى بها والقائم بها وبالنوافل كمثل عبدين خارجهما المالك على أربعة دراهم كل يوم فاما أحدهما فقام بها ولم يزد وأما الآخر فقام بها وعمد الى ظرف الفواكه وغرائب التحف فاشتراها واهداها الى السيد فهو لاشك أولى بود السيد من العبد الآخر وقوله فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به الحديث معناه وجود البقاء بعد الفناء فتمحى أوصافك وسمعت شيخنا أبا العباس رضى الله تعالى عنه يقول ان لله تعالى عبادا محق أفعالهم بافعاله وأوصافهم باوصافه وذاتهم بذاته وحجبهم من أسراره ما تعجز عامة الاولياء عن سماعه وهم الذين غرقوا فى بحر الذات وتيار الصفات فهى اذن فنا آت ثلاث أن يفنيك عن أفعالك بافعاله وعن أوصافك باوصافه وعن ذاتك بذاته ولذلك قال قائلهم وقوم تاه فى أرض بقفر * وقوم تاه فى ميدان حبه

ابن هشام وغير ذلك من المختصرات وحفظت هذه الكتب حتى صرت أعرف متشابهاتها كالقرآن من جودة الحفظ ثم ارتفعت الهمة الى حفظ كتاب الروض مختصر الروضة لكونه أجمع كتاب فى مذهب الامام الشافعى فحفظت منه الى أثناء باب القضاء على الغائب أو آخر الكتاب فلقينى بعض أرباب الاحوال بباب الخرق خارج باب زويلة فقال لى مكاشفا قف على باب القضاء على الغائب ولا تقض على غائب بشئ انتهى فما قدرت بعد ذلك على حفظ لوح واحد منه لكنى طالعت الكتاب ودرسته نحو مائة مرة وكنت أقرأ محفوظى للمتن فى الشرح وأنظر كل شئ توقفت فى فهمه حتى صار شرحه للشيخ زكريا عندى نصب عينى كما سيأتى بيانه فى النعمة بعد ثم لقينى الشيخ أحمد البهلول رضى الله عنه فقال لى مكاشفا أقبل على الاشتغال بالله ويكفيك من العلم ما قد علمته فشاورت فى ذلك مشايخى فقالوا لا تدخل طريق القوم الا بعد شرح محفوظاتك كلها على الاشياخ فاذا فهمتها وتبحرت فيها فعليك بطريق القوم وكان أشياخى كلهم من الجامعين بين العلم والعمل والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) شرحى لمحفوظاتى السابقة على المشايخ الذين عرضتها عليهم وهم نحو خمسين شيخا ذكرنا مناقبهم فى كتاب الطبقات فقرأت على الشيخ أمين الدين الامام والمحدث بجامع الغمرى شرح المنهاج للجلال المحلى وكان أعرف أشياخى بنكت هذا الشرح لكونه قرأه على أعيان طلبة الشيخ جلال الدين كالفخر المقسى والشمس الجوجرى والشمس ابن قاسم وكنت أطالع على درسى هذا القوت للاذرعى والقطعة بالتكملة للاسنوى والزركشى والقطعة للسبكى والعمدة لابن الملقن وشرح ابن قاضى شهبة وشرح الروض للشيخ زكريا واكتب زوائد هذه الكتب على الشيخ جلال الدين والصق فيه أوراقا حتى ربما تصير الحواشى أكثر من الكتاب ثم أقرؤها كلها عليه وذلك كله لضيق يدى عن شئ أشترى به هذه الكتب وقرأت عليه أيضا شرح جمع الجوامع للشيخ جلال الدين وحاشية الشيخ كمال الدين بن أبى شريف كاملا وكان قد قرأها على مؤلفها وقرأت عليه أيضا شرح ألفية العراقى للجلال السخاوى ويقال انه للحافظ ابن حجر ظفر به السخاوى مسودة فى تركة الحافظ ابن حجر أو غيره فضبطه وبيضه وأبرزه للناس وقرأت عليه أيضا شرح ألفية ابن مالك لابن عقيل وكنت أطالع عليها شرحها للاشمونى والبصير وشرح التوضيح للشيخ خالد وشرح المكودى وشرح ابن المصنف وشرح ابن أم قاسم وشرح الشواهد للعينى واكتب زوائد هذه الشروح على ابن عقيل ثم أقرؤها كلها وقرأت عليه أيضا الكتب الستة فى الحديث والغيلانيات ومسند عبد بن حميد وكتبا كثيرة وأجازنى بجميع مروياته وكان له السند العالى أخذ عن الحافظ ابن حجر وغيره وقرأت على الشيخ الامام العلامة شمس الدين الدواخلى رضى الله عنه هذا الشرح المذكور آنفا وطالعت عليه الكتب المذكورة بعد الشيخ أمين الدين وكان فقيها صوفيا أصوليا نحويا محققا للابحاث وقرأت عليه أيضا شرح الارشاد لابن أبى شريف وكنت أطالع عليه شرح البهجة الكبير للشيخ زكريا وشرح الارشاد للجوجرى والقوت للاذرعى والتوسط والفتح له أيضا وقرأت عليه أيضا شرح الروض الى أثناء باب الجهاد فحصل لى مرض فلم أتمه عليه لكنى أتممته على غيره وكنت أطالع على هذا الشرح كتاب الخادم وكتاب القوت وجميع المواد التى استمد منها شارحه وكنت أتتبع نقوله بذكر سوابق الكلام ولواحقه وألحق ذلك بالشرح حتى ان حواشى هذا الشرح صارت أكثر من الشرح وكان يتعجب من سرعة مطالعتى لهذه الكتب وكتابة زوائدها ويقول لولا انك تلخص زوائدها لقلت انك لم تلحق تطلع على بعضها وقرأت عليه أيضا شرح الالفية لابن المصنف وشرح التوضيح للشيخ خالد وكتاب المطول بحواشيه وشرح ألفية العراقى للمصنف وللسخاوى وكتاب شرح جمع الجوامع بحاشيته لابن أبى شريف وغير ذلك وقرأت على الشيخ شمس الدين السمانودى المفتى والخطيب بجامع الازهر كان نحو النصف من شرح المنهاج للمحلى ثم مات رحمه الله رحمة واسعة وقرأت على الشيخ الامام العلامة شهاب الدين المسيرى قطعة من شرح جمع الجوامع ونحو النصف من شرح المنهاج للجلال المحلى ثم مات وقرأت على الشيخ الامام المحقق الشيخ نور الدين المحلى شرح جمع الجوامع بحاشيته وكثيرا ما كنت اقرأ عليه الشرح والحاشية من ذهنى وهو يمسك على الاصلين فيتعجب من جودة حفظى وتوقيعى

الحاشية

الحاشية على الشرح مع صغرسني وقرأت عليه أيضا شرح العقائد للتفتازاني وحاشيته لابن أبي شريف عليه وشرح المقاصد وكتاب سراج العقول لابي طاهر القزويني وهو كتاب نفيس مشتمل على أربعين مسئلة من مشكلات علم الكلام عقد لكل مسئلة بابا جمع فيه نقول المتقدمين والمتأخرين ومارأيت في علماء الكلام أطول باعا منه وقرأت على الشيخ نور الدين الجارحي المدرس بجامع الغمري رحمه الله شرح ألفية العراقي للمؤلف وشرح الشاطبية لابن القاصح والسخاوي صهر الشاطبي وقرأت على الشيخ الامام العلامة الشيخ نور الدين السنهوري الضرير الامام بجامع الازهر عدة كتب منها شرح الشذور ومنها نظمه للآجرومية وشرح نظمه لها وشرح الالفية للمكودي وغير ذلك وقرأت على الشيخ الامام المحقق المفنن في العلوم ملا علي العجمي بباب القرافة عدة كتب في الفقه والنحو وقرأت على الشيخ جمال الدين الصافي قطعة من المنهاج وقطعة من الالفية في نحو شهر ثم مات وقرأت كذلك على كل من الشيخ عيسى الاخنائي والشيخ شمس الدين الدروطي والشيخ شمس الدين الدمياطي الواعظ صاحب البرج بدمياط قطعة من شرح المنهاج وقطعة من شرح الالفية في النحو ثم مات وقرأت على الشيخ العالم الصالح المحدث المقرئ الشيخ شهاب الدين القسطلاني شارح البخاري غالب شرحه على البخاري وقطعة من المواهب اللدنية وقرأت على الشيخ مجلي رحمه الله قطعة من شرح المنهاج للجلال المحلي صحبة قراءة الشيخ أبي الحسن البكري عليه ثم مات رحمه الله تعالى وقرأت على الشيخ صلاح الدين القليوبي قطعة من شرح جمع الجوامع ثم مات ولم أكمله عليه وقرأت على الشيخ العالم العلامة نور الدين بن ناصر نحو ثلاثة أرباع المنهاج وكان أحفظ الناس بنقول المذهب كأن المذهب نصب عينه وقرأت على الشيخ نور الدين الاشموني قطعة من المنهاج وقطعة من الغية ابن مالك ونظمه لجمع الجوامع ثم مات وقرأت على الشيخ سعد الدين الذهبي شرح ألفية العراقي للمؤلف وقرأت قطعة من شرح المنهاج للمحلي مع مطالعة كتاب القوت وكتاب الخادم ومراجعته في المشكلات وقرأت على شيخ الاسلام الشيخ شهاب الدين الششيني الحنبلي قطعة من تفسير البغوي الى أواخر البقرة ثم مات سنة ثمان عشرة وتسعمائة وقرأت على شيخ الاسلام الشيخ برهان الدين القلقشندي قطعة من المنهاج وقطعة من ألفية ابن مالك ومسند عبد بن حميد والغيلانيات ثم مات وكان عالي السند في الحديث وقرأت على شيخ مشايخ الاسلام الشيخ زكريا شرحه لرسالة القشيري كاملا وشرحه لمختصر المزني ولم يكمله وشرح آداب البحث وشرح التحرير وشرح الروض الى أثناء باب الجزية وشرح مختصره لجمع الجوامع مع حاشيته على شرح الجلال المحلي وقرأت عليه تفسير البيضاوي كاملا ونشأ من قراءتي عليه حاشيته التي وضعها عليه وغالبها بخطي وخط ولده الشيخ جمال الدين وذلك بعد أن كف بصره وطالعت له حاشية الطيبي على الكشاف وحاشية الشيخ سعد الدين وبعض حواش لحاشية الشيخ جلال الدين السيوطي والبابوني وغير ذلك ولما شرح البخاري كنت أطالع له حال التأليف فتح الباري وشرح العيني وشرح البرماوي وشرح الكرماني وشرح القسطلاني حتى صار غالب هذه الشروح نصب عيني من كثرة مطالعتها له وتكرار الكلام حتى يأخذ منه المعنى الذي يضعه في شرحه ولما قرأت عليه شرح الروض كنت أطالع عليه شرح المهذب والخادم والقوت وشروح المنهاج والمطلب والكفاية لابن الرفعة وتتبعت جميع المواد التي استمد منها في شرحه ونبهته على اثني عشر موضعا ذكر في شرحه أنها من زوائد الروضة على الروضة والحال أنها مذكورة في الروضة في غير أبوابها فضرب على كونها زائدة ونبه على أنها مذكورة في غير أبوابها ثم اني رأيت الزركشي نبه على هذه المواضع في كتابه خبايا الزوايا ففرح بذلك رضي الله عنه وكان أعظم أشياخي في العلم والعمل والهيبة ولازمته عشرين سنة فكأنها من طيبها كانت جمعة وكان في بعض الاوقات يقول لي هلا تذهب بنا الى بحر النيل نشم الهواء فأقول له ياسيدي مجالستكم عندي أعظم من شم الهواء فيدعو لي وحكى لي مرة أن يحيى بن يحيى الاندلسي جالس الامام مالكا سنين فمر يوما الفيل فقام الطلبة يتفرجون عليه فقال له الامام مالك أما تنظر الى الفيل فانه ليس في بلادكم فقال ياسيدي أنا ما رحلت من بلادي لاتفرج على الفيل وانما رحلت اليك لانظر الى أفعالك وأقوالك وأهتدي بهديك فاعجب مالك كاذلك وسماه عاقل أهل الاندلس انتهى رضي الله تعالى عنه

اليه فمن صدق فناؤه صدق بقاؤه ومن كان عما سوى الله تعالى فناؤه كان بالله تعالى بقاؤه ولذلك قالوا من كان في الله تعالى تلفه كان على الله تعالى خلفه فالفناء يوجب عذرهم والبقاء يوجب نصرهم الفناء يوجب غيبتهم عن كل شئ والبقاء يحضرهم مع الله تعالى في كل شئ فلا ينقطعون عنه في شئ الفناء يميتهم والبقاء يحييهم ومن دكت جبال وجوده استمع داعي شهوده قال الله سبحانه وتعالى ويسألونك عن الجبال الآية الى همسا وصاحب البقاء يقوم عن الله تعالى وصاحب الفناء يقوم الله تعالى عنه وقوله وما ترددت في شئ أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه اعلم رحمك الله تعالى ان التردد يجب تأويله ولا يحمل على ظاهره وانما التردد في المخلوقين اما لتقابل الحوادث واما لانبهام العواقب وذلك محال في حق الحق سبحانه وتعالى وانما المراد بالتردد ههنا ان سابق علم الله يقتضي وفاة العبد بالوقت الذي سبق العلم بتعيينه وصفة الرأفة تقتضي دفع ذلك لولا ما سبق العلم وقد أشار سبحانه وتعالى الى صفة الرأفة بقوله يكره

وأرضاه وقرأت على الشيخ الامام المحقق علامة الزمان الشيخ شهاب الدين الرملي رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من سحائب نعمته الهامعة كتاب الروضة من أولها الى أثناء كتاب الجراح فحصل لي رمي دم فلم أكمله عليه وكنت أطالع على كل درس قرأته عليه كتاب القوت وكتاب الخادم وكتاب شرح الروض للشيخ زكريا ولابن سولة والمطلب والمهمات والكفاية لابن الرفعة وشرح المهذب والرافعي الكبير والقطعة والتكملة وشرح ابن قاضي شهبة على المنهاج وشرحي الارشاد للجوجري ولابن أبي شريف وشرح البهجة للشيخ زكريا وأكتب زوائد هذه الكتب على الحواشي وربما ألصق فيها أوراقا حتى تصير الحواشي أكثر من ألفاظ الاصل ثم أقرؤها كلها عليه وكان ينبهني على المفتي به من غيره فاقيده على الحاشية وكان يتعجب من سرعة مطالعتي لهذه الكتب في نحو اليوم والليلة ويقول لولا أنك تكتب زوائدها على الحواشي وتترك الكلام المتداخل لقلت انك لم تلحق تطالع هذه الكتب فضلا عن تحرير ما تكتبه منها بعد حذف المتداخل يعني تركه من هذه الاصول وكان ذهني بحمد الله سيالا لا يسمع شيأ وينساه ولم أزل كذلك حتى ترادفت علي الهموم لما بلغت في السن الى نحو خمس وعشرين سنة وذلك نحو ثلاث وعشرين من القرن العاشر التي دخلت فيها الى مصر لما جاءت دولة بني عثمان نصرهم الله تعالى وقال لي مرات بدايتك نهاية غيرك فاني ما رأيت أحدا تيسر له مطالعة هذه الكتب كلها في هذا الزمان أبدا وكنت أطالع الجزء الكبير من الرافعي أو الخادم كاملا في ليلة واحدة فهذا ما استحضرته الآن من الكتب التي طالعتها حال قراءتي على الاشياخ وسيأتي قريبا ذكر أسماء الكتب التي طالعتها لنفسي مع مراجعة الاشياخ في مشكلاتها ان شاء الله تعالى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) أخذي بالاحوط في ديني ولا أترخص في تركه الا بطريق شرعي فكما أن من أخذ بالاحوط فهو على هدى من ربه كذلك من أخذ بالرخصة بشرطها فهو على هدى من ربه فيها وكنت بحمد الله تعالى حال اشتغالي على الاشياخ أشدد على نفسي في العمل على الخروج من الخلاف ما أمكن وكل ذلك طلبا لتكون عبادتي صحيحة على جميع المذاهب أو أكثرها وما رأيت أشد علي مراعاة للخلاف من صلاة العصر فاني ان صليتها على مذهب الامام الشافعي في أول وقتها خالفت الراجح من مذهب الامام أبي حنيفة لان وقتها حين صليتها على مذهب الشافعي لم يكن دخل وان صليتها أول الوقت على مذهب الشافعي وأعدتها حين يدخل وقتها على الراجح من مذهب أبي حنيفة يقول الاصطخري ان العصر لا تعاد وان اقتصرت على صلاتها في الراجح من مذهب أبي حنيفة قال الطحاوي قد خرج وقتها حينئذ فلما تعذر علي الخروج من خلاف العلماء أخذت بما صح في حديث امامة جبريل من الوقتين * واعلم يا أخي أن من جملة الاحتياط اجتناب المكروه كأنه حرام والاعتناء بالسنن كأنها واجبة ويتوضأ من مس الفرج ان كان حنفيا ومن الفصد ان كان شافعيا ويطهر نجاسة الكلب والخنزير سبعا احداهن بتراب ان كان مالكيا وهكذا في سائر مسائل الخلاف العالي والنازل من الصحابة ومن بعدهم الى عصرنا هذا فعلم أنه ينبغي للعبد التوبة من المكروه كأنه حرام ومن ترك السنة كأنها واجب تعظيما لامر الله * وقد روى البزار باسناد صحيح ان الله فرض فرائض وفرضت فرائض الحديث ومما يؤيد الاعتناء بالسنة قوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول كلما ازداد العبد معرفة بالله تعالى كلما اعتنى بالتعظيم لامره ونهيه وكلما بعد عن حضرة الله تعالى كلما تهاون بفعل أمره واجتناب نهيه وفي الحديث أنا أعرفكم بالله وأخوفكم منه وروى الحاكم وصححه مرفوعا من أراد أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فان الله تعالى ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه انتهى فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم التعصب لمذهبي من غير علم ولا اجتهاد فلم أتذكر أني قلت عن شيء من مذهب المخالف هذا ضعيف أبدا بل سداي ولحمتي التسليم للمخالف وقد كان الامام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه وأرضاه يقول ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين وما جاء عن أصحابه تخيرنا انتهى وكذلك نقول ما جاءنا عن الائمة المجتهدين تخيرنا اتباع من شئنا منهم ثم اذا تخيرناه لازمنا العمل بكلامه ولا نفارقه

المولى وأكره مساءته وأشار الى صفة العلم بقوله ولا بد له منه * انعطاف اعلم رحمك الله تعالى باقباله عليك وجعل أنواره واصلة اليك انهما ولايتان ولي يتولى الله وولي يتولاه الله تعالى قال الله عز وجل في الولاية الاولى ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون وقال في الولاية الثانية وهو يتولى الصالحين قال الشيخ أبو الحسن رضي الله تعالى عنه من أجل مواهب الله تعالى الرضاء بمواقع القضاء والصبر عند نزول البلاء والتوكل على الله تعالى عند الشدائد والرجوع اليه عند النوائب فمن خرجت له هذه الاربع من خزائن الاعمال على بساط المجاهدة ومتابعة السنة والاقتداء بالائمة فقد صحت ولايته لله ولرسوله وللمؤمنين ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون ومن خرجت له من خزائن المنن على بساط المحبة فقد تمت ولاية الله تعالى له بقوله وهو يتولى الصالحين ففرق بين الولايتين فعبد يتولى الله وعبد يتولاه الله تعالى فهنا ولايتان صغرى وكبرى فولايتك الله تعالى خرجت من المجاهدة وولايتك لرسوله خرجت من متابعة سنته وولايتك للمؤمنين خرجت من الاقتداء بالائمة فافهم ذلك من

الا بالله تعالى حال اصطلامهم وغيبتهم فينكر الناس عليهم ذلك ولا ينبغي ذلك الا لو قالوه حال صحوهم وفي الحديث ان الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فافهم *ومن وصية شيخنا شيخ الاسلام زكريا رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة اياك والانكار على الطائفة في كل ما يتحققون به وسلم لهم تسلم فانهم تارة يتكلمون حال غيبتهم عن نفوسهم بكلام لا يليق الا بالحق تعالى أو برسوله صلى الله عليه وسلم فيظن السامع انهم يشطحون بذلك وحاشاهم من سوء الادب مع الله تعالى أو مع رسوله صلى الله عليه وسلم انتهى فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) حال اشتغالي بالفقه أني لم أجزم قط بما فهمته من كلام امامي أو مقلديه بان ذلك مراده أو مرادهم لان التكلم على مراد القائل لا يدرك الا بالكشف وليس كل ما يفهمه المقلد مثلا من كلام المجتهد يكون مرادا للمجتهد قطعا لانه لو كان مراده نصا لم تختلف في ذلك الافهام كما هو الحكم في صريح الكتاب والسنة ومن تحقق بهذا الخلق قلت منازعته لاخوانه ومجادلته لهم بغير حق بخلاف من كان بالضد من ذلك فان من لازمه النزاع والجدال (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يجد ابنان قط في ذوق ولا مقام لو تتبع كلام الشارع صلى الله عليه وسلم وما تفرع عنه من استنباط المجتهدين ومقلديهم قال ومن علم ذلك لم يقطع قط بما فهمه وانما يقول الذي فهمته من هذا الكلام كذا وكذا فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني كما كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول وقد يكون من يخطئ غيره في الفهم غير مصيب فان ذلك انما هو خطأ في نظره هو لا في نظر المتكلم به انتهى (وكان) الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى يقول ليس فهم كلام المتكلم أن يفهم الانسان جميع الوجوه التي تضمنها كلامه بطريق الحصر وانما الفهم أن يفهم ما قصده المتكلم بذلك الكلام من قصد جميع الوجوه التي احتوى عليها ذلك اللفظ بحسب ما تواطأ عليه أهل اللسان أو بعض تلك الوجوه انتهى فاعرف يا أخي الفرق بين فهم الكلام والفهم عن المتكلم من حيث مراده الذي هو المطلوب فما كل من فهم الكلام فهم مراد المتكلم لاسيما مراد الحق تبارك وتعالى من كلامه (وكان) أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول اذا كان أحدنا يعجز عن فهم كلام جنسه من البشر فكيف لا يعجز عن فهم كلام رب العالمين فلا ينبغي أن يتكلم على معاني القرآن الا كمل الاولياء من الائمة المجتهدين وكمل العارفين على ان الحق قد غفر للائمة ما أخطؤا فيه من الفهم والتأويل بل جعل لهم الاجر في ذلك حيث بذلوا وسعهم ولم يخرجوا عن حد لسان الشارع انتهى (وكان) الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى يقول قد رحم الله هذه الامة المحمدية بكثرة المذاهب والمجتهدين فاذا وجد أحدهم ضيقا في مذهب انتقل الى التقليد لمذهب آخر لكن قد حجر هذه الرحمة على الامة من أمر جميع الناس بالتزام مذهب معين لم يعينه الله ولا رسوله ولا دل عليه ظاهر كتاب ولا سنة لا صحيحة ولا ضعيفة قال وهذا من أشق التكاليف على الامة فالذي وسعه الشرع ضيقه هؤلاء اللهم الا أن يخاف عن العامي وقوعه في التخليط اذا لم يلتزم مذهبا معينا لضعف فهمه عن استخراج الاحكام من الكتاب والسنة فهذا يلزمه التقييد بمذهب معين انتهى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) حال اشتغالي بالعلم على الاشياخ حفظني من دعوى العلم والتكبر به على العامة فلا أستحضر أني رأيت نفسي قط على أحد من عوام المسلمين وذلك لعلمي بان جميع ما بيدي من المنقول ليس هو علمي حقيقة وانما هو علم من استنبطه واستخرجه وما بقي معي الا الحكاية نحو قولي ربح فلان كذا قال فلان كذا أفتى فلان بكذا وهذا ليس بعلمي حقيقة (وكان) سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول علم الرجل حقيقة هو ما لم يسبق اليه وأما من كان علمه مستفادا من النقل فليس ذلك له بعلم انما هو صاحب لصاحب العالم قال وذلك لان معنى العلم قائم بالحرف والحرف مصاحب للكتابة انتهى وسمعته أيضا يقول كل علم يقبل صاحبه الشبهة فليس هو بعلم انما العلم ما أتى العبد من طريق الالهام والذوق كما قال تبارك وتعالى قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسمعته أيضا يقول لا ينتقل مع العبد الى البرزخ الا العلم الخالص من الرأي الضعيف الذي لا يشهد له كتاب ولا سنة وأما جميع العلوم التي دخل فيها الرأي والرياء فلا يسمى صاحبها عالما ولا يحشر مع العلماء العاملين وسمعته يقول من علامة الاخلاص في العلم أن لا يثقل عليه

ربط الولاية بالايمان ليعرفك غزارة قدر الايمان وعلو منصبه حتى كان سببا لثبوت ولاية الله تعالى للعبد ولا يفهم من هذه الآية اختصاص الولاية بمن وقع منه الايمان قبل نزول هذا الخطاب لاتيانه بصيغة الماضي بل المراد من قام به الايمان وجبت ولاية الله تعالى له أي وقت كان ذلك الايمان وقد تساق الافعال على صيغة خاصة وليس المراد خصوص تلك الصيغة كما تقول قد أفلح من آمن وخاب من كفر ألا ترى أن المراد بالاول قد أفلح من كان منه ايمان وقد خاب من كان منه كفر من غير تعرض لزمان معين *(الفائدة الثالثة)* دل سبحانه وتعالى بقوله يخرجهم من الظلمات الى النور على وسع رحمته وسبوغ نعمته اذ لما قال الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور علم انهم قد يدخلون في الظلمات ولكن الله تعالى لولايته اياهم يتولى اخراجهم كما قال في الآية الاخرى والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله الآية فساق ذلك مساق المدح للمؤمنين كما ساق قوله يخرجهم من الظلمات الى النور مساق البشارة لهم ولم يقل والذين لا يفعلون الفاحشة اذ لو قال ذلك لم يدخل فيه الا أهل الاعتناء الاكبر وكذلك قوله تعالى والكاظمين

الاشتغال به عند طلوع روحه ومتى سئل عن مسئلة وهو محتضر فقال اليك عنى دل على عدم اخلاصه فلا فرق عند المخلص بين قول من يقول له قل أستغفر الله أو سبحان الله وبين من يقول له علمنى فروض الوضوء على حد سواء وهذا الخلق قل من يتخلق به من طلبة العلم بل غالبهم يرى الناس كلهم هالكين الا هو فقط فان أمرهم بمعروف يأمرهم بنفس فربما قابلت نفسه الا نفس فوقعت الابابة فلم يحصل بذلك ثمرة انتهى فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) لذن شيخ الاسلام الشيخ زكريا فى قراءة الفقه وتدريسه وكذلك تفسير الزمخشرى والبيضاوى ثم لما درست كنت أعد نفسى مع الطالب كأنى جاهل فلا أستحضر يوما انى رأيت نفسى شيخا عليه انما أرى ذلك مذاكرة يفيدنى تارة وأفيده أخرى وكان على هذا القدم جماعة منهم سيدى عبد الله المنوفى شيخ الشيخ خليل صاحب المختصر ومنهم الشيخ عبد الحق السنباطى ومنهم الشيخ عبد الرحيم الابناسى رضى الله تعالى عنهم فكانوا يرون اقراءهم العلم انما هو مذاكرة فالحمد لله الذى حصل لى أسوة بهم والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حال اشتغالى بالعلم عدم المبادرة الى القول بتعارض الادلة أو كلام المجتهدين انما أبادر الى حل كل كلام على حال خوفا أن أرمى من الشريعة شيأ فيفوتنى العمل به ومن هنا كان بعض العارفين لا يذهب الى النسخ بالتاريخ بمجرده لاحتمال أن يكون صلى الله عليه وسلم فعل أحد الفعلين لبيان الجواز أو الافضلية اللهم الا أن يجمع العلماء على القول بالنسخ فذلك ظاهر قال ومما يحتمل بيان الافضلية والجواز مسحه صلى الله عليه وسلم رأسه كاملا ومسح البعض منه فى وقت آخر فلو أخذنا بالنسخ بالتاريخ لكان أحد المسحين منسوخا لانه لا بد أن يكون المتأخر واحدا منهما انتهى (وسمعت) شيخ الاسلام زكريا رحمه الله تعالى يقول ليس فى كلام الشارع صلى الله عليه وسلم تعارض لان كلامه يجل عن ذلك فان اجوبته صلى الله عليه وسلم كانت تختلف باختلاف السائلين ومقامهم والا فان ما يجيب به السيد أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه مما يجيب به آحاد الناس من الاعراب وأيضا فانه صلى الله عليه وسلم كان مأمورا بان يخاطب الناس على قدر عقولهم واستعدادهم كما يشهد لذلك قوله للجارية التى أراد سيدها عتقها عن الكفارة وشكوا فى اسلامها أين الله فقالت فى السماء أو أشارت الى أنه فى السماء فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنة ورب الكعبة فاقرها على قولها فى السماء وان كان ظاهر حالها انها قصدت التحيز للحق المنزه تبارك وتعالى عنه وفى القرآن العظيم وهو الله فى السموات وفى الارض فوافقت الجارية بعض ما أشار اليه القرآن وان كان المعنى الحق فى ذلك الاشارة الى انه تعالى لا يتحيز أى فكما هو فى السماء كذلك هو فى الارض على حد سواء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد أى فكما يطلبه العبد فى جهة العلو كذلك ينبغى أن يطلبه فى جهة السفل فالسفل للحق تعالى كالعلو من حيث المكانة لا المكان لان كل جهة طلب الحق منها فهى عروج وان كانت فى السفليات فافهم فعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سأل الجارية بالاينية المستحيلة فى حق الله تعالى الا لعلمه بقصور عقلها عن التنزيه المخصص عن مثل ذلك فكان من حكمته صلى الله عليه وسلم أن يتنزل لعقلها ولو أنه صلى الله عليه وسلم كان خاطبها بغير ما تصورته فى نفسها لارتفعت الفائدة المطلوبة ولم يحصل القبول لكن لما أقرها صلى الله عليه وسلم على قولها انه فى السماء وبانت حكمته صلى الله عليه وسلم وقوة علمه علمنا أنه ليس فى قوة هذه الجارية أن تعقل خالقها الا على قدر ما تصورته فى نفسها فكان من حكمته صلى الله عليه وسلم ان سألها بهذه العبارة السابقة ولذلك قال انها مؤمنة أى مصدقة بوجود الله تعالى فى السماء دون قوله انها عالمة لان العلم هو معرفة المعلوم على ما هو عليه وتعالى الله عن التحيز فى جهة الفوق دون السفل (ورأيت) فى بعض الكتب ان عيسى عليه الصلاة والسلام مر على شخص يعمل البراذع وهو يقول فى سجوده يا رب لو علمت أين حمارك الذى تركبه لعملت له برذعة ورصعتها بالجواهر فحركه المسيح وقال ويحك أو لله تعالى حمار فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام دع الرجل فانه مجدنى بقدر وسعه اهـ فمن فهم ما قلناه من تفاوت

بفقدان الغضب أصلا اذ الصفة التى هم يتصفون بها لا تقتضى ذلك (الفائدة الرابعة) اعلام الحق سبحانه فى هذه الآية المؤمنين بشارة عظيمة تتضمنها ولايته لانها تضمنت كل خير من خير الدنيا والآخرة من نور وعلم وفتح وشهود ومعرفة ويقين وتأييد ووجود ومزيد وحور وقصور وأنهار وثمار ورؤية الله تعالى ورضاء عن الله تعالى ومن الله تعالى وما بين ذلك من الحشر مع المتقين وأخذ الكتاب باليمين وثقل الميزان بالحسنات والثبات على الصراط وما سوى ذلك من المنح والمواهب تتضمنه ولاية الله تعالى لعباده المؤمنين فهى البشارة التى تضمنت كل بشارة واعلم أن ولاية الله تعالى تتضمن النفع والدفع أما النفع فمن قوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها ومن قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وهذا فى وصفه الكافرين ففهومه ان الايمان ينفع المؤمنين ولو عند رؤية البأس وكذلك قوله يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا ففهومه اذا كانت مؤمنة من قبل ينفعها ايمانها وأما الدفع

افهام الخلق سلم لكل انسان فهمه لاسيما ان كان ذلك الشخص مقلدا الغير امام ذلك المعترض والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) حفظي أيام الاشتغال من الجدال ورفع الصوت على رفقتي فضلا عن شيخي بل كنت أتلقى جميع ما أسمعه بالادب والتسليم من غير تاويل الا في المواضع التي يتعين فيها التأويل فما أطلعني الله تبارك وتعالى عليه من المعاني قلت به من غير حصر للمعنى في ذلك وما لم يطلعني الله تعالى على علته أكل علمه الى الله تعالى ولا أقف أتفكر فيه لان المحل غير قابل لذلك (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من توقف في فهم شئ جاء بلغته وعلى لسانه فهو علامة على ظلمة قلبه فيجب عليه السعي في تنظيف قلبه من الشهوات والمخالفات ثم بعد ذلك لا يصير يتوقف في فهم شئ الا ان كان ذلك فوق مقامه وما كان فوق مقامه لم يكلفه الله تعالى بالعمل به انما يكلفه بقدر ما فهمه فقط أو فهمه من هو مقلده من العلماء فعلم أن من أراد فهم كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم والائمة المجتهدين ومقلديهم فليعمل على جلاء مرآة قلبه من الصدا والغبار على يد شيخ مرشد ويجمع ذلك كله طيب المطعم والاخلاص والتسليم وخفض الجناح لعامة المسلمين وترك البحث والجدال والدعاوى وعدم اقامة ميزان عقله وفهمه على كل كلام عسر عليه فهمه فان من سلك هذا الطريق نور الله تعالى قلبه وكشف له عن أسرار الشريعة ودقائقها اذا القلب اذا صفا صار كالمرآة الكرة المصقولة فاذا قوبلت بالوجود العلوى والسفلى انطبع جميعه فيها فلا ينسى بعد ذلك شيأ (وكان) أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول من رحمة الله تعالى بعباده انه لم يكلفهم بفهم علل الاحكام ولا تتبع مشكلاتها وما تشابه منها بل ذمهم بقوله تعالى وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا وبقوله وأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله الآية وكان يقول أيضا كل عمل لم يظهر له الشارع تعليلا من جهته فالعمل به تعبد محض اذ العمل اذا علل ربما يكون الباعث للعبد على العمل حكمة تلك العلة لا امتثال أمر الله عز وجل وذلك يجرح مقام العبودية اذ العبد انما شانه امتثال أمر سيده واجتناب نهيه قياما بواجب حق العبودية وامتثالا لامره تعالى لا لعلة أخرى ثم لا يخفى ان مجموع الشريعة افعلوا كذا واجتنبوا كذا وهذا لا يتوقف في فهمه أحد انتهى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تعالى به علي) كثرة مطالعتي لكتب الشريعة وآلاتها بنفسي ثم مراجعة العلماء لما أشكل علي منها دون الاستقلال بفهمي لاحتمال الخطا فطالعت بحمد الله تعالى شرح الروض للشيخ زكريا نحو ثلاثين مرة وشرحه لابن سولة مرتين وطالعت كتاب الأم للامام الشافعي ثلاث مرات حتى كنت استحضر غالب نصوصه وطالعت مختصر المزني مرة واحدة وطالعت مسند الامام الشافعي وشرحه للعاولي ثلاث مرات وطالعت كتاب المحلى لابن حزم في الخلاف العالي ثلاث مرات ومختصره للشيخ محيي الدين ابن العربي مرة واحدة وهو ثلاثون مجلدة ضخمة وطالعت كتاب الحاوي للماوردي وهو ثلاثون مجلدة ضخمة وطالعت الاحكام السلطانية له مرة واحدة وطالعت فروع ابن الحداد مرتين وطالعت كتاب الشامل لابن الصباغ مرة واحدة وطالعت كتاب المحيط للشيخ أبي محمد الجويني وكذلك كتاب الفروق له ولم يتقيد في كتاب المحيط بمذهب معين وطالعت كتاب الوسيط والبسيط والوجيز للغزالي مرة واحدة وطالعت الرافعي الكبير ثلاث مرات وطالعت الروضة سبع مرات وطالعت شرح المهذب نحو خمسين مرة وطالعت تكملة السبكي عليه مرة واحدة وهي مجلدة واحدة وطالعت شرح مسلم للنووي خمس عشرة مرة وطالعت كتاب المطلب لابن الرفعة مرة واحدة مع مراجعة الشيخ كمال الدين الطويل في مشكلاته وطالعت المهمات للاسنوي والتعقبات لابن العماد مرتين وطالعت القوت للاذرعي مرة واحدة وطالعت الخادم مرتين ونصفا وطالعت العمدة والعجالة كلاهما لابن الملقن مرة واحدة وطالعت شرح المنهاج لابن قاضي شهبة مرة واحدة وطالعت شرح الارشاد لابن أبي شريف مرة واحدة وشرحه للجوجري مرة واحدة وطالعت شروح التنبيه لابن يونس والزنكلوني ولابن الملقن وللجلال السيوطي مرة واحدة وطالعت شرح المنهاج للجلال المحلي مع تصحيح ابن قاضي عجلون نحو ثلاثين مرة وطالعت شرح البهجة للشيخ ولي الدين العراقي مرات وشرحها للشيخ زكريا مرة واحدة وطالعت قواعد

الشيخ

من قوله ان الله يدفع عن الذين آمنوا وتضمن النصرة لقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وتضمن النجاة لقوله تعالى كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين

(الفائدة الخامسة) قوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور أي يخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان ومن ظلمات البدعة الى نور السنة ومن ظلمات الغفلة الى نور اليقظة ومن ظلمات الحظوظ الى نور الحقوق ومن ظلمات طلب الدنيا الى نور طلب الآخرة ومن ظلمات المعصية الى نور الطاعة ومن ظلمات الكثائف الى نور اللطائف ومن ظلمات الهوى الى نور التقوى ومن ظلمات الدعوى الى اشراق نور التبري من الحول والقوى ومن ظلمات الكون الى شهود المكون ومن ظلمات التدبير الى اشراق نور التفويض الى غير ذلك مما لا يحصره العدد مما يخرجهم عنه ويخرجهم اليه وأما الولاية الثانية ولاية الايقان وهي تتضمن الايمان والتوكل وقد قال الله سبحانه وتعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه ولا يكون التوكل الا مع اليقين ولا يكون توكل ويقين الا مع الايمان لان اليقين عبارة عن استقرار العلم بالله تعالى في القلب ماخوذ من يقن الماء في الجبل اذا استقر وسكن فيه فكل

الشيخ عز الدين الكبرى والصغرى نحو خمس مرات وقواعد العلائى مرة واحدة وقواعد الزركشى ثلاث مرات ثم اختصرتها وطالعت الاشباه والنظائر لابن السبكى مرة وطالعت الألغاز للاسنوى مرة واحدة وغير ذلك من الكتب المشهورة فى الفقه وتوابعه * وطالعت من شروح الاحاديث كثيرا فطالعت كتاب فتح البارى على البخارى مرة واحدة وشرح الكرمانى مرتين وشرح البرماوى خمس مرات والعينى مرتين وشرح القسطلانى مرة ونصفا وطالعت شرح مسلم للقاضى عياض مرة واحدة وطالعت شرحه للشيخ زكريا نحو خمس مرات وغالب مسودته بخطى كما مر بيانه آنفا وطالعت شرح الترمذى لابن المقرى المالكى ونسخه فى مصر قليلة وفى الاسكندرية نسخة واحدة * وطالعت من كتب التفسير للقرآن غالب التفاسير المشهورة فطالعت تفسير البغوى مرة وتفسير الخازن ثلاث مرات وتفسير ابن عادل سبع مرات وتفسير الكواشى عشر مرات وتفسير ابن زهرة مرة وتفسير القرطبى مرتين وتفسير ابن أبى كثير مرة وتفسير البيضاوى خمس مرات وتفسير ابن النقيب المقدسى مرة وهو مائة مجلدة ضخمة ما طالعت أوسع منه وطالعت تفسيرى الامام الواحدى البسيط والوجيز وتفسيرى الشيخ عبد العزيز الدرينى الكبير والصغير ثلاث مرات وطالعت تفسير الجلالين نحو ثلاثين مرة وطالعت تفسير الجلال السيوطى الكبير المسمى بالدر المنثور ثلاث مرات وطالعت تفسير الامام سنيد بن عبد الله الازدى يروى عن وكيع وهو تفسير نفيس وقد تطلبه الشيخ جلال الدين السيوطى عشرين سنة فلم يظفر بنسخة منه ثم جردت أحاديثه وآثاره فى مجلد وطالعت تفسير الزمخشرى بحواشيه مرة وأعظمها حاشية الطيبى وكان محدثا صوفيا نحويا فقيها أصوليا وقل أن تجتمع هذه الصفات فى عالم وكذلك طالعت عليه كتاب الانتصاف لابن المنير وهو مبين لمواضع الاعتزال منه وكذلك طالعت كتاب الانصاف للعراقى الذى جعله حكما بين الكشاف والانتصاف وقد اختصره ابن هشام فى مؤلف وطالعته كذلك وكذلك طالعت البحر لابى حيان الذى ناقش فيه الزمخشرى من حيث الاعراب وكذلك طالعت عليه اعراب تلميذه أحمد بن يوسف الحلبى الشهير بالسمين وكذلك طالعت عليه اعراب السفاقسى وكذلك طالعت عليه حاشية الشيخ قطب الدين الشيرازى وقطعة من حاشية الشيخ فخر الدين الجاربردى وقطعة من حاشية الشيخ أكمل الدين البابونى وهى فى مجلدين الى أثناء سورة البقرة ولا أدرى هل أكملها أم لا وكذلك الشيخ سعد الدين لم يتم حاشيته وكذلك السيد الجرجانى فيما أظن وكذلك طالعت عليه حاشية أبى زرعة العراقى وهى مجلدتان لخص فيها كلام ابن المنير والعلم العراقى وأبى حيان وأجوبة السمين والسفاقسى مع زيادة تخريج أحاديثه وطالعت تفسير البيضاوى مع حاشية الشيخ زكريا عليه خمس مرات فهذا ما طالعته على الكشاف وقل من تيسر له مطالعة جميع هذه التفاسير والحواشى وكان الله تعالى قد سخر لى الشيخ شمس الدين المظفرى يأتينى بكل كتاب طلبته من خزائن مصر فجزاه الله تعالى عنى خيرا * وطالعت من كتب الحديث وأدلة المذاهب مالا أحصى له عددا فمن جملة ما طالعته الكتب الستة وصحيح ابن خزيمة وصحيح ابن حبان ومسند الامام أحمد وموطا الامام مالك ومعاجيم الطبرانى الثلاثة وكتاب جامع الاصول لابن الاثير وطالعت الجامع الكبير للشيخ جلال الدين السيوطى وكذلك الجامع الصغير وزيادته وهى عشرة آلاف حديث ولا يكاد يخرج من الشريعة عن أحاديث هذه الكتب شئ الا نادرا فهى أجمع كتاب صنف بعد سنن البيهقى فى الادلة وكذلك طالعت السنن الكبرى للبيهقى ثم اختصرتها بحذف السند والمكرر دون الاحكام وكذلك طالعت كتاب المنتقى من الاحكام لابن تيمية وهو الشيخ مجد الدين وليس هو الشيخ تقى الدين صاحب المحنة وهو أصل مسودة كتابى المسمى بكشف الغمة عن جميع الامة وكذلك طالعت كتاب الهدى النبوى لابن القيم ثم اختصرته وطالعت دلائل النبوة للبيهقى وكتاب المعجزات والخصائص للشيخ جلال الدين السيوطى ثم اختصرتها وغير ذلك مما لا أحصى له عددا من الاجزاء والمسانيد * وطالعت من كتب اللغة صحاح الجوهرى والقاموس والنهاية لابن الاثير وكتاب تهذيب الاسماء واللغات للنووى وقد طالعته خمس عشرة مرة * وطالعت من كتب الاصول والكلام كثيرا فمن جملة ما طالعته شرح العضد وشرح منهاج البيضاوى وكتاب المستصفى للغزالى وكتاب الامالى لامام الحرمين

قلت هما ولايتان ولاية الصادقين وولاية الصديقين فولاية الصادقين باخلاص العمل لله والقيام بالوفاء مع الله تعالى طلبا للجزاء من الله تعالى * وولاية الصديقين بالفناء عما سوى الله تعالى والبقاء فى كل شئ بالله تعالى وقد قال الشيخ أبو الحسن رضى الله تعالى عنه فى بعض كتب الله تعالى المنزلة على بعض أنبيائه من أطاعنى فى كل شئ أطعته فى كل شئ فقال الشيخ أبو الحسن من أطاعنى فى كل شئ بهجرانه لكل شئ أطعته فى كل شئ بان أتجلى له دون كل شئ حتى يرانى أقرب اليه من كل شئ هذه طريق أولى وهى طريق السالكين وطريق كبرى من أطاعنى فى كل شئ باقباله على كل شئ بحسن ارادة مولاه فى كل شئ أطعته فى كل شئ بان أتجلى له فى كل شئ حتى يرانى كأنى فى كل شئ واذ قد عرفت هذا فاعلم انهما ولايتان ولى يفنى عن كل شئ فلا يشهد مع الله تعالى شيأ وولى يبقى فى كل شئ فيشهد الله تعالى فى كل شئ وهذا أتم لان الله تعالى لم يظهر المملكة حتى يشهد فيها فالكائنات مرايا

وشرح المقاصد وكتاب شرح الطوالع والمطالع وكتاب سراج العقول للقزويني وشرح العقائد للتفتازاني وحاشيته لابن أبي شريف وغير ذلك * وطالعت من فتاوى العلماء في وقائع الاحوال من المتقدمين والمتأخرين مالا أحصي له عددا كفتاوى ابن أبي زيد المروزي وفتاوى القفال وفتاوى القاضي حسين وفتاوى الماوردي وفتاوى الغزالي وامامه وفتاوى ابن الصباغ وفتاوى ابن الصلاح وفتاوى ابن عبد السلام وفتاوى النووي وفتاوى السبكي وفتاوى البلقيني وفتاوى الشيخ زكريا وفتاوى الشيخ شهاب الدين الرملي وغير ذلك * وطالعت من كتب القواعد قواعد الشيخ عز الدين الكبرى والصغرى وقواعد العلائي وقواعد ابن السبكي وقواعد الزركشي وهي أجمع القواعد وأوضحها عبارة وقد اختصرتها كما مر من غير حذف شيء من أحكامها الصحيحة ثم اني جمعت هذه القواعد كلها في كتاب واحد وحذفت المتداخل منها فجاء كتابا نفيسا وكذلك فعلت في كتب الفتاوى وقد سارت الركبان بنسخة من الفتاوى الى بلاد التكرور * وطالعت من كتب السير سيرة ابن هشام وسيرة ابن اسحق وسيرة الكلبي وسيرة أبي الحسن البكري ونظرت على مواضع منها وسيرة الطبري وسيرة الكلاعي وسيرة ابن سيد الناس وسيرة الشيخ محمد الشامي التي جمعها من ألف كتاب وهي أجمع كتاب في السير فيما أظن * وطالعت من كتب التصوف والرقائق مالا أحصي له عددا فمن جملة ما طالعته كتاب القوت لابي طالب المكي وكتاب الرعاية للحرث المحاسبي وكتاب الحلية لابي نعيم وكتاب رسالة القشيري وكتاب عوارف المعارف للسهروردي والاحياء للغزالي وكتب اليافعي كلها وكتاب الفتوحات المكية للشيخ محيي الدين ثم اختصرتها وحذفت المواضع المدسوسة على الشيخ فيها وطالعت رسالة النور للشيخ أحمد الزاهد وهي مجلدتان وطالعت كتاب منح المنة لتلميذه سيدي محمد الغمري وهي ست مجلدات وكتاب منازل السائرين للهروي وشرح الفصوص للقاشاني وكتاب شعب الايمان للقصري وغير ذلك * فهذا ما استحضرته الآن من الكتب التي طالعتها وما أظن أحدا في عصري هذا أحاط بها علما أبدا وقد كتب بعض الحسدة سؤالا يتعلق ببعض كلمات في كتاب العهود وقدمه الى شيخ الاسلام الشيخ شهاب الدين الحنبلي الفتوحي رضي الله تعالى عنه فامتنع من الكتابة عليه وقال كيف أكتب على سؤال يتعلق بشخص طالع من الكتب مالا أعرف له اسما فضلا عن الخوض فيها مع انه لو ادعى تأليفها لم يجد له في مصر منازعا انتهى مع ان ما سئل عنه ليس في شيء من كتبي بحمد الله تعالى انما هو افتراء علي وقد كتب بعض المتهورين عليه كتابة كلها خطأ فالله تعالى يغفر له ما جناه ورضي الله تبارك وتعالى عن أهل الانصاف والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) مطالعتي لكتب أئمة المذاهب الثلاثة زيادة على مذهبي وذلك أنني لما تبحرت في مذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه وأرضاه احتجت الى معرفة المسائل المجمع عليها بين الائمة أو التي اتفق عليها ثلاثة منهم وذلك لاجتنب العمل بما منعوه وأمتثل أمرهم فيما أمروا به وان لم يكن مذهبي فاعمل بما أجمعوا عليه أو اتفق عليه ثلاثة منهم على وجه الاعتناء والتأكيد أكثر مما انفرد به واحد أو اثنان لان ما أجمعوا عليه ملحق بنصوص الشارع صلى الله عليه وسلم فمما طالعته من كتب الحنفية شرح الكنز وشرح مجمع البحرين والحدادي وفتاوى قاضيخان وشرح القدوري والبزازية والخلاصة وشرح الهداية وتخريج أحاديثها للحافظ الزيلعي وهو كافل بادلة الحنفية كلها وكنت أراجع في مشكلات هذه الكتب الشيخ نور الدين الطرابلسي والشيخ شهاب الدين بن الشلبي والشيخ شمس الدين الغزي الكبير وغيرهم رضي الله تعالى عنهم * وطالعت من كتب المالكية المدونة الكبرى ثم اختصرتها وهي عشر مجلدات وطالعت كتاب الموطا وشروح رسالة ابن أبي زيد وشرح مختصر الشيخ خليل وكتب ابن عرفة وابن فرحون وكانت مطالعتي للمدونة باشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت أراجع في مشكلات هذه الكتب الشيخ شمس الدين اللقاني والشيخ شرف الدين الحطاب والاخ الصالح الشيخ عبد الرحمن الاجهوري وغيرهم رضي الله تعالى عنهم * وطالعت من كتب الحنابلة الخرقي وعدة مختصرات قالوا ولم يدون الامام أحمد له مذهبا وانما مذهبه الآن ملفق من صدور أصحابه فانه كان مذهبه الحديث وكان يقول أستحي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أتكلم في معنى كلامه

منك ان تراها بعين من لا يراها تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث كونيتها ولنا في هذا المعنى شعر

ما أبينت لك العوالم الا
لتراها بعين من لا يراها
فارق عنها رقى من ليس يرضى
حالة دون أن يرى مولاها
فالناظر للكائنات غير
شاهد للحق فيها غافل
والفاني عنها عبد
بسطوات الشهود ذاهل
والشاهد للحق
فيها عبد مخصص كامل
وانما ترفع الهمة عن
الكون من حيث
كونيته لا من حيث
ظهور الحق فيه فاغضاء
الزهاد والعباد وأهل
الارادة عن الكون
لانهم لم يشهدوا ظهور
الحق فيه ذلك لعدم
نفوذهم اليه في كل شيء
لا لعدم ظهوره في كل
شيء فانه ظاهر في كل
شيء حتى انه ظاهر فيما
به احتجب فلا حجاب
ولنا في المعنى شعر

وكلي محتاج وأنت لك
الغنى
ومثلي من يخطي ومثلك
من يعفو
وأنت الذي أبدى الوداد
تكرما
ومثلك من يرعى ومثلي
من يجفو
وما طاب عيش لم تكن فيه واصلا * ولم يصف لا والله أني له يصفو
عزمت على ان أترك الكون كله *

فقد لا يكون ذلك مراده رضى الله تعالى عنه وكان رضى الله تعالى عنه يقول أولا حد كلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم و بلغنا انه وضع فى أحكام الصلاة نحو ثلاثين مسئلة

(وممـا أنعم الله تبارك وتعالى به علـى) انه تعالى أعطانى الفهم فى القرآن العظيم وهو مقام عظيم قـل من أعطيه من الفقراء (وكان) سـيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول أعطيت استخراج العـلوم من القرآن العظيم من فقه وأصول ونحو ومعان و بيان و جـدل وعروض وغير ذلك فلو جلس الى منصف نظيف القلب من الادناس خال من الحسد لبينت له مادة كل علم وأوضحت له ذلك حتى لا يبقى عنده فى ذلك شك ولكن السالم مما ذكرناه قليل وجوده انتهى فالحمد لله رب العالمين

(وممـا أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة توجهى وتقريرى لجميع مـذاهب المجتهدين حـين تبحرت فى علومهم حتى كأنى فى حال تقريرى لها واحـد منهم وربما ظن الداخل علىّ وأنا أقرر فى مذهب ذلك الامام انى حنفى أو حنبلى أو مالكى والحال أنى مقلد للامام الشافعى رضى الله تعالى عنـه وأرضاه وذلك لاحاطتى بمنازع أقوال الائمة رضى الله تعالى عنهم واطلاعى على أدلتها وربما قال بعض المتهورين عنى ان فلانا لا يتقيد بمذهب على وجه الذم والتنقيص والحال انى انما أقرر مذاهب الائمة لوسـع اطلاعى لا لتهورى فى الدين وتتبعا للرخص وأصـل ذلك أنى لما صنفت كتب أدلة المذاهب رأيت جميع المجتهدين لا يخرجون عن السنة فى شئ انما هم بين مشـدد ومخفف فمنهم من أخذ بصريح الحديث أو القرآن ومنهم من أخذ بمفهومهما ومنهم من أخذ بما استنبط منهـما ومنهم من أخذ بما استنبط من ذلك المفهوم ومنهـم من أخذ بالقياس الصحيح على الاصل الصحيح فكان مذاهبهم رضى الله تعالى عنهم منسـوجة من الشريعة المطهرة سداها ولحمتها منها * وقد وضـعت فى الجمع بين أقوال الائمة رضى الله تعالى عنهم أجمعين ميزانا ترجع جميع مذاهب المجتهـدين وأقوال مقلديهم الى الشريعة المطهرة لم أجد لها ذائقا من أهل عصرى وقد استعارها الشيخ شهاب الدين الشلبى الحنفى فمكثت عنده أياما ثم أتانى بها وقال هذه خصوصية لك فانى لم أقدر أخرج عن دائرة كلام مذهبى فقلت له فهل هى باطلة فقال صولة كلامها ليست بصولة مبطل انتهى وقد عرضتها على سيدنا ومولانا أبى العباس الخضر عليه السلام فاجازها وقال لى هذا أمر لا يحيط به الا من نظر الشريعة بعين الكمال واطلع على العين التى يتفرع منها كل مذهب وقليل من أولياء الله تبارك وتعالى من أحاط بذلك انتهى فالحمد لله رب العالمين

(وممـا منّ الله تبارك وتعالى به علىّ) تأليفى كتبا كثيرة فى الشريعة وغالبها ابتكرته ولم أسبق اليه وذلك كـكتاب البحر المورود فى المواثيق والعهود وكتاب كشف الغمة عن جميع الامة جمعت فيـه أدلة المذاهب الاربعة من غـير عزو الى من خرجها من الحفاظ اكتفاء بعلم أهل كل مذهب بمن خرج دليلهم ثم صنفت بعده كتاب المنهج المبين فى بيان أدلة المجتهدين عزوت فيـه كل حديث الى من رواه فكان كالتخريج لاحاديث كتاب كشف الغمة وكتاب البدر المنير فى غريب أحاديث البشير النذير وكتاب مشارق الانوار القدسية فى بيان العهود المحمدية جمعت فيه أحاديث الترغيب والترهيب و جعلته على قسمين مأمورات ومنهيات فدخـل فى المأمور المندوب ودخل فى المنهى المكروه وهو كتاب نفيس وصنفت كتاب لواقح الانوار القدسية فى مختصر الفتوحات المكية وكتاب قواعد الصوفية وكتاب مختصر قواعد الزركشى وكتاب منهاج الوصول الى علم الاصول جمعت فيه بين شرح الجلال المحلى لجمع الجوامع وحاشـية ابن أبى شريف وكتاب اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الاكابر وكتاب الجوهر المصون فى علوم كتاب الله المكنون وهو مشتمل على نحو ثلاثة آلاف علم منثورة على سور القرآن وكتاب طبقات الصوفية وهى من أبى بكر الصـديق رضى الله عنه الى ختام سـنة ستين وتسعمائة ذكرت فيه مناقب كل من كان له كلام أحفظه فى الحقيقة أو الشريعة لا غـير وذكرت فيه العلماء الاحياء والفقراء الاحياء الذين وقع لى بهم صحبة ومما صـنفته كتاب مفحم الاكباد فى بيان مواد الاجتهاد وكتاب لوائح الخذلان على كل من لم يعـمل بالقرآن وكتاب حد الحسام على من أوجب العـمل بالالهام وكتاب التتبع والفحص على حكم الالهام اذا خالف النص وكتاب البروق الخواطف لبصر من عمل بالهواتف وكتاب

وما أحسن الاحباب فى كل حالة
فلله ما يبـــدو ولله ما يخفو
وان الاولى لم يشهدوك بمشهد
قلوبهـم عن نيـل سر الهوى غلف
وأنت الذى أظهرت ثم ظهرت فى
جميع المبادى مثلما شهد العرف *
ظهرت لكل الكون فالكون مظهر
وفيـه له أيضا كما جاءت الصحف
فأى فؤاد عـن ودادك ينثنى
وأية عين بعـد قربك لن تقفو
وأية نفس لم يملها هواكم
على حبكم طرا نفوس الورى وقف
وان شئت قلت هـما
ولايتان ولاية دليـل وبرهان وولاية شهود وعيان فولاية الدليل والبرهان لاهل الاعتبار وولاية الشـــهود والعيان لاهل الاستبصار فلاهل الولاية الاولى قوله سبحانه سـنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسـهم حتى يتبين لهم انه الحق ولاهـل الولاية الثانيـة قوله سبحانه قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وأرباب الدليل والبرهان عوام عند أهل الشهود والعيان لان أهل الشهود والعيان قد سوا الحق فى ظهوره أن يحتاج

رضى الله تعالى عنه
كيف يعرف بالمعارف
من به عرفت المعارف
أم كيف يعرف بشئ
من سبق وجوده وجود
كل شئ وقال مريد لشيخه
يا أستاذ أين الله تعالى
فقال له أسحقك الله
أتطلب مع العين الاين
وأنشد بعض العارفين
لقد ظهرت فلا تخفى
على أحد
الا على أكمه لا يعرف
القمرا
ثم استترت عن الابصار
يا أحد
فكيف يعرف من
بالعزة استترا
فما احتجب الحق عن
العباد الا بعظم ظهوره
ولا منع الابصار ان
تشهده الا قهارية
نوره فعظيم القرب هو
الذى غيب عنك شهود
القرب قال الشيخ أبو
الحسن حقيقة القرب
ان تغيب فى القرب عن
القرب لعظيم القرب
كمن يشم رائحة المسك
فلا يزال يدنو منها وكلما
دنا منها تزايد ريحها فاذا
دخل البيت الذى هو
فيه انقطعت رائحته
عنه وأنشد بعض
العارفين
كم ذا تموه بالشعبين والعلم *
والامر أوضح من نار
على علم
أراك تسأل عن نجد وأنت بها * وعن تهامة هذا فعل متهم ووجدت بخط شيخنا أبى العباس رضى الله

رسالة الانوار فى آداب العبودية وكتاب كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان وهى نيف وسبعون سؤالا فى التوحيد سألنى عنها علماء الجان وكتاب فرائد القلائد فى علم العقائد وكتاب الجواهر والدرر جمعت فيه ما سمعته من العلوم والاسرار من سيدى على الخواص رحمه الله تعالى وكتاب الكبريت الاحمر فى بيان علوم الكشف الاكبر وكتاب الاقتباس فى علم القياس وكتاب تنبيه المغترين فى القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر وغير ذلك مما سارت به الركبان الى بلاد التكرور والمغرب فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) اجازة العلماء من أهل المذاهب الاربعة لمؤلفاتى ومدحهم لها خلاف ما أشاعه بعض الحسدة فى مصر والحجاز وغيرهما من امتناعهم من الكتابة على مؤلفاتى أو رجوعهم عن الكتابة عليها وسبب ذلك أنهم استعاروا منى بعض كتب ليكتبوها فدسوا فيها عقائد زائغة ومسائل خارقة للاجماع ونسبوها الى ودارت تلك المسائل فى مصر نحو سنة وأنا لا أشعر فحصل بذلك رج فى البلد وسيأتى فى هذه المنن براءتى عند العلماء مما دسوه حين أرسلت لهم النسخ التى عليها خطوطهم فالله يغفر لهؤلاء الحسدة ما جنوه آمين * فمن جملة ما كتبه الشيخ شهاب الدين الرملى الشافعى رضى الله تعالى عنه على كتاب كشف الغمة بعد الحمد والشهادتين وبعد فقد وقفت على هذا المؤلف الغريب والمجموع العجيب فرأيته كتابا لا ينكر فضله ولا يختلف اثنان فى أنه ما صنف مثله * ومن جملة ما كتبه شيخ الاسلام نور الدين الطرابلسى الحنفى رضى الله تعالى عنه وبعد فقد وقف العبد الضعيف على هذا المجموع اللطيف المفرد المنيف وتأملته فاذا هو محتو على نخب حقائق العارفين وزبد كنوز الواصلين ولقد توج مؤلفه بتاج لطائف التحقيق معارف رؤس أهل الطريق وأوضح لهم منها الطريق ولقد أبدع مؤلفه وأغرب وأتى بما هو من العجاب أعجب الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه الشيخ شهاب الدين بن الشلبى الحنفى وبعد فقد وقفت على هذا المؤلف السعيد والدر النضيد والعقد الفريد فلله دره من مؤلف جل مقداره وطفحت بالسنة أسراره وهمعت من سحب الفضل أمطاره ولاحت فى سماء الشريعة شموسه وأقماره فجزى الله مؤلفه خير الجزاء فى الدارين وجعلنى واياه من خير الفريقين الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ ناصر الدين الطبلاوى الشافعى رضى الله تعالى عنه وبعد فقد استجليت هذا الكتاب النفيس فوجدته قد حوى المقاصد الدينية والاصول العلمية فى العقائد الصحيحة نفيسها ومن آداب القوم مليحها ومن علومهم شريفها ومن السنة ظريفها ومن الاشارات الربانيات لطيفها فجزى الله تعالى مؤلفه أفضل الجزاء ونشر علومه على أهل الدراية والصفاء ولا غرو أن يصدر عن بحره هذه الجواهر وعن مدده هذه النجوم الزواهر فانه علامة الزمان وصاحب المناقب والمفاخر الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه الشيخ ناصر الدين اللقانى عليه رضى الله تعالى عنه وبعد فقد وقفت على هذا المصنف الشريف البديع التأليف المشتمل على أسلوب عجيب ونظام غريب لم ينسج أحد على منواله ولم تسمح قريحة بمثاله قد اشتمل على لطائف أسرار ربانية وبدائع حكم الهية أوصلها الكريم الجواد من عنده وأفاضها الوهاب على عبده جعله الله تعالى علما للمهتدين وقدوة للسالكين وبحرا يغترف من علومه ظماء المسترشدين وبدرا يستضىء بنوره طلاب اليقين الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه شيخ الاسلام الفتوحى الحنبلى رحمه الله تعالى وبعد فقد وقفت على هذا المؤلف الفريد الجامع بين الطارف والتليد الجامع لفنون من العلوم متفرقة المشتمل على مسائل لم توجد فى غيره محققة فانشرح صدرى به غاية الانشراح لما أودع فيه من المعانى الرشيقة والاقوال الصحاح وأعدت نظرى فيه المرة بعد المرة فاذا تحت كل ذرة منه درة فياله من مؤلف عزيز المثال لم ينسج له فيما أظن قبل ولا بعد على منوال الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه الشيخ عبد القادر المالكى الشاذلى رضى الله تعالى عنه وبعد فقد اطلعت على هذا الكتاب المسمى بكشف الغمة عن جميع الامة فوجدته كتابا كريما وصراطا مستقيما ونورا ساطعا عظيما ورأيت فيه من غرائب الحديث وعجائبه ما لا تسعه مجلدات كثيرة مع اختصاره فى حجم لطيف وأوراق يسيرة فلله دره من كتاب عظمت فيه المنة وكشف الله به الغمة وهدى به الامة الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه

عليه

عليه الشيخ شهاب الدين عميرة الشافعي رضى الله عنه و بعد فقد وقفت على هذا المؤلف العظيم الشان البديع في المعاني والبيان فوجدته مشتملا على حقائق هي خلاصة أنظار المتقدمين ودقائق هي نتيجة أفكار المناظرين الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه الشيخ شهاب الدين الرملي الشافعي رضى الله تعالى عنه وأرضاه على كتاب المنهج المبين في بيان أدلة المجتهدين و بعد فقد اطلع كاتبه على هذا المؤلف الشريف والمجموع اللطيف الحاوى لجميع أدلة المجتهدين والقامع للطغاة والمبتدعين فجزى الله تعالى مؤلفه خيرا وكفاه وصما وضيرا الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ ناصر الدين الطبلاوى رحمه الله تعالى عليه و بعد فقد تشرفت باطلاعي على هذا الكتاب العجيب والاسلوب الغريب المسمى بالمنهج المبين فاذا هو كتاب طابق اسمه مسماه لانه قد حوى من السنة ثمرات مقاصد العارفين وانطوى منها على قواعد وفوائد ترشد الحائرين وتوصل المنقطعين قد أتقن فنون الشريعة واستقصاها فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فالله تعالى يديم حديث مؤلفه في العالمين و ينشر فضائله في الخافقين آمين * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ شهاب الدين البهوتي الحنبلي رحمه الله تعالى و بعد فقد اطلعت على هذا الكتاب العظيم والمؤلف الجسيم المنتقى من أصول كتب الحديث المعتمد عليها في أحكام الدين ولقد كان لهذه الامة أجمع حاجة الى ما وعاه هذا المهذب وجمع وأنت خبير بان الله تعالى قد جمع لمؤلفه بين الحال والقال الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ شمس الدين البرهمتوشي الحنفي رحمه الله و بعد فقد وقفت على هذا المؤلف المنيف والكتاب الشريف الجامع من السنة النبوية والعقائد المرضية ما تقر به أعين المؤمنين وتذهب به ظنون الاغبياء الملحدين فجزى الله تعالى مؤلفه خيرا الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ ناصر الدين اللقاني المالكي رضى الله تعالى عنه و بعد فقد وقفت على هذا المؤلف العظيم الشان فاذا هو فلك مشحون بدر وفرائد الفوائد أو فلك مرصع بكل كوكب دري توقد بالنكت والقواعد وكيف لا يكون كذلك ومؤلفه المحقق الفهامة شيخ الحقيقة وأستاذ الطريقة الجامع بين المنقول والمعقول والمرجع والتعويل عليه فيما يفتى به ويقول سيدنا وقدوتنا الى الله تعالى الشيخ أبو محمد عبد الوهاب الشعراني الشافعي المرشد المسلك المربي أعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته وحشرنا في زمرته الى آخر ما قال ولما اجتمعت به قال لي انما صرحت باسمك ومدحتك تكذيبا لمن أشاع عني أني لا أعتقدك رضى الله تعالى عنه وأرضاه * ومن جملة ما كتبه شيخ الاسلام الفتوحي الحنبلي رضى الله تعالى عنه على كتاب العهود و بعد فقد اطلعت على هذا البحر العجاج المتلاطم بالامواج فسبحت فيه وابتهجت بنفائس درره غاية الابتهاج وغصته فظفرت بجواهر فوائده التي أنالها محتاج ووردته ورود ظمآن أتى اليه من بعد فجاج وتأملته المرة بعد المرة فاذا تحت كل ذرة منه درة قد اشتمل من الفوائد على أدناها وأقصاها فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فهو مؤلف فريد في فنه وصنفه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يقدح في معانيه الا جاهل أو معاند أو حائد عن طريق الحق لاجل غرضه الفاسد الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ ناصر الدين اللقاني المالكي رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة و بعد فقد اطلعت على هذا المؤلف المشتمل على حقائق ورقائق ونكت لطيفة ودقائق حقيقة أن تكتب بماء الذهب بل بسواد العيون وأن تشترى بنفائس الارواح لا بنقد العيون لما فيه من الحكم واداب السلوك وخلاصة الاخلاص المذهبة للاوهام والشكوك وكفى هذا المصنف شرفا أن لسان حاله وقاله ناطق بفضله وعلو شانه بحيث ان الناظر في تلك العهود يكاد يمزق مألوف نفسه المعهود وما هي الا منح ربانية ومواهب قدسية خص بها الكريم الوهاب عبده الاواب حشرني الله في زمرته ونفعني في الدارين ببركته وأفاض علينا من مدده وعمر قلوبنا بوده الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه آخر هذا الكتاب لما أشاع بعض الحسدة أن الشيخ ناصر الدين اللقاني رجع عن كتابته على كتاب العهود و بعد فما نسب الى العبد من الرجوع عما كتبه على هذا الكتاب وغيره من مؤلفات الشيخ فلان باطل باطل باطل فوالله ما رجعت عن ذلك ولا عزمت عليه ولا اعتقدت في كلامه شيأ من الباطل وأنا معتقد صحة مقاله باق على ذلك واني أدين الله تعالى بالاعتقاد في صحة

على كل حال في هواها مقصر
وقد كان عنها الطيف قد ما يزورني
ولما يزر ما باله يتعذر
فهل تخلت لحتى بطيف خيالها
أم اعتل حتى لا يصح التصور
ومن وجه ليلى طلعة الشمس تستضى
وفي الشمس أبصار الورى تتحير
وما احتجب الا برفع حجابها
ومن عجب أن الظهور تستر
واعلم أن الادلة انما نصبت لمن يطلب الحق لا لمن يشهده فان المشاهد غني بوضوح المشهود عن ان يحتاج الى دليل فتكون المعرفة باعتبار توصيل الوسائل اليها كسبية ثم تعود في نهايتها ضرورية واذا كان من الكائنات ما هو غني بوصفه عن اقامة دليل فالمكون أولى بغناه عن الدليل منها وقد قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه انا لننظر الى الله ببصر الايمان والايقان فاغنانا ذلك عن الدليل والبرهان وانا لا نرى أحدا من الخلق هل في الوجود أحد سوى الملك الحق وان كان ولا بد فكالهباء في الهوا اذا فتشته لم تجد شيأ ومن أعجب العجب أن تكون الكائنات موصلة اليه فليت شعري هل لها وجود معه حتى توصل

كلامه و ولايته والقصد من فضله أن لا يصدق فى أمرى شيأ مما لعله ينسب الىّ على ألسنة الذين لا يخشون الله تعالى انتهى بالمعنى فى البعض من جهة الضمائر * ومن جملة ما كتبه الشيخ شهاب الدين بن الشلبى الحنفى رحمة الله عليه و بعد فقد وقفت على هذا المؤلف الذى هو تحفة المريد و روضة الاحباب فاذا البحر يعب عبابه لانه مترع يحلو لاهل الطريق شرابه فو ردت ماء فضله الصافى وترديت برداء محاسنه الضافى فالله تعالى يبقى مؤلفه اماما يصطف خلفه المريدون ليؤمهم بنوافل فضائله و بره ولا برح جيد الزمان حاليا بوجوده والناس ناطقون بحمده وشكره الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ شهاب الدين الرملى رحمه الله و بعد فقد وقفت على هذا المؤلف العجيب والمفرد الغريب المشتمل على الالفاظ الرائقة والمعانى المتناسقة لقد بذل مؤلفه فى نصح سالك طريق القوم الغاية وفى ارشاده الى اماتة نفسه وترقيه النهاية الى آخر ما قال ولما أشاع الحسدة أن الشيخ رجع عن كتابته على العهود كتب تحت خطه هذا و بعد فانسب الىّ من رجوعى عن كتابتى على هذا المؤلف غير صحيح وكتبه أحمد بن حمزة الرملى * ومن جملة ما كتبه الشيخ ناصر الدين اللقانى المالكى على كتاب الجوهر المصون و بعد فقد وقفت على هذا المصنف العجيب والاسلوب الغريب الذى لم ينسج على منواله ولم تسمح قريحة بمثاله وطبعت فيه بصرى و بصيرتى بالتأمل فى ألفاظه ومعانيه وتدرجت فى كمال مدارجه ومراقيه فوجدته كنزا مملوأ بالمعارف الربانية والعوارف اللدنيه و بحرا يضيق نطاق النطق عن وصفه و يكل لسان الفكر عن ادراك كنهه وكشفه ولا غرو فى ذلك فان المستفيض عبد منيب أوّاب والمفيض جواد كريم وهاب أمدنا الله تعالى بمدده وجعلنا من حزبه و جنده آمين * ومن جملة ما كتبه عليه شيخ الاسلام الفتوحى الحنبلى و بعد فقد وقفت على هذا المؤلف العظيم الشان المشتمل على فوائد حسان و روضة ذات أفنان من علوم القرآن ومعان مقصورات فى الخيام لم يطمثهن من قبل انس ولا جان فسبحان من سهل على مؤلفه طرق العلم والعرفان حتى أتى فيها بما لم يكن فى جنان الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ شهاب الدين بن الشلبى الحنفى و بعد فقد وقفت على هذا المؤلف السعيد والجوهر المصون التليد المستنبط من كتاب الله العزيز فاذا هو مؤلف لم يصنع أحد شكله ولا جمع أحد فى علوم القرآت مثله الى آخره * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ ناصر الدين الطبلاوى و بعد فقد اطلعت على هذا الكتاب العجيب والاسلوب الغريب والنيل المسكوب والنيل المكسوب فوجدته مقياس زيادة العلوم باصابع الفهوم وأطال فى ذلك * ومن جملة ما كتبه الشيخ نجم الدين الغيطى رحمه الله تعالى و بعد فقد تشرفت بالنظر فى هذه العلوم والمعارف وترنحت بالوقوف على ساحل بحر هذه الاسرار واللطائف وتحققت أن ذلك لا ينال بالجد والاجتهاد والاكتساب وانما هو فيض من الملك الوهاب على عبده المخصوص لما تفرغ مما سواه وأناخ بتلك الرحاب ومسح لوح وجوده مما نقش فيه وتفرغ لما يلقى عليه من حضرة مصطفيه فلئ من العلوم والانوار وصار بحرا للمعارف والاسرار حتى ظهر منه الجوهر المصون فى علوم كتاب الله المكنون لازال معوّذا بالواحد من شر كل معاند وحاسد الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ عبد القادر الشاذلى المالكى و بعد فقد وقفت على هذا الكتاب العظيم الشان الساطع البرهان المشتمل على علوم كتاب الله المكنون فوجدته بحرا عجابا لا ساحل له ولا قرار تكل عن ادراك مداه البصائر والابصار وكنزا مطلسما شحونا بالعلوم اللدنية والمعارف الربانية والاسرار فاندهل عقلى فيه وحار ورأيته كلاما غريبا غير مألوف لاحد من الابشار فعلمت انه فيض من الكريم الغفار الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ شمس الدين البرهمتوشى الحنفى و بعد فقد وقفت على مواضع من هذا الكتاب الشريف فاذا هو خلاصة الالباب ومنتهى منازل أهل الخطاب كيف لا وهو تأليف سيدنا ومولانا خاتمة أهل الشريعة والحقيقة فى عصره الشيخ عبد الوهاب أدام الله عزه وعلاه و بعين عنايته حرسه وتولاه ومتع بطول حياته الانام وكبت أعداءه الحسدة اللئام فقد جعله الله تعالى وارثا للاقدام المحمدية وهاديا بسلوكه الى السنة النبوية الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه شيخ الاسلام الفتوحى الحنبلى على كتابى المسمى بالجواهر والدرر

اليه أو هل لها من الوضوح ما ليس له حيث ذاتها لكن هو الذى ولاها رتبة التوصيل فوصلت فما وصل اليه غير الوهيته ولكن الحكيم هو واضع الاسباب وهى لمن وقف عندها ولم ينفذ الى قدرته عين الحجاب وقد قال الراوى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أثر ما كان من الليل فقال أتدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال ربكم أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر بى فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنجم كذا أو بنوء كذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب رواه مالك فى الموطأ فلا بد من الاسباب وجودا ولا بد من الغيب عينا شهودا وكيف تكون الكائنات مظهرة له وهو الذى أظهرها أو معرفة له وهو الذى عرفها فان قلت فقد جاء فى الحديث من عرف نفسه عرف ربه فهذا يدل على ان معرفة النفس موصلة الى معرفة الله تعالى وهى كون من الاكوان ففيه اثبات توصيل الكائنات اليه فاعلم انى سمعت شيخنا أبا العباس رضى الله عنه يقول فى هذا الحديث تأويلان أحدهما من

حتى تكون هى المظهرة له وان كانت الكائنات موصلة اليه فليس ذلك لها من

وبعد

و بعد فقد وقفت على هذا المؤلف المسمى بالجواهر والدرر المتضمن أحوالا عظيمة لما كان الناس غافلين عنه باظهر وتأملت ألفاظه تأملا يشفى السقيم و يهدى من ضل الى الصراط المستقيم ولما أمعنت فيه التأمل والنظر وجدت تلك الجواهر نفائس لم يحوها انس ولا بشر وتلك الدرر كأنها من شدة عظمها وصفائها ترمى بشرر فهو مؤلف عديم النظير لم يسبق لوضع مثله صغير ولا كبير الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ شهاب الدين ابن الشلبي الحنفي و بعد فقد وقفت على هذا الكتاب الذى بهرت أنواره وأشرقت ونمت عروس ألفاظه الزاكية لانها فى منابت العرفان أعرقت وتصفحته ففاح مسكه وقرأته فلفظته فكانما انقطع سلكه وغصت على الجواهر فى بحره الذى سطوره فلكه فتارة آخذ منه درة وتارة أقتطف زهرة فلله دره من مؤلف كلما طالعت فيه استفدت وكلما غازلت عيون معانيه استزدت ولله من أنفاس تسر النفوس ويا عجبا كم بهذه الطروس من عروس وكيف لا ومؤلفه تاج ومحله الرؤس الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه الشيخ ناصر الدين اللقانى و بعد فقد وقفت على هذا الكتاب الشريف الذى فاق سائر الكتب فى لطافة نظمها ودقة معناها وكيف لا وهو الجوهر الفرد الذى هو غايتها ومنتهاها ولا عجب فى ذلك فانها مواهب وهاب لا تحصى عوارفه ولا تستقصى معارفه جعلنا الله تعالى ممن ذاق مذاقها وتحلى بحلاها و ردموارده الشافية واهتدى بهداها وحشرنا مع مؤلفها وسلك بنا طريقته التى ما ضل من اقتفاها الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه الشيخ عبد القادر الشاذلى المالكى و بعد فقد وقفت على هذا الكتاب المسمى بالجواهر والدرر فوجدته بحرا قد زخر يحار فى ادراكه البصر وتكل عن معرفته العقول والفكر اذ هو مشحون بالنفائس التى لا توجد الآن عند أحد من البشر الى آخر ما قال فهذه نبذة مما كتبه علماء مصر على مؤلفاتى تكذيبا لما اشاعه الحسدة من ضد ذلك كما مر أول المبحث فرحم الله هؤلاء العلماء ما كان أكثر محبتهم لى واعتقادهم فى كل من توهموا فيه شيأ من صفات أهل الولاية والصلاح وتواضعهم له وما وردت قط على الشيخ ناصر الدين اللقانى فى بيته أو الجامع الازهر الا ونزل عن فرشه وأجلسنى عليه فان أبيت أقسم على بالله ثم يجلس بين يدى على الحصير ولم يفعل ذلك معى أحد من أهل هذا الزمان وقد تغالى فى التكبر بعده جماعة ممن لا يصلح أن يكون أحدهم من طلبته الآن بل رأيت بعضهم جالسا على طراحة فى الجامع وهو يجود القرآن على الشيخ أبى النجاء النحاس والشيخ جالس بين يديه على الحصير وربما أدخل على بعض طلبة العلم الآن فاقبل ركبته فلا يمد يده الى فالله يلطف بنا و بهم و يرد عاقبتنا الى خير آمين

(ومما أنعم الله تعالى به على) موت جميع أشياخى فى الفقه والتصوف وهم عنى راضون وذلك من أكبر نعم الله تعالى على فان رضا الاشياخ على طالبهم ومريدهم عنوان على رضا الله عز وجل عنه لانهم واسطته فى السلوك وقل مريد أو طالب فى هذا الزمان يسلم من تغيير خاطر شيخه عليه ولو فى حين من الاحيان وقد راجع بعض طلبة العلم شيخه فى مسئلة من غير أدب فقال له أما تخشى يا ولدى أن يقال لا نفع الله فلانا بعلمه فوقف ذلك الطالب عن المزيد ولم ينتفع أحد بعلمه مع انه كان فى الفقه والتفسير والحديث وعلم الكلام والنحو أمة من الامم ورأيت مدرسى جامع الازهر يجلسون فى درسه فيسمعون فوائده و يعجبون بها ثم يقومون من عنده لا يستحضر أحد منهم شيأ من تلك الفوائد ولولا انى أخشى أن تكون غيبة لذكرته وشيخه و بينتهما فايا لك يا أخى أن تتهاون فى تغيير خاطر أحد من أشياخك عليك أولا تبادر الى تطييب خاطره أو تنتقل عنه وتقرأ على غيره مراغمة له فان الحكم للداعى الاول وله الحق الاعظم وايضاح ذلك أن الطالب لا يفارق شيخه غضبا من نصحه له ويقرأ على غيره الا لحظ نفسه وطالب العلم بغير اخلاص لا يفلح ولو أنه أخلص فى العلم لاحتمل نهر شيخه وزجره له وهجره له فى طريق تحصيله العلم وقد أجمع أشياخ الطريق على أن المريد اذا بلغ مقام شيخه فى العلم فن الادب أن يقيم تحت تربيته ويجرى الله تعالى على لسان شيخه من العلم والتحقيق ما هو أهله لمكان أدبه وصدقه كما انه يجرى على لسان شيخه اذا أساء الادب معه عكس ذلك فان الطالب اذا كان قليل الادب مع شيخه فقد يستحق حرمانه من فوائده فيعقد الله تعالى لسان شيخه عن الافصاح له بالتحقيق و يحرم النفع به فيصير العلم موقورا فى

والتأويل الثانى من عرف نفسه عرف ربه أى من عرف نفسه فقد دل ذلك منه على انه عرف الله من قبل فالاول حال السالكين والثانى حال المجذوبين واعلم بسط الله لك بساط منته وجعلك من أهل حضرته ان الله سبحانه اذا تولى وليا صان قلبه من الاغيار وحرسه بدوام الانوار حتى لقد قال بعض العارفين اذا كان الحق سبحانه قد حرس السماء بالكواكب والشهب كيلا يسترق السمع منها فقلب المؤمن أولى بذلك لقوله تعالى فيما يحكيه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن فانظر رحمك الله تعالى هذا الامر الاكبر الذى أعطيه هذا القلب حتى صار لهذه الرتبة أهلا ولقد قال الشيخ أبو الحسن لو كشف عن نور المؤمن العاصى لطبق ما بين السماء والارض فما ظنك بنور المؤمن المطيع ولقد سمعت شيخنا أبا العباس يقول لو كشف عن حقيقة الولى لعبد لان أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته ولقد أخبرنى بعض المريدين قال صليت خلف شيخى صلاة فشهدت ما أبهر عقلى وذلك انى شهدت بدن الشيخ والانوار قد

قلب الشيخ ولا يقدر على النطق به وان نطق نطق بكلام مشكل غير مفصح له عن المقصود كما جربنا ذلك مع طلبتنا * وممن كان يبالغ في محبتي ويمنحني الفوائد والنكت من العلوم لمكان أدبي معه شيخ الاسلام زكريا وكان يقول لي والله اني أود أن لو أسقيتك جميع ما عندي من العلوم في مجلس واحد وكذلك الشيخ نور الدين المحلي والشيخ أمين الدين الامام بجامع الغمري والشيخ عبد الحق السنباطي والشيخ برهان الدين ابن أبي شريف والشيخ شمس الدين السمانودي والشيخ شهاب الدين المسيري والشيخ شهاب الدين الرملي فكانوا كلهم يحبونني رضي الله عنهم أجمعين فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تعالى به علي) انشراح صدري لاتباع السنة المحمدية قولا وفعلا واعتقادا وانقباض خاطري من ضد ذلك من حين كنت صغيرا حتى اني بحمد الله تعالى أتوقف في بعض الاوقات عن العمل ببعض ما استحسنه بعض العلماء حتى يظهر لي وجه موافقته للكتاب والسنة أو القياس أو العرف المشار اليه بقوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمر بالعرف وقد استدل الشيخ جلال الدين السيوطي على جواز كبر عمامة العلماء زيادة عن طول عمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى وأمر بالعرف وقال قد صار من عرف العلماء كبر العمامة ليتميزوا عن غيرهم من العامة فيسألوا عن الشريعة وذكر أن كبر العمامة بهذا القصد لا يخرجهم عن السنة لان العرف قد صار من جملة الشريعة بأمر الامة باتباعه انتهى وهذا أمر لم أجد له فاعلا من الناس الا قليلا وغالبهم يقدم على الفعل من غير توقف ونظر هل ذلك موافق للشريعة أو لا بخلافي بحمد الله تعالى فاني ان لم أجد ذلك الفعل موافقا للشريعة ولم يظهر لي موافقته لها ولا للعرف توقفت عن العمل به وربما أشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فيلقي الله تعالى في قلبي الانشراح للفعل أو الترك فأعمل بذلك فكذب والله وافترى من أشاع عني من الحسدة أنني أشطح في أفعالي وأقوالي وعقائدي عن ظاهر الكتاب والسنة مع ان أحدا من هؤلاء الحسدة لم يجتمع بي قط ولا ثبت عنده ذلك ببينة عادلة انما بعض الحسدة زين له الشيطان ذلك لما عجز أن يجد مطعنا في أفعالي الظاهرة فافترى علي ببعض كلمات ودار بها في جامع الازهر وغيره واخبرهم بذلك فالله تعالى يغفر له فان من كان متقيدا بالشريعة كما ذكرنا فهو من صدور أهل السنة والجماعة في عصره فكيف يسمى مبتدعا والله ما ذلك الا من شدة الحسد فاني لا أعلم أحدا من أقراني أحاط علما بكتب السنة كما أحطت بها وأعرف جماعة الآن في جامع الازهر من المتهورين اذا رأوني ينظرون الي شذرا كأنهم على السنة وأنا على البدعة وربما كان الامر بالعكس فان من جمع الله فيه مثل هذه الاخلاق المذكورة في هذا الكتاب من أهل السنة والورع بيقين بل يقضي العقل بانه فريد عصره في اتباع السنة ولكن لنا اسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لما انشق له القمر وقالوا هذا سحر فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) الهامي لمجاهدة نفسي بغير شيخ لما تبحرت في علوم الشريعة وتعذر علي العمل بما علمت وقد كان السلف الصالح لصفاء قلوبهم لا يحتاجون في طريق العمل بعلمهم الى شيخ لعدم الموانع وصار الناس اليوم لهم موانع لا تحصى حتى ان بعضهم يرى الاخلاق المحمدية من زهد وورع وخشية ونحو ذلك فلا يصل لي التخلق بها فلذلك أوجب بعض علماء الشريعة على الطالب أن يتخذ له شيخا يرشده الى طريق ازالة هذه الموانع من باب ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وقالوا من لم يجد له شيخا في بلده وجب عليه السفر في طلبه ومن لم يستطع السفر وجب عليه مجاهدة نفسه بغير شيخ قال تعالى فان لم يصبها وابل فطل ومراد جميع أشياخ الطريق بتسليكهم الناس أن يوصلوا المريد الى مقام العمل بالاخلاص الذي كان عليه السلف الصالح أو بعضه لا غير فان اشتغل أحدهم بعد ذلك بالعلم أو صلى أو صام أو حج أو تورع أو زهد كان محفوظا من الرعونات التي تجرح مقام الاخلاص أو تحبط العمل وقد قدمنا في المقدمة ان حقيقة الصوفي هو عالم عمل بعلمه على وفق ما أمر الله به لا غير وكانت صورة مجاهدتي لنفسي من غير شيخ أني كنت أطالع كتب القوم كرسالة القشيري وعوارف المعارف والقوت لابي طالب المكي والاحياء للغزالي ونحو ذلك وأعمل بما ينقدح لي من طريق الفهم ثم بعد مدة يبدو لي خلاف ذلك فأترك الامر الاول وأعمل بالثاني وهكذا فكنت كالذي يدخل در بالا يدري هل

ملأته وانبثت الانوار من وجوده حتى انى لم أستطع النظر اليه فلو كشف الحق عن مشرقات أنوار قلوب أوليائه لانطوى نور الشمس والقمر في مشرقات أنوار قلوبهم وأين نور الشمس والقمر من أنوارهم الشمس يطرأ عليها الكسوف والغروب وأنوار قلوب أوليائه لا كسوف لها ولا غروب ولذلك قال قائلهم

ان شمس النهار تغرب بالليـ ـل وشمس القلوب ليس تغيب
ونور الشمس تشهد به الآ ثار ونور اليقين يشهد به المؤثر ولنا في هذا المعنى شعر

هذه الشمس قابلتنا بنور
وشمس اليقين أبهر نورا
فرأينا بهذه النور لكن
بها تلك قد رأينا المنيرا
لكن الحق سبحانه وتعالى يوفي أعيان الممكنات حقها ويعطيها قسطها فيقرر لكل كون رتبته ويوفيه دولته فلذلك سترسي الخصوصية في وجود البشرية ولا بد للشمس من سحاب وللحسن من نقاب وهل يكون الكنز الا مدفونا والسر الا مصونا وصنع ذلك سبحانه ليكون سر الولاية غيبا فيكون المؤمن به مؤمنا بالغيب وأيضا أجل سر ولايته أن يظهره في دار لا بقاء لها فارخى عليه ذيل

ينفذ أم لا فان رآه نافذا خرج منه والا رجع ولو انه اجتمع بمن يعرفه أمر الدرب قبل دخوله لكان بيّن له أمره وأراحه من التعب فهذا مثال من لا شيخ له فان فائدة الشيخ انما هى اختصار الطريق للمريد لا غير ومن سلك بغير شيخ تاه وقطع عمره ولم يصل الى مقصوده لان مثال الشيخ مثال دليل الحجاج الى مكة فى الليالى المظلمة * ومن جملة ما جاهدت به نفسى من غير اشارة شيخ انى كنت جعلت لى حبلا فى سقف الخلوة محررا على عنقى اذا جلست ولا يصل الى الارض لو اضطجعت فكنت أجعله فى عنقى من العشاء الى الفجر فكنت على ذلك سنين ولم يكن لى بحمد الله علاقة دنيوية تعوقنى عن المجاهدة والوصول الى المقصود سوى كثرة وجود العلل فى اعمالى وان كانت العلل لا تنقطع عن العبد اذ هى تدق معه فى كل مقام سلكه فلكل مقام علل تناسبه فافهم وكانت القناعة من الدنيا باليسير سداى ولحمتى فأغنتنى بحمد الله عن وقوعى فى الذل لاحد من أبناء الدنيا ولم يقع لى أننى باشرت حرفة ولا وظيفة لها معلوم دنيوى من منذ بلغت ولم يزل الحق تعالى يرزقنى من حيث لا أحتسب الى وقتى هذا وعرضوا على الالف دينار وأكثر فرددتها ولم أقبل منها شيأ وكانت المباشرون والتجار يأتونى بالذهب والفضة فانثرهما فى صحن جامع الغمرى فيلتقطهما المجاورون وتركت أكل لذيذ الطعام ولبست الخيش والمرقعات من شراميط الكيمان نحو سنتين وأكلت التراب لما فقدت الحلال نحو شهرين ثم أغاثنى الله تبارك وتعالى بالحلال المناسب لمقامى اذ ذاك وكنت لا آكل طعام أمين ولا مباشر ولا تاجر يبيع على الظلمة ولا فقيه لا يسد فى وظيفته ويأكل معلومها ولا غيرهم من جميع المتهورين فى كسبهم وضاقت على الارض كلها ونفرت من جميع الناس ونفروا منى فكنت أقيم فى المساجد المهجورة والابراج الخراب مدة طويلة وأقمت فى البرج الذى فوق السور من خرابة الاحدى مدة سنة وما رأيت أصفى من تلك الايام وكنت أطوى الثلاثة أيام وأكثر ثم أفطر على نحو أوقية من الخبز من غير زيادة وضعفت بشريتى وقويت روحانيتى حتى كنت أصعد بالهمة فى الهواء الى الصارى المنصوب على صحن جامع الغمرى فاجلس عليه فى الليل والناس نائمون ثم اذا نزلت من السلم الى الجامع أنزل بجهد وتعب لغلبة روحانيتى وطلبها الصعود الى عالمها فانه لا يثقل الانسان فى الارض الا كثرة الشهوات وهذا هو سبب تحريك الانسان رأسه حال الذكر وتلاوة القرآن فكأن الروح تشتاق الى القرب من حضرة ربها اذا سمعت كلامه أو اسمه فتكاد تلحق بعالمها السماوى وقد أنشدوا فى معنى ذلك

ولما بدا الكونُ الغريبُ لناظرى * حننتُ الى الاوطان شبه الركائب

ولما غلب على طلبُ العزلة عن الناس تنكرت منى جميع قلوب أصحابى ونفروا منى حتى كأنهم لا يعرفونى من ضيق وقتى عن مباسطتهم بالكلام اللغو وعدم المجالسة * وكنت كثيرا ما أخرج الى موارد البرك التى يغسل الناس فيها الفجل والخس والجزر والبقل فالتقط منها ما يكفينى ذلك اليوم مما أعرضوا عنه وأشرب عليه من ذلك الماء وأشكر الله تعالى على ذلك * وكنت لا آكل قط طعام فقير لا كسب له من المتعبدين فى الزوايا من غير كبير اشتغال خشية أن يكون ممن يأكل بدينه وهو لا يشعر وكذلك كنت لا آكل طعام قاض ولو كان من أهل الدين لما عساه أن يقع فيه عند الحاجة من قبول هدايا الناس ثم انى تركت أكل طعام كل من يمسك الميزان والكيل والذراع ثم طويت عن طعام جميع الناس فلا آكل الا عند أوائل درجة الاضطرار وذلك حين لا تجد أمعائى شيأ تشتغل به فيلذع بعضها بعضا وكنت اذا افتتحت مجلس الذكر بعد العشاء لا أختمه الا عند طلوع الفجر ثم أصلى الصبح واذكر الى ضحوة النهار ثم أصلى الضحى وأذكر حتى يدخل وقت الظهر فاصلى الظهر ثم أذكر الى العصر ومن صلاة العصر الى المغرب ومن صلاة المغرب الى العشاء وهكذا فمكثت على ذلك نحو سنة وكنت كثيرا ما أصلى بربع القرآن بين المغرب والعشاء ثم أتهجد بباقيه فاختمه قبل الفجر وربما صليت بالقرآن كله فى ركعة وكان نومى غلبة تخطف رأسى خطفة بعد خطفة وخفقة بعد خفقة وكثيرا ما يغلب على النوم فأضرب أنفاذى بالسوط وربما نزلت بثيابى فى الماء البارد فى الشتاء حتى لا يأخذنى نوم وهذه الامور من قاعدتنا اذا تعارض عندنا مفسدتان وجب ارتكاب أخفهما مفسدة ولا شك ان وقوف المحب بين يدى الله عز وجل فى الظلام مع تألم جسمه بالضرب أحسن عنده من نومه عن ربه عز وجل حال تجليه مع صحة جسمه كما أشار اليه

عن سر الولاية ويجل مقداره ويرفع مناره واعلم رحمك الله ان من أراد الله به أن يكون داعيا اليه من أوليائه فلا بد من اظهاره الى العباد اذ لا يكون الدعاء الى الله الا كذلك ثم لا بد أن يكسوه الحق كسوتين الجلالة والبهاء الجلالة لتعظمه العباد فيقفوا على حدود الادب معه ويضع له فى قلوب العباد هيبة وينصره بها ليكون اذا أمر ونهى مسموعا أمره ونهيه وجعل هذه الهيبة فى قلوب العباد من تمكين الحق له ليعينه على القيام له بالنصرة قال الله سبحانه الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور وهى من اظهار اعزاز الحق لعباده المؤمنين قال سبحانه ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وهذه الهيبة التى جعلها الحق فى قلوب العباد لاوليائه سرت اليهم لانبساط جاه المتبوع عليهم ألم تسمع قوله صلى الله عليه وسلم ونصرت بالرعب مسيرة شهر ألبسهم الحق ملابس هيبته وأظهر عليهم اجلال عظمته كلما نزلوا أرض العبودية

قوله صلى الله عليه وسلم خصلتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ ولكل مقام رجال ومن طلب نفيسا خاطر بنفيس فعلم ان المحب لله في واد والمنكر عليه في واد ومن طالع أحوال القوم في مجاهداتهم سهل عليه ما يكابده في نفسه فقد وقع للشبلي رضي الله عنه انه كان اذا غلب عليه النوم يضرب نفسه بقضيب الخيزران حتى ربما أفنى الحزمة في الليلة الواحدة وكان يكتحل بالملح حتى لا يأخذه النوم وكان يطلع على طرف الحائط ويقف حتى يطرد عنه النوم وبلغنا ان سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله عنه وأرضاه مكث أيام مجاهدته سنة كاملة لا يأكل ولا يشرب ولا ينام وكان رضي الله تعالى عنه يقول دعوت نفسي مرة الى قيام الليل فأبت فمنعتها شرب الماء سنة انتهى قال اليافعي رحمه الله تعالى وأعظم ما يجاب به عن هؤلاء السادات في مجاهداتهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم بانهم ارتكبوا أخف المفسدتين كمن غص بلقمة ولم يجد ماء فاساغها بجرعة خمر انتهى وقد مكثت أنا نحو سنة وعمامتي شراميط من الكيمان وقصاصة الجلود حتى وجدت الحلال وبالغت في التدقيق في الورع بحماية الله عز وجل لا بحولي ولا بقوتي حتى كنت لا آكل من فراخ الحمام لأكلها من زرع الناس ما قد لا تسمح به نفوسهم ولا أمشي في ظل عمارة أحد من الولاة وأعوانهم ولما عمل السلطان الغوري بمصر الساباط الخشب الذي بين مدرسته وقبته الزرقاء تركت المرور من تحته فكنت أدخل من سوق الوراقين وأخرج من سوق الشرب وأنا بحمد الله تبارك وتعالى على مقام الورع الى وقتي هذا لان المعرفة لا تطفئ نور الورع ثم اذا حقق المتورع أمره في نفسه وجد جميع ما تورع عنه لم يقسمه الله له لا ان الله تبارك وتعالى قسمه له فرد نفسه عنه لان ذلك لا يصح فافهم فظنه انه رد نفسه عنه مع القسمة وهم منه وان كان الحق تعالى قد أمر المكلف أن يدافع الاقدار النازلة جهده فذلك ليس هو تكليفا برد الاقدار وانما ذلك ليثيبه ويأجره على تلك المدافعة سواء أوقع في ذلك المقدر أم لم يقع واذا اعتنى الحق تعالى بعبده حماه من الوقوع في المعاصي والرذائل بعدم القسمة واستخرج له الحلال من بين فرث الحرام ودم الشبهات كما يستخرج له اللبن من الضرع والله على كل شيء قدير فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) بعد ذلك الهامي لطلب الاجتماع باهل الطريق وانقيادي لهم فاجتمعت بحمد الله تبارك وتعالى على خلائق لا تحصى من أهل الطريق فلم يكن لي وديعة عند أحد منهم سوى هؤلاء الثلاثة وهم سيدي علي المرصفي وسيدي محمد الشناوي وسيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنهم فسلكت على يد الاولين كل واحد شيئا يسيرا وكان فطامي بحمد الله تعالى على يد سيدي علي الخواص أعني الفطام اليسير المعهود بين القوم والا فالحق أنه لا فطام حتى يموت العبد ولذلك كان سيدي ابراهيم المتبولي رضي الله تعالى عنه يقول كثير الاكبر تعظم انتهى ولم أتحقق بان الانسان لا بد له من شيخ الا حين اجتمعت بهؤلاء الاشياخ وكنت قبل ذلك أقول كما قال غيري وهل ثم طريق توصل الى حضرة الله تبارك وتعالى غير العمل بما بايدينا من الشريعة يعني على مصطلح غير القوم حتى وجدت الامر بخلاف ذلك وكفى شرفا لاهل الطريق قول السيد موسى عليه السلام للخضر هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا واعتراف الامام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه وأرضاه لابي حمزة البغدادي بالفضل عليه واعتراف الامام أحمد بن سريج رحمه الله لابي القاسم الجنيد وطلب الامام الغزالي له شيخا يدله على الطريق مع كونه كان حجة الاسلام وكذلك طلب الشيخ عز الدين بن عبد السلام له شيخا مع أنه قد لقب بسلطان العلماء فكان شيخ الامام الغزالي الشيخ محمد الباذغاني وشيخ الشيخ عز الدين الشيخ أبو الحسن الشاذلي وكان الامام الغزالي رضي الله تعالى عنه يقول لما اجتمع بشيخه المذكور ضيعنا عمرنا في البطالة يعني بالنسبة لما ذاقه من أحوال أهل الطريق وكان الشيخ عز الدين رضي الله عنه يقول ما عرفت الاسلام الكامل الا بعد اجتماعي على الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه وأرضاه فاذا كان هذان الشيخان قد احتاجا الى الشيخ مع سعة علمهما بالشريعة فغيرهما من أمثالنا من باب أولى وقد كنت قبل اجتماعي باهل الطريق أتخذ أعمالي كلها وسائل الى تحصيل أغراض فان حصلت تلك الاغراض ثبت على ذلك والا تحولت منه فلما اجتمعت باهل الطريق قالوا لي اجعل أعمالك كلها مقاصد

رفعهم الى سماء الخصوصية فهم الملوك وان لم تخفق عليهم البنود والاعزاء وان لم تسر امامهم الجنود ولله در القائل في

مالك بن أنس رضي الله عنه شعر

يأتي الجواب فأراجع هيبة
والسائلون نواكس الاذقان
أدب الوقار وعز سلطان التقى
فهو المطاع وليس ذا سلطان
ومن ملكه الله أمر نفسه وهواه فقد آتاه الله الملك قال تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وسمعت شيخنا أبا العباس يقول قال ملك من الملوك لبعض العارفين تمن علي فقال له ذاك العارف الى تقول ولي عبدان قد ملكتهما وملكاك وقهرتهما وقهراك وهما الشهوة والحرص فانت عبد عبدي فكيف أتمنى على عبد عبدي الكسوة الثانية التي يكسوها الحق لاوليائه اذا أظهر لهم كسوة البهاء وذلك لعلمهم في قلوب عباده فينظرون اليهم بعين المنة والمحبة فيكون ذلك باعثا لهم على الانقياد اليهم أفلا ترى كيف قال الله تعالى في شأن موسى عليه السلام وألقيت عليك محبة مني وقال تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فخلاهم تحلية التهيئة لحبهم العباد فيجرهم حبهم الى حب

لتحضر فيها مع الله تعالى ولا تتخذها وسائل فتموت ولا تصل الى مقصودك فقربوا على الطريق فلو لم يكن فى الاجتماع بهم الا هذه الخصلة لكان فيها كفاية * ومما وقع للجنيد مع ابن سريج ان حلقة الجنيد كانت الاصوات فيها ترتفع على أهل حلقة ابن سريج وكان ابن سريج ينكر على الجنيد فتنكر ابن سريج يوما وحضر حلقة الجنيد ثم رجع الى أصحابه فقال لم أفهم من كلامه شيأ الا أن صولة كلامه ليست بصولة مبطل ثم ان ابن سريج قال للجنيد طريقنا أقرب الى الله من طريقكم فقال الجنيد لابد أن تأتينا ببرهان فقال للجنيد ائت لنا أنت ببرهان فقال الجنيد يا فلان خذ هذا الجر فألقه فى حلقة الفقراء فألقاه فصاحوا كلهم الله الله ثم قال له ألقه بين هؤلاء الفقهاء فالقاه فصاحوا كلهم حرام عليك أزعجتنا وابن سريج ينظر فقام وقبل رأس الجنيد واعترف بفضله فقال له الجنيد انما الفضل لكم فان أساس طريقنا مما معكم من العلم فقال ابن سريج بلى لكم الفضل فانكم زدتم علينا بحسن معاملة الله تعالى انتهى * ومما وقع للشيخ عز الدين بعد اجتماعه بالشيخ أبى الحسن الشاذلى أنه كان يقول من أعظم دليل على ان طائفة الصوفية قعدوا على قواعد الشريعة وقعد غيرهم على الرسوم ما يقع على يدهم من الكرامات والخوارق والمكاشفات ولا يقع شئ من ذلك قط لفقيه الا ان سلك طريقهم انتهى أى لان الكرامات فرع المعجزات وهى علامة على صحة اقتداء صاحبها واتباعه لرسول الله صلى الله عليه وسلم * وقد نقل القشيرى رحمه الله تعالى فى ترجمة أبى على الثقفى رضى الله تعالى عنه وأرضاه قال لو أن رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس كلهم لا يبلغ مبلغ الرجال الا بالرياضة من شيخ أو امام أو مؤدب ناصح ومن لم يأخذ أدبه من أستاذ يريه عيوب أعماله ورعونات نفسه لا يحل الاقتداء به فى تصحيح المعاملات انتهى * ومما وقع لابن أسعد اليافعى رضى الله تعالى عنه وأرضاه قال مكثت خمس عشرة سنة ونفسى تنازعنى هل أدوم على الاشتغال بالعلم أم أنتقل عنه الى صحبة الصوفية واقتفاء آثارهم فبينما أنا يوما أمشى فى شارع من شوارع زبيد اذ لقينى شخص من أرباب الاحوال فقال لى مكاشفا يكفيك ما حصلته من العلم الظاهر واتبع طريق العمل على طريق القوم من اليوم فانها أولى فقلت له وما وجه كونها أولى فقال لى تعال حتى أريك وجه ذلك فدخل زاوية من زوايا الفقراء وأنا معه فجلس وقال لفقير ادع لى العالم الفلانى فدعاه فلما أقبل قال للحاضرين لا أحد يرد على هذا السلام اذا جاء الا بعد قليل بحيث لا يطول الفصل ولا أحد يتحرك له ولا يفسح له فى المجلس ففعلوا فتكدر لذلك وقال يحرم عليكم عدم رد السلام فقالوا له الفقراء لهم عذر فى ذلك فقال كذبتم ليس لكم عذر فقالوا له بلى لنا عذر وهو انك مستحق للهجر لارتكابك العجب والكبر فقال أنا ما عجبت ولا تكبرت عليكم الا بحق فقال له الشيخ الفقراء فى نفوسهم منك شئ فقال وأنا أيضا فى نفسى منكم أشياء وأشار باصابع يديه كلها فخرج وهو يسب الفقراء ومن دعاه اليهم فقال لليافعى انظر ثمرة علم هؤلاء ماذا يفعلون ثم قال لفقير ادع لنا الفقير الفلانى فدعاه فلما أقبل قال الشيخ للحاضرين افعلوا معه كما فعلتم مع ذلك العالم من عدم رد السلام على الفور وعدم تفسيح المجلس له ففعلوا فبادر الى نعال الفقراء وجعلها فى عنقه وعلى رأسه ووقف خاضعا ذليلا عند النعال ولم يمر على خاطره ما قاله ذلك العالم من الانكار عليهم بعدم المبادرة الى رد السلام وعدم تفسيح المجلس له بل ولا خطر على باله انه من العلماء أبدا فقال له فقير من الحاضرين الفقراء فى نفوسهم منك شئ فقال أقول استغفر الله تعالى فى حقهم وأسألهم ان يلحظونى بلحظهم فلعل الله تعالى يصلح حالى وصار يبكى وهو واقف حامل نعالهم فقال الشيخ لليافعى انظر ثمرة اتباع طريق القوم قال اليافعى رضى الله تعالى عنه فقوى عزمى من ذلك اليوم فى ذلك المجلس على اتباع طريق القوم حتى كان ما كان انتهى (قلت) وكانت صورة مجاهدتى على يد سيدى على الخواص رضى الله عنه انه أمرنى أول اجتماعى عليه ببيع جميع كتبى والتصدق بثمنها على المحاويج ففعلت وكانت كتبا نفيسة كشرح الروض والمطلب والخادم والقوت للاذرعى وغيرها مما يساوى ثمنها عادة مالا كثيرا فبعتها وتصدقت بثمنها فصار عندى التفات اليها لكثرة تعبى فيها وكتابة الحواشى والتقييدات عليها حتى كانى سلبت العلم فقال لى اعمل على قطع التفاتك اليها بكثرة ذكر الله عز وجل فانهم قالوا ملتفت لا يصل فعملت على قطع الالتفات اليها مدة حتى خلصت بحمد الله تعالى من ذلك فأمرنى بالعزلة

الحب لله والحب فى الله والحب بالله والحب من الله فالحب لله ابتداء والحب من الله انتهاء والحب فى الله وبالله واسطة بينهما الحب لله هو أن تؤثره ولا تؤثر عليه سواه والحب فى الله ان تحب فيه من والاه والحب بالله أن يحب العبد من أحبه وما أحبه مقتطعا عن نفسه وهواه والحب من الله هو أن يأخذك من كل شئ فلا تحب الا اياه وعلامة الحب لله دوام ذكره مع الحضور وعلامة الحب فى الله ان تحب من لم يحسن لك بدنيا من أهل الطاعة والخير وعلامة الحب بالله أن يكون باعث الحظ بنور الله مقهور وعلامة الحب من الله ان يجذبك اليه فيجعل ما سواه عنك مستور وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى من أحب الله وأحب لله فقد تمت ولايته والحب على الحقيقة من لا سلطان على قلبه لغير محبوبه ولا مشيئة له غير مشيئته فاذا من ثبتت ولايته من الله لا يكره الموت ويعلم ذلك من قوله تعالى قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فاذا الولى على الحقيقة لا يكره الموت ان عرض عليه وقد أحب الله من لا محبوب

وراءها فى الرسول عليه السلام وفى الصديق والفاروق والصحابة والتابعين والاولياء والعلماء الهداة الى الله والشهداء والصالحين والمؤمنين فاذا افترق الامر بعد الاعمان الى عشرة أشياء الى السنة والبدعة والهداية والضلالة والطاعة والمعصية والعدل والجور والحق والباطل وميزت وأحببت وأبغضت فاحب له وأبغض له ولست تبالى بأيهما كنت وقد يجمع لك الوصفان فى شخص واحد ويجب عليك القيام بحقهما جميعا فاذا قد بان لك الحب فى العشرة الاول فانظر هل ترى للهوى هنالك أثرا فكذلك فاعتبر حب من حضر من اخوانك الصادقين والمشايخ الصالحين والعلماء المهديين وسائر من أحضر ومن حضر بمن غاب عنك أو مات فان وجدت قلبك لا متعلق له بمن حضر كما لا متعلق له بمن غاب أو مات فقد خلص الحب من الهوى وثبت الحب لله تعالى وان وجدت شيأ يتعلق به فيمن يحب أو فيما يحب فارجع الى العلم واتقن النظر فى الاقسام الخمسة من الواجب والمندوب اليه والمكروه والمحظور والمباح

عن الناس مدة حتى صفا وقتى فصرت أهرب من الناس وأرى نفسى خيرا منهم فقال لى اعمل على قطع رؤية أنك خير منهم فعملت فى المجاهدة مدة حتى صرت أرى ان أرذلهم خير منى ثم أمرنى بالخلطة والصبر على أذاهم وعدم مقابلتهم فعملت على ذلك حتى قطعته فرأيت حينئذ انى صرت أفضل مقاما منهم فقال لى اعمل على قطع ذلك فعملت على قطعه مدة حتى قطعته ثم أمرنى بالاشتغال بذكر الله تبارك وتعالى سرا وعلانية وكل خاطر خطر لى مما سوى الله عز وجل صرفته عن خاطرى فورا فمكثت على ذلك عدة أشهر ثم أمرنى بترك أكل الشهوات مطلقا فتركتها حتى صرت اكاد أصعد بالهمة فى الهواء وصارت العلوم النقلية تزاحم العلوم الوهبية ثم أمرنى بالتوجه الى الله تبارك وتعالى فى أنه يطلعنى على أدلتها الشرعية فلما اطلعت عليها وصار لوح قلبى ممسوحا من العلوم النقلية لاندراجها فى الادلة ترادفت على حينئذ العلوم الوهبية وكان ابتداء ذلك بساحل بحر النيل عند بيوت البرابرة وسواقى القلعة فبينما أنا واقف هنالك واذا بأبواب من العلوم اللدنية انفتحت لقلبى كل باب أوسع مما بين السماء والارض فصرت أتكلم على معانى القرآن والحديث وأستنبط منهما الاحكام وقواعد النحو والاصول وغير ذلك حتى استغنيت عن النظر فى كتب المؤلفين فكتبت من ذلك نحو مائة كراسة فعرضت بعض ذلك على سيدى على الخواص فأمرنى بغسله وقال هذا علم مخلوط بفكر وكسب وعلوم الوهب منزهة عن مثل ذلك فغسلتها وأمرنى بالعمل على تصفية القلب من شوائب الفكر وقال بينك وبين علم الوهب الخالص ألف مقام فصرت أعرض عليه كل شئ فتح به على وهو يقول اعرض عن هذا واطلب ما فوقه الى ان كان ما كان فهذا كان صورة فتحى بعد المجاهدة المذكورة فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على بعد ذلك) دخولى للاطلاع على معانى الكتاب والسنة من بابها وذلك بتكثير النوافل فان من واظب عليها أحبه الله تعالى واذا أحبه قربه من حضرته واذا قربه من حضرته أطلعه على اسرار شريعته وكان بعض العارفين يقول لا يفتح على سالك قط الا من باب اكثاره النوافل فانه فى الفرائض عبد اضطرار ان لم يصل الصلوات الخمس مثلا عذبه ربه بخلاف النوافل فانه فيها عبد اختيار فلا يتقرب بها خوفا من عقابه وانما ذلك محبة له جل وعلا قال وأعظم النوافل بركة الاكثار من النكاح لما فيه من الازدواج والانتاج فيجمع العبد فيه بين المعقول والمحسوس فلا يفوته شئ من العلوم الصادرة من حضرة الاسم الظاهر والباطن فلذلك كان اشتغال العبد بنوافل النكاح أتم وأقرب لتحصيل كل ماير ومه وكان محبوبا لله تعالى ومن كان محبوبا لله تبارك وتعالى صار عرشا لاستواء الحق تبارك وتعالى عليه بافاضة العلوم وسماء للنزول وكرسيا لظهور أوامره ونواهيه فظهر له من علوم الكرسى ما لم يكن يراه فيه مع أنه كان فيه وهذه الطريق من أجل الطرق وأقربها على السالكين فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) بعد المجاهدة ظهور أن جميع ما كنت علمته من العلوم كلها ليس فيه شئ من الاخلاص وانما هو مخلوط بالحظوظ النفسانية وذلك ان من علامة العلم الخالص ان يجمع قلب العبد على ربه حال الاشتغال به ولم أر ذلك حصل لى انما كان قلبى متشتتا فى كل واد وغاب عنى العلم بأن جميع ما خلق الله تبارك وتعالى وأنزل على قلوبنا من العلوم انما مراده به ان يجمعنا به عليه ومن أتعب نفسه فى جمع العلوم من غير ان ينظر فى دلالتها على الله عز وجل فاته المقصود الاعظم منها وحجب عن مواضع الدلالة التى فيها على الحق جل وعلا وقد عملت بحمد الله تعالى على كشف الغطاء عن وجه دلالة العلوم كلها على الحق تبارك وتعالى حتى صرت أحضر بقلبى مع الله تبارك تعالى فى علم الحساب والهندسة والمنطق فضلا عن العلوم الحقيقية الشرعية ومن كشف الله تعالى عن بصره وبصيرته رأى جميع العلوم التى بايدى الخلائق مقربة الى الله تبارك وتعالى وطريقا الى دخول حضرته ولكن أكثر الناس لم يكشف الله تبارك وتعالى عن بصيرتهم فلم ينظروا فى العلوم من حيث الوجه الدال منها على الحق تعالى ففاتهم الكمال ولذلك ذمهم العارفون رضى الله عنهم وقالوا ان علوم هؤلاء حجاب لحجبهم بها عن ربهم ولو أنهم نظروا فيها من حيث الوجه الدال على الحق لم تحجبهم عن ربهم ولنالوا درجات العارفين * وقد بلغنا عن الامام الغزالى رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة انه لما دخل طريق القوم كان يقول

قد وجدنا علوم الفقهاء كلها حجابا فيا ليتنا لم نضيع عمرنا فيها فقال له بعض العارفين ولاى شئ تجعلها حجابا فلو نظرت فيها وفى كل شئ فى الوجود لوجدته دليلا على الله تبارك وتعالى ورافعا للحجب عنك فعمل على ذلك فعرف وجوه دلالتها على الحق جل وعلا فرجع عن ذلك القول وصار يقول العلم نور يكشف عن العبد الحجب وانما يكون حجابا على من لم يخلص لله عز وجل فى تعلمه وتعليمه انتهى وكذلك بلغنا عن الشيخ عبد القادر الجيلى رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة انه لما دخل الطريق بعد السياحة ترك تدريس العلم الظاهر كله ووقعت النفرة بينه وبين أهله فلما كمل حاله وشهد وجه دلالة العلوم كلها على الله تبارك وتعالى صار يدرس فى علم الفقه والاصول والنحو وغيرها حتى مات * وقد بلغنا ان الشيخ غانما المقدسى رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة كان يسلك مريديه كلهم من طريق علم النحو حتى يوصلهم منه الى حضرة الله تبارك وتعالى انتهى فاعمل يا أخى على تحصيل ماقلناه

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) بعد المجاهدة اعطاؤه جل وعلا لى الفهم فى القرآن الذى هو علم الحكمة التى من أوتيها فقد أوتى خيرا كثيرا وذلك على مصطلح العارفين زيادة على الفهم الذى أوتيته على مصطلح الفقهاء كما تقدم آنفا * قال سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه وأرضاه وانما قال تعالى فقد أوتى خيرا كثيرا لكثرة تلك الوجوه المبطونة فى الكلمات وايضاح ذلك ان الفهم فى الكلام على قسمين قسم مكتسب من مادة وقسم موهوب من غير مادة فالذى وهبت من غير مادة لا يقال فيه فهم وانما يقال فيه علم وأما المكتسب من المادة فهو الذى يقال فيه فهم وهو تعلق خاص فى العلم فاذا علم السامع اللفظة من اللافظ بها أو رأى الكتابة ففهم منها أمرا ففيه تفصيل فتارة يعلم مراد المتكلم من تلك الكلمة مع تضمنها فى الاصطلاح معانى كثيرة خلاف مراد المتكلم بها فهذا يسمى فهما وتارة لا يعلم مراد المتكلم من تلك الكلمة على التفصيل ولكن يحتمل عنده فيها عدة وجوه يدل عليها الكلام لا يعلم مراد المتكلم من تلك الوجوه ولا يدرى هل أرادها كلها أو أراد بعضها فمثل هذا لا يقال فيه انه أعطى الفهم فى القرآن وانما يقال فيه انه أعطى العلم بمدلولات تلك الكلمة أو الكلمات وقد أجمع العارفون رضى الله تعالى عنهم على ان كلام الله تبارك وتعالى واسع يقبل جميع ما فسره به المفسرون لانه تعالى قد خاطبهم بجميع ما يقبله استعدادهم فامن وجه مقبول فهمه عباده المؤمنون الا وهو مقصود له تعالى من تلك الكلمة بالنظر الى فهم من فهم من كلامه تعالى تلك الوجوه المقصودة له تعالى أو لذلك الشخص الذى فهم منها ما فهم حيث لم يخرج فى فهمه عما يؤديه كلام العرب فان خرج عما يؤدى اليه كلام العرب فلا علم ولا فهم أيضا وهذا من خصائص كلام الله تعالى أما كلام المخلوقين فقد يكون بعض الوجوه غير مقصود لصاحب الكلام فاعلم ذلك واعمل على جلاء مرآة قلبك لتفهم كلام ربك عز وجل والحمد لله رب العالمين (وسمعت سيدى عليا الخواص) رحمه الله تعالى يقول من أدب العبد فى الفهم فى كلام ربه جل وعلا أن يمشى حيث مشى به الشرع ويقف حيث وقف به فيعقل فيما يقول له فيه اعقل ويؤمن فيما يقال له فيه آمن وينظر فيما قال له فيه انظر يعنى تفكر ويسلم فيما قال له فيه سلم وذلك لان الآيات وردت فى القرآن متنوعة فآيات لقوم يعقلون وآيات لقوم يؤمنون وآيات لقوم يتفكرون وآيات لقوم يسمعون وايات للعالمين وآيات للمؤمنين وآيات للموقنين وآيات لاولى النهى وايات لاولى الالباب وآيات لاولى الابصار ففصل يا أخى كما فصل لك الحق تبارك وتعالى ولا تتعد الى غير ما ذكره لك ونزل كل آية وعبرة موضعها وانظر فيمن خوطب بها واجعل نفسك كأنك المخاطب بها فان فيك مجموع ما تفرق فى اخوانك المسلمين لنعته تعالى لك بالعقل والايمان والتفكر والتقوى والسمع والقلب الذى هو اللب والابصار وغير ذلك فانظر يا أخى فى كل صفة نعتك بها واظهر بها فى العالم تكن ممن جمع له القرآن وأعطى الفرقان انتهى كلامه بالمعنى فى غالبه وذكر نحو ذلك الشيخ محيى الدين رحمه الله تعالى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تعالى به على) اعطاؤه تبارك وتعالى لى الفرقان بين رجال الله تعالى فانه ما كل الرجال اعطوا الفرقان وهم ثلاثة أصناف لا رابع لهم ذكرهم الشيخ محيى الدين رحمه الله فى الفتوحات الاول العباد

أو ادعوا ولاية الله فان من شأن النفوس وجود الدعوى والتوثب الى المراتب العالية من غير أن يسلك السبيل الموصلة اليها ولهذا قال سبحانه قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لحارثة لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك لما قال له كيف أصبحت فقال أصبحت مؤمنا حقا ولا يحب الموت من فيه البقايا ولا من هو مصر على شئ من الخطايا وجعل الله تمنى الموت شاهدا للولى بولايته وعدم تمنيه شاهدا للغوى بغوايته قال الله سبحانه وأقيموا الوزن بالقسط والموت ميزان على الافعال والاحوال كما هو ميزان فى دائرة الرتب أما الرتب فكما تقدم وأما الافعال والاحوال فاذا التبس عليك أمر وأنت فيه لا تدرى رضى الله بتركه أو فعله أو حال أنت بها لا تدرى هل قمت فيها بحق أو قمت فيها بهوى فاورد الموت على ما أنت فيه من أفعال وأحوال فكل حالة وعمل يثبت مع تقدير ورود الموت عليها ولم ينهزم فهى حق وكل حالة وعمل هدمها الموت فهى باطل اذ الموت حق والحق يهزم الباطل ويدمغه لقوله عز وجل بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه

بضم العين وهم قوم غلب عليهم الزهد والتبتل والافعال الظاهرة المحمودة ومن شأنهم انهم لا يرون شيأ فوق ماهم فيه حتى يطلبوا الانتقال اليه فلا معرفة لهم بالاحوال ولا بالمقامات ولا رائحة عندهم من العلوم الالهية الوهبية ولا مكاشفة لهم ويخافون من ظهور أعمالهم ان تحبط لاعتمادهم عليها دون مطلق فضل الله تعالى * الصنف الثانى الصوفية وهم رجال فوق هؤلاء العباد فانهم يرون أفعالهم كلها الله تبارك وتعالى مع ماهم عليه من الجد والاجتهاد والورع والزهد والتوكل وغير ذلك ويرون مع ذلك أيضا ان جميع ماهم فيه بالنظر للمقامات التى فوقهم كلا شئ وفيهم رعونة ونفس بالنظر لاهل الطبقة العليا فعندهم رائحة دعوى مع حسن أخلاقهم وفتوتهم * الصنف الثالث الملامتية وهم على قدم السيد أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأرضاه ومن شأنهم أنهم لا يزيدون على الصلوات الخمس الا الرواتب ولا يفعلون من العبادات كلها الا ما لا بد منه ولا يتميزون عن غالب الناس بعبادة يمشون فى الاسواق ويتكلمون مع الناس بكلام العامة قد انفردوا بقلوبهم مع الله جل وعلا لا يتزلزلون عن عبوديتهم ولا يذوقون للرياسة طعما لاستيلاء عظمة الله تبارك وتعالى على قلوبهم وهؤلاء أعلى الطوائف كلها مقاما كما فضل أبو بكر الصحابة كلهم رضوان الله عليهم أجمعين فتامل فى ذلك واطلب المقامات الثلاثة ولا تقنع بشئ دون المقام الثالث والحمد لله رب العالمين

(وعما من الله تبارك وتعالى به على) بعد المجاهدة اطلاعه تبارك وتعالى لى على ان الله جل وعلا لا يضيع أجر من أحسن عملا وذلك من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على لان به يسكن القلب عن طلب الاجر على أعماله وعن طلب الفتح على قلبه فى مقامات العارفين اذ الفتح بعد المجاهدات والرياضات أمر لازم لا بد منه تطلبه الاعمال وتناله الانفس ولكن متى يكون ذلك الفتح هل هو فى الدنيا أو الآخرة ذلك الى الله تبارك وتعالى فاذا رأيت يا أخى عاملا صدق أو عرفت ذلك من نفسك ولم تر يفتح لك فى باطنك مثل ما فتح لمن رأيته على قدمك فى العمل فاياك ان تتهم ربك فانه مدخر لك واطرح من نفسك التهمة فى ذلك وفر من أن تكون من أهل التهم وعليك بالاخلاص فى أعمالك عبودية وخدمة لربك لا لطلب أجرة فانك عبد له ما أنت أجير فلو سجدت على الجمر من افتتاح الدنيا الى انتهائها ما أديت شكره فى جعله لك عبدا دون ان جعلك أجيرا فان من شأن العبد أن لا يفارق دار سيده فى حال عمله وفى حال تركه للخدمة ومعه الاذن من سيده بدخوله على حرمه ولا هكذا الاجير فانه اذا فرغ من العمل ترك صاحب ذلك العمل وبعد عن دار السيد وليس معه اذن فى الدخول على حرمه انتهى فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(وعما من الله تبارك وتعالى به على بعد المجاهدة) علمى بكون الحق تعالى يكرهنى أو يحبنى وذلك بنظرى الى أعمالى وما أنا منطو عليه فان نظرت فى نفسى ورأيتها متبعة للكتاب والسنة مهتدية بهدى السلف الصالح بحسب طاقتها حكمت بان الحق تبارك وتعالى يحبها وهو راض عنها وان رأيتها مخالفة للكتاب والسنة قليلة الورع قليلة الزهد قليلة الخشوع قليلة الخوف من الله تبارك وتعالى ذاكرة للدنيا ووظائفها ومناصبها ناسية للآخرة ودرجاتها ومراتبها حكمت بان الله تبارك وتعالى يكرهها فعليك يا أخى بالعمل بهذه الميزان صباحا ومساء ان لم تستطع ذلك فى جميع الساعات لتعلم ما لك وما عليك ولا تنتظر أحدا غيرك ينبهك على مثل ذلك فانه مفقود فى هذا الزمان وقد قال الله تبارك وتعالى بل الانسان على نفسه بصيرة فعلم انه يتأكد على كل شخص ليس له شيخ أو أخ صادق ان يزن أحواله بالكتاب والسنة وكلام الائمة لينظر فى ربحه وخسرانه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم والحمد لله رب العالمين

(وعما من الله تبارك وتعالى به على) قصدى بتعلم العلم نفع نفسى به أولا ثم المسلمين ثانيا ولا أقصد نفع غيرى به الا بحكم التبعية لى واذا رأيت نفسى عاجزة عن العمل بما علمت أوقفتها عن التعلم حتى تستوعب العمل بكل ما علمت وهذا من أكبر نعم الله تعالى على فان فاتتنى مباشرة العمل لم يفتنى أجر نية العمل وهذا ما كان عليه السلف الصالح كداود الطائى وأبى حنيفة وسفيان الثورى وشعبة وأضرابهم رضى الله تبارك وتعالى عنهم * وكان الشعبى يقول لعلماء زمانه لستم بعلماء انما أنتم متلذذون بالمسائل ولو انكم كلفتم نفوسكم

فيه قائما بحق لم يهزمه الموت اذ هو حق والموت حق والحق لا يهزم الحق وقد تجاريت الكلام أنا وبعض من يشتغل بالعلم فى انه ينبغى اخلاص النية فيه وان لا يشتغل به الا لله فقلت له الذى يقرأ العلم لله هو الذى اذا قلت له غدا تموت لم يضع الكتاب من يده وربما غر الغافل من طلبة العلم قول من قال طلبنا العلم لغير الله فابى أن يكون الا الله وليس فى قول القائل ما يستروح به من طلب العلم للرياسة والمنافسة وانما أخبر هذا القائل عن أمر من الله به عليه وفتنة سلمه الله منها لا يلزم أن يقاس عليه فيها غيره وذلك بمثابة من به مرض مزمن فى المعا أعياه علاجه وضاق منه خلاقه فاخذ خنجرا وضرب به مراق بطنه ليقتل نفسه فصادف ذلك المعا فقطعه فخر الداء منه فهذا لا يستصوب العقلاء فعله وان نجحت عاقبته وليست سلامة العواقب رافعة للعتب عن الملقين أنفسهم الى التهلكة * ليس المغر بمحمود وان سلما * وقول الشيخ وقد أحب الله من لا محبوب له سواه فهو كلام يستدعى معرفة المحبة وما هى * اعلم ان المحبة هى من أجل

بالعمل بما تعلمون لتجرعتم المرارات ولكبحت نفوسكم عن التعلم * وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول قد غلط قوم فى طلبهم العلم فطلبوه لغير العمل به فصار علمهم كالجبال وأعمالهم كالهباء وكان بشر الحافى يقول والله ما كنا نظن أن نعيش الى زمان صار علم الناس شبكة لهم يصطادون به الدنيا ولما انقطع بشر رحمه الله تعالى عن املاء الحديث أتى اليه اخوانه وقالوا له ما تقول لربك اذا قال لك يوم القيامة لم تركت التحديث بكلام نبى صلى الله عليه وسلم فقال بشر أقول له يارب قد أمرتنى فيه بالاخلاص ولم أجد عند نفسى اخلاصا * وكان الامام أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه وأرضاه يقول من علامة اخلاص العالم فى علمه انه كلما ازداد علما ازداد فى الدنيا زهدا وقلت أمتعة داره انتهى (وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى) يقول كان من آخر العلماء العاملين الامام النووى رضى الله تعالى عنه وأرضاه لما مرض المرض الذى مات فيه ورجع من الشام الى نوى بلده لم يجدوا له متاعا يحملونه الى أمه سوى العكاز والابريق وترك كتبه ومؤلفاته كلها بالشام للفقراء والمساكين انتهى وكذلك بلغنا عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى انه لما غضب من السلطان صلاح الدين فى مصر حمل أمتعة داره كلها على حمارته وأركب زوجته عليها وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول مررت على حجر مكتوب عليه اقلبنى تعتبر وذلك أيام سياحتى قال فقلبته فوجدت فى باطنه مكتوبا أنت بما تعلم لم تعمل فكيف تطلب علم ما لم تعلم فوالله ان أمثالنا لم يطلب العلم الا لاقامة الحجة عليه لا غير ومن ادعى غير ذلك كذبته أفعاله فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(الباب الثانى فى جملة أخرى من الاخلاق فاقول وبالله التوفيق)

(مما أنعم الله تبارك وتعالى به على) من حين كنت طفلا عدم اصغائى الى قول من يزعم انه يعرف علم الكيمياء أو يقدر على فتح المطالب وهذا من أكبر نعم الله عز وجل على فقد تلف فى ذلك مال كثير من الفقراء وطلبة العلم ثم رد ذلك التلف على أديانهم فتلفت قلوبهم وخربت من محبة الله ورسوله والصحابة والتابعين وسائر المقربين فانه لا يصح المحبة لاحد الا بالتخلق باخلاقه صلى الله عليه وسلم وما أحد من الانبياء وأتباعهم الصادقين يحب الدنيا أبدا فمن ادعى محبتهم مع محبته للدنيا فهو كذاب وقد كان لى عدة أصحاب على تقوى وخير فالفونى وعاشروا النصابين فاتلفوا أموالهم وأديانهم وضيعوا ما كان معهم من المال فى شراء العقاقير والبخورات وأجرة الحفارين للكيمان والقبور والمغاير والآبار وصاروا والا دنيا ولا آخرة الى أن ماتوا * وقد كان سيدى ابراهيم المتبولى رحمه الله تعالى يقول ثلاثة من الناس لا يرجى فلاحهم لاستحكام المقت فيهم من يحب اللواط ومن يعمل الكيمياء ومن يريد فتح المطالب انتهى وقد أخبرنى سيدى أبو البقاء بن البارزى ان شخصا نصب عليه فاتلف عليه نحو ثلاثين ألف دينار فصار يأخذ منه كل قليل المائة دينار وأكثر ويطبخ فتطلع الطبخة فاسدة فيقول له المرة الثانية تصح ان شاء الله تعالى فما زالت الطبخة تطلع زغلا حتى أفنى جميع ما كان معه من المال فقلت له فاين كان عقلك فقال وهل لمحب الدنيا عقل * وأخبرنى سيدى محمد بن الشيخ أبى شعرة الماوردى أحد أصحاب سيدى الشيخ أبى السعود الجارحى رحمه الله تعالى ان نصابا قال له بلغنى ان فى قاعتك مطلبا عظيما ومقصودى أفتحه لك ولكن يحتاج الى نحو سبعة وعشرين ألف نصف نشترى بها بخورات ونحلى بها الخدام وكان هذا النصاب يعرف علم السيمياء فاخذه وأدخله القاعة وأطلق له عشبا معروفا عنده فانفتح فى مخيلته الفاسدة باب بجانب بيت الخلاء فنزل هو واياه فوجدا كيمان الذهب والفضة كالتلال واذا بملك الكنز نائم على سرير قوائمه من ذهب وهو مغطى بثياب من حرير وعليه شبكة من لؤلؤ فقال له بقى عندك شك فقال لا فقال أعطنى المال لآتى لك بالبخور الذى يبطل الموانع لتصير تبخر به كلما تأخذ لك منه شيأ والا فكل شئ أخرجته منه أخذه منك الخدام فاعطاه جميع ما كان بيده من النقد وأخذ أساور أمه الذهب وعصابة زوجته حتى خلاه على الارض السوداء ثم قال له أنا رائح أسعى لك فى البخور فخرج هو واياه وأغلق باب المطلب فلم يجد له بعد ذلك أثرا الى يوم تاريخه قال وأول ما نصب على انه قال لى هذا الامر يحتاج الى مائة بندقى نشترى بها بخورا من الملك الاحمر من ملوك الجان والقاضى عمروش يضمن الجنى الذى يعطيه المائة دينار وهو الآن فى مدينة سكندرية

المحبة ربما حكم سلطانها على المحب وقوى عليه وجود الشغف فاداه ذلك الى طلب ما لا يليق بمقامه ألا ترى أن المحب يريد دوام شهود الحبيب والراضى عن الله راض عنه أشهده أم حجبه المحب يحب دوام الوصلة والراضى عن الله راض عنه وصله أو قطعه اذ ليس هو مع ما يريد لنفسه بل انما هو مع ما يريد الله له والمحب طالب لدوام مراسلة الحبيب والراضى لا طلب له ولنا فى هذا المعنى شعر

وكنت قديما أطلب الوصل منهم
فلما أتانى العلم وارتفع الجهل
تيقنت أن العبد لا طلب له
فان قربوا فضل وان بعدوا عدل
وان أظهروا لم يظهروا غير وصفهم
وان ستروا فالستر من أجلهم يحلو

قال الشيخ أبو الحسن المحبة أخذة من الله لقلب عبده عن كل شئ سواه فترى النفس مائلة لطاعته والعقل متحصنا بمعرفته والروح مأخوذة فى حضرته والسر مغمورا فى مشاهدته والعبد

يستزيد فيزداد ويفاتح بما هو أعذب من لذيذ مناجاته فيكسى حلل التقريب على بساط القربة ويمس أبكار الحقائق وثيبات العلوم فى أجل

ومن الساقى وما الذوق وما الشارب وما الرى وما السكر وما الصحو فقال الشراب هو النور الساطع عن جمال المحبوب والكأس هو اللطف الموصل ذلك الى أفواه القلوب والساقى هو المتولى للمخصوص الاكبر والصالحين من عباده وهو الله العالم بالمقادير ومصالح أحبابه فمن كشف له عن ذلك الجمال وحظى منه بشئ نفسا أو نفسين ثم أرخى عليه الحجاب فهو الذائق المشتاق ومن دام له ذلك ساعة أو ساعتين فهو الشارب حقا ومن توالى عليه الامر ودام له الشرب حتى امتلأت عروقه ومفاصله من أنوار الله المخزونة فذاك هو الرى وربما غاب عن المحسوس والمعقول فلا يدرى ما يقال ولا ما يقول فذاك هو السكر وقد تدور عليهم الكاسات وتختلف لديهم الحالات ويردون الى الذكر والطاعات ولا يحجبون عن الصفات مع تزاحم المقدورات فذاك وقت صحوهم واتساع نظرهم ومزيد علمهم فهم بنجوم العلم وقمر التوحيد يهتدون فى ليلهم وبشموس المعارف يستضيئون فى نهارهم أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون قال الشيخ القطب

فاخذ منه المائة دينار يعنى النصاب وسكن فى قاعة مرخمة فى السبع قاعات بمصر المحروسة وتزوج امرأة جميلة وصار ينفق عليها مدة سنة حتى فرغت تلك الفلوس ثم طلق تلك المرأة وجاءه بخور قدر الدرهم الغدار وقال ما وجد الملك الاحر فى بلاد الجن الا هذا الشئ اليسير ويحتاج الى مائة بندقى أخرى حتى يفتح بها المطلب ويبطل موانعه فاعطاه مائة أخرى ثم تبين لسيدى محمد كذب هذا النصاب فصار يشتكيه من بيوت الحكام فيقول النصاب يا مسلمين شرع الله بينى وبينه وينكر انه ما أخذ ذلك المال والحلى الذى أخذه منه فلم يصل منه الى شئ من ذلك الى وقتنا هذا ووقع لهذا النصاب أيضا انه نصب على قاض من بعض قضاة العساكر بمصر قال له عندك فى القاعة كنز عظيم ولكن يحتاج الى خمسمائة دينار ذهبا ولا تعطيها الى حتى ترى الذهب بعينك فبخر له بخور معروف عند أهل علم السيمياء فاراه كيمان الذهب والفضة والملك صاحب الكنز نائم على سريره وقال له رأيت بعينك فقال نعم فقال له اعطنى الخمسمائة دينار فاعطاها له وقال له انتظرنى حتى آتيك بالبخور فخرج فلم يرجع له الى يوم تاريخه وصار القاضى يستحى أن يتكلم بذلك ثم يقول لنفسه كيف تكذب شيأ رأيته بعينك ولم يزل يتحسر على تلك الاموال الى ان سافر من مصر الى بلاد الروم (وأخبرنى) القاضى نور الدين الاشمونى ان شخصا نصب عليه فوضع فى البودقة نحو عشر بنادقة وغطاهم بالنخالة بحيث لا يعلم بها القاضى ثم أرسله الى عطار بينه وبينه لغز فاشترى منه عشبا بدرهم فاخذه ونثره على النخالة ثم أطلق عليه النار فانسبكت العشرة الدنانير وصارت سبيكة فأخرجها للقاضى وقال هذه السبيكة أصلها كلها بدرهم ولكن ان أردت أن أطبخ لك كذا كذا قنطارا من الذهب فاعطنى مائة بندقى فأعطاها له فطبخ له طبخة بنحو درهمين نقرة وقال له انها فسدت ثم انه وضع له منها نحو عشرين بندقيا فى البودقة وغطاها بنخالة كما تقدم وذر عليها شيأ يشبه دقاق الترمس وأطلق عليها النار فأخرجها سبيكة فقال له اذهب بها الى اليهودى الذى هو جالس على باب الصاغة فبعها له فانه لا يعرف الذهب الخالص الا هو فلما رآها اليهودى قال له من أين لك هذا الذهب العظيم فاعطاه فى كل مثقال ستين نصفا وقال هات لى ثانيا من هذا الذهب وأنا أعطيك فى كل مثقال منه سبعين نصفا قال القاضى ثم أخبرنى الناس انه نصاب وان هذا اليهودى الذى يجلس على باب الصاغة ليس هو بيهودى حقيقة وانما هو مسلم قليل الدين يلبسه عمامة يهودى ويعطيه خرجا صغيرا على كتفه ويعطيه كل يوم أجرته ثم ان القاضى طلب فلوسه التى أعطاها للنصاب فراحت عليه الى يوم تاريخه * ثم انه يقال لمن يزعم انه يعرف علم الكيمياء انك يا أخى لا تخلص من التبعة فى الدنيا وفى الآخرة لمن تعامله بدراهم كيمائك الا ان قلت له هذه الدراهم صنعتى بيدى ولعله لا يقبلها منك أبدا خوفا على نفسه من بيت الوالى وأما أنت فقد عرضت نفسك للشنق أو النفى من جهة السلطان فانك ان عملتها له وصحت قتلك وان فسدت قتلك (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول كثيرا بتقدير صحة الكيمياء ورواجها فى المعاملة لابد انها تخرج زغلا ولو على طول ويصير اثمها على من عملها وكذلك اثم العقوبات التى تقع لمن ظهرت على يديه زغلا وذلك لتمييز ما خلقه الله عز وجل من المعادن وما عمله ابن آدم من ذلك بالحيل والتركيب انتهى وقد وقع لاخى الشيخ أبى الفضل ان شخصا من أصحابه اشتغل بعلم الكيمياء على طريقة النصابين فزجره وهجره وقال كيمياء الفقراء انما هو أن يعطيهم الله تبارك وتعالى حرف كن ثم ان سيدى أفضل الدين رحمه الله تعالى قال لحجر كان هناك كن ذهبا فصار ذهبا يلمع حتى رآه صاحبه وتحققه ثم قال له كن حجرا فرجع حجرا انتهى هذا لفظ صاحب الواقعة وقد لعب الشيطان بجماعة كثيرة يدعون التصوف والسلوك فأتلفوا ما كان بايديهم وأيدى أصحابهم من الاموال وصاروا كلهم فقراء من الدنيا يأكلون بدينهم وصلاحهم ومجالسهم فى الذكر خبزا وطعاما وثيابا فكان الذى يأكل بالطبل والمزمار أحسن حالا منهم لانه قد قيل بحل الاكل بالطبل والمزمار فى الجملة ولعل الباب الذى دخل عليهم ابليس منه انه قال لهم انكم اشتهرتم بالصلاح والزهد فى الدنيا وما بقى أحد يظن فيكم الا الصلاح ولو ضربتم الزغل ولا يكمل الفقير الا اذا كان متعففا عن أموال الناس ثم وسوس للنصابين وقال قولوا لهم نحن نعلمكم صنعة تنفقون وتوسعون منها على أنفسكم وجماعتكم فلما خدعهم بذلك أطاعوه كما وقع لجماعة من فقراء الروم والعجم

بمصر أيام السلطان الغوري ونفاهم من مصر بعد قطع أيديهم ولعمري اذا كان المريد في بداية أمره يجب عليه في اصطلاح القوم كما كان مذهب أبي ذر رضي الله عنه الزهد في الدنيا بأسرها والخروج عما بيده منها فكيف يليق بمن يزعم أنه في مقام الكمال والمشيخة أن يطلب الدنيا بالحرام فضلا عن الحلال ثم انه لا يقدر أحد على عمل الكيمياء الا في المغاير والجبال والخرائب من الحارات وذلك من أقوى الادلة على ان هؤلاء يعرفون ان ذلك زغل ولو انهم عرفوا ان ذلك كان صحيحا لعملوه بحضرة الناس كما يفعل الصائغ في الصاغة في الذهب الحقيقي وكما يفعل الاولياء أصحاب الكرامات رضي الله تعالى عنهم وأين دعوى هؤلاء الصلاح وهم يخافون من الخلق أكثر مما يخافون من الله عز وجل ويجعلونه كأنه أهون عندهم من بعض عبيده فعلم ان كيمياء القوم انما كانت عن حرف كن فيجعل الله لاحدهم في الدنيا بعض ما يعطيه له في الجنة فان أهل الجنة يقول أحدهم للشئ كن فيكون فكان تعجيل الله تبارك وتعالى ذلك لأوليائه في الدنيا تقوية لايمانهم بما يعطيه لهم في الجنة وبعضهم أعطاه الله تبارك وتعالى ذلك فلم يتصرف به في هذه الدار وادخره للدار الآخرة كالشيخ أبي السعود بن الشبل واضرابه فلا تظن يا أخي أن كيمياء السلف كانت بشراء حوائج من العطار وانما كانت أبدانهم تتجوهر من كثرة الاعمال الصالحة حتى يسري ذلك الى فضلاتهم فاذا بال أحدهم على حديد أو رصاص صار ذهبا خالصا وانقلبت عينه كما وقع ذلك لبعض مريدي سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه ولمريدي سيدي يوسف العجمي رضي الله تعالى عنه وشاع بذلك الخبر حتى شاع الخبر ان مريدا لسيدي الشيخ ابي الحسن الشاذلي بال على نحو خمسة قناطير من الرصاص فصارت ذهبا حتى بلغ ذلك السلطان محمد بن قلاوون فنزل لزيارة الشيخ اظنه ان ذلك من الكيمياء على طريقة النصابين فقال له الشيخ ليس كل من عرف الكيمياء يقدر الله جل وعلا على العمل بها ويأذن له فيها ولا كل من تجوهر بدنه وفضلاته تمشي له القدرة ذلك فرجع السلطان بالخمسة القناطير هدية من الشيخ له فاعمل يا أخي على تجوهر بدنك بالاعمال المرضية على وجه الاخلاص حتى تصعد صحيفتك كل يوم كأنها مضمخة بالند والعنبر ولا يصير لك عمل يكتبه كاتب الشمال أبدا وهناك يصح لك عمل الكيمياء بارادة الله تبارك وتعالى ويعطيك الله تعالى ما تؤمله من خيري الدنيا والآخرة ولعلك اذا فعلت ذلك زهدت في الدارين دون الله جل وعلا فضلا عن شئ خسيس أمرك الله عز وجل بالزهد فيه * وقد بلغنا ان شخصا جاء الى سيدي أبي العباس المرسي رضي الله تعالى عنه وأرضاه فقال له اني اسمع الناس يقولون عنك انك تعرف صنعة الكيمياء وأنت تلتقط القمح وتأكل فقال نعم ثم أخذ حجرا ورفعه في الهواء ثم نزل فاذا هو ياقوت أضاء منه المكان ودخل عليه مرة شخص آخر وقال أريد أعلمك الكيمياء لتنفق منها على اخوانك فقال له الشيخ أبو العباس رحمه الله تعالى قد صحبنا أقواما اذا قال أحدهم لشجرة أم غيلان أمطري ذهبا أمطرت فيلتقطه الناس فمن وصل الى مثل ذلك لا يحتاج الى كيميائك ودخانها (وأخبرني) الشيخ أمين الدين الامام بجامع الغمري رضي الله تعالى عنه ان سبب تسمية سيدي أحمد الزاهد بالزاهد مع ان سائر الاولياء لا بد لهم من الزهد ان بعض الاولياء علمه الكيمياء الصحيحة وقال له خذ بظفرك ترابا من أي مكان شئت وذره على أي حجر شئت وقل بسم الله الرحمن الرحيم فانه يصير ذهبا ففعل ذلك فصح له فأمر بالحجر الذهب فأرمي في بيت الخلاء وأمر الرامي أن لا يعلم بذلك أحدا حتى يموت الشيخ قال فأصبح الناس كلهم يلقبونه بالزاهد ولم يكن له هذا اللقب قبل تلك الليلة انتهى (وأخبرني) سيدي علي المرصفي رضي الله عنه ان مغربيا جاء الى سيدي محمد ابن أخت سيدي مدين رضي الله تعالى عنهما وقال له أريد منك عشرة أنصاف أشتري لك بها حوائج من العطار وأطبخ لك نحو قنطار من الذهب تنفقه على هؤلاء الفقراء فقال له الشيخ كل جيلتك واشتر ذلك وادفع ثمنه من عندك ففعل ودخل الخلوة فلم يمكث ساعة الا ووجه ذلك المغربي محرق وذهبت لحيته فقال له الشيخ نحن لا نعمل شيأ يؤدي الى حرق اللحى والوجوه انتهى (قال) سيدي علي المرصفي وكان ذلك من حال سيدي محمد ألقاه عليه حتى ينفر الفقراء عن الميل الى مثل ذلك ولعل المغربي كان يعرف الكيمياء الصحيحة انتهى ومما وقع لي مع الشيخ أبي الفضل وكان مشهورا بعمل الكيمياء الصحيحة انه جاءني يوما أوائل صحبتي له وقال مرادي أعلمك صنعة

الدنيا كلما ملت الى شهوة أصلحت بالتوبة ما أفسدت بالهوى أو كدت وعليك بمحبة الله على التوقير والنزاهة وأدمن الشرب بكاسها مع السكر والصحو كلما أفقت أو تيقظت شربت حتى يكون سكرك وصحوك به وحتى تغيب بجماله عن المحبة وعن الشراب والشرب والكأس بما يبدو لك من نور جماله وقدس كمال جلاله ولعلي أحدث من لا يعرف المحبة ولا الشراب ولا من الشرب ولا الكأس ولا السكر ولا الصحو قال له القائل أجل وكم غريق في الشئ لا يعرف بغرقه فعرفني ونبهني عما أجهل أو لا من به علي وأنا عنه غافل قلت لك نعم المحبة آخذة من الله قلب من أحب بما يكشف له عن نور جماله وقدس كمال جلاله وشراب المحبة مزج الاوصاف بالاوصاف والاخلاق بالاخلاق والانوار بالانوار والاسماء بالاسماء والنعوت بالنعوت والافعال بالافعال ويتسع فيه النظر لمن شاء الله والشرب سقيا القلوب والاوصال والعروق من هذا الشرب حتى يسكر ويكون لشرب بالتدريب بعد التذويب والتهذيب فيسقى كل على

والاكابر من المقربين فنهم من يسكر بشهود الكأس ولم يذق بعد شيأ فما ظنك بعد بالذوق وبعد بالشرب وبعد بالرى وبعد بالسكر بالمشروب ثم الصحو بعد ذلك على مقادير شتى كما أن السكر أيضا كذلك والكأس معرفة الحق يغرف بها من ذلك الشراب الطهور المحض الصافى لمن شاء من عباده المخصوصين من خلقه فتارة يشهد الشارب تلك الكأس صورة وتارة يشهدها معنوية وتارة يشهدها علمية فالصورة حظ الابدان والانفس والمعنوية حظ القلوب والعقول والعلمية حظ الارواح والاسرار فياله من شراب ما أعذبه فطوبى لمن شرب منه وداوم ولم يقطع عنه نسأل الله من فضله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم وقد يجتمع جماعة من المحبين فيسقون من كأس واحدة وقد يسقون من كؤوس كثيرة وقد يسقى الواحد بكأس وبكؤوس وقد تختلف الاشربة حسب عدد الاكؤس وقد يختلف الشراب من كأس واحدة وان شرب منه الجم الغفير من الاحبة * (انعطاف) * ثم اعلم فتح الله قلبك بشهود أنواره ووالى عليك ورود الله

الكيمياء الصحيحة وأعملها بحضرتك فى نحو خمس درج فقلت له ليس لى ميل الى ذلك فقال هذا أولى من أكلك بدينك فان الفقير اذا لم يكن له كسب دنيوى أكل بدينه لاسيما وهؤلاء الفقراء الذين عندك كلهم محتاجون فقلت له لا أعمل شيأ من ذلك فقال لى فماذا تصنع اذا احتاج عيالك الى شئ من الدنيا من مأكل أو ملبس أو نحوهما فقلت له أو قد تحت دكان طباخ ومهما حصل قسمته بينى وبينهم فولى وهو مظهر للغضب على ثم جاءنى بعد أيام وقال والله ما كنت أريد أن أعلمك شيأ من ذلك ولو طارت الرقاب وانما امتحنتك قبل صحبتى لك فانى عاهدت أن لا أصحب أحدا يحب الدنيا وقد ملأت عينى منك من ذلك اليوم فقلت الحمد لله رب العالمين (قال) وقد امتحنت سيدى محمدا الجعفى لما حججت وقلت له أنا أعرف علم الكيمياء فصار يخدمنى أشد الخدمة فلما عزمت على الرجوع من الحج تبعنى وقال علمنى ما وعدتنى فقلت له هيهات كيف أعلمك شيأ يشغلك عن الله تعالى فما زال يقسم على فلا أجيبه ثم قلت له يا شيخ محمد أين شهرتك بالزهد فى الشام ومصر والحجاز والروم وأنت تحب الدنيا قال فاستغفر وتاب على يدى وكاتبنى انتهى فالحمد لله رب العالمين * وأما فتح المطالب فحكمه حكم الغول والعنقاء يتحدث بذلك ولا يرى له فاعل ثم انه لا يشتغل بحب ذلك عن الله تعالى الا من مقته الله تعالى وطرده عن بابه مع ان أصحاب الكنوز قد أخذوا العهد على جميع الخدام الموكلين بها انهم لا يفتحون ذلك المطلب قط لمن تدين بدين الاسلام الا ان كفر بالله تعالى فان صح أن أحدا انفتح له ذلك المطلب فلا يكون الا بعد كفره بالله تعالى فليحترز من يريد أن يفتح المطلب دينه أو دنياه وبعض الخدام يستهزئ بمن يريد فتح المطلب ويقول له لا نجيبك الى فتحه الا ان أتيتنا بنملة حامل لها أربعة شهور كما وقع للباشاه داود لما فتح المطلب بجامع سمانود البحرى وبعضهم يدهن دبر من يفتح المطلب فيصير يضرط كالطبل العظيم ثم اذا ضحك أحد من الحاضرين رجع التراب الى محله كما وقع ذلك للسلطان الغورى فى المدينة المسماة بعين شمس بالقرب من المطرية فان المطالبية لما حفروا وضرطوا وضحكوا رجع التراب الذى حفروه وقالوا للسلطان احضر معنا حتى تستحى الناس منك فلا يضرطون فحضر فضرط الآخر وأخبرنى الامير يوسف بن أبى أصبع انهم لما حفروا فى الرمل ظهر لهم باب عظيم كباب زويلة فلما ضرط الناس رجع الرمل الى موضعه انتهى ووقع لبعضهم انه طلع للوزير على باشاه وأخبره بان بناحية سمانود مطلبا عظيما وانه يفتح اذا ذبحوا عليه قردا وعبدا أسود فاجتمع على ذلك عسكر السلطان فهرب النصاب ودخل تحت سترشيخ حتى رجعوا من غير فتح وانما بسطت لك يا أخى الكلام فى هذه المنة بعض البسط مبالغة فى نصح الاخوان فقد بلغنى ان جماعة من الفقراء وطلبة العلم باعوا كتبهم وامتعتهم فى طلب عمل الكيمياء وفتح المطالب وكان عاقبتهم الحرمان (وقد) أخبرنى أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى أن أصحاب فن الكيمياء مأخوذ عليهم العهد من أيام جابر أن لا يذكروا قط تدبيرا كاملا وانما يحذفون منه أركانا وشروطا ويكلون علم ذلك الى العالم بالفن وجميع ما يذكرونه من الرموز واللغوز وأسماء العقاقير المراد به غير ما يتبادر الى الاذهان وقد رأيت انسانا رأى فى كتاب يؤخذ دهن القمح الصعيدى وقاف الراء الاحمر وقشور البيض والنطرون فاستخرج دهن القمح وخلطه على الزنجفر وصحن على ذلك قشور البيض والنطرون الذى يبيض به الغزل وجعله فى دن ووضع عليه راوية ماء وصار يحرك ذلك بخشبة فاعلمت الشيخ أفضل الدين بذلك فضحك حتى كادت عمامته تقع (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يصح علم الكيمياء من طريق علم جابر الا من صار الذهب عنده كالتراب على حد سواء فانه من علم الحكمة والحكمة لا تدخل قلبا يحب الدنيا انتهى وسمعته رحمه الله تعالى مرة أخرى يقول كل شئ فى الوجود اذا أضفته الى شئ آخر على مقدار ووزن معلوم يعلمه أهل الكشف صار حجرا مكرما فالسر انما هو فى معرفة مقدار ما يضاف من كل جزء الى الآخر وذلك يختلف باختلاف الاعيان قال وربما صح ذلك مع بعض الفقراء بحكم الاتفاق فيطمع فيعيد العمل ثانيا وينسى تحرير المقدار الذى كان وضعه أولا على الجزء الآخر فيصير يعمل زغلا الى أن يموت انتهى مع ان أهل هذا الفن لم يزالوا يبخلون بتعليمه للناس فى كل عصر اما لعزته عندهم واما لخوفهم على من يعلمونه من القتل فانه ان صح معه وعلمه السلطان قتله وان لم يصح معه قتله أيضا كما مر (وأخبرنى) أخى أفضل الدين رحمه

الله تعالى ان الشيخ بدر الدين التوزى رحمه الله تعالى كان يعرف الصنعة فكان الامراء بمصر يخدمونه الى الغاية ولم يعلم أحدا منهم وقال هذا أمر يحتاج الى دماغ ثقيل (قال) رضى الله تعالى عنه على أن طلب الدنيا لا يصح قط من فقير فطم على يد الاشياخ وانما يقع فى ذلك من كان دعيا فى الطريق ليس له فيها أب فاياك أن ترى أحدا من أهل هذا الفن ينتسب الى أحد من الاشياخ الماضين فتحسب ان شيخه كان على ذلك الحال انتهى * ولما أنهيت الكلام على هذه المنة دخل على شخص برسالة فى التنفير عن هذا الامر من كلام أخى أفضل الدين رضى الله تعالى عنه وأرضاه فاحببت اثباتها هنا لكونها من كلام عارف بالله تعالى وبطبائع الكون وكلها نصح * فاقول وبالله التوفيق قال الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى ومن خطه نقلت أوصى جميع اخوانى من المسلمين بالزهد فى الدنيا وعدم الاصغاء الى كلام من يزعم من فسقة المتصوفة انه يعرف علم الكيمياء فانه كاذب وذلك لان جميع العلوم الحاصلة للعبد من عين الجود والمنة لا يحصرها عقل ولا نقل ولا يمكن لاحد الاطلاع عليها الا من طريق الكشف ومحب الدنيا محجوب عن مقام الكشف بالف ألف حجاب ثم ان من خصائص من عرف هذا العلم وصح له العمل به انه لا ينتفع بجسمه بعد ذلك بل تحدث له أمراض تمنعه التلذذ بشئ من الدنيا لمزاحمته الملوك على حطام الدنيا التى أمره الله بالزهد فيها فعلم ان كل من لم يكن عنده كشف وقنع بما رآه مكتوبا فى الكتب فهو مغرور هالك لان أهل هذا العلم رمزوه برموز لا يعلمها الا هم ومن أطلعه الله جل وعلا من طريق كشفه على حقيقة العلم وغايته وعلم جملته وتفصيله * وقد استخرج جابر بن حيان الكوفى الازدى صاحب علم الحكمة علم الكيمياء والحجر والخواص من قوله تعالى كهيعص واستخرج من ذلك زبدة علومه ورئيسها وقطبها الذى عليه مدار علم الحكمة وهو علم الميزان الذى هو علم الوقت وأشبع القول فى ذلك فى كتابه المسمى بالسبعة وذكر فى هذا الكتاب أصل الميزان وفى بقية كتبه شروط العمل بها غيرة على هذا العلم أن يطلع عليه غير أهله فما أخطأ من أخطأ فى التدبير الا من حيث جهله بالشروط والموازين وظنه أن المراد بتلك المسميات ظواهرها المعروفة بين الناس فاذا علمتم ذلك أيها الاخوان فاقول باعلى صوتى حسب الاذن الكريم من رب العالمين الى جميع عباده المقلين المفلسين اننا ولو أقدرناكم على هذا العلم لم نأذن لكم فى العمل به فان العمل به رفع فى سنة أربعين وتسعمائة كما رفع العلم به من سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة ولا يجوز الاشتغال بعلم رفع علمه من القلوب مع عدم أمان فاعله على نفسه وماله وعرضه وكان الملوك أحق به منكم لعدم خوفهم على أنفسهم وغزارة عقلهم وحسن أدبهم وكمال أخلاقهم وسماحة نفوسهم بما يصرفونه على تحصيله مع أنهم اشتغلوا بذلك ولم يحصلوا على طائل وبعضهم قتل النصاب عليه لما أيس من معرفته لذلك العلم لاجل تضييعه ماله قال وقد سألت الله تعالى أن يطلعنى على هذا العلم من غير طريقه المعتاد فسمعت هاتفا يقول اقرأ انا أنزلناه فى ليلة القدر فقرأتها فعلمت ان هذا العلم قد ارتفع من القلوب فسررت بذلك فاياكم أيها الاخوان من الاشتغال بذلك ثم اياكم وعليكم بالصبر على قيامكم فى الصنائع والحرف التى بها معاشكم وأجركم على الله تعالى ثم اعلموا ان علم الحكمة ينقسم الى ثلاثة أقسام وهى فى الحقيقة مراتب الاقسام (الاول) علم الكيمياء وهو علم الجمادات على اختلاف مراتبها وأحكامها (الثانى) علم الحجر المكرم وهو على صورة تدبير أعيان العالم من حال ظهوره الى حال استوائه من غير نظر الى كثرة الصور المتولدة فى العالم المستحيلة الحكم والبقاء فى الدنيا والآخرة ويحتاج صاحب هذا العلم الى معرفة عين الحجر المكرم المأخوذ بدليل البراهين القاطعة وذلك بالكشف الثابت الذى لا يدخله محو ولا تغيير فكل من ادعى معرفته فامتحنه بما يخطر على بالك فان علم ذلك مع اختلافه وتنوعه فهو صادق والا فهو كاذب (الثالث) علم الخواص الموضوعة فى المفردات بغير واسطة الطبيعة الكلية وصورها العنصرية المزاجية لعلوه عن العالم باسره اذ هو محل خزانة الملك وموضع أسراره وليس لهذا العلم دليل عليه من خارج انما يوصل اليه بالعناية الربانية فيطلع الله تعالى من يشاء من عباده على خاصية كل شئ وحكمها بلسان تسبيحها فتقول سبحان من جعلنى أنفع لكذا وكذا سواء الجماد والنبات والحيوان اذ ليس فى العالم العنصرى المزاجى غير هذه الثلاثة أنواع * فاما علم الكيمياء فطريقه معرفة الميزان من غير تدبير حكمى ويحتاج صاحبه الى معرفة الذوات وتفاصيلها

بالعلوم والمعارف والحقائق لديه مشهودة حتى اذا أعطى العبارة كان كالاذن من الله له فى الكلام ويجب أن يفهم ان من أذن له فى التعبير تهيأت فى مسامع الخلق عبارته وحليت لديهم اشارته وسمعت شيخنا أبا العباس يقول كلام المأذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة وكلام الذى لم يؤذن له يخرج مكسوف الانوار حتى ان الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فيقبل من أحدهما ويرد على الآخر ثم اعلم ان مبنى أمر الولى على الاكتفاء بالله والقناعة بعلمه والاغتناء بشهوده قال الله سبحانه وتعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال سبحانه أليس الله بكاف عبده وقال ألم يعلم بان الله يرى وقال أولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد فبنى أمرهم فى بداياتهم على الفرار من الخلق والانفراد بالملك الحق واخفاء الاعمال وكتم الاحوال تحقيقا لفنائهم وتثبيتا لزهدهم وعملا على سلامة قلوبهم وحبا فى اخلاص أعمالهم لسيدهم حتى

اذا تمكن اليقين وأيدوا بالرسوخ والتمكين وتحققوا بحقيقة الفناء وردوا الى وجود البقاء فهنالك ان شاء الحق أظهرهم وان شاء سترهم

من حيث الحكم والاثر علما يطابق عين الوصف القائم بذلك الجوهر حكما وأثرا فعلا وانفعالا ثم معرفة علم الدرجات والدقائق بالاعراض الملكوتية في الجوهر بسبب انحراف القطر أو نقص شرط أو علة في المادة مع تمييز الاعراض وحكمها من الاستحالة أو عدمها ثم يحتاج بعد ذلك أيضا الى علم معرفة الكم المفصل لتلك الاعراض تفصيلا لا يقبل القسمة الواضحة بالمثال وذلك كله سهل على من أذن له الحق تعالى فيه بل ذلك أسهل مما كلفنا للعمل به والايمان به من جهة الحق تعالى وكتبه ورسله وملائكته وغير ذلك والضابط الجامع لعلم جميع ما تقدم هو النظر في ثقل بعضها وخفته وصفائه وكدورته ومشابهة أدناها لأعلاها في الوصف واختلافها عند امتحانها بالنار في اللين واليبس الى غير ذلك مما هو معلوم للعارفين * ثم ينحصر علم مجموع هذا القسم في معرفة رتبة أنواع الجمادات باسرها ثم ينقسم ذلك الى قسمين قسم ما زجت أرواحها وأنفاسها أجسادا ثابتة الحكم والاثر لا تقبل ذواتها الاستحالة وهو المعادن السبعة أو قابلة للاستحالة ثابتة الحكم والاثر وهو الياقوت والبلخش وأمثال ذلك وقسم لم تمازج الارواح والانفاس منه أجسادا ثابتة الحكم بل هو سريع الاستحالة حكما أو عينا سواء استحال بواسطة أم غيرها كالاملاح والشبوب والبوارق وأمثال ذلك ثم لا يخفى ان الجمادات كلها باقسامها تحت رتبة واحدة كما يعرف ذلك كل من في قلبه نور وأن أعلى ما فيها وأكمل هو المعادن السبعة وهي المطلوبة لان تغير أوصاف بعضها الى بعض بواسطة عقار أكمل منها رتبة وأثرا وليس ذلك ثم أبدا لما ذكرناه من انه ليس في جنسها أعلى منها فطالب النتيجة والاستحالة من الكباريت والزرانيخ والاملاح وغير ذلك مما هو داخل تحت هذه الرتبة كالطالب لما لا يمكن وجوده ومثاله مثال من حمل جملا على بغلة أو طيرا على جمل وطلب نتيجة صحيحة خالية من المخالفة والمشابهة وكل من ادعى صحة النتيجة في ذلك وأقام على ذلك برهانا طالبناه بالامتحان بنار التخليص اما رؤية حقا واما تعليقا فانه يفتضح اذ لا يثبت الا ما كان على الميزان الحق الواقع على يدي ادريس عليه الصلاة والسلام كل ذلك حتى لا يدعي أحد ما فوق مرتبته فيكذبه ميزان الحق فاقطعوا أطماعكم أيها الاخوان عن كون ذلك يصح لكم في هذا الزمان فان العمل بعلم الميزان الحق قد رفع أوائل المائة السادسة كما رفعت الطريقة المسماة بالميزان بين أهل عصرنا أوائل المائة الرابعة كما رفع العلم بها في أوائل المائة السابعة وما بقي مع أحد علم بها غير أهل الكشف الثابت لا غير لانه ليس عارف يظهره الله عز وجل بين العباد الا بعد أن يغمسه في طباق ظلمات الطبيعة ليشهد في نفسه التغير والاستحالة قبل شهودها في الكون ولولا ذلك لما قدر أن يترجم عن شيء باحسن وصفه أبدا * وأما علم الحجر المكرم فهو الذي لا يقبل الاستحالة بوجه من الوجوه اذ لو قبل الاستحالة لفسد نظام العالم وحكمت فيه كلمة الاستحالة فكان الجماد ينقلب نباتا والنبات حيوانا والحيوان انسانا ولو لم يكن ثابتا لم يوصف نحو ثلثي العالم بالبقاء وان كان عين ما ثبت هو عين ما استحال وعكسه عند أهل الكشف الناظرين في المرآة الكبرى من خلف ظهور الاستواء ومن شهد ذلك شهد صورة العدم وعلم ان كل ما سلم من التغيير والتبديل هو الحجر المكرم ومن لم يكشف له عن ذلك لا يعرف الحجر المكرم ولو عبد الله جل وعلا عبادة نوح عليه السلام * وايضاح ذلك أن تعلم يا أخي أن كل ما خرج بعد الانسان من جميع ما دار عليه الفلك السفلي سالما من تأثير النار والماء والهواء والتراب فهو الحجر المكرم لانه لو أقام في الطبيعة أبد الآبدين ودهر الداهرين لم يتغير عما خلق عليه أول مرة لا صورة ولا صفة ولا ذاتا فهو كالكليات المخلوقة للبقاء وما بعد هذا البيان من بيان * وأما علم المفردات المؤثرة بالخاصية دون الطبع تأثيرا أعلى وأثبت من تأثير الطبيعة المضادة في الحكم والمحكوم به أو عليه وهو عام في الجماد والنبات والحيوان فليس ذلك لاحد الا لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ومن ورثه في المقام وهم قليلون في الاولياء لا يكاد يظهر لهم عين وقد أمروا بكتمه الا عن افراد ولا يدخل هذا القسم رفع ولا تغيير بل هو على حالة واحدة فرد الفرد ولا ينال بالكسب انما هو هبة من الله تبارك وتعالى سالمة من الاسباب والروابط خارج عن علم الحكمة لان موضوعها اقامة الاسباب واثبات الوسائط في محلاتها اللائقة بها بخلاف علم خواص المفردات لانه أمر خارق للعادة غير معقول في نفسه ثم لا يخفى أن هذا القسم ليس من علم الحكمة في شيء وانما ذكرناه هنا لحكمة أطلعنا

ان شاء أظهرهم هادين لعباده اليه وان شاء سترهم فاقطعهم عن كل شيء اليه وظهور الولي ليس بارادته لنفسه لكن بارادة الله له بل مطلبه ان كان له مطلب الخفاء لا الجلاء كما قدمناه فلما لم يكن الظهور مطلبهم وأراد سبحانه اظهارهم فاظهرهم تولاهم في ذلك بتأييده وارادة مزيده لقوله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن ابن سمرة لا تسأل الامارة فانك ان أعطيتها عن غير مسئلة أعنت عليها وان أعطيتها عن مسئلة وكلت اليها ومن تحقق منهم بالعبودية لله لم يطلب ظهورا ولا خفاء بل ارادته وقف على اختيار سيده له وقال الشيخ أبو العباس من أحب الظهور فهو عبد الظهور ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء ومن كان عبد الله فسواء عليه أظهره أو أخفاه ولنختم هذه المقدمة بذكر كرامات أولياء الله جوازا ووقوعا وأقسام ذلك على سبيل الاختصار وكون هذا قد سبق الى الكلام عليه بالايعاب غيرنا قد أقام لنا الاعتذار لكنا ننبه على نكت مفيدة لاولي الالباب ونكشف عن وجه حسنها ما اسدل عليه من نقاب ليكون ذلك مهيأ لك لقبول ما نورده عن هذه الطائفة من الكرامات وما نسنده اليهم من بواهر الآيات ان شاء الله تعالى

الله جل وعلا عليها اذ ما من عبد حفته العناية الربانية الا ويصير يقلب عين كل شئ توجه اليه بقلبه كالاكسير الخالص أو المدبر لصورة المعدن الناقص بل يكون كلامه وسائر أحواله حتى بوله وغائطه اكسيرا ثم لا يخفى أن صاحب هذا العلم يحتاج الى ثلاثة امور (الاول) أن يعطى معرفة الحكمة والاثر على وجه لا يقوم الاثر به الا الحكمة فى العدد (الثانى) انه يعطى الحكمة فى معرفة الوقت الذى يتم فيه وجود التأثير (الثالث) أن يعرف الوقت الذى تقوم فيه الحكمة وكذلك المكان المناسب للقوة المؤثرة أو المعين لها وهذه الثلاثة الامور يجهلها غالب العارفين فضلا عن غيرهم لانه ما ثم عارف همته مصروفة الى هذا العلم أبدا حتى يعرف شروط صحته ومعلوم ان صدقات الحق تبارك وتعالى لا تعطى الا للمحل القابل لذلك ولو قدر ان عارفا أعطى شيأ من غير قبول محله له لم يثبت عنده قال ويقع لبعض العارفين ان الله تعالى يطلعه على صحة هذا العلم ثم يغفل عنه فيفسد عمله ولا يعلم من أين دخل عليه الفساد مع أنه دخل عليه من ذهوله عن كون ذلك من علم التجربة الذى ليس هو من قدرة البشر اذ ليس فى قدرتهم العلم بما تولد من الكواميش المختلفة باختلاف التراكيب والموازين والعقاقير وقد قيل ان هرمس الاول اخطا احدى عشرة مرة مع ان علمه أخذه من طريق الوحى والكشف فكيف بغيره قال الشيخ أفضل الدين وقد سألت الله تبارك وتعالى وانا دون السبع من السنين أن يطلعنى على معرفة هذه الاقسام الثلاثة المتقدمة على وجه لا يبلغه أحد من بعدى فاعطانيه وأقمت فى محل الاستعداد للعمل به نحو أربع سنين ثم سألت الله جل وعلا ان يسلبه منى فسلبه فله الحمد على كل حال قال وصفة تدابير هذه الاقسام الثلاثة مذكورة فى كتب أهل الفن ولكن نذكر لك يا أخى منها طرفا *فاما القسم الاول الذى هو علم الكيمياء فهو ان تعلم ان الله تبارك وتعالى ابتدأ الاشياء فى عالم الارواح ممثلة على الصورة التى ظهرت فى هذا العالم السفلى فكان لها من الحكم ما للارواح ثم ان الحق جل وعلا استنزلها من ذلك العالم كارهة للفرقة فنفرت أرواحها منها واستترت فى باطن أحد العناصر المستدبرة تحت فلك القمر لعدم قوة سلطانها فانحبست فيه كارهة ولم تعلم ان العناصر ما توسطت بين العالم الاعلى والاسفل الا لتعطى الخواص المودعة فيها وتسلمها الى الاعيان المستحقة لها لتظهر الآثار على الاعيان ويعم حكم الافتقار جميع العالم فافتقرت الارواح الى أجسادها افتقار عجز وقهر ودخلت فيها دخول مكره خائف من جور ظلمة الكون عليها فاوجب ذلك فيها هنا الخسة وعدم الشرف والثناء وعدم النفع بها حتى صارت فى حد التراب بل أنزل منه وقصرت نفعها على أجسادها الثابتة النفع فى هذا العالم بحسب طاقتها وثبت من ذلك طائفة من الجمادات فلم تستنكف عن هذا العالم بل قامت فيه قياما تاما بحسب ما قيدت به وصارت ناظرة الى عالمها الاول نظر ذل وانكسار فأوجب لها ذلك العز فى الدنيا والشرف الذى استعبد جميع العالم له الا من شاء الله تعالى وصارت هذه الجمادات النافعة محبوبة بالطبع مدخرة عند الملوك معظمة عند العارفين بالله تعالى ثم ان الحق جل وعلا استخلص من تلك الطائفة الثابتة جملة أخرى ثبتت لما ثبت له تلك الطائفة لكن من غير التفاتها الى موجدها فاقبلت على ما أمرت به كانها لم تخلق الا له فقامت فى العالم قياما عم نفعها العالم كله وافتقر اليها افتقارا كليا من غير تكبر ولا تمنى حالة أعلى مما هى فيه مع صبرها على النار وعلى ما يراد منها من الآلات الشريفة أو الخسيسة وانقادت لجميع ما فى العالم من صغير وكبير وعالم وجاهل ومؤمن وكافر ولما علم الحق تبارك وتعالى فى سابق علمه صدق ذلك من قبلها استعبد لها خلقه باحتياجهم اليها وهذه هى حقيقة السيادة لان شرط القائم فى الخلق بحق ان يقوم باطعامهم وحفظهم واكرامهم وقبول سؤالهم ومكافأته لمن يأتى بشئ اليه بأكثر مما أتاه به لا يطالب احدا منهم بما عجز عنه من تادية حقه بل يسامحه فى كل ما ادعى العجز عنه وغير ذلك من اخلاق الله عز وجل مع عباده فانه يرزقهم اطاعوه أم عصوه وقد ورد أن الله جل وعلا عاتب خضر موسى عليه الصلاة والسلام فى قتله الغلام وقال له لو أن الغلام مال بقلبه الى طرفة عين لاخذتك به اه فاياكم أيها الاخوان بعد أن سمعتم ما ذكرناه لكم فى هذا القسم من أحوال الجمادات ان تطلبوا ان تنقلوا جمادا عن رتبته التى خلقه الله جل وعلا عليها الى أعلى منها فان ذلك غير ممكن ولا ينالكم منه الا العناء والتعب ور بما قتلكم الحكام بسبب ذلك واعلموا أن جميع تدابير هذا القسم يرجع الى معرفة أصول طرق التدبير

الوقوع أما الجواز فلا خفاء أن ظهور الكرامة من الاولياء من الممكنات لانه ان لم يكن من الممكنات فاما أن يكون من الواجبات واما أن يكون من المستحيلات باطل أن يكون من المستحيلات فان المستحيل هو الذى لو قدر وجوده لزم منه محال عقلى ولا يلزم من تقدير وجود الكرامات محال عقلى وباطل أن يكون جريان الكرامات على الاولياء وجوبا اذ الطائفة مجمعة على انه قد يكون الولى وليا وان لم تخرق العادة له فتعين أن يكون من الجائزات وكل شئ كان من الجائزات فلا يحيله العقل وكل ما لا يحيله العقل ولم يرد بعدم وقوعه نقل فجائز أن يكرم الله به أولياءه ثم ان هذه الكرامة قد تكون طيا للارض ومشيا على الماء وطيرانا فى الهواء واطلاعا على كوائن كانت وكوائن بعد لم تكن من غير طريق العادة وتكثير الطعام أو الشراب أو اتيانا بثمرة فى غير ابانها أو انباع ماء من غير احتفار أو تسخير الحيوانات العادية أو

اجابة دعوة باتيان مطر فى غير وقته أو صبرا على الغذاء مدة تخرج عن طور العادة أو اثمار الشجرة اليابسة مما ليس عادتها أن تكون مثمرة

وهى العلم باحكام المراتب السبعة وطبائعها التى هى الجمادية المعدنية ومعرفة ما يمكن انقلابه الى الرتبة الذهبية أو الفضية بسهولة من غير واسطة أمر آخر او بأدنى شئ من التدابير ومعرفة ما لا يمكن انقلابه الى ذلك الا بواسطة شئ أو بكثرة علاج فان الذهب قد جعله الله جل وعلا كاملا فى النشأة وجميع الاوصاف فلا يدخل فى تدبير أبدا الا عند أجهل الجاهلين اذ ليس فيه قوة صابغة زائدة على ذاته فيطلب منه صبغ شئ أو الاعانة عليه اذ لو كان فيه قوة زائدة لم تتماسك أجزاؤه على هذه الصورة وأما الزئبق فهو الواسطة فى حفظ الصورة الاكسيرية وحلها الى المعدن الذى هو من جنسه لكن بشرط ثباته الى القوة الحديدية لان الاكسير لطافته يفرق كثائف المعادن اليابسة فضلا عن غيرها مما عدمت فيه الكثافة حتى صار فى حد المياه وحكمها وأما النحاس فليس فيه قوة خالصة توجب فعلا أو انفعالا لانه كالخنثى لا يعدم الذكور ولا مع الاناث لشبهه بالذهب والفضة والقصدير والرصاص فلا تقربوه قط فى تدبير ولا فى القاء فانه لا يقلب عينه فضة الا اكسير الحجر المكرم أو نبات بالخاصية وغير ذلك لا يكون وأما الرصاص فذكر ثابت لا يقلبه الى الذهب لا صورة اكسير ثابت من الحجر أو غيره لكن مع واسطة ثبات الزئبق وعقده فى الاكسير واستحالته معه كل ذلك لمجانسة الرصاص للذهب وقربه منه وأما القصدير فهو أقرب الجميع الى الفضة لعدم المانع القائم بذاته من كثائف الاخلاط فمن ابتلى بعدم قبول النصح وترك العمل بهذا الامر فلا يقرب غيره واعلموا ان عيبه هو الرخاوة والنتن والحرير والصرير وموجب ذلك عدم طبخ الحرارة وانحلال اليبوسة وممازجتها له فى محل تكوينه فما كان حاريا يسا من المفردات المجففة عن سيلان الادهان أو المياه الحارة المكررة فهو دواؤه لو كان العمل صحيحا فى هذا الزمان وقد يخرق الله جل وعلا العادة بصحته لبعض أوليائه وأما الفضة فهى كاملة النشأة فى ذاتها ورتبتها وهى بالاضافة الى الذهب أقرب من القصدير ناقصة الرزانة والصفرة وعلاج الفضة أقرب من القصدير اليها لكن من غير واسطة معدن آخر لا كما يفعله الجهلة من ادخال النحاس عليها بقصد صبغها ثم يسلبونه عنها فان ذلك يفسد العمل لكثرة عيوبه ويزيد الذهب صلابة وتكسيرا وسوادا فمن أراد عود الذهب سالما من ذلك فليطفئه بالزيت الحار مرارا ان لم يقدر على تكرير السبك سبع مرات فاكثر ولم أعلمكم بذلك الا لكثرة شفقتى عليكم وخوف تلف الذهب الذى تكلفتم شراءه بدينكم وايمانكم ثم ان تدبير هذا القسم ليس فيه تقطير ولا تنكيس ولا طبخ ولا تحليل ومن عمل شيأ من ذلك فهو زغل لان تدبيره لا يزيد على ثلاثة عقاقير غير الواسطة وهى نفس وروح وجسد بميزانها الموضوع من قبل الحق جل وعلا * وأما صفة تدبير الحجر المكرم فهو ان تعلم يا أخى أن المراد من التدبير الفرقة أو الاجتماع أو السلب والنقص فيه لا فى غيره لانه لا يقام حافظا لاجزائه الا من كان خارجا عن حكم الطبائع البسيطة عليه كما مر فمن عرف الآنية عرف المأنى فيها وهذه سنة الله تبارك وتعالى فى ايجاد الكمل من المخلوقات ألا ترى الى النطفة كيف خرج وجهها وتقلبها فى المحلات المناسبة لها حكما وطبعا أصلا وفرعا فان تدبير هذا العلم محصور فى تدبير الصور الانسانية من خلقها نباتا أولا ثم اطعامها دما ثم تسويتها نطفة جارية ثم انتقالها الى محل اوسع من محلها الاول فصارت علقة ثم صارت بواسطة الغذاء مضغة ثم بواسطة هيجان حرارة المحل لطبخ الطعام والشراب عظاما ثم بواسطة انحصار دم الحيض وطبخه فى المعدة لحما كاسيا للعظم ثم بواسطة أحوال الابوين روحا مجسدا ثم بواسطة القوة النافخة يكون دفعه الى هذا العالم الاوسع ثم بواسطة الحرارة وفراغ المحل اندفع الدم من المعدة الى الثديين وصار لبنا خالصا ثم لا يزال على هذا التدريج حتى يستقر فى الجنة أو النار المناسبين له بالحكم والطبع وحينئذ يأمن كل فريق من افتراقه من محله المخلوق منه * وأما صفة تدبير المفردات فهو ان تعلم يا أخى ان الطريق اليها كالطريق الى علم الافراد المؤثرة فى العالم بالخاصية وذلك من علوم الوهب لا من علوم الكسب وليس الكلام فى ذلك مما أذن الحق تبارك وتعالى لنا فى افشائه فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم وقد خالف قوم فطلبوا ذلك من غير طريق الوهب فخسروا الدنيا والآخرة ونفرت عنهم أصحابهم الذين كانوا يعتقدون فيهم القطبية وصاروا يصفونهم بانهم زغلية نسأل الله الله عز وجل العافية لنا ولاخواننا من ذلك اه ما ذكره أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى فى رسالته

وهذه كلها كرامات ظاهرة حسية وكرامات هى عند أهل الله أفضل منها وأجل وهى الكرامات المعنوية كالمعرفة بالله والخشية له ودوام المراقبة له والمسارعة لامتثال أمره ونهيه والرسوخ فى اليقين والقوة والتمكين ودوام المتابعة والاستماع من الله والفهم عنه ودوام الثقة به وصدق التوكل عليه الى غير ذلك وسمعت شيخنا أبا العباس يقول الطى على قسمين طى أصغر وطى أكبر فالطى الاصغر لعامة هذه الطائفة ان تطوى لهم الارض من مشرقها الى مغربها فى نفس واحد والطى الاكبر طى أوصاف النفوس وصدق رضى الله عنه فان طى الارض لو عجزك الله عنه أو أفقدك اياه ما نقص ذلك من رتبتك عنده اذا قمت له بالوفاء فى العبودية وطى أوصاف النفوس لو لم تقدم عليه به لكنت من المغبونين وحشرت فى زمرة الغافلين وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه انما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان بمزيد الايقان وشهود العيان وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة فمن أعطيهما ثم جعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مغتر كذاب أو ذو خطأ فى العلم والعمل بالصواب كمن أكرم بشهود الملك على

(وسمعته) مرة يحذر من طلب فتح المطالب ويقول من طلب فتحها فليقرأ كتاب خواص الحروف المرقومة فى اللوح المحفوظ على الملائكة الموكلين بظهور الاحرف وحفظها ثم يقرأ كتاب سر خواص الازمنة على كاتم سر الشمس والقمر ثم يقرأ كتاب خواص العقاقير المناسب روائحها لارواح الجان الموكلين بحفظ المطالب على شيخ مشايخ هذه الطوائف ابليس اللعين ولا تطلبوا فتح المطالب من غير هذه الطرق اه فافهم ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علىّ) من حين كنت دون البلوغ تساوى التراب والذهب عندى على حد سواء فى عدم الميل اليه زيادة على التراب وقد أقمت فى هذا المقام نحو سنة ثم أطلعنى الله جل وعلا على الحكمة فى ترجيح الذهب على التراب فرجحته على علم منى برتبته لا بحكم الطبع كأبناء الدنيا وهذا الحال أكمل من الاول فصورتى الآن صورة محب الدنيا والقصد مختلف لانى انما أضع الذهب عندى فى بعض الاوقات أدبا مع الله تبارك وتعالى الذى جعل البيع والشراء به دون غيره فالمراد بالزهد فى الدنيا حيث أطلق شرعا الزهد فى ميل القلب اليها لا فى امساكها من غير ميل فافهم * وقد بلغت بحمد الله عز وجل فى الزهد الى انه لو أمطرت السماء ذهبا وصار الناس يحثون فى أحجارهم ما تحركت الى ذلك خوفا على نفسى من الوقوف للحساب وأما ما نقل عن أيوب عليه السلام انه صار يحثو فى ثوبه من الذهب لما أمطرته السماء فهو معصوم من الحساب على مثل ذلك كما أشار اليه قوله تعالى فى حق سليمان عليه الصلاة والسلام هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فمن أعطاه الله تبارك وتعالى الامان من الحساب فله أن يقتدى به فى ذلك كما وقع للعباس عم النبى صلى الله عليه وسلم * وكذلك بلغت بحمد الله عز وجل من الزهد الى أنى لو مررت على تلال الذهب والفضة ما طأطأت رأسى لاخذ دينار واحد أو نصف واحد الا لحاجة فى ذلك اليوم أو لدفعه فى دين كان على ثم اذا أخذت شيأ لا آخذ قط زيادة على قوت يومى * وكذلك بلغت بحمد الله عز وجل من الزهد الى انه لو دخلت على بغلة محملة ذهبا من مطلب أو غيره فى ليل مثلا لاخرجتها بحملها وأغلقت بابى خوفا من الحساب واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرض عليه جبرائيل عليه السلام جبال الذهب والفضة والزمرد فردها * وكذلك بلغت بحمد الله عز وجل من الزهد انه لو كتب السلطان لكل واحد من الفقراء ألف دينار وكتب اسمى معهم فعارضنى فى ذلك شخص ومسح اسمى وقال هذا لا يستحق ذلك لفسقه مثلا لم تتغير منى عليه شعرة بل أنشرح لسعيه فى حرمانى من الدنيا التى أنا غير محتاج اليها * وكذلك بلغت من الزهد بحمد الله تبارك وتعالى انه لو قدر أننى جمعت من الدنيا أردبا من الذهب فسرقه شخص أو أخذه من بين يدى لا تتكدر منى عليه شعرة ثم انى لا أرى ما ذكرته مقاما عظيما لانه من أخلاق المريد أول دخوله فى الطريق فلا ينبغى لاحد من أبناء الدنيا استبعاد ذلك على فقير قياسا على نفسه هو ومن كان بهذه الصفة فهو غنى عن عمل الكيمياء والتعب فى حفر المطالب والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علىّ) كراهتى للاكل من شئ أعطيته على اسم كونى من الصوفية أو على اسم كونى من الصالحين وكذلك لم آكل قط من خبز الخوانق المشروطة للصوفية لان اسم الصوفى عرفا لا يطلق الا على من كان على قدم الصوفية المذكورين فى رسالة القشيرى وغيرها من الزهد والورع وحفظ الجوارح كلها عن الحرام بحيث يشهد له أهل العقل من العلماء بذلك وأما من تكون له سريرة سيئة لو ظهرت للناس لمقتوه وازدروه فليس له أدبا أن يأكل مما وقف على الصوفية وهذا هو الباب الذى دخل منه الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى لما قام عليه صوفية الخانقاه البيبرسية وسعيد السعداء ولكن كان عليه بعض لوم فى طلبه منع المحتاجين من ذلك وانما كان الادب أن يعرض ذلك عليهم فمن شاء تبعه على ذلك ومن شاء أخذ منه وأكل بقدر الحاجة (وقد كان) شيخنا شيخ الاسلام زكريا رحمه الله تعالى لا يأكل الا من خبز الخانقاه سعيد السعداء ويقول انها عمرت باشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان واقفها من الصالحين فى الملوك اه فان كنت يا أخى فى مقام الشيخ زكريا فى التصوف فكل والا فالورع الترك فان الشيخ زكريا والشيخ جلال الدين واضرابهما كانوا من الصوفية بلا شك اذ الصوفى هو كل عالم عمل بعلمه كما مر تقريره أوائل الكتاب وانما امتنع

مستدرج مغرور أو ناقص أو هالك مثبور واعلم أن اطلاع أولياء الله تعالى على بعض الغيوب لا يحيله العقل وقد ورد به النقل قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لابنته عائشة رضى الله عنها فى مرض موته وزوجته حامل انما هما أخواك وأختاك دون بطن خارجة أراها جارية فاخبران فى بطن امرأته جارية وكان كما قال وقول عمر رضى الله عنه ياسارية الجبل وسارية باقصى العراق فسمع سارية صوته وكان قد أطلعه الله على سارية وقد أحاط به العدو فامره بالانحياز الى الجبل فانحاز هو والجيش الذين معه فانتصروا وظفروا وكان قد قال ذلك وهو فى أثناء خطبته على المنبر فترك الخطبة وقال ياسارية الجبل ثم عاد الى خطبته فجاء بعض الصحابة الى على رضى الله تعالى عنه فقالوا له بينما عمر اليوم يخطب اذ ترك الخطبة وقال ياسارية الجبل ثم عاد الى خطبته فقال على رضى الله عنه ويحكم دعوا عمر فانه ما دخل فى شئ الا كان له المخرج منه فبعد ذلك قدم سارية وأخبر عن ذلك اليوم انه سمع نداء عمر فى الوقت الذى نادى وقول عثمان رضى الله عنه لما دخل دخل

الشيخ عبدالله المنوفى رحمه الله تعالى شيخ الشيخ خليل المالكى من سكنى الخانقاه وقال ان هذه موقوفة على الصوفية وأنا لست بصوفى تواضعا منه والا فقد أجمع الخلق على جلالته وعلمه وأنه من أكابر أولياء مصر فاعلم ذلك * ولما خرجت جهات زاويتنا أيام التفتيش لجهة السلطان قال لى جماعة الديوان قد سمح لكم بذلك الباشاه الذى هو نائب السلطان والآن قد صرتم تاكلون حلالا وفرح بذلك المجاورون ولم أفرح أنا بذلك لعلمى بان الباشاه لو لا سمع بى أننى صالح لما أعطانى ذراعا من أرض بعد أن طلع ذلك للسلطان بقرينة ما يفعلون مع من لم يشتهر بصلاح فلا تسأل يا أخى ما أنا فيه الآن بسبب الحذر أن آكل كما قد أكل عيالى من ذلك من حيث انه أكل بالدين الذى هو أعظم اثما من الاكل بامور الدنيا فانتقلنا من الاخف الى الاشق فان لكل مسلم شبهة حق فى بيت المال فله الاكل منه ولا هكذا الاكل بالدين فانه لم يؤذن لاحد فيه فاسأل الله جل وعلا حمايتى والطف بمن أكل من ذلك من عيالى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة شفقتى على جميع المسلمين وولاة أمورهم حتى انى ربما أمرض لمرض ولى أمرى وأشفى فى وقت شفائه ومن شفقتى على المسلمين وولاة أمورهم أننى أحوطهم فى كل يوم وليلة بما ورد فى الاخبار والآيات مما يدفع عنهم الآفات المعلقة على ذلك حتى انى أحوط جسورهم أيام زيادة النيل خوفا من انها تنقطع قبل وقتها أو يقطعها العصاة كذلك فيعدم الناس رى أراضيهم أو بعضها وكذلك أحوط زروعهم من الدودة والهياف والفأر ونزول المطر الذى يحرق الزرع بعد اشتداد حبه ونحو ذلك الى طلوع الثريا لما ورد مرفوعا اذ طلع النجم يعنى الثريا أمن الزرع من العاهة اه وكذلك أحوط زهر الفواكه والخضراوات خوفا من البرد والحر الشديدين لانه يسقط الزهر فيخسر الناس الذين يزنون المال على ذلك محلا وكذلك أحوط من يغفل عن الله عز وجل من رعاع الناس فى مثل يوم خروج المحمل أو خروج الحجاج أو دخولهم أو كسر النيل أيام الوفاء أو دخول نائب جديد البلد أو عمل مولد أو عرس أو نحو ذلك كالتفرج على البهلوان فاحوط جميع هؤلاء وأحوط دورهم وحوانيتهم خوفا أن تسرق اللصوص ما فيها حال غيبتهم * وقد رأيت فى واقعة وأنا شاب أننى فى أرض من بلور واسعة وعليها سور شاهق نحو السحاب وليس له باب وأنا خلف الشيخ نور الدين الشونى شيخ مجالس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مصر وقراها بل وجميع أقطار الاسلام بمقتضى أنه هو أول من وضع صورتها فبينما نحن نمشى اذ نزل من السماء قربة من ماء فى سلسلة من ذهب الى أن وقفت بقدر ما يصلها الفم فقط من القائم فشرب الشيخ نور الدين منها ثم أعطانى الفضلة ثم جاوزته ماشيا وتركته حتى غاب عنى فنزل لى شئ يشبه اللوح وهو فى سلسلة من فضة الى أن وقف بقدر ما يصل اليه الفم كذلك فرأيت فيه ثلاث عيون تتفجر ماء باردا أحلى من السكر ورأيت مكتوبا على العين العليا مستمد هذه العين من حضرة الله تعالى وعلى العين التى تحتها وهى الوسطى مستمد هذه العين من العرش وعلى العين السفلى مستمد هذه العين من الكرسى فالهمنى الله تبارك وتعالى انى أشرب من عين العرش فقصصت ذلك على الشيخ شهاب الدين الهرامزى الواعظ المعبر فقال لا أعبر لك ذلك الا بدينار فاعطاه الشيخ نور الدين الشونى دينارا فقال لى هذا يتخلق بالرحمة على جميع العالم لان الحق تعالى ما ذكر انه استوى على العرش الا باسمه الرحمن اه فمن ذلك اليوم وأنا أرحم جميع الخلق فلكل مخلوق عندى رحمة تناسب حاله من مؤمن وكافر وهذا الخلق من أعظم أخلاق الفقراء ولم أر له فاعلا من اخوانى فى مصر وقراها الا قليلا وغالبهم انما يحمل هم نفسه أو هم من يلوذ به فقط وقد تقدم فى هذه المنن أن مقام تحمل هموم المسلمين ليس هو لكل فقير وانما ذلك لبعض أفراد كسيدى ابراهيم المتبولى وسيدى على الخواص وتقدم أيضا ان من علامة من يحمل هم المسلمين أن لا يفطر أيام همومهم ولا يضحك ولا يدخل حماما ولا يبخر له ثيابا ولا غير ذلك بل يكون حاله كحال صاحب المصيبة العظيمة يوم موت أعز أولاده أو اخوانه أو خراب دياره أو عزله من ولايته وتقدم أنى أمرض كثيرا المرض أصحابى أو لمرض ولى الامر من سلطان أو نائبه ولما مرض السلطان سليمان مرضت أيام مرضه بمثل مرضه وكذلك الباشاه على الوزير فى سنة ستين وتسعمائة فالحمد لله رب العالمين

عليه وكان قد نظر الى محاسن امرأة فى الطريق يدخل أحدهم وآثار الزنا بادية فى وجهه وأما على رضى الله عنه فقد جاء عنه فى هذا الباب العجب العجاب حتى انه ذكر الاخباريون انه أرجف بالكوفة ان معاوية قد مات فقال على رضى الله عنه اذ بلغه والله ما مات ولن يموت حتى يملك تحت قدمى هاتين وانما أراد ابن هند أن يشيع ذلك حتى يستتر علمى فيه فمن يومئذ كاتب أهل الكوفة معاوية وعلموا أن الامر صائر اليه وحكايات الاولياء فى كل زمن وقطر تتضمن ثبوت ذلك بما بلغ حد التواتر فلا يمكن جحده ثم أنا أدلك رحمك الله على أمر يسهل عليك التصديق بذلك وهو اطلاع العبد المخصوص على غيب من غيوب الله ليس بجسمانيته ولا وجود صورته وانما هو بنور الحق فيه دليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله فكيف يستغرب أن يطلع مؤمن على غيب من غيوب الله بعد ان شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم انه انما ينظر بنور الله لا بوجود نفسه وكذلك قوله فى الحديث الذى تقدم فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به الحديث ومن كان الحق بصره فليس الاطلاع على الغيب

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم مدحي لاصولي وفروعي عند من لا يعرفهم الا لغرض صحيح شرعي فقد قالوا من اعتمد على جده فاتته الفضائل وقد رأيت من الفقراء من عاير وه بجده وقالوا فلان ليس له أصل في المشيخة ولا كان أحد من آبائه شيخا وانما أخذ المشيخة باليد فتشوش لذلك وعمل لابيه تابوتا وستر اليصير له أصل في المشيخة * ودخلت على بعض المتمشيخين مرة فرأيت أفعاله بعيدة عن أفعال الاولياء وأولادهم الذين يزعم انه أخذ عنهم أو انه منهم فلما استشعر مني ذلك خاف من احتقاري له فصار يقول ما رأيت أحدا في هذا الزمان على قدم والدي في العبادة ولا مشايخ الزوايا فانه كان لا يمل من صيام النهار ولا من قيام الليل اشارة الى انه عريق في المشيخة ثم قال والله اني عجزت أن أفعل مثل فعله يوما واحدا فما قدرت مع أن والده رجل مستور ليس له شهرة بالصلاح مثل ولده المذكور فصار المعتقدون في ولده هذا يقولون اذا كان سيدي الشيخ ادعى العجز عن عمل والده فوالده أمر عظيم فليتفقد من يمدح والده أو جده نفسه فربما كان ذلك لحظ من حظوظ النفس * ورأيت شخصا من المتمشيخين عمل له مدفنا وقبة عظيمة صرف عليها جملة من المال ورأيت آخر عمل له مدفنا ومقصورة في حال حياته وبعضهم عمل له مقصورة وتابوتا فانكر عليه أهل حارته وسرقوا ستره بعد موته وكسروا تابوته وقالوا هذا لم يكن شيخا فكيف يحاكي بالمشايخ * وقد أدركت نحوا من مائتي شيخ ما رأيت أحدا منهم اعتنى بشيء من ذلك وانما المعتقدون هم الذين يصنعون له ذلك بعد موته تعظيما له واكراما (وقد كان سيدي) الشيخ نور الدين الشوني المذكور في النعمة السابقة المدفون بباب زاويتنا يقول كثيرا كم من ضريح يزار وصاحبه في النار نسأل الله عز وجل العافية فاياك يا أخي ثم اياك من الافتخار بجدودك أو باعمالك فانك لا تعلم ما اليه مصيرك انتهى والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) تمييزي حظ نفسي من حقوق الباري فأطعم نفسي وأسقيها وألبسها من حيث كونها أمة الله عز وجل لا لما أجده من اللذة والتقوي بذلك مع الغفلة وكذلك لا أحب أن يعفو الله تعالى عني مثلا لاجل ما في ذلك من راحة نفسي وانما أحب العفو من حيث ان الحق جل وعلا أخبر عن نفسه أنه يحبه فلولا محبة الحق تعالى للعفو ما أحببته وان كان في جزء دقيق يحب العفو من حيث راحة البدن فهو ضعيف جدا وهذا مشهد ما رأيت له ذائقا من أهل عصري الا قليلا وقد تقدم نظير ذلك في مواظبتي على الوضوء بالماء البارد في الشتاء لأقاسي الالم من البرد حتى اذا طلبت النفس اسباغ الوضوء في أيام الصيف وتلذذت بالماء البارد قلت لها انما تلذذك الآن بالماء لموافقة حظ نفسك لا امتثالا لأمر الشارع صلى الله عليه وسلم لك بالاسباغ وهنالك تنهض حجة نفسي اذا كانت كاذبة فلولا تألمها بالماء أيام الشتاء ما عرفت تمييز حظ الشرع من حظ نفسها أيام الصيف فاعمل يا أخي على هذا الخلق ونظائره فان كل شيء لا يكون القصد به محض امتثال أمر الحق جل وعلا فهو مضمحل فقس على هذا الخلق جميع الافعال والاقوال ولا تحب شيأ ولا تبغض شيأ الا تبعا للحق جل وعلا ولا يقدح في ذلك شوب الباعث عليه بحب دخول الجنة وان كان بمحض الامتثال أكمل فافهم ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم بداءتي بالزيارة لمن أعلم منه المكافأة لي خوفا من تكليفه بزيارة نظير البداءة بالهدية لمن أعلم منه المكافأة عليها فان البداءة بالهدية والزيارة ما شرعت بالاصالة الا لتأليف القلوب المتنافرة وأنا بحمد الله تعالى أحب جميع المسلمين ولا أكره أحدا منهم الا بطريق شرعي واضح كالشمس ثم لا أبغض من أخي المسلم الا صفته المذمومة لا ذاته ومتى تاب عن ذلك الفعل المذموم أحببته ذاتا وصفة * وممن أترك كثيرا زيارته من اخواني مع شدة الاشتياق اليه خوفا من تكليف نفسه بمكافأتي في الزيارة الاخ الصالح العالم الورع الشيخ شمس الدين الخطيب الشربيني المفتي بجامع الازهر وشارح المنهاج والتنبيه والشيخ الصالح الشيخ سراج الدين الحانوتي الحنفي والشيخ العلامة الشيخ نور الدين الطندتائي نفعنا الله تعالى ببركاتهم فاعلم ذلك واياك أن تحب تردد أحد من العلماء والصالحين اليك فانك لا تقدر على أن توفيهم حق طريقهم في المشي اليك فافهم ذلك والله عز وجل يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

عليه بمستغرب وفي بعض طرق هذا الحديث فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا وقلبا وعقلا ويدا ومؤيدا فان قلت فكيف يصنع بقوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فلم يستثن أحدا الا الرسول فاعلم اني سمعت شيخنا أبا العباس يقول وفي معناه أو صديق أو ولي فان قلت هذه زيادة على ما تضمنه الكتاب العزيز فاعلم انه اذا قيل ان السلطان لم يأذن اليوم الا للوزير وحده ربما دخل مماليك الوزير معه وكان الاذن لمتبوعهم اذنا لهم كذلك الولي اذا أطلعه الله على غيب من غيوبه فانما ذلك لانطوائه في جاه النبوة وقيامه بصدق المتابعة فما رأى ذلك بنفسه وانما رآه بنور متبوعه وأيضا ان الآية تشير الى نفي اطلاع العباد على غيب الله الا من أطلعه الله وبين سبحانه سبب اطلاعه من أطلعه على غيب من غيوبه وانما ذلك انما كان لانه مرتضى عنده بقوله الا من ارتضى وقوله من رسول خص الرسول بالذكر ولم يذكر النبي ولا الصديق ولا الولي وان كان كل منهم ممن ارتضى لان الرسول أولى بذلك مما سواه أمور تسهل عليك الايمان بكرامات أولياء الله وان لا تستكثرها عليهم الاول أن

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم نصبي على الناس بايهامهم اني أعرف علم الكيمياء بقصد اتلاف قلوبهم علي حتى أرشدهم الى سلوك طريق القوم كما عليه جماعة من برز وافي هذا الزمان من فقراء العجم بغير اذن من أشياخهم فضلا عن وقوع الاذن لهم من الشارع صلى الله عليه وسلم فان ذلك خروج عن الطريق وضلال للاتباع وقد أجمعوا على ان فساد الانتهاء من فساد الابتداء وربما تمادى الامر بالشيخ فتلف بالكلية وصار زغليا وقد أتلف هذا الباب خلائق لا يحصون وصار أصحابهم يجلبون أولاد المباشرين والتجار والعلماء الى أشياخهم ويقولون لهم شيخنا يقلب الاعيان ويجعل الرصاص ذهبا فيترك كون الاشتغال بالعلم أو بالتجارة التي بها قوام معاشهم ويصير أحدهم يجعل له عذبة وجبة بيضاء ويطلب من ذلك النصاب ما لا يصح له كالذي يطلب نتاجا من ركوب جمل على بغلة لا تلد فاياك يا أخي أن تفعل مثل ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) الهامي جوامع الكلم من التسبيح والاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشتغل بذلك اذا عزب عن علمي ما ورد عن الشارع صلى الله عليه وسلم في ذلك لاسيما كلما ضاق عمري أو ضاق زمن قراءة وردي في الليل أو النهار * فمما ألهمته لما دخلت سنة تسع وخمسين وتسعمائة اني أقول أول ورد الليل بسم الله الرحمن الرحيم على ايماني واسلامي واحساني ألف مرة فقلت لملك الالهام في نفسي لم قدمت لي الايمان على الاسلام ومرتبة الاسلام عند العلماء تكون قبل الايمان فقال لي اعمال الاسلام قد مضى حكمها وأنت فيها طول عمرك وما بقي الا الاعمال القلبية اذا لحكم لها عند طلوع الروح فقلت له فهل أنا من أهل الاحسان فقال نعم وكل مسلم له من مقام الاحسان نصيب كما في سائر مقامات الاولياء فلا يمكن تجرد مسلم من مقام من المقامات بالكلية وانما الناس لما قرنوا مقام الادنى بمن هو فوقه قالوا فلان ليس عنده خوف من الله أو ليس هو بزاهد في الدنيا أو ليس هو بخاشع لله ونحو ذلك والحال ان له نصيبا من كل مقام لكن بحسب ما أعطاه الله تعالى اه فقلت له هل يخرج شيء من الدين عن هذه المقامات الثلاثة الذي رقيناها ببسم الله الرحمن الرحيم ألف مرة فقال لا جميع ما يقرب الى الله جل وعلا يرجع الى الاسلام والايمان والاحسان فاتم الاهي وتوابعها فمن لقي الله تعالى بواحدة من هذه الثلاثة نجا من شدة العذاب بفضل الله تعالى واما مقام الايقان فليس ذلك مقام عمل * ومما ألهمته في السنة المذكورة أن أقول ألف مرة اللهم اني أسألك بك أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد وعلى سائر الانبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين وان تشغلني بك في الدارين على وجه الكشف والشهود دون الحجاب * ومما وقع لي في السنة المذكورة انه عزب عن علمي جميع ما ورد من أذكار الركوع فلم أستحضر من ذلك سوى قوله صلى الله عليه وسلم اما الركوع فعظموا فيه الرب وما عرفت بأي صيغة أعظمه فقيل لي قل سبحان من كان جميع ما عرفه الخلق كلهم من عظمته كذرة من البحر المحيط بالنسبة لما جهلوه أو كذرة في فضاء ليس له سماء ولا أرض * ومما ألهمته حين عزب عن علمي ما ورد من صيغ الاستغفار اللهم ان ذنوبي قد رجحت على ذنوب الاولين والآخرين ولكنها في جنب عفوك كلا شيء * ومما وقع لي حين عزب عن علمي صيغة الاستغفار لاخواني المسلمين اللهم اني أسألك بك أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد وعلى سائر الانبياء والمرسلين وان تغفر لنا ما مضى وان تحفظنا فيما بقي اللهم ان الاولين والآخرين حطوا رحالهم على ساحل بحر جودك وكرمك ينتظرون فضلك واحسانك فاجزل لنا ولهم المغفرة فان عظم المغفرة تابع لعظمة الذنب اللهم ان الاولين والآخرين من المسلمين قد غرقوا في بحر جودك وكرمك من حين أخرجتهم من العدم فلا تخرجهم منه أبد الآبدين ودهر الداهرين * ومما وقع لي وأنا طائف بالكعبة حين عزب عن علمي ما ورد من أذكار الطواف فقيل لي قل اللهم اني أسألك بك أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد وعلى سائر الانبياء والمرسلين وأن تجعل جميع حركاتي وسكناتي في حق نفسي وفي حق غيري سعيدة وكذلك فافعل بجميع اخواني اه قلت والمراد بملك الالهام ملك مغيب يعلمه العبد ولا يرى له شخصا بخلاف ملك الوحي فان النبي يراه ويسمع صوته كما مر تقريره مرارا فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

تعلم ان قدرة الله التي لا يكبر عليها شيء هي التي أظهرت الكرامة في هذا الولي فلا تنظر الى ضعف العبد ولكن انظر الى قدرة السيد فجحد الكرامة في الولي جحد لقدرة العزيز القدير وعمى منعك من شهود عظمة وصفه سبحانه الثاني انه ربما كان سبب انكار الكرامة استكثارها على ذلك العبد الذي أضيفت اليه وذلك العبد انما أظهرت الكرامة عليه شاهدة بصدق طريق متبوعه فهي بالنسبة الى من ظهرت عليه وهو ذلك الولي كرامة وهي بالنسبة الى من ظهرت ببركات متابعته معجزة فلذلك قالوا كل كرامة لولي فهي معجزة لذلك النبي الذي هذا الولي متبع له فلا تنظر الى التابع ولكن انظر الى عظيم قدر المتبوع الثالث ان تعلم ان الذي أعطاه الله سبحانه لاوليائه من الايمان واليقين مما أنت مصدق به ومثبت له أعظم مما استغربته وأنكرته من اطلاع على غيب أو طيران في الهواء أو مشي على الماء فمثلك اذا استغربت ذلك على المؤمن كمثل من يستغرب على عبد من خواص الملك اعطاه الملك سفطا مملوأ ياقوتا ثمينا علمت أنت به كل ياقوتة تضمنها ذلك السفط تساوي عشرة آلاف دينار ثم قال ذلك العبد الذي هو من خواص الملك أو قيل

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) حين دخلت سنة احدى وستين وتسعمائة ترادف رؤيتي للمشايخ الذين ادركتهم من علماء وصالحين وأمرهم لي بالتهيؤ للسفر الى الدار الآخرة حتى صرت لا أتهنى بنوم ولا بأكل ولا بشرب ولا أغسل عمامتي الا بعد أمرهم لي بغسلها من شدة الوسخ فرأيت سيدي الشيخ نور الدين الشونى رضي الله عنه وقال لي تهيأ للسفر وأكثر من التزود فانك راحل عن قريب ولا تستكثر لك عملا في جنب مرضاة الله عز وجل فقلت له فما رأيته من الله عز وجل فقال كل خير أعطاني الله تعالى مقاما عرفت منه تفاضل أعمال الخلائق فقلت له وما هو قال جعلني بواب البرزخ فلا يدخل أحد بعمل الى البرزخ الا عرفته وما رأيت في الاعمال الواردة علي أنور ولا أضوأ من عمل أصحابنا اه ورأيت الاخ الصالح الشيخ عبد القادر وقال لي تهيأ للسفر فانا كلنا نموت على رأس الثلاث والستين سنة ورأيت الشيخ الصالح سيدي أبا الحسن الغمري رضي الله عنه وقال لي قم معي نسافر فاجبته الى السفر ثم أتاني ثاني مرة فقال تهيأ ما تاخذ لك الا في السفرة الآتية ورأيت والدي سيدي خضرا الذي كفلني يتيما وقال لي شد مئزرك للسفر واشتر لك محزمين كل محزم ثلاثة أذرع وأخبرني بما وقع له من كرم الله عز وجل وكان كثير القيام في ليالي الشتاء الطويلة وما رأيت أحدا من هؤلاء الا وحصل لي من قوله رعب فان القدوم على الله تبارك وتعالى شديد على كل الناس فانه ان كان محسنا ندم وخجل من الله جل وعلا الذي لم يبذل طاقته كل البذل في مرضاته وان كان مسيئا ندم وخجل وصار كالمجرم الذي فسق في حريم الملك ثم أتوه به بعد سنين ليعاقبه على ما فعل من القبائح والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) نظري الى الوقت الذي أنا فيه دون الماضي والمستقبل فان الماضي قد ذهب بما فيه من خير أو شر وختم على صحيفته والمستقبل لا يدري العبد ما الله صانع فيه وما بقي الا الحالة الراهنة ولا يخلو العبد فيها من أن يكون مخاطبا فيها باحد ثلاثة أمور اما أمر يمتثله واما نهي يجتنبه واما قدر يرضى به وقد قال القوم الصوفي ابن وقته وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه استفدت من الصوفية طول صحبتي لهم شيئين قولهم الوقت سيف ان لم تقطعه قطعك وقولهم ان لم تشغل نفسك بالخير شغلتك بالشر اه أي لانها لا تترك نفسها مهملة طرفة عين من حين كلفت والمهتدي من هداه الله تعالى وقال تعالى فالهمها فجورها وتقواها أي ألهمها فجورها لتجتنبه وألهمها تقواها لتعمل بها ثم لا يخفى ان تفكر العبد فيما مضى من سيئاته ليستغفر منه لا باس به للمريدين بخلاف العارفين لان من اشتغل بالماضي ضيع وظيفة الوقت فان على العبد في كل نفس عبودية يؤديها وصاحب هذا المشهد لا يرى شيأ من عباداته يقضي اذا فات وبه قال بعض المالكية قال لان الوقت اذا ذهب فارغا ختم على صحيفته فارغة فلأي شي يطلب تفريغ محل ليملأ به محلا آخر والكل مناقش عليه ومحاسب به فلكل دقيقة من الدرجة من عمره دائرة ولكل ثانية منها دائرة ولكل درجة دائرة ولكل درجتين دائرة ولكل ساعة دائرة ولكل يوم دائرة ولكل جمعة دائرة ولكل شهر دائرة ولجميع عمر الانسان دائرة فلا يصح دخول عمل دائرة في دائرة أخرى كما يعرف ذلك أهل الكشف فوالله لقد خلقنا لامر عظيم وما منا أحد وفى بآداب عبوديته ولو ان العبد جعل بقية عمره كله استغفارا لما بقي ربما أنه لا يجبر خلل الذنوب الماضية فضلا عن الآتية فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) اني لا أنصح أحدا من أصحابي الا بما وردت به السنة ولا أقرهم قط على بدعة لا يعرفون موافقتها للشريعة وهذا من أكبر نعم الله تعالى علي خلاف ما أشاعه الحسدة عني وهم معروفون بين أصحابنا بالحسد حتى ان بعض طلبة العلم استفتى وجلس عندنا بعض أيام وليالي فلم يجد عند أصحابنا شيأ من البدع المنكرة وانما هم على الكتاب والسنة ثم انه ذهب الى مكان هؤلاء الحسدة فرآهم لا أوراد لهم لا صباحا ولا مساء وليس عندهم أحد يقرأ القرآن بل هم ينامون عن صلاة الصبح الى ضحوة النهار وهم غافلون عن الله تعالى في أكثر أوقاتهم مشغولون ببطونهم وفروجهم وملابسهم ونومهم على الفرش الوطيئة فقال لهم كذبتم والله فيما أضفتم الى فلان وأصحابه فانهم على السنة وأنتم على البدعة فاشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم ورميتم الناس بحجارتكم اه *وقد كنت كتبت لاصحابي عدة وصايا لا يكاد يخرج

عنه ان الملك قد أعطاه مائة دينار فاستغربت أنت ذلك فهل يستصوب استغرابك هذا ذو فهم ولب وما أكرم الله العباد في الدنيا والآخرة كرامة بمثل الايمان به والمعرفة بربوبيته لان كل خير من خيور الدنيا والآخرة فانما هو فرع الايمان بالله من أحوال ومقامات وأوراد وواردات وكل نور وعلم وفتح ونفوذ الى غيب وسماع مخاطبة وجريان كرامة وما تضمنته الجنة من حور وقصور وأنهار وثمار أو كان به أهلها فيها من رضى عن الله ورضى من الله ورؤية الله فكل ذلك انما هو نتائج الايمان بالله ووجود آثاره وامداد أنواره جعلنا الله واياك من المؤمنين بربوبية الايمان الذي رضيه لخاصة عباده وبسطنا واياك للتسليم في مراده واعلم ان من الناس من واجهه الخذلان من الله فانكر كرامات أولياء الله أصلا فنعوذ بالله من هذا المذهب وهو حقيق أن لا يذكر لكن سبب ذكره ليعلم ان الله اذا أراد أن يضل عبدا لم ينصره عقل ولم ينفعه علم قال الله سبحانه ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ وقال سبحانه فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم وقال تعالى وهو يجير ولا يجار عليه كذلك كانت الاحوال والاقوال والافعال ومراتب الانزال موقوفة على توفيقه لا توجب

شئ منها عن ظاهر الكتاب والسنة منها قولى لهم اتبعوا ولا تبتدعوا وأطيعوا ولا تمرقوا وتزهوا ربكم عن كونه تعالى ينساكم بلا رزق ولا تتهموا وصدقوه ولا تشكوا واصبروا على شدائد هذه الدار ولا تجزعوا واثبتوا على ذلك ولا تملوا واسألوا عن اللقمة وفتشوها ولا تسأموا وانتظروا فرج الله لكم عند البلايا ولا تيأسوا وتواخوا على الصفاء ولا تتباغضوا وازهدوا فى الدنيا ولا ترغبوا واجتمعوا على مجالس الخير ولا تفرقوا واسهروا فيها ولا تناموا وطهروا صحائفكم من الذنوب ولا تتدنسوا وتتلطخوا وتزينوا بطاعة ربكم وعن بابه لا تبرحوا وأقبلوا على حضرة ربكم وعنها لا تتولوا وعليكم بالتوبة عقب كل ذنب ولا تسوفوا واعتذروا الى ربكم ولا تغفلوا ويجمع هذه الجملة كلها أن تعملوا بعلمكم خالصا وعن نفوسكم لا ترضوا اهـ فان كان هذا كلام مبتدع فما بقى على وجه الارض أحد من أهل السنة فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) فرارى فى جميع الشدائد الى الله تعالى قبل جميع الخلق لعلمى بان بيده ملكوت كل شئ على الكشف والشهود وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على فان غالب الناس لا يرجعون الى الله تبارك وتعالى الا بعد الوقوف على الخلق على اختلاف مراتبهم فاذا وقفوا ولم يجدوا بيدهم قدرة على دفع ما نزل بهم رجعوا حينئذ الى الله عز وجل كما انهم اذا وقعوا فى معصية يشهدونها أولا من نفوسهم فاذا ندموا وذابوا من الخجل تذكروا ان ذلك كان مقدرا عليهم قبل أن يخلقوا فخف عنهم ذلك البلاء وهذا شأن عامة الناس الذين لم يدخلوا طريق القوم وأما ما قلناه أولا فهو خاص بمن دخلها * ومن جملة نعم الله جل وعلا بالمريد أنه يحبسه فى كل مقام حتى يتحقق به ثم ينقله الى أعلى منه وقد كان سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه يقول لعامة من حضر مجلسه وهو على الكرسى اذا نزلت باحدكم شدة فليتحرك فى دفعها بنفسه أولا فان لم تندفع استعان بغيره من الخلق كارباب المناصب وأبناء الدنيا فان كانت الشدة مرضا فى بدنه فليعرض نفسه على الاطباء من المسلمين فان لم يجد عند أحد من الخلق خلاصا رجع الى ربه عز وجل بالتضرع والدعاء والبكاء قال ومادام أحدكم يجد عند نفسه نصرة فلا حاجة الى الخلق ثم ان رجع الى ربه جل وعلا ولم يجد أمارات النصرة استطرح بين يديه بالافتقار والذل والبكاء والتضرع اهـ فانظر كيف خاطب العامة بالطريق البعيدة لانه لو أرشدهم الى الله ابتداء لم يقدر والغلبة استنادهم الى الخلق دون الخالق وسيأتى فى هذه المنن أن من أعون شئ على قضاء الحوائج من طريق الخلق انزال الحاجة بمن بصره مقصور على الدنيا وشهواتها من العباد والامراء وغيرهم فاذا سئل أحدهم فى حاجة توجه اليها بكل شعرة فيه لانه محجوب عن أحوال الآخرة بخلاف انزال الحاجة بمن خرق ببصره الى الدار الآخرة حتى رأى ما أعد الله تعالى فيها لمن صبر على الشدائد من الاجر والثواب العظيم فان كل شعرة فيه تصير تطلب دوام ذلك البلاء على ذلك الشخص ليحصل له ذلك الاجر والثواب العظيم فى دار البقاء وليس هذا مطلوب غالب الناس انما قصدهم قضاء حوائجهم فى الدنيا ولو نقص ذلك من درجاتهم فى الآخرة فافهم ذلك قال وقد يقع لبعض الاولياء انه يشتكى بعض المتجبرين للحكام شفقة منه عليه خشية ان يشكوه الى الله تعالى فيهلكه ويصير بعض الناس يعترض ويقول لو كان هذا من أولياء الله تعالى ما رفع أمره الى الحكام غفلة من المنكر عن مراد الاستاذ والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تربيته تعالى لى فى النوم واليقظة بروئيتى للعبر فى الدنيا فلا يقع بصرى على شئ الا واعتبر به من صبر وضجر وزهد ورغبة وشهود وغفلة وقد قمت ليلة فوجدت قساوة فى قلبى لم أعرف لها سببا فقيل لى فى المنام ان أردت حياة قلبك الحياة التى لا موت بعدها فاخرج عن الركون الى الخلق ومت عن هواك وارادتك فهناك يحييك الله عز وجل حياة لا موت بعدها ويغنيك غنى لا فقر بعده ويعطيك عطاء لا منع بعده ويريحك راحة لا تعب بعدها ويعلمك علما لا جهل بعده ويطهرك طهارة لا تدنيس بعدها ويرفع قدرك فى قلوب عباده فلا تحتقر بعدها قد ذهبت أيام المحن لك باجمعها وأتت أيام المنن باجمعها وهناك يتحرك عليك الحساد من كل مكان فعليك بالصبر انتهى فترانى بحمد الله تبارك وتعالى أرى نفسى فى يد القدرة كالطفل الصغير فى يد الظئر أو كالميت فى يد الغاسل أو كالصولجان فى يد الفارس وأصل نظرى للعبر كان على يد

الا فى موضع واحد فقال سبحانه وما توفيقى الا بالله والجالب للوفيق وعلامته صدق الرجعى الى الله فى أول كل فعل وترك بتحقيق الفقر والفاقة اليه والانغماس فى بحر الذلة والمسكنة بين يديه واستصحاب ذلك الى الفراغ ومن بعد ذلك أبدا وقد قال تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وقال انما الصدقات للفقراء والمساكين فلا يدخل جنة علمك وعملك وما أعطيت من نور وفتح فتقول كما قال من خذل فاخبر الله عنه بقوله ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا الآية ولكن ادخلها كما بين لك وقل كما رضى لك ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لا قوة الا بالله وافهم ههنا قوله صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة وفى رواية كنز من كنوز تحت العرش فالترجمة ظاهر الكنز والمكنوز فيها هو صدق التبرى من الحول والقوة والرجوع الى حول الله وقوته ومن أنكر كرامات الاولياء فالدلائل النقلية والعقلية ترد عليه ويخشى على من هذا مذهبه سوء الخاتمة ومن الناس فرقة أخرى صدقوا بكرامات

والدى الذى كفلنى يتيما كان يقول لى ما ثم شئ أبرزه الله تعالى الى هذا الوجود الا وفيه حكمة بالغة وأمرنى يوما بالوقوف على مَنْ يُقَوِّمُ الرماح على النار فوقفت فقال لى ما رأيت فقلت ما رأيت شيأ فقال يا ولدى أما تنظر أنه لا يعرض على النار الا المعوج وأما المستقيم فلا يعرضه على النار فاخذت من ذلك العبرة فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على ؑ) نفرة نفسى من الدنيا وأبنائها فلا أتمنى قط أن يكون شئ مما بايديهم فى يدى ولا ان يكون لى مثل ذلك أبدا وهذا من أكبر نعم الله تعالى على فان غالب الناس ينظر الى ظاهر الدنيا دون ما فى باطنها من السموم القاتلة والاباطيل والخداع والمصايد ولذلك تزاحموا عليها وتحاسدوا وتباغضوا وانقبضوا لفقدها وانشرحوا لوجودها ويَعُدُّ أحدهم اليومَ الذى يقومُ فيه من النوم ويجدُ عند رأسه شكارةً فيها عشرةُ آلاف دينار ذهبا يومَ عيدٍ وأنا بحمد الله تبارك وتعالى بالعكس من ذلك فانقبض اذا دخل على تنقّى من الدنيا فلا انشرحُ الا ان خرجَ وقد كان السلف الصالح كلهم على هذا القدم فكان الفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه يقول قد صرت أتقذر الدنيا كما يتقذر أحدُكم الجيفة اذا مر عليها مخافة ان تصيب ثوبه انتهى (وقد ذقت) بحمد الله عز وجل هذا المقام ولذلك ما أعلم أحدًا يكرهنى قط الا حسدا فانى لم يقع لى انى زاحمتُ أحدا على تدريس علمٍ ولا وظيفةٍ ولا تزوجتُ له امرأة فى حال حياته ولا غير ذلك فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على ؑ) حمايتى من كثرة الاتباع من الرعاع الذين يدعون محبتى وربما يتعصبون بالباطل على أقرانى ويفضلونى عليهم ولا ينتفعون منى بادب يسمعونه أو يرونه وكراهى الشديدة لاجتماعهم حولى اذا ركبت فى حاجة وفى ذلك عدة مفاسد منها اقامة الحجة عليهم عند الله تعالى بما يسمعونه أو يرونه منى ولا يعملون به (ومنها) ظهور شرفى على أقرانى بذلك عند الناس فان غالب الناس ليس عندهم شئ عظيم الا من كثرت أتباعُه وربما كانت أصبح ذلك الفقير الذى ليس حوله أحد أفضل من ذلك الشخص الكثير الاتباع (ومنها) تعرضُ من كثرتْ أتباعُه للنفى من بلده بحكم القانون فان بداية الخارجين عن طاعة السلطان الاعظم كان أولها كذلك فيتبع الناس الشيخ فى حجة الوعظ والتسليك فاذا تم انقيادهم له وصاروا يفدونه بارواحهم جاءهُم أبو مُرَّة فزيّن لهم معارضة السلطان فى أحكامه فى بلاده وأثاروا الغوغاء حتى ربما قتل أحد من جماعة السلطان فارسل السلطان بنفى ذلك الشيخ من بلاده أو بقتله مع جماعة من بلده كما وقع للشيخ على الكاز وانى فى حلب فلذلك كنت أحب لمشايخ العصر كلهم قلة الاتباع وأكره لهم كثرتهم خوفا عليهم من حصول الضرر لعدم وجود حال يحميهم من تصريف الولاة فيهم (وقد قالوا) من لم يكن له حال يحميه فليس له التظاهر بالشفاعات عند الولاة ولا معارضتهم فى أحكامهم على ان الشيخ الصادق لو فتش أتباعه فى جميع مصر ما وجد فيهم ثلاثة صادقين بدليل انه يلقن الالف نفس مثلا فلا يصح له واحد منهم فى الطريق فالحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على ؑ) كثرة اعتقادى فى أهل عصرى من العلماء والصوفية ولا أطالبهم قط بكرامة اذ لا يطلب الكرامة الا الشاك فيهم وأنا بحمد الله تبارك وتعالى ليس عندى شك فى علمهم ولا صلاحهم (ومعلوم) انه لا يطلب بالكرامة الا من قال لنا أنا صالح فاعتقدونى وأنا ما سمعت أحدا منهم قط يقول لاحد تعال اعتقدنى ولا أنا صالح ولو قدر أن أحدا دعا الناس الى اعتقادهم فيه لربما كان يسوغ للمتعنت ان يقول لاحدهم أظهر لى كرامة حتى أعتقدكم لانى بشر وأنتم بشر مثلى وما ثم تمييز الا باظهار الكرامات (وتأمل) يا أخى فى قول من قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه تجد ذلك القول لم يقع الا ممن عنده شك فى دينه (وانظر) كيف رد الله تعالى عليهم بقوله قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا ولم يبلغنا ان أحدا من المصدقين لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعنت عليه وطلب منه معجزة

أبو الحسن والله ما هى الا اسرائيلية صدقوا بموسى وعيسى عليهما السلام وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لانهم أدركوا زمنه وفرقة أخرى يصدقون بان فى مملكة الله أولياء لهم كرامات من غير أن يسلموا ذلك لاحد من أهل زمنهم معينا فكل من ذكر لهم انه ولى أو نسبت اليه كرامة دافعوا اثبات ذلك بمقاييس اقتضتها عقولهم المعقولة بعقال الغفلة المخدوعة بمتابعة الهوى فلن يجدى عليهم هذا التصديق وجود الاقتداء ولا اشراق نور الاهتداء اذ الاقتداء لا يكون بولى مجهول العين فى كون الله بل انما يكون الاقتداء بولى دلك الله عليه وأطلعك على ما أودعه من الخصوصية لديه فطوى عنك شهود بشريته فى وجود خصوصيته فالقيت اليه القياد فسلك بك سبيل الرشاد يعرفك برعونات نفسك وكائنها ودفائنها ويدلك على الجمع على الله ويعلمك الفرار مما سوى الله ويسايرك فى طريقك حتى تصل الى الله ويوقفك على اساءة نفسك ويعرفك باحسان الله اليك فيفيدك معرفة اساءة نفسك الهرب منها وعدم الركون اليها ويفيدك العلم باحسان الله اليك الاقبال

أبدا وهذا الخلق غريب فى أكثر اخواننا من الفقهاء سلفا وخلفا فلم يزل الواحد منهم يقول لا أعتقد فلانا الا ان أظهر لى كرامة من المكاشفة بما فى سرى أو من المشى على الماء أو طى الارض أو نحو ذلك وهذه كرامات لا يطلبها الا من عنده شك فى دينه من المبتدئين فى الطريق فيقوى بتلك الكرامة يقينه وأما من يعلم صحة شرعه فلا يحتاج الى نحو ذلك انما كرامته الاستقامة على الشريعة لا غير فهذه هى أعظم الكرامات كما قاله الجنيد وغيره فمن أراد من الفقهاء ان يصحب أحدا من هؤلاء القوم فليعاشره و ينظر فان رأى أفعاله وأقواله على الكتاب والسنة وعقيدته صحيحة فليصحبه والا فليتركه بعد ان ينصحه و بالجملة فلم يصد ابليس أحدا من الصالحين بمثل الانكار عليهم فترى أحدهم يرى صورة نفسه فى مرآة الصالح فيظن ان تلك الصفات الناقصة صفات الصالح والحال انها صفته هو (وممن أدركناه) من العلماء يعتقد مشايخ عصره من غير مطالبتهم بكرامة الشيخ نور الدين الطرابلسى الحنفى والشيخ ناصر الدين اللقانى المالكى والشيخ شهاب الدين الرملى الشافعى والشيخ شهاب الدين بن الشلبى الحنفى والشيخ كمال الدين الطويل والشيخ زكريا والشيخ نور الدين بن ناصر والشيخ عبد الحق السنباطى والسيد الشريف بزاوية الحطاب والشيخ شهاب الدين القسطلانى (فرأيت) أحدهم اذا دخل على الفقير الذى لا يصلح ان يكون من طلبته فى العلم يجلس بين يديه كالطفل يلتمس منه الدعاء حتى ان الشيخ ناصر الدين اللقانى قال لى يوما والله ما نصحب مثلكم الا ليأخذ بيدنا فى عرصات القيامة ولم أدخل عليه قط الا ونزل من على فراشه واقسم على بالجلوس عليه و يجلس بين يدى فعلم أن كل من أقام الميزان على فقراء عصره حرم مددهم و ربما مقت فلا يفلح بعدها أبدا وكان الفقراء يعتقدون العالم من غير مطالبته بدليل على صلاحه وعمله بعلمه فكذلك ينبغى له كذلك ان يفعل معهم وفى عصرنا هذا جماعة من الصوفية والعلماء العاملين ربما يكون المنكر عليهم لا يصلح تلميذا لهم كسيدى محمد ابن الشيخ أبى الحسن البكرى والشيخ سليمان الخضيرى والشيخ ناصر الدين الطبلاوى والشيخ زين سبط سيدى على المرصفى وقد عرضت هؤلاء على بعض المنكرين فقال لا أعتقد فى واحد من هؤلاء الا ان رأيت له كرامة فقلت له وأى كرامة أعظم من العلم والعمل فلم يرجع الى قولى فتركته (ولعمرى) من يرى مثل سيدى محمد البكرى و يسمع ما يتكلم به من العلوم والاسرار التى تبهر العقول مع صغر سنه ولم يعتقده فهو محروم من مدد أهل العصر كلهم فان سيدى محمدا هذا كسيدى عبد القادر الجيلى فى عصره من حيث الناطقة وعلو المرتبة فاسأل الله تبارك وتعالى ان يلهمنا زيادة الادب مع علماء عصرنا وأوليائه ولا يخالف بنا عن طريقهم آمين والحمد لله رب العالمين وسيأتى بسط هذا الموضع فى مواضع من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تقديم زاوية غيرى على زاويتى اذا شاورنى أحد فى وقف شئ على الفقراء فاقول له زاوية فلان أحق بذلك وأقيم له الدليل على ذلك كما وقع لى مع ابن عمر وابن بغداد لما أرادا ترتيب الخبز فقلت لهما ان جامع الغمرى وزاوية سيدى على المرصفى أحق وكما وقع لى ذلك مع الواقف على زاويتى القاضى عبد القادر القادرى فقلت له ان جامع المغاربة وجامع الميدان أحق ولم أر لهذا الخلق فى مصر فاعلا غيرى وذلك لان كل انسان مأمور بالنصح للامة فليس له أن يقدم نفسه بصدقة الا ان كان أحوج اليها ومتى قدم نفسه من غير ان يكون أحوج فقد غش وخرج عن الشريعة فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) غناى عن التطلع لما فى أيدى الخلائق من المناصب والمطاعم والملابس والنقود وغير ذلك وهذا من أكبر نعم الله تعالى على ور بما يدعى بعضهم ذلك والحال بخلافه فليمتحن المدعى هذا المقام نفسه فان رأى نفسه تحب التردد عليهم وتكره الانقطاع عنهم وهى طامعة فيما فى أيديهم ان يعطوها منه شيأ فهى كاذبة فى دعوى الغناء عن الخلق وقد كان سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه يقول من علامة الولى ثلاث الغناء عن الخلق والهوى والارادة مع الله تعالى ثم يقول فعلامة الهوى الاعتماد على الكسب والتعلق بالاسباب وعلامة الغناء عن الارادة أن لا يريد مرادا قط مع الله تبارك وتعالى فيكون مراده مراد الله تعالى وميزان الشريعة بيده لا يرميها من يده فيهلك انتهى وفى الحديث يقول الله عز وجل أنا عند

عليه والقيام بالشكر اليه والدوام على ممر الساعات بين يديه فان قلت فأين من هذا وصفه لقد دللتنى على أغرب من عنقا مغرب فاعلم انه لا يعوزك وجدان الدالين وانما يعوزك وجود الصدق فى طلبهم جد صدقا تجد مرشدا وتجد ذلك فى آيتين من كتاب الله تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه وقال تعالى فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فلو اضطررت الى من يوصلك الى الله اضطرار الظمآن الى الماء والخائف للامن لوجدت ذلك أقرب اليك من وجود طلبك ولو اضطررت الى الله اضطرار الام لولدها اذا فقدته لوجدت الحق منك قريبا ولك مجيبا ولو جدت الوصول غير متعذر عليك ولتوجه الحق بتيسير ذلك اليك فهذا الكلام فى طرفى الجواز والوقوع جميعا وذكر أعيان الكرامات التى اتفقت السلف رضى الله عنهم لا يستطاع حصرها وقد أشبع القول فيها الاستاذ أبو القاسم القشيرى فى رسالته وأفرد له بابا واعلم أن الكرامة تارة تظهر للولى فى نفسه وتارة تظهر فيه لغيره فان أظهرت للولى فى نفسه فالمراد تعريفه بقدرة الله وفرديته واحديته وان قدرته لا تتوقف على الاسباب وان العوائد هو حاكم عليها ليست هى حاكمة عليه وانما جعل العوائد المنكرة

المنكسرة قلوبهم من أجلى أى الذين كسرت ارادتهم البشرية وأزيلت شهواتهم الطبيعية واستؤنفت لهم ارادات ربانية وشهوات مستعارة اضافية كما قال صلى الله عليه وسلم حبب الىّ من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة فاخبر صلى الله عليه وسلم ان ذلك أضيف اليه بعد ان خرج عنه وزال عنه (فعلم) ان الحق تعالى لا يكون عندك الا بعد أن يكسر هواك وارادتك فانه هناك يجعل لك ارادة وهوى لا اختيار فيه لنفسك كما قال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به انتهى فمعنى المنكسرة قلوبهم من أجلى أى صار وا منكسرين القلب دائما تحت قهر ارادتى طوعا منهم لا يجبر لقلبهم كسرا أبدا حتى يلقونى فعليك يا أخى بالقناعة والاشتغال بالله تعالى عن نعيم الدارين فانه هو النعيم المطلوب للاكابر الباقى كما قال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى فافهم ذلك والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) دوامى على التقشف من أول عمرى الى وقتى هذا الذى هو أواخر عمرى وقل فقير يصح له ذلك لان الغالب بعد مجاهدة الفقير نفسه حصول الرياسة واذا حصلت الرياسة انقاد الخلق الى صاحبها وأتته الدنيا وهناك يقول له أبو مرة يا طول ما تعبت وسهرت وجعت وعطشت فتنداق النفس على كثرة الاكل والشرب كما قيل فى المثل بدوى مقروح ورأى تمر مطروح وقد عدوا من فسق العارف تبسطه فى المطاعم والملابس والمناكح بعد العرفان وقالوا أيضا ان نور المعرفة لا يطفئ نور الورع وفى بعض الآثار ما وسع الله على عبد دنياه الا نقص ذلك من مقامه فى الآخرة وان كان عند الله كريما وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى اذا أبغض الله عبدا وسع عليه دنياه وشغله بها عنه وكان سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه وجماعة ممن خرج عن هذه القاعدة فيأكلون ويلبسون ويتمتعون بالدنيا ولا ينقص لهم بذلك رأس مال كما يأتى ايضاحه أواخر الكتاب مع ان سيدى عبد القادر كان يقول كلما ارتفع الفقير فى مقام العرفان وجب عليه التفتيش فى مطعمه وملبسه وأعماله أكثر لان من عظمت مرتبته كبرت صغيرته وكان رضى الله تعالى عنه يقول لاصحابه اذا أكل أحدكم أو شرب أو لبس فليفتش ولا يغفل وليحذر ولا يركن فالحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) عدم افشائى ما أطلعنى الله تعالى عليه من طريق الكشف فى مستقبل الزمان من تولية الولاة أو عزلهم أو حصول غلاء أو قحط فلا يكاد احد يأخذ منى تعيين الوقت الواقع ذلك الامر فيه أدبا مع الله جل وعلا الذى اطلعنى على مثل ذلك وكان سيدى ابراهيم المتبولى رحمه الله تعالى يقول اذا أطلعك الله تعالى على سر فلا تخبر به أحدا فان الله عز وجل كل يوم هو فى شأن فى تغيير وتبديل وتحويل وأخبرنا انه يحول بين المرء وقلبه فربما يزيلك عما أخبرت به ويغيرك عما تخيلت ثباته وبقاءه فتخجل عند من أخبرته بذلك بل احفظ ما أطلعك الله تعالى عليه فى قلبك ولا تعده الى غيرك فان كان الثبات والبقاء علمت انه موهبة من الله عز وجل فتشكره وان كان غير ذلك كان فيه زيادة علم ومعرفة ونور وتيقظ وتاديب والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) عدم تسلقى على مقامات الصالحين وعدم تفعلى فى تحصيلها بالرياضة واستعمال الاسماء الالهية ونحو ذلك وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على لان فعلى ذلك مع غيرى من الخلق مذموم فكيف بالحق جل وعلا ومن أين للزبال أن يطلع الى السلطان ويقول اجعلنى أميرا عندك مع جهله بآداب الملوك ودنس ثيابه (وقد سمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من أقبح الذنوب عند الله تعالى القيام بين يديه فى الاسحار بالنفاق والخداع على نية أنه تعالى يعطيه مقاما فوق ما هو فيه وقد قال تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ فنكر تعالى شيأ فشمل كل شئ من جميع المخلوقات حتى الارادة والهوى والشهوة فانها من خلقه تعالى بيقين فلا يريد ولا يهوى شيأ دون الله تعالى فيكون مشركا وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا (قال) السيد عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه ليس المراد بالشرك فى هذه الآية عبادة الاصنام فقط وانما المراد ما هو أعم من ذلك من متابعة الهوى

الشيخ أبو الحسن فائدة الكرامة تعريف اليقين من الله بالعلم والقدرة والارادة والصفات الازلية بجمع لا يفترق وأمر لا يتعدد كأنها صفة واحدة قائمة بذات الواحد يستوى من تعرف الله اليه بنوره كمن تعرف الى الله بعقله ولاجل انها تثبت لمن أظهرت له ربما وجدها أهل البدايات فى بداياتهم وفقدها أهل النهايات فى نهاياتهم اذ ما عليه أهل النهايات من الرسوخ فى اليقين والقوة والتمكين لا يحتاجون معه الى تثبيت وهكذا كان السلف رضى الله عنهم لم يحوجهم الحق سبحانه الى وجود الكرامات الحسية لما أعطاهم من المعارف الغيبية والعلوم الاشهادية ولا يحتاج جبل الى مرساة فالكرامة دافعة لزلزلة الشك فى المنة ومعرفة بفضل الله فيمن أظهرت عليه وشاهدة له بالاستقامة مع الله سبحانه والناس فى الكرامات على ثلاثة أقسام قوم يجعلونها غاية الامر فان وجدوها عظموا من أظهرت عليه وان فقدوها لم يتوجهوا بالتعظيم اليه وقسم قالوا وما هى الكرامة انما هى خدع يخدع بها أهل الارادة ليقفوا على حدودهم حتى لا يلجوا

وأن يختار العبد مع ربه شيأ سواه الا باذنه سواء الدنيا وما فيها والآخرة وما فيها فان كل ما سواه عز وجل فهو غيره فاذا ركن العبد الى غير الله تبارك وتعالى من مقام أو حال فقد أشرك بالله غيره (وسمعت) شيخنا شيخ الاسلام زكريا رضى الله تعالى عنه يقول كان نبينا عليه الصلاة والسلام أكثر عبادة من موسى عليه الصلاة والسلام وأكثر شوقا الى رؤية الله عز وجل بما يتقارب ومع ذلك فلم يقل رب أرنى أنظر اليك بل لزم الادب حياء من الله تعالى حتى دعى للرؤية وأرسل له الملك بالبراق هذا وان كان ثم مقام فى الرسالة يقتضى طلب الرؤية فثم مقام رفيع وأرفع وذلك أنه قد يكون عرض الملك على عبده الشئ خديعة ليرتب عليه ما سبق فى علمه انتهى (وفى كلام) سيدى الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه فى كتابه فتوح الغيب اذا أقامك الله تعالى فى حالة فلا تطلب الانتقال منها الى ما هو أعلى منها أو أدنى بل تربص حتى يكون الحق تعالى هو الذى ينقلك بغير ارادة منك واذا أوقفك بالباب فلا تطلب الدخول الى الدار واصبر حتى تدخل اليها بعد تكرر الاذن لك بالدخول واياك أن تقنع بمجرد الاذن لك بالدخول مرة واحدة لجواز أن يكون ذلك مكرا وخديعة من الملك فاذا كان الدخول جبرا محضا وفضلا من الملك فحينئذ لا يعاقبك الملك على الدخول وانما تتطرق العقوبة اليك بشؤم اختيارك وشرهك وقلة صبرك وسوء أدبك وتركك الرضا بحالتك التى أقامك الحق تعالى فيها ثم اذا أدخلك الملك الدار بالاذن فكن مطرقا برأسك غاضا بصرك متأدبا ناظرا لما تؤمر به من الخدمة فتبادر الى ذلك غير طالب للترقى الى الدرجة العليا قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم الآية فنهاه عن الالتفات الى غير الحالة التى هو فيها ثم ان العبد الطالب للانتقال من حال الى حال لا يخلو اما أن يكون ذلك الامر قسم له أو قسم لغيره أو لم يقسمه الله لاحد بل أوجده الله تعالى فتنة فاما المقسوم فهو واصل الى العبد لا محالة فى الوقت الذى جعله الحق تعالى فيه فلا ينبغى له أن يظهر الشره وسوء الادب فى طلبه وأما المقسوم لغيره فلم يتعب نفسه فيما لا يناله ولا يصل اليه وان كان لم يقسم لاحد وانما جعله الله تعالى فتنة فكيف يرضى العاقل أن يستجلب لنفسه الفتنة وإيستحسنها فاذن الخير والسلامة فى حفظ الحال ثم اذا رقيت بعد الدار الى الغرفة ثم منها الى السطح فكن كما ذكرنا من الادب والاطراق بل يتضاعف ذلك منك لانك صرت أقرب الى حضرة الملك فاياك وطلب الانتقال الى محل أقرب من ذلك الا ان أعلمك الملك ان تلك الدرجة أو المقام الذى تطلب الانتقال اليه قد وهبه الحق تعالى لك بعلامات وآيات انتهى كلام سيدى عبد القادر رضى الله تعالى عنه وأرضاه وهو كلام فى غاية النفاسة فتدبره والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) وقوع الخوف منى تارة بعد أخرى من الله عز وجل حتى أكاد أهلك ووجود الرجاء منه حتى أكاد لا أخاف وأهل الطريق يسمون ذلك من تجلى الجلال والجمال يعنى الجلال الممزوج بالجمال والا فغير الممزوج لا يطيقه أحد فى الدنيا وقد كان صلى الله عليه وسلم اذا تجلى على قلبه الجلال يصير يسمع من صدره أزيز كأزيز المرجل فى الصلاة من شدة الخوف ونقل مثل ذلك عن السيد ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام أيضا وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وأرضاه فكان يسمع من صدر الخليل صوت كغليان القدر على النار من مسيرة ميل وكان صلى الله عليه وسلم يقول لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش وكان اذا تجلى لقلبه صلى الله عليه وسلم شئ من تجلى الجمال يمتلئ نورا وسرورا وملاطفة وأنسا وكل وارث من أمته صلى الله عليه وسلم له نصيب من هذين التجليين فتجلى الجلال يورث الخوف والقلق والوجل المزعج وتجلى الجمال يورث الانس والسرور وقد عجل الله عز وجل لخواص عباده نصيبا مما جعله لهم فى الجنة من تجلى الجمال رحمة بهم لئلا تنفطر مرائرهم فيهلكوا أو يضعفوا عن القيام بآداب العبودية لما عندهم من شدة الشوق والمحبة فالحمد لله الذى منّ علينا باقتفاء آثارهم فى ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) كثرة الاستغفار اذا وافقت نفسى فى هواها المباح خوفا من أن يجرنى ذلك الى مكروه والعلم بان النفس عدوة لله عز وجل فمن أطاعها عصاه الكون كله ومن خالفها وأطاع

ربه

مقاما ليس هو لهم حتى قال أبو تراب النخشبى لابى العباس الرقى ما تقول أصحابك فى هذه الامور التى يكرم الله بها عباده فقلت ما رأيت أحدا الا وهو يؤمن بها فقال من لم يؤمن بها فقد كفر انما سألتك من طريق الاحوال فقلت ما أعرف لهم قولا قال بل قد زعم أصحابك انها خدع من الحق وليس الامر كذلك انما الخدع فى حال السكون اليها فاما من لم يفرح بها ولم يساكنها فتلك مرتبة الربانيين وكان هذا من أبى تراب بعد ان عطش أصحابه فضرب الارض فنبع الماء فقال فتى هنالك أريد ان أشرب فى قدح فضرب بيده الارض وناوله قدحا من زجاج أبيض فشرب وسقانا قال أبو العباس الرقى ومازال القدح معنا الى مكة والقول الفصل فى ذلك انه لا ينبغى ان تطلب أدبا مع الله ومن أظهرت عليه عظم لانها شاهدة له بالاستقامة مع الله القسم الثالث وهو أن تظهر الكرامة فى الولى لغيره فالمراد بذلك تعريف العبد الذى شهدها بصحة طريق هذا الولى الذى ظهرت عليه الكرامة اما أن يكون جاحدا فيرجع الى الاعتراف أو كافرا فيعود الى الايمان أو شاكا فى خصوصية ذلك العبد فاظهرت عليه ليعرفك الله بما فيه من ودائع الاحسان وقد انبسط الكلام فى

ربه أطاعه الكون كله لانه كله يرضى لرضا الله جل وعلا ويغضب لغضبه الا من شاء الله ممن لا عبرة به وقد أوحى الله تبارك وتعالى الى داود عليه السلام يا داود كن خصما لى على نفسك فاذا فعلت ذلك حققت موالاتك لى انتهى وقد قال رجل لابى يزيد أوصنى فقال عاد نفسك فان بذلك تصح موالاتك لله وعبوديتك له وتاتيك الاقسام هنيأ مريأ وأنت عزيز مكرم وتخدمك الاشياء وتعظمك لانها باجمعها تابعة لربها موافقة له ونقل عن أبى يزيد انه قال رأيت ربى فى المنام فقلت له يا رب كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك وتعال قال أبو يزيد فانسلخت من نفسى كما تنسلخ الحية من جلدها انتهى والمراد بترك النفس ترك العمل بخواطرها المذمومة فى الشرع فان عرضتها على الشرع فلم يظهر لك موافقة ولا مخالفة فتوقف عن العمل ولا تبادر اليه لانك لا تدرى ما عاقبته وما يؤل الامر اليه فيه ولاهل الحق علامات فى كل خاطر يعرفونها بقلوبهم وان خفى ميزانها على غيرهم فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حفظه تعالى لفرجى عن الفواحش والاحتلام من حين بلغت حد الشهوة الى ان صار عمرى نحو ثلاثين سنة وذلك لانه لم يكن لى وقت اسعى فيه على العيال لاشتغالى بالعلم وقل من يقع له الحفظ عن الفواحش فى مثل هذه المدة فالحمد لله الذى حمانى من ذلك حتى تزوجت فاصبر يا أخى على العزوبة مستندا الى قوة الله تعالى لا الى نفسك فانه لا بد للصابر من أحد الشيئين اما بأن يعطيه الله سؤله واما بان يحول من قلبه شهوة ذلك ثم ان رأيت يا أخى الشهوة غالبة عليك فتزوج ولو بالدين حفظا لنفسك من الوقوع فى الفواحش وان استطعت الصوم كان ذلك أعون لك وأفضل من التزوج بالدين وقد كان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يأمر العازب بالجوع وتارة يعطيه حبلا يشد به وسطه فما دام وسطه مشدودا به لا يحتاج الى نكاح وان قال له الشخص أريد أن لا تنتشر لى جارحة مدة عمرى مسح على ظهره فلا تنتشر له بعد ذلك جارحة وكذلك كان سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يفعل على أن الشيخ كان لا يفعل ذلك الا مع من كشف له عنه انه ليس فى صلبه ذرية وقال له رجل مرة أريد أن أتزوج فقال له هل تزوجت فقال نعم وطلقتها فقال حصلت السنة لا تتزوج فقال له فقيه تنهاه عن السنة فقال له الشيخ ما تذكرت الا كونه سنة أما تنظر الى ما يقع فيه من أكل الحرام والشبهات ثم قال من أشار على شخص بالتزوج فى هذا الزمان وليس له كسب فكأنه يعلمه خطف عمائم الناس والنصب والحيل والغش وان كان متعبدا أكل بدينه فاعمل يا أخى على تحصيل الكسب من الحلال وتزوج والا فعش عزبا والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم اشتغالى بالنعمة عن المنعم سبحانه وتعالى وذلك من أكبر نعم الله عز وجل على فقل من لا تشغله النعمة عن المنعم والمعين لى على ذلك شهودى عدم ملكى لما خولنى الله تعالى فيه من الاطعمة والملابس انما أنا عبد آكل من مال سيدى وأسكن فى داره ولا أتذكر قط انى بنيت دارا وأعجبتنى ولا لبست جوخة وأعجبنى سجافها ولا لونها بحيث يشغلنى ذلك عن ربى وفى كلام سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه احذر أن تشتغل بما أعطاك الله من المال عن طاعته فيحجبك بذلك عنه دنيا وأخرى وربما سلبك ذلك المال وأفقرك وغيرك عقوبة لك واعلم انك اذا اشتغلت بطاعته تعالى عن ذلك المال فهو موهبة من الله تعالى لك وليس هو من المال المذموم فيكون المال خادمك وأنت خادم المولى جل وعلا فتعيش فى الدنيا مدللا وفى الآخرة مكرما انتهى فاياك ان تسأل الله تعالى دنيا الا مع التفويض الى الله عز وجل لتأمن من الآفات وأما اذا أعطاك الله تعالى شيأ من غير سؤال فذلك مبارك وعاقبته حميدة وليس عليك فيه حساب ان شاء الله تعالى يوم القيامة كما قال به بعضهم لكونه جاء من غير استشراف نفس والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على دائما) من صغرى عدم اختيارى جلب نعمى أو دفع بلوى وذلك لعلمى بنور الايمان وسر الايقان أن النعمى ان كانت قسمت لى فهى واصلة الى ولو رددتها لا ترتد وكذلك البلوى هى حالة بى لا محالة ان كان الحق تعالى قد قضاها على لا ترتد بالرد وما بقى الا الصبر والتجلد لما قدر الله تعالى على العبد وان كانت المدافعة مشروعة ثم بعد ذلك ان حصلت النعمى وجب على العبد الشكر وان حصلت البلوى وجب

الانوار وهذا أوان ابتدائنا بما قصدنا واظهارنا ما اليه عمدنا والله هو القائم بالبيان وهو ولى الفضل والاحسان له الحمد كما يجب لجلاله والشكر لتوالى نعمه وافضاله وهو حسبنا ونعم الوكيل

أما الكتاب فهو ينقسم كما تقدم الى عشرة أبواب

(الباب الاول)

فى التعريف بشيخه الذى أخذ عنه هذا الشأن وشهادة من عاصره من أهل زمنه من العلماء الاعيان انه قطب الزمان والحامل فى وقته لواء أهل العيان هو الشيخ الامام حجة الصوفية علم المهتدين زين العارفين أستاذ الاكابر والمتفرد فى زمنه بالمعارف السنية والمفاخر العالم بالله والدال على الله زمزم الاسرار ومعدن الانوار القطب الغوث الجامع تقى الدين أبو الحسن على بن عبد الله ابن عبد الجبار بن تميم ابن هرمز بن حاتم بن قصى بن يوسف بن يوشع ابن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى ابن محمد بن الحسن بن على بن أبى طالب عرف بالشاذلى منشؤه بالمغرب الاقصى ومبدأ ظهوره بشاذلة بلدة على القرب من تونس واليها نسب له

ذو علوم جمة ذكره الشيخ صفى الدين بن أبى المنصور فى كتابه وأثنى عليه الثناء الكثير وذكره الشيخ قطب الدين بن القسطلانى فى جملة من لقيه من المشايخ وأثنى عليه وذكره الشيخ أبو عبد الله بن النعمان وشهد له بالقطبانية وذكره الشيخ عبد الغفار بن نوح رضى الله عنه فى كتاب التوحيد وأثنى عليه لم يختلف فى قطبانيته ذو قلب مستنير ولا عارف بصير جاء فى هذا الطريق بالعجب العجاب وشرع من علم الحقيقة الاطناب ووسع للسالكين الرحاب حتى لقد سمعت الشيخ الامام مفتى المسلمين تقى الدين محمد بن القشيرى يقول ما رأيت أعرف بالله من الشيخ الشاذلى وأخبرنى الشيخ العارف مكين الدين الاسمرانه قال حضرت بالمنصورة فى خيمة فيها الشيخ الامام مفتى الانام عز الدين بن عبد السلام والشيخ مجد الدين على بن وهب القشيرى المدرس والشيخ محيى الدين بن سراقة والشيخ مجد الدين الاخميمى والشيخ أبو الحسن الشاذلى ورسالة القشيرى تقرأ عليهم وهم يتكلمون والشيخ أبو الحسن صامت الى ان فرغ كلامهم فقالوا ياسيدى نريد أن يشهد

عليه الصبر واياك أن تطلب رفع الاقدار بالدعاء الا بما ورد وأطفئ نار البلوى بماء الصبر وبرده فليست نار البلية أعظم من نار جهنم وقد ورد فى الحديث ان جهنم تقول للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى وايضاح ذلك ان نور المؤمن الذى يطفى به نار جهنم يوم القيامة هو نوره الذى كان معه فى الدنيا فليطفئ به لهب البلوى مادام فى دار الدنيا ثم لا يخفى ان البلية لم تأت العبد فى دار الدنيا لتهلكه وانما اتته لتختبره وتحقق صحة ايمانه عند نفسه وتؤيد قاعدة يقينه والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) من حين بلغت سن الاربعين سنة عدم شهوة أعضائى للمعصية أو تحديث نفسى بها وذلك من أكبر نعم الله عز وجل على فتسترخى مفاصلى كلها اذا جلست عندى امرأة جميلة معطرة وسمعت سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول مرارا لا يكمل الفقير فى مقام الحفظ من الله تبارك وتعالى حتى يكون سمعه عند الغيبة والفحش كأنه أصم خلق على ذلك وبصره عند رؤية ما لا يحل له كأنه معصوب أو مرمود أو أكمه مطاوس وشفتاه عند القبلة كأنهما مقرحتان كالدمل ولسانه عند الكلمة القبيحة كأن به خرسا واسنانه عند ما فيه شبهة من الطعام والشراب كأن بها ضربانا وبثورا ويداه عند ارادة البطش لغير حق كأن بهما شللا ورجلاه عند المشى لما لا يحل كأن بهما رعدة وارتعاشا وجروحا وفرجه عند الزنا كأن به عنة أو دمامل قرحته فلا يستطيع احدا أن يلمسه وبطنه عند ارادة الشبع من الحلال كأن به امتلاء وارتواء وعقله عند التفكر فيما لا يحل له كأنه مخبول مجنون وجملة الامر ان يرى جسده كله عند ما لا يحل كأنه ميت اه وهذا كله هو معنى قول الجنيد رضى الله تعالى عنه وأرضاه ليكن بدنك حيا عند طاعة الله تعالى وميتا عند معصية الله جل وعلا والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من انتظار رزق معين يومى أو جمعى أو شهرى أو سنوى انما يبتدئنى الحق جل وعلا بالرزق من غير تطلع الى حصوله اللهم الا ان علمت بالالهام الصحيح انه رزقى ليس لاحد فيه نصيب فحينئذ لى أن أطلبه بواسطة وبلا واسطة اذا احتجت اليه تعجيلا لشهودى فضل ربى على متجردا لا لعلة أخرى وهذه النعمة من أكبر نعم الله عز وجل على ولا يصل العبد لها الا بعد خلوصه من الاعتماد على الخلق والاسباب والحرف والصنائع لان العبد مادام متكلا على الخلق لا يستحق عادة ان يبدأه الحق تعالى بفضل ولا نعمة الا استدراجا والعياذ بالله تعالى اذ الخلق حجاب ومادام العبد واقفا مع الخلق راجيا لعطائهم وفضلهم سائلا لهم مترددا الى أبوابهم معرضا عن التوكل على الله تعالى فهو مشرك بالله عز وجل خلقه فى رزقه حتى الناظر والجابى اذا طالبهما بمعلومه بقلبه ولم يشهد ذلك من فضل الله تبارك وتعالى حال المطالبة هو شرك بالله تعالى فى طريق الارتزاق ومثل هذا يستحق ان يعاقب بحرمان الاكل من حيث لا يحتسب أو من عمله الحلال كالتجارة بمال حلال أو عمل الحرفة السالمة من الغش ثم اذا تاب العبد من الاعتماد على الكسب وخلص من هذا الشرك استقبله شرك آخر أخفى منه وهو اطمئنان قلبه الى الكسب الحلال ونسيان ان ذلك من فضل الرب وهنالك ربما عاقبه الله تعالى بحجابه عن شهود فضله وعن البداءة به ثم ان تاب من ذلك وأزال ذلك الشرك من الوسط ورأى الفضل والنعمة من الله تبارك وتعالى وحده من غير شهود الواسطة من قوة أو كسب بان يرى طريق التكسب لا أثر لها فى تحصيل رزقه ووصوله اليه فهنالك يبدؤه الحق تعالى بالعطايا والمنح وهذا هو رزق المؤمن الكامل الذى يأتيه من حيث لا يحتسب وهو معتمد على سبب من الاسباب فيشرك بالله تعالى من حيث لا يشعر ثم هذا الامر لا يكون الا لخواص عباده لانه تعالى يغار عليهم أن يعتمدوا أو يلتفتوا لاحد سواه الا عن اذنه فيصير رزقهم فى الدنيا كحالهم فى الجنة على حد سواء ليس لاحد من الخلق فيه منة فاسأل الله سبحانه وتعالى من فضله أن يثبتنا على هذا المشهد الى الممات والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) معرفتى له سبحانه وتعالى المعرفة الثابتة التى لا تزلزلها الادلة ويعبر عن ذلك بالوصول الى حضرة الله عز وجل ومعنى ذلك وصول العبد الى حضرة يشهد فيها ان لا فاعل الا الله عز وجل ولا رازق الا الله تبارك وتعالى ولا محيى ولا ممت الا الله جل وعلا وهكذا ويغنى عن شهود الخلق والهوى ولا

يشهد فى الكون الا أفعاله وخلقه وحده لا مشارك له فى ذلك فليس الوصول الى الله جلا وعلا مثل الوصول الى خلقه كما قد يتوهمه أصحاب العقول الضعيفة المحجوبة بسبعين ألف حجاب ليس كمثله شئ وهو السميع البصير فعلم ان كل من ادعى معرفة الله جل وعلا وزلزلته الادلة فهو لم يشم من المعرفة رائحة لانه كل وقت يترك اعتقادا ويعتقد آخر كالمجتهد اذا ظهر له وجه الدليل فى أمر آخر فانه يتركه ولو انه قيل له اثبت على الاول لا يقدر والفرق بين معرفة أهل الله عز وجل ومعرفة غيرهم ان جميع تعرفات أهل الله تعالى يرضى بها الله جل وعلا لانها بتعريفه بخلاف تعرفات الافكار لان الافكار لا تقدر ترقى عن الكون أبدا فافهم على ان لكل مخصوص تعريفا على حدة لا يشاركه فيه غيره فله تبارك وتعالى مع كل واحد من رسله وأنبيائه وأوليائه سر من حيث هو لا يطلع على ذلك أحد غير صاحبه حتى انه قد يكون للمريد سر لا يطلع عليه شيخه وللشيخ سر لا يطلع عليه غيره * وقد قلت مرة لسيدى على الخواص رحمه الله تعالى اذا بلغ المريد مقام العرفان هل يستغنى عن شيخه فقال اذا بلغ المريد مقام شيخه أفرد عن شيخه وقطع عنه فيتولاه الحق جل وعلا فيفطمه عن الخلق جميعا ما عدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يمكن رفع واسطته أبدا ويصير الشيخ بعد فطام الحق جل وعلا لهذا المريد كالظئر والداية ويؤيده حديث لا رضاع بعد الحولين فقلت له فاذن الشيخ يحتاج اليه مادام عند المريد هوى أو ارادة دون الله عز وجل فقال نعم ليكسرهما عنه فاذا كسرهما عنه وزالا فلا كدورة هناك ولا نقصان انتهى ثم من علامة صحة الوصول على ما قررناه وبيناه كون العبد لا يصير عنده خوف من الخلق كلهم لا من سلطان جائر ولا حية ولا سبع ولا نحو ذلك ولا يرى لغير ربه ضرا ولا نفعا ولا عطاء ولا منعا بل يصير أبدا آمنا مما سوى ربه ناظرا الى فعل ربه مترقبا لامره مشتغلا بطاعته مباينا لجميع خلقه دنيا وأخرى من حيث ترك اعتماده عليهم دون الله تعالى لا يعلق قلبه باحد منهم فالخلق كلهم عنده كرجل كتفه السلطان وصلبه ثم جلس على كرسى مملكته أو غيره وأمر جميع عبيده أن يضربوا ذلك المكتوف بالنشاب والرماح فهل يليق بعاقل ان يترك السلطان ويسأل ذلك المصلوب فى حاجة من حوائجه أو يخافه أو يرجوه لا والله فهكذا الصادقون لا يخشون أحدا الا الله جل وعلا فليفتش من يدعى العرفان نفسه فربما كان يعول على الخلق فى شئ من أموره وقد أنشدوا

وكل يدعون وصال ليلى * وليلى لا تقر لهم بذاكا

فنعوذ بالله من العمى بعد الابصار ومن القطع بعد الوصل ومن الصدود بعد القرب ومن الضلالة بعد الهداية ومن الكفر بعد الايمان انه هو المنعم المنان والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) كتمان ما يصيبنى فى باطنى من البلايا والمحن عن الخلق فلا أذكر ذلك لعدو ولا صديق وفى بعض الاوقات يقع الحريق بباطنى حتى يصير الدخان يخرج من أنفى ومن فمى مثل دخان الحطب والحلفاء فلا اطلع أحدا منهم على سببه وكثيرا ما يأتونى بالطبيب فلا يعرف أن يشخص لى مرضا وكان على هذا القدم سيدى الشيخ نور الدين الشونى رضى الله تعالى عنه وأرضاه مكث ملقى على ظهره فى مرض الموت سبعا وأربعين يوما حتى انتثر لحم ظهره وصار النمل يدخل فى لحمه طوائف طوائف وما سمعته قط يقول آه ولا سأله أحد كيف حالك الا قال أنا طيب بخير انتهى والرجال لا تظهر مراتبها الا فى الشدائد (واعلم) يا أخى ان قولك أنا طيب أى طيب الاعتقاد مع شدة المرض والالم أو أنت كاذب خير من شكواك من ربك وأنت صادق فكم من نعمة عندك لربك وأنت لا تعرفها وفى الحديث الشريف ان فى المعاريض مندوحة عن الكذب * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا تسكن الى أحد من الخلق ولا تستأنس به ولا تطلعه على ما أنت فيه الا من أذن لك فيه شرعا ولكن أنسك بالله وسكونك اليه وشكواك منه اليه فانه ليس فى يد أحد سواه ضر ولا نفع ولا جلب ولا دفع ولا عز ولا ذل ولا خفض ولا رفع ولا غير ذلك من سائر الامور الواقعة فى الكون انتهى (فاياك) يا أخى أن تشكو ربك عز وجل وأنت معافى أولك قدرة على تحمل ذلك البلاء بالقوة التى قواك الله تعالى بها فتقول ليس عندى قوة ولا قدرة أو تشكوه لخلقه وعندك نعمة أنعم بها عليك وتقصد بتلك الشكوى الزيادة من النعمة وأنت متنعم بما له عندك من النعمة والعافية احتقارا لهما فانه تعالى ربما غضب

نسمع منك فقال أنتم سادات الوقت وكبراؤه وقد تكلمتم فقالوا لا بد أن نسمع منك قال فسكت الشيخ ساعة ثم تكلم بالاسرار العجيبة والعلوم الجليلة فقام الشيخ عز الدين وخرج من صدر الخيمة وفارق موضعه وقال اسمعوا هذا الكلام الغريب القريب العهد من الله وأخبرنى الشيخ أبو عبد الله بن الحاج قال أخبرنى الشيخ أبو زكريا يحيى البلبيسى قال صحبت الشيخ أبا الحسن الشاذلى ثم سافرت الى الاندلس فقال لى الشيخ أبو الحسن عند وداعى اياه اذا وصلت الى الاندلس فاجتمع بالشيخ أبى العباس ابن مكنون فانه اطلع على الوجود وعرف حيث هو ولم يطلع الناس على أبى العباس فيعلموا حيث هو قال فلما جئت الى الاندلس جئت الى الشيخ أبى العباس بن مكنون فحين وقع بصره على قال ولم يعرفنى قبله جئت يا يحيى حييت الحمد لله على اجتماعك بقطب الزمان يا يحيى الذى أخبرك به الشيخ أبو الحسن لا تخبر به أحدا وأخبرنى رشيد الدين بن الرايس قال تخاصمت أنا وبعض أصحاب الشيخ فاتيت الى الشيخ أبى الحسن فذكرت مقالتنا له فقال الشيخ كنت تقول له أنا رباني القطب ومن رباه القطب رباه أربعون بدلا وأخبرنى والدى رحمه الله قال دخلت على

عليك وحقق شكواك وأزال عنك النعمة والعافية وضاعف عليك البلاء وشدده عليك بل مقتك وقلاك واسقطك من عين رعايته فاحذر من الشكوى للخلق جهدك ولو قطعت وقرض لحمك بالمقاريض ان أردت أن تكون من أهل هذا المقام والسلام فان أكثر ما ينزل بابن آدم من البلاء من جهة شكواه وكيف يشكو العبد من هو أرحم به من والديه فارض بما قدره عليك وتأمل قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم الآية فطوى عن العبد علم حقائق الامور وعواقبها وحجبه عن ذلك فابقى معه الايمان بانه أرحم به من أمه فلا ينبغي له ان يسيء الادب فيكره بنفسه ويحب بنفسه بل يجب عليه اتباع الشرع في جميع ما ينزل به ان كان في حالة التقوى التي هي المرتبة الاولى كما انه يجب عليه اتباع الامر الالهي ان كان في مقام الولاية وهو القدم الثاني كما انه يجب عليه الرضا بالفعل ظاهرا وباطنا ان كان في مقام العرفان فتنح يا أخي عن طريق القدر وخل عن سبيله فان الله تبارك وتعالى أعلم بك وبمصالحك وأحد الله رب العالمين على كل ما أنزله عليك (واعلم) يا أخي أنه لا يطأ بساط الحضرة من هو متلطخ بالذنوب والسيئات والمعاصي والخطيئات كما لا يدخل حضرة ملوك الدنيا من ثوبه متلوث بالانجاس والنتن والاوساخ فقد يريد بك بانزاله البلايا والامراض بك أن يطهرك من الانجاس والادناس حتى تصلح لدخول حضرته فانك تدنست بالذنوب بيقين ولا يمكنك دخول الحضرة وأنت متلطخ بالقذر لانها حضرة لا يدخلها الا طيب طاهر مطهر من سائر المخالفات حتى من درن الدعاوى والهوسات (فاياك) أن تتكدر من البلايا والمحن فانها مكفرات مطهرات وتجلد لها يا أخي ولا تضجر كما تتجلد لشرب الدواء الكريه لما تعلم من تنقية باطنك من الطبيعة القذرة المنتنة التي يصعد بخارها الردي الى رأسك فيصدعه فاعلم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علي) اني لا أعد أحدا بوعد الا مع التفويض الى الله تبارك وتعالى وطلبي منه أن يعينني على الوفاء به *وفي وصية سيدي الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه اذا كنت ضعيف الايمان واليقين وعدت بوعد فوف بوعدك ولا تخلفه لئلا يذهب ايمانك ويضعف يقينك بخلاف ما اذا قوي يقينك وتمكنت فيه وعلمت رضا الله تعالى عنك بوجود رضاك عنه في كل أمر قدره عليك فلك حينئذ أن تعد بالوعد لامانك من الخلف فان الله عز وجل يعامل العبد بحسب ما يعامل العبد به ربه جل وعلا فكن يا أخي ابراهيمي المقام ثم عد فان الحق تبارك وتعالى يعينك على الوفاء ولا يكذبك لانك حينئذ محبوب له وسيأتي ان مما منّ الله تبارك وتعالى به علي عدم الاكل مما وعدت به قبل حضوره لانه قد لا يجيء الا مع استشراف النفس الى حضوره بسرقة الطبع فالحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علي) حمايتي من الاكل مما فيه شبهة في الغالب فتقوم نفسي منه فلا أقدر أسيغه وربما تناولته في بعض الاوقات فاعبت نفسي منه فاتقاياه وربما أسهو فآكله أو أشربه ثم اعلم به فاتقاياه قبل أن يجري في العروق وهذا من أكبر نعم الله عز وجل علي قال صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك فلم يأذن لنا في تناول شيء فيه ريبة سواء اجتمع ما فيه ريبة مع ما لا ريبة فيه أم حضر بين يدينا وحده لكن في صورة الاجتماع يجب علينا الاخذ بالعزيمة وهو الاكل مما لا ريبة فيه وترك ما يريب وأما في صورة تجرد المريب وحده فالادب الوقف عنه الا في وقت الضرورة فنأكل منه بقدر الحاجة فقط وان كان عندك يقين وصبر فلا تأكل وقل يا رب اني قد جعت وقد نهيتني عن الاكل من مثل هذا فارزقني شيأ من الحلال أتبلغ به فانه تعالى يقدر لك ان شاء الله تعالى شيأ تأكله أو يقويك على الجوع حتى تجد الحلال وقد وقع لي مرة انني لم أجد شيأ حلالا آكله فقلت اللهم اجعل لي في هذا التراب طعاما ثم أكلت منه فوجدت له دسما كدسم اللحم واكتفيت به ثلاثة أيام وهذا من قاعدة ارتكاب أخف المفسدتين اذا تعارضتا وذلك لان التراب مضر في البدن دون الروح والحرام مضر في كل منهما فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علي) توالي الآلام على جسدي من منذ عرفني الناس واعتقدوني فلا أنفك من بلاء الا ويعقبه بلاء آخر وهذا من أكبر نعم الله عز وجل علي لان ذلك البلاء ان كان عقوبة على

الجواب مسطرا في الدواة والحصير والحائط وأخبرني بعض أصحابنا قال قال الشيخ أبو الحسن يوما والله انه لينزل على المدد فاري سريانه في كالحوت في الماء والطائر في الهواء وكان الشيخ أمين الدين جبريل حاضرا فقال للشيخ أبي الحسن فانت اذا القطب فانت اذا القطب فقال الشيخ أبو الحسن أنا عبد الله أنا عبد الله وأخبرني بعض أصحابنا قال الشيخ أبو الحسن والله ما ولى الله وليا الا وضع حبه في قلبي قبل أن يوليه ولا رفض عبدا الا وألقى الله بغضه في قلبي قبل أن يرفضه وأخبرني بعض أصحابنا قال لما رجع الشيخ أبو الحسن من الحج أتى الى الشيخ الامام عز الدين بن عبد السلام قبل أن يأتي منزله فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم يسلم عليك قال فاستصغر الشيخ عز الدين نفسه أن يكون أهلا لذلك قال فدعى الشيخ عز الدين الى خانقاه الصوفية بالقاهرة وحضر معه الشيخ محيي الدين بن سراقة وأبو العلم بس أحد أصحاب ابن عربي فقال الشيخ محيي الدين بن سراقة للشيخ عز الدين لعظمكم ما سمعنا يا سيدي والله ان هذا شيء يفرح به أن يكون

ذنب سلف فهو خير وان كان كفارة له فهو خير وان كان رفع درجات فهو خير ولا يخلو البلاء عن هذه الثلاثة أحوال الا أن يكون اختبارا من الله تبارك وتعالى حتى أعرف مقامى فى الصبر ودعواى المحبة له سبحانه وتعالى فاما أشكر واما أستغفر وفى كلام سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه وأرضاه انما كان الحق تعالى يديم على أنبيائه وأوليائه البلايا والمحن ليكونوا دائما بقلوبهم فى حضرته لا يغفلون عنه دائما لانه تعالى يحبهم وهم يحبونه فهم لا يختارون قط الرخاء لان فيه بعدهم عن محبوبهم بخلاف البلاء فانهم يختارونه لانه صفاء لقلوبهم وقيد لنفوسهم يمنعهم من الميل الى غير مطلوبهم فاذا دام عليهم البلاء ذابت أهويتهم وانكسرت قلوبهم فوجدوا الله أقرب اليهم من حبل الوريد كما قال تعالى فى بعض الكتب الالهية أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى يعنى على الكشف منهم والشهود والا فهو تعالى عند كل عبد انكسر قلبه أم لم ينكسر فافهم (واعلم) يا أخى ان البلاء كلما اشتد على العبد كلما قوى القلب واليقين وضعفت النفس والهوى وقرب العبد من حضرة ربه عز وجل كما مر فافرح يا أخى بنزول البلاء لكن مع الاستعانة بالله تعالى عليه خوفا أن يقع منك سخط فتهلك مع الهالكين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) رضاى بالدون من كل شئ تحبه النفس من شهوات الدنيا ولذلك لم يقع منى قط منازعة أحد من أهلى فى شئ واستراح بدنى وقلبى من التعب فى تحصيل شئ من أمورها فان رزقنى كسرة من الشعير قنعت بها وشكرته عليها وان رزقنى خيشة لبستها وشكرته عليها هذا أساسى الذى بنيت أمرى عليه فكلما جاءنى بعد ذلك من أمر زائد أكثرت من شكر الله تعالى عليه بالاعتراف له بعدم استحقاقى لذلك ولم أزل بحمد الله جل وعلا عندى الثياب والطعام زائدا عن حاجتى فآكل من ذلك وألبس وأعطى الزائد الفائض عنى لغيرى وهذا الخلق فيه راحة عظيمة ومن لم يتخلق به فلا يزال فى تعب قلب وبدن فى تحصيل رزقه وكلما ترقى فى الرزق لدرجة لاح له أخرى فيتعب فى تحصيلها الى أن يموت ويفوته عمل الآخرة كما هو مشاهد فيمن شابت لحيته وأشرف على معترك المنايا وهو يتاجر ويسافر الى الشام وحلب والروم وبلاد التكرور والغرب ولا يشبع ولا يقنع ولا يبرئ نفسه بشئ مما يجمعه فضلا عن أن يتصدق به أو يفعل به لغيره خيرا انتهى فافهم ذلك

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم قولى فى دين الله عز وجل برأيى فاذا لم أجد فى المسئلة تصريحا من الشارع توقفت عن العمل بها كما مر أوائل الباب الثانى انتهى ولا أقدم عليها الا ان رأيت فيها نصا أو اجماعا أو قياسا جليا (وسمعت) سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول اياك أن تقول فى دين الله بهواك فانه يرديك ويظلم عليك قلبك ويسلبك ايمانك ومعرفتك ويسلط عليك شيطانك ونفسك وهواك بالاذى حتى شهواتك وأهلك وجيرانك وأصحابك وأخلاءك وجميع خلقه حتى عقارب دارك وحياتها وجنها وبقية هوامها فينغص عيشك فى الدنيا ويطيل عقابك فى الآخرة انتهى (وايضاح ذلك) ان الله تبارك وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ جميع ما أنزل اليه من ربه فما ترك صلى الله عليه وسلم شيأ مما فيه سعادتنا الا وبينه لنا وما سكت عنه فهو رحمة لنا وتوسعة كما أشار اليه حديث وسكت عن أشياء رحمة بكم فلا تسألوا عنها (ومنها) منع بعض العارفين من القياس قال لانه طرد علة ومايدريه لعل الشارع لم يرد طرد تلك العلة ولو أرادها لأبانها لنا ولو فى حديث انتهى فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة شكرى لله تعالى اذ زوى عنى الدنيا وأعطاها لاقرانى وجعل لهم المنزلة والجاه عند الامراء والاغنياء والاكابر وأخمل ذكرى بين الناس وأجاعنى وأعرانى وعترنى وفرق عنى الدنيا ولم يجمع لى شملا بها ثم انى أسأل الله تبارك وتعالى أن يعافى أقرانى من فتنة الدنيا التى أعطاها لهم ومنعنى منها حتى لا أقع فى تمنى السوء لاحد من المسلمين ولو باللازم فافهم ويا لهذه من لذة ما أعظمها لو ذاقها من يتقلب فى النعمة الظاهرة ليلا ونهارا لترك جميع ما هو فيه وذلك لان الله تبارك وتعالى بالرأفة غالبا مع أهل البؤس والضراء دون أهل النعمة والعافية ومن حصل على مجالسة الحق تعالى لم يفته شئ من الدنيا والآخرة (وقد كان) سيدى ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه يقول لو تعلم الملوك ما نحن فيه لضاربونا عليه بالسيوف وكذلك نقل

حتى يتبين المحق من المبطل ثم أشار واللقوال أن يقول وهو بالبعد بحيث لا يسمع ما دار بينهم فكان أول ما قال صدق المحدث والحديث كما جرى * فقام الشيخ عز الدين وطاب منه وقام الجمع لقيامه وأخبرنى الفقير مكين الدين الاسمر قال سمعت مخاطبة الحق فقلت يا سيدى كيف كان ذلك فقال كان فى الاسكندرية بعض الصالحين صحب الشيخ أبا الحسن ثم كبر عليه ما سمعه منه من العلوم الجليلة والخرقات فلم يسع ذلك عقله فانقطع عن الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه فبينما أنا ليلة من الليالى وأنا أسمع ان فلانا دعانا فى هذا الوقت بست دعوات فان أراد أن يستجاب له فليأت الى الشيخ الشاذلى دعانا بكذا دعانا بكذا حتى عينت لى الست دعوات قال ثم انفصل الخطاب عنى فنظرت الى المتوسط فى ذلك الوقت فعرفت الوقت الذى كان ذلك الرجل دعا فيه ثم أصبحت وذهبت الى ذلك الرجل فقلت له دعوت الله البارحة بست دعوات دعوته بكذا دعوته بكذا الى أن عددت له الست دعوات فقال نعم فقلت تريد أن يستجاب لك قال ومن لى بذلك فقلت له قيل لى ان أراد أن يستجاب له فليأت الى

عن الامام أبي حنيفة رضي الله عنه أنه كان يقول ذلك وايضاح ذلك ان الدنيا انما هي دار عبور لا دار اقامة فليس لعاقل أن يمسك منها الا بقدر زاد الراكب المسافر * وبالجملة فكل مؤمن زوى الله تبارك وتعالى عنه الدنيا فهو عنوان على رضاه تبارك وتعالى عنه في الدنيا والآخرة وعلامة على طيب أرض ايمانه وشدة طراوتها فلذلك كثر الطل والندى النازل على ورقها ومغرسها فصاحب الايمان الكامل بما وعد الله في الجنة لا يبني الا في الجنة ولا يغرس الا في الجنة فلا تزال شجرة ايمانه تورق وتثمر وتنمو وهي في زيادة يتنعم ببؤس الدنيا وجوعها وعطشها وعريها عكس ما عليه أهل الدنيا فلا تزال في زيادة من الاعمال الصالحة حتى يجهل أهل الدنيا عمله لشدة اخلاصه ومشاهده وعلو مراقيه وهو الذي يعطى في الآخرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر نظير ما كان يعمل في دار الدنيا من الاعمال المرضية التي جهل الخلق قدرها من علو مشاهدها وملاحظها ومراقيها وأما من أعطاه الله عز وجل الدنيا ووسع عليه في مطاعمها وملابسها ومناكحها ومراكبها وشغله بها عنه فهو عنوان على أن محل أرض ايمانه بالآخرة وما أعد الله جل وعلا للمؤمنين فيها سبخة خبيثة أو صخر لا يكاد ينبت فيها ماء ولا ينبت فيها شجر فلذلك احتاجت لصب الماء عليها كثيرا ليبس أرضها وهي مع ذلك لا تورق ولا تثمر الا شيأ ضعيفا فلولا كثرة صب الماء عليها لماتت أصلا وجفت أشجارها وانقطعت ثمارها وخربت الدنيا ومعاشها وهو تعالى يريد عمارها فعلم ان شجرة الغنى بالدنيا ضعيفة المنبت سريعة الهلاك وشجرة الفقير الذي يده خالية من الدنيا قوية المنبت باقية ببقاء الله تبارك وتعالى فكانت مداواة الحق تعالى لشجرة الغنى بكثرة صب الماء عليها رحمة به والا فلو يبست وجفت أغصانها وانقطعت ثمرتها لربما كفر أو جحد لقلة صبره وعدم رضاه بالدون فالتحق بالمنافقين والمرتدين والكفار ويؤيد ذلك الحديث ان من عبادي من لا يصلح له الا الفقر ولو أغنيته لفسد حاله وان من عبادي من لا يصلح له الا الغنى ولو أفقرته لفسد حاله فالحمد لله الذي عافانا من مثل ذلك وأعطانا الرضا عنه ولو زوى عنا نعيم الدارين والحمد لله رب العالمين (ومن وصية) سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه اياك ان تشره عينك فتتمنى ما ليس لك أنه يكون لك فانه لا يخلو اما أن يكون قسمه الله لك أو لم يقسمه فان كان قسمه لك فهو صائر اليك لا محالة اما بمشيك اليه واما بمجيئه هو اليك من غير مشي وأما ان لم يكن قسمه الله لك فلا يمكنك الوصول اليه بحيلة من الحيل فاشتغل عن ذلك باحسان الادب فيما أنت بصدده من طاعة مولاك في وقتك الحاضر فقد نصحتك وعليك ببذل طوقك وجهدك في طاعته معتذرا مفتقرا خاشعا مطرقا غير ناظر الى عوض من دنيا أو أخرى فانك عبد والعبد لا يستحق على خدمة سيده شيأ لانها من حقوق السيد انتهى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) حمايته لقلبي ان تقيم فيه محبة أحد من الخلق الا عن اذنه وقد ضمن الله عز وجل حراسة كل قلب ليس فيه غيره فيعطي ذلك العبد سيف التوحيد والعظمة والجبروت ويجعله بواب قلبه فكل من دنا من ساحة صدره لباب قلبه قطعت رأسه فاذا تمكن العبد في حراسة قلبه ضربت حول قلبه سرادقات الغيرة وخنادق العظمة وسلطان الجبروت وأقام الحق جل وعلا دون قلب ذلك العبد حراسا من جنده كيلا يخلص الشيطان أو النفس أو الهوى الى قلبه وحفظه من سائر الدعاوى الكاذبة الناشئة عن النفس والهوى فلا ينقص له رأس مال باقبال الخلق عليه ولا بترادف نعم الدنيا عليه وان تزوج امرأة كانت له عونا على طاعة الله عز وجل وان جاءه ولد كان صالحا لا يحصل له ذل في طريق معاشه أبدا بل يرزقه الله رزقا واسعا حلالا من حيث لا يحتسب ويأمره الله تعالى بتناوله وأخذه وجمعه ويثيبه على أخذه وانفاقه منه على نفسه وغيره كما يثيبه على فعل الصلوات الخمس وصوم رمضان والحج (ثم اعلم) يا أخي ان لمن ادعى حب الله عز وجل علامات ان وجدت فيه صدقناه وذلك أن نراه على الشريعة البيضاء النقية لا تلبيس عنده ولا تخليط ولا يشك فيما وعد الله أو أوعد به في الدار الآخرة بل هو صابر على البلاء راض بالقضاء حافظ للحال حامل للذكر ساكن ساكت صامت مطرق رأسه مغمض عينيه عن كل ما يشغله عن الله سبحانه وتعالى حتى يموت فافهم ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علي) حث أصحابي كلهم على كثرة ذكر الله عز وجل وتوحيده محبة في الله

الشيخ الشاذلي وسمعت شيخنا أبا العباس يقول كان الشيخ قد قال لي ان أردت أن تكون من أصحابي فلا تسأل من أحد شيأ فمكثت على ذلك سنة ثم قال لي ان أردت أن تكون من أصحابي فلا تقبل من أحد شيأ فكان اذا اشتد على الوقت أخرج الى ساحل بحر الاسكندرية ألتقط ما يرميه البحر بالساحل من قمح حين يرفع من المراكب فاذا يوما على ذلك واذا عبد القادر النقاد وكان من أولياء الله تعالى يفعل كفعلي فقال لي اطلعت البارحة على مقام الشيخ أبي الحسن فقلت له وأين مقام الشيخ فقال عند العرش فقلت له ذلك مقامك ينزل لك الشيخ فيه حتى رأيته ثم دخلت أنا وهو على الشيخ فلما استقر بنا المجلس قال الشيخ رأيت البارحة عبد القادر في المنام فقال لي أعرشي أنت أم كرسي فقلت له دع عنك هذا ذي الطينة أرضية والنفس سماوية والقلب عرشي والروح كرسي والسر مع الله بلا اين والامر يتنزل فيما بين ذلك ويتلوه الشاهد منه وقدم بعض الداخلين على الله الى الاسكندرية فقال الشيخ مكين الدين الاسمر هذا الرجل يدعو الناس الى باب الله وكان الشيخ أبو الحسن يدخلهم على الله وقال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه كنت مع الشيخ أبي الحسن بالقيروان وكان شهر رمضان

تبارك وتعالى ومحبة فيهم فان بذلك يحصل تنظيف القلب مما سواه تعالى من الشهوات التي تحجب العبد عن ربه جل وعلا لان القلب اذا خلا من الشهوات كان بيتا لحب الرب واذا سكن فيه حب الشهوات كان بيتا للنفس والهوى والشيطان والحق تبارك وتعالى غيور لا يحب أن يرى في قلب عبده المؤمن غيره فاذا خرجت الشهوات من القلب وبقي فيه توحيد الرب وحده صار محلا للمعارف والموارد الغيبية والاسرار والعلوم (وايضاح ذلك) أن القلب لا يسع اثنين قال الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه أي فيشتغل الرجل بشغلين مقصودين في آن واحد اذ كل قلب لا يتصرف الا لمقصود واحد وان وقع لشخص صورة اشتغال بشغلين كان أحدهما فقط مقصودا لمن حقق النظر كأن اتفق ان شخصا يذكر الله تعالى ويخيط ثوبا فهل يحمل أن الاهم عنده ذكر الله تعالى والخياطة تابعة أو يمشي على حبل ويراعي ميزانه بيده فالمشي هو المقصود حقيقة ومراعاة الميزان انما هي وسيلة لاصلاح المشي وقال تعالى ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا اعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون (وقد جرب) جميع أشياخ الطريق رضي الله عنهم سائر العبادات فما وجدوا عملا أسرع في تنظيف القلب مما سوى الله من التوحيد فعليكم أيها الاخوان بكثرة ذكركم لربكم لتصير وامن أهل مجالسته فانه لا يصطفي أحدا لحضرته وفيه شهوة من الشهوات أو علة من العلل أو بقية من المجاهدات (وقد سمعت) سيدي عليا الخواص رضي الله تعالى عنه يقول مرارا لا تطمع أن يفتح لك الباب وقد بقيت فيك بقية من المخالفات أو من محبة الدنيا كما أنه لا يصح لك الخروج من كير السبك وفيك بقية رعونة فاصبر حتى تخلص من الدنس ويعرضوك على الملك وتنظر هل يقبلك ويصطفيك أو يردك ويقصيك انتهى كلامه فافهمه ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) سروري بالفقر اذا أقبل وخوفي منه اذا أدبر لكن من وجهين مختلفين وذلك أن الفقر من شعار الانبياء والصالحين فيفرح به المؤمن من حيث انه سلك به طريقهم ويحزن ويخاف من حيث الامتحان الذي يقع فيه للعبد فانه ان لم تحفه العناية الربانية والا هلك دينه من حيث لا يشعر (وقد كان) الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول ما فزعت من الفقر قط وذلك لعلمه رضي الله تعالى عنه بانه محفوظ من آفاته (وأما) سفيان الثوري رضي الله تعالى عنه فكان يستعيذ بالله من الفقر ويقول لان أجمع عندي أربعين ألف دينار حتى أموت عنها أحب الي من فقر يوم ووقوعي في سؤال الناس والوقوف على أبوابهم وكان رضي الله عنه يقول انما خاف الاكابر من البلايا والمحن لما يطرق أهلها فيها يقول والله ما أدري ماذا يقع مني لو ابتليت ببلية من مرض أو فقر فلعلي أكفر ولا أشعر انتهى وهذا من باب الانهام لنفسه رضي الله تعالى عنه والاحتياط لها والا فاذا لم يكن مثل سفيان الثوري يحمل البلاء فمن يحمله ويؤيد سفيان حديث كاد الفقر أن يكون كفرا فان الله عز وجل اذا ابتلى العبد ببلية ولم يمن عليه بالصبر وأخذ في السؤال والتضرع ولم يكشف ذلك عنه بل أدام عليه المرض والفقر مع قلة الصبر فربما وقع في السخط وانقطع عنه مدد ايمانه وكفر بالاعتراض على مقدور ربه فيموت كافرا بالله جاحدا لآياته ساخطا على تقديره عليه فيكون من أشد الناس عذابا يوم القيامة كما أشار اليه حديث وان أشقى الاشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة انتهى فافهم ذلك واعمل عليه ترشد فالحمد لله الذي من علينا بالنظر بالعينين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم تدبيري مع الله تعالى اذا نزل بي بلاء ولا أقول لاحد من الخلق ايش أعمل وايش تكون حيلتي بل أصبر تحت ذلك البلاء حتى ينصرف كالسحابة السائرة فاما يسبقني واما أسبقه وكثيرا ما أسامح نفسي بالمباح في تدبيرها حال حجابها تنفيسا لها من الحصر وكثيرا ما أضطجع وألقي سلاح الجلد والصبر اذا رأيت المحل قابلا لاظهار العجز ولدفع البلاء قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله أي في ترككم الصبر فلا تصبروا فافهم وسيأتي بسط الكلام على هذا المحل في مواضع من هذا الكتاب ان شاء الله سبحانه وتعالى وفي بعض الكتب المنزلة يقول الله عز وجل من طلب محبتنا فليصبر على بلائنا فاننا لا نحب عبدا الا بعد أن نبتليه ويصبر انتهى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) من حين كنت صغيرا أني لا أبغض أحدا من المسلمين بحكم الطبع ولا

وكانت ليلة جمعة وكانت ليلة سبعة وعشرين فذهب الشيخ الى الجامع وذهبت معه فلما دخل الجامع وأحرم رأيت الاولياء يتساقطون عليه كما يتساقط الذباب على العسل فلما أصبحنا وخرجنا من الجامع قال الشيخ ما كانت البارحة الا ليلة عظيمة وكانت ليلة القدر ورأيت الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يقول يا علي طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله في كل نفس قلت يا رسول الله وما ثيابي قال اعلم ان الله قد خلع عليك خمس خلع خلعة المحبة وخلعة المعرفة وخلعة التوحيد وخلعة الايمان وخلعة الاسلام فمن أحب الله هان عليه كل شئ ومن عرف الله صغر لديه كل شئ ومن وحد الله لم يشرك به شيأ ومن آمن بالله أمن من كل شئ ومن أسلم لله قلما يعصيه وان عصاه اعتذر اليه وان اعتذر اليه قبل عذره ففهمت حينئذ معنى قوله عز وجل وثيابك فطهر وقال الشيخ أبو العباس جلت في ملكوت الله فرأيت أبا مدين متعلقا بساق العرش وهو رجل أشقر أزرق العينين فقلت له ما علومك وما مقامك فقال أما علومي فاحد وسبعون علما وأما مقامي فرابع الخلفاء ورأس السبعة الابدال فقلت ما تقول في شيخي أبي الحسن الشاذلي فقال زاد علي بأربعين علما هو البحر الذي

أحبيه بحكم الطبع بل أعرض حاله وأعماله على الشريعة فان وجدتها موافقة للكتاب والسنة أحببته فى الله عز وجل وان وجدتها مخالفة لهما أبغضته لله عز وجل فان الله تبارك وتعالى يحب من يعمل على الوفاق ويكره من يعمل على الخلاف (وكان سيدى) الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله عنه يقول اذا وجدت فى قلبك بغض شخص فاعرض أعماله على الكتاب والسنة فان كانت فيهما مبغوضة فابشر بموافقتك لله ولرسوله وان كانت أعماله فيهما محبوبة وأنت تبغضه فاعلم انك ظالم عاص لله ولرسوله ببغضك اياه فتب الى الله عز وجل من بغضك اياه واسأل الله أن يحببك فى جميع أحبابه لتكون موافقا له عز وجل فى محبته وكذلك افعل فيمن تحبه اعرض أعماله على الكتاب والسنة فان كانت محبوبة فيهما فاحببه وان كانت مبغوضة فيهما فابغضه كيلا تحبه بهواك وتبغضه بهواك وقد أمرت بمخالفة هواك لما شرعه الشارع صلى الله عليه وسلم انتهى وهذا الخلق لم أره فاعلا من أقرانى الا قليلا ولا يقدر على التخلق به الا من آثر رضا الله عز وجل على رضا نفسه وصار هواه تبعا لما جاءت به الشريعة على أن بغضك لاهل الخير أشد اثما من حبك لاحد من عصاة المؤمنين لاحتمال أن يكون ممن سامحه الله تعالى أو يبدل سيئاته حسنات بالتوبة فالحمد لله رب العالمين فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) عدم تكدرى من صاحبى اذا فارقنى وعادانى بل آخذ ذلك من الله عز وجل من باب الفضل والمنة لانى أرجو حينئذ أنه تعالى لولا أنه يريد بى الاصطفاء ما نفر عنى صديقا ولا أمات لى ولدا ولا ألقى العداوة بينى وبين أحد من المسلمين فانه تعالى غيور لعبده وعلى عبده فانه جل وعلا ما خلق عبده الا له وعبده المحجوب عن ذلك يريد أن يكون لغيره وفى القرآن فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (وفى كلام الجنيد) رضى الله تعالى عنه اذا أراد الله أن يحب عبدا لم يذر له مالا ولا ولدا وذلك لانه اذا كان له مال أو ولد احبهما فتشعبت محبته لربه وتجزأت وصارت مشتركة بين الله وبين غيره والله عز وجل لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وهو تعالى قاهر غالب لكل شئ فربما أهلك شريكه وأعدمه ليخلص قلب عبده لمحبته تبارك وتعالى وحده ثم اذا تنظف القلب من الشركاء والانداد من الاهل والمال والولد واللذات والشهوات والولايات والرياسات ولم يبق فى القلب ارادة ولا أمنية فحينئذ لا يضر القلب ملاحظة الاسباب من المال والولد والاهل والاصحاب لان القلب حينئذ صار كالاناء المنكسر الذى لا يمسك ما عكث فيه لانه قد انكسر بفعل الله جل وعلا فكلما اجتمعت فيه ارادة لشئ غير الله تعالى كسرها فعل الله فلم يتركها تصل الى القلب بل تكون خارجة والله تعالى لا يغار من شئ يكون خارج القلب بل يعطيه للعبد على وجه الكرامة له بين عباده فيطعم منه الواردين والقاطنين ولا حساب عليه فى الآخرة ان شاء الله تعالى قال الله عز وجل فى مثل ذلك هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب فافهم ذلك واعمل على التخلق به فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) من صغرى مخالطة العلماء العاملين مع خوفى من عدم القيام بواجب حقهم والبعد عن كل من لا يعمل بعلمه وما امثل نفسى بين يدى العالم العامل الا كأنها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث انه صلى الله عليه وسلم لو كان فى عمرى لم يرشدنى بغير ما أرشدنى به ذلك العالم الذى هو وارثه وقد قالوا ليس فوق منزلة العالم العامل الا منزلة النبوة فعليك يا أخى بمجالسة كل من رأيته يعمل بعلمه واياك ان تخالفه أو تنافره أو تجانبه أو تعاديه فان السلامة فيما يقوله من النصح وفى مخالفته الضلال والهلاك (واعلم) يا أخى ان النفس من شأنها انها تحب الاطلاق والسراح وتكره التحجير عليها ولو من الشارع صلى الله عليه وسلم وقل من الناس من نفسه تحب التحجير من الشارع وايثاره على هواها وتأمل يا أخى ما يقع لك من الملل اذا أكثرت من الصلاة والوقوف بين يديه تبارك وتعالى أو ما يحصل منك من المزاحمة على الدنيا ورياستها وجاهها أو نومك على طراحة فى الثلث الاخير من الليل تجد نفسك بالضد مما ذكرنا فقد آثرت هواها على ما يرضى ربها منها فالعاقل من فتش نفسه وجاهدها حتى صار هواها هو ما يحبه ربها سبحانه وتعالى والحمد لله رب العالمين

لا يحاط به وأخبرنى بعض أصحابنا قال قيل للشيخ أبى الحسن من هو شيخك يا سيدى فقال كنت أنتسب الى الشيخ عبد السلام بن مشيش وأنا الآن لا أنتسب الى أحد بل أعوم فى عشرة أبحر خمسة من الآدميين النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وخمسة من الروحانيين جبريل وميكائيل وعزرائيل واسرافيل والروح وأخبرنى ولد سيدنا ومولانا الامام العارف شهاب الدين قال قال الشيخ عند موته والله لقد جئت فى هذا الطريق بما لم يأت به أحد ومن الامر المشهور انه لما دفن بحميثرا وغسل من مائها تكثر الماء بعد ذلك وعذب حتى صار يكفى الركب اذا نزل عليه ولم يكن قبل ذلك كذلك وكتب الى الشيخ أبو عبد الله بن النعمان أبياتا يوصينى فيها بالشيخ أبى العباس منها

عطاء اله العرش فى الثغر أحمد
سررت به فى الصحب فالله أحمد
ثم يقول فى الشيخ أبى العباس
ووارث علم الشاذلى بحقيقة
وذلك قطب فاعلموه وواحد
رأيت له بعد الممات عجائبا * تدل على من كان للفتح يجحد

فالذى عنى الشيخ أبو عبد الله بقوله رأيت له بعد الممات

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) صبري على جفاء من دعوتهم الى خير فأبوا ولم يمتثلوا واحسانى اليهم مع ذلك بالكلام الحلو فى وجوههم وفى غيبتهم لمن يبلغهم فان العامى المقصر فى التعلم لا لسان له ولا قلب بل هو غالبا من حثالة الناس الذين لا ميزان لهم فمن طلب من مثل هذا استقامة القول والعمل من غير علاج فلا يجاب الا ان حفت العناية الربانية ذلك العامى فكان من أهل هذه الخصوصية وقليل ما هم وهو حين ذاك ليس من العوام المقصرين بل هو من ثالث الاقسام الآتية * وقد قسم بعض العارفين الناس الى أربعة رجال (أحدهم) هذا العامى المقصر وهو لا يستقيم الا بالعلاج والمسارقة شيأ فشيأ لعدم استقامة قلبه ولسانه (الثانى) من له لسان ولا قلب له كالذى ينطق بالحكمة ولا يعمل بها ويدعو الناس الى الله جل وعلا ويفر هو منه ويستقبح عيب غيره ويفعل هو ما هو أعظم فى العيب ويظهر للناس النسك والعبادة ويبارز ربه بالعظائم اذا خلا به ذئب من الذئاب ولكن عليه ثياب وهذا هو الذى حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان جاهل القلب فمثل هذا ابعد عنه يا أخى وهرول لئلا يخطفك بحلاوة لسانه ويحرقك بنار معاصيه ويقتلك بنتن باطنه وقلبه اللهم الا ان تكون آمنا من وقوعك فيما يقع فيه وقصدت بالقرب منه نصحه فمثل هذا لا يضرك القرب منه بل ينفعك وهذا الامر الذى ذكرناه واقع كثيرا لمن برز والوعظ فى هذا الزمان حتى ان بعض الناس يحضرون مجلسه وكلما يعظهم بأمر يقولون له قل هذا لنفسك (الرجل الثالث) من كان له قلب من غير لسان وهو المؤمن الكامل الذى ستره الله تعالى عن غالب الخلق وأسبل عليه كنفه وبصره بعيوب نفسه وعرفه غوائل مخالطة الناس وشؤم الكلام والمنطق فهذا رجل من أولياء الله تعالى ستره الله عز وجل وحفظه من الآفات وأعطاه العقل الوافر فدونك يا أخى ومصاحبة هذا ومخالطته وخدمته لتسرق من صفاته الحسنة فتصير مثله ولا أعلم فى مصر الآن من اخوانى على هذا القدم الا قليلا كالشيخ كمال الدين بن الموقع والشيخ شمس الدين البرهمتوشى الحنفى والشيخ سليمان الحانوتى والشيخ ابراهيم بجامع الملك خارج الحسينية كثر الله تعالى فى هذه الامة من أمثالهم (الرجل الرابع) من كان له لسان وقلب وهو العالم العامل المتقدم ذكره المتصدر لارشاد الامة وهدايتها نيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أشرنا اليه فى النعمة قبله ومثل هذا يجب القرب منه ومخالطته وخدمته والاخذ عنه والتخلق باخلاقه والحمد لله رب العالمين

(وما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم سخطى على مقدورات ربى عز وجل اذا نزل بى ما أكره وعدم اعتراضى عليه أو انتهائى له اذا أبطأ عنى الوصول الى رزق أو أخر عنى كشف كربى وذلك لعلمى يقينا بأن لكل اجل كتاب ولكل بلية غاية ومنتهى ونفاذا لا يتقدم شئ من ذلك ولا يتأخر وأوقات البلايا لا تنقلب عافية وأوقات البؤس لا تنقلب نعمة وأوقات الفقر لا تنقلب غنى وان عجزت عن الوصول الى مقام الرضا بالقضاء صبرت وانتظرت الفرج الى أن يبلغ الكتاب أجله فتسفر تلك الحالة عن ضدها كما تنقضى الليلة فتسفر عن النهار فمن طلب ظلمة العشاء فى النهار أو نور النهار فى الليل فقد جهل ولم يعط ما طلب لانه طلب الشئ فى غير وقته وحينه وقد مدح الله عز وجل الصابرين بقوله جل وعلا ان الله مع الصابرين أى بنصرهم وتثبيتهم جزاء لما نصروا الله تبارك وتعالى به على أنفسهم وهواهم قال تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم فكل من نصر الله تعالى هكذا كان الله تبارك وتعالى له ناصرا ومعينا فكن يا أخى خصما على نفسك على الدوام ينصرك الله عز وجل على الدوام وان كنت خصما لها فى بعض الاوقات نصرك فى بعض الاوقات ففتش نفسك فان الله سبحانه وتعالى يعامل عبده بحسب ما برز منه جزاء وفاقا فاعمل على ذلك الخلق ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) من صغرى الى وقتى هذا انه لم يجعل الدنيا أكبر همى فلا أصبح وامسى قط وأنا مهتم بشئ من أمرها بل جعلت الآخرة رأس مالى وجعلت الالتفات الى ما احتاج الى الاقتيات به فى الدنيا كالربح فأصرف زمانى أول ما أصبح فى أمر الآخرة من علم أو ذكر أو غيرهما ثم ان فضل بعد ذلك من زمانى شئ صرفته فى طلب معاشى الذى أمرنى الحق سبحانه وتعالى به وهذا الخلق عزيز فى أبناء الدنيا بل

قال الشيخ قيل لى ما على وجه الارض مجلس فى الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام وما على وجه الارض مجلس فى علم الحديث أبهى من مجلس الشيخ زكى الدين عبد العظيم وما على وجه الارض مجلس فى علم الحقائق أبهى من مجلسك وقال الشيخ أبو العباس لما نزلت بتونس لما أتيت من مرسيه وأنا اذ ذاك شاب فسمعت بذكر الشيخ أبى الحسن الشاذلى فقال لى رجل تمضى بنا اليه فقلت حتى أستخير الله فنمت تلك الليلة فرأيت كأنى أصعد الى رأس جبل فلما علوت فوقه رأيت هنالك رجلا عليه برنس أخضر وهو جالس وعن يمينه رجل وعن يساره رجل فنظرت اليه فقال عثرت على خليفة الزمان قال فانتبهت فلما كان بعد صلاة الصبح أتانى الرجل الذى دعانى الى زيارة الشيخ فسرت معه فلما دخلنا على الشيخ رأيته بالصفة التى رأيته فوق الجبل قال فدهشت فقال لى عثرت على خليفة الزمان ما اسمك فذكرت له اسمى ونسبى فقال لى رفعت لى منذ عشر سنين وقال الشيخ أبو العباس لما قدمنا من المغرب الى الاسكندرية نزلنا عند عمود

حالهم بالعكس مما ذكرنا فجعلوا دنياهم رأس مالهم وآخرتهم ربحهم فان فضل عن طلب دنياهم زمان جعلوه لآخرتهم والا فاتهم عمل الآخرة بالكلية * وفي الحديث ان الله يعطي الدنيا على نية الآخرة ولا يعطي الآخرة على نية الدنيا وايضاح ذلك ان اعمال الآخرة كلها يحبها الله عز وجل واذا أحب الله عز وجل عبدا أحبه الوجود الصامت كله وغالب الناطق اذ الخلق كلهم تبع للخالق الا من حقت عليه الشقاوة كمن يكره الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو الاولياء ومن جملة الصامت الدنيا فهي تسعى خلف الزاهد فيها الراغب في الآخرة ولو انه تركها لسعت خلفه خادمة له وحكم الراغب في الدنيا بالعكس وهو هروب الآخرة منه لان الله تبارك وتعالى يغضب على محب الدنيا ومن غضب عليه الرب تعاصت الدنيا عليه وتعسرت وأتعبته في تحصيل ما قسم له منها لانها مملوكة لله تعالى يهين من عصاه ويكرم من أطاعه ومن يهن الله فما له من مكرم فاعمل على ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) ملاطفتي لمن رأيت عنده حسدا لاخيه المسلم وضربي له الامثال لعله يتوب من خفة العقل وهذا الداء قد كثر في غالب الناس اليوم فترى أحدهم يحسد جاره على مطعمه أو مشربه أو ملبسه أو منكحه أو مسكنه أو على الكل وغاب عن هذا ان ذلك مما يضعف ايمانه ويزيده مقتا من الله عز وجل ثم ليتأمل الحاسد في الوجه الذي يحسده عليه فانه لا يخلو أن يكون الحسد واقعا على قسم المحسود أو على قسم الحاسد فان كان على قسم المحسود الذي قسمه الله تعالى له في قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا فقد ظلمه بذلك الحسد فانه رجل يتقلب في نعمة مولاه عز وجل التي تفضل بها عليه وقدرها له من غير تفعل منه ولم يجعل لاحد فيها نصيبا فما وجه حسده وان كان حسدك يا أخي له على اعطائه قسمك الذي قسمه الله تعالى لك فهذا لا يصح قط فان قسمك لا يعطى لغيرك ولا ينقل منك اليه أبدا فقد جهلت يا أخي بهذا الحسد غاية الجهل وظلمت أخاك به غاية الظلم وسيأتي بسط هذا الخلق في مواضع من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) الاطلاع على بعض المنعمين والمعذبين في قبورهم ثم حجب ذلك عني رحمة بي فان صاحب هذا الحال يموت في اليوم والليلة موتات كما أشار اليه حديث لولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر وهذا أمر لا يحصل للعبد الا بعد غلبة روحانيته على جثمانيته حتى يكون كالروحانيين والا يخاف عليه افشاء الاسرار * وفي كلام الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه لا تطمع أن تدخل في زمرة الروحانيين وتسمع ما يسمعونه من الاسرار الا ان عاديت جميع جوارحك وتفردت عن وجودك حتى صرت في مثل الحالة التي كنت عليها قبل نفخ الروح فيك لان جميع ما حصل بعد نفخ الروح هو حجاب لك عن ربك فان أردت الاطلاع على ما ذكرناه فتجرد حتى تصير روحا منفردة سرا لسر وغيب الغيب والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم أمني من مكر الله عز وجل بي في ساعة من ليل أو نهار فانه تعالى لا يدخل تحت التحجير وله حضرة تسمى حضرة الاطلاق يفعل فيها ما يشاء كما ان له حضرة تسمى حضرة التقييد لا يخلف فيها الميعاد قال الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه وقد يقرب الله تعالى عبده المؤمن ويجتبيه ويفتح قبالة عين قلبه باب الرحمة والمنة والانعام فيرى بقلبه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من مطالعة الغيوب في ملكوت السموات والارض ومن تقريب وكلام لطيف ووعد جميل ودلال واجابة دعاء وتصديق وعدو وفائه وكلمات حكمة تفاض على قلبه قذفا من بعيد فتظهر على لسانه ويسبغ عليه مع ذلك نعما ظاهرة على جسده وجوارحه في المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح الحلال والمباح وحفظ الحدود وكثرة العبادات الظاهرة ويديم جميع ذلك على هذا العبد برهة من الزمان حتى اذا اطمأن الى ذلك واغتر به وظن دوامه فتح عليه جملة من أبواب البلايا والمحن في النفس والمال والاهل والولد والقلب فينقطع عنه جميع ما كان فيه من النعيم قبل ذلك فيبقى متحيرا حسيرا منكسرا مقطوعا به ان نظر الى ظاهره رأى ما يسوءه وان نظر الى قلبه وباطنه رأى ما يحزنه وان سأل الله تبارك وتعالى كشف ما به من الضر لم يرج اجابة وان طلب وعدا جميلا

السواري من ظاهرها وكان وصولنا عند اصفرار الشمس وكانت بنا فاقة وجوع شديد فبعث لنا رجل من عدول الاسكندرية طعاما فلما قيل للشيخ عنه قال لا يأكل أحد منه شيأ فبتنا على ما نحن عليه من الجوع فلما كان عند الصبح صلى بنا الشيخ وقال مدوا السماط واحضروا ذلك الطعام ففعلوا وتقدمنا فاكلنا فقال الشيخ رأيت في المنام قائلا يقول أحل الحلال ما لم يخطر لك ببال ولا سألت فيه أحدا من النساء والرجال وقال الشيخ أبو العباس كنت ليلة من الليالي نائما بالاسكندرية واذا قائلا يقول مكة والمدينة فلما أصبحت عزمت على السفر وكان الشيخ بالمقياس بالقاهرة فسافرت اليه فلما مثلت بين يديه قال لي مكة والمدينة فقلت لاجل ذلك جئت يا سيدي قال اجلس فجلست واذا برجل دخل عليه وقال يا سيدي عزمت على الحج وما معي شيء من الدنيا فقال لي الشيخ أي شيء معك قلت عشرة دنانير قال ادفعها لهذا الرجل فدفعتها له فقال لي الشيخ اذا كان غدا أخرج الى الساحل واشتر لي عشرين أردبا قمحا فاصبحت ونزلت الى الساحل واشتريت عشرين أردبا وحملت القمح الى المخزن وأتيت الشيخ فقال لي هذا القمح قالوا لي انه مسوس ما تأخذ منه شيأ

لم يجده سريعا وان وعد بشئ لم يصل اليه وان رأى رؤيا لم يظفر بتعبيرها وتصديقها وان رام الرجوع الى الخلق لم يجد الى ذلك سبيلا وان عمل برخصة تسارعت اليه العقوبات وتسلطت أيدى الخلائق على جسمه وألسنتهم على عرضه وان طلب الاقالة مما دخل فيه والرجوع الى الحالة الاولى التى كانت له قبل التقريب لم يقل وان طلب الرضا والتنعم بما هو فيه من البلاء لم يعط وحينئذ تأخذ النفس فى الذوبان والهوى فى الزوال والامانى والارادات فى الرحيل والاكوان كلها فى التلاشى ويداوم عليه ذلك مدة حتى تفنى جميع أوصافه البشرية فاذا صار روحا مجردا وتعطف الحق تبارك وتعالى عليه يسمع النداء فى باطنه اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب كما قيل لايوب عليه السلام وحينئذ فيمطر الله تبارك وتعالى على قلبه ماء رحمته ورأفته ولطفه ومنته ويزيل عنه سائر البلاء ويطلق السنة العباد بمدحه والثناء عليه ويذل له الرقاب ويسخر له الملوك والارباب ويسبغ عليه النعم الظاهرة والباطنة فكن يا أخى على حذر اذا نزل بك بلاء واسأل الله تعالى السلامة من فتنته فانه لابد لمن يريد الله تبارك وتعالى اجتباءهم واصطفاءهم من تجربتهم بالبلاء قبل ذلك ليصفيهم به من خبث الهوى والميل الى الخلق والسكون اليهم والفرح باقبالهم عليه فابرح العبد عن البلاء فى حال النعمة وفى حال النقمة فافهم ذلك واعمل على التخلق به وسيأتى بسط ذلك فى مواضع ان شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم التمادى فى استحسان شئ من أفعال نفسى وأقوالها وجميع أحوالها العلمى بعجزها عن الوفاء بحقوق ربها عز وجل وعن الوفاء بما كلفت به ولو قدر ان معونة الله تبارك وتعالى صاحبتنى فوق ذلك المقام مقامات لاتحصى * وكان سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله عنه يقول للنفس حالتان لاثالث لهما حالة عافية وحالة بلاء فان كانت فى بلاء فمن لازمها غالبا الجزع والشكوى والسخط والاعتراض والتهمة للحق تعالى من غير صبر ولا رضا ولا موافقة بل محض سوء أدب وشرك بالخلق والاسباب وان كانت فى عافية ونعمة فمن لازمها غالبا الاشر والبطر واتباع الشهوات واللذات كلما نالت شهوة تبعت أخرى وازدرت ما عندها من النعم من مأكول ومشروب وملبوس ومسكون ومنكوح ومركوب وتظهر فى كل نعمة من هذه النعم عيوبا ونقصا وتطلب أعلى منها مما لم يقسم لها وتقول ان مثل هذه النعمة لاتكفينى ولا تعفنى وتطلب مالم يقسم لها كلما تعطى ما طلبت فتوقع صاحبها فى تعب طويل لاغاية له فى الدنيا ولا منتهى * وقد قالوا من أشد العذاب على النفس طلبها مالم يقسم لها * واعلم يا أخى ان من شأن النفس انها اذا كانت فى بلاء لاتمنى سوى انكشافه عنها وتنسى كل نعيم وشهوة ولذة فاذا عوفيت وشفيت من ذلك رجعت الى رعونتها وأشرها وبطرها واعراضها عن طاعة ربها جل وعلا وانهماكها فى معاصيه وتنسى كل ما كانت فيه من البلاء فربما تعاقب فترد الى أشر ما كانت فيه من البلاء والضر عقوبة لها وذلك من رحمة الله عز وجل بها ليفطمها بذلك ويكفها عن المعاصى فى المستقبل لانها لاتصلح لها العافية والنعمة فكان البلاء والبؤس أولى بها ولو انها كانت تابت وندمت ولم ترجع الى نقائصها ورذائلها لحماها الله تعالى من العقوبات دنيا وأخرى لكنها جهلت ولم تعلم كل ما فيه صلاحها وذلك لان الله تبارك وتعالى قد طوى علم المصالح عن عباده وتفرد به وأعطاهم بدل ذلك ميزان الشريعة فما كان من محمود فهو من المصالح وما كان من مذموم فهو من المفاسد فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من الحاجة الى سؤال الناس طول عمرى الى وقتى هذا وذلك من أكبر نعم الله عز وجل على فلم يحوجنى تعالى قط الى كتابة قصة فى طلب وظيفة أو غيرها بل لم يزل يرزقنى ما يسد ضرورتى من غير سؤال (وقد قال) أهل الحق رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم ما سأل أحد الناس الا لجهله بالله عز وجل وضعف ايمانه ويقينه وقلة صبره وما تعفف متعفف الا لوفور علمه بالله عز وجل وقوة ايمانه ويقينه وتزايد معرفته بربه جل وعلا وكثرة حيائه منه انتهى ثم ان كان العبد ولابد سائلا فليسأل الله عز وجل كما أشار اليه حديث اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله فان أجابه فذاك وان أبطأت عنه الاجابة يعنى قضاء الحاجة فلا ينبغى له أن يتكدر لذلك بل الواجب عليه ان يفرح بذلك لان الله عز وجل انما لم يستجب

فبقيت متحيرا لا أدرى كيف أصنع فبقيت ثلاثة أيام لا يطالبنى صاحب القمح بالثمن فلما كان اليوم الرابع واذا رجل يطوف على فلما رآنى قال أنت صاحب القمح قلت نعم قال تأخذ فيه فائدة ألف درهم قلت نعم قال فوزن لى ألف درهم فوضع الله لى البركة فيها فلو قلت انى أنفق منها الى اليوم لصدقت وقال الشيخ أبو العباس سافرنا مع الشيخ رضى الله عنه فى السنة التى توفى فيها فلما كنا عند اخميم قال لى الشيخ رأيت البارحة كأنى فى جلبة وأنا فى البحر والرياح قد اختلفت والامواج قد تلاطمت والمركب قد انفتحت وأشرفنا على الغرق فاتيت الى جانب المركب وقلت أيها البحر ان كنت أمرت بالسمع والطاعة لى فالمنة لله السميع العليم وان كنت أمرت بغير ذلك فالحكم لله العزيز الحكيم فسمعت البحر يقول الطاعة الطاعة فلما سافرنا وتوفى الشيخ رضى الله عنه دفناه بحميثرا من صحرا عيداب ركبنا فى جلبة فلما صرنا فى وسط البحر تلاطمت الامواج واختلفت الرياح وانفتحت الجلبة وأشرفنا على الغرق وأنسيت كلام الشيخ فلما اشتد الامر ذكرت ذلك فاتيت الى جانب المركب وقلت أيها البحر ان كنت أمرت بالسمع والطاعة لاولياء الله فالمنة لله السميع العليم ما قلت كما قال

لعبده فى كل ماسأل لئلا يغلب عليه الرجاء فيهلك و يترك فعل الاوامر و يقع فى المناهى فكان عدم استجابة دعائه رحمة به لان خوف المؤمن و رجاءه كجناحى الطائر لا يتم الايمان الا بهما مع أن العارف لا يسأل ربه قط فى شئ الا ان علم أنه مأمور بذلك فلا يزيده السؤال الا قربا وأدبا كما لو سأل الزيادة من العلم والصلاة والصوم ونحو ذلك فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم طمأنينة نفسى الى دوام النعمة على لعدم استحقاقى لها ولشهودى التحويل والتغيير فى غيرى ليلا ونهارا فلا يخلو صاحب النعمة قط من حصول ما ينغص عليه عيشه اما عاجلا واما آجلا من الامراض والاوجاع والمصائب فى النفس والمال والولد والاهل والاصحاب وهذه الامور لا تفارقنى بحمد الله عز وجل الا قليلا ثم اذا حصل للعبد تنغيص العيش بحبته الحالة التى هو فيها عن تذكر شئ من النعيم السابق ولذلك قال تعالى فى حق من قالوا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون لانهم ما قالوا ذلك الا بلسان الحالة التى هم فيها فظنوا انها تدوم معهم اذا خرجوا ولو علم أحدهم انه اذا رد الى الدنيا رد اليها بحكم القبضتين ما قال ذلك (وسمعت سيدى) عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول ما التذ عاقل بنعمة فى الدنيا قط لان الحقوق التى عليه فى تلك النعمة تحجبه عن التنعم بها فانه مكلف بانفاقها على المحتاجين اليها من نفسه وأهله وجيرانه وعامة المسلمين وليس له حبس شئ عنده من الدنيا وهو يعلم ان فى الحبس مديونا أو فى البلد مريضا لا يجد ما يصرفه على مرضه أو عريانا لا يجد ما يستر به عورته بين الناس ونحو ذلك لكن اذا عمل العبد بما أمره الله تعالى به فى ماله من الصدقات والخيرات لابد أن الله تعالى يتفضل عليه بطيب العيش فى أواخر عمره و يعطيه الراحة والدلال والعز بين الناس * وقد قالوا من صبر على بلاء الدنيا حل له نعيمها أواخر عمره انما يعطى الاجير أجرته بعد عرق جبينه وتعب جسده وكرب روحه وضيق صدره وذهاب قوته واذلال نفسه وكسر هواه كما هو الشأن فى خدمة المخلوقين فلا يكاد يطيب له عيش الا بعد تجرعه فى خدمتهم هذه المرارات كلها فاذا تجرعها أعقبت له طيب طعام وادام وفاكهة ولباس وراحة وسرور وتلذذ بالبلاء (وقد كان) سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه يقول لا يعطى الله تبارك وتعالى مقام التلذذ بالبلاء لعبد الا بعد بذله المجهود فى مرضاته فان الابتلاء على ثلاثة أحوال تارة يكون عقوبة ومقابلة لجريمة ارتكبها أو معصية اقترفها وتارة يكون تكفيرا وتمحيصا وتارة يكون لارتفاع الدرجات وتبليغ المنازل العاليات ولكل من هذه الاحوال علامة فعلامة الابتلاء على وجه العقوبة والمقابلة عدم الصبر عند وجود البلاء وكثرة الجزع والشكوى الى الخلق وعلامة الابتلاء تكفيرا وتمحيصا للخطايا وجود الصبر الجميل من غير شكوى ولا اظهار جزع ولا ضجر الى الاصدقاء والجيران وعدم ثقل الطاعات على بدنه وعلامة الابتلاء لارتفاع الدرجات وجود الرضا والموافقة وطمأنينة النفس وخفة الاعمال الصالحة على القلب والبدن انتهى فاعمل على التخلق بذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) فزعى لذكر الله عز وجل والى الصلاة اذا احتجت الى شئ من أمور الدنيا ولا أشتغل بالسؤال عن الذكر والصلاة وذلك عملا بحديث يقول الله عز وجل من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة و يقول ارحنا بها يا بلال انتهى والسائلون على أقسام ولكل قسم مشهد فان الله عز وجل اذا أراد أن يصطفى عبدا من عبيده سلك به فى الاحوال وامتحنه بانواع البلايا والمحن فيفقره مثلا بعد الغنى و يضطره الى مسئلة الخلق فى الرزق بعد سد جميع جهات رزقه عليه ثم انه يصونه بعد ذلك عن مسئلتهم و يضطره الى القرض منهم ثم انه يصونه عن القرض و يضطره الى ذل المكاسب و يسهل عليه ذلك فيأكل من كسبه كما هو السنة ثم انه يعسر عليه الكسب و يلهمه السؤال للخلق بامر باطن يرى انه يعصى بتركه لا يذوقه الا هو ليكسر بذلك نفسه وهواه وهو حال الرياضة للنفس ثم يصونه عن ذلك و يأمره بالقرض منهم أمر اجازما لا يمكنه تركه ثم ينقله من ذلك و يقطعه عن الخلق ومعاملتهم و يجعل رزقه فى السؤال له تعالى فقط فيسأل ربه جميع ما يحتاج اليه فيعطيه عز وجل

الشيخ بالسمع والطاعة لى وان كنت أمرت بغير ذلك فالحكم لله العزيز الحكيم فسمعت البحر يقول الطاعة الطاعة وسكن البحر وطاب السفر وقال الشيخ أبو العباس كنت مع الشيخ فى بحر عيذاب وكان فى شدة من الريح الازيب وكان المركب قد انفتح فقال الشيخ رضى الله عنه رأيت السماء قد انفتحت ونزل منها ملكان أحدهما يقول موسى أعلم من الخضر والآخر يقول الخضر أعلم من موسى ونزل ملك آخر وهو يقول والله ما علم الخضر فى علم موسى الا كعلم الهدهد فى علم سليمان حين قال أحطت بما لم تحط به ففهمت ان الله سلمنا فى سفرنا فان موسى سخر له البحر وقال أبو العباس قال رجل للشيخ ما تقول فى الخضر أحى هو أم ميت فقال الشيخ اذهب الى الفقيه ناصر الدين بن الانبارى فانه يفتى انه حى وانه نبى والشيخ عبد المعطى لقيه وسكت ساعة وقال وأنا لقيته وسبابته ووسطاه سوا واعلم أن بقاء الخضر قد أجمع عليه هذه الطائفة وتواتر عن أولياء كل عصر لقاؤه والاخذ عنه واشتهر ذلك الى ان بلغ الامر حد التواتر الذى لا يمكن جحده والحكايات فى ذلك كثيرة قال الشيخ أبو الحسن لقيت الخضر فى صحراء عيذاب فقال لى يا أبا الحسن أصحبك الله اللطف الجميل

ذلك ولا يعطيه له ان سكت وأعرض عن السؤال ثم ينقله من السؤال باللسان الى السؤال بالقلب فيسأل بقلبه جميع ما يحتاج اليه فيعطيه له حتى انه لو سأله بلسانه لم يعطه شيأ أو سأل كذلك الخلق لم يعطوه شيأ ثم انه تعالى بعد ذلك كله يغنيه عن السؤال ظاهرا وباطنا ويصير الحق تبارك وتعالى يبدؤه بجميع ما يحتاج اليه ويصلحه من المأكول والمشروب وغير ذلك من غير أن يخطر ذلك بباله وحينئذ يتحقق بولاية الله تبارك وتعالى له قال تبارك وتعالى ان ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ويتحقق أيضا بمعنى قوله تعالى من شغله ذكري عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علي) تقديمي الاهم فالاهم من المأمورات الشرعية من حين كنت صغيرا الى وقتي هذا ولذلك لم أعول قط على علم من غير عمل ولا على نافلة قبل العمل على اكمال الفريضة لكمال النسبي الذي يصل اليه أمثالنا وقد قالوا من اشتغل بالنوافل عن الفرائض فهو أحمق ومثاله من دعاه ملك الى حضرته فقال له اصبر حتى أفرغ من خدمة غلامك أو مثال حبلى حملت فلما دنا نفاسها أسقطت فلا هي ذات حمل ولا هي ذات ولد أو مثال من يجود بما لا يجب عليه ويترك وفاء الدين أو وفاء الزكاة مثلا (وفي كلام) سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله عنه من الفرائض التي يجب تقديمها على الاشتغال بالعلم والكسب ترك الحرام وعدم الشرك الخفي بالله فلا يشرك به خلقه في جلب نفع أو دفع ضرر الا بقدر نسبة التكليف اليهم من غير وقوف معهم (ومن ذلك أيضا) ترك الاعتراض على أقداره واجابة الخلق الى المعصية والاعراض عن أمر الله تبارك وتعالى وطاعته عملا بقوله صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فالحمد لله الذي هدانا لذلك والحمد لله على كل حال

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم محبتي للشبع من الحلال فضلا عن الحرام والشبهات وذلك من أكبر نعم الله تبارك وتعالى علي فان أكل الحرام أو أكل الحلال الزائد على الحاجة يجلبان النوم والنوم أخو الموت لانه يورث الغفلة عن جميع المصالح وقد قالوا الخير كل الخير في اليقظة والشر كل الشر في النوم والغفلة (وقد قال) الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه من شبع من الحلال كثيرا شرب كثيرا فنام كثيرا فندم كثيرا لفوات الخير الكثير (وقد قال) بعضهم أكل القليل من الحرام في الظلمة كأكل الكثير من الحلال لان الحرام يغطي محل الايمان ويظلمه كما يظلم الخمر العقل ويغطيه فاذا أظلم محل الايمان فلا صلاة ولا عبادة ولا اخلاص ومن أكل من الحلال كثيرا لم يجد الامر كما كان في النشاط والعبادة ان أكل منه قليلا ولم يشرب عليه فاذن الحلال نور في نور والحرام ظلمة في ظلمة انتهى فافهم ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علي) عدم صبري على البعد من حضرته تعالى وطيراني اليها كلما أغفل وأخرج منها ولا أعرف لسرعة الطيران شيأ أعون عليه من هذين الجناحين: أحدهما ترك اللذات والشهوات المحرمة والمباحة وترك الراحات كلها الثاني احتمال الاذى والمكارة وركوب العزائم والشدائد والخروج عن الخلق والهوى والارادة والمنى الدنيوية والاخروية فان هذه الامور تخرج أصحاب الحضرة من الحضرة فمن استعملها خارج الحضرة منعته الدخول (وكان) سيدي أحمد بن الرفاعي رضي الله تعالى عنه يقول كن طيارا الى الحضرة كلما تغيبت عنها ولا ترض بالقعود عنها ثم اذا منّ الله تعالى عليك بالدخول فاحسن الادب ولا تغتر بما أنت فيه من النعيم الاوفر والعز الدائم والكفاية الكبرى والدلال والغنى في الدنيا والاخرى فمن اغتر بذلك قصر في الخدمة ضرورة واخلد الى الرعونة الاصلية من الظلم والجهل فاخرج بذلك من الحضرة في أسرع من لمح البصر فاحفظ يا أخي قلبك من الالتفات الى ما تركته قبل دخول الحضرة من الركون الى الخلق والهوى والارادة والتدبير ورؤية النفس على أحد من المسلمين وتعام عن رؤية ما سوى الله تعالى ولا تره نفعا ولا ضرا ولا عطاء ولا منعا (وكان) سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه يقول اجعل الخلق كلهم والاسباب كلها عند حصول الاذى والبلية لك كسوط ربك عز وجل الذي يضربك به واجعلهم عند النعمة والعطية كيده تبارك وتعالى التي سخرها لك من عبيده ليلقمك بها الحلوى ولله المثل الاعلى انتهى والحمد لله رب العالمين

كان في مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلاني يكنس فيها فوقف الخضر على رأسه فقال السلام عليكم فرفع أبو السعود رأسه فقال وعليك السلام ثم عاد الى شغله بما هو فيه فقال له الخضر ما بالك لا تنتبه لي كأنك لم تعرفني فقال أبو السعود بل عرفتك أنت الخضر فقال له الخضر فما بالك لم تنتبه لي فقال له أبو السعود مشغول بخدمتي والتفت الى الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه وقال لم يترك في هذا الشيخ فضيلة لغيره وقال ابن عربي مخبرا عن نفسه كنت أنا وصاحب لي بالمغرب الاقصى بساحل البحر المحيط وهناك مسجد يأوي اليه الابدال فرأيت أنا وصاحبي رجلا قد وضع حصيرا في الهواء على مقدار أربعة أذرع من الارض وصلى عليها فجئت أنا وصاحبي ووقفت تحته وقلت شعرا

شغل المحب عن الحبيب بسره
في حب من خلق الهواء وسخره
العارفون عقولهم معقولة
عن كل كون ترتضيه مطهره

فهو لديه مكرمون وعنده * أسرارهم محفوظة ومحرره قال فاوجز في صلاته وقال انما فعلت هذا لهذا المنكر الذي معك وأنا أبو العباس

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) رمي الدنيا الزائدة عن حاجتي حتى الحالة الراهنة في بداية أمري وكراهتي لامساكها ودوامي على ذلك عدة سنين حتى تحققت بخروجها من قلبي وصرت أنقبض لدخولها علي وأفرح للفقر وضيق اليد ثم اني الآن أجمع منها ما يكفيني ومن تلزمني كفايته يومنا وليلتنا اظهارا للفقر والحاجة ولعلمي بان الله تبارك وتعالى غني عن جميع الخلق وما خلق ما خلق إلا لخلقه لينتفعوا به فكان من الادب أخذ الدنيا ثم استعمالها فيما شرعت له (ومن هنا) قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي وغيره ان الزاهد في الدنيا يثاب بسببها مرتين الاولى برميها بعد أن فتح عينه على محبتها تبعا لجمهور الناس الثانية باخذها بعد رميها وخروج محبتها من قلبه فقد رماها هذا باذن وأخذها باذن فان لسان اشارة الحقيقة تقول للمؤمن وما تلك بيمينك أيها المؤمن فيقول هي دنياي أنفق منها على نفسي وعيالي وأهلي واخواني والواردين علي فيقال له ألق ما في يمينك فيلقيها فيراها حية تسعى كعصا موسى فيقال له خذها ولا تخف كما وقع لموسى على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأزكى السلام فهو ممتثل أمر الله تبارك وتعالى في الحالين لا اختيار له معه وهذا الخلق قليل من اخواننا من تخلق به على وجهه فهو ممسك للدنيا بقلبه ويده كالعوام فاعمل يا أخي على التخلق به والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) مبادرتي عند نزول البلاء بساحتي أو عند توقف اجابة دعائي في حق نفسي أو في حق غيري الى تفتيش نفسي فيما ارتكبته من الذنوب أو تركته من الاوامر الظاهرة أو الباطنة أو فيما نازعته من الاقدار ونحو ذلك اذ الغالب ان العبد انما يبتليه الله تبارك وتعالى مقابلة ثم ان لم ينكشف البلاء مثلا بادرت الى التضرع والاكثار من الاعتذار والاعتراف بنحو قولي اللهم اني أعترف بين يديك باني لا أعلم أحدا على وجه الارض من المؤمنين أكثر عصيانا ولا مخالفة ولا أسوأ حالا ولا أقل حياء مني (وقد قال) بعضهم قد يبتلي الله تبارك وتعالى عبده ليرده بالبلاء الى السؤال فيجيب سؤاله فاذا سأل أحب تبارك وتعالى اجابته وذلك ليعطي الله تعالى الكرم والجود حقهما لانهما يطالبانه عز وجل عند سؤال عبده بالاجابة وقد تحصل الاجابة بقوله تعالى لبيك عبدي ولكن يؤخر كشف المرض والبلاء مثلا لتعويق القدر لا على وجه عدم الاجابة والحرمان والصد عنه فاعلم ذلك واعمل على التخلق به فانه نفيس والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(الباب الثالث في جملة من الاخلاق فاقول وبالله التوفيق)

(مما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) رد نفسي فورا اذا اشمأزت من تقدير الله تبارك وتعالى عليها في أمر من الامور الى الرضا بقضاء الله تعالى وقدره طلبا لرضا الله تعالى عني برضاي عن ربي فان العبد لا يعرف رضا الله تبارك وتعالى عنه الا بوجود الرضا منه عن ربه عز وجل كما قاله الجنيدي وغيره ومن رضي بقضاء الله وأفنى فعله في فعله واختياره في اختياره تعالى حصلت له الراحة الكبرى والجنة المعجلة في الدنيا فان أهل الجنة هكذا يكونون فيها وهذا هو باب الله الاكبر الذي هو سبب الرضا عن العبد وما دام العبد يرى نفسه تطلب غير مراد ربها لها فالحق تعالى غير راض عنها وقد قالوا من رضي الله تعالى عنه في الدنيا وأحبه لم يعذبه في الآخرة والدنيا لقوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم أي لو كنتم كما تزعمون ما عذبكم لان الحبيب لا يعذب حبيبه فافهم وهذا الخلق قل من يراعيه من المريدين فيشتغل أحدهم بالطاعات والعبادات مع العلل غافلا عن قصده بذلك رضا الله عز وجل انما هي لتخلص له نسبة كمالها لتطلب أجرها من الله تعالى وذلك من الجهل وانما الواجب عليه العمل على تنقيتها من العلل طلبا لمحبة الله عز وجل له ورضاه عنه وقد أجمع أهل الله عز وجل على ان من ادعى انه يحب الله عز وجل واختار مع ربه غيره أو طلب عوضا على عبادة ربه فهو مغتر كذاب غير مخلص لله عز وجل فان المخلص هو من يعبد الله عز وجل ليعطي الربوبية حقها فانه عبده والسيد يستحق على عبده الطاعة والخدمة له فكيف يطلب العبد عوضا على ذلك بل الواجب عليه الشكر لله الذي أهله للوقوف بين يديه ولم يطرده كما طرد غيره من العبيد السوء والله اني لأرى الفضل لله الذي أهلني لأن يمر اسمه تبارك وتعالى على لساني ولا أرى أني كافأته على ذلك ولو عبدته عبادة أهل الدنيا كلهم

الخضر ولم أكن أعلم ان صاحبي ينكر الاولياء قال نعم قلت فما تقول الآن فقال ما بعد العيان ما يقال وقال الشيخ عبد المعطي الاسكندراني لتلميذه عند موته خذ هذه الجبة فطالما عانقت فيها الخضر وقالت زوجة القرشي رضي الله عنه خرجت من عند الشيخ ولم أترك عنده أحدا فسمعت عنده رجلا يكلمه فوقفت حتى انقطع كلامه ثم دخلت فقلت يا سيدي خرجت من عندك وما كان عندك أحد والآن سمعت كلاما عندك فقال الشيخ الخضر أتاني بزيتونة من أرض نجد فقال كل هذه الزيتونة ففيها شفاؤك فقلت اذهب أنت وزيتونتك لا حاجة لي بها وكان الشيخ به داء الجذام وقد جاء انه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعوا قائلا يقول من جوف البيت يسمعون صوته ولا يرون شخصه ان في الله خلفا من كل هالك وعوضا من كل فائت وان المصاب من حرم الثواب قال الراوي كانوا يرون انه الخضر واعلم رحمك الله ان من أنكر وجود الخضر فقد غلط ومن قال انه غير خضر موسى أو من قال ان لكل زمان خضرا وان الخضرية رتبة يقوم بها رجل بعد رجل وبالجملة

وبالجملة فقد جعل الله تعالى دونه خنادق من لم يقطعها لم يدخل حضرته أعظمها على المريدين الاشتغال بالحظوظ التى قسمت أو لم تقسم فانها ان كانت لم تقسم له فالاشتغال بطلبها حمق ورعونة وجهل وعقوبة وان كانت قد قسمت فالاشتغال بها شره وحرص وشرك فى باب العبودية والمحبة والحقيقة اذ الاشتغال بغير الله عز وجل شرك وذلك ينافى طريق الولاية التى يزعمها ثم كيف يطلب العاقل رضا الله جل وعلا بالاشتغال بغيره وهو يرى خلقا كثيرا كلما كثرت عندهم الحظوظ وتواترت وتتابعت زاد تسخطهم على ربهم وتضجرهم وكفرهم بنعمه وزاد همهم وغمهم وفقرهم الى امور لم تقسم لهم وحقروا وصغروا ما عندهم من النعم فليقل العاقل لنفسه غايتك أن تكونى مثل هؤلاء فى الجهل والغفلة عن الله تبارك وتعالى اذا اشتغلت بغيره فان الامور تجر بعضها الى بعض وتامل يا أخى فى الزهاد لما نظروا الى أن الدنيا ليس لها حد يقف أحدهم عليه ثم يشتغل بعد ذلك بربه جل وعلا كيف أخذوا منها الكفاف واشتغلوا بربهم عز وجل وبذلك صاروا أعقل الناس كما قال به الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه فكان يقول كثيرا لو أوصى شخص بشئ لأعقل الناس لصرفته الى الزهاد فى الدنيا انتهى ومن تامل وجد الفقير القانع أكثر نعيما فى الدنيا من الملوك لانه رضى عن ربه جل وعلا ورأى ان ما بيده من الدنيا كثير على مثله والملوك لا يرون أن ما بيدهم من الدنيا كثير بل يطلب أحدهم ان تكون معه مملكة غيره زيادة على مملكته فلم يزل فى تعب وغم وهم وقتال وحرب (وقد رأيت) مرة شخصا من أهل الوراقين يمحن مسكا وعليه ثوب أبيض رفيع وعبد يروح عليه بالمروحة وهو يقول أسأل الله ان يريحنا من هذه العيشة فقلت للعبد ما لسيدك متكدر فقال قال لهم فى البيت اطبخوا كشكا فطبخوا شوربة فقلت له فى اذنه تذكر وتفكر فى المقيدين فى الحبوس فى الحر والجوع فقال أستغفر الله العظيم انتهى وأصل ذلك أن العبد كلما غمرته النعم يجهل مقدارها ولا يعرفها غالبا الا بالتحويل وهذا الداء قد كثر فى أبناء الدنيا اليوم فترى أحدهم يحتقر ما قسم له ويقلله ويقبحه ويعظم ما بيد غيره من التجار ويكثره ويحسنه فى عينه ويطلب أن يكون له مثل ذلك زيادة على ما بيده مع ان ذلك لم يقسم له فذهبت أعمارهم وانحلت قواهم وكبر سنهم وصارت لحية أحدهم بيضاء من كثرة الهم والتعب فتعبت أجسادهم وعرقت جباههم واسودت صحائفهم من كثرة الذنوب والآثام التى يقعون فيها بسبب تحصيل الدنيا ثم انهم بعد ذلك لم ينالوها فخرجوا من الدنيا مفاليس فلا هم شكروا ربهم جل وعلا فيما أعطاهم ولا هم نالوا ما طلبوا مما هو فى يد غيرهم فضيعوا دنياهم وآخرتهم (وقد سئل) الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه عن شر خلق الله من هم فقال من اشتغل بالدنيا عن الآخرة ثم لم ينل ما طلب فهذا شر خلق الله وأجهلهم وأحمقهم وأخسهم عقلا وبصيرة انتهى ويشير لذلك قوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وقد رأيت من معه نحو ثلاثين ألف دينار يشاح بائع الفجل على فجلة ورأيت من يملك مائة ألف دينار ذهبا يحلف بالله تعالى يمينا مغلظا على ستة انصاف عند قاض ونفقته كل يوم عشرة انصاف وهو الآن فى سن الشيخوخة وليس له ولد فلو أن هؤلاء جلسوا يا كلون بقية عمرهم مما جمعوه لكفاهم وفضل عنهم ولو أنهم رضوا بالقضاء وقنعوا بالعطاء واشتغلوا بطاعة ربهم لكانوا ممن لم يشغلهم القيام فى الاسباب عن ربهم وبتقدير تركهم الاسباب فلا بد أن الله تبارك وتعالى يبعث لهم من الدنيا ما يكفيهم من غير تعب ولا عناء ثم ينقلون اذا ماتوا الى جوار المولى جل وعلا فيجدون عنده فوق ما كانوا يؤملون كما درج عليه السلف الصالح جعلنا الله تبارك وتعالى منهم وجميع اخواننا وأحبابنا وأصحابنا آمين والحمد لله رب العالمين

(وعما من الله تبارك وتعالى به على) عدم طلبى لشئ من مناصب الدنيا من حين وعيت على نفسى فلم أزل بحمد الله تعالى أحب الزهد فى الدنيا وشهواتها الهاما من الله تعالى من غير سلوك على يد شيخ كما مر أوائل الباب الثالث وغيره فليس لى بحمد الله تعالى علاقة فى الدارين تعوقنى عن الاشتغال بربى جل وعلا ولذلك لا يطلب منى أحد شيئا مما هو بيدى الا أعطيته اياه الا أن يمنعنى الشرع منه وهذا من أكبر نعم الله عز وجل على (وقد قال) العارفون رضى الله تعالى عنهم من أراد الآخرة فعليه بالزهد فى الدنيا ومن أراد الله فعليه بالزهد فى نعيم

الايمان بها ولا تغتر بما عساك ان تقف عليه من كلام أبى الفرج بن الجوزى فى كتاب سماه عجالة المنتظر فى شرح حال الخضر أنكر فيه وجود الخضر وقال من قال انه موجود فانما قال ذلك لهواجس ووساوس وهوس قائم به واستدل على عدم وجوده بقوله سبحانه وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد فعجب لهذا الرجل كيف استدل بهذه الآية ولا دليل فيها لان الخلد هو بقاء لا موت معه وليس هو المدعى فى الخضر انما المدعى طول اقامة يكون الموت بعدها فاعجبوا رحمكم الله لرجل يصدق بطول بقاء ابليس وينكر طول بقاء الخضر وما يروونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان الخضر حيا لزارنى فلم يثبته أهل الحديث فان قالوا لو كان ذلك لنقل فاعلم انه ليس كل شئ أطلع الله عليه رسوله صلى الله عليه وسلم يلزمه الاعلام به كيف وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال علمنى ربى ثلاثة علوم علم أمرنى بافشائه وعلم نهانى عن افشائه وعلم خيرنى فى افشائه وقال بعض العارفين ان الله سبحانه وتعالى أطلع الخضر على أرواح الاولياء فسأل ربه أن يبقيه فى دائرة الشهادة حتى

الآخرة فيترك الدنيا للآخرة والآخرة لربه عز وجل ويشتغل بالله وحده خالصا مخلصا لا يطلب على عبادته وخدمته عوضا في الدارين وسيأتي في هذه المنن أن هذه النعمة لا يعطاها العبد الا بعد دخوله طريق القوم فليس لغير من دخلها غالبا قدم في ذوقها انما هو يطلب العوض على عبادته في الدنيا أو الآخرة ولذلك كان اسمه عند القوم عبد الدنيا أو عبد الآخرة لا عبد الله جل وعلا وقد انشد سيدي علي بن وفا رحمه الله تعالى

محب الله لا يهوى خلافه * ولو أعطى على ذاك الخلافه

فعلم انه مادام في قلب العبد شهوة من شهوات الدنيا أو لذة من لذاتها فهو محجوب عن الآخرة كما انه مادام في قلبه شهوة من شهوات الآخرة فهو محجوب عن ربه عز وجل (وقد عد) سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه من شهوات الدنيا طلب العلم لغير العمل به كأن طلبه لولاية أو رياسة وعد من شهواتها أيضا قراءة القرآن بالروايات من غير مطالبة نفسه بالعمل به وقراءة النحو واللغة والبلاغة والفصاحة الزائدة على الحاجة فليس صاحب هذه الامور بزاهد حقيقة لان كل خصلة من هذه الخصال فيها لذة للنفس وموافقة للهوى وراحة للطبع وكل ذلك من الدنيا يحبب الانسان في البقاء فيها ويحصل لديه السكون والطمأنينة اليها (فليفتش) العالم نفسه أو مدعي الزهد في الدنيا نفسه ويأخذ في مجاهدة نفسه ورياضتها حتى يخرج من قلبه كل شهوة دنيوية أو أخروية فيحب الجنة لكونها دار المشاهدة والمجالسة للحق تعالى لا لشيء يأكله أو يلبسه أو ينكحه فان ذلك انما خلقه الله تبارك وتعالى بالاصالة لعبيده والاشتغال بالحاصل تضييع للوقت فاعمل يا أخي على تحصيل كل مرتبة قبل طلب ما بعدها والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم تسليمي للنفس ما تدعيه من تركها الحظوظ النفسانية في الدنيا والآخرة لان لها غوائل في طلبها قل من يتنبه لها ولذلك طالت الطريق على المدعين ولم يدخل أحد منهم حضرة الله تبارك وتعالى لعدم تفتيشه نفسه وتوبته من الصفات التي تمنعه من دخول الحضرة (وقد كان) سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه يقول لا يدخل أحد من عتبة الولاية حتى يسمع المنادي من قلبه ينادي ألا من أراد دخول حضرة الحق جل وعلا فليترك الحظوظ كلها ويخلع نعليه وهما دنياه وأخراه ويتجرد عن الاكوان كلها ويتعرى عن جميع الاماني فلا يكون له ميل ولا محبة لشيء الا بامر الله عز وجل ثم يدخل بعد ذلك ومن لم يتجرد كما ذكرنا فلا يصح له أن يطأ بساط الحضرة أبدا ثم اذا دخل فله أدب آخر وذلك أن يكون مطرقا لا ينظر يمينا ولا شمالا أي لا ينظر يمينا الى الآخرة ولا شمالا الى الدنيا وحينئذ يتهيأ لان يخلع عليه الخلع انتهى وكان رضي الله تعالى عنه يقول تترك الحظوظ ثلاث مرات ثم يؤمر العبد باخذها فان لم يأخذها عصى أمر ربه (المرة الاولى) أن يترك الحرام والشبهات (المرة الثانية) أن يترك الحلال خوفا أن يشغله عن الله عز وجل (المرة الثالثة) أن يسمع من قلبه النداء اترك كل شهوة في الدارين ثم يؤمر باخذ النعم والتلبس بها وينهى عن ردها لشهوده أن في رد نعم الملك في تلك الحضرة سوء أدب وافتياتا على الملك واستخفافا بالحضرة وحينئذ يتلبس بالنعم ويراها فضلا من الله تعالى ونعمة بعد أن كان يتلبس بها بهواه ونفسه وهو غافل لان العبد كلما نزل منزلا تعددت نعمته قال رضي الله تعالى عنه ولا يسمى صالحا الا من وصل الى هذا المقام وصار بالله لا بنفسه وهواه اذ الصالح هو من تولى الله تعالى أموره ولم يبق عنده في نفسه طلب لجلب مصالح ولا لدفع مفاسد بل هو كالطفل الرضيع مع الظئر أو الميت مع الغاسل فتتولى القدرة تربيته وتجلب له مصالحه وترفع عنه مضاره من غير أن يكون له اختيار أو تدبير (فهذه) هي صفات الصالح التارك للحظوظ على الحقيقة فاعمل على التخلق بذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) تسليمي لكل من ادعى أنه تخلص من حظوظ نفسه من الفقراء بان صار يريد بارادة الله عز وجل ويدبر بتدبيره ويختار باختياره ويشاء بمشيئته ويرضى برضاه على الكشف والشهود وكذلك نسلم له دعواه أنه خرج عن النفس والهوى والاماني والارادات دنيا وأخرى وأن الله اصطفاه واجتباه وذلك لانه ادعى ممكنا راجعا الى الباطن لا يطلع عليه الا الله تبارك وتعالى. ثم صاحبه فنسلم له ما يدعيه

براهم شهادة كما رآهم غيبا قال الشيخ أبو العباس كنت مع الشيخ في السفر ونحن قاصدون الى الاسكندرية حين مجيئنا من المغرب فاخذني ضيق شديد حتى ضعفت عن حمله فاتيت الى الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه فلما أحس بي قال أحد قلت نعم سيدي قال آدم خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته نصف يوم خمسمائة عام ثم نزل به الى الارض والله ما أنزل الله آدم الى الارض لينقصه ولكن نزل به الى الارض ليكمله ولقد أنزله الى الارض من قبل أن يخلقه بقوله اني جاعل في الارض خليفة ما قال في السماء ولا في الجنة فكان نزوله الى الارض نزول كرامة لا نزول اهانة فانه كان يعبد الله في الجنة بالتعريف فانزله الى الارض ليعبده بالتكليف فلما توفرت فيه العبوديتان استحق أن يكون خليفة وأنت أيضا لك قسط من آدم كانت بدايتك في سماء الروح في جنة المعارف فانزلت الى أرض النفس لتعبده بالتكليف فاذا توفرت فيك العبوديتان استحققت أن تكون خليفة وأخبرني بعض أصحاب الشيخ أبي الحسن قال قال الشيخ ليلة اجتمع بي الشرف البوني وشرف الدين بن المحيلي وأخبراني انهما دخلا على امرأة بغربي الاسكندرية قال فقالت لنا أروني أيديكما

ثم ان كان صادقا فقد صدقناه وحصل لنا الثواب وان كان كاذبا رجع اثم ذلك عليه وحرم الوصول الى ذلك عقوبة له (وفى كلام) سيدى أحمد بن الرفاعى رضى الله تعالى عنه وأرضاه لا يكمل الرجل حتى يكون محوا فى صفات الله تبارك وتعالى انتهى (قال بعضهم) ومراده ان العبد اذا زالت أهويته وارادته وخرج عن جميع الحظوظ صار لا يرى لغير الله تبارك وتعالى وجودا ولا فعلا بل هو فى نفسه فعل لله عز وجل ومراد له ولذلك لا يضاف الى صاحب هذا المقام صدق فى وعد ولا خلف فى وعد لان الوعد أو الخلف انما يكون ممن له هوى وارادة فحكم هذا مع الله عز وجل اذا وعد أحدا حكم رجل عزم على فعل شئ فى نفسه ونواه ثم صرفه الى غيره انتهى وهنا أمور يذوقها العارفون رضى الله تعالى عنهم لا تسطر فى كتاب لعدم طاقة غالب الناس على تحملها انتهى والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تنبيهى بتصاريف القدرة فى بما أكره على وجود ذكر الحق تعالى لى فاشكر الله تعالى على كثرة تصاريف الاقدار فى العلى بان الحق تبارك وتعالى اذا اعتنى بعبد تعرف اليه بما يهوى نفسه وبما تكره نفسه ليعطى كل وارد عليه حقه من الشكر أو الاستغفار وليرده عما تسبح فيه نفسه من الحظوظ وأما اذا لم يعتن به فانه يجعله تجرى عليه تصاريف الاقدار وهو عن ذلك غافل كالبهيمة (وتأمل يا أخى) لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم محو الهوى والارادة كيف قال الله تعالى له ألم تعلم ان الله على كل شئ قدير عقب قوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها أى ألم تعلم أنك فى بحر القدرة تقلبك أمواجه تارة كذا وتارة كذا فيوحى اليك وحى ثم ينسخه ويوحى اليك بامر آخر فلم يترك تعالى نبيه على حالة واحدة محبة فيه صلى الله عليه وسلم ليصير الحق تبارك وتعالى له على بال ولا ينساه لحظة واحدة ومن هنا تعلم يا أخى أن فى قول الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه ان الخواص يصلون الى حالة لا يكونون فيها تحت أمر ولا نهى نظرا الا أن يريد حالة نزول عنهم فيها عمل التكاليف وذلك لانه اذا كان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين لم يترك لنفسه هملا فى وقت من الاوقات فكيف بغيره فلا بد أن يكون العبد المكلف تحت حكم الاوامر والنواهى ولو بلغ الغاية فافهم واياك والغلط (ومن هنا تعلم) أيضا ضعف قول من قال ان الفرق بين الانبياء والاولياء كون الانبياء يملكون أحوالهم والاولياء لا يملكون أحوالهم لانه لو صح ذلك ما خر موسى صعقا فافهم ذلك ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حسن ظنى بربى اذا قسى قلوب عباده على وأطلق ألسنتهم بذمى وكف لسانهم عن حمدى والثناء على وأرجلهم عن السعى الى وأقول لولا أن الله تبارك وتعالى أراد تقريبى منه لما جفانى عباده لانه ربما داخلنى الميل الى من أحبنى ومدحنى وواصلنى بالنعمة قهرا على فينقص ذلك من محبتى لله عز وجل واشتغل بعبيده ومراعاتهم وأغفل عنه تبارك وتعالى وأنسى كون ما وصل الى على يد عبده هو من نعمته تبارك وتعالى على لا من نعمة عبده وهو تعالى غيور لا يوحد عبدا فى المحبة الا ان وحده العبد كذلك فى المحبة . قال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به فكان فى كف أيدى الغير عن مواصلتى وعدم حمدهم أو مشيهم الى فى حال مرضى مثلا سعى فى كف بصرى عن رؤية النفع أو الضر من غيره فيجتمع قلبى عليه تعالى وأفرده بالمحبة قال صلى الله عليه وسلم جبلت القلوب على حب من أحسن اليها زاد فى رواية وبغض من أساء اليها ثم لا يخفى أن العبد لا يصطفيه الحق جل وعلا وهو يرى نفعا أو ضرا من غيره أبدا فاحسن الظن بربك يا أخى وانظر الى من هو ناظر اليك وأقبل على من هو مقبل عليك وأحبب من يحبك وأعط يدك لمن ينشلك من سقطتك فى الوحل ويخرجك من ظلمات الجهل وينجيك من ورطات الهلاك ويطهرك من الانجاس وينظفك من الاوساخ ويبعدك عن الاقران المضلين لك عن سواء السبيل من شيطانك وهواك وخلانك من الجهال القطاع لطريق الحق تبارك وتعالى الحائلين بينك وبين كل شئ ينفعك (وكان سيدى) عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه يحذر أصحابه من خلطة الناس ويقول الى متى عادة الى متى خلاف الى متى هوى الى متى رعونة الى متى دنيا الى متى أخرى الى متى الاشتغال بغير الله تعالى تعس والله وانتكس من اشتغل بالاكوان عن المكون

فقلت الهى بم يخرج العارفون من الحيرة فقيل لى بالتوحيد فهل فيكم من يعرف هذا التوحيد الذى يخرج العارفون به من الحيرة قالا فقلنا لها انما جئنا لنلتمس بركتك قال ثم قال الشيخ أبو الحسن ألا دلوها على من ضيق عليه ألا دلوها على من ضيق عليه ثم توجه الى جهتها وقال التوحيد الذى يخرج العارفون به من الحيرة لا اله الا هو يخرج العارفون من الحيرة بلا اله الا هو فاصبح بعض أصحاب الشيخ فذهب اليها فوجدها وهى تقول استغنيت استغنيت فعلمنا ان الشيخ أمدها فى تلك الساعة وقال الشيخ أبو الحسن كنت فى بعض سياحاتى وقد آويت الى مغارة بالقرب من مدينة المسلمين فمكثت فيها ثلاثة أيام لم أذق طعاما فبعد الثلاثة أيام دخل على ناس من الروم كانت قد أرست سفينتهم هنالك فلما رأونى قالوا قسيس من المسلمين فوضعوا عندى طعاما واداما كثيرا فعجبت كيف رزقت على أيدى الروم ومنعت ذلك من المسلمين واذا قائل يقول لى ليس الرجل من نصر باحبابه انما الرجل من نصر باعدائه وقال الشيخ أبو الحسن نمت ليلة فى سياحتى على

سبحانه وتعالى فتدرج يا أخي في قطع العلائق شيأ بعد شيء واشكر ربك تبارك وتعالى على كل شيء منعك من الدنيا والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) معرفتي بمداواة من رأيته يتسخط اذا سأل الله تعالى شيأ ولم يعطه الحق له سواء كان ذلك في حق نفسه أو غيره فان سوء الادب مع الله تبارك وتعالى لا يحتمله محب لله عز وجل ابدا بل يراه كفرا بالله جل وعلا فاذا سمعت يا أخي أحدا يقول قد سئمت وأنا أدعو الله تعالى في الشيء الفلاني فلا يعطيه لي فقل له أنت حر أم عبد فان قال أنا حر لست بعبد له فقل له كفرت يا عدو الله وان قال أنا عبد فقل له فاذن العبد ليس له مع سيده اختيار انما يدعو سيده عبودية واظهارا للفقر والحاجة وسيده يفعل ما يشاء فان لم يرجع عن الاعتراض فقل له أمتهم ربك في كمال حكمته وعلمه باحوال عباده أم غير متهم فان كنت متهما له في ذلك فانت كافر وان كنت غير متهم فعليك بالشكر على منعه لك من حظوظ نفسك وان كان لا بد لك من الاتهام وسوء الظن باقدار ربك فاتهم نفسك الامارة بالسوء العاصية لربها عز وجل فان ذلك أولى لك لانها عدوة الله وعدوتك وحبيبة الشيطان ومصافيته له وهي خليفته عندك وجاسوسه فكن خصما مع الله تعالى عليها ومجادلا لها نيابة عن الله عز وجل وجندا من جنود الله عليها فان كان بالضد من ذلك فهو عدو الله عز وجل فاحذر الحذر منها ولا ينبئك مثل خبير ثم لا يخفى انه يجب على كل داع الى الله تبارك وتعالى أن يعلم لناس الادب مع الله جل وعلا قبل الادب مع عباده فان سؤال الحق تعالى من جملة الادب معه لان فيه اظهارا لفاقة والحاجة وترك السؤال اظهار للغنى عنه وذلك لا يصح وقد قال تعالى واسألوا الله من فضله فامرنا بالسؤال ثم ان كان المسؤل فيه مقسوما فلا بد أن يسوقه تبارك وتعالى الى السائل فيزيده ذلك ايمانا ويقينا وتوحيدا ورجوعا الى الله في جميع أحواله وان لم يكن مقسوما أعطاه الله تعالى الغنى عنه في الباطن والرضا عنه بالفقر ان كان المسؤل فيه غنى أو أرضاه بالمرض ان كان المسؤل فيه ترك المرض أو قلب عنه قلب صاحب الدين ان كان المسؤل فيه طلب شيء يوفي به دينه أو صبر صاحب الدين عليه أو ثبطه عن مطالبته أو ألهمه اسقاطه عنه أو بعضه ثم ان لم يعطه الحق تبارك وتعالى شيأ مما سأل في الدنيا فسيعطيه في الآخرة ثوابا أعظم من ذلك فلا بد للسائل من حصول فائدة عاجلة أو آجلة والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) منازعة النفس لي بعد أن طعنت في السن وميلها الى الشهوات واعانته تعالى لي على مجاهدتها وذلك ليكتب الله تعالى لي ثوابا دائما ونعيما متجددا في الجنة وغالب الناس اذا طعن في السن خمدت نار نفسه وكفى الله المؤمنين القتال ففاته ثواب المجاهدة وفي الحديث رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر يعني مجاهدة النفس لان جهادها دائم مستمر وعليه ينزل قوله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فان الله تعالى قد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالعبادة حتى يأتيه الموت فافهم وانما كانت العبادة مجاهدة لانها كلها مبنية على مخالفة النفس اذ جميع العبادات تأباها النفس من أصلها لولا لطف الله تبارك وتعالى بها وانما كان كل من جاهد نفسه وغلبها وقتلها بسيف المخالفة يحييها الله عز وجل ليكتب له ثوابا دائما مستمرا كما مر فان قال قائل كيف أمر الله جل وعلا رسوله صلى الله عليه وسلم بالعبادة وهو صلى الله عليه وسلم معصوم من الهوى كما أخبر عنه الباري جل وعز بقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى * فالجواب ان الله تبارك وتعالى ما خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بهذا الخطاب الا ليقرر بذلك شرعه فيكون عاما بين أمته الى أن تقوم القيامة والا فهو تعالى قد أعطى نبيه صلى الله عليه وسلم القوة على النفس والهوى فلا يضرانه ولا يحوجانه الى المجاهدة والمحاربة بخلاف أمته فاذا دام المؤمن على مجاهدة نفسه حتى أتاه الموت ولحق بربه عز وجل ولقيه بسيفه المسلول الملطخ بدم النفس والهوى أعطاه تبارك وتعالى ما ضمن له من الجنة بقوله وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ثم اذا أدخله الله تعالى الجنة واستقر فيها وأمن من النقلة وغرق في النعيم طلب العود الى دار الدنيا ليجاهد نفسه ثانيا فيجدد الله تبارك وتعالى له كل ساعة نعيما الى ما لا غاية له من الطعام والشراب والحلي والحلل على حسب ما كان في دار الدنيا من تجدد المجاهدة لنفسه كل ساعة عكس

رابية من الارض فجاءت السباع فطافت به فاقمت الى الصباح فما وجدت انسا كانس وجدته تلك الليلة فلما أصبحت خطر لي انه حصل لي من مقام الانس بالله شيء فهبطت واديا وكان هناك طير وحجل لم أرها قط فلما أحسست بي طارت بمرة فخفق قلبي رعبا فاذا علي يقال لي يا من كان البارحة يأنس بالسباع ما لك توجل من خفقان الحجل ولكن البارحة كنت بنا والآن أنت بنفسك وقال رضي الله عنه قلت يوما وأنا في مغارة في سياحتي الهي متى أكون لك عبدا شكارا فاذا علي يقول لي اذا لم ترمنعما عليه غيرك فقلت الهي كيف لا أرى منعما عليه غيري وقد أنعمت على الانبياء وأنعمت على العلماء وأنعمت على الملوك فاذا علي يقال لي لولا الانبياء لما اهتديت ولولا العلماء لما اقتديت ولولا الملوك لما أمنت فلكل نعمة مني عليك وقال رضي الله عنه جعت مرة ثمانين يوما فخطر لي ان قد حصل لي من هذا الامر شيء واذا بامرأة خارجة من مغارة كأن وجهها الشمس حسنا وهي تقول مجوس مجوس جاع ثمانين يوما فاخذ يدل على الله بعمله وهو ذا لي ستة أشهر لم أذق طعاما وقال رحمه الله كنت في سياحتي في مبدأ أمري حصل لي تردد هل ألازم البراري والقفار

حال الكافر أو المنافق أو العاصى اذا مات من غير توبة فان هؤلاء لما تركوا مجاهدة نفوسهم كل ساعة وافقوها فى هواها وشهواتها وكفرها حتى أتاهم الموت على غير الاسلام أدخلهم الله عز وجل النار فاذا دخلوها وجعلها الله مقرهم ومصيرهم وأحرقت جلودهم ولحومهم جدد الله لهم جلوداً ولحوماً غيرها ليذوقوا العذاب المتواتر المضاعف فعلم ان ساعات المجاهدة للمؤمن هى التى كانت سبب نعيمه وساعات ترك المجاهدة للكافر أو العاصى هى التى كانت سببا لتعذيبه فضوعف على كل قسم ما يناسبه من النعيم والعذاب وهذا هو معنى حديث الدنيا مزرعة للآخرة وكل ميسر لما خلق له فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) انى لا أسأله تعالى شيئا من أمور الدنيا والآخرة الا مع التفويض وردا العلم فيه اليه تعالى عملا بعموم قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون فأقول فى دعائى اللهم أعطنى كذا وكذا ان كان فيه خير لى واصرف عنى كذا وكذا ان كان فيه شر لى ثم كل شئ وقع بعد هذا التفويض كانت عاقبته محمودة من عطاء أو منع وهذا الميزان واجب على العبد مادام له ارادة واختيار مع الله تبارك وتعالى فاذا فنيت ارادته واختياره وتفرغ قلبه لمحبة الله عز وجل كان اختياره باختيار الله تبارك وتعالى وارادته بارادة الله جل وعلا وكان فى سؤاله ذلك ممتثلا أمر الله عز وجل فلا يقع له الا ما يسره لموافقة مراده مراد ربه تبارك وتعالى سواء كان السؤال فى أمر الدنيا أو الآخرة وعلامة صاحب هذا المقام انه ان أعطى شكر وان منع شكر ولم يتغير على ربه جل وعلا بباطنه فاعلم ذلك واياك أن تدعى ذلك من غير تحقق به وعليك بسؤال الله عز وجل الامور التى لا بد لك منها وعاقبتها حميدة على الدوام لا يدخلها مكر ولا استدراج أبدا كسؤالك المغفرة للذنوب السالفة وسؤالك الحفظ فى المستقبل والتوفيق لحسن المعاملة ثم ختام ذلك بخاتمة الخير وهى أن تموت وأنت حسن الظن بالله عز وجل فان ذلك محط رحال الاولين والآخرين فعليك بالاكثار من سؤال الله تعالى ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) مبادرتى لشكر ربى اذا حفظنى من مضلات الفتن دون العجب بذلك على من وقع فى الفتن وهذه من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على فان العجب يورث المقت واحباط الاعمال كما ورد لا سيما ان سمع الناس الذين يقتدى بهم يقولون ليس فى مصر الآن على الطريق المستقيم فى العلم والعمل مثل فلان وحصل له جاه بذلك فى قلوب الخلق دون أقرانه فانه يهلك بالكلية ومن هنا أخفى بعض الفقراء كثيرا من أعمالهم الصالحة خوفا من ميل النفس الى مدح الناس لهم عليها فيهلكوا من حيث لا يشعرون ثم لا يخفى عليك يا أخى ان العجب لا يكون الا عن شهود العبد نفسه فاعلا لذلك الامر الذى عجب به أو مشاركا لله تبارك وتعالى فيه وقد يشير الى ذلك القرآن العظيم حيث قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم فالاولياء رضى الله تعالى عنهم كشف الله تبارك وتعالى لقلوبهم عن كون ذلك ظلما يعنى للنفس فتركوه من هذه الدار وغيرهم لم يكشف الله تبارك وتعالى لهم عن ذلك فلا يظهر لهم الا يوم القيامة فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) مداومتى على الاعمال التى كنت أعملها فى حال بدايتى وصبرى على الشدائد التى تصيبنى فى حال كهولتى وقد قيل للجنيد رضى الله تعالى عنه نراك تدمن امساك السبحة وقد وصلت الى مقام لا تحتاج الى من يذكرك بربك من الخلق فقال شئ وصلت به الى حضرة ربى لا أقطعه انتهى * وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان يسبح على عقد أصابعه ويقول انهن مستنطقات يعنى يوم القيامة بل أنا بحمد الله تبارك وتعالى أحب كثرة الاعمال الصالحة ولو رضيت النفس بدون ذلك فان الله جل وعلا قال وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله فطلب منا كثرة الاعمال فالعاقل يعلم ان نفسه وان رضيت بالدون لا يرضى الحق تبارك وتعالى منها بذلك قال تعالى والله يعلم وأنتم لا تعلمون ومن ذاق ذلك علم ان الحق تبارك وتعالى أشفق عليه من نفسه وان المنازل فى الجنة لا تشيد ولا ترفع الا بالاعمال فى الدنيا لانها مزرعة الآخرة * ثم اعلم يا أخى ان مراد القوم رضى الله تعالى عنهم بالبداية حيث أطلقت فى لسانهم هو خروجهم من المعهود الى المشروع كما ان

فصعدت اليه فما وصلت اليه الا ليلا فقلت فى نفسى لا أدخل عليه فى هذا الوقت فسمعته وهو يقول من داخل المغارة اللهم ان قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك اللهم وانى أسألك اعوجاج الخلق على حتى لا يكون ملجئى الا اليك قال فالتفت الى نفسى وقلت يا نفس أنظرى من أى بحر يغترف هذا الشيخ فلما أصبحت دخلت عليه فارعبت من هيبته فقلت له يا سيدى كيف حالك فقال أشكو الى الله من برد الرضى والتسليم كما تشكو أنت من حر التدبير والاختيار فقلت له يا سيدى أما شكواى من حر التدبير والاختيار فقد ذقته وأنا الآن فيه وأما شكواك من برد الرضى والتسليم فلماذا قال أخاف أن تشغلنى حلاوتهما عن الله فقلت يا سيدى سمعتك البارحة تقول اللهم ان قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك اللهم فانى أسألك اعوجاج الخلق على حتى لا يكون ملجئى الا اليك فتبسم ثم قال يا بنى عوض ما تقول سخر لى خلقك قل يا رب كن لى أرى اذا كان لك أبغوتك شئ فى هذه الجناية

مرادهم بالتوسط خروجهم عن ظاهر المشروع الى الاطلاع على المقدور كما ان مرادهم بالنهاية الرجوع الى المعهود بشرط حفظ الحدود فصورة الكامل فى الاعمال صورة المبتدى والقصد مختلف لان المبتدى يشهد مشاركة نفسه لربه تبارك وتعالى فى الفعل والمنتهى يرى الفعل لربه وحده وربه هو الفاعل به فيه وقل من يخرق سور الشرع الى شهود الحقيقة الا وتحصل له الزندقة فيستبيح المحرمات ويستهين بالمأمورات فالحمد لله تبارك وتعالى على حفظنا من ذلك ثم لا يخفى عليك يا أخى ان أعمال الاكابر من الانبياء والاولياء بعد أداء الاوامر واجتناب النواهى انما هى الصبر والرضا والموافقة فى حال البلاء فيكون غالب أعمالهم قلبية فلا يقدر على اتباعهم فيها من أصحابهم الا القليل لعلو مراقيها عكس أعمالهم أوائل أمرهم فان الغالب عليها كونها جسمانية ليقتدى جمهور قومهم بهم فيها ومن الاكابر من ختم أمره بالاعمال الجسمانية زيادة على القلبية علوا لمقامه كنبينا صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة رضى الله تعالى عنهم فقاموا حتى تورمت منهم الاقدام ليقتدى بهم الاكابر من بعدهم مبالغة فى النصح فلا يقال فكيف ابتلى الله تبارك وتعالى الاكابر فى حال كمالهم وانما الابتلاء لهم يكون فى مقام الارادة ومن كان مرادا فلا يحتاج الى الامتحان أصلا لانا نقول ان كل محبوب محب فهو تبارك وتعالى يبتليه من حيث كونه محبا وينعمه من حيث كونه محبوبا * وفى الحديث الشريف أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل انتهى والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) شهودى ان صفات نفسى المؤفة باقية معى الى أن أموت وأنه يجب على استصحاب التحفظ من ارتكاب الفواحش والجبة عنها الى حين لقاء الله عز وجل ويؤيد ذلك قوله تعالى فى حق يوسف على نبينا وعليه وعلى بقية الانبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأزكى السلام وعلى آلهم وصحبهم أجمعين كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ولو أن حكم الطبع يزول من غير المعصوم لالتحق بالملائكة كالمعصوم وانخرم النظام وبطلت الحكمة فكان من كمال الولى ابقاء حكم الطبع فيه ليستوفى به ما قسم له من الحظوظ المأذون له فيها قال صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة فانه صلى الله عليه وسلم لما فنى عن الدنيا وما فيها ردت اليه أقسامه المحبوسة عنه فى حال سيره الى ربه جل وعلا حال بدايته فاستوفاها موافقة لربه تبارك وتعالى وامتثالا لامره فكمل مقامه بذلك ولم ينقص وهكذا الولى يرد الله اليه أقسامه وحظوظه بعد الفناء مع حفظ الحدود بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم شهوتى لشئ من المطاعم والملابس اذا دخلت السوق فأنا بحمد الله تبارك وتعالى لو رأيتها أراها ببصر رأسى لا ببصر قلبى وأراها رؤية فجأة لا رؤية شهوة وانظرها نظر صورة لا نظر معنى كما أنظرها نظر الظاهر لا نظر الباطن وهذا الخلق نادر فى المريدين اليوم فربما غلبت أحدهم نفسه فاشترى لها ما اشتهته وربما لم يجد معه شيأ فيشتريه فى الذمة ولو برهن أو ضامن ويقول مررت على الشئ الفلانى فاعجبنى وما رأيت معى شيأ من الفلوس وخفت أن يأخذه غيرى بينما أذهب الى البيت وأرجع وهذا كله من غلبة الشهوة والحرص وفوق هذا المقام الذى ذكرناه مقام آخر خاص بالكمل رضى الله تعالى عنهم وهو تخلقنا بالرحمة على أهل الاسواق اذا دخلنا اليها أو مررنا فيها وغيبتنا بامتلاء قلوبنا بالرحمة عليهم عن الميل الى شهوة من الشهوات بل لم يزل صاحب هذا المقام من حين يدخل السوق الى أن يخرج منه يحس بقلبه انه محترق عليهم من غلبة الشفقة والرحمة فلا يزال يدعو لهم ويشفع فيهم عند ربه تبارك وتعالى حتى يخرج ثم انه يشكر الله عز وجل على كونه تعالى غمرهم بنعمته مع غفلتهم عن الشكر عليها ولم يسلبها عليهم جزاء لكفرانهم وقد بلغنا ان ذلك كان من خلق الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه فكان اذا دخل السوق لم يزل يتضرع ويدعو لاهل السوق وتغرغر عيناه بالدموع حتى يخرج منه فرضوان الله على كل فقير وصل الى هذا المقام فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) شدة غضبى باطنا على كل من ادعى عندى دعاوى كاذبة ومباسطتى

فدخل علينا رجل له هيبة فقلنا من أنت فقال عبد الملك فعلمنا انه من أولياء الله فقلنا له كيف حالك فقال كيف حال من يقول غدا يفتح لى بعد غد يفتح لى فلا ولاية ولا فلاح يا نفس لم لا تعبدين الله لله قال فتفطنا من أين دخل علينا فتبنا واستغفرنا ففتح لنا وقال رضى الله عنه كنت يوما بين يدى الاستاذ فقلت فى نفسى ليت شعرى هل يعلم الشيخ اسم الله الاعظم فقال ولد الشيخ وهو فى آخر المكان الذى أنا فيه يا أبا الحسن ليس الشأن من يعلم الاسم الشأن من يكون هو عين الاسم فقال الشيخ من صدر المكان أصاب وتفرس فيك ولدى وقيل للشيخ أبى الحسن يا سيدى لم لا تسمع السماع فقال السماع من الخلق جفاء وأخبرنى بعض أصحابنا قال استشفع طالب بالشيخ أبى الحسن الى القاضى تاج الدين ابن بنت الاعز أن يزاد على مرتبه فذهب الشيخ اليه فاكبر القاضى تاج الدين مجىء الشيخ وقال له سيدى فيم جئت فقال من أجل فلان الطالب لتزيده فى مرتبه عشرة دراهم قال فقال له القاضى تاج الدين يا سيدى هذا له فى المكان الفلانى كذا

له

له ظاهرا ثم اعلامي له بيني و بينه بكذبه ان رأيت نفسه تحمل مثل ذلك كأن يدعي الرقي أو يحب من يرقيه الى مقامات الصالحين رضي الله تعالى عنهم وهذا الخلق فيه جمع بين الغيرة لله تعالى والنصح لذلك العبد وقل من يجمع بين هذين الشيئين وقد دخل على مرة شخص لابس عمامة صوف وله عذبة بحضرة أخي الشيخ أفضل الدين فاطلع على باطنه فرآه مملوأ كذبا ورعونة وشركا لله في الافعال والاقوال واضمار السوء للمسلمين ثم صار يمدح نفسه ويزكيها فصاح فيه الشيخ أفضل الدين وقال له كذبت وأمر باخراجه وقال له كيف تدعي السلامة مع هذه العلل والمعاصي الظاهرة والباطنة فلا تسأل يا أخي ما فعل لابس ذلك الصوف بالشيخ أفضل الدين بعد ذلك في المجالس فقت وانسلخ من جميع ما كان يدعيه وصارت أفعاله الظاهرة تكذب ما يدعيه من الاخلاق الباطنة وذلك انه تبع من يزعم انه يعرف صنعة الكيمياء وطائفة العرجان وترك جميع ما كان فيه من الكسب والعبادة الى وقتنا هذا فاخذت أنا عبرتي من ذلك اليوم وصرت ولو أطلعني الله عز و جل على معاصي جليسي الباطنة لا أفضحه بها وانما أذكر ذلك في معرض وقائع سايح بن رايح أو اذكرها لصاحبها في أذنه ثم أصير أجيب عنه اذا أضاف أحد اليه تلك النقائص وأقول ما رأيت عليه الا خيرا وهذا الكلام الذي قيل عنه انما هو من اشاعة الحسدة عنه وذلك لا يقدح في مقام العلماء والصالحين فليحذر من أطلعه الله تبارك وتعالى على سريرة أحد من المتلطخين بالمعاصي أن يكتم ذلك عن صاحبه ويحكيه لغيره فان في ذلك عدة مفاسد وربما انتصر بعض المحجوبين له ونسبوا ذلك الشيخ الى غيبة الناس ويصيرون يقولون لا يجوز لفلان انتهاك أعراض المؤمنين بما زعم ان الله تبارك وتعالى أطلعه عليه كذبا وزورا وحاشا أن يكون هذا من أولياء الله عز وجل وهو يقرض في أعراض الناس ونحو ذلك وان كان ولا بد لذلك الشيخ من اظهار ما كشف له فليكن بنية صالحة لمن يصدقه على صحة كشفه فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) طلبي لكل حاجة احتجتها من باب الله تبارك وتعالى دون باب أحد من عبيده ولا أنظر الى باب غيره الا من حيث كون الخلق كالقناة التي يجري لنا منها الماء لا غير فالفضل لصاحب الماء الذي أجرى القناة لا للقناة فنشكر الوسائط امتثالا لامر الله عز و جل من غير وقوف معها وفي كلام الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه تعام يا أخي عن الجهات كلها حال طلبك حاجة من ربك ولا تنص على جهة معينة منها بغير علم فان ربك غيور فلا يفتح لك باب فضله وأنت ناظر الى جهة أحد من عبيده فسد يا أخي الجهات كلها بتوحيدك وامحها بيقينك ثم بفنائك ومحوك وحينئذ يفتح تعالى في قلبك عينا تنظر بها الى جهة الجهات وهي جهة فضل الله تعالى فتراها بعيني رأسك بشعاع نور قلبك وايمانك ثم يظهر ذلك النور من باطنك الى ظاهرك كنور الشمعة التي في البيت المظلم فيشرق ظاهر البيت بنور باطنه وتسكن النفس والجوارح الى وعد الله وعطائه دون عطاء خلقه ووعدهم فمن لم يصل الى ما ذكرناه فمن لازمه الاعتماد على الاسباب والوقوف معها وذلك شرك عند أهل الحقيقة رضي الله تعالى عنهم . انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لرب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم استبعادي على نفسي وقوعها في الكبائر فضلا عن الصغائر ولو صارت يقتدى بها في مثل هذا الزمان المبارك فان من وصية سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه اياك أن تستبعد وقوعك في أكبر الكبائر ولو توالت عليك المراقبة لله آناء الليل وأطراف النهار لان باب العصمة مسدود على غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكل أتباعهم على الصحيح فلا أمان لنا ما دمنا في هذه الدار وقد أغوى ابليس خلقا كثيرا حين ظنوا بانفسهم الخير ووقعوا في أكبر الفواحش وبعضهم أوقعه في عمل الزغل وشنقوه أو نفوه (وسمعت) سيدي عليا الخواص رضي الله تعالى عنه يقول ليس لابليس حيلة يوقع بها الفقراء في المعاصي أكبر من ظنهم بانفسهم الخير والصلاح فيصرعهم من حيث لا يشعرون لامانهم وعدم حذرهم منه انتهى كلامه رضي الله تعالى عنه وفي القرآن العظيم فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون * وفي كلام سيدي أحمد بن الرفاعي رضي الله تعالى عنه من لم يحاسب نفسه في كل نفس ويتهمها بالسوء فلا يكتب في ديوان الرجال

وفي المكان الآخر كذا وفي موضع كذا كذا قال فقال له الشيخ أبو الحسن يا ابن لا تستكثر على مؤمن عشرة دراهم تزيده اياها فان الله تعالى لم يقنع بالجنة للمؤمن جزاء حتى زاده النظر الى وجهه الكريم فيها وقال الشيخ أبو الحسن سمعت الحديث الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم سبعين مرة فاشكل علي معناه فرأيت الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يقول لي يا مبارك ذاك غين الانوار لا غين الظلم والاكدار وقال سمعت الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سكن خوف الفقر قلبه فلما رفع له عمل فمكثت سنة أظن انه لا يرفع عملي أقول ومن يسلم من هذا فرأيت الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول لي يا مبارك أهلكت نفسك فرق بين خطر وسكن وقال رضي الله عنه رأيت الصديق في المنام فقال لي أتدري ما علامة خروج حب الدنيا من القلب قال قلت لا أدري قال علامة خروج حب الدنيا من القلب بذلها عند الوجد ووجود الراحة منها عند الفقد وقال رضي الله عنه كيف يحبني هذا الامر استنار قلبي يوما فكنت أشهد ملكوت السموات والارضين السبع فوقعت مني هفوة فحجبت عن شهود ذلك فتعجبت

انتهى وقد درج السلف الصالح كلهم رضى الله تعالى عنهم على الخوف حتى ما نرا حتى ان بعض رجال رسالة القشيرى أوصى أهله وقال اذا خرجت من هذه الدار على دين الاسلام ومت فشيعوا جنازتى بالدف والمزمار أى الحلال فلما مات فعلوا معه ذلك ولا اعتراض على مثل ذلك فان الموت على الاسلام أعظم سرورا عند العاقل من تزويج ولده أو ختانه وقد رأينا بعض العلماء والصالحين يعطون الزامر وغيره فى الدعوات الفلوس على ذلك واختلاف الائمة رحمة وبالجملة فكل شئ دخل به المجرمون بيت الوالى جائز وقوعه ممن سيدى الشيخ فايمكن على حذر (وكان) سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يقول لا يصح لفقير أن يحفظ من الوقوع فى المعاصى الظاهرة والباطنة الا ان صارت حضرة الاحسان مقره لا يبرح منها ليلا ولا نهارا كالانبياء والملائكة والا فهو معرض للوقوع اذا خرج منها فى وقت من الاوقات فعلم ان أحدا لا يحفظ الا ما دام يعبد الله كأنه يراه أو يعتقد هو انه بين يدى الله تبارك وتعالى وانه تعالى يراه ومتى غاب عنه هذا المشهد خرج من الحضرة وتعرض لكل سوء وأجاب عليه ابليس بخيله ورجله انتهى *وكان أخى الشيخ أفضل الدين رضى الله تعالى عنه يقول لا بد للعبد من اسدال الحجاب عليه حتى يقع فى المعصية وإلا فعصيان العبد ربه تعالى على الكشف والشهود بان الله تعالى يراه لا يصح أبدا وهذا من جملة رحمة الله تبارك وتعالى بعصاة الموحدين فان مجاهرة الحق تبارك وتعالى بالمعصية على اعتقاد انه تعالى ساخط عليه فى ذلك الفعل فله احترام للجناب الالهى فكانت العقوبة تشدد عليه ويؤيد هذا حديث اذا أراد الله تعالى انفاذ قضائه وقدره سلب ذوى العقول عقولهم حتى اذا نفذ فيهم قضاؤه وقدره رد عليهم عقولهم ليعتبروا أو كما قال صلى الله عليه وسلم وقد بلغنا ان ابليس قال يارب كيف تؤاخذنى بترك السجود لآدم ولم ترد وقوعه منى فقال الله عز وجل له متى علمت انى لم أرد وقوعه منك أبعد وقوع الاباية منك أو قبلها فقال بل بعدها فقال له بذلك آخذتك انتهى فاذا كان ابليس الذى يوقع الناس بالوسوسة اصطاده فخ القدرة الالهية فكيف بغيره فتأمل (وذكر) الشيخ محيى الدين رضى الله تعالى عنه فى الفتوحات المكية أن الاسباب المانعة للعبد من الوقوع فى المعاصى أربعة لا خامس لها اذ بوجود أحدها فى المؤمن يستدل على عدم تقدير تلك المعصية على ذلك العبد (الاول) المحبة لله تعالى (الثانى) دوام الحياء من الله تعالى على الكشف والشهود بان الله تبارك وتعالى يراه (الثالث) دوام خوفه من مؤاخذة الله تعالى له اذا عصاه وصحة ايمانه بذلك (الرابع) الرجاء لمغفرة الله تبارك وتعالى وثوابه اذا ترك ذلك الذنب فما دام يشهد ذلك لا يقع فى معصية ابدا قال والى ذلك الاشارة بحديث نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه أى لانه لو انتفى عنه الخوف من الله تبارك وتعالى كان معه ثلاثة من الاسباب المانعة له من الوقوع فى المعاصى أو واحد منها وكذلك القول فى بقية الثلاثة غير الخوف كما لو قال صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب لو لم يستح من الله لم يعصه أو لو لم يرج ثواب الله لم يعصه انتهى أى فان الانسان لا يخالف محبوبه ولا من يستحى من مخالفته ولا من يرجو احسانه ولا من يخشى سطوته وهو كلام نفيس مما أظنه طرق سمعك يا أخى أبدا (وقد تقدم) فى هذه المنن ان العبد لا يقع فى معصية قط الا بعد تأويل أو تزيين ولو تحقق ان الله تبارك وتعالى يؤاخذه ما عصى أبدا كما لو أججت الوالى لأحد نارا وقال له ازن بهذه المرأة وأحرقك بهذه النار لا يزنى بها أبدا فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) دوام اعتمادى على الله تبارك وتعالى وحده فى الشدائد دون شركة أحد معه فى ذلك من الاصحاب والمحبين والمعتقدين وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على فان حكمى بين الحسدة كحكم البهلوان الذى يمشى على الحبل العالى بقبقاب وجميع الحسدة والاعداء والمبغضين من أهل مصر واقفون تحتى ينتظرون لى زلقة حتى أنزل الى الارض متقطعا فما تغيب الشمس على كل يوم أو تطلع وأنا لم أقع فى شئ يشمتون بى فيه وفى عينى قطرة وتعظم الشماتة عند الحسدة وتصغر بحسب النعمة فان عظمت النعمة على العبد عظمت الشماتة فيه وان قلت بالنسبة الى نعمة أخرى فى العدد مثلا صغرت الشماتة فيحتاج صاحب هذا المقام الى العكوف فى حضرة الله عز وجل على الدوام ومتى خرج منها لتناول شهوة ولو

لئلا نخرج عن غرض الكتاب والا فكلام الشيخ أشهر من أن ينبه عليه وأكثر ماذكرته هنا لا يوجد فى الكلام المنسوب اليه وقد مضى من كلامه فى المقدمة وسيأتى فى أثناء الكتاب ان شاء الله وحسبك من كلامه ماذكره من كرامات القطب وماذكره من طريق الخصوص والعموم والعلوم والحقائق والاسرار وحلاوة اللفظ ووجازته مع الاشتمال على المعانى الكثيرة والهيبة التى تجدها عند ذكرك لكلامه أو سماعك اياه قل ان تجد ذلك فى شئ من كلام أهل الطريق أما ماقال فى كرامات القطب فقال رضى الله عنه للقطب خمسة عشر كرامة فمن ادعاها أو شيأ منها فليبرز بمدد الرحمة والعصمة والخلافة والنيابة ومدد حملة العرش العظيم ويكشف له عن حقيقة الذات واحاطة الصفات ويكرم بكرامة الحكم والفصل بين الوجودين وانفصال الاول عن الاول وما انفصل عنه الى منتهاه وما انتهى اليه وحكم ماقبل وما بعد وحكم ما لا قبل له ولا بعد وعلم البدء وهو العلم المحيط بكل علم وبكل معلوم بدأ من السر الاول الى منتهاه ثم يعود

بيت الوالى لعلها الحكمة بتعبير اليوم

مباحة فقد عرض نفسه للزلقة من فوق الحبل * وكان الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه يقول حكم العارف اذا تناول الشهوة مع الغفلة عن ربه جل وعلا حكم القمر اذا كسف ثم من أعظم النعمة التي يعطاها العبد في دار الدنيا قيام الجاه عند الحكام وكثرة المعتقدين فيه الصلاح فمن جمع بين هاتين الصفتين صار كل حسودي في بلده ينتظر له زلقة لكونهم لا ينظرون الا لظاهر الدنيا ولو انهم أنصفوا ونظروا الى امور الآخرة لكانوا يحسدونني على مجالسة الله عز وجل ومجالسة رسوله صلى الله عليه وسلم ولو لحظة في النهار فان ذلك أولى بالحسد لانه لا نعيم في الدارين أعظم من ذلك * ولما طلعت للوزير علي باشا في ضرورة الى القلعة وأكرمني تحرك علي الحسدة من كل جانب وصاروا يفترون علي أمورا لم تقع لي قط فتعجبت منهم غاية العجب فان منهم من يدعي انه أعلم من في مصر ومنهم من يدعي الولاية فكيف يحسدونني على اكرام جندي من عبيد السلطان ولا يحسدونني على جلوسي في حضرة الله تبارك وتعالى في مجلس الذكر صباحا ومساء ولكن قد عرفت بذلك عدم صدق دعواهم العلم والصلاح ثم ان بعضهم اذا وقع له مصيبة يأتيني فيحملني حاجته فأقاسي فيها الموت دونه ولا أتخلف عنه فان عندنا ان الحاجة تخف بحسب الاعتقاد وتثقل بعدمه وقد جاءني مرة شخص من أهل العلم ليلا وحملني حاجته وقال ان بعض الحسدة أرشى شخصا في الحبس كان محبوسا على دين قيل ان فيه شبهة لذلك العالم وقالوا له اكتب فيه قصة للباشا واخبره انك هدمت عنده حائطا فوجدت فيه قدرتين من الذهب وعمودين من الفضة كل عمود طوله ذراع فاشرت عليه ان يسامح ذلك المديون مما اطره عليه فتوقف فاشتد غضب المديون فكتب بذلك قصة ووصلت للباشاه وأمر الوالي بالقبض عليه فلما جاءني ليلا قاسيت في حاجته ما لا طاقة لي به لكونه يرى انه أتم رأيا مني فامرته بطلوع القلعة قبل أن يطلبه الوالي فطلع وأيقن الحاضرون كلهم بالترسيم عليه فصرت أسأل الله عز وجل وأنا في البيت تحويل قلب الباشاه وان يطلعه على الحق في المسألة فلا بكل من الخصمين ساعة ثم قال ظهر لي ان دعوى كل منكما باطلة ثم قال للعالم سامح خصمك بما في المسطور وقال للآخر ظهر لي انك كذاب فلو ان هذا العالم كان سمع الاشارة بانه يسامحه بما في المسطور من غير توقف في الباطن لقضيت حاجته من غير ارعاب ولا خوف فالله تبارك وتعالى يصبرنا على هؤلاء الحسدة ويعيننا على دوام الاعتماد عليه لجميعنا من شماتتهم فقد فرت الانبياء من شماتة الاعداء كما في القرآن العظيم والحديث الشريف آمين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) تعظيمي لولاة الزمان ظاهرا وباطنا من قاض ووال ومحتسب وكاشف وشيخ عرب فان هؤلاء قد رفعهم الله تبارك وتعالى علينا في هذه الدار بين الناس والادب معهم مطلوب شرعا وعرفا بحسب استقامتهم واعوجاجهم وهذا الخلق قل من يفعله من الناس مع ولاة الزمان باطنا أو خاليا عن العلل وربما قام بعضهم لمن هو عنده فاسق واذا استشعر ان أحدا ينكر عليه قال الضرورات تبيح المحظورات ولا هكذا تعظيم مثلي لهم لاني انما أعظمهم وفاء بحقهم علينا * وكثيرا ما كنت أسمع سيدي عليا الخواص رضي الله تعالى عنه يقول ينبغي لنا ان نعظم الولاة ونكرمهم أدبا مع الله عز وجل الذي ولاهم رقابنا وحكمهم فينا انتهى * وذكر الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه في باب الوصايا من آخر الفتوحات المكية ما نصه ينبغي للفقير أن يعظم كل وارد عليه من الولاة لان أحدهم لم يطلع لزيارة ذلك الفقير حتى خلع كبرياء نفسه وعظمتها ورأى نفسه دون ذلك الفقير ولو انه كان نظر الى عظمة نفسه وان ذلك الفقير من جملة رعيته لما كان يطلع له زاويته ولكان أرسل اليه ليحضر ومن خلع عظمته قبل أن يصعد الينا فما لقينا الا وهو فقير حقير فوجب على الفقراء اكرامه انتهى فان اعترض معترض لا معرفة له بنيتنا ولا مصطلحنا وقال ان ذلك الامير مثلا ظالم لا ينبغي اكرامه قلنا ونحن كذلك ظالمون لانفسنا بالمعاصي ولغيرنا ولو بسوء الظن به في وقت من الاوقات فظالم قام لظالم وأكرمه فلا مزية لذلك الشيخ عليه لو أنصف لاسيما ان كان لذلك الامير عليه منة بهدية أو مساعدة له على تمشية حوائجه أو مرتبه أو رزقته اذا توقف الولاة فيها ونحو ذلك وقد رأيت شخصا له عمامة صوف وعذبة أرسل نقيبه ليسأل له شيأ من أمير فأرسل له عسلا وعدسا وأرزا حتى كفى مولده

ما ذكره العارف بالله أبو عبد الله الترمذي الحكيم في كتاب ختم الاولياء له ان من ادعى الولاية فيقال له صف لنا منازل الاولياء فذكر مسائل معيارا على من ادعى الولاية ولقد أخبرني الشيخ مكين الدين الاسمر قال مكثت أربعين سنة يشكل علي الامر في طريق القوم فلا أجد من يتكلم عليه ويزيل عني اشكاله حتى ورد الشيخ أبو الحسن فازال عني كل شيء أشكل علي ولما قدم الشيخ صدر الدين القونوي الى ديار مصر رسولا اجتمع بالشيخ أبي الحسن وتكلم بحضرته بعلوم كثيرة والشيخ مطرق الى ان استوفى الشيخ صدر الدين كلامه فرفع الشيخ أبو الحسن الشاذلي رأسه وقال اخبرني أين قطب الزمان اليوم ومن هو صديقه وما علومه قال فسكت الشيخ صدر الدين ولم يرد جوابا وطريقه رضي الله عنه طريق الغنى الاكبر والتوصل العظيم حتى انه كان يقول ليس الشيخ من دلك على تعبك انما الشيخ من دلك على راحتك ونشأ رضي الله عنه على يديه رجال منهم من أقام بالمغرب كأبي الحسن الصقلي وكان من أكابر الصديقين وعبد الله الحبيبي وكان من أكابر أولياء الله تعالى

الانصاري المرسي رضي الله عنه ومنهم الحاج محمد القرطبي وأبو الحسن البجائي وأبو عبد الله البجائي والوجهاني والخراز ومنهم من صحبه بديار مصر منهم الشيخ مكين الدين الاسمر والشيخ عبد الحليم والشيخ الشرف البوني والشيخ عبد الله اللقاني والشيخ عثمان التوريجي والشيخ أمين الدين جبريل ولكل من هؤلاء علوم وأسرار واسرا آت وأصحاب أخذوا عنهم تركنا تتبع كراماتهم وخصوصياتهم لئلا نخرج عن غرض الكتاب وطريقه رضي الله عنه تنسب الى الشيخ عبد السلام بن مشيش والشيخ عبد السلام ينسب الى الشيخ عبد الرحمن المدني ثم واحد عن واحد الى الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسمعت شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول طريقنا هذه لا تنسب للمشارقة ولا للمغاربة بل واحد عن واحد الى الحسن ابن علي بن أبي طالب وهو أول الاقطاب وانما يلزم تعيين المشايخ الذين يستند اليهم طريق الانساب من كانت طريقه بلبس الخرقة فانها رواية والرواية تتعين بتعين رجال سندها وهذه هداية وقد يجذب

فلما حضر ذلك الامير تشاهم عليه ولم يقم له فتعجبت من مثل ذلك فان التشاهم انما يكون ممن لا يقبل من الظلمة شيا ولا يحتاج اليهم في شئ كالاشياخ الصادقين الذين مضوا وأما النصاب فلا يناسبه مثل ذلك * وكان من خلق سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه تعظيم الولاة بطريقه الشرعي ويقول انما نهى الشارع صلى الله عليه وسلم عن التواضع للاغنياء اذا طمعنا في دنياهم أو علمنا بان تعظيمنا لهم يزيدهم طغيانا وغفلة عن الله تبارك وتعالى وأما اذا تعففنا عما في أيديهم وتعاطينا الاسباب التي تميل قلبهم الينا حتى يحبونا ويقبلوا شفاعتنا في مظلوم مثلا فلا حرج علينا في ذلك والاعمال بالنيات انتهى * وكان رضي الله تعالى عنه اذا زاره أحد من الاكابر يمشي معه الى خارج باب داره يشيعه ويقول له حصل لنا سرور برؤيتكم اليوم واذا أرسل له هدية ردها عليه ويقول له ارسالها الى أحد من المحتاجين اليها فاني غير محتاج ثم يقول اذا عظم صاحب ولاية هذا أدبنا مع ولاة أمورنا في هذه الدار وسيعلمنا الله تبارك وتعالى الادب مع أكابر الدار الآخرة اذا انتقلنا اليها ان شاء الله تعالى كما تقدم ايضاح ذلك مرارا ومر ابن موسى المحتسب أيام السلطان الغوري على الشيخ وهو في حانوته فنزل الشيخ وقبل ركبته وهو راكب ودعا له فانكر بعض الفقهاء على الشيخ فقال له الشيخ انما قبلت ركبته أدبا مع الله تعالى الذي ولاه وجعل الناس يسمعون قوله فاذا خفت البضائع من السوق يبعث مناديه ينادي للناس الذين يحتكرون الطعام عن المحتاجين أخرجوا ما عندكم فيخرجون البضائع حتى يمتلئ السوق أفتقدر أنت يا فقيه على مثل ذلك فسكت الفقيه ثم حكى لي ان بعض الفقراء رأى سيدي عبد الله بن أبي حجرة الشاذلي رضي الله تعالى عنه وهو جالس على كرسي وعليه خلعة خضراء والانبياء والاولياء واقفون بين يديه غاضون طرفهم فاستنكر ذلك وقال كيف يقف الانبياء بين يدي واحد من الناس فقص ذلك على بعض الاولياء فقال له لا تستنكر ذلك فان أدب الانبياء ليس هو مع لابس الخلعة وانما هو مع الله عز وجل الذي ألبسه فزال الاستنكار ثم قال له أما رأيت أكابر الدولة وهم راكبون امام بعض غلمان السلطان اذا ألبسه خلعة أدبا مع السلطان لا مع الغلام انتهى ثم لا يخفى ان التردد للاكابر مع السلامة منهم ليس هو لكل فقير انما هو لكمل العارفين وقد طلبت مرة انني أذهب الى زيارة أمير بلغني انه عازم على زيارتي حلا للمشقة عنه فنهاني أخي العبد الصالح الامير شجاع كيخية الغرب وقال لي ان هؤلاء لا يحملونك على انك تزورهم أدبا مع الله عز وجل الذي ولاهم ولا يعرفون لذلك طعما وانما يحملونك على زيارتهم طلبا لدنياهم اسوة غيرك من النصابين فتذل نفسك بزيارتك لهم وتحملهم الاثم من جهتك فمن ذلك اليوم ما ذهبت الى أحد من ولاة الزمان وانما أراسلهم في حوائج الناس خوفا على دينهم لا غير * وبالجملة فمن أراد اكرام الولاة له وتعظيمهم له واعتقادهم فيه فلا يأكل لهم طعاما ولا يقبل منهم صدقة ولا هدية الا ان كانوا صادقين في المحبة له بحيث يشهدون الفضل له اذا أكل من طعامهم أو قبل هديتهم فان مثل هؤلاء ارتفعوا عن درجة المعتقدين الذين لا ينبغي أكل طعامهم لان الاكل من طعامهم أكل بالدين والفرق بين المحب والمعتقد ان المحب يطعمك كالوالد سواء كنت صالحا أو غير صالح وأما المعتقد فلا يطعمك الا لاعتقاده فيك الصلاح فاذا أكلت طعامه كأنك أكلت بدينك ولا بد أن تعتقد حل ما تأكله وتسلك طريق الاستقامة مع الله تبارك وتعالى وأنا أضمن لك حصول التعظيم والاعتقاد التام وأما من يخالف ما ذكرناه فان حصل له عندهم جاه واعتقاد فانما ذلك بطريق نصب وحيل وخداع يسأله الله تبارك وتعالى يوم القيامة عنه * وكان سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه يقول من أراد اجلال الله تبارك وتعالى له في قلوب عباده فلينظف باطنه من الرذائل ويجل الله تعالى بقلبه حتى لا يتحرك ولا يسكن الا وهو يعلم ان الله تبارك وتعالى يراه وأما من يظهر للناس خلاف ما يضمر من النفاق والخداع فان الناس يعاملونه بمثل ذلك فيعظمونه خداعا ونفاقا في وجهه فاذا غاب عنهم وضعوه بما يعتقدونه فيه ويقطعون فروته من ورائه * وكان سيدي ابراهيم المتبولي رضي الله تعالى عنه يقول كيف يقبل الفقير هدايا الظلمة وبرهم واحسانهم ثم يطلب له المقام في قلوبهم هذا أمر لا يكون وهو من قلب الموضوع لانه صار معدودا من عائلة الظلمة وكيف تطلب العائلة ممن يعولها انه يخضع لها ويقبل يدها ورجلها ثم يحكى ان بعض الامراء كان يعتقد سيدي محمدا الحنفي

رضي

رضى الله تعالى عنه اعتقادا زائدا فارسل الامير اليه مرة نحو نصف وبية فضة فدخل بها القاصد والشيخ جالس على الكرسى فصار يحفن منها ويرمى للناس حتى فرغت الفضة فاخبر القاصد بذلك سيده فركب وجاء الى الشيخ وقال له انما أرسلتها لك لتتوسع أنت بها فقال الشيخ للامير خذ ثيابك واملأ لى دلوا من هذا البئر أتوضأ منه ففعل فثقل الدلو عليه فما أطلعه الا بجهد فنظر فيه فاذا هو ذهب أحمر فقال له الشيخ صبه فى البئر واملأ غيره فطلع الدلو كذلك ذهبا حتى فعل ذلك معه ثلاث مرات فقال له قل للبئر ان محمدا يطلب منك ماء الوضوء فطلع الدلو ماء فقبل الامير رجل الشيخ واستغفر ثم يقول سيدى ابراهيم رضى الله تعالى عنه فلو ان سيدى محمدا أخذ الفضة لنفسه أو شكر فضله على ذلك لما قام له فى قلبه جاه بعدها ومن هنا قالوا لو وزن الذى يقبل هدايا الامراء مقام نفسه قبل أن يأخذها ومقامه بعدها لما وجد مقامه بعده يجىء قيراطا من مقامه قبل الاخذ ومن شك فى قولى هذا فليرد من أتاه بشئ من الذهب مع حاجته اليه فانه يحس بان مقامه عظم فى عين صاحب الذهب بيقين عكس حاله اذا قبله وقد بلغنى عن بنى بغداد أنهم يقولون قد سئمت نفوسنا من كثرة ما يسألنا الفقهاء والفقراء وبعضهم جعل نزوله كل سنة الى مولد سيدى أحمد البدوى حجة فى سؤالنا وقبول صدقتنا وربما أنه لم يدخل قبة سيدى أحمد مطلقا فيضرب خيمته خارج الملقة ويصير يأخذ ما يأكل هو وجماعته وبهائمه ثم اذا انقضى المولد يأتى الى محلة المرحوم يسألنا بحاله وبقاله ويزعم انه انما نزل لزيارتنا شوقا الينا وهو كاذب فاننا لسنا من العلماء حتى يستفيد منا علما ولا من الصالحين حتى ندعو له ولا عندنا شئ من الحلال حتى يأخذ منه ما يطلبه فما بقى الا انه نصاب فاسبق انتهى فاياك يا أخى من وقوع مثل ذلك منك وسمعت جماعة الوزير على باشاه يقولون قد سئمت نفسنا من كثرة ما يسألنا هؤلاء المشايخ ونعطيهم من العدس والعسل والفلوس ثم انهم يقولون عنا اننا ظلمة فلاى شئ يأخذون منا ولو ان مثل هؤلاء شموا رائحة الطريق لتعففوا عما فى أيدى الخلائق فكانوا يعظمون فى عيونهم وطلب بعض الفقراء من خازن دار الباشاه الزيارة فقال ان زاره أستاذى زرته تبعا له وان زاره أستاذى لم أزره لانه مريد من جملة مريدى أستاذى فانا وهو سواء فى الدرجة انتهى فاياك يا أخى أن تتخذ صلاحك ولبسك الجبة وارخاء العذبة شبكة تصطاد بها الدنيا فتخسر مع الخاسرين وعليك بالورع تفوز مع الفائزين فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) محبتى لولاة أمور المسلمين ومشاركتى لهم فى الهموم والامراض لاسيما السلطان الاعظم وقد مرضت لمرضه مرتين وضربت على مفاصل رجلى مرات آخرها فى شهر رمضان سنة احدى وستين وتسعمائة لما سافر لقتال الروافض ومكثت مريضا من أول رمضان الى آخره فلما شفى السلطان شفيت وجاءنى فى المنام وضرب خيامه من الخليج المجاور لبيتى الى بولاق وكانت خيمته خضراء من ياقوت وفتح طاقة بيتى وقال شكر الله فضلك ثلاث مرات ولقى شخص من أرباب الاحوال الشيخ نور الدين الشربينى وقال له لولا ابن عبد الوهاب حل عن السلطان وجمع الرجل فى سفره ما لقى خيرا انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) كراهتى لتردد أحد من الاكابر الىّ من علماء وفقراء وأمراء فانا بحمد الله تعالى أتشوش من ترددهم الى تعظيما لهم لاسيما ان أتى أحد منهم ماشيا كما فعله الشيخ العالم الصالح الشيخ شمس الدين الخطيب الشربينى والشيخ سراج الدين الحانوتى الحنفى فسمح الله تبارك وتعالى فى أجلهما ونفعنى والمسلمين ببركتهما فانى أكاد أذوب من الحياء منهما لعجزى عن مكافأتهما بنظير ذلك ولعلمى بانهم ما ترددوا الىّ الا لظنهم فىّ الصلاح والبركة وأنا أعرف انى لست بصالح وان صفات نفسى أنجس من ماء خزارة المذبح وكان ذلك من خلق سيدى ابراهيم المتبولى وسيدى على الخواص رضى الله تعالى عنهما فكانا يقولان اسع الى اخوانك قبل أن يأتوا اليك ولا تنقطع عنهم بحيث يستوحشون اليك فيأتون لزيارتك واياك أن تحب ان أحدا يتردد اليك من غير ان تتردد أنت اليه كما يفعله بعضهم ممن لم تربهم الاشياخ فأن جميع ما مع الفقير فى هذا الزمان من المدد قد لا يجىء حق طريق واحد يمشى اليه * وقد رأى سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه شخصا يقول

ولقد قال لى الشيخ مكين الدين الاسمر رضى الله عنه أنا مار بانى الارسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عن الشيخ عبد الرحيم القناوى رضى الله عنه انه كان يقول أنا لا منة لاحد على الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم واذا أراد الله أن يتفضل على عبد ويغنيه عن الاستاذين حتى لا يكون له فيهم سلف فعل وقال مالك لبعض جلسائه انى أريد ان أجعلك وزيرا قال ليس لى فى هذا سلف قال انى أريد ان أجعلك سلفا لمن بعدك ولنا قصر على هذا القدر فانه كاف فى التعريف بقدر الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه وما الامر الا كما قال القائل

وقد وجدت مكان القول ذا سعة
فان وجدت لسانا قائلا فقل

وبدأنا بذكر الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه وان كان قصدنا فى وضع الكتاب ذكر مناقب شيخنا أبى العباس رضى الله عنه لكن فعلنا ذلك لامرين أحدهما ان ذلك تعريف بقدر الشيخ أبى العباس لان شرف التابع بشرف المتبوع ولان الشيخ كان هذا شأنه ذكر الشيخ والدلالة عليه والاعراض عن

لفقير ماعُدْنا ننظركم فزجره وقال لاى شئ ماتذهب أنت اليه اذا اشتقت اليه * وكان رضى الله تعالى عنه اذا بلغه انَّ أميرًا عازمٌ على زيارته يذهب هو الى بيته ويزور ذلك الامير ويقول أنا أقل كلفة في المجيء اليك من مجيئك الى ولامَه بعض الناس على ذلك فقال انما ذم السلف الوقوف على أبواب الامراء لمن يخاف على نفسه الفتنة أو وقف يطلب منهم شيأ ونحن بحمد الله لا نركن اليهم اذا دخلنا عليهم لزيارة أو عيادة ولو أنهم اعطونا شيأ لا نقبله منهم وانما نأتيهم لنسوق اليهم خيرا وتقدم قريبا ان محل طلب زيارة الفقير للامير ما اذا لم يترتب عليه محظور فراجعه * واعلم يا أخي ان لصاحب هذا الخلق علامة وهي أن ينشرح صدره اذا تركه الاكابر الذين كانوا يترددون اليه وترددوا الى أحد من أقرانه وينقبض خاطره اذا تركوا أقرانه وترددوا اليه فان الصادق يحب غفلة الناس عنه ونسيانهم له خوفا أن يشتغل بهم عن ربه عز وجل والكاذب بالعكس وقد رأيت شخصا انقطع في بيته وزاويته يعتب على بعض الناس عدم تردده اليه فقلت له عتابك للناس على ترك ترددهم اليك يخالف ما أشعته عن نفسك في مصر من محبة العزلة والانقطاع الى الله تبارك وتعالى فما درى ما يقول فعلم ان كل ما فيه تفعل من العبد غالبا فهو مذموم وهو الى صفة النفاق أقرب بخلاف ما ليس بتفعل وانما دعاه الى ذلك صدق التوجه الى الله تبارك وتعالى كالشيخ شاهين حين انقطع في الجبل وكالشيخ دمرداش حين انقطع في الصحراء فمثل هؤلاء كانوا يفرحون اذا غفل الناس عنهم وقد سمعت مرة الشيخ شاهين رضى الله تعالى عنه يقول والله مالي حاجة في توسعة مطلعنا الى الجبل حتى يطلع الينا الناس بالدواب ولا بعمارة مسجد عندي لان ذلك يجمع الناس ويكثر الزائرين والعقل يشهد بصدقه رضى الله تعالى عنه فرحم الله تبارك وتعالى من تبعه في ذلك الرحمة الواسعة آمين اللهم آمين والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علىّ) ردى كل ما يأتيني من مال الولاة فان أبوا أن يقبلوه رميته لكل من كان حاضرا من الناس ولا أقبل منه نصفا واحدا لنفسي ولا لعيالي وكثيرا ما يرسل الاكابر الى مالا يعلمه الا الله تبارك وتعالى فاخرج به للفقراء وأفرقه عليهم ولا أمسك منه درهما واحدا ولا لولدي ولم أر أحدا من أقراني يفعل مثل ذلك بل رأيت من يقبل المال على اسم الفقراء ويسمي لقاصد صاحب المال أسماء خلائق على غير مسمى ويوهمه انه يفرق ذلك المال عليهم فقال له بعض القصاد يوما أما تأخذون لعيالكم شيأ فقال قد عاهدت الله أن لا آكل من مال الولاة أبدا فتفرس فيه القاصد الكذب فأمر غلامه أن يتخلف بعده حتى ينظر ايش يفعل سيدي الشيخ في ذلك المال فرآه اعطاه لخازن داره فتسامع الفقراء فاتوا الشيخ فلم يعط أحدا منهم نصفا وقال هذا مال أرسله الباشا لي بالخصوص فاخبر الغلام بذلك أستاذه فتعجب من ذلك وأخبر بذلك الباشا فقطع عنه بره وحسنته فاياك يا أخي أن تفعل مثل ذلك فتخون الله ورسوله وتخون نفسك وصاحب الصدقة والفقراء ولما بلغ بعض الحسدة انني أرد مال الولاة قال هذا ليس بمقام عندنا فبلغ ذلك الامير محمدا الدفتردار فارسل الى ذلك الحاسد بالمال الذي رددته أنا وكان ذلك بحضرة جماعة فرده وقال هذا شئ ما فعلته قط فلما رد القاصد الى الدفتردار قال الذي ألقاه الله في قلبي ان هذا متفعل ولم يرد ذلك الا خوفا من لوث الناس به ولكن خذ هذه الصرة وأعطها له ليلا في جامع الازهر وجعل في الصرة رملا وشقفا فلما دخل القاصد بها الى الجامع وجده تحت دكة المؤذنين فاعطاها له فقبلها وانشرح وانبسط وقال سلم على الامير وقل له جزاك الله تعالى عن الفقراء والعلماء خيرا فقال له القاصد يا بطال ترد الذهب في النهار بحضرة الناس وتقبل الشقف والرمل ليلا فخجل وافتضح ووقع لي أيضا ان الامير أحمد الدفتردار زارني وعرض علي ألف نصف فرددتها فخرج ثم أرسلها لي مع غلامه وقال أعطها له بينك وبينه بحيث لا يراك أحد لظنه انني رددتها عليه حياء من الناس فلما جاءني بها قلت له يا أخي شئ لم أقبله من استاذك أقبله من غلامه ورددتها عليه ثانيا فتحقق اني ما رددتها الا تورعا فاعتقدني غاية الاعتقاد وقضيت عنده بعد ذلك عدة حوائج للناس وهذا الامر قد أعطاه الله تبارك وتعالى لي من حين كنت صغيرا لا أعرف الرياء ولا النفاق انتهى وانما ذكرت لك يا أخي هذه الوقائع لتقتدي بي فيها وترد الدنيا خالصا لا لعلة والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

فقال الشيخ لو أردت على عدد الانفاس ان أقول قال الله قلت قال الله ولو أردت على عدد الانفاس ان أقول قال رسول الله لقلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو شئت على عدد الانفاس ان أقول قلت أنا قلت أنا ولكن أقول قال الشيخ او أترك ذكر نفسي أدبا وقد تم الكلام في الباب الاول والله تعالى سبحانه أعلم

(الباب الثاني)

في شهادة الشيخ له انه الوارث للمقام والحائز قصب السبق بالتمام واخباره هو عن نفسه بما منّ الله به عليه من النعم الجسام وشهادة الاولياء له انه بلغ من الوصول الى الله تعالى لافضل مرام وانقدم امام ذلك مقدمة * اعلم أن الوارث للرجل هو الظاهر بعلمه وحاله وهو الذي يظهر طريق الوروث على يديه يفسر مجملها ويبسط مختصرها ويرفع منارها ويبث أنوارها يعرف الناس بما كان ذلك الرجل الكبير عليه من العلم بالله تعالى والمعرفة والنفوذ اليه والاحتظاء من نوره حتى اذا فرط الناس في محبة ذلك الرجل الكبير وتعظيمه في حال حياته استدركوا ذلك بعد وفاته لان كل مقدور عليه مزهود فيه وكل محجوز عنه متطلع

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم خوفي من أحد من الولاة بسبب كلام نقله لهم بعض الحسدة في حقهم عني أو نحو ذلك الا ان كان الخوف منهم يرجع الى الخوف من الله عز وجل كما اذا خفت من الله تبارك وتعالى أن يسلطهم علي بذنوبي فان ذلك لا يقدح في كمال مقام المؤمن وقد وقع لموسى عليه السلام وغيره الخوف من الخلق ويجب حمل ذلك جزما على ما قلناه لان الاكابر لا يشهدون الامور الا من الله تبارك وتعالى أصالة وان شهدوها من الخلق فانما ذلك بحكم التبعية وأيضا فان في كل مؤمن جزأ يخاف من الخلق ويجب على كل مؤمن كف الضرر عن نفسه قال تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وانما كنت لا أخاف من الظلمة لعلمي بانهم لا يسلطون الا على من يحب الدنيا بقلبه وأنا أعلم من نفسي انها لا تحب الدنيا وليس فيها بحمد الله تعالى الا محبة الله عز وجل ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ومحبة الاولياء والصالحين رضي الله تعالى عنهم وساكن البيت يحميه من كل ظالم واعتقادي في رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحميني باذن الله عز وجل من كل سوء في الدنيا والآخرة فعلم أن من لم يحب الدنيا فلا يسلط عليه أحد من الظلمة سواء كان خالي اليد منها بالكلية أو عنده مال لكن في يده لا في قلبه فلو أراد الظالم أن يؤذي مثل هذا لما أقدره الله تبارك وتعالى عليه وتامل يا أخي المجاذيب لما تحقق الولاة منهم تركهم للدنيا كيف صاروا يقبلون أقدامهم ويخافون منهم ومن تغير خاطرهم عليهم وقد قال لي صاحبنا الامير خضر الكاشف بالشرقية والقليوبية لقيني مرة الشيخ علي البراسي المجذوب في طريق قليوب ومعي العسكر فقبض على طوقي وأنزلني من فوق الفرس وصار يصفعني ويضربني على عمامتي حتى هدمها في عنقي بحضرة عسكر السلطان وصرت أرعد من هيبته وأنا خائف منه ثم سألني أن أطيب خاطره عليه هذه حكايته لي عن نفسه فلو أن أحدا من المحبين للدنيا أراد أن يفعل بالكاشف مثل ذلك لم يقدر ولو قدر انه فعل ذلك لكانوا يضربونه ويحبسونه أو يقتلونه أصلا فعلم ان كل من تحقق بالزهد في الدنيا حكمه الله تبارك وتعالى في الولاة ولم يقدر الولاة أن يحكموا فيه ولو كانت عمامته عمامة قاض وثيابه ثياب أمير فافهم ذلك ترشد ومن هنا تصدر العلماء العاملون لازالة منكرات الولاة كالشيخ محيي الدين النووي والشيخ تقي الدين الحصني ونحوهما لكمال زهدهم في الدنيا ولو انهم كانوا يحبون الدنيا ومناصبها لما قدر أحد منهم على مخاصمة أحد من الولاة ولا ساعدته القدرة الالهية على مثل ذلك وقد حكى السخاوي في مناقب النووي رضي الله عنه ان النووي أنكر على نائب الشام لما أراد أن ينقل كتب العلم التي في خزانة الجامع الاموي الى بلاد العجم وأغلظ عليه القول فاراد نائب الشام أن يبطش به وكان في فرش نائب الشام جلود نمار وسباع فاشار الامام النووي اليها فقامت سباعا ونمارا بقدرة الله عز وجل وكشرت بانيابها على نائب الشام فخرج منها هاربا هو وجماعته ثم صالح الشيخ وقبل رجله وكذلك بلغنا ان الشيخ تقي الدين الحصني رضي الله تعالى عنه هدم وكالة عمرها نائب الشام وأخرج حائطها في طريق المسلمين فارسل نائب الشام اليه من يقتله فلما جاء وجد عند كتف الشيخ سبعا عظيما قدر الفيل فخاف ورجع الى نائب الشام ولم يقدر أن يفعل فيه شيأ فهكذا كان العلماء العاملون رضي الله تعالى عنهم وقد كان سيدي ابراهيم المتبولي رضي الله تعالى عنه يقول كل من لم يقدره الله تبارك وتعالى على حماية نفسه من الولاة فليس له أن يتعرض لازالة منكراتهم خوفا أن يقتلوه أو ينفوه فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) حملي للعلماء الذين يدخلون على الامراء ولا ينصحونهم ولا يامرونهم بمعروف انهم لم يتركوا ذلك الا عجزا أو انهم لم يروا عندهم منكرا وقد كان سيدي ابراهيم المتبولي رضي الله تعالى عنه يقول لاصحابه من أدرك منكم النصف الثاني من القرن العاشر فلا يشدد في ازالة منكرات الولاة لان في ذلك الزمان تترادف علامات الساعة التي أخبر بها الشارع صلى الله عليه وسلم ومن شدد في منع وقوعها أصلا فكأنه ساع في خلف ما وعد به الشارع ولا يخفى ما فيه قال وعلى ذلك يحمل حديث الطبراني مرفوعا اذا رأيتم شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليكم بخويصة أنفسكم ودعوا عنكم أمر العامة انتهى قلت لكن قواعد الشريعة تشهد لوجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مطلقا ولو كان

اليه بالشغف حتى لقد سمعت الشيخ أبا العباس يقول يكون الرجل بين أظهرهم فلا يلقون اليه بالا حتى اذا مات قالوا كان فلان وربما دخل في طريق الرجل بعد وفاته أكثر مما دخل فيها في حياته والذي ظهر بهذه الاوصاف هو الشيخ أبو العباس الذي بث علوم الشيخ أبي الحسن ونشر أنوارها وأبدى أسرارها وسار الناس اليه من أقاصي البلاد وأقبلوا مسرعين اليه من كل نادفنشأت على يديه الرجال ونصرها وأظهرها بالمقال والفعال حتى انتشرت في الآفاق الاصحاب وأصحاب الاصحاب وظهرت علوم الشيخ في مظهري لسان وكتاب وأخبرني الشيخ الصالح الامين العدل زكي الدين الاسواني قال قال لي الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه يازكي عليك بابي العباس فوالله انه ليأتيه البدوي يبول على ساقيه فلا يمسي عليه المساء الا وقد وصله الى الله يازكي عليك بابي العباس فوالله ما من ولي لله كان أو هو كائن الا وقد أظهره الله عليه يازكي أبو العباس هو الرجل الكامل وسمعت الشيخ أبا العباس رضي الله عنه يقول عن نفسه والله ما سار الاولياء والابدال من ق الى ق حتى يلقوا واحدا مثلنا فاذا لقوه كان بغيتهم ثم قال والله الذي لا اله الا هو ما من ولي لله كان أو هو كائن الا وقد

ذلك الامر من علامات الساعة الا أن يخاف الانسان على نفسه من ذلك حصول ضرر شديد لا يحتمله عادة وقد كان الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه يقول لو كشف لولي ان فلانا لابد أن يزني بفلانة أو يشرب الخمر مثلا وجب عليه النهي لان نور الكشف لا يطفئ نور الشرع غايته ان الله تبارك وتعالى اطلع بعض أوليائه على تقديره على عبده وجميع ما أوجب سبحانه وتعالى علينا ان ننهى عنه كله من تقديره باجماع أهل السنة فالايمان بان ذلك من تقدير الله تعالى أو مشاهدته من طريق الكشف لا يسقط الامر بالمعروف لان الله تبارك وتعالى قد تعبدنا بازالة المنكرات ولو شهدنا كشفا بانها بارادته وخلقه تعالى * وفي كلام الشيخ أبي المواهب الشاذلي رضي الله تعالى عنه اياك أن تخرق سور الشرع يا من لم يخرج عن عادة الطبع فان الذي أشهدك ان كل شيء في الوجود خلقه هو الذي أمرك بازالة المنكر انتهى فعلم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا ينافي التسليم لله تبارك وتعالى فالعبد يسلم لربه تعالى من حيث تقديره على عباده ويقوم بما كلف به من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنه ليس للعبد أن يقف مع ظاهر الحديث السابق ويقول قد وجدت العلامات التي أخبر بها الشارع صلى الله عليه وسلم وما بقي على أحد وجوب في أمر غيره بمعروف وانما يترك العبد ذلك اذا خاف على نفسه ضررا شديدا من قتل أو نفي من بلده أو اخراج وظائفه التي بها معاشه ونحو ذلك ولعله مراد الشارع صلى الله عليه وسلم بقوله فعليكم بخويصة أنفسكم أي لانه يخاف عليكم حينئذ من الضرر الذي لا تطيقونه ولا تجدون معينا يعينكم عليه هذا لا يبعد فليس في الحديث تصريح باسقاط أصل الامر بالمعروف انما فيه الامر بعدم التشديد فيه لان أمر الشارع صلى الله عليه وسلم لا يترك اختيارا الا اذا نسخ ولا ناسخ لامره صلى الله عليه وسلم بعده الى قيام الساعة حتى ان عيسى عليه السلام اذا نزل لا يحكم الا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم كما ورد فتأمل ذلك وحرره والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم خوفي من مخلوق مطلقا من حية أو عقرب أو تمساح أو لص أو جن أو غير ذلك وانما أتحرز من هذه المذكورات عملا بالشرع من حيث انه تعالى قد أمرني أن لا ألقي بنفسي الى التهلكة كما مر تقريره قريبا لا خوفا من ذلك المخلوق مع غفلتي عن كون ذلك من الله تبارك وتعالى وهذا الامر قد أعطاه الله لي من حين كنت دون البلوغ فلا أهاب سبعا ولا سفرا في ليل مظلم وان وقع مني خوف من جهة الجزء الذي في نشأة كل انسان فذلك الجزء ضعيف لا يكاد يظهر له صورة لغلبة عسكر اليقين والتوكل على الله عز وجل على ذلك الجزء فافهم وقد وقع لي انني نمت في شيخ مدفون في قبة مهجورة وكانت القبة كلها ملآنة أحجارا فيها ثعابين كبار لا يتجرأ أحد منها ان يزور الشيخ لا ليلا ولا نهارا الا من خارج القبة فدخلت الشيخ في ليلة مظلمة أيام الشتاء ونمت فيها فصار الثعابين يدورون حولي الى الصباح ولم يتغير مني شعرة فلما طلع النهار وجدت مكان سحبهم في السباخ يشبه ذراع الآدمي في الغلظ فتعجب أهل البلد من ذلك وقالوا لي كيف سلمت في هذه الليلة فقلت لهم اعتقادي أن الثعبان لا يلسعني الا ان ألهمه الله تعالى ذلك فيقال له بلسان القدرة اذهب الى فلان فالسعه في المكان الفلاني من جسمه ليمرض أو يعمى أو يموت ولا يمكن الثعبان أن يلسع أحدا بلا ارادة الله عز وجل ومن نظر الى السوابق لم يخف من اللواحق وقد سبقني الى نحو ذلك شجاع الكرماني رضي الله تعالى عنه كان يذهب الى الغيضة فينام بين السباع الى بكرة النهار ليمتحن نفسه في اليقين فكانت السباع تشمه وتمشي حوله ولا تضره وكان رضي الله تعالى عنه يقول ما أمثل نفسي في الليلة التي أنام فيها بين السباع الا بليلة عرسي ونومي مع العروس * ومما وقع لي في سنة تسع عشرة وتسعمائة انني سافرت الى الصعيد فتبع مركبنا تماسيح نحو سبعة كل تمساح قدر ثور ففزعت الناس كلها من الجلوس على حافة المركب خوفا من ان تخطفهم التماسيح فجعلت في وسطي مئزرا ونزلت البحر بين التماسيح فهربت كلها مني فطاردتها في البحر ثم رجعت الى المركب فتعجب الناس من ذلك * ومما وقع لي مع الجن ان جنيا كان يدخل على في بيتي الذي في مدرسة أم خوند في الليل فيطفئ السراج ويصير يرمح في البيت فكان العيال يفزعون منه فكمنت له ليلة وقبضت على رجله فصار يصيح وترق رجله في يدي وتبرد الى ان صارت كرقة الشعرة الباردة ثم خرجت من يدي فمن ذلك اليوم ما ظهر ونمت

أطلعني الله عليه وعلى اسمه ونسبه وكم حظه من الله تعالى وبلغني عن الشيخ أبي الحسن انه كان يقول أبو العباس شمس وعبد الحكيم قمر وعبد الحكيم هذا ولي كبير من أصحاب الشيخ أبي الحسن وقد تقدم ذكره وسمعت الشيخ أبا العباس يقول قال الشيخ أبو الحسن سمعت يقال لي لن تهلك أمة فيها أربعة امام وولي وصديق ومحتسب قال الشيخ أبو الحسن الامام هو أبو العباس وسمعت الشيخ أبا العباس يقول ليس الشأن من ملك الشأن من ملك وملك أن علك وأنا والله ملكت وملكت ان أملك من سنة وثلاثين سنة وسمعته يقول الولي اذا أراد أغنى وسمعته يقول والله ما بيني وبين الرجل الا ان أنظر اليه نظرة وقد أغنيته وسمعته يقول قال الشيخ أبو الحسن يا أبا العباس ما صحبتك الا لتكون أنت أنا وأنا أنت وسمعته يقول قال لي الشيخ يا أبا العباس فيك ما في الاولياء وليس في الاولياء ما فيك وأخبرني بعض أهل البهنسا قال قدم علينا الشيخ أبو العباس فقال لي الآن خمس وعشرون سنة ما حجبت فيها عن الله طرفة عين قال ثم غاب عنا خمسة عشر سنة ثم قدم علينا فقال لي الآن أربعون سنة ما حجبت عن الله طرفة عين وقال يوما والله لو حجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم

مرة عند شخص من أصحابي في قاعة مهجورة كلها جن فأوقد السراج بعد العشاء وأغلق علي الباب وتركني وحدي فجاء جني واطفأ السراج ومعه جماعة كثيرة من الجن فصاروا يرمحون حولي الى الصباح وقلت لهم وعزة الله ان قبضت على أحد منكم ما يقدر أحد أن يطلقه مني ولا الملك الاحمر ونمت وأخذني النوم من غير فزع (ووقع لي) انني دخلت مغطس ميضأة جامع الغمري ليلا لاتوضأ منه وكانت ليلة مظلمة فخبط شيء في المغطس يشبه الفحل الجاموس وغطس فصعد الماء حتى فاض ونزل ناحية الحنفية فنزعت ثيابي ونزلت عليه في المغطس فزهق من تحتي فلم أجده وانما كنت لا أخاف من المؤذيات لاني كنت في مقام التدريج في اليقين وكذلك لا أخاف من اللص لانه لا يطلب مني الا الثياب أو غيرها من امور الدنيا وأنا بحمد الله تبارك وتعالى اذا رأيته سمحت له بها بطيبة نفس ثم أبرأت ذمته في الدنيا والآخرة حتى لا يلحقه اثم من جهتي فلماذا يضربني أو يؤذيني وأنا أعلم انه لا يضربني الا ان قلت له ما أعطيك ثيابي مثلا وبالجملة فلي أن أقاتله ولي ان استسلم له بالطريق الشرعي ولا يجب علي قتاله الا ان كان معي مال للغير وديعة مثلا أو حريم لي أو لغيري ولم يمتنع عن الفجور الا بالمقاتلة وأما المال اذا كان لي فهو عندي أخس من ان اقاتل مسلما لاجله فافهم ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) تنبيهي في المنام على الامور التي تقع مني في المستقبل من خير أو شر لآخذ حذري منها اذا لم يكن الامر مبرما قد حق به القدر وذلك معدود من وحي الحق تبارك وتعالى الى المؤمن ولا يعرف ذلك ويعتني به الا الاولياء الكمل وقد كان صلى الله عليه وسلم اذا صلى الصبح يقول لاصحابه من رأى منكم رؤيا يعني اعبرها له فكان صلى الله عليه وسلم يحب أن يرى أثر الوحي في أمته وان اختلف المقام وتفاوتت المراتب ولي أمارات أعرف بها جنس ما يقع مني لا عينه وأعرف بها عظمة الذنب وصغره بالنسبة لما قرره العلماء من صغير وكبير ومكروه فاذا رأيت انني أمشي حول شجر التين أعرف انني حائم حول خصلة دنيئة أريد أن أفعلها كما في قصة آدم عليه السلام واذا رأيت انني آكل من الشجرة أعرف انه لا بد لي من الوقوع في تلك الخصلة وان رأيت أحدا يجني التين ويطعمه لي أعرف انه يساعدني على تلك الخصلة كما وقع لحواء مع آدم عليهما السلام وان رأيت أنني مجالس للاموات أعرف ان قلبي مات عن فعل الطاعات وان رأيت أني مصاحب لاعمى أعرف انني عميت عن طريق حق فارجع وان نمت عن وردي ولم أتأثر لهوانه عندي أرى في الليلة الآتية ان راحلتي ضاعت مني وأنا مسافر في أرض كثيرة الوعر والشوك وان نمت عن قيام الليل مع الاوائل أرى نفسي مسافرا لمكة وقد انقطعت عن الحاج بنحو مرحلة أو أكثر أو أقل بحسب ما تخلفت في الزمان وان نمت عن وقت التجلي الالهي أرى نفسي مضطجعا مع الاموات وان تخلقت بشيء من اخلاق البهائم أرى نفسي مخالطا للبهائم في زريبة وربما رأيت نفسي معانقا لذلك الحيوان الذي تخلقت بأخلاقه من آدمي أو بهيمة وان نمت على غير وتر أرى نفسي تلك الليلة وأنا واقف على باب الوتر من الجنة فاريد أن أدخل منه فيمنعني الملك من الدخول ويقول لي أنت نمت على غير وتر وقد امرت ان لا أفتح هذا الباب الا لمن نام على وتره وأرى الكتابة التي على عتبة الباب الفوقانية وصورتها باب الوتر وان رأيت قلة صفاء معاملتي مع الله تبارك وتعالى أرى كأني أتطهر من ماء منتن الرائحة وهو قليل لا يكفي للطهارة وان رأيت الى كثرة عملي أرى الليلة الآتية انني ألعب مع المحبطين وان فعلت خصلة من خصال المنافقين أرى نفسي حاملا خشبا عظيما غليظا أو متوسطا أو رفيعا بحسب تلك الخصلة أصغرها حطب الطرفاء الشعشاع وان وقع مني غيبة في المسجد أرى كأني أشرب فيه الخمر وأرى نفسي كأني آكل في لحم رجل مشوي أحمر وأنا أستحلي ذلك اللحم كالحلاوة فاعرف انني استلذيت بغيبته وان نمت عن قيام ليلة أرى نفسي في مركب وهي منحدرة بي الى جهة دمياط وان نقصت من قيام الليل أرى نفسي منحدرا الى ميت غمر أو سمانود أو غيرها بحسب ذلك النقص وان انحدرت عن بلدي ساقية أبي شعرة أعرف أنني نزلت في المقام عن الحالة التي كنت عليها في الريف قبل مجيئي الى مصر وكأني لم أترق في مصر بعمل من الاعمال التي عملتها وان نمت عن وردي حتى قرب طلوع الفجر أرى نفسي في الليلة التي بعدها كأني تركت صلاة العصر

صالحني فانك قد لقيت عبادا وبلادا فلما خرج قيل ما الذي يعني ببلاد وعباد فقال انسان يريد انك صافحت عبادا وسلكت بلادا اكتسبت بركاتها فاذا صافحك حصل له منك بركة فضحك الشيخ ثم قال والله ما صافحت بهذه اليد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بنشيل القناطر رجل يقال له خليل وهو الآن مدفون بها وكان من أولياء الله تعالى قال دخل على الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه فتوضأ عندي ثم أخذ قوسا لي فجرها ثلاثا فقلت له سيدي من هو الخليفة بعدك فقال من يأتيك الى ههنا ويتوضأ نحو وضوئي هذا ويجر هذا القوس ثلاثا فهو الخليفة بعدي قال فدخل على أصحاب الشيخ اجمعهم وأنا أترصد هل يفعل ذلك أحد فلم يتفق حتى دخل الشيخ أبو العباس رضي الله عنه علي في ذلك الوقت وتوضأ نحو وضوء الشيخ ورفع بصره فوجد القوس معلقا فقال ناولني تلك القوس فناولته اياها فجرها ثلاث مرار ثم قال ياخليل جاءك وعد الشيخ وبلغني عن الشيخ أبي الحسن انه قال هذا أبو العباس مذ نفد الى الله لم يحجب ولو طلب الحجاب لم

حتى كادت الشمس ان تطلع وان قمت فى الليل وختمت وردى قبل انصراف أهل الحضرة من بين يدى الله تبارك وتعالى أرى كأنى صليت الجمعة وحدى قبل الناس ثم انصرفت الى بيتى وان نمت عن قيام الليل فى الليالى الفاضلة أرى نفسى فى مكة المشرفة وقد تخلفت عن الجمعة حتى كاد الخطيب ان يفرغ من الخطبة الثانية وان كان تخلفى بسبب الاشتغال بلهو أو عمل لا اخلاص فيه أرى نفسى فى مكة وأنا واقف على مجالس اللهو والخطيب يخطب فى الحرم لم أحضره وان تركت قيام الليل ليلتين متواليتين أرى نفسى جاوزت دمياط ودخلت البحر المالح وان نمت ثلاث ليال أرى نفسى فى الليلة الرابعة انى مضطجع معانق شخصا أعمى مزمنا أكتع يخط برجله فى الارض وبصاقه سائل على لحيته فاعرف ان مقامى فى النهضة للعبادة كحال ذلك الشخص وان سترت عورة أحد من المسلمين أرى تلك الليلة كأن لحيتى مضمخة بالمسك والعنبر والغالية والكافور وان رأيت انى آكل طعاما مخلوطا بغيره أعرف انى مخلط فى أعمالى تلك الايام وان رأيت نفسى فى حارة الباطلية أعرف انى ارتكبت باطلا فارجع عنه وان رأيت نفسى تائها فيها أعرف انى لا أهتدى للخروج من ذلك الباطل الا بعسر وان رأيت سيدى الشيخ أبا الحسن الغمرى رضى الله تعالى عنه وهو متبسم أعرف انى فعلت شيأ حسنا وان رأيته معبسا أعرف انى فعلت شيأ قبيحا وان رأيت الشيخ أمين الدين رضى الله تعالى عنه معبسا أعرف انى عزمت على فعل شئ فيه خيانة للدين فارجع عنه (وقد) عزمت مرة على منع أولاد أخى الشيخ عبد القادر رضى الله تعالى عنه أن يخرجوا من باب قاعتى وقلت لهم من باب السر فرأيت تلك الليلة الشيخ أمين الدين وقد فتح بابا من خلوته يطلعون منه الى بيته فعرفت انى خرجت عن وصية الله تبارك وتعالى على الايتام فرجعت عن ذلك لما رأيته فتح بابا من خلوته التى هى محل ماله وحوائجه التى يخاف عليها خوفا من كسر خاطر اليتيم وان خضت مع أحد فى مجالس اللغو أرى تلك الليلة كأننى عائم فى بحر مع أعمى أخاف الغرق أنا واياه وان اغتاب أحد عندى شخصا بريا وحصل عندى شك فى أمر ذلك الشخص أراه تلك الليلة وعليه ثياب نقية البياض فاعرف كذب ذلك المغتاب له وان رأيت انى لابس ثيابا خضرا ملطخة بحبر أعرف ان أحدا ينقصنى فى مجلس ويقبل بعض الناس ذلك منه فان لباس الاخضر لباس الصالحين ولكنه لم يسلم ممن يجرح فى صاحبه وان سمعت غيبة فى أحد ولم أرد عنه أرى نفسى تلك الليلة وأنا كأنى أسمع الآلات المحرمة فى مجلس الخمر مع أهل ذلك المجلس وقد صب الخمر على ثوبى فدنسه وان نفرت نفسى من فعل خير أرى كأننى منحدر فى مركب وهى سائرة كالحجر المرمى فى المشرعة وان وقعت فى معصية رأيت نفسى فى ناحية برشوب الصغرى أعرف صغر تلك المعصية أو ناحية برشوب الكبرى أعرف كبر تلك المعصية وان الله تعالى غضبان على وان رأيت نفسى تائها فى أزقة هاتين البلدين أعرف انى لا أخرج عن تلك المعصية الا بعسر وان رأيت نفسى فى مركب قد أرست على برشوب أعرف انى أقع فى شئ عاقبته رديئة وان رأيت انى فى الصالحية أعرف ان الحق تبارك وتعالى رضى عنى وعفا عنى فى ذلك الذنب وان رأيت نفسى مقلعا من الصالحية فى مركب نحو مصر أعرف انى شرعت فى الرجوع الى المقام الذى نزلت منه بفعل ذلك الامر القبيح وان رأيت نفسى مقلعا من مصر العتيقة الى ناحية الصعيد أعرف انى شرعت فى الرقى عن مقامى قبل فعل تلك المعصية مثلا وان رأيت نفسى خارجا من باب النصر الى الصحراء أعرف انى غير منصور فى تلك الحركة التى أنا فيها فى ذلك الوقت وان رأيت نفسى داخلا من باب النصر أعرف انه لا بد من نصرتى وان وقعت فى تقريب شخص أو فى فعل عاقبته رديئة وأنا أحسب أنه حسن أجد نفسى وأنا أغرس شجرة التين التى هى كناية عن حصول الندم بعد ذلك ثم ان غير الله تعالى الحال أجد ذلك الشجر قد تحول خسا أو قلقاسا ونحو ذلك من الخضراوات وان جلست فى مجلس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلبى يتفكر فى شئ من أمور الدنيا أرى تلك الليلة ان بستانى الفاكهة تحول الى شجر شوك وأثل وسدر وان غفلت عن الحضور مع الله تبارك وتعالى أرى شجر بستانى كله قد اصفر من العطش بقدر ما غفلت فيه من مرات الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أو مرات من الذكر وان عظمت الغفلة تلك الليلة على قلبى ولم أحضر الا قليلا أرى انى موسق مركبا ترابا من بلاد الريف وأنا مقلع بها الى مصر التى هى بلد

السلطان

فاخرج الجرتين وأخبرنى عبد الدائم ابن الشيخ ماضى وماضى هذا أحد أصحاب الشيخ أبى الحسن وهو أخو

يجده وقال الشيخ أبو العباس كنت ليلة من الليالى جالسا بالاسكندرية أكتب كتابا لبعض أصحابنا واذا بالشيخ خليل هذا فى الهواء فقلت له الى أين انتهيت فى سياحتك فى هذه الليلة فقال خرجت من نشيل وانتهيت الى جبال الزيتون بالمغرب الاقصى وأنا أريد أذهب الى البيت المقدس وأعود الى بلدتى ولو بسطت لى أكثر من ذلك لانبسطت قال الشيخ فقلت له ليس الشأن أن تذهب الى جبال الزيتون وتعود من ليلتك ولكن أنا الساعة لو أردت ان آخذ بيدك وأضعك على ق وأنا ههنا فعلت وأخبرنى أبو عبد الله بن سلطان وكان من أولياء الله قال أردت ان أرسل الى الشيخ أبى العباس عسلا فقلت لبعض أصحابى فقال لى عندى نصفيتان عسل فراخ أى جرتان صغيرتان فاتى الى بهما فسددتهما وكتبت عليهما وديعة الشيخ أبى العباس المرسى وأتيت بهما الى بحر تونس فادليتهما فيه فجاءنى الخبر من عنده انهما وصلا اليه وأخبرنى بعض أصحابه قال كان الشيخ جالسا يوما فقال لبعض أصحابه قم بنا فاتى الى بحر السلسلة وأدلى يده

السلطان فاعرف ان عملي تلك الليلة لا يصلح هدية للملوك بوجه من الوجوه وان رأيت أحدا من العصاة المغفور لهم ورجحت نفسي عليه أرى تلك الليلة انني على الصراط وذلك العاصي يحاذيني على الصراط خوفا أن أقع منه فاعرف انه أحسن حالا مني عند الله تبارك وتعالى فأستغفر في حقه وان تلاهيت عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أو عن ذكر الله عز وجل لاجل كلام أحد من الكشاف أو مشايخ العرب الذين يدخلون علي وأنا في المجلس أرى تلك الليلة أن بستاني الفواكه ليس فيه سوى صف واحد بجانب الزرب من شوك وأثل وصفصاف وأشجار غير مثمرة والباقي كله قاعا صفصفا ليس فيه شجر فمن نظر الى البستان من بعيد يعتقد انه مغروس كله ومن دخله لا يجد فيه شيأ فاعرف ان عملي في ذلك المجلس لم يحصل منه شئ سوى الصورة فقط كبساتين أهل سبا وكثيرا ما أرى الصف الذي عند الزرب كله شجر تين فاعرف شدة الندم يوم القيامة وان لم أتدارك أمري في الدنيا لم أتداركه في الآخرة وان مالت نفسي الى جاريتي من وراء زوجتي الممكنة نفسها مني أرى تلك الليلة انني صاحبت كلبة جرباء ضعيفة تأكل الذباب الطائر وتلتقطه من الهواء فاذا عطست طار من أنفها بصاق فاصاب ثوبي فأحتاج الى غسله فاعرف ان نفسي عند ذلك كنفس الكلبة المذكورة في الدناءة والقذارة وطيب نفسها بأكل الذباب الذي يورث القرف والمرض ولما زوجت جاريتي دام السرور وامتنعت من رؤية وجهها نحو سنتين فرفعت طرفي لها مرة بحضرة زوجها فرأيت تلك الليلة كأنني في جامع الحاكم وبين يدي قطعة من دم أسود نحو القنطار معجونة بخمر فأنا أريد ان ألحس منها مع اني بحمد الله تبارك وتعالى لم أنظر الى وجهها بشهوة وأعلم ان حكم الامة المزوجة مع سيدها حكم المحارم في النظر فعلمت بذلك كثرة اعتناء الحق تبارك وتعالى في منعي من النظر الى جاريتي المزوجة ولو بغير شهوة وشكرته تعالى على ذلك وان أكثرت الكلام في العلم وأنا غافل عن العمل به أرى نفسي تلك الليلة وأنا معاشر جماعة من الفقهاء المشهورين بعدم العمل بالعلم وان عظمت غفلتي بالتلاهي مع أحد من الخلق أرى نفسي تلك الليلة وأنا في المقابر أتفرج على أهل السخرية فاعرف انني نسيت الموت والاعمال الصالحة واشتغلت بما لا يعنيني وان سكنت الى خلق مذموم أرى نفسي ساكنا في الليلة في بيت أحد من الفسقة وان أكلت طعاما من غير تفتيش على حله أو التبس على وجهه مع التفتيش أرى ذلك الطعام تلك الليلة وقد قدم لي وهو مطبوخ بلحم كلب أو خنزير أو ميتة أو لحم حمار ونحو ذلك فاعالجه بالقيء فان لم يخرج أكثرت من الاستغفار (ومما وقع لي) ان محمد بن أخت خضر أتاني بطعام فلقاس حامض بلحم ضاني وقال كل هذا فان هذا من طعام شخص يعتقدك تزوج الليلة فأكلت منه فرأيت تلك الليلة كأنه يقدم الى طعاما فيه لحم كلب وخنزير وهما معا مطبوخان وأولئك الجماعة الذين أكلوا معي يأكلون معي في المنام فبحثت عن ذلك فوجدته طعام عبد تزوج وسرق من مال سيده شيأ فعمل به العرس وسيده من مباشري الظلمة فكأنه حرام بعد حرام من حيث كسب سيده ومن حيث سرقته وان اشتغلت عن الطاعات من أوراد بشئ من الدنيا أرى تلك الليلة ان اللص قد نقب جدار داري وأراد الدخول الى قعر الدار (والوقائع) في ذلك كثيرة وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى علي فينبهني حتى أتدارك ما يمكن تداركه قبل موتي فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) محبتي لرفع صوتي بالذكر محبة في الله عز وجل وطلبا لأحد يذكر الله عز وجل بذكري وتنهيضا لهمم الاخوان لاعمال أخرى من حظوظ النفس فانا أحب اذا قلت لا اله الا الله أن يسمع بها أهل المشرق والمغرب من انس وجن ومسلمين وكفار وقد بلغ الكتمان حده لكوني الآن في معترك المنايا وما بقيت نفسي بحمد الله تبارك وتعالى تطلب مقاما عند الخلق ولا شيأ سوى رضا الله عز وجل عنها ويا طول ما كتمنا العبادات ويا طول ما أمرت قيم المسجد أن يغلق شبابيك المسجد حتى لا يسمع أحد صوتنا بالورد فيذكر الله تعالى ولو مرة واحدة وأنا الآن أحب لقيم المسجد أن يفتح الشبابيك كلما ذكر فاعل أحد من المارين يسمع صوتنا فيذكر الله تعالى ولو مرة واحدة محبة في الله عز وجل ومحبة في حصول الخير للمارين الغافلين وانما كنت أخفي أعمالي قبل أن يشتهر اسمي في مصر وغيرها وقد بلغت الشهرة حدها والله

فلما فرغ من الصلاة قال لولده خذا بن عمك واصعدا به الى فوق قال فطلعنا عند الشيخ فوضع لنا قطائف وعسلا وقال هذا العسل من عند عمك فلما ذهبت الى والدي قال لي أبطأت الليلة لقد شغلت قلبي قلت كنت عند الشيخ أبي العباس وأطعمني قطائف وعسلا وقال هذا العسل من عند عمك قال فقال أبي عجب هذا لي في ديار مصر عشرون سنة ما أرسل الي أخي شيأ قط حتى بلغه ان وصول العسل كان على الوجه الذي تقدم وكان يقول والله لو حجبت عني جنة الفردوس طرفة عين ما عددت نفسي مع المسلمين وكان يقول لو فاتني الوقوف بعرفة في سنة ما عددت نفسي مع المسلمين وسمعته يقول كان الشيخ اذا أوذيت من بعض أصحابه يقول اصبر فوالله ما هي الا لك أي ما الوراثة الا لك ووجدت بخط الشيخ ابن ناشي أخبرنا الشيخ جلال الدين عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه انه قال ألبس اليوم أبو العباس ثياب البدلية حين مجيئهم من الحجاز بالمراسي بالجدير قال ابن ناشي فكتبت الى شيخي أبي العباس رضي الله عنه في ذلك شعرا على ذلك الوجه الجميل تحيتي *

اقبل أقداما سعت نحو خلوة * بها خلوة للشيخ أعظم خلوة فاخرج من ضيق الضلال الى الهدى *

انى لا طاب فى بعض الاوقات الخفاء فلا يتيسر لى وأشتاق الى بعض الاخوان فلا أقدر على الخروج اليه لكثرة ما يشير الناس الىّ بالاصابع فاخاف أن أكون معدودا من شر الناس كما ورد ولذلك لبست الطيلسان وصرت أرخيه على وجهى حتى لا أعرف فلم يزل الناس يسألون من يقود بى الحمارة عنى حتى صاروا يعرفونى ولو غطيت وجهى فتركت الطيلسان ثم انى قصدت بارخاء الطيلسان على وجهى الآن كف البصر عن فضول النظر وان وقع ان أجد أعظمنى أجد ذلك من باب فضل الله تبارك وتعالى لا من باب المكر والاستدراج هذا قصدى الآن وأزيد فى أعمال الشكر لله تعالى (وقد علم) مما تقرر ان ما ورد من ذم الشهرة فى نحو حديث من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوبا من النار وما ورد من ذم التسميع فى نحو حديث من سمع سمع الله به محمول على من فعل ذلك رياء وسمع الناس باعماله لغير غرض صحيح وسيأتى زيادة على ذلك فى نعمة ارخائى الطيلسان على وجهى حياء من الله عز وجل ومن الخلق فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) محبتى للتقليل من مجالسة الاكابر كلهم من العلماء والصالحين وقضاة العساكر والامراء والكبراء خوفا من وقوعى فى الاخلال بواجب حقهم لا لعلة أخرى فان حقوق الاكابر يعجز أمثالنا عن الوفاء بها والقاعدة ان كل من كثرت مشاهدة الناس له هان فى العيون ولذلك قالوا أقل الناس نفعا بالشيخ زوجته وولده ونقيبه لكثرة مشاهدتهم له ووقوفهم مع ظاهر بشريته دون الوصول الى معرفة قلبه وما فيه من الاسرار والمشاهد النفيسة انتهى (وتأمل) أهل مكة لما كثرت مشاهدتهم للكعبة كيف تجدهم لا يعظمونها كل ذلك التعظيم الذى يقع من الآفاقى ومن هذا الباب أيضا احتجاب الخطيب فى خلوة الخطابة انما عمل به العلماء طلبا لتأثير وعظه فى قلوب السامعين لان التأثير تابع لشدة الهيبة ولو ان الخطيب جلس يمزح ويلغو ويستغيب الناس الى ان أمر بالصعود الى المنبر على أثر تلك الغفلة واللهو والمعصية لما أثر وعظه فى قلوب السامعين من أهل ذلك المجلس وربما وعظهم بشئ فقالوا له بلسان الحال أو المقال قل هذا لنفسك (فعلم) ان مجالسة الاكابر لا تطلب شرعا الا لمصلحة ترجح عن البعد عنهم لا سيما ان كانوا أمراء (وقد) قال عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه اياك والدخول على الامراء ولو أمرتهم ونهيتهم فان ذلك لا يتيسر لك المداومة عليه انتهى وكم ينظر الفقير الجالس عند الامير محرما فى مأكله ومدخله ومخرجه وملبسه وملابس غلمانه وهو ساكت لا ينهاهم عن ذلك لا تصريحا ولا تعريضا بل قد رأيت من كان ياخذ البلص على يده للامير ثم ان الامير يستشهد به فى أنه لا يقبل باصا فيشهد له بذلك ويقول حاشاكم من ذلك حماكم الله من مثل ذلك فالبعد أولى والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علىّ) كثرة تعظيمى للشرفاء وان طعن الناس فى نسبهم وأرى ذلك التعظيم من بعض ما يستحقونه علىّ (وكذلك) من نعم الله تبارك وتعالى علىّ تعظيم أولاد العلماء والاولياء واكرامهم واجلالهم بطريقه الشرعى ولو كانوا على غير قدم الاستقامة ثم من أقل ما أعامل به الشريف فى الاجلال والتعظيم ان أعامله مثل ما أعامل نائب مصر أو قاضى العسكر وهذا خلق عظيم غريب فى هذا الزمان قل من يعمل به من الناس (ومن جملة الادب) مع الشرفاء أن لا يجلس أحدنا على فرش أو مرتبة أو صفة والشريف بضد ذلك وان لا نتزوج لهم مطلقة أو زوجة ماتوا عنها (وكذلك) لا نتزوج شريفة الا ان كان أحدنا يعرف من نفسه القدرة على القيام بواجب حقها وان يعمل على رضاها فلا يتزوج عليها ولا يتسرى ولا يقتر عليها فى المأكل والملبس دون قدرتنا ونقول ان جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم اختار ذلك (وكذلك) لا نمنعها شهوة مباحة سألتنا فيها ونقدم لها نعلها اذا قامت واحتاجت ونقوم لها اذا وردت علينا لانها بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكذلك) من الادب أن لا نرى لها بدنا ولو لبيع أو شراء الا أن تعين ذلك علينا شرعا ولا ننظر رجلها اذا كان أحدنا بائع الخفاف ولا نمعن النظر اليها فى الازار اذا مرت علينا فان ذلك يغضب جدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رآنا نفعل ذلك (وكذلك) من الادب مع الشريف أن لا يطلب منا شيأ

فيارب بلغنى الى باب قدوتى
وصحح لى عقدى وعهدى ونيتى
وأشرقت الانوار من كل وجهة
بتلقينه الاوراد فى كل زورة
وأبصرت ما أبصرت من ذلك الذى
فلا تسألوا يا قوم عن تلكمو التى
أنوح عليها لا أبوح ببعضها
ولكننى ان بحت بحت بعبرة
فسبحان من أعمى القلوب عن الذى
تصرف فى سر القلوب بهمة
ومن ذا الذى ربى بحضرة شيخه
فاكرم بها من حضرة بعد حضرة
وكان جديرا فى الجدير بحلة
غدت حلة الابدال أول سفرة
كذلك قال الشيخ وهو مسافر
بلا وقفة للركب فى عام وقفة
أفى الوقت ربان كأحمد الذى
أتانى فربانى على حين فترة
ومدحى له مدح لاحمد الذى
علا فى العلا أعلى مقام المحبة
فصلى عليه الله ما سار سائر * الى قبره بعد القيام بحجة

وأخبرنا الشيخ الامام العارف نجم الدين عبد الله ونمنعه

وغنمه ولو قوت يومنا أو عمامتنا أو جوختنا النفيسة الا لعذر يقبله منا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها في جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم كالذرة من التراب (وقد) أوضحنا الكلام على حقوق الشرفاء في كتاب البحر المورود وتقدم أيضا في هذه المنن اننا لا نفتح مجلس ذكر فيه شريف بل نسأله أن يفتتح بنا ثم نكون تبعا له فافهم ذلك واعمل على الخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) معرفتي بصوت الشريف وتمييزه عن غيره ولو من وراء حجاب (وكذلك) مما من الله تبارك وتعالى به علي معرفتي لكلام النبوة وتمييزه عما أدرج فيه (وكذلك) مما من الله تبارك وتعالى به علي معرفتي بالمساطير الزور وتمييزها من غيرها فأرى الحرف ميتا لا روح فيه عكس الحرف الذي وضع بحق (وكذلك) مما من الله تبارك وتعالى به علي معرفتي بشهادة الزور فأعرف ذلك من نطقه بالكلمة ثم اني توجهت بقلبي الى الله تبارك وتعالى فحجب عني جميع ذلك في سنة خمسين وتسعمائة أدبا مع الشريعة المطهرة (وكان) على هذا القدم سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه وكذلك أخي الشيخ أفضل الدين رضي الله تعالى عنه ربما نازعهما أحد في ذلك فيخبرانه باوقات كل معصية وأنها تكررت منه كذا كذا مرة أو لم تتكرر فيرجع اليهما ويستغفر (وكان) على هذا القدم أيضا الشيخ محيسن المجذوب المدفون بتربة جانم الحزاوي بالقرب من الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه كنت جالسا عنده وكان برجله اليمنى أكلة فقال له انسان الذي طلع في هذه ان شاء الله يطلع لك في الرجل الاخرى ما زحامعه فقال له الشيخ ما يستحق ذلك الا الذي أمسك امرأة جاره فوق الفرن في بلده في الوقت الفلاني فاصفر لون الرجل فقلت له ما لك فقال هذا الامر صحيح وله سبع وخمسون سنة ثم صار يتعجب ويقول كان هذا الشيخ في أين وأنا في أين (ثم) من فوائد معرفة صوت الشريف من غيره مبادرتنا الى تعظيمه والادب معه ولا نتوقف على اظهار علامة خضراء في عمامته أو ثبوت نسبه عند حاكم (وكذلك) من فوائد معرفتي لكلام النبوة من غيره أنني أبادر الى العمل به من غير معرفة ما قاله المحدثون فيه من صحة أو حسن أو ضعف وأقدمه على ما شككت فيه (وكذلك) من فوائد معرفتي بالكلام الزور عدم تصديق قائله وعدم الاكل من غلته أو أجرته ان كان مكتوب رزقة أو بيت وهذه الامور قد أعطاها الله تبارك وتعالى لي من حين كنت صغيرا (وقد كنت) وأنا صغير أسمع الخطيب يروي حديثا يقول فيه الليل والنهار مطيتان فاحسنوا السير عليهما واعلموا ان أحدا لا يموت حتى يرى حسن عمله وسوء عمله فكنت أقول في نفسي تركيب هذا الكلام ليس فيه فصاحة لركاكته حتى رأيت الحافظ المنذري نبه عليه في الترغيب والترهيب وقال في اسناده من لا يوثق به فلا تسأل يا أخي عما حصل عندي من السرور لما وافقني الحفاظ على ما كان عندي من طريقتهم الظاهرة فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) كراهتي للاكل من الصدقات الخاصة الا لضرورة شرعية لظهور المنة فيها بخلاف العامة كالموقوف على الفقراء والمساكين فلا أكره الاكل منه لكن بشرط الحاجة وسيأتي في هذه المنن كراهة أكلي من خبز الخوانق الموقوف على الصوفية لعزة اجتماع شروط الصوفية المنطلق اليها الاسم في عرف أهل الطريق كالجنيد واضرابه فراجعه (وأما) دراهم الزكاة المفروضة فلا أتذكر أني أكلت شيأ منها ولا لبست وعلى ما تقدم ذكره أوائل الكتاب من أنني من ذرية محمد بن الحنفية رضي الله تعالى عنه فانا شريف فيحرم علي الصدقات وبتقدير انني لست بشريف فلي التعفف عن أوساخ الناس وان قبلت شيأ من الزكاة في السنين الخالية فانما كان على اسم المحاويج من الفقراء والارامل والعجائز (وقد) منع الناس زكاة أموالهم في سنة تسع وخمسين وما بعدها فلم يأت الفقراء شيء منها لقلة المكاسب وضعف يقينهم فاسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا القناعة حتى نلقاه آمين فافهم ذلك واعمل على الخلق به والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) استئذاني بقلبي لربي جل وعلا أو لرسوله صلى الله عليه وسلم أو لاحد من المجتهدين رضي الله تعالى عنهم أو غيرهم اذا كنت أقرأ في قرآن أو حديث أو علم وأردت أن أكلم أحدا في حاجة فاقول بقلبي ولساني دستور يا رب أكلم عبدك في حاجة كذا أو دستور يا رسول الله أو دستور يا محمد

الاصفهاني نزيل مكة قال قال لي شيخ صحبته وأنا ببلاد العجم انك ستلقى القطب بديار مصر فخرجت من بلادي قاصدا لذلك فانا في بعض الطريق واذا بجماعة من التتار فامسكوني وقالوا هذا جاسوس فكتفوني ثم تشاوروا في فقال بعضهم نقتله وقال آخرون لا نقتله فبت مكتوفا ففكرت في أمري فقلت خرجت من بلادي أريد لقاء من يعرفني بالله والله ما جزعي من الموت ولكن كيف أموت قبل ان أنال ما قصدت فعملت أبياتا ضمنت فيها شعر امرئ القيس منها

وقد أوطأت نعلي كل أرض
وقد أتعبت نفسي باغترابي
وقد طوفت في الآفاق حتى
رضيت من الغنيمة بالاياب

فما استتممت الانشاد الا وأنا أرى رجلا كث اللحية ظاهر الهيبة أتى الي كالبازي اذا انقض على الفريسة فحل كتافي وقال قم يا عبد الله فانا مطلوبك ثم اني قدمت ديار مصر فقيل لي ههنا رجل يقال له أبو العباس المرسي فذهبت اليه فاذا هو ذلك الرجل الذي حل وثاقي وقال لي لقد أعجبني تضمينك ليلة أمرت

وقولك وذكر الابيات الى آخرها وأخبرني الشيخ نجم الدين أيضا قال قال لي شيخي اذا

يا ابن ادريس مثلا أن أكلم فلانا كل ذلك مراعاة للادب مع الله عز وجل ومع رسوله صلى الله عليه وسلم ومع العلماء رضى الله تعالى عنهم أجمعين ولهذا الادب حلاوة عظيمة يجدها صاحبه لا يعادلها حلاوة ثم ان غفلت عن الاستئذان وكلمت انسانا فلا بد من استغفارى لله تبارك وتعالى حتى يلقى الله تعالى فى قلبى أنه قبل استغفارى (وكان) أخى الشيخ أفضل الدين رضى الله تعالى عنه اذا كلم انسانا غافلا وهو يقرأ القرآن يستغفر الله عز وجل ألف مرة وان كلم أحدا وهو يقرأ فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر الله تبارك وتعالى أكثر من سبعين مرة وان كلم شخصا وهو يقرأ فى كلام أحد من العلماء رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم يستغفر الله جل وعلا ثلاث مرات ولم أر لهذا الادب فاعلا الآن من أقرانى غيره فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) جعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسطة بينى وبين الله تبارك وتعالى فى كل حاجة طلبتها لانه صلى الله عليه وسلم كبير الحضرة الالهية فسؤالى النار بناجل وعلا بلا واسطته سوء أدب معه صلى الله عليه وسلم ولانا لا نعرف الادب مع الله تبارك وتعالى لعدم احاطتنا به عز وجل بخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فافهم ذلك (وفى كلام) سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله تعالى عنه اياك ان تحذف واسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلم الله عز وجل بلا واسطته فانك تكون اذ ذاك مبتدعا لا متبعا والكامل لا يطأ مكانا لا يرى فيه قدم الاتباع لنبيه صلى الله عليه وسلم فيه أبدا انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) كراهتى لمد رجلى فى ساعة من ليل أو نهار الا بعد قولى دستور يا الله أمد رجلى لا ريحها من القرفصاء ثم أمدها بعد ذلك وكذلك الحكم فى مدها نحو المدينة المشرفة أو نحو ولى من الاولياء لا أمدها ناحية أحد منهم حتى أقول دستور يا سيد المرسلين أو دستور يا سيدى عبد القادر يا جيلانى أو يا سيدى أحمد يا ابن الرفاعى أو يا سيدى أحمد يا بدوى أو يا سيدى ابراهيم يا دسوقى ونحوهم من الاولياء الاحياء والاموات كل ذلك لشهودى أننى بين يدى الله تبارك وتعالى أو بين يدى رسوله صلى الله عليه وسلم أو أئمة دينه رضى الله تعالى عنهم على الدوام شعرت بذلك أو لم أشعر فان لم يكن ذلك كشفا كان ايمانا (ولهذا) الادب حلاوة عظيمة لا يقدر قدرها ثم انى اذا حصل لى وجع من كثرة ضم رجلى بحيث انى أعرف أن مثل ذلك الوجع يعذرنى الله تبارك وتعالى فيه بقرينة قواعد الشريعة فحينئذ لا يتأكد على الاستئذان (وقد رأيت) الام اذا خافت على ولدها من القرفصاء تصير تمدد رجلى ولدها كلما قبضهما رحمة به مع ان رحمتها بولدها دون رحمة الله تبارك وتعالى بعبده بيقين فاذا كانت الام تمدد رجلى ولدها مع ضعف رحمتها فالله تبارك وتعالى أرحم وأشفق ولم أر لهذا الادب فاعلا من أهل عصرى الا قليلا فاعمل على التخلق بذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) شدة كراهتى للنوم على حدث أكبر أو أصغر ظاهر على الجسد أو باطن من حقد أو مكر أو خداع أو غل أو حسد أو تنقيص أحد من المسلمين الا بطريق شرعى كل ذلك مراعاة للادب مع الحضرة التى ننتقل اليها بعد النوم فان الارواح اذا ارتفعت عن الجسم الى السماء لا يؤذن لها فى السجود بين يدى الله تبارك وتعالى الا اذا نامت على طهارة ظاهرة وباطنة فان لم تكن ظاهرة كما ذكرنا منعت من السجود والدخول لحضرة الله عز وجل فتصير واقفة خارج الحضرة لا تقدر على السجود ولو انها سجدت خارج الحضرة على حدث لم تقبل فى عالم الارواح فصلاتها باطلة وتأثم بذلك إثما يشاكل مقام صاحبها ويستروح لما قلناه بقوله صلى الله عليه وسلم فى خروج النساء لصلاة العيد والحيض يعتزلن المصلى مع أن المصلى ليس هو بمسجد انما ذلك لكونه محلا يسجد الناس فيه فافهم وما يعقلها الا العالمون (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لسيدى أفضل الدين اياك أن تنام على حدث ظاهر أو باطن من محبة الدنيا وشهواتها فربما أخذ الله تعالى روحك تلك الليلة فتلقى الله تعالى وهو عليك غضبان بحسب قبح ذلك الذنب الذى نمت عليه (وقد قال) تعالى أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض الآية (وفى) الحديث أيضا مرفوعا

لقيت القطب فلا تصلين وهو وراءك فجئت يوما الى أبى العباس وهو بالاسكندرية عند صلاة العصر فلما دخلت عليه قال أصليت العصر قال قلت لا قال قم فصل وفى المكان الذى هو فيه ايوانان قبلى وبحرى وكان الشيخ جالسا فى البحرى فلما قلت لا صلى ذكرت ما قاله لى شيخى اذا لقيت القطب فلا تصلين وهو وراءك وعلمت انى اذا صليت كان الشيخ وراء ظهرى فاقام الله بقلبى حالة وقلت حيثما كان الشيخ هنالك القبلة فتوجهت لناحية الشيخ وأردت ان أكبر فقال الشيخ لا هو لا يرضيه خلاف السنة وقال رضى الله عنه ماذا أصنع بالكيمياء والله لقد صحبت أقواما يعبر أحدهم على الشجرة اليابسة فيشير اليها فتثمر ابانا للوقت فمن صحب هؤلاء الرجال ماذا يصنع بالكيمياء وأخبرنى بعض أصحابنا قال كنت أصحب بمدينة قوص الشيخ أبا عبد الله البجائى أحد أصحاب الشيخ أبى الحسن الشاذلى فكان يقع لى الامر فاسأل عنه الشيخ أبا عبد الله فيقول ليس هذا الامر لى ولكن ان جمع الله بينك وبين أبى العباس المرسى تجد عنده ما تريد وقال رأيت فى المنام كأن معى طبقا فيه بسر وحوارى يأكل منه فعبرته فقيل هذا رجل كبير لك على يديه علوم بعدما أتى وقتها فلما ورد الشيخ

يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل (وفى) الحديث أيضا ان الله تعالى من منذ خلق الدنيا لم ينظر اليها أى نظر رضا عنها وعن محبيها والا فهو تبارك وتعالى ينظر اليها نظر تدبير ولولا ذلك لذهبت فى علم الله جل وعلا ولم يبق لها وجود فافهم ذلك فمن نام على محبة الدنيا ومات فى تلك النومة حشر مع مبغوض لله لم ينظر اليه منذ خلقه (وهذا) الامر قل من يتنبه له حتى يتوب منه بل غالب الناس لا يعد محبته للدنيا ذنبا أبدا وغاب عن هؤلاء قول المسيح عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة فلم يخرج عن محبتها خطيئة واحدة انتهى (وكذلك) ينبغى للانسان مراعاة التوبة من جميع الذنوب والشهوات أيضا اذا استيقظ من منامه فربما مات بغتة فلم يمهل عليه ملك الموت حتى يتوب (وقد كان) مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه يجمع أصحابه ويقول لهم تعالوا نستغفر من الذنب الذى لا يهتدى أحد للتوبة منه وهو محبة الدنيا فواظب يا أخى على التوبة من ذلك وواظب على النوم على طهارة الظاهر والباطن كما ذكرناه لك ولا تترخص تندم فى الآخرة والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) شدة كراهتى للنوم فى الثلث الآخر من الليل أشد من كراهتى للمعاصى الظاهرة وكذلك أكره النوم ليلتى العيدين وليلة الجمعة وليلة النصف من شعبان أو ليالى القدر ونحو ذلك الا غلبة لا اختيارا وربما نمت جالسا لحرصى على اليقظة وذلك لا ينقص رأس مال الفقير بخلاف نوم الاختيار (وهذا) الخلق من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على ومن أين لمثلى أن يوقفه الله تعالى بين يديه فى الظلام مع أوليائه وأصفيائه وان لم ألحق بهم فان صفوف المواكب الالهية على هيئة صفوف الدنيا ولله المثل الاعلى فيقف الاكابر فى حضرة الشهود الكبرى التى ما فوقها مرتبة ومن دونهم قريبا منهم وهكذا الى آخر من يحضر وربما تأخرت عن المبادرة الى موقفى المعتاد فيقول لى جارى فى الموقف قد تخلفت هذه الليلة عن عادتك وهناك شخص لم يزل يمزح معى ويقول اذا رآنى قد جاء المتملق على الله لكثرة ما يسمعنى أدعو لنفسى ولاخوانى (واعلم يا أخى) ان الموكب الالهى تارة ينصب من أول النصف الثانى وتارة ينصب من أول الثلث كما يعرف ذلك أرباب القلوب الا ليلة الجمعة فانه ينصب من غروب الشمس الى خروج الامام من صلاة الصبح كما ورد فى حديث رواه الامام سنيد فى تفسيره فينبغى لكل مسلم أن لا يغفل عن سؤال ربه ليلة الجمعة من الغروب الى صلاة الفجر وذلك لان الملائكة كل وقت يتجرأ عبده على سؤاله فاذا رفع الحجب عن قلوب عباده وقال لهم هل من سائل هل من مبتلى هل من مستغفر ونحو ذلك فقد أذن لهم فى السؤال وما أذن لهم فى ذلك الا وهو تبارك وتعالى يريد أن يجيب دعاءهم كما صرح به فى الحديث فلا يغفل عن الدعاء فى ذلك الوقت الا كل محروم (وتأمل) يا أخى أصحاب السلطان اذا رأوا من يتخلف عن طلوع الموكب كيف يقطعون جامكيته ويمحون اسمه من ديوان عسكر السلطان فيصير ممقوتا بين الناس (وكذلك) حكم الفقير اذا نام فى وقت المواكب الالهية ربما يمحون اسمه من ديوان الولاية (وكان) سيدى أحمد بن الرفاعى رضى الله تعالى عنه يقول ما من ليلة الا وينزل فيها ثلاثة من السماء فيفرق على المستيقظين ويحرم النائمون انتهى (وقد) مكث ابن المؤذن بناحية منية أبى عبد الله أربعين سنة لا يضع جنبه الارض فكان سيدى محمد السروى يقول لم يدع ابن المؤذن مددا ينزل من السماء فى ليل أو نهار الا وله فيه نصيب فاعمل على التخلق بذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(الباب الرابع فى ذكر جملة أخرى من الاخلاق فاقول وبالله التوفيق وهو حسبى ونعم الوكيل)

(مما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة ثنائى على الله تبارك وتعالى اذا نزل على ما يسوءنى عادة لعلمى بان تقديراته تعالى كلها على عباده عين الحكمة لا بالحكمة لانها لو كانت بالحكمة لكانت أفعاله تعالى معلولة تحت الحكمة (ومن هنا) كان لا يجوز السخط على شئ من أفعاله تعالى قط ومن سخط فهو جاهل ولو كشف للعبد عما يسوءه من الواردات الالهية ورأى ما أعد الله تبارك وتعالى له فى نظير صبره عليها لكان هو يسأل الله تبارك وتعالى وقوع ذلك (وأيضا) فان كل واقع فى الوجود بارادة الهية وسبق علم فلا يصح تغييره

ذلك وقال تذكر رؤيالك البسر والحوارى أبو العباس الى مدينة قوص دخلت عليه فسألته عما كان يقع لى فاجابنى عن

يأكل منه أنا ذلك الحوارى وتجاريت الكلام يوما مع الشيخ مكين الاسمر رضى الله عنه فقلت له عن الشيخ أبى العباس قال الشيخ كذا وقال كذا الى ان تمادى بنا الكلام والفقيه مكين يستغرب تلك الحقائق التى أقولها عن الشيخ الى ان قال نقول لك الحق ما عرفنا الشيخ أبا العباس فهذا اعتراف من الشيخ مكين الدين بعظيم شأن الشيخ أبى العباس وانه لم يعرفه مع ان الشيخ أبا الحسن الشاذلى شهد للشيخ مكين الدين الاسمر انه من السبعة الابدال وكنت يوما عند الشيخ أبى العباس الدمنهورى وعنده انسان من أصحاب أبى العباس فقال له انسان يا سيدى هذا من أصحاب أبى العباس المرسى فقال الشيخ أبو العباس الدمنهورى سيدى أبو العباس المرسى ملك من ملوك الآخرة وأخبرنى سليمان بن الباخس قال دخلت على الشيخ أبى العباس الدمنهورى فسمعته يقول يارب هذا أبو العباس وأنا

أبو العباس ويكرر ذلك فقلت يا سيدى من أبو العباس قال المرسى يا بنى ما من اسوان الى الاسكندرية رجل مثله ثم قال ما من اسوان الى دمياط

(وفى الحديث) أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل ومعلوم ان الانبياء والاولياء محبون له تبارك وتعالى وما يفعل الحق بمحبوبه الا ما يقربه اليه (وايضاح ذلك) أن الحق تعالى متعرف متعطف بكل شئ ورد من حضرته ليعرف أهل حضرته مقدار الوصل والهجر ومقدار النعمة والبلاء ومن تأمل الداء بعين الاستبصار وجده دواء وخيرا هذا فى البلايا فى الجسد والمال والولد ونحوهم واما البلاء فى الدين فذلك مؤذن بغضب الله تبارك وتعالى على العبد فافهم واياك والغلط (وقد) قلت فى هذا المقام

يارب لا أحصى عليك ثناء * فى كل أمر سرنى أو ساءا
أنت الحكيم وعين فعلك حكمة * قد عمت السراء والضراءا
بكليهما متعرف متعطف * فالداء فى الدنيا تراه دواءا

فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) انى لا أتداوى قط من مرض الان اشتد بحيث يشغلنى الالتفات اليه عن كمال الاقبال على الله تبارك وتعالى والحضور معه ومادمت اقدر على الحضور والنسى فى عباداتى فلا اتداوى ثم لا بد لى مع التداوى بشرطه من مراعاة نية التداوى لحق الغير لا لحق نفسى من محبة العافية بالطبع لا لكون الحق تبارك وتعالى هو المالك لجسمى اذ العارف انما يتداوى لاجل كون ذاته أمة لله تبارك وتعالى لا لنفسه هو ولولا انها ملك لله تعالى ما اعتنوا بها فى التداوى كل ذلك الاعتناء ففرق بين من يتداوى قياما بواجب حق ربه عز وجل وبين من يتداوى قياما بواجب حق نفسه وما يعقلها الا العالمون (ونظير) ذلك محبتى للعفو من قبل الحق تبارك وتعالى فلولا انى اعلم محبة الحق تعالى له ما طلبته منه ومن مقام الاكابر انهم لا يعتنون بشئ الا ان رأوا وجها فيه للحق تبارك وتعالى دون أنفسهم فافهم ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) شدة كراهتى لخطاب الحق جل وعلا ومناجاته اذا تلطخ ثوبى أو بدنى عذرة ولو من مرض حصل أو نحوه الا ان وجب ذلك الخطاب تعظيما لحضرة مناجاة الحق جل وعلا لا سيما ان حصل لى ادرار بول أو مشى بطن فمن خاطب الله تبارك وتعالى فى حال تقذر بدنه أو ثيابه فهو خارج عن أدب الاكابر وكثيرا ما أرسل الى أحد من الاخوان ليحادثنى بامور الدنيا ويشغلنى عن مراقبة الحق تبارك وتعالى فى تلك الحالة القذرة حتى لا استحضر أنى بين يدى ربى تعظيما لجنابه عز وجل لا لعلة اخرى (ومن هنا) بخرت الاكابر ثيابها للجمعة والجماعات وبسطوا لصلاتهم السجادات النفيسة المبخرة تعظيما لحضرة خطاب الله تبارك وتعالى المشار اليها بنحو حديث ان الله فى قبلة أحدكم فلا يبصق تجاه وجهه وخوفا ان يدوس أحد برجله فى محل يتخيل فيه وجود قرب الحق تبارك وتعالى حين يصير يعبده كانه يراه ففرش السجادة مطلوب ليتوقى الماشى الدوس برجله اذا رآها مفروشة فافهم ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حضورى مع الله تبارك وتعالى عند أكلى الفاكهة والحلوى وغيرهما من الشهوات كالمناكح والملابس فلا أفعل شيأ من ذلك غافلا عن الله تبارك وتعالى وانما افعله بحضور ونية صالحة كنية مداواة النفس بميلها لتوافقنى فيما أريد منها من طاعة الله عز وجل فان لسان حالها يقول لصاحبها كن معى فى بعض اغراضى والا صرعتك (وهذا خلق) غريب قل ان يوجد فى الناس اليوم بل اذا رأى أحدهم الشهوة جذب قلبه اليها ونسى ربه (ومن هنا) منع الشرع من الاكل فى الصلاة لان شهوة الاكل ولذته تصرف قلبه عن الله تعالى فلا يقدر على كمال الاقبال عليه (فعلم) ان كل من ادعى ما ذكرناه من الادب والحضور قل حجابه عن الله عز وجل فافهم ذلك واعمل على التخلق به والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) زيادة اكرامى لليتيم ومراعاتى له بعد موت والده أكثر مما كنت أراعيه لاجل والده وكذلك أزيد فى الغض عن النظر الى المرأة التى غاب عنها زوجها أكثر من غض طرفى عنها اذا كان زوجها حاضرا لا سيما ان كان زوجها مجاورا بمكة أو المدينة أو كان شريفا أو كانت المرأة شريفة أو

الى الاسكندرية رجل مثله وأخبرنى سليمان هذا قال لقيت يوما الشيخ أبا العباس المرسى وقد خرج من الحمام فعزمت عليه فطلع عندى فقدمت له من البطيخ الصالحى فهو فى أثناء أكله سألته عن رجل كان كثير الشهرة يرحل بالحاق الكثيرين والرايات ولا يحضر صلاة الجمعة فلما ذكرته للشيخ تغير وقال والله لو علمت انك تذكره لى ما طلعت عندك تذكرون بين يدى الابدال والاولياء أهل البدع وسمعته يقول والله ما كان اثنان من أصحاب هذا العلم فى زمن واحد قط الا واحد عن واحد الى الحسن وأخبرنى جماعة من أهل اشموم قال قدم علينا الشيخ أبو الحسن البجائى من أصحاب الشيخ أبى الحسن الشاذلى فكان يتكلم علينا فيعجبنا كلامه فاذا رأى اعجابنا بذلك قال كيف لو رأيتم الشيخ أبا العباس المرسى لو أطلق أبو العباس لسانى لتكلمت بالعلم الغريب وسمعته يقول كان يتكلم فى هذا العلم ثلاثة الشيخ أبو الحسن وصاحبه أبو الحسن الصقلى وأنا توفى الشيخ رضى الله عنه وتوفى الصقلى ولا أعلم اليوم على وجه الارض أحدا يتكلم فى هذا العلم غيرى وكنت أنا حين توفى الشيخ أبو العباس بالقاهرة فدخلت يوما زاوية

من بنات الاولياء فانى أزيد فى غض الطرف عنها أكثر مما أغض اذا سافر زوجها لغير مكة والمدينة لكون زوجها يصير فى حضرة الله تبارك وتعالى وحضرة رسوله صلى الله عليه وسلم والشريفة بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت الولى ملحقة به فمن تعرض لحرمه أو حرم الاولياء فقد تعرض لعقوبات الله عز وجل (وهذا خلق غريب) لم أر من تخلق به من أقرانى الا القليل وايضاح ذلك انه يتأكد على العبد زيادة التعظيم والاكرام لكل من كان فى كفالة الحق جل وعلا المحضة أكثر من تعظيم من كان فى كفالة الحق تبارك وتعالى المخلوطة بكفالة الخلق عادة (فلابد) من تمييز الحق جل وعلا بزيادة تعظيم وكل من راعى اليتيم أو غض عن النظر الى المرأة التى غاب عنها زوجها مثل مراعاته لها حال حياة الوالد أو حضور الزوج فقد ساوى فى التعظيم بين الله وبين خلقه وأساء الادب (وقد وقع لى) أننى ساويت فى الغض عن رؤية وجه جارية تى دام السرور حين غاب عنها زوجها كحضوره فلم أزد فى الغض حين سافر فعوتبت على ذلك فى المنام وقيل لى ميز الحق تعالى بزيادة غض على ما كنت عليه حين حضور زوجها فقلت سمعا وطاعة فاذا كان من لم يزد فى الغض يعاتب فكيف بمن يخون زوجة جاره ويفسق فيها ويسارق النظر اليها كالمتلصص نسأل الله تعالى العفو والعافية والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) نفرتى من كثرة اعتقاد أحد من الامراء وغيرهم فى وان وقع ان أحدا مدحنى عند أمير حتى رفعنى فوق جميع أقرانى توجهت الى الله تبارك وتعالى فى ان يحرك لى أحدا من الاعداء فينقصنى عنده أو سألت الله تبارك وتعالى ان يحول باطنه عن الاعتقاد فى حتى يصير لا يلتفت الى بوجه من الوجوه وذلك فتحا لباب الراحة لنفسى وسدا لباب تنقيص أحد من اخوانى برفعتى فوقه عند ذلك الامير (وهذا) الخلق لم أجد له فاعلا من اقرانى فاعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم اجابتى لمن دعانى الى التصدر لصلاة الاستسقاء ودفع الوباء لما فى ذلك من تحريك نفس الحسدة من الاقران وقد أرسل الى مرة الباشاه محمد قصاده أن أطلع مع العلماء الجبل المقطم لدفع الوباء والبلايا فى سنة احدى وستين وتسعمائة بشرط أن أكون أنا الداعى والناس كلهم يؤمنون فلم أجبه الا الى الحضور خوفا من تحرك نفس بعض الناس على ومع ذلك فلا تسأل يا أخى ما حصل من قول الباشاه لا يدعو الا فلان من الغيبة والتنقيص لى عند الباشاه وهؤلاء وان كانوا صادقين فى تنقيصى وتنفير الاكابر من الاعتقاد فى لكن ما كل أحد يحتمل مثل ذلك وقد تقدم فى هذه المنن ان مما من الله تبارك وتعالى به على محبتى لمن ينفر الولاة عنى أكثر ممن يحبهم فى وانه خلق غريب لا يكاد يوجد فى أحد من أقرانى وقد شكرت فضل من غير اعتقاد الباشاه محمد فى فجزاه الله تعالى عنى خيرا فى الدنيا والآخرة فانه سترنى بين العباد فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) ادبى مع شيخى الشيخ محمد الشناوى رضى الله تعالى عنه ومع شيخى الشيخ نور الدين الشونى رضى الله تعالى عنه فى دوام السهر معهما فلا اتذكر اننى نمت فى وقت يكون أحدهما مستيقظا فيه وذلك من أكبر نعم الله تعالى على لكونه وسيلة الى دوام السهر بين يدى الله عز وجل ومن لم يحكم مقام السهر بين يدى شيخه لا يصح له مقام السهر بين يدى الله عز وجل وقبح على المريد أن ينام وشيخه جالس بين يدى الله تبارك وتعالى فى مثل ليلة الجمعة أو غيرها بل ذلك علامة على كذبه فى محبة الله جل وعلا فضلا عن محبته للشيخ فانه لو كان يحب الشيخ لاستغنم أوقات الخلوة به كما أنه لو كان يحب الله عز وجل المحبة المعروفة بين القوم لما أخذه نوم الا بعد أن يصرع كذا كذا مرة (وقد) أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود كذب من ادعى محبتى فاذا جنه الليل نام عنى انتهى فشهد الحق تبارك وتعالى على من نام فى الليل اختيارا بكذبه فى محبته (وفى زبور داود) عليه السلام يا داود جعلت النهار للمعاش وجعلت الليل للسمر معى فاشتغلتم عنى فى النهار ونمتم عن مجالستى فى الليل فلا أنتم فى النهار معى ولا فى الليل انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تعالى يتولى هداك فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم اظهارى لنظام الطريق اذا دخل على أمير أو كبير فلا أقول

الآخر من هو قال الشيخ أبو العباس المرسى وهما لا يعلمان انى من أصحاب الشيخ تدرى ما اتفق له مع شيخنا صفى الدين قال لا قال سمع الشيخ ليلة هناذ كرا لا يعهده فقال لى اذهب فانظر من هذا فذهبت فاذا هو أبو العباس وأصحابه فرجعت الى الشيخ صفى الدين فاخبرته فقال يا تى هذا الرجل هنا ولا نزورنا ما هذا الا أمر عجيب ثم أصبح الشيخ صفى الدين فقال لاصحابه رأيت البارحة كأنى فى فلاة من الارض وأبو العباس فى موضع مرتفع وهو يقول لى يا أخى يأبى الله ان نجتمع الا هكذا وقال الشيخ أبو عبد الله بن النعمان الشيخ أبو العباس المرسى وارث علم الشاذلى حقيقة وأخبرنى بعض أهل الهنسا قال قال لى الشيخ أمين الدين جبريل تريد ان أريك وليا من أولياء الله تعالى قلت نعم قال امض بنا فاتى بى الى الشيخ أبى العباس وقال هو هذا وأخبرنى بعض أصحابه قال عزم على الشيخ انسان فقدم اليه الطعام يختبره فاعرض عنه ولم يأكله ثم التفت الى صاحب الطعام وقال ان كان الحارث بن أسد المحاسبى فى أصبعه عرق اذا مد يده الى طعام فيه شبهة تحرك عليه فانا فى يدى ستون عرقا

للمداح الذى ينشد للفقراء أسمعنا شيأ بحضرة ذلك الامير الابنية صالحة ولا أقول للامير اذا دخل بعد ان انفض أهل مجالس الذكر وقراءة الورد مثلا سبحان من عجل للفقراء نعيم الجنان فى الدنيا فى مجالس ذكرهم وقد نزل على الفقراء فى هذا اليوم رحمة حتى عمتهم وحصل مدد كبير وكنت أود انك دخلت قبل انفضاضهم ليحصل لك الرحمة وربما كان ذلك القول من شيخ الزاوية للامير رياء وسمعة لظنه فى الامير انه ظن انه قليل الذكر والاشتغال بالله عز وجل حين رآه جالسا لا فقراء عنده ولا ذكر (وهذا) يقع فيه كثير من المتمشيخين بالنصب اذا زارهم الامراء ولو انهم كانوا صادقين لم يذكروا مثل ذلك للامير لانه ليس بمريد لهم ولا سألهم هل قرأتم وردكم اليوم ولا قال أسمعنا شيأ من كلام القوم والفقراء فاى أمر ألجأ سيدى الشيخ أن يقول ما قال فاعلم ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علىّ) مشاركتى لكل من بلغنى انه فى ضيق فى جميع ما يصيبه وينزل عليه من البلايا والمحن لاسيما السلطان الاعظم فانى مرضت لمرضه مرات عديدة وجاءنى وشكر من فضلى واطلع على ذلك أهل الكشف وصاروا يتحدثون فيما بينهم أننى لولا حمات عن السلطان وجمع رجله لما سافر لقتال الروافض ما كان حصل له خير (وذلك) من علامات صحة ارتباطى مع امامى (ومما) يقع لى انه اذا كان عندنا امرأة فى المخاض أحس بانى أطلق مثلها اذا بلغنى ما هى فيه من الوجع وكذلك اذا بلغنى ان أحدا يعاقب فى بيت الوالى أحس بالمقارع والكسارات وعصر الرأس ووضع الخودة المحماة بالنار على رأسى حتى انى أحس بسيلان دهن رأسى وهو نازل ناحية أذنى فاضع يدى أمسحه لاعتقادى انه سال وخرج الى ظاهرها وهذا أمر عزيز وقوعه فى الفقراء ولا يعرف هذا الحال الا من ذاقه (وكان) ذلك من وظيفة سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه وسيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه (وورثت) ذلك من سيدى على الخواص رضى الله تبارك وتعالى عنه وسبق سيدى ابراهيم المتبولىّ رضى الله تبارك وتعالى عنه الى مثل ذلك سفيان الثورى رضى الله تبارك وتعالى عنه وميمون بن مهران رضى الله تبارك وتعالى عنه والفضيل بن عياض رضى الله تبارك وتعالى عنه واضرابهم رضى الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين فلا تطلع الشمس ولا تغرب على صاحب هذا المقام الا وبدنه ذائب كأنه شرب رطلا من السم ووالله انى لاحس فى بعض الاوقات ان جسمى كله من فرقى الى قدمى كالدمل الذى قرب انفجاره (وقد حكيت) ذلك مرة لاخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى فقال لى والله ان لى منذ عشر سنين وأنا أحس بان جسمى فى طبق من نحاس على نار من غير ماء ولحمى ودهنى يطشطش على النار وأنا صابر فقلت له مم ذلك فقال من كثرة توجه الناس الى فى شدائدهم انتهى (فعلم) أن أهل هذا المقام لم يزل أحدهم مريضا لتواصل وجود البلاء فى الوجود على اختلاف طبقاته فلا يستريح الا فى وقت لم يتوجه اليه مكروب ولم يبلغه ان أحدا فى بلاء ولا عقوبة يتعين عليه مساعدته فيها هذا هو حظه من الراحة فى الدنيا (ومن أعظم) علامة على صاحب هذا المقام وجود الصداع والضارب الشديد فى رأسه حتى يحس بان شخصا ذا قوة شديدة يضرب رأسه بطبر او دقماق ليلا ونهارا أو ان رأسه مرضوض بين حجرى معصرة فيتمنى الموت فلا يجاب (ومن أدلة ذلك) ما رواه الطبرانى وغيره مرفوعا من لم يهتم بامر المسلمين فليس منهم وحديث الترمذى وغيره مرفوعا مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا مرض منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر (وممن رُوينا) عنه انه كان اذا نزل بالمسلمين هم أو بلاء يمرض له أياما السيد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وعمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه والشعبى رضى الله تعالى عنه فكانوا يمرضون ويعادون كما تعاد المرضى فاذا ارتفع ذلك الهم أو البلاء عن المسلمين خلصوا من المرض لوقتهم حتى كأنه لم يكن بهم مرض (ويقع) لى بحمد الله تبارك وتعالى مثل ذلك كثيرا فربما أتونى بالطبيب فيصف لى دواء فيطول جلوسه عندى ساعة فاشفى من المرض كأن لم أكن مريضا فيتعجب الطبيب من ذلك (وكان) سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه اذا نزل باحد بلاء يقول له أكثر من الاستغفار ليلا ونهارا ويقول ما ثم أسرع لرفع البلاء من كثرة الاستغفار قال الله تبارك وتعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال وأقل الاستغفار الدافع لغالب البلاء

تحرك على اذا كان مثل ذلك فاستغفر صاحب الطعام واعتذر للشيخ ومن المشهورين أصحاب الشيخ أبى الحسن وغيرهم ان الشيخ كان يوما بالقاهرة فى دار الزكى السراج وكتاب المواقف للنفرى يقرأ عليه فقال أين أبو العباس فلما جاء قال تكلم يا بنى تكلم بارك الله فيك تكلم ولن تسكت بعدها أبدا فقال الشيخ أبو العباس فاعطيت فى ذلك الوقت لسان الشيخ ولقد كان علماء الزمن يسلمون له هذا الشأن حتى كان شيخنا الامام العلامة سيف المناظرين حجة المتكلمين شمس الدين الاصفهانى والشيخ العلامة شمس الدين الايكى يجلسان بين يديه جلوس المستفيد آخذين عنه ومتلقين ما بيديه حتى سأله أحدهما عن بعض المشايخ الظاهرين فى الوقت يا سيدى أتعرفه فقال الشيخ أعرفه هنا وأشار الى الارض ولا أعرفه هناك وأشار الى السماء وسأله أحدهما عن انسان كان بدمشق الغالب عليه السكر والغيبة فقال الشيخ رضى الله عنه كل من لا يكون له فى هذه الطريقة شيخ لا يفرح به وكان من مذهبه رضى الله عنه انه لا يلزم أن يكون القطب شريفا حسينيا بل قد يكون من غير هذا القبيل وتكلم يوما فى القطب وأوصافه ثم قال وما

عندي الآن ألف مرة صباحا وألف مرة مساء (وسمعته) رضي الله تبارك وتعالى عنه مرات يقول من ضحك أو جامع زوجته أو لبس ثوبا مبخرا أو ذهب الى مواضع التنزهات أيام نزول البلاء على المسلمين فهو والبهائم سواء انتهى ومثل حال أهل هذا الزمان مثل ما حكي ان شخصا مر على شخص خرج صرمه وهو مدلى من دبره فقال له أعطني هذه القطعة النازلة أطعمها القطى فانه جيعان انتهى (ولعمري) ليس عند مثل هذا من تحمل هم أخيه ذرة واحدة وسيأتي ايضاح ذلك ان شاء الله تبارك وتعالى في مواضع من هذا الكتاب فاعلم ذلك وراجعه والحمد لله رب العالمين

((ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي)) مساعدتي لاصحاب النوبة في سائر أقطار الارض في حفظ ادراكهم من براري وقفار ومدائن وبحار وقرى وجبال فاطوف بقلبي على جميع أقطار الارض في نحو ثلاث درج (وايضاح ذلك) ان حكم القلب حكم المرآة الكبرة المعلقة بين السماء والارض فيرتسم فيها جميع العلويات والسفليات ويصير البصر القلبي يدركها كلها على التفصيل فالمدار على قوة وسع دائرة البصر لا غير وان شككت يا أخي في ذلك فامتحن ذلك بمرآة صغيرة تضعها فوق منارة عالية فانك اذا قابلتها بمدينة مصر كاملة تجدها كلها مرتسمة في تلك المرآة الصغيرة فاعمل يا أخي على جلاء مرآة قلبك من الصدأ أو الغبار ان أردت العمل بهذا الخلق فانك تطوف أقاليم الارض كلها في مقدار ساعة (ومما) وقع لي أن شخصا من بلاد الحبشة أسلم عندنا في مصر فسألته عن بلده وعن الكنيسة الكبيرة التي في آخر زقاق داره وعن شجرة النبق التي في دار جاره فصدقني على ذلك ثم قال للحاضرين هذا صالح لاطلاعي على بلده ودار جاره مع اني ما رحت اليها قط بجسمي وانما نظرت اليها بقلبي (وكذلك) وقع لي مع خادم نبي الله لوط عليه السلام لما قدم علينا مصر فقلت له ما فعل شجر اليمون المغروس تجاه مقام السيد لوط فقال موجود لم يقطع منه شيء مع انني لم أره الا بقلبي (وفي كلام) سيدي أحمد بن الرفاعي رضي الله تعالى عنه ان القلب اذا انجلى من محبة الدنيا وشهواتها صار كالبلور وأخبر صاحبه بما مضى وبما هو آت من أحوال الناس واذا صدأ قلب الفقير حدثه بأباطيل يغيب معها رشد الرجل وعقله انتهى (وصورة طوافي كل ليلة) على مصر وجميع أقاليم الارض انني أشير باصبعي الى أزقة جميع المدائن والقرى والبراري والبحار وأنا أقول الله الله الله فابدأ بمصر العتيقة ثم بالقاهرة ثم بقراها حتى أصل الى مدينة غزة ثم الى القدس ثم الى الشام ثم الى حلب ثم الى بلاد العجم ثم الى بلاد التركية ثم الى بلاد الروم ثم اعدي من البحر المحيط الى بلاد المغرب فأطوف عليها بلدا بلدا حتى أجيء الى اسكندرية ثم أعطف منها الى دمياط ثم منها الى أقصى الصعيد ثم الى أقصى بلاد العبيد ثم الى بلاد الزجاج وهي اقطاع جدي الخامس ثم أعطف الى بلاد التكرور وبلاد السكوت ومنها الى بلاد النجاشي ثم الى أقصى بلاد الحبشة وهي سفر عشر سنين ثم منها الى بلاد الهند ثم الى بلاد السند ثم الى بلاد الصين ثم أرجع الى بلاد اليمن ثم الى مكة ثم اخرج من باب المعلى الى الدرب الحجازي الى بدر ثم الى الصفراء ثم الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنه عند باب السور ثم أدخل حتى أقف بين يديه صلى الله عليه وسلم فأصلي وأسلم عليه وعلى صاحبيه وأزور من في البقيع ثم أقول سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وما أرجع الى داري بمصر الا وأنا الهث من شدة التعب كأني كنت حاملا جبلا عظيما ولا أعلم أحدا سبقني الى مثل هذا الطواف (وكان) ابتداء حصول هذا المقام لي في سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة فرأيت نفسي في حفة طائرة فطافت بي سائر أقطار الارض في لحظة وكانت تطوف بي على قبور المشايخ من فوق أضرحتهم الا ضريح سيدي أحمد البدوي وضريح سيدي ابراهيم الدسوقي رضي الله تبارك وتعالى عنهما فان الحفة نزلت بي من تحت عتبة كل من أحدهما ومرت من تحت قبره ولم أعرف الى الآن الحكمة في تخصيص هذين الشيخين بذلك نفعنا الله تعالى بهما والحمد لله رب العالمين

((ومما من الله تبارك وتعالى به علي)) استئذاني أصحاب النوبة نفعنا الله ببركاتهم كلما خرجت من بيتي أو بلدي أو دخلت وذلك لاكون تحت نظرهم حتى أرجع سالما ان شاء الله تعالى (وكذلك) لا أطلع القلعة أو أدخل بيت حاكم في شفاعة مثلا حتى أقول بتوجه تام عند أول عتبة تلاقيني من أعتاب القلعة أو ذلك الامير دستوريا

قال استلقى الشيخ يوما على ظهره ومسك بلحيته وقال لو علم علماء العراق والشام ما تحت هذه الشعرات لاتوها ولو سعيا على وجوههم وكان يقول والله ما نطالع كلام أهل الطريق الا لنرى فضل الله علينا وقال في الامام أبي حامد الغزالي رضي الله عنه انا لنشهد له بالصديقية العظمى كان الشيخ أبو الحسن يقول اذا عرضت لكم الى الله حاجة فتوسلوا اليه بالامام أبي حامد الغزالي وكان يقول عن شيخه أبي الحسن كتاب الاحياء يورثك العلم وكتاب القوت يورثك النور وكان يقول عن الشيخ أبي الحسن عليكم بالقوت فانه قوت وكان هو والشيخ أبو الحسن كل منهما يعظم الامام الرباني محمد بن علي الترمذي وكان لكلامه عندهما الحظوة التامة وكان يقول عنه انه أحد الاربعة الاوتاد ودخلت عليه يوما فوجدته مغموما في وارد ورد عليه فقال سمعت البارحة يقال لي السلام عليكم يا عبادي ثم قال وهذا قد أسمعته في السنة مرة أو مرتين وهذا من الحديث الذي قال فيه أبو العباس بن العريف شعرا

بدا لك سر طال عنك اكتتامه * ولاح صباح كنت أنت ظلامه
فانت حجاب القلب عن سر غيبه *

أصحاب النوبة جهتى تحت نعالكم اليوم فلاحظونى مع هذا الامير أو هذا القاضى أو هذا الظالم مثلا فلا أخرج بحمد الله تعالى من عنده الا منصورا مكرما مبجلا كما وقع لى ذلك مع الباشا على كما مر ايضاحه اللهم الا ان أكون مبطلا والعياذ بالله تعالى فان أصحاب النوبة لا يساعدوننى فليحرر صاحب الحاجة نفسه ان طلب النصرة على يد أصحاب النوبة رضى الله تعالى عنهم (وهذا) الذى ذكرناه قل من يتنبه له من فقراء هذا الزمان بل رأيت بعضهم ينكر وجود أصحاب النوبة أصلا وهذا يدل على انه لم يدخل دائرة الولاية قط فانه لو دخلها لعرف أهلها على اختلاف طبقاتهم كما يعرف جماعة السلطان بعضهم بعضا وبعضهم يظن ان أصحاب النوبة هم الاولياء المرصدون لتربية المريدين وذلك جهل عظيم اذ لا يلزم من كون أحدهم مسلكا ان يكون بيده تصريف كما يعرف ذلك من له أدنى خلطة بأهل الطريق (وقد كان سيدى) على الخواص رضى الله تعالى عنه معه ثلاثة أرباع التصريف فى مصر وقراها (وكان) يرسل الحوائج فى بعض الاوقات الى أصحاب التصريف فى الربع الباقى رضى الله تعالى عنه (وكان) كثيرا ما يرسل الحوائج للشيخ محيسن المجذوب لكونه كان من أصحاب التصريف فى الربع الباقى فى مصر وقراها (وجاء شخص) من تجار بحر الهند الى سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه ياخذ خاطره ويسأله بالله تعالى ان يحفظ مراكبه ببحر الهند فقال له اذهب الى الشيخ محيسن فانه صاحب درك بحر الهند وأعطه نصفا فان قبله منك فهو دليل على انه دخل فى الجملة وان رده فاحتسب ما فى مراكبك عند الله تعالى فذهب اليه فقبل منه النصف وسلمت مراكبه تلك السنة (وكان) الشيخ محيسن اذ ذاك جالسا فى رميلة مصر (ورأيت) مرة بعض أشياخنا بمصر ذهب الى دكان الشيخ بركات الخياط وكان من أصحاب النوبة فوضع على دكانه حجرا فى غيبته فلما جاء الشيخ بركات عرف الحجر ومن جاء به والحاجة وقضاها وكانت الجملة ان شخصا كتبوه الى اصطنبول سركن لما دخل ابن عثمان الى مصر وكان محسنا للشيخ المذكور كثيرا فسلك الشيخ الادب مع أصحاب النوبة وسألهم فى قضائها ولو أنه سأل الله تعالى بلا واسطتهم لربما أجيب لصلاحه وولايته (ثم) لا يلزم من مشاورة الولى الكبير لاحد من أصحاب النوبة أن يكون ذلك نقصا وأيضا فان الكمل مقامهم منزه عن مشاركة الحقير فى التصريف دنيا وأخرى بخلاف أرباب الاحوال فالكامل كشيخ الاسلام وصاحب الحال كحقير البلد ولكن هكذا أهل الادب (وكان) سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه اذا شاوره أحد فى السفر من مصر الى الريف مثلا يقول له اذا أردت الخروج من سور البلد أو من عمرانها فقل بقلبك دستور يا أصحاب النوبة اجعلونى تحت نظركم حتى ارجع ثم اذا رجعت فاستاذنهم أيضا فى الدخول فانهم يحبون من يمسك معهم الادب (وقد) أعطاهم الله تبارك وتعالى معرفة الخواطر التى تمر على قلوب أهل ادراكهم فضلا عن معرفة أعمالهم ومعاصيهم فى قعر بيوتهم ولهم التأديب على كل زلة وقعت فى أدراكهم لان قوسهم موتور على الفساق وعلى الفقراء الغافلين عن الادب مع الله تبارك وتعالى (وسمعته) رضى الله تعالى عنه وأرضاه مرارا يقول لا يخرج أحدكم الى السوق الا وهو على طهارة فان أصحاب النوبة يحبون من يراعى الطهارة فى ادراكهم انتهى (ومما وقع لى) تصديقا لكلام الشيخ رضى الله عنه اننى أخرجت ريحا بنواحى شون السلطان بمصر العتيقة واذا بشخص أسمر جالس فى دكانه يحبك الشدود فرفع رأسه الى وقال كنا محتاجين اليك قوى فى فسائلك فى دركى وحارتى فعلمت انه من أصحاب النوبة (وكذلك) مما وقع لى اننى كنت مارا تجاه سوق الصاغة بخط بين القصرين وأنا غافل فبينا أنا كذلك اذ أحسست بكل شعرة فى قامت تمشى وأحسست بأن خلفى تمساحا كبيرا يريد أن يبتلعنى فالتفت فاذا بشخص أشعث الشعر أحمر العينين كاد فمه أن يصل الى كتفى فقال لى لا تعد تمشى فى خطى وأنت غافل عن الله تعالى ما يجرى لك خير فمن ذلك اليوم ما أتذكر أننى مررت فى ذلك الدرك غافلا أبدا فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) فى هذا الزمان حفظى من تصريف أصحاب النوبة فى بمرض أو سلب حال أو نحوهما مع كثرة مزاحمتى لهم فى الشفاعات عند الحكام وكثرة معارضتهم لمن يشفع عند الحكام من غير واسطتهم ومع كونهم أتم نظرا منى فلم يزالوا يسامحونى بشفاعتى عند الحكام وأنا غافل عنهم أو غير مستوعب

وجاء حديث لا يمل سماعه
شهى الينا نشره ونظامه

(الباب الثالث)
فى مجرياته ومنازلاته وما اتفق لاصحابه معه ومكاشفاته سمعت الشيخ أبا العباس رضى الله عنه يقول كنت وأنا صبى عند المؤدب جاء رجل فوجدنى أكتب فى لوح فقال لى الصوفى لا يسود بياضا قال فقلت ليس الامر كما زعمت ولكن لا يسود بياض الصحائف بسواد الذنوب وسمعته يقول عمل الى جانب دارنا خيال الستارة وأنا اذ ذاك صبى فحضرته فلما أصبحت أتيت الى المؤدب وكان من أولياء الله تعالى فانشد حين رآنى

يا ناظرا صور الخيال تعجبا
وهو الخيال بعينه لو أبصرا

وقال رضى الله عنه رأيت ليلة كأننى فى سماء الدنيا واذا برجل أحمر اللون قصير الطول كبير اللحية فقال قل اللهم اغفر لامة محمد اللهم ارحم أمة محمد اللهم استر أمة محمد اللهم اجبر أمة محمد هذا دعاء الخضر من قاله كل يوم كتب من الابدال فقيل هذا الشيخ ابن أبى شامة فلما انتبهت وأتيت الى الشيخ أبى الحسن جلست ولم

لهم فى الاذن فان من لم يستوعبهم فى الاستئذان فربما انقسموا فيه فريقين تجدهما يعارضه فيقاسى من الشدائد والاهوال مالا يعبر عنه وقل من يسلم من عطبهم من الفقراء والعلماء ثم ان جرح من طعنوه لا يختم جرحه الا بعد موت صاحبه (وقد) تشفع الشيخ على الخواص رضى الله تعالى عنه مرة عند الامير حاتم الحزاوى من غير استئذان أصحاب الثلث الذى لا تصريف له فيه من مصر فطعنه انسان بخنجر فى مشعره فلم يزل بها حتى مات بعد عشرين يوما وهو يقول آه من حرارة هذه الضربة انتهت (وقد) سبق لى أنا معهم وقائع كثيرة أوائل دخولى طريق القوم رضى الله تعالى عنهم حتى كدت أن أهلك ولكن بحمد الله تبارك وتعالى كلهم يحبونى اليوم ولا أعرف أحدا منهم يكرهنى ولذلك رتبت لهم الدعاء عندى فى الزاوية فى قراءة الاسباع والكرسى وغير ذلك (فمن) وقائعهم الماضية معى أن ثلاثة منهم عارضونى فمكثت تسعة أيام بلياليها لا آكل ولا أشرب ولا أنام ولا أضع جنبى الى الارض حتى صار بدنى كله كالدمل الذى قرب انفجاره ثم حصل لى الفرج على يد الشيخ محمد البهوتى بباب زويلة العربان وقال لابن عمى عبد السلام قد عرضوا حكاية عبد الوهاب على ثلاثين نفسا فابوا أن يحملوها ولكن أنا أحملها الله تبارك وتعالى (وأخبرنى) أن الذى عارضنى ثلاثة من العجم كانوا يجلسون تحت المدرسة البرقوقية بخط بين القصرين ثم قال لى تبخر هذه الليلة بخور رحصا لبان وان شاء الله تعالى تنام هذه الليلة ويخف العارض ففعلت فكان الامر كما قال (ومن جملة) من لم يحمل عنى سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه وقال لاخى الشيخ أفضل الدين رضى الله عنه اياك أن تحمل شيا عن عبد الوهاب مما هو فيه ودعه يدمن على البلاء الآتى (وأما) الشيخ شعبان المجذوب والشيخ محمد الجوهرى المكشوف الرأس فطلعا الى البيت وأمرانى بالصبر ونقش لى الشيخ شعبان فى الحائط بسكين يقول الله عز وجل فى التوراة يا عبدى تحمل ما ورد عليك منى واصبر وقال لى الشيخ محمد الجوهرى سبحان من حل عنك يا ولدى فانهم كانوا قاتليك ولكن كان فى قنديلك الزيت فان أصحاب النوبة اليوم يا ولدى من العجم لا يحبون أحدا له اسم من أولاد العرب انتهى (ومما وقع لى أيضا) أن شخصا جاء من الفقراء الى مصر ليدخلها على نية الاقامة فمنعه أصحاب النوبة فجلس تجاه قبة بشتك الدوادار خارج باب النصر وصار كل من مر عليه يقول له كيف يمنعونى من دخول مصر ويمكنون عبد الوهاب فصار الناس يخبرونى بكلامه فمكث أربعين يوما ثم مد الشيخ محمد الصوفى المقيم بالفيوم يده من الفيوم فضربه فمات وقال أنا مذهبى ان كل من قتل أحدا من أصحابى فقتله عندى حلال انتهى (وقد كان) الشيخ حسن العراقى المدفون بكوم أبى الريش المطل على بركة الرطلى يقول لا يأذن أصحاب النوبة لفقير أن يسكن فى مصر الا ان كان تحت نظرهم مراعيا للادب معهم والا أخرجوه الى القرى أو الى خارج السور انتهى (ومما وقع لى معهم أيضا) أن شخصا التف فى عباءة ونام فى مجاز الزاوية ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب وأنا لا أشعر فدخل على الشيخ حسن الريحانى فاخبرنى به وقال كيف يجلس فى زاويتك شخص يقصد معارضتك اذا وجد عندك غفلة ولا تحس به ثم خرج اليه وضربه بعصاه وأخرجه من الزاوية فصادف الشيخ حسن بعد مدة طعنه فى فخذه بسكين وقال انما طعنتك لكونك عارضتنى فى عبد الوهاب وكان ذلك آخر معارضة الفقراء لى فلم يعارضنى منهم بعد ذلك أحد الى وقتى هذا (وقد) أخبرنى سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه ان شخصا تبع فقيرا من بلاد الشام الى مصر يريد ان يقتله بالحال فلم يجده غافلا عن الله تبارك وتعالى فى وقت فاجتمع هو واياه مع الفقراء فى جامع عمرو آخر جمعة من رمضان فوجده غافلا فطعنه فمات انتهى (وقد أخبرنى) أخى الشيخ أبو العباس الحريثى رضى الله تعالى عنه قال لما طفت بلاد الغربية دخلت جامع اصطنها فبينا أنا جالس والناس حولى اذ أحسست بمثاقلة فى بطنى فكدت أهلك فقلت لهم ائتونى بشئ اتقايا فيه فأتونى بجفنة كبيرة فلأتها قيحا ودما ثم ان شخصا تحرك من جانب الجامع وكان نائما مغطى بملاءة مزعفرة وقال والله لولا انك ضعيف الحال وأنت ضعيف ما تركتك تخرج من الجامع الا للقبر كيف تطلع بلاد الناس وأنت غافل عن استئذانهم كالبهائم قال فقلت له التوبة فتبت ومن ذلك اليوم ما طلعت بلدا حتى أستأذن أصحاب دركها قبل ان أطلع اليها انتهى (وكذلك) وقع لى وأنا فى مولد سيدى أحمد البدوى رضى الله تعالى عنه وأنا جالس فى ركن القبة فمد شخص من

أخبره بشئ فقال اللهم اغفر لامة محمد الدعاء من قاله كل يوم كتب من الابدال وقال رضى الله عنه كنت أخرج كل يوم من باب البحر نحو المنار فخرجت يوما الى المنار فنمت عند الجانب الشرقى وكان قد خطر فى نفسى ما سبب قلة رواية أبى بكر الصديق رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كثرة ملازمته له فاذا على يقال لى أعلم الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق وانما قلت روايته عنه لتحققه به وقال رضى الله عنه طالعت مقام الرحمة فاذا على يقال لى والله ليكونن من رحمة الله يوم القيامة ما ينال منها ابن أبى الطواجن وكان هذا ابن أبى الطواجن قد قتل الشيخ القطب عبد السلام بن مشيش شيخ الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنهما وقال رضى الله عنه كنت مع الشيخ فى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فاردت ان أزور حمزة رضى الله عنه فخرجت من المدينة فتبعنى رجل فاتينا الى التربة فاذا الباب مغلق فانفتح الباب ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلنا فوجدنا هنالك رجلا من الابدال فقلت للرجل الذى تبعنى ادع فى هذا الوقت بما تريد فانه مستجاب لك فدعا ذلك الرجل أن يعطيه الله دينارا

الطائفين بقبر سيدى أحمد يده الى معاليق قلبى وقبض على قلبى فكدت أن أهلك وكان متقلدا بقوس فشكوته الى سيدى أحمد البدوى فاتهم بتهمة أو مسكه الكاشف وأرسل يستغفر الله تعالى فسألت سيدى أحمد فيه فخلص ولم يشعر بهذه الواقعة أحد من أصحابى (وكان) سيدى محمد الشناوى رضى الله تعالى عنه يقول لا يؤخذ الفقير ويسلب العلم الا عند رؤية أحدهما نفسه على اخوانه أو غفلته عن الله تعالى (ثم حكى لى) عن سيدى محمد بن هرون بمدينة سنهور أنه مر على صبى قراد وهو ماد رجله فقال الشيخ فى نفسه ان هذا الصبى لقليل الادب يمر عليه مثلى ولم يضم رجله فسلب لوقته حتى صار لا يعرف الفاتحة ثم طلب الصبى فلم يجده وكان صبيا للقراد فسأل عنه حتى وصل الى الرميلة فلما رآه القراد الكبير قال أقم رأسك هاهو غريمك قد جاء فلما فرغوا من اللعب بالقرد والدب والحمار سلم عليه القراد الكبير وقال مثلك فى هذه الشهرة العظيمة بالعلم والصلاح يخطر على باله انه خير من أحد من المسلمين فقال التوبة فتاب الشيخ محمد وقال القراد الكبير للصبى أين وضعت علم هذا وحاله فقال فى قلب السحلية التى كنت أفلى ثوبى على باب بحرها فى بلده فليذهب اليها ويقول لها يقول لك قريعزان صبى القراد ردى على الوديعة التى عندك للشيخ محمد فخرجت السحلية ونفخت فى وجه الشيخ فرد الله عليه حاله وعلمه وقال فى نفسه كيف تفتخر على الناس بشئ حملته السحلية فى قلبها فمن ذلك اليوم ما رأى نفسه على أحد حتى مات انتهى (وقد ذكرنا) فى كتاب العهود المحمدية حكاية سلب شيخ الاسلام الشيخ سراج الدين البلقينى على يد الحشاش الذى كان يبيع الحشيش فلا يأخذها أحد منه الا ويتوب منها لوقته (وكذلك) ذكرنا فيه سلب الفرغل لشيخ الاسلام ابن حجر وغير ذلك فراجعه فاياك يا أخى ورؤية نفسك على أحد من المسلمين الا بطريق شرعى خال عن الكبر فان كل من رأى نفسه على أحد فقد تعرض للسلب (ووقع) للشيخ على حسن الغزاوى وكان من أهل الكشف أنه ذهب الى الشيخ محيسن بناحية بولاق يريد مثاقلته فلما أقبل على الشيخ عرف ما فى نفسه فقام له الشيخ محيسن وعظمه وقال خاطرك على يا شيخ حسن ولما قام قدم له نعله فرأى الشيخ حسن نفسه بذلك فسلبه الشيخ محيسن حاله كله فلما أحس بذلك جاءه مستغفرا فقال أنت الظالم فانك أنت الذى جئتنى ولم يزل مسلوبا فضاقت عليه مصر فسافر وانقطع عنا خبره فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(وممامن الله تبارك وتعالى به على) اعانتى على الاحتماء من الذنوب وتناول الشهوات أيام تحملى البلاء عن الاخوان وتوجهى فى قضاء حوائجهم عند الله تبارك وتعالى فان من لم يحتم عن مثل ذلك فلا يصلح للتصدر لقضاء حوائج اخوانه ولا لتحمل البلاء عنهم وللتحمل والاحتماء شروط (الاول) أن يتخلق بوصف الذل والانكسار والفاقة فلا يرى له شفوف نفس على أحد من المسلمين ولا يكون معتمدا على أحد غير الله تبارك وتعالى حتى أنه لا يدبر قط حيلة فى قضاء تلك الحاجة (الثانى) كثرة الملازمة والوقوف فى المواكب الالهية ليلا ونهارا وذلك بين الاذان والاقامة وحين يدخل نصف الليل الثانى فان الموكب ينصب من ذلك الوقت الى طلوع الفجر وفى أوقات يبقى الى انصراف الامام من صلاة الصبح وتأمل يا أخى وزراء السلطان لا يهتمون بقضاء حاجة أحد الا ان لازمتهم زمانا طويلا ويقولون لو أنه كان محتاجا للازمنا فى كل موكب (الثالث) صدق التجاء صاحب الحاجة الى الفقير الذى جعله واسطة فى قضاء حاجته وعدم شركة أحد من الفقراء معه فى ذلك واستحقاق المشفوع فيه للشفاعة بأن تكون العقوبة فيه قد بلغت حدها ومن علامة صدق صاحب الحاجة فى الالتجاء أن لا يحتاج فى طريق قضاء حاجته عند ذلك الامير مثلا الى غرامة فلوس لاحد من الوسايط الذين هم حول الولاة ومتى احتاج الى وزن فلوس فهو غير صادق فى الالتجاء (الرابع) أن يأمر المتحمل صاحب تلك المصيبة مثلا بكثرة الاستغفار حتى تخف العقوبة فاذا خفت أو انقضت كلها صحت الشفاعة حينئذ كما يشفع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجماعة الذين يؤخذ بهم ذات الشمال ويقول يارب أمتى ويقال له انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك انهم ارتدوا على أدبارهم يعنى وقعوا فى معادى أهل الاسلام ثم اذا ذهب الغضب الالهى يشفع فيهم ويخرجهم من النار فما يشفع فيهم الا بعد بلوغ العقوبة حدها فافهم (وكثيرا) ما يأتى المحبوس أو المعزول عن وظيفته مثلا الى

فلما رجعنا الى المدينة لقيه رجل فاعطاه دينارا فلما دخل على الشيخ أبى الحسن قال له يا بطال صادفت وقت اجابة فسألت الله دينارا هلا سألت الله كما سأله أبو العباس سأله أن يكفيه هم الدنيا وعذاب الآخرة وقد استجاب الله تعالى له ذلك وقال رضى الله عنه كنت جالسا بين يدى الاستاذ فدخل عليه جماعة من الصالحين فلما خرجوا من عنده قال هؤلاء الابدال فنظرت ببصيرتى فلم أجدهم ابدا الا فتحيرت بين ما أخبر به الشيخ وبين ما شهدته بصيرتى فبعد ذلك بايام قال الشيخ من بدلت سيآته حسنات فهو بدل فعلمت ان الشيخ أراد أول مراتب البدلية وأخبرنى الشيخ العارف نجم الدين الاصفهانى قال قال لى الشيخ أبو العباس يوما ما اسم كذا وكذا بالعجمية فخطر لى ان الشيخ يجب أن يقف على اللغة العجمية فاتيت اليه بكتاب الترجمان فقال الشيخ رضى الله عنه ما هذا الكتاب قلت كتاب الترجمان قال فضحك الشيخ وقال سل ما شئت بالعجمية أجبك بالعربية أو سل ما شئت بالعربية أجبك بالعجمية فسألته بالعجمية فاجابنى بالعربية وسألته بالعربية فاجابنى بالعجمية وقال يا عبد الله ما أردت بقولى ما اسم كذا الا مباسطتك والا فلا يكون صاحب

الى الفقير ويقول له حبسوني أو عزلوني لاذنب لي ولا جريمة فيتحرك الفقير الساذج بل الابله الى التوجه الى الله تبارك وتعالى في الافراج عنه أورده الى وظيفته فلا يجاب فيكاد الفقير يموت من ثقل تلك الحملة ولعل ذلك المحبوس أو المعزول وقع في الزنا أو شرب الخمر أو غير ذلك مما لا يحصى فليتنبه الفقير لما ذكرناه من الاستغفار وأخذ العقوبة حدها ثم يشفع (الخامس) أن يرى ذلك المعزول مثلا ان الله تبارك وتعالى قد جعل بيد ذلك الفقير الولاية والعزل ليتوجه قلبه الى ذلك الفقير جزما من غير تردد ومتى تردد في ذلك بطل عمل الفقير ولو كان قطبا (وبالجملة) فمتى ظن أنه لولا فلوسه التي غرمها لذلك الامير وحاشيته مثلا أو لولا قراءة ورد مثلا ما قدر الفقير على توليته تلك الوظيفة فهو غير صادق في الالتجاء الى ذلك الفقير فيا طول تعب ذلك الفقير ويا بعد ولاية ذلك المعزول ولعل ذلك الفقير يرمي حلته على طول حتى تمزق همته (السادس) أن لا يقبل الفقير الحامل من المحمول عنه هدية ولا يأكل له طعاما ليكون قلبه متوجها الى الله تبارك وتعالى في حقه خالصا ومتى قبل منه شيأ بطل توجهه وخرب باطنه وتوقف قضاء حاجته لان الفقير يصير يقابله عوضا عن دنياه التي أهداها له وأهل الدنيا لا تنفذ لهم همة في أحد هذا مذهبنا وأما مذهب غيرنا من الاكابر فربما أخذ على ذلك هدية ونفذت همته مع ذلك فله أن يشترط في تحمله أخذ العوض من المحمول عنه ومتى طلب منه ذلك الفقير الذي تحمل حلته شيأ من ثيابه او أمتعته ومنعه فلا يلزم ذلك الفقير قضاء حاجته لانه في ذلك كالاجير في الاعمال الظاهرة وفي ذلك اعطاء الفقير بدنه حقه في تعبه وعتق المحمول عنه من منته عليه (ومما) وقع لسيدي محمد السروي رضي الله تعالى عنه انه حمل حلة شمس الدين بن عوض لما نقم عليه السلطان الغوري فجاء الى الشيخ يستعجله في الحلة فقال له اخلع لي هذه الجوخة الحمراء والصوف والعمامة التي عليك حتى أحمل حلتك بقلب واخرج أنت بالقميص والقبع فقط فشاور نفسه وتوقف فاخذ الشيخ قدرة فخار كبيرة كانت قريبة منه فرماها من الطاقة في الخليج وقال روحي يا حلة ابن عوض (ثم) قال أنا أدخل معك بالروح وأنت تشح علي بخليقات عندك في الدار غير هم فساوه تلك الليلة للعقوبة فحلقوا رأسه وكتفوه وملؤا قحفه اختفسا وألبسوه على رأسه وربطوا القحف من تحت لحيته فصار الخنفس يحفر في دماغه حتى صارت رأسه حفرا والدم نازل على وجهه ولحيته فلو أنه كان أعطى الشيخ الثياب لكان حمل عنه هذا العذاب (السابع) كف جوارحه الظاهرة والباطنة عن كل محرم ومكروه وخلاف الاولى أو خطور ذلك على باله وهذا أعظم الشروط فان منع الجوارح من شهواتها من أشد العقوبة عليها فعلم أن من لم يكف جوارحه المذكورة عما ذكرناه فليس هو باهل أن يجيب الحق تبارك وتعالى دعاءه لانه كما نهاه فلم يجتنب وأمره فلم يمتثل فكذلك دعا به فلم يجبه جزاء وفاقا ولو أنه أجاب أمر ربه لكان أجابه تبارك وتعالى فاجابته تعالى لدعاء عبده على قدر مبادرته لامتثال أوامره سرعة وبطأ بحسب حال العبد (الثامن) عدم تناول شئ من شهوات النفس المباحة فضلا عن المكروهة فضلا عن المحرمة أيام التحمل لان تناول هذه الشهوات يعمي البصيرة ويمنع من دخول حضرة الله تبارك وتعالى لحديث البخاري وغيره مرفوعا وحفت النار بالشهوات ومن ادعى من المتصوفة أن تناول الشهوات المباحة لا يؤثر فيه فهو جاهل بطريق الله عز وجل غافل عن الاهتمام بامر المسلمين (وقد كان) سيدي علي الخواص رضي الله عنه يقول من شرط من يتحمل عن اخوانه أن لا يجلس قط على حدث الا لضرورة ولا يجامع حليلته مدة التحمل الا أن يكون ممن يحضر مع الله تبارك وتعالى في جماعه كما يحضر في صلاته وكذلك لا يشم رائحة طيبة ولا يدخل حماما بغير ضرورة ولا يضع جنبه الى الارض في ليل أو نهار ولا يضحك ولا يغفل عن الله تعالى لحظة ولا يبيت على دينار ولا درهم انتهى (وقد جاء شخص) الى سيدي أحمد بن الرفاعي رضي الله عنه ليسأله الدعاء في قضاء حاجته فقال له سيدي أحمد اذهب فان عندي الآن قوت جمعة فاذا بلغك أنه ليس عندي قوت يوم فتعال أدعو لك فان لي حينئذ أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ليعقوب الخادم يا يعقوب ان الرجل اذا كان عنده قوت غدا وشبعان فدعاؤه خداج لعدم اضطراره وصدق التجائه (وقد ذكر) الغزالي رضي الله تعالى عنه ان من شرط من له حاجة أن لا يفطر ذلك النهار حتى يقضيها ولو عند غروب الشمس (قال وقد) جربناه فصح قال لان الانسان اذا شبع

من نهر لبلدتين من بلاد العجم فقلت أربعة أنهار فقال والنهر الذي غرقت فيه فذكرت اني نسيت نهرا أتيت لاخوضه فكدت ان أغرق فيه وأخبرني العارف ياقوت قال عزم على انسان فقدم لي طعاما فرأيت عليه ظلمة كالكلب فقلت في نفسي هذا حرام فامتنعت من أكله ثم دخلت على الشيخ أبي العباس فقال لي أول ما جلست ومن جهل بعض المريدين أن يقدم له طعام فيرى عليه ظلمة فيقول هذا حرام يا مسكين ما يساوي ورعك بسوء ظنك بصاحبك المسلم هلا قلت هذا طعام لم يردني الله به ودخلت أنا عليه وفي نفسي ترك الاسباب والتجرد وترك الاشتغال بالعلم الظاهر قائلا أن الوصول الى الله لا يكون على هذه الحالة فقال لي من غير ان أبدي له شيأ صحبني بقوص انسان يقال له ابن ناشي وكان مدرسا بها ونائب الحكم فذاق من هذا الطريق شيأ على يدينا فقال يا سيدي أترك ما أنا فيه وأتفرغ لصحبتك فقلت له ليس الشأن ذا ولكن امكث

فيما أقامك الله وما قسم لك على أيدينا هو اليك واصل ثم قال وهذا شأن الصديقين لا يخرجون من شئ حتى يكون الحق هو الذي يتولى

كان دعاؤه كالسهم الذي يخرج من غير وتر مشدود انتهى وسيأتي في الشرط الذي بعده ما يؤيده (التاسع) أن لا يفطر أيام التحمل بل يكون صائما وذلك ليستنير قلبه ويقرب من حضرة الدعاء فان الشبعان قلبه محجوب عن الله تبارك وتعالى بنحو سبعين ألف حجاب (العاشر) أن لا يكون الفقير الذي يتحمل قد خرق بصره الى الدار الآخرة فان من خرق ببصره كذلك تصير همته فاترة فاذا اطلع على ما في ذلك البلاء من الاجر والثواب والقصور والدور والبساتين فتصير كل شعرة منه تطلب دوام ذلك البلاء على ذلك السائل أو دوام عزله عن ولايته واذا فترت الهمة كذلك بطل توجهه فيجب عليه أن يرشده الى غيره من الفقراء المحجوبين عما ذكرناه ممن بصره مقصور على الدنيا فقط فانه أسرع اجابة ولذلك كان دعاء الولاة والاغنياء مقبولا في هذه الدار أكثر من بعض الفقراء الصادقين لما قررناه (الحادي عشر) أن يعمل الفقير على الوصول الى مقام التخلق بالرحمة حتى يكون أشفق على أخيه من نفسه فاذا حمل حملة من مات ولده مثلا وحم بالنار من فرقه الى قدمه فيكون أحم منه وأكثر حزنا على ذلك الولد من والديه فان لم يصل الى ذلك فليأمر الوالدين بان يسألا الله تبارك وتعالى لانفسهما فان ذلك أسرع اجابة لهما من دعاء ذلك الفقير (وقد توجهت) الى الله تبارك وتعالى مرة في التحمل عن سيدي أبي الفضل وزوجته بنت سيدي محمد الحنفي لما ماتت ابنتهما وحصل لهما حزن عظيم فكاد لحمي وعظمي أن يذوب حتى وصلت الى مقام فوقهما في الحزن ثم دعوت لهما (وبالجملة) فلم أر لهذا الخلق فاعلا بعد سيدي علي الخواص غيري وغاية غالب الناس اذا شكى له أحد مصيبة نزلت به أن يتوجع له باللسان ساعة أو يدعو له من غير استجماع هذه الشروط بكلام يشبه كلام الغائبين العقل وربما كان ذلك الفقير وكذلك المشفوع له مرتكبين شيأ من المعاصي الكبيرة فضلا عن غيرها فلا الشيخ أهلا لان يدعو ويقبل دعاؤه ولا المريد أهلا لان يشفع أحد فيه وربما دخل سيدي الشيخ الحمام ذلك اليوم ولبس الثياب المبخرة بعد أن تلذذ بزوجته وسريته على الفراش وأكل الاطعمة اللذيذة ونام على طراحة وغفل عن الله تبارك وتعالى فضلا عن ذلك المحمول عنه وما عند أهل الجنة خير من أهل النار فاسأل بالله تبارك وتعالى جميع اخواني أن لا يأخذوا في أنفسهم علي اذا كلموني ورأوني معبسا ضيق الصدر فربما أكون في ذلك الوقت مشار كالمن ضرب في بيت الوالي مقارع وكسارات أو لمن مات ولدها من النساء أو لمن كانت في الطلق فان صاحب هذا الحال لا يصير له وجهة لغير ما هو فيه فاعلم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) الهامي لان آتي الى قضاء الحوائج من أبوابها التي جعلها الله تبارك وتعالى لها فاذا قضيت من الادنى لا أسأل الاعلى أدبا معه وذلك أني أسأل فيها أصحاب النوبة أولا فان لم تقض على يدهم توجهت الى النبي صلى الله عليه وسلم فان لم تقض توجهت الى الله عز وجل فان لم تقض أكثرت من الاستغفار وعلمت ان المحل ما هو قابل أو أن من سألني لا يستحق قضاء تلك الحاجة (واعلم) يا أخي ان أصحاب النوبة الآن في مصر وذلك سنة ستين وتسعمائة سبعون رجلا وهم مفرقون في بيوت الحكام فلا يوجد حاكم الا وعنده واحد منهم أو أكثر فاذا دخلت يا أخي الى حاكم في حاجة فتوجه بقلبك الى صاحب النوبة في داره واسأله أن يعطف قلب ذلك الحاكم عليك فانه يفعل ان شاء الله تبارك وتعالى ومن لم يتوجه اليه فربما عارضه في حاجته عند ذلك الحاكم وقسى قلبه عليه لسوء أدبه (فعلم) أن من أنكر أصحاب النوبة رضي الله تعالى عنهم أو اعترف بهم ثم تعداهم الى الحكام فهو مظلم القلب ليس له في قدم الصدق لطريق الفقراء نصيب ولو انه كان من أهل الطريق لعرف أهلها ولزم الادب معهم (وكان) سيدي علي الخواص رضي الله تبارك وتعالى عنه يقول كم من كامل لا تصريف له وكم من ناقص بالنسبة اليه يتصرف في الوجود ليلا ونهارا فلا تظن يا أخي أن صاحب التصريف أعلى مقاما ممن لم يتصرف (قال وقد كان) الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تبارك وتعالى عنه يقول ان الشيخ ابا السعود بن الشبل أعلى مقاما من شيخه الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله تعالى عنهم لانه عرض عليه مقام التصرف فابى وقال قد تركنا الحق تبارك وتعالى يتصرف لنا والشيخ عبد القادر عرض عليه مقام التصريف فتصرف وكان الاولى له أن يتركه حتى يؤمر بالتصريف فهنالك يتصرف بامر اه (وتأمل)

اخراجهم فخرجت من عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبي وكأنها كانت ثوبا نزعته ورضيت عن الله فيما أقامني فيه وأخبرني بعض أصحابنا قال رأيت وأنا بالمغرب دائرة من الرجال ورجل في وسطها وكل من في تلك الدائرة متوجه اليه فقلت في نفسي هو القطب وعرفت ذلك الرجل بصفته وبقيت كلما ذكر لي عن رجل آتي اليه وأقول عسى أن يكون ذلك الرجل حتى قيل لي عن الشيخ أبي العباس المرسي فاتيته واذا هو ذلك الرجل الذي رأيته في وسط تلك الدائرة فاخبرته فقال نعم أنا القطب أما الذين يقابلون بطني لهم المدد من باطن حقيقتي والذين يقابلون ظهري لهم المدد من ظاهر علمي والذين يقابلون جنبي لهم المدد من العلوم التي بين جنبي وأخبرني بعض أصحابنا قال رأى انسان من أهل العلم والخير كأنه بالقرافة الصغرى والناس مجتمعون يتطلعون الى السماء وقائل يقول الشيخ أبو الحسن الشاذلي ينزل من السماء والشيخ أبو العباس مترقب لنزوله متأهب له فرأيت الشيخ أبا الحسن قد نزل من السماء وعليه ثياب بيض فلما رآه الشيخ أبو العباس ثبت رجليه في الارض وتهيأ لنزوله عليه فنزل الشيخ أبو الحسن عليه وفحل من رأسه

يا أخي في مقدم الوالي كيف يتصرف في المجرمين بالعقوبة بهم والافراج عنهم ولا يقدر على ذلك شيخ الاسلام مع انه أعلى رتبة عند الله عز وجل ان شاء الله تعالى من المقدم بيقين بل ربما سئل شيخ الاسلام في حاجة عند الوالي فيسأله والمقدم فيها ولا يقدر على اطلاق متهوم بحرام أو فجور أبدا بخلاف المقدم قال الله تعالى وأتوا البيوت من أبوابها (وقد خالف قوم) وتصرفوا بغير واسطة أصحاب النوبة فقتلوهم بالحال وقد أوصاني سيدي الشيخ أبو الفضل شيخ بيت بني الوفا رضي الله تعالى عنهم وقال اياك أن تدخل في حلة أحد من ولاة هذا الزمان ويحن عليه قلبك فلعلك تقتل تحتها ولا تجب فانهم ظلمة ولسان حالهم يقول يا سيدي الشيخ دعنا نظلم العباد والبلاد واجنا من العقوبة التي استحقيناها فليكن الفقير حاذقا فانه في النصف الثاني من القرن العاشر انتهى (وسمعت) سيدي عليا الخواص رضي الله تعالى عنه يقول اياكم أن تسألوا في حوائجكم الاولياء الذين ماتوا فان غالبهم لا تصريف له في القبر وأما غير الغالب كالامام الشافعي رضي الله تعالى عنه والامام الليث رضي الله تعالى عنه وسيدي أحمد البدوي رضي الله تعالى عنه وأضرابهم فربما جعل الله تبارك وتعالى لهم التصريف في قبورهم بحسب صدق من توجه اليهم (قال) وقد استدارت أبواب جميع الاولياء رضي الله تعالى عنهم الى الغلق وما بقي مفتوحا الا باب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه فمن كان له حاجة فليصل على النبي صلى الله وسلم عليه ألف مرة بتوجه تام ثم يسأله في قضاء حاجته فانها تقضى ان شاء الله تعالى (ولما وقع التفتيش في مكاتيب الرزق خرج بعض جهات الزاوية أقطاعا للسلطان فاشغلت الفقراء بالقرآن فقرؤا نحو ثلثمائة ختمة وأهدوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لاصحاب النوبة رضي الله تعالى عنهم وللسلطان نصر الله به الاسلام والمسلمين فافرج عنهم الباشا على ولم يقع ذلك لاحد في مصر غيرنا ولذلك رتبت الدعاء لاصحاب النوبة فليس أحد من جماعتنا الذين نزاويتنا يدعو عقب صلاة أو قراءة الا ويدعو لاصحاب النوبة رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم والحمد لله رب العلمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) قضائي الحوائج عند الحكام من غير وقوع نقص في ديني بسبب ذلك وذلك أنه اذا كان لي حاجة عند الباشا فدونه أتوجه الى الله عز وجل وأسأله أن يسخر ذلك الامير لي في قضاء تلك الحاجة فيصبح الامير متهيأ لذلك فأول ما يقرأ القصة أو يسمع كلام القاصد يقضي الحاجة لوقتها بخلاف غيري فربما يظهر النسك والعبادة ويقول للوسايط اذكروا الفقراء عند الامير أو اذكروهم عنده بما أنتم أهله من الخير وربما وقع في الرياء والنصب والحيل الا أن يكون من كمل الاولياء الذين لا رياء عندهم في اعتقادنا كسيدي أحمد الزاهد فقد كان يقول لصاحب الحاجة اذا سأله قضاء حاجة عند من لا يعرفه انظر أحدا يسبق الى بيت الامير ويعظمني عنده حتى تقضى حاجتك فاني لا يسعني أن أزكي نفسي عنده وان لم أزكها لا تقضى لك حاجة انتهى والاعمال بالنيات (قلت) وقد قضيت عند قضاة العساكر والكشاف ومشايخ العرب حوائج من المهمات وما رأيت أحدا منهم ولا جالسته ولا أرسلت له من يعرفه بي ولكن يحتاج صاحب هذا الخلق الى قوة توجه فانهم قالوا تحويل الجبل بتوجه الفقير أهون عليه من تحويل قلب أمير وذلك لان الجبل لا روية عنده ولا تأمل بخلاف الامير فانه ربما ظهر له أن الصواب في مخالفة الفقير فعمل به ولا كذلك الجبل فافهم (ويقع لي) في بعض الاوقات اني أتوجه الى الله تعالى في قضاء حاجة وأنا ساجد فاحس بجسمي وعظمي قد ذاب فارتمي الى الحضرة من غير تشهد ولا سلام فما أفيق الا بعد ساعة وأعرف اني لو زدت في السجود وطولت فيه مع الحضور لاحترقت (وهذا أمر لا يذوقه الا أهله) فأين من له عظم يثبت من أمثالنا في حضرة هي أقرب الحضرات ولكن من أراد أن يحيط بما قلناه علما فليطل السجود ويقول يا الله يا أرحم الراحمين حتى ينقطع نفسه مرارا بحيث لا يبقى فيه متسع لان ينطق بكلمة واحدة وكل شيء خطر في باله من غير الله عز وجل يصرفه عنه حتى لا يبقى في ذهنه الا الله وحده فانه يحس بجسمه انه يكاد يحترق لو زاد في التطويل (ثم) ان كل من صح له الثبوت هناك أجيب دعاؤه بوقته لانها حضرة لا يرد فيها سائل لارتفاع الحجب والوسايط فيها الا ما استثنى شرعا انتهى فاعمل على التخلق بذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

تحت ثياب فيه واستيقظت وأخبرني الشيخ محمد السراج قال كنت ليلة من الليالي نائما وأنا أرى في المنام قائلا يقول لي اذهب الى خارج الاسكندرية من باب السدرة فاول بستان تلقاك من الجانب الايسر فادخل فيه فانك تجد هناك جماعة من الناس الجالس منهم تحت أطول نخلة هناك رجل من الرجال ثم قيل لي ان في الجامع حلقة من دخل فيها فهو آمن فلما أصبحت خرجت الى ظاهر الاسكندرية فدخلت أول بستان من الجانب الايسر فوجدت حلقة هناك فرفعت بصري لانظر الى أطولها نخلة فاذا قائل يقول كلها طوال فاذا هو الشيخ أبو العباس المرسي فسلمت وجلست فقلت يا سيدي رأيت البارحة كذا وكذا وقصصت عليه الرؤيا فقال أنا الجامع والحلقة هم أصحابي ومن دخل فيها فهو آمن أي من دخل في شروطنا فهو آمن ثم قال أنا الليلة آتيك فقلت يا سيدي أنتظرك على الباب أو أترك لك الباب مفتوحا قال لا ولكن اغلق الباب وأنا آتيك قال فلما كان الليل أخذني شبه الوهم وصرت أقول من أين ياتي من ههنا ياتي لا بل من ههنا ياتي فلم أطق المكث فخرجت الى رباط الواسطي فصعدت المأذنة ووقفت لاصلي فانا في الصلاة واذا الشيخ أبو العباس قد أتى في الهواء وقال يا محمد أتظن

(وما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) كثرة توجهى لكلام الائمة المجتهدين ومشايخ الصوفية وحمل كلامهم على أحسن الوجوه وكذلك كلام أتباعهم فاحمله على محامل حسنة وقد يتفق لى ذلك مع بعضهم ولو علمت أنهم لم يصلوا الى ذلك المشهد كل ذلك سدّا لباب الوقيعة فيهم وللتحقيق موضع آخر (فمن ذلك) ما اذا سمعنا شخصا من الاكابر يقول اللهم احبس عنى ألسنة عبادك مثلا حتى لا ينقصونى لا نحمل ذلك على أنه قصد بذلك تعظيمه عند الناس لغرض نفسى وانما نحمله على أنه قصد بذلك عدم تنقيصه حتى لا يتوقف اتباعه فى قبول نصحه ووعظه أو حتى لا يرتكب أحد معصية بغيبته ونحو ذلك كهضم نفسه تواضعا فكأنه يقول للناس مثلى لا يقدر على تحمل الكلام فيه ونحو ذلك (وقد) نقل أن موسى عليه الصلاة والسلام قال يارب احبس عنى ألسنة عبادك فقال ياموسى هذا شئ ما جعلته لنفسى قد قالوا فىّ ما قالوا انتهى (ومعلوم) أن موسى عليه السلام لا يطلب مقاما عند الخلق لحظ نفس قط لعصمته فكذلك القول فى الاولياء رضى الله تعالى عنهم لحفظهم فما سأل الاكابر فى حبس ألسنة الناس عنهم الا خوفا من عدم قبول اتباعهم نصحهم اذا نقصوا فى أعينهم وقد كلفوا بهدايتهم فيتبعون فى ذلك ومن هنا قال العارفون رضى الله تعالى عنهم يشترط فى كمال الداعى الى الله تعالى أن يكون محفوظ الظاهر من الزيغ عن الشريعة حتى لا يجد المدعو فيه مطعنا ونظير ما قلناه أيضا قول هرون عليه السلام ولا تشمت بى الاعداء فانه انما قصد بذلك عدم وقوع قومه فى الاثم بسبب شماتتهم به فان من شمت بنبىّ كفر وهذا الباب الذى فتحناه لك قليل من الفقراء من يعرفه بل غالبهم يسارع الى الانكار اما لقلة العلم واما لغير ذلك فينكر بمجرد رؤيته لشئ رآه أو سمع به أو أشيع من غير تثبت وقد جاءنى مرة شخص من جامع الازهر فقال لى ما عدت أعتقد فى العالم الفلانى أبدا فقلت له لماذا فقال سمعته يقول أنا أعلم من جميع علماء مصر الآن بل أعلم من جميع من على وجه الارض من العلماء فقلت له يحتمل انه يريد أنا أعلمهم بزلاتى ومخالفتى أو بما فى بيتى من الامتعة أو أعلمهم ببدن زوجتى ونحو ذلك قال وسمعته أيضا يقول العالم الفلانى لا يجىء فى قلامة ظفرى ولا شعرة منى فقلت له صحيح انه لا يجىء فى قلامة ظفره ولا شعره بل هو أجل وأعظم من ذلك وكان لسان حالك أنت تقول بل هو يجىء كذلك قال وسمعته أيضا يقول ونحن فى طريق بولاق سبحان من شرف هذه البقاع بمشينا فيها فقلت له هو قول صحيح فان النوع الانسانى أشرف من التراب لانه خلاصة الوجود فهو أشرف ممن هو دونه خصوصا اذا أنعم الله عليه بذكره وهو ما رقال وسمعته يقول أيضا أنا أفضل علماء مصر الآن فقلت له يحتمل انه يريد بذلك أنا أفضل منهم عند نفسى الخبيثة وهى مخطئة فى تلك الدعوى والحال أنهم أفضل منى قطعا انتهى (فانتحل) يا أخى لاخوانك الاجوبة الحسنة وان كانت بعيدة فانه أخلص لك وأسلم (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يسوغ الانكار شرعا الا اذا لم يقبل ذلك الامر التأويل انتهى (وكان يقول) أيضا من كمال الفقير أن يحمل كلام الاكابر على أحسن المحامل لخروجهم عن مقام التلبيس والرعونات النفسانية وان عجز عن الجواب عنهم فى قول قالوه أو فعل فعلوه فليسلم لهم وليكف عن الانكار لان منازعهم دقيقة على عقول أمثالنا لاسيما الائمة المجتهدون وكبراء مقلديهم وأنى لامثالنا أن يتصدى لرد كلامهم (وقد) تصدى شخص للرد على الامام أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه وأرضاه وعمل فى ذلك كراسة وأتى بها الىّ يعرضها علىّ فطردته ولم أصغ الى قوله ففارقنى ووقع من سلم بيته وكان عاليا فانكسر صلبه وخرج زرّ وركه من مكانه فهو الى الآن مكسور يبول ويتغوط على نفسه نسأل الله تبارك وتعالى العافية (وقد أرسل لى) مرّات انى أعوده فلم أفعل أدبا مع الامام أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه ان أوالى من أساء الادب معه (هذا التأويل) فى حق الائمة الماضين أما الاحياء فلا أقبل فى أحدهم كلاما قط حتى أجتمع به وأفاوضه فى ذلك الكلام فربما نقل الحسدة عنه كلاما باطلا أو حرفوه عن مواضعه على خلاف مراده ليشنوا الغارة عليه عند المتهورين فى دينهم من باب التعصب والباطل يقصد أنهم يطفئون نوره فى البلد ويأبى الله الا أن يتم نوره (وهذا الامر) قد كثر نقله بين الاقران وذلك من قلة الورع فى المنطق فان الورع فى المنطق فى كل زمان أعز من الكبريت الاحمر وقد كان شيخنا شيخ الاسلام زكريا رضى الله تعالى عنه اذا رفع اليه سؤال عن أحد من علماء العصر

يقول

انك اذا جئت الى هنا يخفى على مكانك فقلت يا سيدى انما جئت ههنا لانى لم أطق وها انى الامر وكان المخاطب له منى لسان آخر غير الذى كنت أقرأ به وأخبرنى بعض أصحابه قال كنا مع الشيخ بمدينة قوص وكان من أصحاب الشيخ أبى العباس المرسى أبو الحسن المرسى وكان فى خلقه حدة فنزل يوما ولد الشيخ يلعب كما تلعب الصبيان فقال له الشيخ أبو الحسن المرسى اطلع لا أطاعك الله فسمعه الشيخ أبو العباس فنزل وقال يا أبا الحسن حسن خلقك مع الناس بقى لك عام وتموت فمات تمام العام وأخبرنى أبو عبد الله الحكيم المرسى قال قدم علينا شيخ اشموم فلما جن الليل دعانى الشيخ وقال ادن منى ياحكيم فدنوت فوضع يده خلف ظهرى وفعلت أنا كذلك وضمنى اليه وبكى وبكيت لبكائه ولا أدرى م بكاؤه فقال ياحكيم ماجئتكم الا مودعا ياحكيم اذهب الى المقر فاودع أخى ثم أعود الى الاسكندرية فابيت بها ليلة وأدخل فى اليوم الثانى قبرى فسافر فاقام عند أخيه مدة يسيرة ثم انحدر الى الاسكندرية فاقام بها ليلة ودخل اليوم الثانى قبره كما قال وأخبرنى سيدنا جمال الدين ولد الشيخ رضى الله عنهما قال ورد رسول الافرنج الى الاسكندرية فذهبت لانظره ولم أعلم الشيخ فلما جئت

يقول لا أكتب عليه الا ان اجتمعت به وسألته عن مراده وتارة يقول ان ثبت ذلك عن قائله بطريق شرعي لا تعصب فيه فالحكم كذا وكذا انتهى (وقد دريت) انا هذا الباب كثيرا مع حسادي فكل قليل يحرفون عني مسائل لم أقل بها قط ثم يكتبون بها سؤالا ويستفتون عنها العلماء فيفتون بحسب السؤال ثم يدورون بخطوط العلماء على الناس فيحصل لي من ذلك أجور لا تحصى من كثرة الوقوع في عرضي بغير حق فلو أني كنت مؤاخذا أحدا من هذه الامة لما رضيت يوم القيامة باعمال الواحد منهم طول عمره في غيبة واحدة (هذا) وما أحد من المستفتين علي اجتمع بي طول عمره ولا بلغه ذلك عني ببينة عادلة ولو أنهم كانوا يقصدون الخير لاجتمعوا بي وأخذوا مني الجواب فاما أن أتبرأ من ذلك الكلام فلا يجوز نسبته الي بعد ذلك واما ان أرد تحريفهم بتبيين مرادي على الوجه الشرعي لكن العدو ما قصده الا الاذى ويخاف ان أجيب عن نفسي فلا يروج له أمر فيما افتراه علي فالله يغفر له (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا ينبغي لفقير أن يؤاخذ أحدا من الفسقة بكلام قاله في حقه لانه ليس مع الفاسق أعمال صالحة في الآخرة يعطي شيأ منها لاحد من أخصامه أو معه ولكن لا تفي بما عليه ثم ان الفقير ان وضع من أوزاره شيأ على ظهر ذلك الفاسق بعد نفاد أعماله الصالحة وقع فيما يقدح في مروءته فما بقي الا المسامحة وان كان ولا بد له من المؤاخذة فليؤاخذ العلماء العاملين المخلصين لان غير المخلصين لا يصل لهم عمل الى الآخرة حتى يأخذ حقه منها لاحباطه بالرياء والعجب مثلا في دار الدنيا انتهى (وسمعت) أخي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول اذا سامحت أحدا في حقك من مال أو عرض فاجعل ذلك من جانبك لا من جانب الحق تبارك وتعالى من حيث انها كحرمة الله عز وجل وتعدي حدوده بالكلام في المؤمنين بغير حق فان ذلك ليس هو اليك وانما هو الى الله تعالى يفعل فيه ما يشاء انتهى (فعلم مما قررناه) انه لا ينبغي للمفتي أن يبادر الى الكتابة على سؤال متعلق باحد من الاحياء لا سيما ان كان يعلم ولو بالقرينة ان ذلك المستفتي منه عدو للمستفتى عنه فيحصل بتلك الكتابة ضرر كبير اذ الاستفتاء على شخص كالكتابة والعلامة على قلة دينه فهو كالتقرير له (وقد وقع) في سنة سبع وخمسين وتسعمائة ان شخصا ممن لا يخشى الله تبارك وتعالى زور علي انني ادعيت الاجتهاد المطلق كاحد الائمة الاربعة فلا تسأل يا أخي عن كثرة مالات الناس بعرضي ولعل شبهتهم في ذلك كثرة أجوبتي عن الائمة فيرونني أوجه هذا المذهب وهذا المذهب كما يوجهه أصحابه فربما يفهمون من ذلك بفهمهم المعكوس ما فهموه مع اني بحمد الله تبارك وتعالى لم أجب عن امام قط بالصدر وانما أجيب عنه بعد اطلاعي على دليله كما يعلم ذلك من كتابي الذي ألفته في بيان أدلة المجتهدين (وممن توقف) عن الكتابة على ذلك السؤال تورعا الشيخ ناصر الدين اللقاني والشيخ شهاب الدين الرملي والشيخ نجم الدين الغيطي والشيخ نور الدين الطندتائي والشيخ شمس الدين البرهمتوشي وسيدي محمد الرملي وقال ائتوني بالكتاب الذي فيه هذه الدعوى أو ببينة عادلة تشهد عليه بذلك فاعجزهم وأما الشيخ نجم الدين فسمح الله في أجله فاجاب عني بنحو خمسين جوابا وقال للحسدة بتقدير ثبوت ذلك عنه فليس في ذلك محظور لان من شرط القاضي أن يكون مجتهدا انتهى ولما بلغ ذلك الشيخ ناصر الدين الطبلاوي قال ان ثبت ان فلانا ادعى ذلك فانا أول من يقلده انتهى وقد اشاعوا مثل ذلك عن الشيخ جلال الدين السيوطي والحال ان الشيخ لم يدع الا الاجتهاد المنتسب لانه على قسمين اجتهاد مطلق مستقل كالائمة الاربعة وهذا لم يدعه أحد بعد الائمة الاربعة الا ابن جرير الطبري ولم يسلم له ذلك واجتهاد مطلق منتسب كما عليه المزني والقفال والشيخ أبو محمد الجويني والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد واضرابهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين فكل هؤلاء مجتهدون منتسبون لا مستقلون هكذا رأيته بخط الشيخ جلال الدين السيوطي وقال اني لم أدع الا الاجتهاد المطلق المنتسب فظن الحسدة اني أعني المطلق المستقل انتهى على ان الاجتهاد عند أهل الطريق يحصل للمريدين فضلا عن العارفين وعبارة الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه في الفتوحات المكية في كتاب الجنائز واذا بلغ المريد مقام الاجتهاد فهل يقيم تحت حكم أستاذه أو يخالفه قد قال بكل منهما جماعة (قال) والذي أراه انه يقيم تحت حكم شيخه حتى يرقيه الى علم اليقين أو عين اليقين أو حق اليقين انتهى وذلك فوق مقام الاجتهاد بيقين اذ غاية الاجتهاد في الفروع الظن فانه

قال أين كنت قلت ههنا قال لا بل ذهبت تنظر رسول الافرنج أتظن ان شيأ من أحوالك يخفى علي كان الرسول لابسا كذارا كبا عن يمينه فلان وعن يساره فلان فوصف الحال على ما كان عليه وأخبرني عبد العزيز المدبوني قال قال لي الشيخ يا عبد العزيز سقيت الفرس وما كنت سقيتها فقلت نعم خوفا من الشيخ فقال يا عبد العزيز سقيت الفرس قلت نعم فكرر علي ذلك مرارا وأنا أقول نعم ففي المرة الاخيرة قال يا الله وطار في الهواء حتى غاب عن بصري فلما كان في اليوم الثاني قال يا عبد العزيز ما الذي يحوج الانسان منكم أن يقول غير الحق كنت تقول ما سقيتها وماذا كنت أصنع بك اذا كنت لم تسقها وكنت أنا سمعت الطلبة يقولون من صحب المشايخ لا يجيء منه في العلم الظاهر شيء فشق علي أن يفوتني العلم وشق علي أن يفوتني صحبة الشيخ فاتيت الى الشيخ فوجدته يأكل لحما بخل فقلت في نفسي ليت الشيخ يطعمني لقمة من يده فما استتممت الخاطر الا وقد دفع في فمي لقمة من يده ثم قال نحن اذا صحبنا تاجرا ما نقول له اترك تجارتك وتعال أو صاحب صنعة ما نقول له اترك صنعتك وتعال أو طالب علم لا نقول له أترك طلبك وتعال ولكن نقرر كل واحد فيما أقامه الله تعالى فيه وما قسم له على أيدينا

تبارك وتعالى يحمى جميع اخواننا من الوقوع فى الانكار على أحد من الائمة ومقلديهم كما وقع لى فانى لا أعلم بحمد الله تبارك وتعالى أحدا من أقرانى أكثر أجوبة عن الائمة رضى الله تعالى عنهم وعن مقلديهم منى خلاف ما أشاعه الحسدة علي فلو أن أحدا سالما من التعصب جلس عندى وعرض على أقوال جميع المذاهب المتضادة عند غيرى لجمعت بينها من غير تكلف انتهى وقد رأيت وأنا شاب الامام الاعظم أبا حنيفة رضى الله تعالى عنه والامام مالك جالس عن يساره وأنا واقف بين يديهما فقال الامام مالك رضى الله عنه للامام أبى حنيفة ما أحد أجاب عنا مثل هذا الشاب فسررت بذلك غاية السرور وقد حبب الى أن أذكر لك يا أخى جملة من المسائل التى اختلف فيها الائمة رضى الله تعالى عنهم فى الوضوء والصلاة تأنيسا لك (فربما) تستبعد أقدارا لحق تبارك وتعالى لمثلى على الجمع بين الاقوال المتضادة فاقول وبالله التوفيق (وجه) قول من قال لا يصح الوضوء بالماء المستعمل فى فرض الطهارة كون الصحابة رضى الله تعالى عنهم لم يجمعوا المستعمل فى أسفارهم القليلة الماء ليتوضؤا به ثانيا بل عدلوا عنه الى التيمم ولان الخطايا قد خرجت فيه بنص الحديث وما تخرج فيه الخطايا فهو مستقذر شرعا فلا ينبغى لمؤمن أن يتطهر به لان من شأن مقام الطهارة انها تزيد الجسد طهارة وتقدسا والوضوء من غسالة الخطايا يزيد الجسد تقذرا فلو كشف الحجاب عن العبد لرأى الماء المستعمل فى الميضأة التى يردها الناس كالذى وقع فيه جملة من الحيوانات الميتة كالكلاب والخنازير والحمير والحشرات على حسب تفاوت المعاصى التى خرجت من زنا ولواط وشرب خمر وغيبة ونميمة ومرافعة فى الناس عند الحكام وغير ذلك من كبائر وصغائر ومكروهات فرحم الله الامام أبا حنيفة رضى الله تعالى عنه حيث عم باقواله الثلاثة الكبائر والصغائر والمكروهات فان له قولا ان حكم الماء المستعمل فى حدث حكم النجاسة المغلظة وله قول آخر انه كالمتوسطة وله قول آخر انه طاهر غير طهور (وجه) كونه كالنجاسة المغلظة الاخذ بالاحتياط فربما وقع ذلك المتطهر فى شئ من الكبائر ووجه كونه كالنجاسة المتوسطة كون الغالب فى الناس وقوعهم فى الصغائر وهى حالة متوسطة بين الحرام والمكروه ووجه كونه طاهرا غير طهور ان الاصل عدم ارتكاب الناس الصغائر والكبائر فما بقى الا ارتكابهم المكروه الذى أباحته الشريعة (ويؤيد) ما ذكرناه فى تقسيم الغسالة قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة لما قالت له حسبك من صفية كذا تعنى قصيرة لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته أى لو وقعت فى البحر لغيرته كله وأنتنته فاذا كان مثل هذه الكلمة يغير ماء البحر الاعظم لو وضعت فيه فما ظنك يا أخى بغسالة الذنوب العظام اذا سقطت فى فسقيه صغيرة فرحم الله تعالى أصحاب الامام أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه حيث أشاروا الى منع الوضوء من فساقى المساجد فانها بالنسبة للبحر المحيط كقطرة صغيرة فهى أولى بالتقذر والتغيير * وأما وجه من جوز الطهارة بالماء المستعمل فهو لان تقذر الماء بالخطايا المعنوية أمر غير مشهود الا لاهل الكشف ولا ينهى الانسان الا عن الطهارة بالماء الذى يشهد قذارته وتغيره على اختلاف المقامات فى ذلك ويؤيد ذلك تسمية الماء طهورا أى تتكرر به الطهارة عند من جوزه * وأما وجه من منع الوضوء بالماء المعتصر من النبات والاشجار فهو لان مشروعية الطهارة انما جعلت لانعاش البدن ليقوم العبد الى مناجاة ربه ببدن حى ومعلوم ان الماء المعتصر ضعيف الروحانية لان الروحانية التى كانت فيه قد انتقلت الى الحبة والنواة مثلا حتى اخضر ذلك الزرع وكثرت أوراقه وأغصانه فصارت روحانية ذلك الماء ضعيفة لا تنعش بدن المتوضئ ومن شك فى قولى فلينظر بدنه اذا توضأ بماء البئر الذى لم يستعمل وماء الفساقى فانه يجد بدنه ينتعش بماء البئر أكثر * وأما وجه من منع صحة الوضوء اذا لم يذكر اسم الله عليه فلان كل ما لم يذكر اسم الله عليه غير مبارك أو يحمل ذلك على الكمال لقوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لجار المسجد الا فى المسجد (وأما) وجه من أوجب الترتيب فى أعضاء الوضوء وأبطل الوضوء اذا لم يرتب فلانه لم ينقل لنا أنه صلى الله عليه وسلم توضأ غير مرتب أبدا وقد قال صلى الله عليه وسلم كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد فالترتيب مأمور به أولا ثم نهض به الى الوجوب اجتهاد المجتهد وأما وجه من صحح الوضوء اذا لم يرتب فانه جعل الواو فى آية الوضوء لغير الترتيب والمقصود غسل جميع هذه الاعضاء قبل أن يقوم للصلاة ويدخل فيها ويؤيده ما روى عن على

بل أقرهم على أسبابهم وأمرهم بتقوى الله فيها وسمعته يقول سافرت الى قوص ومعى خمسة أنفس الحاج سليمان وأحمد بن الزين وأبو الربيع وأبو الحسن المرسى وفلان فقال لى انسان ما الذى تقصد بسفرك يا سيدى فقلت له أدفن هؤلاء بقوص وأجىء فدفنت الخمسة بها أما الحاج سليمان فمات حتى شرب من حوض الكوثر وأخبرنى بعض أصحابه قال نزل عنده بعض الاعيان فقال فى نفسه أشتهى من ينبهنى قبل الفجر بمنزلة ويأتينى بابريق ماء سخن ويأتينى بسراج ويرينى محل الطهارة قال وأنا قبل الفجر الا وطارق يطرق الباب فخرجت واذا هو الشيخ فقال الوقت قبل الفجر بمنزلة وهذا ابريق فيه ماء سخن وهذه شمعة وتعال حتى أريك محل الطهارة وكنت قد قلت لبعض أصحاب الشيخ أريد لو نظر الى الشيخ بعنايته وجعلنى فى خاطره فقال ذلك للشيخ فلما دخلت على الشيخ قال لا تطالبوا الشيخ بان تكونوا فى خاطره بل طالبوا أنفسكم أن يكون الشيخ فى خاطركم فعن مقدار ما يكون عندكم تكونون عنده ثم قال أى شئ تريد أن يكون والله ليكونن

رضى الله تعالى عنه لا أبالى بدأت برجلى أو بوجهى * وأما وجه من أوجب الموالاة من حيث الاعتبار والحكمة فلان الطهارة انما شرعت لانعاش البدن مما تولد من وقوع صاحبه فى المعاصى أو الشهوات أو الغفلات حتى كاد البدن أن يموت أو يضعف أو يفتر فلو لم يوجب الموالاة لأدى الى زيادة البطء فى زمن الطهارة كأن يغسل وجهه قبل طلوع الشمس مثلا ثم يغسل بقية أعضائه قبيل العصر مثلا مع وقوعه فى الغيبة والنميمة وكثرة الضحك وأكل الشهوات وكثرة الغفلات بين الوقتين حتى صار بدنه من كثرة الضعف كأنه لم يتوضأ وبذلك يذهب المقصود من حكمة الوضوء وهى انعاش البدن قبل الدخول فى الصلاة فيقوم للصلاة قبيل العصر مثلا ببدن ميت أو ضعيف أو فاتر فالموالاة من أصلها مأمور بها ونهض بها الاجتهاد الى الوجوب كما مر فى الترتيب * وأما وجه من قال ان النية لا تجب فى الوضوء وتجب فى التيمم فهو ان الماء يحيى ما سرى اليه بطبعه ولو بلا نية فعل فاعل كالارض التى سال عليها الماء من غير فعل انسان فانها تحيا وتصلح للزرع وتنبت الحب الذى بذر فيها فكذلك القول فى حياة الاعضاء * وأما وجه من قال بوجوبها فى التيمم فلان التراب ضعيف الروحانية بالنسبة للماء فاشترط معه النية المقارنة للقصد تقوية لروحانيته من حيث ان الهمة تؤثر فيما قابلها * وأما وجه من قال انه يصلى بتيمم واحد ما شاء من الفرائض فلان الشارع صلى الله عليه وسلم سكت عن ذلك ولو أنه كان لا يؤدى به غير فرض لبينه الشارع ولو فى حديث * وأما وجه من قال لا ينقض مس الفرج فلان الناقض حقيقة انما هو الخارج لا المحل ولذلك ورد فيمن مس ذكره ما يعطى عدم النقض فى حديث هل هو الا بضعة منك * وأما وجه من نقض الوضوء بمسه فهو زيادة فى التنزه وذلك خاص بالاكابر دون الاصاغر * وأما وجه من نقض الوضوء بالنوم ولو ممكنا مقعدته فلان النوم أخو الموت كما ورد وهذا خاص بالاكابر أيضا دون الاصاغر وأما وجه من لم ينقض بنوم ممكن مقعدته فلأمنه حينئذ من خروج الريح وذلك رخصة * وأما وجه من نقض الوضوء بمس الفرج باليد الى المرفقين ظهرا وبطنا فلان اليد تطلق على ذلك كله وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا أفضى أحدكم بيده الى فرجه الخ * وأما وجه من نقض ببطن الكف فقط فهو عمل بما عليه أهل اللغة من تخصيص الافضاء ببطن الكف دون غيره * وأما وجه من لم ينقض الطهارة الا بالجماع فلان اللمس يطلق على الجماع نظير قوله تبارك وتعالى وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن أى تجامعوهن وأما وجه من نقض بالدم الجارى وبالقهقهة والغيبة ومس اليهودى أو الصليب أو الاجذم ونحو ذلك فهو لكون المكلف مأمورا بالتنزه عن كل ما تولد من الاكل المشغل بلذته عن الله تبارك وتعالى حالة فعله وأما وجه من لم يوجب الغسل بالجماع من غير انزال فلخفة اللذة فيه بخلاف من أنزل فانه لا يكاد يقدر على الحضور مع الله تبارك وتعالى حال جماعه أبدا لعموم اللذة لجسمه كله ولذلك أمر بالغسل لبدنه كله * وأما وجه من أباح وطء الحائض اذا انقطع دمها وغسلت فرجها فقط فلان الوطء انما حرم الاذى الذى يخرج من الفرج وقد زال وحكم غسل بقية البدن انما هو زيادة تنظيف وقس على ذلك بقية المسائل التى تركناها (وأما توجيه) أقوال الائمة رضى الله تعالى عنهم فى الصلاة (فوجه) من قال يجب على المصلى استحضار أفعال الصلاة وأقوالها كلها فى حال التكبير فهو لان المصلى الحقيقى يدخل حضرة الله عز وجل بالروح دون الجسم وذلك سهل على مثله فهو خاص بالاكابر وأما وجه من قال لا يجب ذلك لعسره فهو فى حق من غلبت جسمانيته على روحانيته من غالب الناس فانه لا يتعقل أمرا الا بعد شهود ما قبله وهكذا وذلك يؤدى الى زمن طويل بخلاف الروح فانها تدرك الاشياء جملة فى آن واحد فهذا فى حق قوم وذاك فى حق قوم * وأما وجه من امر المصلى بالاستعاذة فى قراءة كل ركعة فلان غالب المصلين ضعيف الحال ليس له عزم يطرد به ابليس عنه باستعاذته مرة واحدة أول قراءته فأمر بالاستعاذة فى كل ركعة بخلاف قوى العزم فان ابليس يطرد عنه باستعاذته فى الركعة الاولى فقط فلا يحتاج الى الاستعاذة ثانيا لعدم حضور ابليس عنده بعد الاستعاذة الاولى ويؤيده ظاهر قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولا شك أن فى كل ركعة قراءة جديدة لتخلل الركوع والسجود بين كل قراءتين * وأما وجه من أوجب البسملة فى قراءة الفاتحة فى كل ركعة فهو للاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند من أوجبها ومن

لك شأن والله ليكونن لك شأن عظيم والله ليكونن كذا والله ليكونن كذا لم أثبت منه الا قوله ليكونن لك شأن عظيم فكان من فضل الله سبحانه وتعالى ما لا ننكره وأخبرنى سيدنا جمال الدين ولد الشيخ قال قلت للشيخ هم يريدون يصدرون ابن عطاء الله فى الفقه فقال الشيخ هم يصدرونه فى الفقه وأنا أصدره فى التصوف ودخلت أنا عليه فقال لى اذا عوفى الفقيه ناصر الدين يجلسك فى موضع جدك ويجلس الفقيه من ناحية وأنا من ناحية وتتكلم ان شاء الله فى العلمين فكان ما أخبر به وسمعته يقول أريد ان أستنسخ كتاب التهذيب لولدى جمال الدين فذهبت أنا فاستنسخته من غير ان أعلم الشيخ وأتيته بالجزء الاول فقال ما هذا فقلت كتاب التهذيب استنسخته لكم فاخذه فلما نهض ليقوم قال اجعل بالك الولى لا يتفضل عليه أحد تجد هذا ان شاء الله فى ميزانك فلما أتيته بالجزء الثانى لقينى بعض أصحابه بعد نزولى من عنده وقال قال الشيخ عنك والله لاجعلنه عينا من عيون الله يقتدى به فى العلم الظاهر والباطن فلما أتيته بالجزء الثالث ونزلت من عنده لقينى بعض أصحابه وقال طلعت عند الشيخ فوجدت عنده مجلدة

لم يوجبها فلعدم ثبوت حديثها عنده وأما وجه ذلك من حيث الاعتبار فهو لان ذكر الاسم انما يكون فى الغيبة عن مشاهدة صاحب الاسم فمن شاهد الحق تبارك وتعالى بقلبه كفاه مناجاته من غير ذكر اسمه فلكل مجتهد مشهد وفى مواقف الشيخ محمد النفرى أوقفنى الحق تبارك وتعالى بين يديه فى المنام وقال لى اذا لم ترنى فالزم اسمى فما أمره تبارك وتعالى بلزوم اسمه الا اذا لم يره ومن هنا ألغز بعض العارفين رضى الله تعالى عنه ونفعنا ببركاته وامداداته فى شعره بقوله * بذكر الله تزداد الذنوب * أى لان حضرة المشاهدة حضرة بهت وخرس وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا وعلى ذلك يحمل قول الشبلى رضى الله تعالى عنه لما قيل له متى تستريح فقال اذا لم أر الله ذاكرا وذلك فى حضرة الشهود فكانه تمنى لجميع أهل محله دخولها ليكتفى عن الذكر بالشهود هكذا وجهه أهل الطريق * وأما وجه من قال يرخى يديه بجنبيه دون أن يضعهما تحت صدره كما ورد فذلك فى حق من شغله مراعاة كون يديه تحت صدره لا ينزلان عنه عن كمال مناجاة الله تبارك وتعالى واقباله عليه لان من شأن النفس العجز عن مراعاة شيئين معا فى آن واحد الا بقوة يمد الله تبارك وتعالى العبد بها واذا تعارض معنا أمران راعينا الافضل منهما ولا شك ان اقبال العبد على خطاب ربه عز وجل من غير التفات الى غيره أولى من ان يشتغل بيديه خوفا أن ينزلا الى سرته أو ينفكا عن وضع اليمين على اليسار * وأما وجه من قال انه يضع يديه تحت السرة فهو لان اليد اذا طال وضعها على الاخرى يغفل المصلى عن مراعاتها فتنزل الى أسفل السرة وأصلها انما كانت فوق السرة فربما رآها بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم كذلك فظن ان أصل وضعها كان كذلك فقال به واتباع ما صح فى الاحاديث أولى فعلم أن وضع اليدين تحت الصدر خاص بالاكابر الذين لا يشغلهم عن الله تبارك وتعالى شاغل وارخاؤهما خاص بالاصاغر كما قررناه وبهذا حصل الجمع بين مذهب الامام مالك والامام الشافعى رضى الله تعالى عنهما فان الشارع أمن المجتهد على شريعته وأمته فلا يخالف ظاهرها الا لامر يعلم رضا الشارع به فافهم * وأما وجه من قال لا تصح الصلاة الا بفاتحة الكتاب دون غيرها من القرآن فالاحاديث الصحيحة فى ذلك وأقواها دليلا على تعين قراءتها فى كل ركعة حديث مسلم وغيره قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ثم فسر ذلك بقوله فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله عز وجل ذكرنى عبدى واذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله عز وجل حمدنى عبدى واذا قال الرحمن الرحيم قال الله عز وجل مجدنى عبدى الى آخر الحديث فانه جعل الفاتحة جزأ من الصلاة وأما وجه من قال يجزئ المصلى قراءة ما تيسر من القرآن فلان القرآن صفة من صفات الله عز وجل وصفاته تعالى لا تقبل التفاضل من حيث نسبتها اليه تعالى وانما التفاضل راجع الى القراءة والقارئ لا الى المقروء وصاحب هذا المذهب يقول فى نحو حديث لا صلاة الا بفاتحة الكتاب أى لا صلاة كاملة ففيه نفى الكمال لا نفى الصحة (وسمعت) بعض العارفين رضى الله عنه يقول وجوب الفاتحة انما هو على الاكابر الذين أشهدهم الله تبارك وتعالى جميع معانى القرآن فيها فكأنهم صلوا بالقرآن كله فى كل ركعة وعدم وجوبها خاص بمن عجز عن تعقل جميع معانى القرآن فيها انتهى * وأما وجه من أمر المصلى بمراعاة الانغام فى القراءة فهو فى حق الاكابر الذين أقدرهم الله تبارك وتعالى على رفع الصوت بين يديه من غير اشتغال بذلك عنه تعالى وأما وجه من قال انه يقرأ ساذجا فهو فى حق العاجز عن الاقبال عن الله عز وجل مع الاشتغال بالانغام وهو حال أكثر الناس سلفا وخلفا * وأما وجه من منع صحة الصلاة اذا لم يعتدل اعتدالا كاملا أو لم يطمئن فى الركوع فهو أن المبالغة فى ذلك خاصة بالاكابر أما الركوع فلان الضعيف لما كان قائما وتجلت له عظمة الله تعالى تخضع وركع فربما لم يقدر على كمال الطمأنينة لشدة ما تجلى له من عظمة الله عز وجل فيرجع الى القيام بسرعة وهو الاعتدال من غير تطويل وكذلك القول فى السجود بل ذلك أولى بالرجوع الى الجلوس بين السجدتين عن قرب لان السجود أقرب حضرة يدخلها ذلك المصلى فربما حكمت عليه الهيبة من الله تبارك وتعالى فارتعد فكاد عظمه ولحمه أن يذوب فاسرع بالرجوع الى الجلوس تنفيسا له ورحمة بنفسه وفى القرآن العظيم ان الله بالناس لرؤف رحيم وأما وجه من قال انه لا بد من المبالغة فى الاعتدال عن الركوع والسجود فذلك خاص بالضعفاء الذين لا يقدرون على طول الخضوع من شدة الهيبة التى طرقتهم ولا على توالى عظمة الله عز وجل على قلوبهم فتخفيفهما خاص

بالاقوياء

تجراء فقال هذا الكتاب استنسخه لى ابن عطاء الله والله ما رضى له بجلسة جده ولكن زيادة التصوف وأخبرنى بعض أصحابه قال قال الشيخ يوما اذا جاء ابن فقيه الاسكندرية فاعلمونى به فلما أتيت أعلمنا الشيخ بك فقال تقدم فقدمك بين يديه ثم قال جاء جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ملك الجبال حين كذبته قريش فقال له جبريل هذا ملك الجبال أمره الله أن يطيع أمرك فى قريش فسلم عليه ملك الجبال وقال يا محمد ان شئت أطبق عليهم الاخشبين فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ولكن أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يوحده ولا يشرك به شيأ فصبر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء من يخرج من أصلابهم كذلك صبرنا على جد هذا الفقيه لاجل هذا الفقيه وخرجت يوما من عند الفقيه المكين الاسمر رضى الله عنه وخرج معى أبو الحسن الجريرى وكان من أصحاب الشيخ أبى الحسن فسلمت عليه فسلم على ببشاشة واقبال فقلت له من أين تعرفنى فقال وكيف لا أعرفك كنت يوما جالسا عند أبى العباس وكنت أنت عنده فلما زلت قلت له يا سيدى انه ليعجبنى هذا الشاب انقطع فلان وفلان عن الملازمة

بالاقوياء فيكفيهم أدنى اعتدال يتنفسون به فانقل عن الامام أبى حنيفة رضى الله تبارك وتعالى عنه خاص بالاكابر ومانقل عن الشافعى رضى الله تبارك وتعالى عنه خاص بالاصاغر فكان صلى الله عليه وسلم يطول الاعتدال والركوع تارة ويخففهما أخرى ليقتدى به الاقوياء والضعفاء * وفى الحديث كان صلى الله عليه وسلم اذا جلس بين السجدتين كأنه جالس على الرضف أى الحجارة المحماة يعنى فيرجع الى السجود بسرعة لقوته صلى الله عليه وسلم فانه ابن الحضرة وأخو الحضرة وأبو الحضرة لا أحد من البشر أكثر جلوسا فيها منه صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا وانما كان يخفف صلى الله عليه وسلم رحمة بامته (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول انما اشترط بعض الائمة كمال الاعتدال من الركوع والسجود رحمة بالضعفاء من الامة الذين لا يقدرون على توالى شهود عظمة الله تبارك وتعالى فى حال ركوعهم وسجودهم فلو أراد أحدهم أن ينزل الى السجود من غير اعتدال لربما زهقت روحه وخرجت من حضرة الله عز وجل قهرا عليها فلذلك شرع له الشارع الاعتدال ليستريح فيه من ثقل تلك العظمة التى كادت تفصل أعضاءه وقال لا صلاة لمن لم يقم صلبه فى الصلاة وفى رواية لا ينظر الله الى صلاة من لم يقم صلبه فى الصلاة أى لا صلاة كاملة أو لا صلاة أصلا أى لان عجزه عن تحمل تلك العظمة يفسخ مقام اقباله على الله تبارك وتعالى حتى يكاد يخرج من حضرته فيفوته كمال الصلاة ووجه لا صلاة أصلا كون روحه خرجت من الحضرة بالكلية من شدة ضعفه وعجزه فعلم أن أصل الاعتدال عن الركوع والسجود لا بد منه لكل مصل من أكابر وأصاغر لعجزهم عن توالى عظمة الله عز وجل فى الركوع والسجود من غير اعتدال أصلا وأن العبد كلما ضعف خوطب بزيادة الطمأنينة فى الاعتدال أكثر وكلما قوى خوطب بزيادة الطمأنينة فى السجود أكثر (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول انما ثنى السجود دون الركوع لان السجدة الاولى امتثال للامر عكس ما وقع لابليس والثانية شكر لله تعالى على حصول امتثال الامر انتهى ووجه ما قررناه آنفا أن من وصل الى محل القرب فى ركوعه أو سجوده فقد حصل المقصود فلا يرجع الى محل البعد عادة الذى هو القيام والجلوس بين السجدتين الا لحكمة وهذا الذى ذكرناه هو من حكمة ذلك فتأمله فانه نفيس * وأما وجه مشروعية جلسة الاستراحة فهو ان العظمة التى تجلت للمصلى فى حال سجوده لا عظمة فوقها لان حضرة السجود تقرب من حضرة قاب قوسين او أدنى كما أشار الى ذلك حديث أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فلو أن المصلى المستحضر لعظمة الله عز وجل طلب أن ينهض الى القيام من غير جلسة الاستراحة لما قدر وكان كالتكليف بما لا يطاق فلذلك شرعت جلسة الاستراحة رحمة بالعباد (ومن شك) فى قولى هذا ممن صلاته صورية لا حقيقية فليزم نفسه فى حال سجوده ويجمع حواسه كلها بين يدى الله تبارك وتعالى بحيث لا يصير فى ذهنه الا الله تبارك وتعالى وحده ولا يصير شئ من الكون فى خاطره الا ما يدعو ربه لاجله فانه لو أراد أن يقوم الى القيام من غير جلوس لا يقدر أبدا فكان خطور الاكوان على قلوب الضعفاء حال سجودهم من جملة رحمة الله عز وجل لهم والا تقطعت مفاصلهم وماتوا عن آخرهم لان كل من تجلى له من عظمة الله تبارك وتعالى ما هو فوق طاقته مات فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فافهم فاذا كان من هو من أولى العزم خر صعقا فكيف بغيره (فعلم مما قررناه) أن من قال طول القيام أفضل من تكرار الركوع والسجود فهو فى حق الاصاغر الذين لا يطيقون تجلى عظمة الله عز وجل لهم فى الركوع والسجود ومن قال بالعكس فهو فى حق الاكابر الذين يحملون تلك العظمة فافهم ويؤيد ما ذكرناه من أن خطور الاكوان على قلب العبد بين يدى الله تبارك وتعالى من جملة الرحمة به ما ورد فى بعض طرق حديث الاسراء من قوله صلى الله عليه وسلم فسمعت صوتا يشبه صوت أبى بكر يقول قف ان ربك يصلى الحديث فانسه الحق تبارك وتعالى بصوت أبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه لان تلك العظمة التى تجلت له لا يطيقها غيره من الخلق أبدا فتأمل (وقد) بسطنا الكلام على أسرار الصلاة فى كتاب مستقل فراجعه (وأما وجه) من لم يوجب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى التشهد الاخير فهو أن حضرة الصلاة خاصة بالله تعالى بالاصالة فربما قويت هيبة الله عز وجل

وهذا الشاب ملازم قال فقال الشيخ يا أبا الحسن ان يموت هذا الشاب حتى يكون داعيا يدعو الى الله فكان ما قال الشيخ والحمد لله وأخبرنى أبو الحسن هذا قال كنت ليلة عند الشيخ أبى الحسن وكان يقرأ عليه كتاب ختم الاولياء للترمذى الحكيم فرأيت واحدا جالسا لم يطلع معنا ولم يكن عند الشيخ وقت طلوعنا فقلت لانسان الى جانبى من هذا الرجل الجالس الى جانب فلان فقال ما ههنا أحد غير الجماعة الذين تعرفهم فسكت وعلمت انه لم يره فلما انصرف الجمع سألت الشيخ أبا الحسن رضى الله عنه فقلت يا سيدى رأيت ههنا رجلا لم يطلع معنا ولم يكن عندك قبل طلوعنا فقال الشيخ ذاك أبو العباس المرسى يأتى كل ليلة من المقسم حتى يسمع الميعاد ثم يعود من ليلته الى مكانه والشيخ أبو الحسن اذ ذاك بالاسكندرية وكنت كثيرا ما يطرأ على الوسواس فى الطهارة فبلغ ذلك الشيخ فقال بلغنى ان بك وسواسا فى الوضوء فقلت نعم فقال هذه الطائفة تلعب بالشيطان لا الشيطان يلعب بهم ثم مكثت أياما ودخلت عليه فقال ما حال ذلك الوسواس فقلت على حاله فقال ان كنت لا تترك الوسوسة فلا تعد تأتينا فشق ذلك على وقطع الله الوسواس عنى وكان رضى الله عنه يلقن للوسواس سبحان

على قلب المصلي فلم يكن له التفات الى أحد من أكابر الحضرة الالهية فجعل بعض العلماء رضي الله تعالى عنهم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في حق مثل هذا مستحبة لا واجبة بخلاف الاكابر الذين يشهدون الله تبارك وتعالى مع خلقه لا يشغلهم شهود الله عز وجل عن شهود خلقه ولا عكسه فان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بين يدي الله تبارك وتعالى واجبة عليهم لانه واسطتهم عند الله تعالى لا يمكن أحد منهم أن يقرب من حضرة الله عز وجل في عبادة من العبادات الا ورسول الله صلى الله عليه وسلم امامهم فيها (وفي كلام) الجنيد رضي الله تبارك وتعالى عنه الكامل من الرجال من لا يحجب بشهود الله تعالى عن شهود خلقه ولا عكسه بل يعطي كل ذي حق حقه اهـ فعلم أن من قال بعدم وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فليس ذلك استهانة بمقامه صلى الله عليه وسلم وانما ذلك لعظمة ما تجلى لقلب المصلي من الهيبة (وقد نقل) القشيري رضي الله تعالى عنه عن أبي بكر الشبلي رضي الله تعالى عنه أنه أذن مرة فلما أتى للشهادتين وقف وقال وعزتك وجلالك لولا أنك أمرتني بذكر رسولك صلى الله عليه وسلم لما استطعت أن اذكره اهـ ولعل هذا كان من الشبلي رضي الله تعالى عنه قبل كماله (وأما وجه) من قال تجب نية الخروج من الصلاة فهو أن المصلي كان في حضرة الله تبارك وتعالى الخاصة ومعلوم عند أهل الادب منا أن أحدهم اذا كان مجالسا كبيرا فلا بد في الادب أن يستأذنه في المفارقة تعظيما له واستمالة لقلبه فالله سبحانه وتعالى أحق بذلك وتأمل يا أخي ان قام جليسك من مجلسك من غير استئذان كيف تجد في نفسك منه وحشة لاخلاله بالتعظيم والادب عكس ما تجد من الانس اذا استأذنك وما كان أدبا مع الاكابر من الخلق فالحق تعالى أحق وأولى به (وأما وجه) من لم يوجب نية الخروج من الصلاة فنظر الى سعة رحمة الله تبارك وتعالى ومسامحته عباده في مثل ذلك ولو أن ذلك كان واجبا لامرنا الشارع به ولو في حديث (وأما وجه) من قال ينصرف من الصلاة عن يمينه فهو خاص بالاكابر الذين توالت عليهم المراقبة لله تبارك وتعالى وأنهم بين يديه تعالى في سائر أحوالهم فهم لا ينتقلون حقيقة من حضرة الله تبارك وتعالى الى غيرها وتلك الحضرة مقدسة واللائق بها اليمين وأما من ليس لهم هذا المشهد فهم ينتقلون من حضرة الله تبارك وتعالى الى غيرها واللائق بمثل هؤلاء اليسار بدليل ما ورد من الامر بالبداءة بالرجل اليمنى في دخول المسجد وباليسرى في الخروج منه فرحم الله تبارك وتعالى أئمة الدين رضوان الله عليهم أجمعين ما كان أنور قلوبهم وما كان أعرفهم بطريق الادب ومنازع الاحكام وما فيها من الحكمة فتأمل يا أخي في هذا المحل وتدبره واشكر من نبهك على ذلك عند ربك جل وعلا وهو كلام ابن وقته واياك وتضعيف أقوال الائمة رضي الله تعالى عنهم ببادئ الرأي اذا خالفوا مذهبك من غير معرفة أدلتهم وما فهموه من الحكمة وشهدوه من الاسرار واسلك طريق القوم على يد شيخ تعرف ذلك ذوقا والله تبارك وتعالى يتولى هداك (وأما الجواب عن السادة الصوفية) رضي الله تعالى عنهم فغالب مؤلفاتي جواب عنهم فانها طريق عزيزة وغالب الناس لم يدخل حضرتهم فيقل الانكار ويكثر من الناس بحسب دخولهم حضرة القوم فمن دخل كثيرا أنكر قليلا ومن دخل قليلا أنكر كثيرا ولذلك ألف القوم كتبا في بيان اصطلاحهم ومرادهم لمن لم يدخل حضرتهم شفقة عليه ليقل انكاره عليهم فلا يقع في الاثم والجهل ويحرم من ذوق ما انكره فان كل من أنكر شيئا على القوم بغير دليل عوقب بحرمان ما أنكره فلا يعطيه الله تبارك وتعالى له أبدا * ومن خاصية طريق القوم أن الصادق من المريدين اذا دخل طريقهم يعرف جميع ما اصطلحوا عليه بالخاصية من أول قدم يضعه في طريقهم حتى كأنه الواضع لذلك الاصطلاح وليس ذلك لغير الصادقين في طلب الطريق ولا لغيرهم من أهل سائر العلوم فلا بد لهم من شيخ يوقفهم على مصطلح أهل ذلك العلم هو كما هو مقرر في كتب المتكلمين والمناطقة وأهل الهندسة ثم انه قد يكون ذلك الكلام الذي أنكره بعضهم على ذلك الولي مثلا مدسوسا عليه في كتبه أو مفترى عليه كما وقع ذلك في كتب الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه فانهم دسوا عليه جملة من الامور المخالفة لظاهر الشريعة في كتاب الفتوحات المكية التي ألفها رضي الله تعالى عنه وفي الفصوص أيضا الذي ألفه رضي الله تعالى عنه كما قاله الشيخ بدر الدين بن جماعة وغيره وكما وقع لي في بعض كتبي كما مرت الاشارة اليه أوائل هذا الكتاب

الكتاب فقال حين أنشدت أيدك الله بروح القدس ثم عملت قصيدة أخرى باشارته جوابا لقصيدة مدحه بها انسان من بلادا ثم وسيأتي في آخر الكتاب ذكرها فلما قرئت عليه قال هذا الفقيه صحبني وبه مرضان وقد عافاه الله منهما ولا بد أن يجلس ويتحدث في العلمين يشير الى مرض الوسوسة فلقد انقطع ببركات الشيخ حتى صرت أخاف ان أكون لشدة التوسعة التي أجدها قد تساهلت في بعض الامر والمرض الآخر كان بي ألم برأسي فشكوت ذلك اليه فدعا الله لي فعافاني الله وشفاني وبت ليلة من الليالي مهموما فرأيت الشيخ في المنام فشكوت اليه ما أنا فيه فقال اسكت والله لاعلمنك علما عظيما فلما انتبهت أتيت الى الشيخ فقصصت عليه الرؤيا فقال هكذا يكون ان شاء الله وجاء يوما من السفر فخرجنا للقائه فلما سلمت عليه قال يا أحمد كان الله لك ولطف بك وسلك بك سبيل أوليائه وجهلك بين خلقه فلقد وجدت بركة هذا الدعاء وعلمت انه لا يمكنني الانقطاع عن الخلق واني مرادهم لقوله وجهلك بين خلقه وكنت أنا لا مره من المنكرين

وقد

(وقد) يكون سبب الانكار جهل المنكر بمصطلح القوم رضى الله تعالى عنهم وعدم ذوقه لمقاماتهم كما فى كلام سيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه فى التائية وغيرها فالعاقل من ترك الانكار وجعل مالم يفهمه من جملة مجهولاته لاسيما ولم يبلغنا عن أحد من الاولياء رضى الله تعالى عنهم انه أمر الناس بترك وضوء أو صلاة أوصوم أوغيرها مما يخالف الشريعة أبدا بل رسائلهم كلهم طافحة بالامر بالتقيد على الكتاب والسنة وعلاج أخلاقهم وأعمالهم وتنقيتها من الدسائس والعلل القادحة فى الاخلاص وتحمل الاذى وترك الاذى والزهد والورع والخوف والخشية وربما كان المنكر عليهم بالضد من هذه الصفات كلها وربما تكلم العارف فى نظمه أوغيره على لسان الحق تبارك وتعالى وربما تكلم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وربما تكلم على لسان القطب فيظن بعضهم ان ذلك على لسانه هو فيبادر الى الانكار فافهم وربما أنكر العالم على بعض الصوفية فى بعض الاوقات رحمة بالعوام والمحجوبين خوفا أن يتبعوه فى ذلك الامر بالجهل فيهلكوا الا ردا على ذلك الصوفى بالكلية كما وقع للشيخ برهان الدين البقاعى فى كلام سيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه وكما وقع لغيره فى كلام الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه ونعم ما فعلوا فان هؤلاء القوم قد ماتوا والانكار عليهم الآن لا يضرهم بل يزيدهم أجورا وثوابا ولا هكذا العوام والمحجوبون فانه يجب على كل عالم انقاذهم من الهلاك لامكان تداركهم وتقريرنا لهم على مافهموه من كلام القوم على غير مراد القوم يضرهم وربما ضر القوم أيضا فى قبورهم ولذلك كان سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يقول لا يبلغ الكامل مقام الكمال حتى لا يخدش كلامه شيأ من ظاهر الشريعة فان الشارع صلى الله عليه وسلم قد أمنه على شريعته (وكان) رضى الله تعالى عنه يقول الكامل لا يستر له كلاما ولا يرمزه بل يتكلم بكلام يسع أفهام العلماء والعوام اذ التستر والرموز من بقايا النفوس انتهى (ومارأيت) فى كلام القوم أوسع من كلام السادة الشاذلية رضى الله تعالى عنهم أبدا (وقد سمعت) شيخى الشيخ أمين الدين الامام بجامع الغمرى رضى الله تعالى عنه يقول قد وضع الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رضى الله تعالى عنه كتاب الحكم وجعل كل كلمة وحكمة منها تحتوى على معانى جميع الكلام السابق واللاحق وقل من الصوفية من يقدر على استخراج تلك المعانى السابقة واللاحقة من كل حكمة انتهى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول أيضا أقل درجات الادب مع القوم أن يجعلهم المنكر كأهل الكتاب لا يصدقهم ولا يكذبهم انتهى فافهم ذلك (وكان) سيدى على بن وفا رضى الله تعالى عنه يقول التسليم للقوم أسلم والاعتقاد فيهم أغنم والانكار عليهم سم ساعة فى اذهاب الدين وربما تضرر بعض المنكرين ومات على ذلك نسأل الله العافية انتهى (فان أردت) يا أخى عدم الانكار فاجل مرآة قلبك فانك تشهد الصوفية من خيار الناس ويقل انكارك والا فمن لازمك كثرة الانكار لانك لا تنظر فى مرآتك الا صورة نفسك فافهم (اذا علمت ذلك) فما نقل عن الشيخ أبى يزيد قوله طاعتك لى يارب أعظم من طاعتى لك أى اجابتك لى يارب دعائى فى نحو قول اغفر لى وارحمنى واعف عنى ولا تؤاخذنى أعظم من اجابتى أنا لامتثال أمرك واجتناب نهيك لانك عظيم وأنا حقير وأنت سيد وأنا عبد ولذلك ستر أهل الادب مع الله تبارك وتعالى مثل ذلك وسموه دعاء لا أمرا للحق تبارك وتعالى ونهيا وان كان اللفظ يؤدى ظاهره الى ذلك (وأول من أحدث هذا الاصطلاح) الحكيم الترمذى رضى الله تعالى عنه فعلم انه ليس مراد أبى يزيد ان الحق تبارك وتعالى تحت طاعته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا عنده وعند جميع المسلمين وعلى ماقررناه ينزل معنى مانقل عن أبى يزيد أيضا أنه قال طاعة الله لى أكثر من طاعتى له هكذا أوله بعضهم (ومما نقل) عن أبى يزيد أيضا انه قال بطشى أشد من بطش الله بى لما سمع قارئا يقرأ ان بطش ربك لشديد فصاح حتى طار الدم من أنفه وقال بطشى أشد من بطشه بى ومراده رضى الله تعالى عنه ان بطش الله عز وجل بى لا يكون الا مخلوطا بالرحمة لان رحمته بعبده غلبت غضبه عليه فهو أرحم بالعبد من والدته الشفيقة ولا هكذا بطش أبى يزيد فانه محض انتقام لا يشوبه رحمة لان غضبه غلب رحمته لضيقه فكان بطشه باخيه أشد من بطش الله جل وعلا به لاسيما عدوه اذا قدر عليه فانه لا يكاد يرجه فى الدنيا ولا فى الآخرة هكذا أوله الشيخ محيى

وقلت لذلك الرجل ليس الا أهل العلم الظاهر وهؤلاء القوم يدعون أمورا عظيمة وظاهر الشرع يأباها فقال ذلك الرجل بعد ان صحبت الشيخ تدرى ماقال لى الشيخ يوم تخاصمنا قلت لا قال دخلت عليه فاول ماقال لى هؤلاء كالحجر ما أخطأك منه خير مما أصابك فعلمت ان الشيخ كوشف بامرنا ولعمرى لقد صحبت الشيخ اثنى عشر عاما فما سمعت منه شيأ ينكره ظاهر العلم من الذى كان ينقله عنه من يقصد الاذى وكان سبب اجتماعى به ان قلت فى نفسى بعد ان جرت المخاصمة بينى وبين ذلك الرجل دعنى أذهب انظر الى هذا الرجل فصاحب الحق له أمارات لا يخفى شأنه فاتيت الى مجلسه فوجدته يتكلم فى الانفاس التى أمر الشارع بها فقال الاول اسلام والثانى ايمان والثالث احسان وان شئت قلت الاول عبادة والثانى عبودية والثالث عبودة وان شئت قلت الاول شريعة والثانى حقيقة والثالث تحقق أو نحو هذا فما زال يقول وان شئت قلت وان شئت قلت الى ان أبهر عقلى وعلمت ان الرجل انما يغترف من فيض بحر الهى ومدد ربانى فاذهب انه ما كان عندى ثم أتيت تلك

الدين وغيره (ومما نقل عنه أيضا) انه قال لبعض مريديه لأن تراني مرة خير لك من أن ترى ربك ألف مرة ومراده ان المريد ليس له قدم في معرفة الله جل وعلا اذا رآه فانه يراه ولا يعلم انه هو فلا يعرف يأخذ عنه علما ولا أدبا بخلاف أبي يزيد فانه ينتفع به ويعلمه الادب مع الله تبارك وتعالى حتى يرقيه الى معرفة ربه جل وعلا والله تعالى أعلم بمراده رضي الله عنه (ومما نقل عنه أيضا) سافرت من الله الى الله ولعل مراده سافرت في طريق الله تعالى فضلا من الله الى أن عرفته أو سافرت في حب الله من باب قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله وجاهدوا في الله حق جهاده وليس مراده رضي الله تعالى عنه بذلك مسافة تعالى الله عند العارفين عن التحيز ويصح أن يكون مراده ابتداء سفري الى انتهائه بحول الله وقوته لا بحولي ولا قوتي (ومما نقل) عن الجنيد رضي الله تعالى عنه قوله العارفون لا يموتون وانما ينقلون من دار الى دار انتهى أنكر ذلك بعضهم وقال قد قال الله تعالى كل نفس ذائقة الموت أي تذوق الموت عند انتهاء أجلها في الدنيا فكيف الحال (والجواب) كما قاله بعضهم ان مراد الجنيد ان العارفين لما جاهدوا انفوسهم في حال سلوكهم حتى ماتت عن جميع تصرفاتها وشهدت التصريف لله وحده فكأنها ماتت في حال حياتها لان حكمها اذ ذاك حكم الاموات في عدم اضافتها الفعل الى نفسها (وقد ورد) في الحديث من أراد أن ينظر الى ميت يمشي على وجه الارض فلينظر الى أبي بكر انتهى أي لان التسليم لله تبارك وتعالى محق نفسه حتى صارت كنفس الميت (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول طلوع الروح يهون ويصعب على العبد بحسب كثرة مجاهدته لنفسه وقلتها فان صعب على عبد طلوع روحه فانما ذلك لبقية مجاهدة بقيت عليه من الميل الى شهوات الدنيا وعلاقاتها بخلاف من لم يبق عنده ميل الى شيء من ذلك فلا يحتاج الى جذب روحه بشدة بل حكمه حكم من ينتقل من دار الى دار اللهم الا أن يكون من الانبياء أو أكابر الاولياء فان صعوبة طلوع روحهم ليست بسبب ميلهم الى الدنيا وانما ذلك لحبهم لطاعة الله تعالى في دار الدنيا والقيام بشعار دينه حبا فيه تعالى أو اهتماما بقومهم الذين كانوا يرشدونهم الى طريق الله تعالى حيث ماتوا ولم يبلغوا بهم مرتبة الكمال ونحو ذلك من الاغراض الصحيحة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده (ومما نقل عن الشبلي) رضي الله تعالى عنه انه كان يقول ان ذلي عطل ذل اليهود ولعل مراده رضي الله تعالى عنه ان ذلي لله تبارك وتعالى أعظم من ذل اليهود له تعالى اذ الذليل يكون على قدر معرفته بعظمة من ذل له ولا شك ان الشبلي رضي الله تعالى عنه أعرف بعظمة الله تعالى من اليهود فذله لله أعظم من ذل اليهود له والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده (ومما نقل عنه أيضا) انه قال ما في الجبة الا الله انتهى وضبط بعضهم الجبة بالجيم والباء الموحدة وبعضهم بالجيم والثاء المثلثة التي هي البدن ولعل مراده رضي الله تعالى عنه ما ثم في جسدي فاعل الا الله تبارك وتعالى نظير قول بعضهم ما في الكونين الا الله تعالى فليس مراده نفي الكونين ولا أن الله سبحانه وتعالى يحل في خلقه لانه أثبت وجودهما كما ترى ولكن جعل الله تعالى خالقا لهم ولافعالهم وكم في الكتاب والسنة من كلام يحتاج الى تقدير كما في قوله تعالى وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم أي أشربوا حب العجل وفي الحديث أصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * فافهم (ومما نقل عن الامام الغزالي) رضي الله تعالى عنه انه قال ليس في الامكان أبدع مما كان ولعل مراده رضي الله تعالى عنه ان جميع الممكنات أبرزها الله تعالى على صورة ما كانت في علمه تعالى القديم وعلمه القديم لا يقبل الزيادة (وفي القرآن) العظيم أعطى كل شيء خلقه فلو صح ان في الامكان أبدع مما كان ولم يسبق به علمه تعالى للزم عليه تقدم جهل تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (وهذا) هو معنى قول الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه في تأويل ذلك ان كلام حجة الاسلام في غاية التحقيق لانه ما ثم انما الا رتبتان قدم وحدوث فالحق تعالى له رتبة القدم والحادث له رتبة الحدوث فلو خلق تعالى ما خلق الى ما لا يتناهى عقلا فلا يرقى عن رتبة الحدوث الى رتبة القدم أبدا انتهى (وقد رأيت) مؤلفين للشيخ برهان الدين البقاعي رضي الله تعالى عنه في تأويل هذه الكلمة عن الغزالي رضي الله تعالى عنه وكلاهما لم يحم حول هذا الحمى فالحمد لله رب العالمين (ومما نقل) عن الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه انه قال حدثني قلبي عن ربي أو حدثني ربي عن قلبي أو حدثني ربي عن نفسه تعالى

الاجتماع بالاهل على عادتي ووجدت معنى غريبا لا أدري ما هو فانفردت في مكان

الليلة الى المنزل فلم أجد في شيأ يقبل أنظر الى السماء والى كواكبها وما خلق الله فيها من عجائب قدرته فحملني ذلك على العود اليه مرة أخرى فاتيت اليه فاستؤذن علي فلما دخلت عليه قام قائما وتلقاني ببشاشة واقبال حتى دهشت خجلا واستصغرت نفسي ان أكون أهلا لذلك فكان أول ما قلت له ياسيدي أنا والله أحبك فقال أحبك الله كما أحببتني ثم شكوت اليه ما أجده من هموم واحزان فقال أحوال العبد أربع لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية فان كنت بالنعمة فمقتضى الحق منك الشكر وان كنت بالبلية فمقتضى الحق منك الصبر وان كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك شهود منته عليك فيها وان كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار فقمت من عنده وكأنما كانت الهموم والاحزان ثوبا نزعته ثم سألني بعد ذلك بمدة كيف حالك فقلت أفتش على الهم فما أجده فقال

ليلي بوجهك مشرق
وظلامه في الناس
ساري
والناس في سدف الظلام * ونحن في ضوء النهاري
الزم فوالله لئن لزمت لتكونن مفتيا في المذهبين بريد

بارتفاع الوسائط ليس مراده ان الله تعالى كلمه كما كلم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وانما مراده ان الله تعالى يلهمه على لسان ملك الالهام بتعريف ببعض أحوال فهو من باب قوله صلى الله عليه وسلم ان يكن في أمتي محدثون بفتح الدال المشددة فعمر (وايضاح ذلك) ان من الفرق بين وحي الالهام الذي يكون للاولياء رضي الله تعالى عنهم وبين وحي الانبياء عليهم الصلاة والسلام المتعلق بتشريعهم لانفسهم أولامهم ان النبي يشهد الملك ويسمع كلامه فيجمع بين الرؤية وسماع الكلام ولا هكذا الولي فانه ان سمع كلام الملك لا يرى شخصه وان رأى شخصه لا يسمع منه كلاما والسر في ذلك كون النبي مشرعا والولي تابعا يدعو بشرع نبيه صلى الله عليه وسلم الثابت المقرر عنده فلا يحتاج الى مزيد انكشاف أمر وأما النبي فيريد ينشئ شرعا جديدا ويتسخ شرعا آخر فلذلك احتاج الى مزيد تأكيد وانكشاف أمر ففرق يا أخي بين وحي الالهام وبين وحي الكلام تكن من العلماء الاعلام هكذا قرره الشيخ أبو المواهب الشاذلي رضي الله تعالى عنه (ومما نقل) عن القوم رضي الله تعالى عنهم قولهم اللوح المحفوظ هو قلب العارف ليس مرادهم نفي اللوح المحفوظ وانما مرادهم ان قلب العارف اذا انجلى ارتسم فيه كل ما كتب في اللوح المحفوظ نظير المرآة اذا قابلها لوح مكتوب فافهم (ومما نقل أيضا عن القوم) رضي الله تعالى عنهم قولهم دخلنا حضرة الله فخرجنا من حضرة الله ليس مرادهم بحضرة الله عز وجل مكانا خاصا معينا فان ذلك ربما يفهم منه التحيز للحق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وانما مرادهم بالحضرة حيث أطلقوها شهود أحدهم انه بين يدي الله عز وجل فما دام يشهد انه بين يدي ربه جل وعلا فهو في حضرته فاذا حجب عن هذا المشهد خرج من حضرة الله تعالى وللناس في ذلك بين مقل ومكثر كما سيأتي ايضاحه في هذا الكتاب فمنهم من يحضر في صلاته أو بعضها ومنهم من يحضر في صلاته وغيرها مقدار درجة أو درجتين أو ثلاث وهكذا الى ان يستغرق الليل والنهار في الحضور الا ما يسامح الله تبارك وتعالى به عبده في غفلته عنه ونيل بعض شهواته رحمة به فان مراقبة الله تبارك وتعالى مع الانفاس كلها ليست من مقدور البشر كما صرح بذلك المحققون رضي الله تعالى عنهم ومما لم يصح نقله عن الامام الغزالي رضي الله تعالى عنه وأشاعه بعضهم عنه قولهم عنه انه قال ان لله عبادا لو سألوه ان لا يقيم الساعة لم يقمها وان لله عبادا لو سألوه ان يقيم الساعة الآن لاقامها فان مثل ذلك كذب وزور على الامام حجة الاسلام رضي الله تعالى عنه وأرضاه يجب على كل عاقل تنزيه الامام عنه لانه رد النصوص القاطعة الواردة في مقدمات الساعة فيؤدي ذلك الى تكذيب الشارع صلى الله عليه وسلم فيما أخبر وان وجد ذلك في بعض مؤلفات الامام فذلك مدسوس عليه من بعض الملاحدة (وقد رأيت كتابا) كاملا مشحونا بالعقائد المخالفة لاهل السنة والجماعة صنفه بعض الملحدين ونسبه الى الامام الغزالي فاطلع عليه الشيخ بدر الدين بن جماعة فكتب عليه كذب والله وافترى من أضاف هذا الكتاب الى حجة الاسلام انتهى (وكذلك) ذكر الشيخ مجد الدين الفيروزابادي صاحب القاموس في اللغة ان بعض الملاحدة صنف كتابا في تنقيص الامام الاعظم أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه وأضافه اليه ثم أوصله الى الشيخ جمال الدين بن الخياط اليمني فشنع على الشيخ أشد التشنيع فارسل اليه الشيخ مجد الدين يقول له اني معتقد في الامام أبي حنيفة غاية الاعتقاد وصنفت في مناقبه كتابا حافلا وبالغت في تعظيمه الى الغاية فاحرق هذا الكتاب الذي عندك أو اغسله فانه كذب وافتراء علي انتهى (وكذلك) مما لم يصح عن الشيخ أبي يزيد رضي الله تعالى عنه ما نقله بعضهم من انه قال ان آدم عليه السلام باع حضرة ربه بلقمة انتهى فان الشيخ أبا يزيد من جملة مشايخ رسالة القشيري الجامعين بين الشريعة والحقيقة فكيف يصدر عنه مثل هذا الكلام الجافي في حق السيد آدم عليه السلام فافهم (وكذلك مما لم يصح نقله عنه) رضي الله تعالى عنه ما نقله بعضهم من أنه قال لو شفعني الله تعالى في الاولين والآخرين لم يكن ذلك عندي بكبير غاية الامر انه شفعني في لقمة طين انتهى فان ذلك كلام من لم يشم رائحة الادب فانه يبطل خصوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى (وقد فتحت لك) يا أخي باب الاجوبة عن علماء الاسلام من الفقهاء والصوفية رضي الله تعالى عنهم أجمعين فقس على ذلك والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

وورعه ورفع همته وحلمه وصبره وسداد طريقته كان رضي الله عنه لا تحدث معه في علم من العلوم الا تحدث معك فيه حتى يقول السامع له انه لا يحسن غير هذا العلم سيما علم التفسير والحديث وكان يقول شاركنا الفقهاء فيما هم فيه ولم يشاركونا فيما نحن فيه وكان كتابه في أصول الدين الارشاد وفي الحديث كتاب المصابيح وفي الفقه التهذيب والرسالة وفي التفسير كتاب ابن عطية ولقد كان يقرأ عليه بعض المعرفين في العربية فيرد عليه اللحن وأما علوم المعارف والاسرار فقطب رحاها وشمس ضحاها تقول اذا سمعت كلامه هذا كلام من ليس وطنه الا غيب الله هو باخبار أهل السماء أعلم منه باخبار أهل الارض وسمعت ان الشيخ أبا الحسن قال عنه أبو العباس بطرق السماء أعرف منه بطرق الارض كنت لا أسمعه يتحدث الا في العقل الاكبر والاسم الاعظم وشعبه الاربع والاسماء والحروف ودوائر الاولياء ومقامات الموقنين والاملاك المقربين عند العرش وعلوم الاسرار وامداد الاذكار ويوم المقادير وشأن التدبير وعلم البدء وعلم المشيئة وشأن القبضة

(وممـا أنعم الله تبارك تعالى به على) عدم قطعي البر الذي جعله الله تعالى على يدي للفقراء اذا كفر أحد منهم واسطتي وكذلك لا أقطع تعليم العلم والادب الا بطريق شرعي وذلك لاني أعلم ان من لم يشكر من أحسن اليه فقد وفر له الاجر عند الله تعالى ومن شكره فربما جعل الله تعالى ذلك الشكر في مقابلة احسانه وتعليمه ولا يقدر على التخلق بهذا الخلق الا من عامل الله تعالى دون خلقه وأما من يعامل الخلق فمن لازمه غالبا ان يقطع بره وحسنته وتعليمه عمن أساء معه الادب (وسمعت) سيدي عليا الخواص رضي الله تعالى عنه يقول اياك ان تطلب من العبيد مجازاة على احسانك اليهم فانك تخسر أجرك عند الله تعالى وانما الادب ان تعاملهم بالبر والخير لكونهم عبيد الله تعالى لا غير وما ألذها من معاملة اذا اطلع الحق تعالى على قلبك ووجد الباعث لك على اكرام الخلق انما هو كونهم عبيد الله تعالى (وفي القرآن العظيم) ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين (وكذلك) القول فيمن يحسن الى الخلق ليجازوه بنظير فعله فانهم اذا لم يجازوه يندم ويتأثر فاحسن يا أخي الى من كفر بنعمتك التي كنت واسطة له فيها ولو كرهت نفسك ذلك فان فيه من رياضة النفس ما لا يخفى (وقد عاتب) الله تبارك وتعالى السيد أبا بكر الصديق رضي الله تبارك وتعالى عنه لما قطع نفقة مسطح وشفع تعالى فيه عند أبي بكر رضي الله تعالى عنه بقوله عز وجل وليعفوا وليصفحوا انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(وممـا من الله تبارك وتعالى به على) عدم طلبي الثواب من الله تبارك وتعالى على شيء من الاعمال التي أبرزها عز وجل على شيء من جوارحي الا من باب المنة والفضل لعلمي بان نعم الدنيا والآخرة ما خلقها الله تبارك وتعالى الا لنا لانه غني عن العالمين فمن الادب طلب ذلك الثواب الذي جعله في مقابلة تلك الطاعة اظهارا للفاقة والحاجة ومن لم يطلب ذلك الثواب فهو قليل الادب لاظهاره الغنى عن فضل ربه جل وعلا فافهم (وقد شنع العارفون) رضي الله تعالى عنهم على من قال لا يبلغ الفقير مقام الكمال حتى لا يكون له الى الله حاجة اه لان ظاهره وصول العبد الى الغنى المطلق وذلك محال اذ العبد لا يستغني عن الله تعالى طرفة عين ولو لم يكن الا خروج النفس ودخوله فتارك النفس يموت (ويصح أن يجاب) عن ذلك بان مراده الاكتفاء بعلم الله تعالى فيه وبما قسمه له وان الحق تعالى قد أغناه عن السؤال بالقسمة الالهية والله سبحانه وتعالى أعلم (ووالله) اني لأرى الفضل لله تعالى الذي أهلني للوقوف بين يديه ولو خالف جميع العصاة المارقين الفاسقين رجاء أن يصيبني شيء من الرحمة التي لعلها أن تنالهم وأني لمثلي أن يقف بين يدي رب العالمين في صلاة أو غيرها مع جهله بآداب تلك الحضرة المقدسة فالحمد لله الذي لم يطردني كما طرد تاركي الصلاة فلم يمكن أحدا منهم أن يقف بين يديه (وفي بعض الكتب الالهية) يقول الله عز وجل ومن أظلم ممن عبدني لجنة أو نار ولم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا لان أطاع انتهى (وكان) سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يليق باحد من أمثالنا أن يسأل الله تعالى ثوابا على عبادته وانما اللائق به أن يسأل العفو عما جناه في تلك العبادة من سوء الادب وعدم الخشوع فيها لما ورد ان الصلاة اذا لم يكن فيها خشوع تلف كما يلف الثوب الخلق ثم يضرب بها وجه صاحبها (وسمعته أيضا) رضي الله تعالى عنه يقول لا يصح لعبد أن يسأل ربه ثوابا على أعماله من باب المنة والفضل الا ان أحكم مقام التوحيد لله تعالى في الفعل والا فمن لازمه غالبا طلب الثواب في مقابلة عمله كما عليه طائفة العباد الذين لم يسلكوا الطريق فيقول الحق جل وعلا لاحدهم ادخل الجنة برحمتي فيقول بل بعملي كما ورد ولو أن أحدهم ذاق التوحيد لم يقل لربه مثل ذلك لانه جهل وخروج عن أدب العبيد فان من شأن العبد أن يخدم سيده قياما بواجب حق السيادة لا لعلة أخرى من علل النفوس (وايضاح ذلك) أن من شهد الفعل لله تعالى كشفا زال عنه طلب الثواب على طاعاته جملة واحدة لان أحدا لا يطلب ثوابا قط على فعل غيره (وسمعته أيضا) رضي الله تعالى عنه يقول انما شرع صلى الله عليه وسلم للمصلي حين يسلم من صلاته أن يقول أستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله ثلاث مرات ليتنبه المصلي على نقص صلاته وعدم الحضور مع الله فيها وكثرة الغفلة وحديث النفس وغير ذلك

ورجال القبضة وعلوم الافراد وما سيكون يوم القيامة من أفعال الله مع عباده من حلمه وانعامه ووجود انتقامه حتى لقد سمعته يقول والله لولا ضعف العقول لاخبرت بما يكون غدا من رحمة الله وان تنزل الى علوم المعاملة ففي الزمن اليسير لحاجة الخلق الى ذلك ولذلك تقل اتباع من هذه علومه وقد يكثر المشترون للمرجان وقل ان يجتمع على شراء الياقوت اثنان ولذلك كان يقول اتباع أهل الحق قليلون وقد قال الله سبحانه وقليل ماهم وقال سبحانه وقليل من عبادي الشكور وقال ولكن أكثر الناس لا يعلمون وقال في أهل الكهف ما يعلمهم الا قليل فاولياء الله أهل كهف الايواء فقليل من يعرفهم وقد سمعته يقول معرفة الولي أصعب من معرفة الله فان الله معروف بكماله وجماله ومتى حتى تعرف مخلوقا مثلك ياكل كما تاكل ويشرب كما تشرب وأما زهده في الدنيا فيستدل على الزهد في الدنيا بالزهد في الرياسة ويستدل على الزهد في الرياسة بالزهد في الاجتماع باهلها ولقد مكث رضي الله عنه بالاسكندرية ستا وثلاثين سنة ما رأى وجه متوليها ولا أرسل اليه وطلب ذلك المتولي بالاسكندرية الاجتماع به فابى الشيخ ذلك وقال له الزكي الاسواني

اذا الاستغفار لا يكون الا عن ذنب أقل ما هنالك شهوده نسبة الطاعة اليه مع كونه غافلا عن شهود كون الحق تعالى هو الخالق لها وما قال عارف قط اياك نعبد واياك نستعين الا على وجه التلاوة فقط لا على وجه كونه له شركة فى الفعل الا بقدر نسبة التكليف فقط تعالى فعل الله عز وجل عنده أى العارف عن الشركة فافهم وبالجملة فمن تامل وجد حكم وقوف أمثالنا بين يدى الله تبارك وتعالى حكم العبد المجرم الذى فسق فى حريم الوالى وعرضوه عليه ليعاقبه فلا يكاد يخطر على باله قط أنه يخلع عليه خلعة وانما يسأل ربه عز وجل فى العفو عنه وترك العقوبة وما أبردها على كبد ذلك المجرم اذا سمع بان الوالى عفا عنه وترك معاقبته وحرقه بالنار ووضع الخودة المحماة على رأسه فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم تكدرى اذا قدر على السهو والنسيان حتى صليت صلاة بلا طهارة مثلا بل أشكره تبارك وتعالى الذى منّ على بصورة الوقوف بين يديه ثم أشكره ثانيا على ذلك السهو أو النسيان لانه كان سببا لامرى بالوقوف بين يديه ثانيا بطهارة أو لطول مناجاتى له سبحانه وتعالى بسجود السهو أو تتدارك ما سهوت عنه مثلا ولو أنى صليت الاولى متطهرا ربما لم أكن أقف بين يديه تبارك وتعالى ثانيا فى ذلك الوقت بل من شأن المحب من الخلق اذا غضب عليه أستاذه أن يعمل الحيل التى يتوصل بها الى الوقوف بين يديه بالقصد ليفتح باب الكلام معه فافهم ثم انى بعد ذلك أكثر من الاستغفار حيث غلبت على الغفلة عن الطهارة حتى قمت بين يدى رب العالمين من غير طهارة وقد يؤاخذ العبد بالنسيان فى بعض فروع الشريعة ويحتاج صاحب هذا الخلق الى عينين عين ينظر بها الى نعمة الوقوف بين يدى الله تبارك وتعالى ولو محدثا وعين ينظر بها الى تقصيره واشتغاله بامور الدنيا حتى غفل عن صلاته بلا طهارة فافهم ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) عدم طلب نفسى مقاما عند الخلق وذلك من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على لان من طلب مقاما عند الخلق عدم المقام عند الله تبارك وتعالى وعند الخلق ومن طلب المقام عند الله تعالى حصل له المقام عند الله عز وجل وعند الخلق هذا فيمن يطلب المقام عند الناس لغير غرض صحيح والا فقد كان سيدى أحمد الزاهد رضى الله تعالى عنه يقول لمن سأله فى حاجة عند أمير لا يعرف مقامه اذهب يا أخى وخذ معك أحدا من أبناء الدنيا وانتظرنى عند دهليز ذلك الامير فاذا رأيتمانى جئت فهرولا وقبلا يدى وأعضدانى من تحت ابطى ليبادر غلمان ذلك الامير الى تعظيمى تقليدا لكما فيدرى بذلك الامير فيعظمنى كذلك تقليدا لتقضى حاجتكم بخلافى اذا شفعت عنده وهو لا يعرفنى فانه يتعبنى فى تحويل قلبه اهـ وتقدم فى هذا الكتاب ان مما أنعم الله تبارك وتعالى به على قضائى للحوائج عند الامراء والاكابر من غير تقدم تعريفهم بى وقل من يقع له ذلك الا بنقص دين فى طريق قضاء تلك الحاجة من اظهار عبادة أو ورع أو زهد بحضرة جماعة ذلك الامير ليوصلوا علم ذلك اليه بل بعضهم سمعته يقول اذكرنى بخير عند الامير وقل له هذا ما هو من الفقراء النصابين فى هذا الزمان وما بقى فى مصر أقدم هجرة منه فى طريق الفقراء اهـ فليحذر الشافع عند الامراء من دخول الرياء فى مثل ذلك وليحرر نيته لمصالح العباد كما قدمنا عن سيدى أحمد الزاهد رضى الله تعالى عنه وصورة شفاعتى عند من لا يعرفنى أنى أتوجه الى الله تبارك وتعالى فى تحويل قلب ذلك الامير فاذا وجدت أثر الاجابة ذهبت اليه والا توقفت عن الشفاعة الى محل قابل فى وقت آخر فان من لم تكن له همة تنفذ فليس فى شفاعته الا بخس مقامه عند ذلك الامير وأضرابه واقامة الحجة عند الله تعالى على ذلك الامير فأساء فى حقه وسيأتى ايضاح ذلك فى عدة من المنن (وكذلك) حكمى فى مكاتبات الاكابر أنى لا أكاتب أحدا منهم الا ان حصل لى علامات القبول بأن تصير كل شعرة فى توقن بقبول شفاعتى فان لم تحصل تلك العلامة فلا أكاتب أحدا فى ذلك وربما يقسم على صاحب الحاجة بأن أكتب له ولو بلا وارد فأكتب له كتابا فلا تقضى له حاجة لان الوارد اذا لم يحصل عند الفقير فلا فرق بينه وبين آحاد الناس من العوام فلا يقرأ الامير له كتابا فضلا عن العمل به (وقد جربت) ان كل من لم يذهب بكتابى على أثر الوارد لا تقضى له حاجة لاشتغالى عن صاحب الحاجة بأمر آخر بخلاف من ذهب بالكتاب على أثر

ياسيدى متولى الاسكندرية قال انه يؤثر الاجتماع بك وياخذ بيدك فتكون شيخه فقال الشيخ يا زكى لست ممن يلعب به والله انى ألقى الله ولا يرانى ولا أراه فكان الامر كذلك وكان اذا نزل بلدة وقيل له متولى البلدة يريد أن ياتيك غدا سافر هو ليلا ولقد كان يأتى اليه متولى الثغر وناظره ومشد الدواوين به فليلة اتيانهم يغلب القبض عليه ولا ينبسط للكلام لحاله فى عدم حضورهم حتى كنا نقول ليت ذلك الكلام الذى كان فى غيبتهم كان ليلة حضورهم ولقد أتى اليه الشجاعى فى محبوحة عزه وتمكنه من السلطنة فما ألوى اليه عنان همته ولا فوق اليه سهام عزيمته حتى لقد بلغنى ان الزكى الاسوانى لما استعرض الشجاعى حوائجه قال للشيخ ياسيدى اطلب منه أرضا نزرعها أصحابك فقال يا زكى هذا مما لا يكون أبدا ومن زهده انه خرج من الدنيا وما وضع حجرا على حجر ولا اتخذ بستانا ولا استفتح سببا من أسباب الدنيا ولا خلف وراءه رزقة مع ان الزهد وصف من أوصاف القلوب يصف الله به قلب من أحبه لكن له علامات تدل عليه وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه رأيت الصديق فى المنام فقال أتدرى ما علامة خروج

الوارد فانى أصير ألاحظه حتى يقف بين يدى الامير فأساعده بالهمة فى قضاء حاجته (ومما جربته) ان كل من أخذ لذلك الامير كتابا آخر من أحد مع كتابى لا تقضى له حاجة فليستخر صاحب الحاجة ربه فى جميع أهل بلده مثلا فكل من ترجح عنده فى الاعتقاد أخذ مراسلته فان حاجته تقضى ان شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم قبولى مرتبا من بيت مال المسلمين أو مسموحا ولو سألنى الولاة فى ذلك لعلمى بأن مال بيت المال انما هو معد لصالح عسكر الاسلام من علماء ومقاتلة تسافر فى التجار يد وليس لى قدرة على السفر لمثل ذلك ولا أنا معدود من العلماء العاملين الذين يحمون الدين لضعف يقينى وشوكتى وأيضا فان أحدا لا يتوصل الى ترتيب المرتب والمسموح الا بذل النفس فى طريقه عاجلا وآجلا وأيضا فان الله تبارك وتعالى قدر رزقى القناعة فلو انى وجدت كسرة يابسة قنعت بها ومن كان كذلك لا يحتاج الى مال السلطان وهذا كان مذهب جمهور العلماء والصالحين سلفا وخلفا فبهداهم اقتده ولا تغتر يا أخى بكثرة من يترخص فى مثل ذلك من أهل زمانك فانها طريق تجر الى العطب هذا لو أعطى مثل ذلك وهو فى بلده من غير سؤال فكيف بمن يسافر لاجل ذلك من مصر مثلا الى الروم وزاحم عسكر السلطان (وقد رأيت) شخصا صغير العمامة ينكر على فقيه كبير العمامة ويقول هذا اسراف وله أربعون نصفا مسموحا فى الشأم من جهة السلطان ثم يسافر الى بلاد الروم يطلب أن يرتبوا له شيأ آخر مع أنه ليس عنده فقراء مجاورون ولا عليه واردون فلما وصل الى الروم جلس فى طريق اصطنبول وأرسل وراء الوزير ليحضر عنده دون أن يذهب هو اليه فقال الوزير سبحان الله يسافر من بلاد الشأم الى هنا فى طلب الدنيا ويتكبر علينا مع دعواه الولاية ويطلبنا نذهب الى عنده مع عدم حاجتنا اليه وعدم رياضة نفوسنا ثم عاكسه فيما طلب وردّه الى مصر من غير قضاء حاجة فعاتبته وقلت له كبر أنت عمامتك مثل الفقيه واقنع بالاربعين نصفا كل يوم فانه أفضل لك من تصغير العمامة وارخاء العذبة وأنت تحب الدنيا فما درى ما يقول وافتضح (وقد أدركت) بحمد الله تبارك وتعالى جمعا كثيرا من مشايخ الطريق وعلماء الاسلام كانوا كلهم يردون عطايا الولاة احتياطا لانفسهم وكانوا يقنعون بالخبز والملح اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وعملا بوصيته فى قوله صلى الله عليه وسلم ليكن بلغة أحدكم من الدنيا كزاد الراكب وقد كان مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه يأكل الخبز بالبقل وبالخل وبالملح ويقول من رضى بهذا من الدنيا لم يحتج الى الناس ولا الى الوقوف على أبواب الولاة فعلم ان كل فقير لم يقنع بما ذكرناه فمن لازمه طلب الدنيا غالبا بلسانه أو بقلبه لاجل ملابسه ومطاعمه ومشاربه وسراريه وخدامه الا أن يزرع أو يتجر أو يعمل حرفة كما كان السلف الصالح يفعلون وقد كان الفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه يقول لأن آكل الدنيا بالطبل والمزمار أحب الى من ان آكلها بدينى ودخل عليه الخليفة مرة فرسم له بالف دينار فردها فقالت امرأته من الخباء دع منها للصبيان قوت يومهم فلم يفعل ثم قطع بساطا باليا كان تحته نصفين وقال اشتروا بهذا طعاما كلوه اليوم وما مثلى ومثلكم الا كبعير تدمن أهله فصار كل من قدر عليه طعنه فأكلكم من ثمن هذا البساط خير لكم من ان تطعنوا فضيلا اهـ ولما رأى الناس قد أقبلوا عليه بهداياهم لاجل تجرده من الدنيا اشترى له جملا بمكة فكان يسقى عليه ويتقوت هو وعياله منه حتى مات رضى الله تعالى عنه وقد ارسل زين الدين الاستادار الى الشيخ جلال الدين المحلى رضى الله تعالى عنه ألف دينار فلم يردها ووضعها عند شخص وصار يرسل له المحتاجين واحدا بعد واحد الى أن صرفها كلها على المديونين والمحتاجين والعاجزين عن الكسب وأوهمه انه قبلها لنفسه وما علم الناس بذلك الا بعد موت الشيخ رضى الله تعالى عنه ورحمه اهـ وكان الشيخ له دكان تحت الربع يبيع فيه القماش ويغلقه من الظهر ثم لا يخفى عليك يا أخى ان طالب المسموح لا بد أن ينهى فى قصته انه من أهل العلم والخير والفقر وليس له ما يقوم به ولا بعياله والمترددين اليه وينسى كون الحق تبارك وتعالى يطعمه ويسقيه الى أن شابت لحيته من حيث لا يحتسب لم ينسه يوما واحدا فانظر يا أخى كيف زكى نفسه بالعلم والخير وشكاربه تبارك وتعالى لعباده بغير حق لاجل زيادة شهوات الدنيا وربما كان فى ذلك اليوم الذى شكا به عز وجل فيه أوسع من بيت النبوة وربما كان حاله بخلاف ما أنهى من الخير والعلم والفقر ثم

حب الدنيا من القلب قلت لا أدرى قال علامة خروج حب الدنيا من القلب بذلها عند الوجد ووجود الراحة منها عند الفقد وقال الشيخ أبو العباس رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى المنام فقلت يا أمير المؤمنين ما علامة حب الدنيا قال خوف المذمة وحب الثناء فاذا كان علامة حبها خوف المذمة وحب الثناء فعلامة الزهد فيها وبغضها أن لا يخاف المذمة ولا يحب الثناء وأما ورعه فلقد أخبرنى بعض أصحابه انه دخل يوما بيت واحد من الجماعة فى البرج الذى هو فيه فوجده يضرب فيه وتداقال فاتفق للشيخ من الحرج الامر الكبير وقال كيف يحل لك ان تتصرف فى الحبس بامر لم يؤذن لك فيه وكان يقول والله ما دخل بطنى حرام قط وكان يقول الورع من ورعه الله وقال رضى الله عنه عزم علينا بعض صلحاء الاسكندرية فى بستان له بالرمل فخرجت أنا وجماعة من صلحاء الثغر ولم يخرج معنا صاحب البستان فى ذلك الوقت بل وصف المكان فصار يناوبنا ونحن خارجون الكلام فى الورع فكل قال شيأ فقلت لهم انما الورع من ورعه الله فلما أتينا الى البستان وكان زمن ثمرة التوت فكلهم أسرع الى الاكل وأكل وكنت كلما جئت لآكل أجد وجعا

ان الحيلة التي يعملها صاحب المسموح بعد أن أعطيه لا تخلصه عند الله تبارك وتعالى فان المعصرة التي يؤجرها للمعاصري أو الدكان الذي يؤجره للقصاب مثلا كل يوم بنحو أربعين نصفا لو لا توفر ما كان أصحاب حملة الوزر يأخذونه ما أعطى تلك الاجرة أبدا ولو حبس أو ضرب لكنها لم تتوفر له بل أخذها صاحب المسموح منه وكان لسان حال صاحب المسموح يقول للمعاصري أو الجزار أعطني ما كان أصحاب حملة الوزر يأخذونه منك لاني شيخ أو عالم وقد سألني الامير جانم الحزاوي لما سافر الى الروم أني أكتب له قصة معه للسلطان ليأتيني بمرسوم للمعصرة الموقوفة علي فلم أجبه فراجعني في ذلك وقال هذا هو ليس لك وانما هو للفقراء فكتبوا القصة فلما رأيتها وجدت فيها ان فلانا فقير وعليه الوارد كثير وليس له ولا لاولاده ما يقوم بهم وقالوا لابد في الانهاء من ذلك فقطعت القصة لاجل ذلك اه والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) حمايتي من الاكل من هدايا الظلمة وأعوانهم من العمال ومشايخ العرب والكشاف وشيوخ البلاد والمباشرين وهذا الامر قليل من يقع له الحماية منه في هذا الزمان ثم من اقل ما يحصل لمن أكل من هداياهم أو لبس منها الركون اليهم بالقلب وكراهة عزلهم من ولاياتهم ولو ظلموا وأهلكوا الحرث والنسل وقد قال تبارك وتعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار فنهانا عن الركون وأوعدنا بامساس النار فقل من يأكل طعامهم مثلا يريد أن يعمل بوصية الله تبارك وتعالى فلا يقدر على قلبه يطاوعه وفي الحديث جبلت القلوب على حب من أحسن اليها فلا يخرج عن ذلك الا من كان يرى احسان الناس له من جملة احسان الحق تعالى اليه كما عليه أهل الله تبارك وتعالى فانهم لا يرون محسنا الا الله تعالى فمثل هؤلاء لا يضرهم ما يأخذونه من الظلمة الا ان علموا انه حرام مثلا لانهم يرون الخلق مستخلفين كالوكلاء للحق تبارك وتعالى في انفاق رزقه على عباده على الوجه الشرعي فلذلك جبلت قلوبهم على حب الله وحده فلا يضرهم ما يأخذونه من الظلمة بشرطه لعدم وقوفهم معهم دون الله تبارك وتعالى فافهم وكان سيدي ابراهيم المتبولي رضي الله تعالى عنه يقول اياكم أن تأكلوا من طعام من يعتقد فيكم الصلاح من الامراء وغيرهم فانكم تأكلون بدينكم وكان رضي الله تعالى عنه يرد هدايا الولاة ويقول لهم انما صحبناكم لنأخذ بيدكم في الشدائد واذا أكلنا من طعامكم المخلوط بالحرام والشبهات عجزنا عن تحمل ما يصيبكم من الشدائد وعدمتم النفع بنا فيرضون منه بذلك اه وقد أرسل الباشا قاسم الى شيخنا الشيخ محمد الشناوي رحمه الله تعالى نحو خمسمائة دينار وبعض ثياب فردها عليه وقال لو أني بعت ما عندي من روث بهائمي لجاء أكثر من هذه الهدية فرضي الله تعالى عن أهل الصدق (ومما) وقع لي ان شخصا من جند السلطان أرسل لي في رمضان صحن كنافة مبخرة ونثر عليها السكر والفستق فأكلت منها لقما فقسا قلبي جمعة وعجزت عن اخراجه بالقيء وكذلك وقع لي أنني أفطرت عند شخص من مباشري القلعة في رمضان فرأيته صنع طعاما كثيرا نحو خمسة عشر لونا فعلمت أنه متهور في مكسبه فأكلت لاجل خاطره ثلاث لقم بورق فجل فرأيت تلك الليلة قائلا يقول لي استعد لمن يحاذيك على الصراط من أجل الثلاث لقم التي أكلتها الليلة بورق الفجل فاردت أن أتقيأ ما أكلت فلم يتيسر لي ذلك فاذا كان هذا في مثل ثلاث لقم بفجل فكيف الحال فيمن يشبع فاسأل الله تعالى من فضله أن يحميني واخواني من مثل ذلك بقية أعمارنا آمين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) انصافي لكل من عاملني ببيع أو شراء أو استئجار رزقة في ملكي المجازي فلا أطلب منه شيأ زائدا على القيمة بل ان بعته شيأ سامحته بشيء من الثمن وان اشتريت منه شيأ زدته في الثمن ولو قدر أن المشتري أعطاني شيأ زائدا على السعر الواقع لا أقبله منه ولو قال لي انه بطيبة نفس أقول له أنا أعرف ذلك ولكن خاطري أنا ما هو بذلك طيب وهذا كان من خلق سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى وفيه الهروب من تحمل منن الناس ومن الاكل بالدين فانه ما سامحنا بزيادة عما يعطيه للناس مثلا الا لاعتقاده فينا الخير والصلاح ونقل مثل ذلك عن الشيخ جلال الدين المحلي رحمه الله تعالى شارح المنهاج كان اذا أعطاه البائع شيأ زائدا لا يأخذه فلما عرفه السوقة وعرفوا صلاحه كان يرسل غيره فيشتري له ويقول اياك أن تقول هذا

في بطني فارجع فينقطع الوجع عني فعلت ذلك مرارا فجلست ولم آكل شيأ فهم

يا كلون واذا بانسان يصيح كيف يحل لكم أن تأكلوا من ثمرة بستاني بغير اذني فاذا هم قد غلطوا بالبستان فقلت لهم ألم أقل لكم الورع من ورعه الله واعلم رحمك الله ان ورع الخصوص لا يفهمه الا قليل فان من جملة ورعهم تورعهم من أن يسكنوا لغيره أو يميلوا بالحب لغيره أو تمتد اطماعهم بالطمع في غير فضله وخيره ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع الوسائط والاسباب وتخلع الانداد والارباب ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع العادات والاعتماد على الطاعات والسكون الى نور التجليات ومن ورعهم ورعهم عن ان تفتنهم الدنيا أو توقفهم الآخرة تورعوا عن الدنيا وفاء وعن الوقوف مع الآخرة صفاء قال الشيخ عثمان بن عاشوراء خرجت من بغداد أريد الموصل فانا أسير واذا بالدنيا قد عرضت علي بعزها وجاهها ورفعتها ومراكبها وملابسها ومزيناتها ومشتهياتها فاعرضت عنها فعرضت علي الجنة بحورها وقصورها وأنهارها وثمارها فلم أشتغل بها فقيل لي

يا عثمان لو وقفت مع الاولى لحجبناك عن الثانية ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنها فهاهنا لك وقسطك من الدارين يأتيك وقال الشيخ عبد

لجلال الدين فانى لا آكله وكذلك لا اخذ خراجا قط ممن زرع فى رزقتى وحصل للزرع جائحة من دودة أو فأر أو هياف أو استأجرها الترى فشرقت تلك السنة لانه قد خسر عمله و بذره ولم يستفد من ورائى شيأ لاسيما ان أغنانى الله تعالى عن أكل ماله فكيف أستحل ماله قلت ومما وقع لى ان بعض التجار كان ينكر على فبعث له جبة فاشتراها بزيادة عن ثمنها بعشرة أنصاف فرددت عليه العشرة فردها وقال ان خاطرى بذلك طيب فلم أقبلها فاعتقدنى من ذلك اليوم وهو صاحبى الى الآن فالحمد لله الذى جعلنى أولى باخوانى من أنفسهم ورائة محمدية وكذلك لا آخذ من المعاصرى والنوتى أجرة أيام بطالة الدواليب والمراكب لعدم الحب الذى يعصره أو لعدم من يحمل فى المركب شيأ فى الشتاء وليقدر الانسان ان المعصرة كانت تحت يده هو أو المركب من غير أحد يستأجرها فماذا كان يصنع وكذلك لا أقبل شيأ من الاجرة المعجلة ولو بطيبة نفس المستأجر وانما أصبر حتى يحصل له الانتفاع بتلك المعصرة المستأجرة مثلا ثم آخذها منه على العادة فى مثل ذلك وذلك لاحتمال أنى أموت أو هو يموت قبل الانتفاع فتشتغل ذمتى وذمة ورثتى ويقع بينهم و بين ورثة المستأجر النزاع و ربما هاف الزرع أو أكله الفأر وربما مات ولم يقدر ورثته من بعده أن يزرعوا تلك الرزقة وكذلك لا أضع فى عينى لبن امرأة أجنبية الا ان أخذت قيمته منى من جديد أو رغيف وذلك مكافاة لها على هديتها أو لما فى اللبن من رائحة حق الولد الرضيع لاسيما ان كانت مستأجرة للارضاع أو قليلة اللبن ولا يمكن معرفة طيب نفسه ولا عدم طيبها لعدم نطقه وصغره وهذه الاخلاق لم أجد لها فاعلا من أهل عصرى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) شهودى ان جميع ما أقاسيه من الشدائد والاهوال فى حق أو حق غيرى انما هو من رحمة الله تبارك وتعالى بى اذ هو كالتأسيس والادمان لتحمل الشدائد والاهوال التى بين أيدينا يوم القيامة والانسان لا يهوله شئ الا ان ورد عليه جديدا مما لم يكن له به عادة وأمامن ذاق شدائد الدنيا وأهوالها فان أهوال يوم القيامة تهون عليه وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا ينبغى لفقير أن يكثر من تحمل الشدائد عن اخوانه اذا دخل النصف الثانى من القرن العاشر فانه يسئ فى حقهم الادب ولا يشعر وذلك لان البلاء يكثر فى ذلك الزمان حتى يعم القرى والامصار وكل بلاء وقع فى ذلك الزمان فانما هو كالادمان لتحمل البلاء الذى يأتى بعده فمن الاحسان للمريد باطنا ان يتركه شيخه يتقلب فى بلائه حتى يخرج بنفسه هو منه ولكن يحتاج صاحب هذا المقام الى كشف صحيح وميزان دقيق ليعرف أعمار الناس الذين يتحمل حملتهم أو يتركها فقد يحمل عن انسان يظن ان عمره طويل فيموت فى ليلته وكان الاولى له أن لا يحمل عنه ففاته أجر التحمل فلا يحمل الا عمن عرف طول عمره الى حصول بلاء آخر فانه هو الذى يحتاج الى الادمان وسمعت أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول ينبغى للشيخ اذا رأى عند المريد ضجرا وسخطا على المقدور أن يتحمل عنه بقدر ما يزول به الضجر فان ذلك أولى من وقوعه فى الضجر وسوء الادب مع الله تعالى اه فاعلم ذلك والله تعالى يتولى هداك انتهى والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من الاكل من طعام من شفعت عنده شفاعة أو من طعام من شفعت فيه شفاعة أو قبول هدية على ذلك لاسيما ان وقع ذلك قبل الشفاعة أو قبل قبولها ولكن ان حلف انه لا يستردها أطعمتها للفقراء والمساكين أو بعتها وفرقت ثمنها عليهم وكذلك قد حمانى الله تبارك وتعالى من قبول هدية أهداها لى من سألت الله تبارك وتعالى فى قضاء حاجته وقضيت وهذا الخلق وما قبله قد صارا غريبين فى هذا الزمان بل بعضهم يأخذ الهدية قبل أن تقضى الحاجة و يأكلها ويتوسع فيها وقد كانت عائشة رضى الله تعالى عنها تقول من شفع لاخيه شفاعة فاهدى له على ذلك شيأ فقبله فقد أتى بابا من الكبائر اه وقد وقع أنى توجهت الى الله تبارك وتعالى فى قضاء حاجة لانسان فقضيت فاعطانى مالا جزيلا فلم أقبله منه وقلت له لا يخلو ما سألت الله تبارك وتعالى أن يفعله لك من أحوال اما أن يكون كتبه عليك أولك أو لم يكتبه عليك أصلا فان كان كتبه عليك فى الازل فلا أقدر أن أرد عنك ما قدره الله تعالى عليك

الرحمن المغربى وكان مقيما بشرقى الاسكندرية حجت سنة من السنين فلما قضيت الحج عزمت على الرجوع الى الاسكندرية فاذا على يقال لى انك العام القابل عندنا فقلت اذا كنت العام القابل ههنا فلا أعود الى الاسكندرية فخطر لى الذهاب الى اليمن فاتيت الى عدن فاقمت يوما على ساحلها أمشى واذا أنا بالتجار قد أخرجوا بضائعهم ومتاجرهم ثم نظرت فاذا رجل قد فرش سجادة على البحر ومشى على الماء فقلت فى نفسى لم تصلح للدنيا ولا للآخرة فاذا على يقال لى من لا يصلح للدنيا ولا للآخرة يصلح لنا وقال الشيخ أبو الحسن الورع نعم الطريق لمن عجل ميراثه وأجل ثوابه فقد انتهى بهم الورع الى الاخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله وعلى البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهم فى عموم أوقاتهم وسائر أحوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يريدون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا ينطقون ولا ينبسطون ولا يمشون ولا يتحركون الا بالله ولله من حيث يعلمون وجمعهم العلم على حقيقة الامر فهم مجموعون فى عين الجمع لا يتفرقون فيما هو أعلى ولا فيما هو أدنى وأما أدنى الادنى فالله يورعهم عنه ثوابا لورعهم مع الحفظ لمنازلات الشرع عليهم ومن لم

وان كان كتبه لك فلم أعمل لك شيأ أستحق به أجرة وان كان لم يكتبه عليك ولا لك فما هنالك شئ فعلته لك أصلا ومابقى الا ان الحق تبارك وتعالى كتبه عليك وجعلنى واسطة فى دفعه عنك بدعائى وتوجهى من باب توقف المسبب على السبب فلا أطلب أجرى الا من الله تبارك وتعالى وما أرضى أن يكون أجرى أمرا يغنى ويضمحل فى هذه الدار فاخذ الرجل ماله وولى وصار يقول شئ لله المدد ما كنت أعرف مقامك ثم ان المرض اشتد بولده فدخل عليه شيخ لا ينبغى تعيينه فقال اخرج لى عن خمسين دينارا وأنا أضمن سلامة ولدك من هذا المرض فاعطاه الخمسين دينارا فاصبح الولد ميتا فطلب منه الخمسين دينارا فلم يعطها له الى وقتنا هذا اه وكذلك وقع لهذا الشيخ انه دخل على صلاح الدين ناظر الخواص لما تكسح فقال له أعطنى مائة دينار واشتر لى رزقة خراجها مائة دينار وأنا أخلصك من الكساح فى هذا الوقت فانى أنا الذى كسحتك لما رددت شفاعتى فى الوقت الفلانى فشاغل الشيخ بالكلام وأرسل قاصده يقول لى ان سيدى يقول لك ان فلانا ادعى انه هو الذى كسحه ويطلب منه مائة دينار ورزقة خراجها كذلك فهل تعلم ان له قدرة على مثل ذلك فأعطيه ما طلب وعليك الدرك فقلت له الامر راجع الى اعتقادك أنت فيه فان كان اعتقادك فيه القدرة على ذلك فاعطه والا فلا تعطه وخفت انى أقول له انه نصاب ويكون سبق فى علم الله انه يعافيه على يده فاكون سببا فى منع شفائه أو أقول ان له قدرة على ذلك فاكذب وربما يبلغه اننى قلت انه نصاب فيسلط على الزوالق الذين حوله فالله يغفر له ما جناه من هذا النصب وقد توفى الى رحمة الله تعالى فى هذه السنة واستراحت العباد والبلاد منه فاعلم ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم قبولى هدية أعانى بها صاحبها قبل أن يحضر بها وذلك لعلمى بان من شأن النفس انها تصير مستشرفة لما وعدت به كأنه حق لازم على الذى وعد فلا تزال تستشرف لتلك الهدية حتى تحضر وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن أخذ كل ما استشرفت له النفس وهذا خلق لم أره فى عصرى هذا فاعلا ثم ان صاحب تلك الهدية ان غلبنى وأدخلها بيتى لا آكل منها شيأ وانما أطعمها للفقراء والمساكين والمترددين وقد بلغنا ان شخصا قال لسيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه قد خرجت للفقراء عن سلة عنب فارسل معى أحدا من الفقراء يحملها فابى الشيخ وقال نحن لا نأكل شيأ أعلمنا به قبل أن يحضر عندنا فالحمد لله الذى جعل لنا بهذا الشيخ أسوة وكذلك بلغنا عن سيدى أبى الحسن أيضا انه كان لا يقبل قط رزقة ولا مرتبا وقال لا أربى أصحابى الا على التوكل والاكل من حيث لا يحتسبون بشرطه فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم البخل بشئ دخل يدى على مستحقه من النقود والطعام والثياب وغير ذلك وهذا الخلق قد أعطاه الله تعالى لى من حين كنت صغيرا قبل أن أعرف ما جاء فى ذم محبة الدنيا وقبل أن أعرف رميها نفاقا ورياء للناس وهو خلق غريب لا يوجد اليوم الا فى افراد من المشايخ ثم لا يكون لهم الا بعد مجاهدة طويلة على يد شيخ صادق بعد أن يحكم مقام الزهد فى الدنيا ويصير ينشرح اذا أدبرت وينقبض خاطره اذا أقبلت (وقد) أوصى لى الشيخ خضر رحمه الله تعالى الذى ربانى يتيما بخمسمائة دينار فلم أقبلها (وكذلك) أوصت لى زوجته بنحو مائة دينار ذهبا ففرقتها على الفقراء والمساكين ولم آخذ لنفسى منها فلسا (وعرض على) بعض الاكابر ثلاثة آلاف دينار على انى أتزوج ابنته فلم أفعل (وأوصى لى) القاضى شمس الدين بن محاسن قاضى اسكندرية بثلث ماله وكان أربعة آلاف دينار فرددتها لكون ذلك من مال قاض لا لعلة أخرى فاوصل الى الفقراء بالزاوية خمسين دينارا ليقرؤا له بها قرآنا فامرتهم بردها فردوها وقرؤا له احتسابا (وسألنى) مرة فقير بالقرافة فى شئ لله فاعطيته ثيابى كلها وكانت جوخة وصوفا ومضربة بعلبكية وعمامة ورجعت الى جامع الغمرى بفوطة فى وسطى فوجدت شخصا هو سيدى يحيى بن صالح من تجار الخانقاه ينتظرنى بقميص ومضربة بعلبكية وعمامة فلبستها وشكرت الله تعالى (وسألنى مرة) شخص فى عنقه جنزير من حديد شيأ فاعطيته جميع ثيابى فظن اننى سكران فتبعنى من بعيد حتى وصلت الدار فطلع لى بالثياب فرآنى غير سكران وقال رضيت منك بنصف [illegible] فقط فلم أجبه الى ذلك وخرج بالثياب فباعها فاشترى منها يحيى بن العامل

الخلقه والاستكبار على مثله والدل على الله بعمله فهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله العظيم من ذلك والاكياس يتورعون عن هذا الورع ويستعيذون بالله منه ومن لم يزدد بعمله وعلمه افتقارا لربه وتواضعا لخلقه فهو هالك فسبحان من قطع كثيرا من الصالحين بصلاحهم عن مصلحهم كما قطع كثيرا من المفسدين بفسادهم عن موجدهم فاستعذ بالله انه هو السميع العليم فانظر فهمك الله سبل أوليائه ومن عليك بمتابعة أحبابه هذا الورع الذى ذكره الشيخ رضى الله عنه هل كان يصل فهمك الى مثل هذا النوع من الورع ألا ترى قوله فقد انتهى بهم الورع الى الاخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهذا هو ورع الابدال والصديقين لا ورع المتنطعين الذى ينشأ عن سوء الظن وغلبة الوهم وأما رفع همته فكان ظاهرا من ذلك بالعجب العجاب وقد تقدم من رفع همته عن ولاة الامور مع استعراضهم لحوائجه وتطارحهم عليه قال يوما لاصحابه جاءنى الطواشى بهاء الدين وهو مشد الديوان اذ ذاك والفقيه شمس الدين الخطيب وهو يومئذ ناظر الاجياش

صوفا بمائة وستين نصفا ولم أزل بحمد الله تبارك وتعالى من حين كنت صغيرا يأتيني الناس بالذهب والفضة فارميها في جامع الغمري فيلتقطها المجاورون وهو خلق بحمد الله الى الآن وربما كنت أحوج منهم الى شئ من ذلك ولكني أفعل ذلك هوانا بالدنيا في عيون الحاضرين حتى يقتدوا بي في ذلك (وكان) بعض الحسدة يقول ما رأيت نصابا مثل عبد الوهاب أبدا انما يرمي الذهب والفضة ليتسامع الناس بذلك فيعتقدوه ويأتوه بما يطلب فقال له بعض الاخوان فارم أنت الآخر ما معك فلم يقدر على ذلك فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) رجوعي على نفسي باللوم اذا قدمت نفسي على خصمي في الراحة بل أوثره على نفسي بالراحة وأتكلف أنا المشقة وكثيرا ما تتعارض المصلحتان فتصير مصلحتي تضره فأؤخرها ولو كانت مصلحته تضرني فلابد في المعروف من تقاضي واحد منا وهو خير الرجلين نظير ما ورد في حديث المتشاحنين وخيرهما الذي يبدأ بالسلام (وقد حكى) أن شخصين كان بينهما مركب شركة نصفين فتعاندا فاراد أحدهما أن يوسق نصفه ملحا وأراد الآخر أن يوسق نصفه ماء ومعلوم ان مجاورة الماء للملح تذيبه فما فصل بينهما الا الحكام فاعمل يا أخي على ما ينفع خصمك وأجرك على الله تبارك وتعالى والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) اقامة العذر لزوجتي اذا تزوجت عليها أو تسريت ولا أطالبها بالصبر جزما العلمي بان ذلك لا تطيقه غالب النساء (وقد وقع) لزوجتي أم عبد الرحمن انني مرحت معها يوما وقلت لها أنا أسبق الى الجنة بضرتك تفرش لك بيتك وتملأ لك الاباريق وننتظرك حتى تجيئي الينا فحلفت بالله العظيم انها لو دخلت الجنة ورأت ضرتها هناك رجعت وأقامت خارج الجنة أبد الآبدين حلفا لا توريه فيه انتهى فاعلم ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) غلبة الحياء من الله تبارك وتعالى أو من عباده حتى ربما جعلت الطيلسان على رأسي وأرخيته على وجهي حتى لا أرى وجه أحد ولا يراني وان كانت رؤية وجوه المؤمنين شفاء (وقد كان) أبو بكر وعمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز وأبو يزيد البسطامي وأنس بن مالك رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم بارديتهم غالبا ثم ان أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أدمن من لبس البرنس وقال انه يكف البصر عن فضول النظر انتهى ويقع لي في بعض الاوقات انني أستحي أن أمر في شوارع مصر راكبا ولا أقدر على المشي فارخي الطيلسان بحيث لا يعرفني أحد وأعطي مقودا لحمارة لشخص (ونقل) مثل ذلك عن الشيخ محمد المغربي شيخ الجلال السيوطي كان اذا مشى يضع يده على كتف شخص ويصير شاخصا الى السماء لا ينظر الى وجه أحد حتى يرجع الى بيته وللفقراء في ذلك مشاهد صحيحة فاياك والمبادرة الى الاعتراض على من يفعل مثل ذلك فتقع في الاثم والجهل أما الاثم فلكونك تظن بهم انهم يفعلون ذلك تمشيخا ومحبة لان يعرفوا وأما الجهل فلكونك جهلت انه من سنة السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم (فعلم) أن صاحب هذا المشهد غائب عن قصد التمشيخ بذلك أو عن قصد دفع حر أو برد واما قصد التمشيخ بذلك فهو حرام يبعد وقوعه من الفقراء والعلماء وأما دفع الحر والبرد فانه حاصل في ضمن نية كف البصر عن فضول النظر ونية الحياء من الله عز وجل فلا نحتاج الى نية أخرى (وسمعت) الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى يقول شرط الطيلسان المشروع أن يكون نازلا قبالة وجه الانسان حتى يصير لا ينظر من الارض الا موضع مواقع قدميه فقط انتهى وانما صح جعلنا الطيلسان بقصد الحياء من الله تعالى وان كان الحق تعالى لا يحجبه شئ لان الشرع قد تبع العرف في مثل ذلك حال الصلاة وغيرها فاوجب على العبد أن يستر عورته ولا يكشفها الا لضرورة شرعية واستحب للعبد أن يستتر في الغسل ولو كان خاليا أو في ظلام وقال الحق تعالى أحق ان يستحيى منه فلما رأينا استحباب ذلك حياء من الله تعالى قسنا عليه الطيلسان اذا غلب على صاحبه الحياء من الله تعالى أو من خلقه فان العبد بين يدي الله تعالى على الدوام شعر بذلك أو لم يشعر فمن لم يصل الى مقام شهوده ذلك فليكن معه الايمان بذلك (وقد كان) عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه اذا أراد دخول الخلاء يتقنع بردائه حياء من الملائكة الكرام الكاتبين ولا شك ان الله تبارك وتعالى أحق منهم بالاستحياء منه وكان أخي الشيخ أبو العباس الحريثي

فقالا لي ان هذه القلعة تحتاج الى خضر وزيت وقناديل وتحتاج الفقراء فيها الى ما يأكلون ونحن حكام الوقت نطلق لها شيأ كل شهر قال فقلت لهم حتى أشاور أصحابي وأنتم أصحابي فماذا تشيرون فلم يرجع اليه أحد جوابا فاعاد الامر مرارا فلم يجبه أحد فقال اللهم أغننا عنهم ولا تفتنا بهم انك على كل شئ قدير ولم يجبهم الى ما ذكروا ومات الشيخ رحمه الله تعالى وليس للمكان مرتب ولا معلوم وسمعته يقول والله ما رأيت العز الا في رفع الهمة عن الخلق وسمعته يقول رأيت كلبا في المحجة ومعي شئ من الخبز فوضعته بين يديه فلم يلتفت اليه فقربته من فمه فلم يلتفت اليه فاذا علي يقال لي أف لمن يكون الكلب أزهد منه وسمعته يقول خرجت يوما أشتري حاجة من بعض من يعرفني بنصف درهم فقلت في نفسي ولعله لا يأخذه مني فاذا علي يقال لي السلامة في الدين بترك الطمع في المخلوقين قال فاتيت الى الموضع الذي كنت مقيما به ودخلت وأغلقت الباب وأنا جالس وانسان قد فتح الباب على عمرة وقال عما ذا تكون السلامة في الدين قال فقلت له بترك الطمع في المخلوقين فاخذها كأنما كانت ضالة وجدها فتبين من حاله ان الشيخ كان قد قال له

رضى الله تعالى عنه لا يغتسل خاليا الا فى ثوب مهلهل كما يفعل بالميت اذا غسل (وكان) رضى الله تعالى عنه يقول الفقير كالمرأة المخدرة لا ينبغى له أن يكشف يده أو رجله أو ساعده بحضرة اخوانه الا لضرورة أو حاجة وعلى ذلك أكابر الدولة مع من هو أكبر منهم انتهى (ومن هنا) أدمن المباشرون وغيرهم لبس الخف وضيقوا اكمامهم واتخذوا الاطواق التى تستر أعناقهم أيام دولة الجراكسة انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق بهذه الاخلاق المحمدية والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كراهتى للاكل من ضيافة الوقف الذى تحت نظرى أو نظر غيرى وعدم استقرارها فى باطنى اذا أكلت منها فلا آكل منها وان جعلها الواقف لى الا ان علمت طيب نفس الفلاح بذلك من حيث محبته لى لا لعلة أخرى لا تبعة فيها ومتى علمت ان علة مجيئه بالضيافة لكونى ناظرا على ذلك الوقف وانى متى عزلت منه لا يأتينى بشئ فلا آكل من ضيافته شيأ وما جعل الفلاحون المتقدمون الضيافة لاستاذيهم الا لما كانوا يجدونه منهم من البر والاحسان وكف مظالم الكشاف وشيوخ العرب عنهم وهذا أمر قد تودع منه ما بقيت الدنيا (وقد رأيت) وأنا صغير الفلاح اذا جاء لاستاذه بضيافة يصير يطبخ له الطعام الطيب والحلو والارز الى ان يطلب السفر فيعطيه الكسوة والهدية أكثر مما جاء هو به فيصير يمدح أستاذه بين الفلاحين ثم يأتيه بعد ذلك بضيافة أعظم من تلك الضيافة لما وجد من بره واحسانه فاين هذا ممن يجيئه فلاحه بالضيافة فلا يعلق على حارته ولا يطبخ له طعاما ويطعمه الطعام البائت وان عزم الفلاح على أحد من معارفه وأتى به الى بيت أستاذه قامت عليه القيامة ثم يصير يسمعه الكلام الجافى حتى يسافر بلا حسنة فى مقابلة تلك الضيافة بل رأيت شخصا من العلماء أتاه فلاحه بضيافة الاوز فوجد فيها واحدة هزيلة فردها عليه فسافر بها الى البلاد ليرسل له واحدة مكانها فاذا كان هذا فعل حامل القرآن فكيف بالظلمة فعلم ان من طلب ان يأكل ضيافة الفلاح ويتحكم فيه فليفعل معه كما كان السلف يفعلون (وقد قال لى) فلاح عتيق كنا نعد الايام التى نأتى لاستاذنا فيها بضيافة كأنها أيام عيد وكان يطعمنا الحلوى والاطعمة الفاخرة التى لا نجدها فى النوم اه فتنبه يا مدعى الدين لنفسك وخلص نفسك من تبعات الفلاح واجه من الكشاف ومشايخ العرب وأحسن اليه ثم اقبل ضيافته كأنها جعالة لك على دفع الاذى عنه والا فنزه نفسك عن الاكل من ضيافته فانها من قسم الشبهات بيقين فان الفلاح ربما أتى بها خوفا منك أن تغالطه فى الحساب أو تسلط عليه حاكما يؤذيه بل أفتى بعضهم بان أخذ الجعل على كف المظالم حرام لانه يلزم القادر على دفع الظلم ان يدفعه مجانا فان لم يقدر على دفع الظلم عن الفلاح فما وجه أخذ الضيافة منه (وهذا) خلق غريب ما رأيت له فى مصر كلها فاعلا غيرى فالحمد لله الذى من على بالشفقة على الفلاح واقامة العذر له فى هذا الزمان اذا ترك الضيافة وأتانى بلا ضيافة فان غالب الفلاحين قد صار لا يحصل له من زرعه بعد وزن المغارم عنه طول سنته الا القوت وبعضهم لا يحصل له القوت فكيف يؤخذ من هذا ضيافة بل مثل هذا لا يلزمه ضيافة الوارد عليه ولا تستحب له (وكان) أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يرد خراج رزقته الزائد على خراج مثلها ويرد الضيافة ويقول ليس لفقير أن يأخذ خراج رزقته مثل ضريبة طين السلطان وله رد الضيافة ولو كانت حلالا صرفا انتهى فاعلم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) اذا زرعت فى طين وقف تحت نظرى أو لم يكن تحت نظرى ان أجعل الحظ والمصلحة للوقف فان جاء الزرع أكثر من الخراج عادة جعلت الزائد بينى وبين الوقف وان جاء الخراج أكثر لم اندم على اعطائه لهم كاملا وذلك لان حكم أرض الوقف عندى اذا كنت ناظرا أو زارعا من غير نظر حكم مال اليتيم تحت يد الوصى مثلا فلا انظر اليه الا بالحظ والمصلحة (فليحذر) الناظر من محاباة نفسه فيزن الخراج لجهة الوقف الذى هو تحت نظره بانقص مما يأخذه هو من الفلاح (وليحذر) من ان يسخر الفلاح فى الحرث والحصاد مثلا بغير طيب نفس كما يفعل الامناء ومشايخ العرب فيساعدون استاذهم خوفا من شرورهم وكذلك فلاح سيدى الشيخ ربما يساعده خوفا من شره وذلك من قسم الظلم الذى هو ظلمات يوم القيامة (ثم) ان هذا

موضعه واعطوه ثلاث ويبات التى كنا اعطيناه اياها وقال رضى الله عنه الطمع ثلاثة أحرف كلها مجوفة فهو بطر كله فلذلك صاحبه لا يشبع أبدا وكان يقول للناس أسباب وسببنا نحن الايمان والتقوى قال الله سبحانه ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض (تنبيه واعلام) اعلم ان رفع الهمة عن الخلق شأن أهل الطريق وصفة أهل التحقيق ولقد سئل الجنيد رضى الله تعالى عنه أزنى العارف فقال وكان أمر الله قدرا مقدورا ولعمرى لو سئل أيطمع العارف فى غير الله لقال لا وانما مراد الحق سبحانه أن يفرده العباد فى كل شئ سببا وثقة وتوكلا وخوفا ورجاء وذلك الذى تستحقه فرديته وكان بعض العارفين ينشد شعرا

حرام على من وحد الله ربه
وأفرده أن يجتدى أحدا رفدا
ويا صاحبى قف لى مع الحق وقفة
أموت بها وجدا وأحيا بها وجدا

وقل لملوك الارض تجهد جهدها * فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى

ورفع الهمة انما ينشأ عن صدق الثقة بالله وصدق الثقة بالله انما

خلق غريب قل من يفعله الآن مع الفلاح والمستحقين واصل الاخلال بذلك قلة دين الناظر وعدم ثقته وكثرة محبته للدنيا مع ان ذلك محققة للبركة كما جرب ولم ازل بحمد الله تبارك وتعالى ازرع في طين الوقف والكلفة من مالي ثم اعطيه كله للفقراء وآكل منه كأحدهم لا احاسبهم قط على شيء لي مما زرعته انتهى فاعلم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

*(الباب الخامس في جملة أخرى من الاخلاق فاقول

وبالله تبارك وتعالى التوفيق)*

(مما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) كراهتي للاكل من صدقة أو هدية علمت ان في بلد المتصدق أو المهدي أو حارته من هو أحوج الى ذلك مني من الفقراء والمساكين والارامل ومن ارتكبتهم الديون ثم ان قدر أبي قبلتها صرفتها فيما أراه أرجح في ميزانه من اكلي منها وذلك انه كما قصد نفعنا بدنياه فينبغي لنا ان ننفعه بزيادة دينه كذلك ولا ننقصه من الاجر فان في ضمن اكلنا من تلك الصدقة أو الهدية رائحة حق لذلك المحتاج الذي تعداه وجاء الينا من حيث ان الشارع أمره ان يبدأ في صرف صدقته أو هديته بالمحتاج أو الاقرب دارا أو رحما فلا نساعده على مخالفة السنة بتقديمه لنا على من هو أولى منا من قريب أو محتاج أو جار ثم اننا اذا قبلنا من ذلك شيا بشرطه لا نقبله الا بنية نفعه بما هو اولى بالاجر والثواب ونجعل نفع نفوسنا بالتبعية لا بالقصد الاول كل ذلك لتكون حركاتنا في نفوسنا أو في حق اخواننا في ديوان الحسنات ويكتب لنا اجر القائمين في مصالح العباد وتحصل محبة الحق تعالى لنا فان الخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله كما ورد (وقد رددت) بحمد الله تبارك وتعالى كثيرا من الذهب والفضة والطعام على من تعدى جيرانه أو قرابته أو المحتاجين من اهل حارته واتى بذلك الي خوفا على دينه ان ينقص لا لعلة أخرى (ويؤيد) ذلك قوله صلى الله عليه وسلم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم أي لان فقراء كل بلد ناظرون الى صرف صدقة اغنيائهم عليهم (ومن هنا) حرم بعض العلماء نقل صدقة أغنيائهم عليهم من بلد الى أخرى الا لعذر شرعي وهذا الخلق ما رأيت له فاعلا الى وقتي هذا غير أخي الشيخ افضل الدين رحمه الله تعالى فاعلم ذلك يا أخي واعمل بالتخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علي) كراهتي لشيء يقيم في قلبي من محاب الدنيا الا سهوا أو غفلة سواء كان ذلك المحبوب زوجة أو ولدا أو مالا أو غير ذلك ومن ذاق هذا المقام استراح من مزاحمة الناس على الدنيا واستراح الناس منه لان من كانت الدنيا في يده دون قلبه فمن شأنه الفرح والسرور اذا فاتته خوفا من ان تشغله عن ربه جل وعز وقل من تخلق بهذا الخلق من أقراننا ولذلك يقع بينهم وبين غيرهم الشحناء والبغضاء والحسد لان حب الدنيا في قلوبهم ساكن ولو أنهم كانوا محبين لله عز وجل ما مكنوا عدوه يسكن في قلوبهم فانه تعالى غيور لا يحب ان يرى في قلب عبده المؤمن محبة لسواه الا باذنه ولصاحب هذا المقام علامة وهو أنه لا يطالب أحدا منه شيء ولو يمنعه منه الا لعذر شرعي فلا يمنعه قط بخلا لان البخل من ثمرة سكون محبة المال في القلب فافهم (فعلم) ان المذموم من محبة الدنيا انما هو اذا كان بحكم الطبع لا بحكم تحبيب الله تبارك وتعالى له ذلك لغرض صحيح لان ذلك غير مذموم بل هو محبوب شرعا كما سيأتي بسطه في هذا الكتاب فان أكابر الاولياء يحبون المال حبا جما لينفقوه في مرضاة الله عز وجل لا ليبخلوا به على احد من عباده الا لحكمة لانهم محفوظون من آفات المال (ونقل) عن بعضهم انه كان يقول انما احببت المال لأفوز بلذة خطاب الله لي بقوله أقرضوا الله قرضا حسنا فانه لم يخاطب بذلك الا أهل الجدة وكثرة الاموال دون الفقراء الذين لا يملكون عشاء ليلة وعلى ذلك يحمل حال أيوب عليه السلام حين صار يحثو في ثوبه من الذهب حين أمطرته السماء فان الله تعالى أوحى اليه الم أكن أغنيتك عن مثل هذا فقال بلى يا رب ولكن ليس لي غنى عن بركتك انتهى وكذلك وقع للعباس رضي الله تعالى عنه وارضاه عم النبي صلى الله عليه وسلم حين امره النبي صلى الله عليه وسلم ان يحمل في بردته ما شاء من الذهب فجعل فيها ما لم يقدر على حمله فصار كلما اراد ان يحمله لا يقدر على حمله فان مثل العباس رضي الله تعالى عنه انما فعل ذلك

ينشأ عن الايمان بالله على سبيل المعاينة والمواجهة فيوجب لهم ايمانهم الاعتزاز بالله قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والنصر من عند الله قال سبحانه وكان حقا علينا نصر المؤمنين والنجاة من العوارض الصادرة عن الله قال الله تعالى كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين فعز المؤمن بثقته بمولاه ونصرته على نفسه وهواه ونجاته من العوارض أن لا تقطعه عن سبيل هداه وشعار أهل الارادة ودثارهم الاكتفاء بالله ورفع الهمة عما سوى الله وصيانة ملابس الايمان من ان تدنس بالميل الى الاكوان أو الطمع في غير الملك المنان ولنا في هذا المعنى شعر

بكرت تلوم على زمان أجحفا
فصدفت عنها علها ان تصدفا
لا تكثرن عتبا لدهرك انه
ما ان يطالب بالصفاء ولا الوفا
ما ضرني ان كنت فيه خاملا
فالبدر بدر ان بدا أو ان خفا
الله يعلم انني ذو همة
تأبى الدنايا عفة وتظرفا
لم لا أصون عن الورى ديباجتي
وأريهم عز الملوك وأشرفا
أأريهم اني الفقير اليهم * وجميعهم لا يستطيع تصرفا
أم كيف أسأل رزقه من خلقه * هذا لعمري ان فعلت هو الجفا

محبة فى الانفاق لامحبة فى الامساك انتهى (وبالجملة) فمن خالط الاكابر بالادب والتعظيم لهم حملهم على أحسن المحامل وعرف مقامهم ونزههم عن محبة الدنيا لغير غرض صحيح فان منهم من يأخذ الدنيا اذا ساقها الله تعالى اليه تبركا بفضل الله تبارك وتعالى وبعضهم يأخذها للفاقة وكلما أكثر من المزاحمة عليها كلما اظهر فاقته وعجزه وكثرة حاجته الى فضل ربه تعالى فيزداد بكثرة الدنيا فاقة وحاجة حتى يصير سداه ولحمته حاجة وفاقة ويصير عاكفا فى حضرة ربه تبارك وتعالى لايخرج منها قال تبارك وتعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى وربما اعطى الله تبارك وتعالى العبد قوت سنة واكثر ليطرده عن الوقوف بين يديه بفضله وربما قتر على عبد رزقه حتى يصير واقفا بين يديه تعالى ليلا ونهارا (وكان) الشيخ أبو الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى يقول لابد للفقير فى بداية امره من رمى الدنيا والزهد فيها ليخلص من محبة ماسوى ربه بحكم الطبع فاذا تخلص لمحبة ربه وحده وسكنت محبته فى قلبه قيل له خذ برنا وفضلنا وحسنتنا لك بشدة وعزم ومزاحمة عليها واستعمل ذلك فيما خلقناه لاجله من القربات الشرعية فكما القاها أولا باذن كذلك أخذها آخرا باذن انتهى (قلت) ولولا أن الحق تبارك وتعالى امر المريد فى بداية امره بالزهد فى الدنيا لما قدر على السير فى الطريق ولا ترقى الى مقام من المقامات لانه فطر على الاستفادة لا على الافادة فما فتح عينه الا على محبتها ثم رأى جمهور الناس على ذلك فازداد محبة لها (فعلم) أنه فى اصله مجبول على الشح بالدنيا حتى يود ان كل شئ فى الوجود يكون له وذلك من أكبر القواطع عن الله تبارك وتعالى فلا يصح له دخول طريق أهل الله تبارك وتعالى الا بعد فطامه عن الدنيا ثم بعد أن يقوى فى المقام بحيث لا يصير شئ يشغله عن الله تبارك وتعالى يرجع الى جمع الدنيا لمصالح نفسه وغيره ويصير صورته صورة من يحب الدنيا والقصد مختلف فلا يكاد يعرف أحد انه من الصالحين لاحتجابهم عنه بشهود مزاحمته على الدنيا ومشاحته على الجديد مع انه يعطى الالف دينار وأكثر وكانه أعطى بعرة فيشاح على أقل القليل ويعطى الكثير بمشاهدة صحيحة فان اعطى الكثير شهد حقارته وان أخذ اليسير بغير حق شهد كثرته من حيث المطالبة به يوم القيامة حين تتقاسم الناس حسنات بعضهم بعضا وان شاح فى القليل فهو لاجل عتق غيره من المنة لو سامحه ومن شرط الكمل ان لا يكون لهم حركة ولا سكون الا وهم فيها تحت الامر الالهى وبذلك نفذت عهودهم ووصاياهم الى مريديهم فى سائر أقطار الارض فان أحبوا الدنيا فذلك بحق وان كرهوها فذلك بحق وان أحبوا أولادهم فذلك بحق وان كرهوهم فذلك بحق وان أحبوا الرياسة فذلك بحق وان كرهوها فذلك بحق وان أحبوا الخفاء فذلك بحق وان أحبوا الظهور فذلك بحق وهكذا فى سائر أحوالهم رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم فاعلم ذلك يا أخى واعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة اضافتى للفعل المذموم الذى فعلته أنا الى نفسى قبل ابليس ببادئ الرأى وكثرة اضافة مافعله الاخوان معى الى ابليس قبل اضافته اليهم فاضيفه الى ابليس ببادئ الرأى ولذلك قل غضبى عليهم وتحملت منهم أثقال الجبال من الاذى من غير مؤاخذة لهم كما مر ايضاحه أوائل الباب الثالث وذلك لان ابليس هو الذى وسوس لهم وزين لهم ان مايفعلونه معى من الاذى خير ونصرة للدين مثلا فابليس فى ذلك أصل وهم فرع منه وارسال العداوة وسوء الظن على الاصل أولى من ارسالهما على الفرع هذا فى الاصل والفرع من الخلق أما فى حق الحق تعالى فلا يجوز ارسال ذلك له على الاصل فان فيه اقامة الحجة على الله تبارك وتعالى ولا يخفى مافى ذلك من سوء الادب قال الله تبارك وتعالى ما أصابك من حسنة فمن الله أى ايجادا واسنادا وما أصابك من سيئة فمن نفسك أى اسناد الايجاد افافهم وهذا الخلق قل من يتخلق به بل غالب الناس يرسل العداوة وسوء الظن الى أخيه المسلم ببادئ الرأى اذا آذاه أخوه أو آذى غيره أو عصى ربه ولا يرسل ذلك الى ابليس الا بعد تفكر وتدبر وبذلك كثر ازدراؤهم بعضهم لبعضهم وذلك حرام بخلاف من ازدرى ابليس أو بغضه فانه لا يقع فى حرام وبخلاف من يضيف الامور الناقصة الى ابليس ببادئ الرأى ولا يضيفها الى الخلق الا بعد ذلك فان ازدراءه وبغضه للناس يقل ومن هنا قالوا اذا صحبت فاصحب العارفين فانه ليس لكثير الطاعات عندهم كبير أمر حتى يعظموك لاجله لعدم اعتمادهم عليها دون الله تبارك وتعالى وللقبيح عندهم وجوه من المعاذير

عم البرية منة وتلطفا
والجأ اليه تجده فيما ترتجى
لا تعد عن أبوابه منحرفا
والذى يوجب لك رفع الهمة عما سوى الله علمك بانه لم يخرجك الى مملكته الا وقد كفاك ومنحك واعطاك فلم يبق لك حاجة عند غيره فاذا كان قد اقتضى لهم الفهم عن الله أن يكتفوا بعلمه عن مسألته كيف لا يوجب لهم الفهم الاكتفاء بعلمه عن سؤال خليقته ومن فاتحه الحق سبحانه بشئ مما فاتح به أحباءه فقد اقتضى منه رفع همته اليه كما اقتضاه من غيره وأولى ألم تسمع قوله سبحانه ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم لا تمدن عينيك وكيف لا تكون مننه فيك ومواهبه وفواتح عنايته وخصائص ولايته ناهية لك عن التعلق بغيره وكان بعض العارفين ينشد شعرا
أبعد نفودى فى علوم الحقائق
وبعد انبساطى فى مواهب خالقى
وفى حين اشراقى على ملكوته
أرى باسطا كفا الى غير رازق

(وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول اضافة المذمومات الى النفس والشيطان أولى من اضافتها الى الحق تبارك وتعالى بحكم الخلق والتقدير فان ذلك تحصيل الحاصل وأحكام التكاليف انما هى دائرة مع نسب المكلفين لانه الباب الذى يؤاخذون منه (وسمعته) رضى الله تعالى عنه مرة أخرى يقول من أضاف المذمومات الى الله تعالى ووقف مع ذلك دون اضافتها الى الخلق وقع فى أعلى طبقات سوء الادب مع الله تعالى وهلك فى دينه من حيث لا يشعر وذلك لانه حينئذ لا يكاد يندم على ذنب فعله أبدا ويقول هذا مقدر على قبل أن أخلق فاين كنت أنا انتهى (وفى كلام) الجنيد رضى الله تعالى عنه لا يضر فى توحيد العبد للحق تعالى فى الافعال شهوده نسبة الافعال اليه هو بل ذلك واجب لان من لم يضف الى نفسه الاعمال يلزمه هدم أركان الشريعة كلها واسقاط المؤاخذات التى يؤاخذ الله تعالى عليها عباده فى الدنيا والآخرة انتهى فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) عدم مبادرتى الى سوء الظن باحد من المسلمين وكثرة سترى لما تحققته من عوراتهم وذلك لان الظن أكذب الحديث وأما قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وأرضاه احترسوا من الناس بسوء الظن فمراده عاملوا الناس كمعاملة من يسىء بهم الظن فى الحذر منهم لا حثهم على سوء الظن فان سوء الظن لم يأت لنا شرع بالحث عليه فافهم ثم ان ورد فهو مؤول ولا يؤاخذ الله تعالى فى الآخرة عبدا أحسن الظن بعباده المؤمنين أبدا انما يؤاخذ من أساء بهم الظن وسيأتى فى هذه المنن ان العبد لا يصح له حسن الظن بالمسلمين الا بعد تنظيفه باطنه من الرذائل حتى لا يكون له سريرة سيئة قط يفتضح بها فى الدنيا والآخرة ومادام له سريرة سيئة فمن لازمه سوء الظن قياسا على نفسه وصفاتها فان أردت يا أخى أن تكون ممن يحسن الظن بالمسلمين فطهر باطنك أولا من الرذائل والا فلا سبيل لك الى الخلاص فانك اذا كان عندك ميل للزنا باجنبية مثلا وتود انك تزنى بها فلا تتمكن من ذلك ثم انك رأيت شخصا قد اختلى بها أو وقف بحدثها فى زقاق لا تحمله الا على صورة نفسك ولو انك كنت بالعكس لحملته على أحسن الاحوال قياسا على نفسك فحكم من طهر الله باطنه من المعاصى حكم من خلقه الله عنينا فهو لا يعرف للجماع طعما ولو اختلى باجنبية لا يخطر فى باله فاحشة فتأمل فالعاقل من أتى البيوت من أبوابها (وقد كان) سيدى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول اذا رأيت انسانا بالغا يطوف بشىء يبيعه والناس يصلون الجمعة فاحمله على عذر شرعى فاذا رأيت عالما أو صالحا يأخذ من الظلمة مالا فاحمله على أنه يفرقه على أصحاب الضرورات بالطريق الشرعى ولا يأكل منه شيأ واذا رأيت عالما توقف عن الكتابة على سؤال متعلق بامور السلطنة فاحمله على خوف الفتنة التى تبيح له كتم العلم أصلا كاخراج من وظيفته التى يتقوت منها هو وعياله عنه أو نفيه من بلده ونحو ذلك واذا رأيت شخصا يسار رامرأة فى عطفة فاحمله على انها من محارمه أو زوجته أو انها ممن لا يخاف منها الفتنة انتهى فقس يا أخى على ذلك ولكن بعد تنظيف باطنك كما مر فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم مطالبتى بالوفاء بعهدى مَنْ لم يوف بعهود الله تبارك وتعالى وعهود رسوله صلى الله عليه وسلم لعلمى بانّ من لم يصح له الوفاء بعهد الله أو عهد رسوله صلى الله عليه وسلم فكيف يصح له الوفاء بعهد مثلى مع شهوده نقصى ومماثلتى له وذلك كأن أطلب من أحد من اخوانى أنه يراعينى فى الرخاء كما يراعينى فى الشدة أو لا يخالف ما عاهدته عليه من فعل الاوامر واجتناب المناهى ولو أننى طلبت ذلك منهم أو من نفسى لما صح لهم ولا لى فان ذلك راجع الى حكم القبضتين ومادام الحق تبارك وتعالى يخلق المعاصى للعبد فلا يقدر على الوفاء بالتوبة النصوح التى لا ذنب بعدها أبدا بل انما يتوب بعد كل معصية ومن هنا قال الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه وغيره ليس من الادب أخذ العهد على العوام بانهم لا يقعون قط فى معصية وانما الادب أن يأخذ عليهم العهد انهم كلما أذنبوا يتوبوا على الفور ولا يصرّوا قط على معصية لانه اذا كان فى علم الله تبارك وتعالى أنهم يعصون يصير عليهم معصيتان معصية من حيث الشرع ومعصية أخرى من حيث نقض العهد ولو انه لم يعاهدهم لما كان عليهم سوى اثم معصية واحدة انتهى وهو كلام فى غاية التحقيق

والولاية والعزل فيها لغيره أفيرضى لك الحق سبحانه ان تعترف له بربوبيته وتضيف آثارها لغيره فاحذر أن تكون من الذين قال فيهم سبحانه وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون وقبيح أن تكون فى دار ضيافته وتوجه وجه طمعك لغيره ولنا فى هذا المعنى شعر

أيحسن انى فى ذراكم ونزلكم
أوجه يوما للعباد رجائى
بلى انى ألوى اليك بهمة
أخلف فيها ما سواك ورائى
ولا تطلب ممن هو بعيد عنك وتترك الطلب من مولى هو أقرب اليك من حبل الوريد ألم تسمع الى قوله سبحانه واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان وقال ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وقال واسألوا الله من فضله وقال ادعونى أستجب لكم وقال وان من شىء الا عندنا خزائنه كل ذلك ليجمع همم عباده عليه كيلا يرفعوا حوائجهم الا اليه * وأما حلمه فكان من شأنه انه لا ينتقم لنفسه ولا ينتصر لها ولقد دخلت عليه يوما فقال لى ما تقول فى فلان رجل كان قد آذى الشيخ الاذى البالغ أتى الى أصحاب فلان بعض من كان له الامر فى ذلك الزمن وكان يتردد

التحقيق (وأما مبايعته) صلى الله عليه وسلم للنساء والرجال بترك المعاصى فكان ذلك بوحى الهى أوائل اسلامهم أو اسلامهن ولم يبلغنا انه صلى الله عليه وسلم بايع هذه المبايعة لمن رسخ فى الاسلام أبدا وقد يكون أراد صلى الله عليه وسلم بتلك المبايعة تقبيح الذنوب فى أعينهم لينقادوا لأحكام الاسلام بعدما كانوا فيه من الشرك ويؤيد ذلك ما ورد انه صلى الله عليه وسلم كان يبايع وفود العرب ويقول بخفض صوت فيما استطعتم وبايع شخصا على انه يصلى صلاة الصبح والعصر فقط وقال بعد ما ولى سيصلى يعنى بقية الصلوات فعلم من هذا التقرير ان للفقير أن يأخذ العهد بالتضييق والتحجير على من رسخ فى صحبته لعلمه بالقرائن أن الله تعالى يحفظ مثله عن الفواحش وكتب الشريعة طافحة بذلك ومن فهم ما أومأنا اليه حمل نحو قوله تعالى واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وقوله تعالى واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه على حال رعاع الناس دون الاكابر من الانبياء والاولياء وكمل المؤمنين فانا نراهم فى الشدائد والرخاء لا يرجعون فى أمورهم الا الى الله وحده بخلاف رعاع الناس فليس للفقير أن يطلب منهم أن يكونوا معه فى الشدة والرخاء على حالة واحدة فان ذلك لم يفعلوه مع ربهم وخالقهم ورازقهم فكيف يفعلونه مع من هو مثلهم فى الفاقة والعجز (وقد وقع) انه صلى الله عليه وسلم أخذ العهد على جماعة وكتبوا الوحى زمانا ثم انهم ارتدوا بعد ذلك كعبد الله بن خطل وأضرابه وفى القرآن العظيم ان عليك الا البلاغ فعلى الداعى أن يدعو الى حضرة الله تبارك وتعالى ليميز أهل القبضتين فقط بدعائه وأما الامتثال وعدمه فذلك الى الله تبارك وتعالى لا الى العبد ومن طلب ممن دعاهم أن لا يخالفوا ما عاهدهم عليه مطلقا فقد رام المحال ولا يناله الا العناء والتعب ولما غلبت الرحمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم صار يكره الناس على الايمان فانزل الله تعالى عليه ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقال تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة الآية وقال تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى الآية والداعون من بعده من أمته على سنته صلى الله عليه وسلم (فمنهم) من غلبت عليه الرحمة ورأى سعة الاطلاق فدعا الى الحق تعالى وأخذ العهد على كل من طلب منه ذلك (ومنهم) من توقف عن أخذ العهد على من لم يعلم قدرته على الوفاء بذلك العهد وهى طريقة الجنيد وأتباعه الى عصرنا هذا (وقد كان) الشيخ ياقوت العرشى رضى الله تعالى عنه لا يأخذ العهد على مريد قط ويقول ما هى طريقتنا وكان يقول لو أردت ذلك لاخذت العهد على جميع من فى الاسكندرية وكثيرا ما كان يقول العهد صار الآن يؤخذ برغيف انتهى (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى لا يأخذ العهد على فقير الا ان كشف له عن حاله وانه يوفى بالعهد والا لم يأخذ عليه عهدا وهى طريقتنا الآن فكثيرا ما يسألنى أحد فى تلقينه الذكر وأخذ العهد عليه فاتفرس فيه الخيانة فلا أجيبه الى ما طلب شفقة عليه وكثيرا ما أجيب الى ذلك من سأل لغلبة ظنى أنه يوفى بالعهد وعلى ذلك يحمل قول من قال لا ينبغى للشيخ اذا جاءه مريد يطلب أخذ العهد عليه أن يقول له اصبر الى غد مثلا لانه يفتر همته ويخمد نار عزمه الا أن يكون مما قال له اصبر الا بعد أن تفرس منه انه لا يوفى بالعهد وانه يلعب بالطريق والا فكيف يقدر الصياد على صيد ما هو محتاج اليه ويتركه انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة توجهى الى الله تبارك وتعالى فى تسهيل رزق عيالى الذى قسمه لى من غير حصول منة فى طريقه للخلق فيسخرهم الله تبارك وتعالى لى فضلا منه ونعمة وما فعلت ذلك الا بعد ان غلب على ظنى انه تبارك وتعالى لم يقسم لى عمل حرفة من خياطة أو تجارة أو ضفر خوص ونحو ذلك وكثيرا ما استأجر أرضا واستأجر من يزرعها لى فيأتينى منها بقوتى وقوت عيالى (وقد) حث السلف كلهم رضى الله تعالى عنهم على عمل الحرفة وأشدهم فى ذلك السادة الشاذلية رضى الله تعالى عنهم فكان سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه يحث أصحابه على السبب والسعى على العائلة وعلى أنفسهم ويقول من فعل ذلك وأقام بفرائض ربه عز وجل عليه فقد كملت مجاهدته (وكان) سيدى أبو العباس المرسى رضى الله تعالى

الى الشيخ فقالوا ياسيدى هذا الرجل الذى آذاك نسعى فى ضربه واشهاره فى البلدتين مصر والقاهرة فماذا تقول أنت قلت له مصلحة فقال كالمنكر لاى شئ قلت ذاك قلت نتشفى منه قال أنا ما أتشفى من أحد قلت انما أردت الاتباع قال ولا تحمل اتباعى على التشفى فاطرقت خجلا فما توجه أحد بالاذى لنا بعد ذلك فنزلت به نازلة فاهمت نفسى بالتشفى منه الا وذكرت كلام الشيخ أنا ما أتشفى من أحد حتى كأنى سمعته ذلك الوقت فخمد النفس عن التشفى بذلك واتفق بعد مدة نحو الخمسة عشر سنة ان الذى كان سعى فى أذية الشيخ سعى فى أذيتنا واتفق له نازلة فصاننا الله من التشفى منه وسلم وكان الشيخ يقول لى هذا الذى استشرتك فيه سيتفق لك معه مثل ما اتفق لى فافعل معه مثل ما فعلت معه وهكذا هو كلام الاكابر يطوى فى صحائف قلوب المريدين حتى اذا جاء وقته أظهره الله سبحانه كأنك قد سمعته ذلك الوقت وربما أحضر الله بفكرك شيخك الذى خاطبك الله بهيئته وزيه وربما تمثل لك فى الخيال المنفصل وربما حضر بوجوده الحسى عند وجود النوازل مثبتا للمريد ومعلما وسمعته رضى الله عنه يقول ما سمعتموه منى ففهمتموه فاستودعوه الله يرده عليكم وقت الحاجة وما لم تفهموه

عنه يقول لاصحابه عليكم بالسبب وليجعل أحدكم مكوكه سبحته أو قادومه سبحته أو تحريك أصابعه فى الخياطة أو الضفر سبحته وهذه الطريق وان كانت عظيمة ففيها التحجير على الخلق بشئ لم يحجره الله عز وجل فان الله تبارك وتعالى لم يحجر على العبد الا أن يأكل من الحلال باى طريق وصل اليه ولم يزل الناس سلفا وخلفا على ذلك فمنهم من قسم الله له حرفة دنيوية ومنهم لم يقسم له ذلك (ولما صحب) أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه أراد أن يضفر الخوص فقال له الشيخ ماهى اقامتك فخالف وضفر فلم يصح له أكل رغيف من ثمنها فاستغفر ورجع (وكان) الشيخ أبو العباس رضى الله تعالى عنه أواخر عمره يقول طريقنا المداومة على الذكر وترك الغيبة وسوء الظن بعباد الله فمن واظب على ذلك رزقه الله من حيث لا يحتسب (وكان) رضى الله تعالى عنه يقول كثيرا نحن لا نقول لمن يأتينا اترك سببك وتعال لنا وانما نفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تقرير كل انسان على ماهو عليه من الحرفة وغيرها لكن نامرهم بعدم الغش فيها كما فعل صلى الله عليه وسلم (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول ليس عمل الحرفة لكل فقير وانما هو للرجال الكمل الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله مع اقامتهم فى التجارة والبيع والشراء والمعاوضات والمحاسبات أما من كان يلهيه ذلك عن الله تعالى فترك التجارة فى حقه أولى قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون وسيأتى فى هذه المنن ان غاية أمر العبد انه يأكل ويلبس من مال سيده ويسكن فى داره وسداه ولحمته من فضله دنيا وأخرى فافهم ذلك يا أخى واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) محبتى لكل شئ ينكس رأسى بين يدى الله تبارك وتعالى ويورثنى الحياء منه ورؤية الفضل له على بذلك وهزوبى من كل شئ يرفع رأسى ويورثنى الكبر والعجب (وقد سمع) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى شخصا يقول فى دعائه اللهم طهرنى من كل دنس ورجس حتى ألقاك طاهرا مطهرا من كل رذيلة فقال له سيدى على قل اللهم الطف بى ودبرنى واغفر لى ماجنيته من المعاصى والسيآت واحفظنى بعد ذلك من العجب باحوالى فان مثلك يا أخى اذا رأى نفسه طاهرا مطهرا من كل رذيلة يطرقه العجب والكبر على اخوانه فيقع فيما هو أشد مما سأل الله تعالى رفعه انتهى (وسمعته) رضى الله تعالى عنه مرة أخرى يقول لا تكمل رؤية العبد المنة لله تعالى عليه الا ان رأى سداه ولحمته ذنوبا فيجب ان يتميز بالنقص المطلق ليكون لله تعالى الفضل والكمال المطلق انتهى وهذا أمر لا يصح الا بعد أن يأخذ العبد حظه من كثرة الطاعات والاخلاص ويتنصل من شهود الرذائل المحسوسة حتى لا يجد كاتب الشمال شيأ يكتبه عليه والا فلا يقدر على التخلق به فاياك والغلط فقد علمت انه لا ينبغى للعبد ان يقول اللهم نقنى من خطاياى كما ينقى الثوب الابيض من الدنس اللهم اغسلنى من خطاياى بالثلج والماء والبرد الا مع سؤاله الحفظ من رؤية النفس بذلك على أحد من المسلمين ولا تقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بذلك فانا أدعو به اقتداء به صلى الله عليه وسلم لانا نقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم من رؤية النفس بخلافك أنت فاسأل الله الحفظ ثم ادع بذلك (وقد سمعت الشيخ عبد الرحمن النقلى بباب زويلة) وكان من أولياء الله عز وجل يقول يا لطيف يا لطيف يا لطيف فقلت له مالك يا عم فقال سمعت الواعظ يقول حديثا فقلت له وماهو فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ فاحسن الوضوء ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ماتقدم من ذنبه فخفت ان يقع لى ذلك فارى به نفسى على من حدث نفسه وأرى أنه تعالى غفر لى ماتقدم من ذنبى فيقل خوفى من الله تعالى ويطرقنى العجب فقلت له ان الناس يسألون الله تبارك وتعالى أن يرزقهم صلاة بغير حديث نفس فلا يحصل ذلك لهم فقال صحيح ليس من علم كمن جهل ثم قال لا ينبغى لعبد أن يسأل الله تبارك وتعالى قط شيأ من الكمالات الا مع سؤاله الحفظ من آفاتها اه فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) قيامى فى الاسحار مع رؤية المنة لله تبارك وتعالى الذى أقامنى ولم يمنى

فكاوه الى الله يتول الله بيانه فكلام الاكابر مردود على المريدين وقت حاجتهم فيظن المريد انه ما أخذ ولقد أخذ ولكن للحكمة بذر ونبات ووقت البذر غير وقت النبات وقد يبذر فيك بذر الحكمة ويبقى النبات متوقفا على مجىء سحابة ماطرة فاذا جاءت أظهرت ماكان فى الارض كامنا فتبقى الودائع مطوية فى العباد حتى تجىء أوقاتها وبلغنى عن الشيخ أبى الحسن انه كان يقول لاحجاب الا الوقت وسمعته يوما يقول كان اذا آذانى انسان يملك للوقت وأنا الآن لست كذلك فرآنى رضى الله عنه مستشرفا لسبب ذلك فقال اتسعت المعرفة وسمعته يقول لحوم الاولياء مسمومة واعلم علمك الله من العلم الذى يدل عليه وجعلك من الداعين بين يديه ان انتصار الحق لاوليائه ليس ذلك لانهم طلبوه من الله ولكن لما صدقوا التوكل عليه وارجعوا الامر اليه انتصر الحق لهم ألم تسمع قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقوله سبحانه ومن يتوكل على الله فهو حسبه ولا تعوانهم من ينتصر لنفسه منك بل علهم من ينتصر الله له فانه الغالب الذى لا يغلب والقادر الذى لا يعجز والقهار الذى لا قبل لاهل السموات والارض بذرة من بلائه

كما أنام غيرى ورؤية المنة لله تعالى أيضا اذا لم أستلذ بصلاتى أو بمناجاتى لما ورد ان الله تبارك وتعالى أوحى الى موسى عليه السلام نعم العبد بر خيا فى قيامه بين يدى فى الليل لو لم يكن يسكن الى نسيم السحر فان من يسكن الى غيرنا لا يصلح لنا اه (وشكا) أخى سيدى أفضل الدين رحمه الله تعالى الى سيدى على الخواص ما يجده من قساوة قلبه فقال له اشكر الله الذى أطلعك على مساويك وحجبك عن كمالاتك خوف العجب وان كان الكامل يشكر الله تعالى على كل حال فان كشف له عن كمالاته شكر وان ستره عنه شكر انتهى وهذا خلق غريب قل من يتخلق به من اخواننا بل يضيق صدر أحدهم اذا لم يحصل له لذة بقراءته أو صلاته وربما كان الباعث لمثل هذا على قيامه ما يجده من اللذة ولولاها لما قام (وكان) الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه يقول خطاب العبد لربه لا لذة فيه لان الهيبة تمنعه من اللذة وأيضا فان الانسان لا يانس الا بجنسه والحق تبارك وتعالى ليس بينه وبين عباده مجانسة بوجه من الوجوه فان رأيت يا أخى فى كلام أحد أن العبد يانس بسيده فاعلم انه غير محقق ولو انه حقق النظر لوجد أنسه بما من الله تبارك وتعالى من لذة التقريب ونحوه لا بالله عز وجل قال وهذا الحكم لنا فى الدنيا والآخرة فانه صلى الله عليه وسلم لم يفصح لنا عن سبب اللذة اذا وقعت لنا الرؤية بل قال فما أعطوا لذة مثل لذة نظرهم الى ربهم ولذة النظر أمر آخر غير الانس فافهم انتهى هكذا قال (وقال أيضا) لا يصح الانس بالله عند المحققين وانما يانس العبد ويلتذ بملاطفات الحق تبارك وتعالى لقلبه لانتفاء المجانسة بينه وبين ربه تبارك وتعالى ولذلك كان الجن لا يانس أحدنا بهم بل تقوم كل شعرة من الانسى اذا رآهم انتهى وبالجملة فكل يتكلم عن ذوقه فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم الجهر بالقرآن فى قيام الليل فان حضرة الحق تبارك وتعالى حضرة بهت وصمت فمن جهر لغير غرض شرعى فقد أساء الادب عند القوم وقد جربت انا ذلك فاذا أسررت حصل عندى الخشوع واذا جهرت ذهب الخشوع ومعلوم ان الخشوع لا يذهب الا من فعل ما فيه سوء أدب فافهم يا أخى ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) نوم عينى دون قلبى بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكن ذلك لا يقع لى الا ليلة الاحد فقط وسبقنى الى ذلك الشيخ أبو الربيع المالقى رحمه الله تعالى فكان له هذا المقام ليلة الاثنين وليلة الخميس فقط وأما الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه فاخبر ان هذا المقام له فى كل الاسبوع انتهى وكثيرا ما أقرأ القرآن وأنا نائم فاعتد به ثم أبنى عليه لكن فى غير قراءتى فى الصلاة انتهى فافهم ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) شهودى عدم كمال الاخلاص فى كل عبادة فعلتها ولو بلغت الغاية فى خشوع امثالى وفى كلام الشيخ أبى الحسن الشاذلى اذا كان لا يسلم من النفاق من يعمل على الوفاق فكيف يسلم من النفاق من يعمل على الخلاف (وفى الحديث) كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد وربما كانت المؤاخذة للاكابر فى صلاتهم أكثر من مؤاخذة الاصاغر لان الاصاغر لا يرون لهم عبادة كاملة قط بخلاف الاكابر فقد يرون كمالها لكثرة ما فيها من الخشوع مثلا فعلى هذا ان كمل الاكابر من جهة نقصوا من جهة وان كمل الاصاغر من جهة نقصوا من جهة والكامل من نظر الى أعماله بالعينين فشكر الله تعالى من حيث رائحة الاخلاص فى اعماله واستغفر الله تعالى من حيث وجود النقص فيها الذى ما سلم منه سوى الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهم الذين يؤدون العبادات على وفق ما أمروا ولذلك كانوا لا يحزنهم الفزع الاكبر لعدم خوفهم على أنفسهم ومن خاف منهم انما يخاف على أمته وأما غيرهم فمن لازمه وجود النقص فى أعماله وعباداته كلها شعر بذلك أم لم يشعر (وقد كان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول لا نفل الا عن كمال فرض وكان سيدى أحمد الزاهد يقول ليس لامثالنا نوافل لنقص فرائضنا عن الكمال وانما هى جوابر وانما النوافل لمن كملت فرائضه فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) اذا رأيت شخصا عريانا أو جيعانا أو مبتلى أن لا أبادر الى الرقة اليه

كما أنام غيرى ورؤية المنة لله تعالى أيضا اذا لم أستلذ بصلاتى أو بمناجاتى لما ورد ان الله تبارك وتعالى أوحى الى موسى عليه السلام نعم العبد بر خيا فى قيامه بين يدى فى الليل لو لم يكن يسكن الى نسيم السحر فان من يسكن الى غيرنا لا يصلح لنا اه (وشكا) أخى سيدى أفضل الدين رحمه الله تعالى الى سيدى على الخواص ما يجده من قساوة قلبه فقال له اشكر الله الذى أطلعك على مساويك وحجبك عن كمالاتك خوف العجب وان كان الكامل يشكر الله تعالى على كل حال فان كشف له عن كمالاته شكر وان ستره عنه شكر انتهى وهذا خلق غريب قل من يتخلق به من اخواننا بل يضيق صدر أحدهم اذا لم يحصل له لذة بقراءته أو صلاته وربما كان الباعث لمثل هذا على قيامه ما يجده من اللذة ولولاها لما قام (وكان) الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه يقول خطاب العبد لربه لا لذة فيه لان الهيبة تمنعه من اللذة وأيضا فان الانسان لا يانس الا بجنسه والحق تبارك وتعالى ليس بينه وبين عباده مجانسة بوجه من الوجوه فان رأيت يا أخى فى كلام أحد أن العبد يانس بسيده فاعلم انه غير محقق ولو انه حقق النظر لوجد أنسه بما من الله تبارك وتعالى من لذة التقريب ونحوه لا بالله عز وجل قال وهذا الحكم لنا فى الدنيا والآخرة فانه صلى الله عليه وسلم لم يفصح لنا عن سبب اللذة اذا وقعت لنا الرؤية بل قال فما أعطوا لذة مثل لذة نظرهم الى ربهم ولذة النظر أمر آخر غير الانس فافهم انتهى هكذا قال (وقال أيضا) لا يصح الانس بالله عند المحققين وانما يانس العبد ويلتذ بملاطفات الحق تبارك وتعالى لقلبه لانتفاء المجانسة بينه وبين ربه تبارك وتعالى ولذلك كان الجن لا يانس أحدنا بهم بل تقوم كل شعرة من الانسى اذا رآهم انتهى وبالجملة فكل يتكلم عن ذوقه فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم الجهر بالقرآن فى قيام الليل فان حضرة الحق تبارك وتعالى حضرة بهت وصمت فمن جهر لغير غرض شرعى فقد أساء الادب عند القوم وقد جربت انا ذلك فاذا أسررت حصل عندى الخشوع واذا جهرت ذهب الخشوع ومعلوم ان الخشوع لا يذهب الا من فعل ما فيه سوء أدب فافهم يا أخى ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) نوم عينى دون قلبى بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكن ذلك لا يقع لى الا ليلة الاحد فقط وسبقنى الى ذلك الشيخ أبو الربيع المالقى رحمه الله تعالى فكان له هذا المقام ليلة الاثنين وليلة الخميس فقط وأما الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه فاخبر ان هذا المقام له فى كل الاسبوع انتهى وكثيرا ما أقرأ القرآن وأنا نائم فاعتد به ثم أبنى عليه لكن فى غير قراءتى فى الصلاة انتهى فافهم ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) شهودى عدم كمال الاخلاص فى كل عبادة فعلتها ولو بلغت الغاية فى خشوع امثالى وفى كلام الشيخ أبى الحسن الشاذلى اذا كان لا يسلم من النفاق من يعمل على الوفاق فكيف يسلم من النفاق من يعمل على الخلاف (وفى الحديث) كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد وربما كانت المؤاخذة للاكابر فى صلاتهم أكثر من مؤاخذة الاصاغر لان الاصاغر لا يرون لهم عبادة كاملة قط بخلاف الاكابر فقد يرون كمالها لكثرة ما فيها من الخشوع مثلا فعلى هذا ان كمل الاكابر من جهة نقصوا من جهة وان كمل الاصاغر من جهة نقصوا من جهة والكامل من نظر الى أعماله بالعينين فشكر الله تعالى من حيث رائحة الاخلاص فى اعماله واستغفر الله تعالى من حيث وجود النقص فيها الذى ما سلم منه سوى الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهم الذين يؤدون العبادات على وفق ما أمروا ولذلك كانوا لا يحزنهم الفزع الاكبر لعدم خوفهم على أنفسهم ومن خاف منهم انما يخاف على أمته وأما غيرهم فمن لازمه وجود النقص فى أعماله وعباداته كلها شعر بذلك أم لم يشعر (وقد كان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول لا نفل الا عن كمال فرض وكان سيدى أحمد الزاهد يقول ليس لامثالنا نوافل لنقص فرائضنا عن الكمال وانما هى جوابر وانما النوافل لمن كملت فرائضه فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) اذا رأيت شخصا عريانا أو جيعانا أو مبتلى أن لا أبادر الى الرقة اليه

نهايته بوجود معرفته فاذا كان فى مبدأ ارادته توجه بصدق الهمة الى الله لاجئا اليه فى الانتقام ممن أذاه فينتصر الحق له لتوجهه بصدق الهمة فى طلب النصرة واضيق عطنه عن الصبر عن تأخر الانتقام له والعارف اتسع عليه بحر المعرفة فانطوت همته واشاءته وتدبيره فى اشاءة الحق له وتدبيره اياه ومن غلب عليه شهود المشيئة فاى همة تبقى له وأيضا انه اذا أخرت عقوبة من آذاه شهد حسن اختيار مولاه فلم يعجل له الانتصار لانه لا يخشى عليه ما يخشى على المريد من عدم الصبر اذا أخر الانتقام له وأيضا ان العارف لو توجه لطلب الانتقام ممن ظلمه قامت الرأفة والرحمة القائمان به لتخلقه بخلق معروفه فمنعاه من الانتصار وان كان على ذلك قادرا وكيف ينتصر من الخلق من يرى الله فعالا فيهم ثم أولياء الله اذا ظلموا على طبقات داع يدعو على من ظلمه استثار الاذى منه القرح واستخرج منه الاضطرار فهذا الذى لا يرد دعاؤه ومنه قوله عليه السلام واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب القسم الثانى وهم الذين اذا ظلموا لجأوا الى الله سبحانه فى طلب النصرة وتعجيل

والتوجع له وانما أرق له بعد شهودى وجه حكمة الله تبارك وتعالى فى ذلك فانه أرحم بعباده من والدتهم (وقد بلغنا) ان سيدى ياقوتا العرشى رحمه الله تعالى مر على مساكين يسألون الناس فاخذته الرقة فاذا بالهاتف يقول له الله تعالى أرحمُ بهم منك ولو شاء لاشبعهم فتب من ذلك قال فقلت له من أنت يرحمك الله فقال أنا أخوك الخضر كنت بالصين فقيل لى أدرك فلانا فانه يتكرّمُ على الله تبارك وتعالى ويرى نفسه أشفقَ على عباده منه انتهى (واعلم) يا أخى انه لابد لاهل الله تبارك وتعالى فى طريقهم من المحن والشدائد لينظر تعالى صبرهم وهو العالم بهم وبسرائرهم فربما يكون ذلك المسكين الذى رأيته فى بؤس وشدة فى مقام الامتحان فتكسوه أو تطعمه فتعارض الحكمة الالهية وتسىء الادب مع الله تبارك وتعالى وان كان يا أخى ولابد لك من الاحسان الى ذلك المسكين فقل اللهم ان كان احسانى لهذا المسكين يضره فى طريق سلوكه فاصرفنى عنه وان كان ينفعه فاوصل ذلك اليه واحفظنى فى عاقبته وقد كان بعض العارفين يسأل الناس خلقة أو كسرة فلا يعطونه شيأ ثم بعد سنين صار الناس يعطونه بغير سؤال فقال له أصحابه ماهذا الحال فقال ذهبت أيام المحن وأتت أيام المنن فلو أعطانا تعالى الدنيا والآخرة لم يحجبنا ذلك عنه انتهى فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) شدة قربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وطىّ المسافة بينى وبين قبره الشريف فى أكثر الاوقات حتى ربما أضع يدى على مقصورته وأنا جالس بمصر وأكلمه كما يكلم الانسان جليسه وهذا الامرُ لا يُدْرِكُ الا ذوقا ومن لم يشهد ذلك فربما أنكره والانسان تابع لقلبه لا أن القلب تابع للجسم * وفى كلام السيد عيسى عليه الصلاة والسلام قلب الانسان حيث يكون ماله فاجعلوا أموالكم فى السماء تكنْ قلوبُكم فى السماء أى تصدقوا بها تصعد الى السماء وتروا ثوابها هنالك * وكان سيدى الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله تعالى عنه يقول لو حجبت عنى جنة الفردوس طرفة عين أو رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين أو فاتنى الوقوف بعرفة سنة واحدة ما أعددت نفسى من جملة الرجال انتهى فسلم يا أخى للفقراء مايدعونه من مثل ذلك ولا تنكر عليهم الا ما صرحت الشريعة بمنعه فقد أجمعوا على ان كل من أنكر شيأ من مقاماتهم حرم الوصول اليه انتهى فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) تعويلى فى الشدائد كلها على الله تبارك وتعالى ثم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان بيده تبارك وتعالى ملكوت كل شئ وليس لنا واسطة أعظم من رسول الله صلى الله عليه وسلم والانسانُ مع قلبه فتارة يرى نفسه قريبا من حضرة الله تبارك وتعالى وحضرة رسوله صلى الله عليه وسلم فلا يحتاج الى أحد من الخلق وتارة يحس بنفسه أنه بعيد فيحتاج فى قضاء حاجته الى بعض الاولياء الاحياء أو الاموات ويطرق توابيت المشايخ * وكان الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رحمه الله تعالى يقول قال لى سيدى الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله تعالى عنه أفْرِدِ الله يفردْك ووحِّدِ الله يوحِّدْك والزم فرد باب تفتح لك الابواب واخضع لربك وحده تخضع لك الرقاب وعليك بمحبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم تُكْفَ أمرَ الدنيا والآخرة انتهى * وقد جاءت فى وردى أنى أقول اللهم حبب نبيك محمدا صلى الله عليه وسلم فىّ ألف مرة كل ليلة وذلك لعلمى بأنه اذا أحبنى كفانى بعون الله تعالى هم الدنيا والآخرة انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تعالى يتولى هداك فالحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) جعلى عباداتى كلها مقاصد لا وسائل وذلك من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على فان كل من جعل عباداته وسائل فاته الجلوسُ بين يدى الله تبارك وتعالى حال العمل ثم انه ان لم يحصل له ماقصده حصل عنده أسف وصار ممن يعبد الله على حرف كما مر تقريره فى هذه المنن * وقد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه كنت فى بدايتى أعبد الله تعالى أنا وصاحب لى وأقول غدا يفتح علينا بعد غد يفتح علينا فمكثنا على ذلك الحال زمانا ونحن فى تعب عظيم فدخل علينا رجل مهيب المنظر فقلنا له من أنت فقال عبد الملك فعلمنا انه من أولياء الله تعالى فقلنا له ما حاجتك فقال جئتُ أنصحكما لله تعالى أن تعبدا الله تعالى لله تعالى ولا تقولا غدا يفتح علينا بعد غد يفتح علينا قال فكشف لنا عن أمر كنا عنه غافلين فعبدْنا الله لله ففتح علينا فى ثانى يوم

الاذى له غير انهم علموا ان الله يعلم السر وأخفى فرفعوا أمرهم الى الله سرا بسر وهؤلاء أولى بانتصار الحق لهم لتوكلهم عليه ولارجاعهم الامر اليه وقد قال سبحانه ومن يتوكل على الله فهو حسبه ولقد ذكر ان امرأة كانت لها دجاجة ليس عندها غيرها وكانت تتقوت ببيضها فجاء سارق فسرقها فلم تدع عليه وأرجعت الامر الى الله فاخذ السارق الدجاجة وذبحها ونتف ريشها فنبت جميعه بوجهه فسعى فى ازالة ذلك فلم يستطع وسأل الناس فلم يقدر أحد على ازالة مانزل به الى ان أتى الى حبر من أحبار بنى اسرائيل فقال لا أجد لك دواء الا ان تدعو عليك المرأة التى سرقت دجاجتها فان فعلت شفيت فارسل اليها من قال لها أين دجاجتك التى كانت عندك قالت سرقت قالوا لقد آذاك من سرقها قالت قد فعل قالوا وقد فجعك فى بيضها قالت هو كذلك فلم يزالوا بها حتى أثاروا الغضب منها فدعت فتساقط الريش من وجهه فقالوا لذلك الحبر من أين علمت هذا قال انها لما سرقت دجاجتها لم تدع عليه وأرجعت الامر الى الله فى أمره فانتصر الله لها فلما دعت انتصرت لنفسها فسقط الريش من وجه السارق * القسم الثالث عباد لما ظلموا لم يدعوا ولم يلجؤا الى

فعلم ان من اتخذ عباداته وسائل لتحصيل غرض من الاغراض ضالت عليه الطريق وربما رجع من أثنائها كما هو حال غالب المريدين فى هذا الزمان فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) اذا كنت أقرر علما ودخل على فقيه أقول له قرر وأنتم فان أبى عزمت عليه الا ان كنت اعلم أن عندى من النقول فى تلك المسائل أكثر مما عند ذلك الفقيه فانى أقرر دونه خوفا عليه من ان يرى نفسه على فيمقت وان لم أعلم أنا بذلك وقليل من الفقهاء من يبدى فى تقريره النقول التى ليست عند أقرانه ويسلم من رؤية النفس والدعوى والرعونة فما عزمت عليه أنه يقرر الا لحسن ظنى به ثم انى أسأل الله تبارك وتعالى بتوجه تام أن يحميه من رؤية النفس * وقد دخل على مرة فقيه وأنا أقرر فى بعض المسائل فصار يبادرنى الى التقرير فقلت له قرر أنت ففعل فما قام من المجلس الا ممقوتا وكان تاجرا عليه نحو خمسمائة دينار دينا فطالبه أرباب الديون وحبسوه وباعوا كل شئ فى دكانه وأخلوه وأخذوا خلوه فى الدين وصار أولاده يسألون الناس وقسى الله تبارك وتعالى عليه القلوب فسافر الى الارياف فادعى العلم فضربوه وعروه مما كان عليه من الخليقات ثم ابتلى بترك الصلاة واخراجها عن أوقاتها وصار مقراضا فى العلماء لا يحبه أحد من علماء جامع الازهر فضلا عن غيرهم نسأل الله العافية فشفع فيه بعض الفقراء فرد الله تعالى عليه بعض حاله وكان ذلك تأديبا له من الله تبارك وتعالى ليس لى فى ذلك فعل * وقد حكى الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رضى الله تعالى عنه ان شخصا من الفقهاء دخل على سيدى الشيخ أبى العباس المرسى رضى الله تعالى عنه وهو يدرس العلم فى اسكندرية فصار يزاحم فى التقرير فعزم عليه الشيخ فقرر فرأى نفسه على الشيخ فقال له الشيخ أخرج يا ممقوت فاخرجوه فسلب جميع ما كان معه من القرآن والعلم وصار دائرا فى أزقة المدينة كل من رآه يمقته فدلوه على سيدى ياقوت العرشى رضى الله تعالى عنه فشفع فيه عند سيدى الشيخ أبى العباس المرسى رضى الله تعالى عنه فقال قد رددنا عليه الفاتحة والمعوذتين ليصلى بهما وكان قد حفظ القرآن وثمانية عشر كتابا فى العلم ولم يزل مسلوبا الى أن مات انتهى فاياك يا أخى ثم اياك من مثل ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم تزوجى لابنة شيخى الشيخ محمد الشناوى رضى الله تعالى عنه اجلالا له لا لعلة أخرى فان السلامة مقدمة على الغنيمة وقد تزوج جماعة بنات مشايخهم فجرهم ذلك الى العطب * ولما تزوج سيدى ياقوت العرشى رضى الله تعالى عنه ابنة سيدى الشيخ أبى العباس المرسى رضى الله تعالى عنه مكثت عنده ثلاث عشرة سنة حتى مات عنها وهى بكر برضاها وكان اذا دخل عليه احد من أكابر الاولياء وهو يكلمها لا يقطع حديثها لاجله ثم يعتذر اليه ويقول له انى كنت اكلم ابنة شيخى فلا تؤاخذنى يا اخى انتهى ومن قواعد السلف رضى الله تعالى عنهم السلامة مقدمة على الغنيمة فالعاقل لا يتزوج ابنة شيخه الا ان كان يقوم بواجب حقها انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) انه ما جلس عندى أحد قط وهو متصف بمعصية أو همته أننى اطلعت على شئ من أحواله أبدا بل أقول له حلت البركة علينا وأضاء مجلسنا بنورك وأؤانسه وألاطفه حتى ينصرف من عندى فمن الناس من يعود ومنهم من لا يعود * وقد كان سيدى الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله تعالى عنه يكاشف الناس بما فى سرائرهم حتى ربما قال للرجل يقوم أحدهم الى مجالس الاولياء ويجلس فيها عقب فعله للمعصية من غير توبة ما يخشى ان يمقته الله تعالى وينهر ذلك العاصى حتى يكاد يهلكه ولم يزل ذلك دأبه مدة مجاهدته لنفسه فلما أتاه التعريف من الله تبارك وتعالى واتسع حاله صار يقول نحن لا نحب الا من يأتينا وهو مختضب بدم المعصية فقيل له فى ذلك فقال طريقنا أيها الشاذلية أن من كانت بدايته التعريف كانت نهايته التكليف ومن كانت نهايته التكليف كانت بدايته التعريف وأنا كانت بدايتى التكليف انتهى * وكذلك حكى عن سيدى على البدوى الشاذلى رضى الله تعالى عنه تلميذ سيدى الشيخ أبى العباس المرسى رضى الله تعالى عنه انه قال اصبحت يوما من الايام وأنا اعمى البصر فضاق صدرى ولم أعرف السبب وتمادى بى الحال سبعة أيام ثم قيل لى يا على انما فعل الله تعالى بك ذلك اكراما بك قال فقلت كيف ذلك فقال انك اذا رأيت عباده على معصية تنهرهم

العليا وهم الذين اذا ظلموا رحموا من ظلمهم وقال الشيخ أبو الحسن واذا آذاك ظالم فعليك بالصبر والاحتمال واحذر ان تظلم نفسك فيجتمع عليك ظلمان ظلم غيرك لك وظلمك لنفسك فان فعلت ما ألزمت من الصبر والاحتمال أثابك سعة الصدر حتى تعفو وتصفح وربما أثابك من نور الرضى ما ترحم به من ظلمك فتدعو له فتجاب فيه دعوتك وما أحسن حالك اذا رحم بك من ظلمك فتلك درجة الصديقين الرحماء وتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ومن هذا القبيل الذى ذكره الشيخ أبو الحسن ما اتفق لابراهيم بن أدهم رضى الله عنه انه قال له جندى أين العمران فاشار الى المقابر فظن انه يهزأ به فضربه فشجه فطأطأ رأسه وقال اضرب رأسا طالما عصت الله فقيل للجندى هذا ابراهيم بن أدهم زاهد خراسان فاخذ يقبل رجليه يقبلهما ويعتذر اليه فقال له ابراهيم بن أدهم والله ما رفعت يدك عن ضربى الا وأنا أسأل الله لك المغفرة لانى علمت ان الله تعالى يثيبنى على ذلك ويؤاخذك بما فعلت فاستحيت أن يكون حظى منك الخير وحظك منى الشر قال الشيخ أبو العباس ليس

لاجله فأعمى بصرك رحمة بك وبهم كي لا تمقتهم قال فاستغفرت الله تعالى وتبت اليه فرد علي بصري انتهى * قال الشيخ تاج الدين رضي الله تعالى عنه فكان بعد ذلك اذا دخل عليه احد ورأى قلبه أسود يقول له حصلت لنا البركة ويلاطفه ويسأل الله تعالى له التوبة فتخلق يا أخي بأخلاق الله تبارك وتعالى فانه يرى العيب ويستره فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) شهودي ان جميع ما أنا فيه ببركة ملاحظة مشايخي لي بارادة الله تبارك وتعالى فجميع ما أنا فيه من محبة الناس لي ما اعده الا من فضل الله تبارك وتعالى على بواسطتهم * وقد كان سيدي الشيخ ياقوت العرشي رضي الله تعالى عنه يقول النظر في وجه الولي على جهة التعظيم ساعة واحدة خير للمريد من عبادته وحده خمسين سنة وان كانت مخالطة الصغير للكبير مخاطرة بالروح ولكن الغالب السلامة بحمد الله تبارك وتعالى * وكان رضي الله تعالى عنه كثيرا ما يقول انا راسي وكوارعي لا تساوي أربعة دراهم نقرة وانما خالطت الاكابر وجالستهم فحملوني بين الناس ثم يقول قالوا الدود القمح لم تنطحن مع الدقيق فقال لما خالطت الاصاغر انطحنت معهم وقالوا السوس الفول لم لا تنطحن مع الفول فقال لما خالطت الاكابر حملوا عني الآفات انتهى فخالطوا أخي مشايخك بالادب والا كانت صحبتك لهم سما قاتلا لك وانما قلنا ان من شرط المريد أن يرى جميع ما هو فيه من الخير ببركة شيخه لان كل مريد محبوس في دائرة شيخه لا يمكنه ان يتجاوزها فلا يمد بمدد الا وشيخه واسطة له فيه فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) محبتي لاطعام الطعام وسقي الماء واغاثة الملهوف وذلك لان بعض المشايخ اجتمع بالخضر عليه السلام وقال عرفني طريق الوصول الى الله تعالى زيادة على الصلاة والصيام فقال له عليك بهذه الثلاث خصال المذكورة أي أولا وما دخل علي بحمد الله تبارك وتعالى أحد الا وعرضت عليه الاكل والشرب وما استغاث بي أحد الا واغثته بطريقه الشرعي وكان ذلك من خلق سيدي محمد بن عنان وسيدي يوسف الحريني وسيدي عبد الحليم بن مصلح رضي الله تعالى عنهم وما رأيت له بعدهم فاعلا الا القليل بل بعضهم قيل له ان فلانا يطعم العيش كثيرا في زاويته فقال هذه بطالة يجعل زاويته مناخا لكل بطال فقال له القائل ورأيته أيضا يغيث الملهوف فقال هذا اعتراض على الله تعالى فقال له القائل فقل لي على نفعك أنت في الوجود فما درى ما يقول وافتضح فاتم يا اخي أفضل من اغاثة الملهوف في الدنيا والآخرة اذا كان ذلك خالصا لوجه الله عز وجل فان ابليس بالمرصاد لمثل ذلك فقد يطعم الشخص الناس ليقال أو يسعى لهم في جر نفع ليقال * وقد حضرت شيخا من مشايخ الشام كان بمكة مجاورا سنين فجاء مع الحجاج الى مصر فقلت له ما أقدمك الى مصر فقال جئت لاعلم مولانا الباشا ليكتب لي عرضا الى السلطان ليعمر بيمارستان بمكة لاجل الغرباء والمنقطعين وطلب مني ان أجمعه على محمد دفتردار الاموال فجمعته عليه فقال لي سرا هذا ما هو من أهل هذا الامر وانما مراده ان يشتهر بين الولاة بأنه شيخ يسعى في مصالح المسلمين فقلت للدفتردار ما عهدت عليه الا خيرا فقال أنا أكشف لك حاله ثم أخرج له مائة دينار ذهبا فقال اجبروا بخاطرنا واقبلوها مني لله تعالى وتوسعوا فيها فأخذها الشيخ ثم قال لي الدفتردار سوف تنظر انه ما عاد يذكر لنا البيمارستان أبدا فكان الامر كما قال فصار الدفتردار يقول له حين عزم على السفر اصبر واحتى يكتب لكم العرض فلم يصبر ورجع الى مكة بالمائة دينار فيا لك يا أخي ان تفعل مثل ذلك والله تعالى يتولى هداك ويعينك على اطعام الطعام واغاثة الملهوف والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) سياحتي في الجبال والبراري حتى قطعت براري ما أظن أن أحدا يعرفها الآن من أقراني ثم حبب الله تبارك وتعالى الي الجبل المقطم ثم المساجد المهجورة في القرافة ثم الخرايب في مصر وأقمت على سور باب الفتوح في القصر المطل على خرابة الاحمدي نحو سنة وما من فقير حق له القدم في الطريق الا بعد سياحة وذلك لان الانس بالخلق حجاب عظيم فلا بد من قطع هذا الحجاب اما بالمجاهدة واما بجذبة الهية وكتب الصوفية طافحة بذلك في حق ذي النون المصري وابراهيم بن أدهم والخواص والسادة الشاذلية وغيرهم رضي الله تعالى عنهم وحكي عن الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه انه قال ما جلست للناس حتى

كانت كاذبة فاعماها وأمتها في مكانها فعميت وجاءت تمشي يوما في بستانها فوقعت في بئر فماتت فلو كان ما فعله ابراهيم عين الكمال لكان الصحابي أولى به ولكنه كان سعد أمينا من أمناء الله نفسه ونفس غيره عنده سواء فما دعا عليها لانها أذته ولكن دعا عليها لانها أذت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابراهيم لم يصل الى هذه المرتبة فترك الدعاء على الجندي لئلا يكون ذلك انتصارا لنفسه وسعد رضي الله عنه قد خلصه الله من نفسه وأبرزه للخلق يخلص به من يشاء من عباده والصوفي لا يستقضي الحق لنفسه بل يستقضي الحق لربه

(فائدة) اعلم ان أولياء الله تعالى حكمهم في بدايتهم أن يسلط الخلق عليهم ليتطهروا من البقايا وتتكمل فيهم المزايا وكيلا يساكنوا الخلق باعتماد ويميلوا اليهم باستناد ومن أذاك فقد أعتقك من رق احسانه ومن أحسن اليك فقد استرقك بوجود امتنانه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وقال صلى الله عليه وسلم من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له كل

سحت خمسا وعشرين سنة في البراري وكنت آكل من نبات الارض وأشرب من الانهار وكنت أصبر عن الماء السنة واكثر قال وأعطيت حرف كن وانا سائح في البرية فكنت أجد الموائد منصوبة فآكل منها ما اشتهى واقطع من الجبل الحلوى وآكل وكنت أشرب من الرمل السكر فاضع الرمل واصب عليه من البحر الملح واشربه حلوا ثم تركت ذلك أدبا مع الله تعالى انتهى (وقال) الشيخ على البدوى الشاذلى تلميذ سيدى ياقوت العرشى رضى الله تعالى عنهما مررت في سياحتي بقبة كبيرة ليس لها باب فاذا هي بيضة رخ قال رضى الله تعالى عنه ودخلت مرة أخرى برية فرأيت فيها نحو ألف فيل وفيهم فيل أبيض يقومون لقيامه ويقعدون لقعوده واذا بطائر أبيض عظيم الخلقة خرج على الفيلة فهربوا كلهم منه وقال أيضا رضى الله تعالى عنه قطعت مع أولياء الله تعالى في السياحة جبل ق كله ثم قطعنا بحر الرمل بعده وهو بحر عظيم من رمل تتلاطم أمواجه يغلى كغليان القدر قال وكنا أربعين رجلا فمات منا سبعة وثلاثون رجلا فدفناهم هنالك ورجعنا ثلاثة أنفس فكان ذلك آخر سياحتنا انتهى قال الشيخ على البدوى الشاذلى رضى الله تعالى عنه وكثيرا ما كان الشيخ ياقوت يوجهني في الحاجة من اسكندرية الى بلاد الاندلس فأذهب اليها وارجع في يوم واحد لسرعة خطاى من غير أن تطوى لى الارض انتهى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول سياحة المريدين باجسامهم وسياحة العارفين بارواحهم انتهى كلامه رضى الله تعالى عنه فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) اقامة العذر للفقيه اذا بادر بالانكار على بعض أهل الطريق لانه ما تعدى دائرة علمه وكثير من الفقراء من لا يقيم لهم عذرا بل كان سيدى الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله تعالى عنه وسيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه وغيرهما يقولون ما بيننا وبين هؤلاء المنكرين الذين ينكرون علينا مودة ولا محبة لانه ليس معهم شئ نستفيده ولا يقبلون منا ما هو معنا من المعارف والاسرار انتهى وقد حكى أن الشيخ على البدوى الشاذلى تلميذ سيدى ياقوت العرشى رضى الله تعالى عنهما كان له صهر ينكر عليه كثيرا فخرج الشيخ الى خارج الاسكندرية فرأى غيطا فيه فواكه فقال للفقراء ادخلوا وكلوا من التين الذى فيه دون الشجر الذى بجانب الخرنوب فلا تأكلوا منه شيأ فدخلوا وأكلوا الا صهره فقال انى صائم فقال الشيخ كلوا بسرعة واخرجوا والا يجئ صاحب الغيط يضربكم فازداد صهره انكارا وقال في نفسه كيف صلاح هذا وهو يأكل هو وأصحابه حراما بغير اذن أصحابه ثم خرج الشيخ والجماعة من الغيط مهرولين فلما بعدوا عن الغيط واذا برجلين سلما على الشيخ وجماعته ثم قالا ارجعوا معنا الى غيطنا فانا خرجنا لك ولاصحابك عن التين الذى في الغيط الا ما كان بجانب الخرنوب فانه ليس لنا فالتفت الشيخ الى صهره وقال له فاتك الاكل من التين يا صائم فاستغفر صهره وتاب عن المبادرة الى الانكار على الفقراء انتهى فاياك يا أخى والمبادرة الى الانكار على أهل الطريق والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة أدبى مع المجاذيب وأرباب الاحوال من حين كنت صغيرا فما أتذكر أنى أسأت مع أحد منهم الادب يوما واحدا وذلك من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على (وقد حكى) ان شخصا مر على سيدى الشيخ على البدوى الشاذلى رضى الله تعالى عنه فخطر في باله أن هذا زوكارى ما هو شيخ صادق فكلمه الشيخ شفاها وقال مالك لا تتأدب مع الفقراء أما تخاف الهلاك ثم حرك الشيخ يده واذا بيد في بطن ذلك المنكر يجذبه صار ينهسه حتى كادت تتقطع فصاح باعلى صوته تبت الى الله تعالى فخرجت اليد من بطنه انتهى * وقد كان الشيخ ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول سلوا على أرباب الاحوال بالقلب دون اللفظ فانهم في حضرة لا يقدرون على خطاب أحد لهم باللفظ وربما سألهم أحد في الدعاء له فيدعون عليه ويستجيب الله تعالى لهم من باب توقف المسبب على السبب وسيأتى بسط ذلك في مواضع من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) البركة في رزقى فربما أقدم للضيوف شيأ قليلا فيأكلون منه

نهرب من شرهم فان خيرهم يصيبك في قلبك وشرهم يصيبك في قالبك ولأن تصاب في بدنك خير لك من ان تصاب في قلبك واغدو تصل به الى الله خير لك من حبيب يقطعك عن الله وعداؤهم عليك ليلا واعراضهم عنك نهارا ألا تراهم اذا أقبلوا فتنوا وتسليط الخلق على أولياء الله في مبدأ طرقهم سنة الله في أحبابه وأصفيائه ولذلك قال الشيخ أبو الحسن اللهم ان القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا فكل عز يمنع دونك فنسألك بذله ذلا تصحبه لطائف رحمتك وكل وجد يحجب عنك فنسألك عوضه فقدا تصحبه أنوار محبتك ومما يدلك على ان هذه سنة الله في أحبابه وأصفيائه قول الله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب وقوله عز وجل حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا وقوله ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض وقوله أذن للذين

الآيات الدالة على هذا المعنى فمن حالهم فى بداياتهم ابراهيم بن أدهم طأطأ رأسه حين ضربه الجندى فقال اضرب رأسا طالما عصت الله وقوله ما فرحت فى عمرى الا ثلاث مرات مرة كنت فى مسجد فاصابتنى البطن فكنت أقوم وأقعد فجاء صاحب المسجد وأمرنى ان أخرج فلم أستطع لقوة الضعف فاخذ برجلى يجرنى الى ان أخرجنى والمرة الثانية نزعت يوما ما كان على من ملبس فلم أره لكثرة القمل والمرة الثالثة ركبت فى سفينة فكان هنالك مضحاك فكان يقول كنا ناخذ العلج فى بلاد العدو هكذا ويمد يده الى لحيتى فيهزها فاعجبنى اذ لم يرفى السفينة من هو أحقر منى وهذا شأنهم فى بداياتهم علما منهم بوجود البقايا فيهم فخافوا أن ينتصروا فينتصروا لنفوسهم فيسقطون من عين الله فرجعوا الى وجود الحلم كافين أيديهم عن الانتصار لعلمهم بآفات الانتصار للنفس وشرعة الحق سبحانه وعادته فى أصفيائه كثرة الاعداء والنصرة منه لهم عليهم قال الشيخ أبو الحسن آذانى انسان مرة فضقت ذرعا لذلك فنمت فرأيت يقال لى من علامة الصديقية كثرة

ويشبعون وأتانى مرة أربعة عشر نفسا من الفلاحين فقدمت اليهم رغيفا واحدا فأكلوا كلهم منه وشبعوا (وقدمت) مرة الطاجن الذى نعمله فى الفرن الى سبعة عشر نفسا فأكلوا كلهم منه وشبعوا (وأتانى) مرة ضيوف صحبة الشيخ شهاب الدين بن داود المنزلاوى رضى الله تعالى عنه بعد صلاة العشاء وليس عندى شئ فطبخت لهم شوربة قمح بلا شيرج ولا دهن بل بالماء فقط فأكلوا وصاروا يقولون نعمل هذه الشربة كثيرا فى دارنا فما نجد لها طعما مثل هذه فى اللذة فقلت لهم سبحان الله الستار *وكان على هذا القدم سيدى على رضى الله تعالى عنه من تلامذة الشاذلى رضى الله تعالى عنه كان يامر بوضع الزبادى الفارغة للضيوف ويقول لهم غمضوا عيونكم ثم يفتحونها فيجدون الاوانى كلها ملآنة من الاطعمة المختلفة (وكذلك) بلغنا عن سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه أن أصحابه اشتهوا فى البرية سماط عدس فى أوانى صينى من سائر الالوان وفيه شوربة ودجاج فأمرهم الشيخ بان ينتشر وا ليتطهروا ثم يأتوا فاتوا فوجدوا سماطا ممدودا عند الشيخ كما اشتهوا قال الشيخ يوسف الكردى فأكلنا ثم ارتحل الشيخ وتركنا السماط ممدودا كما هو انتهى (قلت) وكان على هذا القدم سيدى على الملجى رضى الله تعالى عنه فبلغنا ان السلطان محمد بن قلاوون نزل لزيارته بالعسكر فكفاهم من قدر فيه قدحان من عدس وعلى هذا القدم أيضا عدة جماعة ممن أدركناهم كسيدى الشيخ عبد الحليم بن مصلح رضى الله تعالى عنه وسيدى الشيخ محمد بن عنان رضى الله تعالى عنه وسيدى الشيخ محمد الشناوى رضى الله تعالى عنه (وقد شاهدت) أنا شيخنا الشيخ محمد الشناوى رضى الله تعالى عنه قد جاء بجماعة من الريف نحو خمسين رجلا ثم تسامع بذلك المجاورون بجامع الازهر فاتوا حتى امتلأت زاوية شيخه الشيخ محمد السروى رضى الله تعالى عنهما ثم فرشوا للناس الحصر فى الزقاق حتى امتلأ الزقاق ثم قال لنقيب شيخه هل عندكم طبيخ فقال نعم طبيخى أنا وزوجتى فقط فقال لا تعرف شيأ حتى أحضر ثم غطى الشيخ الدست الصغير بردائه وأخذ المغرفة وصار يغرف الى أن كفى من فى الزاوية وخارجها هذا شئ رأيته بعينى (وأما) سيدى الشيخ محمد بن عنان رضى الله تعالى عنه فكفى نحو خمسمائة نفس من ستة أقداح دقيق وذلك ان سيارة الفقراء أتوه على غفلة فقال لوالدته غطى العجين بهذا الرداء وقرصى منه ولا تكشفيه فلأت البيت والحجرة ونصف صحن الدار حتى أكل الخمسمائة منه وفضل والله ذو الفضل العظيم والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم نفرة نفسى من مخالطة الابرص والاجذم وأرباب العاهات فتطيب نفسى بحمد الله تبارك وتعالى ان آكل معهم المأتعات وأشرب فضلتهم وكان على هذا القدم جدى الشيخ على رحمه الله تعالى دخل الى بلده مجذوم تقطر أطرافه صديدا فنفر الناس منه فاخذه جدى وأدخله داره ثم حلب له البقرة وأكل معه فى اناء واحد ثم شرب فضلته فلامه والده رحمه الله تعالى وقال له أما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فر من المجذوم فرارك من الأسد فقال له جدى أما قال صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ثم قال والله ان عدم كسر خاطره مقدم عندى على ما لو حصل لى مثله من الجذام فان كسر الخاطر عظيم عند الله تبارك وتعالى ثم حكى عن زوجة الشيخ أبى عبد الله القرشى رضى الله تعالى عنهم انها كانت تضع الاناء تحت رجلى الشيخ وقدميه وكان أجذم كسيحا فاذا تحصل منه شئ من الصديد شربته الى أن مات رحمه الله تعالى فاستخلفها الشيخ بعده فكملت أصحابه من بعده انتهى (ومما وقع) لسيدى أحمد بن الرفاعى رضى الله تعالى عنه ان كلبا حصل له جذام فقذرته نفوس أهل بلده وصار كل واحد يطرده عن داره فأخذه سيدى أحمد وخرج به الى البرية وضرب عليه مظلة وصار يأكل هو واياه ويسقيه ويدهنه مدة أربعين يوما حتى عافاه الله تعالى من الجذام ثم سخن له ماء وغسله ودخل به البلد فقيل له أتعتنى بهذا الكلب هذا الاعتناء فقال نعم خفت أن يؤاخذنى الله تعالى به يوم القيامة ويقول أما كان عندك رحمة لهذا الكلب أما كنت تخشى ان أحول ما ابتليته به اليك انتهى فافهم يا أخى ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) طاعة الجن لى واعتقادهم فى أوائل دخولى طريق القوم فكنت ربما اقول للواحد منهم ارجع عن ركوب فلان أو فلانة فينزل عنها من غير عزيمة وربما دخلوا على فى الليل أفواجا من

طيقان القاعة فيصلون معي ويسبحون معي على السبحة ثم يذهبون ومتحب واحد منهم خيط السبحة فقلت له الزم الادب والا لا تعد تجالسني فتاب (وأتوني مرة) بعدة أسئلة في التوحيد اشكلت عليهم يطلبون مني أن اكتب لهم عليها فكتبت لهم عليها وكانت نحو خمسة وسبعين سؤالا ونقلت الاسئلة وألفت أجوبتي عليها في نسخة سميتها كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان ليراجعها من يريد استفادتها فتلقاها العلماء بالقبول وكتب الناس منها نسخا لا أحصيها ونقلت الى الممالك القريبة والبعيدة (وكان) على هذا القدم سيدي أبو الخير الكليباتي رضي الله تعالى عنه وسيدي ابراهيم المتولي رضي الله تعالى عنه وسيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه وسيدي علي الشاذلي رضي الله تعالى عنه فكانوا يستخدمون الجن في صورة كلاب (وكان) الشيخ أبو الخير الكليباتي رضي الله تعالى عنه يدخل بهم جامع الحاكم فينكر ذلك عليه الفقهاء انكارا شديدا لاعتقادهم أنهم كلاب وقال له فقيه يوما كيف تدخل الكلاب بيت ربك جل وعلا فقال انهم لا يأكلون حراما ولا يشهدون زورا ولا يغتاب بعضهم بعضا (وكان) يرسلهم في قضاء الحوائج فيقضونها ويقول لصاحب الحاجة اشتر له رطلين لحما شوربة ورغيفين فيفعل فيذهب معه الى ذلك الضائع من أمتعة أو جهة الى أن يقف به على المكان التي هي فيه وكان يعمل لهم الوليمة في بعض الاوقات في المكان الذي بين الازبكية وباب اللوق ويمد لهم الطعام هناك في صحاف فيعتقد المارون انهم كلاب والحال انهم جن (قال) الشيخ أحمد البهلول رفيق الشيخ نور الدين الشرنوبي الشاذلي رضي الله تعالى عنهما وأنا ممن أجلسني الشيخ أبو الخير معهم مرة وقال كل مع اخوانك فما وسعني الا طاعته فلما قام الشيخ أبو الخير رضي الله تعالى عنه ذهبت لاطهر ثيابي فرجع الي وقال هؤلاء من مؤمني الجن فقلت اني أطهر ثيابي لظاهر الشرع انتهى (ومما وقع) للشيخ حسن الغزاوي وكان ممن يملأ قعاوي الكلاب باذن سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه فقال له لا تملأ القعاوي التي خارج درب الازبكية مما يلي باب اللوق الا بالماء طاهر فانهم من الجن فخالف فصكه واحد منهم فكاد أن يعمى بصره (واعلم) ان هذا الخلق المذكور من جملة ما يتفضل الله تعالى به على من يشاء من عباده من الانس فافهم والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) كراهتي للاكل من طعام العزاء والجمع في المقبرة لاسيما الاطعمة الفاخرة التي يعملها الاكابر فان أكلها لا يليق بحضرة الاموات انما اللائق بمن دخل مقبرة البكاء والنوح على نفسه وتذكر ما كان فيه هؤلاء الاموات من الغفلة حتى أتاهم الموت على غفلة ويقول لنفسه هكذا يقع لك عن قريب ولم أر لهذا الخلق فاعلا بل بعض الفقراء يذهب فيذكر مجلس ذكر ثم يجلس هو وأصحابه فيأكلون أطايب الطعام وربما يكونون كلهم غافلين عن الموت وعما اليه مصيرهم وقد نهت الشريعة عن النوم في المقابر وبلغنا عن الحسن البصري رضي الله تعالى عنه أنه رأى رجلا يأكل بين المقابر فزجره وبخه وقال أما في حال هؤلاء الاموات ما يلهيك عن الاكل وفي رواية أنه قال والله انك لمنافق تأكل بين المقابر انتهى فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم مبادرتي الى الانكار على من ينسب الى البدعة كطائفة القلندرية والمطاوعة وغيرهما وانما أنكر عليهم اذا خالطتهم ورأيت منهم ما لا يوافق الشريعة ونهيتهم عنه فلم ينتهوا وذلك لعلمي بان قلوب الخلق خزائن الله تعالى وربما أسكن الحق تعالى بين هؤلاء المبتدعة أحدا من أوليائه وحلسه بملابسهم في الملبس وذلك لحفظهم بوجوده من نزول البلاء عليهم لكون رحمته تبارك وتعالى سبقت غضبه فربما أحكم على ذلك الولي بأنه منهم والحال أنه ليس منهم فأخطأ في حقه وربما جرني ذلك الى العطب كما بلغني عن سيدي علي الشاذلي رضي الله تعالى عنه انه قال أنكرت يوما على النواتية بساحل رشيد حين رأيتهم يكشفون عوراتهم على بعض المذاهب واذا رجل في الهواء يقول يا علي تنكر على النواتية وأنا منهم والعورة مختلف فيها فارتعدت من هيبته وكدت أن أهلك فاستغفرت الله تعالى (قال) ومما وقع لي مع القلندرية المقيمين بالقرب من عمود الصواري أني دخلت عليهم يوما فرأيت منهم شيأ يخالف ظاهر الشريعة عند بعض الائمة فضاق صدري من

مواطن العز والرفعة فلو تركها الحق سبحانه وما تريد لهلكت فازعجها عن ذلك بما يسلطه عليهم من أذى المؤذين ومعارضة الحاسدين وقال بعض العارفين الصيحة من العدو سوط الله يضرب به القلوب اذا ما كنت غيره والا ذلك لرقد القلب في ظل العز والجاه وهو حجاب عن الله تعالى عظيم وصدق رضي الله عنه وهذا الصنع من حسن نظر الله لاوليائه وأحبابه واظهار الآثار ولايته فهم لقوله الله ولي الذين آمنوا فاذا تمت أنوارهم وتطهرت من البقايا أسرارهم حكمهم في العباد وادالهم عليه فحينئذ يكون العبد المجتبى سيفا من سيوف الله ينتصر الله به لنفسه ومن هذا الباب دعاء سعد على المرأة التي ادعت عليه كذبا اللهم اعمها وأمتها في مكانها فاستجيب له ولما دخل على عثمان الدار رضي الله عنه لطم انسان وجه زوجته فقال له عثمان قطع الله يديك ورجليك وأخلدك في النار فروى ذلك الرجل بالشام وقد قطعت يداه ورجلاه وهو يقول دعوة عثمان استجيبت في اثنتان وبقيت الثالثة ولذلك قد تلتبس أحوال الرجال على عموم العباد فلا تفضل وليا ظالم فصفح على ولي ظلم فانتصر أو دعا فقد يكون صفح من صفح

ذلك فرفعت طرفي الى السماء فاذا شخص جالس في الهواء وهو يتوضأ فقال تنكر على القلندرية وأنا منهم قال فاستغفرت الله تعالى وتبت عن الانكار على الناس عموما انتهى فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم حرماني للسائل ولو رأيته قويا على الكسب فقد يكون سؤاله لغيره من الارامل والايتام والعميان وقد كنت أعطي شخصا على هذه الصفة وكان بعض الناس ينكر علي ويقول لو أعطيت ذلك لاحد من المحتاجين لكان أفضل فتبعت ذلك الرجل يوما من غير علمه فرأيته يغرق جميع ما يأخذه من الناس على العجائز والشيوخ المنقطعين في باب اللوق ولا يأكل منه شيأ فحمدت الله تبارك وتعالى على عدم سوء ظني به كما وقع لغيري انتهى (وأخبرني) سيدي علي الخراص رضي الله تعالى عنه ان جماعة من الاولياء يقيمون في الجبل المقطم دائما ويرسلون خادمهم الى أقطار الارض ليأتيهم بالقوت الذي قسمه الله تبارك وتعالى لهم وأودعه عند بعض عباده فيستخرجه الخادم ممن هو عنده بالالحاح فربما أنكر ذلك عليه من لم يعرف الحال قال أخي الشيخ أفضل الدين رضي الله تعالى عنه وقد أرمتني المقادير مرة الى سبعة أنفس منهم في مغارة فاشاروا علي أن أجلس فجلست فصاروا يقولون أبطأ فلان أبطأ فلان وأنا لا أعرف الخبر ثم انه دخل عليهم فقالوا له ما أبطأ لك وعندنا هذا الضيف فقال جبت لكم الارض كلها فلم أجد فيها شيأ من الحلال اللائق بمقامكم الا عند عجوز في مدينة مراكش بارض المغرب ومد لهم قليلا من النخالة فقالوا الى تقدم فكل فقلت في نفسي وما أصنع بهذه النخالة وأنا لا أقدر على بلعها من خشونتها فقال لي واحد منهم هكذا وجدنا الحلال في هذه الليلة ثم مسح بيده على النخالة فصارت حلوى فاكلت معهم منها انتهى (وأخبرني) الشيخ حسن الريحاني أنه مر على قوم بالجبل المقطم المطل على بحر السويس فرآهم يأكلون من الحشيش النابت هنالك من المطر وبعضهم يتغذى بنسيم السحر ويصلون كل ليلة المغرب بمكة خلف القطب رضي الله تعالى عنه ونفعنا به فاحسن يا أخي ظنك بالمسلمين فان الله تعالى لا يسألك قط يوم القيامة لم حسنت ظنك بعبادي أبدا فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) تفقد قلبي صباحا ومساء من دخول الصفات الرديئة فيه وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى علي وأنا أنبهك على الصفات التي تتوارد على القلب لتعرفها فتشكر الله تعالى أو تستغفره فاقول وبالله التوفيق يتوارد على قلوب العلماء العاملين رضي الله تعالى عنهم خمسة أشياء العلم والحلم والحكمة والخشية والكرم ويتوارد على قلوب الاولياء رضي الله تعالى عنهم خمسة أشياء الصمت والذكر والفكر والنور وزيادة العقل وعمدة هذه الصفات تحصل من الجوع ومن قيام الليل ويتوارد على قلوب الغافلين خمسة أشياء الغفلة والسهو والضحك والراحة والنوم ويتوارد على قلوب المنافقين خمسة أشياء الهوى والبغض للعبادة والخبث والمكر والنفاق هذه أمهات الصفات وأما الفروع فهي بعدد الخواطر وهي سبعون ألف خاطر في الليل والنهار وكان سيدي علي الشاذلي رضي الله تعالى عنه يقول تفقدوا بيت ربكم وهو القلب وانظروا ما نقص من صفاته وأركانه وأبوابه فان الله تعالى جعل أرضه من المعرفة وسماءه من الايمان وشمسه من الشوق وقصره من المحبة وبابه من الهمة ورعده من الخوف وسحابه من الوفاء وثمرته من الحكمة وبهاءه من العلم ورقه من الرجاء وغمامه من الفضل ومطره من الرحمة ونهاره من الطاعة وليله من المعصية فمن لم يكن في زيادة تفقد كل وقت لهذه الصفات فهو مغرور وأما أركانه فهي أربعة الانس والتوكل واليقين والصدق وكذلك أبوابه أربعة العلم والحلم واليقين والمعرفة وقد قفل الله تعالى على القلب بقفل لا يفتحه الا هو يوم القيامة وبالجملة فمن لم يكن بابا لقلبه يعرف ما يدخل وما يخرج فهو في خسران فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) تدمعي من حيث كسبي على كل نومة تمنها في ليل أو نهار لان الخير كله في السهر واليقظة فمن أحب النوم فقد أحب النقص والعوق بالاموات والغفلة عن عمل الحسنات وفاته

لعلمه بالبقايا من نفسه ودعاء الداعي لعلمه بتطهيره من البقايا فدعا انتصارا لربه * وأما صبره فكان رضي الله عنه من الثابتين في مركز الصبر وكان به أمراض عديدة لو وضع بعضها على الجبال لذابت وكان به جرد الكلا وكان به الحصا وكان به اثنا عشر ناسورا وهو يجلس للناس ولا يقطع الجلوس لهم ولا يتأوه في حين جلوسه ولا يعلم الجالس عنده ان به شيأ من الامراض ولم تكن الامراض أورثته صفرة في الوجه ولا تغيرا في البدن حتى كان يقول لا تنظروا الى حمرة وجهي فحمرة وجهي من قلبي ودخل عليه انسان فوجد لما به فقال ذلك الرجل عافاك الله يا سيدي فسكت الشيخ ولم يجاوبه ثم سكت ذلك الرجل ساعة وقال عافاك الله تعالى يا سيدي فقال الشيخ وأنا ما سألت الله العافية قد سألته العافية والذي أنا فيه هو العافية رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سأل الله العافية وقد قال ما زالت أكلة خيبر تعاودني فالآن أوان انقطاع أبهري أبو بكر رضي الله عنه أما سأل الله العافية وبعد ذلك مات مسموما عمر رضي الله عنه قد سأل الله العافية وبعد ذلك مات مطعونا عثمان رضي الله عنه أما سأل الله العافية وبعد ذلك مات مذبوحا علي رضي الله عنه أما سأل الله العافية وبعد ذلك مات

مصالح دنياه وآخرته لان النوم أخو الموت ولهذا لا يجوز على الله تعالى نوم أبدا لان نقص وكذلك الملائكة لما قربوا من حضرة الله عز وجل نفى النوم عنهم وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم وكذلك أهل الجنة لما كانوا فى أرفع الاماكن وأطهرها من المعاصى وأكرمها نفى عنهم النوم لكونه نقصا فجميع الخير فى السهر وجميع الشر فى النوم ولهذا جعل العارفون السهر أحد أركان الولاية قال سيدى على الشاذلى رضى الله تعالى عنه وقد جربنا فما رأينا شيأ يطرد النوم مثل أكل الحلال وترك الحرام والشبهات فمن أكل الحرام والشبهات كثر نومه وذلك من جملة رحمة الله تعالى به لان أكل الحرام يحرك الاعضاء للمعاصى فيطلب كل عضو منه أن يعصى فيتفضل الله تعالى عليه بالنوم ليريحه من المعاصى كما أنه يتفضل على الطائع بأكل الحلال ليقيمه بين يديه ليلا ونهارا انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) معرفتى بالولى اذا زرته فى قبره هل هو حاضر أو غائب فان غالب الاولياء لهم السراح والاطلاق فى قبورهم فيذهبون ويجيئون وكان على هذا القدم سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه كان اذا رأى انسانا عازما على زيارة بعض الاولياء يقول له اذهب بسرعة فانه عازم على الذهاب الى موضع كذا وفى بعض الاوقات يقول له لا ترح له فانه ما هو هناك اليوم وقد زرت مرة سيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه فلم أجده فى قبره فجاء الى بعد ذلك وقال اعذرنى فانى كنت فى حاجة وكان سيدى على البدوى رضى الله تعالى عنه يقول لا تزوروا سيدى الشيخ أبا العباس المرسى رضى الله تعالى عنه الا يوم السبت قبل طلوع الشمس فانه يكون حاضرا ولا تزوروا سيدى ابراهيم الاعرج رضى الله تعالى عنه الا ليلة الجمعة بعد المغرب ولا تزوروا سيدى ياقوتا العرشى رضى الله تعالى عنه الا يوم الثلاثاء بعد الظهر واذا أنا مت فزورونى يوم السبت بعد الصبح انتهى وهذا أمر لا يعرفه الا من كشف الله تعالى عن بصيرته وأما غيره فهو يزور بالنية وأجره على الله تعالى اذا لم يجده فى قبره فاعلم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(الباب السادس فى جملة من الاخلاق فاقول وبالله التوفيق وهو حسبى ونعم الوكيل)

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كراهتى للاختصاص عن الفقراء بشئ وقف على وعلى ذريتى فقط فقد وقف على شخص ربع رزقة فى ناحية برشوب الصغرى وآخر نصف سيرجة ونصف طاحون وغير ذلك فلم أختص عن اخوانى بشئ من أجرة ذلك ولا خراجه بل آكل من ذلك كآحاد الفقراء وسبب ذلك انى أفهم من نية الواقف بالقرينة انه لولا انه يعلم منى الكرم وعدم الاختصاص ما وقف ذلك على بدليل انه لا تسمح نفسه أن يوقف مثل ذلك على من رآه يختص بما دخل يده من الدنيا وهذا الخلق غريب فى هذا الزمان بل رأيت بعضهم غير وبدل فى كتاب الوقف ما كان للفقراء وجعله باسمه واسم ذريته فلما جاء التفتيش فى الرزق لم يقدر يظهر ذلك المكتوب أبدا وصار يستشهد بالاستثمار والشواهد على المستحقين فالله تعالى يتوب عليه من محبة الدنيا فان ذلك هو الذى أوقعه فيما وقع فيه فالحمد لله الذى حمانى من مثل ذلك مع أن مكاتيب هذه الجهات التى وقفت على وعلى ذريتى قد صرح واقفها بان ريعها لى ولذريتى من بعدى أستحق ذلك بمفردى ثم ذريتى من غير مشارك وذلك لانى أرى جميع ما يدخل فى يدى مشتركا بينى وبين اخوانى المسلمين وكل من كان أحوج قدمته من نفسى أو من غيرى كما سيأتى بسطه فى مواضع من هذا الكتاب فكان فى ضمن عدم الاختصاص القيام بواجب حق اخوانى وتحقيق ما ظنه الواقف فى من عدم التخصيص عن اخوانى وقد رأيت شيخا زعم انى لا أصلح تلميذا له نازعه فقراء الزاوية فى اختصاصه بجهة من جهات زاويته مع غناه عن خراجها بماله من المسموح والمرتبات فحضر هو والمجاورون عند القاضى المنصوب للتفتيش ولم يعط جماعته من ذلك شيأ فخرجوا من زاويته وكان ينبغى له أن يشركهم معه فى ذلك لانه ما هو شيخ الا بهم ولا أعطوه المسموح الا على اسمهم بانهم أتباعه ذلك فى قصته وأنا بحمد الله ربما أخلط فيما يخص الفقراء شيأ مما يخصنى من غير أن أعلمهم بذلك عملا بحديث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقد طلب ولدى عبد الرحمن أن يختص عن الفقراء باجرة

مقتولا فاذا سألت الله تعالى العافية فاسأله العافية من حيث يعلمها لك انها عافية وكان يقول رضى الله عنه الصبر مشتق من الاصبار وهو الغرض الذى يرمى عليه بالسهام فالصابر من نصب نفسه غرضا لسهام القضاء وكان صغيرا يسأل الله اللطف يسأله اللطف قبل ان يفتر عن ذلك ودخلت عليه يوما فوجدته لما به فقلت يا سيدى أظنك ضعيفا فقال الضعيف من لا اعان له ولا تقوى واعلم ان الصبر على ثلاثة أقسام صبر على الواجبات وصبر عن المحرمات وصبر فى البليات وصبر الاكابر على كتم الاسرار وفقد الركون الى الآثار وعدم الوقوف مع الانوار صبرهم على حمل الاذى والثبوت تحت مجارى القضا صبرهم على حمل أثقال العباد والصبر مع الله فيما أراد صبرهم على القيام باحكام العبودية والثبوت لمجارى أحكام الربوبية صبرهم على مكارم الاخلاق والقيام مع الله بشرط الوفاق صبرهم على جمع الهمم عليه والرجوع فى كل أمورهم اليه صبرهم على الجلوس للخلق والدلالة على الملك الحق وكان الشيخ أبو العباس رضى الله عنه يقول والله ما جلست للناس حتى هددت بالسلب وقيل لى ان لم تجلس لنسلبنك ما وهبناك * وأما سداد طريقته فكان رضى الله عنه شديد التحرز من

السيرجة لما تزوج واحتاج فنعته وقلت له لا تختص بشئ وقف عليك بعدى الا لضرورة وأما وقت الرخاء فلا فاطاعنى فافهم والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) تعفنى عن الاكل من طعام من عرف فى هذا الزمان بكثرة الكرم وقرى الضيوف من مشايخ العرب والقرى وفقهاء الارياف وغيرهم وذلك لان من عرف بذلك لا يقدر على تهيئة طعام لكل من ورد عليه الا بتكلف زائد ثم بتقدير أن نفسه تسمح بذلك فالعيال لا يصبرون على تهيئة ذلك من غربلة وعجين وخبز وطبخ كل يوم وربما عجنت المرأة وخبزت وطبخت فى اليوم مرتين وتصير تتسخط وتقول اللهم أرحنا من هذه العيشة وربما أكرهها وجها على ذلك وضربها بالعصا ضربا مبرحا ولا يخفى عليك يا أخى ان كل طعام دخله التكلف فالاكل منه مذموم شرعا لا سيما ان كان صاحبه لا يحلل ولا يحرم كغالب مشايخ البلاد وفقهائها واذا لم تجد أحدا نبيت عنده غير من عرف باقراء الضيوف بتنا عنده وكافأناه على كلفته لنا ولدوابنا ثم لا ينبغى لنا أن نأكل عنده الا ان كان بنا جوع مفرط والا طوينا * وكان سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يقول طعام المتكلفين يورث الظلمة فى القلب لانه كطعام البخيل على حد سواء لكونه يطعم الضيف وعنده ثقل من ذلك * وفى الحديث طعام البخيل داء وكان سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول كل فقير لا يقدره الله تعالى على أن يمد صاحب الطعام بالبركة الخفية طول عامه فليس له أن يمد يده الى طعامه فان أكل من غير امداد ولا مكافأة فقد أكل بدينه ونقص مقامه بذلك انتهى وكان سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يقول لا ينبغى لفقير أن يمد يده لطعام انسان الا ان كان يشاركه فى بلاء تلك السنة كلها أو يحمله عنه كله ولما دار بعض اخواننا بلاد الشرقية والغربية ومعه جماعة بكثرة عاب عليه ذلك وأرسل يحط عليه وقال له ان جميع أعمالك كل يوم لا تفى بثمن الطعام الذى تأكله بالمحاباة يوم القيامة وقد أدركت سيدى محمد بن عنان رضى الله تعالى عنه وسيدى عليا المرصفى رضى الله تعالى عنه وسيدى محمدا السروى رضى الله تعالى عنه اذا ذهبوا الى طعام أحد يذهبون بجماعة قليلة بشرط اعلام صاحب الطعام بهم قبل الذهاب وانشراح خاطره بذلك والا لم يذهبوا واستدلوا بقصة عائشة رضى الله تعالى عنها لما دعى النبى صلى الله عليه وسلم الى طعام فقال النبى صلى الله عليه وسلم وهذه يعنى عائشة فقال لا فأبى النبى صلى الله عليه وسلم ثانيا وثالثا حتى قال له نعم فأخذها معه وذلك قبل نزول آية الحجاب وقد برز شخص من الفقراء فى مصر وصار يحضر الولائم بجماعة كثيرة فاخبرت سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه به فقال أسأل الله تعالى أن يفرق شمله فما اجتمع عليه بعد ذلك اثنان الا بتكلف بعد ان كان يركب البغلة وبين يديه نحو مائة شخص وقال رضى الله تعالى عنه ما درج السلف الصالح الا على العفة وعدم الشهرة انتهى وقد عزم شخص من الامراء على الشيخ دمرداش المحمدى رضى الله تعالى عنه فذهب الشيخ اليه وحده فقال الامير أرسل وراء الفقراء فانى عملت طعاما واسعا فقال الشيخ أنا آكله فجلس على السماط وصار يأكل وعاء بعد وعاء الى أن أكله كله وقال حلنا حسابه عن اخواننا وكان الطعام يكفى ثلثمائة نفس هكذا أخبرنى الشيخ محمد الحانوتى خليفته فعلم أن كل فقير ليس عنده حال يحمى به صاحب الطعام من البلاء أو يمده بالبركة فى طعامه كما تقدم فأكله من ذلك الطعام قلة مروءة وخروج عن طريق أهل الله تعالى الذين يزعم انه على طريقهم (فاياك) يا أخى اذا نزلت بلاد الريف أن تأكل من طعام من لا تكافئه كما عليه مشايخ الحرف والمتهورون فى دينهم من مشايخ مصر فينام أحدهم وجماعته عند من عرف بالكرم ويذهبون من غير مكافأة ولا علم منه ان كان ذلك بطيبة نفس أو بكراهة أقل ما فى الكراهة أن يطعم الشيخ خوف العتب عليه منه أو من جماعته الذين يأخذون من الحافى نعله وربما رأوا لنفسهم الجميلة على من باتوا عنده وكلفوه ورأوا انه حصل لصاحب الطعام الجبر ببيات سيدى الشيخ عنده وربما قالوا له نصبا وزورا كم شخص عزم على سيدى الشيخ فلم يجبه ولولا انه يحبك ما بات عندك وربما كان صاحب الطعام مستندا الى شيخ آخر لا يعتقد غيره فيحصل له بذلك التكدر خوفا على تغيير خاطر شيخه عليه الذى عمل الطعام لذلك الشيخ الآخر لا سيما ان كان بينه وبينه وقفة فيصير فى غلبة بين مراعاة خاطر شيخه وبين القيام بواجب حق الشيخ الآخر فليكن الشيخ فى هذا الزمان يلحق

بلا

عليه دين أحسن القضاء واذا كان له حق أحسن الاقتضاء منقطعا عن أبناء الدنيا والتردد اليهم لا يرفع قدمه لاحد منهم ولا يبعث اليهم ولا يكاتبهم اذا طلب منه أن يكتب اليهم قال للطالب أنا أطلب لك ذلك من الله فان رضى الطالب ربح مسعاه ولطف به مولاه مبتلى فى الجلوس الخلق لا تأتيه ليلا ونهارا الا وجدته ولقد أتيته يوما فاستأذنت عليه فقيل لى اصبر قليلا فتشوشت من ذلك وقلت قد يكون بلغ الشيخ عنى ما أوجب تغيره فبعد ساعة أذن لى فدخلت فقال الشيخ رضى الله عنه اعذرنى كانت ابنة الشيخ أبى الحسن عندى فكرهت ان أقطع كلامها والله ما أعد نفسى خادما من خدامهم وكان ينهى أن يعوق المريد اذا جاءه ويقول المريد يأتى بشعلة همته فاذا قيل له قف ساعة طفأت ما جاء به وكان لا يدل المريد على المتاعب والمشقات ولا يلزمه ذلك وكان يقول عن شيخه أبى الحسن ليس الرجل من دلك على تعبك انما الرجل من دلك على راحتك ومبنى طريقته على الجمع على الله وعدم التفرقة وملازمة الخلوة والذكر ولكل مريد معه سبيل

بلاحق اللاحق فافهم يا أخي ذلك وتمسك باذيال ماهنالك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) تعففي عن الاكل من مال الايتام ومن كل شئ للشرع عليه اعتراض فعلم انه ينبغي لمن مات له صاحب من المشايخ أن لا يبيت عند أولاده القاصرين بعده على جاري عادته مع والدهم أو عند أولاده الرشداء قبل قسمهم التركة بينهم وبين القاصرين الا ان تحقق انهم يضيفونه من مالهم دون التركة فان الاكل من طعامهم قلة ورع ان كان بطيبة نفوسهم وحرام ان كان بغير طيبتها وهذا الامر يقع كثيرا في زوايا المشايخ في الريف وفي مصر ويساعد على ذلك نقباء الشيخ الذي مات ويقولون لأم الاولاد مثلا نريد ان أولادك يطلعون مشايخ ويفتحون عين الزاوية فتظن الوالدة ان أولادها يطلعون مشايخ بذلك فتكلف نفسها وتطبخ من مال الايتام فليحذر الفقير الخائف على دينه من مثل ذلك والله تبارك وتعالى يحمينا والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) حمايته تبارك وتعالى لي من أخذ شئ من المعاليم المرصدة على شئ من القربات الشرعية ولو أن الواقف صرح في كتاب وقفه باسمي فلا آخذه الا لضرورة شرعية وذلك كأن لا أجد شيأ غيره واحتاج ثم اذا أخذته بهذا الشرط لا آخذه الا ابتداء اعطاء من الله تعالى لا في مقابلة فعل ما وقف ذلك عليه من القربات ومحك صدق صاحب هذا المشهد أن لا يعطل الوظيفة ويترك مباشرتها اذا صار الوقف معطلا بل يباشرها حسبة لله تبارك وتعالى ومن محك الصدق في ذلك أيضا أن لا يطالب بمعلومه ناظرا ولا جابيا لا تصريحا ولا تعريضا الا ان احتاج اليه ولم يجد غيره ومتى فعل ذلك فهو لم يشم لهذا الخلق رائحة * وقد رأيت شيخا له عذبة يشتكي ناظرا في بيت التفتيش على معلوم وظيفة لم يباشرها لا بنفسه ولا بوكيله مع غناه عن معلومها فقلت له هذا يجرح مشيختك فلم يلتفت الي * ولما عمل القاضي أبو البقاء بن الجيعان لسيدي الشيخ محمد السروي رضي الله تعالى عنه معلوما في الزاوية الحمراء خارج مصر في نظير الخطابة والامامة امتنع سيدي محمد من ذلك وقال نحن نفعل ذلك احتسابا وأنت ان شئت أن تعطي الفقراء ذلك احتسابا فعلم أن من ورع الفقير أن لا يأخذ معلوما على نظر مسجد ولا امامة ولا خطابة ولا وقادة ولا قراءة جزء ولا سبع ولا غير ذلك من سائر القربات الشرعية وعلى ذلك درج العلماء العاملون رضي الله تعالى عنهم ونفذت به وصاياهم في سائر أقطار الارض كالشيخ أبي اسحق الشيرازي رضي الله تعالى عنه والامام النووي رضي الله تعالى عنه فكانا رضي الله عنهما يوفران معلوم تدريسهما للوقف ويباشران التدريس لله تعالى مع انه بلغنا ان الشيخ أبا اسحق كان يحتاج الى جديد وكان يفت الرغيف اليابس ويسقيه بماء الفول المصلوق ويجعل ذلك إداما فاين هذا ممن يأكل في بيته الطيبات ويطبخ كل يوم اللحم الضاني ويأخذ معلوم وظيفته التي لم يباشرها لا بنفسه ولا بنائبه وربما يقول ان الله تعالى لم يجعل لي رزقا الا من الوظائف فنقول له صحيح فاننا ما نازعنا في انه رزقك اذ رزق الانسان هو ما ينتفع به ولو حراما وانما قلنا لك ان طريق الاشياخ كانت هكذا وأنت تزعم انك منهم فباشر وظيفتك لله عز وجل وخذ ذلك المعلوم ابتداء عطاء من الله جل وعلا لا بيعا لثواب تلك القربة لذلك المعلوم كما مر وهذا الخلق لا أعلم له في مصر فاعلا من أقراني الا القليل فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم قبولي شيأ زائدا على اخواني المستحقين اذا كان لي شئ في وقف المرتب لا في مقابلة عمل ولو فاض الوقف عملا بحديث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه ولو أن الناظر أعطاني ذلك من غير سؤال على وجه الاكرام رددته عليه أو فرقته على جميع المستحقين وأخذت منه كأحدهم لان من كمال مرتبة الداعي الى الخير أن لا يتميز عن المدعوين بشئ ثم ينهاهم عنه أو يأمرهم به فانهم ناظرون الى أفعاله ليقتدوا به وقد رأيت شيخا من مشايخ العصر يتنازع هو والناظر على عدم تمييزه عن اخوانه ويقول تجعل رأسي برأسهم والناظر يقول له هذا ما جعله لك الواقف فقلت له هذا يجرح مقامك فلم يلتفت الي وبالجملة فالذي ينبغي للشيخ أن لا يتعاطى شيأ فيه كراهة الله تعالى له بل يراعي كل أمر علم أن الله تعالى يحبه اجلالا لله تعالى لا لعلة ثواب ولا غيره لان عبد الثواب معدود عند كمل العارفين ممن هو في مقام بعض النساء وان

يحمل كل واحد على السبيل الذي يصلح له وكان لا يحب المريد الذي لا سبب له . وكان يدل المريد على الانجماع في حبه ولا يلزم المريد أن لا يرى غيره وكان يقول عن شيخه احبوني ولا أمنعكم أن تحبوا غيري فان وجدتم منهلا أعذب من هذا المنهل فردوا وكان اذا دخل المريد في أوراد بنفسه وهواه أخرجه عنها وكان اذا مدح بقصيدة أو أبيات يجيز المادح باقباله وربما واجهه بنواله وكان مكرما للفقهاء ولاهل العلم ولطلبته اذا جاؤه وكان يقول لاصحابه اذا جاء رئيس أو ذو وجاهة عرفوني به وكان أزهد الناس في ولاة الامور فاذا جاؤه أكرمهم وربما مشى لهم خطوات وكان شديد التعظيم لشيخه أبي الحسن حتى انك كنت تشهد منه انه لا اثبات منه لنفسه معه وكان اذا ذكر الشيخ رضي الله عنه ينشد شعرا

لي سادة من عزهم
أقدامهم فوق الجباه
ان لم أكن منهم فلي
في ذكرهم عز وجاه

وكان من شأنه انه ما خبئ له لا يأكله وكان يكره ان يعلم بطعام أو هدية قبل اتيانها وكان لا يدعو للمحسن بحضرته بل اذا غاب دعا له بظهر الغيب وكان اذا أهدي له شئ يسير تلقاه ببشاشة وقبول واذا أهدي له شئ كثير تلقاه بالعزة وكان لا يثني على مريد ولا يرفع له علما بين اخوانه

كان له لحية كبيرة وقد رأيت سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه مرة يعطى عامل البراس عادته من جباية الظلم الذى على البراس بطيب نفس و يبرئ ذمته مع ان معه مربعة السلطان فا يتباى باعتاقه منها ويقول ان الله تعالى يكره العبد المتميز عن اخوانه حتى فى ترك وزن المغارم التى يجعلها الظلمة على الناس بغير حق انتهى وهذا الخلق لم أره فاعلا فى مصر فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم مطالبتى لمن لى عليه حق دنيوى ما دمت أجد الكسرة اليابسة والخلقة ولكن ان أتانى بشئ مما لى عليه من غير مطالبة قبلته ابتداء عطاء من الله تبارك وتعالى وان لم يأتنى به لا أطالبه بنفسى ولا بوكيلى بانشراح صدر لذلك استهانة بالدنيا لا لعلة أخرى من حفوظ النفس فعلم ان من أخذ ماله بالمطالبة عند الحاجة اليه فلا يقدح ذلك فى كماله لكون ذلك يكفه عن سؤال الناس و يعتقه من تحمل منة الخلق الذين يفتقدونه بالطعام والشراب واللباس اذا رأوه محتاجا وكان سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يطالب من له عليه حق بنية عتق ذلك المديون من المنة وتقبيحا لعدم اعتنائه بوفاء الدين فى عينه حتى لا يتساهل به ولكل رجال مشهد ثم اذا وقع انى طالبته عند الحاجة وتعلل بضيق اليد فلا أكذبه ولا أحلفه على ذلك بل أسامحه الى وقت ميسرة لله تبارك وتعالى ثم لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكونه معدودا من أمته أو محبة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لعلة أخرى من طلب ثواب أو غيره وهذا الخلق لم أره فاعلا مع انه من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم المشهورة فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم لما رعى الغنم لخديجة قبل النبوة هو ورجل آخر كان الرجل يقول له يا محمد طالب لنا خديجة بالأجرة فيقول صلى الله عليه وسلم أنا أستحى انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم رؤيتى فى نفسى اننى أحق بما عندى من النقود والثياب والطعام وغير ذلك من أحد من اخوانى المسلمين الا ان كنت أحوج الى ذلك منه فاقدم نفسى حينئذ عملا بحديث ابدأ بنفسك ثم بمن تعول وبحديث الاقربون أولى بالمعروف ولا أقرب الى الانسان من نفسه فهى أقرب جار اليه بل هى حقيقته وهذا الخلق لا يصح لاحد التخلق الا بعد احكامه مقام الزهد فى الدنيا وبعد تخلقه بالرحمة على جميع خلق الله تعالى ومحك الصدق فى أحكامه مقام الزهد انه يصير ينقبض خاطره اذا دخلت عليه الدنيا فوق الحاجة و ينشرح اذا ضاقت يده ولم يجد عشاء ليلة وأن يكون بحيث لو سرق انسان قدرة ذهب له كانت معدة للمصالح لم يتغير منه شعرة ولو أن شخصا فتح صندوقه بحضرته وهو ساكت وأخذها لا يقول له اتركها ولا خل لى منها شيا ومتى رجع من يدعى الزهد شيأ من ذلك على ضده أو رأى ان ترك القدرة أحسن من أخذها فهو لم يشم من الزهد رائحة انما هو متفعل فى ذلك ولا أعلم أحدا من أقرانى تخلق بهذا الخلق فى مصر غيرى الا قليلا انتهى فافهم يا أخى ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم التفاتى الى شئ ضاع منى أو سرق أو نسيته فى مكان أو وقع ولو كان أردبا من الذهب ولا أبعث قط مناديا ينادى من رأى ذلك! كل ذلك هوانا بالدنيا وتنشيطا لهمم الاخوان اللهم الا أن يكون ذلك المال الذى ضاع منى حلالا لا أجد غيره فى ذلك الزمان أو يكون ملكا للغير فمثل هذا لى أن أبعث مناديا يقول من رأى كذا وكذا بل ذلك واجب فى مال الغير كما وقع ذلك لعائشة رضى الله تعالى عنها لما ضاع عقدها كما هو مذكور فى قصة نزول آية التيمم ثم اننا اذا لم نبعث مناديا ينادى لذلك لا بد من براءتنا الذمة من وجده فى الدنيا والآخرة حتى انه لا يقع فى أكل الحرام فى زعمه ويستهين بحدود الله تبارك وتعالى حيث لم يعرفه سنة أو أكثر أو أقل بحسب حكم الشرع فى ذلك وحتى لا يكون لنا عليه مطالبة فى الدار الآخرة فانه لا بد من اجتماع الخصم مع خصمه فى ذلك اليوم الشديد و ربما تاه الخصم من خصمه فلم يجده الا بعد مقدار سنة أو سنتين لكثرة اجتماع الخلائق ولا يمكن أحدا أن يدخل الجنة الا بعد اعطاء ما عليه من الحقوق فاذا أبرأناه من

مستمع له وصلى قيام رمضان سنة فقال قرأت القرآن فى هذه السنة كأنما أقرأه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء رمضان ثان فقال قرأته فى هذه السنة كأنما أقرأه على جبريل عليه السلام ثم جاءت السنة الثالثة فقال قرأته فى هذه السنة كأنما أقرأه على الله وكان اذا كانت ليلة القدر أخبر بها أصحابه ودعا فيها بمقدار ما يدعو كل ليلة ثلاث مرار وكان يقول أوقاتنا والحمد لله كلها ليلة قدر أنشدنا بعض اخواننا لبعض أهل الطريق شعرا

لولا شهود جمالكم فى ذاتى
ما كنت أرضى ساعة بحياتى
ما ليلة القدر المعظم قدرها
الا اذا عمرت به أوقاتى
ان المحب اذا تمكن فى الهوى
والحب لم يحتج الى ميقات

وجاءه الفقيه مكين الدين الاسمر فقال له ياسيدى رأيت ليلة القدر ولكن ليست كما أراها كل سنة رأيتها هذه السنة ولا نور لها فقال الشيخ رضى الله عنه نورك طمس نورها يا مكين الدين ولقد كنت مع الشيخ مكين الدين هذا بالجامع الغربى من الاسكندرية

ذلك أرحناه من طول انتظاره لنا وهذا خلق لم أرله فاعلا من أقرانى انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد رب العالمين

(وعما أنعم الله تبارك وتعالى به على) من صغرى عدم مزاحمتى على شئ فيه رياسة دنيوية أو تؤل الى الدنيا لاسيما ان كان هناك من هو أولى بها منى لكثرة علمه أو ورعه مثلا أو لكثرة تحمله للاذى ممن يترأس عليهم من الاخوان فلا أنازع من يزاحمنى فى الرياسة قط واذا كنت أخطب للناس أو أصلى بهم أو أدرسهم العلم أو اعظهم أو أسلكهم وجاءنى شخص يريد أن يكون مكانى وهو أهل لذلك تركته له بانشراح صدر مع اتهام نفسى فى الاخلاص وذلك لان مقصود الصادقين انما هو اقامة شعار الدين من حيث هو لا بشرط أن يكونوا هم الفاعلين لذلك الا بطريق شرعى ومتى نازعنا من يطلب منا ذلك ولم نتركه له بطريقه الشرعى فنحن محبون للرياسة ليس لنا فى قدم الصدق نصيب بل نحن محبون للدنيا التى زعمنا اننا تركناها وهذا أمر لم أجده فى مصر فاعلا غيرى الا القليل فانى اذا جاءنى أحد يطلب الطريق الى الله تعالى أرسله الى غيرى لاسيما الامراء والاكابر الذين حولهم البر وما رأيت أحدا من أقرانى فعل معى مثل ذلك أبدا مع قلة معرفته بالطريق وكثيرا ما أرى عند الشخص قلة اعتقاد فيمن أريد انى أرسله اليه فأحسن اعتقاده فيه جهدى ثم أرسله له فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(وعما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة حذرى من ابليس كلما ترقيت فى مقامات الطريق اعلمنى بأنه لمثل ذلك بالمرصاد لحرصه لعنه الله تعالى على اغواء الخلق فهو لا يفارق الاعوج ولا المستقيم أما الاعوج فانه من جنده وأما المستقيم فيلازمه ويترقب له وقتا يغويه فيه من وقت غفلة أو سهو أو تأويل أو تزيين ولولا ان الله تبارك وتعالى يحفظ الاكابر منه بعصمة أو حفظ لما قدر أحد على رد كيده منه ولذلك شرع الله تبارك وتعالى لنا الاستعاذة به تعالى منه فلم يقل لنا استعيذوا بأحد من الملائكة ولا باحد من الانبياء من كيد ابليس لعلمه تبارك وتعالى بعجز الخلق عن مثل ذلك (وسمعت) سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول الحكمة فى استعاذتنا باسم الله تعالى دون غيره من الاسماء كون الانسان لا يعرف من أى حضرة يأتيه ابليس من طرق حضرات الاسماء الالهية فلذلك أمرنا أن نستعيذ منه بالاسم الجامع لحقائق الاسماء كلها لنسد على ابليس كل طريق أتى لنا منها انتهى (وسمعته) أيضا رضى الله تعالى عنه يقول لم يعصم الله تعالى الاكابر من وسوسة ابليس لهم وانما عصمهم من العمل بما يوسوس لهم به فقط فهو يلقى اليهم وهم لا يعملون بذلك لعصمتهم أو حفظهم قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته (ثم لا يخفى) ان العبد كلما قرب من حضرة الله تعالى اشتدت عداوة ابليس له وكان له أشد ملازمة من غيره وذلك لعلم ابليس بكثرة ضلال الناس اذا ضلت أئمتهم ثم اذا دخل الاكابر الحضرة فان ابليس يقف على الباب ينتظرهم فكل من خرج منهم بغير اذن ركبه كما يركب الانسان الحمار يصرفه باذن الله كيف شاء ومرادنا بالحضرة شهود العبد انه بين يدى الله تبارك وتعالى وهو تعالى يراه ومرادنا بخارج الحضرة حجابه عن هذا المشهد فمتى حصل للانسان غفلة عن شهود ان الله تبارك وتعالى يراه خرج من الحضرة فى أسرع من لمح البصر فركبه ابليس كما يركب الانسان الحمار ومتى استحضر ان الله تبارك وتعالى يراه نزل ابليس من على ظهره أسرع من لمح البصر هكذا شأنه مع الخلق دائما والناس فى المكث فى الحضرة والخروج منها متفاوتون قلة وكثرة بحسب علو الدرجة وخفضها فمن الناس من لا يدخل الحضرة الا فى صلاة الفريضة فقط ومنهم من يدخلها فى النوافل كذلك ومنهم من يدخلها فى كل عبادة مشروعة ومنهم من يمكث فيها من أول العبادة الى آخرها ومنهم من يخرج فى أثنائها ثم يدخل ومنهم من يخرج فلا يدخل حتى تنقضى تلك العبادة مع الغفلة ومنهم من يدخلها فى الليل والنهار مقدار درجة أو أقل أو أكثر بحسب مقامه ومنهم من يحضر فى أكثر النهار ويغفل فى باقيه ومنهم من يحضر فى الليل كذلك ومنهم ومنهم وهكذا وأكملهم من كان حاضرا مع الله تبارك وتعالى فى ليله ونهاره الا فى الاوقات التى يسامح الحق تبارك وتعالى فيها البشر فانهم قالوا ان مراقبة الحق تبارك وتعالى مع الانفاس ليست من مقدور البشر بخلاف الملائكة وكان

فى العشر الاخير من رمضان ليلة ست وعشرين فقال الشيخ مكين الدين أنا الساعة أرى ملائكة صاعدة وهابطة فى تهيئة وتعبية أرأيت تأهب أهل العرس له قبله بليلة كذلك رأيتهم فلما كانت الليلة الثانية وهى ليلة سبع وعشرين وكانت ليلة جمعة قال أنا الساعة أرى ملائكة معهم اطباق من نور الملك يوازى مأذنة الجامع وفوق ذلك ودون ذلك وهذه هى ليلة القدر فلما كانت الليلة الثالثة وهى ليلة ثمانية وعشرين قال رأيت هذه الليلة كالمغيظة وهى تقول هب ان لليلة القدر حقا يرعى أما لى حق يرعى وكان الشيخ مكين الدين من أرباب البصائر ومن النافذين الى الله وكان الشيخ أبو الحسن يقول عنه بينكم رجل يقال له عبد الله بن منصور أسمر اللون أبيض القلب والله انه ليكاشفنى وأنا مع أهلى وعلى فراشى ومرة أخرى قال فيه ما سلكت غيبا من غيوب الله الا وعمامته تحت قدمى ولقد أخبرنى الشيخ مكين الدين هذا قال دخلت مسجد النبى بالاسكندرية بالدمياس فوجدت النبى المدفون هناك قائما يصلى وعليه عباءة مخططة فقال لى

تقدم فصل قلت له تقدم أنت فصل قال تقدم أنت فصل فانكم من أمة نبى لا ينبغى التقدم

سيدى معروف الكرخى رضى الله تعالى عنه يقول لى ثلاثون سنة فى حضرة الله تعالى ماخرجت فأنا أكلم الله دائما والناس يظنون انى أكلمهم والى ماقررناه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لى وقت لا يسعنى فيه غير ربى فنكر الوقت تشريعا لامته قال بعضهم يحتمل أن يكون المراد بالوقت العمر كله أى لى عمر لا يسعنى فيه غير ربى أى خصنى الله بذلك ويؤيده قوله تعالى وما ينطق عن الهوى فليتأمل وهو أى الوقت فى الحديث يشمل الوقت الكثير والقليل بحسب مقام أمته وقد نقل الجلال السيوطى رضى الله تعالى عنه فى كتاب الخصائص أنه صلى الله عليه وسلم كان مكلفا بخطاب الحق تبارك وتعالى والخلق معا فى آن واحد لا يشغله أحد الخطابين عن الآخر وأما غيره فان خاطب الحق تبارك وتعالى حجب عن الخلق وان خاطب الخلق حجب عن الحق جل وعلا انتهى ولم أر أحدا من أقرانى تخلق بالحذر من ابليس كلما ترقى فى المقامات الا القليل فان أحدهم بمجرد ما يصير يقال له ياسيدى الشيخ يظن ان ابليس فارقه ومابقى له عليه سلطنة بل سمعت بعضهم يقول نحن لا نعرف ابليس أصلا وما ثم الا الله تعالى فقلت له فهل زال ابليس من الوجود فى مشهدك أم أنت حجبت عنه فقال حجبت عنه فقلت له فاذن هو مسلط عليك وبالجملة فمن دقق النظر وجد ابليس يترقى معه فى كل مقام سلكه من حيث دوام مجالسته له ولا ينقطع بالكلية فبعد أن كان يوسوس له فى فعل المعاصى الظاهرة صار يوسوس له فى المعاصى الباطنة أو الصغيرة فى عينه الخفية عن شهوده * وكان سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يقول كلما ترقى العارف فى المقام سذج باطنه وقبل عمل الحيلة من ابليس وقد قالوا من كان كثير الانقياد خيف عليه الفساد وقد قالوا ان أكذب الناس الصالحون أى لانهم لا يعتقدون ان احدا يكذب قياسا على أنفسهم فيرون كل ما سمعوه لاسيما ان حلف لهم انسان بالله تعالى (وقد بلغنا) ان عيسى عليه الصلاة والسلام رأى انسانا يسرق فقال له عيسى الا تزد المتاع الى أصحابه فقال والله يا روح الله ماهو أنا الذى سرق قال عيسى عليه الصلاة والسلام فصدقته وكذبت عينى انتهى فقد بان لك يا أخى ان معنى أكذب الناس الصالحون ظنهم ان أحدا لا يكذب لا انهم يتعمدون الكذب حاشاهم من ذلك فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة تكبيرى باخوانى اذا صاحبت أميرا أو كبيرا فلا أزال أمدحهم عنده فى غيبتهم وأحسن اعتقاده فيهم حتى ربما تركنى وصحبهم ثم انى أفرح بتحويل اعتقاد ذلك الامير عنى واعتقاده فيهم وانكاره على أشد من فرحى بالعكس وهذا الخلق عزيز فى الفقراء من أهل العصر ولم أر له فاعلا غيرى الا قليلا فما صحبنى قط أمير ولا كبير الا وأرسلته الى غيرى وحسنت اعتقاده فيه ولم يفعل ذلك أحد منهم معى بل بعضهم جرح فى عند من سبقهم لصحبتى وحكى له عنى ماهو أهله فالله يتوب عليه * واعلم يا أخى أن المعين لى على حصول الفرح بتحويل اعتقاد الامراء والاكابر عنى كونى لا أصحبهم قط لعلة دنيوية من احسان أو بر وانما أصحبهم لصالح العباد لا غير فاذا أعرضوا عنى أقبلت بقلبى على عبادة ربى واشتغلت به وحده دون خلقه وان كان صحبتهم الاخرى فيها الخير لكن ثم مقام رفيع ومقام أرفع فعلم ان كل من لم يصحب الاكابر لله تعالى فن لازمه غالبا قلة التكبير باخوانه عند ذلك الكبير خوفا ان يميل الى غيره ويقطع عنه بره واحسانه ونحو ذلك وفى الحديث جبلت القلوب على حب من أحسن اليها انتهى فن كان مشهده أن المحسن له هم الخلق تكدر افراقهم ضرورة ومن كان مشهده ان المحسن له الحق تبارك وتعالى وحده لم يتغير منه شعرة لو أدبر الخلق عنه أجمعون فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) انشراح صدرى لتقديم زيارة من يكرهنى وينكر على على زيارة من يحبنى ويعتقدنى وذلك لان القلب مع من يحبنى فى قرار العار ومع من يكرهنى فى طبقات النيران فانا بحمد الله تبارك وتعالى أخاف على نفسى من كراهتها لمن يكرهنى وأخاف على من تمادى على كراهتى من نقص دينه بسبب ذلك فابادر لزيارته طلبا لتخفيف عداوته وكراهته لى أو كراهتى له ان وقعت وفى ذلك أيضا من رياضة النفس مالا يخفى على عاقل هذا كله فى حق من يكرهنى لعلة أخرى غير الحسد يمكننى عادة ازالتها أما الحاسد فلا يرضيه منى الا زوال نعمتى وذلك الى الله تبارك وتعالى لا الى فليس فى قدرة العبد ان يرد ما قسمه الله تعالى له بل

عليه قال فقلت له بحق هذا النبى الا ما تقدمت فصليت قال فانا أقول بحق هذا النبى الا وقد وضع فمه على فى اجلالا للفظة النبى كيلا تبرز فى الهواء قال فتقدمت فصليت وأخبرنى الشيخ مكين الدين أيضا قال بت بالقرافة ليلة جمعة فلما قام الزوار قمت معهم وهم يتلون الى ان انتهوا فى التلاوة الى سورة يوسف ومنها الى قوله وجاء اخوة يوسف وانتهوا فى الزيارة الى قبور اخوة يوسف فرأيت القبر قد انشق وطلع منه انسان طوال خفيف شعر اللحية صغير الرأس آدم اللون وهو يقول من أخبركم بقصتنا هكذا كانت قصتنا ولقد كنت يوما مضطجعا وأنا ساكن مطمئن فاجد فى قلبى انزعاجا على بغتة وباعثا يبعثنى على الاجتماع بالشيخ مكين الدين رضى الله تعالى عنه فقمت مسرعا فدققت عليه الباب فخرج فلما وقع بصره على قال أنت ماتجىء حتى يسير الناس خلقك فتبسم وقلت سيدى قد جئت فدخل وأخرج لى وعاء وقال هذا الوعاء اذهب به الى الشيخ أبى العباس وقل له قد كتبت فيه آيات من القرآن ومحوتها بماء زمزم وشىء من عسل فذهبت بذلك الى الشيخ فقال ماهذا قلت أرسله اليكم الفقيه المكين الاسمر فادلى فيه أصبعا واحدة وقال هذا بحسب البركة

من

من الادب عدم ردها وشكره تعالى له عليها فان ردّ نعم الاكابر من ملوك الدنيا سوء أدب معهم فمع الحق جل وعلا أولى وأنا أعلمك يا أخى مبرانا تعرف بها من يكرهك حسدا ومن يكرهك لغير ذلك وهو أن كل من رأيته يكرهك ويحط عليك فى مجالس المستهزئين ولا يقدر على تصويره دعوى صحيحة عليك لا عند حاكم من الخلق ولا بين يدى الله تبارك وتعالى فى الدار الآخرة فاعلم أنه حسود خالص فلا تتعب نفسك فى زيارته بقصد أنه يحبك فان ذلك لا يكون * وسمعت سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول اياك أن تقبل رجل عدوك وتتواضع له طلبا لزوال ما عنده من الحسد فانك تذل نفسك فى غير محل وتكبر نفسه بغير حق انتهى فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) قصدى بتقديم زيارة عدوى نفعه هو فى دينه بتخفيف عداوته بالاصالة وتركه التنقيص الموجب للاثم لا نفرة نفسى من تنقيصه لى فى المجالس بقطع النظر عن نفعه هو فان الفقراء يحملون أكثر من ذلك كما سيأتى بسطه فى الخاتمة وفيها ان حكم من يريد تغيير الفقير الصادق بكلام يقوله فيه حكم ناموسة نفخت على جبل تريد ان تزيله من مكانه وأيضا فلو قدر أن الفقير الصادق تأثر من كلام قيل فيه فهو لغرض صحيح كخوفه على الضعفاء من أصحابه وأتباعه أنهم ينفرون عنه فلا ينتفعون بشئ من نصحه لهم وأيضا فانه يعلم ان له ربا يأخذ له بحقه لا يغيب عنه مثقال ذرة من كلام عدوه فهو راض بذلك ولو كشف للعبد لرأى نفسه وخصمه بين يدى الله تبارك وتعالى وهو يسمع ويرى ما يصنعه بعض عبيده مع بعضهم وقد أرسل لكل منهما ملكين كاتبين حافظين يكتبان ما يلفظ به كل عبد ضبطا لحقهما اذا نسى أحدهما ما فعله الآخر معه ومن آمن بذلك جزما ذهب تكدره من عدوه جملة واعلم يا أخى ان كراهة المسلمين بغير حق تنقص دين الكاره ثم يقل النقص ويكثر بحسب قلة الكراهة وكثرتها فمن أبغض عشر أهل بلده مثلا نقص عشر دينه ومن كره ربعهم نقص ربع دينه وهكذا من نصف وثلاثة أرباع وأكثر وأقل فمن فهم ما ذكرناه لم يكره أحدا من المسلمين بغير حق أبدا صيانة لدينه هو اذ ينقص منه شئ ويحتاج من يريد التخلق بهذا المقام فى مجاهدة طويلة على يد شيخ صادق ليس عنده شحناء ولا كراهة لاحد من أقرانه وهذا أعز من الكبريت الاحمر الآن وقد خبرت كثيرا ممن جلسوا فى صورة مشايخ العصر فلم أجد أحدا منهم يسلم من الشحناء الا القليل كسيدى الشيخ سليمان الخضيرى والشيخ ابراهيم الذاكر واضرابهما نفعنا الله ببركاتهم وكل ذلك من قلة رياضة نفوس المدعين للطريق ومبادرتهم للجلوس للمشيخة قبل خمودنا بشريتهم وزوال رعوناتها (وقد أدركت) سيدى عليا المرصفى رحمه الله تعالى لا يأذن لاحد فى الجلوس للمشيخة الا بعد الاذن له من رسول الله صلى الله عليه وسلم صريحا بقوله له قل لفلان يبرز للخلق وينفع الناس فلما مات رضى الله تعالى عنه صارت مصر كانها مقات بطيخ خربت وأطلقت فيها البهائم فالعاقل من نصح نفسه وأخذ الطريق عن أهلها ولم يجلس الا بعد اذنهم له ولا أعلم الآن من جلس فى مصر باذن من شيخه الا القليل ولذلك كثرت عداوتهم لابناء الحرقة فتجد أحدهم يكره صاحبه كما يكره الفجار الابرار ولا سيما ان كانوا فى حارة واحدة حتى انى رأيت كثيرا منهم يموتون فلا يحضر أحد من أقرانهم جنازته ولو أن هؤلاء كانوا فطموا على يد شيخ عن رعونات نفوسهم لاحبوا كل من أطاع الله وكرهوا كل من عصاه برحمة وشفقة شرعيتين كما يظهر الوالد والوالدة لولدهما الصغير الغضب والانفة بالفعل والقول وقلبهما يرحمه وبالجملة فاذا رأيت فقيرا يدعى الكمال وهو يكره فقيرا كذلك ويدعى الكمال فكلاهما كذاب على الطريق أو أحدهما فى نفس الامر وقد كنت أسمع الناس وأنا صغير يقولون لو لم يكن فى اتباع طريق الفقراء من الخير الا قول أحدهم اذا سئل عن أخيه حال غضبه عليه ونعم من ذكرت لكان فى ذلك كفاية فى الحث على اتباع طريقهم بخلاف غيرهم فانك اذا سألته عن أحد من اخوانه حال غضبه عليه يقول بئس من ذكرت فصار غالب الفقراء اليوم يقولون عن اخوانهم لمن رأوه يمدحهم بئس من ذكرت ويظهر التكدر على وجهه والعبوسة وقد بلغنا أنه كان بين خالد بن الوليد وبين شخص وقفة فلما ذكروا عنده ذلك الشخص بخير أخذ خالد يمدحه فقيل له فى ذلك فقال ان الذى وقع بينى وبينه لم يبلغ الى ديننا * ومما وقع لى ان شخصا جاءنى يطلب منى أن ألقنه فلم أجد عنده همة ففارقنى ولبس له عمامة

أتونى باوعية من زجاج مملوءة شرابا وهم يقولون خذ هذا عوض ما أهديت الى الشيخ أبى العباس وكان الشيخ أبو العباس كثير الرجاء لعباد الله الغالب عليه شهود وسع الرحمة وكان يكرم الناس على نحو رتبتهم عند الله حتى انه ربما دخل عليه مطيع فلا يبتهل به وربما دخل عليه عاص فاكرمه لان ذلك الطائع ربما أتى وهو متكبر بعمله ناظر لفعله وذلك العاصى دخل بكسر معصيته وذله ومخالفته وكان شديد الكراهة للوسواس فى الطهارة والصلاة ويثقل عليه شهود من كان ذلك وصفه سئل يوما وأنا حاضر فقيل له ياسيدى فلان صاحب علم وصلاح كثير الوسوسة فقال وأين العلم يا فلان العلم هو الذى ينطبع فى القلب كالبياض فى الابيض والسواد فى الاسود

(الباب الخامس)

فى آيات من كتاب الله تعالى تكلم على تبيين معناها واظهار فحواها قال الله تعالى الحمد لله رب العالمين قال الشيخ رضى الله عنه علم الله سبحانه عجز خلقه عن

حمده فحمد نفسه بنفسه فى أزله فلما خلق الخلق اقتضى منهم أن يحمدوه بحمده فقال الحمد لله رب العالمين أى قولوا الحمد لله رب العالمين أى

من صوف وأرخى له عذبة وجمع له جماعة من الشباب والعوام وقال لهم تعالوا خذوا عنى طريق التصوف فقال له بعض الناس من شيخك فقال أخذت عن فلان فكذبه أصحاب ذلك الشيخ فادعى أنه تلقن على شيخ آخر فكذبه جماعته فادعى أن سيدى عليا المرصفى لقنه فى المنام وأذن له وذلك كله كذب وتلبيس ثم انه تحلس بحلاس الفقراء القدماء الهجرة فى الطريق حتى صار كأنه واحد منهم فارسلت له ورقة أرشده فيها الى أحد من أشياخ الطريق يتلمذ له ويأذن له ان رآه أهلا لذلك فلم يفعل فأسأل الله عز وجل أن يتوب علينا وعليه آمين فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حسن سياستى لمن رأيته يبغض أخاه المسلم بغير حق وذلك باقبالى عليه وبشاشتى له وتقديم طعام له ونحو ذلك مما يميل القلوب الى المحبة فاذا مال الى وأحبنى سارقته بذكر الصفات التى تميل خاطره الى عدوه شيأ فشيأ ولا أقول لاحدهما قط لا تعد تأتنى ما دام فلان غضبان عليك فانه يفهم من ذلك العصبية مع عدوه فلا يصير يسمع لنا نصحا لكونه جعلنا خصما له فصرنا نحتاج الى شخص ثالث يصلح بيننا لا سيما والفقير اذا شاع اسمه فى الوجود يصير موردة للناس للعدو والصديق كما يرد على الامير العدو والصديق ولا يمكنه أن يرد واحدا منهما ومن شرط الفقير الاقبال ببشاشته على كل وارد عليه بطريقه الشرعى قياما بواجب حقه وقلبه فارغ من العصبية لاحد الاخصام * ولما قام أهل مصر على ناظر النظار فى سنة تسع وخمسين وتسعمائة بسبب ابطال نظار المساجد كلها صار أهل مصر فرقتين فرقة معه وفرقة عليه وصار كل من الفريقين يرد على فكنت أحبب كل فريق من الفريقين فى الآخر من وراء صاحبه وأنهاه على فعل شئ يضر عدوه وكان الوزير على باشا مساعدا لاهل مصر فجاءنى ناظر النظار يأخذ خاطرى فحطيت عليه وأعلمته بوجوب طاعة ولى الامر عليه فى المعروف وأنه لا يخونه بالغيب فبلغ بعض الحسدة مجيء ناظر النظار الى فطلع للباشا وقال ان ناظر النظار زار فلانا وأكرمه بقصد تغيير خاطر الباشا على فقال له الباشا فاسمعته يقول له قال لم أعرف ماذا قال له فزجره ولم يصغ الى قوله فكتبت ورقة للباشا خشية على دينه أن ينقص بسببى من مضمونها أنا الذى طلبت الاجتماع بناظر النظار لاعلمه طريق الادب معكم وأخبره بوجوب طاعتكم وتحريم مخالفتكم فرضى منى بذلك وقال ذلك هو ظنى بالفقراء فلما مرض وزرته فى القلعة لم أر عنده شيأ من تغيير الخاطر فاياك يا أخى أن تظن بفقير أنه يتعصب بالباطل مع أحد الخصمين كما يفعل أبناء الدنيا فان ذلك ظن كاذب فان الفقراء لا يمشون بين الناس الا بالصالح فاعلم ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) عدم تقديم نفسى على أحد من اخوانى فى شئ من الامور التى فيها رياسته الا بسؤالهم لى فى ذلك بطيبة نفس أو لمصلحة أراها ترجح على مصلحة عدم التقديم فلا أفتتح مجلس ذكر الا ان سألونى كلهم فى ذلك بشرط أن لا يكون هناك أحد من الاشراف ولا أحد أكبر منى سنا فان كان هناك من هو أسن منى أو شريف ولو صغيرا قدمته على ولو سألونى فى ذلك أدبا مع من هو أسن منى ومن هو أشرف منى ثم اذا افتتحت المجلس بالشرط المذكور أقصد بذلك المبادرة الى تحصيل سماع الناس ذكر الله تبارك وتعالى محبة فى الله تعالى لا لعلة أخرى من ثواب أو غيره وهذا خلق ما رأيت له فى عصرى فاعلا الا القليل بل رأيتهم يتخاصمون على البداءة بالذكر وبعضهم رأيته يستخدم الشريف ويحمله سجادته ليفرشها له وهذا كله جهل بالمراتب وسيأتى بسط ذلك فى مواضع من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وكثيرا ما يتنازع عندى اثنان فأكثر فاسألهما أن يفتتحا قبلى فاعلم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) انى لا أرى لى ملكا مع الله تبارك وتعالى فى شئ أعطانيه بل أقبله من الله تبارك وتعالى ثم اخرج عنه فورا الى المالك الحقيقى وهو الله تبارك وتعالى وانما كنت أقبله أولا ولا أرده أدبا مع الله تعالى فانه تبارك وتعالى ما خلق كل ما فى الوجود الا لعباده لغناه تبارك وتعالى عن العالمين فانا أقبله منه وأبقيه بقدر ما أتحقق بقبوله لاشكره تبارك وتعالى عليه الذى استخلفنى فيه ولولا نسبة ذلك العطاء

فى قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين اياك نعبد شريعة واياك نستعين حقيقة اياك نعبد اسلام واياك نستعين احسان اياك نعبد عبادة واياك نستعين عبودية اياك نعبد فرق واياك نستعين جمع واعلم رحمك الله باقباله عليك برده وجعلك من الراعين لعهده ان الله سبحانه وتعالى طلب من العباد أن يعبدوه واقتضى منهم أن يسجلوا بذلك على أنفسهم نطقا كما قاموا به عملا واقتضى منهم أن يفردوه واقتضى منهم أن تنتظم للعبادة جميع جوارحهم الظاهرة وحقائق وجوداتهم الباطنة واقتضى منهم الرجعى اليه من دعوى القيومية فى العبادة بصدق التبرى من الحول والقوة فلما قام العبد لله بالعبادة عملا اقتضى الحق أن يعترف بها نطقا ليكون ذلك معاهدة بينه وبين الحق سبحانه حتى اذا تفلتت نفسه عن القيام بالعبادة له وثقلت عليها ملازم التكليف قامت الحجة على العبد بما أعطى الله سبحانه من الاعتراف بالعبادة له وانه لا يعبد غيره بقوله اياك نعبد واقتضى من العباد أن تستوعب العبادة جميع جوارحهم الظاهرة وعوالمهم الباطنة باتيانه بالصيغة هكذا

لى لما صح لاحد شكر على نعمة طعام ولا شراب ولا غيرهما وانما كان يشكر على نعمة الايجاد والامداد فقط كالملائكة اذ لم يرد لنا انهم يحتاجون الى شئ من المطاعم والمشارب والمراكب والمناكح والدور وغير ذلك مما هو خاص بنا وايضاح ما قلناه ان حقيقة العطاء أن ينتقل ذلك من ملك المعطى اسم فاعل الى ملك المعطى اسم مفعول وهذا لا يصح فى حقنا مع البارى جل وعلا فان العبد وما يدخل فى يده لسيده باجماع ولا يصح أن يتوارد ملك الحق عز وجل والعبد على عين واحدة بحقيقة واحدة لان الله تبارك وتعالى مالك حقيقى والعبد مالك مجازا من حيث الحدود المتعلقة بالخلق لا المتعلقة بالله جل وعلا فغاية ملك العبد انه مستخلف فيما بيده يصرف منه بالمعروف على عباد الله من نفسه وغيره لا غير كالوكيل المحض وعبارة المنهاج فى مذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه تأليف الامام محيى الدين النووى رحمه الله تعالى ولا يملك العبد بتمليك سيده فى الاظهر (فان قيل) فاذا كان العبد لا يملك شيأ فمن أين جاء تحريم غصب ماله (فالجواب) ان تحريم الغصب ما جاءنا من جهة ملك العبد مع الله تعالى وانما هو من جهة تمليك الحق جل وعلا له ذلك على وجه الاستخلاف دون غيره من العبيد كما مرت الاشارة اليه فلما تعدى الغاصب وأخذ ما لم يستخلفه الحق تبارك وتعالى فيه بما استخلف فيه غيره عوقب بسبب ذلك وكان لسان الحق جل وعلا يقول من أخذ من أحد شيأ بغير طريق شرعى عذبته فالعذاب من حيث أخذه ذلك بغير طريق شرعى لا من حيث ملك العبد مع الله تبارك وتعالى فافهم هذا ما علل به القوم وهو اختلاف فى العلة لا فى الحكم فان القوم أجمعوا على تحريم الغصب وان كانوا يرون ان العبد لا يملك مع الله شيأ وانه يستحق العقوبة التى توعد الله الغاصب عليها فقد اتفق القوم مع العلماء على تحريم الغصب وعلى استحقاق صاحبه العقوبة واختلافهم فى العلة لا يقدح فى الحكم ويؤيد ما قررناه من عدم ملك العبد وأنه لا يشترط فى تحريم الغصب لشئ ملك صاحبه له حقيقة ما قاله علماؤنا من تحريم غصب الاختصاصات كالزنبل مع أنها لا تملك ثم لا يخفى عليك يا أخى ان مقام شهود العبد ذوقا انه لا يملك مع الله سبحانه وتعالى شيأ مقام يذوقه المريد أول دخوله فى طريق القوم فليس هو بمقام عزيز كما يظنه من لم يسلك الطريق فيقول عن مثل ذلك هذا مقام الخواص ولو أنه دخل طريق القوم لعرف ان المريد يذوقه من أول قدم يضعه فى الطريق كما مر ايضاحه فى الباب الاول فلا يزال يذكر الله تبارك وتعالى حتى ينجلى باطنه فيشهد ان الملك لله عز وجل والفعل لله تعالى والوجود الحق لله ومحك الصدق فى حق من ادعى هذا المقام ذوقا انه لو كان عنده ألف دينار واحمال من الثياب والامتعة فسرقت من داره لم يتغير منه شعرة لاجل زوال ملكه عنه وانما يتأثر لنقص دين الآخذ لذلك بل يرى ان عبيد الله تعالى أخذوا ما يحتاجون اليه من مال سيدهم دون مال عبده ونرجح فى اعتقاده شمول مغفرته تعالى للآخذ فلا يتأثر على ما مر تقريره وكذلك من محك صدقه فى دعواه انه لا فاعل الا الله تبارك وتعالى أنه لو ضربه انسان بسيف لم يتغير على ذلك الضارب الا من حيث ما ذكر فمن ذاق ما ذكرناه فهو الذى يحسن منه أن يقول لا ملك ولا فعل الا الله تعالى ذوقا وشهودا ولا ينسب ذلك الى الخلق الا بقدر نسبة التكليف اليهم فقط فعلم انه متى تكدر ممن أخذ ماله أو ضربه فتوحيده الملك والفعل لله تبارك وتعالى علم لا ذوق * وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول جميع ما بيد العارفين من أمور الدنيا مما أضيف اليهم ملكه حكمه فى الاضافة حكم باب الدار وبرذعة الدابة على حد سواء فان كانت الدار تملك الباب أو الدابة تملك البرذعة فكذلك العبد مع الله تبارك وتعالى فما شكر العارفون ربهم على ما أعطاهم الا من حيث تمكينهم من الانتفاع به على الوجه الشرعى لا من حيث ملكهم لذلك نظير ما قررناه آنفا من وجه تحريم الغصب عند القوم هكذا حكم العارفين فى جميع ما يعطيه الله عز وجل لهم فى الدنيا والآخرة وقد تحققنا بذلك ولله الحمد فلست أرى لى ملكا مع الله تبارك وتعالى فى الدارين انما أرى نفسى عبدا غارقا فى احسان سيدى آكل وألبس وأنكح وأنفق من مال سيدى فسواء أعطانى شيأ أو منعنى فهو عندى سواء لعدم شهودى الملك معه ما عدا نسبة العطاء أى لاجل الشكر عليه فقط كما مر تقريره * ومما وقع لى أوائل دخولى فى الطريق ان شخصا لقينى فى سوق خان الخليلى لا أعرفه فقبض على طوقى وصار يصكنى فى عنقى ويقول هذا أفسد امرأتى فلا زال يصحبنى حتى قربت من عطفة الجامع الازهر فنظر فى وجهى وقال أنا غلطت فيك

لواحد المعظم نفسه أو هو مع غيره وليس هذا موضع هذين المعنيين اذ العبد لا يبتدئ بين يدى الله بوصف عظمة فلم يبق الا أن يكون للواحد ومعه غيره وذلك ما أشرنا اليه من الجوارح الظاهرة والحقائق الباطنة وأما انه اقتضى منهم الرجعى اليه من دعوى القيومية فى العبادة لانه لما قال اياك نعبد فاضاف العبادة اليهم واقتضى منهم أن يعترفوا بذلك قياما بدائرة الفرق التى عليها يترتب التكليف أردف ذلك بقوله واياك نستعين كيلا يدعى العباد معه انهم قاموا بالعبادة بانفسهم فاراد منهم أن يوفوا الحقيقة حقها والشريعة حقها فذلك جمع بين الامرين القيام بالعبادة لربوبيته والتبرى من الحول والقوة مع الهيته ثم قال سبحانه اهدنا الصراط المستقيم قال الشيخ بالتثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل وهذا الجواب ذكره ابن عطية فى تفسيره وبسطه الشيخ فقال عموم المؤمنين يقولون اهدنا الصراط المستقيم أى بالتثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل فانه حصل لهم التوحيد وفاتهم درجات الصالحين والصالحون يقولون اهدنا الصراط المستقيم معناه نسألك الثبات فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل

وأقول أستغفر الله فى حقك ولم يتغير منى عليه شعرة واحدة بل كنت مسرور النظرى الى خالق تلك الحركة التى صكنى بها والقول الذى قاله فعلمت أنى تحققت بتوحيد الفعل لله تعالى ذوقا * وكذلك وقع لى انى ألزمت باحضار الامير محيي الدين بن أبي أصبع لما استخفى من السلطان أحمد فسكنى أعوان الوالى ومدونى للتوسيط بحضرة الوالى فلم يتغير منى شعرة بل صرت أتبسم حتى تعجب الوالى وقال أطلقوه ثم استغفر فى حقى ثم تحول غضب السلطان على ذلك الوالى فسلك وعوقب فى البرج ومات بعد ثلاثة أيام انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) خفض جناحى لفسقة المسلمين كالحشاشين والمقامرين والظلمة ولا أحتقر فى نفسى أحدا منهم الا من حيث ذلك الفعل المذموم حين التلبس به فقط فاذا نزع منه وتوضأ وصلى مثلا حملته على انه تاب منه وندم ودليل ذلك قوله تعالى فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين * وقد رأيت سيدى الشيخ أبا السعود الجارحى رضى الله تعالى عنه يتواضع لحشاش فقلت له فى ذلك فقال ربما كان أحسن حالا منى وأصفى قلبا وأخشع لله منى انتهى * وكان سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يقول لا ينبغى أن يتواضع للفسقة الا الدعاة الى الله تعالى من العلماء العاملين لأمنهم على أنفسهم من الفتنة بمخالطتهم بخلاف العامة لانهم ربما مالوا الى محبة أهل المعاصى ووقعوا فيما وقعوا فيه انتهى فعلم انه لا لوم على الدعاة الى الله تعالى من العلماء العاملين فى تليينهم الكلام للفسقة بقصد صحيح كأن يقصدوا بذلك تميل قلوبهم الى محبتهم حتى يصغوا النصحهم فان التكبر على الفسقة واظهار احتقارهم مما ينفر قلوبهم وتامل يا أخى الصياد اذا اصطاد سمكة كبيرة وخاف على خيطه أن ينقطع كيف يخدعها ويرخى لها الخيط حتى تبعد ثم يسحبها مسارقة شيأ فشيأ حتى تدخل تحت يده ويقبض عليها وكذلك العصاة فانهم مارقون من طريق الاستقامة وقد ضرب بينهم وبين محبة المأمورات الشرعية بسور فلا يجدون لفعلها طعما بخلاف المعاصى فان نفوسهم كادت تطبع على محبتها فكأن أهل المعاصى صاروا أعداء لاهل الطاعات * وقد رأيت مرة فقيها رأى شخصا فى الحمام قد كشف عن فخذيه فحركه برجله على وجه الازدراء والاحتقار وقال غط فخذك ياقليل الدين فتحركت نفس ذلك الشخص ونزع المئزر من وسطه ورماه وقال ماعدت أجلس الا عريانا جكارة فيك يافقيه ولو ان الفقيه كان قال له بشفقة ورحمة وعدم احتقار يا أخى أنت من ذوى المروآت ولا يعرف كل أحد عذرك فى كشف فخذك وقد غرت عليك ان أحد ابرى فخذك مكشوفة ممن يكرهك فيزدريك ونحو ذلك لربما قال له جزاك الله عنى خيرا وغطى فخذه وقد قال المحققون من شرط الداعى الى طريق الله تبارك وتعالى معرفته بطرق السياسة قبل الدعاء ليدعو كل انسان من الطريق التى يسهل عليه انقياده منها فيمهد الطريق للمدعو أولا ولو بارسال هدية اليه أو كسوة أو باطعامه الفاكهة أو الكافة المخرة المبسوسة بالقطر ونحو ذلك مما يميل نفس ذلك المدعو الى محبة الناصح فاذا مال اليه بالمحبة فحينئذ يسارقه باعلامه بما فى تلك الكتبة من غضب الله تبارك وتعالى ومقته وتعسير الوصول الى رزقه وعدم حفظه من الآفات حتى ان صاحب الكتبة يبادر الى سماع النصح والعمل به لما يرى لنفسه فى ذلك من الحظ والمصلحة فى الدنيا والآخرة قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة قال بعض العارفين الحكمة هنا هى غنى الداعى عن الحاجة الى المدعوين فلا يحتاج اليهم فى مطعم ولا ملبس ولا غير ذلك لئلا يذل لهم لعلة دنيوية فتذهب حرمته ولا يؤثر كلامه فى قلب أحد من العصاة اذ هو حينئذ معدود من جملة عيال المدعو والعائلة تحت حكم من يعولها شاءت أم أبت قال وأما الموعظة الحسنة فالمراد بها تليين القول للمدعو وبيان ماله فى ترك تلك الكتبة من المصالح وما يصرف عنه اذا تركها من العقوبات والمضار كما تقدم. وهذا باب قد أغفله غالب الناس فترى أحدهم يحتقر الظالم وينمه فى المجالس أو يقبل بره واحسانه ثم يريد أن يمتثل أمره اذا وعظه وذلك غلط لانه اذا ذمه نفر منه واذا قبل بره سقطت هيبته من قلبه لاسيما ان صار يمدح ذلك الظالم على احسانه اليه ويقول والله ما كنا محتاجين لما أرسله الينا فلان ونحو ذلك * وقد كان الجنيد رضى الله تعالى عنه يقول لا ينبغى للشيخ أن يأكل من طعام مريده أول صحبته لئلا يهون

فانه حصل لهم الصلاح وفاتهم درجات الشهداء والشهيد يقول اهدنا الصراط المستقيم أى بالتثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل فانه حصل لهم درجات الشهداء وفاتهم درجات الصديقية والصديق يقول اهدنا الصراط المستقيم أى بالتثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل فانه حصل له علم رتبة القطبانية وفاته علم اذا شاء الله أن يطلعه عليه أطلعه وقال فى قوله عز وجل الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة كل موضع ذكر فيه المصلين فى معرض المدح فانما جاء لمن أقام الصلاة اما بلفظ الاقامة أو بمعنى يرجع اليها قال الله سبحانه وتعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة رب اجعلنى مقيم الصلاة وأقام الصلاة أقم الصلاة وأقاموا الصلاة والمقيمى الصلاة ولما ذكر المصلين بالغفلة قال فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ولم يقل فويل للمقيمين الصلاة والاقامة هو انه اذا صلى المؤمن صلاة فتقبلت منه خلق الله تعالى من صلاته صورة فى ملكوته راكعة ساجدة الى يوم

في عينه بل يرد كل ما أهداه اليه بسياسة وتبسم ويقول له اعطه لمن هو أحوج اليه منا فانا ما صحبناك يا ولدى لمثل ذلك فيوهمه الغنى عنه مع عدم تنفيره انتهى * وقد بلغنا أن داود عليه الصلاة والسلام كان ينفر من مجالسة عصاة بنى اسرائيل غيرة لله تبارك وتعالى فاوحى الله تبارك وتعالى اليه يا داود المستقيم لا يحتاج اليك والاعوج قد أنفت نفسك عن مجالسته وتقويم عوجه فلماذا أرسلت خنتبه داود لامر كان عنه غافلا وامتثل أمر الله تبارك وتعالى وصار يجالس عصاة بنى اسرائيل ويحسن اليهم ويتخولهم بالموعظة الحسنة بشفقة ورحمة فانقادوا له كلهم الا من حقت عليه كلمة العذاب وعلم مما قررناه ان محل قولهم يحرم ايناس العصاة ومجالستهم ما اذا لم يكن ذلك لغرض شرعى فافهم وقد تقدم أوائل الباب ان من شرط الفقير ان يتواضع لاخوانه المسلمين ويرى نفسه دون كل فاسق على وجه الارض من حيث جهله بالخاتمة فمثل هذا يامر العصاة وينهاهم ويرى نفسه مع ذلك دونهم فى التقوى وانه أكثر معصية لله تبارك وتعالى منهم من حيث عظمة الذنب فى عينه أو من حيث كثرة عدد ما يعلمه من نفسه بالنسبة لما يعلمه من غيره وسيأتى فى هذا الكتاب ان عطاء السلمى رضى الله تعالى عنه كان يستخدم فى بيته المخنثين واذا لاموه فى ذلك يقول والله لهم أحسن حالا منى عند نفسى انتهى وفى شرح شعب الايمان للقصرى لا يكمل العارف حتى يرى مرتبته تحت مرتبة الارضين السفليات التى ما بعدها الا ما لا يعقل انتهى وقد طلبت أنا مرة الدعاء من شخص رأيته رث الثياب كاصحاب الكتب فعرق جبينه من الخجل والحياء فسألت عنه فقيل لى انه صاحب كتبة لا يرى نفسه أهلا لان يدعو لاحد ثم انى وجدته بعد أيام وعليه ثياب نظيفة فقال قد أثر فى قولك لى أمس ادع لى فتبت الى الله تعالى وتركت تلك المعاصى التى كنت مرتكبها انتهى فحال العارفين فى نفوسهم دائما كحال أعصى العصاة وكثيرا ما أقول فى سجودى اللهم ان حلمك على ربح على حلمك على غالب الاولين والآخرين فأجد لذلك حلاوة عظيمة فافهم يا أخى ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة نصحى لجميع اخوانى فلا أتذكر انى لبست على أحد منهم أمرا مذموما ولا سكت عن ذلك الا بطريق شرعى والنكتة فى معونتى على ذلك كونى لا أصحبهم لعلة دنيوية وانما أصحبهم لله تبارك وتعالى وأقدم رضا الله تبارك وتعالى على رضاهم مع تعففى عما بيدهم من الدنيا وأنا أعرف وأتحقق أنى لو صحبتهم لغرض فاسد لربما وقعت فى غشهم والسكوت عن نصحهم خوفا على خاطرهم أن يتكدر منى بل بلغنى ان شخصا خطيبا دعا شخصا الى حضور وليمته فقال بشرط انك تشترى لى برشا آكله فارسل واشترى له ذلك انتهى وهذا خروج عن الشريعة وبالجملة فلو ان أصحابى عملوا بكل ما نصحتهم به لكانوا كلهم علماء عاملين زاهدين هادين مهديين ولكن لم يصح ذلك لداع قبلى ولا بعدى بحكم القبضتين فلا بد فى الوجود من طائع وعاص على الدوام ما دام سلطان الشريعة قائما وذلك ليظهر فضل الله تعالى وحلمه على خلقه ويؤجر الداعى على صبره على من خالفه لانهم لو كانوا كلهم طائعين لفاته أجر الصبر ولو كانوا كلهم عاصين لفاته أجر الشكر ولما غلبت الرحمة على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم والشفقة وتمنى أن الناس كلهم يؤمنون به وبما جاء به أوحى الله تبارك وتعالى اليه ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة الآية وقال تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى الآية وقال تبارك وتعالى ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم ترددى الى بيوت الحكام الا لضرورة شرعية ترجح على عدم ترددى مما ينفعنى أو ينفع أحدا من المسلمين فعلم أنه يشترط النية الصالحة فى التردد وعدمه فربما يترك بعض الناس التردد الى الحكام تكبرا عليهم وذلك من الجهل فان قاضى العسكر والمحتسب أكبر منه عند غالب الناس بيقين ويرفعونه عليه غيبة وحضورا ولو أن الواحد منا قال للناس عظمونى مثل ما تعظمون الحاكم الفلانى لسخروا به ولم يجيبوه فالعاقل من عرف مقامه وسيأتى فى هذه المنن ان بعض العارفين كان يعظم ولاة الامور ويقول هذا أدبنا معهم فى هذه الدار وسوف يعلمنا الله تعالى الادب معهم اذا انتقلنا الى الدار الآخرة انتهى فالله تبارك وتعالى

القيامة وثواب ذلك لصاحب الصلاة وقال فى قوله سبحانه وتعالى ان الله يامركم أن تذبحوا بقرة قال بقرة كل انسان نفسه والله أمرك بذبحها وقال فى قوله ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك قيل انما وقع التفصيل فى العبارة أدبا من الله لنا فاضاف المحاسن اليه وأضاف المساوى الينا وان كان فعل العبد كله مخلوق الله حسنه وسيئه كما قال فاراد ربك أن يبلغا أشدهما فاضاف ذلك الى الله وقال فى السفينة فاردت ان أعيبها ولم يقل فاراد ربك أن يعيبها أدبا فى التعبير وكما قال ابراهيم عليه السلام واذا مرضت فهو يشفين فاضاف المرض لنفسه والشفاء لله عز وجل ومنهم من قال ان ذلك داخل فى مضمون القول وان هذا التفصيل حكاه الله عنهم والتقدير فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا فى قولهم ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ورد عليهم بقوله قل كل من عند الله وقال رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل يولج المعصية فى الطاعة والطاعة فى المعصية يطيع العبد الطاعة فيعجب بها ويعتمد عليها ويستصغر من لم يفعلها ويطلب من الله العوض عليها فهذه حسنة أحاطت بها سيئات

يجعلنا واخواننا ممن تكون حركاتهم وسكناتهم محررة على الشريعة تحرير الذهب آمين اللهم آمين فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) تعليمي الادب للامراء اذا اجتمعت بهم عند تعين ذلك علي فان الناصح لهم أعز من الكبريت الاحمر وغالب الناس يستحي أن ينصحهم هيبة لهم أو خوفا من شرهم ولعدم اكتراثه بذلك ومن هنا كان عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه يقول لا تدخلوا على الامراء ولو بقصد نصحهم فان سلامتكم منهم مقدمة على آفة الدخول عليهم انتهى ولما دخلت على الوزير علي باشا مصر في خيمته حين برز السفر سلخ المحرم سنة احدى وستين وتسعمائة تلقاني من خارج الخيمة وعضدني من تحت ابطي واجلسني على فراشه وجلس هو دوني وقال لي مهما يكن لكم من الحوائج فارسلوا لنا بها ورقة في اصطنبول نقضها لكم فاننا هناك لاهل مصر أحسن من أقامتنا عندهم لقربنا هناك من السلطان فقلت له ليس للفقراء بحمد الله تعالى عند الولاة حاجة ولكن ان كان لكم أنتم حاجة فاعلمونا بها نسأل الله تعالى لكم فيها فاطرق مليا ثم قال استغفر الله أنتم تعلقتم بالحق تعالى ونحن تعلقنا ببعض عبيده فكان الصواب معكم لان الحق تعالى بيده ملكوت كل شيء انتهى فكان في اعلامي له بان الفقراء محتاجون الى الله تبارك وتعالى لا الى خلقه وانهم يشفعون في غيرهم من الملوك والملوك لا تشفع فيهم بيان مقام الفقراء وتعليم الباشا الادب معهم وما رأيت أحدا ممن دخل عليه من الفقراء معهم خاطبه بمثل ذلك ولا بين له مقام الفقراء والادب معهم بل قال لي بعضهم اذا دخلت عليه فاسأله شيأ من الدنيا ولا تردها عليه فيسيء ظنه بالفقراء فلا يعود يعطي أحدا منهم شيأ ويقول ان هؤلاء معهم دنيا اه فافهم ذلك يا أخي والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم تكدري على شيء فاتني من الدنيا وتكدري ممن صدها عني وذلك لعلمي ويقيني بان كل شيء فاتني فليس هو برزقي ولا قسم لي فكيف أحزن على شيء لم يقسمه الحق تبارك وتعالى لي أو أتكدر ممن صد ذلك عني بالوهم وهذا خلق غريب في هذا الزمان وغالب الناس يحزن ويتكدر ممن سعى في قطع رزقه أو خروج وظيفته عنه وربما عادى من عارضه في رزقه الذي كان يتوهم انه له أبدا ما عاش (وقد رأيت) خطيبا كان يخطب في الجامع الازهر فلما دخل السلطان سليم مصر وصلى في الجامع الازهر قال الناس لا يخطب اليوم الا فلان لفصاحته ومعرفته بالوعظ المناسب للسلطان ومنعوا صاحب النوبة ثلاث الجمعة لعجزه عن مثل ذلك فلما خطب رسم له السلطان بخمسين دينارا فقال هذه لي ولم يعط صاحب النوبة منها شيأ فشيت في الصلح بينهما فلم أقدر ولم تزل العداوة بينهما الى أن ماتا على العداوة فقلت لصاحب النوبة أين قولك في الخطبة والله ثم والله ثم والله ما يعطي ويمنع ويضع ويرفع الا الله تعالى فما درى ما يقول وبالجملة فلا يقع في مثل ذلك الا جاهل محجوب عن الله تعالى فان كان ولا بد للمؤمن من أن يحزن فليحزن على ساعة مرت به لم يذكر الله تعالى فيها فان ذلك محمود ولو لم يمكن تداركه لما فيه من التعظيم لجناب الله تعالى والحزن على فوات مجالسته تعالى والوقوف بين يديه جل وعلا كما هو شأن كل محب مع محبوبه ومن لم يحزن على فوات مجالسة محبوبه فليس له في مقام المحبة نصيب (واعلم يا أخي) ان الحزن على ما فات من الطاعات انما هو محمود للعبد ما دام محجوبا يختار خلاف ما يختاره له ربه جل وعلا فاذا رفع عنه الحجاب لم يجد شيأ قسم له ثم فاته أبدا لان ذلك لا يصح عقلا ولا شرعا (وكان) الشبلي رضي الله تعالى عنه يقول وهو في بداية أمره اللهم ان عذبتني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب فلما كمل حاله صار يقول الحمد لله الذي حجبني في الوقت الفلاني عن شهوده فانه تعالى ما حجبني عنه الا رحمة بي خوفا ان لا أقوم بأدب الشهود وتارة يقول اني لا أشتهي رؤية الله عز وجل أبدا فقيل له في ذلك فقال انزه ذاك الجمال البديع عن رؤية محدث مثلي انتهى ولكل مقام رجال فافهم يا أخي ذلك والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) انشراح صدري اذا أمسيت أو أصبحت وليس عندي شيء من الدنيا وانقباض خاطري اذا أصبحت أو أمسيت وعندي دينار أو درهم عكس ما عليه من يحب الدنيا وكان هذا من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فروى البيهقي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أمسى وعنده شيء من

وذنب الذنب فيلجأ الى الله فيه ويعتذر منه ويستصغر نفسه ويعظم من لم يفعله فهذه سيئة أحاطت بها حسنات فايهما الطاعة وأيهما المعصية وقال الفتى من كسر الصنم قال الله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقال رضي الله عنه في قوله عز وجل أمن يجيب المضطر اذا دعاه الولي لا يزال مضطرا ومعنى كلام الشيخ هذا ان العامة اضطرارهم بمثيرات الاسباب فاذا زالت زال اضطرارهم وذلك لغلبة دائرة الحس على مشهدهم فلو شهدوا قبضة الله الشاملة المحيطة لعلموا ان اضطرارهم الى الله دائم وان الاضطرار تعطيه حقيقة العبد اذ هو ممكن وكل ممكن مضطر الى ممد يمده ومدد يمده وكما ان الحق سبحانه هو الغني أبدا فالعبد مضطر اليه أبدا ولا يزايل العبد هذا الاضطرار لا في الدنيا ولا في الآخرة ولو دخل الجنة فهو محتاج الى الله فيها غير أنه غمس اضطراره في المنة التي أفرغت عليها ملابسها وهذا هو حكم الحقائق أن لا يختلف حكمها لا في الغيب ولا في الشهادة ولا في الدنيا ولا في الآخرة فالعلم صنعته الكشف أي علم كان وفي أي وقت كان والارادة صفتها التخصيص أي ارادة كانت وفي أي وقت كانت ومن اتسعت أنواره لم يتوقف اضطراره

الدنيا ولم يجد من يقبله من الفقراء والمساكين لا يأوى الى بيته تلك الليلة بل ينام فى المسجد انتهى ولم أزل أنا بحمد الله تبارك وتعالى على هذا الحال الى ان دخلت سنة سبع وخمسين وتسعمائة فاطلعنى الله تبارك وتعالى على أنّ فى كل انسانٍ ماعدا الانبياء عليهم الصلاة والسلام جزأ يضطرب ويهتم بامر الرزق لا يسكن عن ذلك الاضطراب الا ان كان عنده شئ من الطعام أو شئ من الدنيا يشترى به ما يحتاج اليه فى دنياه فمن تلك السنة وأنا أجعل عندى تارة طعاما وتارة نحو المائة نصف ونحو ذلك مما هو دون النصاب (وكان) على هذا المذهب جماعة من السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم منهم سفيان الثورى وسليمان بن يسار وأبو سليمان الدارانى رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم فكان سفيان رضى الله تعالى عنه يقول الدنيا وان كثرت لا تساوى عند الله تعالى جناح بعوضة وما عسى يصيب الواحد منها حتى يزهد فيه أو يأخذه وكان رضى الله تعالى عنه يقول أحب ان لا أخلى بيتى من الذهب والفضة ليلة واحدة (وكان) رضى الله تعالى عنه يقول لان أخلف بعدى أربعين ألف دينار مع قلة الاهتمام بامر رزقى أحب الى من ان أموت خالى اليد من الدنيا وأمتعتها وأنا مهتم بأمر رزقى فان ذلك يؤذن بالاتهام للحق جل وعلا (وكان) رضى الله تعالى عنه يكوم الذهب بين يديه يذريه فى الهواء ويقول لولا هذا الذهب لتمندل الناس بنا (وكان) أبو سليمان الدارانى رضى الله تعالى عنه يقول ليس الشأن ان تصف قدميك للعبادة وغيرك يفت لك انما الشأن ان تحرز عندك قوتك ثم تغلق بعد ذلك بابك (قال) رضى الله تعالى عنه وقد غلط فى هذا الامر خلق كثير فتجردوا فى الظاهر عن الدنيا ثم تطلعوا لما فى أيدى الخلائق ليطعموهم ويكسوهم وينفقوا عليهم فاحرزيا أخى قوتك ثم اغلق بابك فحينئذ لا تبالى بأى داقٍ دقّ الباب بخلاف ما اذا لم يكن فى بيتك شئ فانك تصير تقول اذا دق داق الباب لعل مع هذا شيأ نأكله انتهى (ويؤيد) ذلك قول الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه لا تشاور من ليس فى بيته دقيق أى لان عقله مشتت وتدبيره ناقص انتهى (واعلم) يا أخى ان امساك الدنيا والبيات عليها على اسم غيرنا من المحتاجين لا يقدح فى مقام الزهد بخلاف الامساك على اسم العبد نفسه فربما كان ذلك لشح فى الطبيعة (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يخلو المدخر للدنيا من حالين اما ان يكشف له ان ذلك من رزقه أو لا يكشف له فان كشف له أن ذلك من رزقه فالادب انفاقه على الناس اذا طلبوه منه فيكسب الثناء الحسن ويحبب نفسه اليهم ثم انه يرجع بعد ذلك اليه بطريق من الطرق فلا يقدر أحد منهم يتناول منه ذرة واحدة وبذلك يخرج عن ورطة الادخار بغير حاجة وان كان لم يكشف له انه من رزقه فهو مخير فى ادخاره وعدمه وينتظر بعد ذلك فكل من قسم له فهو له (وبالجملة) فلا يقدر على التخلق بهذا الخلق الا من سلك على يد شيخ وصبر تحت تربيته حتى خلّقه بصفات العبودية فيرى انه ليس له مع سيده ملك فى الدارين انما هو عبد استخلفه الحق تبارك وتعالى فى ماله لينفق منه على عباده بالمعروف ويتساوى عنده كون جميع أموال الناس عنده أو عند غيره على حد سواء ولهذا الخلق حلاوة يجدها العبد فى نفسه أشد من حلاوة الامساك عند أهل الدنيا كما يعرف ذلك أهل الله تبارك وتعالى (ولما) ترك ابراهيم بن أدهم رضى الله تعالى عنه الملك ولاموه على ذلك فقال لو يعلم الملوك ما نحن فيه لقاتلونا عليه بالسيوف (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يكمل العبد فى مقام العبودية حتى لا يرى له ملكا مع الله تبارك وتعالى فى الدارين انما هو عبد يأكل من مال سيده ويلبس من مال سيده ويسكن دار سيده وحينئذ يخرج من ورطة الامساك والادخار جملة واحدة ولا يصير يشح فى شئ يسئل فيه الا لغرض شرعى انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به يا أخى والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم مبادرتى للانكار على من رأيته يأخذ مال الولاة الا بطريق شرعى سواء كان طعاما أو ثيابا أو غير ذلك بل أتربص فى ذلك فربما كان ذلك الشيخ يصرف ما يأخذه من الظلمة للمعاويج كالذى ارتكبته الديون وطلع عليه الحب الفرنجى وهو ذو عيال وكالعميان والعجائز والايتام ونحو ذلك ممن لا يقدر على التعفف عن مثل ذلك وكذلك لا ننكر عليه اذا رأيناه يأكل من ذلك لانه ما أكله الا عند الضرورة الشرعية بخلاف ما اذا رأيناه يجمع مال الظلمة ولا يعطى منه أحدا من المحتاجين شيا

واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا وقال واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون وقال قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين الى غير ذلك من الآيات الواردة فى هذا المعنى ولما لم تصل عقول العموم الى ما تعطيه حقائق وجوداتهم سلط الحق عليهم الاسباب المثيرة للاضطرار ليعرفوا قهر ربوبيته وعظمة الهيته ومن الدليل على فخامة رتبة الاضطرار ان الحق سبحانه أوقف الاجابة عليها فقال أمن يجيب المضطر اذا دعاه واذا أراد الله تعالى أن يعطى عبدا شيأ وهبه الاضطرار اليه فيه فيطلب بالاضطرار فيعطى واذا أراد الله ان يمنع عبدا أمرا منعه الاضطرار اليه فيه ثم منعه اياه وقالت جنة الله على العبد لو اضطررت الينا لاعطيناك فلا يخاف عليك ان تضطر وتطلب فلا

و يتوسع هو به فى مأكله أو ملبسه أو مؤنة حجه فمثل هذا لا ننكر عليه من غير رؤية شوف نفس عليه الاعلى وجه النكر لله تبارك وتعالى فننكر عليه شفقة على دينه ولحمه من النار كما أشار اليه حديث كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به ثم بعد انكارنا عليه نتوجه الى الله تبارك وتعالى وندعو له بالمغفرة والمسامحة وارضاء الخصوم الذين جمع ذلك الظالم المال منهم ثم نشكر الله تعالى الذى عافانا من مثل ذلك (وكان) سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يرد مال الولاة الذى يعطونه له ليفرقه على المحاويج ويقول من جمعه فهو أولى بتفرقته ثم قبله أواخر عمره وصار يفرقه على المحاويج وصار يقول ما ثم درهم من شبهة الا وفى الوجود من يستحق الانتفاع به من أصحاب الضرورات كالذى طلع عليه الحب الفرنجى فى الشتاء ولا يقدر على عمل حرفة ولا أحد يفتقده ولا عياله برغيف (وبالجملة) فلا يقدر على ترك الفضول وترك المبادرة الى الانكار بغير علم الا من راض نفسه على يد شيخ حتى صار يثقل عليه النطق بالكلام (وأما من شبع) من الشهوات فالفضول من لازمه لا يقدر على ترك كثرة الكلام الحرام فضلا عن الفضول بل سداه ولحمته كثرة كلام فرحم الله من أتى البيوت من أبوابها وقد تقدم فى منة حسن الظن ان الانسان لا يقدر على حسن الظن بالناس الا ان نظف باطنه من سائر الرذائل والا فمن لازمها سوء الظن قياسا على ما فى نفسه هو وان الانسان ما دام يسيء الظن بأحد فهو لم يتطهر من الرذائل فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) رضاى عن ربى عز وجل اذا قتر على الرزق كرضاى اذا وسع على لعلمى بأنه أعلم بمصالحى من نفسى ولا يفعل معى الا ما سبق به علمه وليس لعبد أن يقول لسيده ردعنى ما سبق فى علمك ولو سأل ربه فى ذلك لا يجيبه اذ لا يمكن تبديل ما قسم وأيضا فانه اذا قتر على الرزق فقد سلك بى طريق أنبيائه واصفيائه واذا وسع على فقد سلك بى طريق أعدائه فى الغالب فان فى الفقر عدم الغفلة عن الله تبارك وتعالى ورقة الحجاب وفى سعة الرزق كثرة الغفلة عن الله عز وجل وكثافة الحجاب وسيأتى بسط ذلك فى مواضع من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) رضاى عنه تبارك وتعالى اذا قدر على معصية كما أرضى عنه تعالى اذا قدر لى طاعته لكن من حيث التقدير لا من حيث الكسب لان المعاصى بريد الكفر ومقدمته وهذا هو معنى قول أهل السنة والجماعة رضى الله تعالى عنهم يجب الرضا بالقضاء لا بالمقضى ومعنى قولهم أيضا نؤمن بالقدر ولا نحتج به (وايضاح ما قلناه) من الرضا ان يعلم العبد ان سيده فعال لما يريد لا يتوقف على غرض عبيده فله ان يستعمله تارة فى تقليب المسك وتارة فى تقليب الزبل فالمسك مثال الطاعات والزبل مثال المعاصى وميزان الشرع فى يد العبد لا يضعها من يده لحظة فما كان من طاعة قال الحمد لله وما كان من معصية قال أستغفر الله (فان قيل) اذا كان فعل العبد خلقا لله تبارك وتعالى فكيف سميتموه زبلا فى حق العاصى (فالجواب) قد قال تبارك وتعالى الله خالق كل شىء فخلق الحسن والقبيح ولكن من الادب أن لا يثنى على الحق تبارك وتعالى الا بما هو حسن فى العرف فلا يقال سبحان خالق القردة والخنازير وان كان ذلك حقا فمثال الطاعات والمعاصى مثال صندوقين محشوين مسكا وكتب على ظاهر أحدهما مسك وعلى ظاهر الآخر زبل فهل ينقلب ما فى باطن ذلك الصندوق من المسك زبلا بكتابة الاسم عليه لا والله لا ينقلب بل هو مسك من حيث انه فعل حكيم عليم والله سبحانه وتعالى أعلم (وسمعت) سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول من تأمل فى مقدورات الحق تبارك وتعالى وجدها فى غاية الكمال وعلم ان الحق جل وعلا لم يقدر على عبد معصية الا لحكمة اما اختبارا له واما لوقوعه فى عجب باعماله أو تكبره بها على أحد من المسلمين ونحو ذلك فان العبد ما دام مستقيما فى أحواله كلها فهو محفوظ من الوقوع فى المعاصى جملة وتأمل يا أخى الانبياء وكمل الاولياء لما كان من شأنهم الاستقامة كيف حماهم الله تعالى من المعاصى جملة اما عصمة واما حفظا بخلاف غيرهم فان الله تبارك وتعالى ينوع عليهم الواردات لخلاصهم من ورطة أمور أخر كما قال تبارك وتعالى وبلوناهم بالحسنات والسيآت لعلهم يرجعون وفى المثل السائر

تعطى بل يخاف عليك أن تحرم الاضطرار فتحرم الطلب أو تطلب بغير اضطرار فتحرم العطاء وقال فى قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ثم قال بعد ذلك وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فذكر بعض الناس فى هذا تأويلا لا يرضى ولا ينبغى أن يلتفت اليه وهو انه كان حبها لله وحده فلما ولدت انقسم حبها وليس كما قال هذا القائل لانها صديقة كما أخبر الله عنها وأمه صديقة والصديق والصديقة لا ينتقلان من حالة الا الى أكمل منها ولكنها كانت فى بدايتها متعرفا اليها بخرق العادة وسقوط الاسباب فلما تكمل يقينها أرجعت الى الاسباب فالحالة الثانية أتم من الحالة الاولى وقال رضى الله عنه الفتوة الايمان والهداية قال الله سبحانه وتعالى انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وقال رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى حاكيا عن الشيطان لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ولم يقل من فوقهم ولا من تحتهم لان فوق للتوحيد وتحت للاسلام والشيطان لا يمكنه أن

من لم يجئ بشراب الليمون جاء بحطبه فشراب الليمون هنا هو كناية عن الطاعات وحطبه هو كناية عن المعاصى (وفى كتاب) الحكم لسيدى الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رضى الله تعالى عنه رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا يعنى بالنظر للاثر فان الله تبارك وتعالى ما وضع التكاليف فى عنق المكلف الا ليذل بها نفسه فلما خالف وتكبر بها مثل ابليس كان أثر المعصية من الذل والانكسار أحسن أثرا من أثر تلك الطاعات التى رأى بها نفسه على الخلق فافهم (ويحتاج) صاحب هذا الخلق الى ميزان دقيق يفرق به بين الحق والباطل ليعطى كل واحد منهما حقه فيستغفر و يندم من حيث كسبه ونفسه و يرضى من حيث كون ذلك من تقدير ربه عليه (وكان) سيدى عبد القادر الدشطوطى رضى الله تعالى عنه يقول ما دام العبد بعيدا من حضرة ربه فمن لازمه غالبا كثرة الاعتراض على مقدور الحق تبارك وتعالى فاذا قرب من الحضرة أطلعه الله تبارك وتعالى على ما فى أفعاله من الحكمة فلم يطلب قط تغيير شئ برز فى الكون الا بوجه شرعى حياء من الله تبارك وتعالى وكان سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله تعالى عنه يقول لا يقدح فى كمال الولى منازعته للاقدار الالهية اذ من شأن الكامل أن ينازع أقدار الحق بالحق للحق (وفى رواية) أخرى عنه رضى الله تعالى عنه انه كان يقول كل الرجال اذا ذكر القدر أمسكوا الا أنا فانه فتح لى فيه روزنة فدخلت ونازعت أقدار الحق بالحق للحق فالرجل هو المنازع للقدر بالقدر لا الموافق له انتهى وهو كلام نفيس ومعناه ليس الرجل من يكون راضيا بالمعاصى و يحتج بالقدر انما الرجل من يدافع الاقدار حتى لا تقع ثم ان وقعت كذلك أعطاها حقها من الاستغفار والتوبة والندم والحزن (فعلم) ان كراهة العبد للوقوع فى المعاصى لا تقدح فى رضاه عن الله تبارك وتعالى وتسليمه لاقداره بل هو مطلوب شرعا اذ المعاصى موجبة لسخط الله تعالى على العبد ومن فر من مواطن السخط فهو مأمور بذلك كما أن من رأى حائطا قد مال للسقوط فليس له أن يقف تحتها ينتظر سقوطها عليه ليموت ومن فعل ذلك فحكمه حكم قاتل نفسه وقد توعده الله تبارك وتعالى بالعذاب لانه تعدى على الحق تعالى فى استجلاب الاذى ببدنه الذى هو بنية الله تبارك وتعالى ولا يهدم البنية الا خالقها وأما العبد فالواجب عليه السعى فى حفظها من سائر الآفات الظاهرة والباطنة فهو ولو علم أن الله تعالى قدر عليه معصية يجب عليه مدافعتها حتى تقع بمحض القدر و يثاب على ذلك كما بسطنا الكلام عليه فى كتاب اليواقيت والجواهر فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) عدم اعتمادى على شئ من طاعاتى دون الله تبارك وتعالى فان كل من اعتمد على غير الله تبارك وتعالى تخلى عنه فى الآخرة ووالله ثم والله ثم والله انى لأنصرف من صلاتى وأنا فى خجل من ربى عز وجل أكثر من خجلى اذا عصيته لسوء ما يقع لى فى صلاتى من شهودى سوء الادب والغفلة عما يليق بتلك الحضرة ولا أتجرأ أن أقول فى سجودى أو فى ركوعى اللهم لك سجدت وبك آمنت أو اللهم لك ركعت الى آخره الا ان أعقبت ذلك بقولى سجودا أو ركوعا أستحق به فى اعتقادى المؤاخذة لولا عفوك وحلمك وشفقتك على فلك الفضل الذى لم تخسف بى الارض ولم تمسخ صورتى انتهى فلو نظر العبد لوجد سداه ولحمته ذنوبا بالنظر لما يستحقه جلال الله عز وجل ومن كان هذا مشهده لا يقدر أن يرفع له بين العباد رأسا وفى منظومة الشيخ اسمعيل بن المقرى رضى الله تعالى عنه وأرضاه ونفعنا ببركاته وامداداته

ذنوبك فى الطاعات وهى كثيرة * اذا عددت تكفيك عن كل زلة
تصلى بلا قلب صلاة بمثلها * يكون الفتى مستوجبا للعقوبة
صلاة أقيمت يعلم الله أنها * بفعلك هذا طاعة كالخطيئة

الى آخر ما قاله رضى الله تعالى عنه فعلم ان من كان ما ذكرناه مشهده فى طاعاته فهو غائب عن طلب ثواب بفعلها بل لا يتجرأ ان يطالب ذلك من الله أبدا فحكمه كالمجرم الذى أتوا به بين يدى الوالى بسبب قتل أو عمل زغل أو فجور بامرأة أمير أو نحو ذلك فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حسن سياستى للمقاريض الذين يقرضون فى اعراض الناس بغير حق

سره محبة الله تعالى وقال الشاعر

قد تخللت مسلك الروح منى
وبذا سمى الخليل خليلا
واذا ما نطقت كنت كلامى
واذا ما صمت كنت الغليلا

وقال رضى الله تعالى عنه فى قوله وابراهيم الذى وفى قال وفى بمقتضى قوله حسبى الله وقال فى قوله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون قال من طاعاتهم وأعمالهم التى قاموا بها لله فى لياليهم أن يشهدوها من أنفسهم ودليل ما قاله الشيخ ان الله سبحانه وصفهم قبل ذلك بقوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ثم قال وبالاسحار هم يستغفرون فلم يتقدم منهم فى ليلهم ذنوب يكون استغفارهم منها وقد جاء فى الحديث الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا سلم من صلاته استغفر الله ثلاثا وقال الواسطى العبادات الى طلب العفو عنها أقرب منها الى طلب الاعواض عليها وقال رضى الله عنه فى قوله قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون أى من طاعاتهم وأعمالهم ومثل ذلك ورحمة ربك خير مما يجمعون وقال فى قوله تعالى

فاقدم لاحدهم الطعام اذا ورد على وأبش له فى وجهه وأباسطه وكثيرا ما أعطيه ردائى أو قميصى أو شيأ من الدنيا ونحو ذلك مما يحبيه فى فاذا أحبنى ومال الى ثم سمعته يذكر أحدا بسوء قلت له وأنا متبسم يا أخى ما هى عادتك تذكر أحدا بسوء فانه يخجل من ذلك ويستحى ان يكمل الحكاية فاذا خجل من ذلك واستحى وسكت داويناه بنحو قولنا للحاضرين فلان يلتقى من غير أخينا ولا يلتقى منه ثم نقول للحاضرين لو كان أصحابنا كلهم مثل صاحبنا هذا كانوا بخير فانه يعجبنى حاله لكونه رجلا حقانيا لا يداهن أحدا فى حق ويقبل النصح من المحبين ونغالطه فى نفسه فاذا غلط فيها قلنا له قد أحببناك يا أخى فى الله واشهدوا على انه أخى دنيا وأخرى ان شاء الله تعالى ولكن مقصودى ان نتبايع فى هذا المجلس على ان أحدا منا لا يذكر أحدا قط بسوء ولا يقر على معصية ولا غيبة فى أحد من المسلمين فلا يسع الحاضرين الا أن يجيبوا الى تلك المبايعة ويدخل ذلك المقراض فى جملتهم ويبايع فاذا بايع تصرفنا فيه بعد ذلك لاجل الشرط شيأ فشيأ حتى يصير ان شاء الله تعالى لا يذكر الناس فى مجلسنا الا بخير (وهذا) الخلق قل من يفعله من الناس فانهم اما أن ينكروا على ذلك المقراض ويعبسوا وجوههم فى وجهه فيخرج مقراضا فيهم كذلك واما أنهم يشاركونه فى الغيبة فى الناس واما أن يسكتوا على تلك الغيبة ومن أدب مجالس المؤمنين أن لا يذكر فيها أحد بغيبة ولا يشمت فيه بمصيبة ولا خير فى مجلس يقوم أهله كلهم متحملين الاوزار (وكان) من حسن سياسة أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله انه كان اذا علم من أحد أنه يغتاب الناس يقول للحاضرين أول ما يجلس عنده مثل صاحبنا هذا هو الذى ينبغى للفقير أن يتخذه صاحبا لكونه لا يذكر الناس قط الا بخير فيلجمه فى ذلك المجلس عن الغيبة حتى يقوم لانه يستحى ان يخيب ظن الناس فيه الخير (وقد) تحزب عليه رضى الله تعالى عنه مرة جماعة بالباطل وجاؤا معهم بجماعة من الزوالق يريدون سب الشيخ فقال لى ايش قلت فيمن يلجم لك هؤلاء الزوالق فلا يقدر أحد منهم ان يكلمنى كلمة قبيحة ويخالفون جميع ما اتفقوا عليه مع أصحابهم فقلت له وماذا تفعل فقال أقول لهم الحمد لله الذى لم تجيبوا معكم الا جماعة خيرين دينين يستحيون أن يتكلم أحد منهم بين اثنين أو يساعد أحدا على الباطل ولو كان أباه أو أخاه ولم أسمع منهم فى عمرى الا الكلمة الطيبة فالتجموا كلهم عن سيدى الشيخ أفضل الدين رضى الله تعالى عنه فلم يقدر أحد منهم على النطق بكلمة فى حقه وصار أصحابهم يغمزونهم أن يسبوه كما وعدوهم فلا يستطيعون بل انقلبوا على الذين جاؤا معهم ثم قال سيدى الشيخ أفضل الدين رضى الله تعالى عنه ايش قلت فى هذه السياسة فقلت له عظيمة فقال نصرناهم وكففناهم عن الوقوع فى الاثم بسبب ما كانوا أضمروه لى من السب وصار وانصرة لى على أصحابهم الذين جاؤا بهم انتهى (فتعلم) يا أخى هذه السياسة واعمل بها بقصد حماية دين أعدائك عن النقص واياك ان تعلم أعداءك انك تكرههم فانهم يزدادون فيك عداوة ويتعبون سرك انتهى والله انى لاعرف جماعة من الفقهاء كانوا يكرهونى فما زلت أقول للناس انى أحب فلانا لدينه وخيره فيبلغه الناس ذلك فتقل عداوته حتى صار من أصحابى ولو انى كنت قلت انى أكره فلانا لقلة دينه لكان ازداد عداوة وبغضا واذا أردت يا أخى ان لا تجرئ عليك السفهاء فلا تجبهم اذا شتموك ولا تقل قط لاحدهم البعداء عندى مثل النعل أو أقل أو أخس فانهم اذا تأدبوا معك قالوا لك وكذلك أنت الآخر عندنا لانهم اسفه منك بيقين وأقل حياء (وقد قال) الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وأرضاه ونفعنا ببركاته وامداداته

اذا سبنى نذل تزايدت رفعة * وما العيب الا ان وقفت أسابه

(وقال) رضى الله تعالى عنه وأرضاه لا ينبغى للعالم أن يرد على سفيه قط بالسفه فان كان ولا بد فليجعل عنده سفيها يسافه عنه السفهاء انتهى فاعلم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(وبما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم رؤيتى فى نفسى أننى معدود من جملة علماء الزمان بل لم يزل جهلى مشهودا لى على الدوام ولو أن السلطان رسم لاهل العلم والصلاح فى مصر كل واحد بالف دينار لا تحدثنى نفسى بانهم يعطونى من ذلك شيأ (وهذا) الخلق من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على وغالب من يدعيه متفعل فيه

الاتباع فاعلمنا ان الاسراء من بساط العبودية والنبى صلى الله عليه وسلم كان له كمال العبودية فكان له كمال الاسراء أسرى بروحه وجسمه وظاهره وباطنه والاولياء لهم قسط فى العبودية فلهم قسط من الاسراء يسرى بارواحهم لا باشباحهم وسمعته يقول فى قوله تعالى ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ان المتقين فى جنات ونهر فى هذه الدار وفى تلك الدار فى الدنيا فى جنات العلوم وأنهار المعارف وفى الآخرة فى الجنة التى وعدوا بها فى مقعد صدق فى هذه الدار وفى تلك الدار عند مليك مقتدر فى هذه الدار وفى تلك الدار وبسط كلام الشيخ هو أن نعيم الجنة الكائن فيها تكون رقائقه معجلة للمتقين فى هذه الدار فما كان لهم فى الجنة حسا يكون لهم فى هذه الدار معنى ومثل هذه الآية قوله ان الابرار لفى نعيم أى فى هذه الدار وفى تلك الدار فى الدنيا فى نعيم الشهود وفى الآخرة فى نعيم الرؤية وكذلك قوله وان الفجار لفى جحيم أى فى هذه الدار وفى تلك الدار فى هذه الدار فى جحيم القطيعة وفى تلك الدار فى جحيم العقوبة

فيقول أحدهم نحن لسنا من العلماء واذا فرق السلطان على العلماء مالا فلم يعطوه شيأ تكدر وتميز من الغيظ فعله هذا يخالف دعواه فليمتحن الناصح لنفسه نفسه بهذا الميزان فان رآها انشرحت لكل شئ فانها مما هو على اسم العلماء من وظائف ونقود فليعلم انه صادق فى شهوده فى نفسه الجهل اذا الجاهل اذا بلغه أن السلطان رسم بمال للعلماء لا تحدثه نفسه قط بانهم يعطونه من ذلك شيأ وكذلك صاحب هذا المقام كما مر (وقد رأيت) من يدعى الجهل من طلبة العلم قد كتبوا اسمه فى ديوان صدقات السلطان فجاء واحد وقال للكاتب امح اسم فلان فانه متورع ولا ياكل قط من مال السلطان فمحا اسمه فلا تسأل يا أخى ما حصل لذلك الواحد فصار يقول له أنا عظمتك ووصفتك بالورع حماية لك من الشبهات فيقول له أنا قلت لك انى ورع ولم يزل معاديا له حتى مات (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول من نظر فى علوم السلف الصالح حكم على نفسه بالجهل ولم يحدث نفسه قط بانه من العلماء انتهى (وقد نقل) ابن السبكى رحمه الله تعالى ان كتب خزانة المدرسة النظامية حرقت فى زمان حياة نظام الملك فشق عليه ذلك فقالوا له لا تخف فان ابن الحداد على للكتاب جميع ما حرق من حفظه فأرسلوا لخلفه فأملى جميع ما حرق فى مدة ثلاث سنين ما بين تفسير وحديث وفقه وأصول ونحو ذلك (ونقل) أصحاب الطبقات ان ابن شاهين الحافظ صنف ثلثمائة وثلاثين مؤلفا (منها) تفسيره للقرآن فى ألف مجلد (ومنها) المسند فى ألف وستمائة مجلد وذكروا انه حاسب الحبار فى استجراره منه الحبر للكتابة أواخر عمره فبلغ ألف رطل وثمانمائة رطل (وحكى) بعضهم ان الشيخ عبد الغفار القوصى صنف فى مذهب الشافعى باخيم ألف مجلد (وحكى) الجلال السيوطى رحمه الله تعالى ان الشيخ أبا الحسن الاشعرى رضى الله تعالى عنه ألف تفسيرا ستمائة مجلد قال وهو فى خزانة النظامية ببغداد (وحكى) أيضا رضى الله تعالى عنه عن محمد بن جرير الطبرى الذى ادعى الاجتهاد المطلق بعد الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وأرضا انه كان يحفظ من العلم وقر ثمانين بعيرا (وحكى) الشيخ تقى الدين السبكى رضى الله تعالى عنه أن محمد بن الانبارى رضى الله تعالى عنه كان يحفظ فى كل جمعة عشرة آلاف ورقة (وحكى) أيضا رضى الله تعالى عنه أن الامام الواحدى رضى الله تعالى عنه كان يحفظ من كتب العلم وقر مائة وعشرين بعيرا (قال) رضى الله تعالى عنه ومن الغريب ان محمد بن سينا لامه انسان على عدم حفظه للقرآن فحفظه كله فى ليلة ولم يكن سبق له قبل ذلك حفظ سورة منه غير الفاتحة وقل هو الله أحد والمعوذتين وكان لا يسمع شيأ الا حفظه من أول مرة وكذلك الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وأرضاه فكان يقول ما سمعت شيأ قط ونسيته بعد ذلك (وروينا) عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه انه كان يقول لو شئت لاوقرت لكم ثمانين بعيرا من معنى الباء (وكان) الليث بن سعد الامام رضى الله تعالى عنه وأرضاه يقول لو كتبت ما فى صدرى ما وسعه مركب انتهى (فانظر) يا أخى الى علمك مع هذه العلوم التى أوتيها غيرك من العلماء الذين ذكرناهم والذين لم نذكرهم تجده لا يجىء قطرة من البحر المحيط وهناك تحكم على نفسك بالجهل (وسمعت) سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول من أراد أن يعرف مرتبته فى العلم فليرد كل قول علمه الى قائله وينظر فى نفسه فما بقى معه بعد ذلك فهو علمه الذى يبعث عليه يوم القيامة ويثيبه الله عليه ويأجره وما زاد على ذلك فله ثواب حمله لا غير (وسمعته) رضى الله تعالى عنه مرة أخرى يقول لا يبلغ العبد مقام الكمال الا ان صارت مذاهب المجتهدين نصب عينيه (وكان) سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول لا يكمل الرجل عندنا فى الطريق حتى يقدر على استخراج جميع أحكام القرآن من أى حرف شاء من حروف الهجاء انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد رب العالمين

(وبما أنعم الله تبارك وتعالى به على) نفرة طبعى ممن يمدحنى فى المجالس بنظم أو نثر من حيث خوفى من رؤية نفسى لذلك فاهلك مع الهالكين ثم انى بعد ذلك أشكر الله تعالى الذى أطلق بعض الالسنة بمدحى مع أنى لا أستحق ذلك ثم بعد ذلك أيضا أفتش نفسى فربما كان حب المدح كامنا فيها فيورثها المدح بعض زهو وعجب فيجب على الفقير مراعاة ذلك على ان المادح غالبا لا يخلو من مجازفة وكذب ومثال من يغرح بما قاله الشعراء

الخصوصية عند مليك مقتدر فى هذه الدار وفى تلك الدار فى هذه الدار لهم عندية الامداد وفى تلك الدار لهم عندية الاشهاد وقال فى قوله تعالى ما خلق الله ذلك الا بالحق الحق الذى خلق به كل شئ كلمة كن قال الله سبحانه ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وقال فى قوله سبحانه أن اشكر لى ولوالديك انما قرن شكره بشكرهما لانهما أصل فى وجودك وقال فى قوله وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى الى قوله سيرتها الاولى يقال للولى وما تلك بيمينك أيها الولى قال هى دنياى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى وغنمه أعضاؤه ولى فيها مآرب أخرى فيقال له ألقها فنام عنها فالقاها فيكشف له عن حقيقتها فاذا هى حية تسعى ثم يقال له خذها ولا تخف ولا يضره أخذها حين أخذها لانه أخذها باذن كما ألقاها باذن فاخذها من الوجه الذى به ألقاها فاطاع الله فى أخذها كما أطاع الله فى القائها وقال فى قوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن انما قال للرحمن ولم يقل القهار ولا العزيز

كذبا مثال من سمع شخصا يقول عنه ما رأيت رائحة أطيب من رائحة غائط فلان اذا دخل الخلاء فيفرح بذلك مع علمه بنتنه فهو الى السخرية به أقرب وكان الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول من مدحك بما ليس فيك فقد يذمك بما ليس فيك أي فكما أنه لم يتورع في المدح فكذلك لا يتورع في الذم وأيضا فان غالب الحاضرين لمدحك قد يعرفون من عيوبك ما يصدهم عن قبول المدح فيك اما ظاهرا واما حقيقة (وكان) سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول اذا رأيت نفسك على قدم الاستقامة ثم مدحك انسان فهو تنبيه لك على نقصك ففتش نفسك وتعرف من الله تبارك وتعالى سبب مدح الناس لك فربما علم تعالى من نفسك حب المدح لها على عبادتها مثلا فاعطاك ذلك وجعله هو حظك منه سبحانه وتعالى كما يفرح الوالد الطفل بالجلاجل والشخاشيخ انتهى (وكان) أخي أفضل الدين رضي الله تعالى عنه يقول اذا مدحك انسان فقل لنفسك لولا أن الله تبارك وتعالى علم منك عدم الاخلاص وعدم الاكتفاء بعلمه وحده لأخفاك كما أخفى عباده المخلصين ولم يبعث لك من يمدحك اذ لا يحتاج الى الترغيب في الطاعات الا من كان يعبد الله على حرف (وأما) مدح الله تبارك وتعالى للانبياء عليهم الصلاة والسلام فانما هو ليعلمنا الله تعالى بعلو مقامهم وصدقهم لنقبل منهم كل ما جاؤنا به من الهدى من غير توقف لا لترغيبهم في الطاعة خوفا أن يخلوا بها كغيرهم فان ذلك لا يحتاج اليه الانبياء عليهم الصلاة والسلام لعصمتهم (وكان) سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه يزجر من يمدحه أشد الزجر غيرة لجناب الله عز وجل ان يشركه في صورة المدح أحد مع أنه كان مشهده ان جميع الصفات التي يمدح بها انما هي بالاصالة للحق تبارك وتعالى فكان يحب أن يتميز بالنقص المطلق وليتميز الحق جل وعلا بالكمال المطلق وان كان لم يزل متميزا كذلك وكان رضي الله عنه يقول ليس في حل من يمدحني في غيبتي أو حضوري فان مثلي لو نطقت كل ذرة من جميع الكائنات بهجوه لكان ذلك قليلا انتهى (وهذا) المقام أعلى مما ذكره الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رضي الله تعالى عنه وأرضاه في حكمه بقوله العارفون اذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق والعباد اذا مدحوا انقبضوا لشهودهم ذلك من الخلق انتهى فان الكامل هو من ينظر بالعينين أو العيون لا بعين واحدة فينظر ان ذلك من الحق بأحد العينين فيشكره على ذلك وينظر ان ذلك من الخلق بالعين الاخرى فيخاف ويستغفر فقد يكون ذلك استدراجا وقد تحققت بهاتين العينين ولله الحمد (وكان) أخي سيدي أفضل الدين رضي الله تعالى عنه يقول من ادعى انه وصل الى مقام لا يؤثر فيه مدح الناس له فليمتحن نفسه بما لو ذموه ونقصوه وكفروه فان كان يتأثر من ذلك فهو يحب المدح انتهى وهذه ميزان تطيش على الذر فزجر المادح أو منعه بسياسة أولى حتى لا يعود لمثل ذلك (وكان) سيدي عبد القادر الدشطوطي رضي الله تعالى عنه يقول لا ينبغي للعبد أن يفرح بما آتاه الله تعالى من العلوم والمعارف والجاه الا بعد مجاوزة الصراط وماذا ينفع المدح لمن يسقط يوم القيامة من الصراط في النار انتهى فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك بمنه وكرمه والحمد لله رب العالمين

﴿ ومما من الله تبارك وتعالى به علي ﴾ موافقتي على مدح من يكرهني اذا سمعت أحدا يمدحه أو يذكره بخير فاظهر البشاشة وطلاقة الوجه حتى لا يكاد يلحق بي أحد اني متفعل بذلك وفي ذلك من حسن السياسة ما لا يخفى على عارف (وفيه) أيضا سد باب الغيبة والنميمة في وفيمن يكرهني فربما اني اذا لم أظهر البشاشة لمدح من يكرهني وانقبضت فهم الناس عداوتي وينفتح للناس باب الغيبة ونقل الكلام بالفساد بيننا وبينه وتكبر الفتنة وتشتد العداوة فيحتاج من يخالط الناس في هذا الزمان الى عقل وافر وسياسة عظيمة والا قال العدو ما شاء من النقائص بخلاف ما اذا قالوا له ان فلانا ظهر لنا منه الفرح والسرور لما مدحناك عنده وتحققنا أنه يحبك وجميع ما يبلغك عنه من ضد ذلك انما هو رمي فتن من الناقل وأكثر الناس اليوم لا يكادون يذكرون عن بعضهم ما يؤلف قلوبهم أبدا انما يذكرون ما ينفرهم عن بعضهم ويتفرجون عليهم حتى لا يكاد أحد الشخصين يخالط أخاه ساعة بل سمعت بعضهم يقول اللهم ان أدخلتني الجنة فلا تجعلني جار الفلان وقد رأيت شخصين من المدرسين بينهما وقفة فجمعتهما دعوة لعرس فأول ما دخل أحدهما ورأى عدوه هناك شرع في الرجوع

وشرع

لان تشقق السماء بالغمام وتنزل الملائكة مظهران من مظاهر القهر والسطوة فلو قال للقهار أو للعزيز لم يطق العباد ذلك وتفطرت قلوبهم فرفق بهم ان قال الملك يومئذ الحق للرحمن وهكذا قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ولم يقل للقهار ولا للعزيز لان الحشر وهول المطلع شديد فلاطفهم برحمانيته في ظهور سلطان قهره وقال وقد سئل عن قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون فقال القائل من أين للعبد أن يتقي الله حق تقاته ومن أين له أن لا يموت الا وهو مسلم فقال الشيخ رضي الله عنه أقول ان هذه الآية منسوخة بقوله فاتقوا الله ما استطعتم فكانوا قد خوطبوا أولا بتقوى الله حق تقاته وهو أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر ثم خفف عنهم بقوله فاتقوا الله ما استطعتم قال ويمكن الجمع بين الآيتين فاتقوا الله ما استطعتم أي في جانب الاعمال وقوله تعالى فاتقوا الله حق تقاته أي في جانب التوحيد وقوله ولا تموتن الا وأنتم مسلمون أي لا تتعاطوا من الاعمال الا أعمالا اذا متم عليها متم مسلمين وقال رضي الله عنه صليت خلف الشيخ صلاة الصبح فقرأ بحم عسق فلما انتهى الى قوله يهب لمن يشاء اناثا خطر لي

وشرع الجالس فى الخروج فعجز الناس أن يجلسوا أحدهما مع جلوس الآخر فلم يقدروا فخرج الجالس ودخل الخارج فتكدر الوقت على جميع العلماء الحاضرين وعلى كل من كان حاضرا وصار الناس يقولون اذا كان هذا فعل العلماء فى بعضهم فما بقينا نعتب على الظلمة والعوام وحصل لصاحب الوليمة كذلك غاية التكدر واذا كان العلم لا يهذب حامله فكيف يتهذب به غيره انتهى فينبغى لمن حضر وليمة وكان هنالك من يتأذى بمجالسته أن لا يدخل لئلا يقع له كما وقع لمن قدمنا ذكرهما من التعزير أو يتصبر حتى ينفض الناس وانه اذا لم يوافق على سماع مدح عدوه فأقل أحواله السكوت (وقد حضرت) مع أخى سيدى أفضل الدين رضى الله تعالى عنه وليمة وهنالك شخص من أشد المنكرين عليه فقام المادح بمدح ذلك المنكر فخلع أخى سيدى أفضل الدين رضى الله تعالى عنه وأرضاه عليه جبته ونقطه بالفضة فزال انكار ذلك الشخص على يدى سيدى أفضل الدين وقام وقبل رأسه وكأن الكراهة التى كانت عنده لم تكن وهذا من حسن السياسة (وسمعته) رضى الله تعالى عنه مرة يقول ينبغى للفقير اذا كان فى مجلس وهنالك من يحط عليه أو يكرهه أن يذكره بخير للحاضرين من ورائه فانه أقوى فى تخفيف العداوة من مدحه فى وجهه وأكمل فى رياضة النفس وكذلك ينبغى له أن يقوم له اذا قام بقصد ازالة المانع بينه وبينه ويؤجر على ذلك ان شاء الله تعالى وهذا خلق لا يشم رائحته الا من سلك على يد الاشياخ حتى فطموه عن جميع الرعونات البشرية أو من جذبه الحق تبارك وتعالى الى حضرته بغير واسطة أحد من الاشياخ فلم يلتفت الى مراعاة أحد من الخلق الا عن اذن الله تبارك وتعالى والا فمن لازمه غالبا مراعاتهم رياء ونفاقا فيعاملونه كذلك رياء ونفاقا ولا يحصل بذلك تخفيف عداوة (وقد دخلت) بحمد الله تعالى الى مقام صرت أكرم فيه جميع المسلمين وأجلهم وأعظمهم من حيث كونهم عبيد الله عز وجل لا لعلة أخرى وصرت أسعى فى التأليف بينهم بكل ما يمكننى وربما أتانى النمام بكلام قبيح عن بعض أعدائه فاقابله بكلام حسن وأبلغه له فيتعجب ويقول أنت صادق فيما تقول ولكنى أعرف منه سابقا خلاف هذا ولكن القدرة صالحة (ومما وقع لى) أن شخصا من الحسدة صار يذكرنى بالسوء فى المجالس فصار الناس يقولون لى ان فلانا يقول فى عرضك كذا وكذا فأقول لهم أنا عاهدت الله تعالى ان لا أقبل نميمة من أحد وقد فارقته على صفاء وصلح ولم أجتمع به بعد ذلك فلا أصدق فيه قولا الا ان سمعته منه باذنى فانقطع الناس عن نقل الكلام الى عنه وأنا أعلم انى لو صدقتهم وقابلته بالسوء لنقلوا اليه كذلك ما يسمعونه منى فان من نم لك نم عليك ومن نقل اليك نقل عنك (ولهذا) الخلق حلاوة يجدها الانسان فى نفسه أشد من حلاوة العسل فافهم يا أخى ذلك ترشد واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم المبادرة الى الانكار على من رأيته يسعى على وظائف اخوانه فى هذا الزمان بل أتربص وانظر فى أمره فربما كانت تلك الوظيفة تحت يد من لا يستحقها شرعا لفقد شروط الواقف أو غير ذلك ثم اذا تبين لنا بعد ذلك أنه أخذها من أخيه بغير حق كأن لبس على الناظر حتى جونه فى تقريره فعند ذلك ننكر عليه أشد الانكار وأحسن ما يقول الواحد منا اذا رأى طالب علم سعى على وظيفة أخيه أو سمع عالما ينكر على عالم شيأ لم تصرح الشريعة بحكمه اعلم يا أخى ان فلانا اعلم منى وربما يكون أعلم منك بالشريعة فلولا ان له شبهة حق فى مثل ذلك لما فعله على ان هؤلاء المنكرين لا ينكرون على ذلك الذى سعى غالبا الا من ورائه ولا أحد يبلغه فى الغالب وذلك معدود من الغيبة لا من النصيحة فليتنبه الانسان لمثل ذلك (وقد بلغ) سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه ان شخصا يسعى على وظائف الناس ثم ينزل عنها لقوم آخرين بفلوس فارسل وراءه وزجره أشد الزجر وخوفه من سوء الخاتمة بمقتضى الايذاء وحب الدنيا وتحول عنه بالقلب فتاب الى الله تبارك وتعالى ورجع (وبالجملة) فكل من ذاق ضيق العيش فى الدنيا أقام لمن يسعى فيها الاعذار وصار لا ينكر على الناس الا ما خالف صريح السنة المحمدية أو كلام أئمتها رضى الله تعالى عنهم (وقد كان) طلبة العلم فى الزمان الماضى لهم صدقات وخيرات وهدايات تأتيهم من التجار والاكابر بغير سؤال ويقولون لاحدهم اشتغل بالعلم ونحن نكفيك ما تحتاج اليه من كسوة ونفقة (وكان) كل غنى أو أمير

انها الحسنات ويهب لمن يشاء الذكور فخطر لى انها العلوم أو يزوجهم ذكرانا وانانا علوما وحسنات ويجعل من يشاء عقيما لا علم ولا حسنة فلما سلم الشيخ من الصلاة استدعانى وقال لقد وجدت فهمك فى الصلاة يهب لمن يشاء انانا الحسنات ويهب لمن يشاء الذكور العلوم أو يزوجهم ذكرانا وانانا علوما وحسنات ويجعل من يشاء عقيما لا علم ولا حسنة فتعجبت من اطلاع الشيخ على ذلك فقال أتعجب من اطلاعى على فهمك فى الصلاة قد فهم فلان كذا وفهم فلان كذا حتى عد افهام الجماعة الذين خلفه وقال فى قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو ففهم قوم من هذا الخطاب انهم أمروا بعداوة الشيطان فشغلهم ذلك عن محبة الحبيب وقوم فهموا من ذلك ان الشيطان لكم عدو أى وأنا لكم حبيب فاشتغلوا بمحبته فكفاهم من دونه قيل لبعضهم كيف صنعك مع الشيطان فقال وما الشيطان نحن قوم صرفنا هممنا الى الله فكفانا من دونه وقال رضى الله عنه قرأت مرة والتين والزيتون الى ان انتهيت الى قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين ففكرت فى معنى هذه الآية فكشف لى عن اللوح المحفوظ فاذا مكتوب فيه لقد خلقنا الانسان فى

يفتقد كل ليلة جميع من فى حارته من الفقهاء والفقراء بالطعام مهيأ مطبوخا فصار الاكابر اليوم لا يرى أحد منهم حسنة من حسنات الدنيا (وقد قررنا) لاخواننا مرارا ان سعى الفقير وطالب العلم على نفسه فى هذا الزمان ليلا ونهارا لا يقدح فى مقامه لان جميع ما يحصله بالجرى والتعب قد لا يكفى عياله فسعيه على ما يستره ولو سماه الناس دنيويا أفضل من تركه التكسب ولو سماه الناس صالحا وقد يكون الساعى فقيرا ليس له ما يقوم باوده والمسعى عليه غنيا لا يحتاج لتلك الوظيفة ولا يقوم بها فاراد الساعى ستر حاله وعياله وأكله بتعاطى تلك الوظيفة على الوجه الشرعى وحمايته من أكله الحرام بأخذه المعلوم وتركه المباشرة فهذا من الساعى مقصد حسن لا ينبغى الاعتراض عليه فيه (فاياك يا أخى) أن تنكر على طالب علم يسعى على قوته وتقول ما بقى عند أحد من الناس قناعة بل تربص وتأمل فربما كان ذلك السعى واجبا عليه والواجب لا يجوز لاحد الانكار على فاعله (وقد بلغنا) أن الشيخ أبا عبد الله القرشى المصرى رضى الله تعالى عنه مر باصحابه على صبى يقرط فريكا من الغيظ فقال للصبى هذا حرام عليك يا ولدى فقال لاى شئ يا عم والله انه لزرع أبى وحده وقد أرسلنى أقرط منه شيأ نعمله فطيرا لاخوتى فخجل الشيخ أبو عبد الله بين أصحابه ومن ذلك اليوم ما بادر بالانكار على أحد الا بعد علم (وكان) أبو عبد الله هذا من أكابر العارفين وهو تلميذ الشيخ أبى الربيع المالقى رضى الله تعالى عنه (وكان) رضى الله تعالى عنه يقول قلت يوما فى دعائى اللهم لا تفضحنى بسريرتى على رؤس الخلائق فقال له الشيخ أبو الربيع رضى الله تعالى عنه ولاى شئ تجعل لك سريرة تفتضح بها هلا نظفت نفسك من سائر الادناس انتهى رضى الله تعالى عنهما فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حسن سياستى للامير الذى خدمه أحد من أصحابنا وصار صاحبى يأكل من طعامه الذى غالبه بلص وجرائم وذلك بانى أقول له مشافهة أو فى كتاب أرسله له وبعد فانى أوصيك يا أخى ان تأكل من طعام الامير الذى اختاره لنفسه ولا تأكل من طعام أحد من البلاصية الذين حوله الا الدينين منهم فانى أعتقد من الامير التحرز من أكل الشبهات ومقتضى دينه انه لا يأكل الا ما ظهر له حله فان مثل هذا الكلام حق فاذا سمعه صاحبنا أخذ له منه معنى أو سمعه الامير يأخذ له منه معنى أو سمعه المباشرون أخذوا لهم منه معنى من غير ان نسمى أحدا منهم بلاصا أو انه يأكل حراما لاسيما ان كنا نشفع فى المظلومين عند ذلك الامير فانه ربما نفرت نفسه من قولنا لصاحبنا لا تأكل من طعامه فيصير يخالفنا فى الشفاعات فيتعب سرنا فى تحويل قلبه الى ما نطلب منه اللهم الا أن نعلم احتمال ذلك الامير لزجرنا وقبوله نصحنا فلا بأس اذن بالافصاح عن المقصود (وقد كتبت) مثل ذلك للاخ الصالح ابن الصالح سيدى أبى المجد ابن الشيخ أحمد المغربى الزفتاوى نفعنا الله تعالى ببركاته حين عمل اماما وفقيها عند حمزة الكاشف بالغربية فارسلت له اياك ثم اياك والاكل من طعامه أو موافقته على هواه المذموم (وكتبت) للكاشف أوصيك بان لا تقبل كل ما أتاك به جماعتك واياك أن تغفل عما يفعلونه مع الرعية خوفا من حرقك بالنار (وهذا) دأبى دائما فى سياسة الولاة اذا علمت أن أحدا منهم ظلم انسانا لا أجعل ذلك الظلم على علمه أبدا لئلا يصير يخاصم عن نفسه وانما أقول بلغنا ان جماعتك ظلموا فلانا من غير علمك والمسؤل النظر فى هذه القضية ولا تكل أمرها لاحد غيرك وأجر الاخ على الله تبارك وتعالى وكثيرا ما أقول السلام على الاخ العزيز العبد الصالح فلان واقصد بذلك صلاحه لاحدى الدارين الجنة أو النار فربما ينكر على بعض الجهلة ويقول لى كيف تصف شيخ العرب الفلانى أو الكاشف الفلانى بالصلاح وهو يظلم الناس وذلك كذب وليس ذلك بكذب على هذا القصد وهو أيضا أخ فى الله عز وجل وعزيز على من يحبه وكثيرا ما أقول للظالم أسأل الله تبارك وتعالى ان يدخلك الجنة بغير حساب وأضمر فى ذلك انه يتوب عليه ويرضى عنه خصماءه يوم القيامة من فضله ثم يدخله الجنة بغير حساب وكذلك أقول فى حق النصارى واليهود من الظلمة لو وقع منا الدعاء لهم بدخول الجنة لابد ان نضمر الدعاء بوقوع اسلامهم قبل ان يموتوا والا فنحن نعلم قطعا ان الجنة محرمة على الكفار فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

ربه همت به هم ارادة وهم بها هم ميل لاهم ارادة وقال فى قوله تعالى لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الى قوله ثم تاب عليهم فقال عن شيخه أبى الحسن ذكر توبة من لم يذنب لئلا يستوحش من أذنب لانه ذكر النبى والمهاجرين والانصار ولم يذنبوا ثم قال وعلى الثلاثة الذين خلفوا فذكر من لم يذنب ليؤنس من قد أذنب فلو قال أولا لقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفوا لتفطرت أكبادهم وقال رضى الله عنه التقوى فى كتاب الله على أقسام تقوى النار قال الله تعالى واتقوا النار وتقوى اليوم قال تعالى واتقوا يوما وتقوى الربوبية يا أيها الناس اتقوا ربكم وتقوى الالوهية واتقوا الله وتقوى الالية واتقونى يا أولى الالباب وقال رضى الله عنه فى قوله تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت نزلت فى اليهود ومن كان من فقراء هذا الزمان مؤثرا للسماع لهواه آكلا مما حرمه مولاه فهى نزغة يهودية لان القوال يذكر العشق وما هو بعاشق والمحبة وما هو بمحب والوجد وما هو بمتواجد فالقوال يقول الكذب والمستمع

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم بغضي أو عداوتي أو ايذائي لاحد ممن يحضر المواكب الالهية كقوام الليل والمؤذنين والذاكرين الله تعالى كثيرا والميقاتي فربما حفت بهؤلاء العناية الربانية فغفر الله تبارك وتعالى لهم ماجنوه من السيآت في الماضي والمستقبل وصاروا محبوبين للحق تبارك وتعالى فكيف نكره أو نعادي أو نؤذي من يحبه الحق تبارك وتعالى (وهذا) الخلق وان كان فعله واجبا كذلك مع غير من يحضر المواكب الالهية لكنه في حقهم آكد كما قالوا يستحب للصائم أن يكف لسانه عن الغيبة في رمضان مع أن ذلك واجب عليه في غير رمضان أيضا فافهم (وقد تقدم) في هذه المنن اني سامحت جميع من آذاني من المسلمين اكراما لله تبارك وتعالى ثم لرسوله صلى الله عليه وسلم فدخل في ذلك المؤذنون وقوام الليل وانما نبهنا عليهم هنا زيادة تأكيد لئلا يغفل الاخوان عن مثل ذلك فيعادوا أحدا منهم بغير حق وينتحل له عذرا لا يقبل عند الله تبارك وتعالى (وقد كان) سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يكرم المؤذنين والذاكرين لله تبارك وتعالى غاية الاكرام ويقول ان هؤلاء من خدام الله عز وجل وربما أقبل الحق تبارك وتعالى عليهم في الاسحار بالرضا وجعل دعاءهم مقبولا في حق كل من دعوا عليه وربما كان الذي آذاهم وعاداهم في ذلك الوقت نائما على جنابة (وكان) رضي الله تعالى عنه يقول اذا تشوش منكم أحد من المؤذنين فصالحوه فورا وقبلوا نعله لئلا يدعو عليكم دعوة في الاسحار فتنفذ فيكم الى سابع ولد (وسمعته) رضي الله تعالى عنه مرة أخرى يقول اياكم أن تعادوا أحدا من خدام المساجد من مؤذن وبواب وفراش وامام وغيرهم لانهم أهل حضرة الله عز وجل وحضرة الله تبارك وتعالى محرم دخولها على الذي عنده شحناء من أخيه بغير حق واضح كالشمس فمن كان من أهل حضرة الله تبارك وتعالى عرف ماقلناه وأومأنا اليه ومن لم يكن من أهلها فهو كالبهائم السارحة فلا كلام لنا معه حتى يخرج من صفات البهائم (وقد) تكررت مرة من مؤذن فقمت في الليل للتهجد فلم أجد قلبي معي ولا قدرت على احضاره فالهمني الله تبارك وتعالى السبب فطلعت له المنارة في الليل وصالحته فرد الله تعالى على قلبي ودخلت الحضرة وقد كنت عالجت قلبي قبل ان أطلع له حتى ذاب فلم أقدر على حضوره بل صار كلما يلوح لي بارقة من حضوره تذهب لوقتها وتنفلت من الاقبال على الحضرة (وهذا) أمر لم أره فاعلا في عصري من أقراني الا القليل وذلك لعدم دخولهم الحضرة فلو دخلوها لعرفوا أهلها وعرفوا المقدم عند الملك فاحترموه حتى لو أرادوا أن يؤذوه بعد ذلك لا يقدرون بل يكرمونه تعظيما للملك كما هو الحكم في جماعة ملوك الدنيا (وكان) سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه يقول لو أن الناس علموا ولاية أحد من الفقراء ما آذوه قط وانما يعتقدون فيمن يؤذونه انه زوكاري نصاب مراء شيطان انتهى وفي هذا الكلام ما يشبه رائحة العذر لهم (وقد دخل) مرة شخص مجهول من جماعة الباشا على الوزير بمصر على بعض المشايخ فكلمه الشيخ بغلظة وأنا حاضر فقال له أما تعرفني أنا فلان قبجي الباشا على فقام له الشيخ وأكرمه وصار يعتذر اليه كأنه وقع في ذنب عظيم ولو ان انسانا قال له أنا من أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أكرمه ذلك الاكرام فتعجبت من ذلك الشيخ كل العجب فالله يغفر لنا وله آمين فاياك يا أخي ان تعادي أحدا ممن ذكرنا اكراما لله تبارك وتعالى فاعلم ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علي) أدبي مع قضاة هذا الزمان كبارا وصغارا ولا أقول ببطلان أحكامهم في العقود والوثائق كما يقع فيه بعضهم بل أرى عقودهم وأنكحتهم صحيحة أدبا مع أئمة الدين القائلين بصحتها وأدبا مع السلطان الذي ولى أولئك الحكام ولعلمي بانه أتم نظرا مني ومن أمثالي بل ربما كان أتم نظرا من جميع رعيته وصاحب هذا المشهد لا ينكر على امامه في تولية أحد أو عزله ولا يذمه أبدا من ورائه كما يفعله بعضهم (وقد) قال العلماء رضي الله تعالى عنهم لو ولّى السلطان قاضيا فاسقا نفذ قضاؤه للضرورة (وقالوا) أيضا من غلبت طاعاته على معاصيه فهو عدل واعتقادنا بحمد الله تبارك وتعالى في جميع من نعرفهم من قضاة مصر وشهودهم ان طاعاتهم غلبت على معاصيهم (وبلغنا) عن الامام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه انه كان يقول كل مسلم عدل وان كان المتأخرون من أصحابه قد قيدوه ببعض شروط ويكفي المتعنت في القضاة والشهود

للسحت وقال رضي الله عنه عير بعض الصحابة على بعض اليهود فسمعهم يقرؤن التوراة فتخشعوا فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عليه جبريل فقال اقرأ قال وما أقرأ قال اقرأ أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم فعوتبوا أن تخشعوا من غيره وهم انما تخشعوا من التوراة وهي كلام الله فما ظنك بمن أعرض عن كتاب الله وتخشع بالملاهي والغناء وقال رضي الله عنه وقد سأله سائل ياسيدي لم قال عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ولم يقل الغفور الرحيم فقال لانه لو قال الغفور الرحيم لكان شفاعة من عيسى عليه السلام لهم في المغفرة ولا شفاعة في كافر ولانه عبد من دون الله فاستحى من الشفاعة عنده وقد عبد معه وقال رضي الله عنه في قوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله في هذه الآية مدح لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم أي ان هذا القرآن لا تثبت له الجبال لو أنزل عليها

الاقتداء بهذا الامام الاعظم رضى الله تعالى عنه ولم أزل بحمد الله تبارك وتعالى على هذا الخلق من حين كنت شابا بخلاف ما أشاعه عنى بعض الحسدة من انى أقول ببطلان أحكامهم لفسقهم بقبض فلوس القانون وذلك باطل عنى وما رأيت قط أحدا منهم وهو يأخذ رشوة لكونى لم أقف على قاض قط الى وقتى هذا وان كان ذلك يقع من بعضهم فلا يجوز لى تعميم الحكم فالله تعالى يغفر لهذا الحاسد ما جناه آمين بل من جملة ما وقع لى انى اطلعت على شخص عقد عقدا لبنته على يد قاض ثم انه جاء ثانيا يعقد العقد ثانيا بحضرة الفقراء فانكرت عليه غاية الانكار وقلت له القاضى أعلى مرتبة فى العدالة من أمثالنا لعدم ثبوت عدالتنا على يد حاكم وقلت له ان كنت تعتقد بطلان أحكامهم فكيف يسوغ لك أن تدعى بالحقوق التى تثبت لك على الناس بشهادتهم وأحكامهم وتقاريرهم كالبراآت والحجج فاستغفر وتب فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) موالاتى لمن والى شيخى أو الامام الاعظم ومعاداتى لمن عاداهما بغير طريق شرعى ولو لم يعلما بذلك قياما بواجب حقهما وان وقع انى أظهرت المحبة لعدوهما فانما ذلك بنية صالحة كنحو أن يميل الى بالمحبة حتى أعلمه الادب فى حقهما لا خيانة لهما (وكان) على هذا القدم الامام الاعظم أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه وسعيد بن جبير واضرابهما رضى الله تعالى عنهم (ومن وقائع) الامام الاعظم أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه ان الخليفة لما منعه الفتيا سألته ابنته فى الليل عن الدم الخارج من لحم الاسنان هل ينقض الوضوء فلم يجبها وقال سلى عن ذلك عمك حمادا فان امامى منعنى الفتيا ولم أكن أخذه بالغيب (ومن وقائع) سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه أن الحجاج لما حبسه وصار أولاده يبكون عليه قال له السجان اذهب فتم عند أولادك وأنا أكتم ذلك فقال معاذ الله ان أخالف ولى أمرى فقال له السجان ان الحجاج ظالم ولا يلزمك طاعته فلم يصغ اليه وقال ان الحجاج لو علم ذلك منك لآذاك ولم أكن ممن يجر الى أخيه الاذى ولم أر لهذا الخلق فاعلا فى عصرى من أقرانى الا النادر وتقدم هذا الخلق فى هذه المنن بابسط مما هنا فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) أدبى مع طلبة العلم من المالكية أكثر من غيرهم من حيث ان الامام مالكا رضى الله تعالى عنه له مشيخة على امامى رضى الله تعالى عنهما فكما كان امامنا يتأدب مع شيخه وأتباعه كالشهب وابن القاسم كذلك ينبغى لمقلدى مذهبه أن يتأدبوا مع اتباعه (وقد نقل) عن الشيخ محيى الدين النووى رضى الله تعالى عنه انه بحث مع بعض المالكية فاغلظ عليه المالكى فقيل للنووى فى ذلك فقال ان امامه شيخ امامى فالادب معه كالادب مع امامه انتهى ولم أر لهذا الخلق فاعلا فى مصر من أقرانى الا القليل فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من الاكل من طعام المتهورين فى مكاسبهم سواء دعونى اليه فى بيوتهم أو أرسلوه الى بيتى ثم بتقدير انى أسهو وآكل منه فتلعب نفسى منه واتقياه فى الوقت قبل ان تتشربه العروق وقد قدمنا فى هذه المنن ان من علامة المتهورين فى مكاسبهم أن ينوعوا الاطعمة فى بيوتهم فى هذا الزمان فانهم لو تورعوا فيما يدخل يدهم ربما لم يجدوا شيأ من ذلك الذى نوعوه بل لم يقدروا على الخبز الحاف ومن المتهورين فى المكاسب بعض التجار والزيانين ونحوهم ممن يبيع على الظلمة والمكاسين وأكلة الرشا ويأخذ ثمن بضاعته من أموالهم فانه لا فرق فى الحرام والشبهة فى مذهب المتورعين بين أن يأخذوه بواسطة أو بلا واسطة (وما نقل) عن بعض علماء الحنفية رضى الله تعالى عنهم من أن الحرام لا يتعدى ذمتين سألت عنه الشيخ شهاب الدين بن الشلبى الحنفى شيخ الاسلام بمملكة مصر رضى الله تعالى عنه فقال هذا محمول على من لم يعلم بذلك أما من رأى المكاس مثلا يأخذ من أحد شيأ من المكس ثم يعطيه لآخر ثم أخذه ذلك الآخر فهو حرام فافهم وبلغنا عن الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه انه زار عمر بن عبد العزيز أيام خلافته فأخرج له عمر كسرة يابسة ونصف

وأنت يا محمد تثبت لنزوله للقوة الربانية التى أودعناك اياها وفيه ذم للكافرين أى ان هذا القرآن لو أنزل على جبل لخشع وتصدع وأنتم ما خشعتم ولا تصدعتم

(فائدة) اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم بالمعانى الغريبة كما مضى من فهم الشيخ قوله بهم بلن يشاء اناثا الآية وقوله ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة وكما سيأتى فى تفسير الاحاديث فذلك ليس احالة للظاهر عن ظاهره ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ودلت عليه فى عرف اللسان وثم افهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه وقد جاء انه عليه الصلاة والسلام قال لكل آية ظاهر وباطن وحد ومطلع فلا يصدنك عن تلقى هذه المعانى منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة هذا احالة لكلام الله عز وجل وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فليس ذلك باحالة وانما كان يكون احالة لو قالوا لا معنى للآية الا هذا وهم لم يقولوا ذلك بل يقرون الظواهر على ظواهرها مرادا بها موضوعاتها ويفهمون عن الله ما أفهمهم وربما فهموا من اللفظ ضد ما قصده واضعه كما أخبرنا الشيخ الامام مفتى الانام تقى الدين محمد بن على القشيرى قال كان

خيارة وقال له كل ياحسن فان هذا زمان لا يحتمل فيه الحلال السرف انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم أكلى من طعام من يعتقد فى الصلاح ولولا ذلك لما طعمنى لانه لا يخلو حالى من أمرين اما أن أكون صالحا فى نفس الامر من حيث لا أشعر أو غير صالح فان كنت صالحا فقد أكلت بدينى طعاما وان كنت غير صالح فقد أكلت حراما فى الشرع لانه لو اطلع على ما أقع فيه من المخالفات ليلا ونهارا لم يعتقدنى أبدا بل ربما بصق على وجهى ولم يجالسنى (وقد كان) أخى سيدى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول انى أحب ان آكل طعام من يحبنى اذا كان حلالا دون طعام من يعتقدنى فقلت له ما الفرق بينهما فقال لان المحب لا يتزلزل عن محبتى اذا وقعت فى زلة بل يحبنى محبة الوالدة لولدها فهى تسمح بالاحسان اليه سواء اتصف بالصلاح أو لم يتصف وأما المعتقد فانما يحبنى مادام الصلاح قائما بى وأنا لا أقدر على المداومة على الاستقامة انتهى (وهذا) الامر قل من يتنبه له من الاخوان فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم أكلى من طعام من يأكل بدينه من فقراء هذا الزمان ويجرد الناس ويسلقهم اذا لم يبروه بألسنة حداد لا سيما اذا عمل مولدا كبيرا فانه لا يكاد يحلل فيه ولا يحرم أى لا يحلل الحلال ويعتنى به ولا يحرم الحرام ويجتنبه فالورع ترك الاكل من طعام هؤلاء لانه لولا اعتقاد الناس فيهم الصلاح لم يعطوهم شيأ ومعلوم أن من يأكل الدنيا بدينه أقبح ممن يأكلها بدنياه (وقد كان) الفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه يسقى على جمل بمكة فيحمل الماء من العين الى دور الناس ويتقوت هو وعياله من ثمن ذلك فقيل له ان فلانا ترك الحرفة فلم يضيعه الله تبارك وتعالى وأقبل على عبادة ربه فقال الفضيل رضى الله تعالى عنه هذا رجل ربما يأكل بدينه خبزا وإداما ثم قال رضى الله تعالى عنه والله لان آكل الدنيا بالطبل والمزمار أحب الى من أن آكلها بدينى انتهى (وقد سأل) شخص من الامراء أن يعمل مولد السيدى على الخواص رحمه الله تعالى فأبى الشيخ رضى الله تعالى عنه وقال والله إن كسبى من هذا الخوص لا يجيبنى الاكل منه فكيف آكل من كسب الامراء أو أدعو الناس الى الاكل منه انتهى وهذا الامر قل من يتنبه له من فقراء هذا الزمان بل رأيت منهم من يسافر البلاد فيجمع آلات طعامه فى ذلك المولد من أموال الولاة والظلمة ثم يدعو الناس اليه فيلطخ بواطن الناس بالحرام والشبهات وربما قال بعض الناس قد حصل لنا الليلة خير لانا أكلنا حلالا من طعام سيدى الشيخ ولا يفتشون على ذلك الطعام من أين جاء به الشيخ (وقد كان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى لا يجيب قط فقيرا دعاه الى طعامه الا ان علم أن له كسبا شرعيا من تجارة أو زراعة أو صنعة بل قد رأيته مرة أمر فقيرا بالقى ما أكل من طعام متمشيخ عمل مولدا ولا حرفة له وقال رضى الله تعالى عنه كيف تأكل من طعام شخص يأكل بدينه (وقد أخبرنى) شخص من جماعة الباشا على الوزير فقال قد سئمت نفوسنا من كثرة سؤال هؤلاء المشايخ الذين يعملون لهم موالد فلم يتركوا عندنا عسلا ولا أرزا ولا عدسا ولا بسلة وايش قام على هؤلاء أن يشحذوا ويعملوا لهم مولدا انتهى فاخذت لى من ذلك مشروبا ومن أراد من المشايخ المتجردين عن الكسب بالحرف والصنائع أن يعرف كونه يأكل بدينه أم لا فليقدر نفسه متجردا من جميع صفات الصالحين التى تظاهر بها واعتقده الناس وقبلوا يده ورجله لاجلها وينظر بعد ذلك حاله فكل من أطعمه أو عمل له مولدا فليأكل من طعامه بشرط الحل فى ذلك فان مثل هذا لم يطعمه لاجل دينه وأظن انه اذا تجرد من صفات الصالحين لا يصير أحد يحسن اليه ولا يعمل له مولدا قط كما لا يعمل مثل ذلك لمن لم يظهر صلاحه (وقد كان) أخى سيدى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول لا أحب ان آكل لاحد طعاما الا ان كان الطعام حلالا وكان الشخص بحيث لو رآنى أشرب الخمر لم يتغير اعتقاده فى الصلاح انتهى فقلت له هذا باب للامتناع من أكل طعام جميع الناس أو غالبهم فقال مالى ولهم (ومما وقع) ان الامير يوسف بن أبى أصبع اعتقد شيخا من مشايخ الريف وصار يقبل يده ورجله ويعمل له مولدا كل قليل ويدعو الناس الى مولده ويتشوش ممن لم يحضر ثم بعد ذلك مد الشيخ

بغداد فقيه يقال له الجوزى يقرأ اثنى عشر علما فخرج يوما قاصدا الى مدرسة فسمع منشدا ينشد شعرا

اذا العشرون من شعبان ولت
فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار
فقد ضاق الزمان عن الصغار
فخرج هائما على وجهه حتى أتى مكة فلم يزل مجاورا بها حتى مات
وقرئ على الشيخ مكين الدين الاسمر قول القائل
لو كان لى مسعد بالراح يسعدنى
لما انتظرت بشرب الراح افطارا
الراح شئ شريف أنت شاربه
فاشرب ولو حملتك الراح أوزارا
يا من يلوم على صهباء صافية
كن فى الجنان ودعنى أسكن النارا
فقال انسان هناك لا يجوز قراءة هذه الابيات فقال الشيخ مكين الدين للقارئ اقرأ هذا رجل محجوب ويكفيك فى هذا ان ثلاثة سمعوا مناديا يقول يا سعتر برى ففهم كل منهم عن الله مخاطبة خوطب بها فى سره سمع الواحد اسع تر برى وسمع الآخر الساعة

يسألوا

تر برى وسمع الآخر ما أوسع برى فالمسموع واحد واختلفت أفهام السامعين كما قال سبحانه تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى

وضربه علقة وحلق شعره وقال كنت أظن انه صالح فظهر لى انه ليس بشيخ انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك فالحمد لله الذى جعلنى أكره طعام المعتقدين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من الاكل من طعام النذور والاعراس الواسعة وطعام العزاء والجمع وتمام الشهر فلا استحضرانى أكلت شيأ من ذلك الامرة واحدة ثم تقيأته (وايضاح) كون ذلك لا يليق بأهل الطريق أنه لا يسلم من الشبهة غالبا وأن طعام النذر لا يعمله صاحبه الا بعصار الزامه نفسه به ان شفى الله مريضه مثلا كما أشار اليه خبر ان النذر لا يقدم شيا ولا يؤخره وانما يستخرج به من البخيل مالم يكن يخرجه أو كما ورد (ومعلوم) أن طعام البخيل داء كما صحت به الاحاديث لاسيما ان عملته امرأة من كسبها فان الاكل منه ينافى شهامة الرجل لاسيما سيدى الشيخ الحاضر بجماعته ليأكل ويلحس الصحون حتى لا يخلى فيها لمن بعده شيأ (وقد نقلت) وصايا الاشياخ رضى الله تعالى عنهم بالنهى عن الاكل من كسب النساء فى سائر الاقطار ليرفعوا همة المريد عن مثل ذلك واذا كانوا منعوهم من الاكل من كسب غيرهم من الرجال فكيف بالنساء وقالوا من رضى لنفسه بالاكل من كسب امرأة فارفضوا أمره فانه لا يجئ منه شئ فى الطريق وأما ما ورد من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يذهب بأصحابه كل يوم جمعة الى دار امرأة يأكلون عندها سلقا تطبخه لهم فهو لا يدخل فى هذا الميزان لان كل ما فى الدنيا ملك له بالاصالة وجميع الخلق يأكلون من رزقه صلى الله عليه وسلم وأيضا فانه معصوم من تناول ما يحصل به نقص شئ من كماله صلى الله عليه وسلم فافهم (وأما) أطعمة العرس الواسعة فان الغالب على صاحبه التكلف فيه فيطبخ ما ليس من عادته ان يطبخه مما هو فوق طاقته (وقد نهانا) الشارع صلى الله عليه وسلم عن الاكل من طعام المتكلفين والمتباهين والمتفاخرين فترى أبا العريس أو أم العروسة أو أم العريس يبيع أحدهم ثيابه فى عمل الطعام أو يقترض غالب ذلك ولو بالربا ويقول قد تجونت فى عمل هذا العرس وما بقى الا عمله فيعمل ذلك الطعام متكرها له متفاخرا به حتى انه بعد ذلك ربما سمع بعض الناس يقول كان طعام فلان أكثر من طعام فلان فيتأثر لذلك (وأما) طعام العزاء والجمع وتمام الشهر فربما دخله المفاخرة كذلك وربما عملوا ما عملوا من الفطير والعجمية والسنبوسك والحلو والارز متكلفين له خوفا من عتب الناس الذين يعزون ويطلعون له التربة وربما كان ذلك من مال الايتام أو بعضهم ولا يتصور منهم اذن وليس لوليهم فعل مثل ذلك شرعا فالعاقل من فتش على كل لقمة دخلت بطنه قبل ان يضعها فى فمه (وكذلك) لا ينبغى لمتورع ان يشرب من الماء الذى يسبلونه عند الدفن ان كان أهل الميت يقيمون ذلك من التركة اللهم الا أن يكونوا بالغين رشداء فلا حرج فى ذلك ولا فى طعام العزاء والجمع وتمام الشهر بطريقه الشرعى (وقد) حمى الله تبارك وتعالى بعض اخواننا من الاكل من طعام العزاء فالله تعالى يديم عليهم ذلك (وسمعت) أخى الشيخ أفضل الدين رضى الله تعالى عنه يقول لا يليق بمن له مروأة ان يجلس يأكل من طعام العزاء من الجبن المقلى والفطير وغير ذلك وأم الميت وأبوه واخوته واخواته كأنهم غمسوا فى نار من فرقهم الى قدمهم من شدة الحزن والداهية العظمى خناق المقرئين على الفلوس وانتهاب بعض الطعام وأهل الميت يسمعون ذلك وذلك دليل على خلو باطنهم من مشاركة أهل الميت فى الحزن ولا يخفى ما فى ذلك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له جميع الجسد بالحمى والسهر انتهى (فاياك) يا أخى والاكل مما ذكرناه ثم اياك والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من الاكل من طعام الصنايعى الذى يعمل بالقوت لاسيما ان كان قد طعن فى السن الان كافأته على ذلك باعطائه ثمنه أو بتوجهى الى الله تبارك وتعالى ان ينزل له البركة الخفية فى رزقه بقية عمره وأرى أثر الاجابة لدعائى وسبب التورع عن مثل ذلك كون الصنايعى يقاسى شدة فى كسبه طول يومه حتى يعاين ما يقارب أسباب الموت فلا ينبغى ان له مروأة أن يأكل من مثل ذلك لاسيما ان كلفته امرأته لعمل أسبوع أو مولد أو نحو ذلك انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

الا كل وقال سبحانه قد علم كل أناس مشربهم فاما الذى سمع اسع تربى فريد دل على النهوض الى الله بالاعمال ليستقبل الطريق بالجد وقيل له اسع الينا بصدق المعاملة تربنا بوجود المواصلة وأما الثانى فكان سالكا الى الله طاولته الاوقات فخاف أن يفوته الوصلة فقيل ترويحا على قلبه لما أحرقه نار الشغف الساعة تربى وأما الآخر فعارف كشف له عن وسع الكرم فوطب من حيث أشهد فسمع ما أوسع بربى وقال الشيخ محيى الدين بن عربى دعانا بعض الفقراء الى دعوة بزقاق القناديل بمصر فاجتمع بها جماعة من المشايخ فقدم الطعام وعجز الاوعية وهناك وعاء زجاج جديد قد اتخذ للبول ولم يستعمل بعد فعرف فيه رب المنزل الطعام فالجماعة يأكلون واذا الوعاء يقول أكرمنى الله بأكل هؤلاء السادة منى لا أرضى لنفسى ان أكون بعد ذلك محلا للاذى ثم انكسر نصفين قال ابن عربى فقلت للجمع سمعتم ما قال الوعاء قالوا نعم قلت ما سمعتم فاعادوا القول الذى تقدم قال فقلت قال قولا غير ذلك قالوا وما هو قلت قال كذلك قلوبكم قد أكرمها الله بالايمان فلا ترضوا بعد ذلك أن تكون محلا لنجاسة المعصية وحب الدنيا جعلنا الله واياك من أولى

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من الاكل من طعام من علمت أن عليه دينا حالا وهو بما طل صاحبه مع القدرة على وفائه والعلة فى ذلك كون الواجب عليه أن يصرف ثمن ذلك الطعام فى الدين ففى أكلنا منه شبهة لكون الحق فيه لغير نادوننا وكذلك لانأكل من طعام شخص عليه دين وهو عاجز عن وفائه بل هو أشد من أكل طعام القادر لما فيه من الاجحاف به ولو أنه دعانا بطيب نفس فلا نجيبه لانه جاهل بما قلناه لانه كالطفل فى حجر وليه أو وصيه أو قيمه لا يجيبه الى كل ما تهواه نفسه فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من الاكل من هدية علمت بالقرائن ان لها عند صاحبها قدرا عظيما كأن أرسلها مع غلامه وقال له لا تسلمها الا الى عبد الوهاب فى يده أو جعل على وعاء اقفلا أو خيطه أو علمت أنه فى كل قليل يصير يتذكرها ولو فى نفسه وذلك من علامة أن نفسه تتبعها بعد ان أرسلها ففيها ضرب من التكلف وقد نهينا عن الاكل من طعام المتكلفين وكذلك من علامة كبر مقدار الهدية عنده كونه ينص على أنى آكلها ولا أعطيها لغيرى فانه تحجير على وذلك من علامة ان نفسه تبعتها أيضا فان من أعطى لغيره شيأ خالصا فله وللتحجير عليه. وكذلك اذا جلست مع أحد على سماطه وصار يحلفنى انى آكل ذلك الورك من الدجاجة مثلا وكلما أبعده عنى يقربه منى فاننى ازداد فيه نفرة فلا آكله لانه لولا عظمته عنده ما اعتنى به ذلك الاعتناء (وهذا) الخلق والاذان قبله لم أرلها فاعلا فى مصر غيرى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كراهتى للاكل وحدى كما أكره الصلاة فرادى من غير عذر ويضيق صدرى من الاكل وحدى كما يضيق اذا صليت وحدى بجامع أن الشارع صلى الله عليه وسلم أمرنا بالاكل مع الجماعة كما أمرنا بالصلاة معهم (وفى ذلك فوائد منها) ائتلاف القلوب (ومنها) كثرة البركة فى الرزق والمدد (ومنها) امتثال أمر الشارع صلى الله عليه وسلم وايضاح ذلك أن الله تبارك وتعالى أمرنا باقامة الدين وعدم التفرق فيه ولا يستقيم ذلك الا بائتلاف القلوب ولا تتألف القلوب غالبا الا بالاجتماع على الطعام والاحسان الى بعضهم بعضا ولعل بعض الناس يرتبط قلبه معك اذا أطعمته أكثر من ارتباطه معك اذا صليت معه جماعة وأكسبته الاجر (فعلم) ان كل من أكل وحده ومنع رفده وأراد من غالب الناس نصرته ولو على الدين فقد أتى البيوت من غير أبوابها وربما خذلوه ولم ينصروه عنادا لكثرة بغضهم له اذ البخيل مبغوض ولو كان كثير العبادة والسخى محبوب ولو كان فاسقا كما هو مشاهد (وهذا) الخلق قد اعطانيه الله تبارك وتعالى من حين كنت صغيرا فكل ليلة لا أجد من يأكل فيها معى لا أتهنا بالطعام فيها ولا استلذ به وكلما كثرت الايدى وأكلوا أطايب الطعام كلما أفرح عكس البخيل (وكان) على هذا القدم سيدى محمد بن داود رضى الله تعالى عنه والشيخ عبد الحليم ببلاد المنزلة رضى الله تعالى عنه فربما عمل أحدهم الدجاجة نفرقها على نحو سبعين نفسا انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) مباسطتى للخادم حتى صار لا يهابنى اذا قلت له تعال كل معى فان كثيرا من الخدام اذا قال سيده تعال كل معى يقول فضيحة. آكل مع سيدى وفى ذلك رائحة علم العبد بفظاظة سيده وتكبره عليه ولو انه كان يعلم منه الرحمة واللين لجلس يأكل مع سيده بلا اذن (وقد بلغنا) أن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه دعا فتى له ليأكل معه فأبى فجلس عمر يبكى وقال لولا انه علم منى الكبر ما أبى انتهى (فاياك) ثم اياك من التكبر على خادمك أو رؤية نفسك عليه فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم ردى للسائل اذا كان محتاجا فاعطيه ما سأل ولو كان عمامتى أو جوخى أو هما معا لا سيما ان كان أحوج الى ذلك منى ولا أمنعه الا لغرض شرعى لا لبخل ولا لشحة نفس (وهذا) الخلق من أكرم أخلاق الفقراء ولا أحصى عدد من لبس من ثيابى ويجمع ذلك كله أنى لم ارقع ثوبا قط منذ

الخصوصية قال رضى الله عنه فى قوله عليه السلام سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد حتى يعود اليه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال انى أخاف الله ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه فقال الشيخ الامام العادل هو القلب ورجل قلبه معلق بالمسجد حتى يعود اليه أى ورجل قلبه معلق بالعرش فان العرش مسجد قلوب الموقنين ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه أى خاليا من النفس والهوى ورجل تصدق بصدقة فاخفاها أى من النفس والهوى وكذلك قال فى قوله تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا أى من النفس والهوى * واعلم ان هؤلاء السبعة جازاهم الحق سبحانه من حيث معاملتهم اياه أما الامام العادل فانه عدل فى عباد الله فأوى المظلوم الى ظل عدله فاواه الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله وأما الشاب الذى نشأ فى عبادة الله فانه آوى الى الله معرضا عن هواه آو يا الى كنف

وعيت على نفسي انما يأخذه الناس من أصحابي وغيرهم كما هو مبسوط في نعمة ذكر أسماء من كسوتهم من العلماء والصلحاء والفقراء والاقارب ونحوهم (واعلم يا أخي) أن من الغرض الشرعي أن أقدم نفسي لكونها أحوج الى ذلك من السائل وكذلك من الغرض الصحيح عدم اعطائي لذلك السائل ذلك الشيء حتى أجد نية صالحة ولو شهرا أو أكثر فربما استحيى الفقير اذا طلب منه شيء بحضرة الناس مما يشح به الناس غالبا فأعطى فاتبعته نفسه وذلك معدود من التهور ومن الرياء وحب المحمدة وكذلك من الغرض الصحيح اذا علم ولو بالقرائن أن سؤاله تعنت لا لحاجة اليه فليتنبه الانسان لمثل هذه الامور ولا يعطي ويمنع الابحق فان الاموال انما وضعها الحق تبارك وتعالى في يد العارفين لمنافع العباد من أنفسهم أو غيرهم فان رأوا نفوسهم أحوج قدموها أو غيرهم أحوج قدموه (وفي الحديث) ابدأ بنفسك ثم بمن تعول فمن آثر السائل على نفسه بما هو أحق به فقد ظلم نفسه فعليه إثم من ظلم رعيته وشق عليها وما مدح الله تبارك وتعالى المؤثرين على أنفسهم إلا ترغيبا لهم وتشجيعا ليخرجوا من ورطة البخل الذي فتحوا عيونهم في الدنيا عليه فلولا مدح الله تبارك وتعالى لهم على ذلك ما قدروا على الخروج من شح نفوسهم فاذن الايثار من صفات المريدين والبداءة بالنفس من صفات الكمل لان العبد يؤمر أولا بالخروج من الشح فاذا وفى العمل به أمر بالبداءة بنفسه قياما بالعدل اللهم الا أن يكون له أتباع يقتدون به في الايثار فاللائق به التنزل لمقامهم ويؤثر على نفسه بحضرتهم ولا يخفى ان الكامل على يقين من طريق كشفه أنه من رزقه أو من غير رزقه فان كان من رزقه فهو على يقين من عوده اليه ولا يقدر أحد أن يأكل منه شيأ فيستفيد بايثارهم على نفسه حسن الثناء عليه وفتح باب الاقتداء به والثواب الذي هو الأصل وان كان من غير رزقه فليس له منع صاحبه منه بل اللائق دفعه اليه ومن شأن الكامل ان يعطي كل ذي حق حقه بخلاف غير الكامل فانه ان وفى بمقام أخل بمقام آخر (وفي الحديث) الاقربون أولى بالمعروف ولا أقرب اليك من نفسك فهي مقدمة على جارك اذا كانت محتاجة لما هي أحق به (فعلم) أنه لا تعارض بين حديث ابدأ بنفسك وبين قوله تبارك وتعالى ويؤثرون على أنفسهم لان الآية في حق من عنده إتمام لنفسه في المنع لبخل وشح في النفس أو لمن يقصد أنه يقتدي الناس به والحديث في حق من ليس عنده ذلك وتقديم المريد غيره عليه من باب ظلم دون ظلم فسوغ بظلم نفسه طلبا للترقي الى مقام آخر أعلى مما هو فيه فعمدته العمل على الخروج من عهدة نفسه وحظوظها ما أمكن ولو انه أمر بالبداءة بنفسه لازداد بخلا وشحا * ولما لام بعضهم سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله تعالى عنه على أكله المطاعم اللذيذة ولبسه الثياب الفاخرة والنوم على الفرش الناعمة الوثيرة قال لهم يا طول ما أطعمت نفسي الطعام الكريه وألبستها الخشن وأنمتها على التراب وقد وفت بما استأجرتها عليه واستحقت ان تأخذ أجرتها قبل ان يجف عرقها وذلك قبل موتها فان عرقها لا يجف الا بالموت انتهى كلامه رضي الله تعالى عنه وأرضاه وهذا الذي قاله الشيخ رضي الله تعالى عنه لا يكون الا لمن له أتباع يعرفون مقامه أو لمن ليس له اتباع أما من له اتباع لا يعرفون مقامه فمن لازمهم غالبا الاقتداء به في الترفهات فيهلكون ويقفون عن السير لنقص رأس مالهم بذلك بخلاف الكامل ثم لا يخفى على المريد أن جميع ما يؤثر به غيره ليس هو من رزقه فلا ينبغي له ان يرى له به مقاما على غيره بايثاره لانه ما آثر الغير الا بما هو لذلك الغير ولو أنه كان أمسكه لنفسه لا يقدر على أنه يتناول منه شيأ (ومن هنا) قالوا ما ورع المتورعون وزهد الزاهدون الا فيما لم يقسم لهم انتهى فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) اعتقاد كثير من الانس والجن واليهود والنصارى في الصلاح واجابة الدعاء مع أني لست من الصالحين عند نفسي ولا عند كثير من الناس (وهذا) من أكبر نعم الله تبارك وتعالى علي ومن أعظم ستره سترني بها بين العباد حتى اني أنفي الصلاح عن نفسي بحضرة بعض الناس لينفرمني فيقول لي بل أنت صالح فأتعجب من صنع الله تبارك وتعالى وأعرف انه أراد سترى بين عباده ولولا ذلك لكان الامر بالعكس فاقول لهم أنا صالح فيقولون لي تكذب لست بصالح (ثم) ان الناس قسمان قسم يعلم بصلاح نفسه

مولاه فصنع الحق معه ذلك في الآخرة جزاء كما صنع هو ذلك مع الله في الدنيا معاملة وأما الرجل الذي قلبه معلق بالمسجد حتى يعود اليه فانه آثر طاعة الله وغلب عليه حب الله فلذلك صار قلبه متلفتا الى المسجد لا يحب البراح عنه لانه يجد فيه روح القربة وحلاوة الخدمة فآوى الى الله مؤثرا لربوبيته فاظله الله بظله يوم لا ظل الا ظله جزاء لما سبق من معاملته وأما الرجلان اللذان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه فهما تواصلا بروح الله تعالى وتألفا بمحبة الله فكان ذلك منهما انحياشا الى الله فآواهما الله بظله يوم لا ظل الا ظله وأما الرجل الذي دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال اني أخاف الله رب العالمين فانه صلى نار مخافة الهوى من المولى وخالف بواعث الطبع المعارضة للتقوى ولما خاف الله هرب اليه ولما هرب اليه ههنا معاملة آواه الله اليه في الآخرة مواصلة فاظله الله بظله يوم لا ظل الا ظله وأما الرجل الذي ذكر الله خاليا ففاضت عيناه فانه لم تفض عيناه الا من القرح التي أحرقت قلبه اما حياء من الله أو شوقا اليه أو خوفا من ربوبيته أو لشهود التقصير معه فلما فعل ذلك حيث لا يراه أحد الا الاحد كان ذلك معاملة لله وانحياشا اليه بالاعتذار اليه أو بالتشوق فآوى

فيكون نفيه الصلاح عن نفسه اتهاماً لها وقسم لا يعلم بصلاح نفسه فهو صادق فى نفيه الصلاح عن نفسه وعلى ذلك أكثر السلف الصالح (وقد كان) مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه يقول والله لو حلف حالف أننى من الفاسقين لقلت له صدقت (وكان) الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه يقول لو حلف شخص أن اعمالى اعمال من لا يؤمن بيوم الحساب لقلت له صدقت لا تكفر عن يمينك انتهى لكن صاحب هذا المقام ربما يقل شكره لله تبارك وتعالى فلا يكاد يرى لله تبارك وتعالى عليه نعمة أو صفة من صفات الكمال ولكن ان من الله تبارك وتعالى عليه بالكمال كثر شكره لله تبارك وتعالى من حيث حلمه جل وعلا عليه وعدم معاجلته بالعقوبة مع شدة خوفه من الله تبارك وتعالى من ذلك لان الكامل يكنى أبا العيون (اذا علمت) ذلك فمن جملة اعتقاد المسلمين فى أننى أعطى أحدهم القشة من الارض اذا طلب منى الدعاء لمريضه أو كتابة ورقة وأقول له تبخر المريض بها فيفعل فيحصل له الشفاء باذن الله تبارك وتعالى فاعرف أنه لولا شدة اعتقاد أحدهم ما شفى الله تعالى مريضه بدخان تلك القشة فان الامور تجرى بها المقادير الالهية سرعة وبطأ بحسب قوة الاعتقاد وضعفه حتى ان بعض من لا اعتقاد عنده من المجادلين يأخذ القشة وعنده شك فى أن تلك القشة تنفعه فلا تنفعه (وقد جاءنى) مرة فقيه يأخذنى سياقا لصهره لما غضبت زوجته وكان قد جعل لها خمسين دينارا فلم يرضوا أن يردوها له فقلت له خذ هذه القشة وأعطها لصهرك فانه يردها لك بلا فلوس فقال لى لا تمزح معى فانى مكروب فلا زال الفقراء به حتى حصل عنده بعض الاعتقاد فأخذ القشة فبمجرد ما أعطاها لصهره قال له اذهب فخذ امرأتك فتعجب الفقيه من ذلك وقال أحوال الفقراء لا تدخل تحت حكم العقل (وكذلك) جاءنى الشيخ ناصر الدين بن الطنب المدرس بناحية دمنهور بالبحيرة وهو مكروب فقلت له ما لك فقال اشتكانى شخص لى عليه دين للباشاه على نائب مصر وذكر له أن الشيخ هدم جدارا فوجد فيه قدرتين ذهبا وعمودين فضة وانه أمر الوالى بالقبض عليه فقلت له أبرئ المديون مما عليه والحق تبارك وتعالى يلهم الباشاه انه يكذبه فيما يدعيه عليك من المال فابى ان يبرئه وكان معه الشيخ سالم الدمنهورى وهو كثير الاعتقاد فى الفقراء فصار يقول للشيخ ناصر الدين أطع عبد الوهاب فيقول كيف أبرئه من مالى فلما طلع القلعة مخالفا للاشارة وعاين أسباب الهلاك قال له الشيخ سالم أبرئه كما قال عبد الوهاب فابرأه فى نفسه فقال الباشاه الذى ظهر لى ان المسطور الذى كتب على هذا الرجل باطل ودعواه بالقدرتين الذهب والعمودين الفضة باطل وقد كان جماعة الديوان كلهم تيقنوا انه معاقب لا محالة لاجل قدور الذهب وعمد الفضة فما وقع للشيخ ناصر الدين الرعب الا من جهة توقفه عن العمل بالاشارة وطاب العمل برأى نفسه (وقد وقع) ان شخصا جاءنى من حارة جامع ابن طولون يطلب منى الدعاء لابنته وذكر أن بها استسقاء وان الاطباء أيسوا من مداواتها فقلت له أعندك اعتقاد تفعل ما آمرك به فقال نعم فاعطيته قشة فبخرها بها فشفيت من يومها فعلمت صحة اعتقاده وقد بلغ ذلك بعض المنكرين فقال كل هذا سحر فرمدت عينه فصار يصيح ليلا ونهارا فقالوا له اذهب لعبد الوهاب فقال أنا لا أعتقد فيه صلاحا فاشتد عليه الالم فجاءنى غصبا عليه وكان بين أيدينا طعام كشك فقلت له كل من هذا الكشك فتوقف وقال هذا منهى عنه فاشتد عليه الالم فقال له الناس جرب الاشارة هذه المرة فاكل من ذلك الكشك فراقت عينه فى الحال فشفى (وكذلك) جاءنى فقيه يشكو القولنج وهو صائم فاطعمته بسلة فسكن القولنج كل ذلك لكونى أقول على ذلك الشئ بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم (وقد) قدموا مرة لخالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه اناء مسموما فأعلمه الناس به فقال بسم الله وشربه فلم يضره (فعلم) مما قررناه ان كل من لم يكن عنده اعتقاد فى اسم الله تبارك وتعالى أنه لا يضر معه شئ فليس له ان يأكل شيأ مضادا لذلك المرض شرعا لانه ربما ضره ووقائعى فى ذلك كثيرة شهيرة ومن جملة اعتقاد النصارى واليهود انهم يطلبون منى كتابة الحروز لاولادهم ومرضاهم فأعطى أحدهم القشة فيبخر بها مريضه فيحصل له الشفاء فأتعجب فى اعتقادهم فى مع اختلاف الدين وكثيرا ما أقول لهم لم لا تسألون رهبانكم وعلماءكم فيقولون أنت أعظم عندنا من البترك ومن جميع أهل ديننا وانما كنت أعطيهم القشة دون كتابة شئ من القرآن أو أسماء الله تبارك وتعالى اجلالا لله تعالى ولكلامه ثم من

حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه فانه قد آثر الله على نفسه ببذل الدنيا ايثار الحب الله على ما تحبه نفسه لان شأن النفس حب الدنيا وعدم البذل لها فلا يبذلها الا من آثر الله عليها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والصدقة برهان أى برهان بدل على ان العبد آثر مولاه على نفسه وهواه فلما مال هذا العبد الى الله بالمعاملة من الله عليه بان أظله فى ظله يوم لا ظل الا ظله وتشترك الاقسام السبعة فى معنى واحد فلذلك جوزوا جزاء واحدا اشترك فى ان كلا من هؤلاء السبعة صلى حر مخالفة الهوى فى الدنيا فلم يذقه الله حر الآخرة وقد قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع عليه أمنين ان أمنته فى الدنيا أخفته فى الآخرة وان أخفته فى الدنيا آمنته فى الآخرة وقال رضى الله عنه فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا أى دلوهم على الله ولا تدلوهم على غيره فان من دلك على الدنيا فقد غرك ومن دلك على الاعمال فقد أتعبك ومن دلك على الله فقد نصحك وقال رضى الله عنه فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو أخذته

والسلام رأيت الجنة ولم يقل كأنى رأيت وقال حارثة لما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت ياحارثة قال أصبحت مؤمنا حقا فقال صلى الله عليه وسلم لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسى عن الدنيا فاستوى عندى ذهبها ومدرها وكأنى أنظر الى أهل الجنة فى الجنة يتنعمون والى أهل النار فى النار يعذبون وكأنى أرى عرش ربى بارزا من أجل ذلك أسهرت ليلى وأظمأت نهارى فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم ياحارثة عرفت فالزم ثم قال صلى الله عليه وسلم عبد نور الله قلبه بنور الايمان فقال حارثة كأنى ولم يقل رأيت لان ذلك للانبياء دونه وكذلك قول حنظلة الاسدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم تذكرنا الجنة والنار حتى كأنا رأى عين ولم يقل حتى نراها رأى عين لما قدمناه وفى حديث حارثة فوائد عشرة * الاولى انه لما سأل النبى صلى الله عليه وسلم حارثة فقال له كيف أصبحت ياحارثة لم يقل حارثة غنيا ولا صحيحا ولا شيأ من الاحوال البدنية أو الامور الدنيوية لان حارثة علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل من فغاب

أعجب ماوقع ان نصرانيا كان يبيع الخمر فى حارتنا وكان اذا بار خمره فى مثل الثلاثة شهور يجىء يأخذ خاطرى ويقول أنا خائف من فلوس الجملة انها تقف على فأقول له يامعلم الخمر عندنا محرم بالاجماع فكيف أقول يا الله ارسل للمعلم من يشترى خمره ويسكر فيقول ادع الله أن ينزل لى البركة فاقول له ان البركة لا تكون فى شئ نهى الله تعالى عنه فقال ادع الله أن يتوب على من بيع الخمر فدعوت له فمات بعد جمعة (ومن جملة) ماوقع لى مع الجن انهم أرسلوا الى نحو خمسة وسبعين سؤالا فى علم التوحيد لا كتب لهم عليها وقالوا قد عجز علماؤنا عن الجواب عنها وقالوا هذا التحقيق لا يكون الا من علماء الانس وسمونى فى السؤال شيخ الاسلام فكتبت لهم الجواب عنها نحو خمسة كراريس وسميته كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان (وكذلك) أرسلوا الى قصة فيها خطبة غريبة فى شدة الفصاحة واللغات نحو حزب يسألونى فيها أن أخلص ولد شرف الدين بن الموقع لما أسره جماعة من يهود الجان فارسلت أقول لهم اسألوا غيرى فقالوا قد عجز غيرك عن تخليصه منهم فكتبت له ورقة يحملها فرجعوا عنه وقد ذكرت الخطبة التى أرسلوها والامارات التى ذكروها الى فى كراسة فافهم يا أخى ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة تسليمى وترك تكذيبى لكل من ادعى ممكنا فى العادة من سائر المقامات حتى القطبية فان الولاية أمر باطنى لا يطلع عليه الا الله تبارك وتعالى ثم صاحبه وقد يكون الشخص وليا من أولياء الله تعالى ولا يعلم بنفسه فتصديقنا لكل من لم يدع مقاما ممنوعا كدعواه النبوة أولى لانه ان كان صادقا فقد صدقناه وان كان كاذبا فكذبه يرجع عليه لا علينا (وقد) دخل على شخص مرة فادعى القطبية الكبرى فسلمت له فقال لى اكتب لى خطك بانك صدقتنى على دعواى فقلت هذا لا يكون الا لو علمت قطبيتك من طريق كشفى وأما من طريق اخبارك عن نفسك بها فذلك لا يخلصنى فاقسم على بالله تبارك وتعالى فكتبت له ورقة فيها ان فلانا أخبر عن نفسه انه قطب دائرته فصدقناه على انه قطب فى أى محل حل فيه أى لانه حيث ماجلس فرضنا حوله دائرة هو قطبها فرضى منى بذلك انتهى (وقد) كثر دعوى القطبية فى هذا الزمان وصار كل من سولت له نفسه شيأ يعتقد صحته لقلة ظهور الاشياخ فى العصر فكل جماعة شيخ يدعون ان شيخهم هو القطب وربما سمعهم وسكت على ذلك ومعلوم ان القطب لا يكون الا واحدا فى كل زمان ولا يصح أن يكون فى الزمان قطبان أبدا كما لا يكون للرحى قلبان الا أن يريد القائل انه قطب أصحابه فقط فلا منع فنحن نسلم لكل من ادعى القطبية لعلمنا بان من شأن القطب الخفاء دون الظهور ونرد علم حقائق الامور الى الله تبارك وتعالى (وقد) كان الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول الانكار فرع من النفاق قال المزنى بل هو النفاق كله لان الجحد ضد التصديق انتهى فافهم يا أخى ذلك واياك والانكار على أحد يدعى ممكنا من مقامات الرجال والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كشف الحجاب عنى حتى سمعت تسبيح الجمادات والحيوانات من البهائم وغيرها من صلاة المغرب الى طلوع الفجر وذلك انى أحرمت بصلاة المغرب خلف الشيخ الصالح الورع الزاهد سيدى أمين الدين الامام بجامع الغمرى رضى الله تعالى عنه فانكشف حجابى فصرت اسمع تسبيح العمد والحيطان والحصر والبلاط حتى دهشت وصرت اسمع من يتكلم فى أطراف مصر ثم اتسع الى قراها ثم الى سائر أقاليم الارض ثم الى البحر المحيط فصرت أسمع تسبيح السمك وكان من جملة ماسمعت من تسبيح سمك البحر المحيط سبحان الملك الخلاق رب الجمادات والحيوانات والنبات والارزاق سبحان من لا ينسى قوت أحد من خلقه ولا يقطع بره عمن عصاه انتهى وذلك فى سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ثم ان الله تبارك وتعالى رحمنى عند طلوع الفجر وحجبنى عن سماع ذلك التسبيح لما حصل عندى من الدهشة وأبقى على العلم بذلك من طريق الكشف فتقوى بذلك ايمانى انتهى فافهم يا أخى ذلك ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم قولى بالجهة فى جانب الحق تبارك وتعالى من حين كنت صغير السن عناية من الله سبحانه وتعالى بى لابسلوك على يد شيخ من الاشياخ وقد هلك فى هذا الامر خلائق لا يحصون

فغلب وهمهم على عقلهم وظنوا أن الحق تبارك وتعالى فى جهة العلو فقط وغاب عن هؤلاء نحو قوله تبارك وتعالى واسجدوا واقترب وقوله صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فان فى هذه الآية والحديث تصريحا بعدم تحيز الحق تبارك وتعالى فى جهة دون أخرى أى فكما تطلبونه فى العلو فاطلبوه كذلك فى السفل وخالفوا وهمكم وانما جعل الشارع صلى الله عليه وسلم حال العبد فى السجود أقرب من ربه دون القيام مثلا لان من خصائص الحضرة أن لا يدخلها أحد الا بوصف الذل والانكسار فاذا عفر العبد محاسنه فى التراب كان أقرب فى مشهده من ربه من حالة القيام فالقرب والبعد راجع الى شهود العبد ربه لا الى الحق تبارك وتعالى فى نفسه فان أقربيته واحدة قال تبارك وتعالى فى حق المحتضر ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون وقال عز وجل ونحن أقرب اليه أى الانسان من حبل الوريد وأخبر انه يحول بين المرء وقلبه فاياك وما تراه فى كتب القائلين بالجهة من الاحاديث المشعرة بالجهة عند ضعفاء العقول فانها كلها مؤولة وكان صورة ما وقع لى وأنا صغير أنى تفكرت يوما فى الله عز وجل فقسته على ما أتعقله ثم صرفته بليس كمثله شئ وبقولهم كل شئ خطر ببالك فالله بخلاف ذلك وبقولهم حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق وانه مباين للخلق فى سائر الاحوال فذهب عنى تعقل الجهة فى حق البارى جل وعلا جملة واحدة فيا لها معرفة ما ألذها وكأننى خرجت من السجن الى الفضاء الواسع ثم انى عرضت ذلك على سيدى على المرصفى رضى الله تعالى عنه وأرضاه فقال هذه عناية عظيمة حصلت لك وان شاء الله تعالى يزيدك تأييدا فنمت فرأيت تلك الليلة قائلا يقول لى اخرج من حيطة العرش الى خارجه بعقلك وانظر تجد الوجود الجثمانى كله من العلويات والسفليات كالقنديل المعلق فى الهواء بلا علاقة فان صعد أبد الآبدين لا يجد جسما آخر يتعلق به وان اهبط أبد الآبدين لا يجد أرضا يستقر عليها فخرجت بعقلى كما ذكر فعلمت سعة عظمة الله تبارك وتعالى وزال عنى توهم الجهة من ذلك اليوم وجمعت فى ذلك المشهد بين شهود نفسى فى مكانين فانى كنت داخل العرش بيقين وأرى نفسى خارجه بيقين فبينا أنا واقف كذلك اذ جاء طير أبيض طويل العنق ففتح فاه والتقط الوجود الجسمانى كله وطار به فصرت أرى نفسى فى حوصلته وأنا خارجها ثم جاءت ناموسة صغيرة ففتحت فاها والتقطت الطائر بما حواه وغابت عن العين فقصصت ذلك على سيدى على المرصفى رضى الله تعالى عنه فقال الآن قد خرجت من الورطة كلها ثم قال لى كلما اتسعت معرفتك بالله تعالى كلما صغر الوجود فى عينك فانك رأيت أولا العرش عظيما ثم اتسعت معرفتك باتساع الوجود فصغر العرش فى عينك عن المشهد الاول ثم اتسعت المعرفة أكثر لما رأيت الطائر الذى هو أصغر من العرش ثم اتسعت المعرفة أكثر لما رأيت الناموسة اذ الوجود المحصور بالنسبة لغير المحصور كالينابيب التى فى الكوة التى فى عين الشمس تراها صاعدة وهابطة واذا قبضت بيدك عليها لم ترفى يدك شيأ انتهى (وكذلك) قصصت هذا الامر على سيدى الشيخ نور الدين على الشونى رضى الله تعالى عنه فقال لى هكذا وقع لى ورأيت الوجود كذرة فى الجو انتهى ثم لما اجتمعت بسيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه حكيت له هذه الحكاية فقال صحيح هذا بالنسبة الى التوحيد والا فالوجود كله عظيم من حيث انه من شعائر الله تبارك وتعالى وقد قال الله تبارك وتعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب فلا يزال العبد اذا وصل الى شهود الوجود فى عينه كالذرة يتكبر عنده أفراد الوجود شيأ فشيأ حتى يرجع الى الحالة الاولى التى كانت له قبل الترقى ويصير يعظم الوجود بتعظيم الله تبارك وتعالى ويحقره بتحقير الله تبارك وتعالى اذ ليس المؤمن كالمنافق ولا الكيس كالكاب انتهى وحاصل المراد من ذلك كله ان الموجودات من حيث ايجادها تتلاشى فى جنب معلومات الله وأما من حيث مراتبها فما عظمه الله تعالى وجب تعظيمه وما حقره وجب تحقيره على حد ما نفهم تكليفنا به (فعلم) ان كل من توهم ان الله تبارك وتعالى تأخذه الجهات فليس له فى مقام المعرفة نصيب وانما هو كالمجسم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (وقد كان) سيدى على بن وفا رضى الله تعالى عنه يقول ليس الرجل من يتقيد داخل الاجرام من العلويات والسفليات انما الرجل من خرج من الاقطار كلها وشاهد خالقها كما يليق بجلاله انتهى أى بحسب استعداد ذلك المشاهد فانه وسعه الذى كلف به وأما قوله صلى الله عليه وسلم سبحانك ما عرفناك حق معرفتك أى ما عرفناك على ما أنت عليه فى

سئلوا فلا يخبرونك الا عن دنياهم وربما أخبروك اذا سألتهم عن الضجر بأحكام مولاهم فالسائل لمن هذا وصفه مشارك له فيما استثاره سؤاله بجريان سببه منه قال الشيخ أبو العباس لرجل أتى من الحج كيف كان حجكم فقال ذلك الرجل كثير الرخاء كثير الماء كذا كذا وسعر كذا كذا فاعرض الشيخ عنه وقال نسألهم عن حجهم وما وجدوا فيه من الله من علم ونور وفتح فيجيبون برخاء الاسعار وكثرة المياه حتى كأنهم لم يسألوا الا عن ذلك *(الفائدة الثانية) *انه ينبغى للمشايخ تفقد حال المريدين ويجوز للمريدين اخبار الاستاذين وان لزم من ذلك كشف حال المريد لان الاستاذ كالطبيب وحال المريد كالعورة والعورة قد تبدى للطبيب لضرورة التداوى *(الفائدة الثالثة) *أنظر الى قوة نور حارثة فى قوله أصبحت مؤمنا حقا فلولا انه منصور بنور البصيرة الموجبة لمحض اليقين والتحقق بالمنة ما أخبر بذلك وأبداه وأثبت لنفسه حقية الايمان بين يدى صاحب الحق والاثبات

نفس الامر وفى مواقف الامام النفرى رضى الله تعالى عنه أوقفنى الحق جل وعلا بين يديه فى المنام وقال لى قل للعارفين بى ان رجعتم تطلبون منى الزيادة فى المعرفة فما عرفتمونى لان طالب الزيادة جاهل بى فيما سأل وان رضيتم بالوقوف على حد ما عرفتموه منى فما عرفتمونى وعزتى وجلالى ما أنا عين ما عرفوه ولا عين ما جهلوه انتهى فتأمل فى هذا المحل واطلب من الحق زيادة العلم به ولا تمل فلو ترقيت فى وجوه المعارف أبد الآبدين ودهر الداهرين لم تقف للمعرفة على قرار ومن هنا قال بعض العارفين سبحان من كان العلم به عين الجهل به والجهل به عين العلم به انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم تسليمى للنفس دعواها العجز عن فعل شئ من الطاعات حال مرضها فلا أسلم لها العجز عن القيام فى الصلاة مثلا الا بعد امتحانها بالوقوف ووقوعها مرة بعد مرة قهرا عليها فاذا وقعت صليت حينئذ جالسا بشرطه فان عجزت عن التماسك فى الجلوس صليت مضطجعا وانما أوجبنا امتحان النفس فى مثل ذلك لعلمنا بان النفس مجبولة من أصلها على عدم الطاعة لله تبارك وتعالى وايثارها على أوامر الحق تبارك وتعالى وقد ورد فى بعض الآثار ان الحق تبارك وتعالى أوقف النفس بين يديه وقال لها من أنا فقالت له تبارك وتعالى فمن أنا فغمسها فى بحر الجوع خمسة آلاف سنة ثم قال لها من أنا فقالت أنت الله خالق كل شئ انتهى فعلم ان من أطاع نفسه فى طلبها الراحة صرعته فلا تزال تسارقه وتجره الى الكسل شيأ فشيأ حتى ترجع الى ابائها الاصلية قبل ان تغمس فى بحر الجوع وهذا الخلق قل من يتنبه له وغالب الناس يصلى الصلاة جالسا بادنى وجع ولا يمتحن نفسه وهو تهور فى الدين (وقد كان) شيخنا شيخ الاسلام زكريا رضى الله تعالى عنه شارح البهجة يصلى النوافل قائما وقد جاوز المائة عام فيصير يميل يمينا وشمالا يكاد يقع من العجز ولا يصلى جالسا فقلت له يوما ان مثلكم لا يطالبه الله تبارك وتعالى بالوقوف فى النوافل فقال النفس من شأنها حب الراحة والكسل وأخاف ان أجيبها الى ما طلبت فاختم عمرى بالكسل عن الطاعات انتهى ووالله انى لأخرج للصلاة فى بعض الاوقات أجر رجلى جرا من ثقل الوارد الذى يرد على من البلايا والمحن التى تتعلق بى وباخوانى ولا أصلى فى البيت خوفا ان يقتدى بى الكسالى فى مثل ذلك فلا يخرجوا من بيوتهم لصلاة الجماعة (وفى كلام) سيدى أحمد بن الرفاعى رضى الله تعالى عنه من لم يحاسب نفسه على كل نفس ويتهمها فى جميع أحوالها لا يكتب عندنا فى ديوان الرجال انتهى فما ثم أتعب قلبا ولا بدنا ممن جعله الله تبارك وتعالى قدوة للناس انتهى (ومن هنا) بالغ النبى صلى الله عليه وسلم فى قيام الليل حتى تورمت قدماه وقال أفلا أكون عبدا شكورا فقطع جميع المجتهدين بعده ولم يلحقوه مبالغة فى النصح لهم وما كان يصلى جالسا الا حين علم الصحابة رضى الله تعالى عنهم عجزه صلى الله عليه وسلم فصلى حينئذ جالسا انتهى فاعلم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك بمنه وكرمه والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من الاكل من طعام من شفعت فيه شفاعة وقبلت عند أحد من الولاة أو قبول هدية على ذلك وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على فى هذا الزمان فقليل من الناس من يتنبه لمثل ذلك وقد شفعت مرة فى سيدى محمد العبادى عند الوزير على باشا لما كان عزم على نفيه من مصر وشرع فى بيع عبيده وأمتعته فقبل شفاعتى فيه وانحل عزمه عما كان أراد أن يفعله فأرسل الى جارية فلم أقبلها فلكها لابنى عبد الرحمن فقلت له لا تقبل فلكها لابنتى نفيسة فقلت له لا أقبل لها ذلك فحلف أن لا ترجع فمكثت عندى الى ان ماتت على ذمته والنكتة فى ذلك أن الشفاعة من القربات الشرعية وأنا لا آخذ عليها أجرا فى الدنيا وقد وقع انى أكلت مرة سهوا لمن شفعت فيه ثم تفكرت فتقيأته من بطنى وكثيرا ما يأتى الفلاح أو غيره بهدية لأشفع له عند أحد من الكشاف أو مشايخ العرب فامنع النقيب من انه يدخلها فيصير واقفا على باب الزاوية بهديته الى آخر النهار حتى يخرج عنها للعميان والمجاورين وفى أوقات يردها الى بلده أو يبيعها ثم أشفع له لله تبارك وتعالى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

وانما أبدى ذلك حارثة لانه علم ان طواعية رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة والرسول تداء تخبره عن حاله فلم يسعه الكتم وأبدى ما علم ان الله تفضل عليه ببركات متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفرح له رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنة الله فيشكر الله عنه ويسأل الله تثبيت ما أعطاه ومثل هذا ما ذكره بعض العلماء قال وقعت زلزلة بالمدينة زمن خلافة عمر فقال عمر ما هذا ما أسرع ما أحدثتم والله لئن عادت لاخرجن من بين أظهركم فانظر رحمك الله هذه البصيرة التامة كيف أشهدته ان الزلزلة انما هى من حدث وان ذلك الحدث منهم وانه برىء منه فهل هذا الا من نور البصيرة الكاملة التى وهبها عمر وكذلك ضربه لابى هريرة فى صدره حين وجد معه نعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أمره ان من لقيه من وراء الحائط يشهد أن لا اله الا الله أن يبشره بالجنة ورجوعهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول عمر يا رسول الله انت أمرت أبا هريرة أن يأخذ نعليك ويبشر من لقى من وراء الحائط يشهد أن لا اله الا الله بالجنة قال نعم قال لا تفعل يا رسول الله خلهم يعملوا فقال عليه السلام خلهم يعملوا وهاتان الواقعتان يعرفانك بعظيم قدر عمر ووفور

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) كراهتي لقبول شيء من هدايا الولاة والعمال لي أولإخواني وذلك لاننا ما نصحب الولاة الا بقصد تفريج كرب المكروبين ونحن على حذر من الميل اليهم وسهامنا المسمومة متوجهة اليهم ليلا ونهارا لتصيبهم لكثرة ظلمهم فان سددناهم ولحقهم من كثرة الظلم والبلص وأذى المسلمين ومعلوم أن قبولنا هداياهم والاكل من طعامهم يبطل عمل سهامنا فيهم ونحن لا نرى ابطال عمل سهامنا فيهم بالاكل من طعامهم أو اللبس من ثيابهم مثلا مع ما في ذلك من التبعات وعدم قبول الشفاعات فان من أكل من طعام رجل أو قبل هديته ذل له وصار معدودا من عائلته وقد أغفل غالب الفقراء هذا الباب فقبلوا من الولاة هداياهم وصدقاتهم وطلبوا منهم قبول شفاعاتهم وانقيادهم لهم وذلك كالمحال ولو أنهم زهدوا فيما في أيدي الولاة ولم يقبلوا منهم صدقة ولا هدية لعظموهم وقبلوا شفاعاتهم وقبلوا أيديهم وأرجلهم وما أخبرتك يا أخي الا بما حربته في نفسي قبل دخولي في محبة طريق القوم وقد كان الفضيل بن عياض رضي الله تعالى عنه يقول من أكل من طعام رجل استحيي منه ضرورة وربما ترك نصحه جملة حياء منه انتهى وفي المثل السائر اطعم الفم تسد العين انتهى وقد بلغني ان شخصا من مشايخ العصر يسافر كل سنة لمشايخ العرب من مصر ليسلم عليهم ويقول لهم قد اشتقنا لكم مع ان له اخوانا في الطريق يرى مكانهم من زاويته ولا يزورأحدا منهم ولا يشتاق اليه وبلغني أيضا ان بعض مشايخ العرب يقول قد عزنا في رضا هؤلاء المشايخ من كثرة ما يشحذون منا وكيف تطيب نفوسهم أن يأكلوا من طعامنا ويقبلوا صدقاتنا مع علمهم بان أموالنا لا تسلم من الحرام والشبهات انتهى فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم افشائي سر من صحبته من الولاة اذا قربني وصار يشاورني في أموره فلا أقول لاحد من أصحابي قط ان الامير قال لي كذا أو شاورني في كذا أبدا لاسيما الباشا مثلا فانه ينبني على ذلك مفاسد لا تحصى منها نفرة ذلك الامير مني وأخذه حذره مني ويعدني عدوا أو مغفلا وذلك يوجب عدم اعتنائه بشفاعتي عنده في المظلومين ومنها الفساد في المملكة وقد قالوا ليس للملك أن يعفو عن ثلاث الاول من قدح في ملكه الثاني من أفشى سره الثالث من أفسد حريمه وهذا الامر قل من يثبت فيه من المجتمعين على الامراء فيفشون أسرارهم ويفتخرون بقولهم قال لي الباشا البارحة كذا وسمعته يقول مقصودي عزل فلان أو قتل فلان أو تولية فلان ونحو ذلك انتهى فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم افتخاري بمجيء الاكابر الي من أمير كبير أو قاضي عسكر ونحوهما ولا أقول لمن أتاني ولا علم له بمجيء ذلك الامير الي البارحة كان عندنا فلان لان ذلك كالافتخار بأهل الدنيا وهذا أمر يقع فيه غالب المتمشيخين بأنفسهم في هذا الزمان كأن أحدهم يقول اعرفوا مقامي عند الامراء والاكابر وكذلك القول فيما اذا زارني ولي كبير أو عالم فان في ذكري للناس أنه زارني اعلاما لهم بان العلماء والاولياء يعظموني ولا يخفى ما في ذلك من الرياء وقلة العقل فاعلم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم مزاحمتي على صحبة أحد من الولاة وأبناء الدنيا ممن حولهم البر والحسنة وان كنت صحبت أحدا منهم ثم طرأ علي أحد يزاحمني فيه تركته له بانشراح صدر وقد تقدم أوائل هذا الكتاب أني لا أتشوش ممن نقصني عند أحد من الولاة حتى صار ينكر علي ويبغضني بعد أن كان يعتقدني ويحبني لانه أراحني من ورطة عزله ونفر خاطري من الركون اليه وحماني من احتمال أن تمسني النار التي وعد الله سبحانه وتعالى بها من يركن الى الظلمة ان ركنت اليه وقد كان سيدي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى اذا نفر أحد عنه من يعتقده من الولاة يقول جزى الله أخانا فلانا خيرا كان الامير الفلاني مقبلا علي مثل الجرف فصده عني وأراحني من تعبه فان الولاة لا يعتقدون فقيرا الا بقصد حمايته لهم من عوارض الدهر ولا يحسنون اليه الا بذلك القصد فلسان حالهم يقول ما دام سيدي الشيخ يدعو لنا وهو حامل حملتنا لا نبالي ولو ظلمنا العباد

مختصرا *(الفائدة الرابعة)* يفهم من هذا الحديث انقسام الايمان الى قسمين ايمان حقيقي وايمان رسمي فلذلك أخبر الصحابي بقوله أصبحت مؤمنا حقا والحديث يشهد له أيضا ما رواه البخاري في صحيحه رفعه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا وروى أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان وطعمه أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان توقد نار عظيمة فكان أن يقع فيها خير له من أن يشرك بالله وقد جاء في الحديث أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير وقد قال الله سبحانه أولئك هم المؤمنون حقا وهما صنفان عباد آمنوا بالله على التصديق والاذعان وعباد آمنوا بالله على الشهود والعيان وهذا الايمان الثاني تارة يسمى ايمانا وتارة يسمى يقينا لانه ايمان انبسطت أنواره وظهرت آثاره واستمكن في القلب عوده ودام السير شهوده وعنه

والبلاد فالصادق من يحب كل من نفر عنه أبناء الدنيا والسلام فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) انني لا أصحب أحدا من الولاة الا بعد أن رأيت أن صحبته ترجح على عدم صحبته ثم اني اذا صحبته لمصالح العباد لا أزال أسارقه بتكبير غيري ممن أعتقد أهليته لما أقصد من المصالح وأرفعه في عينه وتحسين اعتقاده فيه حتى يصير يقدمهم علي فاذا صار كذلك تركت صحبته بسياسة بحيث لا يشعر بي أحد ولا يعتقد واني تشوشت منه لكونه صحب غيري وهذا خلق ما رأيت له فاعلا في مصر غيري وقد فعلته مع الامير محيي الدين بن أبي أصبع ومع محمد بن بغداد ومع كثير من الكشاف فسنت اعتقادهم لما صحبتهم في غيري وصرفتهم اليه ولم يفعل ذلك معي أحد من متمشيخي أهل عصري بل ربما نصبوا على صاحبي ليفسدوه علي وأرسلوا له زوالق يجرحوني عنده كما وقع لي ذلك لما تردد الى الدفتردار محمد وصار يثني علي في المجالس فجزاهم الله تعالى عني خيرا وان لم يقصدوا ذلك الخير وقد كان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول صحبة الولاة غالبها وخيم وعواقبها رديئة فمن ابتلي بشيء من ذلك وأراد التنصل منهم فليحسن اعتقادهم في أحد من الفقراء الذين في بلده ويسأل الله تعالى أن يدبرهم بحسن التدبير انتهى فعليك يا أخي بتكبير اخوانك عند كل من صحبته من الامراء واذكرهم بالصلاح والخير واياك وتجريح أحد من أقرانك عنده فيقيض الله تبارك وتعالى لك بحكم العدل من يجرحك وينقصك عند ذلك الامير حتى تصير كخرقة الحيض جزاء وفاقا كما وقع ذلك لجماعة من طلبة العلم فذكروا بعضهم بسوء عند الامير الذي صحبوه فاستفاد الامير من كل منهم ان خصمه قليل الدين فقال الله لا ينفعني ببركة أحد منهم ولو انهم كانوا كبروا باخوانهم عنده لخرجوا كلهم من صحبته مستورين انتهى وأنا أوصي جميع اخواني بالتخلق بهذا الخلق فان له حلاوة عظيمة وفيه رضا الله تبارك وتعالى ورضا الاخوان وحكم العكس بالعكس ثم ان أصل تنقيص الناس لبعضهم بعضا عند الامراء انما هو لمحبتهم الدنيا وطمعهم في احسان ذلك الامير لهم فهم يخافون ان يميل ذلك الامير الى غيرهم فيقطع عنهم بره وحسنته أو يمنع عنهم ما كانوا يؤملونه منه فلذلك نفروه عن الميل الى أحد من أقرانهم انتهى ومن أغرب ما وقع لي أن شخصا حطني عند بعض الامراء لما كنت أشفع عنده فلامه على ذلك بعض الاخوان فقال انما نفرته عنه رحمة به خوفا أن يحسن اليه فيميل اليه ثم انه صحب ذلك الامير بعدي وصار يقبل هديته ويبث محاسنه في المجالس ويصفه بالصلاح فقال له بعض الاخوان لما صحب الامير غيرك وصفته بالظلم ولما صحبته أنت وقبلت هديته وبره صار من الصالحين فما درى ما يقول انتهى ولما طلعت للوزير علي باشا بمصر وقبل شفاعتي وأكرمني غار بعض الحسدة من ذلك فارسلوا له قصة وجرحوني فيها بما هو من صفتهم والله يعلم انني منه بريء ثم انهم احتاجوا الى من يشفع لهم عنده فجاؤني فقلت لهم كيف أنكم تجرحوني ثم تطلبون مني ان أشفع لكم عنده وما ضركم لو كنتم سكتم عن تجريحي فكنت أشفع لكم ثم لم أشفع فيهم عقوبة لهم وعلما بان ما استشفعوني فيه ليس من الضروريات انتهى فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) كثرة قبول شفاعاتي عند الامراء واعتقادهم في الصلاح من غير مطالبتي بكرامة ولا أعلم الآن أحدا في مصر أكثر شفاعة عند الولاة والكشاف ومشايخ العرب والعمال مني فربما يفني الدست الورق في مراسلاتهم في حوائج الناس في أقل من شهر مع أن في البلد من هو أعظم مقاما مني بل لا أصلح أن أكون تلميذا له وقد بلغنا أن من كان قبلنا من الفقراء لم يزل بينهم وبين الولاة الحرب والمقاطعة ولم يزالوا يطالبون الفقراء بالكرامات حتى يقبلوا شفاعتهم كسيدي ابراهيم المتبولي رضي الله تعالى عنه وسيدي محمد الحنفي رضي الله تعالى عنه وسيدي ابراهيم الجعبري رضي الله تعالى عنه وسيدي أحمد الزاهد رضي الله تعالى عنه وأضرابهم رضي الله تعالى عنهم وكانوا ينفخون بطن الظالم منهم حتى يكاد بطنه يتمزق وكانوا يحبسون بول أحدهم حتى يكاد يهلك وأنا بحمد الله تبارك وتعالى لم يطالبني أحد بذلك ولم يحوجني الى شيء من هذه الافاعيل وقد كان سيدي ابراهيم المتبولي رضي الله تعالى عنه يقول من لم يقدر على قتل الظلمة بالحال أو عزلهم لا يصح له

يكون خالص الولاية كما ان عن القسم الآخر يكون ظاهر الولاية وليس يستوي ايمان مؤمن يغلب الهوى وايمان مؤمن يغلبه الهوى ولا ايمان مؤمن تعرض له العوارض فيدافعها بايمانه كايمان مؤمن غسل قلبه من العوارض فلا ترد عليه لمشهوده وعيانه ولاجل هذا ما اختلف أهل الطريق في عبدين أحدهما يرد عليه خاطر الذنب فيجاهد نفسه حتى يذهب ذلك عنه والآخر لا يخطر له هذا الخاطر أصلا أيهما أتم والذي لا نشك فيه تفضيل هذا القسم الثاني فانه أقرب لاحوال أهل المعرفة والاول هو حال أهل المجاهدة ولانه لا يكون القلب على هذه الصفة الا والنور قد لأز واياه فلاجل ذلك لم يجد خاطر الذنب مساغا *(الفائدة الخامسة)* مطالبة الرسول صلى الله عليه وسلم لحارثة باقامة البرهان على ما أثبته لنفسه يفيدك ذلك انه ليس كل من ادعى دعوى سلمت له وقد قال الله سبحانه وتعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فوازين الحقائق شاهدة للعباد أو عليهم وقد قال سبحانه وأقيموا الوزن بالقسط فمن ادعى حالا مع الله أقيم عليه ميزانها فان شهد له سلمناه والا فلا واذا كانت الدنيا على خساسة قدرها عند الله

دوام قبول الشفاعة عندهم وكان رضى الله تعالى عنه كثيرا ما يقول ينبغى للعارف أن يحمى نفسه وأصحابه بالحال ولو مرة انتهى فاعلم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حسن سياستى لمن أشفع عنده من الولاة وغيرهم فيما لهمنى الله تبارك وتعالى كلا مالم يمر على بالى قبل ذلك فينحل غضب ذلك الامير بعون الله تبارك وتعالى وقدرته ولما شفعت عند الوزير على باشا بمصر فى محمد العبادى لما نقم عليه وأراد نفيه من مصر وأراد ان يبيع عبيده وجواره وأمتعته قلت له قد جئنا نشفع فى محمد العبادى فان كان يستحق أن نشفع فيه فشفعونا فيه وان كان لم يستحق فالفقراء معكم عليه حتى يتأدب فانا لا نوالى من خرج عن طاعة ولى أمرنا فتبسم وانحل غضبه فقلت له حلمكم يسع آلافا من أمثال العبادى وكان قد رد شفاعة من هو أعظم منى قبل ذلك ولما مشى الغماموت بين سيدى عبد الله الغمرى رضى الله تعالى عنه بالمحلة الكبرى وبين سيدى الشيخ عبد المجيد الطريني رضى الله تعالى عنه ولم يقدر أحد على الصلح بينهما فجمعتهما القدرة عندى فى مصر فقلت لاشك ولا خفاء أن كل شيخ منكما له معتقدون يصدقونه فى كل ما يجرح به الآخر فينحل الامر الى بهدلة كل منكما عند الناس وعند الحكام فقالا هذا الامر معقول ما طرق سمعنا قط واصطلحا عندى ولم يزالا على ذلك حتى ماتا انتهى وكذلك لما مشى الناس بين شيخى الشيخ أمين الدين رضى الله تعالى عنه الامام بجامع الغمرى وبين الشيخ شمس الدين الدواخلى رضى الله تعالى عنه بجامع الغمرى وحصلت النفرة بينهما قلت للشيخ أمين الدين يا سيدى سمعت الشيخ شمس الدين يقول أنا ظالم على الشيخ أمين الدين لكونه أكبر منى سنا وكان الواجب على أننى احتمله وقلت للشيخ شمس الدين سمعت الشيخ أمين الدين يقول كان الاولى بى احتمال الشيخ شمس الدين لكونه أصغر منى سنا فدارت الكلمات بينهما فقاما وتعانقا ولم يزالا على الصلح حتى ماتا الى رحمة الله تعالى ورضوانه ثم لا يخفى أن هذا كله انما هو فى وقفة تكون بين اثنين من غير مخالطة حسد اذ الحسود لا يرضيه الاعتذار وانما يرضيه زوال النعمة عن المحسود فيكل العاقل أمر الحسود الى الله تبارك وتعالى ولا يتعب نفسه معه والاثم على الحاسد دون المحسود فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من الاكل من ضحايا الولاة ومشايخ العرب التى يرسلونها الى الزوايا ونحوهم من المباشرين وأعوان الولاة وان وقع أننى أذنت فى ذبحها عند عدم العلم بمالكيها فى الاصل أطعمها لمحاويج الحارة بقصد نفع أصحاب تلك الضحية التى هى على ملكهم فى نفس الامر وقد بلغنا ان الكشاف ومشايخ العرب يأخذون هذه الضحايا التى يفرقونها من أهل البلاد غصبا وأصل مشروعية التضحية انما هو لدفع البلاء عن أهل الدار طول سنتهم كالعقيقة تميط الاذى عن المولود ومعلوم من قواعد الشريعة ان الحرام والشبهات تزيد أهل الدار بلاء فضلا عن كونه يدفع عنهم وربما كانت تلك النعجة لايتام أو فقراء أخذها شيخ البلد منهم قهرا وقال نفرد لكم ثمنها على أهل البلد فتكثر التبعات بذلك وربما لم يفردوا لهم فيأكل سيدى الشيخ وفقراؤه حراما بنص الشريعة فالمؤمن الخائف على دينه من يتورع عن مثل ذلك فلا يأكل من تلك الاضحية سواء فردوا ثمنها أم لم يفردوه فانه لا وجه لاكله شرعا فليحذر المتدين من ذلك ولا يغتر بقول المتهورين فى دينهم الاصل الحل لان الاصل لا يعمل به الا اذا لم يكن هناك سبب معتبر يحال عليه فى الحرمة أو النجاسة كما هو مقرر فى قواعد الفقه وقد وجد سبب الحرمة هنا وهو ان الولاة يأخذون ضحاياهم التى يفرقونها من أهل بلادهم بغير طيبة نفوسهم ومن شك فى قولى هذا فليسافر الى أهل البلاد ويسألهم هل الضحايا التى يأخذها شيخ العرب منكم تعطونها له بطيبة نفوسكم أم لا يعرف صدق قولى يقينا * ومما وقع لى ان بعض الكشاف بالغربية أرسل الى خمسة أكباش فقلت لقاصده أنا لا أقبل شيا من الكشاف فقال لا أقيد أردهم له فيشوش على فقلت له خذها وأنا أدعو الله ان لا يعلم بها فلم يفعل فقلت للنقيب أخرجها ليلا من الدار فكل من وجد منها شيا أخذه فلم يفعل وذبحها فى الليل وفرقها على المتزوجين من الفقراء ففعلت بذلك فارسلت أخذته منهم وقلت لهم أطعموه للكلاب فاطعموه جميعه للكلاب وشح منهم واحد أن يرمى لحمه للكلاب وعزم على أكله

السادسة) * كان الشيخ أبو العباس يقول لو كان المسؤل أبا بكر رضى الله عنه لم يطالبه الرسول عليه السلام باقامة برهان على ما ادعى لان عظيم رتبة أبى بكر شاهدة له من غير اظهار برهان فاراد الرسول عليه السلام أن يعرفنا الفرق بين رتبة أصحابه فمنهم من هو كحارثة لما ادعى حقيقة الايمان طولب ببرهانها ومنهم من هو كابى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما يثبت لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم الرتب وان لم يثبتوها لانفسهما ألا ترى الحديث الوارد ان بقرة فى بنى اسرائيل ركبها رجل وأجهدها فقالت سبحان الله لم أخلق لهذا انما خلقت للحرث فقال الصحابة سبحان الله أبقرة تتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر وهما غائبان فانظر هذه المرتبة ما أفخمها وهذه المنزلة ما أعظمها وسمعت شيخنا أبا العباس يقول معنى قوله عليه السلام آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر أى من غير عجب وأنتم آمنتم متعجبين فلاجل ذلك قالوا سبحان الله أبقرة تتكلم وكان يقول ان الملائكة لما بشرت زوجة ابراهيم بالولد قالت ألد وأنا عجوز وهذا

بفاء صغير لا يهتدى لامر ولا نهى فرمى اللحم من الطاقة للكلاب من غير علمه ولو أنه كان يتيسر لى معرفة أصحاب الغنم من أهل البلاد لكنت أرسلتها اليهم وهذا أمر ما رأيت له فاعلا فى مصر الا قليلا وعلم من قولنا ان أصل مشروعية التضحية دفع البلاء عن أهل المنزل انه لا ينبغى لتاجر ولا لفقير ان يقدد لحم أضحيته ويخزنه لطعامه طول سنته وكان لسان حاله يقول لا أحد يحمل عنى بلاء ودعونى أحمل بلاء نفسى فان قيل فاذا قلتم ان لحم الاضحية اذا فرق على الناس يحملون بلاء المضحى فكيف ساغ تفرقة البلاء على الناس من غير علمهم به فالجواب ان صاحب الضحية كالمستغيث باخوان فى دفع تلك البلايا عنه فلذلك فرقها عليهم فيتوزعونها عنه فيخص كل واحد منهم بجزء يسير لا يكاد يحس به هذا ما ظهر لى فى حكمة الامر بالتضحية ومن لم يطلع على حكمة ذلك فيكفيه امتثاله الامر له بالتضحية من غير معرفة علة ذلك ولكن يؤيد ما ظهر لنا من العلة استحباب التصدق بالثلث واهداء الثلث وأكل المضحى الثلث ويكفى الانسان من اخوانه ان يحملوا عنه ثلثى البلاء النازل تلك السنة على نفسه وأولاده كما اشار اليه قوله تبارك وتعالى وفديناه بذبح عظيم فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من مساعدة الظلمة والولاة لى فى مؤنة الحج كلما أجمع شدة اعتقادهم فى وطاعتهم لى فى كل ما أطلبه منهم وقليل من يسلم من ذلك بل رأيت بعضهم عرض بمساعدتهم له لما طلب الحج وأرسل لهم النقيب الذى يأخذ من الحافى نعله فاعطاه جملين وسكرا وعمل له الزاد فقال الشيخ جزاه الله عنى خيرا ورأيت بعضهم قبل المساعدة من المكاسين وبعضهم أخذ جملين من شيخ عرب وقال هما عارية مردودة فلما رجع من الحج باعهما فى الرميلة وقال قد ما تامنى فى الطريق انتهى وكانت مؤنة حجاتى الثلاثة من ثمن زراعاتى للبطيخ والنيلة وغير ذلك ولا أعلم بحمد الله تبارك وتعالى فى ذلك شبهة وكان معى من العيال والفقراء فى الطريق نحو ثلاثين نفسا وقل من يسافر بمثل هذا العدد الا ويكون فى زاده الشبهة فينبغى للفقير الذى جعله الله تبارك وتعالى قدوة ان يبالغ فى تفتيش زاده من الشبهات جهده وان تجون فى السفر وكان فى زاده شبهة فليحرص على الاكل من الحلال من حين يحرم بالحج الى أن يتحلل منه فانها هى مدة الحج حقيقة وما زاد على ذلك فهو من التوابع والوسائل فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من المجاورة بمكة المشرفة فى حجاتى كلها وذلك لعجزى عن القيام بآداب المجاورة والاقامة بها فانها حضرة الله تبارك وتعالى الخاصة فى الارض وهذا الامر قل من يقوم بآدابه من العلماء والفقراء فضلا عن غيرهم بل ربما يرون ان المجاورة هنالك من أكبر النعم ولا يفتشون على ما عليهم فى ذلك من الآداب ومن جالس الملوك بلا أدب جره ذلك الى العطب وها أنا أذكر لك بعض آداب ذكرها الاولياء حضرتنى الآن لتتنبه بها على غيرها: فمنها ان لا يخطر ببال من يجاور معصية قط مدة مجاورته فى مكة ولو فى بيته فضلا عن المسجد الحرام فضلا عن الطواف فضلا عن الصلاة لانه فى حضرة الله تبارك وتعالى التى ما فى الارض بقعة أشرف منها الا تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن لم يعلم من نفسه السلامة فلا ينبغى له الاقامة هنالك حتى يجاهد نفسه بالرياضة بحيث يصير لا تشتهى نفسه معصية قط قال سيدى الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه ومن أقام بمكة خمسين سنة لم يخطر على باله خاطر سوء سيدى سليمان الدبيلى رضى الله تعالى عنه وفى القرآن العظيم ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم. فتوعد من أراد فيه ظلما بالعذاب الاليم ولو لم يعمل ذلك الظلم فهو مستثنى عند بعضهم من حديث ان الله تعالى تجاوز عن أمتى ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به الحديث كما هو مقرر فى كتب الاصول وقال بعض المحققين وهذا هو السبب الذى دعا عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما الى سكنى الطائف دون مكة فاحتاط لنفسه وان كان وقوع الظلم منه لنفسه أو لاحد من الخلق بعيدا منه لحفظه رضى الله تعالى عنه من الوقوع فى مثل ذلك لانه رضى الله تعالى عنه أعلى مقاما من الاولياء الذين حفظوا من الوقوع فى المعاصى بيقين فافهم وكذلك كره الامام مالك

بعلى شيخا ان هذا الشئ عجيب فقالت الملائكة لها أتعجبين من أمر الله أمر الله لا يتعجب منه فلم يسمها الحق صديقة ومريم لما بشرت بالولد من غير أب فلم تتعجب من ذلك سماها صديقة فقال سبحانه وأمه صديقة *(الفائدة السابعة)* استدلال الصحابى على حقيقة ايمانه بزهده فى الدنيا وكذلك هذا الايمان اذا تحقق به من قام به أورثه الزهد فى الدنيا لان الايمان بالله يوجب لك التصديق بلقائه وعلمك بان كل آت قريب يوجب لك شهود قرب ذلك فيورثك ذلك الزهد فى الدنيا ولان نور الايمان يكشف لك عن اعزاز الحق لك وتأنف همتك من الاقبال على الدنيا والتطلع اليها مع أن الحقيقة تقتضى ان الزاهد فى الدنيا مثبت لها فانه شهد لها بالوجود اذ أثبتها مزهودا فيها واذا شهد لهما بالوجود فقد عظمها وهو معنى قول الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه والله لقد عظمتها اذا زهدت فيها ومثل زهد الزاهد فيما زهد فيه فناء الفانى عما فنى عنه فاثبات انك فان عن الشئ اثبات لذلك الشئ فالا وجود له لا يتعلق به فناء ولا زهد ولا ترك ولنا فى هذا المعنى أبيات كتبت بها لبعض اخواننا يسمى حسنا

حسن بان تدع الوجود باسره * حسن فلا يشغلك عنه شاغل

والشعبى

والشعبى رضى الله تعالى عنهما المجاورة بمكة وقالا ما لنا ولبلد تضاعف فيها السيآت كما تضاعف الحسنات ويؤاخذ الانسان فيها بالخاطر انتهى ثم لا يخفى عليك يا أخى ان من الظلم سوء ظنك باخيك المسلم وبغضك له بغير حق كما يقع فيه من لم يكن بيده حرفة هنالك ولم يكن معه مال ينفق منه على نفسه فيصير متطلعا لما فى أيدى الخلائق فكل من لم يفتقده بشئ يصير يحط عليه فى المجالس ولو تعريضا ويصفه بالبخل وذلك ظلم منه لاخيه فمثل هذا ربما أذاقه الله تبارك وتعالى العذاب الاليم فيجعله يطمع فيما فى أيدى الناس ويقسى تبارك وتعالى قلوبهم عليه ويلقى عليه الجوع الذى لا يحتمله ولا يصبر عليه فلا هو يقدر على نفسه ترجع عن الطلب ولا هم يعطونه شيأ نسأل الله سبحانه وتعالى اللطف بنا وباخواننا. ومنها ان يأكل من الحلال الصرف مدة اقامته وذلك اما بعمل حرفة شرعية كما كان عليه الفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه وسفيان بن عيينة رضى الله تعالى عنه وابن أدهم سيدى ابراهيم رضى الله تعالى عنه واضرابهم أرضى الله تعالى عنهم واما بتوجه الى الله تبارك وتعالى ان يستخرج له الحلال من بين فرث الحرام ودم الشبهات فيرزقه من حيث لا يحتسب كطعام الانبياء والاولياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وذلك ان من أكل غير الحلال قست قلبه وغلظ وأظلم وحجب عن دخول حضرة الله تبارك وتعالى فلا يقدر على قلبه أن يمكث لحظة فى حضرة الله تبارك وتعالى بل كلما اضطره الى الدخول زهق منه وخرج وتشتت فلا يقدر أن يستحضر أنه بين يدى الله عز وجل زمنا طويلا أبدا واذا حجب عن دخول حضرة الله تبارك وتعالى فما فائدة مجاورته بمكة وهذا من أعظم الشقاء لانه يصير بعيدا فى محل القرب. ومنها أن لا يبيت على دينار ولا درهم ولا طعام ولا ثياب وهو يعلم أن فى مكة أحدا محتاجا الى ذلك. ومنها أن لا يسأله أحد فى الحرم شيأ ويمنعه منه الا ان كان هو أحوج من السائل لاسيما ان سأله أحد بالله تبارك وتعالى أو قال له أعطنى نصفا بحق رب هذه الكعبة فمن سئل شيأ هنالك ومنعه فهو لم يعرف عظمة الله عز وجل واذا لم يعرف عظمته تبارك وتعالى فهو مطرود لا يعبأ الله سبحانه وتعالى به ولو أنه كان جالسا عند أحد من ملوك الدنيا وسأله انسان لاجل ذلك الملك نصف الربع أعطاه دينارا فليتنبه المجاور بمكة لمثل ذلك فان الحق تبارك وتعالى غيور. ومنها أن لا يحن قط الى وطنه وبلاده وأصحابه وأولاده فيصير ملتفتا عن حضرة ربه جل وعلا وظهره اليها ووجهه الى الدنيا ومعلوم أن العطايا والمنح لا تكون الا للمقبلين على حضرة الله تبارك وتعالى فان المدبر عنها فى حضرة ابليس. ومنها أن لا يميل قط الى شهوة محرمة ولا مكروهة بل ولا يخطر على باله كما مر ومراعاة ذلك عسيرة جدا على من يجاور فى الحرم من غير زوجة ولا أمة وهو شاب ولذلك حج الاكابر من العلماء العاملين رضى الله تعالى عنهم بزوجاتهم وتحملوا مؤنة حملهن ذهابا وايابا كالشيخ أبى الحسن البكرى رضى الله تعالى عنه والشيخ محمد الشناوى رضى الله تعالى عنه وأضرابهما رضى الله تعالى عنهم كل ذلك خوفا أن تميل أنفسهم الى الجماع هنالك وليس معهم أحد من حلائلهم ومنها أن يقلل الاكل جهده ولا يأكل حتى يحصل له مقدمات الاضطرار الشرعى وذلك بان يحس بان أمعاءه يأكل بعضها بعضا مع الحرارة لانه ليس هنالك طبيعة تشتغل الامعاء بها فى تبريد النار التى تطبخ الطعام وذلك ليشارك أهل الجوع من الزبالع وغيرهم فى الجوع ولا يتخصص عنهم بشئ وكذلك من الادب أن لا يأكل قط وعين تنظر اليه من المحتاجين الا أن يشرك ذلك الفقير معه فى الاكل وذلك هو معظم الاسباب التى امتنعت أنا من المجاورة لاجلها وقد جاءنى الشيخ على الكاز وانى رحمه الله تعالى وسألنى فى المجاورة فقلت له ما معى شئ أنفقه ومعى من لا يصبر على تجريدى فقال مثلك لا يحمل هم الرزق اجلس وياتيك الله برزقك فقال له ولدى عبد الرحمن وكان عمره أربع سنين ان كان سيدى الشيخ يطلب من والدى المجاورة فليشاركه فى كل شئ دخل عليه من جواليه وصرره ولا يتميز عن والدى بشئ وهو يجلس فسكت ولم يرد لنا جوابا من ذلك اليوم لعجزه عن القيام بذلك مع أنه معدود من الصالحين عند غالب أهل مكة ومنها أن لا يعانى هنالك الملابس الفاخرة الغالية الثمن ولا الروائح الطيبة الا ان علم انه ليس فى مكة جيعان ولا عريان والا فمن الادب صرف ما زاد عن الضرورة على الفقراء والمساكين وان لبس الثياب الخشنة أو الخليقات أو المرقعات كان أولى وأكثر تواضعا ويجمع ذلك كله أن من أدب المجاورة بمكة أن لا يتميز عن

حسب الاله شهوده
لوجوده
والله يعلم ما يقول
القائل
ولئن أشرت الى الصريح
من الهدى
دلت عليه ان فهمت
دلائل
وحديث كان وليس
شئ غيره
يقضى به الا ان اللبيب
العاقل
لاغير الا نسبة مثبوتة
ليذم ذو ترك ويحمد
فاعل

(الفائدة الثامنة)
قول الصحابى عزفت
نفسى عن الدنيا فاستوى
عندى ذهبها ومدرها
العزوف هو ترك الشئ
بالتعزف له والاعراض
عنه اذ لو قال تركت
الدنيا لم يلزم من الترك
عدم التطلع فرب تارك
للشئ وهو له متطلع
فالعزوف اعراض مع
كراهه وتحقر ومن
كشف له عن حقيقة
الدنيا فهذا شأنه فيها
وقد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الدنيا
جيفة قذرة وقال صلى
الله عليه وسلم للضحاك
ما طعامك قال اللحم
واللبن قال ثم يعود الى
ماذا قال الى ما قد علمت
يا رسول الله قال فان
الله جعل ما يخرج من

ابن آدم مثلا للدنيا فمن كشف له عن حقيقة الدنيا فشهدها جيفة قذرة فحرى ان تعزف همته عنها فان قلت فقد قال رسول الله صلى الله عليه

الاخبار بانها حلوة خضرة فاعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا جيفة قذرة للتنفير وقوله الدنيا حلوة خضرة للتحذير أى فلا تغرنكم بحلاوتها وخضرتها فان حلاوتها فى التحقيق مرارة وخضرتها يبس ولهذا لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله قال هم الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها *(الفائدة التاسعة)* وقوف الصابى على مستحق رتبته بقوله وكأنى أنظر الى أهل الجنة فى الجنة يتنعمون ولم يقل نظرت وقد تقدم لك ان من الانبياء يطالعون حقائق الاشياء والاولياء يطالعون مثلها *(الفائدة العاشرة)* قوله فمن أجل ذلك أسهرت ليلى وأظمأت نهارى فحارثة عبد وصل بكرامة الله الى طاعة الله ألا ترى كيف قال فى الاول عزفت نفسى عن الدنيا ثم قال فمن أجل ذلك أسهرت ليلى وأظمأت نهارى فسبق عزوف نفسه عن الدنيا معاملته لربه وكان الشيخ أبو العباس يقول الناس على قسمين قوم وصلوا بكرامة الله الى طاعة الله وقوم وصلوا بطاعة الله الى كرامة الله قال الله سبحانه

اخوانه المسلمين بما كل ولا ملبس ولا غيرهما حسب طاقته وعزمه ولا يرد سائلا بالله اجلالا لله تبارك وتعالى الذى هو فى حضرته . ومنها أن لا يرى نفسه قط انه خير من أحد من المسلمين فى سائر أقطار الارض فان هذا ذنب ابليس الذى أخرج لاجله من حضرة الله تبارك وتعالى وطرد ولعن الى يوم الدين اللهم الا أن يرى انه خير من حيث نعمة الله تبارك وتعالى عليه بالتوفيق فى الحالة الراهنة أكثر مما أنعم به على ذلك الشخص ويرجو لنفسه حسن الخاتمة من غير أن يعتقد سوء خاتمة ذلك الشخص ولا ان نفسه أولى بها منه فلا حرج عليه ثم لا يخفى ان أهل الحضرة الالهية كلهم مقربون لا ملعونون فمن تعاطى أسباب اللعن أخرج من الحضرة الالهية فافهم ومنها أن لا يبول ولا يتغوط فى الحرم كما كان أبو عثمان المغربى رضى الله تعالى عنه وأرضاه والفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه وسفيان بن عيينة رضى الله تعالى عنه يفعلونه فكانوا يخرجون الى الحل يتغوطون ويرجعون هكذا نقله القشيرى رضى الله تعالى عنه عن أبى عثمان وغيره رضى الله تعالى عنهم أجمعين ومنها أن لا يمشى فى الحرم الشريف بتاسومة الا لضرورة كشدة حر أو برد أو جرح ونحو ذلك فان الحرم الشريف محل حياة الاولياء والملائكة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولو كشف للمؤمن الحجاب لم يجد فى الحرم محلا يمشى فيه برجله لكثرة الساجدين فيه ليلا ونهارا وقد وقع ذلك لاخى الشيخ أفضل الدين رضى الله تعالى عنه وأرضاه فكاد أن يذوب من الحياء والخجل من الاولياء الساجدين فتوجه الى الله تبارك وتعالى وسأله أن يرخى عليه الحجاب فحجب عن ذلك حتى طاف وصلى ما كتب له وكذلك وقع مثل ذلك لشخص من مريدى سيدى أحمد الزاهد رضى الله تعالى عنه فى جامعه بالمقسم فصار اذا مشى ينحرف يمينا وشمالا ويقول دستور والناس لا يرون هنالك أحدا فاخبرهم بذلك فمنهم من أنكر ومنهم من صدق فرأى مثل ما رأى وصار يقول ما أرى موضعا خاليا من الساجدين من الجن والملائكة . انتهى . ومنها أن لا يرى له عبادة وقعت هنالك على وصف الكمال اعجابا أبدا لئلا يقع فى الزهو والعجب بنفسه فيهلك مع الهالكين أما اعترافا بالنعمة فلا بأس ومن هنا كان أكابر الاولياء رضى الله تعالى عنهم لا يتميزون عن العامة بكثرة صوم ولا صلاة انما يؤدون الفرائض وما لا بد منه من السنن خوفا أن يطرقهم العجب بكونهم فعلوا ما فرضه تبارك وتعالى عليهم وزادوا عليه فلاجل هذا الخاطر تركوا المبالغة فى زيادة النفل مع ان النفل لا يكون الا لمن كملت فرائضه وهو خاص بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وكمل ورثتهم من الائمة رضى الله تعالى عنهم وأما غيرهم فجميع ما يفعلونه زائدا على الفرائض فانما هو جوابر لبعض النقص الواقع فى فرائضهم فافهم . ومنها أن لا يستحلى قول من قال فى حقه هنيأ لفلان الذى أقام بمكة وأقبل على عبادة ربه جل وعلا فتى استحلى ذلك فهو دليل على عدم اخلاصه وحبه للرياء والسمعة فعمل مثل هذا حابط من أصله وليس معه شئ يحسد عليه فكيف يفرح بمن يغبطه على ذلك فليتنبه المجاور بمكة لنفسه ويحذر من الآفات . ومنها أن لا يذكر هنالك أحدا بسوء من سكان الحرم أو فى سائر أقطار الارض وقد كنت أسمع أهل مصر يقولون فى شخص أقام بمكة هنيأ لفلان ترك الدنيا واستراح فلما حججت سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة جلست معه فى الحرم فشرع يستغيب شخصا بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له لو عرف أهل مصر ما تقع فيه هنا ما تمنوا أن يكونوا مكانك فكيف تستغيب فى الحرم الشريف شخصا من جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت فى حضرة الله تبارك وتعالى فلا استحييت من الله عز وجل ولا من رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا حصلت وكذلك وقع لى أنه جلس معى شخص آخر فى الحجر تحت الميزاب فصار يستغيب الشريف عبد الرحيم البيروتى فقلت له قم واخرج من الحرم كيف تستغيب أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حضرة الله تبارك وتعالى والله ان البهائم أحسن حالا منك انتهى ما حضرنى مما يليق وضعه هنا من آداب المقيم بالحرم فى هذا الوقت وقد فتحت لك الباب ففتش نفسك فان رأيتها تقوم بهذه الآداب فجاور بمكة وهنيأ لك وان رأيتها لا تقدر على القيام بذلك فارجع الى بلادك بعد الحج فربما أنه أفضل لك من المجاورة وقد حج مع سيدى أبى العباس الغمرى رضى الله تعالى عنه أربعة عشر وليا من أولياء مصر رضى الله تعالى عنهم فاستأذنوه فى المجاورة فقال لهم رضى الله تعالى عنه ان قدرتم على أدبها فجاوروا وبين لهم

جلة من الآداب فلم يقدر أحد منهم يجاور ورجعوا رضي الله تعالى عنهم أجمعين فاقتدياً أخي بهؤلاء الاشياخ واعمل على التخلق باخلاقهم ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) حمايتي من الاكل من صدقات الناس وزكواتهم مادمت أجد عندي ما يسد الرمق وذلك لما بلغني انني من ذرية سيدي محمد ابن الحنفية رضي الله تعالى عنه اللهم الا أن تكون الصدقات عامة كالاوقاف فلي الاكل منها اذا كنت بصفة المستحقين لذلك الوقف وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى علي وساعدني على ذلك القناعة التي جعلها الحق تبارك وتعالى عندي ومن يستعفف يعفه الله تبارك وتعالى ومن يستغن يغنه الله تبارك وتعالى وقد كان والدي وجدي وأخي الشيخ عبد القادر على هذا القدم ويقولون نخاف أن نخالف هدي أسلافنا ونأكل من أوساخ الناس انتهى فافهم يا أخي ذلك والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) كثرة شكري لله تبارك وتعالى اذا زوى عني الدنيا كما أشكره اذا وسعها علي بل أولى لانه اذا زوى عني الدنيا يكون لي اسوة بالانبياء والاصفياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين واذا وسعها علي كان لي أسوة بغالب الجبابرة كقارون وثعلبة والتأسي بالانبياء والاصفياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في الفقر أسلم عندي من توسعة الدنيا وانفاقها وأقل حسابا وقد قال السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم يا طالب الدنيا لتبر بها غيرك تركك لها أبر وأبر انتهى وقال سيدي الشيخ أبو القاسم الجنيد رضي الله تعالى عنه خلو اليد أرقى للعبد عند الله من توسعة الدنيا عليه ولو نوى بها التصدق انتهى كلامه رضي الله تعالى عنه وقال الفضيل بن عياض رضي الله تعالى عنه اذا أحب الله عبدا حماه من الدنيا واذا أبغض عبدا وسع عليه دنياه وشغله بها عنه ثم انه تبارك وتعالى اذا أقامنا في حالة منهما فليس لنا طلب تحويلها بل يجب علينا الرضا بجميع ما يقضيه علينا وذلك لاننا عبيد مستعملون فيما يريد تبارك وتعالى لا فيما نريد نحن ثم ان كان ولا بد لنا من سؤال التحويل لغرض من الاغراض الشرعية فينبغي لنا أن نقول اللهم وسع علينا الدنيا ان كان في ذلك مصلحة أو ضيقها علينا ان كان لنا في ذلك مصلحة كما نقول في طلب الموت والحياة ثم ان كل شيء وقع بعد ذلك كانت الخيرة فيه ان شاء الله تعالى لتفويضنا أمرنا اليه تبارك وتعالى في الحالين وفناء اختيارنا في اختياره تبارك وتعالى وقد جرب الصالحون رضي الله تعالى عنهم الدنيا وقالوا قل من كثرت عليه الدنيا الا وتكثر غفلته عن الله تبارك وتعالى لان العبد كلما كان أكثر حاجة الى الله تبارك وتعالى كلما كان الحق جل وعلا على باله بخلاف ما اذا أعطاه قوت سنة مثلا فان غفلته تكثر حتى ربما كان شيخ الزاوية أكثر غفلة عن الله تبارك وتعالى من التجار اذا خزن قوت سنة وقد اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل بيته الكفاف وقال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا والقوت هو الذي لا يفضل منه عن غدائهم ولا عشائهم شيء وذلك ليكونوا متوجهين الى الله تبارك وتعالى صباحا ومساء *وفي كلام الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه لا توسع على عيالك وأولادك بما فوق كفايتهم الا باذن شرعي فان طاعتهم لك بقدر ما يستحضر من حاجتهم اليك انتهى وكذلك القول في العبد مع ربه عز وجل تكون طاعته لربه تبارك وتعالى بقدر حاجته اليه عز وجل قال تبارك وتعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى (وسمعت) سيدي عليا الخواص رضي الله تعالى عنه يقول ما وسع الله تعالى على عبد دنياه الا ليكثر شكر ربه عز وجل على ما أعطاه وأغناه به عن سؤال خلقه ويكثر بذلك عبادته وانقياده له ولأوامره فعكس العبد ذلك وغفل بما أعطاه له ربه جل وعلا عنه واتخذه ذريعة الى المخالفات والشهوات وسمعته مرة أخرى يقول انما اختار صلى الله عليه وسلم التقلل من الدنيا رحمة بضعفاء أمته خوفا أن يتبعوه في توسعة الدنيا ثم لا يهتدون بعد ذلك للخروج منها ولا يقدرون على القيام بشكرها ولا على تأدية حق الله تبارك وتعالى منها فاحتاط صلى الله عليه وسلم لامته والا فاعتقادنا الجازم فيه صلى الله عليه وسلم انه لو أعطاه ربه تبارك وتعالى الكونين لم يشتغل بهما عنه لحظة لعصمته صلى الله عليه وسلم انتهى وسمعته مرة أخرى يقول لا ينبغي للعارف اذا كان له أتباع ضعفاء أن يتوسع في أمور الدنيا بحضرتهم فيهلكهم لانهم يقتدون به في ظاهر الفعل ولا يعرفون ما في طي ذلك

والاعراض عنها ثم تنبث منه الى الجوارح فما وصل الى العين أوجب الاعتبار والى الاذن أوجب حسن الاستماع والى اللسان أورث الذكر والى الاركان أورث الخدمة والدليل على ان النور يوجب عزوف الهمة عن الدنيا والنأي عنها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل الصدر انشرح وانفسح فقيل يا رسول الله فهل لذلك من علامة قال التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود وأما حديث حنظلة الاسدي فقد رواه مسلم في صحيحه قال لقي حنظلة أبا بكر فقال نافق حنظلة فقال أبو بكر رضي الله عنه وما شأن حنظلة فقال نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فيذكرنا بالجنة والنار حتى كأنا رأي عين فاذا خرجنا من عنده عافسنا الضيعات والزوجات نسينا كثيرا فقال أبو بكر رضي الله عنه انا لنلقى مثل ذلك يا حنظلة ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حنظلة يا رسول الله نافق حنظلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما شأن حنظلة فقال نكون عندك يا رسول الله تذكرنا بالجنة

من الآفات والسموم القاتلة انتهى فعلم مما قررناه ان من كان توسعة الدنيا عليه مذكرة له بربه تبارك وتعالى ويشكره جل وعلا وهو قائم بذلك الشكر على مذهب السلف فهو أولى وأعلى ولكنه مقام خطر لا يقوم به خالصا الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكمل الاولياء رضى الله تعالى عنهم فلذلك اختار العقلاء كلهم التقلل من الدنيا والزهد فيها تبعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وثم مقام رفيع ومقام أرفع والسلامة مقدمة على الغنيمة وكان الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه يقول لو أوصى رجل بمال لأعقل الناس لصرفته الى الزهاد في الدنيا انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم شهود فضلى على من أحسنت اليه وتقليل ذلك في عيني فلو أني ملكت ألف دينار مثلا وأعطيتها أحدا فحكمه عندى كما لو أعطيته قشة من الارض في عدم التفاتى اليها بعد اعطائها وذلك اني أنظر الى الدنيا بالمعنى الذى ورد من انها لا تزن عند الله سبحانه وتعالى جناح بعوضة فاذا عسى أن يخصني أنا من ذلك الجناح اذا فرق على جميع أهل الارض حتى أنى أمن به أو أتذكره أو التفت اليه بعد العطاء وهذا خلق غريب في هذا الزمان لا يوجد الا في الفقراء الصادقين لان الفقير الصادق على قدم الملوك في شهامة النفس وكرامتها من تعاطى الرذائل المزرية بالعبد فهو يحل مقامه ان يلتفت الى ما أعطاه لسائل مثلا امتثالا لأمر ربه تبارك وتعالى من حيث ذات ذلك الشئ لا من حيث كون الاعطاء قربة وقد وفقه الله لها فان التوفيق لذلك منة عظيمة يتأكد عليه شكرها ولذلك ورد مرفوعا لا تسألوا الناس شيأ وان كان أحدكم لا بد سائلا فليسأل الصالحين أو ذا سلطان انتهى أى لان الملوك والفقراء لا يمنون على أحد بما أعطوه له أما السلطان فانه يحتقر ما يعطيه من حيث ما تقدم له وأما الصالح فانه يرى الملك لله تبارك وتعالى في الوجود ويرى نفسه كالوكيل المستخلف في مال سيده لينفق منه على عبيده بالمعروف فان كان السلطان ممن يرى انه لا ملك مع الله تبارك وتعالى شيأ فقد حاز الخير بكلتا يديه فليسأله السائل وقلبه منشرح انتهى وسمعت سيدى عليا المرصفى رضى الله تعالى عنه يقول لا ينبغى للفقير في هذا الزمان أن يفتح باب السؤال للناس ولو كان كل ما أعطوه له يتصدق به على الناس لان ذلك يزرى به ويفوته مصالح أعظم مما فعل الا أن يسألهم زكاة أموالهم الشرعية انتهى كلامه رضى الله تعالى عنه فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) انشراح صدرى للإسرار بالصدقة أكثر من الجهر بها الا أن تكون صدقة فرض أو لغرض صحيح شرعى وذلك لما ورد ان صدقة السر تضاعف على صدقة العلانية بسبعين ضعفا ولكن ليس الحاث لى على الاسرار طلب مضاعفة الاجر فانى لا أملك مع الله تبارك وتعالى في الدارين شيأ وانما الحاث لى على ذلك امتثال الامر الدال على ان الشارع أحب لنا ذلك لا غير وانما ندب الشارع صلى الله عليه وسلم الى الاعلان بزكاة الفرض اقامة لشعار الصدقة كالصلاة فانها مقرونة معها غالبا في نحو قوله تبارك وتعالى أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ولئلا يلوثها الناس بالغنى اذا أخفى زكاته فيقعوا في الاثم وقد يقتدى به في ذلك مانعو الزكاة ويوسعون على الفقراء فكان أجر توسعة الاغنياء على الفقراء بسبب اظهارهم الزكاة أكبر من أجر إسرارهم ومضاعفة الاجر لهم اذا الخير المتعدى نفعه أرجح من الخير القاصر على العبد فقدمنا المنفعة العامة للفقراء على المنفعة الخاصة بالاغنياء انتهى وقد كان صلى الله عليه وسلم اذا ورد عليه فقراء المهاجرين يأمر أصحابه بأن يجمعوا لهم في المسجد شيأ ثم يقسمه عليهم فربما صار في المسجد كوم من الطعام والثياب والذهب والفضة فما أمرهم صلى الله عليه وسلم بالاعلان بذلك وجعله في المسجد الا ليقتدى بعضهم ببعض انتهى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول من أعظم أخلاق الرجال أن لا يحدث أحدهم نفسه بصدقته أبدا ولا يحب اطلاع الناس عليها بل يتكدر اذا علم أحد بها فان غالب الناس اذا أعطى شيأ تصبر نفسه تنازعه في انه يذكر ذلك للناس تعريضا أو تصريحا الا هم الا أن يكون هنالك أحد يسيء الظن بالمتصدق ويظن به البخل أو منع الزكاة فمن الادب حينئذ اظهارها ليخرج أخاه من سوء الظن لا نفرة من كونه نقصه فافهم، وكان

والذى نفسى بيده يا حنظلة لو تدومون على ما تكونون عليه عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة في طرقكم وعلى فرشكم ولكن ساعة وساعة ففى هذا الحديث ثمان فوائد الاولى قول حنظلة نافق حنظلة النفاق مأخوذ من نافقاء اليربوع وهو أن يجعل لبيته بابين متى طلب من أحدهما خرج من الآخر كذلك المنافق يظهر بظاهر الايمان وله مسرب من الكفر باطن اذا عتبه أهل الكفر على ما أظهر من الايمان فتح مسربا من باطن كفره ليسلم من عتبهم واذا ظهرت عليه رتبة أهل النفاق فعوتب عليها تصون من ذلك بظاهر الايمان الذى أظهره ولذلك أخبر الله عنهم بقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون فلما رأى حنظلة انه يكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم على حالة فاذا خرج وحاول أسباب الدنيا تغير حاله فلم يبق على نحو ما كان عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خاف أن يكون ذلك نفاقا لاختلاف حالتيه فشكا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحله

بيونه

شيخنا شيخ الاسلام زكريا الانصارى رضى الله تعالى عنه يُسِرُّ بصدقته حتى كان غالبُ الناس يعتقد أنه بخيل وقد خالطته رضى الله تعالى عنه عشر سنين فما رأيت فى علماء مصر أكثر صدقة منه انتهى وكان رضى الله تعالى عنه اذا أراد أن يُعطِىَ أحدًا شيأ يقول له صافحنى لاجل السنة ويضع له فى كفه ما قسم له وتارة يقول هل هنا أحد فان قلت له نعم يقول لمن يريد أن يعطيه شيأ عدّ الينا مرة أخرى فان لى بك حاجة وهذا الامر لا يثبت فيه الا من صدق مع الله تبارك وتعالى وعامله مخلصًا وسمعت سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول من صدقة السر أن تشترى من أحد شيأ وتزيده على الثمن أو تشترى منه بواسطة بحيث لا يشعر البائع انه وكيلك وتأذن له فى أن يعطيه زائدا على القيمة قال رضى الله تعالى عنه وليس فى مسائل الإخفاء أخفى من هذا كمن أعطى صدقته لعامل السلطان فان الفقير لا يعلم من هو المتصدق عليه عينا أبدا انتهى وفى الحديث الشريف السبعة الذين يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لا ظل الا ظله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه انتهى وفى هذا الحديث ان جوارح الانسان تعلم بالاشياء ويؤيد ذلك كونها تشهد عليه يوم القيامة ووقوع ما يشير اليه اختلاجها من خير أو شر فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(الباب السابع فى جملة من الاخلاق فأقول وبالله التوفيق وهو حسبى ونعم الوكيل)

(مما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم تشوف نفسى الى طلب مكافأتى على هدية أهديتها لاحد من الخلق اذا جئت من سفر الحجاز ونحو ذلك بل أحرر النية لله تبارك وتعالى قبل أن أهديها له ثم ان علمت من همته الاهتمام بالمكافأة أرسلت له مع القاصد انى عزمت ان لا أقبل مكافأة على ذلك حتى أريح قلبه من التعب ومن قوله والله ما كان لى حاجة بارسال فلان لى كذا وكذا وأنا فى غنية عن ذلك وهذا الامر قل من يتنبه له من المهدى والمهدى اليه لاسيما من تعود الاخذ من الناس دون ان يعطيهم فربما أعطى شيأ لأخيه ليصطاد به منه ما هو أكثر من هديته هو وربما يعطى ذلك الشخص عليه بالمكافأة فيصير يحدث نفسه بها وربما يرسل اليه نظير هديته من غير زيادة فيقول ما كان لى حاجة بها لكونها دون ما كان فى أمله وبعضهم يحلف بالله تبارك وتعالى رياء وسمعة أنه لا يقبل له مكافأة وهو فى الباطن يحبها كما يقع لاصحاب الانفس الرديئة من التجار الذين يرجعون من سفر الحجاز أو الشام ولو أنهم عملوا بآداب الفقراء فأهدوا احتسابا لله تبارك وتعالى وقبلوا المكافأة على ذلك من الله بقطع النظر عن الخلق أصلا أو مع النظر اليهم من غير وقوف معهم لأفلحوا ولم يقعوا فى شئ مما ذكرنا انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة رحمتى وشفقتى على من كان على التقوى من اخوانى ثم غير وبدل وصار فاسقا شريرا مثلا فان أحوج ما يكون أخوك اليك اذا عثرت دابته فالاعوج أولى بالرحمة من المستقيم لاسيما ان صار يحط فى اخوانه الذين فارقهم أو فى شيخه الذى فارقه فانه يتأكد مداواته والا ذهب دينه بالكلية وكذلك اذا اجتمع على شخص ممن يكره شيخه فربما يذهب دينه كذلك كما هو واقع كثيرا فى جماعة الاشياخ فانه بمجرد ما يطرده شيخه يصير يحط عليه وعلى جماعته واذا قال له أحد كيف فارقت شيخك فيقول ما كل ما يعلم يقال ويوهم الناس انه فارقه بحق وان شيخه مرتكب أمورا لو اطلع عليها الخلق ما اعتقدوه وأصل ذلك كونه يصير ممقوتا مكسورا الخاطر بين الناس فيريد أن يجبر كسره بما يقوله فيمن فارقهم واعلم يا أخى ان المريد اذا خرج مطرودا فانما تتأكد مداواته ما دامت قابليته للخير موجودة فان تمكنت منه امارات الخذلان والعياذ بالله تعالى وكلنا أمره الى الله تبارك وتعالى حتى نجد امارات القبول ويسوق علينا السياقات وهنالك ينبغى لنا قبوله فان لم يكن هنالك امارات وطلب الرجوع الى الزاوية منعناه خوفا من أن يفسد الجماعة ويعلمهم سوء الادب وما أخرج الاكابر من الاولياء فضلا عن الانبياء أحدا مطرودا وأفلح أبدا لانهم لا يطردون أحدا وفيه رائحة خير أبدا ثم اذا طردناه فيكون ذلك بالقلب دون اللسان فانه أقل حياء بيقين ممن يكلمه الكلام الجافى من أهل الزاوية أو غيرهم ويتولد من ذلك شرور ومخاصمات وربما ترافعوا للحكام ولا ينسب الى

شيخنا شيخ الاسلام زكريا الانصارى رضى الله تعالى عنه يُسِرُّ بصدقته حتى كان غالبُ الناس يعتقد أنه بخيل وقد خالطته رضى الله تعالى عنه عشر سنين فما رأيت فى علماء مصر أكثر صدقة منه انتهى وكان رضى الله تعالى عنه اذا أراد أن يُعطِىَ أحدًا شيأ يقول له صافحنى لاجل السنة ويضع له فى كفه ما قسم له وتارة يقول هل هنا أحد فان قلت له نعم يقول لمن يريد أن يعطيه شيأ عدّ الينا مرة أخرى فان لى بك حاجة وهذا الامر لا يثبت فيه الا من صدق مع الله تبارك وتعالى وعامله مخلصًا وسمعت سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول من صدقة السر أن تشترى من أحد شيأ وتزيده على الثمن أو تشترى منه بواسطة بحيث لا يشعر البائع انه وكيلك وتأذن له فى أن يعطيه زائدا على القيمة قال رضى الله تعالى عنه وليس فى مسائل الإخفاء أخفى من هذا كمن أعطى صدقته لعامل السلطان فان الفقير لا يعلم من هو المتصدق عليه عينا أبدا انتهى وفى الحديث الشريف السبعة الذين يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لا ظل الا ظله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه انتهى وفى هذا الحديث ان جوارح الانسان تعلم بالاشياء ويؤيد ذلك كونها تشهد عليه يوم القيامة ووقوع ما يشير اليه اختلاجها من خير أو شر فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة رحمتى وشفقتى على من كان على التقوى من اخوانى ثم غير وبدل وصار فاسقا شريرا مثلا فان أحوج ما يكون أخوك اليك اذا عثرت دابته فالاعوج أولى بالرحمة من المستقيم لاسيما ان صار يحط فى اخوانه الذين فارقهم أو فى شيخه الذى فارقه فانه يتأكد مداواته والا ذهب دينه بالكلية وكذلك اذا اجتمع على شخص ممن يكره شيخه فربما يذهب دينه كذلك كما هو واقع كثيرا فى جماعة الاشياخ فانه بمجرد ما يطرده شيخه يصير يحط عليه وعلى جماعته واذا قال له أحد كيف فارقت شيخك فيقول ما كل ما يعلم يقال ويوهم الناس انه فارقه بحق وان شيخه مرتكب أمورا لو اطلع عليها الخلق ما اعتقدوه وأصل ذلك كونه يصير ممقوتا مكسورا الخاطر بين الناس فيريد أن يجبر كسره بما يقوله فيمن فارقهم واعلم يا أخى ان المريد اذا خرج مطرودا فانما تتأكد مداواته ما دامت قابليته للخير موجودة فان تمكنت منه امارات الخذلان والعياذ بالله تعالى وكلنا أمره الى الله تبارك وتعالى حتى نجد امارات القبول ويسوق علينا السياقات وهنالك ينبغى لنا قبوله فان لم يكن هنالك امارات وطلب الرجوع الى الزاوية منعناه خوفا من أن يفسد الجماعة ويعلمهم سوء الادب وما أخرج الاكابر من الاولياء فضلا عن الانبياء أحدا مطرودا وأفلح أبدا لانهم لا يطردون أحدا وفيه رائحة خير أبدا ثم اذا طردناه فيكون ذلك بالقلب دون اللسان فانه أقل حياء بيقين ممن يكلمه الكلام الجافى من أهل الزاوية أو غيرهم ويتولد من ذلك شرور ومخاصمات وربما ترافعوا للحكام ولا ينسب الى

عنده فلما شكا ذلك لابى بكر رضى الله عنه قال له أبو بكر انا لنلقى مثل ذلك يا حنظلة ولم يجبه أبو بكر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين أظهرهم فلم ير أبو بكر أن يجيب حنظلة ولو ان حنظلة أتى أبا بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجابه

(الفائدة الثانية) يستفاد من حديث حنظلة ان من جمله الصدق على اظهار ما به حصل له الشفاء اما بأن يقال ان ما ظننته داء ليس بداء واما أن يدل من الدواء على ما يزيل الداء فحنظلة قيل له ان ما ظننته داء ليس بداء *(الفائدة الثالثة)* قول حنظلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تذكرنا الجنة والنار حتى كانا رأى عين ولم يقل حتى نراهما رأى عين لما قدمناه ان الانبياء يطالعون حقائق الاشياء والاولياء يطالعون مثلها فلذلك قال حنظلة كانا رأى عين ولم يقل حتى نراهما رأى عين كما قال حارثة وكانى أنظر الى أهل الجنة ولم يقل نظرت الى أهل الجنة وقد تقدم هذا من قبل

(الفائدة الرابعة)

ينبغى أن يقلل الدخول فى أسباب الدنيا ما أمكن فهذا الصحابى يقول فاذا خرجنا من عندك عافسنا الضيعات والزوجات نسينا كثيرا وقد قال

ملكان ينادي يا أيها الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى *(الفائدة الخامسة)* قوله عليه السلام لو تدومون على ما تكونون عليه عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة في طرقكم وعلى فرشكم فيه اشارة الى أن الدوام على تلك الحالة عزيز وان عدم دوام العبد على تلك الحالة لا يوجب معتبته لما طبع عليه البشر من الغفلة فكان الدوام على تلك الحالة كالمعسور *(الفائدة السادسة)* كان الشيخ أبو العباس يقول لم يقل صلى الله عليه وسلم ان ذلك محال أن يكون أعني ما رمت على تقدير الدوام وهو قوله صلى الله عليه وسلم لصافحتكم الملائكة في طرقكم وعلى فرشكم فقد يكون من أولياء الله من يهبه الله ذلك *(الفائدة السابعة)* انما خص الرسول صلى الله عليه وسلم الفرش والطرق لان الفرش محل الشهوات والطرق محل الغفلات فاذا صافحتهم الملائكة في فرشهم وطرقهم فمن الاحرى ان تصافحهم في محل طاعاتهم ومواطن أذكارهم *(الفائدة الثامنة)* اقتضت حكمة الله تعالى أن لا يستوي وقت كينونتهم

ساكت قول انتهى وكان سيدي ابراهيم المتبولي رضي الله تعالى عنه يقول الفقير هو من يعمل بقلبه دون يده ولسانه ثم يقول رضي الله تعالى عنه كان سيدي الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه يقول كل الطيور تقول ولا تفعل والبازي يفعل ولا يقول ولذلك صارت أكف الملوك سدنته يجلس عليها انتهى فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم قطع بري وحسنتي للناس اذا كفروا وساطتي في ذلك فاني عبد ليس لي فضل على أحد وانما أنا مستعمل فيما أمرني الحق تبارك وتعالى به وليس لي معه ملك أرى به فضلا على أحد من عبيده مطلقا وبتقدير رؤيتي الفضل على العباد فكلما كفروا وساطتي توفر لي الاجر بخلاف ما اذا مدحوني فربما كان ذلك المدح يرجح على ذلك العطاء فلا يبقى لي حسنة وقد كان سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه يقول أعظم الناس أجرا من يحسن الى من لا يشكره أو الى من يؤذيه من الاعداء انتهى وسمعته أيضا رضي الله تعالى عنه يقول من أراد النصرة على أعدائه فليحسن اليهم وليتأمل في نفسه الذي يعاقب ولده وتلميذه مثلا بقطع الاحسان اليه يجد الحق تبارك وتعالى يرزقه ليلا ونهارا مع كونه مخالفا له فينبغي للعبد أن يعامل عبيد سيده بالحلم والعفو والصفح وعدم المعاجلة بالعقوبة كما يعامله سيده ثم لا يخفى ان الاثم الواقع لمن يعاقب ولده مثلا بقطع رزقه انما هو من حيث قصده هو والا فالعبد لا يقدر أن يرد ما قسمه الله تبارك وتعالى لغيره أبدا انتهى فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) طيب نفسي باعطاء القطة أو الكلب ورك الدجاجة التي بين يدي اذا رأيتها تتوقع الاحسان بالقرائن وكثيرا ما أعطيها الدجاجة كاملة اذا كانت جيعانة فعلم من ذلك انني بطريق الاولى لا أجري وراءها اذا خطفت الدجاجة المحمرة ولا أمكن أحدا من ان يجري وراءها لاني قد أعطيها ذلك بطيبة نفس ثم ان جرى أحد وراءها رأيت ان ارعابها وازعاجها يذهب أجر الدجاجة وكأننا لم نعطها شيأ بل ربما لم تكن الدجاجة تقي بضرر ارعابها انتهى - واعلم يا أخي ان الهرة ما خطفت الدجاجة مثلا من بين ايدينا الا بعد ان جربتنا في البخل والشح عليها وبعد ان رأت الواحد منا يجرد اللحم عن العظام حتى لا يبقى عليها جلدة ولا عصبا فما خطفت حتى أيست من احساننا لها مع انها ما أقامت عندنا الا لالفها فينا الكرم والبر وانا نرمي لها شيأ نأكله اذا وقفت بين أيدينا فانها تفهم الامور ولكنها عاجزة عن النطق بما تفهمه وقد ذكر بعض المحققين أن البهائم ما سميت بهائم الا لابهام أمرها علينا لا لابهام الامور عليها هي - ثم قال رضي الله تعالى عنه وتأمل صناعة نحو العنكبوت والنحل فانها تطلعك على ان للحيوانات تدبيرا ورؤية بالهام من الله تبارك وتعالى وان لم تكن مكلفة انتهى وقد كان سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه يوصي عياله على القطيطة لا سيما في نهار رمضان ويقول ان الناس لا يأكلون نهارا فلا تجد القطة ما تأكله فتضيع مصالحها انتهى ورأيته رضي الله تعالى عنه كثيرا ما يضع للنمل الدقيق أو الفتات على باب جحرها ويقول رضي الله تعالى عنه نغني النملة عن الخروج للسعي على قوتها وقوت رفقتها فانها لا تخرج حتى تبايع نفسها على أنها لا ترجع الا بشيء فتعرض نفسها لوقوع حافر أو نعل عليها فاما تموت واما تنكسر يداها أو ترضخ اضلاعها فتمرض زمانا طويلا وتقاسي من الالم ما لا يقاسي أحدنا لو كسرت يداه أو أضلاعه ونام على قور سبعة أشهر وأكثر انتهى * وقد بلغنا عن الامام الغزالي رضي الله تعالى عنه انه رئي بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بصبري عن الكتابة لما جلست ذبابة على القلم تشرب من المداد حتى فرغت فطارت انتهى * ومما وقع لي ان زوجتي فاطمة أم عبد الرحمن حصل لها حادر نزل على قلبها فصاحت والدتها وأيقنت بموتها فحصل لي تشويش عليها واذا بقائل يقول لي وأنا في مجاز الخلاء خلص الذبابة من ضبع الذباب في الشق الذي تجاه وجهك ونحن نخلص لك زوجتك فمضيت الى الشق فوجدته ضيقا لا يسع الا اصبع فاخذت عودا وأدخلته فسحبت ضبع الذباب مع الذبابة فوجدتها صائحة منه وهو عاض على عنقها فخلصتها منه فخلصت زوجتي وصحت في الحال وفرحت والدتها انتهى فمن ذلك اليوم ما احتقرت شيأ من

الاحسان الى الدواب والحيوانات التى لم يامر الشارع صلى الله عليه وسلم بقتلها انتهى وقد كان سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يقول اذا كان عندكم شئ من العسل أو السكر فصبوا من ذلك شيأ على باب جحر النمل أو فى الموضع الذى تمر فيه على اسمها ولا تجعلوا لها قطرانا على الاناء الا بعد ذلك فان من عسر على حيوان طريق الوصول الى رزقه فربما عسر الله تبارك وتعالى عليه طريق رزقه كذلك جزاء وفاقا بحكم العدل الالهى ثم لا يخفى ان أولى الناس بالعمل بهذا الخلق حملة القرآن والعلم لان الناس يقتدون بهم فى ذلك ولا ينبغى لهم أن يتركوا الاحسان الى الدواب والخلق الا بطريق شرعى انتهى * وقد حكى لى الحاج محمد الحلبى قال كنت أطرد القطة كلما وقفت على وأنا آكل فجاءتنى فى المنام وقالت مثلك يطرد القطة ويبخل باكلها وقد خولك الله تعالى فى النعمة ووسع عليك فقلت أضغاث أحلام وطردتها فجاءتنى فى المنام وقالت لى مثل الاول فقلت أضغاث أحلام وطردتها ثانى مرة فجاءتنى فى الثالثة فصرت أطعمها من كل شئ أكلت منه انتهى * وقد حكى لى بعض الفقراء أنه كان له جار يطبخ ألوان الطعام قال فيدخل له أولادى الصغار فيصير أحدهم واقفا ينظر اليه فلا يعطيه قطعة لحم مثل قطة الفقيه انتهى وكنت لم أسمع بهذا المثل قبل ذلك فاستنبطت من ذلك أنه لولا أن ذلك يتكرر من الفقيه مثلا ما صح ضرب المثل به انتهى فاياك يا أخى من العمل بمثل ذلك وقد صرح بعض المحدثين رضى الله تعالى عنهم باستحباب تربية القط وذلك يستدعى اطعامه وسقيه وعدم الشح عليه واستحباب الاحسان اليه انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(وثم امن الله تبارك وتعالى به على) حضور قلبى مع الله تبارك وتعالى حال أكلى وشربى وشهودى ان ذلك من فضل الله تعالى على لا أستحق ذرة منه بل لا أقوم بواجب حقه تبارك وتعالى على لو سففت الرماد ثم اذا وقع لى أننى أكلت غافلا عن ذلك المشهد أو شربت استغفرت الله تبارك وتعالى حتى يغلب على ظنى أن الله تبارك وتعالى قبل استغفارى فضلا منه وانما لم أقل أستغفر الله مرة فقط لان مثلنا ربما لا يقع له حضور فى استغفاره الا بعد سبعين مرة وأكثر وسمعت سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول ما أسبغ الله تعالى علينا النعم بالاصالة ليمكر بنا وانما أسبغها علينا ليجمع قلوبنا عليه ولا نخرج من حضرته تبارك وتعالى الا لعذر شرعى وكأن الحق تبارك وتعالى يقول من كنت كافيه عن الحرف والصنائع التى تحجبه عنى بما سخرته له من الرزق على يد عبادى من حيث لا يحتسب ولا تستشرف نفسه اليه فلأى شئ يخرج من حضرتى (وسمعته) رضى الله تعالى عنه أيضا يقول تيسير استعمال الطعام نعمة كالصلاة فكما ان الصلاة ما شرعت الا لحضور العبد فيها بقلبه مع ربه تبارك وتعالى فكذلك الحكم فى مشروعية الاكل والشرب ما شرعا الا ليحضر العبد فيهما مع من أحسن بهما اليه انتهى * واعلم يا أخى انه ما واظب أحد على الحضور مع الله تبارك وتعالى حال أكله وشربه الا أورثه الله تبارك وتعالى القناعة والزهد فى الدنيا وكفاه شر نفسه انتهى (وسمعت) أخى أفضل الدين رضى الله تعالى عنه يقول اذا عاتبت ولدك أو خادمك على أمر فعاتبه وهو جالس يأكل معك فانه أسرع لانقياده لك فيقول كيف أكون مخالفا لامر سيدى وأنا آكل فى خيره قال رضى الله تعالى عنه وايضاح ذلك ان شكر المتلبس بالنعمة أعظم من شكر من يرجوها قبل أن يتلبس بها انتهى كلامه رضى الله تعالى عنه فاعمل يا أخى على تحصيل الحضور مع ربك تبارك وتعالى حال أكلك وشربك ولو متفعلا كما تتفعل فى الحضور معه جل وعلا حال صلاتك فى واظب على ذلك صار خلقا له ولو على طول لا يتكلف له وما رأيت ألذ من الاكل حال حضور القلب مع الله تبارك وتعالى ولا أقل لذة من الاكل غافلا لكن ذلك لا يكون مطلوبا الا للكمل الذين لا يلهيهم عن الله شئ أما من تلهيه لذة الاكل عن الله تبارك وتعالى فلا يكون ذلك مطلوبا له بل يحضر مع الله تبارك وتعالى بلا أكل أكثر من حضوره وقت الاكل ومن هنا نهينا عن الاكل فى الصلاة ولو كنا من أكمل الناس سد اللباب فليفهم (وسمعت) سيدى عليا الخواص رضى الله تبارك وتعالى عنه يقول ما أدمن أحد الحضور مع الله تبارك وتعالى الا قل أكله وصار تكفيه اللقمة واللقمتان ومن هنا قالوا فلان يأكل ولا يشبع كالجائعين فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

منصبهما وقد قال رضى الله عنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر يقرأ ويخفت صوته وسمع عمر يقرأ ويرفع صوته فقال لابى بكر لم خفضت صوتك قال قد أسمعت من ناجيت وقال لعمر لم رفعت صوتك قال أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقال لابى بكر ارفع قليلا وقال لعمر اخفض قليلا قال الشيخ أراد أن يخرج كلامهما عن ارادته لنفسه لمراد رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما وقال رضى الله عنه فى قوله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أى لا أفتخر بالسيادة وانما الفخر لى بالعبودية وكان كثيرا ما ينشد شعرا

يا عمرو نادعبد زهراء
يعرفه السامع والراى
لا تدعنى الا بيا عبدها
فانه أشرف أسمائى

وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه يقول المؤمن فى الدنيا أسير ولا فكاك للاسير الا باحدى ثلاث اما بالحيلة واما بالفدية واما بالعناية وما ذكره الشيخ ماخوذ من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن قال الشيخ أبو العباس فى تفسير هذا الحديث شأن المسجون التحديق بعينيه والاصغاء باذنيه متى يدعى فيجيب

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم تكدري ممن ذهبت الى زيارته ولم يأذن لى فى الدخول من عالم أو أمير أو صالح أو غيرهم حتى انى لو سمعته يقول من وراء الباب بئس من جاء أو قولوا له فلان ما هو هنا أو ما هو فارغ أو أغلقوا دونه الباب أو نحو ذلك لا أتكدر وهذا الخلق غريب قل من يتخلق به وغالب الناس يتكدر وهو جهل عظيم بالقرآن فانه تبارك وتعالى قال وهو أصدق القائلين وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم فشهد الله سبحانه وتعالى بانه أزكى للعبد فكيف يليق به انه يتكدر اذا حصل ذلك له وبالجملة فلا يحصل هذا الخلق الا لمن راض نفسه على يد شيخ صادق حتى ذهبت رعونتها أو حصل له جذبة الهية والا فمن لازمه غالبا التكدر ان لم يفتح له الباب ولم يجله بل بعضهم يخرج فيه شاعرا يهجوه فى المجالس ويصير بعض الجهلة يقول له ما كان ينبغى أن يغلق الباب على مثلك ويجعل له الحق على صاحب الدار فيزداد بذلك غيظا وحقا ولو أنهم قالوا له غيظك منه حق لان الله تبارك وتعالى قد جعل الامر الى صاحب الدار لا اليك ولو أنه جعل الامر اليك لكان نهى صاحب الدار عن قوله لك ارجع ولعمرى ان الزيارة من مثل هؤلاء الرعاع مذمومة ولو تركوها لكان أولى لهم وللمزور لانها زيارة لغير الله عز وجل وأكثر من يقع فى مثل ذلك أهل الجدال بغير علم وما رأت عينى أحسن زيارة لاخيه فى عصرنا هذا من زيارة الشيخ شمس الدين الخطيب الشربينى وصاحبه الشيخ الصالح المسلى وسيدى محمد بن الحنفى الشاذلى والشيخ نور الدين الطندتائى والشيخ صالح البرهانى شيخ تربة السلطان قايتباى رضى الله تبارك وتعالى عنهم وأرضاهم وكذلك الشيخ زين العابدين البلقينى والشيخ سراج الدين الحانوتى الحنفى رضى الله تعالى عنهم أجمعين وأرضاهم فما جاءنى أحد قط من هؤلاء السادة الاشياخ ووجد بابى مغلقا ودق الباب أو تكلم أبدا بل يقرأ الفاتحة ويذهب منشرحا وأما غيرهم فربما جاء أحدهم وشره على مقدمه وان رددته ولم أفتح له الباب مزقنى فى الآفاق وان فتحت له أشبعنى من الهذيانات وان أدخلته بيتى وأخرجت له كسرا يابسة أو شيأ يسيرا غضب وقال انى على نية فما يخرج من عندى حتى يخض بدنى ويذوب قلبى ويشغلنى عن ربى عز وجل اذا كنت فى ذلك الوقت ضعيف الاستعداد عن تحمل مثل ذلك وقد جاءنى مرة شخص يدعى العلم وكنت شاربا دواء فقالوا له انه شرب دواء فلم يصغ الى قولهم ودق الباب دقا مزعجا فشوش على تشويشا عظيما فان دق الباب على الفقير كضربه بالسيف كما يعرف ذلك أرباب الجمعية على حضرة الله تبارك وتعالى فقلوبهم وصار يقول أنا أعرفه قبل أن يعمل شيخا وهو يكذب لانى لم أعمل شيخا ونقلت مؤلفاتى قبل أن يولد بغارت القدرة عليه فعمى بعد أيام من غير دعاء عليه فاياك يا أخى ودق الباب على فقير فانه ربما كان فى حال قاهر يمنعه من لقاء الناس مطلقا وان تكلف وتلقاهم لا يقدر على أن ينصفهم فى السلام والبشاشة على جارى عوائدهم قبل ذلك فيحصل لاحدهم التكدر وللفقير كذلك ولا يقدر يحكى حاله لكل من ورد عليه فالعاقل من حمل الفقير على المحامل الحسنة والسلام ومن علامة الحال القاهر أن لا يقدر على الخروج لصلاة الجماعة فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) صحة توجهى الى الله تبارك وتعالى فى دفع الدنيا عنى كما اذا بلغنى مثلا أن شخصا أوصى لى بمال فاتوجه الى الله تبارك وتعالى فى دفعه عنى فيدفعه عنى ويلهم صاحب الوصية أن يمحو اسمى ويكتب اسم غيرى أو تشح الورثة على بتلك الوصية وينكرونها بعد أن أكون قد أسقطت حقى منها كما وقع لى ذلك مع الشيخ تاج الدين الطائفى أوصى لى باربعين دينارا فانكرها ورثته وجاءنى الشهود وأخبرونى فقلت أنا الذى توجهت الى الله تبارك وتعالى فى دفعها عنى وهذا دليل على صدق توجه الفقير الى الله تبارك وتعالى فى دفع الدنيا عنه وزهده فيها فان الراغب فيها لا يقدر على أن يوجه قلبه الى الله عز وجل فى سؤال دفع الدنيا عنه انتهى وهذا الخلق لم أره فاعلا الا القليل وله حلاوة عظيمة يجدها صاحبه أعظم من حلاوة من كان فقيرا فنام واستيقظ فوجد عند رأسه جرابا مملوأ ذهبا فى برية لا يعرف له صاحبا كما جربنا ذلك فالحمد لله رب العالمين (وتقدم) فى هذه المنن ان مما أنعم الله تبارك وتعالى به على محبتى لمن سعى فى قطع رزقى المتوهم ومعارضته فى وصول شئ من الدنيا الى مع عدم حاجتى اليه ذلك اليوم ومن كان يدعى وصوله الى هذا المقام فليمتحن نفسه بما لو كتب جماعة

لا محتاجين والهدية للمحبوبين قال النبى صلى الله عليه وسلم انما أنا رحمة مهداة وقال فى قوله صلى الله عليه وسلم السلطان ظل الله فى الارض هذا اذا كان عادلا وأما اذا كان جائرا فهو ظل النفس والهوى وقال رضى الله عنه مات رجل من أهل الصفة فوجد فى شملته دينار ان فقال النبى صلى الله عليه وسلم كيتان من نار قال الشيخ وقد مات على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير من الصحابة وتركوا أموالا فما قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما قال فى هذا لانهم لم يبطنوا خلاف ما أظهروا وهذا الذى كان من أهل الصفة أظهر الفاقة وكان عنده هذان الدينار ان فلما أظهر خلاف ما أبطن قال الرسول صلى الله عليه وسلم كيتان من نار وقال فى قوله صلى الله عليه وسلم التاجر الصدوق يحشر مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يوم القيامة قال فبأى طريق يحشر مع هؤلاء قال يحشر مع الانبياء لان شأنهم أداء الامانة وبذل النصيحة فيحشر مع الانبياء بهذا الوصف وهذا التاجر أدى الامانة وبذل النصيحة

السلطان اسمه فى ديوان الفقراء وجعلوا له ألف دينار فجاء شخص وقال هذا ليس من الفقراء هذا منافق جاهل مرائى فمحوا اسمه فان انشرح لذلك فدعواه صدق وان انقبض فدعواه كذب انتهى فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تنبهى فى المنام واليقظة على ما أكلته من الحرام والشبهة بعلامات جربتها فى أكل الحرام دون الحلال وهى ثلاث علامات (أولها) أن يكون للشرع على ذلك الطعام اعتراض من حيث وضع اليد عليه (ثانيها) وجود الظلمة فى قلبى والثقل فى باطنى بعد أكله حتى كأنى أكلت قطعة من الحجر (ثالثها) ان أقوم من النوم فامكث ساعة وأنا مخبط العقل كما يقع لمن يأكل الربا فان أخطأتنى علامة من هذه العلامات الثلاث لم تخطئنى العلامتان الاخريان وكثيرا ما أتقيأ ذلك الطعام اذا علمت بحاله قبل أن يستحيل ويقع لى ذلك كثيرا لما آكل من ضيافة الفلاحين أو من طعام أحد من المباشرين (وأما) نحو المكاس والظالم فحمانى الله تبارك وتعالى فى ماضى عمرى كله من طعامه الى وقتى هذا فاغنانى الله تبارك وتعالى بذلك عن هذه العلامات واعلم يا أخى أن من أعظم علامة للشبهة نفرة القلب من ذلك الطعام لقوله صلى الله عليه وسلم استفت قلبك وان أفتاك المفتون يعنى ان أفتوك بخلافه فاعمل بقلبك دون فتواهم وفى ذلك أيضا اخفاء لمقام الورع فلا يدرى بورعه أحد من الناس بخلاف ما اذا تقيأ ذلك الطعام مثلا فافهم فقل من يتنبه لما قلناه من العلامات بل رأيت بعض المشايخ يأكل من طعام مكاس فانكرت عليه فقال البحر لا تكدره الدلاء فقلت له هذا من جملة الاستدراج ثم انى حكيت ذلك لسيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه فقال مثل هذا ربما يكون وقود النار لتهوره فى دينه ثم قال سمعت سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول للقمة الحرام والشبهة أثر عظيم فى قلوب الخلق على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم فأثرها فى العوام وقوعهم فى أعمال مذمومة لم تكن لهم عادة بفعلها وأثرها فى طلبة العلم أو المريدين من أهل الطريق قسوة فى القلب وثقل فى الطبيعة وأثرها فى المتوسطين فى الطريق غفلتهم عما يعود عليهم نفعه من مصالح الدارين وأثرها فى الكاملين كثرة الخواطر التى لا منفعة فيها وأثرها منعهم من الدخول الى حضرة الله تبارك وتعالى بقلوبهم حتى فى الصلاة وأثرها فى القطب والاوتاد والابدال وغيرهم من أصحاب الدوائر أمور لا يعرفها الا أصحابها انتهى وقد ألهمنى الله تبارك وتعالى من نحو أربعين سنة ان أقول اذا قدم الى طعام أشك فى حله اللهم احمنى من الاكل من هذا الطعام فان لم تحمنى منه فلا تدعه يقيم فى بطنى وان جعلته يقيم فى بطنى فاحمنى من الوقوع فى المعاصى التى تنشأ منه عادة فان لم تحمنى من المعاصى فاقبل استغفارى وأرض عنى أصحاب التبعات التى فى هذا الطعام فان لم ترضهم عنى فاعف عنى فان لم تعف عنى فصبرنى على العذاب يا أرحم الراحمين انتهى فلم أزل أقول ذلك عند كل طعام شككت فى حله الى وقتى هذا فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم اطعامى الضيف شيأ فيه شبهة ولو أنه هو طلب منى ذلك منعته منه كما يمنع الطفل من أكل شئ يضره فى الدنيا والآخرة وايضاح ذلك ان المؤمن مؤتمن على أديان الناس وأبدانهم ومن طلب منه أن يطعمه شيأ يضره فهو فى العقل كالطفل ولو أنه كان رشيدا لم يأكل ما ينقص دينه وهذا خلق غريب قليل من يعمل به فى هذا الزمان وغالبهم يطعم الضيف الحرام فضلا عن الشبهات وذلك خلاف الشرع فان الشرع ما أمر بالضيافة الا من كان عنده طعام حلال وأما من كان عنده طعام حرام أو شبهة فلم يأمره بالضيافة منه الا ان كان الضيف مضطرا فان أطعم أحدا شبهة كان له الهنا وعلى من أطعمه الحساب * وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من سحائب رحمته الهامعة اذا أكل عند أحد من اخوانه يقول اللهم ان كان هذا الطعام حلالا فوسع على صاحبه وان كان فيه شبهة فاغفر له وأرض عنا أصحاب التبعات يوم القيامة آمين * وكان سيدى على الخواص رحمه الله تبارك وتعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من جلابيب رحمته الهامعة ونفعنا به والمسلمين يضيف الوارد عليه باللقمة أو التمرة أو بشربة من الماء ويقول يا أخى هذا الذى وجدته لك من الحلال فى هذا الوقت وكان رضى الله تبارك وتعالى عنه وأرضاه اذا علم

ظاهره وباطنه والتاجر الصدوق كذلك فيحشر مع الصديقين بهذا الوصف ويحشر مع الشهداء فان الشهيد شأنه الجهاد والتاجر الصدوق يباعد نفسه وشيطانه وهواه فيحشر مع الشهداء بهذا الوصف ويحشر مع الصالحين فان الصالح شأنه أخذ الحلال وترك الحرام فيحشر مع الصالحين بهذا الوصف

(الباب السابع) فى تفسير لما أشكل من كلام أهل الحقائق وحله لذلك على أجل الطرائق قال رضى الله عنه قال سهل بن عبد الله لا تكونوا أبناء الدهور ولا من أبناء العدو الاحصاء وكونوا من أبناء الازل أشقى أو سعيد ثم قال رضى الله عنه يقول أحدهم صليت كذا كذا ركعة ختمت كذا كذا ختمة حججت كذا كذا حجة فهؤلاء أبناء العد والاحصاء فهم الى عد سيآتهم أحوج منهم الى عد حسناتهم وأما أبناء الدهور فيقول أحدهم لى فى طريق الله سبعون سنة وفى طريق الله ستون سنة وكونوا من أبناء الازل أشقى أو سعيد يعنى

لاحظوا ما سبق فى علم الله ولا تتكلوا على ما لكم من العلم والعمل ولكن ارجعوا الوجود الازل وقال رضى الله عنه قال بشر الحافى منذ أربعين

شنايب

من الضيف كثرة الاكل يقدم اليه الشئ اليسير شفقة على دينه كما يفعل مع الاطفال اذا خافت عليهم والتهم حصول وجع من شدة الاكل (وكان) رضى الله تبارك وتعالى عنه وأرضاه أكثر ما يفعل مع الناس ذلك فى ليالى رمضان ويقول سر الصوم ومدده انما هو فى الجوع الزائد على الجوع أيام الفطر انتهى كلامه رضى الله تبارك وتعالى عنه وأرضاه وهذا الخلق لا يقدر على العمل به الا من خرج عن الحياء الطبيعى الى الحياء الشرعى ولم يخف فى الله لومة لائم وكان أشفق على الضيف من نفسه فعلم مما قررناه أن كل من قدم لضيفه طعاما فيه شبهة أو قدم له طعاما كثيرا فوق العادة أو قدم له عند فطره مثل ما كان يأكله حال عشائه فى أيام الفطر فقد أساء فى حقه وهو يحسب أنه يحسن صنعا انتهى ذلك فاشفق يا أخى على دين ضيفك ولا تخف فى الله سبحانه وتعالى لومة لائم ولا تخف أيضا من لومه لك فى الدنيا فانه سوف يشكرك فى الآخرة فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم تكلفى للضيف ولذلك لم يحصل عندى ملل من الضيف أبدا ولو ورد على كل يوم ألف نفس ومعلوم أن كل من تكلف للناس كره لقاءهم وهرب ولو على طول أو يصبر يطعمهم ما يضرهم فى باطنهم من غير طيبة نفس وهذا هو الامر الذى نهى الشارع صلى الله وسلم عليه وزاده فضلا وشرفا لديه عن طعام البخيل لأجله وقد ورد طعام البخيل داء انتهى وقد تكلف قوم للضيوف وخالفوا ما قلناه فكان آخر أمرهم الافلاس وضيق المعيشة لكونهم أطعموا الناس لغير الله تعالى رياء وسمعة ولو أنهم كانوا أطعموهم لله عز وجل بطريقه الشرعى لما أفلسوا وكان الله تبارك وتعالى أجرى على يدهم أرزاق الخلائق الى أن يموتوا الى رحمة الله تعالى ويخلف عليهم أضعاف ما بذلوه ثم ان أكثر من يقع فى التكلف أولاد الاشياخ فى الفقه والتصوف فيموت والدهم فيريد أحدهم أن يفعل مثل ما كان والده يفعل من ضيافة كل من ورد عليه فيورد نفسه موارد الغلبة وربما ارتكبه الدين بسبب ذلك وغاب عنهم انه ليس كل فقير يقدر على اطعام كل وارد عليه انما ذلك لبعض أفراد من الفقراء *وقد أخبرنى سيدى الشيخ محمد بن عنان رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من سحائب رحمته الهامعة ان الشيخ عبود رحمه الله تعالى ونفعنا والمسلمين بامداداته الذى زاويته تحت الجبل المقطم كان عنده فى زاويته أربعة أسمطة كل سماط منها موضوع فى ايوان فكل من ورد عليه يأكل من أى سماط شاء سواء أوجد الشيخ أو لم يجده فلما مات جاء بعده فقير أعلى مقاما منه فلم يقدر يطعم الناس مثل الشيخ عبود وخرج من الزاوية انتهى فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم اعلامى المعارف بما أريد أن أصنعه من وليمة عرس أو ختان أو سلامة من مرض ونحو ذلك خوفا ان أحدا منهم يتكلف ويساعدنى فى ذلك الطعام من غير نية صالحة وان علمت من النقباء الذين حولى انهم يخبرون بذلك أحدا زجرتهم عن ذلك فلا أعلمهم الا بعد عمل الطعام وهذا خلق غريب عز نزل من يتنبه له من الفقراء بل ربما غضب بعض الفقراء على كل من لم يساعده فى وليمته ويقول فلان ليس هو بصاحب لنا ويقبح فعله بين الناس بل رأيت بعضهم يسافر بنفسه فيجرد مشايخ العرب والكشاف ويسألهم فى مساعدته بنفسه فيعمل فى ذلك المولد بعض ما جرده والباقى يبيعه أو يأكله طول سنته هذا مع انه يزعم انه من الصالحين فاياك يا أخى ان تفعل مثل ذلك وقد قالوا من شهامة مقام الشيخ ان يطعم الناس ولا يأكل لهم طعاما الا لحاجة ضرورية وأعرف جماعة من أصحابى يهربون اذا سمعوا انى عازم على عمل مولد فلا يظهرون حتى يفرغ المولد فجزاهم الله تعالى عنى خيرا فانهم أحسن عندى حالا ممن يحضر خوف العتب ويصير ينقط المداحين بالفشافش والفلوس رياء وسمعة وربما لحقنى الاثم بسببه لانه ما وقع مثل ذلك الا مراعاة لخاطرى على وهمه ودعواه وكان سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه لا يأكل قط من ولائم النسوان ويقول من شهامة الرجل أن لا يأكل من كسب غيره من الرجال فكيف يأكل من كسب النساء قال رضى الله تعالى عنه والنكتة فى ذلك كون القلوب جبلت على حب من أحسن اليها قهرا عليها فيصير من يقبل رفق المرأة

سنة أشتهى الشواء فما صفا لى ثمنه فقال شواء فقد أخطأ من أين له فى الاربعين سنة ما يأكل وما يلبس وانما المعنى فى ذلك ان هؤلاء قوم أصحاب مراتب لا يأكلون ولا يشربون ولا يدخلون فى شئ ولا يخرجون بشئ ولا يخرجون من شئ الا باذن من الله واشارة فلو أذن له فى أكل الشواء لصفا له ثمنه وقال رضى الله عنه قوت القوم على أربعة أوجه مباح وحلال وطيب وصاف فالمباح ما كان مستوى الطرفين ما على أخذه عقاب ولا على تركه ثواب والحلال ما لم يخطر لك على بال ولا سألت فيه أحدا من النساء والرجال والطيب هو ما أخذه العبد بوصف الفناء اذ لا وصف له مع مولاه والصافى هو ما عاينه العبد من المنبع يعنى من عين قدرة الله وقال رضى الله عنه قال الجنيد أدركت سبعين عارفا كلهم يعبدون الله على ظن ووهم حتى أخى أبا يزيد ولو أدرك صبيا من صبياننا لاسلم على يديه فقال الشيخ معنى قوله يعبدون على ظن ووهم لا يريد بذلك ظنا فى المعرفة ووهما فيها وكيف تجتمع المعرفة والظن أو الوهم وانما المراد انهم وصلوا الى مقامات توهموا ان ليس وراءها للموقنين مقام فقال

الاجنبية يميل اليها طبعا مع انه لاحق له فى الاستمتاع بها ويكره له التلذذ بكلامها أو نحوه فيريد من نفسه انه لا يميل ولا يستلذ بحديثها فلا يقدر انتهى و والله انه يقع لى فى بعض الاوقات ان بعض الناس يعطينى الدراهم وأنا محتاج اليها فاردها وأطوى نحوه فامن تحمل منة الرجال وربما انه كان يعطينى ولم ابنى و ينتفع بى فاذا قبلت منه تلك الدراهم صرت بالضد من ذلك وسيأتى فى هذه المنن ان الشيخ اذا علم من مريده انه صار يرى جميع ما بيده انما وصل اليه ببركة أستاذه وانه هو وعياله انما يأكلون من مال ذلك الاستاذ فلا حرج على الشيخ حينئذ فى الاكل من طعام ذلك المريد انتهى فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك و يدبرك فيما أبلاك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من التداوى باشارة كافر لعدم الثقة بقوله شرعا وقل من يسلم من ذلك فى هذا الزمان وسمعت سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول فى ضمن التداوى باشارة الكافر نكتة تخفى على كثير من العلماء فضلا عن غيرهم وهى انه اذا وافق شفاؤه اشارة ذلك اليهودى مثلا يصير تودده بقلبه قهرا عليه فيريد ان يتخذه عدوا كما أمره الله تبارك وتعالى فلا يقدر على نفسه ان يعاديه وقد قال الله تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة انتهى قال الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه وأرضاه وانما قال تبارك وتعالى وعدوكم ولم يكتف بقوله عدوى لعلمه جل وعلا بان فى عباده من لا ينزجر عن مودة الكافر لكونه عدوا لله تعالى وحده فلذلك قال تعالى وعدوكم حتى لا يبقى لنا عذر فى مودتنا للكافر انتهى فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك و يدبرك فيما أبلاك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) شهودى ان جميع ما ينزل على من البلايا والمحن ليس هو من بغض الحق تبارك وتعالى لى انما ذلك محبة فى كما وردت به الاحاديث ما عدا المعاصى فان الحق تبارك وتعالى لا يبتلى بها الا من يكرهه ومن شهد هذا المشهد صار يشهد تسداه ولحمته نعما من الله تبارك وتعالى عليه ورأى جميع ما يؤلمه به انما هو تاديب له ومصلحة كشرب الدواء الكريه فان صاحب البلاء لا يخلو حاله من ثلاثة أمور كما مر تقريره مرارا لانه اما أن يكفر خطاياه واما ان يرفع درجاته واما أن يكون عقوبة له على ذنب سلف وتامل يا أخى الوالد كيف يغفر لك ذنب ولده اذا خاف عليه من الوقوع فى بئر مثلا وكذلك الوالدة تغرز الابرة فى بدن ولدها خوفا عليه من وقوعه فى أمر هو أشد من غرز الابرة فى بدنه و يعد العاقل ذلك الفعل من الوالدين شفقة ومحبة لولدهما لا بغضا له فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة شفقتى ورحمتى لمن دخلت عليه أعوده من المسلمين حتى انى كثيرا ما أسال الله تبارك وتعالى تحويل ذلك المرض الى فيصير ذلك المرض يخف عليه و ينتقل الى شيئا فشيئا حتى أمرض و يخلص هو من المرض هذا فى مرض يقبل النقل فان كان الامر الالهى قد حق به سالت الله تبارك وتعالى أن يلطف به وانصرفت من غير تحمل ثم ان المرض اذا انتقل الى لا أرى لى بذلك فضلا على المريض لانى لم أتحمل عنه المرض الذى قدره الله تبارك وتعالى على بدنه وانما حملت عنه ما لم يقدره الله تعالى عليه وكأننى سالت الله تبارك وتعالى أن يجعل عندى من المرض مثل المرض الذى عند ذلك المريض لا غير فما حمل أحد عن أحد مرضا هو لغيره أبدا لمن تامل ذلك وانما المريض لما رأى المرض انتقل عنه بتوجه ذلك الفقير الى الله سبحانه وتعالى ظن انه حمله عنه ونظير ذلك ما اذا رمى انسان على شخص حجرا ليقتله فبادر الى ذلك الحجر شخص وتلقاه عنه فلم يصل اليه فيصير ذلك الشخص المرمى عليه يشكر من فضل من تلقاه عنه و يقول جزاك الله عنى خيرا مع ان الحجر فى الحقيقة انما قدره الله تبارك وتعالى على من تلقاه فافهم ذلك ترشد وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى اذا دخل على مريض يقول بتوجه تام اللهم ان كان هذا المرض الذى هو فى أخى يقبل النقل فانقله الى وصبرنى عليه وأقدرنى على تحمله انتهى وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى اذا دخل على مريض ورأى ان

له ومعنى لاسلم على يديه أى لانقاد له فالاسلام هو الانقياد وقال رضى الله عنه فى قول أبى يزيد خضت بحرا وقف الانبياء بساحله انما يشكو أبو يزيد بهذا الكلام ضعفه وعجزه عن اللحاق بالانبياء ومراده ان الانبياء خاضوا بحار التوحيد ووقفوا من الجانب الآخر على ساحل الفرق يدعون الخلق الى الخوض أى فلو كنت كاملا لوقفت حيث وقفوا وهذا الذى فسر الشيخ به كلام أبى يزيد هو اللائق بمقام أبى يزيد وقدمنا عنه انه قال جميع ما أخذ الاولياء مما أخذ الانبياء كزق ملئ عسلا ثم رشحت منه رشاحة فما فى بطن الزق للانبياء وتلك الرشاحة هى للاولياء والمشهور عن أبى يزيد التعظيم لمراسم الشريعة والقيام بكمال الادب حتى انه حكى عنه انه وصف له رجل بالولاية فاتى الى زيارته فقعد فى المسجد ينتظره فخرج ذلك الرجل وتنخم فى حائط المسجد فرجع أبو يزيد ولم يجتمع به وقال هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة

ذلك المرض يرفع درجات ذلك المريض يدعوله بالرضا وبالصبر ثم ينصرف ورأى ان ذلك المرض يزيد المريض سخطا على مقدورات ربه دعا له بالتحويل اه وكان سيدى ابراهيم المتبولى رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من سحائب رحمته الهامعة آمين اللهم آمين يقول اذا لم يتحمل الفقير المرض عمن عاده أو يخفف عنه المرض بدعائه فليس فى عيادته كبير أمر غايته انه يتوجع له لاغير ويخرج عن المريض وهو يتجرع الصبر وماهكذا كانت زيارة السلف الصالحين انتهى كلامه رضى الله تعالى عنه وأرضاه ولكل رجال مشهد ويقع لى بحمد الله تبارك وتعالى فى بعض الاوقات اننى أدخل على المريض فتسرقنى الرحمة له فارجع مريضا كأننى لى شهرا مريض ولا أقدر على رد ذلك المرض عنى فامرض يوما أو أياما ثم أخلص وتقدم بسط ذلك مرارا انتهى فاعلم ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(وعما منّ الله تبارك وتعالى به على) عدم غفلتى عن الصلاة فى أول وقتها مدة مرضى أو أوقات تحملى مصائب الزمان عن الاخوان أو يوم موت ولدى العزيز عندى أو نحو ذلك وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى به على وكثير من الناس يترك الصلاة أصلا ذلك اليوم أو يخرجها عن أوقاتها غالب أيام المرض وكثيرا ما أكون فى شدة المرض والالم فيدخل وقت الصلاة فيخف الالم عنى وأصحو من المرض حتى أسلم من الصلاة وقد كان صلى الله عليه وسلم يرتاح الى الوقوف فى الصلاة ويقول أرحنا بها يا بلال انتهى وهذا دأبى على الدوام وكثيرا ما أنشد قول بعض عرب البوادى

الاوجاع ماخلين فى بقية * ولا مفصل الا وفيه جراح

فلا أرى لى الآن مفصلا واحدا الا ويطرقه المرض من كثرة تحمل هموم الناس وكثرة توجههم الى فى شدائدهم وقد كانت هذه من وظائف سيدى الشيخ أحمد بن الرفاعى رحمه الله تعالى ونفعنا به فمازال يتحمل هموم الناس حتى صار عظاما ليس عليها أوقية لحم رضى الله تعالى عنه وأرضاه وكان رضى الله تبارك وتعالى عنه يقول وعدنى ربى أنى لا ألقاه وعلى أوقية لحم قال يعقوب خادمه ففنى لحمه كله قبل موته رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من سحائب رحمته الهامعة آمين وكيف حال من يشارك المرضى والمعاقبين فى بيوت الولاة فى كل وقت بلغه ذلك من ليل أو نهار وعلامة صحة هذا المقام أن لا يعرف طبيب يشخص له مرضا انتهى فافهم ذلك ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(وعما منّ الله تبارك وتعالى به على) كلما مرضت مرضا فيه رفع درجاتى أو كنت فى حملة أحد من المسلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل لى من جهته من يعودنى تارة على صورة شيخى سيدى على الخواص رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وتارة على صورة غيره من الاولياء فاذا دخل على قصاده صلى الله عليه وسلم أعرف اننى أشفى من ذلك المرض فاشكر الله تبارك وتعالى على فسحته لى فى الاجل وكثيرا ما يرسل لى أحدا من أهل بيته وقد كنت فى حملة عظيمة فى سابع عشرى ربيع الاول سنة ستين وتسعمائة فاشرفت فيها على الموت فاتانى الحسن ابن على رضى الله تعالى عنهما ومعه شخص لا أعرفه وعليهما ثياب بيض وخضر فوقفا عند رأسى ولم يكلمانى غير ان شخصا تالثا جاء وبسط بين يدى سجادة خضراء فلا يعلم أحد قدر ما حصل لى من الأنس فشفيت لوقتى انتهى فاعلم يا أخى ذلك وافهمه ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(وعما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حملى للعلماء والصالحين اذا رأيتهم فرشوا لهم سجادات للصلاة على انهم انما يفعلون ذلك تعظيما لحضرة خطاب الله عز وجل المشار اليها بنحو حديث ان الله فى قبلة أحدكم لا كبرا ولا فخرا وعدم عملى بقرائن التكبر فى مثل ذلك اذا القرائن وان جعلها العلماء احدى الادلة فانما ذلك فى أماكن فيها احتياط للدين وأما العمل بها فى مثل حمل العلماء والصالحين على التكبر فلا يجوز العمل بها لانه مبنى على سوء الظن بهم وذلك حرام باجماع انتهى فافهم ذلك واعلمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(وعما منّ الله تبارك وتعالى به على) رضاى عن ربى عز وجل اذا قسم لى اليسير من الطاعات كما أرضى عنه

وأفعال يستنكر ظاهرها أولناها لهم لما علمناه من استقامتهم وحسن طريقتهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تظنن بكلمة برزت من امرئ مسلم سوأ وأنت تجد لها فى الخير محملا وقال رضى الله عنه كان الحارث ابن أسد المحاسبى اذا مد يده الى طعام فيه شبهة تحرك عليه أصبعه فسأل الشيخ سائل فقال يا سيدى قد جاء ان الصديق قدم له لبن فاكل منه فوجد كدرته فى قلبه فقال من أين لكم هذا اللبن فقال غلام له كنت تكهنت لقوم فى الجاهلية فاعطونى ثمن كهانتى فتقيأه أبو بكر رضى الله عنه ثم قال والله لو لم تخرج الا بصارينى لاخرجتها فلم يكن على يد الصديق عرق يتحرك عليه اذا قدم له طعام فيه شبهة والصديق أولى بكل مزية من سائر الامة وقد وزن بالامة فرجحهم فقال الشيخ رضى الله عنه الصديق رضى الله عنه كالوكيل المفوض اليه مطهر من البقايا فلا يحتاج الى الاشارة والحارث بقيت عليه البقايا فلذلك ألزم الاشارة حتى لا يدخل فى شئ بنفسه وهواه وأبو بكر رضى الله عنه طهر من النفس والهوى فلا يحتاج الى الاشارة

واعلم ان من حسن اختيار الله لابى بكر ان تناول من ذلك اللبن حتى يتكلف طرحه بعد شربه فيثيبه الله على

اذا قسم لى اليسير من الرزق على حد سواء وهذا مقام لا يثبت فيه الا من تحقق بكمال الاعتماد على فضل الله تبارك وتعالى دون الاعمال فان كل من كان معتمدا على عمله فن لازمه غالبا التكدر من نقص طاعاته وغاب عنه ان ذلك الذى فاته لم يقسم له أصلا ومالم يقسمه الحق تبارك وتعالى للعبد لا ينبغى له أن يحزن عليه الا بطريق شرعى وكثيرا ما ينظر الانسان الى شخص قسم الله تبارك وتعالى له الطاعات الكثيرة فيتوهم انه لو ألقى باله وترك الكسل لفعل مثل ما فعله من الطاعات وهو وهم فان ما سبق به العلم الالهى هو الواقع من غير زيادة ولا نقص فعلم ان كل من اعتمد على فضل الله تبارك وتعالى لا يتكدر من نقص طاعاته الا ان كان يطلب الزيادة من الطاعات لاجل مجالسة ربه عز وجل فيها فذلك مطلوب شرعا لمن علم من نفسه القدرة على محافظة الادب مع الله تبارك وتعالى فيها (وكان) سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يقول الحزن على فوات الزيادة من نوافل الطاعات محمود للمريدين دون العارفين لان العارفين قد تحققوا بمقام الرضا عن الله تبارك وتعالى فى كل ما أجراه الله جل وعلا عليهم ولا يخلو ذلك من أن يكون محمودا أو مذموما أو لا محمودا ولا مذموما فان كان محمودا قالوا الحمد لله وان كان مذموما قالوا أستغفر الله وان كان مباحا فهو بحسب مقامهم وقد بلغنا عن سيدى ابراهيم بن أدهم رضى الله تعالى عنه وأرضاه انه قال نمت ليلة عن وردى فاصبحت حزينا مهموما فقيل لى فى الليلة الثانية يا ابراهيم كن عبدا للناس تستريح فان أغنالك نم وأنت راض وان أقمناك قم وأنت شاكر وليس لك فى الوسط شئ قال ابراهيم رضى الله تعالى عنه فصرت عبدا له فاستريحت انتهى وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقوم الليل كله بالقرآن ثم يقول والله ان النائم أحسن حالا منى لقلة أدبى فى صلاتى انتهى وسمعت سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول من شأن الحق تبارك وتعالى ان يرى عبده مقدار الوصل بتقديره عليه أسباب الهجر انتهى كلامه رضى الله تعالى عنه وأرضاه ووالله انى لأقوم بعد ما ينفض الموكب الالهى فما كاد أذوب من الخجل ثم انى أرى فضل الله تبارك وتعالى على الذى أرانى أهل حضرته وهم راجعون وقد كان سيدى الشيخ محمد السروى رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وأسبغ عليه من جلابيب مغفرته الهامعة يحضر مولد سيدى أحمد البدوى نفعنا الله تعالى بامداداته فى كل سنة فعاقته القدرة عنه سنة وهو مريض فقال لخادمه احملنى وضعنى على طريق الناس الذين حضروا المولد ففعل الخادم ذلك فصار يمسح وجهه بثيابهم ويتبرك بذلك لكونهم حضروا ذلك الجمع الذى لا يجىء نقطة من بحر حضرة الله عز وجل العظمى الجامعة لارواح الانبياء والاولياء والملائكة وصالحى المؤمنين من المتقدمين والمتأخرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) أخذى كل كلام سمعته من واعظ أو خطيب فى حق نفسى بالاصالة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الواعظ أو الخطيب انما هو نائبه صلى الله عليه وسلم فمن الناس من قصر بصره على النائب ومن الناس من خرق ببصره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار كأنه يسمع منه فالحمد لله الذى لم يجعلنى آخذ كلام الواعظ أو الخطيب فى حق غيرى كما وقع فيه غالب الناس فيحضرون الواعظ أو الخطيب ثم يخرج أحدهم فيقول أفلح الواعظ اليوم فى الحط على الظلمة والمنافقين والمرائين والذين يغتابون الناس ولا يأخذون لانفسهم من كلام الخطيب كلمة واحدة فى حق نفوسهم فكأنهم لم يحضروا الخطيب وكان من خلق أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى انه يأخذ كل كلام فيه زجر لنفسه سواء سمعه من خطيب أو غيره وسمع مرة رضى الله تعالى عنه تاجرا يقول لعبده تعصينى وأنا أطعمك وأكسوك ولا أؤاخذك على سوء أدبك فخر مغشيا عليه انتهى فعلم أن من كمال العقل أن يأخذ الانسان كلام الخطيب أو الواعظ فى حق نفسه دون غيره وهذا هو السر فى وجوب الانصات للخطيب أو استحبابه فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) فرحى بكل شيخ أو واعظ برز فى حارتى وطار يلتقط أصحابى الذين كانوا حولى واحدا بعد واحد حتى لم يبق حولى منهم واحد وهذا الخلق من أكمل أخلاق الرجال ولا يصح ذلك الا لمن

ضمنه بأكله وقد تناول أو تناوله وهو غير آثم اذ هو غير عالم فان أبا بكر ما سأل عن اللبن الا حتى وجد له كدرة فى قلبه دل ذلك على أن الحرام أو الشبهة قد يؤثر فى القلب كدرة أو قسوة وان لم يعلم به متناوله وقت تناوله وهكذا هم أهل التخصيص ان وقع منهم أمر مثل هذا ونحوه فهو من حسن اختيار الله لهم حتى يفتح بهم السبيل للعباد وكما ان من حسن اختيار الله لآدم أكله من الشجرة بعد ان نهى عنها حتى يتوب من الفعل فيكون قدوة للتائبين وحتى يتعرف الله بحلمه فيعلم انه أكرم الاكرمين بوقفه على وجود ستره ولطفه فيعلمه انه اللطيف الخبير بعباده المؤمنين وليكون أكل الشجرة سببا فى النزول والنزول سببا فى الخلافة فلذلك قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه أكرم بها معصية أورثت الخلافة وقال والله لقد أنزل الله آدم الى الارض من قبل أن يخلقه بقوله انى جاعل فى الارض خليفة وقد بسطنا القول فى هذا الموضع

فى كتاب التنوير فلا نعيده وقال رضى الله عنه انما بدأ القشيرى فى رسالته بالفضيل بن عياض وابراهيم بن أدهم لانهما كانا قد تقدم لهما

فنيت رعونات نفسه بالكلية وفطم على يد شيخ ناصح أو لمن حصلت له جذبات الهية أدخلته حضرة العبودية الخالصة فشهد ان الحق تبارك وتعالى هو الذى أبرز هذا الشيخ الذى أخذ جميع أصحابه وحول اعتقادهم عنه اليه بحيث صار لا يعتقد صلاحه أحد منهم فان من شهد هذا المشهد فهو الذى يرضى عن سيده بكل ما أقامه فيه من تقليبه المسك أو تقليبه الزبل وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من احتاط لنفسه لم يطالب أن يكون رأسا فى شئ من الامور الدنيوية أو الاخروية الا ان خلص من الرعونات النفسانية كالرياء والعجب ونحوهما لان كل راع مسؤل عن رعيته فيجب عليه أن لا يورد أحدا من رعيته ما يدخله النار ولا تزول قدما داع الى الله تبارك وتعالى حتى يسئل هل وفى بحق رعيته فى النصح أم غشهم وغفل عنهم ومن آمن بما قلناه فرح بكل من أخذ جماعته من حوله وأحبه وشكر فضله لكونه فرغه لعبادة ربه المحضة وتحمل عنه توبيخ الحق تبارك وتعالى له فى الآخرة ومناقشته له فى يوم تشيب فيه الاطفال ثم من تمام فرحه به تحسين اعتقاد الناس فيه وترغيبهم فى حضور مجلسه والدعاء له بظهر الغيب بان الله تبارك وتعالى يسدده وان حضر الشيخ القديم مع الناس وسمع وعظه حصل له خير كثير فعلم ان من كان بالضد مما قلناه فهو ممقوت مراء ليس له فى قدم الصدق نصيب وهذا الخلق لم أر له فاعلا صادقا من أقرانى بل بعضهم يصير يحط على الشيخ الجديد وينفر الناس عنه ولما انتقل الشيخ العارف بالله تبارك وتعالى الشيخ سليمان الخضيرى رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من سحائب مغفرته الهامعة من القرافة وسكن فى جامع الميدان تجاه زاوية تناصرت أتردد اليه وأقبل ركبته بحضرة جماعته وجماعتى وصار الشيخ نور الدين الشونى رحمه الله تعالى يقول اللهم انقله من حارتك فانى أخاف عليك أن تتخلف عنك العناية وتتكدر منه حين ينقلب اليه جماعتك فقام عليه أهل حارة الميدان بالانكار لما عمر بيته بجوار المسجد فرجع الى مكانه الاول بجوار جامع ابن طولون فكان الشيخ نور الدين اذ ذاك يستبعد على وصولى الى هذا المقام ويخاف على رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من سحائب رحمته الهامعة يا مالك الدنيا والآخرة يا رب العالمين آمين اللهم آمين وقد ذكر الامام محيى الدين النووى رحمه الله تعالى فى مقدمات شرح المهذب وفى كتاب التبيان ما نصه اعلم ان من أهم ما يؤمر به العالم أن لا يتأذى ممن يقرأ عليه اذا قرأ على غيره وهذه مصيبة يبتلى بها جهلة المعلمين لغباوتهم وفساد نيتهم وهو من الدلائل الصريحة على عدم ارادتهم بالتعليم وجه الله الكريم انتهى (فينبغى) للعاقل أن يقول لنفسه اذا فارقه تلميذه الى شيخ آخر ان كان صحبة هذا المريد لنا يحصل بها خير له فهو الذى تركه وان كان يحصل بها شر له فقد استراح منا وان كان لا خير ولا شر فالامر سهل لا يحتاج الى غيظ فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حفظى للادب مع أصحاب الوقت من العلماء والمسلكين سواء كانوا حاضرين أو غائبين عن مجلسى فلا أدرس قط علما ولا أعظ الناس فى كتاب أو غيره الا بعد قولى بقلبى ولسانى دستور يا أصحاب الوقت أدرس أو أعظ بحكم النيابة عنكم فن واظب على ذلك أمن من ارتاج الكلام عليه فى ذلك المجلس وقد قال العارفون رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بامداداتهم ما أرتج على خطيب أو واعظ قط الا لكون ذلك الوقت فيه من هو أولى بالكلام منه انتهى (وسمعت) سيدى الشيخ عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول اذا استأذن الواعظ أو المدرس علماء الوقت بقلبه أو لسانه مدوه كلهم بالعلم والمعارف شعر بذلك أم لم يشعر انتهى كلامه رضى الله تعالى عنه وأرضاه (وقد علمت) ذلك لبعض الوعاظ وكان كثير الارتاج فلم يرتج عليه بعد ذلك انتهى فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) شهودى ان جميع الفضائل والكرامات التى تقع على يدى ليس لى فيها فعل وانما هى لله تبارك وتعالى وحده كسائر أفعالى ما عدا النسبة الشرعية لكونها ظهرت على جارحتى فسواء أجرى الله تبارك وتعالى على يدى الكرامات أو لم يجرها هو عندى سواء انتهى (وسمعت) سيدى

زمن قطيعة ثم أقبلا فاقبل الله عليهما فبدأ بذكرهما بسط الرجاء المريدين الذين كانت تقدمت منهم الزلات وسبقت منهم المخالفات ثم رجعوا الى استقراع أبواب العنايات اذ لو بدأ بذكر الجنيد وسهل بن عبد الله التسترى وعتبة الغلام وأمثالهم ممن نشأ فى طريق الله تعالى لقال القائل ومن يدرك هؤلاء لم تسبق لهم زلات ولم تتقدم منهم مخالفات وقال رضى الله عنه فى الحكاية المشهورة عن سمنون المحب انه كان ينشد شعرا

وليس لى فى سواك حظ
فكيفما شئت فاختبرنى

فابتلى بعلة الاستبراء وهى احتباس البول فتجلد يوما فزاد الالم فتجلد الثانى فزاد الالم فتجلد ثالثا ورابعا والالم يزيد فهو فى صبحة اليوم الرابع واذا بانسان من أصحابه قد أتاه وقال يا سيدى سمعت البارحة صوتك عند دجلة وأنت تستغيث الى الله وتسأل رفع ما نزل بك فجاءه ثان وثالث ورابع ولم يكن هو سأل فعلم انها اشارة من الله له بالسؤال فصار يدور على صبيان المكاتب ويقول ادعوا لعمكم الكذاب فقال الشيخ يرحم الله سمنونا عوض ما قال فكيفما شئت فاختبرنى كان يقول فكيفما شئت فاعف عنى فطلب العفو أولى من طلب الاختبار وقال رضى الله عليا

عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول العارف بالله تبارك وتعالى لا يزداد بالسلب الا تمكينا لانه مع الله تبارك وتعالى بما أحبّ لا مع نفسه بما تحب انتهى كلامه رضى الله تعالى عنه وأرضاه ومن كان هذا مشهده أمن من وقوع الاستدراج الواقع لاهل الكرامات اذ الاستدراج لا يقع الا من يرى الفعل لنفسه شهودا ولربه ايمانا فيتوارى عنه فى بعض الاوقات انتهى (ومما وقع) لى من الكرامات فى بعض الاوقات انى أقوم للتهجد فى الليل فلا أجد ماء يكفينى لغسل الوجه فاقول بقلبى اللهم انك تعلم انى لم أرد بهذا الوضوء فى هذا الوقت الا تعظيم جنابك أن أجالسك على حدث فيزيد الماء فى الاناء حتى أتوضأ ويفضل منه بقية وفى بعض أوقات أتوجه الى الله تبارك وتعالى فى زيادة الماء فلا يزيد قطرة واحدة فلا ينقص يقينى بذلك ذرة واحدة لان الفعل فى الحالين لله تبارك وتعالى لا الىّ فعلم أنى لا أرى انى سلبت بركة كانت معى لما لم يزد الماء وانما أقول لله تبارك وتعالى فى ذلك حكمة فأصبر أتطلبها فربما قصرت فى عمل كان متوجها على لله تبارك وتعالى فتخلف عنى العناية جزاء على فعلى اذ الحق تبارك وتعالى مع عبده على حسب ما يقع له فكما ان الحق تعالى دعا عبده الى طاعته فتقاعد عنها فكذلك دعا العبد ربه فتخلفت عنه الاجابة والكل من الله تبارك وتعالى حقيقة فله الشكر فى حال زيادة الماء لى وفى حال نقصه انتهى (وكذلك) يقع لى فى بعض الاوقات انى أقوم فاجد الماء باردا فى الشتاء لا أستطيع استعماله لبرده فاقول اللهم خفف عنى برده فاجده كالمسخن بالنار أو لا برد ولا سخونة وفى أوقات أجده باردا على حاله ولو توجهت الى الله تبارك وتعالى فيه على وزان ما تقدم أى جزاء وفاقا من العدل الالهى على عمل تركته فالحمد لله الذى جعلنى ممن يدور مع الحق تبارك وتعالى حيث دار لا مع حظ نفسى وكان أصل ذلك أن نفسى فى سنة احدى وثلاثين وتسعمائة وقع لها تشوق عظيم لوقوع كرامة فتوجهت الى الله تبارك وتعالى فى ذلك أياما فقيل لى فى الليلة الثالثة وأنا نائم فى مسجد الشيخ أحمد الابار بقى فى روضة مقياس النيل لو أطلعك الله تبارك وتعالى على ملكوت السموات والارض وعلى عدد الرمال وأوراق الاشجار وعلى النبات وأعماره والحيوانات وأعمارها وعلى ما يقع لاهل الجنة والنار حال وجودهم فى الدنيا والبرزخ والجنة والنار وأنزل المطر بدعائك وأحيا الميت على يديك وأجرى على يديك جميع ما أكرم الله تبارك وتعالى به عباده المؤمنين فلست من عبوديته فى شئ فاستقم على طاعة ربك عز وجل وقد بلغت الغاية فى الكرامة انتهى فما انقضى هذا الكلام وبقى عندى بحمد الله تبارك وتعالى شهوة لمقام ولا حال بل ذهبت شهوة ذلك من قلبى جملة واحدة وقد صنفت فى شرح هذا الهاتف رسالة وهى من أول تآليفى فى علم القوم نحو عشرة كراريس فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) عدم مبادرتى الى الانكار على من رأيته من العلماء والصالحين يلبس لبس أبناء الدنيا من المحررات ويركب على نفائس الخيل والبغال وينكح السرارى والمنعمات لان ذلك جائز بالشرع فمن أنكره فهو جاهل مخطئ أو حاسد ممقوت فصاحب تلك الملابس يتنعم فى مال سيده باذنه والحاسد له شقى محروم وأيضا فان لله تبارك وتعالى عبيدا متواضعين ذليلين فى صورة أغنياء متكبرين فجمع الله تبارك وتعالى لهم بين خيرى الدنيا والآخرة (منهم) سيدى الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه وأرضاه (ومنهم) سيدى على بن وفا رضى الله تعالى عنه وأرضاه (ومنهم) سيدى مدين رضى الله عنه (ومنهم) سيدى أبو الحسن البكرى رضى الله تعالى عنه وولده سيدى محمد رضى الله تعالى عنهم أجمعين (فمثل هؤلاء) يأكلون ويتمتعون ولا ينقص لهم رأس مال ان شاء الله تعالى والدليل على ذلك كون علومهم ومعارفهم فى زيادة مع عدم مطالعتهم واكبابهم على الكراريس بل ينام أحدهم مع زوجته على أو طأ الفراش الى الصباح ثم يقوم تتفجر من قلبه ينابيع الحكمة ولسان حالهم يقول للحسدة لهم موتوا بغيظكم فلو كانت كرامات هؤلاء فى نظير عمل لكانت كراماتهم تبطل اذا ناموا وقصروا فى العمل فافهم مع ان جميع ما هم فيه حصل من غير طلب ولا ذل فى طريقة أبدا بخلاف غيرهم لم يقع ذلك له مثلهم ولما وقع لابى يزيد رضى الله تعالى عنه اكباب الناس على التبرك به والتمسح بمرقعته لامه بعض الناس على ذلك فقال له أما تفقه يا أخى ان الناس لا يتبركون

عنه فى الحكاية التى ذكرها الاستاذ أبو القاسم القشيرى قال الجنيد دخلت على السرى فوجدته متغيرا فقلت له ما بالك يا أستاذ متغيرا فقال دخل على شاب آنفا فقال لى ما التوبة فقلت أن لا تنسى ذنبك فقال بل التوبة ان تنسى ذنبك فما تقول أنت يا أبا القاسم قال فقلت القول عندى كما قال الشاب لانى اذا كنت فى حال الجفاء ثم نقلنى الى حال الصفاء فذكر الجفاء فى وقت الصفاء جفاء فقال الشيخ رضى الله عنه كلام السرى أتم من كلامهما لان كلام السرى يدل على مبادى المقامات وكذلك القدوة ملزم بالكلام على مقامات العباد بداياتها ونهاياتها وانما تأتى النهايات من البدايات والجنيد لم يكن فى ذلك الوقت بمقام أن يكون قدوة وكذلك الشاب فتكلما على أحوال أهل الارتقاء فى نهاياتهم فكلامهما يخص حالهما وكلام السرى يهيج مورد السالكين هذا معنى كلام الشيخ وقال رضى الله عنه فى قول بعضهم لا يكون الصوفى صوفيا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال شيأ عشرين سنة ليس معنى ذلك أن لا يقع منه ذنب عشرين سنة ولكن معناه اذا أذنب استغفر منه والملك الموكل بكتب السيآت لا يكتب السيئة حتى ينتظر العبد لعل أن يرجع أو يتوب وكلما أراد أن

بابي يزيدوانما يتبركون بخلعة ربه التي خلعها عليه انتهى فصاحب هذا المقام عبد ذليل في نفسه سيد في عيون الناس وكم من صاحب مرقعة هو أكبر نفسا من صاحب ثياب الخز ورفيع الكتان وكم من صاحب مرقعة لبسها بنفس فلم يتبرك أحد بها فاحفظ يا أخي لسانك وقلبك عن الانكار على من خالف عوائد العلماء والصوفية في ملابسه ونحوها ولا تنكر عليه الا ما صرحت الشريعة بتحريمه أو كراهته انتهى فاعلم يا أخي ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي ٨) كراهتي للجلوس في المسجد على حدث في ليل أو نهار وذلك لما ورد ان الملائكة تصلي على أحدكم ما دام جالسا في المسجد على طهارة وصلاة الملائكة بلا شك مقبولة يعني استغفارهم لذا لعصمتهم عن الذنوب (واعلم) يا أخي ان من كان مشهده ان الارض كلها مسجد فلا فرق عنده بين الاماكن الا ما خصه الشارع صلى الله عليه وسلم منها فهذا في مسجد دائما ثم ان هذا الخلق لا يقدر على العمل به الا من حماه الله تبارك وتعالى من ثقل الغفلة عنه ودامت مراقبته لربه عز وجل فان المسجد حضرة الله جل وعلا الخاصة فاذا كان هذا في الحدث الاصغر فكيف بمن يعصي الله تبارك وتعالى في المسجد بغيبة أو نحوها من الفواحش وكان أخي سيدي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تبارك وتعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من سحائب مغفرته الهامعة لا يقدر على الجلوس في المسجد ولو طاهرا ويقول والله اني لأتعجب من هؤلاء المجاورين في قدرتهم على اطالة الجلوس في المسجد لاسيما وهم محدثون انتهى ثم لا يخفى ان كل عاقل جلس في المسجد لابد أن يستحي من رؤية الله تبارك وتعالى اليه ولو في طاعة فكيف اذا كان في معصية كغيبة ونميمة وسوء ظن بالمسلمين وكبر وعجب وحسد وحقد وغل ورياء وسمعة وربما مقت الله تبارك وتعالى ذلك العاصي في حضرته وطرده عنها كما وقع لابليس فلا يفلح بعد ذلك في خير أبدا ومن تامل وجد حكم من يعصي الله تبارك وتعالى في المسجد حكم من دخل عليه ملك جبار شديد البطش فوجده يفسق في عياله فانه اما أن يقتله ويمثل به أو ينفيه من حضرته فلا يمكنه من دخول داره الى أن يموت واما أن يصير لا يرى له وجه أبدا فوالله لقد خلقنا لامر عظيم ولولا ان رحمته تبارك وتعالى سبقت غضبه لاهلكنا تبارك وتعالى من أول معصية تقع منا في بيته فاعلم يا أخي ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك ويدبرك فيما أبلاك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي ٨) كراهتي لخروج الريح في المسجد مني أو غيري تعظيما لجناب الله عز وجل كما ان من نعمته علي سهولة خروجي من المسجد لاخراج الريح خارجه من غير تكلف وذلك لان الريح من جملة بخار النجاسة الصاعد من المعدة وهو معدود من الرجس حتى ان بعضهم أفتى بانه لو حمل مصرانا فيه فساء وضراط محبوس لم تصح صلاته اهـ فاذا كان رجسا فاللائق به أن يخرجه في الخلاء والعامل بهذا الخلق قليل من الناس وغالبهم يخرج الريح في المسجد ولا يتوقف وربما يخرجه في المجلس الواحد مرارا لاسيما المجاورون وأعطيك يا أخي ميزانا وهو ان كل شيء تستحي في نفسك أن تفعله مع الناس فربك أولى بالحياء منه فيه ولا ينبغي لفقيه أن يتساهل في ذلك اعتمادا على ما يظهر بالقرائن من عفو الله تبارك وتعالى عن مثل ذلك ويقول لو أن الحق تبارك وتعالى نهى عن ذلك لوصل الينا علمه كغيره من الاحكام لانا نقول حلمه تبارك وتعالى وعفوه لا يبيح لنا سوء الادب معه بل هو باق على كونه سوء أدب في حقنا ولو عفا الحق تبارك وتعالى عنه اذ العفو لا يكون الا عن ذنب فافهم ثم ان كنت يا أخي صاحب ضرورة والغالب عليك الريح فقل دستور يا ملائكة ربي وأخرجه وأنت في حياء منهم وقد كان الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول لا تقصر في حق أخيك اعتمادا على مروأته فعاملتنا الحق تبارك وتعالى بنظير ذلك أولى بنا وكذلك لا يقال ان من كان جالسا في المسجد يشق عليه مراعاة هذا الادب والمشقة تجلب التيسير لانا نقول كلامنا في حق من لا يحصل له بمراعاة ذلك الادب مشقة ظاهرة كمن به سلس الريح مثلا مع ان المحققين من أشياخ الطريق قالوا اذا صدقت المحبة تأكدت شروط الادب فمن ادعى محبة الله تبارك وتعالى في جلوسه في المسجد تأكد في حقه مراعاة الادب أكثر ممن هو خارج المسجد وهذا أولى من قول بعضهم اذا تأكدت المحبة سقطت شروط الادب فافهم فان كتب القوم رضي الله تعالى عنهم طافحة

بمؤاخذتهم

يكتبها قال له ملك اليمين لا تكتب فلعلي أن يتوب الى أن يبلغ غدا اما السبع واما العشر الشك مني فحينئذ يكتبها سيئة فاذا ذلك جاء صاحب اليمين أمين على صاحب الشمال

(الباب الثامن) في كلامه في الحقائق والمقامات وكشفه فيها للامور المعضلات قال رضي الله عنه الشوق على قسمين شوق على الغيبة لا يسكن الا بلقاء الحبيب وهو شوق النفوس وشوق الارواح على الحضور والمعاينة فاذا رفعك الى محل المحاضرة والشهود المسلوب عن العالم فذاك مقام التعريف ايمانا حقيقيا وذاك ميدان تنزل أسرار الازل فاذا أنزلك الى محل المشاغرة والجهاد فذاك مقام التكليف المقيد بالعلل وهو الاسلام الخفي ميدان تجلي حقائق الابدية والمحقق من لا يبالي باي صفة يكون لان صفتك تميل لا أنت والصفة من العين للعين وهو ظهورك والاسم للسان وهو نطقك والاسم حقيقة الصفة والصفة حقيقة الوجود والاسرار متنزلة عن الوجودية للصديقية والحقائق منجلية عن الصفات بالولاية لاهل العلوم الظاهرة عن الاسم بالدليل لاهل السعاية واليه الاشارة بقوله عليه السلام يا أبا جحيفة سائل العلماء وخالط

بمؤاخذتهم وعقوبتهم بفعل ما يسامح به غيرهم كما وقع للشيخ الكبير أبي الخير أبي الخير الاقطع المدفون بجانب منارة الديلمية بالقرافة انه قطعت يده في تناوله شهوة مباحة كان عاهد الله تبارك وتعالى على تركها ووقع لبعضهم انه اشتهى بيضا وسمنا فطلع بلد اليأ كل ذلك فالقى الله تعالى عليه شبه لص فسكه جماعة الوالى فضربوه سبعين خشبة ثم بان لهم انه لم يكن ذلك اللص الذى ظنوه ثم جاءه شخص ببيض وسمن فقال لنفسه كلها بعد سبعين خشبة ومثل ذلك جار على قاعدة قولهم حسنات الابرار سيآت المقربين فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة تبجيلى لاخوانى فى غيبتهم وحضورهم ولا أواجه أحدا منهم بما يكره الا ان كان بايعنى على ذلك وفى ذلك رضا الله تبارك وتعالى ورضا الاخوان وعدم تنفيرهم من سماع نصحى وكثيرا ما أضرب لاحدهم المثل بأمر آخر غير ما وقع هو فيه سترة له وكثيرا ما أقول له كيف تألف جاريتى وأنت تدعى انك مريدى وأريد بجاريتى الدنيا فاذا رأيته يحب الدنيا قلت له ذلك أو نحوه الا أن يكون فى المجلس غريب لا يعرف مصطلح الفقراء فلا أقول له ذلك فاياك يا أخى أن تذكر أحدا ممن يبايعك على النصح بسوء تنقصه به فى المجالس فانه ربما عاملك بنظير ذلك وصار يقطع فى عرضك وينقصك فى أعين الناس كما نقصته ولو انك كنت كملته لكملك وكثيرا ما يبلغ الشيخ الكبير القدران فلانا يقطع فى عرضك فيتكدر لذلك لان الشيخ كالبئر تارة ينزح ماؤه وتارة يوجد الماء ولا يوجد الحبل وتارة يحمل كلام الثقلين فى عرضه وتارة لا يحمل كلمة واحدة فسد العاقل الباب الذى يدخل له منه الاذى أولى لاسيما ان كان الغالب عليه قيام بشريته وثوران نفسه وغالب مريدى هذا الزمان غير صادقين مع أشياخهم فربما عاهد أحدهم شيخه على انه ينصحه سرا وجهرا أى من ورائه لمن يبلغه ومواجهة وهو كاذب فليحذر الشيخ من التهور فى ذلك وعدم التفتيش فربما ظن ان مريده مقيم على العهد ولا غير ولا بدل والحال انه غير وبدل فيفجر على الشيخ كما وقع لى ذلك كثيرا مع أصحابى وصار بعضهم يمزق فى عرضى فى أى مكان حل فيه وبعضهم يصرح فى وجهى بانه ليس من جماعتى ثم انه اذا احتاج الى حاجة عند الولاة يكبرنى غاية التكبير ويجعل نفسه من جملة المريدين حتى تقضى حاجته ويبلغنى عنه ذلك وأقره عليه غضبا على فتارة يجعلنى متفعلا وتارة يجعلنى قطبا وقد كان سيدى الشيخ أبو السعود الجارحى رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة يجرح أصحابه فى وجوههم وغيبتهم ويقول من لم يصحبنى على انى أفعل فى عرضه ما شئت بحسب ما أراه من المصالح والا فليبعد عنى فقلت له ان وصفكم الانسان بما لم يقع منه لم يحتمله كل أحد فقال انما أصفه بالصدق لانه ان لم يكن وقع فى ذلك الامر فهو معرض للوقوع فيه فأقبحه فى عينه ليأخذ حذره منه انتهى فعلم ان من جرح انسانا بغير غرض شرعى فهو فاسق لاسيما اذ كره بالنقص بحضرة الاجانب عن الطريق فان الفقير الصادق ينشرح لمن يذكر له نقائصه والكاذب بالعكس وأكثر الناس اليوم كاذب فى قوله أنا أحب من ينقصنى ويظهر لى نقائصى ومن شك فليجرب وكان سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه وأرضاه يقول لابد لكل داع الى طريق أهل الله تبارك وتعالى من مدح المستقيم وذم الاعوج ترغيبا وتحذيرا قال رحمه الله تعالى وليس ذلك من باب الغيبة فى شئ ومن ظن بشيخه ذلك فقد خرج عن أدب أهل الطريق كما هو مقرر فى كتب الشريعة وقد نظم بعضهم المواضع التى يجوز الغيبة فيها فقال

استفت عرف تظلم حذر استعن * على ازالة فش واحك ما ظهرا

وايضاح ذلك ان أصل تحريم الغيبة انما جاء من حصول التأذى بها على وجه التشفى من المستغيب والمحذر ناصح لاخيه خائف على وقوعه فيما ينقص دينه قاصد بذلك دفع أذى آخر أشد دون قصد التشفى فلا يستغنى شيخ عن تحذير أصحابه وترغيبهم أبدا لانه لابد فيهم من أعوج ومن مستقيم وفى القرآن العظيم فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت فنهاه تبارك وتعالى عن اتباعه ليونس عليه الصلاة والسلام فى غضبه على قومه ودعائه عليهم بنزول العذاب وهذا وان كان مباحا ليونس عليه الصلاة والسلام لكونه معصوما ولكن ثم مقام رفيع ومقام أرفع فافهم وفى القرآن العظيم أيضا يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وفى الحديث الشريف أنه صلى

الصفات ونهايته منازل القربة واليه الاشارة بقوله تعالى اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة والكبير يدلك بالاسرار من الوجود على طريق الصفاء والنزاهة ونهايته الله وتجتمع المراتب الثلاثة فى الكبير فيحمل قوما بالعلم وقوما بالحقائق وقوما بالاسرار وهم الانبياء وابدال الرسل وهم البصراء قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى أى على معاينة يعاين لكل صنف طريقهم فيحملهم عليها وهى النيابة وأما هو فقد انفرد بحالة لا تعرف لعظيم قربه شعر

وغنى لى منى قلبى وغنيت كما غنى
وكنا حيثما كانوا وكانوا حيثما كنا

وقال رضى الله عنه أوقات العبد أربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية ولله عليك فى كل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله عليه اذ هداه لها ووفقه للقيام بها ومن كان وقته المعصية فسبيله الاستغفار والتوبة ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر وهو فرح القلب بالله ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا

الله عليه وسلم قال لعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فتركه قال بعض الحفاظ يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم عين له ذلك الرجل الذى كان يقوم الليل وتركه ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم لم يعينه لانه ضرب مثل والغرض حاصل من غير تعيين وكان سيدى أحمد بن الرفاعى رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة يقول لا يبلغ الفقير مقام الكمال حتى يصير يرضى أن يضاف اليه سائر النقائص التى فى اخوانه ويستر اخوانه رضا بعلم الله تبارك وتعالى وايثارا لهم على نفسه وان تأثر من حيث نقص دين المنقصين انتهى قلت ويستروح لذلك بما وردان الصحابة رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم كانوا يفدون رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنفسهم وكان بعضهم اذا رأى سهما نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض له بصدره فتلقاه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان فى ذلك زهوق روحه فسماع الفقير الكلام الذى يؤذيه ويحمله عن أخيه دون أذى ذلك السهم بيقين انتهى وفى قصة أبى الحسين النورى رضى الله تعالى عنه وأرضاه أنه لما قدم للقتل وفرش النطع لضرب أعناق اخوانه فى واقعة تقدم للسياف وقال له اضرب عنقى قبل أصحابى فقالوا له لاى شئ فقال لأوثر أصحابى بعدى بحياة ساعة انتهى فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) محبتى لزيارة جميع أقرانى الا الحسود فأترك زيارته شفقة عليه وذلك لعلمى بان زيارته فى الغالب لا تفيده الا زيادة الغم لاسيما ان رحت اليه بثياب فاخرة مبخرة فمن نعم الله تبارك وتعالى على أنى لا أكلف أحدا من أصحابى لزيارتى ولا لعيادتى اذا مرضت ولا أعلمهم بمرضى خوفا ان أحدا منهم يتحمل همى أو شيأ منه وكفانى علم ربى تبارك وتعالى بذلك وان وقع ان أحدا منهم عادنى أو زارنى فانما ذلك تفضلا منه ابتداء على رغم أنفى لعجزى عن مكافأتهم على ذلك ثم لو قدر أنى زرت أحدهم ألف مرة فى نظير زيارته لى مرة واحدة لا أرى انى كافأته على تلك المرة مع انى فى بركتهم حيث كنت وقلبى مؤتلف عليهم ولو لم يزوروني ولم يعودونى وان كان فى جزء يحب تردد الاخوان الى فذلك الجزء ضعيف لا يكاد يظهر له صورة وما طلب الشارع صلى الله عليه وسلم منا الزيارة والعيادة لبعضنا بعضا الا لتأتلف قلوبنا حتى نتعاضد على نصرة الدين المحمدى وهذا المعنى حاصل عندى بحمد الله تبارك وتعالى فلا ينفر خاطرى ممن لم يعدنى فى مرضى مثلا فاياك يا أخى أن تظن بمن لم يزره صاحب هذا المقام انه يكرهه وتصير تقول لو ان فلانا كان يحب فلانا لزاره وعاده فربما كان صاحب هذا المقام هو الذى منعه بقلبه عن المجئ اليه رحمة به وشفقة عليه كما يقع لى ذلك مع صاحبى شيخ الاسلام العالم الصالح الشيخ شمس الدين محمد الخطيب الشربينى رضى الله تعالى عنه وأرضاه ومع سيدى محمد ابن الشيخ أبى الحسن البكرى نفعنا الله به وباسلافه ورضى الله تعالى عنهم وأرضاهم ومع كل من كان مشغولا بخير يتعدى نفعه الى المسلمين فأتوجه الى الله تبارك وتعالى فى عدم مجيئه الى حتى لا يفوته فعل ما هو الافضل على ان غالب زيارة الاقران اليوم وعيادتهم لاخيهم تطرقها العلل فربما يكون أحدهم يقصد بزيارته وعيادته المكافأة على ذلك ليحصل له التجميل بين الناس بكثرة من يعوده من العلماء والصالحين والاكابر وقد رأيت شخصا عاد مريضا فلما مرض هو لم يأت اليه فزق عرضه فى الآفاق وحلف أنه ما صار يعوده أبدا وصار ينشد

من جا اليك فرج اليه * ومن قلاك فصد عنه

ولو انه كان عاده لله تبارك وتعالى ما ندم على عيادته له فتأمل وقد مرض شخص من مشايخ العصر فطلب من سيدى على المرصفى رضى الله تعالى عنه وأرضاه أن يعوده فلم يجبه الى ذلك وقال انما يطلب عيادتى طلبا للشهرة عند الامراء الذين يعتقدونه ويقول الناس ان المرصفى زار سيدى الشيخ اليوم ثم ان ذلك الشيخ صار ينقص عرض سيدى على المرصفى فلما بلغه ذلك قال قد أذنت له أن يطلع المأذنة ويسبنى ولم يزره الى أن مات وقال انما تركت زيارته رحمة به لا رؤية نفسى عليه ولو علمت أنه يحتقر نفسه عن زيارة مثلى ولا يذكر ذلك للامراء لزرته ثم قال وكان ذلك من خلق الامام مالك رضى الله تعالى عنه فعلم ان من أدب الحاذق أن يزور اخوانه ويعودهم بالنية الصالحة مع عدم طلبه المكافأة على ذلك ولا يحوج أحدا منهم لزيارته ولا عيادته بالتعريض لمن يبلغهم أنه

ينصب نفسه غرضا لسهام القضاء فان ثبت لها فهو صابر والصبر ثبات القلب بين يدى الرب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى فشكر وابتلى فصبر وظلم فغفر وظلم فاستغفر ثم سكت فقالوا يا رسول الله ما ذا له فقال أولئك لهم الامن وهم مهتدون أى لهم الامن فى الآخرة وهم مهتدون فى الدنيا وقال رضى الله عنه الناس على قسمين قوم وصلوا بكرامة الله الى طاعة الله وقوم وصلوا بطاعة الله الى كرامة الله قال سبحانه الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب ومعنى كلام الشيخ هذا ان من الناس من حرك الله همته لطلب الوصول اليه فسار يطوى مهامه نفسه ويبداء طبعه الى ان وصل الى حضرة ربه يصدق على هذا قوله سبحانه والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومن الناس من جذبه الله من غير طلب ولا استعداد ويشهد لذلك قوله يختص برحمته من يشاء والاول حال السالكين والثانى حال المجذوبين فمن كان مبدأه المعاملة فنهايته المواصلة ومن كان مبدأه المواصلة رد الى وجود المعاملة ولا تظنن ان المجذوب لا طريق له بل له طريق طويل

مريض مرضا شديدا أو بقوله فلان الفلانى أوحشنا كثيرا ومرادى لو رأيته قبل موتى ونحو ذلك فانه ربما سمع بذلك فترك أشغاله المهمة وحضر الى ذلك المريض بغير نية صالحة وربما كان ذلك المريض كاذبا فى دعواه الاشتياق اليه فليفتش كل واحد منهما نفسه وربما ان ذلك المتكلف الحضور كان علم بمرض ذلك الرجل ولم يجد فى نفسه داعية لعيادته وكذلك من التعريض قول المريض بالله عليكم روحوا الفلان العالم وقولوا له اقرأ الفاتحة وادع لفلان فربما كان ذلك الفلانى مشتغلا بعلم يعود على العالم والامة نفعه فيقطعه عن الاشتغال به ويشغله بأمر مفضول وقد قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وأرضاه طلب العلم أفضل من صلاة النافلة فجعله أفضل من وقوف العبد بين يدى ربه ومناجاته بكلامه والركوع والسجود بين يديه فى حضرة قربه فضلا عن وقوف عبد بين يدى عبد مريض لا يملك له ضرا ولا نفعا اهـ فان قيل كيف يترك العبد حضرة ربه عز وجل ويخرج لمجالسة عبده فالجواب ان حكم العبد حكم من كان فى حضرة ملك من ملوك الدنيا وقد أمره ذلك الملك بالجلوس معه ثم ان ولد الملك وقع فى بئر فقام ذلك العبد من مجلس سيده بغير اذنه لينقذ ولده من الغرق فالقرائن كلها متوفرة على رضا الملك بذلك حتى لو ان الملك قال له فارق حضرتى وخلص ولدى فقال لا أفارقك عصى واستحق العقوبة وحكم من يشتغل بالعلم الشرعى المتعين تقدمه حكم من هو مشتغل بانقاذ الخلق من الهلاك بالنسبة لما هو أدون منه مما له تركه من أجله وهكذا من يعود أخاه أو يزوره بالنسبة لما ينبغى تركه فان الامر فيه سهل انتهى وبالجملة فيحتاج من يعامل الله تبارك وتعالى الى رياضة نفس حتى يخرج من الرعونات والا كانت معاملته معلولة انتهى وقد رأيت بعض جماعة يعودون المكاسين اذا مرضوا ويزورون الظلمة والتجار اذا مرضوا ولا يعودون أحدا من اخوانهم العلماء خوفا أن يقول الناس عن الزائر انه دون المزور انتهى وقد كان شخص ينسب الى الصلاح يأتى لزيارة سيدى الشيخ نور الدين الشونى المدفون عندى بالزاوية رحمه تعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من ينابيع مغفرته الهامعة فرآه بعض الناس فقال له حصل لك الخير حيث تزور عبد الوهاب فلا تنقطع عنه أبدا فقال والله ما طلعت الزاوية الا للشيخ نور الدين الشونى فقال له الشيخ نور الدين الطندتائى أف على نفسك الخبيثة التى ترى نفسها على أخيها المسلم ها أنا طالع اليه أزوره وما نقصت شيأ ثم ان ذلك الشخص من ذلك اليوم صار يزور الشيخ نور الدين الشونى بعد المغرب خوفا أن يراه أحد ممن يعتقده فيقول انه يزورنى فينقص مقامه فى زعمه فالله تبارك وتعالى يغفر لنا وله ويختم لنا بخير آمين فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك ويدبرك فيما ابتلاك والحمد لله رب العالمين

(وعما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كراهتى لحضور المحافل التى لم يندب الشارع صلى الله عليه وسلم الى حضورها الا سيما ان علمت ولو بالقرائن ان هنالك من يعظمنى فوق مقامى أو يحتقرنى دون مقامى عادة فى المسئلتين والا فالفقير لا يرى له مقاما عاليا حتى تصح حقارته كما تقدم بسطه أوائل هذا الكتاب ومن علامة احتقاره لى عادة أن يرد السلام على أبناء الدنيا والمكاسين ونحوهم بالبشاشة ويرد على سلامى بالعبوسة وهذان الامران اللذان ذكرناهما قل أن يسلم منهما أحد من أهل المحافل وأين صاحب الميزان الصحيحة الذى لا يحارف فى تعظيم ولا تحقير على ان غالب من يحضر المحافل انما هم اضداد لبعضهم بعضا وغير الغالب ينتظر ما يقع من الغالب ثم يخرجون فيقولون فلان لم يقم له أحد فلان قام له المجلس كله فلان أجلسوه فى الصدر فلان أخروه لما دخل فلان لكونه أعلم منه أو أصلح وفلان كان جالسا فى الصدر فلما دخل المحتسب أخروه وفلان كان جالسا فلما دخل فلان نهض قائما وخرج وحفل الداخل حفلة عظيمة وهكذا وقد شرط العلماء رضى الله تعالى عنهم فى وجوب حضور وليمة العرس أن لا يكون هنالك من لا يليق به مجالسته أو من يتأذى به فافهم والنكتة فى كراهتنا فى الحضور لمن يعظمنا أو يحتقرنا ان من يعظمنا يدخل علينا الاعجاب فى نفوسنا ورؤيتها على اخوانها فيغشها ويلبس عليها حالها ومن يحتقرنا يغلق علينا باب رؤية نعم الله تبارك وتعالى فى ذلك الوقت حتى نرى نفسنا متجردة عن أكثر النعم فيدخل علينا الاذى فى ديننا مع وقوعه فى الاثم بمجازفته فى التعظيم والتحقير ونحن كنا السبب فى ذلك بحضورنا فلا يبعد أن يلحقنا من اثمه شئ انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم وقد أخذ الاشياخ علينا العهد أن

لان السالك عرف الطريق وما توصل اليه والمجذوب ليس كذلك وهذا بناء منهم على أن المجذوب لا طريق له وليس الامر كما زعموا فان المجذوب طويت له الطريق ولم تطو عنه ومن طويت له الطريق لم تفته ولم تغب عنه وانما فاته متاعها وطول أمدها والمجذوب كمن طويت له الارض الى مكة والسالك كالسائر اليها على أكوار المطايا وقال رضى الله عنه العارف لا دنيا له الا ان دنياه لآخرته وآخرته لربه وقال رضى الله عنه الزاهد جاء من الدنيا الى الآخرة والعارف جاء من الآخرة الى الدنيا وقال رضى الله عنه الزاهد غريب فى الدنيا لان الآخرة وطنه والعارف غريب فى الآخرة فانه عند الله فان قلت ما معنى الغربة فى كلام الشيخ هذا وما معناها فى الحديث الوارد بدأ الدين غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء فاعلم أن الغربة المذكورة فى الحديث معناها قلة من يعين على القيام بالحق فيكون القائم به غريبا لفقدان المساعدة وعدم المعاضدة ولا ينهض القائم حينئذ الا قوة ايمانه ووفور ايقانه فلذلك قال رسول

لانكون سببا لنقص دين أحد من المسلمين هذا ميزان المحافل التي لم يشرع لنا حضورها اما ما شرع لنا حضوره كصلاة الجمعة وصلاة العيد ونحوهما فنحضرها امتثالا لامر الله تبارك وتعالى ونسأل الله سبحانه وتعالى الحفظ لنا ولاخواننا من الآفات على ان مواضع العبادات الغالب على الناس فيها عدم المبالغة في التعظيم والتحقير لاشتغالهم فيها بعبادة ربهم تبارك وتعالى بخلاف ما كان بالضد من ذلك اه فعلم من جميع ما قررناه أنه لا ينبغي لعاقل أن يدخل الغير ضرورة مواضع الجمعيات الا اذا سلم من الآفات كان أعطاه الله القوة فصار يجمع على نفسه الناس اذا شاء ويصرفهم عنه اذا شاء والله سبحانه وتعالى أعلم وقد دخلت مرة جامع الازهر في صلاة جنازة فلما انصرفت من الصلاة أكب الناس على بتقبيل اليد والخضوع وتبعوني يشيعوني الى الباب حتى صاروا أكثر من الحاضرين في الجنازة فخجلت ومن ذلك اليوم صرت أصلي على الجنازة قريبا من باب الجامع وأخرج بسرعة وكثيرا ما أشتاق الى اخواني في الجامع فما أقدر على زيارتهم لاجل هذه النكتة ولعل النكتة في ذلك قلة ورودي اليهم ورؤيتهم لي فاني أعلم ان في الجامع كل واحد لا أصلح خادما له ومع ذلك فلم يفعلوا معه مثل ما يفعلون معي ويؤيد ذلك قول سيدي الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه وأرضاه لما دخلت اسكندرية مكثت مدة لم يلتفت أحد الي فدخل البلد زرافة وفيل فانقلب الناس اليهما فقلت يا سبحان الله ابن آدم أكمل مقاما من الفيل والزرافة ومع ذلك فلم يلتفتوا اليه قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه ثم اني نظرت فرأيت النكتة في ذلك قلة رؤيتهم للزرافة والفيل انتهى ونظير ذلك أيضا قلة تعظيم أهل مكة للكعبة وعدم بكائهم عند رؤيتها بخلاف الآفاقي وبالجملة فيحتاج من يخالط الناس أن يكون له عدة أعين عين ينظر بها الى ما جعله الله تبارك وتعالى في قلوب الناس من تعظيمهم له وعين ينظر بها الى حقارة نفسه في نفسه ليعطي التواضع لاخوانه حقه وعين ينظر بها الى المواضع التي يحصل للناس بسببه نقص في دينهم فيتركها وعين ينظر بها الا يرى له قط مقاما بين الناس وعين يرى له المقام بينهم وذلك لما يترتب عليه من الخير في انقياد الخلق له انتهى فتأمل يا أخي ذلك واعلمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) الحماية من نومي على غير وتر تعظيما لامتثال أمر الشارع صلى الله عليه وسلم في ذلك ومسارعة لحصول مقام المحبة لي من الله تبارك وتعالى لا لعلة ثواب ولا غيره انتهى وقد ورد ان الله وتر يحب الوتر وورد أيضا أوتروا يا أهل القرآن ولذلك جعله الامام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه وأرضاه واجبا فوق السنة ودون الفرض فمن نام على وتر فقد فعل ما أمره الشارع صلى الله عليه وسلم به وختم أعماله بعمل يحبه الله تبارك وتعالى فاذا أخذ الله تبارك وتعالى بروحه في تلك الليلة مات على دين الذين يحبهم الله تبارك وتعالى فلا يلقى بعد موته سوءا أبدا لان من أحبه الله جل وعلا لا يعذبه بل يرضي عنه خصماءه ويغفر له بدليل قوله تبارك وتعالى وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم أي لو كنتم صادقين في انكم أحباؤه ما عذبكم انتهى فتأمل يا أخي ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم اجابته تبارك وتعالى دعائي على أحد من المسلمين في حال غضبي فلو أذاني أحد الآن كل الاذى فدعوت عليه فلا يستجاب لي وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى علي وقد أعطاني الله تبارك وتعالى هذا المقام لما حججت سنة خمس عشرة وتسعمائة فالهمني الله تبارك وتعالى أن أسأله بين الركن والمقام بان لا يستجيب لي دعاء في حق أحد من المسلمين حال غضبي عليه فمن ذلك اليوم ما دعوت على أحد وحصل له بواسطتي سوء أبدا وانما الحق تبارك وتعالى يغار لعبده في بعض الاوقات فيظن ذلك الظالم ان ذلك بواسطة الدعاء عليه فيحصل له زجر عن الظلم وقد كنت قبل هذه السنة يستجاب دعائي في كل من دعوت عليه لوقته وكان من جملة ما سألت الله تبارك وتعالى فيه في الملتزم سنة سبع وأربعين أنه يفرغ علي من الاخلاق المحمدية ما أتحمل به الاذى من جميع الانام فلو اجتمعوا بغير حق على ايذائي بالقول والفعل تحملتهم ان شاء الله

الله صلى الله عليه وسلم بدا الدين غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء يريد صلى الله عليه وسلم لانهم قاموا بامر الله في بلاده وعباده حيث تقاعدت همم الناس عن القيام به وأما الغربة في كلام الشيخ فمعناها ان الزاهد يكشف له عن ملك الآخرة فتبقى الآخرة موطن قلبه ومعشش روحه فيكون غريبا في الدنيا اذ ليست وطنا لقلبه عاين الدار الآخرة فاخذ قلبه فيما عاين من ثوابها ونوالها وفيما شهد من عقوبتها ونكالها فاستغرب في هذه الدار وأما العارف فانه غريب في الآخرة فانه كشف له عن صفات معروفه فاخذ قلبه فيما هنا لك فصار غريبا في الآخرة لان سره مع الله بلا أين فهؤلاء العباد تصير الحضرة معشش قلوبهم اليها يأوون وفيها يسكنون فان تنزلوا الى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ فبالاذن والتمكين والرسوخ في اليقين فلم ينزلوا الى الحظوظ بالشهوة والمتعة ولا الى الحقوق بسوء الادب والغفلة بل كانوا في ذلك كله بآداب الله وآداب رسله وأنبيائه متأدبين وبما اقتضى منهم مولاهم عاملين وقال رضي الله عنه الخوف على قسمين خوف العامة وخوف الخاصة فخوف العامة على أجسادهم من النار وخوف الخاصة على خلعهم التي كساهم تعالى

تعالى ولم أقابل أحدا منهم بسوء فتأمل يا أخي ذلك واعلمه وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم مجادلة من جادلني بغير حق لا سيما حال ثوران نفسه أو نفسي وذلك اعلمي بانه ما جادلني الا بما زين له في نفسه أنه الحق ومن وقع له ذلك فمن الادب الاعراض عنه حتى تروق نفسه ثم اذا راقت نفسه جادلناه بالتي هي أحسن غير طالبين للمغالبة فقد قال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه وأرضاه ما جادلني أحد الا وددت أن يكون الحق على يديه دوني انتهى كلامه رضي الله تعالى عنه فعلم أن النفس ما دامت قائمة على صاحبها بالرعونات فابليس راكبها وهو الذي يجيبنا على لسان ذلك الشخص ولا شك انه أقل حياء منا لعدم مراعاته الشرع بوجه من الوجوه فيظن أحدنا ان الذي يجادلنا هو صاحبنا ويقل حياؤه علينا هو والحال انه ابليس فهو يغضبنا ولا نقدر نحن نغضبه الا نادرا وكان من سياسة أخي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من سحائب مغفرته الهامعة يا مالك الدنيا والآخرة يا رب العالمين أن يوجه فهم من يجادله حتى يميل اليه وتسكن نفسه فاذا سكن غضبه قال له يا أخي وهنا كلام أعرضه عليك فان كان صوابا والا تركنا ذكره ويوهمه أنه يتعلم منه فيصغي ذلك المجادل الى سماع قوله ضرورة انتهى وكان رضي الله تعالى عنه يقول كثيرا من أدب الفقير أن يعذر من جادله ولم يرجع الى قوله من حال نفسه هو فكما أنه هو لا يرجع الى ما فهمه خصمه فكذلك خصمه لا يرجع الآخر الى ما فهمه خصمه بل نقول ان رجوعه الى فهم نفسه أولى لاعتقاده الصواب فيه انتهى وكان رضي الله عنه يقول ما لمن ثارت نفسه دواء أعظم من موافقته ثم اذا راقت نفسه وقبلت الحق فحينئذ نعلمه بالصواب انتهى وكان من خلق سيدي الشيخ عبد الحليم بن مصلح المنزلاوي رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة اذا رأى عند أحد قيام نفس أو دعوى للعلم يتلطف به في السؤال ويعطف عليه الجواب على سبيل المشاورة له فيه ويقول له ما تقول في الشيء الفلاني فاذا توقف يقول له فلعل الجواب كيت وكيت فان كان صوابا فاعلموني به أعتمده والا تركته وتارة كان يترقب لصاحب النفس حضور أحد من العلماء ثم يسأله بحضرته السؤالات الواهية حتى يظهر له وللحاضرين أنه جاهل لا يصلح أن يكون معلما لصاحب النفس ثم يعطف له الجواب الصحيح على ذلك السؤال الواهي فيفيده العلم من غير ان يشعر به أحد من الحاضرين أنه أفاده ويقول سترنا أنفسنا وأفدنا أخانا من العلم ما لم يكن عنده وقد بان لك ان من الجهل أن يطلب الانسان من خصمه أن يرجع الى قوله هو مع خفاء مدركه عليه بل ربما أدى ذلك الى شدة خصام وسب وغيبة وتنقيص في المجالس وارتكاب آثام فالعاقل من أتى البيوت من أبوابها وأراح نفسه فتأمل يا أخي ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) كثرة مشاورتي لاصحابي في كل أمر لم يأمرني الحق تبارك وتعالى به أو لم ينهني عن فعله بخصوصه ولو كنت أعلم من نفسي أنني أعقل منهم قال تبارك وتعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الامر مع انه أعلم منهم بيقين ثم قال جل من قائل فاذا عزمت فتوكل على الله أي لا على اشارتهم مع غفلتك عنا (وروى) الطبراني مرفوعا أنا فيما لم يوح به الي كاحدكم انتهى (ولذلك) رجع صلى الله عليه وسلم في مسئلة تابير النخل الى كلام أصحابه رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم لانه لما رأى الناس على رؤس النخل يلقحونه فقال ما لهؤلاء فقالوا يلقحون النخل فقال صلى الله عليه وسلم ما أرى ذلك يغني شيأ فترك غالب الناس التلقيح فقل حمل النخل وخرج شيصا فأعلموه بذلك فقال صلى الله عليه وسلم ما أخبرتكم به عن الله فاعملوا به وما أخبرتكم عن نفسي فانتم أعلم بامر دنياكم انتهى وكذلك رجع صلى الله عليه وسلم الى قول أصحابه رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم لما نزل في بدر على غير ماء فقالوا له يا رسول الله ان كنت نزلت ههنا بوحي من ربك فسمعا وطاعة والا فانزل باصحابك على الماء فانه أقوى لنا على العدو انتهى (فعلم) أنه صلى الله عليه وسلم ما رجع الى مشورة أصحابه رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم الا فيما لم يوح به اليه صلى الله عليه وسلم (وكذلك) الفقير مثالا يؤمر بالمشاورة الا في الامور التي لم يرد في الشرع لها حكم أما ما ورد حكمها فيه فنفعلها أو نتركها امتثالا للشارع صلى الله عليه

ومعرفة وتوحيد ومحبة وعلموا ان الله تعالى قد تواعد أهل معصيته بعقوبته فاخافوا من الوقوع في المعصية لئلا يكون ذلك سبب وقوع العقوبة بهم فكان خوفهم اشفاقا على نفوسهم من عقوبة الله وأما أهل الخصوصية فاعطاهم الحق من نوره ما أشهدهم به ما كساهم من خلع مننه فعملوا على صيانتها ليقدموا عليه بها لم تتدنس ولم تتغير طاهرة نقية مشرقة بهية وفهموا معنى قوله وثيابك فطهر فطهروا ملابس ايمانهم وايقانهم من دنس غفلتهم وعصيانهم وفهموا أيضا قوله تعالى يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير فعبروا الدنيا وقد رفعوا ملابس المنن خشية أن تتدنس باوساخها كي يقدموا عليه بخلعه التي أنعم الله بها عليهم وينهضوا له بالوفاء فيما اقتضى منهم وبالامانة والصيانة فيما استأمنهم وكان بعض العارفين ينشد شعرا

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه
العيد لي ما أتم ان غبت يا أملي

* فقلت خلعة ساق حبه جرعا فقر وصبر هما ثوبان تحتهما * قلب يرى الفه الاعياد والجمعا *

وقال رضى الله عنه العامة اذا خوفوا خافوا واذا رجوا رجوا والخاصة متى خوفوا رجوا ومتى رجوا خافوا ومعنى كلام الشيخ هذا ان العامة واقفون مع ظواهر الامر فاذا خوفوا خافوا اذ ليس لهم نفوذ الى ماوراء العبارة بنور الفهم كالاهل الله وأهل الله اذا خوفوا رجوا عالمين ان من وراء خوفهم ومابه خوفوا أوصاف المرجو الذى لاينبغى أن يقنط من رحمته ولا ان يؤيس من منته فاحتالوا على أوصاف كرمه علما منهم انه ماخوفهم الا ليجمعهم عليه وليردهم بذلك اليه واذا رجوا خافوا يخافون غيب مشيئته الذى هو من وراء رجاهم وخافوا أن يكون ماأظهر من الرجاء اختبارا لعقولهم هل تقف مع ظاهر الرجاء أو تنفذ الى خوف مابطن فى مشيئته فلذلك استثار الرجاء خوفهم وحكمهم فى القبض والبسط كما قال الشيخ فى الخوف والرجاء غيران البسط منزلة أقدام الرجال فهو موجب لمزيد حذرهم وكثرة لجأهم قال بعضهم فتح لى باب من البسط فانبسطت فحجبت عن مقامى ثلاثين سنة وكان الشيخ أبو العباس رضى الله

وسلم من غير مشاورة أحد فيها الا أن يكون أحدنا فى مقام الارادة فيشاور شيخه على تقديمه العمل الفلانى على غيره من حيث ان الشيخ أمين على كل مارقى المريد الى مقام العرفان وانما لم تشرع الاشارة فى المأمورات الشرعية بالاصالة لان المأمورات الشرعية لاتتخذ حبالة للمكر الالهى ولا للاستدراج بخلاف كل مالم يبين الشارع صلى الله عليه وسلم حكمه فانه يحتاج الى المشاورة لامكان دخول المكر والاستدراج فيه انتهى (وكان) سيدى على المرصفى رحمه الله تعالى يقول من شرط المريد أن لايشتغل بعلم أو صلاة نافلة من النفل المطلق أو ذكر الا باشارة شيخه فربما كان فى ذلك الامر دسيسة توقف المريد عن الترقى لايشعر بها من عجب ورياء وسمعة ونحو ذلك (ورأيته) رضى الله تعالى عنه مرة يقول لشخص تلمذ له من أهل جامع الازهر اياك أن تطالع شيأ من العلم واشتغل بالذكر ليلا ونهارا فقلت له العلم مطلوب شرعا وربما كان فرض عين وذكر الله تبارك وتعالى انما هو سنة فقال ياولدى هذا صاحب نفس فكلما ازداد علما ازداد تكبرا على الناس فامرته بالذكر فلعل حجابه يرق ويذهب عنه العجب والرياء بعلمه وعمله ثم يشتغل بالعلم بعد ذلك على وجه الاخلاص طلبا لاحياء شريعة محمد صلى الله عليه وسلم لاغير انتهى (وكان) سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يقول الاستشارة بمنزلة تنبيه صاحبها من النوم وربما يكون الانسان جازما بفعل شئ وعنده أنه صواب فيشاور بعض اخوانه فيه فيقول له ان فعلت كذا وقع لك من الضرر كذا فيرجع بقلبه عن ذلك الامر ويظهر له الخطأ فيه حتى انه لو قيل له بعد ذلك افعل كذا لايجيب أحدا الى ذلك وقد بسطنا الكلام على ذلك فى كتاب المنن الوسطى فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك ويدبرك فى بلواك والحمد لله رب العالمين

﴿ومما من الله تبارك وتعالى به على﴾ عدم هجرى لاحد من المسلمين لحظ نفسى فوق ثلاث كما يقع لبعض أصحاب الانفس الغوية من المريدين وغيرهم ثم يزعمون أن هجرتهم تلك لله تعالى لالحظ نفس والحال ان الامر بخلاف ذلك وأنا أعطيك ياأخى ميزانا تفرق به بين الهجرة لله والهجرة لغير الله وذلك انك اذا رأيت نفسك تحب من أحسن اليها من العصاة ولا تهجره لعصيانه ثم انها كرهته وهجرته لما أساء عليها فاعلم أن هجرتك لغير الله تعالى وقد رأيت شخصا يثنى على بعض العصاة فى المجالس ثم بعد ذلك رأيته يسبه ففتشت على ذلك فرأيته كان محسنا له حال ثنائه عليه فلما ترك احسانه اليه ذكره بكل سوء وصار يقيم الادلة على وجوب هجرته لله تعالى فمثل هذا احبه لحظ نفسه وكرهه لحظ نفسه وقد كان سيدى عبد العزيز الديرينى رحمه الله تعالى يقول لايصلح هجر المسلم من أمثالنا لغلبة دسائس النفوس علينا وانما يليق الهجر بالعلماء العاملين الغواصين على دسائس النفوس ومكايدها اللهم الا أن يكون الهجر بامر صريح فى السنة فهذا لاحرج على أحد فى الهجر بسببه انتهى واعلم ياأخى ان مما يخفى هجرتك لأخيك الصالح اذا عاشر أهل الفساد والفسق فربما خالطهم ليسارقهم بالنصح ويتخولهم بالموعظة شيأ فشيأ فاياك والمبادرة الى هجرته قبل تربص وتأمل فاذا لم تجد مسوغا للمخالطة أو خفت على صاحبك الفساد فاهجره وأفهمه السبب مصلحة له ليزجر وقد تكون اشاعة الفساد عن هؤلاء القوم الذين خالطهم صاحبك الصالح باطلة أشاعها عنهم بعض الحسدة ليوقعك وأمثالك فى سوء الظن بهم ولو أنك تأملت لربما ظهر لك الحق وأن أولئك القوم صالحون ولولا أنهم صالحون ماصحبهم صاحبك الذى هو صالح عندك (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول اياك ثم اياك ان تصغى فى هذا الزمان لحط أهل حرفة فى بعضهم بعضا الا بطريق شرعية واضحة فان غالب الناس قد أقبلوا بقلوبهم على الدنيا وأحب كل واحد منهم الانفراد فى بلده بالشهرة والسمعة بالعلم والصلاح فأعدى عدوهم من كان عالما صالحا فهو لظلمة قلبه وحجابه من الآخرة يريد أن لايكون لغيره شهرة بخير فالعاقل من استبرأ منه لدينه ثم هجر أو أحب تبعا لحكم الشريعة (وقد) جاء شخص من أهل جامع الازهر يقرأ على بعض العلماء شيأ من رسائل القوم فلامه بعض الحسدة وقال كيف تقرأ على شخص يحط على العلماء فانقطع عنه زمانا ثم جاءه وذكر له ماقاله الحسدة له فقال له قل لهم هل سمعه أحد منكم أو أخبركم عنه ثقة انه يحط على العلماء أم سمعتم الاشاعة فقالوا سمعنا فلانا يقول ذلك فذهب اليه وقال كيف يحط فلان على العلماء قال يوجه كلام كل عالم وهذا يؤدى

الى

وقال رضى الله عنه العامة اذا خوفوا خافوا واذا رجوا رجوا والخاصة متى خوفوا رجوا ومتى رجوا خافوا ومعنى كلام الشيخ هذا ان العامة واقفون مع ظواهر الامر فاذا خوفوا خافوا اذ ليس لهم نفوذ الى ماوراء العبارة بنور الفهم كالاهل الله وأهل الله اذا خوفوا رجوا عالمين ان من وراء خوفهم ومابه خوفوا أوصاف المرجو الذى لاينبغى أن يقنط من رحمته ولا ان يؤيس من منته فاحتالوا على أوصاف كرمه علما منهم انه ماخوفهم الا ليجمعهم عليه وليردهم بذلك اليه واذا رجوا خافوا يخافون غيب مشيئته الذى هو من وراء رجاهم وخافوا أن يكون ماأظهر من الرجاء اختبارا لعقولهم هل تقف مع ظاهر الرجاء أو تنفذ الى خوف مابطن فى مشيئته فلذلك استثار الرجاء خوفهم وحكمهم فى القبض والبسط كما قال الشيخ فى الخوف والرجاء غير ان البسط منزلة أقدام الرجال فهو موجب لمزيد حذرهم وكثرة لجأهم

الى تخطئة كل من خطأ صاحبه فيخل الامر الى تخطئة الكل فقال لهم أما قال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه العمل بالحديثين أولى من الغائه أحدهما أما قال أئمة الاصول اعمال القولين أولى من الغائه أحدهما فاعجزهم فانظر يا أخي دسائس الحسدة حيث يقولون عن شخص يجيب عن الائمة وهو متقيد بمذهبه انه يخطئ الائمة بتأويل مخطئ لكلام لا يفهم منه رائحة الحط ولا رائحة قلة التعظيم وبالجملة فلا يفهم مثل ذلك عن هذا العالم الاشخص تعس وانتكس في الفهم كل ذلك تنفيرا منه للناس حسدا وبهتانا فلولا ان الله تعالى هدى هذا الطالب لكونهم حسدة لكان هجره بقولهم وظن بنفسه ان هجره قربة الى الله تعالى فالله يغفر لهم ولنا ما مشينا فيه بالظن آمين فاياك ثم اياك من سوء الظن بأحد من المسلمين فضلا عن غيرهم من العلماء العاملين والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) حضوري مع الحق تبارك وتعالى في حال اجتماعي بزوجتي كما أحضر معه تبارك وتعالى في صلاتي على حد سواء في أصل الحضور وان تفاوت الحضوران من حيثيات أخر بجامع ان كلا منهما عبادة مامور بها وما شرع الحق تبارك وتعالى جميع المأمورات الشرعية الا ليحضر العبد مع ربه فيها حال فعلها وانما لم يصرح الشارع لنا بالامر بالحضور في الجماع اكتفاء بما أمرنا به من التسمية عنده فان ذكر اسمه تعالى وسيلة للحضور معه تعالى (وكان) سيدي علي المرصفي رحمه الله تعالى يقول لا يتحقق لعارف قط وجه العبودية ذوقا في شيء من العبادات كما يتحقق به حال الجماع أبدا فانه يشهد نفسه مقهورا تحت حكم شهوة طبيعية حتى لا يقدر على دفع حكمها عليه ولا يكاد يتذكر شيأ آخر غير ما هو فيه ولذلك كان من شأن القطب الغوث الاكثار من النكاح لما يجده فيه من التحقق بالعبودية التي لا يشوبها دعوى قوة بل محض ضعف انتهى فاياك والاعتراض على من يكثر من الجماع فربما يكون سبب كثرة جماعه الحكمة التي ذكرناها (وقد) رأيت شخصا يدعى القطبية يدخل الحمام في النهار ثلاث مرات فازددت فيه اعتقادا وتعظيما فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك ويدبرك فيما أبلاك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) كثرة شفقتي على ذريتي من قبل أن تحمل بهم أمهم وذلك اني لا أجامع أمهم قط وأنا غافل عن الله تبارك وتعالى كما مر في النعمة قبله ولا أجامعها وأنا غضبان ولا وأنا مقبل على الدنيا ولا وأنا مخاصم أحدا لحظ نفس ولا وأنا حسود أو متكبر على أحد من المسلمين وذلك كله عملا بقول بعض أهل الكشف ان الولد يكونه الله تعالى بقدرته على صورة الحال التي كان عليها والده حال الجماع من باب ربط الاسباب بالمسببات (وهذا) وان لم يصح فيه شيء عن الشارع صلى الله عليه وسلم فالتحرز منه أولى عملا بكلام أهل الكشف والله غالب على أمره فلا أثر للطبيعة في تخليق الولد فافهم فعلى ما قاله أهل الكشف ينبغي لمن كان متلطخا بشيء من الصفات المذمومة شرعا أن لا يجامع زوجته أيام توقع الحمل الا بعد أن يتوب من كل ذنب توبة خالصة ثم يجامع (وكان) الشيخ أحمد بن عاشر المغربي شيخ تربة السلطان قايتباي رحمه الله تعالى لا يجامع زوجته من حين تحمل حتى تضع حملها وتفطمه خوفا على الولد من الغيلة الواردة في الحديث وان قيل بنسخ ذلك وكانوا اذا مدحوه على ذلك يقول وهل ذلك الا خلق البهائم فان البهيمة بمجرد ما تحمل لا تمكن الفحل يعلوها أبدا انتهى (وكان) سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول ليتأمل الشخص في صفات أولاده فان وجد صفاتهم حسنة فهي أخلاقه أو سيئة فهي أخلاقه من حيث ان النطفة نزلت من ظهره بتلك الصفات فلا يلومن الا نفسه (وقد) قلت مرة لشيخنا شيخ الاسلام زكريا الانصاري رحمه الله تعالى ما سبب تخلف أولاد العلماء والصالحين عن التخلق بأخلاق أسلافهم غالبا فقال لي سببه تصفية ذواتهم من الاخلاق الرديئة اذ الكدر ينزل الى أسفل والصافي يصعد (ثم) قال وتأمل أولاد الفلاحين كيف يشتغلون بالعلم حتى يصير أحدهم شيخ الاسلام لعدم تصفية ظهور آبائهم (ثم) حكى لي حكاية ظريفة وقال كنا نقرأ يوما على شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر في قاعته أيام الصيف واذا بالماء يقطر علينا فقال الشيخ انظروا هذا الماء ما هو فصعد انسان فوجد ولده قد حفر في السقف وغرز ريش الاوز وقال اني أزرع لنا أوزا فقال الشيخ بأعلى صوته انزل فان معمل الاوز في ظهر أبيك انتهى وهي تومئ الى

واحذر البسط ونادى يا مجيب
من على بعد ينادي من قريب
فقوله واحذر البسط لما قدمناه فانه رزق من الانوار بسطا فيخشى على العبد أن يبغيه وجوده قال الله سبحانه ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض والقبض أقرب الى وجود السلامة لانه وطن العبد اذ هو في أسر قبضة الله واحاطة الحق محيطة به ومن أين يكون للعبد البسط وهذا شأنه والبسط خروج عن حكم وقته والقبض هو اللائق بهذه الدار اذ هي وطن التكليف وابهام الخاتمة وعدم العلم بالسابقة والمطالبة بحقوق الله تعالى وأخبرني بعض الصوفية قال رأى شيخنا شيخه في المنام بعد موته مقبوضا فقال له يا أستاذ مالك مقبوضا قال له يا بني القبض والبسط مقامان من لم يوفهما في الدنيا وفاهما في الآخرة وكان هذا الشيخ الغالب عليه في حياته البسط وقوله من على بعد أي من شهود عدم استحقاق الاجابة أو من على بعد من دعواي لاوصاف الربوبية أو من على بعد بوجود شهود الاساءة وقال الشيخ أبو الحسن ما طلبت من الله حاجة الا قدمت اساءتي أمامي فان

عمله فذكر أحدهم بره بابويه والآخر عفافه عن ابنة عمه مع حبه اياها والتمكن منها وذكر الآخر تثميره لاجر أجير استأجره فلما وجده دفع ذلك كله اليه فكشف الله ما نزل بهم وزالت الصخرة عن فم الغار فخرجوا هذا معنى الحديث مختصرا رواه مسلم والبخاري في صحيحيهما وغيرهما من الأئمة فاعلم ان هؤلاء الثلاثة لم يذكروا طاعاتهم الا وقد شهدوها فضلا من الله عليهم فتوسلوا الى نعمته بنعمته كما أخبر الله عن زكريا ولم أكن بدعائك رب شقيا فتوسل الى الله بسابق حسن عوائده فيه وسألت امرأة بعض الملوك فقالت انك أحلت الينا عام أول ونحن محتاجون لاحسانك الينا العام فقال أهلا بمن توسل لاحساننا باحساننا واعطاها وأجزل لها العطاء ومن فتح له هذا الباب جاز له الاخبار بطاعته ووجود معاملته لانه حينئذ متحدث بنعم الله سبحانه وقد كان بعض السلف يصبح فيقول صليت البارحة كذا كذا ركعة وتلوت كذا كذا سورة فيقال له أما تخشى من الرياء فيقول ويحكم وهل رأيتم من يراني بفعل

ماذكرناه عن أهل الكشف لكن يجب اخراج الانبياء من ذلك فلا يقال ما وقع من عصاة بني آدم كان في صلب آدم فانه عليه الصلاة والسلام كان معصوما من مثل ذلك ولذلك لم يكن عليه شيء من وزر أولاده بالاجماع انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم بخلي على عيالي بأجرة الحمام كلما قربت منها سواء كانت جنابة جماع أو نفاس وكذلك لا أبخل عليها باجرة غسلها من حيض أو احتلام لان ذلك من جملة المعاشرة بالمعروف الذي أمرني الله تبارك وتعالى به فمن بخل على زوجته بما ذكرناه لم يعاشرها بمعروف وكذلك لو كلفها الغسل في الشتاء بالماء البارد (وسمعت) شيخنا شيخ الاسلام زكريا رحمه الله تعالى يقول من مروءة الرجل مساعدة زوجته في تحصيل كل ما احتاجت اليه من مصالح الدنيا والآخرة لانها في حباله وان لم تأخذ منه حاجتها فمن تأخذ ولا ينبغي له التعلل بعدم ايجاب الشارع صلى الله عليه وسلم عليه ذلك الامر بل كما ساعدته بتمكينه منها على غض بصره وحفظ فرجه وقضاء وطره فكذلك ينبغي له مساعدتها على ما ذكرناه (وهذا) الامر يخل به كثير من الناس فيكثر أحدهم الجماع ويشح على حليلته بفلوس الحمام لاسيما عيال الاكابر فان احداهن تستحي من خروجها للحمام كل يوم أو كل يومين لاجل لوث الناس بها ولحوقهم بمجامعتها كل ليلة مثلا ويعسر عليها الاغتسال في البيت خوف المرض والحوادث التي تنزل على رأسها وربما استحيت من جاريتها أن تأمرها بتسخين الماء كل ليلة أو والدتها أو أختها أو والدها وربما أخرجت الصلاة عن وقتها من هذه الحيثية أو تيممت بدل الغسل من غير حصول العذر الشرعي من شدة الحياء الطبيعي فينتقص دينها بذلك فليختر المكثر من الجماع اما أن يقلل جماعه واما أن يعطي عياله فلوس الحمام أو ثمن الوقود ويساعدها على تسخين الماء في البيت والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) كثرة تواضعي وتعظيمي لكل عالم أو فقير زرته وتقبيلي يده أو رجله بطيبة نفس ثم لا أرى اني قمت بواجب حقه علي لاسيما بحضرة أصحابه وتلامذته فان في ذلك تقوية لاعتقادهم فيه فيعكفون عليه ويقبلون نصحه وتربيته لاسيما ان لي اسما في المشيخة عندهم فيقولون اذا كان الشيخ فلان يقبل رجل شيخنا فذلك دليل على ان شيخنا أعلى منه مقاما فيزيد اعتقادهم فيه وانتفاعهم به وكثيرا ما أقبل عتبة باب ذلك الشيخ أو باب زاويته بحضرة تلامذته اذا دخلت واذا خرجت وهم ينظرون وان كان ذلك الشيخ دوني في مقام المعرفة وانما أفعل ذلك مع ذلك الشيخ لعلمي بعكوف أصحابه عليه دوني ولو اني كنت أعلم منهم انني لو عظمت نفسي قدموني على شيخهم حين علمت اني أعلى مقاما منه ما كنت أقبل رجل ذلك الشيخ ولا عتبة بابه اذ لا فائدة فيه حينئذ بل الفائدة الدينية في أخذهم عني حينئذ (وايضاح ذلك) ان العارف كلما علا مقامه كلما كان أعرف بتقريب الطريق واختصارها على المريدين وكل الدعاة الى الله تعالى خدام لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونوابه وأمناؤه على أمته فكل من بادر الى ما فيه صلاح لامته وراحة كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وان رغم منه أنف ذلك الشيخ الاول (فعلم) انه ليس لنا ان نمدح نفسنا بالمعرفة ونفضلها على ذلك الشيخ الا بحق والا كان ذلك حراما علينا وغشا للمسلمين وكان أخي أفضل الدين رحمه الله اذا دخل على شيخ ورأى نفسه قائمة يقبل رجله ويسأله الدعاء وان كان لا يصلح تلميذا له ويقول نعلمه التواضع مع اخوانه ودخلت معه مرة على شيخ فرآه ليس له قدم في المشيخة فصار ينفر جماعته عنه ويقول انظروا لكم شيخا فان شيخكم هذا لا يعرف شيأ من الطريق فقلت له هلا حسنت اعتقادهم فيه فقال ذلك غش لهم ويجب على الفقير اذا علم من شيخ انه عامي في الطريق كمشايخ الاحمدية والمتمشيخين بالآباء والجدود من غير سلوك على يد شيخ ان يرشدهم الى طلب شيخ فان لم يجيبوا الى ذلك نفر جماعتهم عنهم مصلحة للفريقين أما أولاد المشايخ فلئلا يصيروا من الأئمة المضلين وأما جماعتهم فتقريبا للطريق عليهم انتهى وصاحب هذا المقام دائر مع المصالح لا مع حظ النفس مع انه خلق غريب في هذا الزمان وما رأيت قط فقيرا تمشيخ يقبل رجل شيخ أو عتبة زاويته في مصر غيري ثم لا يخفى ان محل طلب تقبيلي رجلي ذلك الشيخ ما لم أخف عليه عجبا أو كبرا فان خفت ذلك عليه ولو بالقرائن تركت تقبيل رجله وعتبة

بابه كما يشهد له قواعد الشريعة وقد وقع لى انى قبلت رجل شيخ بحضرة جماعته وبحضرة الامير الذى يعتقده فحصل للشيخ عجب ولى ازدراء واحتقار وصار الشيخ يقول فلان قبل عتبة زاويتنا وطلب منا ان نربيه ويقول الامير فلان تلميذ لشيخنا ولا فرق بينى وبينه فترتب على ذلك عدة مفاسد ذكرتها فى كتاب المنن الوسطى وخربت دار ذلك الامير ورمى الشيخ بعمل الزغل وغير ذلك فمن تلك الواقعة ما قبلت رجل أحدا الا ان علمت ان ذلك لا يورثه زهوا ولا عجبا فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تحفظى من تطويل الجلوس اذا زرت أحدا من اخوانى أو ذكر لى أحسن ما عندى من الكلام أو الاحوال وقل من يتحفظ من مثل ذلك فى هذا الزمان اللهم الا أن يترتب على ذلك مصلحة شرعية لى أو له فلا حرج (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول اياك ان تزور أحدا وتمكث عنده طويلا الا ان علمت انه يحفظ لسانه فى حق الناس والا فزيارتك الى الاثم أقرب (وكان) رحمه الله تعالى يقول أيضا اياك ان تذكر شيأ لاخيك من محاسنك اذا اجتمعت به الا لغرض شرعى فان السلف الصالح ما تركوا كثرة زيارة اخوانهم الا خوفا من الوقوع فى التزين لبعضهم بعضا (وقد) وقع للفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه انه اجتمع باخ له فى الله فقال له ذلك الاخ ما أظن اننا جلسنا مجلسا قط أحسن من هذا فقال له الفضيل ما أظن اننا جلسنا مجلسا أشأم من هذا أليس عمد كل واحد منا الى أحسن ما عنده فذكره للآخر (وكان) بشر الحافى رحمه الله تعالى يشتاق الى بعض اخوانه فلا يذهب اليه ويقول أخاف ان أتزين له ويتزين لى اذا اجتمعت به انتهى (وسمعت) شيخنا شيخ الاسلام زكريا رحمه الله تعالى يقول كان السلف الصالح يحبون المراسلة بالسلام ويقولون هى أحب الينا من اللقاء لانه ربما زكى كل انسان نفسه عند أخيه فيخلو قلب كل واحد منا من النور ويقع كل منا فى ذنب ابليس الذى هو الفخر على غيره انتهى (وقال) لى مرة اياك يا ولدى من الاكثار للزيارة للناس الا لمصلحة ثم أنشدنى هذين البيتين

لقاء الناس ليس يفيد شيأ * سوى الهذيان من قيل وقال
فاقلل من لقاء الناس الا * لاخذ العلم أو اصلاح حال

فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) كثرة ستر لعورات المسلمين الذين لم يتجاهروا بالمعاصى وأرى ذلك من جملة الواجبات على هذا شأنى مع كل من تستر فى معاصيه عن أعين الناس الا أن يترتب على ذلك مصلحة شرعية وهذا الخلق قد صار من أغرب ما يكون بين الناس فلا يكاد أحد يستر عورة أحد وبذلك كثر كشف سوآت الخلائق لاسيما ونحن فى زمان قد وعد الشارع صلى الله عليه وسلم فيه بظهور المعاصى والفتن وكثرة الزنا واللواط والقتل وشرب الخمر وغير ذلك (وكان) سيدى أحمد الزاهد رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم من يتجاهر بالمعاصى لبعض الناس فامروه بالستر فان لم يسمع لكم فلا ترفعوا ذلك الامر الى الحاكم على وجه اقامة الحدود ولا باس باعلامكم به الحاكم أو غيره على وجه الاستشارة فى طريق نصيحته اذا اعتقدتم انه أوسع تدبيرا منكم ولا تعلموا به من لا يعرفه على وجه الهتك له فان نفس الشماتة بالمعصية معصية أخرى اللهم الا أن يتجاهر بالمعاصى بين الخاص والعام فذلك عبد خلع ربقة الحياء من عنقه واستحق الرفع الى الحكام واعلام الناس به ليحذروه لاسيما ان كان كثير المراودة للنساء فان ذلك يجب على كل مسلم تحذير جيرانه منه نصيحة لله تعالى ولرسوله وللمسلمين ثم اذا رفعنا أمره الى حاكم ليقيم عليه الحد أو التعزير بشرطه فينبغى أن يكون قصدنا بذلك تطهيره من الذنوب لا التشفى فيه فربما عاقبنا الله تعالى بالوقوع فى مثل ما وقع فيه لان التشفى من جنس المعايرة له ومن عاير ابتلى وفى الحديث لو عيّر أحدكم أخاه برضاع كلبة لم يمت حتى يرضع من تلك الكلبة انتهى وكم يقع الشخص فى معصية ويسترها الله تعالى عن أعدائه وغيرهم ولو انهم اطلعوا على ذلك وحسن عندهم ان يهجروه لهجروه مدا الدهر ولم يجالسوه ثم لا يخفى ان من جملة سترنا للمسلم ان نغلق عليه بابه اذا رأيناه خارجا وهو سكران ونأمر الاجنبية التى معه فى الخلوة المحرمة مثلا ان تنزل من حائط

تقولون لا تحدث وقال رضى الله عنه كان الانسان بعدان لم يكن وسيفنى بعدان كان ومن كلا طرفيه عدم فهو عدم ومعنى كلام الشيخ هذا ان الكائنات لا يثبت لها رتبة الوجود المطلق لان الوجود الحق انما هو لله وله الاحدية فيه وانما للعوالم الوجود من حيث ما أثبت لها فاعلم ان من الوجود له من غيره فالعدم وصفه فى نفسه وقد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه الصوفى من يرى الخلق لا موجودين ولا معدومين حسب ما هم فى علم رب العالمين وقال أيضا وقد تقدم انا لا نرى أحدا من الخلق هل فى الوجود أحد سوى الملك الحق وان كان ولا بد فكالهباء فى الهواء ان فتشته لم تجد شيأ وفى كتاب من كلامنا العوالم ثابتة باثباته مجموعة لاحدية ذاته وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه كان لى صاحب كثيرا ما يأتينى بالتوحيد فقلت له ان أردت التى لا لوم فيها فليكن الفرق على لسانك موجودا والجمع فى باطنك مشهودا

وأشبه شئ بوجود الكائنات اذا نظرت اليها بعين البصيرة وجود الظلال والظل لا وجود باعتبار جميع مراتب الوجود ولا معدوم باعتبار

الجاران خفنا ان أحدا ينظرها اذا خرجت من المحل الذى هى فيه كل ذلك حتى لا يعلم أحد بعصيان ذلك الرجل لاسيما ان كان جارا لنا وكم يترتب على كشف السوآت مفسدة (فاياك) يا أخى ان تفشى سر أخيك المسلم ولولا عز أصدقائك فانه يصير يحكى ذلك لكل الناس ان كان ساذجا وان كان حاذقا فيحكى ذلك لبعض الناس ويأمرهم بالكتمان فيصير كل واحد يخبر صاحبه ويامره بالكتمان حتى تمتلئ البلد وأحدهم يحسب انه كتم ما رأى والحال انه هتك أخاه بين الناس فليتنبه العاقل لمثل ذلك فانه واقع كثيرا فى الاكابر فضلا عن غيرهم وان أراد شيخ الزاوية ان يؤدب الناقل ويامره بتعيين من أخبره وهكذا الى أن ينتهى الى الذى نشا منه الكلام أولا ليؤدبه كان أولى وأكثر غيظا لابليس فانه كثيرا ما يوسوس للواحد ويقول قد وقع فلان فى كذا وكذا تارة بالظن وتارة بسماع ذلك من فاسق أو عدو فاذا قيل له سمعت ذلك من أى شخص فيقول له من واحد لا ينبغى ذكره أو من واحد حلفنى بالطلاق انى لا أذكره فتخرب الزاوية بسبب ذلك وهو يحسب انه مصيب فى عدم تعيينه خوف الفتنة والحال ان فتنة الكتمان أكبر لانه اذا عينه فاما يخرج مما قال بطريق شرعى واما يقام عليه حد القذف والتعزير ثم انه لا يكتم مثل ذلك عن شيخ الزاوية الا كل شيطان فانه أشفق على الفقراء من أنفسهم فافهم ذلك ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) انشراح صدرى ومطاوعة نفسى فى محبة ستر عورة عدوى وكراهتى لكشفها وتاثيرى لذلك وهذا خلق غريب لا يوجد الا فى افراد من الناس والغالب على الناس اظهار الشماتة لعدوهم واظهار عورته واشاعتها للخاص والعام تعريضا وتصريحا بخلافى أنا فانى بحمد الله تعالى أستر عورة عدوى أكثر من عورة صديقى وذلك لانى أرجو من صديقى العفو اذا تبت واستغفرت من كشف عورته ولا هكذا عدوى بل لا يبرئ ذمتى لا فى الدنيا ولا فى الآخرة وقد اطلعت بحمد الله تعالى على عورة كثير من أعدائى الذين يرمونى بالبهتان والزور وأنا أسترهم فهم يريدون ان يكشفوا سترتى بالبهتان وأنا أسترهم فى الامور المحققة التى رأيتها بعينى وكثيرا ما أرى أحدهم يعصى ثم اذا سمعت غيرى يذكره بذلك كذبته وقلت حاش لله أنت عدو وكلام العدو لا يقبل فى عدوه مع انى أعلم ان ذلك الغير صادق فيما رأى سد الباب كشف سوآت المسلمين اللهم الا أن يترافعا الى حاكم فلا يجوز الطعن فى شهادة الشاهدين أو الاربع للنهى عن مثل ذلك بخلاف الامر قبل الرفع وقبل قبول الحاكم شهادة الشهود فافهم ومن هنا قالوا ما كل ما يعلم يقال وأكثر ما أتاثر على عورة عدوى اذا رأيته يحط فى وينقصنى لاسيما ان كان معدودا من جملة العلماء أو الفقراء سد الباب الطعن فى خرقة العلماء والصلحاء فان فى ذلك مفاسد لا تحصى أقل ما هنالك ان العامة تتجرأ على المعاصى والحط فى بعضهم بعضا وتقول اذا كان العالم الفلانى أو الصالح الفلانى وقع فى المعصية الفلانية فايش هو أنا وقد حرم المحققون على الواعظ ذكر شئ من مسمى معصية للانبياء لان ذنوب الانبياء انما هى بالنظر لمقامهم كوقوعهم فى خلاف الاولى أو المباح مثلا فيسمى مثل ذلك معصية وليس المراد بمعاصيهم ارتكابهم شيا من المحرمات لانهم لو ارتكبوه لم يكونوا معصومين وقد ثبتت عصمتهم وقال الشيخ محيى الدين فى الفتوحات جميع من عين حقيقة معاصى الانبياء وخطاياهم فهو مخطئ كما فى قصة خطيئة داود عليه الصلاة والسلام فيعتقد بعضهم انها النظر المحرم الى امرأة أوريا والحق ان تلك الخطيئة انما هى رفع رأسه عليه الصلاة والسلام بغير حضور نية صالحة فى الرفع فان حركات الاكابر وسكناتهم لا تكون الا باذن خاص ولا يكفيهم مطلق الاباحة كغيرهم فلما رفع عليه الصلاة والسلام رأسه وقع بصره على امرأة أوريا فصرفه فورا فكان عين الخطيئة رفع بصره بغير اذن خاص لا عين النظر المحرم لعصمته وعلى ذلك ينزل خبر كانت خطيئة أخى داود النظر فانه أطلق النظر فشمل السماء والحائط وغير ذلك ولم يخص شيا بعينه على ان من عين خطيئة محرمة لا يجد فى ذلك قط دليلا عن الشارع صلى الله عليه وسلم لا صحيحا ولا ضعيفا وانما نشا ذلك من بعض اليهود استحلوا أعراض الانبياء بكلام ما أنزل الله به من سلطان قال والعجب وضع بعض المفسرين ذلك فى تفسيره ويصير بعضهم يقول قال المفسرون كذا وذلك لا يجوز انتهى فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

جميع مراتب العدم واذا ثبتت ظلية الآثار لم تنسخ أحدية المؤثر اذ الشئ انما يشفع بمثله ويضم الى شكله كذلك أيضا من شهد ظلية الآثار لم تعوقه عن الله فان ظلال الاشجار فى الانهار لا تعوق السفن عن التسيار ومن ههنا يتبين لك أيضا ان الحجاب ليس أمرا وجوديا بينك وبين الله ولو كان بينك وبينه حجاب وجودى للزم أن يكون أقرب اليك منه ولا شئ أقرب من الله فرجعت حقيقة الحجاب الى توهم الحجاب فما حجبك عن الله وجود موجود معه اذ لا موجود معه وانما حجبك عنه توهم وجود معه وذلك كرجل بات فى مكان وأراد البراز فسمع صوت الرياح فى كوة هنالك فظنه زئير الاسد فمنعه ذلك عن البراز فلما أصبح لم يجد هنالك أسدا وانما هو الريح انضغط فى تلك الكوة فما حجبه وجود أسد وانما حجبه توهم الاسد وسمعته يقول لو عذب الله الخلق أجمع لم ينلك من عذابهم شئ ولو نعمهم أجمع لم ينلك من نعيمهم شئ فكأنك فى الوجود وحدك ثم ينشد شعرا

أنت المخاطب أيها الانسان
فاجنح الى يلح لك البرهان

وسمعته يقول دخلت على الشيخ وفى نفسى ان آكل الخشن وألبس الخشن فقال لى يا أبا العباس اعرف الله

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم مبادرتي الى الرد على من نقل عنه بعض الحسدة غلطة تخالف النقل بل أتثبت في ذلك غاية التثبت لا سيما ان أفضت تلك الغلطة الى التكفير أو التعزير وهذا الامر قليل من يتثبت فيه بل يبادر أحدهم الى الفتوى مع أنه لم يجتمع بصاحب الواقعة ولا ثبت ذلك الامر عنده ببينة عادلة ولما نقل بعض الناس عن الشيخ عبد المجيد السامولي رحمه الله انه نهى المصلين على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقولوا اللهم صل وسلم على سيدنا محمد أفضل مخلوقاتك وانه قال لا تقولوا أفضل مخلوقاتك فان ذلك لم يرد في حديث الى آخر ما انهوه في حقه بادر الى ذلك كل مبادر فمنهم من أفتى بالتكفير ومنهم من أفتى بالنكير ومنهم من أفتى بالتعزير فارسلت له مكاتبة الى المحلة أخبرته فيها عما قال الحسدة في حقه وأنه يخبرني بحقيقة الحال فكتب الى وبعد فما نسب الى العبد من نهيه المصلين عن قولهم أفضل مخلوقاتك لم يقع مني وانما صورة ذلك أنه قدم الى سؤال مضمونه هل الافضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ورد من الكيفيات أم الصلاة عليه بالكيفيات التي فيها زيادة التفخيم والتعظيم فأجبت الافضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بما ورد فان الوقوف على حد السنة أولى من تعدي السنة ثم قلت وهذا الذي قلناه لا ينافي اعتقادنا التفضيل الذي أجمع عليه الائمة فقد نقل الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى الاجماع على ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق أجمعين فلا مخلوق أفضل منه فكيف لي ان أخرق الاجماع قال وهذا ما استحضرت انني كتبته على ذلك السؤال ولكن أقول كما قال يعقوب عليه الصلاة والسلام فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قال وكنت أود أنهم لو أطلعوني على ذلك الجواب الذي أشاعوه لأزيده بيانا وايضاحا موافقا لما عليه العلماء قاطبة فلم يطلعوني عليه ولم يراجعوني فيه هذا ما وقع انتهى فلما كتب الى ذلك أرسلته للمتعصبين عليه فلم يصغ أحد منهم الى ذلك وكان الحسن البصري رضي الله عنه يقول اذا بلغكم عن أحد كلام وأعلمتموه فانكره فارجعوا اليه وكذبوا الناقل انتهى وقالوا في كتب الفقه ان القاضي أو المفتي أو الشاهد اذا أنكر فتواه أو حكمه أو شهادته لا يحلف لانه مؤتمن انتهى فاياك أخي والتعصب على أحد الا بعد اجتماعك عليه وسماعك منه ما يخالف ظاهره الشرع واعلامك له بمخالفته في ذلك ظاهر الشريعة أو كلام الجمهور مثلا ثم بعد ذلك ان صمم على المخالفة فانكر عليه وشنع رحمة به وبالمسلمين أما هو فلئلا يكون من الائمة المضلين وأما المسلمون فلئلا يتبعوه في ذلك فيهلكوا والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) مشاركتي في الفرح والسرور لمن ولد له مولود من أصحابي وان كان فقيرا ساعدته في عمل اللبابة والسبوع بما أقدر عليه من عسل نحل أو عسل قصب أو ذبح خروفين أو خروف وكذلك أفرح والدته بالنقوط على يد عيالي سواء كان لها عليها دين في النقوط أم لا ولا أشح على عيالي بفلوس النقوط اذا طلبت ذلك مني سترة لها بين النساء ولا أقول لها قط هذا لا يلزمني لان ذلك من جملة المعاشرة بالمعروف التي أمر الله تعالى بها ومن جبر خاطر أخيه جبر الله تبارك وتعالى خاطره في الدنيا والآخرة ومن كسر خاطر أخيه فهو بالضد ثم اذا جاءك مولود وطلبت منه أنه يفرح به لا يفرح مجازاة لفعلك معه ولو انك كنت فرحت بولده ونقطته لفرح بولدك ونقطك وقد رأيت من طلبت منه زوجته نقوطا تنقط به ولد جارتها فلم يرض ووقع بينه وبينها ما لا خير فيه وذلك من جملة البخل والشح وسوء العشرة فاياك يا أخي أن تفعل مثل ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك ويبرك على بلوالك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم تعرضي للمن بالاكل على صاحب كان يأكل معي زمانا ثم حصل منه كفران نعمة من كان واسطة في ذلك ولا أقول له قط يا فلان تذكر الخبز والملح الذي بيني وبينك فان ذلك يؤذيه فيبطل تلك الصدقة قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وربما قامت النفس على ذلك الصاحب فانكر وحلف أنه لم يأكل معنا ولا لنا عليه فضل وربما حلف على ذلك كاذبا اذا خاف شماتة أعدائه فيه وربما أطاق لسانه بالنقائص فينا اذا منناه عليه باللقمة فيحصل على ذلك مفاسد وآثام فعلم ان الذي ينبغي للعبد أن لا يطعم أحدا شيأ الا لله تعالى ثم لا عليه بعد ذلك ان اعترف الآكل بذلك أو أنكر فان ذكر الطعام

ملبسه وقال يا سيدي ما عبد الله بهذا اللباس الذي عليك فامسك الشيخ ملبسه فوجد خشونته فقال ولا عبد الله بهذا اللباس الذي عليك لباسي يقول أنا غني عنكم فلا تعطوني ولباسك يقول أنا فقير اليكم فاعطوني وهكذا طريق الشيخ أبي العباس رضي الله عنه وشيخه أبي الحسن وطريقة أصحابهما الاعراض عن لبس زي ينادي على سر اللابس بالافشاء ويفصح عن طريقه بالابداء ومن لبس الزي فقد ادعى ولا تفهم رحمك الله انا نعيب بهذا القول على من لبس زي الفقراء بل قصدنا انه لا يلزم كل من كان له نصيب مما للقوم أن يلبس ملابس الفقراء فلا حرج على اللابس ولا على غير اللابس اذا كانا من المحسنين ما على المحسنين من سبيل وأما لبس اللباس اللين وأكل الطعام الشهي وشرب الماء البارد فليس القصد اليه بالذي يوجب العتب من الله اذا كان معه الشكر لله وقد قال الشيخ أبو الحسن يا بني برد الماء فانك اذا شربت الماء السخن فقلت الحمد لله تقولها بكرازة واذا شربت الماء

للاسكاين فى الخصام عنوان على عدم الاخلاص فيه ودليل على خسة الاصل فان الكريم لا يمن قط بما فعل مع أخيه من المعروف بل يرى الفضل لذلك الاخ الذى كان أكل عنده لاسيما ان كان من المحبين الصادقين ثم حصل منه بعض زيغ فى الصحبة ثم رجع الى المحبة عن قريب فان ذلك المن يصير يكدر الصحبة بعد ذلك كلما تذكر وقد كان لى صاحب من طلبة العلم ضريرا أطالع معه العلم ويفيدنى الفوائد الحسنة فتخاصم مع بعض الطلبة فقال له أنت لا تجىء الى فلان الا بقصد الغداء والعشاء فحملت ذلك الصاحب المروءة فحلف بالطلاق من زوجته انه ما عاد يأكل عندى فى تلك السنة فلا تسال يا أخى عما حصل لى من النكد بسببه فان من شان الفقير تصديق كل صاحب فيما يدعيه من المحبة الخالصة ولا يجوز له أن يكذبه ولو بالقرائن ولو تامل الكريم لوجد الفضل عليه ممن أكل طعامه فانه لولا ظن فيه الكرم ما أكل عنده فصاحب يظن بك خيرا ويباسطك ويحمل زادك الى الآخرة وقد يحضره لك أحوج ما تكون اليه كيف تمن عليه بلقمة من رزقه جعلها الله تبارك وتعالى له على يديك هذا خروج عن محاسن الشريعة فاياك يا أخى من فعل مثل ذلك ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك ويدبرك فى بلواك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) معرفتى بحال قضاة الزمان واقامة الاعذار الشرعية لهم فيما يقع منهم فى الاحكام ولا أحط قط على قاض الا اذا لم أجد له محملا صحيحا فى الشرع وقد أخبرنى بعض القضاة الصادقين أنه كثيرا ما يريد أن يفعل مع الاخصام الامور الشرعية على التمام فيقوم له عدة موانع تمنعه من ذلك فانا أسعى فى نصرة الشريعة جهدى وطاقتى فافهم والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم استدلالى بوقوع مريدى هذا الزمان فى النقائض على ان ذلك من نقص شيخهم عملا بقول بعضهم اذا أردت أن تعرف مقام شيخ لم تره فانظر الى أصحابه فانهم يدلونك عليه انتهى فان ذلك ليس بقاعدة كلية فقد يكون الشيخ من أكابر أولياء الله تعالى ولم يقسم لمن اجتمع عليه شئ من أخلاق القوم كما أنه ليس كل من اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم حصلت له الهداية وما كل من سمع كلام الواعظ اتعظ به فاياك يا أخى أن تنظر ممن انتسب الى شيخ من أهل عصرك بسوء أدب فتقول لو كان شيخ هذا متادبا لظهر على مريده فتقع فى الغيبة فى الاشياخ بغير طريق شرعى فتمقت فاحذره والله تبارك وتعالى يتولى هداك ويدبرك فى بلواك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) انى لا أسأل ولا أرد حلالا ولا أدخره فاقبل كل ما جاءنى بغير سؤال منى بالحال أو القال وأنفقه على من احتاج اليه من نفسى أو غيرى على الوجه الشرعى وهذه طريقة الشيخ الكامل أبى الحسن الشاذلى وأصحابه رضى الله تعالى عنهم وقد عملنا بها فى أيام الرخاء مرارا بخلاف أيام الضرورات فان هذه الميزان تتغير الى حكم آخر وكان سيدى الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه يقول أحل الحلال ما لم يخطر لك على بال ولا سألت فيه أحدا من النساء والرجال انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) عدم مدح احدى الضرتين وشكرها بحضرة الاخرى فى حجة تميل خاطرها اليها فان ذلك لا يزيد كل واحدة الا نارا وتقول ان هذه الامور مما تميل خاطر زوجى الى ضرتى فتزداد على ضرتها حقدا وغيظا وكذلك لا أجمع بينهما فى منزل واحد ولا أذهب باحداهما الى الاخرى لتطبخ عندها بقصد ائتلافها عليها فان ذلك أمر مدبج كله تابيس ولو أن احدى الضرتين أظهرت الرضا عن الاخرى وطلبت الذهاب اليها لا أجيبها فان حكم الضرتين حكم الدنيا والآخرة ان أرضيت احداهما أسخطت الاخرى قهرا على كل واحدة منهما وقد أنشد سيدى الشيخ عبد العزيز الدرينى رحمه الله تعالى

تزوجت اثنتين لفرط جهلى * وقد حاز البلا زوج اثنتين
فقلت أعيش بينهما خروفا * أنعم بين أكرم نعجتين
فجاء الحال عكس الحال دوما * عذاب دائم ببليتين

فسقى لهما ثم تولى الى الظل ألا ترى كيف تولى الى الظل قصدا لشكر الله على ما يناله من النعمة وسمعته يقول اختلف الناس فى اشتقاق الصوفى فمنهم من قال هو منسوب الى الصوف لانه لباس الصالحين وقيل هو منسوب الى الصفة يعنى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم التى نسب اليها أهل الصفة وهو نسب على غير قياس ثم قال وأحسن ما قيل فيه انه منسوب لفعل الله به أى صافاه الله فصوفى فسمى صوفيا ثم ينشد شعرا

تخالف الناس فى الصوفى واختلفوا
وكلهم قال قولا غير معروف
ولست أمنح هذا الاسم غيرفتى
صافى فصوفى حتى سمى الصوفى

وسمعته يقول الصوفى مركب من حروف أربعة الصاد والواو والفاء والياء فالصاد صبره وصدقه وصفاؤه والواو وجده ووده ووفاؤه والفاء فقده وفقره وفناؤه والياء ياء النسبة اذا تكمل فيه ذلك أضيف الى حضرة مولاه وسألته رضى الله عنه عن قول عيسى عليه السلام يا بنى اسرائيل بحق أقول

رضا هذى يحرك سخط هذى * فلا أخلو من احدى السخطتين
لهذى ليلة ولتلك أخرى * نقار دائم فى الليلتين
اذا ماشئت أن تحيا سعيدا * من الخيرات مملوء اليدين
فعش عزبا وان لم تستطعه * فواحدة تكفى عسكرين

فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(الباب الثامن فى جملة أخرى من الاخلاق فاقول وبالله التوفيق وهو حسبى وثقتى)

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم بغضى لاحد ممن نسب الى الشرف أو كان من الانصار ولو أنه آذانى أشد الاذى احتملته وذلك لان بغضى لاولاد النبى صلى الله عليه وسلم أولا ولاد الانصار أعنى لحظ نفسى معاداة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجرح لايمانى، ومن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فايمانه لا يخفى حكمه وفى القرآن العظيم قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى والمودة هى ثبات الحب ودوامه وفى الحديث الله الله فى أهل بيتى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحسن والحسين من أحبهما فقد أحبنى ومن أبغضهما فقد أبغضنى وفى البخارى وغيره مرفوعا حب الانصار من الايمان وفى رواية آية الايمان حب الانصار وما ثبت حكمه للاصل ثبت حكمه للفرع وان تفاوت المقام الا ما أخرجه النص فالحمد لله على ذلك (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من الادب أن نجعل كل ما ظلمنا شريف به من باب جرى المقادير الالهية على العباد فاعلى ما نعامل به الحق عز وجل على ذلك الرضا فان لم نقدر على الرضا فبالصبر فان لم نصبر سألنا الله تبارك وتعالى أن يمدنا بالصبر على ذلك الشريف فانه ما بعد الصبر الا السخط على تلك المقادير وذلك لا يجوز انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حفظى لحرمة أشياخى أحياء وأمواتا ولو قدر انى جاوزت مقام أحدهم فلا أرى نفسى قط عليه بل لا أرى نفسى أصلح خادما له فان جميع ما يحصل للمريد انما هو من المادة التى أعطاها له شيخه وشيخه دائم الترقى فلا يقف للمريد حتى يلحقه أبدا هذا ما نعتقده فى أشياخنا ولذلك توقفنا فى صحة مجاوزة المريد لمقام شيخه بقولنا ولو قدر الى آخره وكثيرا ما أزجر من سمعته يرفع مقامى على أحد من أشياخى زجرا بليغا بالقلب واللسان وكذلك أزجر من سمعته يقول عنى انى خليفة لسيدى على الخواص أو سيدى الشيخ نور الدين الشونى أو انى ورثت مقام أشياخى كلهم ونحو ذلك مما هو كالكذب فان من شرط الخليفة أن يرث مقام شيخه كاملا وأنا لم أطلع على نهاية مقام أحد من أشياخى حتى أعرف انى ورثته فيه وكذلك أعرف انه قد يكون عند أشياخى من الاخلاق والعلوم والمعارف والاسرار ما ليس عندى فكيف أوافق القائل على أنى خليفتهم * وقد كثر الاغترار فى هذا الزمان بمثل ذلك من بعض مشايخ العصر واقروا من يسميهم خلفاء لاشياخهم مع علمهم بانهم لم يقع لهم شئ من الكرامات والخوارق التى كانت لشيخهم وربما كان احدهم قد جلس بنفسه من غير اذن من شيخه الذى عمل خليفة له (وكان) أخى افضل الدين رحمه الله تعالى يعيب على من يزعم انه خليفة لشيخه ويقول ينبغى للمريد ان ينزه مقام شيخه عن مثل ذلك ويغار على مقام شيخه ان ينهضم بجعله خليفة له * وقد قالوا اذا لم تجتمع بشيخ فانظر حال جماعته فانهم يدلون عليه فليحذر العارف الفقير من مثل ذلك والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين وهو حسبى وثقتى ومغنى ومعينى ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم مزاحمتى لمشايخ عصرى على شئ من أنواع صفات المشيخة كتلقين الذكر وأخذ العهد وارخاء العذبة لاحد من الناس لاسيما ان كانوا أقدم هجرة منى فى الطريق أو أكبر سنا فيها ثم انى ان رأيت أحدهم أعرف منى بالطريق تلمذت له ولو كنت ماذونا لى قبل ذلك من شيخ آخر لان مقامات الطريق ليس لها حد يقف عليه العبد واذا رأيت ذلك الشيخ الذى هو أكبر منى سنا قليل المعرفة بالطريق تأكد على أن أتلمذ له ظاهرا لا سارقه من حيث لا يشعر بالتعليم شيأ فشيأ حيث لم أصل الى تعليمه الا

والايلاد الثانى ايلاد الروح فى سماء المعارف وسمعته يقول ولن يصل الولى الى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول الى الله تعالى وقال الشيخ أبو الحسن ولن يصل الولى الى الله ومعه شهوة من شهواته أو تدبير من تدبيراته أو اختيار من اختياراته ومعنى كلام الشيخ انه لن يصل الولى الى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول الى الله أى انقطاع أدب لا انقطاع ملل يغلب عليه التفويض الى الله وشهود حسن الاختيار منه فيلقى القياد اليه ويترك نفسه سلما بين يديه فلا يختار مع مولاه شيأ لعلمه بما فى الاختيار مع الله من الآفات ولنا فى هذا المعنى من قصيدة ذكرناها فى كتاب التنوير شعر

وكن عبده والق القياد لحكمه
واياك تدبيرا فما هو نافع
أتحكم تدبيرا وغيرك
حاكم
وأنت لاحكام الاله
تنازع
فمحو ارادات وكل
مشيئة
هو الغرض الاقصى
فهل أنت سامع

كذلك سار الاولون فادركوا * على أثرهم فليسر من هو تابع

وقال رضى الله عنه اعلم أن الله خلق الآدمى وقسمه على ثلاثة أجزاء لسانه

بذلك وأقول له ينبغي لكم أن تعلموا تلامذتكم الشيء الفلاني فانه من أخلاق القوم ليتخلقوا به وأوهم المريدين ان شيخهم يعرف الطريق وانما يشح عليهم بالتعليم لما يراه من فتور رهمتهم (وقد منّ الله تبارك وتعالى علي) بفعلي مثل ذلك مع جماعة من أشياخ مصر فعلمته ورقيته ولم يشعر هو بذلك ولا تلامذته لكوني أقبل ركبته بحضرة تلامذته وأسأله السؤالات الواهية التي تمجها نفوسهم في بعض الاوقات ولم أجد لذلك فاعلا في مصر غيري الا القليل وكثيرا ما أفيد الشيخ منهم الفائدة ثم أغيب عنه أياما وأجيء اليه فيصير يعلمني تلك الفائدة التي علمتها له أمس وينسى كوني أنا الذي علمته وكثيرا ما يضيف الفائدة الى نفسه أو الى كتاب عنده فاقول له مقصودي الاطلاع على هذا الكتاب لانه لم يزل عندي توقف في هذه المسئلة فأعجزه وأقصد بذلك تنبيهه على كذبه حتى لا يعود لاني على يقين بان تلك المسئلة ابتكرتها بفهمي أو ابتكرها أحد أشياخي ولم أجدها في كتاب ثم لا يخفى ان المزاحمة على المشيخة لا تقع قط من عارف بالله تعالى وانما تقع من قاصرين أو من قاصر وعارف فيريد القاصر أن يكون شيخا مثل العارف بجهله والعارف لا يريد ذلك انتهى فافهم يا أخي ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم افتتاحي مجلس ذكر جهرا وهناك من هو أكبر مني سنا أو أحد من الأشراف ولو صبيا فلا أفتتح الذكر الا بعد عزمي عليه ان يفتتح عملا بحديث كبر كبر ولكون الشريف بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وللجزء من الحرمة والتعظيم ما للاصل وهذا الخلق قل من يتنبه له من الفقراء الآن بل ربما تخاصموا على أن كل واحد منهم يبتدئ وكثيرا ما تدل القرائن على أن بعضهم لا يواظب على الذكر مع الاخوان الا ان جعلوه شيخا عليهم فمن الادب لهم ان يشيخوه عليهم محبة في ذكر الله تبارك وتعالى والا تركه وكان لسان حاله يقول لا أذكر الله الا ان كنت شيخا وقد وقع لي أن ثلاثة وردوا على المجلس فتفرست في كل واحد انه يحب المشيخة فسألتهم عن أعمارهم وقلت ليفتتح من هو أكبر سنا الا أن يكون هناك شريف فصار أسنهم يذكر بنا وكثيرا ما تتقارب أعمارهم فآمر كل واحد منهم أن يفتتح وحده بقوله لا اله الا الله مرة واحدة ثم تذكر الجماعة بعدهم فعليك يا أخي بالعمل بهذا الخلق وأبعد عن التمييز جهدك حتى يجمع الناس ويتفقوا على تميزك عنهم ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم أخذي العهد على مريد نكث عهد شيخه وجاءني يجعلني شيخه وكذلك مما أنعم الله به علي عدم اظهار البشاشة له وفاء بحق شيخه الذي نكث عهده وما بش شيخ في وجه من نكث على شيخه الا مقت هو وذلك المريد وكان من خلق سيدي علي المرصفي والشيخ محمد الشناوي أن لا يأخذ أحدهما العهد على مريد الا بعد ان يقول له هل تقدمت لك صحبة مع أحد فان قال نعم قال اذهب الى حال سبيلك واعلم انه ينبغي لكل من برز للمشيخة في هذا الزمان ان لا يتلاعب بالطريق فيأخذ العهد على المريد صورة فليس معه مدد عنده به لان ذلك نفاق والمنافق لا يكون داعيا الى الله تبارك وتعالى وفي بعض الآثار لا تقوم الساعة حتى تجلس الشياطين على الكراسي ويعظوا الناس والناس لا يشعرون أن ذلك الواعظ شيطان وكان الشيخ أبو السعود الجارحي رحمه الله تعالى لا يلقن أحدا الذكر الا بعد أن يتردد اليه السنة وأكثر ويسوق عليه السياقات وكان يسأله قبل التلقين ويقول له هل لك والد فان قال نعم قال نحن لا نصحب من يكون له أب غيرنا وكان رحمه الله تعالى يمتنع من أخذ العهد على من تلمذ لفقراء الاحمدية أو البرهانية من البيضان أو السودان ويقول له يا ولدي يكفي ميلك الى طريق الفقراء ولبس الزي وتادية الفرائض والسنن المؤكدات وقيامك بالكسب ثم يقول الحكم للداعي الاول ومن دونه هؤلاء الفقراء القانعون بالزي لا يصلح في طريق الصوفية لقصور رهمته انتهى وكان سيدي ابراهيم الدسوقي رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة يقول ما أعز الطريق وما أعز من يطلبها وما أعز من يصدق في طلبها وما أعز من يجد من يدله عليها وما أعز من يصبر تحت تربية شيخه حتى يفطمه انتهى وكان سيدي محمد الشناوي رحمه الله تعالى لا يلقن أحدا حتى يقول دستور يا أصحاب الوقت في تلقين هذا الولد نيابة عنكم فدونى لامده ويحكي ذلك عن فعل شيخه الشيخ محمد السروي رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته

من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وتولى حفظ القلب بنفسه فقال واعلموا ان الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه وسلط على الجوارح الشيطان واقتضى من كل جزء وفاء ما ألزم به فوفاء القلب أن لا يشتغل بهم دنيا ولا بمكر ولا حسد ووفاء اللسان أن لا يغتاب ولا يكذب ولا يتكلم الا بما يعنيه ووفاء الجوارح أن لا يسارع بها الى معصية ولا يؤذي أحدا من المسلمين فمن وقع من قلبه فهو منافق ومن وقع من لسانه فهو كافر ومن وقع من جوارحه فهو عاص وقال رضي الله عنه صلاح العبد في ثلاثة أشياء معرفة الله ومعرفة النفس ومعرفة الدنيا فمن عرف الله خاف منه ومن عرف الدنيا زهد فيها ومن عرف النفس تواضع لعباد الله وقال رضي الله عنه قال لي شيخي لا تصحب الا من يكون فيه أربع خصال الجود في القلة والصفح عن الظلمة والصبر على البلية والرضى بالقضية وقال رضي الله عنه من اشترى زيتا من بياع فلما فرغ قال زدني قليلا فزاده البياع خيطا من زيت فدينه أزرق من ذلك الخيط ومن اشترى فحما فلما فرغ قال زدني فزاده فحمة فقلبه أسود

ببركاته وقد حكى لى الشيخ أمين الدين امام جامع الغمرى ان جماعة جاؤا الى سيدى أبى العباس الغمرى يطلبون منه تلقين الذكر فقال حرروا نيتكم فى طلب الطريق والاحصل لكم المقت فما تجرأ فقير يتقدم اليه منهم وذهبوا وقالوا من لعب بالطريق لعبت به الطرق وقد بلغنى ان شخصا ممن ظهر فى هذا الزمان لقن شيخ الاسلام الشيخ نور الدين الطرابلسى فارسلت أعتب عليه وقلت كيف تلقن شيخ الاسلام فالله تعالى يغفر له وجاء شخص من القضاة الى سيدى محمد المغربى رحمه الله تعالى فقال ياسيدى خذ على العهد فقال له رح واستكف البلاء فانك الآن تأكل وتشرب من أطيب الطعام والشراب وتلبس محاسن الثياب وليس عليك حرج فتريد تدخل نفسك فى تحجير لا تطيقه ولم يأخذ عليه عهدا فافهم يا أخى ذلك ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك ويدبرك فى بلواك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم تعرضى لاحد من الاخوان انه يتقيد على صحبتى أو لا يصلى الجمعة الا عندى أو انه يجلب أحدا لصحبتى الا بطريق شرعى لا لحظ نفس وقد حدث فى هذا الزمان أقوام يصدون الناس عن الاعتقاد فى أحد سواهم بغير حق وصاروا يصطادون أبناء الدنيا بالنصب والحيل وتحقير من سواهم من المشايخ وذلك خروج عن سياج أهل الطريق بل بعضهم يقول أصحابه فى الدعاء اجعل اللهم ثواب ما قرأناه فى صحائف شيخنا القطب الغوث الفرد الجامع ويقر أصحابه على ذلك فبعضهم يضحك عليه وبعضهم يستغيبه وكان الاولى له زجر أصحابه عن مثل ذلك أدبا مع القطب وأصحاب الوقت ورأيت بعض جماعة يقفون فى أسواق مصر ويدخلون بيوت الامراء ومشايخ العرب كابن عمر وابن عيسى وابن بغداد فيقولون لاحدهم هل اجتمعت بسيدى الشيخ فلان فيقول لا فيقولون مثلك لا يكون له معرفة بالقطب الغوث الفرد الجامع وصاحب التصريف فى مصر فلا يزالون به حتى يجمعوه على ذلك الشيخ ثم يقولون للشيخ باتفاق بينهم مرادنا تأخذوا على شيخ العرب مثلا العهد ليصير مريدكم ويحصل له بركتكم وتصير واتحملوا حلته وتحموه ممن يعزله أو يزيد عليه فى بلاده فيخجل ذلك الامير أو شيخ العرب ولا يسعه الا أن يجيبهم لاخذ العهد ثم يحجرون عليه ويقولون له اياك ان تجتمع بفلان وفلان فتخرب ديار البعيد فيصير فى خوف عظيم من اجتماعه بغيره وقد سمعت بعضهم يقول لشيخ عرب عن جماعة من مشايخ مصر ان مثل هؤلاء لا يصلح تلميذا لسيدى الشيخ انتهى وهذا كله نصب ولعمرى ما رأينا شيخ عرب ولا أميرا قط عمل شيخا فى طريق القوم أبدا بل لا يقدر يمشى على شروط المريدين فبأى وجه يحجرون عليه ورأيت بعض مشايخ العرب أخذ جماعة عليه العهد وحجروا عليه فنكث عهدهم وقال أنا لا أقدر على تحجير ولا أطلب ان اكون شيخا وان كان لهم عندى رزق فى قمح أو عسل أو بسلة فهو يصل اليهم بلا هذا التحجير وقد نقض جماعة كثيرة من مشايخ العرب والاروام عهد أشياخهم لما وقعوا فى الشدائد ولم يروا عندهم قدرة على دفع ما نزل بهم فلما جاؤنى سترنى الله تبارك وتعالى فى تلك الشدائد فحولها الله تبارك وتعالى عنهم وصرت أرغبهم فى الرجوع الى أشياخهم فلم يفعلوا وطردتهم فلم ينطردوا فافهم يا أخى ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من الوقوع فى شئ يغير قلب شيخى على يوما من الدهر وذلك من أكبر نعم الله تعالى على المريد فان بذلك يدوم الترقى له بخلاف من يسئ الادب مع شيخه فانه ينقطع ترقيه وربما رجع الى حالة هى أنقص مما كان عليه قبل صحبته له لان الادب مع الشيخ سلّم للادب مع الحق جل وعلا فمن لم يتأدب مع الوسائل لا يشم رائحة من الادب مع المقاصد فعلم أن اقبال شيخ الانسان عليه عنوان لرضا الحق تبارك وتعالى عنه كما ان رضا الوالدين علامة لرضا الله تعالى عن الولد فان الله يرضى لرضاهما ويغضب لغضبهما ويؤيد ما قلناه من ان سوء الادب مع الشيخ يرد المريد الى أنقص من الحالة التى كان عليها قبل صحبة شيخه قول الجنيد رحمه الله تعالى لو أقبل عارف على الله تعالى مائة عام ثم أدبر عنه لحظة كان ما فاته فى تلك اللحظة أكثر مما ناله قبلها انتهى أى لان كل لحظة يقبل فيها العبد على ربه عز وجل متضمنة لمجموع الامداد السابقة كلها وتزيد عليها بعدد الوقت فان جود الحق تبارك وتعالى لم يزل فياضا على قلوب المقبلين عليه ثم اعلم

سيآتهم فهم فى الجنة قطعا وقوم تساوت حسناتهم وسيآتهم فلا يدخلون النار قطعا وقوم غلبت سيآتهم حسناتهم فلا يخلدون فى النار قطعا وقال رضى الله عنه الدخول فى الجنة بالايمان والخلود فيها بالنية والدرجات فيها بالاعمال والدخول فى النار بالشرك والخلود فيها بالنية والدركات فيها بالاعمال وقال رضى الله عنه لا يدخل على الله الا من بابين من باب الفناء الاكبر وهو الموت الطبيعى أو من باب الفناء الذى تعنيه هذه الطائفة وقال رضى الله عنه الكائنات على أربعة أقسام قسم كثيف وجسم لطيف وروح شفاف وسر غريب فالجسم الكثيف بمجرده جماد والجسم اللطيف بمجرده جان والروح الشفاف بمجرده ملك والسر الغريب هو المعنى المسجود له فالآدمى بظاهر صورته جماد وبوجود نفسه وتخيلها وتشكلها جان وبوجود روحه ملك وأعطى زائدا على ذلك السر الغريب فلذلك استحق أن يكون خليفة وقال رضى الله عنه ليس العجب ممن تاه فى نصف ميل أربعين سنة انما العجب ممن تاه فى مقدار شبر ستين أو سبعين سنة وهى البطن وقال رضى الله عنه الادنى يشرف على الاعلى ولا يحيط به

الاولياء وقال رضى الله عنه فى قول بعض السلف لو كشف الغطاء ماازددت يقينا أى لو كشف الغطاء للنفس لم أزدد يقينا فيما طالعه القلب وقال رضى الله عنه جميع أسماء الله تعالى اذا أسقطت منه حرفا أذهبت دلالته على الله كالعليم والقادر والرحيم وغير ذلك من أسمائه الحسنى الا اسمه الله فانك اذا أسقطت الالف بقى لله واذا أسقطت اللام الاولى بقى له واذا أسقطت اللام الثانية بقى هو وهو النهاية فى الاشارة وأنشد الحسين بن منصور الحلاج شعرا

أحرف أربع بها هام قلبى
وتلاشت بها همومى وفكرى
ألف ألف الخلائق بالصنع
ثم لام على الملامة تجرى
ثم لام زيادة فى المعانى
ثم هاء بها أهيم أتدرى

وقال رضى الله عنه كشف لى عن أرواح الصديقين صاعدة نحو الملأ الاعلى فاذا على يقال لى وما جئت لى ولكن تذكرت

يا أخى ان أقل مراتب الشيخ أن يكون كالبواب للملك فمن كان البواب يكرهه فبعيد أن تقضى له حاجة عند الملك لانه لا يستطيع الوصول الى السلطان من غير الباب ومن قال من المريدين انه يقدر على قضاء حاجته عند الله تعالى من غير واسطة شيخه فقد افترى على الله تعالى وكان سيدى على المرصفى رحمه الله تعالى يقول من شقاء المريد فى الدنيا وعنوان شقاوته فى الآخرة تهاونه بغضب شيخه عليه وعدم رؤيته على نفسه وجوب المبادرة الى صلحه والدخول فى طاعته وقد تهاون جماعة بغيظ استاذهم عليهم فلم يفلحوا بعدها أبدا لا على يد شيخهم ولا على يد غيره انتهى وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول من أقل ما يحصل من الهلاك لمن خالف استاذه الاشتغال بالدنيا والادبار عن الآخرة فيصير مكبا على جمع الدنيا من أى وجه كان ويعادى كل من صده عنها ولو كان شيخه وكذلك من اسباب الهلاك قلة ذكره لله تعالى وقلة تلاوته للقرآن وقلة عمله بالعلم وعدم تقيده بالاوراد وسهر الليالى وقلة المواظبة على صلاة الجماعة فى الصلوات الخمس وغير ذلك وربما فارق شيخه وصار مداوما على الاوراد التى كان عليها حال صحبته شيخه لكنها قليلة النفع فهى فى عينه كأمثال الجبال وفى عين المكاشفين باحوال الآخرة كالذرة وقد أجمع أشياخ الطريق على ان من لم يقدر على ملاحظة شيخه ومراقبته حال العمل لا يصح له مراقبة الحق تبارك وتعالى فى حال طاعته أبدا وفى بعض الكتب الالهية يقول الله عز وجل للملائكة الكرام الكاتبين اكتبوا عمل عبدى فلان واكتبوا أين كان قلبه حال العمل ليأخذ ثوابه ممن كان قلبه حاضرا معه انتهى فعلم أن من عقل العاقل ان لا يعتمد بعمل أو كلمة تسبيح أو تهليل مثلا قالها وقلبه غافل سارح فى اودية الدنيا فان ذلك غير محسوب له عند الله تبارك وتعالى وقد بلغنا أن بعض السلف الصالح قرأ سورة طه فى الليل فجهر بآية منها ليسمع جاره بغير نية صالحة فرأى بعد ذلك ان القيامة قامت ونشرت له صحيفة تلك الليلة فلم ير تلك الآية فيها وقيل له خذ أجرك ممن رفعت صوتك لاجله انتهى فافهم يا أخى ذلك ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

﴿ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على﴾ عدم تغير خاطرى على مريدى اذا زار أحدا من أقرانى ثم ان قدر أنى تغيرت عليه فلا يكون ذلك الا لمخالفته الشريعة أولا طلاعى من طريق الكشف أن فتحه لا يكون على يد غيرى فحينئذ اظهر له التكدر ليلازمنى الى وقت الفتح مصلحة له وتقريبا للطريق عليه لا لعلة أخرى من حظوظ النفس وعلى ذلك يجب حمل حال الاشياخ الذين منعوا مريديهم أن يجتمع بغيرهم ويحرم حملهم على أنهم انما منعوا مريديهم من الاجتماع بغيرهم لئلا يتلمذ له دونهم فان الاشياخ منزهون عن مثل ذلك قال الشيخ محيى الدين رحمه الله تعالى وما سامح شيخ مريده فى الاجتماع بغيره الا فسد حاله وحصل له تردد فى أى الشيخين أعلى مقاما حتى يتلمذ له واذا حصل له التردد دفعه قلب هذا وقلب هذا ولم ينتفع باحد منهما لان شرط الانتفاع بشيخ جزم المريد بالتقيد فى دائرته لا يخرج منها حتى يحصل له الكمال وحينئذ يصير كالاخ فى الطريق للشيخ وللشيخ عليه حكم الافاضة من غير وقوف معه انتهى وكان سيدى على بن وفاء رضى الله تعالى عنه يقول كما لم يكن للعالم الهان ولا للرجل قلبان ولا للمرأة زوجان كذلك لا يكون للمريد شيخان وكان رضى الله تعالى عنه يقول كما أن الله تعالى لا يغفر أن يشرك به فكذلك الاشياخ لا يسامحون المريد فى شركته معهم غيرهم ومتى سامحوه كان غشا منهم له قال رضى الله تعالى عنه وتأمل قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا فما جعل السموات والارض تنشق وتنفطر والجبال تنهدم الا الشرك بالله وكذلك الشيخ لا يزيل قلبه عن حفظ المريد وتربيته ترك احسان ولا خدمة وانما يزيله ان يشرك به المريد غيره انتهى وكان سيدى ابراهيم المتبولى رحمه الله تعالى يقول ليس للشيخ ان يمنع مريدا من الاجتماع بغيره الا اذا اطلع من طريق كشفه أن ذلك المريد لا يكون فتحه الا على يديه فقط فحينئذ يمنعه ليقرب عليه الطريق والا فمنعه انما هو لحظ النفس انتهى واعلم يا أخى ان مثال الحضرة الالهية التى ينتهى اليها سلوك كل مريد مثال الكف ومثال الطريق التى يدخل منها اليها مثال الاصابع ومثال السنين أو الاشهر التى يجاهد المريد فيها نفسه مثال عقد الاصابع فان دخل الى الحضرة فى ثلاث سنين كانت كل عقدة بمثابة سنة وان وصل

الى

أى انها ما فرت جبنا من الخلق ولكنها تذكرت أوطان التعريف وقال

الى الحضرة فى ثلاثين سنة كانت كل عقدة بعشر سنين وهكذا الحكم فى الزيادة والنقص فاذا سلك مريد على يد شيخ حتى قطع عقدة ثم تركه وسلك على يد شيخ آخر حتى قطع عقدة ثم تركه وأخذ عن شيخ آخر حتى قطع عقدة أفنى عمره ولم يتجاوز العقدة الاولى لانه لا يصح لشيخ ان يبنى على بناء شيخ آخر فلا بد ان يهدم بناء من كان قبله من الاشياخ ولو أنه كان صبر ودام تحت حكم شيخ واحد لربما قطع الثلاث عقد من الاصبع الواحدة ودخل الحضرة الالهية وهذا مثال ما أظنه طرق سمعك قط وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول أجمع أهل الطريق على ان الملتفت الى غير شيخه لا يفلح أبدا وسمعت سيدى محمد الشناوى رحمه الله تعالى يقول قلت يوما لشيخى سيدى محمد السروى مرادى أن أزور الشيخ الفلانى فقال لى يا محمد اذا لم يكن الشيخ ملأ عين المريد فلم يتخذه شيخه فمن ذلك اليوم ما زرت غيره الى أن مات انتهى اللهم الا أن يكون المريد ثابت القدم مع استاذه فله أن يزور غيره ولا حرج لعدم تزلزله وقد كان الشيخ أبو العباس المرسى رحمه الله تعالى يقول كان سيدى أبو الحسن الشاذلى يقول نحن لا نقيد على مريدنا انه لا يجتمع بغيرنا وانما نقول له ان وجدت منهلا أعذب من منهلنا فعليك به قال الشيخ أبو العباس فكنا ننظر فى أقرانه فلا نجد أعلى مقاما منه ولا أعذب منهلا فلذلك قدمناه على غيره انتهى وينبغى حمله على حال المتوسطين فى الطريق أما المبتدئ فى الطريق فانه لا يفرق بين الاعذب من الكلام وغير الاعذب وربما أعجبه كلام شيخ لموافقته لهواه فعمل به فهلك ثم ان هذا الذى قررناه كله فى حق المريدين الصادقين فى طلب الطريق أما من لم يصدق فى طلب الطريق فانما هو معتقد فى الصالحين يزور هذا ويزور هذا ولا حرج عليه هذا حال أكثر المريدين اليوم فليس لشيخ أن يضيق عليهم بالتقيد عليه وحده ومن شك فى قولى هذا فليمتحن من يدعى الصدق منهم ويامره بالخروج عن ثيابه وما بيده من الدنيا وينظر فان أطاعه بانشراح صدر فهو صادق وان انقبض خاطره فهو كاذب وهذا محك يظهر زغل المريد وبالجملة فالمريد الصادق فى هذا الزمان أعز من الكبريت الاحمر فافهم ذلك ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم تكدرى من شيخ جعل له مجلس ذكر فى الجامع الذى كنت أذكر أنا فيه قبله بل أنشرح لذلك وأذهب بجماعتى اليه وأعزم عليه أن يكون هو الذى يفتتح المجلس ثم أقبل يده ورجله مع الجماعة خوفا من تشتت قلوب الذاكرين وأظهر الفرح والسرور بذلك لانه كبر مجلسنا وقوى قلب جماعتنا وان رأيت له قدما فى الطريق تلمذت له وتلفنت عليه أنا وجماعتى وهذا خلق غريب فى هذا الزمان ومخالفته تدل على وجود الرعونات ومن كان صاحب رعونة لا يصلح أن يكون شيخا على جماعة وما عقد الفقراء مجالس الذكر بالاصالة الا محبة فى كثرة ذكر الله عز وجل لا لأن يكونوا بذلك مشايخ فالله يحفظنا واخواننا من مثل ذلك وقد رأيت جماعة وقع لهم ذلك فترافعوا الى الحكام وأخذ كل واحد منهم مرسوما بانه يكون شيخا وانه أشيخ من غيره وذلك كله جهل فان المساجد لله وليس شيخ أحق بالذكر فيها من شيخ ولو كان هو الذى بنى ذلك المسجد وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا فعلم ان كل شيخ تكدر ممن جاء يذكر الله عز وجل تجاه مجلسه فهو دليل على أنه طالب بذلك الرياسة والصيت عند الناس وذلك الى الاثم أقرب وقد تقدم فى هذه المنن ان مما أنعم الله تبارك وتعالى به على فرحى بكل شيخ برز فى حارتى وانقلبت اليه جماعتى حتى لم يبق حولى منهم واحد ومن تكدر من ذلك فهو خارج عن سياج الفقراء ممقوت فافهم يا أخى ذلك ترشد والله تعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كراهتى للتميز عن اخوانى فى مجلس الذكر أو العلم فلا أجلس على سجادة ولا مضربة الا لعذر شرعى ثم أطلعهم على ذلك العذر خوفا من وقوع أحد منهم فى سوء الظن فيهلك فى دينه ومن العذر أن أكون هزيلا أو طلع فى دمامل ونحوها أو أكون معدا لسؤال الاعراب من الفلاحين وغيرهم فاجلس متميزا عن الحاضرين ليسألونى ولا يحتاجون الى سؤال أحد عنى وقد وقع أنه صلى الله عليه وسلم كان يجلس مع أصحابه فيأتى الاعرابى ليسأل عن أمر دينه فلا يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يسأل من الصحابة عنه فتشاور أصحابه فى أن يجعلوا له شيأ يتميز به فاتفقوا على انهم يبنون له دكانا من طين فبنوه وفرشوا له

الشيخ هذا انك اذا ناديته يا حليم خاطبك من اسمه الحليم أنا الحليم فكن عبدا حليما واذا ناديته من اسمه الكريم نادالك من اسمه الكريم أنا الكريم فكن عبدا كريما وكذلك فى سائر أسمائه الا اسم الله فانه للتعلق فحسب اذ مضمونه الالهية والالهية لا يتخلق بها أصلا وقال رضى الله عنه السماء عندنا كالسقف والارض كالبيت وليس الرجل عندنا من يحصره هذا البيت وقال رضى الله عنه نحن فى الدنيا بابداننا مع وجود أرواحنا وسنكون فى الآخرة بارواحنا مع وجود أبداننا وسمعته يقول الفرق بين معصية المؤمن ومعصية الفاجر من ثلاثة أوجه المؤمن لا يعزم عليها قبل فعلها ولا يفرح بها وقت الفعل ولا يصر عليها بعد الفعل والفاجر ليس كذلك وقال رضى الله عنه لبعض أصحابه ليكن ذكرك الله فان هذا الاسم سلطان الاسماء وله بساط وثمرة وبساطه العلم وثمرته النور ثم النور ليس مقصودا لنفسه وانما يقع به الكشف والعيان

وجاء رجل فقيل له يا سيدى هذا فتى فقال الشيخ أنت فتى قال نعم فقال الشيخ ما ندرى ما الفتوة ليست الفتوة الماء والملح وانما الفتوة الايمان

عليه حصيرا وصار يجلس عليه وكان صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا وكان يراعى خواطر أصحابه ويسعى فى كل ما يميل خاطرهم لينقادوا الى نصحه وارشاده فان المريد اذا لم يعتقد فى شيخه الصلاح والتواضع لا يصح له به انتفاع أو لا يكمل وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يكمل الفقير حتى يخفض جناحه لاخوانه ويرى نفسه دونهم وهناك يبالغون فى تعظيمه وينتفعون به بخلاف من كان بالضد من ذلك فان الامر يكون بالضد فربما يلوثون به فيما بينهم ويقولون شيخنا يحب الضخامة وتقبيل اليد كما وقع ذلك لبعض اخواننا مع شيخه فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كراهتى لاكل طعام مريدى قبل أن يتمكن فى محبتى ويرى جميع ما بيده ملكى دونه سواء كان ذلك الطعام فى عزومة أو وليمة أو أرسله الى بيتى والحكمة فى ذلك كون الاكل من مال المريد يورثه الادلال على شيخه والاستهانة بجنابه ويصير المريد يرى لنفسه الفضل على شيخه وذلك يبطل انتفاعه بشيخه وقد عم هذا الداء كثيرا من الفقراء فترى أحدهم يندلق على طعام المريد أوائل صحبته وعلى قبول هداياه وربما كساعيال الشيخ وأولاده ولا يلتفت الشيخ لما فى ذلك من نقص المرتبة وغاب عن هذا أن من شرط الشيخ أن يكون له اليد على مريده فى أمور الدنيا والآخرة وجاءنى مرة شخص وقال لى ان فلانا أخذ على العهد على أنى أعطيه كل ما طلبه منى وقال اذا منعتنى مطيتك وعيشتك فلا تلم الا نفسك فقلت له هذا خروج عن الطريق * وكان سيدى محمد الشناوى رحمه الله تعالى يقول مال المريدين حرام على الاشياخ انتهى لكنه محمول على مريد لا يرى الملك لشيخه فيما بيده والا فقد أكل الاشياخ الصادقون عند مريديهم كما هو مشهور فى كتب الرقائق من غير توقف فالحمد لله الذى جعل طعام المريد الذى لم يتمكن فى محبتى لا يقيم فى بطنى أبدا ولو نسيت وأكلته وذلك أنى أحس بثقله فى بطنى كأنى أكلت قطعة جبل وتارة تلعب نفسى فاتقيؤه وهذا من جملة نعم الله العظيمة على فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم تكدرى من شيخ العرب أو الكاشف أو غيرهما من الولاة او التجار أو المباشرين اذا صحب أحدهم غيرى من الاقران بل أفرح لذلك غاية الفرح كما مر أوائل هذه المنن خوفا أن يميل قلبى الى ذلك الظالم مثلا فتقصر يدى ولسانى عنده فى الشفاعات ونحن ما صحبناهم بالاصالة الا لتخليص المظلومين وتفريج كربهم فعلم أن تكدر الفقير من صاحبه الامير اذا صحب غيره فى غاية القبح بل بعضهم يعادى ذلك الامير وذلك الشيخ بسبب ذلك وأصل ذلك أنه صحبه للدنيا من قبول بره واحسانه أو غير ذلك ولو أنه كان صحبه بنية صالحة لم يتكدر لذلك أبدا وقد صحبنى شيخ عرب وليس على علمى أنه صحب أحدا غيرى فتكدر ذلك الشيخ وصار يقطع فى عرضى وعرض ذلك الامير فلا يعلم عدد ما اغتابنى به الا الله تبارك وتعالى فقلت لذلك الامير رح لصاحبك لاجل الله وأرحنا من شره فذهب اليه مع انى لم آكل لشيخ العرب المذكور قط طعاما ولا قبلت له هدية الى وقتى هذا فاياك يا أخى أن تصاحب شيخ عرب أو غيره من الاكابر الا بعد أن تفتش فربما يكون صحب أحدا قبلك من النصابين فتقوم عليك القيامة كما وقع لى ذلك من جرة محمد العبادى وغيره وابعد يا أخى عن أبناء الدنيا جهدك فان نفوس غالب الناس تميل الى صحبتهم وتزاحم عليها فأف ثم أف على من لبس زى الفقراء وزاحم على شئ من الدنيا وخالف هدى أصحاب الزى وشاباش لمن حمى زى الفقراء عما يزرى به والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة ارشادى لاصحابى أن ينظروا فى أنفسهم اذا خالفهم خادمهم أو زوجتهم أو وقعوا فى المعاصى والقاذورات أو الاباق والنشوز ويقتدوا فى ذلك بالسلف الصالح رضى الله تعالى عنهم فكان أبو يزيد البسطامى اذا رأى فى أصحابه نقصا يقول بشؤمى وقعوا الى ما وقعوا فيه وكان الشيخ عبد الحليم رحمه الله تعالى اذا قيل له ان أحدا من المجاورين يتعاطى ما لا يحل له أفانصحه يقول هل رأيتم قط نجاسة تطهر نجاسة انتهى ودليل القوم فى ذلك قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وقوله صلى الله عليه وسلم انما هى أعمالكم ترد عليكم وقوله صلى الله عليه وسلم عفوا

والهداية قال سبحانه وتعالى انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى والفتى كما قال الله عن ابراهيم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم فسمى فتى لانه كسر الاصنام فمن كسر الاصنام فهو فتى الخليل عليه السلام ويجد أصناما حسية فكسرها وأنت لك أصنام معنوية فان كسرتها كنت فتى ولك أصنام حسية النفس والهوى والشيطان والشهوة والدنيا فان كسرتها فانت الفتى وافهم ههنا لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا على وسئل رضى الله عنه لم بدأ صاحب الرسالة بابراهيم بن أدهم دون غيره وربما كان غيره متقدما عليه فى التاريخ فقال الشيخ رضى الله تعالى عنه لان ابراهيم كان من ملوك الدنيا فاصبح وهو كذلك فجاء وقت الظهر وهو من كبار الاولياء فبدأ به صاحب الرسالة ليعلم ان فضل الله ليس بعمل وقال رضى الله عنه عبد هو فى الحال بالحال وعبد هو فى الحال بالمحول فالذى هو فى الحال بالحال عبد الحال والذى هو فى الحال بالمحول عبد المحول وامارة من هو فى الحال بالحال أن يأسى عليها اذا فقدها ويفرح بها اذا وجدها والذى هو فى الحال بالمحول لا يفرح اذا وجد ولا يحزن عليها اذا فقدت ومعنى كلام الشيخ هذا ان من تحقق بالله ملك الاشياء ولم تملكه

عن نساء الناس تعف نساؤكم وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم وقوله صلى الله عليه وسلم من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمل ذلك الذنب وكان الفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه يقول انى لاعصى الله تعالى فاعرف ذلك فى خلق حمارى وخادمى وزوجتى فيشمص الحمار ويخرج العبد والزوجة عن الطاعة ثم اذا رجعت الى نفسى واستغفرت الله تعالى وقبل توبتى رجعوا الى طاعتى انتهى وقد علمت ذلك لكثير من أصحابى فتركوا الشكوى لى بعد أن كان أحدهم كثير الشكوى من زوجته وعبده وصاروا يرجعون الى نفوسهم فيقومونها فتستقيم رعيتهم الذين قسم لهم الاستقامة واسترحت من كثرة شكواهم لى * وقد كان الشيخ أبو النجا سالم المرورجى رحمه الله تعالى يقول لاصحابه كثيرا اعلموا أن جميع الوجود يقابلكم بحسب ما برز منكم من الاعمال فانظروا كيف تكونون فان الظل تابع للشاخص فى العوج والاستقامة انتهى وهذه قاعدة أكثرية لا كلية فقد يبتلى الله تبارك وتعالى العبد ابتداء لينظر كيف صبره وهو العالم بما يكون قبل أن يكون ويبتلى عياله بالزنا مع أنه لم يقع هو فيه قط ويعقه ولده مع أنه كان بارا بوالديه ويؤيده قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى لكن يؤيد أصل القاعدة قوله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم فى حق الائمة المضلين وقوله صلى الله عليه وسلم ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الحديث انتهى فتأمل ذلك وافهمه ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة أمرى للمريدين بان يصبروا ويتحملوا الاذى من كل من آذاهم حسب الطاقة ولا يقابلوا أحدا بسوء ثم اذا بلغوا الى حد لا يحتملونه انتقمت لهم باذن الله ممن آذاهم بسياسة ولطف ولم أمكن أحدا منهم يقابل أحدا خوفا عليه أن يجازف فى المقابلة ويزيد فى الاذى فيخسر وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول من كمال الفقير أن ينتقم لاصحابه ممن آذاهم للفريقين مصلحة وصورة ذلك أن الفقير يسأل ربه عز وجل أن يؤدب الظالم اما بمرض واما بزوال نعمة واما باخراج وظيفته عنه أو زوال جاهه وحرمته من قلوب الناس ونحو ذلك انتهى وفى الحديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما الحديث ويقع لى بحمد الله كثيرا أن همتى تطلب الانتقام لاصحابى فينفذ الله تبارك وتعالى ذلك بمجرد الهمة من غير سؤال الله تعالى وذلك من أشد ما يكون من الانتقام فربما دخل فى قلب ذلك الظالم منهم سهم مسموم فلا يزال به حتى يموت ولا يقدر أحد على مداواته كما وقع لى ذلك فيمن أفسد فى زاويتنا بالفتن ورمى اخوانه بالبهتان والزور وكان مرضه الاستسقاء * وكان سيدى محمد السروى شيخ شيخنا يقول الفقير اذا قوى عليه الحال وتفلت من يده صار كالاسد اذا أفلت يكسر كل من وجده ولو صاحبه وأولاده وكان رحمه الله تعالى يقول أيضا لا يكمل الفقير حتى يقتل الله تعالى بسببه وبسبب أصحابه بعدد أعضائه من الظلمة الذين يؤذون أصحابه واخوانه المسلمين وكان رحمه الله تعالى يقول من كمال الفقير أن يحتمل الاذى فى حق نفسه ولا يحتمله فى حق أصحابه قياما بواجب حقهم عليه لانهم ما اجتمعوا عليه الا ليحميهم من ظالم يؤذيهم قال وكان على هذا القدم سيدى ابراهيم الجعبرى وسيدى ابراهيم المتبولى وغيرهما فالحمد لله رب العالمين وكان كثير من القوم الذين أدركناهم يقتلون الظلمة بالحال أو التوجه الى الله تعالى فى ذلك قلت ويجب تقييده بما اذا علموا أن ذلك الظالم قد استحق القتل شرعا والا فعليهم اللوم والله تبارك وتعالى أعلم

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حفظى للادب مع أقرانى فى حال غيبتهم وتبجيلهم وتعظيمهم كما يدل لذلك ذكر مناقبهم فى كتاب الطبقات التى وضعتها فى حق أهل القرن العاشر وهذا أمر انفردت به فى هذا العصر لاسيما مناقب الجماعة الذين يكرهونى ويؤذونى فانى بالغت فى تعظيمهم وحملهم على أحسن المحامل ضد ما فعلوا معى كما تقدم تقريره أوائل الباب الثالث وغالب الناس لا يقدر على أن يذكر مناقب عدوه أبدا بل ولا تطاوعه نفسه واذا رأيت أحدا من أعدائى قليل العمل بالعلم فى الظاهر وأخاف أنى أمدحه فيكذبنى الناس أقول فى ترجمته فى الطبقات وغيرها والغالب على فلان اخفاء أعماله الصالحة فلا يكاد أحد يعرف له منها شيأ كل ذلك سترة للاخوان ومن جملة ذلك حملى لهم اذا خطؤنى فى فهم على أنهم مجتهدون فى الفهم فلا يكلفون العمل بغير

فيصير الحال تحت قهر تصريفه وانما يكون ذلك للرجل لرسوخه فى العلم بالله والعلم حاكم على الحال وبه يوزن والحال انما هو فرع من فروع العلم والعلم قار ثابت والحال لا بقاء لها ولذلك قالوا شعر

لو لم تحل ما سميت حالا
وكلما حال فقد زالا
انظر الى الظل اذا ما انتهى
يأخذ فى النقص اذا ما علا

والاكابر ملكهم الله أحوالهم وجعلهم حاكمين عليها ومن هنا لما قيل للجنيد رضى الله عنه ما لنا نرى المشايخ يتحركون فى السماع وأنت لا تتحرك فقال وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب وقيل لبعضهم ما لك لا تتحرك فى السماع فقال انه اذا كان فى الجمع كبير احتشمت منه فامسكت على وجدى فاذا خلوت وجدى أرسلت على وجدى فتواجدت فانظر كيف كان زمام حاله بمسكها اذا شاء ويطلقها اذا شاء واذا اتسع القلب بمعرفة الله غرقت فيه الواردات وانما يبدو أثر الحال على من ضاق عن وسعها والعارف له وسيع المعرفة فاذا ورد الوارد عليه غرق فى وسيع معرفته وهل رأيت بحرا فاض بمطر سحاب ولهذا جهلت أحوال الاكابر أرباب المقامات واشتهر أهل الاحوال لظهور آثار

ماظهر لهم وجهه ولو أنهم شنعوا على فى فهمى فلهم ذلك نصيحة للمسلمين بحسب قدرتهم فالله تعالى يغفر لنا ولهم والله سبحانه وتعالى أعلم والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) تقطيب وجهى وعدم بشاشتى لكل مريد دخل على يزورنى حفظا لمقام شيخه فى غيبته وخوفا عليه أن يميل الى بالمحبة فيجرح مقام شيخه كما تقدمت الاشارة اليه قريبا اللهم الا ان كنت أعلم ثبات اعتقاده فى شيخه فلا أفعل معه شيأ من ذلك بل أبش له وأقدم له الاكل والشرب وأعظم شيخه بمدحى له بحضرته ونحو ذلك كما أفعل بالضيوف وهذا الخلق لم أره فاعلا فى مصر غيرى الا قليلا بل بعضهم قمت بواجب حقه فلم أخرج لمريده طعاما ولا بششت فى وجهه خوفا على قلبه من التزلزل لما رأيته أقبل على فشكا ذلك الى شيخه فقال ياولدى أما علمت أنه يكرهنا ويكره جماعتنا انتهى وهو معذور فان هذه الاخلاق غريبة فى أهل هذا العصر والله ماقطبت فى وجه مريده الا حفظا لمقامه عند مريده فكنت بذلك فى المشرق وهو فى المغرب فافهم يا أخى ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) أنى لا أسكت الجماعة قط اذا كانوا فى ذكر أو قرآن أو علم حتى أستأذن الحق جل وعلا أو رسوله صلى الله عليه وسلم ان كان حديثا أو العلماء الذين يقرأ على كلامهم فاقول بقلبى ولسانى بخفض صوت دستور يا الله أسكت عبادك وأنقلهم الى غير ذلك من الخيرات أو دستور يا رسول الله أن أنقل هؤلاء الى الخير الفلانى فانهم ضجروا وملوا من الشئ الفلانى وهذا الادب قل من يراعيه من العلماء والفقراء فربما يسكتون قارئ القرآن أو الحديث أو العلم بلا استئذان وهم غافلون عن هذا المشهد فاعمل يا أخى على التخلق بذلك بكثرة مقدمات المراقبة من الجوع ومخالفة الهوى ونحو ذلك حتى تصير فى أكثر أوقاتك تشهد نفسك بين يدى الحق وبين يدى أهل حضرته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو خواص أمته من العلماء والصالحين والا فلا يستقيم لك ذلك وكان على هذا القدم سيدى ابراهيم المتبولى وسيدى على الخواص وأخى أفضل الدين وأخى أبو العباس الحريثى رضى الله تعالى عنهم ويؤيده حديث الاستخارة المشهور وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول ينبغى للفقير أن لا يتحرك ولا يسكن فى أمر مهم الا بمشاورة الحق جل وعلا قال وهو أحق مما أمرنا به من مشاورة اخواننا أو من مشاورة الولد الموفق والده فى أموره قال رحمه الله تعالى وهذا الامر وان لم تصرح به الشريعة فهى تقبله ولا ترده وكل ما كان فعله أدبا مع الخلق ففعله مع الحق تبارك وتعالى أولى انتهى فافهم يا أخى ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) إذن شيخى الشيخ محمد الشناوى لى فى ان أجلس لتلقين الذكر وتربية المريدين بحضرة الشيخ شهاب الدين بن حجر المقيم بمكة وبحضرة الشيخ على والشيخ أحمد السواح أولاد الشيخ عبد الرازق بناحية كوم النجار وبحضرة الشيخ محمد حسن المحلى المقيم بالمدينة المشرفة وبحضرة الشيخ شهاب الدين الطندتائى وجماعة وذلك فى زاوية شيخه الشيخ محمد السروى ليلة تمام شهره لما توفى الى رحمة الله تعالى ولفظه اشهدوا على أنى أذنت لولدى هذا أن يلقن ويربى المريدين على طريق القوم ثم أنشد هذا البيت رضى الله تعالى عنه

أهيم بليلى ماحييت وان أمت * أوكل بليلى من يهيم بها بعدى

ثم سافر من مصر الى بلاده فصار كل بلد يمر عليها يقول لهم قد أذنت لفلان فمن أراد الطريق بعدى فعليه به فجاءنى خلائق بعد موته رضى الله عنه فتلقنوا على سبيل التشبه بالقوم عملا باذن شيخى ثم ماتركت هذا الباب الا بامر من رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض أناس ثم لما اجتمعت بسيدى على الخواص قال لى اعلم ياولدى أن الخلق الآن صاروا كالحجاج اذا رجعوا من مكة وأشرفوا على أوطانهم ورأوها بعيونهم فمن قدر أن يقطرهم ويجمع شملهم وقد كانت الهمم فى الزمن الماضى موجودة وكان أحدهم يتطلب الطريق بصدق كالحجاج فى ابتداء سفرهم فانا رأيناهم يعطون جماعة أمير الحاج الدراهم حتى يقطرهم انتهى ولكن حصل لى باذن شيخى غاية الستر بين الفقراء فان غالب الفقراء اليوم صاروا يجلسون بلا اذن من شيخهم وبعضهم مات شيخه ولم يأذن له فادعى أنه جاءه فى المنام وقال له ابرز للناس وبعضهم ادعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن له وهو بعيد فان

المقام وبينه وبينه مثل مابين السماء والارض وكلما تمكن الرجل فى العلوم الالهية وللمعارف الربانية استغرب فى هذا العالم فيقل من يعرفه ويفقد من يحيط به فيصفه وقال رضى الله عنه كل سوء أدب يثمر لك أدبا فهو أدب وقال رضى الله عنه المؤمن لا يرضى عن نفسه بالخير اذا كان فيه لان فوق الخير خيرات أتراه يرضى بالشر وقال رضى الله عنه كان الجنيد قطبا فى العلم وكان سهل بن عبد الله التسترى قطبا فى المقام وكان أبو يزيد البسطامى قطبا فى الحال وقال رضى الله عنه اللطف حجاب عن اللطيف ومعنى كلام الشيخ هذا ان اللطف اذا ورد على العبد فان كان فى الدائرة النفسانية تلقته النفس بالبشاشة والفرح واذا كان فى الدائرة المعنوية تلقته الروح بالمحبة والمتعة ويقع الميل ويكون عن الميل السكون ويكون مع السكون الانس بالمسكون أى والله لا يحب لك أن تسكن لغيره ولا ان تأنس بشئ دونه فلذلك قال الشيخ رضى الله عنه اللطف حجاب عن اللطيف الى السكون اليه والاقامة عنده وهذا كما

بين مقام الاخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا كذا ألف مقام ما أظن أن هذا حصل منها مقاما واحدا كما مر تقريره في المقدمة وقد ذكرنا قواعد أهل الطريق في رسالة خاصة فمن طالعها وجد بعض المشايخ اليوم لم يبلغ مقام مريد فالله تعالى يلطف بنا وبهم ويغفر لنا ما جنيناه آمين آمين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) كثرة محبتي وتعظيمي لاولاد مشايخي في العلم والطريق وأصحابهم ومن يلوذ بهم في حال حياة أشياخي وبعد مماتهم قياما بواجب حق أشياخي وأولادهم وأصحابهم وهذا الخلق يخل به كل من لم يفطم على يد شيخ فيكرهون أولاد شيخهم وأصحابه وبالعكس وكيف يدعي أحدهم محبة شيخه ثم يبغض أولاده وأصحابه هذا يشبه طريقة الروافض وكان سيدي محمد الشناوي رحمه الله تعالى يقول لما أرى أحدا من أولاد شيخي أو أصحابه أكاد أطير من الفرح وكأني رأيت شيخي ثم يقول * لعلي أراهم أو أرى من يراهم * وكان رحمه الله تعالى يقول لو خدمت أولاد شيخي طول عمري وأعطيتهم كل ما بيدي من الدنيا ما قمت لهم بجزاء فان معرفة الطريق التي أطلعني عليها والدهم لا تقابل بالاعراض الدنيوية فعلم أن كل من لم يفطم على يد شيخ فان لازمه غالبا الرعونات البشرية والاخلال بواجب الادب مع أولاد شيخه وأصحابه والنكتة في ذلك ان صاحب الرعونة يطالب من أولاد شيخه أن يتلمذوا له ويربيهم وأولاد شيخه يطلبون منه أن يكون تحت حكمهم كما كان مع والدهم فلا يقدر ولا يقدرون فلذلك كان الغالب على الفريقين العداوة والبغضاء (ولما) مات سيدي علي المرصفي رحمه الله تعالى انقسم أصحابه فرقتين على أولاده ففرقة تكره أولاده وفرقة تحبهم وكذلك وقع للشيخ تاج الدين الذاكر رحمه الله تعالى فذهبت الى الفرقة التي كرهت أولاد شيخها فكلمتهم في ذلك فتابوا واستغفروا ولما مات سيدي الشيخ مدين رحمه الله انقسم الناس فرقتين فرقة مع ولده سيدي أبي السعود وفرقة مع ولد أخته سيدي محمد شيخ سيدي علي المرصفي وشيخ الشيخ السروي وشيخ الشيخ نور الدين الحسني وشيخ الجماعة فوقع بينهم خصام كثير ثم ضربوا ولد أخته وأخرجوه وأجلسوا سيدي أبا السعود ولد سيدي مدين فما نتج على يديه أحد وما تفرعت الطريق الا من ولد أخته فان الطريق لا تورث الا لمن شاء الله لا تختص بالاهل كالارث الظاهر حتى ان بعض الاقطاب سأل الله عز وجل أن تكون القطبية بعده لولده فنودي يا فلان ذلك في الارث الظاهر من الاموال فاستغفر ذلك القطب فبعد مدة جاءه شخص من أهل المغرب فبات عنده ليلة فمات القطب فتولى القطبية بعده ولما مات شيخي الشيخ محمد الشناوي رحمه الله تعالى عادا لي أولاده مدة فما زلت بحمد الله أسارقهم وأقدم لهم نعالهم وأبجلهم حتى زال ما عندهم وطلبت من ولده سيدي الشيخ عبد القدوس أن يلقنني بعد والده فابى وتلمذ لي وكان يقبل عتبة زاويتي قبل أن يدخل وصار لا يفعل شيأ حتى يشاورني عليه فجهز مرة زاده وجماله للحجاز فقال له شخص ليلة السفر وهو في البركة ان فلانا قال ما كان في خاطري أنه يسافر في هذه السنة فركب حمارته وجاءني وقال والله لو بلغني الامر وأنا في نصف الطريق انك أشرت علي بالرجوع لرجعت ورأيت ذلك عندي أرجح من الحج انتهى وهذا الامر ما فعله معي أحد غيره فرحمه الله تبارك وتعالى الرحمة الواسعة آمين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) شهودي فضل معلمي علي ولو بلغت الغاية في الترقي فانه هو الذي أعطاني مادة الترقي حتى عرفت بها ما عرفت فمن نسي فضل معلمه عليه فهو لئيم كما قاله الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه وقد اختار المحققون دوام المكث للمريد تحت طاعة الشيخ وقالوا لو حقق المريد النظر لوجد مقامه دون مقام شيخه ورأى مقام شيخه أرقى وأصفى وأنور وغاية أمر المريد انه ساوى شيخه في جسم العمل لا في روحه فان الغالب على الاشياخ بعد الكمال أن يكون الغالب عليهم الاعمال القلبية التي كل ذرة منها عند الله أرجح من قناطير من أعمال ذلك المريد وربما كان حضور المعلم مع الله تبارك وتعالى في الامور العادية أفضل من حضور المريد معه في الطاعة الشرعية وايضاح ذلك ان الكامل تكون مشاهدته قلبية فلا يكاد يظهر من أعماله الصالحة الا بقدر ما يعرف ان الناس يقتدون به فيها والباقي يكتمه عنهم لئلا يقيم الحجة عليهم عند الله تبارك وتعالى وقد كثرت خيانة هذا الخلق من كثير من الناس فيتعلم أحدهم العلم أو الصنعة ثم بعد قليل يسيؤن الادب

كما تشكوا اليه من حر التدبير والاختيار فقال له الشيخ أما شكواي من حر التدبير والاختيار فقد ذقته وأما شكواك من برد الرضى والتسليم فكيف فقال أخاف أن تشغلني حلاوتهما عن الله وأوحى الله الى موسى عليه السلام يا موسى نعم العبد نوح لولا انه يسكن لنسيم الاسحار ومن عرفني لا يسكن لغيري وكان عندنا بالاسكندرية امرأة عارفة بالله أخبرتني انها سمعت يقال لها أعوذ بك من النور وفتنته ومن الغيب وتلفته وأخبرتني أيضا قالت كنت أمشي بالاسكندرية واذا بناس في لهوهم وطربهم فقلت في نفسي هؤلاء في فرح ومسرة وحكم الله من ورائهم ونحن في مقاسات النوازل وقهر الاحكام قالت فاذا علي يقال لي ليس أهل الحضرة والادب كاهل الطيبة والطرب وأخبرتني أيضا قالت كنت اذا كنت في حضرة أو موقف وأرادني زوجي ليقضي أربه لا أمنعه ولا يستطيع ذلك كلما أراد مني أمرا عجز عنه قالت حتى يضيق خلقه ويقول ما هذه الاحسرة هذه الشابة في حسنها بين يدي لا تمتنع عني ولا أصل اليها فتقول له في ذلك الوقت من هو الرجل

مع معلمهم و يسعون على وظيفته و ينسون فضله عليهم وقد كان الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه يقول شر الناس اللئيم اذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه ونسى فضل معلمه ولاجل ذلك ضربوا المثل وقالوا كل شئ اذا زرعته قلعته الا ابن آدم اذا زرعته قلعك و بالجملة فمن قطع حبل معلمه قطع الله عنه الامداد فافهم يا أخى ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) ارشادى لاخوانى من الامراء والمباشرين اذا عزلوا من وظائفهم ودارت رحاتهم شمالا الى فعل ما يرد عليهم ولا يتهم به وذلك لعلمى بان أحدا لا يعزل من وظيفته قط الا بعد أن أخل بشرائطها وهو القيام بواجب حق الله تعالى عليه من ترك المعاصى جملة والقيام بواجب الرعية عليه من قضاء حوائجهم وتفريج كربهم و يجمع ذلك كله ان يكثر من الاستغفار ليلا ونهارا ولا يشتغل بغيره الا لضرورة شرعية فان الاستغفار يطفئ غضب الرب جل وعلا و يرضى عنه خصماءه وقد أغفل ما قلناه غالب الفقراء فتجد أحدهم يدخل فى جملة من زالت نعمته و يتوجه فى قضائها فلا يجد لتوجهه أثرا وذلك لان الحق تبارك وتعالى ما زيل نعمة عن عبد الا تأديبا له ليرجع اليه بالفاقة والاعتراف بذنبه الذى أحصاه الله عليه ونسيه هو ومادام يقول مالى لا ذنب ولا أسية فهو معزول أو جالس فى الحبس لا يخرج وكثيرا ما تزول النعمة عن بعضهم بالذنوب التى كان يستهين بها لكثرة وقوعها كشرب الخمر والزنا واللواط والتعاون عند الحكام واخراج الصلوات عن وقتها ونحو ذلك فيعتقد أن الله تبارك وتعالى غفرها له من زمان والحال انها باقية عليه وربه عليه غضبان ومن غضب عليه ربه فلا يقدر شافع يشفع فيه الا اذا رأى المحل قابلا للشفاعة كما هو مشاهد فى بيوت الحكام فليفتش الفقير نفسه وليتب من كل ذنب يعلمه الله تعالى ثم يفتش من يريد ان يتحمل عنه الحملة و يأمره بالتوبة من كل ذنب يعلمه ثم بعد ذلك يشفع فربما كان الشيخ نفسه له ذنوب لم يتب منها فلا يصلح أن يكون شافعا فى غيره كما مر فى شروط من يتحمل حملة الناس وربما كان المحمول عنه له ذنوب كذلك فلا يفيد توجه الفقير فى اطلاقه أو أن يرد له وظيفته مثلا فالعاقل من أتى البيوت من أبوابها فافهم ذلك فانه نفيس جدا والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) عدم غفلتى عن أصحابى اذا سلك أحدهم مسالك التهم فأنهاه عن ذلك واذا قال يكفينى علم الله تعالى قلنا له ان الذى يكفيك علمه قد أمرك أن لا تتسبب فى وقوع الناس فى عرضك وقد قالوا من سلك مسالك التهم فلا يلومن من أساء به الظن فكما ان الشمس تحكم بحرارتها على الارض فلا يمكن الارض ان ترد عنها حرارتها فكذلك مسالك التهم تحكم على صاحبها بوقوع الناس فى عرضه وسوء الظن به فلا يمكن الناس ان يحسنوا به الظن الا بتأويل بعيد قل من يقبله فعلم أنه لا ينبغى لانسان أن يكلم امرأة على شارع اذا علم ان الناس يلوثون به فى ذلك ولو محرما كما لا يجوز أن يختلى باجنبية أو ينظر وجهها و يجب على من رآه كذلك ان يزجره عن ذلك أشد الزجر لمسارعة الانكار عليه من غالب الناس وربما يقول الناس بعيد أن يكون سلم من الزنا بها فى تلك الخلوة و يؤيده قول بعض العلماء ان كل خلوة باصابة و يقاس على ذلك الخلوة بالامرد الحسن فليحذر الفقير من ذلك ولا يغتر بصفاء حالهم مع الله تبارك وتعالى فان الحق جل وعلا ربما غير الحال فى لمحة وقد رأى سيدى محمد الحنفى رحمه الله تعالى فقيرا يكلم امرأة فى السوق فنهاه عن ذلك فقال له الفقير أنا بحمد الله لا أميل الى النظر اليها ولم يلتفت لكلام الشيخ ففى تلك الليلة وقع بالمرأة فاشتبك ذكره فى فرجها فاطلع الشيخ على ذلك من طريق كشفه فجاء الى باب الخلوة وقال أيناهو الصادق فقال الفقير تبت الى الله تعالى فتوجه الشيخ الى الله تعالى زمانا حتى خلص ذكره من فرجها ثم انه خرج من الزاوية وما بقى فيها وما ذكرت لك مثل هذه الحكاية وان كان فى لفظها قبح الا تقبيحا للخلوة بمن يخاف منه الفتنة فاثرت نصحك على أدبى فى اللفظ والله لا يستحى من الحق فاياك يا أخى أن ينصحك شيخك أو غيره عن الخلوة بالاجنبية فلا تمتثل أمره والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة احترامى للاولياء بعد موتهم فلا أتزوج لهم زوجة خوفا من غيرة الله تعالى لهم فيهلكنى لان للولى مع الله تعالى أوقات رضا وملاطفة فربما قال الولى يارب أنت ولى بعد موتى

رضى الله عنه وأقل ما فى ذلك انك اذا فتح لك باب حلاوة الطاعة تصير قائما فيها متطلبا لحلاوتها فيفوتك صدق الاخلاص فى نهوضك لها وتحب دوامها لا قياما بالوفاء ولكن لما وجدت فيها من الحلاوة والمتعة فتكون فى الظاهر قائما لله وفى الباطن انما قمت لحظ نفسك ويخشى عليك أن تكون حلاوة الطاعة جزاء تعجلته فى الدنيا فتأتى يوم القيامة ولا جزاء لك وقال رضى الله عنه لما قرأت عليه كتاب الحقائق للسلمى فقال فيه انتهى عقل العقلاء الى الحيرة فقال الشيخ عن الشيخ أبى الحسن رضى الله عنهما ولا حيرة عند المحققين فيما فيه الحيرة عند المؤمنين وقال رضى الله عنه الناس على ثلاثة أقسام عبد هو بشهود ما منه الى الله وعبد هو بشهود ما من الله اليه وعبد هو بشهود ما من الله الى الله ومعنى كلام الشيخ هذا ان من الناس من يكون الغالب عليه شهود تقصيره واساءته فيقوم مقام المعتذر بين يدى الله تعالى وتلازمه الاحزان وتحالفه الاشجان و يستولى عليه الكمد كلما بدت منه سيئة أو كشف له

ووصي على زوجتي فعسر عليها بارب التزويج بعدي فصار كل من تزوجها يعطبه وقد أوصاني الشيخ شهاب الدين الكعكي رحمه الله تعالى باني أتزوج زوجته من بعده فلم أرض مع انها سألتني وقالت أنا راضية فقلت لها ولو رضيتي أنت فلا أرضى أنا وقد بلغنا ان زوجة سيدي محمد الشويمي صاحب سيدي مدين رحمه الله تعالى مات عنها وهي بكر وقال لها لا تتزوجي بعدي أحدا فأقتله فاستفتت العلماء في ذلك فقالوا لها هذه خصيصي برسول الله صلى الله عليه وسلم فتزوجي وتوكلي على الله تعالى فعقدوا لها على شخص فجاءه تلك الليلة وطعنه بحربة فمات من ليلته وبقيت بكرا الى ان ماتت وهي عجوز وكذلك أخبرني الشيخ زيتون خادم سيدي الشيخ بهاء الدين المجذوب ان زوجته لما جذب انتظرت افاقته سبع سنين فلم يفق فاستفتت العلماء فافتوها بأنها تتزوج فجاء تلك الليلة حين دخل بها زوجها وطعنهما فماتا جميعا وضرب القاضي فعمي وتكسح الى أن مات وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يتكدر ممن يتزوج نساء الاولياء أو نساء الملوك والامراء ويقول ينبغي مراعاة الادب مع الاكابر ولما تزوج الشيخ محمد المغربي الجاولي سرية السلطان طومان باي بعد شنقه في باب زويلة تكدر منه غاية التكدر وقال ان هذا لم يشم من الادب رائحة ولو كان عنده أدب لراعى السلطان بعد موته كما كان يراعيه حال حياته وقد روى البيهقي عن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه انهم يعني الصحابة طلبوه ان يؤم بهم فامتنع وقال كيف أؤم بقوم هداني الله على أيديهم انتهى فاياك يا أخي ان تتزوج امرأة ولي الا ان كنت تعلم ان حاله لا تؤثر فيك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) محبة نفسي للجلوس في طرف الحلقة في المحافل دون صدرها ولو أني جلست في طرف الحلقة لا أرى لي بذلك فضلا على من جلس في صدر الحلقة من حيث تواضعي ولو أني كنت في صدر الحلقة فدخل شيخ من أقراني فأخروني وقدموه لا أتأثر بحمد الله تعالى وهذا الخلق غريب في هذا الزمان فلا يصح التخلق به الا ممن كملت رياضته وفطم على يد شيخ ناصح والا فمن لازمه غالبا التكدر ممن يقيمه من الصدر ويجلسه في طرف الحلقة وقد تقدم أوائل هذا الكتاب ان من شأن أهل الله تبارك وتعالى أنهم يرون نفوسهم دون كل جليس فلا يرون لهم مقاما عاليا ثم ينزلون منه لما هو دونه فاذا أجلسوهم عند النعال فرحوا بذلك لتسارع الرحمة في النزول عليهم في كل مكان أذلوا فيه نفوسهم في مرضاة الله تعالى فانه تعالى قال انا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي بخلاف صاحب الكبر فانه يتسارع اليه المقت من الله تعالى وكما لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر فان حضرة الله عز وجل كالجنة على حد سواء فاعمل يا أخي على تحصيل هذا الخلق بالرياضة لتكون متواضعا خالصا فان بعض الناس قد يجلس في طرف الحلقة ليقال انه متواضع ويتلذذ بقول الناس في حقه ذلك أكثر مما يتلذذ بقولهم فلان أجلسوه في الصدر لكونه من أهل العلم والفضل وربما يدعي الفقير في نفسه التواضع ويقول صدر الحلقة وطرفها عندي سواء والحال بخلاف ذلك فليمتحن الحاذق نفسه بخلاف تواضع أهل الله تعالى فان حقارتهم مشهودة لهم وفضل الناس عليهم مشهود لهم فلو أقام المعتقدون الادلة على فضلهم على غيرهم لا يلتفتون الى ذلك وقد كان أبو سليمان الداراني رضي الله تعالى عنه يقول لو جهد الناس ان يرفعوني فوق ما أعلم من نفسي من الحقارة ما قدروا انتهى فافهم يا أخي ذلك ترشد والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) ذهاب فهمي الى الاتعاظ اذا سمعت آية وحديث أو أثر أو شيء من الرقائق ولا أذهب بفهمي الى الاحكام واستخراجها من الالفاظ الا بعد ذلك ثم أصرف قلبي عن ذلك وكذلك القول في اللغة والاعراب ان طلبت ذلك لا يكون الا خارج الصلاة وهذا الامر قد أعطاه الله تعالى لي من حين كنت أمردوهو خلق غريب لا يوجد الا في أفراد من الناس فان غالب الناس أول ما يذهب فهمهم الى الاحكام أو الى اعراب الكلام أو الى ما في ذلك من اللغات ولا يكاد أحدهم يترقى عن ذلك الى الاعتبار والقوارع والزواجر التي في ذلك الكلام الا بعد ذلك وربما فني عمر أحدهم في مثل ذلك ولم يترق الى الاعتبار ولا الى مقام اعبد الله كأنك تراه وكثيرا ما تذهب عني الآية في صلاة الليل فلا أجد أقرب الى من الحق تبارك وتعالى فأسأله فيردها

تلازمه المسرة بالله والفرح بنعمة الله قال الله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون فالاول حال الزهاد والعباد والثاني حال أهل العناية والوداد الاول شأن أهل التكليف والثاني شأن أهل التعريف الاول حال أهل اليقظة والثاني حال أهل المعرفة فلذلك قال الشيخ أبو الحسن العارف من غرق شدائد الزمان في الالطاف الجارية من الله عليه وغرق اساءته في احسان الله اليه فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون وقال أيضا قليل العمل مع شهود المنة من الله خير من كثير العمل مع رؤية التقصير من النفس وقال بعض أهل المعرفة لا يخلو شهود التقصير من الشرك في التقدير وقال الشيخ أبو الحسن قرأت ليلة من الليالي قل أعوذ برب الناس حتى ختمتها فقيل لي شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين حبيبك ينسيك ألطافه الحسنة ويذكرك أفعالك السيئة ويقلل عندك ذات اليمين ويكثر عندك ذات الشمال ليعدل بك عن حسن الظن بالله ورسوله الى سوء الظن بالله ورسوله فاحذر هذا الباب فقد أخذ منه كثير من الزهاد والعباد

وأهل الجد والاجتهاد ولذلك قل ان تجد الزاهد والعابد الا مكمودا حزينا لانه علم ان الله طالبه بالعبودية وحمله اعباءها وألزمه ما أشفقت السموات والارض والجبال من حمله قال الله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فعاين الزهاد ثقل ما حملوا ولم ينفذوا الى شهود لطف الله الحامل للاثقال عن عباده المتوكلين عليه فلذلك لزمهم الكمد واستولى عليهم الحزن وأهل المعرفة بالله علموا انهم حملوا من التكليف أمرا عظيما وعلموا ضعفهم عن حمله والقيام به متى وكلوا الى نفوسهم قال الله سبحانه وتعالى وخلق الانسان ضعيفا وعلموا انهم اذا رجعوا الى الله حمل عنهم ما حملهم قال الله سبحانه وتعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فرجعوا اليه بصدق الرجعى فحمل الاثقال عنهم فساروا الى الله محمولين في محفات المنن مروح عليهم بنفحات اللطف والآخرون ساروا الى الله لاثقال التكاليف حاملين تلازمهم المشقات وتطول بهم المسافات فاذا شاء أدركهم بلطفه فاخذ بايديهم من شهود معاملاتهم الى شهود سابق توفيقه لهم فطابت لهم الاوقات وأشرقت فيهم العنايات

على من طريق الالهام ولعل الاشارة بحديث اعبد الله كأنك تراه الى مثل ذلك بقرينة حديث ان الله في قبلة أحدكم فافهم واعلم أنه كثيرا ما يكون القارئ يقرأ الحديث أو كلام القوم والسامعون في غاية البكاء والخشوع فيدخل علينا نحوي فيقول هذا الكلام معطوف على ماذا والافصح أن يقال كذا وكذا فيذهب خشوع الجماعة لوقته ويرتفع البكاء والاعتبار ولكل كلام محل وما هكذا بلغنا عن السلف الصالح انما كان أحدهم اذا تلا القرآن في الصلاة ينظر الى ما فيه من المواعظ ثم يترقى من ذلك الى الاشتغال بمناجاة الحق جل وعلا فلا يكون له التفات الى غير الحق تعالى وأما استنباط الاحكام فله وقت آخر (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول قل من يشتغل بمراعاة مخارج الحروف والترقيق والتفخيم والادغام والاقلاب ونحو ذلك ويصح له الحضور مع الله تعالى الذي هو روح الصلاة وذلك لان النفس ليس من قدرتها الاشتغال بشيئين معا في آن واحد قال رحمه الله تعالى ومن هنا قال مالك رضي الله تعالى عنه بارخاء اليدين في الصلاة دون وضعهما على الصدر لكل من يشتغل بمراعاتهما عن كمال الاقبال على مناجاة الحق جل وعلا انتهى وبالجملة فالناس على مراتب حال التلاوة فمنهم من يسبق ذهنه الى الاعراب ومنهم من يسبق ذهنه الى الجناسات ومنهم من يسبق ذهنه الى الاحكام ومنهم من يسبق ذهنه الى الاعتبار ومنهم من يسبق ذهنه الى حضوره بالقلب مع الحق جل وعلا فهم على مراتب بحسب ما هو الغالب على كل واحد منهم وأعلاهم مرتبة من حضر مع الله تعالى في حضرة الاحسان (وكان) سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول في قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته قال هم الذين يتجدد لهم في كل قراءة معان أخر لم تخطر لهم على بال ولو كرر الآية ألف مرة كان له في كل مرة معان جديدة فهذا هو تلاوة القرآن حق تلاوته (وسمعته) رحمه الله تعالى مرة أخرى يقول ليست الصلاة بمحل لاستنباط الاحكام وانما يكون الاستنباط خارجها وفي الحديث ان في الصلاة لشغلا (وسمعته) مرة أخرى يقول لا يقدر على القراءة بالانغام في الصلاة ومراعاة التفخيم والترقيق والادغام والاقلاب مع الحضور مع الله تعالى الا الاكابر من الاولياء والقراءة الساذجة أولى لكل ضعيف والسلام فافهم يا أخي ذلك ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك ويدبرك في بلواك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم احتجابي عن الملهوف أو المكروب كمن طلبه ظالم ليأخذ ماله أو يخرجه من وطنه أو يعزله من وظيفته أو كمن مات له ولد أو كمسترشد في الطريق ونحو ذلك فمن فضل الله علي أني أترك كل شغل كنت فيه وأخرج اليه وأبادر الى قضاء حاجته بامور الظاهر وبالتوجه الى الله تبارك وتعالى بالباطن فان كان ذلك المكروب من جهة أمر يصح استدراكه سعيت معه في ازالته وان كان لا يصح استدراكه سليته عنه وأمرته بالصبر أو الرضا وذكرت له أحوال الصالحين في شدة صبرهم على المصائب والبلايا والمحن وعدم سخطهم على فقد مال أو ولد ونحو ذلك اذ التسلي ربما يحصل بالتاسي بالصالحين فيخف الهم ضرورة قال تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا وقال تعالى فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت وقال تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل واعلم انه لا يجوز حمل الاشياخ على انهم احتجبوا عن مكروب تكبرا أو استهانة بحقه معاذ الله أن يقعوا في مثل ذلك وانما يتخلفون عن الخروج لشدة اشتغالهم بالله عز وجل وربما حصلت لهم جمعية بقلوبهم على الله تعالى فمنعتهم من الحركة ومن الالتفات لغيره تعالى بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول لي وقت لا يسعني فيه غير ربي انتهى وكان شيخنا رحمه الله تعالى يقول انما قال ذلك أواخر عمره صلى الله عليه وسلم حين بلغ الرسالة وأدى الامانة وأقبل الاقبال الكلي على ربه عز وجل فوق ما كان عليه حال الاشتغال بالجهاد انتهى وفي القرآن العظيم ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم فلم يعين تعالى ذلك بمدة فشمل اليوم والجمعة والشهر وغيرها فافهم (وكان) سيدي مدين وسيدي علي المرصفي رضي الله تعالى عنهما لا يخرجان من خلوتهما الا لصلاة العصر فقط ولو ان أحدا جاءهما في غير ذلك الوقت لم يخرجا له ومثل هذين الشيخين لولا انهما يعلمان ان لهما عذرا شرعيا لخرجا كل وقت دعيا فيه الى الخروج فالتسليم لهما ولمن تبعهما أسلم وحملهما على

محمل حسن أغنم وكلامنا فى الخروج لاصحاب الضرورات العاذية أما من لاضرورة له كغالب من يزور الفقراء اليوم فلا ينبغى لفقير ان يخرج لاحد هم الا ان علم منه حفظ اللسان فى حال مجالسته له الى أن يقوم ويخرج وقد صار ذلك فى هذا الزمان أعز من الكبريت الاحمر وان شككت فى قولى فاذكر للمجالس أحدا من أعدائه بخير او افتح له أخبار الولاة تعرف صدق ما أقول فلا يكاد مجلس يطول الا ويقع أهله فى غيبة (وقد كان) سيدى يوسف العجمى شيخ الطريق بمصر يقول لنقيبه اذا دق أحد باب الزاوية فلا تفتح له الباب الا ان كان معه فتوح للفقراء والا فهى زيارات فشارات فقال له فقير يوما كيف هذا وأنتم خرجتم عن الدنيا فقال له ياولدى أعز ما عند الفقير وقته وأعز ما عند أبناء الدنيا دنياهم فان بذلوا لنا أعز ما عندهم بذلنا لهم أعز ما عندنا انتهى اذا علمت ذلك فلا تعجب يا أخى الا بوجه شرعى ولا تخرج الا بوجه شرعى والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) أدبى مع أصحاب الحضرة الالهية فى الليل وكراهتى للتقدم عليهم فى الموقف لانهم كالامام لى فلا أحرم قبلهم بصلاة لانى أستحيى من وقوفى بين يدى الله تعالى قبل أن يقف أحد منهم لضعف حالى عن الخلوة بالملك الجبار الذى دكت الجبال من شهود عظمته فان غلب على أن جميع من فى الحضرة فوقى فى المقام استأذنت الله تبارك وتعالى فى الوقوف خوفا ان أصبر الى آخرهم فيفوتنى قيام الليل جملة * ومما وقع لى انى قمت ليلة قبل ان يدخل النصف الثانى من الليل وقبل ان يشرع أهل الحضرة فى الوقوف فى سائر أقطار الارض فما كنت الا هلكت ومن تلك الليلة لم أقم حتى يغلب على ظنى أن بعض الناس وقف بين يدى الله تبارك وتعالى ولو فى الهند والصين ويؤيد ما قلناه كراهة بعض العلماء الطواف ليلا وان كان الجمهور على خلافه وبلغنا عن بعض الاولياء انه كره الطواف ليلا وقال لم يبلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف ليلا ولو أن ذلك ثبت لحملته على بيان الجواز انتهى (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول من الادب أن لا يتقدم أحد فى الوقوف على خواص الحضرة الالهية كما لا يدخل أحد على ملوك الدنيا قبل دخول الامراء والاكابر وقبل الاذن فى الدخول ولله المثل الاعلى (وكان) رضى الله تعالى عنه لا يتجرأ قط أن يدخل المسجد للصلاة الا بعد سماع قول المؤذن حى على الصلاة وبعد أن يجد أحدا داخلا فيدخل تبعا له فان لم يجد أحدا داخلا وقف على الباب خلف حده حتى يجىء أحد يدخل فيدخل معه ويقول مثلى لا ينبغى له أن يدخل المسجد بين يدى الله الا تبعا للناس ثم لا يخفى عليك يا أخى ان كل ما عده خدام حضرة ملوك الدنيا سوء أدب معهم فتركه فى معاملة الحق جل وعلا آكد فان الله تعالى أحق أن يستحى منه وقد تبع الشرع العرف فى كثير من الاحكام كأمره المصلى بستر العورة فى الخلوة وفى الظلام مع ان الحق تبارك وتعالى لا يحجبه شئ وهذه الامور التى ذكرناها لا يدركها الا أرباب القلوب لا أرباب الاجسام والكثائف وقد جاءت الشريعة كلها آمرة بالادب مع الحق تعالى على اختلاف طبقات الخلق وربما يكون أدب عند قوم بعده قوم آخرون سوء أدب من باب حسنات الابرار سيآت المقربين فيستغفر قوم مما يتقرب به قوم آخرون لكن فى الآداب التى لم تصرح بها الشريعة من حيث مشهد كل عبد فى الزيادة والنقص فى الخشوع مثلا لا من حيث أصل مشروعيتها فافهم فترى كل انسان يصلى ويخشع ولكن أين صلاة أكابر الاولياء وخشوعهم من صلاة آحاد الناس وخشوعهم وفى القرآن العظيم ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك فأفهمنا انه ليس لاحد من الامة أدبا أن يقف بين يدى الله تعالى قبل سيد الحضرة على الاطلاق صلى الله عليه وسلم وتأمل قوله تعالى وطائفة من الذين معك أى بحكم الاقتداء بك والتبعية لك ثم ان هذا الادب الذى ذكرته من خوفى من الوقوف بين يدى الله تعالى قبل الناس فى الليل لم أجد أحدا صرح به غير سيدى على الخواص وأضرابه رضى الله تعالى عنهم اما لعدم ذوقهم له واما لغير ذلك بل غالب الناس يتلذذ بوقوفه فى الليل وحده قبل وقوف الناس لحجابه عن شهود التجلى الالهى ولو أنه شهده لم يقدر على الوقوف بين يدى الله عز وجل وحده من غير أحد يصلى هنالك أبدا ولعل هذا أحد المعانى التى كرهت الصلاة فرادا لاجلها فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشدوا الحمد لله رب العالمين

وأما القسم الثالث وهو الذين هم مع الله بشهود ما من الله الى الله فهؤلاء هم أهل التوحيد والدين هم الى مبادئ التفريد رأوا أهل القسم الاول وهم الذين غلب عليهم شهود ما منهم الى الله لم يخرجوا عن باطن الشرك وان خرجوا عن ظاهره لانهم أقبلوا على أنفسهم موبخين لها شاهدين لتقصيرهم واساءتهم فلو لم يشهدوا الفعل لها أو منها ما توجهوا اليها بالتوبيخ اذا قصرت فلذلك قال ذلك العارف الذى سبق قوله لا يخلو شهود التقصير من الشرك فى التقدير فان قلت اذا كان توبيخ النفس وذمها يستلزم دقيقة شرك فكيف نصنع والله قد ذم النفس وأمرنا بتوبيخها اذا قصرت وو بخها هو اذا كانت كذلك فالجواب ان ذمها لان الله تعالى أمرك بذمها من غير ان تشهد لها قدرة وتضيف اليها فعلا تراها هى الفاعلة له وأما القسم الثانى وهو الذى بشهود ما من الله اليه فهو وان كان خيرا من القسم الاول لكنه ما سلم من اثبات لنفسه اذ رأى نفسه مهداة اليها هدايا الحق فلولا اثباته لنفسه ما شهد ذلك فلاجل هذين المعنيين آثر أهل الله القسم الثالث وهو أن يكون بشهود ما من الله الى الله فافهم وقال رضى الله تعالى عنه العارف اذا خوف خاف قال الله تعالى حكاية عن

الله عن شهود عدله ولا يحجبه شهود لطفه عن خوف ما بطن فى مشيئته ويجب أن تعلم ان أهل المعرفة فى نهاياتهم ربما التبس حالهم باهل البدايات فى بداياتهم فان المريد فى مبدأ ارادته تؤثر فيه المخاوف لعدم استيلاء سلطان الحقيقة عليه فاذا تحقق فناؤه لم تؤثر فيه الواردات ولم يدخل تحت حكم العادات فاذا رد الى حالة البقاء أثرت الاشياء فيه كحاله فى بدايته منها خلقناكم وفيها نعيدكم فتجد المريد يخوف فيخاف والعارف يخوف فيخاف وليسا وان استويا فى الظاهر سواء فخوف المريد لاجل حجته وخوف العارف لكمال معرفته ومن هنا لا نفضل عبدا واثقا بلطفه ومنته على خائف من غيب مشيئته وكذلك لا نفضل عبدا وقف مع ظاهر الوعد على عبد رد الى وجود الازلية فاقتطع عن الوقوف مع الوعد الجميل والنعم ورد الى ما سبق فى القدم وقد جاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر ورفع يديه الى السماء اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد وما زال يناشد ربه حتى سقط الرداء عن منكبيه فقال أبو بكر رضى الله عنه يكفيك مناشدتك المرسى

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) محبتى لجميع الطاعات من حيث ان فيها مجالستى للحق تبارك وتعالى لا لعلة ثواب وبغضى للمعاصى من حيث ان فيها الحجاب عن الحق تبارك وتعالى لا لعلة عقاب ولا غير ذلك لان جميع ما شرعه الحق تعالى لنا فى وقت من الاوقات كالاذن الصريح لنا فى دخول حضرته سواء الفرائض والنوافل ثم ان مالت نفسى الى طلب ثواب طلبته من باب المنة والفضل بحكم التبع لا بالقصد الاول مع أن الثواب حاصل بحكم الوعد الالهى فى كل عبادة حصل فيها الاخلاص فكما منّ علينا سبحانه بالوقوف بين يديه فكذلك منّ علينا بالثواب فأفعالنا وثمراتها كلها من جملة فضله علينا فكان من طلب الثواب طلب ما هو حاصل وليس ذلك مقصود الرجال انما يطلبون ما يخاف منه الفوات كمجالسة الحق جل وعلا فان كل وقت ذهب والعبد فيه غير حاضر بقلبه مع ربه عز وجل لا يحسب من عمره بل هو خسران فى الدنيا والآخرة (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول اياك ان تبتدع لك وردا فان الحق تبارك وتعالى لا يجالس عبده الا فيما شرعه نبيه صلى الله عليه وسلم * ولما اعترض بعض الفقهاء على حزب سيدى أبى الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى ونفعنا به المسمى بحزب البحر قال الشيخ والله لقد أخذته من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم حرفا بحرف انتهى فان كنت يا أخى من أهل هذا المقام فابتدع لك حزبا والا ففيما ورد فى الشريعة غنية عن ذلك (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول انما شرع الحق تعالى لنا مناجاته فى الصلاة بكلامه دون غيره حتى لا نخرج عن شهود صفاته فان القرآن صفة من صفاته تعالى فكان مناجاتنا له من باب خطاب الصفة لموصوفها فنحن نقرأ كلامه تعالى كالحاكين له وكلامه تعالى هو الذى يشهده تعالى ويناجيه ثم يخبرنا بما شهد وقد قال بعضهم فى معنى قولهم العلم حجاب أى علمك حجاب لك عن معرفة المعلوم فعلمك عرف المعلوم لا أنت لانك دائما خلف علمك وهو حاكم عليك انتهى وهو كلام غوره بعيد فافهمه ترشد والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به على) انى لا أتذكر قط انى دخلت على عالم أو صالح وأنا أرى نفسى مثله وانما أرى نفسى تحت أقدامه وأشهد فضله على فى العلم والعمل ليكملنى بلحظه وكلامه ولذلك ما خرجت قط من مجلس عالم أو فقير الا وأنا ممتد من مدده وكان على هذا القدم جماعة من العلماء الذين أدركناهم كشيخنا شيخ الاسلام زكريا الانصارى والشيخ نور الدين الطرابلسى والشيخ شهاب الدين بن الشلبى والشيخ جلال الدين بن قاسم المالكى والشيخ شمس الدين اللقانى والشيخ ناصر الدين اللقانى والشيخ شهاب الدين الرملى وأضرابهم رضى الله تعالى عنهم وفى وقتنا هذا أيضا جماعة كالشيخ ناصر الدين الطبلاوى والشيخ نور الدين الطندتائى والشيخ شمس الدين الخطيب والشيخ نجم الدين الغيطى والشيخ شمس الدين البرهمتوشى والشيخ سراج الدين الحانوتى وسيدى محمد ابن الشيخ شهاب الدين الرملى رضى الله تعالى عنهم ولذلك رفعهم الله تعالى على أقرانهم لكثرة امدادهم فانى ما سمعت من أحد منهم قط يعتقد فى نفسه الصلاح أبدا فلا يدخل أحدهم على عالم أو صالح الا ويمدّه بخلاف من يصف نفسه بانه صالح فانه لا يحصل له شئ فلا هو يستحق أن يمدوه ولا معه مدد يعطى منه أحدا شيأ ومن هنا قالوا زيارة الصالح للصالح لا فائدة فيها ومرادهم بالصالح هنا الصالح بالدعوى فان الصالحين كلهم لا يصح لاحد منهم أن يزكى نفسه أبدا بل يستغفر الله تعالى من نفس صلاته ويقول انى أحب أن أخرج من الصلاة من غير تقصير فيها فلا يصح لى ذلك فاذا كان حاله فى طاعاته كذلك فكيف حاله فى معاصيه وقد رأيت بعضهم يعتب على شخص يدعى القطبية فى عدم تردده اليه فقلت له لا فائدة فى اجتماعكما فقال لماذا فقلت له من يدعى القطبية لا يحتاج اليك ولا تقدر أنت أن توصل اليه مددا بل يرفضه فرجع عن العتب وقد علمت يا أخى من باب أولى انى لا أنكر قط بالظن على من دخلت عليه من العلماء والصالحين كما يقع فيه غالب الناس خوفا من المقت وقد كان أبو تراب النخشبى رضى الله تعالى عنه يقول اذا كان حال العبد الاعراض عن حضرة الله تعالى صحبته الوقيعة فى أولياء الله تعالى وكان الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه يقول من وقع فى عرض ولى ابتلاه الله بموت القلب وكان الشيخ أبو عبد الله القرشى رضى الله تعالى عنه يقول من غض من ولى ضرب فى قلبه بسهم مسموم ولم يمت حتى تفسد عقيدته فيموت على أسوأ حال انتهى وكان الشيخ أبو العباس

المرسى رضى الله تعالى عنه يقول قد تتبعنا أحوال القوم فما رأينا أحدا أنكر عليهم ومات بخير أبدا ودخل على مرة شخص فتعرض للحط على سيدى عمر بن الفارض فقلت له تلك أمة قد خلت فقال انى أتقرب الى الله بسبه فى المجالس ففارقنى وسافر الى بلاد بنواحى اسكندرية فاتهم بالفجور فحلق قاضى العسكر نصف لحيته وحاجبه وجرسه على حمار مقلوبا ثم دخل الحمام بعد أيام فمات فى الغطس الحار فوجدوه ميتا كالقرن اليابس مع انه كان من المفتين وحكى لى شيخنا شيخ الاسلام زكريا الانصارى رضى الله تعالى عنه قال دخلت أنا وشخصان على سيدى عمر النبتيتى رحمه الله تعالى فقال أحد الشخصين أنا لا أعتقد هذا الا ان أظهر لى كرامة وقال الآخر أنا معتقد فيه بلا كرامة وقلت أنا لا أطالبه بكرامة ولا أعتقد ولا أنكر فلما دخلنا عليه أقبل على المعتقد وبش فى وجهه وأعرض عن الآخر ثم قال لى كيف تقول لا أعتقد ولا أنكر وأنت تصير شيخ الاسلام وتسير بمؤلفاتك الركبان الى بلاد الهند والروم والشام فى حياتك فقبلت ركبته واستغفرت الله تعالى ثم ان ذلك الرجل الذى أنكر سافر الى الروم فاسره الفرنج ويقال انه تنصر انتهى قلت ومما وقع لى أنا مع جماعة دخلوا على مع سيدى عمر النبتيتى المكشوف الرأس ولد ولد الشيخ عمر صاحب الواقعة قبلهم مع الشيخ زكريا الانصارى وكان عندى خلائق فى وليمة عرس ولدى عبد الرحمن وكان طعاما واسعا فقال واحد من الجماعة الذين مع سيدى عمر أنا لا أعتقد فى فلان الا ان أخرج لى طاجن لبا وقال الآخر أنا لا أعتقده الا ان غسل يدينا بالماورد فلما دخلوا على أتانى شخص بالطاجن اللبا فاكلوا فلما فرغوا رششت على يديهم الماورد فغسلوا به أيديهم كل ذلك وأنا لا أشعر بما قالوا قبل الدخول فسترنى الله تبارك وتعالى معهما وما أخبرنى بذلك الا سيدى عمر نفعنا الله تعالى ببركاته ثم سألت الله تعالى أن لا يؤاخذهما من جهة امتحانهما فافهم يا أخى ذلك ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

﴿ ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على ﴾ تصديقى للصالحين فى كل ما يخبرون به من الامور التى تحيلها العقول عادة ولم أزل أصدقهم فى ذلك من حين كنت صغيرا وكل شئ لم أتعقله جعلته من جملة العلم الذى لم أعرفه ولا أكذب الا ما خالف النصوص الصريحة أو خرق اجماع المسلمين وأجمع أهل الكشف على أنه ما أنكر أحد شيأ أخبره به أهل الكشف الا حرم ذلك الامر الذى أنكره ولو بلغ الغاية فى السلوك فلا يعطى ذلك الامر عقوبة له على انكاره وتكذيبه أولياء الله تعالى الذين هم آياته فى الارض وبهم يرزق الناس وبهم يمطرون وبهم يدفع الله البلايا عن عباده وقد جلس عندى مرة الاخ الصالح الشيخ أبو العباس الحريثى بين المغرب والعشاء فى رمضان فقرأ بعد المغرب الى مغيب الشفق الاحمر القرآن خمس مرات وأنا أسمعه فلما دخلت أنا واياه على سيدى على المرصفى حكيت له ذلك فقال قد وقع لى انى قرأت القرآن فى يوم وليلة ثلثمائة وستين ألف مرة كل درجة ألف ختمة هذا لفظه بحروفه انتهى ومما وقع لى انى أحرمت بصلاة الصبح خلف الشيخ عمر الامام بالزاوية فافتتح سورة المزمل فسبق لسانى للقرآن فقرأت من أول سورة البقرة ولحقته فى قراءة الركعة الاولى قبل أن يركع فانصت له حتى ركع هذا أمر شهدته من نفسى وآمنت بانه كرامة لى من الله تعالى فان الايمان بكرامات الاولياء واجب حق ويجب على الولى أن يؤمن بكرامات نفسه كما يؤمن بكرامات غيره على حد سواء فانه باقدار الله تعالى فى الجانبين فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشدوا الحمد لله رب العالمين

﴿ ومما منّ الله تبارك وتعالى به على ﴾ نفرتى بالطبع ممن يقبل يدى لاسيما فى المحافل أو يمشى معى الى الباب اذا خرجت من الجامع الازهر مثلا الا لغرض شرعى كما انى أحب من لم يقبل يدى ولم يقم لى ولم يمش معى ولم يعتقدنى أكثر مما كان بالضد من ذلك كل ذلك خوفا على أديان الحسدة أن تمزق بسببى فانهم ان لم يتكلموا فى حقى بلسانهم تكلموا بقلوبهم ووقعوا فى سوء الظن فاثموا بسببى ولو أن أحدا لم يقبل يدى ولم يمش معى مثلا لربما لم يقعوا فى شئ من ذلك وأيضا فان النفس تحب من يعظمها فى المحافل فربما مالت الى ذلك فاهلكت صاحبها وربما قدم الناس الانسان فى صلاة الجنازة على أحد من أقرانه فقامت على الذى قدموه القيامة

بشهود الوعد الجميل فالرسول صلى الله عليه وسلم ما علمه أبو بكر من الوعد الجميل كيف والوعد انما وصل لابى بكر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم غير انه سلك الله به المسلك الاتم من الرجوع الى المشيئة التى لا تتوقف على شئ ويتوقف عليها كل شئ وقال رضى الله عنه ليس الشأن من تطوى له الارض فاذا هو بمكة أو غيرها من البلدان انما الشأن من تطوف عنه أوصاف نفسه فاذا هو عند ربه وقال رضى الله عنه عن شيخه خرج الزهاد والعباد من هذه الدار وقلوبهم مقفلة عن الله وقال رضى الله عنه عن شيخه من لم يتغلغل فى هذه العلوم مات مصرا على الكبائر وهو لا يعلم وسمعته يقول عن شيخه كل شئ نهاك الله عنه فهو شجرة آدم لما أكل من الشجرة نزل الى الارض للخلافة وأنت اذا أكلت من شجرة النهى تنزل لماذا انما تنزل الى أرض القطيعة وقال رضى الله عنه كان ببلاد المغرب ولى من الاولياء يتكلم على الناس وكان باديا فجلس يوما يتكلم على الناس فقال له رجل مكشوف الرأس كبيره هذا زهدنا فى الدنيا وهو

وكذلك أقول لما يريد أحد تقديمي أنا رجل حنبلي فيندهش مني ويعتقد ان ذلك عذر شرعي ولا يبحث عن
حقيقة ذلك ومرادي باني حنبلي اني أحب الامام أحمد رضي الله تعالى عنه كل ذلك مراعاة لاصحاب
الرعونات الذين يحضرون غالبا الجنائز لاسيما الحال في جنائز الاكابر فان أصحاب
الانفس يتقاتلون على التقدم فيها ولهذا الحلق حلاوة أعظم من
حلاوة التقدم ومن شك فليجرب وسيأتي بسط عدم
تقدمي لصلاة الجنائز ان شاء الله تعالى بعد
سبيع مني فراجعه والله تبارك
وتعالى يتولى هداك
والحمد لله رب
العالمين

كالدب فكوشف به الشيخ
فقال من فوق المنبر
يا أبا رويس ماسمعني
الا حبه ثم أنشد شعرا
وقائل لست بالمحب ولو*
كنت محبا لذبت مذ زمن
أحببته والفؤاد في
حرق
لم تذق الحب كيف
تعرفني
أحب قلبي وما درى
بدني
ولو درى ما أقام في السمن

﴿ تم الجزء الاول من كتاب المنن الكبرى للشيخ الشعراني
ويليه الجزء الثاني أوله الباب التاسع في جملة من الاخلاق ﴾

﴿ فهرست الجزء الاول من كتاب لطائف المنن للعارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب الشعرانى ﴾

٢ خطبة الكتاب
٢١ المقدمة فى ذكر أمور مشتملة على بيان الطريق الموصلة الى التخلق باخلاق هذا الكتاب الخ
٣٢ الباب الاول فى أمور يجب عند أئمة الطريق فعلها قبل طلب طريق القوم الخ
٣٤ مطلب فيما منّ الله عليه من شرحه لمحفوظاته السابقة المأخوذة من مشايخه وذكر بعضهم الخ
٣٦ مطلب فى أخذه بالاحوط فى دينه وعدم ترخصه فى تركه الا بطريق شرعى الخ
٨٦ مطلب فى عدم التعصب لمذهب دون آخر من غير علم ولا اجتهاد ويتبع ذلك مطالب أخر يجب العمل بها
١٠١ مطلب فى اطلاعه على كتب أئمة المذاهب الاربعة ويتبع ذلك مطالب أخر فيما يتعلق بالقرآن العظيم وغيره
٤٢ مطلب فى تقريظ بعض العلماء لبعض مؤلفاته الخ
٤٤ مطلب فى اطلاعه على معانى الكتاب والسنة الخ
٥٢ الباب الثانى فى جملة أخرى من الاخلاق ينبغى العمل بها الخ
٥٥ مطلب مما منّ الله تعالى به عليه الهامه جوامع الكلم من التسبيح والاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
٦٦ مطلب فى نصحه لاصحابه الخ
٦٧ مطلب فى فراره من جميع الشدائد الى الله تعالى ويتبع ذلك مطالب أخر فى أخلاق ينبغى التمسك بها
٦٨ مطلب فى كيفية وصول العبد الى حضرة يشهد ان لا فاعل الا الله تعالى الخ
٧٤ مطلب فى عدم قوله فى دين الله عز وجل برأيه الخ
٧٧ مطلب فى سروره بالفقر اذا أقبل ونحوفه منه اذا أدبر الخ
٧٩ مطلب فى عدم التدبير مع الله تعالى وقت نزول البلاء وعدم الالتجاء الى أحد من خلق الله تعالى ويتبع ذلك مطالب أخر ينبغى الاعتناء بها الخ
٨٢ مطلب فى اطلاعه على بعض المنعمين والمعذبين فى قبورهم الخ
٨٣ مطلب فى زهده عما فضل عن حاجته وعدم امساكه الخ
٨٦ الباب الثالث فى جملة من الاخلاق ينبغى العمل بها الخ
١٠١ مطلب فى تنبيهه فى المنام على أمور تقع منه فى المستقبل من خير أو شر الخ
١٠٥ مطلب فى كثرة تعظيمه للشرفاء ومعرفة أصواتهم وتمييزهم عن غيرهم ولو من وراء حجاب
١٠٧ الباب الرابع فى ذكر جملة من الاخلاق ينبغى العمل بها الخ
١١٨ مطلب فى حمل كلام الأئمة ومشايخ الصوفية على أحسن الوجوه الخ
١٢٩ مطلب فى عدم طلب نفسه مقاما عند الخلق وعدم قبوله مرتبا من بيت مال المسلمين
١٣١ مطلب فى حمايته من الاكل من هدايا الظلمة وأعوانهم الخ
١٣٢ مطلب فى حمايته من الاكل من طعام من شفع فيه الخ
١٣٣ مطلب فى عدم بخله بشئ دخل يده الخ
١٣٤ مطلب فى غاية حيائه من الله تبارك وتعالى الخ
١٣٦ الباب الخامس فى جملة أخرى من الاخلاق الخ
١٤٩ مطلب فى معرفته بالولى اذا زاره فى قبره هل هو حاضر أو غائب الخ
الباب السادس فى جملة أخرى من الاخلاق الخ
١٥٢ مطلب فى عدم التفاته الى شئ ضاع أو سرق منه الخ
١٥٣ مطلب فى عدم مزاحمته على شئ فيه رياسة دنيوية الخ
١٥٦ مطلب فى عدم تقديمه نفسه على اخوانه فى شئ فيه رياسة الا بسؤالهم له ذلك بطيبة نفوسهم
١٦٠ مطلب فى عدم التكدر على شئ فات من الدنيا الخ
مطلب فى انشراح صدره اذا أمسى أو أصبح وليس عنده شئ من الدنيا ويتبعه أخلاق فى هذا المعنى ينبغى الحرص عليها والعمل بها
١٦٤ مطلب فى عدم رؤيته فى نفسه انه معدود من جملة العلماء الخ
١٦٥ مطلب فى كراهته لمن يمدحه فى المجالس بنظم أو نثر الخ
١٦٩ مطلب فى عدم بغضه أو ايذائه لاحد ممن يحضر المواكب الالهية كالمؤذنين وقوام الليل الخ
١٧٠ مطلب فى تعظيمه لمشايخه وامامه وتعظيم من عظمهم
١٧١ مطلب فى التنبيه على من يأكل بدينه من فقراء هذا الزمان والعزلة عنهم الخ
١٧٢ مطلب فى حمايته من الاكل من طعام النذور والاعراس الواسعة وطعام الفقراء ونحو ذلك
١٧٣ مطلب فى كراهته للاكل وحده الخ
مطلب فى عدم رده للسائل اذا كان محتاجا الخ
١٧٤ مطلب فى اعتقاد كثير من الانس والجن فيه الخ

١٧٦ مطلب فى كشف الحجاب عنه حتى سمع تسبيح الجمادات والحيوانات الخ
١٧٨ مطلب فى عدم تسليمه للنفس دعواها العجز عن فعل شئ من الطاعات حال مرضها الخ
١٨٢ مطلب فى شدة اعتقاد الظلمة والولاة فيه الصلاح وعدم مساعدتهم له فى مؤنة الحج الخ
١٨٥ مطلب فى حمايته من الاكل من صدقات الناس وزكواتهم الخ
مطلب فى كثرة شكره لله تبارك وتعالى اذا زوى عنه الدنيا الخ
١٨٦ مطلب فى انشراح صدره لاسراره بالصدقة أكثر من جهره بها الا أن تكون صدقة فرض الخ
١٨٧ الباب السابع فى جملة من الاخلاق
١٨٨ مطلب فى طيب نفسه باعطائه القطة أو الكلب ورك الدجاجة الخ
١٨٩ مطلب فى حضور قلبه مع الله تبارك وتعالى حال أكله وشربه الخ
١٩٠ مطلب فى دفعه الدنيا عنه كما اذا بلغه ان شخصا أوصى له بمال مثلا ويتبعه مطالب أخر ينبغى العلم بها للاقتداء بها
١٩٨ مطلب فى كراهته للجلوس فى المسجد على حدث فى ليل أو نهار الخ
مطلب فى كراهته لخروج الريح فى المسجد منه أو من غيره تعظيما لجناب الله عز وجل الخ
٢٠١ مطلب فى كراهته لحضور المحافل التى لم يندب الشارع صلى الله عليه وسلم الى حضورها الخ
٢٠٤ مطلب فى عدم هجره لاحد من المسلمين لحظ نفسه فوق ثلاث الخ
٢٠٦ مطلب فى كثرة تواضعه وتعظيمه لكل عالم أو فقير زاره الخ
٢٠٧ مطلب فى كثرة ستره لعورات المسلمين الذين لم يتجاهروا بالمعاصى الخ
٢٠٩ مطلب فى مشاركته فى الفرح والسرور للمسلمين الخ
٢١١ الباب الثامن فى جملة أخرى من الاخلاق
مطلب فى حفظه حرمة أشياخه أحياء وأمواتا ويتبعه فى هذا المعنى مطالب أخر ينبغى التفطن لها والعمل بها لاسيما فقراء هذا الزمان
٢١٧ مطلب فى كثرة أمره للمريدين بالصبر وتحمل الاذى الخ
٢٢٤ مطلب فى محبته لجميع الطاعات من حيث ان فيها مجالسة الحق تبارك وتعالى الخ

(تمت)

(فهرست كتاب لطائف المنن فى مناقب أبى العباس المرسى وشيخه أبى الحسن الموضوع بهامش الجزء الاول من كتاب لطائف المنن والاخلاق للشعرانى)

صحيفه
٢ خطبة الكتاب
٤ مقصود الكتاب
٥ تقسيم الكتاب الى عشرة أبواب ومقدمة وخاتمة
١٠ المقدمة فى الدليل على كون النبى أفضل الخلق
١٨ اعلام وبيان يبين فيه فضيلة العلماء العاملين والاولياء
٣٧ بيان فوائد فى قوله تعالى الله ولى الذين آمنوا
٤٥ بيان ان الادلة نصبت عمن يطلب الحق لا لمن يشهده
٥٥ بيان الخلاف فى ان المحبة أتم أم الرضا
٦١ فصل فى الكلام على الكرامات ووقوعها
٧٣ الباب الاول فى التعريف بالشيخ أبى الحسن الشاذلى
٨٤ بيان أن بقاء الخضر مجمع عليه عند الصوفية
٩٨ الباب الثانى فى شهادة الشيخ أبى الحسن لابى العباس أنه وارث لمقامه
١١٢ الباب الثالث فى مجرياته ومنازلاته وما اتفق لاصحابه معه ومكاشفاته
١٢٧ الباب الرابع فى علمه وزهده وورعه ورفع همته وصبره
١٤١ بيان ان أولياء الله اذا ظلموا على طبقات
١٤٦ فائدة فى أن أولياء الله تعالى حكمهم فى بداياتهم أن يسلط الخلق عليهم
١٤٩ بيان سداد طريقته
١٥٥ الباب الخامس فى آيات من كتاب الله تعالى تكلم على تبيين معناها
١٧٣ الباب السادس فيما فسره من الاحاديث النبوية
١٧٦ بيان فوائد تتعلق بحديث حارثة
١٨٦ بيان فوائد تتعلق بحديث حنظلة
١٩١ الباب السابع لما أشكل من كلام أهل الحقائق
١٩٨ الباب الثامن فى كلامه فى الحقائق والمقامات

(تمت)

الجامعة الأميركية في بيروت
American University of Beirut

Jafet Library
Archives & Special Collections

An Arabic manuscript:

أبو حامد الغزالي
مشكاة الأنوار و مصفاة الأسرار و في آخره سؤالات سئل عنها المؤلف

Abou Hamid Al Ghazali

One of the earliest dated manuscripts in the collection. This Abbasid manuscript was transcribed in Syria, in 1146 A.D, by Mohammad Ibn Issa. Transcription was done 36 years after the death of the author Abou Hamid AL Ghazali. (MS297.G41mA)

(Note: Outer edge of pages can be clicked to go to the next page. Center of pages can be clicked for larger images of that page. Clicking left and right sides of larger pages goes to previous and next page. Saving the image of the larger page to the desktop saves an even larger image of the page.)

© AUB Libraries, 2005

Last modified: Fri Dec 2 19:22:29 CET 2005 BL

نسخة مهمة كتبت ٢٦ سنة بعد وفاة المؤلف
تختلف عن النسخة المطبوعة.

مجموعة رسائل للامام الغزالي الشهير
مكتبة عيسى اسكندر المعلوف داوود
في ١٢ شباط ١٩٢٥
عـ ١٤٠٩
MS 297.3 GAim A

مشكاة الانوار ومصفاة الاسرار

تصنيف الشيخ الامام ابي حامد
محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي
رحمة الله عليه

نسخة سنة ٥٤١ هـ

قال الشيخ شهاب الدين احمد السهروردي
عن ابن عطا في كتابه معارف المعارف
قال ابن عطا انزل الله من السماء ماء هذا مثل
الله تعالى للعبد اذا اتصل السائر في الوادي
ما كان في الوادي من كثيف ونجاسة الا كنسها
وكذلك اذا قسم الله تعالى له قدرة الى العمل
في الازل بني في المعارف فاذا جاء وقته ارسله الله تعالى
بعد ان يغسله في الوسائط المحيطة به بالقلب فينوره
ويفرغ قلب السالك بالصفة والتلوة المتقدمة
فاذا غسلوها بهذا الدواء وصلوا الى معارف الانوار انتهى

نظر يا هو اسماعيل
افندي العسكري مصلح الدين مصر

ويليه كتاب معراج السالكين
ومحجة الكلاء السالكين
لابي حامد الغزالي
رضي الله عنه

ويليه كتاب المضنون به
على غير اهله لابي
حامد الغزالي
رضي الله عنه

49477
~~38067~~

بسم الله الرحمن الرحيم عونك اللهم

قال الامام ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي رحمه الله

الحمد لله فايض الانوار وفالج الابصار وكاشف الاسرار
وزافع الاستار والصلاة على رسوله محمد نور الانوار وسيد
الاسرار وحبيب الجبار وبشير العقاب ونذير القهار
وقامع الكفار وفاضح الفجار وعلى اله واصحابه الطيبين
الطاهرين الاخيار اما بعد فقد سالتني ايها الاخ الكريم
قيضك الله لطلب السعادة الكبرى وزينك
للعروج الى الذروة العليا وكحل بنور الحقيقة بصيرتك
ونفى عما سوى الحق بسريرتك ان اثبت لك اسرار الانوار
الالهية مقرونة باويل ما يشير اليه ظواهر الايات المتلوة
والاخبار المروية مثل قوله تعالى الله نور السموات والارض
ومعنى تمثيله ذلك بالمشكاة والزجاجة والمصباح والزيت
والشجرة مع قوله صلى الله عليه وسلم ان لله سبعين حجابا من
نور وظلمة وانه لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه
كل ما ادرك ببصره ولقد ارقت سوالك هذا من لقى
صعبا تخفض دون اغالبه اعين الناظرين ورعت بابا مغلقا
لا يفتح الا للعلماء الراسخين ثم ليس كل سر يكشف ويفشى
ولا كل حقيقة تعرض وتجلا بل مدود الاحرار قبور الاسرار
ولقد قال بعض العلماء العارفين افشاء سر الربوبية كفر
بل قال سيد الاولين والاخرين صلى الله عليه وسلم ان من العلم

الهاني تمثيله
نزح الى الله تعالى

قال الحكماء الاعلى مقدس بتنزيهه قلوبهم وحجبه عقولهم ولو اطلعهم
على كنه عظمته لانخلعت قلوبهم وتحيرت عقولهم وتفسخت انفسهم ولو
سلط نور عظمته على الارض والجبال لانهدكت وذابت ما قال
في قصة موسى عليه السلام فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا الاية

كهيئة المكنون لا يعلمه الا العالمون بالله واذا نطقوا به لم ينكره
الا اهل العزم بالله ومهما كثر اهل الاعتراض وجب خفض
الاشارة على وجه الاسرار لكني اراك منشرح الصدر بالتوجه
منزه السر عن ظلمات الغرور فلا اشق عليك في هذا الفن بالاشارة
الى اللوامع واللوائح والرمز الى الحقائق ودقائق فلنسر الحرف في
كشف العلم عن اهله بما قل من في بيته في عز اهله
فمن منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم
فاقنع باشارات مختصرة وتلويحات موجزة وان تحقيق القول
فيه يستدعي تمهيد اصول وشرح فصول ليس يتسع الان
لذوقي وليس تنصرف اليه همتي وفكري ومفاتيح القلوب
بيد الله تعالى يفتحها اذا شاء كما شاء وانما الذي ينفتح في
الوقت فصول ثلثة

الفصل الاول في بيان ان النور الحق هو الله تعالى

وان اسم النور لغيره مجاز محض لا حقيقة له

وبيانه بان نعرف معنى النور بالوضع الاول عند العوام ثم
بالوضع الثاني عند الخواص ثم بالوضع الثالث عند خواص الخواص
ثم نعرف درجات الانوار المنسوبة الى خواص الخواص وحقائقها
بنكشف لك عند ظهور درجاتها ان الله سبحانه هو النور
الاعلى الاقصى وعند انكشاف حقائقها ان النور الحق
الحقيقي وحده لا شريك له فيه امر الوضع الاول
العامي يشير الى الظهور والظهور امر اضافي اذ يظهر الشيء

لانسان

لا محالة لواجد ويبطن عن غيره فيكون ظاهرا بالاضافة باطنا
بالاضافة واضافة ظهوره الى الادراكات لا محالة واقوى الادراكات
واجلاها عند العوام الحواس ومنها حاسة البصر والاشياء
بالاضافة الى الحس البصري ثلثة اقسام منها ما لا يبصر بنفسه كالاجسام
المظلمة ومنها ما يبصر بنفسه ولا يبصر به غيره كالاجسام
المضيئة مثل الكوكب وجمرة النار اذا لم تكن مشتعلة ومنها
ما يبصر بنفسه ويبصر به ايضا غيره كالشمس والقمر والسراج
والنيران المشتعلة والنور اسم لهذا القسم الثالث ثم تارة يطلق
على ما يفيض من هذه الاجسام على ظواهر الاجسام الكثيفة المشرقة
فيقال استنارت الارض ووقع نور الشمس على الارض ونور
السراج على الحائط والثوب وتارة يطلق على نفس هذه الاجسام
المشرقة لانها ايضا في انفسها مستنيرة وعلى الجملة فالنور عبارة
عما يبصر في نفسه ويبصر به غيره كالشمس هذا حده وحقيقته
بالوضع الاول اي عند العوام ه فيقال لما كان سر النور في وجه
هو الظهور للادراك وكان الادراك موقوفا على وجود النور
وعلى وجود العين الباصرة ايضا اذ النور هو الظاهر المظهر
وليس شيء من الانوار ظاهرا في حق العمياء ولا مظهرا فقد
ساوى الروح الباصرة النور الظاهر في كونه ركنا لا
بد منه للادراك ثم ترجح عليه في ان الروح الباصرة هي المدركة
وبها الادراك واما النور فليس بمدرك ولا به الادراك
بل عنده الادراك فكان اسم النور بالروح الباصرة

يترجح

بالنور

احق منه بالنور المبصر عنده فاطلقوا اسم النور على نور العين
المبصرة فقالوا في الخفاش ان نور عينيه ضعيف وفي الاعمش انه
ضعف نور بصره وفي الاعمى انه فقد نور البصر وفي السواد انه
يجمع نور البصر ويقويه وان الاجفان انما خصتها الحكمة
الالهية بلون السواد وجعل العين مجفوفة بها لتجمع
ضوء العين واما البياض فيفرق ضوء العين ويضعف نوره
حتى ان ادامة النظر الى البياض المشرق بل الى نور الشمس يبهر
نور العين ويحمره كما يمحق الضعيف في جنب القوي فقد
عرفت بهذا ان الروح الباصرة يسمى نورا وانه لم يسمى
نورا وانه لم كانت بهذا الاسم اولى وهذا هو الوضع الثاني وهو
وضع الخواص ٥ حقيقة اعلم ان نور بصر العين موسوم
بانواع من النقصان فانه يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا يبصر
ما بعد منه ولا ما قرب ولا يبصر ما هو وراء حجاب ويبصر من
الاشياء ظاهرها دون باطنها ويبصر من الموجودات بعضها
دون كلها ويبصر اشياء متناهية ولا يبصر ما لا نهاية له ويغلط
كثيرا في ابصاره فيرى الكبير صغيرا ويرى البعيد قريبا
والساكن متحركا والمتحرك ساكنا فهذه سبع نقايص
لا تفارق العين الظاهرة فان كان في الاعين عين منزهة عن
هذه النقايص كلها فليت شعري هل هو ادراكي باسم النور
ام لا فاعلم ان في قلب الانسان عينا هذه صفة كمالها
وهي التي يعبر عنها تارة بالعقل وتارة بالروح وتارة بالنفس

الانساني ودع عنك هذه العبارات فانها اذا كثرت اوهمت
عند ضعيف البصيرة كثرة المعاني فنعني به المعنى الذي يتميز
به العاقل عن الطفل الرضيع وعن البهيمة وعن المجنون ولنسميه
عقلا متابعة للجمهور في الاصطلاح فنقول العقل اوكي بان
يسمى نورا من العين الظاهرة لرفعة قدره عن النقايص السبع
اما الاولى فهو ان العين لا تبصر نفسها والعقل يدرك نفسه
ويدرك غيره ويدرك صفات نفسه اذ يدرك نفسه عالما وقادرا
ويدرك علم نفسه ويدرك علمه بعلم نفسه وعلمه بعلمه بعلم
نفسه الى غير نهاية وهذه خاصية لا يتصور ان تدرك بالة
الاجسام ووراءه سر يطول شرحه ه الثانية ان
العين لا تبصر ما بعد منها ولا ما قرب منها قربا مفرطا والعقل
يستوي عنده القريب والبعيد ويعرج في تطريفه الى اعلى
السموات رقيا وينزل في لحظته الى تخوم الارضين هو بابل
اذا حقيقة الحقايق انكشف انه منزه عن ان تخوم
تعرض
بحجاب قدسه معاني القرب والبعد التي تعرض بين الاجسام
فانه انموذج من نور الله عز وجل ولا تخلو الانموذج
عن
من محاكاة وان كان لا يرقى الى ذروة المساواة وهذا
ربما هزك للتفطن لسر قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق
ادم على صورته ولست ارى الان الخوض في بيانه ه
الثالثة ان العين لا تدرك ما وراء الحجب والعقل يتصرف
في العرش والكرسي وما وراء حجب السماوات وفي الملاء

الاعلى والملكوت الاسنى كتصرفه في عالمه الخاص ومملكته القريبة
اعني بدنه الخاص بل الحقايق كلها لا تحتجب عن العقل وانما حجاب
العقل حيث يحجب فمن نفسه لنفسه بسبب صفات هي مقاربة له تضاهي
حجاب العين من نفسه عند تغميض الاجفان وستعرف هذا من
الفصل الثالث من الكتاب ان شا الله عز وجل ه الرابعة ان العين
تدرك من الاشياء ظاهرها وسطحها الاعلى دون باطنها بل قوالبها وصورها
دون حقايقها والعقل يتغلغل الى بواطن الاشياء واسرارها ويدرك
حقايقها وازواجها ويستنبط سببها وعلتها وغايتها وحكمتها
وانها مم خلقت ولم خلقت وكم معنى جمع الشي
وركب وعلى اي مرتبة في الوجود نزل وما نسبته الى خالقه
وما نسبته الى ساير مخلوقاته الى مباحث اخرى يطول شرحها
نرى الانجار فيها اولى ه الخامسة ان العين تبصر بعض
الموجودات اذ تقصر عن جميع المعقولات وعن كثير من
المحسوسات اذ لا تدرك الاصوات والروايح والطعوم والحرارة
والبرودة ولا القوى المدركة اعني قوة السمع والبصر
والشم والذوق بل الصفات الباطنة النفسانية كالفرح والغم والسرور
والحزن والالم واللذة والعشق والشهوة والقدرة والارادة
والعلم الى غير ذلك من موجودات لا تحصى ولا تعد فهو
ضيق المجال منحصر المجرى لا تسعه محاورة عالم الالوان
والاشكال وهما اخس الموجودات فان الاجسام في اصلها
اخس اقسام الموجودات والالوان والاشكال من اخس

ولم خلقت

اغراضها والموجودات كلها مجال العقل اذ يدرك هذه الموجودات
التي عددناها وما لم نعدها وهو الاكثر فيتصرف في جميعها
ويحكم عليها حكما يقينيا صادقا فالاسرار الباطنة عنده
ظاهرة والمعاني الخفية عنده جلية فمن ان للعين الظاهرة مساماته
ومجاراته في استحقاق اسم النور كلا انها نور بالاضافة الى غيره الى غيره الروح
لكنها ظلمة بالاضافة اليه بل هو هي جاسوس من جواسيسه وله
في الباطن وكلة باخس خزائنه وهي خزانة الالوان والاشكال
ليرفع الى حضرته اخبارها فيقضي فيها بما يقتضيه رايه الثاقب
وحكمه النافذ والحواس الخمس جواسيسه وله في الباطن
جواسيس سواها من خيال ووهم وفكر وذكر وحفظ
ووراهم خدم وجيوش وجنود مسخرة له في عالم الملك
يستسخرهم ويتصرف فيهم استسخار الملك عبيده بل اشد
وشرح ذلك يطول وقد ذكرناه في عجايب القلب من كتاب
كتب الاحياء ۞ السادسة ان العين لا تبصر ما لا نهاية
له فانها تبصر صفات الاجسام والاجسام لا تتصور الا
متناهية والعقل يدرك المعلومات والمعلومات لا يتصور
ان يكون متناهية نعم اذا لاحظ العلوم المفصلة فلا يكون
الحاضر الحاصل عنده الا متناهيا لكن في قوته ادراك ما لا
نهاية له وشرح ذلك يطول فان اردت كمثال اخذه من
الجليات فانه يدرك الاعداد ولا نهاية لها بل يدرك تضعيفات
الاثنين والثلاثة وساير الاعداد ولا يتصور لها نهاية ويدرك

انواعا من النسب بين الأعداد ولا يتصور التناهي عليها بل يدرك علمه
بالشيء وعلمه بعلمه بالشيء وعلمه بعلمه بالشيء فقوته في هذا الوجه ايضا
لا تقف عند نهاية ه التابعة ان العين تبصر الصغير كبيرا
الكبير صغيرا فترى الشمس في مقدار مجن والكواكب في صورة
دنانير منثورة على بساط ازرق والعقل يدرك ان الكوكب والشمس
اكبر من الارض اضعافا مضاعفة ويرى الكواكب ساكنة
بل يرى الظل بين يديه ساكنا في مقداره والعقل يدرك ان الصبي
متحرك في النشو والتزايد على الدوام والظل متحرك دايما والكواكب
متحركة في كل لحظة اميالا كثيرة كما قال صلى الله عليه وسلم
لجبريل عليه السلام اذا انت الشمس فقال لا نعم فقال صلى الله عليه
وسلم كيف فقال منذ قلت لا الى ان قلت نعم قد تحركت مسيرة
خمسماية عام ه وانواع غلط البصر فيها كثيرة والعقل
عنها منزه فان قلت نرى العقلاء يغلطون في نظرهم فاعلم
ان فيهم خيالات واوهاما واعتقادات يظنون احكامها
احكام العقل فالغلط منسوب اليها وقد شرحنا جامعها
في كتاب معيار العلم وكتاب محك النظر واما العقل
اذا تجرد عن غشاوة الوهم والخيال لم يتصور ان يغلط بل
يرى الاشياء على ما هي عليه وفي تجريده عسر عظيم وانما يكمل
تجرده عن هذه النوازع بعد الموت وعند ذلك ينكشف
الغطاء وتتجلى الاسرار ويشاهد كل واحد ما قدم من
خير او شر محضرا ويشاهد كتابا لا يغادر صغيرة

ويرى الصبي ساكنا

ولا كثيرة الاخطاء وعنده يقال له فكشفنا عنك غطاءك فبصرك
فبصرك اليوم حديد وانما الغطا غطا الخيال والوهم وغيرهما
وعنده يقول المغرور باوهامه الكاذبة واعتقاداته الفاسدة
وخيالاته الباطلة ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا غير
الذي كنا نعمل الاية فقد عرفت بهذا ان العين اولى باسم
النور من النور المعروف ثم عرفت ان العقل اولى باسم النور من
العين بل بينهما من التفاوت ما يقبح معه ان يقال انه اولى
بل الحق انه المستحق للاسم دونه ۞ دقيقة اعلم ان
العقول وان كانت مبصرة فليست المبصرات كلها
عندها على وتيرة واحدة بل بعضها يكون عندها كانها
حاضرة كالعلوم الضرورية مثل علمها بان الشي الواحد لا
يكون قديما حادثا ولا يكون موجودا معدوما والقول الواحد
لا يكون صدقا كذبا وان الحكم اذا ثبت للشي جوازه ثبت
لمثله وان الاخص اذا كان موجودا كان الاعم واجب الوجود
فاذا وجد السواد فقد وجد اللون واذا وجد الانسان
فقد وجد الحيوان واما عكسه فلا يلزم في العلم اذ لا
يلزم من وجود اللون وجود السواد ولا من وجود الحيوان
وجود الانسان الى غير ذلك من القضايا الضرورية في
الواجبات والجايزات والمستحيلات ومنها ما لا يفارق
العقل في كل حال اذا عرض عليه بل يحتاج الى ان يهز اعطافه

وتبتنوري زيادة وتنبيه عليه بالتنبيه كالنظريات وانما ينبهه
كلام الحكمة فعند اشراق نور الحكمة بصيرة العقل تنتصر بالفعل
بعد ان كان منتصرا بالقوة واعظم الحكم كلام الله ومن
جملة كلامه القران خاصة فيكون منزلة ايات القران عند عين
العقل منزلة نور عين الشمس عند العين الظاهرة اذ به يتم
الابصار فبالحري ان يسمى القران نورا كما سمي نور الشمس
نورا فمثال القران نور الشمس ومثال العقل نور العين وبهذا
يفهم معنى قوله تعالى امنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا وقوله
قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا ه **تكملة**
لهذه الدقيقة قد فهمت من هذا ان العين عينان
ظاهرة وباطنة الظاهرة من عالم الحس والشهادة والباطنة
من عالم اخر وهو عالم الغيب والملكوت ولكل عين من
العينين شمس ونور عنده تصير كاملة الابصار احديهما
ظاهرة والاخرى باطنة فالظاهرة من عالم الشهادة وهي الشمس
المحسوسة والباطنة من عالم الملكوت وهو القران وكتب
الله المنزلة ومهما انكشفت لك هذه الاسرار الدقيقة انكشافا
تاما فقد انفتح لك اول باب من ابواب الملكوت وفي
هذا العالم عجائب يستحقر بالاضافة اليها عالم الشهادة ومن
لم يسافر الى هذا العالم وقعد به القصور في حضيض عالم
الشهادة فهو بهيمة بعد البهيمة ومحروم عن خاصية الانسانية
بل اضل من البهيمة اذ لم تسعد البهيمة بمعرفة الطيران الى هذا

فنور الله نور وكتاب مبين وهو

كما ان العين انما تدرك الاشياء الظاهرة بالشمس ولا بد منه في الادراك فكذلك العقل انما يدرك المعقولات والحقائق الباطنة بالقران لما فيه من الحكمة

العالم ولذلك قال تعالى ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا ٥
واعلم ان عالم الشهادة بالاضافة الى عالم الملكوت كالقشر
بالاضافة الى اللب وكالصورة والقالب بالاضافة الى الروح وكالظلمة
بالاضافة الى النور وكالسفل بالاضافة الى العلو ولذلك سمي عالم
الملكوت العالم العلوي والعالم الروحاني والعالم
النوراني وفي مقابلته العالم السفلي والجسماني والظلماني
ولا تظنن انا نعني بالعالم العلوي السموات فانها علو وفوق
في حق عالم الشهادة والحس وتشارك في ادراكه البهايم
واما العبد فلا يفتح له باب الملكوت ولا يصير ملكوتيا
الا وتدرك في حقه الارض غير الارض والسموات فيصير
كل داخل تحت الحس والخيال ارضه ومن جملته السموات
والخيال منها وكل ما ارتفع عن الحس سماه وهذا هو المعراج الاول لكل
سالك ابتدا سفره الى قرب الحضرة الربوبية فالانسان
مردود الى اسفل السافلين ومسير في الى العالم الاعلى
واما الملايكة فانهم من جملة عالم الملكوت عالمون
في حظيرة القدس ومنها يشرفون الى العالم الاسفل
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق في ظلمة
ثم افاض عليهم من نوره وقال عليه السلام ان لله ملايكة
هم اعلم باعمال الناس منهم والانبياء اذا بلغ معراجهم
المبلغ الاقصى واشرفوا منه الى اسفل ونظروا من فوق
الى تحت اطلعوا الله على قلوب العباد واشرفوا منها

على جملة من علوم الغيب اذ من كان في عالم الملكوت كان
عند الله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو اي من
عنده تنزل اسباب الموجودات في عالم الشهادة اثر من اثار
ذلك العالم يجري منه مجرى الظل منه بالاضافة الى الشخص
ومجرى الثمرة بالاضافة الى المثمر والمسبب بالاضافة الى السبب
ومفاتيح معرفة المسببات لا توجد الا من الاسباب ولذلك
كان عالم الشهادة مثالا لعالم الملكوت كما سياتي في بيان
المشكاة والمصباح والسحرة ان شا الله عز وجل لان المسبب
لا يخلوا عن امور مقدرة موازاة السبب ومحاكاته نوعا من
المحاكاة على قربا وعلى بعد وهذا الان له غور عميق
ومن اطلع على كنه حقيقته انكشف له حقايق امثلة القران
على يسره **حقيقة** نرجع الى حقيقة النور فنقول
ان كان ما يبصر نفسه وغيره اولى باسم النور فان كان من
جملة ما يبصر غيره ايضا مع انه يبصر نفسه وغيره فهو
اولى باسم النور من الذي لا يوثر في غيره اصلا بل بالحرا
ان يسمى سراجا منيرا لفيضان انواره على غيره وهذه
الخاصية توجد للروح القدسي النبوي لا تفيض بواسطته
انواع المعارف على الخلايق وبهذا تفهم معنى تسمية الله
عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم سراجا منيرا والانبيا كلهم
سرج وكذلك العلما ولكن التفاوت بينهم لا يحصى
دقيقة اذا كان اللايق بالذي يستفاد منه انوار الابصار

وعالم الشهادة

دقيقة

ان يسمى سراجا منيرا فالذي يقتبس منه السراج في نفسه جدير بان
يكنى عنه بالنار وهذه السرج الارضية انما تقتبس في اصلها من
انوار علوية والروح القدسي السوي يمادد زيته يضيء ولو لم
تمسسه نار ولكن انما يضيء نورا على نور اذا مسته النار
وبالجملة ان يكون مقتبس الارواح الارضية هي الروح الالهية
العلوية التي وصفها علي بن عباس فقال في الروح المذكور في
قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا ان لله ملكا
له سبعون الف راس وفي كل راس سبعون الف وجه
في كل وجه سبعون الف فم وفي كل فم سبعون الف لسان
يسبح الله تعالى كل واحد منهم بلغة غير لغة الاخر وهو
الذي قوبل بالملائكة كلهم فقيل يوم يقوم الروح والملائكة
صفا فهي اذا اعتبرت من حيث تقتبس منها السرج الارضية
لم يكن لها مثال الا النار وذلك لا يوئس الا من جانب الطور
دقيقة الانوار السماوية التي يقتبس منها الانوار الارضية
ان كان لها ترتيب بحيث يقتبس بعضها من بعض فالاقرب
من المنبع الاول اولى باسم النور لانه اعلى رتبة ومثال ترتيبه
في عالم الشهادة لا تدركه الابصار نفرض ضوء القمر داخلا
من كوة بيت واقعا على مرآة منصوبة على حائط ومنعكسا
منها على حائط اخر في مقابلتها ثم منعطفا منه الى الارض
بحيث تستنير الارض فانت تعلم ان ما على الارض من النور
تابع لما على الحائط وما على الحائط تابع لما على المرآة وما

رضي الله عنهما

في

مثلا الشعاع من ضوء

على المرآة تابع لما في القمر وما في القمر تابع لما في الشمس اذ منها يشرق
النور على القمر وهذه الانوار الاربعة مرتبة بعضها اعلى من واكمل
بعض واكمل من بعض ولكل واحد مقام معلوم ودرجة
خاصة لا يتعداها فاعلم انه قد انكشف لارباب البصائر
ان الانوار الملكوتية انما وجدت على ترتيب كذلك وان المقرب
هو الاقرب الى النور الاقصى فلا يبعد ان يكون رتبة اسرافيل
فوق رتبة جبريل فان فيهم الاقرب لقرب درجته من حضرة
الربوبية التي هي منبع الانوار كلها وان فيهم الادنى وبينهما
درجات تستعصي على الاحصاء وانما المعلوم كثرتهم وترتيبهم
في مقاماتهم وصفوفهم وانهم كما وصفوا به انفسهم
اذ قالوا وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون **دقيقة** اذا عرفت
ان الانوار لها ترتيب فاعلم انه لا يتسلسل الى غير نهاية بل يرتقي الى
منبع اول هو النور لذاته وبذاته ليس بانه نور من غيره ومنه
تشرق الانوار كلها على ترتيبها فانظر الان اسم النور احق ان
واولى بالمستنير المستعير نوره من غيره او بالنير في ذاته
المنير لكل ما سواه فما عندي انه يخفى عليك الحق فيه وانه يتحقق
ان اسم النور احق بالنور الاقصى الاعلى الذي لا نور فوقه ومنه
ينزل النور الى غيره **حقيقة** بل اقول ولا ابالي اسم النور على غير
النور الاول مجاز محض اذ كل ما سواه اذا اعتبرت ذاته
فهو في ذاته من حيث ذاته لا نور له بل نوريته مستعارة من
من غيره ولا قوام لنوريته المستعارة بنفسها بل بغيرها

ونسبة المستعار الى المستعير مجاز محض افترى ان من استعار
ثيابا وفرشا ومركبا وسرجا وركبه في الوقت الذي اركبه
المعير وعلى الحد الذي رسمه لنا عني بالحقيقة او بالمجاز ان المعير
هو الغني او المستعير كلا بل المستعير فقير في نفسه كما
كان وانما الغني هو المعير الذي منه الاعارة والاعطاء واليه
الاسترداد والانتزاع فاذا الثوب الحق هو الذي بيده الخلق
والامر ومنه الاجازة اولا والاذامة ثانيا فلا شركة لاحد معه
في حقيقة هذا الاسم ولا في استحقاق هذا الاسم الا من حيث
تسميته به ويتفضل بفضل المالك على عبده اذا اعطاه ما لا يسماه
مالكا واذا انكشفت للعبد هذه الحقيقة علم انه وماله لمالكه
على التفرد لا شريك له فيه اصلا البتة دقيقة مهما عرفت
ان الثوب يرجع الى الظهور والاظهار ومن انه فاعلم انه لا
ظلمة اشد من كتم العدم لان المظلم سمي مظلما لانه ليس يظهر
للابصار اذ ليس يصير موجودا للبصر مع انه موجود في
نفسه فالذي ليس موجودا الا بغيره ولا بنفسه كيف
يستحق ان يكون هو الغاية في الظلمة وفي مقابلة الوجود
فهو الثوب فان الشيء ما لم يظهر في ذاته لا يظهر لغيره
والموجود ايضا ينقسم الى ما للشيء في ذاته والى ما له من غيره
وما له الوجود من غيره مستعار لا فائدة له بنفسه بل اذا
اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض وانما هو موجود
من حيث نسبته الى غيره وذلك ليس بوجود حقيقي كما

فرسا

كفصل

خ حقيقه

الشر

فوجوده

المعبر

عرفت في مثال استعاره الثوب من الغني فالموجود الحق هو الله سبحانه
كما ان النور الحق هو الله تعالى ه **حقيقة الحقايق**
من هاهنا ترقى العارفون من حضيض المجاز الى يفاع الحقيقة واستكملوا
معراجهم فراوا بالمشاهدة العيانية ان ليس في الوجود الا الله تعالى
وان كل شي هالك الا وجهه لا انه يصير هالكا في وقت من
الاوقات بل هو هالك ازلا وابدا ولا يتصور الا كذلك فان كل شي
سواه اذا اعتبرت ذاته فهو من حيث ذاته فهو عدم محض واذا
اعتبرته من الوجه الذي يسري اليه الوجود من الاول ز ئ موجودا
لا في ذاته لكن من الوجه الذي يلي موجده فيكون الموجود
وجه الله تعالى فقط ولكل شي وجهان وجه الى نفسه
ووجه الى ربه فهو باعتبار وجه نفسه عدم وباعتبار وجه
الله تعالى موجود فاذا الا موجود الا الله تعالى ووجهه ازلا
وابدا ولم يفتقرها ولا الى قيام القيامة ليسمعوا نداء الباري تعالى
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار بل هذا النداء لا يقاربه سمعهم
ابدا ولم يفهموا من معنى قوله الله اكبر انه اكبر من غيره
وحاشى لله اذ ليس في الوجود معه غيره حتى يكون اكبر
منه بل ليس لغيره وجود الا من الوجه الذي يليه فالموجود وجهه
فقط ومحال ان يقال الله اكبر من وجهه بل معناه انه اكبر
من ان يقال له اكبر لمعنى الاضافة والمقابلة واكبر من ان
يذكر غيره كذكر ما به نبيا كان او ملكا بل لا يعرف
الله تعالى كنه معرفته الا الله لان كل معروف داخل تحت

عتبر

ماذا

يقال

هالك الا وجهه
فاذا كل شي
عدم وعدمي

بل ليس لغيره
التبعية
رتبة
رتبة معلية بل

سلطان العارف واستيلائه ذهولا ما وذلك ينافي الجلال والكبرياء
وهذا التحقيق ذكرناه في كتاب المقصد الاسنى في شرح اسماء
الله الحسنى ه اشارة العارفون بعد العروج الى سماء الحقيقة
اتفقوا في انهم لم يروا في الوجود الا الواحد الحق لكن منهم من
كان له هذا الحال عرفانا علميا ومنهم من صار له ذلك حالا
ذوقيا وانتفت عنهم الكثرة بالكلية واستغرقوا بالوحدانية
المحضة واستوفيت فيها عقولهم فصاروا كالمبهوتين
فيه ولم يبق فيهم متسع لا لذكر غير الله ولا لذكر
انفسهم ايضا فلم يكن عندهم الا الله تعالى فسكروا سكرا
ردع دونه سلطان عقولهم فقال احدهم انا الحق وقال اخر
سبحاني ما اعظم شاني وقال اخر ما في الجبة الا الله وكلام العشاق
في حال السكر يطوى ولا يحكى فلما خف عنهم سكرهم
وردوا الى سلطان العقل الذي هو ميزان الله تعالى في الارض
عرفوا ان ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد بل شبه الاتحاد
مثل قول العاشق في حالة فرط عشقه

انا من اهوى ومن اهوى انا نحن روحان حللنا بدنا

ولا يبعد ان يناجي الانسان مرآة فيتطرق فيها ولم ير المرآة قط
فيظن ان الصورة التي يراها هي صورة المرآة متحدة بها ويرى
الحمرة في الزجاج فيظن ان الحمرة لون الزجاج واذا صار ذلك
عنده مالوفا معروفا وتوسع فيه قد يستغرق
وقال

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها وتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وفرق بين ان يقول الخمر قدح وبين ان يقول كأس القدح وهذه
الحالة اذا غلبت سميت بالاضافة الى صاحب الحالة فنا بل
فنا الفنا الاشفى عن نفسه وفني عن فنايه فانه ليس يشعر بنفسه
في تلك الحال ولا بعدم شعوره بنفسه ولو شعر بعدم شعوره
بنفسه لكان قد شعر بنفسه ويسمى هذه الحال بالاضافة الى
المستغرق بها بلسان الحجاز اتحادا وبلسان الحقيقة توحيدا
وورا هذه الحقايق ايضا اسرار يطول الخوض فيها ٥ شرحها
خاتمة لعلك تشتهي ان تعرف وحدة اضافة نوره الى
السموات والارض بل وحدة كونه في ذاته نور السموات
والارض فلا ينبغي ان يخفى ذلك عليك بعد ان عرفت انه
النور ولا نور سواه وانه كل الانوار وانه النور الكلي
لان النور عبارة عما ينكشف به الاشيا واعلى منه ما ينكشف
به وله ومنه وليس فوقه نور منه اقتباسه واستمداد كل
ذلك له في ذاته لذاته لا من غيره ثم عرفت ان هذا النور يتصف
به الا النور الاول ثم عرفت ان السموات والارض مشحونة
نورا من طبقتي النور اعني المنسوب الى البصر والبصيرة اي
الى الحس والعقل اما البصري فما تشاهده في السماء من
الكواكب والشمس والقمر وما تشاهده في الارض من
الاشعة المنبسطة على كل ما في الارض حتى ظهر به

الان

ينكشف به واعلى منه ما الحقيقة وله ومنه ما ينكشف به ومنه من ذاته

الربيع وعلى حال

الالوان المختلفة خصوصا في الربيع وعلى كل حال في الحيوان والمعادن واصناف
الموجودات ولولاها لم يكن للالوان ظهور بل ولا وجود ثم سائر ما يظهر
للحس من الاشكال والمقادير يدرك تبعا للالوان ولا يتصور ادراكها
الا بواسطتها واما الانوار العقلية المعنوية فالعالم الاعلى مشحون
بها وهي جواهر الملايكة والعالم الاسفل مشحون بها وهي الحياة الحيوانية
ثم الانسانية وبالنور الانساني السفلي ظهر نظام عالم السفل كما بالنور
العلوي الملكي ظهر نظام العالم العلوي وهو المعنى بقوله تعالى هو انشاكم
من الارض واستعمركم فيها وقال ليستخلفنهم في الارض وقال ويجعلكم
خلفاء الارض وقال اني جاعل في الارض خليفة فاذا عرفت هذا عرفت
ان العالم باسره مشحون بالانوار الظاهرة البصرية والباطنة العقلية
ثم عرفت ان السفلية فايضة بعضها من بعض فيضان النور من السراج
وان السراج هو الروح النبوي القدسي وان الارواح القدسية النبوية
مقتبسة من الارواح العلوية اقتباس السراج من النار وان العلويات
بعضها مقتبسة من البعض وان ترتيبها بترتيب مقامات ثم ترقي
جملتها الى نور الانوار ومعدنها ومنبعها الاول وان ذلك هو الشيء الذي
وحده لا شريك له وان سائر الانوار مستعارة وانما الحقيقي نوره
فقط وان الكل نوره بل هو الكل بل لا نورية لغيره الا بالمجاز
فلا نور الا نوره وسائر الانوار انوار من الوجه الذي يليه لا من
ذاتها فوجه كل ذي وجه اليه ومولى شطره واينما تولوا فثم
وجه الله فلا اله الا هو فان الالهية عبارة عن ما الوجوه
مولية نحوه بالعبادة والتالية اعني وجوه القلوب فانها الانوار
بل كما لا اله الا هو فلا هو الا هو لان هو عبارة عما اليه اشارة وكيف

عن من

النور خ

الانوار خ

ص لا يجوز ان تفهم من قول بل هو الكل انه عين كل موجود ظهر وبطن فان اعتقاد ذلك كفر وزندقة بل يجب ان تفهم منه ان كل ما سواه قائم وهو باق فهو الكل لبقائه كل شيء هالك الا وجهه هذا من حيث الشرع كلام يليق بالعقلاء المكلفين واما من حيث الحقيقة فالعارفون الذين هم هم لا يرون غيره فهو الكل عندهم في نظرهم

الحق اي

من تامل هذه الخاتمة بفهم شرعي علم انها من اعلا الحقايق
وعلم مقام حجة الاسلام ابو حامد الغزالي وشده فهمه وغوصه
وان كلامه شرح حاله فسبحان المتفضل على من يشا من عباده بما شا
من عطايه واحسانه وما كان عطاء ربك محظورا ٥

ما كان فلا اشارة الا اليه بل كل ما اشرت اليه فهو بالحقيقة اشارة اليه وان
كنت لا تعرف انت هذا لغفلتك عن حقيقة الحقايق التي ذكرناها
فاعلم انك اذا اشرت الى نور الشمس فكانما اشرت الى الشمس ولا
اشارة الى نور الشمس بل الى الشمس فكل ما في الوجود فنسبته اليه
في ظاهر المثال كنسبة النور الى الشمس فاذا لا اله الا الله توحيد
العوام ولا هو الا هو توحيد الخواص لان هذا اعم واخص واشمل
واحق وادق وادخل بصاحبه في الفردانية المحضة والوحدانية الصرفة
ومنتهى معراج الخلايق مملكة الفردانية فليس وراء ذلك مرقى
اذ المرقى لا يتصور الا بكثرة فانه نوع اضافة يستدعي ما منه الارتقا
وما اليه الارتقاء واذا ارتفعت الكثرة حقت الوحدة وبطلت
الاضافات وطاحت الاشارات فلم يبق علو ولا سفل ولا نازل ولا
مرتفع فاستحال الترقي واستحال العروج فليس وراء الاعلى علو
ولا مع الوحدة كثرة ولا مع انتفا الكثرة عروج فان كان من تغير حال
فالنزول الى السماء الدنيا اعني بالاشراف من علو الى سفل لان الاعلى له اسفل
وليس له اعلى فهذه غاية الغايات ومنتهى الطلبات يعلمه من يعلمه
وينكره من يجهله وهو من العلم الذي هو كهيئة المكنون
الذي لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لم ينكره الا اهل الغرة
بالله ولا يبعد ان قال العلماء ان النزول الى السماء الدنيا هو نزول ملك
فقد توهم بعض العارفين ما هو ابعد منه اذ قال هذا المستغرق
بالفردانية ايضا له نزول الى السما الدنيا هو نزول ملك فقد توهم
بعض العارفين وان ذلك هو نزوله الى استعمال الحواس وتحريك الاعضا

خ العلما

والبه الاشارة بقوله صرت سمعه الذي [illegible] به وبصره الذي يبصر به
ولسانه الذي ينطق به فاذا كان [illegible] فهو السامع
والناظر والناطق اذ الاغيره واليه الاشاره بقوله مرضت فلم تعدني
يعني الحديث فحركات هذا الموحد من السماء الدنيا واحساسه
كالسمع والبصر من سماء فوقه وعقله فوق ذلك وهو يترقى
من سماء الخلق الى منتهى معراج الخلائق ومرتبة الفردانية الى تمام
سبع طبقات ثم بعده يستوي على عرش الوحدانية ومنه تنزل
الامر الى طبقات سماواته وربما نظر الناظر اليه فاطلق القول بان
الله خلق آدم على صورة الرحمن الى ان يعين النظر فيعلم ذلك له
تاويل كقول القايل انا الحق سبحاني بل كقوله صلى الله عليه وسلم
مرضت فلم تعدني وكنت سمعه وبصره ولسانه وارى الان
قبض عنان البيان فما اراك تطيق من هذا القدر اكثر من هذا القدر
مساعدة لعلك لا تسمو الى هذا الكلام بفهمك بل يقصر دون
دونه فهمك فخذ اليك كلاما اقرب الى فهمك وازفق لضعفك
واعلم ان معنى كونه نور السماوات والارض تعرفه بالنسبة
الى النور الظاهر البصري فاذا رايت انوار الربيع وخضرته مثلا في ضياء
النهار فلست تشك في انك ترى الالوان وربما ظننت انك
لست ترى مع الالوان غيرها فانك تقول لست ارى مع الخضرة
غير الخضرة ولقد اصر على هذا قوم فزعموا ان النور لا معنى له
وانه ليس مع الالوان غير الالوان وانكروا وجود النور مع
انه اظهر الاشياء وكيف لا وبه تظهر الاشياء وهو الذي يبصر

ولسانه

هذا المخصوص بالولياء العارفين وحزبه المفلحين لا يشركهم فيهم ٥ وانظر الى قوله فحركات هذا الموحد ٥

ان

بفهمك

نوري

في نفسه ويبصر به غيره كما سبق لك لكن عند غروب الشمس
وغيبة السراج ووقوع الظل ادركوا الفرقة ضرورية بين محل الظل
وبين موقع الضياء فاعترفوا بان النور معنى وراء الالوان يدرك
مع الالوان حتى كانه لشدة اتحاده به لا يدرك ولشدة ظهوره
يخفى وقد يكون شدة الظهور سبب الخفا والشي اذا جاوز حده
انعكس الى ضده فاذا عرفت هذا فاعلم ان ارباب البصائر ما
ترا وا شيا الا رأوا الله معه وربما زاد على هذا بعضهم فقال ما رايت
شيا الا ورايت الله قبله لان منهم من يرى الاشيا به ومنهم من يرى الاشيا
فيراه بالاشيا والى الاول الاشارة بقوله عز وجل اولم يكف بربك انه على
كل شي شهيد والى الثاني الاشارة بقوله عز وجل سنريهم اياتنا في
الافاق فالاول صاحب مشاهدة والثاني صاحب استدلال
باياته والاول درجة الصديقين والثاني درجة العلما الراسخين
وليس بعدهما الا درجة الغافلين المحجوبين فاذا عرفت هذا فاعلم
انه كما ظهر كل شي للبصر بالنور الظاهر فقد ظهر كل شي للبصيرة
الباطنة بالله فهو مع كل شي لا يفارقه ثم يظهر كل شي كما ان
النور مع كل شي وبه يظهر ولكن بقي هاهنا تفاوت وهو ان النور
الظاهر يتصور ان يغيب بغروب الشمس وبحجب حتى يظهر
الظل واما النور الالهي الذي يظهر به كل شي لا يتصور غيبته
بل يستحيل تغيره فيبقى مع الاشيا دايما فانقطع طريق الاستدلال
بالتفرقة ولو تصورت غيبته لانهدمت السماوات والارض ولادرك
بعض التفرقة ما يضطر معه الى المعرفة بما به ظهرت الاشيا ولكن

في نفسه

الله

وفي انفسهم

انهدمت

في ظهور الاشيا بالله

لما تساوت الاشياء كلها على نمط واحد في الشهادة بوحدانيته
خالقها اذ كل شي يسبح بحمده لا بعض الاشياء وفي جميع الاوقات
لا في بعض الاوقات ارتفعت المعرفة بخفي الطريق اذ الطريق الظاهر
معرفة الاشياء بالاضداد فما لا ضد له ولا تغير له بتشابه الاحوال
في الشهادة له فلا يبعد ان يخفى ويكون خفاؤه لشدة جلائه والغفلة
عنه لاشراق ضيائه فسبحان من اختفى عن الخلق لشدة ظهوره
واحتجب عنهم لاشراق نوره ك وربما ايضا يفهم من هذا
الكلام بعض القاصرين فيفهم من قولنا ان الله مع كل شي
كالنور مع الاشياء انه في كل مكان تعالى وتقدس عن النسبة
الى المكان بل لعل الابعد عن اثارة هذا الخيال ان نقول انه
قبل كل شي وانه فوق كل شي وانه مظهر كل شي والمظهر لا يفارق
المظهر في معرفة صاحب البصيرة فهو الذي نعني بقولنا انه مع
كل شي ثم لا يخفى عليك ايضا ان المظهر قبل المظهر وفوقه مع
انه معه لكنه معه بوجه وقبله بوجه فلا تظن انه
متناقض واعتبر بالمحسوسات التي هي درجتك في العرفان
وانظر كيف تكون حركة اليد مع حركة ظل اليد وقبلها ايضا
ومن لم يتسع صدره لمعرفة هذا فليهجر هذا النمط من العلم
فلكل عمل رجال وكل ميسر لما خلق له ك

الفصل الثاني

في بيان مثال المشكاة والمصباح والزجاجة والشجرة والزيت والنار ومعرفة هذا تستدعي تقديم قطبين يتسع المجال فيهما الى غير حد محدود ولكني اشير اليهما بالرمز والاختصار

ارتفع الغريق

ربما

احدهما في بيان التمثيل ومنهاجه ووجه ضبط ازواج المعاني
بقوالب الامثلة ووجه كيفية المناسبة بينهما وكيفية الموازنة
بين عالم الشهادة الذي منه تتخذ طينة الامثال وعالم الملكوت الذي
الذي منه تستنزل ازواج المعاني والثاني في طبقات
ازواج الطينة البشرية ومراتب انوارها فان هذا المثال مسوق
لبيان ذلك اذ قرأ ابن مسعود مثل نور قلب مؤمن كمشكاة
القطب الاول في سر التمثيل ومنهاجه اعلم ان العالم
عالمان روحاني وجسماني وان شئت قلت حسي وعقلي وان
شئت علوي وسفلي والكل متقارب وانما يختلف باختلاف
الاعتبارات فاذا اعتبرتهما في انفسهما قلت جسماني وروحاني
واذا اعتبرتهما بالاضافة الى الغير المدركة لهما قلت حسي وعقلي
وان اعتبرتهما باضافة احدهما الى الاخر قلت علوي وسفلي وربما
سميت احدهما عالم الملك والشهادة والاخر عالم الغيب والملكوت
ومن يطلب الحقايق من الالفاظ ربما عثر عند كثرة الالفاظ وتخيل
كثرة المعاني والذي تنكشف له الحقايق يجعل المعاني اصلا
والالفاظ تابعا وامر الضعيف بالعكس منه اذ يطلب الحقايق
من الالفاظ والى الفريقين الاشارة بقوله تعالى افمن يمشي مكبا على
وجهه اهدى ام من يمشي سويا على صراط مستقيم واذا عرفت
معنى العالمين فاعلم ان العالم الملكوتي عالم غيب اذ هو
غايب عن الاكثرين والعالم الحسي عالم الشهادة اذ يشهده الكافة
والعالم الحسي مرقاة الى العقل ولو لم يكن بينهما اتصال ومناسبة لاستد

منها

مسوق

في قلب المومن كمشكاة وقرا ابي ابن كعب مثل نور قلب من

قلت العبارات

طريق الترقي اليه ولو تعذر ذلك لتعذر السفر الى حضرة الربوبية والقرب
من الله تعالى فلن يقرب من الله احد ما لم يطأ الجبوحة حظيرة القدس
والعالم المرتفع عن ادراك الحس والخيال هو الذي نعنيه بعالم القدس
واذا اعتبرنا جملته بحيث لا يخرج منه شيء ولا يدخل فيه ما هو غريب
منه سميناه حظيرة القدس وربما سمينا الروح البشري الذي
هو مجرى لوائح القدس الوادي المقدس ثم هذه الحظيرة فيها حظائر
بعضها اشد لمعانا في معاني القدس ولكن لفظ الحظيرة يحيط
بجميع طبقاتها ولا تظنن ان هذه الالفاظ طامات غير معقولة
عند ارباب البصائر واشتغالي الآن الى الغرض بشرح كل لفظ
مع ذكره يصدني عن المقصد فعليك بالتشمير لفهم الالفاظ
فارجع الى الغرض واقول كان عالم الشهادة مرقاة الى عالم
الملكوت وكان سلوك الصراط المستقيم عبارة عن هذا
الترقي وقد يعبر عنه بالدين ولمنازل الهدى فلو لم يكن
بينهما مناسبة واتصال لما تصور الترقي من احدهما الى الآخر
فجعلت الرحمة الالهية عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت
فما من شيء من هذا العالم الا وهو مثال لشيء من ذلك العالم وربما كان
الشيء الواحد مثالا لاشياء من الملكوت وربما كان للشيء الواحد
من الملكوت امثلة كثيرة من عالم الشهادة وانما تكون مثالا
اذا ماثله نوعا من المماثلة وطابقه نوعا من المطابقة واحصاء تلك
المماثلة يستدعي استقصاء جميع موجودات العالمين باسرها ولن
تفي به القوة البشرية وما اتسع لفهمه القوة فلا يسعني بشرحه

لما

مثال ذلك الفطنة الانسانية

الاعمار القصيرة فعاتي ان اعرك منها انموذجا تستدل بالبسير منها
على الكثير وينفتح لك باب الاستبصار بهذا النمط من الاسرار فاقول
ان كان في عالم الملكوت جواهر نورانية شريفة عالية يعبر
عنها بالملايكة منها تفيض الانوار على الارواح البشرية واخلها
قد يسمى اربابا ويكون الله رب الارباب لذلك ويكون لها من اثر
في نورانيتها متفاوتة فبالحرى ان يكون مثالها من عالم الشهادة الشمس
والقمر والكواكب والسالك للطريق اولا ينتهي الى ما درجته درجة الكواكب
فينفتح له اشراق نوره وينكشف له ان العالم الاسفل باسره تحت سلطانه
وتحت اشراق نوره وينفتح له من جماله وعلو درجته ما ينادي فيقول
هذا ربي ثم اذا انفتح الهوي بالاضافة الى ما فوقه فقال لا احب الافلين
وكذلك يترقى حتى ينتهي الى ما مثاله الشمس فراه اكبر واعلى
فراه قابلا للمثال بنوع مناسبة له معه والمناسبة مع ذي النقص
نقص واقول ايضا فمن يقول وجهت وجهي للذي فطر السماوات ومعني
الذي اشارة مبهمة لا مناسبة لها اذ لو قال قايل ما مثال مفهوم الذي
لم يتصور ان يجاب عنه فالمنزه عن كل مناسبة هو الاول الحق ولذلك
لما قال بعض الاعراب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما نسبة الاله نزل في
جوابه قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد
معناه ان التقديس عن النسبة نسبة ولذلك لما قال فرعون لموسى وما
رب العالمين كالطلب لماهيته لم يجب الا بتعريفه بافعاله اذ
كانت الافعال اظهر عند السائل فقال رب السموات والارض
فقال فرعون لمن حوله الا تستمعون كالمنكر عليه في عدوله في جوابه عن

ينادي

ما فوقه مما رتبته رتبة

القمر اي

اقول الاول في

معرب

والتنزيه

طلب الماهية فقال موسى ربكم ورب آبائكم الاولين فنسبه فرعون
الى الجنون اذ كان مطلبه المثال والماهية وهو يجيب عن الافعال
فقال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ولنرجع الى
النموذج فاقول علم التعبير يعرفك منهاج ضرب المثال ان الرؤيا
جزء من النبوة اما ترى ان الشمس في الرؤيا تعبيرها السلطان وذلك لما
بينهما من المشاركة والمماثلة في معنى روحاني وهو الاشتمال على
الكافة مع فيضان الانار على الجميع والقمر تعبيره الوزير لافاضة
الشمس نورها بواسطة القمر على العالم عند غيبتها كما يفيض
السلطان انارة بواسطة الوزير على من يغيب عن حضرة السلطان
وان من يرى ان في يده خاتما يخبر به افواه الرجال وفروج النساء
فتعبيره انه مؤذن يؤذن قبل الصبح في رمضان وان من رأى
انه يصب الزيت في الزيتون فتعبيره ان لحنه جارية هي امه وهو
لا يعرف واستقصاء ابواب التعبير يزيدك انسا بهذا الجنس
فلا يمكنني الاستقصال بعدها بل اقول كما ان في الموجودات
العالية الروحانية ما مثاله الشمس والقمر والكوكب فكذلك
فيها ما له امثلة اخرى اعتبرت منه اوصاف اخرى بنوى
النورانية فان كان في تلك الموجودات ما هو ثابت لا يتغير
وعظيم لا يستصغر ومستنجر الى اودية القلوب البشرية
مياه المعارف ونفايس المكاشفات فمثاله الطور وان
كان ثم موجودات تتلقى تلك المعارف النفايس اولا ثم بعضهم
بعد البعض فمثالها الوادي وان كانت تلك النفايس تعد

اتصالها بالقلوب البشرية يجري من قلب الى قلب فهذه القلوب ايضا
اودية ومفتح الوادي قلوب الانبياء ثم العلماء من بعدهم فان كانت قلوب
هذه الاودية دون الاول وعنها تعترف فبالحرا ان يكون الاول
هو الوادي الايمن لكثرة لمنه وعلو درجته وان كان الوادي
الادون يلقى من اخر درجات الوادي الايمن فمعترف شاطي الوادي
الايمن دون لجته ومبدئه ولان كان روح النبي سراجا منيرا وكان
ذلك الروح مقتبسا بواسطة وحي كما قال اوحينا اليك روحا
من امرنا فما منه الا قبس مثاله النار وان كان الملقون من
الانبياء بعضهم على محض التقليد لما يسمعه وبعضهم على حظ
من البصيرة فمثال حظ المقلد الخبر ومثال حظ المستبصر الجذوة
والقبس والشهاب فان صاحب الذوق مشارك للنبي في
بعض الاحوال ومثال تلك المشاركة الاصطلاء وانما
يصطلي بالنار من معه النار لا من يسمع خبرها وان كان اول
منزلة الانبياء الترقي الى العالم المقدس عن كدورة الحس
والخيال فمثال ذلك المنزل الوادي المقدس وان كان لا يمكن
وطو ذلك الوادي المقدس الا باطراح الكونين اعني الدنيا
والاخرة والتوجه الى الواحد الحق وكان الدنيا والاخرة ولان
متقابلتان متجاذبتان وهما عارضان للجوهر النوراني البشري
تمكن اطراحهما مرة والتلبس بهما اخرى فمثال اطراحهما
عند الاحرام والتوجه الى كعبة القدس خلع النعلين
بل يترقى الى الحضرة الربوبية مرة اخرى ويقول ان كان في تلك الحضرة

ذكر المنزل الوادي

شي بواسطته تنتقش العلوم المفصله في الجواهر القابله لها فمثاله القلم
وان كان في تلك الجواهر القابلة ما بعضها سابقة الى التلقي
ومنها ينتقل الى غيرها فمثالها اللوح والكتاب والرق المنشور
وان كان فوق النافش للعلوم شي هو مسخر له فمثاله اليد وان كان
لهذه الحضرة المشتملة على اليد واللوح والقلم والكتاب
ترتيب منظوم فمثاله الصورة وان كان يوجد الصورة الانسية
نوع ترتيب على هذه المشاكلة فهي على صورة الرحمن وفرق
بين ان يقال على صورة الرحمن وبين ان يقال على صورة الله لان
الرحمة الالهية هي التي صورت الحضرة الالهية بهذه الصورة
ثم انعم على ادم فاعطاه صورة مختصرة جامعة لجميع اصناف
ما في العالم حتى كانه كل ما في العالم او هو نسخة من العالم
مختصرة وصورة ادم اعني هذه الصورة مكتوبة بخط الله
تعالى فهو الخط الالهي لتنس بر فمن حروف اذ ينتره خطه عن ان
يكون رقما وحروفا كما ينتره كلامه عن ان يكون صوتا وحروفا وقلمه
عن ان يكون خشبا وقصبا ويده عن ان يكون لحما وعظما ولولا هذه
الرحمة لعجز الادمي عن معرفة ربه اذ لا يعرف ربه الا من عرف
نفسه فلما كان هذا من اثار الرحمة صار على صورة الرحمن لا على صورة
الله تعالى فان حضرة الالهية غير حضرة الرحمن وغير حضرة الملك
وغير حضرة الربوبية ولذلك امر بالتعوذ بجميع هذه الحضرات فقال قل
اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس ولولا هذا المعنى لكان قوله
ان الله خلق ادم على صورة الرحمن غير منظوم لفظا بل كان ينبغي ان

الذي

بالتعوذ

يقول على صورته واللفظ الوارد في الصحيح الرحمن والان نبين حضرة الملك
الالهية عن حضرة الربوبية ليستدعي شرحا طويلا فلنتجاوز عنه فيكفيك
من الانموذج هذا القدر فان هذا الخبر عظيم لا سيما جل له وان وجدت في
نفسك نفورا عن هذه الامثال فانس قلبك بقوله تعالى انزل من السماء
ماء فسالت اودية بقدرها الاية والله كيف وزد في التفسير ان الماء
هو المعرفة والمعرفة والاودية القلوب **خاتمة واعتذار** لا تظنن من
هذا الانموذج في طريق ضرب الامثال رخصة مني في دفع الظواهر واعتقادا
في ابطالها حتى اقول مثلا لم يكن مع موسى نعلان ولم يسمع الخطاب
لقوله اخلع نعليك حاشى لله فان ابطال الظواهر راي الباطنية الذين
نظروا بالعين العوراء الى احد العالمين ولم يعرفوا الموازنة بين العالمين
ولم يفهموا وجهه كما ان ابطال الاسرار مذهب الحشوية فالذي
يجرد الظاهر حشوي والذي يجرد الباطن باطني والذي يجمع بينهما كامل
ولذلك قال عليه السلام للقرآن ظاهر وباطن وحد ومطلع وربما نقل
هذا عن علي موقوفا عليه بل اقول فهم موسى من الامر بخلع النعلين اطراح
الكونين فامتثل الامر ظاهرا بخلع نعليه وباطنا بطرح العالمين
فهذا هو الاعتبار اي العبور من الشيء الى غيره ومن الظاهر الى السر
وفرق بين من يسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة
بيتا فيه كلب فيقتني الكلب في البيت ويقول ليس الظاهر مرادا بل
المراد تخلية بيت القلب عن كلب الغضب لان منع المعرفة التي هي انسان
الملائكة اذا الغضب يحول العقل وبين من يمتثل الامر في الظاهر ويترك
القلب مشحونا بالاخلاق الخبيثة وبين من يقول الكلب ليس كلبا لصورته

رفع

عليه الصلاة والسلام

او صورته

بل المعناه وهو السبعية والضراوة واذا كان حفظ البيت الذي هو مقر
الشخص والبدن واجبا حفظه عن صورة الكلب فان يجب حفظ
بيت القلب وهو مقر الجوهر الحقيقي الخاص عن سر الكلبية اولى
فانا اجمع بين الظاهر والسر جميعا فهذا هو الكامل وهو المعني بقولهم
الكامل من لا يطفي نور معرفته نور ورعه ولذلك ترى الكامل البصيره
وهذه مغلطة منها وقع بعض السالكين الى الاباحة وطي بساط
الاحكام ظاهرا حتى انه ربما ترك احدهم الصلاة وزعم انه
دائما في الصلاة بسره وهذا اسوى مغلطة الحمقى من الاباحية الذين
تاخذهم النزهات كقول بعضهم ان الله غني عن عملنا وقول بعضهم ان
الباطن مشحون بالخبايث ليس لمكن تزكيته ولا يطمع في استيصال
الغضب والشهوة لظنه انه مامور باستيصالهما وهذه جهالات
وما ذكرناه فهو كنوة جواد وهفوة سالك حسده الشيطان فدلاه
بحبل الغرور ه وارجع الى حديث النعلين واقول ظاهر خلع
النعلين منبه على ترك الكونين فالمشال في الظاهر حق واداة الى
السر الباطن حقيقة ولكل حق حقيقة واهل هذا التنبيه هم الذين
بلغوا درجة الرجاجة كما سياتي معنى الرجاجة ان شا الله عز وجل لان الخيال
الذي من طينة يتخذ المثال صلب كثيف يحجب الاسرار ويحول
بينك وبين الانوار ولكن اذا صفي حتى صار كالزجاج الصافي صار غير
حايل عن الانوار بل صار مع ذلك مودبا للانوار بل صار مع ذلك
حافظا للانوار عن الانطفاء بعواصف الريح وسياتيك قصة
الزجاجة ان شا الله عز وجل ه واعلم ان العالم الكثيف

خذ هذه الشمعة نفسك تنزل احدى من

جذبة

الخيالي السفلي صار في حق الانبياء حاجبا ومشكاة للانوار ومصفاة
للاسرار ومرقاة الى العالم الاعلى وبهذا يعرف ان المثال الظاهر حق
ورآه بشر وقس على هذا الطوق والنار وغيره **دقيقة** اذا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة جنوا فلا تظنن انه لم يشاهده
بالبصر كذلك بل رآه في يقظته كما يراه النائم في نومه وان كان عبد الرحمن
متلانيا في يقينه بشخصه فان النوم انما اثر في امثال هذه المشاهدات
لقهر سلطان الحواس عن النوم الباطن الالهي فان الحواس شاغلة له
وجاذبة اياه الى عالم الحس ومانعة وجهه عن عالم الغيب والملكوت
وبعض الانوار النبوية قد يستعلي ويستولي بحيث لا تستحوذ الحواس
بسالكها ولا تشغله فيشاهد في اليقظة ما يشاهد غيره في المنام
ثم انه اذا كان في غاية الكمال لم يقتصر ادراكه على محض الصورة
المبصرة بل عبر منها الى السر وانكشف له ان الايمان جاذب الى العالم
الذي يعبر عنه بالجنة والغنى والثروة وهو العالم الاعلى والمال
جاذب الى الحياة الاخرى عن السر الى الجنة وان كان جاذب
الايمان اقوى اورث عزا ونظاما في سيره فيكون مثاله من عالم
الشهادة فكذلك تتجلى له انوار الاسرار من وراء زجاجات
الخيال ولذلك لا يقتصر في حكمه على عبد الرحمن وان كان انتصاره
مقصورا عليه بل يحكم به على كل من قويت بصيرته واستحكم
ايمانه وكثرت ثروته كثرة تزاحم الايمان ولكن لا تقاومه لرجحان قوة
الايمان فهذا يعرفك كيفية ابصار الانبياء للصور وكيفية مشاهدة
المعاني من وراء الصور والاغلب انه يكون المعنى سابقا الى المشاهدة

حديث عبد الرحمن بن عوف

الدنيا اقوى ومقاومة الايمان

الحاضرة وهي العالم الاعلى

الحكمة

الباطنة ثم يشرق منها على الروح الخيالي فينطبع الخيال بصورة موازنة
للمعنى محاكية له وهذا النمط من الوحي في اليقظة يفتقر الى التاويل
كما انه في النوم يفتقر الى التعبير والواقع منه في النوم نسبته الى
الخواص النبوية نسبة الواحد الى ستة واربعين والواقع في
اليقظة نسبته اعظم من ذلك واظن ان نسبته اليه نسبة الواحد
الى الثلاثة فان الذي انكشف لنا من الخواص النبوية بحصر شعبها
في ثلاثة اجناس وهذا واحد من تلك الاجناس الثلاثة **القطب الثاني**
في بيان مراتب الارواح البشرية النورانية اذ بمعرفتها تعرف امثلة
القران **فالاول منها** الروح الحساس وهو الذي يتلقى ما تورده
الحواس الخمس وكانه اصل الروح الحيواني واوله اذ به يصير الحيوان
حيوانا وهو موجود للصبي الرضيع **الثاني** الروح الخيالي وهو الذي
يستثبت بما اورده الحواس ويحفظه مخزونا عنده ليعرضه
على الروح العقلي الذي فوقه عند الحاجة اليه وهذا لا يوجد للصبي
الرضيع في بداية نشئه ولذا يولع بالشيء ليأخذه فاذا غيب عنه
نسيه ولم تنازعه نفسه اليه الى ان يكبر قليلا فيصير بحيث
اذا غيب عنه بكا وطلبه لبقاء صورته محفوظة في خياله
وهذا قد يوجد لبعض الحيوانات دون بعض ولا يوجد
للفراش المتهافت على النار لانه يقصد النار لشعفه بضياء
النهار فيظن ان السراج كوة مفتوحة الى موضع الضياء فيلقي
نفسه عليه فيتاذى به لكنه اذا جاوزه وحصل في موضع
الظلمة عاوده مرة بعد مرة ولو كان له الروح الحافظ

المستثبت لما اداه الحس اليه من الالم لما عاوده بعد ان تضرر مرة به والكلب
اذا ضرب مرة بخشبة فاذا راى الخشبة بعد ذلك من بعد هرب
الثالث الروح العقلي الذي به تدرك المعاني الخارجة عن الحس والخيال
وهو الجوهر الانسي الخاص ولا يوجد للبهائم ولا الصبيان ومدركاته المعارف
الضرورية الكلية كما ذكرنا عند ترجيح نور العقل على نور العين
الرابع الروح الفكري وهو الذي ياخذ العلوم العقلية المحضة
فيوقع بينها ائتلافات وازدواجات ويستنتج ~~معانيها~~ منها معارف
شريفة ثم اذا استفاد نتيجتين مثلا الف بينهما مرة اخرى واستفاد
نتيجة اخرى ولا يزال يتزايد كذلك الى غير نهاية الخامس
الروح القدسي النبوي الذي يختص به الانبياء وبعض الاولياء
وفيه تتجلى لوائح الغيب واحكام الاخرة وجملة من معارف
ملكوت السموات والارض بل من المعارف الربانية التي يقصر دونها
الروح العقلي والفكري واليه الاشارة بقوله عز وجل وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن
جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم
صراط الله ولا يبعد ايها المعتكف في عالم العقل ان يكون
وراء العقل طورا اخر يظهر فيه ما لا يظهر في العقل كما ابعد
كون العقل طورا وراء التمييز والاحساس تنكشف فيه غرائب وعجائب
يقصر عنها الاحساس والتمييز ولا تجعل اقصى الكمال وقفا على
نفسك وان اردت مثالا مما تشاهده من جملة خواص بعض البشر
فانظر الى ذوي التنعر كيف يختص به قوم من الناس وهو نوع احساس

وإدراك ويحرم عنه بعضهم حتى لا يتميز عندهم الالحان الموزونة
من المترجمة وانظر كيف عظمت قوة الذوق في طايفة حتى استخرجوا
بها الموسيقى والاغاني والاوتار وصنوف الدستانات التي منها
المحزن ومنها المطرب ومنها المنوم ومنها المضحك ومنها المجنن
ومنها القاتل ومنها الموجب للغشي وانما تقوى هذه الاثار في
من له اصل الذوق واما العاطل عن خاصية الذوق يتبارك في
سماع الصوت وتضعف فيه هذه الاثار وهو يتعجب ممن
صاحب الغشي ولو اجتمع العقلا كلهم من ارباب الذوق
على تفهيمه معنى الذوق لم يقدروا عليه فهذا مثال في امر حسي
لكن تقريب الى فهمك فقس به الذوق الحاصل النبوي واجتهد
ان تصير من اهل الذوق ليس من ذلك الروح فان للاولياء مسحا
واوفرا فان لم تقدر واجتهد ان تصير بالا قيسه التي ذكرناها والتنبيهات
التي رمزنا اليها من اهل العلم بها فان لم تقدر فلا اقل من ان تكون
من اهل الايمان بها ويرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا
العلم درجات والعلم فوق الايمان والذوق فوق العلم فالذوق
وجدان والعلم قياس والايمان قبول مجرد بالتقليد وحسن الظن
باهل الوجدان او باهل العرفان ٥ واذا عرفت هذه الارواح
الخمسة فاعلم انها بجملتها انوار اذ بها تظهر اصناف الموجودات
والحسي والخيالي منها وان كان تشارك البهايم الانسان في جنسها
لكن الذي للانسان منها نمط اخر اشرفوا على وخلقنا له انسان
لاجل غرض اخر واسمي اما الحيوانات فعلم تخلق لها الا لتكون آلتها في طلب

غذايها

جواهر

محسب الوجد

وعرفانه

غدايها وفي تسخيرها للأدمي وانما خلقت للادمي ليكون له شبكة
تقتنص بها من العالم الاسفل مبادي للمعارف الدينية الشريفة اذ
الانسان اذا ادرك بالحس شخصا معينا اقتبس نوره عقله منه
معنى عاما مطلقا كما ادراه في مثال حبو عبد الرحمن بن عوف واذا
عرفت هذه الارواح الخمسة فلنرجع الى غرض الامثلة فنقول
بيان امثلة هذه الاية اعلم ان القول في موازنة هذه الارواح
الخمسة للمشكاة والزجاج والمصباح والشجرة والزيت يمكن
تطويله لكني اوجزه واقتصر على التنبيه على طريقة ما فقول اما الروح الحساس
فاذا نظرت الى خاصيته وجدت انواره خارجة من ثقب عدة
كالعينين والاذنين والمنخرين وغيرها فاوفق مثال له من عالم الشهادة
المشكاة ۞ واما الروح الخيالي فتجد له خواص ثلاثا احدها
انه من طينة العالم السفلي الكثيف لان الشيء المتخيل ذو مقدار
وشكل وجهات مخصوصة مخصوصة فهو على نسبة من التخييل
من قرب او من بعد ومن شان الشيء الموصوف باوصاف
الاجسام ان يحجب عن الانوار العقلية المحضة التي تتنزه عن
الوصف بالجهات والمقادير والقرب والبعد ۞ الثاني ان هذا
الخيال الكثيف اذا صفي ورقق وهذب وضبط صار موازيا
للمعاني العقلية ومؤديا لانوارها وغير حائل لاشراق نورها منها ۞
الثالث ان الخيال في بداية الامر يحتاج الى جد البضبط بين
المعارف العقلية فلا تضطرب ولا تتزلزل ولا تنتشر انتشار
الخروج عن الضبط نعم المعتبر المثالات الخيالية للمعارف العقلية

وهذه الخواص الثلاث لا نجدها في عالم الشهادة بالاضافة الى الانوار المبصرة
الا للزجاجة فانها في الاصل من مورجوهر كثيف لكن صفي ورق حتى
صار لا يحجب نور المصباح بل يورثه على وجهه ثم يحفظه عن
الانطفاء بالرياح العاصفة والحركات العنيفة فهو اولى مثال به
واما الثالث وهو الروح العقلي الذي به ادراك المعارف
الشريفة الالهية فلا يخفى عليك وجه تمثيله بالمصباح وقد
عرفت هذا فيما سبق من بيان معنى كون الانبياء سراجا منيرا
واما الرابع وهو الروحي الفكري فمن خاصيته انه يتعدى
من اصل واحد ثم يتشعب منه شعبتان ثم من كل شعبة شعبتان
وهكذا الى ان يكثر الشعب بالتقسيمات العقلية ثم ينقبض
بالاخرة الى نتائج هي ثمراتها ثم تلك الثمرات تعود فتصير بذورا
لامثالها اذ يمكن ايضا تلقيح بعضها بالبعض حتى تتادى الى ثمرات
وراها كما ذكرناه في كتاب القسطاس المستقيم فبالحري ان يكون
مثاله من هذا العالم الشجرة واذا كانت ثمراتها مادة لتضاعف انوار
المعارف وثباتها وبقائها فبالحري ان تمثل بشجرة السفرجل والرمان
والتفاح وغيرها بل من جملة سائر الاشجار بالزيتونة خاصة لان
لب ثمرتها هو الزيت الذي هو مادة المصابيح ولتخص من بين سائر
الادهان لخاصية زيادة الاشراق مع قلة الدخان واذا كانت
المناسبة التي يكثر نسلها والشجرة التي تكثر ثمرتها تسمى مباركة
فالتي لا تتناهى ثمرتها الى حد محدود اولى ان تسمى شجرة مباركة
واذا كانت شعب الافكار العقلية المحضة خارجة عن قبول الاضافة

الى الجهات والقرب والبعد فبالحري لا تكون شرقية ولا غربية ۞
واما الخامس وهو الروح القدسي النبوي المنسوب الى الاولياء اذا
كان في غاية الشروق والصفاء وكانت الروح المفكرة منقسمة ما
تحتاج الى تعليم وتنبيه ومدد من خارج فبالحري ان يعبر عن الصافي
البالغ الاستعداد بانه يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار اذ في الاولياء
من يكاد يشرق نوره حتى يكاد يستغني عن مدد الانبياء وفي الانبياء من يكاد
صوته يستغني عن مدد الملائكة فهذا المثال موافق لهذا القسم واذا كانت
هذه الانوار مترتبة بعضها على بعض فالحس هو الاول وهو كالتوطئة
والتمهيد للروح الخيالي اذ لا يتصور الخيال الا موضوعا بعده والفكري
والعقلي يكون بعدهما فبالحري ان تكون الزجاجة كالمحل للمصباح والمشكاة
كالمحل للزجاجة فيكون المصباح في زجاجة والزجاجة في مشكاة
واذا كانت هذه كلها انوار بعضها فوق بعض فبالحري ان يكون نورا على
نور ۞ خاتمة هذا المثال انما يصح لقلوب المؤمنين او لقلوب
الانبياء والاولياء لا لقلوب الكفار فان النور يراد للهداية والمصروف
عن طريق الهدى باطل وظلمة بل اشد من الظلمة لان الظلمة لا تهدي الى
الباطل كما لا تهدي الى الجهة وعقول الكفار انتكست وذلك سائر
ادراكاتهم وتعاونت على الاضلال في حقوقهم فمثالهم كرجل في
بحر لجي تغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات
بعضها فوق بعض والبحر اللجي الدنيا لما فيها من الاخطار المهلكة
والاشغال المردية والكدورات المعمية والموج الاول موج
الشهوات الداعية الى الصفات البهيمية والاشتغال باللذات الحسية

وقضاء الاوطار الدنيوية حتى ياكلوا ويتمتعوا كما تاكل الانعام وبالحري ان
يكون هذا الموج مظلما لان حب الشي يعمي ويصم والموج الثاني موج
الصفات السبعية الباعثة على الغضب والعداوة والبغضاء والحقد
والحسد والمباهاة والتفاخر والتكاثر وبالحري ان يكون مظلما لان
الغضب غول العقل وبالحري ان يكون هو الموج الاعلى لان الغضب
والاكثر مستول على الشهوات حتى اذا هاج اذهل عن الشهوات
واغفل عن اللذات المشتهاة واما الشهوة فلا تقاوم الغضب
الهائج اصلا واما السحاب فهو الاعتقادات الخبيثة
والظنون الفاسدة والخيالات الفاسدة التي صارت حجابا بين الناظرين
الايمان ومعرفة الحق والاستبصار بنور شمس القران والعقل
فان خاصية السحاب ان يحجب اشراق نور الشمس واذا كانت
هذه كلها مظلمة فبالحري ان يكون ظلمات بعضها فوق بعض واذا
كانت هذه الظلمات تحجب عن معرفة الاشياء القريبة فضلا عن
البعيدة ولذلك حجب الكفار عن معرفة عجايب النبي صلى الله
عليه وسلم مع قرب متناولها وظهوره باذني تامل فبالحري ان يعتبر
عنه بانه لو اخرج يده لم يكد يراها واذا كان منبع الانوار كلها
من النور الاول الحق كما سبق فبالحري ان يعتقد كل موحد ان من
لم يجعل الله له نورا فما له من نور فيقيس هذا القدر من لم يراه
الايه واقع بهو اللام

الفصل الثالث في معنى قوله صلى الله عليه وسلم

ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات
وجهه ما ادركه بصره وفي بعض الروايات سبع مائة وفي بعضها سبعين الفا

احوال

فأقول ان الله عز وجل متجل لذاته في ذاته لذاته ويكون الحجاب بالاضافة
الى محجوب لا محالة وان المحجوبين من الخلق بذلك اقسام منهم من حجب
بمجرد الظلمة ومنهم من حجب بالنور المحض ومنهم من حجب بنور
مقرون بظلمة واصناف هذه الاقسام كثيرة اتحقق لكثرتها وبحسبي
ان اتكلف حصرها الا انني مالي من تحديد وحصر اذ لا ادري انه
المراد بالحديث امر لا اما الحصر الى مائة او سبعين الفا فذلك لا يستقل
به الا القوة النبوية مع ان ظاهر طي ان هذه الاعداد مذكورة للتكثير
لا للتحديد وقد تجري العادة بذكر عدد ولا يراد به الحصر بل التكثير
والله اعلم بتحقيق ذلك وذلك خارج عن الوسع وانما الذي يمكنني
الان ان اعرفك هذه الاقسام وبعض اصناف كل قسم فاقول
القسم الاول هم المحجوبون بمحض الظلمة وهم الملحدة الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الاخر وهم الذين استحبوا الدنيا على الاخرة لانهم لا يؤمنون
بالاخرة اصلا وهاؤلاء صنفان صنف تشوف الى طلب سبب
لهذا العالم واحالته الى الطبع والطبع عبارة عن صفة مركوزة في
الاجسام حالة فيها وهي مظلمة اذ ليس لها معرفة وادراك
ولا خبر لها من نفسها ولا مما يصدر منها وليس لها نور يدرك بالبصر
الظاهر ايضا الصنف الثاني هم الذين شغلوا بانفسهم
ولم يتفرغوا لطلب السبب ايضا بل عاشوا عيش البهائم فان
حجابهم نفوسهم الكدرة وشهواتهم المظلمة والظلمة
اشد من الهوى والتعصب ولذلك قال تعالى افرايت من اتخذ الهه
هواه وقال صلى الله عليه وسلم الهوى اعظم اله عبد في الارض

يلوح

وهاؤلاء انقسموا فرقا مفرقة زعمت ان غاية الطلب في
الدنيا هي قضاء الاوطار ونيل الشهوات واذراك اللذات البهيمية
من مأكل ومشرب وملبس فهاؤلاء عبيد اللذة يعبدونها ويطلبونها
ويعتقدون ان سلها غاية السعادات رضوا لانفسهم ان يكونوا
بمنزلة البهائم بل الخسس منها فاي ظلمة اشد من ذلك فقد حجب
هاؤلاء بمحض الظلمة ۞ وفرقة رأت ان غاية السعادات
في الغلبة والاستيلاء والقتل والفتك والسبي والاسر وهاؤلاء هم
الاعراب والاكراد وليس من الحمقى وهم محجوبون بظلمة الصفات
السبعية لغلبتها عليهم وتوهموا ادراك مقصودها اعظم
اللذات عندهم وهاؤلاء قنعوا ان يكونوا بمنزلة السباع بل اخس
وفرقة ثالثة رأت ان غاية المال واتساع الاسباب لان المال
هو آلة قضاء الشهوات كلها وبه يحصل للانسان الاقتدار على
قضاء الاوطار فهاؤلاء همتهم جمع المال واستثمار الصناع
والعقار والحيل المسومة والانعام والحرث وكنز الدنانير تحت
الارض ورى الواحد يجتهد طول عمره يركب الاخطار في البراري
والاسفار والبحار ويجمع الاموال ويشح بها على نفسه فضلا عن
غيره وهم المرادون بقوله عليه السلم تعس عبد الدينار
تعس عبد الدرهم ۞ واي ظلمة اعظم من هذا مما يلبس على
الانسان لان الذهب والفضة حجران لا يرادان لاعيانهما وهي اذا
لم تنقص حالا وطارا ولم تنفق والحصباء مثلها ۞ وفرقة
رابعة رقت من حيالها هاؤلاء وتعاقلت عن زعمت ان اعظم السعادات

السعادات في الدنيا

اتباع الجاه والصيت وانتشار الذكر وكثرة الاتباع ونفوذ الامر
المطاع فتراها لا همّ لها الا المتراآة وعماره مطامح ابصار الناظرين حتى
ان الواحد قد يجوع في بيته ويحتمل الضروره ويصرف ماله الى ثياب يتجمل
بها عند خروجه كي لا ينظر اليه بعين الحقارة واصناف هاولاء
لا تحصون وكلهم محجوبون عن الله تعالى بمحض الظلمة وهي
نفوسهم المظلمة ولا معنى في ذكر احاد الفرق بعد وقوع التنبيه
على الاجناس يدخل في جملة هاولاء جماعة يقولون بلسانهم لا اله الا الله
لكن رتماجلهم على ذلك خوف او استظهارا بالمسلمين وتجمل بهم
او لستمداد من مالهم او لاجل التعصب لنصرة مذاهب الاباء فهاولاء
اذا لم تجملهم هذه الكلمة على العمل الصالح فلا تخرجهم الظلمة من
الظلمات الى النور بل اولياهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى
الظلمات اما من اثرت فيه الكلمة بحيث ساءته سيئته وسرته
حسنته فهو خارج عن محض الظلمة وان كان لسر المعصية
القسم الثاني طايفة محجوبون بنور مقرون بظلمة ولهم ثلاثة اصناف
صنف منشا ظلمتهم من الخيال وصنف منشا ظلمتهم من مقايسات
عقلية فاسدة **الصنف الاول** المحجوبون بالظلمة الحسية وهم
طوايف لا يخلو احد منهم عن مجاوزة الالتفات الى النفس
وعن التاله والتشوف الى معرفة ربه ثم اول درجاتهم عبدة
الاوثان واخرهم السوية وبينهما درجات ۞ فالطايفة الاولى
عبدة الاوثان علموا على الجملة ان لهم ربا يلزمهم اثباته على نفوسهم
المظلمة واعتقدوا ان ربهم اعز من كل شي وانفس من كل نفيس

ولذا حجبهم ظلمة الحس عن ان يجاوزوا العالم المحسوس فاتخذوا
من انفس الجواهر كالذهب والفضة والياقوت اصناما مصورة
احسن الصور واتخذوها الهة فهاؤلاء محجوبون بنور العزة
والجلال من صفات الله عز وجل وانواره ولكنهم الصقوها
بالاجسام المحسوسة وصدهم عن ذلك ظلمة الحس وان الحس
ظلمة بالاضافة الى العالم الروحاني العقلي كما سبق له الطائفة
الثانية جماعة من اقاصي الترك ليس لهم ملة ولا شريعة
يعتقدون ان لهم ربا وانه اجمل الاشياء واذا راوا انسانا في
غاية الجمال او شجرة او فرسا او غير ذلك سجدوا له وقالوا
انه ربنا فهاؤلاء محجوبون بنور الجمال مع ظلمة الحس وهم اذخل
في ما احاطة النور من عبدة الاوثان لانهم يعبدون الجمال المطلق
دون الشخص الخاص ولا يخصصونه بشخص يعبدون الجمال
المطبوع لا المصنوع من جهتهم وبالجملة وطائفة
ثالثة وانت ينبغي ان يكون ربنا نورا انيا في ذاته بهيا في صورته
ذا سلطان في نفسه مهيبا في حضرته لا يطاق القرب منه ولذلك
ينبغي ان يكون محسوسا اذ لا معنى لغير المحسوس عندهم
ثم وجدوا الذي بهذه الصفة فعبدوها واتخذوها ربا فهاؤلاء
محجوبون بنور السلطنة والبهاء وكل ذلك من انوار الله عز وجل
وطائفة الله زعموا ان الباري تعالى علينا نحن بالاشكال
والاطفاء فهي تحت تصرفنا فلا يصلح للالهية بل نحن نلون بهذه
الصفات ثم نكون نحن تحت تصرفه ونكون مع ذلك موصوفا

بالعلو والارتفاع ثم كان المشهور فيما بينهم علم النجوم واضافة التاثيرات
اليها فمنهم من عبد الشعرى ومنهم من عبد المشترى الى غير ذلك
من الكواكب بحسب ما اعتقدوه في النجوم من كثرة التاثيرات
فيها والمحجوبون بنور العلو والاشراق والاستيلاء وهي من انوار
الله عز وجل وطايفة خامسة شاهدت ذاتها وافني المساجد
ولكن قالت لا ينبغي ان يكون رسامو سوما بالصغر بالاضافة الى الجواهر
النورانية بل ينبغي ان يكون اثرها فعبدوا الشمس وقالوا هي اكثر وهاولا
محجوبون بنور الكرامة بقية الانوار مقرون بالظلمة الحس وطايفة
سادسة ترقوا فقالوا ان النور كله لا يفرد به الشمس بل لغيرها
ايضا انوار ولا ينبغي للرب شريك في نورانيته فعبدوا النور المطلق
الجامع لجميع انوار العالم وزعموا انه رب العالمين والخيرات كلها
منسوبة اليه وما في العالم شرور فلم يستحسنوا اضافتها الى
ربهم تنزيها له عن الشر فجعلوا بينه وبين الظلمة منازعة واحالوا
العالم الى النور والظلمة وربما سموها يزدان واهرمن وهم الثنوية
فيكفيك هذا القدر منها على هذا الصنف فهم اكثر
من ذلك الصنف الثاني المحجوبون بعض الانوار مقرون بالظلمة
الخيال وهم الذين جاوزوا الحس واثبتوا وراء المحسوسات امرا ولكنهم
لم يمكنهم مجاوزة الخيال فعبدوا موجودا قاعدا على العرش واحسبهم
رتبة الجسمية ثم اصناف الكرامية باجمعهم ولا يمكنني شرح
مقالاتهم ومذاهبهم فلا فايدة في التكثير للزاعم درجة من
نفي الجسمية وجميع عوارضها الا الجهة المخصوصة بجسمية فوق

لان الذي لا ينتسب الى الجهات ولا يوصف بانه خارج العالم ولا داخله
لم يكن عندهم موجودا اذ لم يكن شخصا ولم يدركوا ان اولا درجات
المعقولات تجاوز النسبة الى الجهات **الصنف الثالث**
محجوبون بالانوار الالهية مغرورون بمقايسات عقلية فاسدة مظلمة فعبدوا الها
سميعا بصيرا متكلما عالما قادرا مريدا حيا منزها عن
الجهات لكن فهموا هذه الصفات على حسب مناسبة
صفاتهم وربما صرح بعضهم فقال كلامه صوت
ككلامنا وربما ترقى بعضهم فقال لا بل هو حديث نفسنا
ولا صوت ولا حرف وكذلك اذا طولبوا بحقيقة السمع والبصر
والحياة رجعوا الى التشبيه من حيث المعنى وان انكروها من حيث
اللفظ اذ لم يدركوا اصلا معاني هذه الاطلاقات في حق الله عز وجل
وذلك قالوا في ارادته انها ارادة حادثة مثل ارادتنا وانه طلب
وقصد مثل قصدنا وهذه مذاهب مشهورة فلا حاجة بنا الى
تفصيلها فهاولاء محجوبون بحلة من الانوار مع ظلمة المقايسات
الغفلية فهاولاء كلهم اصناف القسم الثاني الذين حجبوا بنور مغرور
بظلمة **القسم الثالث** هم المحجوبون بمحض الانوار وهم اصناف
لا يمكن احصاؤهم فاشير الى ثلثة اصناف منهم **الصنف الاول**
طايفة عرفوا معاني الصفات بحقيقتها وادركوا ان اطلاق اسم الكلام
والقدرة والارادة والعلم وغيرها على صفاته ليس مثل اطلاقه على
البشر فتجاسروا عن تعريفه بهذه الصفات وعرفوه بالاضافة

الى المخلوقات كما عرف موسى عليه السلام في جواب قول فرعون
وما رب العالمين لكن قالوا ان الرب المقدس المنزه عن معاني
هذه الصفات هو محرك السماوات ومدبرها **الصنف الثاني**
ترقوا من هاولاء من حيث ظهر لهم ان في السماوات كثرة وان
محرك كل سماء خاصة موجود آخر يسمى ملكا وفيهم كثرة
وانما نسبهم الى الانوار الالاهية بنسبة الكواكب السيارة
لهم ان هذه السموات في ضمن ذلك آخر يتحرك الجميع بحركة
في اليوم والليلة مرة فقالوا الرب هو المحرك الجرم الاقصى
المنطوي على الافلاك كلها اذ الكرة منفية عنه **الصنف الثالث**
لم ترقوا من هاولاء وقالوا ان تحريك الاجسام بطريق المباشرة
يعني ان يكون خدمة لرب العالمين وعبادة له وطاعة من
عبد من عباده يسمى ملكا نسبته الى الانوار الالاهية المحضة
المشتقة نسبة القمر الى الانوار المحسوسة فزعموا ان الرب
هو المطاع من جهة هذا المحرك ويكون الرب تعالى محركا للكل
بطريق الامر لا بطريق المباشرة ثم في تفهيم ذلك الامر وماهيته
غموض يقصر عنه ادراك الافهام ولا يحتمله هذا الكتاب
فهاولاء الصنف كلهم محجوبون بالانوار المحضة وانما
الواصلون صنف رابع تجلى لهم انصار هذا المطاع موصوف
بصفة تناهي الوحدانية المحضة والكمال البالغ كيف يحتمل هذا
الذات نسبة وان نسبة هذا المطاع بنسبة الشمس الى الانوار
فتوجهوا من الذي حرك السموات ومن الذي امر بتحريكها الى الرب

فطر السموات وفطر الامر بتحريكها فوصلوا الى موجود منزه عن
كل ما ادركه بصر من قبلهم فاحرقت سبحات وجهه الاول
الاعلى جميع ما ادركه ابصار الناظرين وبصيرتهم اذ وجدوه
منزها مقدسا عن جميع ما وصفناه من قبل ثم هاولاء القسموا
فمنهم من احترق منه جميع ما ادركه بصره والمحو وتلاشى
لم يبق فيهم مداحظا للجمال والقدس وملاحظا دائما في جماله الذي
يناله بالوصول الى الحضرة الالاهية فانحجبت منه المبصرات
دون المبصر ٥ وجاء منها ولا طايفة هم خواص
الخواص فاحرقتهم سبحات وجهه وغشيهم سلطان
الجلال فالمحقوا ولما استووا في ذواتهم ولم يبق لهم لحاظ الى انفسهم
لفنايهم عن انفسهم ولم يبق الا الواحد الحق وصار معنى قوله تعالى
كل شيء هالك الا وجهه لهم ذوقا وحالا وقد اشرنا الى دلك
في الفصل الاول وذكرنا انه كيف اطلقوا الالحاد وكيف
ظنوه فهذه نهاية الواصلين ٥ ومنهم من لم يتدرج
في هذا النمط الترقي والعروج على التفصيل الذي ذكرناه ولم
تطل عليهم الطرق فسهوا في اول وهلة الى معرفة القدس
وتنزيه الربوبية عن كل ما يجب تنزيهه عنه فغلبت عليهم
اولا ما غلب على الاخرين اخرا وهجم عليهم التجلي دفعة
فاحرقت سبحات وجهه جميع ما ادركه بصر حسي

وبصيرة عقلية وتشبه ان يكون الاول طريق الخليل والثاني طريق الحبيب
صلوات الله عليهما والله اعلم باسرار اقدامهما وانوار مقاماتهما
فهذه اشارة الى اصناف المحجوبين ولا بعد ان يبلغ عددهم
اذا فصلت المقامات وتتبع حجب التسالك سبعين الفا ولكن
اذا فتشت لا تجد واحدا منها خارجا عن الاقسام التي حصرناها
فانهم انما يحجبون بصفاتهم البشرية او بالحس او بالخيال
او لمقايسة العقل او بالقوة المحض كما سبق فهذا
ما حضرني في هذا الوقت في جواب هذه الاسرار مع ان السؤال
صادر والفكر منقسم والخاطر متشعب والهمم الى
غير هذا الفن منصرف ومصير حتى عسى ان يقبل الله تعالى
العفو عما طغى به القلم او زلت به القدم فان خوض غمرة
الاسرار الالهية خطير واستشفاف الانوار الالهية
من وراء الحجب البشرية عسير غير يسير والسلام

آخر كتاب مشكاة الانوار والحمد لله حق حمده
وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه
وهو حسبنا ونعم الوكيل

وافق الفراغ من نسخه محمد بن عيسى بن محمد بن عيسى الاموي ليلة السبت
التاسع والعشرين من ذي القعدة سنة احدى واربعين وثمانمائة

خ المقامات

بسم الله الرحمن الرحيم عونك اللهم

سؤالات سئل عنها الامام ابو حامد

محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي قدس الله روحه

قال الفقيه ابو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رحمه الله
كان ابي قد سال امير المومنين المستظهر بالله ابا العباس احمد بن عبد الله
ابي القاسم المهدي بامر الله رضي الله عنهما ان يكتب له كتابا الى امير المسلمين
يذكر له فيه ثناء عليه وذكره لمناقبه ويشتمل بعد على الوصاة بنا فتوقف
لانه قال لم يجاتبنا قط فنكره ان نفتحه بالمخاطبة وهو من جملة العمال
مع انه الحول بيننا وبينه اعدا الا ومن عاديتهم في اثناء الطريق فكتب
ابي رضي الله عنه الى الشيخ الامام ابي حامد رحمة الله عليه سؤالا استفتيه
في الفتوى ويشكله الكتب على امير المومنين في الابتداء بالمخاطبة
وتضمينها للمراعاة والمحافظة فجاوب الشيخ الامام بجواب
حسن بديع ونسخة السؤال والجواب ٥ بسم الله الرحمن الرحيم
وعلم السيد الشيخ الامام الاجل الاوحد الزاهد ابي حامد محيي
رسوم الدين ومنشي ما يدحض حجج الملحدين المبدي لبدايع بيانه وقواطع
برهانه ما ترشد كافة المسلمين لازالت عليه من السرمد يحفظ
سنا المواهب كما انهضه فضل الى اعلى المراتب ويحتم له بعد السنا
الاطول باحسن العواقب بحوله القاهر وطوله الباهر وفي ذكره ما
تقدمت اليه من وصف خلال امير المسلمين وناصر الدين
ابي يعقوب يوسف بن تاشفين امير المغربين الاندلس والعدوة وما
اوضحت يليه مما هو عليه في اعزاز الدين والذب عن المسلمين

والمثابرة على جهاد المشركين وهو حميري النسب وجميع قبيله المرابطين
قد وقفوا انفسهم واموالهم على الجهاد لا ينوون عنه ولا يفترون فيه وان
جزيرة الاندلس كان قد تملكها في سنة اربع مايه تاريخ ابتدا الفتنه فيها عدة
ثوار تشتوه وفي ممالك البلاد فضعف اهلها عن مدافعتهم وعدموا
النصر فلقب هاذه الثوار بالقاب الخلفه وتشبهوا بجميع احوالهم
وخطبوا لانفسهم وضربوا النقود باسمايهم واثاروا الفتنه فيما بينهم
لرغبة كل واحد منهم في الاستيلا على صاحبه والاستبداد بالامر
دونه واخلدوا الى الرعه واستناموا الفساق من الارفاض والصنايع
الطلفا في مجاريه بعضهم لبعض فارتفعوا الرما للغرض المذكور من
اعتقاد كل واحد منهم انه احق بالامره من صاحبه ما لا ادركه
والعدو في خلال هذه الفتن المتلفه للمسلمين امن الشر به ولما قل حماة
المسلمين وافناهم السيف المصلت ابدا دخل بينهم داخلوا النصارى
لعنهم الله واحدوا في الاستنجاد بهم فلقوا ذلك بالاجابه وتنادروا
اليه ولم يزل كل واحد من الثوار بالاندلس ينافس صاحبه في الاستظهار
بهم والزياده في الضرايب لهم على المدافعه مع كل واحد منهم لصاحبه
الى ان ينكشف اليهم ضعف جميع المسلمين وعلموا المداخل الى جميع
البلاد والمخارج واطلعوا على الاساقل والمعارج فضاعفوا تلك
الضرايب على المسلمين طلبوا العز عليهم باستيلا الضعف على
المسلمين المعاقل واخذوا بالحرب كثير امنها بايسر محاولة فنجا الاول
من اهلها بالاملاك وسدد الاثرين قتل واسر ومصون اعادنا الله من
بين افتتنهم فارتاع سايرا المسلمين بالجزيره وعلموا انهم اوهموا من قبل الملوك

بضيعهم المذكورة فاصربوا عنهم ولجا المسلمون بنفوسهم وحرمهم
واديانهم الى الامير المرابط المذكور واستصرخوه لما حل بهم فلباهم
ورحف لجنبه واجاز البحر واسرع جمع جموعه من المتجندين والمطوعين
ووصل الى البحر فاجتمع عند ذلك اليه بعض الروسا وتوقف عنه البعض
توقف وفاء للمشركين وتغيظ على المسلمين لتشعبهم في اجازة الامير
المذكور البحر واتصل خبره الى ان بلغ الى ثغر عرب الاندلس ولقي هنالك
جموع الطاغية احفل ما كانت فمنح الله المسلمين النصر المؤزر
واصاب البهم السلب الموفر المتصير اليهم من اموال المسلمين بالحرا
التي كانوا باخذوها من الملوك وعاد المسلمون مع الامير المذكور
ومع من ساعد من المسلمين غانمين ظافرين والله يمنح المسلمين
في هذا العدو المناصب لهذه الجهات الشرقية امثال ما منح في
ذلك الوقت ثم عاود الامير المذكور الجواز في العام الثالث من
هذا الفتح وقصد ثغر الشرق راجيا خروج الطاغية على عادته توقف
على الخروج لفقوده عنه وظهر من روسا الاندلس شاول في جملة
الامير المذكور ومن معه فهم منها النزوع الى جملة العدو وعبره لاحدهم
على خطاب الى النصارى يحرضه على لقاء الامير المرابط المذكور ويستحثه
في الخروج الى جهات المسلمين فاستراب الامير المذكور بهم وساله
المسلمون حسم دابهم بانزالهم عن البلاد التي كانوا يملكونها فاخذ
في ذلك وخلع اثرهم وتقيت الطايفة المتوقفة على الجهاد معه
اولا واخرا وهم روسا الثغر الشرقي من جزيرة الاندلس المذكورة
حالفوا النصارى وصاروا معهم البا على المسلمين ودعاهم الامير

وصل

مدينة الفنكوت

المذكورة الى التمسك بشعار الاسلام والدخول فيما دخل فيه الجمهور فقالوا
له لا جهاد الا مع امام من قريش ولست بامام ومع غايب عن امام وما انت
ذاك فقال لهم الخادم الامام العباسي ادام الله تاييده وتوفيقه فقالوا له
اظهر لنا تقديمه لك فقال اولبيعة الخطبة التي في جميع البلاد التي في
ملكه له فقالوا له ذلك احتيال لا صحة له ومردود على النفاق واعلنوا
بالتجبر والشقاق فصار المسلمون الان في الجزيرة خايفين منهم اشد من
خوفهم من العدو فانهم اصحاب النعرة والنعرة الباب ومن يجاوز الباب
فقد دخل الدار فهل يجب قتالهم وجهادهم قبل العدو ليملك الدرب
فيومن ذلك تخاف العدو وغدرانه واذا ظفر بهم كيف الحكم في اموالهم
فلا هل والذرية لا يسبيان الا بالكفر الناقل ويبينونه الدار او بالردة
الطارئة على الاسلام وهل على متحرج حرج في قتالهما ولا المحلحين
المناصبين للمسلمين وان احتاج الامير المرابط المذكور الى معونة
الخليفة امير المومنين المستظهر بالله ادام الله نصره وتاييده وتوفيقه
بالامتنع مثله لمنشور لهم يتضمن جعل امر المسلمين الى الامير المرابط
المذكور في جميع بلاد العدو ومن جزيرة الاندلس والعدوة المتصلة
بها وتقديمه ومن يازعه اذ قعد عن الجهاد يستنفر الناس فينفرون معه
لقتالهم فهم احق بالقتال من النصارى لقول الله عز وجل ومن يتولهم منكم
فانه منهم فهل يسعى للامام عصمه الله بالله والمسلمين ان يحتج
الى ما سال من ذلك اعني من عهد منشور يتضمن ما ذكرناه من التقديم
لحفظ العدو ومن ولاقامة رسم الجهاد وتضمن الخطاب الذي اسال
اولياء الكفار او خلوصهم معه ان هداهم الله لذلك وان امتنعوا رجف

ايهم المسلمون اذا وقفوا على فتوى اهل العلم بذلك وعلى امر امير المومنين
فايهم انما خرجوا على الامام فان الامير المرابط خادمه وقد ثبت
بالنقل المتواتر الذي يقع العلم به والقطع لمثله فهو اجماع من اهل
بلادنا وممن دخلها من غيرها ان الامير المرابطي ادام الله توفيقه
خطب للخليفة امير المومنين مهد الله سلطانه واسعد زمانه
هو ومن كان قبله من الامراء المرابطين منذ اربعين سنة على الزمن
الفي منبر وضرب السكة باسمه العالي وشعاره في حربه المشركين
اسمه العالي وهو وجاهد المسلمين بالمغربين يتوخون الاقتداء
به في الاضاحي الى غير ذلك مما يطول شرحه ولا تتم البيعة الا بسبب
وباعتقاده وممن وصف الامير المذكور نفسه بالسنة بامير
مستبد وانما انا خادم امير المومنين المستظهر بالله رحمي الله المسلمين
بسلطانه وضاعف علو شانه وسعده في عنقه الى يوم الدين
وعلى هذا جميع المرابطين عقدا وصلوه في نفوسهم بعقد الايمان
والزموا جميع من طاعتهم البيعة للامام واعتقادا ما يعتقدونه
وهذا اسهل من ان يوكد بالتحليف واظهر من ان يحدد بالتركيب
فالشيخ الامام الاجل الاوحد اثم الاجر واعم الشكر
في الانعام بامعان النظر في هذا السؤال والتفضل بالمراجعة
على فصوله بالتفسير لا ما الاجمال على عوائده في امثاله من ايضاح
الخفي وزيادة بسط وحسن تفريع للجلي لازال موئدا موفقا
معصوما محققا فسيح المهل صريح القول والعمل بحول الله
وحميد صنعه والحمد لله حق حمده وصلوات الله على محمد وعلى آله وسلم

الجواب لقد سمعت من لسانه وهو الموثوق به الذي
يستغني مع مشاهدته عن غيره وعن طبقة من ثقات المعربين الفقها
وغيرهم من سيرة هذا الامير الشريف في الامراء امثاله ما اوجب
الدعا لامامه ولقد اصاب الحق في اظهاره الشعار الامامي المستظهري
حرس الله على المسلمين عز اظلاله وهذا هو الواجب على كل ملك
استولى على قطر من اقطار الاسلام في مشارق الارض ومغاربها
فعليهم بترسم مآثرهم ما ادعا للامام الحق بلغهم صرح التقليد في
الامامة او تاخر ذلك عنهم لعايق واذا تاذى شعار الملك المستولي
بشعار الخلافة العباسية وجب على كافة الرعايا والرؤساء الاذعان
والانقياد ولزمهم السمع والطاعة وعليهم ان يعتقدوا ان طاعته
هي طاعة الامام ومخالفته مخالفة الامام وكل من تمرد عليه واستعصى
وشذ بدعة عن الطاعة فحكمه حكم الباغي وقد قال تعالى وان طايفتان
من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى
فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله بالرجوع الى طاعة السلطان
العادل المتمسك بولاة الامام الحق المنتسب الى الخلافة العباسية
فكل متمرد عن الحق فانه مردود بالسيف الى الحق ويجب على الامير
واشياعه قتال هاولاء المتمردين عن طاعته لا سيما وقد
نستجدوا النصارى واتخذوا المشركين اولياء وهم اعداء الله
في مقاتلة المسلمين الذين هم اولياء الله فمن اعظم القربات قتالهم
الى ان يعودوا الى طاعة الامير العادل المتمسك بطاعة الخلافة
العباسية ومهما تركوا المخالفة وجب الكف عنهم واذا قتلوا

لم يجز ان يتبع مدبرهم وان يدفف على جريحهم بل متى ما سقطت شوكتهم
وانهزموا وجب الكف عنهم اعني عن المسلمين منهم دون
النصارى الذين لا سقى لهم عهد مع التشاغل بقتال المسلمين ك
واما ما يطرحونه من اموالهم فمردود عليهم او على ورثتهم وما
وما يوجد من ذراريهم ونسائهم لا يحل استرقاقه اصلا بل يجب
التخلية عنهم دما وهم المسفوك في القتال مطلوبه ما داموا مصرين على
البغي وما يتلف من اسلحتهم ودوابهم مهدور لا ضمان فيما
وجملتهم بالجملة في البغي على الامير المتمسك بطاعة الخلافة
المستولي على المنابر والبلاد بقوة الشوكة حكم الباغي على
نايب الامام فانه وان تاخر عنه صريح التقليد لاعتراض الموانع
العوايق المانعة من وصول المنشور بالتقليد فهو نايب بحكم
فرشة الحال اذ يجب على امام العصر ان ياذن لكل امير عادل
استولى على قطر من اقطار الارض في ان يخطب عليه وينادي بشعاره
ويحمل الخلق على العدل والنصفة ولا ينبغي ان يظن بالامام توقفه في
الرضى بذلك والاذن بذلك فيه وان توقف في تنبيه المنشور فالكتب
قد تعوق عن انشايها وايصالها المعاذير اما الاذن والرضى بعد ما
ظهر حال الامير في العدل والسياسة واقتضا المصلحة للنهوض
والتعيين فلا رخصة في تركه وقد ظهر حال هذا الامير بالاستفاضة
ظهورا لا يشك فيه وان كر يكر عن ايصال الحاسر انشايه عايق
وكانت هذه الفتنة لا تنطفي الا ان ينتهي اليهم صريح الاذن
والتقليد منشور مقرون بما جرت العادة بمثله في تقليد الامراء

في العمال

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت

MS
297.3
G41mA

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
LIBRARY

MS
297.3
G41m A

EPISTLES OF THE BRETHREN OF PURITY

On Magic

I

An Arabic Critical Edition and English Translation of EPISTLE 52a

Edited and Translated by

Godefroid de Callataÿ and Bruno Halflants

Foreword by

Nader El-Bizri

EPISTLES OF THE BRETHREN OF PURITY

On Magic
I

An Arabic Critical Edition and English Translation of EPISTLE 52a

Edited and Translated by
Godefroid de Callataÿ and Bruno Halflants

Foreword by
Nader El-Bizri

OXFORD
UNIVERSITY PRESS
in association with
The Institute of Ismaili Studies

Contents

Acknowledgements	xv
Foreword	xvii
Introduction	1
Technical Introduction	69
Epistle 52a: On Magic	85
Select Bibliography	161
Subject Index	177
Index Locorum	195
Risāla 52a (Arabic Text & Variants)	[Arabic pagination 3–105]
Arabic Index	[Arabic pagination 107–110]

Foreword

The Brethren of Purity (Ikhwān al-Ṣafā') were the anonymous members of a fourth-/tenth-century[1] esoteric fraternity of lettered urbanites that was principally based in the southern Iraqi city of Basra, while also having a significant active branch in the capital of the 'Abbāsid caliphate, Baghdad. This secretive coterie occupied a prominent station in the history of scientific and philosophical ideas in Islam owing to the wide intellectual reception and dissemination of diverse manuscripts of their famed philosophically oriented compendium, the *Epistles of the Brethren of Purity* (*Rasā'il Ikhwān al-Ṣafā'*). The exact dating of this corpus, the identity of its authors, and their doctrinal affiliation remain unsettled questions that are hitherto shrouded with mystery. Some situate the historic activities of this brotherhood at the eve of the Fāṭimid conquest of Egypt (ca. 358/969), while others identify the organization with an earlier period that is set chronologically around the founding of the Fāṭimid dynasty in North Africa (ca. 297/909).

The most common account regarding the presumed identity of the Ikhwān is usually related on the authority of the famed *littérateur* Abū Ḥayyān al-Tawḥīdī (ca. 320–414/930–1023), who noted in his *Book of Pleasure and Conviviality* (*Kitāb al-Imtā' wa'l-mu'ānasa*) that these adepts were obscure 'men of letters': Abū Sulaymān Muḥammad b. Ma'shar al-Bustī (nicknamed al-Maqdisī); the *qāḍī* Abū al-Ḥasan 'Alī b. Hārūn al-Zanjānī; Abū Aḥmad al-Mihrajānī (also known as Aḥmad al-Nahrajūrī); and Abū al-Ḥasan al-'Awfī. Abū Ḥayyān also claimed that they were the senior companions of a secretarial officer at the

1 All dates are Common Era, unless otherwise indicated; where two dates appear (separated by a slash), the first date is hijri (AH), followed by CE.

Būyid regional chancellery of Basra, known as Zayd b. Rifāʿa, who was reportedly an affiliate of the Brethren's fraternity and a servant of its ministry. Even though this story was reaffirmed by several classical historiographers in Islamic civilization, it is not fully accepted by scholars in terms of its authenticity. Furthermore, some Ismaili missionaries (*duʿāt*) historically attributed the compiling of the *Epistles* to the early Ismaili Imams Aḥmad b. ʿAbd Allāh (al-Taqī [al-Mastūr]) or his father, ʿAbd Allāh (Wafī Aḥmad), while also suggesting that the *Rasāʾil* compendium was secretly disseminated in mosques during the reign of the ʿAbbāsid caliph al-Maʾmūn (r. 198–218/813–833).

Encountering 'veracity in every religion', and grasping knowledge as 'pure nourishment for the soul', the Ikhwān associated soteriological hope and the attainment of happiness with the scrupulous development of rational pursuits and intellectual quests. Besides the filial observance of the teachings of the Qurʾan and hadith, the Brethren also reverently appealed to the Torah of Judaism and to the Gospels of Christianity. Moreover, they heeded the legacies of the Stoics and of Pythagoras, Hermes Trismegistus, Socrates, Plato, Aristotle, Plotinus, Nicomachus of Gerasa, Euclid, Ptolemy, Galen, Proclus, Porphyry, and Iamblichus.

The Brethren promoted a convivial and earnest 'companionship of virtue'. Their eschatological outlook was articulated by way of an intricate cyclical view of 'sacred' history that is replete with symbolisms and oriented by an uncanny hermeneutic interpretation of the microcosm and macrocosm analogy: believing that the human being is a microcosmos, and that the universe is a 'macroanthropos'. The multiplicity of the voices that were expressed in their *Epistles* reflects a genuine quest for wisdom driven by an impetus that is not reducible to mere eclecticism; indeed, their syncretism grounded their aspiration to establish a spiritual refuge that would transcend the sectarian divisions troubling their era.

In general, fifty-two epistles are enumerated as belonging to the *Rasāʾil Ikhwān al-Ṣafāʾ*, and these are divided into the following four parts: Mathematics, Natural Philosophy, Sciences of the Soul and Intellect, and Theology. The first part consists of fourteen epistles, and it deals with 'the mathematical sciences', treating a variety of topics in arithmetic, geometry, astronomy, geography, and music.

It also includes five epistles on elementary logic, which consist of the following: the *Isagoge*, the *Categories*, the *On Interpretation*, the *Prior Analytics*, and the *Posterior Analytics*. The second part of the corpus groups together seventeen epistles on 'the physical or natural sciences'. It thus treats themes on matter and form, generation and corruption, metallurgy, meteorology, a study of the essence of nature, the classes of plants and animals (the latter being also set as a fable), the composition of the human body and its embryological constitution, a cosmic grasp of the human being as microcosm, and also the investigation of the phonetic and structural properties of languages and their differences. The third part of the compendium comprises ten tracts on 'the psychical and intellective sciences', setting forth the 'opinions of the Pythagoreans and of the Brethren of Purity', and accounting also for the world as a 'macroanthropos'. In this part, the Brethren also examined the distinction between the intellect and the intelligible, and they offered explications of the symbolic significance of temporal dimensions, epochal cycles, and the mystical expression of the essence of love, together with an investigation of resurrection, causes and effects, definitions and descriptions, and the various types of motion. The fourth and last part of the *Rasā'il* deals with 'the *nomic* or legal and theological sciences' in eleven epistles. These address the differences between the varieties of religious opinions and sects, as well as delineating the 'pathway to God', the virtues of the Ikhwān's fellowship, the characteristics of genuine believers, the nature of the divine *nomos*, the call to God, the actions of spiritualists, of jinn, angels, and recalcitrant demons, the species of politics, the cosmic hierarchy, and, finally, the essence of magic and talismanic incantations. Besides the fifty-two tracts that constitute the *Rasā'il Ikhwān al-Ṣafā'*, this compendium was accompanied by a treatise entitled *al-Risāla al-jāmi'a* (The Comprehensive Epistle), which acted as the *summa summarum* for the whole corpus and was itself supplemented by a further abridged appendage known as the *Risālat jāmi'at al-jāmi'a* (The Condensed Comprehensive Epistle).

In spite of their erudition and resourcefulness, it is doubtful whether the Brethren of Purity can be impartially ranked amongst the authorities of their age in the realms of science and philosophy. Their inquiries

into mathematics, logic, and the natural sciences were recorded in the *Epistles* in a synoptic and diluted fashion, sporadically infused with gnostic, symbolic, and occult directives. Nonetheless, their accounts of religiosity, as well as their syncretic approach, together with their praiseworthy efforts to collate the sciences, and to compose a pioneering 'encyclopaedia', all bear signs of commendable originality.

In terms of the epistemic significance of the *Epistles* and the intellectual calibre of their authors, it must be stated that, despite being supplemented by oral teachings in seminars (*majālis al-'ilm*), the heuristics embodied in the *Rasā'il* were not representative of the most decisive achievements in their epoch in the domains of mathematics, natural sciences, or philosophical reasoning. Moreover, the sciences were not treated with the same level of expertise across the *Rasā'il*. Consequently, this opus ought to be judged by differential criteria as regards the relative merits of each of its epistles. In fairness, there are signs of conceptual inventiveness, primarily regarding doctrinal positions in theology and reflections on their ethical-political import, along with signs of an intellectual sophistication in the meditations on spirituality and revelation.

The *Rasā'il* corpus is brimming with a wealth of ideas and constitutes a masterpiece of mediaeval literature that presents a populist yet comprehensive adaptation of scientific knowledge. It is perhaps most informative in terms of investigating the transmission of knowledge in Islam, the 'adaptive assimilation' of antique sciences, and the historical evolution of the elements of the *sociology* of learning through the mediaeval forms of the popularization of the sciences and the systemic attempts to canonize them. By influencing a variety of Islamic schools and doctrines, the Brethren's heritage acted as a significant intellectual prompt and catalyst in the development of the history of ideas in Islam. As such, their work rightfully holds the station assigned to it amongst the distinguished Arabic classics and the high literature of Islamic civilization.

The composition of this text displays impressive lexical versatility, which encompasses the technical idioms of mathematics and logic, the heuristics of natural philosophy, and the diction of religious pronouncements and occult invocations, in addition to poetic verses,

didactic parables, and satirical and inspirational fables. Despite the sometimes disproportionate treatment of topics, the occasional hiatus in proofs, irrelevant digressions, or instances of verbosity, the apparent stylistic weaknesses disappear, becoming inconsequential, when a complete impression is formed of the architectonic unity of the text as a whole and of the convergence of its constituent elements as a remarkable *oeuvre des belles lettres*.

Modern academic literature on the *Rasā'il Ikhwān al-Ṣafā'* is reasonably extensive within the field of Islamic studies, and it continues to grow, covering works dating from the nineteenth century up to the present, with numerous scholars attempting to solve the riddles surrounding this compendium. The academic rediscovery of the *Rasā'il* in modern times emerged through the monumental editorial and translation efforts of the German scholar Friedrich Dieterici between the years 1861 and 1872. Several printed editions aiming to reconstruct the original Arabic have also been established, starting with the *editio princeps* in Calcutta in 1812, which was reprinted in 1846, then a complete edition in Bombay between 1887 and 1889, followed by the Cairo edition of 1928, and the Beirut editions of 1957, 1983, 1995, and their reprints.[2] Although the scholarly contribution of these Arabic editions of the *Rasā'il* is laudable, as they valuably sustained research on the topic, they are uncritical in character, and they do not reveal their manuscript sources. Consequently, the current printed editions do not provide definitive primary-source documentation for this classical text. Given this state of affairs, the Institute of Ismaili Studies (IIS) in London has undertaken the publication (in association with Oxford University Press) of a multi-authored, multi-volume Arabic critical edition and annotated English translation of the fifty-two epistles. In preparation

2 The principal complete editions of this compendium that are available in print consist of the following: *Kitāb Ikhwān al-Ṣafā' wa-Khullān al-Wafā'*, ed. Wilāyat Ḥusayn, 4 vols. (Bombay: Maṭba'at Nukhbat al-Akhbār, 1305–1306/ca. 1888); *Rasā'il Ikhwān al-Ṣafā'*, ed. Khayr al-Dīn al-Ziriklī, with two separate introductions by Ṭaha Ḥusayn and Aḥmad Zakī Pasha, 4 vols. (Cairo: al-Maṭba'a al-'Arabiyya bi-Miṣr, 1928); *Rasā'il Ikhwān al-Ṣafā'*, ed. with introduction by Buṭrus Bustānī, 4 vols. (Beirut: Dār Ṣādir, 1957); and an additional version, *Rasā'il Ikhwān al-Ṣafā'*, ed. 'Ārif Tāmir, 5 vols. (Beirut: Manshūrāt 'Uwaydāt, 1995).

for the critical edition, reproductions of nineteen manuscripts were acquired by the IIS, and their particulars can be summarized as follows, with the corresponding Arabic sigla:

Bibliothèque nationale de France, Paris:

MS 2303 (1611 CE): [ر]

MS 2304 (1654 CE): [ز]

MS 6.647–6.648 (AH 695; Yazd): [د]

Bodleian Library, Oxford:

MS Hunt 296 (n.d.): [ج]

MS Laud Or. 255 (n.d.): [ح]

MS Laud Or. 260 (1560 CE): [خ]

MS Marsh 189 (n.d.): [غ]

El Escorial, Madrid:

MS Casiri 895/Derenbourg 900 (1535–1536 CE): [س]

MS Casiri 923/Derenbourg 928 (1458 CE): [ش]

Istanbul collections (mainly the Süleymaniye and associated libraries):

MS Atif Efendi 1681 (1182 CE): [ع]

MS Esad Efendi 3637 (ca. thirteenth century CE): [ن]

MS Esad Efendi 3638 (ca. 1287 CE): [أ]

MS Feyzullah 2130 (AH 704): [ف]

MS Feyzullah 2131 (AH 704): [ق]

MS Köprülü 870 (ca. fifteenth century CE): [ك]

MS Köprülü 871 (1417 CE): [ل]

MS Köprülü 981 (n.d.): [و]

Königliche Bibliothek zu Berlin:

MS 5038 (AH 600/1203 CE): [ب]

The Mahdavī Collection, Tehran:[3]
MS 7437 (AH 640): [ط]

Reconstruction of the *Rasā'il* by way of a critical edition will be undertaken using manuscript reproductions that are significantly distanced in time from the original, and these have proved to be traceable to a variety of transmission traditions that cannot be articulated with confidence in terms of a definitive *stemma codicum*.[4] The dexterity of the copyists, their deliberate tampering, or commendable exercise of restraint and relative impartiality, along with their scribal idioms, would have conditioned the drafting of the manuscripts. Such endeavours would also have been influenced by the intellectual impress of the prevalent geopolitical circumstances in which this text was transcribed, in addition to its channels of transmission. By widening

3 It is worth noting that these acquisitions by the IIS, which consist of the oldest complete manuscripts, along with significant supplementary fragments of an early dating, were each carefully selected from over one hundred extant manuscripts, which are preserved in thirty-nine libraries and collections, noted in alphabetical order by country, as follows: *Egypt*: Dār al-Kutub, Arab League Library (possibly also in the Arab League offices in Tunis); *France*: Bibliothèque nationale de France; *Germany*: Königliche Bibliothek zu Berlin, Herzogliche Bibliothek zu Gotha, Eberhard–Karlis–Universität (Tübingen), Leipzig (Bibliotheca Orientalis), München Staatsbibliothek; *Iran*: Muṭahharī Library, Tehran University Central Library, Mahdavī Collection (private); *Ireland*: Chester Beatty Library; *Italy*: Biblioteca Ambrosiana, Biblioteca Vaticana; *Netherlands*: Bibliotheca Universitatis Leidensis; *Russia*: Institut des Langues Orientales (St Petersburg); *Spain*: Biblioteca del Monasterio San Lorenzo de El Escorial; *Turkey*: Süleymaniye, Aya Sofia, Amia Huseyn, Atif Efendi, Esad Efendi, Millet Library, Garullah, Köprülü, Kütüphane-i 'Umūmī Defterī, Manisa (Maghnisa), Rashid Efendi (Qaysari), Topkapi Saray, Yeni Çami, Revan Kishk; *United Kingdom*: Bodleian Library, British Library, British Museum, Cambridge University (Oriental Studies Faculty Library), Institute of Ismaili Studies (including copies from the Hamdani, Zāhid 'Alī, and Fyzee collections), Mingana Collection (Selly Oak Colleges Library, Birmingham), School of Oriental and African Studies (SOAS); *United States*: New York Public Library, Princeton University Library.

4 Within both the English and the Arabic text, the beginning of each folio of the MS Köprülü 871 [ل] manuscript is indicated, starting at verso folio 520, (fol. 520b)/| ٥٢٠ ظ ل |, and recto folio 521, (fol. 521a)/| ٥٢١ و ل |; the fifth, tenth, fifteenth, and twentieth lines of each of the folios of this manuscript figure in the Arabic and English text respectively in the form, for example, ٥| or [5]. The pagination of the fourth volume of the Beirut (Dār Ṣādir) printed edition is also indicated, using square brackets, for example, [p. 283]/[٢٨٣].

the selection of the oldest manuscripts and fragments, based on the period of the copying, the levels of completeness and clarity, and the recommendations of past and present scholars who have consulted these collections, a suitably grounded critical edition will be produced, and this more-reliable textual reconstruction will offer us improved access to the contents of the *Rasā'il* beyond what is presently available through the printed editions (i.e., those from Bombay, Cairo, and Beirut). It is ultimately hoped that the collective authorial effort, in establishing the Arabic critical edition of the *Rasā'il* and the first complete annotated English translation, will eventually render service to the academic community and lay a scholarly foundation for further studies dedicated to the Brethren's corpus and its impact on the history of ideas in Islam and beyond.

This present volume, prepared by Professor Godefroid de Callataÿ and Mr Bruno Halflants, consists of the Arabic critical edition and annotated English translation of the first division of the lengthy Epistle 52: 'On Magic', from the fourth part of the *Rasā'il*, on 'the nomic or legal and theological sciences'.[5]

The text that is included within the covers of this present volume will be referred to herein as the 'short version', or 'Epistle 52a: On Magic', since its critical edition was based on the Köprülü 871 (ل) and Esad Efendi 3637 (ن) manuscripts, which correspond only with the first thirty pages of the rendition of this tract in the Beirut (Dār Ṣādir) edition of 1957 (vol. 4, pp. 283–312). The Arabic critical edition and annotated English translation of what is consequently classifiable as the 'long version', or 'Epistle 52b: On Magic', will be edited and translated by Professor de Callataÿ and Mr Halflants, in collaboration with Dr Sébastien Moureau, to be published at a later date in a separate volume of our series. This 'long version' will cover the textual material that corresponds with the remaining part from the Beirut edition of this tract (vol. 4, pp. 312–463), and its critical edition will be based on nine manuscripts, including Atif Efendi 1681 (ع). The 'short' and 'long' versions belonged to two manuscript traditions, even though the Beirut edition placed them side-by-side in emphasis of their potential

5 Previously published books in the OUP–IIS *Epistles of the Brethren of Purity* series are mentioned in the preliminary pages of this present volume.

continuity. However, the irreducibility of their respective origins to a single unified source, and their noticeable dissimilarities, resulted in the editorial decision to publish them separately.

In acknowledgement of all those who contributed to the publication of this present volume, it is my delightful duty to thank firstly Professor de Callataÿ and Mr Halflants for their scholarly composition of this 'short version', or 'Epistle 52a: On Magic', and also for their continuation of the work with Dr Moureau on 'the long version', or 'Epistle 52b: On Magic'. Thanks are due as ever to Mr Saleh al-Achmar for his meticulous copy-editing of the Arabic text. I am also most thankful to the eminent members of the Editorial and Advisory Boards of our series for their continual academic support. Profound thanks must go as well to the Co-Directors and Governors of the Institute of Ismaili Studies in London for their generous sponsorship of this publication, and I am especially indebted to Dr Farhad Daftary for his constant endorsement of this institutional initiative. My special expressions of gratitude are owed to Ms Tara Woolnough for her thoughtful copy-editing of the English text and work on the indexes, and for her dedicated professional care in the everyday co-ordination of this project. It is with pleasure that I also announce Professor de Callataÿ's acceptance of our invitation to join the Advisory Board of the *Epistles of the Brethren of Purity* series.

Sincere recognition, in memoriam, ought to be expressed in homage to the late eminent scholar of Islamic studies and celebrated humanist intellectual, Professor Mohammed Arkoun, for his support of this series, and for his wise counsel during his longstanding service as a Governor and Senior Research Fellow at the Institute of Ismaili Studies, London.

Nader El-Bizri
(General Editor, *Epistles of the Brethren of Purity*)
London, July 2011

Introduction

Godefroid de Callataÿ

The Manuscript Tradition of the Epistle 'On Magic'

For the last fifty years, research on the *Rasā'il Ikhwān al-Ṣafā'* has been conducted almost exclusively on the basis of, and with reference to, the Beirut edition, published in 1957 by Buṭrus al-Bustānī.[1] Although uncritical and, in this respect, not significantly better than its two predecessors, the Bombay edition of 1887–1889 and the Cairo edition of 1928,[2] the Beirut edition provides a very legible text, with certain words vocalized and some explanatory footnotes in places. Its success up to the present time has also largely been due to its greater availability.

In the Beirut edition, the epistle 'On the Quiddity of Magic [*siḥr*], Incantations [*'azā'im*], and the Evil Eye [*'ayn*]' is listed as the fifty-second and ultimate *risāla* of those making up the encyclopaedic corpus of the Ikhwān. It takes up 180 pages (pp. 283–463) of the fourth volume, which makes it the second longest treatise of the entire corpus

1 *Rasā'il Ikhwān al-Ṣafā'*, ed. Buṭrus al-Bustānī, 4 vols. (Beirut: Dār Ṣādir and Dār Bayrūt, 1377/1957; repr., 2004). Unless otherwise specified, this is the edition of the *Rasā'il* referred to throughout.

2 *Kitāb Ikhwān al-Ṣafā' wa-Khullān al-Wafā' li'l-imam al-humām quṭb al-aqṭāb mawlānā Aḥmad ibn 'Abd Allāh*, ed. Wilāyat Ḥusayn, 4 vols. (Bombay: Maṭba'at Nukhbat al-Akhbār, 1305–1306/ca. 1887–1889); *Rasā'il Ikhwān al-Ṣafā' wa-Khillān al-Wafā'*, ed. Khayr al-Dīn al-Ziriklī, 4 vols. (Cairo: al-Maṭba'a al-'Arabiyya bi-Miṣr, al-Maktaba al-Tijāriyya al-Kubrā, 1346/1928). On these editions, see also Ismail K. Poonawala, 'Why We Need an Arabic Critical Edition with an Annotated English Translation of the *Rasā'il Ikhwān al-Ṣafā'*', in *The Ikhwān al-Ṣafā' and their 'Rasā'il'*, ed. N. El-Bizri (New York–London: OUP–IIS, 2008), pp. 33–57, esp. pp. 44–50. See also Abdul Latif Tibawi, 'Ikhwān aṣ-Ṣafā' and their *Rasā'il*: A Critical Review of a Century and a Half of Research', *Islamic Quarterly* 2 (1955), pp. 28–46.

after Epistle 22 and the famous 'Case of the Animals versus Man' story.[3] Consequently, all modern scholars have thus far taken for granted that the epistle on magic formed a single, 180-page-long unit.

Study of the manuscripts provides us with a different picture, however. Out of the eleven manuscripts used here that were furnished by the Institute of Ismaili Studies for the establishment of the edition, it appears that: (1) nine manuscripts, including MS Atif Efendi 1681 (ع or *'ayn*, dated 1182 CE), offer text corresponding to the last 152 pages of the epistle according to the Beirut edition (vol. 4, pp. 312–463, hereafter referred to as the 'long version', or 'Epistle 52b', and to be published separately as *On Magic II*) and to that part alone;[4] (2) two manuscripts — namely, Köprülü 871 (ل or *lām*, dated 1417 CE) and Esad Efendi 3637 (ن or *nūn*, undated, but conjecturally ca. thirteenth century CE)[5] — provide the text that corresponds to the first thirty pages of the epistle in Beirut (vol. 4, pp. 283–312, hereafter referred to as the 'short version', or 'Epistle 52a') and to those pages only.

From the variant readings appearing in the short version of Beirut, one must postulate the existence of at least a third manuscript in the second group. Unfortunately, given that al-Bustānī is completely silent about his source(s), this manuscript — or these manuscripts, in the case that Beirut is based on more than just one manuscript — has remained impossible to identify with any precision.[6]

Now, since each manuscript, no matter which group it belongs to, allows itself to be regarded as the 'authorized version' of the epistle 'On Magic', we should speak in reality of two traditions that are not

3 For that epistle, see now Goodman and McGregor (ed. and tr.), *The Case of the Animals versus Man Before the King of the Jinn; An Arabic Critical Edition and English Translation of Epistle 22* (New York–London: OUP–IIS, 2009). See also Goodman, 'Reading *The Case of the Animals versus Man*: Fable and Philosophy in the Essays of the Ikhwān al-Safā'', in *The Ikhwān al-Ṣafā'*, ed. N. El-Bizri, pp. 248–274.

4 See the technical introduction of the present volume, below, for a detailed description of these manuscripts.

5 See N. El-Bizri, 'Prologue', in *The Ikhwān al-Ṣafā'*, ed. N. El-Bizri, pp. 1–32, here p. 21.

6 According to A. Hamdani ('The Arrangement of the *Rasā'il Ikhwān al-Ṣafā'* and the Problem of Interpolations', in *The Ikhwān al-Ṣafā'*, ed. N. El-Bizri, pp. 82–100, here p. 84), all three editions are based on a single, late Indian manuscript.

only independent from one another, but even mutually exclusive. And we are also to infer that the three editions of Bombay, Cairo, and Beirut were solely responsible for having merely juxtaposed these versions with one another under the same generic title. Actually, the dividing line corresponds to a sub-heading which appears in all three editions as: 'Explanation of the reality of magic, etc.' (*Bayān ḥaqīqat al-siḥr wa-ghayri-hi*).[7] It is interesting to note that this demarcation was completely overlooked by Yves Marquet in his ultimate work on the Brethren of Purity,[8] although the same scholar had mentioned it, albeit with some approximation in the reference, in the break-down of the epistle as provided in his earlier *La Philosophie des alchimistes et l'alchimie des philosophes*.[9]

That Beirut would have followed a manuscript where the short and the long versions were already side-by-side seems to me unlikely. Aside from the disproportion in size, to which I shall later return, the two parts show in fact considerable dissimilarities with one another in form. Whereas the short version appears as a relatively well-structured composition, with clearly defined purposes and supported by a carefully chosen set of ancient authorities, the long version would seem to betray a lesser degree of organization, with definitely no noticeable plan or purport to help the reader find his bearings in this *selva oscura*. It is no doubt this impression of disorder and incoherence, joined perhaps to a style that looks slovenly in places, which has prompted a scholar like Alessandro Bausani to deem the epistle on magic — understood, of course, as comprising both versions — as 'di non gran valore' and even to consider it as spurious.[10]

7 See Bombay, vol. 4, p. 309 = Cairo, vol. 4, p. 347 = Beirut, vol. 4, p. 312. For a concordance between the three editions, see D. R. Blumenthal, 'A Comparative Table of Bombay, Cairo and Beirut Editions of the *Rasā'il Iḫwān al-Ṣafā'*', *Arabica* 21 (1974), pp. 186–203, here p. 196.

8 Y. Marquet, *Les «Frères de la pureté» pythagoriciens de l'Islam. La marque du pythagorisme dans la rédaction des Épîtres des Ikhwān al-Ṣafā'* (Paris: S.E.H.A, 2006). On pp. 9–32, Marquet suggests a way to divide Epistle 52 into five main sections which, according to him, form coherent entities. No one of the divisions he proposes corresponds to our demarcation line.

9 Marquet, *La philosophie des alchimistes et l'alchimie des philosophes: Jābir ibn Ḥayyān et les Ikhwān al-Ṣafā'* (Paris: Maisonneuve et Larose, 1988), pp. 18–21.

10 A. Bausani, *L'enciclopedia dei Fratelli della Purità. Riassunto, con Introduzione e*

How are we to understand this twofold transmission of the epistle 'On Magic, Incantations, and the Evil Eye'? Of the two versions that have come down to us, does one have more authority than the other? Should we consider one of them, or even both, as apocryphal, or would it be more appropriate to consider them as two different stages, or two different facets, of the same project, which would imply that in this case they could both be attributable to the Brethren themselves? On what grounds are we entitled to answer these questions in the first place? Should the number of manuscripts in each group be considered the decisive factor? Or would the antiquity of some manuscripts be regarded as a more important criterion still?

The fact is that we are here facing two major difficulties. One is inherent to the manuscript transmission itself. As has already been noted by several contributors to the present series of volumes of the *Epistles of the Brethren of Purity*, there exists a wide gap between the supposed time of redaction of the *Rasā'il* — generally believed to have taken place shortly after the middle of the tenth century CE, although scholars like Marquet and Hamdani have opted for a significantly earlier date — and the oldest known manuscript, namely, MS Atif Efendi 1681, dated 1182 CE. Obviously, a great variety of alterations may have affected the original text over such a long period, as was rightly pointed out by Ismail Poonawala:

> This unaccounted-for interval of two or three centuries leaves us with many unresolved issues concerning additions, subtractions, and modifications introduced into the text. Besides those interpolations, it is obvious that numerous errors might also have been introduced, intentionally or unintentionally, in the process of transcription by the scribes, especially as the book is in several volumes and was widely read and copied.[11]

The second difficulty arises from the present state of research which, in spite of various efforts (to begin with, the current project of editing for the first time the entire corpus of *Rasā'il* on a scholarly basis),

---

breve commento, dei 52 Trattati o Epistole degli Ikhwān al-Ṣafā' (Naples: Istituto Universitario Orientale, 1978), p. 12 and p. 279. In fact, Bausani's *riassunto* of Epistle 52 does not exceed two pages and only presents a very small quantity of the elements actually found in Epistle 52.

11 Poonawala, 'Arabic Critical Edition', p. 45.

remains largely incomplete. Here again it seems fitting to quote from Poonawala: 'Unfortunately, no one has undertaken the task of compiling a comprehensive list of manuscript copies of the *Rasā'il*, either of the complete or incomplete set of four parts or simply of copies of certain epistles, scattered in private and public libraries around the world'.[12] Out of the more than one hundred complete manuscript copies of the *Epistles* located by Nader El-Bizri in libraries and collections throughout the world,[13] only a few have been described, and many are impossible to date with any accuracy. For a number of reasons that will be discussed in greater detail by Bruno Halflants in the technical introduction of this volume, the filiations of even the best-known copies remain unclear, making the establishing of the *stemma codicum* a challenging, and in the end rather frustrating, task.

The combination of these difficulties results in the scholar's unpleasant impression that his exploration is limited to the emergent part of a giant iceberg, and that there remains considerable room for speculation about what lies beneath the surface of the water. Needless to say, this impression holds even truer in the case of the epistle on magic, as will be seen from the technical introduction here below.

The Short and Long Versions of Epistle 52

In consideration of these difficulties, and given that the short and the long versions of the epistle do not seem to be reducible to one common origin, it has been decided to publish them separately. The present volume is thus exclusively concerned with the short version (Epistle 52a). The publication of the long version (Epistle 52b) is expected to take place later on, in another volume of the series.

That being said, and pending the completion of the other volume, which should include a thorough discussion about the authorship of the work, I should like to expose here some of the reasons why I believe that the short version is genuine and why it is the one best qualified for being considered part and parcel of the encyclopaedic endeavour of the Brethren of Purity.

12 Poonawala, 'Arabic Critical Edition', p. 56.
13 El-Bizri, 'Prologue', pp. 21–22.

Let us start with an argument which, although inconclusive, deserves to be taken into account. The size of the short version fits better with the average length of the rest of the epistles than that of the long version. The vast majority of the epistles are between ten and fifty pages long in the Beirut edition.[14] Only a few epistles exceed this length: Epistle 9: 'On the Explanation of Characters' in Section I; Epistle 19: 'On the Coming-to-be of Minerals', Epistle 22: 'On the Coming-to-be of Animals', and Epistle 31: 'On the Difference in Languages' in Section II; Epistle 46: 'On the Quiddity of Faith' and Epistle 48: 'On the Modalities of the Call to God' in Section IV. With just thirty pages in all, the short version would *a priori* seem to be more in line with the Brethren's custom than the longer one, which is five times its size and which is surpassed only by Epistle 22.

Qur'anic quotations are another issue for which the two versions show some significant disparity with one another. Whereas the short version provides us with the ratio of about one Qur'anic quotation per two pages in the Beirut edition — a proportion in fairly good agreement with the average ratio of the *Rasā'il* —, the longer one shows a frequency of only twenty-eight citations for 152 pages (i.e., less than one per five pages), which makes it by far the feeblest ratio of the entire corpus.[15] But I am not sure the case should be pressed too hard here, since most of the quotations in the short version appear to be part of a mere string of verses, not even commented on, as we shall see.

More significantly perhaps, the inner structure of the short version fits better with what appears as the usual practice in most epistles, and which can be grossly summarized as follows: an introduction in the form of a recapitulation of what has been said in the preceding epistle(s); an exposition of the subject, its purport and the reasons why it is deemed of importance; a mention, wherever possible with the indication of source, of ancient authorities that must be regarded as supporting the Brethren's view; and a final admonition to the reader

14 For the complete list of epistles, along with the indication of page numbering in the Beirut edition, see my *Ikhwan al-Safa'; A Brotherhood of Idealists on the Fringe of Orthodox Islam* (Oxford: Oneworld, 2005), pp. 12–15.

15 I wish to thank Omar Ali-de-Unzaga for allowing me to mention here some of the results of his yet unpublished work on the Qur'anic citations in the *Rasā'il*.

as to the way to understand the authors' sayings. The short version of the epistle includes all of the previous elements, and in that order. The least that can be said of the longer version is that it does not enable the reader to spot this sequence with the same facility, as has been mentioned above.

Now we come to arguments which I would be inclined to consider as determinant. The short version opens up with some quite explicit indications as to the place it occupies in the corpus. Thus, the authors refer there to the 'fifty epistles which precede for us this epistle' (*fī khamsīn risāla taqaddamat la-nā qabla hādhihi al-risāla*), as well as to the classification of these that they have established 'in the Epistle of the Table of Contents' (*fī risālat al-fihrist*). Having then recalled the names of the four great sections of their encyclopaedia, they write: 'This epistle is the last one of those from the fourth section and it is the fifty-first one' (*wa-hādhihi al-risāla hiyya ākhir al-risāla min al-qism al-rābiʿ wa-hiyya al-ḥādiyya wa'l-khamsūn*) — an assertion also to be found at the end of the same text. Whether the Ikhwān's corpus originally consisted of fifty-one or fifty-two treatises is another vexed problem that has retained the attention of many scholars, both ancient and modern, as is well known.[16] In the present state of knowledge about the manuscript transmission, it would seem prudent not to look for a final decision about this issue since, in addition to the contradictory elements found in the corpus itself, there appear to be too many potential variables to consider in order to arrive at an unequivocal conclusion. Should the *Fihrist* (here explicitly referred to as an epistle on its own) and/or the *Jāmiʿa* (also frequently referred to in other epistles) be part of the

16 On this, see Hamdani, 'Arrangement', pp. 85–86 and 89–90. The symbolic value ascribed to the number 51 is often advocated in the discussion; see for instance A. Russo, 'Insegnamenti ermetici e dottrine 'alawite', in *Hermetism from Late Antiquity to Humanism. La tradizione ermetica dal mondo tardo-antico all'umanesimo. Atti del Convegno internazionale di studi, Napoli, 20–24 novembre 2001*, ed. P. Lucentini, I. Parra, and V. Perroni Compagni (Turnhout: Brepols, 2003), pp. 355–367, p. 365: 'Allo stesso modo, le Epistole dei Fratelli della Purità ammontano a cinquantuno, analogamente al numero dei dignitari 'alawiti che si trattengono davanti alle porte della città di Ḥarrān, come rammenta il *Kitāb al-Majmūʿ* (Libro della raccolta)'. The *Majmūʿ* recalls that out of these fifty-one dignitaries, seventeen are Iraqis, seventeen Syrians, and seventeen of unknown provenance.

computation or not? Or else should 'Epistle 51' ('On the Arrangement of the World') be excluded from the count as it largely proves to be a doublet of a part of Epistle 21, as Marquet has shown?[17] Depending on the way to answer these questions and others in the same vein, it would be equally easy to justify either of the two figures. If anything, the twofold transmission of the epistle on magic would allow for an even higher degree of flexibility in this computation. But this is not the point I should like to make here. Whether considered the fifty-first or the fifty-second of the corpus, what matters here is to observe that the text of the short version plainly confirms its own position as the last one — provided we exclude the *Jāmiʿa* from the count — of a carefully designed programme.

Aside from mentioning the *Fihrist* and the four main sections of the corpus, the short version also provides us with some valuable cross-references to other epistles. While concerned in the beginning of the treatise with the science of the stars, the authors make reference to 'the third epistle of the first section of our book' (*fī'l-risāla al-thālitha min al-qism al-awwal min kitābi-nā*), which indeed corresponds to Epistle 3: 'On Astronomy'. Later on, in a passage dealing with the cause of misfortune in this world, the authors refer with great precision to 'the chapter on the reasons and causes of vices' (*fī bāb 'ilal al-shurūr wa-asbābi-hā*) being a part of 'the epistle on views and doctrines' (*risālat al-ārā' wa'l-madhāhib*). This undoubtedly echoes a sub-heading in Epistle 42: 'On Views and Religions' which reads: 'On the explanation of the sayings of those who say that the causes of vices in the world are by accident and not in view of [some] design' (*faṣl fī bayān al-qā'ilīn inna asbāb al-shurūr fī'l-'ālam bi'l-gharaḍ lā bi'l-qasad*).[18] That a certain discrepancy exists between those texts with respect to the sub-headings and titles may be interpreted as a proof of some re-arrangement of the corpus at some stage. It remains that the accuracy of these

17 Marquet, *La philosophie des Ikhwān al-Ṣafā'* (Algiers: Études et documents, 1973), p. 11.

18 See *Rasā'il*, vol. 3, p. 471. This corresponds to Chapter 30 in Baffioni's translation of the epistle; see C. Baffioni, *L'Epistola degli Ikhwān al-Ṣafā' 'Sulle opinioni e le religioni'* (Naples: Istituto Universitario Orientale. Dipartimento di Studi e Ricerche su Africa e Paesi Arabi, 1989), p. 147.

cross-references is evidence for the inclusion of our short version of Epistle 52 in the general framework.

But there is evidence more decisive still. On several occasions, the authors of the short version also refer to 'that epistle that is for us before this epistle' (*tilka al-risāla allatī la-nā qabla hādhihi al-risāla*). The context, about the souls which are called 'the spiritual beings', makes it clear that the authors do not have in mind here Epistle 51 ('On the Arrangement of the World'), which is possibly spurious, nor even the unquestionably genuine and crucial Epistle 50 ('On the Species of Governance'), but Epistle 49 ('On the Spiritual Beings'). This is, let us note in passing, another example of the numerous inner contradictions that give weight to the theory that re-arrangements of the corpus have taken place, although it is not possible to decide whether this process occurred during the period of activity of the authors or long after. For us, however, the significance of the reference to Epistle 49 does not lie so much in those chronological considerations, as in the fact that Epistle 49 provides us with what I should call the perfectly symmetric cross-reference to the one just considered.

As has been noted by Carmela Baffioni, Epistle 49 includes a passage on the varieties of souls which is almost identical with that appearing towards the middle of the short version of Epistle 52, on the occasion of a presentation of the views allegedly held by the Ḥarrānians.[19] The passage from Epistle 49 is introduced with an explicit mention of 'the epistle on magic and talismans' (*risālat al-siḥr wa'l-ṭillasmāt*)[20] and it is concluded with another reference to 'the epistle on the science of the stars and magic and the talismans' (*risālat 'ilm al-nujūm wa'l-siḥr wa'l-ṭillasmāt*).[21] Although this last appellation does not exactly correspond to the actual title of our epistle, it fits rather well with its contents, as various passages of the epistle on magic are indeed mostly

19 C. Baffioni, 'Traces of "Secret Sects" in the *Rasā'il* of the Ikhwān al-Ṣafā'', in *Shī'a Islam, Sects and Sufism. Historical dimensions, religious practice and methodological considerations*, ed. F. de Jong (Utrecht: Publications of the M. Th. Houtsma Stichting, 1992), pp. 10–25. The textual comparison of both passages — namely, vol. 4, p. 296.4–18 (for Epistle 52) and vol. 4, p. 244.11–22 (for Epistle 49) — is found on pp. 17–19.

20 See *Rasā'il*, vol. 4, p. 244.10–11.

21 See *Rasā'il*, vol. 4, p. 244.21–22.

concerned with astral magic. Whatever the case, I would assume that the symmetry of these cross-references is an unmistakeable indication that both Epistle 49 and the short version of Epistle 52 were an integral part of the original plan.[22]

If, as the majority of experts would agree, the final redaction of the *Epistles* took place in the second half of the tenth century, and probably between 960 and 980, then I would assume that the short version of the Epistle 52 is the one best qualified for having been involved in this process.

Magic and the Other Occult Sciences in the Short Version

Magic is a subject whose Protean nature makes it almost impossible to define with clarity or precision what we are talking about: 'There are nearly as many definitions of magic and divination as there are people writing on the subject. Attempts at an all-inclusive definition tend to reflect the concerns of the person writing, whether philological, theological, historical, or anthropological' — to take up Emilie Savage-Smith's introductory words to the collective volume *Magic and Divination in Early Islam* in the 'Formation of the Classical Islamic World' series.[23] The same scholar provides in that essay an overview

22 Actually, several amongst the last epistles of the corpus contain material of a similarly esoteric nature, suggesting that they could have been designed to form a group of their own. In addition to Epistle 49, specifically concerned with the spiritual beings, one may point out Epistle 50 ('On the Species of Governance'), with the famous passage on the three 'Greek feasts' which Marquet ('Sabéens et Ikhwān al-Ṣafā'', *Studia Islamica* 25 [1966], pp. 77–109, pp. 96–103), following Corbin ('Rituel sabéen et exégèse ismaélienne', *Eranos Jahrbuch* 19 [1950], pp. 181–246, especially pp. 208–214), does not hesitate to bring in line with the Ṣābi'an ceremonies as described by the Brethren in Chapter 6 of the present epistle. In this respect, one might also consider a passage from Epistle 44 ('On the Belief of the Brethren of Purity and the Doctrine of Divine Men') featuring various prophet 'Sleepers of the Cave': Adam, Noah, Abraham, Moses, Jesus, Muhammad, but also the Mazdean al-Yazdān and the Hermetic (and Ṣābi'an) Agathodaimon; see *Rasā'il*, vol. 4, pp. 18–19.

23 E. Savage-Smith, 'Introduction: Magic and Divination in Early Islam', in *Magic and Divination in Early Islam*, ed. E. Savage-Smith (Aldershot: Ashgate, 2004), pp. xiii–li, here p. xiii. In the more specific context of Islamic magic and divination, it also seems worthwhile here quoting from the few lines coming next: 'Moreover, modern attempts to define magic and divination in Islam have been made in

of the disciplines, practices, and materials that are related to magic and divination in Islam; they range from amulets, talismans, letter magic, magic squares, and talismanic equipment to magic as trickery and conjuring, magic as wonder-working and marvels, sortilege, letter-number interpretation (*ʿilm al-ḥurūf*), and even to astrology and physiognomy.[24]

Needless to say, this is also a subject that has provoked a great diversity of responses, and consequently led to a great number of debates. Although the spectrum of positions actually held is very much more complex than this, we may grossly summarize by saying that there were three main categories of people with regard to magic and its practice in mediaeval Islam. There were those who, like the Muʿtazilites, would go as far as to deny that such a thing as magic or any of the related issues could even exist. There were those, like the imam al-Ghazālī (d. 1111) or the scholar and historian Ibn Khaldūn (d. 1404), who, although admitting for the possibility that magic exists and that it could even have some efficacy, condemned its practice as something incompatible with the moral precepts of Islam and therefore a danger to it. And then there were those who seem to have considered magic and, in a more general way, every hidden art or practice not only as licit and useful, but even as potentially fundamental. Mediaeval Islam has generated an enormous amount of that kind of literature, and the fame enjoyed over the centuries by some of its representatives — let us just mention here the names of Abū Maʿshar (d. 886) for astrology, Jābir ibn Ḥayyān (eighth century) for alchemy, and al-Būnī (d. 1225) for magic — is something that remains quite impressive to a modern reader.

It will not surprise anyone to find that the Ikhwān al-Ṣafāʾ belong to the third category referred to here. It is a truism to say that the Brethren were much concerned with the occult in general. Esotericism is one

terms of European practice, which nearly always invokes forces other than God. Many European concepts, such as ghosts, necromancy, and witchcraft, have little or no counterpart in Islam, while the employment of dichotomies often used to characterize European practices (high v. low, white v. black, learned v. popular, prayers v. spells) is to a large extent inappropriate in the Islamic context.'

24 See Savage-Smith, 'Introduction', pp. xliv–li for a very useful bibliography on all those topics.

of the most salient features of their programme, and references to arts, doctrines, or practices not to be shared with the common people are found all over the place in the *Rasā'il*, especially in Section IV (on 'the nomic, divine, and legal sciences'), which the epistle 'On Magic' concludes.

In the classification of the sciences which the Brethren provide in Epistle 7 ('On the Scientific Arts'), it is interesting to note that each one of the three groups of sciences making up the Ikhwān's classification includes at least one science (or art) specifically related with the occult.[25] Thus: (1) the group of 'propaedeutical sciences' (*al-'ulūm al-riyāḍiyya*) comprises 'divination' (under the appellations of *zajr* and *fa'l*) and other 'esoteric sciences' such as *siḥr*, *'azā'im*, *kīmiyā'*, and *ḥiyal*; (2) the group of 'religious and conventional sciences' (*al-'ulūm al-shar'iyya al-wāḍ'iyya*) includes an explicit reference to the 'science of interpreting dreams'; (3) the group of 'philosophical and real sciences' (*al-'ulūm al-falsafiyya al-ḥaqīqa*) contains a section about 'angelology' (under the appellations of *rawḥāniyyāt*, or *ruḥāniyyāt*, and *nafsāniyyāt*). As was already observed by Pierre Lory in his short but remarkable study on magic with the Ikhwān, the threefold division of the Brethren's overall classification fits nicely with the three different aspects of the occult sciences: first, one finds a purely utilitarian aspect, which aims at using magic in view of comfort, health (*ṭibb*), and wealth (*kīmiyā'*). The religious life also benefits from certain practices like dream interpretation, which is legitimized by some hadith or even Qur'anic passages. But 'the great magic', the one which the Brethren are most concerned with, is that by the knowledge of which man is born into his genuine being. As Lory concludes: 'C'est elle ['the great magic'] qui, fondée sur une conception précise des mondes angéliques, explique le pouvoir des prophètes, des rois, des saints; c'est elle qui permet éventuellement au philosophe d'avoir accès à la *siyāsa*, c'est-à-dire de participer au gouvernement de Dieu sur terre'.[26]

25 For a systematic comparison of this classification with the sequence of epistles as transmitted in the manuscript tradition, see my "The Classification of Knowledge in the *Rasā'il Ikhwān al-Ṣafā'*", in *The Ikhwān al-Ṣafā'*, ed. N. El-Bizri, pp. 58–82.

26 P. Lory, 'La magie chez les Ikhwān al-Ṣafā'', *Bulletin d'Études Orientales* 44 (1992), pp. 147–159, here p. 149.

Turning to Epistle 52, it is essential to bear in mind this three-level scheme, which helps us to understand how ramified and intrinsically complex the occult part of knowledge was in the Brethren's conception. In two places of our text, one in the Introduction itself and the other in the long chapter devoted to 'Magic with the Ṣābi'ans, the Ḥarrānians, and the Ḥanīfs', one finds a similar yet not entirely congruous enumeration of the disciplines which, also not explicitly introduced as such by the authors, are meant to make up the bulk of this secret knowledge. It seems worthwhile here to compare these two passages literally (see Table 1, next page).

The two lists differ from one another in some respects. One discrepancy looks rather trifling: medicine comes after the group alchemy–astrology–magic/talismans in the first occurrence, whereas it precedes the same group in the second. Another difference is that the science of talismans stands alone in the second enumeration, whereas it is grouped with that of magic in the first. If anything, this might be an indication that, in the eyes of the Ikhwān, magic was primarily and essentially made of talismans — something which the rest of the epistle, in any case in this short version of it, would seem to confirm, as we shall see. The greatest disparity between the two passages remains, of course, that the science of asceticism appears in the first and is thoroughly absent in the second. How can this discrepancy be accounted for? Surely, a part of the answer lies in the fact that the first enumeration is meant to express the authors' own view, whereas the other corresponds to a reported conception that is here assigned to the initiated people of Ḥarrān.

Enumeration 1 (from the Introduction)	**Enumeration 2** (from the passage on the Ṣābi'ans)
You should know, my Brother, that these sciences [*the Brethren actually do not define these sciences, but the context clearly reveals that they are talking here about the esoteric sciences*] are divided into five sections: (1) Alchemy [*al-kīmīyā'*], which banishes poverty and does away with adversity; 2) The science of astrology [*aḥkām al-nujūm*], through which the science of what has been and what will be is perceived; (3) The science of magic [*siḥr*] and talismans [*ṭillasmāt*], by which the subjects are joined to the [rank of] kings and the kings to that of the angels; (4) Medicine [*ṭibb*], by which health of bodies is preserved and [by which] the occurrences of sicknesses are cured; (5) The science of asceticism [*tajrīd*], by which the soul gets to know its essence and is ennobled, after its deprivation, above its resting place.	And there are, in the whole of these combinations [*the Brethren are here referring to combinations of letters of the two 'secrets' as arranged by the Ṣābi'ans in their secret rituals*], four combinations, each one of which includes the canons and the demonstrations of one science amongst the four [following], namely: (1) Medicine [*ṭibb*], by which the bodies are cured, and by which illnesses and ailments are expelled, and by which it is made possible to take advantage of the dwelling in a house; (2) The science of alchemy [*al-kīmīyā'*], by which misery is expelled and by which damages are removed; (3) The science of astrology [*aḥkām al-nujūm*], by which one is notified about what will happen before it happens; (4) The science of talismans [*ṭillasmāt*], by which the citizens follow the nature of kings, and kings the nature of the angels.

(Table 1)

The Justification of Astrology and Magic

Now, if we take a look at the actual content of this short version of the epistle, and match up this content to the first enumeration, one is immediately struck by the fact that only some out of the five sciences mentioned are actually considered in the epistle itself. Medicine (*tibb*) and alchemy (*kīmīyā'*), namely, the two sciences that have been set up for man's well-being in this world, with no other purpose than to cure him and to make him wealthier in his everyday life, are conspicuously absent from our text. Neither does the science of asceticism (*tajrīd*), which could possibly be assimilated to the practice of mysticism as mentioned in the group of the religious sciences, feature as such in the epistle, although in a few places — as for instance in the passage on the Ṣābi'ans — our text does include a reference to the 'denuded souls' (*al-nufūs al-mujarrada*). In sharp contrast to these, it may be said that the remaining sciences are what concern the authors most in the epistle. In conformity with the title of the treatise, magic (*siḥr*), especially talismanic magic, plays a central role in every one of the reports from ancient and modern authorities provided by the Ikhwān, and its use is nowhere regarded as more important than when it is a question of invoking the *rawḥāniyyāt*, that is, the superior spirits or angels that are attached to the stars, whom the people of Ḥarrān would not hesitate to identify as gods. As for astrology (*aḥkām al-nujūm*), a science which the entire corpus of the *Rasā'il* is so lavishly imbued with, it is also frequently at stake in this last epistle and is even variously presented there as a sort of prerequisite for the science of magic and talismans itself. Significantly enough, the two other epistles of the corpus most frequently referred to in our text are Epistle 3 ('On Astronomy', but containing indeed much astrological material) and Epistle 49 ('On the Spiritual Beings').

In fact, as an implication of the emanation scheme which the Brethren took up from Plotinus and the other Neoplatonists, astrology and magic were not clearly distinguished from one another, as Lory rightly noted in his article:

> Il faut se souvenir que l'astrologie chez les Ikhwān al-Ṣafā' (comme celle de nombreux autres auteurs d'orientation mystique) est complètement

compénétrée d'angélologie, et qu'en définitive, les deux visions s'identifient l'une à l'autre[...]. Les sphères célestes sont donc habitées par des anges, et les hiérarchies complexes de ces êtres spirituels s'ordonnent complètement selon la succession des sphères. Inversement, l'astrologie ne trouve son sens qu'en raison de l'influence que les anges déversent, sur ordre du Créateur, sur les mondes inférieurs. Repérer l'impact des influences astrales sur terre, c'est connaître le rôle et la fonction des principales entités angéliques: c'est même, en dernier ressort, établir une certaine communication avec ces *rūḥāniyyāt*.[27]

In a certain sense, if we were to follow the Ikhwān's form of reasoning to the letter, and if we were to push it to its ultimate consequences, we could say that any astrological influence is magic, since magic is fundamentally the influence of a soul upon another soul — or 'the union of a spirit with a spirit' (*ittiḥād rūḥ bi-rūḥ*), as Ibn Khaldūn would say in his *Muqaddima*. And we should not forget that in Epistle 49 a reference is made, as we have seen, to 'the epistle on the science of the stars and magic and talismans' (*risālat 'ilm al-nujūm wa'l-siḥr wa'l-ṭillasmāt*).

At the crossroads of magic and astrology, one finds a science usually referred to as astral magic, which enjoyed great fame in the Middle Ages, both in Islam and in the Latin West. Its most illustrious representative was Pseudo-Majrīṭī's *Ghāyat al-ḥakīm* ('The Aim of the Sage'), an Arabic treatise known to have been written in Spain around the middle of the eleventh century, and then to have passed into Latin (as well as into other, vernacular languages) under the name *Picatrix* in 1256–1258 CE, or shortly after, at the court of King Alfonso X El Sabio.[28] Parallels, sometimes lengthy verbal echoes, between the *Ghāya* and the

27 Lory, 'Magie', p. 152.

28 See Pseudo-Majrīṭī, *Ghāyat al-ḥakīm wa-aḥaqq al-natījatayn bi'l-taqdīm*, ed. H. Ritter (Leipzig: Teubner, 1933); and Pseudo-Majrīṭī, *Picatrix: das Ziel des Weisen, von Pseudo-Maǧrīṭī*, tr. H. Ritter and M. Plessner (London: The Warburg Institute, 1962). See also, for the edition of the Latin version, Pseudo-Majrīṭī, *Picatrix; The Latin Version of the Ghāyat al-ḥakīm*, ed. D. Pingree (London: The Warburg Institute, 1986). Modern literature on the *Ghāyat al-ḥakīm/Picatrix*, closely related to the history of the Warburg Institute and largely indebted to the pioneering works of Hellmut Ritter, Martin Plessner, Julius Ruska, Paul Kraus, and David Pingree, is immense. For the most up-to-date scholarship, with extensive bibliography on the subject, see the recently published *Picatrix: Image et Magie*, ed. J.-P. Boudet, A. Caiozzo, and N. Weill-Parot, Actes du colloque international de Paris des 11 et 12 mai 2007 (Paris: Librairie Honoré Champion, 2011).

Rasā'il (including the epistle on magic) have long been traced,[29] and they have prompted most scholars today to acknowledge the Brethren of Purity as one of the most important sources of the *Ghāya*.[30] It must be stressed that these parallels, which are quite remarkable indeed and which one finds in various places of the epistle, are more easily traceable in the long version than in the short, although the passage on the Ṣābi'ans in the present version offers some interesting points of comparison, as we shall see. Particularly suggestive in this respect is the list of correspondences between planets and metals which the Brethren report while describing the temple of Jirjās:

> And they manufactured an image for the seven planets, each one of them worked out with the appropriate material, such as the Sun with gold [*dhahab*], the Moon with silver [*fiḍḍa*], Saturn with iron [*ḥadīd*], Jupiter with quicksilver [*zi'baq*], Mars with copper [*nuḥās*], Venus with tin [*qala'ī*], and Mercury with lead [*usrub*].

Some of these associations — Saturn/iron and Mars/copper in particular — look utterly strange in view of the traditional list as known from Greek Late Antiquity, but they do correspond with those provided in Chapter 10 of the second book of the *Ghāya*, confirming the indebtedness of the latter work to the *Rasā'il*. Correspondences and parallels of this kind between our short version of Epistle 52 and the *Ghāya/Picatrix* will be indicated here and there in the footnotes to our translation. We shall, however, leave the full discussion about textual borrowings, with all of its implications in terms of the still debated questions about the chronology and authorship of the two works involved, for the volume devoted to the long version of the epistle.

In any case, magic and astrology of the type just mentioned above are clearly to be ranged amongst the philosophical sciences of the Brethren's classification, and the authors of the epistle say just so in the present version when they write, as part of their introduction:

29 See Martin Plessner's English summary of the *Ghāya* as part of the introduction to the German translation of the work, pp. lix–lxxv. See also C. Hamès, 'La *Ghāyat al-ḥakīm*: son époque, sa postérité en terre d'Islam', in *Image et magie*, ed. Boudet, Caiozzo, and Weill-Parot, pp. 214–232, especially pp. 219–225.

30 On this, see D. Pingree, 'Some of the Sources of the *Ghāyat al-ḥakīm*', *Journal of the Warburg and Courtauld Institutes* 43 (1980), pp. 1–15.

> As for the knowledge of the actions of the stars and of their influences upon what is below the sphere of the Moon, [this] comes after the knowledge of their indications. It is part of the spiritual philosophy [*al-falsafa al-rawḥāniyya*], of the divine support, and of the Lord's solicitude.

That those sciences should even be ranged at the very end of the classification, or, better said, at the very top of it, is explicitly mentioned in the same introduction. Thus, referring to the 'pseudo-savants' (*muta'ālimūn*) that regard magic — and presumably the rest of the occult sciences as well — as preposterous, the authors write: 'They do not know that this [science] is part of philosophy, and that it is moreover part of the ultimate sciences of philosophy [*wa-huwa juz' min ākhir 'ulūm al-falsafa*] since it is necessary to learn the preceding sciences before it'. One could not find a better and clearer justification of why the epistle 'On Magic, Incantations, and the Evil Eye' should be the ultimate of the corpus.

There is no need to dwell any longer on the fact that the Brethren of Purity considered magic and the related arts as real, useful, licit (at least as long as they were practised by suitable people), and exceptionally important. The question is rather to appraise how they set about persuading their readers to share their own views.

As is so frequently the case with the Brethren, one must admit that the 'line of argumentation' as developed by the authors in the epistle is unlikely to convince any reader acquainted with the methods of critical argumentation. In fact, although the epistle — in any case, the short of version of it — is nearly all about the validation of these occult sciences, one cannot find in it any sort of proper, 'objective' argumentation by which someone *a priori* not favourably disposed with regard to these sciences might be convinced. What the Brethren have to offer instead in this short version turns out to be made exclusively of a series of arguments from authority, in the manner of: 'It must be true, because Aristotle says it is true'. The validity of these *argumenta ad verecundiam* is weak and is susceptible to convince only those who are already favourable to the cause, as no doubt were the 'brethren' to whom the *Rasā'il Ikhwān al-Ṣafā'* was primarily addressed.

A Collection of Authorities to Back Up the Brethren's Own View

Now, if the recourse to authorities is sure to disappoint the logician, there is no doubt that it will also ravish the historian of ideas, who will find in this epistle a rare opportunity to trace back a considerable set of sayings and doctrines to more or less ancient and famous literary sources. The interest of this short version of the epistle on magic lies in these testimonies and in the way the Ikhwān have modelled them to fit with their own doctrine, much more than in any other aspect.

Considering its relative brevity, the short version of Epistle 52 provides us with possibly the most compact collection of sources within the whole frame of the *Rasā'il*. Across only a few pages, the reader is confronted with authorities as diverse as Plato, Abū Ma'shar, the Torah and the Midrash, the Qur'an, an otherwise not clearly identified 'Book of Properties', and, last but certainly not least, a large set of doctrines and rituals that are assumed to derive from the wisdom of the Ṣābi'ans of Ḥarrān.

It is to this motley collection of sources, arranged in chapters for the sake of clarity, that the following pages are dedicated.

Presentation and Discussion of Chapters 2 to 7

The short version of Epistle 52 may be conveniently subdivided into the following eight chapters, which have been introduced in the present edition and translation of the text:

Chapter 1 — Introduction
Chapter 2 — Magic with the Greeks: the Story of Gyges
Chapter 3 — Magic with the 'Abbāsids: Meeting at al-Ma'mūn's with the Man who Claimed to be a Prophet
Chapter 4 — Magic in the Qur'an
Chapter 5 — Magic according to the Jews and the Christians
Chapter 6 — Magic with the Ṣābi'ans, the Ḥarrānians, and the Ḥanīfs
Chapter 7 — Spells, Incantations, and the Evil Eye
Chapter 8 — Postscript

The introductory and concluding chapters do not need to be presented here, the former because most of its content has been already discussed in our general introduction, and the latter because it does not contain anything more than the Brethren's admonition to their readers to be found at the end of most of their epistles. But the other six chapters deserve to be dealt with at some length and from a viewpoint that could not be expressed exclusively under the form of footnotes to the English translation. It has therefore seemed a good idea to introduce Chapters 2 to 7 by presenting and discussing their contents here in general terms, leaving the footnotes accompanying the translations for more specific and technical considerations.

Chapter 2 — Magic with the Greeks: the story of Gyges

The first authority mentioned by the Ikhwān in their epistle 'On Magic' is Plato. The tale recounted is the well-known story of Gyges, taken from the second book of the *Republic*, where it is placed in the mouth of Glaucon, Plato's own brother and one of Socrates' principal interlocutors in this work. Gyges, according to Plato's interpretation of the story,[31] was a shepherd working for a certain king of Lydia. Due to a storm and an earthquake, a cavity appeared in the soil at the place where Gyges was tending his sheep. Awed by this, he entered the cavity, where he is said to have seen, amongst other marvels, a horse made of copper, which was hollow and had little apertures. Inside, Gyges also discovered a man, larger than life, and wearing nothing but a golden ring on his hand. Gyges took the ring and climbed back to the surface. Later on, on the day the shepherds meet to make their monthly report to the king, Gyges unintentionally hit the ring, which resulted in him becoming invisible to his companions. Hitting it anew the other way round, he noticed that he had become visible again. Then, understanding the power of the ring and realizing the benefit he could take from it, Gyges managed to get closer to the king's entourage. There, he was not long in seducing the queen and, with her help, in killing the king.

As has already been underlined by various scholars, the Ikhwān quote this passage almost verbatim, making it one of the longest and

31 Plato, *Republic* II.359c–360b.

best-preserved quotations from Plato in the entire bulk of mediaeval Arabic literature.[32] From the comparison of the Greek and the Arabic texts,[33] it results that, apart from minor discrepancies in the style and the form, the only genuine and meaningful divergences between the two narratives are: (1) the substitution of 'Lydia' with 'a city of Europe' (or 'a city called Europe') at the beginning of text; (2) the suppression of any mention relative to the queen and her intervention at the end of the story. As I have already noted elsewhere, one would be inclined to postulate, in the former case, some kind of confusion in front of a name unfamiliar to the translator (or the copyist), and in the second, a case of self-censure with respect to a practice deemed to be incongruous from an Islamic standpoint.[34]

In contrast to Aristotle, whose works — with the notable exception of the *Politics* — were faithfully transmitted to the Muslim-Arab world, it is well known that Plato was received in a much more scattered and garbled form. Citations or pseudo-citations from the Platonic corpus are to be found aplenty in mediaeval Arabic literature, and the 'divine Plato' (*Aflāṭūn al-ilāhī*) was held in great esteem by most philosophers and scientists, yet the channels of transmission often remain unclear, as if the teaching of the master had passed through a series of deforming filters.[35]

32 See Walzer, 'Aflāṭūn', *EI2*, vol. 1, pp. 234–236, here p. 235.

33 For a juxtalinear comparison of the Greek and the Arabic, see Baffioni, 'Frammenti e testimonianze platoniche nelle *Rasā'il* degli Ikhwān al-Ṣafā'', in *Autori classici in lingue del Vicino e Medio Oriente*, ed. G. Fiaccadori (Rome: Istituto Poligrafico e Zecca dello Stato, 2001), pp. 163–178, here pp. 176–178.

34 See my recent 'Plato Ikhwanianus. Retour sur le récit platonicien de l'anneau de Gygès dans l'encyclopédie des Frères de la Pureté', *Res Antiquae* 7 (2010), pp. 55–62, here p. 56.

35 On the reception of Plato in Islam, see also Rosenthal, 'On the Knowledge of Plato's Philosophy in the Islamic World', *Islamic Culture* 14 (1940), pp. 387–422; F. Klein-Franke, 'Zur überlieferung der platonischen Schriften im Islam', *Israel Oriental Studies* 3 (1973), pp. 120–139; D. K. Hasse, 'Plato arabico-latinus: Philosophy–Wisdom Literature–Occult Sciences', in *The Platonic Tradition in the Middle Ages: A Doxographic Approach*, ed. S. Gersh and M. Hoenen (Berlin–New York, 2002), pp. 31–66, here pp. 32–34. The Plato Arabus file has also been thoroughly re-investigated in two recent studies by De Smet: 'Le Platon arabe et les Sabéens de Ḥarrān. La « voie diffuse » de la transmission du platonisme en terre d'Islam', *Res Antiquae* 7 (2010), pp. 73–86; and 'L'héritage de Platon et de Pythagore: la «voie diffuse» de sa transmission en terre d'Islam', in *Entre*

That the Ikhwān provide us with a relatively extended verbal quotation from Plato is therefore quite remarkable, as is also the fact that they identify their source with precision: 'We say that, according to Glaucon, Plato, the philosopher, in the second treatise from his book the *Republic*, did mention [the following]…'. By and large, the *Rasā'il* as a whole leaves us with the impression that the Brethren, as with many Arabic thinkers of their time, had only a rather sketchy awareness of who Plato was and what he had written. In her study of Plato's fragments and other evidence as found in the *Epistles*, Carmela Baffioni has shown that these were concerned with only a few arguments or motifs, namely: (1) Socrates' judgement and his sentence to death; (2) a possible relation between Plato and magic; (3) Plato's astronomical conceptions; and (4) the doctrine of reminiscence.[36] The number of Plato's works known to them also seems to have been limited, and for the reasons just explained above they could hardly have found complete Arabic versions of these works, since, as Daniel De Smet notes: '… il n'est point établi qu'un seul dialogue platonicien ait jamais été rendu intégralement en langue arabe'.[37]

So, where could the Ikhwān have derived this long and faithful quotation from? Was it through Galen's summary of Plato's dialogues, which was known to the Arabs at least in part, or — and perhaps more plausibly — via some Neoplatonic doxographical compendium originating in Late Antiquity? The 'voie diffuse' of Plato's reception in Islam only leads us to mere conjectures.

Whatever the case, what is worth noting here is the radical difference between the Brethren and Plato as to the way to interpret the story's function. Plato's purport in recounting the Gyges tale in this form was

---

Orient et Occident: la philosophie et la science gréco-romaines dans le monde arabe, ed. R. Goulet and U. Rudolph, 57e Entretiens sur l'Antiquité classique de la Fondation Hardt (Geneva–Vandœuvres, 2011).

36 Baffioni, 'Frammenti e testimonianze platoniche', p. 165; Baffioni also notes in this article that all references to Plato pertain to the fourth section of the corpus. For a translation of all relevant passages, see also Carmela Baffioni, *Frammenti e testimonianze di autori antichi nelle Epistole degli Ikhwān al-Ṣafā'* (Naples: Istituto Universitario Orientale, 1994). On Plato's influence on the Brethren, see also Ian R. Netton, *Muslim Neoplatonists; An Introduction to the Thought of the Brethren of Purity (Ikhwān al-Ṣafā')* (London-New York: Routledge Curzon, 2002), pp. 17–19.

37 De Smet, 'Platon arabe', p. 74.

to demonstrate the inherent proclivity of man to act unjustly: as soon as man is sure to escape punishment, he will inevitably take the fullest advantage of this impunity, regardless of the gravity of the crimes he may commit. Significantly, in spite of the peculiar property of the ring, Plato nowhere uses the word 'magic', nor even alludes to it, for magic is simply not what matters him in this tale. Things take a completely different turn with the Brethren. The reason why they take up this narrative must be set against the overall objective of the epistle, namely, to highlight the difference between the good and the bad use of magic and the other occult sciences. Further down in the epistle, near the end of the chapter devoted to the Ṣābi'ans, the Brethren compare the inappropriate use of magic and talismans to 'the case that Plato the philosopher has reported in his book the *Republic*[...] — the case of the shepherd who killed the king and sat in the kingdom in his place, without being qualified for it nor deserving of it.'

Had Plato provided a narrative where the rightful use of magic was thoroughly endorsed, the Brethren would no doubt have been more inclined to quote from that, since the legitimizing of good magic is precisely what they want to demonstrate in this epistle. But this was not the case, and the Brethren had to content themselves with a story featuring what they interpret as the bad use of magic. In fact, one may catch a glimpse at their embarrassment from the bombastic style of the remark they address to their reader immediately after their quoting of the Gyges tale:

> Think over [this]: would you be of the opinion that Plato, the philosopher, with his excellence and his intelligence, would have related this narrative in one of his books (namely, the one he composed on the republic) and that, in spite of this, he would have allowed one to firmly believe and assume that he was of the view that this talisman — I mean, the ring of which mention was made before — had manifested its effects for the sake of the wisdom beyond which there is no end, so as to attain the [full] extent of the power of action, which is apparent in the effect operated by it?

What the Ikhwān are primarily concerned with here is making clear to their reader that Plato himself never endorsed the bad use of magic, and that he would have certainly condemned it if he had had the

opportunity to give his own view. This is obviously a far cry from what the Gyges tale was meant to illustrate, in fact.

Chapter 3 — Magic with the 'Abbāsids: Meeting at al-Ma'mūn's with the Man who Claimed to be a Prophet

In this chapter, the Ikhwān report a story, or rather an anecdote, about a man in the entourage of the caliph al-Ma'mūn who claimed to be a prophet. According to the narrative, which is put in the mouth of the astrologer Yaḥyā ibn Manṣūr, he and a team of other experts in the science of the stars were asked by the famous caliph to test out the pretension of this man, although they were not informed exactly who he was and what pretensions he had. Having calculated the ascendant, they found a configuration which prompted all the astrologers present to confirm the validity of the man's allegation. Yet Yaḥyā ibn Manṣūr himself responded that it could not be entirely validated, since the part of the chart relating to Venus and Mercury indicated 'a variety of hocus-pocus' and 'the livelihood of imposture.' Awed by such expertise, the caliph then reveals to Yaḥyā that the man alleges to be a prophet. Asked whether he has something to support his allegation, the man explains: 'I have a ring with two stones. I wear it and nothing changes with me, but if anyone else wears it, he will start laughing and will not master his laugh until he removes it. I also have a Syrian pen: I take it and I [can] write with it, but if anyone else takes it, his finger will be paralysed.' The narrator asserts that the part related to Venus and Mercury has already produced its effects, and all the astrologers present conclude that this was a treatment with talismans. At the end of the story, the man claiming prophecy is reported as being granted 1,000 dinars by al-Ma'mūn and as being consulted with by the astrologers, who acknowledge him as 'one of the most savant people in the science of the stars'.

This story is taken almost word-for-word from a work variously referred to as the *Fī asrār 'ilm al-nujūm* ('On the Secrets of the Science of the Stars') or the *Mudhākarāt fī 'ilm al-nujūm* ('Discussions on the Science of the Stars') and ascribed either to Abū Ma'shar/Albumasar

(d. 886 CE),[38] the most famous and influential astrologer in both the Islamic and the Western Middle Ages, or to Shādān ibn Baḥr, this otherwise unknown disciple of his whose conversation with the master makes the substance of the treatise. The *Mudhākarāt* appellation better renders the fact that the treatise consists of an exchange of views between Abū Ma'shar and this disciple. Although no edition of the original Arabic has been made so far,[39] the work has attracted the attention of modern scholars for various reasons. One reason is that the treatise includes a list of astrological works commonly in use in that period.[40] Another reason is that it is one of Abū Ma'shar's works to have enjoyed fame in the West, being translated into Greek around the year 1000 CE under the appellation of *Mysteria* and, from there, into Latin as well in the thirteenth century.[41] A yet later avatar of our story, obviously derived

38 See Pingree, 'Albumasar', in *Dictionary of Scientific Biography*, ed. C. C. Gillespie (New York: Charles Scribner's Sons, 1970), vol. 1, pp. 32–39.

39 The project to edit the Arabic, Greek, and Latin versions of the *Mudhakarāt* was one of the tasks left incomplete by David Pingree at the moment of his death. A list of Arabic manuscripts is provided in F. Sezgin, *Geschichte des arabischen Schrifttums, Volume 7: Astrologie — Meteorologie und Verwandtes bis ca. 430 H* (Leiden: Brill, 1979), pp. 147–148, but some of these are apparently wrong attributions; on this, see D. Pingree, 'The Sayings of Abū Ma'shar in Arabic, Greek, and Latin', in *Ratio et superstitio; Essays in Honor of Graziella Federici-Vescovini*, ed. G. Marchetti, O. Rignani, and V. Sorge (Louvain-la-Neuve: Fédération des Instituts d'Études Médiévales, 2003), pp. 41–57, here p. 41, n. 3. Of the extant manuscripts, only Ankara Bibl. J., Sa'ib 1/199 (fols. 1a–26b), dated to the sixth century AH, seems to be complete. A description of the Cambridge MS (Gg. 3. 19) was given by Dunlop in 'The *Mudhakarāt fī 'ilm an-nujūm* (Dialogues on Astrology) attributed to Abū Ma'shar al-Balkhī', in *Iran and Islam in Memory of the Late Vladimir Minorsky*, ed. C. E. Bosworth (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1971), pp. 229–246. The full English translation of our passage appears on pp. 235–236 of that article.

40 See Rosenthal, 'From Arabic Books and Manuscripts', *Journal of the American Oriental Society* 83 (1963), pp. 453–457, especially 'X. A List of Astrological Works from the Discussions of Abū Ma'shar and Shādhān', pp. 454–456.

41 The excerpta of the Greek version have been edited in the *Catalogus Codicum Astrologorum Graecorum*; see *Catalogus Codicum Astrologorum Graecorum*, ed. Cumont et al., 20 vols. (Brussels: Académie Royale de Belgique, 1898–1953), vol. 1, p. 40 and pp. 83–84, and vol. 4, pp. 124–127. The text corresponding to our passage is to be found in vol. 5.1, pp. 145–146. For the edition of the Latin excerpta, see, Abu Ma'shar, *Mudhākarāt* (Latin), ed. Graziella Federici-Vescovini as 'La versio latina degli excerpta de secretis Albumasar di Sadan', *Archives d'histoire doctrinale et littéraire du Moyen Âge* 65 (1998), pp. 273–330. Federici-Vescovini

from the Latin version of the *Mudhākarāt*, may be found in Simon de Phares' *Recueil des plus célèbres astrologues* at the end of the fifteenth century: 'Mamon' (for 'Ma'mūn') has now become a king of Greece.[42]

That the Brethren back up their teaching on the basis of Abū Ma'shar's authority is not in the least surprising. They refer to him in various places of the *Rasā'il* and in all likelihood owe him a great deal of their astrological conceptions. In particular, it would seem that the theory of Saturn–Jupiter conjunctions and the closely related theory of millennial cycles, with their all-important implication for the Ikhwān's own eschatological prospect, are taken up directly from Abū Ma'shar.[43]

What makes the present reference distinctive is, in addition to the literalness of the quotation, the explicitness of the reference. Hence, in the same way as they had done in the previous chapter with Plato and the *Republic*, the Ikhwān duly acknowledge reference here to both the author and the work by introducing this chapter with the phrase: 'Abū Ma'shar Ja'far ibn Muḥammad, the astrologer, related in his *Book of Discussion with Shādān ibn Baḥr…*'.

The comparison with the original work in Arabic, Greek, and Latin is instructive in several ways. A few divergences may be noted in the mention of proper names, such as those appearing at the beginning of the passage in the chain of the transmitters of this account. Thus, whereas the Cambridge manuscript of the *Mudhākarāt* refers to a curious 'Muḥammad ibn Mūsā (the astrologer), al-Jalīs not al-Khwārizmī', both *lām* and *nūn* provide us with 'Muḥammad ibn Mūsā ibn Anas

also published an Italian annotated translation of the Latin version under the title *Sadan. I segreti astrologici di Albumasar* (Turin: Nino Aragno, 2000). A paraphrase of the Latin had been given before by Thorndike in 'Albumasar in Sadan', *Isis* 45 (1954), pp. 22–32 — 'Albumasar in Sadan' being the name under which the treatise was referred to by Pietro d'Abano. See also C. Burnett, '«Albumasar in Sadan» in the Twelfth Century', in *Ratio et superstitio*, ed. Marchetti, Rignani, and Sorge, pp. 59–67.

42 J.-P. Boudet, *Le recueil des plus célèbres astrologues de Simon de Phares* (Paris: Librairie Honoré Champion, 1997), vol. 1, pp. 275–276, with the editor's following remark (p. 275, n. 47a and 47b): 'L'identification de ce prince à un roi grec[…] constitue la conséquence logique de la tradition rapportée par Guido Bonatti, selon laquelle Albumasar aurait étudié à Athènes, alors grand centre intellectuel et astrologique'.

43 On this, see Marquet, 'La détermination astrale de l'évolution selon les Frères de la Pureté', *Bulletin d'Études Orientales* 44 (1992), pp. 127–146; and my *Brotherhood*, pp. 42 and 46.

al-Khwārizmī', a more coherent reading clearly referring to the famous astronomer, geographer, and mathematician of the time. Both *lām* and *nūn* have 'Yaḥyā ibn Manṣūr the astrologer' instead of 'Yaḥyā ibn Mūsā' in the *Mudhākarāt*. In one place, the *Rasā'il* version includes astrological particularities that are not to be found in the Cambridge manuscript of the *Mudhākarāt*. Indeed, instead of: 'Because the veracity of claims is [ascertained] by Jupiter, and Jupiter is facing him [supposedly Capricorn, the ascendant] in a favourable manner, only he dislikes this sign and the sign dislikes him,'[44] our text has the more elaborate:

> Because the validity of the allegations [comes] from Jupiter, or from the trine aspect with the Sun, or else from its sextile aspect when the Sun is not malefic. And this [is so] because of the case of the fall of Jupiter, which is in a benefic aspect with it, although it is adverse to this sign and the sign is adverse to it.

More often, however, the original of the *Mudhākarāt* provides us with a more complete and more coherent text. Thus, for instance, the 'Syrian pen' (*qalam shāmī*) of the original provides a clue for the otherwise unintelligible readings of *lām*, *nūn*, and Beirut. In a much more significant way, the divergence affects our very understanding of the story. This is particularly noticeable in the case of the configuration of stars as reported by the group of astrologers. Thus, the *Mudhākarāt* version specifies: 'The Sun and the Moon aligned within a single minute, and the *pars fortunae* [*sahm as-sa'ādah*] and *pars futurorum* [*sahm al-ghayb*] aligned within the same minute as the ascendant, which was Capricorn. Jupiter was in Virgo, in aspect with it [the ascendant], with Venus and Mercury in aspect with it.'[45] For its part, the *Rasā'il* version, according to both *lām* and *nūn*, has: 'The Sun and the Moon found themselves within the same minute in the ascendant. The ascendant was Capricorn, and Jupiter was in Virgo and in aspect with it!' In

44 Adapted from Dunlop's translation in his 'The *Mudhakarāt*', p. 235.

45 Dunlop, 'The *Mudhakarāt*', p. 235. I have replaced Dunlop's '*Spica Virginis*' with 'Virgo'. The Latin version of Abū Ma'shar's *Mudhākarāt*, tr. Federici-Vescovini, p. 299, reads: 'Erant Sol et Luna in ascendente concurrentes invicem per gradus et minuta. Erant autem et pars fortunae et pars futurorum in uno minuto ascendentis. Erat autem ascendens Capricornus, Iupiter autem erat in Virgine configuratus ipsi; autem erat Venus et Mercurius in Scorpione', where one notes 'in Scorpione' instead of 'in aspect with it', as inferred from the continuation of text.

other words, the *Rasā'il* version omits important elements: (1) that the *pars fortunae* and *pars futurorum* coincided in the same minute as the ascendant, that is, Capricorn; (2) that Venus and Mercury were in aspect with the ascendant. It appears from the rest of the account that these elements — especially the mention of Venus and Mercury, in relation to the magic of the ring and the pen respectively — are crucial to understand the very purport of the anecdote.

To whom are these omissions imputable? To the copyists, as one would perhaps think in the first place, or to the Ikhwān themselves? At any rate, the fact that these omissions are found in *lām*, *nūn*, and Beirut alike would invite us not to discard the second possibility too rapidly.

The text of the *Rasā'il* is also at variance with the original in that it ends, somehow abruptly, a few lines before the account's genuine termination. For, after mentioning the 1,000 dinars awarded by al-Ma'mūn to the magician, the *Mudhākarāt* goes on to say about this man: 'He was among the most learned of mankind in the knowledge of the stars, and was one of the greatest companions of 'Ubayd Allāh ibn al-Sarī.' And the account is concluded with two statements by Abū Ma'shar himself, namely: 'Abū Ma'shar said: "And it was he who made beetle talismans in many houses of Baghdad." Abū Ma'shar said: "If I had been in these people's place, I should have expressed a different opinion. I should have said: The claim is false, because the sign is reversed. Jupiter is unfavourable, and the Moon is on the wane, and the stars are in aspect with the ascendant in a deceitful sign, the house of oppressors — I mean the several signs of Scorpio".'[46]

Probably the Brethren did not deem it of interest to quote these last lines because they felt they had already attained their objective by this time, that is, to stress the legitimacy of magic insofar as it is connected to astrology. The ring and the pen of the story are regarded as authentic talismans, and the proof of this is that Venus and Mercury 'have already operated with their effects.' That the man's claim to be a prophet proves to be invalidated by astrology only shows, in the negative way, how

46 Dunlop, 'The *Mudhakarāt*', p. 235. According to Dunlop's conjecture (p. 244, n. 42), based on Ṭabarī, the 'Ubayd Allāh ibn al-Sarī mentioned in the text is 'apparently the same as the governor of Egypt 'Ubayd Allāh ibn al-Sarī ibn al-Ḥakam (from 206/822), expelled in 211/826'.

inextricably natural magic is linked to, and dependent on, the science of the stars. This being assumed, the incomparable authority of Abū Ma'shar in the art of astrology — whose legitimacy, let us just note in passing, is not questioned here — was in itself a reason sufficient for the Brethren to quote from him. Unfortunately, the story does not say how many dinars the magician would have received had his claim to prophecy been as well justified on astrological grounds.

Chapter 4 — Magic in the Qur'an

The word *siḥr* ('magic') is formed on an Arabic root (*s-ḥ-r*) that conveys the meaning of 'bewitchment', 'enchantment', and 'charm'.[47] Under one or another of its lexical derivations, the root appears on fifty-eight occasions in the Qur'an.[48] In nearly all of the Meccan suras where it occurs, the canvas of narratives looks more or less the same. Clearly, the purport of these accounts is to show that all the prophets preaching monotheistic views, whether they be Biblical figures (such as Noah, Abraham, Lot, or Moses)[49] or Arabs (such as Hūd, Ṣāliḥ, Shu'ayb or, of course, Muhammad), are inevitably faced with the accusation of bewitching their own peoples. The Prophet of Islam is thus himself frequently portrayed by his detractors as a *sāḥir* ('magician') — a qualification usually found in combination with one of the following: *kāhin* ('diviner' or 'soothsayer'), *shā'ir* ('poet'), or *majnūn* ('fool', in the sense of 'possessed by the jinn').[50] By and large, the Medinan suras contain fewer references to magic than the Meccan suras, but they do include, with the well-known story of the angels Hārūt and Mārūt as told in Sura 2, the indisputable *locus classicus* on magic in Islam. The verse runs:

> And they followed [instead] what the devils had recited during the reign of Solomon. It was not Solomon who disbelieved, but the devils

47 See T. Fahd, 'Siḥr', *EI2*, vol. 9, pp. 567–571.

48 See C. Hamès, 'La notion de magie dans le Coran', in *Coran et talismans. Textes et pratiques magiques en milieu musulman*, ed. C. Hamès (Paris: Editions Karthala, 2007), pp. 17–48, here p. 18.

49 On the Biblical prophets in the Qur'an, see, Tottoli, *I profeti biblici nella tradizione islamica*, Studi Biblici, 21 (Brescia: Paideia Editrice, 1999).

50 See Hamès, ed., *Coran*, pp. 20–22.

disbelieved, teaching people magic [*yu'allimūna al-nās al-siḥr*] and that which was revealed to the two angels at Babylon, Hārūt and Mārūt. But the two angels do not teach anyone unless they say, 'We are a trial, so do not disbelieve [by practising magic].' And [yet] they learn from them that by which they cause separation between a man and his wife. But they do not harm anyone through it except by permission of Allah. And the people learn what harms them and does not benefit them. But the Children of Israel certainly knew that whoever purchased the magic would not have in the Hereafter any share. And wretched is that for which they sold themselves, if they only knew.[51]

What the Brethren have to offer their reader in this chapter is the mere quotation of thirteen passages from the Qur'an where the use of magic is concerned. They do not omit, of course, the Hārūt and Mārūt verse, nor do they leave aside the story of Moses' rod turned into a serpent in front of the people of Pharaoh, as mentioned in Sura 7.[52] For each of the thirteen passages they quote (namely, 2:102, 5:110, 6:7, 7:109–112, 7:120–121, 7:132, 10:2, 17:47, 17:101, 20:57–58, 20:63, 20:66, 20:73), the Ikhwān duly indicate the name of the corresponding suras — a practice which they seem to have followed only in the places where, like this one, they had to cite a long string of verses.[53] Only on two occasions do they add a word of their own, one of which being no more than a rhetorical question in order to get the reader's approval: 'Do you not see that the Qur'an regards their magic as important?'

In all, this chapter leaves the unambiguous impression that the Brethren did not take a genuine interest in what the Qur'an says about magic. To be sure, they were eager to invoke its authority, here as elsewhere, but they did not even bother to wonder, as so many commentators have done, which kind of magic the Holy Book refers to and, this eventually being set, whether the use of that magic is in

51 Qur'an 2:102 (Qur'anic quotations in this volume are from *Sahih International*, available at http://quran.com). See M. W. Dols, 'The Theory of Magic in Healing', in *Magic and Divination in Early Islam*, ed. Savage-Smith, pp. 87–99, here p. 92; and F. Zappa, 'La magie vue par un exégète du Coran: le commentaire du verset de Harût et Marût par al-Qurtubî (XIIIe siècle)', in *Coran*, ed. Hamès, pp. 49–73.

52 Qur'an 7:109–112. See A. Fodor, 'The Rod of Moses in Arabic Magic', *Acta Orientalia Academicae Scientiarum Hungaricae* 32 (1978), pp. 1–21.

53 Netton, *Muslim Neoplatonists*, p. 79, retains two further examples of this, namely, *Rasā'il*, vol. 1, p. 348 and vol. 4, pp. 245–249.

any way approved, permitted, or condemned. Or else they did, but quickly realized how risky it would be for them to embark on a proper discussion about these quotations. By merely listing a selection of those passages — in the order of the suras as received in 'Uthmān's Vulgate — they would indeed appear here to use the sacred book as 'an excellent smoke-screen for doctrines which were entirely un-Qur'anic,' to take up Ian Netton's expression.[54]

A more elaborate discussion of the Qur'anic citations about magic should take place in the forthcoming volume dedicated to the long version of the epistle.

Chapter 5 — Magic according to the Jews and the Christians

After quoting from the Holy Book of Islam in the previous chapter, the Brethren now turn their attention to 'what is [to be found] with the other legislators and in their books'. This prompts them, naturally, to invoke the Torah (*Tawraya*, according to *lām*), 'to which two communities are attached, namely, the Jews and the Christians together, and whose validity they both affirm.' This agreement of both communities on the validity of the Torah is stressed again in the lines that follow: 'For the Torah exists in the hands of both the Jews and the Christians, in Hebrew, in Syriac, and in Arabic, and there is no divergence between them about it. On the contrary, they agree with one another on the validity and the reality of what is to be found in it.'

In this chapter, the Ikhwān in fact narrate three stories, which they claim all to derive from the Torah, namely, A. The Story of Esau and the Son of Nimrod; B. The Story of Jacob and Laban; C. The Story of Saul and Samuel. A brief summary of each story is provided hereafter, together with a commentary.

A. The Story of Esau and the Son of Nimrod

Summary

Every time Esau, the son of Isaac, went out to hunt, he was met by the son of Nimrod, who provoked him by telling him: 'Wrestle with me. If I win over you, I shall take your game.' The fact is that the Son

54 Netton, *Muslim Neoplatonists*, p. 79.

of Nimrod was wearing the shirt of Adam, on which the figures of all creatures were represented. The hunter Adam would only put his hand on one of these figures, and the corresponding animal would become 'bewildered, stopped, and blind until he [Adam] had come to it and taken it.' This of course gave superiority to the son of Nimrod over Esau in each of their wrestling contests. Time and again, Esau was thrown to the ground and his game was taken from him by his opponent. Esau complained about this situation to Isaac, who, on realizing that the son of Nimrod was wearing the shirt of Adam, advised his son to propose that his opponent henceforth wrestle a contest without the garment — to which the son of Nimrod agreed. This time Esau had the superiority over his enemy. He took the shirt from him, as well as the game, and ran away. From now on, Esau could hunt whatever wild beast he wished, just by putting his hand on the corresponding figure on the shirt. He was now 'possessing insight' of it.

Commentary

Although Esau and Nimrod — rather than Nimrod's son — are both well-known biblical figures, appearing in various places of the Old Testament, the story of the shirt of Adam is nowhere to be found in the Pentateuch. But it does appear, in very much the same way as with the Ikhwān, in the Midrash, as has already been pointed by Yves Marquet and also Ian Netton.

From where did the Brethren take up this story? Given the difficulty of dating most of the Midrash literature, it is unlikely that we could answer this question with any satisfactory decisiveness. On the basis of what they affirm at the beginning of this chapter (namely, that 'the Torah exists both in the hands of the Jews and of the Christians, in Hebrew, in Syriac, and in Arabic'), a transmission via the Middle Eastern Christians seems the most probable. In any event, the Brethren's ascription of this extra-canonical material to the Torah would seem to indicate their relative unfamiliarity with the Old Testament. The same conclusion has been already formulated by Netton, who wrote: 'Here they [the Ikhwān] appear to use the Arabic word *Tawrāt* in a wide sense to indicate the Old Testament, or perhaps just the Pentateuch, in its original Hebrew, as well as the same text in the Arabic and Syriac

translations possessed by the Christians. If this correct, then their mistaken assumption that their account of Nimrod's son and Esau occurs in it is conclusive evidence that the Ikhwān were much less familiar with the Old Testament than with the New.'[55]

B. The Story of Jacob and Laban

Summary

Having been at his service for a while, Jacob asks his uncle Laban to let him go back to his country. As for the remuneration, Jacob proposes the following: from amongst Laban's flocks, he shall take all speckled sheep, all lambs that are a mixture of black and white, and all goats that are either white or spotted with black and white — a proposition which Laban accepts. Having thus set aside those animals from Laban's livestock, Jacob then increases his own herd by placing the animals in front of peeled rods of almond and plane trees at the moment when they come to drink from the watering troughs — an operation that he repeats year after year.

Commentary

In this case, the Ikhwān's source is unmistakably canonical. The story of Jacob and Laban is told in Genesis 30:25–43, which provides some details not found in the Brethren's version. Even in its original form, the narrative needs some explanation to be properly understood. Jacob's deal with his uncle looks favourable to the latter at first sight. In the ancient Middle East, it was indeed the norm to have a majority of white sheep and black goats, so that the animals requested as remuneration by Jacob would appear to be the exception. But Jacob's trick consists in multiplying his own herd by having recourse to a ploy, namely, the mating of animals in front of peeled rods of almond and plane trees, whose speckled appearance — the peeling having revealed white stripes — was believed to exert its influence on the reproduction of the flocks. By operating the same way time and again, and by carefully selecting the strong flocks every time, Jacob finds a cunning way to make his herd larger than Laban's.

55 Netton, *Muslim Neoplatonists*, p. 74.

The Brethren's version is, as we mentioned, even more elliptic. Its interpretation is further complicated by some kind of confusion in the vocabulary used to render notions such as 'speckled', 'spotted', and 'striped', all present in the original Hebrew and, with some variances, in the Greek. To the question of where the Ikhwān have derived their account from, the safest bet would be to conjecture here, again, a transmission via a Christian intermediary, in all likelihood the same as that we have assumed for the previous story. I am not able to decide whether one should postulate the existence of a Syriac intermediary version between the Hebrew (or the Greek) and the Arabic. Whatever the case, the intriguing fact is that the Ikhwān are seriously mistaken in ascribing this account to 'the second book' (*al-sifr al-thānī*) of the Torah, which is in fact the Book of Exodus. Unless the Brethren took up the story from an alternate, uncanonical version that had different divisions of the text, I would again take this misattribution as evidence of their limited awareness of the ancient Scriptures.

C. The Story of Saul and Samuel

Summary

The third story is somewhat longer than the previous two. It deals with Samuel, whose prophethood is admitted by the Christians and the Jews alike. In the book about him that the two communities possess, it is reported that Samuel had appointed Saul as king of the Jews. Assisted by God in his war against the Amalekites, Saul disobeys his Lord 'in respect to the livestock'. As a result, he is ultimately toppled from his rank and replaced by David.

Samuel has died, and Saul turns his attention to the Philistines in an attempt at killing the fortune-tellers amongst them. Facing the armies of the enemy, and frustrated not to find 'any pacifier [to respond] to his speech[...]: neither magician nor fortune-teller nor sage', he decides to look for a magician himself. He thus implores a sorceress 'to revive a prophet he could seek [advice] from.' Asked by her which prophet he would elect, he replies, 'Samuel'. She indeed revives him, but the vision scares her, since the figure having appeared is that 'of an old man, radiant like the angels of the Lord, wrapped up in a coat,

as if he arose from the earth.' The revived Samuel then asks Saul why he made him return to life, to which Saul replies that he needed to consult him about his fight with the Philistines. Samuel explains to him the reason why God is angry with him and foretells his death for the next day. Saul faints at this announcement, but the sorceress and his companions manage to get him fit for the next day, where the battle with the Philistines indeed results in a disaster for the Hebrews: three of Saul's sons are killed and Saul falls on his own spear. The Sons of Israel appoint David as their new king.

Commentary

This third story presents us with another type of misattribution. The narration comes in reality from the First Book of Samuel, whose existence the Ikhwān are aware of, since they write in the very same chapter: 'He [Samuel] was famous amongst the prophets, and there is a book on him'. Curiously enough, they introduce their own version by stating that the story comes from the 'Book of Annals of the Kings from the Sons of Israel', which is in fact an extra-canonical source for the Book of Kings.[56]

Now, whereas their previous account of the story of Jacob and Laban could be regarded as an altogether faithful adaptation of the model, this one appears rather as a loose paraphrase of only a few sections that make up the original story, which is considerably longer. In fact, the story as they narrate it is mainly taken from Chapters 10, 15, 28, and 31 of 1 Samuel, as Netton has already shown.[57] As a result of this, the gist of the story in their account is not always clear and the chronology of events not always easy to follow.

Once again, one is led to conclude that the Brethren's familiarity with the Old Testament was limited, and that the existence of various intermediaries should be postulated between the original narrative and their own version.

56 On this, see note 82 of the English translation.

57 Netton, *Muslim Neoplatonists*, p. 75

Chapter 6 — Magic with the Ṣābi'ans, the Ḥarrānians, and the Ḥanīfs

This chapter is clearly the *pièce de résistance* of the epistle, as it alone occupies almost a third of the text. The nature of the subject also makes it the one requiring by far the largest amount of explanation. The chapter may be conveniently subdivided into eight sub-sections, which we have chosen to introduce in the edition and the translation with the following headings, for the sake of clarity:

A. Historical Perspective
B. Philosophical Doctrines
C. The Eighty-Seven Temples
D. The Temple of Jirjās
E. The Initiation Ritual
F. The Secrets
G. The Kādhā Feast
H. Concluding Note

In what follows, we shall provide a detailed summary of each sub-section, focusing on those elements which appear to us especially important for the discussion. The discussion proper will follow each one of these summaries. It will be essentially based on the comparison of our text with other mediaeval Arabic sources on the 'Ṣābi'ans of Ḥarrān', in light of certain studies amongst the innumerable ones, since Daniel Chwolsohn's pioneering and monumental thesis,[58] devoted to this enigmatic and notoriously controversial issue.[59]

58 D. Chwolsohn, *Die Ssabier und der Ssabismus*, 2 vols. (repr., Amsterdam: Oriental Press, 1965).

59 Let us mention here, amongst the post-Chwolsohn literature on the 'Ṣābi'ans' more or less directly concerned with Ḥarrān: Margoliouth, 'Harranians', in *Hastings Encyclopaedia of Religion and Ethics*, vol. 6, pp. 519–520; J. Pedersen, 'The Sabians', in *A Volume of Oriental Studies Presented to Edward G. Browne on His 60th Birthday*, ed. T.W. Arnold and R.A. Nicholson (Cambridge: CUP, 1922), pp. 383–391; H. Corbin, 'Rituel', pp. 181–246; S. Lloyd and W. Brice, 'Harran', *Anatolian Studies* 1 (1951), pp. 77–111; Massignon, *Essai sur les origines du lexique technique de la mystique musulmane* (repr., Paris, 1954); H. Lewy, 'Points of Comparison between Zoroastrianism and the Moon-cult of Harran' in *A Locust's Leg; Studies in Honour of S. H. Taqizadeh*, ed. W. B. Henning and E. Yarshater (London: Percy Lund, Humphries and Co., 1962), pp. 139–161; J. B. Segal, 'The Sabian Mysteries', in *Vanished Civilizations*, ed. E. Bacon (New York:

The corpus of mediaeval Arabic sources at the modern scholar's disposal is today significantly the same as that already investigated by Chwolsohn. It consists of a number of 'inescapable testimonies', such as Mas'ūdī's *Murūj al-dhahab* and *Tanbīh*, Ibn al-Nadīm's *Fihrist*, 'Abd al-Jabbar's *Mughnī*, Shahrastānī's *Milal wa'l-nihal*, Bīrūnī's *Āthār al-baqiyā'*, Maimonides' *Dalālat al-ḥā'irīn* (Hebrew, *Moreh ha-nevukhim*) and Dimashqī's *Nukhbat al-dahr*, to which one may add a series of 'kleinere Texte' taken from heresiographers, historians, geographers, jurists, and lexicographers of all kinds between the ninth and the thirteenth centuries CE.

McGraw-Hill), 1963, pp. 201–220; J. Hjärpe, *Analyse critique des traditions arabes sur les Sabéens ḥarraniens*, PhD Thesis, Uppsala, 1972; J. Hjärpe, 'The Holy Year of the Harranians', *Orientalia Suecana* 23–24 (1974–1975), pp. 68–83; Pingree, 'Sources', pp. 1–15; J. D. McAuliffe, 'Exegetical Identification of the Ṣābi'ūn', *The Muslim World* 72 (1982), pp. 95–106; C. Buck, 'The Identity of the Ṣābi'ūn: An Historical Quest', *The Muslim World* 74 (1984), pp. 172–186; M. Tardieu, 'Ṣābiens coraniques et "Ṣābiens" de Ḥarrān', *Journal Asiatique* 274 (1986), pp. 1–44; M. Tardieu, 'Les calendriers en usage à Ḥarrān d'après les sources arabes et le commentaire de Simplicius à la physique d'Aristote', in *Simplicius; Sa vie, son œuvre, sa survie*, ed. I. Hadot (Berlin–New York, 1987), pp. 40–57; D. Pingree, 'Indian Planetary Images and the Tradition of Astral Magic', *Journal of the Warburg and Courtauld Institutes* 52 (1989), pp. 1–13; T. Green, *The City of the Moon-God: Religious Traditions of Harran* (Leiden: Brill, 1992); F. E. Peters, 'Hermes and Harran: The Roots of Arabic-Islamic Occultism', in *Intellectual Studies on Islam: Essays Written in Honor of Martin B. Dickson*, ed. Michel Mazzaoui and Vera B. Moreen (Salt Lake City: University of Utah Press, 1990), pp. 185–215; F. Grenet, 'Religions du monde iranien ancien', *Annuaire EPHE* (1999/2000), pp. 175–180; J. Lameer, 'From Alexandria to Baghdad: Reflections on the Genesis of a Problematical Tradition', in *The Ancient Tradition in Christian and Islamic Hellenism. Studies on the transmission of Greek philosophy and sciences dedicated to H.J. Drossaart Lulofs on his ninetieth birthday*, ed. G. Endress and R. Kruk (Leiden, 1997), pp. 181–191; C. Genequand, 'Idolâtrie, astrolâtrie et sabéisme', *Studia Islamica* 89 (1999), pp. 109–128; D. Pingree, 'The Ṣābians of Ḥarrān and the Classical Tradition', *International Journal of the Classical Tradition* 9 (2002), pp. 8–35; J. Hämeen-Anttila, 'Continuity of Pagan Religious Traditions in Tenth-Century Iraq', in *Ideologies as Intercultural Phenomena*, ed. A. Panaino and G. Pettinato, Melammu Symposia III (Bologna: International Association for Intercultural Studies of the MELAMMU project, 2002), pp. 89–107; De Smet, 'Platon arabe', pp. 73–86; A. Caiozzo, 'Éléments de rituels images dans les manuscrits de l'Orient médiéval', in *Image et Magie*, ed. J.-P. Boudet, A. Caiozzo, N. Weill-Parot, pp. 57–75. See also A. Fratini and C. Prato, 'I Sebòmenoi (tòn Theòn): una risposta all'antico enigma dei Sabei', http://www.ricerchefilosofiche.it/ (accessed 24 May, 2011).

The very nature of a subject that lends itself to all sorts of confusions and amalgamations and also leaves the door wide open for the possibility of oral channels of transmission; the extreme rarity of presumably first-hand statements (and, correlatively, suspicion about the validity of these); the all-too-visible heterogeneity as well as the ideologically biased spirit of most reports; and, in a more general way, the quasi-impossibility of tracing plausible filiations between our *testimonia* — all this has contributed to obscuring the issue up to the present time. Echoing the 'inflation sabéenne' of those ancient sources already denounced by Guy Monnot in his introduction to the French translation of Shahrastānī's *Milal*,[60] the proliferation of modern studies on the Ṣābi'ans of Ḥarrān is also evidence for the still enormous disagreement amongst today's scholars as to the way to interpret these sources. The spectrum of positions could not be wider, in fact. Thus, according to David Pingree,

> [...] what is unusual about Ḥarrān is that a religion (later called Ṣābianism) developed there, combining elements from Mesopotamia, India, Iran, Syria itself, Neoplatonic and Aristotelian philosophy, Greek astrology, and Ptolemaic astronomy; this new religion spawned forms of magic — astral and psychic — that are described in Arabic texts, written primarily between the ninth and the thirteenth centuries CE, which spread these beliefs and practices over the entire Muslim world, from India to Spain, and which, through Latin and later vernacular versions, beginning in the thirteenth century, profoundly affected Western Europe[...]. The problem faced by modern historians has been that of the mechanism by which the ancient Mesopotamian forms of religious beliefs, strong echoes of

60 See G. Monnot, 'Les Sabéens de Shahrastānī', in Shahrastānī, *Livre des Religions et des Sectes*, vol. 2, ed. and tr. D. Gimaret, G. Monnot, and J. Jolivet (Leuven: Peeters–UNESCO, 1993), p. 7: 'Mais la plupart des Ḥarrāniens se singularisaient par un culte astral très développé, et par des temples voués à chacune des planètes. Il en résulta vite, chez les Musulmans, l'identification de tous les astrolâtres aux Sabéens. Cette circonstance, et la commodité d'un terme aussi utile que vide, amenèrent une inflation sabéenne chez les auteurs arabes, qui voient du sabéen un peu partout dans l'espace géographique et le tableau des religions. Aux « Sabéens » qui s'étaient toujours prétendus tels, une manie ajouta d'autres pseudo-Sabéens qui ont toujours ignoré leur parenté imaginaire aux Sabéens patentés et fictifs'.

which were still apparent in the 'Abbāsid period, were combined with the interests of late Neoplatonic philosophers in the theology of the One and its hypostases, in astronomy, in astrology, in medicine, and in theurgy.[61]

Contrasting with this view, De Smet has recently gone as far as to speak of 'le roman des Sabéens de Ḥarrān' and to dismiss the whole issue as 'un mythe de la recherche moderne qui repose sur des bases très minces.[62]

Amongst ancient statements about the Ṣābi'ans of Ḥarrān, the passage from the short version of Epistle 52 has only rarely been taken into consideration. In fact, if one excepts Tamara Green's monograph on Ḥarrān, whose information on the Brethren of Purity is exclusively based on a consultation of the work mentioned hereafter,[63] the only important investigation directly concerned with our passage remains, to date, Marquet's 'Sabéens et Ikhwān al-Ṣafā'', issued in 1966 under the form of double article in *Studia Islamica*.[64]

To be found there, in addition to a French translation of the passage, is an illuminating commentary on it with a great deal of suggestive

61 Pingree, 'Ṣābians', p. 9.

62 De Smet, 'Platon arabe', p. 77. In this article, De Smet reacts more specifically to the view — upheld by various specialists since Tardieu — that, until the tenth century, the Ṣābi'ans of Ḥarrān preserved and even developed the tradition of an Academy in the Platonic (or Neoplatonic) style modelled on, and directly inherited from, its Athenian predecessor, and that Ḥarrān also became a centre where philosophical texts from Greek Antiquity were copied and translated. See also his 'Platon et Pythagore', p. 27: 'Je ne connais aucun texte — qu'il soit écrit en grec, en syriaque ou en arabe, par un auteur païen, chrétien ou musulman — qui fasse état d'une quelconque activité de traduction ou d'enseignement philosophique à Ḥarrān ou qui atteste l'existence dans cette ville d'une bibliothèque, voire d'une «école platonicienne». Néanmoins, il s'agit d'un mythe profondément ancré, dont les origines remontent en Occident au moins jusqu'au XVIIIe siècle, et qui de nos jours est inlassablement répété et présenté comme une vérité solidement établie par bon nombre de chercheurs, aussi bien arabisants qu'hellénistes'. The same scholar is actually preparing a study with the purpose of tracing the historical development of 'the myth'.

63 Green, *City*, pp. 181–190, 207–213. Mistaken references to the Beirut edition in those sections leaves the impression that the author never had the Arabic text of the *Rasā'il* in hand. See also, in line with the four feasts as reported in Epistle 50, Corbin, 'Rituel', especially pp. 208–222.

64 Marquet, 'Sabéens et Ikhwān al-Ṣafā'', *Studia Islamica* 24 (1966), pp. 35–80, and 'Sabéens II', pp. 77–109. For a discussion of Marquet's important contribution on this issue, see my 'Les Sabéens de Ḥarrān dans l'œuvre d'Yves Marquet', in *Image et Magie*, ed. Boudet, Caiozzo, and Weill-Parot, pp. 41–56.

comparisons between the rituals and doctrines as reported by the Brethren and those that are known to have existed over the ages in various ancient secret communities and religious-philosophical systems of the Mediterranean and the Middle-Eastern worlds: ancient Mesopotamian cults, Pythagoreanism, Orphism, Mithraism, Hermeticism, and the like. A substantial part of the study is also devoted to a careful, and most useful, comparison of our text with Shahrastānī's report on the Ṣābi'ans' beliefs and philosophical tenets. Marquet's study was based exclusively on the Beirut edition of the *Epistles*, whose flaws led him sometimes to propound a wrong interpretation. In various places where Beirut is corrupt or deficient, Marquet's great familiarity with the subject nevertheless allowed him to put forward conjectures which, in light of our manuscripts, prove to be excellent, as the present edition makes plain.

The Ikhwān's statement on the 'Ṣābi'ans, the Ḥarrānians, and the Ḥanīfs' provides much information that is not to be found elsewhere in mediaeval Arabic literature. Why their account has, with the notable exception of Marquet's study, not been considered by modern scholars on a par with, say, Ibn al-Nadīm's or Shahrastānī's account, is an important question that needs to be tackled here. The answer is probably to be found in the fact that, as opposed to all other statements, which may be viewed as either 'frankly adverse' (like, supposedly, the part of Ibn al-Nadīm's report about the ritual of the 'head' and other similarly barbarian rituals)[65] or 'relatively neutral' (like, supposedly, Shahrastānī's report) vis-à-vis the doctrines and practices of the Ṣābi'ans,[66] the Brethren's account appears to be remarkably sympathetic towards the people of Ḥarrān, their beliefs, and their rituals. So sympathetic, even, that their own body of doctrines, as the Ikhwān themselves let us believe, may be largely indebted to the Ḥarrānian science itself. For us, this means two sorts of difficulties. One is, of course, about the Ikhwān's objectivity: how can we rely on a statement that appears

65 Ibn al-Nadīm, *Kitāb al-Fihrist*, tr. Bayard Dodge as *The Fihrist of al-Nadīm; A Tenth-Century Survey of Muslim Culture*, 2 vols. (New York: Columbia University Press, 1970), pp. 753–754.

66 It remains Hjärpe's greatest achievement to have shown that some of the classical reports, or parts from these reports, were based, to a large extent, on Islamic or Christian anti-Ṣābi'an propaganda.

so biased by the authors' affinities with the people they describe? The second, directly resulting from the first, is: how can we distinguish what is common to both the Ḥarrānians and the Ikhwān from what belongs only to the Ḥarrānians? Syncretism is one thing, but a 'syncretism of syncretism' — an expression already used for the Ikhwān al-Ṣafā' by Marquet[67] — is another, and it makes matters more complicated still, as we shall see.

A. Historical Perspective

The historical framework with which the Ikhwān start their account is relatively short, but of great significance.

Summary

The last ones of those who are known to have given credence to, and practised, the 'sciences of talismans' (*'ulūm al-ṭillasmāt*) were the Greeks (*al-yūnāniyyūn*), and different names are used to designate those people, namely, 'Ṣābi'ans' (*al-Ṣābi'ūn*), 'Ḥarrānians' (*al-Ḥarrāniyyūn*), and 'Ḥanīfs' (*al-Ḥanīfūn*). In the transmission process of arts and sciences (*al-ṣanā'i' wa'l-'ulūm*), these sciences ultimately derive from two nations, namely, the Babylonians (*al-Bābiliyyūn*) and the Egyptians (*al-Miṣriyyūn*). There were four 'ancient chiefs' (*ru'asā' awā'ili-him*), namely, Agathodaimon (*Aghāthadīmūn*), Hermes (*Hirmis*), Homer (*Ūmahris*), and Aratus (*Arāṭus*). Their 'contingents' (*juyūshu-hum*) have split into four groups, whose names are: the Pythagoreans (*al-Fūthāghuriyya*), the Aristotelians (*al-Arisṭānūniyya*), the Platonists (*al-Aflāṭūniyya*), and the Epicureans (*al-Afiqūrūsiyya*).

Commentary

One thing is for sure: the level of syncretism shown by our text is awesome, even by the Ikhwān's standards. To affirm that 'Ṣābi'ans', 'Ḥarrānians', and 'Ḥanīfs' are three different names to refer to the same category of people is likely to disconcert anyone involved with an examination of the problem. To assert, moreover, that these people were all Greeks, and that 'the Greeks' are the last ones of those experts in the talismanic art, also appears as a gross simplification

67 Marquet, *Philosophie*, p. 31.

of reality. In his *Tanbīh*, Masʿūdī mentions Ṣābiʾans from various nations: Babylonians, Greeks, Egyptians, and even Chinese. [68] One century later, and in much the same vein, the eleventh-century author Ṣāʿid al-Andalusī will associate Ṣābiʾans with people from nearly all the nations he deals with in his *Ṭabaqāt*: Indians, Persians, Greeks, Romans, Egyptians, and Arabs.[69] Whereas these two authors tend to confuse, as do the Ikhwān, the words 'Ṣābiʾan' and 'Ḥanīf' with one another, Shahrastānī's *Milal* provides us with a well-known passage in which the vision of a 'Ṣābiʾan' is expressly opposed, under the form of a fictitious debate, to that of a 'Ḥanīf'.[70] But the Brethren do not seem to bother with these subtleties. In their eyes, there is a fair chance that 'Ṣābiʾan' did not mean much more than 'star-worshipper', that a 'Ḥanīf' was simply a 'pagan monotheist', and that a 'Ḥarrānian' was an inhabitant of the city of Ḥarrān, in Northern Mesopotamia, where star-worshippers and pagan monotheists were supposed to live and have their rituals. In Epistle 33, which they devote to the intellectual principles of the Pythagoreans, the Brethren do not hesitate to claim that 'Pythagoras was a sage and a monotheist from Ḥarrān.'[71]

The transmission of the talismanic sciences — and, as the text later reveals, of astrology and the occult sciences in general — as viewed by the Ikhwān is another proof of their proclivity for generalizations and amalgamations of all kinds. Ending, as we have just seen, with the Greeks, the chain is meant to originate from the Babylonians[72] and the Egyptians. Whereas 'the Babylonians' refers, in all likelihood, to the ancient cults of the Moon and other heavenly bodies as practised by the Chaldeans in Ḥarrān and around,[73] the reference to 'the Egyptians' is

68 Masʿūdī, *Kitāb al-Tanbīh wa'l-ishrāf*, ed. M. J. de Goeje (Leiden: Brill, 1967), pp. 161–162.

69 Ṣāʿid al-Andalusī, *Ṭabaqāt al-umam*, ed. Louis Cheikho (Beirut: Imprimerie Catholique, 1912).

70 Shahrastānī, *Kitāb al-Milal wa'l-niḥal*, ed. M. Kīlānī (Beirut: Dār al-Maʿrifa, n.d.) vol. 2, pp. 5–44.

71 See *Rasā'il*, vol. 3, p. 200.

72 Instead of 'the Syrians' as given by Beirut and reproduced by Marquet in his translation ('Sabéens I', p. 36).

73 See Marquet, 'Sabéens II', pp. 88–96; Green, *City*, pp. 19–43; Pingree, 'Ṣābians', pp. 8–9.

to be understood in relation to Hermeticism, which was also believed to have exerted its influence upon the star-worshippers of Ḥarrān.[74]

This last connection seems to be confirmed by the list of 'ancient chiefs' that the Brethren mention in the following line: Agathodaimon, Hermes, Homer, and Aratus. There seems to have been a relatively large consensus amongst Muslim authors of the Middle Ages to acknowledge Agathodaimon and Hermes — both duly recognized as such in early Hermeticism — as either the most important prophets or the principal school-founders of the 'Ḥarrānian Ṣābi'ans' as well.[75] Based on a list originally provided by Sarakhsī, a disciple of the philosopher al-Kindī, and taken up by Ibn al-Nadīm in the *Fihrist*,[76] various authors also mention, in addition to Agathodaimon and Hermes, a certain Arānī, and the Greek sage Solon (an ancestor of Plato's on his mother's side).

To name Homer and Aratus as school-chiefs of the Ḥarrānian doctrine was clearly not such common practice, although there is evidence for this as well in Mas'ūdī, who asserts in his *Tanbīh*, about the Egyptian Ṣābi'ans: 'They regard as prophets Agathodaimon, Hermes, Homer, Aratus (the author of a book on the description of the starry sphere), and also Oribasius, Arānī (the first and the second of this name), and others.'[77] That the same four names appear, in the same order, in both Mas'ūdī's *Tanbīh* and in the Ikhwān, would suggest a common source, or at least a common tradition.

It is perhaps in the last affirmation of the Brethren that the distorting effect of syncretism may be observed with the clearest evidence. The Ikhwān mention four schools that they believe to have emerged from the original doctrine, namely, the Pythagoreans, the Aristotelians, the Platonists, and the Epicureans. This assertion, which is in my view not necessarily related to the one expressed just before about the four

74 See Marquet, 'Sabéens I', pp. 54–61.

75 On this, see Chwolsohn, *Ssabier*, vol. 1, pp. 780–802. See also L. Massignon, 'Appendice III: Inventaire de la littérature hermétique arabe', in *La Révélation d'Hermès Trismégiste*, ed. R. P. Festugière (Paris: J. Gabalda, 1950), vol. 1, pp. 384–400; and Peters, 'Hermes'.

76 Ibn al-Nadīm, *Fihrist*, tr. Dodge, p. 746. See also F. Rosenthal, *Aḥmad ibn Ṭayyib al-Sarakhsī* (New Haven, CT: American Oriental Society, 1943), pp. 40–51.

77 Mas'ūdī, *Tanbīh*, ed. De Goeje, pp. 161–162.

'ancient chiefs',[78] and which does not seem to be supported by any other text of the period, proves only the Brethren's unawareness of even the most basic elements in the history of Greek thinking in Antiquity. In fact, there could hardly be a sharper contrast between *what they owe to* the above-mentioned schools — the Ikhwān's system is lavishly imbued with at least three of them, as everybody knows — and *what they know of* them in terms of historical evolution and significance in the process of transmission of knowledge. One may wonder, as Marquet did, why the Brethren include the Epicureans[79] (whom they do not seem to be much indebted to) rather than other famous Greek schools of Antiquity, like the Stoics[80] (to whom they undoubtedly owe a great deal more), but all this is, and is bound to remain, conjectural.

B. Philosophical Doctrines

In this sub-section, which is comparatively much larger than the first one, the Ikhwān provide a synthetic view of the philosophical tenets that they assign to those experts in the talismanic art. Characteristically, nearly all paragraphs of this sub-section begin with the words: 'And they allege' (*wa-zaʿamū*). In the list of allegations that follow, and even in the ulterior sub-sections of this chapter, it is worth noting that no one of the three names just mentioned — 'Ṣābiʾans', 'Ḥarrānians', and 'Ḥanīfs' — ever appears for a second time. Ḥarrān, the city, will be mentioned in the last sub-section of the account, about the Kādhā feast.

Summary

The world is finite since it is spherical. There is no commencement to its existence and no 'second one', as it is dependent on the Creator in the same way the effect is dependent on its cause. There are four things enabling terrestrial affairs to take place: (1) matter (that is, the four elements); (2) souls, animate and inanimate; (3) the impulse of the celestial world

78 For an attempt at connecting the four names of 'ancient chiefs' with these four schools, see Baffioni, 'Secret Sects', p. 16.

79 On this emendation, already put forward by Marquet, see my footnote to the English translation, p. 118.

80 Marquet, 'Sabéens I', p. 56, n. 1, with the following hypothesis: 'Peut-être n'ont-ils pas connu ses œuvres [referring to the works produced by the Stoa], et ses idées ont pu leur parvenir par le canal des autres courants de la pensée grecque.'

on the four elements; (4) the Supreme Divinity's preservation of the faculties of all existing beings and the allotment He has made of all existing beings with respect to the seven planets and the two outer spheres of the system, namely, the sphere of the zodiac and the ninth sphere, which is a tangent to it. Planets influence terrestrial affairs in various ways, as they affect climes, districts, cities, and villages alike.

As for souls, first there are those which are too elevated to be linked to any sort of body. These, which are called 'divine' (*ilahiyya*), fall into two groups: some, the 'angels' (*al-malā'ika*), are good by essence, and people seek to benefit from their good influence; others, the 'demons' (*al-shayāṭīn*) are bad by essence, and people seek to escape from their adverse effects. To each of the divine souls they address a specific invocation, with a specific incense, and they perform a specific ritual. Then, there are the souls which are attached to the bodies of the stars, whose influence upon the terrestrial world operates, therefore, in two different ways: according to the natural dispositions of their bodies and according to their souls. Finally, there are the souls that are linked to bodies as long as those bodies are alive. It is to this latter category that the human soul belongs, until the time when, after the passing-away of the body to which it has been attached, it departs and passes to the 'Sea of Ṭā'ūs' (*baḥr ṭā'ūs*). This is the sphere of ether (*al-athīr*), where the soul will suffer until the moment when it either falls again into an appropriate dwelling in matter or manages to take command of its own salvation.

By considering the character traits and habits of each soul, it is possible to know which road it is going to take. Bestial souls are those whose behaviour is similar to the behaviour of beasts; they will prove unable to do anything other than populating a dwelling and perpetuating their kind. Human and incarnated souls are those which, if they are healthy, may prove to have the capacity to ascend towards the spheres and live there for a while. Yet if these souls are ill, they may also possibly fall down and become attached again to bodies. Every religion and every school of thought leads its adherents to adopt certain kinds of character traits and to perform certain kinds of actions, making these adherents distinct or noteworthy for that. Traits of character are shared by all animal species, but each one is more powerful and apparent in one particular species: bravery with the lion, greed with the

pig, haughtiness with the peacock, and so on. As a rule, the soul will be transported towards the species corresponding to his most specific trait of character at the time of his death.

This method seems to be the opposite of that used by the physiognomist (*ṣāḥib al-firāsa*), who infers the traits of character from external appearance. For every body subject to traits of character, felicity and torment will be mixed up with one another, so as to be a lure for these traits, as well as a bond during the whole period of their attachment. Indeed, the Ikhwān add a quotation from Sura 41 of the Qur'an: '*Your Lord is not ever unjust to His servants*'.

The Brethren conclude this sub-section by stating — using the first person singular — that they have drawn these tenets from the very foundations and premises of those people, as a validation of their school with respect to magic and talismans. The rest, they say, was left aside because of its obviousness, or else because it is mentioned in the 'Book of Properties' (*Kitāb al-Khawāṣṣ*), as for instance the action of the magnet.

Commentary

Although most Arabic sources dealing with the Ṣābi'ans of Ḥarrān include a note on their doctrine,[81] Shahrastānī provides the most detailed account. As mentioned above, Marquet's double article includes a systematic comparison of the data in both texts, which he organized in the following manner: (1) God; (2) the spiritual beings; (3) the world; (4) the beings here below / man's destiny; (5) the souls' retribution and metempsychosis; (6) astrology.[82] For the sake of brevity, what follows here is a short summary of Marquet's argumentation, along the same lines and structure as his, together with his own concluding words. It does not pretend in any way to substitute for the original, which the reader is thus advised to consult, and for which the precise indications of the passages discussed are duly mentioned.[83]

81 See Chwolsohn, *Ssabier*, vol. 1, pp. 679–825, for a thorough discussion of the sources available.

82 Marquet, 'Sabéens I', pp. 62–80.

83 References are to the Cairo edition of Shahrastānī's *Kitāb al-Milal wa'l-niḥal*, ed. M. Badrān, 2 vols. (Cairo, 1947–1955). An annotated translation into French, equally based on the Cairo edition, has appeared since; see Shahrastānī, *Milal*,

In spite of the numerous merits of Marquet's demonstration, it seems necessary to make a serious *caveat*. As has been stated above, it is implicit throughout the comparison of texts that Shahrastānī provides an altogether seemingly neutral and objective account, whereas the Ikhwān — whose sympathy for, and indebtedness to, the Ṣābi'ans Marquet thoroughly assumes — would have turned their description of the Ṣābi'an doctrine into something much more acceptable for Muslims in general and Shi'i, nay Ismaili, Muslims, in particular. As a result, what Marquet compares in fact is not so much the Ṣābi'an doctrine as viewed by Shahrastānī and the Ikhwān respectively, as the Ṣābi'an doctrine in both accounts *with respect to* that of the Ikhwān, on the assumption that the latter owes a great deal of its substance to the former, and even that a first-hand transmission existed between the Ṣābi'ans of Ḥarrān and the Brethren of Purity.[84]

(1) God: Shahrastānī and the Ikhwān agree on the fact that God, according to the Ṣābi'ans, is the Creator of the world, that this world depends on Him as the effect depends on the cause, and that God is utterly transcendent. But whereas Shahrastānī evokes a God that is at the same time one by essence and multiple, as being incarnated (*ḥulūl*) in the heavenly beings, the Ikhwān refrain from assigning such a 'pagan' and un-Islamic tenet to the Ṣābi'ans, having recourse instead — at least in their own philosophy — to the Neoplatonic concepts of 'Universal Intellect' and 'Universal Soul' in order to save God's unity.

---

ed. and tr. Gimaret, Monnot, and Jolivet. The section on the Ṣābi'ans is found on pp. 97–172 of the second volume.

84 See De Smet, 'Platon et Pythagore', p. 27: 'Ainsi, Yves Marquet a voulu expliquer la présence de nombreux éléments pythagoriciens et platoniciens dans les *Rasā'il Ikhwān al-Ṣafā'* en supposant que les Ikhwān avaient fréquenté les Sabéens de Ḥarrān. C'est à Ḥarrān qu'ils auraient été initiés à la philosophie pythagoricienne et platonicienne: à mesure qu'ils progressaient dans leur initiation, les Sabéens leur montraient et leur expliquaient certains livres de Platon et de Pythagore'. De Smet also notes (p. 28): 'Il n'y a évidemment aucune preuve que les Ikhwān — dont on ignore d'ailleurs l'identité précise, si ce n'est qu'ils étaient établis à Bassora, pas très loin de Bagdad — aient jamais mis les pieds à Ḥarrān'. As De Smet also rightly points out, Marquet's last work, namely, *Pythagoriciens*, rests entirely on the assumption that the Brethren were taught philosophy by the Ṣābi'ans.

(2) The spiritual beings: Shahrastānī's report consists in saying that the spiritual beings are forms that are despoiled of matter, and that the Ṣābi'ans regard them as naturally pure in terms of substance, hierarchic station, and actions — a conception that closely parallels the Ikhwān's own theory, except that in their case, again, the Intellect and the World Soul are introduced to serve as intermediaries between God and those spiritual beings. Another clear point of convergence is the assertion, in both accounts, that there are spiritual beings attached to the planets in order to govern them and others — either good ('the angels') or bad ('the demons') by essence — which remain unattached, although the modalities of their actions are not exactly the same in the *Milal* and in the epistle 'On Magic'.

(3) The world: The Ṣābi'ans posit the same kind of theory according to both Shahrastānī and the Ikwhān, to account for the influences of the stars — owing to the spiritual beings that are attached to them — on the four elements that constitute the sublunary world. The distinction made between universal effects originating from universal spiritual beings on the one hand, and particular effects arising from particular spiritual beings on the other hand, is also similar in both accounts. What differs, not between the two reports but between the Ṣābi'an doctrine and the Brethren's own representation is, as has been already mentioned, that God is said to be incarnated in the former view, whereas it befits the World Soul to act as intermediary in the latter.

(4) The beings here below / man's destiny: According to Shahrastānī's presentation, matter, whose obscurity contrasts with the light of the spiritual beings, is responsible for the evil and the corruption in this world. Corporeal bodies differ from one another according to the combinations of the four elements with which they are made up. Man, too, is made up of the four elements and shares with all other living species the possession of a vegetative and an animal soul, both of which incite him to come closer to the animal condition. Yet he alone also possesses an angelic soul, by which he is induced to approach the spiritual beings, that is, the angels. Although the human soul is, in a way, determined by the temperament, it also keeps a certain free will that makes most people hesitate between the two directions. Only those who are helped by God's mercy — as, for instance, the prophets — are

definitely attracted to the angelic condition. All these elements, even sometimes the terminology itself, are to be found in the *Rasā'il* as well. In Marquet's view, they fit so well with the Brethren's doctrine that one might think that this presentation was taken directly from the *Epistles*.

(5) The souls' retribution and metempsychosis: The Ṣābi'ans in Shahrastānī's account postulate the existence of an infinity of astral cycles, each with a period of 36,425 years[85] and each beginning with the appearance of a perfect man named Adam. Thanks to God's incarnation, the beginning of each cycle is also marked by the appearances of a couple of each animal species in each clime by which the species will be perpetuated up to the end of the cycle. The same beings are incarnated again, and more or less the same things occur in the following cycle, endlessly. Metempsychosis is the way the souls are compensated, in this world, as a result of their behaviour in the previous cycle. As for the Brethren, they speak of two different kinds of human souls: the healthy one, able to ascend towards the heavenly spheres, and the ill soul, which, after death, is constrained to go to the sphere of ether — the highest and hottest of the spheres of the world here below — so as to be chastized. Either this soul ends up finding a way to its salvation or else it is then forced to descend again to earth so as to reincarnate itself. Depending on the dominant character trait at the time of death, the Ṣābi'ans of the Brethren are able to predict in which animal species a soul is going to be reincarnated. In this case, Marquet is forced to admit a compatibility far less obvious between the Ṣābi'an tenets and the Brethren's own beliefs: 'Pas question, pour eux [the Ikhwān], qu'une âme se réincarne, ni surtout qu'une âme humaine se réincarne dans un corps d'animal, même si elle est descendue plus bas que bien des animaux.'[86] As for astral cycles, the Brethren clearly do not assign the same function to them as do the Ṣābi'ans. But it remains a fact that great cycles — and most especially a 36,000-year

85 I think Chwolsohn (*Ssabier*, vol. 1, pp. 768–769) was right to point that 36,425 years corresponds to the multiplication by 25 of 1,461 years, that is, the Sothis period referred to as the 'Egyptian Great Year' by the late Roman author Censorinus in his famous enumeration of great cycles (*De Die Natali* 18.11). See also note 147 on p. 131 below.

86 Marquet, 'Sabéens I', p. 74.

cycle determined by the movement of equinoctial precession[87] — do play a crucial role in their philosophy.

(6) Astrology: Both Shahrastānī and the Ikwhān mention that astrology was invented in order for people to get closer to the spiritual beings, with a double objective: first, to have a better life in this world, by obtaining satisfaction for a need; secondly, to obtain the possibility of going to the world hereafter, by purifying one's soul. Concerning the rituals performed, both statements also agree in underlining the astro-magical character of their components (sacrifices, incantations, foods, gestures, dress, and the like), which are meant to correspond to the nature of the spiritual being invoked. Likewise, they also both make clear that the construction of temples to the spiritual beings is decided on astrological grounds.

As expected, Marquet concludes this comparison of data by stressing how much the Ikwhān themselves are indebted to the Ṣābi'an doctrine — in spite of some clear divergences of view which they sought to amend:

> Les Ikwhān se sont séparés des Ḥarrāniens sur des points importants de doctrine: incarnation divine, éternité du monde, création et hiérarchie des êtres spirituels parfaits, le mal, la réincarnation et la rétribution, enfin la prophétie. Mais il est clair que la doctrine ḥarrānienne (hermétisme magico-astrologique et hermétisme « philosophique » pénétré dès l'origine de pythagorisme, de platonisme, d'aristotélisme, d'épicurisme et de stoïcisme) a servi de base à la doctrine des Ikwhān. Ceux-ci ont seulement corrigé les points inacceptables pour eux, musulmans et shī'ites (encore que l'influence ḥarrānienne reste sensible même sur ces points-là) à l'aide du néo-platonisme d'une part, des données bibliques ou chrétiennes et surtout coranique de l'autre.[88]

C. The Eighty-Seven Temples

Out of those principles, the people about whom the Ikhwān talk are said to have inferred and elaborated new speculations.

87 On this, see my *Annus Platonicus; A Study of World Cycles in Greek, Latin and Arabic Sources* (Louvain: Peeters, 1996), pp. 143–145.

88 Marquet, 'Sabéens I', pp. 79–80.

Summary

They have thus posited that, since the stars and the souls exert their influences on the bodies, and since some of them exert a propitious influence, it became necessary to approach them and to implore them in order to restore what is corrupt, with ultimately two aims in mind: first, the goodness of life in this world, and second, the acquisition of freedom in the world hereafter.

Performing natural actions in accordance with the nature of a star or a soul, yet without any concern for the astrological science will prove to be rather inefficient, since the star or the soul will have been elected by volition only. Likewise, using the method of astrological elections, yet without any consideration for the natural actions (as the people who are ignorant of the art of talismans and magic usually do), will prove to be equally inefficient, since the election of the star or the soul will have been done by nature only. The only method to reach the objective is, therefore, to combine the two sciences of astrology and magic, joining nature and volition with one another.

By observing which cities fall under the authority of a given star at the moment when it is in its 'exaltation' (*sharaf*), in its 'domicile' (*bayt*), and in its 'decan' (*wajh*), and by waiting for the moment when the star comes into some of these 'dignities' (*ḥuẓūẓ*), one could start the building of a temple — a temple whose shape would be appropriate for that star in the city for which this dignity had been determined.

Those people are also said to have established a rule for the rituals and to have fixed them in a constitution which they left with the 'custodians' (*sadana*). It included a list of the matters that it was thought fitting to ask for when the star was in one of its dignities, together with a list of the feasts to be celebrated for the star in its particular temple throughout the year. Anyone needing to know which temple had been allotted to the star would thus find it and, this done, would make a vow to the right temple. He would go out on the appropriate day of a feast and perform the action prescribed in order to obtain satisfaction from it.

This point is illustrated with some examples of astrological configurations — with the places of exaltation of the Sun and the Moon being calculated with respect to the ascendant — that enable one to perform magic with respect to certain particular issues.

Those people have dedicated temples to the planets, in agreement with the number of their dignities: one to the Sun at the time of its exaltation, another one to the Moon at the time of its exaltation, and so on with all the planets. And because they knew from experience the powers of the fixed stars in terms of influence, they have dedicated temples to those fixed stars as well, as for instance to the 'Dog of the Giant' (*kalb al-jabbār*), that is, Sirius. In addition to these, they have also made other temples to unattached souls, as in the case of Pluto, the King of Hell and the Abyss, Poseidon, the King of the Sea, and various others. In all, they have completed eighty-seven temples.

Commentary

The Ikhwān's emphasis in this sub-section is on the necessary complementarity between astrology and natural magic, since astrology is concerned with the nature of the stars, while magic is concerned with their volition. This complementarity is the justification with which they credit the Ṣābi'ans for having chosen to build their temples at moments that were believed to be the most appropriate.

The Brethren speak of three kinds of temples: for the planets, for fixed stars, and for deities unattached to celestial bodies. Each planetary temple is meant to be shaped in the form required by the dignities of the planet and the city on earth where these dignities can be determined to be most efficient.

The classical sources in which information may be found on the Ṣābi'an temples, their shapes, and locations on the surface of the earth are Mas'ūdī's *Murūj al-dhahab*,[89] Shahrastānī's *Kitāb al-Milal wa'l-niḥal*,[90] and Dimashqī's *Nukhbat al-dahr fī 'ajā'ib al-barr wa'l-baḥr*,[91] to which one should add a reference to Abū Ma'shar's *Kitāb fī buyūt al-'ibādāt* (the 'Book on Houses of Worship') as preserved by Bīrūnī in the *Āthār*.[92] This material has been usefully investigated by Daniel

89 Mas'ūdī, *Al-Murūj al-dhahab*, ed. 'Abd al-Ḥamīd, 4 vols. (Cairo, 1948), vol. 2, pp. 236–264.

90 Shahrastānī, *Milal*, ed. Badrān, p. 790; see also Shahrastānī, *Milal*, tr. Gimaret, Monnot, and Jolivet, vol. 2, pp. 171–172.

91 Dimashqī, *Nukhba*, in Chwolsohn, *Ssabier*, vol. 2, pp. 380–414; see also Dimashqī, *Nukhbat al-dahr fī 'ajā'ib al-barr wa'l-baḥr*, tr. A. F. Mehren as *Manuel de cosmographie du Moyen Âge* (Amsterdam: Meridian, 1964), pp. 41–46.

92 Bīrūnī, *Al-Āthār al-bāqiyya*, ed. C. E. Sachau, 2 vols. (London: Kegan Paul, 1910),

Chwolsohn,[93] Jan Hjärpe,[94] and Charles Genequand,[95] and is also briefly discussed by David Pingree.[96] As has been pointed out by various scholars, the historical existence in Ḥarrān of geometrical temples for the planets, such as those described by Mas'ūdī, Shahrastānī, and Dimashqī, is most unlikely. Both Genequand and Pingree highlight the pivotal role played by Abū Ma'shar, an expert in forgeries, in the transmission of this bulk of doctrines and beliefs. This he may have achieved via the *Kitāb fī buyūt al-'ibādāt* but probably also via the *Kitāb al-Ulūf* (the 'Book of Thousands') with its legendary reconstruction of the history of science.[97]

The Brethren do not go into the details of these geometrical constructions, but they share the theoretical principles subtending those views with the above sources, with the *Ghāyat al-ḥakīm*, and with other texts of astral magic. What is peculiar to their account is the indication that the number of temples completed by the Ṣābi'ans throughout the world was eighty-seven. The figure is given by *lām*, *nūn*, and Beirut, and is further confirmed by an allusion, later in the description, to the names of the 'eighty-seven angels, male and female', together with the name of Jirjās. In fact, as both this statement and the next section (on the temple of Jirjās) make clear, we should consider a total of eighty-eight temples (with as many angels) in all, thus including the temple of Jirjās.

How was this figure arrived at? The Brethren do not tell us, nor do they seem to give their reader enough information for him to guess. In addition to the seven planetary temples, they only mention as examples a few temples devoted to a star (or a catasterism) and some others devoted to unattached souls. Eighty-eight looks like a symbolic value, just as is the 'nine and nine' (or ninety-nine) mentioned later on in the text in relation to the number (of times, supposedly) the priest

p. 205.

93 Chwolsohn, *Ssabier*, vol. 2, pp. 366–379 and pp. 637–647 (for Mas'ūdī), pp. 380–414 and 647–698 (for Dimashqī).

94 Hjärpe, *Analyse*, pp. 68–83.

95 Genequand, 'Idolâtrie', pp. 109–129, especially pp. 110–122.

96 Pingree, 'Ṣābians of Ḥarrān', pp. 8–35, especially pp. 26–29.

97 Pingree, *The Thousands of Abū Ma'shar* (London: The Warburg Institute, 1968).

presses the iron ring on the young man's thumb. In the footnotes to the translation I nevertheless suggest a way to interpret this figure.

D. The Temple of Jirjās

From now on the Brethren will focus their account on one single temple, no doubt regarding it as especially important. The temple is described in great detail.

Summary

They also made a temple at a time when all the planets were in their dignities. This temple is made of two symmetrical parts, one for the men and one for the women. It consists, in each case, of a big hall, orientated to the north, and with no opening of any kind in its walls so as to remain in the most complete obscurity when the door, on the southern side, is closed.

The twelve zodiacal signs were marked with their names, and each one of the planets was represented with the appropriate material: the Sun with gold, the Moon with silver, Saturn with iron, and so on. These planets were shaped according to the form they had in the sign of their exaltation (as is mentioned in the books of astrology). Then, in front of these images, there was a mat, with seven discs of chalk displayed in the manner of targets. On each disc there was a censer relating to a particular planet. These were ranged according to the rank of the planet (from Saturn, the farthest-removed from the idols, up to the Moon, the closest one) and possessed a number of rings in proportion to this rank (from seven for Saturn, to one for the Moon). Each censer had a distinct incense: aloeswood for the Sun, frankincense for the Moon, and so on.

On the left side of the planets, there was a series of utensils: a jug, three long rods of tamarisk that had been cut before the cry of the cock, a knife of iron with a handle of iron, and an iron ring whose fine stone, the dimension of a finger-nail, was engraved with the image of Jirjās, 'chief of the Iblīs' (*ra'īs al-Abālisa*). There, the young people entered into their religion (*dīn*). There, cocks were sacrificed. There, the two secrets (which are mentioned further down in the text) were recited.

Commentary

Since Marquet's article, it is commonly assumed that Jirjās (as found in the Beirut edition; the name could as well be read 'Jurjās' or 'Jarjās') is to be identified with the Greek Gorgon,[98] itself assimilated with Hecate, or, more precisely, the triple or triple-faced Hecate at a later stage.[99] In addition to a phonetic resemblance between the names, this identification rests on a supposed similarity of function between the demon of ancient Greek mythology and the deity referred to in the present text. True enough, the ancients conceived the Gorgons (usually in the plural) as evil beings whose hideous appearance they often used to emblazon on a great variety of objects for an apotropaic purpose. All these elements would seem to fit well with the present account and the description that follows in the text. But Marquet's identification also has its flaws. First, to derive 'Jirjās' from Γοργώ is a conjecture that has problems from the linguistic point of view. Marquet himself must have realized this since he writes in a footnote: '*Jirjās*: en grec Γοργώ, mais aussi Γοργάς' ('Gorgas' being a far less attested form of the name). Secondly, and in my view much more significantly, there is not a single document of presumably Ṣābi'an provenance that attests to the importance of a cult to the Gorgon in Ḥarrān. Chwolsohn, usually so eager to draw parallels or links between personifications of all sorts, does not even mention the Gorgon. How is this silence of our sources to be explained, especially when we consider the Ikhwān's emphasis on the uniqueness of the temple of Jirjās, the only one to have been erected 'at a time when all the planets were in their dignities'? I would consider the lack of any evidence to support Marquet's identification with the Gorgon as a major argument against it.

98 Marquet, 'Sabéens I', p. 45.

99 Marquet, 'Sabéens II', pp. 86–87: 'Il semble que notre Gorgone ḥarrānienne ait été assimilée à Hécate et ait représenté les deux Hécates: l'Hécate «simple» et l'Hécate «triple»'. L'Hécate simple, assimilée à Séléné et représentant la lumière de la lune, était bienfaisante. L'Hécate triple, ou infernale, portière de l'enfer et gardienne de Cerbère, assimilée à Perséphone, était malfaisante. On la représentait parfois sous la forme d'une lune à la face ricanante. Elle avait donné naissance à des démons affreux.... Déesse de la magie, elle avait été l'initiatrice des pratiques magiques funestes.'

An indication found in *Nabatean Agriculture*, allegedly translated into Arabic by Pseudo-Ibn Waḥshiyya, may offer us an alternative solution. But before we turn to this work we need to make some preliminary remarks on the Brethren's account taken as a whole. The first observation is precisely regarding the necessity of considering the Ikhwān's chapter on Ḥarrān, including the sub-section on the Kādhā feast at the end, as forming one single unit. Indeed, towards the end of the Kādhā feast sub-section, the authors note the following:

> And, up to this day, they go out on the twentieth day of Nīsān of every year, so as to expect the advent of this idol. And they call that feast the feast of Kādhā. And their waiting for the advent of that idol is like the waiting of the Jews for the Messiah. And they preserve the left wing of the cock that has been sacrificed in the hall of the men and they attach it to the bellies of the pregnant women and to the necks of the young men, in the manner of an amulet.

In addition to other important precisions such as the place of the Kādhā feast in the calendar and the unique significance of the feast in terms of expectations for its worshippers, the text includes an element that unambiguously connects that feast with what the Brethren have previously said about Jirjās, its sanctuary, its rituals, and its secrets. For 'the hall of the men' as they mention here — with the explicit reference to the wing of the sacrificed cock — is naturally the same as that which they describe at some length at the beginning of the account. This means that, in the Brethren's view, the temple of Jirjās is the same as the one where the Ḥarrānians would go on the twentieth day of Nīsān of every year. Ibn al-Nadīm and Bīrūnī agree in reporting that this is the day on which a pilgrimage was made to Dayr Kādhā in the outskirts of Ḥarrān, and al-Nadīm underlines the importance of that day in the Ḥarrānian calendar.[100]

100 See Ibn al-Nadīm, *Fihrist*, tr. Dodge, p. 767: 'On the twentieth day they go out to Dayr Kādī, which is a sanctuary near one of the gates of Ḥarrān known as Bāb Funduq al-Zayt. They slaughter three *zabrukh*, a *zabrukh* being a bull. One is for the god Cronus, who is al-Zuḥāl (Saturn); one is for Arīs, who is al-Mirrīkh (Mars), the Blind God; and one is for the Moon, which is Sīn. They also slay nine lambs: seven for the seven deities, one for the god of the jinn, and one for the Lord of the Hours. They also burn [offerings of] many lambs and cocks.' See

Now, the author of *Nabatean Agriculture* stresses the similarity between two stories, one Ṣābi'an and the other Christian, and the related days of feast in each calendar. The primitive story is that of the Babylonian Tammūz (eponymous of the month), a god of vegetation and regeneration who, as a life-death-rebirth deity was mourned at a certain period of the year. What Pseudo-Ibn Waḥshiyya has to say about this god, in relation to which the story of Tammūz developed with the Ṣābi'ans of Ḥarrān, and about how it should be connected to a story told amongst the Christians, all deserves to be quoted here at some length. I shall quote here from the English translation of the relevant section by Jaakko Hämeen-Anttila in his recent 'Continuity of Pagan Religious Traditions in Tenth-Century Iraq':

> All Ṣābians, both Babylonian and Ḥarrānian, weep and lament for Tammūz in a feast of theirs which is attributed to Tammūz.[...] When I was translating this book, I read in it that Tammūz was a man about whom there is a story and that he was killed in a horrible way only once, and there is no more to his story. They have no knowledge of him except that they say: 'So we have known our fore-fathers to weep and lament during this feast ascribed to Tammūzā'. So I say that this is a memorial feast which they held for Tammūz in the ancient times and which has continued until the present although the story about him has been forgotten because of the remoteness of his time. In our times, no one of them knows what his story was and why they actually weep for him. The Christians have a memorial feast which they hold for a man called Jūrjīs who, so they claim, was killed many times in horrible ways, but he returned to life each time, until he died at the end of the story which is too long to be explained. It is written down in a book which the Christians possess and they hold a memorial feast of Jūrjīs. The story of this Tammūz which we already mentioned is just like that of Jūrjīs. I do not know whether the Christians heard of the story of Tammūz who lived in the ancient times and they changed the name of Jūrjīs at his place and then related the story of Tammūz under the name of Jūrjīs and disagreed with the Ṣābians concerning the time (of the feast). The Ṣābians hold the memorial feast of Tammūz on the

also al-Bīrūnī, *Āthār*, tr. Sachau, p. 317: 'Hilāl Nīsān: 20. Feast of the assembly at Dair-Kādhī'.

first day of Tammūz and the Christians hold the feast of Jūrjīs at the end of Nīsān or a little before it.[101]

This testimony casts some light, it would seem, on the Ikhwān's account. Linguistically, it provides perhaps a clue to the name 'Jirjās' (or 'Jurjās'), and Hämeen-Anttila himself had caught a glimpse of this in a note: 'The name [Jūrjīs] is curiously close to that of the god or demon Jirjās mentioned in *Rasā'il Ikhwān al-Ṣafā'* IV, 296'. On either of the various forms it may take in an Arabic transliteration — 'Jirjās', 'Jurjīs', or even 'Jirjīs', as we have seen in the case of the Platonic Gyges, above in the epistle— this name is much more easily derivable from the Greek name Γεώργιος (etymologically, 'farmer'), all the more so in a Christian context, than it is from the Gorgon. The other interesting detail is the date of the feast. Pseudo-Ibn Waḥshiyya explains that the Christian day of mourning for Jūrjīs/St. George takes place 'at the end of Nīsān or a little before it', an assertion that fits well with Ibn al-Nadīm's indication that the Kādhā feast is celebrated on the twentieth day of Nīsān.

On the amalgamation between Christian and Ṣābi'an doctrines, Hämeen-Anttila rightly observes:

> The transmission of pagan material to Christianity is often obvious. The mechanisms of this transmission are also relatively clear but I cannot refrain from mentioning here that, according to al-Maqdisī (*Bad'*, IV, 42), some Christians in the vicinity of Ḥarrān had adopted Ḥarrānian doctrines. What he probably should have said, is that some Ḥarrānians had converted — sincerely or not — to Christianity, bringing along with them much of their religious lore and wisdom. Instead of weeping for Tammūz they were now weeping for St. George.[102]

The Ikhwān's section on Kādhā is, as we shall see, the only part for which a quasi verbal parallel — namely, in the *Fihrist* of Ibn al-Nadīm — may be provided. On the basis of what is frequently observed in al-Nadīm's report on the Ḥarrānians, would it be so absurd to postulate a certain level of Christian contamination in the case of the Ikhwān as well?

101 Quoted from Hämeen-Anttila, 'Continuity', pp. 89–107, here pp. 98–99. Hämeen-Anttila points out that the St. George's feast is on the 23rd of April.

102 Hämeen-Anttila, 'Continuity', p. 100.

The level of syncretism shown by those accounts on Ḥarrān, and by our text in particular, invites us to a certain prudence, and we are certainly well advised not to embark for explanations that pretend to be simple and decisive.[103] It is not impossible, although most improbable in my view, that the Brethren's description keeps some trace of an amalgamation previously made between the antique Gorgon and St. George/Tammūz.

Turning to those elements that make up the scenery of the temple of Jirjās, we meet with other difficulties of the same nature. The Ikhwān mention the orientation of the hall to the north, the representations of the planets, their corresponding incense and discs, a variety of utensils designed for the initiation ceremony, and, of course, the cock to be sacrificed. As Tamara Green notes:

> There is much in this performance that is familiar. The setting itself is easily recognizable, for the statues of planetary gods, the representations of the signs of the zodiac, the seven discs representing the celestial spheres, and demonological and name magic all find their antecedents in Chaldean astrology, late antique Greek philosophy, and Hermetic theurgy as well as Mithraic doctrine. Nevertheless, the text does not yield an easy identification of a particular cult. Indeed, as Marquet himself has admitted, every element affords multiple interpretations.[104]

A good example of this is precisely that of the cock. The *Fihrist*, especially in the section devoted to the Ṣābi'an calendar of feasts, refers time and again to the custom of sacrificing cocks. In its quality of announcer of the day to come, the cock has become a universal symbol of the victory of the light over darkness, and of rebirth after death. Marquet draws parallels with Pythagoreanism, Orphism, and Mithraism,[105] whereas Green adds further possible connections with the cock-like creature Sraosa of the Mazdeans and even with the late

103 Green, *City*, p. 210, suggests yet another interpretation, in my view inconclusive: 'It is also possible that Jirjas may conceal as well the Persian Ahriman, which is, similarly, the lord of the demons. Supporting evidence for this view might be adduced from the description of the *adyton*, with its signs of the zodiac and representations of the planets, both of which play, of course, an essential role in Mithraic doctrine'.

104 Green, *City*, p. 209.

105 Marquet, 'Sabéens II', pp. 87–88.

antique figure Abraxas.[106] As for the Brethren, who no doubt admired the bird a great deal for its capacity to cause people to 'wake up from the torpor of ignorance and the slumber of negligence' (to quote one from their most-beloved assertions), they feel it natural, as shall be seen in the next sub-section, to link the sacrifice of the cock by the Ṣābi'an priest with the last injunction about it as made by Socrates to his companion before his death.

Another example of a symbol that may be regarded as universal is the orientation to the north. Here again, Ibn al-Nadīm provides much evidence in the context of Ḥarrānian Ṣābi'anism. He frequently refers to a ritual called the 'mystery to the north', usually associated with a jinn and with demons, and also states that the Ṣābi'ans 'have adopted one direction for prayer, which they have fixed towards the North Pole in its course'.[107] This time, Green points to similar rituals as part of the ancient Mesopotamian demonology, but we might as well adduce the motif of the two solsticial gates — one for the gods and the other for the humans — as elaborated upon a Pythagorean basis by various authors from Classical Antiquity.[108]

E. The Initiation Ritual

Next comes the sub-section where an initiation ceremony, taking place inside the hall of the men, is minutely described by our authors, very much as a living scene to be looked at.

Summary

The chief of the priests enters the place, shortly before sunset. Having locked the door, lit the lamps, and taken the appropriate ceremonial posture, he starts giving a long and solemn speech, which is due to last until the cry of the cock. The sermon is addressed to Jirjās, whose power the priest invokes and whose clemency he implores at that moment

106 Green, *City*, pp. 210–211.

107 Ibn al-Nadīm, *Fihrist*, tr. Dodge, p. 746.

108 On this, see Guénon, 'Les Portes solsticiales', *Études traditionnelles* (1938), pp. 217–221; W. Hübner, 'Crater Liberi. Himmelspforten und Tierkreis', in *Bayerische Akademie der Wissenschaften Philosophisch-Historische Klasse, Heft 3* (Munich: C.H. Beck, 2006). See also my 'Le zodiaque de l'Énéide', *Latomus* 52 (1993), pp. 318–349.

in order to introduce a young man to 'our call' (*fī da'wati-nā*) and to allow him to hear the secret of 'our angels' (*sirr malā'ikāti-nā*). He warns that he is ready to sacrifice to Jirjās its fierce and awe-inspiring enemy — an enemy which various metaphors in the text invite the reader to identify with the cock.

When the morning comes, from amongst the people of his call who are wishing to hear the secret, one of the young men is undressed, fastened with a bandage, and introduced into the hall. Having at his side someone serving as his guarantor (*kafīl*), he is led, walking backwards, to the chief of the priests. The priest solemnly asks him whether he wishes to enter the religion and have the secret revealed. Swearing on the young man's head, the priest also warns him not to divulge the secret and asks the guarantor for confirmation of all this. Whereupon, the priest recites the names of all the angels, male and female (there are eighty-seven of them), as well as the name of Jirjās, over the young man's head.

Then, at the moment when the priest grasps the knife, the guarantor intervenes to beg him to sacrifice the cock instead of the man, as a ransom or an offering in his place. The guarantor is asked by the priest to hand over to the young man his own ring, as a pledge that the secrets will not be revealed. The cock is sacrificed on the young man's neck, with a last address to Jirjās: 'O Jirjās, King of the Iblīs, accept this victim and leave this young man to his parents and to the angels'. The iron ring, which has already been heated on a lamp, is branded on the young man's thumb ninety-nine times, and in some other places, using the tamarisk rods. The young man is dressed up with new clothes and leather boots, and a turban-cloth fastens his waist. The priest finally gives him a pinch of salt, tracing the form of a triangle with it. He does the same — *in all likelihood the entire procedure* — with each of the other companions.

Meanwhile, the crowd of people stays outside the hall of the secret, in the temple or nearby, performing their ablutions, accomplishing their vows and slaughtering various animals as offerings to the angels, and cocks specifically to Jirjās — a practice that the Ikhwān illustrate by referring to Socrates' last injunction in this world as reported by Plato in the *Phaedo*, namely, 'Slaughter a cock for me in the temple. It is a vow of mine'. The crowd outside also eat various sorts of meats,

except for cocks, which are consecrated to the secret and which only the elder priests eat inside the hall of the secret.

Commentary

Much of what has been said of the preceding sub-section could now be repeated. The elements making up the ritual as described here, although forming together a story not told elsewhere, are all individually comparable to motifs or creeds found in other, more or less ancient cults. The invocation of a spirit by a priest, the role of the guarantor, the substitution of the victim with an animal, the iron ring and the brand on the initiate, even his entry backwards and his nudity and binding before the initiation begins, all this is so common that it does not make much sense to look for historically traceable borrowings. One may attempt to distinguish those elements which are resolutely un-Islamic from those that might have some relation with Islam, as Carmela Baffioni did in her aforementioned study on the 'secrets sects' in the *Rasā'il*:

> Many of the common elements of these kinds of ritual — whatever their origin may be: objects like the jug or the branches, the sacrificial victims and especially the cock, the knife and the ring (whose material may symbolize Saturn), the seal, the symbolic gestures of the boy and the priest, the symbolic clothes, the substitution for the victim — are quite alien to Islam, and some of them (e.g., the prayer after purification, the offerings to the planets with immolation, the cocks, the burning of victims, the change of garments, the signet stones, the setting of the table, the eating of sacred food, the shrine, the salt) are also mentioned by Ibn al-Nadīm. Other elements, however, such as some of the ritual gestures, the holy invocations, the purification rites, the *samā'*, clipping the nails and shaving, the sacrifice of animals, the prohibition to eat certain of them, may have some connection with Islam.[109]

Now it is true that our classical sources on the Ṣābi'ans — Mas'ūdī, Ibn al-Nadīm, and Pseudo-Majrīṭī in the first instance — offer many close parallels with the Brethren's description. In a study devoted to astral magic in the *Haft Peykar* ('Seven Portraits') of twelfth-century Iranian author Neẓāmī, Živa Vesel nicely presented the four main elements or steps of the procedure, which may be summarized as

109 Baffioni, 'Secret Sects', p. 23.

follows: (1) to gather together the attributes of the planet whose description is given in the astrological works: the cloth with the colour of the planet; the ring made from its metal and bearing its stone; the suffumigation of its incense, and so on; (2) to elect the day in the week corresponding to the planet according to the 'Chaldaic' system and a specific astral conjunction; (3) to utter the prayer to invoke the planet, eventually with the sacrifice of animals; (4) to respect the prohibitions and specific prescriptions about food, to be in a 'purified' state, and to practise a rigorous asceticism.[110]

All those elements find their place in our text, and we shall indicate some of these parallels in the footnotes to the translation. But, in the end, the same two basic questions remain fundamentally unanswered: what should we consider as properly Ṣābi'an in this hotchpotch of rites and symbols? And to what extent should we believe that the Brethren themselves subscribed to these kinds of conceptions?

F. The Secrets

In this sub-section, the Brethren provide the reader with an explanation of what the secret consists of. In contrast to the previous sub-section, where only the secret of men was referred to, here the Ikhwān deal with both the men's and women's secret at the same time.

Summary

When the initiation of all the young men has been performed, the chief priest starts letting them hear the secret. In fact, there are two speeches, both longer than the suras of the Qur'an: one for the men (and exclusively for them) and one for the women (and exclusively for them). They contain the same number of words and letters as one another. But if one takes them together and inserts a word from one between every two words from the other, it will result in many combinations. Four amongst these combinations are said to include the 'canons' (*qawānūn*) and the 'demonstrations' (*barāhīn*) of the following four sciences: (1) medicine (*al-ṭibb*), by which the bodies are cured and ailments expelled; (2) alchemy (*'ilm al-kimiyā'*), by which misery is expelled and

110 Ž. Vesel, 'Réminiscences de la magie astrale dans les *Haft Peykar* de Neẓāmi', *Studia Iranica* 24 (1995), pp. 7–18, here p. 9.

damages are removed; (3) astrology (*'ilm al-nujūm wa-aḥkāmi-hā*), by which one is notified about what will happen before it happens; (4) the science of talismans (*'ilm al-ṭillasmāt*), by which the citizens reach the nature of kings, and kings the nature of angels.

The reason why those sciences cannot be unveiled to 'the mass of the common people' (*al-jumhūr min al-'āmma*) is the fear that would fill the elite (*al-khāṣṣa*) if the vulgar, with their evident lack of discernment, their evil natural dispositions, and their bad habits, were to acquire knowledge of sciences such as alchemy or medicine. It is thus a necessity to safeguard these sciences from those who are not worthy of them and who resemble the case reported by Plato in the *Republic* (and mentioned at the beginning of the present epistle), namely, the case of the shepherd who killed the king and took his place without being qualified for it nor worthy of it.

Commentary

This is arguably the most original part of the Brethren's account. With the mention of the two secrets, whose mixing with one another in the appropriate way gives birth to combinations that reveal the 'inner meaning' of the four hidden sciences, it also seems to me the most fantastic part of it. And if similarities or echoes should be mentioned, I would be inclined in this case not to point so much to eventual models of a remote past as to decisively modern elaborations (or, admittedly, re-elaborations) in the manner of Jorge Luis Borges' *Biblioteca de Babel* or Peter Greenaway's *Prospero's Books*.

My impression is that the Brethren do not borrow anything here, but rather work out something which fits with their own theories. It is curious indeed that the four sciences here referred to correspond almost exactly with those they have listed in the introduction to this epistle, that is, from totally outside the Ḥarrānian context. Likewise, the justification of preserving this kind of knowledge from the common people looks like the mere repetition of what they had written at the beginning of the epistle: it does not seem to have any link with the sort of Ṣābi'an material they may have used for the rest of their account. The allusion to the previously mentioned story of Gyges should naturally be understood in the same way.

G. The Kādhā Feast

In this last part of their account on the Ṣābi'ans, the Brethren deal with a celebration that is being held on the twentieth day of Nisān in Kādhā, a place which the text situates to the east of Ḥarrān. The passage includes various names of deities, such as Qūlūs or Rabbat al-Till, that are not easy to identify in the manuscripts at our disposal. Fortunately, this section is also the only one for which a verbal parallel may be found in a mediaeval source, namely, in Ibn al-Nadīm's *Fihrist*, as has been noted earlier. The comparison of both texts, which show many textual correspondences with one another, helps us, in part, to make up for what would have otherwise been left largely to mere guesses. The details of this will appear in the footnotes to the translation.

As we have stated above, it is important to understand that this text is the continuation of that about the temple of Jirjās and the ritual performed therein, as described in great detail by the authors. This is inferred from the indication that, as part of the Kādhā celebrations, the Ṣābi'ans 'preserve the left wing of the cock that has been sacrificed in the hall of men'. This is not to say that the Brethren have used the same source for both the Jirjās and the Kādhā sub-sections. We might as well contemplate the possibility of an assemblage of different reports, in the same way as we observe in the case of Ibn al-Nadīm. It is not possible to trace back the origin of the Brethren's information, but it seems likely that they share with the author of the *Fihrist* a common source of information for the Kādhā feast.

H. Concluding Note

The Brethren conclude their long account by explaining that it corresponds to what they have heard and come to know regarding the rehabilitation of astrology and the sciences that derive from it, namely, the sciences of magic and the sciences of talismans.

Chapter 7 — Spells, Incantations, and the Evil Eye

With this penultimate chapter, just ahead of the concluding lines of the epistle, we find at last the justification for the exceptionally long title given to the *risālā* in the manuscript tradition, namely, 'On the

quiddity of magic, incantations, the evil eye, incitements [given to animals], intuition, and spells; on the modalities of the actions of talismans; on what the demons of the earth, the jinn, the devils, and the angels are; and on the means of their deeds and mutual influences'. As a matter of fact, this chapter about spells, incantations, and the evil eye is technically the only one which does indeed respond to the generic title in some way.

In order to affirm the reality of magic and to legitimize its practice, the Brethren start by enumerating a certain number of examples of effects or influences that anyone may observe in the surrounding world. The attraction of the magnetic stone for iron, the utility of the 'tail of the wolf' (a plant) for colic, or the damage caused by the sea-hare (a poisonous mollusc) to the lung: these examples are taken from each one of the three natural kingdoms, as one can see. But instead of providing a detailed list of these influences here, the authors content themselves with advising their readers to consult the 'Books of Properties'.

What follows is of a distinctly more philosophical nature. The Ikhwān recall Plato's theory of the soul, or better said, of the three souls: the appetitive, the irascible, and the rational. Their purport is to demonstrate how the rational soul exerts its influence on the two bestial souls by taming them and subjugating them in the measure of its own capacities. Naturally enough, the Brethren advise their readers to read from works by philosophers, such as the ethical treatises 'on the reformation of the traits of characters', but they do also make reference here to more theologically orientated works such as the treatises 'on the promise and the threats' for the hereafter.

These considerations about the taming of the two lower souls by the superior one lead them to contemplate a series of 'influences' exerted by man upon animals in order to steer and domesticate them. They mention some incitements under the form of whistling or chanting so as to make the animal — horse, elephant, camel, etc. — move or stop. Interestingly enough, they compare the influences upon souls with those upon bodies as performed by drugs and remedies. Talismans and spells are examples of the same nature. By knowing their (secret) properties, one can exert influence upon a body or a soul. Here again, the Ikhwān do not mention more than a few examples of talismans,

such as the talisman for the scorpion and the talisman for the wasp. They also mention the case of a man overpowering another man in an instant, comparing this to the sparks that 'suddenly appear from a fire and fall down on objects and burn them'.

In terms of textual sources, the last sub-section — on the evil eye and related issues — is probably the most interesting of this part of the epistle. In the absence of explicit Qur'anic citations, the Ikhwān have recourse to several prophetic traditions in order to demonstrate the reality of the evil eye and the reality of the magic designed to protect one from it. Amidst these Islamic references, they also report the Christian apocryphal tradition of Jesus addressing plants and stones as if they had indeed been endowed with souls.

(fol. 520b) [p. 283]

Epistle 52a
On Magic
I

[Being the eleventh epistle from the fourth section of the *Epistles of the Brethren of Purity*, on the Theological Sciences]*

In the name of God, the Compassionate, the Merciful

On the quiddity [ماهية] ***of magic*** [سِحر],[1] ***incantations*** [عزائم], ***the evil eye*** [عين], ***incitements*** [***given to animals***] [زَجر],[2] ***intuition*** [وهم],[3] ***and spells*** [رُقى];[4] ***on the modalities*** [كيفية] ***of the actions of talismans*** [طلسمات];[5] ***on what the demons of the earth*** [عُمّار الأرض],[6] ***the jinn, the devils, and the angels are; and on the means of their deeds and mutual influences. The objective is to clearly expound that in*** (fol. 521a) ***the world there are autonomous and imperceptible agents that are called spiritual beings*** [روحانيّة].[7]

---

* This title has been standardized to match the others of this series; *lām* reads simply 'The eleventh of them', and adds the eulogy: *To Him we call for help*.

1 Note that the introductory line provided by MS Atif Efendi 1681 [ع] for the long version is similar, but not absolutely identical, to this one. It reads: 'On the quiddity [ماهِيّة] of magic [سِحر], incantations [عزائم], spells [رُقى], divination [كَهانة], auguries [فال], and auspices [زَجر]'.

2 On *zajr*, originally a kind of augury based on the flight of birds, see T. Fahd, *La divination arabe* (Paris: Sindbad, 1987), pp. 438–450. From what the Ikhwān say of this practice below in Chapter 7, one should nevertheless infer that none of the definitions given by Fahd fits here. By *zajr*, the authors seem to refer to the general practice of taming various sorts of animals by giving them incitements.

3 The word *wahm* conveys a wide range of meanings in Arabic. These may be more or less positive, such as conjecture, guess, presentiment, imagination, fancy, illusion, deception, or error. The word appears in Chapter 7. The context does not allow us to determine the meaning with great accuracy, but it enables us to rule out negative connotations; in the translation, we have opted for the general and quite neutral 'intuition'.

4 See T. Fahd, 'Ruḳya', *EI2*, vol. 8, p 600: '*Ruḳya*, corresponding to Latin *carmen*, magical chant, consists of the pronouncing of magical formulae for procuring an enchantment'. See also Fahd, 'La connaissance de l'inconnaissable et l'obtention de l'impossible dans la pensée mantique et magique de l'Islam', *Bulletin d'Études Orientales* 44 (1992), pp. 32–44. p. 39. For the present translation, we have decided to render it with 'spell' and reserve 'charms' for the less frequent *nushar*.

5 The Arabic word *ṭillasm* (pl. *ṭillasmāt*), origin of 'talisman', derives (via the Persian) from the Greek τέλεσμα, whose original meaning seems to be the fulfilment of a religious rite by endowing an object with potency. On talismans, see Canaan, 'Decipherment', pp. 125–177.

6 The 'demons of the earth' are frequently mentioned in connection with Solomon's building of the Temple in Jerusalem; see, for instance, Ginzberg, *The Legends of the Jews* (Philadelphia: The Jewish Publication Society of America, 1968–1969), vol. 4, pp. 149–154. For the Arabic *ʿummār* (sg. *ʿāmir*) as designating demons, see Kazimirski, *Dictionnaire*, vol. 2, p. 366.

7 It should be remembered here that the *rawḥāniyyāt* ('spirituals' or 'spiritual beings') form the subject of Epistle 49 ('On the Modalities of the States of the

Chapter 1
Introduction

You should know, may God stand by you, my brother, that in the fifty epistles that precede this epistle,[8] we have mentioned the varieties of science [علم] and the marvels of wisdom [حكمة]. We have classified them and have gathered together in them many sciences, a lot of objectives, and thoughtful wisdom. And we have clearly expounded them in accordance with what the levels [5] of the apprentices and the ranks of the students making use of them require. Yet just as it would not be appropriate for us to provide science to anyone unconcerned with it and not knowing its merit, likewise it is neither permissible nor allowed for us to forbid it from anyone seeking guidance [مسترشدّ] and studying it.[9] For in this respect there is no point in being stingy with regard to someone who deserves it. It is fitting that those whom this epistle by our noble brethren has reached should hand over from it to all deserving people what is within the grasp of their understanding and

Spiritual Beings'), to which the present *risāla* refers in various places, and which in turn refers to this one; see the Introduction above (pp. 9–10). In Epistle 3 ('On Astronomy'), another of those epistles most frequently referred to in the present *risāla*, the Brethren define angels as 'excellent souls[...] that had once been incarnated but then had purified themselves, aquired perception, and separated from their corporeal envelopes, their essence becoming autonomous. They have been victorious and free, and have wandered in the emptiness of the spheres and the width of heavens. They shall rejoice, be happy, and take pleasure as long as the heavens and the earth exist'; see *Rasā'il*, vol. 1, pp. 142–143 (all such references are to the Beirut edition, unless otherwise noted). In the subsequent lines of that passage, the Brethren also define jinn and devils as 'evil and corrupted souls, which had once been incarnated but had then separated from their corporeal envelopes without being endowed with perception and without being polished. Having remained blind, deaf, and mute, they have been spread over the darkness[...] and have fallen into the abyss of the intermediate world[....] This is their condition up to the day they will be resurrected'.

8 On these indications, see the Introduction, pp. 7–8.

9 Forbidding science to those who are unconcerned with it and, conversely, providing it to those to who deserve it is a topos in the *Rasā'il*. This counsel already appears immediately after the 'Table of Contents' (*Fihrist*) that is given at the beginning of the corpus in the editions (see, for instance, *Rasā'il*, vol. 1, pp. 44–45). Poonawala notes that MS Atif Efendi 1681 'adds the above counsel very briefly at the end of the table of contents on the very authority of Abū Sulaymān (al-Maqdisī), one of the alleged compilers of the *Rasā'il*, according to Abū Ḥayyān al-Tawḥīdī'; Poonawala, 'Arabic Critical Edition', pp. 45–46.

known to be profitable to them and appropriate to their rank, gradually, according to the classification that we have established in the epistle of the *Fihrist* [the Table of Contents].[10] Every time that the soul ascends to some degree in science and reaches some rank in understanding, it is raised up to what comes next and carried on towards what lies next, until the soul reaches the limit of its perfection — this [progression being made] [p. 284] according to four sections.

The first section [10] is that of the mathematical sciences [رياضية], with which one begins. The second section, that of the corporeal and natural sciences [جسمانية طبيعية], follows it. The third section, that of the sciences of the soul and the intellect [نفسانية عقلية], comes next. The fourth section, that of the nomic and divine sciences [ناموسية إلهية], is the last of them.[11]

This epistle is the last one of the epistles from the fourth section, and it is the fifty-first. In this epistle we should like to mention the quiddity of magic [سحر][12] and how talismans take effect. For these matters are like any known science or knowledge and [also] like some of the applied wisdom; we shall provide testimony for them with what we have heard from the savants [العُلَماء] and what we have got to know from the books of the ancients before us who lived in the past.

You should know, my brother, may God stand by you, that we see today, when hearing about magic, that most of the heedless people regard as preposterous whoever believes in it, and they deny their debt to whoever places it in the collection of the sciences which one [15] must examine and by the knowledge of which one becomes well

10 This reference to the 'Table of Contents' (*Fihrist*, not to be confused with Ibn al-Nadīm's work) as an epistle of its own is interesting. As I have pointed in the Introduction (pp. 7–8), the issue of whether to consider it as such or not is one of the many variables to be taken into account in determining the sum-total of epistles — a task which I would consider impossible to achieve given the present state of our knowledge regarding the manuscript transmission of the *Rasā'il*.

11 For a comparison of these four groups of sciences (which effectively correspond with the four sections and headings as preserved by the manuscript tradition) and the classification of the philosophical sciences as given in Epistle 7, see my 'Arts scientifiques', pp. 231–258, and 'Classification', pp. 58–82, especially pp. 72–77. In the manuscripts, the fourth section is traditionally given as 'the section of nomic, divine, and legal sciences'.

12 See Fahd, 'Sihr'.

educated — those being the pseudo-savants, the new-comers amongst the philosophers of our time, those who stay behind and who claim to be part of the elite amongst the distinguished people. This is because they consider the few who become impassioned with this science and who get absorbed in its study without any knowledge of it [to be] a stupid and brainless man or a light-headed woman or a foolish and stupid old woman. They remove their souls from the company of the man whose case is like this whenever hearing about magic and talismans, [with] disdain towards him, so as not to be linked with ignorance or with credulity about lies and fables. In doing so, those idiots amongst those studying this science study it with objectives that are idiotic and despicable to them, with no knowledge whose study is of necessity, nor [which has] purpose or objective to it. [20] They do not know that this [science] is part of philosophy [فلسفة], and that it is moreover part of the ultimate sciences of philosophy, since it is necessary to learn the preceding sciences before it.[13]

Amongst these [sciences there is] the science of the stars, which is the knowledge of three things: the stars [كواكب], the spheres [أفلاك], and the zodiac [بروج].[14]

13 The Brethren's point in this paragraph is to show that the validity of magic and the other secret sciences is generally spoiled in the eyes of the average man (i.e., the 'heedless people' above) by those people unable to get more from these sciences than a basic and superficial outlook. It is in fact those 'liars' whom the Ikhwān make responsible for the whole misunderstanding about the occult sciences. A passage very much in the same vein, and with more or less the same formulation, will be found at the end of Chapter 7.

14 In Epistle 3 ('On Astronomy'; see *Rasā'il*, vol. 1, p. 114.10–16), the science of the stars (*'ilm al-nujūm*) is said to be divided into three parts, which could *grosso modo* be identified with the following disciplines: (1) astronomy; (2) *computus* and time-measuring tables; (3) astrology. In Epistle 36 ('On Revolutions and Cycles'), the Brethren are concerned with astronomy and, to a much greater extent, astrology; see my *Révolutions*.

The zodiac has twelve zodiacal signs, the spheres are nine,[15] and the known stars are 1,029, seven of which are planets, as we have mentioned in the third epistle [Epistle 3: 'On Astronomy'] of the first section from our book — [an epistle] which gives access to the science of the stars and the sum of what is required from this in view of its introduction.[16]

In addition to the zodiac, the stars, and the spheres, [p. 285] there are also the two nodes [عقدتان], (fol. 521b) of which one is called the Head, and the other the Tail.[17] The Head indicates what is propitious, and the Tail indicates what is calamitous. These two [nodes] are neither stars nor apparent bodies, but rather [they are] concealed matters. The concealment of their essence [ذات], and the apparentness of their actions, is an indication that in the world there are souls that are concealed to sensation [حسّ]. Their actions are apparent, whereas their essences are concealed; they are called the spiritual beings [روحانيين].[18] We have

15 In the following order: Moon, Mercury, Venus, Sun, Mars, Jupiter, Saturn, the starry sphere, and the all-encompassing sphere (on the inner surface of which are fixed the zodiacal signs), whose existence is required to account for the equinoctial movement of precession. This all-encompassing sphere (*falak al-muḥīṭ*) is to be identified with the Prime Mover, and its period corresponds to the period of the diurnal motion, from east to west, in which all celestial bodies participate. On this, see my *Révolutions*, p. 54.

16 Cf. Epistle 3 ('On Astronomy'), which provides a more elaborate version of the same statement; *Rasā'il*, vol. 1, p. 115.3–6: 'There are 1,029 stars of a great size, which are perceived by observation. Amongst them, there are seven which are called planets [*sayyāra*], namely: Saturn, Jupiter, Mars, the Sun, Venus, Mercury, and the Moon.' The figure of 1,029 is to be understood as the sum of 1,022 (the number of the fixed stars as traditionally received since Ptolemy) and 7 (the number of 'wandering stars', that is, the planets).

17 The two nodes, technically referred to as '*ra's al-jawzahr*' (literally, the 'Head of the Dragon') and '*dhanab al-jawzahr*' (the 'Tail of the Dragon'), are the two lunar nodes, which correspond to the points of the sphere in which the Moon crosses the ecliptic from the south to the north and from the north to the south respectively. The revolution of these points, whose importance was usually held on a par with the planets themselves, plays a crucial role in the determination of eclipse cycles, as the Brethren report in Epistle 3 (see *Rasā'il*, vol. 1, p. 143). Mediaeval astrologers believed that the 'Head' exerted a beneficent influence, whereas they regarded the 'Tail' as malevolent. On this notion and the origin of this appellation, see my *Révolutions*, pp. 62–64; and Willy Hartner and Paul Kunitzsch, 'The Pseudoplanetary Nodes of the Moon's Orbit in Hindu and Islamic Iconographies', *Ars Islamica* 5 (1938), pp. 113–154. For the nodes in Islamic iconography, see Caiozzo, *Images*, pp. 213–228.

18 Faithful to their syncretic approach to reality, the Brethren do not hesitate to

mentioned them in the epistle that precedes this epistle [Epistle 49: 'On the Spiritual Beings'].[19] They are the genera of angels, and the tribes of jinn, and the groups of devils.[20]

The adherents of the sciences [5] of magic and talismans know this. Read that epistle of ours that is before this epistle, so as to understand this meaning at the completion and perfection of it [the previous epistle] once you have read it. What exists in this world in terms of actions from the spiritual beings will be confirmed to you, as we have mentioned, clearly expounded, and commented on in it [that epistle].

As for the knowledge of the actions of the stars and of their influences upon what is below the sphere of the Moon, [this] comes after the knowledge of their indications. It is part of the spiritual philosophy [الفلسفة الرّوحانيّة], of the divine support, and of the Lord's solicitude. The first of the savants related to this science was Ptolemy, the author of the book *Almagest* and of other books in this science.[21] And there were other savants as well.

You should know, my brother, that the stars of the celestial sphere [10] are angels of God and of the realm of His skies. God, how powerful and lofty is He, has created them for the cultivation of His world, for the organization of His creatures, and for the governing of His arrangement. They are the vice-regents of God on His earth. They govern His servants and preserve the laws of His prophets by the

identify astronomical abstractions such as the two lunar nodes with spiritual beings in the manner of those referred to further down in the epistle by the Ṣābi'ans of Ḥarrān. In Epistle 3 ('On Astronomy'), in a passage where they deal at some length with the two nodes and their secret essence, the Ikhwān also mention the spiritual beings as corresponding to either angels, jinn, or devils; see *Rasā'il*, vol. 1, pp. 142–143.

19 As already noted in the Introduction, this and other subsequent references to 'the epistle that precedes this epistle' are to Epistle 49, dealing with the spiritual beings, and not to Epistle 50 or Epistle 51. This bears evidence for some rearrangement in the sequence of the *Rasā'il*.

20 This is the same formulation and context as in Epistle 3 ('On Astronomy'); see *Rasā'il*, vol. 1, p. 142.

21 Ptolemy is the Brethren's classical authority on both astronomy and astrology. The *Almagest* is the ancient work referred to by far the most often in the *Rasā'il*. According to Baffioni, it is mentioned twenty-three times, while Euclid's *Elements* is cited fourteen times, and Aristotle's *Categories* and *De Interpretatione* eight times only; *Frammenti*, p. 36 As far as astrology is concerned, the Muslim world owed a great deal to Ptolemy's *Tetrabiblos*, also known as Ἀποτελεσματικά.

execution of their decrees, for His servants, for the sake of their well-being and the preservation of their order, under the best conditions.

You should know, my brother, that no one will be able to know the modalities of the influences of these stars and their acts upon whatever exists in this world in terms of bodies, spirits, and souls, except those who are firmly established in science, those who have attained a high degree in knowledge, those who examine the divine sciences, and [thise] who are supported by the support of God and by the inspiration they get from Him.[22]

[15] You should know that the prime power [أوّل قوّة] emanates from the Universal Soul [نفس الكلية] towards the world, into the superior and luminous individuals, that is, the fixed stars [كواكب الثابتة], then, next to them, into the planets [كواكب السيارة], then, next to them, into the four elements [أركان] that are below them, then into the existing individuals, namely, [p. 286] the minerals [معادن], the plants [نبات], and the animals [حيوان].[23]

You should know, my brother, that the emanation [سريان] of the powers of the Universal Soul into all the universal and particular bodies is like the emanation of the light of the Sun and of the stars into the air and the projections of their rays towards the centre of the earth.

You should know that when it happens that, in a certain period of time, the planets find themselves at their apogees [أوجات][24] or in their exaltations [أشراف],[25] [20] and that some of them find themselves in the

22 That the prediction of future events is regarded as a privilege for those who are inspired by God is an idea that the authors also develop in Epistle 28 ('On the Limits of Human Knowledge'). See my 'Limites', pp. 479–503.

23 On the emanation scheme as developed by the Ikhwān on the basis of Plotinus' theory, see, for instance, Nasr, *Introduction*, pp. 51–74; and my *Brotherhood*, pp. 17–33.

24 The apogee (*awj*; Greek ὕψος) and the perigee (*ḥaḍīḍ*; Greek ταπείνωμα) are the two points of a given orbit that are respectively the farthest from, and the closest to, the earth. As opposed to Ptolemy, who held that the Sun's apogee was fixed, Muslim scientists generally believed that the apogees of all the planets, except for the Moon, moved by the same motion as the starry sphere; see al-Bīrūnī, *Kitāb al-Tafhīm li-awā'il ṣinā'at al-tanjīm*, § 195; translated by R. Ramsay Wright as *The Book of Instruction in the Elements of the Art of Astrology* (London: Luzac and Co., 1934), p. 104.

25 The 'exaltation' (*sharaf*; Greek, ὕψωμα; Latin, *altitudo*) is the sign — sometimes even the degree of the sign — in which a planet is believed to exert its major

most excellent ratio [نسبة], which is called the musical [موسيقي] ratio [نسبة],[26] [then] those faculties from the Universal Soul are delighted and establish the conjunction of those stars with this world; then, the affairs of existents [كائنات] proceed according to the most equilibrious mixture, the most natural disposition, and the best order. Such conditions are called happiness.

But if the case happens to be the opposite of that which I have mentioned,[27] the affairs will be the opposite. This is not due to the prime design, but rather to accidental causes, as we have clearly expounded [بيّن] in the epistle on views and doctrines [Epistle 42: 'On

---

influence. The canonical list of the correspondences between planets and their exaltation signs is as follows: Moon in Taurus; Mercury in Virgo; Venus in Pisces; Sun in Aries; Mars in Capricorn; Jupiter in Cancer; Saturn in Libra. See Bouché-Leclercq, *L'Astrologie grecque*, pp. 193–199. See also my *Révolutions*, p. 85 for references to Greek and Arabic authors.

26 The theory of proportion (*nisab*) is the specific subject of the short Epistle 6 ('On Arithmetical and Geometrical Proportions'); see *Rasā'il*, vol. 1, pp. 242–257. The Brethren summarize there a theory which was well known from Antiquity, having already been developed by Archytas of Tarentum in the fourth century BCE. For a definition of the arithmetic, geometric, and harmonic (or musical) means, see Heath, *Greek Mathematics*, pp. 85–86: 'We are told that in Pythagoras' time there were three means, the arithmetic, the geometric, and the subcontrary, and that the name of the third ("subcontrary") was changed by Archytas and Hippasus to "harmonic". A fragment of Archytas' work *On Music* actually defines the three; we have the *arithmetic* mean when, of three terms, the first exceeds the second by the same amount as the second exceeds the third; the *geometric* mean when, of the three terms, the first is to the second as the second is to the third; the "subcontrary, which we call *harmonic*", when the three terms are such that "by whatever part of itself the first exceeds the second, the second exceeds the third by the same part of the third"[...]. Iamblichus, after Nicomachus, mentions a special "most perfect proportion" consisting of four terms and called "musical", which, according to tradition, was discovered by the Babylonians and was first introduced into Greece by Pythagoras. It was used, he says, by many Pythagoreans, e.g., (amongst others) Aristaeus of Croton, Timaeus of Locri, Philolaus and Archytas of Tarentum, and finally by Plato in the *Timaeus*.' The classical example for this 'musical proportion' is: 6:8 = 9:12. On proportional relationships with respect to the Brethren's theory of music, see also Wright, 'Music and Musicology', pp. 214–247, especially, pp. 218–222.

27 This is the first of various occurrences in this epistle where the first person singular is used instead of the plural. These apparent slips of the pen are found elsewhere in the *Rasā'il*. The issue of whether the final compilation of the epistles (or at least some of them) is due to several authors or to only one (whose identity would in any case remain a matter of conjecture) is one of the multiple vexed issues surrounding this corpus.

Views and Religions'], in the chapter [باب] on the reasons and causes of vices.[28] Inform yourself, my brother, (fol. 522a) from there.

You should know, my brother, that, amongst people, there is no validity for anyone as to the knowledge of existents prior to their coming-to-be, since this is disturbed by life. On the contrary, this science is desired in order that one might be raised up to one's noblest part, and the vice therein be known thanks to the knowledge of causes and reasons, and the soul be woken up from the torpor of negligence and the slumber of ignorance; and [in order that] it resurrect from the death of sin, and the eye of discernment open up for it, and [that] it might know the realities of existing beings and confirm the issue of the return and asceticism in this world; and [in order] that the disasters of this world look unimportant to it [5], and that it not be sad or worried when it gets to know the necessities of the decrees of the stars and the sphere, as God's Messenger, God bless him and grant him salvation, mentioned, stating, 'To whoever practises asceticism in this world, disasters will look unimportant'.[29] The confirmation [تصديق] of this is the speech of God Most High [تعالى]: *'In order that ye may not despair over matters that pass you by, nor exult over favours bestowed upon you'*.[30]

You should know, my brother, that these sciences are divided into five sections. The first is alchemy [كيمياء], which banishes poverty and does away with adversity. The second is the science of astrology [أحكام النجوم], through which the science of what has been and what will be is perceived. The third is the science of magic [سحر] and talismans [طلسمات], by which subjects are joined to [the rank of] kings [p. 287] and kings to that of angels. The fourth is medicine [10] [طبّ], by which the health of bodies is preserved and [by which] the occurrences of sicknesses are cured. The fifth is the science of asceticism [تجريد],

28 On this, see the Introduction, p. 8. The assertion that unfavourable phenomena exist in this world, but that they are due to accidental causes and are not part of the prime design is another topos of the *Rasā'il*. One finds the same argument in a more elaborated form at the end of Epistle 36 ('On Revolutions and Cycles'); see *Rasā'il*, vol. 3, pp. 264–265; and my *Révolutions*, pp. 100–101.

29 This seems to be a Shi'i hadith, whose most ancient authority seems to be Kulaynī, *Al-Uṣūl min al-Kāfī, Kitāb al-Imān wa'l-kufr. Bāb dhamm al-dunyā wa'l-zuhd fī-hā, raqm al-ḥadīth, 15* (Beirut, Dār al-Aḍwā', 1405/1985), vol. 2, p. 132.

30 Qur'an 67:23.

by which the soul gets to know its essence and is ennobled, after its deprivation[تجرّد], above its resting place.[31]

In our epistle on the stars [Epistle 3: 'On Astronomy'], we have already talked about what may be [regarded as] the introduction to the knowledge requisite prior to this epistle.

Verily, the science of magic and talismans follows on from the astrological sciences, which it is subsequent to and dependent on. The benefits [that one can draw] from it are numerous and well known. Reports on talismans and their abundance have been heard. Amongst them, [there is] the report [on the talisman][32] which is for starlings and their carrying of olives,[33] and the talisman which is for the crocodile, and the talisman for bugs, and the talisman for snakes, and the talisman for scorpions, and the talisman [15] for wasps.[34] And there are others [i.e., talismans] about which reports have continuously been heard from people with whom connivance does not work, [for they are] in different periods and have separate approaches.

---

31 For a comparison of this list with that provided in Chapter 6, see the Introduction, pp. 13–14.

32 The word for 'talisman' does not appear here in the manuscripts, but the rest of the phrases make it clear that it must be added.

33 The story about this talisman is told by various Muslim authors, including Mas'ūdī, since the time of Ibn Khurradādhbih. It is usually said to derive from Balīnās, referring here in fact to Pseudo-Apollonius of Tyana. Regarding it as one of the four marvels of the world, Mas'ūdī (*Murūj*, ed. and tr. Barbier de Meynard amd Pavet de Courteille, vol. 4, p. 94) speaks of a bronze tree in Rome surmounted by the statue of a starling also made of bronze. The legend has it that when the statue of the bird whistled, it would attract an enormous quantity of starlings, each carrying three olives, and that this magical harvest would enable the people of Rome to get enough oil for the whole year. In the *Muqaddima*, Ibn Khaldūn mocks Mas'ūdī for accepting this as genuine history; see Ibn Khaldūn, *Muqaddima*, tr. Rosenthal, p. 37: 'Al-Mas'ūdī reports another absurd story, that of the Statue of the Starling in Rome. On a fixed day of the year, starlings gather at that statue bringing olives from which the inhabitants of Rome get their oil. How little this has to do with the natural procedure of getting oil!' For other references about this legend, including Yaqūt (who explicitly refers to it as a talisman) and a fifteenth-century Ottoman avatar, see Yerasimos, *Fondation*, pp. 91–92.

34 Most of the talismans mentioned here are for animals feared for their bites or stings, which is hardly surprising since this is precisely what justifies the recourse to magic. On the interpretation of these talismans, see note 224 below.

Chapter 2

Magic with the Greeks

That said, it is a necessity for us to take in hand those individuals who disavow this science and who treat as a liar anyone giving credence to its validity on the basis of testimonies, parts of which were mentioned by the ancients in their books and recorded from their reports. Of this [anecdotal evidence] will be reported what has a patent notoriety. The subject of this will not be concealed from those who study it, and whoever talks about it will not be treated as a liar — [this is to make sure] that the idiots cannot find a way to treat us as liars.

The Story of Gyges

We say that, according to Glaucon [أغلوقن],[35] Plato, the philosopher, in the second treatise [مقالة] from his book the *Republic*,[36] did mention [the following], stating:

> Jirjīs [جرجيس],[37] who was of the people of the city [named] Europe,[38] [20] was a man who tended sheep, and he was an employee of a ruler who reigned over the city Europe in that period. In that time, there happened to occur rains and, with them, earthquakes. A piece of earth broke away, and a cavity was formed in the place where the man who tended sheep

35 Beirut has here "*alā 'ulūw fi qadri-hi*' ('with respect to the height of its power', translated as such by Baffioni in her *Frammenti*), which is far-fetched and does not make good sense. The manuscripts provide something in the style of *a'lūman* (for *lām*) or '*al-khalq min*' (for *nūn*), both unintelligible. The emendation provided here — *aghlūqun* — fits with the Greek original, since the account of Gyges is put into the mouth of Glaucon (Greek, Γλαύκων), Plato's own brother and one of Socrates' major conversants in the *Republic*.

36 See Plato, *Republic* II.359c–360b. For a thorough discussion of the passage, see the Introduction above, pp. 20–24.

37 A deformation of the original name Γύγης, no doubt influenced by the usual Arabic transliteration of the Greek name Γεώργιος, 'George' (as for instance in the name of the eighth-century Christian physician Jirjīs ibn Bakhtishū'). For a possibility of contamination between this name and that of 'Jirjās' in Chapter 6, see the Introduction above, p. 58.

38 The Arabic is '*madīnat ūrubbā*', which could here be translated with either 'a city of Europe' or 'a city [named] Europe'. From the subsequent occurrence of the expression a little further down, dealing with the ruler who reigned over the same city, one has to infer that the second translation is the correct one. For this variation from the Greek original, see the Introduction, p. 21.

was. When the man saw that cavity, he marvelled at it and walked down to it. And there he saw marvellous things. There was, amongst all the things he saw, a horse worked out with copper, with small openings inside. He inspected the interior of the horse from those openings. (fol. 522b) As a matter of fact, inside the horse [there was] a dead human whose height, from what could be seen, was greater than the measure of a human; and he [that human] wore absolutely nothing [other] than a golden ring on his hand. He took that ring and walked away from the cavity.[39]

It was agreed that the shepherds would gather together once a month, following their custom in terms of gathering together, [p. 288] in order to communicate to the king the issue of their flocks of sheep. This shepherd was present with them and he was wearing that ring. But while he was sitting with the other shepherds, it happened that he hit the ring with his hand and that he turned it around his finger, so that the stone was [now facing] the inner side, on the side that lay next to [5] his palm. But when he did that, he disappeared from [the sight of] those who were sitting with him, so much so that they did not notice that he was sitting, and they did not see him. They started talking about some affair — as [if this was] an indication that he had left them. And he marvelled at this speech. Then he hit his hand on his ring and turned its stone to the outside. But as he turned it, the people started to see him. When he understood that, he tried out his ring [to see] whether this power was in it. And he found that the very same matter happened, namely, that when he turned the ring to the inner side, he concealed himself and was veiled from view, and when he turned it to the outside, he became visible and people noticed him. From this moment, after experiencing this episode with his ring, he behaved amicably and resorted to tricks in order to be

39 Cf. Plato, *Republic* II.359d–e (tr. Shorey): '[The licence that I mean would be most nearly such as would result from supposing them to have the power which men say once came to the ancestor of] Gyges the Lydian. They relate that he was a shepherd in the service of the ruler at that time of Lydia, and that after a great deluge of rain and an earthquake the ground opened and a chasm appeared in the place where he was pasturing; and they say that he saw and wondered and went down into the chasm; and the story goes that he beheld other marvels there and a hollow bronze horse with little doors, and that he peeped in and saw a corpse within, as it seemed, of more than mortal stature, and that there was nothing else but a gold ring on its hand, which he took off and went forth [...]'.

amongst the number of deputies to the king. And when he got [close] to him, he killed him and became king at once.[40]

Conclusion by the Ikhwān al-Ṣafāʾ

Think over [this]: would you be of the opinion that Plato, the philosopher, with [10] his excellence and his intelligence, would have related this narrative in one of his books (namely, the one he composed on the republic) and that, in spite of this, he would have allowed one to firmly believe and assume that he was of the view that this talisman — I mean, the ring of which mention was made before — had manifested its effects for the sake of the wisdom beyond which there is no end, so as to attain the [full] extent of the power of action, which is apparent in the effect operated by it? On the contrary, the reason which urges those newcomers to regard as a lie and to disavow something like this is their laziness, their meagre longing for learning and understanding, and their lack of shame!

Those individuals carry the burden of what they do due to their ignorance of these sciences, and [due to] the fact that they treat as a liar whoever gives credence to their validity, because they find this easier for them and [15] lighter [in terms of] burden.

Take care, my brother, not to take their path, nor to follow their examples, nor to enter into partnership with them, nor to imitate them!

40 This final phrase is, along with the above-mentioned reference to a 'city called Europe', the only part of the text which is seriously at variance with the original Greek, since it completely ignores the role played by the king's wife in the plot as reported by Plato. Cf. Plato, *Republic* II.359e–360b (tr. Shorey): '[…] And when the shepherds held their customary assembly to make their monthly report to the king about the flocks, he also attended wearing the ring. So as he sat there it chanced that he turned the collet of the ring towards himself, towards the inner part of his hand, and when this took place they say that he became invisible to those who sat by him and they spoke of him as absent; at that he was amazed, and again fumbling with the ring turned the collet outwards and so became visible. On noting this he experimented with the ring to see if it possessed this virtue, and he found the result to be that when he turned the collet inwards he became invisible, and when outwards visible; and becoming aware of this, he immediately managed things so that he became one of the messengers who went up to the king, and on coming there he seduced the king's wife and with her aid set upon the king and slew him and possessed his kingdom'. On all this, see the Introduction above, p. 21.

Rather, let study forever be your thought, [let] the attaining of reality [be] your objective, and [let] your greed be in the acquisition and the comprehension of wisdom, so that you may be happy with that and successful with the happy people and the martyrs.

Chapter 3

Magic with the ʿAbbāsids: Meeting at al-Maʾmūn's with the Man who Claimed to be a Prophet

Then Abū Maʿshar Jaʿfar ibn Muḥammad, the astrologer, related in his *Book of Discussion* [p. 289] *with Shādān ibn Baḥr:*[41]

Muḥammad ibn Mūsā ibn Anas al-Khwārizmī[42] reported to me: Yaḥyā ibn Manṣūr[43] the astrologer reported to me: 'We arrived, a group of astrologers and myself,[44] at al-Maʾmūn's [place]. Around him there was a group and a man who claimed prophecy [نبيا] — someone whom we did not know. Al-Maʾmūn had called upon the judges, but they had not shown up yet. And he said to me and to those of the astrologers present, [20] "Go and take [the measure of] an ascendant [طالع][45] regarding an

41 The 'Discussion' (*Mudhākara*), or more generally 'Discussions' (*Mudhākarāt*), refers indeed to a work ascribed to Abū Maʿshar, which the Ikhwān quote from here verbatim. On this, see the Introduction, pp. 24–29.

42 Al-Khwārizmī, the famous astronomer and mathematician of al-Maʾmūn's time. See G. J. Toomer, 'Al-Khwārizmī', pp. 358–365. See also Dunlop, 'Khuwārizmī', pp. 248–250.

43 On this scientist, the senior astronomer (and astrologer) at the court of al-Maʾmūn, see J. Vernet, 'Yaḥyā ibn Abī Manṣūr', pp. 537–538.

44 This section begins with a hadith-like chain of transmitters, whose *matn* starts with the phrase: 'We arrived, a group of astrologers and myself'. 'Myself', the narrator of the whole story to follow, is thus logically to be identified with the last member of the *isnād*, namely, Yaḥyā ibn Abī Manṣūr.

45 The 'ascendant' (*ṭāliʿ*; Greek, ὡροσκόπος; Latin, *ascendens*) is, on the eastern horizon of a given place, the point of the zodiac (and, by extension, the zodiacal sign) emerging at a given moment. Its importance is due to the fact that it is the point of reference for the whole astral chart. From this point are counted the twelve 'houses' (*buyūt*) of 30° each and each associated with a peculiar 'allotment' (here referred to as *qisma*) regarding human life, according to the following order: the 1st from 0° (the 'ascendant') to 30°: 'house of life' (*ḥayāt*); 2nd from 30° to 60°: 'house of wealth' (*māl*); 3rd from 60° to 90°: 'house of the brothers' (*ikhwa*); 4th from 90° to 120°: 'house of the fathers' (*ābā'*); 5th from 120° to 150°: 'house of the children' (*awlād*); 6th from 150° to 180°: 'house of illnesses' (*amrāḍ*);

allegation of a man about a thing he alleges, and about the powers that the sphere indicates about him, in terms of sincerity or falsehood on his part". Besides, al-Ma'mūn had not informed us that [this man] claimed to be a prophet.[46]

'So we went to one of those courtyards, determined the ascendant, and provided a sketch of it. The Sun and the Moon found themselves within the same minute in the ascendant. The ascendant was Capricorn [جدي], and Jupiter [مشتري] was in Virgo [سنبلة] and in aspect [نظر] with it![47] And all those present, except for me, said: "What he alleges is valid."

7th from 180° to 210°: 'house of wives' (*azwāj*); 8th from 210° to 240°: 'house of death' (*mawt*); 9th from 240° to 270°: 'house of travels' (*asfār*); 10th from 270° to 300°: 'house of power' (*sulṭān*); 11th from 300° to 330°: 'house of hope' (*rajā'*); 12th from 330° to 360°: 'house of enemies' (*a'dā'*). The complete list is given by the Brethren in Epistle 3 ('On Astronomy'); see *Rasā'il*, vol. 1, p. 136. See my *Révolutions*, p. 23, for Greek and Arabic references. For the *dodekatopos*, the Greco-Egyptian model of this system, see Bouché-Leclercq, *L'Astrologie grecque*, pp. 280–281.

46 Cf. Abū Ma'shar, *Mudhākarāt* (tr. Dunlop): 'Abū Ma'shar said, I was informed by Muḥammad b. Mūsā, the astrologer, al-Jalīs not al-Khwārizmī, that Yaḥyā b. Mūsā al-Nadīm related to us, "I once visited al-Ma'mūn when a number of astrologers were with him, also a man who claimed prophecy, who had already appeared. Unknown to us, *qāḍīs* and legal experts had been sent for to examine him, but had not yet arrived. Al-Ma'mūn said to me and the astrologers who were present, Go and take an ascendant for a man's claim in a certain matter, and let me know what the angel (*malak*) shows you regarding its (or 'his') truth or falsehood. But al-Ma'mūn did not inform us that the man claimed to be a prophet[...].'

47 The 'aspect' (*naẓar*; Latin, *aspectus*) is a fundamental notion in astrology. Planets were believed to have a certain number of privileged relationships with one another according to the geometric angles of the figure that they form within the circle of the zodiac. Planets distant by 180° (the angle of a straight line, corresponding to a distance apart of six signs) are said to be in 'opposition' (a stronger malefic aspect). Planets distant from one another by 120° (the angle of an equilateral triangle, corresponding to a distance apart of four signs) are said to be in the stronger benefic 'trine aspect'. Planets distant by 90° (the angle of a square, corresponding to a distance apart of three signs) are said to be 'square' (a weaker malefic aspect). Planets distant by 60° (the angle of a hexagon, corresponding to a distance apart of two signs) are said to be in the weaker benefic 'sextile aspect'. In the present example, the aspect is trine and therefore regarded as benefic, with Jupiter in Virgo and the ascendant (with both the Moon and the Sun) in Capricorn, that is, a distance apart of four signs. Zodiacal signs may also be described as having a 'trine' or 'quaternary' relation with one another, but in this case it is a constant relationship which does not vary according to charts. For instance, Aries, Leo, and Sagittarius make up one of the four triplicities (*muthallathāt*), namely, the fiery triplicity. On these triplicities,

'But I said, on my part: "He [speaks] with validity, and the evidence for it lies in what pertains to Venus [زهرية] and to Mercury [عطاردية], yet the validation he seeks is not valid, since it is neither fulfilled nor set in good order."

'He said to me: "How [do you know] (fol. 523a) this from [the reading]?"[48]

see my *Révolutions*, p. 67. See also Titus Burckhardt, *Mystical Astrology According to Ibn 'Arabi*, tr. Bulent Rauf (Aldsworth: Beshara Publications, 1977), pp. 18–20.

48 Cf. Abū Ma'shar, *Mudhākarāt* (tr. Dunlop): '[...] So we came to a certain castle, and we determined the ascendant and set it formally down. The Sun and the Moon coincided in a single minute and the *pars fortunae* (*sahm as-sa'ādah*) and *pars futurorum* (*sahm al-ghayb*) coincided in the same minute as the ascendant, which was Capricorn. Jupiter was in *Spica Virginis* facing him, with Venus and Mercury facing towards it. All the people who were present asked what the man's claim was, but I kept silent. Al-Ma'mūn said to me, You give your opinion. I said, He is seeking confirmation, and has a proof from Venus and Mercury. But confirmation of what he claims is not complete and not organized. How do you know this? He asked[...]'. *Sahm as-sa'ādah* (literally, 'the Part of Fortune') and *sahm al-ghayb* (literally, 'the Part of Secret') are notions related to the specific theory of the 'parts' or 'lots' (*sahm*, pl. *sihām*; Latin, *pars* or *sors*), which was much favoured in ancient astrology. The Part of Fortune, which was known already to Ptolemy and usually regarded since as the most important of all parts, is defined by al-Bīrūnī in this way: 'The Part of Fortune is a point of the zodiac, the distance of which from the degree of the ascendant in the direction of the succession of signs is equal to the distance of the Moon from the Sun in the opposite direction. The method of determining this is to find the place of the Sun (Place 1), then that of the Moon (Place 2); the ascendant is Place 3. Then substract Place 1 from Place 2 beginning with the signs'; *Tafhīm* § 475, tr. Wright, pp. 279–281. In the same paragraph, al-Bīrūnī provides a thorough explanation of the methods of calculation, with examples. The Part of Secret (also variously referred to as the Part of Daimon, or the Part of Spirit) is the second in importance. It is calculated with the same elements as the Part of Fortune — namely, the ascendant, the Sun, and the Moon — but in reverse order regarding the two luminaries. In § 476 of the *Tafhīm*, Bīrūnī deals with lots other than the Part of Fortune and notes that 'Ptolemy recognized only one Part of Fortune, but others have introduced an excessive number of methods of casting lots at nativities. We reproduce in tables those which Abū Ma'shar has mentioned[....] It is impossible to enumerate the lots which have been invented for the solution of horary questions, and for answering enquiries as to the prosperous outcome or auspicious time for action; they increase in number everyday'. Then follows the expected table, taken from Abū Ma'shar, of the 'following 97 different lots, 7 of which belong to the planets, 80 to the houses and 10 to neither [that] are those most commonly in use'; tr. Wright, p. 282. For each lot is given the method of calculation, both for diurnal and nocturnal computations, as for instance: 'Ascendant + Moon – Sun' in the case of the Part of Fortune by day and 'Ascendant + Sun – Moon' for the Part of Fortune by night. The Part of Daimon (or Spirit) is the exact reverse of these calculations,

'I said: "Because the validity of the allegations [comes] from Jupiter, or from the trine aspect [تثليث] with the Sun, or else from its sextile aspect [تسديد] when the Sun is not malefic. And this [is also] because of the case of the fall [هبوط][49] of Jupiter, which is in a benefic aspect with it, although it is adverse to this sign and the sign is adverse to it. And this does not fulfil the validation and the confirmation. And what they [the other astrologers] have said about what pertains to Venus and Mercury is a variety of hocus-pocus and the livelihood of imposture."[50]

'He marvelled at this and said: "You, your achievement is due to God."[51]

'Then he said: "Are you aware of who this man is?"

'I said: "No."

'He said: "This man alleges he is a prophet!"

[5] 'I said: "O you, Commander of the Believers, does he have anything in support of this? Ask him!"

'He [the alleged prophet] said: "I have a ring with two stones. I wear it and nothing changes with me, but if anyone else wears it, he will start laughing and will not master his laugh until he removes it. I have a Syrian

---

namely, 'Ascendant + Sun – Moon' by day and 'Ascendant + Moon – Sun' by night. The rest of the lots are calculated in a similar way, but combining these results with other elements such as the planets, as for instance in the case of the lot 'Life' in the 'First House', whose calculations by day and night are: 'Ascendant + Saturn – Jupiter' and 'Ascendant + Jupiter – Saturn' respectively; and 'Pillar of Horoscope' in the 'First House' as well, with 'Ascendant + Spirit – Fortune' by day and 'Asendant – Spirit + Fortune' by night. In the present report, the Sun and the Moon are said to coincide within the same minute in the ascendant. It must be noted that these notions of lots, which form an essential part of the narration in the *Mudhākarāt*, do not appear at all in the Ikhwān's version, but it is not possible to decide whether this omission pre-dates the redaction of Epistle 52 or not.

49 The 'fall' (*hubūṭ*; Latin, *casus*) is the sign (or the degree of the sign) in which the influence of the planet is the weakest. The 'fall signs' are diametrically opposed to the 'exaltation signs' (on 'exaltation', see note 25 above), namely, Moon in Scorpio; Mercury in Pisces; Venus in Virgo; Sun in Libra; Mars in Cancer; Jupiter in Capricorn; Saturn in Aries. See my *Révolutions*, p. 89, for Greek and Arabic references.

50 Cf. Abū Ma'shar, *Mudhākarāt*, tr. Dunlop: '[...] I said, Because the truth of claims is from Jupiter, and Jupiter is facing him in a favourable manner, only he dislikes this sign and the sign dislikes him. Consequently the verification and confirmation are not complete, and what they say of the proof from Mercury and Venus is merely a kind of adornment and embellishment and imposture which is considered admirable and desirable[...]'

51 The expression means something like, 'How excellent you are!'

pen:[52] I take it and I [can] write with it, but if anyone else takes it, his finger will be paralysed."

[p. 290] 'I said: "My lord, Venus and Mercury have already brought about these things with their effects."[53] Al-Ma'mūn ordered him to do what he had said, and he did it. And we came to know that it was a remedy [obtained] with talismans.[54]

'Al-Ma'mūn did not cease [to be] with him for many days, until he renounced the claim of prophecy. He described the tricks he had made use of and operated with, regarding the ring and the pen. Then al-Ma'mūn presented him with 1,000 dinars. Then we met with him after that, since he was one of the most savant people in the science of the stars.'[55]

---

52 Neither *lām* (*sāfiy*) nor Beirut (*shāniy*, with an unconvincing explanation in the note) make sense, and *nūn* (*min* or *man*?) is even more incoherent. The emendation (*shāmiy*, 'Syrian') is based on Abū Ma'shar's text; see the Introduction, p. 27.

53 This phrase is to be understood against the associations of traditional astrology, for which Venus was linked with beauty, love, and the realm of fine ornaments (hence, the stone ring) whereas Mercury was naturally related to the art of writing, secretarial tools, and so on (hence, the pen). In Epistle 3 ('On Astronomy'), in a passage exceptionally rich in metaphors, the Ikhwān mention the traditional associations as such: 'You should know, my brother, that the Sun is like the king amongst the planets, and all of them are, in comparison, like bodyguards and soldiers. The Moon is like the prime minister and the chief of the delegation. Mercury is like the secretary. Mars is like the commander of the army. Jupiter is like the judge. Saturn is like the keeper of the treasure houses. Venus is like the slave girl and the servant'; see *Rasā'il*, vol. 1, p. 150.

54 Cf. Abū Ma'shar, *Mudhākarāt* (tr. Dunlop): '[...] He said, Bravo! And went on, Do you people know this man? We said, No. He said, He claims the prophecy. I said, Commander of the Faithful, has he anything to confirm it? So he asked him, and he said, Yes, I have a ring with two bezels. I put it on and nothing happens. Another puts it on, and begins to laugh and cannot stop laughing till he draws it off. And I have a Syrian (*Shāmī*) pen with which I write. Another takes it, and his fingers do not move. I said, My master, this is Venus and Mercury, they have done their work. So al-Ma'mūn ordered him to do what he claimed. We said, This is a kind of talisman[...]'

55 Cf. Abū Ma'shar, *Mudhākarāt* (tr. Dunlop): '[...] Al-Ma'mūn persisted with him for many days till he confessed and renounced the claim of prophecy. He described the trick which he had used in regard to the ring and the pen. Al-Ma'mūn gave him 1000 dinārs. I later met him, and he was amongst the most learned of mankind in the knowledge of the stars, and was one of the greatest companions of 'Ubayd Allāh b. al-Sarī. Abū Ma'shar said, And it was he who made beetle talismans in many houses of Baghdad[...]'. On the concluding lines in Abū Ma'shar's *Mudhākarāt*, see the Introduction above, p. 28.

Chapter 4
Magic in the Qur'an

As for what is mentioned in various places in the Qur'an, with respect to magic, and whose mention is repeated, [there is] amongst others what is mentioned in the *Sūrat al-Baqara*. This is what God Most High, how powerful and lofty is He, said, *It was not Solomon who disbelieved, but the devils disbelieved, teaching people magic and that which was revealed to the two angels at Babylon, Hārūt and Mārūt. But the two angels do not teach anyone unless they say, 'We are a trial, so do not disbelieve by practising magic.' [And yet] they learn from them that by which they cause separation between a man and his wife. But they do not harm anyone through it except by permission of Allah.*[56]

If, from the power and the science of magic, one could already ensure the separation of man and wife, what would be left after that? Or would there be a doubt about this narrative [خبر], after what is uttered [15] by the Qur'an, whose validity we know?

And God, how powerful and lofty is He, said in the *Sūrat al-Mā'ida*, '[...] *And when I restrained the Children of Israel from [killing] you when you came to them with clear proofs, and those who disbelieved amongst them said, "This is not but obvious magic".*'[57]

And He said in the *Sūrat al-An'ām*, *And even if We had sent down to you, [O Muhammad], a written scripture on a page and they touched it with their hands, the disbelievers would say, 'This is not but obvious magic'.*[58]

And He said in the *Sūrat al-A'rāf*, *Said the eminent among the people of Pharaoh, 'Indeed, this is a learned magician / Who wants to expel you from your land [through magic], so what do you instruct?' / They said, 'Postpone [the matter of] him and his brother and send among the cities gatherers / Who will bring you every learned magician'.*[59] Do you not see that the Qur'an regards their magic as important?

---

56 Qur'an 2:102. As noted above, all Qur'anic quotations in this volume are from *Sahih International*, available at http://quran.com.

57 Qur'an 5:110.

58 Qur'an 6:7.

59 Qur'an 7:109–112.

And He said, [20] also in that sura, *And the magicians fell down in prostration [to Allah]. / They said, 'We have believed in the Lord of the worlds'.*[60]

And in that sura also, *And they said, 'No matter what sign you bring us with which to bewitch us, we* [p. 291] *will not be believers in you'.*[61]

And He said, in the *Sūrat Yūnus, Have the people been amazed that We revealed [revelation] to a man from among them, [saying], 'Warn mankind and give good tidings to those who believe that they will have a [firm] precedence of honor with their Lord'? [But] the disbelievers say, 'Indeed, this is an obvious magician'.*[62]

And He said, in the *Sūrat Banī Isrā'īl, We are most knowing of how they listen to it when they listen to you and [of] when they are in private conversation, when the wrongdoers say, 'You follow not but a man affected by magic'.*[63]

And [He said] in that [sura], *And We had certainly given Moses nine evident signs,* (fol. 523b) *so ask the Children of Israel [about] when he came to them and Pharaoh said to him, 'Indeed I think, O Moses, that you are affected by magic'.*[64]

And He said, in the *Sūrat Ṭāhā, He said, 'Have you come to us to drive us out of our land with your magic, O Moses? / Then we will surely bring you magic like it, so make between us and you an appointment, which we will not fail to keep and neither will you, in a place assigned'.*[65]

And in that [sura] also, *They said, 'Indeed, these are two magicians who want to drive you out of your land with their magic and do away with your most exemplary way'.*[66]

And in that [sura], *He said, 'Rather, you throw.' And suddenly their ropes and staffs seemed to him from their magic that they were moving [like snakes].*[67]

60 Qur'an 7:120–121.
61 Qur'an 7:132.
62 Qur'an 10:2.
63 Qur'an 17:47.
64 Qur'an 17:101.
65 Qur'an 20:57–58.
66 Qur'an 20:63.
67 Qur'an 20:66.

And in that [sura], '[...]*Indeed, we have believed in our Lord that He may forgive us our sins and what you compelled us [to do] of magic. And Allah is better and more enduring.*'[68]

Chapter 5

Magic according to the Jews and the Christians

And this [is so], my brother, as you can hear and see from what the Qur'an has mentioned repeatedly about magic in those passages — do you view it as vain and without foundation? God forbid that someone of the creatures be bewitched if we say that now — so that one [should] come back to what is [to be found] with the other legislators [أصحاب الشرائع] and in their books, that is, what they profess as religion and what they acknowledge as valid. Amongst those things, there is what is written in the Torah, to which two communities, namely, the Jews and the Christians together, are attached and whose validity they both affirm. For the Torah exists both in the hands of the Jews and of the Christians, in Hebrew, in Syriac, and in Arabic, and there is no divergence between them about it.[69] On the contrary, they agree with one another on [10] the validity and the reality of what is to be found in it.

A. The Story of Esau, Son of Isaac, and of the Son of Nimrod, Son of Canaan

There [is to be found] what is written in the story of Esau,[70] namely, [the following]:

68 Qur'an 20:73.

69 For this reference to the Torah as being acknowledged by both the Christians and the Jews, see the Introduction above, p. 31.

70 In Louis Ginzberg's *The Legends of the Jews*, one reads the following account, based upon a series of ancient midrashim: 'Adam's clothes [...] had belonged to Nimrod. Once when the mighty hunter caught Esau in his preserves, and forbade him to go on the chase, they agreed to determine by combat what their privileges were. Esau had taken counsel with Jacob, and he had advised him never to fight with Nimrod while he was clothed in Adam's garments. The two now wrestled with each other, and at the time Nimrod was not dressed in Adam's clothes. The end was that he was slain by Esau. Thus the garments worn by Adam fell into the hands of Esau, from him they passed into Jacob's, and he bequeathed them to Joseph'; see Louis Ginzberg, *Legends*, vol. 2, p. 139

Esau, son of Isaac, was a master of hunting. Every time he went out hunting, the son of Nimrod, son of Canaan, went out to [meet] him and told him, 'Wrestle with me so that, if I win over you, I take your game'. The son of Nimrod, son of Canaan was wearing the shirt of Adam, with which he went out from the Garden and on which were [to be seen] images of every creature of God Most High: wild beasts, birds, and sea-animals. When Adam, God bless him and grant him salvation, wished to hunt one of the wild beasts [p. 292] or other [creatures], he used to put his hand on its image on the shirt, and that game remained bewildered, stopped, and blind until he had come to it and taken it. And [15] every time the son of Nimrod wrestled with Esau, son of Isaac, he took him and threw him to the ground and took his game from him.

But since this [situation] kept on for Esau, he complained to his father, Isaac, God's prayers and salvation be upon him, of what he was enduring under the son of Nimrod.

And Isaac told him, 'Describe the shirt for me.' And he described it for him.

And Isaac told him, 'This is the shirt of Adam. You shall not win as long as it is on him. When he comes to you to ask you to wrestle, tell him, "Take off the shirt," and wrestle with him once he has done that. Verily you shall win over him, and once you have won over him, take the shirt and come back.'

(with extensive reference to ancient material — including *Hadar and Da'at* on Genesis 25:29–32 — in vol. V, pp. 276–277). See also *Midrash Rabbah*, LXIII: 13 (on Genesis 25:32), tr. Rabbi H. Freedman and Maurice Simon (London: The Soncino Press, 1961), vol. 2 (Genesis II), p. 569: '*Behold, I am at the point to die*. Another interpretation is that Nimrod was seeking to slay him [Esau] on account of the garment which had belonged to Adam [and which Esau now possessed], for whenever he put it on and went out into the field, all the beasts and birds in the world would come and flock around him.' For further later Midrash elaborations of the story, see Netton, *Muslim Neoplatonists*, p. 73. In a passage from the story of the Animals versus Man in Epistle 22, the Ikhwān state about Adam and Eve's hair, that they 'served as their coat, carpet, cloak, and defense against cold and heat'; Lenn E. Goodman, *Ecological Fable*, p. 161; see also the new edition, Goodman and McGregor, *The Case of the Animals*, p. 134. This passage is reported by Stephen D. Ricks in 'The Garment of Adam in Jewish, Muslim, and Christian Tradition', in *Temples of the Ancient World*, ed. D. W. Parry (Salt Lake City: Deseret/FARMS, 1994), pp. 705–739. The author of this otherwise well-informed study does not seem to know of the story of Esau and (Ibn) Nimrod as told by the Ikhwān in Epistle 52.

And Esau went out, wishing to hunt. And the son of Nimrod came to him, according to his habit, and asked him to wrestle. Esau told him, 'Take off your garment and then we shall wrestle.'

The son of Nimrod took off the shirt and [20] threw it [down], and Esau took off his garment, then they wrestled with one another. And Esau threw him down to the ground and sat on his chest. Then Esau jumped [up], and he took the shirt and the game, and proceeded to run in the open country. And the son of Nimrod lacked strength and could not catch him up.

And he brought the shirt to Isaac and he [Isaac] told him, 'Put it on, my little son.'

But he [Esau] said, 'I fear that the son of Nimrod might take it in the open country.'

But [Isaac] said, 'My little son, as long as the shirt will be on you, he shall not win over you. And if you proceed to go hunting and wish to hunt something, put your hand on its image on the shirt, and it (fol. 524a) will stop for you until you take it.'

And when Esau wished to hunt some wild beast, he put his hand on its image on the shirt, and it stopped, blind without seeing, until Esau would come and take it. And from that moment, he went and came back, possessing insight about the shirt.

This is also a famous narrative, that is known to all those who acknowledge the validity of the Torah,[71] amongst the Jews and the Christians, and who in no way reject it.

B. The Story of Jacob and Laban

Also in the Torah, in the second book of it, is the story of Jacob, peace be upon him, and Laban, his [maternal] uncle, which states:

When Rachel gave birth to Joseph, Jacob said [5] to Laban, 'Send me away and leave me out, so that I may be free and go to my country, my place and my earth, with my children, and give me my wives with whom I have been at your service.'[72]

71 For the misattribution to the Torah of this story deriving in fact from ancient midrashim, see the Introduction above, pp. 32–33.

72 Cf. Genesis 30:25–26 (tr. Green): '(25) And when Rachel had borne Joseph, Jacob said to Laban, Send me away so I may go to my own place and to my

Laban said, 'Inform me how much your remuneration is, so that I may give it to you.'[73]

And Jacob said, 'I provide benefits and tend your flock and I watch for them night and day. I strive for the whole of your flock. Set aside all those amongst them which are red-coloured, and all those which are speckled [أبقع], all lambs which are spotted [ملتع] with white on [p. 293] black, and all those from amongst the flock which are pied [أملح] with white, and all those from amongst the goats which are hornless [أجلح] and white.[74] Let this be my remuneration, and I [shall] bear witness to the herd today. But if after this day there is an increasing [of it] with respect to what is dust-coloured [أغبر] or speckled or pied with white, or [if] there is a growth from amongst the goats or what is spotted with black and white from amongst the sheep, this will be my remuneration.'[75]

[10] And Laban said, 'Yes, let it be as you have mentioned.'[76]

And he set aside on that day the hornless billy-goats and those pied with white, and all rams of his sheep that were hornless or speckled or red-coloured, and all that were white amongst them, and all that were spotted with black and white, and he put them in the hands of his child. And Jacob separated the pastures of his flock and the pastures of Laban's

---

country. (26) Give my wives and my children, (for) whom I have served you, and let me go.'

73 Cf. Genesis 30:26–28 (tr. Green): '(26) [...] for you know my service (with) which I have served you. (27) And Laban said to him, If I have found favor in your eyes, please (stay); I have carefully watched, and Jehovah has blessed me on account of you. (28) And he said, Set your wages upon me, and I will give[...]'

74 Cf. Genesis 30:29–32 (tr. Green): '(29) And he said to him, You know what I have earned you, and what your livestock has become with me. (30) For you had little before me, and it has spread into a multitude, and Jehovah has blessed you at my coming; and now when shall I work, I also, for my own house ? (31) And he said, What shall I give you ? And Jacob said, You shall not give me anything. If you will do this for me, I will remain; I will tend your flock and will keep (it). (32) I will pass through all your flock today, removing from there every speckled and spotted sheep, and every black sheep among the lambs, and the spotted and speckled goats; (these) shall be my wages.'

75 Cf. Genesis 30:33 (tr. Green): '(33) And my righteousness shall testify for me in the day to come, when you come in about my wages before you; everyone that is not speckled and spotted among the goats, and black among the lambs, it (shall be) stolen with me.'

76 Cf. Genesis 30:34 (tr. Green): '(34) And Laban said, Yes, truly, let it be according to your word.'

flock, and he set between them the measure of a three-day walk. And the flock of each one of them was secluded in a place.[77]

And Jacob tended all that was left from Laban's flock. And Jacob took tender rods of almond and plane trees, and he peeled skins from them and made whiteness as [a result of] peeling and made whiteness and skins, and he planted the rods he had peeled in [15] the stream where one gets water in the place where the flock come to the water in order to drink, facing the flock.[78] And they were happy and their offspring started moving in their wombs when they saw the rods. And the flock brought forth hornless and pied [offspring].[79] And every year, before the moment when the flock singled out who would be pregnant, Jacob planted those rods in the place where one gets water, and he did not plant them for the rest of the flock.[80] The man got rich and his livestock got more numerous.[81]

And this is also in the Torah, which no one disproves. You should know it, my brother.

---

77 Cf. Genesis 30:35–36 (tr. Green): '(35) And on that day he removed the striped and spotted lambs, and all the spotted and speckled goats, every one which (had) white, and every black one among the lambs; and he gave into the hands of his sons. (36) And he put three days' journey between himself and Jacob[...]'

78 Cf. Genesis 30:36–38 (tr. Green): '(36) [...] and Jacob was feeding the remaining flocks of Laban. (37) And Jacob took for himself rods of a fresh white tree, and the almond, and of the plane tree; and he peeled white stripes in them, laying bare the white on the rods. (38) And he set the rods which he had peeled by the troughs by the water troughs, where the flocks came to drink, across from the flocks; and they were in heat when they came to drink.'

79 Cf. Genesis 30:39 (tr. Green): '(39) And the flocks were in heat before the rods, and the flocks bore striped, speckled and spotted.'

80 Cf. Genesis 30:40–42 (tr. Green): '(40) And Jacob separated the lambs, and set the faces of the flock toward the striped and every black one in the flocks of Laban; and he put his own droves by themselves, and did not put them with the flock of Laban. (41) And it happened that whenever the strong flocks conceived, Jacob usually placed the rods before the eyes of flocks before the troughs, that they might conceive by the rods. (42) And the flocks being feeble, it was not his custom to place (them); and the weak usually were for Laban, and the strong for Jacob.'

81 Cf. Genesis 30:43 (tr. Green): '(43) And the man increased very much, and he had many flocks, and female slaves, and male slaves, and camels, and asses.'

C. The Story of Saul and Samuel

Then [there is to be found] also the Books of Annals [أخبار] of the Kings from the Sons of Israel,[82] which for the Jews takes the same course as the Torah. There it is mentioned that there was amongst them a prophet called Samuel. He was famous amongst the prophets, and there is a book about him. The Christians and the Jews [20] admit and give credence to his prophethood and the loftiness of his power, and they possess his book.[83] And it is reported in the book that he appointed a king for the Jews, whose name was Saul [طالوت].[84]

And God Most High supported him for the killing of Amalek,[85] and he did it, except that he disobeyed in respect of the livestock.[86] The king was toppled from his rank, and David was anointed instead of

82 The 'Book of the Chronicles of the Kings of Israel' — here referred to as 'the Books of Annals of the Kings from the Sons of Israel' — is in fact a lost work which, in the same way as the 'Book of the Chronicles of the Kings of Judah' is mentioned within the Book of Kings a certain number of times (eighteen and fifteen times respectively). On this, see Menahem Haran, 'The Books of the Chronicles "Of the Kings of Judah" and "Of the Kings of Israel": What Sort of Books Were They?', *Vetus Testamentum* 49, Fasc. 2 (1999), pp. 156–164, especially pp. 156–159. As mentioned in the Introduction (p. 35), this lost work is extra-canonical, so the Brethren are quite right when they affirm that it 'takes for the Jews the same course as the Torah'.

83 The Brethren speak of only one Book of Samuel, in agreement with the Jewish tradition.

84 Cf. 1 Samuel 10:1 (tr. Green): 'And Samuel took the vial of oil and poured on his (Saul's) head, and kissed him, and said, Is it not because Jehovah has anointed you as leader over His inheritance?'

85 Cf. 1 Samuel 15:1–3 (tr. Green): '(1) And Samuel said to Saul, Jehovah sent me to anoint you king over His people, over Israel; and now, listen to the voice of the words of Jehovah. (2) Thus says Jehovah of hosts. I will visit Amalek with what he did to Israel, how he set himself against him in the way, when he came up from Egypt. (3) Now go, and you shall strike Amalek and destroy all that he has; and you shall put to death (all), from man to woman, from little one to suckling, from ox to sheep, from camel to ass.'

86 Cf. 1 Samuel 15:13–15 (tr. Green): '(13) And Samuel came to Saul, and Saul said to him, Blessed (are) you of Jehovah; I have performed the word of Jehovah. (14) And Samuel said, What (is) this bleating of the sheep in my ears? And the lowing of the oxen which I hear? (15) And Saul said, They have brought them from Amalek, because the people had pity on the best of the flock, and of the oxen, in order to sacrifice to Jehovah your God; and the rest we have destroyed.'

him,[87] on travel [سيراً],[88] and Samuel died. And Saul busied himself with killing magicians and fortune-tellers, and amongst them was killed who was killed, and fled who fled.[89] And he [Saul] turned to the people of [p. 294] the Philistines so as to fight with all the fortune-tellers amongst them.[90] But fright pervaded him, because of the multitude of armies raised against him.[91] (fol. 524b) And he did not find any pacifier [to respond] to his speech, as was his habit as prophet: neither magician, nor fortune-teller, nor sage. And he got anxious about this.[92]

He said to his relatives, 'Look for a magician for me; I shall ask him about the matter of my circumstances.'

One suggested a sorceress to him.[93] He had faith in her and asked her to revive a prophet he could seek [advice] from.[94] She asked him

87 Cf. 1 Samuel 15:35 (tr. Green): 'And Samuel never again saw Saul until the day of his death, for Samuel mourned for Saul; and Jehovah repented that He had caused Saul to reign over Israel'; and 1 Samuel, 16:13 (tr. Green): 'And Samuel took the horn of oil and anointed him [David] in the midst of his brothers; and the Spirit of Jehovah came upon David from that day onward.'

88 The text is severely corrupt here. *Lām* provides '*nasaja la-hu dawūd sitran*' ('and David weaved for him a veil') which is nowhere to be found in the original text. The expression 'on travel' is awkward as well, since it does not appear as such in the Bible either. But its use may have resulted from an unfortunate attempt at paraphrasing and summarizing the text according to the following scheme: God sends Samuel as prophet. Samuel, while on travel, anoints David. Later on, Samuel dies to be resurrected by the sorceress.

89 This phrase, which is not in the original, looks like an interpolation.

90 Cf. 1 Samuel 28:3–4 (tr. Green): '(3) And Samuel was dead, and all of Israel had mourned for him, and buried him in Ramah, even in his city. And Saul had taken away those having familiar spirits, and the wizards, out of the land. (4) And the Philistines had gathered and had come in, and camped in Shunem; and Saul gathered all Israel, and they camped in Gilboa.'

91 Cf. 1 Samuel 28:5 (tr. Green): 'And Saul saw the camp of the Philistines, and his heart trembled and feared greatly'.

92 Cf. 1 Samuel 28:6 (tr. Green): 'And Saul asked of Jehovah, and Jehovah did not answer him, either by dreams, or by Urim, or by prophets.'

93 Cf. 1 Samuel 28:7 (tr. Green): 'And Saul said to his servants, Seek out for me a woman possessing a familiar spirit, and I will go to her and inquire of her. And his servants said to him, Behold, a woman possessing a familiar spirit (is) in Endor.'

94 Cf. 1 Samuel 28:8 (tr. Green): 'And Saul disguised himself and put on other clothing, and went, he and two of the men with him; and they came to the woman by night. And he said, I beg of you, divine to me by the familiar spirit, and cause (him) whom I will say to you to come up to me.'

which prophet he would choose to be revived. He chose Samuel, and she revived him. She got frightened at the sight of him and cried for help.[95]

But Saul told her, 'Do not be frightened! What did you see?'

She said, 'I saw an old man, radiant like the angels of the Lord, wrapped up in a coat, as if [5] he arose from the earth.'

And Saul knew that it was Samuel. He went closer to him, and he prostrated himself in front of him.[96]

And Samuel told him, 'Why did you make me return and revive me?'

Saul said, '[This is a time] I am at a loss [ضاقت بي الأرض],[97] because of the people of the Philistines and their fight against me, and the cessation of God's support of me, and the fact that He deprives me of clemency. I called you to consult you about my affairs.'[98]

Samuel said, 'God Most High transferred the kingship to your companion. He was angry at you and at the Sons of Israel, because of what you had done regarding the livestock of Amalek. He was the one assisting the Philistines against you and [He was the one who] made them victorious. And you will proceed together with us, tomorrow, amongst the dead'.[99]

---

95 Cf. 1 Samuel 28:11–12 (tr. Green): '(11) And the woman said, Whom shall I bring up to you ? And he said, Bring up Samuel to me. (12) And the woman saw Samuel, and cried out with a loud voice; and the woman spoke to Saul, saying, Why have you deceived me, for you (are) Saul?'

96 Cf. 1 Samuel 28:13–14 (tr. Green): '(13) And the king said to her, Do not be afraid; for what have you seen? And the woman said to Saul, I have seen a god coming up out of the earth. (14) And he said to her, What (is) his appearance? And she said, An old man is coming up, and he is covered with a robe. And Saul knew that he (was) Samuel, and bowed (his) face to the earth, and prostrated himself.'

97 The expression translated literally is, 'The earth has shrunk for me'.

98 Cf. 1 Samuel 28:15 (tr. Green): 'And Samuel said to Saul, Why have you disturbed me, to bring me up? And Saul said, I am grieviously distressed, and the Philistines are fighting against me, and God has departed from me and has not answered me any more, either by the hands of the prophets, or by dreams; and I called for you to make known to me what I should do.'

99 Cf. 1 Samuel 28:17–19 (tr. Green): '(17) And Jehovah is doing for Himself as He spoke by my hand; and Jehovah is tearing the kingdom out of your hand and giving to your neighbour, to David. (18) Because you did not listen to the voice of Jehovah, or execute the fierceness of His anger on Amalek, therefore Jehovah is doing this thing to you today. (19) Yea, Jehovah is also giving Israel into the hands of the Philistines along with you; and tomorrow you and your sons (shall be) with me. And Jehovah shall give the camp of Israel into the hand of the Philistines.'

Then Saul went out and, because of this, sank to the ground unconscious.[100] And the sorceress recognized him and came closer to him, together with those who were with him, [10] and they did not cease to be with him until he became fit [again]. She provided hospitality to them for the night, and they departed in the morning.[101] The fight was fierce and defeat befell the Hebrews. They [the Philistines] multiplied the killing amongst them.[102] Three of the sons of Saul were killed, and he leant on his spear and took it out from his back.[103] And the Sons of Israel gathered together to name David as king, and he fought whoever defied them.

All this is equally supplied by the Annals. And of these [reports], there is one which is dedicated to the philosophers, and there is one which is dedicated to the prophets and to the Books of Laws, and there is one about what is reported in the Qur'an as regards mention about magicians and magic, as we have reported in what precedes [this].[104]

100 Cf. 1 Samuel 28:20 (tr. Green): 'And Saul hurried, and fell the full length of his stature, to the earth, and greatly feared because of the words of Samuel; and there was no power in him, for he had not eaten bread all that day, and all that night.'

101 Cf. 1 Samuel 28:21–25 (tr. Green): '(21) And the woman came to Saul, and saw that he was greatly distressed and said to him, Behold, your servant has listened to your voice, and I put my life in my hand, and I obeyed your words which you spoke to me. (22) And now, I beg of you, you also listen to the voice of your servant, and I will set before you a bit of bread, and eat, and there shall be strength in you when you go on the way. (23) But he refused, and said, I will not eat. But his servants urged him, and the woman also, and he listened to their voices and rose from the earth, and sat on the bed. (24) And the woman had a fat calf in the house; and she hurried and killed it, and took flour, and kneaded it, and baked unleavened bread of it; (25) and brought near before Saul, and before his servants; and they ate, and rose up, and went on during that night.'

102 Cf. 1 Samuel 29:1–2 (tr. Green): '(1) And the Philistines gathered all their armies to Aphek; and Israel was pitched at a fountain which (is) in Jezreel. (2) And the rulers of the Philistines were passing on by hundreds, and by thousands; and David and his men were passing on in the rear with Achish.'

103 Cf. 1 Samuel 31:4–6 (tr. Green): 'And Saul said to his armor-bearer, Draw your sword and and thrust it through me, lest they come, these uncircumcised ones, and shall thrust me through and roll themselves on me. But his armor-bearer would not, for he was greatly afraid; so Saul took the sword and fell upon it. (5) And his armor-bearer saw that Saul was dead; and he fell, he also, on his sword, and died with him. (6) And Saul, and three of his sons, and his armor-bearer, and all his men, died on that day together.'

104 The Brethren seem to recapitulate here the sources they have been previously

Conclusion by the Ikhwān al-Ṣafā'

Do you believe that all this is a lie and without foundation, and idiocy and stupidity on the part of whoever reports it to those who feign amazement [but who] disavow it in their souls, [15], regarding as a lie what they hear about because of their ignorance, [whereas] they are overbearing towards them, with haughtiness and arrogance, because of their lack of intelligence, the small-mindedness of their sciences, and their inadequacy in acquisition of the real sciences?

[p. 295] Those people find disavowing and lying easier for them. God is the Helper: let us ask Him for the goodness of success and choice.

Chapter 6

Magic with the Ṣābi'ans, the Ḥarrānians, and the Ḥanīfs

A. Historical Perspective

We say that the last ones of those about whom we have heard, those giving credence to the sciences of talismans and their effects, whose information was passed down to us and whose traces have reached us, [they] are the Greeks [يونانيون]. According to them, those [believers in talismans] have different names in the view of the people: Ṣābi'ans [صابئون],[105] Ḥarrānians [حرّانيون],[106] and Ḥanīfs [حنيفون].[107] They had taken, then, the roots of their sciences from the Babylonians [بابليّون][108] and the Egyptians [مصريين], according to the exchange of the arts and the sciences

quoting from, namely, Plato ('a report dedicated to the philosophers'); the Judeo-Christian Torah ('a report dedicated to the prophets and to the Books of Laws'); and the Qur'an. Note that there is no trace of Abū Ma'shar's *Mudhākarāt* here.

105 There is full agreement between the manuscripts and Beirut on *Ṣābi'ūn*.

106 The reading *Ḥarrāniyyūn* is given by *nūn*, which thus plainly confirms Marquet's emendation ('Sabéens I', p. 36) of *Ḥarrāsūn* as found in Beirut (and *lām*).

107 The two manuscripts have *Ḥanūfiyyūn* (possibly *Ḥatūfiyyūn*), whereas Beirut has the unintelligible *Ḥatūfūn*. The correction *Ḥanīfūn*, already suggested by Marquet ('Sabéens I', p. 36), is largely supported by the manuscripts.

108 Our testimonies are at great variance here: Beirut has *Suryāniyyīn* ('the Syrians'); *lām* has an implausible *Rabbāniyyīn*; and *nūn* has *Bābiliyyīn*, which we have adopted since it fits much better with the context. All implications from the reading 'Syrians' (which was naturally the one endorsed by Marquet and all the other scholars having worked on Beirut alone) must therefore be discarded.

in the countries, according to the governments and the religions [20] that had arisen there. And amongst the ancient chiefs [رؤساء] there were four: Agathodaimon [أغاذيمون],[109] Hermes [هرمس],[110] Homer [أومهرس],[111] and Aratus [أراطس].[112] Then their contingents [جيوش] divided into

109 Nūn has *Aghādhīmūn* (one of the usual Arabic forms for Agathodaimon), which we retain here. Beirut and *lām* have something like *A'ādimāyūn*. On Agathodaimon, see M. Plessner, 'Aghāthūdhīmūn', pp. 254–255; Ullmann, *Natur- und Geheimwissenschaften*, pp. 175–177 (Agathodaemon). As mentioned in the Introduction (p. 10), Agathodaimon also appears in a passage from Epistle 44 ('On the Belief of the Brethren of Purity') in association with various other prophets, ranging from Adam to Muhammad. The text about Agathodaimon reads: 'Would you feel like entering the temple of Agathodaimon, in order to contemplate the spheres woven by Plato — these are only spiritual spheres ['*aflāk rawḥāniyya*'], and not those pointed at by the astronomers' (*Rasā'il*, vol. 4, p. 19.8–9). On this, see Corbin, 'Rituel', pp. 187–188: 'L'invitation à entrer dans le Nouveau Temple y est formulée en termes qui en mentionnent explicitement le Sabéisme idéal par un rappel d'Agathodaimôn que les Sabéens reconnaissaient comme leur prophète'. Baffioni, 'Secret Sects', p. 14, suggests that the reference to Plato in the passage from Epistle 44 may be to the *Epinomis*.

110 Both manuscripts and Beirut agree on *Hirmis*. See Baffioni, 'Secret Sects', p. 14: 'In our *Encyclopaedia* we find three quotations about Hermes[...]. Two of them, alluding to astral religion, note Hermes' Sabean origin. In Ep. 3, [vol. 1,] pp. 137.23–138.2 we read that, thanks to his wisdom, he was able to divest himself of his body and ascend to the sphere of Saturn, where he revolved with the sphere for thirty years, by which time he had acquired experience of all the states of the sphere. Afterwards, he came down to earth again and taught astronomy to mankind. The same account is given in Ep. 5, [vol. 1,] pp. 225.19–226.4, where Qur'an 19:57 is also quoted for the second time; in Ep. 9, [vol. 1,] p. 297.10–2, with regard to how God created His vicary on earth, there is a reference to the "fourth *sifr* of Hermes' work", which may be an allusion to Enoch's book about Adam's cycle'. On Hermes, and especially the legend of Hermes Trismegistus in Arabic literature, see Massignon, 'Inventaire', pp. 384–400; Gundel, *Astrologoumena*, pp. 10–27; Ullmann, *Natur- und Geheimwissenschaften*, pp. 368–378 (Hermes and Hermeticism); Pappacena, 'Ermete Trismegisto', pp. 263–283; van Bladel, 'Sources', pp. 285–293; van Bladel, *Arabic Hermes* (New York: OUP, 2009). See also, for later Latin developments of the legend, Burnett, 'Three Hermes', pp. 231–234.

111 The reading *Ūmahris* comes, here again, from *nūn*, whereas *lām* and Beirut provide us respectively with something like *armahris* and *lumhars*. Marquet's proposal to emend the Beirut variant with *Ūmahris* (for Homer) is quite remarkable.

112 The correct reading *Arāṭus* is given, this time, by *lām* (and Beirut); *nūn* has something like *Arṭalus*, which may be discarded. The comparison with other Arabic statements about the Ṣābi'ans has led some scholars to take this name as referring to Arānī, but the correspondence of our text with Mas'ūdī (who provides the same list in his *Tanbīh*), makes it clear that 'Aratus' is to be preferred here; see the Introduction, p. 43. On this rather curious inclusion of Homer and

Pythagoreans [فوثاغرية],[113] Aristotelians [أرسطانوتية],[114] Platonists [أفلاطونية],[115] and Epicureans [أفقوروسية].[116]

B. Philosophical Doctrines

They allege that the world is finite in its dimension, since it is spherical in shape.[117] And they allege that there is no commencement to its existence and no second one [ليس لوجوده مبدأ وثان],[118] but, rather, that it

---

Aratus, two Greek poets a priori not connected with Hermeticism, see Marquet, *Pythagoriciens*, p. 11: 'Les Ḥarrāniens, comme les Grecs de basse époque, croyaient sans doute aux significations ésotériques des vers homériques. Quant à Aratos, poète de l'époque macédonienne et séleucide, sans doute est-ce son poème astronomique, les *Phénomènes*, qui lui vaut son prestige chez ces Ḥarrāniens.' Aratus' astronomical poem, so influential in Greek and Roman Antiquity, was in fact a typical product of the Alexandrine milieu, containing a great variety of subtle allusions and riddles (on this, see for instance my 'Knot of the Heavens'). I would argue that this peculiarity may have contributed to the notoriety of this work in Arabic Hermeticism.

113 The reading *Fūthāghuriyya* is provided by Beirut only (the two manuscripts have unintelligible variants here), but the context makes it clear that it is the correct one.

114 Beirut and *lām* both have *Arisṭānūniyya*, which the context makes obvious. *Nūn* is unintelligible.

115 Beirut and *lām* both have *Aflāṭūniyya*, obvious in this context. The name is missing in *nūn*.

116 *Nūn* (*al-Afiqūrūsiyya*) confirms here Marquet's remarkable intuition ('Sabéens I', p. 37). *Lām* and Beirut have: *al-Aq'ūrūsiyya*, which Baffioni ('Secret Sects', pp. 15–16) suggests linking with the Greek ἀρχοντικός, but the argument seems to me far-fetched. True, the mention of Epicureans looks odd here since, as Baffioni remarks, the Brethren's awareness — and, broadly speaking, Islamic awareness — about Epicurus and Epicureanism was almost nonexistent. But the name was known, and I would take its inclusion here as yet further evidence for the Brethren's lack of familiarity with the history of philosophical traditions of Antiquity.

117 Note the implication of the phrase: the world is said to be finite 'because' ('*li-anna-hu*', given by both manuscripts) it is spherical and not 'except for the fact that' ('*illā anna-hu*') it is spherical, as given by Beirut.

118 One has to choose here between Beirut ('*mabda' thānin*') and *lām* ('*mabda' wa-thānin*'). Beirut is problematic, as was already noted by Baffioni, 'Secret Sects', p. 17: 'The pattern "*mabda' thānin*" is, to my knowledge, very rare in the *Rasā'il*, and used in reference to the numbers (see, e.g., Ep. 1, [vol. 1,] pp. 58.22–59.5). Now, such a construction postulates an object *x*, the *awwal* of a series, as distinct from another object *y*, which is *thānin* in reference to *x*. We may therefore infer that in our text as well the *mabda' thānin* is to be denied to another *mabda'*, in this case, the only one. Such an idea contradicts Kindī's [as reported by Ibn

is dependent on the Creator, how powerful and lofty is He,[119] as the dependence of the effect with respect to its cause. And they allege that the phenomena of the terrestrial world take place by means of the [following] things:

(1) Matter, subject to mixture (fol. 525a) and composition, that is, the four elements.

(2) Souls, those moving and those immobile in their individuals.

(3) The impulse from the celestial world towards the four elements and [the things] generated from them, in order for them to get prepared to receive the influences of souls in terms of motion and immobility, union and separation, heat and cold, humidity and dryness — [influences] by which the artist [صانع] consolidates the influence of the art [صنعة] on matter for every thing produced.

(4) The preservation by the supreme divinity, how lofty is His loftiness, of the powers of all existing beings upon them [عليها] [i.e., the elements], the support of His help to them [لها] [existing beings], [5] the completion by Him of their objectives and aims, and the distribution of existing things amongst the seven planets.

And they allege that the fixed stars are allotted to the planets, mixed with their powers, assisting them with respect to their actions. And they allege that the ninth sphere is in contact with the sphere of the fixed stars and that it is the sphere that terminates with the sphere of the zodiac, formed with images [صور] that distinguish it;[120] [and they allege] that each one of its degrees is divided into two parts, one on the north and the other one on the south, including images that one has come

---

al-Nadīm] statement about the Sabean doctrine that the world has an eternal and unique author, devoid of attributes, and to whom the qualities of the caused beings are not referable'. We have thus preferred *lām*, whose reading would seem to better agree with Ibn al-Nadīm's report, namely, 'These people [the Ḥarrānian Ṣābi'ans] agree that the world has a prime cause [the transcendant deity] who is eternal and a unity, rather than multiple'; Ibn al-Nadīm, *Fihrist*, tr. Dodge, p. 746.

119 In agreement with their own understanding of the concept of *Ḥanīf*, we note from this kind of statement that the Ikhwān had no problem in identifying the God revered by the Ṣābi'ans with the God of the Muslims.

120 The zodiacal sphere is the only one of the heavenly spheres that is made of 'images' (*suwar*), namely, the twelve 'images' or 'representations' corresponding to the twelve zodiacal signs or catasterisms.

to know out of regard for the influences that arise from them over the period [of time], as [p. 296] the specialists of talismans have reported.

And when they allotted the terrestrial issues [10] to the planets and organized them under their direction and the influence in them, they proceeded also along this way with respect to areas, climes, districts, cities, and villages.[121]

As regards souls, for them [i.e., those crediting magic] there are those which are not linked to bodies [جسم] and which do not live in the lineage [جنث],[122] one way or another, because of their elevation above them [i.e., bodies], and of their rising above their filth and their squalor. They call these souls the divine [ones].

And, for them [the believers], those are divided into two kinds.[123]

121 This is the foundational doctrine for astrological geography. The literature from Classical Antiquity provides us with a series of associations between regions of the earth — particularly, the seven climes — and the planets and the zodiacal signs. On this, see Bouché-Leclercq, *L'Astrologie grecque*, pp. 327–347 and my 'astrologische Geographie', pp. 85–104 and 'Oikoumenè hypouranios', pp. 25–69. These notions, including the theory of seven climes, are formulated in Epistle 4 ('On Geography'). The reason why geography is dealt with in Epistle 4 — thus breaking the conventional order of the quadrivium of mathematical sciences (arithmetic, geometry, astronomy, and music) — is that geography was regarded as the earthly counterpart to the science of the stars, in the manner of an appendix to the indubitably nobler science of astronomy.

122 The comparison of Beirut with the readings of our two manuscripts raises a problem here. Whereas Beirut has the implausible *janna* (corrected by Marquet to *juhtha*) and then, in various subsequent occurrences, the word *juhtha* (also to be found in the similar passage from Epistle 49, but again according to Beirut only), *nūn* (confirmed at least in two cases by *lām*) has the less common word *jinth* (a variant of *jins*, meaning 'race' or lineage') which I would suggest to take as the *lectio difficilior*. The word *juhtha* is, in fact, problematic. As opposed to the more neutral *jasad* — equally mentioned in the passage —, it primarily refers to the body as a corpse, or a cadaver or a carcass (as in Epistle 3, 'On Astronomy'; see *Rasā'il*, vol. 1, p. 137.7 and also, further down in the present epistle, in the passage dealing with physiognomy), and this clearly does not fit with one of the subsequent occurrences, where the word is applied to the stars. It would be instructive to consult the manuscripts available for the passage in Epistle 49.

123 Compare the testimony to follow with the slightly abridged but essentially identical passage from *Rasā'il*, Epistle 49, vol. 4, p. 244.11–22 (tr. Baffioni): 'We have already mentioned that some earlier [philosophers] held that souls are divided into two kinds: (1) those which do not dwell in a body (*juhtha*) and are not attached to bodies (*ajsām*), and they are divided into two kinds: (1a) those which are good *per se*, namely the angels, and (1b) those which are evil *per se*, namely the devils. And (2) other souls are attached to the bodies (*juhtha* [sic])

The first kind is good by essence, and its individuals are called angels. They [the believers] seek to get closer [يتقرّبون][124] to them [angels], in order to appropriate the good. And the second kind is bad by essence, and its individuals are called devils. They [the believers] seek to get closer to them [devils], in order to get rid of their bad. And they assign to each one [15] of them a distinct invocation [دعاء], a determined incense [بخور], and a sequence of rituals [عمل], by way of which they attain what they wish.[125]

Other souls are linked to the lineage [جنث] of the stars and do not depart from it. And these are nevertheless linked and behave in this terrestrial world according to two categories of behaviour:

(1) By way of the natures of the bodies [أجساد] [to which they are linked], as is reported in the books of astrology.

(2) By way of their souls.

Other souls are linked to bodies [أجساد] without departing from them and without renouncing them, except to the extent that their spirit [روح] departs as a result of their passing-away. Of this class of souls, there is one species [نوع] that lives in the human lineage [جنث] and behaves [in accordance] with it and in it and does not depart from it, except on the occasion when the soul departs from the rest of the individuals — animals and plants — while passing to the Sea of Ṭāūs [طاوس],[126] namely, [20]

---

of the stars, are inseparable from them and do not detach from them (*taṣbiru 'an-hā*) but to a certain extent, and these act (*mutaṣarrifa*) in the world by two types of actions (*taṣarruf*): (a) in the natures of their bodies (*ajsād*) according to what is recorded in the books about the dispositions of the stars, and (b) in their souls. And other souls are attached to the bodies (*ajsād*), do not separate from them and do not detach from them (*taṣbiru 'an-hā*) other than to the extent that they separate from the body (*juththa*) for its corruption. And among this class of souls there is a species which dwells in the human body (*juththa*) and does not separate from it but like the souls of the other animal and vegetal beings separate [from them], and the place to which they arrive (*maṣīru-hā*) is the Sea called Ṭūs, to be punished there unless (*illā an*) they seek a delay in falling into matter, where their staying will be proper and they will have the power to attain their redemption.'

124 Both Marquet ('Sabéens I', p. 38) and Baffioni ('Secret Sects', p. 18) assume that this word means 'to offer a sacrifice', but I would see that as over-interpretation.

125 On these elements as part of the Ṣābi'an initiation ceremonies, see the Introduction, pp. 62–63.

126 Marquet ('Sabéens I', p. 38) suggests, without conviction, the 'lunar ocean'. But the 'Sea of Ṭāūs' (*baḥr ṭāūs*) in the present context might well be directly

the sphere of ether, in order [for them] to suffer there until they ask for the reversal of this and the descent into a matter that is fitting for their dwelling, and in order [for them] to take command of the realization of their salvation.

And they [the believers in magic] allege to be able to know the path of these [souls] by pondering character traits [أخلاق] and habits. If they find [one soul] similar to the beasts [بهيمة] in its behaviour, having a nature [طبيعة] without a thought about the support of a religion or [about] the examination of a doctrine, then, regarding it, they decree that its soul is the soul of a beast, for which nothing is fitting but only the fact of populating a house and perpetuating the species of mankind [نوع إنسانية]. As for the other (fol. 525b) species, these are souls for which it is possible that, when they are healthy, they ascend towards the spheres and live in them and take pleasure with them and in them. But it is possible, when they are ill, for them to fall down from them [the spheres] and live in the [human] lineage [جنث] [p. 297] and be linked

connected with the peacock (*ṭā'ūs* or *ṭāwūs*, from the Greek ταώς) and some of its symbolism. F. Viré, 'Ṭāwūs', *EI2*, p. 396, records that 'according to some beliefs, it [the peacock] is said to have been the cause of the entry of the Devil into Paradise and of the expulsion of Adam, with the injunction that he was never to return there for the whole duration of the terrestrial world'. A Muslim legend reported via the *Qiṣaṣ al-anbiyā'* literature has it indeed that Iblīs, who wished to enter Paradise, then guarded by the angel Riḍwān, managed to slip past him by convincing the haughty peacock to carry him under its feathers into the Garden; see Knappert, *Islamic Legends*, pp. 36–37. On Malik Ta'ūs, the King Peacock (or Angel Peacock) believed to have redeemed itself from its fall and then become a central figure in the Kurdish Yazidi religious literature, see Kreyenbroek, 'Yazīdī', pp. 313–316, especially p. 313. The Ikhwān identify here the 'Sea of Ṭāūs' with the 'sphere of ether' (which is mid-way between the spheres of the four elements and the planetary spheres), and mention the souls that are there to endure suffering until they find the way of 'descent into a matter'. In other words, the expression is meant to designate the 'interval' between heaven and hell in which the souls are believed to remain between two successive cycles of metempsychosis. See also Ibn al-Nadīm, *Fihrist*, tr. Dodge p. 746: 'They [the apostles] have promised enduring contentment for the obedient, but for the person who is disobedient, they have promised torment and punishment to the extent which he deserves. Eventually, however, this [punishment] will be ended. It is related that one of their leaders said, "God punishes for nine thousand cycles, after which there will be a change to the compassion of God"'. On Shahrastānī's report on metempsychosis and reincarnation cycles, see also the Introduction, p. 49.

with it, and [it is possible that] they take pleasure and suffer from them [human bodies] and in them. And these souls are the human and incarnated souls [إنسانية بشرية].

And they allege that it is also possible for them to know towards what outcome the human being is led to after his demise, if he departs from this world while being in the condition he wishes. And this is because, for each view and [each] religion, the thought of the one believing is realized in the direction of one of the categories of character traits, [5] and one is moved towards one of the varieties of actions. Like the doctrine which intensifies the savagery of its people and their primitive way of life, or the doctrine which multiplies dispute and controversy, or the doctrine in which the murder of persons and the seizing of goods are multiplied, or the doctrine in which sacrifices of animals and the consumption of meat, or other doctrines that are wholly absorbed by some of these actions, are exaggerated [يفرط].[127] For these actions, if they are predominant amongst human beings, [they] clothe them with character traits by which their habits are steered, [habits] that are permanent in them and by which they are known.

And they allege also that each category of character traits, even if it is [found] in humans, is more powerful and more apparent in one species [10] amongst the species of animals, such as, bravery with the lion, pride with the wolf, slyness with the fox, greed with the swine, silliness with the donkey, humility with the camel, hastiness with the gecko, stickling with the creepy-crawlies, lasciviousness with the bear, appetency with the monkey, under-handedness with the snake, kleptomania with the magpie, rapturousness with the falcon, fearfulness with the hare,

127 It is interesting to find this judgement on 'exaggerated' doctrines under the Ikhwān's pen, who are generally known for their tolerance and open-mindedness. In this respect one may recall here the famous passage from Epistle 48 ('On the Call to God'), by which they declare: 'Know this, my Brother: we are not opposed to any science, we do not to cling fanatically to any doctrine, and we do not keep ourselves away from any of the books that the sages and the philosophers have written or composed on the various sciences and the subtle meanings which they have extracted by their intellects and observations. As for the support, assistance, and foundation of our cause, they are the books of the prophets, God bless them all, the revelation which they have set forth, as well as the information, inspiration, and revelation passed to them by the angels'; see *Rasā'il*, vol. 4, p. 167.

exhausture with the gazelle, lust with the billy-goat, haughtiness with the peacock [طاووس],[128] perfidy with the raven, oblivion with the mouse, monopolization with the ant, mutual excitability as with the dog, or aggression with the cock.[129]

[The situation] is similar to this for the inseparable attributes of the character traits: a number of species of animals share them in common, [15] differing in abundance or paucity, and each having a definite measure, according to the species. And man, when he is just dead, having within him a certain limit of this character trait whose measure [he has] within him, is transported towards that [p. 298] species which preserves it.[130]

128 To link the peacock with haughtiness may seem to be fairly obvious, but in the context of the present epistle this association is perhaps best interpreted when put in line with the above mention of the 'Sea of Ṭāūs' ('Sea of the Peacock') and the legend it refers to regarding erring souls; see note 126 above.

129 In Epistle 26 ('On the Man as Microcosmos'; see *Rasā'il*, vol. 2, pp. 473–475), the Brethren provide another list of animals in connection with qualities or traits of character, but while the two lists agree with each other on certain associations (as in the case of the lion, the wolf, the camel, and the peacock), they are at variance for many others, and each one deals with animal species that are not taken into account in the other statement. More on this in Marquet, *Philosophie*, p. 190.

130 In other words, depending on his dominant character trait at the time of his death, man is reincarnated into the species in which the same trait is also dominant. There is possibly no better illustration of this doctrine than Plato's myth of Er at the very end of the *Republic*. In spite of its celebrity, it seems worthwhile here quoting from the following section: 'So saying, the prophet flung the lots out among them all, and each took up the lot that fell by his side[....] And whoever took up a lot saw plainly what number he had drawn. And after this again the prophet placed the patterns of lives before them on the ground, far more numerous than the assembly. They were of every variety, for there were lives of all kinds of animals and all sorts of human lives[....] But there was no determination of the quality of soul, because the choice of a different life inevitably determined a different character[....] For he [Er] said that it was a sight worth seeing to observe how the several souls selected their lives. He said it was a strange, pitiful, and ridiculous spectacle, as the choice was determined for the most part by the habits of their former lives. He saw the soul that had been Orpheus', he said, selecting the life of a swan, because from hatred of the tribe of women, owing to his death at their hands, it was unwilling to be conceived and born of a woman'; *Republic* X.617e–620a, tr. Shorey. The text next provides other examples of the same kind: Thamyras, another singer, selects the life of a nightingale; Ajax chooses the life a lion; the buffoon Thersites takes the life of an ape, and so on. It is of course impossible to determine whether this myth may have influenced the Brethren directly, but the fact that the authors quote

And it seems that this approach is the opposite of the method of the physiognomist [صاحب الفراسة], since, through that method, one is led to infer the character traits from external appearances.[131] And in every [perishable] body [جثة] in which they occur and [in every] clay that materializes them, felicity is mixed up with torment, and ailment with pleasure, with the result that this [perishable body] is a deception for them, and a bond for the whole period during which it [the perishable body] is linked to what it can in accordance with [20] its genus, until it receives what can get in full from these [traits] and [until] it takes the whole of what is within these [traits], and *Your Lord is not ever unjust to His servants.*[132]

And all this [that] I[133] have just mentioned and what I have reported about it [comes] from their foundation and the premises of their [the believers in magic] sciences, as a validation of their doctrine with respect to magic and talismans. And if I have left aside more than what I have mentioned, and left out more than what I have reported, avoiding the development and looking for the abridgment, it is because I have left aside the mention of what, in this respect, follows for them the current of what has been mentioned in the Book of Properties [خواصّ],[134] such as

from another book of the *Republic* in the same epistle may be regarded as an argument in that direction.

131 Physiognomy (*'ilm al-firāsa*), which could indeed be defined as the science to determine a hidden character trait by analysing external characteristics, was considered by Islamic authors to be a form of divination. On this, see Savage-Smith, 'Introduction', pp. lx–lxiv. The Pseudo-Aristotelian *Sirr al-asrār*, whose Latin posterity under the name of *Secretum Secretorum* was enormous, includes a chapter on physiognomy. On the *Rasā'il Ikhwān al-Ṣafā'* as one of the sources of the Arabic model, see for instance Grignaschi, 'Origine', p. 15 (and also the chart, p. 87). Let us also remember that Epistle 9 of the *Rasā'il* is entirely devoted to 'the explanation of character traits, the causes of their difference, their types of diseases, and anecdotes drawn from the refined manners of the prophets and the cream of the morals of the sages'.

132 Qur'an 41:46. Note the variant from the Qur'anic Vulgate: *Allāh* instead of *Rabbu-ka*.

133 Another passage with use of the first person singular. On this, see note 27 above.

134 By *khawāṣṣ* ('properties'), we are meant to understand in the present context the occult properties of the substances. The science of occult properties played a role of prime importance in alchemy, and a considerable number of variants of the 'Book of Properties' is known to have circulated in the Islamic Middle Ages; see Sezgin, *GAS*, IV, pp. 377–378. See also M. Ullmann, 'Khaṣṣa', *EI2*, pp. 1097–1098. Amongst these works, the most famous was the *Kitāb al-Khawāṣṣ*

the action of the magnet and other things (fol. 526a) amongst properties. And this I have left aside because of its evidence. On the contrary, I will mention another collection [of things], in order for you to take interest, in this respect, my brother, in all their objectives, and in order for you to conceive of their conditions in their quests.

C. The Eighty-Seven Temples

Indeed, they also allege that, when these premises have been established for them and they have become on intimate terms with them, and [when] their examination of these has been long, [then] they have made derivations from them and have built upon them, stating [قالوا]:

> If what has been just mentioned is established, and [if] the stars and the souls take possession of the bodies in virtue of this of science and capability, and if there are those [stars and souls] which are propitious to us and which take possession of us, [5] then necessity compels us to get closer to them and to implore them, so as to repair what is corrupt in us, and in order to ease what impacts us, and to oppose what diverts [us] from what is right with respect to our thoughts and views, in order that two things be attained by us: [1] goodness of life in this world; and [2] the mastering of freedom in the afterlife.[135]

So, whenever they wish to get closer to some star or soul, they perform the rituals which it occurs to them are appropriate to its nature. And then, they ask for what they need and what is inside

---

al-kabīr compiled by Jābir ibn Ḥayyān himself (see Kraus, *Jābir*, vol. I, pp. 148–152 for a detailed description), and it is indeed possible that the Brethren are here referring to that work, as has been suggested by Baffioni (*Frammenti*, p. 365). The mention of the magnet — the only indication in the present passage as to the contents of that book — is, of course, not sufficient to allow us to decide. For a comparison of the Jābirian corpus and that of the *Rasā'il Ikhwān al-Ṣafā'* and the possibility of borrowings between the two, see, Marquet, 'Relations', pp. 39–51. In his 'Sabéens I', p. 40, Marquet suggested an identification of the book with the *Kitāb fī khawāṣṣ al-nabāt wa'l-aḥjār al-ma'diniyya* compiled by a certain Dūshām according to the *Nabatean Agriculture*. This seems to be a gratuitous assertion.

135 The whole passage is put in the direct speech by the Brethren. We should thus infer that they are quoting here from another source which they do not mention.

[the star or the soul], under its power, stating that, whenever they perform some category of natural actions and get closer to the stars, in observance of them [the stars], yet without turning their attention to anything related to [p. 299] astrology, then [10] the influence of this will be weak, as regards the satisfaction of the need, due to their selection of this star by volition [إرادة] alone.

Likewise, whenever they perform [actions] and follow the method of astral elections [إختيارات],[136] so as to solicit the fulfilment of the need, without observance of the natural actions, [then] the influence for the satisfaction [of the need] will be weak as well. Conversely, in most cases, it hardly comes to fulfilment due to the selection of stars in this respect by nature alone, as one may often see and hear in the case of someone undertaking this and striving for it, owing to his ignorance and the absence of purpose, and [his] desiring it yet without direction — people who are naïve and from the populace of shallow knowledge in those things, who ignore the foundations of this art and its sciences! They desire from this what is impossible and vain for any people of [15] this art — I mean, the art of talismans and magic.

And they [those skilled in magic] allege that, if they combine the two things [volition and nature] with one another and follow the two paths in the quest for their needs, the nature of the star and its volition will join together for them. And this is the surest [method] in terms of causality [سبب], and the most beautiful in terms of the quest and the attainment of the objective [غرض].

And they allege that this action, if it originates from a diseased secret thought and from a feeble intention, will follow the way of folly and passion, and the profit from it will disintegrate. And maybe it will provoke its opposite, and [there will be] damage in it and by it.

136 In addition to other traditional branches of the astrological art such as genethlialogy (which deals with nativities) or mundane astrology (which is concerned with world affairs and events in general), one should also mention a practice that is known as catarchic astrology, dealing with 'elections' (*ikhtiyārāt*) and by which one seeks to determine the most appropriate time to start (hence, the origin of the name 'catarchic', from the Greek κατάρχειν, 'to begin'). See Saliba, 'Role', pp. 341–370, here pp. 353–355, for a presentation of the various branches of astrology.

They have considered the cities which are allotted to a certain star, in agreement with the experiences that had befallen them, as it is found and mentioned in the books of astrology. And they have distinguished them and observed [20] which [cities] are under its [i.e., that star's] authority when it is in its exaltation [شرف],[137] which are under its authority when it is in its domicile [بيت],[138] and which are under its authority when it is in its decan [وجه].[139] And when it was favourable for them to keep with those conditions and to scrutinize what befell them [the cities], they waited for this star to come into in some of these diginities,[140] and they began the construction of a temple for

137 For 'exaltation', see note 25 above.

138 Each planet exerts its specific authority on two signs (in the case of Mercury, Venus, Mars, Jupiter and Saturn) — or else on one sign only (in the case of the two luminaries, the Sun and the Moon). Not to be confused with zodiacal houses (on which, see note 45 above), these signs are said to be the 'domiciles/rulerships' (*bayt* [*al-kawākib*], pl. *buyūt*; Greek, οἶκος; Latin, *domus*), either diurnal or nocturnal, of the corresponding planets, according to the following system: Moon in Cancer (its noctunal domicile; no diurnal domicile for the Moon); Mercury in Virgo (diurnal) and Gemini (nocturnal); Venus in Libra (diurnal) and in Taurus (nocturnal); Sun in Leo (its diurnal domicile; no nocturnal domicile for the Sun); Mars in Scorpio (diurnal) and in Aries (nocturnal); Jupiter in Sagittarius (diurnal) and in Pisces (nocturnal); Saturn in Capricorn (diurnal) and in Aquarius (nocturnal). See Bouché-Leclercq, *L'Astrologie grecque*, pp. 182–192. The Brethren define the system of domiciles in Epistle 3 ('On Astronomy'); see *Rasā'il*, vol. 1, p. 120. See also my *Révolutions*, p. 88, for references to Greek and Arabic authors.

139 In addition to dividing the zodiac into twelve signs of 30 degrees each, ancient astrologers also used to divide it into 36 'decans' (*wajh*, pl. *wujūh*; Greek, δεκανοί; Latin, *decanus*, or *facies*) of 10 degrees each and each allegedly meant to correspond to the peculiar power of an old Egyptian deity. See Bouché-Leclercq, *L'Astrologie grecque*, pp. 215–234. This 'religious' alternative to the classical system of signs became widely popular, especially in Hermetic literature, Hermes Trismegistus himself being ascribed with the authorship of a treatise 'On the Thirty-Six Decans'; see the Latin edition by Simonetta Feraboli and Sylvain Matton, *Hermetis Trismegisti De Triginta Sex Decanis*, Corpus Christianorum, Continuatio Mediaevalis, 144 (Turnhout: Brepols, 1994). The Brethren define the system of thirty-six 'lords of decans' (*arbāb al-wujūh*) in Epistle 3 ('On Astronomy'); see *Rasā'il*, vol. 1, pp. 123–124.

140 'Dignity' (*ḥaẓẓ*, pl. *ḥuẓūẓ*; Greek, ἄιρεσις; Latin, *pars*, or *dignitas*), is a concept often referred to by the Ikhwān when dealing with astrological issues. In ancient and mediaeval astrology, the 'dignities' indicate the strength of a planet's influence. The five traditional dignities are (1) domicile (and detriment); (2) exaltation (and fall); (3) triplicity; (4) term; and (5) decan. See my *Révolutions*, p. 88, for classical

that star in the city for which this dignity had been determined. And they represented that temple with the image [صورة][141] by which it [the planet] was configurated when it was in one of its dignities, together with images (fol. 526b) from amongst the predominant stars, and the images [صور] that are in the same degree [درجته]. And they placed them in that temple.

And they have prescribed a norm of rituals and have fixed them in a constitution which they have left with the custodians. And they have annexed to it the mention of the issues which it is appropriate to ask for when it is in one of its dignities, in that it is within and under its allotment.[142] And they have established that day of every year as the feast of that star in that temple.

And whenever some need occurred to a man [p. 300] of their people, he sought to be satisfied for that, [5] and asked which temple it was attributed to. And as soon as he knew, he made a vow to that temple corresponding to it. He went out with it [the need] to it [the temple] on the day of its feast. He performed the actions recommended for it and the one who had made the vow obtained [the satisfaction of] it.

---

references on this subject. It is important not to confuse this notion with that of 'part/lot' (*sahm*), which the Brethren define in their epistle on astronomy and which plays a crucial role, as we have seen, in the original version of the story of the man claiming prophecy, in agreement with Greek mythology.

141 Cf. note 120 above. In the same way as the twelve zodiacal signs, the seven planets, in their quality of deities, are also susceptible to be 'represented' under the form of specific 'images' corresponding to each one of them. Islamic astrology inherited from Classical Antiquity the principal characteristics enabling one to construe the 'representation' or the 'image' (*ṣūra*) of each of the planetary gods. Thus, Saturn is usually portrayed as an old man, Mars as a warrior, Venus as a young woman, and so on. These associations, with the multiplication of attributes for each planetary god, resulted in Islam in an extremely rich iconography; see Caiozzo, *Images*, pp. 165–198. Pseudo-Majrīṭī's *Ghāyat al-ḥakīm* includes various chapters — as for instance, the second part of Book II, Chapter 10 — that deal with the description of those planetary images, but this is another issue for which coherence is not to be expected.

142 This is a reference to interrogative astrology, that is, the *masā'il* ('interrogations') about a wide variety of issues of life — theft, sudden lost of power or objects, and the like — which the astrologer seeks to predict; on this, see Saliba, 'Role', pp. 341–370, here p. 354.

[Here is] an example of the distinction between needs.[143] If, for instance, the Sun, being in Aries (which is its exaltation), is positioned on the degree of the ascendant,[144] then the needs for which it is possible to perform magic will be only the issues that are concerned with the allotment of the fifth zodiacal sign: offspring, pleasure, joy; and this is because of the sign of Leo, which is the fifth from its ascendant. If it [the Sun], being in the sign of Leo, is positioned on the degree of the ascendant, [then] the needs for which it is possible to perform magic will be only the issues [of those] whose souls are linked to [10] religions, divine men, judges and the like, and travels, because of the sign of Aries (which is its exaltation); and it is the ninth from the ascendant.

And if the Moon, being in Taurus (which is its exaltation), is positioned on the ascendant, [then] only the needs which are in the allotment of the third [sign] will be fitting: brothers, sisters, relatives, and close travels, because of the sign of Cancer, which is the third from the ascendant. If it [the Moon], being in Cancer, is positioned to the ascendant, the fitting issues and the needs satisfied by them will be only [those] which are in the allotment of the eleventh [sign; here, Taurus]: hope and felicity. And likewise for the rest of the allotments of the stars.

And they assigned to the planets certain temples, taking into account [15] what the number of their dignities required. The Sun was amongst them — at the time of its exaltations, it is the lord [فالرب]; and the Moon, at the time of its exaltations, the prophets of the laws [أنبياء النواميس] and the prescriptions [السنن];[145] and similarly for the rest of the planets.

And they also made temples to all the fixed stars, and they managed them in the same way as with the planets. And they allege that experience has led them to this and to the knowledge of the powers

143 The examples given here are concerned with the relationships between the dignities of domiciles and exaltations. Thus, for the Sun, these are Leo and Aries respectively; for the Moon, Cancer and Taurus.

144 For 'ascendant', see note 45 above.

145 Traditionally, the Sun is associated with leadership, kings, rulers, lords; the Moon, with intuition and prophecy. Regarding the two luminaries in particular, one finds in Epistle 3 ('On Astronomy'; see *Rasā'il*, vol. 1, p. 141) the assertion that the Moon is concerned with the affairs of this world and its inhabitants, whereas the Sun is concerned with the affairs of the other world.

of their influences. Amongst them is the Dog of the Giant [كلب الجبّار],[146] that is Sirius Crossing [وهو الشّعرى العَبور];[147] amongst them, al-Ūrūn,[148] that is Capricorn;[149] amongst them, Harūs,[150] and that is Sagittarius;[151]

146 The 'Dog of the Giant' (*kalb al-jabbār*) is one of the most common Arabic appellations for the constellation Canis Maioris (the Greater Dog). The reference to 'the Giant' is for the adjacent constellation of Orion, the giant hunter of Greek ancient mythology whose dog was placed on the heavenly sphere next to him. See Aratus, *Phaenomena* 323–327.

147 *Al-shi'rā al-'abūr* (literally, 'Sirius, that has crossed [the Milky Way]'), a variant of which being *al-shi'rā al-yamāniyya* (literally, 'Sirius, the southern'), refers to α Canis Maioris, that is, the brightest star of the heavens. Under the name 'Sothis', it was particularly revered in ancient Egypt, since it was considered as the traditional herald of the annual flood of the Nile. Indeed, it marked the beginning of a 1,461-year cycle, known as the 'Year of the Dog', or the 'Egyptian Great Year', corresponding to the lapse of time required for the heliacal rising of Sothis-Sirius to coincide again with the 1st Thoth, that is, the first of the 365 days of the Egyptian calendar. See Censorinus, *De Die Natali* 18.10. For amalgamations of this period with the conjunctional Great Year of the ancients and with the measure of the phoenix's life-span, see my *Annus platonicus*. For a discussion on the origin of the terms *al-shi'rā* and *al-'abūr*, see Paul Kunitzsch, *Arabische Sternnamen in Europa* (Wiesbaden: Otto Harrassowitz, 1959), pp. 117–119; see also his *Untersuchungen zur Sternnomenklatur der Araber* (Wiesbaden: Otto Harrassowitz, 1961), p. 111.

148 Beirut and *nūn* have *al-Urūn*, and *lām* provides something like *al-azūn*. I cannot see any plausible explanation for this name.

149 *Al-jadī* ('The Goat') is the traditional designation of the constellation (and zodiacal sign) of Capricorn, or else of its main star, α Capricornis; see Kunitzsch, *Sternnomenklatur*, p. 22. But it also may design the polar star, α Ursae Minoris (also known as Polaris); see Kunitzsch, *Sternnomenklatur*, p. 62. On the basis of the parallel with Sagittarius in the next phrase, I would opt for Capricorn here.

150 I have been unable to identify this name, for which the manuscript tradition makes problems. *Lām* provides *ahrūs*; Beirut has something like *harūs* or *harwūs*, while *nūn* is unreadable. Marquet, 'Sabéens I', p. 44, is at a loss: '*Hrws*: le héros? Horus? Ou autre chose?'. Baffioni, *Frammenti*, p. 368, does not provide new elements. I think the identification with Horus should be ruled out, since the name of the ancient Egyptian deity is normally transcribed with the letter *ḥa* in Arabic. Although unprovable, the connection with *rāmī* (Sagittarius) may perhaps suggest a corruption in the manuscript tradition for *urqūb* ('the Heel-Tendon') which is the usual name for β Sagittarii.

151 Two names were used by the Arabs to designate the constellation (and zodiacal sign) of Sagittarius, namely, *qaws* — which seems to have been the primitive form — and *rāmī*, as found in our text. See Kunitzsch, *Sternnomenklatur*, p. 22.

amongst them, Suhā,[152] which is the little star which is part of the Great Bear.[153]

And [deriving] from the fixed stars, as if these were the souls denuded, they also made other temples, and they managed them in the same way as with the stars, [20] along the years and the needs. Amongst them is Pluto [الفلوطي],[154] who is the king in charge of hell and the abyss; [p. 301] amongst others, Poseidon [الفوسدن],[155] who is the king in charge of the sea; amongst others, Fūḥās [الفوحاس],[156] who is the king in charge of the winds; amongst others, Kīmas [كيمس],[157] who

152 *Suhā* (literally, 'The Forgotten') is a common Arabic name — another is *al-khawr*, from which derives the modern name 'Alcor' — for 80 Ursae Maioris, one of the faint but important stars making up the constellation of the Greater Bear. See Kunitzsch, *Sternnamen*, pp.125–127 and p. 208; and also his *Anwā'-Tradition*, pp. 80–81. On the *anwā'* system of the early Arabs and its identification with the system of 28 lunar 'mansions' (*manāzil*), see the still valuable Carlo Alfonso Nallino, *Raccolta*, V, pp. 171–194. For the lunar mansions in Islamic iconography, see Caiozzo, *Images*, pp. 331–345. The Brethren list the mansions with their names in Epistle 3 ('On Astronomy'); see *Rasā'il*, vol. 1, p. 133.

153 In Arabic astronomy, *banāt al-na'sh* — an expression whose origin remains unclear — was the name commonly used to design the three stars forming the beam of the Great Bear, respectively ε, ζ, and η Ursae Maioris, the four other stars forming the Bear itself being just named *al-na'sh*. See Kunitzsch, *Sternnamen*, pp. 149–150. The Greater Bear as a whole was generally termed *al-dubb al-akbar* so as to distinguish it from the Lesser Bear (*al-dubb al-asghar*). It is most probably due to the the influence of this appellation that we find here the expression '*banāt al-na'sh* (or *banāt na'sh*) *al-kubrā*', also widely attested in the Arabic literature of *anwā'*; see Kunitzsch, *Anwā'-Tradition*, pp. 29 and 85.

154 *Lām* reads *al-'ulūṭā* (or *al-'ulūṭī*). Beirut and *nūn* provide *al-Fulūṭī*, which was taken over by Marquet ('Sabéens I', p. 44) as corresponding to Pluto, god of hell — a proposition endorsed by Baffioni, *Frammenti*, pp. 368–369. The context makes this correspondence very plausible indeed.

155 Beirut provides a wholly unintelligible *lafūsdūr*, which Marquet propounded to emend with *al-Fūsidun*, thus corresponding to Poseidon, the ancient god of the sea. This emendation is fully corroborated by our two manuscripts.

156 The two manuscripts and Beirut offer widely varying readings here: *al-Fūḥās* for *lām*, *al-Wūḥās* for *nūn* and something like *Lilmūjās* for Beirut. Marquet ('Sabéens I', p. 44) suggests without conviction to see a corruption for *al-Būriyās*, corresponding to the wind god Boreas. The context invites us to view Aeolus, the chief god of the winds in ancient Greek mythology, as the best candidate here, but the manuscripts' variants hardly fit with such an identification. In the present edition, we have opted for the reading of *lām*.

157 This is another case of great disparity between Beirut (*Līmas*), *lām* (*al-Ḥas*) and *nūn* (*Kīmas*). Marquet ('Sabéens' I, p. 44) leaves the case unsolved. In the absence of any conclusive evidence, I would opt for *Kīmas*, in view of the mention of a

is the king in charge of the marvels arising from the jinn; amongst others, Aphrodite [أفروطس],[158] who is the king [sic] in charge of the waves; and so forth for what they could conceive of. And, in this way, they completed for them eighty-seven temples.[159]

D. The Temple of Jirjās

Then, in the same manner, they also made a temple, at a time when all the planets were in their dignities,[160] and they divided it into two parts. They assigned one of them to men, and the other to women. And in each (fol. 527a) of its two parts, there is a big hall [بيت] which does not

king known as Kīmas the Hermesian, allegedly a prolific author on alphabets and the secrets of nature according to Pseudo-Ibn Waḥshiyya; see *Ancient Alphabets and Hieroglyphic Characters Explained* (London, 1806), p. 13: 'The alphabet of king Kimas the Hermesian. He wrote two hundred books on astronomy, on the secret of physic, and on the qualities of plants and minerals'.

158 *Lām* reads *baqrūṭīn*, and Beirut something like *al-farṭūs*, which Marquet ('Sabéens I', p. 44) would identify with the Greek Proteus. But *nūn* leads us, it would seem, towards a much more plausible explanation: *Afrūṭīs* is for the Greek Aphrodite, born indeed from the sea foam according to ancient mythology. The context plainly corroborates this identification, although for strange reasons, the ancient goddess of love has now turned to a male divinity!

159 The figure of eighty-seven, which both manuscripts and Beirut agree on, is also corroborated by the fact that the authors refer, later on, to the names of the 'eighty-seven angels, male and female' recited by the priest. I cannot see any decisive explanation for this figure, but would nevertheless suggest a possible connection with the list of astrological lots as provided by Bīrūnī on Abū Maʿshar's authority. The list (see note 48, above) includes, as may be remembered, seven lots related to the planets, eighty lots to the houses, and then ten that are related to neither a planet nor a house. In the present description of the Ṣābiʾan temples, the Ikhwān provide examples of calculation that are explicitly concerned with planetary houses. I would assume that the figure of eighty-seven temples (or angels) may have been chosen in relation with the first eighty-seven lots of Abū Maʿshar's table (thus, excluding the last ten lots), although this figure does not match with the indications given by the Brethren themselves as to the number of temples dedicated to the fixed stars or to deities not attached to a corporeal body.

160 The temple of Jirjās, to which the rest of the account is dedicated almost entirely, is clearly a case apart, in that it was built when the planets were all in their dignities. It must also be considered the eighty-eighth temple, since the passage referred to in the previous note makes it clear that the priest recites 'the names of the angels, male and female — and there are eighty-seven of them — and the name of the Jirjās, chief of the Iblīs'. On the identification of this temple of Jirjās with the one referred to in the sub-section on the feast of Kādhā, see the Introduction, p. 56.

have an opening in its walls, nor a gap in its door, so much that, when its door is closed, there remains absolutely no light in there. And they made its door on the southern side and its forefront on the northern side.[161] They attired [كسوا] the twelve zodiacal signs with their names.[162] And they manufactured an image for the seven planets, each one of them worked out with the appropriate material, such as the Sun with gold [ذهب], the Moon with silver [فضّة], Saturn with iron [حديد], Jupiter with quicksilver [زئبق], Mars with copper [نحاس], Venus with tin [قلعيّ], and Mercury with lead [أسرب].[163]

161 The orientation of sacred buildings to the north is a common feature of many civilizations. In the specific context of Ḥarrān, it is much dealt with by Ibn al-Nadīm, who in various places of his report mentions a 'mystery to the north' to the jinn, the devils, and the deities. In one place, the 'mystery to the north' is even presented as a ritual performed 'to the chief of the jinn — later also referred to as "the God of the North" — who is the greatest divinity'; see *Fihrist*, tr. Dodge, p. 760. On this mystery and its possible Mesopotamian antecedants, see Green, *City*, pp. 192–204.

162 It is not quite clear what the authors mean by this expression. It seems likely that the use of *kasaw* would imply that the names of the signs were engraved of embroidered somewhere, but it is also possible to understand that the zodiacal signs were given their appearance according to their names. The text is not explicit enough to decide.

163 These associations are strange. The traditional associations between planets and metals, rooted in Proclus' *Commentary on the Timaeus*, developed in Late Antiquity and transmitted over the centuries without much change up to the Renaissance, are as follows: the Moon with silver; Mercury, quicksilver (in substitution for electrum as found in earlier lists); Venus, copper; Mars, iron; the Sun, gold; Jupiter, tin; Saturn, lead; see Halleux, *métaux*, pp. 151–156 for a thorough discussion and list of antique references. See also, Caiozzo, 'Lune verte', pp. 270–302. But the present list offers quite an interesting parallel with Pseudo-Majrīṭī's *Ghāyat al-ḥakīm* (Book II, Chapter 10 and Book III, Chapter 7), whose manuscript tradition connects Saturn with iron and Mars with copper; see H. Ritter, *Pseudo-Majrīṭī. Das Ziel des Weisen*, Studien der Bibliothek Warburg, 12 (Leipzig–Berlin, 1933), p. 106. This curiosity was noticed by Plessner in the English summary of the *Ghāya* published as part of the introduction to the German translation of the Arabic; see Plessner in H. Ritter and M. Plessner (ed. and tr.), *'Picatrix'. Das Ziel des Weisen von Pseudo-Majrīṭī*, Studies of the Warburg Institute, 27 (London, 1962), p. lxv: 'Chapter 10 [of Book II] deals with talismans made by engraving certain figures on the stones and metals which belong to the planets. It falls into three parts, of which the first is the enumeration of the minerals belonging to the various planets. The Arabic manuscripts of *The Aim of the Sage*, unlike those of the translations, show striking deviations from the usual classification. It is therefore possible that the correspondences of the translations with the norm may be due to a reworking of the text. In any

And they formed each one of them according to the [5] image [صورة] it has in the sign of its exaltation, as is established in the books of astrology. And in front of them, there is a mat where [there are] seven discs [أقراص] of chalk displayed in the manner of targets, whose faces are turned to the statues [تماثيل].[164] And on each one of these [discs] there is a censer [مجمرة], new, made of red clay, each one of these being [made] in the name of one of the seven planets. The closest one to the idols [أصنام] is for the Moon and includes one circle. The farthest is for Saturn and includes seven circles. And, for each one of them, the circles are in proportion with the rank of its star.[165]

---

event, it is remarkable that some of the deviations (e. g., iron instead of lead for Saturn, copper instead of iron for Mars) are also found in Book III, Chapter 7, the chapter on Ṣābian prayers to the planets'. Regrettably enough, the translation of the text itself by Ritter and Plessner is marred by unfortunate emendations no doubt intended to 'correct' the reading of manuscripts in those places in order to make them fit with the traditional series of correspondences; see Ritter and Plessner, *'Picatrix'*, p. 113. To find that the *Ghāya* parallels the Brethren's report in those two instances is, needless to say, a confirmation of the influence exerted by the Ikhwān upon this famous treatise.

164 Each planet is represented by a three-dimensional sculpture (*timthāl*), an assertion which confirms the previous statement about the material used in each case. These statues will be referred to as idols (*aṣnām*) in the same paragraph. This is highly reminiscent of Iamblichan theurgy/Egyptian magic; see E. R. Dodds, *The Greeks and the Irrational* (University of California Press, 1951), pp. 291–295, esp. p. 292: 'Each god has his "sympathetic" representative in the animal, the vegetable, and the mineral world, which is, or contains, a *σύμβολον* of its divine cause and is thus *en rapport* with the latter. These *σύμβολα* were concealed inside the statue, so that they were known only to the *τελεστής* (Procl. *in Tim.* I.273.11). The *σφραγῖδες* (engraved gems) and *ἐγγράμματα* (written formulae) correspond to the *χαρακτῆρες καὶ ὀνόματα ζωτικά* of Proc. *in Tim.* III.6.13. The *χαρακτῆρες* (which include such things as the seven vowels symbolic of the seven planetary gods) might be either written down (*θέσις*) or uttered (*ἐκφώνησις*). The correct manner of uttering them was a professional secret orally transmitted.'

165 Thus, the sum-total is of 1+2+3+4+5+6+7 = 28 circles. The number 28 is one of the only four numbers known by the ancients to be 'perfect' according to the Pythagorean definition, since they are equal to the sum of their factors (28 = 1 + 2 + 4 + 7 + 14). The other three perfect numbers under 10,000 are 6; 496; and 8,128. Imbued with arithmology as they were, the Ikhwān could not have omitted to stress the perfection of this number, and indeed they did, as for instance in Epistle 3: 'On Astronomy'; see *Rasā'il*, vol. 1, pp. 140–141. On 28 as pertaining to the Moon (as with twenty-eight lunar mansions), see Burckhardt, *Mystical Astrology*, p. 30: 'As to the number 28 of the houses of the Moon, this is obtained by the Pythagorician sum of numbers from 1 to 7, which

And on each one of them, there is a censer [مجمرة] with distinct incense. The one for the Sun is of aloeswood [عود]; the one for the Moon is of frankincense [كندر]; the one for Saturn is of storax [ميعة]; the one for Jupiter is of ambergris [عنبر]; the one for [p. 302] Mars is of sandarac [سندروس]; the one for Venus is of saffron [زعفران]; and the one for [10] Mercury is of mastic [مصطكى].[166]

On the left side of [the statues of] the stars, there are a jug [إبريق] of drink, three long rods [قضبان] of tamarisk [طرفاء][167] wood that have been cut off from their tree before the cry of the cock, a knife [سكّين] of iron whose handle is of iron, and a ring of iron whose stone is fine,

---

signifies that the lunar rhythm develops or exposes, in a successive mode, all the possibilities contained in the archetypes and transmitted, by the hierarchy of the intermediaries, to the sphere which immediately surrounds the terrestrial centre'; see also pp. 35 and 38 for the relation between the lunar mansions and the letters of the Arabic alphabet.

166 If we were to judge from the passage on the prayers to the planets (= Book III, Chapter 7) in Pseudo-Majrīṭī's *Ghāya*, we would assume that these incenses were all quite common in the Ṣābi'an religious ceremonies, although not each is specifically connected with a planet as in the present report; see H. Ritter, *Ghāya*, pp. 195–228 (for the Arabic); and H. Ritter and M. Plessner, *'Picatrix'*, pp. 206–241. In the appendix to his 'Prayers', pp. 116–117, Pingree provides the translation of a short section on planetary suffumigants from a work by the twelfth-century author Fakhr al-Dīn Muḥammad ibn 'Umar al-Rāzī (d. 1209). According to this text (amongst many other kinds of incenses mentioned for each planet), aloeswood (*'ūd*) is associated with Jupiter, the Sun, and Venus; frankincense (*kundur*) with Mars; storax (*may'a*) with Jupiter and the Sun; ambergris (*'anbar*) with Jupiter; sandarac (*sandarūs*) with Jupiter; saffron (*za'farān*) with Saturn, Jupiter, the Sun, and Venus; and mastic (*maṣṭakā*) with none of the planets. The *Ghāya* itself provides various lists of correspondences, but they are extremely contradictory with one another.

167 'Tamarisk' or *tamarix* (*ṭarfā'*) — also 'saltcedar' —, a plant known for its capacity to grow in arid environments, is mentioned in Qur'an 34:16 as a weed replacing the fruity gardens that had existed earlier with the people of Sabā (not to be confused with the Ṣābi'ans of our text). In Genesis 21:33 Abraham is said to have planted a tamarisk tree in order to honour God. Ibn al-Nadīm reports as part of a Ṣābi'an feast taking place on the 30th of Kānūn al-Awwal that 'the priest sits on [the top step of] an elevated pulpit with nine steps. He takes a tamarisk rod in his hand and then, as the procession passes by him, he strikes each one of them [the worshippers] with the stick three, fives, or seven times'; *Fihrist*, tr. Dodge, pp. 762–763. Note that the tamarisk seed (*ḥabb al-ṭarfā'*) is used as a suffumigant in the text by 'Umar al-Rāzī mentioned in the previous note, being associated by its author with Mercury. The same text reports that braziers of tamarisk are also used for suffumigation to the Sun and Mars.

the size of a [finger-]nail, on which is engraved [منقوش] the image of Jirjās [جرجاس],[168] chief [رئيس] of the Iblīs [الأبالسة].[169]

E. The Initiation Ritual

And in it [the temple] the young men and the young maidens enter into their religion [إلى دينهم].[170] And in it are sacrificed cocks [ديكة].[171] And in it there is the recitation of the two secrets [سرّين], whose case will be mentioned further down. And the chief of the priests comes and enters the hall in the part of the men. He sits down by that mat [i.e., with the discs] and faces the foodstuff,[172] before the setting of the Sun. He locks the door. The lamps are lit up and the darkness subsides. He is inclined, stretching out the left leg, and raising [himself] on the right [leg]. And he lays down his thumb [15], index finger, and middle

168 Manuscripts do not allow one to determine the reading of this name with certainty. Several possibilities exist: 'Jarjās'/'Jurjās'/'Jirjās', but also 'Ḥarḥās' (a name appearing in a genealogy in 2 Kings 22:14) as well as other vocalizations of that name. Marquet ('Sabéens I', p. 45) opted for 'Jurjās', which he wished to identify with the Greek Gorgon. I have finally retained 'Jirjās, in order to preserve the close similarity with 'Jirjīs', the usual translation of the Greek name Γεώργιος and also the name as given by the Brethren for Γύγης in their account of Plato's myth. On Marquet's identification and my own conjecture about this name, see also the Introduction above, pp. 55–59.

169 On the Qur'anic figure of 'Iblīs', a proper name of the devil deriving from the Greek διάβολος, see Wensinck [and Gardet], 'Iblīs', pp. 668–669.

170 By 'religion' (*dīn*), we are thus meant to understand the Ṣābi'an religion, which the priest explicitly invites the young man to embrace 'by hearing the secrets of our angels' further down in the same section. The phrase coming next in the present section would seem to indicate that the hearing of the secrets marks the entrance into the religion.

171 The sacrificing of animals is a common feature of most Arabic descriptions of the Ṣābi'an rituals. Ibn al-Nadīm states that 'most of the sacrificial victims are cocks' (Flügel, p. 319; Dodge, p. 748), and indeed, cocks are sacrificed on the occasion of nearly every feast according to his own account. As already hinted at in the Introduction above, pp. 59–60, the symbolism of the cock is so rich and its popularity so widespread that it seems a vain task to try to determine the origin of its use as part of the Ḥarrānian mysteries. The interest of the Brethren's account in this respect lies in the explicit reference they make further down, as part of the same 'Ṣābi'an' description, to Socrates' famous last words as reported by Plato in the *Phaedo*. This shows again how unembarrassed they felt with their own much-simplified conception of the transmission of philosophy.

172 This foodstuff (*ma'ida*) has not been mentioned previously. It appears further down in the text and is possibly to be identified with a table of sacrificial offerings.

finger of his left hand on the ground, and raises up those corresponding on his right hand.[173]

From that moment to the moment before the cry of the cock, he starts giving a speech, whose content is this:

O Jirjās amongst the Jirjās, Iblīs amongst the Iblīs, great amongst the devils and august amongst all jinn, I ask you and beg you and surrender myself into your hands, knowing that only your contentment will free me and my amiable behaviour to you will save me. For you have followed in me the flux of senses,[174] dwelling in the dwelling of the soul, freely disposing of whatever is under the rays of the Sun.

By you our humours are aroused, our limbs are turned, our external appearance is deformed, our thoughts are troubled, and our feet are shaken. We have decided to introduce [20] one of our young men, in the morning of this night of ours, to our call [دعوة][175] and to let him hear the secret [سرّ] of our angels. Be present with us and bear witness for us and about us; avert away from us your evil and your calamities; chase away from our scene those amongst your companions that are endowed with trickery and perfidy. I am approaching you and I sacrifice [أذبح] before you your enemy [who is] black [أزرق], wealthy, abominable.[176] Long has he shown to you his enmity because of his nature and, likewise, because of his strain. He has ascended [تسنّم] [up to the point of] building [بناء] the

173 I am not able to explain the symbolism of this posture, but some of its elements make one naturally think of the whirling dervishes of the Mevlevi brotherhood, with their right-hand palm turned towards the heavens and their left hand pointing at the ground, in a gesture of welcoming God's grace from above and, via the heart, bestowing it to the rest of the world here below.

174 Wehr, s.v. '*jarā*' renders the expression '*Min-hu al-shai'u majrā al-dam*' with 'it had become second nature to him', but I have opted for translating the Arabic more literally.

175 The word *da'wa* ('call') is mentioned in Qur'an 30:34 (in reference to the call or invitation made to the dead to stand up and leave their tombs on the Day of Judgement) and in Qur'an 14:46 (in reference to the call made by God and the prophets to follow the true religion). It is, of course, a word of paramount resonance in the context of Ismaili Shi'ism, where it is usually meant to convey in addition the notion of the well-organized propaganda by the missionaries of the movement. Under the pen of our Brethren (whose affinity with Ismailism, on the one hand, and sympathy towards the Ṣābi'ans, on the other hand, can hardly be dismissed), the use of such a vocabulary is certainly not innocent.

176 On the symbolism of the cock, used here by the priest as a talisman, see the Introduction above, pp. 59–60. For the translation 'black', see Dozy, *Supplément*.

numerous army [جرار];[177] [p. 303] he has climbed to the branches of the trees. He has shrieked to the surfaces of the trees. He has set in motion the flapping [تصفيق] of testimony and alarm. Your heart got alarmed in fright at him. Your tongue has stuttered in fear of him. You have turned your back at his approach, (fol. 527b) fleeing away from him, and you have shied away from him, terrified by him. I will proceed like this as a well-established rule and as a well-known canon, for every young man I will make hear my secret. And I stir him for you in proportion to a thing by which my authority [أمري] is promoted.

This [goes on] until the cock flaps its wings, and [then] he stops talking and starts [doing] what is beneficial for man, be it sleep or something else. Then, when the morning has shone, he comes forth while, of those men who are present, only the people of his call are gathered together, and, of the young people, those wishing for their introduction to the call and the audition of the secret are brought [together]. They stop at the door of the hall of the secret. One of them has been undressed. Two priests grab him by his arm. They make him enter, fastened [مشدود] with [5] a white bandage [عصابة],[178] and he walks backward. He proceeds towards that hall, towards the chief [رئيس] of the priests, and with him there is a man who is his guarantor. The door is locked. The lamps are burning and the censers smoke.

The chief of the priests says to him, 'Would you like to enter into our religion [دين] and to hear the secret of our angels?' He says, 'Yes.'

The priest says to him, 'Beware! If you take leave of our religion and unveil to somebody my secret, God will lower this head of yours, which is under my grip from amongst my companions, and He will let your diadem [إكليل] fall behind you!'[179] And he says, 'Yes'.

177 The passage is not very clear; the text may be corrupt here.

178 The word *'iṣāba* means a bandage, eventually a headband, but the text does not specify how this is to be understood. To translate it as 'blindfold' would in my view be an over-interpretation, although of course the context would make it a possibility.

179 It is most likely that this expression is to be understood in its figurative meaning. Amidst the great variety of spiritual beings that the Ṣābi'ans identify with deities, one should not lose sight of the fact that their doctrine remains a strict monotheism in the eyes of the Brethren.

And he [the priest] says to him, 'But if you keep up my religion and keep my secret, your head will be high amongst your companions and your diadem will be firm.'

Then he says to his [the initiate's] guarantor [كفيل], 'Will you guarantee that he will keep up my religion and keep my secret?' He says, 'Yes'.

The priest reclines him, on that carpet [بساط] [10] which is facing the foodstuff, on his left-hand side, and recites [p. 304] above his head the names of the angels, male and female[180] — and there are eighty-seven of them[181] — and the name of the Jirjās [الجرجاس],[182] chief of the Iblīs.

Then after that, he says, 'Beatitude upon you, for [now] you become a member of those having listened to these secrets. And if you are not pure, God will purify you.'

Then he grasps this knife, which I have described,[183] in order to sacrifice him with it. But the guarantor, about whom we have talked, comes forward, and the guarantor says, 'Do not do [that]! I guarantee him. But take this cock as a ransom for him and an offering in his place.'

And he [the priest] tells him, 'Hand over to him your ring as a pledge for him, that he will observe the rule and the rites, that he will keep up the call, and that he will conceal the secrets.' And he [the guarantor] hands over to him his ring and the cock.

And the priest says, 'Consequently I accept a body in substitution for a body and a soul in substitution for a soul, as well as a gesture in the presence of the Sun which vivifies the souls, and [in the presence of] of Jirjās, [15] chief of the Iblīs.'

Then he leaves the cock on the neck of the youth and sacrifices him, saying, 'O Jirjās, King of the Iblīs, accept this victim, and leave this youth to his parents and to the angels.'

Then he heats that ring of iron on the lamp and brands it onto the surface of the thumb of the right hand, and holds fast to it ninety-nine

180 According to Ibn al-Nadīm, the Ḥarrānians 'state that the seven heavenly bodies, that is, the deities, are males and females who marry and have passions for one another, and also have bad and good luck'; *Fihrist*, tr. Dodge, p. 765.

181 For this figure as correpsonding to the numbers of temples referred to above, see note, p. 159.

182 Note the definite article here.

183 One should remark, once again, on the use of the first person singular.

[times].[184] And he brands onto his breast and onto his forehead with one of those rods of tamarisk, branding covertly [خفيا] in order for it not to appear.

Then he dresses him with new clothes and boots made with the leather of the victims of the angels. He fastens his waist with a turban [عمامة],[185] and gives him a pinch of salt,[186] which he [the priest] traces in the form of a triangle. And he does the same with his other companions.

F. The Secrets

As for the crowd [جمهور] of people, they are outside the hall of the secret, in the temple and in the environs, performing their ablutions, satisfying their vows, and burning [20] their offerings: various categories of animals for the angels, and cocks for Jirjās, chief of the Iblīs, as Plato mentioned this in his book called the *Phaedo* — namely, that Socrates the sage [حكيم], his mentor [معلّم], said, at the time of his death, 'Burn [ذحج] a cock for me in the temple. It is a vow of mine.'[187] And this injunction was his last commitment in the world here below.

184 'Ninety-nine' (*tisʿa wa-tisʿīn*), according to Beirut and *lām*, whereas *nūn* has 'nine and nine' (*tisʿa wa-tisʿa*). The speculation on the ninety-nine names of God in Islam is but the most obvious example of the symbolism assigned to that number. On Būnī's mention of '99 esoteric names beyond the 99 exoteric names of God', see Lory, 'Magie des lettres', pp. 97–111, here p. 107. We have supplied the word 'times' in our translation to render it more intelligible, but another possibility would be that ninety-nine refers to the time it takes to count to ninety-nine or, in a decisively more Islamic perspective, the time it takes to recite the ninety-nine names of God.

185 As opposed to *ʿiṣāba* (see note 178 above), *ʿimāma* unambiguously conveys the meaning 'turban' in the sense of headwear. From the rest of the phrase, we have to understand that the young man's waist is bound with an undone turban.

186 Salt has been used for its alleged apotropaic value in many cultures. According to 2 Kings 2:20–22 (tr. Green): '(20) He [Elisha] said, Bring a new dish to me, and put salt there and they brought it to him; (21) and he went out to the source of the waters and threw salt there, and said, So says Jehovah, I have given healing to these waters; there shall not be death and sterility there any more. (22) And the waters were healed to this day, according to the word of Elisha that he spoke'. Salt is frequently associated with exorcism practices, where its use is believed to protect one against the devil or the evil eye.

187 Cf. Plato, *Phaedo*, 118a: '[The chill had now reached the region about the groin, and uncovering his face, which had been covered,] he said — and these were his last words — 'Crito, we owe a cock to Asclepius. Pay it and do not neglect it'.' The usual interpretation of this passage is that the dying Socrates is wishing to

They eat the meats of the rest of their victims where they wish and how they wish, except for the meats of the cocks, which are pledged to the secret. These, only the elder amongst the priests eat, in the hall of the secret.

Then, when [p. 305] the chief of the priests is available for busying himself with the young men, he starts letting them hear the secret. Verily, they have two categories of speeches, each of them longer than (fol. 528a) the suras of the Qur'an;[188] the first they call the secret of the men, and the other they call the secret of the women. And the secret of the men, no one hears it but the men; and the secret of the women, no one hears it but the women. And the two secrets, taken together, are equal as regards the number of terms and letters. And the terms of both, taken together, if scattered and then ordered in an order where, for both, every word of one is between two terms of the other, there arises from them both several combinations.[189] And the total of these combinations is four combinations, each one of which includes the canons [قوانين] and the demonstrations [براهين] of one science amongst the four [following], namely:

---

pay a tribute to Asclepius, the god of medicine, for his help in recovering from the 'sickness' of life. As already mentioned, this reference to Socrates' last phrase in the context of a Ṣābi'an ceremony is telling of the level of syncretism reached by the Ikhwān, and must be set on a par with their affirmation that Pythagoras was a monotheist sage from Ḥarrān. But it quite agrees with their own assertion, at the beginning of the chapter, about the four doctrines having emerged from this Sabi'anism. As for the idea that life is a sickness which death cures, it may be interestingly compared with the Brethren's own opinion as expressed in Epistle 28 ('On the Limits of Human Knowledge'), which ends on the very assertion that 'the death of the body is the birth of the soul, just as delivery is the birth of the foetus'; see *Rasā'il*, vol. 3, p. 32.19–20; and my *Brotherhood*, pp. 25–26.

188 Should we conjecture that the secrets are longer than the longest suras of the Qur'an or else longer than the Qur'an as a whole? The text here is not sufficiently clear here.

189 *Sīmiyā'* (from the Greek σημεῖα) and *"ilm al-ḥurūf"* ('the science of letters') are the appellations traditionally given in Islam for a wide range of techniques dealing with letter-number interpretations; see MacDonald-[Fahd], 'Sīmiyā'', pp. 612–613. The combinations of words as referred to by the Ikhwān in this passage do not seem to be dealt with as such by the specialists of those sciences such as al-Būnī, whose *Shams al-ma'ārif wa-laṭā'if al-'awārif* remains the most illustrious example of the genre.

(1) Medicine [طب], by which bodies are cured, and by which illnesses and ailments are expelled, and by which it is made possible to take advantage of the dwelling in a house.
(2) The science of alchemy [علم الكيمياء], by which misery is expelled [5] and by which damages are removed.
(3) The science of astrology [علم النجوم وأحكامها], by which one is notified about what will happen before it happens.
(4) The science of talismans [علم الطلسمات], by which the citizens follow the nature of the kings, and kings the nature of the angels.

What forbids the unveiling of these sciences and the providing of them to the mass of the common people [الجمهور من العامّة], [is] that by which the elite [الخاصة] is filled with fear, since, with what they show in terms of weakness of concern and shortage in science, and [in terms of] the power of evilness, of the iniquity of traits of character, and of ugliness of habits, the common people abandon themselves to whatever their desires may be, and satisfy them wherever they may be found, and in this matter they do not consider taking recourse to a religion with power and the knowledge of its obligations and prohibitions. Hence, because of this, the praise-worthy system is corrupt, and one exceeds the acknowledged boundary, as [would be the case] if, for instance, the vulgar [man] would participate in the knowledge of alchemy, for instance, wasting [10] what he wastes for what is not licit, not for what the law [شريعة] allows him! Or, similarly, as [would be the case] if they would know what is not admissible from medicine, in terms of the poisons and properties that are in the powers of medications, whether it be from minerals or anything else!

[Therefore,] it is fitting that this science be safeguarded from whoever does not deserve it, that it be forbidden to whoever is not qualified for its utilization. Indeed, when the vulgar [man], whose mention [p. 306] and description have just been made, would know from magic and talismans what it is not admissible for someone like him to know and to use, then the case in this [matter] would be like the case that Plato, the philosopher, has reported in his book the *Republic*.

Our report about this has been made in the foremost part of this epistle of ours, being the case of the shepherd who killed the king and sat in the kingdom in his place, without being qualified for it nor deserving it.

G. The Kādhā Feast

Amongst those revered [معظّمين] by them was Qūlūs [15] [قولوس],[190] and they have deemed of eminence Abū Rim [أبو رم][191] and Rabbat al-Till [ربّة التل][192] who received Tammūz [تموّز]. She [Rabbat al-Till] declared sacred the prohibition of goats and appointed only the pure [amongst them] for the sacrifice, [and she declared sacred] that a pregnant woman should not approach nor eat from their meat.[193] And they have revered Arū [أرو] and the idol of the water [صنم الماء],[194] who fell down amongst the deities in the days of Asṭarwaṭrūnīqūs [أسطروطرونيقوس][195] and who

190 Marquet, 'Sabéens I', p. 51, suggests to emend *qūlūs* with *qurnūs* (for Cronos), but this is highly conjectural.

191 The manuscripts and Beirut have here *al-rūm* (or *wa'l-rūm*), which does not make sense. On the basis of the comparison with the *Fihrist*, I would propose here to emend with the name 'Abū Rim' (or Aram); see Chwolsohn, *Ssabier*, vol. 2, pp. 287–288, who suggests several possibilities for identification of this name, none of them very conclusive.

192 Chwolsohn, *Ssabier*, vol. 2, p. 297–299, suggests a possible identification of Rabbat al-Till, to whom goats are sacrificed, with the Greek Hera Aegophagos or the Roman Juno Caprotina. Dodge, *Fihrist*, p. 767, notes, 'Here the goddess is probably Ishtar and the goats have some connection with fertility'.

193 Cf. Ibn al-Nadīm, *Fihrist*, (tr. Dodge, p. 765–767): 'Among the deities of the Ḥarnānīyūn: [...] Rabbat al-Thill [sic], who received Tammūz[....] Now it was Rabbat al-Thill who arranged to guard the sacred goats which none of them are [sic] permitted to sell, but which [instead] they offer as sacrificial victims. No pregnant woman can approach them or come near to them'.

194 '*Arū(s) wa-ṣanam al-mā'*' has been emended here, on the basis of the *Fihrist* (see Dodge, p. 766, for 'Arū, the Lord', and p. 767, for '*ṣanam al-mā'*'). See Chwolsohn, *Ssabier*, vol. 2, pp. 288–289, for the identification of Arū (possibly Urū) to a solar deity of Ḥarrān.

195 Variants are: *Asṭarṭūs* (in *nūn*), something like *Asṭraṭūnīqūs* (as in Beirut) or *Asṭrūṭr.qūs* (as in *lām*). The *Fihrist* (Tagaddod, p. 389) has: '*Asṭah wa-ṭrīnqūs*' (or '*Asṭah wa-ṭirayniqūs*'). Marquet, 'Sabéens I', p. 51, opts conjecturally for Astronicus (*Āsṭrūnīqūs*) as being a 'personnage cosmogonique forgé par les astrologues ḥarrāniens'. Dodge (indebted to Lewy, 'Points of Comparisons'), *Fihrist*, p. 767, explains: 'The Tyrannic star is in Greek ἀστὴρ τυρρανικός which was transliterated into Arabic as *Asṭah Waṭiranīqūs*. This refers to the Pleiades, which disappears between the 15th and 20th of March, shortly after its conjunction

went away in the direction of the land of India. They went in quest of him, caught him, and asked him to come back to them, but he told them: 'I shall enter the land of Ḥarrān no more, but shall come to Kādhā [كاذا] — and this is the meaning of 'Kādhā':[196] it is a place to the east of Ḥarrān — and I shall pay attention to your city and your doctrine.'[197] And, up to this day, they go out on the twentieth day of Nīsān of every year, so as to expect the advent [ورود] of this idol [صنم]. And they call that feast [عيد] the feast of Kādhā.[198] And their waiting for the advent of that

---

with the Moon, which also goes out of sight at that time. The "days of the Tyrannic star" refers to the time between the conjunction of the Pleiades with the Moon and their passing out of sight. The feast was on the 20th of April, when the people begged the Moon to return. Although the disappearance is in the west, the return is from the east. This feast was evidently similar to other festivals in which an idol was brought to some temple on a barge'. This explanation is in my view to be rejected: first, nowhere in Greek literature is the word τυραννικός ever associated with the word ἀστήρ; secondly, no similar appellation has ever been given to the Pleiades, the group of stars in Taurus, simply referred to as 'Pleiades' in Greek and Latin. In Arabic, the stars of the Pleiades were usually designated by the early form *al-thurayyā*, after which the third lunar mansion was also named; see Kunitzsch, *Sternnomenklatur*, pp. 114–115. Our manuscripts (as well as those for the *Fihrist*) are too corrupt to suggest a plausible identification of this name (or these names, in the case that there were two of them).

196 For this etymology of the name 'Kādhā' as being a 'popular rationalization', see Dodge, *Fihrist*, p. 767, who finds in the Babylonian feast Akītu the genuine origin of the appellation.

197 Cf. Ibn al-Nadīm, *Fihrist*, tr. Dodge, p. 767: 'Among their deities there is the Idol of the Water (*ṣanam al-mā'*), which fell among the gods during the days of the Tyrannic Star [sic], going forth as they suppose, fleeing and seeking the land of India. They set out in quest of it, asking and imploring it to return without delay. But it said to me, "I shall not again enter the city of Ḥarrān. I will, however, come to here (*hāhunā*)," the meaning of *hāhunā* being in Syriac *kādhā* (to here), near to Ḥarrān, to the east. "I will renew my acquaintance with your city and your leading men."' Note that the last words of our phrase correspond to a reconstruction on the basis of the comparison between Beirut, the two manuscripts, and the *Fihrist*: '*wa-ata'ahhadu* [*Fihrist*] *madīnata-kum* [*Fihrist* + Beirut] *wa-madhaba-kum* [*lām* and *nūn*]'.

198 Cf. Ibn al-Nadīm, *Fihrist*, tr. Dodge, p. 767: 'Thus it refused them, and until our own time they go out every twentieth day of the month of Nīsān (April), men and women together, expecting the arrival of the Idol of the Water and its coming to them. So the place is called Kādhā.' A few pages before, Ibn al-Nadīm provides another account of the procession to Kādhā; see *Fihrist*, tr. Dodge, p. 757: 'On the twentieth day they go out to Dayr Kādī, which is a sanctuary near one of the gates of Ḥarrān known as Bāb Funduq al-Zayt. They slaughter three *zabrukh*, a *zabrukh* being a bull. One is for the god Cronus, who is al-Zuḥāl (Saturn); one

idol is like the waiting of the Jews [20] for the Messiah [مسيح].[199] And they preserve the left wing of the cock that has been sacrificed in the hall of the men and they attach it to the bellies of the pregnant women and to the necks of the young men, in the manner of an amulet [حرز].[200] Amongst their collective ceremonies, there is also their excess in eating and drinking and the augmentation of their spendings on the first day of Nīsān, which is their New Year's day [رأس السنة].[201]

H. Concluding Note

Here are the stories and indications that we have got to know and heard with respect to the rectification of the views on the sciences of the stars, and on what extends it: the sciences of magic and the sciences of talismans. As for the argumentation about each case, section after section and signification after signification, (fol. 528b) the exposition of the demonstration of the validity about this is freely available in the books of the ancients [قدماء] and the philosophers [فلاسفة] [which are] filled up with them. And that is more than what we [can] enumerate in one chapter alone or one epistle alone.

---

is for Arīs, who is al-Mirrīkh (Mars), the Blind One; and one is for the Moon, which is Sīn. They also slay nine lambs: seven for the seven deities, one for the god of the jinn, and one for the Lord of the Hours. They also burn [offerings of] many lambs and cocks.'

199 This phrase, which is the only one of this paragraph not to be echoed in the *Fihrist*, seems to be an addition from the Ikhwān themselves. It confirms the exceptional importance of this feast in the year.

200 Cf. Ibn al-Nadīm, *Fihrist*, tr. Dodge, p. 767: 'Some of their customs. They preserve the left wing of the chickens which are used for the mystery of the shrine of the gods. The men pare off the flesh with great care and hang it [the wing bone] on the necks of the boys and the collars of the women, as well as the waists of pregnant women, believing this to be a great safeguard and protection'. This is evidence for this passage being directly related to the whole description of rituals above, as we have noted in the Introduction above, p. 56.

201 This assertion finds some confirmation in Ibn al-Nadīm and al-Bīrūnī, who both assert that the beginning of the year coincides with the first day of Nīsān. That this is a day of eating and drinking and excess in spendings is not confirmed, however, although Ibn al-Nadīm does mention such practices for other days of the Ṣābi'an calendar, as for instance on the 15th of Nīsān or the 2nd of Ayyār (see *Fihrist*, tr. Dodge, p. 757). For a comparison of the feast calendars in Ibn al-Nadīm and al-Bīrūnī, see Green, *City*, pp. 145–157.

Chapter 7
Spells, Incantations, and the Evil Eye

Introduction

[p. 307] As for the power of spells [رقى], of incantations [عزائم], of intuition [وهم], and of incitement [زجر] and their likes, together with their influences, this is [plain] from the testimony of the effects: [effects from] remedies [الأدوية] and drugs [العقاقير] on the bodies and the souls that are leaving the bodies, [and plain from] the categories of influences. And what also testifies to it [is] what has been heard of it about the influences of some medications, drugs, and stones on some others, such as:

– the magnetic stone [حجر المغناطيس][202] and its attraction for iron;
– the attraction [5] of the scammony [سقمونيا][203] for the [colour] yellow;
– the attraction of the stone of Armenia [الحجر الأرمنيّ][204] for the [colour] black;
– the stone of alum [حجر الشبّ][205] and its utility for the pains of the stomach when it is placed on it from outside;
– the utility of the tail of the wolf [ذيل الذئب][206] for colic;
– the utility of the threads with which one strangles the adder, when they are put, from outside, on the neck of who suffers from angina;
– the utility of the peony [عود الصليب][207] for the ailment called Umm al-Ṣibyān [أمّ الصبيان];[208]

202 On the 'magnetic stone' (*ḥajar al-mighnāṭīs*; Greek, μαγνῆτις λίθος; Latin, *magnes lapis*), see Goltz, *Studien*, p. 174.

203 On the 'scammony' (*saqamūniyā*), a bindweed from the family of the *Convolvulaceae*, see Issa, *Noms de plantes*, p. 56.

204 In the Western Middle Ages, the *lapis armenius* was a stone used for medical purposes. It has often been confused with lapis lazuli, due to its dark blue colour, but already Buffon devotes a chapter to it alone in his *Histoire naturelle des minéraux* (pp. 158–162). See Goltz, *Studien*, p. 147.

205 On the 'the alum stone' (*ḥajar al-shabb*), see Goltz, *Studien*, p. 233–234.

206 The 'tail of the wolf' (*dhayl al-dha'b*) is the name of a plant, from the family of the *Scrophulariaceae*. The Latin name is *Verbascum antari*; see Issa, *Noms de plantes*, p. 187.

207 On the peony (*'ūd al-ṣalīb*), see Issa, *Noms de plantes*, p. 132.

208 'Umm al-Ṣibyān' (literally, 'the Mother of Children') is the name of a female demon or jinn whose action is especially feared at the moment of a baby's birth. It appears in various Islamic traditions and legends, and is even mentioned in

– the damage of the sea-hare [أرنب البحري][209] to the lung, since it ulcerates it;
– and the sulphurs of arsenic [زرانيخ],[210] which ulcerate the bladder;
– and litharge [مرداسنج][211] [which], if it is put into vinegar, will alter its sourness in a way [that makes] sweetness; and if it is put into quicklime [نورة],[212] it will blacken the body;
– and the magnetic stone which attracts iron: if it is rubbed with garlic, it annihilates this effect; but if it is washed with vinegar, that power reverts and its effect returns.[213]

[10] And likewise, there are many more whose explanation and numbering would be long, and much of this has been mentioned in the Books of Properties.[214] And all those amongst the people who have applied themselves to experimenting, have experimented with the whole of that, or [at least] most of it, [and they have] observed these matters,

---

a hadith reported by al-Bayḥaqī (eleventh century) which reads: 'Whoever has a newborn baby, let him perform the Adhān in his right ear and the Iqāma in the left ear; the Umm Ṣibyān Jinn will not harm it'. Fodor, 'Types', pp. 118–134, here p. 119, notes: 'The best example of a written spell in conjunction with representations of evil spirits is the *al-sab' 'uhūd al-sulaymāniyya* (the Seven Solomonic Contracts), also named *du'ā' Umm al-Ṣibyān* (the Invocation of the Mother of Children), which enjoys the widest circulation in the Arab world as a printed amulet.' See also Knappert, *Legends*, pp. 149–151.

209 For the 'sea-hare' (*arnab al-baḥrī*) or *Aplysia depilans*, a poisonous mollusc already mentioned by Pseudo-Dioscorides, see Ullmann, *Natur- und Geheimwissenschaften*, p. 12. See also Viré, 'Arnab', pp. 84–87, here, p. 86.

210 *Zarnīkh* is arsenic. In Antiquity and the Middles Ages, this was the common name for a sulphur of arsenic. Two different substances were given this name: orpiment or 'yellow arsenic' (*zarnīkh aṣfar*, corresponding to the modern As_2S_3) and realgar or 'red arsenic' (*zarnīkh aḥmar*, corresponding to As_4S_4). See Goltz, *Studien*, pp. 239–242.

211 Litharge (or lithargyrum) is a preparation of lead obtained by fusion. The Arabic name, *murdāsanj*, is of Persian origin. See Goltz, *Studien*, pp. 245–246.

212 On *nūra*, one of various Arabic names for 'quicklime', see Ullmann, *Natur- und Geheimwissenschaften*, pp. 261–262.

213 The same observation was already made by Pliny the Elder; see Halleux, *Métaux*, p. 151.

214 As has already been seen (see note 134 above), a considerable number of books more or less concerned with alchemy were known as 'Books of Properties'. Whereas the Ikhwān had earlier referred to one of them, the present reference does not point towards any one work in particular.

particularly with those inorganic bodies [جمادات] and how the apparent influences of some of them influence the others.

The Influence of the Rational Soul upon the Bestial Soul

We have seen that the influences of the rational souls [النفوس الناطقة] upon the animal soul [النفس الحيوانيّة] are part of the influences that tame and break this one.[215] And this is due to its power in virtue of what is mentioned and recorded in the books that have been composed by the philosophers about reforming the character traits [إصلاح الأخلاق],[216]

215 The Ikhwān refer in various places of the *Rasā'il* to the Platonic theory of the soul, with its marked distinction between: (1) the appetitive soul (*al-nafs al-shahwāniyya*), which is the seat of desire and is located in the liver; (2) the irascible soul (*al-nafs al-ghadhabiyya*), which is the seat of courage and is located in the heart; (3) the rational soul (*al-nafs al-nāṭiqa*), which is the seat of rational thinking and is located in the head. The first two souls are also sometimes referred to as 'vegetative soul' and 'animal soul' respectively, since the appetitive soul is meant to correspond to the reign of plants and the irascible soul more specifically to the reign of animals. In the present sub-section and in the one which follows it, the Ikhwān speak of 'animal' (*ḥayawāniyya*) and even 'bestial' (*bahīmiyya*) as a way to qualify both the appetitive and the irascible souls, since animals — which are the object of this passage — are endowed with both, whereas plants only possess the appetitive soul. As for the rational soul, the Ikhwān naturally follow Plato's doctrine by saying that it is specific to the human being, and that its purpose is precisely to tame the other two souls in man.

216 The phrase 'reforming the traits of character' (*iṣlāḥ al-akhlāq*), very often used in connection with the 'refinement of the soul' (*tahdhīb al-nafs*), is one of the expressions most beloved by the Ikhwān, as it even appears in the title of Epistle 24 ('On the Sense and the Sensible, with respect to the Refinement of the Soul and the Reforming of Characters'). A pivotal issue of ethics, the reforming of characters was also the subject (and the title) of a great variety of books dealing with morals in the Middle Ages, such as the *Tahdhīb al-akhlāq* by the Christian theologian and logician Yaḥya ibn 'Adī (d. 974) or the *Tahdhīb al-akhlāq* by the Muslim Neoplatonist Miskawayh (d. before 1030). On all this, and especially on ethics with the Brethren of Purity, see Fakhry, *Ethical Theories*; the chapter on the Ikhwān is found on pp. 93–99. In relation to astrology, we may recall the following associations expressed by the Brethren — mainly in Epistle 26 ('On Man as Microcosm') — and summarized by Fakhry, p. 97: 'To the seven planets which possess each a soul and a body, operating on individual souls or bodies respectively, correspond seven bodily powers in man: those of attraction, cohesion, digestion, discharge, nutrition, growth and representation, and seven spiritual powers: those of hearing, sight, taste, smell, and touch, plus the two powers of speech and reason. The last two correspond to the Moon and the Sun, for "as the Moon derives its light from the Sun, as it passes through its

and in the books of religion [دين],[217] and those in which [p. 307] the promise [وعد] and the threats [وعيد] are mentioned,[218] by which the wicked character traits and the ugly acts are broken, by means of the substitution of these by their opposite in terms of beautiful acts. For example, the one who [15] subjugates anger, which is amongst the powers of the irascible soul (which is named the animal soul), [does so] by way of temperance, which is amongst the powers of the rational soul; and [likewise] the one who subjugates hasty actions [does so] by way of patience, and the carnal appetite by way of abstinence. And likewise for the rest of the wicked character traits [that are replaced by] beautiful and laudable traits of character.

And we have seen the way the rational soul influences the appetitive soul [النفس الشهوانيّة], particularly when the rational soul looks for help against the carnal appetites from the animal soul (which is named the irascible soul [الغضبيّة]) by subjugating and taming it [the appetitive soul] by means of it, until it subdues it, overcomes it, and raises it to righteousness in the rest of its conditions, lest it deviate from probity in the rest of its conditions, and [lest it deviate] from what requires philosophical government and legal orders and prohibitions and religious rules, lest it call for deviating from that, lest it [20] transgress it [by going] towards what is not licit with respect to the law or towards what is not permissible in probity with the philosophers.

On the Taming of Different Animals, with Different Methods of Giving Incitements

Then, we have seen also the way the rational soul influences the two bestial souls [النفسين البهيميّتين] (namely, the irascible and the appetitive

twenty-eight phases," so does the speech derive from reason the variety of sounds, designated as the twenty-eight letters of the (Arabic) alphabet, as they pass through the throat'; with reference to *Rasā'il*, vol. 2, pp. 464–465.

217 A probable reference to the treatises of heresiography, a popular genre in Islamic literature of the Middle Ages, whose most eminent representation will be Shahrastānī's *Milal* in the first half of the twelfth century.

218 Another reference to heresiographical treatises, in particular those dealing with the *wa'd* ('promise') and the *wa'īd* ('threats'). On the 'promise and threats' as one of the five main theses of the Mu'tazilites, see Fakhry, *History*, pp. 43–66. On the mention of the Mu'tazilites in Epistle 22 ('On Animals'), see Baffioni, 'Secret Sects', p. 11; and Goodman and McGregor, *The Case of the Animals*, p. 302.

that are in animals [حيوان])[219] in what is inferred in terms of causes that have influence upon them — as the fact of giving incitements and what comes about from the fact of giving incitements in disciplining animals.

Likewise [there is] what the tamer does with the horse, in overcoming it so as to mount it, and so on; and what the elephant-tamer does with the elephant in taming it and overcoming it; and also [the way in] which the rational soul talks to the bestial soul in order to steer it and govern it.

Likewise [there is] what whistling does for the horse (fol. 529a) and the cow at their [time of] drinking water. And also what the chanting of the caravan leader does for camels, and the other [ways] by which they operate when they wish to urge them to walk: they make signs to them, which they familiarized them with up to the point that they [can] subdue them to [get] what they want from them.

And [likewise there is] what they do when [what] they want from them is that they stop and cease to walk: they cease and stop for them. And their souls accept these various signs according to the diversity of their natures. And the incitements[220] for the horse, the mules, and the donkeys are different from the incitements for camels, cows, and sheep.

And every genus of those and every species of those is tamed by a sign different from the last. And that sign [5] influences them and this is specific to them. Those different signs influence the souls of animals, and the species of animals accept [the influences] from them with an acceptance plain and clear, according to the diversity of their natures.[221]

---

219 By 'animals' (*ḥayawān*), the Brethren seem to refer here to all living beings as being endowed with bestial souls, namely, the irascible and the appetitive. This therefore also includes man, as the continuation of the text would suggest.

220 It is from such examples as those provided in this passage that one can best infer which meaning the authors give to the word *zajr*, appearing in the very first lines of the epistle. We have opted for 'incitements'; see note 2 above.

221 It may be interesting to recall the following lines from the 'Case of the Animals' in Epistle 22 ('On Animals'), whose plot is, as is well known, entirely based on the suffering endured by animals as a result of their taming by man: 'They [the Adamites] enslaved such cattle as cows, sheep, and camels, and beasts like horses, asses, and mules. They hobbled and bridled them and put them to work — riding, hauling, ploughing, and threshing. They wore these creatures out in service, with toil beyond their strength. Beasts that had roamed the woodlands and wilds unhindered, in search of pasture, water, and all their needs, were checked and trammelled. Other animals — the wild asses, gazelles, and beasts of prey, wildlife and birds that had been docile and lived in peace and quietude

And the rational soul subjugates them [the bestial souls] and attracts them towards what it wants of them, according to their diversity. Likewise, the diversity of the influences [p. 309] of drugs, by way of the properties that are in them, [operate] on the various organs, according to the diversity of their natures. This also is evidence that spells [الرقى] and amulets [عوذ] operate on souls and influence them according to the grade of their substances [جواهر] and their natures [طبائع].[222]

Likewise, the sages [حكماء] have provided evidence of the properties that are in drugs and remedies according to their natures; and every nature and every peculiarity has been confirmed, why it is good and useful, and why it is harmful and noxious, and in relation to which limb [10] it is useful and in relation to which it is harmful.

Likewise, they have provided evidence on spells and amulets and charms [نشر], and it has been confirmed what is good for each thing in the animal and what is specific to them; for instance, the spell of the bee of the secret [نحلة السّرّ][223] and the spells of snakes; and, for instance, what [kind] of influence the spell of the scorpion and the spell of the wasp and [the spell] of other animals have;[224] and, for instance, what

---

in their ancestral lands — fled the haunts of men for far-off wastes, forests, mountain peaks, and glens. But the Adamites set after them with all sorts of devices for hunting, trapping, and snaring, convinced that the animals were their runaway or rebellious slaves'; Goodman and McGregor, *The Case of the Animals*, pp. 99–100.

222 The Brethren's formulation in the present passage seems to be reminiscent of Jābir's own terminology. According to Jābir, 'substance' (*jawhar*, pl. *jawāhir*) is a concept so close to that of 'matter' (*mādda*) that they are often regarded as one and the same in his system; see Jābir ibn Ḥayyān, *Kitāb al-aḥjar* in S.N. Haq, *Names*, pp. 51–57. As for 'nature' (*ṭabī'a*, pl. *ṭabā'i'*), it designates, here as with Jābir, one of the four elementary properties (heat, cold, dryness, and wetness). The Ikhwān seem to consider that the signs and incitements made to animals are, as it were, intrinsically linked to them, and not just conventions to which they respond as a result of a habit. From the reference to drugs in the same passage, one is meant to understand that the Brethren regard spells and incitements as ways to influence the soul almost physically.

223 The passage is severely corrupt. Beirut has '*qalam al-surūr*', which hardly makes sense. In view of the subsequent examples — all taken from animals whose sting or bite are feared —, we may reasonably conjecture that *naḥla* ('bee') is the first element, but the second should remain largely conjectural, since the vocalization is almost nonexistent here in *lām* (the only manuscript at our disposal for this part of the text).

224 As noted above, all animals referred to in this list are feared for their bites or

[kind] of influence magic has on the souls of the Adamites [آدميون] and on their bodies. But this is something whose explanation would be long.

In the preceding part of this epistle of ours, we have reported the evidence, for a part of it, for the validity of the statement about this and for the validity of the science of talismans. What is in the part we have mentioned as proof of this being sound should suffice for whoever comes across [يقع] what we have said in it. As for these spells, charms, incantations, and the like, these are only subtle spiritual influences [15] from the rational soul that influences the bestial soul common to animals. Amongst these [influences], there is what moves them and rouses them, and there is what tames them. And amongst them [also], there is what operates in them as powerful influences, according to various effects. Maybe [the effect] is to kill them, and one says about that [that it is] an 'affliction by the evil eye' [إصابة العين].[225] Maybe it makes them fade away. Maybe it overpowers them.

And we have often seen someone overpowering a man in less than a moment, when [he was] sitting in front of him. This is only a subtle effect that appears suddenly from one soul and which operates in another soul. [This is] like the sparks that appear suddenly from a fire and fall down on objects and burn them. Except that what appears suddenly from the soul is spiritual and subtle, since it comes out from the subtle soul and operates on [something] subtle like itself, whereas what comes out of fire is denser than it — in proportion to the density of fire[226] — and operates [20] on dense objects; and this is the cause of this effect.

---

stings. The role they play on talismans may often be interpreted into two different ways: first, as a way to protect oneself from their influence; and secondly, as a way to use of their image so as to shy a demon or a jinn. On this ambivalence, see Fodor, 'Types'.

225 The 'evil eye' (*al-'ayn*), which one could define as 'the evil action of an envious glance' (Marçais, "Ayn', p. 786) is a belief or a superstition which largely pre-dates Islam, and whose 'acceptance' in the Muslim world is usually grounded on Qur'an 113:5: 'And from the evil of an envier when he envies' ('*wa-min sharr ḥāsidin idhan ḥasada*'). As Emilie Savage-Smith notes, 'The role of the evil eye is much more evident in early Islamic practice than it appears to have been in earlier cultures[....] Quite certainly the representation of the human hand played an important role in protection against the evil eye throughout the pre-Islamic Middle East, and continues to do so in the Islamic lands'; 'Introduction', pp. xx–xxi.

226 Influences are thus said to be subtler than fire, the subtlest of the four elements.

Tradition regarding Affliction by the Evil Eye and the Restoration from it by Magic, by its Effects upon the Bestial Souls

If you contemplate and imagine the image of what is considered [p. 310] in thinking (and thinking is one of the senses of the rational soul, and it leads what it encompasses to the soul), and if the contemplation befalls thinking and thinking befalls the soul, [then] a rare phenomenon flows into the soul, which determines the considered soul and which overpowers it. And this exists and is plain with those struck by the evil eye [في الملقوعين].[227] There are many people who reject this and do not believe in it and do not trust it. But this is a clear thing, which is observed and heard about continually.

It is reported that a tribe of Indian people, (fol. 529b) by way of their intuitions, see in others than themselves very strange things, that most people deny. And because of this, they [the deniers] reject magic — as we have reported about them in this epistle — and they reject spells and intuition. [This is] because things like this are from the subtle [things] that seem like the invisible. And yet they exist, especially with those struck by the evil eye; it is plain with them.

And the only ones to reject this reject it owing to the fact that they have already clung to fallacious allegations that the masters of bold trickeries, the liars, have established.[228] And those [liars] have anchored them to what looks like this reality.

And we have already reported, in the forefront of this epistle,[229] what signification should be given as to the fact that they regard as a lie what they hear about the mentioning of magic and the mentioning of the effect of talismans [5], when they hear from some of those pursuing it who are amongst the ignorant, absorbed in the pursuit of it, [but] who busy themselves with it without any understanding of it at all. They

227 The expression '*laqa'a-hu bi-'ayni-hi*' means 'to strike someone with the evil eye' or 'to cast the evil eye on someone'; see Kazimirski, *Dictionnaire*, vol. II, p. 1015 a 4; Ullmann, *Wörterbuch*, Band II, 2, pp. 1104–1105.

228 In other words, having credulously believed in things that turned out to be false, those people are now sceptical of everything.

229 See the passage from Chapter 1 in which the Brethren seek to ridicule the pseudo-savants. Indeed, what follows looks like the mere repetition of that preliminary invective, although perhaps the authors make it clearer here that the pseudo-savants are in the majority and that the genuine savants are but a chosen few.

do not know the foundations of it, just like a stupid man, altogether short of science and intellect, or a frivolous and ignorant woman, or a feeble-minded old woman. Those people lie and move their souls away from the people of this category. In doing so, their narrow-mindedness and their ignorance are plain! In doing so, they regard as futile most of those issues that those ignorant people and liars have corrupted, and they judge the whole of this as vanity. Now, those who are on the side of the liars are the most numerous and the most common. As for the foundation which comes from the sages, this is sound and [comes] from sound foundations, but there are very few of them.

And it has been reported about the Prophet of God, God bless him and grant him salvation, that he said, 'Magic is a reality and the evil eye [العين] is a reality.'[230] And it has been reported about him, God bless him and grant him salvation, that he was bewitched by it [magic] and that magic was extracted from the well. But the hadith [10] about that is well known.[231] And it has also been reported about him, God bless him and grant him salvation, [p. 311] that he decreed that a man who was harmed heavily [by the evil eye] be given [water] to drink, and

230 In fact, only the second half of this statement recalls a well-known hadith, found in Bukhārī (ninth century) under the following form: 'Narrated Abū Hurayra: The Prophet said, "The effect of the evil eye is a fact". And he prohibited tattooing.' See Bukhārī, vol. VII, Book 71, Number 636. The Prophetic traditions on the evil eye are many, and often contradictory. See also this other hadith: 'Narrated 'Ā'isha: The Prophet ordered me or somebody else to use spells against the evil eye'; Bukhārī, vol. IV, Book 55, Number 590.

231 The bewitchment of the Prophet is indeed a well-known tradition, which is put into 'Ā'isha's mouth. According to the hadith, reported by Bukhārī, amongst various other authorities, Muhammad was bewitched by a man named Labīd ibn al-A'sam — presumably a Jewish magician, but reports do not all agree on this — who hid the Prophet's comb, with some of his hair stuck to it, in the well of Dharwān. This would have prompted the Prophet, whom God had cured in the meantime, to have the well filled in. A later traditionist, Baydawī (end of the thirteenth / beginning of fourteenth century) sought to connect this story with Qur'an 113:4, namely, 'And from the evil of the blowers in knots' ('*wa-min sharr al-naffāthāt fi'l-'uqad*'); the Prophet's deliverance from those eleven magical knots would then have come from the revelation of the last two Suras, 113 and 114, whose sum includes eleven verses. On these traditions and references, see Hamès, *Coran*, pp. 27–32. On Suras 113 and 114 ('*al-mu'awwidhatān*'; literally, 'the two protective ones') as effectively regarded as endowed with talismanic power, see also Canaan, 'Decipherment', p. 129.

this is also a well-known hadith.[232] But [in fact] he just decreed that the man be cleansed, so that he would cease to be harmed by what escaped from it [the evil eye] and that this would put an end to what escaped from him. Because he, God bless him and grant him salvation, knew this in its specificity and its modality, and he knew of the path to this, and he gave proof of it.

And likewise also for what we observe in terms of yawning. We report [the following]: a man yawns during a lively session, and sometimes it is [then] all of the people in a particular session who yawn; and this is due to infection. And this is also an influence that influences the soul to [some] extent and which infects the soul that contemplates it, and this influences it. And these peculiarities that we have mentioned are an indication of the influence [15] of spells, charms, and incantations upon the bestial souls that are [to be found] in kinds of animals.

People view that the sorcerer has recourse to spells from the saliva, the breath, and the like, since saliva and breath are both of the bestial [البهيمية] substance, merely by virtue of a movement of the rational soul, and that they influence it in the way whistling, the trumpet, and the other signals that we have mentioned, influence it. Only the purified sages take interest in the realities and the subtleties that are in that, [the sages] who endorse inspiration from God, how powerful and lofty is He, in that they know the cause of each thing and in what way it exerts influence, and upon which substance of an animal it has effect.

Amongst these things there is what they [the sages] have demonstrated and which has passed down through the hands of the people, and they [the people] operated with that, as has been seen; for instance, what they [the sages] have demonstrated about the magnetic stone and about what is in it in terms of natural disposition to attract the iron. And likewise, if there was a[n unsubstantiated] report [of some kind],

232 A possible reminiscence from the following hadith, equally reported by Bukhārī: 'Narrated Isra'īl: 'Uthmān ibn 'Abd-Allah ibn Mawhab said: "My people sent me with a bowl of water to Umm Salāma". Isra'īl approximated three fingers [indicating the small size of the container in which there was some hair of the Prophet]. 'Uthmān added: "If any person suffered from the evil eye or some other disease, he would send a vessel [containing water] to Umm Salāma. I looked into the container [that held the hair of the Prophet] and saw a few red hairs in it"'; vol. VII, Book 72, Number 784.

most of the people would distrust it, and they would consider it a lie [أكذبوه], just as they would distrust [20] other things of those which they have not witnessed or which they have not understood.

But the eyewitnessing [العيان] and the direct testimony [المشاهدة] regarding stony bodies and lifeless drugs, would it not be possible that they would be like this in respect to animals, with [all] that there is in them in terms of supremacy over the lifeless, in virtue of the bestial soul, mixed, prepared to receive the influence of the rational soul in itself, and in the same way as may be observed from their effects? But there is no way for us to attain from this more than what we have attained.

And the understanding of its modality, of its reasons, and of its causes is possible only through the endorsement from the sages who are specialized in the science of it. Amongst them, there are those who grant something without anything else, and there are those who grant much of this [understanding], as is reported about the [p. 312] Messiah [المسيح], God bless him and grant him salvation, (fol. 530a) that he did not pass by a stone nor a tree nor whatever [other] thing without addressing it and talking to it and informing it of what was appropriate for it.[233] And that speech did not come from the lifeless, as a reply, but rather it was a sign, a way to make believe, and a point of view. And he, God bless him and grant him salvation, knew what there was in those things by inspiration from God, the Creator of them,

233 Lory, 'Magie', p. 154, mentions this passage about Jesus as coming from Christian apocryphal traditions, but without specifying which ones. In Pseudo-Thomas' *Gospel of Childhood*, an apocryphal work on Jesus' young years originally written in Syriac but later adapted and translated in various other idioms (including Arabic), we find a chapter in which Jesus is regarded as a sorcerer for being able to make several figures of clay animals walk and fly; see the 'Arabic Gospel of the Infancy', Chapter XXXVI, as summarized in James, *Apocryphal New Testament*, p. 82. For the full text of this Gospel, see Peeters, *Évangile de l'Enfance*. This story, along with other miracles attributed to Jesus by extra-canonical Christian traditions, finds an echo in Qur'an 3:49: 'And [make him] a messenger to the Children of Israel, [who will say], "Indeed I have come to you with a sign from your Lord in that I design for you from clay [that which is] like the form of a bird, then I breathe into it and it becomes a bird by permission of Allah. And I cure the blind and the leper, and I give life to the dead — by permission of Allah. And I inform you of what you eat and what you store in your houses. Indeed in that is a sign for you, if you are believers." The elements reported by the Brethren about Jesus' power probably derive from the same kind of traditions.

how powerful and lofty is He. For He makes inherit wisdom whomever He wishes from amongst His elected servants, God bless them all and grant His mercy and His benedictions.[234]

Chapter 8
Postscript

And now we have concluded, from the speech in this epistle, my brother, what we view as being sufficient and enough for you, with respect to audition and information, [5] and particularly if you have pondered what has preceded as regards our words in [the] fifty epistles that we have produced before this one. Those ones [previous epistles] are introductions to it and an aid to it for the acquisition of your science.

And for this reason, we should now like to break off the speech here, since we have attained our objective in completing this last epistle, which is the last within the *Epistles* whose science we have vouchsafed for you and carried out to completion. May God stand by you, and by ourselves, my brother, in what he is satisfied with from us, and may He give us success, and [may He give it to] you, to the degree that we have reached what we had aimed at and attained the utmost point of what we had wished, with respect to the perfection at which we aim. To Him the praise — from us and from all our noble brethren — forever and ever, without end and without interruption, for these are [10] His people and those who are deserving of Him, and He is our measure. What an excellent aid [is He] in what regards the Book [كتاب]![235]

234 Adaptation from Qur'an 7:128.

235 This last mention of the Qur'an in this epistle may perhaps be explained by reference to the fact that the Holy Book is 'often carried in miniature as the best and strong protection'; Canaan, 'Decipherment', p. 129, who lists the parts of the Book that are thought to be the most protective.

Colophon of ل

With praise to God and the goodness of the success [which He has provided us with], on the 22nd of the month of Jumādā I, of the year 820. And praise to the righteous, and praise and prayers to God, Muhammad, his family [وآله], and all the companions. M.'.[236]

236 For the meaning of this 'M.', see the Technical Introduction above, p. 78, note 17.

Select Bibliography

Bible, ed. Jay Green as *The Interlinear Hebrew/Greek/English Bible*. 4 volumes. Lafayette Ind., Associated Publishers and Authors, 1976–1979. [= Bible, ed. Green]

Qur'an. *Sahih International*, available at http://quran.com/

Ikhwān al-Ṣafā'

Rasā'il Ikhwān al-Ṣafā', ed. Buṭrus al-Bustānī. 4 volumes. Beirut: Dār Ṣādir and Dār Bayrūt, 1377/1957, 2004. [= Ikhwān al-Ṣafā', *Rasā'il*, Beirut]

Kitāb Ikhwān al-Ṣafā' wa-Khullān al-Wafā' li'l-imam al-humām quṭb al-aqṭāb mawlānā Aḥmad ibn 'Abd Allāh, ed. Wilāyat Ḥusayn. 4 volumes. Bombay: Maṭba'at Nukhbat al-Akhbār, 1305–1306/1887–1889. [= Ikhwān al-Ṣafā', *Rasā'il*, Bombay]

Rasā'il Ikhwān al-Ṣafā' wa-Khullān al-Wafā', ed. Khayr al-Dīn al-Ziriklī. 4 volumes. Cairo: al-Maṭba'at al-'Arabiyya bi-Miṣr, al-Maktaba al-Tijāriyya al-Kubrā, 1346/1928. [= Ikhwān al-Ṣafā', *Rasā'il*, Cairo]

NB The full reference to specific volumes of the current series of editions of the *Epistles of the Brethren of Purity* is given in 'Studies', under the name of the contributors. For Epistle 5, see Owen Wright, *On Music*; for Epistles 10–14, see Carmela Baffioni, *On Logic*; for Epistle 22, see Lenn Goodman and Richard McGregor, *The Case of the Animals*. The full reference to the translation of individual epistles is also given in 'Studies', under the name of the translator.

Sources

Abū Ma'shar. *Mudhākarāt* (Latin), ed. Graziella Federici-Vescovini as 'La versio latina degli excerpta de secretis Albumasar di Sadan'. *Archives d'histoire doctrinale et littéraire du Moyen Âge* 65 (1998), pp. 273–330. [= Abū Ma'shar, *Mudhākarāt* (Latin), ed. Federici-Vescovini]

------. *Mudhākarāt* (Latin), tr. Graziella Federici-Vescovini as *Sadan. I segreti astrologici di Albumasar*. Turin: Nino Aragno, 2000. [= Abū Ma'shar, *Mudhākarāt* (Latin), tr. Federici-Vescovini]

Al-Bīrūnī. *Al-Āthār al-bāqiyya*, ed. C. Edward Sachau. 2 volumes. London: Kegan Paul, 1910. [= Bīrūnī, *Āthār*, ed. Sachau]

------. *Al-Āthār al-bāqiyya*, tr. C. Edward Sachau as *The Chronology of Ancient Nations*. London, 1879. Reprint, Frankfurt: Minerva, 1969. [= Bīrūnī, *Āthār*, tr. Sachau]

------. *Kitāb al-Tafhīm li-awā'il ṣinā'at al-tanjīm*, tr. R. Ramsay Wright as *The Book of Instruction in the Elements of the Art of Astrology*. London: Luzac and Co., 1934.

Bukhārī. *Saḥīḥ*, tr. Octave Houdas and William Marçais as *Les traditions islamiques*. 4 volumes. Paris: Imprimerie Nationale, 1903. Reprint, Paris: Maisonneuve, 1977. [= Bukhārī, *Saḥīḥ*]

Catalogus Codicum Astrologorum Graecorum, ed. Franz Cumont et al. 20 volumes. Brussels: Académie Royale de Belgique, 1898–1953. [= *CCAG*]

Al-Dimashqī. *Nukhbat al-dahr fī 'ajā'ib al-barr wa'l-baḥr*, tr. August Ferdinand Mehren as *Manuel de cosmographie du Moyen Âge*. Amsterdam: Meridian, 1964. [= Dimashqī, *Nukhba*, tr. Mehren]

Al-Fīrūzābādī. *Al-Qāmūs*. 2 volumes. Third edition, Al-Maṭba'at al-Miṣrīya, 1933.

Hermetis Trismegisti De Triginta Sex Decanis, ed. Simonetta Feraboli and Sylvain Matton. Corpus Christianorum, Continuatio Mediaevalis, 144. Turnhout: Brepols, 1994. [= *Hermetis Trismegisti De Triginta Sex Decanis*]

Ibn Khurradādhbih. *Kitāb al-Masālik wa'l-Mamālik*, ed. Michael Jan de Goeje. Bibliotheca Geographorum Arabicorum, 6. Leiden: Brill, 1976. [= Ibn Khurradādhbih, *Masālik*, ed. De Goeje]

Ibn Manẓūr. *Lisān al-'arab*. 15 volumes. Beirut: Dār Ṣadr Dār Bayrūt, 1968. [= Ibn Manẓūr, *Lisān*]

Ibn al-Nadīm. *Kitāb al-Fihrist*, ed. Gustav Flügel. Halle, 1872. [= Ibn al-Nadīm, *Fihrist*, ed. Flügel]

------. *Kitāb al-Fihrist*, tr. Bayard Dodge as *The Fihrist of al-Nadīm; A Tenth-Century Survey of Muslim Culture*. 2 volumes. New York: Columbia University Press, 1970. [= Ibn al-Nadīm, *Fihrist*, tr. Dodge]

Al-Kulaynī. *Al-Uṣūl min al-Kāfī*. Beirut: Dār al-Aḍwā', 1405/1985. [= Kulaynī, *Kāfī*]

Al-Mas'ūdī. *Al-Murūj al-dhahab*, ed. and tr. Barbier de Meynard and Pavet de Courteille. 9 volumes. Paris: Société Asiatique, 1871–1876. [= Mas'ūdī, *Murūj*, ed. and tr. Barbier de Meynard and Pavet de Courteille]

------. *Al-Murūj al-dhahab*, ed. 'Abd al-Ḥamīd. 4 volumes. Cairo, 1948. [= Mas'ūdī, *Murūj*, ed. 'Abd al-Ḥamīd]

------. *Kitāb al-Tanbīh wa'l-Ishrāf*, tr. Carra de Vaux as *Le livre de l'avertissement et de la révision*. Paris: Société Asiatique, 1896. [= Masʿūdī, *Tanbīh*, tr. Carra de Vaux]

------. *Kitāb al-Tanbīh wa'l-Ishrāf*, ed. Michael Jan de Goeje. Bibliotheca Geographorum Arabicorum, 8. Leiden: Brill, 1967. [= Masʿūdī, *Tanbīh*, ed. De Goeje]

Midrash Rabbah. Volume 2, tr. Rabbi H. Freedman and Maurice Simon. London: The Soncino Press, 1961. [= *Midrash Rabbah*, tr. Freedman and Simon]

Plato. *Phaedo*, ed. and tr. Harold North Fowler. The Loeb Classical Library, 36. London: Heinemann, 1914. [= Plato, *Phaedo*]

------. *Republic*, ed. and tr. Paul Shorey. The Loeb Classical Library, 276. London: Heinemann, 1935. [= Plato, *Republic*]

Pseudo-Ibn Wahshiyya. *Ancient Alphabets and Hieroglyphic Characters Explained, with an account of the Egyptian priests, their classes, initiation, and sacrifices in the Arabic Language by Ahmad Bin Abubekr Bin Wahshih and in English by Joseph Hammer*. London, 1806.

Pseudo-Majrīṭī. *Ghāyat al-ḥakīm*, ed. Hellmut Ritter as *Das Ziel des Weisen*. Studien der Bibliothek Warburg, 12. Leipzig–Berlin: B. G. Teubner, 1933. [= Pseudo-Majrīṭī, *Ghāya*, ed. Ritter]

------. *Ghāyat al-ḥakīm*, tr. Hellmut Ritter and Martin Plessner as *'Picatrix'. Das Ziel des Weisen von Pseudo-Majrīṭī*. Studies of the Warburg Institute, 27. London: The Warburg Institute, 1962. [= Pseudo-Majrīṭī, *Ghāya*, tr. Ritter and Plessner]

------. *Picatrix*, ed. David Pingree as *Picatrix: The Latin Version of the Ghāyat al-ḥakīm*. Studies of the Warburg Institute, 39. London: The Warburg Institute, 1986. [= Pseudo-Majrīṭī, *Picatrix*, ed. Pingree]

Ṣāʿid al-Andalusī. *Ṭabaqāt al-umam*, ed. Louis Cheikho. Beirut: Imprimerie Catholique, 1912. Republished with a French translation by Régis Blachère as *Livre des catégories des nations*. Paris: Larose, 1935. Reprint, Frankfurt am Main, 1999. [= Ṣāʿid al-Andalusī, *Ṭabaqāt*, ed. Cheikho]

Shahrastānī. *Kitāb al-Milal wa'l-niḥal*, ed. William Cureton as *Books of Religions and Philosophical Sects*. 2 volumes. London, 1842–1846. [= Shahrastānī, *Milal*, ed. Cureton]

------. *Kitāb al-Milal wa'l-niḥal*, ed. M. Badrān. 2 volumes. Cairo, 1947–1955. [= Shahrastānī, *Milal*, ed. Badrān]

------. *Kitāb al-Milal wa'l-niḥal*, tr. Daniel Gimaret, Guy Monnot, and Jean Jolivet as *Le Livre des religions et des sectes*. 2 volumes. Peeters/UNESCO, 1993. [= Shahrastānī, *Milal*, tr. Gimaret, Monnot, and Jolivet]

------. *Kitāb al-Milal wa'l-niḥal*, ed. Muḥammad Kilānī. 2 volumes. Beirut: Dār al-Ma'rifa, n.d. [= Shahrastānī, *Milal*, ed. Kilānī]

Al-Zubaydī. *Tāj al-'arūs*. Volume 1, Benghazi, s.d. Volumes 2–10. Beirut: Dār al-Lībīa bi-Naghāzī, 1966. [= Zubaydī, *Tāj*]

Studies

'Abd al-Nūr. *Dictionnaire arabe-français*. Beirut: Dār al-'Ilm li'l-Malāyīn, 1983. [= 'Abd al-Nūr, *Dictionnaire*]

Baffioni, Carmela. *L'Epistola degli Ikhwān al-Ṣafā' 'Sulle opinioni e le religioni'*. Naples: Istituto Universitario Orientale (Dipartimento di Studi e Ricerche su Africa e Paesi Arabi), 1989. [= Baffioni, *Sulle opinioni*]

------. *Frammenti e testimonianze di autori antichi nelle Epistole degli Ikhwān al-Ṣafā'*. Naples: Istituto Universitario Orientale, 1994. [= Baffioni, *Frammenti*]

------. 'Frammenti e testimonianze platoniche nelle *Rasā'il* degli Ikhwān al-Ṣafā", in *Autori classici in lingue del Vicino e Medio Oriente*, ed. G. Fiaccadori. Rome: Istituto Poligrafico e Zecca dello Stato, 2001, pp. 163–178. [= Baffioni, 'Frammenti e testimonianze platoniche']

------. 'Traces of "Secret Sects" in the *Rasā'il* of the Ikhwān al-Ṣafā", in *Shī'a Islam, Sects and Sufism. Historical dimensions, religious practice and methodological considerations*, ed. F. de Jong. Utrecht: Publications of the M. Th. Houtsma Stichting, 1992, pp. 10–25. [= Baffioni, 'Secret Sects']

------, ed. and tr. *On Logic; An Arabic Critical Edition and English Translation of Epistles 10–14*. Epistles of the Brethren of Purity. New York– London: Oxford University Press in association with the Institute of Ismaili Studies, 2010. [= Baffioni, *On Logic*]

Bausani, Alessandro. *L'enciclopedia dei Fratelli della Purità. Riassunto, con Introduzione e breve commento, dei 52 Trattati o Epistole degli Ikhwān al-Ṣafā'*. Naples: Istituto Universitario Orientale, 1978. [= Bausani, *Riassunto*]

Belot, J.-B. *Vocabulaire arabe-français à l'usage des étudiants*. Beirut: Imprimerie catholique, 1899. [= Belot, *Vocabulaire*]

Blumenthal, David R. 'A Comparative Table of Bombay, Cairo and Beirut Editions of the *Rasā'il Iḫwān al-Ṣafā"*. *Arabica* 21 (1974), pp. 186–203. [= Blumenthal, 'Comparative Table']

Boudet, Jean-Patrice. *Le recueil des plus célèbres astrologues de Simon de Phares*. Volume 1. Paris: Librairie Honoré Champion, 1997. [= Boudet, *Recueil*]

Boudet, Jean-Patrice, Anna Caiozzo, and Nicolas Weill-Parot, ed., *Picatrix: Image et Magie*. Actes du colloque international de Paris des 11 et 12 mai 2007. Paris: Librairie Honoré Champion, 2011. [= Boudet, Caiozzo, and Weill-Parot, *Image et magie*]

Buck, Christopher. 'The Identity of the Ṣābiʾūn: An Historical Quest'. *The Muslim World* 74 (1984), pp. 172–186. [= Buck, 'Identity']

Burckhardt, Titus. *Mystical Astrology according to Ibn ʿArabi*, tr. (from the French) Bulent Rauf. Aldsworth: Beshara Publications, 1977. [= Burckhardt, *Mystical Astrology*]

Burnett, Charles. '«Albumasar in Sadan» in the Twelfth Century', in *Ratio et superstitio. Essays in Honor of Graziella Federici-Vescovini*, ed. G. Marchetti, O. Rignani, and V. Sorge. Textes et Études du Moyen Âge, 24. Louvain-la-Neuve: Fédération des Instituts d'Études Médiévales, 2003, pp. 59–67. [= Burnett, 'Albumasar']

------. 'The Legend of the Three Hermes and Abū Maʿshar's *Kitāb al-Ulūf* in the Latin Middle Ages'. *Journal of the Warburg and Courtauld Institutes* 39 (1976), pp. 231–234. [= Burnett, 'Three Hermes']

Caiozzo, Anna. 'Éléments de rituels images dans les manuscrits de l'Orient médiéval', in *Picatrix: Image et Magie*, ed. J.-P. Boudet, A. Caiozzo, and N. Weill-Parot. Actes du colloque international de Paris des 11 et 12 mai 2007. Paris: Librairie Honoré Champion, 2011, pp. 57–75. [= Caiozzo, 'Éléments']

------. *Images du ciel d'Orient au Moyen Âge: une histoire du zodiaque et de ses représentations dans les manuscrits du Proche-Orient musulman*. Paris: Presses de l'Université de Paris–Sorbonne, 2003. [= Caiozzo, *Images*]

------. 'Le temple de la Lune verte: de la couleur des planètes dans les miniatures de l'Orient médiéval'. *Der Islam* 81 (2004), pp. 270–302. [= Caiozzo, 'Temple']

Canaan, Tewfik. 'The Decipherment of Arabic Talismans', in *Magic and Divination in Early Islam*, ed. Emilie Savage-Smith. The Formation of the Classical Islamic World, 42. Aldershot: Ashgate, 2004, pp. 125–177 (with plates). [= Canaan, 'Decipherment']

Chwolsohn, Daniel. *Die Ssabier und der Ssabismus*. 2 volumes. Saint Petersburg, 1956. Reprint, Amsterdam: Oriental Press, 1965. [= Chwolsohn, *Ssabier*]

Corbin, Henry. 'Rituel sabéen et exégèse ismaélienne'. *Eranos Jahrbuch* 19 (1950), pp. 181–246. [= Corbin, 'Rituel']

------. 'Le temps cyclique dans le mazdéisme et dans l'ismaélisme'. *Eranos Jahrbuch* 20 (1951), pp. 149–217. [= Corbin, 'Temps cyclique']

de Callataÿ, Godefroid. *Annus Platonicus; A Study of World Cycles in Greek, Latin and Arabic Sources*. Publications de l'Institut Orientaliste de Louvain, 47. Louvain: Peeters, 1996. [= de Callataÿ, *Annus Platonicus*]

------. 'Die astrologische Geographie in der Antike', in *Religiöse Landschaften*, ed. J. Hahn. Alter Orient und Altes Testament, Band 301. Münster: Ugarit-Verlag, 2002, pp. 85–104. [= de Callataÿ, 'Astrologische Geographie']

------. 'The Classification of Knowledge in the *Rasā'il Ikhwān al-Ṣafā'*', in *The Ikhwān al-Ṣafā' and their 'Rasā'il'; An Introduction*, ed. Nader El-Bizri. Epistles of the Brethren of Purity. New York–London: Oxford University Press in association with the Institute of Ismaili Studies, 2008, pp. 58–82. [= de Callataÿ, 'Classification']

------. *Ikhwan al-Safa': A Brotherhood of Idealists on the Fringe of Orthodox Islam*. Oxford: Oneworld, 2005. [= de Callataÿ, *Brotherhood*]

------. 'Ikhwân al-Safâ': Des Arts Scientifiques et de leur Objectif. Présentation et traduction de l'Epître VII des Frères de la Pureté'. *Le Muséon* 116, 1–2 (2003), pp. 231–258. [= de Callataÿ, 'Arts scientifiques']

------. *Ikhwān al-Safā', Les Révolutions et les Cycles. Présentation et traduction de l'épître XXXVI des Frères de la Pureté*. Louvain-la-Neuve and Beirut: Bruylant/Academia and al-Bouraq, 1996. [= de Callataÿ, *Révolutions*]

------. 'Ikhwân al-Safâ': Sur les limites du savoir humain. Présentation et traduction de l'Epître XXVIII des Frères de la Pureté'. *Le Muséon* 116, 3–4 (2003), pp. 479–503. [= de Callataÿ, 'Limites']

------. 'The Knot of the Heavens'. *Journal of the Warburg and Courtauld Institutes* 59 (1996), pp. 1–13. [= de Callataÿ, 'Knot of the Heavens']

------. 'Oikoumenè hupouranios: réflexions sur l'origine et le sens de la géographie astrologique'. *Geographia Antiqua* 8–9 (1999/2000), pp. 25–69. [= de Callataÿ, 'Oikoumenè hupouranios']

------. 'Plato Ikhwanianus. Retour sur le récit platonicien de l'anneau de Gygès dans l'encyclopédie des Frères de la Pureté'. *Res Antiquae* 7 (2010), pp. 55–62. [= de Callataÿ, 'Plato Ikhwanianus']

------. 'Les Sabéens de Ḥarrān dans l'œuvre d'Yves Marquet', in *Picatrix: Image et Magie*, ed. J.-P. Boudet, A. Caiozzo, and N. Weill-Parot. Actes du colloque international de Paris des 11 et 12 mai 2007. Paris: Librairie Honoré Champion, 2011, pp. 41–56. [= de Callataÿ, 'Yves Marquet']

------. 'Le zodiaque de l'Énéide'. *Latomus* 52 (1993), pp. 318–349. [= de Callataÿ, 'Zodiaque']

De Smet, Daniel. 'L'héritage de Platon et de Pythagore: la «voie diffuse» de sa transmission en terre d'Islam', in *Entre Orient et Occident: la philosophie et la science gréco-romaines dans le monde arabe*, ed. R. Goulet and U. Rudolph. 57e Entretiens sur l'Antiquité classique de la Fondation Hardt. Geneva–Vandœuvres, 2011. [= De Smet, 'Platon et Pythagore']

------. 'Le Platon arabe et les Sabéens de Ḥarrān. La «voie diffuse» de la transmission du platonisme en terre d'Islam'. *Res Antiquae* 7 (2010), pp. 73–86. [= De Smet, 'Platon arabe']

Déroche, François. 'Copier des manuscrits: remarques sur le travail du copiste'. *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée* 99–100 (2002), pp. 133–144. [= Déroche, 'Copier des manuscrits']

Diwald, Susanne. *Arabische Philosophie und Wissenschaft in der Enzyklopädie Kitāb Iḫwān aṣ-ṣafā' (III): Die Lehre von Seele und Intellekt*. Wiesbaden: Otto Harrassowitz, 1975. [= Diwald, *Kitāb*]

Dodds, E. R. *The Greeks and the Irrational*. Berkeley–Los Angeles: University of California Press, 1959. [= Dodds, *Greeks*]

Dols, Michael W. 'The Theory of Magic in Healing', in *Magic and Divination in Early Islam*, ed. Emilie Savage-Smith. The Formation of the Classical Islamic World, 142. Aldershot: Ashgate, 2004, pp. 87–99. [= Dols, 'Theory']

Dozy, Reinhardt. *Supplément aux Dictionnaires Arabes*. Leiden and Paris: Brill and Maisonneuve et Larose, 1967. Reprinted from the original of 1881. [= Dozy, *Supplément*]

Dunlop, Douglas M, tr. 'The *Mudhakarāt fī 'ilm an-nujūm* (Dialogues on Astrology) attributed to Abū Ma'shar al-Balkhī', in *Iran and Islam in Memory of the Late Vladimir Minorsky*, ed. C. E. Bosworth. Edinburgh: Edinburgh University Press, 1971, pp. 229–246. [= Dunlop, '*Mudhakarāt*']

------. 'Muḥammad b. Mūsā al-Khuwārizmī'. *Journal of the Royal Asiatic Society* (1983), pp. 248–250. [= Dunlop, 'Khuwārizmī']

El-Bizri, Nader. 'Prologue', in *The Ikhwān al-Ṣafā' and their 'Rasā'il'; An Introduction*, ed. Nader El-Bizri. Epistles of the Brethren of Purity. Oxford: Oxford University Press in association with the Institute of Ismaili Studies, 2008, pp. 1–32. [= El-Bizri, 'Prologue']

Encyclopaedia of Islam, ed. H. A. R. Gibb et al. Second ed. 12 volumes. Leiden: Brill, 1960–2004. [= *EI2*]

Fahd, Toufic. 'La connaissance de l'inconnaissable et l'obtention de l'impossible dans la pensée mantique et magique de l'Islam'. *Bulletin d'Études Orientales* 44 (1992), pp. 32–44. [= Fahd, 'Connaissance']

------. *La divination arabe*. Paris: Sindbad, 1987. [= Fahd, *Divination*]

------. 'Ruḳya'. *EI2*. Volume 8. Leiden: Brill, 1995, pp. 600–601. [= Fahd, 'Ruḳya']

------. 'Siḥr'. *EI2*. Volume 9. Leiden: Brill, 1997, pp. 567–571. [= Fahd, 'Siḥr']

Fakhry, Majid. *Ethical Theories in Islam*. Leiden: Brill, 1994. [= Fakhry, *Ethical Theories*]

------. *A History of Islamic Philosophy*. New York: Columbia University Press, 1970. [= Fakhry, *History*]

Fodor, Alexander. 'The Rod of Moses in Arabic Magic'. *Acta Orientalia Academicae Scientiarum Hungaricae* 32 (1978), pp. 1–21. [= Fodor, 'Rod']

The Soul's Journey After Death

An Abridgement of

Ibn Al-Qayyim's Kitabar-Ruh

MASJID-AL-NOOR
Islamic Community of Northern California
P.O. Box 410186
San Francisco, CA 94141-0186

With Commentary by

LAYLA MABROUK

Kalamullah.Com

'Every soul will taste death.'

(Qur'an 2:185)

CONTENTS

Introduction 1

From One World to Another! 5

The Meaning and Truth of Death 11

The Bliss of the Interspace between the Two Worlds 15

The Punishment of the Interspace 21

How can a Man save Himself from the Punishment of the Grave before it is too late? 27

What can the Living do to Rescue the Dead Person from Punishment? 31

Glossary 39

INTRODUCTION

'They will ask you about the spirit. Say, "The spirit is at the behest of your Lord. You have been given only a little knowledge."'[1]

'The living go on and the dead do not.' ... Allah! What an extraordinary expression and what an even stranger position to take. When somebody dies, our sorrow and tears, our weeping and mourning soon cease. The funeral rites, the Thursday ceremony and finally the forty-day ceremony are held and then all is forgotten. We say to ourselves, 'The living go on and the dead do not,' and put the dead person out of mind on the premise that he is dead and at rest. We forget or pretend to forget that he is in fact in even greater need of us than the living. He faces the future all alone, hidden away in the domain of the earthworms, buried under the earth in a desolate grave. He was in the light and now he is in darkness. He was surrounded by beauty and spaciousness and now he is enclosed in narrowness and gloom. He was in bliss and he now is in torment.

All this, however, is measured by criteria which are completely different from those that we, the living, use. We cannot perceive these things with our eyes or our inner senses or even our ears. The dead person is completely aware of them, but according to the criteria of the Next World. What are those criteria? What is death? What is life in the Next World...the world after death? Questions, many questions come to mind.

[1] Al-Isra (17): 85

I have read more than one book on this subject, but I consider my basic source in what I say here to be the *Kitab ar-Ruh* by Ibn al- Qayyim which is based on the Qur'an, the *Sunna*, Traditions and what the greatest scholars have said. However, before reading Ibn al- Qayyim, we must first know who Ibn al-Qayyim was, and whether he is a reliable source.

I will here present some of what I have read about Ibn al-Qayyim al-Jawziyya in a magisterial thesis submitted to Azhar University by Dr. Husayni 'Ali Ridwan. In it he points out that Ibn al-Qayyim's real name was Muhammad b. Abi Bakr b. Sa'id b. Hariz az-Zar'i, and then ad-Dimashqi. His title was Shamsu'd-din, and his *kunya* was Abu 'Abdullah. How then did he come by the name Ibn al-Qayyim al-Jawziyya? His father was the director of a school called al-Jawziyya which was located in the Damascus Wheat Market and for that reason he was called "Ibn al-Qayyim al-Jawziyya" or "Ibn al-Qayyim". He is not the same as Ibn al- Qayyim al-Jawzi who died in Baghdad in 597 A.H.

Ibn al-Qayyim al-Jawziyya was born into a scholarly and virtuous family in 691 A.H./1292 A.D. At that time Damascus was a centre of literature and thought. Many schools were located there and he studied and graduated under the protection, direction and sponsorship of his father. He was particularly influenced by his Shaykh and teacher Ahmad b. Taymiyyah, and also by Ibn ash-Shirazi amongst others.

When he had reached maturity and had become a scholar of weight and reputation, he started to teach at al-Jawziyya and had many students, including Ibn Kathir. He was looked to as a model in both youth and middle-age, by reason of the fact that he went out of his way to pass on to others the knowledge he had been given by those who came before him.

From his youth onwards he was constantly striving, tireless in his examination of everything around him, brilliant. Throughout his life, he remained an example of

humility. He was calm and convivial, constant in worship, getting right to the core of the *deen*, a living example of the meaning of scrupulousness. He was courageous about stating the truth, no matter what the consequences.

I have put together all these qualities by which his personality was distinguished and the effect they must have had is clear when we look at the impact of his character on history and his unique achievement in the various fields of knowledge, literature and culture.

After memorizing the Noble Qur'an, he set about memorizing *hadith* and then turned to poetry, studying language through the different periods of poetic development. Then he immersed himself in the field of Islamic culture, paying particular attention to legal judgements. He collected books and extracted all that could be extracted from them. He took a long time over the books he wrote, taking great pains in his research and accuracy so that he would produce definitive, appropriate, coherent works for people from which nothing had been left out. For that reason people were hungry for his words and his books were widely read.

Our forbears considered him, after his teacher Ibn Taymiyyah, as the Greatest Scholar, the Shaykh of Islam and the Muslims, the Seal of the Certain, the heir of the knowledge of the *mujtahids*, the leader of the intellectual renaissance in the 8th century and the saviour of the Islamic world.

*The meaning of italicised Arabic terms can be found in the Glossary.

FROM ONE WORLD TO ANOTHER!

'Why, but when the soul reaches the throat of the dying and at that moment you are watching - and We are nearer to him than you, but you do not see Us.'[1]

When someone dies, the Angel of Death comes to take his soul, no matter where he is. The dying person sees him, hears him, and speaks to him, but not with his eyes, his ears, or his tongue. How then? I do not know exactly. All I do know is that when he begins to move to another world, he sees, hears, and speaks, by some means which we, the living, do not perceive. Many instances of this have been recorded:

Ibn Abi'd-Dunya mentions that on the day 'Umar b. 'Abdu'l-'Aziz died, he said to those with him, 'Sit with me.' When they sat down next to him, he said, 'I am the one You commanded and I failed you. You forbade me and I rebelled.' He said this three times. Then he said, 'But there is no god but Allah.' Then he lifted his head and stared. They said, 'You are looking very intently, Amir al-Mu'minin.' He replied, 'I see a presence which is neither man nor jinn.' Then he died.

Fadala b. Dinar said, 'I was with Muhammad b. Wasi' when he was very near to death. He began to say, "Welcome to my Lord's angels! There is no strength nor power except by Allah!" I smelled the sweetest fragrance that I had ever smelled. Then his eyes glazed over and he died.'

Why do I need to look so far into the past, to the days of the first Muslims? I myself was present at the moment of

[1] Al- Waqi'a (56): 83-85

someone's death in our own time. I was with my grandmother when she was dying. It was at the time of the Dawn Prayer. She was in pain and gasping for breath, moaning from the intensity of the pain but in spite of that, she kept repeating with great joy, 'Allah! Death is sweet!' and saying the *shahada* over and over for several minutes. Then it was all over. This is where our job, those of us who are still alive, begins.

After the soul is taken, if it is a pure soul and has relatives in the Next World who are people of the Garden, they come to meet the soul with yearning and great joy. They ask it about the condition of those who are still alive in this world.

The angels then bear the soul from one heaven to the next until it comes into the presence of Allah, glory be to Him and may He be exalted! Then it returns and sees the washing of the body, its shrouding, and the funeral procession. It says either, 'Take me forward! Take me forward!' or 'Where are you taking me?' The people there cannot hear this.

When the corpse has been placed in the grave, the soul inserts itself between the body and the shroud so that the questioning can take place. Then the soul hears the receding footfall of the last of the people who followed the funeral and the earth is levelled over him. The earth, however, does not prevent the angels from reaching him. Even if a stone had been hollowed out for him and he had been placed into it and the opening sealed over with lead, it still would not stop the angels from reaching him. These dense substances cannot prevent the passage of souls. They do not even stop the *jinn*. Allah - glory be to Him! - made stone and earth the same for the angels as air is for birds.

The Grave expands and stretches for the soul, and as a result for the body as well. The body is in a grave of the narrowest dimensions and yet it expands, because of the soul, as far as the eye can see.

For details and confirmation of what I have said I will quote a sound *hadith* of the Messenger of Allah, may Allah bless him and grant him peace. He said,

> 'When the believer is about to depart from this world and go forward into the Next World, angels with faces as bright as the sun descend from the heavens and sit around him in throngs stretching as far as the eye can see. Then the Angel of Death comes and sits at his head and says, "Good soul, come out to forgiveness and pleasure from Allah!" Then his soul emerges like a drop of water flows from a water-skin and the angel takes hold of it. When he has grasped it, the other angels do not leave it in his hand even for the twinkling of an eye. They take it and place it in a perfumed shroud and a fragrance issues from it like the sweetest scent of musk found on the face on the earth.
>
> 'Then they bear it upwards and whenever they take it past a company of angels, they ask, "Who is this good soul?" and the angels with the soul reply, "So-and-so the son of so-and-so," using the best names by which people used to call him in this world. They bring him to the lowest heaven and ask for the gate to be opened for him. It is opened for him and angels who are near Allah from each of the heavens accompany him to the subsequent heaven until he reaches to the heaven where Allah the Great is. Allah, the Mighty and Majestic, says, 'Register the book of My slave in '*Illiyun* and take him back to earth. I created them from it and I return them to it and I will bring them forth from it again."
>
> 'His soul is then returned to his body and two angels come to him. They make him sit up and say to him, "Who is your Lord?" He replies, "My Lord is Allah." They ask him, "What is your religion?" He replies, "My religion is Islam." They ask him, "Who is this man who was sent among you?" He replies, "The Messenger of

Allah." They ask him, "How did you come to know these things?" He replies, "I read the Book of Allah, believed it, and declared it to be true." Then a Voice from on high declares, "My slave has spoken the truth, so spread out carpets from the Garden for him and open a gate of the Garden for him!" Then some of its fragrance and perfume comes to him, his grave is expanded for him as far as the eye can see, and a man with beautiful garments and a fragrant scent comes to him and says, "Rejoice in what delights you for this is the day which you were promised." He asks, "Who are you? Yours is a face which presages good." He replies, "I am your good actions." Then he says, "O Lord, let the Last Hour come soon so that I may rejoin my family and my property!"

'When an unbeliever is about to depart from this world and go forward into the Next World, angels with black faces descend from the heavens carrying rough hair- cloth and sit around him in throngs stretching as far as the eye can see. Then the Angel of Death comes and sits at his head and says, "Foul soul, come out to the wrath and anger of Allah!" Then his soul divides up in his body and it is dragged out like a skewer is pulled out of wet wool. Then the angel takes hold of it. When he has grasped it, the other angels do not leave it in his hand even for the twinkling of an eye. They take it and wrap it in the rough hair-cloth and a stench comes out of it like the worst stench of a corpse on the face of the earth.

'Then they take it up and whenever they take it past a company of angels, they ask, "Who is this foul soul?" and the angels with the soul reply, "So-and-so the son of so-and-so," using the worst names by which people used to call him in this world. They bring him to the lowest heaven and ask for the gate to be opened for him. It does not get opened.'

The Messenger of Allah, may Allah bless him and grant him peace, then recited, '*The gates of heaven will not be opened to them nor will they enter the Garden until the camel passes through the eye of the needle.*'[2]

'Then Allah, the Mighty and Majestic, will say, "Register his book in *Sijjin* in the lowest earth." Then his soul is flung down.'

The Prophet then recited, '*Whoever associates anything with Allah, it is as though he has fallen from heaven and the birds snatch him away or the wind sweeps him headlong into a place far away.*'[3]

'Then his soul is returned to his body and two angels come and say to him, "Who is your Lord?" He replies, "Alas, alas, I do not know!" Then a voice calls from on high, "My slave has lied, so spread out carpets from the Fire for him and open a gate of the Fire for him!" Then a hot blast from it comes to him, his grave is made so narrow for him that his ribs are pressed together, and a man with a hideous face and clothing and a foul odour comes to him and says, "Grieve on account of what has brought you disgrace for this is the day which you were promised." He asks, "Who are you? Yours is a face which presages evil." He replies, "I am your bad actions." Then he says, "O Lord, do not let the Last Hour come!"

Allah the Exalted says in His Mighty Book regarding the words used by the two angels who question the dead person in the grave, '*Allah confirms those who believe with the firm word, in the life of this world and in the Next World. Allah leads astray the wrongdoers, and Allah does whatever He will.*'[4]

[2] Al-A'raf (7): 40

[3] Al-Hajj (22): 31

[4] Ibrahim (14): 27

THE MEANING AND TRUTH OF DEATH

'Every soul will taste death.'[1]

What is death? Is it total annihilation? Or is it simply the severing of the soul from the body? When the soul is separated from the body, what happens to each of them? What happens to man himself, the owner of this transient body and eternal soul? Does his consciousness come to an end when his body dies? Or does his awareness continue to live on in his eternal soul? Do the dead feel enjoyment and pain the way the living do? Can the awareness of a living man whose soul is locked in his body compare with the awareness of a dead man whose soul has been released from his body?

Naturally the answer to this last question is, No! The living are aware and the dead are aware. But there is a difference and there is no way to compare them. Death is not pure annihilation. It is merely movement from one world to another. When the dead man feels the bliss or punishment of the grave, it does not mean that he is alive in his grave, needing food, clothes and so on. Nor does it mean that his soul permeates all the parts of his body as it did when he was in this world. The soul returns to the body again in a way which is not the same as in this world so that the dead man can be questioned and tested in the grave.

We can get some idea of this by likening death to sleep which is the 'lesser death', even though there is of course a natural disparity between the two. In sleep, a man's soul

[1] Al Imran (2): 185

comes out though his nostrils and travels until it comes into the presence of the Lord of the Throne. If the sleeper is in a state of purity, his soul prostrates before its Creator. Then it may encounter the world of dreams or meet with the souls of people who have died, but what it is in fact faced with is a page of Allah's knowledge of the Unseen containing the good or evil He has decreed for this particular human being. If the sleeper is truthful, generous, and pure, and someone who does not concern himself with stupid things during the time he is awake, then when his soul returns to him it conveys to his heart the truth of what Allah, the Great and Majestic, has let him see. When this happens, it is called a 'truthful dream'. In sleep, the soul can also move freely about the world and meet with the souls of people who are still alive and gain knowledge from them. Some of what it learns is true and some false. The false part is the normal dream or the chatter of the soul.

If the sleeper is a liar and likes what is false, his soul still rises to heaven during sleep, moves freely about the world, meets with other souls and learns true information about the Unseen. However while the soul is returning to the body, it meets *Shaytan* in mid-air and he mixes the true with the false like he does when a person is awake. Then when he wakes up, the person is confused and muddled about what Allah the Mighty and Majestic has let him see and consequently does not understand it, only remembering what *Shaytan* showed him. Those are confused dreams.

In confirmation of these things, we will mention what Allah the Great has said in the *sura, az-Zumar, "Allah takes the souls at the time of their death, and that which has not died, in its sleep. He withholds that against which He has decreed death, but looses the other until a stated term."*[2]

In the sleeping state, the soul does not completely leave the body as it does in the case of death, but remains inside the body not leaving it to move freely through the heavens. We can liken it to a ray or a thread whose end remains connected to the body. The ray of this soul stretches out to

[2] Az-Zumar (39): 42

the heavens and then returns again to the body when the sleeper wakes up. It is like the rays of the sun. The orb of the sun is in the heaven but its rays are on the earth. The two cases are not exactly the same, but it is a way of making the meaning clearer.

In the case of death, the body remains in the ground while the soul is in the interspace between the two worlds. An 'interspace' is something which separates two things: heaven and earth, or this world and the Next World. In other words, it is the period between death and resurrection. The bliss or punishment of the *Interspace* is not the same as the bliss and punishment of the Next World. It is something that happens between this world and the Next World. Despite the fact that the soul is in the interspace between the two worlds and the body is inside the earth, the two are still connected. Consequently, the bliss or punishment happens to both of them.

We have likened this condition to the sleeping state, but naturally there is a distinction. In sleep, the soul subsists fundamentally in the body. It emerges as something like a ray to the heavens so that the sleeper has a dream in which he feels either happy or miserable. He experiences either bliss or punishment in his sleep.

In death, the soul subsists fundamentally in the *Interspace*, not in the body. When Allah the Great desires bliss or punishment for the soul, He connects it to the body. It is in Heaven, but at the same time it looks at and is connected to the body in the ground. The soul is diffused in more than one place at the same time. The proof of this is that the Messenger, peace and blessings be upon him, saw Musa, peace and blessing be upon him, on the night of the Night Journey standing in prayer in his grave and he also saw him in the sixth and seventh heavens.

In spite of that, bliss or punishment happen at times to both body and soul simultaneously. At other times, it happens only to the soul. The dead person can lose aware-

ness for a time but then the bliss or punishment continues. That is dependent on the will of Allah the Great and dependent on a man's own actions.

One of the people of earlier times thought that if his body were burned to ashes and then some of the ashes were cast into the sea and some onto dry land on a very windy day, he would be saved from the punishment of the grave. He therefore told his children to do that. However Allah commanded the sea to collect together the ashes that had been thrown into it and the land to do likewise and then said, 'Get up!' and the man found himself standing before Allah. Allah questioned him, asking 'What made you do what you did?' He replied, 'I feared You, my Lord, but You are the one who knows best.' Because of that Allah forgave him.

Doing that could not eliminate the punishment and the bliss of the Grave which affect those parts which no longer exist. If a righteous man were to be buried in a fiery furnace, his portion of bliss would still reach his soul and body and Allah would make the fire cool and peaceful for him. For the wrongdoer, the cool air becomes fire and hot wind. The elements and the matter of the universe obey their Lord, Originator and Creator. He makes them behave in whatever way He wills. None of them are able to do anything except what He wills. Everything obeys His will in humble submission to His decree.

THE BLISS OF THE INTERSPACE BETWEEN THE TWO WORLDS

'O soul at peace, return unto your Lord, well-pleased and well- pleasing! Enter among My slaves! Enter My Garden!'[1]

'The Grave'...the Grave is a word that inspires fear. We are pained when it is mentioned. We are not aware of the delight it can contain. Indeed, the bliss of the Grave is better than any delight that this world can offer. The Messenger, blessings and peace be upon him, said, 'When the believer is near to death, angels of mercy come to him. When his soul is taken, they place it in a piece of white silk and bear it to the gate of Heaven. They say, "We have never smelled a sweeter fragrance than this!" His soul is asked, "How is so-and-so? How is so- and-so?" It will be said, "Let him rest. He has just come from the suffering of the world!" '

The Grave or the *Interspace* is the third stage of human existence. The first is the domain of the mother's womb with all the constriction and the three darknesses it contains. The second is the domain of this world in which we grow up, which we are familiar with and from which we acquire good and evil and the means to happiness or misery. The third is the domain of the *Interspace* which is wider and vaster than the domain in which we now live - the domain of this world. The fourth and final stage is the Everlasting Domain which comprises the Garden and the Fire. There is no domain after it for it is the Domain of Eternity.

[1] Al-Fajr (89): 27-30.

What we are at present concerned with is the third stage, the domain of the interspace between the worlds. It is the first of the stages of the Next World. In it the souls are divided into two groups: one group is punished and imprisoned, distracted by its punishment from everything else - such as visiting or meeting each other. The other group is in bliss, and it is this second group that we are concerned with here.

The liberated souls of those who are in bliss visit each other and discuss what happened in the world they have left and the people of that world. Every soul keeps company with those of his friends who acted in a similar way to him. Many people have had dreams showing this. One such dream was recorded by Salih b. Bashir who said, 'I saw 'Ata' as-Sulami in a dream after he died and said to him, "May Allah have mercy on you! You suffered for a long time in this world!" He replied, "By Allah, that has been followed by long-lasting joy and unending delight." I asked, "What is your station?" He replied, "With those whom Allah has blessed among the prophets, the sincere, the martyrs and the righteous." '

Allah the Great says, '*Whoever obeys Allah and the Messenger, they are with those whom Allah has blessed, the prophets, the sincere, the martyrs, and the righteous. Very excellent companions they are!*'[2]

The souls who are in bliss enjoy this state from the moment of death. We have already made that clear in great detail and corroborated it with a sound *hadith.* When the believer is dying, the angels come to him and speak to him and he speaks to them without the people present being aware of this. The soul yearns to meet its Lord and leaves the body with ease. Then the angels bear it to the heavens and a sweet fragrance diffuses from it which is perceived by all the angels and the pure, liberated souls in the heavens. They ask each other about this sweet fragrance. His relatives and dearest friends who were with him in the world hasten to him. They advance before him to the next world, crowding

[2] An-Nisa' (4): 69

round him and asking him for news of the world and those who are in it. Then the angels take the soul up from heaven to heaven and every angel in every heaven he passes through prays for blessings on him. He is delighted by the sweetest and most beautiful good tidings. Then the soul comes to a standstill before the Almighty King, may His majesty be exalted! He says to the soul, 'Welcome to this good soul and to the body which it left.' When the Lord, the Mighty and Majestic, makes something welcome, then everything welcomes it and every constriction departs from it. Then He says, 'Show him his place in the Garden and display before him the honour and blessing I have prepared for him.' Then the angels take him back down to the earth so that he can see his body being washed and they carry on a conversation although the living cannot hear it.

The angels pray for the soul of the believer in the heavens just as people pray over his body on the earth. Finally, the body is buried and the soul returns to between the body and the shroud. This return does not imply the same connection that the soul had to the body in this world. It is not even the same connection which it had in the sleeping state nor the connection which it has when it is in its resting place. This return is a special return for the questioning as we have already clarified.

Then, as we have already mentioned, the two angels, Munkar and Nakir, come down and question him. After that a door onto the Fire is opened for him and he is told, "Look! This would have been your place in the Fire if you had rebelled against Allah and Allah had exchanged your place in the Garden for it." Then that door is locked and another door onto the Garden is opened and he sees his place there. This door will remain open until the Day of Rising. Some of the sweetness and fragrance of the Garden reaches him and his grave is made spacious. He sleeps in peace just as if he were in one of the meadows of the Garden.

This spaciousness, light and greenery in which the believer remains from the time of his death until the Day of Rising is

not the same as we know in our world. If a living person were to open a grave, he would not find any expanse, light or greenness there. He would not find an open door through which he could see the Garden. He does not see bliss or torment. It is only the dead person who is aware of these things and sees them. Allah, through His wisdom, has the power to veil this from the living.

The proof that this is so is shown by the fact that there are other creatures like the *jinn* who live with us on the earth. They converse in raised voices among us but we do not see or hear them. There were angels who fought with the believers [at Badr] and struck down the unbelievers and shouted at them, but the Muslims did not see or hear them. *Jibril* came to the Messenger, blessings and peace be upon him, in the midst of the people and they did not see or hear him.

When a man is near death, the angel stretches out his hand to the soul and seizes it, speaks to it and then it comes out. A light like the sun's ray and a sweet fragrance come out to the soul. Then it ascends amid rows of angels, but those who are there cannot see or smell this. He is questioned, punished, beaten, and wails and cries out. All this happens while he is lying dead and his family are around him, but they neither hear nor see it. The sleeper dreams and enjoys his dream or is tormented by it, while someone awake at his side is not able to perceive what is going on at all.

Allah - glory be to Him and may He be exalted! - has given inanimate objects awareness and perception by which they glorify their Lord. The stones fall down out of fear of Him. The mountains and trees prostrate. The pebbles, water and plants glorify Him. All this is going on but we are not aware of it. Allah the Great said, *"There is nothing which does not glorify His praise, but you do not understand their glorification."*[3] The Companions heard the food that was being eaten glorifying Allah. That was because the Companions had a transparency of heart that does not now exist among us. All these things are part of our world and yet we are in

[3] Al-Isra' (17): 44

complete ignorance of them. It is not too much of an extrapolation to extend this to our being unaware of the things of the Next World.

An illustration of the bliss of the interspace between the two worlds is found in the words of the Messenger of Allah, may Allah bless him and grant him peace, regarding martyrdom. He said,

> 'The martyr receives six good things from Allah: He forgives him as soon as his blood is spilled and shows him his place in the Garden, He protects him from the punishment of the grave, He gives him security from the *Greatest Terror*, He places on his head a crown of dignity, a single ruby of which is more valuable than this world and all that it contains, He marries him to seventy-two dark-eyed houris, and He intercedes for seventy of his relatives.'

He also said,

> 'When any of your brothers is struck down (in battle), Allah puts their souls in the crops of green birds which go to the rivers of the Garden, eat its fruits and shelter in golden lamps in the shade of the Throne. When they have experienced the sweetness of their food and drink and their excellent reception, they say, "If only our brothers knew what Allah has done for us they would never abandon *jihad* nor talk about profane war instead." Allah, the Mighty and Majestic says, "I will relay this to them from you." '

Then Allah the Great revealed to His Messenger, may Allah bless him and grant him peace, '*Do not reckon those killed in the way of Allah as dead. They are alive with their Lord, provided for.*'[4]

[4] Al Imran (3): 169

THE PUNISHMENT OF THE INTERSPACE

'If you could only see when the wrongdoers are in the agonies of death, and the angels are stretching out their hands, 'Bring out your souls! Today you will be repaid with the punishment of humiliation.'[1]

The Grave is unknown territory. Outwardly it is quiet, but inwardly it contains secrets and terrors which an ordinary man cannot perceive. They can only be perceived by someone who has been given a high degree of belief and inner sight.

It is a strange fact that animals are able to hear the punishment in the Grave while human beings as a general rule cannot. The Prophet, may Allah bless him and grant him peace, said, 'They are punished and the animals hear it.'

Thabit al-Bunani said regarding this, 'Once I was walking among the graves and I heard a voice behind me, saying, "Thabit! Do not be deceived by their stillness. How many people in them are suffering!" I turned around, but did not see anyone.'

Al-Hasan passed a graveyard and said, 'What a host of people are here! How silent they are! How many there are among them who are suffering!'

We have already made it clear in the previous section that a dead person is either in a state of bliss or punishment, from the moment they die until the moment the two angels question them. We reached the point where a door onto the

[1] Al-An'am (6): 93

Garden is opened for the unbeliever and he is told to look at what his place would have been in the Garden if he had obeyed Allah. Then it is locked and another door is opened and he is told to look at his place in the Fire. It stays open and the blast of hot air from it continues to reach him until the Day of Rising. Then the earth presses in on him and he is crushed to the point that his ribs split apart. Then various forms of punishment rain down on him according to the type of wrong actions he committed.

Many statements have come down to us showing us the reality of the punishment of the Grave, or what we might also call the punishment of the interspace between the two worlds. The Prophet, may Allah bless him and grant him peace, said,

> 'I passed Badr and saw a man come out of the ground. Another man hit him with a stick until he vanished back into the earth. Then that happened again.'

The Messenger of Allah, may Allah bless him and grant him peace, went on to say,

> 'That was Abu Jahl b. Hisham who will be punished in that way until the Day of Rising.'

One of the early Muslims said, 'We passed by a certain watering-place on the way to Basra. We heard the braying of a donkey and asked the people there what the braying was. They replied that it was one of the men who used to be with them whose mother had asked him for something and he had told her to bray like a donkey. Since his death, this braying had been heard every night from his grave.'

'Amr b. Dinar said, 'The sister of one of the men of Madina died and he buried her. When he came back from the burial, he remembered that he had left something in the grave. He asked one of his companions to help him. His companion related that they had dug up the grave and found what they were looking for. Then the man said, "Let us dig further and

find out what has happened to my sister." He lifted up one of the stones covering the burial cavity and found the grave filled with fire. He replaced it and filled in the grave again. Then he returned to his mother and asked, "What was my sister really like?" She replied, "Why do you ask about her when she is dead?" He said, "Tell me." She said, "She used to delay the prayer and she also used to go to our neighbours' doors, put her ear to them and then tell other people what they said!" '

There are also the *hadiths* of the Messenger, may Allah bless him and grant him peace, about the Night Journey which contain descriptions of the many types of punishment he saw in the interspace between the two worlds. We will give a summary of them here.

There are those who are driven like cattle and forced to eat herbage more bitter than aloes and the bitter fruit of *zaqqum* and driven on to the hot stones of *Jahannam* because they did not purify their property by paying *zakat.* There are those who have to eat foul putrid meat because they fornicated. There are those whose lips are cut with iron scissors because they rose to speak and address people during times of civil strife. Some of them have bellies as big as houses and whenever one of them gets up, he is knocked down and says, "O Allah, do not let the Hour come!" They are in the path of the people of Pharaoh who come and trample them while they can do nothing but scream. These are people who devoured usury.

Some of them are screaming with their mouths gaping open while they devour hot coals which come out of their anuses. These are people who consumed the property of orphans. Some of them cut pieces from their own sides and eat their own flesh. They are the slanderers and those about whom the Prophet, peace and blessings be upon him, said,

> 'We saw people cutting flesh from their sides and eating it. It was said, "As you used to consume the flesh of your brother!" I asked, "Who are they?" and I was told, "Those of your community who slandered." '

Some of them have brass nails with which they scratch their faces and chests. They are those who were backbiters and maligned people's honour.

Part of the *hadith* of the Night Journey is...

> 'Some people were cracking open their heads with a stone. Every time they did this, their heads were restored to what they were like in the first place. This went on and on without stopping. I said, "Jibril, who are they?" Jibril replied, "They are people who turned away from the prayer." '

One of the Prophet's dreams - and the dreams of the Prophets are true and a part of revelation which gets right to the heart of the matter - was related as follows. He said,

> 'Last night, I saw two men who came to me and took me by the hand and brought me to the Holy Land. I could see one man sitting and another man standing holding an iron hook which he stuck into the side of the sitting man's mouth so that it came out at the back of his neck. Then he did the same to the other side. After his mouth had healed itself and gone back to normal, he did the same thing all over again. I asked what this was and they told me to go on.
>
> 'We went on until we came to a man lying on his back. Another man was standing at his head with a stone or a rock with which he smashed it. When he hit the head, the stone rolled away and he went to recover it. He did not get back to the man until his head had mended and returned to normal, then he smashed it again. I asked what this was and they told me to go on.
>
> 'We came to a hole like a furnace which was narrow at the top and wide at the bottom. There was a fire burning under it and there were naked men and women in it. The flames leapt up to them from underneath. When the fire came near, they rose up

until they almost came out. When it abated, they went back into it again. I asked what this was and they told me to go on.

We went on until we came to a river of blood with a man standing in it. On the bank of the river there was a man with some stones in front of him. The man in the river came forward and when he was about to get out, the man threw a stone at him and he went back to where he had been before. Every time he went to come out, the man threw a stone at him and he went back to where he had been before. I asked what this was and they told me to go on.

'We went on until we came to a green garden with an enormous tree in it, under which there was an old man and some children. Near the tree there was a man kindling a fire in front of him. They took me up the tree and into a house more beautiful than any I had ever seen. There were old men and youths in it. Then they took me up and brought me into another house which was even more beautiful. I said to my companions, "You have been with me for the whole night, so now tell me about what I have seen."

'They replied, "Certainly! The man you saw whose mouth was being pierced was the originator of a lie, which spread from him to all parts of the earth. He will suffer like that until the Day of Rising. The one whose head was being smashed was a man who had learned the Qur'an but had spent his nights asleep and did not act according to it during the daytime. He will suffer like that until the Day of Rising. The people in the hole were fornicators. The man you saw in the river devoured usury. The old man at the foot of the tree was Ibrahim and the children around him were mankind's children. The one kindling the fire was Malik, the Guardian of the Fire. The first house was that of the ordinary believers and this house is the house of the martyrs. I am *Jibril* and this is *Mika-'il.*"

'He lifted his head and I did likewise. I saw a castle like a cloud and they told me that it was my dwelling. I asked them to let me enter my dwelling. They replied that my life was not yet completed, but that when my life had come to an end, I would enter my dwelling." '

The Prophet, may Allah bless him and grant him peace, said regarding seeking refuge from the punishment of the Interspace or the Grave,

'When any of you finishes the final *tashahhud*, he should seek refuge with Allah from four things: from the punishment of *Jahannam*, the punishment of the Grave, the trials of the living and the dead, and the trials of the *Dajjal*.'

All of this shows that the punishment of the Grave is true beyond any doubt. We will add what Allah says about the two punishments - the punishment of the *Interspace* and the punishment of the Day of Rising:

'...the Fire, to which they will be exposed morning and evening, and on the day when the Hour comes, 'Admit the people of Pharaoh to the most severe punishment!'[2] and also *'Whoever turns away from My remembrance will have a life of narrowness and We shall gather him blind on the Day of Rising.'*[3]

[2] Ghafir (40): 46

[3] Taha (20): 124

HOW CAN A MAN SAVE HIMSELF FROM THE PUNISHMENT OF THE INTERSPACE BEFORE IT IS TOO LATE?

'Race to forgiveness from your Lord, and a Garden whose breadth is like the breadth of the heaven and the earth.'[1]

Outwardly the Grave is stillness while inwardly it is either punishment or bliss. The intelligent man is the one who protects himself against the evil of this punishment before it is too late. Such a man knows with certainty that sooner or later his day will come, and that this moment is known only to the Almighty Creator. It might come without warning. When it comes a man leaves behind all the wealth he has amassed and moves to another world. Only there will he feel regret, but regret then will not do him any good. In that place, only good actions are of any use. They alone will be useful currency on that critical day. Only with them will he be able to purchase a magnificent mansion in the Garden with all the luxuries and blessings it contains, an everlasting mansion, not one which disappears as things do in this world.

The intelligent man is the one who acts for this world as if he were going to live forever and acts for the Next World as if he were going to die tomorrow. To confirm what I have said, I will recall a dream of the Messenger, remembering that all the dreams of the prophets are true. He had a dream in which he saw one of the muslims. The Angel of Death came

[1] Al-Hadid (57): 21

to take his soul but his correct behaviour towards his parents came and drove the Angel of Death away from him. He saw another of the Muslims surrounded by shaytans. Then his remembrance of Allah came and made the shaytans fly from him. Then he saw a third muslim surrounded by the angels of punishment. His prayer came and rescued him from their hands. The tongue of a fourth muslim was lolling out from thirst and whenever he approached a pool of water, he was stopped and driven away. Then his fasting of Ramadan came and gave him water to drink. He saw another man and the prophets sitting in circles. Everytime the muslim approached one of the circles, he was stopped and driven away. His ghusl for janaba came, took hold of his hand, and sat him down in the circle. Another muslim had darkness in front of him, behind him, on his right, on his left and above him. He was completely lost in it. Then his hajj and 'umra came and led him out of the darkness into the light. Another muslim was being pursued by flames and sparks of fire. His sadaqa formed a veil between him and the fire and shaded his head. Another muslim was speaking to a group of believers who would not speak to him. His upholding of kinship came and told the group of believers that he had maintained ties of kinship and ordered them to speak to him. Then the believers spoke to him and shook hands with him. Another muslim was surrounded by the *Zabaniyya* (angels of *Jahannam*). His commanding the right and forbidding the wrong came and rescued him from them and put him among the angels of mercy. Another muslim was kneeling with a veil between him and Allah. His good character came, took his hand and Allah let him enter His presence. Another muslim had received his book in his left hand. His fear of Allah came and took his book and placed it in his right hand. The scales of another muslim were light in the balance. Those of his children who had died young came and made the scales level. Another muslim was standing on the brink of *Jahannam*. His hope in Allah came and rescued him from it, and he withdrew from it. Another muslim had fallen into the Fire. The tears that he had wept out of fear of

Allah came and rescued him from it. Another muslim was standing on the *Sirat* trembling like a leaf in a strong wind. His good opinion of Allah came and his terror was allayed and he was able to go on. Another muslim was crawling on the Sirat, sometimes creeping and sometimes just clinging on. His prayer came and put him on his feet and rescued him. Another muslim reached the gates of the Garden but they were locked against him. His testimony that there is no god but Allah came and opened the gates for him and let him into the Garden.

The Prophet also said regarding the *sura, al-Mulk,*

> 'This sura has thirty ayats which intercede for anyone who knows them until they receive forgiveness, *"Blessed be He in whose hand is the Kingdom."* '[2]

Among the dreams of the early muslims is one related by Yazid b. Nu'ama who said, 'A girl died in the al-Jarif plague. Her father met her in a dream after her death and asked her to tell him about the Next World. She replied, "My father, this is a big subject you have raised. We know but cannot act. You can act but do not know. By Allah, one or two acts of glorification and one or two rak'ats of the prayer in the book of my actions are preferable to me than the world and all it contains." '

The Grave has an embrace from which neither believer or unbeliever can escape. Afterwards, the believer is relieved of its pressure while the unbeliever remains in punishment. The Messenger of Allah, may Allah bless him and grant him peace, said,

> 'The Grave has a pressure and if anyone were to be saved from it, it would be Sa'd b. Mu'adh.'

The wisdom of the pressure and embrace of the Grave is in what Ibn Abi'd-Dunya related from Muhammad at-Taymi. He said that the people say that the earth is their mother. They were created from it and they were away from it for a long time. Then when they return to it, it embraces them as a

[2] Al-Mulk (67): 1

mother embraces her child when it has been away for a long time and then returns to her. Whoever obeyed Allah is embraced with compassion and tenderness. Whoever disobeyed Allah is embraced with harshness because the earth is angry with him for the sake of its Lord.

When 'Abdu'l-'Aziz b. Sulayman al-'Abid died, one of his companions saw him in a dream wearing a green garment with a crown of pearls on his head. He asked him how he was and what the experience of the taste of death was like and what things were like where he was. He replied, 'Do not ask about the intensity of the grief and sorrow of death! However, Allah's mercy concealed all our faults and we encountered nothing but His bounty.'

The Prophet, peace and blessings be upon him, said,

> 'Allah has forbidden the earth to consume the bodies of the prophets.'

He also said,

> 'No-one prays for peace on me without Allah addressing my soul so that I return the greeting to him.'

He also said,

> 'Whenever any man visits the grave of his brother and sits with him, he is keeping company with him until he gets up to go.'

He taught his community to say when they visit people's graves,

> 'Peace be upon you, people who dwell here, both believers and Muslims. If Allah wills, we will join you. May Allah have mercy on those who have gone ahead and those who have stayed behind. We ask Allah for well-being for both you and us.'

WHAT CAN THE LIVING DO TO RESCUE THE DEAD PERSON FROM PUNISHMENT?

'To Allah belongs the intercession altogether. To Him belongs the kingdom of the heavens and the earth.'[1]

We will refer back to the first sentence in the first section: 'The living go on and the dead do not.'

A man is living in our midst. Suddenly death snatches him from us. We wail and wear black. We set up the funeral tents and so forth. In short, we do what is necessary. Then we forget him on the premise that 'The living go on and the dead do not.' Or else we continue to remember him and abandon ourselves to our grief, living a life of constant anguish, claiming to be faithful to the dead. So our life is spent either in forgetfulness or grief. However, life is short. There is no time in it for either forgetfulness or grief. Real life does not consist of forgetfulness. Real fidelity is not to persist in grief.

Let us consider together how we can help the dead person who has left us. How can we support him in that severe trial? He is in fact in greater need of us than the living. He is now alone, buried in a grave inside the earth. The possibility of action is now finished for him. His subterfuges have come to an end. However, the benefit he can derive from actions which the living perform on his behalf have not come to an end, provided that Allah gives permission, since Allah said in His Mighty Book, '*Who will intercede with Him except by His permission?*'[2]

[1] Az-Zumar (39): 44

[2] Al-Baqara (2): 255

The Messenger of Allah, may Allah bless him and grant him peace, said,

> 'When a man dies, his actions cease except for three things: a sadaqa which goes on, knowledge which continues to benefit people or a righteous son who makes supplication for him.'

There are many things which the living can do to rescue the dead. They include supplication for them, asking forgiveness for them, acts of generosity, *hajj*, fasting and other sorts of worship. These can be attributed to the dead person with Allah's permission.

Even more important than all these is to settle the dead person's debts, whether that debt be financial or spiritual - debts to other living persons or debts of worship owed to Allah the Great.

When someone who is alive intercedes for a dead person who is being punished, his punishment is halted, even if only for a time. When he intercedes for the person enjoying bliss, that person is raised a degree.

Ibn Abi'd-Dunya mentioned that one of his companions said, 'My brother died and I saw him in a dream. I said, "How was it when you were placed in your grave?" He replied, "Someone brought me a fiery flame and if it had not been that someone else made supplication for me, I think he would have hit me with it." '

Bashar b. Ghalib said, 'I saw Rabi'a, on whose behalf I used to make frequent supplication, in a dream. She said to me, "Bashar b. Ghalib! Your gifts have been brought to me on plates of light, covered in silken cloths." I asked, "How can that be?" She replied, "That is what the supplication of living believers is like. When they make supplication for a dead person, that supplication is answered for them on plates of light, veiled in silken cloths. Then they are brought to the dead person for whom the supplication was said and they are told, 'This is the gift of so-and-so to you.' " '

'Amr b. Jarir said that when one of Allah's servants supplicates for his dead brother, an angel takes this supplication to him in his grave and says, "You stranger in the grave! Here is a gift from a brother who feels compassion for you!" '

The Messenger of Allah, may Allah bless him and grant him peace, said,

> 'After he has died, the believer only gets the benefit of the following actions and good deeds: knowledge which he has taught and passed on, a righteous son he leaves behind, a copy of the Qur'an which he has bequeathed, a mosque he has built, a house he has built for the traveller, a water channel he has dug, or an act of charity which he spent out of his property when he was alive and in good health and which comes to him after his death.'

The Qur'an says, '*Those who have come after them say, "Our Lord, forgive us and our brothers who preceded us in belief.*'[3] Allah - glory be to Him! - praised them for asking for forgiveness for the believers before them. He indicated that they are helped when the living ask for forgiveness for them.

The Prophet, may Allah bless him and grant him peace, said,

> 'When you pray over a dead person, make sincere supplication for him.'

In his supplication he would say,

> 'O Allah! So-and-so the son of so-and-so is in Your custody and near to You. Protect him from the trial of the Grave and the punishment of the Fire. You are worthy of fidelity and truth, so forgive him and show mercy to him. You are Forgiving, Merciful.'

When the Prophet, blessings and peace be upon him,

[3] Al-Hashr (59): 10

finished burying someone who had died, he stood over him and said,

> 'Ask forgiveness for your brother. Ask for him to be made firm. He is being questioned now.'

He also said,

> 'Teach your dead the words, "There is no god but Allah." '

There is a report from Abu Hurayra, may Allah be pleased with him, about the reward of acts of charity reaching the dead.

> Abu Hurayra said that a man said to the Prophet, may Allah bless him and grant him peace, 'My father has died and left some property, but he did not leave a will. Will he be rewarded if I make an act of charity on his behalf?' He replied, 'Yes.'

The Prophet, peace and blessings be upon him, said about the reward of fasting reaching the dead person,

> 'If someone dies and owes some days of fasting, then his heir should fast on his behalf.'

He also said,

> 'If someone dies and owes a month's fast, his heir should feed a poor person for him for every day he owes.'

As regards the reward of the *hajj* reaching a dead person,

> Ibn 'Abbas, may Allah be pleased with him, said, 'A man asked, "Prophet of Allah! My father has died and has not done the *hajj*. Shall I do it on his behalf?" He replied, "Do you not think that if your father had a debt, you would pay it for him?" He replied, "Yes." The Prophet said, "A debt that is owed to Allah is even more worthy of being paid." '

The Muslims are agreed about paying debts for which a dead person is still responsible, even if the person who pays it is a stranger and the money does not come out of the inheritance. This is indicated in the *hadith* of Abu Qatada.

> Abu Qatada said he would pay two dinars on behalf of a particular dead person. When he had paid them, the Prophet, may Allah bless him and grant him peace, said to him, 'Now his skin is cool.'

They are agreed that when someone who is alive has a claim against a dead person, any muslim is allowed to help him and discharge the debt as they would if the debt was owed by a living person.

The Messenger, blessings and peace be upon him, said,

> 'Recite the *sura, Yasin* when your people die.'

This can be taken to mean that it should be recited to the person when he is near death and it can also be taken to mean that it should be recited at his grave. The first possibility is more likely because the dying person benefits from the *tawhid*, the good news that the people of tawhid go to the Garden and the delight of the person who dies in upholding the knowledge of tawhid that this sura contains. It says, *'Ah, would that my people knew that my Lord has forgiven me and that He has placed me among the honoured.'*[4] The soul rejoices at this and desires to meet Allah as Allah desires to meet it. This sura is the heart of the Qur'an and something wonderful occurs when it is recited in the presence of a dying person.

Speaking in general terms, recitation of the Qur'an is one of the acts of worship whose reward reaches the dead person, provided that the reciter first intercedes with Allah on his behalf. Allah might or might not accept it, as is the case with all other acts of worship. He might accept one man's *hajj*, but not that of another man. He might accept the prayer of one man and not that of another man. What

[4] Yasin (36): 26-27

counts is the sincere intention to do the action for the sake of Allah the Great alone.

Let us imagine a group of Muslims who have gathered together to remember someone who was dear to them and has died. They are still wearing black and their grief is still fresh. They have gathered for the sake of the love and comradeship that exists between them to remember Allah and to intercede with Him on behalf of their loved one.

This gathering might take place anywhere, but let it be the home of one of them. Each of them is holding a copy of the Qur'an whose recitation they have divided up between themselves. They begin the recitation with the intention of directing its reward to the dead person. This does not diminish the reward that any of them receive in any way, but the reward also reaches the dead person in his grave if Allah so wills. There is a reward for both the living and the dead.

Included among those people might be a son or grandson of the dead person. This is an extension of his actions and a result of his efforts in this world, for he left a righteous son there and consequently righteous descendants. There might be a brother, a father, a relative or a friend among them which is an indication of his good behaviour with other people, otherwise they would not mention him in their supplication, or remember him or intercede on his behalf with the Lord of Might and Majesty. This is also the result of the dead man's own actions.

A righteous son or daughter is a true treasure for a man and profits him during his lifetime and after his death. Every father or mother should try as hard as they possibly can to bring up righteous children. Every son should try to obey his parents during their lifetime and after their death. It must be realised that a dead person knows what his living relatives and brothers are doing. It is said that a man in his grave delights in the righteousness of his children after him.

We could go on and on. Discussion about the soul, the dead and the Next World is unending. It is a subject which has been thoroughly studied for hundreds of years. In spite of that, we still have not plumbed its depths. We have only skimmed the surface of real knowledge of it. Only Allah - glory be to Him and may He be exalted! - has complete knowledge of it.

Whoever says, 'I know', is ignorant. I have discovered from my own experience that whenever someone increases in knowledge, they discover how much greater their ignorance is.

The words of Allah are true when He says, '*They will ask you about the spirit. Say, 'The spirit is at the behest of your Lord. You have been given but little knowledge.*" '[5]

[5] Al-Isra' (17): 85

GLOSSARY

Ayat	A verse of the Noble Qur'an.
Dajjal	The false Messiah whose appearance marks the imminent end of the world.
Deen	The religion of Islam, stressing its all-inclusive nature.
Hadith	A report of what the Messenger of Allah, Muhammad, peace and blessings be upon him, said, did, or allowed to be done.
Hajj	The annual pilgrimage to Makka and the rites connected with it.
'Illiyun	One of the highest levels of paradise.
Jahannam	A general name for Hellfire.
Jibril	The Archangel Gabriel.
Jihad	Struggle, particularly warfare to defend and establish Islam.
Jinn	Unseen beings who co-habit the earth together with mankind.
Kunya	Cognomen used with both affection and respect.
Mika'il	The Archangel Michael.
Mujtahid	Scholar who is qualified to the extent of being able to make new precedents in the implementation of Islamic law.

Sadaqa	Voluntary charity given to gain Divine pleasure.
Shahada	The testimony that there is no god but Allah and that Muhammad is the Messenger of Allah.
Shaytan	Satan, the Devil.
Sijjin	One of the depths of Hellfire.
Sirat	A path, particularly the narrow bridge that passes over Hellfire, which all those destined to enter Paradise must cross.
Sunna	The practice of the Messenger of Allah and what he approved for his Companions.
Sura	A chapter of the Qur'an.
Tashahhud	What is said in the sitting position in the final part of the prayer.
Tawhid	The doctrine of the Divine Unity.
'Umra	A visit to Makka combined with certain prescribed rites.
Zakat	Wealth tax payable yearly as a religious duty.
Zaqqum	A tree in Hellfire, bearing fruit of extreme bitterness.

Imam Abu Hamed AL-GHAZALI
(450-505 H.=1058-1111 A.D.)

REVIVAL OF RELIGION'S SCIENCES

IHYA' ULUM AD-DIN

إحياء علوم الدين

Translated by
Mohammad Mahdi al-Sharif

Volume I

The quarter of The acts of worship

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
DKI
Beirut- Lebanon

Imam Abu Hamed AL-GHAZALI
(450-505 H.=1058-1111 A.D.)

REVIVAL OF RELIGION'S SCIENCES (IHYA' ULUM AD-DIN)

إحياء علوم الدين

Translated by
Mohammad Mahdi al-Sharif

Volume I

The quarter of The acts of worship

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKI
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales @al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title : **REVIVAL OF RELIGION'S SCIENCES (IHYA' ULUM AD-DIN)**

إحياء علوم الدين

Classification: Jurisprudence and sufism

Author : Imam Abu Hamed AL-GHAZALI

Translator : Mohammad Mahdi al-Sharif

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Pages : 2784 (4 volumes)

Size : 17* 24

Year : 2011

Printed in : Lebanon

Edition : 1st

DKI

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1871 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax. +961 5 804813
P.o Box. 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون-القبة مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٠٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٠٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤-١١ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

Exclusive rights by © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated,reproduced,distributed in any form or by any means,or stored in a data base or retrieval system,without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beyrouth-Liban Toute représentation,édition,traduction ou reproduction même partielle,par tous procédés, en tous pays,faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

ISBN 978-2-7451-5945-8
ISBN 2-7451-5945-3
9 782745 159458 90000

CONTENTS

PRELUDE 3
BOOK ONE: KNOWLEDGE 9
CHAPTER ONE: ON THE EXCELLENCE OF KNOWLEDGE, TEACHING AND LEARNING 9
THE VIRTUE OF KNOWLEDGE 9
THE VIRTUE OF LEARNING 17
THE VIRTUE OF TEACHING 19
CHAPTER TWO: ON THE PRAISEWORTHY AND BLAMEWORTHY KNOWLEDGE: THEIR DIVISIONS AND COMMANDMENTS 27
THE KNOWLEDGE WHOSE LEARNING IS AN OBLIGATORY DUTY (UPON EVERYONE) 27
THE KNOWLEDGE WHOSE LEARNING IS A COLLECTIVE DUTY 31
THE SCIENCE OF REVELATION 38
THE SCIENCE OF PRACTICAL RELIGION 40
THE PARTS OF PHILOSOPHY 43
CHAPTER THREE: ON SUCH OF SCIENCES AS POPULARLY THOUGHT TO BE PRAISEWORTHY 57
EVEN THOUGH THEY ARE NOT SO 57
THE EXPOSITION OF THE REASON FOR CRITICIZING SUCH OF THOSE AS BLAMEWORTHY 57
THE WAY OF CHANGING THE NAMES OF SCIENCES 62
THE COMMENDABLE AMOUNT OF PRAISEWORTHY SCIENCES 76
CHAPTER FOUR: ON THE CAUSE OF PEOPLE'S INTEREST IN POLEMICS; THE DEFECTS OF ARGUMENTATION AND DISPUTATION; AND THE CONDITIONS OF RENDERING THEM PERMISSIBLE 81
THE EXPOSITION OF THE CONFUSION IN COMPARING OF THESE ARGUMENTATIONS WITH THE CONSULTATIONS OF THE HOLY COMPANIONS AND THE ADVICES OF THE FOREFATHERS. 83
THE EXPOSITION OF THE EVILS OF DEBATE AND THE DESTRUCTIVE QUALITIES RESULTING FROM THEM 88
CHAPTER FIVE: ON THE PROPRETIES OF BOTH LEARNER AND TEACHER 94
THE EXPOSITION OF THE DUTIES OF THE GUIDE TEACHER 107
CHAPTER SIX: ON THE DEFECTS OF KNOWLEDGE; AND EXPOSITION OF THE DISTINCTIVE FEATURES OF THE LEARNED MEN OF THE HEREAFTER; AND THE LEARNED MEN OF FALSEHOOD 114
THE SIGNIFICANCE OF CERTAINTY 142
CHAPTER SEVEN: ON MIND: ITS HONOUR, REALITY AND DIVISIONS THE EXPOSITION OF THE HONOUR OF MIND 164

The Exposition Of The Reality And Divisions Of Mind 168
The Exposition Of People's Disparity Of Mind 173
Book two: the foundations of the Creeds 177
Chapter one: the Exposition of the creed of the established Community of sunnah as manifested in the Two statements of Testimony which form the first of the pillars of Islam. 177
The Meaning Of The First Word Of Testimony 177
The Meaning Of The Second Word Of The Testimony 180
Chapter two: On the way of progression to Religious Instruction; and the sequence of the Stages of faith 182
Chapter three: On the Obvious Proofs Of the Creed Written In Jerusalem 203
The First Pillar Is The Knowledge Of The Essence Of Allah And That He Is One And It Includes Ten Principles 205
The Second Pillar Concerning the Attributes of Allah Almighty, and it includes Ten Principles 212
The Third Pillar Concerning The Knowledge Of The Acts Of Allah Almighty, And It Includes Ten Principles 216
The Fourth Pillar Concerning the Accepted Things and Believing in what the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" told Concerning them, and it includes Ten Principles 223
Chapter four: On faith and Islam; the points of similarity and difference between them and the increase or decrease of belief; and the foundations which the forefathers laid down therein 227
Question One 227
Question Two 237
Question Three 240
Book three: the mysteries of purification 249
PART one: On Purification from Impurities 253
That Which Is Removed 253
The Vehicle Of Removal 254
THE Way OF REMOVAL 258
PART two: on Purification from Excrements 258
THE ETIQUETTE OF ANSWERING THE Call OF NATURE 258
The Way Of Abstersion 260
The Way Of Performing Ablution 261
The Excellence Of Ablution 265
The way of bathing 266
The way of Purification with clean Sand 267
PART three: On Cleanliness and Cleansing from the External Bodily cysts and Discharges 268
The First Kind: The Discharges And The Wet Excretions Of The Body 268

THE SECOND KIND: THE BODILY CYSTS 273
BOOK FOUR: THE MYSTERIES AND DUTIES OF PRAYER 283
CHAPTER ONE: ON THE MERITS OF PRAYER 284
THE EXCELLENCE OF THE OBLIGATORY WRITTEN PRAYERS 285
THE EXCELLENCE OF PERFECTING ITS PILLARS 287
THE EXCELLENCE OF OFFERING PRAYER IN CONGREGATION 288
THE EXCELLENCE OF PROSTRATION 289
THE EXCELLENCE OF SUBMISSION 290
THE EXCELLENCE OF MOSQUES AND PLACES OF WORSHIP 294
CHAPTER TWO :ON THE OUTWARD ACTS OF PRAYER BEGINNING FROM TAKBIR AND WHAT IS PRIOR TO IT 295
THE RECITATION 297
THE BOWING AND ITS APPURTENANCES 298
THE TESTIFICATION (TASHAHHUD) 299
THE TABOOS 301
THE DIFFERENTIATION BETWEEN OBLIGATORY DUTIES AND TRADITIONAL PRACTICES OF SUNNAH 302
CHAPTER THREE: ON THE INTERNAL CONDITIONS OF THE HEART'S WORKS 305
THE EXPOSITION OF THE NECESSITY OF SUBMISSION AND HEART'S PRESENCE 305
THE INTERNAL MEANINGS THEREWITH THE PRAYER'S LIFE IS PERFECT 310
THE EXPOSITION OF THE TREATMENT WHICH IS USEFUL TO THE HEART'S ATTENTIVENESS 314
THE EXPOSITION OF WHAT SHOULD BE PRESENT IN THE HEART AT EACH PILLAR OF THE PRAYER 317
STORIES AND NEWS ABOUT THE PRAYER OF THE SUBMISSIVE MEN 329
CHAPTER FOUR: ON IMAMATE AND EMULATION 332
THE IMAM'S DUTIES BEFORE THE PRAYER 332
THE DUTIES PERTAINING TO RECITATION 337
THE IMAM'S DUTIES PERTAINING TO THE PILLARS OF THE PRAYER 339
THE DUTIES WHICH PERTAIN TO DISSOLVING FROM THE PRAYER 340
CHAPTER FIVE: ON THE EXCELLENCE OF FRIDAY ITS MANNERS, TRADITIONS AND CONDITIONS 341
THE EXCELLENCE OF FRIDAY 341
THE EXPOSITION OF THE CONDITIONS AND TRADITIONS OF FRIDAY PRAYER 343
THE EXPOSITION OF THE MANNERS OF FRIDAY PRAYER 345
THE EXPOSITION OF FURTHER MANNERS OUTSIDE THIS SEQUENCE 354
CHAPTER SIX: ON THE DIFFERENT PROBLEMS WHICH CAUSE GENERAL DISTRESS, OF WHICH A DEVOTEE NEEDS TO HAVE KNOWLEDGE 360
CHAPTER SEVEN: ON THE SUPEREROGATORY PRAYERS 368

THE FIRST CATEGORY: THAT WHICH IS REPEATED WITH THE RECURRENCE OF DAYS AND NIGHTS 369
THE SECOND CATEGORY: THAT WHICH IS REPEATED WITH THE RECURRENCE OF WEEKS 376
THE THIRD CATEGORY: THAT WHICH IS REPEATED WITH THE RECURRENCE OF YEARS 381
THE FOURTH CATEGORY OF SUPEREROGATORY PRAYERS WHICH PERTAIN TO OCCASIONAL CAUSES, AND NOT TO FIXED TIMES 385
BOOK FIVE: THE MYSTERIES OF OBLIGATORY CHARITY 396
IN THE NAME OF ALLAH, MOST GRACIOUS, MOST MERCIFUL 396
CHAPTER ONE: ON THE DIFFERENT KINDS OF OBLIGATORY CHARITY (ZAKAT) AND THE CAUSES OF ITS OBLIGATION 397
THE FIRST KIND: THE OBLIGATORY CHARITY DUE UPON LIVESTOCK 397
THE SECOND KIND: THE OBLIGATORY CHARITY DUE UPON THE LAND YIELDS 400
THE THIRD KIND: THE OBLIGATORY CHARITY DUE UPON BOTH GOLD AND SILVER 400
THE FOURTH KIND: THE OBLIGATORY CHARITY DUE UPON MERCHANDISE 401
THE FIFTH KIND: THE ALMS DUE UPON BURIED TREASURES AND MINES 401
THE SIXTH KIND: THE ALMS OF BREAKING THE FAST 402
CHAPTER TWO: ON THE FULFILLMENT OF ALMS AND ITS OUTWARD AND INWARD CONDITIONS 403
ON THE EXPOSITION OF THE DETAILS OF THE INWARD MANNERS PERTAINING TO THE OBLIGATORY CHARITY 407
CHAPTER THREE: ON THE RECIPIENT: THE CAUSES OF HIS CLAIM, AND THE DUTIES OF HIS RECEIVING 423
THE CAUSES OF CLAIM 423
ON EXPOSITION OF THE RECIPIENT'S DUTIES 427
CHAPTER FOUR 432
ON THE VOLUNTARY CHARITY: ITS EXCELLENCE, AND THE PROPRIETIES OF RECEIVING AND GIVING IT 432
THE EXPOSITION OF THE EXCELLENCE OF CHARITY 432
THE EXPOSITION OF GIVING CHARITY IN SECRECY AND IN PUBLIC 435
THE EXPOSITION OF WHICH IS MORE EXCELLENT: RECEIVING VOLUNTARY CHARITY OR OBLIGATORY CHARITY 440
BOOK SIX: THE MYSTERIES OF FASTING 442
IN THE NAME OF ALLAH, MOST GRACIOUS, MOST MERCIFUL 442
CHAPTER ONE: ON THE OUTWARD DUTIES AND REGULATIONS, AND THE OBLIGATIONS CONCOMITANT TO BREAKING THE FAST 445
CHAPTER TWO: ON THE MYSTERIES AND INTERNAL CONDITIONS OF FASTING 449

CHAPTER THREE: ON THE VOLUNTARY FASTS AND THE ARRANGEMENT OF REGULAR DIVISIONS THEREIN 455
BOOK SEVEN: THE MYSTERIES OF PILGRIMAGE....459
CHAPTER ONE: ON THE GOOD MERITS OF THE GREATER PILGRIMAGE (HAJJ), THE EXCELLENCE OF MECCA AND THE ANCIENT HOUSE, AND THE PILLARS AND CONDITIONS OF ITS OBLIGATION. 460
PART ONE: THE EXCELLENCE OF THE GREATER PILGRIMAGE (HAJJ), THE SUPERIORITY OF THE HOUSE 460
THE EXCELLENCE OF THE GREATER PILGRIMAGE (HAJJ). 460
THE MERIT OF THE HOUSE AND MECCA....464
THE EXCELLENCE OF LIVING IN MECCA "MIGHT ALLAH SAFEGUARD IT" .466
THE SUPERIORITY OF THE HONOURED MEDINA TO ALL CITIES 467
PART TWO: THE CONDITIONS OF THE OBLIGATION OF GREATER PILGRIMAGE; THE VALIDITY OF ITS PILLARS; ITS DUTIES AND TABOOS 470
CHAPTER TWO: ON THE SEQUENCE OF THE OUTWARD ACTS (OF GREATER PILGRIMAGE) FROM TRAVELING TO RETURNING HOME 474
THE FIRST SUBSECTION STARTS FROM THE BEGINNING OF THE SETTING OUT ON JOURNEY TO ASSUMING IHRAM 474
THE SECOND SUBSECTION: THE PROPRIETIES OF IHRAM FROM THE PLACE FIXED FOR ASSUMING IHRAM TO ENTERING MECCA 478
THE THIRD SUBSECTION: THE PROPRIETIES OF ENTERING MECCA TO THE CIRCUMAMBULATION 479
THE FOURTH SUBSECTION: ON CIRCUMAMBULATION 480
THE FIFTH SUBSECTION: ON COMPASSING SAFA AND MARWAH ROUND...484
THE SIXTH SUBSECTION: ON STANDING AND WHAT PRECEDES IT 486
THE SEVENTH SUBSECTION: THE REMAINING ACTS OF HAJJ AFTER STANDING 490
THE EIGHTH SUBSECTION: ON THE MANNER OF UMRAH AND WHAT FOLLOWS IT TO THE FAREWELL CIRCUMAMBULATION 495
THE NINTH SUBSECTION: ON THE FAREWELL CIRCUMAMBULATION 496
THE TENTH SUBSECTION: ON THE VISIT TO MEDINA AND ITS PROPRIETIES 496
A CHAPTER ON THE TRADITIONS OF RETURNING FROM JOURNEY 500
CHAPTER THREE: ON THE DETAILS OF PROPRIETIES AND INWARD WORKS ..501
THE EXPOSITION OF THE DETAILS OF PROPRIETIES 501
THE EXPOSITION OF THE INTERNAL WORKS, AND THE POINT OF MAKING SINCERE THE INTENTION, AND THE WAY OF CONSIDERING THE HONOURED SHRINES, AND THE WAY OF REFLECTING THEM, AND CELEBRATING THEIR MYSTERIES AND SIGNIFICANCES, FROM THE BEGINNING TO THE END OF HAJJ 508
BOOK EIGHT: THE PROPRIETIES OF RECITING THE QUR'AN....521
CHAPTER ONE: ON THE EXCELLENCE OF THE HOLY QUR'AN AND ITS PEOPLE AND CRITICIZING THE NEGLECTFUL OF RECITING IT 522

THE EXCELLENCE OF THE HOLY QUR'AN 522
ON CRITICIZING THE RECITATION OF THE HEEDLESS 524
CHAPTER TWO: ON THE OUTWARD PROPRIETIES OF RECITATION 526
CHAPTER THREE: ON THE INWARD WORKS OF RECITATION 535
CHAPTER FOUR: ON THE UNDERSTANDING AND INTERPRETATION OF THE QUR'AN DEPENDING UPON ONE'S MIND AND NOT BY WAY OF TRANSMISSION 555
BOOK NINE: CELEBRATIONS AND INVOCATIONS 571
CHAPTER ONE: ON THE EXCELLENCE AND BENEFIT OF CELEBRATION (OF ALLAH) IN BRIEF AND DETAIL FROM THE QUR'AN, THE PROPHETIC NARRATIONS AND TRADITIONS 572
THE PROOFS FROM THE QUR'AN AND TRADITIONS 572
THE EXCELLENCE OF THE GATHERINGS OF CELEBRATION (OF ALLAH ALMIGHTY) 575
THE EXCELLENCE OF AFFIRMING ALLAH'S ONENESS 576
THE EXCELLENCE OF CELEBRATING THE GLORIES AND PRAISES OF ALLAH ALMIGHTY 578
CHAPTER TWO: ON THE PROPRIETIES AND EXCELLENCE OF SUPPLICATION; THE EXCELLENCE OF SOME HANDED DOWN SUPPLICATIONS; THE EXCELLENCE OF ASKING FOR ALLAH'S FORGIVENESS, AND INVOKING FOR ALLAH'S PRAYER AND BLESSING UPON THE MESSENGER OF ALLAH 587
THE EXCELLENCE OF SUPPLICATION 587
THE PROPRIETIES OF SUPPLICATION 588
THE EXCELLENCE OF INVOKING FOR ALLAH'S PRAYER AND BLESSING UPON THE MESSENGER OF ALLAH 597
THE EXCELLENCE OF ASKING FOR ALLAH'S FORGIVENESS 601
CHAPTER THREE: ON SOME HANDED DOWN SUPPLICATIONS WHOSE TRANSMITTERS ARE KNOWN 605
SUCH OF SUPPLICATIONS AS WITH WHICH IT IS DESIRABLE FOR ONE TO SUPPLICATE EVERY MORNING AND EVENING, AND FOLLOWING EVERY (OBLIGATORY) PRAYER 605
THE SUPPLICATION OF THE MESSENGER OF ALLAH "ALLAH'S BLESSING AND PEACE BE UPON HIM" FOLLOWING THE TWO-RAK'AH PRAYER PRIOR TO FAJR 606
THE SUPPLICATION OF A'ISHAH "ALLAH BE PLEASED WITH HER" 607
THE SUPPLICATION OF FATIMAH "ALLAH BE PLEASED WITH HER" 607
THE SUPPLICATION OF ABU BAKR AS-SIDDIQ "ALLAH BE PLEASED WITH HIM" 607
THE SUPPLICATION OF BURAIDAH AL-ASLAMI "ALLAH BE PLEASED WITH HIM" 608
THE SUPPLICATION OF QABISAH IBN AL-MUKHARIQ 608

THE SUPPLICATION OF ABU AD-DARDA' "ALLAH BE PLEASED WITH HIM" 609
THE SUPPLICATION OF ABRAHAM, THE BOSOM FRIEND "ALLAH'S BLESSING AND PEACE BE UPON HIM" 609
THE SUPPLICATION OF JESUS "PEACE BE UPON HIM" 609
THE SUPPLICATION OF AL-KHADIR "PEACE BE UPON HIM" 610
THE SUPPLICATION OF MA'RUF AL-KARKHI "ALLAH BE PLEASED WITH HIM" 610
THE SUPPLICATION OF UTBAH AL-GHULAM 611
THE SUPPLICATION OF ADAM "PEACE BE UPON HIM" 611
THE SUPPLICATION OF ALI IBN ABU TALIB "ALLAH BE PLEASED WITH HIM" 611
THE SUPPLICATIONS AND CELEBRATIONS OF SULAIMAN IBN AL-MU'TAMIR AT-TAIMI "ALLAH BE PLEASED WITH HIM" 612
THE SUPPLICATION OF IBRAHIM IBN ADHAM "ALLAH BE PLEASED WITH HIM" 613
CHAPTER FOUR: ON SOME INVOCATIONS HANDED DOWN FROM THE PROPHET AND HIS COMPANIONS 614
THE KINDS OF SEEKING REFUGE (WITH ALLAH) HANDED DOWN FROM THE PROPHET "PEACE BE UPON HIM" 618
CHAPTER FIVE: ON SUPPLICATIONS HANDED DOWN ON DIFFERENT OCCASIONS 620
BOOK TEN: THE CONSTITUTION OF REGULAR DIVISIONS AND THE DETAILS OF GIVING LIFE TO THE NIGHT (BY STANDING FOR SUPEREROGATORY PRAYER) 629
CHAPTER ONE: ON THE EXCELLENCE, CONSTITUTION AND RULES OF REGULAR DIVISIONS 630
THE EXCELLENCE OF REGULAR DIVISIONS, AND THE EXPOSITION OF THE FACT THAT TO DO THEM REGULARLY LEADS TO THE RIGHT WAY OF ALLAH ALMIGHTY 630
THE EXPOSITION OF THE NUMBER AND CONSTITUTION OF REGULAR DIVISIONS 634
THE EXPOSITION OF THE NIGHT REGULAR DIVISIONS 651
THE EXPOSITION OF THE DIFFERENCE OF REGULAR DIVISIONS ACCORDING TO THE DIFFERENCE OF STATES 665
CHAPTER TWO: ON THE FACILITATING WAYS OF STANDING AT NIGHT FOR PRAYER; THE NIGHTS TO WHICH GIVING LIFE BY STANDING IS DESIRABLE; THE EXCELLENCE OF GIVING LIFE TO THE NIGHT AND THE PERIOD BETWEEN BOTH EVENING PRAYERS; AND THE WAY OF DIVIDING NIGHT INTO REGULAR DIVISIONS 672
THE EXCELLENCE OF GIVING LIFE TO THE PERIOD BETWEEN BOTH EVENING PRAYERS 672
THE EXCELLENCE OF STANDING AT NIGHT (FOR PRAYER) 675

THE EXPOSITION OF THE FACILITATING CAUSES OF STANDING AT NIGHT (FOR SUPEREROGATORY PRAYERS) 682

THE EXPOSITION OF THE DIFFERENT WAYS OF DISTRIBUTING THE REGULAR DIVISIONS OF THE NIGHT 688

THE EXPOSITION OF THE MERITORIOUS NIGHTS AND DAYS 691

CONTENTS 695

Imam Abu Hamed AL-GHAZALI
(450-505 H.=1058-1111 A.D.)

REVIVAL OF RELIGION'S SCIENCES

IHYA' ULUM AD-DIN

إحياء علوم الدين

Translated by
Mohammad Mahdi al-Sharif

Volume I

The quarter of The acts of worship

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
DKI
Beirut- Lebanon

Imam Abu Hamed AL-GHAZALI
(450-505 H.=1058-1111 A.D.)

REVIVAL OF RELIGION'S SCIENCES (IHYA' ULUM AD-DIN)

إحياء علوم الدين

Translated by
Mohammad Mahdi al-Sharif

Volume I

The quarter of The acts of worship

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKI
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales @al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title : **REVIVAL OF RELIGION'S SCIENCES (IHYA' ULUM AD-DIN)**

إحياء علوم الدين

Classification: Jurisprudence and sufism

Author : Imam Abu Hamed AL-GHAZALI

Translator : Mohammad Mahdi al-Sharif

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Pages : 2784 (4 volumes)

Size : 17* 24

Year : 2011

Printed in : Lebanon

Edition : 1st

DKI

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1871 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax. +961 5 804813
P.o Box. 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون-القبة-مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٠٥٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٩٦١+
فاكس: ٠٥٨٠٤٨١٣ ٩٦١+
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

Exclusive rights by © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

ISBN 978-2-7451-5945-8
ISBN 2-7451-5945-3
9 782745 159458 90000

IN THE NAME OF ALLAH, MOST GRACIOUS, MOST MERCIFUL
REVIVAL OF RELIGIOUS SCIENCES

Prelude

Firstly, I begin with the praise of Allah Almighty, even though our praise is quite insufficient and too little to be compared with His real glory. Secondly, I invoke His blessings upon all the Messengers and in particular upon the greatest and the Seal of His Messengers, Muhammad "Allah's blessing and peace be upon all of them". Thirdly, I pray for His help and grace that I should keep firm, willing and motivated to write the book "Ihya' Ulum Ad-Din 'Revival of religion's sciences'".

Fourthly, O slanderer, O heedless, O rejecter of truth, what removed from my tongue the impediment of silence and put on my neck the necklace of arguments and reasons, and made it incumbent upon me to reply to your arguments, is the closing of your eyes from open truths, and rather your dependence upon what is insignificant and untrue which made you praise ignorance, and stirring up opposition against him who wants to deprive some of his deeds of the evil practice and habits of men or expresses his wish to put his learning to practice in order that Allah Almighty would purify his soul, by addressing himself to religious service and doing his best to make expiation for the sins he has committed in his past life and for which he has become disappointed, and keeping himself far from the society of those persons about whom the lawgiver, Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He who will receive the greatest punishment on the Day of Judgement will be the learned man whom Allah Almighty has benefited not from his knowledge."

I'm quite sure, by my life, that there is no reason for you to reject the truth barring the fact that the epidemic which has overwhelmed most of the people has also overpowered you; and it is that which diverted them to make sense to the rules and principles of this affair, and fail to notice that this matter is very serious and grave, that the hereafter is coming forward and this world is retreating, that death is very near and the journey is long, that provision is very little, that dangers are great but the paths are blocked.

It is difficult, exhausting and tiring to tread the crowded and dangerous path of the hereafter with no guide nor companion. The guides for the path are the learned men who are the heirs of the Prophets, of whom the times are short and it is only the superficial who are left, most of whom have been possessed by iniquity and overpowered by Satan. Everyone of them was so absorbed in his immediate fortune that he came to see good as evil and evil as good, and it is for this reason that the science of religion disappeared and the minaret of the true faith extinguished all over the world.

They gave the people the false impression that there was no knowledge except

such laws of government as used by judges to settle disputes when the mob dots; or such of arguments as used by the vainglorious to overcome and silence the opponents; or the elaborate and flowery language with which the preacher seeks to draw the attention of the laymen; and that's because apart from these three, they could find no other ways to snare illegal profit and get the wealth of this world.

On the other hand the science of the way to the hereafter, well-trodden by our righteous predecessors which includes what is described in Allah's Book as law, wisdom, knowledge, enlightenment, light, guidance, and righteousness, has disappeared from among men and been completely a thing forgotten.

Since this is a distress which has befallen the religion and a grave calamity which has put it in the shade, I have seen it important to address myself to the composition of this book, in order to revive the science of religion, to bring to light the exemplary lives of the deceased imams, and to show such of branches of knowledge as regarded of good use by the prophets and the virtuous predecessors.

I have based it upon four quarters: the quarter of the Acts of Worship, the quarter of the Habits of Life, the quarter of the Destructives, and the quarter of the saviors.

I have begun the work with the book of knowledge because it is of the utmost significance to define first of all the knowledge which Allah has commanded the elite to seek, on the tongue of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". In this respect, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Seeking knowledge is an obligation due upon every Muslim." My goal from beginning with this book on knowledge is to distinguish useful from harmful knowledge, as the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "We seek refuge with Allah from useless knowledge" and also to shed light upon the deviation of the people of this age from right conduct, their delusion as by a glistening mirage, and their satisfaction with the husks of knowledge rather than the pith.

The quarter of the Acts of Worship comprises ten books: The Book of Knowledge; The Principles of Faith; The Mysteries of Purification; The Mysteries of Prayer; The Mysteries of Obligatory Charity; The Mysteries of Fasting; The Mysteries of Hajj; The Principles of Reciting the Qur'an; Concerning Invocations and Supplications; and the Arrangement of Litanies (One should recite regularly everyday of the Holy Qur'an).

The quarter of The customs Of Life comprises ten books: The Etiquettes of Eating; The Etiquettes of Marriage; The Etiquettes of Earning Sustenance; Concerning the Lawful and Unlawful; The Etiquettes of Companionship and Fellowship with the Different Types of Men; Concerning Seclusion; The Etiquettes of Journey; the Etiquettes of Music and Ecstasy; Concerning Enjoining Good and Forbidding Evil; and The etiquettes of Living as Exemplified in the Prophetic Manners.

The quarter of the Destructives comprises ten books: Concerning the

Wonders of the Heart; Concerning the Discipline of the Soul; Concerning the Evil of the Two lusts: The Appetite of the Stomach and the Sexual Desire; The Evil of Tongue; The Evil of Anger, Resentment, and Envy; The Evil of the World; The Evil of Wealth and Greediness; The Evil of Showiness and Hypocrisy; The Evil of Pride and Vanity; and The Evils of Haughtiness.

The quarter of the Saviors comprises ten books: Concerning Repentance; Concerning Patience and Gratitude; Concerning Fear and Hope; Concerning Poverty and Asceticism; Concerning Allah's Oneness and Trust; Concerning Love, Longing, Intimacy and Contentment; Concerning Intentions, Truthfulness, and Sincerity; Concerning Self-Examination and Self-Reckoning; Concerning Reflection; and Concerning Death.

In the quarter of the Acts of Worship I make a mention of some of its hidden etiquette, the niceties of its principles, and the mysteries of its meanings, of which the active learned man is in need, and without their knowledge none will be well-acquainted with the science of the hereafter. Most of this information has been neglected in jurisprudence studies.

In the quarter of the Customs of Life I make a mention of the principles of practical religion widespread among men, its profound subtleties, complicated practice, and the piety which lurks in its principles of conduct, without which no religious man can do.

In the quarter of the Destructives I deal with every blameworthy trait to which the Qur'an refers, the way of purifying the soul and the cleansing of the heart therefrom. I therefore put a clear definition to every one of these traits, and refer to the particular truth about it, the source from which it originates, the evil consequences to which it leads, its indicative signs, and the way of its treatment, with support, in all of those, of evidences from the Holy Qur'an, Prophetic tradition, and narrations.

In the quarter of the Saviors, I discuss every praiseworthy trait and every desirable quality characteristic of those made near to the Presence of Allah Almighty, as well as the saints, by means of which the servant seeks to draw near to the Lord of the worlds. I give a certain definition to every quality, and refer to the truth about it, the source from which it originates, the fruit obtained from it, the particular sign by which it is known, the excellence which renders it desirable, with support for illustration from the transmitted law and intellectual reason.

It is true that several works have been composed in some of these aspects, but five characteristics distinguish this work from them:

First, by clarifying what they have obscured and making clear what they have treated casually.

Second, by arranging what they have disarranged, and organizing what they have scattered.

Third, by condensing what they have elaborated, and correcting what they have approved.

Fourth, by deleting what they have repeated and verifyed what they have set down.

Fifth, by determining ambiguous matters which have been beyond the reach of understanding and never dealt with in any work.

For although all might follow the same method, there is no reason why one should not proceed independently and bring to light something unknown, giving particular concern to what his colleagues have forgotten, or have noticed, but overlooked to mention them in writing, or being prevented from uncovering them.

These are the characteristics which distinguish this work which is cumulative of the sciences referred to.

Two factors have urged me to base this work upon four quarters.

The first and original motive is that this system of research and exposition is necessarily essential because the science by which we turn to the hereafter is divided into two: the science of Practical Religion, and the science of Revelation. I mean by the science of Revelation that by which the knowledge is revealed; and I mean by the science of practical religion the knowledge as well as action in accordance with that knowledge. The aim of this work is to deal only with the science of practical religion, and not with that of Revelation, which one is not permitted to record in writing, although it is the ultimate goal sought for by saints, and the wanted desire of the eyes of the Sincere.

The science of practical religion is merely a way which leads to revelation and the prophets of Allah did not communicate with the people and lead them to Him except through the knowledge of that way, to which they guided them. Concerning revelation itself, the prophets spoke only figuratively and briefly through signs and symbols, because they realized the incapability of man's mind to comprehend. Therefore since the learned men are heirs of the prophets, they cannot but follow their footsteps and emulate their way.

On the other hand, the science of practical religion is divided into exoteric science, which deals with the functions of the organs, and esoteric science, which deals with the functions of the heart. The bodily organs perform either acts of worship or habits of life, while the heart, as far as it is removed from the organs, and rather belongs to the world of dominion, is subject to either praiseworthy or blameworthy effects. Consequently, this science is divided into two parts: outward and inward. The outward, which relates to the organs, is subdivided into acts of worship and habits of life; and the inward, which relates to the states of the heart and the qualities of the soul, is subdivided into what is praiseworthy and what is blameworthy. All of these constitute the four parts of the science of practical religion; and there is no deviation from such a classification in considering the science of practical religion.

My second motive for adopting this kind of division is that I have seen the genuine interests of students in jurisprudence, which has become popular among those who do not fear Allah, for the sake of boasting and exploiting its influence and prestige in arguments. This jurisprudence also is divided into quarters; and since he who dresses himself in the dress of the beloved will also be beloved, I want not to be far from the idea that making this book appear in the form of

books of jurisprudence shall be a skillful move to create interest in it. For a similar reason, one of those who wanted to attract the attention of the magistrates to the science of medicine, represented it in a form of astronomical lists, arranging it in tables and numbers, and called it Tables of Health, in order, by so doing, to have their concern with that type of science help in encouraging them to read it. Resourcefulness in drawing hearts to the science which is good for the eternal life is more valuable than that of drawing them to medicine which benefits nothing but physical health. The fruit of this science is the treatment of the hearts and souls which leads to a life that will persist for ever and ever. How inferior, therefore, is the medicine of the body, which is doomed by necessity to decay before long! We ask Allah to help us achieve success and attain guidance: verily, He is Most Generous, All-Bounteous.

CHAPTER ONE: ON THE EXCELLENCE OF KNOWLEDGE, TEACHING AND LEARNING

The Virtue Of Knowledge

Its proofs from the Holy Qur'an go as follows:

"There is no god but He: that is the witness of Allah, His angels, and those endued with knowledge, standing firm on justice. There is no god but He the Exalted in Power, the Wise." (Al Imran 18)

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾

Consider how he Almighty begins with Himself, and makes the angels rank second to Him (as far as such witness is concerned), and the men of knowledge third to them; and how sufficient this is for honour, excellence, good value and superiority!

Allah Almighty says also: "Allah will raise up, to (suitable) ranks (and degrees), those of you who believe and who have been granted Knowledge." (Al-Mujadilah 11)

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾

In this respect, it is narrated on the authority of Ibn Abbas that he said: "The men of knowledge have as much as seven hundred degrees higher than the faithful believers, between each two of which, there is (as long distance as to be covered in) five-hundred-year journey."

Allah Almighty further says: "Say: 'Should those be equal, those who have knowledge and those who have not?'" (Az-Zumar 9)

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾

He says: "It is those who endued with knowledge from amongst Allah's servants that fear Allah most." (Fatir 28)

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴿٢٨﴾ ﴾

He says: "Allah suffices for witness between me and you, the One Who is well-acquainted with the knowledge of the Book." (Ar-Ra'd 43)

﴿ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾

He Almighty says also: "Said he, who was well-acquainted with the knowledge of the Book: 'I'm ready to bring it (the throne of Sheba) to you'"; (An-Naml 40)

﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾

And this draws the attention to the fact that he was able (to bring the throne immediately) by virtue of the power of knowledge.

Allah Almighty says: "Those who were endued with knowledge said: 'Woe to you! The reward of Allah (in the hereafter) is much better for him who has faith, and amends his work'" (Al-Qasas 80)

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾

Showing that the superiority of the hereafter to this world in rank and position could not be known but through knowledge.

He Almighty says: "Those parables We set forth for the people (to learn therefrom), and none understand them but those endued with knowledge." (Al-Ankabut 43)

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾

He also says: "Had they referred the matter to the Messenger and to those endued with authority from amongst them, surely, those of good understanding among them would have known it." (An-Nisa 83)

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾

In this Holy statement, he refers His Decision of the events to their faculty of understanding, and joins their rank to that of the Prophets to anticipate Allah's Decision.

It is said, in comment on Allah's saying: "O Children of Adam! We have bestowed raiment upon you to cover your shame, and splendid vesture. But the raiment of righteousness, that is the best" (Al-A'raf 26)

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾

"The raiment refers to knowledge, the splendid vesture refers to the certainty (of faith), and the raiment of righteousness denotes to shyness (i.e. refraining from committing religious indiscretions).

Allah Almighty says: "We've brought about a Book to them, Whose (Verses) We've explained in detail with knowledge."(Al-A'raf 52)

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾

He also says: "We should then relate to them (the narrations) with knowledge."(Al-A'raf 7)

﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ﴾

He says: "But even, it (the Qur'an) is of evidently clear signs in the breasts of those endued with knowledge." (Al-Ankabut 49)

﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾

He says: "He has created man, and taught him speech (and Intelligence)." (Ar-Rahman 3:4)

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝ ﴾

He Almighty makes a mention of that on the occasion of reminding him of such of blessings as He has bestowed upon him.

In relation to the proofs from the Prophet's sunnah they go as follows:

(It is narrated by both Al-Bukhari and Muslims and others on the authority of Mu'awiyah that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "If Allah Almighty intends good for any one, he provides him with the faculty of religious understanding, and gives him the right guidance thereof."

(It is narrated by At-Tirmidhi, Abu Dawud, Ibn Majah and Ibn Hibban on the authority of Abu Ad-Darda' that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "No doubt, the learned men are the heirs of Prophets (as far as knowledge is concerned)." It is a well-known fact that that there is no rank superior to that of Prophethood, nor is there honour much higher than that of inheriting such a rank.

(It is narrated by At-Tirmidhi and others on the authority of Abu Ad-Darda' that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Those in the Heavens and the earth always ask for (Allah's) Forgiveness for the learned man." Which position is then much better than that of him, for whom the angels of the Heavens and the earth are engaged in asking for (Allah's) Forgiveness?

(It is narrated by Ibn Abd Al-Barr on the authority of Anas that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "No doubt, wisdom (acquired from knowledge) increases the one of high social class in dignity, and raises even the slave so high that he could attain the rank of chiefs." In this way, he draws the attention to its (knowledge's) advantage in the world, even though the hereafter, as it is well-known, is much better, more abiding.

(It is narrated by At-Tirmidhi on the authority of Abu Hurairah that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Two characteristics never gather in a hypocrite: the good (right) way and the faculty of religious understanding." However, you should have no doubt in the tradition depending upon the hypocrisy of many religious jurists of this time; for indeed, he does not indicate to the type of religious jurisprudence which you might imagine. Later on, the real meaning of the faculty of religious intelligence will be explained, and we will see that a religious jurist might attain the highest degree when he comes to know that the hereafter is, by all means, much better than this world; and once he is true to this knowledge, And once this knowledge prevails in him, he becomes free from all kinds of hypocrisy and showing off.

(It is narrated on the authority of Al-Baihaqi on the authority of Abu Ad-Darda' without tracing it up to) The Messenger of Allah "Peace be upon him" that he said: "The best of men is the learned faithful believer, who will be of benefit when there is need for him, and will benefit himself when there is no need for him."

(It is narrated by Al-Hakim on the authority of Abu Ad-Darda' that) The

Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Faith is naked, since its raiment is righteousness, its splendid vesture is shyness (refraining from committing religious indiscretions) and its fruit is knowledge."

(It is narrated by Abu Na'im on the authority of Ibn Abbas that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "The closest from amongst the people to the rank of Prophethood are those endued with knowledge, and those who practice Jihad (in Allah's Way): as to those endued with knowledge, it is those who guided the people to what was brought about by the Messengers; and as to those who practice Jihad, it is those who fight with their swords (in Allah's Way) to preserve what was brought about by the Messengers."

(It is narrated by At-Tabarani and Ibn Abd Al-Barr on the authority of Abu Ad-Darda' that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "No doubt, the wholesale death of (all members of) a tribe is much easier than the death of a man endued with knowledge."

(It is unanimously narrated by more than one on the authority of Abu Hurairah that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "The people are of different metals like gold and silver (in relation to their manners): the good among them in the pre-Islamic period of ignorance is also good among them in Islam, particularly when they are given the faculty of religious understanding."

(It is narrated by Ibn Abd Al-Barr on the authority of Abu Ad-Darda' that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "On the Day of Judgement, the ink of learned men (therewith they record knowledge) will be weighed (in value) with the blood of martyrs (which they shed in Allah's Way)."

(It is narrated by Ibn Abd Al-Barr on the authority of Ibn Umar that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "He, who preserves (even) forty Prophetic traditions of the Sunnah for my nation until he conveys them, I will act as intercessor for him, and witness to his (good deeds) on the Day of Judgement."

(It is narrated by Ibn Abd Al-Barr on the authority of Anas that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "He, from among my nation, who keeps (by heart and acts upon even) forty Prophetic traditions, will meet Allah Almighty on the Day of Judgement, having the rank of religious jurists and learned men."

(It is narrated by Al-Khatib on the authority of Abdullah Ibn Juz' Az-Zubaidi that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "He, who becomes well-acquainted in the religion of Allah Almighty, Allah Almighty suffices him against what concerns him, and provides him with sustenance from sources which he expects not."

(It is narrated by Ibn Abd Al-Barr that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Allah Almighty revealed to Abraham: 'O Abraham! I'm full of knowledge; and I love such (of men) as endued with knowledge."

(It is narrated by Ibn Abd Al-Barr on the authority of Mu'adh that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "No doubt, the learned one is the

trustees of Allah Almighty on earth."

(It is narrated by Ibn Abd Al-Barr and Abu Na'im on the authority of Ibn Abbas that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "There are two types of persons among my nation; and if they are right, the people would become right, and if they are errant the people would be errant: the rulers and religious jurists."

(It is narrated by At-Tabarani, Ibn Abd Al-Barr and Abu Na'im on the authority of A'ishah that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "If a day comes upon me, on which I've not increased in knowledge which brings me much closer to Allah Almighty, let not me be blessed in the sunrise of that day."

(It is narrated by At-Tirmidhi on the authority of Abu Umamah that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said, in reference to the preference given to the learned men over the worshipper and martyr: "The superiority of a learned man to a worshipper is like the superiority I have to the lowest of my companions." Consider here how he places knowledge in the same rank of Prophethood, and how he lowers the standing of service with no knowledge, even though a worshipper has knowledge of the type of service which he does regularly, otherwise, by Allah, it will, by no means be considered as worship at all.

(It is narrated by Abu Dawud, At-Tirmidhi, An-Nasa'i and Ibn Hibban on the authority of Abu Ad-Darda' that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "The superiority of a learned man to a worshipper is like the superiority of a full moon (in its evident shine and closeness to the earth) to the other planets (in their darkness and farness from the earth)."

(It is narrated by Ibn Majah on the authority of Uthman Ibn Affan that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "On the Day of Judgement, there will be three types of intercessors: the Prophets, then the learned men, and then the martyrs." How excellent such a degree (as given to the learned men) is which ranks second to Prophethood, and prior to martyrdom, putting in mind the great superiority of martyrdom!

(It is narrated by At-Tabarani and Abu Na'im on the authority of Abu Hurairah, and by At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Ibn Abbas that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Nothing is better than learning in religion therewith Allah Almighty is worshipped; and of a surety, an individual religious jurist is much harder upon Satan than one thousand worshippers. No doubt, everything has a supporting pillar (on which it depends), and jurisprudence is the supporting pillar of this religion."

(It is narrated by Ibn Abd Al-Barr on the authority of Anas that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "The best of your religion is the easiest of its (matters as long as it does not make lawful what is unlawful); and the best of service is the religious learning."

(It is narrated by Ibn Adi on the authority of Abu Hurairah that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "A learned faithful believer has been given seventy degrees superior to the only worshipping believer."

(It is narrated by At-Tabarani on the authority of Hizam Ibn Hakim that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "You've come to live in a time, characterized by abundance of religious jurists, and shortage of reciters (of the Qur'an) and lecturers, shortage of beggars, and abundance of givers (of wealth), in which service is much better than knowledge; and a time will come upon the people, in which there will be shortage of religious jurists, and abundance of lecturers, shortage of givers and abundance of beggars, and knowledge will be much better than service."

(It is narrated by Al-Asbahani on the authority of Ibn Umar from his father that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: " A learned man is one hundred degrees higher than a worshipper, between each two of which there is a (distance as long as a) seventy-year journey covered by a lean horse running at a quick pace."

(It is narrated by Ibn Abd Al-Barr on the authority of Anas that) it was said to The Messenger of Allah "Peace be upon him": "O Messenger of Allah! Which of deeds is the best (in the Sight of Allah)?" The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "To have knowledge of Allah Almighty." It was said: "Which knowledge do you mean?" The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "The knowledge of Allah Almighty." It was said: "O Messenger of Allah! We ask you about the deed, and you give an answer pertaining to knowledge." On that The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "A few (and even trivial) deeds could be of great benefit if one has proper knowledge of Allah Almighty, even though many deeds would be of no benefit if one is ignorant of Allah."

(It is narrated by At-Tabarani on the authority of Abu Musa that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "On the Day of Judgement, Allah Almighty will raise the worshipping servants and then He will raise the learned men, and say: "O assembly of learned men! I have not provided you with My Knowledge but because I have full recognition of you; and I've never given you My Knowledge in order to punish you: go: I've forgiven for you."

We ask Allah Almighty for the good end (of our journey).

As for the traditions, a mention might be made of the following:

Ali Ibn Abu Talib "Allah be pleased with him" said to Kumail: "O Kumail! (It should be known that) knowledge is better than wealth: it is knowledge which safeguards you (from ignorance) and it is you who safeguard the wealth (from others); and knowledge always rules (by its principles) and wealth is ruled (by such principles of knowledge); and spending always decreases wealth even though spending promotes knowledge."

Ali Ibn Abu Talib "Allah be pleased with him" also said: "No doubt, the learned one is much better than the fasting person, who stands (at night for supererogatory prayers) and practices Jihad (in Allah's Way); and if a learned man dies, his death causes a gap to happen in Islam, which could not be filled up but by a successor to him."

Ali Ibn Abu Talib "Allah be pleased with him" said in the form of poetic verses: "Let the men of knowledge be proud of being the guides for anyone

who seeks the right guidance. Everyone is estimated by what he is able to do perfectly, since the ignorant are always the traditional enemies of the learned men. So, acquire knowledge therewith you could live lastingly since the people will die, but the men of knowledge will live forever (with their beneficial knowledge)."

Abu Al-Aswad said: "Nothing is dearer than knowledge: it is true that the kings rule over the people, the learned men rule over the kings."

Ibn Abbas "Allah be pleased with him" said: "(The Prophet) Solomon, son of (the Prophet) David "Peace be upon both" was given the freedom to choose knowledge, wealth or kingdom, thereupon he chose knowledge, with which he was given both wealth and kingdom besides."

Ibn Al-Mubarak was asked: "Who are the (real) people?" he said: "The learned men." He was further asked: "Then, who are the kings?" he said: "Those who abstain (from this world)." He was asked (for the third time): "Who are the lowly among the people?" he said: "Those who devour the world with the religion." He seemed to have ascribed only the learned men from amongst all to the people because it is knowledge which constitutes the distinctive characteristic of man that distinguishes him from the animal: man is considered to be a man only because of the very thing for which he is honoured. This is not achieved by the strength of his body, since the camel (for example) is much stronger than him, nor is it by his hugeness, since the elephant is more huge than him, nor is it by his bravery, since the wild animal is braver than him, nor is it by his capability of eating, since the ox's abdomen is larger than his, nor is it by his power of having sexual intercourse, since the lowest from among the birds are more powerful to do so. Nay! Man has not been created but for knowledge.

One of the learned men said in this respect: "How distressing it is! Which thing could one catch when knowledge has escaped him? And which thing could one miss when he has caught knowledge?"

It is narrated by 30 that The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "When one is given (the faculty of keeping by heart and understanding and acting upon) the Holy Qur'an, even though he feels that anyone else has been given something better than that, he will have disdained what Allah Almighty has honoured."

Fath Al-Mawsili "Allah's Mercy be upon him" said: "Is it not that if food and drink are forbidden to a sick person, he will die?" they answered in the affirmative, thereupon he said: "So is the case of mind: if knowledge and wisdom are forbidden to it for three days, it will die."

No doubt, he has told the truth. As well as food nourishes the body, knowledge and wisdom nourish mind, with which it lives; and if one looses knowledge, his mind will grow ill, and its death should inevitably come, even though he feels not, since his love and desire for world, by which he is occupied, makes his sense cease to function, in the same way as the overwhelming fear hinders the sense of injury pain at once, even though it does not remove it. But, when the moment of death comes to take away from him the burdens of life, he

feels he will be ruined, which causes him to regret in sigh (for what he has done), even though it will avail him not. His sense is like the sense of fear which the safe one entertains, or the sense of the injury pain which one might come to feel after the state of intoxication is over. We seek refuge with Allah from the day of lifting the veil for indeed, the people are always in a state of sleep, from which they do not wake up and become attentive but at the moment of death.

Al-Hassan "Allah's Mercy be upon him" said: "(On the Day of Judgement) the ink of the learned men (therewith they record knowledge) will be weighed (in value) with the blood of martyrs, and the ink of the learned men will overweigh the blood of martyrs."

Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" said: "I advise you to stick to knowledge before it is taken away, by the death of its transmitters. By Him in Whose Hand is my soul! Some men who were killed in Allah's Way as martyrs wish that Allah Almighty would raise them from dead once again, as learned men (in this world) because of the dignity they see given to those (learned men). To be sure, none was born as a knowledgeable, but knowledge is acquired by learning."

Ibn Abbas "Allah be pleased with him" said: "To study a branch of knowledge for a portion of a night is dearer to me than to give life to it (the whole night by standing for supererogatory prayers)." This statement is also transmitted on the authority of Abu Hurairah and Ahmad Ibn Hanbal.

In comment on Allah's statement: "Our Lord! Give us good in this world and good in the Hereafter, and defend us from the torment of the Fire" (Al-Baqarah 201)

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾

"The good in this world stands for religious knowledge and service, and the good in the hereafter stands for the Garden."

It is said to one of the learned men: "Which things would you like to keep (with you)?" he said: "Those things which should swim with you (to save you from sinking) once your ship sinks." Those things refer to knowledge, and the sinking of the ship refers to the destruction of body (by death).

It is said by one of the people: "He, who takes wisdom as rein (on his journey), the people should take him as leader; and he, who is famous for knowledge, the eyes should look forward to him with great respect."

Ash-Shafi'i "Allah's Mercy be upon him" said: "It is a great honour for knowledge that if anyone is ascribed to it, no matter insignificant it might be, he will be pleased, and if it is taken away from him, he will grow sad."

Umar "Allah be pleased with him" said: "O people! I advise you to stick to knowledge for Allah Almighty has a garment which He loves, and whoever seeks for any branch of knowledge, he will be dressed by Allah Almighty in this garment; and if he commits a sin, he will be asked to turn in repentance thrice, in order not to deprive him of that garment; even though he insists on committing that sin until he dies."

Al-Ahnaf "Allah's Mercy be upon him" said: "The learned men are about to

become chiefs; and every power that is not supported by knowledge should inevitably be put to humiliation."

Salim Ibn Abu Al-Ja'd said: "My master bought me by three Dirhams and then he emancipated me. I said (to myself): 'Which thing should I take as profession?' I took knowledge as my profession, and it was not after the end of the same year that the governor of Medina came to visit me, but I did not admit him."

Az-Zubair Ibn Abu Bakr said: The following was written (and sent in a letter) to my father in Iraq: "You should stick to knowledge for if you become poor, it will act for you as (instrument therewith you could get) wealth, and if you become rich, it will act for you as (garment of) beauty."

According to the commandments of Luqman to his son: "O my son! Sit with the learned men, and compete with them (in learning), for Allah Almighty gives life to minds with the help of the light of wisdom, in the same way as He gives life to earth with the help of the rain which comes down from the sky."

A wise man said: "When a learned man dies, (everything, including even) the whale in the sea and the bird in the air will weep on him; and although his face will be lost (by his disappearance from the eyes), his commemoration will not be forgotten."

Az-Zuhri "Allah's Mercy be upon him" said: "No doubt, knowledge is male (in its power and strength), and it is the male from among men who love it."

The Virtue Of Learning

From amongst its proofs, a mention might be made of the following: " if a contingent from every expedition remained behind, they could devote themselves to studies in religion, and admonish the people when they return to them, that thus they (may learn) to guard themselves (against evil)." (At-Tawbah 122)

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

"If you know this not, ask of those who possess the Message." (An-Nahl 43 and Al-Anbiya 7)

﴿ فَسْـَٔلُوٓا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ ، ﴿ فَسْـَٔلُوٓا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ ﴾

A mention might be made also of the following Prophetic sayings:

It is narrated by Muslim on the authority of Abu Hurairah that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "He, who follows a way therewith he seeks knowledge, Allah Almighty will cause him to follow a way direct to the Garden."

(It is narrated by Ahmad on the authority of Safwan Ibn Assal that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "No doubt, the angels lower (or spread according to another interpretation) their wings (in humility) for the learner out of their leisure with what he does."

(It is narrated by Ibn Abd Al-Barr on the authority of Abu Dharr that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "To go early in the morning to

learn even a chapter of knowledge is much better for you than to pray one hundred rak'ahs."

(It is narrated by Ibn Abd Al-Barr on the authority of Al-Hassan, and At-Tabarani on the authority of Abu Dharr that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Even a chapter of knowledge which a man learns is much better for him than the whole world and what it contains."

(It is narrated by Ibn Adi and Al-Baihaqi on the authority of Anas that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Seek after knowledge even though it is (to take you as far as) to China."

The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Seeking after knowledge is an obligation due upon every Muslim." (It is narrated by Abu Na'im on the authority of Ali tracing it up to) The Messenger of Allah "Peace be upon him" that he said: "Knowledge is of many treasures, whose keys are to ask for it. Behold! You should ask (for what you know not) for four (types of persons) would receive reward for that: the questioner, the learned man (who gives answers), the listener, and their lover."

(It is narrated by At-Tabarani, Ibn Mardawaih and Abu Na'im on the authority of Jabir that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "It is not fitting for an ignorant to keep silent (and refrain from removing) his ignorance; and it is not fitting for a learned man to keep silent (and refrain from benefiting others with) his knowledge."

It is narrated on the authority of Abu Dharr that The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "To attend even a session of a learned men is much better than to pray one thousand rak'ah, to visit one thousand patients (in order to enquire about their health) and also to follow one thousand funeral processions." It was said: "O Messenger of Allah! (Is it better) also than reciting the Qur'an?" The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Should the Qur'an avail anyone in absence of knowledge?"

(It is narrated by Ad-Darimi on the authority of Al-Hassan that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "If death approaches anyone while seeking after knowledge, (he will have a lofty rank so high that) there will remain only a single degree in the Garden between him and the Prophets."

As for the traditions pertaining to that, it is narrated that Ibn Abbas "Allah be pleased with him" said: "I lowered myself when I was student (of knowledge), and I was honoured when I came to be (teacher) sought for (by others)." Ibn Abu Mulaikah said about him: "I've never seen the like of Ibn Abbas: when I see him, I see The most good-looking among men; when he speak, he proves to be the most eloquent among men; and when he gives religious verdicts, he proves to have the best knowledge among men."

Ibn Al-Mubarak said: "I wonder how he who never seeks after knowledge should do any good deed!" A wise man said: "I have no petty to anyone as I have to two (types of) men: one seeks after knowledge, even though he does not have the faculty of understanding, and one who has the faculty of understanding knowledge, even though he does not seek after it."

Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" said: "To learn even a single question is much dearer to me than to stand for a whole night (to offer supererogatory prayer)." He further said: "Be either a tutor or a learner, or a listener (to knowledge), but beware of being the fourth one (i.e. an ignorant), lest you would be ruined."

Ata' said: "A single session of knowledge prevails over seventy gatherings of entertainment." Umar "Allah be pleased with him" said: "The death of even one thousand worshippers, who stand at night (for supererogatory prayer) and observe fasts during the day is much easier than the death of a single one endued with knowledge, who is well-acquainted with what is made lawful and what is made unlawful by Allah Almighty."

Ash-Shafi'i said: "To seek after knowledge is much better than to perform a voluntary service." Ibn Abd Al-Malik said: "I was with Malik (Ibn Anas) reciting (portions of) knowledge to him when the due time of Zhuhr prayer came (upon us), thereupon I gathered the books in order to offer prayer. On that he said: "O man! By no means is that (prayer) to which you've stood (to offer) better than that (state of studying knowledge) in which you were, on the condition that the intention should be right."

Abu Ad-Darda' said: "He, who thinks that going early in the morning with the intention to acquire knowledge is not (an item of) Jihad, is indeed lacking in both his thought and mind."

The Virtue Of Teaching

A mention might be made of the following supporting proofs from the Holy Qur'an: " and admonish the people when they return to them, that thus they (may learn) to guard themselves (against evil)." (At-Tawbah 122)

﴿ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

What is intended here is teaching and instructing. Allah Almighty further says: "And remember Allah took a Covenant from the People of the Book, to make it known and clear to mankind, and not to hide it." (Al Imran 187)

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴿١٨٧﴾ ﴾

This means that teaching is obligatory. Allah Almighty also says: "but some of them conceal the truth which they themselves know." (Al-Baqarah 146)

﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾

This affirms the prohibition of concealing the knowledge. This is also supported by Allah's saying in the same Surah: "Conceal not evidence; for whoever conceals it, his heart is tainted with sin. And Allah knows all that you do." (283)

﴿ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾

(It is narrated by Abu Na'im on the authority of Ibn Mas'ud that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Never does Allah provide a man of knowledge with (any branch of portion of) knowledge but that He takes from

him the same covenant He takes from the Prophets to show it to the people, and conceal it not."

Allah Almighty also says in this respect: " Who is better in speech than one who calls (men) to Allah, works righteousness, and says, "I am of those who bow in Islam?"" (Fussilat 33)

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾

He says: "Invite (all) to the Way of your Lord with wisdom and beautiful preaching; and argue with them in ways that are best and most gracious." (An-Nahl 125)

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴿١٢٥﴾ ﴾

He also says: "and to instruct them in Scripture and Wisdom." (Al-Baqarah 129&151; Al Imran 164; Al-Jumu'ah 2)

﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴿١٦٤﴾ ﴾، ﴿ وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴿١٥١﴾ ﴾، ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴿٢﴾ ﴾، ﴿ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴿١٢٩﴾ ﴾

As to the Prophetic sayings, a mention might be made of the following:

(It is narrated by Ahmad and both sheikhs that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said to Mu'adh (Ibn Jabal) when he sent him to Yemen: "If Allah guides through you even a man is better for you than (to have) this world and what it contains."

(It is narrated by Ad-Dailami on the authority of Ibn Mas'ud that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "If a man learns a chapter of knowledge in order to teach it to the people, Allah Almighty will give him the reward of as many as seventy truly faithful believers."

Jesus "Peace be upon him" said: "He, who learns, acts (upon what he learns) and has knowledge (of what he does) will be called a Great one among the assembly of angels of the heavens."

(It is narrated by Adh-Dhahabi on the authority of Ibn Abbas that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "When it is the Day of Judgement, Allah Almighty will say to the worshippers and those who practiced Jihad (in His Way): "Enter the Garden!" the men of knowledge will say: "It is by virtue of our knowledge that they worshipped (You)." He will say: "You are, in My sight, like some of My angels: intercede (for whomever you like) and your intercession will be accepted." They will intercede and then enter the Garden." This applies to such of knowledge as is thought (to others) and not to such of knowledge as is not taught.

(It is unanimously narrated on the authority of Abdullah Ibn Amr that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "No doubt, by no means does Allah take away knowledge form men after providing them with it, but it (knowledge) vanishes by the death of its men: the more a man of knowledge dies, the more the portion of knowledge he has will vanish, until there remain only the ignorant chiefs, who give verdicts with no knowledge whenever they are asked,

with the result that they will go astray and mislead (the people)."

(It is narrated by Abu Dawud, Ibn Majah, At-Tirmidhi and others on the authority of Abu Hurairah that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "He, who learns a (portion of) knowledge which he conceals, on the Day of Judgement, Allah will rein him with a rein of fire."

(It is narrated by At-Tabarani on the authority of Ibn Abbas that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "What a good gift it is to be given, and what a nice present it is to be offered: a statement of wisdom you hear, retain (in memory until) you convey to a Muslim brother of yours, in which you instruct him is equal (in reward) to one-year service."

(It is narrated by At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Abu Hurairah that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "The world is cursed with all of what it contains barring the celebration of Allah Almighty and His Devotees, a tutor or a learner."

(It is narrated by At-Tirmidhi on the authority of Abu Umamah that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Of a surety, Allah Almighty, His angels, the inhabitants of His heaven and earth, including even the ant in its hole and the whale in the ocean, invoke for (Allah's) prayer and Blessing upon one who instructs the people in good."

(It is narrated by Ibn Abd Al-Barr on the authority of Muhammad Ibn Al-Munkadir and Abu Na'im on the authority of Abdullah Ibn Amr that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "A Muslim never benefits his Muslim brother with anything much better than a good narration which he hears and conveys to him."

(It is narrated by Ibn Al-Mubarak on the authority of Zaid Ibn Aslam that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "A good statement which a faithful believer hears, teaches (to others) and then acts upon is much better for him than one-year service."

(It is narrated by Ibn Majah on the authority of Abdullah Ibn Amr that) one day, The Messenger of Allah "Peace be upon him" came out and found two gatherings, the members of one of which were invoking Allah Almighty in desire for His (Bounty and Favour) and the members of the other were teaching the people, thereupon he said: "As for those (of the first gathering), they are asking Allah (to give them), and He could give them if He so likes or withhold them if He so likes; and for the (members of the) others, they are teaching the people and indeed, I've been sent as a tutor." He inclined to them and sat with them.

(It is unanimously narrated on the authority of Abu Musa that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" "The example of the guidance and knowledge with which Allah Almighty has sent me is like the example of heavy rain which came down on a (piece of) land, of which a spot absorbed water that caused grass to grow in it in abundance, and another spot withheld water (as in a well) therewith Allah Almighty has benefited the people, from which they drank, gave water to others, and cultivated (their land), and the third portion proved barren, which neither withheld water, nor caused plants to grow." The first example is set forth here for one who gets benefit from his knowledge, and second for one who

benefits the others with his knowledge, and the third for one who is deprived of it.

(It is narrated by Muslim on the authority of Abu Hurairah that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "If a son of Adam dies, his deed will cease (to receive reward) barring three: a (kind of) knowledge from which others get benefit...."

(It is narrated by At-Tirmidhi on the authority of Anas that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "The guide to good is like its doer (in the reward he receives)."

(It is unanimously narrated on the authority of Ibn Mas'ud that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "There is no envy (to be accepted) but in two things: a man whom Allah Almighty has given wisdom (and knowledge) therewith he judges among the people (with truth and justice), and a man whom Allah has given wealth, and directed to spend it in good."

(It is narrated by Ibn Abd Al-Barr on the authority of Al-Hassan that) The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Allah's Mercy be upon my successors!" it was said: "Who are your (real) successors?" he said: "They are those who give life to my sunnah and instruct the servants of Allah in it."

As for the traditions, it is narrated that Umar said: "He, who relates a narration (to anyone) upon which he (the latter) acts, will have the like of the reward of him, who acts upon it."

Ibn Abbas said: "Everything (in the worlds) including even the whale in the ocean asks for (Allah's) Forgiveness for one who instructs the people in good."

A learned man said: "The man of knowledge interferes (with his knowledge with which he is endued) between Allah and His Creatures: let him then consider how he should interfere!"

It is narrated that Sufyan Ath-Thawri entered Asqalan and stayed there (as long as Allah wished during which) none asked him about anything. On that he said: "Hire (a riding mount) for me so that I should set out of this town: however, this is a town wherein knowledge dies." He seemed to have said so out of his keenness on the virtue of teaching therewith knowledge abides.

It is narrated that Ata' said: I visited Sa'id Ibn Al-Musayyab and he was weeping. I asked him: "What does cause you to weep?" he said: "None asks me about anything (of knowledge)."

A learned man said: "No doubt, the man of knowledge act as the lights of the time, each of whom acts as the lamp of his era, with the help of which the inhabitants of his age seek light (and guidance)."

Al-Hassan said: "Had it not been for the man of knowledge (who teach others) the people would have been like beasts." This means that with the help of teaching and instructing (the people in knowledge), they take the people out of the limit of beastliness to that of humanism.

It is narrated that Ikrimah said: "Of a surety, there is a price for this knowledge." It was said: "What is it?" he said: "It is to give it to one who is perfectly able to have it, and not to waste it."

It is narrated that Yahya Ibn Mu'adh said: "The men of knowledge are more

merciful to the (members of the) nation of Muhammad than their parents are." It was said: "How is that?" he said: "That's for the parents safeguard them from the fire of this world, but the men of knowledge safeguard them from the fire of the hereafter."

It is said that the first step towards knowledge is to keep silent (while it is delivered), then to listen to it, then to keep it, then to act upon it, and lastly to make it public (in circulation among the people).

It is also said: "Teach your knowledge to him who is ignorant, and learn from him who knows what you know not: if you do so, you will surely come to know what you knew not, and keep by heart what you have learnt."

(It is narrated by Ibn Hibban and Ibn Abd Al-Barr that) Mu'adh Ibn Jabal said pertaining to learning and teaching knowledge: "Acquire knowledge for indeed learning is out of Allah's Fearingness, seeking after it is out of service, studying it is out of Exaltation (of Allah), searching for it is out of Jihad, teaching it to one who is ignorant is out of charity, giving it to its proper men is out of approach (towards Allah Almighty): It (knowledge) is the entertainer when one is alone, the companion when one is in seclusion, the right guide to the religion, the one which helps one keep patient on both prosperity and adversity, the consultant among the friends, and the relative which unites the strange ones. It is also the lighting guide of the way to the Garden, therewith Allah Almighty raises up a people, and make them take the positions of leaders and chiefs in goodness, guides to be followed by others, and drivers towards good, to be traced and observed for their deeds. The angels have desire for their companionship, and their wings they touch them (out of respect), and everything, be it living or solid, including even the whale and animals in the ocean, the wild and domestic animals of the land and the heaven with its stars ask for (Allah's) Forgiveness for them."

That's because knowledge is the sight of minds which saves them from blindness, and the light of eyes which keeps them from darkness, and the power of bodies which protects them from weakness, with which a servant (of Allah) attains the ranks of the pious and the highest degrees of the righteous ones. To consider knowledge is equal to observe fast, and to study it is equal to stand (at night for supererogatory prayer). With the help if it, Allah Almighty is obeyed, worshipped and regarded as One and Only, glorified, and invoked (by His servants); and with the help of it also good relations with kith and kin are kept, as well as what is lawful and what is unlawful are known distinctively. It is a leader to be followed by the deed. It is only the happy (among the people) who are inspired it, and it is only the wretched (among them) who are deprived of it: we ask Allah to help us achieve success as far as the intellectual proofs pertaining to that are concerned.

It should be known that the main point here in this chapter is to know the excellence and value of knowledge, and as long as such excellence is not understood in itself and as long as what is intended by it is not realized, it will not be known as existing characteristic for knowledge or anything else. He has gone astray (from the truth) who covets to know whether so and so is a wise man,

even though he does not know what wisdom really means.

However, the superiority is derived from what is superior and surplus: if two things share in something, and one of them has more of it than the other, it will be said that it is superior to or it has superiority over it, whatever that more might be as much as it is a part of the completion of this thing.

It is said (for example) that the horse is superior to the donkey in the sense that it shares with it the power of carrying, but it excels it in the power of attacking and retreating, and the swiftness of running, and prettiness. Suppose that a donkey is more huge, it should not be said that it is superior for this increase is surplus in its appearance even though it is inessential, and it is by no means a part of completion. To be sure, the animal is required for both its characteristics and essence, and not only for its appearance.

Understood that well, it is not ambiguous to you to know that knowledge has superiority to the other things as well as the horse has superiority to the other animals. Moreover, it is true that the power of galloping at a quick pace is a good quality in particular to the horse, even though it is not absolute quality; knowledge is a good quality in itself as well as it is absolute quality, without the restriction of being attributed to anything to be so: it is to describe the Wholeness of Allah Almighty, and with it the angels and Prophets have been honoured. It is known that the intelligent among the horses is much better than the stupid among them; and in this way, it is an absolute quality without the restriction to be added to anything in order to be so.

It should be known that the excellent thing which is desired for is divided into what is required for itself, what is required for anything else, and what is required for both itself and anything else. What is required for itself is more honourable and much better than what is required for anything else. Both Dinars and Dirhams are from among those required for anything else, without which they are (no more than) worthless stones; and had it not been for the fact that Allah Almighty has made it easy to fulfill the needs through them, they would have become equal to pebbles. From among the things required for itself is happiness of the hereafter, and the pleasure of seeing the Countenance of Allah Almighty. The soundness of body is from amongst those required for themselves as well as for anything else: the soundness of one's leg, for example, is required (for itself) as to hold back pain from the body, as well as it is required for walking therewith to achieve the goals and fulfill the needs.

Having regarded that, if you consider knowledge, you will find it delightful in itself, and in this way, it is required for itself; and you will also find it a means to the abode of the hereafter where there is the permanent happiness, and a good access to come closer to Allah Almighty, without which He Almighty could not be reached. Undoubtedly, the everlasting happiness has the highest rank in the sight of mankind, and the best thing is that which stands for the means to achieve it; and in no way could it be reached but through both knowledge and deed; and the deed could not be achieved but through learning of how this deed is done.

Knowledge is the origin of happiness in both the world and the hereafter, and

in this way, it is the most honourable deed, and why is it not so since the excellence of a thing could be known by the honour of its fruit; and you know that the fruit of knowledge in the hereafter is to come much closer to Allah the Lord of the worlds, join the horizon of angels and approach the supreme assembly (in the heaven); and in the world, it is to have power and honour, respect and authority of judgement even over the kings. However, sticking to respect is essential to man's character: do you not see that even the stupid among the Turks and the harsh among the Arabs always have their natures accustomed to show great respect to their sheikhs due to their knowledge they acquire from their experience? Furthermore, the animal itself is accustomed in nature to show respect to the man, for it makes sense to the fact that man is superior to it in degree and genre.

This is, indeed, the absolute superiority of knowledge, and after that, the disciplines differ in type and degree, as we shall see later, and their excellence subsequently vary in accordance of their difference.

As to the excellence of teaching and learning, it is obvious as shown from what we have mentioned. Since knowledge is the best of matters, learning is to seek after the best of things, and teaching it is to benefit (others with) the best advantage.

This is clear from the fact that the objectives of all creatures are implied in both religion and world, and there is no ordinance to govern the religion other than that of this world. Of a surety, this world acts as a farm to the hereafter. It is the instrument of conveyance to (the Presence of) Allah Almighty, particularly for him who takes it just as an instrument, and it is an abode for him who takes it as residence and homeland (beyond which there is nothing).

On the other hand, this world could be valid only by the works and deeds of mankind, and the works, professions and crafts of mankind is of three types:

(Those of) the first type are fundaments, without which the world could not be well-established (as it is), and they are four: agriculture for saving food, weaving for saving clothes, construction for saving residence, and politics which guarantees life in a society with co-operation to keep up and adapt the causes of living.

The second act as elementary and preparatory to each of those industries, like smithery, which serves in agriculture and a lot of industries, through making the related instrument, and ginning and spinning which pave the way for weaving.

The third act as complementary and decorative to the fundaments, like grinding and baking in relation to agriculture, tailing and embroidery in relation to weaving, etc.

Those constitute the substance of this world, likewise the components of the human, which are of three types: the fundaments like the brain, the heart and the liver, the components which serve them like the stomach, veins, arteries and nerves, and components which are complementary and decorative to those like the nails, the fingers, and both eyebrows.

The best and most honourable of those industries are the fundaments, and the best and most honourable of those fundaments is the politics, with its seeking towards conciliation and reform; and it is for this reason that this industry in particular necessitates such of excellent men who undertake it as the other industries might not do. So, the politician uses, to be able to achieve his job, all the other industries with their people.

In its tendency to reform the state of the people, lead them to the right way which saves them in the world, and the hereafter, the politics is of four classes:

The first which is the highest comprises the politics of the Prophets, and their judgement applies to the public and private of people in both their outward and inward.

The second comprises the (politics of) caliphs, kings, Sultans (and rulers in general) whose judgement applies to the public and private of people, but only as far as their outward, and not inward, is concerned..

The third comprises the men who have knowledge of Allah Almighty, and His religion, and it is those who are the heirs of the Prophets (as far as knowledge and wisdom are concerned); and their judgement applies to the inward of the private, since getting benefit form them is beyond the reach of the understanding of the public audience; but they have no power of authority to dispose of their outward as far as compulsion, prevention and legislation are concerned.

The fourth comprises the preachers (who give admonition to the people) and their judgement applies only to the inward of the public audience.

The most honourable of those industries after Prophethood is to benefit others with the knowledge, and educate the spirits to refrain from the blameworthy destructive manners, and guide them to the praiseworthy happy-causing manners; and this is what is intended by teaching (knowledge).

We say that this is the most honourable of industries and crafts for the honour of an industry is evidently known by three things:

Either by regarding the faculty through which it is known, like the superiority of the intellectual sciences to the linguistic ones, since the wisdom is perceived by the mind, and the language by (the faculty of) hearing, and of a surety, the mind is more honourable than hearing; or by regarding the general advantage, just as the superiority of agriculture to goldsmith; or by remarking the material with which it is done, just as the superiority of goldsmith to tanning, since the gold constitutes the material of one of them and the hide of the dead animal is the material of the other.

It is not ambiguous that the religious sciences which comprise the jurisprudence of the way to the hereafter are perceived by the perfect mind, and the pure intelligence; and the mind is the most honourable of man's qualities as it shall be cleared later: with it Allah's Trust is received, and with it the Presence of Allah Almighty is reached.

Nevertheless, its general advantage is beyond suspicion, since its benefit and fruit is to achieve the happiness of the hereafter. The honour of its material is also clear, since the tutor disposes of the hearts, minds and spirits of the people.

To be sure, mankind is the most honourable among the inhabitants of the earth, and his heart is the most honourable of his components; and the tutor is occupied by educating, polishing, purifying and driving it to become much closer to the Presence of Allah Almighty.

Teaching knowledge then is, on one hand, an item of service to Allah Almighty, and on the other hand a kind of vicegerency to Allah Almighty (on earth); and it is for the sake of this vicegerency to Allah Almighty, that He Almighty has opened the heart of the learned man to knowledge, the most essential characteristic of Him. In this way he (the man of knowledge) is like a storekeeper of the most valuable treasure; and he is permitted to spend from it on him who is in need of it. Which rank then is more glorious than that which makes a servant an intermediate between his Lord Almighty and His creatures, so as to bring them much closer to (the Presence of) Allah Almighty, and driving them to the Garden of Eternity? Might Allah Almighty make us among them with His Generosity; and Allah's Blessing and Peace be upon every servant chosen (by Allah).

CHAPTER TWO: ON THE PRAISEWORTHY AND BLAMEWORTHY KNOWLEDGE: THEIR DIVISIONS AND COMMANDMENTS

The Knowledge Whose Learning Is An Obligatory Duty (Upon Everyone)

It is narrated that The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Seeking for knowledge is an obligation due upon every Muslim." It is also narrated that The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Seek after knowledge even though it is to (take you as far as to) China."

The people differ about the science that is obligatory duty upon every Muslim, and they divide into twenty factions; and we would not like to offer lengthy details about that, but let's say, in brief, that every faction makes obligatory the very science which it adopts:

The theologists, for example, argue that it is the scholastic theology (that is obligatory duty) since it is with it Allah's Oneness is perceived, and Allah's Quality and Characteristics are known.

The jurists argue that it is the science of religious jurisprudence, since with it the religious services, what is lawful and what is unlawful are known, the legal treatments are distinguished from the illegal ones; and they mean, by it, what the individuals are in need of apart from the seldom events.

As to the exegetes and narrators of Hadith argue that it is the science of both the Book (of the Qur'an) and the sunnah (of the Prophet) since with that all branches of knowledge are accessible.

The Sufis argue that it is that science of Sufism (which is intended here). Some of them say that it is the servant's knowledge of his state, and his position from Allah Almighty. Others say that it is the knowledge of fidelity and the defects of spirits, in order to distinguish the visitation of the angel from that of Satan. Others say that it is the knowledge of the inward, and thus, it is due only upon

confidential people in particular, who are its real men; and in this way, they divert the term from its general meaning.

Abu Talib Al-Makki says that it is the knowledge of what is implied in the narration of the principles of Islam, in which The Messenger of Allah "Peace be upon him" said (on the authority of Ibn Umar): "Islam is based upon five principles: to bear testimony to the fact that there is no god (to be worshipped) but Allah..." that's because those five principles are obligatory services, and this necessitates to have knowledge of the way they are done perfectly and how they are obligatory.

The main point here, in which there is no doubt, is what we are going to mention, i.e. that the knowledge is of two types, as we have said earlier in the book's speech: the knowledge of practical religion, and the knowledge of Revelation; and the knowledge that is intended here is that of practical religion. The practical religion enjoined upon every discerning sane person to do is of three divisions: belief, doing (what is lawful) and refraining from (doing what is unlawful).

Once a sane discerning person attains the age of puberty, as shown from having nocturnal wet dreams or from his teeth in the morning of a day, for example, the first obligation due upon him is to learn and understand the meaning of the statement of testimony, i.e. the testimony that "There is no god (to be worshipped) but Allah, and that Muhammad is the Messenger of Allah." It is not obligatory for him to try to verify of the reality of that through consideration, research and bringing about proofs to affirm that: it is sufficient for him just to have faith in it, with truth and firmness in which there is no suspicion nor hesitation. This might happen only by hearing and imitation, with no (need for) research and bringing about proofs. It is known that The Messenger of Allah "Peace be upon him" regarded as sufficient to accept from the harsh Bedouins only their trust and declaration with no need to learn a proof for it.

Once he does so, he has fulfilled the obligation due upon him as expected at the time. The knowledge that is obligatory duty upon him at that time is just to learn and understand the meaning of the testimony, and nothing beyond that is compulsory upon him at that time. The evidence for that is that if he dies a short while after that, he will have died in a state of obedience and not disobedience to Allah Almighty.

But, it might be obligatory to do something beyond that, even though it is inessential, and henceforth, it is not due upon every person: those inessentials might be in doing, in refraining (from doing what is unlawful) or in the belief. As for doing, it is that he might live from the morning up to noon, thereupon he is required to learn how to get purified and perform ablution, and how to offer prayer. If he is healthy enough to keep living until the sun passes the meridian, without being able to learn and do the deed perfectly on time, and furthermore, if he is occupied by learning, the due time would be over, it then might be said: 'Since it is apparent that he would survive, it is obligatory upon him to learn

before the due time'; and it also might be said: 'The obligation of learning which is requisite for doing the deed perfectly ranks second to the obligation of doing the deed; and thus, it might not be obligatory for him to learn before the decline of the sun'; and this applies to the remaining (obligatory) prayers.

If he is to live up to the coming of (the month of) Ramadan, he is required, because of that, to learn fasting: i.e. that the period within which it lies is from dawn up to the rise of the sun, in which it is obligatory to have the intention (to observe fast) and refrain from eating, drinking and having sexual relations, and this should remain until the new moon (of Shawwal) is visible (whether by oneself) or by two witnesses.

If he gains or has got wealth once he has attained the age of puberty, he is required to learn that there is obligatory charity due upon him. But it is not necessary for him to do that before a whole year elapses as of the date of his (conversion into) Islam: if he has got no property other than camels, he is required to learn the obligatory charity due upon him from camels; and so is the case in all categories.

If the months of Hajj come upon him, it is not necessary for him to hasten to learn it, since its doing is not urgent, but the learned men of Muslims should draw his attention to the fact that performing Hajj is binding upon one who has got the necessary provisions and a riding mount, in case he has provisions and a riding mount. When he thinks he should hasten to perform Hajj, then, if he decides to perform it, he is required to learn the way of performing Hajj, and it is sufficient for him to learn only its ceremonies and duties, with no necessity for learning its voluntary and extra deeds, since doing them is voluntary and thus learning it is voluntary; and in this way, its learning is, by no means, an obligatory duty (which should be due upon every Muslim). But even, the prohibition of keeping silent from showing the obligation of performing Hajj at once is questionable, and its discussion is fitting for the religious jurisprudence. This gradation applies to the knowledge of all the deeds which are obligatory duties (due upon every Muslim).

As for the preventions, he should learn the knowledge of that in accordance to the states which come about, and this varies by the different states of men: a mute (for example) is not required such of speech as is unlawful, nor is a blond required to learn such of sights as is unlawful, nor is a Bedouin required to learn such of places as is unlawful for him to sit in the dwellings; since this is obligatory according to what is needed. It is not necessary for him to learn what is known to be far from him, unlike what is concomitant to him, to which his attention should be drawn, just as when he is wearing silk, or sitting in what is forbidden or looking at what is unlawful at the time of his embracing Islam: he should be taught (to avoid it). On the other hand, as to what is not concomitant to him, but is about to befall him, he should be taught (to avoid it), such as eating and drinking. If he is in a town, where wine is drunk and the flesh of swine is eaten, he should be taught (to avoid that); and to be sure, he is required to learn what should be taught.

As to beliefs and deeds of minds and hearts, he should learn that in

accordance with the different thoughts that come about in his mind: if suspicion rouses in him about the meaning of both statements of testimony (that there is no god but Allah and that Muhammad is the Messenger of Allah), he should, at once, learn the proper means therewith to remove this suspicion. If such suspicion does not befall him, and he dies before having the belief that Allah's Speech is Ancient, and that He Almighty is Visible, and by no means could He be vulnerable to the events, and the like of that which is mentioned in relation to beliefs, he will have died while being on Islam according to the unanimity (of all the learned men and jurists).

But some of those thoughts which result in beliefs come about by nature, and some by hearing from the inhabitants of the town (in which one might be). If one is in a town in which religious innovated heresies are in circulation, he should be safeguarded from that once he arrives, by dictating the truth to him, for if falsity is presented to him, it becomes necessary to be removed from his heart, which might be too difficult to do, as if this Muslim person is a trader in a town, in which practicing usury is in circulation. In this case, he is required to learn how to take care of usury.

This is the truth concerning the knowledge that is obligatory duty (whose learning is binding upon every Muslim), i.e. to have knowledge of the way of doing such of deeds as is obligatory to do. If one learns the obligatory knowledge and the due time of its obligation, he will have learnt the knowledge that is obligatory duty (whose learning is binding upon every Muslim). What the Sufis understand in this respect as the visitation of the enemy and the angel's visitation is also true, but for him who undertakes it.

If man could hardly be released from evil, showing off, and envy, he should be required to learn from the knowledge of the quarter of destructives what he needs; and why not since the Messenger of Allah "Peace be upon him" said (according to the narration of Al-Bazzar, At-Tabarani, Abu Na'im and Al-Baihaqi on the authority of Anas): "There are three destructives: niggardliness by which one abides, an inclination which one follows, and one's over-confidence."

Almost no human being could be free from those and such of characteristics as we shall mention later, from among the evil states of the heart, like arrogance, haughtiness and their fellows, cater for those three destructives, and removing them is an obligatory deed (binding upon everyone), and they could not be removed unless their limits, reasons, signs and the ways of treatment are clearly known.

To be sure, one who does not know the evil (is about to) fall into it; and the treatment is to oppose the reason (of the defect) with its opposite; and how would it be done without knowledge of both the cause and causer?

The most part of what is mentioned in the quarter of destructives belong to the obligatory duties (binding upon everyone), even though most of the people have left them since they were occupied by things which are of no significance.

From among the things, which one should not be hastily prompted to learn, unless he has just been converted from a religion to another, is the faith in the

Garden and the fire (of Hell), and the mustering and resurrection (on the Day of Judgement) so that his trust in them would be affirmed. Such (faith) is integral to the statement of testimony. After one affirms his faith in the fact that he (Muhammad) is Allah's Messenger, he should understand the significance of his message which he conveyed (to the people), i.e. that he, who obeys Allah and His Messenger will enter the Garden, and he who disobeys them will enter the fire (of Hell).

Having understood that way of thinking, you then shall have learnt that this is the true way of life, and verified of the fact that man, in the course of his life, during his night and day, is always vulnerable to new thoughts in the performance of his acts of service and treatments, which impose new obligations; and this necessitates him to ask about what befalls him, as well as require him to hasten to learn such of things as he expects to happen most likely in the near future.

If it is clear that the Messenger of Allah "Peace be upon him" intends by the knowledge in his statement: "Seeking after the knowledge is an obligatory duty upon every Muslim" is knowledge with the definitive article, i.e. the knowledge of the deed whose doing is obligatory only upon the Muslims, then, this way of thinking and the due time in which those obligations should be done will come to be evident; and Allah Almighty knows better.

The Knowledge Whose Learning Is A Collective Duty

It should be known that an obligatory science could not be distinguishable from another except in relation to the divisions of knowledge. As far as our subject is concerned, the sciences are divided into legal and non-legal. By the legal sciences it is meant what has been taken and learnt from the Prophets and Messengers "Peace be upon them", and they are not acquired by reason, as is the case of arithmetic (for example), nor by experimentation as is the case of medicine, nor by hearing, as is the case of language.

As for the non-legal sciences, they are divided into what is praiseworthy, what is blameworthy, and what is permissible. The blameworthy science is that which deals with the interests and affairs of this world like medicine and arithmetic; and this (type of sciences) is divided to that which is collective duty, and that which is meritorious, even though it is not obligatory.

As to the collective duty, it is the science which is indispensable for the maintenance of this world, like medicine, which is necessary for the preservation of bodies, and arithmetic's, which is necessary for treatments and the distribution of bequests and heritage; and there are other sciences like those which have the same position. If a town has none to undertake them, its people will be put to critical situation, and if anyone undertakes them, it will be sufficient, and in this way, the obligation will be cancelled from the others.

Thus, let none wonder at our statement that both medicine and arithmetic's are among the sciences which are collective duties, since the fundamental industries like farming, weaving, and politics. Moreover, cupping also is a collective duty, for it a town has no cuppers, destruction will hasten to befall

its people, who will be put to critical situation by becoming victims of ruin. Of a surety, He, who has created the ailment, has created its medicine, and guided the people to the way of using it, and the causes of having it. For this reason, it is impermissible to cause oneself to be vulnerable to destruction by neglecting such medicine.

But as to the study of sophisticated arithmetic's and complicated medicine, it is meritorious, and not obligatory, since it is dispensable, even though it might benefit in supporting the needed amount of related sciences.

As for such of sciences as magic, sorcery, witchery, and the like of that, they are among the blameworthy sciences.

As far as the permissible science is concerned, a mention might be made of the science of poetry, which has no wickedness (or committing what is unlawful), in addition to history, and the like of them.

Nevertheless, the legal sciences about which we are talking are all praiseworthy. But, what might be thought to be legal, even though it is blameworthy, might be mixed with them. Having taken that, they are divided into what is praiseworthy, and what is blameworthy. The praiseworthy among them have fundaments, branches, preliminary and concluding sciences, and they are of four types:

The first type constitutes the fundaments, and they are four: the Book of Allah Almighty (i.e. the Holy Qur'an), the sunnah of the Messenger of Allah "Peace be upon him" (all the sayings, deeds and acts of the Prophet), the unanimity of the nation, and the traditions of the holy companions (of the Prophet).

The unanimity of the nation is one of the fundaments, since it highlights (and explains) the sunnah, and from this point of view, it is the third fundament. So are the traditions of the companions, since they indicate to the sunnah, for the holy companions "Allah be pleased with them" had (the honour and privilege to) witness the Divine Inspiration (as being revealed upon the Prophet), and saw, with the help of the enlightening events, what the others, who came after them, saw not; and of a surety, no statements could be able to express well what is seen by the eyes. From this perspective, the learned men follow their steps and adhere to their traditions, but with a special condition to be stipulated by those who adopt it; and it is not fitting to explain it in this context.

The second type stands for the branches, which constitute what have been understood from the fundaments, not according to their wording so much as it is depending upon meanings, to which the intellects made sense, because of which the understanding extended so much to include what it might not be really intended by the wording. A mention might be made, in this context, of the statement of the Messenger of Allah "Peace be upon him" (on the authority of Abu Bakrah): "Let no judge pass a judgement while he is in the state of anger" from which it was understood that he should not pass a judgement when he is afraid, hungry or suffering from painful ailment. This is of two kinds:

The first kind is concerned with the matters and affairs of this world, and it is

implied in the books of religious jurisprudence, and it is the jurists, the learned men of this world, who undertake it.

The other is concerned with the affairs of the hereafter, and it is divided into the knowledge of the different states and praiseworthy and blameworthy manners of the heart, what is pleasing to Allah Almighty, and what is undesirable; and this science is implied in the last half of this book, i.e. the Revival of Religion's Disciplines; and the knowledge of what the heart raises to the organs, in their religious services and traditions, and it is implied in the first half of this book.

The third type stands for the preliminary sciences, and it acts as instruments like linguistics and grammar, which are instruments of the knowledge of Allah's Book, and the sunnah of His Messenger "Peace be upon him".

To be sure, both linguistics and grammar are not legal sciences in themselves, but they should be studied for the sake of Islamic law "Shari'ah", which has come in the language of the Arabs; and since there no law but that it appears in a certain language, learning such language as instrument (to understand it becomes necessary).

Although the science of calligraphy is an instrument in itself, it is not necessary to learn it since the Messenger of Allah "Peace be upon him" was an unlettered Prophet. But, if memorization is thought to be sufficient to record all that is heard, calligraphy then might become dispensable. But, as long as it fails to do so, the science of calligraphy becomes almost necessary.

The fourth type stands for the supplementary sciences; and as far as the Holy Qur'an is concerned, its related sciences are divided into what deals with wording, like learning the different ways of recitation, pronunciation, what deals with the meaning, like the exegesis, which also depends upon transmission, since language alone could not cover the whole of it, and what deals with its commandments, like learning the abrogating and abrogated (Verses), the general and private, the hidden and the apparent and the way of using some of those with others; and all of that is included in the science that is called the fundaments of jurisprudence, which also deals with the sunnah.

The supplementary sciences, as far as the traditions and stories are concerned, include the knowledge of the men, their names and ancestries, the names and characteristics of the companions (of the Prophet), the knowledge of Criticism and evaluation (of Hadith narrators) in order to distinguish the reliable from the unreliable, the knowledge of their ages, in order that the Mursal (among the Prophetic traditions) should be distinguished from the Musnad, in addition to all the sciences related to that: those are the legal sciences, and they all are praiseworthy, and learning them is a collective duty.

If you say: Why have you joined the religious jurisprudence with the sciences of this world?

It should be known that Allah Almighty brought Adam "Peace be upon him" from the soil, and drew forth his offspring (out of him) from a quintessence of clay, through flowing semen, and He brought them out of the loins (of men) to the wombs (of women) from which (He brought them out) to the world, from

which (He caused them to die and go) to the graves, from which (they would go) to the place of demonstration (before Him on the Day of Judgement) from which (they would go) either to the Garden or to the fire.

As such are their beginning, ending, and dwelling. Furthermore, He Almighty has created the world to act as provision for the time (of the hereafter) in order that one should take from it what is most fitting for him to take on his journey (to the hereafter). Had they lived in this world with justice and fairness, there would have been no disputes among them, and thus, there would have been no need for religious jurists. But on the contrary, they lived in it with desires (in opposition to justice), and it is that which gave birth to disputes among them. For this reason, a need has been felt for a ruler to drive them, and the ruler has become in need for a law therewith to drive them.

The jurist then is the one who has knowledge of the laws that govern politics, and the way of mediation between the people once they fall in dispute because of their different desires. Thus, the jurist is the tutor and guide of the ruler to the ways of leading and adjusting his wards, in order to organize their affairs as much as they are right.

By my life, it is also concerned with religion, even though not by itself so much as it is through this world, since this world acts as the farm of the hereafter, and the religion could not be achieved but through this world.

However, both dominion and religion are twins in the sense that the religion stands for the foundation, and power for a guardian, and anything having no foundation should inevitably collapse, and anything having no guardian should inevitably be lost. Furthermore, both dominion and adjustment could not be achieved but by power, and the way of adjustment by deciding the matters (between the people) is realized by jurisprudence.

As well as the policy of the people by power does not principally belong to the science of religion since it is concerned with that, without which the religion could not be achieved, so is the knowledge of the way of policy. It is a well-known fact that pilgrimage (for example) could not be done except with the help of a convoy of guardians along the way (to and from the places of Hajj), but of a surety, performing Hajj in itself is one thing, following the way to perform Hajj is another thing (different from that), doing the job of guarding without which Hajj could not be done is a third thing, and the knowledge of the ways, laws and tricks of guarding is a fourth thing.

In short, the jurisprudence is the knowledge of politics and guardianship, as clearly shown from the following narration (of Ibn Majah on the authority of Amr Ibn Shu'aib from his father from his grandfather): "None gives verdicts to the people except three persons: a ruler, a person who is commanded (by the ruler to do so), and a person who does so with no need."

The ruler acts as the imam and leader, and it was their habit to give the verdicts by themselves. The person who is ordered to do so is his viceroy (whom he appoints and asks to do so on his behalf). The third one is him, who does undertake this task with no need (nor command from the ruler to do so).

The holy companions (of the Prophet) "Allah be pleased with them" used to be careful of giving religious verdicts, to the extent that each of them used to refer (the questions and cases about which he would be asked) to his companion. But they were not likewise cautious whenever they were asked about their knowledge of the Qur'an, the way to the hereafter.

According to different narrations, the third person stands for the one who does so to be seen of men instead of the one who does so with no need. To be sure, if one runs the risk of giving religious verdicts, without being needed for that, nothing other than seeking for wealth and authority will be intended.

If you say that It is true that this applies to the judgements pertaining to wounds, limits, mulcts and deciding the matters of disputes, it might not apply to what is included in the quarter of services, like prayer and fasting, or what is implied in the quarter of traditions, like the treatments, and showing what is lawful and what is unlawful'.

It should be known then that the religious jurist more often than not, talks about three of those which belong to the deeds of the hereafter: Islam, both prayer and obligatory charity, and showing what is lawful and what is unlawful; and if you consider the farthest extent to which a jurist might reach in reflecting those, you will know that by no means does he transcend the limits of this world to the hereafter, and if you are sure of this fact as far as those three are concerned, it might be much clearer in anything else.

As for Islam, a jurist talks about what makes it right and what makes it wrong, as well as about its conditions. He does not pay his attention but to what is uttered by the tongue, since the (intention implied in the) heart is beyond the authority of a jurist, for the Messenger of Allah "Peace be upon him" held back those of power and authority from (killing because of) it when he said (according to the narration of Muslim on the authority of Usamah Ibn Zaid): "Why have you not cut open his heart (in order to know his real intention)?" he said that to him (Usamah Ibn Zaid) who killed the person who uttered the statement of Islam, when he based his apology on the fact that he had said so but for fear of the sword.

Moreover, a jurist might judge that one's Islam is right, even under the shade of swords, in spite of his knowledge that the sword did not disclose to him his real intention, nor did it remove the veil of ignorance and confusion from his heart. But he is frightened by the swordsman, (which forces him to say so) since the sword might be stretched to cut off his neck, and the hand to usurp his property; and this statement (of testimony) with the tongue protects both his neck and property, as long as he has a neck (life) and property (which he expects to be saved). But this is held valid only in this world.

For this reason, the Messenger of Allah "Peace be upon him" said (on the authority of Abu Hurairah and Ibn Umar): "I've commanded (by Allah Almighty) to fight the people until they bear testimony that 'There is no god(to be worshipped) but Allah Almighty': if they say so, they will have protected from me their blood and property (except legally, i.e. with just cause)." He thus made the

effect of that in both blood and property.

But the wealth could be of no benefit for the hereafter so much as the lights, mysteries and devotion of hearts could; and a jurist has nothing to do with that: if he is to be engaged in it, he will seem as if he is engaged in theology and medicine; and thus he will go beyond his art.

As for the prayer, a jurist gives his verdict that it is right, as long as all of its acts, even only in form, and the apparent circumstances are realized, although one might be heedless, from the beginning to the ending of his prayer, except at the time of reciting Takbir, and engaged in thinking in the affairs of his treatments in the market. As well as the testimony of Islam only by tongue will not avail, this kind of prayer (in which one's heart does not entertain the submission and fear of Allah Almighty) will be of no advantage in the hereafter. But a jurist gives the religious verdict of validity, since what is done comes in response to Allah's Command, and thus cancels out the punishment of killing or scolding.

But even, a jurist does not discuss the heart's submission and entertaining the fear of Allah Almighty, which stand for the real work of the hereafter, therewith all the deeds will be rewardable; and if he discusses it, he will then go beyond his art.

As for the obligatory charity, a jurist considers what cancels out the ruler's demand for it, and if one refuses to give it and the ruler takes it with compulsion, he will judge that he has become free (of responsibility).

In this issue, it is related that Abu Yusuf used to give as a gift his wealth to his wife towards the end of every year, and at the beginning of the coming year, he would ask her to give it back to him as a gift, in order to cancel out from himself the obligatory charity due upon his property. When this was narrated to Abu Hanifah "Allah's Mercy be upon him" he said: "This is (valid) in accordance with his jurisprudence." However, he has told the truth. But this is in accordance only with the jurisprudence of this world, but its drawback in the hereafter will be much more grievous than any crime else; and this is a clear example of the harmful science.

As far as both what is lawful and what is unlawful are concerned, it is out or good religion (and faith) to refrain from what is unlawful. But there are four grades of such abstention:

The first abstention is that which stands as requisite to the justice of a witness, and if he observes it not, he will have no power of authority to give witness, or become a member of judiciary or government. It is to refrain from what is clearly and evidently unlawful.

The second is the abstention of the righteous good men, according to which one refrains from what is suspicious, in which both lawful and unlawful are likely possible. The Messenger of Allah "Peace be upon him" said (according to the narration of At-Tirmidhi, An-Nasa'i and Ibn Hibban on the authority of Al-Hassan Ibn Ali): "Leave what arouses suspicion in you (and stick) to what arouses no suspicion in you." The Messenger of Allah "Peace be upon him" further said (according to the narration of Al-Baihaqi on the authority of Ibn Mas'ud): "It is

(sufficient for) a sin to have doubt in the hearts (as to what is done)."

The third is the abstention observed by the Allah-fearing pious men. It is to leave what is merely lawful lest its doing might lead to doing what is unlawful. In this context, the Messenger of Allah "Peace be upon him" said (according to the narration of At-Tirmidhi, Ibn Majah on the authority of Atiyyah As-Sa'idi): "A man does not belong to the Allah-fearing pious until he leaves that in which there is no harm, for fear of that in which there is harm."

The example of that is to abstain from talking about the states of the people, lest it might lead to backbiting them, to abstain from devouring what is desired for, lest it might result in raising excessive activity and vanity which leads to committing taboos.

The fourth is the abstention observed by the truly and faithfully believers; and it is to refrain from anything other than Allah Almighty, lest they would spend any moment of their lives in anything that does not bring them closer to (the Presence of) Allah Almighty, even though they are certain it does not lead to what is forbidden.

The religious jurist has nothing to do with those, barring the first one relating to the abstention of witnesses, judges and rulers, and what condemns their justice, which will not cancel out the sin in the hereafter. The Messenger of Allah "Peace be upon him" said to Wabisah (according to the narration of Ahmad): "Seek the guidance of your heart, even though the people give you their verdicts, even though the people give you their verdicts."

The religious has also nothing to do with the suspicions of hearts, and the way of acting upon them, since he is mainly concerned with what condemns justice; and that is because all of his reflections should be on the affairs of this world, with which the way to the hereafter might be right. If he talks about the states of the hearts, and the rules of the hereafter, this will be included in his speech by way of curiosity, in the same way as his speech implies something about medicine, arithmetic's, astronomy and theology, or as grammar and poetry imply wisdom.

Sufyan, who was a master in the exoteric science used to say that seeking after that is not beneficial for the provision of the hereafter. But how should it be since they unanimously agree on the fact that it is a great honour for any science that it is necessary to act upon it? How then should one think that this applies to the knowledge of Zihar (one's forbidding his wife to him in the same way as is the back of his mother), Li'an (being engaged in invoking Allah's Curse upon the liar of the couple if the husband launches a charge against his wife of committing adultery), the payment in advance, hiring, exchange of currency, (and the like of them)? The one who learns them in order only to come much closer to (the Presence of) Allah Almighty is mad. However, the deed (which brings one closer to Allah) should stem from the heart, and the organs respond to that; and the intended honour is concerned with those deeds.

If you say: 'Why have you made religious jurisprudence equal to medicine, since medicine deals with the world, as far as the health of the body is concerned,

to which the validity of the religion is related, even though this equality stands against the unanimity of Muslims?

It should be known to you that the equality between them is unnecessary, and there are three points of superiority the religious jurisprudence has:

The first is that religious jurisprudence is a legal science, since it is acquired from Prophethood, unlike medicine, which does not belong to law.

The second is that it is indispensable for anyone of whose who follow the right way to the hereafter, be it ill or well, unlike medicine, for which none barring the ailing are in need, and those constitute the minority.

The third is that religious jurisprudence lives close to the knowledge of the way to the hereafter, for it deals with the deeds of organs, and it is well-known that the heart is the primal source and origin of the deeds of organs.

The praiseworthy among the deeds stem from the praiseworthy manners, which is to save (their doer) in the hereafter, as well as the blameworthy among the deeds stem from the blameworthy bad manners; and it is not hidden that there is intimate relation between both heart and organs.

But as for good and poor health, its primal source and origin is the purity of temperament and humors; and this is characteristic to the body and not to the heart. For this reason, whatever religious jurisprudence is compared with medicine, the superiority of the former is evidently clear, in the same way as if the knowledge of the way to the hereafter is compared with religious jurisprudence, the superiority of the former is obviously apparent.

If you ask me to explain to you the knowledge of the way to the hereafter with clarification which includes its parts, even though it could by no means imply all of its details: it should be known to you then that it is of two divisions: the science of Revelation, and the science of Practical Religion.

The Science of Revelation

The first division is that of revelation, and it is the knowledge of the inward: it is the finality of all sciences. One of the knowledgeable men said: "He, who has no share in this knowledge, I am afraid that he would have an evil end; and the least portion of it is to have trust in it, and submit to its men." Another one said: "He, who has the characteristics of arrogance and innovation of heresies, nothing of this knowledge would be shown to him." It is also said that "he refers to the one, who loves the world, and insists on fulfilling a desire which has not been fulfilled through it, and it might be fulfilled through other sciences."

The slightest punishment of him, who denies this knowledge is that he will taste nothing of its (sweetness). According to a poetic verse in this respect: "As for what disappears from you: this is a sin which implies the punishment related to it."

Furthermore, the knowledge of revelation is the knowledge of the true and faithful believers and those brought close (to the Presence of Allah Almighty): it is a light which shines in the heart once it is purified and cleansed from such of

blameworthy characteristics as it has.

With the help of that light, a lot of things are disclosed, which he earlier used to hear their names, and think it had general and ambiguous meanings, which come to be gradually evident and clear until a real knowledge of Allah's Nature, abiding, never-ending perfect Qualities, acts, His Ordinance of creating the world and the hereafter, the point of superiority given by Him to the hereafter over this world, the knowledge of the concept of Prophethood and the Prophet, the concept of the Divine Revelation, the concept of Satan, the meaning of the words "angels and Satans" and how Satans are enemies to mankind, and how the angel appears to the Prophets, and how the Divine Inspiration has been revealed to them, the knowledge of the Dominion of both the heavens and the earth, the knowledge of the heart, and how the soldiers of angels and Satans come to blows with each other in it, the knowledge of difference between the angel's visitations and Satan's visitations, the knowledge of the hereafter, with its Garden and fire (of Hell), the punishment of the grave, the bridge (which will be held over the fire of Hell and lead to the Garden), the balance (of deeds), and reckoning.

(He also will come to know) the significance of Allah's Statement: "(It will be said to him): "Read your (own) record; sufficient is your soul this day to make out an account against you."" (Al-Isra' 14)

﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾

And the significance of Allah's Saying: "But verily the Home in the Hereafter, that is life indeed, if they but knew." (Al-Ankabut 64)

﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

(He also will know) the significance of the meeting with Allah Almighty, looking at His Honoured Generous Countenance, coming close to His Presence, and the concept of the achievement of felicity in the company of the highest assembly (of angels and inhabitants of the heaven), and approaching the angels and Prophets, and the value of the difference of degrees the inhabitants of the Garden will have, to the extent that they will see each other in the same way as one sees a shining star in the middle of the sky, and the like of that, which is too long to be explained here in detail.

However, the people are different in their understanding of those concepts, even though they have trust and belief in their foundation: some think that all of those are but samples, since Allah Almighty has prepared for His righteous servants what no eye has ever seen, no ear has ever heard of, and no mind has ever thought of, and the creatures have no idea of the Garden beyond the characteristics and names (of its contents). Some think that many of those are examples, as well as many comply with their realities as they are understood from their words. Some think that the utmost knowledge one should have of Allah Almighty is to confess his failure to have knowledge of His (Nature and Reality). Some claim grievous things in their knowledge of Allah Almighty. Some say that 'The limit of the knowledge of Allah Almighty is the farthest end which the belief

of the public audience reaches, i.e. that He Almighty is Ever-Existing,, Omniscient, All-Powerful, All-Hearing, All-Seeing, Talking.

We mean, by the science of Revelation, to lift the veil so that the truth of those things should be disclosed, so much clear as if they are visible, in which there is no doubt; and this is possible according to the essence and nature of mankind, had it not been for the fact that the rust and impurities have heaped up on the mirror of both heart and mind by virtue of the dirt of this world.

We mean, by the knowledge of the way to the hereafter, the way of polishing this mirror, and cleansing it from dirt and impurities, which act as a veil (of mankind) from Allah Almighty, as well as from the knowledge of His Qualities and Actions.

(This mirror) could be cleansed and purified by refraining from lusts and following the steps of the Prophets "Allah's blessing and Peace be upon them" in all their states as much as what becomes clear from the heart, with the truth, in which all its realities glitter. There is no way to it but through exercise, which will be explained later, in addition to learning and teaching. This is the knowledge that could not be written in books, nor could anyone, upon whom Allah Almighty has bestowed a portion thereof talk about it, unless it is with its real men, and he does so, as one of its members, by way of studying and out of confidentiality.

This is the well-guarded knowledge, intended by the Messenger of Allah "Peace be upon him" when he said (according to As-Salami's narration on the authority of Abu Hurairah): "From among the (sciences belonging to) knowledge, there is that which seems as though hidden, and none perceives it but those endued with knowledge of Allah Almighty; and once they speak it, none becomes ignorant of it barring those who deceive themselves by (the false impression that they have real knowledge of) Allah Almighty. So, do not look down upon any of those learned men upon whom Allah Almighty has conferred a portion of this knowledge, for in no way has Allah Almighty scorned him when He has given him that (piece of) knowledge."

The science of practical religion

The other division stands for the science of Practical Religion, and it is the knowledge of the different states of the heart. From among the praiseworthy states, a mention might be made of patience, gratitude, fear (of Allah's punishment) and hope (for Allah's reward), contentment, abstinence, Allah-fearingness, satisfaction, generosity, appreciation of the gift for Allah Almighty in all the states, faithfulness, good thinking (of Allah Almighty), good manners, good companionship, truthfulness, and fidelity.

It is a part of the knowledge of the way to hereafter to learn the realities of these different states: their limits and causes, which give rise to them, fruits, and signs, and the treatment of the weak among them until it becomes strong, and what has vanished among them until it is restored to its original state.

The blameworthy among them comprise the fear of poverty, feeling of

resentment for what is Divinely decreed, grudge, spitefulness, envy, cheating, asking for supremacy, love of being praised, love of having long life in this world only for enjoyment, arrogance, showing off, anger, conceitedness, enmity, hatred, greediness, niggardliness, desire (for what is forbidden), over-spending, rudeness, ungratefulness, exalting the wealthy, and despising the poor, sense of pride, haughtiness, rivalry, boasting, feeling too supercilious to tell or recognize the truth, middling in that which is not of one's concern, the love of useless talks, obstinacy, getting adorned for the people, adulation, conceit, being diverted from one's defects by being engaged in the defects of the others, alienation of both grief and fear (of Allah Almighty) from the heart, extreme enthusiasm for self-reprisal in case one is put to humiliation, lukewarm support of the truth, outwardly announcing brotherhood, and outwardly fostering enmity, feeling safe from the plans of Allah Almighty to take away what He has given, depending only upon sneakiness, treachery, deception, the long hope (for fulfilling what is desired), cruelty, harshness, ecstasy of world's pleasures, and dejection at their loss, feeling entertained with the creatures, and feeling lonely for leaving them, unkindness, recklessness, hastiness, lack of shyness and mercy.

Those (blameworthy qualities) and their like from among the characteristics and states of the heart are seed-beds of lewdness and nursery-gardens of turpitudes.

Their opposites, i.e. the praiseworthy manners are the fountain-head of (all good deeds of) obedience and works that bring one much closer (to the Presence of Allah Almighty). The knowledge of the realities, definitions, reasons, fruits and treatment of those things constitutes the knowledge of the (way to the) hereafter; and it is an obligatory duty (whose learning is binding upon every Muslim) according to the verdict of those endued with the knowledge of the hereafter.

One who leaves it will be ruined in the hereafter according to the power of the King of all kings, as well as one who leaves the evident deeds will be ruined with the swords of the rulers of this world, according to the verdict of its religious jurists. Having taken that, the jurists then are mainly interested in the obligatory duty (whose doing is binding upon every Muslim) as far as the straightness of this world is concerned, whereas this (piece of knowledge) is interested in the straightness of the hereafter. If a jurist is asked about any of those concepts, say, for example, about the concept of fidelity, or about the concept of having trust in Allah Almighty, or even about the point of refraining from showing off, surely, he will stop (and give no answer) although it is an obligatory duty (whose learning is binding upon every Muslim), and indulgence in it leads to his destruction in the hereafter. But if you ask him about Li'an, Zihar, launching false charge (against others), he will relate as many volumes of detailed data to you, which might not be needed for a long time; and even if there is a need for anything of them, a town could hardly has none to undertake it, and suffice him the provision of putting himself to trouble because of it. But on the contrary, he keeps putting himself to trouble because of it during his night and day, neglecting in his study what is of greater significance in itself for the sake of the religion. If he is asked

about the reason for doing so, he will say: "I've been occupied by that for it belongs to the science of religion, and one of the collective duties", putting, by doing so, himself and the others to confusion.

The intelligent among men knows, for sure, that if the purpose is to regard it in truth as being one of the collective duties, he would, of a surety, give priority to the obligatory duty (which is binding upon every Muslim) upon the collective duty, and moreover, he would give preference to many collective duties over it. Many are the cities in which there are no physicians barring from among the non-Muslim protectees (who have covenants of security from the Muslims), even though their witness pertaining to physicians as much as the judgements of jurisprudence are concerned, are unacceptable. But even, we could hardly see anyone practicing it, by the time they hasten to take jurisprudence as profession in general, and the matters of dispute and debate in particular; and the town might be filled with religious jurists, who are involved n giving religious verdicts a ıd answers to the different questions.

What grief! How should the religious jurists give concession to take as profession a collective duty, undertaken by many, and indulge in that which none undertakes? Is there any reason for that except that it is not easy for a physician to be appointed as a custodian over endowments and the execution of bequests, to be a guardian over the property of the orphans, to have the high positions of judgement and government, to move forward to be superior to one's fellows, and have the power of authority over one's enemies?

How far! How far! Of a surety, the real science of religion has been obliterated because the learned men dressed it in an evil dress: It is Allah Alone, Whose aid we seek for, and to Whom we take shelter, to save us from this deceit which dissatisfies (Allah) Most Gracious, and causes Satan to smile.

The righteous pious learned men of the outward sciences regard with high appreciation the excellence and value the learned men of inward and those who have knowledge of hearts had. The grand imam Shafi'i used to sit in front of Shaiban, the shepherd, in the same way as a student sits in a nursery school and ask him how he should do in such and such; and when it was said to him: "Is it fitting for the like of you to ask this Bedouin?" he said: "No doubt, this has been guided to know that of which we have been heedless."

Furthermore, both Ahmad Ibn Hanbal "Allah be pleased with him" and Yahya Ibn Ma'in (his disciple) used to visit Ma'ruf Al-Karkhi, who was not of the same standing as they were in the exoteric knowledge, and ask him; and why not since the Messenger of Allah "Peace be upon him" said (according to the narration of At-Tabarani on the authority of Ibn Abbas), in reply to the question: "How should we do if something is raised to us, which we do not find in Allah's Book, nor in the sunnah?" he "Peace be upon him" said: "Ask the good men, and make it a matter of consultation among them."

For this reason, it is said that "the learned men of the exoteric knowledge are the adornment of both the earth and its kingdom, and the learned men of the esoteric knowledge are the adornment of the heaven and its dominion."

Al-Junaid said: One day, my mister As-Sari said to me: "When you stand and leave me: with whom are you going to keep sitting?" I said: "With Al-Muhasibi." He said: "Well. Take from his knowledge, and keep it close to you, and leave his affectation in speech, and refutation of theologians." When I turned away I heard him having said: "Might Allah make you a traditionist first, and then a Sufi, and not a Sufi first who becomes a traditionist." He refers to the fact that he, who first is well-versed in tradition and knowledge and then becomes a Sufi has, indeed, achieved felicity, and he, who is a Sufi before being acquainted with tradition and knowledge has, indeed, put himself in danger.

If you say: "Why have you not brought both theology and philosophy among the divisions of sciences, and show whether they are praiseworthy or blameworthy?"

It should be known to you that such of intellectual proofs which might be of benefit as are included in theology, are also implied in both the Holy Qur'an and the traditions; and what is beyond them are either reprehensible argumentation which is one of heresies innovation as it will be shown clearly later, or (no more than) mere wrangling by dwelling on distinctions or amplification through the array of different opinions, most of which are derived and nonsense, despised by the mind and rejected by the ears, while others are ramblings into things unrelated to religion and not customary during the first period of Islam. but those discourses in total were out of heresies innovation. But now, many things have changed.

Some innovations of heresies which have diverted a lot from the Holy Qur'an and the Prophetic sunnah have broken up, and a new group has appeared, whose members have patched up similes and composed speeches pertaining to that, which led to the fact that what was forbidden came to be permissible by necessity, if not one of the collective duties, as much as should argue against the innovated heresies, in case the call for innovation of heresies is intended, but to some extent, which we shall mention in the coming chapter, Allah Willing.

The parts of philosophy

As for philosophy, it is not science in itself, but it is of four parts:

The first includes both geometry and arithmetic's, and they are permissible so far as there is no fear for one who is engaged in them to transcend them to other blameworthy sciences; and that's because most of those who were engaged in them have gone beyond them to many innovations of heresies. For this reason, the weak among the people should be safeguarded from them even though not for their own sake, in the same way as a nervous one should be saved from standing on the shore of a river, for fear he might fall into the water, or in the same way as the new convert into Islam should be saved from mixing with the infidels, for fear of their negative impact upon him, putting in mind that it is undesirable for the strong (among Muslims) to mix with them.

The second is the logic, whose objective is to look for the point of proof and

its conditions, and the point of term and its conditions, and both are implied in theology.

The third comprises ontology, which is to search for Allah's Nature and Qualities; and this is included in theology. However, philosophers have no independent science unique to them in this respect. But they have different doctrines within its framework, some of which are blasphemous and some ground-breaking As well as segregation is not an independent science in itself, but its men are no more than a group of theologists, and those of research and consideration, who have false doctrines unique to them in this respect, so are the philosophers.

The fourth includes physiology, and some of it stand in opposition to law, religion and truth; and it is much closer to ignorance, and not knowledge in order to be placed in the divisions of sciences, and some are concerned with the search for the characteristics and properties of bodies, and the way of their change. In this point it is similar to medicine, with the difference that a physician considers the human body as far as good and poor health is concerned, whereas they consider all physical bodies, as far as their change and motion are concerned. But medicine is superior to it, since it is needed for, but there is no need for this science of physiology. Therefore, this does not stand against the fact that it is one of the arts whose learning and practicing are collective duty, for the purpose of guarding the minds of the public audience from falling as victims of the imaginations of the innovators of heresies.

This has come to be needed for because of the new innovations, as well as man has become in need for hiring a convoy of guards on the way to (the places of) Hajj, when the highway men appeared; and had there not been those highway men, hiring those guards would not have become one of the requisites of the way to (the places of) Hajj. So, had the innovator left his nonsense, there would have been no need for anything more than what was familiar during the age of the holy companions "Allah be pleased with them".

Based upon that, let a theologist know his limit beyond which he should not go in the religion, in which his position is like that of a guardian on the way to (the places of) Hajj: as well as if a guard is devoted to guarding, he will not be one of the pilgrims, if a theologian is mainly involved in argumentation and defence, and rather does not follow the way to the hereafter, nor is he engaged in looking after and making straight the heart, he will not be one of the religious learned men, and in this way, a theologist will have no portion of the religion other than the faith, which is shared by the public audience, and it is one of the deeds of the outward heart and tongue; and there remains the art of argumentation and guarding which distinguishes him from the public.

But as for the knowledge of Allah Almighty, His Qualities and Actions, and all that we mentioned as part of the knowledge of revelation, it is not acquired from theology, for indeed, theology is likely a covering veil over it. It could not be achieved but through striving which Allah Almighty has made preliminary to guidance, as shown from His statement: " And those who strive in Our (Cause),

We will certainly guide them to Our Paths: for verily Allah is with those who do right." (Al-Ankabut 69)

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾

If you say: "You've reduced the designation of a theologists to merely a guard over the faith of the public audience from being vulnerable to distortion by the innovators of heresies, in the same way Allah Almighty: how then should you lower their ranks to such an inferior status in relation to the science of religion?"

It should be know to you that he, who knows the truth only with men will surely be thrown into confusion and straying drifts. So, let you know the truth first so that you would come to know its men, if you are to follow the way of truth; and if you are satisfied with the tradition, and consider the ranks of superiority well-known among the people, be not heedless then of the high rank of the holy companions.

There is unanimity among those whom I've mentioned that they (the holy companions) had the priority and precedence over the others: their high position as far as religion is concerned was unattainable, as well as their supremacy was unsurpassable. But even, in no way was their precedence by virtue of theology or religious jurisprudence so much as it was by their knowledge of the (way to the) hereafter, and following its right way.

Abu Bakr "Allah be pleased with him" (for example) did not excel his fellows because he observed so much (voluntary) fasts, nor because he offered so much (voluntary) prayers, nor because he narrated so much traditions, nor because he gave so much religious verdicts, nor because he was a good theologists, but (he excelled the others) because he had something (of faith and trust in the Prophet unique to him) which resided in his breast as confirmed by the witness of the chief of the Messengers "Peace be upon him" in his favour.

So, let you be eager to get this secret, for it is as valuable as a precious Jim, and well-guarded pearl, and leave that, which the majority of the people agree upon getting it, and estimating it with high consideration and giving it a great value, only for reasons and points, whose details are too long to be explained here. The Messenger of Allah "Peace be upon him" died, leaving many thousands of the holy companions "Allah be pleased with him" all of whom were knowledgeable of Allah Almighty; and the Messenger of Allah "Peace be upon him" praised them. Even though, none of them was perfect in the art of theology. Moreover, none among them held himself to give religious verdicts more than three to nine over ten men.

However, Ibn Umar "Allah be pleased with him" was one of those (learned men). But whenever he was asked to give a religious verdict, he would say: "Go to so and so, the governor, who was appointed to be in charge of the people's affairs, and place it in his neck." He refers here to the fact that giving religious verdicts pertaining to cases and judgements is consequential to the matter of ruling and leading subjects.

When Umar Ibn Al-Khattab died, Ibn Mas'ud said: "No doubt, nine-tenth the true knowledge vanished." It was said to him: "How do you say so, since the majority of the holy companions still live among us?" he said: "I do not mean the science of giving religious verdicts and judgements, but I mean the knowledge of Allah Almighty." Do you think then that he intended the art of theology and argumentation?

Why should you not then be eager to acquire that knowledge, nine-tenths of which vanished with the death of Umar? It was he, who closed the door of theology and argumentation. He struck Dabi' with his stick when he raised to him a question which gave rise to (the false impression of) contradiction between two Holy Verses in Allah's Book. Furthermore, he had desertion towards him, and ordered the people to desert him.

As for your statement that the famous among the learned men are both theologists and jurists, it should be known to you that the reason for which one becomes excellent in the Sight of Allah Almighty is different from that for which one becomes famous among the people.

Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" was famous among the people for his being the (Prophet's first) successor, whereas he was excellent in the Sight of Allah for that secret which resided in his breast. Umar "Allah be pleased with him" was famous among the people for his policy (of ruling his subjects), whereas he was excellent in the Sight of Allah for his knowledge of Allah, i.e. that knowledge, nine-tenths of which vanished by his death, as well as for his intention to become much closer to (the Presence of) Allah Almighty in his ruling, justice, and the pity he had towards Allah's Creatures; and of course, this is something inward in his breast. One might imagine that all the apparent deeds stem from him who seeks after the power of authority, celebrity, good reputation, and fame. In this way, the fame might be shown in kingdom, whereas the excellence in that secret which none knows (but Allah).

From this point of view, both religious jurists and theologists are like caliphs, judges and men of knowledge. They are divided into different types: there are those who intend Allah Almighty with their knowledge, religious verdicts, and defending the sunnah of His Messenger "Peace be upon him", and seek not after good reputation or showing off: those are fitting for Allah's Good Pleasure, for their acting upon their knowledge, intending the Countenance of Allah Almighty with their religious verdicts and reflections.

As a matter of fact, every (item of) knowledge is a deed, since it is an acquired action, but it is not that every deed is (an item of) knowledge.

The physician (for example) is able to come closer to Allah Almighty with his knowledge, and thus, he receives reward for his knowledge, as being working with it for the Sake of Allah Almighty.

The ruler also intermediates between the creatures just for the Sake of Allah Almighty, and thus he pleases Allah Almighty, and receives his reward, not for his undertaking the science of religion but for his doing a job, therewith he intends

to come much closer to (the Presence of) Allah Almighty with the help of his knowledge.

There are three divisions of things, therewith one might become much closer to (the Presence of) Allah Almighty: an abstract knowledge, and it is the knowledge of revelation, an abstract deed, and it is the justice of the ruler, and his adjusting the people, and what is compound from both deed and knowledge and it is the knowledge of the way to the hereafter; and its owner is one of those of both knowledge and deeds.

Consider yourself where you will be on the Day of Judgement: in the party of Allah's men of knowledge, or in the party of His workers, or in both parties, with the result that you will combine two shares with both parties together. This is more important for you than to imitate (the others) only for fame, as it is said in the form of a poetic verse: "Take (and learn) what you see (clear and evident with your own eyes) and leave that of which you only hear: of a surety, in sunrise (which is near) what makes you independent from (what is in) Saturn (the farthest planet in the solar system)."

Nevertheless, we will transmit, from the biographies of the earlier religious jurists, what makes you know that those who claimed their doctrines later wronged them, and they will be their greatest antagonists on the Day of Judgement. That's because those (earlier jurists) intended with their knowledge nothing other than the Countenance of Allah Almighty.

Their states show, undoubtedly, what might be described as the signs of the learned men of the hereafter, as it will be explained later in the chapter of "the Signs of the learned men of the hereafter". They were not devoted only to the science of jurisprudence so much as they were engaged in the knowledge of the hearts and observing their states. But they were diverted from making compositions and teachings in this field by what diverted the holy companions from making compositions and teachings in the science of jurisprudence, even though they were jurists, and masters of the science of religious verdicts; and the points and reasons for that are well-known, and there is no need to make a mention of them.

We are going to mention from the states of the earlier jurists of Islam what makes you know that it was not they who have been intended by the condemnation implied in what we've mentioned, but it was those, who alleged that they imitated them, and claimed their doctrines, even though they were different from them in their deeds and conduct.

The chiefs and leading pioneers of jurisprudence, who have multitudes of followers in their doctrines are five: grand imam Ash-Shafi'i, Malik, Ahmad Ibn Hanbal, Abu Hanifah, and Sufyan Ath-Thawri "Allah's Mercy be upon all of them". Each of them was a righteous worshipper and abstinent, endued with knowledge of the disciplines of the hereafter, a religious jurist in the affairs of the people in this world, and each intended only the Countenance of Allah Almighty with his knowledge of jurisprudence.

Although they had those five characteristics, the jurists of this time followed their steps only in one, i.e. to go all-out on making extremely unwarranted

categorizations and classifications of the branches of jurisprudence, for the remaining four characteristics are not fitting but for the hereafter, and it is only this characteristic which is fitting for both this world and the hereafter, and in case the hereafter is intended by it, it might be less fitting for this world.

They went all-out for doing it, and called in its name, seeking to be similar to those five grand imams; and how far from the truth it is to compare the angels with the blacksmiths. Let's now relate from their states what signifies those four characteristics (of the hereafter), even though their knowledge of the religious jurisprudence is clearly apparent.

As for the grand imam Ash-Shafi'i "Might Allah bestow His Mercy upon him", his being a sincere worshipper is shown clearly from a narration according to which he used to divide the night into three portions: one for knowledge, one for religious service, and one for sleep. According to Ar-Rabie, Ash-Shafi'i used to recite the Qur'an in his prayers in full sixty times during the month of Ramadan. Al-Buwaiti, one of his friends, used to recite the Qur'an to its conclusion once every night during the month of Ramadan.

It is reported that Al-Hassan Al-Karabisi said: "I spent more than a night with Shafi'i, and he used to offer prayer for nearly one-third the night, during which, I saw him having recited no more than fifty to one hundred Holy Verses at maximum. He never came upon a Holy Verse of mercy but that he asked for Allah's Mercy for himself, all of the Muslims and the faithful believers, and he never came upon a Holy Verse of punishment but that he sought refuge (with Allah from punishment) and asked Allah to deliver him as well as all the faithful believers.

This clarifies how both fear (of Allah's Punishment) and hope (for Allah's Mercy) were combined (in his heart).Consider how his limiting the recitation to no more than fifty Holy Verses signifies the depth of his versatility and insight in the secrets of the Holy Qur'an!

It is reported that Shafi'i said: "I've never ate my fill for sixteen years, for indeed, satiety makes heavy one's body, hardens the heart, removes the trial, brings about sleep, and makes one too weak to undertake the religious service." Consider here his wisdom of understanding the defect of satiety, and seriousness of worship, for the sake of which he left it; and to be sure, to reduce food is the commencement of service.

Shafi'i "might Allah bestow mercy upon him" said: "I've never sworn by Allah Almighty, whether truthfully or falsely." Consider here his reverence and veneration for Allah Almighty, and how this indicates his profound knowledge of the Majesty (and Glory) of Allah Almighty.

Once, the grand imam Shafi'i "Allah be pleased with him" was asked about something thereupon he kept silent. It was said to him: "Would you not give answer (to this question), might Allah bestow His Mercy upon you?" he said: "No, until I know which is better: to keep silent or to give answer."

Consider his watch over his tongue, even though it is the most uncontrollable from amongst the organs of the body and the most difficult upon the religious

jurists to manage and curb. This highlights the fact that in no way did he use to speak or keep silent but for seeking after excellence and getting reward.

It is reported that Ahmad Ibn Yahya Ibn Al-Wazir said: One day, Shafi'i came out of the market of Qanadil, and we followed him, and behold! A man was abusing a man from those endued with knowledge. On that Shafi'i turned to us and said: "Hold back your ears from hearing obscenity in the same way as you hold back your tongues from uttering it, for indeed, the hearer acts as an accomplice of the speaker; and the wicked man looks at the nastiest thing in his utensil in order to do his best to empty it in yours; and if the wicked man's obscene word is ignored, he who ignores it will grow happy as much as one who utters it grows wretched."

According to the grand imam Shafi'i, a wise man sent a letter to a sage, in which he said to him: "NO doubt, you've been given knowledge. So, pollute not your knowledge with the darkness of sins, lest you will be caught in the darkness on the very day those endued with knowledge will march forward by the light of their knowledge."

As far as his abstinence is concerned, Shafi'i "might Allah bestow mercy upon him" said: "He, who claims to combine the love for both the world and its Creator (at the same time) has, indeed, told a lie." According to Al-Humaidi, Shafi'i "might Allah bestow mercy upon him" set out on journey to Yemen in the company of a governor, and he turned away to Mecca having ten thousand Dirhams. A tent was pitched up for him at a certain place outside Mecca, in which the people came to visit him. However, he did not leave that place before he had distributed the whole money.

One day, on leaving the public bath, he gave the bath-keeper a great amount of money. Once, his whip fell down from his hand, and when a man raised it up to him, he gave him as many as fifty Dinars in reward for his favour. The generosity of Shafi'i "might Allah bestow mercy upon him" is too famous to be in need of mention. No doubt, the generosity is the commencement of abstinence, for he, who loves a thing keeps it; and only he, who leaves the wealth is that in whose sight the world is insignificant; and this is the real concept of abstinence.

That how Shafi'i "Allah be pleased with him" was strong in his abstinence, sincere in his fear of Allah Almighty, and wholehearted in his occupation by the hereafter, is clearly shown from a narration according to which Sufyan Ibn Uyainah related a Hadith pertaining to mystical sciences "Raqa'iq", thereupon Shafi'i fell unconscious. When it was said to him that he had died, he said: "If he should die, no doubt, the best of those of his time should have died."

It is further narrated that Abdullah Ibn Muhammad Al-Balwi said: I sat in the company of Umar Ibn Nubatah, to discuss the worshippers and abstinent, when Umar said to me: "I've never seen more pious and more righteous, and more eloquent than Muhammad Ibn Idris Ash-Shafi'i. one day, I, he and Al-Harith Ibn Labid, a disciple of As-Salih Al-Murri, set out to Safa. He commenced the recitation –and he was of a sweet pleasant voice- with the following: " That will

be a Day when they shall not be able to speak, Nor will it be open to them to put forth pleas." (Al-Mursalat 35:36)

﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝ ﴾

I saw the colour of (the face of) Shafi'i "might Allah bestow mercy upon him" having changed, and his skin trembled and he was troubled so much that he fell unconscious. When he woke he said: "O Allah! I seek refuge with You from the position of the rejecters of the truth and the carelessness of the heedless. O Allah! To You the hearts of the Gnostics have submitted, and the heads of those who yearn (for Your Meeting) have bowed in humiliation. O my Allah! Bestow upon me from Your Generosity, and cover me with Your Curtain (therewith to screen my sins), overlook, by virtue of the Bounty of Your Countenance, my indulgence (in service)." Then he walked and we turned away.

When I visited Baghdad, and he had been in Iraq, I sat on the edge of the shore to perform ablution for prayer, and behold! A man passed by me and said: "O man! Make perfect your ablution, perchance Allah Almighty would do well to you in the world and the hereafter!" I turned and behold! There was a man followed by a lot of people. I hastened to finish my ablution, and went on tracing him. He turned to me and said: "Do you have a need?" I said: "Yes: would hat you teach me something from what Allah Almighty have taught you." He said: "It should be known to you that he, who is true to Allah (in all of his words and deeds) will be delivered, and he, who fears for his faith will be secure from apostasy, and he, who abstains from (the delights, pleasures and luxuries of) this world, his eyes will be well-pleased with such of Allah's Reward in the future as he sees. Should I give you more?" I answered in the affirmative, thereupon he resumed: "He, who has the following three characteristics will indeed have his faith complete: he, who enjoins right, and does it, he, who forbids evil, and refrains from doing it, and he, who guards well the limits ordained by Allah Almighty. Should I not give you more?" I answered in the affirmative, thereupon he said: "Abstain from (the ending delights and pleasures of) this world, and desire for (the never-ending bounty of) the hereafter, and prove true to Allah in all of your deeds, perchance you will be in the company of the delivered ones (on the Day of Judgement)."

Then, he turned away. I asked who he was and it was said that he was Ash-Shafi'i. consider how his falling unconscious and giving admonition signify his abstinence and culminating fear (of Allah Almighty); and in no way could such abstinence and fear be achieved but through the knowledge of Allah Almighty, for indeed, "it is the men endued with knowledge, from amongst Allah's Slave that fear Allah most." (Fatir 28)

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝ ﴾

By no means did Shafi'i "might Allah bestow mercy upon him" reach such a position of abstinence and fear (of Allah Almighty) through the science of

payment in advance, hiring, and the other sciences of jurisprudence. That's because this (knowledge of Allah) belongs to the knowledge of the hereafter, taken from the Holy Qur'an and the Prophetic traditions, since the wisdom of the foremost and last generations (on earth) is trusted in them.

That he is well-versed in the profound mysteries of the heart and the knowledge of (the way to the) hereafter is shown clearly from the many statements of wisdom related from him. It is narrated that once he was asked about the essence of showing off, thereupon he said intuitively: "Showing off is a fascinating thing of delight, that is placed by the inclination in front of the eyes of the men of knowledge, and they regard it in accordance with their poor judgement, thereupon their deeds become fruitless."

It is reported that he said also: "If you fear that you might feel supercilious because of your deed, consider then of Whom you should seek the good pleasure, for which reward you desire, of which punishment you should feel afraid, for which power and health you should give thanks, and for which item of trial you should celebrate (Allah Almighty): if you consider anyone of those, your deed will come to be insignificant in your sight." Consider here how he explained the nature of showing off, and the treatment of arrogance, and both are from amongst the major defects of the heart.

It is reported that Shafi'i "Allah be pleased with him" said: "He, who does not safeguard himself (from committing what is forbidden) of no benefit will his knowledge be to him." He "Allah's Mercy be upon him" said: "He, who obeys Allah with his knowledge, will get benefit from its mystery." He further said: "There is no one but that he has many who love him as well as many who hate him. Such being the case, be in the company of those who show obedience to Allah Almighty."

It is reported that Abd Al-Qahir Ibn Abd Al-Aziz was a good pious man, and he used to ask Shafi'i "Allah be pleased with him" many questions pertaining to piety, and Shafi'i used to sit in his company because of his piety. One day, he asked Shafi'i "might Allah bestow mercy upon him": "Which of the following is the best: patience, trial or well-establishment in power?" on that Shafi'i "might Allah bestow mercy upon him" said: "The well-establishment in power is the (best degree since it is the) degree attained by the Prophets; and to be sure, one is not well-established in power but after being put to trial, and if one is put to trial, he should patiently persevere, and if he proves to be patient, he then will be well-established in power. Do you not see that Allah Almighty first put Abraham "Peace be upon him" to trial and (when he showed patience) he was well-established in power? He Almighty put Moses "Peace be upon him" to trial and (when he showed patience) he was well-established in power. He also put Job "Peace be upon him" to trial and (when he showed patience) he was well-established in power. He put Solomon "Peace be upon him" to trial and (when he showed patience) he was well-established in power, and given a great dominion. Of a surety, the well-establishment in power is the highest and best degrees, according to the following statements of Allah Almighty: " Thus did we give

established power to Joseph in the land, to take possession therein as, when, or where he pleased." (Yusuf 56)

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

Job "Peace be upon him" also was well-established in power after he had been put to trial as Allah Almighty says: "We removed the distress that was on him, and We restored his people to him, and doubled their number, as a Grace from Ourselves, and a thing for commemoration." (Al-Anbiya 84)

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾

This statements from Ash-Shafi'i signify his versatility in the mysteries of the Holy Qur'an, and acquaintance with the different standings of those who followed the way to Allah Almighty, from amongst the Prophets, Allah's Devotees and good righteous men. In reality, all of this belongs to the knowledge of (the way to the) hereafter.

It is reported that it was said to Shafi'i: "When should one be a man of knowledge?" he said: "When he becomes well-versed in the sciences of religion, and learnt them well, and surveyed the other sciences, and acquired what he has missed of them. It is only at this point that one becomes a man of knowledge." However, this, and the numerous statements likewise shows clearly the high standing he attained in the knowledge of Allah Almighty and the sciences of the (way to the) hereafter.

That with religious jurisprudence and argumentation thereof he sought only the Countenance of Allah Almighty is clearly shown from the following narration in which he is reported to have said: "Would that all the people get benefit from that knowledge, and nothing of that should be ascribed to me." See here how he was well-acquainted with the defect of knowledge, and the seeking for having prestige because of it, and how he was entirely far beyond any concern with that, and how his intention in being occupied by it was devoted to the Countenance of Allah Almighty.

It is reported that Shafi'i "Allah be pleased with him" said: "I've never debated with anyone and liked that he should commit a mistake." He further said: "I've never spoken with anyone but I liked that he should be helped achieve success, directed to the right, aided (to avoid mistakes) and be cared, looked after and safeguarded by Allah Almighty. moreover, I've never spoken with anyone, but that it was the same to me that the truth should be made clear by Allah Almighty either on my tongue or on his tongue."

He further said: "I've never brought about the truth and proof against anyone which he accepted from me but that I showed great respect and love for him, and none has ever felt too arrogant to concede to accept the truth, and rather rebelled the proof (even though it was right) but that he became insignificant in my eyes,

and I came to have aversion towards him."

Those are the signs which highlight his seeking only Allah Almighty with jurisprudence and argumentation. Consider in this context how the people did not only emulated him just in one from among those five characteristics, but also they opposed him in it.

For this reason, it is reported that Abu Thawr "Allah's Mercy be upon him" said: "I've never, and the people also have never seen the like of Shafi'i "might Allah bestow mercy upon him". It is reported that Ahmad Ibn Hanbal "Allah be pleased with him" said: "I've never offered a prayer, for forty years, but that I invoked good upon Shafi'i "Allah's Mercy be upon him"."

Consider the fairness of the invoker, and the high rank of the one upon him he invoked good, in comparison with their counterparts and likes from amongst the learned men in this time, and the mutual feeling of resentment and hatred between them, in order to know their indulgence in their claim of emulating those good men of knowledge. Because of his invoking good upon him so much, his (Ahmad Ibn Hanbal's) son asked him: "What source of men was Shafi'i in order to invoke good upon him so frequently as such?" he said: "O my son! Shafi'i was like the sun for this world, and the source of power and health for the people." Do you think then that both could be compensated?

It is reported that Ahmad Ibn Hanbal "might Allah bestow mercy upon him" said: "None has ever touched an inkpot (to record knowledge) but that he was indebted to Shafi'i." it is reported that Yahya Ibn Sa'id Al-Qatan said: "I've never offered a prayer, for forty years, but that I invoked good upon Shafi', in view of such of (the gates of) knowledge as Allah Almighty opened for him, and directed him to the right."

Let's limit ourselves to the portion we have related from the states of his life, for indeed it (to review all the states of his life) is beyond survey. However, we've transmitted the most of those good merits from the book composed by grand sheikh Nasr Ibn Ibrahim Al-Maqdisi "might Allah bestow mercy upon him", in the good merits of Shafi'i "Allah Almighty be pleased with him, and with all the Muslims".

Grand imam Malik "Allah be pleased with him" also was adorned with those five characteristics. It was said to him: "What do you say, O Malik, about seeking after knowledge?" he said: "How good and fine it is! But consider that in which you are in need from morning to evening, to which you should stick."

He "Allah's Mercy be upon him" used to treat the science of religion with high regard, to the extent that whenever he wanted to discourse on Prophetic narrations, he would perform ablution, sit in the front portion of his bed, comb his beard, and apply perfume to his body and then sit firmly with reverence. Then, he would go on discourse. When this matter was raised to him he said: "I like to highly exalt the narrations of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"."

It is reported that Malik said: "No doubt, knowledge is a light, which Allah Almighty places wherever He likes; and it is not realized by the large number of

narrations." This respect and appreciation show how strong his knowledge of the Majesty of Allah Almighty was.

That he intended with his knowledge only the Countenance of Allah Almighty is shown clearly from his statement: "The quarrel in religion is of no significance." It is also evident from the statement of Ash-Shafi'i about him: "I was attendant with Malik when forty-eight questions were raised to him, and his reply to thirty-two of them was: 'I do not know'." To be sure, it is not easy upon one who intends anything other than the Countenance of Allah with his knowledge to declare that he have no knowledge. For this reason, Ash-Shafi'i said: "When the men of knowledge are mentioned, Malik stands for a piercing star (in view of his outstanding excellence), and I have been indebted to none more than I was to Malik."

It is narrated that Abu Ja'far Al-Mansur prevented him from relating the narration of the divorce under compulsion, and when he sent to him somebody to ask him about it, he related at presence of an assembly of people that' No divorce is due upon one who is coerced to do so'. Although he lashed him with the whip, he (Malik) did not cease to relate that narration.

It is reported that Malik "might Allah bestow mercy upon him" said: "There is no man, who is truthful in his speech, and does not tell a lie, but that he continues to get benefit from his mental faculty, and no infirmity nor dotage harms him because of decrepitude."

His abstinence in this world is evident from the narration that Al-Mahdi, the Commander of the Believers asked him: "Have you got a house?" he answered in the negative and said: "But, let me relate to you something: I heard Rabie'ah Ibn Abu Abd Ar-Rahman having said: 'No doubt, one's ancestry is his house."

Later on, Ar-Rashid (son of Al-Mahdi) asked him the same question: "Have you got a home?" he answered in the negative, thereupon he gave him three thousand Dinars and said to him: "Buy a home with that (money)." He took it, but spent nothing of it. When Ar-Rashid intended to return, he said to Malik "might Allah bestow mercy upon him": "You should set out with us. Indeed, I've decided to force the people to adhere to the Muwatta "the Well-Trodden path" in the same way as Uthman "Allah be pleased with him" had forced the people to stick to (his version of) the Qur'anic text." He said to him: "As to forcing the people to adhere to the Muwatta', there is no way to do so, for the holy companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" were dispersed after his death in different regions, and related the Prophetic narrations, and thus, the inhabitants of each region have a different portion of that knowledge. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said in this respect (according to the narration of Al-Baihaqi on the authority of Ibn Abbas): "No doubt, the variation of opinions among my nation (pertaining to the branches, and not the foundations of religion) is (a gift of) mercy (for them)." As for my setting out with you, there is no way to do so, since the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (on the authority of Sufyan Ibn Abu Zuhair): "Of a surety, Medina is much better for

them (to live in) if they knew!" he "Allah's blessing and peace be upon him" further said (on the authority of Abu Hurairah): "Medina removes its impurities, in the same way as the bellows remove the dross of iron." Here are your Dinars as they are (with nothing spent out of it): take it if you so like, or leave it if you so like." He means that 'you force me to leave Medina for what you've given to me, and in no way should I give preference to this world over the City of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". This was Malik's abstinence in this world.

When wealth in great abundance was brought to him from different parts of the world, because of the dissemination of his knowledge and dispersion of his companions, he spent them in all sides of good; and as a matter of fact, his generosity clearly reveals his abstinence in, and lukewarm liking for this world. However, the abstinence is not only to abandon wealth, but it is also to have no desire in the heart for it. In spite of his dominion, (the Prophet) Solomon "Peace be upon him" was from among the abstinent men.

However, Malik's disregard for this world is shown from the narration of Shafi'i "Allah be pleased with him": "I saw near the gate of the house of Malik many horses from those belonging to Khurasan, or Egypt according to another narration, better than which I've never seen." I said to Malik: "How good those are!" he said: "All of this is a gift for you O Abu Abdullah." I said to him: "Keep for you at least a riding mount to ride." He said: "I feel shy of Allah Almighty to trample an earth, in which there is the body of the Prophet of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" with the hoof of a riding mount." Consider his great generosity, revealed from his giving that all at once as a gift, and his great respect for the earth of Medina.

That he intended with his knowledge only the Countenance of Allah Almighty is clear from the following narration, which shows also how he looked down upon this world: he said: "I visited Harun Ar-Rashid who said to me: "O Abu Abdullah! You should come to visit us regularly, in order that our boys should listen to (the narrations of) Muwatta' from you." I said: "might Allah honour our master, the Commander of Believers! You are the source of this knowledge: if you honour it, it will be exalted, and if you dishonour it, it will be put to humiliation. To be sure, it is the people who should come to acquire knowledge, and it is not that knowledge should come to them (while they are at their homes)." On that he said: "You've told the truth. Come out to the mosque, in order to listen (to Malik) with the public."

As for Abu Hanifah "might Allah Almighty bestow mercy upon him" he also was a righteous worshipper of Allah Almighty, ascetic, knowledgeable of Allah Almighty, afraid of Him, and he intended only the Countenance of Allah Almighty with his knowledge.

That he was a righteous worshipper of Allah is shown from the narration according to which Ibn Al-Mubarak said: "Abu Hanifah "Allah might bestow mercy upon him" was characterized by manliness and performance of a great amount of prayers."

It is narrated that Hammad Ibn Abu Sulaiman said that Abu Hanifah used to give life to the whole night (by supererogatory prayers and celebration of Allah Almighty). It is also narrated that he used to give life to half of the night, and one day, he came upon a street, and a man pointed to him while he walking, and said to another: "This is the man who always give life to the whole night." From this time on, he came to give life to the whole night. He said pertaining to that: "I feel shy of Allah Almighty to be described with something of service I do not do."

As for his abstinence, it is narrated that Ar-Rabie Ibn Asim said: "Yazid Ibn Umar Ibn Hubairah sent me to bring Abu Hanifah to him, and when I brought him he asked him to be the governor of the treasury, but he rejected, thereupon he gave him twenty lashes." Consider how he fled away from the office of governorship of treasury, and instead he endured the punishment

Al-Hakam Ibn Hisham Ath-Thaqafi said: I was reported pertaining to Abu Hanifah, while being in Sham, that he was of the most trustworthy among the people, and the governor liked him to be in charge of the treasury, otherwise, he would strike him on his back. However, he preferred their punishment (in this world) to the punishment of Allah (in the hereafter).

It is narrated that a mention was made of Abu Hanifah in the presence of Ibn Al-Mubarak. He said: "Do you make a mention of a man, to whom this world with all of its contents was offered to him, and he ran away from it?"

It is narrated on the authority of Muhammad Ibn Shuja' from one of his companions that it was said to Abu Hanifah: "Abu Ja'far Al-Mansur, the Commander of the Believers, ordered that ten thousand Dirhams be given to you." But Abu Hanifah was not satisfied." When it was the very day, on which he expected to receive the money, he offered the Morning prayer and wrapped himself with his garment, and kept silent. The courier of Al-Hassan Ibn Qahtabah came to him with the money, and when he entered into him, he did not talk to him. One of the attendants said: "It is his habit not to talk to us but with a word in reply to a word." He said: "Place the money in this bag in one of the corners of the house." Afterwards, Abu Hanifah made a bequest of the furniture of his house, and said to his son: "When I die and you finish from the burial ceremonies, take this heap (of money) and go with it to Al-Hassan Ibn Qahtabah and said to him: "Here is your trust which you've trusted with Abu Hanifah." His son said: I did accordingly, thereupon Al-Hassan said: "Allah's Mercy be upon your father! How zealous he was on his religion!"

It is narrated that he was invited to take the office of judge, thereupon he said: "I'm not fitting for that." He was asked: "Why?" he said: "If I'm truthful, then, (I know for certain that) I'm not fitting for that; and if I'm a liar, then, of a surety, by no means should a liar be fitting for the office of judge."

As for his acquaintance with the way to the hereafter, and the matters of religion, as well as his knowledge of Allah Almighty, this is attested from his great fear of Allah Almighty, and refraining from (the pleasures and delights of) this world. According to Ibn Juraij, "I was reported from this man of yours, An-Nu'man Ibn Thabit, who belongs to Kufah that he was solemnly afraid of Allah

Almighty." According to Sharik An-Nakh'i, "Abu Hanifah was on the habit of spending long in silence, deep contemplation, even though his conversations to the people were little."

This is from amongst the clear signs of his acquaintance with the esoteric knowledge, and occupation by the serious matters of the religion; for indeed, he, who is gifted with (the privilege of) spending long time in silence and abstinence has been given the whole knowledge.

The good merits of Abu Hanifah are beyond calculation. Had he not been characterized by perseverance in self-humiliation and had he not dipped into the sea of contemplation? Had he not, throughout a period of forty-three years, performed his morning prayer without breaking his evening ablutions (because of spending the whole night in supererogatory prayer)? Had he not performed Hajj fifty-five times and seen Allah in his sleep a hundred times?

This is but a little portion of the lives of the three grand imams, Shafi'i, Malik and Abu Hanifah. As for both Ahmad Ibn Hanbal and Sufyan Ath-Thawri, their followers are less in number than theirs, and those of Sufyan are lesser than those of Ahmad, even though they are more famous for piety and abstinence. Since this book, along its different parts, is filled with narrations about their lives, there is no need to take up their lives in more detail now in this stage.

It is more relevant to consider the states and lives of those three grand imams, and see if those states, sayings, deeds for which they refrained from (the delights and pleasures of) this world and wholeheartedly devoted themselves to the service of Allah Almighty are the fruits of only the knowledge of the branches of jurisprudence, like the sciences of payment in advance, hiring, Zihar, Li'an, Ila' (swearing to become aloof from one's wives), or of another kind of knowledge of greater superiority and higher rank. Consider also whether those who claimed they had emulated the three grand imams were or were not true to their claim.

CHAPTER THREE: ON SUCH OF SCIENCES AS POPULARLY THOUGHT TO BE PRAISEWORTHY

Even though they are not so

This chapter deals with the point for which a certain knowledge might be considered as blameworthy

and the way of changing the names of such sciences as Fiqh (the faculty of religious understanding), Ilm (knowledge), Tawhid (Allah's Oneness), Dhikr (celebration of Allah Almighty), and Hikmah (wisdom)

and the extent to which the legal sciences might be praiseworthy and the extent to which they might be blameworthy

The Exposition Of The Reason For Criticizing Such Of Those As Blameworthy

you might exclaim: "Since knowledge is to be acquainted with a certain thing as it is really is, and it is an essential characteristic of Allah Almighty: then, how should a thing be knowledge, and blameworthy at the same time?"

it should be known to you that by no means would the knowledge be regarded as blameworthy for its being knowledge so much as it is held blameworthy in the sight of the people for one of three reasons:

the first: that it leads to damage, which befalls either its doer or anyone else, like the science of magic and talismans, which is regarded as blameworthy, and it is really so, for the Holy Qur'an affirms that as being a cause of sowing the seeds of discord between spouses. Furthermore, (according to the narration of A'ishah) the Messenger of Allah "Peace be upon him" was bewitched and he grew ill because of that and remained as such until Gabriel "Peace be upon him" told him about it, thereupon he brought the material on which the magic was done from underneath a stone in the well (of Dharwan according to Bukhari's narration).

Magic is something obtained from the knowledge of the properties of the precious stones and mathematical calculations particular to the rising points of the stars. A skeleton resembling the person to be bewitched is made out of these precious stones, which is gazed into, in addition to repeated utterances of unbelief and obscenity, which are contrary to law, in expectation for a special time in the rising of the stars, Through which the aid of the devils becomes accessible, with the result that, in accordance with the ordinance of Allah Almighty, the bewitched one becomes vulnerable to strange states.

As far as the knowledge of these things is concerned, it is not blameworthy. But even, it is of no use except for harming people. The instrument of evil is in itself evil, and it is for this reason that magic is regarded as blameworthy. If a person should pursue one of the holy devotees of Allah in order to kill him, but such saint should hide in a safe place and, then, the oppressor inquires about the saint's location it would not be permissible to disclose his hiding place, but rather, to tell a lie in this respect would be incumbent. For while disclosing the location of the saint is, in itself, a knowledge of the fact as it is, nevertheless it is blameworthy because it brings about harm.

The second: that it causes harm to its doer at most, like astronomy, which is not blameworthy in itself. It is of two parts:

One is computational to which the Holy Qur'an refers in telling that the course of both the sun and the moon is computed: "The sun and the moon follow courses (exactly) computed." (Ar-Rahman 5)

﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ ﴾

He further says: " And the Moon, We have measured for it mansions (to traverse) till it returns like the old (and withered) lower part of a date-stalk." (Ya Sin 39)

﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩ ﴾

The other is astrology the essence of which is to attest the future events from the present causes. This is similar to the way a physician is guided by the patient's pulse to predict the future development of a disease. Astrology is therefore an attempt to know the course of the laws and ordinances of Allah relative to His creatures. But the law has regarded it as blameworthy.

In this context, (it is narrated by Tabarani on the authority of Ibn Mas'ud) that the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "When the Divine decree is mentioned, withhold (from being engaged in discourses about that); when the stars are mentioned, desist (from talking about them); and when my Companions are mentioned, refrain (from abusing them)."

It is further narrated (by Ibn Abd Al-Barr on the authority of Abu Mihjan) that the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "After my death, I fear three things for my nation: (to be victims of) the injustice and wrongness of the rulers, to have faith in the stars, and to belie the Divine Decree."

It is further narrated that Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased be with him" said: "Learn from astronomy what is sufficient for you to guide through land and sea and then you should stop (from learning more)."

However, he warned against it for three reasons:

One is that it causes harm to most of the creatures: if they are revealed that those events result from the course of certain stars, they will have the false impression that it is the stars which lead to that, as being directing gods, for they are glorious celestial bodies. In this way, they will have a great impact upon the people, whose hearts (and minds) will come to be attached to them. Furthermore, they will think that both good and evil are withheld by or expected only from them, which leads to the vanishing of the celebration of Allah from the heart. That's because a weak-minded person fails to see what is beyond the media; and only the learned one who is well-established in knowledge knows, for certain, that the sun, the moon and the stars are subdued by the Command of Allah Almighty.

The example of the way a weak-minded one sees that sunlight results from the rising of the sun is like the example of an ant, as if it is gifted with reason, and it happens to stand on the surface of a sheet of paper, thereupon it sees the movement in the process of writing, thinking that it is the work of the pen, but by no means would it go beyond that to see the fingers, and behind the fingers the hand, and behind the hand the will which moves it, and behind the will a scribe who has the ability and will (to write what he likes), and behind all, the Creator of the hand,, the ability, and the will. Most people fail to look beyond the nearby and earthly causes and they hardly promote to grasp the Cause of all causes. This is one of the reasons why astrology has been forbidden.

The other is that the astrology is merely guessing, and as far as an ordinary man is concerned, the influence of the stars could hardly be determined either with certainty or even with probability. Its related judgements result from ignorance. In this way, astrology is regarded as blameworthy in reference to this ignorance, not because it is knowledge.

Furthermore, it is narrated that this knowledge was a miracle given as a gift to the Prophet Idris "Peace be upon him" ((from Allah Almighty to confirm his Prophethood). But now, it has vanished and totally disappeared. If the astrologer happens to be correct in some cases, and how rare they are, this will be by chance. He may happen to have knowledge of some causes, but the effect will not result therefrom unless several other conditions, whose realities are beyond

the reach of human beings, should be accomplished. If he happened to be doomed by Allah to have knowledge of the remaining causes, his prediction would come true; but if that is not achieved, he would go wrong.

This is similar to the guess of a man who is moved to think that there will be rain this day on seeing the clouds gathering and rising from the mountain tops. Although rain may actually fall, it is also possible that a hot sun should rise and disperse the clouds. The mere presence of clouds in the sky is not sufficient for rain to come down; and there are other conditions which cannot be determined.

Similarly, the navigator guesses that the ship will sail safely depending only upon the usual conduct of the winds with which he is familiar. But there are unknown factors which control the movements of the winds of which the navigator might have no knowledge. Consequently, his guess would sometimes be correct and sometimes wrong. For this reason, even the strong-minded one is forbidden to practise astrology.

The third reason is that it is of no use. The least to be said about it is that it is, at its best, to invade what is useless, in which one might waste his life, which is his most valuable property; and to be sure, this is the greatest loss.

In this connection, (it is narrated by Ibn Abd Al-Barr on the authority of Abu Hurairah) that once, the Messenger of Allah came upon a man, having a gathering of people round him, thereupon he asked: "Who is that?" they said: "He is a knowledgeable man?" he said: "Which knowledge has he got?" they said: "Poetry and ancestries of Arabs." On that he said: "This knowledge brings about no benefit, and the ignorance of it causes no harm." The Messenger of Allah "Peace be upon him" added: "The knowledge (which one should learn) is a Holy Verse whose meaning is well-established (or according to another interpretation, a clear sign which is evident), an item of standing sunnah, or a just ordinance."

To middle into astrology then is to intrude what is dangerous, and fall into ignorance, with no benefit to be expected. What will be doomed to happen will inevitably come true, and there is no way to avoid it, unlike medicine, in which there is need, and its proofs could be attested, or even the interpretation of dreams, for, though being a guess work, it is a part of forty-six parts of Prophethood, and there is no danger expected from it.

The third is that whoever middles into this kind of knowledge gets no scientific benefit from it; and that's because it is blameworthy in itself. It is just like learning the insignificant before the important or the ambiguous before the evident of sciences, or research of the Divine Mysteries, undertaken by both philosophers and theologians, even though they could hardly grasp them in full for none is fitting for knowing their realities and ways barring the Prophets and saints. For this reason, the people should be held back from pursuing them, and rather diverted to only those permitted by law, for this is satisfactory for guidance. Many were the persons who delved into sciences, with the result that they were harmed because of that; and had they not done so, they would have been far better in the science of religion.

The fact that knowledge might be harmful to some people could not be

rejected, just in the same way as an infant might be harmed by the flesh of birds and the variety of sweet edible things. Furthermore, the ignorance of some affairs might be of good benefit for many persons.

In this respect, it is narrated that a man made a complaint to a physician of the infertility of his wife, and her failure to give birth to children. The physician detected her pulse and said to her: "You needn't medicine for fertility, for you will die within forty days as attested from your pulse." Consequently, the woman entertained great fear and she was perturbed. She brought out her property and distributed it (among the poor and needy) and made her bequest in relation to that, and spent with no food nor drink until the appointed term came to its end but even she did not die. Her husband came to the physician and told him that she had not died. He said: "I know that. Have sexual relation with her now, and she will be pregnant." When the man asked him about the reason he said: "I saw her overweight to the extent that fat gathered around the mouth of her womb, and I came to know that she would not become lean unless she entertained the fear of death, thereupon I frightened her with that until she grew lean, and thus the obstruction of pregnancy vanished."

This draws your attention to the danger of many sciences, and makes you grasp the meaning of the statement of the Messenger of Allah "Peace be upon him" (according to the narration of Ibn Abd Al-Barr on the authority of Jabir): "We seek refuge with Allah from (having) knowledge which is of no benefit."

You should then take lesson and admonition from this narration, and pursue not such of sciences as held blameworthy by law, and rather emulate the holy companions (of the Prophet) "Allah be pleased with them", and be satisfied with following the right way of sunnah, since safety lies in following (the steps of the Messenger and his companions), whereas danger lies in adventure and aberration. You should also not blow your own horn so much of what you describe as your opinion, reasonable judgement, proof and evidence, with the claim that you investigate into things in order to know and determine their realities as they are putting in mind that there is no harm in the pursuit of knowledge. To be sure, the harm it might cause to you is more dangerous (than whatever benefit you could get). Many are the things which you might know, whose knowledge would ruin you in the hereafter, unless Allah Almighty intervenes for you with His Mercy.

It should be known to you that as well as physicians know secrets of medical treatments, deemed improbable by those who are not well-versed in medicine, so do the Prophets, who are the physicians of hearts and have knowledge of the rules that govern the hereafter life. So, do not judge their ways in accordance with your limited reason, lest you would be ruined.

Not rarely a person's finger might be injured, and, following his own mind, he might apply ointment to it, until a skillful physician would draw his attention to the fact that his treatment should be to apply ointment to the other side of the palm, which he would deem far improbable, in view of his ignorance of the way the nerves branch, and from which places in the body they spring, and gather around the body. The same is true of the way to the hereafter, and the right ways

and etiquette of law, and the beliefs set for the people to follow, therein lie many niceties and fine points, which are beyond the capacity and power of the human mind to grasp. Similarly, there are wonderful qualities in the properties of the precious stones which experts have failed to understand, to the extent that no one has been able to realize (for example) the reason why the magnet attracts iron.

Nevertheless, the wonderful and strange things in faith and works and their advantage for the purity, cleanliness, integrity, and rectitude of the heart in order to be fitting for rising up to the neighbourhood of Allah, and become exposed to the breeze of His Bounty, are far more numerous and greater than those in therapies and drugs. As well as minds might fail to know the benefits of medicines and drugs, even though they are realized through experimentation, minds also fail to know the things which are useful for the hereafter life, putting in consideration that there is no way to determine them through experimentation. That's because these things would be attainable through experimentation only if some of the dead would return and tell us about such of deeds as are acceptable and useful in the sight of Allah, and bring man much closer to Him, and such of deeds as estrange the creature from his Creator; and the same is true of faith. But unfortunately, in no way is this to be expected.

For this reason, it suffices you for benefit that your mind should guide you to the truthfulness of Messenger of Allah "Peace be upon him" and make plain to you the significance of his counsel. Put aside from your conduct the deviation of your mind (from its limits) and stick to obedience, for nothing else would deliver you.

For this reason, (it is narrated by Abu Dawud on the authority of Buraidah that) the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No doubt, ignorance lies in some forms of knowledge, and incoherence lies in some forms of (eloquent) speech." It is a well-known fact that by no means could knowledge be ignorance, but it may have the same harmful influence as ignorance.

(It is further narrated on the authority of Abu Ad-Darda' that) The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A little portion of divine guidance is far better than a great amount of knowledge."

Jesus "Peace be upon him" said: "Many are the trees, but not all are fruitful; plentiful are the fruits, but not all are edible; (similarly) many are the branches of knowledge, but not all are useful."

The Way Of Changing The Names OF SCIENCES

It should be known that the source of confusion of the blameworthy sciences with the legal sciences is the alteration and distortion of the names of the praiseworthy sciences, for evil purposes, which have been given concepts extremely different from those intended for them by the good righteous ancestors and those of the first generation. Those are five terms: Fiqh (jurisprudence), Ilm (science of religion), Tawhid (monotheism), Dhikr (admonition), and Hikmah (philosophy).

Those are praiseworthy terms and the men who are characterized by any of them are those of high positions in the science of religion. But now they have been altered and given blameworthy concepts, but the hearts are reluctant to hold at fault those characterized by any of them, in view of the widespread practice of applying these names to them alike.

The first term stands for Fiqh (jurisprudence), which they have altered more by restriction and particularization than by altering its meaning. They have given it the restricted meaning of acquaintance with the strange cases of religious verdicts, the mastery of the niceties of their origins and reasons, so much discourse in that field, and retention of their related articles. In this way, the most versatile in jurisprudence among the people is he who has the deepest acquaintance with that, and spends the longest time in occupation by it.

During the first age (of the holy companions), the name jurisprudence was given to the knowledge of the way to the hereafter, and the acquaintance with the niceties of the defects of souls and the things, which spoil the deeds, the grasp of the inferiority of (the delights and pleasures of) this world, and looking forward to the blessings of the hereafter and the domination of fear over the heart. This is attested from the following statement of Allah Almighty: "if a contingent from every expedition remained behind, they could devote themselves to studies in religion, and admonish the people when they return to them." (At-Tawbah 122)

﴿ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾

To be sure, it is this kind of religious study which brings about fear and alarm in the soul, apart from such detailed branches as the science of emancipation, divorce, Li'an, payment in advance, hiring. No alarm nor fear could be produced by those branches. Nevertheless, the wholehearted devotion to practicing it always hardens the heart, and deprive it of piety, as we see now those who devote themselves only to this practice.

Allah Almighty further says: "they have hearts wherewith they understand not, eyes wherewith they see not, and ears wherewith they hear not." (Al-A'raf 179)

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ﴾

He refers here to the significance of faith, and not the practice of giving religious verdicts. By my life, the term Fiqh, from the linguistic point of view, stands for the faculty of understanding. They are used with both the ancient and modern connotations. Consider Allah's statement: " Of a truth you are stronger (than they) because of the terror in their hearts, (sent) by Allah. This is because they are men devoid of understanding." (Al-Hashr 13)

﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾

He thus attributed their little fear of Allah and their great terror of the power of man to their weak understanding. Judge, by yourself, whether this was the result of the lack of acquaintance with the details of religious verdicts or the result of the disappearance of those sciences we have already mentioned.

(It is narrated by Abu Na'im on the authority of Suwaid Ibn Al-Harith that) the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said, addressing the members of the delegate who came to visit him: "They are Learned, wise and discerning." When Sa'id Ibn Ibrahim Az-Zuhri was asked about the greatest jurisprudent among Medina's inhabitants, he said: "The most Allah-fearing among them." He seemed to have referred to the fruit of jurisprudence; and to be sure, Allah-fearingness is the fruit of the esoteric science, and not the science of giving religious verdicts and passing judgements.

(It is narrated by Ibn Abd Al-Barr on the authority of Ali that) the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Should I not tell you about the greatest jurisprudent among the people?" they said: "Yes." He said: "It is he, who does not make the people despair of Allah's Mercy, nor does he cause them to feel secure against Allah's schemes, nor does he make them lose hope of Allah's Spirit, nor does he leave the Qur'an in favour of anything else."

(It is narrated by Abu Dawud on the authority of Anas Ibn Malik that) The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "To sit with a people who are celebrating (the Praises of) Allah Almighty from the Morning prayer up to the rising of the sun is much dearer to me than to emancipate four slaves from the offspring of Ishmael; and to sit with people who are celebrating (the Praises of) Allah Almighty from the Asr prayer up to the setting of the sun is much dearer to me than to emancipate four slaves."

When Anas related this narration, he turned to both Zaid Ar-Raqashi and Ziyad An-Numairi and said to them: "The gatherings of celebration (of Allah Almighty) were not like those of yours, in which one of you relates his preachings and narrates traditions to his companions. On the contrary, we used to sit in a gathering, remember the (principles and deeds of) faith, learn the Qur'an, understand religion, and calculate Allah's Favours upon us, out of studying religion. In this way, he gave the name of religious study to both learning the Qur'an and calculating Allah's Favours (upon His creatures).

(It is further narrated by Ibn Abd Al-Barr on the authority of Shaddad Ibn Aws that) the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "One would not come to be fully jurisprudent until he dislikes the people only for the sake of Allah, and sees a lot of meanings in the Qur'an", and then (according to the narration of Abu Ad-Darda', whose chain of transmission is short of the Prophet) turns to himself, and hates it more (for the same reason)."

When Farqad As-Sabakhi asked Al-Hassan about something, and he gave him reply, he said to him: "But the jurisprudents differ with you in that matter." On that he said: "Might your mother be bereaved of you O Furaiqid! Have you seen a real jurisprudent with your own eyes? To be sure, the real jurisprudent is he, who abstains from (the delights and pleasures of) this world, seeks after the hereafter, who is well-versed in the matters of his religion, who is on the habit of worshipping his Lord regularly, who is pious, who withholds himself from attacking the reputations of the Muslims, refrains from (having his hand reach) their property, and who is sincere in his advice to their group."

He did not say, in all of what he said, that he is the one who has mastery over all the branches of religious verdicts. But I do not say that the name jurisprudent was given to giving religious verdicts or passing judgements. Nevertheless, this was either in a general and broad manner or by way of regarding the one a subdivision of the other. But its application to the science of the hereafter was more common. Consequently, this restriction brought forth some ambiguity which caused men to devote themselves solely to it to the neglect of the knowledge of the hereafter and the nature of the heart.

Furthermore, they were encouraged to some extent by the fact that the esoteric knowledge is ambiguous, and putting it to practice is very difficult; and it is not easy to attain therewith the high offices of government, judge, wealth and power of authority. This (the negligence of the hereafter) was made alluring by Satan to the hearts, through making particular the name of jurisprudence (to connote only the sciences of religious verdicts and judgements on the exclusion of the knowledge of the way to the hereafter), despite the fact that it has been really held praiseworthy by law.

The second term stands for Ilm (science of religion), which has been given to the knowledge of Allah Almighty, His Signs, Acts pertaining to His devotees and creatures, to the extent that when Umar Ibn Al-Khattab died, Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" said: "No doubt, nine-tenth the science of religion died." He designated this knowledge as the science, with the definite article and explained it as the knowledge of Allah Almighty. They also altered its concept by more restriction until it came to be ascribed only to those who are engaged in argumentation with his opponents about the problems of jurisprudence and the like of that. It is said about such that he is knowledgeable of the truth, versatile in knowledge, while those who do not practice that nor take it up are referred to among the weak, and are not considered to belong to the company of the knowledgeable. This also is alteration by restriction.

But the most part of what is related in relation to the good merits of the learned men is attributed to those endued with knowledge of Allah Almighty, His rules of ordinance, acts and attributes. But even, it has now become usual to be applied to those who do not comprehend from the science of the law more than controversial syllogisms on disputed cases. Those well-versed in such gymnastics are now regarded among the versatile learned men, in spite of their ignorance of the sciences of interpretation, tradition and religion,. This, as a result, has proved destructive to a great number of knowledge seekers.

The third term stands for Tawhid (Monotheism), which has now turned to mean the art of scholastic theology, versatility in the way of argumentation, and grasping the different methods of contradicting the adversaries, and the capacity of being diffuse in speech, by raising a great variety of questions, and arousing so much suspicions, and composing requisites, to the extent that a sect of them described themselves the men of (Divine) equity and Oneness, and the theologians were given the name of learned men of Allah's Oneness, even though nothing of the items of this art was known during the first age (of the holy

companions), who, moreover, used to be hard in condemning anyone whenever he intended to open the gate of argumentation and debate (pertaining to anything in the matters of religion).

As to the evident proofs implied in the Qur'an, which the minds would immediately accept at the first hearing, they were well-known to all. The knowledge of the Qur'an constituted the whole knowledge. The Allah's Oneness, in their sight, was something different, which most theologians did not understand; and even if they were able to understand it, they would not be described as scholastic theologians. It is to see that all things come Allah Almighty in such a way as to divert him from turning to any intermediary causes. Thus, he sees that no good nor evil comes but from Him Almighty. Of a surety, this is a supreme rank, and putting one's trust (in Allah Almighty) is one of its fruits, as it shall be explained later in the book of putting one's trust (in Allah). From amongst its fruits also, a mention might be made of refraining from making complaints against the people, refraining from becoming angry with them, the satisfaction and admittance of Allah's Decree.

One of its resulting fruits was the statement of Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him", when he grew fatally ill, and they asked him to bring a physician to treat him, thereupon he said: "It is the physician (i.e. Allah Almighty) Who has made me ill." A mention might also be made of his statement in another narration when he was asked about what the physician had told him, thereupon he said: "The Physician (Allah) said to me: "I'm the Doer (without let) of all that I intend."" However, the supporting proofs for that will be mentioned in the books of putting one's trust (in Allah) and the Allah's Oneness.

The theology is like a precious fruit which has two successive husks; and of course, the outer one is farther from the bith than the inner one. But the people restricted the name only to the husk, and its protecting the bith, and thus neglected the bith entirely. The outer husk is to bear testimony with your tongue that "There is no god(to be worshipped) but Allah", and this is called the contra-trinity monotheism, i.e. the trinity declared by the Christians. But this might be uttered also by a hypocrite, whose secrecy contradicts his public. The other husk indicates that there should be no opposition in one's heart to the concept of this statement. On the contrary, one should have faith and trust in it from the outward of his heart; and this is the monotheism observed by the public. However, the theologians are the guardians of this husk, to protect it from the mystification of the innovators of heresies. The third stands for the bith, that is, one should see that all things come from Allah, in such a way as to divert him from turning to any intermediary causes, to worship Him uniquely, and join none with Him in worship.

But following one's own vain desires does not belong to this monotheism, for one who follows his own vain desire has indeed taken his desire as his worshipped Allah, as shown from Allah's statement: "Then do you see such a one as takes as his Allah his own vain desire?" (Al-Jathiyah 23)

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾

(It is narrated by At-Tabarani on the authority of Abu Umamah that) the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "The most hateful Allah to be worshipped on earth, in the Sight of Allah Almighty, is one's own vain desire."

In reality, on consideration, one knows that he who worships an idol does not, in fact, worship the idol so much as he worships his own vain desire, for he is inclined to the tenets of his fathers, thereupon he lags behind his inclination. The soul's inclination to what is familiar is described as one's vein desire.

It is not a part of this monotheism to grow angry with or have feeling of resentment towards the creatures, for how could one who sees (and faithfully is satisfied with the fact) that all things come from Allah Almighty have this feeling of resentment towards anyone else?

Theology had this high rank, and it is the rank of the truly faithful believers. See to what extent it has been shifted, and with which husk the people have been satisfied, and how they have sought refuge with mutual praise and boasting of those things whose names have a praiseworthy reputation, while being utterly bankrupt in the meaning and signification for which these names stand, and for which they are praiseworthy. Their bankruptcy is similar to that of a man who gets up early in the morning, turns his face towards the Qiblah and says: "For me, I have set my face, firmly and truly, towards Him Who created the heavens and the earth, and never shall I give partners to Allah." (Al-An'am 79)

﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

This is the first lie therewith he commits against his Lord everyday, unless he should turn to Allah Almighty with the depth of his heart. But if he means only the apparent meaning of the word face, then, he turns his face only towards the Ka'bah, away from the other directions. By no means could the Ka'bah be the direction of Him Who has created both the heavens and the earth, in order to say that the one who turns his face towards it has indeed turned his face towards That Creator "High He be above any limitation of directions or climes".

On the other hand, if he means by it his heart, as it should be which acts as the instrument of worship, how could his words be true since his heart is bent upon his worldly desires and needs, and engaged in devising tricks therewith to collect wealth and authority and to guarantee worldly means in abundance, towards which he is directing the attention of all his being? When then did he turn his face to the Creator of the heavens and the earth? The following statement sums up the whole matter of monotheism: the monotheist is he who sees nothing but Allah the One and Only, and turns his face only to Him. This complies with the statement of Allah when He says: "Say: "Allah (sent it down)": then leave them to plunge in vain discourse and trifling." (Al-An'am 91)

﴿ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾

What is intended here is not verbal profession, since the tongue is like an interpreter who tells the truth at one time and lies at another. What Allah

Almighty regards is (not the interpreter (i.e. the tongue)) but that for which the tongue is the interpreter, i.e. the heart which is the source of religion and the place wherefrom it springs.

The fourth term stands for Dhikr and Tadhkir (celebration of Allah and giving admonition). In this respect, Allah Almighty says: " But give admonition (by teaching your Message): for admonition benefits the Believers." (Adh-Dhariyat 55)

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

There are a lot of traditions in which the assemblies of celebration are praised. (It is narrated by Tirmidhi on the authority of Anas that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "When you come upon the gardens of Paradise, you should stop and enjoy yourselves." They asked: "What are the Gardens of Paradise?" he said: "They are the assemblies of celebration (of Allah's Praises)."

(It is narrated on the authority of Abu Hurairah that) the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Verily, Allah Almighty has roving angels, other than those who undertake the guardianship of men, who roam the earth looking for assemblies of celebration (of Allah's Praises). On seeing an assembly of celebration, they beckon to one another saying: 'Come unto your desired objective!' Then the rover angels gather around these assemblies and hear: 'Behold! Celebrate (the Praises of) Allah, and take admonition!'"

This has been changed to such practice as you see now the most part of preachers keep on in the form of story telling, recital of poems, euphoric utterances and heresies.

As for story telling, it is an innovation (of something which has no reference in the Islamic tradition) and it was forbidden by the pious ancestors to sit in a gathering of a storyteller, on the claim that this was not customary during the lifetime of the Messenger of Allah "Peace be upon him" (according to the narration of Ibn Majah), nor was it during the lifetime of Abu Bakr, nor Umar until the affliction broke up, and the storytellers appeared in its accompaniment. It is narrated that once Ibn Umar came out of the mosque and said: "Nothing has led me to come out of the mosque other than the storyteller, and but for him, I would have not come out."

It is narrated that Damrah said to Sufyan Ath-Thawri: "Should we face the storyteller?" he said: "Turn your backs to those of innovations (which have no reference in Allah's Book or the Prophetic sunnah)." Ibn Awn said: I visited Ibn Sirin who asked me: "What is the fresh news today?" he said: "The governor forbade the storyteller to tell stories." On that Ibn Sirin said: "He has been guided by Allah to the right way."

Once, Al-A'mash entered the mosque of Basrah, and found a storyteller sitting and he was involved in telling his narrations, saying: It is related to us by Al-A'mash...", thereupon he sat in the middle of the ring-shaped gathering and went on depilating the hair of his armpit. The storyteller said to him: "O grand sheikh!

Are you not ashamed of doing that?" he said: "Why? I'm doing something which belongs to the sunnah, whereas you are telling a lie. I'm Al-A'mash, and I've never related to you anything."

According to Ahmad, those who tell lies most are the storyteller and the beggar." It is further narrated that Ali "Allah be pleased with him" drove out a storyteller from the mosque of Basrah, and when he heard the speech of Al-Hassan Al-Basri, he dismissed him not, since he was talking about the knowledge of the way to the hereafter, reminding the people of death, drawing the attentions to the defects of souls, the shortcomings of deeds, the whispered thoughts therewith Satan tempts man, and the ways of taking care of that, giving reminder of Allah's Favours and Blessings, the servant's indulgence in his gratitude, showing the inferiority, defects, impending end, and deceitfulness of this world, and the dangers and the terrors of the hereafter.

This is the kind of giving admonition held praiseworthy by law, and it is narrated that it should be encouraged according to the tradition of Abu Dharr "Allah be pleased with him" according to which (the Prophet) said: "To attend a gathering of celebration and giving admonition is much better than to pray one thousand rak'ahs, and to attend a gathering of knowledge is much better than to visit one thousand ill persons (to enquire about their health), and to attend an assembly of knowledge is much better than to follow one thousand funeral processions." It was said: "O Messenger of Allah! And even much better than to recite the Qur'an?" on that he said: "Should the recitation of Qur'an be of benefit without knowledge?" Ata' said: "A single session of knowledge prevails over seventy gatherings of entertainment."

But, it is sorry to say that those of the deceptive flowery discourse have taken these traditions as good reason for themselves and have adapted the name giving admonition (Tadhkir) to their fables. In this way, they have forgotten the right path of praiseworthy celebration (Dhikr) and rather have been engaged in relating tales which are vulnerable to variations, additions and omissions, and which deviate from and go beyond the stories implied in the Qur'an. Some tales are beneficial to hear while others are harmful in spite of their being true. Whoever would betake himself to this practice would not be able to distinguish truth from lies and what is good from what is harmful. From this point of view, it was forbidden.

For this reason Ahmad Ibn Hanbal "Allah be pleased with him" said: "Much is the need of people for a truthful storyteller!" If the story is one of the stories of the prophets "Peace be upon them", pertaining to the affairs of their religion, and the storyteller is truthful and reliable in his narration, I see no harm in it. But people should safeguard themselves against lies and against those stories which point to trivial faults and compromises which the public fail to understand or realize that they are nothing but rare and slight faults being followed by atonements and rectified by good deeds supposed to cover them up. A layman is apt to take refuge to such reasoning In order to justify his compromises and find for himself an excuse, protesting that such and such has been narrated on the

authority of such and such of masters or prominent men, adding that 'as long as all of us are vulnerable to committing sins, it is no wonder if I disobey Allah (and why not) since a greater person than me has done the same.' This also causes him to be more daring to disobey Allah.

On the contrary, if one should safeguard himself against these two dangers, there would be no harm in it, for it would return to the praiseworthy stories implied in the Qur'an and to the authentic stories of tradition.

There are from amongst the people, those who take the liberty of fabricating stories which exhort men to do what leads them to be more obedient (to Allah Almighty), with the claim that they intend thereby nothing but to call men to the truth. But even, this is one of Satan's temptations, and it is telling the truth that therewith fabrication could be avoided. Moreover, there is in what Allah and His Apostle said enough to dispense with fabrication in preaching. How (should it not be so) since the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" disliked the pretentiousness or rhymed prose which he regarded as pedantic. It is narrated that Sa'd Ibn Abu Waqqas said to Umar, his son, who came to seek something from him, on hearing him uttering rhymed speech: "It is that (rhymed speech) that causes me to hate you. I will never fulfill your need until you give up that."

It is narrated by that the Messenger of Allah "Peace be upon him" said to Abdullah Ibn Rawahah about a three-statement rhyme he composed: "I beware you of composing rhymed speech O Ibn Rawahah!" it seems as if what is beyond two rhymed statements should belong to the banned and pedantic rhyme. For this reason, (according to the narration of Muslim on the authority of Al-Mughirah) when the man said about the blood-money of the fetus: "Should we give the blood-money for him who has got no drink nor food, nor has cried nor wept (once he was born so that it would be known that he was alive before he died): of a surety, this is like a nonentity" the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "(Do you say) rhymed speech like the rhymed speech of the desert Arabs?"

As to poetry, it is blameworthy to use it so much in preachings, depending upon Allah's saying: " And the Poets, it is those straying in Evil, who follow them; See you not that they wander distractedly in every valley? And that they say what they practise not? "(The Poets 224:226)

﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝ ﴾

He Almighty further says: " We have not instructed the (Prophet) in Poetry, nor is it meet for him: this is no less than a Message and a Qur'an making things clear" (Ya Sin 69)

﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝ ﴾

The kind of poetry that is most customary to preachers is that which belongs to the description of affection, the pretty of the object of adoration (more often the woman), the spirit of connection, and the severe pain of departure, in gatherings, whose members are mostly of the crude among the common folk

whose insides are saturated with lust and their hearts never refrain from turning to fair faces. This kind of poetry inspires nothing in their hearts but that which their hearts already conceal, and enkindles therein the flames of lust. Henceforth they begin to shriek and make a show of their love. Most of this, if not all, results from a certain kind of corruption. For this reason, nothing of poetry should be used except that which implies moral instruction, by way of quotation or giving examples. It is narrated (by Al-Bukhari on the authority of Ubai Ibn Ka'b) that the Messenger of Allah said: "From amongst the (verses of) poetry, there are ones that imply wisdom."

But, if the assembly contains only such of the elite as are known to have their hearts absorbed in the love of Allah Almighty, no harm will be caused to those by such of poetry as whose outward indicates to the description of the creatures, since the listener perceives all that which he hears in accordance with what prevails in his heart, as it will be explained in more detail later in the book of audition.

For this reason, Al-Junaid "might Allah bestow mercy upon him" used to address with his speech an assembly of only some over ten person and if they were more, he would not speak; and by no way did the members of his assembly reach the number of twenty. Once, a group of people gathered near the door of the house of Ibn Salim and it was said to him: "Deliver your speech, since your companions came (to listen to you)." He said: "No, those are not my companions. They are the companions of the assembly. It is only the elite who constitute my real companions."

We mean by the ecstatic utterances two kinds of speech innovated by some Sufists:

One comprises the long and broad claims of adoration and love with Allah Almighty, and the connection which renders outward deeds insignificant until some have affirmed oneness with Allah, the removal of the veil, vision of Him with the eye, and direct communication through speech. They say that they were told such and such and that they said such and such, in imitation of Al-Hussain Ibn Mansur Al-Hallaj who was crucified for uttering words of this type, and quote as an example his saying: "I AM THE TRUTH." It is also narrated that Abu Yazid Al-Bastami said: "Glory be to me! Glory be to me!" This is, in fact, a type of speech which is extremely harmful to the common folk, so much that many farmers have gave up their farms and proclaimed the same claims. Furthermore, this speech is attractive to human nature for it relieves it from work and gives superiority to it through the attainment of those stations and the experience of those states. henceforth, the ignorant do not fail to claim these things for themselves nor to swallow up such confused and flowery words.

No matter rejected their claims might be, they do not hesitate to say that such rejection has been the outcome of knowledge and disputation, the knowledge is a veil and the disputation is the deed of the soul, while their words are not understood except from within through disclosure of the light of the Truth. These and similar words have spread like fire in the land and their harm to the common folk has become grievous. To destroy the person who comes out with

such words is, according to the religion of Allah, better than to spare ten lives.

As to Abu Yazid Al-Bastami, such words as have been ascribed to him cannot be true. Even if he were heard saying them, most probably he must have been repeating to himself words about Allah; and it is the same as if he was heard quoting the words of Allah: "Verily, I am Allah: there is no god but Me: therefore worship Me." These words should not have been taken within any context different from that of quotation.

The other type of ecstatic utterances is of ambiguous words, with pleasing aspects and awesome phrases, even though they are pointless. They may be of two kinds: The first and the more common comprises words which are not understandable to their speaker who utters them because of the perplexity in his own mind and the confusion in his imagination resulting from his ignorance of the exact meaning of words which he hears. The other implies words which may be understandable to their speaker even though he is unable to convey them to others through exact language which can express his thoughts in view of his inexperience in science and his lack of instruction in rhetoric,. Such words are of no use other than to confuse the heart, amaze the mind, and perplex the understanding. They are also apt to convey a meaning other than that for which they are intended so that anyone may find in them a meaning which is different in accordance with his own nature and desire.

In this context, it is narrated (by Abu Na'im on the authority of Ibn Abbas) that the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "No one of you talks to a people with words they understand not but that those would be a cause of putting them to trial." It is further narrated (by Al-Bukhari ending the chain of transmission up to Ali, and Ad-Dailami tracing it up to) the Messenger of Allah "Peace be upon him" that he said: "Communicate the people with what they recognize, and leave what they reject: do you like that they would give lie to Allah and His Messenger?"

This applies to such of words as are understandable to their author, even though incomprehensible to the minds of the listeners: what then about such of words as are not understandable to the speaker himself, putting in mind that it is forbidden to talk with words which are understandable to the author, and are not so to the listener? In this respect, it is narrated that Jesus "Peace be upon him" said: "Place not the wisdom with men who are not fitting for it, lest you would commit injustice against it, nor withhold it from those who are fitting for it, lest you would wrong them. Be like the skillful physician who applies his medicine just to the location of the disease." In other words: "He, who places wisdom with those who are not fitting for it has indeed proved ignorant, and he, who withholds it from those who are fitting for it has indeed committed injustice. Of a surety, wisdom has a right, and it has men who are fitting for it: so, give each his own right."

As for heresies, it implies something unique to it, besides what has been mentioned under the ecstatic utterances. It is to shift the words of law from their concrete aspects to esoteric things, which are of no benefit to the minds, such as

the Batinite method of interpretation which is unlawful and of great harm; because when words are made to connote other than their concrete meanings, with no authority of the Prophetic traditions nor necessity required by reason, there will be no faith in words nor benefit in the statements of Allah and His Apostle. Almost there can be no trust in what is understood therefrom since its esoteric meaning cannot be subject to certain definition; rather it is vulnerable to different opinions, and it is open to many interpretations. This too belongs to those widespread innovations whose harm is very grievous. The innovators of those heresies have sought nothing but the extraordinary because the human nature is inclined to take pleasure from what is unusual.

In this way, those of Batinah doctrine were able to destroy all the principles of law, when they interpreted it and perverted its exoteric meaning to comply with their concept, as we related about them in our book Mustazhar which is composed in reply to the tenets of Batinah. An example of the way of interpretation adopted by those of heresies could be found in that given by one of them in comment on Allah's statement: "Go you to Pharaoh, for he has indeed transgressed all bounds." (Ta Ha 24)

﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾

He said: "This refers to his heart, i.e. the heart which transgresses all bounds over the man."

The same is given to Allah's statement to Moses: "And put down your rod!" (Al-Qasas 31)

﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴿٣١﴾ ﴾

I.e. that it refers to all things upon which one could depend or rely, other than Allah Almighty, and which he should put down. A mention might also be made of the statement of the Messenger of Allah "Peace be upon him": "You should have your Suhur (night meal which a fasting person has a short while before dawn), since there is blessing in Suhur." They said that he intended thereby the matter of asking for Allah's Forgiveness at the last portion of the night (just before dawn). There are similar interpretations, therewith they intend to pervert the whole of the Qur'an from its exoteric significance, as well as from its interpretation transmitted from Ibn Abbas and the good learned men endued with knowledge in this field.

To be sure, some of those interpretations are certainly invalid, such as the notion of Pharaoh as the heart; and that's because Pharaoh is a concrete person, and we are sure of his existence, as well as of Moses's call to him, from the narrations that have come down to us, the same as Abu Jahl (Father of Ignorance) and Abu Lahab (Father of Flames), and others who belong to the infidels, and by no means do he belong to devils or angels, or to anything which could not be determined by sense, so that the words should be interpreted differently (far from their real meanings). The same is true of construing Suhur as asking for Allah's Forgiveness at the last portion of the night, for the Messenger

of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to have his night meal and say to his companions (by way of exhortation): "Have your night meals, or come to have the blessed early meal!" of a surety, the invalidity of these ways (of interpretation) is evident, either through the transmitted tradition, or by sense, the same as those which are beyond sense. All of that is unlawful, and leads the people to go astray and become victims of corruption in their religion.

Furthermore, nothing of that was transmitted from the holy companions, nor from their followers, nor from Al-Hassan Al-Basri, even though he was extremely involved in calling the people (to the religion of Allah) and admonishing them. Thus, no connotation was given to the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "He, who interprets (the Qur'an) just depending upon his own opinion, let him occupy his seat in the fire of Hell" other than this meaning, i.e. that one's purpose is to state a certain matter and in order to confirm his opinion, he quotes some Qur'anic texts, which he gives connotations in conformity with his opinion, even though with no supporting evidence from the tradition or language.

Nevertheless, it should not be understood that the Holy Qur'an should not be open to interpretation with the help of intelligence and reason: there are narrations from the Holy Companions and commentators that they given as much as five, six or even seven interpretations of one Holy Verse, and we know that not all were heard from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", for some of them might be contradictory, and far from reconciliation; but they all were construed with the help of good reasoning and deep thinking. For this reason, it is narrated that the Messenger of Allah "Peace be upon him" said to Ibn Abbas (by way of invoking good upon him): "O Allah! Give him the power of understanding of religion and instruct him in the interpretation (of the Qur'an)."

However, such of the innovators of heresies as takes the liberty of giving these interpretations, knowing that they are not literally meant by the words, with the allegation that his intention is to call the people to (the Presence of) the Creator is similar to him, who takes the liberty of fabricating lies and attributing them to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", to confirm what seems to be true in itself, even though there has no reference in the law, just as the one who brings about a Prophetic tradition for any case he thinks to be true. This is, by all means, a clear transgression, mischief, whose doer incurs upon himself the threat understood from the statement of the Messenger of Allah "Peace be upon him" (on the authority of Abu Hurairah, Ali and Anas): "He, who attributes lies to me, let him occupy his seat in the fire (of Hell)." Perverting the concepts of those words is of greater and more grievous evil, since it makes them unreliable, and not beneficial in understanding the text of the Holy Qur'an.

Now you have come to know how Satan diverted the people from the praiseworthy sciences to the blameworthy ones, as a result of the confusion caused by the teachers of falsehood with their changing the names of sciences. If you follow those only depending upon the prevalence of the signification of the

name, without turning to that which it signified during the first age (of the companions), you will be then like him, who seeks honour through wisdom, by following the so-called a wise man, for the name of wisdom has come those days to be ascribed to the physician, the poet, and the astrologer, in view of the lack of care for the change of the names of sciences.

The fifth term stands for wisdom. The term wise now has come to be ascribed to the physician, the poet, the astrologer, and even the one who reads fortunes for the peasants who squat on street corners. It is wisdom which Allah Almighty appreciates when He says: "He grants wisdom to whom He pleases; and he to whom wisdom is granted receives indeed a benefit overflowing; but none will grasp the Message but men of understanding." (Al-Baqarah 269)

﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾

It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's Peace be upon him" said: "A word of wisdom man learns is much better than all of this world and what it contains."

Consider the signification of wisdom in the past, and how it has been altered, and make a comparison thereby with the other terms, and avoid being deceived by the confusions caused by the bad learned men, whose evil against religion is much more grievous than that of devils, for it is by means of them that Satan gradually removes the faith from the hearts of people.

For this reason, when the Messenger of Allah "Peace be upon him" was asked about the worst of people, he gave no answer and rather said: "O Allah! I ask for Your Forgiveness!;"; and when he was asked once again he said: "They are the bad learned men."

You now have come to know the difference between the praiseworthy and the blameworthy science, and the source of confusion pertaining to them; and it is up to you to choose for yourself, and consider either to copy the guidance of the ancestors, or hang down with the rope of conceit, and imitate the modernists. That's for all sciences which the ancestors adopted vanished, and the most part of those in which the modernists were involved has been newly innovated (and have no reference in the Qur'an and the sunnah); and this confirms the truth of the statement of the Messenger of Allah "Peace be upon him" (according to the narration of Muslim on the authority of Abu Hurairah): "Islam has begun as a strange religion, and it will return to become strange as it has begun: blessed be the strangers!" it was said: "Who are those strangers?" he said: "They are those who amend such of (acts of) my sunnah as the people would corrupt, and give life to such (acts of) my sunnah as the people would cause to die" or, according to another narration "They are those who constantly stick to that which you adopt those days." He said in another narration (by Ahmad on the authority of Abdullah Ibn Amr): "The strangers are a very small group of good righteous people, who live among a multitude of (evil) people, Whose haters among the people are greater in number than their lovers."

Those sciences have become strange to the extent that the people have aversion towards him who is engaged in them. For this reason, Ath-Thawri said: "If you see a learned man having more friends, you should know that he makes confusions, for if he says the truth, they will dislike him."

The Commendable Amount Of Praiseworthy Sciences

It should be known that sciences, in this consideration, are of three parts: one which is blameworthy, in whole or part, one which is praiseworthy, in whole or part; and the more one acquires of it the better he will be, and the third is praiseworthy as much as one learns of it what is sufficient, and what is beyond sufficiency is blameworthy, and it is undesirable to go thoroughly into its deep and minute details. It is best exemplified by the states of the human body: both health and beauty are praiseworthy, whether in little or much; both ugliness and bad manners are blameworthy whether in little or much; and there are other things, in which observing moderation is praiseworthy, such as spending money, for indeed, extravagance is not praiseworthy, even though it belongs to spending, and courage, in which recklessness is not praiseworthy even though it belongs to bravery; and the same is true of knowledge.

The blameworthy part of it, whether in little or much, is that which is of no use, in the religion or the world, since its resulting harm prevails its benefit, like the science of magic and talismans, and astrology: there is no benefit in all of that, and to spend one's life, which is the most valuable property he has, in learning it is to waste what is valuable, and to be sure, wasting what is valuable is blameworthy. The harm of some of those sciences are greater than the good thought to do in life. But even, whatever this good might be, in no way could be compared with the resulting harm.

Such of sciences as whose learning is praiseworthy, to the utmost perfection is the knowledge of Allah Almighty, His Attributes and Acts, His ordinance of creation, and His Wisdom of giving superiority to the hereafter over this world. This knowledge is required for itself, as well as to attain the felicity of the hereafter through it. To exert oneself even to the utmost of his effort runs short of what is required because it is like the sea whose depth cannot be sounded and whose shores and edges could be approached only as much as has been made easy for them; and no one has navigated its ends except the prophets, the saints, and those who are well-established in the knowledge of Allah, each according to his rank and power and Allah's preordainment for him. This is the well-guarded knowledge which is recorded in books but whose acquisition may be at first achieved by learning and considering the states of the learned man in the science of the (way to the) hereafter whose characteristics we shall discuss later. This is done at first, and then It increases through self-mortification, discipline, purifying the heart and freeing it from the affairs of this world, and emulating the prophets and the saints so that it may be revealed to every seeker (of knowledge) in accordance with his labour, even though the exertion of effort to one's best in it is indispensable for self-mortification is the sole key to guidance, other than

which there is no key to it.

As for sciences, who are praiseworthy to a certain extent, they are those mentioned in the chapter of the collective duties: each of those sciences has three stages (of learning): the first is the exclusive learning, which is the least amount, the second is the moderate learning, which is the intermediate, and the third is the thorough learning and it is beyond that moderation which goes on during one's entire lifetime. Be then one of two men: either to be occupied by educating yourself, or devoted to educating the others, after finishing from educating yourself, and beware of devoting yourself to reforming the others before reforming yourself. If you choose to be occupied by educating yourself, do not be concerned but with learning such of sciences as is incumbent upon you, in accordance with your required need, pertaining to the outward deeds, such as learning the principles of prayer, purification and fasting.

Nevertheless, the most important of sciences, which almost all the people have neglected is the knowledge of the praiseworthy and blameworthy attributes of the heart, since no human being is free from such blameworthy attributes as miserliness, envy, arrogance, haughtiness, showing off, and the like of them; and all of those are among the destructives, and refraining from them is obligatory. Performing those outward deeds is just like the external application of liniment to the body when it is afflicted with scabies and boils in spite of indulgence in removing the pus by surgery or purge. False scholars recommend outward deeds just as fake physicians prescribe external ointments for potent internal diseases. The learned men of the hereafter recommend nothing but the purification of the inward and the removal of the sources of evil by cutting off their nursery-beds and uprooting them from the heart. It is only because of the easy character of the deeds of the senses and the difficulty of the deeds of the heart that most people have neglected the purification of their hearts and devoted themselves to the outward deeds, just as the one who takes refuge to the external application of ointments when he finds it unpleasant to drink a bitter medicine, and go on application of ointment, persistently increases the ingredients, therewith his ailments multiply.

If you are longing for the hereafter, seeking salvation and flight from eternal damnation, pursue the science of inward diseases and their remedies, as we have described it in the Quarter on the Destructives of Life, which will lead you to the praiseworthy stations mentioned in the Quarter on the saviors of Life; and that's because once the heart is cleansed from what is blameworthy, it is filled with that which is praiseworthy just as the soil where all kinds of plants and flowers would grow as soon as the grass is weeded out, and unless it is removed no plants nor flowers would grow.

On the other hand, do not pursue those sciences whose learning is a collective duty particularly when they have already been undertaken by others. He who would spend himself in pursuing what would reform others (before he reforms himself) is a weak-minded: how foolish is the man underneath whose clothes snakes and scorpions have crept and have been about to kill him, even though he

is engaged in looking for a whisk therewith to drive flies away from the other people, a task which will neither spare nor save him from what he is going to suffer from the attacks of those snakes and scorpions.

But, if you have finished from purifying yourself and have been able to abstain from outward and inward sin in such a way that purity of the heart and abstinence from sin have become to you a religion and a habitual practice, and how far it is,, then you may pursue those sciences whose learning is a collective duty. You should observe gradual progress therein: begin with the Book of Allah, then the sunnah of His Apostle, then the science of interpretation and the other sciences of the Qur'an such as that of the abrogating and the abrogated, the related and the unrelated, and the difference between what is basic or fundamental (of established meaning)and what is of ambiguous meaning.

The same should be applicable to the study of the sunnah after which you may proceed to the study of applied jurisprudence which is the elaboration of the positive law within jurisprudence. You may proceed to the sources of jurisprudence and to the other sciences as much as is within the limits of the span of life and time allowance. Do not spend the whole of your life in one of these sciences seeking the thoroughness of embracing, because the branches of knowledge are various and numerous and life is short. Furthermore these sciences are only introductory means sought not for themselves but for the sake of something else; and in everything which is sought as a means for attaining another, the end should not be forgotten nor should the sight be restricted from it.

Limit yourself, in the study of vernacular speech, to that which would enable you to understand and speak the Arab tongue, and in the study of the strange words, to those occurrences of the Qur'an and Hadith, and avoid going into them deeply. As to syntax, confine your effort to what is related to the Qur'an and the sunnah, since every science has three stages of learning: the exclusive learning, the moderate learning, and the thorough learning.

We are going to describe those three stages of learning, in the Hadith, interpretation, jurisprudence and theology, just as exemplary standard of measuring the others. The exclusive learning of interpretation is twice the size of the Qur'anic text as the Wajiz (the Brief) composed by Ali Al-Wahidi An-Naisaburi; and the moderate learning is three times the size of the Qur'anic text, as the Wasit (the Intermediate) which he composed therein; and what is beyond that belongs to the dispensable thorough learning, which might go on during one's entire lifetime.

As to the exclusive learning of Hadith, it is sufficient to have mastery of what the two Sahihs contain, through a version that is well-revised and edited by a man who is well-versed in the science of the texts of Hadith. It is not necessary for you to retain the names of the men (of the chains of transmission), since you have been sufficed this burden by those who preceded you, and you might depend upon their books in this respect.

Furthermore, you are not required to memorize the texts of both Sahihs, but it is sufficient for you to retain out of them what enables you to get what you are in need of when it is raised. The intermediate learning thereof is to add to them what is beyond them in the authentic Musnads. The thorough learning comprises all that is beyond that, to imply all the transmitted traditions, including the weak and the strong, the authentic and the defective, and the knowledge of the various ways of transmission, and the names, states and attributes of their different men.

As for jurisprudence, the exclusive learning is to grasp the contents of Al-Mukhtasar (the Concise) composed by Al-Muzani "Might Allah bestow mercy upon him", which we have rearranged in the book of Khulasat Al-Mukhtasar (the Elite of the Concise); and the moderate learning is as long as three times, and this amount is equal to the material implied in the book of Al-Wasit Min Al-Madhhab (the Intermediate in Jurisprudence); and the thorough learning is equal in amount to the material implied in Al-Basit (the Simple), and the likewise lengthy compositions.

As far as theology is concerned, it is solely intended to protect the tenets transmitted by the men of sunnah, from amongst the good righteous ancestors, and no more; and what is beyond that is an attempt to discover the realities of things improperly. The real objective of learning the sunnah is to grasp only the exclusive degree of acquisition, through a limited creed, which is similar to the material we've brought in the book of the Principles of Beliefs implied in this book (of Revival); and the moderate learning is as much as one hundred papers, which is similar to what is implied in the book of Al-Iqtisad Fi Al-I'tiqad (the Moderate in Belief), and it is needed for in order that one should be able to argue against an innovator of heresy, in opposition to his heretical doctrine, and undermine it and remove it from the heart of the ordinary man, even though it is of no use unless it is done with the public folk before they get extremely zealous, and that's because the speech could hardly be of good use with such innovator (of heresies), especially when he has learnt even to a limited degree the art of argumentation; and if you even are able to silence him in argument, he will not abandon his doctrine, and will rather protest with his failure, affirming that somebody else might meet your argument, of which he is incapable, since you put him to confusion by the power of your argumentation. But if an ordinary man is diverted from the truth with an argument, he might be brought back to it once again with opposing argument, especially when his fanaticism in those errors is still not far gone. But if their fanaticism grows deep-rooted, there will be loss of hope for bringing them back to the truth, since fanaticism is a primal cause of affirming the beliefs in the minds of men; and this is one of the defects of the evil men of knowledge, who exceed the due bounds in their fanaticism for what they think to be the truth, and look, with the eye of scorn, down upon the nonconformists. This drives the nonconformists to have ill feeling towards them, encourages them to seek the support of falsehood, and makes them more determined to adhere to their position. But if these fanatics would

approach their opponents privately in a spirit of kindness, sympathy, and advice rather than attack them publicly in the spirit of bigotry and acrimony, they might succeed in their effort. But as long as prestige requires a following and nothing attracts a following better than bigotry, cursing and slandering opponents, they have adopted fanaticism as their rule of conduct and their method of approach, and call it a defence of religion and a protection for the Muslims, even though it leads to nothing but the destruction of all people and the well-establishment of innovated heresies in their minds.

As for these controversies that have broken up in these recent times and on which great works of compositions and argumentations have been written, the like of which have neither been seen nor heard by the Fathers, you should beware of approaching them, and avoid them as you avoid deadly poison for they are like a strong disease. It was these controversies which have driven all jurisprudents to seek after rivalry and boasting which will be discussed later with more detail of their dangers and evils. But it might be said: "No doubt, the people are enemies of that of which they are ignorant." Nevertheless, do not believe in that, for indeed, You have found the one who is well-acquainted: accept this advice from one who has wasted his life in those (controversies) and went beyond the ancestors in composition, investigation, argumentation, and exposition until Allah inspired him with His righteousness and disclosed to him the flaws therein. Henceforth, he abandoned controversies and devoted his attention to himself. Do not be deceived by these who say that giving religious verdicts is the pillar of law, even though they have no knowledge of its principles except through the art of argumentation, while the principles of religion are contained in the books of religion and any additions are nothing but wranglings which neither the ancestors nor the Companions, who had greater versatility than any others in the principles of religious verdicts, had known. These wranglings are not only of no use for the science of religion, but also they cause harm and corruption to one's taste and judgement in jurisprudence.

What is proved true by the judgement of him who is endued with the authority of giving religious verdicts, in case his judgement and taste in jurisprudence are right, could hardly comply with the conditions of argumentation. That is because he who is absorbed, by nature, in syllogisms of controversy becomes subject to the requirements of argumentation, rather than to the good taste of jurisprudence. None is engaged in it barring him, who seeks only after prestige and majesty, pretending that he seeks after the science of religion, even though his life might be consumed, without exerting the slightest effort to acquire the science of religion. So, you should feel secure of the devils of jinns, for indeed, the devils of men have relieved those of jinns of trouble of tempting and misleading the people. In brief, it is satisfactory to those of good and sound minds that you should regard yourself as if you are alone in the universe, in the Presence of Allah Almighty, expecting for death, demonstration (after resurrection), reckoning, the Garden and the fire (of Hell), hoping only for what concerns you from that which is before you, and wipe off yourself anything

else (which concerns you not): and peace be upon you.

It is narrated that one of the sheikhs saw in his dream a learned man, whom he asked: "What about those sciences, in which you used to be involved in argumentation and debate?" he stretched his hand and blew in it and said: "All of them have vanished like the dust scattered about in the air, and I have not get benefit but from two rak'ahs I've performed (with sincere intention) in the middle of the night." According to a certain narration (by At-Tirmidhi on the authority of Abu Umamah), "No people have been misled and given to error after their guidance but that they were perched in disputation." Then he recited: " This they set forth to you, only by way of disputation: yea, they are a contentious people." (Az-Zukhruf 58)

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

According to another narration, in comment on Allah's statement: "But those in whose hearts is perversity follow the part thereof that is allegorical" (Al Imran 7)

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴿٧﴾ ﴾

"Those are the men of disputation, whom Allah Almighty means by His statement: "So, beware of them!" it is said by one from amongst the good ancestors: "Towards the end of this time, there will appear the one in whose face the gate of deeds will be closed, and to whom the gate of disputation will be opened." According to another tradition, "You are now in a time, in which you've been inspired to do deeds, and a people will come (after you), who will be inspired (to be involved in) disputation instead." According to the famous narration (on the authority of A'ishah): "The one who is the most hateful among the people in the Sight of Allah Almighty is the contentious quarrelsome." It is further narrated that "No people have been given to logic and argumentation but that their deeds will be suffered to be lost." And Allah Almighty knows best.

CHAPTER FOUR: ON THE CAUSE OF PEOPLE'S INTEREST IN POLEMICS; THE DEFECTS OF ARGUMENTATION AND DISPUTATION; AND THE CONDITIONS OF RENDERING THEM PERMISSIBLE

It should be known that after the death of the Messenger of Allah "Peace be upon him", the office of caliphate was taken by the well-directed, rightly-guided successors, who were good imams endued with knowledge of Allah Almighty, and versatility in His Judgements and Commandments. Furthermore, they were capable of giving religious verdicts in their judgements, and they hardly sought the help of jurisprudents except in rare cases, in connection with which consultation was necessary. So, the learned men were entirely devoted to the knowledge of the (way to the) hereafter, and gave up the matter of religious verdicts, and anything relating to the people's judgements in this world, and rather wholeheartedly and faithfully turned to Allah Almighty, as transmitted from their biographies.

When the office of caliphate was moved to a people, who were not fitting for it, nor had they mastery over the science of religious verdicts and judgements, they were forced by necessity to seek the help and company of jurisprudents in all their states, in order to ask them for religious verdicts and commandments in the course of their ruling. But, from amongst the learned men of the followers, there remained some, whose conduct was a continuation of the first generation, a commitment to the pure religion, and a persistence on the way of the good early men of knowledge: whenever they were sought after, they would flee, and turn away, which led the caliphates to be importunately persistent on asking them to be in charge of the offices of judge and government.

The people of that age saw how such learned men were honourable, and how the rulers and chiefs turned to them, even though they betook themselves away from them. Henceforth, they stretched their necks up and looked forward to seeking after knowledge, in attempt to become honoured and given prestige by the rulers. They were involved in the science of religious verdicts, and offered their services to the rulers, and established relations with them, and asked for offices and gifts from them, with the result that some failed, and others succeeded; and even the successful one among them was not far from the humility of begging and the servility of indebtedness.

In this way, the jurisprudents came to be job seekers after they had been sought for (by the rulers), and they were put to humiliation by their turning to the rulers and governors after they had been honoured by their refraining from them. But an exception was made for those, whom Allah Almighty gave guidance and success, from amongst the learned men of every time, endued with the knowledge of the religion of Allah Almighty.

Therefore, it was the science of religious verdicts to which the people turned most, because the need for it was felt by the different offices and governments. Then, there appeared many chiefs and governors who were inclined to listen to the articles of people pertaining to the principles of beliefs, and their related proofs and evidences. In this way, their desire for argumentation and disputation in theology became well-known, which led the people to be involved in composing so much in theology, in which they set forth the ways of syllogisms of controversy, and pointed out the different methods of contradictions, pretending that their real purpose was to defend Allah's religion, and protect the sunnah (of His Prophet), and curb the innovators (of heresies), just as the jurisprudents who preceded them claimed that they devoted themselves to the legal profession and took upon themselves the affairs of the Muslims just out of pity for Allah's creatures and for the sake of giving them counsel and advice.

Some time later, there appeared many celebrities and rulers, who regarded improper to discourse in theology, and open the gate of argumentation therein, in view of the resulting clear fanaticisms and widespread enmities, which led to bloodshed and destruction of countries. They rather were inclined to the matter of argumentation in jurisprudence, in order to distinguish the more significant

points of the doctrines of both Ash-Shafi'i and Abu Hanifah in particular. In this way, the people left theology and its related science, and pursued the questions of disagreement between both Shafi'i and Abu Hanifah in particular, paying little attention to the points of disagreement between Malik, Sufyan Ath-Thawri and Ahmad Ibn Hanbal, and the others, pretending that their purpose was to figure out and make clear the niceties of law, determine the principles of religion, and set the basis for the foundations of religious verdicts and decisions. They made so many compositions, in which they made clear so much abstruse points, and set forth the different kinds of syllogisms of controversy, and numbered the various works pertaining to that. Nowadays, they continue their doing, and we do not know what Allah Almighty will cause to happen in the future. This is the sole reason which led the people to pursue the controversies and argumentations. And if the lords of this world are inclined to favour another imam, or to a certain science, surely, they would follow it, and they will not cease to pretend that their occupation was the science of religion, with a sole intention to come much closer to (the Presence of Allah the) Cherisher and Sustainer of the worlds.

The Exposition Of THE Confusion In Comparing Of THESE Argumentations With THE CONSULTATIONS OF THE Holy COMPANIONS AND THE Advices OF THE Forefathers.

It should be known that those might drag the people to have trust in the idea that "our real purpose from those argumentations is to seek after the truth, in order that it should become clear, since truth in itself is desired, and any co-operation in the examination of truth and the exchange of views therein is both helpful and influential." This use of consultation (almost in all matters) was customary to the holy companions "Allah be pleased with them", like their consultation in the (inheritance of) the grandfather, the brothers, their consultation in the legal punishment of the drunk, the obligation of an indemnity due upon the ruler in case he committed a mistake, as it is shown from the narration according to which a woman committed abortion for her fear of Umar "Allah be pleased with him", in addition to several cases of obligatory shares of inheritance, and what is narrated by Shafi'i, Ahmad, Muhammad Ibn Al-Hassan, Malik and Abu Yusuf, and the like of them from amongst the learned men of knowledge "Allah's Mercy be upon all of them".

However, this suspicious comparison (between argumentation and consultation) might be clear from what I'm going to mention, i.e. that the co-operation to seek after the truth is out of religion, but it has eight distinctive conditions and signs:

The first: since it is one of the collective duties, the one who does not fulfill all obligatory duties (whose learning is binding upon every Muslim) should not be engaged in it; and he, who is engaged in any of the collective duties, claiming that he is searching for the truth, although fulfilling an obligatory duty is still due upon him is a liar. The example of that is the one who leaves the obligatory prayer, and turns to the trade of weaving and tailoring, pretending that his

purpose is to cover the private parts of him who prays while naked, and has no garment. However, this might happen, and it is possible, just as the occurrence of the rare cases which are the subject of the research of controversies is possible, as pretended by a jurisprudent. Those who are engaged in jurisprudence neglect so many affairs, which unanimously belong to the obligatory duties (whose doing is binding upon every Muslim), Similarly, anyone who has been expected to return a deposit to its owner at once, but, instead of doing so, takes refuge to prayer which is the worthiest of all obligations in the Sight of Allah, disobeys Him because it is not enough to be obedient and one's deed constitutes an act of service unless he observes therein the relevance of time, condition and sequence.

The second: one should not be engaged in argumentation unless he finds no other collective duty waiting for him, of more significance, for he who finds any collective duty awaiting him more significant than argumentation, and even though he is engaged in such (argumentation), disobeys Allah. His example is like the example of him, who sees a group of thirsty people whom the people neglect, who are on the verge of death because of severe thirst, and although he is able to restore them to life by giving them water, he is engaged in learning the profession of cupping, pretending that it is one of the collective duties, and if the country is lacking in it, its inhabitants would be ruined; and even if he is told that there is a group of cuppers in the countries, and they are sufficient in such a way that there is no need for his service, he will argue that this will not exclude it from being one of the collective duties. The case of him who does so, and neglects the event which afflicts this group of thirsty Muslims is like the case of him who is engaged in argumentation, although there are other collective duties, of more significance, which none takes up in the country. As for the science of religious verdicts, it has been undertaken by many, and there is no country, in which there are no collective duties, which have been subject to the negligence of the jurisprudents. The most important of those is medicine: we could hardly find a Muslim physician whose witness pertaining to law might be reliable, and none of the jurisprudents desire for taking it up. The same is true of enjoining what is right and forbidding what is evil: although it is one of the collective duties, one who practices argumentation might see in his gathering of debate silk in the form of garments and carpets, but even, he keeps silent, and rather is involved in debate over a case whose occurrence is rare, and even if it occurs, it will be undertaken by a group of jurisprudents. Nevertheless, he pretends, by doing so, that his real intention is just to come much closer to Allah Almighty by performing one of the collective duties. in this context, it is narrated (by Ibn Majah) on the authority of Anas that it was said: "O Messenger of Allah! When should the matter of enjoining what is right and forbidding what is evil be abandoned?" he "Peace be upon him" said: "When adulation will become widespread among your good men, the lewdness among your evil men, the dominion will move to the youngsters among you, and the jurisprudence to the lowly among you."

The third: when one who practices argumentation does his best depending upon his knowledge to be on the right gives legal opinions and religious

verdicts depending only upon his own knowledge, and not upon the doctrines of such grand pioneering imams as Shafi'i, Abu Hanifah, and the like of them; and when the truth appears to him in accordance with the doctrine of, say, Abu Hanifah, he leaves his own opinion, and what agrees with it from the doctrine of Shafi'i and rather gives his religious verdicts depending upon such of truth as has appeared to him from the doctrine of Abu Hanifah, the same as the holy companions "Allah be pleased with them" and the grand imams used to do.

But as for him who is lacking in the sufficient knowledge and the capacity of giving independent religious verdicts as is the case with all contemporaries, but transmits his opinions on the authority of his imam, it is not fitting for him to reject his doctrine even though he should discover its weakness. Of what benefit to him is debate when his doctrine is well-known and his opinions are apt to comply with it? And whenever a doubtful point confronts him he would be compelled to say that the founder of his doctrine might have an answer as he himself has no capacity to interpret independently the foundations of law. But perhaps, if his discussions are on points which are open to two different opinions, It would be more fitting for him for then he might give his verdict in favour of the one and against the other and become thereby more inclined to one and opposed to the other. Therefore, argumentations are not confined to this kind of cases which are open to two different views or opinions. Most frequently, there is greater inclination to pursue the cases in which the points of controversy have been fully discussed and decided.

The fourth: one should not debate but in a matter which occurs, or at least is frequently expected to occur. However, the holy companions "Allah be pleased with them" did not consult each other but in events, which occurred, or would most frequently occur, like the obligations. The debaters are rarely concerned with criticizing the questions, in connection with which the legal opinions and verdicts arise widespread tribulations: on the contrary, they often pursue the far-reaching and impressive questions, which give rise to more widespread debates and argumentations, whatever the nature of the case might be, leaving the case which might occur at most, claiming that it is a reported or even a rare case, not stunning. How amazing it is to pursue the truth in a certain case, which they leave only for it is reported, and it is such nature which makes it true, or leave claiming that since it is stunning, only a little discussion should be given to it. The main point, as far as the truth is concerned, is to reduce debate and reach conclusions concisely and not flatulently.

The fifth: the debate in seclusion is more favourable to him (the debater) than in the gatherings and at the sight and hearing of the celebrities and rulers. Of a surety, seclusion is more conducive to understanding and its atmosphere is more suitable to clear thinking. Public meetings induces hypocrisy and makes one more eager to defend himself whether he is right or wrong. It is a well-known fact that these public meetings and assemblies are not sought after by their devotees for the sake of Allah. One of them may be alone with his companion for a long

period of time but will not even talk to him because there is no audience to applaud his speech. He may at times propose to make a discussion but gets no response for the same reason. But as soon as someone appears or a group assembles, he tries his utmost to provoke a controversy and then take over the discussion.

The sixth: that such (a debater) should seek after the truth in the same way as he is searching for a lost thing, and it is the same to him, whether the truth appears at his hand, or at the hands of anyone who helps him, regarding his companion as a helpful friend and not as an adversary, and gives thanks to him in case he drives him to the mistake, and shows the truth to him. His example is like the one who follows a certain path in search for his lost thing, and his companion draws his attention to the fact that his lost thing is on another way, which he should follow in order to find it: in this case, he should not criticize him so much as he should appreciate his deed, honour him and rejoice with him. As such were the consultations of the holy companions "Allah be pleased with them", to the extent that a woman interrupted Umar about a certain matter and drew his attention to the truth therein while he was delivering his speech in the presence of the public, which led him to say: "A woman has hit the mark, and a man (Umar) has missed." It is narrated that a man asked Ali "Allah be pleased with him" about something, and he said: "It is such and such." The man said: "No, it is not so O Commander of Believers! It is such and such." On that Ali said: "You've hit the mark while I've missed: and above everyone endued with knowledge, there is one who is Omniscient." It is further narrated that Ibn Mas'ud let Abu Musa Al-Ash'ari see his mistake pertaining to a certain religious verdict, thereupon he said: "Ask me no more (to give you religious verdicts) so long as this learned man (Ibn Mas'ud) is living among you." The occasion of that was that Abu Musa, who was duly the governor of Kufah, was asked about a man who was killed while he was fighting in Allah's Cause, thereupon he gave his religious verdict that he would be admitted to the Garden. Ibn Mas'ud stood and said: "Repeat the same question to the governor, because he might have not understood it (in the first time)." He repeated the same question, and Abu Musa gave the same answer. On that Ibn Mas'ud said: "If he was killed while being sincere and true (to his faith), he would enter the Garden." Abu Musa said: "The truth is what he has said." As such the justice and fairness of a truth seeker should be; and if a mention of that is made now to the slightest jurisprudent he would disapprove of it and render it far, and say: "There is no need to say that he has hit the mark, since this is well-known to everyone." Consider the debaters of your time now: how the colour of the face of anyone of them would grow black (out of grief) if the truth becomes clear on the tongue of his opponent, and how he would disregard it, and exert his utmost effort to refute it, and how he would criticize along his lifetime the one who has silenced him, and would not feel shy of comparing himself with the holy companions "Allah be pleased with them" in the co-operation for showing the truth.

The seventh: he (the debater) should not withhold his helper from moving

from an argument to another, and from a problem to another. As such the debates of the good ancestors were. Furthermore, he should remove from his argument all innovated subtitles of dialectics, whether in favour or against him, like his statement: "It is not binding upon me to mention that" or "this contradicts your first portion of speech, and thus it is unacceptable" (and the like of that). However, returning to the truth cancels out falsehood, and thus it should be said; and you know, for certain, that all the gatherings are spent in debating and defending one's opinion, until when one deduces a principle from pretended causes, it is said to him: "What evidence do you have so your conclusion should be accounted for those causes?" he says: "This is what has appeared to me: if something much clearer and more supporting seems to you, make a mention of it, perchance I would consider it." The opponent insists depending upon the claim that "It has several meanings other than what you've mentioned, and since they are well-known to me, it is not binding upon me to mention them." But the one who has brought about this supporting evidence says: "It is imperative to bring about what you claim." But the opponent insists that it is not binding upon him to mention them. As such the assemblies of argumentation are pursued by such questions, while the poor debater does not know that by his statement "I know it well, and it is not biding upon me to mention it" he tells a lie against law, for if he does not know its meaning which he claims only to demonstrate the failure of his adversary, he will be a wicked liar, who disobeys Allah Almighty, and endangers himself to His Anger with this false claim of his; and if he is true to his claim, he will prove wicked, for concealing what he knows of the matters of law, about which his Muslim brother has asked in order to understand it, and examine its validity, for if he is strong enough, he will return to it (in case it is valid), and if he is weak, his weakness will be shown to him, perchance he will come out of the darkness of ignorance to the light of knowledge. To be sure, there is no difference that it is obligatory upon a person to disclose such of matters pertaining to the religious sciences as he knows whenever he is asked about them. Thus, the meaning of his statement "It is not binding upon me to mention that" is that it is not obligatory upon me to do so within the framework of dialectics which we've innovated, according to man's curiosity and desire for deception and battling with speech. That is because it is obligatory by law, and if he refuses to mention it is either a liar or a wicked. Reflect the consultations of the holy companions "Allah be pleased with them" and the negotiations held by the good righteous ancestors: have you heard of anything in them which is similar to this type of dialectics? Have anyone of them been withheld from moving from an argument to another, from making an analogy to relating a tradition, or from citing a narration to quoting a Qur'anic Verse? On the contrary, all of their argumentations were of this type in which they used to mention such of things and matters as occurred in their minds, just in the same way and sequence they occurred, and they used to consider them all.

The eighth: one should debate only with such men as endued with knowledge, from whom benefit is expected. They frequently are eager to avoid

debating with the intellectual giants and those who are well-established in knowledge, for fear that the truth might appear at their tongues, and they rather desire for debating with those who are inferior to them in knowledge, hoping for confounding them with falsehood.

Beyond those eight conditions (which render the debate permissible), there are so many others, but those eight mentioned above are sufficient for leading you to distinguish those who debate for the Sake of Allah, and those who otherwise debate. In short, it should be known that whoever does not debate with Satan, even though he is preoccupied by him, since he is his most virulent adversary, who still calls him to go astray, and rather is engaged in debating with another one else over the questions, in which the one who does his best depending upon his knowledge to attain the truth either is right or at least shares the reward with him who is right, is, by all means, Satan's ridicule and the object of admonition to those who are sincere to receive admonition. For this reason, Satan gloats over him because of the darkness of evils in which he has dipped him, which we are going to enumerate: so, we ask Allah Almighty for the good aid and success.

The Exposition Of The Evils Of Debate And The Destructive Qualities Resulting From Them

It should be known with certainty that debates which are designed for the purpose of overcoming and silencing an opponent as well as for displaying one's excellence and honour, bigheadedness in the sight of people, boasting, showing off, or attracting the elite, are the main sources of all traits which are blameworthy in the Sight of Allah and praiseworthy in the sight of Satan, His avowed enemy. Its ascription to the secret sins of pride, conceit, jealousy, envy, self-justification, love of power, and others is like the ascription of drunkenness to the apparent sins of the body, such as fornication, launching false charges, theft and murder. Just as the person who has been given the freedom to choose between intoxication and the other sins, regarded the intoxication as the slightest which he took up only to be led by his intoxication into committing all the other sins, so is he who surrenders to the love of overcoming and silencing opponents in debate, and falls victim of the desire for power and boasting. These things have led him to conceal all wickedness in his bosom and motivated in him all blameworthy traits. Proofs of the blameworthiness of all these traits will be presented in the Quarter on the Destructives although we shall now refer to the major evils stirred up by debate.

From among these, a mention might be made of envy: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The envy consume the good deeds in the same way as fire consumes the wood." The debater could not be free from envy because at times he overcomes his opponent and at other times he himself is overcome, and at times his words are praised and at other times those of his opponent are praised. As long as there remains in the world one famous among men for his versatility and regarded by the people as one of

better knowledge and keener insight than the debater, the debater will inescapably envy him and wish that the favours which he receives might vanish from him, and the hearts of the people might be diverted from him, and rather turned towards him. To be sure, the envy is like the burning fire, and if one is afflicted with it, he will live in the punishment in this world, even though the punishment of the hereafter is much more grievous and more severe. For this reason, it is narrated that Ibn Abbas said: "Take (and learn) knowledge wherever you find it, and accept not the sayings of the jurisprudents against each other, for indeed, they are jealous of one another in the same way as the bulls are in a cattle-fold."

Another one of the blameworthy traits is arrogance and pride over the people. In this context, it is narrated that the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "He, who shows arrogance and haughtiness, Allah Almighty puts him to humility; and he, who shows humility (towards others) Allah Almighty raises him up (in degree and superiority)." It is further narrated that the Messenger of Allah "Peace be upon him" said, relating from Allah Almighty (His statement): "No doubt, Magnificence constitutes My Lower Garment, and Majesty constitutes My Upper Garment; and if one disputes with me over any of both, surely, I will smite him."

The debater could not be free from showing arrogance and pride over his fellows and rivals, and exalting himself beyond his just and real estimate, to the extent that he and his colleagues fight over their seats in the gatherings and pride themselves on the degree of their elevation or lowliness as well as their closeness to, or farness from the central seat, and the precedence to the way in narrow streets. Often the foolish, deceitful, and cunning among them give good reason for their conduct on the basis that they maintain the honour of knowledge because the believer has been forbidden to put himself to humiliation. They thus consider humility, which Allah and his prophets commended, degradation and regard pride, which is blameworthy in the Sight of Allah, the honour of religion, In alteration of the connotations of these terms for the purpose of putting the people to confusion, like their perverting the connotation of other terms such as wisdom, knowledge and their like.

The feeling of resentment is also one of those blameworthy traits, from which the debater could hardly be free. In this respect, it is narrated that the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "By no means should a faithful believer be resentful." There are such narrations in condemnation of resentment as are not hidden. You could hardly find a debater, who is unable not to entertain the feeling of resentment against anyone who would even nod his head in acceptance of the argument of his adversary, or would not wait for him with politeness to show his good attention when he takes a pause in the middle of his speech. Whenever he sees that, he will be forced to entertain the feeling of rancour; and it is hypocrisy which lies behind his persistence in concealing his rancour, even though in most cases, it inevitably oozes to be apparently visible on him; and how could he be free from that, since it is unimaginable to guarantee unanimous agreement of all of the audience upon his speech, and approval of all his

conclusions and deductions? Moreover, if his adversary shows even the lest inconsideration of his speech, the feeling of resentment will be planted in his heart along his life, which he will never uproot from himself until the end of his life.

Backbiting also belongs to those blameworthy traits, which Allah Almighty likens to eating the flesh of the dead. However, the debater keeps eating the flesh of the dead, as shown from his indirect reporting of the speech of his adversary, in an attempt to traduce him. As far as he is eager to be truthful in relating his speech, he is mainly concerned with the portions of his speech which show only the points of weakness of his arguments, and the inferiority of his excellence; and this is backbiting, while lying is sheer calumny. Furthermore, the debater could not keep his tongue from dishonouring anyone who turns away from him and listens to his opponent. He would even ascribe to him ignorance, foolishness, lack of understanding, and stupidity.

Self-justification belongs to the blameworthy traits. Allah Almighty says: " Therefore justify not yourselves: He knows best who it is that guards against evil." (An-Najm 32)

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾﴾

It was said to a wise man: "Which kind of telling the truth is hateful?" he said: "One's praising himself (even though it is justified)." A debater, in most cases, could hardly be far from praising himself with his power, the ability to overcome his opponents, and superiority to his fellows. He also could hardly be free from repeating In the course of a debate he: "I am not of those from whom all such things could be hidden", and "I am well-versed in science, of independent knowledge of the foundations of law, and retaining tradition", and the like of that, with which he would sing his own praise, sometimes out of sheer arrogance and at other times out of the need to make convincing his words. It is well-known that arrogance and self-praise are condemned by law and reason.

A mention might be made also of spying and prying into the privates of the people. In this respect, Allah Almighty says: "And spy not on each other!" (Al-Hujurat 12)

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا ﴿١٢﴾﴾

A debater could hardly be free from seeking after and prying into the faults and shortcomings of his fellows and opponents, to the extent that whenever he is informed of the arrival of another debater in the town, he delegates somebody to know his innermost states, and disclose, by way of questions, his vices, which he takes as ammunition to use in scandalizing and putting him to shame when there is need for that. He goes as far as to discover the states of his youth and the defects of his body, perchance he would find an error or imperfection in his body such as baldness and the like of it. Should he fear the least defeat at the hands of his opponent, he would, in the course of the debate, allude to these imperfections, particularly if his opponent would remain firm and steadfast, and

would not refrain from being blunt if he were given to insolence and scorn. Both of these practices are regarded as clever ways of repelling the attacks of an opponent, as it is narrated about some of the well-known and celebrated debaters.

A further trait of those blameworthy is to rejoice at the grief of people, and become disheartened at their pleasure; and to be sure, when one loves not for his brother what he loves for himself, he becomes far removed from the good manners of the faithful believers. Everyone who seeks after showing his superiority over the others feels depressed at what pleases and cheers up his fellows and rivals, who rise up to him in excellence and superiority. The hatred which exists between them is like that which exists between fellow-wives. Just as the one wife would tremble and turn pale once she sees her fellow-wife, so would a debater once he sees another: the colour of his (face) would change and his mind would be troubled as if he had seen a strong devil or a hungry wild animal. Where are the companionship and friendliness which used to exist between the learned men of religion whenever they met, and where are the brotherhood, the co-operation, and the mutual sharing for which they were well-known at both times of prosperity and adversity ? it was this (extent of companionship and friendliness) which led Ash-Shafi'i to say: "Among these of excellence and wisdom, knowledge is like a bond of blood relationship." I cannot understand how some men, among whom knowledge has created a deep-rooted enmity, claim they have followed his steps. Can any spirit of friendliness be expected to prevail among them when they seek after overcoming each other and boasting of that? How unlikely! It is sufficient for bad that such an evil enjoins upon you the traits of the hypocrites and deprives you of those of the faithful believers and pious men!

Hypocrisy also is one of those blameworthy traits, and there is no need of evidence to criticize and condemn it. Nevertheless, they are in need of it in their debates, for when they meet their adversaries, lovers and devotees, they could find no way but to make themselves lovable to them by good speech, and showing longing for them, and high estimation for their positions and lives. However, both the giver and receiver of speech, and all of those who listen to them, know for certain that all of this is out of lie, falsity, hypocrisy, and insolence. They show love to each other only with their tongues, even though mutual hatred lurks in their hearts. We seek refuge with Allah Almighty from them. (It is narrated by Tabarani on the authority of Salman that) the Messenger of Allah said: "If the people learn knowledge, and leave doing deeds, Endear themselves to each other only with their tongues, even though their hearts seethe with mutual hatred, and sever relations with each other, Allah Almighty then will curse them, and make them deaf and blind." This narration is transmitted by Al-Hassan, and in confirmation to its truthfulness, this case was seen and witnessed.

Another blameworthy trait is to disdain from accepting the truth, and detest it, and persist in disputation about it. to be sure, the emergence of the truth on the tongue of a debater's opponent is the most reprehensible to him. Henceforth, he

would do his best to refute it, and strive his utmost to deny it and would exert his greatest effort in deception, trickery and fraud in order to repel his adversary until disputation becomes customary to him by nature. He hears nothing but that he expresses his objection to it immediately. This habit of his would even drive him to dispute the truths of the Qur'an and the words of law and would cause him to cite the one in contradiction of the other. Therefore, wrangling even in opposing falsity is prohibited since the Messenger of Allah "Peace be upon him" exhorted men to abandon it even though they were right in their disputation. In this respect, (It is narrated by both At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Anas Ibn Malik that) The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who leaves disputation, seeing that he is on falsehood, a palace in one side of the Garden will be constructed for him; and he, who leaves argumentation (with others) even though he is on the right, the same will be built for him in the highest part of the Garden." Allah Almighty makes the one who tells lies about Allah on equal footing with him who gives lie to the truth as shown form His statement: "And who does more wrong than he who invents a lie against Allah or rejects the Truth when it reaches him? Is there not a home in Hell for those who reject Faith?" (Al-Ankabut 68)

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

He Almighty further says: "And who does more wrong than he who invents a lie against Allah or gives lie to the Truth when it comes to him?" (Az-Zumar 32)

﴿ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

Another trait of such kind is showing off and flattering people in an attempt to attract and mislead them. Showing off is that potent disease which leads to committing the greatest of the major sins as will be treated in the Book of showing off. Of a surety, the real intention of a debater is but to show off before the people, and attract their tongues to run with praises over him.

Those are ten traits, which belong to the fundamental secret sins. Others, who lack self-restraint may be involved in controversies which lead to the exchange of blows, kicking, boxing, tearing garments, plucking beards, cursing parents, denouncing teachers, and outright slander. Such people are not enumerated among the respectable men. The prominent and clear-headed celebrities among them are not free from the preceding ten traits, even though they do not go beyond them. One may be free of any of those traits with regard to those to whom he is inferior or those to whom he is superior, or with regard to those who are outside his town or far from his conditions of living. But even, in no way could a debater be free from all these traits with regard to his attitude towards his fellows, who are equal to him in position. Out of each of these ten traits, ten

other vices might be ramified, which we shall neither discuss nor explain with detail at the present time. They include self-importance, anger, hatred, greed, the desire to seek wealth and majesty in order to overcome others, boasting, gaiety, arrogance, exalting the wealthy and those endued with the power of authority, frequenting their places and taking from their unlawful riches, parading with horses, state-coaches, and forbidden garments, despising people by being vain and ostentatious, meddling in the affairs of others, involvement in so much useless talks, the disappearance of awe, fear and mercy from the heart, absent-mindedness to an extent that the praying one does not know what he has prayed, or recited, or whom he has communed with during his prayer, nor does he entertain any feeling of humility in his heart, despite the fact that he had spent his life in the study of those sciences which are helpful in debate but are useless in the hereafter, such as the embellishment of phraseology and the knowledge of singular anecdotes, and the like of that of those things which are countless, in which the debaters vary according to their different ranks and degrees; and even the most religious and the wisest among them, could hardly be free from many of them. Nevertheless, the aspiration of everyone is to conceal them and, through self-mortification, free himself from them.

It should be also known that these vices are characteristic of those involved in giving admonition and warning if their purpose is to be well-known and well-established in prestige, or to obtain wealth and position. They also are characteristic of those who are engaged in the science of religion and legal verdicts if their aspiration is to secure a position in the office of judge or become trustees of endowments or to excel their fellows. In general, these vices are characteristic of him who seeks, through knowledge, anything other than the reward of Allah Almighty in the hereafter. To be sure, the science does not neglect the learned man so much as it leads him to permanent destruction or permanent life. For this reason, the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "The one who will receive the most grievous torment from amongst the people on the Day of Judgement is a learned man, whom Allah Almighty benefits not by his knowledge." It however does not only benefit him, but also it causes harm to him. Would that he has saved from its evil; and how far it is! No doubt, the danger of knowledge is very grievous, and its seeker indeed pursues the well-established dominion and abiding bliss, and it is for this reason that he could hardly be free from being doomed either to dominion or destruction. He is like the seeker after dominion in this world: if he does not succeed to get wealth, he would have no desire for being saved from humiliation of poverty. On the contrary, he would continue to live in the midst of the worst conditions.

But even, if you say that in giving concession to debate there lies an advantage, i.e. to exhort people to seek knowledge since without ambition for power and the rivalry which it provokes, all branches of knowledge would have vanished, you are true only in one respect. That's because had it been for their expectation of playing with the ball, mallet and birds, the boys would have had no desire for going to school. But this does not mean that the reasons for the school's

popularity are praiseworthy. Similarly had it not been for the love of power, knowledge would not have survived: it does not mean that the seeker after power is saved. On the contrary he is one of those whom the Prophet "Peace be upon him" described when he said (according to the narration of An-Nasa'i on the authority of Anas): "Verily Allah Almighty will support this religion through men who have no faith." He "Peace be upon him" further said (according to the narration on the authority of Abu Hurairah): "No doubt, Allah Almighty will support this religion through even a wicked man." Verily, the seeker after power will inevitably die, even though he might be of benefit to another one, particularly if his call is to leave the (vanities and delights of) this world. This is true of him, whose outward state seems to be like that of the early men of knowledge, while inwardly he conceals his ambitions. He is, in this respect, like the candle which burns itself out in order that others may see. The good of others lies in his own destruction. On the other hand if he should urge people to cherish this world he would be like the fire which, besides consuming everything, burns itself out as well.

In brief, the learned men of knowledge are of three types: those who ruin themselves and cause destruction to others, and this applies to those who publicize the seeking after the (vanities and delights of) this world, to which they turn; those who cause happiness to themselves as well as to the other people, and this applies to those who call to Allah Almighty, outwardly and inwardly; and those who ruin themselves, even though they cause happiness to others, and this applies to those, who call others to the hereafter, and outwardly reject the (vanities and delights of) this world, although their inward intention is to attract the people and establish prestige and majesty.

Consider then to which of those types you belong, and whom you regard in your work. Think not that Allah Almighty accepts but such of deeds and works as are done sincerely for His Countenance. In the book of showing off, if not in all the books of the quarter of the destructives, you will be provided with what will remove suspicion from you, Allah Willing.

CHAPTER FIVE: ON THE PROPRETIES OF BOTH LEARNER AND TEACHER

There are several duties characteristic of the learner, which might be divided into ten:

The first duty : to give preference to the purity of the soul over the vicious manners and blameworthy characteristics. Knowledge (of Allah Almighty) is the service of the heart, the prayer of the innermost, and the means which brings one inwardly much closer to the Presence of Allah Almighty. As well as prayer, which is the function of the organs, is not valid unless they should be purified from filth, the service and construction of the heart through knowledge are not valid unless the heart should be purified from all vicious manners and wicked characteristics. In this context, the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Faith has been based upon purity." This should be done outwardly as well as

inwardly. Allah Almighty says: "Verily, the pagans are unclean." (At-Tawbah 28)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

This is to stir up the hearts and minds to be concerned with purification.

To be sure, impurity is not limited to what is outwardly visible and perceptible by senses, since a pagan might be of clean garment and body, but inwardly unclean and stained with filth. Filth applies to all of what should be avoided and abandoned in general, and the vicious characteristics of the inward in particular, for besides their being wicked at the moment, they will be destructive in the future. In this respect, the Messenger of Allah "Peace be upon him" said (on the authority of Abu Talhah Al-Ansari): "The angels never enter a house in which there is a dog." The heart is like the house to act as an abode for the angels, to which they descend and reside. The evil characteristics such as anger, lust, rancour, envy, arrogance and haughtiness are like barking dogs: how then should the angels enter into it, since it is filled with those dogs, seeing that the light of knowledge could hardly be inspired by Allah into the hearts but through the angels? " It is not fitting for a man that Allah should speak to him except by inspiration, or from behind a veil, or by the sending of a Messenger to reveal, with Allah's permission, what Allah wills: for He is Most High, Most Wise." (Ash-Shura 51)

﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾

It is the entrusted angels who undertake inspiring such of sciences of knowledge as are sent by Allah into the hearts: they are those holy, purified, faultless, who are free from all blameworthy sins. They never observe or watch but what is good, nor inhabit with what they have of the treasures of Allah's Mercy but what is good and pure. But I do not say that the house is intended by the heart, and the anger and the like of it from amongst the blameworthy characteristics by the dog, but I rather say that this refers to that.

In this way, we can say that there is a difference between intending the hidden concept of words through their literal meaning and incidentally referring to a hidden meaning while affirming the apparent meaning. This subtle point is what distinguishes the Batinites from the true believers. This is the method of consideration, which is the way of the learned and the righteous. Consideration then means that what has already been mentioned connotes something else and thus both should be considered, like a wise man who may witness a calamity befalling somebody else other than him and the calamity would alarm him, in such a way as to draw his attention to the fact that he is vulnerable to calamities and that time is full of vicissitudes.

Thus to turn one's attention from the consideration of the affairs of others to those of his own and from those of his own to the nature of the things of this

world is a praiseworthy way of consideration. Proceed, therefore, from the consideration of the house built by the people to the heart, which is the house constructed by Allah Almighty, and from the consideration of the dog which has been pronounced blameworthy, not for its physical appearance but for its inherent beastly characteristics and impurity, to that of the animal spirit which is bestiality.

It should be known that he whose heart is saturated with anger, greed, indulgence, and readiness to slander people is a beast as far as content is concerned, although a human being as far as form is concerned. However, the light of insight regards the real meaning of things and not their form. In this world forms prevail over the real meanings which lie within them, but in the hereafter forms will comply with real meanings and the latter will prevail. For this reason every individual will be resurrected according to his own spiritual reality: the slanderer will be resurrected in the form of a vicious dog; the greedy, a wild wolf, the haughty, a tiger, and the seeker after power, a lion. This is attested by so many narrations, and confirmed by those of insight and discerning.

You might say that many students of bad character have sought and acquired the knowledge of the sciences. That may be so, but how far they are from real knowledge which is useful in the hereafter and which guarantees happiness! The first characteristic of that true knowledge is that even a elementary grasp of it would show that sin is a fatal and destructive poison. And have you ever seen anyone take anything which he knew to be fatally poisonous? As to what you hear from the sophists it is nothing but (forged) traditions which they fabricate and utter with their tongues so many times, and repeat in their hearts so many times: it is no science at all. Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" said: "Knowledge is not to retain prolific narrations but a light which is inspired into the heart." Others, having in mind the statement of Allah Almighty "It is these endued with knowledge from amongst His servants that fear Allah most" (Fatir 28)

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ
كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ﴾

Are of the opinion that knowledge is the fear of Allah. He alludes here to the fruits of knowledge; and it is for this reason that one of the scholars said that the meaning of the following statement "We sought knowledge for other purposes than the glory but Allah but knowledge rejected but to be for Allah alone" is that knowledge has resisted our efforts to grasp it and thus its truth was not disclosed to us and all we acquired was its words and terms.

But you might say that several well-learned men and jurisprudents have excelled in the principles and branches of law and applied jurisprudence and have been considered authorities thereon, while they are of blameworthy traits from which they never purified themselves. I will argue then that had you known the relative ranks of the sciences as well as the value of the science of the hereafter,

you would have realized that the sciences to which they have addressed themselves are of little avail as knowledge but are of use merely as deeds provided that they are sought as means with which to come much closer to the Presence of Allah. This last point has already been referred to, and it will again be discussed later.

The second duty: a learner should reduce to a minimum his ties with the affairs of the world and leave his kin and country because such ties occupy one's time and divert his attention. However, never has Allah given a man two hearts, and the more the mind distributes its attention among several things the less able it is to comprehend the truth. For this reason it is said: "Knowledge will surrender nothing to man unless man surrenders the whole of his entity to it." Even when you devote yourself wholeheartedly to it, attaining any of it is not guaranteed. This mind which distributes its attention among different things is like a stream the water of which flows in several directions only to be absorbed in part by the earth and in part by the air with the result that nothing is left for irrigation of planted lands.

The third duty: a learner should neither scorn knowledge nor exalt himself over the teacher, but rather entrust to him the conduct of his affairs and submit to his advice just as the simple patient would submit to a sympathetic and clever physician. He should humble himself before his teacher and seek reward and honour through his service. In this respect, it is narrated by ash-Sha'bi that once Zaid Ibn Thabit finished from offering a funeral prayer, and his mule was brought to him and as he was about to mount it Ibn Abbas rushed and held the stirrup for him. Thereupon Zaid said: "Bother not yourself O paternal cousin of the Messenger of Allah "Peace be upon him"!" Ibn Abbas replied: "Thus have we been commanded to treat the learned and the illustrious." Zaid bent over and kissed his hand and said: "Thus have we been ordered to venerate the kinship of our Prophet "Peace be upon him"."

The Messenger of Allah "Peace be upon him" further said: "It is not out of the manners of a faithful believer to flatter anyone except when he is seeking after knowledge." The seeker after knowledge then should not exalt himself over his teacher. One manifestation of such arrogance is his reluctance to submit but to the popular and well-known teachers. This is evident foolishness because knowledge is the way to salvation and happiness. However, anyone who is trying to escape from the claws of a threatening wild animal would not mind, as long as he is saved, whether he is guided to a place of safety by a well-known celebrity or by an anonymous person.

The torture which the flames of hell fire inflict upon those who are ignorant of Allah are more severe than any which the lions of the jungle are capable of inflicting. Wisdom, therefore, is the required goal of every believer, which he should seize wherever he finds it, and become grateful to anyone who conveys it to him, no matter who the person might be. For this reason it has been said: "Knowledge humbles the haughty youth, As the flood washes away the hill."

Thus knowledge is not attained except through showing humbleness and

harkening. Allah Almighty says: "Verily in this is a Message for any that has a heart and understanding or who gives ear and earnestly witnesses (the truth)." (Qaf 37)

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾

This statement refers to the person who has the faculty of understanding knowledge but fails to grasp it unless he opens his ears and heart and attentively, humbly, thankfully, gladly, and gratefully receives whatever he is told. Let a learner be to his teacher like the soft soil which has received heavy rain and completely absorbed it. Let him follow whatever the teacher should guide him to do, as far as learning is concerned, putting aside his own opinion since his teacher's faults are of more benefit to him than his own right judgment is because experience reveals details which might be strange even though they are very useful.

Many are the physicians who may treat a patient suffering from fever with hot medicines and drinks in order to strengthen his resistance to endure the shock resulting from the remedy. Because of his ignorance, the inexperienced one would be amazed by this treatment. Allah draws the attentions to this possibility through the story of Al-Khadir and Moses "Peace be upon them" in which Al-Khadir said, addressing Moses: "Verily you will not be able to have patience with me! And how can you have patience about things about which your understanding is not complete?" (Al-Kahf 67:68)

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾

He then allowed Moses to follow him on condition that the latter would keep silent and ask no questions, and said: "If you follow me, ask me not of aught until I have given you an account thereof." (Al-Kahf : 70)

﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ﴾

But even Moses waited not and rather persisted to raise questions to Al-Khadir with the result that they had to leave one another. In short, be sure that every learner, who would stick to his own opinion and choice in defiance to those of his teacher, is doomed to disappointment and failure.

But if you argue that Allah Almighty says: "Ask then those endued with knowledge if you know not" (An-Nahl 43)

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟
أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

Which means that we are commanded to raise questions (about what we know not), it should be known to you that it is true but only of the things concerning which the teacher gives permission to open the gate of questions. It is known that it is blameworthy to ask questions about that which is beyond your understanding according to your rank (as a student); and it is for this that Moses

"Peace be upon him" was forbidden by Al-Khadir to raise questions. In other words, you should leave asking a question before its due time, and the teacher has better knowledge of that which is fitting for you to understand, and of the due time of revelation; and as well as it is not time for revelation, it is accordingly not time for asking about it.

Ali "Allah be pleased with him" said in this respect: "One of the rights which a learned men of knowledge should have is that you should not bother him with so much questions, nor expect him to give you answers to all the questions, nor be importunate (that he should give you more) whenever he proves unenergetic, nor pull his garment whenever he stands up (to leave), nor disclose a secret for him, nor backbite anyone in his presence, nor seek after his stumble, and in case he slips, you should accept his excuse; and you should venerate and cherish him just for the Sake of Allah Almighty as long as he preserves the religion of Allah Almighty. Furthermore, sit not before him, and if he has a need, you should precede the people to fulfill it."

The fourth duty: he who pursues knowledge, no matter the sciences of this world, or the sciences of the hereafter they might be, should avoid, at least in the beginning of acquisition, the difference of opinions among the people. However, this would perplex his mind, bewilder his understanding, and disperse his opinion, and disappoint him from perception and acquaintance. On the contrary, he should first have a perfect grasp of the one way and doctrine, which is satisfactory to his teacher, and after that, he might pay his attention to the different doctrines and questionable ideas; and in case his teacher is not independent in his opinion, and is in the habit of narrating so many and differen doctrines and opinions, he should be cautious of him, for he would be misleading more than guiding (to the truth).

To be sure, a blind is not fitting for leading and guiding the blind persons (to the right way). One in such a state becomes in the blindness of confusion and the wilderness of ignorance. Holding back the beginner of learning from paying his attention to the suspicious ideas is equal to preventing the newly convert to Islam from mixing with the infidels and pagans, as well as exhorting the experienced one to consider the points of difference is equal to inducing the one who is well-established in faith to mix with the infidels and pagans. For this reason, the coward one is prevented from attacking the rows of fighting infidels, to which only the brave one is urged. Heedless of this subtle point, some feeble-minded persons thought that it is permissible for them to follow the strong ones in some of their lenient attitudes towards certain matters of questionable ideas, not knowing that the duties of the strong ones are very different from those of the weak ones.

So, one of them said: "He, who sees me in the beginning (of the journey), will be a truly faithful believer; and he, who sees me in the end (of the journey) will come to be an unrighteous. That is because the end (of the journey) always changes the deeds to be done inwardly, while quietens the organs but from performing the obligations, which might seem to the viewers as being out of laziness, idleness and negligence; and how far this is! For this end makes the heart

firmly attached to Him in His Witness and presence, and keep celebrating His Praises which is the best of deeds regularly and permanently. The weak one's imitation of the strong in what apparently seems to him to be a slip is like the excuse of the one who throws a bit of filth in a jug, justifying his conduct that so many times of that little filth is thrown into the sea; and since the sea is so much greater than a jug, what is applicable to it is more applicable to the jug. But this poor one does not know that the sea with its strength changes this filth into water, and thus, what is filth turns to acquire the water's attribute. But this is not true of the jug, for the little filth in it prevails over its contents, and gives it its attribute.

For a similar reason, what was made permissible for the Messenger of Allah "Peace be upon him" was made not for anyone else. He was given concession to marry nine women, for he was strong enough to be just and fair to all of his women, no matter great they might be in number. But anyone else could hardly be just to all of his wives; and in many cases, he might incline to some of his wives more than the others, which leads him to be disobedient to Allah Almighty, while seeking their good pleasure. So, not prosperous be him, who compares angels with smiths.

The fifth duty: the seeker after knowledge should not leave any of the praiseworthy sciences but that he should consider it in such a way as to be acquainted with its purpose and finality. If his life is long enough to help him, let him then be well-versed in it, otherwise, let him be engaged in what is more important thoroughly, and in the others partly. Indeed, the sciences of knowledge are co-operative, and connected with each other, and the benefit he receives from his going through any of those sciences is that he will have no aversion towards it because of his ignorance of it. However, man is an adversary to what he knows not.

In confirmation to that, Allah Almighty says: "and seeing that they guide not themselves thereby, they will say, "This is an (old), old falsehood!"" (Al-Ahqaf 11)

﴿ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾

According to a poetic verse: "He, who has ailment in his mouth, finds even the fresh and sweet water of bitter taste." The sciences then, according to their different ranks, are either to lead one to the way of Allah Almighty, or to help him partly follow the way, and they have different positions in relation to nearness and farness from the real purpose; and those who undertake them are guards, like the guards of openings of the borders, and each has a special rank, and according to his degree, he will receive a reward in the Garden, if he intends therewith just the Countenance of Allah.

The sixth duty: he should not pursue each science thoroughly all at once: he should rather observe the sequence, beginning from what is most important. In no way could one's lifetime, no matter long it might be, extend to enable one to acquire all sciences. For this reason, he should take the best of each science, satisfying oneself, so to speak, with the mere tasting of it while directing whatever

power one has left, and devote his entire power of mind, after having obtained such of knowledge as is available to him, to have full mastery of the knowledge of the hereafter, which is the best and most honourable of all sciences, i.e. the two divisions of practical religion and revelation, since the final objective of practical religion is to reach the point of revelation, and the final objective of revelation is to have knowledge of Allah Almighty.

I do not mean by it the faith which is picked up by the common person by way of inheritance or by acquisition, nor the way of dialectics and debate in defense of it from the evasive arguments of the opponents, as it is the final objective of the theologian; but it is a certainty of faith, and a fruit of light inspired by Allah Almighty in the heart of a servant, whose inward has been purified from vices by self- mortification, until he attains the high rank of faith of Abu Bakr "Allah be pleased with him", whose faith would overbalance the faith of all the people of the worlds if it is weighed by it, as is attested by (the Messenger of Allah) the chief of all human beings "Peace be upon him".

In my sight, the belief of a common person, and systematized by a theologian, who does not excel the common one except in the matter of stringing words together, and it is for this that his art is called theology, was beyond the capability of Umar, Uthman and Ali, and the holy companions "Allah be pleased with them" in total. But even, Abu Bakr excelled them by virtue of that secret which resided in his breast. It is astounding that although one hears that from the legislator "Peace be upon him", he despises what he hears similarly and alleges that it belongs to the heresies of Sufists, and it is unreasonable. So, you should be careful of that, otherwise you would loose your capital. Be then eager to have knowledge of the mystery which is beyond the possessions of jurisprudents and theologians; and nothing could guide you to it but your carefulness of pursuit.

In total, the best and the most honourable and the final objective of sciences is the knowledge of Allah Almighty. It is an ocean, whose furthest depth could not be attainable. It is the Prophets from amongst all the human beings who achieve the highest rank therein, followed by the saints and holy ones, followed by those who succeed them. It is narrated that a portrait of two from among the early sages was seen in a mosque, and there was a scroll in the hand of one of them, in which the following was written: "If you become perfect in all things, think not that you have become perfect in anything until you should have full knowledge of Allah Almighty, and be sure that He is the Causer of causes, and the One Who causes all things to exist." In the hand of the other one, the following was written (in a scroll): "Before I know Allah Almighty, I used to drink and become thirsty; and when I have known Him, I came to be satisfied with no drinking."

The seventh duty: one should not pursue a certain art of science before he becomes fully versed in that which is prior to it in rank. However, the sciences are fundamentally arranged in such a way that each paves the way to the other, and leads to that which follows it in rank; and successful is he, who observes this arrangement and gradation. Allah Almighty says: " Those to whom we have sent

the Book study it as it should be studied: they are the ones that believe therein." (Al-Baqarah 121)

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾

It refers to those who does not go beyond a certain art before they are perfect in knowing and acting upon it. Furthermore, let his intention in any science he seeks after to rise to that which is superior in rank. On the other hand, he should not judge that a certain science is corrupt just because of difference among its protagonists, nor because of some errors committed by one or more of its people, nor because of the fact that the deeds of some do not confirm to their knowledge of it.

You see, for example, that a group of people have left the science of philosophy and jurisprudence, excusing themselves on the grounds that had they had truths in themselves, they would have been comprehended by its protagonists; and all of those suspicions have been explained in detail in the book "the Standard of Science". Another group might relinquish medicine, only because of an error in which a physician has fallen, which they have seen. Others think the astrology is right, just because an astrologer happens to be right in many cases, while others think it is false just because an astrologer happens to be wrong in many cases; and of a surety, both are false. That's because the reality of each science should be known and judged in itself, for it is not true that each person could independently embrace every branch of knowledge. For this reason, Ali "Allah be pleased with him" said: "Accept not the truth only from men: on the contrary, if you know the truth first, you will know its real protagonists."

The eighth duty: he should know the reason, for which the best and most honourable of all sciences is attained; and this refers to two things: the first is the honour of its fruit, and the other is the authenticity and power of its evidences and proofs. Take, for example, both sciences of religion and medicine: the fruit of the former is the hereafter never-ending life, while the fruit of the latter is the perishing life of this world; and in this way, the science of religion is more honourable. Take also both sciences of mathematics and astronomy: of a surety, mathematics is more honourable in view of the authenticity and power of its evidences and proofs. But, if mathematics is compared with medicine, the latter will be more honourable in relation to its fruit, even though mathematics is more honourable in relation to its evidences and proofs.

Since consideration of the fruit is more significant, medicine is more honourable even though it depends mostly upon guessing. From this point of view, it is clear that the most honourable of sciences is to have knowledge of Allah Almighty, His angels, Messengers and Scriptures, as well as to have knowledge of the way to these sciences. So, seek not but it, and be eager not but to pursue it.

The ninth duty: the learner's purpose should be: at the time to adorn and beautify his inward with virtues, and in the future, to come much closer to the Presence of Allah Almighty, and rise up to the neighbourhood of the highest assembly of angels and cherubim. This means that his purpose should not be to acquire power, wealth, and majesty, or to debate the foolish and weak-minded, or to vie in glory with his fellows. Should this be his real purpose, let him then seek such of sciences as is the closest to it, i.e. the knowledge of the (way to the) hereafter. But even, he should not despise the other sciences, such as that of giving religious verdicts, Arabic grammar and the language of those related to both the Holy Book and the Sunnah, and the like of those which we mentioned in the preliminary and supplementary sciences, which belong to the collective duties.

Understand not that our overestimation of the science of the hereafter should lead to underestimation of the other sciences. However, those who undertake those sciences are like those who vigilantly and firmly stand to protect the outposts of Islam, and those who fight in the Cause of Allah: as well as some of them are active fighters, some are on the reserve, some are in charge of water supplies to the soldiers, and some take care of their riding mounts; and none of them does not receive a reward, in case his real purpose is to make superior Allah's Word, and not to get war booty, the same is true of the learned men who are endued with knowledge. In this respect, Allah Almighty says: "Allah raises to lofty ranks those who have faith from among you and those endued with knowledge." He further says: "They are of different ranks (in superiority) in the Sight of Allah."

The virtue is relative, in the sense that our scorn for the money changers when we compare them with royalty does not mean that they are contemptible when compared with the street cleaners. Think not that whatever falls short of the highest rank is worthless. For the highest rank belongs to the prophets, followed by that of the saints, then that of the learned men who are well-established in knowledge, and the righteous according to their ranks. In short "whosoever shall have wrought an atom's weight of good shall see it; and whosoever shall have wrought an atom's weight of evil shall see it." Whosoever will seek Allah through knowledge, no matter what kind, he is sure to profit and advance.

The tenth duty: one should learn the relation of sciences to the real purpose; perchance he would give preference to the closest one over the farthest, to the most important over anyone else. The word 'important' stands for what concerns you, and you should be concerned only with your affairs in both the world and the hereafter. If you are unable to join both the delights and pleasures of this world, and the bliss of the hereafter, as is attested by the Holy Qur'an, and confirmed by intellects and sights, then, you should be more concerned with that which will remain forever. At that level, the world will come to be no more than an abode, the body a riding mount, and the deeds seeking after the real purpose, and there is no purpose other than to meet Allah Almighty (in the hereafter), in which there will be the never-ending bliss and happiness, even though it is not

really estimated as it should be in this world but by a very few men.

The sciences, in relation to the happiness and felicity achieved by the meeting of Allah Almighty (in the hereafter) and see His Bounteous Honoured Countenance, as sought for and understood by the Prophets, which neither the laymen nor the theologians succeed to understand, are of three ranks, which you might understand through the following example by way of analogy: The slave whose freedom and the right to hold property are dependent upon performing Hajj has been told that if he would perform Hajj he would receive both his freedom and the right to hold property; but if he had made his preparations and actually set out, then for some unavoidable reason was detained on the way, he would receive his freedom only, thereby escaping the wretchedness of slavery, but would fail to enjoy the right to hold property.

To accomplish all that he has to do three things: First, the preparation of the means of journey by buying a she-camel and a water-skin, and packing the provisions and fitting out the mount. Second, he should set out on journey to the Ka'bah and leave behind home and kin. Third he should fulfill the ceremonials of Hajj one after the other. Then after he had fulfilled all obligations and put off Ihram, having already performed the farewell circumambulation of the Ka'bah, he would become qualified for freedom and the right to hold property. To every stage in the journey there is a corresponding rank: one for the preparation for the journey, another for setting out on journey and crossing desert, and a third for performing the duties of Hajj. Thus he who has already begun to carry out the duties of Hajj is closer to felicity than he who is still engaged in packing the provisions and fitting out the mount or he who has just embarked on journey.

Similarly, sciences are also of three divisions: one is similar to preparing the provisions and riding mount, and buying the she-camel; and this applies to the sciences of medicine and jurisprudence, and both are concerned with the affairs of the body in the world and the hereafter. Another division is similar to setting out on journey and crossing the desert and going through the obstacles of the way (to the House); and this applies to purifying the inward from the wicked impure traits; and to intrude those huge obstacles which the earlier and latter generations, barring a very few ones, endued with success, fail to approach is to follow the way.

Acquiring the knowledge of it is similar to acquiring the knowledge of the directions of the different desert routes and the encampments along the way. And just as the knowledge of the location of these encampments and acquaintance with the desert routes are of no benefit without actually crossing them, so is the science of ethics of no benefit without practice. Yet practice without knowledge is not possible. A third is similar to Hajj and its obligations; and it is the science of knowing Allah, His attributes, angels, and works as well as what we have mentioned in the survey of the science of Revelation. In it is salvation and attainment of happiness. Salvation will be the lot of any follower of the way on the condition that his real purpose should be the true goal which is safety.

The attainment of happiness is not achieved except by the Gnostics who know Allah and are close to Him, who are given to enjoy in His neighbourhood happiness, bounty and a garden of bliss. But as for those who fall short of perfection, only salvation and peace are their lot. This is in accordance with the words of Allah Almighty: " Thus, then, if he be of those Nearest to Allah, (There is for him) Rest and Satisfaction, and a Garden of Delights. And if he be of the Companions of the Right Hand, (For him is the salutation), "Peace be unto you" from the Companions of the Right Hand."

Anyone who does not follow the way which leads to Allah nor set out on (journey), or anyone who does set out, not in obedience or devotion, but for expedience, belongs to those of the left (hand) who have gone astray, and "For him is Entertainment with Boiling Water, And burning in Hell-Fire." (Al-Waqi'ah 88:91)

﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ ﴾

It should be known that this, in the sight of the learned men who are well-versed in the science of religion, is the "certain truth" a truth which they have perceived inwardly through contemplation. This contemplation is more real and clearer than seeing with the eye. In it they rise above the stage of imitation just because of hearing. Their state is similar to that of him, who hears and makes belief (of what he hears), and then he contemplates therewith his trust is confirmed, unlike the state of others, who accept the truth only by having trust and faith (in what they hear), without having the privilege of contemplation or seeing with their own eyes.

Happiness lies behind the science of Revelation which in turn lies behind the science of practical religion, which is to follow the way to the hereafter. Overcoming the frailties of human characteristics as well as eliminating its blameworthy elements lie behind the science of human characteristics. The science of therapeutics and its administration lie behind the science of hygiene. The promotion of the conditions of health and hygiene by unity, mutual help and co-operation through which clothing, as well as food and lodging are secured, is entrusted to the magistrates, and its principles for conducting human affairs within the framework of justice and policy are in the domain of the jurisprudent, whereas the science which deals with the conditions of health is in the domain of the physician. When one says that there are two sciences: the science which deals with the body (i.e. medicine), and that which deals with the religion, in reference to jurisprudence, he intends those common exoteric sciences and not those specialized esoteric sciences.

But, if you say: "Why have you likened the science of medicine and jurisprudence to preparing the provisions and fitting out the riding mount?"

It should be known to you that what seeks after the nearness (and neighbourhood) of Allah is the heart and not the body. Of course I do not mean

by heart this piece of flesh (within the chest). It is one of Allah's Mysteries which is beyond the perception of senses, and one of His Niceties which He sometimes designates with the spirit, and at other times with the well-satisfied soul. But the religion gives it the name of heart because it is the first mount of that mystery, and with which all the body becomes a mount and an instrument for that nicety.

To uncover this mystery is a part of the science of Revelation. It is not available (to anyone), and there is no concession to mention it; and the best to be mentioned pertaining to it is to say that it is a precious jewel and a valuable and treasured pearl, more honourable than those visible bodies. It is a Divine command in accordance with Allah's Statement: "They ask you concerning the Spirit (of inspiration). Say: "The Spirit (comes) by command of my Lord: of knowledge it is only a little that is communicated to you, (O men!)"" (Al-Isra' 85)

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾

Although all the creatures are ascribed to Allah Almighty, its ascription to Him is more honourable to that of all the body's organs, even though all of the creation and command belong to Allah Almighty, of a surety, the command is superior to the creation.

This precious jewel is the carrier of Allah's Trust, by virtue of which it is loftier in rank than the heavens, the earths and the mountains, which rejected to carry that trust, and were afraid of receiving it, because of the world of dominion. But, let none understand from that that we refer to the sempiternity of spirits, for him who adopts that opinion is an ignorant, and a victim of deceit, who does not know what he is saying. So, let's hold back the rein of exposition of that art, since it is beyond the topic in issue. The real purpose here is that it is this nicety which seeks after the nearness of the Lord, as it is by His Command, from Whom it stems, and to Whom it refers. As for the body, it is the vehicle which it rides, therewith to seek after (its objectives). The body on the way to Allah Almighty plays the same role for it as a she-camel plays for the bodies (of people) on the way to perform Hajj, or as the water-skin in which water is stored, for which the human body is in need.

In this way, every science, whose purpose is the interest of the human body contributes in serving the interest of the vehicle of the spiritual substance; and it is not hidden that the same applies to medicine. Man is in need for it to maintain his health, and had he been living alone, he would also have been in need for it; and there remains a difference between it and jurisprudence in the sense that had man lived alone (in this world), he might have dispensed with it. But man has been created in such a way that it is impossible for him to live alone (in this world), since he could not independently secure his livelihood by doing all works of sowing, cultivating, baking and cooking, or his clothes or lodging by making all the equipment necessary for that, which forced him to mix with and seek the help of others.

But no matter how much people mix with one another their ambitions are

aroused which result in their competition to satisfy their desires, and contend and struggle to fulfill them. Their struggle results in their destruction because of the external disharmony in the body government just as it results from internal disturbances in their physical bodies whenever there is conflict between the humors. Through medicine the harmony between the conflicting humors within the body is maintained and through politics and justice the harmony between the opposing elements in the body government is preserved. The science of maintaining harmony between the humors is medicine, and the science of preserving harmony among men in their affairs and transactions is jurisprudence.

Both of these sciences, whether medicine or jurisprudence, are for the preservation of the body which is the vehicle of the spirit. unless he who devotes himself to the study of either medicine or jurisprudence, mortifies his body and reforms his heart, he will be like the person who purchases the she-camel and its fodder and the water-skin (in preparation for Hajj) but never does set out. And he who spends his life over the niceties of words which occur in the course of the debates of jurisprudence is like him who spends his life tracing the minute fibres of the strings with which the water-skin carried by the pilgrim is sewn together. The relation of the former, from amongst the followers of the way to reforming the heart which leads to the science of Revelation is like the relation of the latter to those who go forward along the pilgrimage route or those who perform its obligations.

Consider these things and then accept this free advice from one who has accomplished these things but only achieved them after a great struggle and a brave effort to break away from the established tradition of men, the common folk and the elite, i.e. tradition is based on ambition and lust. This is sufficient for the discussion of the different duties of the learner.

The Exposition Of The Duties Of The Guide Teacher

It should be known that man in relation to his knowledge has four states, like those of the owner of wealth: in the first state, the owner of wealth gains money which makes him in the state of earning; in the second state, he saves what he earns, therewith he becomes independent of begging; and in the third state, he spends upon himself, therewith he benefits (from his earnings); and the fourth state he spends upon others, therewith he becomes generous and bounteous, and of a surety, this is the most honourable and the noblest of his states. Knowledge is also acquired in the same way as wealth is: in the first state it is sought after and gathered. In the second it is acquired, therewith one becomes independent of asking others. The third state corresponds to study and meditation in which one contemplates and enjoys and gets benefit of what has been acquired. The fourth state corresponds to teaching and instructing others in it; and it is the noblest of all the states.

For this reason, he, who learns, acts upon what he learns, and teaches it to others is called a great one in the dominion of the heavens, for he looks like the sun which lights up for the other things, even though it is lighting in itself, or like

the musk which spreads its scent upon others, as well as it is pleasant in itself. But he, who learns and does not act upon what he learns, is like a notebook, which benefits the others (with what its pages contain), even though it is unintelligent, or like the whetstone, which, itself being blunt, sharpens the razor, or like the needle, which while it remains naked, serves in making clothing for others, or like the wick of a lamp which burns itself out in giving light for others according to a poetic verse: "A glowing wick is he Who gives his light and dies." Whoever takes teaching as a profession takes upon himself a great mission and a grave responsibility. Let him then observe its etiquette and fulfill its duties, which go as follows:

The first duty: he should show petty for the learners, and deals with them in the same way as he deals with his children, in compliance with the statement of the Messenger of Allah (according to the narration of Abu Dawud, An-Nasa'i and Ibn Majah on the authority of Abu Hurairah): "I'm to you in the same position as a father to his children." His goal is to deliver them from the fire of the hereafter, and this mission is more important than the parents' rescuing their child from the fire of this world. For this reason, the right of a teacher (upon his pupil) has come to be more significant and much greater than the right of the parents (upon their child). Of a surety, a parent is the cause of his (his child's) current existence in this mortal life (of this world), whereas a teacher is the cause which leads him to the never-ending everlasting life (of the hereafter).

But for the teacher, what is brought into existence through the parent would inevitably be driven to permanent destruction. It is the teacher which is of great benefit as far as the never-ending hereafter life is concerned. I mean here the teacher of the sciences of the hereafter, or the teacher of the sciences of this world, for the purpose of attaining felicity in the hereafter, and not of getting success in this world. But teaching with the sole intention to get success in this world leads to the destruction of both the teacher and the learner, from which we seek refuge with Allah Almighty.

As well as the right of the children who belong to one father is to lead a life of mutual love and co-operation in all purposes and fields, so is the right of the pupils of one teacher, to love and have kind affection towards one another; and this will not be achieved unless their final goal is to attain the felicity of the hereafter; and if their goal is only to get success in this world, their portion will be mutual hatred, resentment and envy. Both learned men of knowledge and those of the hereafter are on their journey to Allah Almighty, to Whom they are following the way which starts from this world, whose years, months and days act as stations for the road. Therefore, companionship which prevails among the travellers to the different regions and towns is a direct cause of their mutual love and kind affection: what about the journey to the highest Paradise, and the related companionship which should prevail among the travelers to it?

Since there is no restriction or limitation in the way to the happiness of the hereafter, no dispute breaks up among these of he hereafter; and since there is limitation in the pleasures and delights of this world, narrowness is the lot of the

way to it, which results from the crowd of competition and struggle. Those who seek to attain position of authority through knowledge are not included in those whom Allah meant when He said: "Verily, the faithful believers are brothers (to each other)." (Al-Hujurat 10)

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

But they are implied in those, whom He Almighty meant when He said: "Friends on that Day will be foes, one to another, except the Righteous." (Az-Zukhruf 67)

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾

The second duty: the teacher should follow the steps of the legislator "Peace be upon him": he should not ask for reward for his teaching, nor should he aim at receiving charge or thanks for his instruction. On the contrary, he should teach just for the Countenance of Allah Almighty, and seeking after His Nearness, seeing they are not under any obligation to him, even though their feeling of obligation to him is incumbent upon them. But he should rather see their favour, when they have educated their hearts to come much closer to Allah Almighty, by planting sciences in them, in the same way as the one who lends you a piece of land in order to cultivate it by yourself: of a surety, the benefit you will get from it is greater than that of its owner. How then should you feel he is under any obligation to you, seeing that the reward you will receive for your teaching is much greater than that of the learner in the Sight of Allah Almighty?

Had it not been for the learner, you (as a teacher) would not have attained this reward. So, ask not for any reward in return for your teaching but from Allah Almighty, in compliance to Allah's statement: "And O my People! I ask you for no wealth in return: my reward is from none but Allah." (Hud 29)

﴿ وَيَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

Therefore, the wealth and all that the world contains serve the body, and the body is the vehicle and riding mount of the soul. Thus what should be served is knowledge, therewith the honour of the soul is achieved, so, he, who seeks after wealth through knowledge, is like him, who sweeps the lower part of his sandals with his face in order to clean it, reducing thereby the master into a servant, and giving the servant the position of a master. This is what is meant by falling headlong and is exactly like the fate of the criminals on the Day of Judgment when they "shall droop their heads before their Lord." In short, to the teacher belong both favour and the credit. See then how the affairs of religion have fallen into the hands of men who claim that their sole intention, in pursuing the sciences of jurisprudence and theology and in teaching both and other sciences besides, is to come much closer to the Presence of Allah Almighty, yet they sacrifice their wealth and rank, and suffer great humiliations in the service of

rulers in order to gain their favours. Were these men to turn away from such practices they would be ignored and no one would turn to them for advice.

Therefore, the teacher expects the student to follow him in everything, and to back his supporters, fight his adversaries, rise publicly to perform his demands, and to fulfill for him all his needs. If the student fails to achieve all these expectations the teacher will turn against him and become one of his most virulent enemies. How despicable is the learned man who is not only content with such a position but is also proud of it, and does not feel shy to say that his aim in taking up teaching is to spread knowledge for the sake of coming much closer to the Presence of Allah Almighty and for defending His religion! But you have only to look at the indicative portents in order to see the hypocrisy and the deception of it all.

The third duty: the teacher should be persistent in giving advice to the learner as much as is available to him: he should prevent him from attending the work of higher grade before he deserves it, as well as from being engaged in an esoteric science before finishing from that which is exoteric. He should draw his attention to the fact that the real purpose of seeking after knowledge is just to come much closer to the Presence of Allah Almighty, and not to attain power, or vie in glory (with his fellows), or compete (his adversaries), defacing that in his sight as much as possible.

However, what a wicked learned man corrupts is more than what he might mend. If he comes to know, from (what appears to him from) his inward that he seeks after knowledge only for the sake of this world, let him consider the kind of knowledge he seeks after: if it is the science of disputations of jurisprudence and argumentations of theology, and giving religious verdicts in legal disputes, he should prevent him from acquiring them, for those sciences do not belong to the knowledge of (the way to) the hereafter, nor are they included in those in connection with which it was said: "We made an attempt to acquire knowledge but not for the sake of Allah Almighty, but knowledge persisted in being for the Sake of Allah Almighty."

This applies to the sciences of interpretation (of the Qur'an) and Hadith, and the science of the hereafter, and the acquaintance of the soul's morality and the way of educating it, which occupied the early people. If a student learns it just for the sake of this world, there will be no harm to be let alone because, although he has devoted himself to them in the hope of becoming a preacher and gaining followers, he would, in the course or at the end of his work, wake up to the fact that in them lie those sciences which are contributing to the fear of Allah and which regard as slight the world and glorify the hereafter. This may finally lead the student to the right path and he would then observe what he preaches to others. The desire to be popular and influential are to man like the grains which are scattered around the trap in order to ensnare the birds. The same has been done by Allah Almighty in connection with man: He created sexual desire in order to preserve procreation and the survival of the race. He also created

ambition as a means for perpetuating knowledge, a thing highly desirable in these sciences.

But to devote one's life to sheer controversies, theological argumentations, and unusual details while ignoring other studies promotes, in all except those to whom Allah has shown mercy or those who have taken up other religious sciences as well, nothing but hardening in the heart, negligence toward Allah, excess in iniquity, and overindulgence in striving for power. There is no better proof for this than personal experience and observation. Look, learn, and consider so that you might witness the realization of this fact by men all over the world. Truly Allah is the source of our help.

It is narrated that Sufyan Ath-Thawri was once seen in a state of sadness thereupon he was asked: "Why are you sad?" he replied: "We have become traffic for the children of this world. One after another would attach himself to us until he has acquired a portion of knowledge, he would be appointed a judge, or a governor, or a mayor of a certain place."

The fourth duty: and it is one of the subtle points of the profession of teaching. It is that the teacher should dissuade the student from his evil conduct by way of allusion rather than by way of direct utterance and with clemency rather than with horrible scolding. Open dissuasion tears the veil of awe, gives rise to defiance, and encourages obstinacy in accordance with the statement of The Messenger of Allah "Peace be upon him", the guide of every teacher, when he said: "Had men been forbidden to make porridge of camels' dung, they would have done it, saying 'we have not been forbidden to do it but because there is some good in it'." This is shown clearly in the story of Adam and Eve and the prohibition imposed upon them. This story has not been narrated to you as a night conversation but as an example and a reminder. Moreover, such allusions and suggestions invite men of noble souls and shrewd minds who incline to elicit their significance, and the pleasure of grasping their meaning results in a greater desire on the part of man for learning in order to show that such things are not beyond the capacity of his mind.

The fifth duty: such of teachers as undertakes a certain science should not disgrace in the sight of the learner the other sciences which is beyond his teaching, like the teacher of linguistics, whose habit is to disrepute the science of jurisprudence, as well as the habit of the teacher of jurisprudence to disregard the science of interpretation and Hadith on the basis that it depends upon transmission and hearing of narrations, and this is the state of the old men, and there is no role for the mind to play in considering it. The same is also true of the teacher of theology, who is in the habit of disparaging the science of jurisprudence, on the basis that it is no more than hair-splitting controversies and speech about menstruation, which could by no means be compared with the speech about the attributes of (Allah) Most Gracious.

Those are blameworthy traits of the teacher, which should be avoided. On the contrary, he who undertakes the teaching of one science should make easy the way for the learner to study other sciences. Moreover, if he undertakes the

teaching of many sciences, he should observe the gradual progression to promote the student from one grade to another.

The sixth duty: the teacher should limit his teaching to what complies with the learner's understanding: he should not give him anything that is beyond the reach of his mind with the result that he might cause him to refrain from learning, or perplex him, and put him to confusion. In so doing, he copies the guidance of the master of all the human beings, the Messenger of Allah "Peace be upon him" when he said (: "We, the assembly of Prophets, have been commanded to deal with the people in accordance with their different positions, and speak with them in such a way as to conform to their minds."

For this reason, he should confide to him the truth only when he knows that he is capable of understanding it independently. In this connection, the Messenger of Allah "Peace be upon him" further said: "No one tells a people of a speech which is beyond the reach of their minds but that it will be a cause of trial to many of them." Ali "Allah be pleased with him" said, while beckoning to his breast: "Here (within this breast of mine) there are much knowledge (which would have been disclosed) had there been carriers fitting for transmitting them." He "Allah be pleased with him" has told the truth: of a surety, the hearts of the righteous and pious persons act as vaults for Divine mysteries.

The teacher therefore should not reveal all that he knows to everyone, in case the learner has the capability of understanding it, even though he is not fitting to get benefit form it: what then about that which is beyond the reach of the learner's mind? Jesus "Peace be upon him" said: "Hang not the jewels in the necks of pigs!" of a surety, wisdom is much better than jewels, and whoever hates it is worse than pigs. For this reason, it has been said: "Measure (your treatment with) any slave in accordance with the scale of his mind, and weigh for him according to the balance of his mind until you become safe from his evil, and he gets benefit from you" otherwise, you effort will become ineffective because of the disparity of measures of minds.

It is narrated that a learned man was asked about something, to which he gave no answer. On that the asker said: Have you not heard the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" (according to the narration of Ibn Majah on the authority of Abu Sa'id): "He, who conceals a portion of beneficial knowledge will come on the Day of Judgement, reined with a rein of fire"? he said to him: Then, leave the rein and go away; and if he who has the faculty of understanding comes to me, from whom I conceal knowledge, let him then rein me. Indeed, Allah Almighty says: "Give not the weak-minded your property", paying thereby the attention to the fact that it is much better to preserve knowledge and conceal it from him who distorts and damages it. To be sure, it is more unfair to give knowledge to him who is not worthy of receiving it than to conceal it from him who is fitting for it.

(Consider the following poetic verses in explanation of that concept): "Shall pearls be given to herders of the sheep, Shall wealth be trusted to their rustic

keep? They would not comprehend nor know its worth, To give them would be adorning beasts. But Allah is kind if by His grace He sends One worthy of my knowledge, of my wit, To him my goods I'll give and gain his love; Until such time I will withhold my gifts – One's learning would be wasted upon fools; And he does sin who from the worthy keeps."

The seventh duty: the learner of limited understanding should not be taught but such of sciences as are clear in such a way as to conform to his restricted mind, and no mention should be made to him of such of detail as are apt to follow but which he deems fitting for the present to withhold. Of a surety, this might weaken his desire for acquiring such of knowledge as is clear, perplex his mind and understanding, and give him the false impression that it is the teacher's niggardliness and illiberality which lie behind withholding those subtle details from him. That's because everyone thinks he is fitting for every subtle and fine science. There is none but that he is well-satisfied with Allah Almighty for giving him perfect mind; but even, the most foolish and the most weak-minded among them is the most cheerful of the perfection of his mind.

From this point of view, it should be known that it is not fitting to confuse the belief of a layman, who abides by law, and in whose heart the articles of faith transmitted from the ancestors have been well-established, with neither pervasive equivocation nor elusive interpretation, and whose inward is good, but his mind has no capacity to understand anything beyond that. On the contrary he should be let alone with his profession, because if he were confronted with the esoteric interpretations of externals he would give up his position as a layman without attaining the status of an educated man.

Then the obstacles which have hitherto deterred him from evil will crumble and he will be transformed into a rebellious devil who will destroy both himself and others. In reality, laymen should not be disturbed with discussion on the realities which underlie subtle and fine sciences but rather should be restricted to instruction in the acts of worship and honesty in undertaking their respective professions. Their hearts should be filled with yearning for the Garden and fear of the fire (of Hell) as the Qur'an has ordained. They should not be confused with questionable ideas for fear that such suspicious ideas strike root in their hearts with the result that it becomes difficult for them to free themselves from such doubts and fall victims to misery and destruction. In short, the door of controversy and discussion should not be opened to the laymen because it will hinder them from practicing their professions on which the welfare of the world as well as the continued living of the elite depends.

The eighth duty: the teacher should act upon his knowledge in such a way that his deeds should not give lie to his words. The knowledge is perceived by minds, whereas deed is by sights; and since those who see with their eyes are greater in number, whoever has his deeds contradict his words will be detained from the right guidance. If one has anything, and asks the people not to have it on the basis that it is a deadly poison, he will become an object of people's ridicule and lays himself open to their accusation, who in turn will become more eager to get what they have been forbidden, saying: "Had it not been the most

pleasant and the most delicious, he would not have favoured himself with it apart from us."

The example of a guide teacher in relation to those who seek guidance is like the example of the stamp in relation to the clay, or the shade of a cane in relation to a stick: how should the clay be stamped with a stamp which has no form? Moreover, how should the shade of a cane be straight since the stick is crooked? In confirmation to that concept, it is said in the form of a poetic verse: "Forbid not the people to do a thing, the like of which you do yourself: how shameful it will be if you do that!" Allah Almighty says: "Do you enjoin good upon the people and forget yourselves?" (Al-Baqarah 44)

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

For the same reason, the sin of a learned man is more grievous than that of an ignorant, for with his slip; a lot of people are misled in imitation of his conduct. To be sure, "he, who lays the foundation of an evil way will bear its sin, as well as the sins of those who act upon it." Ali "Allah be pleased with him" said in this respect: "Two men have broken my back (with the heavy burden of their sins): a dissolute learned man and an ascetical ignorant one. The ignorant man deceives men through his asceticism and the learned one deceives them through his debauchery."

CHAPTER SIX: ON THE DEFECTS OF KNOWLEDGE; AND EXPOSITION OF THE DISTINCTIVE FEATURES OF THE LEARNED MEN OF THE HEREAFTER; AND THE LEARNED MEN OF FALSEHOOD

We've mentioned earlier the good merits of knowledge and the learned men; and there are grievous warnings against the learned men of falsehood, which indicate that they will receive the most severe punishment on the Day of Judgement. So, it is a great mission to know the certain features which distinguish the learned men of the world from those of the hereafter. We mean by the learned men of this world those of falsehood, whose purpose from acquiring knowledge is to enjoy the pleasures and delights of this world, and through it attain prestige and high position in the sight of its inhabitants.

In this context, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The one who will receive the most grievous punishment among the people on the Day of Judgement is a learned man, whom Allah Almighty does not benefit with his knowledge." According to another narration (by Ibn Hibban and Al-Baihaqi ending up with Abu Ad-Darda', and tracing it not to) the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "One will not become a learned man until he acts upon his knowledge." According to another narration (by At-Tirmidhi on the authority of Al-Hassan from Jabir) the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "The knowledge is to two kinds: one which is expressed by tongue (in the form of speech, i.e. the exoteric science) and this is the proof of Allah against His creatures; and another which lies in the heart (i.e. the esoteric science) and this is the beneficial knowledge."

The Messenger of Allah "Peace be upon him" further said (in the narration of Al-Hakim on the authority of Anas): "Towards the end of the time, there will be ignorant worshippers and wicked learned men." According to another narration (by Ibn Majah on the authority of Jabir) the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Do not learn knowledge with the intention to vie in glory with the learned men, or debate therewith the feeble-minded among the people, or even to divert through it the attention of the people to you: he, who does this will be in the fire (of Hell)." According to another narration the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "He, who conceals a portion of knowledge which he has, Allah Almighty will rein him with a rein of fire (on the Day of Judgement)."

According to another narration (by Ahmad on the authority of Abu Dharr) the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "I am not afraid of the evil of anyone else other than the Dajjal for you more than I'm of the Dajjal himself." It was said to him: "Who are those?" he said: "The misleading rulers and imams." According to another narration (by Ad-Dailami on the authority of Al-Hassan without tracing it up to) the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "He, who advances in knowledge, even though not in guidance, he becomes much farther from Allah Almighty." Jesus "Peace be upon him" said: "Until which time will you keep guiding walkers at night to the right way while you are still sitting in the company of the confused ones?"

Those and other narrations besides indicate how dangerous is the knowledge, and how a learned man is vulnerable either to the everlasting destruction or the never-ending happiness, who, by his pursuit of knowledge, endangers himself to lose safety, unless he attains happiness and felicity.

There are also a lot of traditions in this connection. It is narrated that Umar "Allah be pleased with him" said: "The thing which I fear most for you is a hypocrite omniscient." They asked: "How should one be a hypocrite omniscient?" he said: "When one is knowledgeable of what is expressed by tongue, even though ignorant of what lies in the heart and how he should act upon his knowledge." Al-Hassan "Allah's mercy be upon him" said: "Be not of those who join the knowledge of the learned men and the proverbs of sages, even though in their conduct they are like the feeble-minded persons." A man said to Abu Hurairah "Allah be pleased with him": "I would like to learn knowledge, but I'm afraid I might waste it." He said: "Sufficient for the loss of knowledge is to leave it."

It was said to Ibrahim Ibn Uyainah: "Who among the people is ready to show regret for the longest time?" he said: "In this world, it is the one, who does a favour to somebody who does not give thanks for it; and at the moment of death, it is a learned man who has indulged in his knowledge." According to Al-Khalil Ibn Ahmad: "There are four types of men: a man who knows, and he is well-aware of his knowledge, and this is a learned man whom you should follow; a man who knows, even though he is not aware of the fact that he knows, and this is heedless, whom you should awaken; a man who does not know and he is well-aware of his ignorance, and this is a guidance-

seeker, whom you should guide (to the right way); and a man who does not know, and he is not aware of the fact that the does not know, and this is an ignorant, whom you should reject." According to Sufyan Ath-Thawri: "It is the habit of knowledge to invite the deed to respond to its invitation, otherwise, it will depart."

According to Ibn Al-Mubarak: "One remains a learned man as long as he keeps seeking after knowledge, and once he thinks he has become a learned man, he recedes into ignorance." Al-Fudail Ibn Iyad "Might Allah bestow mercy upon him" said: "I have mercy upon three types of men: a previously chief among his people who has been put to humiliation; a wealthy man among his people who has become poor; and a learned man, who has become a laughing stock for the world." According to Al-Hassan: "The punishment of the learned men is the death of their hearts, and the death of hearts leads to seeking after this world with the deed of the hereafter."

It is said in a form of two poetic verses: "I wonder at him who buys error for guidance, even though he who buys his world for his faith is more amazing! But he, who pays a high price to rob the delights of others in this world is the strangest of all!"

(It is narrated on unknown authority that) the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "The learned man (of falsehood) will receive punishment so much severe that he will be made to go all around so that those of the fire will see in order to increase his torment." Of a surety, he means here the wicked dissolute learned man. It is unanimously narrated on the authority of Usamah Ibn Zaid that he heard Allah's Apostle "Allah's blessing and peace be upon him" having said: "On the day of Judgement, the learned man will be brought forward and thrown into the fire of Hell whereas his bowels will gush out and he will be made to carry them round and go round all over the Hell in the same way as a donkey turns a mill-stone round and round. Then the people of Hell will ask him about the reason of his torture and he will say: "I was wont to enjoin what is right upon others but failed to do it myself, and to forbid what is wrong and committed it myself."

Therefore, the learned man will receive a double punishment because he disobeys Allah Almighty in spite of his knowledge. For this reason, Allah Almighty says: "Verily, the hypocrites will be in the lowest bottom of the fire (of Hell)." (An-Nisa 145)

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٤٥﴾ ﴾

That's because they rejected faith after their knowledge of it. Moreover, the Jews have been made much worse than the Christians, although they have ascribed no child to Allah Almighty, nor have they made Him the third in a trinity, but because they rejected faith (of the Messenger) after their knowledge of his reality, according to the statement of Allah Almighty: "They know him with certainty in the same way as they know their real children." (Al-Baqarah 146; Al-An'am 20)

﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ﴾، ﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ﴾

He further says: "When there came to them what they really know, they rejected it: behold! Allah's Curse be upon the rejecters of faith!" (Al-Baqarah 89)

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

He also says relating the story of Bal'am Ibn Ba'ura': " Relate to them the story of the man to whom We sent Our Signs, but he passed them by: so Satan followed him up, and he went astray. If it had been Our Will, We should have elevated him with Our Signs; but he inclined to the earth, and followed his own vain desires. His similitude is that of a dog: if you attack him, he lolls out his tongue, or if you leave him alone, he (still) lolls out his tongue. That is the similitude of those who reject Our Signs; so relate the story; perchance they may reflect." (Al-A'raf 175:176)

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

The same is true of the wicked dissolute learned man. Although Bal'am was given the Book of Allah, he betook himself to lusts and desires, and this is the point of his resemblance with the dog, i.e. it is the same whether he was or was not given wisdom, he still lolls out his tongue showing his persistence in lusts and desires.

Jesus "Peace be upon him" said: "The example of the learned men of falsehood is like the example of a rock which has fallen upon the mouth of a river: it neither drank water, nor did it let water pass to the plants; or like the example of the pipes which lead into the cesspool, whose outside is gypsum white and their inside is full of refuse and filth; or like the example of sepulchres the outside of which is polished and clean and the inside is full of dead bodies and bones."

These Prophetic traditions and narrations show that the learned man of this world will occupy a more inferior position and will receive a more severe punishment than the ignorant person, while those who will succeed to attain felicity and become close to the Presence of Allah Almighty are the learned men of the hereafter, who have many distinctive characteristics:

One of those characteristics is that such learned man should not seek the world with his knowledge. That's because the learned man of the least degree should make sense to the insignificance, inferiority, filthy contamination and departure of this world, in contrast with the great significance, eternity, pureness, and glory of the dominion of the hereafter, putting in consideration that both world and hereafter are opposing, or like two fellow-wives: the more you please one of them, the more you cause the other to be angry, or like both scales of the balance: the higher one of them rises up, the lower the other falls, or like both

East and West: the closer you come to one direction, the farther you go from the other, or like two vessels, one of which is full and the other is empty: the more you pour from that which is full into the other until it is filled, the lesser it remains in the first until it becomes empty.

However, he who makes no sense to the insignificance, inferiority, and filth, whereas its pleasures and delights are contaminated with its pains and tortures, and the abrupt end of what becomes pure of it, is, by all means, a weak-minded, since both observation and experience bring about a clear evidence which guides to this fact. How should one of no sound mind be of the learned men? Furthermore, he, who make no sense to the great significance and permanence of the hereafter, is a disbeliever, deprived of faith: how should one who has no faith belong to the learned men? He, who makes no sense to the fact that both the world and the hereafter are opposing, and rather to join them is an impossible desire, is, by all means, ignorant of the laws of all the Prophets and Messengers, if not unbeliever of the Holy Qur'an as a whole, from its beginning to its ending: how should such be numbered among the assembly of the learned men? To be sure, he who is well-aware of all that, and does not give preference to the hereafter over the world is possessed by devil: His lust has vanquished him and his wickedness has overpowered him: how should such be enumerated among the party of the learned men?

According to a narration transmitted from (the Prophet) David, he said relating from Allah Almighty: "O David! The least punishment I will give to a learned man who gives preference to desire over my love is that I forbid him the pleasure and honour of having communion with Me. O David! Ask not about Me a learned man, whom the joy of this world has intoxicated, perchance he will keep you off My Love: those are the highway brigands who attack My worshippers to drive them away from My Path. O David! If you see one who is seeking after Me, be in his service! O David! He, who brings back anyone who has run away to My Presence, I will enlist him among the excellent learned men; and whomever I enlist among the excellent learned men, I will never punish him."

For this reason, Al-Hassan said: "The punishment of the learned men is the death of their hearts, and the death of hearts leads to seeking after this world with the deed of the hereafter." For the same reason, Yahya Ibn Mu'adh said: "The brilliance of knowledge and wisdom vanish only when the world is sought after through them." According to Sa'id Ibn Al-Musayyab "Might Allah bestow mercy upon him" said: "When you see a learned men frequent the gatherings of the chiefs and rulers, you should know that he is a thief." According to Umar "Allah be pleased with him": "When you see a learned man having a tendency to the love of this world, entrust not your religion to him, for he, who loves anything should, inevitably be engaged in what he loves."

It is narrated that Malik Ibn Dinar said: I have read in some books belonging to the ancients that Allah Almighty says: "The least punishment I give to a learned man when he loves this world (and prefers it to My Love) is that I will

take the pleasure and honour of having communion with Me away from his heart." According to a certain narration, a man wrote to his brother: "You've been given knowledge: so, extinguish not the light of your knowledge with the darkness of sins, and thus will remain in the midst of darkness on a day, when those of knowledge will proceed with the help of the light of their knowledge." Yahya Ibn Mu'adh Ar-Razi used to say to the learned men of this world: "O people of knowledge! Your palaces are like those of Caesar, your homes are like those of Khosrau, your doors are like those of Tahir (in reference to Tahir Ibn Al-Hussain Dhu-Al-Yaminayn one of Al-Ma'mun's ministers), your footwears are like those of Goliath (Jalut who was killed at the hands of the Prophet David according to the Qur'an), your coaches are like those of Qarun, your utensils are like those of Pharaoh, your sins are the same as those of the Pre-Islamic days of ignorance, and your beliefs are Satanic: where then is the Muhammadan law?"

According to a certain poet: "The shepherd keeps the sheep from the danger of wolves: Who then would keep them safe by day and night seeing that all the shepherds are like wolves?" according to another: "O you learned men who are the flavour of the town! What will recover salt when it looses its flavour?" It was said to a Gnostic: "Do you not think that he to whom disobedience is well-pleasing does not know Allah?" He replied: "I do not doubt that he who prefers this world to the hereafter, does not know Allah." This latter thing is by far worse.

Think not that abandoning wealth is sufficient for anyone to join the company of the learned men of the hereafter! That's because majesty is more harmful than wealth. For this reason Bishr Ibn Al-Harith related that a certain Bab once told him: "Whenever you hear a man saying: 'We were told,' what he really means is: 'Give room to me (to speak and pay your attention to me'." This same Bishr buried over ten baskets full of books used to say: "I have yearning to relate traditions but when I lose this yearning I will relate." He also, as well as others besides him, said: "When you feel you have yearning for relating traditions, you should keep silent, and when this yearning vanishes, you might relate." That's because taking pleasure from the majesty of being useful and enjoying the office of guiding others is much greater than any pleasure else one might take from the delights of this world; and he, who responds to his yearning in this respect belongs to these of the world.

For this reason, Ath-Thawri said: "The temptation of relating tradition is much graver than that produced by one's family, property, and offspring." And how should you not be afraid of its temptation, since it was said to the chief of all the Messengers "Peace be upon him": "And had We not given you strength you would nearly have inclined to them a little." (Al-Isra 74)

﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾

According to Sahl: "All knowledge belongs to this world, and the hereafter's portion of it is only that upon which one acts; and all deeds are vain except those done sincerely (and in accordance with the requirements of law)." He further

said: "All the people die barring the learned men (whose knowledge survives); and all the learned men are in the state of bewilderment barring those who act upon their knowledge; and all the workers are arrogant barring the faithful sincere; and every faithful sincere remains in awe until he knows with which work his deeds will be concluded (in this world)." According to Abu Sulaiman Ad-Darani: "When one seeks after tradition (which are of no benefit for the hereafter), or gets married, or sets out on journey to get earnings, he then has inclined to the world." Of a surety, he refers here to the pursuit of the singular chains of transmission, or those traditions which are of no use in seeking for the hereafter.

Jesus "Peace be upon him" said: "How should one be of those of knowledge, who turns his face to the way of his world, even though the hereafter is the end of his journey? How should one be of the learned men, who pursues the narrations only to relate them other than to act upon them?" Salih Ibn Kaisan said: "I've caught up with the venerable sheikhs who used to seek refuge with Allah Almighty from (the evil of) the wicked one who had knowledge of the sunnah." It is narrated (by both Abu Dawud and Ibn Majah) on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "He, who pursues a portion of knowledge therewith the hereafter is sought for, just to get a worldly benefit will not detect the smell of the Garden on the Day of Judgement."

Allah Almighty describes the learned men of falsehood as those who devour the delights of this world with their knowledge, and the learned men of the hereafter as those who are submissive and ascetic. He says about the learned men of this world: "And remember Allah took a Covenant from the People of the Book, to make it known and clear to mankind, and not to hide it; but they threw it away behind their backs, and purchased with it some miserable gain! and vile was the bargain they made!" (Al Imran 187)

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ
وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾

Concerning the learned men of the hereafter He Almighty says: " And there are, certainly, among the People of the Book, those who believe in Allah, in the revelation to you, and in the revelation to them, bowing in humility to Allah: they will not sell the Signs of Allah for a miserable gain! for them is a reward with their Lord, and Allah is swift in account." (Al Imran 199)

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ ﴾

According to an ancient man: "The learned men (of the hereafter) will be mustered in the company of the Prophets, whereas the judges in the company of the rulers." The concept of a judge here implies every jurisprudent whose intention is to seek after this world through his knowledge.

It is narrated (by Ibn Abd Al-Barr) on the authority of Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Allah Almighty revealed to one of the Prophet (to convey the following message): 'Say to those who pursue the science of jurisprudence for anything else other than the purpose of maintaining the principles of religion, and learn knowledge for anything else other than to act upon it, and seek after this world through the deeds of the hereafter, who seem, in the sight of the people, as amiable as rams, even though their hearts are the hearts of wolves, whose tongues are sweeter than honey, even though their hearts are more bitter than aloes, who deceive Me, and take Me as a laughing stock, that I will open for them a gate of affliction, which will leave the most forbearing in the state of confusion."

It is narrated (by At-Tabarani) on the authority of Ibn Abbas "Allah be pleased with both" that the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "The learned men of this nation are of two types of men: a man who has been given knowledge by Allah Almighty, which he has sacrificed for the people, with no reward he has taken greedily from them, nor has he sold it for a small price: it is that upon whom the birds in the sky, the fish in the water, the beasts on earth, and the honourable scribes (from amongst the angels) invoke prayer. He will come upon Allah Almighty on the Day of Judgement as a noble master, until he joins the sent Messengers. And a man who has been given knowledge by Allah Almighty in this world, which he has withheld from the slaves of Allah, taken charge for it with greediness, and sold it for a small price: it is this who will come on the Day of Judgement, reined with a rein of fire, and it will be called publicly before all the creatures: 'This is so and so, son of so and so, whom Allah Almighty had given knowledge in the world, which he had withheld from His servants, taken charge for it with greediness, and sold it for a small price'. He will be kept in punishment until (Allah) will finish from the reckoning of all the people."

More grievous is the following narration: It is narrated that a man, who worked in the service of Moses, used to say: 'Moses, whom Allah Almighty has chosen told me such and such' 'Moses, whom Allah Almighty has saved told me such and such' 'Moses, whom Allah Almighty has communicated told me such and such' until he became rich, and had abundance of wealth. Moses "Peace be upon him" lost him, and enquired about him, but he received no news about him. One day, a man came to him, having a pig in his hand, in whose neck there was a black string. Moses "Peace be upon him" asked him: "Do you know so and so?" he said: "Yes. It is that pig." Moses "Peace be upon him" said: "O Lord! I ask you to restore him to his original state, so that I could ask him why he had been transformed as such." Allah Almighty revealed to him: "If you invoke me with the same with which Adam and those who came after him invoked me, I would not respond to your invocation pertaining to him. But, I'm going to tell you why I had done that with him: that's because he sought after this world through religion."

More heinous is the following tradition (by Abu Na'im) on the authority of Mu'adh which ends up with him in one narration, and which he traces up to the Messenger of Allah "Peace be upon him" in another narration: "It is one of the things by which a learned man might be tempted that speaking becomes dearer to him than listening." Of a surety, speech is always subject to embellishment and accretion, because of which the speaker might not be secure from falling in mistakes, whereas silence brings about safety and knowledge.

But from amongst the learned men, there is he who stores his knowledge, and likes that none should share it with him; and this will be in the lowest and the first depth of the fire (of Hell). There is also he who likes to occupy the position of a chief in his knowledge in the sense that if he is contradicted or even slighted he grows angry; and this will be in the second depth of the fire (of Hell). There is he who limits his knowledge to those of nobility and wealth regarding the poor unworthy of it; and this will be in the third depth of the fire (of Hell). There is he who appoints himself in the office of giving religious verdicts, and hands down faulty opinions, and of a surety, Allah Almighty dislikes those who make things difficult upon themselves; and this will be in the fourth depth of the fire (of Hell). There is such of learned men as insert in his discourse Jewish and Christian arguments in order to make his knowledge seem abundant; and this will be in the fifth depth of the fire (of Hell). There is he who considers his knowledge something virtuous and honourable and a source of celebration among men; and this will be in the sixth depth of the fire (of Hell). there is also he who is motivated by vanity and conceit. Whenever he preaches he upbraids, and whenever he is admonished he shows arrogance; and this will be in the seventh depth of the fire (of Hell). So, O brother, observe silence, for through it you will overpower Satan. Do not laugh without a cause and do not move without a goal.

According to another tradition: "A servant might receive a lot of thanks as much as to fill what is between the heaven and the earth, even though he is less than the weight of the wing of a mosquito in the Sight of Allah Almighty." It is narrated that a man brought to Al-Hassan, after he had turned away from his session, a case containing five thousand Dirhams and ten garments made of fine silk and said to him: "O Abu Al-Hassan say to him: "Might Allah Almighty repair you! Take back your spending and clothing, since we are not in need for that. It should be known that he, who sits in the like of my gathering (to preach the people) and accepts from the people the like of that, will meet Allah, on the Day of Judgement, having no share (of Allah's reward)."

It is narrated (by Abu Na'im) on the authority of Jabir that the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Sit not in the gathering of a learned man unless he summons you from five (vices) to accept five (good things): from suspicion to certainty (of faith), from showing off (and doing things in order to be seen of men) to sincerity (in your deeds), from desire (for the pleasures and delights of

this world) to asceticism (and refraining from the worldly benefits), from arrogance to humbleness, and from showing enmity to giving advice (with sincerity to each other)."

Allah Almighty says in this respect: " So he went forth among his people in the (pride of his worldly) glitter. Said those whose aim is the Life of this World: "Oh! that we had the like of what Qarun has got! For he is truly a lord of mighty good fortune!" But those who had been granted (true) knowledge said: "Alas for you! The reward of Allah (in the Hereafter) is best for those who believe and work righteousness: but this none shall attain, save those who steadfastly persevere (in good)."" (Al-Qasas 79:80)

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

Thus, these of knowledge are recognized by their giving priority to the hereafter over the world.

One of those distinctive characteristics is that his deed should not contradict his word in the sense that he should not enjoin anything unless he is the first to do it, in compliance with Allah's statement: "Should you enjoin good upon the people and forget yourselves?" (Al-Baqarah 44)

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴿٤٤﴾ ﴾

He Almighty further says: "Grievously odious is it in the sight of Allah that you say that which you do not." (As-Saff 3)

﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾

He also says in the story of Hud (on his tongue while addressing his people): "I wish not, in opposition to you, to do that which I forbid you to do. I only desire (your) betterment to the best of my power." (Hud 88)

﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴿٨٨﴾ ﴾

He says too: "So fear Allah; for it is Allah that teaches you. And Allah is well acquainted with all things." (Al-Baqarah 282)

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴿٢٨٢﴾ ﴾

He says: " But fear Allah, and listen (to His counsel): for Allah guides not a rebellious people." (Al-Ma'idah 108)

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ﴿١٠٨﴾ ﴾

He Almighty said to Jesus: "O son of Mary! Admonish yourself: if you receive admonition, you might give admonition to the people, otherwise, feel shy of Me!" (It is narrated by Ibn Hibban on the authority of Anas that) the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "On the very night I was made

to set out on the Night Journey, I came upon a people, whose lips were being filed with files of fire. I asked them: "Who are you?" they said: "We used to enjoin good upon the people, even though we did it not, and forbid them to do evil, even though we did it."" (It is narrated by 158 on the authority of that) the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "The destruction of my nation will be at the hands of a wicked learned man (of falsehood), and an ignorant worshipper; and the worst of the evil ones are the evil learned men (of falsehood), and the best of the good ones are the good learned men (of the hereafter)."

According to Al-Awza'i "Might Allah bestow mercy upon him": The land larva complained to Allah the stench of the corpse of the infidels from which they were suffering, thereupon Allah revealed to them that 'the bellies of the evil learned men (of falsehood) are more foul-smelling than that from which you are suffering'." According to Al-Fudail Ibn Iyad "Might Allah bestow mercy upon him": "On the Day of Judgement, the wicked among the learned men will be brought forward for reckoning before the idolaters." According to Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him": "Wretched be him once, who does not know, and wretched be he seven times, who knows and does not act upon what he knows."

According to Ash-Sha'bi: "On the Day of Judgement, some of the inhabitants of the Garden will appear to some from the denizens of the fire (of Hell) and ask them: "What has caused you to enter the fire (of Hell), even though Allah Almighty has admitted us to the Garden by virtue of your instructing and teaching us?" they will say: "We used to enjoin good but do it not, and forbid evil, but do it." According to Hatim Al-Asamm: "On the Day of Judgement, there will be none more distressed than a learned man, who has taught a people his knowledge, upon which they acted upon (in the world), even though he did not do, thereupon they attained felicity because of that, but he was given to destruction." According to Malik Ibn Dinar: "Unless a learned man acts upon his knowledge, his preaching will vanish from hearts in the same way as a drop of water evaporates from a rock."

It was said in the form of poetry: "O preacher of the people! You've become unreliable (in your religion) since you chide many of their acts, which you do yourself. You strive your utmost to advise them by your preaching (to do what is right and refrain from what is evil), even though, by my life, you commit such of sins as are destructive. You condemn the world and those who have desire for it, even though your yearning for it is much greater than theirs."

According to another poet: "Forbid not an act the like of which you do: it is great shameful upon you to do so."

Ibrahim Ibn Adham "Might Allah bestow mercy upon him" said: I came upon a stone in Mecca, on which the following phrase was written: "Turn me perchance you would take lesson." I turned it and behold! The following was written on it: "Since you act not upon what you know: how should you pursue the knowledge of that which you do not know?" according to Ibn As-Simak

"Allah's mercy be upon him": "Many are those who remind of Allah, even though they themselves forget (the celebration of) Allah! Many are those who frightens others from (the punishment of) Allah, even though they themselves fear Allah not! Many are those who bring others much closer to Allah, even though they themselves are far from Allah! Many are those who invite others to Allah, even though they themselves flee away from Allah! Many are those who recite Allah's Book, even though they themselves abandon Allah's Signs."

Ibrahim Ibn Adham "Might Allah bestow mercy upon him" said: "When we speak, we are always careful not to commit errors in language, but when we do deeds, we commit errors and fall short of the ideal set before us." According to Al-Awza'i: "When one comes to be careful not to commit errors in speech (during the religious service) he looses submission."

It is narrated (by Ibn Abd Al-Barr and Ad-Darimi) on the authority of Makhul from Abd Ar-Rahman Ibn Ghunm from ten from amongst the holy companions of the Messenger of Allah "Peace be upon him" that they said: We were studying knowledge in the mosque of Quba' when the Messenger of Allah "Peace be upon him" came out to us and said: "Learn as much knowledge as you like to know, but Allah will give you no reward unless you act (upon what you learn)."

According to Jesus "Peace be upon him": "The example of him who learns knowledge upon which he acts not is like the example of a woman who has committed adultery in secrecy, which resulted in her pregnancy, and when her pregnancy became visible, she was ashamed. The same is true of him who does not act upon his knowledge, thereupon Allah Almighty will openly disgrace him on the Day of Judgement before the people." According to Mu'adh "Allah be pleased with him": "Beware of the slip of the learned man, for he is highly estimated by the people, who, in turn, might imitate him in his slip." According to Umar "Allah be pleased with him": "When a learned man falls into a slip, a multitude of people commit that error in imitation of him." According to Umar "Allah be pleased with him": "There are three things, because of which the time will come to an end, one of which is the slip of a learned man."

Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" said: "A time will come upon the people, in which the sweetness of hearts will become salty, thereupon neither the man of knowledge nor the learner will be able to get benefit from the knowledge; and that's because the hearts of their learned men will be like the salty land, which will fail to become sweet and fresh even if the rain of the sky descend upon it." That will happen when the hearts of the learned men incline to the love of this world, which they give preference over the hereafter. At that time, Allah Almighty will deprive them of the resources of wisdom, and extinguish the lamps of guidance from their hearts. Whenever you meet anyone of their learned men, he will tell you that he fears Allah but this fear will be expressed only by his tongue, because the signs of debauchery and wickedness will be visible from his deed. On that day, how fertile and rich will the tongues be, and how barren and arid will the hearts be! By Allah, other than Whom there is no god, this will not happen but because the learned men teach knowledge for something other than

Allah Almighty, as well as the learners acquire knowledge for something other than Allah Almighty. According to both Torah and Gospel the following is written: "Ask not to learn that which you do not know until you act upon that which you know."

Hudhaifah "Allah be pleased with him" said: "You now live in a time, in which if anyone of you gives up one-tenth what he knows, he will be ruined; and a time will come upon the people in which if anyone of them acts upon only one-tenth what he knows, he will be saved; and this is in view of the prolific number of those who are idle."

It should be known that the example of the learned man is like the example of the judge. In this respect (it is unanimously narrated on the authority of Buraidah that) the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "There are three types of judges: one judges with the truth knowingly, and such will be in the Garden; and one judges with injustice whether knowingly or unknowingly, and such will be in the fire (of Hell); and one judges in opposition to what Allah has commanded, and such will be in the fire (of Hell)."."

According to Ka'b "Might Allah bestow mercy upon him": "Towards the end of the time, there will be learned men, who will urge the people to abstain from this world, even though they themselves will not refrain from it, frighten the people (from the punishment of Allah), even though they will fear not, forbid the people to seek the favours of the rulers and governors, even though they themselves will pursue their favours. They will give priority to this world over the hereafter. They will slander the people with their tongues, and approach the rich wealthy apart from the poor. They will contest with each other because of jealousy over knowledge in the same way as women contest because of jealousy over men. One of them will grow angry with his sitter in case he sits with anyone else. They are the compellers, the enemies of (Allah) Most Gracious."

(It is narrated on the authority of Anas that) the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Satan would keep baiting you with knowledge." It was said: "How would that be O Messenger of Allah?" he "Peace be upon him" said: "He would say to you: 'Seek after knowledge, and did nothing until you have full knowledge'. In this way, he would continue to seek after knowledge, and defer doing anything until he dies without doing any deeds."

According to Sari As-Saqta: A man who was eager to pursue the exoteric knowledge secluded himself to religious service, and when I asked him about the reason he said: "I saw in a dream somebody having said to me: 'How long will you keep wasting knowledge, might Allah waste you?" I said: "I preserve it." He said: "Then (you should know that) to preserve knowledge is to act upon it." On that I gave up its pursuit, and rather turned to (putting it to practice by) doing deeds."

According to Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him": "Verily, knowledge does not lie in retaining a prolific number of narrations, but it rather lies in entertaining the fear (of Allah in the heart)." According to Al-Hassan: "Learn as much knowledge as you like to know, but by Allah, Allah Almighty will give you

no reward until you act (upon what you know). Verily, the weak-minded are mainly concerned with the narration, whereas the learned men are mainly concerned with preserving (knowledge through acting upon it)." According to Malik "Allah's mercy be upon him" said: "Verily, seeking after knowledge is good, and disseminating it is good, provided that the intention is true. But, consider what is necessary for you from morning to evening, and give preference to nothing over it."

According to Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him": "Verily, the Holy Qur'an has been revealed perchance you should act upon it, but you've taken its study as means of acting upon it. A people will come later, who will try to modify it in the same way as an arrow is modified; and of a surety, they will not be the good among you." The learned man who does not do according to his knowledge is like a sick man who prescribes treatment for others, or like a hungry one who works out delicious menus of food but cannot taste them. Allah Almighty says in a similar meaning: "Woe to you from what you describe!" (Al-Anbiya 18)

﴿ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

according to a Prophetic tradition (transmitted by At-Tabarani on the authority of Abu Ad-Darda' that the Prophet said): "I fear for my nation most a slip of a learned man, or a debate of a hypocrite in the Qur'an."

From among those characteristics, a mention might be made of the fact that he should be mainly interested in acquiring such of sciences as are of good use for the hereafter, conducive to the religious works of obedience, avoiding such of sciences as are of little use, which lend themselves to debate and gossip. The example of him, who turns away from the practical knowledge, and rather is engaged in argumentation and debate is like the example of a sick man who has so many ailments, and he happens to meet a skillful physician, and the time is very limited, and instead of devoting himself to his real mission, which he is required to achieve, he occupied himself by asking for the qualities of drugs and the curiosities of medicine: how foolish this is!

(It is narrated by Ibn Abd Al-Barr and Abu Na'im on the authority of Abdullah Ibn Al-Miswar that) a man came to the Messenger of Allah "Peace be upon him" and said: "Teach me some of the curiosities of knowledge!" he asked him: "What have you done pertaining to the beginning of knowledge?" he said: "What is the beginning of knowledge?" he "Peace be upon him" asked him: "Have you known the Lord Almighty?" he said: "Yes." He said: "Then, what have you done for Him?" he said: "What Allah wills." He further asked: "Have you known the death?" he answered in the affirmative, thereupon he said: "Then, what have you done in preparation for it?" he said: "What Allah wills." On that the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Go and do perfectly what you know and then come so that we might instruct you in the strange facts of knowledge."

Therefore, the learner should correspond to the same in connection with

whom it is narrated from Hatim Al-Asamm that Shaqiq (his mister) said to him: "How long have you been in my company?" Hatim said: "Since thirty-three years." He asked him: "How much have you learnt from me during that period?" he said: "Only eight questions." Shaqiq said to him: "We all are to Allah, to Whom we refer! I've spent my life with you but you learnt only eight questions." He said: "O mister! I've learnt nothing more than those, and I do not like to tell a lie." He said: "Then, bring me those eight questions, perchance I would listen to them from you."

"The first" Hatim said "I cast a glance at the creatures, and see that everyone loves anything will remain with whatever he loves until (it is time for him to die and go to) the grave, and once he reaches the grave, he departs from what he loves. Having understood that, I've made the good deeds my dearly loved in order that when I enter the grave, my dearly loved will enter with me." He said: "You've done well O Hatim! What is the second question?"

He said: "I have considered Allah's saying: " And for those who had entertained the fear of standing before their Lord's (tribunal) and had restrained (their) soul from lower Desires, Their Abode will be the Garden." (An-Nazi'at 40:41)

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ ﴾

I then came to know that Allah's statement is the truth, thereupon I strived myself so much to repel such lower desires until it found its abode in the obedience of Allah Almighty."

"The third is that I've caught a glimpse over the creatures and observed that everyone has anything of significance and high value would raise and preserve it. At the same time, I considered the statement of Allah: "What you have will inevitably perish, and what is with Allah will abide forever" (An-Nahl 96)

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۝ ﴾

the result is that the more I have anything of value and high esteem, the more I direct it to Allah Almighty, perchance it would be preserved with Him."

"The fourth is that I cast a glance at the creatures, and found that everyone refers to wealth, high social status, honour and good ancestry. I've considered them and behold! They are of no significance. At the same time, I've considered the statement of Allah: "Verily, the most honourable among you is the most Allah-fearing of you" (Al-Hujurat 13)

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۝ ﴾

thereupon I did my best to safeguard myself from the punishment of Allah perchance I would be regarded honourable in the Sight of Allah."

"The fifth is that I've cast a look at the creatures in their slandering each other and cursing each other, and the main cause of that is their mutual envy. At the same time, I've considered the statement of Allah Almighty: "We've given each his due portion of living in this world." (Az-Zukhruf 32)

﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾

Thereupon I gave up the envy, and isolated myself from the people, and came to know that everyone's portion (in this life) is determined by Allah Almighty. For this reason, I turned to have no feeling of enmity towards the people."

"The sixth is that I've cast a glance at the people, and found them transgressing over each other, and fighting each other, thereupon I returned to the statement of Allah: "Verily, Satan is an enemy to you, so, take it as enemy." (Fatir 6)

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾

taking from this, I considered Satan alone my enemy, and strove my utmost to be cautious of him, for Allah Almighty bears witness that he is an enemy to me; and the result was that I came to have no feeling of enmity towards anyone else from amongst the creatures."

"The seventh is that I have cast a glance at the creatures, and detected that everyone of them pursues a fragment (of livelihood), for which he humiliates himself, and does what is unlawful for him to do. At the same time, I've considered the Statement of Allah Almighty: "There is no moving thing on earth but that its sustenance is incumbent upon Allah." (Hud 6)

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾

on that I came to know that I'm one of those moving things, whose sustenance is incumbent upon Allah Almighty. The result was that I came to be engaged in what Allah has enjoined upon me, and entrusted to Him what I have with him."

"The eighth is that I have caught a glimpse over the creatures and found everyone of them having put his trust in that which is created (like him): one in his property, one in his trade, one in his profession, and one in his good health. In short, every creature has put his trust in another creature like him. Then, I have returned to the statement of Allah Almighty: "He, who puts his trust in Allah, He suffices him (for Helper and Supporter)." (At-Talaq 3)

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾

The result was that I came to put my trust in Allah Almighty, for He suffices me (for Helper and Supporter)." On that Shaqiq (his mister) said to him: "O Hatim! Might Allah Almighty grant you success! Of a surety, I've studied all sciences implied in the Torah, the Gospel, the Psalms, and the Holy criterion (i.e. the Qur'an), and found that all kinds of good and faith depend upon those eight questions. So, if one puts them to practice, he will have put the (principles of all the) four Scriptures to practice."

It is only the learned men of the hereafter who are mainly concerned with understanding and making sense to the existence of this kind of science. But the

learned men of this world are mainly engaged in that with facilitates for them the getting of wealth, prestige and power, and neglect such sciences (of the hereafter), with which Allah Almighty sent all of the Messengers and Prophets "Peace be upon all of them". According to Ad-Dahhak Ibn Muzahim: "I've joined them, while their habit was to learn nothing from each other but piety, and now, they learn nothing from each other but scholastic theology."

One of those distinctive features that he should not be inclined to lead a comfortable life including the indulgence in food and drink, the luxury in his dress, furniture and housing. On the contrary, he should give priority to economy in all of that, in imitation of the good ancestors "Might Allah bestow mercy upon them", and incline to be satisfied with the minimum requirements of all of that; and the more he is inclined to the side of penury, the closer he draws to the Presence of Allah Almighty, and the higher he is raised up in rank to the party of the learned men of the hereafter.

In confirmation to that, it is narrated from Abu Abdullah Al-Khawas, a companion of Hatim Al-Asamm that he said: "Once I and Hatim, in the company of three hundred and twenty pilgrims arrived at Ar-Rayy. We were all going to Mecca for performing Hajj. The men had their woollen cloaks but ran short of provisions and provision bags. On arriving at Al-Rayy we came upon an ascetic merchant who loved the poor. He offered us shelter and food for the night. In the morning our host asked Hatim: "Do you have anything to do for you? Indeed, I want to visit a patient jurisprudent to enquire about his health in the town." Hatim replied: 'Visiting the patient is meritorious, and hearkening unto the learned is a form of religious service. I shall accompany you.' The patient jurisprudent was Muhammad Ibn Muqatil, the judge of Ar-Rayy. As they arrived at the gate of his mansion they saw a great and striking palace. This made Hatim wonder and say (to himself): 'How does such a palace belong to the property of a learned man!' On being admitted they entered the palace and behold! they were in the midst of an impressive wide spacious house with luxurious curtains and draperies. But Hatim still wondered. They then stepped into the hall in which the patient was lying on a soft mattress. Over his head stood a lad waving a fan. While Hatim remained standing the merchant sat down beside Ibn Muqatil and inquired about his health. Noticing that Hatim was still standing, Ibn Muqatil beckoned to him to sit down but Hatim said: 'No, I will not sit down.' Ibn Muqatil then exclaimed: 'Then, perhaps there is something I might do for you!' Hatim replied: 'Yes I wish to ask you a question.' Ibn Muqatil said: 'Ask.' Hatim replied: 'Sit up perchance I might ask you!' Ibn Muqatil sat up and Hatim asked him: 'From where did you learn the knowledge which you have?' He said: 'From trustworthy reporters who related their knowledge to me directly.' Hatim asked: 'And wherefrom did they get theirs?' he said: 'From the holy Companions of the Messenger of Allah "Peace be upon him".' Hatim further asked: 'And wherefrom did the Companions get theirs?' he said: 'From the Messenger of Allah "Peace be upon him".' Hatim asked: 'And wherefrom did the Messenger get his?' he said: 'From Gabriel who got his from Allah

Almighty.' Hatim said: 'Tell me then, in that which Gabriel received from Allah and transmitted to the Messenger of Allah "Peace be upon him" who related it to his companions who conveyed it to trustworthy transmitters who in turn handed it down to you, did you hear of any learned man who advanced in worth in the Sight of Allah because he led a life of luxury in his house and because his wealth exceeded that of a governor?' he said: 'No.' Hatim asked: 'What have you learnt then from those trustworthy transmitters?' Ibn Muqatil replied: 'I have learnt that he who refrains from this world and seeks after the hereafter, shows love to the poor and prepares himself for the hereafter, will be favoured by Allah.' Hatim then said: 'The example of whom have you followed then, that of the Messenger of Allah "Peace be upon him" and his Companions and their righteous followers or that of Pharaoh and Numrudh, the first to use gypsum and bricks in masonry? O teachers of falsehood! The ignorant man who has a lustful desire for the pleasures of this world would see you and your fellows and would say to himself: 'If the learned men lead such a life, there is no reason why I should not do the same." Having said this, Hatim left, and Ibn Muqatil's sickness was aggravated.

The news of that soon became in circulation among the people of Ar-Rayy and they informed Hatim that At-Tanafisi in Qazwin was more extravagant. Hearing this, Hatim made his journey to Qazwin and on his arrival, called on At-Tanafisi and addressed him saying: 'Might Allah bestow mercy upon you! I am a non-Arab who wishes you would instruct me in the principles of my religion and the commencement of my prayer, namely, how to perform ablution preparatory to service.' At-Tanafisi rose up while Hatim was watching. At-Tanafisi performed ablution applying water thrice to each part of his body that should receive water, and told Hatim to perform ablution in the same way. Hatim then said: 'Could you please stay where you are until I perform ablution before you and thus be sure I have learnt it correctly?' At-Tanafisi moved aside and Hatim went on to perform ablution. When he got to the washing of his arms up to the elbows he applied water four times. At-Tanafisi said: 'You have transgressed the due limits.' Hatim asked: 'In what respect?' he said: 'In washing your arms four (instead of three) times.' On that Hatim exclaimed: 'Glory be to Allah! For using an extra handful of water you think I have transgressed the due limits, but as to your indulgence in all this luxury you do not render yourself extravagant.' At-Tanafisi then came to know that Hatim's real purpose was to admonish him rather than to learn from him. He entered his home and did not come to see the people for forty days.

When Hatim entered Baghdad, its inhabitants came to him and said: "O Abu Abd Ar-Rahman! Although you are a non-Arab (who does not speak Arabic fluently like the native speakers), no one ever talks to you but that you silence him." Hatim replied: "Verily, I have three characteristics which enable me to overpower my adversary: I rejoice when he is right, grieve when he is wrong, and make an effort not to act foolishly towards him." When the grand imam Ahmad Ibn Hanbal heard this he said: "Glory be to Allah! how great is the wisdom of this man! Come! Let us call on him." When they entered his house, Ibn Hanbal

addressed him saying: "O Abu Abd Ar-Rahman! What will grant salvation from this world?" Hatim replied: "O Abu Abdullah! You will not be saved (from this world) until you have four characteristics: Overlook men's ignorance, spare them yours, give them from you substance and except nothing from theirs. You will not be saved until you do these."

He then turned to Medina where he was welcomed by its inhabitants. He said to them: 'Which city is this?' They replied: 'The city of the Messenger of Allah "Peace be upon him".' He asked: 'Where is the palace of the Messenger of Allah "Peace be upon him" perchance I might go and offer prayer in it?" they said: 'He had no palace, but all he had was a modest house half-buried in the ground.' He said: 'Where then are the palaces of his Companions?' they said: 'They had no palaces, but all they had were modest houses half-buried in the ground.' Hatim said: 'O Men! This is then the city of Pharaoh!' having become angry, they took him unto the governor and said: 'This non-Arab says that this is the city of Pharaoh.' The governor asked Hatim why he had said so, and Hatim replied: 'Be not hasty with me! I am a non-Arab stranger in this city. When I arrived in it I inquired whose city it was and was told that it was the city of the Messenger of Allah "Peace be upon him". I then asked where his palace was. Hatim then recalled the whole story with the following Qur'anic quotation in the end: "You had in the Apostle of Allah a good example (to follow)" (Al-Ahzab 21)

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾

after which he said: 'Whose example have you then followed, that of the Messenger of Allah "Peace be upon him" or that of Pharaoh, the first to use gypsum and brick in masonry?' Hearing that, they released him and let him go safely." This is the story of Hatim Al-Asamm "Might Allah Almighty bestow mercy upon him". Later on, the adoption of asceticism and leaving luxury in life will be attested by the biographies and stories of the good ancestors which will come in their due course.

What is true is that using such of things as permissible for ornament is not unlawful although its practice leads to having affection for it which is hard upon one to give up. Persistence in adornment is not possible except through practices which will inevitably lead to committing sins such as adulation, compromise, and hypocrisy as well as to other prohibited offenses. It is then wise to avoid these things because whoever indulges in the luxuries of this world would never be safe. Had salvation been compatible with indulgence in luxury, the Messenger of Allah "Peace be upon him" would not have been insistent on refraining from the delights and pleasures of this world even to the extent that he took off the shirt embroidered with marks and threw away the gold ring during his sermon (once he noticed that the people imitated him and took on gold rings); and this will be discussed later.

It is narrated that Yahya Ibn Yazid An-Nawfali wrote to Malik Ibn Anas the following: "In the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful. Allah's blessing

and peace be upon His Apostle Muhammad. From Yahya Ibn Yazid Ibn Abd Al-Malik to Malik Ibn Anas: I have been informed that you wear fine clothes, eat well-baked and prepared food, recline on comfortable couches, and have chamberlains at your door. At the same time you have assumed the seat of learning and men have come to you from every direction, regarding you as their imam and accepting your decisions as the final word. Fear then Allah O Malik, and stick to humbleness. I have written to you this letter of advice, whose contents no one besides Allah has seen. Peace be upon you."

Malik's reply went as follows: "In the name of Allah Most Gracious, Most Merciful. Allah's blessing be upon Muhammad, our master, as well as upon his family and Companions. From Malik Ibn Anas to Yahya Ibn Yazid: Allah's peace be upon you. To go further: I've received your letter which I accept as indicating your sincere counsel and sympathy for me, which shows your refined character. Might Allah bless you in piety and reward and help you attain prosperity for your advice. I ask Allah to grant me success; there is no strength nor power but with Allah, Most High, Most Great. As to your charge that we eat well-baked and prepared food, wear fine clothes, take chamberlains at our door, and recline on comfortable couches, it is true that we do all these but at the same time, we ask for Allah's forgiveness. Let's mention in this respect that Allah Almighty says in His Book: "Say: 'What has prohibited Allah's goodly raiment, and the beneficial viands which He has provided for His servants?'" Furthermore we know for certainty that refraining from these things is better than indulgence in them. Anyway, do not neglect us in the matter of writing and in no way shall we neglect you. Peace be upon you."

Consider here how Malik was just and fair in his reply: he admitted that refraining from these things was better than indulgence in them, but at the same time he made a mention of the opinion that they were permissible; and of a surety, he has told the truth in both. Nevertheless, this might not be possible but for such men as Malik whose justice enabled him to admit the fairness of such advice, and be, at the same time, too powerful to confine himself to that which is permissible, without being led to adulation, adoration, and transgressing the due bounds of doing what is undesirable. But anyone other than him might not be able to do the same. To be sure, to flirt with luxury in what is permissible is very dangerous, and it is far from piety and Allah-fearingness. Piety and Allah-fearingness are characteristic of the learned men of Allah Almighty, and what characterizes such Allah-fearingness is to be far from the manners of risk.

One of those characteristics is that one should keep himself aloof from magistrate, in the sense that he should not visit them as long as there is a way for him to flee from that. Moreover, he should avoid mixing with them. If they make their effort to seek him out, it should be known that this world (with its pleasures and delights) is sweet and fresh, whose rein is in the hands of those magistrates; and he who associates with them, whatever he might be, is forced to do his best to please them, and win their hearts, even though they might be wrongdoers. For this reason, it is binding upon every religious man to condemn them by showing

their wrongness, and decrying their practices.

But unfortunately, their visitor might either be tempted by their luxury of life, which develops in him the scorn of Allah's favour upon him, or keep silent and cease to reject their misdeeds, in order to court their favour, or endeavour to speak in such a manner as to justify their crimes in order to please them and embellish their standing, and this is the evident falsehood, or be desirous for getting something of their luxuries, and this is the downright lawlessness. A discussion of what is permissible to accept from the riches of magistrates and what is not permissible, especially such things as jobs and rewards, will be taken up in the Book on what is Lawful and what is Unlawful). In short, their company is a master key to evil and it is necessary for the learned men of the hereafter to be careful and cautious.

In this context (it is narrated by Abu Dawud, At-Tirmidhi and An-Nasa'i on the authority of Ibn Abbas that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who lives in the desert will become ruthless; and he, who is entirely engaged in chasing and hunting will become heedless; and he, who frequents the company of the magistrates will be led astray." (It is further narrated by Muslim on the authority of Umm Salamah that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "There will be appointed over you chiefs some of whose acts you will accept, and some of whose acts you will reject. Whoever rejects will be held guiltless and whoever dislikes them will be safe. But whoever admits them and follows them in that will be moved far by Allah Almighty." It was said to him: "Should we not fight them?" he "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No, as long as they offer prayer."

According to Sufyan: "In Hell, there is a valley, in which none will reside barring the reciters (of the Qur'an) who (intend with their knowledge only to) frequent the kings." According to Hudhaifah: "Beware of the stations of afflictions!" it was said: "What are they?" he said: "They are the gates of the chiefs and governors: one of you visits a chief, and makes belief of his lie, and praises him with such of qualities as are not in him."

(It is narrated by Al-Uqaili on the authority of Anas that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The learned men remain the trustees to whom the Prophets and Messengers entrust the servants of Allah as long as they do not mix with magistrates. But once they do so (i.e. associate with the magistrates), they betray the Messengers. At that time, you should beware of and keep yourselves away from them."

It was said to Al-A'mash: "No doubt, you've given life to knowledge in view of the prolific number of people who take it from you." On that he said: "Be not hasty with your judgement! One-third (those who learn) die before having full perception of it, one-third hang down around the gates of the magistrates, and they are the worst of all the creatures, and it is only a very few who prosper from among the remaining third."

For this reason, it is not strange to hear Sa'id Ibn Al-Musayyab "Might Allah

bestow mercy upon him" saying: "When you see a learned man having associated with the magistrates, you should be cautious of him for at that time he is like a thief." According to Al-Awza'i "Might Allah bestow mercy upon him": "There is nothing more odious to Allah than a learned man who frequents an official." (It is narrated by Ibn Majah on the authority of Abu Hurairah that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The worst of learned men are those who frequent the chiefs and governors; and the best of the chiefs and governors are those who come to (learn the knowledge from) the learned men."

According to Makhul Ad-Dimashqi "Might Allah bestow mercy upon him": "He, who learns knowledge, and becomes well-acquainted in religion, and then joins the company of the magistrate, whom he adulates coveting to get from what he has, will have plunged into an ocean of fire in the midst of Hell, crossing in it as much as is the number of his steps (he takes towards him)."

Samnun said: "How dim-witted is the learned man who is continually sought for in his gathering, but is never found there, and when the caller inquires about his site he is reported to be at the governor's house." He further said: "I often heard them having said that whenever a learned man is detected to be fond of this world, people should not then entrust their faith to him, until I began to do so myself: I never called on a governor but that I reckoned myself on my leaving him, and I usually found that I was held blameworthy despite the fact that, as you know, I have always confronted him with rude and harsh words and repeatedly contradicted his desires. But even, I had hoped to be saved from the humiliation of calling on him, although I have received nothing from him, not even a sip of water." He then resumed: "However the learned men of our time are even worse than the learned men of the children of Israel: they offer to the ruler such of concessions and opinions as would conform to his desires. Had they reminded him of his obligations and of the things wherein lies his salvation, he would have found them boring, and would have disliked their visits to him. Nevertheless, it would have been their own salvation in the Sight of their Lord."

Al-Hassan said: "There was before your time a man who had embraced Islam at a very early date and had enjoyed the company of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". (Abdullah Ibn Al-Mubarak reported that he meant Sa'd Ibn Abu Waqqas "Allah be pleased with him"). He did not frequent the company of governors: on the contrary he avoided them. One day his sons said to him: "Those whose Islam was not as early as yours and who, unlike you, did not enjoy the company of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", frequent the company of governors: would that you frequent their company (as they do)!" He said: "O my sons! Shall I go to a stinking corpse surrounded by my people? By Allah! If I can do, I shall never join them." They said: "O our father! We shall then die because of starvation." He said: "I would rather die as a believer because of starvation than die as a fat hypocrite."" Al-Hassan commented: "By Allah he rejected their suggestion, because of his awareness of the fact that the earth (of the grave) eats up both fatness and flesh (of the body) but not the faith. To be sure, this indicates that he

who frequents the magistrate is never safe from hypocrisy, which contradicts the faith.

Abu Dharr said to Salamah: "O Salamah! Frequent not the magistrates, for indeed, you never get anything from the pleasures of their world but that they shall get more from your faith." This is, undoubtedly, a great trial to which the learned men are put, and a significant instrument in the hand of Satan to use against them, and particularly against the learned man who has a pleasant voice and an attractive speech. Satan persists in whispering in his ear that through his preaching and visits to them he may be able to turn them away from injustice and to induce them to act upon the principles of law, until finally the learned man imagines that his visits to governors are an integral part of religion. However, once he calls on the magistrates, he begins to pay them compliments and flatter them with praise and eulogy, wherein lies the destruction of religion. Thus it is said that when the true learned men acquire knowledge they go on acting upon it, and when they really act upon it they become absorbed in their work, and when they become absorbed in their work they lose their interest in this world, and when they lose interest in this world they seek the way of Allah, and when they seek the way of Allah they turn their back and flee from this world.

Umar Ibn Abd Al-Aziz wrote to Al-Hassan: "To go further: Nominate to me some people whose aid I might seek to help me achieve the matter of Allah Almighty." His reply went as follows: "As for the men of religion, you are not their desired goal, and as for the men of world, they are not your desired goal. But, I advise you to seek the nobles, for they indeed safeguard their nobility from being contaminated with treachery."

If it is the duty of the learned men (of the hereafter) to flee away from Umar Ibn Abd Al-Aziz, who was the most ascetic from amongst the people of his time, how should then they consider it fitting to seek and mix with other rulers, putting in mind that such early men of knowledge as Al-Hassan, Ath-Thawri, Ibn Al-Mubarak, Al-Fudail, Ibrahim Ibn Adham, and Yusuf Ibn Asbat pointed out the learned men of this world, from those of Mecca, Sham and the other cities, either because of their inclination to the (pleasures and delights of this) world, or because of their associating with the magistrates?

One of those characteristics is that he should not be hasty to give religious verdicts: on the contrary, he should stop from and be careful of doing so as much as it is possible for him to flee away form it. If he is asked about what he know for certain, depending upon the text of Allah's Book, the Prophetic tradition, the general unanimity and consent of the Muslims, or the right analogy, let him then give religious verdict; and if he is questioned about something in which he has doubt, let him say: "I do not know"; and in case he is asked about anything which he thinks to be so depending only upon his independent investigation and speculation, let him take care, and avoid falling into mistake, and rather refer the question to anyone else whom he thinks to be more capable.

This is the clear wisdom, for indeed, it is dangerous to build one's opinion depending only upon his independent investigation. According to a certain tradition (by Al-Khatib, Abu Dawud and Ibn Majah on the authority of Abdullah Ibn Umar): "The knowledge is of three parts: the words and statement of the Book (i.e. the Holy Qur'an), the established sunnah (of the Prophet), otherwise (the phrase) 'I do not know' (in case there is no answer which has any reference in Allah's Book or the Prophet's sunnah)." According to Ash-Sha'bi: "(The phrase) 'I do not know' constitutes half the knowledge; and the reward of him, who keeps silent of what he knows not for the Sake of Allah Almighty is not lesser than him who speaks (of what he knows), for it is more difficult upon one to admit his ignorance." As such was the habit of the holy companions and the righteous ancestors "Allah be pleased with them".

Whenever Ibn Umar "Allah be pleased with both" was asked to give a legal verdict, he would say: "Go to this governor to was appointed to be in charge of the affairs of the people, and make him responsible for it." According to Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him": "He, who gives the people legal verdicts in all things for which they seek his verdict is a mad." He further said: "The refuge of a learned man is to say 'I do not know' (if he is asked about what he really knows not), and in case he misses it, of a surety, he will be blighted." According to Ibrahim Ibn Adham "Might Allah bestow mercy upon him": "Nothing is more severe upon Satan than a learned man, who speaks with knowledge, and keeps silent also with knowledge, thereupon Satan says about him: 'Look at that (learned man), whose silence is more severe upon me than his speech.'"

In description of the Abdal (Substitutes), it was said: "They eat only when they are gnawed by the pangs of hunger; they rest only when they are overpowered by lack of sleep; and they speak only when it is necessary for them to speak." In other words they do not speak unless they are asked and even then they will not talk if they could find someone to answer on their behalf. If it is necessary for them to speak they will open their mouths and reply. They consider the initiative to speak before being asked an expression of a hidden lust for speech.

Both Ali and Abdullah "Allah be pleased with them" happened to come upon a man who was talking to the people, thereupon they said: "This man calls on the people to know him (through his speech)." According to somebody: "The genuine learned man is he, who, when asked about anything, seems as if his premolar tooth is taken removed." According to Ibn Umar: "You like to make us like a bridge through which you cross to (the fire of) Hell." According to Abu Hafs An-Naisaburi: "The genuine man of knowledge is him who, when asked about anything, entertains the fear of being questioned, on the Day of Judgement: 'From where have you brought this answer?'" whenever Ibrahim At-Taimi was asked about anything, he would shed tears and say: "Have you not found anyone other than me to ask him so that you need to ask me?" such learned men of knowledge as Abu Al-Aliyah Ar-Riyahi, Ibrahim Ibn Adham and Ath-Thawri used to deliver their talks to two, three or a very few number of

people, and if they increased in number, they would turn away from them.

(It is narrated by Abu Dawud and Al-Hakim on the authority of Abu Hurairah that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I do not know whether Uzair was or was not a Prophet; and I do not know whether Tubba' (of Yemen) was or was not cursed, and I do not know whether Dhul-Qarnain was or was not a Prophet." Furthermore, when the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked about the best and the worst places on earth he said (according to the narration of Ahmad, Al-Bazzar on the authority of Ibn Umar): "I do not know." He persisted in that state until Gabriel came down to him, whom he asked, thereupon he said: "I also do not know." He remained as such until Allah Almighty revealed to him that the mosques are the best places as well as the markets are the worst places on earth.

It is reported that from every ten questions raised to Ibn Umar "Allah be pleased with both", he used to give answer only to one, and keep silent of the remaining nine, in contradiction with Ibn Abbas "Allah be pleased with both", who used to give answer to nine and leave the remaining one. From amongst the religious jurists, there were those on whose tongues the statement 'I do not know' ran more than the statement 'I do know', including Sufyan Ath-Thawri, Malik Ibn Anas, Ahmad Ibn Hanbal, Al-Fudail Ibn Iyad, and Bishr Ibn Al-Harith. Abd Ar-Rahman Ibn Abu Laila said: "I've caught up in this mosque with one hundred and twenty from amongst the holy companions of the Messenger of Allah "Peace be upon him", and no one of them was asked about a Prophetic tradition or a legal verdict but that he hoped that his brother should suffice him (in answering it)." In other words: "The question would be displayed to anyone of them, who would refer it to another, who, in turn, would refer it to a third, and so on until it would return to the first (to answer it)."

It is narrated that one of the refugees of the mosque vestibule was given a roasted head of a calf as a gift, and although he was in a terrible need for food he did not touch it but passed it on to one of his colleagues who in turn passed it on to another, and so on until it had gone all around them and finally come back to the first refugee. Consider then how things have changed among the learned men, in such a way that the undesirable things have now become desirable, whereas the desirable no longer sought.

The avoidance of undertaking the responsibility to give religious and legal verdicts is attested by the following narration in which it was said: "None should give a religious or legal verdict to the people barring three: a governor (appointed by the ruler to be in charge of the people's affairs), one who is commanded (by the governor to do so on his behalf), otherwise one who does so without being asked to do it." According to another narration: "It was the habit of the holy companions to flee away from four things: the imamate, the responsibility of legacies, the deposits, and giving religious or legal verdicts." According to a certain narration: "The swiftest among them to give a religious verdict was the one who was the least learned among them; and the most reluctant among them

was the most pious and righteous among them."

Therefore, the holy companions and their followers "Allah be pleased with all of them" were entirely involved in five things: reciting the Holy Qur'an, inhabiting the mosques (by performing all the obligatory prayers in them in congregation), celebrating (the Praises of) Allah Almighty, enjoining what is right, and forbidding what is evil. This is due to what they heard from the Messenger of Allah "Peace be upon him" (according to the narration of At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Umm Habibah): "everything said by mankind is held against him barring three things: enjoining what is right, forbidding what is evil, or celebrating (the Praises of) Allah Almighty."

In confirmation to that Allah Almighty says: " In most of their secret talks there is no good; but if one exhorts to a deed of charity or justice or conciliation between men, (secrecy is permissible): to him who does this, seeking the good pleasure of Allah, We shall soon give a reward of the highest (value)." (An-Nisa 114)

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾

A learned man saw in a dream one of those endued with sound minds from amongst the people of Kufah whom he asked: "What have you come to think about such of legal and religious verdicts as you used to give?" he turned his face with sigh away from him, and then he said: "We have found it of no significance, nor have we admired its outcome."

According to Ibn Hussain: "Anyone of those (modern jurists) gives a religious verdict in a case, even though had it been raised to Umar Ibn Al-Khattab, he would have gathered all the people of Badr (holy battle) for consultation about it." In this way, keeping silence has remained the habit of the people of knowledge, unless they are forced by necessity to talk. According to the following tradition (by Ibn Majah on the authority of Ibn Khallad): "When you see a man having been given to silence and abstinence, approach him, for indeed, he would dictate wisdom to you."

It is said: "There are two kinds of learned men: a public learned men, who intrudes to give religious and legal opinions, and they are the companions of the magistrates; and a pre-eminent learned men, who is well-versed in the sciences of monotheism and the deeds of hearts, and they are those who spend their lives in privacy of oratories throughout the world.

It was said that the example of Ahmad Ibn Hanbal was like the example of Tigris, from which everyone could get water, and the example of Bishr Ibn Al-Harith was like the example of a covered well of fresh water, which one after another would aim." They also used to say: "So and so is a learned man, so and so is a theologian, so and so is a theologian of greater rank, and so and so is more practical in doing deeds." According to Abu Sulaiman: "Knowledge is much closer to keeping silence than it is to talking." It was said: "The more one increases in knowledge the lesser he speaks, and the more he speaks, the lesser he has knowledge."

It is narrated that Salman sent a letter to Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with both", and a bond of brotherhood was established between them by the Messenger of Allah "Peace be upon him", in which he said: "O my brother! I've received the news that you betook yourself to medicine to treat the people. Consider then: if you are really a physician, then talk to them, for indeed your speech to them is a source of healing, otherwise, if you are only a practitioner, I beseech you by Allah to beware of killing a Muslim." Afterwards, Abu Ad-Darda' stopped from giving any medical treatment. Furthermore, whenever Anas was asked about anything, he would say: "Ask our chief Al-Hassan." Similarly, whenever Ibn Abbas "Allah be pleased with both" was asked about anything, he said: "Ask Zaid Ibn Harithah about it." Ibn Umar "Allah be pleased with both" said, when asked about anything: "Ask Sa'id Ibn Al-Musayyab."

It is narrated that one of the companions related twenty Prophetic traditions in the presence of Al-Hassan, and when he was asked about their interpretation he said: "I do not know more than what I've related to you." Al-Hassan then went on interpreting them one by one thereupon they were surprised by his good interpretation and retention of narrations. On that this companions picked up a handful of pebbles and threw it at them and said: "Do you ask me about knowledge, and this encyclopedist lives among you?"

Another one of those characteristics is that he should be mainly concerned with the esoteric science, the observation of the hearts, and the knowledge of and following the way to the hereafter, with a sincere hope for uncovering the veil of that through self-mortification and observation, for self-mortification leads to contemplation, and through the subtle details of the sciences of the hearts the sources of wisdom gush forth. But books and learning do nothing of significance for the wisdom which is beyond the limit of one's mind are opened only through self-mortification and observation, practicing both outward and inward deeds, coming before Allah Almighty in solitude, in the presence of the heart with pure reflection, and full devotion to Allah Almighty, and not to anything else. This is the key of inspiration and the source of disclosure and revelation

Many are the learners, who spend a long time of their lives in learning, even though they could by no means go beyond what they have heard even with a word; and many are those who are exclusive in their learning only to what is important, and at the same time, they devote themselves to the practice of deeds and observation of the heart, to whom Allah Almighty has opened such of niceties of wisdom as puzzle these of sound minds. For this reason (it is narrated by Abu Na'im on the authority of Anas that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who acts upon what he knows, Allah Almighty provides him with the knowledge of what he knows not."

According to one of the ancient Scriptures (Allah says): "O children of Israel! Say not that the knowledge is in the heaven, and who would bring it to the earth, nor that the knowledge is in the farthest ends of the earth, and who

would raise it up to the heaven, nor that the knowledge is behind the seas, and who then would cross with it! You should know that knowledge is made to lie in your hearts. So, educate yourselves before Me with the education of the spiritualists, and let your manners be the same of the truly faithful believers, perchance I would cause knowledge to appear in your hearts until it cover and surround you."

According to Sahl Ibn Abdullah At-Tastari: "The learned men, worshippers and abstinent have disappeared from this world (by death), with their hearts still closed, and only the hearts of the truly faithful believers and martyrs have been opened." Then, he recited the following statement of Allah Almighty: " With Him are the keys of the Unseen, the treasures that none knows but He. He knows whatever there is on the earth and in the sea." (Al-An'am 59)

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ ﴿٥٩﴾ ﴾

Had it not been for the fact that the exoteric science is judged in accordance with the enlightenment of the heart of him who has a sound heart with the help of the innermost light, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" would not have said: "Seek the guidance of your heart, even though the people give you their verdicts, even though the people give you their verdicts, even though the people give you their verdicts." He "Peace be upon him" said in his relating from his Lord Almighty (according to the narration unanimously transmitted by traditionists on the authority of Abu Hurairah): "The servant still comes much closer to Me with supererogatory deeds until I love him, and once I love him, I will be his hearing therewith he hears, his sight therewith he sees..."

Many are the subtle meanings and concepts of the mysteries of the Holy Qur'an occur in the minds of those who wholeheartedly devote themselves to the celebration (of the Praises of Allah Almighty) and reflection (of His Signs), of which the books of the Qur'anic interpretations are void, and of which even the well-known commentators of the Qur'anic text might be heedless. When they are disclosed to the watchful devotee and is displayed to the commentators, they would highly appreciate them, considering them the outcome of the workings of a pure heart and the gracious blessings of Allah on the sound mind which turns to Him. Similarly the science of Revelation and the mysteries of the science of practical religion as well as the subtleties of the passing thoughts of the hearts are, each of them, oceans the depths of which are too intense to be perceived and can be traversed by seekers only to the extent to which each of them has been given the power and helped to do good deeds.

In describing such men, Ali "Allah be pleased with him" said in the course of a long conversation: "The hearts are like vessels; the best among them is that which is the most ready to hold good. Men are of three types: divine learned men, seekers of knowledge for the hope of salvation, and rude ruffians who follow every cry and are swayed by every passing wind. They follow not the light of knowledge and stand not on its firm foundation. Verily knowledge is better than wealth: you guard wealth, but it is knowledge which guards over you.

Knowledge increases by spending while wealth diminishes therewith. Knowledge is a religion worthy of being admitted, through which man is enabled to submit his will to the will of Allah in this life, and has kindly words from his fellowmen after his death. Knowledge governs but wealth is governed. Furthermore, the benefit of wealth vanishes with the loss of wealth: many are the wealth hoarders who die (out of grief for the loss of their wealth), even though they are living, while the learned men survive as long as the time lasts." Taking a deep breath and pointing to his breast, he resumed: "Herein lies abundance of knowledge, (which would have been shown) had I found anyone to carry it on. But unfortunately, I find seekers who are not entrusted, for from amongst them, there is he who exploits religion for worldly benefits, employs the favours of Allah to tie up His saints with yokes, therewith he exalts himself over His people; or he who follows the righteous but, for the least suspicion, he becomes victim of doubt and skepticism, for he has no understanding nor insight; or he who has great yearning for pleasures and delights, and is guilty of indulgence, easily led in the ways of lust; or he who is lured by the desire to amass wealth and hoard it, who follows his appetite and resembles grazing cattle more than human beings. On my Allah! As such will knowledge perish when its people die. But the world will not be short of men who will support the cause of Allah, some openly in public while others secretly for fear of persecution, lest Allah's proofs and evidence of existence be nullified. But how many are they and where are they? Those are the smallest in number but the greatest in worth. They have no equals to exist among men, but their ideal lies in the hearts. Through them Allah will preserve the proofs of His existence until they entrust His testament to their successors or plant its seeds in the hearts of their fellow-saints. With their knowledge they penetrated the matter of the truth and arrived at the core of certainty: they rendered easy what the pampered have deemed inaccessible and entertained themselves with what the heedless have feared. They go through this life with bodies, the spirits of which are attached to heaven. They are the saints of Allah Almighty from amongst His people, His trustees and deputies on earth, and the missionaries who summon men to His religion." He then wept and said: "Oh how much I have longing to see them!" What he mentioned at the end is the description of the learned men of the hereafter, the greater part of whose knowledge is obtained through doing deeds regularly and persistent self-mortification.

The Significance Of Certainty

A further characteristic is that he should be fundamentally interested in strengthening the certainty of faith, since the certainty is the essential resources of faith. In this respect, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Al-Baihaqi and Al-Khatib on the authority of Ibn Mas'ud): "Certainty of faith constitutes the whole belief." So, the science or let me say the commencements of certainty of faith should be obtained, and then its way will be opened to the heart. The Messenger of Allah

"Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Abu Na'im on the authority of Thawr Ibn Yazid): "You should learn certainty of faith." It means you should sit in the company of these whose faith is certain, and listen from them to the science of certainty of faith, and be regular to emulate them, in order that your certainty should be constantly strengthened as theirs has been; and of a surety, a little certainty of faith (one obtains) is much better than more deeds (one does).

(It is narrated by At-Tirmidhi on the authority of Anas that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said, in reply to a question about two persons, one of whom had certainty of faith, even though he committed a great deal of sins, and the other had striven himself in religious service, even though he had but a little certainty of faith: "There is none of mankind but that he commits sins." But, he who has sound mind, and has, by nature, a certainty of faith will receive no harm from sins, for the more he commits a sin, the more he turns to Allah in repentance, ask for His Forgiveness, and shows regret with the result that his sins will be plotted out of him, and there will remain surplus good deeds therewith he will enter the Garden.

So, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The things of which you have been given the least portion are the certainty of faith and the resolution of patience. So, he, who has been given his due portion of both should not mind how much he misses of standing at night (for supererogatory prayers) and observing fasts by the day."

According to the Luqman's counsel to his son: "O my son! The deed could not be achieved but through one's certainty of faith, and one could not do deeds but as much as is equal to such certainty of faith as he has, and a worker would not run short of doing deeds unless his certainty of faith decreases." According to Yahya Ibn Mu'adh: "Verily, monotheism brings about light (in reference to the certainty of faith), and polytheism brings about fire, but even, the light of monotheism is much stronger in burning the evil deeds of monotheists than the fire of polytheism is to the good deeds of polytheists." Allah Almighty makes many references to those who have the assurance of faith in the Holy Qur'an, which indicate that it is the certainty of faith which joins all kinds of goodness and happiness.

But, you might say: What is the certainty of faith? What do you mean by its strength and weakness? One then should understand it first, and then be engaged in seeking after and learning it, since what is not really understood could not be sought.

It should be known that the term 'certainty' is a homonymous word used by two opposing factions, to have two different applications.

The first application relates to philosophers and theologians, who express by it the absence of suspicion, since the soul's inclination to have trust in anything has four stations:

The first is that both belying and trusting become equal, and this is expressed

by doubt, and its example is to be asked about a certain person, whether he will or will not be punished by Allah Almighty, and since his state is unknown to you, you will not be inclined to pass a judgment either in the affirmative or in the negative: on the contrary, both possibilities become even in your sight; and this is called 'doubt'.

The second is that you are inclined to one of both probabilities, putting in mind that its opposition is possible, even though it does not prevent you from giving preference to the former. The example of that is your being asked about a certain man famous for his righteousness and piety: if he dies while being on such a state, should he be punished? However, you are more inclined to the possibility that he will not be punished than it is to the possibility of punishment, in view of the fact that the signs of righteous and piety are visible on him. But at the same time, there is possibility, in your sight, for a hidden thing in his innermost intention which might assure his punishment. This latter possibility is equal to that former inclination, but it does not cancel out its being more likely. This state is called ' conjecture'.

The third is that one is more inclined to make belief of a matter, to which he is taken up, in such a way as nothing else occurs to the mind, and even if it occurs to the mind, the soul will not accept it, but with no certain knowledge of its truth, for if he would only examine more carefully doubt and conjecture, he would more readily admit other possibilities. Such a state is described as a belief approaching certainty of faith, and it is the belief of the common folk in all legal matters, that becomes deep-rooted in themselves just as it is simply hearsay. Thus every group is certain of the authenticity of its own doctrine and the infallibility of its own imam or leader. Should any one member of these groups be reminded of the possible mistake of his imam, he would resent it so much and refuse to admit that.

The fourth is the real knowledge obtained through clear evidence and proof, in which there is no suspicion, and no doubt could be imagined. If suspicion is absent and it is impossible to exist, this state will be described as the certainty of faith in the sight of those. The example of it is that When a wise man is asked: "Is there anything eternal in existence?" he will not be able to affirm or deny the question instantly because the eternal is beyond the perception of senses unlike, say, the sun and moon whose existence is evidently perceptible. Furthermore the fact that something eternal exists is not axiomatic so much as the fact that two is greater than one is axiomatic: it is like the fact that the origination of anything originated is impossible without a cause, which is also axiomatic but in a different way. It is the habit of the mind to be reluctant to accept spontaneously and intuitively the existence of the eternal. But there are some who may hear these things and on such authority accept them without question, and continue to believe them. This is the same belief of all the common folk. There are others who believe only through evidence. These are told that if nothing eternal exists then all existing things are originated; and if all existing things are originated then they are originated without a cause, or some of them are so originated, all of

which is impossible and what leads to the impossible is itself impossible. Therefore, out of sheer necessity, the mind is compelled to believe in the existence of something eternal. For there are only three positions: that all existing things are eternal; that all are originated; that some are eternal and some are originated. If all are eternal the question will have been answered since all are held to the eternal. But if all are originated we shall have to accept the impossible, namely origination without a cause. Consequently the third and first positions are established. Every kind of knowledge thus obtained is called certainty, whether it has been obtained through reasoning such as that above, or through the mind instinctively, as the impossibility of any originated existence without a cause, or through tradition, as the knowledge that Mecca exists, or through experimentation, such as our knowledge that cooked scammony is a laxative, or through some evidence, as we have already stated. Both the philosophers and the scholastic theologians require the lack of doubt before they use this term. Every part of knowledge which is free from doubt is called certainty. Henceforth, certainty is never described with weakness because there are no degrees in the negation of doubt.

The second application of the term 'certainty' is that of the jurists, Sufis, and most of the learned men. In it, no attention is paid to either conjecture or doubt but rather to the fact that it takes hold of and prevails over the mind in such a way as to say that so and so has but a little faith in death, although there is no doubt in it, and another has a strong faith that he receives his livelihood, although it is quite possible that it will never come. Thus whenever the soul is inclined to the acceptance of anything which prevails over the heart and takes hold of it, and as a result becomes the ruler and dispenser of the soul either by urging it to action or by forbidding therefrom, such a thing is called certainty of faith.

Undoubtedly all men share the certainty of death and entertain not the slightest doubt regarding its proximity but there are some among them who do not take heed of its approach nor prepare for its advent as if they were not sure of it. Others are so obsessed by the fear of death that they have directed all their attention towards preparation for it, leaving thereby no room for anything else. Such a state is described as strength of certainty of faith. For this reason someone said: "I have seen nothing so certain in which there is no doubt, similar to suspicion in which there is no certainty as death." Based upon that, within the framework of this terminology certainty of faith may be described either with strength or with weakness. When we said that the learned men of the hereafter direct their main attention to strengthen the certainty of faith, we had in mind both meanings, namely the negation of doubt, i.e. certainty of faith and give full power and control to the certainty over the soul until it becomes the dominant and ruler over it and only dispenser of its affairs.

Understanding this, you will come to know what we mean when we say that certainty of faith may be divided into three different fashions, in relation to strength and weakness, muchness and littleness, and clearness and vagueness.

As to strength and weakness they are applied to the second technical meaning of certainty of faith, in so far as faith prevails over and takes hold of the heart. The degrees of faith in respect to strength and weakness are beyond limit, and the extent to which people will prepare for death varies in accordance with the difference of their certainty of faith in regard to both terms. The variation of the degrees of clearness and vagueness within the framework of the first technical application of the term certainty cannot be denied. As far as conjecture is concerned, it also could not be denied, within the framework of the second application of the term. There is also no way for the existence of these varying degrees of clearness and vagueness to be denied even where doubt has been dispelled. For example you can readily understand that there is a difference between your trust in the existence of Mecca and that of Fadak, or between your trust in the historicity of Moses and that of Joshua, although you have no doubt in either because the authority for both is tradition. But the one is clearer and more vivid in your mind than the other, because its evidence is greater since it was mentioned by more historians and narrators.

The same is true of the philosopher in connection with any theory reached through deduction, because what he construes through the evidence of one proof is not as clear in his mind as that which he deduces through the evidence of many proofs, although both are equal in the negation of doubt. This is sometimes denied by the scholastic theologian who draws his knowledge from books and hearsay sources and does not reflect what he already knows regarding the variations in those states.

As to littleness and muchness they are subject to the appurtenances of certainty. For example a person's knowledge may be described as much greater than that of another which means that the amount of information he has received is much greater. For this reason the learned man may be of strong assurance (i.e. he has full knowledge) of all the contents of the law or only of a part of it.

But, you might say that you have understood 'certainty of faith', in relation to its strength and weakness, muchness and littleness, and clearness and vagueness in both its meanings of the negation of doubt as well as of taking hold of the heart, and ask what its appurtenance comprise, what the means whereby it is assured are, and how it can be sought because unless you know how and where to seek it you cannot assure it.

It should be known to you then that what the prophets brought belongs in its entirety to the means whereby certainty of faith is assured. For certainty of faith is a specific knowledge whereas its appurtenances are the parts of information implied in the law, and there is no hope of enumerating them. Nonetheless, let me make a mention of some of those which constitute the major appurtenance.

One of those is (to have faith in the) Oneness of Allah Almighty, which means that one sees that all things come only from the primal Causer of causes, in the sense that he then should give no concern to the secondary causes in this

respect, since all means are seen by him to be subject (to the will of the Causer of causes), and have no power in themselves. If one has trust in that, he then will have certainty. If, above and over his faith, the possibility of doubt is negated from his heart, he will then have assurance of one of both concepts (i.e. certainty). If, above and over faith, a power prevails over him to the extent that it removes from himself the possibility of satisfaction or even dissatisfaction with, or the appreciation for the secondary causes, and rather he gives such secondary causes the same position he gives to a pen and a hand in relation to a benefactor who signs his name, i.e. he neither is grateful to the pen or the hand, nor does he feel anger or pleased with them, but rather sees them as only two instruments and mediums subdued (to be in service of the human being), he will then have the certainty in the other concept which is the nobler, i.e. faith, which is the ensuing fruit, spirit and advantage resulting from the first state of certainty.

The more man might verify of the fact that sun, stars, non-living things, plants and animals, and in total, all of the creatures, are no more than things subdued with His (Allah's) command in the same way as the pen is in the hand of a scribe, and that the eternal everlasting power (of Allah Almighty) is the primal source of all things, the more the power of having trust, satisfaction and acceptance (of Allah's Will) will prevail over his heart, and he will come to have certainty (of faith), and at the same time, he will be free from all feelings of anger, resentment, envy, and bad manners. This is, to be sure, one of the gates which leads to certainty.

One of those also is to have confidence of Allah's insurance of livelihood and sustenance to all of His Creatures, as is confirmed by His statement: " There is no moving creature on earth but its sustenance depends on Allah: He knows the time and place of its definite abode and its temporary deposit: all is in a clear Record." (Hud 6)

﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾

It is to be sure that this will come to him, and that what is doomed to him will inevitably be brought to him. The more this fact prevails over his heart, the more he will be moderate in its pursuit, and the farther he will be from greediness, yearning and heartbreaking for what escapes him. Therefore, this certainty will lead to many good deeds and praiseworthy manners.

Another one of those is to be possessed by the faith in the fact that "he who does even the atom's weight of good will see it, and he who does the atom's weight of evil will see it." (Az-Zalzalah 7:8)

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾

it is to have certain faith in both reward and punishment in the sense that he sees the obedience (through good works) relates to reward in the same way as the bread relates to satiety, and that disobedience (through committing sins) relates to punishment in the same way as poison and venomous vipers relate to

destruction. As well as he is eager to earn bread to keep himself satisfied, and store it no matter little or much it might be, he should also be eager to do all (good works of worship leading to) obedience, no matter little or much they might be; and as well as he avoids all poisons, no matter little or much its amount might be, he should similarly avoid all (sins which lead to)disobedience, no matter little or much they might be, no matter insignificant or significant they might be.

However, it is true that the certainty in its first concept might be a general characteristic of almost all the believers, its second application (i.e. the true faith) is unique only to those who are brought near (to Allah Almighty). The fruits of this certainty are the true observation of the heart in its movement, tranquillity, and passing thoughts, as well as extreme emphasis on piety and great endeavour to avoid all evils. The more the faith prevails (in the heart), the stronger the avoidance (of sins) and the stronger the endeavour (to do so) are.

One of those also is the true faith in the fact that Allah Almighty watches over you in all of your states, and sees all the secret suggestions of your conscience and your hidden passing thoughts and ideas. This fact is assured to all the believers in accordance with the first concept, i.e. the negation of doubt. But as for the second concept (i.e. the faith), which is intended here, it is a rare meaning, which none perceives but the sincere and truthful. Its fruit is that one in his seclusion is courteous and well-manners under all conditions as a man in audience with an exalted king. He fixes his eyes on the king and sits before him in silence, showing politeness in all his doings and carefully refraining from the slightest thing which may violate etiquette. His inward thoughts should by no means contradict his outward deeds because he will realize that Allah watches over his inner life just as men watch his outward behaviour. Thus, his endeavour to cleanse and purify his inner life in order to make it alluring to the encompassing Sight of Allah should be greater than his to make his outward behaviour alluring to men. This state of faith breeds shyness, fear, meekness, humility, submission, and obedience, as well as other praiseworthy qualities; and these praiseworthy qualities bring about many supreme good works.

Certainty in each of those is like a tree, and these good qualities of the heart are like the branches that shoot out from it. This good works of worship which result from those good qualities are like the fruits and blossoms which sprout out from the branches. However, certainty of faith is the primal origin and foundation, and it has so many means therewith it is obtained, and doors which lead to it, greater in number than what we've mentioned, which will be discussed in more detail in the quarter of the savors, Allah Willing. But, let's be satisfied now with this amount for the explanation of the meaning of the term.

One of those characteristics which distinguish the learned man is that he should be sad, submissive, fixing his eyes in silence on what is in front of him, having the effect and signs of the fear of Allah and piety be visible on his appearance, clothing, poise, movement, stillness, speech and silence, in such a way that none looks at him but that he is reminded of Allah Almighty, and his form points out to him his deed. It is well-known that the eye of generous

honourable acts as a mirror on which his soul is reflected, and the learned men of the hereafter are famous for their signs of tranquillity, lowliness, and humility. In this respect, it is said: "Allah never dresses any servant in a dress much better than that of submission with tranquillity: it is the dress of the Prophets, and the sign which distinguishes the righteous men, saints and learned men of knowledge.

But even, to be involved in chatter and prate and possessed by excessive laughter, temper and flippancy are all the outcome of a life of smugness in which man feels safe, and becomes heedless of Allah's terrible punishment and great wrath. It is the practice of these of this world who are heedless of Allah unlike that of the learned men, because, as At-Tastari said: "The learned men are of three kinds. The first kind are those who know the commandments of Allah but not the Days of Allah; they are these who give their decisions as to what is lawful and what is unlawful. This knowledge does not bring about fear. The second are those who know Allah but not His Commandments nor His Days; and they are the ordinary believers. The third are those who know Allah as well as His commandments and Days; and they are the saints in whose hearts fear and humility prevail." By the Days of Allah he means the unknown punishments which Allah inflicted and His hidden blessings which He bestowed upon the early generations, and which He will also visit upon the succeeding generations. Thus, anyone whose knowledge encompasses this, his fear of Allah would be stronger and his humility would be more evident.

According to Umar "Allah be pleased with him": "Learn knowledge, and observe tranquillity, reverence and tolerance for knowledge, and behave humbly towards those from whom you learn, and let those who learn from you behave humbly towards you; and be not of the haughty among the learned men, lest your knowledge would vanish because of your ignorance." It is said: "Allah never confers knowledge upon a servant but that He gives him besides tolerance, humbleness, good disposition and kindness: this is the useful knowledge."

According to the following tradition it is said: "He whom Allah gives knowledge, (a tendency to) asceticism, humbleness, and good manners, will be a leading pious." According to another Prophetic tradition (transmitted by Al-Hakim and Al-Baihaqi on the authority of Iyad Ibn Sulaiman): "From amongst my nation, there are a people, who laugh publicly because of (their happiness and satisfaction with) Allah's all-embracing mercy, and weep secretly because of their fear of Allah's punishment. They live with their bodies on earth, and their hearts up in the heaven, their souls in this world, and their minds are attached to the hereafter. They walk with tranquillity, and come close (to the Presence of Allah) by means of access (of invocation and celebration of His Praises)."

According to Al-Hassan: "Tolerance acts as the minister of knowledge, leniency its father and humbleness its garment." According to Bishr Ibn Al-Harith: "He, who seeks after power through knowledge, and draws near unto Allah Almighty with his heart full of hatred, will be odious in (the sight of the inhabitants of) both the heaven and the earth." It is narrated in the Israeli tales

that a man made three hundred and sixty compositions in wisdom until he was described as a wise man. But Allah revealed to His Prophet: "Tell so and so that you have filled the earth with hypocrisy (of your compositions) and you've not intended Me with anything of that. So, I never accept anything of your hypocrisy." Thereupon the man regretted and gave up his work, and rather went on associating with the laymen in the markets, shared food with the children of Israel, and showed humbleness in himself. On that Allah Almighty revealed to His Prophet: "Tell so and so that it is now that you've become fitting for My Good Pleasure."

It is narrated by Al-Awza'i that Sa'd Ibn Bilal said: "Anyone of you might cast a glance at a policeman, and seek refuge with Allah from his evil; and he might catch a glimpse of one of the learned men of this world, who flatters the people and are longing for power, and he does not bother him, even though such are worthier of being detested from that policeman." It is narrated (on the authority of Al-Hassan) that it was said: "O Messenger of Allah! Which deed is the best?" he "Peace be upon him" said: "It is to avoid taboos, and to cease not from the celebration of (the Praises of) Allah Almighty." It was further said: "O Messenger of Allah! Which companion is good?" he "Peace be upon him" said: "The one who, whenever you celebrate Allah, will encourage you, and whenever you forget Him will remind you." It was said to him: "Then, which of the companions is evil?" he "Peace be upon him" said: "He who, whenever you forget (to remember Allah) will not remind you, and whenever you celebrate Him will not encourage you. It was said: "Which of the people is the most learned?" he "Peace be upon him" said: "He who fears Allah most among them." It was said: "Tell us about the good among us, perchance we might sit in their company." He "Peace be upon him" said: "Those who, whenever they're seen, Allah is remembered." It was said: "Which of the people is evil?" he said: "O Allah! I ask You for forgiveness!" they said: "Tell us O Messenger of Allah!" on that he "Peace be upon him" said: "They are the learned men when they become dishonest."

(It is narrated that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "From amongst the people, he who will be the safest in the hereafter is he, who used to be the most apprehensive in this world, and he who will laugh most in the hereafter is he, who used to weep most in this world, and he who will be the happiest in the hereafter is he, who used to be the saddest in this world."

It is narrated that Ali "Allah be pleased with him" said in one of his sermons: "My conscience is pledged to Allah even though I pretend that no crops of anyone will wither if they were planted with piety, nor will the roots of any tree be dry if it were raised with righteousness. The most ignorant man is he who has picked up haphazardly tidbits of knowledge which carried him into the darkness of sin, yet despite this and despite the fact that he has not spent a single day in study, he has been called learned by disreputable and evil men. He would go after quantity not knowing that little knowledge of the right kind is better than a great

deal of it which diverts man from Allah. He would drink, as it were, from stagnant and stale water and be engaged in diverse activities but of no use. Then he would sit down to teach men and to explain to them what is obscure. If he would be confronted with a weighty problem he would relate a wordy and redundant opinion which, rather than remove all ambiguity, would put the inquirer to a mess of confusion similar to a cobweb, and would so baffle him as to make it impossible for him to determine whether the man is right or wrong. He is rooted in ignorance and is the victim of diabolical madness. He will not decline to answer that which he does not know and thus avoid error, nor will he strive to gain a strong hold on knowledge that through its mastery he may prosper. Through his ignorance blood is shed, and through his juridical opinions unlawful adultery is rendered lawful. He is not capable of dispensing with the problems which have been submitted to him and is not equal to the task which has been delegated to his care. On such men should fall the worst punishment; they should bewail and lament their fate while they live." Ali resumed: "Abide by knowledge when you hear it, and mix it not with jesting lest it be bothered."

One of the predecessors said: "When a learned man laughs even once jestingly because of knowledge, his knowledge is negatively affected." It was also said: "If the teacher possesses three characteristics, the learner portion will be perfect: patience, humility, and good nature; and if the learner possesses three characteristics, the teacher's portion will be perfect: intelligence, good manners and earnest understanding."

In total, the learned men of the hereafter always possess the qualities which the Qur'an mentions because they study the Qur'an in order to act upon it and not to take power and prestige.

In this respect, (it is narrated by Al-Hakim and Al-Baihaqi that) Ibn Umar "Allah be pleased with both" said: "For a short period of time we were in the habit of being instructed in the principles of faith before the Qur'an. Whenever a Surah was revealed we would learn the lawful things it enjoined and the unlawful things it forbade, its commandments and its prohibitions, and those things at which we had to stop. But I have also seen men who master the text of the Qur'an before learning the principles of faith. They would recite the Qur'an from the beginning to the end, but even they would not know what it commands and what it prohibits, nor would they have acquaintance with those things at which one should stop. They would handle these things and toss them about as if they were the worst kind of dates."

According to another tradition (by Ibn Majah on the authority of Jundub) the similar idea is expressed as follows: "We, the Companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", we were in the habit of being instructed in the principles of faith before the Qur'an; but after you, there will come people who will master the text of the Qur'an before being well-acquainted with the principles of faith: they will be perfect in reciting it according to the different ways in which it was revealed, but at the same time, they will ignore its precepts and commandments. They will say: 'We recite the Qur'an perfectly: who

could recite it better than us? We have perfect knowledge of it: who has better knowledge of it than us?' This shall be their share" or According to another narration: "Those are the worst of this nation."

It is said that five merits deduced from five Holy verses in the Book of Allah Almighty are characteristic of the learned men of the hereafter. These merits are the fear of Allah, submission, humbleness, good disposition, and giving preference to the hereafter over this world, i.e. asceticism.

The fear of Allah is deduced from His statement: "Those truly fear Allah, among His Servants, who have knowledge." (Fatir 28)

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾

the merit of submission is understood from Allah's statement: " bowing in humility to Allah: they will not sell the Signs of Allah for a miserable gain! for them is a reward with their Lord, and Allah is swift in account." (Al Imran 199)

﴿ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾

That of humbleness is taken from the statement of Allah Almighty: "but lower your wing (in gentleness) to the Believers." (Al-Hijr 88)

﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

The quality of good disposition is learnt from the saying of Allah Almighty: "It is part of the Mercy of Allah that you do deal gently with them. Wert you severe or harsh-hearted, they would have broken away from about you." (Al Imran 159)

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾

The virtue of asceticism is inferred from the statement of Allah Almighty: " But those who had been granted (true) knowledge said: "Alas for you! The reward of Allah (in the Hereafter) is best for those who believe and work righteousness: but this none shall attain, save those who steadfastly persevere (in good)."" (Al-Qasas 80)

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾

(It is narrated by Al-Hakim and Al-Baihaqi on the authority of Ibn Mas'ud that) when the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" recited the following statement of Allah Almighty: " Those whom Allah (in His plan) wills to guide, He opens their breast to Islam; those whom He wills to leave straying, He makes their breast close and constricted" (Al-An'am 125)

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾

It was said to him: "What is the meaning of opening the breast?" he "Peace be upon him" said: "When the light (of faith) is inspired into the heart, the breast opens to it and becomes too spacious (for it to enter)." It was further said: "Is there any sign characteristic of that?" he "Allah's blessing and peace

be upon him" said: "Yes: to desert the abode of arrogance (i.e. this world with its vanities), to return to the abode of eternity, and get ready for death before it comes."

One of those characteristics which distinguishes a learned man is to direct the most part of his search and study to the science of deeds: what damages them, puzzles the hearts, arouse suspicions, and give rise to evil. To be sure, the foundation on which religion is mainly based is to safeguard oneself from evil. For this reason, it is said (in a form of poetic verses): "I've known evil, not for the sake of evil but for the purpose to safeguard myself from it. That's because such of people as does not really know evil should inevitably fall into it."

However, the actual deeds are within the reach of all, and the most significant, if not the highest of them is the regular celebration of (the Praises of) Allah Almighty with both heart and tongue. The main point is to be well-aware of what corrupts and distorts them, a science whose branches and divisions are various, and their discussion is very lengthy. Nevertheless there is urgent need for all of that, because of which one might be put to distress and trial during his journey on the way to the hereafter.

On the other hand, the learned men of this world always pursue the hair-splitting and rare cases in judgements and verdicts, and trouble themselves in bringing hypothetical forms which might hardly occur along so many generations, and even in case of their occurrence, they would occur to a people other than them, and there would be as many as are capable of confronting them. Nonetheless, they leave such of pressing problems as haunt them repeatedly during night and day, in their passing thoughts, whispers, and deeds. How far removed from happiness is the one who sells his own important and necessary concerns for insignificant even though unnecessary concerns of others, giving preference to winning the nearness and approval of the people over those of Allah Almighty, and still worse it is that such is described by the reprobates of this world as a virtuous learned man, who is knowledgeable of the subtle sciences. But the reward he receives from Allah Almighty is that he never get benefit from the acceptance of the people in this world: on the contrary, his happiness is overshadowed with distresses and misfortunes, and on the Day of Judgement, he will come bankrupt (of good deeds) and sad in grief for what he will see of the profit of the doers of good deeds and the success of those who are made near to Allah Almighty; and to be sure, this will be the evident loss for him.

Al-Hassan "Might Allah bestow mercy upon him" was, according to the unanimity of men, from amongst the people the most similar in his speech to the Prophets and Messengers "Peace be upon all of them", and the nearest to the right guidance of the holy companions "Allah be pleased with them". The most part of his speech was mainly focused upon the passing thoughts of hearts, the acts which corrupt deeds, the evil suggestions of souls, and the innermost hidden abstruse traits which characterize the lusts. One day it was said to him: "O Abu Sa'id! You say things which are never heard from anyone else: from where have

you got them?" he said: "From Hudhaifah Ibn Al-Yaman." It was said to Hudhaifah: "We see that you say things which are never heard from anyone of the holy companions: from where have you got them?" he said: "Verily, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" favoured me with them. The people used to ask him about good, but I asked him about evil, for fear I might fall in it, seeing that the knowledge of good would not escape me" or in other words "And I came to know that he who had no knowledge of evil would have no knowledge of good."

It is further narrated that they used to say: "O Messenger of Allah! Which reward would be for him who does such and such? i.e. they asked him about the meritorious rewardable of deeds. But as for me, I asked him: "O Messenger of Allah! Which thing would corrupt such and such (of deeds)?" when he saw that I continuously asked him about the evil of deeds, he favoured me with this special knowledge.

Hudhaifah "Might Allah bestow mercy upon him" was also favoured with the knowledge of hypocrites and the acquaintance with hypocrisy, its reasons and subtleties of afflictions was unique to him (apart from the other companions). Umar, Uthman, and the elder from among the companions "Allah be pleased with them" asked him about the public and private afflictions. Whenever he was asked about the hypocrites, he would tell about the number of such of them as still survived, but without defining their names. Umar "Allah be pleased with him" asked him whether he had, to his knowledge, any signs of hypocrisy, and he set him free from that. Whenever Umar "Allah be pleased with him" was summoned to a funeral procession, he would cast a glance: if Hudhaifah attended, he would perform funeral prayer on it, otherwise, he would leave it. Hudhaifah "Allah be pleased with him" was also called the Man of Secret.

Thus, to take care of the ranks and states of the heart is the practice of the learned men of the hereafter, for it is the heart which seeks after the nearness of Allah Almighty. But even, this branch has come to be strange, and in short it has disappeared to the extent that if anyone of the learned men addresses himself to anything of it, he would be rendered odd and curious and his efforts would be described as the embellishments of preachers. How far and different from that are the researches which men now carry in the niceties of dialectics and argumentation! The poet was right when he said: "Many are the roads, but truth is a single path, And how few are those who tread this way. They pass unrecognized, their goal unknown, While slowly and steadily they walk along. The people are heedless of what is required from them, and most of them are far from the way of truth."

In total, the most part of the people do not incline but to what is easier and more convenient to their dispositions. Verily the truth is bitter, and if it is difficult to discover it, it is much harder to attain it, since its way is rough, particularly when the point is to know the nature of the heart, in order to purify it from the vicious blameworthy qualities. This is as painful as to remove one's soul continuously, and he who pursues it is like the person who takes his medicine and

keeps patient on its bitterness in the hope of being cured, or like the man who fasts throughout his life and suffers all resulting difficulties in order to enjoy breaking his fast at death.

Yet when has this path be encouraging or attractive? For this reason it is said that there were in Basrah one hundred and twenty speakers engaged in preaching and warning, but only six were engaged in the science of certainty of faith, the study of the states of the heart and the qualities of the inner self, including Sahl At-Tastari, As-Subaihi, and Abd Ar-Rahim. To the former there always flocked multitudes of people, while to the latter only a few which hardly exceeded ten came. That's because valuable and precious things are not fit except for the elite, and what is placed at the disposal of the mob is cheap.

Another one of those characteristics which a learned man should have is that he should depend, in the acquisition of his knowledge, upon his deep insight and perception with the help of his pure heart, and not upon scripts and books, nor upon the imitation of what he hears from others. but at the same time, he should imitate the lawgiver "Allah's blessing and peace be upon him" in all of his commands, sayings and deeds, and also the holy companions "Allah be pleased with them" whereas their deeds testified that they heard knowledge from the Messenger of Allah "Peace be upon him".

On the other hand, if one emulates the lawgiver "Allah's blessing and peace be upon him" and receives with acceptance all of his deeds and sayings, he should be eager to understand their significance. It is true that it is binding upon the imitator to do the same act done by the lawgiver "Allah's blessing and peace be upon him", but it should be known that he did it just for a certain significance it had. For this reason, he should strive himself in search for the significance of deeds and sayings. If one is satisfied only with retaining what is said, he will be no more than a container of knowledge, and not a learned man, and it was customary to say in this respect about such: "So and so is only a container of knowledge, and not a learned man." He, who is in the habit of retaining information, and lacking of acquaintance with the items of wisdom and significance lying behind it, could by no means be described as a learned man of knowledge. But when one removes the veil from his heart, and would allow it to be flooded with the light of guidance he would become a leader to be emulated, and therefore should not blindly follow the example of others.

For this reason, (it is narrated by At-Tabarani) on the authority of Ibn Abbas that he "Allah be pleased with both" said: "There is none (from amongst the learned people) but that his knowledge might be accepted or rejected, barring the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"." He learnt jurisprudence from Zaid Ibn Thabit, and the rules of recitation from Ubai Ibn Ka'b, and later on he came to differ with them in some questions of jurisprudence and rules of recitation. According to somebody: "We accept willingly what we have received from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and might accept or reject what we've received from the holy companions "Allah be pleased with them". But as for what we've received

from the early followers, the matter is different, for both them and us are men (of knowledge)."

The superiority of the holy companions "Allah be pleased with them" is due to the fact that they saw with their own eyes the different states and affairs of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and their hearts were attached to things which they perceived with the help of their indicators, which helped them become right, with no transmission nor narration (through intermediaries), since the light of Prophethood overflowed them to the extent that in most cases it kept them far from any mistake.

If the dependence upon the hearsay sources related from others is unsatisfactory, the reliance on books and written compositions should be farther from the truth. That's because the books and written composition was an innovation which was not customary during the lifetime of the holy companions, and the first generation of the early followers; and it was not before the year of one hundred and twenty that it came into existence, after the death of all the companions, the pioneering followers, after the death of Sa'id Ibn Al-Musayyab, Al-Hassan, and the best among the early followers. Moreover, the early fathers disliked writing down the Prophetic traditions and composing books, lest the people would be occupied by them on the exclusion of the retention and recitation of the Qur'an, consideration and celebration (of Allah). In this respect they said: "Retain in memory in the same way as we did."

For this reason, Abu Bakr and a group of the holy companions disliked to write down the Holy Qur'an in a Mushaf, and said: "How should we do a thing which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did not?" they were afraid that the people might put their full trust in the Mushafs, and said: "Let's leave the Qur'an to be received from each other by way of dictation and recitation, in order that this should be their main occupation and concern." They remained as such until Umar Ibn Al-Khattab and others from amongst the companions suggested that the Holy Qur'an should be written down in a Mushaf, lest the people would weaken and fail to retain it, and warned against the possibility of any dispute concerning a word or an ambiguous in the absence of any source of reference. The result was that Abu Bakr's breast was expanded to this idea which he accepted, and gave his commands that the Qur'an should be gathered in a written form in one volume.

But Ahmad Ibn Hanbal criticized Malik in his composing Al-Muwatta' (the Well-Trodden Path), saying: "He did a new thing which the holy companions "Allah be pleased with them" never did."

It is said that the first book to be composed in Islam is Ibn Juraij's book of traditions and ways of recitation, which he transmitted from Mujahid, Ata' and the companions of Ibn Abbas "Allah be pleased with both" in Mecca, followed by the book of Ma'mar Ibn Rashid in Yemen, in which he gathered many Prophetic traditions and acts of sunnah. Then Malik Ibn Anas composed in

Medina his book of Muwatta' (the Well-Trodden Path). Later, Sufyan Ath-Thawri composed his Jami'.

In the fourth century of Hegira, there appeared so many compositions in scholastic theology and the people engaged themselves more and more in debate and argumentation. They inclined to debate and anecdotes and using them in preaching. Consequently the science of certainty of faith began to vanish, and the science of the heart, and the investigation of the qualities of the soul, and the study of the stratagem of the devil became curious and unknown. All barring a very few ignored them. Then it became the custom to give the name learned man to the arguing scholastic and the story-teller, who embellished his words with rhymed prose,. This was primarily because laymen made up their audience, I mean laymen who could not distinguish true knowledge from that which is false, while the acts and learning of the Companions were not evident to them, so that they would be able to know how different they were from them. These men continued to enjoy the title 'learned' which they went on inheriting from each other.

At the same time the science of the hereafter came out of sight and the difference between knowledge and disputation disappeared except from the private among them, who were still able to say, whenever they were asked whether so and so was more learned than another, that the former had more knowledge, while the latter was given to mere argumentation and disputation, distinguishing thereby between knowledge and the ability to dispute and argue. In this way did the science of religion decline during those early centuries: how then about its state at the present time? Things have come to a point where anyone who would dare to show his disapproval of the present state of affairs would become under the risk of being described as insane. For this reason, it is better for man to be engaged in his own business and to hold his peace.

One of those characteristics of a learned man is that he should be so much eager to safeguard himself from the innovations in religion, even though they gain the unanimity of the public; and let not him be deceived by the people's dependence upon the innovations made after the holy companions "Allah be pleased with them". Let him further be extremely eager to search for the different states, conduct and deeds of the holy companions, and for the matters which occupied most of their concern, and whether they diverted their main concern in teaching, composing books, argumentation and debate, judiciary, the office of judgement, the guardianship of endowments and bequests, devouring the wealth of the orphans, associating with the magistrates, and flattering them, or in the fear (of Allah), sadness, reflection, self-mortification, observation of the deeds of both the outward and inward, avoidance of minor as well as major sins, eagerness to understand the hidden qualities of the soul's lusts, and the stratagems of devil, and the other subjects which belong to the esoteric sciences.

It should be known, beyond the shadow of doubt, that the greatest learned

man and the nearest to the truth from amongst those of his time is him, who is the most similar to the holy companions, and the most knowledgeable of the way which the early ancestors followed, from whom the principles and foundations of religion were taken and learnt. For this reason, when it was said to Ali "Allah be pleased with him": "You've differed with so and so (in this matter of religion)", he said: "The best among us if him, who stick to the principles and foundations of this religion most among us." Therefore, in order that one should conform to the inhabitants of the time of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", he should not mind of his difference with, and contradiction to the people of his own time. However, the people adopt what they do for they are inclined by nature to it, and since they are not able to admit that it might account for forbidding the Garden to them, they claim that there is no way to enter the Garden but through that (which they adopt and do).

For this reason Al-Hassan said: "Two innovators have appeared in Islam: A man of bad judgment who alleges that the Garden will be the reward only for those who adopt his opinions, and a man of luxury and extravagance who worships this world for the sake of which he become displeased, and for the sake of which he becomes satisfied, and besides which he seeks nothing. So, you should reject both for they are doomed to enter the fire of Hell. The average man in this world finds himself standing between a sybarite who summons him to the luxuries of this world, and a faddist who calls him to follow his whim. But fortunately Allah has saved him from both. He aspires to be like the righteous fathers and inquires about their deeds and follows their footsteps, and prepares himself for a great reward. As such you should be."

It is narrated (by Ibn Majah) on the authority of Ibn Mas'ud with its chain of transmission going back to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and according to another version stopping short of the Messenger of Allah, in which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Of all things, two are best: the word and guidance. The best word is the word of Allah, and the best guidance is the guidance of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". Beware of innovations because of all things, they are the worst; and every innovation is a heresy, while every heresy is a sin. Behold! let not your long life harden your hearts. Verily whatever has been ordained is now approaching and whatever has not been ordained will not occur."

During his sermon, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Abu Na'im on the authority of Al-Hussain Ibn Ali): "Blessed be he whose concern with his own faults occupies him from meddling with the faults of others, spends out of the money which he gains without sin, associates with the learned and the wise, and shuns the people of errors and disobedience. Blessed be he who humbles himself, whose nature has

been refined and whose heart has been reformed, who keeps his evil from the people. Blessed be he who acts upon his knowledge, who spends the surplus of his substance, and who never speaks but with what is necessary, who lives within the limits of law and does not transgress its due bounds to bring about innovations."

Ibn Mas'ud used to say: "Towards the end of time good guidance will come to be better than doing many deeds." He resumed: "You now live in a time wherein the best among you is he who is the swiftest to carry out affairs, but you will come upon a time wherein the best will be the most cautious and deliberate because of the abundance of suspicious things." Really he told the truth because any one at the present time who does not stop and think, but rather follows the crowds and does what they have done, will perish as they have perished.

According to Hudhaifah "Allah be pleased with him": "More surprising is that what is accepted in this time of yours was rejected in the past time (of the holy companions), and what is rejected in this time of yours will come to be accepted in the coming time. But even, you are good as long as you know the truth, and the learned man among you is not dealt with slightly." However, he has told the truth, for the most of what is accepted now was rejected during the age of the holy companions. It is accepted now, for example, to decorate and furnish the mosques, and spend great deal of wealth in their ornate construction and covering them with fine rugs.

However, taking carpets in the mosque was regarded one of the innovations, and it is said that this innovation was made by pilgrims. That's because the early men hardly placed anything on the ground to be between their bodies and the dust in the prayer.

The same is true of the involvement in the subtle details of debate and argumentation, for the service of the sciences of this time, claiming that it is the greatest thing therewith one draws near unto Allah Almighty, even though it was one of the rejected things.

A mention here might be made of the melodiousness of the recitation of both Qur'an and the call for prayer (Adhan), transgressing the due limits of the matters of cleanliness and being extremely suspicious in matters of ceremonial purity, regarding clothes unclean on petty and far-fetched grounds, and being lax in rendering lawful and unlawful foods as well as many others like that.

Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" told the truth when he said: "You live now in a time, in which the desire is controlled by knowledge, but later, a time will come upon the people, in which the knowledge will be controlled by desire." According to Ahmad Ibn Hanbal: "They have left the real knowledge, and addressed themselves to the amazing things: how little knowledge they have; and Allah is the source of help." According to Malik Ibn Anas: "In the past, the people did not ask about those things, about which the people at present ask; and

the learned men used not to describe things as lawful or unlawful, but I caught up with them while describing things as desirable and undesirable." This means that they considered only the extent to which things would be desirable or undesirable, just because the sinfulness of the unlawful was evidently clear. According to Hisham Ibn Urwah: "Ask them not nowadays about what they have innovated by themselves, for indeed, they've prepared the related answers, but rather ask them about the right way of sunnah, for indeed, they know it not."

According to Abu Sulaiman Ad-Darani: "It is not fitting for him who is inspired anything of good to do to act upon it until he hears its confirmation in the Prophetic traditions thereupon praises Allah Almighty for its conformity to what is within himself." The reason why he said so was that the innovations in religion have struck the ears, and attracted the hearts to the extent that it might bother their purity, and cause one to regard falsehood as the truth; and in order to prevent that, such should be careful by supporting his inspiration with evidence from the Prophetic tradition.

For this reason, when Marwan introduced the pulpit in the sanctuary during Id prayer, Abu Sa'id Al-Khudri stood towards him and said: "O Marwan! What is this innovation?" he said: "It is not an innovation. It is better than what you know and advocate. The people have increased in number, and I wanted that the voice (of the imam) would reach all of them." On that Abu Sa'id said: "By Allah! You will never bring what is better than I know. By Allah! I will not offer prayer behind you today." Such disapproval of his act seemed to have been due to the fact that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to recline against a bow or a stick during the Id or Istisqa' sermons, and not against the pulpit.

According to a famous tradition (on the authority of A'ishah): "Whoever changes anything in our religion, which is not integral to it, this change should be cancelled." According to another narration (by Ad-Daraqatni on the authority of Anas): "Let the curse of Allah, the angels and all the people be upon him who deceives my nation." It was said: "O Messenger of Allah! How does he deceive the nation?" he "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He makes an innovation (which is not included in the religion) and force the people to act upon it." (According to another narration) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There is an angel sent by Allah to make a public announcement everyday: "Behold! The intercession of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" will never extend over anyone that contradicts his sunnah."

The example of him who transgresses against the religion by making an innovation which violates the sunnah in relation to the one who only commits a sin is like the example of him who rebels against the king in order to destroy the government in relation to the one who only disobeys him in implementing a particular command. It is true that the sin of the latter might be excused, unlike

him who rebels against the state. According to a learned man: "It is insolent to keep silent from that which the predecessors discussed, as well as it is ostentatious to talk in that from which the predecessors kept silent." According to another learned one: "To be sure, the truth is very heavy: he, who goes beyond it commits injustice; and he, who runs short of it fails; and he, who aligns himself beside it is satisfied." (According to the narration of Abu Ubaid on the authority of Ali Ibn Abu Talib: "I advise you to adhere to the middle position to which the high is levelled down and the low is raised up."

According to Ibn Abbas "Allah be pleased with both": "Verily, the error has sweetness in the hearts of its doers." In confirmation of that, Allah Almighty says: " Leave alone those who take their religion to be mere play and amusement, and are deceived by the life of this world." (Al-An'am 70)

﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ﴾

And: " Is he, then, to whom the evil of his conduct is made alluring, so that he looks upon it as good, (equal to one who is rightly guided)?" (Fatir 8)

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾

Such of innovations as have been made after the holy companions "Allah be pleased with them" which have not been integral to the religion, and have been beyond the demand of necessity and need belong to the mere play and amusement.

It is narrated that Iblis "Allah's Curse be upon him" scattered his soldiers (from Satans) during the lifetime of the holy companions "Allah be pleased with them" (to induce them to violate the right way and law of religion), but they returned with failure and they were in the state of sadness. He asked them about their state, and they said: "We've never seen the like of those (to whom you've sent us), and we have failed to do headway with them, and they troubled us so much." He said to them: "No doubt, you have no power over them, for they've enjoyed the company of their Prophet, and attended the Divine Revelation which He sent down upon His Messenger. But after them, there will come a people, from whom you will be able to fulfill your need." When it was the age of the followers, he sent his soldiers to scatter among them, and later they went back to him disappointed, and said: "We've never seen more amazing than those: we trapped them into a sin after another, and when it was the end of the day, they went on asking for (Allah's) Forgiveness, thereupon Allah would change their evil deeds into good deeds." He said to them: "Then, you will not be able to do headway with those, for their right belief in monotheism, and following the right way of their Prophet. But afterwards, there will come a people, with whom you will be well-pleased: you will play with them as you wish, and drive them with the reins of their desires as you like. If they will ask for Allah's forgiveness He will

not answer them, nor will they repent so that Allah might change their sins into good deeds." And so after the first century (of Hegira) there came another group of men among whom the Devil kindled desires, and made alluring to them their innovations which they rendered lawful, and set them up as their religion. They neither asked for Allah's forgiveness nor did they turn to Allah in repentance from their sins. The result was that their enemies were given power over them and led them wherever they desired.

But, you might say: "From which sources has the narrator of this story known what Iblis had said, since he did not see Iblis, nor did Iblis tell him anything of that?"

It should be known to you that the mysteries of the Dominion might be disclosed to those of hearts, once by way of inspiration in such a way as to enable them to receive a passing idea which occurs to their minds, knowing not from where it has come to them, and once by way of a true vision in a dream, and once during wakefulness, by discovering the hidden meanings through the visible examples, as though in a dream, and this is the highest degree since it is one of the high degrees of Prophethood, just as the true vision in a dream is one of forty-six parts of Prophethood.

So, beware of making your portion of this science the rejection of what goes beyond the limit of your finite understanding, for it is in this that the pedantic among the learned men have been ruined, when they alleged their knowledge have encompassed all intellectual sciences. It is much better to be ignorant than to deny such things for the devotees of Allah Almighty, and he, who denies that to Allah's devotees would be inevitably forced to deny the Prophets and thus come out of the pale of religion.

One of the Gnostics said: "the Substitutes (Abdal) throughout the land have disappeared and have screened themselves from the sight of the public for they could not endure looking at the learned men of the present time, who are, in their sight, ignorant of Allah Almighty, even though they are, in their own sights as well as in the sight of the ignorant, knowledgeable of Allah Almighty." According to Sahl At-Tastari: "One of the greatest sin is to be ignorant of the ignorance, and watch the life of the laymen, and listen to the speech of the heedless; and no attention should be paid to the saying of every learned man who delves into this world, and moreover, he should be accused in all of what he says, for everyman always delves into what he likes, and repels what opposes his own desire." For this reason, Allah says: " nor obey any whose heart We have permitted to neglect the remembrance of Us, one who follows his own desires, whose case has gone beyond all bounds." (Al-Kahf 28)

﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾

It is taken for granted that the disobedient layman is happier than the ignorant

of the way of religion, who renders himself learned, for the former admits his laxity, which leads him to ask for Allah's Forgiveness and turn to Him in repentance from his sins, whereas the latter who is ignorant regards himself a learned man, is occupied by those sciences, which serve as his means to gain the worldly benefits, from following the real path of religion, thereupon he neither turn to Allah in repentance, nor does he ask for His Forgiveness: on the contrary, he keeps on his conduct until his death.

But, since that prevails on most men, except those whom Allah Almighty have saved, and there is no hope for reforming them, the safest thing for the cautious man of religion is to seek seclusion and solitude. This will be discussed in the Book of Seclusion. For this reason Yusuf Ibn Asbat wrote to Hudhaifah Al-Mar'ashi: "What do you think of a man who has found none to join with him in the celebration of Allah but that he is a criminal whose companionship is sinful?" In other words, he found no pleasant company; and he was right, because the company of people is never free from backbiting, hearing of backbiting, or keeping silence of evil. The best that the learned man can do is either to benefit others by his knowledge or to benefit himself by the knowledge of others. Had this poor man but considered the matter and realized that it was not possible for him to get any benefit without its being tainted with the blemishes of hypocrisy and the desire of wealth and power, he would have known that the receiver of his benefit is inclined to make it a means for gaining this world and an instrument for evil, in which he would be his supporter, accomplice, an auxiliary who would provide him with his tools and instruments. He would be like the merchant who would supply the brigands with their swords. For knowledge is like the sword, and its proper use is in the service of good as the proper use of the sword is in fighting. So, no merchant is allowed to sell his swords to such of men as from whose states he can know that he will use it to carry out highway robberies.

Those are twelve characteristics of the learned men of the hereafter, each of which comprises many qualities of the early learned men. Be, then, one of two: a man who possesses these qualities, or a man who admits his failure to have all of them, even though he acknowledges them. But by no means should you be the third one, (who neither possesses those qualities nor admits his failure to have them), lest you will confuse yourself and substitute the instrument of religion for the luxuries of this world, and compare the biographies of the idle to those of the learned men who are well-established in knowledge, and join, with your ignorance and rebellion the crowd of those who are doomed to destruction and despair. We seek refuge with Allah from the deceit of Satan through which many have perished, and ask Allah to make us of those who are not deceived by this world, nor are they prompted to deny Allah Almighty because of their conceit.

CHAPTER SEVEN: ON MIND: ITS HONOUR, REALITY AND DIVISIONS

The Exposition Of The Honour Of Mind

It should be known to you that this topic is not in need to be explained, since through it the honour of knowledge has appeared earlier; and to be sure, the mind is the source, fountainhead and foundation of knowledge, and knowledge springs from it in the same way as the fruit springs from a tree, the light from the sun, and the vision from the eye. How should that which is the means of happiness in this world as well as in the hereafter not be honoured? Moreover, how should there be doubt in its existence, seeing that a beast, while lacking the faculty of discernment, deems high the mind to the extent that the hugest, strongest and the most brutal of animals, seeing the face of a human being, retires and feels afraid of him, because of its sense that man has power over it, in view of the faculty of resourcefulness, which is characteristic of him in particular. For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Ibn Hibban on the authority of Ibn Umar): "The chief among his people is like the Prophet among his nation."

This is due not to the abundance of his wealth, nor to his great person, nor to his enormous power, but it is rather due to his great experience which is a fruit of his mind. For this reason, you see the Turks, Kurds, as well as the ruffians among the Arabs and all other people, in spite of their closeness in their lives to the beasts, respect their sheikhs by nature. Similarly, when many obstinate rebels among the Arabs, who had made up their minds to kill the Messenger of Allah, saw him and cast a glance at his honoured countenance, they feared him, and the radiant light of Prophethood shone on them through his face, although it was only latent in his soul in the same way as the mind is.

It is true that the honour of mind is intuitively known, our aim here is to relate many traditions and narrations which make a mention of such honour. Allah Almighty gives it the name of light in His saying: "Allah is the Light of the heavens and the earth; and the like of His Light is as if there were a Niche and within it a Lamp." (An-Nur 35)

﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ ﴿٣٥﴾ ﴾

He also gives the knowledge obtained through it such names as the spirit, revelation and life, as shown in His saying: "As such We have revealed to you a Spirit by Our Command." (Ash-Shura 52)

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾

He further says: "Is he, who was dead and We have given him life, and ordained for him a light therewith to walk among the people like him whose example is in darkness whence he never comes forth?" (Al-An'am 122)

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾

What is intended here by light and darkness is knowledge and ignorance, as confirmed by His Statement: "We bring them out of darkness to light." (Al-Baqarah 257)

﴿ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾

In this context, (it is narrated on the authority of Abu Hurairah that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "O people! Know Allah and be ruled by mind, perchance you will know what has been enjoined upon you and what you have been forbidden. Be sure that mind is your glory before Allah. He who obeys Allah, even though he might seem ugly, his rank lowly, his station humble and his appearance shabby, is intelligent; but he who disobeys Allah, even though he might seem good-looking, his rank exalted, his station noble, his appearance fair, and his power of speech sharp and fluent, is ignorant. Therefore, the apes and pigs are, in the sight of Allah, mindful than he who disobeys. Be not deceived by the honour given to such disobedient by the men of this world, for verily they are of those who are given to loss."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of At-Tabarani on the authority of Abu Umamah, and Abu Na'im on the authority of A'ishah): "The first thing which Allah created was the mind. When He Almighty created it He said to it: 'Come forth!' and it did accordingly. He then said to it once again: 'Come back!' and it did accordingly. Then Allah Almighty said: 'By My power and glory I have created nothing more honourable in My Sight than you. With you I take, with you I give, with you I reward and with you I punish."

But you may raise the following question: 'If this mind is an accident, how should it have been created before all other substances, and if it is an essence, how should it be a self-existent essence and not be isolated?' it should be known that this belongs to the science of Revelation, and it is not fitting to discuss it under the science of practical religion, and our aim at present is to discuss these sciences.

It is narrated (by Ibn Al-Muhabbar and At-Tirmidhi) on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: The people praised a man in the presence of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and exceeded the due limit of eulogy. On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "What about the state of his mind?" they said: "Do we tell you about his endeavour in religious service and doing good deeds, and you ask us about the state of his mind?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, the foolish does evil with his ignorance than what a wicked man does with his wickedness. Indeed, the worshippers will rise in the future (i.e. in the hereafter) up to the ranks which

draw them near unto their Lord as high as are their minds."

It is narrated (by Ibn Al-Muhabbar) on the authority of Umar "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There is no man (better than him who) has the like of the excellence of mind, therewith to lead his companion to the right guidance, and keep him away from sin; and none should have his faith complete until his mind is mature." (It is further narrated by Ibn Al-Muhabbar on the authority of Amr Ibn Shu'aib from his father from his grandfather and At-Tirmidhi on the authority of A'ishah that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A man attains, with his good manners, the rank of the fasting person, who regularly stands (for night supererogatory prayers); and a man will not complete his good manners until his mind is mature, and at that point, he will have completed his faith, obeyed his Lord, and disobeyed his enemy Iblis."

It is narrated (by Ibn Al-Muhabbar) on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Everything has a supporting prop (on which he depends), and the supporting prop of a faithful believer is his mind; and his religious service is achieved just in proportion to his mind. Have you not heard the statement of the wicked men while being in the fire (of Hell): "Had we hearkened or had good understanding, surely, we would have not been among the denizens of the blazing fire." (Al-Mulk 10)

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

It is narrated (by Ibn Al-Muhabbar) on the authority of Umar "Allah be pleased with him" that he asked Tamim Ad-Dari: "What does achieve the supreme authority among you?" he said: "The sound mind." He said: "You've told the truth. When I asked the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" the same question he said the same as you had said, and resumed: "I asked Gabriel "Peace be upon him": "What does achieve supreme authority?" he said: 'The sound mind.'"

It is narrated (by Ibn Al-Muhabbar) on the authority of Al-Bara' Ibn Azib "Allah be pleased with him" that he said: One day, so many questions were raised to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" thereupon he said: "O people! Everything has a mainstay, and the man's mainstay is his mind; and the most credible and the most ready among you to know the facts is the one who has the best mind among you."

It is narrated (by Ibn Al-Muhabbar) on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: When the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" returned from the holy battle of Uhud, he heard the people saying: "So and so is braver than so and so. So and so has endeavoured in fighting better than so and so." And the like of that. On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "As for this matter, you

have no knowledge of it." they asked: "How is that O Messenger of Allah?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "They fought in proportion to their minds doomed by Allah to them, and their victory and intentions have been also in proportion to their minds. The casualties received by Such of them as were afflicted have been at different stages. When it will be the Day of Judgement, they will have their stages according to their different intentions and minds."

It is narrated (by Ibn Al-Muhabbar and Ad-Daraqatni) on the authority of Al-Bara' Ibn Azib "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The angels have endeavoured and done their best assiduously with the mind in obedience of Allah Almighty; and the faithful believers from among mankind have endeavoured and done their best in obedience of Allah Almighty in proportion to their minds; and the one who is the most ready to do deeds in obedience of Allah Almighty is he, who has the greatest mind among them."

It is narrated (by Ibn Al-Muhabbar and At-Tirmidhi) on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that she said: I said: "O Messenger of Allah! With which are the people given superiority over each other in this world?" The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "With the mind." I further asked: "And in the hereafter?" he said: "Also with the mind." I exclaimed: "Is it not that they will be rewarded for their deeds?" on that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "O A'ishah! Do they do deeds but as much as such of minds as have been given to them by Allah? Their deeds are as much as their minds make available to them to do, and they will be rewarded as much as their deeds will be."

It is narrated (by Ibn Al-Muhabbar) on the authority of Ibn Abbas "Allah be pleased with both" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Everything has a tool and an instrument, and the mind constitutes the believer's tool and instrument; and everything has a mainstay, and the mind constitutes the man's mainstay; and everything has a supporting prop, and the mind constitutes the religion's supporting prop; and every people have a final objective, and the mind constitutes the final objective of Allah's devotees; and every people have their caller, and the mind constitutes the caller of the worshippers; and every merchant has his commodities, and the mind constitutes the commodities of the scholars; and every house has a caretaker, and the mind constitutes the caretaker of the houses of the saints; and every ruin has rehabilitation, and the mind constitutes the rehabilitation of death; and every man has offspring who belong to him and perpetuates his memory, and the mind constitutes the offspring of the saints, who belong to them and perpetuate their memory; and every journey has a shelter, and the mind constitutes the shelter of the faithful believers."

(It is narrated by Ibn Al-Muhabbar on the authority of Ibn Umar that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The dearest one amongst the faithful believers to Allah Almighty is he, who toils in obedience of Allah Almighty, is sincere in his advice to His servants, has his mind attain maturity, admonishes himself, therewith he sees the truth and acts upon it accordingly during his lifetime, and (not only) prospers (but) also causes others to succeed."

(It is narrated by Ibn Al-Muhabbar on the authority of Abu Qatadah that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He who has the most mature mind among you is the most Allah-fearing among you, the best of you to abide by what Allah Almighty has enjoined and what He has forbidden, even though he does the least voluntary deeds among you."

The Exposition Of The Reality And Divisions Of Mind

It should be known that the people differ in defining mind, and most of them forget that this difference is due to the fact that the word mind designates various things, and this is the reason for their difference. The enlightening fact to which no doubt rises is that 'Aql' is a homonymous word, which designates four different meanings, just in the same way as the word 'Ayn' and the like of it are. For this reason, a single definition should not be sufficient to describe those meanings, and rather each one should have its independent definition.

The first is to describe that thing that distinguishes man from all the other animals, therewith he is ready to accept and understanding the theoretical sciences, and grasp the intellectual abstract arts. It is the same thing intended by Al-Harith Ibn As'ad Al-Muhasibi who says in defining the mind: "It is an instinct therewith the theoretical sciences are perceivable, as if it were light to be cast into the heart, with the help of which things become comprehensible." But, he was unjust who refuted that definition, and rather reduced the mind to grasp only the axiomatic knowledge, since he who is heedless of this knowledge as well as the sleeping one are called intelligent, since they have this instinct, even though they are lacking the comprehension of this knowledge.

As well as life is an instinct, therewith man is ready for selective motions and sense perception, mind also is an instinct therewith some animals are ready to grasp many theoretical sciences. Had it been possible to make equality between man and donkey as far as the instinct and sense perception are concerned, in such a way as to say, for example: "There is no difference between them except that Allah Almighty, as a matter of course, creates in man many faculties of perceiving sciences, which He does not create in a donkey, as well as in the other beasts", it then would have been proper to make such equality between a donkey and an inanimate thing as far as existence is concerned, in such a way as to say: "There is no difference between both except that Allah Almighty, as a matter of course, creates in the donkey some particular movements"; and had it

been possible to regard a donkey as a dead inanimate thing, it then should have been said that all movements seen from it are created in it by Allah Almighty according to the very sequence in which they are done. and as well as it should be said that it differs from the inanimate thing, in relation to movements, but with a particular instinct characteristic of it, expressed by life, man also differs from the beasts, in relation to perception of theoretical sciences, but with an instinct characteristic of him, expressed by mind.

It is like a mirror, which differs from the other bodies in its power of reflecting images and colour, with a particular quality characteristic of it, i.e. the polish. The same is true of the eye, which is different from the forehead with qualities and features, which enable it to see. To be sure, the relation of this instinct to knowledge is like the relation of the eye to vision; and the relation of the Holy Qur'an and law to this instinct in so far as it leads to the unfolding of sciences to it is like the relation of the sunlight to the sight. As such you should understand this instinct.

The second applies to such of sciences as come to existence with the discerning child who is able to make sense to the possibility of what is possible and the impossibility of what is impossible, just as the knowledge of the fact that the two are greater than the one, and that a single person could, by no means, exist in two places simultaneously. This is what is meant by a theologian in his definition of mind, in which he says: "It is the knowledge of the axiomatic sciences, just as the knowledge of the possibility of what is possible and the impossibility of what is impossible." This definition is right in itself, for this knowledge exists, and giving them the name of mind is evident. But it is invalid to deny this instinct, and rather affirm that nothing exists other than this kind of knowledge.

The third applies to knowledge obtained through experience in the course of events. One might be described as intelligent when his teeth have been cut by experience, and educated by time; and the opposite is described as an unintelligent dim-wetted ignorant. This kind of knowledge is called mind.

The fourth is that this instinct attains such a power and strength as to enable it to know the expected ends and consequences of matters, curb the lust which hankers for an urgent pleasure; and if one has this power, he might be called an intelligent, in so far as his going on undertaking and retiring from are dominated by his consideration of the expected ends and consequences, and is not controlled by any urgent pleasure. This also is characteristic of man, therewith he is distinguished from all beasts and animals.

The first is the foundation, source and fountainhead of the other three. The second is the branch nearest to the first, the third is an offshoot of both the first and the second together, since with the power of the instinct and axiomatic knowledge, the empirical sciences are obtained. The fourth is the final fruit and ultimate goal. The first two are integral to nature, and the last two are acquired. For this reason Ali "Might Allah honour him" said: "I see that knowledge is of

two kinds: that which is integral to nature, and that which is obtained through acquisition, But no acquired knowledge is of any use in the absence of natural knowledge, in the same way as the light of the sun is of no benefit When the light of the eyes is shut off."

The first, i.e. that which is integral to nature is intended by the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" (according to the narration of At-Tirmidhi on the authority of Al-Hassan from many companions): "Allah has created nothing more honorable to His Sight than the mind."

The last, i.e. the acquired knowledge, is intended by the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" (according to the narration of Abu Na'im on the authority of Ali): "When men draw near unto Allah with righteousness and many kinds of good deeds, you might draw near unto Him with your learning." The same is meant by the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" (according to the narration of Ibn Al-Muhabbar and At-Tirmidhi on the authority of Abu Ad-Darda') to Abu Ad-Darda': "Advance in learning perchance you will draw nearer unto your Lord." Abu Ad-Darda' exclaimed: "May my father and mother be sacrificed for you! How can I do that?" The Messenger of Allah "Peace be upon him" replied: "Avoid the taboos of Allah Almighty and fulfill His commands perchance you will be wise; do such of deeds as are good and righteous, perchance you will advance in exaltation and honour in this world, and attain nearness and power from your Lord in the world to come."

It is narrated (by Ibn Al-Muhabbar) on the authority of Sa'id Ibn Al-Musayyab that he said: Umar, Ubai Ibn Ka'b and Abu Hurairah "Allah be pleased with them" visited the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "O Messenger of Allah! Who is the most knowledgeable among the people?" He "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The intelligent mindful." They further asked: "Then, who is the best worshipper among the people?" he said: "The intelligent mindful." They asked: "Then, who is the best among the people?" he said: "The intelligent mindful." They said: "Is it not that the intelligent mindful is he whose manhood is perfect, eloquence evident, generosity is clear, and position is great?" on that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "All of that is but chattels of this world, and the hereafter, in the Presence of your Lord, is only for the righteous." (Az-Zukhruf 35)

﴿ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾

(He then resumed) "The intelligent mindful is the righteous Allah-fearing, even though he seems in this world inferior and lowly."

According to another narration (transmitted by Ibn Al-Muhabbar on the authority of Sa'id Ibn Al-Musayyab) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The intelligent mindful is he, who believes in Allah, trusts his Messengers, and obeys Him through His deeds."

The original meaning of the word 'Aql' (mind) seems in both language and usage to have been given to this instinct. But it comes to designate knowledge as far as it is its direct fruit, in the same way as to designate anything with its direct fruit. It is said, for example: "Knowledge is to safeguard oneself (from Allah's punishment), and the learned man of knowledge is he who fears Allah most." However, piety is the direct fruit of knowledge, (in the same way as knowledge is the direct fruit of the mind) and thus it designates the fruit of such instinct allegorically. But it is not our purpose now to scrutinize this linguistic meaning.

It is to say that all those four divisions are included and designated by the word, and there is no difference among the learned men about their existence, and in case of any, it applies only to the first one. But the true fact is that it exists, and it represents the origin of all. Those divisions of knowledge seem to lie in the instinct by nature, but they come to light when a certain reason appears to bring them out, as if there is no external influence to affect their existence, and rather they remain inherent in it until they emerge, like the water in the land, which appears on digging a well; and it collects at the bottom of the well and can be distinguished by sense; but even, no new element is introduced in this process. The same is true of the oil in almond nuts and the attar in rose petals. For this reason Allah Almighty says: "And when your Lord brought forth their descendants from the loins of the sons of Adam and took them to witness against themselves, saying: 'Am I not your Lord?' They said: 'Yes, we witness to that'.". (Al-A'raf: 172)

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴿١٧٢﴾ ﴾

What is meant here is their declaration of souls, and not verbal profession, for men are divided in relation to verbal profession into two factions: believers and unbelievers. Henceforth Allah Almighty says: "If you ask them who created them, they will be sure to say: 'Allah'." This means that if they would only consider their condition, their souls and hearts would witness to the fact that it is Allah Almighty Who created them (in conformity to) "the true nature on which Allah created them." In other words every human being is created to be a believer, and every human being is created with an inherent knowledge of things as they are in reality, i.e. this knowledge seems as if they were inherent in it for it is nearly ready to perceive it as it is.

On the other hand, since belief is well-established by nature in the human soul, the human beings have been divided into two groups: one has turned away from that belief and has forgotten all about it, and those are the unbelievers, and the other has thought of the matter, and remembered, like one who bears a witness, and, being heedless for a while, has forgotten all about it, but finally has remembered it. For this reason Allah Almighty says: "Perchance they may remember" (Al-Baqarah 221)

﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾

And: "That those endued with sound minds may remember" (Sad 29)

﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

And: "And remember Allah's favour upon you, and His covenant which He had covenanted with you" (Al-Ma'idah 7)

﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ ﴾

And: "And we have rendered the Qur'an available as a sign to be remembered, but is there anyone who will remember?" (Al-Qamar 17)

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾

To give such the name of remembrance is not far-fetched. This remembrance is of two kinds: one is to recall an image which once existed in one's mind but has vanished, and the other is to recall an image which is inherent in one's mind by nature.

These facts are evident to him who has the faculty to perceive things with the help of the light of his insight, but are abstruse to him who is given to blind imitation and acceptance of things rather than to investigation and observation. Thus, you find such man entangled in the like of these Verses, committing many illogical and arbitrary prejudiced mistakes in the interpretation of remembrance and the declaration of souls, having the false impression that the Prophetic traditions and the Qur'an are full of contradictions. Such an attitude may overpower him in such a way as to make him regard them with contempt. Moreover, he might think they are incoherent.

He is like a blind man who enters a house and, stumbling over some utensils says: "Why were not these utensils removed from the way and returned to their places?" He is then told: "They are in their right places and it is your sight that is wrong. The same is true of the inconsistency of the insight, if not worse and graver because the soul is like a horseman and the body a horse, and the blindness of the horseman is more harmful than that of the horse. In comparison between insight and sight Allah Almighty says: "By no means has his heart falsified what he saw" (An-Najm 11)

﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾

And: "And thus did We show Abraham the dominion of the Heavens and the Earth." (Al-An'am 75)

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

The opposite of both is called blindness as shown in the saying of Allah Almighty: "For surely it is not the eyes that are blind, but blind are the hearts which are in the breasts." (Al-Hajj 46)

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾

He Almighty further says: "And he who is blind in this (world) will be in the hereafter blind and more straying from the path." (Al-Isra' 72)

﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٧٢﴾ ﴾

Some of those matters which were disclosed to the prophets were revealed through the sight and others through the insight, but both were called vision. In short he whose insight is not shrewd will understand nothing of religion except its husks and outward forms rather than its pith and truth. These, then are the different divisions to which the word 'Aql' is applied.

The Exposition Of People's Disparity Of Mind

The people are different as to the matter of disparity of mind, and there is no significance of being concerned with relating the speech of those of little knowledge; and it is more important to take the initiative to tell the truth in this respect. The evident fact in which there is no doubt is to say that this discrepancy applies to the four divisions barring the second, which belongs to the axiomatic knowledge of the possibility of what is possible and the impossibility of what is impossible. He, who is able to make sense to the fact that the two are greater than the one is also able to know that one thing could, by no means, exist in two places simultaneously, and that in no way could both eternity and origination be ascribed to one thing; and the same is true of all things, and what is evidently perceived with no doubt. But the disparity pervades the other three divisions.

Therefore, the people's disparity of the fourth division, i.e. the power of overcoming lusts, is not hidden. Moreover, it is evident that the states of one person might be different in that from time to time. This disparity is partly due to the difference of the power of the desire, in such a way that an intelligent might be able to abandon a desire and persist in another, even though not restricted to it. a youth, for example, might fail to abandon adultery, but when he grows up and attains maturity, he might become capable of leaving it. the desire for showing off and power of authority becomes stronger not weaker with the advancement of age. It is also partly due to the difference of knowledge of the harm and damage caused by this desire.

For this reason, a physician might be able to safeguard himself from some harmful kinds of food. It is true that he who has the same intelligence might not have the same capability because of his lacking of medical knowledge, even though he thinks there is harm in those kinds of food, but the more the knowledge of the physician is perfect, the more he feels afraid; and in this way, such fear acts as an instrument and a tool for the mind to help it overcome and break the desires. Similarly, the learned man might be more capable than the ignorant of refraining from sins, in view of his knowledge of the evil consequences of disobedience; and of course I mean here the real learned man, and not those of the flowing robes who dote and rave and prate of things they know little about.

If disparity results from the divergence of the power of the desire, it does not

then belong to the disparity of mind; and if it results from the difference of knowledge, we have given this kind of knowledge the name of mind, for it strengthens the instinct of mind, and thus the disparity results from that knowledge to which the name is applied. It might also result merely from the difference of the instinct of mind, for the stronger it becomes, the more it is inevitably capable of overcoming the desire.

As for the third division, i.e. the empirical knowledge, the people's disparity therein could not be denied. However, they differ in the amount of acquisition, and rate of perception; and this is due either to the disparity of instinct or to the disparity of practice. As for the first, which is the origin, i.e. the instinct, there is no way to deny the disparity therein. It is like the light which rises onto the soul, and dawns with the beginning of the age of discernment, and then grows with the progress of time and develops gradually until it attains its maturity around the age of forty. The parable of it is like the light of the morning, whose commencements are too hard to see and then it gradually increases until it reaches its completion with the emergence of the disk of the sun. the disparity of insight is like that of sight; and the difference is visible between the weak-sighted and the sharp-sighted.

The ordinance of Allah governs all His creatures with the principles of graduation in development. The sex instinct, for example, does not appear with a child suddenly all at once at the age of puberty, but rather it gradually appears little by little. The same is true of all the other forces and facilities. Indeed, he who denies the disparity of men in this instinct is loose outside the limits of sanity, and he who thinks that the mind of the Prophet is the same as that of any of the outlandish peasants and desert ruffians is himself meaner than any of those outlandish peasants.

How could the disparity of instinct be denied since in the absence of it men would not have varied in their ability to understand knowledge, nor would they have been divided into a stupid who fail to understand anything except after long and wearisome explanation by teacher, an outstanding who responds to the least sign, and a perfect from whose soul truth emanates without any previous instruction, as shown from the statement of Allah Almighty: "Whose oil would well nigh shine out, even though fire touches it not! It is light upon light." (An-Nur 35)

﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾

this applies to the Prophets "Peace be upon them" in whose inward thoughts obscure things are made clear without having learnt or heard anything alike. This is described by the word 'inspiration'. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" referred to the like of that when he said (according to the narration of Ash-Shirazi on the authority of Sahl Ibn Sa'd, and At-Tabarani on the authority of Ali): "The holy spirit whispered the following into my heart: 'Love whomever you please, for you will leave him; live anyway as you like, for you will inevitably die; do what you like, for you will be rewarded accordingly'."

This kind of conveying information by the angels to the Prophets is different from clear revelation with its implication of hearing a definite voice with the ear and seeing the angel with the eye; and this has been described as whispering into the heart. The stages of revelation are many, but it is not fitting to delve into them under the science of practical religion, because they belong to the science of Revelation. But, think not that the knowledge of the stages of revelation requires that its knower should be a receiver of revelation, because it is not improbable for a sick physician to know the different stages of health or for a wicked learned man to know the different stages of justice in spite of his lack of justice. That's because knowledge is one thing and the existence of what is known is another. Henceforth, it is not that everyone who knows what Prophethood and sainthood are should be himself a Prophet or a saint, and it is not that everyone who knows what piety and devoutness are should be himself pious or devout

That men are divided into those who take notice by themselves and understand those who do not understand except through warning and instruction, and those who benefit from neither, is like the division of the bosom of the earth into parts where water collects and increases until it bursts out by itself into springs of living water, parts where water collects but cannot be reached without digging, and parts where not even digging will avail. This is true of the disparity of men in native intellect. In confirmation to the disparity of the mind, it is narrated (by Ibn Al-Muhabbar and At-Tirmidhi on the authority of) Abdullah Ibn Salam that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" at the end of a long conversation, described the throne and stated that the angels asked Allah Almighty: " O our Lord! Have You created aught greater than the throne?" Allah replied: "Yes, the mind." The angels said: "How great is it?" Allah answered: "Verily no one can grasp its greatness. Can you calculate the number of sand of the sea?" They said: "No." Allah then replied: "Verily I have created the mind in different kinds as numerous as the sand of the sea. Some men were given one grain, others two, three and four grains, still others received a good portion, others a portion equalling a camel-load, and others even greater."

You may say: "Why then do some groups among the Sufi disparage the intellect and reason as well as the rational and the reasonable?" You should know, then, that the reason for it is that men have transferred the term intellect or reason (Aql) and the term rational or reasonable (Ma'qil) from their real and original meaning to another and false meaning, namely argumentation and debate over contradictions and requisites, which is scholastic theology. Consequently the Sufis could not tell that men have erred in this terminology, especially since it has not been possible to remove that from their minds in view of its current and well established usage. As a result they disparaged reason and rationalism. Could it be imagined, however, that the light of the insight, through which Allah is known and the truthfulness of His Apostle is recognized, will ever be disparaged or belittled when Allah Himself praised it? And if it were ever disparaged what other thing could be praised? But if the praiseworthy knowledge be the law, by what is its truth known? If it were known through the blameworthy and unreliable

intellect, that the law itself is blameworthy. No attention, however, is paid to him who says that the law is known through certainty itself ('Ayn Al-Yawing) and the light of belief rather than through intellect, because we mean by intellect what he means by certain sight and the light of belief, namely the inner characteristics by which man is distinguished from the animal and through which he comprehends reality.

Most of these wild errors have arisen from the ignorance of some who sought realities in words and erred wildly therein, because of the confusion which exists in the technical terminologies of men.

CHAPTER ONE: THE EXPOSITION OF THE CREED OF THE ESTABLISHED COMMUNITY OF SUNNAH AS MANIFESTED IN THE TWO STATEMENTS OF TESTIMONY WHICH FORM THE FIRST OF THE PILLARS OF ISLAM.

The Meaning Of The First Word Of Testimony

We say, putting our trust in Allah: Praise be to Allah the beginner and restorer of creation, the Doer of what He wills, Whose throne is glorious and Whose power is mighty, Who guides the elite among His servants to the straight path and the right way, Who grants them benefit once they affirm His Oneness by safeguarding their creeds from the darkness of suspicion and hesitation, Who leads them to emulate His chosen Apostle and to copy the guidance of his honoured Companions by directing their footsteps to the way of truth, Who rises to them with His Glory in His Essence and Acts by His beautiful attributes which none perceives barring he who inclines his ear in contemplation, and makes known to them that He is one in His Essence without any partner, single One without any compeer, eternal without any opposite, uniquely separate without any rival, and that He is one, eternally ancient with nothing prior to Him, perpetual without any beginning before Him, never-ending with none after Him, undying without any end, subsisting without cessation, abiding without termination.

He has not ceased and He will not cease to be described by the epithets of majesty. At the end of time He will not be subject to dissolution and decay: on the contrary, "He is the first and the last, the Evident and the Hidden, and He has full knowledge of all things." (Al-Hadid 3)

﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾

1- Transcendence (Tanzih): He is not a body having a certain form, nor a limited or restricted substance: He does not resemble other bodies either in limitation or in accepting division, nor is He a substance since by no means could substances exist in Him, nor is He an accident since in no way could accidents exist in Him. Nay! He resembles no entity and no entity resembles Him: "nothing is like unto Him and He is not like anything" (Ash-Shura 11)

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴿١١﴾﴾

No measure could limit Him and in no way could boundaries contain Him; no direction could surround Him and neither the earths nor the Heavens bound Him. Truly, He is seated on the throne in the very way He described and in the sense in which He willed: in a state of equilibrium far removed from contact, firmness, stability, envelopment, and change. The throne does not support Him, but the throne and those who carry it are supported by the grace of His power

and are controlled by His Hand.

He is above the throne and above the Heavens and above everything to the limits of the earth in such a way as to bring Him not nearer to the throne and the Heavens, nor make Him farther from the earth. No, He is highly exalted above the throne and the Heavens, just as He is highly exalted above the earth. nonetheless He is near to every existing being and is "nearer to a creature than his jugular vein"; and "He is witness over everything since His nearness is not similar to the nearness of bodies, just as His essence is not similar to the essence of bodies. He does not exist in anything, just as nothing exists in Him: exalted and Hallowed be He far above any place to imply Him, and sanctified be He far above time to limit Him. Nay! He had been before He created time and place, and He is now in the same and very way He was. He is distinct from His creatures by virtue of His attributes.

There is nothing in His essence besides Him, nor is His essence in any other besides Him. He is far removed from change of state or location. Events have no place in Him and misfortunes do not befall Him. No, He does not cease, in the epithets of His Majesty, to be far removed from decay, and in the attributes of His perfection He has no need of an increase in perfection. In His essence His existence is known by reason; His essence is seen with the eyes, a favour and a grace He will grant to the righteous in the everlasting abode, and a perfection of bliss from Him through seeing His gracious Countenance.

2- Life and Power: We bear witness that He is ever living, All-powerful, All-Compelling, and all-subduing; no inadequacy nor weakness befall Him; no slumber nor sleep overtakes Him; no dissolution nor death does not prevail over Him. He is the Lord of the Kingdom and Dominion, be it visible or invisible, the Lord of Power and Might: His are dominion, subjugation, creation, and command; the Heavens are rolled in His right hand and created things are constrained by His hand. He is Unique in creating and inventing; He is alone in bringing into existence and innovating. He created all creatures and their deeds, and decreed their sustenance and their lives; nothing preordained escapes His hand and the mutations of things are not beyond His power. What He decrees is beyond calculation and What He knows has no end.

3- Knowledge: We bear witness that He knows all things which knowledge implies, encompasses all that happens from the limits of earth to the highest of the heavens; not an atom's weight in the earth or in Heaven is beyond His knowledge. therefore, He knows the creeping of the black ant upon the solid rock in the darkest night, and He learns the motion of the molecule in the midst of the air. He knows the secrets and that which is more shrouded in secrecy; He has knowledge of the suggestions of the minds, the movements of the thoughts, and the concealed things of the inmost by virtue of a knowledge which is eternally ancient by which He is persistently described through the ages, not by a renewed and acquired knowledge which arises in His Essence through experience.

4- Will: We bear witness that He is the Willer of all things that are, the Master

and Disposer of all originated things: nothing happens, whether in the dominion of visible or unseen, no matter meager or abundant small or great, good or evil, of use or disadvantage, belief or unbelief, knowledge or ignorance, success or failure, increase or decrease, obedience or disobedience, unless it is by His Will. What He wills is and what He does not will is not: there is not a glance of the eye nor a stray thought of the heart but that it is subject to His will. He is the originator of creation, the Restorer of creation, the Doer of whatever He wills. There is none that cancels His command, none that enhances His decrees.

There is no way for a servant to flee away from disobeying Him, unless it is by His help and mercy, and none has power to obey Him unless it is by His will. If men and jinns, angels and devils gather to move or to render still an atom's weight in the world, without His will, surely they would fail. His will exists in His essence as one of His attributes, by which He is persistently described from eternity, the Willer, in His infinity, of the existence of things at their appointed time which He has decreed. So they come into existence just at their appointed times even as He has willed in His infinity without precedence of sequence. They come to pass in accordance with His knowledge and will without variation or change. He does not direct things through arrangement of thought and awaiting the passage of time, and this is why one thing does not distract Him from another.

5- Hearing and Seeing: We bear testimony that He is All-Hearing, All-Seeing. He hears and sees all things in such a way that no audible thing, however faint is beyond His hearing, and no visible thing, however minute, is hidden from His sight. Distance does not hinder His hearing, nor does darkness obstruct His seeing. He sees without eyes and hears without ears in the same way as He perceives without a mind, grips without a hand, and creates without an instrument, since His attributes are, in no way, similar to these of created things, just as His essence is, by no means, similar to the essence of created things.

6- Speech: We bear witness to the fact that He speaks, commanding, forbidding, promising, and threatening, with a speech which is eternal, ancient, and self-existing, unlike the speech of created things, it is not a sound which is caused by the passage of air or the friction of bodies, nor is it a letter which is pronounced by the movement of the lips and tongue. We bear testimony to the fact that the Qur'an, the Bible, the Gospel, and the Psalms are His books revealed to His Messengers, that the Qur'an is recited by the tongue, written down in copies, and preserved in the heart. Nevertheless it is eternally ancient, subsisting in the essence of Allah, not subject to division and separation by its being transmitted to the heart and (transcribed on) leaves. We bear witness to the fact that Moses heard the speech of Allah with no sound nor word, just as the righteous will see the essence of Allah in the hereafter, with no substance nor accident. As long as He has all of these qualities, He is living, knowing, willing, hearing, seeing and speaking with life, power, knowledge, will, hearing, seeing, and speech, not only through the Essence.

7- Acts: we bear witness to the fact that there is no entity besides Him,

except that it originates by His Action and proceeds from His Justice, in the most beautiful and perfect and complete and just of ways. We bear testimony to the fact that He is wise in His actions, just in His Commandments; and in no way could His Justice be comparable with that of men, since prejudice might be expected from the latter in his dealing with the property of anyone else other than him, but in no way could injustice be expected from Allah, for as long as He does not encounter any property of another besides Him, He is not unfair in his dealing with it. Everything besides Him, men and jinns, angels and devils, Heaven and earth, animals, plants, and inanimate things, substance and accident, as well as things perceived and things felt, are all originated and created by His power from nothing and made from naught, since He existed in eternity by Himself and there was none along with Him. So He originated the creation thereafter just to demonstrate his Power and realize such of His Will as had preceded and such of His word as existed in eternity, not because He had any need or necessity for it.

We bear testimony to the fact that He is Generous in creating, inventing and enjoining obligations, which He has not done by necessity, and that He is gracious in beneficence and reform, which he has not done because of any need. His are generosity and kindness, beneficence and grace, since He is able to bring upon His creatures all ways of torture and to shower upon them all kinds of pain and affliction, and should He even do this, it would be out of His Justice, and not out of wickedness nor of tyranny. He rewards His believing servants for their acts of obedience out of His Generosity and encouragement rather than in accordance with their merit and desert. For in no way is He under obligation to anyone and injustice is not expected from Him. Furthermore, none has any claim against Him. His claim to obedience is obligatory and binding upon all creatures because He enjoined it upon them on the tongues of His prophets and not by reason alone. But He sent His apostles and demonstrated their truthfulness by way of explicit miracles and they conveyed His commands and prohibitions, His promises and threats. So it became obligatory upon all creatures to have faith in what they brought.

The Meaning Of The Second Word Of The Testimony

The second word of the testimony is that which affirms the Apostleship to all the Prophets and Messengers "Peace be upon them", and asserts the fact that Allah Almighty sent the unlettered Quraishi Prophet Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him", as a Messenger to all the Arabs and non-Arabs, to both jinns and men. By his law He abrogated all the previous laws, except such of them as He confirmed. He gave him preference over all other prophets and made Him the chief of mankind, and rendered incomplete such of faith as affirms only the Allah's Oneness, i.e. "There is no god (to be worshipped) but Allah" unless it is followed by the testimony to the apostleship of the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him", i.e. that Muhammad is the Messenger of Allah.

Moreover, he made it obligatory upon all the creatures to have faith in him, in all the things which he related (from his Lord) concerning the affairs of this world and the hereafter, in such a way that He will not accept the faith of any creature until he believes in that which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" related concerning these which will happen after death, the first of which is the question of Munkar and Nakir. These are two awful and terrible creatures who will make the dead one sit up in the grave, both soul and body and will ask him about the Allah's Oneness and about the Apostleship, saying: "Who is your Lord? What is your religion? Who is your Messenger?" They are the two trial-causers of the grave and their questions are the first trial one will encounter after death.

One should have faith in the punishment of the grave and that it is real and that His Commandment pertaining to the body and soul is just and in accordance with His will.

He should have faith in the balance of acts and deeds with both its scales and tongue, the magnitude of which is like the firmaments of the Heavens and the earth, in which the deeds are weighed by the power of Allah Almighty, and its weights will be as minuscule as atoms and mustard-seeds, in establishment of exact justice. The records of the good deeds will be placed in a good manner in the scale of light, by which the balance will be weighed down according to the measure of their degrees in the Sight of Allah and by His grace, while the records of the evil deeds will be displayed in an ugly manner in the scale of darkness, by which the balance will be light by virtue of Allah's Justice.

One should also have faith in the bridge and that it is real: it is a bridge stretched over Hell, sharper than the sword's edge and finer than a hair, on which the feet of the unbelievers slip, according to the Commandment of Allah, and they fall into the Fire, whilst the feet of the faithful believers stand firm, by the grace of Allah, and thus they will be made to pass into the eternal abode and the everlasting life.

One should also have faith in the frequented fount-lake, i.e. the tank of Muhammad, from which the faithful believers will drink before being admitted to the Garden and after having crossed the bridge. Whoever gets a single sip therefrom will never become thirsty again. Its width is (as long as is the distance which is covered in) a month-journey, its water is whiter than milk and sweeter than honey, around which there are utensils as numerous as the stars of the heaven, into which flow two canals which stem from (the river of) Abundance (Kawthar).

One should also have faith in the reckoning and the differences between men concerning it: some will be directly questioned, some will be treated compassionately and some will be admitted to the Garden with no reckoning, and these are Allah's nearest devotees. Allah will ask such of Messengers as He likes about the conveyance of His message, and such of infidels as He likes about their rejection of the Messengers. He will ask the innovators about such of laws as they innovated, and the Muslims about their deeds.

One should also have faith in the fact that the monotheists will be released from the Fire of Hell after retribution has been exacted from them so that no monotheist will remain in the fire of Hell. One should have faith in the intercession of the Messengers, followed by the learned men of knowledge, then by the martyrs, and then by all the faithful believers, each according to his dignity and rank in the Sight of Allah Almighty. Such of believers as remains and has no intercessor will be released by Allah's Grace. That's because no believer will abide in the fire of Hell, and whoever has in his heart an atom's weight of faith will be brought out from the fire.

One should believe in the excellence of the holy Companions with their different ranks, and that the most excellent of mankind, after the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", is Abu Bakr, then Umar, then Uthman, and then Ali "Allah be pleased with them". One should think well of all the Companions and praise them, just as Allah and His Apostle "Peace be upon him" praised them.

All this is narrated in the Prophetic traditions transmitted from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and from his Companions. He who abides by all this and has faith in it with no suspicion will be of the people of truth and the right Law, and by so doing will keep himself far from the followers of error and the party of heresy.

We ask Allah Almighty, by His mercy, to make us perfect in certainty of faith and steadfast in religion; and this we ask for ourselves and for all the Muslims throughout the world. Verily, He is the most merciful of those who are merciful. And Allah's blessing and peace be upon the well-chosen, His servant Muhammad, our chief and master.

CHAPTER TWO: ON THE WAY OF PROGRESSION TO RELIGIOUS INSTRUCTION; AND THE SEQUENCE OF THE STAGES OF FAITH

It should be known that what we have already stated under the Exposition of the Creed should be presented to the child in his early years in order that he may memorize it, and its meaning will gradually be uncovered to him little by little as he grows older. The first step is to retain it in memory, after which he will come to understand it, then believe in it, then attain certainty of faith and acceptance, and all of this is obtained during childhood without proof. It is out of Allah's Grace upon mankind that He Almighty has expanded his heart to have faith from the very beginning without the necessity of any argument or proof. How can this fact be denied since all the creeds of the laymen are based on pure dictation and simple approval on authority of others? It is true that a belief which results from simple approval on authority of others may not be free of some weakness at the beginning, in the sense that it can be shaken and annulled by its opposite once it is mentioned; and it is for this that it should be strengthened and assured in the heart of the child and the layman until it is well established and unshakeable.

But even, the way of strengthening and assuring it does not lie in learning the art of argumentation and speculation so much as it lies in the recitation and

learning the interpretation of the Qur'an, in the study of the Prophetic traditions and their meaning, and in the performance of religious duties and acts of worship. Henceforth, a child's belief continues to increase in strength through such of the proofs and arguments of the Qur'an as falls on his ears, such of the illustrations of tradition and their advantages as he receives, such of the lights of the acts of worship and the fulfillment of the duties thereof as rises upon him, as well as through watching the righteous, sitting in their company, listening to their words, and observing their mark and manner in submission to Allah, feeling afraid of Him, and humbling themselves before Him. Such commencement of dictation are then like the sowing of the seed in the heart, while these actions will serve to water and irrigate the seed until it grows up and becomes strong and develops into a good and firm tree the roots of which are well grounded in the earth, and the branches of which rise up towards the sky.

Such listener should be strictly guarded as possible as it could be from argumentation and speculation, because the damage resulting from argumentation is greater than reform, and the resulting corrupt is greater than improvement. Indeed, the process of strengthening the faith of the child through argumentation is like striking a tree with an iron mallet for the purpose of strengthening it. Breaking its limbs in this way will destroy it, if not damage it fully. Watching is sufficient for you in this respect. If you compare the creed of the righteous and pious among the laymen with that of the speculators and those given to argumentation, you will find that the faith of the layman is as firm as the lofty mountain which is never moved either by storm or lightning, while the creed of the speculator who guards his belief with the syllogisms of controversy is like a thread hanging in the air, blown to and fro by the winds. But, an exceptio is made of those who have heard the proof of faith and have admitted it o authority of others, just as they have taken hold of faith itself and admitted it on authority of others, since there is no difference as far as approval on authority of others is concerned between the proof and the thing proved. That's because learning the proof is one thing, and arriving at it through independent thinking is another.

But if the child is brought up on this creed and is to pursue a worldly activity in order to earn his livelihood, nothing beyond it would be opened to him, though he would, in the opinion of the people of the truth, be saved in the hereafter, as long as the Law has not enjoined upon the ruffian Arabs to do anything more than a verbal approval of the literal meaning of these creeds. But they are not required to study, inquiry, and bring out of proofs. Nevertheless, if he hopes to be one of the followers of the way to the hereafter and be lucky enough to attain success in this respect, so that he could continue to act (upon his knowledge), sticking to piety, "restraining his soul from lust", and be given to self discipline and self-mortification, avenues of guidance would be opened for him which would disclose to him the realities of this creed through a Divine Light cast into his heart by self-mortification, in fulfillment of the promise of Allah Almighty about which He says: "And he who strives for us in Our ways We

will guide them; for Allah is assuredly with those who do right." (Al-Ankabut 69)

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾

Verily, this is the precious and valuable gem which is the ultimate goal of the faith of the saints and Allah's nearest devotees, to which the secret which rested in the bosom of Abu Bakr As-Siddiq and by which he excelled all others referred. The revelation of this secret, nay, these secrets, has different stages, in accordance with the degree of self mortification and the degrees of the purity and freedom of the inner self from anything other than Allah Almighty, as well as in accordance with the attainment of guidance by virtue of the light of faith.

This is similar to the differences of men in the comprehension of the mysteries of medicine, jurisprudence and the other sciences, which vary in accordance with their diligence, and their true nature in intelligence and good sense; and just as the former variations are beyond limitation, so are the latter.

A question: If you say that the study of argumentation and scholastic theology is blameworthy, like astrology, or that it is permissible or commendable, then, you should know that in this particular respect men go as far in both sides as to exceed the due bounds: some say that it is an innovation and thus it is unlawful and that it is better for the servant to face his Lord guilty of any sin, apart from the sin of polytheism, than to meet Him with that of scholasticism; and others say that it is an obligation whose duty is either collective or binding upon everyone, and that it is the best form of deed and the highest kind of obligation, in which there lies the confirmation of theology and the protection of Allah's religion. Among those who hold it unlawful are Ash-Shafi'i, Malik, Ahmad Ibn Hanbal, Sufyan and all these of sunnah among the predecessors and forefathers.

Ibn Abd Al-A'la' said: "I heard Ash-Shafi'i having said, On the day he was debating with Hafs Al-Fard, one of the Mu'tazilites: 'It is better for a servant to meet his Lord guilty of any sin, apart from the sin of polytheism, than to stand before Him with a bit of scholasticism.' I have also heard Hafs saying things which I cannot repeat." Ibn Abd Al-A'la reported also that Ash-Shafi'i said: "I have discovered among the scholastic theologians things which have never been expected from them. It is better for a servant to be put to the trial of violation of all of Allah's orders, with the exception of the sin of polytheism, than to devote himself to scholasticism."

Al-Karabisi narrated that Ash-Shafi'i was once asked about something belonging to scholasticism thereupon he grew angry and said: "Ask Hafs Al-Fard and his followers about this "Might Allah dishonour them"." When Ash-Shafi'i fell ill, Hafs visited him and said: "Who am I ?" Ash-Shafi'i replied: "You are Hafs Al-Fard: Might Allah neither keep nor make you prosper until you give up your sins." Ash-Shafi'i said: "If men but knew whatever lurks in scholastic theology they would have fled away from it in the same way as they flee away from a lion." He added: "Whenever I hear a man saying that the name is what is named or something else other than what is named, I bear witness that he is a

scholastic theologian and has no faith."

Az-Za'farani narrated that Ash-Shafi'i said: "My judgment concerning the scholastic theologians is that they should be beaten with palm leaves and carried while being in that state round among the tribes and clans, with the statement that this is the punishment of those who reject the Qur'an and the Prophetic sunnah, and rather address themselves to scholastic theology."

Ahmad Ibn Hanbal said: "A scholastic theologian never prospers. You can find none having delved into scholastic theology, but that his heart is corrupt." He was so strong in criticizing it that he abandoned Al-Harith Al-Muhasibi, in spite of his asceticism and godliness, because he composed a work on the refutation of heresy, telling him: "Woe to you! Do you not first declare their heretical beliefs in order to be able to reply to them, thereby forcing men to study these heresies and consider these suspicious matters, all of which will draw them into speculation and controversy." Ahmad Ibn Hanbal also said: "The scholastic theologians are heretics."

Malik said: "Have you seen how a theologian will reject his religion for a new one everyday when one of stronger argument confronts him?" In other words, the position of the theologians is changeable. Malik also said: "It is impermissible to accept the testimony of sectarians and heretics." In interpretation of this, some of his friends said that he meant by sectarians the scholastic theologians, no matter to what doctrine they might belong.

Abu Yusuf said: "He who seeks knowledge through speculation will become a heretic." According to Al-Hassan: "'Argue not with sectarians nor mix with them, nor hearken to them." Thus the traditionists among the Forefathers have unanimously agreed (upon their criticizing scholastic theology). The many restrictions which came down to us from them are incalculable. They have said that the companions did not refrain from scholastic theology, although they were better informed and more eloquent phrase-makers than anyone else, but because of their knowledge of the resulting evils. For this reason the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Let the hairsplitters be destroyed! Let the hairsplitters be destroyed! Let the hairsplitters be destroyed!" By this he meant those who are excessive in investigation and research. They (the earlier traditionists) also protested that had it (scholastic theology) been an integral part of religion the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" would have commanded (his Companions to address themselves to) it, and would have taught (them) its various ways, and would have praised it and commended its protagonists, seeing that he taught them abstersion and exhorted them to study the law of the obligatory shares of inheritance and commended (its teachers and learners). On the other hand he forbade them to delve into divine decrees saying: "Refrain from speculation on Divine decrees." The holy Companions continued to refrain from such speculations. To be sure, it is unfaithful and unjust to add to what the teacher set forth; and of a surety, the holy Companions are our teachers and the example which we should imitate, and we are their followers and disciples.

The other group protested that if the dangers of speculation result from such terms as essence and accident and the other strange terms with which the Companions were not familiar, it would not be difficult to explain, because there is not a branch of knowledge but that new terms have been introduced therein for making its meanings more understandable , as say, the science of Hadith, the science of exegesis, and the science of jurisprudence. Had those people to encounter such terms as refutation, invalidation, composition, deduction , and false collocation ,, as well as the other questions which are produced by analogy they would not be able to understand them. Therefore the introduction of new terms to signify a definite meaning is as legal as the invention of utensils and containers of new shape and form for usage in permissible things.

If it is the meaning of such terms which causes dangers, we intend to attain through them nothing but the knowledge of the proofs for the origination of the universe, the Allah's Oneness of the Creator, and (the essence of) His Attributes as they have come down to us in the Law. From which time, then, has the knowledge of Allah by proof been unlawful?

But if the main concern should be with sectarianism, fanaticism, sowing the seeds of enmity, hatred, and all that speculation and controversy give rise, then those are unlawful and should be avoided, against which it should be strictly guarded, in the same way as pride, conceit, hypocrisy, and the desire for power which the sciences of Hadith, exegesis and jurisprudence produce are unlawful and should be avoided, against which it should be strictly guarded. But even, let not that to which a branch of knowledge might lead prevent anyone from seeking that knowledge: How should the mention of the proof and the desire for learning and investigating it be forbidden in the presence of Allah's statement: "Say: Give your proof if you speak the truth" (Al-Baqarah 111)

﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾

And: "... that he who would perish might perish by clear proof, and he who would live might live by clear proof" (Al-Anfal 42)

﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴿٤٢﴾ ﴾

And: "Do you Have any authority for this?" (Yunus 68)

﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بِهَـٰذَآ ﴿٦٨﴾﴾

I.e. any evidence or proof for this. And: "Say: 'The absolute evidence is Allah's.'" (Al-An'am 149)

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ ﴿١٤٩﴾ ﴾

And: "Have you not considered him who disputed with Abraham about his Lord, because Allah had given him dominion? When Abraham said: 'My Lord is He who gives life and death,' he said: 'It is I who give life and death,' Abraham said: 'Since Allah brings the sun from the East, do then bring it from the West.' The unbeliever was confounded, for Allah guides not the evil doers." (Al-Baqarah

258)

﴿ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾

In this quotation, Allah Almighty mentions, by way of commendation, the controversy which broke up between Abraham and his opponent and how Abraham argued with and silenced him. Allah Almighty says too in this context: "This is our argument which we granted Abraham against his people." (Al-An'am 83)

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴿٨٣﴾ ﴾

He Almighty further says: "They said: 'O Noah! Already have you disputed with us, and increased our disputation.'" (Hud 32)

﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا ﴿٣٢﴾ ﴾

He also says in the story of Pharaoh: "Said (Pharaoh): "And what is the 'Lord and Cherisher of the worlds'?" (Moses) said: "The Lord and Cherisher of the heavens and the earth, and all between, if you want to be quite sure." (Pharaoh) said to those around: "Do you not listen (to what he says)?" (Moses) said: "Your Lord and the Lord of your fathers from the beginning!" (Pharaoh) said: "Truly your messenger who has been sent to you is a veritable madman!" (Moses) said: "Lord of the East and the West, and all between! If ye only had sense!" (Pharaoh) said: "If you put forward any god other than me, I will certainly put you in prison!" (Moses) said: "What if I show you that which shall be a proof of my mission?" (Ash-Shu'ara' 23:30)

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾
قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ
أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ
ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾

In short the Qur'an, from its beginning to its end, is an argument with the unbelievers.

The fundamental proof adopted by theologians for the Allah's Oneness is the statement of Allah Almighty: "Had there been in either (Heaven or earth) gods besides Allah, both would have surely gone to ruin." (Al-Anbiya 22)

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴿٢٢﴾ ﴾

Their fundamental proof for the Apostleship lies in His statement: "And if you are in doubt as to that which We have sent down to Our servant, then produce a Surah like it." (Al-Baqarah 23)

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴿٢٣﴾ ﴾

Their fundamental proof for the resurrection is: "Say: He shall give life to them who first gave them life." (Ya Sin 79)

﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾

Thus the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did not cease to argue and dispute with the unbelievers. Allah Almighty says: "Dispute with them in the kindest manner." (An-Nahl 125)

﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴿١٢٥﴾ ﴾

The Companions, too, used to argue and dispute with the unbelievers, but only at the time of need. At the time of the companions the need for disputation was little.

The first to lay the foundation of bringing the innovators back to the truth by means of argumentation was Ali Ibn Abu Talib when he sent Ibn Abbas to the Khawarij. Ibn Abbas argued with them saying: "for which reason do you have hatred against your imam?" They said: "He has fought, but did get no war prisoners nor booty." Ibn Abbas said: "War prisoners and booty are taken only in war against unbelievers: Had A'ishah been taken as captive on the Day of the Camel and had fallen to the lot of anyone of you, would he have regarded it lawful to deal with her in the same way as he would deal with his own property (and ignore) that she is, according to the expression of the Qur'an, your mother?" They answered in the negative, and consequently two thousand of them surrendered by virtue of his argumentation with them.

It is narrated that Al-Hassan once debated with a Qadarite with the result that the latter retracted from his error. Ali Ibn Abu Talib "Might Allah honour him" once debated with a Qadarite. It is narrated that Abdullah Ibn Mas'ud argued with Yazid Ibn Amrah on the topic of faith. Abdullah(Ibn Mas'ud) said: "If I say that I am a believer it is just like my statement that I belong to the inhabitants of the Garden." Yazid Ibn Amrah said to him: "O Companion of the Messenger of Allah! This is but a slip on your part! What is faith unless it is to believe in Allah, His angels, books and apostles, as well as in resurrection and the balance (of both acts and deeds), to perform obligatory prayer, observe the obligatory fasts, and practice regular charity. Nevertheless, we have sins which we commit, and if we but know that they would be plotted out of us, we would know that we will be of the inhabitants of the Garden. For this reason we say that we are believers, but we do not say that we belong to the inhabitants of the Garden." Ibn Mas'ud replied: "By Allah, you have said the truth: this is a slip on my part."

It should be said that they (the Companions) did not devote themselves but a little to that (speculation), which they did briefly and only at the time of need. They did not delve into it for the purpose of writing about or teaching it, nor did they take it up as a profession. It is then said that they did not devote themselves to it but a little because there was no significant need for it, since no heresy had appeared at that time. They addressed themselves to it briefly because their only purpose was to silence the opponent and force him to recognize his error. Their objective was to reveal the truth and get rid of suspicious matters. Therefore, had the confusion of the opponent persisted or he proved unrelenting on his error,

they would have prolonged their argument, without reckoning, as it were, the need with weight or measure once they had entered into their (debate). Furthermore, they did not undertake the process of teaching and writing about it for it was their custom with regard to such sciences as jurisprudence, exegesis and Hadith.

If it is permissible to compose books on jurisprudence and to work out rare hypothetical cases which seldom happen, therewith to get ready for the time of need, or simply to sharpen the wits, it is also permissible for us to classify the methods of argumentation to get ready for the time of need, with the rising of suspicious matters or the uprising of an innovator, or to sharpen the wits or have the argument ready perchance at the time of need it will be within the reach of all, as the preparation of armaments for war before the day of battle.

This is all that might be said about both parties. But, if you ask me what I think of this, let me say that the truth of the matter is that those who condemn it absolutely and utterly and those who praise it absolutely and unconditionally are wrong. The question should be more carefully explained as follows:

It should be known that from among the prohibited things, there is firstly that, considered unlawful in its very nature, such as wine or (the flesh of the) dead. What I mean by 'its very nature' is that the cause of prohibiting it is a quality inherent in it: intoxication (in the case of wine) and putrefaction (in the case of the flesh of the dead). If we are asked concerning these two things, we would not be reluctant to say that they are absolutely unlawful, regardless of the possibility of making permissible the eating of the flesh of the dead at the time of need, or the drinking of wine when a person chokes over a morsel and finds nothing to swallow it with other than wine.

Secondly there is, from among things, those which may be rendered unlawful for some other reason, like making a transaction in opposition to one's Muslim brother during the period of choice, practicing traffic during Adhan, or eating earth which is rendered unlawful because of its harmful effect. Such things are divided into those which are harmful both in their small or large quantities and are absolutely unlawful, like, say, poison which is fatal whether in small or large quantity; and those which are harmful only when taken in excess like, say, honey, which is harmful to the feverish patient when it is taken in excess. The same applies to eating earth. nevertheless, rendering wine and eating earth absolutely unlawful, and honey lawful applies only to the most general cases.

In an event having opposing cases, , it will be far better, and much safer from falling into confusion to be analyzed independently and uniquely, which thus brings us back to theology, to say that it has points of advantage and disadvantage, merit and harm. As far as its merit is concerned, whenever it is useful it is either lawful, or commendable, or obligatory, as the occasion demands. As far as its harm is concerned, whenever it is harmful it is unlawful. Its harm lies in arousing doubts and destroying the creeds by moving them out from the realm of certitude and determination. These things are lost at the

beginning and their restoration by means of proof is doubtful; and it varies with the difference of individuals.

Such is its harm in the established faith. But even, it has another harmful effect which is represented in setting firm the belief of the heretics in their heresies and installing them in their hearts so that their claims become stronger and they grow more obstinate in their insistence on them. But such harm results from the fanaticism which disputation fires up. For this reason you see that a lay heretic can, by means of pleasant manner, be easily dissuaded from his error within a quick time, unless he were brought up in a town where disputation and fanaticism flourish, and in this case, if both the foremost and the last gather and exert combined effort to remove the heresy from his heart they will fail. On the contrary, passion, fanaticism, hatred of the opponents of debaters and non-conformist groups possess his heart and prevent him from grasping the truth. So even if he were told, "Do you want Allah to remove for you the veil and to disclose to you, by means of personal observation, that the truth is on the side of your opponent?" he would dislike it for fear that his opponent would become glad because of it.

This is the chronic disease which has become widespread among men all over the land. It is a kind of corruption inflamed by the debaters through their fanaticism. This is sufficient for its harm.

As to its benefits it is thought that it is of good benefit in disclosing facts and knowing them as they really are. But how far from the truth this is, because the fulfillment of such noble desire is beyond argumentation. Indeed, the perplexity and confusion brought about by argumentation prevail over anything it might disclose or unfold. If you were to hear that from a traditionist or a half-scholar you might think that they have fallen victims of that because of their ignorance, for men are the enemies of that which they know not. Take it from one who is well-versed in speculation, and, came to abandon it after a careful study and a thorough investigation of it in which he exceeded the extremities of its masters and went further to study in great detail other relevant subjects, and has become sure of the fact that the way to the realities of knowledge from this direction is closed.

By my life, argumentation might be of use in revealing, unfolding, and clarifying but a few things, yet this is very rare and only occurs in simple and clear matters which are readily understood even before going on any deep study of the art of argumentation. It has only one benefit: it preserves the creed for the laymen and guards it against the confusion of innovators by different kinds of argumentation. However, a layman is apt to be influenced by the argument of the innovator no matter false the argument might be; and to confront a false position with its counterpart might repel it. People are expected to follow this creed which we have already mentioned because the Law has ordained it for the good of their lives in this world and the hereafter, and because the righteous Fathers agreed on it. The learned men are expected to watch over it for the laymen from the ambiguities of the innovators, just as the magistrates are expected to well-guard

their property from the attacks of the wrongdoers and ravishers.

Since both its harm and benefit are clearly evident, one should be like the skillful physician who is careful of using dangerous drugs, which he does not apply except to the right place and only at the time of need, and as much as it is just needed.

To explain further, the laymen and the common folk who are engaged in crafts and trades should be let alone in the veracity of their beliefs which they have accepted when they have been instructed in the established faith which we have already stated. To teach them the art of argumentation and disputation is definitely harmful to them since it might arouse doubts in their minds which will shake their faith. Once these doubts are aroused it will be difficult to treat their shaken faith.

As to the layman who has faith in a certain innovation, he should be called back to the truth by way of thoughtfulness and delicacy and not through fanaticism: in other words, through nice words which have the power to convince the soul and have a positive effect on the heart, words much closer to those of the arguments of the Qur'an and the tradition, mixed with a few amount of admonition and warning. This is much better than debate along the line set down by the scholastic theologians, since the layman, on hearing such arguments, thinks that they are a kind of technique in disputation which the disputant has learned in order to force men to adopt his belief. so, if the layman fails to reply to these arguments he will assume that the scholastic theologians of his doctrine ar more capable of refuting them. Disputation with both this man and the former unlawful. Likewise it is unlawful to argue with one who has fallen victim t doubt, since doubt should be removed by way of thoughtfulness through admonition and understandable proofs free of excessive speculation and continual debate.

Verily, argumentation is of only one benefit, namely, when a layman has been convinced to believe in an innovation by means of a certain kind of argument, in which case it should be countered by the same kind of argument in order to bring the man back to the truth. This applies to him who, because of his liking of disputation, is no longer satisfied with the ordinary admonitions and warnings, but has reached such a state of suffering as from which nothing barring debate will heal him. For this reason it is permissible to argue with him. But in a country where heresy is rare and only a single doctrine prevails, it is sufficient to declare the creeds which we have already mentioned, without any attempt to take up the question of proofs. The person should wait until something questionable arises before he takes up the question of proofs which he should present as much as it is required, and in proportion with the need.

If the heresy is Common and there is fear that the children might be deceived by it, there would be no harm to instruct them in what is similar to what we have included in the book entitled Ar-Risalah Al-Qudusiyyah (The Holy Message), as a means for adverting the effect of the disputations of innovators in case such effect should confront the children. This is a brief amount which

we have included in this book because of its conciseness. If he (the child) is intelligent enough and well-aware of a certain question or falls skeptic of something in his mind, then the dangerous disease has appeared and its trouble has become visible. In this case, there will be no harm to promote him (the child) to what is similar to the amount which we have included in the book entitled Al-Iqtisad Fi Al-I'tiqad (The Economy In Faith), nearly fifty folios in which there is no departures from the foundations of the creeds to the other investigations of the scholastic theologians.

Should this satisfy him (the child) he might be let alone; otherwise, the disease has become chronic, its trouble aggravated, and the epidemic widespread. Let the physician be as thoughtful and tactful as possible, and let him await the will of Allah until, by virtue of His Grace, the truth shall be disclosed to the child. Otherwise he will persist in his doubt and skepticism as long as it is so ordained.

It is from this amount contained in that book and its like that benefit can be expected. The books which deal with anything other than this are of two kinds:

The first deals with things other than the foundations of the creeds, such as those which discuss propensities, transmutations, and perceptions, or discoursing on vision: whether it has or has not opposite which is called obstruction or blindness, and in case this obstruction exists, then it will be an obstruction (which hinders the eye) from (seeing) all invisible things, or affirmation of proof of obstruction for every visible thing that can be seen, in proportion to its number, in addition to other misleading nonsense.

The second is concerned with an additional expansion of the same arguments in their application to other subjects, with further questions and answers, i.e. details which add nothing but more perplexity and ignorance to him who has not already been satisfied with the previous amount. For many are the things which turn to be more abstruse with dilation and expansion.

If one says that the investigation into the rules of perceptions and propensities is of a great use for whetting the mind which is the instrument of religion just as the sword is the instrument of holy war, and consequently there is no harm in whetting it, it will be like saying that since playing chess whets the mind, it is a part of religion. This is out of madness because the mind may be whetted through the other sciences of Law in which there is no fear of harm or injury.

In this way, you know the amount of scholastic theology which is blameworthy and that which is praiseworthy, the conditions under which it is condemned and these under which it is praised, and the persons who might benefit from it and the persons who might be harmed.

A question: If you say that 'since you admit the need for it in refuting the arguments of the innovators, and since innovations have now risen and calamities have become widespread, the need for it has become urgent, undertaking this science should inevitably become a collective duty, just as taking up the protection of property and other rights and fulfillment of the duties of justice and government and their like. Furthermore, unless the learned men address

themselves to disseminating and teaching this science and making investigations in it, it will not survive, and if it were entirely left, it would vanish. To be sure, there is no sufficient capability, in human nature by itself, of overcoming the suspicious matters of innovators unless this topic is learnt and studied. For this reason, it should be taught, and investigation into it is now one of the collective duties, which was not customary at the time of the Companions when there was no urgent need for it.'

It should be known to you that the truth in which there is no doubt is that in every town, there should be somebody, who would undertake this science and address himself to it, in order to refute the suspicious matters of the innovators which are in circulation in such town. This undertaking should be accomplished by way of education, but it is not right to be taught to the laymen in the same way as the sciences of jurisprudence and exegesis are taught to them. That's because this (argumentation) is like drugs, and jurisprudence is like food: the harm of food is not dangerous but the harm of drugs is dangerous as we have already mentioned.

This science should not be taught but to men who have the following three characteristics: The first is wholehearted devotion to and passion for knowledge: for the working man is detained by his work from mastering the subject in full as well as from removing the doubts when they arise. The second is shrewdness, intelligence, and eloquence, because the stupid one gets no advantage from his understanding and the dull one gains nothing from his argument: on the contrary such a man is more apt to be harmed by disputation and expects no good from it. The third is that the man should, by nature, be righteous, religious, and pious: he should not be possessed by passions, because the wicked man would deviate from religion on his feeling of the least suspicion. Furthermore, passions would eliminate all preventions and remove the barrier which stands between him and worldly pleasures. He would not be keen on driving out anything questionable, but rather would seize upon it to free himself from any obligation. The things which such a student will spoil would be greater than those which he would reform.

When you know these divisions you would realize that, in disputation the praiseworthy argument is like those of the Qur'an: kind words which influence the hearts and convince the minds without going deeply into syllogisms and analyses which most people do not understand; and even if they understand them they render them trickeries and artifices which their advocate has learnt in order to make things abstruse. Should he be confronted by one of his professional colleagues he would resist him.

You also know that Ash-Shafi'i and all the forefathers were forbidden from delving into disputation as their main concern , because of the harm inherent in it to which we have already referred. The reports of Ibn Abbas's argumentation with the Khawarij and Ali's concerning free will show that their disputation belonged to the clear and evident kind, done only at the time of need. Such disputation is praiseworthy in all cases. Verily, the need for disputation varies

with the time, and this applies to the rule which governs it.

Such is the rule of the creed which Allah imposed on man and the method of defending and preserving it.

As to dispelling doubts, revealing truths, knowing things as they really are, and comprehending the mysteries which the words of this creed signify, there is no way to attain any of them except by means of self-mortification and overcoming passions, seeking Allah wholeheartedly and persisting in thoughts which are free from the defects of disputation. They are a mercy from Allah which comes only to those who expose themselves to its beneficence according to what Allah ordained to them and the extent to which they had exposed themselves to it as well as the capacity of their hearts and the degree of their purity. This is the sea whose depth cannot be reached, and whose water can not be traversed.

A question: If you say that this discussion refers to the fact that these sciences have external as well as internal meanings some of which are obvious and understandable at the first glance, while others are hidden and become gradually evident by means of self-mortification, self-discipline, solemn desire, pure thinking and a heart which is wholly devoted to what is sought for, and of course this is almost contrary to the Law since the Law does not have external and internal meanings, secret and manifest, but the external and the internal, the secret and the manifest in it are all the same, then you should know that the classification of these sciences into hidden and obvious is not denied by anyone of true insight but is denied only by those short of knowledge, who have obtained some knowledge in their youth, at which they stopped and made no further advance and consequently failed to promote to the lofty heights, where lie the high ranks of the learned men and saints.

This is clear from the indications of the Law. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily the Qur'an has an external as well as internal meaning, a scope as well as a point." Ali said, pointing to his breast: "Verily herein lies abundant knowledge; would that there were carriers to (comprehend and) transmit it." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "We assembly of prophets were commanded to communicate with everyone in proportion to his faculty of understanding." He further said: "No one has ever recited a tradition to a people which their minds have failed to understand but that it is a cause of temptation for them." Allah Almighty says: "These similitudes do We set forth to men, which none understands except those endued with knowledge." (Al-Ankabut 43)

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily of knowledge there is that which is like a well-guarded thing, which none perceives but those who are endued with knowledge of Allah Almighty..." to the end of the Hadith as we have narrated it in the Book of Knowledge. He further said: "If you only know what I know, you would laugh little and weep much." If

this had not been a secret which he was forbidden to disclose to them because the minds were short of grasping it, why then did he not divulge it to them, putting in consideration that they would have surely believed him had he mentioned it?

In his comment on the statement of Allah Almighty "It is Allah who has created seven heavens and as many earths; the (divine) command comes down among them" (At-Talaq 12)

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴿١٢﴾ ﴾

Ibn Abbas said: "Had I told you its interpretation, you would have stoned me to death" or " you would have said: 'He is a blaspheme'" according to another narration. Abu Hurairah said: "I have retained from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" two things, one of which I have divulged, and had I to divulge the other, this throat (of mine) would be cut off." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It is not by more fasting nor by much prayer that Abu Bakr has excelled you, but by a secret which rested in his bosom." There is no doubt that this secret was attached with the foundations of the creeds and not departed from it. However, what belonged to the foundations of religion could not have been hidden from the other Companions through its outward form.

Sahl At-Tastari said: "The learned man possesses three kinds of knowledge: exoteric knowledge which he conveys to these of what is exoteric; esoteric knowledge which he cannot reveal but to its own people; and a knowledge which stands between him and His Lord and which he cannot disclose to anyone." One of the Gnostics said: " To divulge the secret of Lordship is (as sinful as is the) unbelief." Another said: "Lordship has a secret, and if it is revealed, Prophethood will become invalid; Prophethood has a secret, and if it is disclosed, knowledge will become pointless; and the learned men of Allah have a secret, and if it is divulged, the law will become ineffective." If he who said this did not imply the uselessness of Prophethood as far as the feeble-minded are concerned because of their failure to understand, then what he said is wrong. Rather, what is true is that in which there is no contradiction. The perfect man is he whose knowledge does not destroy his piety, and the way to attain piety is Prophethood.

A question: If you say: "These verses and traditions may be subject to several interpretations. Show us, then, how their exoteric meaning differs from the esoteric, for if the esoteric is contradictory to the exoteric, it will make invalid the Law, which is the situation of those who say that reality is contrary to the Law, and of a surety, this is clear unbelief because the Law represents the exoteric and reality represents the esoteric. If the one is neither contradictory nor dissimilar to the other, then both are the same so, the division (of knowledge into exoteric and esoteric) will be of no use and the Law will have no secret meaning which should not be disclosed. But, both the hidden and the evident will be identical."

It should then be known to you that this question gives rise to a serious matter and leads to the science of Revelation which is an essential departure from the

purpose of the science of practical religion which is the topic of these books. The creeds which we have already mentioned are included within the deeds of the heart which we are required to admit with consent, by setting the heart firm on and sticking to them, not by striving to grasp their realities, since this is not binding upon all people. Had it not been an integral part of practical religion we would not have mentioned it in this book, and had is not been one of the external deeds of the heart we would not have mentioned it in the first half of the book.

The true revelation is characteristic of the essence of the heart and its inward part. But should the discourse lead to arousing doubt or the shadow of doubt as to the disagreement of the exoteric with the esoteric, it will be then necessary to present a brief explanation. For he who says that reality disagrees with the Law and the esoteric contradicts the exoteric is closer to unbelief than to belief. In fact, the secrets whose comprehension is unique to Allah's nearest devotees whose practice is restricted to them apart from the majority and which they do not divulge to the audience may be divided into five categories:

The first category is that the thing in itself is subtle and beyond the faculty of understanding of most minds. This means that its comprehension is restricted to the elite who should not divulge it to those who have no power to understand it lest it becomes a source of distress to them in case their minds fail to comprehend it or to perceive the concealed secrets of the spirit,. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" himself refrained from explaining this part. That is because minds fail to grasp its reality and the imaginations are short of perceiving its truth. But think not that this was not disclosed to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", for he who does not know the spirit does not know himself, and he who does not know himself does not know his Lord. It is not improbable that this was disclosed to many saints and learned men even though they were not prophets. But they exercised themselves in the etiquette of the Law and kept silent from the matters of which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" himself was silent.

Indeed, the attributes of Allah have many hidden ones which are beyond the faculty of understanding of the audience. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" mentioned nothing of them except those that are evident to the minds, such as knowledge and power and their like, which men understand in terms of something of the same kind they have and then suppose that they are able to perceive them through their own knowledge and power, putting in consideration that they have such qualities as are called knowledge and power. Thus, they arrive at that by means of analogy. But had the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" mentioned some of the attributes of Allah of which men have no like and which are similar, even a little, to anything they have, they would not have understood them. Thus, if the pleasure of sexual intercourse is mentioned to the child or to the impotent, it will not be understood by them except in terms of the pleasure of eating which they

understand, even though this kind of understanding is not obtained from real experience.

However, the difference between Allah's knowledge and power and human knowledge and power is so much greater than the difference between the pleasure of sexual intercourse and the pleasure of eating. In short, man has no power to understand but himself and his own attributes inherent to him at present or in the past. By comparison and analogy with these he comes to understand the attributes of others. He will also realize that there is a difference between his attributes and those of Allah in nobleness and perfection. Therefore it is not within the power of men but to ascribe to Allah what has been attributed to himself, such as action, knowledge, and power as well as other attributes, and to acknowledge that in the case of Allah they are more perfect and more noble. The most part of his emphasis would be on his own attributes rather than on those of majesty which belong absolutely to Allah Almighty.

For this reason the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I could not reckon Your Praises as they should be, for You are really praised just in the same way as You have praised Yourself." This does not refer to the failure to express what I comprehend so much as it is rather an admission of the failure to comprehend the essence of the majesty of Allah. So, someone said: "No one has truly known Allah except Allah Himself." Abu Bakr As-Siddiq said: "Praise be to Allah who has given men no way to know Him except through their failure to know Him." Let us now desist from this kind of discourse and rather return to the main topic, namely that one of these categories constitutes that which the minds fail to understand, such as the spirit and some of the attributes of Allah Almighty.

Perhaps the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" referred to something alike when he said: "Verily Allah has seventy veils of light. Had He removed them, the majesty of His face would have burnt everyone whose sight might happen to perceive His glory."

The second category of those hidden matters which Prophets and the saints refuse to mention or divulge implies those things which, being intelligible in themselves and the minds do not fail to understand, will be harmful to most hearers if they are mentioned although not harmful to the Messengers and saints. The mystery of the Divine decree which the learned men were forbidden to divulge belongs to this part. So, it is not improbable that certain truths may be harmful to some people just as the light of the sun is harmful to the eyes of bats and the rose perfume is harmful to black beetles. How could this be considered differently when we know that our statement that unbelief, adultery, sin, and evil exist all by the will of Allah, which in itself is true, but even, it has been harmful to some people who were moved to have the false impression to use it as an evidence for folly, recklessness, and approval of evil and wickedness? In this way Ar-Rawandi, as well as several separatists, have deviated from the right path by following such heresies.

Similarly, if the secret of the Divine decree were disclosed, the majority of

people would imagine (even falsely) that Allah is lacking in power, because their minds are short of comprehending anything which should remove that false impression. On the other hand, if someone talks about the day of Judgement arguing that it will come after a thousand years, or a few years after or before, his statement would be understood. But even, the appointed time of the day of Judgement has not been made known for the interest of men and for fear of any resulting harm. The interval may be long and the appointed time very far, with the result that people would become careless and heedless, putting in mind that the time of punishment and retribution is still very far, even though it might be, in Allah's knowledge close at hand., On the other hand, if the appointed time is made known, people would be severely frightened with the result that they would neglect their works and deals and the world would be vulnerable to ruin. Had this to happen as such and come true, it would be exemplary of this category.

The third category applies to such of things as will be understood causing no harm in the case it is mentioned clearly, although it is referred to by way of metaphor or allegory perchance it should have stronger and deeper effect on the heart of the listener. Its importance is as far as it leaves a greater impression on the heart.

Thus if a person had said that he had seen a man placing pearls around the necks of swine and his words were taken metaphorically to express the conveying knowledge to, and disseminating learning among those who are unworthy, the (ordinary) listener would readily understand its literal meaning while the thorough and careful listener, when he examines and finds that the man had no pearls and was not surrounded by swine, would see through and comprehend the inner and esoteric meaning. Consequently men differ in this respect. An example of this kind of speech is the following: A weaver and a tailor toil On either side of Spica Virginis: one is weaving shrouds for the dead, The other fashions swaddling clothes.

The poet expressed the celestial phenomena of the rising of the stars and their setting metaphorically through the parable of two artisans.

This kind of (metaphor) belongs to the principle of expressing a certain meaning through a picture which contains the same meaning or a similar meaning.

Belonging to the same kind are the words of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" when he said: "Verily the mosque will shrink when people spit on its courtyard just as the piece of skin will shrink when it is placed over the fire." You can readily understand that the courtyard of the mosque does not actually shrink when people spit on it. What the words of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" really mean is that the atmosphere of the mosque, being honoured and exalted, has been dishonoured and belittled by spitting, which is as opposed to the idea of the mosque as fire is to the integrity of the particles of skin. Belonging to the same kind are the words of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon

him" when he said: "Is he who raises his head from prostration before the imam not afraid that Allah will transform his head into that of a donkey?" This, however, will never take place literally but only metaphorically since the head of the donkey is proverbial, not for its form and shape, but for its characteristic stupidity and foolishness. Thus, whoever would raise his head from prostration before the imam, his head would become like that of a donkey in stupidity and foolishness. It is this which is meant and not the shape which the literal meaning (of the words) indicates. For it is utterly foolish to place following the imam and preceding him together because they are contradictory. The knowledge that, in such cases, there are inner meanings which differ from the outward significations, can only be determined by either rational or legal evidence. The rational is when any interpretation according to the outward meaning is impossible, as in the words of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" when he said: "The heart of the believer lies between two of the fingers of the Merciful (Allah)." When we examine the hearts of the believers we shall not find them surrounded with fingers, and consequently we shall know that the words are used metaphorically for power which is inherent in figures and constitutes their hidden life. Furthermore, power was metaphorically represented by the fingers because such a metaphor conveys the idea of power more completely. Of the same kind is the instance where Allah expresses the idea of His power metaphorically by saying, "Our words to a thing when We will it is but to say, 'Be,' and it is." (An-Nahl 40)

﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾

The outward meaning of this verse is not possible because if the saying of Allah 'Be' was addressed to the thing before that thing came into existence, then it would simply be an impossibility since the non-existent does not understand address and, therefore, can not obey. And if it was addressed to the thing after the thing has come into existence, then it would be superfluous, since the thing is already in existence and does not need to be brought into being. But whereas this metaphor has been more impressive upon the minds in conveying the idea of the greatest power, recourse has been made to it.

Those cases where the inner meaning is determined by means of legal evidence are the cases which can be interpreted according to their literal and outward signification, but, on the authority of tradition, a meaning other than the outward was intended, as is the case in the interpretation of the words of Allah when he said: "He sends down the water from Heaven: then flow the torrents in their due measure, and the flood bears along a swelling foam." (Ar-Ra'd 17)

﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ ﴾

Here the word water stands for the Qur'an which the torrents represent the hearts. Some of the hearts receive and hold much; others receive much and hold little; while others still receive much and hold nothing at all. The foam represents

unbelief and hypocrisy, which, although it rises to and floats upon the surface of the water, does not last; but guidance which benefits men, endures. Into this part a group of men went deeply and interpreted the things which were mentioned in connection with the hereafter, such as the balance, the bridge, and the like. All this, however, is innovation because it was not handed down by tradition, especially since its literal and outward interpretation is not impossible. Therefore it should be interpreted literally.

The fourth category is where man comprehends the thing in a general way and then through further investigation and experimentation, he understands its particulars so that it becomes a part of him. Thus the two kinds of knowledge differ. The first, (i.e. the general) resembles the husks, while the second (i.e. the particular), resembles the pith. The first is the exoteric or outward, the second is the esoteric or inward. This is just like the example of the man who sees a person in the dark or from a distance and acquires a certain picture of that person. But when he sees him from a close range or after the darkness is gone, he realizes certain differences (between this second picture and the first). This last picture, however, is not opposed to the first but complementary to it. The same is true of knowledge, faith, and belief. For a man may believe in the existence of love, sickness, and death even before any of them occur. But to believe in their existence after they have taken place is more complete than believing in their existence before they take place.

In fact man has, with regard to passion and love as well as the other conditions, three different stages and three distinct degrees of comprehension. The first is to believe in the existence of the thing before it takes place; the second is to believe in its existence at the time of its occurrence; and third is to believe in its existence after it has taken place. To recognize the existence of hunger after it is gone is different from recognizing its existence before it is gone. Similarly, there are some of the sciences of religion which mature by experience and their mature state as compared with their premature state is like the esoteric as compared to the exoteric. Hence there is a difference between the sick man's knowledge of health and the healthy man's knowledge of it. In short, men differ in these four parts; yet in none of them is there an esoteric meaning which contradicts the exoteric. Rather the exoteric meaning completes and perfects the esoteric just as the pith completes the husk.

The fifth category is where concrete words are used figuratively. The feeble minded will regard the literal and exoteric meaning sensible and will not go beyond it; but the man who has an insight for realities will comprehend the secret it contains. This is like the words of him who said: "The wall said to the peg, 'why do you split me?' The peg replied, ('How do I know?). As him who is hitting me and does not let me go. Go see the mallet which is behind me' " This is, undoubtedly, figurative. Of the same kind are the following words of Allah, "Then He applied Himself to the Heaven, which was then but smoke: and to it and to the Earth He said: 'Come ye, whether in obedience or against your will? And they both said: 'We come obedient" (Fussilat 11)

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾

The stupid one, because of his lack of understanding, would assume that both 'the Heaven and the earth possess life, intellect, and the ability to understand speech. He would also assume that they were addressed by a speech of actually enunciated words which both could hear and reply to with enunciated words saying, "We come obedient." But he who has insight would realize that this was a figurative (use of language), and that Allah only expressed the idea that the Heaven and earth are subject to His will. Of the same kind, too, are the words of Allah when He said: "Neither is there aught which does not celebrate His praise." (Al-Isra' 44)

﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴿٤٤﴾ ﴾

The stupid one, because of his lack of understanding, would assume that the inanimate things possess life, intellect, and the ability to speak and enunciate words, so that they would have to say, "Praise be to Allah" in order that His praise might be established. But he who has insight would know that no actual utterance with the tongue was meant by that, but merely that everything, through his own existence, praises Allah, and in its own essence sanctifies Him and attests to His Oneness. As has been said: In everything He has a song Which declares that He is one.' In the same way it is said: "This masterpiece testifies that its maker possesses fair ability and perfect knowledge." This does not mean that the masterpiece actually utters the words, "I testify..." etc. but merely that, through its form and state, (it testifies to the ability and knowledge of its maker). Similarly everything does, in itself, stand in need of a creator to create and sustain it, to maintain its attributes and to move it to and fro in its different states. And through its need it testifies to its Maker by hallowing Him. Such a witness is comprehended by those who have insight, not those who stand still and venture not beyond externals. For this reason Allah said: "But their utterances of praise ye understand not." The feeble minded do not understand this at all, while Allah's nearest devotees and the versatile learned men do not understand it perfectly because everything hallows Allah and praises Him in many ways and each comprehends according to his intellect and insight. The enumeration of these witnesses is not becoming under the science of practical religion. In this part too those who cling to externals differ from those who have insight, and in it the disagreement between the esoteric and the exoteric becomes evident. In this connection people are either extremists or followers of the middle-road. As extremists, some have gone so far in the (allegorical) interpretation of words that they have explained away all or most of their outward and literal meaning. They have taken the words of Allah, "Yet shall their hands speak unto us and their feet shall bear witness" (Ya Sin 65)

﴿ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم ﴿٦٥﴾ ﴾

And: "And they shall say to their skin, 'Why do you witness against us?' They

shall say, 'Allah who gives a voice to all things, has given us voice'"(Fussilat 21)

﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾

And the conversation which takes place between Munkar and Nakir, and in the balance, the bridge, and the judgment day together with the debate between the people of Hell and the people of Heaven when (the former) said: "Pour upon us some water, or of the refreshments Allah has given you" (Al-A'raf 50)

﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾

And claimed that all this was figurative.

On the other hand some went to the opposite extreme and forbade any but the literal interpretation. Among those was Ahmad Ibn Hanbal who went as far as to forbid the allegorical interpretation of the words of Allah "'Be' and it is." (An-Nahl 40)

﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾

(His followers) have claimed that these words were words of actual speech with enunciated letters and sounds brought into existence by Allah every moment He created a created thing. I have even heard one of his followers say that (Ahmad Ibn Hanbal) forbade the allegorical interpretation of all but three traditions, namely the words of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" when he said: "The Black Stone (al-Hajar Al-Aswad) is the right hand of Allah in the earth;" and, "The heart of the believer lies between two of the fingers of the Merciful (Allah);" and "Verily I shall find the soul of the Merciful (Allah coming) from the direction of Al-Yaman." (Even here) the literalists have been inclined to forbid any allegorical interpretation. It is assumed, however, that Ahmad Ibn Hanbal knew that ascending (I?') is not fixity of location, and descending is not change of location; nevertheless he forbade allegorical interpretation for the good and welfare of people, since whenever it is allowed matters become worse and go out of control, overstepping the limits of moderation. Things which go beyond the limits of moderation are beyond control. Therefore there is no harm done by such a prohibition which is also attested by the lives of the Fathers who used to say, (when discussing verses and traditions), "Take them literally as they have been (revealed and) handed down." Thus Malik, on being asked about ascending, went so far as to say, "The fact of ascending is known but its manner is not; to believe in it is an obligation, to inquire about its manner is a heresy." Another group advocated the middle of the road position and permitted allegorical interpretation in everything which relates to the attributes of Allah but have taken the things which pertain to the hereafter in a literal sense and forbade their allegorical interpretation. The advocates of this position are the Ash'arites. The Mu'tazilites go further. They explain away the possibility of seeing Allah and His being possessed of hearing and sight. They also explain away the ascension of the Messenger of Allah "Allah's blessing and

peace be upon him" and claim that it had not taken place bodily, the punishment of the grave, the balance, the bridge, and other eschatological representations. Nevertheless they confess the resurrection of the body, Paradise with its food, perfume, and sex as well as other sensual pleasures, and Hell with burning first which scorch the skin and melt the fat.

The philosophers go still further. They interpret all eschatological representations as allegories denoting mental and spiritual pain, and mental and spiritual delight. They deny the resurrection of the body but believe in the immortality of the soul and that it will be punished or made happy by punishment and delight of non-sensual nature. They are extremists.

The true middle-road between this complete allegorization and the rigidity of the Hanbalites is subtle and obscure. It is found only by those who enjoy divine guidance and comprehend things by the aid of divine light, not by hearsay. Then when the mysteries of things are revealed to them, so that they see them as they are, they go back to (the Qur'an) and traditions and their wording; whatever agrees with what they see with the light of certainty they affirm, and whatever disagrees with it they interpret allegorically.

But he who bases his knowledge of these things on mere hearsay will thereby fail to secure a firm foothold or gain a well-defined position therein.

Such a man who confines himself to mere hearsay would do better to follow the position of Ahmad Ibn Hanbal.

But a closer examination and definition of the middle-road position in these things belongs to the vast subject of revelation which we must leave aside.

Our aim was only to make clear that the esoteric and exoteric may be in harmony with one another and that no disagreement exists between them. At any rate many things have been unfolded through (our discussion) of these five parts. It is our opinion that for the common people the explanation of the creed which we have already given is sufficient for them and that nothing further will be required of them in the first degree (where they stand). But if any fear of disturbances arises on account of the spread of heresies, then, in the second degree, recourse may be had to a (statement of the) creed wherein a brief and abridged outline of the obvious proofs is presented. We shall, therefore, present these obvious proofs in this book and shall confine ourselves therein to what we have issued to the people of Jerusalem, entitled Al-Risalah Al-Qudusiyyah Fi Qawa'id Al-'Aqa'id (The Jerusalem Epistle on the Foundations of the Articles of Faith) and contained in the third chapter of this book.

CHAPTER THREE: ON THE OBVIOUS PROOFS OF THE CREED WRITTEN IN JERUSALEM

We say: In the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful. Praise be to Allah who distinguished the community of the faithful with the lights of certainty and favoured the people of truth by guiding them to the forts of faith; who saved them from the errors of the unrighteous and the wickedness

of the unbelievers, and with His grace led them to follow the example of the chief Apostle; who directed their footsteps in the way of the honoured Companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and enabled them to emulate the righteous Fathers, so that they protected themselves against the dictates of (sheer) reason with the strong cord (of Allah), and against the lives and beliefs of the ancients with the clear beaten track (of the Fathers), combining thereby the products of reason and the ordinances of the traditional Law. Furthermore they found out that mere verbal repetition of the words "There is no god but Allah, Muhammad the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"" is of no avail unless they completely understand what fundamental principles the words of the witness involve. They also have known that the two words of the witness, despite their brevity, contain an affirmation of the existence of Allah Himself, His attributes, and His works, as well as an affirmation of the truthfulness of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". They have also known that faith is founded upon four pillars each of which involves ten principles (signal).

The first pillar is the knowledge of the essence of Allah and involves ten principles. They are the knowledge that Allah exists and that He is ancient and subsisting; that He is neither substance nor body nor accident; that He is not limited by direction nor fixed in location; that He is seen and that He is one.

The second pillar deals with the attributes of Allah and comprises ten principles. They are the knowledge that He is living, knowing, powerful, willing, possessed of hearing, seeing, and speaking; that He is removed from being a substratum for originated properties or a locus of phenomena; and that His words, knowledge and will are ancient and eternal.

The third pillar relates to the acts of Allah Almighty and involves ten principles. They are : that men's actions are created and willed by Allah and acquired by men; that Allah has been gracious to create and to invent; that He is free to impose unbearable obligations and to punish the innocent, while taking into consideration that which is salutary is not obligatory upon Him; that there is nothing obligatory except by Law; that the sending of prophets is possible and the prophecy of our Prophet Muhammad is true, being confirmed by miracles.

The fourth pillar is on the things accepted on authority and involves ten principles. They are the affirmation of the day of resurrection and the day of judgement, the inquisition (of the dead by) Munkar and Nakir, the torment of the grave, the balance, the bridge, the creation of Paradise and Hell, the nature of the imamate, that the excellence of the Companions is in accordance with the chronological order, the qualifications of the imamate, and that even though piety and knowledge are not possible to obtain (in the incumbent), his imamate is considered legitimate and binding.

The First Pillar Is The Knowledge Of The Essence Of Allah And That He Is One And It Includes Ten Principles

The first pillar is the knowledge of the existence of Allah Almighty: The first light which should be used for illumination and the first thing to be followed on the road of admonition are the instructions of the Qur'an, since no explanation is better than that of Allah. Thus He says: " Have We not made the earth as a wide expanse, And the mountains as pegs? And (have We not) created you in pairs, And made your sleep for rest, And made the night as a covering, And made the day as a means of subsistence? And (have We not) built over you the seven Firmaments, And placed (therein) a Light of Splendour? And do We not send down from the clouds water in abundance, That We may produce therewith corn and vegetables, And gardens of luxurious growth?" (An-Naba 6:16)

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦ ﴾

And: "Behold! In the creation of the heavens and the earth; in the alternation of the Night and the Day; in the sailing of the ships through the Ocean for the profit of mankind; in the rain which Allah sends down from the skies, and the life which He gives therewith to an earth that is dead; in the beasts of all kinds that He scatters through the earth; in the change of the winds and the clouds which they trail like their slaves between the sky and the earth, (here) indeed are Signs for a people that are wise." (Al-Baqarah 164)

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٦٤ ﴾

He also says: "Do you not see how Allah has created the seven heavens one over the other? And made the moon a light in their midst, and made the sun as a (Glorious) Lamp? And Allah has produced you from the earth, growing (gradually), And in the End He will return you into the (earth), and raise you forth (again at the Resurrection)?" (Nuh 15:18)

﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨ ﴾

And: "Do you then see? The (human Seed) that you throw out, Is it you who create it, or are We the Creators? We have decreed Death to be your common lot, and We are not to be frustrated. From changing your Forms and creating you (again) in (Forms) that you know not. And you certainly know already the first form of creation: why then do you not celebrate His praises? See you the seed that you sow in the ground? Is it you that cause it to grow, or are We the Cause?

Were it Our Will, We could crumble it to dry powder, and you would be left in wonderment, (Saying), "We are indeed left with debts (for nothing): "Indeed are we shut out (of the fruits of our labour)." See you the water which you drink? Do you bring it Down (in rain) from the Cloud, or do We? Were it Our Will, We could make it salt (and unpalatable): then why do you not give thanks? See you the Fire which you kindle? Is it you who grow the tree which feeds the fire, or do We grow it? We have made it a memorial (of Our handiwork), and an article of comfort and convenience for the denizens of deserts." (Al-Waqi'ah 58:73)

﴿ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾

Any one with the least traces of brain in his head will, on considering the significance of these Holy Verses and examining the wonders of Allah's handiwork, in Heaven and on earth as well as the beauties of nature in animal and plant, realizes that this wonderful (universe) with its consummate order requires a creator to direct it and a maker to govern it and watch it over. Human nature, in tact, testifies that it is subject to the will of Allah and governed in accordance with His law. For this reason Allah Almighty says: "Is there any doubt concerning Allah, the Creator of the Heavens and of the Earth?" (Abraham 11)

﴿ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

The Messengers were, therefore, sent in order to call men to monotheism, that they may say, "There is no god but Allah." They were not, however, commanded to say, We have a god and the world has another," because such a thing is inborn in their minds from the time of their birth. For this reason Allah Almighty says: "If indeed you ask them who has created the heavens and the earth and subjected the sun and the moon (to His Law), they will certainly reply, "Allah." How are they then deluded away (from the truth)?"" (Az-Zumar 38)

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾

And: "So set you your face steadily and truly to the Faith: (establish) Allah's handiwork according to the pattern on which He has made mankind: no change (let there be) in the work (wrought) by Allah: that is the standard Religion: but most among mankind understand not." (Ar-Rum 30)

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

Therefore there is in human nature and the testimonies of the Qur'an what will render the task of citing proofs unnecessary. Nevertheless, by way of preparation and following the example of the learned theologians, we say: One of the accepted axioms of the mind is that an originated phenomenon can not come into existence without a cause. Since the world is an originated phenomenon, it can not come into existence without a cause. That originated phenomena can not come into existence without a cause, is obvious. For every originated

phenomenon belongs to a certain definite time the precedence or the subsequence of which may be assumed. Its being definite in time and distinct from what preceded it and what succeeded it, will naturally require one who renders things definite (in time). As to one saying that the world is an originated phenomenon, its proof is found in the fact that bodies are not independent of motion and rest. Both states are originated phenomena; and whatever is not independent of originated things is itself originated. The proof comprises three claims.

The first is that bodies are not independent of motion and rest. This is readily understood and requires neither meditation nor thinking, for he who conceives of a body in neither the kinetic state nor in the static state is both ignorant and foolish.

The second claim is our saying that both motion and rest are originated phenomena, the proof of which is found in the alternation and in the appearance of the one after the other is gone. This is true of all bodies, those that have been seen as well as those that have not been seen. For there is not a static object the potential motion of which is not required by the mind, and there is no moving object the potential rest of which is not required by the mind. The novel is originated because of its emergence and the anterior because of its extinction since if its eternity were established its extinction would have become impossible, as we shall show and prove in establishing the subsistence of the Maker.

The third claim is our statement that whatever is not independent of originated things is itself originated. Its proof lies in the fact that if it were not so, then there would be, before every originated phenomenon, other originated phenomena which have no beginning; and unless these originated phenomena come to naught in their entirety, the turn for the present originated phenomena to come into being immediately would never arrive. But it is impossible for that which has no end to come to naught. Furthermore if the celestial spheres have revolutions, the numbers of which have no end, it is inevitable that their numbers be either odd or even, or both odd and even, or neither odd nor even. But it is impossible that their numbers be both odd and even at the same time, or neither odd nor even for this would be a combination of both the negative and the affirmative, since in the affirmation of the one is the negation of the other, and in the negation of the one is the affirmation of the other.

Furthermore they can not possibly be even because the even number becomes odd with the addition of one; and how could that which has no end be wanting one? Nor can they possibly be odd because the odd number becomes even with the addition of one; and how could it be wanting one when its number has no end? (Again they can possibly be neither odd nor even for this will mean that they have an end). Therefore the conclusion is that the world is not independent of originated phenomena, and that which is not independent of originated phenomena is itself originated. And when its being an originated phenomena has been established, its need for an originator becomes axiomatic.

The second principle is the knowledge that Allah Almighty is eternally

ancient: He has no beginning, but He is the beginning of everything and before anything living or dead. The proof of this is found in supposing that if Allah were originated and not ancient, He would have been in need of an originator Himself. In turn His originator would also need an originator and so on to infinity. And that which goes on and on endlessly will never reach an ancient originator which is the first cause. This is the required thing which we have called the Maker of the world and its Creator and Fashioner.

The third principle is the knowledge that Allah, besides being without beginning, is also everlasting without end. He is the first and the last, the visible and the invisible, since that of which the eternity is established its coming to an end is impossible. Its proof lies in the realization that if it came to naught it is inevitable that it should come to naught either by itself or through an opposing annihilating agency. And if it were possible for a thing, which is conceived of as self-subsisting, to come to naught, it will be possible for a thing, which is conceived of as self-annihilating, to come into being. And just as the sudden emergence of existence requires a cause, so does the emergence of extinction require a cause. That it will come to naught through an opposing annihilating agency is false, because if that annihilating agency were ancient, existence side by side with it would be inconceivable. But we have learnt in the two previous principles of the existence and eternity of Allah. How then did He exist in eternity with His opposite? If, however, the opposing annihilating agency were an originated phenomenon, its existence from eternity would be impossible because for the originated phenomenon to oppose the ancient and destroy its existence is less likely than the ancient to oppose the originated and prevent its existence. In fact prevention is easier than destruction while the ancient is stronger and more pre-eminent than the originated.

The fourth principle is that Allah is not a substance which can be isolated. Rather He transcends everything which resembles isolation. The proof of this lies in the fact that every substance which is definite is limited by its own place and is inevitably either quiescent in it or moving away from it. Therefore it is not independent of motion or quiescence. But both these are originated, and that which is not independent of originated phenomena is itself originated.

If an ancient definite substance were conceivable the eternity of the substances of the world would have been reasonable. And if a person should use the term substance (for Allah) and not mean thereby a definite substance, he would be mistaken as far as the use of the term is concerned, not as far as the meaning for which he had used it.

The fifth principle is that Allah is not a body composed of different substances, since the body is that which is composed of substances. When His being a substance limited by place is refuted, His being a body is also refuted, because every body is limited by place and is composed of substances.

But it is impossible for the substance to be free from division, composition, motion, quiescence, form, and quantity, all of which are

characteristic of originated phenomena. And if it were possible to believe that the Maker of the world is a body, it would also be possible to believe in the Divinity of the sun and the moon as well as other heavenly bodies. If, therefore, one should dare and call Allah a body but not mean thereby a composition of substances, he would be wrong as far as the name is concerned, but not in negating the idea of body.

The sixth principle is the knowledge that Allah is not an accident subsisting in a body or existing in a substratum; because an accident is that which exists in a body. But every body is inevitably originated and as such its originator exists before it. How then could (Allah) exist in a body when He has existent in eternity alone, with no other besides Himself, and then originated the bodies and the accidents after Himself. (Again how could He exist in a body) when He is a knowing, and able, and willing Creator as shall be discussed later. It is impossible for these attributes to exist in accidents.

On the contrary they are impossible except in a self-existing and self-sufficient being. The conclusion derived from these principles is that (Allah) is a self-existing being, neither substance, nor body, nor accident; that the whole world is made of substances, accidents, and bodies, and consequently He resembles nothing and nothing resembles Him. He is the living, the subsisting, there is none like unto Him. For how could the created resemble its creator, the ordained he who ordained it, and the fashioned, he who fashioned it. All bodies and accidents were created and made by Him; hence it is impossible that they be like unto Hin or (in any way) resemble Him.

The seventh principle is the knowledge that Allah is removed from being limited by any direction because a direction is either above or below, right or left, before or behind. All these He had created and originated through the creation of man whom he made with two extremities, the one rests on the earth and comprises his feet, while the opposite extremity is his head. Consequently the term above was originated to indicate the direction of the head and the term below, the direction of the feet. This is true even of the ant which creeps on the ceiling with the result that the directions, in relation to it, are reversed-what we consider above is to it below, and what we consider below is to it above. Similarly man was created with two hands, the one usually stronger than the other. The term right was therefore originated to indicate the direction of the stronger hand and the term left to indicate the opposite direction. Consequently the right hand side is called the right and the opposite direction thereof is called the left. Man was also created with two (other) directions from one of which he sees and toward which he moves. Consequently the term before was originated to designate the direction toward which he moves, while the term behind was originated to designate the opposition.

Therefore the directions are originated through the creation of man; and had he not been created along these lines, but rather created round like a sphere, these directions would never have existed. How then could Allah have been

limited by any direction in eternity when every direction is originated.

Or how could He have become limited by any direction when He never had any direction above Him when He created man; for that will mean that He has a head, since above designates the direction above the head. But Allah is too exalted (above His creatures) to have a head (like their heads). Again how could He have become limited by any direction when He never had any direction below Him when he created man; for that will mean that He has feet, since below designates the direction below the feet. But Allah is too exalted (above His creatures) to have feet (like their feet). All this is impossible (to imagine) in the mind.

For whatever the mind conceives is definite is so far as it is limited by place, in the same way as substances are limited, or by substances, in the same way as accidents are. But the impossibility of His being a substance or an accident has been established; consequently His being limited by direction becomes impossible.

If therefore anything else is meant by the term direction other than these two meanings then the usage will be wrong in terminology and signification; because if Allah were above the world He would be opposite to it, and everything which is opposite to a body is either equal to it in size, or smaller or larger. All this implied measurement which necessarily requires an object or measurement. But Allah the One Creator and Ruler of the world is too exalted above such things.

As to the raising of hands heavenward at the time of petition it is because Heaven is the direction of supplication and implies a description of the one to whom the supplications are offered, such as majesty and grandeur, employing thereby the direction of height to represent the quality of glory and exaltation. For Allah is above in all dominion and power.

The eighth principle is that Allah is seated upon the throne in the sense which He willed by that state of equilibrium-a state which is not inconsistent with the quality of grandeur and to which the symptoms of origination and annihilation do not permeate. It is exactly what has been mean by the Comprehension of the sky in Allah's Design in the Qur'an as shown from the statement of Allah Almighty: "Moreover, He comprehended in His design the sky, and it had been (as) smoke." (Fussilat 11)

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴿١١﴾ ﴾

This is only through dominion and power, as the poet said: "Bishr has gained dominion over Iraq, With neither sword nor shedding of blood." Thus were the people of truth compelled to pursue such a figurative and allegorical interpretation just as these of the esoteric knowledge were compelled to interpret the statement of Allah Almighty: "And He is with you wheresoever you may be. And Allah sees well all that you do." (Al-Hadid 4)

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾

This has been taken, by agreement, to mean thorough comprehension and knowledge just as the words of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", "The heart of the believer lies between two of the fingers of the Merciful (Allah)", have been taken to mean might and power, while his statement "The Black Stone is the Right Hand of Allah on earth" has been taken to mean veneration and honour, because if they were taken literally, the result would have been impossible. Similarly the sitting of Allah upon the throne, if it were left to mean fixity of location and stability, would necessitate that He who is seated upon the throne be a body in contact with the throne, and be either equal to it in size, or larger or smaller. But all this is impossible, and what leads to the impossible is itself impossible.

The ninth principle is that Allah, although removed from form and quantity and unlimited by directions and climes, is nevertheless seen with the eyes in the hereafter, the everlasting abode. For He Almighty says: "On that day shall faces beam with light, looking towards their Lord." (Al-Qiyamah 22:23)

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

But He cannot be seen in this world according to His statement: "No vision can grasp Him. But His grasp is over all vision: He is above all comprehension, yet is acquainted with all things" (Al-An'am 100)

﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

And according to His statement in His conversation with Moses: "By no means can you see Me (direct); but look upon the mount; if it abide in its place, then shall you see Me." (Al-A'raf 143)

﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴿١٤٣﴾ ﴾

Would that I knew how the Mu'tazilites knew the attributes of Allah that Moses himself did not know; or how Moses asked to see Allah Almighty when seeing Him was impossible. Ignorance is more likely to be rampant among heretics and sectarians than among the Messengers.

The acceptance of the Holy Verse (which speaks) of seeing (Allah) literally (is justified) because it does not lead to anything impossible.

For vision is a kind of revelation and knowledge, although it is more complete and clearer than knowledge. And if it is possible to know Allah without reference to distance or direction is also possible to see Him with reference to distance or direction. And just as it is possible for Allah to see men without confrontation, it is possible for men to see Him without confrontation; and just as it is possible to know Him without modality or form, it is possible to see Him likewise.

The tenth principle is the knowledge that Allah is one without any associate, single without any like. He is separate in creating and innovating; He is alone in bringing into existence and inventing. There are none like Him to rival or equal Him, and none opposite Him to contest or contend with Him.

The proof of this is found in the statement of Allah Almighty: " If there were,

in the heavens and the earth, other gods besides Allah, there would have been confusion in both! But glory to Allah, the Lord of the Throne: (High is He) above what they attribute to Him!" (Al-Anbiya 22)

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

This will be readily illustrated (by the fact) that had there been two gods and the first of them willed a certain thing, the second, if he were under compulsion to aid the first, would be a subordinate and impotent being rather than an almighty Allah; and if the second were able to contradict and oppose the first, he would be a powerful and dominating being while the first would be weak and impotent rather than an almighty Allah.

The Second Pillar Concerning the Attributes of Allah Almighty, and it includes Ten Principles

The first principle is the knowledge that the Maker of the world is almighty and that, in His statement: "He has power over all things."

He is truthful, because the world is perfect in its making and orderly in its composition. For he who would see a garment of silk, fine in its weave and texture, symmetrical in its embroidery and ornamentation, and would imagine that it was woven by a dead man that has no life, or by a helpless man that has no power, would be completely lacking in intellect and utterly foolish and ignorant.

The second principle is the knowledge that Allah is omniscient knowing all things and comprehending all things; nothing in Heaven or on earth is ever hid from His knowledge. He is truthful when He says, "And He knows all things." (Al-Baqarah 29)

﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾

Furthermore evidence of His truthfulness is found in His statement: "Should He not know, He that created? And He is the One that understands the finest mysteries (and) is well-acquainted (with them)." (Al-Mulk 14)

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾

He has led you, through His creation, to arrive at the knowledge that you can not doubt the evidence which this intricate and orderly creation, even in insignificant and meager things, offers to the knowledge of the Maker of how to bring order and how to arrange. And what Allah Himself says is the last word in guidance and in revealing knowledge.

The third principle is the knowledge that Allah is living, because he whose knowledge and power are established, his being possessed of life will, of necessity, become established. If it is possible to conceive of the existence of an able, knowing, doing and ruling being yet lifeless, it will be possible to doubt the life of animals, despite their movements, as well as the life of all craftsmen and artisans, all of which is utter ignorance and error.

The fourth principle is the knowledge that Allah is willing. He wills all His

works and nothing exists which does not depend upon, and proceed from His will. He is the Creator, the Restorer, the Doer of whatsoever He wills. And how could He not be a Willer when, in everything which has proceeded from Him, He could have willed its opposite; and wherever there is no opposite He could have caused the Same thing to proceed from Himself before or after the time in which it has proceeded. His power is equal to coping with both opposites and both times in the same way. Therefore, it is necessary that there should be a will which directs His power to one or the other possible thing. And if knowledge would, in specifying the thing known, render the will needless, so that it could be said that a thing has come into being at a time when its existence had already been known, it would be possible for knowledge to render power needless, so that it could be said that a thing has come into being without (the instrumentality of) power, but simply because its existence had already been known.

The fifth principle is the knowledge that Allah is hearing and seeing. Neither the cogitations of the innermost heart nor the secret thoughts and reflections are hid from His sight; the sound of the creeping of the black ant upon the solid rock in the darkest night is not beyond His hearing. And how could He not see and hear when seeing and hearing are (attributes of) perfection not of defect? Could the created be more perfect than the creator, the thing made more magnificent and more complete than the maker? Or how could they ever be equal, no matter how much He might diminish in perfection while His creation and handiwork increase therein? And again how could the argument of Abraham against his father, who ignorantly and erroneously worshipped idols, be sound? Abraham addressed his father saying: "O my father! why worship that which hears not, and sees not and can profit you nothing?" (Maryam 42)

﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾

But if these defects which characterized the idols of his father characterized his god as well, his argument would have been invalid and his evidence worthless, and the statement of Allah Almighty "This is Our argument which We furnished Abraham against His people" (Al-An'am 83)

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾

Would have been false. And just at is has been possible for the mind to conceive of His being a doer, although He has none of the physical senses, and knowing, although He has neither heart nor brain, so it is possible to conceive of Him as seeing, although He has no eyeballs, and hearing, although He has no ears, for all cases are the same.

The sixth principle is that Allah speaks with a speech which is a self-existing attribute. It is neither a sound nor a letter; it does not resemble the speech of other beings, just as His existence does not resemble theirs. In reality genuine speech is the speech of the soul although sounds were built into words merely as symbols, just as gestures and signals are often used to represent the same thing. How then has this fact not been known by a group of ignorant people while it

has been known by ignorant poets.

Said their spokesman: "Genuine speech is that of the heart; Our words are its outward expression." As to him whose intellect does neither deter nor restrain him from saying that his tongue is an originated thing, but what originates in it by means of his originated power is ancient, (you have no reason to expect that he will ever be sane again, and, therefore, shun all discussion with him. Similarly pay no attention to him who does not understand that the ancient is that thing before which nothing existed. (Thus in the phrase "Bism Allah" (In the Name of Allah) the b precedes the s and consequently the s cannot be ancient). For Allah has a secret (reason) for leading some men astray; "And whom Allah causes to err, none shall guide." (An-Nisa 88)

﴿مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾

As to him who deems it improbable that Moses could have, in this world, heard a speech which was neither sound nor phone, let him deny that in the hereafter he could see a being who has neither body nor colour. But if it has been possible to conceive of seeing that which has no colour, or body, or size or quantity, while until now nothing else has been seen, the same thing would be possible in the case of hearing, just as it has been in the case of seeing. And if it has been possible to conceive of Allah as having one knowledge, which is the knowledge of all existent things, it would also be possible to conceive of Him as having one attribute, which is a speech comprising all that He has represented with words. And if it has been possible to conceive of the existence of the Seven Heavens, and Paradise and Hell, written all on a small piece of paper and preserved in a minute part of the heart, and seen with a part of the eyeball not exceeding the size of a lentil seed, without the Heavens and Earth, Paradise and Hell actually existing in the eyeball, or the heart, or the paper, it would also be possible to conceive of the speech of Allah as being read with tongues, preserved in the hearts, and written in books, without the actual existence of that speech in these things. For if the very speech (of Allah) should actually exist on the leaves of a book, Allah Himself, through the writing of His name on these leaves, would exist actually thereon. Similarly the very fire of Hell, through the writing of its name on the leaves, would exist actually thereon and (the leaves) would be consumed.

The seventh principle is that the self-existing speech (of Allah), as well as His other attributes, is ancient from eternity; since it is impossible that He be a substratum for originated phenomena and subject to change. On the contrary His attributes demand the same external nature which His essence demands. Change does not overtake Him and mishaps do not befall Him. Nay, He does not cease, in His eternal nature, to be described with the commendable attributes, and in His everlasting nature, to be far removed from change. For whatever is a substratum for originated phenomena is not free therefrom, and whatever is not free from originated phenomena is itself originated. The description of bodies with the epithet of origination was established because of the fact that they are

subject to change and variation in properties. How, then, could their Creator share with them (the property of) accepting change.

We conclude from this that the speech of Allah is ancient from eternity and self-existing. Only the sounds which represent it are originated. For just as it is possible to conceive that a child's desire for learning and his wish for it are existent in the personality of the father before the child is born-so that when he is born and attains maturity, having been given by Allah (a predilection for that) knowledge which is related to the father's desire, he becomes bound by that same desire which existed in the personality of his father and persisted until he has acquired the knowledge related to it-it is likewise possible to conceive that the divine command, which the words "Take off your shoes" represent, has existed in the personality of Allah (from the beginning), and that these words were addressed to Moses after he was born, having been given by Allah (the predilection for) their knowledge and an ability to hear that ancient speech (of Allah).

The eighth principle is that His knowledge is ancient. He has not ceased to know Himself and His attributes, as well as everything which He creates.

Everything which He creates is not novel to Him, rather it comes into being with His eternal knowledge. Thus if we were given foreknowledge of the coming of Zaid at sunrise, and that foreknowledge persisted until the sun had risen, then the coming of Zaid at sunrise would have been known to us through that foreknowledge without any necessity for its renewal. This is, then, how the eternal nature of the knowledge of Allah should be understood.

The ninth principle is that His will is ancient. In its eternal nature it governs the origination of phenomena in their appointed times in accordance with the eternal foreknowledge (of Allah). For if His will were originated (and not ancient), it would have become a substratum for originated phenomena.

Furthermore if the will of Allah should happen in other than Himself, He would not be the Willer of it, just as you would not yourself execute an action which is not in yourself. No matter what hypothesis you may assume, its presence requires another will, and likewise the other will requires a third, and so on to infinity. And if it were possible for a will to come into being without (another) will, it would be possible for the world to come into being without a will.

The tenth principle is that Allah is living possessing life, powerful possessing might, willing possessing a will, a speaker with the ability to speak, a hearer who can hear, and seeing possessing sight. He has the qualities of these ancient attributes. To speak of a knower but without knowledge is like speaking of one who is wealthy but without wealth, or of knowledge without a knower, or a knower without something known. For knowledge, the knower, and that which is known are inseparable just as murder, the murdered, and the murderer are inseparable. And just as it is impossible to conceive of a murderer without murder and one murdered, or of one murdered without a murderer and murder, it is impossible to conceive of a knower without knowledge, and of knowledge

without something known, and of something known without a knower. These three are inseparable and the one is inconceivable without the other. Whoever would deem it possible that a knower would exist independently of knowledge, he would have to deem it possible that a knower could exist independently of that which is known, and that knowledge could exist independently of a knower, since there is no difference between these qualities.

The Third Pillar Concerning The Knowledge Of The Acts Of Allah Almighty, And It Includes Ten Principles

The first principle is the knowledge that every originated phenomenon in the world is of His make, creation, and invention. There is no other creator of it besides Him, and there is no innovator of it except Him. He created men and made them, and He brought into being their freedom and actions (sing. . . All the works of His servants are created (by Him) and for Him, and are connected with His power, confirming thereby His statement: "That is Allah, your Lord! There is no god but He, the Creator of all things; then worship you Him; and He has power to dispose of all affairs" (Al-An'am 102)

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾

And "But Allah has created you and your handiwork!" (As-Saffat 96)

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

"And whether you hide your word or publish it, He certainly has (full) knowledge, of the secrets of (all) hearts. Should He not know, He that created? And He is the One that understands the finest mysteries (and) is well-acquainted (with them)." (Al-Mulk 13:14)

﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾
أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾

He commanded His servants to be careful in their words, works and secret thoughts and intentions, because He knows the orientation of their works, having arrived at this knowledge through (the act of) creation. And how could He not be a creator of the works of man when His power is complete and free of any impotence. Furthermore His power is connected with the actions of the bodies of men. These actions are similar to one another and the connection of the power of Allah with them is essential. What then would prevent its connection in the case of some actions and would not prevent it in the case of others, when all are similar? For how could the animal be capable of invention by itself? The spider and the bee as well as the other animal's product fine works which amaze the minds. But how could they have invented these things alone without the Lord of Lords, when actually they are not aware of the benefits they produce? Let all creatures be abased, for Allah, the Lord of Heaven and Earth, is the sole ruler of the visible and the invisible worlds.

The second principle is the fact that Allah, being the sole inventor of the actions of His servants, does not prevent them from doing voluntary actions by

way of acquisition, for Allah has created will as well as the willed, choice as well as the chosen. Will is a quality with regards to man and a creation of Allah rather than an acquisition; whereas actions are a creation of Allah and an acquired quality of man. They were created voluntary through His will which is one of His attributes. Furthermore they are related to another quality which is called freedom. Consequently in this relation, they are called an acquisition. And how could they be the result of complete compulsion when the difference between the voluntary actions and the involuntary reflexes is instinctively comprehended by man? Or how could they be a creation of man when he does not know the different parts of acquired actions and their numbers? Thus when the two extreme positions are disproved, (namely the position that actions are the result of compulsion and the position that they are the result of volition), there remains nothing except the middle-road position which asserts that they are voluntary through the will of Allah by invention and through the will of the servant by another connection which is expressed by the term acquisition. The connection between the will and the willed need not necessarily be one of invention only, since the will of Allah in eternity was connected with the world although the world was not yet invented, and at the time of invention the connection is of a different nature. Hence it is evident that the will is not limited by the necessity that the willed should obtain.

The third principle is that the works of the servant, although they are his acquisition, are nevertheless willed by Allah. Neither a twinkling of an eye nor a stray thought of a heart ever occur, either in the visible or the invisible world except through His decree and will. He is the source of good and evil, benefit and harm, belief (Islam) and disbelief, knowledge and ignorance, success and failure, orthodoxy and heresy, obedience and disobedience, monotheism and polytheism. There is none that rescinds His Commands, none that supplements His decrees. He leads astray whom He wishes and guides whom He wishes. "He cannot be questioned for His acts, but they will be questioned (for theirs)." (Al-Anbiya 23)

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

This is attested in tradition by the statement which has a catholic consent of all the faithful, namely, "What He wills is and what He wills not is not" as well as the statement of Allah Almighty "that, had Allah (so) willed, He could have guided all mankind (to the Right)" (Ar-Ra'd 31)

﴿ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾

And: "Had we pleased we had certainly given to every soul its guidance." (As-Sajdah 13)

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

As to the evidence for it from reason (we know) that since Allah does neither like nor will sins and crimes, they must be in accordance with the will of the enemy, the devil (Iblis), who is the enemy of Allah, and consequently what takes place in accordance with the will of the enemy will be greater than what takes place in accordance with the will of Allah. How on earth would a Muslim deem it possible that the authority of the most powerful Allah, He of the majesty and honour, be reduced to a state (so weak) that if the authority of a village chieftain were reduced to it, he would scorn and adjure it, since if the enemy of the village chieftain can achieve in the village itself more than the chieftain himself, the latter would abjure his rank and resign his office? But his prevails among men, and according to the innovators, its prevalence is contrary to the will of Allah. This would be the limit in weakness and impotence. Allah, the Lord of Lords is high exalted above the blasphemous words of the transgressors.

Furthermore when it becomes evident that the works of men are, in relation to Allah, created, it follows that they are also, in the same way, willed by Him. If it should then be asked, "How does Allah forbid what He has willed and enjoin what He does not will?" we would say that the question is not that of will. Therefore if a master strikes his slave and is reprimanded by the sultan, he justifies his action by the rebellion of the slave against him. But the sultan disbelieves him. So he attempts to prove his contention by ordering the slave to do something which the slave would refuse in the presence of the sultan. Therefore he tells the slave to saddle a mount. Now the master ordered the slave to do something the fulfillment of which he did not really desire. If he had not given his order, he would not have been able to justify himself; and if had really desired its fulfillment he would have desired destruction for himself, which thing is impossible.

The fourth principle is the knowledge that Allah is generous in creating and inventing and gracious in imposing obligations upon men. Neither creation nor imposing obligations were necessary for Him although the Mu'tazilites hold that these were necessary for the welfare of men. But this is impossible since He is the sole cause, the only being to enjoin and to forbid. How then can He be subject to any necessity or exposed to any need or petition.

The obligatory means one of two things: First an act in the neglect of which is harm, either remote as is the case when we say that it is necessary for men to obey Allah if they want to escape torment by fire in the hereafter, or immediate as is the case when we say that it is necessary for him who is thirsty to drink lest he dies. Secondly, it means anything the non-existence of which would lead to an impossibility. Thus it is said that the existence of that which is known is necessary since its non-existence will lead to an impossibility, namely knowledge becoming ignorance.

If the adversary, by saying that the act of creation is necessary for Allah, should mean the first signification, he would expose Allah to harm. If he should mean the second signification, he would then be a Muslim, since when

knowledge of thing obtains, its existence will be inevitable. But if he should mean a third signification, that thing is unintelligible. As to his statement that (creation and imposing obligation are necessary for the welfare of men, it is worthless since if no harm would overtake Allah for neglecting the welfare of men, the assertion that (creation and imposing obligation) are necessary, as far as Allah is concerned, is meaningless. Furthermore, the welfare of men demands that Allah should create them in Paradise; to create them in the world of misery and to expose them to sin, lay them open to the dangers of punishment, and to the terrors of resurrection and the day of judgment, spell no bliss in the opinion of the intelligent.

The fifth principle is that, contrary to the position of the Mu'tazilites, Allah is free to impose on men obligations which are beyond their power to fulfill, For if this were not contingent, it would be impossible for men to ask Allah to spare them that burden. But as a matter of fact they have beseeched Allah to spare them that burden when they said." "O our Lord! Lay not on us that for which we have no power (to endure)." (Al-Baqarah 286)

﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾

Furthermore Allah has informed His prophet that Abu-Jahl would not believe Him, nevertheless Allah commanded the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" to command Abu-Jahl to believe in all the statements of Allah. But among the statements of Allah were those that Abu Jahl (Father of Ignorance) would not believe Him. How then would he believe Him by not believing Him? The existence of such a thing is absolutely impossible.

The sixth principle is that, contrary to the position which the Mu'tazilites hold, Allah is free to inflict pain on men and to torment them, without their having previously committed any offence, and without the necessity of compensating them with future rewards. For He has freedom of action among His subjects and its inconceivable that His subjects would oppose His freedom therein. Tyranny is dispensing with the possessions of others without their permission.

But this is impossible in the case of Allah, because He does not confront possessions belonging to others besides Himself whereby His dispensing with these possessions could be tyrannous.

The existence of such a thing proves its contingency. Thus the slaughter of animals is an infliction of pain on them, and the various kinds of torture which man imposes upon them have not been preceded by any offence. If it should be said that Allah will raise them from the dead and will reward them according to the amount of pain which they suffered, and that such action is necessary, and, therefore, incumbent upon Allah to perform, we would say that anyone who would claim that it is incumbent upon Allah to bring every ant which was killed under the feet and every bug which was crushed between the fingers back to life, so that He might reward them for the pains which they suffered, would violate

the dictates of the Law and reason, since He would regard resurrection and reward necessary and therefore incumbent upon Allah. If he means thereby that Allah will suffer some harm through its neglect, then it is impossible; and if he means something else, we have already said that it will be intelligent whenever it does not conform to (any of) the (two) meanings of the term necessary mentioned above.

The seventh principle is that Allah does with His servants whatever He wishes and does not have to take into consideration that which is salutary for His servants, because of what we have already mentioned regarding the fact that there is nothing necessary and, therefore, incumbent upon Allah. In fact it is not reasonable to think of necessity in connation with Allah. "He cannot be questioned for His acts, but they will be questioned (for theirs)." (Al-Anbiya 23)

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

I wonder what answer would the Mu'tazilites give when, in connation with his statement that it is incumbent upon Allah to do what is salutary and good, we place before Him the following (hypothetical) problem: It is supposed that in the hereafter an argument takes place between two persons, a child and an adult, both of whom died Muslims. Now, according to the Mu'tazilites, Allah exalts the rank of the adult and gives him preference over the child, because the former toiled and labored in acts of worship after he attained maturity. In fact this is incumbent upon Allah according to the Mu'tazilites. Suppose then that the child says, "O my Lord! Why have you exalted his rank above mine?" And Allah answers, "Because he has attained maturity and has labored in acts of worship." Thereupon the child rejoins, "But Lord, it is you who have caused me to die a child. You should have prolonged my life until I attained maturity; then I would have labored in Your worship. But You, O Lord, have deviated from justice by favouring him with long life. O Lord! Why have You so favoured him?" Allah would reply: "Because I knew that if you had lived to attain maturity, you would have committed the sins of polytheism and disobedience. Hence it was salutary for you to die a child." Such will the apology of the Mu'tazilite be for Allah. But then the unbelievers will cry up from the midst of Hell-fire saying: "O Lord! Have you not known that if we had lived to attain maturity we should have committed the sin of polytheism? Why then have you not caused us to die in childhood before we could sin? We should have been content to enjoy in Heaven a lesser rank than that of the Muslim child." What kind of answer could be given for this? In the face of this situation, is it not imperative to conclude that divine matters, in view of their majesty, transcend the evaluation and judgment of the followers of the Mu'tazilite school ? If it should be said that since Allah can consider that which is salutary for men but instead he inflicts upon them all manner of torment, His action is undesirable and unworthy of wisdom, we should then say that the undesirable is that which does not promote the satisfaction of one's desire. But a thing may be undesirable to one person and desirable to the other if it disagrees with the desire of the one and promotes that

of the other. Thus a family would deem the murder of their child undesirable but their enemies would welcome it. Hence if that which does not promote the satisfaction of the desire of Allah is what is meant by the word undesirable, then it is impossible, because Allah has no desire and, therefore, it is impossible to conceive of anything undesirable proceeding from Him, just as it is impossible to conceive of Allah being tyrannous, because it is impossible to conceive of Him acting freely with the possessions of others, (since He does not confront possessions belonging to others besides Himself). But if that which does not promote the desire of some other than Allah is what is meant by the word undesirable, then why did you say that it was impossible for Him? Is it not merely wishful thinking, disproved by what we have postulated in the debate of the adult and the child and the plea of the unbelievers from the midst of Hell-fire? Furthermore the wise is he who knows the realities of things and capable of harnessing them in accordance with his will. It is here where the consideration of that which is salutary is imperative. And as to the wise among us, he takes into consideration that which is salutary as far as he himself is concerned, in order to gain there with praise in this world and reward in the hereafter, or to prevent some evil from befalling him-all of which are impossible in the case of Allah.

The eighth principle is that the knowledge of Allah and obedience to Him are obligatory upon men, not, as the Mu'tazilites say, on account of reason, but on account of the ordinance of Allah and His Law. For if reason renders obedience obligatory, it does so either for nor purpose, which thing is impossible, or for some purpose or desire. This must refer either to Allah, which thing is impossible since Allah is free of all desires and wants (in fact belief and unbelief, obedience and disobedience, are, the same in relation to Allah), or to the desire of the creature, which is also impossible, since the creature has no desire at the time, but rather he is worried by reason and is deterred from his desires because of it; and he has no desire except reward or punishment in the hereafter. But how could it be known that Allah rewards man for obedience and disobedience and does not punish him for them when both, in relation to Him, are the same. Furthermore He has no inclination to the one or to the other and is not characterized by the one or the other. The knowledge of how to distinguish between them was arrived at through the Law; while he who arrives at it through drawing an analogy between the creator and the creature errs, as the creature distinguishes between gratitude and ingratitude on the basis of the amount of joy, gladness, and pleasure which he derives from the one or the other.

If it should be said that if study and knowledge are not rendered obligatory except through the Law, which does not become fixed and defined unless the person who is required to fulfill its obligations studies and examines it, and if that person should say to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that reason does not place upon him any such obligation, and, therefore, he is not going to pursue the study of the Law despite the fact that it becomes fixed and defined only through such study, with the result that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" is silenced, we would then say that this

argument is the same as that of the person who, on being warned by another that there is a wild lion standing behind him, and that unless he runs away the beast will devour him, and that he can ascertain that the warning is true if he will only look behind, says to the one who warned him that the truth of the warning can be established only if he looks behind him, yet he is not going to do so unless the truth of the warning is first established. This will reveal the foolishness of the man and will accomplish nothing besides exposing him to the danger of being devoured. It will not, however, cause the Warner any harm. The same is true of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" who says, "Beware, for death is lurking behind you and further beyond wild lions and consuming fire await you. If we do not take heed for yourselves and admit my truthfulness by acknowledging my miracle, you will surely perish. He who will take notice will realize the dangers, take the necessary precautions, and will consequently be saved but he who will not take notice and persists in his stubbornness will die and perish. But I shall suffer no harm even though all men may perish, because my duty is confined to warning." The Law declared the existence of the wild lions beyond death, while reason aids in understanding the words of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and in realizing that what he foretells is possible, and nature urges that precautions be taken against injury and harm. A thing is necessary because its neglect causes injury and harm; while is reason that which renders a thing necessary because it makes known the impending harm. But reason in itself does not lead to the knowledge that when a person follows his appetite he will expose himself to harm after death.

This then is the meaning of the Law and reason as well as their part in determining that which is necessary. For had it not been for the fear of punishment for the neglect of things enjoined, necessity would not have been established, since the term necessary would be meaningless if no harm in the hereafter were consequent upon its neglect in this world.

The ninth principle is that sending prophets is not impossible. This is contrary to the Brahmans who say there is no use in sending prophets since reason renders it unnecessary. (This is false) because reason does not guide men to works which lead to salvation in the hereafter, just as it does not guide them to discover medicines which are useful in the health. Therefore the need of men for prophets in just like their need for physicians. The integrity of the physician is known through experience while the truthfulness of the principle is known through miracles.

The tenth principle is that Allah sent Muhammad as the last of the Messengers so as to abrogate all previous Laws before him; the laws of the Jews and the Christians and the Sabians; He upheld him with unmistakable miracles and wonderful signs such as the splitting of the moon, the praise of the pebbles and causing the mute animal to speak, as well as water flowing from between his fingers and the unmistakable sign of the glorious Qur'an with which he challenged the Arabs For the Arabs, in their struggle with the Messenger of Allah

"Allah's blessing and peace be upon him", did everything to check mate him but despite their distinguished ability and excellence in eloquence and rhetoric, they were not able to oppose him with anything like the Qur'an, because it was not within the power of human beings, (in their writings), to combine the succinctness of the phrases of the Qur'an and the smoothness of its style (notwithstanding the richness of the Qur'an in narratives of early history and the fact that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" himself was unlettered (unfamiliar with books) with the prediction of unknown future events the subsequent occurrence of which established the truthfulness of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". Examples of this are found in the words of Allah when He said: "Ye shall surely enter the sacred Mosque, if Allah will, in full security, having your heads shaved and your hair cut;" and again: "Alif, Lam, Mim. The Greeks have been defeated in a land hard by; but after their defeat, they overthrow their foes in a few years."

The reason why a miracle attests the truthfulness of apostles is because everything which human beings can not do must be the work of Allah. Whatever is linked by the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" with a challenge enjoys the same position as that to which Allah says "You are right." This is like the case of the person who, standing before the king announces to the subjects that he is the king's messenger, and in order to prove that he is right asks the king to stand upon his throne and sit down three times contrary to his usual practice. The king obliges and the subjects know, beyond the shadow of doubt, that the king's action takes the place of his saying You are right."

The Fourth Pillar Concerning the Accepted Things and Believing in what the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" told Concerning them, and it includes Ten Principles

The first principle is the belief in the resurrection of the dead and the day of judgment both of which have been mentioned in tradition. They are real and belief in them is obligatory, because, according to reason, they are possible. They signify restoration to life after death which, like the first act of creation, is within the power of Allah. Allah says: "And he makes comparisons for Us, and forgets his own (origin and) Creation: he says, "Who can give life to (dry) bones and decomposed ones (at that)?" Say, "He will give them life Who created them for the first time! for He is well-versed in every kind of creation!." (Ya Sin 78:79)

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾

Therefore the ability of Allah to restore the dead to life is deduced from His ability to perform the first act of creation.

Allah says: "Your creation and quickening (hereafter), are but as those of a single individual." (Luqman 28)

﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾

Restoration to life is nothing but a second act of creation, and is possible like the first act of creation.

The second principle is the belief in the inquisition of Munkar and Nakir. This is mentioned in tradition, and should be accepted, because it is possible, since it does not require anything except the restoration to life of that part (of the body) with which dialogues are understood. This is possible in itself and neither the apparent stillness of the dead man's corpse nor our failure to hear the questions put to him will refute it. For the sleeping person is outwardly still and motionless, but he perceives inwardly pains and pleasures the effects of which he feels once he is awake. Furthermore the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to hear the voice of Gabriel and to see him while those who were around neither heard nor saw him. For "naught of His knowledge shall they encompass, barring what He wills." (Al-Baqarah 255)

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾

Thus if Allah Almighty does not create for men hearing and seeing, they will not know Him.

The third principle is the belief in the punishment of the grave which is mentioned in tradition. Allah Almighty says: " In front of the Fire will they be brought, morning and evening: and (the Sentence will be) on the Day that Judgment will be established: "Cast you the People of Pharaoh into the severest Penalty!"" (Ghafir 46)

﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾

It was also well known that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and the righteous Fathers were wont to seek refuge in Allah from the punishment of the Grave. This punishment of the grave is possible and the fact that the corpse may be dismembered and scattered in the bellies of lions and the gizzards of fowls does not prevent the belief in it, because the bodily members which feel the pains of punishment are those particular members to which Allah ordains the restoration of sense perception and feeling.

The fourth principle is the belief in the balance which is real. Allah Almighty says: "Just balances will we set up for the day of Judgement" (Al-Anbiya 47)

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾

And: "Then those whose balance (of good deeds) is heavy, they will attain salvation: But those whose balance is light, will be those who have lost their souls; in Hell will they abide..." (Al-Mu'minun 102:103)

﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾

The manner in which this is done is that Allah causes to exist in the balance sheets of men's works a weight in proportion to the value of these works in His sight. Consequently the value of the works of men becomes known to them so that the justice of Allah in punishment, His grace in forgiveness, and generosity in reward might become evident.

The fifth principle is the belief in the bridge, which is stretched over Hell; it is finer than a hair and sharper than the edge of the sword. Allah said: "And guide them to the road for Hell, and set them forth: they shall be questioned." This is also possible and belief in it is obligatory. For Allah who is able to make the birds fly in the air is also able to make man walk over the bridge.

The sixth principle is the belief that Paradise and Hell are created. Allah Almighty says: "Be quick in the race for forgiveness from your Lord, and for a Garden whose width is that (of the whole) of the heavens and of the earth, prepared for the righteous." (Al Imran 133)

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾

The word of Allah 'prepared' proves that both Paradise and Hell are created. Therefore the literal meaning of the verse should be accepted, especially since it is not impossible. Nor will it be said that there is no use in their creation before the day of judgment because "He (Allah) cannot be questioned for His acts, but they will be questioned (for theirs)." (Al-Anbiya 23)

﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

The seventh principle is that the rightful imams after the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" are Abu-Bakr, then 'Umar, then Uthman, and then 'Ali. No clear designation of an imam was ever made by the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". For had there been any such designation it would have had a much better chance to become known and survive than the designation of a local imam in some part of the land by unknown governors and army commanders. In the latter case the designation became known and survived. How then did it not become known and survive in the case of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"? If it were really made, how then did it disappear and why was it not transmitted to us? Accordingly Abu Bakr was not an imam except through election and through the oath of allegiance To hold that someone other than Abu Bakr was designated would amount to the same thing as accusing all the Companions of contradicting the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and of violating the principle of catholic consent. No one dares fabricate such an accusation except the Rafidites. The belief of the established community of sunnah requires the vindication of all the Companions as well as their praise just as Allah and His Apostle have praised them. As to the struggle which took place between Mu'awiyah and Ali, it was the result of different points of view in independent interpretation rather than a struggle wherein Mu'awiyah disputed Ali's right to the imamate. 'Ali deemed that the surrender of the assassins of 'Uthman, because of

their many relatives among the tribes and the fact that these relatives were scattered all over the army, would lead to disturbances which would endanger the safety of the imamate in its early days. He, therefore, saw fit to postpone their surrender. On the other hand, Mu'awiyah thought that any delay in the surrender of the assassins to justice would, in view of the enormity of their crime, incite further attacks on the lives of imams and would lead to the shedding of blood. One of the celebrated learned men said that every independent interpreter of the law was right in his own interpretation; while others said that he who is right is one. No one of learning and intelligence, however, has charged 'Ali with error (in his interpretation).

The eighth principle is that the excellence of the Companions is in accordance to their chronological order in which they succeeded the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". For real excellence is that which is excellent in the sight of Allah and no one will have knowledge of it except the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". Several verses in praise of all the companions were revealed and a number of traditions which recite their honour have been handed down. Yet the subtle distinction of excellence and precedence is not grasped except by those who were eye-witnesses to revelation and had the opportunity to observe it in its setting and to watch its development. Had they not understood that so well they would not have arranged matters as they did, since they did not use to abandon the way of Allah because of threat of pressure and nothing would turn them away from truth.

The ninth principle is that, in addition to Islam, the qualifications of the imamate are five: male sex, being of age , piety, learning, competence, and membership in the Quraish tribe, because the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The imams should be of the Quraish." When these qualifications obtain in several candidates, the imam will be the one who receives the homage and allegiance of the majority of Muslims, and he who contradicts the (will of the) majority is a trespasser who should be brought back into line with the majority.

The tenth principle is that if neither piety nor knowledge obtain in the claimant, yet any attempt to oust him will result in perilous and unbearable strife, we hold that his imamate should be considered legitimate and binding because of the grave dilemma which confronts us. Thus we have either to replace him by another and consequently stir strife, in which case the evil that will afflict the Muslims will surpass any loss they may incur because of the claimant's lack of piety and knowledge, qualifications designed to promote the public welfare; but no one will destroy the means of welfare in order to promote and enhance it, for this will be just like the person who will erect a single house and demolish a whole town; or we have to declare that there is no imam and consequently there is neither law nor equity in the land, which thing is impossible. We declare that the authority of unjust rulers should be enforced in their land because of the urgent need for authority therein. How, then, do we not declare an imamate legitimate when the need for it is great and urgent ? These then are four pillars

which comprise the forty principles which pertain to the foundations of the creeds. He who believes therein will be in harmony with the established community of sunnah and the enemy of all heretics. Might Allah guide us by His grace and drive us into the right path of truth.

CHAPTER FOUR:
ON FAITH AND ISLAM; THE POINTS OF SIMILARITY AND DIFFERENCE BETWEEN THEM AND THE INCREASE OR DECREASE OF BELIEF; AND THE FOUNDATIONS WHICH THE FOREFATHERS LAID DOWN THEREIN

This chapter includes three questions:

Question One

People differed concerning Islam, whether it was identical with faith or different therefrom; and, in the event it was different, whether it was independent from faith and could exist without it, or inseparable from it and does not exist without it. Some have said that they are one and the same thing, others that they are two different things wholly unrelated, and still others that although they are two different things, they are closely related to each other. Abu Talib Al-Makki had something to say in this connection; yet what he said was greatly confused and extremely long. Let us, therefore, proceed to declare the truth without bothering about what is useless.

To begin with, this discussion comprises three considerations: first concerning the literal meaning of the two terms Islam and belief; second the technical meaning of the two terms in the Qur'an and tradition; and third the functions which they fulfill in this world and the next. The first is one of language, the second is one of interpretation, and the third is one of jurisprudence and Law.

The first consideration concerning the literal meaning of the words. Belief means literally acceptance. Allah said: "But you will not believe us" which is the same as His saying that he will not accept their word. Islam on the other hand means submission, and surrender to Allah through yielding and compliance; and henceforth abjuring rebellion, pride, and stubbornness. Acceptance lies in the heart while the tongue serves as its interpreter. But submission is more comprehensive and pervades the heart, the tongue and the senses. For every acceptance with the mind is a submission and a disapproval of pride and unbelief. The same is true of verbal confession as well as of obedience and compliance with the senses. According to the dictates of language Islam is the more general term, while belief is the more specific. Therefore belief represents the noblest part of Islam. Consequently every acceptance is submission, but not every submission is acceptance.

The second consideration treats of the technical meaning of the two terms in the Qur'an and tradition. The truth of the matter is that the Law i.e. the Qur'an and tradition, has used the two terms as synonyms interchangeably, as different terms of different meaning, and as related terms the one being a part of the other.

Their use synonymously is shown in the statement of Allah Almighty: " Then we evacuated those of the Believers who were there, But We found not there any

just (Muslim) persons except in one house." (Adh-Dhariyat 35:36)

﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ ﴾

Yet as a matter of fact there was only one family. Allah Almighty further says: "Moses said: "O my people! If you do (really) believe in Allah, then in Him put your trust if you submit (your will to His in Islam)." (Yunus 84)

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ۝ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Islam has been built upon five pillars." At another time the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked what belief was and he gave the same answer, namely the five pillars.

The use of the terms Islam and belief to signify different meanings is shown in the statement of Allah Almighty: " The desert Arabs say, "We believe." Say, "You, have no Faith, but you (only) say, 'We have submitted our wills to Allah (in Islam), 'for not yet has Faith entered your hearts." (Al-Hujurat 14)

﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾

This means that they have surrendered outwardly only. In this case the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used belief for acceptance with the mind only and used Islam for surrender outwardly through the tongue and senses.

(Similarly when Gabriel assumed the aspect of a stranger) and interrogated the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" concerning belief the latter replied saying, "Belief is to believe in Allah, His angels, books, apostles, the last day, the resurrection of the dead, the judgment, and in the decrees of Allah, the good and the evil." Gabriel then asked what Islam was, to which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" replied by citing the five pillars. He thus used Islam for submission outwardly in word and deed.

According to a tradition related on the authority of Sa'd (Ibn Abu Waqqas) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" once gave a certain man a gift and to another he gave nothing.

Whereupon Sa'd said: "O Apostle of Allah, you have given this man nothing although he is a believer;" to which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" added, "Or a Muslim." Sa'd repeated his question and again the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" added, "Or a Muslim." Their use as related terms, the one being a part of the other is shown by what has been related concerning the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" when he was asked what works were best and he replied: "Islam"; and when he was asked which type of Islam was best he answered. "Belief ".This proves the use of Islam and belief both as different terms and as related terms the one being a part of the other, which latter use is the best linguistically, because belief is in reality a work-in fact the best of works. Islam on

the other hand is submission either with the mind, or with the tongue, or with the senses; but the best is the submission with the mind. It is that acceptance which is called belief.

The use of the terms Islam and faith as two different words of different meanings, as related terms, the one being a part of the other, and as synonyms, does not overstep the possibilities which the language allows. Their use as different terms of different meanings makes belief signify acceptance with the mind only, which signification conforms to the dictates of language; it makes Islam signify submission outwardly, which thing is also in harmony with the requirements of language. For the submission in part is also called submission, since the universal application of a term is not a necessary prerequisite for its use. Thus he who touches another with but a part of his body is nevertheless called contiguous despite the fact that the whole of his body is not in contact with that of the other. Hence the application of the term Islam to outward submission, although the inward submission is lacking, is in complete harmony with the rules of language. In this sense Allah Almighty used the following statement: The desert Arabs say, "We believe." Say, "You, have no Faith, but you (only) say, 'We have submitted our wills to Allah, 'for not yet has Faith entered your hearts." (Al-Hujurat 14)

﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾

The same is true of the use of the two words (Islam and) in the traditio' related by Sa'd (Ibn Abu Waqqas) where the Messenger of Allah "Allah's blessin and peace be upon him" added "Or a Muslim." He did that because he preferre the one to the other. What is meant by the use of the two terms as different words of different meanings is that the terms contend for superiority and vie with each other in excellence.

Their use as related terms, the one being a part of the other, is also in harmony with the rules of language. It is the use of Islam for submission with the mind as well as with word and deed; while using belief for a part of Islam, namely acceptance with the mind. This is what we meant by the use of Islam and belief as related terms, the one being a part of the other. It satisfies the rules of language with respect to both the specific application of belief and the general use of Islam, which is all inclusive. (The one is specific and particular while the other is general and universal). It was in this sense that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used the term belief when he replied to the question put to him as to which type of Islam was best, thereby making it a particular aspect of Islam and a part of it.

The use of the two terms synonymously, thereby using the word Islam for both inward and outward submission, would make it all submission; the same is true of belief , which may be used freely and its particular meaning extended, thereby making it general and including under it outward (as well as inward) submission. This is quite possible because the outward submission through word and deed is the fruit and result of inward submission. Thus the name of a

certain tree is freely used to signify both the plant itself as well as the fruit of the plant. Similarly the signification of the term belief may be extended so as to become general, thereby making it synonymous with the term Islam and in exact agreement with it. It was in this sense that Allah used the following statement: "Then we evacuated those of the Believers who were there, But We found not there any just (Muslim) persons except in one house:." (Adh-Dhariyat 35:36)

﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

The third consideration deals with the legal rules which govern the two terms. Islam and belief have two functions, one which pertains to the hereafter and one which pertains to this world.

The function which pertains to the hereafter is for the purpose of bringing men forth from Hell fire and preventing them from remaining there for ever.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever has in his heart the weight of an atom of belief will be brought forth from Hell fire." People disagreed concerning this function and concerning its fulfillment, and have asked what things comprised faith. Some have taught that it is simply an inward adherence and verbal confession. Others add a third element, works according to the pillars of Islam.

We shall then draw the veil off and declare that there is no disagreement at all that anyone who combines in himself all these three elements will have his final abode in Paradise. This is the first degree.

The second degree is that where a person has the first two elements and a part of the third, namely inward adherence and verbal confession together with some works (according to the pillars of Islam), but commits one or several (mortal) sins. According to the Mu'tazilites, the person (by committing such mortal sins) departs from the true belief but does not thereby become an unbeliever. He simply becomes a reprobate. (He is neither a believer nor an unbeliever) but occupies an intermediary position between the two, and will remain eternally in Hell fire. This, however, is false as we shall show.

The third degree is where the person fulfils the inward adherence and verbal confession but fails to perform the works (according to the pillars of Islam). Men have disagreed concerning it. Abu-Talib Al-Makki held that works were a part of belief and the latter is incomplete without them. He also claimed that catholic consent back his position and cited in its support proofs and evidence which tend to confirm the contrary, such as the statement of Allah Almighty: "Those who believe and do righteous deeds." (At-Talaq 7)

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ﴿١١﴾﴾

This quotation would indicate that works are something over and above belief rather than a part of it. Otherwise the reference to works would be a repetition, which is redundant.

It is strange that Abu-Talib Al-Makki should claim the support of catholic

consent for this position of his and yet relate the following tradition, "No one would be declared an unbeliever unless he should deny what he has professed," and finds fault with the Mu'tazilites because they insist that a person who commits a mortal sin will remain eternally in Hell fire. Yet he who holds such views holds the same views the Mu'tazilites hold, since if he were asked whether or not a person, who accepted Islam with his heart and testified with his tongue thereto and then died would be in Paradise, he would necessarily say 'Yes', thereby asserting that belief could exist without works. We would then add another question and ask him whether or not that person, if he had lived until the time of prayer had arrived, but neglected to perform his prayer and died immediately after, or if he had committed fornication and died whether or not he would remain eternally in Hell fire? If he should answer, 'Yes', he would agree with the Mu'tazilites; but if he should say, 'No', it would amount to a declaration that works are neither a part of belief itself nor a prerequisite for its existence. Neither are the necessary for gaining the reward of Paradise. But if he should say that what he meant was that the person (would remain eternally in Hell fire) only if he had lived a long time without either praying or attempting any of the works prescribed by the Law, we would ask, "Exactly how long is that period, and how many say, those good works through the neglect of which belief is rendered worthless? How many of the mortal sins would, if committed, annul belief?" Such a thing is impossible to determine and no one has ever done so.

The fourth degree is represented in the case of the person who accept (Islam) inwardly with his mind but dies before either confessing it verbally with his tongue or performing any of the works which its pillars prescribe. Would it be said that such a person died a believer? People differ on this question. Those who insist on verbal confession as a prerequisite of belief would say that he died before fulfilling the conditions of belief. But this is false because the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever has in his heart the weight of an atom of belief will be brought forth from Hell fire." This person's heart overflows with belief; how then would he remain eternally in Hell fire? Furthermore when Gabriel interrogated the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" concerning belief , the only condition set forth was to believe, (i.e. verbal confession) in Allah, His angels, His books, the last day, the resurrection of the dead, the judgment, and in the decrees of Allah, the good and the evil), as has already been mentioned.

The fifth degree is when a person accepts (Islam) in his mind and lives long enough to be able to confess the two words of the witness with his tongue and to know that they are obligatory upon him, but for some reason, he does not so confess them. It is possible that his failure to confess them with his tongue is like his failure to pray. Concerning such a person we will say that he is a believer not doomed to Hell fire eternally. For belief is simple acceptance and the tongue is its interpreter. It is certain, therefore, that belief exists in its entirety even before its verbal confession with the tongue, so that the tongue can interpret it. This is the most plausible position, since there is no choice but to follow the exact meaning

of terms and to satisfy the dictates of language. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever has in his heart the weight of an atom of belief will be brought forth from Hell fire". The heart does not become void of belief because of the failure of the person to fulfill the duty of confessing that belief with the tongue, just as it does not become void of belief because of the failure of the person to perform obligatory works. Some men have said that to confess the two words of the witness with the tongue is indispensable because it is not merely an outward expression of the inward (belief), but rather the sealing of a contract and the commencement of a life of witness and obligation. The first position is the more correct. In this connection the Murji'ites have gone to the extreme, declaring that no one who professed to be a Muslim will ever enter Hell fire, and that a believer, even if he should sin, is sure of salvation. We shall see to it that their position is refuted.

The sixth degree is to say with the tongue that there is no god but Allah and that Muhammad is the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", but disbelieve it in his mind.

We have no doubt that the fate of such a person in the hereafter is with the unbelievers and infidels, and that he will remain eternally in Hell fire.

On the other hand we are sure that in this world, the affairs of which are entrusted to imams and governors, he will be reckoned among the Muslims, because we have no access to his heart and have, therefore, to give him the benefit of the doubt and assume that he adheres in his mind to what he had professed with his tongue.

We, however, have our doubts concerning a third matter, namely the status which exists in this world between such a person and his Allah, in the event that one of his relatives should die, and as a result of his relative's death he accepts Islam in his mind as well. Having thus accepted Islam in his mind as well, he sounds the learned men concerning his status saying, "I did not accept Islam with my mind, (although I had confessed it with my tongue), until my relative died. Having fallen heir to his property, I wish to know whether or not it is lawful for me to receive it ?" Or in case he had married a Muslim woman (while he yet disbelieved in his mind), but upon his marriage he came to accept Islam in his mind; would he be required to go through the marriage contract again? These questions are controversial and leave room for different opinions. Thus it may be said that the decisions of this world, whether they be manifest or hidden, depend upon the express confession of Islam. It may also be said that, in so far as they pertain to the individual in his relations to other men, these decisions depend upon the outward confession of Islam, because the mind of the individual is not known to others besides himself and Allah. The more correct position, and Allah knows best, is that it is unlawful for that person to receive the inheritance of his deceased relative, and that he must go through the marriage contract a second time. For this reason, Hudhaifah used to stay away from the funerals of

hypocrites, and it was customary for 'Umar to follow his example and absent himself whenever Hudhaifah did so. Nevertheless prayer over the dead is a formal ceremonial, although it is also one of the acts of worship. To guard oneself against what is unlawful is, like prayer, among the obligations of the individual towards Allah. This is not contradictory to our saying that inheritance is the law of Islam. Islam is surrender, in fact complete surrender is that which includes both outward and inward (acts). These are doubtful problems in jurisprudence, based upon the outward meaning of words, vague generalities, and mechanic-cal analogies. Consequently no one immature in knowledge should think that he could arrive at absolute certainty in any of these cases, although it has been customary to cite them under those parts of scholastic theology where absolute certainty is the desired goal. For no one who follows the common practices and conventional formalities will ever succeed.

If you should say: "What then are the fallacies of the Mu'tazilites and the Murji'ites, and what are the proofs that their position is false?" I would then say that their fallacies arose from (their failure to understand) certain generalities mentioned in the Qur'an. As to the Murji'ites, they said that no believer would enter Hell fire, although he might commit every possible sin. They based their position on the statement of Allah Almighty: " And as for us, since we have listened to the Guidance, we have accepted it: and any who believes in his Lord has no fear, either of a short (account) or of any injustice." (Al-Jinn 13)

﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ ﴾

And: " And those who believe in Allah and His Messengers, they are the Sincere (Lovers of Truth), and the Witnesses (who testify), in the eyes of their Lord: they shall have their Reward and their Light. But those who reject Allah and deny Our Signs, they are the Companions of Hell-Fire." (Al-Hadid 19)

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾

And: " Almost bursting with fury: every time a Group is cast therein, its Keepers will ask, "Did no Warner come to you?" They will say: "Yes indeed; a Warner did come to us, but we rejected him and said, `Allah never sent down any (Message): you are in nothing but an egregious delusion!'" (Al-Mulk 8:9)

﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ
فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ ﴾

His saying: "every time a Group is cast therein" is inclusive and therefore every one who was cast into Hell fire must have rejected the warner. They rely also upon the statement of Allah Almighty "None shall be cast into it but the most wretched who has belied the truth and turned their back." (Al-layl 15:16)

﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾

In this verse we find a specification, as well as an affirmation and a negation. They also point out the following statement: " If any do good, good will (accrue) to them therefrom; and they will be secure from terror that Day." (An-Naml 89)

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾

But belief is the beginning of good works, as they quote: "And Allah loves these who do good." (Al Imran 134)

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾

Allah also says: "As to those who believe and work righteousness, verily we shall not suffer to perish the reward of any who do a (single) righteous deed." (Al-Kahf 30)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾

But they have no proof in any of these verses, because when belief is mentioned in them it means belief coupled with good works. We have shown that belief is used to signify Islam, which is in conformity with the mind, word, and deed. Supporting this interpretation are many traditions, concerning the punishment of sinners and the extent of their penalty. Furthermore the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever has in his heart the weight of an atom of belief will be brought from Hell fire." But, how could anyone be brought forth from Hell fire if he had not first entered therein? We also find in the Qur'an the following statement of Allah: "Allah forgives not (the sin of) joining other gods with Him; but He forgives whom He pleases other sins than this: one who joins other gods with Allah, has strayed far, far away (from the right)." (An-Nisa 116)

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ
فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾

The fact that Allah may exempt from punishment according to His will, signifies discrimination. He also says: "And for he who will rebel against Allah and His Apostle is the fire of Hell. They shall remain therein always,-forever." To declare such a person an unbeliever is, nevertheless, unjust. Allah also says: "Verily the unjust are in lasting torment." (Ash-Shura 45)

﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾﴾

And: "And if any do evil, their faces will be thrown headlong into the Fire: Do you receive a reward other than that which you have earned by your deeds?" (An-Naml 90)

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾

All these generalities contradict theirs. Therefore it is inevitable to resort to specification and interpretation on both sides; especially when traditions are clear in their pronouncements that the sinners will be punished. In fact the statement of Allah Almighty: "Not one of you but will Pass over it: this is, with your Lord, a decree which must be accomplished" (Maryam 71)

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾

Is almost an express declaration that punishment is inevitable to all, because every believer cannot help but commit an offence. Furthermore, by the phrase "Who will enter the Great Fire, in which he will then neither die or live."

﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾

Allah meant certain particular men, since the appellation' the most wretched' refers to a particular person.

Again in His statement every time a Group is cast therein, its Keepers will ask, "Did no Warner come to you?" They will say: "Yes indeed; a Warner did come to us, but we rejected him and said, `Allah never sent down any (Message): you are in nothing but an egregious delusion!'".” (Al-Mulk 8:9)

﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ
مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾

Allah meant a special group of unbelievers.

At any rate the particularization of the general is not difficult. Because of this last verse Al-Ash‘ari as well as several other scholastics was misled into denying the general application (of anything at all), and said that such terms must await the development of (new) contexts which will determine and clarify their significations.

The fallacy of the Mu‘tazilites arose from failure to understand the following statement of Allah. (They have thus failed to grasp the real meaning of) the statement of Allah Almighty: " But, without doubt, I am (also) He that forgives again and again, to those who repent, believe, and do right, who, in fine, are ready to receive true guidance.” (Ta Ha 82)

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾

And " By (the Token of) Time (through the Ages), Verily Man is in loss, Except those who have Faith, and do righteous deeds, and (join together) in the mutual teaching of Truth, and of Patience and Constancy." (Al-Asr1-3)

﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

And also: “Not one of you but will Pass over it: this is, with your Lord, a decree which must be accomplished” (Maryam 71)

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾

And He adds: "But we shall save those Who guarded against evil, and we shall leave the wrongdoers therein, (Humbled) to their knees." (Maryam 72)

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾

Also the statement of Allah: " for any that disobey Allah and His Messenger-for them is Hell: they shall dwell therein forever." (Al-Jinn 23)

﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾

They also failed to understand every verse wherein Allah Almighty mentions good works coupled with belief, and also such statements of Allah as His saying: " If a man kills a Believer intentionally, his recompense is Hell, to abide therein (forever): and the wrath and the curse of Allah are upon him, and a dreadful penalty is prepared for him." (An-Nisa 93)

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾

These generalities are also specific as is proved by the statement of Allah Almighty: "But other sins He will forgive to him whom He will." (An-Nisa 116)

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾

Therefore freedom to forgive men sins, other than the sin of polytheism, must be left to Allah. Similarly the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" when he said: "Whoever has in his heart the weight of an atom of belief will be brought forth from Hell fire," prove the same thing. So also does the statement of Allah Almighty: " As to those who believe and work righteousness, verily we shall not suffer to perish the reward of any who do a (single) righteous deed." (Al-Kahf 30)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾

And "Verily Allah suffers not the reward of the righteous to perish." (At-Tawbah 120)

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

How then would Allah suffer the reward of belief itself as well as that of good works to be lost because of one single offence? As to the statement of Allah Almighty "If a man kills a Believer intentionally, his recompense is Hell, to abide therein (forever)" (An-Nisa 93)

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾

They mean whoever shall kill a believer because of his belief, and the words have been revealed for that particular purpose.

You may say: "What has already been said will lead to the conclusion that belief obtains without good works although it is well known that the Fathers said that belief comprises inward adherence, verbal confession and good works; explain to us therefore the meaning of all this." I shall then say: It is not unlikely that good works be considered a part of belief, because they perfect and complete it, just as it is said that the head and hands are part of man. It is evident that a person will cease to be human if his head no longer exists; but he will not cease to be a human being if one of his hands is lost through amputation. Similarly both the magnificent and the praise (at the beginning of prayer) are considered a part of prayer, although it is not annulled with their omission. Therefore acceptance with the mind stands in relation to belief as does the head in relation to the existence of man (in this life), since the one depends for its existence upon the other and ceases to exist when the other no longer is. The remaining good works are like the limbs of the body, some are more important than the others. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A believer is no longer a believer when he commits fornication." Furthermore the Companions held the same opinion as the Mu'tazilites concerning the fact that a person ceases to be a believer when he commits the sin of fornication. When this really means is that such a person is no longer a real believer possessing a complete and perfect belief, just as the deformed individual whose limbs have been amputated is described as being no longer a human being; in other words he lacks that perfection which is beyond actual humanity.

Question Two

You may say, "The Fathers have agreed that belief is subject to increase and depreciation-increasing with obedience and good works, and decreasing with disobedience and sin." In that case I shall say that the Fathers are just witnesses, and no one has any right to depart from their judgment.

What they have said is true; but the important thing is to grasp its meaning. It proves that good works are not an integral part of belief nor a basic thing for its existence. Rather they are a super-addition which augments belief. Both the surplus and the deficit exist, but nothing increases in itself. Thus it cannot be said that man's head is an addition or a surplus which increases his stature or size; but his beard and corpulence are. Similarly it is not permissible to say that prayer is augmented and increased by kneeling and prostration; rather it is augmented by the manner of its execution and the usages followed therein. This, therefore, is a clear declaration that belief as such does exist, and that once it exists, it may vary, subject to increase and depreciation.

If you then say that the ambiguity lies in the problem of acceptance; how could it increase and diminish when it is always the same? I shall then say that if we put aside all hypocrisy and ignore the opposition of adversaries and then lift the veil off the exact meaning of the word, all ambiguity will be removed. We consequently say that belief is a common noun used in three different ways.

The first usage denotes an acceptance with the heart, a belief based on the authority of others without the benefit of revelation and an open heart. This is the belief of the common folk; in fact it is the belief of all people except the elite. This belief is, as it were, a knot bound around the heart, sometimes tightened and made stronger and sometimes loosened and made weaker, just like the knot of any string.

Do not consider this unlikely but remember the tenacity of Jews in holding fast to their doctrine, how they cannot be shaken or moved from it either by threatening, or warning, promising or admonishing, examining or proving. The same is true of Christians and heretics among whom exist some who can be made to doubt with the least word, and can be made to move from their belief with the least attraction or threat, although, like the Jews, they do not doubt the veracity of their own doctrine, yet they differ in the degree of their determination. Such variations in the degree of determination do also exist in the true belief, and good works influence the development and growth of this determination, just as irrigation influences the growth of trees.

Allah says: "Whenever there comes down a Surah, some of them say: which of you has had his Faith increased by it? yea, those who believe, their Faith is increased, and they do rejoice. But those in whose hearts is a disease, it will add doubt to their doubt, and they will die in a state of unbelief." (At-Tawbah 124:125)

﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟
وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾

And: "(He it is who sends down tranquillity into the hearts of the believers) that they might increase in faith." (Al-Fath 4)

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴿٤﴾ ﴾

According to one tradition the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Belief is subject to increase and depreciation." This is accomplished by the influence of good works upon the heart, a thing which is not perceived except by him who meditates over his different inner states during the hours of worship and applies himself solely to it through the presence of the heart at the time of inactivity and languor, as well as realizing the variations which are inherent in devoting oneself in these states to the articles of belief, so that the tie which binds him to his belief might become firmer and consequently harder to undo for the person who wishes to loosen it with doubt. In fact if the person, who believes that the orphan offers him the opportunity to reveal the quality of mercy, will act according to his belief and show kindness toward the orphan, he will be assured within himself of the real existence of mercy as well as of its manifold increase through its active operation. Similarly if the person who

believes in modesty will, in accordance with his belief, humble himself before another person, he will sense the quality of modesty within himself at the time he performs the act. The same is true of all the qualities of the heart : all bodily actions proceed from them, and then the very influence of these actions react upon them, thereby confirming (their existence) and increasing (their strength). This subject will be discussed in both the Quarter on the Saving Matters of Life and the Quarter on the Destructive Matters in Life when we take up the relation of the inward to the outward and that of works to beliefs. This relation is of the same nature as that of the relation between the visible world and the invisible world. By the visible world which is also called 'Alam Al-Shahadah', I mean the world which is perceived by the senses; and by the invisible world which is also called 'Alam Al-Ghaib', I mean the world which is perceived by the light of the mind. The heart belongs to the invisible world while the members of the body as well as their activities belong to the visible world.

The subtlety and fineness of the interdependence of the two worlds have led some men to think that they are closely connected, while others thought that there was no world except the visible (lam Al-Shahadah) which is made of the concrete and tangible bodies. One who has perceived the two worlds and realized first their independence and then their interdependence expressed his observation in the following manner: "The glass was fine, the wine was clear, like a single body they seemed to appear.

So confusion spread: to some it seemed Nothing but glass; while others swore 'This is but wine, no glass is here'." Let us go back to the main purpose of our discussion, especially since the invisible world is outside the scope of the science of practical religion. Nevertheless the two worlds are connected and interdependent. For this reason the science of revelation extends its scope every now and then into the realm of practical religion and does not withdraw until it imposes some obligations. This then is how belief, in accordance with this usage, increases through good works. For this reason 'Ali said: "Verily belief will loom as a single white spot in the heart of man. If the man will do that which is good, the white spot will grow and spread until the whole heart is white. On the other hand hypocrisy makes its first appearance as a black blotch in the heart of man. If the man will do that which is unlawful, the black blotch will grow and spread until the whole heart is black, and blackness becomes man's second nature." Allah Almighty says: "By no means! But on their hearts is the stain of the (ill) which they do!" (Al-Mutaffifin 14)

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾

The second usage of the term belief denotes both acceptance and works, just as the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" stated when he said: "Belief comprises over seventy branches." The same thing is also seen in

the words of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" when He said: "A believer is no longer a believer when he commits fornication." And when works become an integral part of belief, it becomes evident that it is subject to increase and depreciation. Does this, however, affect belief which is mere acceptance? The question is one of opinion, and we have already stated that it does.

The third usage of the term belief denotes certain acceptance resulting from revelation and an open heart as well as from seeing (truth) with the light of the mind. This last is the least to lend itself to increase. I shall, however, say that the way in which the mind accepts certain things which are free of doubt differs. Thus the way the mind accepts the fact that two are greater than one is unlike the way it accepts the fact that the world is created and originated, although there is not the slightest doubt of the certainty of either fact. For the certain things differ in the degrees of their clarity and in the degrees to which the mind accepts them. We touched on this subject in the section on certainty in the Book of Knowledge under the characteristics of the learned men of the hereafter; therefore there is no need to go over it again. In all these usages it became evident that what they have said concerning the increase and depreciation of belief was true. How could it not be true when we have the express testimony of tradition that "Whoever has in his heart the weight of an atom of belief will be brought forth from Hell fire." According to another tradition, "He will be brought forth from Hell fire, who has in his heart the weight of a Dinar of belief." Why then should the amount differ if the belief in the heart does not vary?

Question Three

You may ask, "What then have the Fathers meant with the saying, 'If it be the will of Allah I am a believer?'" A qualification implies doubt, and to entertain doubts concerning the veracity of belief amounts to unbelief. Yet all the Fathers used to refrain from giving a definite reply concerning belief, and were extremely careful not to commit themselves. In this connection Sufyan Ath-Thawri said: "He who says, 'I am a believer in the sight of Allah', is a liar; and he who says, 'I am really a believer', is an innovator." But how can he be a liar when he himself knows that he is a believer? For he who is a believer in himself is a believer in the sight of Allah, just as he who is big and generous in himself and is aware of this fact, will be big and generous in the sight of Allah. The same is true of him who is likewise glad, or sad, or hearing, or seeing. On the other hand if man were asked whether or not he was an animal it would not be fitting for him to reply, "If it be the will of Allah, I am an animal." When Sufyan made this statement he was asked, "What then shall we say?" Thereupon he replied: "We believe in Allah, and that which has been sent down to us." And what is the difference between sayings, "We believe in Allah and that which has been sent down to us" and saying, "I am a believer?" Once upon a time Al-Hassan (Al-Basri) was asked, "Are you a believer ?" To which he replied: "If it be the will of Allah."

Thereupon he was told, "O Abu Sa'id ? Why do you qualify your belief?" He answered and said: "I fear saying, 'Yes', and then Allah will say, 'You have lied, Hassan.' Then I shall rightly merit His punishment." He also used to say, "I fear that Allah may find out that I have done something abominable to Him and will consequently abhor me and say, 'Go away. I accept none of your works.' Then I shall be toiling in vain." Ibrahim Ibn Adham once said: "Whenever you are asked, 'Are you a believer?' say, 'There is no god but Allah'." At another time he said: "Say, 'I do not doubt belief; your question to me is an innovation'." 'Alqamah was once asked, "Are you a believer ? To which he replied: "I do hope so. If it be the will of Allah." (Sufyan) Ath-Thawri said: "We believe in Allah and in His angels, books, and apostles. But we do not know what we are in the sight of Allah." (You may ask all this and say), "What then is the meaning of all these qualifications?" The answer to your question is that these qualifications are correct and are put forward for four reasons, two of which arise from doubt, not of the reality of belief itself, but of its end and perfection; and two do not arise from doubt at all.

The first reason which does not arise from any doubt at all is the care not to be decisive for fear of self-justification and making one's self out to be pure. Allah Almighty says: "Assert not your own purity." (An-Najm 32)

﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ ﴿٣٢﴾﴾

And: "Have you not turned your vision towards those who claim sanctity to themselves?" (An-Nisa 49)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ﴿٤٩﴾﴾

And: "Behold how they invent a lie against Allah but that by itself is a manifest sin!" (An-Nisa 50)

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾

A certain wise man was once asked, "What is detestable truth?" He replied: "Man's praise of himself." Belief is one of the highest forms of praise and to be definitely certain of it amounts to absolute justification. The formula of qualification (i.e. if it be the will of Allah) is nothing but an attempt to temper and tone down such justification, just as when the man is told that he is a physician, or a jurisprudent, or a commentator, he will say: "If it be the will of Allah," not because he doubts the fact but simply to avoid being boastful. This formula is that of disavowing and disclaiming the fact itself and means disclaiming one of the implications of the fact which is self-justification. Following this interpretation, when the person is asked concerning something uncomplimentary, it will not be fitting for him to put forth any such qualification.

The second reason for the use of these qualifications is courtesy) by remembering Allah at every time and under all conditions, and by submitting all things unto His Will. Thus Allah instructed His Prophet in courtesy and said to

him: "Say not of a thing, 'I will surely do it tomorrow' without, 'if it be the will of Allah'." (Al-Kahf 23)

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾

Nor has Allah limited (the use of the qualifying phrase) to those things the occurrence of which is subject to doubt. On the contrary He says: "You shall surely enter the sacred mosque, if it be the will of Allah, in full security, having your heads shaved and your hair cut: ye shall not fear" (Al-Fath 27)

﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ
وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

Although He had full knowledge that they were to enter undoubtedly therein and that He had willed their entrance.

What Allah had meant was to instruct the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in the use of the qualifying formula. Consequently the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" learned the lesson and showed his courtesy by the use of that formula in connection with everything he had said, whether that thing was known with certainty or doubtful; so that when he entered the cemetery, he said: "Peace be upon you, the believing inmates of this abode. Verily, if it be the will of Allah, we shall follow you." This he said, notwithstanding the fact that death is not subject to any doubt, because courtesy demands that Allah be always remembered and that all things be made dependent upon Him.

This formula indicates such a thing and has become, by virtue of its common use, representative of the expression of desires and wishes. Thus when you are told that such and such a person is about to die and should happen to say, "If it be the will of Allah," you betray your desire and not your doubt. The same is true when you are told that a certain person will recover from his sickness and you say, "If it be the will of Allah," by way of expressing your earnest desire. The phrase has thus been transferred from one expressing doubt to one which signifies desire. In the same way also is its transfer to express courtesy and respect for remembering Allah under all conditions.

The third reason for the use of those qualifications arises from doubt and means, "If it be the will of Allah, I am truly a believer," since Allah spoke of some particular men as being truly believers. Consequently believers are divided into two groups: (those who are described as truly believers and those who are not). This arises from doubt concerning the perfection of belief and not its reality. Every person doubts the perfection of his belief, yet this doubt does not constitute unbelief. Doubting the perfection of belief is right and justified for two reasons: The first is because hypocrisy militates against the perfection of belief, and hypocrisy is something hidden while freedom from it

is readily discerned or determined. The second is because belief is perfected through the fulfillment of good works which are not known to exist in their perfect form.

As to acts, Allah says: " Only those are Believers who have believed in Allah and His Messenger, and have never since doubted, but have striven with their belongings and their persons in the Cause of Allah: such are the sincere ones.." (Al-Hujurat 15)

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

The doubt would, therefore, be concerning this truthfulness. Similarly Allah says: "But righteousness is to believe in Allah, the last day, the angels, the Books, and the Messengers." (Al-Baqarah 177)

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴿١٧٧﴾ ﴾

Thus Allah laid down twenty qualities, such as the fulfillment of promises and fortitude under hardships, as conditions for belief, and then said (of those who possess them), "These are they who are true." (Al-Baqarah 177)

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ﴾

Allah also said: "Allah will raise those of you who believe; and those to whom knowledge is given, to lofty ranks." (Al-Mujadilah 11)

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴿١١﴾ ﴾

He further says: "And what cause have ye why ye should not spend in the cause of Allah? For to Allah belongs the heritage of the heavens and the earth. Not equal among you are those who spent (freely) and fought, before the Victory, (with those who did so later). Those are higher in rank than those who spent (freely) and fought afterwards, but to all has Allah promised a goodly (reward). And Allah is well acquainted with all that ye do." (Al-Hadid 10)

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾

He Further says: "They are of varying ranks in the Sight of Allah." (Al Imran 163)

﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴿١٦٣﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Belief is like unto a nude who should be clothed with piety." And again, "Belief

comprises over seventy divisions, the least of which is to clear the road of obstacles." This shows the dependence of the perfection of belief on good works. Its dependence on freedom from hypocrisy and concealed polytheism is shown by the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" when he said: "Four things, if they obtain in a person make him an utter hypocrite, no matter how much he prays, and fasts, and claims that he is a believer; he who lies when he speaks, breaks a promise when he pledges his word, betrays a confidence when he is trusted, and deviates from justice when he enters a controversy," According to another version "And when he makes a compact with his neighbour, he defrauds him." A tradition related on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri, says, "The hearts are of four kinds: a sealed heart, which is the heart of the unbeliever; a double-faced heart, which is the heart of the hypocrite; a clean heart from the midst of which a radiant lamp sheds its radiant light; and a heart which contains some belief and some hypocrisy. The belief it contains is like unto the vegetable which receives its nourishment from fresh waters. The hypocrisy it contains is like unto an ulcer which feeds on pus and blood, whichever of the two substances will prevail will determine its fate." According to another version "whichever will prevail will seal his doom." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "The worst hypocrites of this people are its Qur'an readers." According to another tradition, "Polytheism among my people is more subtle than the creeping of the ant on the rock " Hudhaifah said: "At the time of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" there were things which made the man who repeated them a hypocrite as long as he lived. Now, however, I hear these same things repeated ten times a day, and no one seems to mind." A certain learned man said: "The person closest to hypocrisy is he who deems himself free thereof." Hudhaifah also said: "Hypocrites are more numerous today than they were at the time of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". At that time they used to conceal their hypocrisy; now they (are not ashamed to) reveal it." Such hypocrisy militates against the reality of belief as well as against its perfection. It is something concealed and subtle: the farthest removed from it are those who are constantly afraid of it, while those who deem themselves free of it are they who are nearest to it.

Al-Hassan Al-Basri was once told, "There is no more hypocrisy nowadays." To which he replied: "Brother ! Were the hypocrites to perish from the land you would feel lonely on the way." Again either Al-Hassan himself or someone else said: "Were tails to grow (by a miracle) on the backs of the hypocrites and trail behind them, our feet would no longer be able to touch the earth." Once upon a time Ibn 'Umar, on hearing a man speak disparagingly of Hajj, told him, "Would you speak disparagingly of him if he were here present?" The man answered, "No." Thereupon Ibn 'Umar said: "We used to consider this hypocritical at the time of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". The

Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: 'He who is double-tongued in this world will, in the hereafter, be made double tongued by Allah'." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "The worst man is the double-faced who meets one people with one face and another people with another face." Al-Hassan Al-Basri was once told, "There are some who say-that they do not fear hypocrisy." Thereupon he answered, "By Allah, I would rather be sure that I am free of hypocrisy than have all the world's contents gold." Al-Hassan also said: "Among the different kinds of hypocrisy are the disagreements between the tongue and the heart, between the secret and the public, and between the entrance and the exit." A certain person told Hudhaifah: "Verily I fear I am a hypocrite." Hudhaifah replied: "Fear not. If you were a hypocrite you would not have feared hypocrisy. Verily hypocrisy does not fear hypocrisy." Ibn Abu Mulaikah said:" I have known one hundred and thirty (and according to another version one hundred and fifty) of the Companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", all of whom feared hypocrisy." It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was once sitting with a group of his Companions who were discussing a certain man and praising him to the skies.

Suddenly, while they were in the midst of their discussion, the man himself appeared before them with his face still wet with the water of ablution, carrying his shoes in his hands and his forehead covered with dust from prayer. Thereupon they said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" "Behold. This is the man whom we were discussing." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", turning to them, said: "I see on his face the mark of Satan." Then the man arrived and, after greeting the group, sat in their midst. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" then addressed him and said: "Tell me, I beseech you by Allah, have you not said to yourself when you approached the group that there was no one among them who was better than you?" The man replied. " O my Allah ! Yes, I have." In his prayer the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: " O Allah, I seek refuge with you from the evil of things I did and things I left undone." He was then told: "Are you afraid O Apostle of Allah?" To which he replied: "What could make me feel secure when the heart lie between two of the fingers of the Merciful (Allah), and He does with them what He wills? Allah Almighty says: "And there shall appear to them, from Allah, things they have never reckoned on." (Az-Zumar 47)

﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

This was interpreted in commentaries to mean that men have done things which they thought were good but (on the day of judgment) these things appeared in the balance in the scale of evil.

As-Sari As-Saqati once said: "If a person enters a garden containing trees of every kind and on these are birds of every kind, and then each bird calls to him in a different language saying, 'Peace be upon you, O friend of Allah', and as a result he feels very well pleased and satisfied, he becomes a captive in their hands." These traditions and narrations reveal to you the gravity of the matter, particularly because of the subtle nature of hypocrisy and hidden polytheism, and bring out the fact that no one can be safe against them. This led Umar Ibn Al-Khattab to ask Hudhaifah about himself, whether or not he was numbered among the hypocrites.

Abu Sulaiman Ad-Darani said: "I heard a certain governor say something and I wanted to express my disapproval of it but feared lest he order me to be killed. And although I feared not death I was afraid lest I be tempted to boast before men when my spirit departs. For this reason I refrained from expressing my disapproval of the governor' words.

This kind of hypocrisy militates against the truth, perfection, and purity of belief, rather than against its reality. For hypocrisy is of two kinds : The one results in parting with religion, pursuing infidels and joining the company of those, who are deemed eternally to Hell fire; the second leads the person to Hell fire for a certain period of time and puts him down from the lofty heights of Paradise and denotes the saints from their exalted ranks. It is a field open to doubt and therefore it is desirable to resort to the use of qualifications therein. This kind of hypocrisy rises from the disparity and disagreement between the secret and the public, from feeling secure from the deep counsel of Allah and from conceit and other things from which only the saints are free.

The fourth reason for the use of these qualifications arises also from doubt. It is the fear of the end, for no one knows whether or not he will still have any belief at the hour of death. If he should end with unbelief all his previous works would come to naught and fail, because (the value of these works) depends entirely upon their good ending. Thus if a fasting person were asked early in the day concerning the validity of his fast and replied: "I am surely fasting," but later in the day he broke his fast, it would become evident that he was lying since the validity of his fast depends upon the maintenance of the fast until sunset at the end of the day. And just as the day is the set period for the fulfillment of fasting, so the lifetime is the set period for the fulfillment of the validity of belief. To describe it as valid before its conclusion simply because it has already been fulfilled in part is very doubtful and its end is frightful. It was because of the end that most of the (Allah-) fearing have wept. For the end is the outcome of a pre-ordained event and the result of the eternal will which does not become known except when the pre-ordained event itself takes place and which no human being can ever tell. The fear of the end is the result of the fear of that which was pre-ordained and there may appear in the present a thing which will give the lie to the

words, " I am a believer ". And who can be sure that he is one of those for whom Allah has pre-ordained good things? It is said that the statement of Allah Almighty "And the stupor of death will bring truth (before his eyes)" (Qaf 19)

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ﴾

Means that the pre-ordained thing has been fulfilled and made known.

One of the forefathers said that works would be judged by their ends. Abu Ad-Darda' used to swear by Allah saying, "There is no one who feels safe in his belief who is not robbed of it." It was also said that some sinful deeds were not punished except by their sad ends. We seek refuge in Allah against such deeds and such punishments. It has also been said that such punishments await those who falsely claim sainthood and the gift of miracles.

One of the Gnostics said: "If I were given the choice between martyrdom at the outer gate of the house and death as a true believer at the door of an inner room, I would, choose the latter because I do not know what might occur to me and divert my heart from true belief on my way (from the inner room) to the outer gate of the house." Another said: "If I had known a certain person to have been a true believer for the last fifty years and then, even though so frail a thing as a pole should hide him from my sight before his death, I could not be sure that he died a true believer." According to one condition, "Whoever says, 'I am a believer', is an infidel; and whoever says, 'I am learned', is ignorant." In the interpretation of Allah's statement "And the words of your Lord are perfect in truth and in justice" (Al-An'am 115)

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾

It is said that 'perfect in truth' relates to those who died in belief and' perfect in justice', to those who died in polytheism. Allah also said: "And the final issue of all things is unto Allah."

No matter how little doubt may be in such cases the resort to qualification is obligatory, since belief is a means of grace for the hereafter just as fasting is a means of grace for absolving the heart from guilt in this life. Whatever fast is rendered void before sunset is no longer a fast and will not absolve from guilt. The same thing is true of belief. In fact a person may be asked about a previous fast concerning which there is no doubt. He will be asked, "Have you fasted yesterday?" and he will reply. "Yes, if it were the will of Allah." For genuine fasting is the only acceptable fasting and the acceptable fasting is unknown except to Allah. For this reason it is desirable to use the qualification, if it be the will of Allah, in all the works of righteousness.

This will imply doubt as to their acceptance (by Allah), since such acceptance, despite the outward fulfillment of all the prerequisites of validity, may be blocked

by hidden cause unknown except to Allah, the Lord of Lords of the mighty majesty. Hence it is desirable to entertain some doubts concerning the validity (of belief as well as all the works of righteousness).

These, therefore, are the different reasons for the desirability of qualifying one's assertion of his belief, and with them we conclude the Book on the foundations of the Articles of Faith.

Book three: the mysteries of purification

Praise be to Allah Who has caused His Kindness to overspread His servants and bestowed mercy upon them; who for the purification of their inward thoughts has made His light and grace to flow into their hearts; and for the washing of their bodies has given them water smooth and soft. And Allah's blessing and peace be upon the Messenger of Allah Muhammad, who has encompassed the entire world from one end to another with the light of guidance, as well as upon his noble and righteous family, the peace and blessing of which will be a salvation for us on the day of Judgement, and a protection for us from every danger or affliction.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Religion has been founded on mercy." He further said: "Purification is the key to prayer." Allah Almighty says: "Therein are men who aspire to purity, and Allah loves the purified." (At-Tawbah 108)

﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Purification is one half of belief." Allah Almighty also says: "Allah desires not to lay a burden upon you, but He desires to purify you." (Al-Ma'idah 6)

﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴿٦﴾ ﴾

Through these externals, those who possess insight become conscious of the fact that the most important thing is the purification of the heart, because, it is very unlikely that the words of the Prophet, "Purification is one half of belief' meant that men should polish and clean the body with a generous use of water and to neglect the heart and leave it stuffed with impurities and filth.

Purification has four stages: The first stage is the purification of the body from excrements, impurities, and bodily cysts, and discharges· The second stage is the purification of the bodily senses from crimes and sins. The third stage is the purification of the heart from blameworthy traits and reprehensible vices. The fourth stage is the purification of the inmost self from everything except Allah Almighty. This last stage is that of the Messengers and saints.

In everyone of these stages purification is half the activities it entails. For the supreme aim of the activities of the inmost self is to have the majesty and greatness of Allah revealed unto it. But the knowledge of Allah will never actually descend into the inmost self unless everything other than Allah is removed therefrom. For this reason Allah Almighty says: "Say: "Allah (sent it down)": then leave them to plunge in vain discourse and trifling."" (Al-An'am 91)

﴿ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾

It is evident therefore that (the knowledge of Allah and allegiance to another besides Him) can not inhabit the same heart and Allah has not created for man two hearts within him.

As to the activities of the heart, their supreme purpose is to adorn it with the praiseworthy traits and the doctrines established by the Law. No one who has not cleansed his heart from their opposite, namely the false doctrines and the reprehensible vices, has ever been described by these traits. Hence the purification of the heart comprises one half of its activities. This first half is a prerequisite for the second. It is in this manner that purification is one half of belief. Similarly the purification of the bodily senses from the forbidden things is one half of the activities they entail and is the prerequisite of the second half. Their purification is the first half and their adornment with good works is the second half. These then are the different stages of belief and every stage has its own rank. No one will attain the higher stage unless he goes first through the lower one. He will not reach the purification of the inmost self from the blameworthy qualities and will not adorn it with those which are praiseworthy unless he accomplishes first the purification of the heart from the blameworthy traits and adorns it with the praiseworthy. Similarly no one will attain the purification of the heart from the blameworthy traits or adorn it with the praiseworthy unless he accomplishes first the purification of the bodily senses from the forbidden things and adorns them with good works. The more precious and noble the desired object becomes the more difficult is the way of its attainment, the longer is the road which leads to it, and the greater are the obstacles which block its path. Do not think, therefore, that this can be attained through mere wishing or achieved through no effort. For he whose insight fails to distinguish between these different stages will not perceive of them except the lowest which is equivalent to the last and outermost husk of the desired fruit. He will therefore concentrate upon it and will go to the extreme in the study of its rules, wasting all his time in abstersion washing clothes, cleaning his body, and outdoing himself in the use of running water, thinking, as a result of a constant fear with which he is obsessed and of a hallucination which dwells in his mind, that the desired and noble purity comprises only such outward and external cleanliness, and revealing thereby a complete ignorance of the life of the early Muslims: how they expended all their energy and thought on the purification of the heart and were very lenient concerning the body, to the extent that 'Umar, despite his high station, has once performed his ablution with water from a jar which belonged to a Christian woman. It was the habit of the early Muslims not to wash their hands from the remains of fat and food but instead wipe their fingers off against the arches of their feet, regarding the use of alkali an innovation. They used to pray, kneeling and prostrating themselves directly on the ground, and walk the streets barefooted. Those who placed nothing between themselves and the earth when they slept were of the greatest among them. They confined themselves exclusively to the use of stone for abstersion.

Abu Hurairah and others besides him of the refugees of the mosque-vestibule

said: 'We were wont to eat the roasted meat and, wiping our fingers against the pebbles and rubbing them with earth, proceed to prayer repeating *Takbir*. Said Umar, 'We had no knowledge of alkali at the time of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and our towels were the hollows of our feet: whenever we ate anything we wiped our hands against our feet." It is said that the first innovations to appear after the death of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" were four, namely the use of sieves (for flour), the use of alkali (for washing), the use of tables (for eating), and eating to satiety.

Thus the only concern of the early Muslims was the cleanliness of the heart. One of them even said: "To perform prayer with the shoes on is better than performing it without them because when the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" took his shoes off during prayer, as Gabriel informed him that they were unclean, and the people present took their shoes off as well, he told them: "Why have you taken off your shoes?" Concerning those who take their shoes off for prayer An-Nakh'i said disapproving the practice, "I wish that someone in need would pass by and take these shoes away (never to return them)." Such then was their lenience on these affairs. In fact they used to walk barefooted in muddy streets, sit on the mud, and kneel and prostrate themselves in prayer directly on the floors of the mosques. They were wont to eat bread made of wheat and barley, both of which were trodden by the feet of animals and polluted with their urine. They made no effort to avoid the sweat of camels and horses despite the fact that both animals were constantly wallowing in impure things. Not a single question concerning the niceties of impurities has come down to us from them. Such then was their lenience in these matters. But the situation has now come to such a pass where a certain group of people who consider their makeup equivalent to cleanliness and say that it is the foundation of religion. They spend the greater part of their time in beautifying their bodies, just as the hairdresser does with the bride, but neglect their hearts and leave them desolate, stuffed with the foul impurities of pride, conceit, ignorance, hypocrisy, and deceit; and neither disapprove of them nor show any amazement at them. Furthermore, if any one should confine himself to the use of stones for abstersion, or walk barefooted on the ground, or pray on the floor or on the bare mats of the mosque without spreading a rug over either, or walk over the rugs (of the mosque) without leather overshoes, or perform his ablution with water from a jar belonging to an old woman or an irreligious man, they would clamour and raise a vociferous outcry over him, call him filthy, ostracize him from their midst, and disdain from eating with him or associating with him. On the other hand they regard austerity in attire, which is a part of belief, filth; while make-up and ornamentation they consider cleanliness. See then how the evil has become good, and the good evil; how the form of religion has disappeared just as its truth and knowledge have disappeared.

If you will ask, "Will you then say that those practices which the Sufis have started in connection with their outward appearance and matters of cleanliness

are forbidden and evil?" I shall say, "Far be it from me to generalize on this subject and not treat every case on its own merit." Nevertheless I will say: "This excessive cleaning and these painful undertakings, the preparation of special vessels and paraphernalia, the use of overshoes, wearing veils for protection against the dust and other similar devices, if they were examined by themselves without reference to anything else, they will be found permissible. Certain situations and motives may become attached to them and will render them at one time good and at another evil. That in themselves they are permissible is quite evident since he who practises them does so on his own account in his own body and clothes. He, therefore, may do whatever he wishes, so long as there is neither waste nor extravagance therein. They become evil when they are made a fundamental part of religion and are consequently advanced as the interpretation of the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", "Religion was founded on cleanliness." As a result those who are not very strict in the observance of all these rules of cleanliness but, like the early Muslims, are lenient therein, are subjected to harsh strictures. Again they become evil when they are performed for the purpose of adorning the body and beautifying it. This, in fact, is hypocrisy, which is forbidden. By these two considerations will they become evil.

They are good practices when their purpose is utility rather than ornamentation; when he who fails to observe them is not censured; when prayer is not delayed on their account; and when they do not prevent the individual from doing something better or hinder him from pursuing a superior knowledge and the like. When none of these things is attached to them they are permissible and may even be considered meritorious through the good motive behind them. But these practices are possible only to the idle, who if they do not spend their time in them will waste it in sleep or useless conversation. Consequently to spend this (otherwise wasted) time of theirs in these practices becomes the more worthy, because any time spent in purification renews the remembrance of Allah and that of the acts of worship. There is, therefore, no harm in them provided they do not become evil or extravagant.

As to the men of learning and deeds, they should not spend any of their time in these practices except what is necessary. For to go to excess is evil just as to waste one's life, which is the best and most precious pearl, when it should be preserved and utilized, is evil. None need wonder at that since the good works of the righteous are the evil works of the Allah's nearest devotees. The idle should not neglect cleanliness himself and disapprove of it in the Sufis claiming that he is thereby emulating the Companions. For to emulate the Companions truly is not to devote oneself except to that which is more important than external cleanliness. Thus it was said to Dawud Al-Tai "Why do you not comb your beard?" He replied, "Do you think I have nothing else to do?" For this reason I do not think that the learned man or the student, or the labourer should waste their time washing their clothes in order to avoid wearing the clothes which the

laundry-man has washed because they imagine that the latter has not cleaned the clothes well enough. As a matter of fact the early Muslims used to perform their prayers while wearing tanned fur-coats, and none of them was known to differentiate between laundered clothes and tanned fur-coats as far as purity and impurity were concerned. Rather they avoided all impurities wherever and whenever they saw them and paid no attention to remote and subtle possibilities. They, however, scrutinized very carefully the subtleties of hypocrisy and injustice, so that Sufyan Ath-Thawri once told a companion who raised his eyes to see an elaborate and exquisite doorway by which they had just passed, "Do not do that! For if people would not look at this door its owner would not have been so extravagant. Verily those who look at his door help him to be extravagant." Thus (the early Muslims) spent all the efforts of their minds in pointing out such subtleties rather than in speculating on the remote possibilities of impurity.

Therefore it will be better for the learned man to find for himself an ordinary person to wash his clothes carefully for him, because, from the point of view of lenience, this is better. The ordinary person will benefit by his work since he will then give his soul which urges to evil something permissible to keep it busy and consequently keep it from sinning. For the soul, unless it is kept busy with something, will lead to trouble. Furthermore, if the ordinary man wishes to gain the favour of the learned man through this work, he will find it to be one of the best means to gain his end. Again, the time of the learned man is too precious to be one of the best means to gain his end. Again, the time of the ordinary man is spent in such work, and he will benefit in every respect.

Let this illustration, therefore, serve men as a reminder of other similar works and activities, to determine their different values and to establish their order of preference. For care in preserving the hours of life and expending them in pursuing the best is more important than being particular and fastidious concerning the minute affairs of this world.

Having acquainted yourself with this introduction and found out that purification has four stages, then know that in this book we shall not discuss anything except the fourth stage which is the cleanliness of the body, because, in the first half of the book we purposely do not address ourselves except to external and outward things.

We, therefore, say that the purification of the body is divided into three parts: purification from impurities, purification from excrements, and purification from bodily cysts and discharges, which is accomplished by such operations as manicuring, shaving, depilating the pubic hair, circumcision, and the like of that.

PART ONE: ON PURIFICATION FROM IMPURITIES

The discussion thereof includes a Study of that which is removed, the Vehicle of Removal, and the way of Removal.

That Which Is Removed

That which is removed is impurity. Substances are of three kinds: inanimate

objects, animate objects and parts of animate objects.

As to inanimate objects, all, except wine and intoxication beverages, are pure. As to animate objects, all, except the dog and the pig and their products, are pure. When animate objects die, they are all impure except five, namely human beings, fish, locusts, apple worms, and, of the same category as apple worms, is every food which changes, as well as every form of life which has no flowing blood like flies beetles, and the like. Water is not rendered impure when such objects fall into it.

As to the parts of inanimate objects, they are of two kinds. The first comprises those things which may be cut off and its rule is the same as that of dead bodies. (One exception is) the hair which is not rendered impure by shearing and death. Bones, however, are rendered impure by death. The second comprises all wet things which the body exudes or emits. Everything which is not subject to change and has no fixed seat like tears and sweat are pure. But saliva and the mucus of the nose, and whatever things which have a fixed seat and are subject to change, are all impure except the seed of life like semen and eggs. Pus, blood, feces, and urine are impure in all animals. Nothing is exempted of these impurities except five things. The first, the remains of ordure after abstersion with stones-whatever does not extend beyond the orifice is exempted. Second, the mud in the streets and the dust of (dried up) dung, despite the fact that their impurity is established, are exempt only to the extent to which they cannot be avoided, i.e. which is not the result of negligence or oversight. Third, what hangs to the bottom of the shoes of impurities, of which the streets are always full. This is exempt, after it has been wiped off, because of necessity. Fourth, the blood of fleas-little or much-except when it goes beyond the ordinary limits-whether it be on your own shirt or in some one else's shirt, which you may wear. Fifth, the blood of pimples and the pus they discharge. Ibn 'Umar once wiped off a pimple on his face and it bled but he went ahead and performed his prayer without first washing. Of the same category is what chronic boils discharge as well as the blood which issues after phlebotomy, except in such cases where the issue of blood is caused by an abscess where it will be subject to the same rule which governs the blood of menstruation and not that of pimples of which man is never always free. The toleration of these five impurities by the Law shows that the principle of purity is lenience and all that was innovated therein is the result of obsessions which have no foundation.

The Vehicle Of Removal

The vehicle of removal is either solid or liquid. The solid is the stone of abstersion which has been purified through being (sun-) dried. It should be a hard, pure, and dry stone but not a relic of any veneration.

As to liquids, none of them removes impurities except water and not any kind of water at that, but only the pure water which has not become contaminated through its contact with other bodies. Again water ceases to be pure when, through contact with impurities, it changes in taste or colour or odor. If, on the

other hand it does not change in any of these, and its quantity approaches two hundred and fifty manes, which equals five hundred Iraqi pounds, it will not become impure, because the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: 'When water is sufficient to fill two pitchers it carries no impurities." According to Al-Shafi'i if it were less, it would become impure. This relates to stagnant water only. Running water, on the other hand, when polluted with impurities, the ripples which have been contaminated with these impurities become impure, except those beneath and below, because the ripples of water are separated one from the other. Similarly, the impurities, if they should flow in the watercourse, render impure the part in which they fall as well as the part to the right and left of the part wherein they fall, if the amount of water does not exceed two pitchers. If the flow of the water, were faster than the flow of the impurities, what lies over the impurities is pure and what lies below them is impure, no matter how far it may move or how much it may be, unless it gathers in a pond or cavity the size of which is larger than two pitchers. If an amount of impure water, equal to two pitchers, should gather in one place, that water would become pure if mixed (with a larger quantity of pure water). This is the position of al Shafi'i. I had hoped, however, that his position would be like that of Malik who held that water, no matter how meager its amount might become, would not be rendered impure except through change (in taste, colour, or odor), because the need for it is great and to lay down the condition of two pitchers would simply provoke suspicion and fear. It has therefore become very difficult to observe this rule and, upon my life, it is difficult; those who would try and examine it would find that out for themselves.

Furthermore, I have no doubt that if such a condition had been stipulated, then Mecca and Medina, in view of the shortage of running water and abundance of stagnant water in both, would have been the two most difficult places for achieving purity. Yet from the time of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" to the last days of his Companions not a single crisis pertaining to purification nor a single question concerning the manner of safeguarding water from impurities had been reported. The vessels in which their water was placed was handled by boys and slave-girls who were not careful against impurities. Furthermore, Umar performed his ablution with water from the jar of a Christian woman. This act of Umar is just as clear and binding as a genuine tradition which fulfils all requirements in establishing that water becomes impure only when it changes (in taste, or colour, or odor). Otherwise the impurity of the Christian woman and that of her vessels are quite evident and are very readily discerned. Therefore this position becomes untenable. The fact that no question concerning it arose during the days of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and his Companions is one proof for its being untenable; the action of Umar is another; while a third proof is found in the fact that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was wont to incline the water vessel to the cat and to leave all vessels unprotected against it even after he had seen it eat a mouse. Nowhere in their land were tanks set apart

for cats to drink. Nor did the cats go down to the bottom of the well for water.

The fourth proof is that Al-Shafi'i has definitely said that water with which a certain impurity has been washed was pure, as long as it did not undergo any change (in taste, or colour, or odor), and was impure whenever it did undergo any such change. And what difference is there between water contaminated with impurities through its own contact with them or through the contact of impurities with it? And what sense is there in saying that the force of the contact of water prevents impurity although contact in itself does not hinder the intermixture of impurity? If the one is to be explained on the grounds of need and necessity, need and necessity are also present in the other. There is no difference between pouring water into a vessel wherein there is an impure garment and throwing the impure garment in a vessel wherein there is pure water-both being ordinary practices in laundry and washing.

A fifth proof is found in the fact that it was the practice to perform abstersion along the edges of small bodies of running water. There is no disagreement concerning the position of Al-Shafi'i that if urine should fall into running water and the water does not undergo any change (in taste, or colour or odor), it will still remain permissible to use the water for ablution no matter how small the quantity. And what difference is there between running and still water. Upon my life, which is the stronger argument: to base the decision on the lack of change in the water or on the force of its flow? Furthermore, what are the limitations of this force? Does it extend to the water which flows within the pipes of baths or not? If it does not extend to the water which flows within the pipes of baths, what accounts for the difference? And if it does extend to such water that is the difference between what falls into it and what falls into its course as it is poured out from vessels over the body, when both are running waters? Furthermore, if it is to be ruled that water which flows over a solid and stationary impurity is impure, although it does not undergo any change, and that it remains impure until a quantity equal to two pitchers collects in a small pond, (it should be remembered) that urine is intermixed with running water more readily than any solid and stationary object possibly could. And what difference is there between the solid and liquid (impurities) when the water is the same and admixture is more through-going than mere contact? The sixth proof is found in the fact that if a pound of urine was poured into a quantity of water equal to two pitchers and then the water was distributed into different vessels. Water drawn from any of these vessels is pure; yet it is well known that urine, though a small quantity of it, contaminates all. Which is more convincing to explain; that the water is pure because it underwent no change, or because of its large quantity, even after that quantity has ceased to be large, and despite the knowledge that a part of the impurity still exists in the reminder of that water? A seventh proof is seen in the fact that in bygone day's ascetics constantly performed their ablutions in public baths and dipped their hands and vessels in tanks despite the small quantity of water these tanks contained and despite their knowledge that both pure and impure hands have been dipped into these tanks.

These incidents together with urgent need and necessity strengthen the belief that only the lack of any change in the water was taken into consideration whenever its purity was questioned, relying thereby on the words of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" when he said: "Water was created pure and nothing renders it impure except that which changes its taste or colour or odor.' There is a basic truth in this, namely that it is the property of every liquid to transform whatever may fall into it into its own, provided that liquid be the dominant element of the two. In this way, just as the dog when it falls into a mine of salt, is itself transformed into salt, and through its transformation into salt and its loss of entity, becomes pure, so is the case with vinegar and milk, whenever they are placed in water which is dominant, they lose their properties and acquire those of the water, unless the vinegar and the milk be the dominant elements, in which case they will prevail. Their prevalence is known through the presence of their taste, or colour or odor. This then is the criterion (whereby things are determined and judged). To it the Law has pointed in the case of the water which is capable of removing impurities. It is, therefore, worthy of being relied upon. Consequently, through it the guilt is lifted (off those who use water which the fastidious deem impure), and the meaning (of the tradition that water was created pure) is explained through it since water prevails over impurities and renders the objects pure, just as it was shown in the case of the two pitchers, as well as in the case of the used water, and the running water, and in the case of inclining the vessel for the cat.

Do not, however, think that that is an exemption, for it were so it would have been like the remains of ordure after abstersion and the blood of fleas: it would be deemed pure until (through excess) it makes the water impure. Even when the quantity is small, water is not rendered impure by articles steeped or washed therein or by a cat licking therefrom.

As to the saying of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that water carries no impurities, it is in itself ambiguous, for whenever water undergoes change it carries impurities. If it be said that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" meant with his words that water carries no impurities so long as it undergoes no change, it will then be possible to say that in most cases water does not undergo any change through its contact with ordinary impurities. Furthermore, the words of the tradition imply the acceptance that when the quantity of water is short of two pitchers, the water carries impurities when brought into contact with them. Nevertheless, it is quite possible to ignore the implied meaning of the tradition for lesser reasons than those we have already mentioned in those seven proofs.

The apparent meaning of the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that water carries no impurities is to negate the act of carrying in other words it transform impurities to its own property, just as we say that a mine of salt will not hold a dog or anything else but will decompose and transform them into salt. Men perform their abstersion in small waters and streamlets and dip impure vessels therein, and then wonder whether or not the

water has undergone any perceptible change. It has therefore become evident that whenever the quantity of waters exceeds two pitchers, ordinary impurities do not cause it to undergo any change.

If you should say that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" had said that water carries no impurities, no matter how much these impurities increase, then the argument would be turned against you, because whenever the impurities increase in quantity, water would really and actually carry them. For this reason, I would say that it is imperative for both schools to be specific and limit their interpretation to the ordinary impurities.

In short, in the case of ordinary impurities, I am inclined to be tolerant and lenient, following therein the example of the early Muslims and hoping thereby to do away with fears and suspicions. In that spirit have I given my legal opinions concerning disputed problems of purity.

THE Way OF REMOVAL

If an impurity is an impurity in effect, *i.e.* it has no palpable body, it is sufficient to run water over all its parts. But if it is an impurity in fact, i.e. physical it is necessary to remove the physical. The persistence of the taste indicates the persistence of the physical. The same is true of the persistence of colour except in such cases where the impurity leaves an indelible stain, in which event it is exempted, provided it has been thoroughly rubbed and washed. But the persistence of odor indicates the persistence of the physical and in not exempted except in such cases where the object has a strong odor which is difficult to remove; in which event soaking it in water and wringing it several successive times will do instead of rubbing and washing as in the case of the persistence of colour. It will do away with fear and suspicion to know that things have been created pure. Objects on which impurities are not positively seen may be used in prayer, and one should not resort to deduction to prove the presence of impurities.

PART TWO: ON PURIFICATION FROM EXCREMENTS

The purification from excrements includes performing ablution, bathing, purification with clean sand, and all are preceded by abstersion. We shall now state the way of performing them in the prescribed order together with their etiquette and rules, beginning with the reason for ablution and the etiquette of answering the call of nature.

THE ETIQUETTE OF ANSWERING THE Call OF NATURE

One should go into the wilderness far from the eyes of onlookers He should shelter himself behind something whenever possible and should not uncover his nakedness before he reaches the place of squatting. He should not face the sun or the moon with his nakedness, nor should he face the Qiblah or turn his back unto it. when his nakedness is uncovered except when he is within a house, and even then it is better to avoid that position. It is permissible for him, when in the wilderness, to shelter himself behind his camel or use for that purpose his skirt.

He should avoid squatting down (for the purpose of answering the call of nature) in any place where it is customary for men to meet for conversation. He should not urinate in still water, or under a fruit tree, or in any enclosure. When urinating he should keep away from hard surface and windy places in order to avoid spatter and splash. When he squats down to answer the call of nature, he should support himself on the left leg. When entering a house to urinate he should advance with the left leg first and when he leaves he should advance with the right. Furthermore, he should not urinate while standing. A'ishah said: "He who tells that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was wont to urinate standing, believe him not. Umar also said: "The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" once saw me urinating while standing and he said to me: 'O Umar! Do not urinate standing!' from this time on, I've never urinated while standing." Yet in certain instances, it is allowed since Hudhaifah related that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" once urinated standing and that Hudhaifah then brought him water for ablution which he performed and wiped his shoes off. Again no one should urinate in the bath tub. In this connection the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said that most of men's fears and suspicions whether or not things are pure result from urinating in bath tubs. Ibn al-Mubarak said: "However, if the water in the bath tub be running water, then there is no harm in urinating therein." When a person proceeds to answer the call of nature, he should not take with him anything which contains the name of Allah or of His Apostle. He should not enter the water-closet bareheaded, and on entering he should say, "I seek refuge in Allah against the accursed Satan, the filthy, the impure, the abominable, the pernicious". On leaving the water-closet he should say, "praise be to Allah Who has removed from me that which is harmful and has left me that which is useful." He should say this after he had left the water-closet. He should prepare the stones (for abstersion) before squatting, and should not perform the act of abstersion over the place where he had defecated. He should take the utmost pains in cleaning his penis from urine by shaking it to and from three times and by stroking its lower extremity with his hand. Nevertheless, he should not worry too much over the state of his cleanliness lest he become victim to an obsession which will wear him out. If he should feel something wet there, let him suppose that it is nothing but some of the water (with which he performed the act of abstersion). If this does not allay his suspicion let him sprinkle some water on the place so that he can then assure himself that the wetness is caused by water not by urine. Consequently, he will not allow Satan to prevail over him through fear and suspicion. The Prophet himself, we are told in a tradition, has done the same thing, namely, sprinkled water over his orifice. The person who was wont to exert the least effort in affecting the cleanliness of his orifice was the most learned among them, for fear and obsessions indicate lack of learning and ignorance.

In a tradition Salman Al-Farisi said: 'The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" taught us everything, even how to answer the call of

nature: How commanded us not to perform the act of abstersion with either bone or (dried) dung, and forbade us to face the Qiblah when defecating or urinating." A certain Bedouin having fought with one of the Companions told him, "You do not even know how to defecate." The Companion answered and said: " Yea, by your father's beards, I do, and I am a past master at it. I go out far into the wilderness, prepare the stones (for abstersion), face the wormwood, turn my back to the wind, squat like the deer, and stoop raising my posterior as the ostrich raises its tail," (The wormwood is an aromatic desert plant, squatting is crouch-resting on his toes, and stooping is raising the posterior part).

It is sometimes allowed for the man to urinate close to his companion provided he be concealed and sheltered. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" has done that despite his extreme shyness, in order to show men that it was permissible.

The Way Of Abstersion

One should perform the abstersion for his posterior orifice with three stones. If the orifice is cleansed therewith, the three stones will suffice, otherwise, a fourth stone must be used, and if this proves sufficient, a fifth must be used, because (although) only cleanliness is necessary, the use of an odd number (of stones) is desirable. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: 'When you employs stones for your abstersion, use an odd number." In performing the abstersion, the person should hold the stone with his left hand, place it at the fore-part of his orifice just before the seat of impurity, and run it over with horizontal and circular motion to the rear part. He should then take the second stone, place it at the rear part and run it over to the forepart. Taking then the third stone he should run it around the orifice. If he should not be able to run the stone around the orifice, he might perform the act in parts.

He then should take a large stone with his right and his penis with the left and with it(the left) move the penis thereby wiping it against the stone in three different places, or against three stones, or against three different places on a wall, until he sees wetness on the place where he had wiped his penis. If that is accomplished after he wiped it twice, he should do it a third time. This is obligatory if he wishes to limit himself to the use of stones. If that is accomplished after he had wiped his penis four times against the stone, it would be desirable to wipe it a fifth time for the sake of maintaining an odd number.

He should then move to another place and perform the act of abstersion with water, pouring it over the seat of excrement and rubbing it with the left until nothing which the palm of the hand could feel is left. He should not go to excess by trying to remove the parts which are still within the orifice because such a thing would give rise to obsession. He should realize that whatever water cannot reach lies within, and these parts which lie within are not subject to the rule that governs impurities unless they come out. And everything which is external and which is subject to the rule that governs impurities fulfils the definition of purity

when the water reaches and removes it. There is, therefore, no sense in being victim to an obsession in this respect.

In the end of abstersion one should say: "O my God! Purify my heart from hypocrisy, and make my body chaste." He then should wipe his hand against a wall or earth for removing any odor which might have persisted thereon. The use of both stones and water together is desirable, as it was related that when Allah revealed unto the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" the verse, "Therein are men who aspire to purity, and Allah loves the purified," the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to the people of Quba, "What is the purity for which Allah has herewith praised you?" They said: "We were wont to use both stones and water (for abstersion)."

The Way Of Performing Ablution

When one is through with abstersion, he should proceed to perform his ablution, for never has the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" been seen emerging after he had answered the call of nature without immediately performing the ablution. The person should commence with the use of the toothpick. Thus the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Your mouths are the pathways of the Qur'an. Render them, therefore clean with toothpicks." His purpose, when using the toothpick, should be the purification of his mouth for the reading of the Qur'an, and the invocation of Allah in prayer. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "One prayer after the use of the toothpick is better than seventy and five prayers without the use of the toothpick." And again," Had it not been for my fear to overburden my people, I would have commanded them to use the toothpick before every prayer", And again "Why do you come before me with yellow teeth? Use toothpicks." He also was wont to use the toothpick several times every night. It was also related that Ibn Abbas once said: "The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" has so repeatedly commanded us to use the toothpick that we expected him soon to receive a revelation on its use." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Use ye the toothpick: it is a purifier for the mouth and well-pleasing unto Allah." Ali said: "The toothpick develops and strengthens the memory and banishes sluggishness." Furthermore, it was customary for the Companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" to go about with their toothpicks carried behind the ears. *The manner of its use.* For a toothpick men should use the *Arak* wood or other rough branches which remove the yellow deposits around the teeth. The toothpick should be used both horizontally and vertically, and if one should limit himself to one of the two motions, let him use it horizontally.

It is desirable to use the toothpick prior to every prayer and prior to every ablution whether it is followed with prayer or not. Equally desirable is its use when the taste of the mouth has become bad as a result of sleep, or long

abstinence from food, or eating a thing of unpleasant smell.

After completing the cleansing of his mouth with the toothpick the person should then proceed with his ablution facing therein the Qiblah, and saying, "In the name of Allah the Merciful, the Compassionate." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There is no ablution to him who does not call upon the name of Allah," i.e., no complete ablution. One should then say: "(O Allah!) I seek refuge in you from the power of the devil. I seek refuge in you O Allah lest they should come and surround me." He then should wash his hands three times before putting them into the vessel and should say, "O Allah, I ask you for luck and blessing, and seek refuge in you against ill-luck and destruction." His purpose should be the removal of excrements or making prayer lawful. He should bear that purpose in mind until he had washed his face. If, however, he happens to forget the purpose of his ablution just before he washes his face, he will not be penalized for it. He then should take up a handful of water with his right, and rinse his mouth with it thrice and gargle, allowing the water to reach his throat, except when he is fasting, at which time he should take it easy (lest he swallow any of it).

Having done that he should say, "O Allah, Help me to recite Your book and to exalt Your name." Thereupon he should take up another handful and inhale it thrice, forcing it with his breath up his nose and flushing thereby its cartilages, and then force the water out by exhaling. As he sniffs the water he should say: "O Allah! Grant me (to enjoy) the perfumes of the Garden and bestow mercy upon me." As he exhales in order to force the water out of his nose he should say, "O Allah! I seek refuge in You against the stench of Hell and evil of the world." This is said because inhaling constitutes drawing in and exhaling is removal and rejection.

He then should take another handful of water for his face and should wash it from the beginning of the flat part of the forehead to the extremity of the fore-part of the chin lengthwise, and from ear to ear laterally. The two temples which are on either side of the forehead are not included in the face but form a part of the head. The water is allowed to reach the edge of the bangs which women are wont to affect: It is that part which lies at the side of the face when the end of a thread is placed upon the top of the ear, and the other end is placed upon the corner of the forehead. The water, however, is allowed to reach the four parts of face where, the hair grows, namely, the eyebrows, the mustache, the side whiskers, and the eyelashes which are, for the most part sparse. The side whiskers are that part of the beard which grows parallel to and alongside the ears. Water should also be allowed to reach the base of sparse but not thick beards, *i.e.* the frontal part of the face. The rule which governs the hair between the lower lip and the chin is the same as that which governs the beard, whether thick or sparse. He should (wash his face in this prescribed manner) thrice and then pour water over the long part of his beard, and work his fingers in and clean the eye holes and (the inner corners of the eyes) where the dirt which they discharge collects and (the outer corners) where the kohl gathers, for it was related that the

Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" himself did that. When the person washes his eyes his wish should be that sin would depart therefrom. Similarly at the washing of every member of his body, he should wish for the departure of sin therefrom. As he washes his face, he should say, "O Allah! Cleanse You my face with Your light when You cleanses the faces of Your saints; and blacken not my face with Your darkness when You renders the faces of Your enemies black." When washing his face, he should also let water flow in the interstices of his beard, for, it is desirable.

He should then wash his arms up to the elbows three times, (When washing his hands) he should move the ring around his finger. He then should draw his wetted right hand over the fore-part of his head, (raising his head gear with the left), and should apply water to the upper part of the upper arm. For (the believers) will appear on the day of resurrection with whiteness on their foreheads, wrists, and ankles, from the effect of ablution. Similarly, a tradition declares that the Prophet said: " Whoever is able to clean the fore-part of his head let him do so." It has also been related that the whiteness appears on those parts of the body which are washed at the time of ablution.

One should begin with the washing of his right hand and say: "O Allah! (On the day of judgment) hand me the book of my actions in my right hand and judge me with lenience." When he washes his left he should say, "I beseech You O Allah, hand me not the book of my action in my left or from behind my back." He then should proceed to wipe his head thoroughly by soaking his hands in the water, bringing the tips of their fingers, both the right and the left, together, placing them on the forepart of the head, running them over to the opposite side, and finally bringing them back again to the forepart. All this constitutes one wiping. He should go through it thrice and say, "Cover me with Your mercy, O Allah, and shower upon me of Your blessings. Give me to sit in the shadow of Your throne on that day when there will be no shade except Your own." He then should wipe his ears, both outside and inside, with fresh water. To do this, he should put the tips of his forefingers into his ears and twist them round, passing his thumbs at the same time over their beak. He then should place the palms of his hands over the outer part of his ears, repeating the act thrice and saying, "Make me O Allah one of those who hear and pattern their work in accordance to the best of what they hear. O Allah! Let me hear the crier of Paradise with the righteous." He should then wipe his neck with fresh water, because the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: 'Wiping the neck safeguards against being shackled on the day of resurrection." As he wipes his neck he should say, "O Allah! Release my neck from (the yoke of) fire and save You me from the chains and shackles." He should then wash his right foot thrice and, with his left hand, pass his fingers between his toes from the bottom up, beginning with the little toe of the right foot and ending with the little toe of the left. (As he washes his right foot) he should say, "O Allah, steady my foot on the narrow bridge on that day when feet slip down into the fires of Hell." And as he washes his left foot he should say, "I seek your aid O Allah lest my foot

should slip off the bridge on that day when the feet of the hypocrites slip." (In washing his feet) he should let the water reach half way up his legs. When he is through, he should turn his head up to heaven and say, "I testify that there is no god but Allah, that He has no associate, and that Muhammad is His servant and apostle. Glory be to You O Allah, and the praise be Your, for there is no god but You. I have done evil and sinned against my own soul. I beg Your forgiveness O Allah, and I hearken back unto You. Forgive my sin and bestow mercy upon me: You are Oft-Forgiving, Most Merciful. Give me to be penitent O Allah, and make me pure. Grant me to be one of Your righteous servants and make me patient and grateful. Help me always to remember Your name, and to praise You day and night." It is said that whoever repeats this (collect) after performing his ablutions will have the seal of approval affixed to his performance and will have a place prepared for him beneath the throne, wherefrom he will continue to praise Allah and exalt His Holy Name. His reward will be preserved for him until the day of resurrection.

Several things are undesirable during ablution. Of these is to wash (each member) more than thrice. Whoever goes beyond the three transgresses. Another undesirable thing is to be extravagant in the use of water. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" performed his ablution, washing each member thrice, and said: "Whoever goes beyond three transgresses and does evil." And again, "There will rise among this people some who will be extravagant in their supplications and purity" It is also said: "A sure sign of weakness in man's learning is his fondness for water during the act of purification." Ibrahim Ibn Adham said: "Obsessions grow out of (fastidiousness in) purification." Among the undesirable things also are speaking during ablution and splashing the face with water. Others also objected to the use of towels after ablution saying that the water used in the act is weighed on the day of Judgement. This was said by both Sa'id Ibn Al-Musayyab and Az-Zuhri. But Mu'adh related that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" himself wiped his face (after ablution) with the end of his garment. 'A'ishah also related that he had a towel which he used after ablution. The authenticity of this tradition has, however, been questioned. It is also undesirable to perform the act of ablution from water contained in brass vessels; or to use for that purpose water which has been heated in the sun. This latter thing is undesirable for medical reasons. The objection to the use of water contained in brass vessels was related on the authority of Ibn 'Umar and Abu Hurairah. A certain person said: "I brought out for Shu'bah water in brass vessel but he refused to perform his ablution therefrom." In this objection to brass vessels he followed the example of Ibn 'Umar and Abu Hurairah.

When one completes his ablution and proceeds to pray he must, no doubt, be aware of his external purity, the purity which men behold and see. He should, however, be ashamed of communing with Allah without first purifying his heart, which Allah beholds and sees. He should know with certainty that the purity of the heart is accomplished through repentance, putting aside blameworthy traits,

and laying hold on those which are praiseworthy. He who limits himself to external purity and cleanliness is like the person who, desiring to invite a king to his house, embarks on the task of plastering and whitewashing its outer gate, but neglects the interior, leaving it stuffed with all manner of dirt and filth. Such a man is best fitted for contempt and perdition. But Allah knows best.

The Excellence Of Ablution

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever performs his ablution well and prostrates himself twice in prayer without allowing anything worldly to distract his mind, will be absolved of all his sins, and will become as innocent as he was when he was born Or according to another version "without permitting his mind to wander, will be forgiven all his past sins." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Let me tell you wherewith Allah atones sin and raises the ranks (of the faithful): Performing the ablution though in distress, frequenting the mosques, and looking forward for the time of the next prayer. Verily this is the threefold bond." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" performed the ablution throwing water once on every member and said: "Prayer is unacceptable before Allah except after such ablution." He performed the ablution throwing water twice and said: "Whoever performs the ablution throwing water twice on every member will twice receive his reward from Allah." Finally, he performed the ablution throwing water thrice and said: "This is my manner of ablution and that of the prophets before me and that of Abraham, the Friend of the Merciful Allah." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "He who will remember Allah when he performs his ablution will have his whole body purified by Allah. But he who will not remember Allah at his ablution will not have his body purified except in those places where the water was applied." And again, "He who performs the ablution while pure, will be credited with ten good deeds by Allah." He also said: "An ablution upon ablution is like a light upon light." All this is to urge and induce men to repeat and renew their ablution. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "When a Muslim, during the act of ablution, rinses his mouth, the sins leave it; when he blows his nose, they are gone therefrom; when he washes his hands, the sins, even those beneath his finger-nails, are removed; when he washes his head, he rids it of its sins, even those in and behind his ears, when he washes his feet, he cleanses them from sins, even those beneath his toe-nails. Then, and only then, will his going to the mosque and his prayer therein be meritorious. It has also been related that he who is pure has the same reward as he who is fasting. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Whoever performs his ablution well, and then lifts his head unto heaven and says, 'I testify that there is no god but Allah alone, He has no associate, and I testify that Muhammad is His servant, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", the eight gates of Paradise will be flung open before him and he will enter therein through whichever gate he

may desire." Said Umar "Good ablution drives away Satan from you." Mujahid also said: "He who is able to go to bed purified, remembering Allah and penitent, let him do so, for souls are brought back to life in the same condition in which they were when taken away."

The way of bathing

One should place the vessel which contains the water to his right, and repeating the *Basmalah,* he should wash his hands, thrice, then perform the act of abstersion, as has been already described, removing off his body whatever impurities it has. He then should perform the ablution of prayer in the manner already described with the exception of the washing of the feet which he should for the time being defer because to wash the feet and then step on the earth (which is not clean) would be waste of water. He then should pour water over his head, thrice over the right side and thrice over the left. He then should rub his body on either side, the front and the back; let the water flow into the interstices of his beard making it reach the base of the hair whether thick or sparse. A woman, however, need not undo her braids unless she is certain that without undoing them the water will not penetrate into the interstices of her hair. The person should not forget those parts of the body which are bent or concealed, but should guard against touching his penis. Should he touch his penis, he should perform the act of ablution all over again. If, however, he has already performed his ablution before bathing he need not go through it again.

These then are the rules of ablution and bathing. We have discussed those elements in them which are indispensable for the traveller on the path of the hereafter to know and to do. If on special occasions and under unusual circumstances he may need other points besides these, he should refer himself concerning them to the books of jurisprudence.

Of all we have discussed pertaining to bathing, two things are obligatory: good intention and the washing of the whole body. In the case of ablution (six things) are obligatory: good intention, washing the face, washing the arms up to the elbows, wiping the head, washing the feet including the heels, and finally the observation of such sequence in performing ablution. Washing the different organs of the body in uninterrupted succession, *i.e.* to wash the second member before the first has dried, and the third before the second has and so on), is not obligatory. Bathing ablution *is* obligatory after four things: after the emission semen, after the two places of circumcision meet together, after menstruation, and after childbirth. Other than these is simply ordained by custom after the usage of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" *(sunnah),* such as the major ablution of the two feasts, Al-Fitr and Al-Adha, the major ablution of the Friday and the different feasts, the major ablution of the *ihram,* that of the standing on 'Arafah and Muzdalifah, and at entering Mecca. Also performed after the usage of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" are the three major ablutions during the three days of Tashriq, the major ablution of the farewell circumambulation, according to some,

the major ablution of the unbeliever when he embraces Islam and is under no obligation to perform it by reason of sexual intercourse and the discharge of semen, the insane when he regains his sanity, and the person who has washed a dead body. All these are desirable.

The way of Purification with clean Sand

If, after trying earnestly to find water, a person is unable to secure any, or is prevented by the presence of some beast or obstacle from reaching the water supply, or whenever the water is needed for the quenching of his thirst or that of his companion, or whenever it belongs to someone else who declines to sell any of it except for too high a price, or when the person himself happens to be suffering from a wound or an ailment, and consequently fears that the use of water may result in the infection of the member or in his acute sickness, he should wait until the time for the fulfillment of the ordinance arrives and then proceed to an elevated land the soil of which is pure, fine, and soft so that it is easily blown into dust. There, with his fingers held closely together, he should pat his palms over the sand, and lifting them to his face, he should wipe every part of it once. As he does that he should purpose in his mind the making of prayer permissible. In wiping his face, he is not required to force the dust beneath the hair whether it be sparse or thick. He should, however, make an effort to wipe his whole face with the dust. This can be accomplished with one single stroke, since the width of the face does not exceed that of the two palms. In deciding whether or not he has covered his whole face, his own opinion is sufficient. He then should remove his ring and pat his palms over the sand a second time, during which he should hold his fingers wide apart. Having done this, he should place the back of the fingers of his right hand over the front part of the fingers of his left in such a way that the tips of the fingers of the one hand will not project beyond the edge of the forefinger of the other. His hands in this position, he should then run his left hand over the back of his right forearm up to the elbow. He then should turn over his hand so that the hollow of his left palm rests over the inner side of his right forearm by the elbow and then should run it down towards the wrist and finish by stroking the outer side of his right thumb with the inner of his left. He then should do the same thing for his left arm. After that he should wipe his two palms against each other and pass the fingers of the one hand between those of the other. The purpose of this regulation is to cover both arms completely up to the elbows through a single patting of the palms over the sand. If this proves impossible the person can pat his palms over the sand one or more times. Having fulfilled this and performed the ordained prayer he may proceed to perform any supererogatory prayer he wishes. If he wishes to combine the enactment of two rites he should perform the act of purification with sand *(Tayammum)* over again prior to the enactment of the second rite. Thus every ordained rite should be preceded by a single act of *Tayammum.*

PART THREE: ON CLEANLINESS AND CLEANSING FROM THE EXTERNAL BODILY CYSTS AND DISCHARGES

which are of Two Kinds: Discharges and cysts

The First Kind: The Discharges And The Wet Excretions Of The Body

These comprise eight:

The first: That which adheres to the hair of the head such as dirt and lice. Cleansing the head from these through washing, combing and the use of ointment for the orderly arrangement of the hair is desirable. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was wont to anoint and comb his hair once a week. Furthermore, he used to command (his followers) to do the same, saying, "Anoint your hair once a week." He also said: "He who has but a single hair on his head, let him honour it;" i.e. keep it clean from filth. A certain man with dishevelled hair and ruffled beard came one day before the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". On seeing him, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Has this man no ointment wherewith to hold his hair?" Then turning to those present he added, "One of you enters the place as though he were a demon."

The second: The discharge which collects in the hole of the ear (i.e. the ear-wax). Wiping will remove what is evident of it, while that which collects at the bottom of the canal should be carefully cleansed after emerging from the bath; for too much of that discharge may be harmful to the hearing of the individual.

The third: What collects within the nose of the wet thick mucus and sticks to its (inner walls). It is removed by inhaling and exhaling.

The fourth: The yellow deposits which collect between the teeth and the tip of the tongue. These are removed by the use of the toothpick and the rinsing of the mouth, both of which we have already discussed.

The fifth: The filth which adhere to the beard and the lice which swarms it whenever it is not tended. These can be gotten rid of by washing and combing. Thus we have it in the well-known tradition that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" never parted with his comb, brush, and mirror whether he was at home or on travel. This in fact was the established custom (among) the Arabians. According to a strange tradition, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was wont to comb his beard twice a day. His beard was thick and the same was true of that of Abu Bakr. 'Uthman, on the other hand, had a long but thin beard; while Ali had a broad and wide beard which spread out across his chest from shoulder to shoulder. In yet a stranger tradition. A'ishah said: "Several people gathered outside the gate of the Messenger's house and he went out to meet them. Just before he went out, I saw him gaze, into the water-vessel and fix his hair and beard. Thereupon, I said to him: Do you do such a thing as you the Messenger of Allah "Allah's blessing and

peace be upon him"?' To which he replied: 'Yes, for Allah loves that His servant should adorn himself whenever he goes out to meet his brethren'." The ignorant might think that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", like other men, attended his hair and beard because of his, desire to appear handsome before people. Such an error on the part of the ignorant is like comparing angels to blacksmiths. On the contrary, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was commanded by Allah to fulfill a commission and among the duties therein he was expected to exalt himself before man and inspire respect in their hearts so that they might not belittle and despise him, and to embellish his looks in their sight so that they might not slight him not consequently turn away from him, and thereby give the hypocrites reason to rejoice. Care for personal appearance is obligatory upon every learned man who undertakes to call men to the worship of Allah. He should attend to his outward appearance so that he would leave nothing that will alienate men and turn them away from him. In this and in other similar things the intention of the individual is the test. For such actions are qualified and coloured by the purpose for which they have been done. Adornment for this purpose is, therefore, desirable; while leaving the beards dishevelled and neglecting one's personal appearance in order to attract attention as an ascetic is extremely dangerous. Rather to relinquish (such affectations) and undertake those things which are more important is desirable. In short, these are inward states between the servant and his Allah. The critical (observer) will not fall to see that and no amount of ambiguity and confusion could prevail over him or mislead him. Yet how many an ignorant person affects these things in order to attract the attention of men, thereby deceiving himself and other people as well, and claims that his purpose in that is good and wholesome. Thus you often see several learned men wear expensive and luxuriant garments and claim that their sole purpose is to confound heretics and refute dissenters, and that their aim is to draw nigh unto Allah. But the (falsity of their claim will be revealed on that day when the hearts are examined, when the tombs are laid open and their contents are scattered, when the secret thoughts are made known. On that day will the pure gold be selected and the glittering (brass) thrown away. We seek your refuge with the Lord from the shame due the hypocrites on the day of judgment.

The sixth: The filth which adheres to the knuckles, i.e. the forger joints. These the Arabians did not wash frequently because they neglected the washing of their hands after meals. Consequently, filth collected in these wrinkles. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" commanded them, therefore to wash their knuckles.

The seventh: Cleaning the finger-tips which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" commanded the Arabians to do. This includes not only the removal of the filth that adheres to the finger-tips but also that which gathers beneath the nails, especially since the nails were not always trimmed, with the result that dirt collected in great quantities beneath them. Consequently, the Messenger of Allah "Allah's blessing and

peace be upon him" ordered that the manicuring of nails plucking the hair off the arm-pits, and shaving the pubes should be done (at least) once every forty days, but he commanded that the part beneath the nails be cleaned regularly (and frequently). In one of the incidents in the life of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" we are told that he once thought the revelation he was expecting was unduly late; so when finally Gabriel came down with the revelation, the latter said: "How could we reveal to you (anything) when ye wash not your knuckles and clean not your finger-tips when your teeth are yellow and ye clean them not. Command, therefore, your people to do that,"

The eighth: The dirt which collects to the body through perspiration and dust, all of which are best removed by taking a bath. In this connection (we may point out that) there is no harm in frequenting the public baths, as the Companions themselves went into the baths of Damascus. One of them even said: "What a good place is the bathhouse! Therein the body is cleansed and its heat reminds us of Hell." This saying has been ascribed to both Abu Ad-Darda' and Abu Ayyub-al-Ansari. Another said: "What a bad place is the bathhouse! Therein nakedness is revealed and shame goes to the winds." The first has addressed himself to the benefits of the bath while the second pointed out its evils. At any rate there are certain obligations and rules which the visitor of the bath should observe. Two of these obligations pertain to his own nakedness and two relate to the nakedness of others.

The two obligations which pertain to his own nakedness are first, that he should shield it from the sight of others and second, guard against the touch of others. No one should undertake to clean it but himself. Furthermore, he should not allow the bath attendant who rubs the backs of bathers and massages their body to touch either his thigh or the part of the body which lies between the navel and the pubes. Some permit the touching of any part of the body with the exception of the genitals but the best rule is not to permit the touching of the parts already mentioned, since the rule which prohibits looking at the private parts has been extended to include the prohibition of touching them as well. The same rule covers the other part of nakedness, namely, the thigh.

The two obligations which relate to the nakedness of others are first, to avoid looking at it whenever it is exposed and the second to warn against uncovering it because to warn against evil is obligatory. The person is expected to warn against uncovering the nakedness but he is not held responsible for the acceptance of his warning. He cannot escape the obligation of warning except when such warning exposes him to physical danger or personal injury, or lead him to something which in itself is unlawful. Then he is not expected to condemn one unlawful act when such condemnation will compel the offender to commit another unlawful act. To refrain from warning and excuse himself on the ground that his warning will be of no use, is quite unpardonable because no one will fail to take cognizance of disapproval and be influenced by it and no one will fail to take

heed when he is derided for his sins. It will result in making the matter seem bad in his sight and will induce him to shun it. For this reason it is not permissible to neglect warning. Consequently, it has become discreet and wise not to frequent the public baths nowadays, because they are always full of exposed nakedness particularly the part of the body extending from the navel to the upper part of the pubes, which part is not considered nakedness by people any more, although the Law has included it therein, and has made it a sort of boundary to nakedness. It is therefore desirable to evacuate the bath-house of people (in return for a certain fee). In this connection Bishr Ibn Al-Harith said: "I shall not be hard on the man who pays his last Dirham in order to have the bath-house evacuated of people when he takes his bath." Ibn 'Umar was once seen in the bath-house with his face turned toward the wall having also blindfolded his eyes with a bandage. Some have said that there was no harm in frequenting the bath-houses provided the individual has two veils, one for covering his nakedness and the other for his head over which he should throw it in order to protect his eyes.

As to the rules, they are ten, and they go as follows:

The first is good intention. The individual should not enter the bath-house for the sake of some immediate worldly gain or for the purpose of toying with some earthly passion. Rather, he should seek therewith healthy cleanliness in preparation for prayer.

The second is that he should pay the bath-owner his fee in- advance before entering the bath because the service which (the client) wants is unknown to the owner and similarly is the fee which the latter expects. Consequently, the payment of the fee in advance before going into the bath removes the ambiguity from at least the one and sets the mind of the other at ease.

The third is that the individual should advance his left foot first as he enters the bath and should then say, "In the name of Allah the Merciful, the Compassionate. I seek refuge in Allah against Satan, the accursed the filthy, the impure, the corrupt, the corrupting."

The fourth is that he should await the time when the bath is vacant and then go in, or see to it, by paying, that it is vacated. For although there may not be in the bath any except religious men who are careful not to expose their nakedness, the very fact of seeing their unprotected bodies smacks of lack of shame and is suggestive of nakedness. Furthermore, it is unavoidable in moving about not to expose the nakedness especially as the flaps of the veil turn and fold. Then the individual cannot help but see the nakedness of others. It was for this reason that Ibn 'Umar blindfolded his eyes (whenever he entered a bath house).

The fifth is that the individual should wash his hands as he enters the bath.

The sixth is that he should not rush into the tank room until he had first been through the first room (where men sit to perspire).

The seventh is that he should not use too much water but should limit himself to no more than he needs as the occasion demands. To go beyond that will offend the bath-owner especially when the wasted water is hot which costs money and requires labour.

The eighth is that the heat of the bath-house should remind the individual of the heat of Hell and, having spent one hour in the heat of the bathhouse, he should try to get an idea of (the endless stay of sinners in) Hell: It is the place most like Hell, both in the fire beneath the water and the darkness above. We seek refuge in Allah against all such things.

As a matter of fact, the wise will not fail to remember the hereafter every moment of his life, because it is his final destination and eternal abode. In everything he sees, whether it be water, or fire, or any other thing, he finds warning and admonition. For every man notices the things most familiar to himself. Thus if a dry-goods man, a carpenter, a mason, and a weaver entered a furnished house, you would find, on examination,, that the dry-goods man looks at the draperies and scrutinizes their value; the weaver directs his attention to the clothes and examines their textures; the carpenter gazes at the ceiling and ponders over its construction; and the mason turns to the walls and deliberates over the manner of their building and the exactness of their lines. Similarly, the traveller on the road of the hereafter does not see anything without finding in it a lesson as well as a reminder of the hereafter. In fact, his eyes fall on nothing without receiving from Allah a warning. If he sees something black he remembers the darkness of the grave; if he sees a snake he is reminded of the serpents of Hell; if he sees any ugly face the image of Munkar and Nakir as well as that of the tormenting angels appear before him; if he hears a terrific noise his mind turns to the blowing of the horn on the Last Day; if he sees something beautiful he recalls the bliss of Paradise and if he hears someone say yes' or no' in the market-place or in a house he reverts in his thoughts to his own fate on the day of judgment, whether he will be accepted or rejected. How becoming it is, then, that such things should prevail over the heart of the wise. Nothing dissuades him therefrom except the most important matters of life. But if he should compare the length of his stay in this life with that of his abode in the hereafter, he would despise the former if he were mindful and wise.

The ninth is that the individual should pay no salutation on entering the bath-house, and in case he was saluted he should not return the salutation. If he should feel inclined to reply to the salutation he may do so by saying "May Allah forgive you your sins." He may shake hands with (an acquaintance bystander) and, for the sake of commencing a conversation, say, "May Allah forgive you your sins"; but this conversation should not be prolonged. Furthermore, he should not repeat the Qur'an in the bath-house except in his mind, yet there is no harm in repeating aloud the formula. "I seek refuge in Allah against Satan, the accursed." Again the practice of going into the bathhouse between the hour of sunset and nightfall is undesirable, because at that time the demons roam (the earth).

The bather may have someone else to rub his back and massage his body for him, as it has been related that Yusuf Ibn -Asbat has, before he died, requested that a certain stranger be allowed to wash his corpse after his death and said: 'The man has rubbed my back and massaged my body for me when I

was once bathing, I wish therefore to reward him with something which will please him, and I am sure it will please him much to wash my corpse." The permissibility of having another rub one's back and massage his body is attested by what one of the Companions related concerning the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": Said the Companion, "In one of his travels the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" stopped at an inn. Stretching himself out with his belly to the earth, a negro slave began to massage his back for him. Therefore, I said: "What is going on the Apostle of Allah?" To which he replied, "The she-camel threw me off its back.

The tenth is that when the individual is through with his bathing he should thank Allah upon this blessing, for it has been said that hot water in winter time is a much sought of luxury. Concerning baths and bathing Ibn 'Umar said: "Baths are an innovated luxury." This describes baths in their relation to the Law, but from the view-point of medicine they have been described as a protection against leprosy, especially after the use of a depilatory. It has also been said that depilating the pubes once a month cools the body, purifies the complexion, and increases virility.

Again it has been said: "To urinate while standing in the bath in winter time is better for the man than a dose of medicine." And again 'To sleep after the bath in the summer time is as good as any dose of medicine. "Washing the feet with cold water after the bath is a protection against gout. Furthermore, the pouring of cold water over the head, as well as drinking it, after the bath is undesirable. These rules govern the conduct of men in bath houses.

As to women the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It is not lawful unto a man to take his wife into a bath-house when others are bathing therein." According to a tradition vouched for by more than two Companions, "It is unlawful for the man to enter the bath-house without a veil, and it is unlawful for the woman to enter therein except after childbirth or when sick." A'ishah herself entered the bath-house when she was sick. Thus whenever the woman has to go into the bath - house let her do so veiled. It is undesirable for the man to give her the fee lest it be a help for her to do that which is undesirable.

The Second Kind: The Bodily Cysts

It includes eight things:

The first is the hair of the head in the shaving of which there is no harm to him who desires to be clean. On the other hand there is no harm in leaving it grow provided it is regularly anointed and combed, and provided it is not left to grow in tufts as the smart set are wont to do, or in long locks like the manner of the descendants of the noble blood to whom the practice has become a distinctive sign. Unless the person be a descendant of noble blood his wearing of long locks would be false and fake.

The second is the hair of the moustache. The Messenger of Allah "Allah's

blessing and peace be upon him" said: "Cut your moustaches off." According to another version, "Shear your moustaches." And according to another, "Trim your moustaches and spare your beard." In other words let your moustaches extend around the upper lip (but not hang down over it), i.e. let them encircle it. Of the same root is the phrase "circling round" in the verse, "And you shall see the angels circling round about the throne." In still another version the word used is 'pluck" which indicates cutting extremely short while "trim" indicates a lesser extent. Said Allah, "Should He ask them of you and press you, you would show yourselves niggards." In other words "should He urge you." Shaving the moustache, however, was never mentioned in the tradition, while trimming so closely as to resemble shaving has been related about the Companions. Thus one of the followers (, on seeing a person who had trimmed his moustache very closely, said: 'You remind me of the Companions of the Apostle of Allah." Al-Mughirah Ibn Shu'bah once said: "One day the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saw me with a long moustache. There upon he said, come hither and have your moustache cut off along a toothpick." There is, however, no harm in leaving its extremities (i.e. its ends) to hang down. 'Umar and others besides him did that, because the ends of the moustache do not cover the mouth and no food sticks to them while eating. The words of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", "Spare the beards," mean let them grow. According to one tradition the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The Jews spare their moustache and trim their beards; but ye do the opposite." Some learned men disapproved of shaving and regarded it an innovation.

The third is the hair growth on the armpit the plucking of which is desirable at least once every forty days. Such an operation is quite easy and simple at the person has been accustomed to it right from the beginning. But the person who has been accustomed to remove it by shaving may continue to do, so especially since its plucking is tormenting and painful while the sole purpose of its removal is cleanliness and the prevention of dirt from collecting in the interstices of the hair. This purpose is equally attained through shaving.

The fourth is the hair on the pubes, the removal of which is desirable either by shaving or by the use of a depilatory. Its removal should not be delayed any longer than forty days.

The fifth are the nails, the manicuring of which is desirable especially because of their horrible appearance and because of the dirt which collects underneath them when they are long. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "O Abu Hurairah, manicure your nails for Satan sits on them when they are long." The presence of a little dirt underneath the nails will not effect the validity of ablution, because such little dirt will not prevent the water from penetrating (underneath the nails). Furthermore because of necessity, both the Bedouins and the city people are usually lenient in this matter, particularly in connection with the toe-nails, the knuckles, and the back of the feet and the hands. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was

wont to command (his followers) to manicure their nails and take them to task for the dirt underneath their nails. But he did not command them to repeat their prayer. If he had done so his commandment would have had the added benefit of admonishment and warning against impurity.

As far as the way of manicuring the nails is concerned, I have not seen any genuine tradition. But I have heard that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", when manicuring his nails, began with the index finger of the right hand and finished with the thumb. (Starting with the index finger of the right hand, he worked to the little finger of the same hand). Moving then to the left hand he worked from the little finger to the thumb. (Last of all he manicured the thumb of the right hand). Pondering over this, one of its aspects, which seems to prove its veracity, occurred to me. Now such things do not become apparent except through the light of prophecy. But learned men of insight aim at deducing through reasoning the significance of these things when reported to them. What occurred to me, although Allah knows best, is that manicuring the nails of the fingers and toes is, to begin with necessary. But whereas the hand is superior to the foot, a person should begin with the fingers. Of the two hands, the right is the superior and consequently should come first. Of the five fingers of the right hand the index finger, which points out (at people) when one is repeating the two words of the *Shahadah,* is the superior. Therefore, it should mark the beginning. Since the order favoured by the Law in matters of ablution and the like is to begin with the right and proceed in the same direction, the finger to the right of the index should come next. If the hand is placed with its back to the ground then the thumb would be the finger to the right of the index. If it is placed with its palm to the ground then the middle finger would be to the right of the index. But if you let the hand dangle naturally, its palm would be inclined towards the ground because the right hand swings from the right to the left, and as the swinging motion is completed the back of the hand goes up. Hence the natural position is the more preferable. Furthermore, if one palm is placed against the other the fingers form, as it were, a circle, and consequently the person should commence with the index finger of the right hand and from there work to the right until he returns to the same index finger. This will result in working from the index finger of the right to the little finger of the same hand, and then from the little finger of the left hand to the thumb of the same hand. There remains the thumb of the right hand, with which the operation should be concluded.

As to the toes, since no tradition governing the procedure of manicuring them has come down to us, I hold it to be better to being with little toe of the right foot and, working to the right, end with the little toe of the left foot, which is exactly like procedure followed in cleaning between the toes. For the considerations which we have mentioned in connection with the hands do not hold here since there is no "fore-finger," (that points out at people when one repeats the two words of the *Shahadah*) in the foot. In fact, all the toes are in the same category and form a single line close to the ground. Therefore, one begins

with the right. Nevertheless any such assumption of their forming, as it were, a circle when the sole of the one foot is placed against that of the other, unlike the same thing in the case of the fingers, is unnatural. These minute details of procedure become instantly apparent through the light of prophecy, but in our case they are extremely difficult.

If we were asked concerning the order of procedure (which should be followed in manicuring the nails) we might be able to give a satisfactory reply; but if we cite the practice of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and the procedure which he followed therein, we might be able thereby to ascertain its rule. His reminder (to us through his practice) of the significance (of his procedure therein) calls for the deduction of that significance. No one should think that the actions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and all their details, have not been governed by a definite standard, and a fixed rule and order. In fact in all the voluntary actions which we have already mentioned man follows one of two or more procedures, the selection of which is motivated not by sheer agreement but by a definite reason which demands that procedure be followed and preferred. For the haphazard way of doing things just as they come is characteristic of animals; while governing actions and movements by the standard of their (relative) significance is peculiar of the saints of Allah. The more regulated and governed are the actions and movements of man, and the less they are haphazard and neglected and the farther removed they are from (caprice), the nearest would his rank be to that of the Messengers and saints and the closer would his position be to Allah. This is because he who is close to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" is close to Allah. Furthermore, he who is close to Allah is, in the nature of the case, one of His nearest devotees, and he who stands close to the favourite is in turn a favourite. We, therefore, seek refuge in Allah against having the direction of our actions and movements in the hands of Satan, ruled and governed by him through (our) passions and whims.

The way in which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" applied-kohl to his eyes has been accepted as the norm and standard for such procedures. He was wont to apply it thrice to the right and twice to the left eye beginning with the right for its superiority. The disparity between the number of applications to each eye is for the sake of having the sum total odd in number, because odd numbers are superior to even numbers. Allah himself is unique and prefers odd (numbers). Consequently, the actions of man should always correspond to one of the attributes of Allah. For this reason the use of an odd number of stones in abstersion has been viewed with favour. The number of the applications of kohl to the eyes has not been limited to three, although there is an odd number, because the share of the left eye would then be one application only, which thing in insufficient and will not ordinarily extend over all the roofs of the eyelashes. The right eye has been assigned three applications because preference is necessary to produce an uneven number, and since the right eye is superior it enjoys that preference.

If you should say, "Why was the left eye limited to two applications?" my answer would be that the limitation was dictated by necessity, since if each eye were given an odd number of applications the sum total of the applications would be even, because the sum of two odd numbers is an even number. But the preference if for an odd number in the total applications of both eyes rather than of each eye. There is, however, another possibility in the applications of kohl, namely to follow the practice in ablution and apply the kohl thrice to each eye. This procedure is the more preferable. If I were to investigate all the details which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" observed in his actions and movements, it will take me a long time to exhaust the subject. Therefore, base your future in your past experience; and know that no learned man will ever become the heir of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" unless he acquaints himself with all the statutes of the Law, so that nothing will separate them (i.e. learned man, and Prophet) from each other except one rank that of prophecy which is the distinguishing degree between the inheritor and the inherited. For the inherited is he who has earned and collected the money while the inheritor is he who has neither earned nor collected is but received it by transmission. These and other significations, despite their relative easiness when compared with the profound mysteries and secrets, are not independently comprehended except by the Messengers and are not elicited through transmission, after their (importance) has been pointed out by the Messengers, except by their heirs, the learned men.

The sixth and seventh are the umbilical cord and the foreskin respectively. The umbilical cord is cut off at the time of birth while purification through circumcision is performed by the Jews on the seventh day after birth; consequently, contradicting them by delaying the operation until the child cuts his front teeth is more desirable and less dangerous. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said "Circumcision is a law unto man and a meritorious deed on the part of women.' Nevertheless, excess should be avoided in female circumcision. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" once said to umm Atiyyah' who used to practise the circumcision of women: "O Umm Atiyyah! Be moderate when you perform the operation of circumcision on women and cut off only a small portion of the prepuce of the clitoris, for that is better fitted to preserve femininity and more welcome to masculinity." In other words it does not impair the woman's passion nor rob the man of his pleasure at the time of intercourse. Consider the refined diction and euphemism of the Messenger's speech and how the light of prophecy has shone from the affairs of the hereafter which are the noblest concerns of prophecy and illuminated the affairs of this world do that matters of great importance, the ignorance of which may result in grave, consequences, have been revealed to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon

him" despite the fact that he was unlettered. Praise, therefore, be to Allah who has sent His Apostle to be a mercy unto men and through him to make available for them the blessings of this world and of the world to come.

The eighth is the long beard and we deferred discussing it in order to attach to it certain rules which govern it and several innovations practised in connection with it, since this is the most suitable place for the treatment.

People have differed as to the length of the beard. Some held that there is no harm in the person taking his beard with his hand and cutting off what is beyond his grip. This was done by Ibn Umar and many of the followers and met the approval of Ash-Sha'bi and Ibn Sirin but was frowned at by Al-Hassan and Qatadah who said that letting it alone is a better practice, which conforms to the words of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", "Spare your beards." The right practice is not difficult to determine, provided it does not lead to trimming the beard and rounding it off the sides; for its excessive length renders the appearance unseemly and releases the tongues of backbiters with ridicule. Consequently, it is better to guard against such practice. Al-Nakh'i said: "I wonder why a sane man whose beard is long does not trim it, thereby avoiding its being too long and its being too short, for moderation is desirable and good in everything." For this reason it has been said: "The bigger the beard the smaller the mind." There are, in connection with the beard, ten disapproved practices. Of these some are more reprehensible than the others. These are dyeing the beard black, bleaching it with sulfur, plucking it, plucking the gray hairs in it, (elaborately) trimming it augmenting its size, neglecting it, dishevelled and untidy for the sake of affecting asceticism, boasting of its black colour as indicative of youth and of its gray colour as the sign of (venerable) age, and dyeing it red or yellow, thereby emulating the righteous but lacking (their good) intention.

The first (undesirable practice)) in connection with the beard is dyeing it black. The practice is forbidden as the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said concerning it, "The best of your youth are those who emulate the old among you, and the worst of your old men are those who emulate the youthful among you." Emulating the old refers to the emulation of their poise and dignity not their gray hair. Not only was the dyeing of the hair black forbidden but it was also described as the sign of the people of Hell, and according to another version it was identified with the sign of the unbelievers. A certain man who was living at the time of Umar and was wont to dye his beard black got married. Soon afterwards the dye faded and his gray hair was no longer concealed. Thereupon the relatives of his wife brought him before the Caliph who annulled his marriage and had him flogged, and said to him, "You deceived them by concealing from them your gray hair." It is said that the first to dye his beard black was Pharaoh, may the curse of Allah be upon him. It is also related on the authority of Ibn Abbas that the Messenger of Allah "Allah's blessing and

peace be upon him" said: "At the end of time there will be men who will dye their beards black like the crop of the pigeon; the same will not enjoy the fragrance of the Garden."

The second is dyeing the beard yellow or red. The practice is permissible in order to conceal the age of warriors from the unbelievers in times of raids and Jihad. If it is not for this purpose but rather for the sake of emulating men of religion, then it is blameworthy. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Yellow is the colour with which the Muslims dye their beards, and red is that with which the believers dye theirs." Henna was used for red dye while saffron for the yellow.

Some of the learned men dyed their beards black before setting out on raids. There is no harm in this practice provided the intention is genuine and is not shadowed by passion or lust.

The third is bleaching the beard with sulfur to give the appearance of an advanced age for the purpose of gaining deference and veneration having their testimony accepted at court and their narration of traditions on the authority of the masters accredited; they do it out of their desire to lord it over youth and in order to appear very learned, thinking that age would make them superior. But how far from the truth this is; for age does not increase the ignorance except with ignorance. Knowledge is the fruit of reason which is a native talent removed from the influence of age and not affected by gray hair. But he who is born foolish increases in folly with the years. Furthermore, the masters were wont to give precedence to the learned youths. Thus 'Umar used to give Ibn 'Abbas, despite his youth, precedence over the leading Companions, and used to seek his counsel rather than theirs. Ibn 'Abbas himself said: "Allah gives not His servants knowledge except in their youth and in youth lies all that is good." In support of his assertion he quoted the statement of Allah: "They said: 'We heard a youth make mention of them whom they call Abraham.'" (Al-Anbiya 60)

﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾

He also quoted the statement of Allah Almighty: "They were youths who had believed in their Lord, and in guidance had We increased them" (Al-Kahf 13)

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾

And: "And We bestowed on him wisdom while yet a child." (Maryam 12)

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾

Anas was wont to say, "The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" died having in his head and beard no more than twenty gray hairs." On being told, "But Abu Hamzah! The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was well advanced in age when he died," Anas replied, "Yes. But Allah did not disgrace him with gray hair?" "Is it a disgrace to have gray hair?" they asked. Anas replied, "Do you not all dislike gray hair?"

It is also said that Yahya Ibn Aktham was appointed judge when he was twenty-one years old. While sitting in his court one day a certain man, wishing to deride him for his young years, asked him, "Of what age is the judge, may Allah repair him!". Ibn Aktham said: "Of the same age as Attab Ibn Adi when the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" entrusted him with the governorship of Mecca and its judgeship," and with this retort silenced him. It was also reported on the authority of Malik that he said: "I read in one of the books the following statement, "Let not a man's beard deceive you for the bull has one also!"".

Abu Amr Ibn Al-'Ala said: "Whenever you see that a man is tall in stature but his head is small and beard long and wide be sure that he is a fool although he may be Umayyah Ibn 'Abd-Shams." Ayyub Al-Sikhtiani said: "I have seen old men of eighty years follow a youth in order to learn from him." Ali-Ibn Al-Hussain said: "He who has preceded you in knowledge is your Imam in this respect though he may be younger than you in years." Abu-'Amr Ibn Al-'Ala was once asked, is it becoming to the old man to learn from youth?" He answered saying, "Ignorance abases, man and knowledge ennobles him." Yahya Ibn Ma'in, on seeing Ahmad Ibn Hanbal walking behind a mule ridden by Al-Shafi'i told him "O Abu Abdullah, I see that you have discontinued the company of Sufyan, despite his advanced age, for the company of this youth in order to learn from him." Ahmad replied, "If you only knew (what is good) you would have walked behind his mule from the other side. If, because of his death, I should miss receiving the knowledge of Sufyan from him personally, I could get it at anytime through other transmitters. But if I should miss the company of this youth I would never receive any of his learning either directly from him or indirectly through transmitters."

The fourth is plucking the gray hairs of the beard because of one's loathing for gray hair. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" has definitely forbade the plucking of gray hair and said that it was the light of the believer. It is of the same nature as dyeing the hair black and the reasons of its being disapproved have already been mentioned. Gray hair is the light of Allah and he who dislikes it dislikes the light.

The fifth is plucking the beard in whole or in part for fun or play. This is disapproved-it renders the appearance unseemly. Similarly, plucking the hair off either side of his lower lips is an innovation. A certain man who was wont to pluck the hair off the side of the lower lip took the witness stand before Umar Ibn Abd-al-Aziz but (the caliph) rejected his testimony. Likewise, Umar Ibn Al-Khattab and Ibn Abu Laila, the judge of Al-Medina refused to accept the testimony of any person whose practice it was to pluck his beard.

Plucking the beard during its early growth in order to appear beardless is among the major evils. For the beard is the ornament of man. Furthermore, there are among the angels of Allah some who swear saying, "By Him who has adorned

mankind with beards." It is one of the signs of perfect creation and distinguishes men from women. According to an odd interpretation it is the beard which is meant by the statement of Allah Almighty: "He adds to His creatures what He wills" (Fatir 1)

﴿ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾

The followers of Al-Ahnaf Ibn Qais remonstrated saying, "We wish we could purchase for Al-Ahnaf a beard though it may cost us twenty thousand." Shuraih Al-Qadi said: "I wish I had a beard though it were for ten thousand." For how could the beard be disliked when it gives the man honour, identifies him in the sight of others with learning, induces them to look up to him with respect, gives him the exalted seat in the assemblies (of the learned), focuses the eyes of all upon him, entitles him to precedence over his associates, and shields him from dishonour, since he who curses is restrained from it if the man has a beard? It is said that all the inhabitants of Paradise are beardless except Aaron, the brother of Moses, who has a beard which reaches down to his navel. It has been given him as a special favour and distinction.

The sixth is trimming the beard in successive contours for the sake of attracting women. Said Ka'b, "There will be at the end of time men who will trim their beards in the shape of the dove-tail, and will have the toes of their shoes upturned like a scythe. Such people have no manners."

The seventh is lengthening the beard by allowing the hair which covers the temples, which belongs to the head, to grow and join that of the said whiskers thereby going beyond the limits of the ordinary beard and reaching halfway down the cheeks. This is contrary to the habit becoming the righteous.

The eighth is combing the beard for the sake of attracting the attention of men. Bishr said concerning beards, "There are two sins in connection with beards: combing them for the sake of (attracting the attention of) men and neglecting them dishevelled to appear before them ascetic.

The ninth and tenth are to admire the beard's blackness and its grayness. Such self admiration is blameworthy with regard to all the members of the body as well as traits and actions, as it will be discussed later.

This is what we have intended to discuss of the various kind of adornment and cleanliness.

Three traditions pertaining to the rules which govern the body provide us with twelve items of which five pertain to the head, namely parting the hair, rinsing the mouth, inhaling and exhaling water (for cleaning the nose), trimming the moustache, and using the toothpick; three pertain to the hands, namely manicuring the nails, washing the knuckles, and cleaning the finger-tips; and four pertain to the body, namely plucking the hair of the arm-pits, shaving the pubes, circumcision, and abstersion with water-all of which have been mentioned in tradition. Now whereas the purpose of this book is to discuss outward and

physical cleanliness rather than the inward we shall confine ourselves to the former. Let it, however, be known that the inward filth and dirt from which it is necessary to clean one self are innumerable and we shall take them up in detail in the Quarter on The Destructives and shall also discuss the way of their removal and the method of purifying the heart from them.

Book four: The mysteries and duties of prayer

Praise be to Allah Who has caused His Kindness to overspread His servants, and filled their hearts with the light of faith, which descends from the Throne of Majesty to the nearest heaven, in the form of many degrees of mercy, one of His emotions. He, besides being Unique of Majesty and Magnificence, differs from the kings by exhorting His creatures to ask and invoke Him (whatever, wherever and whenever they like) when He says (on the tongue of His Messenger in his relating from Him): "Is there any to invoke Me so that I should answer his invocation? Is there any to ask for My Forgiveness, so that I should forgive him?"

He also is distinguished from the magistrates by his opening the gate (of mercy) and removing the veil when He allowed for His servants to talk privately with Him during their prayers, whether in congregation or in solitude, whenever and wherever their states change. Furthermore, he did not confine His allowance to such concession, but rather he kindly exhorted and summoned (His servants so much repeatedly to invoke Him), even though the kings who are very weak (in comparison with Him) give no concession of meeting and talking to them alone except after offering gifts and bribes: Glory be to Him! How Great and Magnificent His State is! How Strong is His Power! How Perfect is His Kindness! How Comprehensive is His Beneficence!

Allah's blessing and peace be upon Muhammad, His well-chosen Prophet and selected devotee as well as upon his family and holy companions, the main keys to guidance, and the lights of (dissipating) darkness. To go further:

Verily, prayer is the supporting fundament of religion, which safeguards one's certainty of faith, as well as it is the beginning and the commencement of the acts and deeds of worship and religious service which leads to obedience (of Allah Almighty). In the art of jurisprudence, whether the expanded, the middle or the brief, we've surveyed its primal roots and branches, addressing our main concern to its unusual hairsplitting and peculiar events, in order that this might serve as a treasure for a verdict giver therefrom to take his legal and religious verdicts, and a weapon to which he should take resort and refer (whenever he needs to do so).

In this book, we are going to restrict our concern to explain what is necessary for the seeker (of worship), to learn of its outward deeds and inward mysteries, and uncover from the subtleties of its obscure concepts what corresponds to the meanings of submission, sincerity, and good intention, something which is uncustomary to be mentioned by the ordinary books of jurisprudence. This book will be composed to imply seven chapters which go as follows:

Chapter one: on the merits of prayer

Chapter two: on the excellence of the outward deeds and acts of prayer

Chapter three: on the excellence of its inward deeds and acts

Chapter four: on imamate and Emulation

Chapter five: on the Friday prayer and its etiquette

Chapter six: on different problems of general significance, which the seeker is in need to learn and know

Chapter seven: on the related voluntary deeds.

CHAPTER ONE: ON THE MERITS OF PRAYER

Prostration, congregational prayer, the call to prayer (Adhan) and other related topics

(It is narrated by At-Tirmidhi on the authority of Ibn Umar that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him") said: "Three (types of persons) will (be made to stand) on a sand hill of black musk on the Day of Judgement, who will not be frightened by reckoning nor will they be harmed by fear, until the cases of the people will be decided: a man who used to recite the Holy Qur'an, seeking only the Countenance of Allah Almighty, and to lead a people on their own accord; a man who used to pronounce the Call to prayer (Adhan) in a mosque, and invoke Allah just for the sake of the Countenance of Allah Almighty; and a man who was examined by a large sustenance in his world, even though this did not divert him from doing the deeds of the hereafter."

(It is narrated on the authority of Abu Sa'id that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him") said: "No man nor jinn nor anything hears the voice of the Caller to prayer (Mu'adhdhin) but that he will bear witness in his favour on the Day of Judgement." (It is narrated on the authority of At-Tabarani on the authority of Anas that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him") said: "Allah's Hand be on the head of the Mu'adhdhin until he finishes from his Call to prayer."

In comment on Allah's statement: "And who is better in speech than he, who invokes Allah and does righteousness" (Fussilat 33)

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾

It is said: "It was revealed in connection with the Mu'adhdhins." (It is unanimously narrated on the authority of Abu Sa'id that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him") said: "When you hear the Adhan, repeat the same words of the Mu'adhdhin." However, this is commendable (for everyone to repeat the same wording of the Adhan) with the exception of the statements "Come to prayer, come to prosperity", in which one should say: "There is neither might nor power but with Allah", and in the statement "The prayer has been established": "Might Allah establish it and make it permanently regular as long as both the heavens and the earth abide" and in the statement: "The prayer is much better than sleep": "You've told the truth, proved lawful and sincere in advise", and when the Mu'adhdhin finishes, let him say: "O Allah, Lord of this perfect call and established prayer! Give Muhammad the access (to intercession) and superiority (over others), and the high supreme rank, and raise him to the praiseworthy station which You have promised him: You never break Your Promise."

According to Sa'id Ibn Al-Musayyab: "He, who offers prayer in a desert, an angel prays on his right hand, and an angel on his left hand; and when he

pronounces the Call to prayer, and also the prayer establishment (Iqamah), angels (whose number is as huge and great) as mountains pray behind him."

The Excellence Of The Obligatory Written Prayers

Allah Almighty says in this connection: "set up regular prayers: for such prayers are enjoined on Believers at stated times." (An-Nisa 103)

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾

(It is narrated by Abu Dawud, Ibn Majah and An-Nasa'i on the authority of Ubadah Ibn As-Samit that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him") said: "There are five (obligatory) prayers which Allah has enjoined upon His servants to be offered every day and night: whoever offers them in full, and decreases nothing from them out of dealing with them slightly, on the Day of Judgment, Allah will make a pledge for him to admit him to the Garden; and whoever offers them (defectively) and decreases anything from them out of dealing slightly with them, he will have no pledge with Allah: He could punish him if He so likes, and He could forgive him if He so likes."

(It is narrated by Muslim on the authority of Jabir that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him") said: "The example of the (daily obligatory) five prayers is like an overflowing river, running at the door of anyone of you in which he washes himself five times a day: which filth do you see will remain on his body?" they answered: "No filth will remain on his body). On that he said: "Similarly, the five (obligatory) prayers removes sins in the same way as the water removes filth."

(It is narrated by Muslim on the authority of Abu Hurairah that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him") said: "The (five obligatory written) prayers act as expiations for (such of sins as are committed in) the intervals between them as long as the major sins are avoided." (It is narrated by Malik on the authority of Sa'id Ibn Al-Musayyab that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him") said: "What distinguishes us from the hypocrites is the attendance of both Isha' and Morning (prayers in congregation), for both are too hard upon them (to attend)." (It is narrated by At-Tabarani on the authority of Anas that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him") said: "If one meets Allah (on the Day of Judgement) having wasted his prayers, Allah Almighty will not care of (and thus give him no reward for) any of his good deeds."

(It is narrated by Al-Baihaqi on the authority of Umar that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him") said: "Prayer is the support pillar of faith, and he who leaves it has indeed destroyed his faith." (It is unanimously narrated on the authority of Ibn Mas'ud that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him") was asked: "Which deed is the best (and most rewardable in the Sight of Allah)?" he said: "It is (to establish and perform)

prayers just at their stated prescribed times." (It is narrated by Ahmad and Ibn Hibban on the authority of Abdullah Ibn Amr that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him") said: "He, who strictly guards the five (obligatory) prayers, by making perfect its ablution, and performing them just at their stated prescribed times, they will come to be a light and proof (for his faith) on the Day of Judgement; and he, who wastes them will be mustered in the company of (such evil infidels as) Pharaoh and Haman."

(It is narrated by Abu Dawud on the authority of Jabir that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him") said: "The prayer is the key to the Garden." It is narrated on the authority of At-Tabarani on the authority of Jabir and Al-Hakim on the authority of Ibn Umar that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him") said: "No duty enjoined by Allah Almighty upon His servants after (the obligation of having faith in the) Allah's Oneness is much dearer to Him than prayer; and had there been anything dearer to Him than it, surely, His angels would have worshipped Him through it: but even (they are in continual prayer with) some of them bowing, others falling in prostration, others standing, and others sitting."

(It is narrated by Al-Bazzar on the authority of Abu Ad-Darda' that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him") said: "He, who leaves even a single (obligatory written) prayer intentionally has (been about to) become an infidel." This means he has become closer to be deprived of faith, by having his handhold loosened and his supporting probe fall down, just like what is said about him who approaches a town that he has reached and entered it. (It is narrated by Ahmad on the authority of Umm Ayman that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him") said: "He, who leaves even a single (obligatory) prayer intentionally has, indeed, come out of the covenant of Muhammad "Peace be upon him"."

According to Abu Hurairah: "He, who performs ablution perfectly and then comes out aiming direct at offering prayer (in congregation in the mosque) is still in prayer as long as he is aiming at offering it, and a good deed is written for him by each step of one of his (foot), and an evil deed is plotted out of him by each step of the other (foot); and when anyone of you hears the Iqamah, let not him delay (to come), for he who receives the greatest reward among you is him whose house is the farthest (from the mosque)." They asked: "Why is that O Abu Hurairah?" he said: "In view of the great number of steps (he takes towards the mosque)."

It is narrated (on the authority of Abu Sa'id and Abu Hurairah) that the first deed of a servant to be regarded on the Day of Judgement will be the prayer: if it is found to be full and perfect, it will be accepted, and so will all of his deeds, and if it is found to be defective, it will be rejected, and so will all of his deeds." (According to unknown narration the Prophet said to Abu Hurairah): "O Abu Hurairah! Tell your family to offer prayer (regularly and perfectly), perchance Allah will endow you with sustenance from sources which you expect not." According to a learned man: "The example of a praying man is like the example

of a merchant, to whom no profit could be accounted until all of his capital is fulfilled to him; and so is the case of the praying man, from whom no supererogatory prayer will be accepted unless he fulfills what is obligatory upon him." Abu Bakr "Allah be pleased with him" used to say: "When the prayer is due, stand to your fire which you have kindled, and extinguish it."

The Excellence Of Perfecting Its Pillars

(It is narrated on the authority of Ibn Al-Mubarak on the authority of Al-Hassan, and Al-Baihaqi on the authority of Ibn Abbas that the Prophet) said: "The example of the obligatory written prayer is like the example of the balance: whoever gives due measure (as far as its pillars are concerned has the right to) ask for full measure (of its reward)." (It is further narrated by Ibn Al-Mubarak on the authority of) Yazid Ar-Raqashi that he said: "The prayer of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was proportionate (in the length and perfection of its pillars) as if it were balanced." (It is narrated on the authority of Ibn Al-Muhabbar on the authority of Abu Ayyub Al-Ansari that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him") said: "Verily, it happens that two of my nation should stand to offer prayer, with their bowings and prostrations the same (in length and posture), even though their prayers are as far from each other as the heaven from the earth" and he pointed out to the submission (of the heart)." (It is narrated by Ahmad on the authority of Abu Hurairah that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him") said: "On the Day of Judgement, Allah will never look at any servant who does not set up his vertebra (in the standing posture) between his bowing and prostration during the prayer." (It is narrated on the authority of Abu Hurairah that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him") said: "Should such of you as turns his face during the prayer not fear that Allah Almighty might change his face into that of a donkey?"

(It is narrated on the authority of At-Tabarani on the authority of Anas and Al-Baihaqi on the authority of Ubadah Ibn As-Samit that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him") said: "He, who offers a prayer just at its stated prescribed time, in which he performs ablution perfectly, offers its related bowings and prostrations perfectly, and proves fully submissive, it then will ascend (to the heaven) as white and joyful, saying: "Might Allah guard you as much as you have guarded me"; and he, who offers a prayer but not at its due time, in which he does not perform ablution perfectly, nor does he offer its related bowings and prostrations in full, nor does he prove submissive, it then will ascend (to the heaven) as black and dark, saying: "Might Allah ruin you as much as you have spoiled me." It remains in such state until when it is wherever Allah Almighty wills it to be, it will be folded in the same way as a shabby dress is folded, therewith his face will be beaten."

(It is narrated on the authority of both Ahmad and Al-Hakim on the authority of Abu Qatadah that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be

upon him") said: "The worst among thieves is he, who steals from his prayer." According to Ibn Mas'ud and Salman "Allah be pleased with them": "The prayer is like the measure: whoever gives a full measure (has the right to) ask for full measure (of reward); and he, who deals with fraud, knows what Allah Almighty says about those who deal with fraud."

The Excellence Of Offering Prayer In Congregation

(It is unanimously narrated on the authority of Ibn Umar that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him") said: "The (reward received by him who offers) prayer in congregation is twenty-seven degrees superior to that (received by him who offers) prayer alone." (It is narrated by Al-Bukhari and others on the authority of Abu Hurairah that Allah's Apostle "Allah's blessing and peace be upon him") said: "By he in Whose Hand my soul is! I was about to order for collecting firewood and then order Someone to pronounce the Adhan for the prayer and another to lead the prayer. Then I would go from behind and burn the houses of men who did not present themselves for the (compulsory congregational) prayer. By he, in Whose Hands my soul is! If anyone of them had known that he would get a bone covered with good meat or two (small) pieces of meat present in between two ribs, he would have turned up for the Isha prayer."

(It is narrated by Muslim on the authority of) Uthman "Allah be pleased with him" that he said, tracing it up to the Prophet: "He, who attends Isha' prayer (in the mosque in congregation) is (to receive a reward) like him who stands (for supererogatory prayers) half a night; and he, who attends Morning prayer is (to receive a reward) like him who stands (for supererogatory prayers) a whole night." (According to an unidentified narration) he (Sa'id Ibn Al-Musayyab) said: "He, who attends even a single (obligatory) prayer in congregation has, indeed, worshipped (Allah) so much from the whole of his breast." According to Sa'id Ibn Al-Musayyab: "No Mu'adhdhin pronounced the Call to prayer since twenty years but that I have been in the mosque (in expectation for the prayer to attend it in congregation)."

According to Muhammad Ibn Wasi': "I have no desire but for three things from all of this world: a brother to set me right whenever I become crooked, a random amount of sustenance with no subsequent burden (to bear), and a prayer to offer in congregation, free from forgetfulness, with its excellence (of reward) written for me." It is narrated that once Abu Ubaidah Ibn Al-Jarrah led a people in prayer, and when he finished he said: "Satan has kept (whispering evil suggestions into my mind) until it was made alluring to me to see that I have superiority to others: I will never lead prayer once again."

According to Al-Hassan: "Pray not behind a man who do not address himself to the gatherings of the learned men." According to An-Nakh'i: "The parable of him who leads people in prayer with no knowledge is like the parable of him who measures the water in the sea, without knowing how to distinguish its augmentation from its reduction." According to Hatim Al-Asamm: "Once, I missed (an obligatory) prayer in congregation in the mosque, thereupon Abu

Ishaq Al-Bukhari consoled me; even though if a son of mine died, as many as ten thousand would console me; and that's because the calamity of religion is easier, in the sight of the people, than that of the world." According to Ibn Abbas: "He, who hears the Call to prayer and he does not respond (by going to attend the prayer in the mosque), and thus he intends no good, no good will be intended for him." According to Abu Hurairah: "It is much better for mankind to have his ears filled with melted lead than to hear the Call to prayer and give no response to it (by going to attend the prayer in the mosque)."

It is narrated that once Maimun Ibn Muhran went to the mosque (to offer prayer in congregation) thereupon it was said to him: "The people turned away (after they had finished from the prayer)." On that he said: "We all belong to Allah, to Whom we return! The excellent reward of this (obligatory congregational) prayer is much dearer to me than the governorship of Iraq."

(It is narrated by At-Tirmidhi on the authority of Anas that the Prophet) said: "He, who offers (obligatory) prayers in the mosque (in congregation), for forty days, during which no single Takbir of assuming prayer skips him, Allah Almighty writes for him two clearances: one from hypocrisy and the other from the fire of Hell." It is said that when it will be on the Day of Judgement, some people will be mustered, with their faces (as shining as) a brilliant star, whom the angels will ask: "What were your deeds (in the world)?" they will say: "Whenever we heard the Call to prayer, we would soon stand to perform ablution and nothing will divert our attention from it." Another sect will be mustered, with their faces (as glittering) as the moons, and they will say in reply to the same question: "We used to perform ablution before the due time (of every obligatory prayer)." Another group will be mustered, with their faces (as bright) as the sun, and they will say: "We used to hear the Call to prayer while being in the mosque." It is narrated that the righteous predecessors used to console themselves for three days whenever they missed the Takbir of the first (rak'ah), and for seven days whenever they missed a congregational prayer.

The Excellence Of Prostration

(It is narrated by Ibn Al-Mubarak on the authority of Damrah Ibn Habib that) the Messenger of Allah said: "The servant never draws near unto Allah Almighty with anything more excellent than prostration which he performs in solitude." (It is narrated by Ibn Majah on the authority of Ubadah Ibn As-Samit that) the Messenger of Allah said: "There is no Muslim who performs even a single prostration to Allah Almighty (in the prayer) but that therewith Allah Almighty raises him a degree higher, and removes a sin from his account." It is narrated (by Muslim on the authority of Rabie'ah Ibn Ka'b Al-Aslami) that a man said to the Messenger of Allah: "Invoke Allah to make one of the deserts of your intercession, and confer upon me the blessing of your companionship in the Garden." On that he said to him: "Then, address yourself to performing prostrations (in prayer) so much."

It is said (according to the narration of Muslim on the authority of Abu

Hurairah) that a servant becomes the closest to Allah Almighty when he is in the posture of prostration; and this is the significance of Allah's statement: "But prostrate yourself in adoration, and bring yourself the closer (to Allah)!" (Al-Alaq 19)

﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴾

He further says: "On their faces are their marks, (being) the traces of their prostration." (Al-Fat-h 29)

﴿ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾

It is said that this refers to such of earth as sticks to their foreheads because of prostration; and it is also said, and it is more right, that it refers to the light of submission, which shines from the inward and is reflected upon the outward; and it is said that this refers to the spots of light which they will have on their faces on the Day of Judgement, resulting from the traces of ablution.

(It is narrated by Muslim on the authority of Abu Hurairah that) the Messenger of Allah said: "When a son of Adam recites (the Surah of) As-Sajdah and falls in prostration, Satan moves aside and goes on weeping and saying: "Woe to me! This (mankind) was commanded to fall in prostration (to Allah) and he did accordingly, thereupon the Garden is assured to him; and I was commanded to fall in prostration (to Allah) and I disobeyed, thereupon the fire (of Hell) is assured to me."

It is narrated that Ali Ibn Abdullah Ibn Abbas used to perform nearly one thousand prostration everyday, and it is for this that he was called the Ever – Performer of prostration. It is narrated that Umar Ibn Abd Al-Aziz used not to prostrate but on the earth. It is further narrated that Yusuf Ibn Asbat said: "O assembly of young men! Hasten to (offer as much bowings and prostrations as you can) during the time of your health before the disease (hinders you), for indeed, there remains none whom I might envy but he who performs his bowings and prostrations perfectly, from which I have been obstructed (because of my illness)." Sa'id Ibn Jubair said: "I never grieve for leaving anything in this world other than prostration."

According to Uqbah Ibn Muslim: "There is no quality in a servant much dearer to Allah Almighty than that of a man who loves to meet Allah Almighty; and there is no moment, during which the servant is the closest to (the Presence of) Allah Almighty than that in which he is falling in prostration." According to Abu Hurairah: "The servant becomes the closest to (the Presence of) Allah Almighty when he is falling in prostration: so, invoke (Allah) so much while being in such posture."

The Excellence Of Submission

Allah Almighty says: "And establish regular prayers for celebrating My Praises." (Ta Ha 14)

﴿ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِى ﴾

He further says: "Be not of the heedless." (Al-A'raf 205)

﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾

He says too: "Approach not the prayer with your minds befogged until you understand what you say." (An-Nisa 43)

﴿ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾

It is said that mind's being befogged refers here to the severe anxiety, or to the love of this world according to another opinion. But according to Wahb: it is the exoteric meaning of the word which is intended here, since it highlights the intoxication under whose effect one might fall in this world, showing the reason by His statement "Until you understand what you say".

Many are the praying men who do not drink wine even though they understand not what they say in their prayer. (It is narrated in both Sahihs on the authority of Uthman that) the Messenger of Allah said: "He, who offers a two-rak'ah prayer, during which he does not think of anything of (the pleasures and delights of) this world, all of his earlier sins will be forgiven for him." (It is narrated by At-Tirmidhi and An-Nasa'i on the authority of Al-Fadl Ibn Abbas that) the Messenger of Allah said: "Verily, the prayer is (to show) meekness, submissiveness, humility, imploration, moaning, drinking in the company (of Allah Almighty), and placing one's hand (with their inside towards the sky) while invoking: "O Allah! O Allah!" and whoever does not do so, his (prayer) will be defective."

According to some previous Scriptures, it is related from Allah Almighty that eh said: "I accept not the prayer of everyone, but rather I accept only the prayer of him who humbles himself before My Greatness and Magnificence, behaves not arrogantly towards My servants, and feeds the hungry poor just for the Sake of My Countenance." (It is narrated by both Abu Dawud and At-Tirmidhi on the authority of A'ishah that the Messenger of Allah) said: "Verily, the prayer has been enjoined, performing Hajj and circumambulation has been imposed and the rituals have been made ceremonial just for the celebration of the Praises of Allah Almighty." For this reason, if there is no feeling of greatness and reverence towards the celebrated One, that is the ultimate and intended goal, what is then the significance do your celebrations have?

(It is narrated by Ibn Majah on the authority of Abu Ayyub, and Al-Hakim on the authority of Sa'd Ibn Abu Waqqas that the Messenger of Allah) said to him whom he was giving advice: "And when you offer prayer, let it be the prayer of him who is going to leave (this world immediately)" i.e. he should leave himself, leave his desires and passions, leave his life, and rather going to meet his Protector, just as Allah Almighty says, in confirmation to that: " O man! Verily you are ever toiling on towards your Lord, painfully toiling, but you shall meet Him." (Al-Inshiqaq 6)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾

He further says: "So fear Allah; for it is Allah that teaches you. And Allah is well acquainted with all things." (Al-Baqarah 282)

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾

He says too: "And fear Allah, and know that ye are to meet Him (in the Hereafter), and give (these) good tidings to those who believe." (Al-Baqarah 223)

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾

(It is narrated on the authority of Al-Hassan, Ibn Abbas and Ibn Mas'ud that the Prophet) said: "He, whose prayer does not forbid him from doing what is shameful and wrong, will not become but farther from (the Presence of) Allah Almighty." Therefore, since prayer is a private conversation (and dialogue between one and his Lord): how should it be in the presence of heedlessness? According to Bakr Ibn Abdullah: "O mankind! If you like to enter into your protector and master with no leave nor interpreter you might do so." It was said: "How should this be?" he said: "If you perform your ablution perfectly, and enter your praying place (and assume prayer), you will have entered into the Presence of your Protector and Master with no leave, and talked to Him with no interpreter."

According to A'ishah "Allah be pleased with her": "The Messenger of Allah "Peace be upon him" used to speak with us as well as we with him, and once the prayer is due he would (cease to talk to us and) seem as if he was not familiar with us as well as we were not with him." This is because of his being occupied by the Greatness and Magnificence of Allah Almighty. (According to an unidentified narration the Prophet) said: "Allah Almighty never accepts a prayer (from anyone) in which one does not bring his heart (in willing submission) together with his body." It is reported that whenever (the Prophet) Abraham, Allah's Blossom Friend stood to offer prayer, the groaning of his heart would be heard from a two-mile distance. Whenever Sa'id At-Tanukhi went on his prayer, the tears would not cease to flow from his cheeks on his beard.

(It is narrated by At-Tirmidhi on the authority of Abu Hurairah that) once the Messenger of Allah "Peace be upon him" saw a man playing with his beard (during his prayer), thereupon he said: "Had the heart of that man been submissive, surely, his organs would subsequently have become submissive." It is narrated that once Al-Hassan saw a man playing with the pebbles (in his prayer) and saying: "O Allah! Help me get married to the beautiful women of lustrious eyes (in the Garden)!" on that he said: "How bad betrother are you! Do you ask to marry the beautiful women of big lustrious eyes while you are playing with the pebbles?"

It was said to Khalaf Ibn Ayyub: "do the flies not harm you during your prayer, with the result that you are forced to drive them away from you?" he said: "I never habituate myself to do anything to corrupt my prayer." He was asked: "Then, how do you keep patient on that?" he said: "I was informed that

the wicked ones persevere under the whips of the magistrates in order to be said about them: "So and so is patient" and of course, they are proud of that." Therefore, since I'm standing before my Lord: should I move for a (little thing as trivial as a) fly?"

It is narrated from Muslim Ibn Yasar that whenever he intended to pray, he would say to his family: "You might continue speaking if you so like, for I will not hear you (as I will be wholeheartedly engaged in my prayer)." It is narrated from him that once he was offering prayer in the mosque of Basrah when one of its sides collapsed, to which the people gathered, while he made no sense to that until he finished from his prayer and turned away. It is narrated from Ali Ibn Abu Talib "Allah be pleased with him" that whenever the time of prayer was due, he would be shaken and the colour of his face would change. He was asked: "What is wrong with you O Commander of Believers?" he said: "Now it is time for the trust which Allah Almighty offered to the heavens, the earth and the mountains to bear, but they felt afraid of it, and rejected to bear it, even though I (as one of mankind) have carried it."

It is narrated from Ali Ibn Al-Hussain that whenever he performed ablution, his face would turn yellow. His family asked him: "What is that which afflicts you whenever you perform ablution?" he said: "Do you know before Whom I'm going to stand?" it is narrated on the authority of Ibn Abbas "Allah be pleased with both" that (the Prophet) David said in his dialogue: "O my God! Which (of Your) servants does inhabit Your House? And from whom do you accept prayer?" Allah Almighty revealed to him that "O David! The one who inhabits My House, from Whom I accept prayer is he, who humbles himself before My Greatness and Magnificence, spends his day on celebrating My Praises, and refrains from desires just for My Sake; who feeds the poor hungry, gives shelter to the alien, and has mercy towards the stricken person: it is he, whose light shines in the sky as clear and bright as the sun: if he invokes Me, I will respond to his invocation, and if he asks Me, I shall give him. I provide him with patience whenever he falls victim of ignorance, and remind him whenever he is given to heedlessness, and give him light in the midst of darkness. His parable among the people is like the parable of Paradise at the highest position of the Gardens, whose rivers never get exhausted, and whose fruits never change."

It is narrated from Hatim Al-Asamm that he was asked about his prayer and he said: "When it is time for prayer, I perform ablution perfectly, and go to the very place where I intend to pray, and sit down until all of my organs will be brought together (in willing submission). Then, I stand to offer prayer, making the Ka'bah in front of my forehead, the bridge underneath my feet, the Garden on my right and the fire (of Hell) on my left, and the angel of death on my back, thinking it to be the last prayer (I will offer in this world). Then, I stand in the hope and fear, and glorify Allah with an evident Takbir (of assuming prayer), recite the Qur'an in a quivering tone, bow myself humbly, fall in prostration submissively, then sit on my left hip and spread the back of the left foot, set up

the right foot on the biggest toe, and observe sincerity in all of that; but even, I do not know whether it will or will not be accepted from me."

According to Ibn Abbas "Allah be pleased with him": "A brief two-rak'ah prayer one offers proportionately with thoughtfulness is better than standing for a whole night (to offer supererogatory prayers) with the heart heedless."

The Excellence Of Mosques And Places Of Worship

Allah Almighty says: "The mosques of Allah shall be visited and maintained by those who believe in Allah and the Last Day." (At-Tawbah 18)

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴿١٨﴾ ﴾

(It is narrated by Ibn Majah on the authority of Jabir that the Messenger of Allah) said: "He, who constructs a mosque even (as small in area) as a pigeon's nest just for the Sake of Allah, Allah will construct for him a palace in the Garden." (It is narrated by At-Tabarani on the authority of Abu Sa'id that the Messenger of Allah) said: "He, who familiarizes himself with (visiting) mosques (regularly) Allah Almighty adheres to him in love." (It is unanimously narrated on the authority of Abu Qatadah that the Messenger of Allah) said: "Let him who enters the mosque offer a two-rak'ah prayer before he sits down."

(It is narrated by Ad-Daraqatni on the authority of both Jabir and Abu Hurairah and Al-Hakim on the authority of Abu Hurairah that the Messenger of Allah) said: "There is no prayer (to be accepted from) him who lives within the vicinity of the mosque unless it is offered in the mosque." (It is narrated on the authority of Abu Hurairah that the Messenger of Allah) said: "The angels keep asking for Allah's Prayer upon such of you as is still in the same praying place in which he offers prayer, saying: "O Allah! Send Your Blessings upon him! O Allah! Forgive him! O Allah! Bestow mercy upon him!" as long as he does not break his ablution or come out of the mosque." (It is narrated by Ibn Hibban on the authority of Ibn Mas'ud and Al-Hakim on the authority of Anas that the Messenger of Allah) said: "Towards the end of time, some of my nation will appear whose habit will be to go to the mosques and sit in the form of ring-shaped gatherings, celebrating the (vanities of) this world and how they love it. Sit not with them, for Allah is not in need of their celebration."

(It is narrated by Abu Na'im on the authority of Abu Sa'id that the Messenger of Allah) said: Allah Almighty said in one of His Scriptures: "The mosques are My Houses on earth, and their inhabiters are My visitors: blessed be a servant who gets purified and performs ablution in his house and comes to visit Me in My House: it is incumbent upon the Host to deal generously with His visitor." (It is narrated by At-Tirmidhi, Ibn Majah and Al-Hakim on the authority of Abu Sa'id that the Messenger of Allah) said: "If you see a man having addressed himself to visiting the mosque regularly, you should bear witness that he is a faithful believer." According to Sa'id Ibn Al-Musayyab: "When one is sitting in the mosque, he, in fact, is sitting in the Presence of his Lord, and thus it is incumbent upon him to say but what is good."

It is related (according to an unidentified narration): "The talk in the mosque devours the good deeds in the same way as the animals eat the grass." According to An-Nakh'i: "It has been thought that walking in the dark night towards the mosque assures the Garden." According to Anas Ibn Malik: "He, who lights up a lamp in the mosque, the angels and the Throne carriers keep asking for Allah's Forgiveness for him as long as its light is still in the mosque." According to Ali "Might Allah honour him": "When a servant dies, his praying place on earth, and the ascender which raises up his deeds in the heaven weep on him." He recited Allah's saying: " And neither heaven nor earth shed a tear over them: nor were they given a respite (again)." (Ad-Dukhan 29)

﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

According to Ibn Abbas: "The earth weeps on such for forty mornings."

According to Ata' Al-Khurasani: "No servant performs even a single prostration on a certain spot of the land but that it will bear witness in his favour on the Day of Judgement, and weep on him on the day he dies." According to Anas Ibn Malik: "There is no spot of the land on which Allah Almighty is remembered, whether through offering prayer or celebrating His Praises but that it shows pride over such of areas as surrounding it, and receives the glad tidings with the celebration of the Praises of Allah Almighty to its farthest point in the seventh earth; and no servant stands to offer prayer but that the land get embellished for him. It is said that no descending place on earth in which a people alight but that such descending place comes to invoke for Allah's Blessing upon them (in case they offer prayer in it) or for Allah's Curse upon them (in case they do not offer prayer in it)."

CHAPTER TWO :ON THE OUTWARD ACTS OF PRAYER BEGINNING FROM TAKBIR AND WHAT IS PRIOR TO IT

Once a praying man finishes from performing his ablution, and purifying his body, the place (in which he will pray) and garment from filth, and covering his privates from the knee to the umbilicus, he should stand erect and turn his face towards the direction of the Qiblah, making a space between his feet, without joining them, for this was considered a good sign for the man's religious knowledge. Furthermore, it is forbidden to bind both feet together as if they were in fetters, as well as to lift one of both legs. In relation to the first case, Allah Almighty says: "And you will see the Sinners that day bound together in fetters." (Abraham 49)

﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ ﴾

As for the other, He Almighty says: " Behold, there were brought before him, at eventide, coursers of the highest breeding, and swift of foot." (Sad 38)

﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ ﴾

This is what should be observed as far as his legs are concerned on standing.

He should also be eager to set up his knees and the part of his body where the belt is tied up. As for his head, he could leave it upright at the same level of his standing if he so likes, or get it down if he so likes, even though the latter is closer to submission and more ready to make one lower his gaze. Let him restrict his sight only to the praying place on which he is offering prayer. But if he has no praying place, let him come close to the wall, or draw a line, since this shortens the range of sight, and refrains one from the distraction of mind. Let him further restrain his sight from surpassing the limits of the praying place or the line which he has drawn. As such let him keep standing until it is time for bowing: this is the etiquette of standing (in prayer).

When he is upright in his standing, facing (the Qiblah) and lowering his head, let him then recite "Say: 'I seek refuge with the Lord of Mankind...",

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ ﴾

For this safeguards him from the devil. Then, let him pronounce the prayer establishment (Iqamah). But in case he expects that anyone will pray behind him, let him first pronounce the Call to prayer (Adhan) and have the intention (to offer prayer), i.e. to intend to offer Zhuhr prayer, for example, saying with his heart: "I've intended to offer the obligation of Zhuhr prayer for the Sake of Allah Almighty", distinguishing it thereby from his statement: "I've intended to compensate the prayer ", and the obligatory from the supererogatory, and Zhuhr prayer from Asr prayer, and so on. Let the concepts of those words be fully present in his heart, since with which the intention is held, and the words are but reminders and causes of its presence.

Let him firmly endeavour to keep on such a state until the end of *Takbir*, in order not to loose submissiveness. Once all of that is current in his heart, let him raise his hands up to the level of his shoulders after letting them loose in such a way as to make his palms alongside his shoulders, his thumbs alongside his earlobes, and his fingertips the tips of his ears, in order to agree with the different narrations which have come down in this respect. Let him turn both his palms and thumbs to the direction of the Qiblah, spreading the fingers in such a way as not to withdraw them nor make artificial spaces between them, nor join them so much as to stick to each other: he should let them free as they are by nature, since the narrations which have come down refer to both spreading and withdrawing; and such a state as in which one should make his fingers lies between both extremes, which is more fitting. Once both hands are rested in their very place, one should start *Takbir*, letting them loose afterwards, in the presence of intention.

Let him then place both his hands on the area between his umbilicus and breast, putting the right on the left, out of honouring the former by being carried by the other, spreading both his index and middle fingers along the forearm, and gripping his left elbow with the help of his thumb, little finger and ring finger. However, the various narrations which have come down to us make it permissible to utter Takbir with different states such as raising, resting

or even letting loose the hands, and there is no harm in doing any of that. But even, letting loose the hands is thought to be more proper, since it acts as the word of contract, and placing one hand over the other acts as its form. Thus it starts with letting loose the hands, and ends with placing one over the other, in the same way as the word of *Takbir* 'Allahu Akbar (Allah is Greater)' starts with (the Arabic letter) Alif and ends with Ra'. For this reason, it is more convenient to make the act compatible to the contract. Therefore, raising both hands is regarded as preliminary to this commencement.

On the other hand, whilst uttering *Takbir*, one should not raise his hands very high in such a way as to bring them forward towards his front, nor should he bring them backward behind his shoulders, and on finishing from *Takbir*, he should not move them rightward nor leftward: on the contrary, he should let them fall freely and gently, placing his right hand on his left. According to a certain narration whenever he (the Prophet) uttered *Takbir* (of assuming the prayer) he would let his hands fall freely, and whenever he intended to recite, he would place his right hand over his left. If this is right, it is more fitting to be adopted than what we've mentioned.

As to the way of the pronunciation of *Takbir*, it should be uttered articulately with each letter pronounced clearly and distinctively: he should gently stress the accent "ٱ" which is attached to the letter 'ه' at the end of the word "اللهُ", without making it a long vowel or inserting the letter 'ا' in between both 'ب&ر' in the word 'أكبر'. Moreover, let him stop at the Ra of Takbir. This is the way of uttering *Takbir* and what relates to it.

The Recitation

Let one start with the invocation of inauguration; and in order to agree with the different narrations which have come down in this respect, it is better for him to say after "Allah is Greater": "Allah is Greater as grand as it should be; praise be to Allah as much as it should be; and glory be to Allah every morning and evening: I have, firmly and truly, set my face to Him Who has created both the heavens and the earth...and I'm from these who bow their will (to Allah in Islam). "Then, let him say: "Glory be to You O Allah, with Whose Praises (I Exalt You): Blessed be Your Name, and Exalted be Your Glory, and Hallowed be Your Praises: there is no god (to be worshipped) but You. But in case he is praying behind the imam, let him reduce that if the imam's interval is not long enough for him to recite all the invocation.

Then, let him recite: "I seek refuge with Allah from (the evil of) Satan, the despised." Then, let him recite the Opening of the Book, beginning with "In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful" with observation of uttering all of its stresses and letters in full articulation, doing his best to differentiate in pronunciation between the letters 'ض&ظ'. After finishing from it, let him conclude with "Amen", which he should prolong, and not join with "nor those who go astray" (i.e. he should make a short interval between both).

On the other hand, let him recite aloud in the Morning, Maghrib and Isha'

prayers, unless he is praying behind an imam (for in this case the imam's recitation suffices him), but he should utter "Amen" aloud. After that, let him recite a short Surah or as much as what is equal to no less than three Holy Verses and more, joining not the end of the Surah (which he is reciting) with *Takbir*: but let him rather make an interval between them, as short as is sufficient for him to say: "Glory be to Allah". Let him recite from the Mufassal the long Surahs in the Morning Prayer, short Surahs in the Maghrib prayer, and in Zhuhr, Asr and Isha' such Surah as Al-Buruj, and the like of it. In the Morning prayer on journey, let him recite such Surahs as "Say: O you who reject faith" and "Say: He is Allah, the One and Only"; and the same applies to both rak'ahs of Fajr, circumambulation and salutation (of the mosque). In all of that, he should keep standing, and placing both his hands in the way we've described earlier in the first section of the chapter.

The bowing and its appurtenances

After that, he should perform bowing, with the observation of the following: first, let him utter *Takbir* for bowing, whilst raising his hands just with the utterance of Takbir, which he should prolong until he comes to the bowing posture. Then, let him place both his palms on his knees during bowing, spreading his fingers along his legs towards the direction of the Qiblah. Let him also set up his knees, and not fold them, and straighten his back, making both his neck and head at the same straightness of his back, just as if it were one side, with his head not higher nor lower. The male should keep his forearms far from his sides as much as he could, but the female should join hers to her sides. Then, let him say: "Exalted be my Lord, Most Great" at least thrice, and an optional addition up to seven or even ten times is better unless he is not an imam.

Then, let him rise up from bowing posture to the standing posture, raising his hands and saying: "Allah hears such as praises Him." After he feels at ease in that position of standing erect, let him say: "O our Lord! To You be the praise, as much as to fill the heavens, fill the earth, and such of things as You like beyond that." But let not him prolong such standing unless it is in the prayers of Tasbih (Exaltation), Eclipse, as well as the Morning prayer, in which he should practice Qunut in the second rak'ah just before falling in prostration with the help of the famous related statements.

Then, let him fall down in prostration, whilst uttering *Takbir*, placing his knees, forehead, nose and palms on the ground, making his *Takbir* synchronous with his falling down. He should not raise both his hand except on bowing. Let his knees be the first part of his body to fall down the touch the ground, followed by his palms, and then his face, on the condition that both his forehead and nose should touch the ground. Let the male further keep his arms aloof from his side as possible as it could be, make a space between his legs and knees, lift the abdomen up to a level higher than both thighs, even though the female should do the opposite of all of that. Then, let him place both his hands on the ground at the same level of his shoulders, making no spaces between his fingers, which he

should join together, with the thumb. But in case he does not join his thumb to them, there is no harm. However, it is forbidden for him to spread his arms flat on the ground in the same way as a dog does. Then, let him say: Exalted be my Lord, Most High" thrice, and an optional addition will be better unless he is an imam.

Then, let him rise up from prostration to the sitting posture, in which he should feel at ease and sit erect: let him first raise his head whilst uttering *Takbir* and sit reclining against his left leg, setting up his right foot, placing his hands on his thighs, spreading his fingers, without endeavouring to join or make a space between them. While being in that posture as such, let him say: "O Lord! Forgive me, bestow mercy upon me, provide me with sustenance, guide me (to the straight path), relieve me and give me health and power and pardon me." Let not him prolong this sitting barring in the prostration of (the prayer of) Tasbih. Then, let him perform the second prostration in the same way, from which he should rise and gently sit erect for a short period to take rest at the conclusion of every rak'ah after which there is no Testification (Tashahhud).

Then, let him stand up, placing his hand on the ground, moving not forward any of his legs apart from the other whilst raising. Furthermore, let him prolong the utterance of *Takbir* so much as to cover the period from the middle part of his raising from sitting to the middle part of his raising until he arrives at the posture of standing, in such a way as to make 'ه' of 'الله' synchronous to his being erect in sitting, the 'ك' of 'أكبر' to his reclining against his hand to stand up, and the 'ر' of the same word to the middle part of his raising to arrive at the standing posture, so that the *Takbir* lies just in the middle of his moving from the posture of sitting to that of standing, leaving only both ends void of it; and this is much closer to what is common. Then, let him offer the second rak'ah in the same way (as he has prayed the first), repeating the statement of seeking refuge (with Allah from Satan) with which he commenced the prayer.

The Testification (Tashahhud)

After finishing from the second rak'ah, let him recite the first testification (Tashahhud), and invoke for Allah's Prayer and Blessing upon the Messenger of Allah "Peace be upon him" as well as upon his family, placing his right hand upon his right thigh, and withdrawing all of his fingers barring the index, and there is no harm to let loose the thumb. It is just at his uttering the phrase "but Allah" and not "there is no god" that he should beckon with the index finger of his right hand (in indication to monotheism). Whilst uttering this Tashahhud, he should sit on his left leg in the same way as he does in between both prostrations.

As for the last testification, after invoking Allah's Prayer and Blessing upon the Prophet "Peace be upon him", let one recite the well-known related invocation. However, the way of reciting the last testification is the same as that of the first, with the exception that in it he should sit on his left hip, for he is not prompted to stand as is the case in the first: on the contrary, he sits firm. So, let

him lie his left leg outside from underneath his body, and set up his right leg, placing the top of the big tow towards the direction of the Qiblah, unless it is difficult for him to do so.

Then, let him say: "Peace, and Allah's Mercy be upon you", turning rightward so much as to make his right cheek visible from behind his right side, and then turn leftward in the same way, with another end salutation, having the intention to come out of the prayer. By turning rightward and paying salutation for the first time, he intends the angels and the faithful believers and Muslims, and by his turning leftward and paying salutation for the second time he intends the same. Furthermore, let him utter the salutation swiftly and not slowly, for this is out of the right way of sunnah. This is the way an individual prays alone, in which he should raise his voice with *Takbir*s, even though as high enough as to be able to hear himself.

On the other hand, the imam should intend to lead the prayer in order to obtain superiority, but if he does not do, the prayer of those who pray behind him will be considered as valid, particularly in case they intend to follow him in prayer and thus they will obtain the superiority of congregational prayer. Then, let the imam recite the invocation of inauguration and seeking refuge (with Allah from Satan) in a low tone, like him who prays alone, and recite aloud the Opening of the Book (Al-Fatihah) in addition to a Surah (from the Qur'an) in both rak'ahs of the Morning prayer, and the first two of both Maghrib and Isha' prayers, the same as he who prays alone does. Let him also utter "Amen" aloud in those rak'ahs in which he recites aloud.

He who prays behind the imam should also do the same, making his "Amen" synchronous to that of the imam. After finishing from reciting Al-Fatihah, the imam should keep silent for a short interval to take his breaths and give opportunity to him who prays behind him to recite Al-Fatihah in a low tone, in order to be ready to pay his attention to the imam's recitation. He who prays behind the imam should not recite the Surahs in the prayers in which the recitation is aloud unless he is not able to hear the voice of the imam.

On raising his head from bowing, the imam should say: "Allah hears such as praises Him", and so should do he who prays behind him. Furthermore, let his Tasbihs (Exaltations) in both bowing and prostration be no more than three. Let him also in the first Tashahhud say nothing more after his invoking Allah's Blessing and Prayer upon Muhammad and upon the family of Muhammad; and let him recite nothing more than Al-Fatihah in the last two rak'ahs. Let not him make it too lengthy upon the people to bear, nor say anything in his invocation in the last Tashahhud more than bearing testimony to the fact that here is no god but Allah and that Muhammad is His Messenger, and invoking Allah's Prayer and Blessing upon the Messenger of Allah "Peace be upon him".

Let the imam's intention by his salutation be to salute the angels and the people, and let the people's intention by their salutation be to return the greeting to him. Then, let the imam become firm for a while until the people finish from their salutation, after which let him face them. it is much better for him to remain

when there are women praying behind men, until they turn away before him. Let none of the praying people stand and turn away before the imam stands and turns away rightward or leftward as if he likes, even though turning from the right side is much dearer to me.

Let not the imam favour himself with the supplication in the Qunut of the Morning Prayer: but rather, let his invocation include the praying people behind him like: "O Allah! Guide us (to the right way)" which he should recite aloud, with the people praying behind him saying "Amen", raising their hands alongside their breasts, and passing the hands over the faces at the conclusion of supplication, depending upon a certain narration which has been handed down in that respect, otherwise, it is customary not to raise the hand, as it is the case at the conclusion of Tashahhud.

The Taboos

The Messenger of Allah "Peace be upon him" forbade the following in the prayer: he forbade Safn, i.e. to raise one leg apart from the other; Safd, i.e. to bind both feet together as if in a fetter. He forbade practicing Iq'a', which is, according to the linguists, to sit on both hips and set up both knees and place both hands on the ground in the same way as a dog does, and according to the traditionists, to sit on both legs, with only the tips of toes and both knees on the ground.

He also forbade Sadl, and it is, according to the traditionists, to wrap oneself in his garment and get his hands into it and bow and prostrate as such. However, this was the custom of the Jews in their prayer, thereupon they (the Muslims) were forbidden to imitate them. The same is true of the shirt with which one should not wrap himself and offer bowing and prostration with his hands inside it. It is said also that it means that one puts the middle portion of the upper garment on his head, and let both its ends fall on his right and left sides, leaving nothing of it on his shoulders. But the former concept is nearer to the truth.

He further forbade Kaft, which is to tuck up his garment from between his hands or from behind his back whenever he intends to prostrate. This also applies to the hair, and thus one should not pray while raising his hair, even though this forbiddance is limited to men. According to an authentic narration (the Messenger of Allah "Peace be upon him") said: "I was commanded to prostrate on seven parts of the body, and not to tuck up hair or garment." Ahmad Ibn Hanbal disliked that one should put his lower garment over his shirt in prayer, seeing that it belongs to Kaft.

He forbade Ikhtisar, i.e. to place one's hands on his flanks. The Messenger of Allah also forbade Salb, i.e. to put one's hands on his flanks while standing, making a space between his forearms and sides. He forbade Muwasalah which is divided into five aspects, two of which are due upon the imam, i.e. not to join his recitation with the Takbir of assuming the prayer, and not to join his bowing with his recitation; and two are due upon him who prays behind him, i.e. not to join

the Takbir of assuming the prayer with the Takbir of the imam, and not to join his End Salutation (Taslim) with the imam's; and one is common between them, i.e. not to join the first salutation (Taslim) which is obligatory with the last one, and he rather should make a short break between both.

He further forbade that one should pray while being constrained by urine or excrement. The prayer of him who is putting on a narrow footwears is also forbidden. That's because all of those things hinder one from submissiveness; and of course, this applies to the prayer of the hungry or the distressed worried person. The forbiddance of the prayer of the hungry is understood from the narration (of Ibn Umar and A'ishah in which the Messenger of Allah said): "When the supper is served and the Isha' prayer is established, you should start with having your supper unless there is no enough time." According to another narration: "Let none of you enter the prayer while being frowned (out of anxiety), and let none of you offer prayer while being angry."

According to Al-Hassan: "Every prayer in which the heart is not submissive is much swifter to lead to punishment." According to another narration: "There are seven things caused by Satan in prayer: nose-bleeding, slumber, whisper of evil thought, yawning, scratching, turning sideways, and playing with things" and (forgetfulness and suspicion" according to some additions. According to one of the early men: "There are four things one does in prayer out of desertion: turning sideways, passing the hand over the face, leveling the pebbles, and offering prayer in a road where the people pass in front of him."

It is also forbidden in prayer that one should interlace or clack his fingers, or cover his face, or put one of his hands over the other and get them in between his thighs while bowing. In this connection, one of the holy companions "Allah be pleased with them" said: "We did so at first and then we were forbidden to do it." it is also undesirable to blow in the ground on prostrating for the purpose of cleansing it, or to level the gravel with one's hand: all of those are worthless acts.

Furthermore, one should not raise any of his feet and place it over his thigh, nor recline in his standing against a wall, and if he reclines against a wall in such a way as he should fall down on removing that wall, his prayer would be invalid; and Allah Almighty knows best.

The Differentiation between obligatory duties and Traditional Practices Of Sunnah

What have been mentioned include many acts which belong to the obligatory duties, others to the Prophetic practice, some to the etiquette and states which such as seeks after the way to the hereafter should observe. From amongst them, twelve belong to the obligatory duties, i.e. the intent, *Takbir*, standing, reciting Al-Fatihah, bending in bowing so much until one's palms are completely placed over both knees and he feels at east in that position, raising from it and being erect in standing, falling in prostration until one feels at ease in that position, without spreading the arms flat on the ground, raising from it and being upright in sitting, sitting for reciting the last testification (Tashahhud), reciting the last testification

(Tashahhud), invoking Allah's Prayer and Blessing upon the Prophet, and concluding with the first Salutation. for the intent of coming out of the prayer, it is not obligatory; and what is beyond that is not binding so much as it belongs to the Prophetic practice and states which should be observed.

From among the acts which belong to the Prophetic practices of sunnah, a mention might be made of four things: raising both hands on reciting *Takbir* of assuming the prayer, on bending for bowing, on raising for standing, and on sitting for reciting the first Tashahhud. The way of spreading and the limit of raising fingers as we've mentioned them are supplementary to those Prophetic practice; and reclining on both hips and spreading the left leg are supplementary to the sitting; and lowering the head and refraining from turning sideways (in the prayer) are supplementary to the standing, and doing it up. As for the rest sitting, it is not regarded one of the fundaments of the Prophetic practice of acts, for it is like the betterment of raising from the prostrating posture to the standing posture, and thus it is not meant in itself; and it is for this that there is no celebration or invocation particular to it.

There are several celebrations implied in the Prophetic practices of sunnah, such as the invocation of the opening the prayer, seeking refuge (with Allah from the evil of Satan, the despised), the saying of "Amen", all of which are out of the assured practices of the Prophet. But there are other celebrations, which, being out of the sunnah, are of different degrees, such as the recitation of the Surahs in the prayer (after Al-Fatihah), *Takbir*s of moving from a posture to another, Tasbihs (Exaltation) in both bowing and prostration and the celebrations which are said in between them, the first Tashahhud, and invoking Allah's Prayer and Blessing upon the Prophet therein, the invocation at the conclusion of the last Tashahhud, and the last salutation, since four of those should be compensated for (in case of being elapsed) with the prostration of forgetfulness.

But there is only one act (which might be dealt with similarly), i.e. the first sitting for reciting the first Tashahhud, which is very influential in the sequence of the parts of the prayer at least in the sights of its beholders, since with which the four-rak'ah prayer might be distinguishable from that which is not, unlike raising both hands, which has no effect in that respect; and for this reason, those influential acts are called particles. In this context it is said that the particles should be compensated with prostration, even though all the celebrations and exaltations do not require the prostration of forgetfulness (in case they are missed) barring three: the Qunut, the first Tashahhud, and invoking Allah's Prayer and Blessing upon the Prophet therein, unlike *Takbir*s of moving from one posture to another, Tasbihs of both bowing and prostration, and the celebrations in between them.

That's because both bowing and prostration, in their very form, do not correspond to the habit and it is with them that the worship is achieved, even in the absence of Tasbihs and *Takbir*s of movement; and in this way, the absence of those Tasbihs does not change this form of worship. The same does not apply to the sitting for reciting the first Tashahhud, which corresponds to the habit, and

its purpose is just for reciting Tashahhud. For this reason, leaving it is clearly influential. Therefore, leaving both the supplication of opening the prayer and reciting the Surah has no effect, seeing that the standing is inhabited with Al-Fatihah, by which it might be distinguishable from the habit.

The same is true of the supplication in the last Tashahhud, and the Qunut, which might unlikely be compensated for with prostration. But it is for it that prolonging the posture of standing straight in the Morning prayer has been laid, just like prolonging the rest sitting, which has become, after having being prolonged, and in the presence of Tashahhud, a sitting for reciting the first Tashahhud. In this way, this prolonged standing (in which Qunut is practiced in Morning prayer) has become usual in which no celebration is obligatory. To mention such prolonged standing of Morning prayer is to leave out the posture of standing in prayers other than the Morning, and its being void of any obligatory celebration is to keep away from the basic standing in the prayer.

Nevertheless, you might say: "Of a surety, it is reasonable to differentiate the obligatory duties from Prophetic practices of sunnah, since in the absence of the former the prayer becomes invalid, and the punishment is decided in accordance with it, and this is not true of the sunnah. But, it is meaningless to differentiate a certain item of sunnah from another, even though all are commendable, and there is no punishment for leaving all of them, and each of them brings about reward when it is done."

It should be known to you then that their sharing in reward, punishment and even commendation do not cancel out their difference; and let's explain this fact to you with the following example: a man could not be a human being of full entity except through an inward content and outward organs. The inward content includes both life and soul, and the outward organs are the parts of his body. Some of those parts are essential in the sense that in the absence of any of them, the man perishes, such as the heart, the liver and the brain, in addition to each organ with the lack of which the life comes to an end. Some of those parts are not crucial to the life itself so much as to its purposes, such as the eye, the hand, the leg, and the tongue. Some parts are not essential either to the life or to its purposes so much as they are to the beauty, such as the eyebrows, the beard, the eyelashes, and the good colour. Some parts are not essential to the origin of beauty so much as they are to its perfection, such as the bow-form of the eyebrows, the blackness of the beard, the eyelashes, the harmony and proportion of the features, and red-white complexion. Those are the different ranks of the parts of body.

The same is true of the religious service: it is an image painted by law, and we have acquired it by our worship. Its inward soul and life are the submission, the intent, the presence of the heart, and sincerity, as it will be discussed later. But now we are dealing with its outward parts. Bowing, prostration, standing and all the pillars (which are obligatory duties) act as its heart, liver and brain, since in their absence the prayer becomes invalid; and such of Prophetic practices of sunnah as we've mentioned like raising both hands, the invocation of

inauguration, and the first Tashahhud act as its hands, legs, eyes, since in their absence the prayer is still valid, in the same way as life does not come to an end with the lack of those parts; and as well as the man which lacks them becomes disfigured and ugly, and disliked by others, he who restricts himself to the minimum requirements therewith the prayer is valid is like a man who presents to one of the kings a living slave, whose limbs are cut off.

The states which are beyond the traditional practices of sunnah act as the aspects of beauty, like the eyebrows, the beard, the eyelashes and the good colour. The functions of celebrations in those traditional practices of sunnah are supplementary to the beauty, the same way as are the bow-form of the eyebrows, the roundness of the beard, etc. the prayer should be in your sight in the same position of a present or a gift therewith to approach the Presence of the King of all kings, like a chambermaid to be presented to the magistrates by him who seeks after approaching their presence. To be sure, this present is displayed to Allah Almighty (to evaluate), and it will be returned back to you to see on the Day of the Greater Testing; and it is up to you to choose whether to embellish or deface its form, for if you do good, it will be for your benefit, and if you do bad, it is for your loss .

Let not your portion of jurisprudence to know the distinction between what is obligatory and what is out of sunnah, therewith you will not understand from amongst its characteristics what is beyond the fact that there is no sin in leaving it, thereupon you will leave it; for indeed, this is like the statement of a physician: "It is true that gouging out the eyes does not put an end to man's existence", but he does it to be truthful in his hope of approaching the presence of the magistrate, in a form of a gift. In this way you should the different ranks of the traditional practices, states and manners: however, every prayer in which one does not perfect its related bowings and prostrations, will be the first opponent to him (on the Day of Judgement) saying: "Might Allah ruin you in the same way as you wasted me." So, go through the different narrations we've related in the perfection of the pillars of the prayer, perchance its effect might have its influence upon you.

CHAPTER THREE: ON THE INTERNAL CONDITIONS OF THE HEART'S WORKS

In this chapter, let's explain the relationship between prayer and submission and the presence of the heart, and then make a mention of the internal meanings: their limits, reasons, and remedies, and then discuss what should be present in each one of the prayer's pillars, in order to be valid for the provision of the hereafter.

The Exposition Of The Necessity Of Submission And Heart's Presence

It should be known that there are so many proofs for that concept; and a mention might be made here of Allah's statement: "And establish prayer regularly for the celebration of My Praises." (Ta Ha 14)

﴿ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِى ﴾

The obligation of submission appears evident here since heedlessness stands in opposition to celebration: so, how he who proves heedless in all of his prayer be able to establish prayer for celebrating Allah's Praises? He Almighty further says: "Be not of the heedless. "It is forbiddance whose apparent meaning is the prohibition (of heedlessness). He says too: "Until you become well-aware of that which you say." It gives proper justification for forbidding the drunk from offering prayer while being under the influence of intoxication; and of a surety, it applies to the heedless, who is involved in anxiety and concerned with evil suggestions and material thoughts of this world.

The statement of the Messenger of Allah: "Verily, prayer is only (to show) meekness, humility..." restricts the concept to the prayer with the help of the definitive article, and the adv 'only' plays the role of ascertaining and confirming the fact. It plays the same role as it plays in the narration of pre-emption, from which the jurisprudents apply the concept to what is not restricted by exclusion, affirmation or negation. The Prophet said: "He, whose prayer does not forbid him from doing what is shameful and vile will not become but much farther from (the Presence of) Allah." To be sure, by no means should the prayer of the heedless prevent him from committing what is shameful and vile.

He further said: "Many are the standing persons (to perform prayer), whose portion (from their prayer) is no more than fatigue and exhaustion." There is no doubt that it is the heedless who is intended here. He said too: "A servant will have no portion from his prayer more than that of which he is well-aware." The truth of matter here is that the prayer is a private conversation of a servant with his Lord Almighty, according to the different narrations, and of a surety, in no way could the speech of the heedless be regarded as a private conversation.

To explain that, if one is heedless of the obligatory charity, for example, it in itself is in opposition to one's desires and passions, and difficult upon the soul; and so is fasting, in its overcoming the strong and breaking the power of desire, which is an instrument of the devil, Allah's enemy, and thus it is not unlikely that its purpose might be achieved even though with heedlessness; and the same applies to Hajj, whose acts is troublesome and heavy, in which one strives his utmost so much enough that he is vulnerable to suffering, whether the heart is or is not present.

But the prayer has nothing to do other than celebration and recitation, bowing and prostration, standing and sitting. As for the celebration, it is a kind of relationship and private conversation one establishes with Allah Almighty, whose purpose is either to be a dialogue and conversation (with the Lord), or no more than the utterance of letters and sounds, by way of examining the tongue with such act, in the same way as both the stomach and the private parts are examined by refraining (from food and sexual intercourse) during fasting, and the body is with the hard works of Hajj, and the heavy and difficult affliction resulting from

giving the obligatory charity out of one's property, which is the dearest of his possessions. Of a surety, this (latter) division is pointless: how easy it is upon a heedless person to move his tongue with such nonsense, in which there is no examination as it is not a deed.

Therefore, the main purpose is to utter letters and sounds, and this utterance could not be meaningful unless it expresses what lies in one's conscience, and this expression could not accomplished unless the heart is present. What is then the significance of asking Allah to guide us to the straight way in the absence of the heart and in case its real purpose is not the imploration and supplication? Which difficulty is it to move one's tongue with that even though he is heedless particularly when he has been accustomed to such utterances?

This is, however, the rule which governs celebrations. Moreover, let me say that if one, for instance, takes oath to give thanks and praise somebody, and ask him for something, and during his sleep, the words which express the concept of thanks and praises run on his tongue, he will not be considered to have fulfilled his oath; and if those words also run on his tongue in the darkness, in the presence of the other man whom he does not recognize nor see, he also will not be regarded to have fulfilled his oath, since his words could not be regarded as significant speech and dialogue unless he is present in his heart. If those words run on his tongue while the other man is present but he (the speaker) even though in the whiteness of the day, is heedless, as being fully concerned with a certain thought, and his purpose is not to address the other, he will not be regarded to have fulfilled his oath.

Undoubtedly, the purpose of celebration and recitation (in the prayer) is to give thanks and praise, implore and invoke (Allah Almighty), and the addressee here is Allah Almighty; and of course the heart of the heedless is veiled from Him with the veil of heedlessness, which hinders him from Seeing or watching His Glory. Moreover, he is heedless of the Addressee, but his tongue moves, by nature of things: how far is that from the real purpose of the prayer, which has been set to polish the heart, and renew the celebration of Allah's Praises, and affirm the bond of faith through it. This is the rule which governs both recitation and celebration. In brief, there is no way to deny this characteristic as far as utterance is concerned, therewith it is distinguishable from the act.

As far as bowing and prostration are concerned, there is no suspicion that the main purpose of both is to exalt Allah Almighty; and had it been permissible to exalt Allah Almighty while one is heedless of Him, surely, it would have been permissible to exalt an idol placed in front of him, of which he is heedless, or to exalt a wall in front of him, of which he is heedless; and if it is not the exaltation which is intended, there remains only the movement of both the head and the back, in which there is no difficulty for establishing any kind of examination upon which the fundament of religion is based, and with which the faith might be distinguishable from disbelief, and for which it is put forward in sequence before Hajj and all religious service, and because of leaving which one should be killed.

I do not think but that all of this great significance and importance is not

given to prayer depending only upon its outward acts, but also the purpose of the private conversation therein should be implied, therewith it is put forward before fasting, obligatory charity, Hajj, etc, including even the offering of sacrifices which is a self-mortification through deducing from one's property. Allah Almighty says: "It is not the flesh nor the blood (of the sacrifice) which reaches Allah, but it is piety which reaches Him from you." This means that it is the characteristic which prevails over the heart and drives it to comply with Allah's Commands and Orders which is required: what then about the prayer whose acts are meaningless in themselves? This is, to be sure, a good proof for the necessity of the presence of the heart (in prayer).

Nevertheless, you might say: "If you render as invalid the prayer (in which one's heart is not present), and make the presence of the heart an essential condition to hold it valid, you then will have differed from the unanimity of almost all the jurisprudents, who make it not necessary (for the validity of the prayer that one should have) the heart present but only on *Takbir*."

It should be known that, as we've mentioned in the Book of Knowledge, the jurisprudents have nothing to do with the internal acts and deeds, nor they are required to split open the breasts to know what lies within hearts, nor are they responsible for the way to the hereafter: what concerns them is the rules and judgements of religion in accordance only with the external works and deeds of the organs, and of a surety, the external works of the organs (as far as prayer is concerned) is sufficient to cancel out the punishment of killing and the reproach of the ruler; and that it might be of benefit in the hereafter, it is not within the limits of jurisprudence to decide it. Furthermore, there could not be any claim of such unanimity.

It is narrated by Abu Talib Al-Makki on the authority of Bishr Ibn Al-Harith from Sufyan Ath-Thawri that he said: "He, who does not prove submissive in his prayer, there will be no access for his prayer (to be accepted from him)."According to Al-Hassan: "Every prayer in which one has not his heart present is swifter to have punishment inflicted upon him." According to Mu'adh Ibn Jabal: "He, who (addresses himself) intentionally to recognize him who is on both his right and left while being in prayer, no prayer should be accepted from him." According to an unidentified narration, the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "A servant might offer a prayer (in which he is heedless) from which not its sixth nor even its tenth would be written for him; for indeed, it is only that of which a servant is well-aware from his prayer which is written for him."

However, if this narration is transmitted from anyone other than the Prophet, it would be adopted as doctrine: how then should we not adhere to it (seeing that it is narrated from the Prophet)? According to Abd Al-Wahid Ibn Zaid: "The learned men of religion are unanimous on the fact that a servant will have nothing to be written for him from his prayer but that of which he is well-aware from it. "Do you not see how he makes it unanimity? However, what is narrated from the jurisprudents endued with piety and devoutness as well as from the

learned men of the hereafter is beyond calculation.

It is true to refer in this respect to the evidences of law which attest that; and the traditions, narrations and stories which support it is too obvious to explain that condition. Nevertheless, the position of religious and legal verdicts pertaining to the external enjoinment is estimated in accordance with the people's defectiveness: in no way could it stipulate as a necessary condition the presence of the heart in all parts of the prayer, which all but a few fail to achieve. If it is not possible to make the full presence prerequisite (to the validity of the prayer) for necessity, there is no way for him but to make what might be described by its name essential at least to a single moment (in the prayer); and the moment of *Takbir* is the most fitting for it, to which the enjoinment has been limited for this reason.

Therefore, we hope that the state of the heedless in all of his prayers is unlike that of him who leaves prayer entirely, for the former takes the initiative to do the external deed, and has his heart present at a single moment; and how should it not be so, since the prayer of him who offers prayer while his ablution is broken forgetfully is invalid in the Sight of Allah Almighty, even though the reward of his deed therein will be recorded for him, in accordance with his defectiveness and excuse? But even with this hope, it is feared that his state might be worse than that of him who leaves prayer; and how should it not be so, since the situation of him, who attends the service and deals slightly with such presence and speaks with the speech of the heedless scornful is worse than him, who refrains from the service entirely? If the reasons of both hope and fear are contradictory and ready to put man at risk, it is then up to you to choose to be cautious or to indulge. Nevertheless, there is no hope for difference from the jurisprudents in their verdict of the prayer's validity even with heedlessness, since it is done by necessity of verdict, as we've mentioned earlier.

He, who is well-acquainted with the mystery of prayer should know that the heedlessness contradicts it. But we've mentioned in the chapter on the difference between the external and internal knowledge, in the Book of the Principles of Creeds, that the people's defectiveness is one of the important reasons for withholding from disclosing all that is revealed of the mysteries of law. So, let's limit our discussion to this amount, since it is satisfactory to him, who seeks after the way to the hereafter; and it is not our purpose now to address the debater rebel.

The main point here is that the heart's full presence is the spirit of the prayer, and its presence at least on *Takbir* is the slightest thing therewith it survives, and if it is less than that, it will perish, and the more the presence is, the more the spirit is expanded along the different parts of the prayer. Many are the living who are almost dead because of their motionlessness. Generally speaking, the prayer of the heedless barring the moment of *Takbir* is like a motionless living: we ask Allah Almighty for His Good Aid.

The Internal Meanings Therewith The Prayer's Life Is Perfect

It should be known that although those meaning could be expressed in many different ways and statements, they might be included under six things: the full presence of the heart, comprehension, exaltation, reverence, hope and shyness. Let's here make a mention of them in detail, their causes, and the remedy of the way of acquiring them.

As for the details, let's begin with the full presence of the heart, by which we mean that the heart should be fully emptied from anything other than that in which one is supposed to be engaged, and with which he is speaking, in such a way as to have the knowledge of the related act and deed limited to them, without being occupied by anything else. However one's thought is diverted to anything else other than that in which he is supposed to be engaged, even though he remembers it in his heart, of which he is not fully heedless, the heart's presence will then have been achieved.

But to comprehend the meaning of the speech is something beyond the presence of the heart, for perhaps a heart might be present with the word even though not with this meaning. Thus, to have the knowledge of the heart include the word's meaning is what we intend by the comprehension. Undoubtedly, the people are different in that station, for they do not join in the comprehension of the same meanings of the Holy Qur'an and Tasbihs: many are the subtle and nice meanings which a praying man might understand in his prayer, of which he had never thought before it. From this point of view, the prayer has been to forbid one from committing what is shameful and vile, for it makes one realize things which helps him inevitably refrain from committing what is shameful.

As for exaltation, it is something beyond both heart's presence and comprehension, for a man might talk to his servant with his heart present, and he is well-aware of the meaning of his speech, but even without exalting him. That's because the exaltation is something besides both.

As for reverence, it is beyond exaltation, or in other words, it is a kind of fear caused by exaltation, for he who has no fear could not be called reverent. The fear of a scorpion, the bad temper and likewise despicable characteristics of a servant is not described as reverence. What might be described as reverence is the fear of the exalted magistrate, for reverence is a kind of fear whose source is veneration and adoration.

As for hope, there is no doubt that it is something further, for many are the persons who exalt a certain king, whom they respect and whose power they fear, but even they have no hope for his rewards. In this context, a servant should have hope, through his prayer, for the reward of Allah Almighty, in the same way as he should have fear of His punishment because of his indulgence.

Concerning shyness, it is supplementary to all of that, for it originates depending upon the feeling of indulgence or committing a sin; and of a surety, exaltation, fear and hope could be imagined in the absence of shyness, particularly when there is no feeling of indulgence or committing sin.

On the other hand, there are many causes of those six things: it should be known to you that the apprehension is the main cause of the heart's presence, since your heart follows your apprehension in such a way as it never is present but in that which mainly concerns you. Whatever your concern might be the heart is inevitably present willingly or unwillingly, and becomes fully engaged and restrained to it. If one's heart is not present during the prayer, it will not be idle so much as it will be occupied in such matters of this world as with which one is concerned; and there is no way nor remedy for having the heart present but by means of diverting one's main concern to the prayer. One's concern will not be diverted to the prayer unless he is sure of the fact that it is through it that the required objective could be achieved, i.e. to have faith and trust in the fact that the hereafter is much better and more abiding, and that it could not be reachable but only through the prayer.

If to that is added the well-awareness of the triviality and inferiority of this world with all of its affairs and vanities, the heart will come to be fully present in the prayer. It is for likewise reason that your heart will be present once you stand before one of the magistrates who has no power either to benefit or to harm you. But if it is not present at your private discourse with the King of all kings, in Whose Hand is both kingdom (of the earths) and dominion (of the heavens), Who has the power to benefit and harm you, think not that there is no reason for it other than your weak faith: so, strive your utmost to strengthen your faith; and the way to that is not our topic in this discussion.

As to the matter of comprehension, it is caused, after the full presence of the heart, by the addiction of thought and the diversion of mind to perceive the meaning; and its remedy is the same as that of the heart's presence. in addition, one should pay his main attention to the consideration and endeavour to avert the passing thoughts; and the way to avert the passing thoughts is to eradicate their materials, i.e. to keep away from the causes of attracting those passing thoughts; and as long as such materials are not eradicated, the passing thoughts will not be diverted from them. He, who loves a thing remembers it so much. To be sure, the remembrance of the beloved necessarily prevails over the heart. For this reason, it is thought that he, who loves anything other than Allah, his prayer will not be void of passing thoughts.

As for exaltation, it is one of the heart's states which is brought about from the knowledge of two important facts: the knowledge of Allah's Glory and Greatness, and this is one of the main fundaments of faith: however, he who has no faith in Allah's Glory and Greatness will not submit to exalt Him. The second fact is to have knowledge of the soul's despicability and inferiority as being no more than a subjugated slave which is possessed by the Lord. Those two facts lead to submission, humiliation and subjection to Allah Almighty, which might be described as exaltation.

Nevertheless, the state of exaltation and submission could not be held unless the knowledge of the soul's inferiority and contemptibility and the knowledge of the Glory and Majesty of Allah Almighty are joined together.

He who is independent from others, who feels secure against anything that may befall him could probably know the greatness of another, even though he is not in the state of exaltation and submissiveness to him, because the other premise, i.e. the knowledge of the soul's contemptibility and neediness has not been joined with it.

As far as reverence and fear are concerned, they are of a state which is produced in the soul by the knowledge of Allah's Power, Authority and supremacy of His Will, and disinterestedness, as well as the knowledge of the fact that if Allah Almighty has destroyed all the foremost and the last, the former and the latter generations, by no means would this reduce anything from His Dominion even as little as an atom's weight. Besides, he should be well-acquainted with such of distresses and trials as to which the Prophets and saints were vulnerable, in spite of Allah's Power to avert that from them, unlike the kings of the different parts of the earth (who apparently seem as if there were nothing to befall them). In short, the more one becomes knowledgeable of Allah Almighty, the more he becomes reverent and afraid of Him; and this topic will be discussed in more detail in the Book of Fear which is implied in the Quarter of Saviors.

The hope results from the knowledge of Allah's Kindness, Generosity, Bounteousness, encompassing munificence, niceties of making, as well as from the certainty of knowledge of His Truthfulness in His Promise, i.e. the Garden for offering prayer. If one has certainty of faith in His Promise, and knowledge of His Kindness, of a surety, the state of hope will be produced.

The shyness results from one's feeling of indulgence in his religious service, and the knowledge of his failure to fulfill the great rights of Allah as they should be fulfilled. This should be strengthened by the awareness of the soul's defects and shortcomings, lack of sincerity, impiety of innermost, inclination, in all of its acts and deeds, to the urgent fortune of this world; and all of that should be joined with the knowledge of what Allah's Glory and Majesty impose upon men, and of the fact that He Almighty learns even the secrets and the passing thoughts of the heart, no matter subtle and hidden they might be. If those kinds of knowledge are accomplished, of a surety, a state which might be described as shyness will be necessarily produced therefrom.

Those are the causes and reasons of those traits, and to be sure, the cause of everything that is to be acquired should be known for its remedy, since the knowledge of the cause leads, by necessity to the knowledge of the remedy. The uniting bond of all of those causes is the certainty of faith, i.e. those kinds of knowledge which we've mentioned earlier; and their being certain means to have no suspicion in them and rather have them prevail over the heart as we've explained in the exposition of the concept of certainty in the Book of Knowledge. The more the certainty of faith is strong, the more the heart becomes submissive.

For this reason, A'ishah "Allah be pleased with her" said: "The Messenger of Allah "Peace be upon him" used to talk to us as well as we to him, and once the

prayer was due, he would (stop from talking to us) as if he did not recognize us before that as well as we did not know him." It is narrated that Allah Almighty revealed to Moses "Peace be upon him": "O Moses! When you celebrate Me, you should celebrate My Praises with your parts of body trembling, and be submissive and rest assured at the moment of celebrating Me; and when you celebrate My Praises, let (celebrating Me be from the very depth of your heart as if) your tongue follows your heart, and if you stand before Me, let it be the standing of a humble slave, and talk to Me privately with fearful heart and truthful speech."

It is narrated that Allah Almighty revealed to him: "Tell the disobedient among your nation not to celebrate My Praises, for indeed, I have made it binding upon Myself to mention him who celebrates My Praises; and thus if they (the disobedient) celebrate Me, I will mention them with Curse." If this is said about a disobedient who is not heedless in his celebration: what might be said about the heedless disobedient.

Based upon the different states of hearts which we've mentioned, the people are of different states: there is one who is heedless, even though he perfects his prayer, with his heart fully absent; one who perfects his prayer, with his heart fully present at its all moments, and perhaps he is mainly concerned with it to the extent that he feels not of what is taking place in front of him. For this reason, it is not unlikely that Muslim Ibn Yasar, who was offering prayer in the mosque, made no sense to the collapse of its pillar, to which the people gathered. It is said that one (of the righteous) used to attend the prayer in congregation for a long time, during which he did not recognize who was on his right or left. The groaning of the heart of (the Prophet) Abraham "Peace be upon him" was heard from a two-mile distance. It is further narrated that a group of people used to have their faces turn pale, and their body's tremble (once they are engaged in their prayer).

All of that is not improbable, since its manifold could be seen from the people's concerns with the affairs and matters of this world, and fear of its kings and rulers, in spite of their weakness, failure and baseness of fortunes which might be gained from them (in comparison with the King of all kings), that one might enter into the presence of a king or a minister and talk to him about what concerns him, and when he comes out and is asked about who were present around him, or about the garment of this king or minister, he would not be able to tell about that, for his attention was fully diverted to him from anything else such as his garment and those who were present around him.

To all are degrees (or ranks) according to their deeds. Everyone's portion from his prayer varies in accordance with the strength of his fear, submission and exaltation he observes to Allah Almighty, for Allah Almighty looks at the hearts and not at the external movements of the organs of the body. For this reason, one of the holy companions "Allah be pleased with them" said: "On the Day of Judgement, the people will be mustered in the very state in which they used to be in their prayer, of reassurance, quietness, feeling of bliss and pleasure therein." Of

a surety, he has told the truth. Each one will be mustered in the same state in which he dies, and each one will die in the same state in which he lives. But it is the state of his heart not of his body that is to be observed, since it is from the characteristics of the hearts that the forms will be made in the hereafter, and none will be saved barring him who will come to Allah with a sound mind and heart: we ask Allah Almighty to grant us good success by virtue of His Kindness and Generosity.

The Exposition Of The Treatment Which Is Useful To The Heart's Attentiveness

It should be known that the faithful believer should entertain the feelings of exaltation, fear, and hope of Allah Almighty, and shyness of his failure (to fulfill what is required from him as it should be). After his faith, he should persist in those states, which vary according to the strength of his certainty of faith. There is no reason for his failure to persist in them during the prayer other than the distraction of his thoughts, the division of his mind, the heart's absence from the private discourse (with the Lord), and the heedlessness of the prayer. To be sure, nothing diverts one from being attentive to his prayer other than the passing thoughts in which one is absorbed; and there is no remedy to make the heart attentive other than to avert those passing thoughts; and nothing could be averted unless its causes are repelled. So, it is useful here to learn the causes of such passing thoughts.

There are two sources lying behind the causes of the passing thoughts: external and internal. The external things apply to those which might hit the hearing or appear to the sight in such a way as to attract one's attention until it follows that thing and goes on considering it, from which another idea might be drawn forth in a sequence of thoughts, in which the sight becomes the main cause of thinking. Then some of those ideas become causes of and give rise to others (according to what might be called the association of ideas).

Therefore, he whose intention is firmly strong and attention is powerful will not be diverted by whatever touches his senses. But the weak one will have his mind distracted and his thoughts dispersed, and his remedy is to sever those causes, either through lowering his gaze, or offering prayer in a dark house, or placing nothing in front of him which might occupy his senses, and rather approaching the wall in order to limit the range of his sight. Let not him also pray in streets where there are engravings and handicrafts or on dyed mats (or carpet). For this reason, the worshippers used to do their religious service in a small dark house, whose width was enough only for the place of prostration, in order to be able to concentrate their attentions on their worship.

But even the strong among them used to attend the prayers in the mosques, since they were able to lower their gazes, and limit it only to the location of prostration, thinking that it was out of the perfection of their prayer (to be wholeheartedly devoted to it to the extent that they were) not to recognize who was on their right or on their left. It is narrated that Ibn Umar "Allah be pleased

with both" used not to see in the praying place a Mushaf or a sword but that he would take it away, nor a book but that he would move it aside.

But the external causes are more serious and dangerous, for he whom concerns take to the various fields of this world could not limit his thought to a certain matter apart from the others, since it keeps flying from one side to another. In this case, it is of no profit to him to lower his gaze, for what has concerned the heart before (assuming the prayer) is sufficient to occupy him entirely. The way to remedy this case is that one should overpower himself to understand what he is reciting in his prayer, by which he should engage from anything else. He might be helped to do so by getting himself ready before assuming the prayer, through limiting his thought to the remembrance of the hereafter and the position of private talk (with his Lord), and the severe danger of standing in front of Allah Almighty, Who knows everything. Let him further empty his heart, before assuming the prayer, from anything that might concern him (other than the words and deeds of the prayer), leaving nothing to occupy his thought.

In this context (It is narrated by Abu Dawud that) the Messenger of Allah "Peace be upon him" said to Uthman Ibn Abu Shaibah (or Uthman Ibn Talhah, and this is more right): "I've forgotten to tell you to cover the vessel which in the house, for there should be nothing to occupy the people from their prayer." This is the way of dispelling thoughts. But even, if his raised thoughts could not be dispelled in this way, let him then take refuge to the catalyst which removes the matter from within the veins. It is to consider those affairs which divert him from having his heart attentive; and undoubtedly, they are due to what concerns him in this world, and nothing concerns him more than his own desires and lusts.

Having understood that, let him punish himself by refraining from those desires and desires and severing any relations he might have with them, and be well-aware of the fact that everything that occupies him from his prayer stands in opposition to his religion, and rather belongs to the soldiers of Satan, Allah's enemy, and to keep it is more harmful to him than to drive it away from him. So, let him get rid of him by driving it away, in the same way as the Messenger of Allah "Peace be upon him" did, according to the narration (of A'ishah) that when he put on the square shirt which had marks given to him by Abu Jahm as a gift in which he offered prayer, eh took it off after his prayer and said: "Send it to Abu Jahm, since it diverted me from my prayer, and instead bring me back his rough woolen shirt."

(According to the narration of Ibn Al-Mubarak on the authority of Abu An-Nadr) the Messenger of Allah "Peace be upon him" ordered that the leather strap of his sandals be renewed, and while being in his prayer, he caught a glimpse of it, since it was new thereupon he ordered that the new leather strap be removed from it, and that the old one be restored. (According to a narration on the authority of A'ishah) he "Peace be upon him" took on a new sandals whose elegance appealed to him, thereupon he fell in prostration and said: "I've humbled myself before my Lord Almighty in order not to abhor me." Then, he

set out while wearing it, and gave it to the first beggar whom he met. He further told Ali "Allah be pleased with him" to buy for him a leather hairless sandals which he put on.

(It is narrated by An-Nasa'i on the authority of Ibn Abbas that) he "Peace be upon him" had in his hand a ring of gold before gold was prohibited, and when he was on the pulpit, he threw it away and said: "This (ring) has occupied me by having me cast a glance at you and a glance at it." (It is further narrated by Malik on the authority of Abdullah Ibn Abu Bakr that) once Abu Talhah (Al-Ansari) was offering prayer in a fenced garden belonging to him when he was fascinated by the feathers of a bird which was flying among the trees in search for an exit. He kept looking at it for a moment and did not know how much he has prayed. He made a mention to the Messenger of Allah "Peace be upon him" of how he was tempted in his prayer and said: "O Messenger of Allah! It is an object of charity (which I give to make expiation for my sin): place it wherever and however you like."

It is narrated that another man offered prayer in a fenced garden belonging to him, whose trees were encircled with fruits, of which he caught a glimpse during his prayer, and they appealed to him, with the result that he did not know how much he has prayed. He made a mention of that to Uthman "Allah be pleased with him" and said to him: "It is an object of charity (I give to make expiation for my sin): make it in Allah's Cause." Uthman sold it for fifty thousand (Dirhams). This was their habit (whenever they were afflicted as such) in eradication of the material of thought, and as expiation for the reduction of the prayer which they might commit.

This is the treatment which eradicates the material of this ailment, and nothing else could be of any benefit. But such a way as we've mentioned to dispel thoughts, and reduce it to the comprehension of the celebration (in the prayer) does not benefit but in case of the weak desires and lusts, and the concerns which occupy only the heart's edges. But this way is of no significance in case of the strong and tedious desire, which you continue to drive away, as well as it continue to attract you until it overpowers you and you will have then spent all of your prayer in this mutual attraction.

The parable of him is like a man underneath a tree who liked to have his thought pure, but the voices of the birds troubled his mind. He drove them to fly with a wood stick in his hand, and then returned to his thoughts, but the birds returned to making noise once again, and he returned to drive them away. It was said to him: "Those are the tree's captives, and if you like to get rid of that, cut off the tree." The same is true of the tree of desires and lusts: if it ramifies into many branches offshoot from it, the thoughts will be attracted to it in the same way as the birds are to the trees, and the flies to the dirty things, which one should engage himself for a long time to drive away, for the more the flies are driven away, the more they return once again, and from this it has been given its name (Dhubab in Arabic).

The same is true of the passing thoughts. On the other hand, the desires and

lusts are so many, and one could hardly be free from them all. But they all belong to one fundamental thing, which is the love of this world. This is, to be sure, the commencement of every sin, the base of every defect, and the resource of every mischief. He, who has the love of this world in his innermost, until he inclines to anything of it will not take his provision (for the hereafter) from it, nor will he seek its aid for the attainment of the hereafter. So, let not him covet to enjoy of the pure pleasure of the private talk in the prayer, for he who rejoices with the hereafter could not be able, at the same time, to grow happy with Allah Almighty, nor with his private talk with Him.

Of a surety, one always pays his full attention to the pleasure of his eye: if the pleasure of his eye is this world, his attention will be inevitably diverted to it. But even, one should not cease to mortify himself, and bring back his heart to be attentive to the prayer, and diminish the causes which might occupy him from it. This is the bitter medicine, and it is for its bitterness that it has been abhorred by the dispositions, with the result that the ailment remained constantly chronic, to the extent that even the chiefs among men endeavoured to offer a two-rak'ah prayer, in which they would have no passing thoughts about anything of the matters and affairs of this world, but they failed. So, there is no hope for the like of us to attain that, and would that half or even one-third our prayer becomes free from the whisper of the evil thoughts and suggestions, perchance we would be from among those who mix a good deed with an evil deed.

In short, the parable of the concern of the world and that of the hereafter is like water which is poured into a vessel full of vinegar: the vinegar is spilled out of it as much as we get water into it, and both never gather together.

The Exposition Of What Should Be Present In The Heart At Each Pillar Of The Prayer

Let's say, at first, that it is incumbent upon you not to be heedless of these tips pertaining to the conditions and pillars of the prayer. The conditions prior to the prayer comprise the Call to prayer, getting purified and performing ablution, covering the private parts, facing the Qiblah, standing upright, and the intent (to pray). When you hear the Call to prayer, you should bring to mind the terror of the call on the Day of Judgement, and thus endeavour outwardly and inwardly to give a swift response to this call, for indeed, he who hastens to respond to this call will be (the first to be) called with nicety and kindness on the Day of the Greater trial.

So, examine your heart with this Call: if you find it filled with happiness and good pleasure, prompted by desire to give response to it, you should know then that you will be called with glad tidings and felicity on the Day of Decision. For this reason, he (Peace be upon him" said (according to the narrations of both Ad-Daraqatni and Abu Dawud): "Relieve us with it (the prayer) O Bilal!" he means with the prayer and with the Call to it, for it was the pleasure of his eye.

When you purify your praying place, which represents your farthest container, then your garment, which represents your closer wrapper then your

complexion which represents your nearest crust, ignore not your core, which comprises your essence, i.e. your heart: endeavour to purify it through showing repentance and regret for such (of your prayers as) in which you have indulged, and being sure not to neglect it once again in the future: it is with it that you should purify your innermost, for it is that which your worshipped God considers.

As to the covering of the privates, it should be known that it is to conceal the shameful parts of your body from the sight of the people. However, the external surface of your body is an object of the people's sight: what then about the reprehensible things of your innermost, and the disgraceful matters of your secrets, which none knows barring your Lord Almighty? So, put those shameful things in consideration, and ask your soul to conceal them (from others), having the assurance that nothing could be concealed from the Sight of Allah Almighty, but they might be forgiven by showing regret, shyness and fear. The benefit you receive from putting those in mind is to have the soldiers of both fear and shyness emerge from their hiding places, therewith you will be able to put your soul to humiliation, and have your heart passive and obedient by virtue of shyness, and stand in front of Allah Almighty in the same way as does a criminal offensive wayward servant, who shows regret and thus comes back to his Lord, turning down his head, out of shyness and fear.

Facing (the Qiblah) means to turn your face from all directions to the Sacred House of Allah Almighty. Do you not see then that it is not incumbent upon you to divert your heart from all the matters and affairs to be wholly devoted to Allah Almighty? How far it is (from the truth)! Nothing is required other than that. However, all of those outward acts are to motivate the inward mysteries, adjust the organs and make them passive, by setting them firm on one direction, in order that they should not transgress over the heart; for if they transgress over the heart and go astray in their movements and turning to different directions, the heart will be attracted to them, and be diverted from the Countenance of Allah Almighty. So, turn the face of your heart to the same direction to which you turn the face of your body.

It should be known that as well as the face could hardly be turned to the direction of the Sacred House unless it is diverted from all the other directions, the heart also could hardly be turned to Allah Almighty unless it is emptied from anything else. In this connection he "Peace be upon him" said (according to an unidentified narration): "If a servant stands to his prayer, with his passion, face and heart turning to Allah Almighty, he will turn away (from the prayer as pure and free from sins) as he was on the day his mother delivered him."

To stand upright is to appear and present oneself in person and heart in front of Allah Almighty. So, lower your head, the highest part of your body, and turn it down, and let the lowering of your head from its height stimulate you to have your heart stick to humility, submission, and freedom from power and arrogance, and let the commencement of your celebration be the severe danger of standing in front of Allah Almighty in the terror of the Day the people will be displayed

before Him for questioning. But put in mind that you are, at the moment, standing in front of Allah Almighty, Who knows all about you. So, stand in front of Him in the same way as you might stand in front of one of those kings of the world, in case you fail to be well-acquainted with the Essence of His Glory and Majesty.

Furthermore, you should always put in consideration, while you are standing in your prayer, that you are observed and watched by a caring eye of a righteous pious man of your family, or of anyone whom you desire to think of you as righteous, for at that moment, your limbs would become quiet, your organs submissive, and all parts of your body passive, for fear this poor man (whom you imagine he is watching you) should ascribe to you the lack of submission and piety. If you feel you are constant while being watched by a poor servant, blame yourself saying: "You claim you know and love Allah Almighty: Do you not feel shy of daring to deal with Him slightly, even though you have respect for one of His servants? Do you fear the people and fear Allah not, even though Allah has more right to be feared?" For this reason, when Abu Hurairah asked the Messenger of Allah: "How should one feel shy of Allah?" the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "You should feel shy of Him in the same way as you feel shy of a righteous pious man from among your people or your family."

The intent here means that you should be sure to respond to Allah Almighty in compliance to His Command to offer prayer perfectly, during which you should refrain from what might repeal or corrupt it, and be in all of that, sincere (in your intention) for the Sake of the Countenance of Allah Almighty, in the hope of His Reward, and for fear of His Punishment, seeking to approach His Presence, and recognizing His Grace upon you, which is shown in His permitting you to have private conversation with Him (in the prayer), in spite of your bad manners and disobedience. You should also regard with high consideration your private discourse with Him, and consider in yourself to Whom you are talking privately, how you talk to him privately, and with which words and statements you talk to Him privately. At that moment, your forehead should sweat out of shyness, your organs should tremble out of reverence, and your face should turn pale out of fear.

As for *Takbir*, once you utter it with your tongue, your heart should not give lie to it. if there is anything in your heart greater than Allah Almighty, Allah bears witness that you are a liar. If you tell the truth, as Allah Almighty bore witness to the hypocrites in their statement: "Verily, he "Peace be upon him" is the Messenger of Allah", consider then yourself: if your passion prevails over you more than the Command of Allah Almighty, of a surety, you will be more obedient to it than to Allah Almighty, for in this case, you will have taken your passion an object or your worship, and glorified it; and thus your statement "Allah is Greater" comes to be nearly utterance with the tongue, to which your heart fails to give trust. How dangerous is that, had it been for repentance and asking for Allah's Forgiveness, and the good thinking of the Generosity and Pardon of Allah Almighty.

In regard with the supplication of inauguration, the first word to start with is: "I've set my face, firmly and truly, towards Him Who created the heavens and the earth." It is not the apparent face that is intended here, for you've turned it earlier to the direction of the Qiblah, and of a surety, Allah Almighty is deemed far beyond any directions to turn the face of your body towards Him. But what is intended is the face of your heart, therewith you should turn to the Creator of both the heavens and the earth. Consider then whether it is turning to its ambitions and interests in the house and the market, and thus following its own desires and lusts, or it is really turning to the Creator of the heavens and the earth.

Therefore, let not the commencement of your private conversation (with Allah) with lies and fabrications, putting in mind that by no means should the face be turned to Allah Almighty unless it is diverted from anything else. So, endeavour at the moment to turn it to Him; and if you fail to do so continually, at least be truthful in your speech at the moment. If you say (in the beginning of your supplication): "Firmly and truly as one who submits to Allah in Islam", you should put in mind that the real Muslim is he, from (the evil of) whose tongue and hand all of the Muslims are safe. If you are not so, you will be a liar. For this reason, strive yourself to be sure to turn it whole (to Allah Almighty), and endeavour to show repentance and regret for the previous states (in which you were earlier).

If you say (in the beginning of your supplication): "And shall I never ascribe partners to Allah (in service)", put in consideration the hidden polytheism. That's because the statement of Allah Almighty: "So, he, who expects to meet his Lord (in the hereafter), let him work righteousness and ascribe nothing to Him in worship" (Al-Kahf 110)

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾

Was revealed in connection with him who intends, with his worship, not only Allah's Countenance but also the people praise. Be then careful and fearful of this kind of polytheism, and feel shy of yourself if you describe your person as not one of those who ascribe partners to Allah in worship, without being really free from this kind of polytheism, since the name of polytheism applies to all of its kinds no matter trivial or significant it might be.

If you say: "Verily, (the matter of) my life and death belongs only to Allah Almighty", you should know that this state (described by that sentence) refers to a servant, whose existence is of no significance to himself, since he exists only for the service of his Lord. However, if it issues from him whose pleasure and anger, standing and sitting, desire for life and fear of death are determined only for the sake of the matters and affairs of this world, it will not be fitting for the state at the moment.

If you say: "I seek refuge with Allah from Satan, the despised", put in your mind that he is your avowed enemy, who lies in wait to divert your heart and attention from Allah Almighty, out of his envy of you for your private dialogue

with Allah Almighty, and prostration to Him, though he was cursed because of his failure to perform even a single prostration (in compliance to Allah's Command). But you're seeking refuge with Allah Almighty from him, through leaving what he loves and rather doing what Allah Almighty loves could not be achieved only by your statement. It will be of no profit for a man to say, in case a wild animal or an enemy intends to attack and kill him: "I seek shelter from you with that strong fort" while being still in his place (unless he moves and enters that fort). He will not be given shelter unless he changes the place (and rather takes refuge to the fort).

Similarly, only the words will be of no benefit for him who follows his own lusts and desires which are loved by Satan, and disliked by (Allah) Most Gracious; for he should join his words with the firm resolution to take refuge to the shelter of Allah Almighty from the evil of Satan; and it is (the statement) "There is no god but Allah" which constitutes this shelter, as confirmed by Allah Almighty which our Messenger related from Him (according to the narrations of both Al-Hakim and Abu Na'im on the authority of Ali): "(The statement) "There is no god (to be worshipped) is My Shelter: so, whoever enters My Shelter will be safe from My Punishment." He who takes shelter with it has none to worship other than Allah Almighty. But he who takes as god his passion is in the field of Satan, and not in the shelter of Allah.

It should be known to you that it is out of his intrigues to occupy you in the prayer by reminding you of the affairs of the hereafter, and the way to arrange your good deeds, in order to hinder you from understanding what you are reciting. So, learn that everything diverts you from understanding the meaning of what you are reciting in the prayer is no more than a whisper (from Satan), for indeed, it is not the movement of the tongue that is intended in itself so much as it is the meaning which lies behind that movement.

As far as recitation is concerned, the people are of three ranks: one whose tongue moves, even though his heart is heedless; one whose tongue moves and his heart follows it in such a way as to understand the meaning of what he is reciting, and hears it as if he hears it from another person, and this is the rank of the companions of the right hand; and one whose heart precedes to understand the meanings, and then the tongue serves it by interpreting that meaning. That the tongue acts as interpreter of the heart is one thing, and that it acts as its instructor is another. Allah's nearest devotees are those whose tongues act as interpreters and follow their hearts and their hearts do not follow their tongues.

To illustrate the interpretation of the meanings, if you say "In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful", let your intention with it to obtain (Allah's) blessing in the commencement of your recitation of Allah's Speech, and put in your mind the concept that all matters are in (the Hand of) Allah Almighty, and what is intended by the Name here is the nominee (i.e. Allah Himself); and if all the matters are in (the Hand of) Allah Almighty, there is no doubt that the praise should be to Allah Almighty. This means that all thanks should be to Allah Almighty, since all graces and favours are from Him; and he, who thinks there is

any grace or favour from anyone else, or intends anyone else with his thanks and praise, ignoring the fact that it is subjugated by Allah Almighty, his mentioning the Name of Allah (as commencement), as well as his praise and thanks are, to be sure, imperfect in so far as he turns to anything other than Allah Almighty.

If you say "Most Gracious, Most Merciful" bring in your heart all of His Kindness, so that His Mercy would be clear to you, therewith the hope (for it) would be aroused within you. Then, prompt in your heart both exaltation and fear by the statement "The King and Master of the Day of Judgement". The cause of exaltation is that there is no king other than He; and the cause of fear is the terror of the Day of Judgement and reckoning, of which He is the King and Master.

Then, renew your sincerity by saying: "You we do worship", and renew the admission of your failure, neediness and clearance from both might and power, by saying: "And Your Aid do we seek." Be certain of the fact that by no means will it be easy for you to obey Him unless it is through His Aid, and that you are indebted to Him for it is He Who has enabled you to obey Him, used you to worship Him, and qualified you to be fitting for having private discourse with Him; and had He Almighty deprived you of such success, you would have been among the dismissed ones, in the company of Satan, the despised.

Then, when you finish from seeking refuge with Allah from Satan, the despised, mentioning the Name of Allah with the inaugurating statement: "In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful", praising Allah Almighty, asking Him for aid and help, designate your question, and demand not but what is the most important for you, saying: "Guide us to the straight path", which drives us to Your Neighbourhood, and make us obtain Your Good Pleasure. Then, explain that in more detail and confirm it more, quoting those from amongst the Prophets, the truly faithful believers, the martyrs and the righteous good men, upon whom He Almighty bestowed His Grace, and not those upon Whom wrath falls, i.e. the unbelievers and those who deviate from the true religion from amongst the Jews, the Christians, and non-religious men. Then, seek the response (of your supplication) by saying "Amen".

However, if you recite Al-Fatihah in the prayer as such, you will seem to be like those about whom Allah Almighty said as the Messenger of Allah "Peace be upon him" related from Him (according to the narration of Muslim, Abu Dawud and others on the authority of Abu Hurairah): ""I divided (Al-Fatihah recited in) the prayer into two parts between Me and My servant, and he would have whatever he asked for." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "If the servant said: "Praise be to Allah, the Cherisher and Sustainer of the worlds", Allah Almighty would say: "My servant praised me, and he would have whatever he asked for." If he said: "Most Gracious, Most Merciful", Allah Almighty would say: "My servant commended Me, and he would have whatever he asked for." If he said: "The Master of The Day of Judgement", Allah Almighty would say: "My servant glorified Me, and this is for Me, and this Holy Verse is divided into two parts between Me and

My servant." If the servant said: "Thy we worship and Your Aid we seek", Allah Almighty would say: "This is something between Me and My servant, and My servant would have whatever he asked for." If the servant said: "Guide us to the straight path; the path of those upon whom You have bestowed grace, and not those upon whom wrath falls, nor those who go astray", Allah Almighty would say: "This is for My servant, and he would get whatever he asked for"."

If you have no portion from your prayer other than Allah's remembrance of you in His Glory and Magnificence, it will suffice you for good treasure: What then about such of His Reward and Bounty as you expect from Him?

Furthermore, you should be well-aware of the meanings of such of the Surahs from the Holy Qur'an as you are reciting in the prayer, as it will be discussed later in the Book of the Recitation of the Qur'an. Be not heedless of His Commands and Forbiddances, His Promises and Threats, His admonitions and the stories of His Prophets, and His Graces and Favours (He bestows upon His servants). Each of those has its own right: the hope is the right of the promise, the fear is the right of the threat, the resolute power is the right of both command and forbiddance, receiving admonition is the right of the warning, giving thanks is the right of the remembrance of the grace, and taking lessons (and learning by way of examples) is the right of the stories of the Prophets. In this respect, it is narrated that when Zurarah Ibn Awfa (one of the companions) came in his recitation to His saying: "Finally, when the Trumpet is sounded" (Al-Muddaththir 8)

﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝ ﴾

He fell dead. It is narrated that whenever Ibrahim An-Nakh'i heard the saying of Allah Almighty: "When the sky is rent asunder", he would quiver until his limbs and organs would tremble. Abdullah Ibn Waqid said: "I saw Ibn Umar offering prayer while being overpowered." However, it is incumbent upon one to have his heart burnt under the influence of his Lord's Promise and threat; and why not since he is no more than a sinful humiliated servant, standing in front of the Compeller Irresistible Lord?

Those meanings vary (from one to another) in accordance with the degrees of understanding; and the degrees of understanding differ in accordance with the degrees of knowledge availability and heart pureness; and of a surety, such degrees are beyond any calculation. Furthermore, prayer is the key of hearts, in which the mysteries of words are disclosed. This is the right of recitation, and it implies also both Adhkar (celebrations) and Tasbihs (Exaltations).

Therefore, let him observe the tranquility of reverence in his reading: he should recite the Qur'an in slow, measured rhythmic tones, and not by way of narration, for this is easier and more fitting for reflection and consideration. He should differentiate in his tones between the Holy Verses of mercy, for example, and those of punishment, those of promise and those of threat, those of Tahmid and those of Tasbih. It is narrated that it was the habit of An-Nakh'i, whenever

came upon Allah's statement: "No son did Allah beget, nor is there any god along with Him" (Al-Mu'minun 91)

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴿٩١﴾ ﴾

To lower his tone as if he felt shy of making a mention of anything that is not consonant with the majesty of Allah Almighty. It is narrated (by both Abu Dawud and At-Tirmidhi on the authority of Abdullah Ibn Umar) that the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "(On the Day of Judgement) it will be said to the Qur'an reciter: "Read and raise up (in degrees), and recite in a slow rhythmic tones in the same way as you used to recite in the world (and you will be raised a degree higher for each Holy Verse you recite)."

The continual standing (during the prayer) draws attention to the necessity of keeping the heart present with Allah Almighty in one state of attentiveness. (It is narrated by Abu Dawud, An-Nasa'i and Al-Hakim on the authority of Abu Dharr that the Messenger of Allah "Peace be upon him") said: "Allah turns His Face to the praying man as long as he does not turn sideways (in his prayer)." As well as both head and eyes should be guarded from turning sideways, the innermost also should be well-guarded from turning (to anything else) other than the prayer. But in case it turns to anything else other than the prayer, you should soon remind him of Allah's watching him, and the malevolence of dealing slightly with the private discourse shown from the heedlessness during such discourse, that it should be attentive once again.

On the other hand, you should adhere to the submission of the heart, for indeed, the salvation from turning sideways in the prayer, outwardly and inwardly is the fruit of submission; and the submission of one's inward leads to the submission of his outward. For this reason when the Messenger of Allah "Peace be upon him" (according to an unidentified narration) saw a man playing with his beard while being in prayer, he said: "As for that man, if his heart proves submissive, of a surety, his organs would become submissive; and that's because the wards always follow the guardian." For this reason, it is said in the following supplication: "O Allah! Amend both the guardian and the subjects", i.e. the heart and the organs. It is narrated that Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" used to be as firm as a wedge, and Ibn Az-Zubair as stable as a wood stick in prayer. One of the righteous also used to be so much still in his bowing that the birds might stand on his back as if he were something solid.

If doing all of that is required, by nature, from him who stands in front of an exalted person from amongst the inhabitants of this world, why should it not be done by him when he stands in front of the King of all kings, particularly if he does know Who is the King of all kings? To be sure, it is out of failure of acquaintance with the Glory and Majesty of Allah Almighty, as well as of His Watching over the inward and conscience of a man to be firm and constant while standing in front of anyone (other than Allah) out of submissiveness, and at the

same time, be mischievous, with his organs and parts of body moving while standing in front of Allah Almighty (in prayer). In comment on Allah's saying: " Who sees you standing forth (in prayer), And your movements among those who prostrate themselves" (Ash-Shu'ara' 218:219)

﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾

"It implies one's standing, bowing, prostration and sitting."

In bowing and prostration, you should celebrate once again the Magnificence of Allah Almighty, and raise your hands seeking shelter from the punishment of Allah Almighty with His forgiveness and pardon, renewing your intent and following the right way of the Prophet "Peace be upon him", resuming your humility and passivity to Him through bowing, endeavouring to smooth your heart, refurbish your submission, and feel your subjection in relation to the Power and Honour of your Lord, your humbleness in comparison with the Supremacy and Loftiness of your Lord, seeking the confirmation of that in your heart with your tongue, through exalting your Lord, and bearing witness to His Greatness and to the fact that He is the Greatest of all who are great, repeating that in your heart, by way of assurance.

Then, you should raise from the posture of bowing, hoping that He Almighty would bestow mercy upon you, affirming that in yourself by saying: "Allah hears such as sends praises to Him", i.e. that He Almighty responds to such as gives thanks to Him. Then, carry on that praise which necessitates more by saying: "O our Lord! To You be the praise", augmenting it by the supplementary phrase: "as much as to fill both the heavens and the earth", after which you should fall in prostration, which is the highest degree of submission and compliance, in which you place firm your face, the most valuable of your organs in the earth, one of the most degraded things. If you are able not to make anything between your face and the earth, you should do, for it will be more submissive and subservient. You should know that if you put yourself to humiliation, you will have located it in its right place, and restored the offshoot to its origin, for it is from earth that you have been created, and to which you should return.

At that moment, refresh in your heart the Greatness and Magnificence of Allah Almighty by saying Exalted be He, Most High", which you should repeat many times, since the single utterance always has no strong influence. Once your heart becomes apparently smooth, you should give trust to Allah's Mercy, since Allah Almighty hastens to bestow His Mercy upon the weak and humiliated and not to the arrogant and haughty. Then, raise your head while glorifying Allah, and asking Him for your need, saying: "O my Lord! Forgive me and bestow Your mercy upon me, and excuse me for (such of sins as) You know", or such of supplications as you like. Then, affirm your humility by way of repetition, through returning to the prostration posture once again.

When you sit for testification (Tashahhud), be courteous in your sitting, and declare that what you are going to state of prayers and good things, i.e. all of good and pure manners and complements i.e. all dominion are to Allah Almighty.

Fill your heart with the presence of the Prophet "Peace be upon him" and his generous and honoured person, saying: "Peace, Allah's Mercy and Blessing be upon you O Prophet", and rest assured of the fact that your greeting reaches him, and that he return the salutation to you with what is much better. Then, pay salutation to yourself as well as to all of Allah's righteous good servants, with great expectation from Allah Almighty to return such greeting to you as much as is the number of His righteous good servants.

After that, bear testimony to Allah's Oneness, and to the Apostleship of Muhammad, His Prophet "Peace be upon him" (through the statement: "There is no god (to be worshipped) but Allah, and that Muhammad is His Messenger"), in restitution of Allah's Covenant, by repeating both statements of testimony, therewith you seek protection (from polytheism). At the conclusion of your prayer, supplicate with the famous supplication, showing humility, submission, imploration and invocation, having the trust that you will receive answer. Let your supplication include your parents and all of the faithful believers. Aim, with your end salutation, to greet the angels and all the attendants, and then intend to finish your prayer with it, giving thanks to Allah Almighty Who has helped you fulfill this religious service, having the impression that with this prayer of yours, you are going to leave (this world) and that you might not live to offer the like of it.

In this connection (it is narrated that) he "Peace be upon him" said to him whom he was giving advice: "Offer a prayer of a man who is going to leave (this world)." Then, bring in your heart the feeling of shyness and indulgence, for fear your prayer might not be accepted, and rather be rejected in view of an evident or a hidden sin, with the result that it might be returned back in your face, expecting, in spite of that, from Him to accept it, out of His Generosity, Bounty and Grace. It was the habit of Yahya Ibn Waththab, whenever he offered prayer, to stay as long as Allah willed for him to stay, during which the (signs of the) grief of prayer would be visible on him. Ibrahim also used to stay for an hour after the prayer (in the state of sadness and anxiety) as if he were sick.

This is, in detail, the way of the prayer of the submissive, who humble themselves in their prayers, who (strictly) guard their prayers, who perform their (obligatory) prayers regularly, and who privately talk to Allah Almighty in their prayer as much as is within the power of their worship. Let, therefore, man examine himself in relation to this prayer, and rejoice with what has been made easy for him and grieve for what escapes him from it, and endeavour to recompense it.

But as for the prayer of the heedless, it leads to danger, unless Allah Almighty covers them with His Mercy; and of a surety, Allah's Mercy is all-embracing, and His Generosity is encompassing. So, we ask Allah Almighty to cover us with His Mercy, and comprehend us with His Forgiveness, since there is no way for us but to declare our failure to fulfill the religious service in obedience of Him as it should be.

Taking from that, it should be known that to remove the defects from the prayer, be sincere in offering it for the Sake of the Countenance of Allah Almighty, and fulfill it in accordance with the internal conditions which we've mentioned, such as submissiveness, exaltation, shyness, etc, result in producing lights in the heart, which act as main keys to all sciences of Revelation. It is in the prayer in general, and during prostration in particular, that the dominion of both the heavens and the earth is disclosed to Allah's nearest devotees, where the servant becomes at the nearest position from the Presence of his Lord Almighty. For this reason, He Almighty says: "And fall in prostration, and draw yourself near (unto Me)." (Al-Alaq 19)

﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴾

But the disclosure granted to every prayer varies in accordance with the degree of his purification from the impurities of this world.

This difference varies in relation to strength and weakness, muchness and littleness, and clearness and vagueness: such disclosure might be of a certain thing with its reality to one of them, or with its similitude to another, just as the world was disclosed to one of them in the form of carcass, and the devil in the form of a dog lying on and inviting men to it. furthermore, it differs also with the difference of the object of disclosure, which might be of the attributes and glory of Allah Almighty to some of them, of His Acts to many of them, or of the subtleties of the sciences of practical religion to others. on the other hand, the reasons by which those meanings and concepts are determined at every time are ambiguous and beyond calculation, the most convenient of which is one's enterprise. The more one's effort is devoted to a certain thing, the more it is ready to be disclosed to him.

But, since those things could hardly be visible except through elegant mirror, and since all mirrors (of people) are rusty, which hindered them from being guided (to such revelation), not because of any niggardliness on the part of the Bestower of guidance, but because of the grave rust accumulated on the outfall of guidance, the people hastened to deny such facts. However, the disposition is accustomed to reject what is not feasibly present; and were a fetus to have a mind, surely, it would have denied the possible existence of man at liberty of air, and were a child to have the faculty of discernment, he would have denied such dominion of both the heavens and the earth as the wise men pretend to perceive. This is the case of man in each phase of his life, whose custom is to reject what is beyond him. He who rejects the stage of sainthood should have then rejected the stage of Prophethood.

Of a surety, the people have been created in diverse stages (to come one after the other). So, it is not fitting for anyone of those of a certain stage to reject what is beyond his phase. It is true that when they sought after that matter through argumentation and debate, and not through purifying the hearts from anything other than Allah Almighty, they lost it, and thus they came to reject it. But, he who does not belong to the people who are granted the privilege of disclosure,

should, at least, have trust and believe in the unseen until it becomes visible to him through evidence.

According to a certain narration: "When a servant stands to offer prayer, Allah Almighty lifts the veil between Him and His servant, and turns His Face towards him, and the angels stand with his prayer, from his shoulders up to the sky, and say "Amen" in response to his supplication; and all of kindness is spread over the praying man from the midst of the sky down to the parting of his head; and a caller pronounces from heaven: "If this who is talking privately (to his Lord) is to know, he would never turn away (from his prayer). Undoubtedly, the gates of the heaven are opened to the praying men, and Allah Almighty shows pride to His angels because of His praying servant." Of a surety, opening the gates of the heaven, and Allah's facing him act as metonymy of the disclosure which we've mentioned.

The following is written in the Torah: "O son of Adam! Fail not to stand in front of Me weeping in prayer, for I'm Allah, Who has drawn unto your heart, and through the unseen you have seen My Light. "According to another: "We came to see that such smoothness, weeping and expansions which one might find in his heart resulted from the Lord's Nearness to the heart." If this nearness is not spatial, there is no meaning to it unless it is through guidance, mercy and removing the veil. It is said that when one offers a two-rak'ah prayer, two rows of angels appreciate him, each containing ten thousand, and Allah Almighty shows pride to one hundred thousand angels because of him. This is because the praying man joins in his prayer standing and sitting, bowing and prostration, which Allah Almighty has distributed among forty thousand angels, in such a way that these in the posture of standing will keep themselves in that posture and will never bow until the Day of Judgement, and these in the posture of prostration will keep themselves as such and will never raise from prostration until the Day of Judgement, and the same is true of those in the postures of bowing and sitting.

Such nearness and closeness as granted to the angels are unchangeable in the same state, with neither increase nor decrease. For this reason, Allah tells about them in His Saying on their tongue: "And there is none among us but that he has a well-known station." (As-Saffat 164)

﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ ﴾

But man differs from angels in the matter of promotion in degrees, which enables him to advance in closeness and nearness unto the Presence of Allah Almighty; and such gate of advance is closed before the angels "Peace be upon them", for each of them has no more than his rank which is unique to him, and his religious service in which he is engaged, from which he never moves nor weakens (in his service): they are "those who are in His (very) Presence are not too proud to serve Him, Nor are they (ever) weary (of His service): They celebrate His praises night and day, nor do they ever flag or intermit." (Al-Anbiya 19:20)

﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

The prayer is the key to attain more degrees, in accordance with the statement of Allah Almighty: "Prosperous are the faithful believers, who humble themselves in their prayers." (Al-Mu'minun 1:2)

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾

After He ascribes faith to them, He praises them with particular prayer in which they are submissive. He concludes the characteristics of the prosperous with that of the prayer: "And who strictly guard their prayers." In definition of the fruit of these characteristics, He says: "Those are the heirs, who shall inherit Paradise in which they will abide forever." Thus he ascribes prosperity to them in the beginning, and describes them as the would-be heirs of Paradise in the end.

In my sight, this is the limit, at which both nonsense of speech and heedlessness of the heart stops. For this reason, Allah Almighty says in description of their (the faithful believers') opposite: "'What has led you to enter Saqar (one of the names given to the fire of Hell)?' they shall say: 'We were not of the praying men.'" The praying men then are those who shall inherit Paradise, and witness (with their sights) the Light of Allah Almighty, and enjoy of His Closeness and Nearness unto their hearts: we ask Allah Almighty to include us in them, and seek refuge with Him from the punishment of him, of flowery discourse and evil deed; He is Most Generous, Most Bountiful, Ever-Beneficent; and Allah's Blessing and Peace be upon every well-chosen servant.

Stories And News About The Prayer Of The Submissive Men

It should be known that submission is the fruit of belief, and the result of certainty of faith in the Glory and Majesty of Allah Almighty. So, he who has been granted this privilege, will be submissive not only in prayer, but also in anything else, even in his solitude, in the treasury to fulfill his need. However, submission is assured by one's knowledge of Allah's watching him in all his states, of Allah's Glory and Majesty, and of the servant's indulgence (in fulfilling what is due upon him as it should be). It is from those kinds of knowledge that submission is produced. It is not unique only to prayer.

For this reason, it is narrated that one (of the righteous submissive) did not raise his head up to the sky for as many as forty years out of his feeling shy of and submission to Allah Almighty. It was the habit of Ar-Rabie Ibn Khaitham to lower his gaze and turn down his head out of submission so much that he was thought to have been blind. He used to visit Ibn Mas'ud for twenty years, during which whenever his (Ibn Mas'ud's) slave-girl saw him, she would say: "Your blind friend has come." Ibn Mas'ud used to laugh for her statement. Whenever he knocked at the door, the slave-girl of Ibn Mas'ud would come out and see him having gazed his sight and turned down his head. Whenever Ibn Mas'ud saw him (in such a state) he would say to him: "Behold! Give the glad tidings to those who

are devoutly obedient. Had Muhammad "Peace be upon him" seen you, he would have rejoiced with you (or according to another narration, he would have loved you, or according to a third narration, he would have smiled because of his pleasure with you)."

One day, he was walking in the company of Ibn Mas'ud in the market of smiths, when he saw their furnaces being blown and the fires flamed, thereupon he swooned and fell unconscious. Ibn Mas'ud sat by his head until the time of prayer was due, but he did not recover. Ibn Mas'ud carried him on his back and went home. He kept unconscious until the same hour (of the next day) in which he fell unconscious, with the result that five (obligatory) prayers escaped him, during which Ibn Mas'ud was still sitting by his head, saying: "This, by Allah, is the fear." Ar-Rabie used to say: "Nothing concerned me in any prayer I entered but what I was saying, and what was being said to me."

Abdullah Ibn Amir was from among the submissive who humbled themselves in their prayer: whenever he was praying and even his daughter beat the tambourine and the women went on talking about what they liked in the house, he would make no sense nor hearing to that. Once he was asked: "Does your self not suggest to you any thoughts in the prayer?" he said: "Yes: it suggests to me to think of my standing in front of Allah Almighty, and of my position in the hereafter abode." It was said to him: "Then, do you experience such of the matters and affairs of this world as we experience (in prayer)?" on that he said: "To have the teeth enter into my body one after the other is much better for me than to experience in my prayer the like of what you experience." He said: "Even had the veil been removed, my certainty (of faith) would have increased no more" (because he attained the highest peak of certainty after which he is not in need of any more).

Muslim Ibn Yasar was one of these who used to prove submissive in the prayer. We narrated earlier that he made no sense to the collapse of the pillar in one side of the mosque where he was praying.

One of those submissive had one of his limbs eroded, and there was no remedy but to be cut off. It was said: "In prayer, he feels not of what would happen to him." On that it was cut off while he was in prayer.

One of them said: "The prayer belongs to the hereafter; and once you enter into it, you will have come out of this world." One of them was asked: "Does your own self suggest to you any thoughts about the matters of this world in prayer?" he said: "Not in the prayer nor in anything else." Another one was asked: "Do you remember anything in the prayer?" he said: "Is there anything much dearer to me than prayer so that I would remember it during the prayer?" according to Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" said: "It is out of one's good understanding or religion to begin with fulfilling his need before prayer, perchance he would enter the prayer with his heart pure and clean (from anything else)."

One of them also used to make short the prayer for fear of having evil suggestions during it. it is narrated (by Ahmad) that Ammar Ibn Yasir offered a

prayer which he made short, thereupon it was said to him: "You've made short this prayer O Abu Al-Yaqdhan!" on that he said: "Have you seen that I've reduced anything from its pillars and limits?" they answered in the negative, thereupon he said: "Indeed, I've hastened to (finish before being vulnerable to) the forgetfulness caused by Satan." He further said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A servant might offer a prayer, and even no more than its half, one-third, one-fourth, one-fifth, one-sixth, or even one-tenth would be written for him." According to another narration: "Nothing will be written for a servant from his prayer more than that to which he makes sense."

It is narrated that Talhah, Az-Zubair and a group of the holy companions used to make short their prayers most and they said in justification of that: "We hasten to (finish it before) Satan's evil suggestions." It is narrated that Umar Ibn Al-Khattab said from over the pulpit: "Verily, a man might have the hair of both sides of his head grow hoary (out of old age) while being a Muslim, even though he has never perfected a single prayer to be offered for the Sake of Allah." They asked: "What is the reason?" he said: "He never perfects its submission and humbleness, nor does he turn his face to Allah Almighty wholeheartedly therein."

Abu Al-Aliyah said, in reply to the question about the meaning of Allah's saying: " Who are neglectful of their Prayers": "They are those who are forgetful during their prayer so much that they do not know whether with odd or even number of rak'ahs they finish it." but according to Al-Hassan "It applies to him, who wastes the time of the prayer until it elapses." According to another: "It implies him, who will not rejoice if he offers the obligatory prayer at the beginning of its time, nor will he grieve if he prays it at the end of the time. In other words, he sees no good in hastening on to pray it, nor sin in delaying to pray it."

It should be known that only a portion of the prayer might be counted and written on the exclusion of another, as attested by man narrations. But in the opinion of the jurisprudents, the validity of the prayer could hardly be divisible. Yet, this means something different which we've mentioned earlier. This meaning is confirmed by many Prophetic traditions. It is narrated (by the men of Sunan, and Al-Hakim on the authority of Abu Hurairah), for example, that the reduction of the obligatory prayers will be compensated for by the supererogatory prayers. According to the Prophet Jesus "Peace be upon him", Allah Almighty says: "It is with the help of the obligatory deeds that My servant is saved from My punishment; but it is with the help of the supererogatory deeds that he draws near unto Me." (It is narrated that) the Prophet "Peace be upon him" said: Allah Almighty says: "My servant will not be saved from My punishment but after fulfilling what I enjoined upon him."

It is narrated (by Ad-Dailami on the authority of Ubai Ibn Ka'b and An-Nasa'i on the authority of Abd Ar-Rahman Ibn Abza that) once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" offered prayer in which he forgot a Holy Verse from his recitation. When he turned away he asked the

people: "What have I recited (in the prayer)?" the people gave no reply. He asked Ubai Ibn Ka'b "Allah be pleased with him" thereupon he said: "You've recited such and such a Surah, and forgotten such and such a Verse therein: however, we do not know whether it has been abrogated or taken away." He "Peace be upon him" said: "You are fitting for such (awareness and attentiveness) O Ubai!" then he faced the others and said: "What is the matter with a people who attend the prayer (in congregation) and complete their rows, and their Prophet is in front of them, even though they do not know what he is reciting to them (in prayer) from the Book of their Lord? Behold! When the children of Israel did the same, Allah Almighty revealed to their Prophet to say to his people: "Do you attend with Me only with your bodies and give me your tongues, even though you make your hearts absent from Me? False is that which you do!"

This signifies the fact that paying attention to, and understanding what the imam is reciting in the prayer is equal to one's reciting by himself. According to a learned man: "One of them might perform a single prostration, thinking that he has approached the Presence of Allah with it, even though if his sins therein has been distributed among the inhabitants of a town, they would ruin (because of their abundance)." He was asked: "How is that?" he said: "He is prostration (and supposed to be) in the Presence of Allah Almighty, even though his heart is engaged in a worldly passion and in the state of contemplation of an internal thought which has prevailed over himself."

This is, therefore, the way of submission in prayer. However, all of those tales and narrations, besides what we've mentioned earlier in this context, prove that the fundament on which the prayer is based is submission which requires the attentiveness of the heart, and that only the movements and acts with heedlessness are of no use at all, particularly at the appointed time (of the hereafter); and Allah Almighty knows best: we ask Allah Almighty to grant us good success.

CHAPTER FOUR: ON IMAMATE AND EMULATION

The pillars of the prayer; after the end salutation; the imam's duties before prayer; and pertaining to recitation

The imam's duties before the Prayer

There are six duties which are incumbent upon the imam to observe before the prayer:

The first duty: He should not move forward to lead in prayer a people who dislike him. If they differ (as to who should lead them), let them choose from the majority: if those of good and faith are a few in number, it will be better to choose from them. according to the narration (of At-Tirmidhi on the authority of Abu Umamah the Messenger of Allah "Peace be upon him" said): "There are three, whose prayer never goes beyond their heads: the errant slave, the wife whose husband is angry with her, and the imam who leads a people even though they are displeased with him."

As well as it is forbidden for one to come forward to lead a people who have aversion towards him, it is also forbidden for him to come forward to act as an imam of one who is more learned and well-versed in religion than him, unless the latter himself refrains from leading the prayer; and in this case, it is possible for the former to lead the prayer. Apart from that, let him move forward to lead the prayer once he comes, and knows in himself the capability of undertaking all conditions of imamate. At that point, it is undesirable to push one another to take up the imamate, for it is said that a people pushed each other for the imamate after they had established the prayer, thereupon the earth was made to swallow them.

Pertaining to the reports which tell that the holy companions "Allah be pleased with them" used to push one another to take up the imamate, they did so for they always were in the habit of giving preference to whom they thought to be superior and more fitting for that, or out of their fear for themselves the possibility of forgetfulness, or the danger of the surety of their prayer, for, as it is well-known, the imams should act as guarantors (of the prayer); and it seemed as if he who was not accustomed to take on imamate might be engaged in anything else, with the result that he would be put to trouble of doubting his sincerity in prayer, out of his feeling shy of those who were praying behind him, particularly if he was to recite aloud in prayer; and this was the main cause of their refraining from the imamate.

The second duty: If one is given the freedom to choose whether to pronounce the Call to prayer (Adhan) or to lead the prayer, let him choose to pronounce Adhan. It is true that each has its excellence, but it is undesirable to combine both. The imam should be someone else other than the Mu'adhdhin. However, if combining both is difficult, the imamate should be better. But the Adhan is thought to be better according to somebody, in view of the narration which we've transmitted pertaining to its excellence, in addition to (the narration of Abu Dawud on the authority of Abu Hurairah in which) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The imam is responsible (for such as praying behind him), and the Mu'adhdhin is trustworthy: O Allah! give guidance to the imams and bestow forgiveness upon the Mu'adhdhins." In comment on that they said: "The imamate implies the risk of surety."

(According to another narration on the authority of Abu Hurairah) the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Verily, the imam is a trustworthy: bow yourselves when he bows, and prostrate when he prostrates." (According to the narration of Abu Dawud on the authority of Uqbah Ibn Amir, and that of Al-Bukhari on the authority of Abu Hurairah, the Messenger of Allah "Peace be upon him") said: "If he perfects (his prayer) the (benefit) will be for both him and you; and if he reduces (anything from the prayer) the (harm) will be upon him and not upon you." He further said (according to the narration of Abu Dawud): "O Allah! give guidance to the imams and bestow forgiveness upon the Mu'adhdhins." Of a surety, forgiveness is more fitting to be sought and asked

for, since guidance is sought for to lead to forgiveness. According to the narration (of both At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Ibn Abbas) he said: "He, who keeps pronouncing Adhan in a mosque for seven years, the Garden will be assured to him with no accounting; and he, who keeps pronouncing Adhan (in a mosque) for forty years, will be admitted to the Garden immediately with no reckoning." For this reason, the reports show that the holy companions "Allah be pleased with them" used to push one another to take on the imamate.

But what is more right is that the imamate is much better since the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" kept taking it on (until he grew fatally ill), and so did both Abu Bakr and Umar "Allah be pleased with them" and the rightly-guided rulers after them. it is true that it has the risk of surety, but even the excellence with risk is much better, in the same way as ruling is, in view of the statement of the Prophet "Peace be upon him" (according to the narration of At-Tabarani on the authority of Ibn Abbas): "A single day from a just ruler is much better than the religious service of seventy years." But it has risk.

For this reason, the best and the most learned in religion should be brought forward (to lead the prayer), depending upon (the narration of both Ad-Daraqatni and Al-Baihaqi on the authority of Ibn Umar, in which) the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Your imams will be your intercessors or your delegate to Allah. So, if you like to purify your prayer, bring forward the best among you (to lead the prayer)." According to an early righteous man: "After the Prophets, there is none better than the learned men of knowledge, and after the learned men of knowledge, there is none better than the praying imams; and that's because all have stood in front of Allah Almighty and ahead of His creatures (as their leaders, teachers and intercessors), through Prophethood, knowledge and the fundament of religion, i.e. the prayer."

Depending upon this argument, the holy companions brought Abu Bakr As-Siddiq forward to be ruler over them, saying: "We consider the matter and behold! The prayer is the support pillar of religion, and thus we've chosen for our worldly affairs him whom the Messenger of Allah "Peace be upon him" accepted for the matters of our religion." They did not bring forward Bilal (to take on this job instead) under claim that the Messenger of Allah "Peace be upon him" had brought him forward to pronounce the Adhan. But one might drive the narration (of Al-Aqili on the authority of Ibn Abbas) in which the Messenger of Allah "Peace be upon him" said to a man in reply to his saying: "O Messenger of Allah! Guide me to a deed therewith I will enter the Garden". He said: "Act as a Mu'adhdhin." He said: "I could not do that." He said: "Then, act as an imam." He said: "I could not do so." He said: "Then, keep praying behind an imam (i.e. keep performing prayer in congregation)." Perhaps, it is argued, he (guided him to act as a Mu'adhdhin before telling him to be an imam because he) thought that his imamate might not be accepted (by the people), since the Adhan returns to him individually, whereas the imam should be accepted by those who are praying

behind him in congregation, who should bring him forward (to lead the prayer, in order that his imamate would be held valid); and after that, he thought that he might be able to do it.

The third duty: the imam should observe the prescribed fixed time of the prayers, and perform the (obligatory) prayers at the earliest portion of the due time, in order to attain the Good Pleasure of Allah Almighty. To be sure, the superiority of the first portion of the prayer's due time to the last portion is like the superiority of the hereafter to this world (according to the narration of Ad-Dailami on the authority of Ibn Umar). According to another narration (by Ad-Daraqatni on the authority of Abu Hurairah that the Messenger of Allah "Peace be upon him" said): "A servant might offer the prayer at the last portion of its due time, and thus it does not escape him, even though what he misses from the early portion of its due time is much better for him than the world and what it contains."

Furthermore, he should not delay the prayer in expectation for the increasing of the number of the group. But let them hasten to perform it in order to attain the extra reward of the earliest portion of its due time, which is much better than the abundance of the group, and reciting the long Surahs. In this respect, it was said that whenever (at least) two persons arrived (in the mosque) they would (establish the prayer and would) not wait the third, and whenever four persons came to attend the funeral prayer, they would (perform it and would) not wait the fifth.

(It is narrated on the authority of Al-Mughirah Ibn Shu'bah that) one day, the Messenger of Allah "Peace be upon him" delayed to attend the Fajr prayer, while they were on journey, because he was engaged in (answering the call of nature and) getting purified and performing ablution. They did not wait him, and rather brought Abd Ar-Rahman Ibn Awf forward to lead the prayer. When the Messenger of Allah "Peace be upon him" arrived, the first rak'ahs had escaped him. He stood to fulfill it (after finishing from the prayer). He (the narrator) said: "We felt it difficult upon ourselves, thereupon the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "You've done well: as such you should do (in similar cases)."

(According to another narration on the authority of Sahl Ibn Sa'd) the Messenger of Allah delayed to attend Zhuhr prayer (for he was engaged in making peace between some people who fell in dispute in the farthest precincts of Medina). When the prayer was due, they brought Abu Bakr forward to lead the prayer. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" arrived in the mosque while Abu Bakr was leading the prayer, and stood by his side. It is not binding upon the imam to wait the Mu'adhdhin. But it is incumbent upon the Mu'adhdhin to wait the imam before he pronounces the prayer establishment; and once he comes, he should not wait anyone more.

The fourth duty: the imam should lead the prayer with faithful sincerity to Allah Almighty, and fulfill Allah's Trust pertaining to purification, ablution and all the conditions of his prayer. It is out of his sincerity not to take charge for his

leading the prayer. (According to the narration of the men of Sunan on the authority of Uthman Ibn Abu Al-As) the Messenger of Allah "Peace be upon him" appointed Uthman Ibn Abu Al-As Ath-Thaqafi as governor and said to him: "Take a Mu'adhdhin, who accepts no charge for his pronouncing the Call to Prayer." However, since the Adhan (for which no charge should be taken) is the way to prayer, it is more fitting to accept no charge for leading it. but if he receives salary from a mosque which is a Waqf in favor of him who leads the prayer therein, or from the magistrate or from anyone else, it will not be judged as prohibited; but rather it will be undesirable; and it is well-known that what is undesirable in relation to the obligatory duties is more severe than it is in relation to the supererogatory deeds. But in this case, such charge should be for his regular attendance to the mosque, and observing the affairs of the mosque pertaining to the establishment of the prayer in congregation, and not for his leading the prayer in itself.

The trust requires one to get purified inwardly from lewdness and major sins, as well as from insisting on doing the minor sins. He who intends to be an imam should endeavour to guard against all of that, for he is in the same position as a delegate or an intercessor for the people. For this reason, he should be the best of them. he should also get clean outwardly from impurities and filth which none knows but he. If, during the prayer, he remembers that his ablution has been broken (and he did not perform ablution), or if he makes wind, let not him feel shy, but rather let him take hold of the hand of him who is the nearest to him, and make him his successor in leading the prayer.

(According to the narration of Abu Dawud on the authority of Abu Bakrah) once the Messenger of Allah remembered, during the prayer, that he was in the state of ceremonial impurity, thereupon he made somebody succeed him in leading the prayer, and he went to take bath after which he returned and entered the prayer. According to Sufyan: "You might offer prayer behind everyone, be it dutiful or undutiful, unless he is not an addict to wine, nor dissolute, whose wickedness is open, nor disobedient to his parents, nor an innovator (of a heresy), nor an errant slave."

The fifth duty: he should not pronounce *Takbir* of assuming the prayer until the rows (of the praying people) are straight. In so doing, let him turn sideways, and in case he finds inconsistency, let him order to set it right. It was said that they were in the habit of standing in the prayer, with their shoulders flanking each other, and their heels sticking to one another. Let not him pronounce *Takbir* of assuming the prayer until the Mu'adhdhin finishes from the prayer establishment (Iqamah). But the Mu'adhdhin also should delay to pronounce Iqamah for some time after the Adhan enough for the people to get ready to offer prayer.

According to the narration (of both At-Tirmidhi and Al-Hakim on the authority of Jabir, the Messenger of Allah said): "Let the Mu'adhdhin make an interval between both Adhan and Iqamah, much enough for him who is eating to finish from his meal, and such as is answering the call of nature to finish from fulfilling his need." That's because he forbade to offer prayer while forcing both

wicked things (i.e. urine and excrement, according to the narration of Muslim on the authority of A'ishah), as well as he ordered to start with having supper before offering Isha' prayer (in case the supper was served by the time the Isha' prayer was established, according to the narration of Al-Bukhari and others on the authority of both Ibn Umar and A'ishah), in fulfillment of the devotion of the heart.

The sixth duty: The imam should raise his voice with the Takbir of assuming the prayer, as well as with all the other Takbirs, unlike him who prays behind him, who should not raise his voice no more than enough to enable him to hear it. let him further affirm his intent to lead the prayer, in order to attain the extra reward of imamate. But in case he does not affirm his intent, his prayer will be held valid, and so will the prayer of those praying behind him be, particularly if they affirm their intent to follow the imam, and they will also attain the extra reward of following him, but he will not attain the extra reward of imamate. Let the one led in prayer delay his Takbir until the imam finishes from his; and Allah knows best.

The Duties Pertaining To Recitation

There are three duties pertaining to recitation; and they go as follows:

The first duty: The imam should read in secrecy the supplication of opening and seeking refuge (with Allah from Satan), as if he prays alone, and then recite aloud Al-Fatihah and such of Surahs from the Qur'an as he likes, in both rak'ahs of Morning prayer, the first two of both Maghrib and Isha' prayers. This duty is also incumbent upon one praying alone. Both the imam and one led in prayer should recite "Amen" aloud in the three prayers which require out loud recitation. The one led in prayer should adjust his "Amen" to be synchronous with and not after that of the imam. Let the imam also recite aloud "In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful". However, there are opposing narrations concerning that condition, but Ash-Shafi'i's choice supports the outlawed recitation.

The second duty: The imam should make three intervals during his standing, according to the narrations (of Ahmad and others) on the authority of Samurah Ibn Jundub and Imran Ibn Al-Hussain from the Messenger of Allah "Peace be upon him". The first, which is the longest, is after *Takbir* of assuming the prayer, i.e. during his recitation of the supplication of opening; and it should be long enough for those led in prayer to recite the Opening of the Book. But if he does not make this interval, they will not be able to listen to his recitation (of Al-Fatihah since they will be inclined to read it with him), and in this case, he will carry the burden of what they miss from their prayer, for if they do not recite Al-Fatihah during such interval, and rather are engaged in it at any time else, the harm will be against him and not them.

The second interval should be after finishing from Al-Fatihah, in order that he who has not completed it in the first interval should be able to recite it in full. It should be equal in length to the half of the first interval. The third interval should

be after his finishing from reciting the Surah; and it is the shortest of them all. It should be just enough for a short break between the recitation and Takbir, for it is forbidden to join both. Let not the one led in prayer recite after the imam but Al-Fatihah (during the interval). If the imam makes no interval, let him recite it with him, and in this case, the deficiency will be on the part of the imam. Furthermore, if the one led in prayer does not hear in view of his being far distant from the imam, or in case he is offering prayer which requires recitation in a low tone, there will be no blame upon him to recite the Surah (besides Al-Fatihah).

The third duty: Let the imam recite in the Morning prayers two Surahs from the oft-repeated long ones, which consist of less than one hundred Holy Verses, since it is out of the sunnah to prolong recitation and offer it when it is very dark, and no harm will he receive if he finishes from it when the morning has become very clear. There is no blame upon him to recite in the second rak'ah as much as nearly twenty or thirty Holy Verses from the last portion of the long Surah to its conclusion, for that rarely occurs to hearings which makes it more ready to give admonition and stimulate consideration. Some learned men do not like the recitation from the beginning of the long Surahs since it might lead to interrupting them.

It is narrated (by Muslim on the authority of Abdullah Ibn As-Sa'ib) that the Messenger of Allah "Peace be upon him" recited a portion of the Surah of Yunus, and when he reached the mention of Moses and Pharaoh, he interrupted the recitation and went on bowing. It is further narrated (by Muslim on the authority of Ibn Abbas) that he "Peace be upon him" recited in the first rak'ah of Fajr prayer a Holy Verse from the Surah of Al-Baqarah, i.e. His saying: "Say 'We've believed in Allah and in what has been revealed to us...'" and in the second: "O our Lord! We believed in what You have revealed..." (According to the narration of Abu Dawud on the authority of Abu Hurairah) he heard Bilal reciting a portion from there and a portion from here, and when he asked him about that he said: "I join what it good with its like." He said to him: "You've done well."

In Zhuhr prayer, let him recite the long Surahs from amongst the Mufassal, up to nearly thirty Holy Verses, and half of that in Asr prayer, and the last Surahs from amongst the Mufassal in Maghrib prayer. The Messenger of Allah "Peace be upon him" recited the Surah of Al-Mursalat in Maghrib prayer which he offered for the last time after which he was not seen to have offered prayer (in congregation) until he died. In short, it is better to make short the prayer, particularly when the group of the praying people are great in number. In confirmation of this concession, the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "When anyone of you leads the people in prayer, let him make short the prayer, for among them, there is the weak, the old, and the one who has a need which he wishes to fulfill; and when he prays alone, let him prolong it as much as he likes." It is narrated (on the authority of Jabir) that once Mu'adh Ibn Jabal was leading a people in Isha' prayer when he recited the Surah of Al-Baqarah. A

man came out of the prayer which he completed alone. The people said: "The man has proved hypocrite." Both (Mu'adh and the man) made mutual complaints to the Messenger of Allah "Peace be upon him". The Messenger of Allah scolded Mu'adh and said: "Are you going to put the people to trial O Mu'adh? Recite such (short Surahs as) Al-A'la, At-Tariq, Ash-Shams (and the like of them)."

The Imam's Duties Pertaining To The Pillars Of The Prayer

They are also three, and they go as follows:

The first duty: He should make short both bowing and prostration, with each having a maximum of three Tasbihs. It is narrated on the authority of Anas Ibn Malik that he said: "I've never seen a prayer offered by anyone shorter even though with perfection than that offered by the Messenger of Allah "Peace be upon him"." But this does not contradict the narration (of both Abu Dawud and An-Nasa'i) on the same authority in which Anas Ibn Malik performed prayer behind Umar Ibn Abd Al-Aziz, who was at that time the governor of Medina, after which he said: "I've never prayed behind anyone, whose way of prayer resembles that of the Messenger of Allah "Peace be upon him" more than this young man." He resumed: "We used to utter ten Tasbihs for each (bowing and prostration) while praying behind him." It is narrated also that he said: "We used to utter, while praying behind the Messenger of Allah "Peace be upon him" ten Tasbihs for each bowing and prostration." This is undoubtedly good. But to limit that to three Tasbihs is much better when the group of the praying people is prolific. But when there gather only those who are devoted wholeheartedly to the religious service, there is no harm to increase them to ten. This is the point of adapting the different narrations. The imam should say on raising his head from bowing: "Allah hears such as praises Him."

The second duty: It is binding upon the one led in prayer. He should not make his bowing and prostration synchronous with those of the imam: on the contrary, he should delay in such a way as not to fall in prostration until the imam's forehead reaches the ground. This is the way the holy companions followed the Messenger of Allah "Peace be upon him" (according to the unanimous narration on the authority of Al-Bara' Ibn Azib). He should not also fall in bowing before the imam becomes straight in bowing. In this issue, it is said that the people come out of the prayer in three divisions: some have (the reward of) twenty-five prayers, and it is those who glorify, bow and prostrate after the imam; some have (the reward of) only a single prayer, and it is those who make theirs synchronous with the imam's; and some have no (reward of any) prayer, and it is those who hasten to precede the imam.

However, there is difference among the people as to whether it is or is not incumbent upon the imam to prolong his bowing to give opportunity to him who likes to join the prayer, and thus receive the extra reward of congregational prayer by virtue of this bowing (which makes valid the whole rak'ah). It might be more right to say that there is no blame to do so with sincerity, on the condition that it

should not lead to overstrain the attendants of the prayer, for their right of refraining from prolonging should be observed.

The third duty: The imam should not make the supplication of testification (Tashahhud) longer than the amount of testification itself, nor should he favour himself with supplication apart from the others: but rather let him use the plural and not the singular formula in his invocations, such as: "O Allah! Forgive us" and not "forgive me". That's because it is undesirable for the imam to favour himself on the exclusion of those whom he is leading in the prayer. There is no blame upon him to seek refuge (with Allah from Satan) in his testification through the five statements transmitted from the Messenger of Allah "Peace be upon him": "We seek refuge with You from the punishment of (the fire of) Hell, from the punishment of the grave; we seek refuge with You from the affliction of both life and death, and from the affliction of Al-Masih Ad-Dajjal; and if You intend to put a people to trial, take us unto You (i.e. cause us to die) before being afflicted." It is said that he was called Masih (Antichrist) for he would survey the earth from its end to its end; or according to others because one of his eyes would be dark and look like a grape bulging out.

The Duties Which Pertain To Dissolving From The Prayer

There are three duties which relate to finishing from the prayer:

The first duty: He should intend, with both salutations, to greet the angels and all of the present people.

The second duty: He should keep firm in place after the end salutation (for some time). As such did the Messenger of Allah "Peace be upon him" Abu Bakr and Umar "Allah be pleased with them". let him further offer the supererogatory prayer in another place. In case there are women praying behind him, let not him stand until all of them leave the mosque. According to the narration (of Muslim on the authority of A'ishah) he "Peace be upon him" used to stay in the mosque after the prayer no longer than what is enough for him to say: "O Allah! You are (the source of) Peace, and from You peace is expected: Blessed (and Exalted) be You, Lord of Glory, Majesty and Honour."

The third duty: If he stands up (after finishing from the prayer), let him face the people. It is undesirable for the one led in prayer to stand before the imam moves. In this context, it is narrated that both Talhah and Az-Zubair prayed behind an imam, and when he concluded the prayer with the End Salutation they said to him: "How good and perfect your prayer is, except one thing, that when you uttered the End Salutation, you did not turn your face (towards the people)." Then they said to the people: "How good your prayer is except that you left before your imam turned his face towards you." Then, let the imam turn away from whichever direction he likes, be it right and left, even though the right is more desirable.

Those duties apply to all of the obligatory prayers, with the addition of Qunut in the Morning prayer, in which the imam should say: "O Allah! Guide us" and

say not "guide me", and the one led in prayer should utter "Amen" in response to the supplication. When comes to the statement: "You always decide all the matters, and there is none to decide anything pertaining to You", it is not fitting for the one led in prayer to say "Amen", for it does not belong to supplication rather than to praise, thereupon he should recite it with him, and say the like of his saying, or: "Nay! And I'm from amongst those who bear witness to that" or similar words. On the other hand, there is a narration in support of raising both hands during Qunut. If this narration is authentic, then it will be desirable to raise both hands during Qunut. But this contradicts the case in the supplication at the conclusion of testification, in which the hands should not be raised. But it might be said that the function of both hands during the testification is to be placed on the thighs in a special way, a function which they do not have in Qunut. For this reason, it is not likely that their function is to be raised during Qunut, since this is more fitting for supplication; and Allah knows best.

Those are the manners which should be observed in imamate and following; and Allah Almighty helps us attain success.

CHAPTER FIVE: ON THE EXCELLENCE OF FRIDAY ITS MANNERS, TRADITIONS AND CONDITIONS

The Excellence Of Friday

It should be known that this is a great day, therewith Allah Almighty has exalted Islam, and characterized the Muslims. He says: "O you who believe! When the call is proclaimed to prayer on Friday (the Day of Assembly), hasten earnestly to the Remembrance of Allah, and leave off business (and traffic): that is best for you if you but knew!" (Al-Jumu'ah 9)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩ ﴾

In this way, He Almighty has forbidden any business in the affairs of this world, as well as anything that might entertain from hastening to perform prayer on it.

(It is narrated by Ibn Majah on the authority of Jabir that) the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Verily, Allah Almighty has enjoined you (to sanctify) Friday on this day of mine, in this station of mine (among you)." (It is narrated by Ahmad and Al-Hakim on the authority of Abu Al-Ja'd Ad-Damari that) the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "He, who refrains from (attending the congregational prayer on) Friday for three times with no legal excuse, Allah will have placed a seal on his heart." (According to another narration by Al-Baihaqi on the authority of Ibn Abbas) he said: "He, who refrains from (attending the congregational prayer on) Friday for three times with no legal excuse, he will have left Islam behind him." A man visited Ibn Abbas and asked him about a man who died and never witness the (prayer of) Friday, nor attended any congregational prayer, thereupon he said to him: "He

will be admitted to the fire (of Hell)." He kept visiting him and asking him the same question, and Ibn Abbas gave him the same answer: "He will be admitted to the fire."

(It is narrated unanimously on the authority of Abu Hurairah that the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "The people of both Scriptures (Torah and Gospel) were given Friday (to sanctify) but they differed about it, with the result that they were diverted from it, and Allah Almighty guided us (Muslims) to it, and kept it for this nation, and made it a festival for them: they are the most fitting to lead the people (in exalting and sanctifying it), while those of both Scriptures are to follow them." It is narrated (by Ash-Shafi'i, At-Tabarani and Ibn Mardawaih) on the authority of Anas from the Messenger of Allah "Peace be upon him" that he said: "Gabriel "Peace be upon him" came to me with a pure mirror in his hand and said: 'This Friday has been enjoined upon you by your Lord (to sanctify) in order to be a festival for you as well as for your nation after you.' I asked: 'What have we in it?' He said: "You have an hour therein, in which none invokes Allah for good which has been doomed to him, but that He will give it to him, and in case it is not doomed to him, He will keep for him what is greater than it; and none seeks refuge (with Allah) from an evil which has been doomed against him, but that Allah Almighty will protect him from what is more severe than it. it is the chiefs of all days in our sight, and in the hereafter, we will call it the Day of More Good.' I asked him about the reason, and he said: 'Your Lord Almighty has taken in the Garden a valley more fragrant than musk, (in which all things are) white. When it is Friday, Allah Almighty descends from His Highest Position on His Throne, and rises His Glory upon them until they are able to see His Generous Honoured Countenance.'"

(It is narrated by Muslim on the authority of Abu Hurairah that) the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "The best day on which sun has risen is Friday, on which Adam was created, on which he was admitted to the Garden, on which he was (driven from the Garden and) made to descend to the earth, on which Allah turned to him in repentance, on which he died, and on which the Hour (of Judgement) will be established. It is the day of more good in the Sight of Allah Almighty; and this is its name among the angels in the heaven. It is the day on which (the faithful believers will) see the Countenance of Allah Almighty in the Garden." According to the narration (of Ibn Hibban on the authority of Anas the Messenger of Allah said): "Every Friday, six hundred thousand are set free by Allah from the fire (of Hell)."

According to the narration (of Ibn Hibban, Abu Na'im and Al-Baihaqi on the authority of A'ishah, even though Al-Ghazali ascribes it to) Anas that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If Friday ahs passed with safety (from committing sins) all the other days will subsequently pass with safety (from committing sins)." (It is narrated by Abu Dawud on the authority of Abu Qatadah that) the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "The Hell is kindled everyday before sun passes the meridian, i.e. just when it is straight in the middle of the sky. So, pray not at that time, except on Friday,

on which prayer might be performed all the time, and on which the Hell is not kindled."

According to Ka'b: "From amongst all the towns, Allah Almighty has made Mecca superior to all the towns, from amongst the months Ramadan to all the others, from amongst all the days Friday to all the others, and from amongst all the nights the Night of Power to all the others." it is said that birds and insects meet each other on Friday with salutation and say: "Peace! Peace! How good this day is!" (It is narrated by Abu Na'im on the authority of Jabir and At-Tirmidhi on the authority of Abdullah Ibn Umar that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who dies on Friday, or on the night prior to Friday, Allah Almighty writes for him the reward of a martyr and saves him from the affliction of the grave."

The Exposition Of The Conditions And Traditions Of Friday Prayer

It should be known that it shares all conditions with the other (obligatory) prayers; and there are further six conditions characteristic of it:

The first condition pertains to the time: if the salutation of the imam (at the conclusion of the prayer) occurs just at the time of Asr prayer, he will be considered to have missed the Friday prayer, and in this case, it is incumbent upon him to complete it four rak'ahs as Zhuhr prayer. But, there is difference about him who catches only a single rak'ah of it, and his last rak'ah (which he prays alone) occurs out of time (whether he should or should not complete it four rak'ahs as Zhuhr prayer).

The second condition pertains to the place: it is invalid to be offered in the desert, the waste land, or among the movable dwellings and tents. It should rather be performed in a gathering place of unmovable buildings, containing at least forty of those upon whom Friday prayer is binding. The village is like the city in this respect. It is not conditional to it that the magistrate should attend, as well as it is not necessary to take his leave for it, even though it is more desirable to take his leave.

The third condition pertains to the number: it should not be held valid with no less than forty of free men from amongst the residents whom the enjoinment of obligations and duties covers . Residency here means that they should not be in the habit of leaving the place every summer or winter (on journey). In case they depart from the place, with the result that the number becomes under forty, whether during the sermon or the prayer, the Friday prayer will not be held valid. That's because this number should attend the whole ceremonies from the beginning to the end.

The fourth condition pertains to the congregation: if even forty offers Friday prayer within the borders of a village, but in different groups and places, the congregation will not be held valid. That's because the congregation should not be less than forty in number. But it is permissible for him who catches only a single rak'ah of it to pray the other rak'ah alone; and in case he does not catch the bowing of the other rak'ah (in congregation), let him follow the congregation

with the intention to perform Zhuhr prayer (i.e. to offer four rak'ahs), which he should complete once the imam utters the End Salutation.

The fifth condition pertains to the number of congregations: the congregation should not be preceded by another in the same mosque of the same town. But if the people are great in number, and beyond the capacity of one mosque, they might be distributed to two, three, four, or more congregations as it is required by the need to perform Friday prayer in different mosques. But if there is no necessary need, it is right to establish first the congregational prayer of Friday because of which the forbiddance (of any prayer else to be performed simultaneously) is held. But in the presence of a necessary need (for more than a congregation), it is better to pray behind the better of imams; and in case of their equality, the more ancient mosque is better; and in the event of their equality, the nearer mosque is better. The excellence of the prolific number of congregation should be also observed in the choice.

The sixth condition pertains to both sermons: of a surety, both sermons are obligatory, and standing while delivering them is also obligatory, and the sitting (for a short break) between them is obligatory too. The first sermon has four obligations (to be observed): the first relates to the praise (of Allah), which is, at least, to say: "Praise be to Allah". The second is to invoke Allah's Prayer and Blessing upon the Prophet "Peace be upon him". The third is to advise (the people and oneself) to safeguard themselves from (the punishment of) Allah Almighty. The fourth is to recite (at least) a Holy Verse from the Holy Qur'an. The same four obligations are due in the other sermon, with the exception of substituting supplication for recitation. It is binding upon the forty-men congregation (at least) to listen and pay attention to both sermons.

As to the traditions of the Friday prayer, when the sun declines and passes the meridian, Mu'adhdhin pronounces the call to prayer, and the imam sits on the pulpit, the prayer should be interrupted except the complement, and the speech would not cease before the imam inaugurates the sermon. Let the preacher pay salutation to the attendants once he turns his face towards them, and they should return the greeting to him. When the Mu'adhdhin finishes (from the second call), let the preacher stand facing the people, turning not sideways, and let him engage his hands by the handle of the sword, the short-stick or spear, or the pulpit, in order not to play with them anyway, or let him place one of them over the other.

Let him deliver two sermons, making a short break between them, in which he should sit. Let not him use abstruse and peculiar words, nor protract his utterances nor vibrate his voice. The sermon should be brief, impressive and comprehensive. It is desirable to recite (at least) a Holy Verse from the Qur'an in the second sermon. Let none who enters the mosque while the imam is delivering his sermon pay salutation, and in case he does, he should receive no verbal answer from the attendants, unless it is by way of hinting, in which there is no harm. None should say to the sneezers (during the sermon): "Might Allah bestow mercy upon you" (in case he says "Praise be to Allah").

Those conditions pertain to the validity. But there are many conditions relating to the matter of obligation. However, the Friday prayer is obligatory only upon a free Muslim male, in full possession of mental faculties, who has attained puberty, and is resident in a town including at least forty persons having the same characteristics, or in a village which is affiliate to a larger town, provided that the call of the Mu'adhdhin reaches it through its entrance, when there is silence and the Mu'adhdhin is raising his voice; and this is in view of Allah's statement: " O you who believe! When the call is proclaimed to prayer on Friday (the Day of Assembly), hasten earnestly to the Remembrance of Allah, and leave off business (and traffic): that is best for you if you but knew!" (Al-Jumu'ah 9)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾

But those are given concession to leave the Friday prayer for such excuses as the heavy rain, mud, terror, sickness, nursery, in case the patient has none to take care of him other than such nurse. Such being the case, it is desirable for those of legal excuses to delay the Zhuhr prayer until the people finish from Friday congregational prayer. On the other hand, if such persons as a patient, a slave, a traveller, or a woman, their congregational Friday prayer will be held valid, and thus it will exempt them from Zhuhr prayer; and Allah knows best.

The Exposition Of The Manners Of Friday Prayer

They are usually ten according to their sequence:

The first: One should get ready for it on Thursday, affirming his intent (to attend it), and preparing himself to receive kindly and warmly its extra reward: let him engage in supplication, asking for Allah's Forgiveness, and Tasbih after the Asr prayer of Thursday, since this hour counters the unknown hour on Friday (in which the invocation receives answer). According to one of the early righteous men: "Allah Almighty has extra bounty other than the sustenance which He distributes among His servants; and He does not give such bounty but to him, who asks Him for it in the evening of Thursday as well as on Friday." On that day, let him wash his dress and clean it well, and prepare perfume (to apply it to his body on Friday) if he has no perfume, and further empty his heart from such of occupations as might hinder him from going early in the morning to attend the Congregational Friday prayer.

Let him also on that night (of Thursday) intend to observe fast on Friday, since it has excellence, particularly if it is joined to the fasting of Thursday or Saturday; and of a surety, it is undesirable to fast it alone. Let him give life to that night by standing for supererogatory prayer and concluding the Holy Qur'an, for it has a great excellence which belongs to that of Friday. Let him have sexual intercourse with his wife on that night or on Friday (morning), for it is desirable in the sight of some people, who understand that meaning from the narration (of Ibn Majah on the authority of Abu Hurairah in which the Messenger of Allah "Peace be upon him" said): "Allah's Mercy be upon him

who (has sexual relation with his wife and thus) causes (her) to take a bath, and he himself takes a bath (on Friday); then he hastens to go (to the mosque) at the earliest portion (of the due time of the prayer)." But this does not cancel out the other concept taken from that narration, in which the dress is substituted for the wife.

In this way, the etiquette of reception is full, therewith one comes out of the assembly of the heedless, who, when it is Friday morning, say: "What is that day?" according to one of the righteous predecessors: "He who receives the greatest portion of (the reward of) Friday is the one who waits it in observance of and getting ready for it from the previous day; and he who receives the least portion thereof is the one who, when it is Friday morning, says: "Which day is it?" it is related that some of those (righteous men) used to spend the night (prior to it) in the mosque, in expectation for it.

The second: When it is morning (of Friday), let him start with bathing after sunrise, but not very early, for the nearer it is to the time of going to the mosque, the closer he will be to cleanness. Bathing (on Friday) is firmly desirable, even though some learned men are of the opinion of its obligation. (It is narrated by both Sahihs on the authority of Abu Sa'id that) the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Performing Ghusl on Friday is binding upon him has attained the age of puberty." According to the well-known narration (of both Sahihs and others) on the authority of Ibn Umar he "Peace be upon him" said: "He, who comes to (attend the congregational prayer of) Friday, let him take bath (before he comes)." (According to another narration by Ibn Hibban and Al-Baihaqi on the authority of Ibn Umar) he "Peace be upon him" said: "He, who comes to (attend the congregational prayer of) Friday, be it men or women, let him (or her) take bath (before he (or she) comes)."

It was the habit of the inhabitants of Medina to say to each other, whenever they exchanged abuses: "Verily, you are more evil than him who takes no bath on Friday." (It is narrated by Muslim on the authority of Ibn Umar): While Umar Ibn Al-Khattab was standing and delivering the sermon on a Friday, Uthman Ibn Affan came. Umar called (and asked) him: "What is the time now?" he seemed to have criticized him for his delay. He replied: "I did nothing, after I had heard the Adhan, more than I performed ablution and then came out." Thereupon Umar said to him: "Did you perform only the ablution although you know that Allah's Messenger "Allah's blessing and peace be upon him" used to order us to take a bath (on Fridays)?"

The permissibility of taking no bath on Friday is attested by It is the ablution of Uthman "Allah be pleased with him", as well as by the narration (of Abu Dawud, At-Tirmidhi and An-Nasa'i on the authority of Samurah) in which the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "He, who performs ablution on Friday, it is good; and he, who takes bath, no doubt, bathing is better." When one takes bath to get clean from the ceremonial impurity, let him pour water over the whole of his body once again, with the intention to take bath for the Friday rituals. But in case he takes only a single bath, it suffices him for purification.

Yet, it will be much better if he intends to take bath for both, and merges the bath of Friday in that of ceremonial impurity. In this respect, it is narrated that one of the holy companions entered into his son and found him having taken bath. He asked him: "Have you taken bath for Friday rituals?" he said: "No, but to get clean from the ceremonial impurity." On that he asked him to take another bath." He related to him the narration that taking Ghusl is binding upon him who has attained puberty. He ordered him to take another Ghusl for Friday because his son had not included it in his intention. But it was not unlikely to be said that it was the cleanness which was meant, and it was achieved even with no intent. But this applies also to ablution; and since executing law is a kind of worship, its extra reward then should be sought for. Whoever takes Ghusl and then passes wind or makes sound, he should perform ablution, and this will not cancel his Ghusl; but it is better to guard against that.

The third: it pertains to adornment, which is of three things: clothes, cleanness and perfume. The cleanness implies brushing the teeth with the toothpick, shaving the head, trimming the nails, and cutting the mustache, in addition to those things which we've mentioned in the book of purification. According to Ibn Mas'ud: "He, who trims his nails on Friday, Allah Almighty takes an ailment out of his body, and gets healing into it." if he enters the public bath on Thursday or Wednesday, what is intended will have been accomplished. Let him on that very day apply the best kind and the most pleasant of perfume to his body, in order that it should prevail over the offensive smells, and have the attendants nearby him relish the most pleasant odor of him, and get the best satisfaction and rest with him. However, the best of men's perfume is that, which smells good, and has no colour, whereas the best kind of women's perfume is that, whose colour appears, and it has no smell (according to the narration of Abu Dawud, At-Tirmidhi and An-Nasa'i on the authority of Abu Hurairah). According to Ash-Shafi'i: "He, who cleans his dress, will be less anxious, and he, who applies perfume to his body, will advance in mind (and wisdom)."

As far as clothes are concerned, the most desirable is the white of dresses, since it is the dearest in the Sight of Allah Almighty. Let one wear no dress, because of which he might be a centre of the people's attraction. It is not out of the right way of sunnah nor is it of any excellence to put on black dress, and some people dislike looking at it, and render it something innovated after the Messenger of Allah "Peace be upon him". Putting on a turban is desirable on that day. (It is narrated by At-Tabarani on the authority of Abu Ad-Darda', but Al-Ghazali relates it on the authority of) Wathilah Ibn Al-Asqa' that the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Verily, Allah and His angels invoke prayer and blessing upon those who put on the turbans on Friday." But if he is disturbed by the heat, there will be no harm to put it off before and after the prayer, but not at the time of walking from the house to (the mosque to attend the congregational prayer of) Friday, nor at the time of prayer, nor at the time of the imam's ascent to the pulpit, nor during his sermon.

The fourth: This pertains to going very early in the morning to the mosque; and it is desirable to aim at the mosque from as far as two or three Farsakhs. Let him go very early in the morning, and enter just at the rise of the dawn. The extra reward of going very early in the morning to the mosque is very great. In his walking earnestly to attend the Friday prayer, one should be submissive and humble, and should have the intention to stay in the mosque in the state of I'tikaf until the time of prayer, making his main goal to give quick response to the call of Allah Almighty to the Friday prayer, and hasten to get His Good Pleasure and Forgiveness. In this respect (it is narrated unanimously on the authority of Abu Hurairah that) The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Any person who takes a bath on Friday like the bath of ceremonial impurity (after sexual intercourse) and then goes for the prayer (in the first hour as early as it could be), it is as if he has sacrificed a camel (in Allah's cause). Whoever goes in the second hour, it is as if he has sacrificed a cow. Whoever goes in the third hour, then it is as if he has sacrificed a horned ram. If one goes in the fourth hour, then it is as if he has sacrificed a hen. Whoever goes in the fifth hour, then it is as if he has offered an egg. If the imam comes out the records would be folded up, the pens (of recording) would be lifted, and the angels would gather near the pulpit in order to listen to the celebration (of the Praises of Allah). If anyone comes after that, he will have come just for prayer, and no extra reward will be assured to him."

The first hour here corresponds to the rise of the sun, the second to the time of its being high and hot, the third to the time of its expansion, which causes the heat of the sand to be too scorching to warm up the feet, and both the fourth and the fifth correspond to the time between the high forenoon up to the sun decline; and the reward of the last hour is insignificant, and the time of the sun decline is just for the prayer, and there is no extra reward (to be received by him who attends the Friday prayer just in it). (It is narrated on the authority of Abu Hurairah that) the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: ""There are three (deeds), and if the people know which (reward they will receive in doing) them, surely, they would ride the swiftest camels to attain them: (pronouncing the Call to Prayer) Adhan, (standing in) the first row (in the prayer), and going very early to (the mosque to attend the ceremonies of) Friday prayer." According to Ahmad Ibn Hanbal: "The best of those (three) is to go very early to attend the ceremonies of Friday prayer)."

It is narrated (by Ibn Mardawaih on the authority of Ali that the Messenger of Allah said): "When it is Friday, the angels will come and sit at the gates of mosques (in which the congregational prayers are performed), having in their hands documents of silver and pens of gold, in order to record the names of him who comes first and the one who follows him (to attend the prayer) according to their positions (which depends upon the succession of their arrival)." It is narrated (by Al-Baihaqi on the authority of Amr Ibn Shu'aib from his father from his grandfather that the Prophet said): "The angels miss the man who is late from coming at his usual time on Friday, and they say to

each other: 'What has happened to so and so? What has delayed him to come at his usual time?' they then say: 'O Allah! If it is poverty which has delayed him, make him independent! If it is sickness which has delayed him, cure him! If it is business which delayed him, make him sincerely devoted to Your service! If it is entertainment which has delayed him, let him come with his heart to Your obedience!'"

During the first generation (of Muslims), the ways were seen to be full of people at the last portion of the night, a short while before dawn, and after the rise of the dawn, who were walking in crowds across the streets towards the mosques, as if they were on the days of festival. This state remained as such until it vanished. It is said that the first innovation (of heresy) to happen in Islam was the abandonment of going very early to the gathering mosques on Friday. How should the Muslims not feel shy of both the Jews and the Christians, who go very early in the morning to their places of worship on Saturday and Sunday? How should they not feel shy of the world seekers, who go very early in the morning to the large spaces of markets to practice transaction and gain profit? How should the hereafter seekers not compete them as if in a race (in their going very early to the mosques)?

It is said that the position of the people in their nearness to see the Countenance of Allah (in the hereafter) will be determined by the degrees of earliness of their going in the morning to attend the Friday prayer. It is narrated that once Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" entered the mosque early in the morning (of Friday) and behold! He found three having preceded him and entered the mosque earlier than him. On that he became anxious and said to himself by way of blaming it: "Fourth of four men, and verily, a fourth of four is not far from attaining (the merit of) earliness."

The fifth: it pertains to the way of entering the mosque. One should not step over the necks of the people (i.e. to surpass them in order to have his place ahead of them), nor should he pass in front of them; and of a surety, his early arrival makes it easy for him to guard against that. There is a strong threat waiting him who steps over the necks of the people, i.e. that he will be made a bridge on the Day of Judgement, over which the people will pass (according to the narration of both At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Mu'adh Ibn Anas). It is narrated (by Ibn Al-Mubarak) on the authority of Ibn Juraij that while the Messenger of Allah was delivering the sermon (on Friday) he saw a man passing over the necks of the people until he came forward and sat. when the Messenger of Allah "Peace be upon him" finished from the prayer he stood in the way of the man until he met him and asked him: "O so and so! What has prevented you from sharing the Friday prayer with us?" he said: "O Messenger of Allah! I've shared the Friday prayer with you." On that the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Have I not seen you passing over the necks of the people?" He referred to the fact that his conduct made fruitless his deed.

It is further narrated (by Abu Dawud, An-Nasa'i and Ibn Hibban on the authority of Abdullah Ibn Busr that) he "Peace be upon him" said to (him who

stepped over the necks of the people): "What has prevented you from offering prayer with us?" He said: "Have you not seen me O Messenger of Allah?" he "Peace be upon him" said: "I've seen that you have delayed to come early, and further caused harm to the people (when you stepped over their necks to sit ahead of them)." but once the first row is seen to be empty and left by the attendants, one has the right to step over their necks to sit in it, for they have wasted their right, and left the position of the extra reward. According to Al-Hassan: "You might step over the necks of the people who sit at the gates of the mosques on Friday, since they have no sanctity." If, on entering the mosque, there are but the praying people, let not him pay them salutation, for in this case, he will impose upon them to give answer unfittingly.

The sixth: let none pass in front of the people, and rather sit wherever he is, close to a pillar or a wall (as possible as he could), in order that none should pass in front of him during prayer. It is true that the passage (in front of the praying man) does not interrupt the prayer, but it is forbidden in view of the narration (of Al-Bazzar on the authority of Zaid Ibn Khalid in which) he "Peace be upon him" said: "It is better for one to stand and wait for as long as forty years than to pass in front of a praying man." (According to another narration on the authority of Abu Na'im on the authority of Ibn Umar): "It is much better for one to be ashes or bones decomposed, scattered about by the wind than to pass in front of a praying man." It is further narrated (by As-Sarraj on the authority of Zaid Ibn Khalid) pertaining to the praying man and the passer-by in front of him, that once he offered prayer on the way when he said: "If the passer-by in front of a praying man and a praying place knows what is on them (during prayer), it will be much better for the passer-by to stand and wait as long as forty years than to pass in front of the praying man."

The pillar, the wall and the furnished sheet of praying act as a limit for the praying man, in such a way that if one tries to surpass this limit, he should be driven away (even by force). (It is narrated unanimously on the authority of Abu Sa'id that) he "Peace be upon him" said: "Let him (the praying man) drive him away (i.e. the passer-by in front of him). If he (the latter) refuses, let him drive him away once again. If he insists he then should fight him, for in this case he acts as a devil." It was the habit of Abu Sa'id Al-Khudri to drive away him who tried to pass in front of him, so much violently that he would knock him down. Once he did so, and the man (whom he drove away) hung to him, and made a complaint against him to Marwan (the Medina's governor). He told him that the Messenger of Allah "Peace be upon him" ordered him to do so. But in case there is no pillar, let him fix something in front of him, equal to a cubit in length, in order to act as a sign of his limit.

The seventh: one should seek the first row, which is of great excellence and superiority as we've related earlier. It is narrated (by both Ibn Majah and Abu Dawud on the authority of Aws Ibn Aws Ath-Thaqafi that) he "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who (has sexual relation with his wife and thus) causes (her) to take a bath, and he himself takes a bath on Friday; then he

hastens to go (to the mosque) at the earliest portion (of the due time of the prayer) and attends the first portion of the sermon; (and goes) walking not riding; becomes close to the imam and pays attention (to the sermon), and does not speak (during the sermon): this will be expiation for (such of sins as he commits in the period) between both Fridays, and three days besides" (or according to another version, "Allah will forgive for him (all of his sins he commits) from the current Friday to the next Friday"). But this should be on the condition, according to some narrations, not to step over the necks of the people.

However, the seeker of the first row should not be heedless of three things:

Firstly: if he sees in the first row something disapproved and he knows he has no power to change, such as the wearing of silk, whether on the part of the imam or anyone else, or the prayer in heavy weapons which might divert the praying ones, or in weapons decked with gold, or the like of that which should be rejected, it is much safer for him to be in the rear. This is what a group of the learned men of knowledge did, seeking safety and peace. It was said to Bishr Ibn Al-Harith: "We see that you come (to the mosque) very early in the morning but pray in the last row." On that he said: "Verily, it is the nearness of hearts and not of bodies which is intended." He referred to the fact that this position (which he took) was closer to the safety and peace of his heart.

Once Sufyan Ath-Thawri saw Shu'aib Ibn Harb sitting close to the pulpit, and paying attention to the sermon of Abu Ja'far Al-Mansur. When he finished from the prayer he said to him: "I've been occupied by your closeness to this (Al-Mansur): do you feel secure against hearing something form him which you should reject, and you could not do it?" he made a mention to him of the wearing of blackness which they had innovated. He asked him: "O Abu Abdullah! Is the following narration (of Abu Dawud on the authority of Samurah) not sufficient: "Come close (to the imam) and pay your attention (to him)"?" he said: "Woe to you! This implies only those rightly-guided and well-guided caliphs (who were the real successors of the Prophet). But as for those, the farther you become form them and the less you look at them, the closer you become to the Presence of Allah Almighty."

Sa'id Ibn Amir said: Once, I offered prayer by the side of Abu Ad-Darda'. He kept moving backward to the rear of rows until we returned back to the last row. When we finished from the prayer I asked him: "Is it not said that the best of rows is the first of them?" he said: "We know that with certainty. But this nation, from amongst all the nations, will receive Allah's Mercy and Sight. If Allah Almighty looks at anyone of His servants in prayer, He will forgive for him as well as for such of the people as stands behind him. I returned back in the hope that Allah Almighty might forgive me through anyone of the people at whom He might look." According to another version he added: I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" having said: "That, and if one returns back with this intention, and out of giving preference to others over himself, and showing good manners, there will be no harm." At that point it is

said that "The (rewards of) deeds are (reckoned) in accordance to the intentions (of their doers)."

Secondly: in the absence of any loges or compartments taken from the area of the mosque to be specified only for the magistrates and governors, the first row then is desirable, otherwise, it is undesirable in the sight of some learned men to enter the loge. Both Al-Hassan and Bakr Al-Muzani used not to offer prayer in the loge, seeing that it was restricted only to the magistrates and governors, as one of the innovations made in the mosques after the death of the Messenger of Allah "Peace be upon him". To be sure, the whole area of the mosque should be for the common use of all the people (who like to practice their religious service), and taking a loge from the mosque contradicts that. But it is well-known that both Anas Ibn Malik and Imran Ibn Hussain prayed in the loge, and they did not dislike that for the sake of attaining closeness (to the imam). This suggests that such aversion is limited when there is restriction in the use of such loge. But there is no aversion in the loge itself, as long as its use is not restricted to anyone and not to all the people.

Thirdly: the pulpit interrupts some of the rows. However, the first row is that which is connected, and it occupies the area in front of the pulpit and what is on both its ends is interrupted. According to Sufyan Ath-Thawri: "The first row is that which appears in front of the pulpit." This statement is reasonable, since it is connected, and he who sits in it faces the instructor, and listens to his sermon. But it is not unlikely to say that the first row is that which is the closest to the Qiblah; and in this way, there is no point to regard the pulpit. Furthermore, it is undesirable to offer prayer in the markets or in the spaces which are outside the mosques. Many companions used to beat men (who were praying there) and force them to leave such spaces outside the mosque.

The eighth: Let one interrupt the prayer once the imam comes out, and let him further cease to speak. He should rather engage himself in answering the Mu'adhdhin, and after that he should pay attention to the sermon. Some folk people were in the habit of falling in prostration on the standing of the Mu'adhdhins, but this has no reference either in the Prophetic traditions or in the historical narrations. But if it coincides with any of those prostrations of recitation (of the Qur'an) there will be no harm in it for supplication, since this time is meritorious, and prostration in it could not be judged as forbidden, since there is no reason for forbidding such prostration.

It is narrated that both Ali and Uthman "Allah be pleased with them" said: "He, who pays attention (to the sermon) and keeps silent, will have a double reward; and he, who pays no attention but keeps silent will have a single reward; and he, who listens (to the sermon during which he) speaks with falsity will bear a double of sins; and he, who does not listen but speaks with falsity will bear a single sin." (It is narrated by At-Tirmidhi, Anas and Abu Dawud on the authority of Abu Hurairah that) he "Peace be upon him" said: "He, who says to his companion (who sits by his side) while the imam is delivering the sermon: "Keep

silent" has, indeed, spoken with falsity; and he, who speaks with falsity (during the sermon) will have no (reward for) Friday congregation."

This signifies the fact that even to prompt somebody to keep silent should be by way of signals or throwing him with pebbles, and not through speech. It is narrated (by Ibn Majah and others on the authority of Ubai Ibn Ka'b that) On one Friday the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" recited (in the sermon) the Surah of Al-Mulk. Then, Abu Dharr poked asked Ubai Ibn Ka'b: "When has this Surah been revealed? I've never heard it before now!" He beckoned to him to keep silent. When the Messenger of Allah finished from the prayer and descended from the pulpit, and they turned away, Abu Dharr said to Ubai: "I asked you when this Surah had been revealed; and you did not tell me (what is the reason?)" Ubai said to him: "You will receive nothing from (the reward of) this Friday congregation (more than the sin of your vain talk)." When he went to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and made a mention of that to him, and told him of what Ubai said, the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Ubai has told the truth."

If one is sitting far from the imam, he should not talk about anything such as even the knowledge or the like of it, for this might lead to noise, which inevitably causes harm to the listeners (of the imam's sermon). For this reason, he should keep silent. One should not also sit in the ring-shaped gathering of those who speak (during the sermon). If one fails to listen while being far (from the imam), let him then keep silent for silence is desirable (since it enables all to hear well). If it is undesirable to offer prayer during the time the imam is delivering his sermon it is then more undesirable to talk at that time. According to Ali "Might Allal honour him": "It is undesirable to offer prayer at four times (of the day): just after Fajr prayer, after Asr prayer, at exactly midday, and during the time the imam is delivering the sermon of Friday."

The ninth: let him observe, in following the imam on Friday congregation, the same conditions applicable to the other prayers as we've mentioned earlier. When he hears the recitation of the imam, he should not recite more than Al-Fatihah. When the imam finishes from the Friday prayer, let him recite, before he speaks with anyone, "Praise be to Allah" seven times, "Say: 'He is Allah, the One and Only..." and both Surahs of seeking refuge (with Allah from Satan) seven times. According to one of the ancient righteous men: "If one recites that, he will be safeguarded (from any harm) from the current Friday to the next Friday, and this will act as protection for him from Satan." It is strongly desirable to say after the Friday prayer: "O Allah, Free of want, Praiseworthy, the Creator from the very beginning, and the Restorer (of life), Most Merciful, Full of kind-affection: make me independent with what You have made lawful from what You have made unlawful, and (satisfy me) with Your Bounty from anything else." It is said that if one supplicates with that invocation regularly, Allah Almighty will make him independent from anyone of His creatures, and provide him with sustenance from sources which he expects not.

After the Friday congregation, let one pray six rak'ahs (as supererogatory).

In this issue, it is unanimously narrated on the authority of Ibn Umar that the Messenger of Allah "Peace be upon him" used to offer a two-rak'ah prayer after Friday congregation. But he "Peace be upon him" exhorted people to offer four rak'ahs according to the narration (of Muslim) on the authority of Abu Hurairah, and six according to the narration (of Al-Baihaqi) on the authority of both Ali and Abdullah Ibn Abbas. However, all are right, in accordance with the different states, even though the greatest in number is much better.

The tenth: let him stick to the mosque until he offers Asr prayer; and if he remains in the mosque until he offers Maghrib prayer, he will be more excellent. It is said that he, who offers Asr prayer in congregation in the mosque, will have the reward of Hajj; and he, who (remains in the mosque until he) offers Maghrib prayer in it will have the reward of both Hajj and Umrah. But, if he does not feel secure against the possibility of affecting goodly way, or being afflicted or given to harm, because of the people's looking upon his solitude, or if he is afraid that he might be involved in discourse about that which is not of his business, let him return home safely and peacefully, celebrating (the Praises of) Allah Almighty, considering His Graces, thanking Allah Almighty for granting him success, fearing of his indulgence, watching both his heart and tongue until sunset, in order not to miss the exalted hour (in which the invocation receives answer from Allah).

Let not him further be involved in talks about the affairs of this world, whether in the gathering mosque or anywhere else (on that day). (It is narrated by Al-Baihaqi on the authority of Al-Hassan, and Al-Hakim on the authority of Anas, and Ibn Hibban on the authority of Ibn Umar that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A time will come upon my people, in which the affairs of their world will constitute their talks in the mosques: sit not in their company, for Allah Almighty is not in need of their (religious service)."

The Exposition Of Further Manners Outside This Sequence

Those cover the whole day, and they consist of seven things:

The first: let him attend the gatherings of knowledge either in the morning or in the afternoon, but let not him attend the gatherings of storytellers, since there is no good in their speech. The follower of the path should not keep himself during the whole day of Friday, far from doing good, and invoking Allah Almighty, perchance the exalted hour (in which the invocation receives answer) should come upon him while being in good. Furthermore, let not him attend the ring-shaped gatherings before the prayer, for it is narrated (by Abu Dawud, An-Nasa'i and Ibn Majah) on the authority of Abdullah Ibn Umar that the Messenger of Allah "Peace be upon him" forbade sitting in ring-shaped gatherings in the mosque before the prayer on Friday.

But in the case of a gathering of Allah's knowledge which reminds of Allah's Days, and instructs in Allah's religion, to be held in the morning in the mosque,

there is no harm for one to sit therein; and in this way he will combine both the earliness of going to the mosque, and listening to knowledge. To be sure, to listen to an item of knowledge which of benefit in the hereafter is much better for one than to be engaged in the supererogatory deeds. According to the narration on the authority of Abu Dharr, the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "To attend a gathering of knowledge is much better than to offer a supererogatory prayer of one thousand rak'ahs."

In comment on Allah's saying: " And when the Prayer is finished, then may you disperse through the land, and seek of the Bounty of Allah: and celebrate the Praises of Allah often (and without stint): that you may prosper" (Al-Jumu'ah 10)

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

Anas Ibn Malik said: "This does not mean to seek the worldly benefits, but it means to (do such deeds as to) visit a patient to enquire about his health, to attend a funeral procession, to learn an item of knowledge, or to visit a brother in (the religion of) Allah Almighty." Allah Almighty gives knowledge the name of grace in many location of the Qur'an. He says: " and taught you what you knew not (before): and great is the Grace of Allah unto you." (An-Nisa 113)

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾

He further says: "We bestowed Grace Aforetime on David from ourselves." (Sheba 10)

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ﴿١٠﴾ ﴾

Of a surety He refers to knowledge. To learn and teach knowledge on that day is from amongst the most excellent religious services.

But to offer supererogatory prayer is much better than to attend the gatherings of storytellers, which they thought to be an innovation; and this led them to drive such storytellers out of the mosque. Once, Ibn Umar went very early in the morning to his gathering in the mosque, and behold! There was a storyteller sitting in his place. He asked him to stand from his place, thereupon he said: "I will not stand since I sat and preceded you to it." Ibn Umar summoned the policeman who drove him out of the mosque. Had storytelling been out of the right way of sunnah, it would have been impermissible to make him stand from his sitting place.

(It is unanimously narrated on the authority of Ibn Umar that) the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Let none of you make his brother stand from his place in order to sit therein instead of him, but you'd rather come closer to each other and leave spaces (for your brother to sit beside you)." Ibn Umar himself was in the habit not to sit in a place from which a man stood for him until he should return to it. it is narrated that a storyteller used to sit in the courtyard of the dwelling place of A'ishah, thereupon she sent to Ibn Umar saying: "This man has caused harm to me with his stories, and diverted me from

my supererogatory prayers." Ibn Umar beat him severely until he broke his stick on his back and then drove him away.

The second: he should be a well-watcher of the exalted hour (in which the invocation receives answer). It is narrated (by Ibn Majah) on the authority of Amr Ibn Awf Al-Muzani that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "On Friday, there is an hour of the day, and no Muslim servant happens to agree with it and asks Allah Almighty to give him anything but that he will be given it." according to another version "No Muslim servant happens to agree with it during his prayer and asks Allah for anything but that he will be given it." there is difference about its exact time. It is said to be at the time of sunrise, or at the time of sun decline, or at the time of pronouncing the Call to prayer, or at the time of the imam's ascent to the pulpit, and going on delivering his sermon, or at the time the people stand to assume the prayer, or at the last portion of the time of afternoon, or a short time before sunset; and it is exactly that time which Fatimah "Allah be pleased with her" (daughter of the Prophet) used to observe: she used to tell her servant-maid to watch the sun for her, and inform her of its fall, thereupon she would go on invoking and asking for Allah's Forgiveness until the sun would set. She related from her father that this is the expected hour (in which the invocation receives answer from Allah).

According to some learned men of knowledge, the exact time of this hour is unidentified, and it might happen at any portion of the day, like the night of Power, which should be watched. But it is also said that it moves about across all the hours of Friday, the same as does the night of Power (across the last ten days of Ramadan), and this is the most fitting to be right. It has a mystery, which is not fitting to be mentioned in this science of practical religion. But it might be confirmed by the narration (of At-Tabarani on the authority of Muhammad Ibn Maslamah, Ibn Abd Al-Barr on the authority of Anas, and Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Abu Hurairah that) he "Peace be upon him" said: "Your Lord has so many gifts therewith He provides you (from time to time) across your days: so, expose yourselves to His gifts." However, Friday is one of those days, so, the servant should be, during the whole day, exposed to that by stimulating the heart to be attentive, sticking to the celebration (of the Praises of Allah), refraining from the evil suggestions of this world, perchance he would obtain anything of those gifts.

It is narrated by Abu Dawud, Ibn Majah and An-Nasa'i that Ka'b Al-Ahbar said (to Abu Hurairah): "It is the last hour of Friday, i.e. at the time of sunset." He said to him: "How should it be the last hour of Friday, since the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "And no Muslim servant agrees with it while being in prayer..." and there is no prayer to be offered at the last hour." On that he said: "Is it not that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who sits in a certain place in expectation for the coming prayer, is considered to be in prayer". He said: "Yes." He said: "This is what is intended here." Abu Hurairah then kept silent. Ka'b was of the opinion that it is (no more than) a mercy from Allah which He bestows

upon those who undertake the duties of this day as it should be, and the exact time of its bestowal is just on finishing from the deed. In short, this time is exalted, besides that of the imam's ascent to the pulpit: so, let one invoke Allah so much in both times.

The third: let one invoke Allah's prayer and blessing upon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" so much on that day, (depending upon the narration of Ad-Daraqatni on the authority of Sa'id Ibn Al-Musayyab from Abu Hurairah in which) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who invokes Allah's prayer and blessing upon me on Friday eighty times, Allah will forgive for him the sins of eighty years." It was said: "O Messenger of Allah! How should one invoke Allah's prayer upon you?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It is to say: 'O Allah! Send Your Prayer and Blessing upon Muhammad, Your Servant, Prophet and Messenger, i.e. the unlettered Prophet' and count one." But it will be better to say seven times: "O Allah! Send Your prayer and blessing upon Muhammad and upon the family of Muhammad, in such a way as to be a cause of obtaining Your Good Pleasure, fulfilling his (the Prophet's) right (upon us), and give him the access (to intercession), and raise him to the high praiseworthy station which You've promised him, and reward him on behalf of us as much as is fitting for his position, and reward him in the best way You've rewarded a Prophet on behalf of his nation, and send Your prayer and blessing upon him, as well as upon all of his brothers, from amongst the Prophets and Messengers, and the righteous: You are the Most Merciful of those who are merciful." It is said that if one says it along seven Fridays, seven times on each, his (the Prophet's) intercession will be assured to him.

If one likes to do more, let him recite the traditional invocation which goes as follows: "O Allah! Cause the excellence of Your blessing, Your growing benefactions and the honour of Your benevolences, mercy and felicitation to come upon Muhammad, who is the chief of all of the Messengers, the leader of the Allah-fearing (among the people), the Seal of the Prophets, the Messenger of the Cherisher and Sustainer of the worlds, the Captain of Good and the Conqueror of Righteousness, the Prophet of Mercy and the Chief or the People. O Allah! Raise him to a station of glory through which he advances in nearness and by which his eye is cooled and on account of which the first and the last emulate him without envy. O Allah! Give him favour, excellence, honour, access, the exalted degree and the lofty, overtopping position. O Allah! Give Muhammad his request, make him attain his hope, make him the first intercessor, and the first of those whose intercession is successful. O Allah, make clear his proof, weigh down his balance, make effective his argument, and exalt his degree among the highest of Your nearest devotees. O Allah, assemble us in his party and include us among the people of his intercession! Make us live according to his right way of sunnah, and cause us to die according to his religion, and bring us to his Fountain-Lake, and let us drink in his cup, unashamed, not regretting, not

doubting, not changing, not trying others, and not tried! *Amen* O Lord of the Worlds!"

In short, whatever words one might use in his invoking Allah's prayer and blessing upon the Prophet, and even if it is the famous one recited in the testification, he will have invoked for Allah's prayer and blessing upon the Prophet. but, let him add to it his asking for Allah's Forgiveness, since it is desirable on that day.

The fourth: it relates to the Recital of the Qur'an. So let him recite so much of it. Let him recite the Surah of Al-Kahf (the Cave) in particular, for it is transmitted (even though this narration is unidentified) on the authority of Ibn Abbas and Abu Hurairah tracing it back to the Prophet "Peace be upon him" that "He who recites the Surah of Al-Kahf on the eve of Friday or on Friday will be given a light from where he recites it to Mecca, and he will be forgiven until the next Friday, in addition to three days besides, and seventy thousand angels will invoke Allah's prayer and blessing upon him until morning enters upon him and he will further be saved from illness, the stomach trouble, pleurisy, leprosy, elephantiasis and the affliction of the Antichrist.

It is desirable for him to conclude his recital of the Qur'an on Friday and the eve of Friday, if it is possible for him, and let such conclusion of the Qur'an be in the two *rak'ahs* of the Fajr prayer if he has been reciting at night, or in the two *rak'ahs* of the Maghrib prayer, or in the interval between the Call to prayer and the establishment of the Friday prayer, for it has great excellence. The righteous worshippers were inclined to recite the Surah of "Say: "He is Allah, the One and Only'" one thousand times on Friday; and it is said that reciting it along ten or twenty rak'ahs is better than an entire recital of the Qur'an. They also used to invoke Allah's Prayer and Blessing upon the Prophet "Peace be upon him" one thousand times, to say Exalted be Allah, Praise be to Allah, there is no god (to be worshipped) but Allah, and Allah is Greater" one thousand times. If he recites the six Praises on Friday or the eve of Friday it is well. It is not narrated from the Prophet "Peace be upon him" that he was in the habit of reciting certain *Surahs in total* except on Friday, and on the eve of Friday. He used to recite at the Maghrib prayer of Friday evening, "Say, O you who reject faith!" and "Say, 'He is Allah, the One and Only!". He used to recite in the Isha' prayer of Friday, the Surah of Al-Jumu'ah and Al-Munafiqun. It is narrated that he used to recite them both in the two *rak'ahs* of the Friday congregation. He used to recite in the Morning prayer of Friday both Surahs of Luqman and Al-Insan.

The fifth: it pertains to the supererogatory prayers. It is desirable, on entering the mosque, to pray four rak'ahs, with the recital of "Say: 'He is Allah, the One and Only'" two hundred times, i.e. fifty in each rak'ah. In this respect, it is narrated (by Al-Khatib on the authority of Ibn Umar) that the Messenger of Allah "Peace be upon him" told that whoever did so would not die until he should see his seat in the Garden, or until it should be seen for him (by others). let not him also leave the two-rak'ah prayer of greeting the mosque, even if the imam is delivering his sermon, but he should rather make them short. However,

it is the Messenger of Allah "Peace be upon him" who issued this command. According to a strange narration, once the Messenger of Allah "Peace be upon him" kept silent for the one who entered (the mosque) until he prayed them. According to the Kufis, if the imam keeps silent for him, he then should pray them.

It is desirable, on that day or on its eve, to offer a four-rak'ah prayer with the help of four Surahs: Al-An'am, Al-Kahf, Ta ha, and Ya Sin. But in case he could not recite them well, let him substitute for them the Surahs of Ya Sin, Luqman, Ad-Dukhan and Al-Mulk. But let not him leave reciting those four Surahs on the night of Friday, for their excellence is very great. Whoever cannot recite them well should then recite what he can do well, and it is equal to an entire recital of the Qur'an for him. He should recite so much the Surah of Al-Ikhlas. It is desirable to offer the prayer of Tasbih, according to the way that will be discussed in the Chapter on the Voluntary prayers, for it is narrated that the Messenger of Allah "Peace be upon him" told his uncle Al-Abbas to pray it on every Friday. Ibn Abbas was eager not to leave offering this prayer on Friday after the sun decline, and he told of the magnificence of its excellence. It is better to devote one's time up to the sun decline to the prayer itself, and the period after the Friday congregation up to mid-afternoon to the listening to knowledge, and after that up to sunset to Praising and Asking for Allah's Forgiveness.

The sixth: giving alms is desirable so much on that day in particular, and its reward is multiplied many times, with the exception of him, who begs during the imam's sermon, and interrupts his speech, for indeed, this is undesirable. According to Salih Ibn Muhammad: A needy indigent begged (the people on Friday congregation) while the imam was delivering his sermon, and he was sitting by the side of my father. A man gave my father a fragment to convey it to him, but my father rejected to take it. according to Ibn Mas'ud: "If a man begs the people in the mosque, he will not deserve to be given; and if somebody begs the people in return for his recital of the Qur'an, give him nothing." Some learned men disliked to give alms to those who beg in a mosque, wherein they step over the necks of the people, unless one begs while standing or sitting in his place, without passing over the necks of others.

Ka'b Al-Ahbar said: "He, who attends the Friday congregation and then turns away and gives a pair of different things as alms, and then returns and performs two *rak'ahs,* making perfect their Bowings, Prostrations and submission, and then says: 'O Allah! I ask You by Your name, in the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful, and in Your Name, besides Whom there is no God, the Living, the Self- Existing, whom neither slumber nor sleep takes', does not ask Allah anything but that He will give it to him." According to one of the early righteous men: "If one feeds an indigent on Friday, and then goes very early in the morning (to attend the Friday congregation), and causes no harm to anyone, and says, once the imam utters the End Salutation: "In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful, Ever-Living, Self-Subsisting, Eternal: I ask You to forgive me, bestow mercy upon me, and rescue me from the fire (of Hell)", and then

supplicates him with whichever invocations seems to him, it will receive answer from Him."

The seventh: let one specify Friday only to the hereafter, on which he should refrain from any of the worldly matters and affairs, and rather address himself so much to the devotional recitals of litanies (and sections from the Qur'an and celebrations). Furthermore, let not him begin any journey (he intends to make) on that day, for it is narrated that he, who sets out on journey on the night of Friday, his two accompanying angels invokes evil upon him. However, it is forbidden if it is to start just after dawn, unless one will miss the company of the fellow-travellers. It is disliked, according to an early man, to buy water from the water-carrier in the mosque, for the purpose of drinking or donating it to the wayfarers, in order not to be sold in the mosque itself, in which it is undesirable to practice transaction. But they are of the opinion that there is no harm (to buy it and) give a bit (of money, i.e. its price) outside the mosque and then bring it to be taken or donated to the wayfarers in the mosque. In short, one should, on Friday, do much of his litanies and good deeds, for indeed, if Allah Almighty loves anyone of His servants, He will engage him, in the meritorious times, in the most excellent deeds, and if He dislikes a servant, He will engage him, in the meritorious times, in the worst deeds, in order to make his punishment more painful, and his aversion more intensive, through depriving him of the blessing of the time, and causing him to violate its inviolability. On the other hand, there are many supplication, which are desirable on Friday in particular, and they will be mentioned later in the Book of Supplications, Allah Willing: and Allah's blessing an peace be upon every well-chosen servant.

CHAPTER SIX: ON THE DIFFERENT PROBLEMS WHICH CAUSE GENERAL DISTRESS, OF WHICH A DEVOTEE NEEDS TO HAVE KNOWLEDGE

As to the problems whose occurrence is rare, we've discussed them in detail in the books of jurisprudence.

The Problem of the Slight Act: Although it does not make valid the prayer, it is undesirable, unless there is need for it, such as to avert a passers-by (in front of the praying man), and to kill a scorpion that one fears and can kill with one or two blows, but when they are three, they become too many, and thus invalidate the prayer. likewise one may avert from himself a louse and a flea, once he is harmed by them; and the same is true of his need of scratching, which disturbs him from submissiveness. Mu'adh used to catch a louse and a flea during the prayer, and Ibn Umar used to kill a louse and a flea during the prayer, to the extent that the blood would appear on his hand. According to An-Nakh'i: "One could catch and disable it and there is no blame against him if he kills it." According to Ibn Al-Musayyab : "He could take and benumbs it and then throws it down." According to Mujahid: "The dearest to me is to let it alone unless it harms him, and diverts him from his

prayer: in this case, one should disable it enough so as to cause no harm to him and then throw it away."

This is only a concession, otherwise it is out of perfection to guard against the action, no matter slight it might be. In this connection, one of them was used not to drive away a fly, for he said: "I will not accustom myself to that (act), lest it would corrupt my prayer for me, recalling in memory what I heard about the wicked who are patient before kings under great suffering, and do not move." When one yawns, there is no harm in putting his hand over his mouth, which is preferable. If he sneezes let him praise Allah in himself, without moving his tongue. If he belches, let not him raise his head up towards the sky. If his garment falls down, let not him set it right, and let him do so with the ends of his turban, for all of that is undesirable, unless it is necessary.

The problem of praying in sandals: it is permissible, although putting off both sandals is very easy. However, it is not for the difficulty of taking off both footwears that there is concession (to perform ablution in them), but for the fact that this kind of filth is pardonable. The same applies to the leather socks. It is narrated (by Ahmad, Abu Dawud, Ibn Majah and Al-Hakim on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri) that the Messenger of Allah "Peace be upon him" offered prayer (at first) in his sandals, and then he took them off, with the result that the people also took off theirs. He asked them: "Why have you taken off your sandals (in prayer)?" they said: "We saw you having taken off yours, and thus we've taken off ours." On that he "Peace be upon him" said: "Gabriel "Peace be upon him" came to me and told me that there was filth in them. So, if anyone of you intends to enter the mosque (in his sandals), let him turn his sandals, and catch a glimpse of them: if there is filth in them, let him rub it against the earth, and then offer prayer in them."

According to somebody, to offer prayer in both sandals is more excellent, for the Messenger of Allah "Peace be upon him" asked them: "Why have you taken off your sandals?" but this is exaggeration, for the Messenger of Allah "Peace be upon him" asked them only to show to them the reason for which he took off his sandals, knowing that they did only in conformity with his act. According to the narration (of Muslim) on the authority of Abdullah Ibn As-Sa'ib, the Messenger of Allah "Peace be upon him" took off his sandals in prayer. Thus, as long as he "Peace be upon him" did both, (there is no harm either to put on or put off them in prayer). But, if one takes them off, let not him put them on his right nor on his left side, lest the praying place would become narrow, and the row (of praying men) would be interrupted.

He then should place them in between his legs, but not behind him, lest his attention would be diverted to them during the prayer. It seem that those who see it better to offer prayer in sandals observe this notion, i.e. one's attention might be diverted to them (during the prayer). In this context, it is narrated (by Abu Dawud) on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "If anyone of you prays (and choose to leave his sandals during the prayer), let him place them in between his

legs." Abu Hurairah himself said to another man: "Place them in between your legs, and cause no harm to a Muslim by them." but (according to the narration of Muslim on the authority of Abdullah Ibn As-Sa'ib) the Messenger of Allah "Peace be upon him" placed his sandals on his left side. However, he did so because he was the imam, and the imam has the right to put them on his left side, since none stands on his left. It is more fitting not to place them in between his legs, lest they would divert his attention. But rather let them in front of his feet; and perhaps this is what is intended by the narration. According to Jubair Ibn Mut'im: "Putting one's sandals in between his feet is an innovation."

A problem: if one spits during the prayer, his prayer will not be invalid, for it is considered a slight act, and what produces no sound could, by no means be regarded as speech, as well as it does not appear in the form of letters. But it is undesirable. So, it should be avoided, except in accordance with the way that is permitted by the Messenger of Allah "Peace be upon him". It is narrated (by Muslim, Abu Dawud and others on the authority of Jabir that) once, the Messenger of Allah "Peace be upon him" saw a sputum on the wall of the direction of the Qiblah of the mosque, which provoked his anger severely, and he came and removed it with the lower part of date-stalk. Then he said: "Bring me (any kind of) scent." And the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" smeared the traces of the sputum with saffron. Then, he turned his face to us and said: "Which of you is pleased to have somebody spit in his face?" we said: "No one." On that he resumed: "When anyone of you is in prayer, Allah Almighty becomes between him and the Qiblah, (or according to another version, he, indeed, faces his Lord Almighty). So, let not him spit on his right, nor in front of him, but, (if it is necessary for him to spit) let him spit on his left or under his (left) foot; and in case he is in urgent need to do, let him spit in his garment, and do with it as such." He then rubbed its parts with each other.

A problem: there are two points for the standing of the one led in prayer: one in accordance with the tradition, and the other in accordance with the obligation. As far as the point of tradition is concerned, the individual (who prays alone behind the imam) should stand on his right, drawn back from him a little, and the woman should stand behind the imam. But if she stands by the side of the imam, it will not be harmful, although she will have contradicted the tradition. In case there is a man besides her, let him stand by the right side of the imam, drawn back from him a little, and the woman behind that man. Furthermore, let none stand alone behind the row, but rather let him enter into the row, or (if it is difficult) draw somebody from the row to him (to stand beside him). It is true that his standing alone does not invalidate his prayer, but it is undesirable.

As far as the point of obligation is concerned, it pertains to the continuity of the row, i.e. to have a connection which joins both the imam and the one led in prayer, since both are in a congregation. If they are praying in a mosque, it suffices for a joining connection, for it has been constructed for that, and in this

case, there is no need for the connection of the row so much as for the recognition of the imam's acts. It is related that Abu Hurairah prayed on the roof of the mosque with the prayer of the imam (within the mosque). But if one led in prayer prays in the front of the mosque, in an adjacent roadway or open space and there is no obstacle of structure to separate them, the nearness of the measure of an arrow's bowshot distance is sufficient. There is sufficient connection in prayer as long as the act of one of them reaches the other. But the continuity of the row is stipulated only when one stands in the courtyard of a house on the right or the left of the mosque, with its door open to the mosque, and the condition in this case is that the row of the mosque should extend to the inside of the courtyard's passageway, without a break, to such courtyard. Then the prayer of the one who is in that row and what is behind it is valid, but not the prayer of the one who is in front of it. This is the rule of the separated buildings. But as for a single building and a single court, they are like an open space (in which no row continuity is stipulated).

A problem: When the late-comer arrives at the time the imam is in the last portion of his prayer, let him consider it the first portion of his prayer. So let him come into agreement with the *imam,* and build upon that, and let him recite the *Qunut* Supplication in the morning at the last portion of his own prayer, even though he has recited the *Qunut* Supplication in the morning at the last portion of his own prayer, even though he has recited the *Qunut* Supplication, along with the imam. If he in time joins a part of the Standing Posture along with the *imam,* let not him engage himself in the Supplication, but rather let him begin with the Fatihah, and let him do it quickly. Then, if the *imam* does the Bowing before he finishes the Fatihah, and he is able to catch up with him a short while before his rising from the Bowing, let him finish it. But if he is unable, let him come into accord with the *imam* and bows when he does. A part of the Fatihah has the authority of the whole of it, so the Fatihah falls away from him because of their going ahead of him. If the *imam* bows while he is in the midst of reciting the *Surah* let him break it off.

If he catches up with the *imam* in the prostration posture or in the sitting for testification, let him utter the *Takbir of assuming the prayer,* and sit, without uttering the *Takbir* of transitions, unlike the case when he catches up with the *imam* in the Bowing, for he utters the *Takbir* for the second time in the bending over because that is a transition reckoned for him, and the *Takbirs* are for the original transitions, not for incidents in the prayer on account of following the *imam* on the part of the late-comer. But he will not be considered to have caught up with the *rak'ah* unless he does not feel at ease in that position of bowing while the *imam* is still within the time limit of those bowing with him. Yet, if his feeling at ease in the position of bowing is not complete until after the *imam* has passed out of the time limit of those bowing, that *rak'ah will be regarded to have* escaped him.

A problem: Let him whom the Zhuhr prayer escapes up to the time of Asr prayer perform the Zhuhr prayer first, and then the Asr. But if he begins with the Asr prayer, that may do, but in this case he will have left what is preferred, and

come under the risk of disagreement. However, if he finds an *imam* to follow, let him offer the Asr prayer and then offer the Zhuhr prayer after it. of a surety, the Congregational prayer has more claim to be offered first. But if he offers prayer individually in the early portion of the time, and then catches up with the Congregational prayer, let him offer prayer in the congregation, and state the Intention of the prayer of the time, and Allah will take account of whichever He wills. But if he states the Intention of a prayer that has escaped, or of a Voluntary prayer, it is permissible. If he has just offered a prayer in congregation, after which he catches up with another congregation, let him state the Intention of a prayer that has escaped, or a Supererogatory prayer, for there is no point to repeat a prayer which has been fulfilled in the congregation, even though it is acceptable only for the sake of assuring the excellence of Congregational prayer.

A problem: If one offered prayer and then saw filth on his garment, it is more desirable to offer prayer in lieu of it, even though it is not binding upon him. If he sees the filth on his garment during the prayer, let him throw it away, and complete his prayer; and it is desirable to restart it. the reference of that is the story or removing both sandals, when Gabriel "Peace be upon him" told the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that they had filth on them, thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did not restart the prayer.

A problem: If one leaves the first testification, or the Qunut supplication, or the invocation of Allah's prayer and blessing upon the Prophet, or forgetfully does any act of those which might invalidate the prayer when done intentionally, or has suspicion as to how much he has prayed, whether three or four, let him depend upon what is (closer to) certainty, and offer both prostrations of forgetfulness before the End Salutation. But if he forgets to offer such prostrations, let him offer them after the End Salutation, whenever he remembers, as near (unto the time of prayer) as it could be. But if he offers those prostrations after the End Salutation, and after he had broken his ablution, his prayer will have been invalid, for when he enters into the state of prostration, he seems as if he has made his End Salutation out of place through forgetfulness, with which he could not dissolve from the prayer, and rather he might return to the prayer; and for this reason, he should restart the End Salutation after both prostrations. In case he remembers both prostrations of forgetfulness after his leaving the mosque, or after a long time which has separated him from the current prayer, it will have escaped him.

A problem: It pertains to the evil *Suggestion which befalls one during the Intention to offer prayer.* It results from mental disorder, or from ignorance of the religious law. That's because to submit to Allah's command is likely the same as to submit to the command of anyone else, and to glorify His is likely the same as to glorify anyone else, in so far as the purpose is concerned. Anyone whom a learned man visits stands up (to show respect) for him. Then has he to say: "I have the intention to rise and stand, in *exaltation* of the entrance of the honourable Zaid, on account of his excellence, synchronizing my action with his entrance, turning

to him with my face" he would be weak-minded. Nay, but in accordance with the way in which he sees him, and as much as he becomes well-aware of his excellence, the desire for magnification rises in him of itself, and stimulates him to stand up, and he becomes a magnifier, except when he rises for another occupation, or rises in a state of heedlessness.

The Stipulation for the prayer to be "Zhuhr" "an obligatory fulfillment of obligation" so that the obedience may be perfect, is like the stipulation for the standing of the host to be synchronous with the entrance of the learned man, along with facing the one coming in, and along with the absence of any motive else other than that, and joined with the purpose of glorifying Him by means of the standing up, in order that the standing up may be magnification. For, if he were to stand up, turning his back, or wait and then stand up after a while, he would not be a magnifier.

Then, these qualities are required to be known and intended by the worshipper. However, there presence in the self does not last no longer than a single moment, but only setting the order of wording which indicate them lasts longer, be it uttering them by the tongue or thinking of them with the mind. So, he, who understands not the Intention of the prayer as such, does not understand what intention really is. For it has nothing more than that you were invited to offer prayer at a certain time, and you responded accordingly and stood up to offer it. So, distraction of mind through evil suggestions (coming from the devil) is absolute ignorance, for these purposes and kinds of knowledge are combined in the self in one state, and are not separated out in the mind into independent elements in such a way that the self may go through and consider them, for there is a difference between the presence of a thing in the self and differentiating it in the thought.

Presence is the opposite of absence and heedlessness, even though it is not differentiated. For, anyone who has knowledge of an originated thing, for example, knows it with one knowledge and in one state, but this knowledge includes different kinds of knowledge which are present even though they are not differentiated. For, anyone who has knowledge of an originated thing has knowledge of the existent and the non-existent, and of coming before and coming after, and time, and knows that the coming before belongs to non-existence and coming after to existence. These kinds of knowledge are included under the knowledge of the originated thing, as attested by the fact that if anyone who has knowledge of an originated thing and has no further knowledge about it, says: "I have never known it" in reply to the question: "Did you know the coming before only, or the coming after, or non- existence, or the coming before of the non-existence, or the coming after of the existence, or time, which is divided into past and future" he would be a liar, and his speech would contradict his statement: "I know the originated thing."

From the ignorance of this point distraction is aroused. Then indeed the distracted man imposes on himself the task of presenting in his heart the fact that it is a noon time act, and that it is a performance of a duty at its prescribed stated

time, and that it is an obligation, all in one state, differentiated into its various expressions while he observes them; and of a surety, this is absurd. Were he to impose that task on himself in standing up for a learned man, it would be impossible for him. So, by this knowledge, distraction is warded off, that's, simply to know that obedience to the command of Allah in the Intention is like obedience to the command of someone else.

Nevertheless, I add to it, by way of facilitation and concession, saying: Were the one who is distracted not to understand what the Intention is without the presence of these things separately, and were he not to picture within himself the obedience all at once, and were he to present the whole of that during *Takbir,* from its beginning to its end, so that he would not finish *Takbir* before he has secured the Intention, this would surely suffice him. We would not burden him with the task of joining the whole of that to the beginning or to the end of the *Takbir*, for that would be an excessive burden. Had that been commanded, a question about it would have occurred to the first believers, and one of the Companions would have been distracted in the Intention. So, the absence of the occurrence of that is a proof that the command is on an easy basis. Therefore, it is fitting that the one who is distracted should be content with whatever way is made easy for him, so that it may become habitual for him, and distraction may leave him. He should not demand of himself painstaking precision in that, for the effort to be more precise increases distraction. We have mentioned in the *Religious and Legal Verdicts some* aspects of the precise requirements in the analysis of the cognitions and purposes connected with the Intention, which the learned men need to know. But as for the laymen, they might be harmed by hearing them, with distractions aroused. For this reason, we have relegated them from the present discussion.

A problem: the one led in prayer should not precede the imam in bowing, or prostration, or in rising from both, or in anyone of all the other acts of the prayer, nor should he also synchronize his movements with the imam's: but, let him rather follow him, and imitate his acts; and this is the meaning of emulation. But in case he synchronize his acts with the imam's intentionally, his prayer will not be regarded as invalid, just as when he stands by his side, without being back from him. But if he precedes him, there is difference whether his prayer should or should not be regarded as invalid; and it is not unlikely to be judged as such, in comparison with the case in which he becomes ahead of him in position. However, this (judgement of its invalidity) is more fitting in view of the fact that the congregation is a following in act and not in position. It is true then that the following in act is more important.

But the stipulation of not becoming ahead in position is to facilitate the following in act, and realize the image of following, since it is fitting for the followed to be ahead of the follower. For this reason, there is no justification for preceding the imam in act unless it is done forgetfully. So the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" strongly criticized him who does so, (as shown from the narration on the authority of Abu Hurairah in which he said):

"Does the one who raises his head before the imam not fear that Allah Almighty might turn his head into that of a donkey?"

As for one's delay from the imam as much as no more than an act, it does not invalidate the prayer. The example of it is that the imam takes the straight position from bowing, while the one led in prayer has not bowed yet. But to delay to such a limit is undesirable. If the imam places his forehead on the ground (in prostration), while the one led in prayer has not finished up to the time limit of those who are bowing, his prayer will be invalid; and similarly, if the imam places his forehead on the ground for the second prostration, and the one led in prayer has not performed the first prostration (his prayer will also be invalid).

A problem: It is incumbent upon him who attends the prayer, on seeing any vile act or mistake during the prayer, to change it, and have strong disapprobation for its doer; and if this vile act issues from an ignorant, he should then behave gently towards him, and teach him (what is right). This implies, for example, the order to make straight the rows, prevents anyone to stand alone outside the row, to criticize him who raises his head before the imam, and the like of that. (It is narrated in Al-Firdaws (the Paradise) on the authority of Anas that) the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Woe to the learned man from the ignorant if he does not instruct him."

According to Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him": "He, who sees anyone, having committed mistake in his prayer and does not forbid him, is, to be sure, his partner in its sin." According to Bilal Ibn Sa'd: "If a mistake is hidden, it will cause no harm but to its doer; but if it becomes apparent without being changed, its harm will extend to the public." According to a certain narration, Bilal was in the habit of making straight the rows to the point of beating their heels with his stick. It is narrated that Umar "Allah be pleased with him" said: "Search for your brothers in prayer, and if you miss them, then, you should visit them and enquire about their health in case they are suffering from ailment, and if they are healthy (and do not attend the prayer in congregation), you should remonstrate with them, by expressing disapprobation for leaving the Congregational prayer." However, one should not indulge in such remonstration (for leaving the congregational prayer). The early men used to go as far in that point as to carry the bier to him who remained behind the congregational prayer, in reference to the fact that it is the dead and not the living who would remain behind the prayer in congregation.

When one enters the mosque, let him turn directly to the right side of the row. During the lifetime of the Messenger of Allah "Peace be upon him" the people forced each other in crowds for the right side of the row that it was said to him (According to the narration of Ibn Majah on the authority of Umar): "The left side of the mosque has become idle." On that the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "He who inhabits the left side of the mosque will receive a double reward." If one finds no place in the row for himself, and at the same time, he finds a boy in the row, who has not yet attained the age of puberty, he

might take him out of the row and enter the row in his place, and turn back the boy.

This is what we like to mention of the problems, which cause general distress; and the rules of the separate (supererogatory) prayers will be discussed in the Book of Regular Divisions, Allah Willing.

CHAPTER SEVEN: ON THE SUPEREROGATORY PRAYERS

It should be known that what is beyond the obligatory prayers could be divided into three categories: the traditional prayers; the voluntary prayers; and the desirable prayers. By the traditional prayers we mean such of prayers as the regular performance of which has been handed down from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" such as the constant rak'ahs to be offered after the obligatory prayers, the Duha prayer, the Witr prayer (to be offered after Isha'), the Tahajjud prayer (to be offered during the third portion of the night), etc, for the tradition means the path which should be followed.

By the desirable prayers we mean such of prayers as whose great excellence has been transmitted, even though the regular performance of which has not been narrated, like, as we shall relate, the prayers which are offered on certain days and nights of the week, the prayer on coming out of and entering the house, and the like of that. By the voluntary prayers we mean what is beyond all of that, in connection with which there is no narration, but the servant does voluntarily, to fulfill his desire to have private talk with Allah Almighty through the prayers the great excellence of which has been pointed out by law in general. In this way he seems to be a free donator, since he is not urged to offer those certain prayers, even though he is required to offer prayer in general. To do anything voluntarily is to donate it.

Those three categories are given the name of supererogatory in so far as the supererogatory is beyond what is obligatory. Our purpose is to use such terms as traditional, desirable, voluntary and supererogatory in their technical sense, in order to define those concepts; and there is no blame upon anyone to change the terms, since there is no strictness about the usage of terms after understanding their meanings. Each of those categories has degrees of superiority in accordance with the narrations which pertain to their merits, and the duration of the regular performance of them on the part of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", as well as the strength of authenticity, reliability and celebrity of the related narrations and traditions. For this reason, it is said, for instance, that the traditions of the congregational prayer are more excellent than those of the individual prayer. However, the most excellent from amongst the congregational traditions is the Id prayer, followed by the eclipse prayer, and then the prayer of Istisqa' (invoking for rain). But the most excellent from amongst the individual traditions are the Witr prayer, followed by both rak'ahs (to be offered before) Fajr prayer, and then the other fixed prayers to be offered after the obligatory ones, in accordance with their variations.

Furthermore, it should be known that the Supererogatory prayers, in relation

to their appurtenances (i.e. their connection with the circumstances and occasions on which they happen), are divided into: those connected with causes, such as the Eclipse of the Sun, and the invocation for Rain; those connected with seasons, and those connected with seasons are divided into: what is repeated with the recurrence of day and night, what is repeated with the recurrence of the week, or what is repeated with the' recurrence of the year. All are divided into four categories:

The First Category: That Which Is Repeated With The Recurrence Of Days And Nights

It is of eight items, five of which are to be performed regularly following the five obligatory prayers, in addition to three after them, i.e. the Duha prayer, the prayer between both Maghrib and Isha' (obligatory prayers), and the Tahajjud prayer.

The first is the regular two-rak'ah prayer prior to Fajr (Dawn). (It is narrated by Muslim on the authority of A'ishah that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The two rak'ahs (to be offered just before) Fajr are better than all of the world and what it contains." Its due time starts with the rise of the real dawn, i.e. when the streaks of its light seem horizontal not vertical. But it is difficult to recognize that only with the eye, particularly during its early birth, unless one learns the mansions of the moon or is well-acquainted with the conduction of its appearance with the stars visible to the sight, and so deduces it from the stars. He may know it from the moon on two nights of the month, for the moon rises at the time of dawn on the twenty-sixth night, and the morning appears at the setting of the moon on the twelfth night of the month. This is regular, with slight indiscretion in some of the signs of the zodiac, the explanation of which is lengthy. The learning of the mansions of the moon is one of the important tasks due upon the devotee, in order to watch by it the measurements of times at night and in the morning.

On the other hand, the due time of performing the two-rak'ah prayer before Fajr finishes by the end of the due time of the obligatory prayer of Fajr itself, i.e. with the rise of the sun, even though it is out of the right way of sunnah to offer them before Fajr (at any time one performs it). but if he enters the mosque and the obligatory prayer has been established, let him engage in the obligatory prayer, depending upon the narration (of Muslim on the authority of Abu Hurairah) in which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "When the prayer is established, there should be no prayer to be offered but the written obligatory prayer." Once he finishes from the obligatory prayer, let him stand and offer the two-rak'ah prayer of Fajr.

It is right to say that their fulfillment is due as long as they occur before sunrise, in view of the fact that they follow the obligatory prayer just in its due time; and it is out of the right way of tradition to observe the sequence between them, in relation to bringing them forward, and following them with the obligatory prayer provided that he should not meet a congregation, for in this

case, the sequence should be reversed, and they should be performed out of the fulfillment of prayer in the prescribed time. Nevertheless, it is more desirable to offer both rak'ahs in the house, and make them short, and then go to the mosque, and offer there the two-rak'ah prayer of greeting the mosque, after which he should sit down and offer no prayer before he offers the obligatory written prayer. It is desirable to spend the period between the Fajr prayer and the rise of the son in the celebration (of Allah's Praises) and contemplation (of His Favours and Graces), and be satisfied with the obligatory prayer of Fajr.

The second is the constant prayer (to be offered before and after) Zhuhr (Noon) prayer; and they are of six rak'ahs, two of which after the obligatory prayer, and they are fixed tradition, and the remaining four before it, and they belong to the tradition, even though less fixed than the former. In this respect, it is narrated (by Abd Al-Malik Ibn Habib on the authority of Abu Mas'ud, even though Al-Ghazali narrates it) on the authority of Abu Hurairah that the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "He, who offers four rak'ahs just after the sun passes the meridian, in which he makes perfect their related recitation, bowings and prostrations, seventy thousand angels pray with him, and keep asking for Allah's Forgiveness for him until the night."

It is narrated (by Ahmad, Abu Dawud and Ibn Majah) on the authority of Abu Ayyub Al-Ansari that the Messenger of Allah "Peace be upon him" never failed to offer four rak'ahs just after the decline of the sun, which he used to prolong, and he said: "At that time, the gates of the heaven are open, during which I like to have a good deed raised for me." This narration is confirmed by that of Umm Habibah (by An-Nasa'i and Al-Hakim), the wife of the Prophet "Peace be upon him", in which she said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who offers twelve rak'ahs regularly on a day and a night (as supererogatory) other than the obligatory written prayers, a house will be built for him in the Garden: two before the Fajr (obligatory prayer); four before the Zhuhr (obligatory prayer), and two after it; two before Asr (obligatory prayer); and two after the Maghrib (obligatory prayer)."

(It is further unanimously narrated) on the authority of Ibn Umar "Allah be pleased with both": I remembered from The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" ten rak'ahs to be offered as supererogatory prayer regularly everyday..." and he mentioned the same as Umm Habibah mentioned with the exception of the two-rak'ah prayer before Fajr, concerning which he said: "None was admitted to the Messenger of Allah "Peace be upon him" at that time, but my sister Hafsah told me that he used to offer a two-rak'ah prayer in his house, and then come out (to the mosque)." He mentioned in his narration that (the Prophet used to offer) two rak'ahs before Zhuhr, and two after the Isha'; and in this way, the two rak'ahs have become more assured than the four.

The due time of those begins with the decline of the sun, and the decline is known by the increase of the shade of the persons standing erect, inclining to the

direction of the East, since the shade of a man falls to the direction of the west as long at the emergence of the sun; and as much as the sun continues to rise, the shade gradually becomes less, and swerves from the direction of the west until the sun reaches the utmost degree of its elevation, which is the measure of midday, and that is the utmost degree of the shortness of the shade. Then, when the sun passes from the utmost degree of elevation, the shade begins to lengthen; and when such increase of length becomes appreciable to the sense, the due time of noon begins.

It is known, of a surety, that the sun decline according to the knowledge of Allah occurs before it, but no obligations are due in connection with anything that is beyond the observation of the sense. The amount of the shade remaining, which is cast from a man and goes on increasing, becomes long in winter and short in summer. The utmost degree of its length is when the sun reaches the first of Capricorn, and the utmost degree of its shortness is when it reaches the first of Cancer. This is known by means of feet and measurements.

From among the methods which are at hand for verification, the one who is excellent in observation of the stars might take on, a mention might be made of that according to which he should note the axis of the north at night, and place upon the earth a square board in a symmetrical position, making one of its sides towards the polar-axis in a position, so that if you were to suppose a stone to fall from the axis to the earth, and then suppose a line to be extended from the place where the stone falls to the side of the board which is near it, then the line woulc form upon the board two right angles, i.e. the line would not be inclining to either one of the two sides. Then set up a post upon the board, vertically and symmetrically, in the place of the mark, which is opposite to the polar-axis. Its shade falls upon the board at the first portion of the day, inclining towards the direction of the west on the side of line (a). In the east side it continues to incline until it superimposes itself on line (b), so that, as it moves, should its end be extended, it would reach in a straight line to the place of the falling of the stone, parallel to the east and the west sides of the board, without inclining to anyone of them. When its inclination to the west side ceases, the sun reaches the utmost degree of its elevation, and then, when the shade swerves from the line which is upon the board to the east side, the sun has passed the meridian. This is perceived by the sense, with verification of the time which is close to the beginning of the passing of the meridian as it is in the knowledge of Allah. Then you make a mark at the end of the shade when it swerves, and so, when the shade from the mark becomes like the post itself in length, the time of *Asr*, i.e. afternoon, begins. There is no harm in having this amount of knowledge of the passing of the meridian, As drawn above.

The third is the constant four-rak'ah prayer to be offered before Asr (Afternoon). In this issue it is narrated (by Abu Dawud and An-Nasa'i on the authority of Ibn Umar, even though Al-Ghazali relates it) on the authority of Abu Hurairah that the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Allah's mercy be upon a servant who offers a four-rak'ah prayer before Asr (obligatory prayer)."

To do so in the hope of being included in the invocation of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" is constantly desirable seeing that his invocation should inevitably receive answer (from Allah Almighty). But even, he was not so much regular in performing those four-rak'ah prayer before Asr as he was in performing the constant two-rak'ah prayer before Zhuhr.

The fourth is the constant two-rak'ah prayer to be offered after Maghrib (Sunset) obligatory prayer, and there is no difference in the narrations pertaining to them. but as to the two-rak'ah prayer before it, it has been handed down from such holy companions as Ubai Ibn Ka'b, Ubadah Ibn As-Samit, Abu Dharr, Zaid Ibn Thabit, and others. (according to an unanimous narration) Ubadah or somebody else said: "Whenever the Adhan of Maghrib prayer was pronounced, the holy companions of the Messenger of Allah "Peace be upon him" would hasten to the pillars (of the mosque) and offer a two-rak'ah prayer." (According to the narration of Muslim on the authority of Anas in which) he said: "We used to offer a two-rak'ah prayer before the Maghrib (obligatory prayer) that one entering the mosque would think we've prayed Maghrib and thus he would ask: "Have you prayed Maghrib?"

however, this is implicit from the general application of the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" (according to what is unanimously narrated on the authority of Abdullah Ibn Mughaffal): "Between each Adhan and Iqamah, there is a supererogatory prayer to be performed by him who likes to do it (voluntarily)." Ahmad Ibn Hanbal used to pray them, and when the people criticized him he left offering them. when he was asked about that he said: "I do not see the people praying them, thereupon I've left offering them." he further said: "It is good that a man should pray them in his house and whereas he is not seen by the people."

The due time of Maghrib begins with the disappearance of sun from sights in a plain land which is not surrounded by mountains. But in case it is surrounded by mountains from the direction of the West, let him wait until he sees the appearance of darkness from the direction of the East, (depending upon what is unanimously narrated on the authority of Umar in which) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "When the (darkness of the) night appears from here (i.e. the East) and the (light of the) day disappears from here (i.e. the West), this is the due time at which the fasting person should break his fast." It is more desirable to hasten to offer Maghrib prayer; and if it is delayed to be offered before the disappearance of the red dusk, it will be performed out of the fulfillment of an obligatory prayer in its prescribed time, in spite of undesirability. One night Umar delayed offering Maghrib prayer until a star appeared, thereupon he emancipated a slave (by way of expiation). When Ibn Umar delayed offering it until two stars appeared, he emancipated two slaves (by way of expiation).

The fifth is the constant four-rak'ah prayer to be offered after the Isha' (Evening) obligatory prayer. (It is narrated by Abu Dawud) that) A'ishah said: "The Messenger of Allah "Peace be upon him" used to offer a four-rak'ah prayer

after the last obligatory prayer of Isha, and then go to bed."

One of the learned men, depending upon the various narrations in this respect, chose to make the number of the constant rak'ahs seventeen, like that of the obligatory prayers: two before the Morning prayer, four before and two after Zhuhr, four before Asr, two after Maghrib, and three after the last obligatory prayer of Isha, i.e. the Witr prayer. But if you know the various narrations pertaining to the supererogatory prayers, there will be no significance of fixing a certain number for them. (According to the narration of Ahmad, Ibn Hibban and Al-Hakim on the authority of Abu Dharr) the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "The prayer is the best of (deeds and the one offers it is in the best of) positions: let one do much of it if he so likes, or little if he so likes." In this way, the choice of every devotee agrees with his desire for doing good. Some of those supererogatory prayers, as we have mentioned, seem to be more fixed than others, and it is more implausible to leave what is more fixed, seeing that the obligatory prayers will be completed with the supererogatory prayers (on the Day of Judgement). So, he, who does not offer much of them is about to have even no obligatory prayer safe from being in need of completion.

The sixth is the Witr prayer. (It is narrated by At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Ibn Abbas, and Ibn Adi that) Anas Ibn Malik said: The Messenger of Allah "Peace be upon him" used to offer three rak'ahs for Witr after Isha' prayer, and recite in the first rak'ah (the Surah which begins with' "Exalt the Name of your Lord, Most High", in the second "O you who rejec faith" and in the third "Say: 'He is Allah, the One and Only'". According to the narration (of Muslim on the authority of A'ishah) the Messenger of Allah used to offer after Witr prayer two rak'ahs while sitting, or according to another version, sitting cross-legged. According to the narration (of Al-Baihaqi on the authority of Abu Umamah) whenever the Messenger of Allah "Peace be upon him" intended to go to bed, he would drag himself to it, and offer on it a two-rak'ah prayer before he would lie, in which he would recite both Surahs of Az-Zalzalah and At-Takathur, or Al-Kafirun according to another version.

On the other hand, it is permissible to have Witr prayer connected with, or separated with a single or a pair of salutations. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" offered a single rak'ah for Witr (according to a certain narration) and three, five, up to eleven with odd number of rak'ahs (according to the different narrations in that respect); and there is a questionable narration concerning the performance of thirteen (rak'ahs for Witr). But, the narration which raises the number to seventeen is very strange. Those rak'ahs which we've given the name of Witr belong to Muhammad's night (supererogatory) prayer, which are called Tahajjud; and of a surety, the performance of Tahajjud prayer at night is constant, and its great excellence will be discussed later in the Book of Regular Divisions.

There is difference about the most excellent of Witr prayer. It is said that offering a separate rak'ah for Witr is more excellent, since the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to offer a separate rak'ah for Witr

regularly. But it is also said that the Witr connected prayer is more excellent, since it removes the suspicion of contradiction (of opinions), particularly from the part of the imam, who might be followed by him who is not of the opinion that the separate rak'ah is regarded as prayer. If he offers the connected Witr prayer, let him state his intention of performing Witr prayer by means of all; and if he is satisfied with offering a single rak'ah for Witr after the two-rak'ah prayer to be offered after Isha', or even after the obligatory prayer of Isha' itself, let him state the intention to perform Witr prayer by it; and in this case it will be held valid. That is because the stipulation of Witr is to be offered with an odd number of rak'ahs, in order to make such of prayers as prior to it an odd number of rak'ahs; and of a surety, the single rak'ah does so. But if it is to be offered before Isha' obligatory prayer, it will not be held valid, i.e. one doing so will not attain the good reward of Witr prayer, which is much better for him than the red camels (the most expensive and the dearest to the ancient Arabs) according to the narration (of Abu Dawud, At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Kharijah Ibn Hudhafah), otherwise, the single *rak'ah* is valid whenever it may be performed. It is not valid before the Isha' prayer only because it violates the unanimity of the people concerning the act, and because what it causes to be an odd number (of rak'ahs) *prayer* by means of it does not precede it.

But in case he wants to offer three unconnected rak'ahs for Witr prayer, his intention concerning the first two is questionable: if he intends by them the Tahajjud prayer, or the constant prayer to be offered after Isha', they will not belong to the Witr prayer, and if he intends by them the Witr prayer, they themselves will not act as Witr, and the Witr is only what is after them. but it is more obvious that he should state his intention to offer Witr by them, in the same way as he does by the Witr of three-rak'ah prayer connected (with the obligatory or supererogatory prayer). However, the Witr has two different concepts: one is that it act as Witr in itself, and the other is that it aims to be given the quality of Witr by what comes after it; and in this case the total of three rak'ahs will act as Witr.

It is true then that the first two rak'ahs are part of the three-rak'ah prayer of Witr, but to acquire the quality of Witr depends upon the third one. If one then has the intention to make those two Witr with a third one, let him then state his intention to offer Witr by them, seeing that the third rak'ah acts as Witr in itself, as well as it makes Witr what is prior to it, unlike the two rak'ahs, which are not Witr in themselves, nor are they to make Witr what is prior to them, but they are made Witr by what comes after them. moreover, the Witr should be the conclusion of the night prayer, and thus it occurs after the Tahajjud prayer. The good merits of both Witr and Tahajjud, and the arrangement related to them will be discussed in the Book of the Arrangement of Regular Divisions.

The seventh is the Duha (Forenoon) prayer. To offer it regularly is one of the acts of resolute power and great excellence. The number of its rak'ahs is eight according to most of the narrations. It is narrated (unanimously) on the authority of Umm Hani', the sister of Ali Ibn Abu Talib, that the Messenger of Allah

"Peace be upon him" offered eight rak'ahs for Duha prayer, which he prolonged and perfected. But none else has narrated this number (of rak'ahs for Duha prayer). As for A'ishah, she mentioned (according to the narration of Muslim) that the Messenger of Allah "Peace be upon him" used to offer four rak'ahs for Duha, and add to them as much as Allah Almighty willed him to do. She did not fix the number of this increase. But he was regular on offering four at minimum, and sometimes he might pray more. It is narrated (by Al-Hakim on the authority of Jabir) that the Messenger of Allah "Peace be upon him" used to pray six rak'ahs for Duha.

As to its due time, it is narrated (by Ibn Majah, An-Nasa'i and others) on the authority of Ali that the Messenger of Allah "Peace be upon him" used to offer six rak'ahs for Duha prayer in two different times: when the sun rose high he would offer a two-rak'ah prayer; and this is the first portion of the first regular division of the day, as it will seem later. When the sun brightened up and became in the fourth part of the sky on the side of the East, he would offer four rak'ahs. But the first is when the sun mounts only the measure of half a lance, and the second is when a fourth of the day goes, in correspondence with the Asr prayer, for its due time is when a fourth of the day remains. Zhuhr prayer is at the middle of the day, and the Duha prayer is at the middle point between the appearance of the sun and its passing the meridian, just as the Asr is at the middle point between the passing of the meridian and the setting of the sun. This is the most excellent of the times. The due time of Duha prayer lies within the period from the ascent of the sun until what comes before its passing of the meridian.

The eighth is the constant performance of rak'ahs between both Maghrib and Isha' prayers; and it is fixed. The number of its rak'ahs has been handed down (according to the narration of At-Tabarani on the authority of Ammar Ibn Yasir, and At-Tirmidhi on the authority of Abu Hurairah) from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in which he said: "Between both Maghrib and Isha' prayers, six rak'ahs should be performed (constantly)." This prayer has a great excellence, and it is said that it is intended by the statement of Allah Almighty: " Their limbs do forsake their beds of sleep, the while they call on their Lord, in Fear and Hope." (As-Sajdah:16)

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴿١٦﴾ ﴾

(It is narrated by Ibn Al-Mubarak on the authority of Ibn Al-Mundhir that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who offers prayer between both Maghrib and Isha' (obligatory prayers), (let him be sure that) it belongs to the prayer of those who turn to Him again and again (in true penitence)." (It is further narrated by Abu Al-Walid As-Saffar on the authority of Abdullah Ibn Umar that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who keeps himself in a gathering mosque in the period between both Maghrib and Isha' prayers, in which he speaks not but with prayer or Qur'an, it is incumbent upon Allah Almighty to build for him two palaces in the Garden, the width of each of which is as much as (a distance to be

covered in) one hundred journey, and between which a garden will be planted for him, and if all of the inhabitants of the earth go round it, it will extend to imply them." however, its remaining good merits will be discussed later in the Book of Regular Divisions, Allah Willing.

The Second Category: That Which Is Repeated With The Recurrence Of Weeks

It implies the prayers to be offered on each of the days and nights along the week. As for days, let's start with Sunday.

Sunday: It is narrated (by Abu Musa Al-Madini) on the authority of Abu Hurairah that the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "He, who offers a four-rak'ah prayer on Sunday, in each rak'ah of which he recites Al-Fatihah, in addition to (the Holy Verse which says): "The Messenger and the faithful believers have believed in what has been revealed to him from his Lord..." (Al-Baqarah 285)

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾

Allah Almighty writes for him as many good deeds as the number of every male and female Christian, give him a reward (equal to that) of a Prophet, writes to him (the reward of) both Hajj and Umrah, and write for him for each rak'ah (the reward of) one thousand prayers, and give him, for each letter (he recites in this prayer) a city full of pleasant-smelling musk."

It is further narrated (by Abu Musa Al-Madini) on the authority of Ali Ibn Abu Talib that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Observe the Allah's Oneness through offering so much prayers on Sunday, for He Almighty is One, Who has no partner. He, who offers four rak'ahs after Zhuhr obligatory and constant prayer, in the first of which he recites Al-Fatihah and the Surah of As-Sajdah, in the second Al-Fatihah and the Surah of Al-Mulk, after which he recites testification and concludes (the first two rak'ahs) with the End Salutation, and then stands and offers two further rak'ahs, in which he recites Al-Fatihah and the Surah of Al-Jumu'ah, and then asks Allah Almighty (to fulfill for him) his need, it is incumbent upon Allah Almighty to fulfill for him his need."

Monday: It is narrated (by Abu Musa Al-Madini) on the authority of Jabir that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who offers a two-rak'ah prayer at the advance of the day on Monday, in each rak'ah of which he recites Al-Fatihah and the Holy Verse of the Throne (i.e. Al-Baqarah 255)

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾

Once, in addition to "Say: 'He is Allah, the One and Only" and both Surahs of

seeking refuge (with Allah from Satan) once each, and when he concludes with the End Salutation, he asks for Allah's Forgiveness ten times, and invoke Allah's Prayer and Blessing upon the Prophet "Peace be upon him" ten times, all of his sins will be forgiven for him by Allah Almighty."

It is narrated (by Abu Musa Al-Madini) on the authority of Anas Ibn Malik that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who prays twelve rak'ahs on Monday, in each rak'ah of which he recites Al-Fatihah and the Holy Verse of the Throne (i.e. Al-Baqarah 255)

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى
يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ
وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾

Once, and when he finishes he recites "Say: 'He is Allah, the One and only'" twelve times, and asks for Allah's Forgiveness twelve times, on the Day of Judgement, he will be called: "Where is so and so, son of so and so? Let's stand to take his reward from Allah Almighty." The first to be given of that reward will be one thousand suites, and he will be crowned and admitted to the Garden, whereupon he will be received kindly by one hundred thousand angels, each of whom will have a gift, and they will escort him until he goes round one thousand palaces of light, shining with brightness."

Tuesday: It is narrated (by Abu Musa Al-Madini) on the authority of Anas Ibn Malik that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who prays ten rak'ahs on Tuesday, at midday, or at the advance of the day (according to another version), in each rak'ah of which he recites Al-Fatihah and the Holy Verse of the Throne (i.e. Al-Baqarah 255) once, and "Say: 'He is Allah, the One and Only'" thrice, no sin will be write (and accounted) against him for seventy days (to come), and in case he dies within those seventy days, he will have died as a martyr, and the sins of seventy years will be forgiven for him."

Wednesday: It is narrated (by Abu Musa Al-Madini) on the authority of Abu Musa Al-Khawlani from Mu'adh Ibn Jabal that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who prays twelve rak'ahs on Wednesday, at the advance of the day, in each rak'ah of which he recites Al-Fatihah and the Holy Verse of the Throne (i.e. Al-Baqarah 255) once, and "Say: 'He is Allah, the One and Only'" and both Surahs of seeking refuge (with Allah from Satan) thrice, a caller near the Throne (of Majesty) will call: "O slave of Allah! Resume your work, for Allah has forgiven for you all of your previous sins, removed from you the grave's torture, darkness and constriction, and removed form you the distresses of Resurrection", and on that very day, a deed (equal to that) of a Prophet will be raised for him."

Thursday: It is narrated (by Abu Musa Al-Madini) on the authority of Ikrimah from Ibn Abbas that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who prays in the period between both Zhuhr and Asr prayers two rak'ahs, in the first rak'ah of which he recites Al-Fatihah and the

Holy Verse of the Throne one hundred times, and in the second both Al-Fatihah and "Say: 'He is Allah, the One and Only'" one hundred times, and invokes Allah's Prayer and Blessing upon Muhammad (the Prophet) one hundred times, Allah Almighty will give him the reward of him who has observed the fasts of (the three months of) Rajab, Sha'ban and Ramadan, and he will receive as much reward as that of him who has performed Hajj to the House, and as much good deeds as the number of those who believe in Allah, and put their trust in Him will be written for him."

Friday: It is narrated (and this narration is unidentified, and this Hadith also is not reliable) on the authority of Ali Ibn Abu Talib that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, the whole of Friday is fitting for prayer. No believing servant stands, when the sun rises and becomes high as much as a lance or more, and performs ablution perfectly, and offers the two-rak'ah prayer of Duha, out of sincere faith in, and expecting the reward of that from Allah Almighty, but that Allah Almighty writes two hundred good deeds for him, and plots out of his account two hundred evil deeds; and he, who prays four rak'ahs, Allah Almighty raises him four hundred degrees high in the Garden; and he, who prays eight rak'ahs, Allah Almighty raises him eight hundred degrees high in the Garden and forgives for him all of his sins; and he who prays twelve rak'ahs, Allah Almighty writes for him two thousand and two hundred good deeds, and plots out of his account two thousand and two hundred evil deeds, and further raises him two thousand and two hundred degrees high in the Garden."

It is narrated (by Ad-Daraqatni and Al-Khatib on the authority of Malik) that Ibn Umar said: The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "He, who enters the mosque on Friday, and offers a four-rak'ah prayer before the Friday obligatory prayer, in each rak'ah of which he recites (Al-Fatihah in which Allah says) "Praise be to Allah", and "Say: 'He is Allah, the One and Only'" fifty times, will not die until he sees his sitting place in the Garden, or it is seen for him (by others)."

Saturday: It is narrated (by Abu Musa Al-Madini) on the authority of Abu Hurairah that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who offers, on Saturday, a four-rak'ah prayer, in each rak'ah of which he recites Al-Fatihah once and "Say: 'He is Allah, the One and Only'" thrice, and when he finishes he recites the Holy Verse of the Throne (Al-Baqarah 255), Allah Almighty records for him by each letter (he utters) the reward of both Hajj and Umrah, and grants him the reward of fasting during the day and standing for supererogatory prayers at night for a whole year, and Allah Almighty further gives him, by each letter he utters, the reward of a martyr, and he will be under the shade of Allah's Throne (of Majesty), in the company of the Prophets and martyrs."

As for the nights along the week, they go as follow:

The night of Sunday: It is narrated (by Abu Musa Al-Madini) on the authority of Anas Ibn Malik that the Messenger of Allah "Allah's blessing and

peace be upon him" said: "He, who prays, on the night of Sunday, twenty rak'ahs, in each rak'ah of which he recites Al-Fatihah and "Say: 'He is Allah, the One and Only'" fifty times, both Surahs of seeking refuge (with Allah from Satan) once each, asks for the Forgiveness of Allah Almighty one hundred times, and invokes forgiveness for himself as well as his parents one hundred times, invokes Allah's Prayer and Blessing one hundred times, and holds himself free from having any claim of might and power, and seeks the shelter of Allah, and then says: 'I bear testimony to the fact that there is no god (to be worshipped) but Allah, and I bear testimony to the fact that Adam is Allah's sincere friend and Primal formation, and Ibrahim is Allah's Bosom friend, and Moses is Allah's interlocutor, and Jesus is Allah's Spirit, and Muhammad is Allah's beloved',, receives as much reward as the number of those who ascribe as well as those who ascribe not a son to Allah, and Allah raises him in the company of the faithful saved on the Day of Judgement, and it is incumbent upon Allah to admit him to the Garden with the Prophets."

The night of Monday: It is narrated (by Abu Musa Al-Madini) on the authority of Al-A'mash from Anas that the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "He, who prays on the night of Monday four rak'ahs, in the first rak'ah of which he recites (Al-Fatihah in which Allah says) "Praise be to Allah" and say: "Say: 'He is Allah, the One and Only'" ten times, and in the second he recites (Al-Fatihah in which Allah says) "Praise be to Allah" and say: "Say: 'He is Allah, the One and Only'" twenty times, and in the third he recites (Al-Fatihah in which Allah says) "Praise be to Allah" and say: "Say: 'He is Allah, the One and Only'" thirty times, and in the fourth he recites (Al-Fatihah in which Allah says) "Praise be to Allah" and say: "Say: 'He is Allah, the One and Only'" forty times, and when he finishes with salutation he recites "Say: 'He is Allah, the One and Only'" seventy-five times, asks for Allah's Forgiveness for himself as well as his parents seventy-five times, and asks Allah Almighty for his need, it is incumbent upon Allah to give him what he asks for." This is called the Need Prayer.

The night of Tuesday: A great reward and enormous return will be assured to him, who offers (on the night of Tuesday) two rak'ahs, in which he recites in each one Al-Fatihah, "Say: 'He is Allah, the One and Only'" and both Surahs of seeking refuge (with Allah from Satan) fifteen times, and recites, after concluding with salutation, the Holy Verse of the Throne fifteen times, and asks for Allah's Forgiveness fifteen times. It is narrated on the authority of Umar that the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "He, who prays on the night of Tuesday two rak'ahs, and recites in each rak'ah Al-Fatihah, "Verily, We have sent it (the Qur'an) down on the Night of Power" and "Say: 'He is Allah, the One and Only'" seven times, Allah Almighty will save his body from the fire, and on the Day of Judgement this (prayer) will be his leader and guide to the Garden."

The night of Wednesday: It is narrated on the authority of Fatimah "Allah be pleased with her" from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who prays on the night of Wednesday two rak'ahs, and recites in the first Al-Fatihah and "Say: I seek refuge with (Allah) Lord of

daybreak..." ten times, and in the second Al-Fatihah and "Say: I seek refuge with (Allah) Lord of mankind..." ten times, and when he utters salutation asks for Allah's forgiveness ten times, and invokes Allah's Prayer and Blessing upon Muhammad (the Messenger of Allah) ten times, seventy thousand angels from each firmament of heaven descend to record his reward up to the Day of Judgement." According to another narration "If one prays sixteen rak'ahs, in which he recites after Al-Fatihah what Allah Almighty wills him to recite, and recites in the last two rak'ahs the Holy Verse of the Throne thirty times, and in the first two "Say: 'He is Allah, the One and Only'" thirty times, his intercession will be accepted for ten of his household, to whom the fire (of Hell) has been assured."

It is narrated (by Abu Musa Al-Madini) on the authority of Fatimah "Allah be pleased with her" that she said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who prays on the night of Wednesday six rak'ahs, in which he recites after Al-Fatihah: "Say: "O Allah! Lord of Power (and Rule), You give Power to whom You please, and You stripe off Power from whom You please: You endue with honour whom You please, and You bring low whom You please: in Your hand is all Good. Verily, over all things You have power" (Al Imran 26)

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾

And when he finishes from his prayer he says: "Might Allah reward Muhammad (the Messenger of Allah) on behalf of us as much as is fitting for him", the sins of seventy years will be forgiven for him, and a clearance from the fire (of Hell) be written for him."

The night of Thursday: It is narrated (by Abu Musa Al-Madini, and Abu Mansur Ad-Dailami) on the authority of Abu Hurairah that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If one prays, in the period between both Maghrib and Isha' prayers, on Thursday, two rak'ahs, in each rak'ah of which he recites Al-Fatihah, the Holy Verse of the Throne (Al-Baqarah 255)

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾

Five times, "Say: 'He is Allah, the One and Only'" five times, both Surahs of seeking refuge (with Allah from Satan) five times, and when he finishes from his prayer he asks for Allah's Forgiveness fifteen times, and makes the reward of that to his parents, he will have fulfilled the right of his parents upon him, even though if he is undutiful and disobedient to them, and Allah Almighty will give him the same as He gives the truly faithful believers and martyrs."

The night of Friday: It is narrated (even though this narration is unreliable) that Jabir said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who prays on the night of Friday, in the period between both Maghrib and Isha' prayers, twelve rak'ahs, in each rak'ah of which he recites Al-Fatihah once and "Say: 'He is Allah, the One and Only'" eleven times, he seems as if he ahs worshipped Allah twelve years, including observing fasts during their days, and the standing for supererogatory prayers on their nights." According to Anas (but the narration is also not authentic): The Prophet "Peace be upon him" said: "He, who prays, on the night of Friday, Isha' in congregation, and then offers the constant two-rak'ah prayer after it, and then prays ten rak'ahs, in each of which he recites Al-Fatihah, "Say: 'He is Allah, the One and Only'", and both Surahs of seeking refuge, once each, and then offers three-rak'ah prayer for Witr and lies on his right side, with his face towards the direction of the Qiblah, seems as if he has given life (i.e. stood for supererogatory prayer) to the night of Power." (It is narrated by At-Tabarani on the authority of Abu Hurairah that) the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Invoke Allah's Prayer and Blessing upon me so much on the Night of Eager Desire and the Day of Brightness, i.e. on the night and the day of Friday."

The night of Saturday: (According to an unidentified narration) Anas said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who prays on Saturday, between both Maghrib and Isha' prayers, twelve rak'ahs, a palace will be built for him in the Garden, and he will seem as if he has given in charity to all of faithful believing men and women, and rendered himself free from the Jews and it is incumbent upon Allah to forgive for him."

The Third Category: That Which Is Repeated With The Recurrence Of Years

They include four prayers: the prayer of both Ids (festivals of breaking fast and sacrifice), the prayer of Tarawih (rest-giving during the month of Ramadan), and the prayers of both Rajab and Sha'ban

The first is the prayer of both Ids; and its performance is firmly constant and it is one of the rituals of religion. However, seven things should be observed in it:

Firstly: Takbir should be in a series of three parts as follows: "Allah is Greater; Allah is Greater; Allah is Greater; Allah is Greater with certainty; and Praise be to Allah so much; and glorified be Allah every morning and evening; there is no god but Allah, the One and Only, other than Whom there is no partner; we are sincere to Him in faith even though against the will of the unbelievers." One should begin with Takbir on the night of breaking the fast (of the month of Ramadan) until the due time of the Id prayer; and in Id Al-Adha (Sacrifice) from the morning of the day of Arafah until the evening of the thirteenth day; and this is the most perfect statement (in this issue). Let one utter Takbir following every obligatory and supererogatory prayer, seeing that it is better confirmed to be after the obligatory prayers.

Secondly: when it is the morning of the Id day, let one take bath, get adorned

and apply perfume to himself, the same as we've mentioned in the Friday congregation. Wearing upper garment and turban is much better for men, and the children should avoid silk (in their clothes), and the old women should avoid adornment on their setting out.

Thirdly: Let one come out through a certain way, and returns home through another way, the same as was done by the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" (according to the narration of Muslim on the authority of Abu Hurairah). Furthermore, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" commanded that the unmarried young virgins and the mature girls who stay often screened should set out (to share good and celebration with Muslims according to what is unanimously narrated on the authority of Umm Atiyyah).

Fourthly: it is desirable to set out to a plain land, such as the desert, unless it is Mecca or Jerusalem. If it is a rainy day, there is no harm to pray in the mosque; and even if it is a clear day, it is permissible for the imam to command one to lead the weak among the people in prayer in the mosque, and he himself sets out with the strong among them (to the plain land) while glorifying (Allah Almighty).

Fifthly: The due time of the prayer should be observed: the due time of Id prayer lies within the period from the rise of the sun till its decline (i.e. its passing the meridian); and the due time of slaughtering sacrifice lies in the period from the advance of the sun as much enough to offer a two-rak'ah prayer and deliver two sermons till the last portion of the thirteenth day. In this respect, it is desirable to hasten on to offer the prayer of the feast of Sacrifice, for the purpose of slaughtering, as well as it is desirable to delay the prayer of the feast of Breaking Fast, in order to have opportunity to distribute the alms of breaking fast before it. this is in accordance with the tradition of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him".

Sixthly: This pertains to the way of prayer: let the people set out while uttering Takbir on the way, and once the imam arrives in the praying place, he should not sit, nor offer any supererogatory prayer, and the people also should interrupt whatever supererogatory prayers they might be offering, and a call should be pronounced that "Come to the congregational prayer!" the imam then should lead them in a two-rak'ah prayer, in the first of which he should recite seven Takbirs besides that of assuming the prayer and that of bowing, saying (in himself) between each two of which: Exalted be Allah; Praise be to Allah; There is no god (to be worshipped) but Allah; Allah is Greater.

After the Takbir of inauguration, let him say: "I've set my face direct to Him Who has created both the heavens and the earth", and delay seeking refuge (with Allah from Satan) till after the eighth Takbir. Let him recite in the first rak'ah the Surah of Qaf after Al-Fatihah, and Al-Qamar in the second rak'ah. As for the number of Takbirs in the second rak'ah, they are five, besides that of standing and that of bowing, saying between each of which the same as we've mentioned in the first rak'ah. After the prayer, let him deliver two sermons, with a sitting (for break) between them. if the Id prayer escapes anyone, he should fulfill it in lieu.

Seventhly: Let one offer a ran as sacrifice. In this issue it is narrated by Abu Dawud, At-Tirmidhi and others on the authority of Anas and Jabir that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" sacrificed two white-and-black rams, which he slaughtered with his own hand and said: "In the Name of Allah; and Allah is Greater: this is on behalf of me, and of such of my nation as does not sacrifice." It is narrated by Abu Dawud on the authority of Umm Salamah that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who sees the new moon of (the month of) Dhul-Hijjah, and he has the intention to offer a sacrifice (on the tenth of Dhul-Hijjah), let him take nothing from his hair or from his nails" (i.e. he should not cut short his hair, nor trim his nails).

(It is narrated by At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of) Abu Ayyub Al-Ansari that he said: "During the lifetime of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", a man would offer as sacrifice a sheep on behalf of his family, from which they would eat and feed others." one might eat of his sacrifice even till after three days and more, according to the concession which was given to them in this respect to abrogate the forbiddance. According to Sufyan Ath-Thawri: It is desirable that one should pray twelve rak'ahs after the prayer of Id Al-Fitr, and six after the prayer of Id Al-Adha; and he tells that this is out of the tradition.

The second is the prayer of Tarawih (rest-giving); and it consists of twenty rak'ahs, and the way of performing it is well-known. To be sure, it is a constant tradition, even though less confirmed than the prayer of both Ids. But there is difference as to whether it is better to be performed individually or in congregation. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" himself came out and led it in congregation for two or three nights, after which he did not come out justifying that with his saying: "I fear it might be enjoined upon you." But Umar "Allah be pleased with him" prompted the people to perform it in congregation, seeing that he had become safe from its being enjoined upon the people, after the stoppage of the Divine Revelation (with the death of the Prophet).

Thus, it might be said that to perform it in congregation is better, depending upon the act of Umar, as well as upon the fact that there is blessing in the congregation which has its great excellence, as attested by the obligatory prescribed prayers (which should be offered in congregation). Moreover, one might be lazy to pray it individually. But he might be active on seeing the congregation. It might be also said that to perform it individually is better, since it belongs to the tradition more than to the rituals, such as the Id prayers; and it is more fitting to be joined to the Duha prayer and the prayer of greeting the mosque, and no congregation has been sent for it. it is the habit that a gathering of people might enter the mosque together, but they do not offer the two-rak'ah prayer of greeting the mosque in congregation.

In this connection it is narrated by Ibn Abu Shaibah on the authority of Damrah Ibn Habib from one of the companions that the Messenger of Allah

"Allah's blessing and peace be upon him" said: "The superiority of performing the voluntary prayer in one's house to performing it in the mosque is like the superiority of performing the obligatory prescribed prayer in the mosque to performing it in the house." It is further narrated by Ibn Abu Ash-Shaikh on the authority of Anas that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A single prayer to be performed in this mosque of mine is better than one hundred prayers to be performed in any mosque else, and a single prayer to be performed in the Sacred Mosque is better than one thousand prayers to be performed in my mosque; and the most excellent of all of that is two-rak'ah prayer one offers in one of the corners of his house, which none knows but Allah Almighty." That's because showing off and sophistication might befall one in congregation, from which he might be secure in solitude. This is all about it.

But, the congregation is favoured as Umar "Allah be pleased with him" thought it to be: the congregation has been set for some supererogatory prayers, and this (Tarawih prayer) is fitting to be one of the rites which would appear. But to turn to the possibility of showing off in congregation, and laziness in solitude is to deviate from the real purpose of considering the great excellence of congregation, in so far as it is a collective worship; and the one who says so seems as if he says: "To perform prayer (in congregation) is better than to leave it by laziness (in solitude), and sincerity is better than showing off." So, let's suppose it in the case of the one who is self-confident that he will not become indolent once he is in solitude, as well as he will not show off once he attends the congregation. Which of both then is much better for him? The consideration depends upon the comparison between the great blessing of congregation, and the greater power of sincerity and attentiveness in solitude; and this might make him hesitate to prefer one of them to the other. It is desirable to practice Qunut in the Witr prayer during the last half of (the month of) Ramadan.

As for the prayer of Rajab, it is narrated (and this narration is fabricated) that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No one observes fast on the first Thursday of (the month of) Rajab, and then offers, in the period between both Maghrib and Isha' prayers, twelve rak'ahs, making a break between each two with a salutation, in each rak'ah of which he recites Al-Fatihah once, "Verily, We have sent it down on the night of Power" thrice, and "Say: 'He is Allah, the One and Only'" twelve times, and when he finishes from his prayer he invokes Allah's Prayer and Blessing upon me seventy times, saying: "O Allah! Send Your Prayer and Blessing upon Muhammad, the unlettered Prophet, as well as upon his family", and then falls in prostration, and says seventy times: Exalted be You; Hallowed be You, Lord of Dominion and Spirit", after which he raises his head and says seventy times: "O Lord! Embrace me with Your Forgiveness and mercy, and overlook (such of sins as) You know: verily, You are Most Exalted in Might, Most Generous", and then performs another prostration in which he says the same as he has said in the first, and then asks

Allah in his prostration for his need, but that it will be fulfilled for him." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" resumed: "None offers this prayer but that Allah Almighty forgives for him all of his sins, even though they are as much as the foam of the ocean, as enormous as is the number of sand, as heavy as is the weight of mountains, as abundant as is the number of the leaves of trees; and on the Day of Judgement, his intercession will be accepted for seven hundred of his household, to whom the fire (of Hell) has been assured." However, this prayer is desirable, and we have included it in this division because it is repeated with the recurrence of years, even though it is minor in rank than the prayers of Tarawih and both Ids, for it belongs to those narrations which have been handed down on the authority of individuals. But I saw it better to mention it here because I have found that the unanimity of the inhabitants of Jerusalem perform it regularly, and they reject to leave it.

As for the prayer of Sha'ban, it pertains to the night of the middle (i.e. the fifteenth night) of Sha'ban, on which one prays one hundred rak'ahs, concluding each two with salutation, in each rak'ah of which he recites after Al-Fatihah "Say: 'He is Allah, the One and Only'" eleven times.

If he likes, he could reduce it to ten rak'ahs, in each of which he recites after Al-Fatihah "Say: 'He is Allah, the One and Only'" one hundred times, for this is handed down among the supererogatory prayers.

The early men used to offer this prayer, which they called the prayer of good, and they often gathered and prayed it in congregation. It is narrated that Al Hassan said: Thirty from amongst the companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" told me that he, who offers this prayer on this night, Allah Almighty looks at him seventy times, and with each He fulfills a need for him, the least of which is the forgiveness.

The Fourth Category Of Supererogatory Prayers Which Pertain To Occasional Causes, And Not To Fixed Times

Those include nine prayers: the eclipse prayer, the Istisqa' (invoking for water) prayer, the two-rak'ah prayer of greeting the mosque, the two-rak'ah prayer of ablution, the two-rak'ah prayer between both Adhan and Iqamah, the two-rak'ah prayer on coming out of, and entering the house, and the like of that; and let's mention of them what occur to our mind at present.

The first is the eclipse prayer. In this issue, it is narrated by both sheikhs on the authority of Al-Mughirah that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, both moon and son are two of Allah's signs, and they do not eclipse for the death nor they do for the life (birth) of anyone. So, if you see that, hasten to celebrate (the Praises of) Allah and offer prayer." He said that when his son Ibrahim died, and the son partially eclipsed, and the people said: "It has eclipsed for his (Ibrahim's) death.

The time and way of performing it

When the sun eclipses at a time in which the prayer is or is not undesirable,

let's a caller make a public announcement that the people should gather for congregational prayer. The imam then should lead a two-rak'ah prayer, each of which contains two bowings, the first of which is longer than the second. He should not recite aloud in the prayer. Let him recite in the first standing of the first rak'ah Al-Fatihah and the Surah of Al-Baqarah, in the second Al-Fatihah and the Surah of Al Imran, in the third (which is the first standing of the second rak'ah) Al-Fatihah and the Surah of An-Nisa', and in the fourth Al-Fatihah and the Surah of Al-Ma'idah, or as much of the Qur'an as is equal to that, whereas he likes. If he is satisfied only with Al-Fatihah in each standing, it will be sufficient for him; and if he is satisfied with the short Surahs, there will be no harm. However, the purpose of prolonging the prayer as such is to keep praying until it becomes clear. Let him exalt Allah in the first bowing (of the first rak'ah) as much as is equal to one hundred Holy Verses, in the second as much as is equal to eighty Holy Verses, in the third as much as is equal to seventy Holy Verses and in the fourth as much as is equal to fifty Holy Verses. Let the prostration in each rak'ah be in proportionate with its related bowing. After the prayer, let him deliver two sermons, with a sitting (of break) between them, and order the people to give in charity, emancipate slaves, and turn to Allah in repentance.

Let him do the same when the moon eclipses, with the change that he should recite aloud since it is a night prayer. Its time begins with the beginning of the eclipse, and it ends when it becomes clear. The time for it also ends when the sun sets while in eclipse. The prayer of the Moon eclipse passes when the disk of the sun appears, since it cancels the dominion of the night, but it does not pass with the setting of the moon, for the moon prevails at the whole night. But if it clears in the midst of the prayer, let one complete it quickly. Whoever catches only the second Bowing with the *imam* this *rak'ah will have* escaped him, for the fundamental point is the first Bowing.

The second is the prayer of Istisqa' (invoking for water). When the water of streams runs off underground, the rain is cut off, or a canal collapses, it is desirable for the imam to order the people firstly to observe three fasts, and spend in charity as much as is within their capacity, get rid of grievances and injustices, and turn to Allah in repentance. On the fourth day, let him come out with them, in addition to the old women and children, cleaned and dressed, in humility, submission and meekness, unlike their state in Id prayer. It is said that it is desirable to have the animals also come out, for they share the need (for water) with men, depending upon the narration of Al-Baihaqi on the authority of Abu Hurairah, in which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Had it been for the suckling infants, those old who (offer prayer in which they) are bowing, and those animals which are feeding, the punishment (of Allah) would have been assuredly poured over you." If the non-Muslims who live under the authority of Muslims also come out in their company, distinct from them, they will not be forbidden.

When all gather in the praying place in an open space, a call should be pronounced that "Prayer should be performed in congregation", and the imam

should lead them in a two-rak'ah prayer, like that of Id, with no Takbirs. Then, he should deliver two sermons, with a short sitting (of break) between them, spending the most portion of his sermons in asking for Allah's Forgiveness. In the middle of the second sermon, let him turn his back to the people and face the Qiblah, and turn his cloak upside down, showing pessimism of changing the state. As such did the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". He should, at that very moment, make the upper become the lower part, the right become the left side, and the left become the right side, and so should the people do. At that time, let them supplication in a low tone. Then, let him face them, and conclude his sermon, and they should let their cloaks turned as such until they take them off whenever they take off their garments.

Let him say in his supplication: "O Allah! You have commanded us to invoke You, and promised us to respond to our invocation. We have invoked You as You ordered us, so, please, respond to our invocation as You promised us. O Allah! Endow us with forgiveness for what we've committed (of sins), and respond to us by providing us with water and enlarging our sustenance." It is desirable also to supplicate (as such) following the obligatory prayers during the three days prior to the coming out. This supplication has some internal manners and conditions, pertaining to repentance, averting injustices, and the like of that, which will be discussed later in the Book of Supplication.

The third is the funeral prayer, and the way of performing it is well-known, and the most comprehensive supplication therein is that which has been handed down through an authentic narration (by Muslim) on the authority of Awf Ibn Malik who said: I saw the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" having performed a funeral prayer and I retained from him the following supplication: "O Allah! Forgive him and bestow mercy upon him; provide him with health and power, and excuse him (for his sins); receive him generously with honour, make spacious his grave; wash him with water, snow and hailstone, and cleanse him from sins and mistakes in the same way as a white garment is cleansed from dirt; recompense him with an abode better than his, a family better than his, and a spouse better than his (in the world); admit him to the Garden and save him from the punishment of the grave and from the punishment of the fire (of Hell)", thereupon Awf (the narrator) said: "I wished I had been that dead (who received this supplication from the Prophet)."

Whoever overtakes only the second Takbir, let him observe the sequence of prayer within himself, and utter Takbirs with the imam; and when the imam utters the End Salutation, let him utter the Takbir which has escaped him, the same as him who misses any portion of the prayer which he should fulfill once the imam finishes the prayer. If one precedes to utter the Takbirs, there would be no significance of following the imam on the part of the one led in this prayer. Verily, the Takbirs act as the apparent pillars, and are worthy of standing in the same position of rak'ahs in all the prayers. This is, to me, the best opinion, even though others are possible too.

On the other hand, the narrations which pertain to the excellence of the funeral prayer and following the funeral procession are so much famous and we need not be long by mentioning them here. How should it not be held excellent seeing that it is one of those collective obligations? It is supererogatory only in relation to him upon whom it is not an individual obligation through the presence of someone else, and (with whose presence on behalf of him) he receives the excellence of the collective obligation, even though it has not been binding upon him since others undertook the collective duty on his behalf, and exempted others from the guilt of neglect, unlike the supererogatory prayer, which could not cancel out any obligation from anyone.

It is desirable to seek a congregation of great number (who undertake this prayer) for the sake of the blessing of the prolific solicitudes and supplications, and in the hope of its including him whose invocation receives answer. The reference dependable here is the narration (of Muslim) on the authority of Kuraib, the freed slave of Ibn Abbas "Allah be pleased with both" that one of Ibn Abbas's sons died. He said: "O Kuraib! Get out and see how many people gathered to attend his funeral." I went out and found that a lot of people had gathered. I returned and told him. He asked: "Do you guess that they are (no less than) forty persons?" I replied in the affirmative. He then said: "Take him (the dead) out, for I heard The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying: "No Muslim person who died, and (no less than) forty men, associating none with Allah (in worship) attended his funeral (prayer), but that Allah would accept their intercession for him."

When one sees off a funeral and arrives in or enters the graveyard, let him say: "Peace be upon you, the inhabitants of those graves from amongst the faithful believers and Muslims: Allah's Mercy be upon such of us as come (here by death) earlier or later, and we, Allah Willing, are going to join you." It is more convenient that he should not leave until the dead is buried; and once the earth is levelled on him, let him stand at his grave and say: "O Allah! This is Your servant who has been returned to You: O Allah! Be Merciful and Kind to him. O Allah! keep the earth away from both his sides, open the gates of the heaven to his soul, and accept him with good acceptance. O Allah! If he is a good-doer, multiply his goodness, and if he is an evil-doer, excuse him."

The fourth is the prayer of greeting the mosque. It is of two rak'ahs and more, whose performance is constant, to the extent that by no means could it be cancelled out even if the imam is delivering his sermon on Friday, with the stipulation of being attentive to the preacher. In case he is engaged in performing an obligation at its prescribed time, or fulfilling a duty which is due upon him, the prayer of greeting should be offered, therewith he will receive its great reward, since the main purpose is not to have the commencement of entering the mosque free from any religious service pertaining to the mosque, in fulfillment of the rights of the mosque. For this reason, it is undesirable for one to enter the

mosque while his ablution is broken. But in case he enters, only for the sake of crossing or sitting, let him say four times: Exalted be Allah; Praise be to Allah; There is no god (to be worshipped) but Allah; and There is no might nor power but with Allah." it is said that it is equal (in reward) to the two-rak'ah prayer of greeting the mosque.

According to the doctrine of Ash-Shafi'i, the prayer of greeting the mosque is not disliked even at the times in which the prayer is undesirable, i.e. after the obligatory prayers of both Fajr and Asr, the time of sun's decline (passing the meridian), and the times of both rising and setting of the sun. the reference here is the narration (of both Sahihs on the authority of Umm Salamah and Muslim on the authority of A'ishah) that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" once offered a two-rak'ah prayer after Asr. It was said to him: "Have you not forbidden us to do so?" he said: "This two-rak'ah prayer is that which I was supposed to offer after Zhuhr, but the delegate diverted me from offering them (at that time)."

There are two points to be deduced from that Hadith: The first is that the undesirability is restricted only to that kind of prayer, for which there is no justification, and the weakest of reasons is the fulfillment of the supererogatory prayers. However, the learned men differ as to whether the supererogatory prayers should or should not be fulfilled, and if one does the like of what has escaped him, should it be regarded fulfillment of what is due? If then the undesirability is negated even by the weakest of reasons, it should rather be abrogated by entering the mosque, which is a strong reason. So, it is not undesirable to perform the funeral prayer once it is present, the eclipse prayer and the Istisqa' prayer at those time, in view of their benefits and advantages.

The second is the fulfillment of the supererogatory prayers, since the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" fulfilled (after Asr prayer the two-rak'ah prayer which he used to offer after Zhuhr prayer), and in him we should have a good pattern (to follow). (It is narrated by Muslim that) A'ishah said: "Whenever the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was overpowered by fatigue or slumber and was hindered from standing on that night for the supererogatory prayer), he would offer, at the first portion of the coming day, twelve rak'ahs." According to the learned men, when one is in prayer and the response to the Mu'adhdhin escapes him, and he utters salutation, let him respond to the Mu'adhdhin, even though he has stopped, and then fulfill substitute prayer in lieu.

Thus, there is no significance to be given to the statement of him who says that this is like the first case, and it should not be fulfilled; for had it been so, no doubt, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" would not have fulfilled it in lieu at the time of undesirability. It is true that if one has a daily regular division from which he is hindered (for some reason or another), he should be given no concession to leave it: on the contrary, he should overtake it

in another time, lest he should not be inclined to comfort and luxury. It is good to overtake it, by way of self-mortification on the one hand, and in accordance with the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" (according to the narration of both Sahihs on the authority of A'ishah): "The dearest deed in the Sight of Allah is that which is done regularly, no matter trivial it might be."

This means that one should not be inconsistent in doing his deeds. It is narrated on the authority of A'ishah that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah Almighty hates him who worships Allah with a certain act of worship and then leaves it out of tedium." So, let him beware of being included under the risk of threat and menace. What is affirmed by that narration is that Allah Almighty hates him who leaves the religious deed by way of weariness, and had it not been for Allah's aversion towards him, and separation (from His Presence), such weariness would not have overpowered him.

The fifth is two-rak'ah prayer to be offered after performing ablution. This prayer is desirable, for ablution is a religious service, whose main purpose is to offer prayer through it. furthermore, the defilements are to obstruct (one from practicing the worship), and such defilement might happen to break the state of ablution before performing the service, with the result that the endeavour is lost. So, to hasten to offer this two-rak'ah prayer is to fulfill the purpose of ablution before it is broken. This prayer is verified by the narration (of both Sahihs on the authority of Abu Hurairah) in which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said pertaining to Bilal: "I entered the Garden and found Bilal there. I asked him: "O Bilal! By which thing have you preceded me to the Garden?" he said: "I do not know but that I do not break the state of my ablution but that I (perform ablution once again and) offer a two-rak'ah prayer after it."

The sixth is a two-rak'ah prayer to be offered on entering as well as on coming out of the house. In this respect it is narrated (by Al-Baihaqi) on the authority of Abu Hurairah that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "When you come out of your house, offer a two-rak'ah prayer, perchance it would avert the evil exit from you; and when you enter the house, offer a two-rak'ah prayer, perchance it would avert from you the evil entrance." This implies the commencement of each matter of significance. For this reason, it is narrated that (it is desirable to) offer a two-rak'ah prayer on assuming Ihram, a two-rak'ah prayer on starting a journey, and a two-rak'ah prayer on returning from journey in the mosque before entering the house. All of this is handed down from the practice of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". It was the habit of one of the righteous good men to offer a two-rak'ah prayer whenever he had a meal, and whenever he had a drink, and so he did in every act that happened to him.

The blessing should be sought in the commencement of anything, through the celebration of Allah Almighty. Those things are of three states: some recur frequently, such as eating and drinking, in which one should begin with mentioning the Name of Allah Almighty. (It is narrated by Abu Dawud, An-Nasa'i, Ibn Majah and Ibn Hibban on the authority of Abu Hurairah that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Everything of significance which is not started with "In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful" is cut off."

The second is that which is of importance, even though it does not recur frequently, such as holding the tie of marriage, giving advice and counsel, which is desirable to be started with praising Allah Almighty. The one who holds the tie of marriage should begin with saying: "Praise be to Allah, and Allah's Blessing be upon the Messenger of Allah" I've given you my daughter in marriage." The one who accepts marriage should say: "Praise be to Allah, and Allah's Blessing be upon the Messenger of Allah: I've accepted the marriage." It was the habit of the companions "Allah be pleased with them" to start their messages, advises and counsels with praising Allah Almighty.

The third is that which does not recur frequently, but once it occurs, it becomes of permanence and importance, such as the journey, buying a new house, assuming Ihram, and the like of that. It is desirable to offer a two-rak'ah prayer in advance of all of those, and the least of them is entering a house and coming out of it, for it is a kind of the short journey.

The seventh is the prayer of Istikharah (seeking the guidance of Allah to what is better). the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" commanded him who intends to do a thing, and he does not know its consequence, and whether it is good to leave or do it, to offer a two-rak'ah prayer, in the first rak'ah of which he recites Al-Fatihah and "Say: 'O you who reject faith'" and in the second Al-Fatihah and "Say: 'He is Allah, the One and Only'", and when he finishes let him supplicate: "O Allah! I ask guidance from your knowledge, And Power from Your Might and I ask for your great blessings. You are capable and I am not. You know and I do not and you know the unseen. O Allah! If You know that this job is good for my religion and my subsistence and in my Hereafter as well as for my present and later needs Then You ordain it for me and make it easy for me to get, And then bless me in it. If You know that this job is harmful to me In my religion and subsistence and in the Hereafter as well as for my present and later needs Then keep it away from me and let me be away from it. Ordain for me whatever is good for me, and make me satisfied with it." Then the person should name (mention) his need."

This is narrated by Al-Bukhari on the authority of Jabir Ibn Abdullah, who said: The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" used to teach us how to ask Allah to guide one to what is right (concerning any job or deed), in all matters as he taught us the Surahs of the Qur'an. He said: "If anyone of you thinks of doing any job he should offer a two-rak'ah-prayer other than the

obligatory ones and then name the matter (concerning which he likes to seek Allah's Guidance)", and supplicate with the supplication which we've mentioned. According to a wise man: "He, who gives four things, will not be forbidden four things (in return): whoever gives thanks will not be forbidden (to be given) more; and whoever gives repentance will not be forbidden the acceptance (of his repentance); and whoever gives (the prayer of) seeking the guidance (of Allah Almighty to what is right and better) will not be forbidden the better choice; and whoever gives counsel will not be forbidden (to be guided to) the right."

The eighth is the need prayer. Whoever is constrained by necessity, and for the interest of his religion and world forces him to be in need for something which is difficult, let him offer this prayer. It is narrated (by Ad-Dailami) on the authority of Wuhaib Ibn Al-Ward that he said: "From amongst the invocations which are not rejected is that one offers a twelve-rak'ah prayer, in each rak'ah of which he recites Al-Fatihah, the Holy Verse of the Throne, and "Say: 'He is Allah, the One and Only'", and when he finishes, let him fall in prostration and say: Exalted be He, Who is dressed in (the Dress of) Power and Honour therewith He speaks; Glorified be He, Who covers Himself in Glory therewith He is Bountiful; Glorified be He, Who calculates all things with His Knowledge; Glorified be He, other than Whom none else should be exalted; Glorified be He, Lord of Grace and Favour; Glorified be He, Lord of Power, Honour and Generosity; Glorified be He, Lord of Might: I ask You by the articulations of Power and Honour in Your Throne (of Authority), the utmost degree of mercy in Your Book, by Your Greatest Name, by Your Highest Power, by Your Comprehensive Perfect Words, which no dutiful nor wicked could go beyond, to send Your Prayer and Blessing upon Muhammad and upon the family of Muhammad." Then, let him ask fro his need, in which there should be no disobedience to Allah, and it will receive answer, Allah Willing. Wuhaib said: We have been reported that it was said: "You should not teach that to the foolish weak-minded among you, lest they would back each other, through it, in disobedience of Allah Almighty."

The ninth is the prayer of Tasbih; and it is narrated through tradition to be offered randomly, i.e. it is not unique to a particular time or occasion. It is desirable not to have the week or the month free from offering it once at least. In this issue it is narrated (by Ibn Majah) on the authority of Ibn Abbas that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Al-Abbas Ibn Al-Muttalib: "O Abbas! O my uncle! Should I not give you (a gift)? Should I not grant you? Should I not be a source of advantage to you? Should I not instruct you ten things (which plot out ten types of your sins): if you do that (which I'm going to tell you), Allah will forgive you (the whole of) your sins, the first and the last, the old and the new, that which committed by mistake, and that which is committed intentionally, the minor and the major, that which is done in secrecy and that which is done in public? Those are ten things: to offer a four-rak'ah prayer, in each rak'ah, recite the Opening of the Book and a Surah (from the Qur'an), and when you finish from the recitation in the first rak'ah, say while

you are standing: "Glory be to Allah; praise be to Allah; there is no god but Allah; Allah is Greater" fifteen times; then bow down, and say it ten times while you are bowing (besides those uttered in the bowing); then, raise your head from bowing, and say it ten times while standing; then fall in prostration, and say it ten times while you are prostrating (besides those said in the prostration); then raise your head from prostration and say it ten times while sitting; then prostrate and say it ten times; and then raise your head from prostration and say it ten times: those are seventy-five (statements) to be uttered in every rak'ah, which you have to say in the four rak'ahs. If you have power to offer such a prayer everyday, do it; and if you could not do , let it be every Friday; and if you could not do, let it be every month; and if you could not do, let it be (at least) once during your lifetime."

According to another version, it should be said in the beginning of this prayer: Exalted be You, O Allah, and by Your Praises (I exalt You); Blessed be Your Name; Exalted be Your Glory; Hallowed be Your Names; There is no god (to be worshipped) other than You." Then, let one exalt Allah fifteen times before recitation, and ten times after recitation, and the remaining is according to the previous narration, i.e. ten by ten. Let not him exalt after the second prostration while sitting; and this is more fitting, and it is the choice of Ibn Al-Mubarak. The total, as shown from both narrations, is then three hundred Tasbihs: if one offers this prayer during the day, let it be with one salutation, and if he offers it at night, let it be with two salutations; and this is good, since what has been handed down to us attests that the night prayer should be offered in pairs of rak'ahs. If one adds to those Tasbihs: "There is no might nor power but with Allah, Most High Most Great" it is very good according to many narrations.

These are the prayers which transmitted (from the Prophet); and none of which is desirable to be offered at those times, in which prayer is disliked, barring the prayer of greeting the mosque. But this exception does not include the two-rak'ah prayer to be offered after ablution, the two-rak'ah prayer of journey, the two-rak'ah prayer of entering and coming out of the house, and the two-rak'ah prayer of seeking Allah's Guidance, since the forbiddance (of praying at those times) is confirmed, and their related reasons are weak, and they do not rise up to the degree of such prayers as the eclipse, invoking for water, and greeting the mosque. Furthermore, I saw one of the Sufists offering the two-rak'ah prayer after ablution during those times in which prayer is undesirable; and this is absurd, since the ablution itself could, by no means, be a cause of prayer: on the contrary, the prayer itself is the cause of performing ablution. To be sure, one performs ablution in order to pray, and does not pray just because he has performed ablution.

If everyone that has been defiled wishes to pray at a time of undesirability has no way but to perform ablution and then pray, there will be no significance to be given to the undesirability. One should not state the intention to offer the two-rak'ah prayer of ablution in the same way as he does in the case of the two-rak'ah prayer of greeting the mosque. When he performs ablution, he prays two rak'ahs

voluntarily, in order that his ablution should not be idle, the same as Bilal did. This prayer is voluntary which occurs just after the ablution. The narration pertaining to Bilal does not attest that the ablution might be a cause of prayer, as strong as that of eclipse and greeting (the mosque) so that one should state the intention to offer the two-rak'ah prayer of ablution. It is impossible that one, by prayer, should state the intention to perform ablution: on the contrary, by ablution, one should state the intention to offer prayer. How should it be right to say while performing ablution: 'I perform ablution for the sake of my prayer', and say in his prayer: 'I pray because of my ablution'? if one likes to safeguard his ablution from idleness during the time of undesirability, let him intend to do a substitute performance in case, if it is possible, a certain prayer is due upon him, to which some defect ahs found its way, for some reason or another. That's because the substitute performance of prayer during the times of undesirability is not disliked.

As for the intention to offer voluntary prayers during the times of undesirability, there is no consideration for it, since the forbiddance pertaining to it has three important points: the first is to safeguard oneself from the resemblance of the sun worshippers. The second is to keep away from the spread of devil at those times, depending upon (the narration of An-Nasa'i on the authority of Abdullah As-Sunabihi) in which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, sun rises, and there appears with it the horn of Satan: when it rises, the devil joins it, and when it is high, he departs from it; and when it is at the meridian, he joins it, and when it declines and passes the meridian, he leaves it; and when it is about to set, he joins it, and when it sets, he leaves it." he thus forbade offering prayer at those times, showing the reason for it.

The third is that the followers of the way to the hereafter still offer prayers regularly at all times (during the day and night); and of a surety, to do one item of religious service routinely develops weariness. When one is forbidden to offer it even for a short while, this will make him more active and desirous (for offering it), seeing that man, by nature, is eager to do what is forbidden to him. For this reason, to be hindered from prayer at those times (of undesirability) instigates him to lie in expectation for the passing of time. Thus, those times were devoted to Tasbih and Istighfar (asking for forgiveness), in avoidance of weariness which results from regularity of performance, and seeking relief by making one move from one kind of religious service to another. Verily, it is delightful to find and seek what is new, as well as it is bore to be continuous routinely on one thing. For this reason, the prayer has not been set to be solely prostration, solely bowing, or solely standing: on the contrary, the worships have been ordered from many kinds of acts and different celebrations, in such a way that the heart entertains from each a new pleasure on moving to it; and had it been continuous on doing one thing, surely, it would have been swifter to be a victim of tedium and weariness.

If those are serious enough to forbid offering prayer at those times of undesirability, in addition to many other mysteries, which it is not within the power of mankind to perceive, but Allah and His Messenger know them best, those serious things could not be left but by means of reasons, which are strong in law, such as the fulfillment of substitute prayers, the prayer of invoking for water, the prayer of eclipse, and the prayer of greeting the mosque. What is weaker than those should not be made to encounter the purpose of the forbiddance. This is the right in our sight; and Allah Almighty knows best.

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

Praise be to Allah, Who has blessed some with happiness and reduced others to wretchedness, brought some to death and others to life, caused some to laugh, and others to weep, brought some to existence, and others to nonexistence, reduced some to poverty and blessed others with richness, caused harm to some and brought good to others. it is He, Who has created the animal from a sperm-drop. Then, he has set Himself apart from the creatures by His attribute of being Free of all wants and needs. He Almighty has favoured some of His servants with good, by endowing them, out of His Bounty, with His Graces by which he whom He pleases has become independent, and made such as endeavours and toils, and has his sustenance constricted in need of Him, by putting him to test and trial.

He Almighty has made obligatory charity (Zakat) one of the fundaments of religion on which it is based, and showed that by virtue of which such of His servants as doomed to be purified have been purified, and through which the wealth of the wealthy who spends out of it in charity increases. Allah's blessing and peace be upon Muhammad, the well-chosen, the chief of all mankind, and the sun of guidance, as well as upon his family and companions, who were characterized by knowledge and piety.

To go further: Allah made the obligatory charity (Zakat) one of the fundaments upon which Islam has been based, and mentioned it just after the prayer, which is the highest religious service, as shown from His saying: " be steadfast in prayer; And practise regular charity." (Al-Baqarah 83)

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴿٨٣﴾ ﴾

(It is unanimously narrated on the authority of Abu Hurairah that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Islam has been based on five (pillars): to bear testimony to the fact that there is no god (to be worshipped) but Allah, and that Muhammad is His servant and Messenger, to establish obligatory prayer, to practice regular charity..." he Almighty is strong in His threat to those who indulge in practicing it when He says: " And there are those who bury gold and silver and spend it not in the Way of Allah: announce unto them a most grievous penalty." (At-Tawbah 34)

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾

To spend in the Way of Allah is to take out such of obligatory charity as due upon his property. Al-Ahnaf Ibn Qais said in this respect: I was in the company of a group of the Quraish men when Abu Dharr passed by and said: "Announce unto the treasurers (of wealth) that they will be branded in their back with a red-

heated iron rod which will penetrate through their chests, and in the back of their heads with a similar rod which will penetrate through their foreheads." According to another version: "the red-heated iron rod will be placed on the nipples of their breasts and forced through to emerge from the centre of their shoulder-blades, and on the centre of his shoulder-blades and forced through to emerge from the nipples of their breasts with shaking."

(It is narrated by Muslim on the authority of) Abu Dharr that he said: I went to the Messenger of Allah "Peace be upon him" and he was sitting under the shade of the Ka'bah. When he saw me he said: "By the Lord of the Ka'bah! They are the losers." I came there until I sat. I could not stay (any more) and stood up. I asked: "O Messenger of Allah! Let my father and mother be sacrificed for you! Who are those (losers)?" He said: "They are those, who have a great wealth except so and so and so (i.e. those who spend their wealth on whomever they find) in front of them, behind them, on their right and on their left; and how a few they are! No owner of camels, cattle or goat and sheep does not give in charity but that those (animals) would come on the Day of Judgement, more fleshy than they have ever been, and they would gore him with their horns and trample him with their hoofs. The more the last would pass away, the more the first would return (to trample him once again) until it is judged among the people."

Since this severe warning is (authentic, as long as it is) narrated in both Sahihs, it has become one of the religion's tasks to uncover the mysteries of obligatory charity (Zakat), its apparent and invisible conditions, its outward and inward meanings, with restriction to what is indispensable for both the almsgiver and its recipient to know. All of that could be uncovered in four chapters:

Chapter one: on the different kinds of obligatory charity (Zakat), and the causes of its obligation.

Chapter two: on its proprieties and its outward and inward conditions.

Chapter three: on the recipient of the obligatory charity (Zakat), and the conditions and manners by which he is worthy of receiving it.

Chapter four: On the voluntary charity (Sadaqat) and its excellence.

CHAPTER ONE: ON THE DIFFERENT KINDS OF OBLIGATORY CHARITY (ZAKAT) AND THE CAUSES OF ITS OBLIGATION

The kinds of obligatory charity, in relation to its appurtenances, are six: the obligatory charity due upon livestock (of cattle and sheep); the obligatory charity due upon currency of both (gold and silver); the obligatory charity due upon merchandise; the obligatory charity due upon buried treasures and mines; the obligatory charity due upon land yields; and the obligatory charity due upon breaking the fast (of Ramadan).

The First Kind: The Obligatory Charity Due Upon Livestock

This kind of obligatory charity, as well as the other kinds, is not due but upon a free Muslim, without stipulating his attaining the age of puberty, since it is due upon the property of even the child as well as the insane. This condition pertains to him upon whom it is binding.

There are five conditions which pertain to the property, upon which the obligatory charity is due: It should be livestock; such should be maintained on pasturing; a whole uninterrupted year should have passed upon it while being in the possession of the almsgiver; it should be equal to the minimum limit at which Zakat becomes due; it should be wholly owned (by the almsgiver). (Let's explain each in detail).

1- **The first condition**: that it should be livestock, it is well-known that the obligatory charity is due only upon camels, cattle and sheep. This means that no obligatory charity is due upon horses, mules and donkeys, as well as cross-breed of deers and sheep.

2- **The second condition**: that it should be pasturing, there is no obligatory charity upon such of animals as fodder constitutes their main food; and if (during the year which should pass on the livestock to be liable to charity) they were maintained through pasturing for some time, and through fodder for another time, because of which there appeared a need to supply them with provision, no obligatory would be due upon them.

3- **The third condition**: the uninterrupted year-possession of property. In this respect, (it is narrated by on the authority of that) the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "No obligatory charity is due upon a property before a whole year has passed on it (while being in the full possession of the almsgiver)." The yield of property is exempted from that, since it is subject to the same rule which governs the property; and thus the obligatory charity is due upon it because of the uninterrupted year-possession of its source. This year might be interrupted when the property is sold or granted.

4- **The fourth condition**: the full possession, which gives the owner the power of authority to dispose of what he owns. Alms are due upon the mortgaged cattle, since it is the owner himself who has limited his legal power over it. but it is not due on what has been lost or illegally usurped, unless it returns with its yields, and in this case, the alms should be due upon it on its return, along the time passed (while being lost or usurped). If one is in debt, which is to take up his property, no obligatory charity should be due upon him, for in this case, he will not be wealthy with it, for indeed, the wealth which makes one rich is what is beyond the need.

5- **The fifth condition**: this pertains to the attainment of the minimum limit (at which alms become due). As far as camels are concerned, no obligatory is due upon them unless they reach five, and in this case, a one-year-old sheep or a two-year-old goat become due. Two sheep are due upon (a property of) ten camels; three sheep are due upon fifteen camels; four sheep are due upon twenty camels. But in case they are twenty-five camels, a one-year-old she-camel becomes due, and in case a one-year-old she-camel is available, let it be a two-year-old male camel, if it is available. In case they are thirty-six camels, a two-year-old she-camel is due. If they reach forty-six camels, a three-year-old she-camel is due. If they reach sixty-one, a four-year-old she-camel becomes due. If they reach seventy-six, two two-year-old she-camels become due. If they reach

ninety-one, two three-year-old she-camels become due. If they reach up to one hundred and twenty-one, three two-year-old she-camels become due. If they reach up to one hundred and thirty (and more), the calculation has been fixed as a three-year-old she-camel is due upon each fifty, and two-year-old she-camel is due upon each forty.

As far as cows are concerned, nothing is due unless they reach up to thirty, upon which a one-year-old calf is due; and in case they are forty, a two-year-old she-cow is due; and in case they are sixty, two one-year-old calfs are due. If they are more than sixty, the calculation has been fixed as a one-year-old calf is due upon each thirty, and a two-year-old she-cow is due upon each forty.

As far as sheep are concerned, nothing is due unless they are forty, upon which a one-year-old sheep or a two-year-old goat is due. Nothing is due upon them after that until they reach one hundred and twenty-one, upon which two sheep are due; and in case of two hundred and one, three sheep are due; and in case of four hundred, four sheep are due. After that the calculation has been fixed as a single sheep is due upon each hundred.

The rule which governs the obligatory charity due upon *the property of the sole owner is true also* of the property jointly owned by two in partnership. Thus if forty sheep are jointly owned by two persons, a one-year-old sheep or two-year-old goat is due upon them; and if one hundred and twenty sheep are jointly owned by three persons, a single sheep is due upon them all. Partnership of neighbours, in its liability to *the obligatory charity,* is exactly like joint partnership, on the condition that their sheep should be herded together in the same place, taken to drink together (at the same source of water), milked together, graze together in the same pasture, and their mating be carried at the same time and place. Above all, the partners should be included in those upon whom the obligatory charity is due, for the partnership of the Muslem with the *a non-Muslim living under Muslims' power,* and the slave who has a written deed of emancipation for a certain sum of money is ineffective.

To give as *obligatory charity* a younger camel than the one prescribed by law is permissible, provided that the given camel should not be younger than a one-year-old she-camel, on the condition that one should mend the situation for the age of the camel, on the basis that a camel one year younger than the prescribed age requires a recompense of two goats or twenty Dirhams; one two years younger, four sheep or forty Dirhams. Furthermore, camels older than the prescribed age might be taken as obligatory charity provided that they are not older than a four-year-old she-camel, *and in this case,* the owner is entitled to be recompensed from the treasury officials.

No sick camel should be accepted as *obligatory charity* when one sound camel is found among the herd upon which the *obligatory charity* is due. From among thorough-bred camels a thorough-bred is taken and from among the half- bred, a half-bred should be taken. No sheep fattened for slaughtering and eating or gravid , nor sheep which has just brought forth, nor male, nor the best among the

flock should be taken (as obligatory charity).

The Second Kind: The Obligatory Charity Due Upon The Land Yields

One-tenth the edible plants (of foodstuff), which is as much as no less than eight hundred manebs, is due as obligatory charity; and nothing is due upon a quantity less than that amount. Nothing is due upon fruits nor cotton. But it is due upon edible grains, in addition to dates and raisins, provided that the amount should be eight hundred manebs of dates or raisins, and not of fresh dates or grapes. The obligatory charity due upon those should be taken out after drying. The property of a partner in this respect should be completed with the property of the other, according to the common partnership, such as the garden which is jointly owned by a group of heirs, the crop of which amounts to eight hundred manebs of raisins, eighty manebs of raisins are due on all of them together, each to pay in proportion to his share. This, however, does not apply to partnership among neighbours.

The minimum limit of wheat, for example, could not be supplemented with parley (and vice versa); but that of parley could be completed with thin-husked barley, since it is of the same species. This is the due amount of what is watered by an inundation or a canal. But only one-twenty is due upon what is watered with the help of a camel (used for carrying water) or artificial means through taking water from canals, tanks, drains, etc. if irrigation is done by both ways, the consideration should be built upon that which prevails.

As to the quality of the *obligatory charity, it should be known that* dry dates, dry raisins, and dry grains are accepted. Neither grapes nor fresh dates are accepted unless an epidemic should befall the trees and demand, which should be cut down before their fruit is ripe for the sake of the general interest. In that event fresh dates may be collected on the basis that nine-tenths will be set aside for the owner, and one-tenth for the poor. That the division of property is a kind of selling does not prevent such division, for indeed it is permissible because of necessity. The *obligatory charity* is due at the time when the benefit of the fruits becomes evident, and the grains grow hard, whereas it should be fulfilled after being dried.

The Third Kind: The Obligatory Charity Due Upon Both Gold And Silver

When a whole year has passed with a weight equal to two hundred sterling Dirhams (of silver while being in the possession of somebody) according to the Meccan weight, five Dirhams become due, and this is equal to one-fortieth; and if it is even a single Dirham more, its obligatory charity should be calculated according to this rate. The minimum limit of gold (at which Zakat is due) is twenty sterling Dinars according to the Meccan weight, upon which one-fortieth is due; and what is more should be calculated according to that rate. No obligatory charity is due if that amount is short of even a single grain. It is also due upon him who has counterfeit money, if they contain this minimum amount of pure metal. The obligatory charity is also due upon the gold and silver bullions

and the forbidden ornament (of gold and silver, such as the utensils of gold and silver, and the couches of gold owned by the rich men. It is due upon the permissible ornament. It is also due upon the debt of a solvent person capable of paying his debt, in which event it is due at the time of fulfillment. If the fulfillment of the debt has been deferred to a fixed date, the *obligatory charity* is not due until that date comes.

The Fourth Kind: The Obligatory Charity Due Upon Merchandise

It is the same as the obligatory charity of both gold and silver, but here the year is reckoned from the very time in which one possesses the money therewith he has purchased the goods, in case this money has reached the minimum amount liable to the obligatory charity. But in case that money is less than that, or if one buys (the goods) with the intention to practice traffic, the year should be reckoned from the very time of purchase. The obligatory charity here should be fulfilled in the currency prevalent in that town (or country), in terms of which its value is estimated. If the money with which the goods were purchased belonged to a certain monetary unit, and equal to exactly the minimum amount liable to the *obligatory charity* it would be better to calculate the *obligatory charity* on the basis of the same monetary unit with which the good were purchased than on that of the currency prevalent in the city or country.

On the other hand, if one has the intention to practice traffic by way of investing such of his property as he has saved, the year should not be reckoned just from the time of his intention, but from the very time of purchase. If, before the year elapses, the person drops his intention of investing, the fulfillment of the obligatory charity falls out. It is, however, better to fulfill the *obligatory charity* for that year.

Whatever profit may accrue at the end of the year is liable to the *obligatory charity* through the year of the capital, and will not have a special year reckoned for it as is the case with the offspring of animals. As to money-changers, the continuity of the year on the basis of which the *obligatory charity* due on their money is calculated is not interrupted by the exchange of the money among them as it is interrupted with exchange of other kinds of merchandise. The *obligatory charity* due upon the profits which accrue to the money-lender is due upon the lender himself, i.e. upon his share of the profit, even before distributing the shares. This is the most standard practice.

The Fifth Kind: The Alms Due Upon Buried Treasures And Mines

The buried treasure applies to such (of gold, silver and any precious metals) as had been buried during the pre-Islamic period of ignorance and was found in a certain land which has not fallen under the possession of anyone in Islam. The finder of such buried treasure should pay one-fifth such of gold and silver as he finds (to the state), with no consideration to be given to the elapse of a whole year in this respect. It is also better to give no consideration to the minimum amount liable to the obligatory charity, for the obligation of paying one-fifth (the property) is confirmed to what is similar, i.e. the war booty, and considering such

(minimum amount liable to Zakat) is not unlikely, in view of the fact that the way of spending both is one. For this reason, it (its liability to Zakat) is limited to both gold and silver.

As for mines, no obligatory charity is due upon any of metals barring gold and silver, upon which, after being extracted and refined, one-fortieth is due according to the more authentic of both authorities. Based upon that, the minimum limit liable to Zakat is considerable. But there are two opinions pertaining to the elapse of a whole year. It is not considerable according to the opinion that assures the one-fifth. There are two opinions pertaining to the minimum limit liable to Zakat; and the more reliable of them, and Allah Almighty knows best, is that, in relation to the amount of Zakat, it should be subject to the same rule which governs the obligatory charity due upon merchandise, for it is a kind of profit-making, and in relation to the elapse of a whole year, to the obligatory charity due upon the land yields. In this way, no period as such is required, since this is the most sensible course. A minimum limit liable to Zakat is required in this respect as it is required in land yields. The safest course is to set aside one-fifth of all buried treasures and mines regardless of their amount and of whether or not they are gold or silver, in order to avoid these uncertain distinctions and differences, all of which are speculative and close to be contradictory. It is dangerous to lay down hasty and strict verdicts in view of the contradictory nature of these conjectures.

The Sixth Kind: The Alms Of Breaking The Fast

It is obligatory, on the tongue of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" upon every Muslim, from what is left over of the sustenance of him as well as of those he sustains. It is to be given on the night and day of breaking the fast (of the month of Ramadan, as closing date), in a form of a measure of the foodstuff on which he is maintained, in accordance with the measure of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", i.e. two and two- thirds manebs. It should be taken out of the same kind of his foodstuff, or any kind superior. If his sustenance is wheat, parley would not suffice him; and if it is of different grains, let him choose the best and most superior of them; and it suffices him to take it out of whichever he likes of them.

Its distribution is the same as that of the obligatory charity due upon the property. In it, all beneficiaries should be covered. It is impermissible to give it from flour or parched barley. It is incumbent upon a Muslim to give the alms of breaking fast on behalf of his wife, children, slaves, and everyone of his kith and kin of whom he is responsible, i.e. those whose support is incumbent upon him, just as his father, mother and children. In this respect (according to an unidentified narration) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Pay the alms of breaking fast on behalf of those whom you sustain."

Furthermore, the alms of breaking fast on behalf of the jointly owned slave is due upon both partners; and no alms as such is binding on behalf of an infidel

slave. If a wife donates to pay the alms on her behalf from her property, it suffices her; and her husband has the right to give it on her behalf, without seeking her leave. If something is left over to pay such alms on behalf of some of his dependents, let him pay it on behalf of them; and the most fitting of them to be preferred in this issue is that, whose support is better confirmed. The Messenger of Allah "Peace be upon him" gave preference to the support of one's child over that of his wife, and that of his wife over that of his servant.

Those are the legal rules of jurisprudence (concerning the obligatory charity) which are necessary for him who wishes to be independent from others to know; and beyond that, some rare cases might encounter him, in connection with which case he should seek the religious verdicts, after having grasped this amount of knowledge.

CHAPTER TWO: ON THE FULFILLMENT OF ALMS AND ITS OUTWARD AND INWARD CONDITIONS

It should be known that the almsgiver should observe five things:

The first pertains to the intent. That is to say, the almsgiver should have the intention, within his heart, to pay the obligatory charity due upon him; and it is not incumbent upon him to set apart the property (upon which he is going to pay the alms). Based upon that, if he has property which is under absentee possession, and he says: "This is the obligatory charity due upon my property which is under absentee possession, in case it is safe, otherwise, let it be a supererogatory deed", it will be permissible, because he has not assigned a certain property; and this applies to the property referred to in general terms.

The intent of a guardian takes the position of that of the mad and child (under his guardianship); and the intent of a magistrate takes the position of that of the owner who refuses to give alms, but in so far as the outward aspects of this world are concerned, i.e. in so far as it cancels out the demand from him. But as far as the hereafter is concerned, it does nothing: on the contrary, he continues to be held responsible for it until he resumes giving it. it suffices him, in case he delegates a deputy to pay the alms on his behalf, to declare the intent (of paying the Zakat) at the time of delegation, or to delegate the deputy with intention; and that's because to entrust the deputy with intent is regarded to be an intent in itself.

The second is to be prompt to fulfill it once the whole year has elapsed; and as far as the alms of breaking fast is concerned, it should not be delayed beyond the day of breaking fast. It becomes due with the setting of the sun of the last day of the month of Ramadan; and the whole month of Ramadan is fitting for being prompt to pay it. he, who delays to fulfill the obligatory charity due upon his property even though he is capable of paying it has, indeed, disobeyed (the commandments of Allah), and the damage of his property will not cancel it out of him. But in case the cause of his delay is the absence of the beneficiaries, and subsequently, his property has been damaged, the obligation of payment then will fall out of him.

However, it is permissible to pay the alms in advance, provided that the limit amount liable to alms has been obtained, and a whole year has elapsed. It is also permissible to pay the *obligatory charity* of two years in advance. If the *obligatory charity* is paid in advance and then, before the end of the year, the poor man (the beneficiary) should die, renegade to infidelity, or grow independently rich, or if the property of the owner should be given to damage or he should die, the sum which had been paid in advance would not be regarded a part of the obligatory charity and cannot be restored unless it had been so stipulated at the time of payment. Therefore, let him who pays the *obligatory charity* in advance watch the ends of matters and the safe outcomes.

The third is That nothing should be offered as the *obligatory charity in substitution of another* based on the value. The stipulated *obligatory charity* itself should be set aside and paid. Thus silver will not take the place of gold, nor will gold take the place of silver, even though the substitute may exceed that for which it was substituted.

Perhaps some of those who do not understand the purpose of Shafi'i may indulge in that matter, and give concession to the substitution of one thing for the other on the ground that the main purpose of the whole thing is to satisfy the need. But how far is this from the true knowledge of the law. For while satisfying the need constitutes one of its purposes, in no way could it be the only purpose. The purposes of the law are three which go as follows:

The first purpose of the law is pure devotion *in which there is no share for* personal considerations or desires, just as, for example, the throwing of the pebbles at the *Jamrahs:* nothing could affect the *Jamrah* with the falling pebbles. In this case the main purpose of the law is to put man to trial through action, in order that he may show his servitude and bondage to Allah by means of acts which have no reasonable meaning. For the mind might aid and urge man to do those acts which have reasonable meaning. Consequently, reasonable acts do not illustrate man's perfect servitude and bondage to Allah. Real servitude to Allah is disclosed through full obedience to His orders and not through obedience for some other reason. Thus the most part of the activities (done during) Hajj are, in themselves, void of any reasonable meaning. For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said while assuming Ihram: "I respond to Your Call O Allah with Hajj through which I display my devotion and servitude." He did so in order to show that man proves his bondage to Allah through full obedience to His orders regardless of whether they are or they are not acceptable to him and of whether he is or is not liable and inclined to submit to them.

The second purpose of the Law pertains to a reasonable share rather than to pure devotion, just as, for example, fulfilling human debts and restoring to men whatever is usurped from them. Thus there is no crime in which the act itself, as well as the intent are not taken in consideration. Furthermore whenever the right or its substitute is restored to its owner in such a way as is agreeable to him, the demand of the law will have been fulfilled, and it will have no claim. These two

purposes of the law are free of complexities and all men join in understanding them well.

The third purpose of the law is composed of the former two, namely the benefit of mankind and the trial of man by means of bondage. Thus, therein is a mixture of acts of pure devotion like the throwing of the pebbles, and human benefits like the restoration of the usurped rights. The latter is reasonable. But if it is ordained by the law, the two purposes then should inevitably be combined. furthermore, the finer of the two purposes, namely devotion and servitude, should never be ignored on account of the more apparent one (i.e. human benefit). More likely the finer of both is more important.

The *obligatory charity belongs then to this (third) kind.* No one proved wakeful to this fact except Shafi'i. on the one hand, the benefit of the poor serves the purpose of satisfying the need, which is quite clear and readily comprehended. On the other hand, the right of devotion serves the purpose of tracing the details relevant to the *obligatory charity.* In this respect, the *obligatory charity* has been joined to prayer and pilgrimage, as being one of the pillars of Islam. No doubt man has to endeavour to distinguish the different kinds of his property and set aside a portion of each and distribute what he had set aside among the eight groups as will be discussed later. To indulge in this point will not diminish the benefits of the poor but will surely stand against devotion.

That devotion is intended by the special treatment with which the different kinds (in the *obligatory charity) are dealt* is attested by many things which we have discussed under controversial points in books of jurisprudence. One of the clearest of these is that the law ordains as obligatory charity a sheep due upon every five camels, thereby substituting the sheep for the camel without the substitution of gold and silver. Were this to be justified by the shortage of currency of gold and silver among the Bedouins, the justification would be held invalid when it is mentioned that the Messenger of Allah stipulated that the sum of twenty Dirhams or two sheep should be given in compensation when the age of the camel given as *obligatory charity* is younger than what it should be. However, the Messenger of Allah did not mention the amount of shortage in value in connection with the compensation required, estimated at twenty Dirhams or two sheep seeing that garments and vessels of any kind were all of the same value as substitutes.

These and other special treatments alike indicate that although the *obligatory charity* has not been left free from devotional significance, it is different from Hajj which is merely devotional, in so far as it combines both (the reasonable benefits and the devotional deeds). But since feeble minds fail to understand the complicated things, this might lead to errors in this field.

The fourth is that the objects of the obligatory charity should not be transferred from town to town, for the needy and indigent in every town are in the habit of watching its property and wealth, and the transference (of this property) might disappoint them. But anyway, if he does so, it will be valid, according to an opinion; even though to avoid the uncertainty resulting from

the difference (of views in this matter) is much better. So, let the obligatory charity due upon the property of every town be brought out and distributed among its people; and there is no harm to give out of that the strangers within this town.

The fifth is that he should distribute (the obligatory charity due upon) his property among the (eight) groups (of beneficiaries) in his homeland since it is obligatory to include them (in the distribution); and this is attested by the apparent meaning of the saying of Allah Almighty: " Alms are for the poor and the needy, and those employed to administer the (funds); for those whose hearts have been (recently) reconciled (to the truth); for those in bondage and in debt; in the cause of Allah; and for the wayfarer: (thus is it) ordained by Allah, and Allah is full of knowledge and wisdom." (At-Tawbah 60)

﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾

This is similar to the statement of a sick: "One-third of my property be to the poor and needy." This requires the partnership in possession. However, as far as the acts of worship are concerned, one should safeguard himself from adhering only to the apparent aspects.

From those eight the most countries are short of two, i.e. those employed to administer the (funds), and those whose hearts have been (recently) reconciled (to the truth). Four of them are widespread in all countries, i.e. the poor, the needy, the debtors, and the wayfarers. The other remaining two exist in some countries, i.e. those in bondage and the fighters in the Cause of Allah Almighty. Based upon that, if there are five of those groups in one's homeland, let him divide the obligatory charity upon his property into five portions, whether equal or nearly so, and assign a part for each group, and then divide each part into three or more equal or unequal shares.

Yet, it is not necessary for him to divide each share equally among the members of the one group of beneficiaries, but may divide it, if he wishes, into ten or even twenty shares, and in this case the portion of each individual within the same group will necessarily diminish. The division of the *obligatory charity* among the different groups should not be subject to increase or decrease: nothing should be taken from the one and added to the other but all should be equal. The share of each group should not be divided into less than three portions. Thus if the amount of the *alms* of breaking fast of Ramadan is one measure of any foodstuff and there are five groups of beneficiaries in the town, the almsgiver should divide the *alms* among fifteen men. Should one man be left out and thus he will not receive his portion, the almsgiver, if it is possible, should supply that portion from his own property. But if this is not possible because of the littleness of the *obligatory charity, let* some of those who are liable to the *obligatory charity* gather their dues and collect the beneficiaries and give that to them, so that they might share it, for indeed doing so is necessary.

On The Exposition Of The Details Of The Inward Manners Pertaining To The Obligatory Charity

It should be known that there are several duties incumbent upon the seeker after the way to the hereafter, which go as follows:

The first duty: to have understand well the obligation and significance of the obligatory charity, and the consideration which makes it a means of putting man to trial, and the reason why it has been made one of the foundations of Islam, although it is just a financial transaction, and does not belong to the bodily acts of worship. This has three points to be made:

The first meaning is that to utter the word of testimony is to stick to monotheism, and bear witness to the Oneness of the worshipped god; and the stipulation to fulfill that to the best is that the monotheist should have no beloved other than the One and Only, since the love tolerates no division of affection; and it is of little benefit to express the Oneness of God only by the tongue. It is the departure from the beloved which tests the degree of love. To be sure, the wealth is the object of the love of the people for it is the instrument therewith they enjoy of the delights and pleasures of this world, and because of which they love life and dislike death, although it is this which leads to their meeting with the beloved (Allah in the hereafter). Thus, they have been tested in their loyalty to their claim that they love god, and they have been asked to dispense with (a portion of) their property, which is the centre of their love and adoration (in this world).

For this reason, Allah Almighty says: "Allah has purchased of the Believers their persons and their goods; for theirs (in return) is the Garden (of Paradise)." (At-Tawbah 111)

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴿١١١﴾ ﴾

This (purchase) is through fighting in His Way, which is to sacrifice one's soul out of longing for meeting Allah Almighty (after death). But to sacrifice property is much easier (in the sight of the people than to sacrifice the soul). Having understood this, the people have been divided into three divisions:

the first division of people proved true to their monotheism, thereupon they fulfilled their covenant (of faith with Allah) and sacrificed the whole of their property, from which they have saved even no Dinar, nor a Dirham, to the extent that they were not in need to occupy themselves with how much it was binding upon them to offer as obligatory charity, to the extent that when one of them was asked about the obligatory charity due upon two hundred Dirhams, he said: "Five Dirhams are ordained by law to be paid by the laymen; and as for us, it is incumbent upon us to give the whole of it."

For this reason, Abu Bakr gave the whole of his property in charity, and Umar gave half of his property in charity, and when the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" asked Umar about what he had left for his family, he said: "The like of it." when he "Peace be upon him" asked Abu Bakr he

said: "I've left for them Allah and His Messenger." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The difference between you is the same as the difference between your words of reply." Abu Bakr As-Siddiq (the truly faithful believer) fulfilled his covenant of truthfulness and withhold with himself nothing other than his beloved, i.e. Allah and His Messenger.

The second division of people are those whose degree is lesser than the former. They withhold their property, and watch the seasons of need and welfare (to spend their wealth). Their intend, by their saving, to spend only as much as the need requires, without being blessed in luxury, and expend what is beyond their need on whatever sides of good appears to them. in this way, they do not restrict themselves only to the amount of the obligatory charity due upon them. such followers as An-Nakh'i, Ash-Sha'bi, Ata' and Mujahid were of the opinion that there were other rights due upon the property and wealth beside the obligatory charity. Ash-Sha'bi was asked: "Is there any right other than the obligatory charity due upon the property?" he said: "Yes. Have you not heard the saying of Allah Almighty: " to spend of your substance, out of love for Him, for your kin, for orphans, for the needy, for the wayfarer, for those who ask, and for the ransom of slaves"? (Al-Baqarah 177)

﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴿١٧٧﴾ ﴾

They also sought the evidence for that in the statement of Allah Almighty: "and spend out of what We have provided for them" (Al-Baqarah 3)

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾

And: " O you who believe! Spend out of (the bounties) we have provided for you, before the Day comes when no bargaining (will avail), nor friendship nor intercession." (Al-Baqarah 254)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ﴿٢٥٤﴾ ﴾

They pretended that this was not abrogated by the Holy Verse of the obligatory charity, and argued that this should belong to the right of a Muslim upon a Muslim. This means that it is incumbent upon a solvent, whenever he finds anyone in need, to remove his need, and this is something beyond the portion of the obligatory charity.

What is true in this respect according to jurisprudence is to say that should such need trouble anyone, to relieve him of it becomes then a collective (and not individual) duty, since, in no way could it be permissible to throw away the life of a Muslim. But, it might be said that it is binding upon a solvent to relieve a needy one of his need by way of loan, and it is not binding upon him to do so as a gift, seeing that he has fulfilled the obligatory charity due upon him. But it might be

said also that it is incumbent upon him to give him at the time as a gift, and it is not permissible for him to do so by way of loan, i.e. it is impermissible to force the needy to accept the loan (and thus is required to pay it back). However, this matter is controversial, and the loan is to come down to the lowest degree of the laymen, i.e. the third degree.

The third division includes those who limit themselves only to what is obligatory upon them, with neither reduction from nor addition to it; and this is the lowest degree. Almost all the laymen limit themselves to that, in view of their greed and niggardliness, and great inclination to wealth, and their halfhearted love for the hereafter. Allah Almighty says in this respect: "If He were to ask you for all of them, and press you, you would covetously withhold, and He would bring out all your ill-feeling." (Muhammad 37)

﴿ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ ﴾

How much is the difference between a servant, from whom He Almighty has purchased his own property and soul, on the condition that he will be admitted to the Garden (of Paradise) in return for that, and a servant whom He does not press in view of his niggardliness. This is one of the meanings given to Allah's command to His servants to give their wealth in charity.

The second meaning is to get purified from the attribute of niggardliness, which is one of the destructives. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to a certain narration): "Three things are from amongst the destructives: sordid avarice, vehement passion, and self-conceit." Allah Almighty says: "And those saved from the covetousness of their own souls, they are the ones that achieve prosperity." (Al-Hashr 9)

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾

In the quarter of the destructives, there will be a discussion of the point of its destructive nature, and the way of keeping away from it. The attribute of niggardliness and covetousness could be eliminated by having the self accustomed to give and spend out of his property, for indeed, the love of anything would not cease unless one is overpowered to leave it, until it is become a practice. In this meaning, the obligatory charity is a purity, in the sense that it purifies the almsgiver from the stigma of the destructive niggardliness and covetousness; and as much as one gives out of his property, and as far as he is pleased with his spending, and as well as he rejoices of spending it in the Way of Allah Almighty, he get purified.

The third meaning is to give thanks for Allah's Grace (upon His servants). The grace of Allah Almighty upon His servant appears in himself as well as in his property. From this point of view, the bodily acts of worship is to give thanks for the graces of body; and the financial acts of worship is to give thanks for the grace of wealth. How despicable is the one who sees a poor man, to whom sustenance has been restricted, and he has been forced to be in need of it, and at

the same time, he (the wealthy) does not stretch a helping hand to give thanks to Allah Almighty Who has made him free from want and begging, which He has visited upon others, by giving in charity one-fortieth or one-tenth of his property.

The second duty: it pertains to the time of fulfillment. It is out of the good manners of the religious men to give what is due upon them in advance of the time in which it becomes binding, in order to show their desire for obedience and submission (to the commands of Allah Almighty), by bringing pleasure and happiness to the hearts of the poverty-stricken, and to hasten on to avoid the obstacles of time which might obstruct him from doing good, knowing that there is evil in delaying it, with which a servant might be at risk of disobedience in case of deferring it beyond the time at which it becomes binding. One should avail himself of the opportunity when there appears any motive felt inwardly for doing good, for this belongs to the passing thoughts inspired into the heart by the King. To be sure, the heart of the believer lies in between two of the Fingers of (Allah) Most Gracious, and how quick it turns (from one state to another); and Satan, on the other hand, promises poverty, and commands (his devotees) to do what is shameful and vile, through a whispered thought which follows that of the angel.

So, let one avail himself of this opportunity, and fix a certain month to fulfill the whole of his due, if he so likes, and endeavour to choose the best and most convenient of times, in order that his excellence might rise (in the Sight of Allah Almighty) and (the reward of) his obligatory charity might be multiplied. Let it be, for example, the month of Muharram, which is the first month in the year, and it is one of the Sacred months, or the month of Ramadan, for the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was the most generous of all the people in that month, even more generous than the strong uncontrollable wind (in readiness and haste to do charitable deeds), during which he used to withhold nothing. The month of Ramadan has the great excellence of the Night of Power, on which the Qur'an was sent down. Mujahid used to say: "Say not 'Ramadan', for it is one of Allah's Names, but you may say 'the month of Ramadan'." The month of Dhul-Hijjah also is of great excellence, since it is one of the Sacred months, in which their lies the greater pilgrimage; and in it there lie also the well-known days, i.e. the first ten, and the numbered days, i.e. the days of Tashriq. The best of the days of Ramadan are the last ten days, whereas the best of the days of Dhul-Hijjah are the first ten days.

The third duty: it pertains to spending in charity in secrecy (and not in public), since it is farther removed from the desire to be seen and heard of men. In this respect, the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "The best (object of) charity is that given in secret, no matter how little it might be, therewith to relieve a poverty-stricken person." According to one of the learned men: "There are three of the treasures of righteousness, one of which is to give (the objects of) charity secretly." According to a certain narration the Prophet

"Peace be upon him" said: "A servant might do a deed in secret, which is written for him in the list of works which are done secretly, and once he demonstrates it, it is moved to be written in the list of the works which are done publicly; and if he talks about it, it is taken out in order to be written in the list of works which are done by way of showing off."

According to a well-known narration: "There will be seven, whom Allah Almighty will shade with His shade, on the day on which there will be no shade other than His...one of whom will be a man who gave an object of charity (in secret) that his left hand did not know what his right had had given." According to another tradition: "The (object of) charity to be given in secret extinguishes the anger of the Lord." Allah Almighty says: " If you disclose (acts of) charity, even so it is well, but if you conceal them, and make them reach those (really) in need, that is best for you: it will remove from you some of your (stains of) evil. And Allah is well acquainted with what you do." (Al-Baqarah 272)

﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾

The benefit of concealing it is to get rid of the evil of being seen and heard of men. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said in this issue: "Allah never accepts anything from him who likes to be heard or seen of men, nor from him who makes reminders of his generosity." The one who talks about his objects of charity seeks to be heard of men, as well as the one who gives publicly among an assembly of people seeks to be seen of men. But it is only to disclose it, and keep silent of talking about it that affirms sincerity and truthfulness. Some people endeavoured their utmost to conceal the identity of the almsgiver even from the recipient, in different ways: one of them threw the object of his charity into the hand of a blind man, and another threw it on the way and in the sitting place of a poor where he could find it, but could not see the almsgiver, one placed it into the garment of a poor while he was sleeping, and one sent it to the hand of a poor through another one, so that he would not know the identity of the almsgiver, who would ask the conveyor not to disclose his personality and recommend him to conceal his identity. The purpose of all of that is to seek to extinguish the (fire of the) anger of the Lord Almighty, and keep away from being seen or heard of men.

But if it is not possible for an almsgiver but to be recognized even by only one person, it is much better for him to hand over his object of charity to a deputy, who, in turn, would undertake the process of conveying it to the indigent, who does not recognize him, since both showing off and reminder of generosity lie in the indigent's knowledge (of the almsgiver), whereas only showing off lies in his knowledge of the identity of the mediator. Whenever the

almsgiver's purpose is to obtain fame, his good deed will be fruitless since the purpose of the *obligatory charity is to eliminate* niggardliness and weaken the love of wealth; but even the love of position and rank is more dangerous than the love of wealth, and both will be destructive in the hereafter. as well as the attribute of niggardliness turns to be, so to speak, in the grave a stinging scorpion, the desire to be seen of men turns to be a biting viper. However, man is commanded to weaken or destroy them in order to avoid or at least diminish their harm. But when he seeks to be seen and heard of men, he seems to strengthen the viper and weaken the scorpion. As much as he weakens the scorpion, he strengthens the viper. Had he left them as they were, it would have been easier for him (to get rid of their harm). For the strength of these attributes lies in doing according to what they requires, and their weakness lies in doing in opposition and contradiction to them as well as in doing in opposition to what they require. Which benefit then lies in contradicting the requirements of niggardliness and responding to the desire of being seen of men thereby weakening the weaker of both and strengthening the stronger? The mysteries of these concepts will be discussed later in the Quarter on the Destructives.

The fourth duty: let him demonstrate his charity in so far as he knows this will exhort the people to emulate him. But at the same time, let him safeguard himself from being seen of men, in the very manner we will discuss later in the Book on Showing Off. Allah Almighty says: "If you disclose (acts of) charity, even so it is well." (Al-Baqarah 271)

﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ﴾

This should be subject to the requirement of the situation to disclose it: either to exhort the people to emulate the almsgiver, or because the beggar does his begging at the presence of an assembly of people, whereupon giving in charity should not be left just for fear of showing off by giving it in public. Nay! One should give in charity and safeguard himself from being seen of men as possible as it could be.

That's because there is a third evil thing in giving in charity in publicly, against which one should safeguard himself, beside both of reminders of generosity and showing off, i.e. to bring shame on the poor because of his poverty, whose feeling might be injured by being seen in the form of a needy one. But even, since it is he, who disgraces himself when he begs others publicly, there is no danger of injuring his feelings in giving him charity in public. This is like the exposure of the dissoluteness of a man who has concealed it. Such an exposure is forbidden, as well as it is forbidden to spy on it, and be accustomed to talk about it in public in his absence. But the punishment of him who divulges his dissoluteness should be to spread it among the people, despite the fact that he is the main cause of it.

This is the same meaning expressed by the statement of the Messenger of

Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "He, who takes off the dress of shyness, no protection should be observed against backbiting him." Allah Almighty says in this issue: "And spend out of what We have provided you with in secrecy and in public." (Ar-Ra'd 22)

﴿ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾

With that He Almighty prompts the people to spend in charity publicly, in view of its advantage of exhorting others to do the same. For this reason, let the servant be subtle in his consideration of weighing this advantage with that danger inherent therein, which differs according to the different states and persons. In some cases, it might be better to make the giving in charity public for many people; and to be sure, if one becomes well-acquainted with both benefits and disadvantages, and is free from the worldly desires, what is more convenient and relevant to each state will be clear to him.

The fifth duty: let not the almsgiver corrupt his giving in charity with reminders of generosity, and causing harm (to those whom he gives). Allah Almighty says in this respect: " O you who believe! Cancel not your charity by reminders of your generosity or by injury, like those who spend their substance to be seen of men." (Al-Baqarah 264)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ ﴾

They differ about the reality of the distinction between reminding of generosity and causing injury therewith: It was said: "To make reminders of generosity is to make a mention of the gift (before the people), whereas to cause injury therewith is to make it publicly." According to Sufyan: "He, whose charity was rendered fruitless had made reminders of his gifts, thereupon it was said to him: "What is to make reminders of one's generosity?" he said: "It is to make a mention of it, and talk about it (publicly before the people)."

It was also said that to make reminders of generosity is to make use of him in service in return for giving, whereas causing injury therewith is to put him to shame because of his poverty. It was also said that to make reminders of generosity is to behave arrogantly towards him because of his gifts which he gives to him, whereas to injure him therewith is to repulse him, and rebuke him for his begging. The Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Verily, Allah Almighty never accepts the object of charity given by him who makes reminders of his generosity."

In my sight, reminder of one's generosity has a root and a place where it is fixed (in the heart); and it is one of the states and attributes of the heart, from which there spring states which appear themselves in speech as well as in the acts of organs. Its root lies in seeing himself benefactor and Bestower of favours upon the poor, although it is incumbent upon him to see himself beneficiary and owing

to the poverty-stricken, who concedes to accept from him the due of Allah Almighty which is the cause of his purification and salvation from the fire (of Hell); and were he not to accept it, he would remain in pledge of it. so, he should then appreciate for the poverty-stricken his favour upon him, when he makes his hand act on behalf of (that of) Allah Almighty to receive the due of Allah Almighty. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, the (object of) charity falls into the Hand of Allah before it reaches the hand of the beggar."

Thus, let the almsgiver be assured that he hands over to Allah His due, and that the poverty-stricken takes from Allah Almighty his sustenance (doomed to him) after it has been given to Allah first. If one is in debt to another, which he transfers to his slave or servant who are dependent upon him in their sustenance to pay, it would be out of impudence and ignorance from the part of the payer to think that the recipient is under any obligation to him, since his benefactor is him, who is responsible for his sustenance, whereas he only has fulfilled what was required from him by his master, which enabled him to obtain his favour, thereby helping himself, without putting anyone under any obligation to him.

Were he to be well-aware of all or at least one of the three meanings of understanding the significance of the obligation of Zakat as we have discussed, he would not see himself as a benefactor but to himself, either through giving his property in order to show his love for Allah Almighty, or to purify himself from the evil of niggardliness, or through giving thanks for the grace of wealth (bestowed upon him by Allah Almighty) in the hope of getting more.

Whatever it might be, there are no dealings between him and the poverty-stricken until he regards himself as the benefactor. Once he sees himself as the benefactor to him, this leads to the manifestation of the outward signs of reminders of generosity which we have already discussed, i.e. talking about ones gifts and insistence on making them public, seeking reward from the beneficiary by expecting from him thanks, praise, service, respect, and veneration, and by requiring him to carry out everyday jobs for him, adoring him in assemblies, and agree with him on all subjects. All these are the fruits of the reminders of generosity. As for the inward meaning of reminders of generosity we have already mentioned them earlier.

As for causing harm with injury (of the feeling of the beneficiary), its external signs are rebuke, disrespect, harsh speech, stern looks, putting to shame by exposure, and all ways of derision. Its internal nature from which its external signs stem consist of two things : the one is man's dislike to give up any of his wealth and the difficulty to which he is put when he leave any of it. This causes one to be inevitably bad-tempered. The second is his belief that he is superior to the poor who, because of his need, is inferior. Both these things are the result of ignorance. For he who dislikes to expend one dirham for a thousand (which he will receive as reward in the hereafter) is really foolish. It is well-known that one

expends his wealth in order to obtain Allah's Good Pleasure, and to enjoy His rewards in the hereafter. The wealth which he expends for this purpose is more honoured than that which he had spent or may spend to purify himself from the stigma of niggardliness or to give thanks in the hope of receiving more. Whatever you might assume, there is no justification for man's dislike (to give up any of his wealth).

As for the second meaning, it is also out of ignorance, for were one to know which excellence a poor has over a wealthy on the one hand, and how dangerous are the rich and wealthy people in this world on the other hand, no wealthy would ever disdain a poor: on the contrary, he would seek his blessing and wish to be in his rank. Of a surety, the righteous among the rich and wealthy people will enter the Garden five hundred years after the poor and indigent. For this reason, the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "“By the Lord of the Ka'bah! They are the losers.” Abu Dharr asked him: “O Messenger of Allah! Who are those (losers)?” He said: “They are those, who have a great wealth except so and so and so (i.e. those who spend their wealth on whomever they find) in front of them, behind them, on their right and on their left; and how a few they are!...to the end of the narration.

Furthermore, how should a wealthy one disdain a poverty stricken, whom Allah Almighty has made the source of his profit, since through the labours of the poverty- stricken he earns and accumulates his wealth, and saves of it as much as is required by his need? He has been commanded to give the poverty-stricken as much as is proportional to his need and to withhold from him any surplus which will cause harm to him if it were given to him. The wealthy then is employed to provide the poverty-stricken with sustenance but he differs from him by his endeavour to settle disputes and hold responsibilities, and his stewardship over the surplus (of his property) until he dies, so that his enemies would devour what he has left. Thus, whenever man's dislike to leave any of his wealth is replaced by gladness and joy for the aid given to him by Allah to fulfill what is due upon him and hand it over to the poverty-stricken, so that the poor, by accepting it, might free him from obligation, injury and its [external signs of] rebuke and stern looks will vanish and give room to joy and thanks, in addition to the acceptance of the obligation. This is the source of both reminders of generosity and injury.

But, you might say: "To see oneself in the position of a benefactor is an abstruse thing: is there any sign therewith to examine his heard, and know that he has not seen himself in such a position of the benefactor?"

It should be known to you then that this has a fine and clear sign: let him suppose that if a poor person, for example, committed a sin against him, or aided an enemy in conspiracy against him, would then his disapproval of him and rejection of his behaviour after giving him in charity be stronger than his before giving him in charity? If his disapproval of the poor who committed sin against

him after giving him charity was stronger (than it would have been before giving charity to him), then his charity had not been free from the taint of reminders of generosity, for he expected, because of it, what he had expected not before it.

Therefore, you might say: "This matter is obscure, and the heart of anyone could hardly be free from that: what then is its remedy?"

It should be known to you that it has internal as well as external remedy. Its internal remedy is to have knowledge of the (three) facts which we've mentioned earlier in connection with understanding the obligation (of the regular charity), and the fact that it is the poverty-stricken who is benefactor to him, by help him get purified, through his accepting the objects of charity.

As for the external remedy, it implies the good deeds done by the one under obligation, since the deeds which result from the good manners colour the heart with the good manners, as we shall see its mysteries later in the last portion of the book. For this reason, one of those (righteous men) used to place the object of charity in front of a poor person, and stand before him, begging him to accept it, in such a way as to make him seem in the form of a beggar, and to experience the unpleasant feeling of fear lest he might be refused. One of them also used to stretch his hand (with the object of charity) towards the poor one, so that he would take it from his hand, in order that the hand of the poor would be the higher.

It was the habit of both A'ishah and Umm Salamah "Allah be pleased with them" to say to the courier, whenever they sent an object of charity to a poor man: "Retain in memory the invocation therewith he supplicates (for us)." Then they would repeat the like of his supplication saying: "Let this (our saying) be in return for that (his saying) so that our object of charity would be given with sheer sincerity." That's because they expected not even the invocation, seeing it something similar to the reward (of their charity), and thus they countered it with its like. As such did Umar Ibn Al-Khattab, and his son Abdullah "Allah be pleased with both".

This is the way the physicians of the heart treated their hearts, and there is no external remedy other than those deed indicative of submission, humility and acceptance of obligation; while their internal remedy is in the knowledge of the facts which we have already mentioned. The one is from the perspective of work and the other from that of knowledge. On the other hand, the heart could hardly be treated except by the mixture of knowledge and work; and this condition in almsgiving corresponds to submission in prayer. This is proved by the statement of the Messenger of Allah "Peace be upon him": "Man gains nothing from his prayer except such of it as he grasps well." This is similar to his another statement: "Allah never accepts the (objects of) charity of him who makes reminders of his generosity." It is similar to the Allah's statement: "Cancel not your alms by reminders of your generosity or by injury." (Al-Baqarah 264)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾

The verdict of the jurisprudent that the *charity* is fulfilled regardless of that condition (of knowledge and work in accordance with that knowledge) and that, once given, the person frees himself from the obligation is a different matter, and to its concept we have referred in the Book of Prayer.

The sixth duty: let the almsgiver belittle his gift (whatever significant it might be), for indeed, if he makes much of it, he will be swollen with pride because of it, and to be sure, the vanity is one of the destructives, and it always deprives the deeds of their fruits. Allah Almighty says in this respect: " and on the day of Hunain: behold! your great numbers elated you, but they availed you naught." (At-Tawbah 25)

﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴾

It is said that the more a good deed is belittled in the sight of its doer, the greater it becomes in the Sight of Allah Almighty, whereas the greater a sin is regarded by its doer, the trivial it becomes in the Sight of Allah Almighty. It is also said: "In no way could a favour be completed but with the help of three things: to belittle it, to hasten on to do it, and to conceal it (in avoidance of being seen of men)."

Furthermore, making much of a thing is different from reminding of one's generosity and causing injury therewith. If one, for instance, spends his property to construct a mosque, or build an outpost (to safeguard the borders of the state), he could make much of his gift, but in no way could he make reminders of his generosity, or injure anyone with that. However, both vanity and making much of deeds affect almost all the acts of worship, and their remedy is through both knowledge and work.

As for knowledge, one should be well-aware of the fact that one-tenth, or one-fortieth (his property) is a little portion of the great amount, (and if he restricts his charity to that portion) he then has been satisfied by the lowest rank of giving, as we have mentioned in the understanding of the obligatory nature of Zakat. Thus, he is more fitting to feel shy of it: how then should he make much of it? nevertheless, if he rises up to the highest degree of giving , and spends the whole, or the most portion of his property (in charity), let him then wonder from where has he got this wealth, and how he should spend it. of a surety, the wealth (as anything in the world) belongs to Allah, to Whom he is under obligation, when He has given him the wealth, and helped him spend it (in charity). So, it is not consonant with him to make much of a thing which in itself belongs to Allah Almighty? If he is in the station which requires him to look at the hereafter, with the view that he spends (in charity) just in expectation of the reward, it is not

fitting for him to make much of spending that the reward of which he will receive is so many times like it.

As for work, it is that he should give him the giving of a shy man who proves niggardly when he withholds the remaining portion of his property from Allah Almighty. Thus, he should appear in the state of a submissive meek person, like the state of him who is required to give back a trust, and he gives some and keeps some with him. That's because the whole property belongs to Allah Almighty, and to give it all is the dearest in Allah's Sight. But He Almighty has not commanded His servant to do so, for it is much difficult upon him, because of his niggardliness, as Allah Almighty says: " If He were to ask you for all of them, and press you, you would covetously withhold, and He would bring out all your ill-feeling." (Muhammad 37)

﴿ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ ﴾

The seventh duty: let the almsgiver choose from his property the best and the dearest to him, the most honoured and the most lawful, for Allah Almighty is good, and He never accepts but what is lawful and good. If what is given as alms is taken out of that whose sources and possession are suspicious, it fails to fulfill the required conditions. According to the narration of Iban on the authority of Anas Ibn Malik: "Blessed be a servant who spends (in charity) out of his property which he has earned with committing no sin thereof!" it is out of bad manners not to take out as alms the best of the property, for one might keep the best for himself, his servant, or his family, thereby giving preference to others over Allah Almighty. If one does the same with his guest, and offers to him the worst kind of food he has in the house, he will provoke his hatred.

This should be the state of him who observes Allah Almighty (in all of his deeds). Moreover, if he observes himself, and the reward which is awaiting him in the hereafter, not wise then is he, who gives others preference over himself, seeing that one has nothing from his own property beyond what he gives in charity and saves (for himself in the hereafter), or what he devours, and consumes. However, what he devours is just to fulfill his immediate desires at the time. It is then not wise to restrict one's attention to the immediate desires, and leave the (future which is secured through) saving, since Allah Almighty says: "O you who believe! Give of the good things which you have (honourably) earned, and of the fruits of the earth which We have produced for you, and do not even aim at getting anything which is bad, in order that out of it you may give away something, when you yourselves would not receive it except with closed eyes. And know that Allah is free of all wants, and worthy of all praise." (Al-Baqarah 267)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ
مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾

He means that you never accept it but with dislike and shyness, and this is the concept of receiving with closed eyes. So, do not favour your Lord with that (which is not good).

According to a certain narration: "A single Dirham (to be spent in charity) might be given precedence over one hundred thousand Dirhams (in reward)." That's because it might be spent out of the best and most lawful of one's property, which he gives with good pleasure and happiness of giving (in charity), whereas one hundred thousand Dirhams might be taken out of what one dislikes most of his property, which indicates that he does not favour Allah Almighty with what he likes. Allah Almighty criticizes a people who specify to Allah just what they dislike, when He says: "They attribute to Allah what they hate (for themselves). And their tongues assert the falsehood that all good things are for themselves: without doubt for them is the Fire, and they will be the first to be hastened on into it!" (An-Nahl 62)

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

I.e. the fire will be the reprisal for their specifying to Allah Almighty what th dislike.

The eighth duty: let the almsgiver seek for him who is the worthiest of his object of charity, and not be satisfied with the recipient's being only one of the eight groups of beneficiaries. There are particular characteristics which should be observed in them, and they are six:

The first is that he should seek for the righteous pious, who turn their back to (the pleasures and delights of) this world, and devote themselves wholeheartedly to the transaction of the hereafter. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said in this respect: "Eat not but the food of a righteous pious man, and let none but a righteous pious man eat your food." That's because the righteous pious seeks the aid of it (your food) to support his piety, and by your helping him, you will be his partner in his good deeds. He "Peace be upon him" said also: "Give your food to the righteous pious, and bestow your favours upon the faithful believers." According to another narration: "Entertain with your food such as you love in (the religion of) Allah Almighty."

One of the learned men used to favour with his food the poverty-stricken among the Sufis. It was said to him: "It'd be better if you include all the kinds of poor in your food!" he said: "No! those (poor Sufis) have devoted themselves wholeheartedly to Allah Almighty, and when anyone of them is afflicted with poverty, his attention would soon be diverted; and thus, it is much better to me to bring back even a single one of them to devote himself once again to Allah Almighty than to give one thousand of those whom the affairs of this world concern." This was mentioned to Al-Junaid he made good of it and said

describing him: "This is one of the devotees of Allah Almighty." He further said: "I've never heard a speech much better than that for a long time." It was related that this same man came upon hard times and decided to close the shop Thereupon Al-Junaid sent him some money and said: "Make this your capital and do not close down your shop: verily the trade cause no harm to men like you." This man was a grocer who charged the poor nothing for the foodstuff which they purchased from him.

The second of those characteristics is that the beneficiary should belong to the men of knowledge, for this object of charity helps him increase his knowledge; and of a surety, the knowledge of from amongst the most honoured acts and deeds of worships, when the intention therein is true. It is narrated that Ibn Al-Mubarak used to assign his favours only to those of knowledge. It was said to him: "Would that you included others in your favours!" on that he said: "I do not know, after Prophethood, a rank far better than that of the men of knowledge." That's because if anyone of them diverts his attention to his need, he will not be devoted to knowledge, nor will he be eager to learning. For this reason, it is better to spare time for them in order to help them apply themselves exclusively to knowledge and learning.

The third characteristic is that the beneficiary should be true to his piety and knowledge of monotheism. The sign of his faith in the Oneness of Allah is to praise and thank Allah and to acknowledge that He is the source of his grace making no attempt to ascribe it to another. This is the state of him who is the most thankful to Allah. he acknowledges that Allah Almighty is the source of all graces. Luqman said in his testament to his son: "Hold no mediator between yourself and your Lord, the real Benefactor and regard all other benefactors as instruments (in His Hand) who are forced to execute His will." He who gives thanks to anyone other than Allah Almighty does not know the real Benefactor and does not understand that the intermediary instrument (of benefaction) is compelled and submissive to the will of Allah Almighty Who has subdued (the intermediary instruments) to the motives of action and has made easy the ways (of executing it). Consequently, the almsgiver gives his gift under compulsion, to the extent that by no means could he be able to refrain from that even if he so likes, since Allah Almighty has implanted in his heart that his interest in both religion and world depends upon giving.

When the impulse *(of giving)* becomes strong it enjoins a resolute willpower which gives rise to immediate action, with which a person will be unable to resist or contradict a strong impulse in which, there is no room for indecision or hesitation. That's because it is Allah Almighty Who creates impulses and arouses them to action. It is He who remedies their points of weakness and eradicates their indecision. He it is Who imposes upon men the task of rising to action according to their impulses. Such as realizes this fact pays no attention but to the Cause of causes. *The significance of* such a realization is more significant to the

almsgiver than all the praise and thanks he may receive, which are nothing but useless chatter for the most part.

Thus, the opportunity to help a believing worshipper should not be lost. But he who gives thanks when he receives a gift and invokes good upon the giver, will criticize when it is withheld from him and will invoke evil whenever he despairs of receiving a gift. Such persons differ in their states (of reactions).

In this respect, it is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" sent a gift to a poor man, and told the courier to retain in memory what he (the recipient) would say. When he (the poor) received the gift he said: "Praise be to Allah Who never forgets such as remembers Him, nor wastes such as gives thanks to Him." Then he resumed (by way of supplication): "O Allah! you have never forgotten so and so, (in reference to himself), so, please, make so and so (i.e. himself) persist in celebrating You." When the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was informed of that he grew pleased and said: "I knew that he would say so." Consider then how he had devoted his attention to Allah Alone.

Once the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" asked a man to repent he said: "I turn to Allah, and not to Muhammad, in repentance." On that he said: "No doubt, he has attributed the right to its real owners." When A'ishah's innocence was revealed (in the Qur'an) in connection with the story of the untrue false speech (faked about her), Abu Bakr (her father) said to her: "Stand and kiss the head of the Messenger of Allah "Peace be upon him"!" she said: "By Allah! I never do, and I praise none but Allah Almighty." On that the Messenger of Allah "Peace be upon him" said: "Let her O Abu Bakr!" she "Allah be pleased with her" said according to another version: "Praise be to Allah Alone, and not to you, nor to your companion (the Prophet)." However, the Messenger of Allah did not deny that statement from her, despite the fact that the revelation (which held her blameless) reached her through the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him".

It is the characteristics of the infidels and unbelievers to see that things come from sources other than Allah Almighty, in accordance with the statement of Allah Almighty which carries such description: " When Allah the One and Only, is mentioned, the hearts of those who believe not in the Hereafter are filled with disgust and horror; but when (gods) other than He are mentioned, behold they are filled with joy!" (Az-Zumar 45)

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ

مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

Such as then does not purify his inward soul from seeing the intermediaries except as instruments (in the hand of Allah Almighty) is not free from the hidden sin of ascribing partners to Allah (in worship). Let him then fear Allah and purify his faith from the defects and blemishes of ascribing partners to Allah.

The fourth characteristic is that the beneficiary should be unknown, and belong to those who conceal their states (of poverty) and hide their need (from the people), and not to those given much to complaint and grumble (of the hard times). He also should belong to those of magnanimity who has lost his wealth but still keeps his magnanimous qualities and maintains his poise and self-restraint, in accordance with the statement of Allah Almighty: "the ignorant man thinks, because of their modesty, that they are free from want. You shall know them by their (unfailing) mark: they beg not importunately from all and sundry, and whatever of good you give, be assured Allah knows it well." (Al-Baqarah 273)

﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾

However, they beg not importunately because they are independent and rich in their certainty of faith, while exalted in power and honour with their firm perseverance. This kind of men should be sought through searching for the religious men in each town and region, and discovering the internal states of those of good and self-restraint. To be sure, the reward received from giving gifts to them is many times that received from giving those who beg publicly and openly.

The fifth characteristic is that the beneficiary should be of those who have dependents (to look after and spend on), or of those disabled by sickness or because of anything else, in order to correspond to the statement of Allah Almighty: "(Charity is) for those in need, who, in Allah's cause are restricted (from travel), and cannot move about in the land, seeking (for trade or work)." (Al-Baqarah 273)

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴿٢٧٣﴾﴾

I.e. they are restrained in the way to the hereafter by responsibility for dependents, hard living, or setting right the heart; and they could not move about through the land because their wings are cut off, and their limbs are bound in fetters. For this reason, Umar (Ibn Al-Khattab) used to give the household a flock of ten and more sheep; and the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" himself used to give the gifts according to the number of the members of the family. When Umar "Allah be pleased with him" was asked about the greatest distress he said: "It is to have more dependents, with little wealth."

The sixth characteristic is that the beneficiary should be (preferably) from the relatives and kinship, so that the object of charity would act as charity on the one hand, and a means to keep good relation with one's kith and kin on the other hand; and of a surety, the reward of keeping good relations with one's kith and kin is beyond calculation. Ali "Allah be pleased with him" said: "To keep good relation with one of my brothers by (giving him) a single Dirham is much dearer

to me than to give in charity twenty Dirhams; and to keep good relation with him by (giving him) twenty Dirhams is much dearer to me than to give in charity one hundred Dirhams; and to keep good relation with him by (giving him) one hundred Dirhams is much dearer to me than to emancipate a slave (as a kind of charity)." Furthermore, just as relatives are given precedence over non-relatives, let friends and the brethren of good be given precedence over acquaintances.

Those niceties and details should be observed (in giving in charity). Those are the required qualities, and each has many degrees, the highest of which should be sought by the almsgiver. If he finds such as combines many of those characteristics and qualities, this will be, to be sure, the great ammunition and the enormous treasure. If he does his best (in his seeking) and succeeds in his effort, he will have a double reward, and if he fails he will have a single reward.

One of his double reward is, at the time, the purification of his own soul from the attribute of niggardliness, the affirmation of the love of Allah Almighty in his heart, and striving his utmost in Hid obedience; and it is those qualities which, when strengthened in his heart, inflame his longing for meeting Allah Almighty.

The second reward is the benefit which he reaps from the invocations and wishes of the recipient, for the hearts of the righteous exert an immediate and an ultimate influence. If he succeeds (to assure these characteristics), the double reward will be obtained; and if he fails, only the first reward will be his portion. In this way, the reward of him who succeeds in his effort is doubled, both in this case as well in the other cases.

CHAPTER THREE: ON THE RECIPIENT: THE CAUSES OF HIS CLAIM, AND THE DUTIES OF HIS RECEIVING

The Causes Of Claim

It should be known that such as has claim to receive the objects of obligatory charity should be a free Muslim, belonging neither to the offspring of Hashim, nor those of Abd Al-Muttalib, corresponding to at least one of those eight groups which are mentioned in the Book of Allah Almighty. In this way, no obligatory charity should be given to an infidel, nor a slave, nor one belonging to the offspring of Hashim or Abd Al-Muttalib. But it is permissible to give it to both a child and a mad, on the condition that their guardian should receive it on their behalf. Now, let's discuss the qualities of the eight groups in detail:

The first group corresponds to the poor. The poor is him, who has no property (therewith he might be independent), nor does he has power to gain his sustenance. But if he has got his daily sustenance and immediate clothes, he is not a poor, but an indigent; and if he has got half his daily sustenance, he is then a poor; and if he has got a shirt, but not a towel, footwears, leather socks, trousers, and the shirt which he has is lesser in value to enable him to secure all those as it befits the poor men, he then is a poor, because at the time he is lacking of what he needs, and has no power to get it. it is inordinate to stipulate for a poor to

have no garment beyond what covers his private parts, since on the whole, the like of that could hardly be found. His being accustomed to begging should not also exclude him from being a poor, for in no way could begging be a means of earning, unlike the case in which he has power to earn his living, and it is this which excludes him from being a poor.

If he has power to earn his living through an instrument (which he does not possess), he is a poor until this instrument is purchased for him. If he is able to earn his living in such a way as is not fitting for his honour or his station, then he would be a poor. If he is a student of jurisprudence or law and his work in order to earn his living would prevent him from continuing his studies then he would be regarded a poor and his ability to secure a living will not be taken into consideration. If he is a devotee and his work to secure a living would prevent him from fulfilling the act of worship and observing the regular division, let him work for earning his sustenance as much as possible because his work to earn a living is more important.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "To seek an honest living is an obligation ranking second only to a religious ordinance (in significance)." Umar said: "To earn a living even in a doubtful way is better than to be involved in begging." If he is satisfied with the spending of his father on him, or of such as to whom he is dependent, he should not be considered as a poor man for this is easier than earning.

The second group corresponds to the indigent needy; and the indigent is him, who has not what suffices his spendings. One might have one thousand Dirhams, even though he is an indigent, whereas one might have no more than an ax and a rope, even though he is independent. Furthermore, the little dwelling in which he lives, and the garment which covers his body in accordance with his position and status do not deprive him of the name and description of the indigent. The same is true of the furniture of his little dwelling. In other words nothing which he needs and possesses in accordance with his status would affect (his position as an indigent).

Similarly, the books of jurisprudence which he may possess do not make him rich, because he is in need of them. If he should possess nothing but these books he is under no obligation to pay the *obligatory charity* due upon breaking the fast of Ramadan. The rule which governs the possession of books is the same as that which governs the possession of garments and home furniture, for a man is in need of all. yet, he should be careful of the real need which the book fulfils. The book is needed for three purposes : for instruction, for benefiting himself, and for recreation through reading. But the need of recreation should not have the same consideration and it involves the collection of books of poetry and the history and stories, and the like of those, which is of no benefit for the hereafter, and its aim in this world is limited to the recreation and amusement, and thus they might be sold in fulfillment expiations and the obligatory charity of breaking

the fast (of Ramadan); and they, therefore, deprive one of the name and description of the indigent.

As for the need of instruction, if it is for the purpose of earning one's living, such as the educator or the tutor who practices his work for charge, those books then act as his instrument, which should not be sold, for the payment of the obligatory charity of breaking the fast, like the tools of the tailor and the other craftsmen. If he undertakes the instruction in order to fulfill a collective duty, those books also should not be sold, and by no means would they deprive him of the name of indigent, for in this case it is an important need.

If his need from reading those books is to learn from it, and derive benefit for himself, like his keeping the books of medicine in order to treat therewith himself or the books of religious teaching from which he receives admonition: if the town has a physician or a religious preacher, there will be no need for him, and if it has none, he will be then needed for. Furthermore, he might not be in need of going through the book except after a period of time, and in this case, he should adjust such a period in accordance with the requirement of his need. The most reasonable thing to say is that whatever the man does not need within the course of the current year may be spared and dispensed with.

If man has something left over from his daily food he would be under obligation to pay the *obligatory charity of* breaking the fast of Ramadan. Since we reckon food on the basis of a day we should reckon home furniture and bodily clothes on the basis of a year. Thus, the summer clothes are not sold in winter time and vice versa. The books in this respect are more similar to clothes and furniture than to anything else. One may possess two copies of the same book and at the same time, he has need of only one of them. If he is to say that one is more correct and the other is smarter, and he is in need of both, we would say: "You should be satisfied with the more correct copy and sell the smarter, letting pleasure and luxury alone." If he has two versions of a work on the same field, one extensive and another brief, let him first define his purpose: if his purpose of having the work is to derive benefit for himself, let him be satisfied with the extensive, and if his purpose is instruction and teaching, he would then be in need of both the extensive and brief versions for each has distinctive features not found in the other.

Such cases are numerous and unlimited, and have not been dealt with in the science of jurisprudence. We have come upon this topic here only because of the general nature of such cases and to point out the superiority of the position adopted here to the others. yet, it is impossible to survey all these cases because such survey goes beyond the house furniture into further investigation of each particular house, its area, the quantity, number, and kind of its furniture, and even the kind of clothing one has. These things have no exact definitions and each jurisprudent applies his own interpretation in an attempt to perfect definitions thereby to avoid the dangers of suspicions. The pious person chooses the safest

course of conduct, abandoning what is suspicious to what is not suspicious. The problematic intermediate degrees between the two definite and contrasting extremes are indeed numerous and nothing saves one from being involved in them except precaution; and Allah knows best.

The third group corresponds to the employees to administer the objects of charity. This group implies the workers, other than the ruler and the judge, who are appointed to collect the objects of charity, including the tribal chief, the registerer , the collector *(of charity objects),* the keeper, and the porter. They are paid equally, and if anything is left over from their eighth after all have been paid, it should be transferred to the other groups, and if their portion decreases, it should be completed from other returns.

The fourth group corresponds to those whose hearts have been (recently) reconciled to Islam; and they include the nobles, who have embraced Islam, and they have authority among their peoples, and giving them (out of the charity) affirms their faith in Islam, and exhorts their fellows and followers to embrace Islam.

The fifth group corresponds to those slaves who have written deeds of their freedom in return for a certain sum of money. The share of such should be paid to his master, and if it is paid to the slave himself, it will be permissible. Furthermore, the master should not pay the obligatory charity due upon his property to his slave who has a written deed of freedom from him, for he is still a slave belonging to him.

The sixth group corresponds to the debtors; and such a debtor is he, who takes money as a loan to do a good work, or what is permissible, and at the same time, he is poor (who has no power to repay his debt). But if he takes a loan to commit a sin, he should not be given unless he turns to Allah in repentance first. If he is rich, his debt should not be fulfilled (from the objects of charity) unless his borrowing the money is for a public interest, or for holding back an affliction.

The seventh group corresponds to the fighters (in Allah's Cause), who are not enlisted in the commissary registry. A share (of the obligatory charity) should be paid to them, even though they are rich, as a means of aid for them in their fighting.

The eighth group corresponds to the wayfarers; and a wayfarer is he, who has set out on journey from his town, in order not to commit any sin , or such as passing by a certain town. He should be given (a share from the obligatory charity) if he is poor; and if he has property in another town, he should be given as much as to enable him to reach it.

But, you might say: "With which signs should this qualities be recognized?" we then might reply: As for poverty and neediness, they might be known by the statement of the recipient who is not required to bring about any evidence or to take oath (in confirmation to his saying), but it is permissible to accept his statement , particularly if it is not known that he tells lies. As for both fighting

and journey, it is a future event, and thus such should be given on the basis of his statement: "I'm going to set out for fighting (in the Cause of Allah)." if he does not fulfill it, what he has taken should be brought back. But the evidence should be brought about in relation to the other groups. This is the conditions of the claim (to receive the obligatory charity), and as far as the amount due to each, it will be discussed later.

On Exposition Of The Recipient's Duties

They are five duties, and they go as follows:

The first: that he should know (for certain) that Allah Almighty ahs enjoined the giving of obligatory charity to him in order to be sufficed against his concerns, and reduce them to only one. Allah Almighty commanded the creatures to worship Him, provided that their concern should be only with one, i.e. with Allah Almighty, and the Last Day, and this is what the following Holy statement of Allah implies: "I have only created Jinns and men, that they may serve Me." (Adh-Dhariyat 56)

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾

but, when wisdom has ordained that man should be subject to desires and needs which divert his attention (from Allah Almighty and the Last Day) it became out of (Allah's) generosity to bestow such of bounties as sufficient to meet those needs. Hence, Allah Almighty created wealth in abundance and caused it to flow in the hands of His servants to be a means of meeting their needs and freeing themselves from want in order to devote themselves wholeheartedly to His service.

To some He gave amply and made their wealth a cause of affliction and trial, thereby exposing them to the danger. Others He loved and protected from (the pleasures and vanities of) this world, in the same way as a pitying man guards his patient against injuries. Thus, He kept them away from the comforts of this world and gave them provisions according to their minimum needs, by imposing upon the rich to supply them, so that the task of toiling and labouring to earn a living might fall on the rich, while its benefits flow to the poor and indigent, who, consequently, they could be able to devote themselves wholeheartedly to the service of Allah Almighty in preparation for what awaits them after death. Neither the pleasures (and vanities) of this world would divert them from the service of Allah Almighty, nor would poverty and distress occupy them from the preparation for the hereafter. This is the utmost of grace and blessing.

Furthermore, it befits the poor to know the value of poverty, and is assured of the fact that Allah's Bounty upon him in connection with what He has kept away from him is far greater than His in relation to what He has given him, as it will be explained in more details in the Book of Poverty Allah Willing. So, let him take what he takes from Allah Almighty as a source of sustenance and a means of helping him serve Allah Almighty, with the intention to become much stronger

therewith in his obedience to Allah Almighty; and if he could not, let him then spend it in what has been made permissible by Allah Almighty. But if he uses it to commit a sin, he will become ungrateful to the graces and blessings of Allah, and deserving of His disfavour and wrath.

The second duty: let the recipient give thanks to the almsgiver, invoke good upon him, and praise him with good praise, in such a way as to make him no more than an intermediary, even though a means through which Allah's grace has reached him; and of a surety, the means has its own right as being made by Allah Almighty an intermediary access and means; and of course, this does not contradict the vision of Allah Almighty as the only source of the blessing. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who does not thank the people (for their gifts) has, indeed, not given thanks to Allah Almighty (for His blessing)." In many places, Allah Almighty appreciates His servants for their good works, and it is He Who has created those works, and created the power and capability of doing them. a mention might be made here of the statement of Allah Almighty: " how excellent in Our service! ever did he turn (to Us)!" (Sad 30) there are many like this.

﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾

Let the recipient say in his invocation (for the almsgiver): "Might Allah purify your heart among the hearts of the pious, and justify your work among the works of the good righteous, and bless your spirit among the spirits of the martyrs." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Reward such as does a favour to you; and if you could not do, at least invoke good upon him until you know you have rewarded him." It is out of the perfect thanks to conceal the defects of the gift if it has any, and not to look down upon it, nor try to find fault with it, nor put the giver to shame of tightfistedness if he withholds it. let the recipient also magnify his (the giver's) doing in the sight of himself as well as of the people, since the duty of the giver is to belittle his giving, and that of the recipient is to be under obligation and magnify it; and it is incumbent upon each servant to do his own duty, and there is no contradiction in this matter, since the causes of both magnifying and belittling (the gift) counterbalance each other. What benefits the giver is to observe the causes of belittling, and the opposite of that harms him, whereas what benefits the recipient is the opposite of that, and vice versa. But all of that does not contradict the vision that the blessing comes only from Allah Almighty. The one who does not see the intermediary only as an instrument (in the Hand of Allah Almighty) has proved ignorant; and what is disapproved is to see the intermediary as the origin (of things).

The third duty: let the recipient look at what he takes: if it is not from lawful sources, he should refrain from accepting it; and verily, "He, who fears Allah (and safeguard himself from His punishment), He makes for him a way-out and provides him with sustenance from sources which he expects not." (At-Talaq 2:3)

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿٣﴾ ﴾

However, such as refrains from what is unlawful never fails to be provided with sustenance from lawful sources opened to him (by Allah Almighty). Let not him, for example, accept from the wealth of the Turks, nor of the soldiers and the viceroys of the magistrates, nor from such as whose income is mostly unlawful unless he is in dire distress, and he does not know the original owner of that which he receives: in this case, let him take just what meets his needs; and the legal verdict in this respect is that he should spend it in charity in the ways which will be explained later in the Book of What is Lawful and What is Unlawful. This is in case he fails to get what is lawful. But if he takes such as whose source is unlawful, it will not be considered as obligatory charity, since there is no obligatory charity due upon what is unlawful.

The fourth duty: let the recipient avoid the points of suspicion and doubt in the amount which he receives (as alms). This means that he should not take more than what is permissible, and should not take unless he is sure of possessing the same qualities which give him the claim (over it): if he is receives it because of fulfilling his written deed (of freedom) or debt, let not him take more than the amount of the debt; and if he takes because of his work (in administering the funds of charity), let not him take more than the charge of his fellows, and even if he is given more, he should refrain and reject to accept it, since the property does not belong to the giver so that he would dispose of it as he wills; and if his claim (over the obligatory charity) is because of being a traveller, let not him take more than what is sufficient to supply for his provisions and hiring the means of conveyance to the place of destination; and if his claim is because of being a fighter (in Allah's Cause), let not him take more than what he needs, particularly horses, weapons and expenses, the amount of which could not be determined, except by way of independent opinions; and the same is true of the journey provisions. But it is out of piety to avoid what arouses his doubt to that in which he has no doubt.

If his claim (over charity) is through poverty and neediness, let him consider first, whether there is, in his house furniture or in his bodily clothes, anything to dispense with in itself, or dispense with its great value, through exchanging it for what is sufficient (which might be cheaper and lesser in value), and make use of the difference of value. All these things depend primarily on his own choice and opinion and involve two states: one according to which it is clearly certain that he is deserving and its opposite, according to which it is certain that he is not deserving; and between both extremes, there are suspicious states; and of a surety, he, who comes round the protected zone is about to fall into it. it also depends upon the apparent saying of the recipient.

The needy persons, in estimating their needs, are different in relation to strictness or generosity. The pious is apt to be very strict whereas the devious is inclined to be generous to the extent that he regards himself in need of many things, all of which are abhorred by Law. When the amount of his need has been

determined, he should not take more but rather should take what is sufficient for his need within one year beginning with the time of payment. For this is the limit which the Law allows, since with the lapse of each year the occasions of the income are repeated. Moreover, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" himself stored a year provisions for his dependents. This is the nearest limit to define the status of the poor and needy indigent. If the recipient would limit himself to the need of one month or even that of one day he would become much closer to piety.

The opinions of the learned men pertaining to the amount received from the *obligatory charity* are different. Some would go in restriction to the limit of reducing it to a very little amount and require that one should limit himself to no more than his daily food, depending upon the narration which is transmitted on the authority of Sahl Ibn Al-Hanzhaliyyah, that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" forbade begging with richness. He was asked about the limit of richness (which would prevent begging), thereupon he said: "It is that one should have (what supplies for) his lunch and supper." Others are of the opinion that he should take until he reaches (but not go beyond) the limit of richness; and such limit of richness in their sight is the minimum amount liable to obligatory charity, since Allah Almighty has not enjoined the obligatory charity but upon the rich among the people. They say that "He is allowed to take for himself, as well as on behalf of each member of his dependents the minimum amount liable to the obligatory charity."

According to others, the limit of richness is (no less than) fifty Dirhams or its value from gold. they rely here on the narration on the authority of Ibn Mas'ud, in which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who begs (others) and he has got as much property as to make him independent, will come on the Day of Judgement, with his face full of scars and scratches." He was asked: "What does make him independent (and able to meet his needs)?" he said: "Fifty Dirhams or its equivalent from gold." But it is said that the narrator of this tradition is not reliable enough. This amount is reported to be forty, depending upon the narration of Ata' Ibn Yasar, according to which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who begs (others) while he has as much as is equal to an ounce (forty Dirhams) has, indeed, been importunate in begging."

On the other hand, some people have exceeded the due limits in generosity, saying that "He is allowed to take as much as suffices him to purchase a whole village therewith he becomes independent along his lifetime, or prepare merchandise for traffic therewith he becomes independent along his lifetime"; and this is the concept of richness in their sight. According to Umar Ibn Al-Khattab: "When you give (gifts to others), you should enrich (such as you give)." Some people go as far in this respect as to think that if one , is reduced to poverty

(after being rich) he is allowed to take (from the obligatory charity) as much as is sufficient to restore him to his former state of richness, even though it is ten thousand Dirhams, provided that he should not exceed the limit of moderation.

When the attention of Abu Talhah was diverted by his garden during the prayer, he said: "I've made it an object of charity." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Give it as a gift to your kinship, since this is good for you." He distributed among Hassan Ibn Thabit and Abu Qatadah; and verily, a garden fenced with date-palms to be distributed among only two men is too much to enrich them (along the rest of their lifetime). It is also reported that Umar gave a desert Arab a she-camel in addition to its baby camel. This is what might be related in connection with the generosity (in the distribution of almsgiving).

As to reducing (the given share of the *obligatory charity* to no more than) an individual's daily food or an ounce of gold, it has been mentioned in connection with the dislike of begging and frequenting the gates of houses, both of which are undesirable and subject to another rule. Indeed, to give concession to one to receive as much of the *obligatory charity* as enables him to buy a whole village so that he might become independent for the rest of his life is more probable although it is apt to be extravagant. But what is much closer to moderation is to take an amount sufficient for the current year. To exceed this limit is dangerous and to fall short of it is strict. In all these, unless the Law offers a definite restriction, the independent interpreter of the Law can do nothing but hand down a judgment according to the best of his knowledge and say to the pious the same as the Messenger of Allah himself had said, i.e. "Seek the verdict of your own heart although you have been given dispensation." But since "sin is heart alluring", the recipient should, once he feels he takes anything (doubtful), fear Allah and not justify his act by a dispensation which he might have received from learned men (although well-versed) in the letter of the Law (they are not so in its spirit). For their dispensations are (pursuant) to rules and regulations, particular and general, dictated by necessity and expedience and are full of conjectures and suspicions. To guard against such suspicions is what characterizes those of religion and travellers on the way to the hereafter.

The fifth duty: let the recipient ask the almsgiver about the amount of the obligatory charity due upon his property, and consider: if he what receives is more than the eighth, let not him accept it, since the share of him, as well as of his two partners (in the same group) is no more than one-eighth (the amount of the obligatory charity). Let him further reduce from the eighth as much as is sufficient for two of his group (so that the shares of the three should be equal). However, this inquiry is binding upon most of the people, who do not observe this way of distributing the obligatory charity, either because of their ignorance, or because of their indulgence. It is permissible to ignore the inquiry into these, things if it does not appear (to the recipient) what might arouse his suspicion of

their being unlawful. The questions relating to begging and the different degrees of probability will be discussed in the Book on what is Lawful and what is Unlawful, Allah Willing.

CHAPTER FOUR

ON THE VOLUNTARY CHARITY: ITS EXCELLENCE, AND THE PROPRIETIES OF RECEIVING AND GIVING IT

The Exposition Of The Excellence Of Charity

From amongst the different traditions and narrations, a mention might be made of the following:

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Give in charity even (as little as) a single date, for the (object of) charity satisfies the need of the hungry, and extinguishes the (harmful effects of the) sin in the same way as water extinguishes fire." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Safeguard yourselves from the fire (of Hell) even with half a date (to be given in charity); and if you could not find, let it be with a good word." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No Muslim servant gives anything in charity from his lawful earnings, and Allah Almighty never accepts but what is lawful, but that Allah Almighty takes it with His Right Hand and enlarges its reward (for such as gives it) in the same way as anyone of you brings up his baby horse, until a date would become (as huge) as (the mountain of) Uhud."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Abu Ad-Darda': "When you cook soup, make much its water, and invite a family of your neighbours to share it with you." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No servant gives in charity generously but that Allah Almighty makes his heirs properly worthy of his inheritance." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Every man will be in the shade of his almsgiving (on the Day of Judgement) until the cases of the people should be decided." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The (object of) charity closes seventy gates of evil." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The (object of) charity to be given in secrecy extinguishes the anger of the Lord Almighty."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The reward of) such as gives in charity out of abundance is not better than that of him who accepts because of his need and want." Perhaps he means here such as intends, by averting his need and want, to devote himself wholeheartedly to his religious service, who is then equal to the almsgiver, who intends, by his giving, to secure the welfare of his religion. Once, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked: "Which kind of charity is the best?" he said: "It is to give in charity while you are healthy, hoping to live more, and feeling afraid of poverty, without waiting until when (you approach death and)

your soul reaches the throat, you say: "Let such and such (money) be for so and so, and let such and such be for so and so; and so and so should have such and such."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said one day to his companions: "Give in charity!" one of them said: "I have a Dinar (should I give it in charity)?" he said: "Spend it on yourself." He said: "I have another one." He said: "Then, spend it on your wife." He said: "I have a third one." He said: "Then spend it on your dependents." He said: "I have a fourth one." He said: "Spend it on your servant." He said: "I have a fifth one." He said: "Then, you know better how to dispose of it." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The (objects of) charity are unlawful for the family of Muhammad (to take) since they are the impurities of the people (therewith they purify themselves and their property)." He further said: "Remove the beggar's need (which has forced him to begging) with even a morsel of food (as little) as the bird's head." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If the beggar is true (to his need of begging) not prosper will he, who returns him with nothing."

Jesus "Peace be upon him" said: "If one returns a beggar from his house with nothing, the angels do not enter that house for as long as seven days." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to do two things, which he never entrusted to anyone to do on his behalf: he used to prepare (the water of) his ablution at night (in a water-skin) which he would cover; and he used to give the needy indigent with his own hand. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The needy indigent is not he, who is dismissed with a date or two, or a morsel or two; but the real needy indigent is he, who refrains from begging others. recite, if you so like, Allah's saying: "They never beg the people importunately."" (Al-Baqarah 273)

﴿يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۝٢٧٣﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No Muslim dresses another Muslim (in a dress) but that the former remains in the protection of Allah Almighty as long as even a shred of that (dress) remains on his body."

As for the historical sayings in this connection, a mention might be made of the following:

According to Urwah Ibn Az-Zubair: "A'ishah gave in charity fifty thousand (Dinars), even though her garment was full of patches." In his comment on the statement of Allah: "And they feed, for the love of Allah, the indigent, the orphan, and the captive" (Al-Insan 8)

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾

"They do so in spite of their great love and longing for food." Umar (Ibn Al-

Khattab) used to say: "O Allah! bestow plenty (and abundance of blessings) upon the generous among us, perchance they would return its benefit to the needy among us." According to Umar Ibn Abd Al-Aziz: "The prayer conveys you to the middle of the way, fasting the gate of the King, and almsgiving admits you to His Presence." According to Ibn Abu Al-Ja'd: "No doubt, an object of charity closes seventy doors of evil; and of a surety, an object of charity to be given in secrecy is seventy times greater than that given in public, and it dislodges the jaws of seventy devils." According to Ibn Mas'ud: "A man kept worshipping Allah Almighty for seventy years, and then he committed fornication, which rendered his deed fruitless. He passed by a needy indigent, whom he gave a loaf in charity, thereupon Allah Almighty forgave for him his sins, and restored to him the deed of the seventy years."

Luqman said to his son (by way of advising him): "When you commit a sin, give in charity (to remove its evil effect)." Yahya Ibn Mu'adh said: "I do not know a grain (as heavy as) to have the weight of the mountains of this world other than the grain which is given in charity." According to Abd Al-Aziz Ibn Abu Rawwad: "It is said that three things are of the treasures of the Garden (of Paradise): to conceal the sickness, to give in charity secretly, and to keep silent at the time of calamities." According to Umar Ibn Al-Khattab: "The deed vied in glory with each other, thereupon the charity said: "I'm the best and most excellent among you all." Abdullah Ibn Umar used to give sugar in charity and say: "Allah Almighty says: "By no means should you attain righteousness until you spend out of what you love" (Al Imran 92)

﴿ لَن تَنَالُوا ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

And Allah Almighty knows that I love sugar." An-Nakh'i said: "If there is a thing to be given (in charity) for the Sake of Allah, I will not be pleased to see a defect in it."

According to Ubaid Ibn Umair: "On the Day of Judgement, the people will be mustered as hungry as they have never been before, as thirsty as they have never been before, and as naked as they have never been before: he, who gave food (in charity) for the Sake of Allah Almighty, would be given food by Allah Almighty, and he, who provided others with water for the Sake of Allah Almighty would be given water by Allah Almighty, and he, who dressed others for the Sake of Allah Almighty, will be dressed by Allah Almighty." Al-Hassan said: "Had Allah Almighty willed, He would have made all of you rich, and no poor would have existed among you; but He Almighty has put you to trial by making some of you responsible for the support of others." according to Ash-Sha'bi: "He, who does not see himself more needy to the reward of his object of charity than the poor to the object of charity itself, will have rendered invalid his charity, and smitten his face therewith."

According to Malik: "We see no blame upon the faithful believer to drink from the same water which he gives in charity, and provides others with in the

mosque, for it has been intended to quench the thirst of whatever thirsty, and not intended to be only for the needy and indigent in particular." It is said that once Al-Hassan came upon a slave-trader having a slave-girl, thereupon Al-Hassan said to him: "Do you accept one or two Dirhams for her price?" he answered in the negative. On that he said to him: "Go then! Verily, Allah Almighty has accepted, for the beautiful women of big lustrious eyes (of the Garden), a farthing and a morsel (to be given in charity)."

The Exposition Of Giving Charity In Secrecy And In Public

The seekers of sincerity are different in this matter: some are inclined to the opinion that it is better to conceal the charity, and others to the opposite that it is better to make it public. Our aim here is to point out the advantages and disadvantages of each, and then uncover the truth therein.

As for concealing it, it has five advantages:

The first is that it is more fitting to conceal the identity of the recipient. For taking the almsgiving in public disgraces his manhood. It bares his need and forces him to abandon the desirable qualities of self-restraint and temperance, because of which he is regarded rich by the ignorant.

The second is that it is safer for the tongues and hearts of the people, for they might envy him, and disapprove of his receiving alms, thinking that he has taken in spite of his being independent and free of want and need, or they might accuse him of receiving more (than what suffices him); and of a surety, envy, evil suspicion and backbiting are from amongst the major sins; and it is more important to safeguard them from those crimes. Abu Ayyub As-Sikhtiyani said: "Sometimes, I refrain from wearing a new dress, lest it might provoke the envy of some of my neighbours." One of the abstinent people said: "Perhaps I refrain from using a thing, for fear that some of my brothers might ask: From where has he got it?" Once, a shirt was seen on Ibrahim At-Taimi, and he was asked: "From where have you got that?" he said: "My brother Khaithamah have dressed me in it, and had I known that his family would know about it, I would not have accepted it."

The third is to help the almsgiver do his deeds secretly, since the excellence of giving in secrecy is greater than that of giving in public, and of a surety, to help somebody complete his favour is a favour in itself. However, the secret could be broken unless it is between two; and once the given thing is made public, the almsgiver would be known. One of the people gave a learned man something apparently, thereupon he returned it (and refused to accept it). another one gave him something in secrecy, thereupon he accepted it. when he was asked about that he said: "This (latter) behaved politely and concealed his gift and thus I accepted it, while the former behaved impolitely and made public his gift, and thus I refused his gift."

A man gave a Sufi something before an assembly of people, thereupon he returned it. he was asked: "Why have you returned what Allah Almighty had

given you (through His servant)?" he said: "You have joined others with Allah in that which belongs only to Allah Almighty, and have not been satisfied with Allah Almighty Alone, thereupon I rejected your joining." One of the Gnostics accepted something given to him in secret, which he had rejected earlier when it was given to him in public. When he was asked about that he said: "You've disobeyed Allah by making public your gift, and I was not to help you in your disobedience; and when you obeyed Him by concealing your gift, I helped you attain your righteousness." Ath-Thawri said: "Were I to know that none of you would make a mention of his gift, nor talk about it before the people, I would accept his gift."

The fourth is that making public the gift puts (the recipient) to humiliation and ignominy, and it is not consonant with the state of a faithful believer to put himself to humiliation. One of the learned men used to accept (gifts) in secrecy, and reject to take in public saying: "Taking gifts in public is to put knowledge to humiliation, and bring shame on its people; and I'm not to take anything from this world, in return for putting knowledge to humiliation and bringing shame on its people."

The fifth is to avoid the suspicion of partnership. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who is given a gift, and he has some people with him, they should be his partners in it." that it is in the form of gold or silver does not change it from being a present. In this respect The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The best present a man might give to his brother is silver, or to serve him with bread." In this way, he made silver a present by itself. Thus, it is undesirable to give a gift in public, unless it is by consent of them, even though it is not far from being suspicious, and to give him in seclusion is to be safe from this suspicion.

Giving gifts in public, and making mention of that has four advantages:

The first is that it gives rise to sincerity, truthfulness, freedom from affectation and hypocrisy.

The second is that it conquers vainglory and haughtiness, and rather affirms servitude to Allah and poverty, and sets man free from arrogance and self-independence, and makes him of no authority in the sight of the people. One of the Gnostics said to his disciple: "Conceal not, anyway, your being the recipient of alms. For when you receive alms publicly this will result to one of two things: you will lose favour with some people, a thing which is more secure for your faith and more wholesome to your soul, or grow in the regards of others because you have revealed the truth. This is exactly what your brother desires because his reward increases as your love to him grows greater and your respect to him becomes more profound. You also would be rewarded because of your being helpful to bring about the increase in his reward."

The third is that the Gnostic has no care but for Allah Almighty. It is the same to him whether to be given in secret or in public, since the difference of his

attitudes towards Allah in accordance with the different states is, of a surety, a violation against Allah's Oneness. One of the people said: "We did not mind of the invocation of such as used to accept the gifts in secrecy, and reject to take them in public." However, to care for the presence or the absence of the people (at the time of receiving alms) is out of lack in the state of mind (towards Allah Almighty), since one's attention should be paid to the One and Only. In this issue, it is related that one of the religious instructors used to show his inclination to one of his pupils on the exclusion of the others, which was difficult upon them. he wanted to demonstrate to them the superiority this pupil had over them. he gave each of them a hen and asked each one to be alone with it and slaughter it in a place where none could see him. Each went alone with it and slaughtered it, barring that pupil, who returned the hen. When the religious instructor asked them they told him that they had done just what they had been commanded to do. He asked that pupil: "Why have you not slaughtered yours as your fellows have done?" he said: "I could not go to a place where none could see me, since the Sight of Allah Almighty watches over me wherever I'm." on that the religious instructor said: "For this reason I'm inclined to him, i.e. for he never pays his attention but to Allah Almighty."

The fourth is that to make it public is to establish the tradition of gratefulness. Allah Almighty says: " But the Bounty of your Lord; Rehearse and proclaim!" (Ad-Duha 11)

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾

But to conceal (alms) is to be ungrateful to the grace of Allah Almighty, Who criticizes such as conceals what He Almighty has given him ascribing him to niggardliness when He says: "(Nor) those who are niggardly, or enjoin niggardliness on others, or hide the bounties which Allah has bestowed on them; for We have prepared, for those who resist faith, a punishment that steeps them in contempt." (An-Nisa 37)

﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "When Allah bestows a grace upon anyone of His servants, He likes that (the signs of) His grace be visible on him."

One gave a righteous man something in secret, which he raised with his hand (so that the people would see it) and said: "This belongs to the world, in which publicity is better than secrecy, whereas secrecy is better in the matter of the hereafter." So, one of the good men: "When you are given at the presence of the people, i.e. in public, accept it, and return (with thanks) in secrecy."

On the other hand, sticking to gratitude and thankfulness is highly recommended. In this respect, The Messenger of Allah "Allah's blessing and

peace be upon him" said: "He, who give no thanks to the people (for their gifts) has, indeed, not been grateful to Allah Almighty." Thankfulness here stands in the position of reward in accordance with the tradition of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in which eh said: "Reward such as does a favour to you; and if you could not do, at least invoke good upon him until you know you have rewarded him." When the Muhajirs (Emigrants) said, whilst giving thanks to the Ansar (Helpers): "O Messenger of Allah! we've never seen a people better and more generous than those (Ansar) in whose dwellings we've lived who made us share their property with them to the extent that we feel afraid they would receive the whole reward (apart from us)." On that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The more you give thanks to them, and praise them (for their favours), the more you reward them (for what they've done)."

Having understood well those advantages, you should know that such of differences among the people in this respect as have been handed down do not pertain to the question in itself so much as to their states. To uncover the truth of this matter, we do not give a decisive judgement that to conceal almsgiving is more excellent in all the states, as well as to make it public is not better at all. This differs with the difference of intentions; and of course the intentions differ with the difference of states and persons. So, let the sincere watch himself carefully lest he be misled by vanity and beguiled by the deception of nature and the artifice of the devil. Artifice and deception are more prevalent in concealment than in publicity, although they affect both. Deception enters into secrecy through the people's inclination by nature to it, seeing that it helps to maintain one's prestige and position before men, protect him from the people's seeing him with the eye of contempt and disrespect, and seeing the almsgiver as a benefactor and generous donor. It is a virulent disease which afflicts the soul and through which the devil makes alluring the advantages to the individual, thereby persuading him to justify his conduct with anyone of the five which we have mentioned.

The criterion and the acid test which govern all of that is one thing, i.e. that the pain such as whose receiving alms is revealed entertains would be just the same when the receiving of alms taken by his fellows is revealed. If his purpose is to safeguard the people from backbiting, the feelings of jealousy, envy and evil suspicions, or to protect himself from divulging the identity, or to help the almsgiver to adhere to make secret his alms, or to protect knowledge from being put to shame, all of this might result from the exposure of the alms received by his brother. If the exposure of his own is harder on him than that of others, then his apprehensions regarding these considerations are untrue and false, resulting from the artifice and deception of Satan. That's because to disgrace and discredit knowledge is forbidden not because it is the knowledge of this or the other but simply because it is knowledge in itself. Backbiting is forbidden because it is to defame a person's honour (in his absence) as such, not because it is the slander of

the honour of a certain person. Anyone observing this point may prove too strong for the devil to conquer, otherwise he will be a man of much activity but little success.

Therefore, human nature may incline to publicity, because through it the individual humours the giver and pleases him thereby encouraging him to do the same again. By making the acceptance of alms known to the public, the recipient proves grateful before the people so that they might be inclined to show respect to him and ready to inquire about him and help him more. This is, to be sure, a virulent ailment lurking within the inside; and the devil has no power over the religious one, unless he makes this wickedness seem to him in the form of the right way of sunnah, telling him that to give thanks is out of the right way of sunnah, and to conceal it is out of showing off, bringing to him all the advantages (of publicity) which we've mentioned, in order to lead him to make it public, even though his internal purpose is (to mislead and deceive him as) we've mentioned earlier.

The criterion of all of that as well as its acid test is to consider his inclination to give thanks (in both states), where the news (of giving) would go beyond the almsgiver and such as whom he wishes to give, and in the presence of some people who dislike to disclose the gift, and have desire for concealing it, whose practice is not to give but such as conceals it and gives no thanks for it: if both states are the same to him, let him know then that the real motif of thankfulness is to establish the right way of giving thanks and talk good about the favour, otherwise he is under the influence of deception.

Having come to know that the real motif of his thankfulness is to establish the right way of giving thanks, let not him be heedless of fulfilling the right the almsgiver has on him, and consider: if he is of those who are fond of thankfulness and publicity, let him conceal his gift and rather give no thanks to him, for the best fulfillment of his right is not to help him commit injustice; and verily, seeking thankfulness is out of injustice. But if he knows, from his state, that he never likes thankfulness and does not intend it (with his gifts), then let him give thanks to him, and make public his alms.

For this reason, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said in reference to the one who was praised before him: "You've struck the neck of (and killed) him. Were he to hear it, he would never prosper." This is despite the fact that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" praised a people in their face because of his confidence of their certainty (of faith), and his knowledge that (his praising them) would cause no harm to them so much as it would make them more desirous to do good. He told one of them that he was the master and chief of the Bedouins of sheep. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said in reference to another: "When the most generous among his people comes to you, you should deal with him generously."

Once he heard the speech of a man, which appealed him and he said: "Verily, some speech is (in its effect like) magic." The Messenger of Allah "Allah's

blessing and peace be upon him" said: "If anyone of you knows good in his brother, he should tell him about it, for this prompts his desire to do more good." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "When a faithful believer is praised (for his good faith), the belief would grow (and become firm) in his heart." According to Ath-Thawri: "He, who recognizes himself well (as really he is) no harm will be caused to him by the people's praising him." He said to Yusuf Ibn Asbat: "If I bestow a favour upon you, with which I'm more pleased than you, seeing that it is a blessing from Allah Almighty which He has bestowed upon me, you then might give thanks (to me), otherwise, give no thanks then."

These details should be observed by anyone who watches his heart, for without these details the works of the! Senses are the laughing-stock of the devil and the object of his ridicule and malice especially for what seems to be much activity but little profit. It is such knowledge which is described by the following saying, namely, "Learning one point of such knowledge is better than a year of worship." For through this knowledge worship becomes a living and a vital thing and without it, it dwindles and comes to naught. In short, to take in public and to reject in secrecy is the best and safest policy to follow. Furthermore, no one, in rejecting a gift, should be excessive in his avowal of unworthiness. Rather his knowledge should be complete so that both secrecy and publicity would be the same to him. Such a state is like red sulphur, often heard of but never seen: we ask Allah, Most Generous the good aid and help to attain success.

The Exposition Of Which Is More Excellent: Receiving Voluntary Charity Or Obligatory Charity

Both Ibrahim Al-Khawas and Al-Junaid, and others like them were of the opinion of giving preference to taking from the voluntary charity over the obligatory charity, since to take from the latter is to compete with the poor and indigent, and belittle their share therefrom, and because one might not have the full qualities which make him worthy of receiving it, according to the description of the Holy Book (of the Qur'an), unlike the voluntary charity, which is more embracing.

Others are of the opinion that it is better to accept the obligatory and not the voluntary charity, for the former is helpful in fulfilling what is due; and had the needy indigent refrained from receiving the obligatory charity, they would have been sinful. Furthermore, there is no point for the alms recipient to be under any obligation, for the obligatory charity is a right due to Allah Almighty, therewith He sustains the needy and indigent among His servants. Taking the obligatory charity depends upon the need, and of a surety, everyone knows well his needs, whereas taking the voluntary charity depends upon the religion, according to which the almsgiver, in most cases, gives such as he thinks to be religious. Moreover, accompanying the indigent and needy is closer to humility and submission, and far removed from arrogance and haughtiness. Sometimes, one

happens to accept an object of charity as though it were a present, without being distinguishable from it.

This is to affirm the humility and neediness of receiving alms. The truth of the matter in this respect that this issue differs according to the different states of the person, and the kind of attention which he has at that time. If he were in doubt as to whether or not he deserved he should not accept anything from the *Zakat.* But if he were certain that he was deserving, as, for example, when he has to pay a debt which he had incurred for a just cause and is unable to pay it without aid, then he is certainly entitled to that aid and justified in accepting it. If a deserving individual were given the choice between accepting aid from the *Zakat* or the *Sadaqah* and had found out that the person who is to give the *Sadaqah* would not give that particular sum unless he were to accept it, let him by all means choose the *Sadaqah,* as the *Zakat* which is compulsory would always be paid to its deserving beneficiaries. This would increase charity and better the conditions of the poor. If the money were to be definitely given as a *Sadaqah* any way and on the other hand the acceptance of the *Zakat* would not result in distress for the poor, the person would be free to make his choice. In short the arguments in favour of the one or the other vary. On the whole the acceptance of aid from the *Zakat* is more conducive to modesty and humility; and Allah Almighty knows best.

Book six: the mysteries of fasting

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful.

Praise be to Allah Who has made great His Favour upon His servants, when He averted from them the evil plots and guiles of Satan, thwarted his hopes and frustrated his schemes: He made fasting a fortification and shield for His devotees, therewith He opened for them the gates of the Garden, and showed to them that the way of Satan to seize their hearts is their inward desires, and by overpowering them, the well-pleasing soul should become too strong and steadfast to face its opponent.

Allah's blessing and peace be upon (the Prophet) Muhammad, the leader of the nation, and the founder of the right way of sunnah, as well as upon his family and his companions, of piercing sights and sound minds.

To go further: fasting constitutes one-fourth the faith, in accordance with the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Verily, fasting constitutes half the patience", and in accordance with his statement: "Patience comprises half the faith". Furthermore, it is distinguished from the other pillars of service by its particular position to Allah Almighty Who said, as the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" related from Him: "Every good deed is rewarded as much as ten to seven hundredfold, except fasting, for it is done for the Sake of Me, therewith I give reward (as much as I will)." Allah Almighty says (in His Holy Book): "those who patiently persevere will truly receive a reward without measure!" (Az-Zumar 10)

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ ﴾

Fasting comprises (as we have mentioned) half the patience, since its reward goes beyond the limit of estimation and calculation. It is sufficient for you to know its excellence and superiority to read the saying of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "By Him in Whose Hand is my soul! The unpleasant smell coming out from the mouth of a fasting person is much sweeter in Allah's Sight than that of musk. Allah Almighty says: 'He has refrained from his (sexual) desire, left his food and drink for the Sake of Me: fasting then is done for My Sake, therewith I give reward (as much as I will)'."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "In the Garden, there is a door called Rayyan, from which none will enter (the Garden) except the fasting persons." Such (fasting) has been given promise to

meet Allah Almighty (in the hereafter) because of his fasting. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A fasting person experiences two joys: one at the time of breaking his fast, and the other on meeting his Lord Almighty." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Everything should have a gateway, and fasting is the gateway of the religious service." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, the sleep of a fasting person is worship."

It is narrated on the authority of Abu Hurairah that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "When the month of Ramadan comes upon you, the gates of the Garden will be opened, and none of them will be closed, the gates of the fire (of Hell) will be closed, and none of them will be opened, and Satans and the rebellious transgressors from amongst the jinns will be fastened (by chains and shackles), and. Then, a caller will call: 'O one who seeks good! Come (and do good as much as you could)! O petitioner of evil! Desist (from doing evil and rather turn to doing good)!'" in his comment on Allah's saying: "Eat you and drink you, with full satisfaction; because of the (good) that you sent before you, in the days that are gone!" (Al-Haqqah 24)

﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾

"Those are the days of fasting, on which they left food and drink."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" joined both abstinence and fasting in the same rank which Allah Almighty acclaims to His angels. He told: "Allah Almighty shows pride because of the worshipping young man saying: 'O young man who has left your desires and devoted your youth entirely to Me! You are, in My Sight, in the same rank of some of My angels.'" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said concerning the fasting person: "Allah Almighty says: "Behold O My angels to this servant of Mine! He has left his desire, pleasure, food and drink for My Sake." In comment on the Holy statement of Allah Almighty: " Now no person knows what delights of the eye are kept hidden (in reserve) for them, as a reward for their (good) Deeds" (As-Sajdah 17)

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

Their work (in the world) was fasting, and this is because He Almighty says: "those who patiently persevere will truly receive a reward without measure!" (Az-Zumar 10)

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾

Thus the reward of the fasting man will be given amply and abundantly and it

will be beyond imagination or estimate. It is fitting to be so, because fasting belongs to Allah Almighty and, by virtue of this relation, it has been rendered noble, although all the acts of worship belong to Allah Almighty, just as the Sacred House [27] has been made noble by its special relation to Allah Almighty, although the whole earth is His.

There are two points for which fasting belongs to Allah Almighty: the first is because it is a form of desisting and renunciation in its very nature hidden from human sight, whereas all the other acts of worship are apparent and exposed to it. It stands alone as the only act of worship which is not seen by anyone except Allah Almighty. It is an inward act of worship performed through sheer endurance and perseverance. The second is because it is a means of overpowering Allah's enemy, Satan, whose means to prevail over man is desires which are strengthened by eating and drinking. For this reason the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily Satan reaches everywhere in mankind in the same way the blood circulates in the body. Make it then difficult for Satan by means of hunger." For the same reason the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to A'ishah: "Persist in knocking the door of the Garden." She asked: "With what shall I knock the door of the Garden?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "With hunger." However, the excellence of hunger will be discussed later, Allah Willing, in detail in the Book of the evil of gluttony, and its remedy, in the quarter of the destructives.

Whereas fasting in particular (apart from the other religious services) is to overpower Satan, the enemy of Allah Almighty, close his path and block his way, it comes to be worthy of this distinguished position in relation to Allah Almighty. To overpower the enemy of Allah Almighty is, in the end, to help Him, and of a surety, Allah's Aid would not come unless men themselves help Him in accordance with His saying: " O you who believe! If you will aid (the cause of) Allah, He will aid you, and plant your feet firmly." (Muhammad 7)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ ﴾

The servant then should take the initiative and begin to strive; perchance he will be rewarded with the right guidance from Allah Almighty.

For this reason, Allah Almighty says: "And those who strive in Our (Cause), We will certainly guide them to Our Paths: for verily Allah is with those who do right." (Al-Ankabut 69)

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩ ﴾

He further says: "Verily never will Allah change the condition of a people until they change it themselves (with their own souls)." (Ar-Ra'd 11)

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴿١١﴾﴾

The change here refers to the increase of desires and lusts, for they are the grazing place and pasturing land of the devils; and as long as it is fertile and rich, they would not cease to frequent it; and as long as they frequent it, the Glory of Allah Almighty will not be revealed to the servant, and thus he will be barred from meeting Him. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Had it not been for the fact that Satans hover around the hearts of the sons of Adam, they would have been able to see the dominion of the heavens."

From this perspective, fasting has come to be the gateway of religious service, as well as a shield (to protect man from sins and mistakes). Since its excellence is so great and significant, it is then incumbent upon us to explain its internal and external conditions, through making a mention of its pillars and regulations, and its inward rules; and this will be achieved through three chapters.

CHAPTER ONE:
ON THE OUTWARD DUTIES AND REGULATIONS, AND THE OBLIGATIONS CONCOMITANT TO BREAKING THE FAST

As for the outward duties, they are six:

The first is to watch the commencement of the month of Ramadan, through watching the new moon, and if it is cloudy in such a way as to obstruct the people from seeing the new moon (of Ramadan), complete the days of Sha'ban thirty. We mean by watching the actual vision (which assures its appearance), which is attested by the witness of at least a just person, but seeing the new moon of the month of Shawwal is not attested except by the witness of two just persons, for this is closer to precaution in the religious service (of fasting). Fasting becomes incumbent upon such as hears the witness of a just person, of whose statement he is sure, and whom he thinks to be reliable, even though the judge passes no decision; and that's because every servant should follow, in his religious service, what his thought imposes upon him. If the new moon is seen in a town and not in another, between which there is a distance as short as less than a two-day journey, fasting should become binding upon the inhabitants of both; and if the distance between them is longer, let each town follow its own judgement, provided that what is incumbent upon the one should not go beyond it to the other.

The second pertains to the intention. One should state decisively and deliberately the intention every night (before dawn to observe fast on the coming day). If one states his intention to observe the all fasts of Ramadan with one intention, it will not make valid his fasting, and this is what we meant by (stating the intention) every night. Furthermore, if he declares his intention by day, it will not make valid his fasting of Ramadan, or even the obligatory fasting at all. But it

is held valid for the voluntary fasting; and this is what we meant by (saying that the intention should be stated) at night before dawn. If one states his intention to observe fasts absolutely or the obligatory fasts with no restriction, it will not make valid his fasting until he states his intention to observe the obligatory fasts of Ramadan enjoined by Allah Almighty.

If he states his intention on the night of suspicion to observe fast on the coming day in case it appears to be the first day of Ramadan, it will not make valid his fasting since it is not decisive, unless his intention relies upon the witness of a just person, but neither the possibility of mistake or the lie on the part of such just witness would cancel out the decisiveness (of his intention to fast the coming day), nor would the concomitant circumstances such as doubt concerning the last night of Ramadan prevent one from stating the intention to fast the following day, nor would the intention to fast be affected if it depends upon mere speculation as in the case of a person imprisoned in a dark dungeon, who thinks that the month of Ramadan had come: his suspicion thereof would not prevent him from stating the intention to fast.

If one is uncertain on the night of doubt, the verbal stating of his intention to fast would not be valid because the very place where intention lies is the heart, and it is inconceivable to experience doubt in conjunction with certainty, just like the case of such as says, while being in the middle of Ramadan that he would fast the following day if that day were of Ramadan, thereupon no harm would be caused because it is mere repetition of words, while in the very place of intention there would be no room for doubt or hesitation, rather it should be sure that the following day belongs to Ramadan. He who states his intention of fasting during the night and then eats while it is yet night his eating then will not invalidate his intention. If a woman in a state of menstruation states her intention of fasting (during the night) and she gets clean from her menses before dawn, her fast would be held valid.

The third is to refrain from getting anything to the inside of his body as long as he remembers that he is fasting however, his fasting would be corrupt by eating, drinking, snuffing, and injecting. But it would not be invalidated by phlebotomy and cupping, nor by forcing the probe into the ear or the orifice of the penis unless the probe reaches the bladder. Whatever enters the body unintentionally, such as dust, flies, or water during rinsing the mouth (in ablution) will not invalidate the fast unless one goes to excess in rinsing his mouth: in this case his fasting will be invalidated; and this is because he will be negligent. This is what we meant when we said 'intentionally'.

We said 'as long as he remembers that he is fasting' in order to exclude the one who has forgotten that he was fasting and whose eating will not invalidate his fast. But if one intentionally eats at any of both ends of the day, and later finds that he has eaten during the actual period of daylight, it is incumbent upon him to observe a fast in lieu. But if he, to the best of his power, continues to believe

(that he had not eaten outside the prescribed time), nothing then is binding upon him. Yet he should not eat at both ends of the day except after careful and thorough observation (of the time).

The fourth is to refrain from having sexual intercourse. However, the limit of sexual intercourse is the disappearance of the glands of the penis (within the vulva). But to have sexual intercourse forgetfully does not break fasting. If he has sexual intercourse at night, or has a nocturnal wet dream with the result that morning entered upon him while being in the state of ceremonial impurity, he should not break his fasting. If dawn appears while he is still copulating with his wife and he then stops immediately, his fasting would be held valid. But if he continues (until he fulfills his desire by ejaculation), his fasting would be corrupted, and in this case, atonement becomes binding upon him.

The fifth is to abstain from masturbation, either through sexual intercourse or no sexual relation for this breaks fasting. However, fasting is not broken by one's kissing or sleeping with his wife, as long as this does not lead to seminal emission; but it is undesirable, unless he is an old man, or one who is powerful enough to have control over his sexual desire: in this case, there is no blame in kissing, even though leaving it is better. If he feels afraid his kissing would lead to seminal emission, but even he kisses, and the semen is emitted, he will have broken his fasting, in view of his negligence.

The sixth is to abstain from vomiting, since it invalidates fasting. But, if one cannot help it, his fast remains valid. If one swallows phlegm or mucus from his throat or chest, he will not invalidate his fast; and this is out of concession in view of being a common distress. But if he swallows it even after having gotten out to his mouth, he will break his fast.

As to the obligations concomitant to breaking the fast, they are four:

Making amends, atonement, ransom, and abstaining from food and drink for the remaining portion of the day, in imitation of the fasting person.

As for making amends, it is generally binding upon every responsible Muslim who has left fasting, whether with or with no legal excuse. The menstruating woman should observe fasts in lieu of what she misses (during her menses), and so should the apostate (who repents). But no fast in lieu is due upon the infidel, the child, and the mad. It is not necessary, for the fasts to be observed in lieu of the missed ones of Ramadan, to be consecutively performed, but they might be either at different intervals or all at once.

As for atonement, it is not binding unless because of having sexual relation (with one's wife). But the intentional seminal emission, eating, drinking, or the like of that, would not assure it. the atonement is to emancipate a slave; and if one could not afford for that, let him observe fasts for two months consecutively; and if he has no power to do so, let him then feed sixty needy indigent with a Mudd of foodstuff for each.

In relation to abstaining from food and drink for the rest of the day (in imitation of the fasting persons), it is obligatory upon anyone who broke fasting (with no legal excuse) or failed to carry out all its requirements. The menstruation

woman is under no obligation to fast for the rest of the day if she has already got clean. Similarly the traveller, who at the end of two days' journey, arrives not in a state of fasting, is under no obligation to fast for the rest of the day. It is also obligatory to abstain from food and drink on doubtful days when only one reliable witness has declared that he has seen the new moon. On the other hand, observing fast on journey is better unless it is unbearable. A traveller should not break his fast on the very day he sets out if he has been resident in its first portion while fasting, nor on the very day of his arrival if he is fasting.

As for ransom, it is binding upon such of pregnant and suckling woman as break their fasting, for fear for their babes; and in this case, each day (on which she breaks fasting) should be ransomed by a single Mudd of wheat to be given to an indigent, and she should also make amends for her missed fasts. In case of an aged man, if he (proves powerless and thus) breaks his fasts, he should give in charity, for each day he does not fast, a Mudd (of foodstuff).

As for regulations, they are six: to delay the time of having the night meal of Suhur (a short time before dawn), to hasten on to break fasting with dates or water before prayer, refraining from the use of toothpick as of the time the sun passes the meridian, to spend generously and copiously (on the poor and needy) during the month of Ramadan, in view of its good merits which we've mentioned earlier, to study the Qur'an, to practice I'tikaf in the mosque, particularly during the last ten days of Ramadan, since this was the practice of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": whenever the last ten days (of Ramadan) entered, he would fold the bed, straightened his lower garment, and strove, and caused his family to strive themselves to the utmost of their power in religious service at night, for the Night of Power lies in those (ten), and mostly in the odd nights, particularly the twenty-first, the twenty-third, the twenty-fifth, and the twenty-seventh.

It is better to stay in retreat for consecutive nights. If one vows, or professes his intention to stay in retreat for consecutive days, this continuity might be interrupted by his coming out with no necessity, such as, for example, to visit a patient (to enquire about his health), to follow a funeral procession, to bring forth a witness, to pay a visit, to renew his purification; and it would not be interrupted if he comes out to answer the call of nature. He is allowed to perform ablution in his house, without turning to another occupation. However, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used not to come out (of the mosque) but to fulfill his need (of answering the call of nature), and not to enquire about the health of a patient but while passing by (near his house).

The continuity of such stay in retreat also might be interrupted by having sexual intercourse, but not by kissing. During I'tikaf in the mosque, there is no harm in applying perfume, holding the tie of marriage, having food and drink, washing both hands in a basin, since all of that is necessary (for the body) during the period of stay. Furthermore, such continuity might not be interrupted by getting a part of one's body out of the mosque. In this respect, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to draw his head close to

A'ishah in order to comb his hair, while she was in her chamber. Whenever such as in retreat comes out to answer the call of nature and then returns once again, he should resume his intention to stay in retreat, unless he has held his intention for ten-day stay in retreat in advance, even though it is better for him to make renewal of intention.

CHAPTER TWO:
ON THE MYSTERIES AND INTERNAL CONDITIONS OF FASTING

It should be known that there are three degrees of fasting: the fasting of the public, the fasting of the private, and the fasting of the elite among the private. The fasting of the public applies to withholding both the stomach and the private parts from fulfilling their desires as we've explained in detail earlier. The fasting of the private applies to withholding hearing, sight, tongue, hands, feet, and all of the parts of the body from committing sins.

The fasting of the elite among the private applies to the fasting of the heart from entertaining any mean thoughts or worldly concerns, in such a way as to be not concerned with anything other than Allah Almighty. But such kind of fasting might be broken by being involved in thinking of anything other than Allah Almighty and the Last Day, or of the matters and affairs of this world unless it is intended for the sake of religion, since all of that belongs to the provisions of the hereafter and not of this world, to the extent that led one of these who have their hearts sanctified to say: "He, who turns his attention, during his day, even tc make arrangements for that with which he is going to break his fast, a sin will be written against him." This is due to his lack of confidence of the Bounty of Allah Almighty, and the lack of certainty of his promised sustenance. To be sure, this is the rank of the Prophets, the truly faithful believers, Allah's nearest devotees. We shall have no long discussion about its details, but rather, let's be concerned more with its practical side. It is to turn one's whole and entire attention to Allah Almighty, and this requires to divert it from anything else, and to comply with the significance of the statement of Allah Almighty: " Say: "Allah (sent it down)": then leave them to plunge in vain discourse and trifling." (Al-An'am 91)

﴿ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾

As to the fasting of the private, which is the fasting of the righteous good men, it is to withhold the parts of the body from committing sins; and it could be achieved through six things:

The first is to lower the gaze, and hold it back from extending to look at all of what is blameworthy and hateful, as well as at such as occupies the heart and diverts the attention from the celebration of Allah Almighty. In this respect, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, the glance (one might cast at what is hateful) is one of the poisoned arrows of Iblis might Allah curse him. Such as refrains from it, for fear of Allah Almighty, Allah Almighty bestows upon him faith, whose pleasant sweet he experiences in his heart." It is further narrated on the authority of Jabir from Anas that the

Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Five things break the fast of the fasting person: telling a lie, backbiting, going about with calumnies, taking a false oath, and casting a lustful glance."

The second is to keep the tongue from nonsense, telling lies, backbiting, tell-bearing, speaking with foul and obscene language, desertion, enmity, and hypocrisy, and rather imposing silence upon it, and occupying it with the celebration of (the Praises of) Allah Almighty and reciting the Qur'an: this is the fasting of tongue. It is narrated by Bishr Ibn Al-Harith that Sufyan said: "Verily, backbiting corrupts fasting." It is further narrated by Laith from Mujahid that he said: "Two things corrupt fasting: backbiting and telling lies." (It is narrated that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Of a surety, fasting acts as a shield (to protect one from the fire of Hell), and if anyone of you is fasting, he should not speak with obscenity, nor behave ignorantly (towards others), and if anyone fights or quarrels with him, let him (refrain from fighting him and rather) say: "I'm fasting! I'm fasting!"

It is narrated that two women were fasting during the lifetime of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" when the severe hunger and thirst troubled them so much at the end of the day, that they were about to be ruined. They sent to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" asking his permission for them to break their fast. He sent a vessel to them and told (the courier) to say to them: "Vomit what you have eaten." One of them vomited pure blood and tender flesh as much as half the vessel, and the other vomited the like of that until the vessel was filled. The people were astonished at that. On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Those (women) fasted from what Allah has made lawful for them, and broke their fasting by doing what He has made unlawful for them. One of them sat with the other, and went on backbiting the people, and this (which both vomited) is what they have eaten of their flesh (through backbiting)."

The third is to withhold hearing from listening to what is undesirable and disliked, for it is forbidden to pay attention to that which is forbidden to be said. For this reason, Allah Almighty places on equal footing such as hears (what is unlawful) and the devourer of what is forbidden in His statement: "(They are fond of) listening to falsehood, of devouring anything forbidden." (Al-Ma'idah 42)

﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾

He further says: "Why do not the Rabbis and the doctors of Law forbid them from their (habit of) uttering sinful words and eating things forbidden? Evil indeed are their works." (Al-Ma'idah 63)

﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾

However, to keep silent of and pay one's attention to backbiting is forbidden, otherwise "you then will be like them" (An-Nisa 140)

﴿ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾

In accordance with Allah's statement. For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Both the backbiter and the listener (to backbiting) are partners in the sin."

The fourth is to withhold the remaining parts of the body from what is sinful, such as both hands and legs from doing what is shameful, the stomach from what is suspicious at the time of breaking the fast: there is no significance for fasting, which is to refrain from such of food as is lawful, and then breaking the fast by such of food as is unlawful. The example of such as does so is like him, who constructs a palace and destroys a whole town. However, the lawful food might be harmful by its excess in quantity and not by its quality, and the purpose of fasting is to reduce the quantity and rather induce moderation. Similarly, the person who resorts to taking a dose of poison, for fear of the harmful effect of an excessive dose of medicine, is indeed foolish. The unlawful is poison detrimental to religion while the lawful is like a medicine a little of which is beneficial but the excess of which is harmful.

The purpose of fasting is to reduce the quantity of food and induce moderation. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Many a man gets nothing out of his fast except hunger and thirst." It is said that it refers to the person who breaks his fast on what is unlawful. Others said that it refers to the person who abstains from such of food as is lawful, and rather breaks his fast by eating the flesh of the people through backbiting; and of a surety, it is unlawful. It is also said that this means such as does not keep the parts of his body from doing what is sinful.

The fifth is not to take too much of the unlawful food at the time of breaking fast, in such a way as to fill the inside of his body, since there is no vessel more hateful in the Sight of Allah Almighty than a stomach which is filled with food, whatever lawful it might be. How should the benefit of fasting to overpower the enemy of Allah and suppress his own appetite through fasting be achieved as long as, when he breaks his fast, he compensates himself for what he had missed during the day and even gets more kinds of food and drink? It has become the custom to store up all the food for the month of Ramadan, wherein food and drink of different kinds and colours are consumed more than in several months.

To be sure, it is a well-known fact that the purpose of fasting is hunger and the suppression of lust so that the soul might be able to attain piety. If the stomach is given no food from the early morning until the evening so that its appetite is aroused and its desire grows stronger and then it is fed with delicacies and filled to the point of satiety, its pleasure would increase, and strength would be doubled, which should, of course, give rise to such of passions as would have remained inactive had it been left on its custom (before

fasting). The spirit and the secret of fasting are to weaken the powers which Satan uses as his instruments to turn men back to evil; and this will not be achieved unless one reduces his food to the amount of food which he would have eaten every evening if he were not fasting. But if he joins, on breaking his fast, the amount of food which he would have eaten in the evening to that which he would have eaten during the day time, he would reap no benefit from his fast.

Indeed, it is out of the proprieties of fasting that the person should not sleep much during the daytime but rather stay up so that he might experience the pangs of hunger and the flames of thirst and become conscious of the weakness of his powers, with the result that his heart would be cleansed and purified. He should maintain his power in such a state of weakness every Night so that it would become easier for him to perform his supererogatory night prayer and read his devotional recitals. It is hoped that Satan will not hover around his heart in order that he will be able to rise his sight up to the dominion of heaven.

In this context, the Night of Power is the night on which something of such dominion is revealed to man. It is also the night referred to by the saying of Allah Almighty when He says: "Verily We have sent it down on the Night of Power." (Al-Qadr 1)

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ ﴾

But it might be veiled from him, who buries his head deep into a nose-bag full of food, and even from him who keeps his stomach empty from food, unless he frees his attention from anything else other than Allah Almighty. This is the whole matter, the basis of which is to reduce the quantity of food to induce moderation. Allah Willing, this will be explained in more detail in the Book of Food.

The sixth is to have his heart, after breaking his fast, in the state of suspense, between fear and hope, since he does not know whether his fasting would be accepted, with the result that he would be in the company of the devotees of Allah, or it would be returned to him (with failure), with the result that he will be in the company of these disliked (by Allah Almighty). Let him adhere to such a state at the conclusion of every act of worship from which he finishes. It is narrated that Al-Hassan Ibn Abu Al-Hassan Al-Basri came upon a people who were laughing, thereupon he said to them: "No doubt, Allah Almighty has made the month of Ramadan an arena for His servants to compete one another as in a race in His service; and a people have preceded and won the race, and others remained behind and were lost. Surprising and astonishing is the one who is laughing and indolent on the very day on which the active have won the race, and the idle failed. By Allah! Were the veil to be removed, surely, the doer of good would have been engaged in his goodness, and the doer of evil would be also with his evil" (i.e. the pleasure of such as whose deed is accepted by Allah would

occupy him from indolence, whereas the grief and regret of such as whose deed is rejected by Allah would close the gate of laugh and joy in his face).

It was said to Al-Ahnaf Ibn Qais: "You are an old man, and fasting weakens you." On that he said: "I prepare myself for a long journey; and it is much easier to keep patient on the service of Allah Almighty than on His punishment."

Those are the internal meanings of fasting. But you might say: "According to the jurisprudents, the fasting is held valid for such as is satisfied by restraining the appetite of both stomach and private parts, and does not observe those internal meanings: what is the significance of that?"

It should then be known to you that the jurisprudents of the outward aspects of religious service deal only with the formal requirements by means of proofs far weaker than those with which we establish its inward conditions, particularly those of backbiting and the like. But even, the jurisprudents of the outward aspects of religious service are not to be interested in any obligations other than those which are within the reach of the heedless laymen who are occupied by the affairs of this world. But the learned men of the hereafter mean by validity acceptance and by acceptance the attainment of the intended purpose. They construe the intended purpose of fasting as to acquire one of the Attributes of Allah Almighty, i.e. Self-Sufficiency (it is not to eat nor to drink) as well as to follow the example of the angels by refraining, as much as it coul be, from bodily lusts, beyond which the angels themselves are deemed far.

Man, by nature, ranks above the animals by virtue of his ability to overpower lusts through the light of reason, And after the angels, because bodily lusts prevail over him, and because he is under the trial of resisting them: the more he is involved in lusts, the lower he descends and the closer he comes down to the level of the animals. The more he is able to suppress his lusts the higher he ascends and the closer he rises up to the level of the angels. The angels stand close to the Presence of Allah Almighty, and whoever follows their footsteps and emulates their example come like them closer to the Presence of Allah Almighty, since such as resembles the close in proximity to the presence is himself close in proximity to the presence. . But this closeness is not achieved by location as it is by attributes.

If this is the mystery of fasting in the sight of those of sound minds and pure hearts: what is then the significance of delaying a meal and joining two meals in the evening, while being involved in fulfilling the other physical desires during the day? If there is any benefit from that, there will be then no significance for the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Many a man gets nothing out of his fast except hunger and thirst." For the same reason, Abu Ad-Darda' said: "How good is the sleep and how excellent is the eating of the wise men; behold how they put to shame the sleeplessness and the fasting of the foolish."

Verily an atom's weight of the worship of the righteous and pious, endued

with certainty of faith is much better and even heavier than as much as mountains of worship of those who are misguided and misled. For this reason, one of the learned men said: "Many a person who seems fasting even though he is really not fasting, whereas many a person who is not fasting even though he is really fasting." Such as seems not fasting, even though he is really fasting is him, who restrains the parts of his body from doing what is sinful, even though he eats and drinks. Such as seems fasting, even though he is not really fasting is he, who suffers the bangs of hunger and the flames of thirst, but does not restrain the parts of his body from committing sins.

If one understands the real significance and mystery of fasting, he comes to know that the example of such as refrains from eating, drinking, and having sexual intercourse, even though he breaks fast through indulgence in sins is like the example of him, who passes his wet hand over the parts of ablution in his body thrice: in fact, he outwardly agrees with the required number, but inwardly leaves what is more important, i.e. the washing of the parts of the body, with the result that his prayer will be rejected and returned to him because of his ignorance. The example of him who breaks fast through eating and drinking, but at the same time, restrains the parts of his body from doing what is shameful is like the example of him who washes the parts of ablution in his body once each, with the result that his prayer will be accepted from him, Allah Willing, because he has fulfilled what is fundamental, even though not what is supplementary. But he who does both is like the person who, in performing the ablution, washes each member of his body thrice, thereby fulfilling what is fundamental as well as what is supplementary, which constitutes perfection. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" once said: "Verily fasting is a trust; let each, therefore, take good care of his trust." When he recited: "Verily Allah commands you to give back the trusts to their real owners" (An-Nisa 58)

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴿٥٨﴾ ﴾

He raised his hands on his ears and eyes and said: "Verily, the hearing is a trust! Verily, the sight is a trust (which its possessor should safeguard)." Had it not been from amongst the trusts which belong to fasting, surely, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" would have not said: "Let him (the fasting person) say (when anyone quarrels with him): 'I'm fasting'" i.e. I've kept my tongue as a trust and should safeguard it (against any kind of evil): how should then I give it free rein in retort to your quarrel?

It has been obvious then that every act of worship has outward aspects as well as inward mysteries, an external husk as well as an internal bith, and the external husk consists of many grades, each contains various layers: it is then up to you to choose, whether to be satisfied by the external husk and not the internal bith, or to join the company of those endued with sound minds.

CHAPTER THREE: ON THE VOLUNTARY FASTS AND THE ARRANGEMENT OF REGULAR DIVISIONS THEREIN

It should be known that fasting is desirable on the excellent days, some of which occur every year, others every month and others every week. As to those which occur every year, after the month of Ramadan, a mention might be made of the day of Arafah (ninth of Dhul-Hijjah), the day of Ashura' (tenth of Muharram), the first ten of Dhul-Hijjah, the first ten of Muharram, in addition to all of the four Sacred months, in which fasting is desirable on any day, since they all are excellent. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to observe so much fasts in the month of Sha'ban, to the extent that he was thought as if he were in the month of Ramadan (for he hardly left a day without fasting). According to a certain narration: "The best fasts to be observed, after those of Ramadan, are those of Allah's Sacred month of Muharram."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "To observe only a fast from any of the Sacred month is more excellent than thirty fasts from any month else, whereas to observe only a day from Ramadan is more excellent than thirty fasts from any of the Sacred months." According to a certain tradition: "He, who observes three fasts from any of the Sacred month, namely Thursday, Friday and Saturday, Allah Almighty writes for him, by each day, the (reward of the) religious service of nine hundred years." According to another narration: "When it is the middle of Sha'ban, no fasts should be observed until the coming of (the month of) Ramadan." For this reason, it is desirable to leave fasting many days before the coming of Ramadan, even though it is permissible to continue fasts of Sha'ban unto Ramadan. However, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did so once, but made a break of fasts to separate between both so many times. It is impermissible to receive (the month of) Ramadan with the fast of two or three days in advance, unless it corresponds to one's devotional fasts. On the other hand, it was disliked by many companions to observe fasts for the whole of Rajab, in order not to be equal to the month of Ramadan.

The excellent months then are Dhul-Hijjah, Muharram, Rajab and Sha'ban, whereas the Sacred months are Dhul-Qa'dah, Dhul-Hijjah, Muharram and Rajab, one of which (i.e. Rajab) comes separately, and the remaining three come consecutively. But the most excellent of them all is Dhul-Hijjah, for therein Hajj lies, in addition to the well-known and the numbered days. Dhul-Qa'dah also is one of the Sacred months, and it is of the months of Hajj. Shawwal is one of the months of Hajj, even though it is not of the Sacred months. Both Muharram and Rajab are not of the months of Hajj (although they are of the Sacred months). It is narrated (on the authority of Ibn Abbas "Allah be pleased with both" that) The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There are no good deeds, preferably better than those done on the (first) ten days of Dhul-

Hijjah, the fast of any day of which is equal (in reward) to the fasts of a whole year, and standing for night supererogatory prayer on any night of which is equal (in reward) to standing for night supererogatory prayers on the night of Power." It was said: "Not even Jihad in Allah's Cause?" He replied: "Not even Jihad in Allah's Cause, unless man (who gets out for Jihad falls martyr, with) his steed hamstrung, and his blood shed."

As for those days which occur every month, a mention might be made of the first, the middle and the last of the month. In the middle of the month, there lie the white days (on which the moon is perfect), i.e. the thirteenth, the fourteenth, and the fifteenth.

As for the days which occur every week, a mention might be made of Monday, Thursday, and Friday. Those are the excellent days, on which it is more desirable to observe fast and do good deeds, perchance their reward might be multiplied, by virtue of the blessing of those times.

As for the perpetual lifetime fasting, it is all-inclusive of that and more beyond it; and the mystics adopt many ways of practicing it. It is disliked by some, for there are many narrations which attest its being undesirable. The truth of the matter is that there are two causes which lie behind disliking it: one is that such does not break fasting on the days of both Ids, in addition to the days of Tashriq (from 11th to 13th of Dhul-Hijjah), since it is a perpetual lifetime fasting. The other is that he refrains from the right way of sunnah pertaining to the breaking of fast, restraining himself only to fasting, although Allah Almighty likes that His concessions be observed as well as He likes that His obligations be fulfilled. If there is no fear of anything of both, and rather one thinks that doing so is for his welfare, let him do it, since many companions and followers did so. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said, according to a narration on the authority of Abu Musa Al-Ash'ari: "He, who observes perpetual lifetime fasts, the Hell will be constricted in such a way that (there will be no place in it) for him, and he will (be doomed to) have a long life of ninety (years)."

There stands second to that in rank the fasting of half the time, i.e. to observe fasts on alternate days, to fast a day and leave fasting on the other day. This is more harder and more effective to overpower the soul. There are so many narrations in support of its excellence, for the servant who practices it is in the state of suspense between fasting a day and giving thanks to Allah Almighty on the other day. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The keys of the coffers of this world and of the treasures of the earth have been offered to me (to receive), thereupon I rejected them and said: "Let me become hungry a day and satisfied another day, in order that I should praise You whenever I have been satisfied, and invoke You whenever I have been hungry." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The best fasts are those of my brother (the Prophet) David,

who used to fast on alternate days, i.e. to fast a day, and leave fasting on the other." According to his argumentation with Abdullah Ibn Amr concerning fast, in which Abdullah said: "I have power to observe more fasts" thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "Fast a day, and leave fasting on the other." He said: "But I have power to observe more fasts." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Nothing more is better than that." It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" never observed fasts for a whole month other than Ramadan, for he used to leave fasting for some days in any month else other than Ramadan.

But he, who has no power to fast half the time, let him then fast one-third the time, i.e. to fast a day and leave fasting for two days. This third might also be fulfilled if one observes three fasts in the beginning of the month, another three in its middle, and further three in its last, and in this way, his fasts will agree with the excellent times. If one observes fast every Monday, Thursday and Friday, he will fulfill what is close to the third.

Now, since the excellent times in which fasting is more desirable have become clear, it is out of perfection that man should understand well the significance of fasting, and that its purpose is to purify the heart, and devote the attentio entirely to Allah Almighty. Such as is well-aware of the niceties and subtleties o the inward should consider his states: sometimes, his state requires him to observe fasts perpetually, and sometimes his state requires him to leave fasting perpetually, and sometimes his state requires him to combine both fasting and leaving fast. If he understands the real significance, and is certain of its place and value on the way to the hereafter, through watching the heart, the interest of his heart will not be then concealed from him; and this does not require an unbroken routine.

For this reason, it is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" sometimes observed fasts for many days consecutively that it would be said that he would not break his fast, and sometimes he left fasting for many days consecutively that it would be said that he would not fast. Furthermore, sometimes he slept (and did not stand for night prayer) for many nights consecutively that it would be said that he would not stand (for night prayer), and sometimes he kept standing (for night prayer) for many nights consecutively that it would be said that he would not sleep. In so doing, he followed what was revealed to him, by virtue of the light of Prophethood, of the appropriate behaviour respective to every time.

Many learned men dislike that one should take a break of more than four days between each fast, depending upon the (period in which one should leave fast beginning from the) Id day, in addition to the three days of Tashriq, arguing that

this might harden the heart, give rise to bad manners and customs, and open the gate of lusts and desires; and by my life, this is true to most of the people, particularly those whose habit is to eat twice each day and night.

This is what we like to mention pertaining of the routine of the voluntary fasts; and Allah Almighty knows the truth best.

Book seven: the mysteries of pilgrimage

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful.

Praise be to Allah, Who has made the word of monotheism a means of protection and bulwark (for His servants), and the Ancient House a place of assembly for men and a place of safety, and exalted it in relation to Himself, by way of honouring, protecting and bestowing his favour upon it, and made visiting and performing circumambulation round it act as a veil and shield to protect the servant (who does that) from the punishment; and Allah's blessing and peace in abundance and plenty be upon Muhammad, the Prophet of mercy, and the chief and master of this nation, as well as upon his family and companions. He told the truth, therewith he became the chief of the creatures.

To go further: it is a well-known fact that the greater pilgrimage (Hajj) is one of the fundamental principles of Islam: it is the lifetime worship, the conclusion of the commands (and orders of Allah Almighty), the perfection of faith in Islam, and the completion of religion. In connection with it, Allah Almighty revealed: " This day have I perfected your religion for you, completed My favour upon you, and have chosen for you Islam as your religion." (Al-Ma'idah 3)

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴿٣﴾ ﴾

Pertaining to it, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Ibn Abd on the authority of Abu Hurairah): "He, who dies without performing Hajj (even though he has the power and ability to do it, his Islam will have not complete, and then it is the same to him) to die as a Jew if he so likes, or as a Christian if he so likes." How exalted then is a religious service, with whose absence the perfection of religion is lost, and such as does not perform it goes astray, alike both Jews and Christians; and it is more fitting that attention should be turned to explain it and give details to its pillars, rules, proprieties, good merits and mysteries; and all of this might be disclosed, Allah Willing, under three sections:

The first chapter pertains to the good merits of the greater pilgrimage (Hajj), the excellence of Mecca and the Ancient House, as well as the pillars and conditions of its obligation. The second chapter deals with its outward works in order, beginning from setting out on journey (to perform Hajj) ending with the return. The third chapter discusses its fine proprieties, and abstruse mysteries, and inward works. Now, let's begin with the first chapter.

CHAPTER ONE: ON THE GOOD MERITS OF THE GREATER PILGRIMAGE (HAJJ), THE EXCELLENCE OF MECCA AND THE ANCIENT HOUSE, AND THE PILLARS AND CONDITIONS OF ITS OBLIGATION.

This chapter includes two parts:

PART ONE:

the excellence of the greater pilgrimage (Hajj), the superiority of the House

And the good merits of both Mecca and Medina "Might Allah safeguard them", and making the journeys to the mosques

The Excellence Of The Greater Pilgrimage (Hajj).

Allah Almighty says in this respect: "And proclaim the Pilgrimage among men; they will come to you on foot and (mounted) on every kind of camel, lean on account of journeys through deep and distant mountain highways." (Al-Hajj 27)

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾

According to Qatadah: When Allah Almighty commanded Abraham "Peace be upon him as well as upon our Prophet (Muhammad) and every well-chosen servant" to proclaim Hajj among men, he called publicly: "O people! Verily, Allah Almighty ahs constructed a House (on earth): so, you should come to visit it and do the ceremonies of pilgrimage in it!" Allah Almighty resumed: "That they may witness the benefits (provided) for them" (Al-Hajj 28)

﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾

Which some people construe as to practice trade and traffic in the season, and receive the reward in the hereafter. When one of the early men heard that he said: "Might Allah forgive them, by the Lord of the Ka'bah!" in comment on the statement of Allah: " He (Satan) said: "Because You have thrown me out of the Way, lo! I will lie in wait for them on Your Straight Way" (Al-A'raf 16)

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾

It refers to the way to Mecca, on which Satan lies in wait for the people in order to prevent them from reaching it (and performing Hajj).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of both Sahihs on the authority of Abu Hurairah): "He, who performs Hajj (and visits) the House, in which he neither speaks with obscenity, nor commits injustice, will come free from his sins as he was on the very way his mother gave birth to him." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said (according to the narration of Malik on the authority of Talhah Ibn Abdullah): "Satan is never seen on a day, more trivial, more despised, more scorned, and more vexed than he is on the day of Arafah (i.e. the ninth day of Dhul-Hijjah, on which standing in Arafah constitutes the fundamental pillar of Hajj)." This is only because of the great mercy which Allah

Almighty sends upon His servants in abundance, and the prolific number of great sins which Allah Almighty plots of His servants, depending upon the statement that "from amongst the sins, there are such grave as nothing plots out other than the stay on the day of Arafah."

It is narrated from one of the inspired men that Iblis "Allah's Curse be upon him" appeared to him at Arafah in a form of a person of lean body, pale face, tearful eyes and broken back. He asked him: "What has caused your eyes to be tearful as such?" he said: "I weep because the people set out with the sole intention to perform Hajj with no purpose of practicing traffic, thereupon I say (to myself) that they aim at it only, I feel afraid they might not be disappointed; and this is what has caused my eyes to be tearful." He asked him: "Then, what has caused your body to become lean?" he said: "Because of the horses' neighing in the Cause of Allah, and had it been for my cause, it would have been more joyful to me." He asked him: "Then, what has caused you to turn pale as such?" he said: "The group's co-operation in obedience (of Allah), and had they co-operated in disobedience (of Allah) it would have been dearer to me." He asked him: "Then, what has broken your back?" he said: "It is the saying of the servant: "O Allah! I ask you the good conclusion (of my deeds)", thereupon I say (to myself): "Woe to me! When should this (servant) be proud of his deed? I feel afraid he might have made sense to that."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Al-Baihaqi and Ad-Daraqatni on the authority of both Abu Hurairah and A'ishah): "He, who sets out of his house with the sole intention to perform Hajj or Umrah, and he dies (on the way), the reward of a performer of Hajj and Umrah will be assigned to him until the Day of Judgement; and he, who dies in any of both Sanctuaries (i.e. the Sacred House of Mecca, and the Prophet's mosque of Medina), will not be displayed nor called to account, and rather it will be said to him: 'Enter the Garden (with peace)!'." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to both Sahihs on the authority of Abu Hurairah): "The performance of Hajj that is accepted (by Allah Almighty, and this requires both conditions of sincerity and conformity with the law) is much better than this world and all of what it contains; and the Hajj which is accepted (by Allah Almighty) has no reward but the Garden."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to both Sahihs on the authority of Abu Hurairah): "The performers of both Hajj and Umrah are Allah's delegates and visitors: if they ask Him, He will give them, and if they ask for His Forgiveness, He will forgive for them, and if they invoke Him He will respond to their invocation, and if they intercede (for the people) He will accept their intercession." According to another tradition (narrated by Al-Khatib on the authority of Ibn Umar) transmitted from the family of the Prophet: "Such as has the greatest sin is he, who stands at Arafah,

thinking that Allah Almighty will not forgive for him."

It is narrated (by both Ibn Hibban and Al-Baihaqi) on the authority of Ibn Abbas from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that he said: "Everyday, one hundred and twenty parts of mercy descend upon this (Sacred) House, sixty of which are assigned to the performers of circumambulation, forty to the performers of prayer, and twenty to the beholders." According to another tradition (transmitted by Ibn Hibban and Al-Hakim on the authority of Ibn Umar): "Perform circumambulation round this House so much, for this is the most glorious thing you will find in your scrolls on the Day of Judgement, and the greatest deed because of which you will be envied." For this reason, it is desirable to circumambulate the House at the arrival (to Mecca) even before beginning the ceremonies of Hajj and Umrah.

According to (an unidentified) narration: "He, who circumambulates the House for a week as barefooted and bareheaded, will (receive reward equal to that of) emancipation of a slave; and he, who circumambulates the House while it is rainy for a week his previous sins will be forgiven for him." It is said that when Allah Almighty forgives a sin for anyone in the standing place of Arafah, He will forgive the same sin for whomever he touches in that standing place. According to a righteous early man: "If the day of Arafah happens to be Friday, it will be forgiven for all the people of Arafah; and it is the best day in this world, on which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" performed the Farewell Hajj, and he was standing (at Arafah) when the following Holy statement of Allah Almighty was revealed: " This day have I perfected your religion for you, completed My favour upon you, and have chosen for you Islam as your religion." (Al-Ma'idah 3)

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴿٣﴾ ﴾

(According to the narration of both sheikhs on the authority of Umar) the people of Scripture said: "Had this Holy Verse been revealed unto us, surely, we would have taken the very day on which it was revealed as a festival day." On that Umar "Allah be pleased with him" said: "I bear witness to the fact that this Holy Verse was revealed upon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" while he was standing at Arafah on a day on which there were two festivals (for the Muslims): it was the day of (standing at) Arafah, and it was also Friday (which the Muslims sanctify)."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Al-Hakim on the authority of Abu Hurairah): "O Allah! Forgive for the pilgrim, and for such as for whom the pilgrim asks for forgiveness!" it is narrated that Ali Ibn Al-Muwaffaq performed Hajj on behalf of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". He said: I saw the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in a dream, and he asked me: "O Ibn Al-Muwaffaq! Have you performed Hajj on my behalf?" I

answered in the affirmative. he further asked: "Have you recited Talbiyah on my behalf?" I answered in the affirmative, thereupon he said: "Then, I will reward you for it on the Day of Judgement: I will take hold of your hand in the standing place and admit you to the Garden while the people will be amidst the disaster of reckoning."

According to Mujahid and other learned men: When the pilgrims arrive in Mecca, they are kindly received by angels: those angels pay salutation to the riders of camels, shake hands with the riders of donkeys, and embrace the walkers. According to Al-Hassan: "He, who dies just after (the conclusion of the month of) Ramadan, or after fighting (in Allah's Cause), or after performing Hajj will have died as a martyr." According to Umar: "It will be forgiven for the pilgrim, as well as for whomever he asks for forgiveness during the months of Dhul-Hijjah, Muharram, Safar, and the first twenty days of Rabie the First. It was the practice of the early righteous men to send off the fighters (in Allah's Cause) and receive kindly the pilgrims and kiss them in between their eyes, and ask them to invoke good upon them; and they used to hasten to do so before those (pilgrims) would be contaminated with sins.

It is narrated that Ali Ibn Al-Muwaffaq said: I performed Hajj one year, and when it was the night prior to the day of Arafah, I slept at Mina in the mosque of Khaif, and behold! In a dream I saw as if there were two angels wearing green garments descended upon me from the heaven, one of whom called his companions: "O slave of Allah!" the other replied: "I'm here responding to you call O slave of Allah!" he asked him: "Do you know how many persons have performed Hajj (and visited) the House of our Lord Almighty this year?" he answered in the negative, thereupon he said: "This year, six hundred thousand persons have performed Hajj (and visited) the House of our Lord Almighty. But do you know how many persons from whom He Almighty have accepted Hajj?" he answered in the negative, thereupon he said: "He has accepted Hajj only from six persons." Then, both rose up in the air and disappeared from my sight. I was scared and given to severe anxiety, and became concerned with myself. I said: "If He Almighty has accepted Hajj only from six persons, what should my position be from those six?" when I poured down from Arafat, I stood at the Sacred Monument, and went on reflecting the multitudes of people (who have performed Hajj) and the very little number from whom it has been accepted, and I was overpowered by slumber, and behold! The two persons descended once again in the same form in which they had appeared, and one of them called the other, and both repeated the speech of the first time, with the addition that the former said to the other: "Do you know what judgement our Lord Almighty has passed tonight (concerning those who have performed Hajj this year)?" he answered in the negative, thereupon he said: "He has granted to each one of the six (from whom He accepted Hajj) one hundred thousand (to intercede for)." I woke up with pleasure that was beyond description.

It is further narrated from him that he said: I performed Hajj one year, and when I finished from all of my ceremonies, I thought of those whose Hajj might not be accepted (by Allah Almighty), and said: "O Lord! I've granted my Hajj, and assigned its reward to such as whose Hajj You have not accepted." In my dream, I saw the Lord Almighty "Exalted be He" Who said to me: "O Ali! Do you show generosity to Me, even though it is I Who has created generosity as well as the generous, and I'm the most Bounteous and the most Munificent of those who are bounteous and munificent, and I'm most fitting for generosity and bounty of all the (creatures in the) worlds? I've granted such as whose Hajj I have not accepted to him whose Hajj I've accepted (to intercede for him and his intercession will be accepted)."

The Merit Of The House And Mecca

the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to an unidentified narration): "Allah Almighty has promised this House to have (no less than) six hundred pilgrims yearly, and if they are short (in any year) Allah Almighty completes the number from amongst the angels." However, the Ka'bah will be mustered in a form of a bridegroom in a procession, with its visitors hanging in its curtains, seeking round until it will be admitted to the Garden, thereupon they will be admitted in its company. According to a certain narration (by both At-Tirmidhi and An-Nasa'i on the authority of Ibn Abbas): "The Black Stone is one of the pearls of the Garden, and on the Day of Judgement, it will be raised with two eyes and a tongue to speak therewith, and it will bear witness to such as pointed to it (while circumambulating the Ka'bah) with truth and sincerity."

However, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to kiss it so much (according to the narration of both Sheikhs on the authority of Umar). It is further narrated (by Al-Bazzar and Al-Hakim on the authority of Umar) that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" prostrated on it, and when he was circumambulating the House on a riding mount, he placed the bent-headed stick on it and then kissed the edge of the bent-headed stick. (According to the narration of Al-Hakim) Umar kissed it and said: "I surely know that you are but a stone, which could neither benefit nor cause harm, and had I not seen the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" kissing you, I would not have kissed you." He went on weeping until his moaning became high. He turned to his back and behold! There was Ali (Ibn Abu Talib) to whom he said: "O Abu Al-Hassan! Here tears should be shed, and invocations should receive answer." Ali said: "O Commander of Believers! Of a surety this (stone) benefits as well as it causes harm." He asked: "Why is that?" he said: "When Allah Almighty took covenant from the offspring (of Adam) He wrote a document (to affirm that) which he placed in that Stone, thereupon it bears witness to the loyalty of the faithful believer, and to the ungratefulness to the infidel." It is said: This is the significance which lies behind

the people's statement on their pointing to the Black Stone: "O Allah! It is out of faith in You, trust in Your Book, and loyalty to Your Pledge (I perform this duty)."

It is narrated on the authority of Al-Hassan that a single fast to be observed in it (Mecca) is equal (in its reward) to one hundred thousand fasts, and a single Dirham to be given in charity in it is equal (in reward) to one hundred thousand Dirhams; and the same is true of any good deed in it which is equal to one hundred thousand good deeds. It is also said that seven circumambulations are equal to one Umrah, and three Umrahs are equal to one Hajj. According to the narration (of Muslim and Al-Hakim on the authority of Ibn Abbas): "An Umrah to be performed in Ramadan is equal (in reward) to a Hajj to be performed with me" (even though it does not cancel out the obligation of Hajj).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to both At-Tirmidhi and Al-Hakim on the authority of Ibn Umar): "I will be the first of whom the earth will split open, and I will go to the people of Baqi' who will be mustered in my company, and then I will go to those of Mecca, whereupon I will be mustered in between both Sanctuaries (of Mecca and Medina)." According to the narration (of Al-Mufaddal Al-Ja'di on the authority of Ibn Abbas): "When Adam "Peace be upon him" finished from his ceremonies (of Hajj) the angels received him kindly and said: "Your Hajj has been accepted (by Allah) O Adam. We performed Hajj to this House two thousand years before you." According to a certain tradition: "Allah Almighty casts glance of the people of the earth every night, and the first at whom He looks are those of the Sanctuary, and the first of those of Sanctuary at whom He looks are the people of the Sacred Mosque: He forgives for such as He sees circumambulating the House, such as He sees offering prayer, and such as He sees standing with his face towards the Ka'bah.

One of the saints, to whom the mysteries have been revealed, said: "I saw all the harbours prostrating to Abdan, and I saw Abdan prostrating to Jeddah." It is said that the sun will not set on any day until one of the 'Abdal (substitutes) has performed the circumambulation and that the dawn will not break forth after any night until one of the Awtad has performed it; if this daily habit) comes to an end, it would cause [the Ka'bah] to be removed from the earth, so that people would awaken to find that the Ka'bah had vanished and would find no trace of it. The same will happen if seven years pass without anyone having performed Hajj, and the Qur'an will be removed from the Mushafs, and when morning comes upon the people, the papers would be white and glittering with no single letter on it; and then the Qur'an would be erased from hearts and no word of it would be remembered; and the people would return to the poetry, songs, and tales of the pre-Islamic period of ignorance. Then the Anti-Christ would appear and Jesus "Peace be upon him" would come to kill him. When all this occurs The hour

would be like the pregnant woman in travail, waiting for the moment of her delivery.

According to a certain narration (by Al-Bazzar, Ibn Hibban and Al-Hakim on the authority of Ibn Umar): "Perform circumambulation round this House so much before it would be lifted, for indeed it was ruined twice earlier, and in the third time, it would be lifted." It is related (even though it is an unidentified narration) on the authority of Ali that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: Allah said: "When I like to ruin this world, I shall begin by demolishing My House, and then I shall ruin the world after it."

The Excellence Of Living In Mecca "Might Allah Safeguard It"

And why the people dislike that

The fearful cautious among the learned men dislike the living in Mecca for three reasons:

The first is the fear of boredom and the automated dullness of feeling towards it, which might cool down the heat of affection for it. For this reason, Umar used to beat the pilgrims once they finished their ceremonies and say: "O people of Yemen! Go back to your (homeland of) Yemen! O people of Sham! Return back to your (homeland of) Sham! O people of Iraq! Go back to your (homeland of) Iraq!" for the same reason too, Umar intended to prevent the people from performing circumambulations round the House so much saying: "I feel afraid this would make dull the feeling of the people towards the House."

The second is to stimulate longing for the House by leaving it, which would give rise to the motifs of returning to it once again. Allah Almighty has made the House a resort of assembly for men and a place of safety, to which they return again and again after leaving it, without being able to satisfying their desire. According to a good man: "It is much better to live in a certain town, with your heart longing to Mecca and attached to the House than to live near it, while bore of remaining there, with your heart attached to another town." According to one of the ancient learned men: "How many a man living in Khurasan who is closer (in love) to this House than such as performs circumambulation round it (routinely)." It is said that Allah Almighty has servants, round whom the Ka'bah circumambulates, in order to draw near unto (the Presence of) Allah Almighty.

The third is the fear of committing sins and mistakes therein, for this is, indeed, very dangerous, and incurs upon such as does it the wrath and anger of Allah Almighty, in view of the honour of the place. In this respect, it is narrated from Wuhaib Ibn Al-Ward Al-Makki that he said: One night, I was offering prayer near Al-Hijr when I heard a speech in between the Ka'bah and the curtains, saying: "To You O Allah I complain, and then to you O Gabriel, what I suffer from the performers of circumambulation round me, of their inclination to talk and falsity and falsity! If they do not desist from that, I will shake off so much strongly that each stone of mine will return to the same mountain from

which it was cut off."

According to Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him": "There is no town, in which one is blamed even for his intention before bringing it into act other than Mecca." Then he recited the statement of Allah Almighty: "and any whose purpose therein is profanity or wrong-doing, them will We cause to taste of a most grievous Penalty." (Al-Hajj 25)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

Consider here that he reckons them only for the purpose. It is said that as well as the good deeds are multiplied therein, the bad deeds also are multiplied. According to Ibn Abbas "Allah be pleased with both": "Practicing monopoly in Mecca is a part of profanity in the Sanctuary." The same is true also of telling lies. According to Ibn Abbas once again: "To commit even as many as seventy sins in (any place such as) Rakyah (a place between Mecca and Ta'if) is much dearer to me than to commit even a single sin in Mecca."

This fear led some of those who were living in Mecca to refrain from answering the call of nature within the borders of the Sanctuary, and rather to get outside its boundaries in order to fulfill their needs. One of them stayed in Mecca for a month during which he did not place his side on the ground. Because of preventing (others) from living in Mecca, some learned men disliked the renting of the homes of Mecca. But think not that the dislike of stay in Mecca contradicts the superiority of the place, for indeed, this dislike refers to the people's weakness and shortage of undertaking the right of the place (as it should be).

The significance of our statement that leaving the stay in it is better should be restricted to the stay with indulgence and tedium. But how far it is to be better than the stay with loyalty and fulfillment of the right of the place (as it should be); and why not seeing that when The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" returned to Mecca (after the conquest) he faced the Ka'bah and said (according to the narration of At-Tirmidhi, Ibn Majah and An-Nasa'i according to Abdullah Ibn Adi Ibn Al-Hamra'): "Verily, you are the best of Allah's lands and the dearest of Allah's cities to me; and had I not been driven out from you, I would not have left you." And why not also seeing that looking at it is a religious service, and that the good deeds therein are multiplied as we have seen earlier.

The Superiority Of The Honoured Medina To All Cities

After Mecca, there is no place on the surface of the earth much better than the City (Medina) of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", seeing that the good deeds therein are also multiplied. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said in this respect (according to

the authentic narration on the authority of Abu Hurairah): "A single prayer to be offered in this mosque of mine (in Medina) is better than one thousand prayers to be offered in any mosque else except the Sacred Mosque (in Mecca)." The same is also true of any good deed therein which is multiplied by one thousand.

There comes in rank after Medina the Sacred land (the Farthest Mosque) wherein a single prayer is equal to five hundred prayers in any mosque else other than the Sacred Mosque (of Mecca), and the same is true of all the good deeds. (According to an unidentified narration on the authority of) Ibn Abbas, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A single prayer to be offered in the mosque of Medina is equal to ten thousand prayers; and a single prayer to be offered in the Farthest Mosque is equal to one thousand prayers; and a single prayer to be offered in the Sacred Mosque (of Mecca) is equal to one hundred thousand prayers." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said (according to the narration on the authority of Abu Hurairah, Ibn Umar and Abu Sa'id): "He, who patiently endures its (Medina's) severity and hardship, I will be an intercessor for him on the Day of Judgement." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Ibn Majah and At-Tirmidhi on the authority of Ibn Umar): "If anyone could, let him die in Medina, for none dies therein but that I will be an intercessor for him on the Day of Judgement."

All places after those three are equal (in value), except the frontier openings, for to stand therein for the sake of safeguard and defense has a great excellence. For this reason, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to what is unanimously narrated on the authority of both Abu Hurairah and Abu Sa'id): "No journey should be made (to any mosque on earth) but to three mosques: the Sacred Mosque (of Mecca), this mosque of mine (in Medina), and the Farthest Mosque (of Palestine)." A learned man goes as far as to tell that this narration attests the forbiddance of journey to visit the shrines, the graves of the learned men and the righteous pious people. But what appears to me is different, for we are commanded to pay such visits. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Muslim on the authority of Buraidah Ibn Al-Husaib): "I had forbidden you to visit graves. But now you might visit them, and speak not with obscenity."

However, this narration pertains to mosques, which are different from shrines, for all mosques, after those three, are equal in value, and there is no town but that it contains a mosque; and thus there is no significance of setting out on journey to any mosque of them. But it is not the same in relation to the shrines, the blessing of whose visit differs with the difference of their degrees in the Sight of Allah Almighty. But if one lives in a place wherein there is no mosque, he might set out on journey to another place wherein there lies a mosque, and he has the right to move to live in it if he so likes. Therefore, would that I knew whether this speaker would prevent the people from setting out on journey to visit the

graves of such Prophets as Abraham, Moses, Yahya "Peace be upon him"! it is very impossible to decide such prevention. But if he makes it permissible, then this permission would include the graves of the saints, the learned men, and the righteous pious people. So, it is not unlikely that this (visitation of the graves of the learned men) might be the purpose of the journey, in the same way as visiting the learned men who are living is among the purposes of journey.

This is so much for journey. As for residence, it is more fitting for the seeker (of knowledge) to stick to his homeland particularly when he is living in peace and safety unless his purpose from the journey is to acquire knowledge. But if he is not safe, let him seek, from amongst the places, such as is closer to peacefulness, much safer for his religion, more ready to make him devote his heart (to worship) and more convenient to him to practice his religious service. Such will be the best of places for him. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Ahmad and At-Tabarani on the authority of Az-Zubair): "All cities and towns belong to Allah, and all the creatures are Allah's slaves: so, wherever you find it convenient to you to stay, live there, and give thanks to Allah Almighty for that." According to the narration (of Ibn Majah on the authority of Anas and A'ishah): "He, who is blessed in a certain thing, let him stick to it, and he, who has his livelihood in a certain thing, let not him leave i until it changes against him."

Abu Na'im said: I saw Sufyan Ath-Thawri having his leather container upon his shoulder, and his sandals in his hand. I asked him: "Where are you going O Abu Abdullah?" He said: "To a town where I could fill my leather container with (goods for) a Dirham" or according to another version: "I have been informed of a village in which the conditions of living are low, and I like to stay in it." I asked him: "Do you do this O Abu Abdullah?" he said: "Yes: if you heard of a town in which the prices are low, aim at it, for it will be safer for your religion, and less prompting of your apprehension."

He used to say: "This is the time in which the inactive anonymous are not secure, what then about the renown? This is the time of movement, in which a man moves from one village to another in flight with his religion from afflictions." It is related from him that he said: "By Allah, I do not know which of the countries is more fitting for residence." Khurasan was pointed out to him, thereupon he said: "Its people are of opposing doctrines, and misleading opinions." When Sham was pointed out to him he said: "Then, the fingers will beckon to you" in reference to celebrity. When Iraq was described to him he said: "It is the country of the tyrants." When Mecca was mentioned to him he said: "No doubt, Mecca melts both bag and body."

A stranger said to him: "I decided to reside in Mecca: what advice should you give me?" he said: "I advise you to do three things: pray not in the first row, accompany not a Quraishi man, and make not public your objects of charity."

However, he disliked (the prayer in) the first row because such as does obtains fame, and whenever he is absent, he will be searched for, with the result that his deed might be mixed with adornment and ostentation.

PART TWO:

The conditions of the obligation of greater pilgrimage; the validity of its pillars; its duties and taboos

As for the conditions of the obligation of Hajj, they are two: the validity of Hajj, and the due time of Hajj in addition to being a Muslim.

The first: the pilgrimage performed by a child is valid, and he could assume Ihram by himself if he has attained the age of discernment; but his guardian could assume Ihram on his behalf if he is still under age, and in this case, he performs with him what he should perform in Hajj, such as the circumambulation (round the House), compassing (Safa and Marwah) round, and all the ceremonies of Hajj.

The second: The due time of Hajj lies within the limits of Shawwal, passing by Dhul-Qa'dah, until the ninth day of Dhul-Hijjah, up to the rise of dawn of the day of Sacrifice. If one assumes Ihram at any time else, his Ihram should be for Umrah (and not Hajj); and the time of Umrah includes the whole year, except that if one is devoted to do the rites (of Hajj) during the days of Mina, he should not assume Ihram for Umrah, for in this case, he would not be able to engage himself with its ceremonies, in view of his being involved in the duties of Mina.

As for the condition of its effectiveness as the obligatory Hajj enjoined by Islam, they are five: (the faith in) Islam, freedom (from slavery), the attainment of the age of puberty, sanity, and (performing it at its) due time. But if the child or the slave assume Ihram and the child has attained the age of puberty and the slave has been emancipated once they reach Arafah, or Muzdalifah and returned to Arafah before the rising of the sun, it will suffice them for the obligatory Hajj enjoined by Islam; and that's because the (fundamental pillar of) Hajj is (the standing at) Arafah. Furthermore, no sacrifice more than a sheep is binding upon them. The same conditions barring the due time apply also to Umrah stipulated by Islam.

As for the conditions of the effectiveness of Hajj as supererogatory upon the free adult in Islam, he should have become free from the obligatory Hajj enjoined upon him by Islam (by performing it). To be sure, the obligatory Hajj enjoined by Islam has the priority, followed by the compensatory Hajj in lieu of that which one invalidates through committing anything while being in the state of standing (at Arafah, followed by that which is vowed, then by that which is performed on behalf (of one's mother or father in case it is due upon him or her), and then by the supererogatory Hajj. This sequence should be observed. This (supererogatory Hajj) is also effective if one states the intention of anything different.

There are five conditions for the obligation of Hajj, i.e. the attainment of the age of puberty, the (faith in) Islam, sanity, freedom (from slavery), and the

capability (i.e. the availability of financial resources and power). If one has the obligation of Hajj binding upon him, the duty of Umrah also should be binding upon him. He, who likes to enter Mecca for trade or visit, and he is not a cutter of fire wood, should assume Ihram, according to a certain opinion, which he should not put off except by performing Umrah or Hajj.

The capability is of two kinds: one is direct, which might be determined by several factors, which include either one's own self, through health and power (which enable him to endure the difficulties of Hajj), or in the road, which should be fertile and secure, with no dangerous water nor overpowering enemy, or the financial resources, according to which one should have the wherewithal which enables him to go (to perform Hajj) and return home once again, whether he has or has not a family there, for indeed the departure of one's homeland is very difficult. He should also have the expenses of those for he is responsible during that period (of his absence), and to have what enables him to fulfill his debt (before setting out on journey), and to be able to have or at least rent a riding mount, whether it is a litter or a sack if he can afford for it.

The second kind is that the disabled person is capable, by his wealth, of hiring somebody to perform Hajj on his behalf; and this should be after such a hireling have fulfilled the obligation of Hajj due upon him according to Islamic law. In this kind, it is sufficient for him to have the provisions of the journey with the help of a sack. If a son offers himself (to do that on behalf of) his disabled father, he (the latter) would become capable therewith, but if he offers his money to him, he would not become capable therewith. That's because in the service with the body there is honour for the son, whereas giving his wealth puts the father under obligation to his son.

Whoever is capable, performing Hajj then becomes binding upon him, and it is true that it is possible for him to delay it, but in this case he will put himself to risk: if it becomes easy for him even at the last portion of his lifetime, it will suffice him for the obligation; and if he dies before performing the obligation of Hajj, he will meet Allah as disobedient, by leaving Hajj (which is one of the five fundaments of Islam); and Hajj then becomes a part of his legacy which should be performed on his behalf even with no bequest for that on his part, the same as all of his debts. If, in a certain year, he is capable, but does not set out with the people, and in the same year, his wealth is lost before the people perform Hajj , and then he dies, he will meet Allah Almighty with no Hajj to be due upon him.

But he who dies without performing the obligation of Hajj, in spite of convenience and capability, his matter will be difficult with Allah Almighty. Umar Ibn Al-Khattab said: "I intended to issue a decree of imposing Jizyah (tribute) upon such as does not perform Hajj from amongst those who have the wherewithal to do it." According to Sa'id Ibn Jubair, Ibrahim An-Nakh'i, Mujahid and Tawus: "If I know about a wealthy man upon whom the obligation of Hajj was due, and he died without performing it, I would offer no funeral prayer on

him." One of them had a wealthy neighbour who died without performing the obligation of Hajj, thereupon he did not offer funeral prayer on him. According to Ibn Abbas: "He, who died without performing Hajj or giving obligatory charity will ask to be made to return once again to this world (to do that)." Then, he recited the statement of Allah Almighty: " he says: "O my Lord! send me back (to life), In order that I may work righteousness in the things I neglected."" (Al-Mu'minun 99:100)

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

He tells that he refers here to the obligation of Hajj.

As to the pillars without which Hajj is invalid, they are five: to assume Ihram, to circumambulate the House, to compass Safa and Marwah round, to stand at Arafah, and to get the head shaved after it, according to a certain doctrine. The same pillars barring the standing at Arafah correspond to Umrah.

As for the duties which might be compensated with offering sacrifice, they are six: the assuming of Ihram from the certain place appointed for the people to put on Ihram: if one leaves that and goes beyond such fixed place, an offering of a sheep becomes due upon him. Such offering is also due upon (leaving) the throwing (of Jamrah with pebbles) and there is no difference in that. As for leaving the stay in Arafah until the setting of the sun, spending the night in Muzdalifah, and spending (three) nights in Mina, in addition to the farewell circumambulation, those should be compensated with blood, according to one saying. But this blood, according to another saying, is only desirable (not obligatory).

There are three kinds of performing Hajj and Umrah:

The first pertains to Ifrad (to set out with the sole intention to perform Hajj only), and it is better. It is to put on Ihram only for Hajj, and when he finishes and puts off Ihram, he assumes Ihram once again for Umrah. The best place of assuming Ihram for Umrah is Ji'ranah, followed by Tan'im, and then Hudaibiyah. However, no blood (offering of a sheep) is due upon the performer of Hajj solely, unless it is voluntary.

The second pertains to Qiran (to assume Ihram with intention to perform both Umrah and Hajj jointly). It is to combine both Umrah and Hajj in his intention of Ihram saying: "I'm responding to Your Call O Allah with both Hajj and Umrah!" in this case his Ihram implies both. In this kind, it suffices him for the ceremonies of both the rites of Hajj, since those of Umrah will have been merged into those of Hajj, in the same way as ablution is merged into bathing. But if he circumambulates (round the House) and compasses Safa and Marwah round before his standing at Arafah, only his compassing Safa and Marwah round will be applicable to both (Umrah and Hajj), but this is not so in relation to

circumambulation, since the obligatory circumambulation of Hajj should be performed after standing at Arafah. An offering of a sheep is due upon such combines both Umrah and Hajj jointly unless he is a Meccan, for in this case, nothing is due upon him, for he does not leave the place fixed to him to assume Ihram, which is Mecca .

The third pertains to Tamattu' (to continue Umrah on to Hajj). It is to cross the place fixed for assuming Ihram while being in the state of Ihram for Hajj, and then to put off Ihram in Mecca, and enjoy of all things that are forbidden to such as in the state of Ihram, on to the time of Hajj, when he assumes Ihram for Hajj once again. However, one should have the privilege of continuing Umrah on to Hajj only with five conditions: one is that one should not belong to the inhabitants of the Sacred Mosque, i.e. those who are at a distance from it not so far as to force them to shorten the prayer. The second is to perform Umrah ahead of Hajj. The third is to perform his Umrah during the months of Hajj. The fourth is not to return to the place fixed for assuming Ihram of Hajj, nor as far as is equal to its distance to put on Ihram once again. The fifth is to perform both his Umrah and Hajj on behalf of the same person.

If all of those conditions are present in somebody, he then should be in the state of Tamattu', and in this case, an offering of a sheep is due upon him. If he could not find that, let him observe three fasts during the period of Hajj before the day of Sacrifice, whether consecutively or with intervals, in addition to seven fasts when he returns to his homeland. But if he does not observe the three fasts until he returns to his homeland, let him observe the ten fasts whether consecutively or with intervals. The compensation for the offering of both Qiran and Tamattu' is the same. To be sure, performing Hajj solely (Ifrad) is the best, followed by continuing Umrah on to Hajj (Tamattu'), and then performing both Umrah and Hajj jointly (Qiran).

There are six taboos pertaining to both Hajj and Umrah:

The first is to wear a shirt, trousers, footwears (or leather socks) or a turban. That's because one should put on a lower garment and an upper garment, and sandals. If he could not find sandals, let him trim the footwears until the heels become bare; and if he could not find a lower garment, let it be trousers. There is no blame on him to utilize girdle and sit in the shade of the litter, provided that he should not cover his head, since his sanctity lies in his head. As for the woman, let her wear any sewn dress, provided that she should not cover her face, since her sanctity lies in her face.

The second pertains to perfume. The performer of Hajj or Umrah should keep himself away from any kind that is considered to be perfume. But if he applies perfume or his body, or puts on (something that is perfumed), an offering of a sheep becomes due upon him.

The third pertains to getting the head shaved or the nails cut off. If one does

any of both, a ransom i.e. an offering of a sheep becomes due upon him. But there is no harm to apply kohl (to the eyes), enter the bath, get oneself exposed to phlebotomy or cupping, or to comb the hair.

The fourth pertains to sexual intercourse. It vitiates the ceremonies particularly when it is done before the first desacralization, and an offering of a camel or a cow or seven sheep become due. But it does not corrupt the ceremonies if it is done after the second desacralization, and in this case, a camel becomes due.

The fifth pertains to the entries to sexual intercourse, such as the kiss or touch of women, which break the ablution. It is forbidden, and an offering of sheep is due upon such as does it. The same is true of masturbation. It is forbidden to marry or give in marry, and no offering is due since the tie of marriage is not established.

The sixth pertain to killing the wild game, i.e. what is lawful to eat, and what is produced from what is lawful or unlawful. If one kills a game, the like of it from life-stock becomes due upon him, with special regard to the observation of natural proximity between species. However, the sea game is lawful, and no reprisal is due concerning it.

CHAPTER TWO: ON THE SEQUENCE OF THE OUTWARD ACTS (OF GREATER PILGRIMAGE) FROM TRAVELING TO RETURNING HOME

Those acts are included in ten subsections:

The First Subsection Starts From The Beginning Of The Setting Out On Journey To Assuming Ihram

This subsection comprises eight things:

The first pertains to fund: he should first turn to Allah in repentance, remove injustices, fulfill his debts, prepare the expenses of such as for whom he is responsible during the period of his absence until his return, return such of deposits as entrusted to him to their owners, and take with him from the fairly and lawfully earned money what suffices him to go and return, with no parsimony, but with convenience, in such a way as to enable him to be liberal with his provisions, and lenient to the weak and poor. Let him give something in charity before he sets out. Let him buy or rent a riding mount, strong enough to carry him and endure the difficulty of the journey; and in case he rents it, he should brief the hirer of all that he likes to carry on it, no matter little or much (light or heavy) it might be, and secure his consent.

The second pertains to the companion. Let (the performer of Hajj) seek a good righteous companions, famous for his liking for good, to which he might aid him once he forgets to remember it; and if he remembers it, he helps him;

and if he proves coward, he gives confidence to him; and if he proves weak, he supports him; and if he is disturbed, he causes him to be more patient. Let him bid farewell to his resident neighbours, friends and brothers, and seek their invocation, since Allah Almighty makes good in their invocations for him. It is out of Prophetic usage to say while bidding farewell to them (according to the narration of At-Tirmidhi and An-Nasa'i on the authority of Ibn Umar): "I entrust to Allah Almighty your religion, honesty, and the concluding among your deeds. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to say to such as liked to set out on journey (according to the narration of both At-Tabarani and At-Tirmidhi on the authority of Anas): "Let you be in Allah's Protection and under His Care! Might Allah provide you with piety, forgive your sin, and guide you to good wherever you are."

The third relates to the setting out of the home. Once he intends to come out, he should offer a two-rak'ah prayer, and recite in the first rak'ah after Al-Fatihah: "Say: O you who reject faith", and in the second: "Say: 'He is Allah, the One and Only'." When he finishes, let him raise both his hands and invoke Allah Almighty with sincere purity and true intention, saying: "O Allah! You are the companion on journey, the One Who succeeds the absent in guarding one's family, property, offspring and friends (in his absence): save both them and us from every kind of evil and defect. O Allah! We ask You, in this journey of ours, righteousness and piety, and from the deeds that which pleases You. O Allah! We ask You to roll up the ground for us (i.e. to shorten the distance) and make easy the journey upon us, and to endow us, in this journey, with the safety of body, religion and property, and to enable us perform Hajj to Your House, and visit the grave of Your Prophet Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him". O Allah! We seek refuge with You from the trouble of the journey, the gloominess of sight, the evil changes in the family, property, offspring and companions. O Allah! Make us and them in Your Presence, and deprive us and them not of Your blessing, and change not our and their power and health (to the opposite)."

The fourth is that when he stands at the door of the house, let him say: "In the Name of Allah! I've put my trust in Allah, and there is neither might nor power but with Allah. I seek refuge with You O my Lord! I seek refuge from going astray or being misled; and I seek refuge with You from humiliating or being put to humiliation, from stumbling or being made to stumble, from being oppressor or oppressed, and from behaving ignorantly or being exposed to ignorance. O Allah! I have not come out because of showing arrogance or haughtiness, nor by way of showing off to be seen or heard of men: on the contrary, I've come out for fear of Your Displeasure, and in the hope of Your Pleasure, in fulfillment of the obligation enjoined by You upon me, and in imitation of the tradition of Your Prophet, and longing for meeting You."

When he walks he should say: "O Allah! It is with You that I was brought to life, upon You I've put my trust, by You I've held fast, and to You I've turned

my face. O Allah! It is You (upon Whom I put) my Reliance, and You are my hope: suffice me against what concerns me and what concerns me not, and what You have knowledge of better than me: Honoured be Your Shelter, and Exalted be Your Praise, and there is no god other than You. O Allah! Endow me with piety, forgive for me my sin, and direct me to good wherever I turn." Let him supplication with that supplication in every halting place he happens to enter.

The fifth pertains to riding. Once he rides his mount, let him say: "In the Name of Allah! With Allah (I ride), and Allah is Greater: I've put my trust in Allah, and there is neither might nor power but with Allah, Most High, Most Great. What Allah wills is, and what He wills not is not. Praise be to Allah who guided us to that, and had it not been for the fact that Allah guided us, we would have had no power to be guided aright" (Al-A'raf 43)

﴿ وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ ﴿٤٣﴾ ﴾

And we are returning to (Allah) our Lord. O Allah! I've turned my face to you, entrusted the whole matter of me to You, put my trust, in all of my affairs to You: You do suffice us for the best disposer (of all affairs).

If one sets right on the mount, and it takes its position under him, he should say seven times: "Glory be to Allah; Praise be to Allah, there is neither might nor power but with Allah; and Allah is greater. Praise be to Allah Who guided us to that, and we would not have been guided had Allah not guided us. O Allah! It is You Who causes (us) to ride on the back (of this mount) and it is from You that help is sought in all the affairs."

The sixth pertains to the descent. It is out of the tradition not to stop for rest until the day is hot in such a way that the greater portion of the journey would be at night. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Abu Dawud on the authority of Anas and Malik on the authority of Khalid Ibn Ma'dan): "Be eager to make (the most of your journey) at night, during which the land is better traversed than it is during the day." Let him also make little his sleep at night, in order to become more helpful to proceed. Once he approaches the place of rest, let him say: "O Allah, the Lord of the seven firmaments of heaven and what they shade, and the Lord of the seven earths and what they contain, the Lord of Satan and what they mislead, the Lord of winds and what they scatter, and the Lord of oceans and what runs in them: I ask You the good of this place of rest and the good of its inhabitants, and I seek refuge with You from the evil of this place of rest and the evil of what it contains: avert from me the evil of its evil ones." Once he descends let him offer a two-rak'ah prayer and then supplicate: "I seek refuge with Allah's Perfect Words which no wicked nor pious could go beyond, from the evil of what He has created." When night enters upon him let him say: "O

land! My and your Lord is Allah. I seek refuge with Allah from your evil and from the evil which you contains, and from the evil of what moves on you. I seek refuge with Allah from the evil of every lion, serpent, female-snake and scorpion; and I seek refuge with You from the evil of the townsmen and from (the evil of) a father and his son. To him does belong such as resides at night and by day: and He is All-Hearing, All-Seeing." (Al-An'am 13)

﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾

The seventh pertains to guarding. The performer of Hajj should be cautious during the day, in the sense that he should not walk apart from the caravan, lest he might be assassinated or lost, as well as he should be careful on sleeping: if he sleeps at the first portion of the night, let him spread out his arm, and if he sleeps at the last portion of the night, let him set up his arm, and placed his head in his hand. As such did the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" use to sleep on journey (according to the narration of Ahmad and At-Tirmidhi on the authority of Abu Qatadah); and that's because one might have his sleep so much heavy that the sun would rise without making sense to it, and thus, the prayer (of Fajr) which might escape him is better than (the reward) he will receive from Hajj. It is most desirable to be observed at night that each two companions should undertake the process of guarding by turns, so that if one of them slept, the other would guard him and so on (according to the narration of Al-Baihaqi on the authority of Jabir). This is in accordance with the tradition.

If he becomes a target of an enemy or a wild animal, whether at night or during the day, let him recite the Holy Verse of the Throne, the (eighteenth Holy Verse of Al Imran in which Allah says) "Allah bears witness...", in addition to the Surah of Al-Ikhlas, and both Surahs of seeking refuge with Allah, and say: "In the Name of Allah, what Allah wills (should happen); there is no power but with Allah; Allah suffices me; I've put my trust in Allah; what Allah wills (should inevitably come to pass); none brings about good but Allah; what Allah wills (should come to pass); none averts evil but Allah; Allah suffices me and He is most sufficient (for guardian); Allah hears such as invokes Him; there is nothing beyond Allah; and there is no refuge besides Allah. Allah Almighty has decreed: 'Surely, I will prevail, I and My Messengers: verily Allah is Strong, Exalted in Honour'. (Al-Mujadilah 21)

﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾

I fortify myself by Allah, Most Great, and I seek the aid of (Allah) the Ever-Living Who never dies. O Allah! Guard us with Your Eye which never sleeps, and protect us with Your Care which is inviolable. O Allah! Bestow mercy upon us with Your Power over us, so that we would not perish since You are our confidence and hope. O Allah! Make merciful the hearts of the male and female of Your servants towards us, and cause them to treat us with mercy and

clemency: You are the Most Merciful of those who are merciful."

The eighth is that whenever he comes up a promontory of land on the way, it is desirable to glorify Allah thrice, and say: "O Allah! Yours is Honour over every honour, and praise be to You for every state." Whenever he comes down, let him exalt Allah; and whenever he feels afraid of loneliness on his journey, let him say: Exalted be Allah, the Holy King, the Lord of angels and the Holy Spirit: You've honoured the heavens with Power and Glory."

The Second Subsection: The Proprieties Of Ihram From The Place Fixed For Assuming Ihram To Entering Mecca

They are five, and those go as follows:

The first is that he should take bath, with the intention to be the bathing of Ihram, i.e. once he reaches the place wherefrom the people assume Ihram. He should make perfect his bathing by getting himself clean, combing his beard and head, trimming his nails, cutting short his mustache, and then complete the cleaning which we have discussed in the book of purification.

The second is that he should leave the sewn dress, and rather put on the garments of Ihram, i.e. a lower garment and an upper garment, and both should be white, since the white among dresses is the dearest in the Sight of Allah Almighty. He also might apply perfume to both his garment and body, and there is no harm if its traces remain after assuming Ihram. However, the glitter of musk which had been used on assuming Ihram was visible on the parting of the hair of the head of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" after his assuming Ihram (according to an authentic narration on the authority of A'ishah).

The third is that he should wait after putting on his garments until his mount moves with him in case he is riding, or until he starts walking if he is on foot; and at that moment, let him assume Ihram for Hajj or Umrah, whether jointly or each solely as he likes. Only the intention is sufficient to conclude the Ihram, but it is out of the tradition to join with the intention the wording of Talbiyah (response to Allah's Call): "I'm responding to Your call O Allah, I'm responding to Your call, You have no partner with You, I'm responding to Your call. All the praises and blessings be to You, All the dominion be for You. You have no partner with You." (LabbaikAllahumma labbaik. Labbaika la sharika laka labbaik. Innalhamda wan-ni'mata laka walmulk. La sharika lak). If he likes to add to it, let him further say: "I'm responding to Your call! I'm responding to Your call! All happiness be with You! All goodness be with Your Hands. I'm responding to Your call. All desires (of Your mercy) and deeds (of worship) be to You. I'm responding to Your Call with a greater pilgrimage in truth, in devotion and in bondage. O Allah! Send Your Prayer and Blessing upon Muhammad as well as upon the family of Muhammad."

The fourth is that once his Ihram is concluded with the above-mentioned wording of Talbiyah, it is desirable to say those words: "O Allah! I've intended to perform Hajj: make it easy for me, and help me fulfill its ceremonies, and accept

it from me. O Allah! I intend to fulfill Your obligation of Hajj: make me of those who have responded to Your Call, had trust in Your Promise, and followed Your Command; and make me a member of Your delegate with whom You have been well-pleased and satisfied, and accepted (the religious service) from them. O Allah! Make it easy to me to perform the obligation of Hajj which I've intended. O Allah! I have assumed Ihram for You with my flesh, hair, blood, sinews, brain and bone, and I've made unlawful for me women, perfume, and wearing the sewn among dresses, just out of seeking Your Countenance and the (reward of the) hereafter." As of the time of assuming Ihram, all the six taboos which we've mentioned earlier become unlawful for him; so, let him avoid them.

The fifth is that it is desirable to renew the wording to Talbiyah (response to Allah's Call) along the duration of Ihram, particularly on the encountering of other companions and the gathering of the people, on every ascending and descending, on every mounting and dismounting, raising his voice with it, in such a way as not to cause his voice to become hoarse, or he himself pants, because "He is not calling one who is deaf or absent" according to the authentic narration (on the authority of Abu Musa). There is no harm to raise the voice with the wording of Talbiyah in the three mosques, i.e. the Sacred House, the mosque of Khaif, and the mosque of Miqat, for those are most fitting for places of performing the ceremonies. But the wording of Talbiyah might be uttered in the other mosques without raising the voice. However, whenever the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was admired by anything, he would say (according to the narration of Ash-Shafi'i on the authority of Mujahid): "I'm responding to Your Call (O Allah): there is no living but that of the hereafter (which is never-ending)."

The Third Subsection:
The Proprieties Of Entering Mecca To The Circumambulation

Those are six, and they go as follows:

The first is to take bath in (the place of) Dhu-Tuwa with the intention to enter Mecca; and there are nine desirable (occasions for) bathing set for Hajj: the first is for assuming Ihram from the Miqat and then for entering Mecca, then for offering circumambulation of arrival, then for standing at Arafah, then for the stay in Muzdalifah, and three for the throwing of the three Jamrahs, and there is no particular bating for the Jamrah of Aqabah, and then one bathing for performing the circumambulation of farewell. According to the later doctrine of Ash-Shafi'i, there is no necessity for taking bath for the circumambulation of visit nor for the circumambulation of farewell; and in this way those are reduced to seven.

The second is that he should say, on entering the borders of the Sanctuary, even though outside Mecca: "O Allah! This is Your Sanctuary, which is also Your (place of) safety: please, forbid my flesh, blood, hair and complexion to the fire (of Hell); and make me safe from Your punishment on the day You will raise Your servants; and make me one of Your devotees who obey You (in service and

worship)."

The third is that he should enter Mecca from the side of Abtah, i.e. the side of Kada, to which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" turned on his way (to Mecca according to the authentic narration on the authority of Ibn Umar). So, it is more fitting to emulate him; and whenever one comes out (of Mecca), let him come out through the side of Kuda, i.e. the lower side, versus the former which the upper.

The fourth is that once he enters Mecca and reaches Ra's Ar-Radm, and thus his eyes falls upon the House, let him say: "There is no god (to be worshipped) but Allah, and Allah is Greater. O Allah! You are (the source of) Peace, and from You peace is expected, and Your House is the abode of peace: Blessed be You, Lord of Glory, Majesty and Honour. O Allah! This is Your House which You have exalted, honoured, and dignified: O Allah! Increase it in exaltation, honour, dignity and glory; and increase such as performs Hajj to it in piety and bounty. O Allah! open to me the gate of Your Mercy, and admit me to Your Garden, and save me from Satan, the despised."

The fifth is that when he enters the Sacred Mosque, let him enter through the door of Banu Shaibah and say: "In the Name of Allah, and with Allah (I seek refuge), and from Allah (I expect good), and to Allah and in the Cause of Allah and on the cult of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" (I do my ceremonies)." Once he approaches the House, let him say: "Praise be to Allah, and peace be upon such of His servants as He has chosen. O Allah! send Your Prayer and Blessing upon Muhammad, Your servant and Messenger, and upon Abraham, Your Bosom Friend, and upon all of Your Prophets and Messengers."

Then, let him raise both his hands and say: "O Allah! I ask You, in this station of mine, in the first commencements of my ceremonies (of Hajj), to accept my repentance, to overlook my sin, and to relieve me of the burdens of my mistakes. Praise be to Allah Who has reached me to His Sacred House, which He has made a place of assembly for the people, and a place of safety, and made it a source of bless and guidance to all the worlds. O Allah! I'm Your servant; this is Your town; this is Your Sanctuary; and this is Your House. I've come to seek after Your Mercy, and ask You in the same way as such as is forced by necessity should ask You, afraid of Your punishment, and expecting for Your Mercy, and seeking Your Good Pleasure."

The sixth is that he (the performer of Hajj) should aim at the Black Stone, to which he should go directly and touch it with his right hand, and kiss it while saying: "O Allah! I've carried out my charge, and fulfilled my covenant: bear witness to my fulfillment." But if one could not kiss it, let him stand facing it and say the same, and do nothing other than the performance of circumambulation, i.e. the circumambulation of arrival, unless he finds the people being engaged in the obligatory prayer, thereupon he should pray with them and then perform the circumambulation.

The Fourth Subsection: On Circumambulation

When one intends to begin circumambulation, whether that of arrival or

anything else, let him observe six things:

The first is that he should observe the same conditions of prayer, pertaining to the purification from excrements and impurities of body, garment and place, and cover the private parts, for indeed, the circumambulation round the House is a kind of prayer, except that speech in it is made permissible by Allah Almighty (unlike prayer in which speech is not permissible). Before starting circumambulation, let him make the middle portion of his upper garment under his right armpit, and place both its ends upon his left shoulder, hanging down one end on his back and the other on his breast. At the beginning of circumambulation, let him interrupt his Talbiyah, and rather engage himself by the supplications which we are going to mention later.

The second is that once he finished from setting his garment as it should be, let him then make the House on his left, and stand near the Black Stone, and move aside from it a bit enough to make it in front of him, and thus he will be able to receive the whole Stone with the whole of his body at the beginning of his circumambulation. Let him also be as close to the House as no less than three steps, in order to be near enough to the House, for this is much better on the one hand, and in order that he should not include the fountain in the circumambulation for indeed, although such fountain is a part of the House, it might, at the Black Stone, join to the ground, and thus the circumambulation of such as circumambulates on it will be not valid. That is because by so doing he will be circumambulating inside the House, for the fountain is that part which remained outside the breadth of the wall of the House after having been narrowed from its upper part. From that position, let one start the circumambulation.

The third is that at the beginning of circumambulation, and before one goes beyond the Black Stone, let him say (the following supplication): "In the Name of Allah, and Allah is Greater. O Allah! it is out of faith in You, and trust in Your Book, and fulfillment of Your Pledge, and following the sunnah of Your Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" (I start circumambulation)." Then, let him begin circumambulation, and once he goes beyond the Black Stone and reaches the door of the House, let him say: "O Allah! This House is Yours; this Sanctuary is Yours; this (place of) safety is Yours; and this is the station of such as seeks refuge with You from the fire (of Hell)." On mentioning the Station, let him point with the help of his eyes to the Station of Abraham "Peace be upon him" and resume: "O Allah! Your House is Great, and Your Countenance is Honoured, and You are the Most Merciful of those who show mercy. Save me from Satan the despised, and forbid my flesh and blood to the fire (of Hell), and give me security from the terrors of the Day of Judgement, and suffice me the provisions of both this world and the hereafter."

Then, let him exalt and praise Allah Almighty until he reaches the Corner which is in the direction of Iraq, at which let him say: "O Allah! I seek refuge with You from (being given to) polytheism, suspicion (of faith), infidelity, hypocrisy, schism, the bad manners, the evil sight of the family, property and

offspring." When he reaches the spout let him say: "O Allah! shade us underneath Your Throne on the very day on which there will be no shade but Yours. O Allah! give me drink in the cup of Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" after which I will never become thirsty."

When he reaches the Corner which is in the direction of Sham, let him say: "O Allah! make this (of mine) Hajj that is accepted (by You), (that of mine) a rewarded endeavour, and (that of mine) a forgiven sin, and (that of mine) a trade which will never perish: O (Allah) Exalted in Honour and Power, Oft-Forgiving. O Lord! Forgive (my sins for me), and bestow mercy (upon me), and overlook such (of sins) as you know: verily, You are Most Exalted in Power and Honour, Most Bounteous." When he when he reaches the Yemenite Corner (i.e. which is in the direction of Yemen), let him say: "O Allah! I seek refuge with You from infidelity; and I seek refuge with You from poverty; and from the punishment of the grave; and from the affliction of life and death; and I seek refuge with You from (being given to) disgrace in this world and the hereafter."

When he is in between the Yemenite Corner and the Black Stone, let him say: "O Allah, our Lord! Give us a good deed in this world, and a good deed in the hereafter, and save us, by Your Mercy, from the affliction of the grave and the punishment of the fire (of Hell)." When he reaches the Black Stone, let him say: "O Allah! forgive for me by Your Mercy! I seek refuge with the Lord of this Stone from (being given to) debt, poverty, anxiety, and the punishment of the grave." At this point, he will have completed one round of (the seven rounds of) circumambulation; and let him offer seven rounds as such, and supplicate with the same supplications.

The fourth is that one should walk at a quick pace while moving his shoulders (which is called Ramal) in the first three rounds, and walk at a normal pace in the remaining four. Ramal means to be fast in walking with close steps, and although it is slower than running, it is faster than the normal walking. What is intended from both walking at a quick pace while moving the shoulders on the one hand, and placing the middle portion of the upper garment under the right armpit, and placing both its ends on the left shoulder is to show skill, strength, and good health. This was at first, in order to remove any desire on the part of the infidels (and pagans to have false impression of the Muslims), but it has come to be out of the right way of sunnah.

It is better to walk at a quick pace while one is close to the House. But if it is impossible because of the crowds, it is then better to do that while being far from the house. Thus, let him come out to the margin of the place of circumambulation and walk at a quick pace for the first three rounds, and then come close to the House in the congestion once again, in order to walk at a normal pace for the remaining four rounds. If it is possible for him to touch the (Black) Stone at every round, it is better, otherwise, if he is hindered from that by the congestion, let him then point to it with his hand and then kiss his hand. The

same is true of the Yemenite corner, touching which, from amongst all the corners, is desirable. It is narrated (unanimously on the authority of Ibn Umar) that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to touch the Yemenite corner (at every round of circumambulation) and then kiss it, and place his cheek on it. Whoever likes to restrict kissing to the Stone, and satisfy with touching the Yemenite Corner, it will be sufficient.

The fifth is that when he completes the seven rounds of circumambulation, let him come to the Multazam, a place which lies in between the (Black) Stone and the door, and it is the place where the invocations receive answer (from Allah Almighty), and then attach himself to the (walls of the) House and hang in the curtains, and let his abdomen stick to the House, and then let him place his right cheek on it, and spread out both his arms and hands on it and say: "O Allah, the Lord of the Ancient House: release my neck (and body) from the fire (of Hell); save me from (the evil of) Satan, the despised; and save me from every kind of evil; and make me satisfied with whatever sustenance You have provided me with; and bless me in what You have given me. O Allah! this House is Yours; and this servant (meaning himself) is Yours; and this is the station of such as seeks refuge with You from the fire (of Hell). O Allah! make me among the dearest of Your delegate to You." Then, let him praise Allah so much in this place, and invoke for Allah's Prayer and Blessing upon His Messenger "Peace be upon him", and upon all the Messengers; and then invoke for all of his own needs, and ask for forgiveness of all of his sins. One of the early righteous men used to say to his freed slaves in this place: "Move aside from me so that I would be able to confess to my Lord of my sins."

The sixth is that when he finishes from that, let him offer a two-rak'ah prayer behind the Station, and recite in the first the Surah of Al-Kafirun, and in the second the Surah of Al-Ikhlas; and this is the two-rak'ah prayer of circumambulation. According to Az-Zuhri, it is out of the sunnah that one should offer a two-rak'ah prayer after every seven-round circumambulation. But if he joins many seven-round circumambulations, and then offers a two-rak'ah prayer after all of them, it will be permissible. As such did the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". Every seven rounds constitute a full circumambulation.

After the two-rak'ah prayer of circumambulation, let him supplicate with the following supplication: "O Allah! make easy for me the path to bliss, and keep me away from the way to distress; and forgive for me in the hereafter and in the world, and save me by Your |Grace so that I would not disobey You; and help me obey You with (the aid of) Your Guidance; and keep me away from committing sins and mistakes; and make me one of those who love You and love Your angels and Messengers, and love Your righteous and pious servants. O Allah! make me lovable to Your angels, Messengers and Your righteous pious servants. O Allah! as You guided me to Islam, make me

constantly firm on it, through Your Grace and Care, and use me in Your obedience, and the obedience of Your Messenger; and deliver me from the misleading afflictions."

Then, let him return to the (Black) Stone to touch it and thus conclude his circumambulation. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of At-Tirmidhi, An-Nasa'i and Ibn Majah on the authority of Ibn Umar): "He, who performs a seven-round circumambulation round the House, after which he offers a two-rak'ah prayer will have as much reward as is equal to that of emancipating a slave."

This is the way of performing circumambulation, and the duties which should be observed in it, after the conditions of prayer are to complete seven circuits of circumambulation round the whole House; to start with the Black Stone, making the House to his left side; to circumambulate inside the mosque, but outside the House itself, but not on the fountain, nor inside the Hijr; to do the seven rounds continuously and not interruptedly with breaks between them other than what is usual. What is beyond that are but customs and forms.

The Fifth Subsection: On Compassing Safa And Marwah Round

When one finishes from circumambulation, let him come out of the door of Safa, which lies opposite to the side between the Yemenite Corner and the Stone. When he comes out of that door and reaches the mountain of Safa, let him ascend its grades, as high from its base as is the height of a man. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" ascended (the mount of Safa) as high until the Ka'bah seemed to him (according to the narration of Muslim on the authority of Jabir). To begin the compassing from the base of the mount of Safa is sufficient, but this addition is desirable. But since some of those grades have been renovated, one should not leave them behind him with the result that his compassing would not be complete.

When one starts from here, let him compass Safa and Marwah round seven times. On his ascending the Safa mount, let him face the Ka'bah and say: "Allah is Greater! Allah is Greater! Praise be to Allah for What He has guided us! Praise be to Allah with all of His Praises. There is no god (to be worshipped) but Allah, with Whom there is no partner. His is the dominion, and to Him is the praise, and with His Hand is the good, and He has power over all things." There is no god but Allah, the One and Only, Who has proved true to His Promise, and helped His servant, and made strong His soldiers, and has Alone defeated the confederates. There is no god but Allah, to Whom we are sincere in faith, even against the will of the unbelievers. There is no god but Allah, to Whom we are sincere in faith. Praise be to Allah, the Lord of the worlds. 'Glory be to Allah when you reach eventide and when you rise in the morning; Yea, to Him be praise, in the heavens and on earth; and in the late afternoon and when the day

begins to decline. It is He Who brings out the living from the dead, and brings out the dead from the living, and Who gives life to the earth after it is dead: and thus shall you be brought out (from the dead). Among His Signs is this, that He created you from dust; and then, behold, you are men scattered (far and wide)!" (Ar-Rum 17:20)

﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

O Allah! I ask You (to grant me) a permanent faith and a truthful certainty, and a tongue which is celebrating (Your Praises); and I ask You (to grant me) forgiveness, power, and constant peace in this world and the hereafter." After that, let him invoke for Allah's Prayer and Blessing upon Muhammad "Peace be upon him", and invoke Allah for such of his needs as he likes.

After that, let him come down and start the compassing, while supplicating: "O (Allah) my Lord! Forgive (for me my sins) and bestow mercy upon me; and overlook (such of sins as) You know: Verily you are most Exalted in Honour and Power, Most Bounteous. O Allah! grant us a good deed in this world, and a good deed in the hereafter, and save us from the punishment of the fire (of Hell)." Then, let him walk quietly until he reaches the green slope, which is the first portion he meets once he comes down from the mount of Safa which lies at the corner of the Sacred mosque. When there remain only six cubits between him and the opposite of the slope, let him go on walking at a quick pace until he reaches the two green slopes, and returns once again to the normal walking. When he reaches the Marwah mount, let him ascend it in the same way as he has ascended Safa, and then turn with his face to Safa and supplicate with the same supplication (with which he has supplicated on Safa mount). In this way, he will have completed only a single round of compassing. The second round completes when he returns to Safa and so on. He should then repeat that seven times, walking at a quick pace at the place where he should do so every time, and walking quietly at the place where he should do so every time; ascending both Safa and Marwah mounts Every turn.

Once he does so, he will have completed the circumambulation of arrival and his compassing Safa and Marwah round; and both are out of the tradition. Performing ablution is desirable but not binding for compassing, unlike the circumambulation. When he performs the compassing, he might not repeat it once again after standing (at Arafah), and rather let him be satisfied with it as a pillar, for it is not necessary for compassing to be performed after standing (at Arafat), as it is for the circumambulation, which is an essential pillar of Hajj, even though it is requisite for any compassing to be performed after circumambulation, whatever it might be.

The Sixth Subsection: On Standing And What Precedes It

If the performer of Hajj reaches Arafah on the day of Arafah (ninth of Dhul-Hijjah), let him first devote himself to performing the circumambulation of arrival and entering Mecca. But if he reaches many days before that, and performs the circumambulation of arrival, let him remain in the state of Ihram until the seventh day of Dhul-Hijjah. After noon prayer of that day, the imam in Mecca delivers a speech at the Ka'bah, in which he orders the people to get ready to set out to Mina on the day of Tarwiyah (eighth of Dhul-Hijjah), and spend the night there, and then come out therefrom very early to Arafah (on the ninth of Dhul-Hijjah), in order to establish the obligation of standing after the decline of the sun, since the time of standing ranges from the decline of the sun until the rise of the true dawn of the day of Sacrifice.

On the other hand, he should come out to Mina while reciting Talbiyah, and it is desirable for him to walk on foot from Mecca to do his ceremonies until the end of his Hajj, if it is within the reach of his power. To walk on foot from the mosque of Abraham "Peace be upon him" to the place of standing (of Arafah) is more excellent and better confirmed. Once he reached Mina, let him say: "O Allah! this is Mina: bestow upon me the same as You bestowed upon Your devotees and those who obey You." Let him spend that night at Mina, and it is only a place of rest, to which no ceremonies are attached. When it was the morning of the day of Arafah, let him first offer the Morning prayer, and when the sun rises on the mount of Thabir, let him start moving towards Arafat, saying: "O Allah! make this the best early journey I've ever done, and make it the closest to (obtain) Your Good Pleasure, and the farthest from (incurring) Your displeasure. O Allah! it is to You that I've gone very early; and it is You in Whom I hope; and it is upon You on Whom I rely; and it is Your Countenance that I intend: make me among those of whom You are proud today before such as are better and superior to me."

When he reaches Arafah, let him pitch his tent at Namirah, near the mosque, for it is in the same place that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" pitched his (according to the narration of Muslim on the authority of Jabir). Namirah is a place at the bottom of Urnah, outside the standing place and also outside of Arafah. Let him take bath for standing (at Arafah). Once the sun declines (and passes the meridian) the imam delivers a brief sermon, after which he sits down, and gives room for the Mu'adhdhin to pronounce the Call to Noon prayer. Then the imam delivers his second sermon, and the Mu'adhdhin joins the pronouncement of prayer establishment (Iqamah) with the call to prayer (Adhan); and the imam finishes (his second sermon) just with the Mu'adhdhin's concluding the Iqamah. The imam then combines both Zhuhr (noon) and Asr (afternoon) prayers with a single Adhan and two Iqamahs, in which he shortens the prayer (i.e. reduces each from four to two rak'ahs).

Then, when he (finishes from prayer and) goes to the standing place, let him stand at Arafah, and not at the valley of Urnah. As for the mosque of Abraham

"Peace be upon him" its front portion lies in the valley of Urnah, while its back in Arafah. So, if one stands at the front portion of the mosque, his standing will not be effective. However, the (standing place of) Arafah is separated from the mosque by big rocks which are spread out there. The best here is to stand near those rocks, near the imam, facing the Qiblah in case he is riding. Such being the case, let him devote himself to the celebration of the several kinds of Tahmid, Tasbih, demonstrating the Allah's Oneness, giving thanks to Allah Almighty, supplication and repentance.

On that day, let him observe no fast, in order to be powerful enough to continue his invocations and supplications. Let not him also interrupt his recitation of the wording of Talbiyah on the Day of Arafah: but it is rather desirable to recite Talbiyah once, and turn to supplication and invocation once, and so on. He should not depart from Arafah except after sunset, in order to combine both day and night while being in Arafah; and if it possible for him to stand (at least) an hour on the eighth day (of Dhul-Hijjah), when there is probability of mistake (about the exact day of the emergence of) the new moon, it will be more prudent, therewith one shall become more secure from missing the standing.

But he, whom the standing escapes until the rise of dawn of the day of Sacrifice, Hajj has indeed escaped him, and in this case, he should put off Ihram (by doing) the ceremonies of Umrah, and offer a blood sacrifice in recompense of missing (Hajj), and perform Hajj in the coming year in lieu (of that which he has missed). On that day, let him wholeheartedly devoted to invocations and supplications, for it is in the like of this very spot (of the land), and among this very assembly (of pilgrims), the answers of invocations and supplications are expected. The best to use in this connection is the supplication that is handed down from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", as well as from the early righteous pious men: "There is no god but Allah, the One and Only, other than Whom there is no partner: His be the dominion, and to Him be the praise. It is He Who gives life, and it is He Who takes life by death, and He is Ever-Living, Who never dies. In His Hand is good, and He has power over all things. O Allah! give me light in my heart, light in my hearing, light in my sight, and light in my tongue. O Allah! expand my breast for me, and make easy for me my matter."

Let him say too: "O Allah, Lord of Praise: To You be the praise as much as You should say, and better than we say. To You do belong my prayer, my service, my life and my death and to You be the end of my journey, and from You be my reward. O Allah! I seek refuge with You from the evil suspicions of the breast and from the disparity of the matter and from the punishment of the grave. O Allah! I seek refuge with You from the evil of what comes at night and from the evil of what comes by daylight, and from the evil of what is carried by the winds, and from the evil of the misfortunes of time. O Allah! I seek refuge with You

from turning the power and health given by You (from me), from the sudden attack of Your Wrath, and the whole of Your Displeasure. O Allah! guide me with the right guidance, and forgive for me in the hereafter and in this world: O the best of such as invoked, the Greatest of such as called upon, the Most Generous of such as petitioned: give me, this evening, the best of what You have ever given any of Your creatures, and the pilgrims of Your House: O Most Merciful of those who show mercy. O Allah, Most fitting for the highest degrees, the grantor of blessing, the Creator of both earths and heavens: all voices have cried out to You in different languages, asking You their needs, and my Need from You is that You should not forget me in the abode of trial, when the inhabitants of this world forget me. O Allah! verily You hear my speech, see my place, know my secret and public matters, and nothing of my affairs is hidden from You: I'm the miserable poor, who seek relief and shelter, who fears and is scared, who confesses of all of his sins: I ask You in the same way as a needy indigent asks You, and implore to You in the same way as a sinful humiliated does, and supplicate You in the same as a fearful blind does, with the invocation and supplication of such as whose neck submits to You, his tears are shed to You, his body is mortified to You, and his nose is disgraced for You. O Allah! make me not wretched by invoking You, and be compassionate and merciful to me, O best of those who hear supplications and best of those who bestow. O Allah! Though some may praise themselves before You, I will blame myself before You. O my God, the sins have made my tongue silent and I have no means (to perform good) deeds, and no intercessor except hope. My God, I know that because of my sins I no longer have any standing with You, nor is there any ground for excuse. But You are the Most Generous of the generous. My God, if I am not suited to reach Your mercy, Your mercy is suited to reach me, for Your mercy encompasses all things, and I am a thing. My God, though my sins are grave, they are small as compared with Your pardon, so forgive them O Most Generous One. My God, You are You and I am I; I persist in sin, and You persist in forgiveness. My God, if You do not have mercy except on those who obey You, to whom shall sinners betake themselves? My God, I intentionally have avoided Your obedience and have gone straight into disobedience. Glory be to You. How irrefutable is Your argument against me, and how generous is Your pardon forward me! By the decisiveness of Your argument against me and the futility of my argument against You, by my need for You and Your lack of need for me, forgive me O Best of those who are called upon by any petitioner, and Most Gracious of those who are besought by any solicitor. By the sacredness of Islam and the guarantee of Muhammad – (the Blessing and Peace of God be upon him)-- I beseech You to forgive me all my sins and send me from this place of standing with my needs granted. Bestow upon me what I ask and fulfill my hope in accordance with that I desire. My God, I have prayed to You with the

prayer that you have taught me, so do not censure me from the hope which You have instilled in me. My God, what will You do this evening with a servant who confessed to you his sins, submitted to You in humiliation, yielded (to You) his body, humiliated himself before You because of his (bad) deeds, repented to You (of such deeds), asking You to forgive his transgression, beseeching You to pardon him, seeking from You the satisfaction of his needs, hoping in You in this place of standing despite the multitude of his sins. O shelter for every living thing and friend of every believer; whoever does well, obtains Your mercy and whoever transgresses, perishes in his transgression. O Allah! To You we come and in Your open place we dismount; and to You alone we look and Your favour we seek and to Your beneficence we expose ourselves. We hope for Your compassion and we fear Your punishment. To You we fall with the burden of (our) sins and to Your Sacred House we woke Pilgrimage. O You Who possess all that is needed by (Your) supplicants, You Who know the thoughts of the silent. O You Who have no other Lord to be petitioned and beyond Whom there is no other creator to be feared. O You Who have no vizier to be consulted and no chamberlain to be bribed. O You Who do not respond to the accumulated petitions except with bounty and excellence, and do not provide for the great quantity of needs but with favour and charity. O Allah! You have appointed hospitality for every guest, and we are Your guests; so let our hospitality from You be Paradise. O Allah! there is recompense for every delegate, and bounty for every visitor, and a gift for every petitioner, and fulfillment for all who hope, and satisfaction for all who request that which is in Your possession, and mercy for all who seek mercy, and nearness (to You) for all who desire You, and pardon for all who implore. O Allah! We have come to Your Sacred House and stood at these great religious (places) of ceremony and attended these great shrines hoping for Your favour. Do not make us to be disappointed. Our God, You have blessed (us) repeatedly so that (our) souls have grown confident of the continuous flowing of Your blessing, and You have brought forth examples (for our consideration) until (even) the speechless things have contended on Your behalf, and You have disclosed Your Grace until Your friends confessed their falling short of Your truth, and You have revealed many signs that even the heavens and the earth have eloquently advanced as proof (of Your Word), and You have overcome (everything) with Your Might until everything has submitted to Your Power, and all faces have been humble before Your Grandness. If Your servants displease You, you forbear and give respite; and if they do well, You then show favour toward them and accept them; and if they disobey You, You conceal (it); and if they commit sins, You pardon and forgive; and if they call (upon You), You Listen; and if we call, You hear; and if we come to You, You draw near; and if we turn away from You, You call (us back). Our Lord, You say in Your Book (the Qur'an) to Muhammad the Seal of the Prophets: " Say to the Unbelievers, if

(now) they desist (from unbelief), their past would be forgiven them; but if they persist, the punishment of those before them is already (a matter of warning for them)" (Al-Anfal: 38)

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

So the espousal of the confession of Allah's Oneness, after (a former state of) unbelief, satisfied You. We humbly bear witness to (Your) Oneness, and we sincerely, (bear witness) to the Apostleship of Muhammad, So forgive us of previous sins because of this witness and let not our share in (Islam) be less than the share of those who embraces Islam (after us). Our God, You have encouraged (people to) approach You by setting free what they have possessed (i.e. their slaves); now we are Your slaves and You are the most entitled to bestow favour; set us free; and You have ordered us to give alms to our poor, and we are Your poor and You are the most entitled to extend (of Your bounty), therefore give alms to us; and You have enjoined us to forgive all who do injustice to us; now we have done injustice to ourselves, and You are the most entitled to act generously; therefore, forgive us. Our Lord, forgive us, have mercy on us, You are our Master. Our Lord, grant us good deed in this world and good deed in the hereafter, and save us from the torment of the Fire."

Furthermore, let him supplicate so much with the supplication of Al-Khadir "Peace be upon him", which goes as follows: "O (Lord) Whom no matter or state could divert from the other, nor could a hearing divert Him from another, and by no means could sounds and voices be indistinguishable in His Sight. O (Lord) Who are not distracted by prolific appeals, nor could all languages differ for Him. O You Who are never vexed by the insistence of those who beg you importunately, and Who are never annoyed by the appeal of those who appeal to You, allow us to know the coolness of Your pardon and the sweetness of Your discourse."

Then, let him invoke with whatever supplication seems to him, and ask for Allah's Forgiveness for himself, his parents and for all of the Muslims and faithful believers, their male and female. Let him persist in invocation and make much of the appeal, since nothing could be regarded as much in the Sight of Allah Almighty. It is narrated that Mutarrif Ibn Abdullah said while he was (standing) at Arafah: "O Allah! reject not all (of those pilgrims) just for my sake." According to Bakr Al-Muzani: A man said: I cast a glance of the pilgrims of Arafah, and thought that their sins would have been forgiven had I not been among them."

The Seventh Subsection: The Remaining Acts Of Hajj After Standing

This includes spending the night (at Muzdalifah), slaughtering sacrifice, throwing (of Jamrahs), getting the head shaved, and (Ifadah) circumambulation.

If one pours down from Arafah (at a quick pace) after the setting of the sun,

he should adhere to quietness, tranquility and reverence, avoiding the agitation of horses and instigation of camels as some people use to do. However, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" forbade the agitation of horses and instigation of camels and said (according to the narration of An-Nasa'i on the authority of Usamah Ibn Zaid): "Fear Allah, and proceed quietly with tranquility, so that you should not trample a weak one, nor cause harm to a Muslim." (Verily, it is not righteous to instigate mounts). If he reaches Muzdalifah, let him take bath for it, because Muzdalifah is a part of the Sanctuary, which one should enter after bathing; and if he could, let him enter it on foot, for this is much better and closer to showing respect and dignity to the Sanctuary. While being on the way, he should keep rising his voice with the wording of Talbiyah.

When he reaches it let him say: "O Allah! this is Muzdalifah, in which different tongues (of different kinds of people) have gathered in order to ask You their several needs: make me then of those who invoke you and You answer their invocations, put their trust in You and You suffice them." Then, let him combine both Maghrib and Isha' prayers in Muzdalifah, at the time of Isha', shortening the prayer, by a single Adhan and two Iqamahs, with no supererogatory prayer to be offered between both. But he might combine the supererogatory prayers of both in addition to Witr prayers after offering both obligatory prayers, beginning with the supererogatory prayer of Maghrib prayers, and then that of Isha' prayer, according to their normal sequence. Verily, to leave offering the supererogatory prayers during journey is an evident loss; and the commitment to offer these (prayers) at fixed times is very harmful and it cancels out their subordination to the obligatory prayers. If it is permissible, with a single Tayammum, to offer the supererogatory prayers together with obligatory ones according to the rule of subordination, it is then more fitting to permit one to perform them collectively in accordance with the rule of subordination. This is not negated by the fact that the supererogatory prayer differs from the obligatory one in that it may be offered while one is on the riding mount, because of what we have already pointed out with respect to subordination and need.

Then, let him spend that night at Muzdalifah, and it is a ceremonial lodging. So, he , who comes out of it during the first half of the night and does not spend the night there has to offer a blood-sacrifice; and giving life to this honoured night (through lighting up lamps) is of the best religious services for such as could afford for it. when it is midnight, one should get ready for setting out, taking pebbles with him, for it (Muzdalifah) has smooth pebbles. Let him take as many as seventy pebbles, and this is sufficient for the need. But there is no harm to take more, for some pebbles might fall from him. Let the pebbles be too light to be carried by the fingertips. Let him then offer the Morning prayer when it is still very dark, and begin proceeding, until when he reaches the Sacred Monument, which is the furthest end of Muzdalifah, let him stop and engage himself in supplication until it is clear: "O Allah! by the right of the Sacred

Monument; the Sacred month; the Sacred House; the Corner (of the Black Stone) and the Station (of Abraham): convey to the spirit of Muhammad from us greeting and peace; admit us to the abode of peace, O (Allah) Lord of Majesty, Glory and Honour." Then, before the rising of the sun, let him depart from it until he reaches a place called the valley of Muhassir, where it is desirable for him to motivate his riding mount to be quick in pace until he cuts the breadth of this valley; and if he is walking on foot, let him quicken his pace.

When it is the morning of the day of Sacrifice, let him mix the words of Talbiyah with those of *Takbir*, in such a way as to recite Talbiyah once, and glorify (Allah) once until he reaches Mina where there lie the three places of Jamrahs. Let him go beyond the first and the second, for he has nothing to do with them on the Day of Sacrifice until he reaches the Jamrah of Aqabah, which is situated on the right side of the front part of the Qiblah on the main road, and the place of throwing is high a bit at the slope of the mountain, even though it is clear in view of the places of Jamrahs. Let him throw the Jamrah of Aqabah after the sun rises as high as a lance.

The proper way to do so is to stand in the face of the Qiblah, but if he stands facing the Jamrah, the will be no harm. Then, let him throw seven pebbles while raising his hand, substituting Takbir for Talbiyah. After throwing each pebble, let him say: "Allah is Greater for the obedience of (Allah) Most Gracious, and the humiliation of Satan. O Allah! (I throw this Jamrah) out of believing in Your Book, and following the sunnah of Your Messenger." Once he finishes from throwing, let him then stop from reciting Talbiyah and *Takbir*, barring the *Takbir* s after every obligatory prayer as of the Zhuhr prayer of the day of Sacrifice until after the Morning prayer of the third day of Tashriq. On that very day, he should not stop for supplication, but rather let him supplicate in his dwelling place.

Takbir goes as follows: "Allah is Greater; Allah is Greater; Allah is Greater; Allah is Greater with certainty; and Praise be to Allah so much; and glorified be Allah every morning and evening; there is no god but Allah, the One and Only, other than Whom there is no partner; we are sincere to Him in faith even though against the will of the unbelievers. There is no god but Allah, the One and Only, Who has proved true to His Promise, and helped His servant, and made strong His soldiers, and has Alone defeated the confederates. There is no god but Allah; and Allah is Greater." Then, let him slaughter his sacrificial animal if he has got one, and it is more fitting for him to slaughter by himself, saying: "In the Name of Allah; and Allah is Greater! O Allah! it is from You (I expect reward), in You (I have faith), and to You (I offer my sacrifice): accept it from me in the same way as You accepted from Your Bosom Friend Abraham "Peace be upon him".

Offering a camel as sacrifice is better, then a cow, and then a sheep, and a sheep (for one) is better than to have six join in a camel or a cow; and the sacrifice of a ram is better than a goat. In this context, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Abu

Dawud on the authority of Ubadah Ibn As-Samit, and At-Tirmidhi on the authority of Abu Umamah): "The best of sacrifice is the horned ram; and the white is better than the dusty black." According to Abu Hurairah, the white (among animals) is better for sacrifice than the blood of two blacks (i.e. grey and black)." Let him eat of it if it is a voluntary sacrifice. On the other hand, let him not make a sacrifice with any lame, maimed, cropped-eared, mangy, perforated-eared, or emaciated (animals).

Then, he should get his head shaved. It is out of the sunnah to face the Qiblah, and start with the front part of his head, and shave the right side until the two prominent bones which go down to the nape, and then shave the remaining of it, while saying: "O Allah! By every hair, record for me a good deed, plot out of me a sin, and upgrade me a degree in Your Presence." The women should cut short her hair, and it is desirable for a bald to pass the razor upon his head.

Once he got his head shaved after throwing the Jamrah (of Aqabah), the first desacralization will have occurred, and all taboos become lawful for him, barring (the approach of) women and catching (games). Then, let him set out to Mecca, and perform the circumambulation (of Ifadah) in the same manner we have described earlier, and this circumambulation is one of the pillars of Hajj; and it is called the circumambulation of visit. Its due time begins after midnight of the day of Sacrifice, and the best time to perform it is the day of Sacrifice. However, there is no time limit for its ending, and it might be delayed to any time, but ir this case, he should keep himself bound to the state of Ihram. Women remain unlawful for him until he finishes from this circumambulation; and once he performs it, the second desacralization will have occurred, and thus sexual intercourse will become lawful for him, since by so doing Ihram will have come to its end; and there remain only the throwing (of Jamrahs) during the days of Tashriq, and spending in Mina, and both are duties to be fulfilled after putting off Ihram, by way of following the truth.

The way to perform this circumambulation with the two-rak'ah prayer after it is the same as we have described of the circumambulation of arrival. When he finishes from circumambulation, let him compass Safa and Marwah round, in the same manner we have described, in case he did not do that after the circumambulation of arrival; and if he did it (after the circumambulation of arrival), the pillar should have occurred, and there is no necessity for repeating it (after the circumambulation of visit).

The causes of desacralization are three: throwing (the Jamrahs), getting the head shaved, and circumambulation (of visit) which constitutes an essential rite (pillar). If he achieves two of those three, he will have accomplished one of both desacralizations. There is no blame on him not to follow a certain sequence in doing any of those three besides slaughtering. But it is better to throw (the pebbles) first, then slaughter (his sacrifice), then get his head shaved, then perform circumambulation.

As to the imam, it is out of the sunnah to deliver his sermon on that day after the decline of the sun, and it was (on that day that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" delivered the sermon of his Farewell (Hajj according to the narration of Al-Bukhari on the authority of Abu Bakrah). Indeed, there are four sermons to be delivered in Hajj: the sermon of the seventh day (of Dhul-Hijjah), the sermon of the day of Arafah, the sermon of the day of Sacrifice, and the sermon of the day of the first departure; and all of them should be delivered after the decline (of the sun); and each consists of one speech, barring that of the day of Arafah, which is of two speeches with a sitting for rest between them.

When he (the pilgrim) finishes from circumambulation (of visit), let him return to Mina to stay there, and throw (the remaining Jamrahs). Let him spend that night in Mina, which is called the night of settlement, because the people will settle in Mina in the morrow, and leave it not. When it is the morning of the second day of Id (eleventh of Dhul-Hijjah), and the sun passes the meridian, let him take bath for throwing the Jamrah, and goes directly to the first Jamrah next to Arafah mount; and it lies on the right side of the main road. Let him throw it with seven pebbles. When he goes beyond it, let him turn a bit rightward, and stand facing the Qiblah, and praise Allah Almighty, glorify Allah, and affirm the Allah's Oneness, and supplicate with his heart attentive, and his organs submissive. Let him keep standing with his face towards the direction of the Qiblah as long as is equal to the recitation of the Surah of Al-Baqarah, during which let him engage himself in supplication.

Then, let him proceed further towards the middle Jamrah, and throw it in the same way as he has thrown the former, and stand as long as he has stood in the former. Then, let him proceed further towards the Jamrah of Aqabah, and throw it with seven pebbles, but at this time, he should not engage himself in any business and rather he should return to his dwelling place. He then should spend that night at Mina; and this night is called the night of the first departure. When he offers Zhuhr prayer of the coming day, which is the second day of Tashriq, (i.e. the twelfth of Dhul-Hijjah), let him then throw (the three Jamrahs with) twenty-one pebbles, the same as he had done on the previous day.

On that day, he has the freedom to choose, whether to remain at Mina or return to Mecca. If he comes out of Mina before the setting of the sun, there will be no sin on him. But if he remains until night, it will be then impermissible for him to come out of Mina, and rather he should remain and spend the night there until he throws on the day of the second departure (the three Jamrahs with) twenty-one pebbles, the same as he did on the previous two days. There is a blood-sacrifice to be offered in compensation for his leaving the spending of the night and throwing; and he should give the meat in charity. He has the right to visit the House during the nights which he spends at Mina, on the condition that

he should not spend the night but at Mina. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did so (according to the narration of Abu Dawud on the authority of Tawus from Ibn Abbas).

Furthermore, he (the pilgrim) should not be absent from the obligatory prayers (in congregation) with the imam in the mosque of Khaif, for its excellence is very great. When he departs from Mina, let him first stay at (the valley of) Muhassab at Mina, where he should offer Asr, Maghrib and Isha' prayers, and have a nap there (according to the narration of Al-Bukhari on the authority of Anas). This is in accordance with the sunnah, as handed down on the authority of many companions "Allah be pleased with them". But if he could not do so, there is no blame on him.

The Eighth Subsection: On The Manner Of Umrah And What Follows It To The Farewell Circumambulation

Whoever likes to perform Umrah (lesser pilgrimage) either before or after his Hajj (greater pilgrimage), let him do. Anyway, let him (once he intends to do so) take bath and put on the garments of Ihram, as has been previously described in Hajj. Then, let him assume Ihram for Umrah from the proper place fixed for assuming Ihram; and the best of places is Ji'ranah, then At-Tan'im, then Al-Hudaibiyah. Then, let him state his intention to perform Umrah, go or reciting Talbiyah, and aim directly at the mosque of A'ishah "Allah be pleasec with her", in order to offer a two-rak'ah prayer, and invoke for whatever he likes. After that he should return to Mecca while reciting Talbiyah until he enters the Sacred House. Once he enters the Sacred House, he should stop from reciting Talbiyah, and engage himself in circumambulation, which should consist of seven rounds, and then compass Safa and Marwah round seven times as we have described earlier. When he finishes from both, let him get his head shaved and thus his Umrah will have been complete.

The residents of Mecca are strongly recommended to perform Umrah and circumambulation (round the House) very frequently, and cool his eye with the Sacred House so much; and if he enters it, let him offer a two-rak'ah prayer between both pillars, for this is much better. Let him enter it as barefooted, with signs of reverence and veneration. Once, it was said to one of them: "Have you entered the House of your Lord today?" he said: "By Allah! I do not think those feet fitting for circumambulation round the House of my Lord: how should I think they are fitting for me to tread therewith the House of my Lord, and I have known where they were walking?" moreover, let him drink as much as he could from the water of Zamzam, and it is better to drink by himself, and not through anyone else if it is possible, and let him quench his thirst to the full, while saying: "O Allah! make it a remedy for every ailment and sickness, and bestow upon me sincerity, certainty (of faith), power and health in both this world and the hereafter. In this context, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Ibn Majah on the authority of

Jabir): "The water of Zamzam acts (as remedy) for that for which it is drunk." This means that it cures such of ailments as is intended by drinking it.

The Ninth Subsection: On The Farewell Circumambulation

When it seems to the pilgrim to return to his homeland, after finishing from his Hajj and Umrah, let him first accomplish his occupations, and prepare his baggage making the last of his occupation to bid farewell to the House by performing a Circumambulation of seven rounds, as previously (described in the other two circumambulations), but without walking at a quick pace (during the first three rounds) nor rearranging his upper garment to uncover the right shoulder. When he finishes from it, let him offer a two-rak'ah prayer behind the Station (of Abraham), drink from the water of Zamzam (as much as he could), go to Multazam, and devote himself to imploration and invocation of Allah Almighty as follows:

"O Allah! this House is Yours; and this servant (in reference to himself) is Yours, the son of Your Servant and Your female-slave: You have carried me on such of Your creatures as You have subjugated to me, and led me in Your countries and brought me, by Your Grace (to Your House) and helped me fulfill Your ceremonies. If You have been pleased with me, affirm Your Good Pleasure with me; otherwise, be pleased with me now before I leave Your House. It is time for my departure, by Your Permission, with no substitute for You, nor for Your House, and with rejecting neither You nor Your House. O Allah! endow me with health and power in my body, and protection in my faith, and make good my returning, and help me obey You as long as You cause me to survive, and join to me the good of both this world and the hereafter: You have power over all things. O Allah! make not it the last (visit) for me to Your Sacred House, and in case You do make it the last (visit) for me to it, admit me to the Garden in recompense." It is more desirable for him not to turn his sight from the House until it disappears from him.

The Tenth Subsection: On The Visit To Medina And Its Proprieties

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of At-Tabarani and Ad-Daraqatni on the authority of Ibn Umar): "He, who visits me after my death seems as if he visited me during my lifetime." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said (according to the narration of Ibn Abd, Ad-Daraqatni and Ibn Hibban from Malik on the authority of Ibn Umar): "He, who finds a plenty of time (after or before his ceremonies) and even though he does not visit me (in Medina will be regarded to) have desertion towards me." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said (according to the narration of At-Tabarani on the authority of Ibn Umar): "He, who comes to visit me, and he is mainly concerned with visiting me, it is

incumbent upon Allah Almighty to accept my intercession for him (on the Day of Judgement)."

Whoever intends to visit Medina, let him invoke so much Allah's prayer and blessing upon the Messenger of Allah "Peace be upon him" on the way. Once his sight falls upon the walls and trees of Medina, let him say: "O Allah! this is the Sanctuary of Your Messenger: make it a protection for me from the fire (of Hell), a safety from punishment and the evil of reckoning." Before he enters, let him take bath from the well of Harrah and put on the cleanest dress he has got, and apply perfume to his body; and when he enters it, let him enter humbly, showing veneration to it, and say: "In the Name of Allah; and on the cult of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" (I enter Medina): O my Lord! let my entry be by the Gate of Truth and Honour, and likewise my exit by the Gate of Truth and Honour; and grant me from Your Presence an authority to aid (me)." (Al-Isra' 80)

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾

Then, let him aim at the mosque to enter, and offer a two-rak'ah prayer by the side of the pulpit, making the pole of the pulpit alongside his right shoulder, and face the pillar beside which the box lies, in such a way as to have the circle which is on the wall of the Qiblah of the mosque in between his eyes. This is the same position of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" before the features of the mosque were changed. Let him endeavour to pray in the original (area of the) mosque before the inclusion of the additional area in the mosque. Then, let him come to the grave of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and stand by its face, i.e. to turn his back to the Qiblah and face the wall of the grave, as long as nearly four cubits far from the pillar which is in the angle of the wall of the grave, and make the chandelier over his head.

It is not out of the sunnah to touch the wall of the grave, nor to kiss it: on the contrary, to stand at a short distance from it is closer to respect and veneration. Let him stand and say: "Peace be upon you O Messenger of Allah! Peace be upon you O Prophet of Allah! peace be upon you O trustworthy of Allah! Peace be upon you O sweetheart of Allah! Peace be upon you O the select of Allah! Peace be upon you O good choice of Allah! peace be upon you O Ahmad! Peace be upon you O Muhammad! Peace be upon you O Abu Al-Qasim! Peace be upon you O Eraser (of unbelief)! Peace be upon you O final (Prophet)! Peace be upon you O gatherer! Peace be upon you O announcer of good tidings! Peace be upon you O Warner! Peace be upon you O purity! Peace be upon you O pure! Peace be upon you O most generous of mankind! Peace be upon you O chief and master of all the Messengers! Peace be upon you O seal of all the Prophets and Messengers! Peace be upon you O the Messenger of the Lord of the worlds! Peace be upon you O leader of good! Peace be upon you O conqueror of piety!

Peace be upon you O Prophet of mercy! Peace be upon you O guide of the nation! Peace be upon you O leader of those of light! Peace be upon you and upon the family of your house, from whom Allah Almighty removed abomination and whom He purified so much! Peace be upon you and upon your good holy companions, and pure wives, the mothers of the faithful believers: Might Allah reward you with the best reward as He rewarded a Prophet for his nation, and a Messenger for his people, and might He bless you every time you are mentioned by those who celebrate you, and every time you are forgotten by the heedless; and He might bless you in the foremost and the last, with the best, most perfect, most supreme, most glorious , purest and most pleasant bless He has ever granted to anyone of His creatures, as He Almighty has saved us, through you, from error, and opened our eyes through you after blindness, and guided us, through you, from ignorance: I bear testimony to the fact that there is no god (to be worshipped) but You, the One and Only, other than Whom there is no god; and I bear testimony to the fact that you are His servant and Messenger, His trustworthy, select and well choice from amongst His creatures. I bear witness to the fact that you conveyed the Message, fulfilled the trust, advised the nation with sincerity, strove your enemy, guided your nation (to the truth), worshipped your Lord until death came to you: Allah's blessing, peace, honour and glory be upon you as well as upon the good people of your house."

If he is recommended to convey the salutation (to the Prophet) of anyone on his behalf, let him say: "Peace be upon you from so and so; peace be upon you from so and so." Then, let him move backward as long as a cubit, and pay salutation to Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" for his head is alongside the shoulder of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", as well as the head of Umar "Allah be pleased with him" lies alongside the shoulder of Abu Bakr. Then, let him move backward as long as a cubit and pay salutation to Umar Al-Faruq "Allah be pleased with him", saying: "Peace be upon you both, O two ministers of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", who assisted him undertake the matter of religion as long as he was living, and who took on yourselves the affairs of the religion among his nation after his death, in which you followed his steps, and worked in accordance with his conduct: might Allah reward you with the best reward a Prophet's ministers have ever been rewarded for his religion."

Then, let him return and stand by the side of the head of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", between the grave and the pillar nowadays, and face the Qiblah, in order to praise and exalt Allah Almighty, and invoke so much Allah's Prayer and Blessing upon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and then say: "O Allah! You say, and verily, your saying is the truth: " If they had only, when they were unjust to themselves, come unto you and asked Allah's forgiveness, and the Messenger had asked forgiveness for them, they would have found Allah indeed Oft-Returning, Most Merciful." (An-Nisa 64)

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾

O Allah! We have hearkened Your Statement and complied with Your Command, and aimed at Your Prophet, seeking his intercession for us to You in all of our sins, and how heavy our backs are with the burdens of our sins, turning in repentance to You from our errors and confessing of our mistakes and negligence: so, please, O Allah, turn to us in repentance, and accept the intercession of our Prophet for us, and upgrade us, by the right of his position in Your Sight. O Allah! Forgive for the Emigrants and the Helpers; and forgive for us and for our brothers who had preceded us to faith. O Allah! Make it not the last of our visits to the grave of Your Prophet, and the Sanctuary of You: O Allah, Most Merciful of those who show mercy."

Then, let him go to the meadow and offer a two-rak'ah prayer, and invoke as much as he could, depending upon the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" (according to what is unanimously narrated on the authority of both Abu Hurairah and Abdullah Ibn Zaid): "There is, in between my grave and pulpit, one of the meadows of the Garden; and my pulpit lies on my Fount-lake." Let him invoke at the pulpit; and it is desirable to place his hand on the lower knot (of the pulpit) on which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to put his hand during his sermons.

It is desirable for him to go to (the mountain of) Uhud on Thursday, and visit the graves of the martyrs. Let him then offer the Morning prayer (on that day) in the mosque of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and come out in order to return to offer the Zhuhr prayer in the same mosque; and in this way, no congregational obligatory prayer in the mosque of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" would escape him. Therefore, it is desirable for him to come out everyday to Baqi', after paying salutation to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in order to visit the grave of Uthman "Allah be pleased with him" and the grave of Al-Hassan Ibn Ali "Allah be pleased with both". In it there lie the graves of Ali Ibn Al-Hussain, Muhammad Ibn Ali, Ja'far Ibn Muhammad "Allah be pleased with them". Let him also offer prayer in the mosque of Fatimah "Allah be pleased with her" and visit the grave of Ibrahim, son of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and the grave of Safiyyah, the paternal aunt of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". All of those lie in Baqi'.

It is desirable for him to go to the mosque of Quba' every Saturday, and offer prayer in it, depending upon the narration (of both An-Nasa'i and Ibn Majah on the authority of Sahl Ibn Hunaif) in which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who comes out of his house (and walks) until he reaches the mosque of Quba and offer prayer in it will receive (a

reward) equal to that of Umrah." Let him come to the well of Aris which lies near the mosque and perform ablution and drink from its water, for it is said that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" spat in it. Let him further go to the mosque of the Conquest, which lies on the Trench, in addition to all the mosques and sites in Medina. It is said that all mosques and sites of Medina are thirty, and they are known to its inhabitants. So, let him visit as much of them as he could. Let him also visit the wells from which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to perform ablution, take bath and drink. Those are seven wells, (and one should visit them and offer ablution and drink from their water) seeking cure, and the bless of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him".

If he could stay in Medina, with the observation of its sanctity, let him do, for it has a great excellence, according to the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" (according to the narration on the authority of Abu Hurairah, Ibn Umar and Abu Sa'id): "None endure its (Medina's) hardship and severity but that I would be an intercessor for him on the Day of Judgement." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Ibn Majah and At-Tirmidhi on the authority of Ibn Umar): "If anyone could, let him die in Medina, for none dies therein but that I will be an intercessor for him on the Day of Judgement."

Then, if he finishes from his jobs, and intends to come out of Medina, it is desirable for him to go to the honoured grave (of the Prophet) and repeat the supplication of the visit as previously (mentioned earlier) and then bid farewell to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and ask Allah Almighty to grant him the gift of returning to it once again, and invoke Allah for safety in his journey, and offer a two-rak'ah prayer in the lesser meadow, in which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to stand before the closet was added to the mosque. When he comes out, let him come out with his left foot followed by the right and say: "O Allah! send Your Prayer and Blessing upon Muhammad and upon the family of Muhammad, and make it not the last visit to Your Prophet; and remove the burdens of my sins with (helping me) visit him, and let peace and safety accompany me in my journey, and make easy my return to my family and homeland: O (Allah) Most Merciful of those who show mercy." Then, let him give in charity to the neighbours of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", as much as he could, and visit the mosques which lie on the way between Medina and Mecca, one by one, and offer prayer in them; and they are twenty mosques.

A Chapter On The Traditions Of Returning From Journey

Whenever the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", (according to what is unanimously narrated on the authority of Ibn Umar) returned from a holy battle, Hajj or Umrah, he would glorify Allah thrice at the ascent of every promontory and say: "There is no god (to be worshipped) but

Allah, the One and Only, other than Whom there is no partner: His is the dominion, and to Him be the praise and He has power over all things. We are returning, repenting, worshipping, prostrating and giving thanks to our Lord. Allah has proved true to His Promise, and helped His servant, and Alone defeated the confederates. One then should use this tradition in his return.

If he approaches his city, let him move his riding mount, and say: "O Allah! endow us a good residence and sustenance in it." then, let him send to his family such as tells them of his arrival, in order that he should not come to them suddenly. This is the tradition (which should be followed). One should not also knock the door of his family at night. When he enters the town, let him first go directly to the mosque and offer a two-rak'ah prayer, according to the followed tradition. As such did the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". When he enters his house, let him say: "(Let's) repent (let's) repent to our Lord, and return in such a way as to leave nothing (of our sins) without being forgiven." If he resides at his home, let not him forget such blessing as Allah has bestowed upon him, of the visit of His House and Sanctuary, and the grave of His Messenger "Allah's blessing and peace be upon him", and let not him be ungrateful to this blessing, by his returning to heedlessness, amusement, and indulgence in the sins, for this is not the sign of the Hajj which is accepted (by Allah Almighty). Its sign is that one should come to be abstinent from this world, desirous for the hereafter, and well-prepared for the meeting of the Lord of the House after meeting the House itself.

CHAPTER THREE:
ON THE DETAILS OF PROPRIETIES AND INWARD WORKS

The Exposition Of The Details Of Proprieties

Those are ten, and they go as follows:

The first is that the expenses should be lawful, and one is free from such of trades as occupies the heart and disband his concern, in order that his attention would be wholeheartedly devoted to Allah Almighty, and the heart assured and diverted to the celebration of (the Praises of) Allah Almighty, and sanctification of His ceremonies. It is transmitted through the Family of the House (according to the narration of Al-Khatib on the authority of Anas): "Towards the end of the time, the people will set out for Hajj in four kinds (having four purposes): their magistrates for excursion, their wealthy for practicing traffic, their poor for begging, and their reciters (of Qur'an) for obtaining good fame, i.e. to be heard of men."

The narration refers to the different worldly purposes which are imagined to be connected with Hajj. All of that stands against the excellence of Hajj, and keep it away from being the Hajj of the virtuous (people), particularly if one is performing Hajj solely on behalf of another for a charge, and by so doing seek after the world through the deed of the hereafter. However, the pious devout and those of sound hearts among the people dislike that unless his intention is to stay

in Mecca, and he has not what might help him reach there. In this case, there is no harm to take charge just for this intention, and not with the intention to attain this world through religion but to attain religion through this world. At this point, his purpose should be to visit the Sacred House of Allah Almighty, and exempt his Muslim brother (on whose behalf he performs Hajj) from the obligation. To such person does correspond the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" (according to the narration of Al-Baihaqi on the authority of Jabir): "With one Hajj three persons might enter the Garden: the maker of its bequeath, its implementer, and its performer on behalf of his brother."

I do not like to make lawful or unlawful to take the charge (for performing Hajj on behalf of one's brother) after having discharged himself of the obligation enjoined upon him by Islam. But it is more fitting that he should not do that, nor take it as his earnings and trade, for Allah Almighty gives the world through religion, and He never gives the religion through the world. According to the narration (of Ibn Abd on the authority of Mu'adh): "The example of such as fights in Allah's Cause and takes charge for that is like the example of the mother of Moses "Peace be upon him" who suckled her babe and at the same time took charge for that."

So, whoever has his parable in taking charge for Hajj like the parable of the mother of Moses, there is no blame upon him to take it, for indeed he takes it just in order to be able to perform Hajj and visit (the House and the Prophet's mosque), and he does not perform Hajj for the purpose of taking charge: on the contrary, he takes charge in order to (be able to) perform Hajj, just in the same way as the mother of Moses used to take charge in order to be able to suckle her child, through obscuring her real identity from them.

The second is that he should not assist the enemies of Allah Almighty, through handing over the toll to them, and those are the keepers off the Sacred Mosque, such as the governors of Mecca and the desert Arabs who lie in wait of the people on the way (to Mecca). However, handing the taxes to them is to help them commit injustice, and facilitate its causes against them. In this way, it is like the aid with the soul. So, let one use his skills for salvation; and in case he could not, then, one of the learned men says, and there is no harm in what he says: "It is much better to leave the supererogatory performance of Hajj and return home than to aid the doers of injustice, for indeed (taking such tolls) is an innovation which has been renovated; and submitting to it might turn it into a constant practice, which would put the Muslims to humiliation and disgrace through paying the tribute. It makes no sense to say "This toll is taken me and I'm forced to do so", for had he remained in his house, or had he returned back, nothing would have been taken from him. On the contrary, one might cause the effects of luxury appear on him, with the result that more money will be required from him; and had he been in the dress of the poor, nothing would have been required from him. In this way, it is he who drives himself to this state of being under coercion.

The third is to have abundance of provisions and liberty of spending and

giving willingly and gladly, with neither parsimony nor extravagancy, but to adhere to moderation. I mean by extravagancy to be blessed with the best and most delicious kinds of food and drink, as is the habit of the spendthrifts. But there is no extravagancy in spending and giving so much, since there is no good in extravagancy, nor is there extravagancy in good, as it is said. To be sure, to give provision (in charity) on the way to Hajj is to spend in the Cause of Allah Almighty; and a single Dirham is multiplied by seven hundred. According to Ibn Umar "Allah be pleased with both": "The abundance of food one serves on his journey is out of his generosity." He used to say: "The best of pilgrims is such as is the truest in his intention, the purest in his spending, and has the best degree of certainty (of faith) among them." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Ahmad on the authority of Jabir): "The Hajj which is accepted (by Allah Almighty) has no reward other than the Garden." It was said: "What does make Hajj acceptable (by Allah Almighty)?" He said: "It is to speak with good words, and give food (to the poor and indigent)."

The fourth is to leave obscenity, wickedness and wrangling as expressed in the Qur'an. The obscenity is a comprehensive word which implies every kind of false, foul and lewd speech; and it includes talking in an amatory and provocative manner with women and flirting with them, and also the vain discourse abou' sexual intercourse and its preliminary entries. This, however, provokes the desire for sexual intercourse, which is forbidden (during Hajj), and of a surety, such as provokes what is forbidden is, in itself, forbidden. As to wickedness, it is a comprehensive name whose application includes every kind of disobedience and defiance of Allah Almighty. As to wrangling, it is to go beyond the due limits of quarrelling and arguing (with others), which might develop hatred and resentment among the people, disband the attention and contradict the good manners.

According to Sufyan: "He, who speaks with obscenity, his Hajj has been corrupted." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" made both good speech and serving food (to the needy and indigent) out of righteousness of Hajj which causes it to be acceptable (by Allah Almighty). Verily, arguing and quarrelling contradict the good speech. For this reason, one should not be so much inclined to object to his friend, his camel driver, or his other companions: on the contrary, he should be lenient and inclined to lower his wing to those who walk to the House of Allah Almighty, in adherence to the good conduct. It is not out of good conduct to avert harm, but it is to endure it. in this issue, it is said that the journey has been given such a name (of Safar) because it uncovers (Yusfir) the real manners and characters of men.

For this reason, Umar "Allah be pleased with him" asked a man who pretended he had best recognition of somebody: "Have you accompanied him on journey" from which the good manners might be attested? He answered in the negative, thereupon he said: "Then, I do not think you recognize him well."

The fifth is that he should perform Hajj on foot if it is within the reach of his capacity, for this is better. At his death, Abdullah Ibn Abbas "Allah be pleased

with both" advised his sons saying: "O my sons! Perform Hajj on foot, for the walking pilgrim receives as much as seven hundred good deeds of those of the Sanctuary for every steps he takes." It was said to him: "What are the good deeds of Sanctuary?" he said: "The single good deed is multiplied by one hundred thousand." The desirability of walking on foot during offering the ceremonies, and from Mecca to the place of standing and to Mina is better confirmed than to do it on the way to Hajj.

If one adds to his proceeding to Hajj on foot his assuming Ihram from the area of his town, it is out of the perfection of Hajj according to Umar, Ali and Ibn Mas'ud "Allah be pleased with them" in their comment on the statement of Allah Almighty: " And complete the Hajj or Umrah in the service of Allah." (Al-Baqarah 196)

﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾

But according to another learned men, riding is much better for it includes more spending and provisions, and it is farther from boredom and tedium, and less harmful, and nearer to safety and perfection of Hajj. In consideration, this might not contradict the former opinion: it should be said decisively: "He, who finds it easy for him to walk, let him walk, and in case he finds himself vulnerable to weakness, bad manners and indulgence in any deed, then riding is much better for him, just in the same way as fasting might be better for the traveler and patient as long as it does not lead to weakness and bad manners.

One of the learned men was asked whether it is better for one to perform Umrah on foot or to hire a donkey for a Dirham, thereupon he said: "If the weight of the Dirham is heavy on him, then, it is better for him to hire a riding mount than to walk; and if walking is hard on him, like the rich men, walking is better for him." He seems to have adopted here the way of self-mortification, and it might be acceptable. But it is better for him to walk, and rather spend that Dirham on what is good, for it is more fitting for him than to spend it on hiring in recompense of troubling the riding mount. But if he has no power to combine both self-trouble and the lack of wealth, then, what has been mentioned is not unlikely.

The sixth is that he should not ride but a sack, and avoid the litter, unless he feels afraid he would not sit firm on the sack for a legal excuse. There are two reasons for that: the first is to relieve the riding camel of the heavy weight by which the litter is harmed. the second is to avoid the aspect of the luxurious arrogant people in Hajj. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" performed Hajj on a riding mount, and underneath him there was a shabby saddle, and a scruffy piece of amaranth as cheap as no more than four Dirhams (according to the narration of both At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Anas). Furthermore, he performed circumambulation (round the House) while being on his riding mount, in order that the people might see his guidance and characteristics. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Muslim and An-Nasa'i on the authority of Jabir): "Take (and learn) from me your ceremonies."

It is said that those litters were renovated by Al-Hajjaj, and the learned men of his time rejected them. It is narrated on the authority of Sufyan Ath-Thawri from his father that he said: I set out from Kufah to Qadisiyyah on my way to perform Hajj, and I met the caravans which came from different countries, and behold! I saw all the pilgrims on sacks, baskets and saddles, and I did not see among all of them but two litters." Whenever Ibn Umar looked at such of dresses and litters as were renovated by Al-Hajjaj, he would say: "No doubt, the real pilgrims are but a few, even though the riders are so much in number." Then, he looked at a poor man, of a shabby appearance underneath whom there were baskets and said: "This is one of the true pilgrims."

The seventh is that he should be of a shabby appearance, disheveled, covered with dust, not given so much to adornment, nor inclined to the means and ways of ostentation, lest he might be enrolled among the group of the arrogant luxurious, and thus excluded from the party of the weak indigent righteous select. Indeed, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" ordered that (the pilgrims) should be disheveled and barefooted (according to the narration of Al-Baghawi and At-Tabarani on the authority of Abdullah Ibn Abu Hadrad), and rather forbade opulence and luxury (in life according to the narration of Ahmad on the authority of Fadalah Ibn Ubaid). According to the narration (of both At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Ibn Umar): "Verily, the (real) pilgrim is the disheveled one who is covered with dust."

Allah Almighty said (according to the narration of Al-Hakim on the authority of Abu Hurairah and Ahmad on the authority of Ibn Umar): "Look (O angels) at the visitors of My House! They have come as disheveled, covered with dust, from deep and distant mountain highways." Allah Almighty says: "Then let them fulfill the rites prescribed for them, perform their vows, and (again) circumambulate the Ancient House." (Al-Hajj 29)

﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾

The rites pointed out here refer to the state of being disheveled and covered with dust, and to fulfill that is to get one's head shaved, one's mustache cut short, and trim one's nails. Umar Ibn Al-Khattab wrote to the chiefs of soldiers that they should put on the shabby clothes and lead a rough coarse life.

It is said that those of Yemen are the adornment of all the pilgrims, for they appear in the state of humbleness and weakness, in imitation of the conduct of the early men. Thus, the pilgrim should avoid the red in his clothes in particular, and fame (among the people) whatever it might be in general. It is narrated (by Abu Dawud on the authority of Rafi' Ibn Khadij) that once, "Then let them complete the rites prescribed for them, perform their vows, and (again) circumambulate the Ancient House." Was on journey when he and his companions halted at a certain place for rest. The camels were let loose to graze, and behold! He saw red coverings on their back-saddles! On that he said: "I see that redness is prevalent among you." "On that" (the narrator said) "We rushed to them and snatched them from the backs of the camels, so that some of the

camels were startled."

The eighth is that he should be lenient to the riding mount in such a way as not to overload it with what is beyond its capacity, and the litter is beyond its capacity; and sleeping on it causes harm to it, and overburdens it. it was the habit of the people of piety not to sleep on their riding mounts, unless it was a nap while sitting; and they used not to stand on them a long standing. In this respect the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Ahmad on the authority of Sahl Ibn Mu'adh): "Take not the backs of your riding mounts as chairs (to stand upon)." It is desirable that one should dismount of his riding beast every morning and evening, in order to relieve it for it is out of the tradition (according to the narration of At-Tabarani on the authority of Anas).

There are narrations in support of that handed down from the early men. One of the early men used to hire a riding mount on the condition that he would not dismount of it, and give the charge in full, and in spite of that, he would dismount of it in order to be kind to the beast, and thus such kindness would be recorded in his account of good deeds, and not in the account of the hirer. Such as harms a beast, and overload it with what is beyond its capacity will be required to compensate it on the Day of Judgement. It is narrated that Abu Ad-Darda' said to a camel belonging to him at death: "O camel! Do not make a complaint against me to your Lord, for indeed, I have never overloaded you with what is beyond your capacity."

In total, one receives a reward in (his kindness to) every living animal. So, let the pilgrim observe the rights of the beast, as well as the rights of the hirer. However, to dismount of it even for an hour everyday would relieve the riding mount, and cheer up the hirer. A man said to Ibn Al-Mubarak: "Carry this letter from me in order to convey it (to somebody)." He said: "No until I take the permission of the camel-driver from whom I've hired this camel." Behold how careful he was of carrying a letter which is almost of no weight. Verily, this is the way of resolute carefulness. That's because if the door is opened to what is small and insignificant, it might be opened wider little by little to what is much significant.

The ninth is that he should draw near (unto Allah Almighty) through an offering of a blood-sacrifice, even though it is not obligatory upon him. Let him endeavour to make such offering from the fat expensive among the life-stock, from which he should eat in case it is voluntary, but he should not do in case it is obligatory. In comment on the statement of Allah Almighty: " Such (is his state): and whoever holds in honour the Symbols of Allah, (in the sacrifice of animals), such (honour) should come truly from piety of heart" (Al-Hajj 32)

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾

It is said: this is to make it (the sacrifice) fair and fat.

It is better for him to drive the sacrificial animals from the place fixed for assuming Ihram if it does not trouble nor harm him; and let him refrain from

haggling in transaction, for they used to exceed the due limits of the price of three things, and dislike haggling in three things: the sacrificial animal, the offering, and the slave. To be sure, the best of that is the most expensive and the dearest to the sight of its owners. It is narrated (by Abu Dawud) on the authority of Ibn Umar that Umar offered (as sacrifice) a camel of Bukht (the highest class of camels), and then three hundred Dinars were offered to him for it. He went to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said to him:" O Messenger of Allah! I've offered as sacrifice a camel of Bukht and then three hundred Dinars were offered to me for it: should I sell it and purchase camels (and offer them as sacrifice) by its price?" he said: "No, but slaughter it rightly."

That's because the few which is of good quality is much better than the much which is of inferior quality. Three hundred Dinars could buy ten normal camels, which might make much of flesh. But the real purpose is not to make much of flesh but to purify the soul, and cleanse it from the attribute of parsimony and rather adorn it with the beauty of exaltation of Allah Almighty: " It is not their meat nor their blood, that reaches Allah: it is your piety that reaches Him." (Al-Hajj 37)

﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾

This could only be achieved through observing the precious value, no matte: few or great in number it might be.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked about the righteousness of Hajj which makes it acceptable (in the Sight of Allah), thereupon he said (according to the narration of At-Tirmidhi, Ibn Majah and Al-Bazzar on the authority of Abu Bakr): "It is to raise one's voice with Talbiyah, and slaughter camels (as sacrifice)."

It is further narrated (by Ibn Majah and At-Tirmidhi) on the authority of A'ishah that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There is no deed mankind does on the Day of Sacrifice much dearer in the Sight of Allah Almighty than his offering a blood-sacrifice; and this (sacrifice) will come on the Day of Judgement with its horns and hoofs, and before the blood fall down on the ground, (the reward of) it is kept in the Presence of Allah Almighty." So (A'ishah resumed) be cheerful on account of it! according to a certain narration (by Ibn Majah on the authority of Zaid Ibn Arqam): "You will have a good deed for every hair of its skin, a good deed for every drop of its blood, and it will be placed in the balance (of deeds): so, receive the glad tidings!" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Make good and valuable your (sacrificial) gifts for they will be your mounts and vehicles on the Day of Judgement."

The tenth is that he should be well-pleased with such of expenses as he has spent and such of sacrificial animals as he has offered, and accept (with satisfaction) such of loss or calamity in property or camels as has affected him, in case there is any; for indeed, this is one of the signs of the acceptance of his Hajj.

Verily, the calamity on the way to Hajj is equal (in reward) to the spending in the Cause of Allah, in a rate of seven hundred Dirhams for each Dirham, and this is like the difficulties and hardships one receives on the way of Jihad. Thus, he will have a reward for every kind of harm or loss he receives. So, let him waste nothing of it with Allah Almighty.

It is also said that one of the signs of the acceptance of Hajj is to leave such of sins as he used to do (before it), and substitute good righteous companions and brothers (in the religion of Allah) for those idle and wicked, and the gatherings of celebration and attentiveness for those of amusement and heedlessness.

The Exposition Of The Internal Works, And The Point Of Making Sincere The Intention, And The Way Of Considering The Honoured Shrines, And The Way Of Reflecting Them, And Celebrating Their Mysteries And Significances, From The Beginning To The End Of Hajj

It should be known to you that the first thing to be learnt of Hajj is to understand, i.e. to understand the position of Hajj in the religion, then, to have longing for it, then to decide to perform it, then to sever the connections that prevent it, then to buy the garment of Ihram, then to buy the provisions, then to hire the riding mount, then to set out, then to proceed in the desert, then to put on Ihram with Talbiyah (responding to Allah's Call) in the place fixed for assuming Ihram, then to enter Mecca, and then to complete the rites as previously (described in detail). In each of those, there is a reminder for such as remembers, an example to be learnt for him who takes lessons, a stimulation to the true follower of the path and a definition and a reference to him who is prudent. Let's here indicate to their keys, until when their doors are opened, and you come to know their causes, each pilgrim will be exposed to such of their mysteries as is required by the purity of his heart, the cleanness of his inward, and the readiness of his understanding.

As for understanding, it should be known to you that there is no way to Allah Almighty barring that of refraining from desires and abstaining from pleasures and delights, and rather restricting oneself to such of them as is necessary, and to devote himself wholeheartedly to Allah Almighty in all of his states of motion and stillness. Let me elucidate that: the monks of the previous religions isolated themselves from all the people, and turned to live in the mountain-tops, giving preference to loneliness from all the creatures, in order to seek the company with Allah Almighty. In this way, they left, for the Sake of Allah Almighty, the pleasures and delights which were at convenience, and adhered to the difficult mortifications in the hope of the hereafter. Allah Almighty appreciated them in His statement: "because amongst these are men devoted to learning and men who have renounced the world, and they are not arrogant." (Al-Ma'idah 82)

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

But when all of that vanished, and the people turned to follow their own lusts, and refrained from devotion to the service of Allah Almighty, and weakened to endure it, Allah Almighty sent the Prophet Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" in order to revive the way to the hereafter, and renew the right way of the sunnah of all the Messengers and Prophets before him, by following it. (According to the narration of Abu Dawud on the authority of Abu Umamah) when the people of the previous religions asked him about monasticism and wandering (through the land for the sake of the religion), he said: "Allah Almighty has given us instead of it Jihad (in His Cause) and (asked us to utter) *Takbir* at every promontory (of land)."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was further asked about the wanderers (through the land for the sake of the religion), thereupon he said (according to the narration of Al-Baihaqi on the authority of Abu Hurairah): "The fasting persons are (equal to) the wanderers (through the land for the Sake of Allah Almighty)." Allah Almighty bestowed His blessing upon this (Muslim) nation when He made the performance of Hajj their own monasticism. He Almighty honoured the Ancient House, by ascribing it to Himself, and set it up as an aimed target for His servants, and made the area surrounding it a Sanctuary of His House, in exaltation of its matter, and made Arafah like a water-chute at the courtyard of His Fount-lake, and affirmed the sanctity of its games and trees, and placed it on the example of the castles of kings, to which the visitors come from every deep distant direction, a disheveled, covered with dust, humble and submitting to the Lord of the House, in obedience to His Glory, and submission to His Power and Honour, with confession of his being deemed far beyond any limitation of a house or any inclusion of a town, in order that this would more indicative of their bondage and slavery and more perfect of demonstrating their submission and obedience.

Accordingly, He assigned to them, in (the House) some acts to which the souls might not be familiar, and to whose significance the minds might not be guided, such as throwing the Jamrahs with the pebbles, and compassing Safa and Marwah round repeatedly; and by the like of those acts, the perfect bondage and slavery (of people to Allah Almighty) seem more evident. The cause of the obligatory charity, for example, is to show lenience and kindness towards others, and its significance in this respect is understood, and the mind is inclined to it; and so is the fasting, which is to overcome the desire that is the instrument of the enemy of Allah Almighty and devote oneself wholeheartedly to the religious service through refraining from the other occupations (which might divert one from Allah). Both bowing and prostration in prayer are to show one's humility to Allah Almighty, through acts which themselves are forms of humbleness; and the souls are familiar to exalt Allah Almighty.

But the running between Safa and Marwah repeatedly, and throwing the Jamrah, and the like of them, the souls have no benefit from them, nor are they familiar to them, nor are the minds guided to their significance. Thus, nothing

motivates one to do them other than the absolute command (of Allah Almighty), whose purpose is to comply with the command in so far it is only a command, whose implementing is obligatory. This keeps the mind away from its normal operations, and turns both soul and disposition from sociability. To be sure, the disposition becomes inclined directly to such of things as the mind perceives whose significance; and this inclination helps the command, and acts besides it as a motif to the act, therewith the perfect bondage and submission might hardly appear. For this reason, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said in Hajj particularly: "I'm responding to Your Call with a greater pilgrimage in truth, in devotion and in bondage." He did not say so in prayer, nor in any religious service other (than Hajj).

If the wisdom of Allah Almighty decrees that the salvation of the people should be joined with doing things which contradict their dispositions and desires, having their reins led by the law, in such a way that they do their deeds in accordance to the ways of submission and obedience, and pursuant to the requirements of bondage and slavery, then, such of deeds as to whose significance the minds could not be guided will come to be more consummate to purify the souls, and divert them from the requirements of the dispositions, and the ethics to the requirements of bondage and slavery.

Having made sense to this, you could then come to understand that the cause of being astonished by those amazing acts is the failure to understand the mysteries of those acts of worship. However, this amount is enough to explain the understanding of the principle of Hajj, Allah Willing.

As for longing, it is incited after understanding, and authentication of the fact that this is the House of Allah Almighty, which He has placed on the example of the castles of kings, and that its visitor is a visitor of Allah Almighty, and that such as intends to visit the House in the world is worthy of having (the reward of) his visit wasted, and thus the real purpose of his visit will be achieved for him in its appointed time, i.e. to have the honour of seeing the Countenance of Allah, Most Bounteous and Generous in the everlasting abode, since this eye whose sight is restricted, and which should inevitably perish in the world is not qualified for seeing the Countenance of Allah Almighty, nor is it able to endure it, nor is it ready to be adorned with that (light of vision), in view of its limitation. But if it, in the hereafter, is provided with the blessing of eternal endurance, and rendered deem far beyond the causes of change and annihilation, it will be ready to look and see (the Countenance of Allah Almighty). But, for the purpose of (visiting) the House, and because of its looking at it, it will deserve (as its reward) the meeting of the Lord of the House, in accordance with the generous promise.

Verily, longing to meet Allah Almighty prompts it inevitably to its causes, seeing that the lover always has longing to anything that relates to the object of his love. As long as the House is related to Allah Almighty, it is more likely that one should have longing to it just for this relation, in addition to seeking its visit for attaining the abundant reward promised for that.

As for his resolution (to visit the House and perform Hajj), let him know

first that with his resolution and decision, he is going to depart from his family and homeland, to forsake his desires and pleasures, turning to the visit of the House of Allah Almighty. So, let him exalt in himself the high estimation of the House, and the high estimation of the Lord of the House, putting in mind that he has decided to do a thing of great loftiness and importance, and that such as seeks what is great should jeopardize another thing of similar greatness and importance. Moreover, let him make his resolution sincere to the Countenance of Allah Almighty, far from the flaws of showing off for the purpose of being heard or seen of men.

Let him be certain of the fact that nothing from his deed and intention would be accepted unless it is sincere and true, putting in consideration that the most wicked thing is to aim at the visit of the House and Sanctuary of Allah Almighty, while his real purpose and intention are for another thing. So, let him correct his resolution within himself, and to correct it is to prove sincere (to his intention), and to prove sincere is to refrain from such of things as through which he seeks to be seen and heard of men. So, let him beware of exchanging what is inferior for what is better.

As for severing any connections that might hinder him from performing Hajj, it is to restitute all injustices, and turn in sincere and true repentance tc Allah Almighty, which is to give up all sins. However, every injustice has a connection (with him), and every connection as such is like a present creditor clinging to his neck, calling him: "Where are you going? Do you aim at (the visit of) the House of the Kings of all kings, even though you are indulging in implementing His Commands, dealing with Him slightly, and neglectful of Him in this residence of you? Do you not feel shy of going to him in the form of a disobedient slave lest He might reject you with failure? If you are desirous for Him to accept your visit, you should first implement His Commands, restitute the injustices and turn in repentance to Him, and give up all sins, and sever your heart from anything that might cause you to turn back to what is behind you, in order to turn to Him with the face of your heart, in the same way as you turn to His House with the face of your outward.

If you do not do so, you will receive nothing from your journey but the trouble and tire on the one hand, and the rejection and failure on the other hand. Let him also sever his relation with his homeland, in the same way as one who severs relation with his homeland assumes he will not return to it once again; and let him write down his bequest for his family and offspring, for indeed the traveler with his property are in danger barring such as safeguarded by Allah Almighty. Let such as severs the relations for the journey of Hajj the severance of relations with the journey to the hereafter, for this journey is ahead of him in closeness, and he does his journey (to Hajj) in the hope that the other will be much easier, for it is the final abode, to which his journey will come to an end. So, let not him be heedless of that journey (to the hereafter) when he gets ready for this journey (to Hajj).

As for provisions, he should seek it from a lawful source, and if he feels he is

eager to take much of it, and to keep what will remain with him along his journey, which does not change nor putrefy before achieving his purpose, let him remember that the journey to the hereafter is much longer than this journey (to Hajj), and that his real provision should be piety, and such as he thinks to be his provisions should remain behind him and betrays him at his death, and thus it will not be kept with him, just as the fresh food, which putrefies at the first station of the journey, with the result that he will be, at the time of his need, in confusion and perplexity, in the state of neediness, with no way for salvation. So, let him beware lest his deeds which act as his provisions to the hereafter might not accompany him after death, for being corrupted by the flaws of showing off and the impurities of indulgence and negligence.

As for the riding mount, if he brings it, let him thank Allah from the depth of his heart for He has made subject to him the mounts, in order to carry (his things) on his behalf, and relieve him of trouble and difficulty. Let him further remember the vehicle which he will ride to the hereafter, i.e. the bier on which he is carried (to the grave). From this point of view, the journey to Hajj is similar to the journey to the hereafter. Let him consider whether his journey on that riding mount would be valid for his provisions during his journey on the other vehicle to the hereafter, for indeed, how close it is to him; and what makes him know, perhaps he is close to death so much that he might ride the bier (to the grave) before he rides the camel (to perform Hajj). Verily, his riding the bier is taken for granted, whereas making easy the means of journey (to Hajj) is questionable. Then, how should one be cautious of the means of the journey which is questionable, and be ostentatious in his provisions and mount, and, at the same time, be neglectful of the matter of the journey (to the hereafter) which is certain?

As for buying both garments of Ihram, let him remember the shroud in which he will be shrouded: he will be dressed in it, whereas he is going to put on both garments of Ihram once he becomes close to the House of Allah Almighty. (Let him remember that) his journey to it might not be achieved, and that he might inevitably meet Allah Almighty as shrouded in the shroud. Just as he does not meet the House of Allah Almighty unless in contradiction to his normal costume and appearance, he will also not meet Allah, after death, but in a dress, which is very different from that of this world; and of a surety, this dress (of Ihram) is similar to that shroud (of death), for there is nothing sewn in any of them.

As for setting out of the country, let him know at that moment that he is going to depart from his family and homeland, and rather he is turning to Allah Almighty on a journey, which is not similar to any of those journeys belonging to this world. So, let him bring in his heart the aim which he wants to achieve, the destination of his journey, and the object of his visit, putting in mind that he is turning to visit the King of all kings, in the company of the visitors, who have been called, and they responded, who have been yearned, and they yearned, who have been made to rush, and they rushed, who have severed all the connections (they have with others), and left the people, and turned with their faces to the

House of Allah Almighty, which has been exalted, sanctified, and highly esteemed, having the purpose to console themselves with meeting the House from the meeting of the Lord of the House, until they will be given the utmost of their hopes and expectations, and blessed with the vision of their Lord and Master.

Let him also bring in his heart the hope of arrival and acceptance, not because of his works of setting out on journey and leaving his family and property, but because of his confidence of the Bounty of Allah Almighty, and in expectation of achieving His Promise for such as visit His House. Let him have the hope that if he could not be able to arrive, and rather death approaches him on the way, he will meet Allah Almighty as a delegate to Him, depending upon the statement of Allah Almighty: " He who forsakes his home in the cause of Allah, finds in the earth many a refuge, wide and spacious: should he die as a refugee from home for Allah and His Messenger, his reward becomes due and sure with Allah: and Allah is Oft-Forgiving, Most Merciful." (An-Nisa 100)

﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾

As for his coming through the desert, until he reaches the place fixed for assuming Ihram, and seeing those difficulties, let (the pilgrim) remember in connection with it the period from his coming out of this world by death to the appointed time on the Day of Judgement, and such of terrors and requirements as lie between them. Let the terror of the highwaymen remind him of the terror of the question of both Munkar and Nakir in the grave, and the wild animals which spread on the way remind him of the scorpions, worms serpents and female-snakes of the grave, and his departure and solitude from his family and relatives remind him of the loneliness, distress and seclusion of the grave. Let him, in observing those fears in his deeds and statements, take provisions against the terrors of the grave.

As for putting on Ihram and reciting Talbiyah from the place fixed for assuming Ihram, let him know that its significance is to respond to the Call of Allah Almighty. So, entertain the hope of having it accepted, and beware lest it would be said to you: "Let your response be not accepted , nor you be blessed." For this reason, be in the state of joining both hope and fear, and set yourself free from your might and power, and put your trust in Allah's Bounty and Generosity. Verily, the time at which you recite Talbiyah is the beginning of implementing the command (of Allah), and it is the place of risk.

In this respect, Sufyan Ibn Uyainah said: Ali Ibn Al-Hussain "Allah be pleased with both" performed Hajj. When he assumed Ihram and his riding mount became upright with him, he turned pale and trembled, and grew shocked to the extent that he could not recite the wording of Talbiyah. It was said to him: "Why are you not reciting Talbiyah?" he said: "I fear it might be said to me: 'Let your response be not accepted, nor you be blessed'." When he started reciting

Talbiyah, he swooned and fell down of his riding mount. He kept on that state until he fulfilled his Hajj.

Ahmad Ibn Abu Al-Hawari said: I was in the company of Abu Sulaiman Ad-Darani when he intended to put on Ihram. He did not recite the wording of Talbiyah until we proceeded as long as a mile, whereupon he fell unconscious, after which he recovered and said: "O Ahmad! Allah Almighty revealed to Moses "Peace be upon him" to 'tell the wrongdoers among the children of Israel not to celebrate Me so much, for indeed, I mention with curse such of them as celebrates Me'. Woe to you O Ahmad! I was reported that such as performs Hajj unlawfully, and recites the wording of Talbiyah, Allah Almighty says to him: 'Let your response be not accepted, nor you be blessed until you restore (such of unlawful things) as you have in your hand'. We are not secure that this would be said to us."

Furthermore, let (the pilgrim), when he raises his voice with Talbiyah in the place fixed for assuming Ihram, remember his response to the Call of Allah Almighty when He says: "And proclaim the Pilgrimage among men; they will come to you on foot and (mounted) on every kind of camel, lean on account of journeys through deep and distant mountain highways" (Al-Hajj 27)

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾

And the Call to the people by sounding the trumpet, and raising them from their graves in swarms at the plain land of the Day of Judgement, in their response to the Call of Allah Almighty, and division into those who are the nearest devotees, those who are hateful, those who are accepted, and these who are rejected, and all of them will be wavering at first between fear and hope, in the same way as a pilgrim wavers at the place fixed for assuming Ihram, where he does not know whether it will be easy for them to complete Hajj, and whether it will be accepted (by Allah Almighty).

As for entering Mecca, let him remember that by so doing, he has entered the Sanctuary of Allah Almighty safely hoping that through such entering, he might be secure from the Punishment of Allah Almighty. Let him also fear that he might not be fitting for that nearness (to Allah Almighty), and in this way, he would be, because of his entering the Sanctuary of Allah, failing and worthy of the wrath (of Allah). let him be hopeful in all the times (of Allah's Mercy and Forgiveness), since (Allah's) generosity is all-embracing, and the Lord is Most Merciful, the Honour of the House is great, the visitor's right is observed, and the security of him who seeks shelter and refuge is not neglected.

As for the sight's falling on the House, let him bring in his heart the greatness and magnificence of the House, and assume that he is seeing the Lord of the House, because of his great exaltation of it. Let you be hopeful that Allah Almighty would grant you the privilege of seeing His Honoured Countenance, in the same way as He has granted you the blessing of looking at His Great House; and give thanks to Allah Almighty for His helping you fulfill your desire, and join the company of those who have come as delegates to Him. At that moment, you

should remember how the people, on the Day of Judgement, would surge forth in the direction of the Garden, in the hope of entering it, and how they would be divided into some who would be admitted, and others rejected, in the same way as the pilgrims are divided into those who are accepted, and those who are rejected. Do not be heedless of remembering the matters and affairs of the hereafter in everything you see, for indeed, the states of Hajj indicate to the states of the hereafter.

As for offering circumambulation round the House, you should know that it is (a kind of) prayer. So, you should bring in your heart, in connection with it, such of exaltation, fear, hope, and love as we've explained in detail in the Book of Prayer. Put in mind that in your circumambulation, you resemble the nearest angels who surround the Throne (of Majesty) and circumambulate it. do not think that the real purpose is to have your body circumambulate round the House, for the real objective is to have your heart circumambulate with the celebration of the Lord of the House, with Whom you should start your celebration, and with Whom you should end it, in the same way as you begin your circumambulation with the House, and end it also with the House.

You should also put in mind that the noble circumambulation is that of the heart in the Presence of the Lord, and that the House is an evident example in the worldly kingdom of this Presence of the Lord, which is invisible, i.e. the world of dominion, in the same way as the body is an evident example in the visible world of the heart which is invisible, and it lies in the world of the unseen, and that it is through the worldly kingdom of what is visible that the world of dominion which is invisible could be perceived by him, to whom Allah Almighty opens the door (to the unseen).

To this parallelism it is referred with the fact that the Populated House (in the heaven) parallels the Ka'bah (on earth. The circumambulation which the angels perform round it is equal to the circumambulation performed by the human beings round the Ka'bah. But since most of the people, according to their rank, are short of performing such circumambulation, they were commanded to imitate them as much as it is within their capacity, and given promise that he who imitates a people should belong to them (according to the narration of Abu Dawud on the authority of Ibn Umar). However, he who has power to perform such circumambulation is him, about whom it is said that the Ka'bah visits him, and circumambulates him, according to what one of the inspired men saw from one of the devotees of Allah Almighty.

As for touching (the Corner of the Black Stone), you should have the impression that you give the pledge of allegiance to Allah Almighty, to hearken and obey Him. So, be determined in your decision to fulfill your pledge of allegiance, for he who proves treacherous in his pledge deserves the wrath (and punishment of Allah Almighty). In this context, it is narrated on the authority of Ibn Abbas that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon

him" said: "The Black Stone is the Right Hand of Allah on earth, therewith He shakes hands with His creatures, in the same way as a man shakes hands with his brother."

As for hanging in the curtains of the Ka'bah, and getting stuck to the Multazam, let your intention be the commitment to seek the nearness in love and longing for the House and for the Lord of the House, and the bless of touching, and the hope to safeguard from the fire (of Hell) all parts of your body, and not only in the House. Moreover, let your intention in the hanging in the curtains be the persistent invocation for Allah's Forgiveness, and asking for safety and security, just like a sinful who hangs in the dress of him against whom he has committed the sin, who implores him to excuse him, and shows to Him that there is no refuge from him but to him, and no salvation for him but through His Generosity and Pardon; and that he would not leave the tail of his garment unless he is forgiven and given security in the future.

As for compassing Safa and Marwah round in the courtyard of the House, it resembles the servant's going and returning in the courtyard of the House of the king, one after another, in demonstration of sincerity in service, and expectation of being observed with the eye of mercy, just as the one who enters into the presence of a king, and then comes out from him, and he does not know whether the king's decision concerning him is in favour of, or against him; and thus he keeps coming back to the courtyard of the house, one after another, in the hope of receiving mercy in the next time if he does not receive it in the first time. Furthermore, let him remember, while running to and fro between Safa and Marwah, his fluctuation between both scales of the balance in the plain land of the Day of Judgement. Let him, in this connection, liken Safa to the scale of the good deeds, and Marwah to that of the evil deeds, and thus remember his fluctuation between both scales, with his eyes watching the increase and decrease in weight, fluctuating between chastisement and forgiveness.

As for standing at Arafah, let you remember, from what you see, of the people's thronging and raising their voices, in their different languages, and following the steps and imitating their imams who are of different doctrines and views, in their visitations of the Monuments, the plain ground of the Day of Judgement, when all the peoples and nations will gather together with their Prophets and Messengers, each in imitation of its Prophet, and longing for his intercession, and wavering in this one plain ground between acceptance and rejection. If you remember all of that, let your heart adhere to supplication and imploration of Allah Almighty, perchance you will be mustered in the company of the winners upon whom mercy is bestowed. Furthermore, be assured of the fact that your hope will be responded to, since the standing is noble, and the mercy reaches from the Presence of Majesty to all of the people through the dear hearts of the Stakes of the Earth.

However, the place of standing (at Arafat) could hardly be void of a group of the Substitutes (Abdal) and Awtad (Stakes), and a group of the righteous and

masters of hearts. If all of their concerns gather together, and all of their hearts are entirely devoted to supplication and invocation, and their hands rise up to Allah Almighty, their necks stretch and their sights are lifted up towards the sky, and all having one mind, i.e. to ask for Allah's Mercy, think not then that He will disappoint them, or suffer to be lost their endeavour, or even withhold from them His Mercy which embraces them all. For this reason, it is said that one of the greatest sin is that one attend (the standing of) Arafah, and, at the same time, think that Allah Almighty will not forgive for him. It seems as if the agreement of all minds on the one hand, and the reliance upon the proximity of the Substitutes and Stakes who gather from all directions of countries is the real mystery and the final purpose of Hajj. There is no way to elicit the Mercy of Allah Almighty other than the agreement of minds and the co-operation of hearts at the same time.

As for throwing the Jimar (with pebbles), let your purpose from it be to submit to the command (of Allah Almighty), in confirmation of your slavery and bondage, which arises you (to do the act) only in compliance (with the order), with no benefit the mind or the soul might receive from it. let you r purpose in it be to imitate Abraham "Peace be upon him", when Iblis "Allah's Curse be upon him" appeared to him at that place, in order to arouse suspicion in his heart about his pilgrimage, or to seduce him to do a sin, whereupon Allah Almighty ordered him to throw him with the stones, to avert him, and put him to depression. But if it occurs in your mind that 'it is because Satan appeared to him and he saw him with his own eyes that he threw him, whereas for me, Satan does not appear to me (and thus there is no point to throw him)', it should be known to you then that this passing thought occurs to your mind from Satan, and it is he who whispers it into your heart, in order to weaken your power of throwing, and give you the false impression that this act is of no benefit, as being similar to playing by which you should not bother yourself.

But even, you should avert that passing thought away from your heart, with serious resolution and endeavour to throw him, against the will of Satan. You should put in mind here that it is true that you apparently throw (the Jamrah of) Aqabah with stones, but in reality, you throw them at the face of Satan, and break his back, for nothing puts him to humiliation other than your submission to the Command of Allah Almighty, in exaltation of Him, only through following an order, even with no benefit the mind or soul might receive from it.

As for slaughtering the sacrificial animals, you should know that this is to bring you much closer to Allah Almighty, through your submission to His Commands. So, you should complete it, in the hope that Allah Almighty would release, by each part of it, a part of your body from the fire (of Hell). As such is the promise (given by Allah Almighty): the greater the sacrificial animal is, and the more ample the parts of its body are, the more embracing your redemption from the fire (of Hell) will be.

As for visiting Medina, once your sight falls upon its walls, you should remember that it is the city chosen by Allah Almighty for His Messenger "Allah's

blessing and peace be upon him", and made the place of his migration; and that it was his abode, in which he laid the foundation of the obligations and duties enjoined by his Lord Almighty, in addition to his tradition, strove his enemies, and promulgated his religion in it until Allah Almighty took him (onto His Presence by death), and in which also He Almighty placed the burial ground of him, as well as the burial ground of his ministers, who undertook the matter with truth after his death (i.e. Abu Bakr and Umar).

Then, imagine within yourself the places of the feet of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" on his going about in the city, putting in mind that there is no place you tread but that it was trodden by his dear feet: so, do not place your foot on it but with tranquility and in awe. Remember also his walking and traversing across its roads and streets, and imagine his submission and tranquility during his walking, and such of his great acquaintance with Allah as He Almighty trusted in his heart, (and remember also) how He raised the esteem (in which) he (was held) so much high that He Almighty joined his remembrance with the remembrance of Himself, and how He Almighty rendered fruitless the deed of him who violated his sanctity even through raising his voice over his.

Furthermore, remember the favour which Allah Almighty bestowed upon those who enjoyed of the privilege and honour of his company, and were blessed with seeing him and hearing his speech, and make great your sorrow and regret for what you missed of his company as well as the company of his companions. Remember here that his vision had escaped you in this world, and his vision in the hereafter is at risk, and that you might not see him but with sigh and grief, as being rejected by him because of your evil deeds, in accordance with the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" (as shown in the narration of both Sahihs and others on the authority of Abdullah Ibn Mas'ud and Anas): "Some people will be brought by Allah Almighty before me (while I'm standing at the Fount-lake), and they will call me: "O Muhammad!" I will say: "O my Lord! Those are my companions!" He will then say: "You do not know what they innovated after you (had left them concerning religion)." On that I will say: "Let him be far (away from Allah's Mercy) and let him perish (who changed anything in the religion after me)!"

However, if you are heedless of the sanctity of his law, even (as little) as a minute thing, you then will not be secure to be hindered from him because of your deviation from his right way. But make great your hope that Allah Almighty would not hinder you from him, particularly after He Almighty had endowed you with faith, and brought you out of your country for the sole purpose of visiting him, with no (intention to practice) trade or to receive any material benefit in this world, but just because of your mere liking and longing for looking at his traces and at the wall of his grave; and as long as it is only for the sake of this that you have been prompted to make this journey just because his vision had escaped you, how worthy you would be of having Allah Almighty look at you with the Eye of His mercy!

When you reach the mosque, put in mind that it is the ground chosen by Allah Almighty for His Prophet "Allah's blessing and peace be upon him", as well as for the first generation and the best of Muslims, and that the obligations and duties enjoined by Allah Almighty were established first in this place, which gathered the best of Allah's creatures, in his life and death. So, make great your hope in Allah Almighty that He should bestow mercy upon you because of your entering it. enter it then in humility and showing exaltation. How fitting this place is to bring about humility from the heart of every faithful believer according to the narration on the authority of Abu Sulaiman in which he said: Abu Uwais Al-Qarni performed Hajj, and then he entered Medina; and when he stood at the gate of the mosque, it was said to him: "This is the grave of the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him", thereupon he fell unconscious, and when he recovered he said: "Drive me away, for it is not befitting for me to live in a country in which Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" is buried."

As for your visiting (the grave of) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", you should stand in front of him as we have described earlier, and visit him while he was dead in the same way as you should have visited him had he been alive; and approach his grave not but as well as you should have approached him had he been alive; and as well as you would not have observed his sanctity by neither touching nor kissing him, but by your standing afar in front of him (had he been alive), you should also do the same, fo indeed, touching and kissing the monuments are the customs of both Jews anc Christians.

You should also learn that he "Peace be upon him" is well-aware of your presence, standing (before him) and visit, and that your salutation and invoking for (Allah's) prayer and blessing reach him. For this reason, you should picture his honoured person as placed in the grave in your mind, and bring about his lofty and great rank in your heart. Indeed, it is narrated (by An-Nasa'i, Ibn Hibban and Al-Hakim on the authority of Ibn Mas'ud) that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" entrusted his grave to an angel, in order to convey to him the salutation of such of his nation as pays him salutation. If this applies to such as does not attend (to visit his grave), then, what about him, who leaves his homeland and covers the long desert in longing for meeting him, and is satisfied with the vision of his honoured monument, since he missed the vision of his honoured countenance? the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Muslim on the authority of Abu Hurairah): "He, who invokes (for Allah's) prayer and blessing upon me once, Allah sends His Prayer and Blessing upon him ten times." If this is the reward of him who invokes (Allah's) Prayer and Blessing upon him only with his tongue, what then about him who attends in person to visit him?

Then, go to the pulpit of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and take on the impression of his ascent to the pulpit, and picture

in your heart his brilliant countenance, as if he were on the pulpit, surrounded by both the Muhajirs and the Ansar, as he "Peace be upon him" was urging them in his sermon to obey Allah (and comply with His Commands). Then, ask Allah Almighty not to separate you from him on the Day of Judgement.

This is the duty of the heart as far as the works of Hajj are concerned. Once he finishes from all of them, let him adhere to sadness, anxiety and fear, as being uncertain whether his pilgrimage will be accepted and thus he will be enlisted in the company of the beloved ones, or it is rejected from him, and thus he will be enrolled in the company of the driven ones. Let him know that from the works of his heart: if he notices that his heart comes to have greater desertion towards the abode of deception and rather diverted more to the abode of company with Allah Almighty, and finds that his works have been achieved in accordance with the balance of law, he should then be assured of having his Hajj accepted (by Allah Almighty), for indeed, Allah Almighty never accepts but from whomever He loves, and if He loves anyone, he puts him under His Protection and makes the traces of His Love appear on him, and withholds from him the power of his enemy Iblis "Allah's Curse be upon him". If that is visible on him, it will indicate to the acceptance (of his pilgrimage by Allah Almighty). But if what appears on him is the opposing one, then, he will be about to have no portion of his journey but trouble and weariness: we seek refuge with Allah Almighty from that.

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

Praise be to Allah, Who has bestowed His Favour upon His servants with (sending) His Prophet (whom He) sent (to all of men and jinns), and with His Revealed Book, which " No falsehood can approach from before or behind it: it is sent down by One Full of Wisdom, Worthy of all Praise" (Fussilat 42)

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾

That through which the way of consideration has been extended for those of thoughts, with such of narrations and news as it contains, and the following of the straight method and the even path has become clear, through explaining in detail the different judgements and commandments and what is lawful has been distinguished and separated from what is unlawful in it. verily, it is the Light and luminosity, by which one attains the salvation from deception, and in which there is healing for such (of diseases and ailments) as lurk in the breasts.

Allah Almighty breaks the back of anyone of tyrants who opposes it, and leaves to stray him who seeks knowledge in anything else other than it. it the constant rope of Allah Almighty (which He stretches for the people to hold fast by it), and His Clear Light. It is the most trustworthy hand-hold, and the all-embracing bulwark . it is encompasses the little as well as the much, the small as well as the great. Its marvels never vanish, as well as its wonderful things never end. Its (infinite) benefits are beyond limitation in the sight of those endued with knowledge, nor it is consumed up by reciting it so much repeatedly in the sight of its reciters. It is that which guided the foremost as well as the last (generations); and the jinns had no sooner heard it, than they turned to their nation as warners, saying: "We have really heard a wonderful Recital! It gives guidance to the Right, and we have believed therein: we shall not join (in worship) any (gods) with our Lord." (Al-Jinn 1:2)

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾

يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾

Verily, he who believes in it has, indeed, been guided to success, and he who talks with it has indeed told the truth, and he who abides by it has indeed guided (to the right way), and he who acts upon it has indeed attained felicity.

Allah Almighty says: "We have, without doubt, sent down the Message; and We will assuredly guard it (from corruption)." (Al-Hijr 9)

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾

However, it is out of the ways of guarding it in the hearts, as well as in (a

written form in) Mushafs, the continuous recitation, and regular studies of it, in addition to undertaking its proprieties and conditions, and guarding such of internal works and external deeds as it contains. All of that could be explained in detail under four chapters:

The first chapter deals with the excellence of the Holy Qur'an, and the good merits of its people (who recite and act upon it regularly).

The second chapter discusses the outward proprieties of its recitation.

The third chapter talks about the inward works which should be observed on reciting it.

The fourth chapter investigates the (different ways of) understanding and interpretation of the Holy Qur'an depending upon intellect and the like of it.

CHAPTER ONE: ON THE EXCELLENCE OF THE HOLY QUR'AN AND ITS PEOPLE AND CRITICIZING THE NEGLECTFUL OF RECITING IT

The Excellence Of The Holy Qur'an

From amongst the Prophetic traditions in this connection, a mention might be made here of the following:

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who (is given the blessing of) reciting the Qur'an (competently and acting upon it) and he sees anyone being given something better than it, has indeed make little what Allah Almighty has exalted." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There is no intercessor, better in rank in the Sight of Allah Almighty, than the Holy Qur'an, and there is no Prophet, nor angel, nor anyone else (has such superiority as the Qur'an has)." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If the Holy Qur'an is kept in a hide, no fire could touch it." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The best religious service done by my nation is the recitation of the Holy Qur'an."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Allah Almighty had recited both Surahs of Ta Ha and Ya Sin one thousand years before He created the creatures. When the angels heard the Qur'an (being recited) they said: "Blessed be a nation upon which this Qur'an is revealed; and blessed be the insides (of men) which carry it; and blessed be the tongues which utter it." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The best among you is he, who learns the Holy Qur'an, and then teaches it (to others)." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah "Blessed and Exalted be He" says: 'He, whom the recitation of the Holy Qur'an diverts from invoking and begging Me, I give the best reward of the thankful and grateful'."

(It is narrated by At-Tirmidhi on the authority of Ibn Umar that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him") said: "Three (types of persons) will (be made to stand) on a sand hill of black musk on the Day of Judgement, who will not be frightened by reckoning nor will they be harmed by fear, until the cases of the people will be decided: a man who used to recite the

Holy Qur'an, seeking only the Countenance of Allah Almighty, and to lead a people on their own accord; a man who used to pronounce the Call to prayer (Adhan) in a mosque, and invoke Allah just for the sake of the Countenance of Allah Almighty; and a man who was examined by a large sustenance in his world, even though this did not divert him from doing the deeds of the hereafter."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The people of the Holy Qur'an is also Allah's people and elite (from among His creatures)." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No doubt, the hearts are rusted in the same way as iron is." It was said: "O Messenger of Allah! what does polish them?" he said: "The recitation of the Qur'an", and he made a mention of death. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said too: "Verily, Allah Almighty is more eager to hear the reciters of the Qur'an than an owner of a songstress to his songstress."

Now let's mention the sayings (of the ancients):

Abu Umamah Al-Bahili said: "Recite the Qur'an, and do not be deceived by those hung Mushafs, for indeed Allah Almighty never punishes a heart which is a container of the Qur'an." Ibn Mas'ud said: "If you like (to acquire) knowledge, you should then spread out the Qur'an, for it has the knowledge of he foremost as well as the last (generations of this world)." He further said: "You should recite the Qur'an, for indeed you are given as much reward for it as ten good deeds for each letter. Behold! I do not say that 'ALM" is one letter, but rather "A" is a letter, "L" is a letter, and "M" is a letter." He said too: "Let none of you ask (anyone) about himself barring the Qur'an: if he loves the Qur'an and admires it, he indeed loves Allah Almighty and His Messenger "Peace be upon him", and if he hates it, he indeed hates Allah Almighty and His Messenger "Peace be upon him"."

Amr Ibn Al-As said: "Every Holy Verse in the Qur'an (raises its reciter up) a degree (high) in the Garden, and constitutes a (source of) light in your houses." He further said: "He who recites the Qur'an (and acts upon it as it should be) has the characteristics of Prophethood between both his sides, except that he does not receive Divine revelation." Abu Hurairah said: "No doubt, the house wherein the Qur'an is being recited becomes too spacious to embrace its people, has abundance of good, in which the angels are present, and from which devils come out; and the house in which the Book of Allah Almighty is not recited becomes too narrow and constricted upon its people, turns to be short of good, in which the devils are present, and from which the angels come out."

Ahmad Ibn Hanbal said: "I saw Allah in a dream, whereupon I asked him: "O Lord! What is the best thing through which those near unto You become so much closer to You?" he said: "It is through My Speech O Ahmad." I asked: "O Lord! Is it with understanding it or without understanding it?" He said: "With understanding it, as well as without understanding it." according to Muhammad Ibn Ka'b Al-Qurzhi: "When the people will hear the Qur'an (being recited by)

Allah on the Day of Judgement, they will seem as if they have never heard it before that." According to Al-Fudail Ibn Iyad: "The carrier of the Qur'an should not be in need of anyone, and even to the rulers and those inferior to them (in rank); and that's because all of the people should be in need of him." He further said: "The carrier of the Qur'an is also the carrier of the flag of Islam. So, he should not play with him who plays, nor should he become heedless with him who is heedless, nor should he speak with falsity with him who speaks with falsity, in exaltation and adoration of the Qur'an."

According to Sufyan Ath-Thawri: "If one recites the Holy Qur'an, an angel will kiss in between his eyes." According to Amr Ibn Maimun: "He, who spreads out a Mushaf in front of him in the Morning prayer, from which he recites as many as one hundred Holy Verses, Allah Almighty raises to him as (much reward as is equal to the reward of) the deeds of all the inhabitants of this world." It is narrated that Khalid Ibn Uqbah came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and asked him to recite the Holy Qur'an to him. He recited to him: " Allah commands justice, the doing of good, and liberality to kith and kin, and He forbids all shameful deeds, and injustice and rebellion: He instructs you, that you may receive admonition." (An-Nahl 90)

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِ ﴿٩٠﴾ ﴾

He asked him once again, and he repeated it, thereupon he commented: "By Allah! it (the Holy Qur'an) has a sweetness, and it is adorned with charm, (and it is like a tree) whose lower part is full of (green) leaves, and whose upper part is full of fruits; and of a surety, it is not within the reach of the power of any human being to say (the like of) this."

According to Al-Hassan: "By Allah! there is no richness other than that of the Qur'an, and there is no destitution with it." according to Al-Fudail: "He, who recites the concluding portion of the Surah of Al-Hashr in the morning, after which he dies on that day, will be sealed with the stamp of the martyrs; and He, who recites the concluding portion of the Surah of Al-Hashr in the evening, after which he dies on that night, will be sealed with the stamp of the martyrs." Al-Qasim Ibn Abd Ar-Rahman said: "I said to one of the devout men: "There is none here to enjoy of his company." He stretched his hand towards the Mushaf, which he picked and placed on his lap and said: "It is this." According to Ali Ibn Abu Talib "Allah be pleased with him": "Three things increase the power of retaining, and remove the phlegm (sluggishness and apathy): to use toothpick, to observe fast, and to recite the Qur'an."

On Criticizing The Recitation Of The Heedless

According to Anas Ibn Malik: "How many a reciter of the Qur'an, even though the Holy Qur'an curses him!" "Such is the case of the Qur'an when it is in the inside of the wicked" according to Maisarah Al-Gharib. According to Abu Sulaiman Ad-Darani: "Verily, the angels of punishment are swifter to seize the carriers of the Qur'an who disobey Allah Almighty than they are to the idolaters

when they disobeyed Allah Almighty after the (revelation of the) Qur'an." One of the learned men said: "If one recites the Qur'an, during which he is troubled, and then he returns to resume recitation once again, it will be said to him: "You have nothing to do with My Speech."" Ibn Ar-Rammah said: "I've regretted for my keeping of the Qur'an for on the Day of Judgement, the men of the Qur'an will be questioned about the same things about which the Prophets will be questioned."

According to Ibn Mas'ud: "The carrier of the Qur'an should be distinguished (from others) by his (standing for supererogatory prayers with the Qur'an) at night, when the people sleep, by (acting upon the Qur'an during the) day when the people indulge (in doing so), by his sadness when the people rejoice, by his weeping when the people laugh, by his silence when the people are engaged in discourse, by his humility and submission when the people are arrogant and haughty. Furthermore, the carrier of the Holy Qur'an should be submissive and lenient; and it is not befitting for him to be hard, nor adulating, nor loud-voiced, nor noisy, nor bad-tempered."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Most of the hypocrites among this nation are from those who recite the Qur'an." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Keep reciting the Qur'an as long as it desists you (from doing what is shameful); and if it does not desist you, then, recite it no more." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "He has no faith in the Qur'an, who makes lawful what is unlawful in it."

One of the ancient people said: "A servant might inaugurate a Surah (from the Qur'an), thereupon the angels keep invoking Allah's Prayer and Blessing upon him until he finishes form it; and a servant might inaugurate a Surah (from the Qur'an), thereupon the angels keep invoking for Allah's Curse upon him until he finishes from it." it was said to him: "How is that?" he said: "If he makes lawful what is lawful and makes unlawful what is unlawful in it, the angels will invoke Allah's Prayer and Blessing upon him; otherwise, they invoke Allah's Curse upon him." According to a learned man: "One might recite the Qur'an, and curses himself even though he knows not, when he says: "Behold! Let Allah's Curse be upon the wrongdoers" and he is unjust to himself; and: "Behold! Let Allah's Curse be upon those who tell lies" and he is one of them."

Al-Hassan said: "However, you've taken the recitation of Qur'an as journey-portions, and take the night as a riding camel, which you ride in order to cover its journey-parts; but those who were before you considered it as messages from their Lord, which they studied at night, and acted upon by day." Ibn Mas'ud said: "Verily, the Qur'an was revealed to them in order to act upon it, but they taken its study as act; and one of you might read the Qur'an from its commencement to its conclusion, missing no letter of it, even though he has cancelled out the acting upon it."

It is narrated (by Ibn Majah) on the authority of both Ibn Umar and Jundub): We lived for a long time during which one of us might have been given faith

before (his knowledge of) the Qur'an, and once a certain Surah was revealed upon Muhammad "Peace be upon him", he would learn what is lawful and what is unlawful in it, such of commands and admonitions as it contained, and that at which he should stop (to reflect and consider) in it. afterwards, I saw men, one of whom had been given (the knowledge of) the Qur'an before faith, thereupon he recited it from the Opening of the Book to its conclusion, without having knowledge of such of commands and admonitions as it contained, nor that at which he should stop (to consider) in it; and that's because he scattered it in the same way as the grains would be scattered.

According to the Torah: "O My servant! Do you not feel shy of Me? You might receive a letter from anyone of your brothers, while you are walking in the street , whereupon you turn aside and sit in order to read it carefully and consider it letter by letter in order that nothing from it would escape you; whereas this is My Book which I have sent to you: consider how many signs I have explained for you in it, and how many I have repeated (My instructions) in it in order to reflect it entirely, but even you turn your back to it: do you see that I'm more insignificant in your sight than anyone of your brothers? O My servant! One of your brothers might sit with you, whereupon you turn your face to him wholeheartedly and pay attention to his speech: if somebody speaks, or something seems to engage you from his speech, you would soon beckon to him to keep silent; but here I'm, turning to you, speaking with you, whereupon you are turning your back to Me: do you make Me more insignificant in your sight than anyone of your brothers?"

CHAPTER TWO: ON THE OUTWARD PROPRIETIES OF RECITATION

Those are ten, and they go as follows:

The first pertains to the state of reciter: he should be in the state of ablution, having the signs of politeness and tranquility, whether standing or sitting, facing the Qiblah, lowering his head, without crossing his legs, nor reclining nor sitting in the state of arrogance or haughtiness. He should sit in the same way as he sits in front of his teacher. The best of his states is that he should recite in prayer while standing in the mosque, for indeed, this is the best deed.

But even, if he recites while lying on his bed, and not in the state of ablution, it will have its excellence, though lesser than the former. Allah Almighty says: " Men who celebrate the praises of Allah, standing, sitting, and lying down on their sides, and contemplate the (wonders of) creation in the heavens and the earth, (with the thought): "Our Lord! not for naught have you created (all) this! Glory to You! Give us salvation from the Penalty of the Fire." (Al Imran 191)

﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾

It is true that He Almighty here praises all, but at the same time, He brings forward those who celebrate while standing, followed by those who do while

sitting, and then those who do while lying down on their sides.

Ali Ibn Abu Talib "Allah be pleased with him" said: "He, who recites the Qur'an while standing in prayer receive for every letter as many as one hundred good deeds; and he who recites it while sitting in prayer receives for each letter as many as fifty good deeds; and he who recites it while being in the state of ablution, but not in prayer, receives for each letter as many as twenty-five good deeds; and he who recites it and he is not in the state of ablution receives for each letter as many as ten good deeds." What is recited during the standing for supererogatory prayer at night is more excellent, for this helps the heart become more devoted (to the religious service). According to Abu Dharr "Allah be pleased with him" said: "The great number of prostrations during the day, and the long standing (for supererogatory prayers) at night are much more excellent."

The second pertains to the amount of the Qur'an (which should be recited). However, the reciters have different ways and customs in making much or little the amount which they recite (each time). Some of them read the Qur'an to its conclusion once every day and night, some twice, and others go as far as to recite it to its conclusion even three times every day and night. But some of them read it to its conclusion once per month. But the best reference of estimation in this respect is the statement of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "He, who recites the Qur'an in less than three days has, indeed, not understood it (as it should be)." That's because to increase the rate of that prevents its being recited perfectly.

On hearing a man reading the Qur'an by way of narrating, A'ishah "Allah be pleased with her" said: "This man has not read the Qur'an (as it should be read), nor has he kept silent." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" commanded Abdullah Ibn Amr to read the Qur'an entirely within (no less than) a week. This was the habit of such companions as Uthman, Zaid Ibn Thabit, Abdullah Ibn Mas'ud, and Ubai Ibn Ka'b "Allah be pleased with them", to read the Holy Qur'an entirely every week.

From this point of view, it might be said that reading the Qur'an entirely is of four grades: to read it entirely every day and night, and it is disliked by a group of learned men; to read it entirely every month, on the basis of a daily section. As well as this latter is considered to be an extremely so little, the former is regarded also to be an extremely so much. However, there are two moderate grades between both extremes, one of which is to read it entirely once every week, and the other twice or nearly thrice every week. It is more desirable to make the conclusion of one of them at night of Friday, in the two-rak'ah prayer of Maghrib or after it, and the other on the daylight of Monday, in the two-rak'ah prayer of Fajr or after it, in order that he would receive the first portion of both daylight and night with such conclusion. Indeed, if he concludes it at night, the angels "Peace be upon him" keep invoking Allah's Prayer and Blessing upon him until morning enters upon him, and if he concludes it by daylight, they keep invoking Allah's Prayer and Blessing upon

him until night enters upon him; and in this way, their blessing encompasses night and daylight.

To explain the amount of recitation in detail, let's say that if he belongs to the worshippers, who follow the way of the (practical) work, let his recitation of the Qur'an entirely to its conclusion be no less than twice a week; and if he belongs to the followers of the way of the works of the heart and the methods of thought, or to those who are engaged in spreading knowledge, there is no blame upon him to be satisfied with reciting it entirely once a week; and if he belongs to those of piercing reflections on the meanings of the Qur'an, there is no harm to be satisfied with reciting it entirely once per month, in view of his need for repeating it and reflecting on it so many times.

The third pertains to the point of division. As for him who recites the Holy Qur'an entirely once per week, let him divide the Qur'an into seven divisions. However, the holy companions divided the whole of the Qur'an into many divisions (in facilitation of recitation). In this respect, it is narrated that Uthman "Allah be pleased with him" used to start his recitation of the Qur'an on the night of Friday from the Surah of Al-Baqarah until the end of Al-Ma'idah, on the night of Saturday from Al-An'am to Hud, on the night of Sunday from Yusuf to Maryam, on the night of Monday from Ta Ha to Al-Qasas, on the night of Tuesday from Al-Ankabut to Sad, on the night of Wednesday from As-Sajdah to Ar-Rahman, and on the night of Thursday, he would conclude it. But the way Ibn Mas'ud used to divide it into many parts differed from that.

Furthermore, it is said that the Qur'an is of seven divisions: the first consists of three Surahs, the second of five, the third of seven, the fourth of nine, the fifth of eleven, the sixth of thirteen, and the seventh consists of the (Surahs of) the Mufassal, beginning from Qaf to the conclusion of the Qur'an. This is the way the companions "Allah be pleased with them" divided the Qur'an, and this was the way they recited it. they depend upon a narration handed down from The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". This was before the development of other kinds of dividing it into fifths, tenths and sections; and what is beyond that belongs to the innovations (which has no reference in the tradition of the Prophet and the companions after him).

The fourth pertains to writing. It is desirable to make good and clear the writing of the Qur'an, and there is no blame to use dots and red signs, which embellish it, and contribute in its exposition, and stand against falling into mistakes and errors on the part of him who recites it. it is said that both Al-Hassan and Ibn Sirin rejected (the division of the Qur'an into) fifths, tenths and sections. It is also narrated that both Ash-Sha'bi and Ibrahim disliked the use of dots and red signs, and the acceptance of charge for that, and they used to call for depriving the Qur'an of all of that. I think they disliked to open such door for fear it would lead to the possibility of additions and they rather favoured to close the door (of differences and disputations), and were more eager to guard the Qur'an from such of changes as might befall it, even though it would not result in what is forbidden.

The people unanimously agreed, in this matter, that there is no harm to use only what contributes to the increase of knowledge, even though it has been renovated, for indeed, how many an innovated matter which is good, such as the establishment of the Tarawih prayer in congregations in the mosques, which is reported to be innovated by Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him", and it is a good innovation, unlike the blameworthy innovation, which contradicts the traditional sunnah, and is about to lead to changing it.

One of the learned men said: "I might read from the dotted Mushaf even though I do not make the dots myself." According to Al-Awza'i who narrates it from Yahya Ibn Abu Kathir: "The Mushaf at first was void of dots, and the first to be innovated was to place the dots on the letters of Ba and Ta, saying that there is no harm in it, since it enlightens its (letters and distinguishes it from each other). Then, they innovated the big dots at the end of the Holy Verses, saying that there is no harm in it, since by which the beginning of the Holy Verses could be distinguished and known. After that, they innovated the beginning and ending signs." Abu Bakr Al-Hudhali said: I asked Al-Hassan about the red dots in the Mushafs and he asked me: "What are those dots (and what is their significance)?" I said: "They distinguish by them the nominal cases of words." On that he said: "There is no harm to distinguish the nominal cases of the words of the Qur'an." Khalid Al-Hadhdha' said: "I visited Ibn Sirin, and found him reciting in a Mushaf whose writing implied dots, even though he disliked the use of dots in writing."

It is said that it was Al-Hajjaj (Ibn Yusuf Ath-Thaqafi) who renovated this (use of dots). He brought the reciters and commanded them to count the words and letters of the Qur'an, and divided it into equal parts, which they made into thirty sections, each containing other subsections (i.e. each section consists of two parts (Hizb), and each part consists of eight quarters).

The fifth pertains to the recitation in slow, measured rhythmic tones; and it is desirable, for we are going to explain that the final purpose of reciting the Qur'an is to reflect its meanings, and such style of recitation in a slow measured rhythmic tones helps achieve such contemplation. For this reason, Umm Salamah described (with appreciation) the manner of recitation of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and behold! She described a manner of articulate recitation, in which each letter is uttered clearly. Ibn Abbas said: "It is dearer to me to recite both Al-Baqarah and Al Imran in a slow measured rhythmic tones and pleasant voice in which I reflect their meanings than to read the whole of the Qur'an quickly (with no consideration of its meanings)." He further said: "It is dearer to me to recite (no more than both Surahs of) Az-Zalzalah and Al-Qari'ah in a slow measured rhythmic tones and pleasant voice, and reflect their meanings than to recite both Al-Baqarah and Al Imran quickly (without considering their meanings)." Mujahid was asked about two men having entered the prayer, in which their standing was equal (in length), but one of them read only the Surah of Al-Baqarah and the other read the Holy Qur'an entirely, thereupon he said: "They are equal in reward."

It should be known to you that the recitation in a slow measured rhythmic

tones and pleasant voice is desirable, not only for the purpose of reflecting and considering its meanings, since it is desirable for the non-Arab who could not understand well the meanings of the Qur'an to recite it in a slow measured rhythmic tones, for this manner is closer to showing veneration and reverence, and more impressive than to recite it quickly and hastily.

The sixth pertains to weeping. Weeping is desirable in recitation. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Ibn Majah on the authority of Sa'd Ibn Abu Waqqas): " you should weep (on reflecting its meanings); and if you fail to weep (naturally), force yourselves to weep." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "He does not belong to us who does not recite the Qur'an in a pleasant sweet voice." Salih Al-Murri said: I recited the Holy Qur'an to The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" while I was in a dream, thereupon he said to me: "O Salih! This is the recitation: where is then the weeping (which should be concomitant to it)?" Ibn Abbas said: "If you recite the (Holy Verse of) prostration in which Allah Almighty is glorified, do not hasten to prostrate yourselves until you weep first; and in case the eye of anyone of you does not shed tears, let him weep with his heart."

The way of forcing oneself to weep is to bring about grief in his heart, for it is from such grief that weeping develops. In this respect, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The Qur'an has been sent down for grief: so, if you recite it, you should entertain sadness (in your hearts)." The way of bringing about such sadness (in one's heart) is to consider such of warnings, threats, covenants and pledges as it contains, and then ponder on his indulgence in following such of commands and admonitions as it has, which inevitably leads him to become sad and go on weeping. Therefore, if he does not entertain sadness and weeping like the masters of pure hearts and souls, then, let him weep on his loss of such sadness and weeping, which is, to be sure, the greatest disaster one might have.

The seventh is to observe the rights of such of Holy Verses as he recites. Whenever he comes upon a Holy Verse of prostration, let him soon prostrate himself; and let him do so whenever he hears from someone else a Holy Verse of prostration, in case the reciter himself prostrates himself, on the condition that he should not fall in prostration unless he is in the state of purification and ablution. There are fourteen Holy Verses of prostrations in the Qur'an, two of which are in the Surah of Al-Hajj, but there is none in the Surah of Sad. The least performance of prostration is to place his forehead on the ground, whereas the most perfect is to glorify Allah Almighty and fall in prostration, and supplicate Allah Almighty with such of supplication as is relevant to the Holy Verse which he has recited.

Whenever he recites, for example, Allah's statement: "Only those believe in Our Signs, who, when they are recited to them fall down in adoration, and celebrate the praises of their Lord, nor are they (ever) puffed up with pride" (As-Sajdah 15)

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾

Thereupon he says: "O Allah! make me of those who prostrate themselves for Your Countenance, exalt You with Your Praises; and I seek refuge with You from being of those who are too arrogant to follow Your Command (and of those who are) puffed up with pride before Your devotees"; and whenever he recites Allah's saying: " They fall down on their faces in tears, and it increases their (earnest) humility" (Al-Isra' 109)

﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾

Let him say: "O Allah! make me of those who weep for Your Sake, and bow to You in humility"; and the same is true of each (Holy Verse of) prostration.

Furthermore, the same conditions of prayer apply to such prostration, such as to cover the private parts, face the Qiblah, purify both garment and body from excrements and impurities. If one is not in the state of purification and ablution by the time he hears (a Holy Verse of prostration), let him offer the prostration once he gets purified and performs ablution. In doing it perfectly, it is said that one should utter Takbir while raising his hands (up to the level of his shoulders) to assume it, and then utter another Takbir in order to fall down in prostration, and then utter a third Takbir to raise (from the posture of prostration) and utter the salutation. Others added to that the recitation of Testification (Tashahhud), and it has no reference more than the analogy to the prostration of prayer, ever though it is unlikely. What has been handed down is the order to fall in prostration, and thus it is this order that should be followed, and the Takbir of falling down is much closer to be the beginning, and what is beyond that is improbable. The one led in prayer should not fall in prostration unless the imam himself does, and thus one should not prostrate for his own recitation in case he is led in prayer.

The eighth is that reciter should say in the beginning of his recitation: "I seek refuge with Allah, All-Hearing, All-Knowing from Satan, the despised. O Lord! I seek refuge with You from the evil suggestions of Satans, and I seek refuge with You O Lord from their presence with me. Let him also recite both Surahs of An-Nas and Al-Fatihah. On finishing from recitation, let him say: "Allah Almighty has told the truth, and the Messenger of Allah has conveyed (the message in full as he was commanded): O Allah! make it a source of benefit to us, and bless us in it; praise be to Allah, Cherisher and Sustainer of the worlds; and I ask for the forgiveness of Allah, the Ever-Living, Self-Subsisting, Eternal." Whenever, during his recitation, he comes upon a Holy Verse of Tasbih, let him exalt (and exalt Allah Almighty), and whenever he comes upon a Holy Verse of supplication and Istighfar (asking for forgiveness), let him supplicate and ask for Allah's forgiveness, and if he comes upon something to be expected, let him ask for it, and if he comes upon something that is frightening, let him seek refuge (with Allah from it), doing all of that with his tongue or with his heart, saying: Exalted be Allah! we seek refuge with

Allah! O Allah! bestow sustenance upon us! O Allah! bestow mercy upon us!"

It is narrated on the authority of Hudhaifah that he said: I performed (supererogatory) prayer behind The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", in which he began his recitation with the Surah of Al-Baqarah: he did not come upon a Holy Verse of mercy but that he asked (Allah for His Mercy), nor upon a Holy Verse of punishment but that he sought refuge (with Allah), nor upon a Holy Verse of transcendence but that he glorified (Allah Almighty). Whenever he finished, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to say at the conclusion of the Qur'an: "O Allah! bestow mercy upon me by virtue of the Qur'an, and make it for me a leader (to the truth) a (source of) light, guidance and mercy. O Allah! remind me of that which I forget of it, and teach me that which I do not know of it, and endow me with the blessing of reciting it at the hours of the night and both ends of the daylight, and make it an argument in my favour (on the Day of Judgement) O Cherisher and Sustainer of the worlds."

The ninth pertains to the recitation aloud. There is no doubt that one should recite aloud enough at least to the extent that makes him here himself, since the recitation is to read letters articulately, which requires a voice, in which he could manage, at least to hear himself. But if he is not able to hear himself, his prayer becomes invalid. But as to make his recitation audible to others, it is desirable on one point, and undesirable on another point. The following narration attests the desirability of reading in a low tone, in which The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The superiority of the recitation in a low tone to the recitation aloud is like the superiority of the charity to be given in secrecy to that which is given in public."

According to another version: "He who recites the Qur'an aloud is like him who gives in charity publicly, and he who recites the Qur'an in a low tone is like him who gives in charity secretly." According to a common tradition: "The deed which is done in secret is seventy times superior to that which is done in public." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "The best of sustenance is that which suffices one's (necessary) requirements; and the best of celebrations is that which is hidden." In another tradition: "Let none of you recite the Qur'an aloud (to the extent of confusing) each other (in the supererogatory prayer) between Maghrib and Isha'."

One night, Sa'id Ibn Al-Musayyab heard Umar Ibn Abd Al-Aziz in the mosque of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" reciting the Qur'an aloud in his prayer, and he had a pleasant voice, thereupon he said to his servant: "Go to this praying man, and tell him to lower his voice in recitation." The servant said: "Verily, the mosque is not for us particularly (apart form others), and the visitors should have a portion in it." on that Sa'id raised his voice and said: "O praying man! If you intend Allah Almighty with your prayer, you should then lower your voice, and if you intend the people, (you should know that) they will not avail you without Allah Almighty." Umar Ibn Abd Al-

Aziz kept silent and shortened his prayer. When he finished from his prayer he took his sandals and turned away; and at that time, he was the governor of Medina.

On the other hand, the desirability of reciting aloud is confirmed by the narration in which The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" heard one day a group of his companions reciting the Qur'an aloud in their night prayer, of which he approved. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If anyone of you stands at night (to offer the supererogatory prayer) let him recite aloud, for indeed the angels and the house dwellers listen to his recitation and pray with his prayer."

Once, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" came upon three of his companions "Allah be pleased with them" and all were in different states (in their prayer): he came upon Abu Bakr who was reciting Qur'an in a low tone, and when he asked him about that he said: "No doubt, he with Whom I have a private discourse assuredly hears me well." He came upon Umar who was reciting aloud, and when he asked him about that he said: "In order to awaken the sleeping one and avert the devil." He then came upon Bilal and he was reciting a Verse from a certain Surah and a Verse from another Surah, and when he asked him about that he said: "I mix good with good." On that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "All of you have done well, and right."

The point of combining those different narrations is that reciting in a low tone is farther from showing off and ostentation, and it is better for him who fears that for himself. But if one has no such fear, and, at the same time, his recitation aloud does not confuse other praying men, then, reciting aloud becomes better, for the work exerted therein is much on the one hand, and because its benefit returns to others (who listen to it); and of a surety, the transitive good is better than the intransitive. Furthermore, it awakens the heart of the reciter, and causes his attention to concentrate on reflecting it, and diverts his hearing to it unreservedly. Raising the voice also averts slumber, increases his activity of reciting, and diminishes his laziness. With his recitation aloud, one expects to awaken the sleeping one, which thus makes him a direct cause of giving life to him (by causing him to get up and stand for the night prayer). On the other hand, one who is idle and heedless might see him, and is stimulated by his activity and become eager to do the service. So, once he has any of those intentions, the recitation aloud becomes much better for him; and if he has all of those intentions together, his reward will be multiplied. Verily, the greater the good intentions are in number, the higher the deeds of the righteous rise, and the more their rewards multiplied: if with one deed a person has ten intentions, his reward thereof will be multiplied ten times.

For this reason, we say that to recite the Qur'an in the Mushafs is better, for it adds to the deed the view, reflection and carrying of the Mushaf, because of which the reward increases. It is said that the (reward of the) religious service (of reciting the Qur'an) in a Mushaf is seven (times greater), because looking at the

Mushaf is also a kind of worship. Uthman "Allah be pleased with him" is reported to have torn two Mushafs in view of his reciting in them so much. However, a great number of the holy companions used to recite in Mushafs, and disliked to have a day come upon them without looking at the Mushafs. One day, one of the jurisprudents of Egypt visited Ash-Shafi'i a short time before dawn, and there was a Mushaf in front of him. Ash-Shafi'i said to him: "No doubt, the contemplation has diverted you from the Qur'an. I offer the Isha' prayer and then place the Mushaf in front of me, and does not fold it until morning enters upon me."

The tenth is to make perfect the reading, and reciting the Qur'an in a slow measured rhythmic tones through quivering voice, without exceeding in protracting it to such an extent as to change its structural syntax: of a surety, this is out of the sunnah. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Abu Dawud, An-Nasa'i, Ibn Majah and Ibn Hibban on the authority of Al-Bara' Ibn Azib): "Adorn the (recitation of the) Qur'an through (making pleasant) your voices." (It is further unanimously narrated on the authority of Abu Hurairah that) The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah never listens to anything in such a way as He listens to a pleasant voice that is reciting the Qur'an." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "He does not belong to us who does not recite the Qur'an in a quivering pleasant voice." (In comment on this narration it is said that he means 'who does not become independent (from others) with the Qur'an'; and it is also said that he means by it to vibrate the voice and follow good tones in recitation; and this is much closer to the right understanding in the sight of the linguists).

(It is narrated by Ibn Majah on the authority of A'ishah that)One night, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was waiting A'ishah who delayed to come to him (after she had prayed Isha), and when she came the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" asked her where she was, she said: "I was listening to the recitation of one of your companions, the like of whose recitation and (sweet) voice I've never heard from anyone." He stood up and went to listen to him and then he returned and said: "This is Salim, the freed slave of Abu Hudhaifah: Praise be to Allah Who has endowed my nation with one like this (man)."

One night, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" listened to the recitation of Ibn Mas'ud, and both Abu Bakr and Umar were with him (the Prophet). They kept standing for a long time, after which he said: "He, who likes to read the Qur'an in its state of freshness and tenderness in the same manner as it was sent down, let him read it according to the way of reading of Ibn Umm Abd (the nickname of Ibn Mas'ud)."

Once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Ibn Mas'ud: "Recite (the Qur'an) to me." He said: "O Messenger of Allah! should I recite the Qur'an to you even though it has been revealed to you?" the

Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I like to listen to it being recited from others." He recited, while the eyes of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" were overflowing with tears.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" listened to the recitation of Abu Musa Al-Ash'ari thereupon he said: "No doubt, this (man) was granted one of the sweet melodious voices of the family of David." When this reached Abu Musa he said: "O Messenger of Allah! Had I known you were listening, I would have adorned its (recitation) for you more perfectly." Once, Haitham the Reciter saw the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in his dream, thereupon he said: He then said to me: "Are you Haitham who adorn (the recitation of) the Qur'an through (making pleasant) your voice?" I answered in the affirmative, thereupon he said: "Might Allah make good your reward."

According to a certain narration, whenever the companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" gathered, they used to order one of them to recite aloud a Surah from the Qur'an before them. Umar used to say to Abu Musa: "Remind us of our Lord." We would then keep reciting in his presence until it would be the middle of the time of prayer, thereupon it would be said to him: "O Commander of Believers! (It is time for) prayer! (It is time for) prayer!" He would say: "Are we not in prayer?"

This is in reference to Allah's statement: "and remembrance of Allah is the greatest (thing in life) without doubt." (Al-Ankabut 45)

﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who listens to a Holy Verse (being recited) from the Book of Allah Almighty, it will be a (source of) light for him on the Day of Judgement (and according to another version "and ten good deeds will be written for him")." If the reward of the listener is great, and it is the reciters who causes it, his (the reciter) becomes a partner in that reward, unless his intention is just to be seen of men and show ostentation.

CHAPTER THREE: ON THE INWARD WORKS OF RECITATION

They are ten: the first is the understanding of the original meaning of words (of the Qur'an); then the exaltation (of the Qur'an); then the heart's presence (and attentiveness in recitation); then the reflection (on the ideas and concepts which implied in the Qur'an); then the comprehension (of its significances); then releasing oneself from the obstructions of understanding; then the giving particularization (to every Holy Verse); then the impression; then the promotion; and then the freedom (from one's strength and ability).

The first is to understand well the great excellence and superiority of the words (of the Qur'an), and the favour and bounty of Allah Almighty, and His Kindness towards His creatures, as shown from His descent from His Throne of Majesty to the degree of having His speech understandable to His creatures.

Consider then How he has been kind to His creatures, through conveying the meanings of His Speech, Which is an Ancient Attribute belonging to His Nature, to the minds of His creatures, and how this Attribute is manifested to them in the form of utterance of letters and sounds, a characteristic belonging to men, since it is beyond the reach of the minds of the human beings to understand well the Attributes of Allah Almighty except by way of describing them. Had it not been for the fact that the essence of the majesty of His Speech is concealed underneath the veil of letters, surely, no throne nor earth would have stood firm on hearing His Speech, and what is between them would have vanished because of His Magnificent Authority and Great Light.

Moreover, had Allah Almighty not made Moses firm, he would not have endured to hear His Speech, just like the mount which did not abide by its place on the commencement of the manifestation of His Glory upon it, whereas it went to dust.

Furthermore, the great excellence of Allah's Speech could not be made understandable except by way of setting forth parables in proportion with the capability of the people's minds. Thus one of the Gnostics expresses this idea by saying that each letter of the Speech of Allah Almighty is in the Preserved Tablet greater and more huge than the mountain of Qaf, and if all of the angels "Peace be upon them" gather together round a single letter to move it, they would not endure it unless Israfil "Peace be upon him", the angel of the Preserved Tablet would come and raise and move it, by permission and mercy of Allah Almighty, and not by his (Israfil's) power or capacity; but it is Allah Almighty Who has given him such power, therewith He uses him.

A wise man expresses elegantly the significance of Allah's Kindness (towards His Creatures) as shown from making the meanings of His Speech constantly understandable to the minds of men, in spite of its high rank and great superiority on the one hand, and man's shortage and inferiority on the other hand. He sets for a parable, in which he does not prove short (of illustration): A sage invited one of the kings to have faith in the law brought about by the Prophets, thereupon eh asked him about many things, and he gave him answers which were beyond the reach of his understanding. On that the king said to him: "Tell me about what the Prophets might bring about: if they pretend it is not a human speech, and it is rather the Divine Speech of Allah Almighty, how should the people have power to carry it?"

The sage said: "In our opinion, when the people wanted to make the various kinds of beasts and birds understand their purposes of moving them forward or backward, their going and returning, and at the same time, observed that the beasts and birds had no mental power to understand their speech, springing from the lights of their intellects, in spite of its elegance and embellishment, and pretty structure, they (were forced to) descend to the rank at which the beasts could be able to understand, and conveyed to their minds their purposes, through sounds which they set depending upon clicking and whistling, and the sounds which nearly resembled theirs, in order that those (beasts) could be able to carry (the significances of) them.

The same is true of the people, who fail to carry the Speech of Allah Almighty in its real essence and perfect attributes. But rather they came to understand it only through such of sounds as widespread among themselves, with which they heard the wisdom, just like the sounds of clicking and whistling with which the beasts (and birds) heard from the people. Nevertheless, this does not prevent the deep significances and meanings of wisdom which are concealed in its real attribute to have the word-sounds (through which it is manifested) decked with honour and exaltation, resulting from the honour and exaltation of this wisdom. In this way, the sound-word has come to act as a body and residence for the wisdom, whereas wisdom as its breath and spirit. As well as the human bodies are honoured and cherished by virtue of the position of the spirits (which inhabit them), the word-sounds are honoured and exalted by virtue of the honour and excellence of the wisdom implied in them.

But even, the speech (of Allah) is of high position, lofty rank, compulsive authority, effective judgement in truth and falsehood. It is the fair judge and the accepted witness, which has the power to enjoin (what is right) and forbid (what is false), and the falsehood has no power to stand against the speech of wisdom, in the same way as the shade has no power to stand against the sun rays; and the human beings have no power to penetrate into the depths of wisdom, as well as their eye-sights have no power to endure the burning light of the sun, but they get of the sun light what is enough for their sights to remain effective, and for them to be guided to their needs.

Thus, the speech (of Allah) is like a king whose face is veiled (from his subjects), even though whose commands and orders are in force among them, or like the great visible sun of abundant light, but whose essence is hidden, or like the flourishing stars by which one who is misled could be guided aright. It is the key of the valuable precious treasures, and the drink of life which, whoever drinks thereof, will never die, or like the medicine of the ailments which, whoever is given some thereof, will never be patient. This, which the sage has mentioned, is a brief explanation of the way of making the meaning of the speech understandable (to men); and what is beyond that is not fitting for the science of practical religion, and thus one should be satisfied only with that.

The second is to exalt the Producer of Speech. The reciter, at the beginning of his recitation, should bring in his heart the great Magnificence and Majesty of the Producer of Speech, putting in mind that what he is reciting does not belong to the human speech, on the one hand, and the fact that in the recitation of the Speech of Allah Almighty the utmost care should be taken, since Allah Almighty says in this respect: " That this is indeed a Qur'an most honourable, In a Book well-guarded, Which none shall touch but those who are clean." (Al-Waqi'ah 77:79)

﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝ ﴾

As well as the visible cover and papers of the Mushaf are well-guarded from the skin and complexion of the toucher unless he is clean, so are the internal

meanings of the Qur'an, because of its power and glory, veiled from the inside of the heart of the reciter unless it gets pure and clean from any kind of abomination, and is enlightened by the light of exaltation and veneration; and as well as it is not befitting for any hand to touch the cover of the Mushaf, it is also not befitting for any tongue to recite the letters of the Qur'an, nor for any heart to attain its meanings.

For such exaltation, it was the habit of Ikrimah Ibn Abu Jahl to fall unconscious whenever he spread out the Mushaf and say: "This is the Speech of my Lord! This is the Speech of my Lord!" to be sure, to exalt the speech is also to exalt the Producer of the Speech; and one could not bring about such great magnificence of the Producer of Speech in his heart unless he thinks of His Attributes, Acts and Majesty and Glory.

If it occurs to his mind the Throne (of Authority), the heavens and the earth, and what is lying between them, such as men and jinns, animals and plants, and is well-aware of the fact that the Creator, the Sustainer, and the Cherisher One, Who has power over all of them is One, and that all of them are in the grip of His Power, wavering between His Bounty and Mercy on the one hand, and His Wrath and Punishment on the other hand, that if He bestows a blessing, it is out of His Bounty and Generosity, and if He punishes, it is by His Justice and Fairness, and that it is He Who says: "Let those be admitted to the Garden, and I have no care; and let those be admitted to the fire (of Hell), and I have no care", and this is the utmost of Magnificence and Loftiness, I say that if one thinks of all of that, he soon brings in his heart the exaltation of the Producer of Speech, and then the exaltation of the Speech itself.

The third pertains to the presence (and attentiveness) of the heart, and freeing oneself from any innermost talks. In comment on Allah's saying: "O Yahya! take hold of the Book with might" (Maryam 12)

﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ ﴾

It is said that it means with serious effort and endeavour. To take it with serious effort is to devote oneself wholeheartedly to it on reciting it, with his attention diverted entirely to it from anything else. It was said to one of those (learned men): "do you talk to yourself with anything while you are reciting the Qur'an?" he said: "Is there anything dearer to me than the Holy Qur'an so that I would talk to myself with?" it was one of the ancient righteous men that whenever he recited a Holy Verse in which his heart was not attentively present, he would repeat it.

However, this state is developed from the previous one, i.e. the exaltation (of the Speech as well as of the Producer of the Speech). He who exalts the speech which he is reciting rejoices of it, and feels its companionship, and becomes not heedless of it. The Holy Qur'an has that thing with which the reciter becomes affable, but if the reciter is fitting for it: how then should he seek the companionship with any other thoughts or ideas, seeing that (while he

is reciting the Qur'an) he is in an enjoyment, which has such of landscapes and views as by which he is occupied from looking at anything else?

It is said that the Qur'an is full of squares, gardens, closets, bridals, preludes, meadows and stores: the (Surahs which begin with the letters) Alif Lam Mim are the squares of the Qur'an; the (Surahs which begin with the letters) Alif Lam Ra' are the gardens of the Qur'an; the (Surahs which begin with the letter) Ha are the closets of the Qur'an; the (Surahs which begin with) Tasbih are the bridals of the Qur'an; the (Surahs which begin with the letters) Ha Mim are the heavy brocades of the Qur'an; and the (Surahs of the) Mufassal are the meadows of the Qur'an; and the stores are what is beyond that. If a reciter enters its squares and picks up (the fruits) from its gardens, and then visits its closets, and watches its bridals, and puts on the heavy brocades, and then has a tour in its meadows, and then inhabits in the mansions of the stores, he will be entirely involved in all of that, by which he will be occupied from anything else, with the result that his heart will not flee away from him, nor will his attention be dispersed (among different thoughts and various ideas).

The fourth is to reflect (on the meanings of the Qur'an); and this state stands beyond the presence of the heart. However, one might not think of anything else other then the Qur'an. But at the same time, he might be satisfied with listening to the (recitation of the) Qur'an from himself, without reflecting on its meanings. But of a surety, the purpose of reading is to reflect (on the significances and meanings of what is read); and it is for this reason that the recitation in a slow, measured rhythmic tones was set pertaining to the Qur'an. that's because this manner is outwardly recitation, through which one is able to inwardly reflect on the meanings (of the Qur'an). According to Ali "Allah be pleased with him": "There is no good in a religious service, of which there is no understanding (of its religious ground), nor is there any good in a recitation in which there is no reflection (on the meanings of the Qur'an)."

If one could not manage to reflect (on the meaning of what he is reciting) except through repetition, let him repeat, unless he is (in prayer) behind an imam, for in this case, if he stops to engage himself in the reflection of (the meaning of) a certain Holy Verse and the imam moves to another Holy Verse, he will become sinful, like the one who engages himself in admiring only one word of the speech of him who talks to him, from understanding the rest of the speech. The same is true of him in case he is in the state of Tasbih during bowing (or prostration), while he engages his mind in the reflection of the meaning of a certain Holy Verse his imam has recited (during the posture of standing), for this indeed is out of the whispers (which occurs to one's mind to divert him from the prayer).

In this respect, it is narrated on the authority of Amir Ibn Abd Qais that he said: "The whispered suggestions befall me during the prayer." He was asked: "Are those connected with the affairs of this world?" he said: "To have the lances strike my body one after the other is much dearer to me than that. But my heart is always engaged in my position in front of my Lord Almighty and how could it be fitting for me to turn away?" he then regarded this thought a whispered

suggestions; and it is so as long as it diverts him from understanding what he is reciting in his prayer, and of a surety, Satan could not have power over the like of this man except through causing him to be engaged in the serious matters of his religion (even though other than that by which he is supposed to be occupied), with which he obstructs him from (being engaged in) what is better (i.e. to be well-aware of what he is reciting in his prayer). When this was related to Al-Hassan he said: "If you are truthful (in your narration) from him, no doubt, Allah has not made that with us."

It is narrated that once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" recited "In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful" twenty times; and he did so for the purpose of reflecting on its meaning and significance. It is narrated on the authority of Abu Dharr that he said: One night, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" stood with us (in the supererogatory night prayer) with only one Holy Verse he kept reciting, i.e. "If You do punish them, they are Your servants: if You do forgive them, You are the Exalted in power, the Wise." (Al-Ma'idah 118)

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾

One night, Tamim Ad-Dari stood (for the night supererogatory prayer) only with the following Holy Verse: "What! do those who seek after evil ways think that We shall hold them equal with those who believe and do righteous deeds, that equal will be their life and their death? Ill is the judgment that they make." (Al-Jathiyah 21)

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

Sa'id Ibn Jubair stood one night (for supererogatory prayer) with the following Holy Verse which eh kept reciting: "And O you in sin! get you apart this Day!" (Ya Sin 59)

﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

One of those (learned men) said: "It happens that I inaugurate (the recitation of) a Surah, thereupon some (of its meanings) that I observe in it stops me from finishing from it until dawn rises." According to another one: "I expect no reward (for me) for a Holy Verse which I could not understand its meaning, and in which my heart is not present." It is narrated from Abu Sulaiman Ad-Darani that he said: "I recite a Holy Verse in a slow, measured rhythmic tones, and remain in the state of reflecting on its meanings for four or even five nights, and had I not stopped from thinking of it, I would not have left it to another one."

It is narrated from one of the early men that he remained in the state of reciting the Surah of Hud repeatedly for six months, during which he did not cease to reflect on its (meanings and connotations). One of the Gnostics said: "I have a weekly (reading of the whole Qur'an to its) conclusion, a monthly (reading

of it entirely to its) conclusion, a yearly (reading of it entirely to its) conclusion, and a (reading of the Holy Qur'an from its beginning to its) conclusion, from which I have not finished for thirty years." Those differ in length according to the degree of his reflection and investigation in it. this man also said: "I placed myself in the position of the hirelings, according to which, I have a daily work, a weekly work, a monthly work, and a yearly work."

The fifth is the comprehension. It is to try to grasp, from each Holy Verse, what is relevant to it. however, the Holy Qur'an includes the Attributes and Acts of Allah Almighty, the states of the Prophets and Messengers "Peace be upon them", the states of those who belied them, and how they were ruined, the commands and admonitions of Allah, the Garden and the fire (of Hell).

The Attributes of Allah Almighty are mentioned in such Holy Verses as His Almighty's statement: "there is nothing whatever like unto Him, and He is the One that hears and sees (all things)." (Ash-Shura 11)

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

And: " Allah is He, than Whom there is no other god; the Sovereign, the Holy One, the Source of Peace (and Perfection), the Guardian of Faith, the Preserver of Safety, the Exalted in Might, the Irresistible, the Supreme: Glory to Allah! (High is He) above the partners they attribute to Him." (Al-Hashr 23)

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

Let one then consider the meanings of those words and attributes, in order that their mysteries might be revealed to him, for indeed, underneath them there lie buried meanings and concepts which are not disclosed but to those given success (by Allah).

To this idea did Ali Ibn Abu Talib "Allah be pleased with him" referred in his statement: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did not favour me with anything private which he concealed from the people, unless one of Allah's servants is given a special faculty of comprehension in His Book." So, let one be eager to seek this faculty of comprehension. Ibn Mas'ud said: "He, who likes to get the knowledge of the foremost and the last, let him seek it in the Holy Qur'an. The greatest knowledge which is implied in the Qur'an are included under Allah's Names and Attributes, for most of the people do not comprehend of them but what is within the limits of their understanding, without penetrating into their depths.

His Acts are referred to in His mentioning the creation of both the heavens and the earth, and all things created by Allah Almighty. Let the reciter understand from them the Attribute and Majesty of Allah Almighty, since the act always indicates to its doer, in the sense that its greatness attests His greatness. So, let him witness, in his mind, the Doer independent from the act itself, for he who knows the truth should see it in everything round him, since

everything comes from Him, and inevitably should return to Him, and is done by Him, and for Him. He then is assuredly the entirety; and he who does not see Him in all that he sees does not, in fact, know Him (as he should be known); and he who knows Him (as He should be known) should come to perceive that everything, barring Allah Almighty, is nothing, and that "Everything should inevitably perish barring His Own Countenance" (Al-Qasas 88)

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾

It is not that everything (that exists) will become nothing in the next state (of life), but it is nothing at that time, in case one considers His Own Self as He is , unless he considers his existence as he is really existent, by Virtue and Power of Allah Almighty, and thus, his existence, as viewed from the perspective of its being dependent (upon Him) is constant, whereas it is nothing when it is viewed from the perspective of its being independent from Him; and this is one of the principles of the Science of Revelation.

For this reason, if the reciter reads Allah's saying: "Do you then see? The (human Seed) that you throw out, Is it you who create it, or are We the Creators? See you the seed that you sow in the ground? Is it you that cause it to grow, or are We the Cause?... See you the water which you drink? Do you bring it Down (in rain) from the Cloud, or do We?... See you the Fire which you kindle? Is it you who grow the tree which feeds the fire, or do We grow it?" (Al-Waqi'ah 58:59, 63:64, 68:69, 71:72)

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ
﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾
أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ
﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ
نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

He should not then restrict his view to the semen, the seeds, the water and the fire. But rather, let him consider the semen which is a drop of similar particles, and think of its division and turning into flesh, bones, veins and nerves, and the way the different organs and parts of the body are formed, from the head, hands, legs, liver, heart, etc, and the noble characteristics which appear in that, like hearing, seeing, and thinking, and to the blameworthy characteristics which appear in it, such as the anger, the lust, the arrogance, the ignorance, the belying, and disputation, as shown from the statement of Allah Almighty: " Does not man see that it is We Who created him from sperm? Yet behold! He (stands forth) as an open disputer!" (Ya Sin 77)

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ ﴾

Let man then consider those marvels, in order to promote therefrom to the

most awe-inspiring of all marvels, i.e. this Attribute from which there have sprung those marvels. However, through his vision of the (objects of) making, he sees the Maker.

As far as the states of the Prophets and Messengers "Peace be upon them" are concerned, if man learns from them how those Prophets were belied and punished and how some of them were killed (by their peoples), he will then understand Allah's Attribute of Independence, i.e. how Allah Almighty is free of want, and is not in need for the Messengers on the one hand, and those to whom they were sent on the other hand, in the sense that if all of them were ruined, this would have no effect on aught of His Dominion. Furthermore, if he learns how they were helped to emerge victorious at the end of their journey, he then will understand Allah's Absolute Power and Will to support the truth (to prevail over falsehood).

As for the states of these who gave lie to their Messengers and Prophets, such as the Ad and Thamud (peoples), and how it had turned against them (as reprisal for their wickedness), let one understand from that to entertain the fear of Allah's onslaught and wrath, and let his portion of that be to take it into consideration, in the sense that if he proves heedless, or behaves impolitely, on the basis of being deceived by Allah's respite to him, Allah's wrath then might seize him, and His decision is executed upon him.

Therefore, if he hears (from the Qur'an) the description of both the Garden and the fire (of Hell), in addition to what is implied in the Holy Qur'an, by no means could his understanding from that be surveyed because it is infinite, and every servant understands only in proportion to what he has been provided with: " there is not a grain in the darkness (or depths) of the earth, nor anything fresh or dry (green or withered), but is (inscribed) in a Record clear (to those who can read)." (Al-An'am 59)

﴿ وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾

"Say: "If the ocean were ink (wherewith to write out) the words of my Lord. Sooner would the ocean be exhausted than would the words of my Lord, even if we added another ocean like it, for its aid."" (Al-Kahf 109)

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾

For this reason, Ali "Allah be pleased with him" said:" If I willed, I could (write as much papers as is sufficient for the) load of seventy camels in the interpretation of only the Opening of the Book."

The main purpose of what we have mentioned is to draw the attention to the way of making (the meanings of Allah's Speech) understandable (to the people) in order to open the gate to it. But there is no hope to survey the whole entirety of it. He who has not even the least degree of understanding in the Qur'an, will be included under those in connection with whom Allah Almighty says: " And among them are men who listen to you, but in the end, when they go out from you, they say to those who have received knowledge, "What is it he said just

then?" Such are men whose hearts Allah has sealed, and who follow their own lusts." (Muhammad 16)

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ ﴾

The seal intended here is that which obstructs the understanding, as we shall mention latter in our talk about the obstructions of understanding. It is said that the follower of the path does not become as such until he finds in the Qur'an all that he seeks after, and learns from it how to distinguish the incomplete from the surplus, and is independent with the Friend and Protector (i.e. Allah Almighty) from the servants.

The sixth is to release oneself from the obstructions of understanding, for indeed, most people are hindered from understanding the meanings of the Holy Qur'an for certain causes, and veils Satan let fall upon their hearts, which made the marvels of the mysteries of the meanings of the Qur'an abstruse to them. For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Had the devils not been roaming round the hearts of mankind, surely, they would have been able to see the invisible dominion (of Allah Almighty)"; and of a surety, the meanings of the Qur'an constitute a part of this invisible dominion; and also everything that is beyond the limit of the five senses, and becomes imperceptible but through the light of the sharp insight constitute a part of the invisible dominion.

However, the veils which obstructs one from understanding are four:

1- The first is to have one's attention wholly diverted to the way of pronunciation and utterance of the letters; and this is caused by a devil who is entrusted to the reciters, in order to divert them from understanding the meanings of the Speech of Allah Almighty. This devil keeps inciting him to repeat every letter, giving him the false impression that he has not pronounced it as it should be. In this way, his (the reciter's) reflection is reduced only to the pronunciation of the letters: how then should the meanings (and mysteries) be disclosed to him? However, he who surrenders to this kind of confusion becomes the greatest laughingstock of the devil.

2- The second is to be no more than an imitative of a certain doctrine or opinion which he heard by way of tradition, in which he becomes strictly rigid, and to which he turns to be radically enthusiast, only by way of following the hearsay, and not by way of thought and observation to attain it. this person is bounded by his dogma from going beyond it, and thus nothing could then occur to his mind other than what he believes, for his sight is restricted to his hearsay. If a lightning shines afar enough for one of the meanings to appear, which is different from his hearsay, the devil of imitation then will make assault against him saying: "How should this meaning occur to your mind, seeing that it is different from the dogma of your forefathers?" this leads him to think that this (which occurs to his mind) is but a conceit from Satan, from which he keeps himself far and of which he becomes cautious.

In connection with the like of that, the Sufis say that 'the knowledge is a veil',

meaning with knowledge the dogmas in which most people have persisted, by way of imitation, or because of dialectical arguments revised by the doctrine-fanatics and thrown away to them. But how should the real knowledge, which is the Revelation and Contemplation with the help of the light of the sharp insight, be a veil, seeing that it is the farthest point which one might expect to reach in his seeking?

This imitation might be invalid and thus it is an obstruction (from understanding), just as the one thinks of the concept of 'Istiwa' on the Throne as being the well-establishment; and if it is occurs to his mind, for example, that the Holy One is He, Who should be deemed far beyond all of what is possible for His creatures, his imitation will not enable him to have this concept reside in his mind, even though had it resided in his mind, he would have been drawn to a second and then a third disclosure, and so on. But soon he hastens to avert that from his mind, on the basis of its contradiction with his invalid imitation. On the other hand, the imitation might be valid, but at the same time, it also obstructs him from understanding and disclosure, for the truth which it is incumbent upon the people to believe in is of various degrees and ranks, as well as it has an outward surface and inward depth; and it is known that the disposition's inflexible persistence in the outward surface hinders it from delving into the inward depth, as we have mentioned in the difference between the exoteric and esoteric sciences in the Book of the Principles of the Creeds.

3- The third is that one might be persistent in committing a sin, c importunate in showing arrogance and haughtiness, or is given to the trial of desire for (the material benefits of) this world, to which he submits. Of a surety, this is the direct cause of the darkness and rust which is accumulated on the heart; and it is like the dirt on a mirror, which hinders the pure truth to appear clearly in it. It is the greatest veil of the heart, which prevails over the majority of the people. The more the lusts and desires are accumulated, the more the meanings of the words (of the Qur'an) becomes abstruse; and the lighter the burdens of this world become in the heart, the clearer the meanings of the words in it turn to be. The heart is like the mirror, the desires and lusts are like the rust, and the meanings of the words of the Qur'an are like the pictures which are visible in the mirror, and the heart-discipline to alleviate it of the desires and lusts is like the polishing of the mirror in order to become more transparent.

For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If my people show high esteem to both Dirham and Dinar (i.e. have great fondness of money on the expense of religion), they will then be deprived of the reverence of Islam; and if they cease to enjoin what is good and forbid what is evil, they will be forbidden the bless of the Divine Revelation." In comment on it, Al-Fudail says that it means they will be forbidden the faculty of understanding the meanings and significances of the Holy Qur'an. Allah Almighty stipulates the condition of turning to Him on understanding and admonishing when He says: "To be observed and commemorated by every devotee turning (to Allah)." (Qaf 8)

﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾

He Almighty further says: " He it is Who shows you His Signs, and sends down Sustenance for you from the sky: but only those receive admonition who turn (to Allah)." (Ghafir 13)

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾

He also says in this respect: "but none will grasp the Message but men of understanding." (Al-Baqarah 269)

﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

To be sure, he who gives preference to the vanities of this world over the blessings and graces of the hereafter does not belong to those endued with the faculty of understanding; and it is for this that the mysteries of the Holy Book will not be disclosed to him.

4- the fourth is that one might read an exoteric explanation (of the Qur'an) and have the impression that the words of the Holy Qur'an bear no meanings other than what has been handed down from Ibn Abbas and Mujahid, and others, and that what is beyond this (explanation) is an interpretation which depends upon thought (and intellectual opinion), and he who interprets the Holy Qur'an depending upon his independent reasoning and opinion should occupy his sitting place in the fire (of Hell). This is also one of the great veils (which screens understanding from men), and we shall explain in detail the notion of the interpretation depending upon thought and opinion in the fourth chapter (of this book), and that in no way does it contradicts the statement of Ali "Allah be pleased with him": "Unless a servant is given, by Allah Almighty, the faculty of understanding in the Qur'an"; and had the meaning been limited to the exoteric which is handed down, surely, there would have been no difference among the people in it.

The seventh is the particularization. It is to assume that he is the intended in each discourse in the Qur'an: if he hears a command or a forbiddance, he shall assume that it is he what is commanded or forbidden, and the same if he hears a promise or a threat; and if he hears the narrations about the earlier and the latter generations, he shall know that the purpose is not the amusement but it is to get him take consideration therewith and learn from it that for which he is in need. Of a surety, there is no story in the Qur'an, but that the context (in which it is related) bears a benefit for the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and his nation, such as Allah's statement: " All that We relate to you of the stories of the Messengers, with it We make firm your heart: in them there comes to you the Truth, as well as an exhortation and a message of remembrance to those who believe." (Hud 120)

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾

Let the servant further assume that Allah Almighty makes firm his heart with

such of narrations as He relates of the states of the Prophets and Messengers, their patience against such of harm as they received (from their peoples), and their constant firmness in the religion, in expectation for the Help of Allah Almighty. How should he not assume that, seeing that the Qur'an which was revealed unto the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was not uniquely particular to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", but it is (a source of) healing, guidance, mercy and light to all of the worlds?

For this reason, Allah Almighty commands all the creatures to appreciate the blessing of (sending) this Book as shown from His saying: "but solemnly rehearse Allah's favours on you, and the fact that He sent down to you the Book and Wisdom, for your instruction. And fear Allah, and know that Allah is well-acquainted with all things." (Al-Baqarah 231)

﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ ﴾

He further says: "We have revealed for you (O men!) A Book in which is a Message for you: will you not then understand?" (Al-Anbiya 10)

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

"And We have sent down unto you (also) the Message; that you may explain clearly to men what is sent for them, and that they may give thought." (An-Nahl 44)

﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

"Thus does Allah set forth for men their lessons by similitudes." (Muhammad 3)

﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ ﴾

"And follow the Best of (the courses) revealed to you from your Lord, before the Penalty comes on you - of a sudden while you perceive not!" (Az-Zumar 55)

﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

"These are clear evidences to men, and a Guidance and Mercy to those of assured Faith." (Al-Jathiyah 20)

﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

"Here is a plain statement to men, a guidance and instruction to those who fear Allah!" (Al Imran 138)

﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾

If all of the men (and also jinns) are addressed by His Speech, then, it is more fitting that everyone should be included. As long as this certain reciter is

intended, let not him be concerned but with himself, and not with the other people, and rather let him assume that it is he that is intended (and addressed). Allah Almighty says: "this Qur'an has been revealed to me by inspiration, that I may warn you and all whom it reaches." (Al-An'am 19)

﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾

According to Muhammad Ibn Ka'b Al-Qurzhi: "Whomever the Qur'an has reached seems as if Allah Almighty has addressed him." Having assumed that, let the reciter then not take the study of the Qur'an as his main job, but rather, let him recite it in the same way as a servant reads the book of his master and lord who has written it to him in order to consider it, and act upon what it contains.

For this reason, one of the learned men said: "This Qur'an is but messages which have come to us from our Lord Almighty, with His Covenants and Pledges perchance we might consider them during our prayers, reflect on them during our solitary services, and implement in our acts of worship and the ways of tradition which we follow." Malik Ibn Dinar used to say: "What has the Qur'an planted in your hearts o men of Qur'an? No doubt, the Qur'an is the stream of the faithful believer, in the same way as the torrent is the brook of the land." According to Qatadah: "None sits in the company of this Qur'an but that he returns either with increase or decrease." He quoted Allah's saying: " We send down (stage by stage) in the Qur'an that which is a healing and a mercy to those who believe: to the unjust it causes nothing but loss after loss." (Al-Isra' 82)

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾

The eighth pertains to the impression. It is that his heart should be influenced by different effects and impressions, in accordance with the different Holy Verses, in such a way as to entertain, according to each kind of understanding, a certain state and attention therewith his heart gets purified such as sadness, sorrow, fear, hope, etc. once his knowledge is full, the (feeling of) fear prevails over his heart in most cases, since restriction is almost common in the Holy Verses of the Qur'an. One could hardly find a Holy verse of mercy or forgiveness but that it is connected with many conditions, of which even a Gnostic might fall short, such as the saying of Allah Almighty: "But, without doubt, I am (also) He that forgives again and again", but He stipulates four conditions in order to attain such forgiveness: "to those who repent, believe, and do right, who, in fine, are ready to receive true guidance." (Ta Ha 82)

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾

He Almighty further says: " By (the Token of) Time (through the Ages), Verily Man is in loss, Except those who have Faith, and do righteous deeds, and (join together) in the mutual teaching of Truth, and of Patience and Constancy." (Al-Asr)

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝ ﴾

Here also He Almighty connects the exclusion from the loss with four conditions. But on another occasion, he stipulates only one condition to have one thing (i.e. Allah's Mercy) when He says: "for the Mercy of Allah is (always) near to those who do good." (Al-A'raf 56)

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ ﴾

Verily, doing good joins all (required conditions).

This is always the case with him who goes through the Holy Qur'an from its beginning to its end. He, who understands this well is fitting for being in the state of sorrow and fear. For this reason, it is not strange from Al-Hassan to say: "By Allah! no servant who is in the habit of reciting the Holy Qur'an, out of true and sincere faith in it, but that he becomes in the state of much sadness and little joy, much weeping and little laughing, much trouble and endeavour and little comfort and idleness." According to Wuhaib Ibn Al-Ward: "We have investigated those narrations and admonitions, and behold! We've found nothing more ready to make hearts smoother and bring about sorrow then the recitation of the Qur'an, understanding its meanings, and reflecting on its significances."

The sign of one's impression by the recitation (of the Holy Qur'an) is to abide by the description implied in each recited Verse: when it is a Holy Verse of threat and forgiveness that is restricted by conditions, he shrinks out of his fear to the extent that he is about to die; and when it is a Holy Verse of liberty, and the promise of forgiveness (which is not restricted by any condition), he rejoices so much as if he is about to fly out of joy; and when it is a Holy Verse of celebrating Allah Almighty with His Attributes, Names and Acts, he lowers his head out of humility and submission to His Glory and Majesty, and feeling of His Greatness and Magnificence; and when it is a Holy Verse in which the unbelievers mention what is not consonant with the Majesty of Allah Almighty, like their ascribing a son and a consort to Allah Almighty, he lowers his voice, and is retired in himself out of shyness of the wickedness of their statement; and when it is a Holy Verse which describes the Garden, he is aroused inwardly out of longing for it; and when it is a Holy Verse which describes the fire (of Hell), he trembles and shivers out of fear of it.

(It is narrated by Al-Bukhari, Abu Dawud and others on the authority of) Abdullah Ibn Mas'ud that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "Recite to me the Surah of Women." He said: "Should I recite it to you even though it has been revealed to you?" he said: "I like to listen to it from someone else other than me." He said: I went on reciting, and when I came to Allah's Saying: "How then if We brought from each People a witness, and We brought you as a witness against these People" (An-Nisa 41)

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾

I rose up my head, and behold! The eyes of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" were overflowing with tears. He said to him: "Now, stop, this is enough!" this is because the contemplation of this very state absorbed his heart entirely.

From amongst those who feared, there were those who fell unconscious on the Holy Verses of threats, as well as those who died on hearing such Holy Verses. However, such states as one entertains makes him more than a narrator (of the speech). If one, for example, recites (Allah's saying): "if I were to disobey my Lord, I should myself fear the Penalty of a Great Day (to come)" (Yunus 15)

﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾

And does not entertain the feeling of fear, he will be no more than a speech-narrator; and if he recites (Allah's saying): "Our Lord! In You do we trust, and to You do we turn in repentance: to You is (our) final Goal" (Al-Mumtahanah 4)

﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾

And is not in the habit of putting his trust in Allah Almighty, or turning to Him (in repentance), he also will be no more than a speech-narrator; and if he recites (Allah's saying): "We shall certainly bear with patience all the hurt you may cause us. For those who put their trust should put their trust on Allah" (Ibrahim 12)

﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

Let him be in the state of showing patience or at least let him be determined on showing it until he tastes the sweetness of recitation.

But if he does not experience those characteristics, nor does his heart waver between those different states, he will have no portion from his recitation more than the movement of his tongue, accompanied by an evident curse against himself as shown from the statement of Allah Almighty: "The curse of Allah is on the wrong-doers" (Al-A'raf 44)

﴿ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

And: "Grievously odious is it in the sight of Allah that you say that which you do not" (As-Saff 3)

﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾

And: "yet they heed not and they turn away" (Al-Anbiya 1)

﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ ﴾

And: "Therefore shun those who turn away from Our Message and desire nothing but the life of this world" (An-Najm 29)

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ﴾

And: "and those who do not desist are (indeed) doing wrong" (Al-Hujurat 11)

﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

In addition to such Holy Verses, and thus he will be included in those in connection with whom Allah Almighty says: And there are among them illiterates, who know not the Book, but (see therein their own) desires, and they do nothing but conjecture" (Al-Baqarah 78)

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾

In reference to the mere recitation (with no impression), and also Allah's saying: "And how many Signs in the heavens and the earth do they pass by? Yet they turn (their faces) away from them!" (Yusuf 105)

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾

That's because the Holy Qur'an is that which makes evident those signs in the heavens and the earth; and if one passes by them without being impressed, he will have indeed turned his face away from them. For this reason it is said that if he who is not characterized by the good manners of the Qur'an recites the Qur'an, Allah Almighty calls him: "What do you have to do with My Speech, since you are turning your face away from me? Keep yourself away from My Speech unless you turn in repentance to Me."

The example of the disobedient who recites the Holy Qur'an repeatedly is like the example of the one who reads the book of the king many times daily, and although it has been written to him for the purpose of the construction of his kingdom, he (the reader) is engaged in destroying it, and limiting himself to the study of this book, and had he left this study in opposition, he might have been far from being scorned and from incurring the wrath upon himself. For this reason, it is not strange to hear Yusuf Ibn Asbat saying: "I sometimes intend to recite the Holy Qur'an, and once I remember what it contains, I entertain fear of (incurring upon myself) wrath, thereupon I turn to (Allah's) Tasbih (exaltation), and Istighfar (asking for Allah's forgiveness), ."

He who turns back from acting upon (what is contained in) the Holy Qur'an is intended by Allah's statement: " but they threw it away behind their backs, and purchased with it some miserable gain! And vile was the bargain they made!" (Al Imran 187)

﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾

For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Keep reading the Holy Qur'an as long as your hearts agree with it and your skins tremble (in awe of) it, and once you feel you have dissention from it, read it no more (or according to another version, leave reading it)." Allah Almighty further says: "For Believers are those who, when Allah is mentioned, feel a tremor in their hearts, and when they hear His Signs rehearsed, find their faith strengthened, and put (all) their trust in their Lord." (Al-Anfal 2)

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said also: "He who has the best and most pleasant voice in (his recitation of) the Qur'an is the one that if you hear him reciting, you come to know that he fears Allah Almighty." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There is no Qur'an to be heard from anyone more pleasant than that which is recited by him who fears Allah Almighty."

The Holy Qur'an then is intended to produce those different states and conditions in the heart, and lead to the acting upon it, otherwise, it is of no difficulty to move the tongue with its letters. For this reason, one of the reciters said: "I read the Qur'an in front of one of my sheikhs, and when I returned to read it once again, he repulsed me and said: "You have made the Qur'an (an act of) work upon me: go and recite it in front of Allah Almighty, and consider with which He commands you, and from which He forbids you."

It is with this that the companions "Allah be pleased with them" were engaged in all of their states and works. When the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" died, there were nearly twenty thousand holy companions, of whom only six were reported to have kept the Qur'an entirely by heart, and even of those six, there was different about two; and the majority of the companions were in the habit of keeping many Surahs from the Qur'an. Only those endued with knowledge among them kept by heart (such long Surahs as) Al-Baqarah and Al-An'am. When one of them came to learn the Holy Qur'an, he came to Allah's statement: "And he who does even an atom's weight of good will see it; and he who does even an atom's weight of evil will see it" (Az-Zalzalah 7:8)

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾

He said: "This is enough for me" and then he turned away. On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily the man turned away while having religious understanding."

Such state as Allah Almighty bestows upon the heart of the faithful believer following his understanding of a certain Holy Verse is of great benefit, whereas only the movement of the tongue with no understanding is of no significance. Moreover, the reciter who reads only with his tongue, and rather turns back from acting upon what he is reading is intended by Allah's saying: "But whosoever turns away from My Message, verily for him is a life narrowed down, and We shall raise him up blind on the Day of Judgment." (Ta Ha 124)

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾

And (in the same Surah): "(Allah) will say: "Thus did you, when Our Signs came unto you, disregard them: so wilt you, this day, be disregarded"" (126)

﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾

I.e. you left them, and heeded them not, and dealt with them slightly. To be sure, he who is neglectful of anything is said to have forgotten it.

To recite the Holy Qur'an as it should be, the tongue, mind and heart should share in it: the portion of the tongue is to utter the letters correctly; the portion of the mind is to interpret the meanings (of what is recited); and the portion of the heart is to receive admonition and be impressed by desisting (from doing what is shameful), and hastening to implement the orders (of Allah Almighty). The tongue recites (in a slow, measured rhythmic tones), the mind interprets (what is read), and the heart receives admonition.

The ninth pertains to promotion. It is to promote to such a degree as to hear the Speech from Allah Almighty, and not from himself. It is well-known that the recitation is of three degrees, the least of which is that in which a servant assumes he is reciting it unto Allah Almighty, as standing in front of Him, whereas He Almighty is looking at him and listening to his reading; and with that assumption, he becomes in the state of begging, flattering, imploring, invoking, supplicating Him. The second is that he witness with his heart as if Allah Almighty sees him, talks to him with His Kindness and has private discourse with Him with His Beneficence and Benevolence, and his station should make him in the state of shyness, exaltation, paying attention and understanding. The third degree is that the reader should see the Producer of speech in the speech, and the attributes in the words; and this requires him not to divert his attention to himself, nor to his recitation, nor to the relation of beneficence to him, as He is his Benefactor: on the contrary, let himself be wholeheartedly devoted to the Producer of Speech, and his though be concentrated on Him, as if he is involved in the contemplation of Him apart from anyone or anything else. That is, however, the degree of the nearest devotees (of Allah Almighty), and that which ranks second to it is the degree of those of the Right Hand; and the degrees of the heedless are other than that.

Of the highest degree, Ja'far Ibn Muhammad As-Sadiq tells: "By Allah! Allah Almighty manifests His Glory to His creatures in His Speech, even though they see not." Being asked about such a state as befell him in prayer and caused him to fall unconscious and then he recovered, he said: "I kept repeating the Holy Verse upon my heart until I heard it from its Producer, thereupon my body did not stand firm for contemplating His Power." It is in such degree that the sweetness and pleasure of the private discourse (one has with Allah Almighty) becomes very great.

For this reason, one of the wise men said: "I read the Qur'an and entertain no sweetness in it until I recited it in the very way as if I was hearing it from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" as reciting to his companions. Then, I was raised up to a higher station above it, in which I recited it as if I was hearing it from Gabriel "Peace be upon him" as dictating it to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". Then, Allah

Almighty raised me up to a higher station, in which it seems as if I hear it from its Producer (i.e. Allah Almighty), thereupon I come to entertain a sweetness and bliss in it which I could not endure to leave."

Both Uthman and Hudhaifah "Allah be pleased with them" said: "If the hearts get purified, they surely will not get their satiety from reading the Qur'an." They said so because by their purification, the hearts promote to the contemplation of the Producer of Speech in the Speech itself. To this idea Thabit Al-Bunani referred in his statement: "I endeavoured to recite the Qur'an for twenty years, and have been blessed with it for another twenty years." By contemplating the Producer of Speech apart from anyone and anything else, the servant complies with the command of Allah Almighty: " Hasten you then (at once) to Allah" (Adh-Dhariyat 50)

﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾

And: "And make not another an object of worship with Allah." (Adh-Dhariyat 51)

﴿ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾

Therefore, he who does not see Him in all things has, indeed, seen anything other than Him; and if a servant diverts his attention to anything other than Him, will have ascribed implicitly partners to Allah (in worship) no matter hidden it might be, for indeed, the pure and mere Allah's Oneness (monotheism) is that one should not see anyone or anything other than Allah Almighty in all things.

The tenth pertains to freedom. I meant by it that one should free himself from his might and power, and turning to himself with contentment and self-justification. If he recites, for example, the Holy Verses which appreciate and give good promise to the good righteous people, he should not see himself therein, but he rather should see therein the true and sincere believers who are certain of faith, and have the expectation that Allah Almighty should join him with them; and if he recites the Holy Verses which tell about (Allah's) Wrath and criticizing the disobedient and neglectful, he should see himself therein, and assume that he is the addressee, in awe and fear. For this reason, Ibn Umar used to say (by way of supplication): "O Allah! I ask for Your Forgiveness for my injustice and ungratefulness." When he was asked about that: "As for the injustice (its reason might be known): what then is the reason for ungratefulness?" he recited Allah's saying: "Verily, man is given up to injustice and ingratitude." (Ibrahim 34)

﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴾

It was said to Yusuf Ibn Asbat: "With which supplication do you supplicate Allah when you recite the Qur'an?" he said: "With which should I supplicate? I ask for Allah's Forgiveness for my indulgence seventy times."

When one, during his recitation (of the Qur'an) sees himself in the state of indulgence and negligence, this vision of him will be a means of his nearness.

That's because if one sees how far he is from being close (to the Presence of Allah Almighty), the feeling of fear will gradually enter into him until it drives him to a closer degree of nearness, in contrast to him who sees how close he is, even though he is far (from the Presence of Allah), whereas he might be deceived by feeling of safety which draws him to a farther degree of remoteness. If one is in the habit of seeing himself with the eye of contentment, he will be veiled with himself. But once he transcends the stage of turning to himself to a state in which he sees none but Allah Almighty in his recitation, the mystery of the invisible dominion will be disclosed to him.

It is narrated that Abu Sulaiman Ad-Darani said: Ibn Thawban promised one of his brothers to come to break his fasting with him, but he delayed to come to him until the dawn rose. In the next morning, his brother met him and said to him: "You promised me to come to break fasting with me, and you broke your promise (what is the reason?)" he said: "Had it not been for my appointment with you I would not have told you about what had detained me from you. Anyway, when I offered the Isha' prayer I said (to myself): "Let me offer the Witr prayer before I come to you, for I do not feel safe that the calamity of death might befall me." When I was in the state of supplication during the Witr prayer, I was raised up to a green meadow, full of various kinds of flowers from the Garden. I kept looking at them until the morning came upon me."

To be sure, those revelations are not attained unless one is set free from the restrictions of his own self, and from turning to it and to its desires and passions. Then, those revelations are given particularity in accordance with the particular states of the revealed one: whereas he recites the Holy Verses of hope, and the state of rejoicing prevails over him, the picture of the Garden is disclosed to him in such a way as if he sees it with his own eyes, and whereas the state of fear prevails over him, the fire (of Hell) is disclosed to him in such a way as if he sees the various kinds of its torment. That's because the Speech of Allah Almighty includes the easy lenient as well as the severe difficult, that which gives hope, and that which causes fear, in accordance with His Attributes, which imply mercy, kindness, as well as vengeance and onslaught; and in accordance with what the words and attributes reveal, one turns in different states from one to another, and in proportion to each state, he gets ready for being revealed by a certain thing which is fitting for and close to it. that's because it is impossible for the listener to remain on one state, seeing that what is heard is of different parts, in which there is the speech of the Pleased, that of the Angry, that of the Benefactor, and that of the Revenger, that of the Compeller Exalted in Might and Power Who has no care, and that of a Compassionate Merciful, Who neglects naught.

CHAPTER FOUR:

ON THE UNDERSTANDING AND INTERPRETATION OF THE QUR'AN DEPENDING UPON ONE'S MIND AND NOT BY WAY OF TRANSMISSION

Perhaps, you might say: "In the previous (chapter) you've made seriously critical the matter of understanding the mysteries of the Holy Qur'an, and such of

its abstruse meanings as are disclosed to the masters of pure hearts: how should it be desirable, since the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: 'He, who interprets the Qur'an just depending upon his own opinion, let him occupy his sitting place in the fire (of Hell)'? furthermore, those of knowledge, with their way of explanation of the external meanings, dispraised a group of those who have been ascribed to Sufism, who proved neglectful in interpreting some words in the Qur'an differently from what has been handed down in this respect from Ibn Abbas and the other commentators, and rather went as far as to attribute them to infidelity and disbelief. If this which the exegetes have said is true, then, what is the significance of the understanding of the Holy Qur'an other than to preserve its explanation? On the other hand, if it is not true, what is the significance of the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "He, who interprets the Qur'an just depending upon his own opinion, let him occupy his sitting place in the fire (of Hell)"?"

It should be known to you that he who claims that the Holy Qur'an has no meaning beyond what is shown from the apparent explanation (of words), indeed, tells about himself, and of a surety, he is true about himself. But he is not true in his judgement of reducing all of the people to his limited degree. That's because it is attested, from the narrations and traditions, that the meanings of the Qur'an are open to those endued with understanding. Ali "Allah be pleased with him" said: "Unless Allah Almighty bestows upon one of His servants a faculty of understanding in the Qur'an." If this is nothing beyond the external meaning that is handed down, what then will this intended understanding be? the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No doubt, the Holy Qur'an has external as well as internal (meanings), an ending as well as a beginning." This tradition is also narrated on the authority of Ibn Mas'ud, with whom it ends up, and of course, he is one of those endued with the knowledge of interpretation.

What then is the significance of the external and internal (meanings), the ending and the beginning? Ali "Allah be pleased with him" said:" If I willed, I could (write as much papers as is sufficient for the) load of seventy camels in the interpretation of only the Opening of the Book." What is the significance of that, seeing that the explanation of its external meanings is very short? According to Abu Ad-Darda': "One will not have the faculty of understanding in the Qur'an unless he (is able to) interpret it in different ways."

According to a learned man: "Every Holy Verse (in the Qur'an) has as many as sixty thousand (points of) understanding, and what remains beyond that is much more." According to another: "The Qur'an has as many as seventy-seven thousand and two hundred items of knowledge, since every word (in it) stands for an independent (kind of) knowledge." However, this number is multiplied four times, on the basis of the fact that each word has an external as well as internal (meaning), an ending as well as a beginning. Ali "Allah be pleased with him" said:" If I willed, I could (write as much papers as is sufficient for the) load of seventy camels in the interpretation of only the Opening of the Book." the

Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did not repeat "In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful" twenty times but to consider its internal meanings, otherwise, the explanation of its external meanings is very clear, and not in need of being repeated as such. according to Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him": "He, who likes to obtain the knowledge of the foremost as well as the last generations, let him consider the Qur'an." Of a surety, this could not be attained only depending upon the explanation of the external meanings.

In brief, all branches of knowledge are implied in Allah's Acts and Attributes, and the Qur'an contains an explanation of Allah's Acts and Attributes; and those branches of knowledge are infinite. The Qur'an implies only a reference to their main points. The stations of going deep into their details are different in accordance with the different degrees of understanding the Qur'an, and the explanation of its external meanings only gives reference to that. Moreover, such of theories and intellectual matters as have been too problematic and difficult to understand, in which the people are different, have symbols and significations in the Holy Qur'an, which none but those endued with understanding could perceive. The explanation of its apparent meaning and the analysis of its words then are not sufficient in this matter. For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Engage yourselves in reading the Holy Qur'an, and seeking after what is strange in it."

(It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him") said according to Ali "Allah be pleased with him": "By Him, Who has sent me with the truth: the people of my nation will disperse from the origin of their religion into seventy-two factions, all of which will be straying and misleading, calling to the fire (of Hell). When it is time of that, abide by the Book of Allah Almighty, in which there is the news of those who were before you, as well as of those who will come after you, and the decisive judgement between you. Such of the tyrants among you as oppose it have been broken and destroyed by Allah Almighty; and he who seeks knowledge in anything else other than it will be misled by Allah Almighty. It is Allah's strong rope, instructive light, and beneficial healing. It is a protection for him who holds fast by it, and a salvation to such as follows (and acts upon) it. it never waves so that it needs to be set right, nor does it swerve so that it needs to be made upright, nor do its miracles vanish, nor does it become exhausted by being repeated so much."

According to the narration of Hudhaifah, when the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" told him about the differences and disputes (among the nation) after his death, he said: I asked him: "O Messenger of Allah! What do you command me to do if I join this time?" he said: "Learn the Book of Allah Almighty and act upon what it contains: for indeed, it is the way-out of that." I repeated the same question to him thrice, and he answered me thrice: "Learn the Book of Allah Almighty, and act upon what it contains, for salvation lies in it." according to Ali "Allah be pleased with him": "He, who

understands well the Holy Qur'an, becomes able to interpret therewith all kinds of knowledge." This statement of him reveals that in the Qur'an there is reference to the main points of all kinds of knowledge.

In his comment on the statement of Allah Almighty: " He grants wisdom to whom He pleases; and he to whom wisdom is granted receives indeed a benefit overflowing; but none will grasp the Message but men of understanding" (Al-Baqarah 269)

﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾

Ibn Abbas "Allah be pleased with both" said: "He refers to the faculty of understanding in the Qur'an." Allah Almighty further says: " To Solomon We inspired the (right) understanding of the matter: to each (of them) We gave Judgment and Knowledge" (Al-Anbiya 79)

﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾

"He names that which both were given 'knowledge and wisdom', whereas he gives the name of 'understanding' in particular to that which was unique to Solomon, to which he made sense, and makes it prior to both wisdom and knowledge.

All those matters give evidence to the fact that in the understanding of the meanings of the Holy Qur'an, there is great immensity and extensive flexibility, and that such of the explanation of its external meanings as has been handed down is not the culminating peak of attainment.

But as for the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "He, who interprets the Qur'an just depending upon his own opinion, let him occupy his sitting place in the fire (of Hell)", and his implicit forbiddance, and the statement of Abu Bakr "Allah be pleased with him": "In which land should I live, and under which sky should I shade myself if I say anything in the Holy Qur'an only depending upon my own opinion" as well as the narrations and traditions that have been handed down which forbid one to interpret the Holy Qur'an only depending upon his own opinion, it is not unlikely that they are intended either to get one restrict himself only to the handed down narrations and heard traditions, leaving thereby the attempt to make deductions and constitute independent opinions and ways of understanding; or to refer to another thing which is assuredly false, i.e. that none should speak in the Holy Qur'an, but depending only upon what he hears; and this is due to many reasons:

One is that it stipulates the condition that such should be heard from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and ascribed to him, and it is well-known that this might not happen in most cases in the Qur'an; and this means that what is said by Ibn Abbas, Ibn Mas'ud, and others should be rejected, and rather considered as interpretations depending upon their opinions, on the ground of the claim that they did not hear it from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"; and this applies to all of the holy companions "Allah be pleased with them".

Another reason is that the companions and commentators themselves differed about the interpretation of some Holy Verses, in which they adopted dissimilar opinions, and there is no reasonable point of conjunction to render them adaptable, which means that hearing all of them from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" is questionable; and had one of them been heard (with certainty from the Prophet), surely, the others would have been easily rejected. This showed then that each commentator interpreted the meaning with what appeared to him, just depending upon his own and independent deduction, to the extent that they, for instance, adopted seven meanings for the separate letters with which some Surahs begin, too divergent to be adaptable since there is no point of conjunction between them. It was said, for example, that "ALR" are derived from Al-Rahman (Allah, Most Gracious); and it was also said in this respect that "Alif" refers to 'Allah', "Lam" refers to 'Latif' (Allah, the Knower of the finest mysteries of all things), and "Ra" refers to 'Rahim" (Allah, Most Merciful). Many things other than that were said in this issue, to the extent that it is impossible to have a point of conjunction between all of them. How then were all of those heard (from the same source)?

The third is that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" invoked Allah for Ibn Abbas "Allah be pleased with both" saying: "O Allah! Endow him with the faculty of religious understanding, and instruct him in the (knowledge of) interpretation (of the Holy Qur'an)." If (the knowledge of) interpretation is acquired and preserved only through hearing, the same as the Divine Revelation, what then is the significance of referring to it in a particular invocation?

The fourth is that Allah Almighty says: "If they had only referred it to the Messenger or to those charged with authority among them, the proper investigators would have tested it from them (direct)." (An-Nisa 83)

﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾

He thus affirms the faculty of investigation to those men endued with knowledge; and it is a well-known fact that such investigation is something beyond the reach of hearing. To be sure, all the narrations which we have transmitted about the faculty of understanding the Holy Qur'an contradict this false imagination, since they make pointless the stipulation of hearing in the process of interpretation, and rather give possibility to everyone to investigate through the Holy Qur'an as much as is within the power of his mind and the limits of his faculty of understanding.

As far as forbiddance is concerned, it refers to two points:

The first point is that one sometimes might have an opinion of a certain thing, to which he inclines by his nature and passion, with the result that he comes to interpret the Qur'an in accordance with his opinion and desire, and take proofs in support of his argument; and had he not had this opinion or passion, surely, this meaning would not have appeared to him from the Holy Qur'an. This

(kind of interpretation) might be done with knowledge, such as the one who confirms his innovation with some Holy Verses from the Qur'an, even though he knows that it is not this meaning which is intended by the Holy Verse, but he confuses his opponent with it; and sometimes, it might be done with ignorance, provided that the meaning (which he derives) is probably implicit in the Holy Verse, and in this case, his understanding inclines to the point of view that agrees with his purpose, which he favours depending upon his own opinion and desire, and thus he will have interpreted (the Qur'an) depending upon his own opinion, i.e. it is his opinion which has led him to give such interpretation, and had it not been for his opinion, this side (of meaning) would not have been favoured in his sight.

At other times, one might have a right purpose, for which he seeks an evidence from the Qur'an, and takes proof in support of his claim from that which he knows to be not so intended, such as the one who calls for asking for (Allah's) forgiveness at Sahar (the last portion of the night, i.e. a short time before dawn), and proves that by the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Be eager to have your Suhur (night meal which is taken a short time before dawn), since there is blessing in Suhur", under the allegation that what is intended by it is to celebrate (the Praises of Allah Almighty) at the last portion of the night, even though he knows that it is eating which is intended by it, or he who calls for striving one's utmost against the hardened heart, saying (in support of his claim): Allah Almighty says: "Go you to Pharaoh, for he has indeed transgressed all bounds" (Ta Ha 24)

﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾

Beckoning to his heart, hinting that it is that (heart) which is intended by Pharaoh.

This kind (of interpretation) might be used by some preachers for right purposes, to embellish their speech, and exhort the listeners (to pay their attentions); and of a surety, it is forbidden. But sometimes, it might be used by the Batinites (the seekers of the internal and hidden meanings) for false purposes, with the intention to change the people and convince them to adopt their false doctrine. In so doing, they interpret the Qur'an in accordance with their own opinions and doctrines, depending upon matters which they know for certain that they are not so intended.

This way is one of the reasons for which the interpretation (of the Qur'an) depending upon the opinion is forbidden. What is intended by opinion here is that false which agrees with one's passions and desires, apart from the right independent interpretation (based upon one's knowledge with the intention to attain the truth). That's because the opinion includes the right as well as the false, and what agrees with one's desires might also be given the name of opinion.

The second point is that one hastens to interpret the Holy Qur'an depending upon his understanding of the external phenomena of the Arabic language, with

no support from the heard traditions and handed down narrations pertaining to the peculiarities as well as the abstruseness and substitution of words, in addition to such (rhetorical devices as) abridgement, omission, concealment, bringing forward and backward which the Qur'an contains. He who does not base his interpretation, at first, upon the explanation of the external meanings of words (with support from the heard narrations and handed down traditions pertaining to it), and rather hastens to deduce the internal meanings just depending upon his understanding of the external phenomena of the Arabic language, falls into much more mistakes, and comes to belong to those who interpret the Qur'an with their independent reasoning. That's because hearing and transmission (of narrations and traditions) are essential to the explanation of the external meanings (of the Qur'an) at first, in order that therewith he should ward off the places in which one is more likely apt to fall into mistakes, and after that he becomes more ready to extend his faculty of understanding and deduction.

However, the peculiarities which are not understandable but through hearing (such of narrations and traditions as connected with them) are much more in the Qur'an. Let's refer to some of them as representatives of all which are alike, in order that it should be known that it is impossible to deal slightly with the explanation of the external meanings (of words) at first, and that there is no hope to attain the internal (meanings) before being well-versed in the external (meanings). He who claims to have understood the mysteries of the Qur'an without being well-versed in its external meanings is like him, who claims to have reached the front part of the house without coming upon its door, or the one who claims to have understood the purposes of the Turks from their speech even though he does not comprehend their language. To be sure, the explanation of the external meanings (of words) is like the learning of language, which is necessary for understanding.

There are several rhetorical devices whose explanation could not be attained but through hearing, such as the concision through omission and concealment like Allah's statement: " We sent the She-camel to the Thamud to open their eyes, but they proved unjust with it: We only sent the Signs by way of terror (and warning from evil)." (Al-Isra' 59)

﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ﴿٥٩﴾ ﴾

It means (We sent the she-camel to them) as a sign to open their eyes, thereupon they wronged themselves by killing it. however, one whose knowledge does not go beyond the external phenomena of the Arabic language could think, from the first glance, that the she-camel itself was sighted and not blind, and will not know whether they had wronged themselves or others.

Consider also Allah's statement: "and they had been made to drink into their hearts of the Calf because of their Faithlessness." (Al-Baqarah 93)

﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴿٩٣﴾ ﴾

It means that they had been made to drink into their hearts the love of the

calf; and it goes without saying that the (word) love here has been omitted (by way of concision). Allah Almighty further says: " In that case We should have made you taste two times the portion in this life, and two times the portion in death: and moreover you would have found none to help you against Us!" (Al-Isra' 75)

﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ﴾

Here, he means two times the portion of punishment of the living, and two times the portion of punishment of the dead; and the (word) punishment has been omitted from the sentence, and both words of life and death were substituted for living and dead in the speech, and of a surety, all of this is possible in the classical language.

Allah Almighty says too (on the tongue of the brothers of Yusuf): "'Ask the town where we have been and the caravan in which we returned, and (you will find) we are indeed telling the truth.'" (Yusuf 82)

﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾

He means 'Ask the inhabitants of the town in which we were, and the riders of the caravan with which we've returned; and both inhabitants and riders have been omitted here by way of concealment. Allah Almighty also says (about the Doomed Hour of Judgement): "Heavy were its burden through the heavens and the earth." (Al-A'raf 187)

﴿ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

It means that (the knowledge of) it was hidden from the inhabitants of both the heavens and the earth, and the more a thing is hidden, the heavier its burden becomes. In this way, the concealment has been substituted for the heaviness of burden and the (word) inhabitants has been omitted.

He Almighty says: "And have you made it your livelihood that you should declare it false?" (Al-Waqi'ah 82)

﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾

He means that you have made the thankfulness for your livelihood that you give lie (to Allah Almighty), but he has omitted the word thankfulness. Allah Almighty says: "Our Lord! Grant us what You did promise unto us through Your Messengers" (Al Imran 194)

﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾

I.e. on the tongue of Your Messengers, but the word tongue has been omitted. Allah Almighty further says: "We have indeed revealed this in the Night of Power" (Al-Qadr 1)

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾

I.e. the Holy Qur'an, to which He refers with 'this'. He says too: "until it was hidden in the veil (of Night)" (Sad 32)

﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾

I.e. the sun, to which He refers with 'it'.

Allah Almighty also says: " But those who take for protectors others than Allah: "We only serve them in order that they may bring us nearer to Allah." (Az-Zumar 3)

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾

I.e. those (who take for protectors others than Allah) say: 'We never worship them (but to bring us much nearer to Allah). He further says: "But what has come to these people that they fail to understand a single fact? Whatever good (O man) happens to you, is from Allah; but whatever evil happens to you, is from your (own) soul." (An-Nisa 78:79)

﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴿٧٩﴾ ﴾

He means that those people never understand even a single fact, for they say that whatever good happens to you is from Allah, and whatever evil befalls you is from your own soul; and had it so meant, it would have contradicted the statement of Allah Almighty: " Say: "All things are from Allah."" (An-Nisa 78)

﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾

However, the Qadarites have based their doctrine upon their notion of this holy statement.

Those peculiarities might be linguistic, such as changing the letters from their places; and in this respect, a mention might be made of the phrase: "And the Mount of Sinin" (At-Tin 3)

﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾

I.e. 'the Mount of Sinai'; and: "Peace and salutation be upon such as Al Ya Sin!" (As-Saffat 130)

﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴾

He refers to Elias or Idris (according to the recitation of Ibn Mas'ud).

From amongst those rhetorical devices, a mention might be made of the repetition which interrupts the continuous speech, such as Allah's statement: "These who call partners other than Allah follow nothing but conjecture and what their own souls desire! Even though there has already come to them Guidance from their Lord!" (An-Najm 23)

﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾

Allah says too: "The leaders of the arrogant party among his people said to those who were reckoned powerless, those among them who believed" (Al-A'raf 75)

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ ﴿٧٥﴾﴾

I.e. those arrogant from amongst his (Salih's) people, said to those who believed, from amongst those whom they regarded as powerless.

They imply also bringing forward and backward, and it is in those that the mistakes are more likely committed (by the people in their attempt to understand them), such as the statement of Allah Almighty: "Had it not been for a Word that went forth before from your Lord, (their punishment) must necessarily have come; but there is a term appointed (for respite)." (Ta Ha 129)

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾

It means: had it not been for the word (of Allah Almighty) and the term appointed, (their punishment) must necessarily have come, and had it not been for that, there would have been necessarily a severe trouble. Allah Also says: "They ask you as if you were eager in search thereof" (Al-A'raf 187)

﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ﴿١٨٧﴾﴾

He further says: " they have grades of dignity with their Lord, and forgiveness, and generous sustenance: Just as your Lord ordered you out of your house in truth, even though a party among the Believers disliked it." (Al-Anfal 4:5)

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ ﴿٥﴾﴾

This speech is not continuous, but the last portion of it refers to Allah's statement (in the beginning of the Surah): "They ask you concerning (things taken as) spoils of war. Say: "(Such) spoils are at the disposal of Allah and the Messenger... Just as your Lord ordered you out of your house in truth" (Al-Anfal 1)

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾

I.e. the spoils of war have come to be yours since you were driven out of your house and you were satisfied, but they were discontented. But He Almighty parenthesizes with the command to fear Him (and war off evil).

To the same kind, the following belongs: "We are clear of you and of whatever you worship besides Allah: we have rejected you, and there has arisen, between us and you, enmity and hatred forever, unless you believe in Allah and Him alone": but not when Abraham said to his father: "I will pray for forgiveness for you, though I have no power (to get) aught on your behalf from Allah." (They prayed): "Our Lord! In You do we trust, and to You do we turn in repentance: to You is (our) final Goal." (Al-Mumtahanah 4)

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ

ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِن ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾

There is also the abstruse words, i.e. those of multiple meanings, such as the thing, the companion (Qarin), the nation (Ummah) and the spirit (Ruh).

As far as the thing is concerned, Allah Almighty says: " Allah sets forth the Parable (of two men: one) a slave under the dominion of another; he has no power of any sort; and (the other) a man on whom We have bestowed goodly favours from Ourselves. And he spends thereof (freely), privately and publicly: are the two equal? (By no means ;) praise be to Allah. But most of them understand not." (An-Nahl 75)

﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾

He refers here to the spending from such of sustenance as is given by Allah to anyone.

Allah Almighty further says: " Allah sets forth (another) Parable of two men: one of them dumb, with no power of any sort: a wearisome burden is he to his master; whichever way he directs him, he brings no good: is such a man equal with one who commands justice, and is on a Straight Way?" (An-Nahl 76)

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾

He refers therewith to enjoin justice and uprightness.

Allah Almighty also says (on the tongue of Al-Khadir to Moses "Peace be upon him"): "If then you would follow me, ask me no questions about anything until I myself speak to you concerning it." (Al-Kahf 70)

﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ﴾

He refers by it to the attributes of the Lord, the knowledge that about which it is impossible to ask, until the Gnostic himself takes the initiative to expose them at the proper time.

Allah Almighty says too: "Were they created of nothing, or were they themselves the creators?" (At-Tur 35)

﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

He means without a creator, lest one might have the false impression that it signifies that nothing is created but from a thing (and not by the Creator).

As for the companion, a mention might be made of the following examples such as Allah's statement: "And his Companion will say: "Here is (his record) ready with me!" (The sentence will be :) "Throw, throw into Hell every contumacious Rejecter (of Allah)!" (Qaf 23:24)

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ ﴾

I.e. the angel to whom he is entrusted. And also: "His Companion will say: "Our Lord! I did not make him transgress, but he was (himself) far astray"" (Qaf 27) i.e. Satan.

﴿ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ ﴾

As for Ummah, it has eight meanings: the first stands for the group like Allah's statement (relating of Moses): "And when he arrived at the watering (place) in Madyan, he found there a group of men watering (their flocks)." (Al-Qasas 23)

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

The second stands for the followers of the Prophets and Messengers, i.e. the nation, like your saying about the followers of Muhammad 'the nation of Muhammad'. The third stands for such of men as in whom all kinds of good exist, i.e. a model to be followed, such as Allah's statement: "Abraham was indeed a model, devoutly obedient to Allah, (and) true in faith, and he joined not gods with Allah." (An-Nahl 120)

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾

The fourth stands for religion such as the saying of Allah Almighty (on the tongue of the pagans): "We found our fathers following a certain religion, and we do guide ourselves by their footsteps." (Az-Zukhruf 22)

﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

The fifth stands for the term appointed (for something to happen) such as the statement of Allah Almighty: "If We delay the penalty for them for a definite term..." (Hud 8)

﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴿٨﴾ ﴾

And: "But the man who had been released, one of the two (who had been in prison) and who now bethought him after (so long) a space of time..." (Yusuf 44)

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴿٤٥﴾ ﴾

The sixth stands for the stature: it is said: 'So and so is of good stature'. The seventh stands for such of men as is unique in his religion, in which none shares, such as the statement of the Prophet "Peace be upon him": "Zaid Ibn Amr Ibn Nufail will be raised (on the Day of Judgement) unique in his religion distinct from others." The eighth stands for the mother. It is said: 'This is the Ummah (mother) of Zaid'.

The same is true of spirit, which has several meanings in the Holy Qur'an, and we needn't to be lengthy by relating them here.

The abstruseness lies also in the prepositions, such as the saying of Allah Almighty: "And raise therewith the dust in clouds the while, And penetrate therewith into the midst (of the foe) en masse" (Al-Adiyat 4:5)

﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝ ﴾

The preposition 'therewith' in the first Holy Verse acts as a homonymy for the hoofs of horses, which strike sparks of fire, and raise up the dust with their steps; and in the second Holy Verse it acts as a homonymy for the raid of horses, which push home the charge in the morning, "Truly man is to his lord ungrateful ." (Al-Adiyat 6)

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝ ﴾

Another example is found in Allah's saying: "make rain to descend thereon, and produce every kind of harvest therewith" (Al-A'raf 57)

﴿ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۝ ﴾

'Thereon' in the first part refers to the clouds, and 'therewith' in the second part refers to the water. However, there are numerous examples of the similar kind in the Holy Qur'an.

Those rhetorical devices include also what is known as the gradual exposition, and its example is shown from Allah's saying: "Ramadan is the (month) in which was sent down the Qur'an, as a guide to mankind, also Clear (Signs) for guidance and judgment (between right and wrong)." (Al-Baqarah 185)

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۝ ﴾

In this statement, it is not known whether this revelation was sent down at night or by day. Then He Almighty says on another occasion: "We sent it down during a blessed night: for We (ever) wish to warn (against Evil)" (Ad-Dukhan 3)

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ ﴾

Which shows that the Qur'anic revelation was sent down at night (but on which night was it send down? It is still not clear). Then, it was showed clearly in Allah's saying: "Verily, We sent this (Qur'an) on the Night of Power." (Al-Qadr 1)

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ ﴾

One might think there are seemingly differences among those Holy Verses (even though they are not so). That's because nothing other than hearing and transmission could avail in understanding and explaining those devices and their like. The Holy Qur'an, as a whole, from its beginning to its end, is not void of such (rhetorical devices), for it was sent down in the language of the Arabs, and thus it had all ways and devices included in their speech, such as concision,

circumlocution, omission, concealment, substitution, bringing forward and backward, and the like of that, in order that it should make them silent, as being inimitable and matchless.

Nevertheless, he who regards it sufficient to understand only the external aspects of the Arabic language, and hastens to interpret the Holy Qur'an only depending upon it, with no support from hearing and transmission, belongs to those who interpret the Qur'an with their independent reasoning, like him, for instance, who understands from the word 'Ummah' only its most famous meaning, to which he inclines by nature, to the extent that whenever he hears it on any occasion (in the Qur'an), he turns with his opinion to understand it with such famous meaning, and thus leave the transmitted narrations and heard traditions pertaining to the other meanings. This (way of interpretation) is forbidden, apart from the understanding of the mysteries of meanings as we've mentioned earlier. Once the hearing and transmission of those (strange and abstruse) things are available, the explanation of the external meanings (of the Qur'an) becomes known, even though it is not sufficient to understand the realities (and mysteries) of the meanings.

The difference between the realities of meanings, and the explanation of the external meanings of words might be illustrated by the following example: Allah Almighty says: " when you threw (a handful of dust), it was not your act, but Allah's." (Al-Anfal 17)

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾

The external meaning of this statement is clear, even though the reality of its meaning is abstruse. It is to affirm as well as to negate the act of throwing, and of a surety, both are apparently contradictory to each other unless the statement is understood to mean that he threw from one point, and did not throw from another point, and it was the act of Allah Almighty in that point in which he did not throw.

Allah Almighty says also in this respect: "Fight them, and Allah will punish them by your hands." (At-Tawbah 14)

﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴿١٤﴾ ﴾

How should Allah Almighty do the act of punishing those (unbelievers) seeing that it is they (Muslims) who do the act of fighting? And if Allah Almighty is the doer of punishment, by causing their (Muslims') hands to move, what is then the significance of His Command to them to fight those (unbelievers and pagans)? The reality of this meaning then should be taken from a great ocean of the sciences of Revelation, and it is not enough to be satisfied with the explanation of the external meanings of words. It is to know the way of relation between both acts and the causing power, and understand the way of relation between the power (of the human being) and the Power (and Will) of Allah Almighty, in order that many abstruse and obscure matters should be disclosed and become clear.

Allah Almighty has told the truth when He said: " when you threw (a handful of dust), it was not your act, but Allah's." (Al-Anfal 17) if one spends his lifetime just to discover the mysteries of this meaning, with its related preceding and subsequent matters, he will consume it even before going through all of its related preceding and subsequent matters. There is no single word in the Holy Qur'an, but investigation into it makes one in need of such (time and effort to discover it). but its mysteries are disclosed to those endued with knowledge as much as is the abundance of their knowledge and the purity of their hearts, and their readiness to understand and consider, and devotion to seek (knowledge). Each of them has a limit of promotion beyond which he could not go to a higher degree.

As for obtaining all facts and mysteries of meanings, there is no hope for it. However, if the ocean is an ink, and the trees are pens, the mysteries of the Words of Allah Almighty are infinite and unlimited, that the oceans (and trees) would be soon exhausted before the Words of Allah Almighty would. From this point of view, the people are different in (their faculties and degrees of) understanding after their equal sharing in the knowledge of the explanation of the external meanings of words. To be sure, the explanation of the external meanings of words could, by no means, avail without it.

In illustration of that, take the following example: from the supplication of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in his prostration: "I seek refuge with Your Good Pleasure from Your Displeasure, with You (providing me with) power and health from Your Punishment, and I seek refuge with (the mercy of) You from (the torment of) You: I could not reckon Your Praises: You are just as You have praised Yourself", the masters of pure heart might understand that it was said to him: " bow down in adoration, and bring yourself the closer (to Allah)!" (Al-Alaq 19) then, he found his closeness (to the Presence of Allah Almighty) in his prostration, and beheld the Attributes (of Allah Almighty), which caused him to seek refuge with some from the others: (he sought refuge with) Allah's Good Pleasure from His Displeasure, and both belong to His Attributes. Then, he came to be much closer, much more than the first state, thereupon he rose up (from the attributes) to the Self (of Allah), which made him say: "I seek refuge with You from You." Then, he became closer so much that he felt shy of seeking refuge (with Allah Almighty) while being still on the carpet of his former closeness, thereupon he took refuge to the praise, and praised Allah saying: "I could not reckon Your Praises." But he knew that by saying so he was short (of appreciating him as it should be), thereupon he said: "You are just as You have praised Yourself."

Verily, those passing thoughts are opened to the master of pure hearts. They have depths beyond that, i.e. to understand the significance of closeness (to the Presence of Allah), and its relevance to the posture of prostration; the meaning of seeking refuge with a certain attribute (of Allah Almighty) from another; and then

seeking refuge with Him from Him. However, the mysteries of that is numerous, and they could not be attested only from the explanation of the external meanings of words. In no way does the interior of a word disagree with its exterior: on the contrary, it is complementary to it, therewith one penetrates the husk to reach the bith. This is what we might say in order to understand the fact that the external meanings do not contradict the external meanings; and Allah Almighty knows best.

Book nine: Celebrations and invocations

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

Praise be to Allah, Whose Compassion is all-embracing, Whose Mercy is common, Who rewards His servants for their remembering Him by mentioning them as shown in His statement: "So remember me, so that I should remember you." (Al-Baqarah 152)

﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾

And exhorts them to invoke Him by His Command, as attested from His statement: "Call on Me: I will answer your (Prayer)." (Ghafir 60)

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾

In this way, He Almighty makes the obedient as well as the disobedient, the near as well as the alien desirous to offer themselves to the Presence of His Glory, by raising their needs and wishes to Him, as shown from His saying: " I am indeed close (to them): I listen to the prayer of every suppliant when he calls on Me." (Al-Baqarah 186)

﴿ فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾

Allah's blessing and peace, as much as it should be, be upon Muhammad, the best of His Prophets, and the chief of His creatures, as well as upon his family and companions, the best of his select.

To go further: After the recitation of the Book of Allah Almighty (i.e. the Holy Qur'an) there is no religious service to be done with tongue better than the celebration of (the Praises and Glories of) Allah Almighty, and raising the needs through sincere invocations and supplications to Allah Almighty. Thus, it is necessary to explain the excellence of the celebration (of the Praises and Glories of Allah) in short as well as in detail as shown from the different celebrations, then to explain the excellence, conditions and proprieties of invocation, and to transmit the handed down supplications, which join the purposes of both religion and world, and the invocations which are particular to ask for (Allah's) forgiveness, and seek refuge (with Him from evil), and the like of that. All of that is included under five chapters:

The first chapters discusses the excellence and benefit of the celebration (of Allah's Praises) in brief as well as in detail.

The second chapter deals with the excellence and proprieties of the invocation, and the excellence of asking for (Allah's) forgiveness and invoking Allah's blessing and prayer upon the Messenger of Allah "Peace be upon him".

The third chapter raises some handed down invocations and supplications, which are attributed to their sayers, and considers their occasions.

The fourth chapter raises some invocations whose chains of transmission are unknown, and are selected from amongst the handed down supplications.

The fifth chapter raises some handed down invocations which are connected with certain events.

CHAPTER ONE: ON THE EXCELLENCE AND BENEFIT OF CELEBRATION (OF ALLAH) IN BRIEF AND DETAIL FROM THE QUR'AN, THE PROPHETIC NARRATIONS AND TRADITIONS

The Proofs From The Qur'an And Traditions

The proofs that might be quoted from the Holy Qur'an in the excellence of celebration in brief are attested by Allah's statement: "So remember me, so that I should remember you." (Al-Baqarah 152)

﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾

In this issue, Thabit Al-Bunani said: "I know when my Lord Almighty remembers me." They were scared from him and asked him: "How do you come to know that?" He said: "When I remember Him, He Almighty remembers me." Allah Almighty further says: "celebrate the praises of Allah, and do so often." (Al-Ahzab 41)

﴿ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾

He Almighty also says: "Then when you pour down from (Mount) Arafat, celebrate the praises of Allah at the Sacred Monument, and celebrate His praises as He has directed you, even though, before this, you went astray." (Al-Baqarah 198)

﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ ﴾

He Almighty says too: " So when you have accomplished your holy rites, celebrate the praises of Allah, as you used to celebrate the praises of your fathers, even with far more heart and soul." (Al-Baqarah 200)

﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ ﴾

Allah Almighty also says in this connection: "Men who celebrate the praises of Allah, standing, sitting, and lying down on their sides." (Al Imran 191)

﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾

He further says: "When you pass (congregational) prayers, celebrate Allah's praises, standing, sitting down, or lying down on your sides." (An-Nisa 103)

﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡ ﴾

According to Ibn Abbas "Allah be pleased with both": He means during night and day, on the sea and land, on journey and residence, in whichever state of richness and poverty, health and sickness, in secrecy and in public. In criticizing the hypocrites, Allah Almighty says: "but little do they hold Allah in remembrance." (An-Nisa 142)

﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

Allah Also says: "And do you (O reader!) bring your Lord to remembrance in your (very) soul, with humility and in reverence, without loudness in words, in the mornings and evenings; and be not you of those who are unheedful." (Al-A'raf 205)

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾

Allah Almighty says too: "and remembrance of Allah is the greatest (thing in life) without doubt. And Allah knows the (deeds) that you do." (Al-Ankabut 45)

﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾

According to Ibn Abbas "Allah be pleased with both": This statement has two points of interpretation: the first that Allah's remembering you is much greater than your remembering Him; and the other is that your celebration of (the Praises of) Allah Almighty is the greatest worship one might do. In addition to those mentioned above, there are several Holy Verses (in support of the excellence of the celebration of Allah Almighty).

From amongst the Prophetic narrations in confirmation to this issue, a mention might be made of the following: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He who remembers Allah Almighty among the heedless is like a tree that stands among the dry stubble (scattered by the wind)." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He who remembers Allah Almighty among the heedless is like a fighter who keeps steadfast among those who flee away (from the battlefield)." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: Allah Almighty says: "I'm with My servant as long as he remembers Me, and his lips move with (the celebration of) My praises."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "The son of Adam does no deed, more fitting to save him from the punishment of Allah than the celebration of (the Praises of) Allah Almighty." They said: "O Messenger of Allah! and not even the fight in the Cause of Allah Almighty?" he said: "And not even the fight in the Cause of Allah, unless you strike with your sword until it breaks, and then you strike with it until it breaks, and then you strike with it until it breaks." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who likes to enjoy himself in the meadows of the Garden, let him make so much the celebration of (the Praises of) Allah Almighty." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked about the best of deeds, thereupon he said: "It is to die while your tongue is fresh with the celebration of (the Praises of) Allah."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Let every morning and evening come upon you while your tongue is fresh with the celebration of (the Praises of) Allah Almighty, so that every morning and evening will enter upon you with no sin against you." the Messenger of Allah

"Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, to celebrate (the Praises of) Allah Almighty every morning and evening is much better than to break the swords (during fighting) in the Cause of Allah Almighty, and also to spend the wealth in charity in abundance." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said too: "If My servant remembers Me within himself, I will remember him in Myself; and if he remembers Me in the presence of an assembly (of people), I will remember him in front of an assembly much better than his; and if he comes close to me as much as a span, I will come close to him as long as a cubit; and if he comes close to me as long as a cubit, I will come close to him as long as is the length of two stretched out arms; and if he walks towards me in a normal pace, I will run towards him in a quick pace (i.e. hasten to answer his invocation."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Seven will be shaded with the Shade of Allah Almighty on the day (of Judgement) when there will be no shade but His..." one of whom is a man who used to celebrate (the Praises of) Allah Almighty in seclusion so much that his eyes overflowed with tears for his fear of Allah Almighty." (It is narrated on the authority of) Abu Ad-Darda' that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Should I not tell you about the best of your deeds, which is the most convenient to purify you in the Sight of your King, and apt to raise you to the highest degrees (in the Garden), and is much better for you than to give gold and silver (in charity) and also much better for you to meet your enemy and strike their necks and they strike your necks (during the fight)?" they asked: "What is that O Messenger of Allah?" he said: "It is to celebrate (the Praises of) Allah so much regularly. Allah Almighty says: 'He, who is occupied by celebrating (the Praises of) Me more than by asking Me (for his needs), I shall give him the best (rewards) which I give to those who ask Me.'"

There are also many sayings in connection with that issue. Al-Fudail said: We were reported that Allah Almighty says: "O My servant! Remember me for an hour after the morning (prayer), and a further hour after Asr (prayer), so that I would suffice you (everything in the period) between them." According to one of the learned men: Allah Almighty says: "If I cast a glance at the heart of any servant (of Me) and find that it most frequently persists in the celebration of My (Praises), I then take on to dispose of all of his affairs, and come to be his sitter, talker, and companion Who removes his loneliness." According to Al-Hassan: "The celebration (of Allah) is of two kinds: the celebration (of the Praises of Allah) that is between yourself and Allah Almighty, and how excellent it is, and how great its reward is; but even what is better than that is the remembrance of Allah at the occurrence of what He Almighty has forbidden."

It is narrated that every soul comes out of this world in the state of thirst, barring that of him who remembers (the Praises of) Allah Almighty. According to Mu'adh Ibn Jabal "Allah be pleased with him": "The inhabitants of the Garden will not grieve at anything (they did in this world) more than they will be at their loss of any moment that passed in which they did not remember Allah Almighty." And Allah Almighty knows best.

The Excellence Of The Gatherings Of Celebration (Of Allah Almighty)

In this respect, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There is no people who sit in a gathering to celebrate (the Praises of) Allah Almighty but that the angels surround them, the mercy (of Allah Almighty) covers them, and Allah Almighty remembers them among those who are in His Presence." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "There is no people who sit in a gathering to celebrate (the Praises of) Allah Almighty, intending by so doing nothing but the Countenance of Allah Almighty, but that a caller from heaven calls them: 'Stand up as being forgiven (by Allah), and your sins have been changed into good deeds to be added to your accounts.'"

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "No people sit in a gathering in which they do not celebrate (the Praises of) Allah Almighty, nor do they invoke for Allah's Prayer and Blessing upon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", but that this will turn to be a cause of grief for them on the Day of Judgement." Dawud said: "O my God! If You see me leaving the gatherings of these who celebrate (the Praises of Allah Almighty) to those of the heedless (who remembers Allah naught), then, break my leg before I reach them, for this will be a blessing You will have bestowed upon me."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The good gathering (in which one remembers Allah Almighty) plots out from the faithful believer (the sins of) two thousand thousand evil gatherings." According to Abu Hurairah "Allah be pleased with him": "The inhabitants of the heaven see the houses of the inhabitants of the earth in which the Name of Allah Almighty is mentioned in the same way as the stars are seen." According to Sufyan Ibn Uyainah: "If a people gather to celebrate (the Praises of) Allah Almighty, both Satan and world (with its vanities, pleasures and delights) retire, and Satan says to the world: "Do you not see what they are doing?" the world replies: "Leave them, and once they disperse, I will lead them to you."

It is narrated that once Abu Hurairah "Allah be pleased with him" entered the market and said to the people: "Are you there, while the heritage of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" is being distributed in the mosque?" they left the market and went direct to the mosque, but found no heritage being distributed. They asked him: "O Abu Hurairah! We've found no heritage being distributed in the mosque." He said: "Then, what have you seen?" they said: "We've found a people celebrating (the Praises of) Allah Almighty and reciting the Qur'an." On that Abu Hurairah said: "This is then the heritage of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"."

It is narrated by Al-A'mash from Abu Salih on the authority of Abu Hurairah that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah

Almighty has angels who wander in the land, other than the scribes (who record the deeds of) men. Once they find a people celebrating (the Praises of) Allah Almighty, they call each other: 'Come to that which you seek for!' they come and surround them until they rise up to the sky. Allah Almighty then says to them: "Which thing have My servant been doing when you left them?" they say: "We left them and they have been celebrating Your Praises, Glories and Splendors." Allah "Blessed and Exalted be He" says: "Have they seen Me?" the angels answer in the negative, thereupon He says: "Then, how will they do if they see Me?" they say: "If they see You, of a surety, they will be stronger in their celebration of Your Praises, Glories and Splendors." He then says to them: "From which thing do they seek refuge?" they say: "From the fire (of Hell)." He says: "Have they seen it?" they answer in the negative, thereupon He says: "Then, how will they do if they see it?" they say: "No doubt, if they see it, they will be stronger in their flight and escape from it." Allah Almighty says: "Which they do they ask for?" they say: "The Garden." He asks them: "Have they seen it?" they answer in the negative, thereupon He says: "What then shall they do if they see it?" they say: "Verily, they will be more eager to attain it." Allah Almighty says: "I then make you witnesses that I've forgiven for them." They say: "But so and so was among them, and he came not to take part with them (in celebration) but to ask for a certain need." On that He Almighty says: "They are really the people, whose sitter (whatever he might be) should not be wretched."

The Excellence Of Affirming Allah's Oneness

(It is to say: "There is no god (to be worshipped) but Allah."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The best (celebration) I and the Prophets before me said is: 'There is no god (to be worshipped) but Allah, the One and Only, other than Whom there is no partner.'" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "He, who says: 'There is no god (to be worshipped) but Allah, the One and Only, other than Whom there is no partner: to Him be the praise, and His is the dominion, and He has power over all things' one hundred times daily, (the reward of) it is recorded in his account (of good deeds) like (that of the emancipation of) ten slaves, one hundred good deeds are written in his account, one hundred evil deeds are plotted out of his account, and it comes to be a protecting shield against Satan during this days of his until evening comes upon him, and none shall do a deed better than him barring he who says (the same) more than that."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "No one performs ablution perfectly, and then raises his sight to the sky and says: 'I bear testimony to the fact that there is no god (to be worshipped) but Allah, the One and Only, other than Whom there is no partner, and I bear testimony to the fact that Muhammad is His servant and Messenger', but that the gates of the Garden open to him to enter from whichever he wills of them." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also

said: "These (Muslims who bear witness that) there is no god (to be worshipped) but Allah experience no loneliness in their graves, nor in their resurrection, as if I'm looking at them at the time of the sounding (of the trumpet therewith all the beings will rise from dead), shaking their heads off dust and saying: 'Praise be to Allah Who has removed sadness from us: verily, our Lord is Oft-Forgiving, Most ready to appreciate (the deeds of His servants).'"

(It is narrated that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Abu Hurairah: "O Abu Hurairah! Each good deed you do (in this world) will be weighed on the Day of Judgement, barring the testimony that 'there is no god (to be worshipped) but Allah', for indeed, if it is placed in a scale of the balance of him who said it sincerely and truthfully, and all of the seven heavens and the seven earths and what is between them are placed (in the other scale), they will be overweighed by (the testimony that) 'there is no god (to be worshipped) but Allah." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If the sayer of 'There is no god (to be worshipped) but Allah' comes (on the Day of Judgement) with sins as much as is likely to fill the earth, they will be forgiven for him by Allah Almighty."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "O Abu Hurairah! Dictate to these (on the threshold of) death the testimony tha 'there is no god (to be worshipped) but Allah', for indeed it destroys the sin. entirely." I (Abu Hurairah) said: "O Messenger of Allah! this is about the dead: what then is about the living?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It is much stronger to destroy (their sins and mistakes)." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said" "He, who says 'There is no god (to be worshipped) but Allah" sincerely and faithfully will enter the Garden."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "All of you will enter the Garden barring he who resists and flees away from Allah Almighty just as a camel flees away from its owners." It was said: "O Messenger of Allah! Who should resist and flee away from Allah Almighty?" on that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It is the one who does not say 'There is no god (to be worshipped) but Allah'. so, you should make much of saying: 'There is no god (to be worshipped) but Allah' before you are hindered (by death) from saying it, for indeed, it is the word of monotheism, it is the word of sincere faith, it is the word of piety, it is a good word, and it is the claim of truth, and it is the trustworthy handhold, and it is the price of (entering) the Garden."

In comment on the statement of Allah Almighty: "Is there any Reward for Good other than Good" (Ar-Rahman 60)

﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾

It was said: "The good in this world stands for the testimony that 'There is no god (to be worshipped) but Allah', and in the hereafter it stands for the Garden."

This applies also to the other saying of Allah Almighty: " To those who do right is a goodly (reward) yea, more (than in measure)!" (Yunus 26)

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾

It is narrated on the authority of Al-Bara' that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who says: 'There is no god (to be worshipped) but Allah, the One and Only, other than Whom there is no partner: to Him be the praise, and His is the dominion, and He has power over all things' ten times, (the reward he receives) for it is like that of (emancipating) a servant." It is narrated on the authority of Amr Ibn Shu'aib from his father from his grandfather that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who says: 'There is no god (to be worshipped) but Allah, the One and Only, other than Whom there is no partner: to Him be the praise, and His is the dominion, and He has power over all things' two hundred times daily, no one before him would have preceded him, nor will anyone after him attain his rank barring he who does better than his deed (i.e. says this statement more than that)."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who says in one of the markets: 'There is no god (to be worshipped) but Allah, the One and Only, other than Whom there is no partner: to Him be the praise, and His is the dominion, and He has power over all things' Allah writes for him one thousand thousand good deeds, and plots out of him one thousand thousand evil deeds, and constructs for him a house in the Garden." It is narrated that if a servant says 'There is no god (to be worshipped) but Allah' it will come to his account, and will not pass by a sin but that it will remove it, until it finds a good deed alike, beside which it will sit."

It is narrated, in an authentic tradition, on the authority of Ayyub that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who says: 'There is no god (to be worshipped) but Allah, the One and Only, other than Whom there is no partner: to Him be the praise, and His is the dominion, and He has power over all things' ten times (receives a reward) like him who has emancipated four men belonging to the descendants of Ishmael." It is further narrated, according to an authentic tradition, on the authority of Ubadah Ibn As-Samit that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who gets up (from sleep) at night and says: 'There is no god (to be worshipped) but Allah, the One and Only, other than Whom there is no partner: to Him be the praise, and His is the dominion, and He has power over all things; glory be to Allah; Praise be to Allah; There is no god (to be worshipped) but Allah; Allah is Greater; and there is neither might nor power but with Allah, Most High, Most Great' and then he says: 'O Allah! forgive for me' his sins will be forgiven for him, or he then invokes Allah, his invocation will receive answer; and if he performs ablution and offers prayer, his prayer will be accepted."

The Excellence Of Celebrating The Glories And Praises Of Allah Almighty

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He,

who exalts Allah, following every (obligatory) prayer thirty-three times, praises Allah thirty-three times, glorifies Allah thirty-three times, and concludes one hundred with saying: 'There is no god (to be worshipped) but Allah, the One and Only, other than Whom there is no partner: to Him be the praise, and His is the dominion, and He has power over all things', all of his sins will be forgiven for him, even though as much as the foam of the sea." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "He, who says: 'Glorified be Allah, with Whose Praises (I exalt Him)' one hundred times daily, his sins will be plotted out of him, even though as much as the foam of the sea."

It is narrated that a man came to The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "O Messenger of Allah! (the sources of livelihood in) this world have gone away from me, and I've run short of sustenance." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "Then, where are you from the prayer of the angels and the Tasbih of the creatures, therewith they are provided with sustenance?" he said: "What is that O Messenger of Allah?" he said: "Say: "Glory be to Allah with Whose Praises (I exalt Him); Glory be to Allah, Most Great; I ask for Allah's Forgiveness' one hundred times in the period between the rise of the dawn until you offer the Morning prayer, perchance (the sources of livelihood in) this world will come to you with humility and willing submission, and from each word thereof, Allah Almighty creates an angel to exalt Allah Almighty to the Day of Judgement, and the reward of that will be recorded for you."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If a servant says 'Praise be to Allah', it will fill (the space) between the nearest heaven and the earth; and if he says 'Praise be to Allah' for the second time, it will fill (the space) between the seventh (and the highest) heaven and the (seventh and the) lowest earth; and if he says 'Praise be to Allah' for the third time, Allah Almighty will say: "Ask, and you will be given (what you've asked)." It is narrated (by Abu Dawud) on the authority of Rifa'ah Ibn Rafi' Az-Zuraqi that he said: One day, we were offering prayer behind the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and when the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" raised his head from bowing he said: "Allah hears such as praises Him." A man standing behind the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said after him: "O Allah, our Lord: to You be the praises, as much abundant, good and blessed as it could be." When the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" (finished from the prayer and) turned away he asked: "Who said those words immediately?" the man said: "It is I O Messenger of Allah!" on that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No doubt, I've seen over thirty angels hastening to it: who among them will record it first."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to another narration): "Verily, the good (words) to remain (in this world) are: 'There is no god (to be worshipped) but Allah; glory be to Allah; praise be to Allah; Allah is Greater; and there is neither might nor power but with

Allah'." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said according to the narration of Ibn Umar: "No man living on this earth says: 'There is no god (to be worshipped) but Allah; Allah is Greater; glory be to Allah; praise be to Allah; and there is neither might nor power but with Allah' but that all of his sins will be forgiven for him, even though as much as the foam of the sea."

It is narrated on the authority of An-Nu'man Ibn Bashir that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Those who exalt, glorify and praise Allah, have their celebrations flitter round the Throne (of Authority), with sounds like the sounds of bees, in order to make reminder of their sawyer: does anyone of you not like to have something in the Presence of Allah with which he is remembered?" according to the narration of Abu Hurairah, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "To say: 'Glory be to Allah; praise be to Allah; there is no god (to be worshipped) but Allah; Allah is Greater' is much dearer to me than to have anything (in this world) upon which the sun rises." He added in another version: "and 'There is neither might nor power but with Allah': It is better than this world and all that it contains."

According to the narration of Samurah Ibn Jundub, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The best speech (one might say) in the Sight of Allah Almighty is: 'Glory be to Allah; praise be to Allah; there is no god (to be worshipped) but Allah; Allah is Greater' and it is of no harm to you to begin with any of them." It is narrated (by Muslim and others) on the authority of Abu Malik Al-Ash'ari: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The purification (i.e. the performance of ablution) constitutes half the faith, (the phrase) "Praise be to Allah" fills the scale of one's balance, (the phrases) "Glory be to Allah" and "Praise be to Allah" fill what is between the sky and the earth, the prayer is a light (which guides one to goodness and favour, and prevents him from doing evil), the charity is an evidence (of one's good faith), the patience is a luminosity and The Holy Qur'an is a proof, whither for you (in case you kept reciting it and acting upon its principles) or against you (in case you abandoned it and ignored its principles). Everyone of the people goes in the morning (and seeks for deeds), and sells himself in such a way as either to emancipate it (from torture if he sold it to Allah), or to destroy it (if he sold it to Satan)."

It is narrated (by Al-Bukhari) on the authority of Abu Hurairah: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There are two statements, and although they are light and easy upon the tongue (to say), they are so much heavy in the scale of one's balance, and so much dear to (Allah) Most Gracious. Those are: "Glory be to Allah with Whose Praise (I exalt Him); Glory be to Allah, Most Great'." According to another narration on the authority of Abu Dharr: I said to The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Which among the speech is the dearest to Allah Almighty?" he said: "That which Allah Almighty has chosen for His angels: 'Glory be to Allah with Whose Praise (I exalt Him); Glory be to Allah Most Great'."

It is narrated on the authority of Abu Hurairah that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, Allah Almighty has chosen from among the speech: 'Glory be to Allah; praise be to Allah; there is no god (to be worshipped) but Allah; and Allah is Greater': If a servant says 'Glory be to Allah' twenty good deeds will be written for him, and twenty evil deeds will be plotted out of him; and if he says 'Allah is Greater' the like of that will happen to him..." and the same applies to the remaining phrases. It is narrated on the authority of Jabir "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If a servant says 'Glory be to Allah with Whose Praise (I exalt Him)' a date-palm tree will be planted for him in the Garden."

It is narrated (by Muslim) on the authority of Abu Dharr "Allah be pleased with him" that he said: The poor among the Companions of The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "O Messenger of Allah! The wealthy ones have taken away the reward. They offer prayer as we do, observe fasts as we do, and give in charity out of their surplus wealth." He (The Prophet) said: "Has Allah not prescribed for you (a course) by following which you can give in charity? In every Tasbih (Subhanallah) there is a charity, every *Takbir* (Allahu Akbar) is a charity, every Tahmid (Al-hamdu lillah) is a charity, and every Tahlil (La ilaha illallah) is a charity, and enjoining good is a charity, and forbidding evil is a charity, and in man's sexual Intercourse (with his wife) there is a charity." They (the Companions) said: "O Messenger of Allah! is there a reward for anyone among us who satisfies his sexual desire (with his wife)?" He said: "Tell me if he directs it to what is prohibited, would it not be regarded as a sin committed by him?" they answered in the affirmative, thereupon he said: "Similarly, if he directs it to what is lawful, he would receive a reward (for it)."

It is narrated (by Ibn Majah) on the authority of Abu Dharr that he said: I said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Messenger of Allah! Those of great wealth and riches have received (the greatest portion of) the reward: they (do and) say as we (do and) say, but they spend (out of their property) and we do not (have that out of which we would) spend." He said to me: "Should I not tell you of a thing, that if you do it, you will catch up those who surpassed you, and none would be able to excel you? It is to exalt Allah following every (obligatory) prayer thirty-three times,, praise Allah thirty-three times, and glorify Allah thirty-four times." It is narrated on the authority of Busrah (daughter of Safwan) that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Stick (O women) to Tasbih, Tahlil (affirming Allah's Oneness) and Takbir (as much as you can) and do not be heedless, and count your Tasbihs with the help of your fingers, for they will be asked to bear witness (to you on the Day of Judgement)."

According to Ibn Umar: I see the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" counting his Tasbihs with his fingers. It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" according to the testimony of both Abu Hurairah and Abu Sa'id Al-Khudri: "If a servant

says: 'There is no god (to be worshipped) but Allah; and Allah is Greater' Allah Almighty then says: 'My servant has told the truth: there is no god (to be worshipped) but I; and I'm Greater'; and if a servant says: 'There is no god (to be worshipped) but Allah, the One and Only, other than Whom there is no partner' Allah Almighty says: 'My servant has told the truth: there is no god (to be worshipped) but I, the One and Only, and there is no partner with Me'; and if a servant says: 'There is no god (to be worshipped) but Allah, and there is neither might nor power but with Allah' Allah Almighty says: 'My servant has told the truth: there is neither might nor power but with Me'. Therefore, he who says those (statements) at death, the fire will touch him naught."

It is narrated on the authority of Mus'ab Ibn Sa'd from his father from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that he said: "Does anyone of you fail to earn a daily reward of one thousand good deeds?" they asked: "Who does this occur O Messenger of Allah?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It is to exalt Allah Almighty one hundred times, perchance one thousand good deeds are written for him, and one thousand evil deeds are plotted out of him." It is narrated (by Al-Bukhari and others) on the authority of Abu Musa that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "O Abdullah Ibn Qais (or O Abu Musa)! Should I not guide you to one of the treasures of the Garden?" he answered in the affirmative, thereupon he said to him: "Say: 'There is neither might nor power but with Allah'." according to another version he said to him: "Should I not teach you a word from a treasure which lies underneath the Throne (of Majesty)? It is 'There is neither might nor power but with Allah'."

It is narrated on the authority of Abu Hurairah that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Should I not guide you to a deed from one of the treasures of the Garden, which lies underneath the Throne (of Majesty)? It is to say 'There is neither might nor power but with Allah'. Allah Almighty says: 'My servant has bowed to Me in Islam, and submitted his will to Mine'." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who says once morning comes upon him: 'I've accepted Allah as my Lord, Islam as my religion, the Holy Qur'an as my leading guide and Muhammad "Peace be upon him" as my Prophet and Messenger' it is incumbent upon Allah Almighty to please him on the Day of Judgement." And according to another version: "He, who says that, Allah Almighty becomes well-pleased with him."

According to Mujahid: "If a man comes out of his out and says: 'In the Name of Allah' the angel (to whom he is entrusted) says: 'You have been guided aright'; and if he says: 'I've put my trust in Allah Almighty' the angel says: 'You've been sufficed (against any kind of evil)'; and if he says: 'There is neither might nor power but with Allah' the angel says: 'You've been protected (from Satans)'. Then, the devils disperse and leave him saying: 'What do you want from a man who has been guided aright, sufficed (against all kinds of evil) and protected (from Satans)? You have no way to seduce him'."

You might say: "What is the reason which lies behind the fact that the

celebration of (the Praises of) Allah Almighty, even though it is light upon the tongue to say, and easy upon the body to endure, is the best and the most fruitful from amongst all acts of worship, which are difficult and troublesome (and thus more fitting to be higher in reward)?"

It should be known to you that it is not fitting to discuss that but in the science of Revelation. But, as much as is possible to mention within the limits of the science of practical religion, let's say that what is beneficial and fruitful is the regular celebration (of Allah Almighty) in which the heart is fully present; and to celebrate (the Praises of Allah Almighty) with one's tongue, while the heart is absent is of no avail; and the different narrations and traditions affirm this fact. It is also of no avail to have one's heart present only for a moment with the help of the celebration (of Allah), and then it is diverted from Allah Almighty when one is occupied by the vanities of this world. On the contrary, it is to have one's heart present almost all the time which has superiority to all acts of worship, and moreover, it is through it that all acts of worship is given honour, since it is the ultimate fruit of the practical worship.

On the other hand, the celebration (of the Praises of Allah) has a beginning and an ending. Its beginning enjoins both companionship and love for Allah Almighty, whereas its ending results in both joviality (with) and adoration (for the Object of celebration); and of a surety, it is such companions and love which are required. The follower of the path in the beginning might force himself to divert his tongue and heart from all kinds of whispers and evil suggestions (cast intc him by Satan) to the celebration of (the Praises of) Allah Almighty; and if he is helped to do so regularly, he then will come to like to be in its company, and the love of the celebrated One will be planted in his heart. One should not be amazed by that. It is the habit to talk about an absent and unseen one in front of a certain man, and make a mention of his good characteristics and merits so many times, until he comes to love him. It is well-known that one might adore another (whom he has not seen earlier) only from describing him , and mentioning of his good merits so much repeatedly.

If a man adores the celebrated one only from forcing himself to remember him so much in the beginning, he then will turn to be forced to remember him so much that he could not keep patient of leaving it even for a short time. To be sure, he who loves a thing remembers it so much, and he who forces himself to remember a thing so much comes to love it at last. Thus, the remembrance begins by force, until it gradually has its fruit of the feeling of company with and love for the remembered thing, which deprives man of the ability to keep patient on leaving it in the end. In this way, that which enjoins the remembrance of Allah) turns to be the same which enjoins (the love for Him), and the fruit (of remembrance) turns to be fruitful (of companionship).

This is, however, the significance of the statement of one of those (Gnostics): "I've toiled myself while proceeding through the Holy Qur'an for twenty years, and then I've been blessed in it for further twenty years." To be sure, in no way could blessing be produced but from the affability with and love for that in which

one should be blessed, and in no way could such affability be produced unless one continues to proceed through it, and force himself to be accustomed to it for a long time until what is done by such compulsion turns to be done by nature and disposition.

How should this be improbable since one might have any kind of food which he regards as bitter in taste at first, and while toiling himself to eat it regularly, it turns to be agreeable to his disposition to the extent that he could not endure to leave it? that's because the soul is always accustomed to endure that which it forces itself to do at first. (According to a poetic verse): "Verily, it is the (nature of the) soul to be accustomed to that to which you habituate it." This means that what is done by force from the part of the soul at first turns to be done by nature at last.

Furthermore, if one becomes affable to the celebration of (the Praises of) Allah Almighty, he will turn to cease to remember anything else other than Allah Almighty. That's because anything else other than Allah Almighty departs from him at death, and no property, nor family, nor offspring nor office and nothing barring the celebration of Allah Almighty remains with him in the grave. If one becomes affable to it, he will enjoy of its pleasure, and will be happy with breaking off the relations with any obstructions that might divert him from it, since the necessities of life in this world keeps one off the celebration of Allah Almighty, whereas no obstruction remains after death. Thus, death seems as if it draws him alone with his beloved, which makes him more pleased, after he will have set himself free from the prison (of this world) in which he has been hindered from that to which he should be affable.

For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The Holy Spirit (i.e. Gabriel) inspired to me that 'you might love whomever you like to love, for you are going to leave it'." he refers here to what is connected with this world, which is to perish in relation to him by death: " All that is on earth will perish: But will abide (forever) the Face of your Lord, Full of Majesty, Bounty and Honour." (Ar-Rahman 25:26)

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝ ﴾

The world then perishes in relation to him by death, (and so on in relation to everyone) until it perishes by itself when the decree (of Allah Almighty) comes to its term appointed.

Of a surety, the servant continues to feel the good pleasure of this affability after his death until he comes to live in the Presence of Allah Almighty (on the Day of Judgement). He promotes from the state of remembrance up to the meeting (with Allah Almighty), after all which the graves contains will have been scattered abroad, and all which are locked up in the breasts (of men) will have been made manifest. Thus the survival of the celebration (of the Praises of) Allah Almighty with one after his death should not be rejected on the ground of the allegation that one then becomes nothing: how then should the celebration of Allah Almighty remain with him while he is in such state of nonexistence? That's

because such (dead) becomes nothing in such a way as to prevent the celebration of Allah Almighty to remain with him: he just becomes nonexistent from this life, as well as from the world of the visible world and not from the world of the unseen dominion.

In reference to what we've mentioned, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The grave is either one of the ditches of the fire (of Hell) or one of the meadows of the Garden." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The spirits of the martyrs live inside green birds." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said to those from the pagans who were killed in the holy battle of Badr: "O so and so! O so and so! (the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" called them by their names) have you found true the Promise of your Lord? Indeed, I've found true the Promise of my Lord." When Umar "Allah be pleased with him" heard the statement of the Prophet he said to him: "O Messenger of Allah! how do they hear and how do they answer seeing that they have become to be no more than dead bodies?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "By Him in Whose Hand is my life! You do not hear my speech better than they, but they have no power to answer." This Prophetic tradition is narrated in (Al-Bukhari's) Sahih.

This is his talk about the pagans. As to his talk about the faithful believers and martyrs, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The spirits of the martyrs live inside green birds underneath the Throne (of Majesty)." By no means do this state and what is referred to by different words stand against the survival of the celebration of Allah. Allah says: "Think not of those who are slain in Allah's Way as dead. Nay, they live, finding their sustenance in the Presence of their Lord; They rejoice in the Bounty provided by Allah: and with regard to those left behind, who have not yet joined them (in their bliss), the (Martyrs) glory in the fact that on them is no fear, nor have they (cause to) grieve." (Al Imran 169:170)

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾

In view of the honour of the celebration of (the Praises of) Allah Almighty, the martyrdom has been given a high and great rank, for indeed, what is required is the good end (of one's deeds). What we mean by the end is to bid farewell to this world (by death) and come to Allah with wholehearted devotion, having no relation with anything other than Him. If one is able to devote his attention entirely to Allah Almighty during his life, he could hardly be able to die in the same state except (as a martyr) in the row of the fighters (in Allah's Cause). That's because (by going to fight in Allah's Way) one cuts off any desire for his life, property, family and offspring, or in other words, for this world (with its pleasures, delights and vanities), which he likes just for his life, and it is this life which he regards as slight for the sake of his love for Allah Almighty, and seeking

His Good Pleasure. Thus, one could not devote himself wholeheartedly to Allah Almighty better than that.

For this reason, the martyrdom has been given a great superiority, and its good merits are beyond calculation according to many narrations. It is narrated that when Abdullah Ibn Amr (Ibn Haram) Al-Ansari was killed as martyr on the day of (the holy battle of) Uhud, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Jabir (his son): "Should I not give you glad tidings O Jabir (pertaining to your father's destiny)?" he said: "Yes, might Allah give you good news (O Messenger of Allah)!" he said: "Allah Almighty brought your father to life and made him sit in front of Him, with no curtain between them and said to him: "Ask Me O My servant for any hope that you like (to be fulfilled) so that I shall give it to you." He said: "O my Lord! It is just to bring me once again back to this world, so that I might be killed in the Cause of You and Your Prophet." On that Allah Almighty said: "I've already preordained that to this (world) those (who died) should not return once again."

On the other hand, it is to be killed (as martyr) which causes one to conclude (his journey of deeds) in such a state, for were he not to be killed, and were he to remain alive for some time, perhaps the desires for this world might return to him and prevail over his heart on the exclusion of the celebration of Allah Almighty to which he has devoted himself. For this reason, those of knowledge fear so much of the evil end (of their deeds). Whatever the heart might adhere to the celebration of Allah Almighty, it is in the habit of turning from one state to another, and it might deviate to the desires and lusts of this world, as being not far from falling victim of weakness from one time to another. If anything belonging to (the pleasures and delights of) this world is present in his heart at the conclusion of his life so much that it prevails over himself, and he leaves the world (by death) in such a state, it is about to keep prevailing over his heart to the extent that even after death he will have liking for it, which develops within himself the desire to return to it once again; and this is, however, due to one's little portion of the hereafter. To be sure, one should die on the same habits on which he lives, and will be resurrected on the same habits on which he dies.

Thus, the safest state to avoid such danger is to conclude one's deeds with martyrdom, particularly if the purpose of a martyr is not to attain property, nor is it to be ascribed to bravery or anything like that according to the authentic narration: on the contrary, one's purpose from martyrdom should be diverted only to the love of Allah Almighty, and make superior His Word (of Islam). It is this state which Allah Almighty expresses in His saying: "Allah has purchased of the Believers their persons and their goods; for theirs (in return) is the Garden (of Paradise)." (At-Tawbah 111)

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴿١١١﴾ ﴾

Such a person is him, who sells this world (with its perishable delights and pleasures) for the hereafter (with its never-ending bliss).

From this point of view, the state of martyr then agrees with the significance of your testimony that 'there is no god (to be worshipped) but Allah', for nothing is intended by it other than Allah Almighty, and He Who is intended by it should be worshipped, and he who is worshipped should be the God (of the worlds). This martyr then professes, with his state (of being killed in Allah's Cause) that 'there is no god (to be worshipped) but Allah', for there is nothing intended (by his martyrdom) other than He. But he who professes this only with his tongue, even though his state does not help him attain it, his matter is with Allah Almighty, and there is no fear of danger for him.

For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" gave preference to the testimony 'there is no god (to be worshipped) but Allah' over all other celebrations and supplications, and he made a mention of that on many occasions with no restrictions by way of exhortation, and on some he made a mention of exhortation, and on others he referred to the restriction of truthfulness and sincerity, as shown from his statement: "He, who says 'there is no god (to be worshipped) but Allah with sincerity (will enter the Garden)." The significance of sincerity here is to make the states affirm the words

We then ask Allah Almighty to make us, at the conclusion of our journey (of life and deeds) from those who profess that 'there is no god (to be worshipped) but Allah' in deeds and words, in outward and inward, in order that we would bid farewell to this world, without turning (desirously) to it, but rather with aversion towards it, and loving for the meeting of Allah Almighty, for indeed, he who likes to meet Allah Almighty, Allah likes to meet him, and he who dislikes to meet Allah Almighty, Allah dislikes to meet him.

Those are some references to the significances (and concepts) of celebration (of the Praises of Allah Almighty) to which nothing could be added within the limits of the science of the practical religion.

CHAPTER TWO: ON THE PROPRIETIES AND EXCELLENCE OF SUPPLICATION; THE EXCELLENCE OF SOME HANDED DOWN SUPPLICATIONS; THE EXCELLENCE OF ASKING FOR ALLAH'S FORGIVENESS, AND INVOKING FOR ALLAH'S PRAYER AND BLESSING UPON THE MESSENGER OF ALLAH

The Excellence Of Supplication

Allah Almighty says: "When My servants ask you concerning Me, I am indeed close (to them): I listen to the prayer of every suppliant when he calls on Me: let them also, with a will, listen to My call, and believe in Me: that they may walk in the right way." (Al-Baqarah 186)

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾

He Almighty further says: "Call on your Lord with humility and in private: for

Allah loves not those who trespass beyond bounds." (Al-A'raf 55)

﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

Allah says too: "And your Lord says: "Call on Me; I will answer your (Prayer): but those who are too arrogant to serve Me will surely find themselves in Hell, in humiliation!"" (Ghafir 60)

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾

Allah Almighty also says: "Say: "Call upon Allah, or call upon Rahman: by whatever name you call upon Him, (it is well): for to Him belong the Most Beautiful Names." (Al-Isra' 110)

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴿١١٠﴾ ﴾

It is narrated on the authority of An-Nu'man Ibn Bashir from The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that he said: "Verily, supplication is (a kind of) worship." Then, he recited: "Call on Me; I will answer your (Prayer)." (Ghafir 60)

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ ﴿٦٠﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Supplication (of Allah) is the marrow of worship." It is narrated on the authority of Abu Hurairah that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Nothing is much dearer to Allah Almighty than the supplication." According to another narration The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A servant (of Allah) never fails to receive the answer of anyone of the following three things: a sin which might be forgiven for him, a good which might be hastened on for him, or a good which might be kept for him."

According to Abu Dharr "Allah be pleased with him": "It is sufficient (for man) from supplication with righteousness as much as is sufficient from salt for food." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Ask Allah Almighty of His Bounty, for Allah Almighty likes to be asked (by His servants); and the best act of worship is to expect for the relief."

The Proprieties Of Supplication

Those are ten, and they go as follows:

The first is to seek, for his invocations and supplications, such noble times as the day of Arafah (ninth of Dhul-Hijjah) from amongst all the days of the year, and the month of Ramadan from amongst all of the months, Friday from amongst all the days of the weeks, and the last portion of the night, a short time before dawn from amongst all the hours of the night in accordance with the statement of Allah Almighty: " And in the hours of early dawn, they (were found) praying for Forgiveness." (Adh-Dhariyat 18)

﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "When only one-third the night remains every night, Allah Almighty brings His Glory to the nearest heaven and say: 'Who does invoke Me, so that I would answer his invocation? Who does ask Me, so that I would give him (what he asks for)? Who does ask for My Forgiveness, so that I would forgive for him?'" It was said that Jacob "Peace be upon him" said (according to the Holy Qur'an): "Soon will I ask my Lord for forgiveness for you: for He is indeed Oft-Forgiving, Most Merciful" (Yusuf 98)

﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

He invoked Allah Almighty at the last portion of the night, a short time before dawn. It was said that in the early dawn, he stood and went on invoking Allah Almighty, and his sons stood and went on saying 'Amen' behind him in confirmation to his invocation. Then, Allah Almighty revealed to him that 'I've forgiven for them, and made them Prophets'.

The second is that one should avail himself of the honoured occasions and states (to invoke Allah Almighty therein): according to Abu Hurairah "Allah be pleased with him": "Verily, the gates of the heaven are opened at the time of the marsh of the rows (of fighters) in Allah's Cause, at the time of rainfall, and at the time of establishing the written (obligatory) prayers: so, you should avai' yourselves of those occasions to invoke Allah therein." According to Mujahi "Verily, the (written obligatory) prayers have been made at the best times of th day: so, stick to invoking Allah Almighty following them." The Messenger ot Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The invocation (of Allah in the period) between both Adhan (Call to Prayer) and Iqamah (Call to Prayer Establishment) could hardly be rejected." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The invocation of a fasting person could hardly be rejected."

As a matter of fact, the honour of the time refers to the honour of the state itself: the last portion of the night a short time before dawn, for example, is the due time of the purity and sincerity of the heart, in which it becomes entirely free from muddles; and both the day of Arafah and Friday are times for the assembly of attentions in which the hearts co-operate together to draw forth Allah's Mercy upon them...and so on. This is one of the reasons for the honour of the times, in addition to many mysteries which they have, and which no human being could easily know.

The posture of prostration also is one of the honoured states in which invocation is more fitting to receive answer. In this connection it is narrated that Abu Hurairah said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The servant becomes the closest to his Lord Almighty when he is prostrating: so, you should make much of your invocations therein." It is further narrated on the authority of Ibn Abbas "Allah be pleased with both" that The

Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I've been forbidden to recite the Qur'an while being in the posture of bowing or prostration: as for bowing, you should celebrate the Greatness of the Lord Almighty; and as for prostration, endeavour to invoke (Allah Almighty) as much as you can, for it is more fitting to receive answer."

The third is that one should invoke while facing the Qiblah, and raising his hand so high that the whiteness of his armpits would be visible. In this context, it is narrated on the authority of Jabir Ibn Abdullah that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" came the standing place of Arafah, and faced the Qiblah, and kept invoking Allah Almighty until the sun set. It is further narrated on the authority of Salman that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, your Lord Almighty is so much Kind and Generous that He feels shy of returning the hands of His servants with failure once they raise them to Him (with their invocations)."

It is narrated on the authority of Anas that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to raise his hands in his invocation so high that the whiteness of his armpits would be visible, and he never beckoned with his fingers." It is narrated on the authority of Abu Hurairah that once The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" passed by a man who was invoking, and beckoning with both his index fingers, thereupon he said to him: "Make it only with the help of one (finger)! Make it only with the help of one (finger)!" he meant that he should beckon with only the index finger (of his right hand, in reference to the Allah's Oneness). According to Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him": "You should raise those hands (of yours in your invocations) before they are bound in fetters."

Furthermore, one should pass his hand over his face at the conclusion of his invocation. In this issue, it is narrated on the authority of Umar that he said: "It was the habit of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", whenever he stretched his hands to invoke (Allah Almighty), not to withdraw them until he would pass them over his face." It is narrated on the authority of Ibn Abbas: "Whenever The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" invoked (Allah Almighty), he would hold his hands together, making their insides opposite to his face." Those are different states pertaining to the hand during the invocation. On the other hand, one should not raise his sight up to the sky during his supplication. It is narrated that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Let some people desist from raising their sights up to the sky during their supplication, otherwise, their sights would be snatched away."

The fourth is that the invoker should make his voice a middle course in such a way as to be not aloud, nor in a low tone. This is, however, due to the narration (of Al-Bukhari and others) on the authority of Abu Musa Al-Ash'ari in which he said: We came (back from journey) in the company of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and when we approached Medina, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" went on glorifying

Allah and the people did the same with him, but they raised their voices so high that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "O people! Verily, (Allah Almighty) the One Whom you invoke is neither deaf nor absent: undoubtedly, the One Whom you invoke is (so close to you that He) lies between you and the necks of your riding mounts."

In comment on the statement of Allah Almighty: "Speak not your prayer aloud, nor speak it in a low tone: but seek a middle course between" (Al-Isra' 110)

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿١١٠﴾ ﴾

A'ishah "Allah be pleased with her" said: "He refers to supplication and invocation." Allah Almighty praised His Prophet Zakariyya "Peace be upon him" in His saying: "Behold! he cried to his Lord in secret." (Maryam 3)

﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ ﴾

Allah Almighty says in this connection: "Call on your Lord with humility and in private: for Allah loves not those who trespass beyond bounds." (Al-A'raf 55)

﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

The fifth is that one should not be ostentatious in using rhyme in his supplications and invocations. That's because the invoker becomes in the same state of him who shows humility (towards his Lord) for whom ostentation is not fitting. In this connection, it is narrated that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There will be a people, whose habit is to trespass beyond due bounds in supplication." In confirmation to that, Allah Almighty says: " Call on your Lord with humility and in private: for Allah loves not those who trespass beyond bounds." (Al-A'raf 55)

﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

In comment on it, it was said that it meant to be ostentatious in the use of rhymes.

It is more fitting for one not to go beyond the handed down invocations and supplications, for he might trespass beyond due bounds in his invocation and ask what is not in his interest; and this is due to the fact that not everyone is perfect in expressing supplication. For this reason, it is narrated on the authority of Mu'adh that the learned people will be needed in the Garden, when it will be said to the inhabitants of the Garden: "Show your hopes!" but they will not know how to express their hopes until they will learn that from those endued with knowledge.

It is narrated that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Beware of sticking to the use of rhyme in your supplications! It suffices anyone of you to say: "O Allah! I ask You (to admit me to) the Garden, and (to bestow upon me) such of words and deeds as draws me close to it, and I seek refuge with You from the fire (of Hell) and from such of words and deeds

as draws me close to it!" it is narrated that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There will be a people, whose habit is to trespass beyond due bounds in supplication and ablution." It is narrated that one of the early good men passed by a storyteller who was invoking Allah and he was using rhymes ostentatiously, thereupon he said to him: "Do you try to be showy in front of Allah Almighty? I bear witness that I saw Habib the non-Arab invoking Allah in which he said nothing more than the following: "O Allah! make us good! O Allah! disgrace us naught on the Day of Judgement! O Allah! help us with success to attain good!" and the people were invoking from every direction behind him.

According to a learned man: "You should invoke (Allah Almighty) with the tongue of humility and not with the tongue of eloquence and fluency." It is said that the learned among the Substitutes (Abdal) invoke (Allah Almighty) with no more than seven words if not less; and this is attested clearly from the conclusion of the Surah of Al-Baqarah, for Allah Almighty never tells His servants about invocations and supplications in any location (of the Qur'an) more than that.

It should be known to you that what is intended by using rhyme is to be ostentatious in speech; and this is not fitting for showing humility and submission (to the Lord), otherwise, there are, in the supplications handed down from The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" some consonant words, but not flamboyantly. A mention might be made of the following: "(O Allah) I ask You to grand me safety from the Day of the threat and to admit me to the Garden on the Day of Eternity, in the company of Your nearest devotees and martyrs, and those who used to offer bowings and prostrations so much (in their prayers), who fulfill their covenants: Verily, You are Oft-Merciful, Full of Loving-Kindness, Who always do what You will." (As'aluka al-amn min yawm al-wa'id, wal-jannah yawm al-khulud, ma' al-muqarrabin ash-shuhud, ar-rukka' as-sujud, al-muwfin bil-uhud: innaka Rahim wadud, wa'innaka taf'alu ma turid). There are other examples like that.

Let one then limit himself to such of supplications and invocations as is handed down (from the Prophet and his companions), otherwise, let him supplicate with the tongue of humility and submission, and keep himself from ostentation and using rhyme pretentiously, since showing humility is the dearest in the Sight of Allah Almighty.

The sixth is that one should show humility, submission, desire (for Allah's reward) and fear (of Allah's punishment). Allah Almighty says: "These (three) were ever quick in emulation in good works; they used to call on Us with love and reverence, and humble themselves before Us." (Al-Anbiya 90)

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾

He Almighty further says: " Call on your Lord with humility and in private: for Allah loves not those who trespass beyond bounds." (Al-A'raf 55)

﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾

According to a certain narration The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If Allah Almighty loves one of His servants, He puts him to trial until He hears his (invocation and supplication with) humility (and submission)."

The seventh is that one should affirm his invocation, with certainty that it will receive answer (from Allah Almighty), and trust in his hope in Him. In confirmation to that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Let none of you say, whenever he invokes (Allah Almighty): 'O Allah! forgive for me if You so will! O Allah! bestow mercy upon me if You so will!' but rather, let him affirm his invocation since there is none to compel Him Almighty (to do what He wills not)." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "When anyone of you invokes (Allah Almighty), let him make great his desire, for nothing is greater than Allah Almighty." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Invoke Allah with certainty that (your invocation) will receive answer (from Him), for indeed, Allah Almighty never responds to the invocation of him whose heart is heedless."

Sufyan Ibn Uyainah said: "Let nothing of such (of evil) as anyone of you knows about himself prevent him from invoking (Allah Almighty), for verily, Allah Almighty responded to the invocation of the worst of His creatures, Iblis "Allah's Curse be upon him" when he said: "O my Lord! give me then respite till the Day the (dead) are raised." He (Allah) said: "Respite then is granted you." (Sad 79:80)

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٨٠﴾

The eighth is that one should be persistent in his invocation, which he should repeat thrice, in accordance with the narration on the authority of Ibn Mas'ud, in which he said: "Whenever the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" invoked (Allah Almighty) he would invoke thrice, and whenever he asked (Him for anything) he would ask (Him) thrice." On the other hand, one should not regard the answer (to his invocation) too slow to come in accordance with the statement of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "(The invocation of) anyone of you receives answer as long as he is not hasty as shown from his saying: 'I've invoked (Allah) but my invocation has received no answer'; and if you invoke, ask Allah so much, for indeed you invoke One Who is Most Generous."

One of the learned men said: "I've been asking Allah Almighty to fulfill a certain need to me for twenty years, and He has given me no answer, even though I still expect for an response to my invocation: I've asked Allah Almighty to help me leave what concerns me not." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If anyone of you invokes for a certain thing and he comes to know that his invocation has received answer, let him say:

'Praise be to Allah with Whose Favour all good things are accomplished'; and if the answer slows to come to him let him say: 'Praise be to Allah for every state (in which I should be)'."

The ninth is that one should commence his invocation by mentioning the Name of Allah Almighty, for it is not proper to him to begin with asking directly. In this connection, it is narrated on the authority of Salamah Ibn Al-Akwa' that he said: "I've never heard The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" having commenced his invocation but that he began with the statement: 'Glorified be my Lord, Most High, Most Supreme, Grantor (of favours) without measure'." According to Abu Sulaiman Ad-Darani: "Whoever likes to ask Allah for anything, let him begin with invoking Allah's Prayer and Blessing upon the Messenger of Allah, then ask Him for his need, and then conclude with invoking Allah's Prayer and Blessing upon the Prophet of Allah; and that's because Allah Almighty accepts both prayers and He is too generous to reject what is between them." It is narrated on the authority of Abu Talib Al-Makki that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If you ask Allah for anything, you should begin with invoking Allah's Prayer and Blessing upon me, for it is not befitting for the generosity of Allah Almighty, when He is asked for two needs, to fulfill one and reject the other."

The tenth pertains to the internal proprieties: the original reason for which an invocation receives answer is that one should, first of all, turn to Allah in repentance (with sincerity), cancel out injustices, and to turn to Allah with true attention: this is the near cause which underlies the answer of any invocation.

In this respect, it is narrated on the authority of Ka'b Al-Ahbar that during the lifetime of Moses, the Messenger of Allah "Peace be upon him" the people were given to severe draught. Moses came out with the children of Israel to invoke Allah for rain, but they were not provided with rain. He came out with them with the same intention, but they received no rain. Allah Almighty inspired to Moses "Peace be upon him" that "I am not to respond to you and to those who are with you as long as there is among you the one who goes about with calumnies (to sow the seeds of hatred among the people)." Moses "Peace be upon him" said: "O Lord! Who is he so that we should drive him out from among us?" Allah Almighty revealed to Moses: "O Moses! I forbid you to adhere to talebearing, and that anyone of you should go about with calumnies." Moses said to the children of Israel: "Turn to your Lord all together in repentance from being given to talebearing." When they repented, Allah Almighty sent rainfall upon them.

It is narrated on the authority of Sa'id Ibn Jubair that he said: During the lifetime of one of the kings of the children of Israel, the people were given to severe famine. They invoked Allah for rain, and their king said: "Let Allah send down the rain upon us from the sky, otherwise, we shall cause harm to Him." It was said: "How could you be able to cause harm to Him seeing that He is in the heaven?" he said: "I could kill His devotees and those who do good in His obedience, and this would be a source of harm to Him." Then, Allah Almighty

sent down rain from the sky upon them.

According to Sufyan Ath-Thawri: I was reported that the children of Israel were befallen by a seven-year famine and it was so much severe that they were forced to eat the dead bodies from the dumps and they also ate the children. During this famine, they used to come out to the mountains, weeping and invoking Allah with humility. Allah Almighty inspired to their Prophets "Peace be upon them" that "Even if you walk to Me on foot until your knees become bare and your hands rise up to reach the sky, and your tongues weary and cease to invoke more, I will not answer the invocation of anyone of you, nor will I bestow mercy upon the weeping among you until you cancel out the injustices of those who have been wronged." They did accordingly, thereupon they were provided with rain as of the very day they did.

According to Malik Ibn Dinar: The children of Israel fell victims of a severe draught, thereupon they came out so many times (to invoke Allah for rain), thereupon Allah Almighty revealed to their Prophet to tell them that "You come out to Me with impure bodies, and raise to Me hands which shed the blood (of each other), and you have filled your abdomens from what is unlawful: now, My Wrath has become strong upon you, and you will not become but more far removed from (the mercy of) Me."

According to Abu As-Siddiq An-Naji: Once, Solomon "Peace be upon him" came out to invoke Allah for rain and on the way he came upon an ant thrown on its back and it was raising its sides up to the sky and saying: "O Allah! we are a sect from among Your creatures, and we could not be independent from Your sustenance: ruin us not with the sins of anyone else other than us." On that Solomon "Peace be upon him" said (to those who were with him): "Return, for you have been provided with water with the help of the invocation of some other than you."

According to Al-Awza'i: The people came out to invoke Allah for rain thereupon Bilal Ibn Sa'd stood among them and addressed them saying: "O assembly of those who are present here! Do you not state that you're sinful?" they said: "Yes, O by Allah." on that he said: "O Allah! we heard You having said (in Your Book): " no ground (of complaint) can there be against those who do right: and Allah is Oft-Forgiving, Most Merciful." (At-Tawbah 91)

﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ ﴾

Verily, we've stated that we are sinful: should Your Forgiveness not be but for such people as we? O Allah! forgive us and bestow mercy upon us, and provide us with water!" He raised both his hands, and they raised theirs, and they were provided with rain.

It was said to Malik Ibn Dinar: "Invoke your Lord for us (to provide us with rain)." He said: "Verily, you regard the rain too slow to come even though I regard the stones too slow to come." It is narrated that Jesus "Peace be upon him" came out to invoke for rain, and when those (who were with him) were bored Jesus "Peace be upon him" said to them: "Let such of you as has

committed a sin return." All of them returned barring one who remained with him in the desert. Jesus "Peace be upon him" asked him: "Have you not committed any sin?" he said: "By Allah! I do not know that I've committed a sin, except that one day I was offering prayer when a woman passed by me and I cast a glance at her with this eye of mine, and when she went far from me, I entered my finger into my eye which I removed and followed the woman with it." Jesus "Peace be upon him" said to him: "Invoke Allah so that I would say 'Amen' in confirmation to your invocation." He invoked (Allah) and then the sky turned to be filled with clouds and it rained and thus they were provided with water.

According to Yahya Al-Ghassani: During the lifetime of (the Prophet) David "Peace be upon him" the people were befallen by a severe draught, and they chose three of their learned men and came out to invoke for rain with the help of their (invocation). One of them said: "O Allah! Verily, You have revealed in the Torah that we should excuse him who wrongs us: O Allah! we've wronged ourselves, so, please, excuse us!" the second said: "O Allah! You have revealed in the Torah that we should emancipate our slaves: O Allah! we are Your slaves, so, please, emancipate us!" the third said: "O Allah! You have revealed in the Torah that we should not discard such of indigent and needy as stand at the gates of our houses: O Allah! we are indigent and needy, standing at Your Gate, so, please, reject not our invocation!" then, they were provided with rain.

According to Ata' As-Sulami: We received no rain (for a long time) thereupon we came out to invoke (Allah) for rain, and behold! Sa'dun the Mad was in the graveyard. He cast a glance at me and said: "O Ata'! is this the day of resurrection? Has what the graves contain been scattered abroad?" I said: "No, but we did receive no rainfall (for a long time) thereupon we came out to invoke (Allah) for rain." He said: "O Ata'! (have you come out to invoke for rain) with earthly hearts or with heavenly hearts?" I said: "No, with heavenly hearts." He said: "Let it be far (from the truth) O Ata'! tell those who make dazzling display not to display their adornment so much for indeed the One Who watches them is All-Seeing." Then, he stared at the sky with his eye and said: "O my God, my Lord and my Master! Destroy not Your country with the sins of Your servants! But by virtue of the well-guarded mystery of Your Names, and such of Your Favours as hidden behind the veil, provide us with sweet and fresh water in abundance therewith to give life to the servants and water the (different parts of the) countries: O (Allah) Who has power over all things." Ata' said: He had no sooner completed his speech than there appeared in the sky lightning and thunder, which caused a great quantity of rain to fall, as much as the mouths of water-skins. Then, he turned away while saying (in the form of poetic verses):

"Verily, both the ascetics and worshippers have been prosperous when they made themselves hungry for the Sake of Allah. they kept wakeful during the night with their sick eyes open, in love (for Allah Almighty), thereupon their night

passed while they were sleepless. They were occupied by the worship of Allah so much that the people came to think madness befell them."

According to Ibn Al-Mubarak: I came to Medina in a year, in which there was a severe draught. The people came out to invoke (Allah) for rain, and I came out with them, and behold! There came a black boy with two pieces of sackcloth, one of which he took as his lower garment, and threw the other upon his shoulder. He sat by my side, and I heard him saying: "O my God! The abundance of sins and the evil deeds have worn out the faces in Your Sight; and You have detained the rain of the sky from us in order to penalize Your servants because of that: I ask You, Most Forbearing, Most Tolerant, from Whom His servants know but what is good, to provide them with water just at that time, just at that time." He kept saying 'At that time, at that time' until the sky came to be dressed in clouds, and the rain fell from every side. I came to Al-Fudail who asked me: "Why do I see you grief-stricken?" he said: "There is an important matter, to which somebody other than us has preceded, and thus he undertook it apart from us." I related to him the story, thereupon Al-Fudail cried and fell unconscious.

It is narrated that Umar (Ibn Al-Khattab) "Allah be pleased with him" invoked (Allah Almighty) for rain with the help of Al-Abbas (the Prophet's paternal uncle) "Allah be pleased with him", and when Umar finished from his invocation, Al-Abbas said: "O Allah! no distress descends from the sky but because of a great sin, and it is not removed but by virtue of repentance; and the people have turned to You with the help of me, in view of my position from Your Prophet "Peace be upon him"; and those are our hands, (which we raise) to You with our sins, and those are our forelocks turning to You in repentance; and You are the Guardian Who do not neglect the straying ones (among Your wards), nor do You leave the old one in an abode of loss: verily, the young one has showed humility to You, and the old one has submitted with leniency to You, and the voices have risen high with complaints; and You know the deepest secrets and what is hidden: O Allah! relieve them with your relief (of water) before they despair and perish, since none despairs from the Spirit and satisfaction of Allah Almighty but these who reject faith." However, he had no sooner completed his speech than the clouds in the sky became as high as mountains.

The Excellence Of Invoking For Allah's Prayer And Blessing Upon The Messenger Of Allah

Allah Almighty says: " Allah and His Angels send prayers and blessings on the Prophet: O you that believe! send you prayers and blessings on him, and salute him with all respect." (Al-Ahzab 56)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

It is narrated that one day The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" appeared and (the signs of) happiness were visible on his face and

he said: "Gabriel "Peace be upon him" came to me and said: 'Are you not pleased, O Muhammad that none from amongst your nation invokes for Allah's Prayer and Blessing upon you once but that I invoke Allah's Prayer and Blessing upon him ten times, and none from amongst your nation salutes you once but that I salute him ten times?'" The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "None invokes Allah's Prayer and Blessing upon me but that the angels invoke for Allah's Prayer and Blessing upon him as much as he does upon me: let him then make little or much of it if he so likes."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Such of people as are closer to me are those who invoke Allah's Prayer and Blessing upon me more among them." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It suffices a believer for a niggard not to invoke Allah's Prayer and Blessing upon me when a mention is made of me in his presence." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Invoke Allah's Prayer and Blessing upon me so much on Friday." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Whoever among my nation invokes Allah's Prayer and Blessing upon me (even once), ten good deeds are written for him, and ten evil deeds are plotted out of him."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever says, on hearing the Call to prayer and the call to prayer establishment: 'O Allah, Lord of this perfect call and the established prayer: send Your Prayer and Blessing upon Muhammad, Your servant and Messenger, and give him the access (to intercession), superiority (over the people) and high rank, and the intercession on the Day of Judgement, my intercession then is assured to him." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said too: "He, who invokes Allah's Prayer and Blessing upon me in a book, the angels keep asking for Allah's Forgiveness as long as my name is in this book." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "On earth, there are traveling angels, who convey to me the salutations of those of my nation." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "None (of my nation) salutes me with peace but that Allah Almighty brings my spirit back to me in order to return the salutation to him."

It is narrated that it was said to the Messenger of Allah: "O Messenger of Allah! How would we invoke for Allah's Prayer and Blessing upon you?" The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: Say: "O Allah! send Your Prayer upon Muhammad, Your servant, upon his family, wives and offspring in the same way as You sent Your Prayer upon Abraham and upon the family of Abraham; and send Your Blessing upon Muhammad, his wives and offspring in the same way as You sent Your Blessing upon Abraham and the family of Abraham (in the worlds): You are Praiseworthy, Most Glorious."

It is narrated that after the death of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", Umar Ibn Al-Khattab was heard while he was weeping and saying: "Let my father and mother sacrifice their lives for you O Messenger of Allah! There was (at first) a trunk (of a date-palm) to which you used to address the people, and when the people increased in number, you took a pulpit, in order to cause them to hear you, thereupon the trunk moaned for your leaving him, and it did not become silent until you placed your hand over it: of a surety, your nation is more fitting to moan for you when you left them (by death). Let my father and mother sacrifice their lives for you O Messenger of Allah! Your superiority (over all of the people) in the Sight of Allah Almighty has attained such a degree as He made the obedience of you a part of the obedience of Him when He Almighty said: "He who obeys the Messenger, obeys Allah; but if any turn away, We have not sent you to watch over their (evil deeds)." (An-Nisa' 80)

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾

Let my father and mother sacrifice their lives for you O Messenger of Allah! Your superiority (over all of the people) in the Sight of Allah Almighty has attained such a degree as He informed you of His forgiving you before He told you of the sin when He said: "Allah give you grace! why did you grant them exemption until those who told the truth were seen by you in a clear light, and you had proved the liars?." (At-Tawbah 43)

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾

Let my father and mother sacrifice their lives for you O Messenger of Allah! Your superiority (over all of the people) in the Sight of Allah Almighty has attained such a degree as He Almighty sent you as the last of the Prophets, even though He made you the first of them to be mentioned when He said: " And remember We took from the Prophets their Covenant: as (We did) from you: from Noah, Abraham, Moses, and Jesus the son of Mary: We took from them a solemn Covenant." (Al-Ahzab 7)

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾

Let my father and mother sacrifice their lives for you O Messenger of Allah! Your superiority (over all of the people) in the Sight of Allah Almighty has attained such a degree as the denizens of the fire, while being punished in between its layers, would hope that they should have obeyed you, as shown from their saying (in the Holy Book on the Day that their faces will be turned upside down in the Fire: "Woe to us! would that we had obeyed Allah and obeyed the Messenger!" (Al-Ahzab 66)

﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ ﴾

Let my father and mother sacrifice their lives for you O Messenger of Allah! If Moses "Peace be upon him" was given (as a miracle) the rock therefrom the springs of water gushed forth, what should be more marvelous than your fingers when the water sprang from them? "Allah's blessing and peace be upon you". Let my father and mother sacrifice their lives for you O Messenger of Allah! If Solomon, son of David was given by Allah Almighty the (miracle of the) wind with its early morning (stride) was a month's (journey), and its evening (stride) was a month's (journey), what should be more marvelous than the Buraq on which you ascended to the seventh seven, and then (you returned) on the same night and offered the Morning prayer at Abtah? "Allah's blessing and peace be upon you". Let my father and mother sacrifice their lives for you O Messenger of Allah! If Jesus "Peace be upon him" was given by Allah Almighty the (faculty to) give life to the dead (by Allah's Will), what should be more marvelous than the poisoned sheep when it talked to you while it was roasted, and its shoulder said to you: "Eat me not for I'm poisoned"? Let my father and mother sacrifice their lives for you O Messenger of Allah! Noah "Peace be upon him" invoked evil against his people saying: "O my Lord! Leave not of the Unbelievers, a single one on earth! "For, if You do leave (any of) them, they will but mislead Your devotees, and they will breed none but wicked ungrateful ones." (Noah 26:27)

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝ ﴾

Verily, had you invoked such evil against us, surely, we would have been ruined: your back was trodden (by the pagans and unbelievers of the Quraish), your face was wounded and your canine tooth was broken, and in spite of that, you refused to say but good when you said: "O Allah! Forgive for my people for they know not." Let my father and mother sacrifice their lives for you O Messenger of Allah! there followed you, in spite of your short life and few years (no more than sixty-three which you lived among us) such (a great number of people) as did not follow Noah in spite of his long life and numerous years (nine hundred and fifty which he lived among his people): verily, a great number of people (nearly one hundred and twenty thousand) believed with you, but it was only a few who believed with him. Let my father and mother sacrifice their lives for you O Messenger of Allah! had you not sat but with those rival unto you (in status and position), surely, you would have sat with none of us; and had you not married but from those rival unto you (in status and position) you would have married from none of us; and had you not had food but with those rival unto you (in status and position), you would have had food with none of us: but by Allah, you sat with us, married from us, and had food with us, as well as you put on (garments of) wool, rode (such mounts as) the donkey, and made others ride behind you, and you also placed your (leather of) food on the ground, and licked your fingers (after finishing from eating) out of showing humbleness."

According to one of the learned men: "I used to write the Prophetic traditions in which I invoked Allah's Prayer and Blessing upon the Prophet "Peace be upon him" but I did not mind to pay salutation to him. While I was sleeping, I saw the Prophet "Peace be upon him" in a dream, and he said to me: "Should you not complete your invoking prayer upon me in your book?" after that, I've never written anything but that in which I invoked Allah's Prayer and Blessing upon him, and paid salutation to him." It is narrated on the authority of Abu Al-Hassan that he said: I saw the Prophet "Peace be upon him" in a dream while I was sleeping, and I asked him: "O Messenger of Allah! What is the reward of Ash-Shafi'i on behalf of you for his statement in his book 'the Message' (Ar-Risalah): "Allah's blessing and peace be upon Muhammad whenever he is mentioned by those who remember him, and whenever the heedless neglect to remember him"?" The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "His reward, on behalf of me, is that he would not be made to stand for reckoning."

The Excellence Of Asking For Allah's Forgiveness

Allah Almighty says: "And those who, having done something to be ashamed of, or wronged their own souls, earnestly bring Allah to mind, and ask for forgiveness for their sins." (Al Imran 135)

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ ﴿١٣٥﴾ ﴾

According to both Alqamah and Al-Aswad, Abdullah Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" said: "In Allah's Book, there are two Holy Verses, and no servant commits a sin and then recites them and asks for Allah's Forgiveness, but that Allah Almighty forgives for him. Those are: " And those who, having done something to be ashamed of, or wronged their own souls, earnestly bring Allah to mind, and ask for forgiveness for their sins" (Al Imran 135)

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ ﴿١٣٥﴾ ﴾

And: "If anyone does evil or wrongs his own soul but afterwards seeks Allah's forgiveness, he will find Allah Oft-Forgiving, Most Merciful." (An-Nisa 110)

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾

Allah Almighty further says: "Celebrate the Praises of your Lord, and pray for His Forgiveness: for He is Oft-Returning (in Grace and Mercy)." (An-Nasr 3)

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾ ﴾

He Almighty also says: "and who pray for forgiveness in the early hours of the morning." (Al Imran 17)

﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" most frequently said: Exalted be You O Allah with Your Praises (I exalt You): O Allah! Forgive for me: You are Oft-Returning (in repentance and grace), Most

Merciful." It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who prays for Allah's Forgiveness most frequently, Allah Almighty makes for him a relief from every distress, and a way out of every difficulty, and gives him sustenance from sources which he expects not." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Verily, I pray for Allah's Forgiveness, and turn to Him in repentance seventy times per day" in spite of the fact that Allah Almighty forgave for him all of his (the Prophet's) earlier and later sins.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I feel as if the stain of the (ill) which I might do is on my heart so much that I pray for Allah's Forgiveness one hundred times per day." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who says thrice when he goes to bed: 'I pray for the Forgiveness of Allah Almighty, other than Whom there is no god, Ever-Living, Self-Subsisting, Eternal, and I turn in repentance to Him' all of his sins are forgiven for him by Allah Almighty even though as much as is the foam of the sea, as numerous as is equal to the number of the sands of the mountain, as countless as the number of the leaves of the trees, and as inestimable as is the number of the days of (the lifetime of) this world" and the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said according to another version: "He, who says so, all of his sins will be forgiven for him, even though (they included the major sin that) he fled away from the battlefield."

It is narrated on the authority of Hudhaifah that he said: I used to speak harshly to my family, thereupon I said: "O Messenger of Allah! I fear lest my harsh tongue would lead me to the fire (of Hell)." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Then, where are you from praying for Allah's Forgiveness? No doubt, I pray for Allah's Forgiveness one hundred times per day." A'ishah "Allah be pleased with her" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to me: "If you commit a minor sin, pray for Allah's Forgiveness, and turn to Him in repentance, for indeed, to repent from a sin is to show regret and pray for forgiveness."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to say in his prayer for forgiveness: "O Allah! forgive for me my faults and ignorance, my indulgence in the matter of my (religion), and (forgive for me) what you know of me better than me. O Allah, forgive for me (my sins which I committed) seriously or otherwise (and which I committed) inadvertently and deliberately. All these (faults) are in me. O Allah, grant me forgiveness from the fault which I did in haste or deferred, which I committed in privacy or in public and which You know better than me. You are the First and the Last, Who put forward and bring backward (whomever You please), and over all things You are Omnipotent."

It is narrated (by Abu Dawud in his Sunan) on the authority of Ali Ibn Abu Talib that he said: Whenever I heard a Hadith from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", I would benefit from whatever Allah

willed of it, and whenever I heard a narration from someone else which he attributed to him, I should ask him to take oath (that it is really said by the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"), and whenever he took oath to that, I would believe him. Abu Bakr narrated to me, and of course, Abu Bakr has told the truth, that he heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" having said: "There is no man who commits a sin, then offers ablution perfectly, performs a two-rak'ah prayer, (Mis'ar said: offers prayer) and then asks for Allah's forgiveness, but that Allah Almighty will forgive him." Then, he recited Allah's saying: "And those who, having done something to be ashamed of, or wronged their own souls, earnestly bring Allah to mind, and ask for forgiveness for their sins; and who can forgive sins except Allah? And are never obstinate in persisting knowingly (in the wrong) they have done." (Al Imran 135)

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾

It is narrated on the authority of Abu Hurairah that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If a servant commits a sin, a black mark emerges in his heart: if he turns (to Allah) in repentance, gives up (that sin) and prays for Allah's Forgiveness, his heart will be polished (and thus it will be removed), and if he increases (in his sin) it will grow so much until it covers his heart. This is, however, the stain (of the evil) which accumulates on his heart in accordance with the statement of Allah Almighty: "By no means! But on their hearts is the stain of the (ill) which they do!"" (Al-Mutaffifin 14)

﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

It is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, Allah Almighty raises a servant to a higher degree in the Garden, which prompts him to ask: "O Lord! From which has this come?" Allah then says: "From your offspring's prayer for forgiveness for you." It is narrated on the authority of A'ishah that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "O Allah! make me of those whose habit is to rejoice whenever they do good, and pray for forgiveness whenever they do evil."

It is further narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If a servant commits a sin and then he says: "O Allah! forgive for me", Allah Almighty says: "My servant committed a sin, and then he came to know that he has a Lord Who punishes with because of sins (if He so likes), as well as He forgives the sins (if He so likes): O My servant! Do what you will, for I've forgiven for you." According to another narration the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "By no means does he who prays for forgiveness (belong to those who) persist (in committing sins), even though he returns to it (as much as) seventy times per day."

It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A man who has never done good cast a glance at the sky and said: 'Verily, I have a Lord (Who forgives sins): O Lord! Forgive for me (my sins)!' on that Allah Almighty said: "I've forgiven for you'." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to another narration): "He, who commits a sin and then comes to know that Allah Almighty has seen him (for He is All-Seeing, All-Knowing), his sin will be then forgiven for him (by Allah) even though he asks naught for forgiveness."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to a certain narration): "Allah Almighty says: 'O My servants! All of you are sinful barring whomever I have exempted: so, pray for My Forgiveness, perchance I shall forgive for you; and he, who comes to know that I have the power to forgive for him, surely, I shall forgive for him, and I do not care (whatever his sins might be)'." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who says: 'Glorified be You (O Allah)! I've wronged myself: so, forgive for me, since none barring You could forgive the sins (for whomever You please)', his sins will be forgiven for him even though as much as is the footsteps of the ants."

It is narrated that the best prayer of forgiveness goes as follows: " O Allah! You are my lord other than Whom there is no God. You have created me; and I'm your slave. I am keeping on your treaty and expecting for your promise as possible as it could be. I am seeking refuge with you from the evil of what I have made. I am confessing of your blessings your have bestowed upon me. I am also confessing of my sin. Indeed, I've wronged myself and confessed of my sin: So, forgive for me such of my sins as I committed earlier and later! None but you could forgive all of the sins."

As far as the sayings and traditions, a mention might be made of the following:

According to Khalid Ibn Ma'dan: Allah Almighty says: "Such of My servants as are the dearest to Me are those who love each other with My Love, whose hearts are attached to the mosques, who always pray for forgiveness at the early dawn: it is those whom (I love so much that) if I like to punish the inhabitants of the earth, I remember them, and thus I leave them and keep the punishment far away from them". According to Qatadah: "Verily, the Holy Qur'an leads you to both your ailment as well as your medicine (to get cured): as for your ailment, it is such of sins (as you commit); and as for your medicine, it is your prayer for forgiveness." According to Ali "Allah be pleased with him": "I wonder at him who is ruined (because of his sins) in spite of the fact that he has salvation." It was said to him: "What is it?" he said: "The prayer for forgiveness." He used to say: "Allah Almighty has not inspired anyone of His servants (the power) to pray for forgiveness (from his sins) and His Plan is to punish him."

According to Al-Fudail: "The interpretation of the servant's statement 'I pray for Allah's Forgiveness' is 'O Allah! rescue me (from my sins)'." According to one

of the learned men: "The servant is between (committing) a sin and (receiving) a blessing, and nothing is fitting for both but to prayer for forgiveness (from the sin), and praise (Allah Almighty for His blessing)." According to Ar-Rabie Ibn Khaithamah: "None of you should say 'I pray for Allah's Forgiveness and turn to Him in repentance' lest this (which he says) might turn to be a sin and a lie if he does not prove true to it; but rather let anyone say: 'O Allah! forgive for me, and turn to me in repentance'."

According to Al-Fudail: "The prayer for forgiveness without giving up the sin is the repentance of the liars." According to Rabi'ah Al-Adawiyyah: "Our prayer of forgiveness is in need to be performed so much." According to a wise man: "He, who makes his prayer for forgiveness prior to his showing regret (for his sins), does, indeed, scoff at Allah Almighty whereas he knows not." A desert Arab who was hanging in the curtains of the Ka'bah was heard as saying: "O Allah! my prayer for Your Forgiveness, with my persistence (in committing sins) is surely out of vileness, and leaving prayer for Your Forgiveness, with my knowledge of the liberty of Your Pardon is out of my failure. How much do You (O Allah) become lovable to me with Your blessings upon me even though You are not in need of me, and how much do I become hateful to You because of my sins even though I'm in need of You. O (Allah) Who fulfills His Promise whenever He makes Promise, and Who forgives whenever He threatens: include the major crime of me under the umbrella of Your Great Pardon: O (Allah) Most Merciful of those who show mercy."

According to Abu Abdullah Al-Warraq: "If you have as much sins as is the number of the drops (of rain) and the foam of the sea, they will be erased from you once you supplicate Allah Almighty with the following supplication, Allah Willing: 'O Allah! I pray for Your Forgiveness from each sin from which I repented to You and then to which I've returned once again; and I pray for Your Forgiveness from each promise I made to you of myself but I've not fulfilled to You; and I pray for Your Forgiveness from each deed by which I intended only Your Countenance, but in which others than You have been mixed; and I pray for Your Forgiveness from each blessing You bestowed upon me, and with the help of which I've disobeyed You; and I pray for Your Forgiveness O (Allah) Who has knowledge of both the unseen and of what is visible from each sin I've committed during the light of the day or the darkness of the night, in the presence of an assembly or in seclusion, in secrecy or in public: O (Allah) Most Forbearing." It is said that this supplication was Adam's and Al-Khadir's prayer of forgiveness "Peace be upon both".

CHAPTER THREE: ON SOME HANDED DOWN SUPPLICATIONS WHOSE TRANSMITTERS ARE KNOWN

Such Of Supplications As With Which It Is Desirable For One To Supplicate Every Morning And Evening, And Following Every (Obligatory) Prayer

A mention might be made here of the following supplications:

The Supplication Of The Messenger Of Allah "Allah's Blessing And Peace Be Upon Him" Following The Two-Rak'ah Prayer Prior To Fajr:

In this connection, it is narrated on the authority of Ibn Abbas "Allah be pleased with both" that he said: Once, Al-Abbas sent me to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and I came to him in the evening, and he was in the house of my maternal aunt Maimunah (who was his wife). At night, he got up to offer (supererogatory) prayers, and when he offered the two-rak'ah prayer prior to Fajr he said: "O Allah! I ask You to provide me with mercy from You therewith to guide my (mind and) heart, unite my good merits, and gather my scattered things, avert afflictions from me, set right my religion, secure my absence, raise up my presence, purify my deed, make bright my face, lead me to the right path, protect me from every kind of evil. O Allah! give me true faith and certainty after which there will be no infidelity, and (provide me with) mercy, therewith I attain the honour of Your Glory and Majesty in this world and in the hereafter. O Allah! I ask you to help me attain success at the time of judgement, (to raise me up to) the ranks of the martyrs, and the living of the happy ones, to emerge victory over the enemies, and get the company of the Prophets. O Allah! I offer my needs to You, in spite of the weakness of my mind, the lack of my resourcefulness, and the shortage of my deeds, and my neediness to Your Mercy: I ask You O (Allah) Who suffices for all matters, and cures the breasts (of all diseases), to save me, as well as You save (Your servants from the dangers of) the different oceans, from the torment of the blazing fire and from the call of destruction, and from the affliction of the graves. O Allah! I desire to You and ask You O Allah, Lord of the worlds, to give me that of which my mind runs short, that which my deed proves too weak to acquire, and that which my intention and ambition fail to attain, of such of good as You have promised to give anyone of Your servants, or of such of good as You are going to give anyone of Your Creatures. O Allah! make us guides and rightly-guided, and not straying nor misleading, who wage war against Your enemies, and make peace with Your devotees, who love, with Your Love, such of Your creatures as obeys You, and become enemies, with Your enmity, such of Your creatures as opposes You. O Allah! this is our supplication, and it is up to You to answer it, and this is our effort, and on you we put our trust; and we all are to Allah, to Whom we shall return; and there is neither might nor power but with Allah, Most High, Most Great, Lord of strong rope (of faith) and well-directed matter (of religion): I ask You to give me security on the Day of the Threat (i.e. the Day of Judgement), and to admit me to the Garden on the Day of Eternity, in the company of Your nearest devotees and martyrs, and those who used to perform bowings and prostrations again and again (in their prayers), who always fulfill their pledges: You are Oft-Merciful, Full of loving

kindness, Who always do what You will. Glorified be He, Who is dressed in and speaks with power and honour! Glorified be He, Who shows kindness and generosity (towards His servants) with His Glory! Glorified be He, to Whom only glory is fitting! Glorified be He, Lord of Bounty and Grace! Glorified be He, Lord of Power, Honour and Majesty! Glorified be He, Who takes account of all things with His Knowledge! O Allah! make light in my heart, light in my grave, light in my hearing, light in my seeing, light in my hair, light in my complexion, light in my flesh, light in my blood, light in my bone, light in front of me, light on my back, light on my right side, light on my left side, light over me, light underneath me! O Allah! Increase me in light, grant me light, and make light for me!"

The Supplication Of A'ishah "Allah Be Pleased With Her"

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to A'ishah "Allah be pleased with her": "Adhere to such of the shortest statements as have the widest and complete and comprehensive meanings (of supplication): "O Allah! I ask You of all of the good, whatever sooner or later it might be, whatever known or unknown it might be; and I seek refuge with You from all evil, whatever sooner or later it might be, whatever known or unknown it might be; and I ask You to admit me to the Garden and to help me with such of statements and deeds as draws me close to it; and I seek refuge with You from the fire (of Hell), and from such of statements and deeds as draws me close to it; and I ask You (to give me) from the good that which Your servant and Messenger Muhammad "Peace be upon him" has asked You; and I seek refuge with You from such (of evil) as Your servant and Messenger Muhammad has sought refuge with You; and I ask You to make me on the right way in the end of such of Your Judgements as You decree pertaining to me: with Your Mercy, O (Allah), Most Merciful of those who show mercy."

The Supplication Of Fatimah "Allah Be Pleased With Her"

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Fatimah (his daughter): "O Fatimah! What does prevent you from paying attention to that which I'm going to advise you to do? Say: "O (Allah) Ever-Living, Self-Subsisting, Eternal! With Your Mercy do I seek relief: trust me naught to myself for (as short as) the twinkling of the eye, and set right all of my affairs."

The Supplication Of Abu Bakr As-Siddiq "Allah Be Pleased With Him"

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" taught Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" to say (by way of supplication): "O Allah! I ask You by virtue of Muhammad, Your Prophet, Abraham, Your Bosom Friend, Moses, whom You saved (from Pharaoh), Jesus, Your Word and Spirit, by virtue of the Torah (which You sent down upon) Moses, the Gospel (which You sent down upon) Jesus, the Psalms (which You sent down upon) David, and

the Criterion (i.e. the Holy Qur'an which You revealed to) Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him, and upon all of them", and by virtue of each (item of) Divine Revelation You revealed, and by virtue of each judgement You decree, with each beggar whom You give, by virtue of each wealthy one You make poor, and each needy whom You make independent, and each straying one whom You guide to the right way; and I ask You by Your Name which You revealed to Moses "Peace be upon him"; and I ask You by Your Name therewith You spread the livelihood of Your servants; and I ask You by Your Name which You've placed on the earth therewith it has become firmly constant; and I ask You by Your Name which You've placed on the heavens therewith they have been raised high independently; and I ask You by Your Name which You've placed on the mountains therewith they have become firm; and I ask You by Your Name therewith Your Throne (of Majesty) has been raised independently; and I ask You by Your Name, the Purity and Pure, the One (and Only), the Eternal, Absolute, the Odd (which is one) which is revealed in Your Book, from Your Presence of the evident light; and I ask You by Your Name which You've placed on the day therewith it has become light, and (which You've placed) on the night therewith it has become dark; (I ask You) by Your Greatness, Your Magnificence, and by the Light of Your Bounteous Countenance: to bestow upon me the sustenance of the Qur'an and the knowledge thereof, and to mix it with my flesh, with my blood, with my hearing, with my seeing, and to use my body therewith, by Your Might and Power, for indeed, there is neither might nor power but with You O (Allah) Most Merciful of those who show mercy."

The Supplication Of Buraidah Al-Aslami "Allah Be Pleased With Him"

It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Buraidah: "O Buraidah! Should I not teach you some words, that by which if one intends good he should learn them, and he shall never forget them?" he said: "Yes O Messenger of Allah." he said: "Then say: "O Allah! I'm very weak: so, please, bestow upon me power by Your Good Pleasure, and lead me to the good, and make (my faith in) Islam the furthest point of my pleasure. O Allah! I'm week: so, please, provide me with strength; and I'm humble: so, please, bestow power and honour upon me; and I'm poor and needy: so, please, make me independent and free of want O (Allah) Most Merciful of those who show mercy."

The Supplication Of Qabisah Ibn Al-Mukhariq

It is narrated that he said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Teach me some words therewith Allah Almighty might benefit me, seeing that I've grown very old and too powerless to do many things which I used to do (when I was still youthful and strong)." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "As far as your world is concerned, after you offer the Morning prayer, you might say thrice: 'Glorified be Allah, with Whose Praise (I exalt Him); Glorified be Allah, Most Great; there is neither might nor power but with Allah, Most High, Most Great'. If you say

them, you will become safe from all kinds of anxiety, leprosy, and paralysis. And as far as your hereafter is concerned, you might say: 'O Allah! bestow upon me guidance from Your Presence, and pour over me out of Your Bounty, spread over me out of Your Mercy, and send down upon me out of Your Blessings." Then, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Behold! If a servant comes with them on the Day of Judgement and he did not leave them (in the world), four gates of the Garden will be opened to him, to enter from whichever of them he likes."

The Supplication Of Abu Ad-Darda' "Allah Be Pleased With Him"

There was flaming fire in the residence where Abu Ad-Darda' was living thereupon it was said to him: "Your house has been in flames." He said: "Allah is not to do so (with my house)." This was said to him thrice, and in every time, he gave the same answer: "Allah is not to do so (with my house)." Then, a comer visited him and said: "O Abu Ad-Darda'! when the fire became close to your house, it was extinguished (what is the reason?)" He said: "I came to know that." They said: "However, we do not know, which of your two statements is more amazing!" On that he said: "I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" having said: "He, who says the following words whether at night or during the daylight, nothing will harm him; and of a surety, I've said them." Those are: "O Allah! You are my Sustainer and Cherisher: there is no god (to be worshipped) but You: I've put my trust in You, and You are the Lord of the Throne (of Majesty), Most Great. There is neither might nor power but with Allah, Most High, Most Great. What Allah wills is, and what Allah wills naught is not. I know, with certainty, that Allah has power over all things, and that Allah encompasses all things with His Knowledge, and that He takes account of all things. O Allah! I seek refuge with You from the evil of myself, and from the evil of every moving creature over whose forelock You have grasp: verily, it is my Lord that is on a straight path."

The Supplication Of Abraham, The Bosom Friend "Allah's Blessing And Peace Be Upon Him"

He used to say whenever morning entered upon him: "O Allah! this is a new creature: open it to me with my obedience to You, and conclude it for me with Your forgiveness for me, and Your Good Pleasure with me; and sustain me therein with a good deed to be accepted, purified, multiplied by You; and forgive for me such of evil deeds as I do therein: verily, You are Oft-Forgiving, Most Merciful, Full of Loving-Kindness, Most Generous." Furthermore, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who supplicates with this supplication whenever morning comes upon him, has, indeed, fulfilled such of thanks as due upon him during his day (to Allah)."

The Supplication Of Jesus "Peace Be Upon Him"

He used to say: "O Allah! I've become in a state in which I could hardly avert what I dislike from me, or even get benefit from what I like and hope, seeing that

the (disposal of the) matter has turned to be in the hand of someone else other than me, and I've become in pledge of my deed, in such a way that there is no poorer than me. O Allah! make You not my enemy rejoice over my misfortune, nor You pain my friend because of my distress, and make not my disaster in my religion, and make not the (vanities and delights of) this world my greatest concern, and direct not over me him who is merciless towards me: O (Allah) Ever-Living, Self-Subsisting, Eternal."

The Supplication Of Al-Khadir "Peace Be Upon Him"

It is said that whenever Al-Khadir and Elias "Peace be upon them" met every year, they will not leave each other but after saying the following words: "In the Name of Allah; Allah's will (be done); there is no power but with Allah; Allah's will (be done); every blessing is from Allah; Allah's will (be done); all good is in the hand of Allah; Allah's will (be done); none could avert evil but Allah." He, who says it thrice whenever morning comes upon him, will be safe from falling a victim of burning, sinking and theft, As Allah Almighty wills.

The Supplication Of Ma'ruf Al-Karkhi "Allah Be Pleased With Him"

According to Muhammad Ibn Hassan: Ma'ruf Al-Karkhi said to me: "Should I not teach you ten words: five for this world and five for the hereafter? He, who supplicates Allah Almighty with them, will find Allah Almighty therein." I said to him: "Then, write them down to me." He said: "No, but let me recite to you repeatedly in the same way as Bakr Ibn Khamis recited them to me repeatedly: Allah suffices me for (protector of) my religion; Allah suffices me for (protector of) my world; Allah, Most Honoured and Generous suffices me for (disposer of) what concerns me; Allah, Most Forbearing, Exalted in Power and Might suffices me for (my protector against) him who wrongs me; Allah, Exalted in Strength suffices me for (my protector from) him who makes evil plots against me; Allah, Most Merciful suffices me (for establishing me in faith) at the moment of death; Allah, Most Compassionate suffices me (for establishing me in strength) at the time of asking me in the grave; Allah, Most Honoured and Generous suffices me (for my helper) at the time of reckoning; Allah, the Knower of the finest mysteries suffices me (for making heavy my good deeds) at the time of (putting one's deeds in the) scales of balance; Allah, Who has power over all things suffices me (for my guide) at the (time of crossing the) path; Allah suffices me: there is no god (to be worshipped) but He, on Whom do I put my trust, and it is He that is the Lord of the Throne (of Majesty), Most Great."

It is narrated on the authority of Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" that he said: "He, who recites seven times everyday: " But if they turn away, say: 'Allah suffices me; there is no god but He: on Him is my trust: He is the Lord of the Throne (of Glory), Supreme"" (At-Tawbah 129)

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾

Allah Almighty suffices him (for disposer of) all of his affairs of the hereafter, no matter true or false he might be."

The Supplication Of Utbah Al-Ghulam

After his death, he was seen in a dream in which he said: I entered the Garden by virtue of the following words: "O Allah, Who guides the straying, bestows Mercy upon the sinful, and removes the difficulties of those who are in difficulty: bestow mercy upon Your servant who is under a great risk (of punishment) as well as upon all of the Muslims, and make us in the company of the good virtuous, upon whom You bestow sustenance and blessing, from amongst the Prophets, the truly faithful believers, the martyrs and the righteous: Amen O (Allah) Sustainer and Cherisher of the worlds."

The Supplication Of Adam "Peace Be Upon Him"

It is narrated on the authority of A'ishah that she said: When Allah Almighty intended to turn in repentance to Adam "Peace be upon him" He caused him to perform a seven-round circumambulation round the House, and at that time it had not been constructed yet, and rather it was no more than a red hill, after which he stood and offered a two-rak'ah prayer and said: "O Allah! You know (what I do in) secrecy and (what I do in) public: so, please, accept my apology; and You know my need: so, please, give me what I ask for; and You know what lurks in myself: so, please, forgive for me my sins. O Allah! I ask you to grant me an assured belief which penetrates my heart, and a true certainty (of faith) which causes me to know that nothing shall befall me but that which You've decreed upon me, and (I also ask You to endow me with) pleasure with what You've assigned to me: O (Allah) Lord of Majesty, Glory and Honour." The result was that Allah Almighty revealed to him that "I've forgiven for you (your sins); and none of your offspring comes to invoke me with the same invocation with which you invoked me but that I shall forgive for him, remove his anxieties and distresses from him, deprive him of poverty and neediness, cause him to profit from behind each trader, and the world to come to him in willing submission even if he has no desire for it."

The Supplication Of Ali Ibn Abu Talib "Allah Be Pleased With Him"

It is narrated on the authority of Ali from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that he said: "Verily, Allah Almighty glorifies Himself everyday saying: 'Verily, I'm Allah, the Sustainer and Cherisher of the worlds. Verily, I'm Allah, and there is no god (to be worshipped) other than I, Ever-Living, Self-Subsisting, Eternal. I'm Allah, and there is no god (to be worshipped) but I, Most High, Most Great. Verily, I'm Allah, and there is no god (to be worshipped) but I, Who begets not, nor is He begotten. Verily, I'm Allah, and there is no god (to be worshipped) but I, who plots out (sins) and forgives (again and again). Verily, I'm Allah, and there is no god (to be worshipped) but I, Who begins everything, and to Me everything shall return, Exalted in Power, Full of Wisdom, Most Gracious, Most Merciful, the Lord and Master of the Day of Judgement, the Creator of both good and evil, Creator of both Garden and Hell, the One and Only, the Unique, eternal, Absolute, Who has no consort, nor son, the Unique, the Odd (which is one), Who has knowledge of the unseen and that

which is visible, The Sovereign, The Holy One, The Source Of Peace And Perfection, The Guardian Of Faith And Security, The Preserver Of Safety, The Exalted In Might, The Compeller, The Supreme, The Creator, The Evolver, The Bestower Of Forms, The Most Magnificent, Most Splendid, The Omnipotent, the Irresistible, Most Forbearing, Most Honoured and Generous, Who is most fitting to receive gratitude and Glory, Who has best knowledge of the deepest secrets and what is more hidden, Who has power (over all things), Who bestows sustenance (upon His servants), Who is beyond creation and creatures." He mentioned before each word of those (the statement) 'Verily, I'm Allah, and there is no god (to be worshipped) than I' as we related in the first portion: He, who supplicates with those Names, let him say: "Verily, it is You that is Allah, other than Whom there is no god (to be worshipped) Such and Such. He, who supplicate with those (Names) will be enlisted among the devout performers of prostrations (in their prayers) again and again, who will be (in the hereafter) the neighbours of Muhammad, Abraham, Moses, Jesus, and all of the Prophets "Allah's blessing and peace be upon him" in the abode of Majesty and Glory, and he will further receive, in this world, the reward of the worshippers in both the heavens and the earths: and Allah's blessing and peace be upon Muhammad and upon every well-chosen servant.

The Supplications And Celebrations Of Sulaiman Ibn Al-Mu'tamir At-Taimi "Allah Be Pleased With Him"

It is narrated that Yunus Ibn Ubaid saw in a dream a man of those who had been killed as martyrs in the land of the Romans, whom he asked: "What is the best deed you've seen?" he said: "I've seen the position of the celebrations of Sulaiman Ibn Al-Mu'tamir they occupy close to the Presence of Allah Almighty." They go as follows: "Glory be to Allah; Praise be to Allah; there is no god (to be worshipped) but Allah; Allah is Greater; and there is neither might nor power but with Allah, Most High, Most Great as abundant as is the number of what He has created and what He is going to create, as heavy as is the weight of what He has created and what He is going to create, as large as to fill what He has created and what He is going to create, as much as to fill His heavens and earths, and the like of all of that and manifold the like of all of that besides, as plentiful as is the number of His creatures, as heavy as is the weight of His Throne (of Majesty), as great as is the furthest point of His Mercy, as endless as is the ink of His Speech, as far-reaching as to attain His Good Pleasure until He becomes well-pleased, and even if He is pleased, as numerous as is the number of the celebrations therewith all of His creatures have remembered Him across the past time, and therewith they are going to remember Him in the remaining time (until the Day of Judgement), every year, month, week, day, night, hour among the hours, every gulp of air and breath among the breaths, every generation, from generation to generation of those of this world and those of the hereafter, and much more than that, whose beginning never ceases, and whose end is never exhaustible."

The Supplication Of Ibrahim Ibn Adham "Allah Be Pleased With Him"

It is narrated on the authority of his servant, Ibrahim Ibn Bashshar that he said: This supplication is to be said in the morning and evening of every Friday, and it goes as follows: "Welcome to the day of more (rewards), the new morning, the scribe and the witness: this day of ours is a day of festival. Write down for us what we are to say: In the Name of Allah, Praiseworthy, Full of Majesty, Most Lofty, Full of Loving-Kindness, Who always does with His creatures what He wills. The morning has come upon me while I'm believing in Allah Almighty, having trust in His Meeting, confessing of His reasoning (about Himself), praying for forgiving of my sins, submitting to the Lordship of Allah, rejecting any god (to be worshipped) other than Allah Almighty, dependent upon Allah Almighty, putting my trust on Allah Almighty, turning to Allah (in service). I make Allah, His angels, Prophets, Messengers, the carriers of His Throne (of Majesty), those He has created, and those He is going to create, witnesses that (I bear testimony that) He is Allah, other than Whom there is no god (to be worshipped), the One and Only, with Whom there is no partner; and that Muhammad is His servant and Messenger; that the Garden is a fact, that the fire (of Hell) is a fact, that the Fount-Lake (of the Prophet on the Day of Judgement) is a fact, that the intercession (of Muhammad) is a fact, both Munkar and Nakir are a fact, Your Promise (of the Garden) is a fact and Your Threat (of the fire of Hell) is a fact, and Meeting You is a fact; and that the Hour (of Judgement) will inevitably come in which there is no doubt, in which Allah Almighty will raise such of dead as the graves contain: (I bear testimony that) I live on that (faith) on which I die, and on which I shall be resurrected, Allah Willing. O Allah! Verily, You are my Lord, other than Whom there is no God. You have created me; and I'm your slave. I am keeping on your treaty and expecting for your promise as possible as it could be. I am seeking refuge with you O Allah from the evil of what I have made, and from the evil of such of things as has evil. O Allah! Indeed, I've wronged myself: So, forgive for me my sins! None but you could forgive all of the sins, and guide me to the best of manners, for none barring You could guide to the best of manners, and avert from me the worst of them, for none barring You could avert the best of manners. I'm responding to Your Call; all happiness be in Your hand; and all good be in Your Hand. I'm to You, and I shall return to You. I pray for Your Forgiveness, and turn to You in repentance. I have faith, O Allah, in the Messenger whom You have sent, and I have faith, O Allah, in the Book which You have revealed (upon Your Messenger); and Allah's blessing and peace be upon Muhammad, the unlettered Prophet, and upon his family, as much as it could be, at the conclusion and in the commencement of my speech, and (Allah's blessing and peace be) upon all of His Prophets and Messengers: Amen, O (Allah) Sustainer and Cherisher of the worlds. O Allah! let's come upon the Fount-Lake of Muhammad, and cause us to have a blessed fresh satisfying drink

from his cup, after which we will never become thirsty, and gather us in his company, without being disgraced, nor breaking our covenant, nor doubting, nor being afflicted, nor of those upon whom (Allah's) Wrath falls, nor of those who go astray. O Allah! protect me from the afflictions of this world, and help me do that which You like with which You are well-pleased, and set right all of my affairs, and establish me in strength with the firm statement in this world of life and in the hereafter, and cause me not to stray, even though I'm unjust. Glorified be You! Glorified be You O (Allah) Most High, Most Great, O Evolver, O Most Merciful, O Exalted in Power and Might, O Compeller! Glorified be He, Whose Glories the heavens with its shades celebrate, and Glorified be He, Whose Glories the oceans with their waves celebrate, and Glorified be He, Whose Glories the mountains with their echoes celebrate, and Glorified be He, Whose Glories the whales with their language celebrate, and Glorified be He, Whose Glories the stars in the sky with tier constellations celebrate, and Glorified be He, Whose Glories the trees with their roots and fruits celebrate, and Glorified be He, Whose Glories the seven heavens and the seven earths, with all of that which is in and on them, and Glorified be He, Whose Glories everything of His creatures celebrates. Blessed and Exalted be You (O Allah)! glorified be You! Glorified be You O (Allah) Ever-Living, Self-Subsisting, Eternal, O (Allah) All-Knowing, Most Forbearing! Glorified be You! There is no god (to be worshipped) but You, the One and Only, and with You there is no partner: it is You Who give life, and bring to death, and You are Ever-Living, Who never die; in Your Hand is good, and You have power over all things."

CHAPTER FOUR: ON SOME INVOCATIONS HANDED DOWN FROM THE PROPHET AND HIS COMPANIONS

Whose narrators are unknown, and they are selected from the anthologies compiled by Abu Talib Al-Makki, Ibn Khuzaimah, and Ibn Mundhir

When morning comes upon a follower of the path, it is desirable for him to have supplication, the dearest of his regular divisions in his sight, as we shall mention later in the book of Regular Divisions. If you are of the seekers of the tilth of the hereafter, and the followers of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in his supplications, you should say in the commencement of your supplications, after your (obligatory) prayers: Exalted be my Lord, Most High, Most Supreme, Grantor (of favours) without measure. There is no god (to be worshipped) but Allah, the One and Only, other than Whom there is no partner: His is the dominion, and to him be praise, and He has power over all things."

Say also thrice: "I've accepted Allah as my Lord, Islam as my religion, and Muhammad "Peace be upon him" as (the last) Prophet." Say too: "O Allah! the Creator of both the heavens and the earth, the Knower of the unseen and what is visible, the Lord and King of all things: I bear testimony to the fact that there

is no god (to be worshipped) but You. I seek refuge with You from the evil of myself and from the evil of Satan and his ascribing others to Allah (in worship)." Say too: "O Allah! I ask You to endow me with forgiveness and power in my religion and world, my family and property. O Allah! screen my private parts and remove the causes of my fear, and eliminate my difficulties, and protect me from my front, from my back, from my right side, from my left side, and from above me, and I seek refuge with You from being assassinated from underneath me. O Allah! do not make me feel secure against Your Plan, nor let me have friends and protectors other than You, nor deprive me of Your Screen, nor cause me to forget your remembrance, nor make me one of the heedless."

You should further say thrice: "O Allah! You are my lord other than Whom there is no God. You have created me; and I'm your slave. I am keeping on your treaty and expecting for your promise as possible as it could be. I am seeking refuge with you from the evil of what I have made. I am confessing of your blessings your have bestowed upon me. I am also confessing of my sin. Indeed, I've wronged myself and confessed of my sin: So, forgive for me such of my sins as I committed earlier and later! None but you could forgive all of the sins." Say thrice: "O Allah! endow me with health and power in my body; endow me with health and power in my hearing; endow me with health and power in my seeing: there is no god (to be worshipped) but You."

You should say too: "O Allah! I ask You (to bestow upon me) the satisfaction after Your Judgement, the coolness of living after death, and the pleasure of looking at Your Bounteous Countenance, longing for Your Meeting, with no harmful adversity nor misleading affliction; and I seek refuge with You from wronging or being wronged, from transgressing against others or being a victim of transgression, or committing a sin or mistake which is unpardonable by You. O Allah! I ask You to establish me in strength in the matter (of religion), and provide me with firmness in guidance, and I ask You to help me be thankful of Your Blessing and perfectly good in Your Service; and I ask You (to grant me) a sound and submissive heart, a straight figure, a true speech, an accepted deed; and I ask You (to give me) of the good which You know, and I seek refuge with You from the evil of what You know; and I pray for Your Forgiveness for such (of sins) as You know well: Verily, You know (all things) and I know not, and You have full knowledge of all that is hidden.

O Allah! forgive for me what I've done earlier and later, what I've done in secrecy and what I've done in public, and what You know better than me: it is You who bring forward and it is You who bring backward (what You will), and You have power over all things, and You are witness to what is hidden. O Allah! I ask You (to grant me) faith which never wavers, blessing which is never exhaustible, the pleasure of the eye which is permanent, and the company of Your Prophet Muhammad "Peace be upon him" in the highest portion of the Garden of Eternity. O Allah! I ask You (to provide me with) good things and (help me) do what is good, and leave what is shameful, love the indigent. I ask

You (to help me) love You and love him who loves You, and love such of deeds as draws near unto Your Love; and (I ask You) to turn to me in repentance, to forgive for me, and to bestow mercy upon me, and to take me unto You (by death), if You intend to put my people to affliction, without being afflicted.

O Allah! By virtue of Your knowledge of that which is hidden and unseen, and Your Power of creation, make me live as long as life is good for me, and cause me to die as long as death is good for me. I ask You (to help me) fear You in what is unseen and what is visible, say the word of justice in both states of pleasure and anger, stick to moderation in both states of richness and poverty, enjoy of the pleasure of looking at Your Bounteous Countenance, longing for Your Meeting; and I seek refuge with You from a harmful adversity or misleading affliction. O Allah! adorn us with the adornment of faith, and make us well-directed guides. O Allah! assign to us of fearing You that therewith You prevent us from disobeying You, of Your obedience that therewith You cause us to attain Your Garden, of the certainty (of faith) that therewith You make easy upon us the disasters and adversities of this world and the hereafter.

O Allah! fill our faces with shyness of You, our hearts with fear of You, and place in ourselves such of Your Greatness as therewith You subjugate our organs in Your service. O Allah! Make Yourself the dearest to us of anything else, and cause us to fear You most apart from anyone else. O Allah! Cause the first portion of this day of ours to be good, its middle portion to be prosperity, and its last portion to be success. O Allah! cause its first portion to be a (source of) mercy, its middle portion to be a (source of) blessing, and its last portion to be a (cause of) honouring and forgiveness. Praise be to Allah that everything becomes humble before His Greatness, everything becomes submissive to His Honour, and everything becomes subject to His Dominion, and everything surrenders to His Power; and Praise be to Allah that everything becomes passive to His Glory, that He demonstrates everything with His Wisdom, and everything becomes little before His Magnificence.

O Allah! send Your Prayer upon Muhammad, upon the family of Muhammad, upon the wives and offspring of Muhammad, and send Your Blessing upon Muhammad, upon the family of Muhammad, the wives and offspring of Muhammad, in the same way as You sent Your Blessing upon Abraham and the family of Abraham in the worlds: You are Praiseworthy, Most Glorious. O Allah! send Your Prayer upon Muhammad, Your servant and Prophet and Messenger, the unlettered Prophet, Your honest Messenger, and grant him the praiseworthy station which You promised him on the Day of Judgement. O Allah! make us of Your pious devotees, Your prosperous party, and Your good servants, and use us in what makes You well-pleased with us, and help us do what causes You to love us, and dispose of our affairs in accordance with the best of choice You favour for us. (O Allah) we ask You (to grant us) the totalities, beginnings and endings

of good, and we seek refuge with You from the totalities, beginnings and endings of evil.

O Allah! by Your Power over me, turn in repentance to me for verily You are Oft-Returning, Most Merciful, and by Your Forbearing (and long-patience) on me, forgive me, for verily, You are Oft-Forgiving, Most Forbearing; and by Your Knowledge of me, be kind to me, for indeed You are Most Merciful of those who show mercy; and by Your Control over my self, let me have control over my own self, and direct it not with evil against me, for verily You are the Sovereign, Compeller. Glorified be You O Allah, and with Your Praise (I exalt You): there is no god (to be worshipped) but You. I've done evil and wronged myself: forgive for me my sin, for You are my Lord and none barring You could forgive the sins.

O Allah! inspire to me my guidance, and protect me against the evil of my own self. O Allah! bestow upon me sustenance from what is lawful, for which you punish me naught, and satisfy me with such of sustenance as You bestow upon me, and use me therewith in what is good which You accept from me. O Allah! I ask You (to provide me with) forgiveness, health and power, and to (endow me with) the perfect certainty of faith, and to confer health and power upon me in this world and the hereafter: O (Allah) Whom the sins could harm naught, and forgiveness decreases nothing from His (Dominion): grant to me what harms You naught, and give to me what decreases nothing from Your (Dominion). O (Allah) our Lord! pour out on us patience and constancy, and take our souls unto You as Muslims (who bow to Your Will)! You are my Friend and Protector in this world and the hereafter: take my soul onto You as a Muslim (who bow to Your Will) and join me with the good righteous (among Your servants). You are our Friend and Protector: forgive for us, and bestow mercy upon us, for verily, You are the best of those who Forgive, And ordain for us that which is good, in this life and in the Hereafter: for we have turned unto You.

O Our Lord! In You do we trust, and to You do we turn in repentance: to You is (our) final Goal. O Our Lord! Make us not a (test and) trial for the wrongdoers! O Our Lord! Make us not a (test and) trial for the Unbelievers, but forgive us, our Lord! For You are the Exalted in Might, the Wise. O Our Lord! forgive us our sins and anything we may have done that transgressed our duty: establish our feet firmly, and help us against those that resist Faith. O Our Lord! Forgive us, and our brethren who came before us into the Faith, and leave not, in our hearts, rancour (or sense of injury) against those who have believed. Our Lord! You are indeed Full of Kindness, Most Merciful. O Our Lord! bestow on us mercy from Yourself, and dispose of our affair for us in the right way!

O Our Lord! Give us good in this world and good in the Hereafter, and defend us from the torment of the Fire! O Our Lord! we have heard the call of one calling (us) to Faith, 'Believe you in the Lord', and we have believed. Our

Lord! forgive us our sins, blot out from us our iniquities, and take to Yourself our souls in the company of the righteous. O Our Lord! Grant us what You did promise unto us through Your Messengers, and save us from shame on the Day of Judgment; for You never break Your promise. O Our Lord! Condemn us not if we forget or fall into error; our Lord! Lay not on us a burden like that which You did lay on those before us; our Lord! lay not on us a burden greater than we have strength to bear. Blot out our sins, and grant us forgiveness. Have mercy on us. You are our Protector; help us against those who stand against Faith.

O My Lord! bestow on them your Mercy even as they cherished me in childhood. (O my Lord) forgive for the faithful believing men and women, the Muslims from amongst males and females, those who are living and those who are dead among them. O my Lord! Forgive (for us our sins) and bestow mercy (upon us), and excuse us for what You know (about us): Verily, You are Most Exalted in Power and Honour, Most Generous, and You are the best Merciful of those who show mercy, and You are the best of those who forgive; and we all are to Allah, to Whom shall we return; and there is neither might nor power but with Allah, Most High, Most Great; and Allah suffices us for the best disposer (of our affairs); and Allah's blessing and peace be upon Muhammad, the Seal of the Prophet, and upon his family and companions as much, numerous and abundant as it could be.

The Kinds Of Seeking Refuge (With Allah) Handed Down From The Prophet "Peace Be Upon Him"

O Allah! I seek refuge with You from being given to niggardliness, and I seek refuge with You from falling a victim of cowardice, and I seek refuge with You from being sent back to the geriatric age, and I seek refuge with You from the affliction of this world, and I seek refuge with You from the punishment of the grave. O Allah! I seek refuge with You from having a disposition which leads me to greediness, and from being greedy of that which is not fitting for one to covet, and from being covetous whereas there is nothing to covet. O Allah! I seek refuge with You from having knowledge which is of no benefit, from having heart which is not submissive (to You in service), from supplicating with invocation which receives no answer, and from a soul which is never satisfied.

O Allah! I seek refuge with You from (being given to) hunger: how evil it is to lie with! And I seek refuge with You from (being vulnerable to) treachery: how evil intent it is! O Allah! I seek refuge with You from being given to disability, laziness, niggardliness, and decrepitude, and from being sent back to the geriatric age, and from the affliction of the Dajjal and from the punishment of the grave and the affliction of both life and death. O Allah! we ask You (to endow us with) compassionate hearts, which are given to look to Allah, devout and returning (to Allah) in Your Cause. O Allah! I ask You (to bestow upon me) these which affirm Your Forgiveness (for me), and these which assure Your Mercy (upon me), the safety and peace from every sin, and the

benefit from every good, the attainment of the Garden, and the salvation from the fire (of Hell).

O Allah! I seek refuge with You from falling, and I seek refuge with You from being given to anxiety, and I seek refuge with You from sinking, burning, and (falling under) ruins, and I seek refuge with You from dying as fleeing away (while fighting) in Your Cause, and I seek refuge from dying while seeking after (the vanities and delights of) this world. O Allah! I seek refuge with You from the evil of what I know and from the evil of what I know not. O Allah! keep me away from what is shameful of manners, deeds, diseases and inclinations. O Allah! I seek refuge with You from the difficulty of distress, and the attainment of wretchedness, the evil judgement and the schadenfreude of the enemies (because of my misfortunes).

O Allah! I seek refuge with You from being given to infidelity, from falling in debt and poverty, and I seek refuge with You from the torment of the (fire of) Hell, and I seek refuge with You from the affliction of the Dajjal. O Allah! I seek refuge with You from the evil of my hearing and from the evil of my seeing, from the evil of my tongue and from the evil of my heart, from the evil of my semen. O Allah! I seek refuge with You from the evil neighbour in the residence, for indeed, it is possible for the desert neighbour to move. O Allah! I seek refuge with You from (the evil of) cruelty, heedlessness, dependence, humiliation and humbleness, and I seek refuge with You from being given to infidelity, destitution, wickedness, schism, hypocrisy, bad manners and the constriction of sustenance, and showing off to be heard or seen of men, and I seek refuge with You from being vulnerable to deafness, muteness, blindness, madness, leprosy, the worst of ailments.

O Allah! I seek refuge with You from the loss of Your Blessing, from the turning of Your Power, from Your Sudden Wrath, and from all kinds of Your Anger and Displeasure. O Allah! I seek refuge with You from the torment of the fire (of Hell) and from the affliction of the fire, and from the punishment of the grave and from the evil of the affliction of richness, and from the evil of the affliction of poverty, and from the evil affliction of Al-Masih (Antichrist) Ad-Dajjal, and I seek refuge with You from falling in debt and from committing sins. O Allah! I seek refuge with You from a soul which is never satisfied (with what is given to it), from a heart which is not submissive, from a prayer which is of no benefit, and from an invocation which receives no answer, and I seek refuge with You from the evil of anxiety and from the affliction of the breast. O Allah! I seek refuge with You from being overpowered by debt, from being overpowered by the enemy, and from the schadenfreude of the enemies (because of my misfortune): and Allah's blessing and peace be upon Muhammad and upon each chosen servant from all of the worlds.

CHAPTER FIVE: ON SUPPLICATIONS HANDED DOWN ON DIFFERENT OCCASIONS

When the morning comes upon you, and you hear the Call to Prayer, it is desirable that you should repeat the words of Adhan; and we have mentioned that earlier, as well as the supplications of coming in and out of the privy, and the supplications of performing ablution in the Book of Purification. When you come out to the mosque, you might say: "O Allah! make light in my heart, light in my tongue; and make light in my hearing and light in my seeing, and make light on my back and light in front of me, and make light from above me. O Allah! endow me with light." You might further say: "O Allah! I ask You, by the right the askers have upon you, and by the right of my walk to You (to offer prayer in the mosque), for indeed, I've not come out of arrogance or haughtiness, nor by way of showing off to be seen or heard of men: on the contrary, I've come out to safeguard myself from Your Displeasure, and seek Your Good Pleasure: I ask You to deliver me from the fire (of Hell) and to forgive for me my sins, for none barring You could forgive sins."

When you come out of the house for a certain need, you might say: "In the Name of Allah, my Lord: I seek refuge with You from wronging or being wronged (by others), from behaving ignorantly (towards others) or falling a victim of the ignorance (of others). In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful. There is neither might nor power but with Allah, Most High, Most Great. In the Name of Allah: I put my trust in Allah."

When you reach the mosque and intend to enter it, you might say: "O Allah! send Your Prayer and Peace upon Muhammad "Peace be upon him" and upon the family of Muhammad. O Allah! forgive for me all of my sins, and open to me the gates of Your Mercy." Move forward your right foot first to enter. When you see in the mosque him who practices or is engaged in transaction you might say: "Might Allah deprive your trade of profit!" if you see him who beseeches people for a lost thing in the mosque you might say: "Might Allah not restore it to you!" this is in compliance with the command of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him".

If you offer the Morning two-rak'ah prayer, you might say (according to the narration on the authority of Ibn Abbas from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"): "In the Name of Allah! O Allah! I ask You (to endow me with) mercy from You therewith to guide my (mind and) heart, unite my good merits, and gather my scattered things, avert afflictions from me, set right my religion, secure my absence, raise up my presence, purify my deed, make bright my face, lead me to the right path, protect me from every kind of evil. O Allah! give me true faith and certainty after which there will be no infidelity, and (provide me with) mercy, therewith I attain the honour of Your Glory and Majesty in this world and in the hereafter. O Allah! I ask you to help me attain success at the time of judgement, (to raise me up to) the ranks of the martyrs, and

the living of the happy ones, to emerge victory over the enemies, and get the company of the Prophets. O Allah! I offer my needs to You, in spite of the weakness of my mind, the lack of my resourcefulness, and the shortage of my deeds, and my neediness to Your Mercy: I ask You O (Allah) Who suffices for all matters, and cures the breasts (of all diseases), to save me, as well as You save (Your servants from the dangers of) the different oceans, from the torment of the blazing fire and from the call of destruction, and from the affliction of the graves. O Allah! I desire to You and ask You O Allah, Lord of the worlds, to give me that of which my mind runs short, that which my deed proves too weak to acquire, and that which my intention and ambition fail to attain, of such of good as You have promised to give anyone of Your servants, or of such of good as You are going to give anyone of Your Creatures. O Allah! make us guides and rightly-guided, and not straying nor misleading, who wage war against Your enemies, and make peace with Your devotees, who love, with Your Love, such of Your creatures as obeys You, and become enemies, with Your enmity, such of Your creatures as opposes You. O Allah! this is our supplication, and it is up to You to answer it, and this is our effort, and on you we put our trust; and we all are to Allah, to Whom we shall return; and there is neither might nor power but with Allah, Most High, Most Great, Lord of strong rope (of faith) and well-directed matter (of religion): I ask You to give me security on the Day of the Threat (i.e. the Day of Judgement), and to admit me to the Garden on the Day of Eternity, in the company of Your nearest devotees and martyrs, and those who used to perform bowings and prostrations again and again (in their prayers), who always fulfill their pledges: You are Oft-Merciful, Full of loving kindness, Who always do what You will. Glorified be He, Who is dressed in and speaks with power and honour! Glorified be He, Who shows kindness and generosity (towards His servants) with His Glory! Glorified be He, to Whom only glory is fitting! Glorified be He, Lord of Bounty and Grace! Glorified be He, Lord of Power, Honour and Majesty! Glorified be He, Who takes account of all things with His Knowledge! O Allah! make light in my heart, light in my grave, light in my hearing, light in my seeing, light in my hair, light in my complexion, light in my flesh, light in my blood, light in my bone, light in front of me, light on my back, light on my right side, light on my left side, light over me, light underneath me! O Allah! increase me in light, grant me light, and make light for me!"

When you bow, say in your bowing: "O Allah! to You I have bowed, to You I've submitted, and to You I've surrendered, and in You I've put my trust: You are my Lord. There have submitted to You my hearing and seeing, my brain, my bone, my sinew, and all that is carried by my feet, (all have submitted) to Allah, the Sustainer and Cherisher of the worlds." You could further say thrice, if you so like: Exalted be my Lord, Most Great" or Exalted and hallowed be (Allah) Lord of angels and spirits." When you raise your head from bowing, you might say:

"Allah hears such as praises Him: O our Lord! To You be the praise, as much as to fill the heavens and the earth, and such of things afterwards as You will, (O Allah) the worthiest of praise and glory, as most fitting for a servant to say (in appreciation of his Lord); and we all are but servants to You: there is nothing to withhold what You give, and there is none to give what You withhold; and the good fortune of the luckiest one could not avail him from You (or without Your Help)."

When you fall in prostration, you might say: "O Allah! to You I've prostrated myself, and in You I've believed, and to You I've surrendered. My face has fallen in prostration to Him, Who has created it and given it the best of shapes, and created both its hearing and sight out of it: Blessed be Allah, the Best of Creators. O Allah! my body and image have prostrated themselves to You, and my heart has believed in You: I confess of Your Blessing upon me, and I confess of my sins, and this is what I've drawn upon myself: forgive for me, for none barring You could forgive sins." But you might also say thrice (instead): Exalted be my Lord, Most High."

When you finish from the prayer you might say: "O Allah! You are (the source of) Peace, and from You peace (is expected): Blessed and Exalted be You (O Allah) Lord of Majesty, Glory and Honour", and supplicate with the other supplications which we have mentioned earlier.

When you stand to leave the gathering, and want to supplicate with a supplication therewith to plot out the falsity of such gathering, you might say: Exalted be You O Allah, and with Your Praise (I exalt You): I bear testimony to the fact that there is no god (to be worshipped) but You. I pray for Your Forgiveness and turn to You in repentance. I've done evil and wronged myself: so, please, forgive for me, for none barring You could forgive sins."

When you enter the market you might say: "There is no god (to be worshipped) but Allah, the One and Only, with Whom there is no partner; His is the dominion, and to Him is the praise, and it is He Who gives life, and it is He Who brings to death, and He is Ever-Living, Who never dies; in His Hand is good, and He has power over all things. In the Name of Allah! O Allah! I ask You the good of this market, and the good of what it contains. O Allah! I seek refuge with You from the evil of this market and from the evil of what it contains. O Allah! I seek refuge with You from taking therein a deceptive oath or having a losing transaction."

If you are in debt, you might say: "O Allah! suffice me with Your lawful things from Your unlawful things, and make me independent, by Your Bounty, from anyone else other than You." When you put on a new dress you might say: "O Allah! You've dressed me in this new dress: Praise be to You. I ask You (to bestow upon me) of its good, and of the good of that for which it has been made, and I seek refuge with You from its evil, and from the evil of that for which it has been made." If you a bad omen which you dislike, you might say: "O Allah! none

barring You brings good, and none barring You removes evil; and there is neither might nor power but with Allah." when you see the new moon, you might say: "O Allah! make it emerge upon us with safety, faith, righteousness, peace and Islam, and help us do what You like and is well-pleased with, and keep away from what You dislike and displeased with: your and my Lord is Allah." You might further say: "You are a new moon of guidance and good: I've believed in Your Creator: O Allah! I ask You (to make me enjoy of) the good of this month, the good of the Divine Fate, and I seek refuge with You from the evil of the Day of Mustering." But before that, you should say Takbir thrice.

When the wind blows you might say: "O Allah! I ask You (to endow me with) the good of this wind, the good of what it carries, and the good of that with which it has been sent, and I ask You from its evil, from the evil of what it carries, and from the evil of that with which it has been sent." When the news of the death of anyone reaches you, you might say: "We all are to Allah to Whom we shall return, and we all are going to turn to our Lord. O Allah! enlist him among the doers of good, and make his book in the highest place (of the Garden), and be his successor over his offspring among the remaining ones. O Allah! forbid not us his reward, and put not us to affliction and trial after him, and forgive for him and for us."

When you give in charity, you might say: "O our Lord! Accept it from us, for indeed, You are All-Hearing, All-Knowing." When you lose something, you might say: " It may be that our Lord will give us in exchange one better than this: for we do turn to Him (in repentance)!" At the beginning of anything, you might say: "O our Lord! Bestow upon us mercy from Yourself and dispose of our affair for us in the right way! O my Lord! Expand me my breast, and ease my task for me."

When you cast a glance at the sky, you might say: "O Our Lord! not for naught have you created (all) this! Glory to You! Give us salvation from the Penalty of the Fire. Blessed is He Who made constellations in the skies, and placed therein a Lamp and a Moon giving light." When you hear the sound of the thunder, you might say: Exalted be He, Whose Praises the thunder and the angels celebrate, for fear of Him." When you see both thunder and lightning, you might say, according to the narration of Ka'b: "O Allah! ruin not us with Your Anger, nor destroy us with Your Punishment, and provide us with health and power before that." When it rains, you might say: "O Allah! let it be a blessed (source of) water and beneficial precipitation! O Allah! make it a rain-laden cloud of mercy and not a rain-laden cloud of torment."

If you grow anger, you might say: "O Allah! forgive for me my sin, and remove the rage of my heart, and save me from Satan, the despised." If you fear a people you might say: "O Allah! Verily, we make You (our protecting shield) in their front, and we seek refuge with You from their evil." If you fight a people you might say: "O Allah! You are my supporting forearm and helper, and it is

with (the help of) You that I fight (my enemies)." When there is a whir in your ear, you might invoke Allah's Prayer and Blessing upon Muhammad "Peace be upon him", and say: "Might Allah remember him who remembers me with good!" if you see the answer of your invocation, you might say: "Praise be to Allah with Whose Honour, Power and Glory the good things are fulfilled." And if it slows you might say: "Praise be to Allah for every state."

If you hear the Call to Maghrib prayer, you might say: "O Allah! this is the beginning of Your night, which is, at the same time, the ending of Your daylight, and (those are) the voice of the people who invoke You and attend Your prayers: I ask You to forgive for me." If you are befallen by a distress, you might say: "O Allah! I'm Your servant, son of Your servant, and of Your servant-girl, and my forelock is in Your Hand, and Your Judgement (pertaining to me) is to be accomplished, and such of decrees as You ordain in relation to me is fully just: I ask You, by virtue of all of Your Names therewith You've named Yourself, or You've sent in Your Book, or You've taught anyone of Your creatures, or You've kept it in the knowledge of the unseen with You, to make the Qur'an the spring of my heart, the light of my breast, the (cause of) removing my anxiety, and eliminating my sadness and distress." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "None is befallen by sadness thereupon he supplicates with that supplication, but that Allah Almighty removes his anxiety, and makes him joyful instead." It was said: "O Messenger of Allah! should we not learn it?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Yes, it is incumbent upon him who hears it to learn it."

If you experience pain in your body, or you find it in the body of someone, recite then the incantation of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": whenever anyone complained of a harm or injury, he would place his index finger on the ground and raise it saying: "In the Name of Allah! (with the help of) the earth of our land, the saliva of ourselves, our patient will be cured by the Leave of (Allah) our Lord." If you experience pain in your body, put your hand on the very place of pain in your body and say thrice: "In the Name of Allah" and then say seven times: "I seek refuge with the Power and Honour of Allah Almighty from the evil of anything I fear." If you are befallen by distress, you might say: "There is no god (to be worshipped) but Allah, Most High, Most Forbearing. There is no god (to be worshipped) but Allah, Lord of the Throne (of Majesty), Most Great. There is no god (to be worshipped) but Allah, the Lord of the seven heavens and the Lord of the Throne (of Majesty), Most Generous."

If you want to go to bed, perform ablution at first, then lie on your right side facing the Qiblah, and then glorify Allah "Allahu Akbar" (Allah is Greater) thirty-four times, exalt Him "Subhanallah" (Exalted be Allah) thirty-three times, and praise Him "Al-hamdu lillah" (Praise be to Allah) thirty-three times. Then you might say: "O Allah! I seek refuge with Your Good Pleasure from Your

Displeasure, with Your forgiveness from Your punishment, and I seek refuge with (the mercy of) You from (the anger of) You. O Allah! By no means could I reckon Your Praises, even though I do my best, for indeed, You are just as You have praised Yourself. O Allah! in Your Name I live and die. O Allah, Lord of the heavens and the earth, and the Lord and King of Everything, Splitter of seed and kernel, Revealer of the Torah, the Gospel and the Qur'an: I seek refuge with You from the evil of him who has evil, and from the evil of every moving creature over whose forelock You have grasp: verily, You are the First, and there is nothing before You, and You will be the Last, and there will be nothing after You; You are the Evident, and there is nothing above You, and You are the Hidden, and there is nothing beyond You: fulfill my debt on my behalf, and make me independent from poverty.

O Allah! It is You Who created myself, and It is You who will cause it to die: it is up to You to cause it to die, and it is up to You to bring it to life (once again on the Day of Judgement). O Allah! if you cause it to die, then forgive for it, and if You bring it to life, then keep it (from evil). O Allah! I ask you to endow me with power and health in both the world and the hereafter. In the Name of You O my Lord I've laid my side: forgive for me my sin. O Allah! save me from Your Punishment on the Day You will gather Your servants. O Allah! I submit myself to You, turn my face towards You, entrust all my affairs to you, and depend upon you for Your Blessings both with hope and fear of you. There is no way to flee from you, and there is no place of protection and safety except with You O Allah! I believe in Your Book (the Qur'an) which you have revealed and in Your Prophet (Mohammad) whom you have sent."

Let it be the last of your supplications (before sleeping), in accordance with the command of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". But, let one say before that: "O Allah! cause me to get up (from sleep) in the dearest our to You, and use me to do the dearest of deeds to You, to draw me near unto You, and take me far away from Your Displeasure. O Allah! I ask You and You give me, and I pray for Your Forgiveness, and You forgive me, and I invoke You and You respond to my invocation." When you get up from your sleep in the morning, you might say: "Praise be to Allah Who has brought us to life after He had caused us to die (the minor death of sleep), and to Him be the resurrection. The morning has come upon us, and the Dominion belongs to Allah, and both Greatness and Sovereignty belong to Allah, and both Power and Honour belong to Allah Almighty. We've come to be on the true nature of Islam (on which all of the people are created), and word of sincerity, and the religion of our Prophet Muhammad "Peace be upon him", and the cult of our father Abraham, who was of true faith, and he was not one of the pagans.

O Allah! it is with Your (Power) that morning and evening has come upon us, and it is with Your (Power over all things) that we live and die, and to You be the destiny (the end of the journey of all of the people). O Allah! we ask You to raise

us up, on this day, to every kind of good, and we seek refuge with You from committing or incurring any evil upon a Muslim, for it is You Who say: " It is He Who does take your souls by night, and has knowledge of all that you have done by day; by day does He raise you up again; that a term appointed be fulfilled; in the end unto Him will be your return; then will He show you the truth of all that you did." (Al-An'am 60)

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

O Allah, that cleave the daybreak (from the dark), make the night for rest and tranquillity, and the sun and moon for the reckoning (of time): I ask You (to endow me with) the good of this day, and the good of what it contains, and I seek refuge with You from the evil of that day, and from the evil of what it contains. In the Name of Allah! Allah's Will (be done)! there is no power but with Allah; Allah's will (be done); every blessing is from Allah; Allah's will (be done); all good is in the hand of Allah; Allah's will (be done); none could avert evil but Allah: I've accepted Allah as my Lord, Islam as my religion and Muhammad "Peace be upon him" as my Prophet. O (Allah) our Lord! In You do we put our trust, and to You we turn (in repentance), and to You be the end of the journey."

When the evening comes upon one, let him say the same with the substitution of "the evening has come upon us" for "morning has come upon us", and the following addition: "I seek refuge with Allah's Perfect speech and all of His Names from the evil of what He has created, evolved, from the evil of him who has evil, and from the evil of every moving creature over whose forelock You have grasp: verily, it is my Lord that is on a straight path."

If you look at yourself in the mirror, you might say: "Praise be to Allah Who created me, fashioned me in due proportion, and gave me a just bias, made honoured and good the image of my face, and made me one of those who bow (to Allah in Islam)." If you buys a servant, a slave or a new animal, take hold of its forelock and say: "O Allah! I ask You (to make me enjoy of) its good, and the good on which it has been created, and I seek refuge with You from its evil, and from the evil on which it has been created." If you like to congratulate somebody on his marriage, you might say: "Allah might bless you and send His Blessing upon you and gather you both in what is good." If you fulfill your debt, you might say to the receiver of his right: "Might Allah bless you in your family and property, in accordance with the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" who said: "Verily, the reward of borrowing is to praise and give back (what is borrowed to the lender)."

Those are some invocations and supplication which are necessary for the follower of the path to keep; and we've mentioned the other invocations such as those of journey, prayer and ablution in the Books of Hajj, prayer and purification. But you might say: "What is the significance of invocation seeing

that the preordained fate could not be averted?" it then should be known to you that it is out of the fate to avert the calamity by virtue of invocation, since the invocation acts as a cause of averting the adversity, and bringing about mercy, in the same way as the shield acts as a cause of averting the arrow, and the water acts as a cause of bringing the plant out of the earth. As well as the shield averts the arrow thereupon both force each other, both invocation and adversity force each other.

It is not a necessary prerequisite for one to admit the preordained fate of Allah Almighty not to carry the weapons, since Allah Almighty says: O you who believe! take your precautions, and either go forth in parties or go forth all together" (An-Nisa' 71)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ ﴾

Nor is it not to water the land after sowing the seeds on the ground of the saying: "If it has been preordained for the plant to grow, the seeds then will grow, and if it has not been, they will not grow." On the contrary, to make association between the causes and the causers is the primary decision of judgement, which is like the twinkling of the eye, if even not quicker, and giving priority to the causers over the causes according to promotion and due proportion is the preordained fate: the One Who preordained good has doomed it to be for a certain cause, and the One Who preordained evil has doomed a certain cause of averting it. in this way, there is no contradiction between those matters in the sight of the open-minded.

On the other hand, the invocation has such of benefits as we've mentioned in the chapter of celebration (of Allah Almighty). It gives rise to the full presence of the heart with Allah Almighty, which is the highest act of worship. For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The invocation constitutes the marrow of religious service." The creatures at most do not divert their hearts to the celebration of Allah Almighty unless they are befallen by a certain need or fall victims of a certain distress. To be sure, " When evil seizes man, (he comes) full of prolonged prayer!" (Fussilat 51)

﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ﴿٥١﴾ ﴾

The need then requires man to take refuge to invocation, and the invocation, in turn, brings the heart back to Allah Almighty, by way of supplication and assent, which constitutes the celebration (of the Praises of Allah Almighty), which is the most honourable acts of worship.

For this reason, the trial was entrusted to the Prophets and Messengers "Peace be upon them" from amongst all the people, followed by the saints, and then those nearer (to Allah), for, by virtue of supplication and reliance (on Allah Almighty), it brings the heart back to Allah Almighty, and prevents them from forgetting (the celebration of Allah). But richness, in most cases, is a direct cause of arrogance and haughtiness, for indeed " man does transgress all due bounds, In that he looks upon himself as self-sufficient." (Al-Alaq 6:7)

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝ ﴾

This is, however, what we like to bring from the entire literature of celebrations and invocations; and Allah Almighty helps us do well. As for the remaining supplications of journey, eating and visiting the patient (to enquire about his health), they will be brought later, Allah Willing, in their different locations; and in Allah Almighty do we put our trust.

and the details of giving life to the night (by standing for supererogatory prayer)

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful.

We send so much praises to Allah Almighty for all of His Blessings and Favours, and celebrate His (Praises and Glories) in such a way as to leave no atom of arrogance or flight (from Allah) in the heart, and give thanks to Him in view of the fact that He has made both night and day come in succession for those who like to celebrate (His Praises) or give thanks (to Him). We invoke Allah's Prayer and Blessing upon His Prophet "Peace be upon him", whom He sent with truth as a bearer of glad tidings (of Allah's reward for the faithful believers) and a warner (of His Punishment for the infidels), and also upon his pure family, and honoured companions, who strove themselves in service of Allah Almighty every morning and night, every forenoon and evening so much that each one of them came to be (as high as) a guiding star and a lamp spreading light in the religion.

To go further: Allah Almighty made the earth subject to all of His servants, not only to reside in its different parts and sides, but also to take it as a halting place therefrom to get provisions for their journey towards their final homeland, and save masterpieces of deeds and good merits for their own selves, and avoid its entanglements and traps, with the assurance that the life proceeds forward with them in the same way as a ship sails with its riders. To be sure, the people are travellers in this world, and the cradle constitutes the first of their resting places while the grave the last of them, and their final homeland will be either the Garden (for the faithful believers) or the fire (of Hell for the infidels), and their lifetime is the distance of the journey, whose stages are the years, Farsakhs are the months, miles are the days; and one's breaths constitute his steps, his obedience (to Allah and His Messenger) is his merchandise, and his time is his capital, while his desires and lusts constitute the highwaymen who stand on his road; and his profit will be to win the meeting of Allah Almighty in the home of peace, in the great dominion and the permanent blessing, and his loss will be to be far removed from (the Mercy and Kindness of) Allah Almighty, in the fetters, chains and painful chastisement in the lowest bottoms of the (fire of) Hell. The heedless even in one of his breaths which he spends naught in doing such of deeds as draw him closer to (the Presence of) Allah Almighty will endanger himself to the infinite loss and sigh on the Day of Mutual loss and gain.

In view of this great danger and momentous risk, those who were granted

success have rolled up their sleeves and given up the pleasures of their souls, and utilized the remaining of their lifetimes, to arrange the functions of regular divisions in accordance with the recurrence of time, in eagerness to give life to both night and day, to draw themselves much closer to (the Presence of Allah) the Sovereign, the Compeller, and seek after the abode of eternity. In this way, it becomes important, for the science of the way to the hereafter, to explain in detail how to partition the regular divisions and distribute the acts of worship which we have expounded earlier to cover the different times (during night and day); and this is shown in two chapters:

Chapter one: the excellence and constitution of regular divisions during night and day.

Chapter two: the way of giving life to the night; its excellence; and its appurtenances.

CHAPTER ONE: ON THE EXCELLENCE, CONSTITUTION AND RULES OF REGULAR DIVISIONS

The Excellence Of regular divisions, And The Exposition Of The Fact That To Do Them Regularly Leads To The Right Way Of Allah Almighty

It should be known that those who have deep insights come to know that there is no salvation (from perdition and destruction) but through the meeting of Allah Almighty, and that there is no way to meet (Allah Almighty) unless one dies while in the state of love for and knowledge of Allah Almighty, and that by no means could both love and affability be achieved but through the regular (and permanent) celebration and remembrance of the Beloved, as well as the knowledge of Him could hardly be accomplished but through the regular (and permanent) meditation on Him and on His Attributes and Acts, since in the whole existence, there is nothing (of significance) rather than Allah Almighty and His Acts.

Furthermore, it is not easy to be regular in celebration and contemplation unless one bid farewell to the (vanities of) this world and its related desires, from which one should be only satisfied with what enables him to fulfill his necessary needs and minimum requirements; and all of that could not be achieved unless one spends the times of both night and day in the different functions of celebration and contemplation. But (unfortunately), according to its inclination to boredom and tedium, on which it has been created, in no way could the soul keep patient on one thing of those which are helpful in both celebration and meditation, for were it to be brought back to one thing, it would soon feel weary and exhausted, in spite of the fact that Allah Almighty never ceases (to give rewards) until you are exhausted (and fail to do deeds of religious service).

For this reason, it is necessary to be kind to it, by having it relieved through moving from one thing to another, and from one way to another in accordance

with the different times, in order that through its movement, its pleasure would become stronger, and through its pleasure, its desire (for the hereafter) would become much greater; and the more its desire remains undying, the more it continues to be regular (on celebration and meditation). This fact lies behind the different way of distributing regular divisions: to be sure, celebration and meditation should cover all or most of the times. That's because the soul, by its nature, is inclined to the pleasures and delights of this world.

If one spends half of his time to dispose of its affairs and fulfill his lawful desires and the other half to the acts of worship, he would be more inclined to the pleasures and delights of this world than to the acts of worship, in view of its agreement with his own disposition, seeing that the time shall be divided between both equally: how should then they force each other, since the nature is more inclined to one of them than to the other? However, both the outward and the inward (of the soul) back each other in demand of the vanities of this world, to which the heart is dedicated. But, it is against the course of nature to bring it back to the acts of worship, to which the heart could hardly be faithfully devoted or fully present, except at a few times (during night and day).

So, he, who likes to enter the Garden with no reckoning, let him spend all (or at least the most part) of his time in the acts of worship; and he, who likes to have the scale of his good deeds and the weight of his good things become heavy, let him then engage the most part of his time in the acts of worship. If he mixes a good deed with an evil deed, he shall run the risk (of falling to destruction). But, the hope (for Allah's Mercy) is ceaseless, and Allah's Forgiveness, out of His Bounty, is expected: it may be that Allah Almighty, out of His Bounty and Generosity, should forgive for him.

This is, however, what has been disclosed to those of deep insight. If you do not belong to them, consider then Allah's Speech to His Messenger "Peace be upon him", and learn it with the light of faith. Allah Almighty addressed the nearest of His devotees, who has the highest rank in His Sight, saying: " True, there is for you by day prolonged occupation with ordinary duties: But keep in remembrance the name of your Lord and devote yourself to Him whole-heartedly." (Al-Muzzammil 7:8)

﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝ ﴾

Allah Almighty further says: "And celebrate the name of your Lord morning and evening. And part of the night, prostrate yourself to Him; and exalt Him a long night through." (Al-Insan 25:26)

﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۝ ﴾

He Almighty also says: "and celebrate the praises of your Lord, before the rising of the sun and before (its) setting, And during part of the night, (also,) celebrate His praises and (so likewise) after the postures of adoration." (Qaf 39:40)

﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾
وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾

Allah "Exalted and Hallowed be He" says too: " and celebrate the praises of they Lord the while you stand forth, And for part of the night also praise you Him, and at the retreat of the stars!" (At-Tur 48:49)

﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾

Allah Almighty also says: " Truly the rising by night is most potent for governing (the soul), and most suitable for (framing) the Word (of Prayer and Praise)." (Al-Muzzammil 6)

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ ﴾

He Almighty further says: " and celebrate (constantly) the praises of your Lord, before the rising of the sun, and before its setting; yea, celebrate them for part of the hours of the night, and at the sides of the day: that you may have (spiritual) joy." (Ta Ha 130)

﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ
وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾

He Almighty says too: "And establish regular prayers at the two ends of the day and at the approaches of the night: for those things that are good remove those that are evil: be that the word of remembrance to those who remember (their Lord)." (Hud 114)

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾

Consider further how and with which qualities He Almighty describes those who achieve felicity among His servants in His saying: "Is one who worships devoutly during the hours of the night prostrating himself or standing (in adoration), who takes heed of the Hereafter, and who places his hope in the Mercy of his Lord, (like one who does not)? Say: "Are those equal, those who know and those who do not know? It is those who are endued with understanding that receive admonition." (Az-Zumar 9)

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ
وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾

He Almighty further says: "Their limbs do forsake their beds of sleep, the while they call on their Lord, in Fear and Hope." (As-Sajdah 16)

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴿١٦﴾ ﴾

He "Exalted and Hallowed be He" says too: "Those who spend the night in adoration of their Lord prostrate and standing." (Al-Furqan 64)

﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾

Allah, Exalted and Hallowed, further says: "They were in the habit of sleeping but little by night, And in the hours of early dawn, they (were found) praying for Forgiveness." (Adh-Dhariyat 17:18)

﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

He Almighty also says: "So (give) glory to Allah, when you reach eventide and when you rise in the morning." (Ar-Rum 17)

﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

He Almighty says too: "Send not away those who call on their Lord morning and evening, seeking His Face." (Al-An'am 52)

﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴿٥٢﴾ ﴾

All of that shows to you, there is no doubt, that the way to (the Presence of) Allah Almighty is to observe the different times (during night and day) in order to fill them with regular divisions.

For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The dearest to Allah Almighty among His servants are those who observe the (time of the appearance of) sun and moon and (the times of) shades in order to celebrate (the Praises of) Allah Almighty." Allah Almighty says in this connection: "The sun and the moon follow courses (exactly) computed." (Ar-Rahman 5)

﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ ﴾

He further says: "Have you not turned your vision to your Lord? How He does prolong the Shadow! If He willed, He could make it stationary! Then do We make the sun its guide; Then We draw it in towards Ourselves, a contraction by easy stages." (Al-Furqan 45:46)

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾

He Almighty also says: "And the Moon, We have measured for it mansions (to traverse) till it returns like the old (and withered) lower part of a date-stalk." (Ya Sin 39)

﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ ﴾

He Almighty further says: " It is He Who makes the stars (as beacons) for you, that you may guide yourselves, with their help, through the dark spaces of land and sea: We detail Our Signs for people who know." (Al-An'am 96)

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾

Think not that the main purpose for which both the sun and the moon follow their exactly computed courses, and the shade, light and stars are created is to enable you achieve the affairs of this world so much as it is to help you measure the different times (during both day and night) in order to occupy yourself therein by the acts of worship and religious service, and engage yourself in the trade (of good deeds) for the hereafter. This is attested from the statement of Allah Almighty: " And it is He Who made the Night and the Day to follow each other: for those who have the will to celebrate His praises or to show their gratitude." (Al-Furqan 62)

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾

This means that both come in succession, one after the other, in order that one might catch in any of them what he misses in the other. In this statement, He Almighty further shows that the main purpose is just to celebrate (the Praises of Allah Almighty) or to give thanks (to Him), and no more.

Allah Almighty further says: " We have made the Night and the Day as two (of Our) Signs; the Sign of the Night have We obscured, while the Sign of the Day We have made to enlighten you; that you may seek bounty from your Lord, and that you may know the number and count of the years: all things have We explained in detail." (Al-Isra' 12)

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ ﴾

However, the sought bounty here refers to the good reward and forgiveness (of Allah Almighty); and we ask Allah to help us do what pleases Him.

The Exposition Of The Number And Constitution Of Regular Divisions

It should be known to you that the regular divisions of the daylight are seven: there is one in the period between the daybreak and the emergence of the sun disk, two in the period between the rising of the sun and its decline, two in the period between the sun decline and the time of Asr, and two in the period between the time of Asr and the sunset. There are four regular divisions which cover the whole night: two in the period between sunset and the time in which the people usually go to bed, and two in the period between the last half of the night and the crack of dawn. Let's here discuss the excellence and duty of each regular division, and what is related to it.

The first regular division lies in the period between the daybreak and the emergence of the sun disk; and of a surety, it is an honourable period as shown from Allah's Oath by it when He says: "So verily I call to witness the Dawn as it breathes away the darkness." (At-Takwir 18)

﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ ﴾

He Almighty ascribes to Himself the attribute of cleaving the daybreak (from darkness) as shown in His statement: "He it is that cleaves the daybreak (from the dark)." (Al-An'am 96)

﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾

He Almighty further says: " Say: I seek refuge with (Allah) the Lord of the Daybreak." (Al-Falaq 1)

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾

Furthermore, He Almighty shows His Power to draw in the shadow therein when He says: "Then We draw it in towards Ourselves, a contraction by easy stages." (Al-Furqan 46)

﴿ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾

This is the due time of drawing in the shadow of night by spreading out the light of the sun. Allah Almighty guides the people to celebrate the Glories of Allah therein in His statement: "So (give) glory to Allah, when you reach eventide and when you rise in the morning" (Ar-Rum 17)

﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾

And: " and celebrate (constantly) the praises of your Lord, before the rising of the sun, and before its setting; yea, celebrate them for part of the hours of the night, and at the sides of the day: that you may have (spiritual) joy" (Ta Ha 130)

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾

And: "And celebrate the name of your Lord morning and evening." (Al-Insan 25)

﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾

As far as the sequence of its acts is concerned, let one at first begin, once he wakes up from his sleep, with the celebration of Allah Almighty saying: "Praise be to Allah Who has brought us to life after He had caused us to die (by sleep), and to Him will our resurrection be (in the hereafter)..." up to the end of the supplications and Holy Verses which we've mentioned in the invocation of getting up (from sleep) in the Book of Invocations. While invoking, let him put on his dress with the intention to cover his private parts, in compliance with the Command of Allah Almighty, and seeking its aid to worship Him well, without having the aim of showing off to be seen of men, or demonstrating arrogance recklessly.

Then, let him turn to the privy if he is in need of it, and enter with his left foot reciting the related supplications we've mentioned in the Book of Purification on entrance and exit. Then, let him brush his teeth with the toothpick according to the traditional practice shown earlier, and perform ablution with observation of all the rules and supplications explained in the Book of Purification. However, we

have introduced the items of worship in separation in order to mention, in this Book (of Regular Divisions) only the point of setting and putting their acts in order. Once he finishes from performing ablution, let him offer the two-rak'ah prayer prior to Fajr, i.e. the traditional prayer the constant performance of which is regular, in his house. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to do the same. After performing them, whether in the house or in the mosque, let him recite the supplication which is narrated on the authority of Ibn Abbas "Allah be pleased with both" which begins as such: "O Allah! I ask You (to endow me with) mercy from You, therewith to guide my heart..." to its end.

Then, let him come out towards the mosque, but let not him forget the supplication related to his exit to the mosque. Let not him run hastily to the prayer: on the contrary, he should walk with tranquillity and reverence according to the narration which is handed down in this connection, and he should not also interlace his fingers. Then, let him enter the mosque with his right foot first, and recite the supplication which is handed down in relation to the entrance of the mosque. Let him seek after the first row if there is a place for him, provided that he should neither step over the necks of the people, nor drive them forcibly as we've mentioned earlier in the Book of (Prayer, chapter of) Friday. If he has not yet offered the two-rak'ah prayer prior to Fajr in his house, let him offer them in the mosque, and then engage himself in the related supplication. But in case he has offered them in the house, let him then offer the two-rak'ah prayer of saluting the mosque, and sit after them in expectation for the obligatory two-rak'ah prayer of Fajr in congregation.

It is desirable to offer the congregational prayer when it is still very dark, for The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to do the same. Furthermore, it is necessary for one not to leave the congregational obligatory prayers in general, and both Fajr and Isha' prayers in particular, in view of the additional superiority they have. In this context, it is narrated on the authority of Anas Ibn Malik from The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that he said pertaining to the Morning prayer: "He, who performs ablution and then comes out to the mosque, to offer the prayer therein, for every step, he will receive a good deed, and an evil deed will be erased from him; and the good deed is as much as ten times the like of it. if he offers the prayer and turns away on the rising of the sun, a good deed will be written for him by each hair of his body, and he will return with (the reward of) Hajj which is accepted (by Allah Almighty). If he sits (in the mosque) until he offers the Duha (Forenoon) prayer, for each rak'ah, two thousand thousand good deed will be written for him. He, who offers the Isha' prayers (in the mosque in congregation as such), he will receive the like of that and will return with an Umrah that is accepted (by Allah Almighty)."

It was the habit of the men of the early generation to enter the mosque before the rising of the dawn. In this issue, it is narrated that one of the followers said: I entered the mosque before the rising of the dawn and behold! Abu Hurairah had

preceded me (to the mosque). He asked me: "O son of my brother! For which thing have you come out of your house at this hour?" I said: "I've come out to offer the Morning prayer." On that he said to me: "Receive then the glad tidings! We used to regard our coming out and sitting in the mosque at this hour (in expectation for prayer) as (equal in reward to) a holy battle in Allah's Cause (or he said with The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him")."

It is further narrated on the authority of Ali "Allah be pleased with him" that once The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" knocked at the door of the house in which he and Fatimah were living (at night) and they were sleeping. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" asked them: "Should you not (get up to) offer prayer?" Ali said: I said to him: "O Messenger of Allah! verily, our souls are in the Hand of Allah Almighty, and He could raise it if He so likes." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" then turned away and I heard him beating his thighs with his hands and saying while he was turning away: " but man is, in most things, contentious." (Al-Kahf 54)

﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾

Furthermore, after offering the two-rak'ah prayer prior to Fajr and saying the related supplication, one should engage himself in the prayer for forgiveness and celebration of the Glories of Allah Almighty until the obligatory prayer is established. Let him say seventy times: "I pray for the Forgiveness of Allah Almighty other than Whom there is no god (to be worshipped), Ever-Living, Self-Subsisting, Eternal, to Whom I turn in repentance" and one hundred times: "Glory be to Allah; Praise be to Allah; There is no god (to be worshipped) but Allah; and Allah is Greater." Then, let him offer the obligatory prayer, with observation of such of external and internal proprieties as we've mentioned earlier pertaining to prayer and following the imam.

When he finishes from the (obligatory prayer) let him keep sitting in the mosque until the rising of the sun, and engage himself in the celebration of (the Praises and Glories of) Allah Almighty as we are going to discuss the sequence of its items later. However, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "To sit in my gathering, to celebrate (the Praises and Glories of) Allah Almighty after finishing from the Dawn prayer until the rising of the sun is much dearer to me than to emancipate four slaves." According to another narration, whenever The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" finished from the Morning prayer, he would keep sitting in his praying place until the sun would rise, and he would pray two rak'ahs after its rising according to a certain version of this narration.

There are numerous narrations in support of the excellence of this. It is narrated (for instance) on the authority of Al-Hassan that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said while relating about the Mercy of his Lord Almighty that He said: "O son of Adam! Keep celebrating My Praises and Glories for an hour after Dawn prayer and an hour after Asr prayer,

perchance I would suffice you (for Guardian against evil) in the period between them." Since the excellence of that is then obvious, let one sit and keep silent until the rising of the sun. let his job be limited only to four things: invocations, celebrations (of Allah's Praises and Glories) which he should repeat in the form of Tasbihs, recitation of the Qur'an, and meditation (on Allah's Signs).

As far as supplications are concerned, let him say, after finishing from his prayer: "O Allah! send Your Prayer, Blessing and Peace upon Muhammad and upon the family of Muhammad; O Allah! Verily, You are (the source of) Peace (and perfection), and from You peace is expected, and to You peace returns; O our Lord! Salute us with peace, and admit us to the abode of peace (i.e. the Garden): Blessed and Exalted be You (Allah) Lord of Majesty, Glory and Honour." Then, let him inaugurate the supplication with the same with which The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to commence his supplications, i.e. Exalted be my Lord, Most High, Most Supreme, Grantor (of favours) without measure. There is no god (to be worshipped) but Allah, the One and Only, other than Whom there is no partner: His is the dominion, and to him be praise; He brings to life as well as He brings to death, and He is Ever-Living Who never dies; in His Hand is good, and He has power over all things. There is no god (to be worshipped) but Allah, Lord of Blessing, Bounty and (most fitting for) good praise. There is no god (to be worshipped) but Allah, and we do worship none but He, with our faith sincere to Him, even against the will of the unbelievers." Then, let him begin with the supplications and invocations which we've mentioned in the third and fourth chapters of the Book of Supplications and Invocations: let him supplicate with all of them if it is within his capacity, or keep out of them what seems to him most convenient to his state, most ready to cause his heart to be smooth, and most light upon his tongue.

As for celebrations (of the Praises and Glories of Allah Almighty), they are words to be uttered repeatedly, and there is great excellence in their recurrence. But we would not spend long in mentioning that. But the limit of repeating each of them lies between three or seven at minimum, and seventy or one hundred at maximum, even though ten is the optimum. So, let one repeat them as much as is within the limit of his vacation and free time, putting in consideration that the greater it becomes in number, the more the reward he receives is excellent. But the optimum of ten recurrences is more moderate, and more fitting for regularity, for indeed, the best of deeds is that which one does regularly, no matter little it might be; and to be regular in doing the least amount of items of a certain job , in case one could not do all or most of its items regularly, is better and more impressive upon the heart than to do more at interrupted times. The parable of the regular little amount is like the parable of the few drops of water which fall in succession on the ground, and thus leads to making a small dig, even if it falls on a rock. The example of the interrupted great amount is like the example of a great abundance of water which falls interruptedly at long intervals, and has no effect.

Those statements are ten: the first is His saying: "There is no god (to be

worshipped) but Allah, the One and Only, other than Whom there is no partner: His is the dominion, and to him be praise; He brings to life as well as He brings to death, and He is Ever-Living Who never dies; in His Hand is good, and He has power over all things." The second is his saying: "Glory be to Allah; Praise be to Allah; There is no god (to be worshipped) but Allah; and Allah is Greater, and there is neither might nor power but with Allah, Most High, Most Great." The third statement is his saying: Exalted and Hallowed be (Allah) Lord of the angels and the (Holy) Spirit." The fourth is his saying: Exalted be Allah, Most Great with Whose Praises (I exalt Him)." The fifth is his saying: "I pray for Forgiveness of Allah, Most Great, Ever-Living, Self-Subsisting, Eternal, other than Whom there is no god (to be worshipped), and I ask Him to turn to me in repentance." The sixth is his saying: "None could withhold what You give, and none could give what You withhold, and nothing could avail even the luckiest and the most fortunate (among the people) without You." The seventh is his saying: "There is no god (to be worshipped) but You, the Sovereign, the Evident Truth." The eighth is his saying: "In the Name of Allah with Whose Name nothing on the earth or in the heaven could cause any harm, and He is (Allah) All-Hearing, Full of Knowledge." The ninth is his saying: "O Allah! send Your Prayer, Blessing and Peace upon Muhammad, Your servant, Prophet and Messenger, the unlettered Prophet, and upon his family and companions." The tenth is his saying: "I seek refuge with Allah, All-Hearing, All-Knowing from Satan, the despised. O my Lord! I seek refuge with You from the evil suggestions of Satans, and I seek refuge with You O my Lord lest they would come near me." (Al-Mu'minun 97:98)

﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾

If one recites each of those ten statements ten times, making a total of one hundred times, it will be better for him than to recite only one of them one hundred times, for each of those statements has its independent excellence (which might not be in the other), and the state of pleasure and stimulation in which the heart becomes because of each of them differs from one to the other, as well as the soul takes rest and feels secure from boredom in different ways while moving from one statement to another.

As for the recitation (of the Holy Qur'an), it is desirable for one to recite many Holy Verses, whose excellence is so much great according to the different narrations. Let him recite the Surah of the Praise (i.e. Al-Fatihah), the Holy Verse of the Throne, the two concluding Verses of Al-Baqarah, in addition to the following two Holy Verses from Al Imran: " There is no god but He: that is the witness of Allah, His angels, and those endued with knowledge, standing firm on justice. There is no god but He the Exalted in Power, the Wise." (Al Imran 18)

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾

And: " Say: "O Allah! Lord of Power (and Rule), You give Power to whom You please, and You stripe off Power from whom You please: You endue with

honour whom You please, and You bring low whom You please: in Your hand is all Good. Verily, over all things You have power." (Al Imran 26)

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾

Let him also recite the saying of Allah Almighty: " Now has come unto you a Messenger from amongst yourselves: it grieves him that you should perish: ardently anxious is he over you: to the Believers is he most kind and merciful." (At-Tawbah 128)

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾

And: " Truly did Allah fulfill the vision for His Messenger: you shall enter the Sacred Mosque, if Allah wills, with minds secure, heads shaved, hair cut short, and without fear. For He knew what you knew not, and He granted, besides this, a speedy victory." (Al-Fath 27)

﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾

And: " Say: "Praise be to Allah, Who begets no son, and has no partner in (His) dominion: nor (needs) He any to protect Him from humiliation: yea, glorify Him for His greatness and glory!"" (Al-Isra' 111)

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾

Let him also recite the first five Holy Verses of Al-Hadid, and the concluding three of the Surah of Al-Hashr.

Furthermore, if one likes to complete the excellence, and join the good merits of all the mentioned supplications and invocations, let him recite the ten seven-repeated things, presented by Al-Khadir "Peace be upon him" to Ibrahim At-Taimi "Allah's Mercy be upon him". In this connection, it is narrated on the authority of Kurz Ibn Wabarah and he was one of the Substitutes (Abdal) that he said: My brother from the inhabitants of Sham came to me and gave me a present and said: "O Kurz! Accept this present from me, and how excellent this present is!" I asked him: "O my brother! Who has given you this present?" he said: "Ibrahim At-Taimi has given it to me." I asked him: "Have you not asked Ibrahim At-Taimi who had given it to him?" he told that he said: "I was sitting in the courtyard of the Ka'bah, in a state of celebrating the Praises of Allah exalting and affirming Allah's Oneness, when a man came to me: he paid salutation to me and sat on my right side. I've never seen, in all of my lifetime, a man of prettier face, more elegant dress, whiter complexion and more pleasant perfume than his. I asked him: "O servant of Allah! who are you? And from where have you

come?" he said: "I'm Al-Khadir." I asked him: "Then, why have you come to me?" he said: "I've come to pay salutation to you and because of my love for you in (the religion of) Allah Almighty; and I further have a present which I like to give to you." I asked him: "What is it?" he said: "It is to say each of the following seven times, before the sun rises and spreads its light upon the earth, and before it sets: the Surah of the Praise (i.e. Al-Fatihah), "Say: He is Allah, the One and Only", "Say: I seek refuge with (Allah) the Lord of Daybreak", "Say: I seek refuge with (Allah) the Lord of Mankind", "Say: O you who reject faith", in addition to the Holy Verse of the Throne; and to say seven times: Exalted be Allah; Praise be to Allah; There is no god (to be worshipped) but Allah; and Allah is Greater"; to invoke for Allah's Prayer and Blessing upon the Prophet "Peace be upon him" seven times; to pray seven times for Allah's Forgiveness for yourself, your parents, the faithful believers, male and female; and to say seven times: "O Allah! do with myself as well as with them, sooner and later, in the religion, the hereafter and this world, that for which You are fitting, and do not do with us, O our Lord, that which we deserve: You are Oft-Forgiving, Most Forbearing, Most Generous, Most Bounteous, Most Compassionate, Most Merciful." Therefore, be eager not to leave that every morning and evening." I asked him: "But I like that you should tell me: who has given you this great gift?" he said: "Muhammad "Peace be upon him" has given it to me." I said to him: "Then, tell me about the reward of that." He said: "When you meet Muhammad "Peace be upon him" (in your dream) ask him about the reward of that, and he would tell you."

Ibrahim At-Taimi told that one day, he saw in his dream as if the angels visited him, and carried him until they made him enter the Garden and saw what it contained, and he described many great things of what he had seen in the Garden and then he said: "I asked the angels: "Whose is all of that?" they said: "It belongs to him who does the like of your deed."" He further mentioned that he had eaten of the fruits of the Garden, and that they had given him of its drink. He resumed: "Then, the Prophet "Peace be upon him" came to me, in the company of seventy rows of angels, each was as long as is the distance between East and West. He paid me salutation and took hold of my hand. I said: "O Messenger of Allah! Al-Khadir told me that he had heard from you this tradition." He said: "Al-Khadir has told the truth. Al-Khadir has told the truth. All that he relates is true, and he is the most knowledgeable of the inhabitants of the earth, and he is the chief of the Substitutes (Abdal), and he is one of the soldiers of Allah Almighty on earth." I said: "O Messenger of Allah! what about him who does the like of that deed but does not see you in his dream: should he be given anything of what I've been given?" he said: "By Him Who has sent me as a Prophet with the truth: he who does the like of that deed even though he does see neither me nor the Garden in his dream will be given (a great reward according to which) Allah Almighty shall forgive for him such of the major sins as he has committed, remove from him His Wrath and Anger, and order the angel of the left side not to write any sin against him for the whole year to come. By Him Who has sent me as a Prophet with the truth: none but he whom Allah Almighty created as happy does the like

of that deed, and none but he whom Allah Almighty created as wretched leaves it."" However, Ibrahim At-Taimi was reported to have remained about four months with neither food nor drink, and this might have happened after this vision.

This is the duty of recitation. It will be good either to add to that one's daily portion of the Holy Qur'an, or to be satisfied with that, since the Holy Qur'an joins the good merits of both celebration (of Allah's Praises and Glories) and meditation (on Allah's Signs) and supplication and invocation, particularly when it is recited with reflection and attention as we've mentioned its excellence and proprieties in the chapter of recitation.

As far as contemplation is concerned, let that (which we've mentioned in the previous paragraph) be one of its duties; and we shall discuss in detail, Allah Willing, the objects and ways of contemplation, in the Book of Meditation which is one of the quarter of the saviors. But anyway, its main categories might be included in two:

One is that one should contemplate on such of treatment as might be a source of benefit to him: let him, for instance, put himself to account for what he has done, and the extent to which he has indulged in his work, and then arrange his jobs during this day of his, and try, as much as he could, to avert what might hinder or divert him from doing good, and remember his indulgence and the defect in his work to which it has led, perchance he would recover it, and bring about in his heart the good intention he should have in his works, in relation to himself as well as in his treatment of the Muslims.

The other pertains to what might be a source of benefit to him in the science of Revelation: in this issue, he might contemplate once on the Blessings and Favours of Allah Almighty, His Evident and Hidden Signs, in order that he would become more acquainted with them, and more thankful (to Allah Almighty) for them; and once on Allah's Punishment and Wrath in order that he would come to have better knowledge of the extent of the Power and independence of god, thereupon he would become more fearful of it.

However, each of both has so many branches and subjects, in which there is disparity of reflection among the people, which we shall discuss in more detail in the Book of Contemplation. Once the contemplation is available, it will be the most honourable of the acts of worship, since it implies the significance of the remembrance (and celebration of the Praises and Glories) of Allah Almighty, in addition to two further things of importance: one is the increase of knowledge, since the contemplation is the main key of knowledge and disclosure; and the other is the increase of love, since the heart could hardly have love but for those who thought of as the object of exaltation, and in no way could the Greatness and Majesty of Allah Almighty be divulged but through the knowledge of His Attributes, Power and inimitable acts. In this way, the meditation leads to knowledge, and knowledge leads to exaltation, and exaltation, in turn, leads to the love.

It is true that the celebration (of the Praises and Glories of Allah) gives rise to

affability, which is in itself a kind of love, but the love which is obtained from knowledge is much stronger, more constant and well-established. However, the relation of the love which a Gnostic has to the love which the celebrating one experiences without having full acquaintance (with the object of love) is like the relation of the adoration of him who sees with his own eyes the beauty of somebody, and is acquainted, through direct experience, with his good manners, acts, merits and praiseworthy qualities, to the affability of him who hears a general description of the good qualities and characteristics of somebody who is absent from his eyes, without giving any details about the points of such good. Of a surety, the affection which the latter feels is not (as strong and impressive) as the adoration which the viewer experiences, since by no means could the (influence of the) news be like (that of) watching.

Similarly, the servants who are regular in their remembrance of Allah Almighty with their hearts and tongues, and have traditional trust and faith in what was brought by the Messengers and Prophets, do not have of the knowledge of the attributes of Allah Almighty more than good things in which they believe by giving trust to those who have described them. But it is the Gnostics who witness the Glory and Beauty (of Allah Almighty) with the light of their deep internal insight, which is much stronger than the evident sight. But, none could grasp the essence and nature of His Glory and Beauty, which is not within the power of anyone of the creatures; and everyone sees only as much as is in proportion to such of veils as is removed before him. As well as the Beauty of the Presence of Lordship is infinite, the veils which surround it are also endless. But the number of the veils which are worthy of acquiring the name of Light are seventy, and it is those which, if one reaches, he would think he has reached the origin. In this connection it is narrated that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, Allah Almighty has seventy veils of light, and were He to remove them, the Majesty and Glory of His Countenance would burn whatever His Sight reaches."

Those veils are arranged according to their difference, and those lights are different in their rank in the same way as are the sun, the moon and the other stars: the smallest of them seems at first, followed by that which is bigger and so on. It is on the ground of this notion that one of the Sufis interprets the different ranks which seemed to Abraham, Allah's Bosom Friend in his promotion (to attain the truth of Lordship), as shown from Allah's saying: " When the night covered him over" i.e. when the matter became very dark and abstruse upon him, "he saw a star" i.e. he attained one of the veils of light referred to herein by the star. (Al-An'am 76)

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾

However, it is not the radiant celestial bodies that is intended here, for indeed, it is not hidden from the laymen that it is not consonant with the Majesty of Lordship to be referred to by such bodies, a fact which they know from the first sight; and of a surety, what misleads naught the laymen was not to mislead

Abraham, the Bosom Friend "Peace be upon him". Furthermore, by the Veils which are called Lights, it is not that light which is visible by the eye that is intended: on the contrary, what is intended is the same which is intended by the statement of Allah Almighty: "Allah is the Light of the heavens and the earth. The parable of His Light is as if there were a Niche and within it a Lamp: the Lamp enclosed in Glass; the glass as it were a brilliant star: lit from a blessed Tree, an Olive, neither of the East nor of the West, whose Oil is well-nigh luminous, though fire scarce touched it: Light upon Light! Allah does guide whom He will to His Light: Allah does set forth Parables for men: and Allah does know all things." (An-Nur 35)

﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا
كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ
عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾

But, it is better for us to leave those meanings, which are beyond the science of practical religion (and rather belong to the science of Revelation), whose facts could not be attained except by way of revelation which is available only to the pure thought of those who have its gates opened to them. But what is available to the public is their meditation on that which benefits them in the science of practical religion, whose advantage is so much, and whose profit is great.

Those four jobs, i.e. the invocation, the celebration (of the Praises and Glories of Allah Almighty), the recitation (of the Holy Qur'an) and the meditation (of Allah's Signs and Dominion) should be the main work of the follower of the path after the Morning prayer, if not in each regular division after the finishing from the duty of (obligatory) prayer, since there is no job (to be done) after (the obligatory) prayer other than those four. Let him support himself by taking his weapon and shield; and of a surety, fasting acts as the shield which makes narrow the circulations of Satan, the aggressive one, who is fitting to divert him from the right way.

Nevertheless, after the crack of dawn, till the rising of the sun, there is no prayer to be offered other than the two-rak'ah prayer prior to Fajr and the two-rak'ah obligatory prayer of Morning. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and his companions used to engage themselves in this period in the celebration (of the Glories and Praises of Allah), and it is more proper until he would be overpowered by slumber before performing the obligation, and nothing except the prayer could prompt him (to wake up). So, if he offers prayer for that reason, there will be no harm.

The second regular division lies in the period between the rising of the sun and forenoon, and by forenoon I mean the middle time between sunrise and sun decline, or in other words, when three hours, which constitute the first quarter of daylight pass on the ground of the fact that daylight is of twelve hours (as well as the night is of twelve hours). There are two more duties in this quarter of daylight:

One is the Forenoon prayer which we've mentioned earlier in the Book of Prayer. It is to pray at first two rak'ahs just when sun rises and spreads out and becomes as high as half a spear, and then prayer further four, six or eight when the sun becomes too hot for the weaning camels to endure and the sand too scorching for the feet to bear.

It is the time of the first two rak'ahs (when sun rises) which is intended by Allah's statement: " It was We that made the hills declare, in unison with him, Our Praises, at eventide and at break of day." (Sad 18)

﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾

It is really the time of sunrise, in which its light emerges in full perfection, when it goes up over the level of earth's fogs and molecules which hinder its rising in full. But the time of offering the further four-rak'ah prayer is the higher forenoon, by which Allah Almighty swears in His saying: "By the Glorious morning Light, And by the Night when it is still, Your Guardian-Lord has not forsaken you, nor is He displeased." (Ad-Duha 1:3)

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝ ﴾

Furthermore, it is narrated that one day The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" came out to his companions at the time of sunrise and they were engaged in prayer, thereupon he called them at the top of his voice: "Behold! The (Forenoon) prayer of those devout in their service (to Allah Almighty) should be when the sun is too hot for the weaning camels to bear."

For this reason, we say that if one is limited to one prayer, this time will be more fitting for Forenoon (Duha) prayer, even though the excellent superiority is attained through offering prayer in the period between the ends of both times of undesirability, i.e. in the period between the rising of the sun as high as half a spear and a short while before sun decline, i.e. the midday (when it is vertical over the meridian). The word Forenoon covers the whole period. In this way, the first two-rak'ah prayer of Duha are offered in the beginning of the time in which prayer is permissible with no undesirability, in accordance with the statement of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Verily, sun rises and there emerges with it both horns of Satan, and when it becomes high, Satan leaves it." the least height of the sun is to rise up the level of the earth's fogs and molecules; and of a surety, this should be observed with approximation.

The other duty which is to be done during that time is to do the goods and charitable deeds which are connected with the people, according to the habits of the early morning, such as to pay a visit to a patient (to enquire about his health), to follow a funeral procession, to help others do what is good and righteous, to attend a gathering of knowledge, to fulfill a need of a Muslim, and the like of that. If there is nothing of all of that, let one then return to do the four duties which we've introduced earlier in this article, i.e. the supplications, the celebrations (of the Praises and Glories of Allah), the recitation (of the Holy

Qur'an) and the meditation (on Allah's Signs and Dominion), or to perform the voluntary prayers if he so likes, which are undesirable just after the Morning prayer, and not in that period (of forenoon), in which it comes to occupy the fifth duty for him who likes to do it. But after the Morning prayer, each prayer for which there is no just reason is undesirable. Moreover, it is more desirable, after daybreak, that one should limit himself to the two-rak'ah prayer prior to Fajr, in addition to the two-rak'ah prayer of saluting the mosque, and (after offering the obligation of Fajr) not to engage himself in prayer, but in supplication, celebration (of Allah's Praises and Glories), recitation (of the Holy Qur'an), and meditation (on Allah's Signs, Blessings and Favours).

The third regular division lies in the period between the higher forenoon and sun decline. We mean by the higher forenoon the middle time (between sunrise and sun decline) and a short while earlier: on the basis of the command that a prayer should be offered at the end of every three-hour interval, when three hours after sunrise elapse, just at that time, and before its end, the Forenoon (Duha) prayer should be offered, and when further three hours elapse, this is the due time of Noon (Zhuhr) prayer, and when further three hours elapse, this is the due time of Asr (Afternoon) prayer, and when further three hours elapse, this is the due time of Maghrib (Sunset) prayer. In this way, the forenoon lies between sunrise and sun decline in the same position as noon lies between sun decline and sunset, except that the Forenoon (prayer) has not been enjoined for it lies at the time during which the people are involved in their jobs and daily earnings; and it is for this reason that its enjoinment has been removed from them. The four duties are included and two more besides:

One is to engage in daily earnings and the management of living affairs, which requires one to go to the market. If one is a merchant, let him practice his traffic with truthfulness and honesty, and if he is a craftsman, let him do his profession with sincerity and perfection, provided that in all of his jobs, he should not forget the celebration and remembrance of Allah Almighty, and limit his earnings to the amount which fulfills his daily needs, even though he has power to earn more; and once he gets what is sufficient for his very day, let him return to the House of his Lord, and take provisions for the hereafter, since the need of taking provisions for the hereafter is stronger, and the enjoyment of it is more permanent. So, to engage himself in his earnings (for the hereafter) is more important than to seek to get what is beyond the time needs. It is said that the faithful believer never exists but in three places: a mosque which he inhabits (to offer prayer and celebrate the Praises of Allah), a house to screen him, or (a place to fulfill) a need whose fulfillment is inevitable. Few are those who know such of amount as is necessary (for living): on the contrary, most of the people regard as necessary that which is not necessary; and that's because Satan always promises them poverty, and commands them to do what is shameful, and they pay their attention to him, and gather what is beyond their needs for fear of destitution, whereas Allah Almighty promises them forgiveness and bounty from Himself, but they turn away from Him and refrain from that.

The other is to have a siesta (before noon), a tradition which is to help you stand at night for supererogatory prayers, in the same way as Suhur (the night meal a short time before dawn) is a tradition to help one observe fast during the day. However, such siesta is much better for him even if he does not stand at night for supererogatory prayer, but rather, in case of remaining sleepless, he would not do good, and would mix with the heedless and is involved in discourse about falsity, and he would not be rejuvenated to return to the celebrations (of Allah Almighty) and the other duties mentioned above, since silence (from falsity) and safety (against heedlessness) lie in sleep. According to one of the learned men: "A time will come upon the people, the best of whose deed will be silence and sleep."

Many are the worshippers, whose best state is their sleep, particularly if the purpose of his worship is to show off to be seen and heard of men, in which he does not prove sincere and truthful (to Allah Almighty): what then about the wicked heedless? According to Sufyan Ath-Thawri: "It was alluring to them to go to bed once they became free, seeking after safety (from falling into mistakes)." If the aim of his sleep is to seek safety and enable himself to stand at night for supererogatory prayers, his sleep will then be an act of worship. But he should wake up a short time before the sun decline, enough for him to get ready for Zhuhr prayer, i.e. to allow him to perform ablution and enter the mosque before the due time of prayer comes, since this is one of the meritorious deeds.

But in case he does not sleep, nor engage himself in getting his daily earnings, and rather is occupied by prayer and celebration (of Allah Almighty), this will be one of the best deeds of daylight, for it is time at which people become heedless of (the remembrance of) Allah Almighty, and engaged in the affairs of this world. To be sure, the heart which is devoted to the service of the Lord at the time when the servants are turning away from His Gate, is fitting for being justified and purified by Allah Almighty, and chosen to be close to His Presence, and worthy of His Knowledge. The excellence of this is like the excellence of giving life to the night (by standing for supererogatory prayers): as well as the night is the time of heedlessness through sleep, the daylight is the time of heedlessness through following desires and lusts, and occupation by the affairs and vanities of this world. One side of the significance of the statement of Allah Almighty: " And it is He Who made the Night and the Day to follow each other: for those who have the will to celebrate His praises or to show their gratitude" (Al-Furqan 62)

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾

Is that one succeeds the other in excellence and superiority, and the other is that both come in succession, one after the other, in order that one might catch in any of them what he misses in the other.

The fourth regular division lies in the period between sun decline and finishing from Zhuhr prayer and its appurtenances; and this is the shortest and the best of the regular divisions during the day. If one performs ablution before

sun decline, and goes to the mosque, and then the sun passes the meridian and the Mu'adhdhin goes on pronouncing the Call to Prayer, let him keep patient until he finishes from responding to the Adhan, and then let him stand and give life to the interval between both Adhan and Iqamah, which is the time of the beginning of sun decline that is intended by Allah in His statement: " Yea, to Him be praise, in the heavens and on earth; and in the late afternoon and when the day begins to decline." (Ar-Rum 18)

﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

Just at that time, let him offer a four-rak'ah prayer, with no End Taslim to make break between them. This is the only prayer, from amongst all the prayers of the day which should be offered with one Taslim, according to one of the learned men. But, this narration has been criticized, and according to the doctrine of Shafi'i, one should pray them in pairs like the other supererogatory four-rak'ah prayers, with a Taslim to make break between each two. This is, however, the more authentic narration in this issue. Let him prolong those rak'ah, in which the gates of the heaven are opened as we've mentioned in the chapter of Voluntary prayers, in which, let him recite either the Surah of Al-Baqarah, one of the one-hundred-Verse Surahs, or four of the Oft-Repeated Surahs. The invocations receive answer during those hours. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" liked to have his deeds raised for him up to the heaven during that time.

After performing four long, as we've referred to earlier, or even short rak'ahs which one should not leave, let him offer Zhuhr prayer in congregation, after which he should pray two rak'ahs, followed by four, for indeed, Ibn Mas'ud disliked that one should follow the obligatory prayer with its like of rak'ahs without a break (of different number of rak'ahs) between them. It is desirable to recite in this supererogatory prayers the Holy Verse of the Throne, the concluding Holy Verses of Al-Baqarah, in addition to the Holy Verses which we've mentioned in the first regular division, in order that he would combine Du'a (supplication), Dhikr (celebration), recitation, prayer, Tasbih and Tahmid during one of the most honourable times.

The fifth regular division lies in the period which begins from the time of finishing from all of that until the time of Asr prayer, during which it is desirable to stay in the mosque, and engage in prayer and celebration (of Allah's Praises), or in different good acts, and remain in seclusion in expectation for the prayer, for one of the good and meritorious deeds is to remain (in the mosque) in expectation for the coming prayer after finishing from the current prayer. This was the traditional practice of the early men. One used to enter the mosque during the period between Zhuhr and Asr, and hear the sounds of the praying men like the sounds of bees resulting from their recitation. But if his house is safer for his religion, and more helpful to make him bring about the strength of his mind, it will be better for him to stay in his house. Therefore, the excellence of giving life to this regular division during that time in which the people are

heedless is like that of giving life to the third regular division.

At that time, sleep is undesirable particularly for him who has taken his siesta before sun decline, on the basis of the fact that to sleep two times during the time of daylight is undesirable. According to a learned man: "Allah Almighty hates three things: to laugh with no just cause, to eat without being hungry, and to sleep during the daylight without spending the night wakeful." The due limit of sleep during every night-and-day turn of twenty-four hours is no more than eight ours during both night and day: if he sleeps all at night, there is no just cause for his sleep more during the day, and as much as he decreases from that amount at night, let him sleep during the day. It is sufficient for a sixty-year-old man to decrease twenty years of his lifetime; and if he sleeps eight hours per night and day, i.e. one-third the hours of night and day, a third of his age would be reduced from his life.

But as well as sleep acts as the sustenance of spirit, in the same way as food is the nourishment of the body, and both knowledge and celebration (of the Praises and Glories of Allah Almighty) the nourishment of both heart and mind, one could not cease to sleep. Moreover, the due limit of sleep is this amount (of eight hours daily), and if it is reduced, this might put the body to trouble, barring him who is gradually accustomed to spend the night wakeful, and thus he might receive no trouble (by decreasing the hours of his sleep from eight hours). This is the longest regular divisions and the most enjoyable to the servants, whose time is intended by Allah's statement: " Whatever beings there are in the heavens and the earth do prostrate themselves to Allah (acknowledging subjection) - with good-will or in spite of themselves - so do their shadows in the mornings and evenings." (Ar-Ra'd 15)

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾

If the non-living beings prostrate themselves in subjection to Allah, how should a rational servant be heedless of doing the acts of worship?

The sixth regular division begins with the coming of Asr time, and it is by this portion of time that Allah Almighty swears in His saying: "By (the Token of) Time of eventide, Verily Man is in loss." (Al-Asr 1:2)

﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ ﴾

This is one of the two meanings given to this saying, as well as it is intended by the evenings according to one of the two interpretations given to this Holy Verse (Ar-Ra'd 15)

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾

And it is also intended by His saying: "It was We that made the hills declare, in unison with him, Our Praises, at eventide and at break of day." (Sad 18)

﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ ﴾

There is no prayer to be offered in this regular division other than the four-

rak'ah prayer in the interval between both Adhan and Iqamah (of Asr), as we've mentioned earlier pertaining to Zhuhr prayer. Then, let one offer the obligatory prayer after which let him engage in the four duties which we've explained earlier in the first regular division until the sun rises up to the tops of walls, and turns yellow. Since prayer at that time is forbidden, it is better to recite the Holy Qur'an attentively and assiduously, for this (kind of recitation, which is one of the four duties) combines (the other three of) supplication, celebration (of Allah's Praises) and meditation. That's because, in this duty, nearly all the objectives and purposes of the other three are included.

The seventh regular division begins when the sun turns yellow and becomes so close to the earth that its light covers the molecules and fogs which are over the surface of the earth, and yellowness is visible in its light. This regular division is similar to the first one, which lies in the period between daybreak and sunrise, because the former is before sunset, as well as the latter is before sunrise. It is this that is intended by Allah's statement: " So (give) glory to Allah, when you reach eventide and when you rise in the morning." (Ar-Rum 17)

﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

This is also the other side (of the day) that is intended by Allah's statement: " yea, celebrate them for part of the hours of the night, and at the sides of the day: that you may have (spiritual) joy." (Ta Ha 130)

﴿ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾

According to Al-Hassan, they used to exalt the eventide more than the first portion of the morning. According to one of the early men: They used to assign the first portion of the morning to the (earnings and affairs of) this world, and its last portion to the hereafter. It is desirable, in this regular division, to engage in Tasbih and Istighfar (prayer for Allah's Forgiveness), in addition to all that we've mentioned in the first regular division such as: "I pray for the Forgiveness of Allah Almighty other than Whom there is no god (to be worshipped), Ever-Living, Self-Subsisting, Eternal, to Whom I turn in repentance" and Exalted be Allah, Most Great, with Whose Praise (I exalt Him)." This is taken from Allah's saying: "so pray for forgiveness for your sin, and celebrate the Praises of your Lord in the evening and in the morning." (Ghafir 55)

﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾

It is more desirable to pray for forgiveness by the same names which are in the Qur'an, such as: "I pray for Allah's Forgiveness: He is the One Who forgives again and again" and: "I pray for Allah's Forgiveness: He is Oft-Returning", "O my Lord: forgive (my sins) and bestow mercy upon me: You are the Most Merciful of those who show mercy", "O our Lord! Forgive for us our sins and bestow mercy upon us, for You are the Most Merciful of those who show mercy", "O our Lord! Forgive for us our sins and bestow mercy upon us, for You are the Most ready to forgive (sins)", and the like of that.

Moreover, it is desirable to recite, before sunset, such Surahs as: "By the Sun and its (glorious) splendour" (Ash-Shams 1)

﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝ ﴾

"By the Night as it conceals (the light)" (Al-Lail 1)

﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝ ﴾

In addition to both Surahs of seeking refuge (with Allah from the evil of Satan). Let the sun set on one while he is engaged in his prayer for Allah's Forgiveness, and once he hears the Call to Maghrib prayer, let him say: "O Allah! this is the beginning of Your night, which is, at the same time, the ending of Your daylight, and (those are) the voice of people who invoke You and attend Your prayers: I ask You to forgive for me." Then, let him respond to the Mu'adhdhin, and engage in performing Maghrib prayer.

With sunset, the regular divisions of daylight will have come to end. So, a servant should observe his states, and put himself to account, on the ground that a stage will have passed of his way (of life): if his current is equal to his last day, he will be a loser, and if it is worse than it, he will be cursed. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Blessed naught be I in a day, in which I do not increase in good." If he finds himself in the habit of doing good during the whole of his day, in which he refrains from evil, let him then rejoice (and receive the glad tidings of being on the right), because of which he should give thanks to Allah Almighty, for He has helped him succeed on his way (to the hereafter); otherwise, (let him know that) the night comes to succeed the day (in excellence): so, let him be strong and firm in his decision to substitute that in which he has indulged during the day, having the assurance that the good deeds always remove the evil deeds.

Let him also give thanks to Allah Almighty for providing him with power and health, and life during his night, to enable him to engage in substituting that which he has missed. Let him put in mind the fact that the day of his lifetime should inevitably come to end, with which the sun of his life should set, after which it shall never rise once again, and it is just at this time that the gate of substitution and excuse shall be closed forever, for indeed, one's lifetime is but a number of counted days, which should all be inevitably spent when they pass one by one.

The Exposition Of The Night Regular Divisions

Those are five, and they go as follows:

The first regular division begins when sun sets, and one offers Maghrib prayer, and then engages in giving life to the period between both prayers of evening. The end of that regular division is at the time of the disappearance of the glow of twilight, i.e. the ruddy glow of sunset, with whose disappearance the time of Isha' prayer, by which Allah Almighty swears in His saying: "So I do call to witness the ruddy glow of Sunset." (Al-Inshiqaq 16)

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴾

The prayer therein is a prayer in the rising by night, for it lies in its first portion. It is one of the parts (of the night) referred to by Allah in His statement: "yea, celebrate them for part of the hours of the night." (Ta Ha 130)

﴿ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ ﴾

The prayer therein also is the prayer of those who are devout in their service (to Allah Almighty), to whom Allah Almighty refers in His statement: " Their limbs do forsake their beds of sleep, the while they call on their Lord, in Fear and Hope." (As-Sajdah 16)

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾

This is narrated on the authority of Al-Hassan, and attributed by Ibn Abu Ziyad to The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that he was asked about this Holy Verse, thereupon he said: "It refers to the prayer in the interval between both Evening prayers (i.e. Maghrib and Isha')." Then he resumed: "Stick you to the performance of prayer between both Evening prayers (i.e. Maghrib and Isha'), since it removes the falsities one might commit during the day, and revises its end." When Anas was asked about him who sleeps in the period between both Evening prayers, he said: "Do not do so, for it is the very hour intended by Allah's saying: " Their limbs do forsake their beds of sleep, the while they call on their Lord, in Fear and Hope." (As-Sajdah 16)

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾

However, the excellence of giving life to the period between both Evening prayers will be discussed later in the second chapter (of this book).

The sequence of the items of this regular division goes as follows: one should, after Maghrib prayer, offer a two-rak'ah prayer, in which he recites "Say: O you who reject faith" and: "Say: He is Allah, One and Only", which he should offer just after Maghrib prayer, with no speech or job to interrupt them. Then, let him offer a four-rak'ah prayer, which he should prolong. Then, let him pray as much as he could until the disappearance of the ruddy glow of twilight. If the mosque is near the house, there is no blame upon him to offer those prayers in his home, particularly in case he has no intention to stay (in expectation for the coming prayer) in the mosque. But it is better if he intends to stay in the mosque in expectation for the Isha' prayer, as long as he will be safe from the suspicion of ostentation and showing off to be seen of men.

The second regular division begins when the time of Isha' prayer comes, and the people go to bed. This is the first portion of the overwhelming darkness. It is by this time that Allah Almighty swears in His saying: "and (by) The Night and its Homing" (Al-Inshiqaq 17)

﴿ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾

I.e. with its full darkness. Allah Almighty further says: "Establish regular prayers at the sun's decline till the darkness of the night." (Al-Isra' 78)

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾

At that time, it becomes very dark, to the extent that its darkness wholly covers up the universe.

The items of this regular division are arranged in three parts: the first is that, besides the obligatory prayer of Isha, one should pray ten rak'ahs, four of which before the obligatory prayer (of Isha'), to give life to the interval between both Adhan and Iqamah, and six after the obligatory prayer: two independently, followed by four, in which he should recite from the Holy Qur'an such special Holy Verses as the concluding Verses of Al-Baqarah, the Holy Verse of the Throne, the starting Verses of Al-Hadid, the concluding Verses of Al-Hashr, and the like of them.

The second is to pray thirteen rak'ahs, the last of which is the Witr, for according to so many narrations, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to pray them during the night. The mindful offer them at the first portion of the night, and the powerful at the last portion, even though it is more resolute to perform them earlier, for one might not be able to wake up, or might fall asleep so much deeply that it becomes hard upon him to stand (for night prayer). But if standing (at night) becomes habitual to him, then, (to wake up and offer the night supererogatory prayers at) the last portion of the night is better. In those prayers, let him recite as many as three hundred Holy Verses, from the particular Surahs, which The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to recite most frequently, such as Ya Sin, Luqman, Ad-Dukhan, Al-Mulk, Az-Zumar, Al-Waqi'ah, etc.

If he does not pray, he should not leave the recitation of all or most of those Surahs before he goes to bed. Three Prophetic traditions are narrated in this respect, according to which the most famous Surahs which The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to recite most frequently, are Luqman, Al-Mulk, Az-Zumar, Al-Waqi'ah, Al-Isra' according to another version, and according to a third narration, he used to recite every night the Surahs which begins with the celebration of the Glories of Allah, and say that in them, there is a certain Holy Verse, whose recitation is better than one thousand. Some learned men raised them to six, adding " Exalt the Name of Your Lord, Most High", for according to a certain narration, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to like " Exalt the Name of your Lord, Most High". Moreover, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to recite in the three rak'ahs of Witr: " Exalt the Name of your Lord, Most High", "Say: O you who reject faith" and "Say: He is Allah, One and Only"; and when he finished he would say thrice: Exalted be (Allah) the Sovereign, the Holy One."

The third is the performance of Witr prayer. Let one offer the Witr prayer before he goes to bed if standing (at night) is not habitual to him. In this

connection, it is narrated on the authority of Abu Hurairah that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" advised me not to sleep before I should offer the Witr prayer." But if the performance of prayer at night is customary to him, it is better for him to offer it late. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The night (supererogatory) prayer should be offered in pairs, and if you fear the (time of) Morning (prayer) might overtake you, offer a rak'ah to conclude your prayer."

It is narrated on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that she said: "The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" sometimes offered Witr prayer at the first portion of the night, sometimes at its middle portion, and sometimes at its last portion; and the latest hour at which he offered Witr prayer was a short while before dawn." According to Ali "Allah be pleased with him": "There are three ways of offering Witr prayer: if you so like, you might offer Witr prayer with an odd number of rak'ahs at the first portion of the night, and then you might pray such of pairs of rak'ahs as you like (he means it would be regarded as Witr to conclude only what is prior to it), and if you so like, you might offer a single rak'ah for Witr, and when you get up, you might make it an even number by another rak'ah and then offer Witr prayer at the last portion of the night; and if you so like, you might delay offering the Witr prayer with an odd number of rak'ahs to the last portion of the night, in order to be the conclusion of all of your daily prayer."

From amongst what is narrated from him, both the first and the third ways are good. But as to repeal the concluding odd number of rak'ahs (according to the second way), it is forbidden by an authentic narration; and so, it should not be repealed. It is narrated, with no restriction, that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "None should offer Witr with an odd number of rak'ahs twice on one night." But, there is something nice for him who falters to get up from sleep at night, and it is good in the sight of some learned men. It is to offer, after the concluding odd number of rak'ahs, two rak'ahs while sitting on one's bed before sleep. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to move slowly to his bed and pray them, in which he would recite both Surahs of Az-Zalzalah and At-Takathur, in view of such of warnings and threats as they have, or, according to another version, "Say: O you who reject faith" for therewith one sets himself free (from belonging to the religion of the unbelievers), and dedicates his worship sincerely and truly to Allah Alone.

In this respect, it is said that if one gets up (from sleep at night), those (two rak'ahs which he has offered while sitting) would be considered as one, to make even (the previously single rak'ah which he has offered as Witr) and thus he would have the right to offer a single rak'ah for Witr at the conclusion of the night supererogatory prayers. By those (two rak'ahs) what has been previously offered would be an even number of rak'ahs, after which he would resume the Witr prayer in a good manner. This way was accepted as good by Abu Talib Al-Makki, who said: "It has three benefits: making short the hope, obtaining the

Witr prayer with an odd number of rak'ahs, and the privilege of performing it at the last portion of the night." And, of a surety, this is true as he mentioned.

But, it might occur to the mind the objection that in case such two-rak'ah prayer makes even one's previous prayers, it will be right. But, if he does not get up (from sleep at night to resume prayer), his first Witr with an odd number of rak'ahs then will have been invalidated. That it is considered to make even (what has been offered before it) only if one gets up (at night to resume his prayers) and that it is not so if he does not get up is questionable, unless it is authentically handed down from The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that he had offered Witr prayer with an odd number of rak'ahs before those two rak'ahs, and that he had offered Witr once again after them. Thus, it might be understood that although those two rak'ahs are even in form, they are odd in concept, and this leads to the fact that they are considered as odd if one does not get up or an even if he gets up.

After uttering the End Salutation of Witr prayer, it is desirable for one to say: Exalted be (Allah) the Sovereign, the Holy One, the Lord of he angels and the (Holy) Spirit: You've honoured both the heavens and the earth with Your Greatness and Compelling Power, and You've been Exalted in Strength and Might with Your Power over all things, and You've oppressed the servants by causing them to die." It is narrated that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did not die before he offered most of his prayers while sitting, except the obligatory prescribed prayers. He said in this issue: "He who prays while sitting receives half the reward of him who prays while standing, and he who prays while lying receives half the reward of him who prays while sitting." Of a surety, this attests the validity of the supererogatory prayer in whichever state one might offer.

The third regular division pertains to sleep; and there is no harm to regard that as one of the regular divisions, for if its proprieties are well-guarded, it would be considered as an act of worship. It is said that if a servant sleeps while being in a state of purification and ablution, and celebrating (the Praises and Glories of) Allah Almighty, he will be enlisted among the praying ones until he gets up. An angel enters into his covering: if he moves during his sleep, and remembers Allah Almighty, such angel will then invoke Allah for him, and pray for Allah's Forgiveness for him. According to a certain narration: "If a servant sleeps while being in a state of ablution, his spirit will be raised up to the Throne (of Majesty)." If this is true about the audience, what then about the elite, the learned men, and the masters of pure hearts? The mysteries are revealed to them during their sleep.

For this reason, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No doubt, the sleep of a learned man is an act of worship, and his breaths are Tasbihs." Mu'adh (Ibn Jabal) asked Abu Musa: "What is your way of standing at night (for supererogatory prayers)?" he said: "I keep wakeful during the whole night, and never sleep for any part of it, in which I recite the Holy Qur'an perfectly with competence (as much as I can)." On that Mu'adh said: "But

as for me, I sleep (for a portion of the night) and then I get up, and expect for my sleep (from Allah Almighty the same reward) which I expect for my standing." When a mention of that was made to The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", he said: "Mu'adh has better understanding of religion than you (O Abu Musa)."

There are ten proprieties pertaining to sleep and they go as follows:

The first pertains to purification, ablution and toothpick. In this respect, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If a servant sleeps while being in a state of ablution, his spirit will be made to ascend to the Throne (of Majesty), and his vision (in dreams) will prove true; and if he does not sleep while being in a state of ablution, his spirit will cease to attain (the same position of the former), and thus what he sees during his sleep will be no more than a confused medley of dreams which never prove true." What is intended here is the purification of both the outward and inward altogether, even though the purification of the inward has a greater influence upon removing the screens of the unseen dominion.

The second is that one should prepare his toothpick and water for ablution, and place them by the side of his head, having the intention to stand to perform supererogatory prayer once eh gets up from sleep, and whenever he wakes up, he should brush his teeth with the toothpick, according to the practice of some early men. It is narrated from The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to brush his teeth with the toothpick many times every night: whenever he went to bed and whenever he woke up from sleep. Furthermore, if performing ablution is not available to him, it is desirable for him to pass his wet hand over the parts of his body, and if this is not available, let him sit down and face the Qiblah, and engage himself in the celebration (of the Praises and Glories of Allah Almighty), supplication and invocation, meditation on Allah's Signs, Blessings, Favours and Power over all things, since that service acts on behalf of the standing at night (for supererogatory prayers). It is narrated that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who goes to bed, having the intention to stand at night to perform supererogatory prayers, and then he is overpowered by slumber until morning comes upon him, (the reward of standing at night for supererogatory prayers according to) what he has intended would be written for him, and his sleep turns to be an object of charity for him from Allah Almighty."

The third is that he who has anything in connection with which a bequest might be made should not sleep unless his bequest is written and placed by the side of his head, because he is not safe from death during his sleep. However, he who dies without writing his bequest will be given no permission to speak during the afterlife (of the grave) till the Day of Judgement: when the (spirits of the) dead people visit him and exchange talks, he will not speak, thereupon they will say to each other: "This poor man died without writing a bequest." Writing a bequest is desirable for fear of the sudden death; and of a surety, the sudden death is a kind of relief (for the people) except for him who is not ready for

death, for the heavy load of injustices he has over his back.

The fourth is that one should sleep after having repented from every kind of sin, with his heart sincere to all of the Muslims, having no idea to wrong anyone, nor intention to do evil once he gets up (from sleep). In this respect, it is narrated that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who goes to bed, having no intention to wrong anyone, nor feeling of resentment against anyone, such of crimes as he does will be forgiven for him."

The fifth is that one should not bless himself with spreading the soft thrones: on the contrary, let him leave it, or at least stick to moderation. One of the early men was in the habit of having aversion towards spreading (such soft thrones) for sleep, seeing that a kind of ostentation. Those of Suffah (among the poor people) used to place nothing between their bodies and the earth, saying: "It is from it that we've been created, and to it shall we be returned." They saw that more convenient to make smooth their hearts, and humble their souls. But if one could not endure that, let him, at least, stick to moderation and self-restraint.

The sixth is that one should not go to bed unless he is overpowered by slumber. This means that he should not endeavour to bring about sleep unless his intention therewith is to seek its aid to stand at the last portion of the night (for supererogatory prayers). However, (the companions and early men) used to go to bed only when overpowered by slumber, eat only when stricken by hunger, speak only when forced by necessity. For this reason, they were described as being "in the habit of sleeping but little by night." (Adh-Dhariyat 17)

﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

Moreover, if he is overpowered by slumber from prayer and celebration (of Allah's Praises), and comes to know not what he is saying, let him sleep until he (recovers and comes to) know well what he is saying.

On the other hand, Ibn Abbas "Allah be pleased with both" disliked to sleep while sitting. According to a certain narration: "Do not put yourselves to suffering during the night." According to another narration, it was said to The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Such and Such a woman keeps praying during the night to the extent that whenever she is overpowered by slumber, she would hang in a rope (to support her standing)." He forbade that and said: "Let anyone of you pray during the night as much as is easy for him, and if he is overpowered by slumber, let him sleep." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Endeavour to do deeds as much as is within your capacity, for indeed, Allah Almighty never gets tired (of giving rewards) until you become exhausted (of doing deeds)." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "The best (deed in) this religion is the easiest in it (as long as it is done with sincerity, and does not contradict the law)."

It was said to him: "So and so prays (during the night) uninterruptedly and never sleeps, and he observes fasts continuously (during the day) and never leaves

fasting." On that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "But as for me, I pray (for a portion of the night) and sleep (for another portion), and I observe fasts (for many days) and I leave fasting (during other days): This is my tradition, and whoever refrains from it does not belong to me." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said too: "Do not stick to the hard terms of religion, for it is unbreakable and none sticks to the hard terms of this religion but that he is overpowered." So, make not the worship of Allah hateful to you.

The seventh is that one should sleep while facing the direction of the Qiblah. However, facing the direction of the Qiblah is of two kinds: one is that of him who is at the threshold of death, i.e. to lie on his nape, with his face and toe towards the direction of the Qiblah. The other is to face the direction of the Qiblah in the same way as one in the grave does, i.e. to lie on his right side, turning his face towards it, along with the front part of his body.

The eighth pertains to supplication on his going to bed: let him say: "In the Name of You O my Lord I've laid my side, and in Your Name I rise it..." to the end of the handed down supplications which we've introduced in the Book of Supplications. It is desirable to recite such special Holy Verses as the Holy Verse of the Throne, the concluding Verses of Al-Baqarah, and the like of that, in addition to Allah's statement: " And your God is One God: there is no god but He, Most Gracious, Most Merciful. Behold! In the creation of the heavens and the earth; in the alternation of the Night and the Day; in the sailing of the ships through the Ocean for the profit of mankind; in the rain which Allah sends down from the skies, and the life which He gives therewith to an earth that is dead; in the beasts of all kinds that He scatters through the earth; in the change of the winds and the clouds which they trail like their slaves between the sky and the earth, (here) indeed are Signs for a people that are wise." (Al-Baqarah 163:164)

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا
بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ
لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾

It is said that if one recites those Holy Verses, Allah Almighty helps him remain in the habit of keeping the Holy Qur'an, and he never forgets it. let him further recite the following from the Surah of Al-A'raf: " Your Guardian-Lord is Allah, Who created the heavens and the earth in six Days, then He established Himself on the Throne (of authority): He draws the night as a veil o'er the day, each seeking the other in rapid succession: He created the sun, the moon, and the stars, (all) governed by laws under His Command. Is it not His to create and to govern? Blessed be Allah, the Cherisher and Sustainer of the Worlds! Call on your Lord with humility and in private: for Allah loves not those who trespass

beyond bounds. Do no mischief on the earth, after it has been set in order, but call on Him with fear and longing (in your hearts): for the Mercy of Allah is (always) near to those who do good." (Al-A'raf 54:56)

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

Let him recite also the concluding two Verses of the Surah of Al-Isra': " Say: "Call upon Allah, or call upon Rahman: by whatever name you call upon Him, (it is well): for to Him belong the Most Beautiful Names. Neither speak your prayer aloud, nor speak it in a low tone, but seek a middle course between." Say: "Praise be to Allah, Who begets no son, and has no partner in (His) dominion: nor (needs) He any to protect Him from humiliation: yea, glorify Him for His greatness and glory!"" (Al-Isra' 110:111)

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾

If he does so, an angel enters into his covering, and is entrusted to safeguard him, and pray for Allah's Forgiveness for him. Let him recite both Surahs of seeking refuge (with Allah from Satan), and blow with them in his hands and pass them over his face and the different parts of his body, according to the practice of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". Let him recite the starting ten and the concluding ten Verses of Al-Kahf. Those Holy Verses are particular to wakefulness for the standing at night (for supererogatory prayers). Ali Ibn Abu Talib used to say: "I do not see that there is a wise man who could sleep before he recites the two concluding Verses of the Surah of Al-Baqarah, and says twenty-five times: Exalted be Allah; Praise be to Allah; there is no god (to be worshipped) but Allah; and Allah is Greater" making a total of one hundred.

The ninth is that one should remember on his going to bed that sleep is a minor death as well as wakefulness is a kind of raising (from dead). Allah Almighty says in this issue: "It is Allah that takes the souls (of men) at death; and those that die not (He takes) during their sleep: those on whom He has passed the decree of death, He keeps back (from returning to life), but the rest He sends (to their bodies) for a term appointed. Verily in this are Signs for those who reflect." (Az-Zumar 42)

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

He further says: "It is He Who does take your souls by night." (Al-An'am 60)

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾

He gives sleep the name of death. As well as several kinds of contemplation might be revealed to the wakeful which are not relevant to his state during sleep, the one resurrected (from dead) will see what has never occurred to his mind, which he has never perceived with his senses (in the world).

The parable of sleep between life and death is like the parable of the afterlife (in the grave) in the interval between the world and the hereafter. Luqman said to his son: "O my son! If you have doubt in death, do not sleep, for as well as you sleep, you will die; and if you have doubt in the resurrection (after death), then, do not get up (from your sleep), for as well as you get up from your sleep, you will be resurrected from your death." According to Ka'b Al-Ahbar: "When you go to bed, lie on your right side and face the direction of the Qiblah, for indeed sleep is a minor death." It is narrated on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that she said: The last words which The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to say before he would go to bed, and he was lying his face on his right hand, expecting death on this night of his are: "O Allah, Lord of the seven heavens, Lord of the earth, and Lord of the Throne (of Majesty) Most Great, our Lord and the Lord and Master of all things..." to the need of the supplication as we've introduced in the Book of Supplications.

Therefore, it is incumbent upon a servant to verify of three things on his going to bed: on what he is going to sleep, and whether it is the love of Allah Almighty, and the love of meeting Him or the love of this world (with its vanities) that prevail over his heart, with assurance that he dies on the same state which prevails over him, and that he will be resurrected on the same state on which he dies, for indeed, one will be mustered with whomever he loves, and on the same as he loves.

The tenth pertains to his supplication whenever he wakes up from sleep: let him say, whenever he gets up, moves or becomes wakeful, the same as The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to say: "There is no god (to be worshipped) but Allah, the One and Only, the Irresistible, the Lord of both the heavens and the earth, and all that lies between them, the Exalted in Might, the Oft-Forgiving." Moreover, let him endeavour, as much as he could, to have the celebration of Allah Almighty the last thing in his mind on his going to bed, and the first thing to occur to his mind on his getting up from sleep, for it is the sign of love, and in both states, the heart never adheres but to that which prevails over it. so, let his heart experience that, which is (as we've mentioned) the sign of love. Such sign disclose the inward of the heart.

However, this celebrations (of Allah Almighty) are desirable for they draw the heart to remember Allah Almighty. If one, for example, wakes up to stand (for night supererogatory prayers) let him say: "Praise be to Allah Who has brought us to life once again after He had caused us to die (the minor death of sleep), to

Whom does belong the matter of resurrection..." to the end of the different supplications of wakefulness which we've introduced earlier.

The fourth regular division begins just by the time the first half of the night has elapsed and lasts until there remains only one-sixth the night. At that time, the servant gets up to perform the night religious vigil (Tahajjud prayer) whose name refers to the time of night prayer which one offers after getting up from sleep, and it lies at the middle of the night; and in this way, it is similar to the regular division which lies after the sun decline, i.e. at the middle of the day. It is by that regular division that Allah Almighty swears in His saying: "And by the Night when it is still." (Ad-Duha 2)

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ ﴾

Its stillness refers to its quietness at that time, as there is no eye but that it is sleeping except for that of the Ever-Living, Self-Subsisting, Eternal, Eternal, Whom no slumber nor sleep could overtake. The stillness also refers to the night's prolonged expansion and deep darkness.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked: "At which portion of the night (the celebrations and supplications) are more audible?" he said: "The middle of the night." It is narrated that (the Prophet) David said: "O my God! I like to worship You: which time is the best (and most fitting)?" Allah Almighty revealed to him: "O David! Stand not at the first portion nor at the last portion of the night. He who stands at its first portion always sleeps at its last portion, and he who stands at its last portion does not stand at its first portion. But you might stand at its middle, in order that you become with Me Alone, and I become with you alone, and thus you will be able to raise your needs to Me."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked: "Which portion of the night is the best (and most fitting for religious service)?" he said: "Its remaining half", i.e. the other half of the night. There are many narrations in support of the excellence of the last portion of the night, at which the Throne (of Majesty and Authority) shakes, the winds spread from the Gardens of Eden, and (Allah) the Compeller Almighty descends with His Glory to the heaven that is the nearest to the earth, etc.

The items of that regular division are arranged as follows: after one finishes from the supplications of wakefulness, let him perform ablution observing its traditions, proprieties and related supplications, and go to his praying place and stand facing the direction of the Qiblah. Then, let him say: "Allah is Greater (with Whose Glories) I glorify Him, and Praise be to Allah as much as it could be, and Glory be to Allah every morning and evening." Then, let him exalt Allah ten times, praise Him ten times, affirm His Oneness ten times, and say: "Allah is Greater, Lord of Dominion, Compelling Might, Magnificence, Greatness, Majesty and Power (over all things)." Let him say the following words for they are handed down from The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in his standing for the night vigil:

"O Allah! to You be the praise: You are the Light of the heavens and the earth. to You be the Praise: You are the Brightness of the heavens and the earth. To You be the Praise: You are the Lord of the heavens and the earth. To You be Praise: You are the Sustainer of the heavens and the earth, what is and what on them. You are the Truth, and from You truth (is expected). Meeting You is a fact; the Garden is a fact; the fire (of Hell) is a fact; the resurrection (on the Day of Judgement) is a fact; the Prophets (whom You sent) are a fact; Muhammad "Peace be upon him" (as the Seal and Last of Prophets and Messengers to all of men and jinns) is a fact. O Allah! to You I bow (in Islam), and in You I have faith, and on You I put my trust, to You I turn (in repentance), with You I argue (my enemies), and to You I appeal to judge (between me and my adversaries): forgive for me what I've done earlier and later, what I've committed in secrecy and in public, and that in which I've indulged: You are the One Who bring forward, and You are the One Who bring backward (such of His servants ad You please). There is no god (to be worshipped) but You: O Allah! endow my soul with its piety, and justify and purify it, for You are the best to justify and purify (men's souls), and You are its Guardian and Protector. O Allah! guide me to do the best of deeds, to which none barring You could guide, and avert from me the worst of them, which none Barring You could avert. I beg You in the same way as a poor wretched begs, and I invoke You in the same way as a needy mortified invokes. Make not me unblest in my prayer to You, and be to me Most Compassionate, Most Merciful: O (Allah) the best of those who are begged, and the most generous of those who give."

It is narrated on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that she said: Whenever The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" stood at night (for night vigils) he would commence his prayers saying: "O Allah! Lord of Gabriel, Michael and Israfil, Creator of the heavens and the earth, Knower of the unseen and that which is visible: You always judge between Your servants in that in which they fall in dispute: guide me to such of truth as in which there are disputes, by Your Leave: You guide such of Your servants as You please to a way that is straight." Then, he would inaugurate the prayers with two light rak'ahs, and then continue his prayers in pairs of rak'ahs as much as it would be available to him after which he would conclude with the Witr prayer in case he had not prayed it yet.

It is desirable that one should make a break of Tasbihs one hundred times on his salutation between each two prayers (of a pair of rak'ahs), perchance he would take rest and become more active to continue his prayers. According to an authentic narration pertaining to the night prayer of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", he offered at first two light rak'ahs, followed by two long rak'ahs, followed by two rak'ahs, shorter than those prior to them, and he kept in the habit of gradual shortening along thirteen rak'ahs. On the other hand, A'ishah "Allah be pleased with her" was asked: "Did The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" use to recite aloud or in a low tone in his night prayer?" she said: "Sometimes he recited aloud, and

sometimes he recited in a low tone."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The night prayer should be offered in pairs of rak'ahs, and if you fear the (time of) Morning (prayer) would overtake you, conclude your prayers with a single rak'ah." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Since the Maghrib prayer makes the day prayers an odd (number of rak'ahs), so, you should make the night prayers an odd (number of rak'ahs)." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to offer thirteen rak'ahs for night prayer according to the most authentic narrations, in which he used to recite from his daily portion of the Qur'an, or from such certain Surahs as was light and easy upon him; and he was, according to that regular division, close to the last sixth of the night.

The fifth regular division lies at the last sixth of the night; and it is the time of the early dawn (i.e. a short time before dawn), to which Allah Almighty refers in His statement: " And in the hours of early dawn, they (were found) praying for Forgiveness." (Adh-Dhariyat 18)

﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

It is said that it means they offer prayer, for indeed prayer implies asking Allah for forgiveness. This time is very close to dawn, i.e. the time at which the night angels turn away, and the day angels come (in succession). One night, Salman (Al-Farisi) visited his brother Abu Ad-Darda', and advised him to observe this regular division, according to a long narration, in the last portion of which he said: When it was the night, Abu Ad-Darda' went to stand (for the night prayers), thereupon Salman said to him: "Sleep!" He slept, and a short time later, he went to stand (for the night prayer), thereupon he said to him once again: "Sleep!" He slept, and when it was a short time before dawn, Salman said to him: "Now you might stand (for night prayer)." Both stood and prayed together. Then, Salman said to him: "Of a surety, your soul has a right on you, your guest has a right on you, and your family has a right on you: so, you should give each his right that is due to him." However, the wife of Abu Ad-Darda' told Salman that her husband never slept at night. They then went to The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and made a mention of that to him, thereupon he said: "Salman has told the truth."

This is the fifth devotional prayer, in which having the night meal (Suhur) is desirable, for fear of the rising of dawn. Prayer constitutes the main duty in both (the fourth and the fifth) regular divisions. Once dawn rises, the night regular divisions have finished, and those of the day have begun. So, let one stand and offer a two-rak'ah prayer prior to Fajr. This is what is intended by Allah's statement: " And for part of the night also praise you Him, and at the retreat of the stars!" (At-Tur 49)

﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾

Then, let him recite Allah's saying: "There is no god but He: that is the witness

of Allah, His angels, and those endued with knowledge, standing firm on justice. There is no god but He the Exalted in Power, the Wise." (Al Imran 18)

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾

Once he finishes it he should say: "And I too bear the same witness as Allah Almighty bears to Himself, and the same witness of the angels and those endued with knowledge among His creatures, and I trust such witness with Allah Almighty, as a deposit for me in the Presence of Allah Almighty, and I ask Him to guard it for me until He takes my soul (unto him) while adhering to it. O Allah! plot out of me a sin for it, and make it a treasure (of good deeds) with You, guard it with Yourself, and cause me to die while sticking to it until I meet You, without changing (my faith)."

This is the order of regular divisions (along the day and night) which the different servants should follow. Besides, they liked to combine four important things everyday: to observe fast, to give in charity no matter little it might be, (and if it is available) to visit a patient (to enquire about his health), and to follow a funeral procession. According to a certain narration: "He who combines those four things on a day will have his sins forgiven for him, or (according to another version) will enter the Garden." But if one does some of them, and fails to do the others, he will have the reward of all of them, according to his intention (to do them).

Furthermore, they disliked to have a day pass without giving an object of charity, even as little and trivial as a date, an onion, or a fragment of bread, in view of the statement of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "One will remain underneath the shade of his (object of) charity until it will be decided among the people (on the Day of Judgement)." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Safeguard yourselves from the fire (of Hell) even with half a date (to give in charity)." It is narrated that A'ishah "Allah be pleased with her" gave a single fruit of grapes to a beggar, and he took it, and when those who were present in her house looked at each other (out of astonishment) she said to them: "What is the matter with you? Indeed, it has many weights of atoms (of good)."

That's because they disliked to return a beggar with failure, in imitation of the good manners of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" who used to do so, to the extent that no beggar asked him about anything and he answered him in the negative, but if he failed to do it, he would keep silent. According to a certain narration: "The Morning comes upon the son of Adam and there is an object of charity due upon every joint of his body, and there are three hundred and sixty joints in his body: to enjoin good is an object of charity, to forbid evil is an object of charity, to carry (heavy things) on behalf of a weak one is an object of charity, to guide one to the right way is an object of charity, to remove the harmful things (from the road) is an object of charity..."

and so on until he mentioned Tasbih, Tahlil (affirmation of Allah's Oneness), after which he said: "And the two-rak'ah prayer of Forenoon joins or combines all of that to you."

The Exposition Of The Difference Of regular divisions According To The Difference Of States

It should be known to you that the seeker after the tilth of the hereafter, who follows the way that leads to it, is not independent of sixth states: he might be either a worshipper, or a learned, or a learner, or a guardian, or a craftsman, or a monotheist who is fully occupied by the One and Only, the Eternal, the Absolute, from anything else.

The first pertains to the worshipper, who is wholeheartedly devoted to the service of Allah, and he has no other job, and were he to leave the religious service, he would become idle. The same order of regular divisions (during both day and night) which we've mentioned then applies to him. It is not improbable that the duties (included under those regular divisions) might be different, in the sense that he might, for instance, spend most of his time either in prayer, or in recitation (of the Holy Qur'an), or in Tasbih (and Dhikr). From amongst the companions "Allah be pleased with them" there was one whose daily portion consisted of twelve thousand Tasbihs, one whose rose up to thirty thousand, one whose daily portion consisted of three hundred to six hundred rak'ahs, and one whose daily portion rose up to one thousand rak'ahs.

There are many reports to tell that the least amount of prayer which constituted the daily portion of anyone of them was one hundred rak'ahs per night and day. The Holy Qur'an constituted the greatest part of the daily portion of some of them, and one of them might recite the Qur'an in full once or even twice a day according to certain narrations. Some of them spent one or two nights involved in a state of meditation on a single Holy Verse which he repeated so many times. Kurz Ibn Wabarah lived in Mecca, and he used to perform seventy circumambulations round the House every day and further seventy every night, each consisting of seven rounds. Besides, he used to recite the Qur'an in full twice every night and day. When the distance (which he covered during all of his circumambulations everyday) was accounted, it was as much as ten Farsakhs. He also offered a two-rak'ah prayer following each seven-round circumambulation, making a total of two hundred and eighty rak'ahs (in one hundred and forty circumambulations), two recitals of the Qur'an in full, and (a distance of) ten Farsakhs (in nine hundred and eighty rounds of circumambulation).

But, you might raise the following question: "Which one (of those duties) is the most fitting for spending the greatest part of time of those regular divisions?" it should be known that the recitation of the Holy Qur'an while standing in prayer with meditation and consideration combines all of that, but perhaps, it might be difficult to be regular on doing it. so, the best then differs with the

different states of a certain person. However, since the main purpose of the regular division is to justify, purify and adorn the heart and make it affable with the celebration of the Praises and Glories of Allah Almighty, let the follower of the path consider his heart, and keep regular on doing such of duties as seems to him to have the greater influence upon it; and once he feels tedious of it, let him then move to another duty. For this reason, we think that it is most convenient to the majority of the people to distribute those different good acts upon the various times in the same way as we've explained earlier, and to move from one to another once he feels tired, for boredom always prevails over the dispositions.

On the other hand, one person might have different states (which vary from time to time) therein. But let him who understands the significance and mystery lying behind the regular divisions, follow the meaning: if he hears a Tasbih, for example, and he feels it has influence upon his heart, let him repeat it regularly, as long as he entertains its influence upon his heart.

In this respect, it is narrated on the authority of Ibrahim Ibn Adham from one of the Substitutes (Abdal) that one night, he stood to offer prayer on the seashore, and heard a high voice exclaiming with Tasbihs, but he saw none. He said: I asked: "Who are you whose voice I hear, even though I see your body not?" he said: "I'm one of the angels, to whom the affair of this sea is entrusted: I exalt Allah Almighty with this Tasbih since I was created." I asked him: "What is your name?" he said: "Mihlihya'il." I asked: "What is the reward of him who says that?" he said: "He who says it one hundred times will not die until he sees his sitting place in the Garden, or until it is seen for him." This Tasbih goes as follows: "Exalted be Allah, Most High, Ever-Living! Glorified be Allah, Lord of power supports! Glorified be (Allah) Who does away with the night and brings the daylight (to succeed it)! glorified be (Allah) Whom no affair could occupy from the other! Glorified be Allah, Oft-Compassionate, Oft-Granting (of favours without measure)! Glorified be Allah Who is glorified everywhere (in the worlds)." Whenever the follower of the path hears this and the like of it, and feels its influence upon his heart, let him stick to it; and let him further be regular on the thing he finds his heart attached to it, in which there is much good for him.

The second pertains to the learned man, who is a source of benefit to others with his knowledge, through giving a religious verdict, teaching or composing (a work in any field of interest). As for him, the sequence of regular divisions differs from that of a worshipper. That's because he is in need of going through different books, composing works to benefit others, in which he should inevitably assign a certain portion of time. If it is possible for him to spend his time in this task, it is the best to engage himself in after the obligatory written and traditional prayers. This is clearly attested from all that we've mentioned in our discussion of the excellence of teaching and learning, in the Book of Knowledge.

How could it not be so, since knowledge is a regular remembrance of Allah Almighty, and meditation on what Allah Almighty and His Messenger said?

Furthermore, in it there is the benefit of the creature, and their guidance to the way of the hereafter. A learner might obtain only a single question, therewith he mends his service during the whole of his lifetime, and had he not learnt it, his endeavour would have failed (to attain its objectives).

We mean by knowledge which has priority to religious service is that kind of knowledge which makes the hereafter desirable and pleasing to the people, and causes them to refrain and abstain from this world, or that kind of knowledge which helps them follow the path which leads to the hereafter, in case they obtain it for the purpose of seeking its aid to follow such path, and not those kinds of knowledge, therewith the desire for property, power of authority and acceptability to the people becomes stronger.

It is more fitting for a learned man to distribute his times, for indeed to spend all the time in seeking after knowledge is unbearable. Thus, let him assign the period which begins just after (finishing from) Morning (prayer until the rising of the sun to celebrations (of Allah's Glories and Praises) and daily recitals in the same way as we've introduced in the first regular division. Let him then assign the period which begins just after the rising (of the sun) until forenoon to benefit and teach knowledge, in case he has one who obtains knowledge for the sake of the hereafter, otherwise, let him spend it in meditation, i.e. the meditation of such of religious sciences as seems to be problematic and confusing to him, for indeed, the purity of the heart after finishing from remembrance (of Allah Almighty) and before engagement in the affairs of this world helps one go over the difficulties and problems.

Let him assign the period from forenoon to Asr time to composing and reading, which he should not leave unless it is time to eat, perform ablution or offer the obligatory prayer, and there is no blame to have a light siesta if the daylight is long. In the period from Asr time until the sun becomes yellow, let him engage in hearing what is recited to him, from interpretation (of the Qur'an), Prophetic traditions and beneficial knowledge. From the period of sun yellowness until sunset, let him engage in Dhikr, Tasbih and Istighfar. In this way, his first regular division before the rising of the sun is assigned to the work of the tongue, his second regular division up to the time of forenoon to the work of the heart through meditation, his third regular division from forenoon to Asr time to the work of the eye and the hand through reading and writing, his fourth regular division after Asr time up to sunset to the work of the hearing, in order to relieve both the eye and the hand, for reading and writing after Asr time might cause harm to the eye, and when the sun becomes yellow, he returns to the celebration by the tongue. Thus, no portion of the day will be free from the work of the organs, with the presence of the heart.

As to the night, the best way of distributing it is that made by Shafi'i "Allah's Mercy be upon him" who used to divide it into three parts: the first third for reading and arranging the items of knowledge, the middle third for the prayer,

and the last third for sleep. This is available in the nights of both summer and winter. But it might be unbearable unless the greatest part of sleep is taken during the daylight. This is most desirable in the sequence of the regular divisions of the learned man.

The third pertains to the learner; and of a surety, to engage in learning is better than to engage in celebrations and supererogatory deeds. Thus, the same rule of arranging the regular divisions applied to the learned applies also to him, but as well as the learned engages himself in introducing benefit to others, he engages in obtaining (knowledge), and as well as the learned engages in composing, he engages in commenting and copying (what he learns). After that, let him arrange his times in the same way as we've mentioned earlier. All that we've introduced pertaining to the excellence of learning and teaching affirms that this is better; and even if he is not a learner in the sense that he does not make comments and copy (what he learns) with the intention to become one of the learned, and rather he is one of the audience, it is better for him to attend the gathering of remembrance (of Allah), teaching and knowledge than to engage in such of regular divisions as we've mentioned earlier after Morning (prayer) and after the rising (of the sun), as well as in the other times.

According to a narration on the authority of Abu Dharr: "To attend a gathering of remembrance (of Allah) is much better than to pray one thousand rak'ahs, follow one thousand funeral processions, and visit one thousand patients (to enquire about their health)." According to another narration, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "When you see the meadows of the Garden, enjoy yourselves in them." They asked: "O Messenger of Allah! what are the meadows of the Garden?" he said: "The ring-shaped gatherings of remembrance (of Allah)." according to Ka'b Al-Ahbar: "Had the reward of the gatherings of remembrance (of Allah Almighty) become visible to the people, surely, they would have competed each other to have sitting places in them, to the extent that the leader would have left his office and the trader would have left his market."

According to Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him": "One sets out of his house, having as much sins as the mountain of Tihamah, and if he pays his attention to a learned man, he feels afraid (of Allah) and gives up his sins, and thus returns home having no sin. So, leave not the gatherings of the learned men, for Allah Almighty has never created, on the surface of the earth, a soil more generous than that on which the gatherings of the learned men are hold." A man said to Al-Hassan "Allah's Mercy be upon him": "I complain to you the cruelty of my heart." He said to him: "Then, bring it closer to the gatherings of remembrance (of Allah Almighty)."

It is reported that Ammar Az-Zahidi (Ascetic) saw in his dream Miskinah (Female indigent) At-Tafawiyyah who was regular on attending the circles of remembrance (of Allah Almighty). He said to her: "Welcome to you O Female

Indigent!" she said: "Ye! Let it be far off! Let it be far off! No doubt, the state of neediness has disappeared to be replaced with richness." He asked her: "How is that?" she said: "How do you ask about him to whom the Garden with all of its contents has been made permissible?" he asked: "By which thing have you attained that?" she said: "By virtue of sitting in the company of these who remember (Allah in their gatherings)." In brief, such of knots of love for this world (with its vanities and pleasures) as are loosened from the heart by virtue of the words of a preacher of good speech and pleasant conduct are more honourable and beneficial than so many rak'ahs one might offer, while his heart still have the stain of love for this world.

The fourth pertains to the craftsman who needs to get earnings to spend on his dependents. It is not consonant with his state to waste his dependents, and rather spend all of his time in the acts of worship. Therefore, his regular division at the time of work is to attend the market and engage in getting his earnings. But, he should not forget the remembrance of Allah Almighty in his work. Let him be regular on Tasbih, Adhkar, recitation of the Holy Qur'an, which might be done during the time of work, but prayer is not available unless he acts as supervisor, and in this case, he does not fail to establish his daily divisions of prayers. Once he finishes from earning such of sustenance as suffices him, he should returns to the normal sequence of the regular divisions. But even, to continue to work and earn more, and give in charity what is beyond his need, this will be better than to practice the other regular divisions which we've introduced, because the benefit of the acts of worship that are transitive is much greater than that of the intransitive (for the benefits and advantages of the former transcend the doer to others, unlike the latter whose reward is exclusive to the doer himself). Both charity and earnings, according to this intention, are regarded as acts of worship, which draw him near unto Allah Almighty, and by which a benefit returns to the others, and he himself gets benefit from the blessing of the invocations of Muslims (i.e. the beneficiaries), and his reward is multiplied.

The fifth pertains to the guardian, like the ruler, judge and anyone whose office makes him in charge of the affairs of the Muslims. However, to undertake the affairs and matters of the Muslims, with sincerity, and according to law, is much better than to practice the regular divisions which we've introduced. It is fitting for him to engage in the rights of the people by day, and satisfy himself with the performance of the obligatory written deeds, and establish the regular divisions referred to earlier at night, the same as Umar "Allah be pleased with him" did. He said in this respect: "What should I have to do with sleep? If I sleep during the day, I will waste the Muslims (for I will then indulge in the rights they have upon me), and if I sleep at night, I will waste myself (for I will then indulge in the acts of worship)."

It is understood from what has been mentioned that there are two things to be given priority to the physical acts of worship: one is knowledge, and the other is

to be kind and lenient to the Muslims. Each of those, i.e. knowledge and doing favours is in itself a work, and at the same time an act of worship, superior to the other acts of worship, whose benefit and widespread advantage are transitive to others; and it is for this reason that they are given priority to the other religious services.

The sixth pertains to the monotheist who is fully occupied by the One and Only, the Eternal, the Absolute, from anything else. It is that whose many interests come to be one: he loves none but Allah Almighty, feels afraid of none but Allah Almighty, expects sustenance from none other than Him, never looks at anything but that he sees Allah Almighty in it. the one whose rank is high as such has no need to vary the regular divisions: on the contrary, he has only one regular division following every obligatory written prayer, i.e. to have his heart fully present with Allah Almighty in all of his states. No idea occurs to his mind, nothing hits his hearing, and nothing seems to his sight but that in which he has a lesson (to learn) and example (to follow), meditation, reflection, and (cause of their) more (faith). Nothing motivates them nor makes them calm and still other than Allah Almighty. Each of his states then is fitting fore being a cause of their getting more (faith), in the sense that no act of worship has priority to another in his sight.

Such one belongs to those who has hastened (with their faith) to Allah Almighty as described by Allah in His statement: "that you may receive instruction. Hasten you then (at once) to Allah." (Adh-Dhariyat49-50)

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ﴾

It is in connection with them that Allah's saying has been realized: "When you turn away from them and the things they worship other than Allah, betake yourselves to the Cave: your Lord will shower His mercies on you and dispose of your affair towards comfort and ease." (Al-Kahf 16)

﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ﴾

It is also to this state that the following statement of Allah refers: " He said: "I will go to my Lord! He will surely guide me!" (As-Saffat 99)

﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ ﴾

This is the highest degree of the truly faithful believers, which could not be attained except after doing up the regular divisions with regularity for a long time. A follower of the path should not be deceived by the fact that what he has learnt (in this book) is sufficient for him to claim he is as such, and weaken to continue the other duties of his worship: but the sign of being really so is that no suspicion nor evil suggestion should occur to one's mind, nor should the most destructive terrors frighten him, nor should the greatest occupations provoke him. How

should this high rank be granted to anyone?

To conclude, all (types of) men should observe the constitution of the regular divisions in the very way we've introduced, and all that we've mentioned here are but ways to (the Presence of) Allah Almighty. Allah Almighty says: " Say: "Everyone acts according to his own disposition: but your Lord knows best who it is that is best guided on the Way."" (Al-Isra' 84)

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾

All of those (who follow such constitution of regular divisions) are guided, even though some are better guided than others. According to a certain narration: "Faith has three hundred and thirty-three ways: whoever meets Allah Almighty bearing testimony (to the Oneness of Allah, and the Apostleship of His Messenger) only with one of them will enter the Garden." According to a learned man: "Faith is of three hundred and thirteen ways, in agreement with the number of the Messengers and Prophets, and such of believers as follows one of those ways does indeed follow the way to Allah Almighty."

Whatever different the people's ways of worship might be, all are on the right: " Those whom they call upon do desire (for themselves) means of access to their Lord, even those who are nearest: they hope for His Mercy and fear His Wrath." (Al-Isra' 57)

﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾

They are really different only in the degree of nearness, and not in its foundation. The nearest among them to Allah Almighty is the one who has the best knowledge of Him among them; and the one who has the best knowledge of Him among them should be the one who worships Him most among them. That's because the one who has real knowledge of Him never worships anyone else other than Him.

The regularity is the basis of the divisions which is required from every type of people. Since the purpose (of regular divisions) is to change the internal characteristics, it should be known that the acts which are done only once are of little influence, if such influence is really felt. The concrete impact results from the totality (of regular acts). Thus, if there is no concrete impact to be produced from an act, which should be followed by a second and a third at short intervals, of a surety, the first impact would vanish, and the doer comes to be like a jurisprudent, who has the intention to be a self-jurisprudent, a rank which he could not attain unless he repeats the act so many times and with regularity. If he is excessive in repeating an act on a night, and then he does not do it for a month, or say for a week, after which he returns to repeat it excessively on a night, this would have no influence upon him, even though if he does this amount regularly along many nights with no interruption, it would have a great impact on him.

For the sake of this mystery, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The dearest deed to Allah Almighty is that which one does regularly, no matter little it might be." When A'ishah "Allah be pleased with her" was asked about the deed of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", she said: "He used to do deeds regularly, and whenever he did a certain deed, he would become firm on doing it." for the same reason also, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who is accustomed, by virtue of Allah Almighty, to do an certain act of worship, which he leaves later out of disgust, Allah Almighty hates him." This was the reason for his supererogatory prayer after Asr (obligatory prayer), in lieu of those two rak'ahs which he missed when he was occupied by the delegate which he received. Afterwards, he kept praying them regularly after Asr prayer, but in his house and not in the mosque, lest the people would imitate him, according to the narration on the authority of A'ishah and Umm Salamah "Allah be pleased with both".

You might raise the following question: "Could anyone else imitate him in that conduct, although it might be at a time at which prayer is undesirable?" it should be known that the three causes which we've introduced of (offering prayer at the time of) undesirability, to avoid the imitation of the sun worshippers, and the prostration at the time of the emergence of the Satan's horn, or to take rest from worship for fear of experiencing tedium, could not happen to him "Peace be upon him". But anyone else could not be compared to him in that respect, as is attested by his offering those (rak'ahs) in the home, lest they would imitate him.

CHAPTER TWO:

ON THE FACILITATING WAYS OF STANDING AT NIGHT FOR PRAYER; THE NIGHTS TO WHICH GIVING LIFE BY STANDING IS DESIRABLE; THE EXCELLENCE OF GIVING LIFE TO THE NIGHT AND THE PERIOD BETWEEN BOTH EVENING PRAYERS; AND THE WAY OF DIVIDING NIGHT INTO REGULAR DIVISIONS

The Excellence Of Giving Life To The Period Between Both Evening Prayers

It is narrated on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The best prayer in the Sight of Allah Almighty is Maghrib (Sunset) prayer, which He has reduced neither to a traveller nor to a resident: it is therewith that He has opened the night prayer, and ended the daylight prayers. He, who offers Maghrib prayer, followed by a two-rak'ah prayer, Allah Almighty builds for him a palace in the Garden (the narrator says: 'I do not know whether from gold or from silver'), and he, who offers four rak'ahs after it, his sins for twenty or even forty (according to another version) years are forgiven for him." It is narrated on the authority of both Umm Salamah and Abu Hurairah "Allah be pleased with them" that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who offers six rak'ahs following Maghrib prayer, (the reward of) it becomes equal to

(that of) a whole year of religious service, or (he receives the same reward) as if he has stood (for night supererogatory prayer) on the Night of Power."

It is further narrated on the authority of Sa'id Ibn Jubair from Thawban that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who restrains himself in the mosque where there is a congregation of praying people in the period between both Maghrib and Isha' prayer, during which he do not speak but with prayer or recitation of the Qur'an, it is incumbent upon Allah Almighty to build for him two palaces in the Garden, each is as long as (a distance to be covered in) one hundred-year journey, and in the area between them, there will be planted gardens, (so much expansive) that if the people of this world go round them, they would extend to imply them all." According to another narration, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who offers ten rak'ahs in the period between both Maghrib and Isha' prayers, Allah Almighty builds for him a palace in the Garden." Umar commented: "Then, our palaces (in the Garden) will be so many O Messenger of Allah!" on that the Messenger of Allah said: "Of a surety, (what is with) Allah Almighty is more bountiful and He is most Generous and Bounteous."

It is narrated on the authority of Anas Ibn Malik "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who offers Maghrib prayer in congregation, and follow it with a two-rak'ah prayer, and does not speak with anything of the affairs of this world (outside the prayer) in the period between both, and in the first rak'ah of those two he recites the Opening of the Book, the starting ten Holy Verses of Al-Baqarah, two from its middle, i.e. Allah's saying: "And your God is One God: there is no god but He, Most Gracious, Most Merciful, Behold! In the creation of the heavens and the earth; in the alternation of the Night and the Day; in the sailing of the ships through the Ocean for the profit of mankind; in the rain which Allah sends down from the skies, and the life which He gives therewith to an earth that is dead; in the beasts of all kinds that He scatters through the earth; in the change of the winds and the clouds which they trail like their slaves between the sky and the earth, (here) indeed are Signs for a people that are wise" (Al-Baqarah 163:164)

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا
بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾

And: "Say: He is Allah, the One and Only" fifteen times, and then he performs bowing and (two prostrations) after which he stands and recite in the second rak'ah the Holy Verse of the Throne, and the two Holy Verses after it, up to Allah's saying: "They will be Companions of the Fire, to dwell therein (forever)" (Al-Baqarah 257)

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾

The three concluding Holy Verses of Al-Baqarah, i.e. from Allah's saying: "To Allah belongs all that is in the heavens and on earth" (Al-Baqarah 284)

﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾

Up to the end, and: "Say: He is Allah, the One and Only" fifteen times..."he receives as much reward as is beyond calculation as described in the narration.

Kurz Ibn Wabarah, and he was one of the Substitutes (Abdal) said: "I said to Al-Khadir (in a dream): "Teach me something to do every night." He said to me: "When you offer Maghrib prayer, keep standing in prayer until the time of Isha', during which speak with none, and rather devote yourself wholeheartedly to your prayer in which you are, and conclude each two rak'ah with the end salutation, and recite in each rak'ah the Opening of the Book once and "Say: He is Allah, the One and Only" thrice, and when you finish from your prayer, turn away to your home, and speak with none, and then offer a two-rak'ah prayer (in your house) and recite in each rak'ah the Opening of the Book and "Say: He is Allah, the One and Only" seven times, and after your end salutation fall in prostration and ask for Allah's Forgiveness seven times and say seven times: "Glory be to Allah; Praise be to Allah; there is no god (to be worshipped) but Allah; Allah is Greater; and there is neither might nor power but with Allah, Most High, Most Great."

Then, raise your head from prostration, be straight in sitting and raise your hands and say: "O (Allah) Ever-Living, Self-Subsisting, Eternal, Lord of Majesty, Glory and Honour! O God of the foremost as well as the last (generations)! O (Allah) Most Gracious, Most Merciful in both this world and the hereafter! O my Lord! O my Lord! O my Lord! O Allah! O Allah! O Allah!" then, stand while raising your hands and supplicate with the same supplication. Then lie on your right side wherever you like facing the direction of the Qiblah, and invoke Allah's Prayer and Blessing upon the Prophet "Peace be upon him" and keep invoking Allah's Prayer and Blessing upon him until slumber overtakes you." I said to him: "I like that you would tell me from whom you have learnt that." He said to me: "I was present when Muhammad "Peace be upon him" was taught this supplication which was revealed to him, and I was with him; and since this took place at my presence, I learnt it from him who revealed it to him."

It is said, in this respect, that he who offers this prayer and supplicates with this supplication regularly, with certainty of faith and true intention, will not come out of this world (by death) before he sees The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in his dream. One of the people did so, and saw in a dream as if he was admitted to the Garden, where he saw some Prophets, and saw in it The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", who talked to him, and taught him.

In total, there are so many narration which tell about the excellence of giving life to the period between both Evening prayers, to the extent that once it was

said to Ubaidullah, the freed slave of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Did The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" command (you) to offer prayer other than the obligatory written prayers?" he said: "(The supererogatory prayer in the period) between both Maghrib and Isha'." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "He, who offers prayer (in the period) between Maghrib and Isha' will have offered the prayer of those who are oft-returning (to Allah in repentance)."It is narrated on the authority of Al-Aswad that he said: I've never visited Ibn Mas'ud at this time (between Maghrib and Isha') but that I found him praying. I asked him about that, and he said: "Yes, this is the hour (in which the people become) heedless."

Anas (Ibn Malik) was regular on offering it, describing the prayer therein as a prayer in the rising by night, for it lies in its first portion, and he told that it is in connection with it that Allah's saying was revealed: " Their limbs do forsake their beds of sleep, the while they call on their Lord, in Fear and Hope." (As-Sajdah 16)

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴿١٦﴾ ﴾

It is narrated that Ahmad Ibn Abu Al-Hawari said: I asked Abu Sulaiman Ad-Darani: "Is it dearer in your sight that I observe fast by day and have my meal in the period between both Maghrib and Isha' prayer, or to leave fasting by day, and give life (by prayer) to the period between both?" he said: "Combine both." I said: "But if it is not available to me (what should I choose?)" on that he said: "Then, leave fasting by day, and offer prayer in the period between both (Maghrib and Isha')."

The Excellence Of Standing At Night (For Prayer)

From amongst the Holy Verses which tell about the excellence of standing at night (for offering supererogatory prayers), a mention might be made of the following: Allah Almighty says: " Your Lord does know that you stand forth (to prayer) nigh two-thirds of the night, or half the night, or a third of the night, and so does a party of those with you. But Allah does appoint Night and Day in due measure. He knows that you are unable to keep count thereof. So He has turned to you (in mercy): read you, therefore, of the Qur'an as much as may be easy for you. He knows that there may be (some) among you in ill-health; others travelling through the land, seeking of Allah's bounty; yet others fighting in Allah's Cause. Read you, therefore, as much of the Qur'an as may be easy (for you); and establish regular Prayer and give regular Charity; and loan to Allah a Beautiful Loan. And whatever good you send forth for your souls, you shall find it in Allah's Presence, yea, better and greater, in Reward, and seek you the Grace of Allah: for Allah is Oft-Forgiving, Most Merciful." (Al-Muzzammil 20)

﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ

وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

He further says in the same Surah: "Truly the rising by night is most potent for governing (the soul), and most suitable for (framing) the Word (of Prayer and Praise)." (Al-Muzzammil 6)

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ ﴾

He also says: " Their limbs do forsake their beds of sleep, the while they call on their Lord, in Fear and Hope." (As-Sajdah 16)

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴿١٦﴾ ﴾

He Almighty says too: "Is one who worships devoutly during the hours of the night prostrating himself or standing (in adoration), who takes heed of the Hereafter, and who places his hope in the Mercy of his Lord, (like one who does not)?" (Az-Zumar 9)

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾

Allah Almighty further says in this respect: "Those who spend the night in adoration of their Lord prostrate and standing." (Al-Furqan 64)

﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾

Allah also says: "Nay, seek (Allah's) help with patient perseverance and prayer: it is indeed hard, except to those who bring a lowly spirit." (Al-Baqarah 45)

﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

It is said that this refers to the standing at night (in adoration), with the patient perseverance on which Allah's Help is sought for self-mortification.

From amongst the Prophetic narrations in support of that, a mention might be made of the following: It is narrated on the authority of Abu Hurairah: Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him" said: "Satan puts three knots at the back of the head of any of you if he is asleep. When one wakes up and remembers Allah, one knot is undone. When one performs ablution, the second knot is undone. When one stands (for prayer) all the knots are then undone and one gets up energetic with a good heart in the morning because of the goodness he has received. If he does not do so, he would get up lazy and with the mischievous heart since he received no good (with The Satan's knots remaining on his head's back)." According to another narration, a mention was made in the presence of Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him" of a man who was in the habit of sleeping the whole night until morning comes upon him. He said: "This is a man in whose ears Satan urinates."

It is further narrated that Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, Satan has with him something to give to a man through his nostrils, another through his tongue, and atoms to spread over his body: if he gives a servant from that which is poured through his nostrils, he will come to have bad manners; and if he gives that which is licked by the tongue, he will turn to have foul and offensive language; and if he spreads from the atoms over his body, he will keep sleeping for the whole night until morning comes upon him." It is further narrated that Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him" said: "A two-rak'ah prayer which one offers at the middle of the night is much better than this world and all that it contains; and had it not been for fear that I should make it difficult upon my nation, surely, I would have enjoined it upon them."

According to an authentic narration on the authority of Jabir, Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him" said: "There is a certain hour at night, and no Muslim servant agrees with it, and asks Allah for good, (or for good of this world and the hereafter, and it occurs every night, according to another version) but that He Almighty gives it to him." It is narrated on the authority of Al-Mughirah Ibn Shu'bah that Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him" was in the habit of standing at night for a long time until the skin of his feet was cleaved, thereupon it was said: "Has not Allah Almighty forgiven for you all of your earlier and later sins?" on that he said: "Then, should I not be a thankful servant?" This is, as attested from the significance of the narration, a homonymy of the loftiness of rank, since gratitude is a direct cause of giving more (blessings and favours). Allah Almighty says (in confirmation to that): "And remember! your Lord caused to be declared (publicly): "If you are grateful, I will add more (blessings and favours) unto you." (Abraham 7)

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾

It is further narrated (on the authority of Abu Hurairah) that Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "O Abu Hurairah! If you like to receive Allah's Mercy as living and dead, as buried in the grave and raised (from dead on the Day of Judgement), you should stand at night and offer supererogatory prayers, seeking the Good Pleasure of your Lord. O Abu Hurairah! Offer prayer in the different corners of your house, perchance the light of your house becomes in the (sight of those of the) heaven like the light of the stars in the sight of the inhabitants of this world." Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him" further said: "I advise you to be in the habit of standing at night (for supererogatory prayer) for this was the practice of the good righteous men before you: indeed, standing at night (for prayer) is an act of worship which draws one near unto Allah Almighty, plots out sins (from one's account), averts diseases from the body, and forbids one to do evil."

Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him" said: "No man always offers (supererogatory) prayer at night, but slumber overpowers him (and hinders him) from offering it, but that the reward of his prayer is written to him,

and his sleep is regarded as an object of charity to be given to him." According to another narration, Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him" said to Abu Dharr: "If you are going to set out on journey, would you not get preparations for it?" he answered in the affirmative, thereupon he said to him: "What then about the preparations for the journey on the way to the Day of Judgement? Should I not tell you, O Abu Dharr, about what might benefit you on the Day of Judgement?" he said: "Yes, let my father and mother sacrifice their lives for you." He said: "Observe fast on a very hot day to suffice you for the Day of Resurrection, offer a two-rak'ah prayer at the darkness of the night to suffice you for the loneliness of the grave, perform Hajj to suffice you for the great calamity, and offer an object of charity to an indigent, a word of truth to say (when it is needed), or a word of evil of which you keep silent."

It is narrated that during the lifetime of Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him" there was a man, who used, whenever the people went to bed, and it was still, to stand to offer prayer and recite the Qur'an and say: "O my Lord! deliver me from the fire (of Hell)!" a mention of that was made to Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him" who said: "When it is time for this (man to do so) inform me." He came to him and listened to his invocation. When it was morning he said to him: "O so and so! Why should you not ask Allah (to admit you to) the Garden?" he said: "O Messenger of Allah! I'm fitting for that, and I think my deed is not to reach such (a degree as to get me ask for that)." It was not after a short time Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him" stayed that Gabriel "Peace be upon him" descended and said to him: "Tell so and so that Allah Almighty has delivered him from the fire (of Hell) and admitted him to the Garden."

It is further narrated that Gabriel "Peace be upon him" said to Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him": "How good man Ibn Umar is, would that he offers prayer at night!" when Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him" told him about that, he came to stand at night for supererogatory prayer regularly. Nafi' (his freed slave) said: He used to offer prayer at night and then say: "O Nafi'! has the time of early dawn come upon us?" I would say: "No." then, he would stand and continue his prayer, and then say: "O Nafi'! has the time of the early dawn come upon us?" I would say (if it was time of early dawn): "Yes." Then, he would sit and pray for Allah's Forgiveness until dawn would rise.

It is narrated that Ali Ibn Abu Talib said: One night, (the Prophet) Yahya, son of Zakariyya "Peace be upon both" ate his fill from parley bread until he slept, and was hindered from offering his night regular division, and kept sleeping until morning came upon him. Allah Almighty revealed to him: "O Yahya! Have you found a home better than Mine, or have you found neighbourhood better than Mine? By My Power and Glory, O Yahya! If you see Paradise, your fat would dissolve, and your soul would perish out of longing for it; and if you see (the fire of) Hell, your fat would dissolve, and your eyes would shed (blood and) pus after tears, and you would come to put on skin after clothing."

It was said to Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him": "So and So always offers prayer at night, and when morning comes upon him, he commits theft." On that he said: "Verily, such (of night prayers as) he offers would forbid him (to commit theft)." It is narrated (by Ibn Majah and others) that Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah bestows mercy upon a man who stands and offers prayer at night, and then awakens his wife to offer prayer, and if she refuses, he sprinkle water into her face." Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Allah bestows mercy upon a woman who stands to offer prayer at night, and then awakens her husband, and if he refuses, she sprinkle water into his face."

It is narrated that Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who gets up and awakens his spouse at night, and both offer a two-rak'ah prayer, they will be enlisted among those who celebrate (the Praises and Glory of) Allah so much, be he male or female." Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The best prayer to be offered after the obligatory written is (that which one offers at his) standing at night." It is narrated on the authority of Umar Ibn Al-Khattab that he said: Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who sleeps (and hindered by slumber) from offering all or some of his nightly regular division, and then he recites it in the period between both Fajr and Zhuhr prayers, (the reward of) it will be written for him in the same way as if he has recited it at night."

As far as the stories handed down from the companions and their followers are concerned, a mention might be made of the following: It is narrated that sometimes Umar "Allah be pleased with him" came upon a certain Holy Verse from his nightly regular division, because of which he would fall unconscious (out of fear and terror), and remain ill for a long time to the extent that he would be visited for so many days, in the same way as a patient is visited. It was the habit of Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him", whenever it was still (because of sleep), to stand (and offer prayer at night), and his voice would be audible like the sound of bees until morning would come upon him.

It is said that one night, Sufyan Ath-Thawri ate his fill and then said: "If a donkey is given more fodder, the work that is required from him will be more." Then, he kept standing during the whole of that night (and offering prayer) until morning came upon him. It was the habit of Tawus (the freed slave of Ibn Abbas) that whenever he lay on his bed, he would turn on it in the same way as a grain would turn on a frying vessel, after which he would get up and keep praying until morning would come upon him, and say: "Verily, the remembrance of the Hell dissipates the slumber of the worshippers." According to Al-Hassan: "We do not know there is a deed much better than the suffering from (sleeplessness at) night and spending the property (in Allah's Cause)." It was said to him: "What is the matter of the performers of night prayer that they are the most good-looking among the people?" he said: "That's because they (favour to) be alone with (Allah) Most Gracious, thereupon (Allah) Most Gracious dressed them in light from His Light."

One of the good righteous men returned from journey, and the bed was prepared for him on which he slept, until he missed his nightly regular division. Afterwards, he took oath not to sleep on a bed once again. Whenever the night was dark upon Abd Al-Aziz Ibn Rawwad, he would go to his bed, place his hand over it and say: "Verily, you (O bed) are soft, even though, by Allah, in the Garden, there is such (of thrones) as is softer than you." Then, he would keep offering prayer for the whole night. Al-Fudail said: "When the first portion of the night comes upon me, I will be scared by its length, but when I start to recite the Qur'an, the morning comes upon me, and I've not satisfied my desire yet." According to Al-Hassan: "A man might commit a sin, because of which he is forbidden the (blessing of) standing at night."

According to Al-Fudail once again: "If you could not do the service of standing at night (for supererogatory prayers) and observing fasts by day, you should then know that you are cut off (Allah's Blessings and Favours), and your sins and mistakes are so much." It was the habit of Silah Ibn Ashyam "Allah's Mercy be upon him" to keep praying for the whole night, and whenever it was the time of early dawn, he would say (by way of supplication): "O my God! It is not befitting for the like of me to ask for the Garden, but (at least) deliver me by Your Mercy from the fire (of Hell)."

A man said to one of the sages: "I weaken to stand at night (for supererogatory prayers)." He said to him: "O my brother! Cease to disobey Allah Almighty by day, perchance you would (be able to) stand at night (for supererogatory prayer)." Al-Hassan Ibn Salih had a slave-girl whom he sold to a certain family. When it was the middle of the night, the slave-girl got up and said: "O household! Come to prayer!" they said: "Has morning come upon us? Has the dawn risen?" she said: "Do you not offer but the obligatory written prayers?" they said: "Yes." She returned to Al-Hassan and said: "O my master! You've sold me to a family who do not offer but the obligatory written prayer. So, please, take me back!" he then took her back.

Ar-Rabie said: I spent many nights in the house of Shafi'i "Allah be pleased with him", during which he slept but for a few time every night." Abu Al-Juwairiyah said: I accompanied Abu Hanifah "Allah be pleased with him" for nearly six months, during which he never laid his side on the ground for a night (in reference to his continuous sleeplessness and standing for night vigils). Abu Hanifah was in the habit of giving life (through standing for night vigil) to half the night. Once, he came upon a people who said: "This man is in the habit of giving life (through standing for night vigil) to the whole night." On that he said: "I feel shy of being described by what I do not do." After that, he came to give life (through standing) to the whole night. It is narrated that he had no bed to sleep on at night.

It is said that Malik Ibn Dinar kept repeating the following Holy Verse for a whole night until the morning came upon him: "What! do those who seek after evil ways think that We shall hold them equal with those who believe and do righteous deeds, that equal will be their life and their death? Ill is the judgment that they make." (Al-Jathiyah 21)

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

Al-Mughirah Ibn Habib said: I caught glimpse of Malik Ibn Dinar who performed ablution after Isha' prayer, and went to his praying place, and gripped his beard and was throttled by tears, thereupon he went on saying: "O my God! Forbid Malik with his hoary (beard and hair) to the fire (of Hell)! O my God! You have knowledge of the inhabitants of the Garden, and the denizens of the fire (of Hell): which one of both will Malik be? And which abode of both will be of Malik?" he kept saying the same until the dawn rose.

Malik Ibn Dinar said: One night, the fulfillment of my sexual desire diverted me from my nightly regular division, and I then slept. Behold! I saw in a dream a girl, the prettiest of women I've never seen, in whose hand there was a piece of skin. She said to me: "Do you read well?" I answered in the affirmative, thereupon she gave it to me and I read the following (which was written in the form of poetic verses):

"Have the pleasures and desires (in this world) diverted you from the white pretty affable girls in the gardens (of Paradise)? In it, you will abide everlasting, since there will be no death therein, and amuse yourself with the pretty girls. So, wake up from your sleep, for it is much better from sleep to offer night vigils (Tahajjud prayers) with the help of the Holy Qur'an."

It is said that Masruq performed Hajj, during which he never spent a night but in the prostration posture. It is narrated from Azhar Ibn Mughith, and he was one of those who used to stand (at night for supererogatory prayers) most frequently, that he said: I saw in a dream a woman which resembled not the women of this world. I asked her: "Who are you?" she said: "One of the beautiful women of big lustrious eyes (of the Garden)." I said to her: "Would you marry me?" she said: "Then, demand my hand from my Lord, and offer me a dower." I asked her: "What is your dower?" she said: "The long duration of the night vigils (Tahajjud prayers)."

According to Yusuf Ibn Muhran: I was reported that underneath the Throne (of Majesty) there is an angel in the form of a rooster, whose claws are of pearls, and whose loin is of green aquamarine. When the one-third the night elapses, he beats with his wings and cries: "Let those who are in the habit of standing at night stand (for night prayers)!" when half the night elapses, he beats with his wings and cries: "Let those who are in the habit of offering night vigils stand (to offer their vigils)!" when two-thirds the night elapses, he beats with his wings and cries: "Let the praying men stand (to offer prayer)!" When dawn rises he beats with his wings and cries: "Let the heedless stand having the burdens of their sins upon them!"

It is said that Wahb Ibn Munabbih never laid his side on the ground for thirty years (in reference of his continuous sleeplessness and standing at night), and he used to say: "It is dearer to me to see a devil in my house than to see a cushion

therein, for it induces one to sleep." He had a small carpet of leather, and whenever he was overpowered by slumber, eh would lie his breast over it and have a little nap, after which he would get up to continue his prayer. One of the learned said: I saw in a dream the Lord of Power and Honour, Whom I heard saying: "By My Power, Honour and Glory! I would touch with honour the final resting place of Sulaiman At-Taimi, for indeed, he remained for forty years in the habit of offering the Morning prayer with the same ablution of Isha' prayer for My Sake " (in reference to the fact that he never slept at night, which he used to spend in prayer). It is said that he was of the opinion that if slumber befogged the (mind and) heart, the ablution would be broken. It is narrated on one of the early Scriptures from Allah Almighty that He said: "Verily, My servant which is fitting to be really so is he, who never waits, while standing at night (for supererogatory prayers) the time of the rooster's crow."

The Exposition Of The Facilitating Causes Of Standing At Night (For Supererogatory Prayers)

It should be known that standing at night (for supererogatory prayers) is difficult upon the people, except for him who is helped by Allah Almighty meet its required conditions outwardly and inwardly. The outward conditions are four:

The first is that one should not eat so much, nor should he drink in abundance, lest that would lead him to be overpowered by sleep, with the result that standing at night would become heavy upon him. One of the grand sheikhs used to stand at the repast every night and say: "O assembly of seekers (after the hereafter)! Eat not so much, nor drink in abundance, lest you would sleep so much (and fail to stand for night vigils), and thus you would grieve so much at your death." This is, however, the basic fundament, i.e. to relieve the stomach of the heavy burden of the great quantity of food.

The second is that one should not exhaust himself severely during the day with works that might harm the organs and weaken the nerves, for this is, indeed, a direct cause of falling asleep.

The third is that one should not give up the habit of taking siesta during the day, for it is a traditional practice which helps him stand at night.

The fourth is that one should not commit sins during the day, for this is one of those things which harden the heart and hinder it from be merciful. It is narrated that a man said to Al-Hassan: "O Abu Sa'id! I always spend the night with power and health, and although I like to stand at night (for supererogatory prayers) and prepare (the water for) my ablution, I do not get up: what is wrong with me?" he said to him: "It seems that your sins (you commit during the day) deter you (from getting up at night)." Whenever Al-Hassan "Allah's Mercy be upon him" entered the market and heard the noise and falsity (of the people), he would say: "I think the night of those would be an evil night, for it seem that those have no siesta (during the day, to help them stand at night)."

Ath-Thawri said: For five months, I was forbidden the (privilege of) standing

at night (of r supererogatory prayers) because of a sin I committed." It was said to him: "What is that sin?" he said: "I saw a man weeping (in prayer) thereupon I said to myself: "This is out of showing off to be seen of men." A man said: I entered upon Kurz Ibn Wabarah and found him weeping, thereupon I asked him: "has the news of death of anyone of your family reached you (and it is for this that you are weeping)?" he said: "It is something more severe." I asked: "Is it an ache which pains you?" he said: "It is more severe than that." I asked: "Then, what is that?" he said: "My door is closed, and my curtain is hanging down, and I did not read my nightly regular division last night; and this is but for a sin I've committed."

That's because good always calls for good, as well as evil calls for evil, and the little of anyone of both often draws one to the much. For this reason, Abu Sulaiman Ad-Darani said: "None misses a congregational prayer but for a sin (which he commits)." He used to say: "The nocturnal wet dream at night is (a kind of) punishment, and the state of ceremonial impurity (in which one becomes after having sexual relation with his wife) is to drive one away (from the honour of offering the night vigils)." One of the learned men said: "If you observe fast, O poor man, consider in the house of whom you are going to break your fast, and on which food you are going to eat, for a servant might have a meal, by which his heart changes from the very state in which he was (before eating), and it never returns to its original state. Of a surety, all sins in general harden the heart, and hinder one from standing at night (for supererogatory prayers), and the most harmful in particular among them is to have what is unlawful."

To be sure, a lawful morsel (of food) might help to purify the heart and prompt it to good much better than anything else might do, a fact which those who watch the hearts know through experience, which is confirmed by law. For this reason, one of them said: "How many a meal (from unlawful sources) that hindered one from standing (for supererogatory prayers) on a night, and how many a glance (one cast at what is unlawful for him) which hindered one from reciting a Holy Surah (from the Qur'an); and a servant might have a meal (from what is unlawful), or commit a thing (illegally), because of which he is forbidden the standing at night for a whole year; and as well as prayer forbids one to do what is shameful and abominable, doing what is shameful forbids one to offer prayer or do the other acts of good."

One of the prison custodians said: "I've been a prison custodian for about thirty-two years, during which I asked whomever was arrested at night whether he had offered Isha' prayer in congregation, and they answered in the negative. This is to highlight the fact that the blessing of the congregation (in which one should offer prayer) forbids one to commit what is shameful and abominable.

There are also four internal facilitations which go as follows:

The first pertains to the heart's freedom from rancor against the Muslims, from innovations of heresies (which have no reference in the religion), and

from being engaged in the unnecessary affairs of this world. That's because it is not easy for one involved in disposing of the affairs of this world to stand at night (for supererogatory prayers), and even if he stands, his mind will be busy in thought about his own concerns, and it will only go round one's suspicions and suggestions. It is in the like of this that it is said: "The porter tells me that you are sleeping, and even whenever you wake up, you remain in the state of sleep."

The second pertains to the heart's fear (of the terrors of the hereafter), and making short the hope. To be sure, if one thinks of the formidable terrors of the hereafter, and the lowest bottoms of (the fire of) Hell, he would remain sleepless, and become more careful, in confirmation to what Tawus said in this context: "Verily, the remembrance of (the fire of) Hell dissipates the sleep of the worshippers." It is related from a slave in Basrah called Suhaib that he used to stand the whole night (for supererogatory prayers), thereupon his mistress said to him: "Your standing for the whole night has a negative effect on your work during the day." He replied: "Whenever Suhaib remembers the fire (of Hell), sleep does not come to him (because of great fear and reflection)."

Another slave used to keep standing for the whole night (in service and vigil), and when he was discussed about that he said: "Verily, whenever I remember the fire (of Hell), my fear becomes severe; and whenever I remember the Garden, my longing for it becomes so much great: and in both cases I could not be able to sleep." According to Dhun-Nun, the Egyptian "Allah be merciful to him": "The Holy Qur'an has forbidden, with its promises (of the Garden) and threats (of the fire) the eyes to shut for sleep at night. These (people) have understood well the speech of (Allah) the Glorious Sovereign, thereupon their necks lowered down to Him in submission."

They also said in a form of poetic verses: "O one who sleeps and becomes heedless for a long time: of a surety, your sleep so much results in your grief (in sigh for such of time as you've wasted). To be sure, you will find in the grave, once you come down to it (after leaving this world), a long time to lie down after your death. You will find also therein a resting place that is prepared for you, congruent with such of your good deeds or sins as you've done (in the world). Do you feel, by your spending the night in such a state of sleep, secure from the angel of death (lest he would take your soul)? How scary is that which such a feeler of safety received during the night which he spent (asleep)!"

Ibn Al-Mubarak said also the two following poetic verses: "Whenever the night becomes dark, those (seekers for the hereafter) suffers the difficulty (of standing for supererogatory prayers) during the whole of it until dawn rises upon them while they are still bowing (in their prayers). Verily, the fear (which they experience of the terrors of the hereafter) dissipates their sleep, thereupon they keep standing (during the whole night), while those who feel secure (against Allah's Punishment) are sleeping."

The third is that one should know the excellence of standing at night (for supererogatory prayers), through going through the Holy Verses, Prophetic traditions and narrations, and sayings (of the companions) which confirm that, perchance his hope and longing for its reward might prompt him to perform it, and incite him to do more and more, in desire for attaining the (highest degrees in the) Gardens (of eternity). It is related that one of the righteous men returned from a holy battle (in Allah's Cause, and his wife had prepared her throne (for him) and sat in expectation for his arrival. But (when he arrived) he entered the mosque (and did not go to the house) and remained in prayer (for the whole night) until morning came upon him. His wife said to him: "We've been sitting waiting you for a long time. But when you arrived, you kept praying until morning." On that he said: "By Allah! I remained for the whole night thinking of one of the beautiful women of big lustrious eyes who belong to the Garden, thereupon I forgot my wife and house; and therefore, I kept standing (in prayer) for the whole night in longing for her."

The fourth, which is the most honoured cause (of standing in prayer at night) is the love for Allah Almighty, and the strong faith in the fact that during his standing at night, he never utters a letter but that therewith he talks privately to Allah Almighty, Who sees him well, and has best knowledge of such of thoughts as occur to his mind, which in themselves are a kind of discourse through which Allah Almighty communicates with him. If one loves Allah Almighty, he inevitably comes to love to be alone with him, and take pleasure of having discourse with Him; and it is the pleasure of such discourse with the One Whom he loves that prompts him to prolong the standing at night (in prayer).

The notion of this pleasure should not be relegated, since it is attested by both intellect and handed down tradition. As far as the intellect is concerned, consider, for instance, the love which one might have for a person because of his (or her) beauty, or for a king because of his benefaction and property, and how such lover takes pleasure of sitting and having private discourse with him (or her) alone, to the extent that he would remain sleepless for the whole night. But, you might say: "Of a surety, one takes pleasure of looking at what is beautiful, and it is known that Allah Almighty could not be visible." It should be known that if the beautiful object of love is behind a screen or lives in a dark house (and it is impossible to see him), the lover will take pleasure of living in his neighbourhood, without being able to see him, or having any further desire, and rather he will be blessed when (such beloved) shows love for him, and makes a mention of him at his hearing, even though such love might be known well to him.

You then might also say: "Indeed, one expects for and thus takes pleasure of the answer of such beloved, and of a surety, Allah's Speech could not be heard (by a human being)." It should be known that if he knows that He really does not answer him, and rather keeps silent of him, there will remain for him the pleasure

of offering his different states and raising his true intention to Him, let alone the believer whose faith is certain, who hears from Allah Almighty all that occurs to his mind during his private discourse, of which he takes pleasure. Likewise, he who sits alone with the king, and offers to him his needs and questions at the darkness of the night, takes pleasure of that in the hope of receiving his benefaction; and it goes without saying that one's hope for (the benefaction and favours of) Allah Almighty is more truthful. That's because what is with Allah is much better and more abiding, and more beneficial than that which is with anyone else: how then should one not take pleasure of raising his needs to Him in his solitudes?

As far as tradition is concerned, it is attested from the different states of those who are in the habit of standing (in prayer) at night, of which they take pleasure, and they regard the night too short (to satisfy them), in the same way as a lover regards very short the night of his connection with his beloved, to the extent that it was said to one of them: "What is your state with the night?" he said: "I've never enjoyed of it: it is not a long time after it starts, that it vanishes, before I even could watch it well." Another said: "I and the night are like two racehorses: one time it precedes me to (be vanquished by) dawn, and one time it precedes me (and comes to its end to) interrupt my meditation." A third one was asked about his state in the night, thereupon he said: "It is a time, at which I become under the tension of two states: although I rejoice of its darkness when it comes, I suffer from grief of its dawn when it rises (for it puts an end to it); and my joy of it has never been complete."

Ali Ibn Bakkar said: "for forty years, nothing has grieved me more than the rise of dawn (because it put an end to my standing in prayer at night)." Al-Fudail Ibn Iyad said: "When the sun sets, I rejoice of the darkness (of the night) for it is time for me to be alone with my Lord, and when it rises, I grieve, because it is time for the people to enter upon me." According to Abu Sulaiman: "These who spend the night sleepless (and standing in prayer) are better delighted in their night than those of play are in their play; and had it not been for the night, I would not have liked to survive in this world." He further said: "If Allah Almighty gives those who spend the night sleepless (and standing in prayer) from the reward of their deeds, in substitution for the pleasure which they experience (during their standing at night), surely, such (pleasure) would be much greater than the reward of their deeds."

According to one of the learned men: "There is, in this world, no time of enjoyment similar to the bliss of the inhabitants of the Garden other than such of the pleasure of their private discourse (with Allah Almighty) as those of adulation find in their hearts at night." Another learned man said: "The pleasure of the private discourse (with Allah Almighty) does not belong to (the pleasures of) this world: it rather belongs to the (pleasures of the) Garden, which Allah Almighty demonstrates to His nearest devotees, that none else other than them could

experience it." According to Ibn Al-Munkadir: "Only three from amongst the pleasures of this world remain: standing (in prayer) at night, meeting the brothers, and offering the prayer in congregation."

One of the Gnostics said: "At the time of early dawn, Allah Almighty looks (with mercy) at the hearts of the wakeful (who are standing in prayer), to fill them with lights: at first the benefits rise upon their hearts, and make them light, and then spread therefrom to light up the hearts of the heedless."

One of the early learned men said: Allah Almighty revealed to a truly faithful believer: "I have, from amongst my servants, some worshippers who love Me as well as I love them, have longing for Me as well as I have longing for them, remember Me as well as I remember them, look at Me as well as I look (with mercy) at them: if you follow their way, surely I will love you, and if you deviate from their way, I will dislike you." He asked: "O Lord! What is their characteristic sign?" He said: "They take care of the shades by day in the same way as a shepherd take care of his sheep, and they have craving for sunset in the same way as birds have craving for their nests. When the night covers them up, and it is dark, and every lover becomes alone with his beloved, they set up their feet for My Sake, and submitted their faces (in their prayer) in humility to Me, to Me, talk to Me privately with (the Qur'an, which is) My Speech, and adulate me for My Benefaction: some of them cry, and others weep, some invoke and supplicate (Me) and others complain. I see with My Eye such (of trouble) as they suffer for My Sake, and I hear with My Hearing such of complaints as they make because of My Love. The first thing to give them is that I cast from My Light into their hearts, with the result that they come to tell about Me as I tell about them. The second is much greater and heavier in My Sight than the seven heavens and the seven earths and all that is between them. The third is that I turn with My Countenance towards them: do you know what I give to those towards whom I turn with My Face?" according to Malik Ibn Dinar: "If one stands at night to offer Tahajjud prayer, (Allah) the Compeller Almighty comes close to him."

Therefore, they see that such leniency and sweetness and lights as they find in their hearts stem from the nearness of the Lord Almighty to the heart; and this fact has a mystery, which will be referred to later in the Book of Loving.

A certain narration tells about Allah Almighty that He said: "O my Servant! I'm Allah Who become close to your heart, and from behind (the veils of the) unseen you see my Light." A man complained to his suffering from insomnia for a long time during the night, and his vain attempt to bring about slumber, thereupon the mister said to him: "O my son! Allah Almighty has gifts (of bounty) by day and at night, which touch only the hearts of the wakeful, and fail to touch the hearts of the sleeping. So, expose yourself to those gifts (of bounty)." On that he said: "O my mister! You have caused me (by your answer) to remain sleepless by day and at night."

It should be known to you that those gifts (of bounty) are expectable more at

night, for standing at night (in prayer) results in the purity of the heart, and averting all that might occupy (one from becoming alone with Allah Almighty). According to an authentic narration on the authority of Jabir, Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him" said: "There is a certain hour at night, and no Muslim servant agrees with it, and asks Allah for good, (or for good of this world and the hereafter, and it occurs every night, according to another version) but that He Almighty gives it to him." It is this certain hour at night which is sought by the performers of standing (in prayer), and it is as important on the night in the same way as is the Night of Power in the month of Ramadan, and the hour (in which the invocation receives answer) on Friday: it is the hour of gifts (of bounty) which is mentioned; and Allah knows best.

The Exposition Of The Different Ways Of Distributing The Regular Divisions Of The Night

It should be known that there are seven grades of giving life to the night (by standing in prayer) and they go as follows:

The first is to give life (i.e. to keep standing in prayer) to the whole night; and this is the state of those strong who devote themselves to the service of Allah Almighty during the night, and take pleasure of having discourse with Him, to the extent that they take it as food to sustain their bodies, and life to refresh their hearts. In this way, they are exhausted naught by the long standing (for the whole night), reducing thereby the time of sleep only to the daylight, when the people are engaged in their jobs. This was the way of many early men, who used to (spend the whole night standing in prayer that they would) offer Morning prayer with the same ablution of Isha' prayer.

This is narrated by Abu Talib Al-Makki, who tells that this is handed down from forty from amongst the followers, who were famous for that, and from among them, there were those who persisted in that practice for forty years, including Sa'id Ibn Al-Musayyab, Safwan Ibn Sulaim, and both from Medina, Fudail Ibn Iyad, Wuhaib Ibn Al-Ward from Mecca, Tawus and Wahb Ibn Munabbih from Yemen, Ar-Rabie Ibn Khaitham, and Al-Hakam from Kufah, Abu Sulaiman Ad-Darani and Ali Ibn Bakkar from Sham, Abu Abdullah Al-Khawas and Abu Asim from Abdan, Habib Abu Muhammad and Abu Jabir As-Salmani from Persia, Malik Ibn Dinar, Sulaiman At-Taimi, Yazid Ar-Raqashi, Habib Ibn Abu Thabit, and Yahya Al-Bakka', and all from Basra, in addition to Kahmis Ibn Minhal, who was in the habit of reciting the Holy Qur'an to its conclusion ninety times per month, during which he would return to review what he understood not. A mention might be also made of Abu Hazim and Muhammad Ibn Al-Munkadir, and both from Medina, to name only a few.

The second grade is to stand half the night; and the numbers of those who used to do so from amongst the early men is beyond calculation. The best way to do so is to sleep for the first third and the last sixth of the night, in order that his standing would be at the middle of the night; and this is more excellent.

The third grade is to stand for one-third the night, and in order to do so, one should sleep for the first half and the last sixth of the night. In total, it is desirable to sleep during the last portion of the night, for it removes the slumber in the morning, a thing which they disliked most, and it also diminishes the paleness of the face, for which it is famous, because if one spends the greatest portion of the night as standing (in prayer) and as sleeping only the time of the early dawn, his suffering from the yellowness of his face as well as from slumber would become little. In this connection, it is narrated on the authority of A'ishah that she said: "It was the habit of Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him", whenever he concluded his prayer with Witr at night, to come close to his wife in case he had a desire for her, otherwise, he would lie in his praying place until Bilal would come to inform him of the time of dawn prayer."

She further said: "I've never seen him but sleeping a short while before dawn." This led such early men as Abu Hurairah and others to adopt the opinion that to lie a short time before dawn is out of the Prophetic tradition. This sleep (at that time) is a cause of contemplation and vision from behind the screens of the unseen, but for the masters of pure hearts. It also gives rest which helps men fulfill the first regular division of the day. It is worthy mentioning that the standing (in prayer) for the third of the night which lies in the other half, and sleep the last sixth is the way of standing followed by (the Prophet) David "Peace be upon him".

The fourth grade is to stand (in prayer) for one-sixth or one-fifth the night; and the best way is to do it in the sixth which lies in the other half, and just before the last sixth of the night (which is desirable to be spend in sleep).

The fifth grade is that one might not be interested in fixing a definite time of the night (to stand in prayer), but this is not available but to a Prophet who is Divinely revealed, or he who knows well the different mansions of the moon, and entrust to somebody to observe it, in order to awaken him (when it is due time to offer his night vigils). But, he might be put to trouble on the cloudy nights. So, let him keep standing (in prayer) during the first portion of the night until he is overpowered by slumber, and once he wakes, let him stand (once again) until he returns to sleep whenever he is overpowered by slumber. In this way, he sleeps twice, and stands (in prayer) twice during the night; and this is out of suffering from (the difficulty and heaviness of the) night, and it is one of the most difficult and best deeds.

This was the conduct of Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him", and the way followed by Ibn Umar, in addition to those of resolute power from amongst the companions and the followers. One of the early men used to say: "It is the first sleep (which I take during the night), and when I wake (and stand in prayer for the first time), let Allah Almighty cause my eyes to be sleepless if I return to sleep once again."

On the other hand, there is no fixed portion of standing followed by Allah's

Apostle" Allah's blessing and peace be upon him", but rather it differed with the difference of the nights, in the sense that sometimes he stood (in prayer) for half the night, sometimes for one-third the night, and sometimes for one-sixth, according to the different nights as attested from Allah's saying in two locations of the same Surah of Al-Muzzammil: " Your Lord does know that you stand forth (to prayer) nigh two-thirds of the night, or half the night, or a third of the night, and so does a party of those with you." (Al-Muzzammil 20)

﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴿٢٠﴾ ﴾

His phrase ' nigh two-thirds of the night' refers to its half, and half the sixth besides. Consider also His saying in the same Surah: " Stand (to prayer) by night, but not all night, Half of it, or a little less, Or a little more." (Al-Muzzammil 2:3)

﴿ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ ﴾

The little less (than the half) refers to one-third, and even one-fourth, whereas the more than the half refers to its two-thirds (as confirmed by the phrase ' nigh two-thirds of the night').

It is narrated on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that she said: "Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him" used to wake up (to stand forth to prayer) whenever he heard the rooster's crow." This refers to the sixth or even nigh the sixth of the night. It is further narrated on different authorities that they said: I watched the prayer of Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him" on journey at night: after Isha' prayer, he slept for a long time, and then he got up and caught glimpse of the horizon and recited: ""Our Lord! not for naught have you created (all) this! Glory to You! Give us salvation from the Penalty of the Fire... Our Lord! Grant us what You did promise unto us through Your Messengers, and save us from shame on the Day of Judgment; for You never break Your promise." (Al Imran 191:194)

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ ﴾

He then drew a toothpick from his bed therewith eh brushed his teeth, and he performed ablution and kept offering prayer for a long time that I said (to myself): "The time of his prayer is equal to that of his sleep." Then, he did lie for a long time that I said (to myself): "The time of his sleep is equal to that of his prayer." Then, he got up, said the same as he had said in the first time, and did the same which he had done in the first time.

The sixth grade, which is the least, is to stand forth (to prayer) a time enough

for him to offer four or even two rak'ahs, or, in case it is difficult upon him to get purified and perform ablution, sit down facing the direction of the Qiblah, and engage for a portion of the time in supplication, invocation and celebration (of Allah's Praises and Glories); perchance he would be enlisted among the performers of standing (to prayer) at night, by virtue of Allah's Mercy and Bounty. It is said, according to a certain narration: "Offer prayer at night, even (as little) as the amount of a sheep milking."

Those are the different ways of dividing the night into portions (for religious service); and it is up to the follower of the path to choose such of them as is easier and more available to him.

The seventh grade is that whereas it is difficult for one to stand forth (to prayer) at the middle of the night, let not him ignore to give life to the interval between both evening prayers (i.e. Maghrib and Isha'), and the regular division which lies after Isha' prayer. Then, let him get up at the time of the early dawn, a short while before morning, in order that morning would not come upon him while sleeping. Let him also stand forth (to prayer) at both sides of the night.

As far as the amount is concerned, those grades occupy their different positions in accordance with the length and shortness of the time, that which is not considered in both the fifth and seventh grades, and thus, they are excluded from having their positions front or back, according to the order mentioned above, since in no way could the seventh be lesser in degree than the sixth, nor could the fifth be lesser in degree than the fourth.

The Exposition Of The Meritorious Nights And Days

It should be known that from amongst the all nights of the year, there are fifteen nights which have a greater excellence, giving life to which is powerfully desirable, which a seeker should not neglect, since they are the seasons of good, and the sources of profit. To be sure, if a merchant is heedless of the seasons (of good) he will make no profit, and if a follower of the path is heedless of the meritorious times, he will achieve no success.

Six of those nights lie in the month of Ramadan, five of which are the odd nights in the last ten, on which the Night of Power is sought. The sixth is the seventeenth night of Ramadan, for the morning next to it was that of the criterion (which distinguished falsehood from truth), on which the two parties (of Muslims and pagans) met in the holy battle of Badr. Ibn Az-Zubair says that it is that which stands for the Night of Power.

The remaining nine are: the first night of Muharram, the night of Ashura' (tenth of Muharram), the first night of Rajab, the night of its middle (i.e. the fourteenth night), the twenty-seventh night of it, which is the night of Ascent (i.e. on which the Prophet was made to ascend to the heaven), and on that night, there is a handed down prayer. In this respect, it is narrated that Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him" said: "The doer of deeds on that night receives the good of one hundred years: so, if one prays twelve rak'ah on that

night, in each of which he recites the Opening of the Book and a Surah from the Holy Qur'an, recites Tashahhud after each two, and then concludes them with the End Salutation, and says one hundred times: Exalted be Allah; Praise be to Allah; there is no god (to be worshipped) but Allah; and Allah is Greater", then asks for Allah's Forgiveness one hundred times, invokes for Allah's Prayer and Blessing upon the Prophet "Peace be upon him" one hundred times, then invokes for himself with such of the affairs of this world and the hereafter as he likes, and in the morning, he becomes fasting, Allah Almighty will answer all of his invocation, unless he invokes with what is sinful."

One of those nights is that of the middle of Sha'ban, on which there is a prayer of one hundred rak'ahs, in each of which one should recite ten times after the Opening of the Book the Surah of Al-Ikhlas. However, the early men used not to leave it as we've mentioned in the voluntary prayers. A mention might also be made of the night of Arafah, and the two nights of both Ids. In this context, it is narrated that Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who gives life to the two nights of both Ids (through standing forth to prayer on them), his heart will never die on the day the hearts will die."

On the other hand, there are nineteen meritorious days, on which it is desirable to continue the regular divisions: the day of Arafah, the day of Ashura', the twenty-seventh day of Rajab, which has a great honour in accordance with the narration on the authority of Abu Hurairah in which Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who fasts the twenty-seventh day of Rajab, Allah Almighty writes for him (the reward of) fasts for sixty months." It is the day on which Allah Almighty ordered Gabriel "Peace be upon him" to descend upon Muhammad "Peace be upon him" with the Message.

A mention might also be made of the seventeenth day of Ramadan, on which the holy battle of Badr broke up, the day of the middle of Sha'ban (i.e. the fifteenth day), every Friday, and the two days of both Ids.

As for the known days, they are ten, i.e. the first ten of Dhul-Hijjah, whereas the counted days are those three of Tashriq (from the eleventh to the thirteenth of Dhul-Hijjah). It is narrated on the authority of Anas from Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him" that he said: "If Friday passes with safety (from committing sins), the remaining days of the week will pass with safety; and if the month of Ramadan passes with safety (from committing sins), all the months of the year will pass with safety." According to a learned man: "He, who is overtaken by pleasures and delights (which divert him from religious service) on those five days in this world, will receive no pleasure in the hereafter." He refers here to the two days of both Ids, Friday, the day of Arafah, and the day of Ashura'.

From amongst the days of the week, both Thursday and Monday are meritorious, on which the deeds are raised to Allah Almighty.

Therefore, we've mentioned the meritorious months and days, on which fasting is desirable in the Book of Fasting, and there is no need of repeating it; and Allah Almighty knows best; and Allah's Blessing and Peace be upon each servant chosen (by Allah) from all of the worlds.

CONTENTS

PRELUDE 3
BOOK ONE: KNOWLEDGE 9
CHAPTER ONE: ON THE EXCELLENCE OF KNOWLEDGE, TEACHING AND LEARNING 9
THE VIRTUE OF KNOWLEDGE 9
THE VIRTUE OF LEARNING 17
THE VIRTUE OF TEACHING 19
CHAPTER TWO: ON THE PRAISEWORTHY AND BLAMEWORTHY KNOWLEDGE: THEIR DIVISIONS AND COMMANDMENTS 27
THE KNOWLEDGE WHOSE LEARNING IS AN OBLIGATORY DUTY (UPON EVERYONE) 27
THE KNOWLEDGE WHOSE LEARNING IS A COLLECTIVE DUTY 31
THE SCIENCE OF REVELATION 38
THE SCIENCE OF PRACTICAL RELIGION 40
THE PARTS OF PHILOSOPHY 43
CHAPTER THREE: ON SUCH OF SCIENCES AS POPULARLY THOUGHT TO BE PRAISEWORTHY 57
EVEN THOUGH THEY ARE NOT SO 57
THE EXPOSITION OF THE REASON FOR CRITICIZING SUCH OF THOSE AS BLAMEWORTHY 57
THE WAY OF CHANGING THE NAMES OF SCIENCES 62
THE COMMENDABLE AMOUNT OF PRAISEWORTHY SCIENCES 76
CHAPTER FOUR: ON THE CAUSE OF PEOPLE'S INTEREST IN POLEMICS; THE DEFECTS OF ARGUMENTATION AND DISPUTATION; AND THE CONDITIONS OF RENDERING THEM PERMISSIBLE 81
THE EXPOSITION OF THE CONFUSION IN COMPARING OF THESE ARGUMENTATIONS WITH THE CONSULTATIONS OF THE HOLY COMPANIONS AND THE ADVICES OF THE FOREFATHERS. 83
THE EXPOSITION OF THE EVILS OF DEBATE AND THE DESTRUCTIVE QUALITIES RESULTING FROM THEM 88
CHAPTER FIVE: ON THE PROPRETIES OF BOTH LEARNER AND TEACHER 94
THE EXPOSITION OF THE DUTIES OF THE GUIDE TEACHER 107
CHAPTER SIX: ON THE DEFECTS OF KNOWLEDGE; AND EXPOSITION OF THE DISTINCTIVE FEATURES OF THE LEARNED MEN OF THE HEREAFTER; AND THE LEARNED MEN OF FALSEHOOD 114
THE SIGNIFICANCE OF CERTAINTY 142
CHAPTER SEVEN: ON MIND: ITS HONOUR, REALITY AND DIVISIONS THE EXPOSITION OF THE HONOUR OF MIND 164

The Exposition Of The Reality And Divisions Of Mind 168
The Exposition Of People's Disparity Of Mind 173
Book two: the foundations of the Creeds 177
Chapter one: the Exposition of the creed of the established Community of sunnah as manifested in the Two statements of Testimony which form the first of the pillars of Islam. 177
The Meaning Of The First Word Of Testimony 177
The Meaning Of The Second Word Of The Testimony 180
Chapter two: On the way of progression to Religious Instruction; and the sequence of the Stages of faith 182
Chapter three: On the Obvious Proofs Of the Creed Written In Jerusalem 203
The First Pillar Is The Knowledge Of The Essence Of Allah And That He Is One And It Includes Ten Principles 205
The Second Pillar Concerning the Attributes of Allah Almighty, and it includes Ten Principles 212
The Third Pillar Concerning The Knowledge Of The Acts Of Allah Almighty, And It Includes Ten Principles 216
The Fourth Pillar Concerning the Accepted Things and Believing in what the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" told Concerning them, and it includes Ten Principles 223
Chapter four: On faith and Islam; the points of similarity and difference between them and the increase or decrease of belief; and the foundations which the forefathers laid down therein 227
Question One 227
Question Two 237
Question Three 240
Book three: the mysteries of purification 249
PART one: On Purification from Impurities 253
That Which Is Removed 253
The Vehicle Of Removal 254
THE Way OF REMOVAL 258
PART two: on Purification from Excrements 258
THE ETIQUETTE OF ANSWERING THE Call OF NATURE 258
The Way Of Abstersion 260
The Way Of Performing Ablution 261
The Excellence Of Ablution 265
The way of bathing 266
The way of Purification with clean Sand 267
PART three: On Cleanliness and Cleansing from the External Bodily cysts and Discharges 268
The First Kind: The Discharges And The Wet Excretions Of The Body 268

THE SECOND KIND: THE BODILY CYSTS 273
BOOK FOUR: THE MYSTERIES AND DUTIES OF PRAYER 283
CHAPTER ONE: ON THE MERITS OF PRAYER 284
THE EXCELLENCE OF THE OBLIGATORY WRITTEN PRAYERS 285
THE EXCELLENCE OF PERFECTING ITS PILLARS 287
THE EXCELLENCE OF OFFERING PRAYER IN CONGREGATION 288
THE EXCELLENCE OF PROSTRATION 289
THE EXCELLENCE OF SUBMISSION 290
THE EXCELLENCE OF MOSQUES AND PLACES OF WORSHIP 294
CHAPTER TWO :ON THE OUTWARD ACTS OF PRAYER BEGINNING FROM TAKBIR AND WHAT IS PRIOR TO IT 295
THE RECITATION 297
THE BOWING AND ITS APPURTENANCES 298
THE TESTIFICATION (TASHAHHUD) 299
THE TABOOS 301
THE DIFFERENTIATION BETWEEN OBLIGATORY DUTIES AND TRADITIONAL PRACTICES OF SUNNAH 302
CHAPTER THREE: ON THE INTERNAL CONDITIONS OF THE HEART'S WORKS 305
THE EXPOSITION OF THE NECESSITY OF SUBMISSION AND HEART'S PRESENCE 305
THE INTERNAL MEANINGS THEREWITH THE PRAYER'S LIFE IS PERFECT 310
THE EXPOSITION OF THE TREATMENT WHICH IS USEFUL TO THE HEART'S ATTENTIVENESS 314
THE EXPOSITION OF WHAT SHOULD BE PRESENT IN THE HEART AT EACH PILLAR OF THE PRAYER 317
STORIES AND NEWS ABOUT THE PRAYER OF THE SUBMISSIVE MEN 329
CHAPTER FOUR: ON IMAMATE AND EMULATION 332
THE IMAM'S DUTIES BEFORE THE PRAYER 332
THE DUTIES PERTAINING TO RECITATION 337
THE IMAM'S DUTIES PERTAINING TO THE PILLARS OF THE PRAYER 339
THE DUTIES WHICH PERTAIN TO DISSOLVING FROM THE PRAYER 340
CHAPTER FIVE: ON THE EXCELLENCE OF FRIDAY ITS MANNERS, TRADITIONS AND CONDITIONS 341
THE EXCELLENCE OF FRIDAY 341
THE EXPOSITION OF THE CONDITIONS AND TRADITIONS OF FRIDAY PRAYER 343
THE EXPOSITION OF THE MANNERS OF FRIDAY PRAYER 345
THE EXPOSITION OF FURTHER MANNERS OUTSIDE THIS SEQUENCE 354
CHAPTER SIX: ON THE DIFFERENT PROBLEMS WHICH CAUSE GENERAL DISTRESS, OF WHICH A DEVOTEE NEEDS TO HAVE KNOWLEDGE 360
CHAPTER SEVEN: ON THE SUPEREROGATORY PRAYERS 368

THE FIRST CATEGORY: THAT WHICH IS REPEATED WITH THE RECURRENCE OF DAYS AND NIGHTS 369
THE SECOND CATEGORY: THAT WHICH IS REPEATED WITH THE RECURRENCE OF WEEKS 376
THE THIRD CATEGORY: THAT WHICH IS REPEATED WITH THE RECURRENCE OF YEARS 381
THE FOURTH CATEGORY OF SUPEREROGATORY PRAYERS WHICH PERTAIN TO OCCASIONAL CAUSES, AND NOT TO FIXED TIMES 385
BOOK FIVE: THE MYSTERIES OF OBLIGATORY CHARITY 396
IN THE NAME OF ALLAH, MOST GRACIOUS, MOST MERCIFUL 396
CHAPTER ONE: ON THE DIFFERENT KINDS OF OBLIGATORY CHARITY (ZAKAT) AND THE CAUSES OF ITS OBLIGATION 397
THE FIRST KIND: THE OBLIGATORY CHARITY DUE UPON LIVESTOCK 397
THE SECOND KIND: THE OBLIGATORY CHARITY DUE UPON THE LAND YIELDS 400
THE THIRD KIND: THE OBLIGATORY CHARITY DUE UPON BOTH GOLD AND SILVER 400
THE FOURTH KIND: THE OBLIGATORY CHARITY DUE UPON MERCHANDISE 401
THE FIFTH KIND: THE ALMS DUE UPON BURIED TREASURES AND MINES 401
THE SIXTH KIND: THE ALMS OF BREAKING THE FAST 402
CHAPTER TWO: ON THE FULFILLMENT OF ALMS AND ITS OUTWARD AND INWARD CONDITIONS 403
ON THE EXPOSITION OF THE DETAILS OF THE INWARD MANNERS PERTAINING TO THE OBLIGATORY CHARITY 407
CHAPTER THREE: ON THE RECIPIENT: THE CAUSES OF HIS CLAIM, AND THE DUTIES OF HIS RECEIVING 423
THE CAUSES OF CLAIM 423
ON EXPOSITION OF THE RECIPIENT'S DUTIES 427
CHAPTER FOUR 432
ON THE VOLUNTARY CHARITY: ITS EXCELLENCE, AND THE PROPRIETIES OF RECEIVING AND GIVING IT 432
THE EXPOSITION OF THE EXCELLENCE OF CHARITY 432
THE EXPOSITION OF GIVING CHARITY IN SECRECY AND IN PUBLIC 435
THE EXPOSITION OF WHICH IS MORE EXCELLENT: RECEIVING VOLUNTARY CHARITY OR OBLIGATORY CHARITY 440
BOOK SIX: THE MYSTERIES OF FASTING 442
IN THE NAME OF ALLAH, MOST GRACIOUS, MOST MERCIFUL 442
CHAPTER ONE: ON THE OUTWARD DUTIES AND REGULATIONS, AND THE OBLIGATIONS CONCOMITANT TO BREAKING THE FAST 445
CHAPTER TWO: ON THE MYSTERIES AND INTERNAL CONDITIONS OF FASTING 449

CHAPTER THREE: ON THE VOLUNTARY FASTS AND THE ARRANGEMENT OF REGULAR DIVISIONS THEREIN 455
BOOK SEVEN: THE MYSTERIES OF PILGRIMAGE....459
CHAPTER ONE: ON THE GOOD MERITS OF THE GREATER PILGRIMAGE (HAJJ), THE EXCELLENCE OF MECCA AND THE ANCIENT HOUSE, AND THE PILLARS AND CONDITIONS OF ITS OBLIGATION. 460
PART ONE: THE EXCELLENCE OF THE GREATER PILGRIMAGE (HAJJ), THE SUPERIORITY OF THE HOUSE 460
THE EXCELLENCE OF THE GREATER PILGRIMAGE (HAJJ). 460
THE MERIT OF THE HOUSE AND MECCA....464
THE EXCELLENCE OF LIVING IN MECCA "MIGHT ALLAH SAFEGUARD IT" .466
THE SUPERIORITY OF THE HONOURED MEDINA TO ALL CITIES 467
PART TWO: THE CONDITIONS OF THE OBLIGATION OF GREATER PILGRIMAGE; THE VALIDITY OF ITS PILLARS; ITS DUTIES AND TABOOS 470
CHAPTER TWO: ON THE SEQUENCE OF THE OUTWARD ACTS (OF GREATER PILGRIMAGE) FROM TRAVELING TO RETURNING HOME 474
THE FIRST SUBSECTION STARTS FROM THE BEGINNING OF THE SETTING OUT ON JOURNEY TO ASSUMING IHRAM 474
THE SECOND SUBSECTION: THE PROPRIETIES OF IHRAM FROM THE PLACE FIXED FOR ASSUMING IHRAM TO ENTERING MECCA 478
THE THIRD SUBSECTION: THE PROPRIETIES OF ENTERING MECCA TO THE CIRCUMAMBULATION 479
THE FOURTH SUBSECTION: ON CIRCUMAMBULATION 480
THE FIFTH SUBSECTION: ON COMPASSING SAFA AND MARWAH ROUND...484
THE SIXTH SUBSECTION: ON STANDING AND WHAT PRECEDES IT 486
THE SEVENTH SUBSECTION: THE REMAINING ACTS OF HAJJ AFTER STANDING 490
THE EIGHTH SUBSECTION: ON THE MANNER OF UMRAH AND WHAT FOLLOWS IT TO THE FAREWELL CIRCUMAMBULATION 495
THE NINTH SUBSECTION: ON THE FAREWELL CIRCUMAMBULATION 496
THE TENTH SUBSECTION: ON THE VISIT TO MEDINA AND ITS PROPRIETIES 496
A CHAPTER ON THE TRADITIONS OF RETURNING FROM JOURNEY 500
CHAPTER THREE: ON THE DETAILS OF PROPRIETIES AND INWARD WORKS ..501
THE EXPOSITION OF THE DETAILS OF PROPRIETIES 501
THE EXPOSITION OF THE INTERNAL WORKS, AND THE POINT OF MAKING SINCERE THE INTENTION, AND THE WAY OF CONSIDERING THE HONOURED SHRINES, AND THE WAY OF REFLECTING THEM, AND CELEBRATING THEIR MYSTERIES AND SIGNIFICANCES, FROM THE BEGINNING TO THE END OF HAJJ 508
BOOK EIGHT: THE PROPRIETIES OF RECITING THE QUR'AN....521
CHAPTER ONE: ON THE EXCELLENCE OF THE HOLY QUR'AN AND ITS PEOPLE AND CRITICIZING THE NEGLECTFUL OF RECITING IT 522

THE EXCELLENCE OF THE HOLY QUR'AN 522
ON CRITICIZING THE RECITATION OF THE HEEDLESS 524
CHAPTER TWO: ON THE OUTWARD PROPRIETIES OF RECITATION 526
CHAPTER THREE: ON THE INWARD WORKS OF RECITATION 535
CHAPTER FOUR: ON THE UNDERSTANDING AND INTERPRETATION OF THE QUR'AN DEPENDING UPON ONE'S MIND AND NOT BY WAY OF TRANSMISSION 555
BOOK NINE: CELEBRATIONS AND INVOCATIONS 571
CHAPTER ONE: ON THE EXCELLENCE AND BENEFIT OF CELEBRATION (OF ALLAH) IN BRIEF AND DETAIL FROM THE QUR'AN, THE PROPHETIC NARRATIONS AND TRADITIONS 572
THE PROOFS FROM THE QUR'AN AND TRADITIONS 572
THE EXCELLENCE OF THE GATHERINGS OF CELEBRATION (OF ALLAH ALMIGHTY) 575
THE EXCELLENCE OF AFFIRMING ALLAH'S ONENESS 576
THE EXCELLENCE OF CELEBRATING THE GLORIES AND PRAISES OF ALLAH ALMIGHTY 578
CHAPTER TWO: ON THE PROPRIETIES AND EXCELLENCE OF SUPPLICATION; THE EXCELLENCE OF SOME HANDED DOWN SUPPLICATIONS; THE EXCELLENCE OF ASKING FOR ALLAH'S FORGIVENESS, AND INVOKING FOR ALLAH'S PRAYER AND BLESSING UPON THE MESSENGER OF ALLAH 587
THE EXCELLENCE OF SUPPLICATION 587
THE PROPRIETIES OF SUPPLICATION 588
THE EXCELLENCE OF INVOKING FOR ALLAH'S PRAYER AND BLESSING UPON THE MESSENGER OF ALLAH 597
THE EXCELLENCE OF ASKING FOR ALLAH'S FORGIVENESS 601
CHAPTER THREE: ON SOME HANDED DOWN SUPPLICATIONS WHOSE TRANSMITTERS ARE KNOWN 605
SUCH OF SUPPLICATIONS AS WITH WHICH IT IS DESIRABLE FOR ONE TO SUPPLICATE EVERY MORNING AND EVENING, AND FOLLOWING EVERY (OBLIGATORY) PRAYER 605
THE SUPPLICATION OF THE MESSENGER OF ALLAH "ALLAH'S BLESSING AND PEACE BE UPON HIM" FOLLOWING THE TWO-RAK'AH PRAYER PRIOR TO FAJR 606
THE SUPPLICATION OF A'ISHAH "ALLAH BE PLEASED WITH HER" 607
THE SUPPLICATION OF FATIMAH "ALLAH BE PLEASED WITH HER" 607
THE SUPPLICATION OF ABU BAKR AS-SIDDIQ "ALLAH BE PLEASED WITH HIM" 607
THE SUPPLICATION OF BURAIDAH AL-ASLAMI "ALLAH BE PLEASED WITH HIM" 608
THE SUPPLICATION OF QABISAH IBN AL-MUKHARIQ 608

THE SUPPLICATION OF ABU AD-DARDA' "ALLAH BE PLEASED WITH HIM" 609
THE SUPPLICATION OF ABRAHAM, THE BOSOM FRIEND "ALLAH'S BLESSING AND PEACE BE UPON HIM" 609
THE SUPPLICATION OF JESUS "PEACE BE UPON HIM" 609
THE SUPPLICATION OF AL-KHADIR "PEACE BE UPON HIM" 610
THE SUPPLICATION OF MA'RUF AL-KARKHI "ALLAH BE PLEASED WITH HIM" 610
THE SUPPLICATION OF UTBAH AL-GHULAM 611
THE SUPPLICATION OF ADAM "PEACE BE UPON HIM" 611
THE SUPPLICATION OF ALI IBN ABU TALIB "ALLAH BE PLEASED WITH HIM" 611
THE SUPPLICATIONS AND CELEBRATIONS OF SULAIMAN IBN AL-MU'TAMIR AT-TAIMI "ALLAH BE PLEASED WITH HIM" 612
THE SUPPLICATION OF IBRAHIM IBN ADHAM "ALLAH BE PLEASED WITH HIM" 613
CHAPTER FOUR: ON SOME INVOCATIONS HANDED DOWN FROM THE PROPHET AND HIS COMPANIONS 614
THE KINDS OF SEEKING REFUGE (WITH ALLAH) HANDED DOWN FROM THE PROPHET "PEACE BE UPON HIM" 618
CHAPTER FIVE: ON SUPPLICATIONS HANDED DOWN ON DIFFERENT OCCASIONS 620
BOOK TEN: THE CONSTITUTION OF REGULAR DIVISIONS AND THE DETAILS OF GIVING LIFE TO THE NIGHT (BY STANDING FOR SUPEREROGATORY PRAYER) 629
CHAPTER ONE: ON THE EXCELLENCE, CONSTITUTION AND RULES OF REGULAR DIVISIONS 630
THE EXCELLENCE OF REGULAR DIVISIONS, AND THE EXPOSITION OF THE FACT THAT TO DO THEM REGULARLY LEADS TO THE RIGHT WAY OF ALLAH ALMIGHTY 630
THE EXPOSITION OF THE NUMBER AND CONSTITUTION OF REGULAR DIVISIONS 634
THE EXPOSITION OF THE NIGHT REGULAR DIVISIONS 651
THE EXPOSITION OF THE DIFFERENCE OF REGULAR DIVISIONS ACCORDING TO THE DIFFERENCE OF STATES 665
CHAPTER TWO: ON THE FACILITATING WAYS OF STANDING AT NIGHT FOR PRAYER; THE NIGHTS TO WHICH GIVING LIFE BY STANDING IS DESIRABLE; THE EXCELLENCE OF GIVING LIFE TO THE NIGHT AND THE PERIOD BETWEEN BOTH EVENING PRAYERS; AND THE WAY OF DIVIDING NIGHT INTO REGULAR DIVISIONS 672
THE EXCELLENCE OF GIVING LIFE TO THE PERIOD BETWEEN BOTH EVENING PRAYERS 672
THE EXCELLENCE OF STANDING AT NIGHT (FOR PRAYER) 675

THE EXPOSITION OF THE FACILITATING CAUSES OF STANDING AT NIGHT (FOR SUPEREROGATORY PRAYERS) 682

THE EXPOSITION OF THE DIFFERENT WAYS OF DISTRIBUTING THE REGULAR DIVISIONS OF THE NIGHT 688

THE EXPOSITION OF THE MERITORIOUS NIGHTS AND DAYS 691

CONTENTS 695

Imam Abu Hamed AL-GHAZALI
(450-505 H.=1058-1111 A.D.)

REVIVAL OF RELIGION'S SCIENCES

IHYA' ULUM AD-DIN

إحياء علوم الدين

Translated by
Mohammad Mahdi al-Sharif

Volume II

The quarter of the habits of life

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
DKi
Beirut- Lebanon

Imam Abu Hamed AL-GHAZALI
(450-505 H.=1058-1111 A.D.)

REVIVAL OF RELIGION'S SCIENCES (IHYA' ULUM AD-DIN)

إحياء علوم الدين

Translated by
Mohammad Mahdi al-Sharif

Volume II

The quarter of the habits of life

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title : **REVIVAL OF RELIGION'S SCIENCES (IHYA' ULUM AD-DIN)**

إحياء علوم الدين

Classification: Jurisprudence and sufism

Author : Imam Abu Hamed AL-GHAZALI

Translator : Mohammad Mahdi al-Sharif

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Pages : 2784 (4 volumes)

Size : 17*24

Year : 2011

Printed in : Lebanon

Edition : 1st

DKI

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1871 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
Po.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون،القبة،مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤-١١ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

Exclusive rights by © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

ISBN 978-2-7451-5945-8
ISBN 2-7451-5945-3
9 782745 159458 90000

CONTENTS

quarter of customs of life 3
The second quarter of REVIVAL OF RELIGIOUS SCIENCES 3
Book one: etiquettes of eating 3
Chapter one: What should be observed by him who eats alone 4
The First Part Pertains To The etiquettes To Be Observed In Advance Of Having Food 4
The Second Part Pertains To The Etiquettes To Be Observed During Eating 8
The Third Part Pertains To What Is Desirable After Finishing From Food 10
Chapter two: further etiquettes because of gathering and sharing in food 12
Chapter three: etiquettes of serving visitors with food 15
Chapter four: etiquettes of entertaining 22
Excellence Of Entertaining 22
subchapter containing good sporadic Etiquettes and instructions pertaining to law 35
Book Two: Etiquettes of Marriage 39
CHAPTER ONE: exhortation to and discouragement of Marriage 40
Qur'anic Verses On Marriage 40
Hadiths Of The Prophet 41
Traditions Of The Companions 41
Later Narrations 42
Merits OF MARRIAGE 44
The First Merit: Procreation 44
The Second Merit: Satisfying Sexual Desire 49
The third Merit: Companionship 53
The Fourth Merit: Ordering The Household 55
The Fifth Merit: Disciplining The Self 56
Demerits OF MARRIAGE 58
The First Demerit: Inability To Seek Lawful Gain 58
The Second Demerit: Failure To Uphold Wives' Rights 59
The Third Demerit: Distraction From Allah 60
CONCLUSION 60
CHAPTER TWO: Concerning Marriage: Conditions of Woman and Stipulations of Marriage Contract 63
Marriage Contract 63
Etiquettes Of Marriage 63
Legal Disabilities To Or Restrictions On Marriage 64
Qualities Conducive To A Happy Conjugal Life 66
CHAPTER THREE 72
Etiquettes of Cohabitation; What Should happen During Marriage; and the Obligations of Husband and Wife 72
FIRST PART OF THIS Chapter: Etiquettes Of Cohabitation 72
OBLIGATIONS INCUMBENT UPON HUSBAND 72
SECOND PART OF THIS CHAPTER: Examination of Husband's Rights 94
EXPOSITION OF THE RIGHTS OF THE HUSBAND 95
Etiquettes FOR THE WOMAN 97
Book three: etiquettes of earning and living 100

Chapter one 101
excellence of and exhortation to earn for living 101
Chapter two: On science of earning by such ways as trade, usury, payment in advance, rental, loan, and partnership; and the exposition of the conditions stipulated by Islamic law for the validity of each of those ways which are the main causes of earning according to law 107
The First Contract Of Trade 108
The Second Contract Of Usury 115
The Third Contract Of Payment In Advance 117
The Fourth Contract Of rental 118
The Fifth Contract Of Loan 120
The Sixth Contract Of Partnership 122
Chapter three: Sticking to justice and avoiding inequity in transaction 123
The First Part: The Injustice Which Causes Public Damage 123
The Second Part: The Injustice Whose Harm Is Limited To A Particular Person 127
Chapter four: Doing good in transaction 137
Chapter five: trader's fear for his religion 144
Book four: lawful and unlawful 153
Chapter one: excellence of lawful; condemnation of unlawful; exposition of various kinds and levels of lawful; and various kinds of unlawful, and the levels of abstention pertinent to leaving it 154
Excellence Of Lawful, And Condemnation Of Unlawful 154
Divisions Of Lawful And Its Ways 160
Levels Of Lawful And Unlawful 164
Examples And Proofs Of The Four levels Of Abstention (From Unlawful) 165
Chapter two: levels of suspicious things; what arouses them; and what distinguishes them from both lawful and unlawful 172
The First Suspicion-Rouser 174
The Second Suspicion-Rouser 180
The Third Suspicion-Rouser 195
The Fourth suspicion-Rouser: Difference of Evidences 202
Chapter three: On investigation, questioning, Acceptance and indulgence and their causes 207
The First Motive: The Various States Of The Owner 208
The Second Motive: The Doubt Because Of The Property Itself And Not The Owner 212
Chapter four: The way a repentant gets rid of his financial injustice 223
The First Duty: How To Distinguish And Take Out The Unlawful. 224
The Second Duty: The Way of Spending It 229
Chapter five: annuities and gifts of Rulers; and what is lawful and unlawful of them 236
The First Consideration: The Resources Of Income Of The Governor 237
The Second Consideration: The Amount of What Is Taken, And the Quality That Makes Taking Valid 245
Chapter six: lawful and unlawful sociability with wrongful rulers; and ruling on attending their gatherings, frequenting and honouring them 249
The First State 249
The Second State 255
The Third State 256

Chapter seven: Different problems....269
Book five: etiquettes of sociability, brotherhood, friendship and company with various kinds of people....275
Chapter one: virtue, conditions, degrees and merits of brotherhood and affection in (the religion of) Allah....275
Virtue Of Affection And Brotherhood....275
Exposition Of The Meaning of Brotherhood For The Sake Of Allah, And The Way Of Discriminating It From The Brotherhood For The Sake Of This World ..283
Exposition Of The Hate For The Sake Of Allah Almighty 292
The Degrees Of Those Disliked For The Sake Of Allah Almighty, And The Way Of Dealing With Them 295
Exposition of Conditions Required For Whomever One Chooses As Companion 299
Chapter two: On rights of brotherhood and company....305
Conclusion....338
CHAPTER three: On rights of Muslim, kinship ties, neighbourhood, and what right hand possesses; and the way of company....340
Rights Of A Muslim 342
Rights Of Neighbourhood....375
Rights Of Kinship....379
Rights Of Parents and children 381
Rights Of Slave....385
Book six: etiquettes of living in seclusion 390
Chapter one: Relating different opinions and statements; and arguments of each party....390
Statements Of Those Who Incline To Seclusion 391
Arguments Of Those Who Incline To Sociability 392
Arguments Of Those Who Incline To Favour Seclusion....395
Chapter two: Merits and demerits of seclusion 398
Merits Of Seclusion 398
Demerits Of Seclusion....414
Etiquettes Of Living In Seclusion....424
Book seven: Etiquettes of journey 426
Chapter one: Etiquettes of journey from departure to return; and intention, merits and benefits of journey....428
Topic one: Benefits, merits and intention of journey 428
The First Division Is To Travel In Pursuit Of Knowledge 428
The Second Division Is To Travel For The Sake Of Worship....431
The Third Division Is To Set Out On Journey In Flight From A Thing That Distracts One's Religion 432
The Fourth Division Is To Travel In Flight From What Afflicts Body And Property....433
Topic two: Etiquettes of Sojourner from departure to return 436
Chapter two: What a sojourner should learn in regard to concessions of journey, indications of Qiblah and due times of prayers....445
The First Division Pertains To The Knowledge Of Concessions 446
The Second Division Pertains To The Functions To Change Because Of Journey 454
Book eight: etiquettes of Music and ecstasy....459

Chapter one: On disagreement of learned as to permissibility of Listening to Music and Singing, and revealing the truth as to that permissibility 460
An Account Of Sayings Of Learned And Of The Stiffs As To Its Being Lawful Or Forbidden. 460
An Account Of Things Which Show That Listening To Music And Singing Is Permissible....463
An Account of Arguments Of Those Who Pronounce Music And Singing Unlawful, And Reply To Them. 484
Chapter two: On laws and effects music and singing produce upon the heart, consisting of ecstasy, and upon the parts of body, consisting of dancing and crying out and tearing of garments....488
The First Stage: Receiving Or Understanding....488
The Second Stage 496
The Third Stage of Hearing Music and Singing 513
Book nine: Enjoining good and forbidding evil 521
Chapter one: Obligation and merit of enjoining good and forbidding evil; and condemnation of negligence and indulgence in it 522
Chapter two: foundations and conditions of enjoining good and forbidding evil 533
The First Foundation Pertains To The One Who Prevents Sins 533
The Second Foundation: The Sin That Should Be Prevented....554
The Third Foundation: The One To Be Prevented From Sin 559
The Fourth Foundation: The Way Of Preventing Sin....562
subChapter: On Etiquettes of Muhtasib 568
Chapter three: Evildoings among customs and habits....572
Evildoings Pertaining To Mosques....572
Evildoings Pertaining To Markets 576
Evildoings Pertaining To Streets 577
Evildoings Pertaining To Public Baths....578
Evildoings Pertaining To Hospitality 579
Public Evildoings....582
Chapter four: Commanding rulers and governors to do good and forbidding them to do evil....583
Book ten: Etiquettes of living and Prophetic manners....608
A BRIEF ACCOUNT OF HIS FINE QUALITIES OF CHARACTER, WHICH A LEARNED HAS GATHERED AND COLLECTED FROM THE REPORTS....613
Another Summary of His Manner and Character 615
Account Of His Speech And Laughter 617
Account Of His Character And Manner In Regard To Food....618
Account Of His Character And Manner In Regard To Dress....620
Account Of His Pardoning, Notwithstanding His Power Not To Pardon....622
Account Of Averting His Gaze From Whatever He Disliked 624
Account Of His Munificence And Liberality 625
Account Of His Bravery 625
Account Of His Modesty 626
Account Of His External Manner And His Countenance 627
Account Of His Miracles And Signs Which Prove His Truthfulness....629
CONTENTS 635

Imam Abu Hamed AL-GHAZALI
(450-505 H.=1058-1111 A.D.)

REVIVAL OF RELIGION'S SCIENCES

IHYA' ULUM AD-DIN

إحياء علوم الدين

Translated by
Mohammad Mahdi al-Sharif

Volume II

The quarter of the habits of life

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
DKi
Beirut- Lebanon

Imam Abu Hamed AL-GHAZALI
(450-505 H.=1058-1111 A.D.)

REVIVAL OF RELIGION'S SCIENCES (IHYA' ULUM AD-DIN)

إحياء علوم الدين

Translated by
Mohammad Mahdi al-Sharif

Volume II

The quarter of the habits of life

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title : **REVIVAL OF RELIGION'S SCIENCES (IHYA' ULUM AD-DIN)**

إحياء علوم الدين

Classification: Jurisprudence and sufism

Author : Imam Abu Hamed AL-GHAZALI

Translator : Mohammad Mahdi al-Sharif

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Pages : 2784 (4 volumes)

Size : 17*24

Year : 2011

Printed in : Lebanon

Edition : 1st

DKI

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1871 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
Po.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون،القبة،مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤-١١ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

Exclusive rights by © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

ISBN 978-2-7451-5945-8
ISBN 2-7451-5945-3
9 782745 159458 90000

IN THE NAME OF ALLAH, MOST GRACIOUS, MOST MERCIFUL

quarter of customs of life

The second quarter of REVIVAL OF RELIGIOUS SCIENCES

Book one: etiquettes of eating

It is the first book of the quarter of customs of life

IN THE NAME OF ALLAH, MOST GRACIOUS, MOST MERCIFUL

Praise be to Allah Almighty, Who has perfectly organized all of the beings, thereupon He has created both the earth and the heavens, and caused the fresh water to flow from the clouds, therewith He has brought out the grains and plants, and decreed to each his livelihood and sustenance in due measure, and preserved with food the power (and energy) of animals, and helped (the people) go on doing acts of worship and righteous deeds, by having them eat just such of food as is good and lawful for them. Allah's Blessing and peace be upon Muhammad, the (Prophet) of amazing miracles, as well as upon his family and companions, an uninterrupted blessing to be consecutive across all the times, and multiplied with the succession of hours, and an abundant peace to be as much as it could be. To go further:

Verily, the main goal of those endued with sound minds (and hearts) is to meet Allah Almighty in the (eternal) abode of reward; and there is no way for them to achieve such meeting with Allah Almighty except through knowledge and doing deeds, which one could do regularly and constantly only by virtue of the good health, which, in turn, could be realized only by having such of kinds of food as are good and lawful, from which one should get only as much as is in proportion to his needs with the recurrence of times.

From this point of view, one of the good early predecessors said: "Verily, eating is essential to (preserve) religion." To this fact Allah, the Sustainer and Cherisher of the worlds, draws the attention when He says, and of a surety, He is the truest of speech: "Eat of things which is good and pure, and work righteousness: for I am well-acquainted with (all) that you do." (Al-Mu'minun 51)

﴿ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾

So, he, whose purpose from having food is to have it help him get knowledge and do deeds and become strong enough to ward off evil and safeguard himself (from the punishment of Allah Almighty), he should not leave himself to negligence (of food), nor should he go on eating in the same way as beasts and animals do in the pasture, for indeed, food is just an access and way to (fulfill the

items of) religion on which the lights of religion should emerge. However, the lights of religion are its proprieties and traditions, with which a servant is reined and a Allah-fearing is leashed, perchance he would be able to scale, with the balance of law, the desire for food, in is coming and withdrawal, and thus it comes to be a way of driving away sin and bringing about reward, from which he has the greatest portion.

In this connection, (it is narrated by Al-Bukhari on the authority of Sa'd Ibn Abu Waqqas that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A man receives reward even for a morsel (of food) which he raises up to his mouth, or to the mouth of his wife." This might be really so if one raises such (a morsel of food) by virtue of and for the sake of the religion, observing its proprieties and duties. Now, we are going to highlight the duties of religion as far as eating is concerned: its obligations, traditions, proprieties, settings under four chapters:

The first chapter pertains to that which an eater should observe in case he eats alone.

The second chapter pertains to the further proprieties because of gathering on food.

The third chapter pertains to serving the brotherly visitors with food.

The fourth chapter pertains to invitation and hospitality and their likes.

CHAPTER ONE:
WHAT SHOULD BE OBSERVED BY HIM WHO EATS ALONE

It is of three parts: one before having food, the other during eating, and the third after finishing from having food.

The First Part Pertains To The etiquettes To Be Observed In Advance Of Having Food

Those go as follows:

The first is that besides the stipulation that the food should be lawful, its sources and the way of earning it should also be good and lawful, in agreement with the tradition in which piety is considered. Thus, it should not be earned because of something undesirable in law, or by virtue of passion and flattery on the exclusion of religion, as we shall explain later in the meaning of the absolute good and lawful in the Book of What is Lawful and What is Unlawful. However, Allah Almighty ordered His servants to eat but such of food as is good and lawful, and brought forward the forbiddance to eat in vanities before that of committing murder to show how grievous is that which is unlawful, and how blessed is that which is lawful, as confirmed from His statement: "O you who believe! eat not up your property among yourselves in vanities: but let there be amongst you traffic and trade by mutual good-will: nor kill (or destroy) yourselves: for verily Allah has been to you Most Merciful!" (An-Nisa 29)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ ﴾

To be sure, the principal fundament pertaining to food is that it should be good and lawful; and this is one of the obligations and principles of religion.

The second pertains to washing both hands. In this respect, (it is narrated by Al-Quda'i on the authority of Musa Ar-Rida from his fathers that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Washing both hands before having food removes poverty, and washing them after it removes minor sins." According to another version "It removes destitution before and after having food." Because the hand might not be free from receiving dirt during working, washing it is much closer to cleanliness and purification; and because having food for the purpose of seeking aid to undertake the deeds of religion is an act of worship, it is worthy that one should do before it what is similar to purification (and ablution) which he performs before prayer.

The third is that food should be placed on a dining leather sheet that is close to the ground, since this is nearer to the conduct of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" than to raise it on a table. In this context, (it is narrated by Ahmad on the authority of Al-Hassan and Al-Bazzar on the authority of Abu Hurairah that) whenever food was brought to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", he would place it on the ground. However, this is closer to showing humility. If it is not to be placed on the ground, let it be placed on the dining leather sheet, for it reminds one of the journey, by which one remembers his journey to the hereafter, and his need for the provision of piety. (It is further narrated by Al-Bukhari on the authority of) Anas Ibn Malik that he said: "The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" neither took his meals on a dining table, nor in small plates. (The sub-narrator asked: "Over what did you use to take your meals?" He said: "On leather dining sheets." Moreover, it is said that four things were innovated after (the death of) The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". Those are the dining tables, the sifters, the soap, and eating one's fill.

It should be known to you that to say that eating on a dining leather sheet is more fitting does not mean that eating on a dining table is forbidden because of it is prohibited or undesirable, as long as there is no narration in support of such forbiddance or undesirability. That there are things which have been innovated after (the death of) The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" does not also mean that all that has been innovated should be forbidden, since the forbidden is that which contradict a well-established Prophetic tradition, or cancel out a commandment enjoined by law, even though its cause survives. Furthermore, innovation is considered in some cases when there is necessity for it. The dining table has nothing new more than raising the food as high as to make it easy to eat. (The innovations which are acceptable are) similar to that in which there is nothing undesirable.

Therefore, the four things which are joined as being innovated are not equal:

the usage of soap is good for it imposes cleanness; and of a surety, washing is desirable for cleanness, and cleansing the soap is more perfect. That they did not use it is because either they were not accustomed to it or it was not available to them, or they were engaged in matters of greater importance than in excessive cleanness: they often did not wash their hands (after eating), and their toes acted as their handkerchiefs, even though this does not stand against the idea that washing them is desirable.

As for sifter, its main purpose is to make fine the food, and it is permissible as long as it does not lead to extreme luxury. As for the dining table, it is to alleviate the process of eating, and it is also permissible as long as it does not lead to arrogance or haughtiness. But it is to eat one's fill which is the most grievous of those four, for it provokes desires and appetites, and stimulates diseases in the body. So, let one make sense to the differentiation made between those four.

The fourth is that one should sit in a good manner on the dining leather sheet in the beginning (of having his meal) and continue to do so regularly. This was the conduct of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", who sometimes knelt down on his knees for having his meal, and sometimes sat on the back of his feet, and sometimes set up his right foot and sat on his left foot (according to the narration of Abu Dawud on the authority of Abdullah Ibn Bashir). He used to say (according to the narration of Al-Bukhari on the authority of Abu Juhaifah): "I am not to eat while reclining." (It is narrated on the authority of An-Nasa'i on the authority of Anas that) he said: "I'm no more than a servant, who should eat in the same way as a servant eats, and sit in the same way as a servant sits." It is also undesirable to drink while reclining (since it is harmful) to the stomach.

Moreover, it is undesirable to eat while lying or reclining except when it is of hose kinds of food which one could move. In this respect, it is narrated on the authority of Ali "might Allah honour him" that he ate a (piece of) cake on a shield while he was lying or, as it was said: lying on his abdomen. The Arabs might practice this habit.

The fifth is that one should intend, by his food, to provide himself with power which enables him to obey Allah Almighty, to be obedient through eating, and not to take pleasure of or be blessed in eating. Ibrahim Ibn Shaiban said: "For eighty years, I've never eat anything for the purpose of satisfying my appetite." At the same time, let him be resolute on decision to diminish the amount of food he eats. That's because if one eats just to get the power of worship, his intention will not be true in case he eats his fill; for satiety always hinders one from worship and does not strengthen him enough to do it.

It is necessary for the truthfulness of one's intention to break his appetite, and give preference to satisfaction over muchness. In this context (It is narrated by At-Tirmidhi, An-Nasa'i and Ibn Majah on the authority of Al-Miqdam Ibn Ma'di-

Karib that he said) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The son of Adam has never filled a container worse than his abdomen, even though it is sufficient for the son of Adam to have morsels (of food) therewith to sustain his body. But anyway, if he is to be overpowered by his appetite, let him assign one-third (the space of the abdomen) to his food, one-third to his drink, and one-third to his breath."

It is also necessary for the truthfulness of one's intention that he should not stretch his hand towards food unless he is prompted by severe hunger, and thus it is hunger which should inevitably be brought about to result in eating. Furthermore, one should lift his hand (from eating) before he gets his fill, he will not be in need of a physician (since no disease will befall him). The benefit of reducing one's food and how to do so gradually will be discussed later in the Book of Breaking Appetite in the quarter of the destructives.

The sixth is that one should be content with such of sustenance as is available, and such of food as is present, and he should not strive himself to bless himself and ask for more and expect for pleasant condiments. It is out of the honour given to bread that one should (be satisfied with it alone, and rather should) not expect for condiments to eat therewith. (According to the narration of both Al-Bazzar and At-Tabarani on the authority of Abdullah Ibn Umm Haram) there is a command to honour the bread. Such of food as sustains one and strengthens him to do worship is good (whatever it might be), which should not be looked down upon. (It is also out of the honour of) the bread that one should not leave it for the prayer when it is due, since the time is long enough. In this issue, (it is narrated on the authority of Ibn Umar that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If supper is served, and it is time for Isha' prayer, you should begin with having your supper." The famous narration is that "If the supper is served by the time the prayer of Isha' is established, you should begin with your supper." Ibn Umar (the narrator) sometimes heard the recitation of the imam (in the prayer), but even, he would not stand and leave his supper.

But, if one has no appetite and there is no harm to delay his meal, of a surety, prayer should be offered first before food. But if the food is served, by the time the prayer is established, and to delay in having it might have a cooling or harmful effect on it, it is more desirable to have it first, particularly when there is liberty of time, whether or not one has or has not appetite, in view of the generality of the narration on the one hand, and because one could hardly be free from turning to the food placed (on the table), even though hunger might not be motivating

The seventh is that one should endeavour to have so many hands share food with him, even from among his household. (It is narrated by both Abu Dawud and Ibn Majah on the authority of Wahshi Ibn Harb that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Gather on your food together, perchance you might be blessed in it." According to another narration, Anas Ibn

Malik "Allah be pleased with him" said: "the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" hardly had his food alone." (According to a third narration) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The best of food is that in which so many hands join."

The Second Part Pertains To The Etiquettes To Be Observed During Eating

Those are: one should begin by saying just on eating: "In the Name of Allah" and conclude by saying just on finishing from his food: "Praise be to Allah." But it is better for him to say with each morsel of food "In the Name of Allah", lest his hunger should divert him from the celebration of Allah Almighty. Let him say with the first morsel of food "In the Name of Allah", with the second "In the Name of Allah, Most Gracious", and with the third "In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful." Let him say it aloud, to have those present with him remember to say it. Let him eat with the help of his right hand, starting and concluding his food with salt, and reducing the size of his morsel, which he should chew perfectly; and he should not stretch his hand to take another unless he swallows it, for this is out of haste in eating.

Furthermore, he should not try to find fault with any kind of food (to be eaten on the table). (According to a narration which is unanimously transmitted on the authority of Anas) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did not try to criticize any kind of food: if it appealed to him, he would eat from it; otherwise, he would leave it. One should also eat just of what is near him (from the dish), except in case of fruits, in which he has the right to have his hand go here and there in the dish to choose from it what he likes. (According to a certain narration unanimously transmitted on the authority of Umar Ibn Abu Salamah) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Eat just of what is near you (from the dish)."

On the other hand, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" moved his hand in different sides of the dish of fruits, and when he was talked about that he said: "It has variety, and) not one kind (of fruits)" (as it is narrated on the authority of Ikrash Ibn Dhu'aib that he said: A bowl full of porridge with meat and fat was brought to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and we went on eating from it, and I moved my hand randomly in its different sides, thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "O Ikrash! Eat from one place, since it is only one (kind of) food." Then, a dish full of different kinds of fresh dates was brought to us, and the hand of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" went here and there in the dish, and he said: "O Ikrash! Eat from what you like (in the dish) since it is of various kinds (of food)."

One should not also eat from around the bowl, nor from the middle portion

of food: on the contrary, he should eat from the ring of the loaf, unless there is scarcity of bread, a state in which he should fragment it without cutting it with the knife (according to the narration of Ibn Hibban on the authority of Abu Hurairah). He should not also cut the meat with the knife but rather with the edges of his teeth (depending upon the narration of Abu Dawud on the authority of A'ishah that she said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Cut not the (cooked) meat with the knife, since this is the conduct of the non-Arabs (which they do out of arrogance), and rather cut it with the edges of your teeth, since it is more fitting for quenching your hunger, and improving the process of digestion."

Furthermore, one should not place anything like a bowl or so over the bread, except that therewith he eats it, (depending upon a certain narration in which) The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "You should honour the bread, for Allah Almighty has sent it down from the blessings of the heaven." He should not also wipe his hand with the bread. In this issue, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Muslim on the authority of Jabir): "if a morsel falls from any one of you, he should remove whatever dirt sticking to it and then eat it, and he should not leave it to Satan. Therefore, when he finishes (his meal) he should not wipe his hand with the handkerchief, but rather let him lick his fingers, for he does not know in which portion of his food the blessing is."

One should not also blow in the hot food (and drink to cool it according to the narration of Ahmad, Abu Dawud, Ibn Majah and At-Tirmidhi on the authority of Ibn Abbas and Abu Sa'id), since it is forbidden: but let him keep patient until it becomes easy (and cold enough) to eat (and drink). As far as dates are concerned, let him make his dosage thereof an odd number, say, seven, eleven, twenty-one, or what seems to him to eat. But he should not join both date-fruits with date-stones in the same plate, nor in his hand: but rather he should take the date-stone from his mouth with the help of the back of his hand and throw it directly; and the same applies to such of fruits as has a bith and a husk.

Therefore, he should not leave such of food as he loathes in the same bowl, but he should throw it with the husk, in order that others would not be troubled by eating it. Let not him drink so much during eating, unless he is throttled by a morsel or he is really thirsty. However, it is said that this is medically desirable since it acts as the protective tan of the stomach.

In order to observe the proprieties of drinking, one should take hold of the cup with his right hand and say: "In the Name of Allah", and go on drinking by way of sucking and not by way of sipping." In this respect, (it is narrated by Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Anas and Abu Dawud on the authority of Ata' Ibn Abu Rabah) The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "(When you drink) you should suck water and not sip it." On the other hand, one should not drink while standing or lying, since The Messenger of

Allah "Allah's blessing and peace be upon him" forbade that one should drink while standing (according to the narration of Muslim on the authority of Anas, Abu Hurairah and Abu Sa'id).

But according to another narration, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was reported to have drunk while standing (as unanimously transmitted on the authority of Ibn Abbas) from (the well of) Zamzam; and perhaps this was for a legal excuse. Let him also take care of the lower portion of the cup lest it would drop water on him. Let him have a look at the inside of the cup before drinking, and when he drinks, he should neither blow nor breath in it: but rather, let him drive it away from his mouth with praising (Allah Almighty if he likes to take breath) and bring it back to his mouth with mentioning the Name of Allah. (According to the narration of At-Tabarani on the authority of Abu Ja'far Muhammad Ibn Ali Ibn Al-Hussain) The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to say after drinking (by way of supplication): "Praise be to Allah Who has made water fresh and sweet with His Mercy, and not bitter and salty because of our sins."

However, let the cup, and such of things as is made to turn among the people should be made to start from the right. In this issue (it is narrated by Muslim on the authority of Anas Ibn Malik that) There was brought to The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" a cup of milk mixed with water, while there was on his right a Bedouin and Abu Bakr was on his left, and Umar (Ibn Al-Khattab) was sitting beside him. When he finished Umar said to him: "Give (the remaining of) it to Abu Bakr!" but the Prophet drank and then gave it to the desert Arab and said: "(Give to one) who is on the right, then again who is on the right."

One should drink in three breaths, at the conclusion of each he should praise Allah Almighty, and at the beginning of each he should mention the Name of Allah Almighty. At the end of the first breath, let him say: "Praise be to Allah", and at the end of the second: "Praise be to Allah, Cherisher and Sustainer of the worlds", and add at the end of the last breath: "Most Gracious, Most Merciful."

Those are about twenty items of proprieties to be observed in both eating and drinking as attested by the Prophetic narrations and traditions.

The Third Part Pertains To What Is Desirable After Finishing From Food

First of all, one should abstain from eating before getting his fill, lick his fingers, and wipe his hand with the handkerchief, and then wash it (with water). He should (not leave but rather) pick up the fragments of food, in compliance with the statement of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" (according to the narration of Abu Ash-Shaikh on the authority of Jabir): "He, who (is eager to pick up and) eat such of fragments of food as falls from the table is apt to live in abundance of sustenance, and his offspring are

granted power and health." (When he washes his mouth) let him brush his teeth, without swallowing all that comes out from between his teeth with the help of the toothpick, and there is no harm to swallow what is brought out from between the roots of his teeth with the help of his tongue. Thus, he should throw what comes out from between his teeth with the help of the toothpick. After brushing his teeth with the toothpick, let him rinse his mouth, in agreement with a narration handed down from the family of the Prophet.

Let one also lick the bowl (of food) and drink its remaining water, for it is said that "He who licks a bowl (of food) and wash it and drinks its remaining water, receives (a reward equal to) the emancipation of a slave; and that to pick up (and eat) the fragments of food is the dowers one gives to the Garden's beautiful women of big lustrious eyes."

Let him give thanks to Allah for being the One Who has sustained him, seeing food a grace from Allah Almighty as shown from Allah's statement: "O you who believe! Eat of the good (and lawful) things We have provided for you, and give thanks to Allah if it is He Whom you truly worship." (Al-Baqarah 172)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾

Whenever he eats from what is lawful, let him say: "Praise be to Allah Almighty with Whose Grace the good things turn out to be complete and the blessings come down. O Allah! Feed us with what is good, and use us to do righteous deeds." But in case he eat of that in which there is suspicion (whether it is or is not lawful), let him say: "Praise be to Allah for each state (in which we are). O Allah! Make not it a power for us therewith to disobey You."

After he finishes from having his meal, let him recite "Say: He is Allah, the One and Only" and the Surah of Quraish; and he should not stand and leave until the repast is lifted first. If one eats from the food of another, let him invoke Allah for him saying: "O Allah! Make much his good, and bless him in what You have bestowed upon him, and make it easy for him to do good with what You have given him, and satisfy him with what You have granted him, and make both him and us from amongst those who give thanks (to You)."

If one breaks his fast in the house of a people, let him invoke for them saying: "Might (Allah cause) the fasting persons to break their fast in your houses, and the pious to eat of your food, and direct the angels upon you." Let him ask for Allah's Forgiveness so much, and feel sorry, in sigh for such of food as he might have eaten, in which there is suspicion, perchance he would extinguish, with his tears and sadness, the scorching heat of the fire (he is going) to receive, in accordance with the statement of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "The fire (of Hell) is more fitting for every (body whose) flesh has grown up out of unlawful resources." To be sure, the one who eats and weeps is not like him who eats and plays.

If he eats (bread with) milk, let him invoke (according to the narration of Abu Dawud, At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Ibn Abbas): "O Allah! Bless us in what You have bestowed upon us, and increase it for us." But if he eats anything else, let him say: "O Allah! Bless us in what You have bestowed upon us, and bestow upon us that which is better than it." This supplication was assigned to milk by The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in view of its general benefits.

It is desirable for one to supplicate with the following supplication after finishing from food: "Praise be to Allah Who has provided us with food and drink, given us shelter, and sufficed us (against evil) O (Allah) our Master and Lord, O Allah Who suffices from all things, and nothing could dispense with Him, Who provides people with food against hunger, and with security against fear (of danger), Who gives them shelter (and care) against orphanhood, Who gives them guidance against wander, Who makes them independent against destitution. To You be praise, as much, continuous, good, useful, blessed, as is most fitting for You. O Allah! You have provided us with what is good, so, please, use us to do righteous deeds, and make it a cause of aid for us to obey You, and we seek refuge with You from being a cause of aid for us to disobey You."

As for washing both hands with the help of soap, one should place soap in his left hand, and then start with washing the three fingers of his right hand, and then strike his fingers on the dry soap, therewith to wipe his lips, and clean his mouth with the help of his finger, and rub the back and inside of his teeth, in addition to his pallet and tongue. Then, he should wash his fingers to clean them from all of that with water. Then, with the remaining dry soap, let him rub the back and inside of all of his fingers. In this way, he becomes not in need of repeating the soap to his mouth and washing it once again.

CHAPTER TWO: FURTHER ETIQUETTES BECAUSE OF GATHERING AND SHARING IN FOOD

Those are seven:

The first is that one should not start eating (before others) particularly if there is with him the one who is worthier of being the first, because of his old age or greater superiority, unless he is the one to be followed and imitated; and at that time, he should not make them wait for a long time, particularly when they stretch their necks towards food, for which they gather together.

The second is that they should not keep silent while eating, since this is one of the habits practiced by the non-Arabs. But let them speak with what is good, and relate the narrations handed down from the good righteous men about the various kinds of food and the like of that.

The third is that one should be lenient to his companion who share food with him in the same bowl: he should not endeavour to eat more than what he

usually eats, since this is unlawful in the case of the shared meal, particularly if it does not agree with the contentment of his companion. He should aim to give others preference over himself. He should not eat, for instance, two dates at once, unless they do the same, or unless he takes their leave. If his companion reduces the quantity of food he is eating, he should motivate and exhort him to eat, but he should not do so more than three times, since this is out of excessive importunateness. (According to the narration of Ahmad on the authority of Jabir) whenever The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked for something thrice (and he did not answer) he would not be talked about it once again. Furthermore, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to repeat his speech (no more than) three times. For this reason, it is not out of good manners to go beyond that limit. On the other hand, it is forbidden to take oath that somebody should eat. It is narrated that Al-Hassan Ibn Ali said: "Food is too insignificant to take oath pertaining to it."

The fourth is that should not force his companion to order him to eat. According to one of the belletrists: "The best of eaters is he, who does not force his companion to inspect whether he is or is not eating well, and relieves his brother of the burden of saying (to him that he should eat)." Therefore, he should not leave anything for which he has desire just because the others are looking at him, since this is out of ostentation. But rather let him do that which is habitual to him while eating alone, with no reduction from it. Nevertheless, he should habituate himself to the good manners of eating while being alone, lest he would be forced to be ostentatious while gathering with others.

However, if he reduces the quantity of food which he is eating, out of favouring his brothers to him, and looks at them when there is need for that, it will be good; and similarly, if he eats more, with the intention to help his brothers and motivate them to do the same, it will not be harmful so much as it might be good. It is narrated that Ibn Al-Mubarak used to serve his brothers with the best kind of fresh dates and say to them: "He, who eats most, I will give him a Dirham (in reward) for each kernel." He used to count the kernels, and give as many Dirhams as is equal to the number of kernels with which one excelled his companions; and this was to avert shyness from them, and increase their activity of joyfulness.

According to Ja'far Ibn Muhammad: "The dearest of my brothers to me is he, who eats most among them, has the greatest morsel (of food) among them, and the heaviest of them to me is he, who forces me to tell to eat continuously." This however refers to the fact that one should do what is customary to him, and give up ostentation. According to Ja'far once again : "The good love one has for his brother is clearly evident in his good way of eating in his house."

The fifth is that there is no harm to wash one's hand in a basin, in which it is possible for him to expectorate in case he has got his meal alone, and it is

impermissible for him to do so in case he has shared food with others; and if the basin is presented to him by another, out of honouring him, let him accept it. Once, both Anas Ibn Malik and Thabit Al-Bunani gathered on a meal, and when Anas presented the basin to Thabit, he ceased, thereupon Anas said to him: "If your brother honours you, you should then accept his honouring, and reject it not, for indeed, he, by so doing, honours Allah Almighty." It is further narrated that Harun Ar-Rashid invited Abu Mu'awiyah Ad-Darir (the Blind to share food with him) and when Harun poured water over his hands to wash in the basin he asked him: "O Abu Mu'awiyah! Do you know who has poured water over your hands?" he answered in the negative, thereupon he said: "Verily, it is the Commander of the Believers who has poured it." On that he said to him: "O Commander of Believers! You have honoured and glorified knowledge, might Allah honour and glorify you, for your glorifying knowledge and its men."

But, there is no harm that all of them gather together to wash their hands at the same time, since this is closer to showing humility and shortening the time of waiting. If they do not do so, the water assigned to each should not be poured separately: but let the water of all of them be joined in the same basin. In this connection, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Al-Quda'i on the authority of Abu Hurairah): "Join (the water of) your ablution (in the same basin) perchance Allah Almighty might unite you (against your enemies)." Umar Ibn Abd Al-Aziz wrote a message which he sent to the different regions (under his control) that "No basin should be lifted from a people unless it is filled with water (of washing their hands); and imitate not the non-Arabs." According to Ibn Mas'ud : "Gather together on washing your hands in the same basin, and copy not the traditions of the non-Arabs."

On the other hand, some dislike to have the servant who pours water to wash the hand be in a standing posture, and rather they favour to have him be in a sitting posture, since this is closer to showing humility. But others dislike that he should be in a sitting posture. In this issue, a servant who was in a sitting posture poured water over the hand of a man thereupon the latter stood up, and when he was asked about that he said: "One of us should be in the standing posture." To be sure, this is more suitable, since it makes washing and pouring water much easier, and closer to showing humility from the part of him who pours water. If it depends upon the intention, to be sure, to enable the servant to do his service well is far from arrogance, in accordance with the course of habit.

There are then seven items of proprieties to be observed in the bowl: not to spit in it, to be presented to him whom the others follow and imitate, to accept the honour of being given to him first, to be made to turn in such a way as to be given to him who is sitting in the right (in case of a gathering of people), to have an assembly of people gather on it, and to join the water of all the present people

join in it, to have the servant who is pouring water be in a standing posture, to eject the water from his mouth, and send it down from his hand lightly and gently, lest it would be sprinkled over the bed and those who are sitting, and to have the host pour the water by himself over the hands of his guest. This was what Malik had done with Shafi'i when he visited him for the first time and said to him: "Do not be astonished at what you've seen from me, since to serve one's guest is obligatory."

The sixth is that one should look at his companions (who share food with him), nor watch their eating, lest they would feel shy: on the contrary, he should lower his gaze from them, and rather engage himself in his own affair. He should not cease to eat before them, particularly if they will feel shy of eating after him. But rather let him keep stretching and withdrawing his hand, and have little by little until all of them get their fill. If the served food is little in quantity, let him reduce the amount he is eating from the first, until when there is a plenty of food towards the conclusion of the meal, he might then share them. This was done by many companions. If he, for a just cause, refrains from eating, he should apologize to them, to avert the possibility of their shyness.

The seventh is that he should not do that which others might loathe: he should neither shake off his hand in the bowl, nor get his head close to it when he places a morsel of food in his mouth; and if he takes anything out of his mouth, he should turn his face away from the food, and pick it up with his left hand. Moreover, let not him dip a fat morsel in the vinegar, nor dip that mixed with vinegar in the fat, since this might bother the others. If he cuts off a piece from the morsel with his teeth, he should not dip the remaining of it in the soup or in the vinegar. He further should not speak in such a way as to remind the others of the abominable things.

CHAPTER THREE: ETIQUETTES OF SERVING VISITORS WITH FOOD

There is an excellent reward for serving one's (poor) brother (in Allah's religion) with food. According to Ja'far Ibn Muhammad: "If you sit on the repast with your guests, make long your sitting, for it is an hour, during which nothing of your evil deeds would be recorded against you." According to Al-Hassan: "A man will be put to account for everything he spends on himself and his parents, and on anything else, but what he spends on his (poor Muslim) brother (in Allah's religion) who share food with him, which Allah Almighty feels shy of asking him about."

From amongst the narrations pertaining to serving food, a mention might be made of the following: (It is narrated by Tabarani on the authority of A'ishah that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The angels keep invoking for Allah's Prayer and Blessing upon anyone of you as long as his repast is still placed in front of him (to allow for his brothers to have food), until it is lifted." It is narrated from one of the Khurasan learned men that he

used to serve a great quantity of food to his (poor Muslim) brothers, who had no power to consume it entirely. On that he said: "We have been reported from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that he said: "If the one's brothers (invited to share food with him) lift their hands from the food, the one who eats the leftover of that food will not be put to account." So, I like to make much of what I serve you with, so that I could eat the leftover of it."

According to another narration: "A servant will not be put to account for such of food as he eats with his (poor Muslim) brothers." For this reason, one of them used to eat so much in congregation, and eat so little in privacy. According to a further narration (on the authority of Jabir the Prophet said): "Three (meals) for which one will not be put to account: the night meal a would-be fasting person eats a short while before dawn, a meal therewith he breaks his fast, and a meal which he shares with his (poor Muslim) brothers." According to Ali Ibn Abu Talib "Allah be pleased with him": "To gather my (poor Muslim) brothers to share with me even a Sa' of food is much dearer to me than to emancipate a slave."

Ibn Umar used to say: "The good pleasant provision one has on journey with which he serves his companions signifies his generosity." According to the holy companions : "To gather on food is one of the best manners." They "Allah be pleased with them" used to gather on reciting the Holy Qur'an, and they did never disperse unless there was necessity. It is said that the gathering of the brothers (in the religion of Allah) with sufficiency, affability and friendliness does not belong to this world. According to a certain narration (by Muslim on the authority of Abu Hurairah: Allah Almighty will say to a servant on the Day of Judgement: "O son of Adam! I was hungry but you did not feed Me." He will say: "O Allah! How should I feed You seeing that You are the Sustainer and Cherisher of the worlds?" He will say: "Your Muslim brother was hungry, and you did not serve him with food; and had you served him with food, surely, you would have fed Me."

(It is narrated by Al-Khara'iti on the authority of Anas that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If a visitor comes to visit you, offer a good hospitality to him." (According to a narration by At-Tirmidhi on the authority of Ali that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "In the Garden, there is a mansion (whose walls are so much transparent that) its inside could be visible from its outside, and its outside could be visible from its inside: it is for him who speaks well (with the people), serves others with food, and offers (supererogatory night) prayers while the people are sleeping."

(It is narrated by Ahmad and Ibn Hibban on the authority of Suhaib that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The best among you is he, who serves others with food." (It is further narrated by At-Tabarani on the authority of Abdullah Ibn Umar that) the Messenger of

Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who feeds his brother to the point of satiety, and provides him with water until he quenches his thirst, Allah Almighty keeps him as far as seven ditches from the fire (of Hell), the distance between each two of which is as long as a five hundred-year journey."

Its related proprieties might be divided into those pertaining to entrance, others to exit, and others to having food.

As for those pertaining to entrance, it is not out of the tradition that one comes to visit a people and eat until when it is the due time of having their meal, he enters upon them while they are eating. However, this is a sudden visit which is forbidden. Allah Almighty says in this issue: "O you who believe! Enter not the Prophet's houses, - until leave is given you - for a meal, (and then) not (so early as) to wait for its preparation: but when you are invited, enter; and when you have taken your meal, disperse, without seeking familiar talk." (Al-Ahzab 53)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ ﴿٥٣﴾ ﴾

(It is narrated by Al-Baihaqi on the authority of A'ishah that the Prophet said): "He, who walks to (a people to share with them) food, to which he is not invited, becomes wicked in his walk, and what he eats is unlawful." But, if a visitor does not intentionally expect for the due time of having their meal, and rather his visit coincides with the time of their eating, it is incumbent upon them not to share food with them unless he is given leave. If he is invited to eat, he should have a look: if he finds that they say so to him just with a true intention to have him share food with them, let him respond to the invitation; and if he finds that they say so just out of shyness, he should not eat, and rather, let him give good reason for his rejection.

But, there is no harm if anyone, forced by severe hunger, aims at one of his brothers to serve him with food, on condition that he should not expect for the due time of having his meal. (It is narrated by At-Tirmidhi and Muslim on the authority of Abu Hurairah, and At-Tabarani on the authority of Ibn Abbas that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", Abu Bakr and Umar intentionally went to the house of Abu Al-Haitham Ibn At-Taihan (one time) and the house of Abu Ayyub (at another time) to be served with food, since they were hungry. To enter as such is to aid a Muslim to get the reward of serving food to others; and this is was the habit of the early men. It is narrated that Awn Ibn Abdullah Al-Mas'udi had as many as three hundred and sixty charitable persons, whom he used to visit by turns along the year; and another had as many as thirty, whom he used to visit by turns along the month; and a third had as many as seven, whom he used to visit along the week. Thus, they were dependents upon their food givers, instead of getting their daily earnings, as well as those food givers did so to be blessed by them as one act of their worship.

Therefore, if one enters a house, and does not find its lord, and he is sure of his friendliness and close relation with him, which will cause him no harm in case he eats of his food, it will have the right to eat without his leave, since it is the consent which is intended by the leave particularly in the matter of food, which is not restricted to a certain type: a man might give a leave, and take oath (that another should eat of his food), even though he is not pleased, and thus eating his food is undesirable; and a man might be absent, and he might give no clear permission (that somebody should eat of his food), even though eating his food is desirable (for he is thought to be pleased).

Allah Almighty says in this issue: "It is no fault in yourselves , that you should eat in the house of a sincere friend of yours." (An-Nur 61)

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

Once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" entered the house of Barirah (A'ishah's freed slave-woman) and ate of her food while she was absent; and this food was given to her in charity, thereupon he said: "Of a surety, the charity has reached its destination (when she received it, and it turned to be a present when it was received by him)." He did so because he was sure of her happiness (with his eating of her food). For this reason, it is permissible for one to enter a house with no leave, in case he is sure that the lord's approval (i.e. he would have given him permission had he been in the house). But if he is not sure, he should take leave (before entering).

Muhammad Ibn Wasi' and his companions used to enter the house of Al-Hassan (Al-Basri) and eat whatever they found without taking his leave. Whenever Al-Hassan entered and saw that, he would grow happy and say: "As such we were." It is narrated from Al-Hassan that he was eating from the goods of a grocer in the market, a fig from this basket, and an apple from that heap, which prompted Hisham to ask him: "What is the matter with you O Abu Sa'id? Is it out of piety to eat of the goods of a man without taking his leave?" he said to him: "O foolish one! Recite to me the Holy Verse of eating." He recited it to him up to Allah's Statement: "It is no fault in yourselves, that you should eat in the house of a sincere friend of yours." (An-Nur 61)

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ

أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

He asked him: "What is the friend in your sight O Abu Sa'id?" he said: "It is he, with whom one feels at ease, and one's heart at rest."

Some people went to the house of Sufyan Ath-Thawri but they did not find him. They opened the door and placed the dining leather sheet, and started eating. When Sufyan Ath-Thawri entered he said: "No doubt, you have reminded me of the good manners of the early men: as such they were."

Some people visited one of the followers, who found nothing to serve them with. He went to the house of one of his friend, who happened to be absent at that time. He entered and had a look of a cooking vessel in which there was cooked food, bread which he had baked, and many other kinds, and carried all of it and served to his guests, telling them to eat. When the house lord came he found nothing (of his food). It was said to him that so and so had taken it, thereupon he commented: "Of a Surety, he has done well." When he met him he said to him: "O my brother! If your guests come back, do the same (you had done) once again."

Those are the proprieties pertaining to the entrance. As for those pertaining to serving, they go as follows:

The First is that one should not be ostentatious, in the sense that he should be satisfied with serving just what is available to him. If he has nothing to serve his guests with, and he could not afford to get anything, he should not force himself to lend for that purpose, and thus put himself to trouble; and if he has only what sustains himself (and his dependents), and he might not be pleased in the case of serving it, he should not present it. In this issue, it is narrated that one visited an ascetic who was eating, thereupon he said to him: "Had I not got this (food which I'm eating) by debt, surely, I would have served you with it." In description of ostentation, an early man said: "It is to serve your visiting brother with that which you are not used to eat, just to make it better in kind and value.

According to Al-Fudail: "Verily, the people might be boycotted because of ostentation: one might invite his brother (to a meal), and serve him with what is beyond his capacity, with the result that the invited one would not return to respond to his invitation once again." According to another one: "I do not mind to put myself to trouble if anyone of my brothers comes to visit me, and that's because I do not place a burden upon myself greater than what it can bear: I just serve him with what I have, and were I to serve him with what is beyond my

capacity, I would dislike and fell tedious of his visit. According to another one: I used to visit my brother frequently who used to serve me with what is beyond his capacity, thereupon I said to him: "Neither you nor I alone could eat all of that: what is the matter if you and I join in eating it? You should stop from this ostentation; otherwise, I should stop from visiting you." He then stopped from it, with the result that we came to keep our gatherings.

It is ostentatious that one should serve his guest with all that he has, and thus wrong his dependents and do harm to them. It is narrated that a man invited Ali "Allah be pleased with him" to a meal, who said to him: "I am ready to answer your invitation on three conditions: buy nothing from the market (just for the sake of me), save naught what is in the house, and wrong not your dependents." One of the men used to serve his guests with an amount of everything he had in the house, leaving no vessel of food without bringing some of it. (According to the narration of Ahmad on the authority of Salman Al-Farisi): We visited Jabir Ibn Abdullah who served us with bread and vinegar and said: "Had we not been forbidden to serve you more than what we have, surely, I would have served you with more (than what I have in my house)."

One of the learned men said: "If somebody aimed at visiting you, you should serve him just with what is present at the time in the house; and if you asked somebody to visit you, leave nothing but you should serve it to him." (It is narrated by Al-Khara'iti on the authority of) Salman Al-Farisi that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" ordered us not to serve the guest with what we have not, and to serve him just with what is present in the house at the time."

According to a narration from the Prophet Jonah "Peace be upon him" that his brothers had visited him, and he served them with a fragment of bread, and cut a bunch of grains which he was planting, and then he said to them: "Eat! Had it not been for the fact that Allah Almighty cursed those who place upon themselves what is beyond their capacity (to serve food to their guests), surely, I would have placed upon myself as much as could (to serve you with more food)." It is narrated from Anas and his companions "Allah be pleased with them" that they used to serve their guests with what was available to them at the time, such as fragments of dry bread and hard dates, and they used to say: "We do not know which of both is more sinful: the one who looks down upon what is presented to him, the one who looks down upon what he has to serve his guests with."

The second is that a visitor has no claim to suggest or impose a certain kind of food to be served with by his host, lest it would be difficult upon him to bring it. Moreover, if he is given the freedom to choose between two kinds of food, let him choose the easier of them upon him in accordance with the authentic tradition. It is narrated (unanimously on the authority of A'ishah) that never did the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was given the

freedom to choose between two things but that he chose the easier of them as long as it leads to no sin.

It is narrated by Al-A'mash on the authority of Abu Wa'il that he said: I went with a companion of mine to visit Salman (Al-Farisi) who served us with parley bread and crushed salt, thereupon my companions aid: "Had this salt contained thyme, it would have been more pleasant." On that Salman came out and mortgaged his pot in which he used to perform ablution for thyme and then when we ate my companion said: "Praise be to Allah Who has satisfied us with what he provided us for sustenance." Salman said to him: "Had you been satisfied with such of sustenance as given to you by Allah, surely, I would not have mortgaged my pot in which I perform ablution." This might be done when one thinks it difficult upon his brother or undesirable in his sight.

On the other hand, a guest might possibly suggest (such of kinds of food as he likes) if he knows that he will be happy at that, and that it will be easy for him to do it. This is what Shafi'i did with Za'farani during his stay in his house in Baghdad. It was the habit of Za'farani to record such of kinds of food as he liked to be cooked on a parchment and deliver it to the slave-girl. On one day, Shafi'i took the parchment and added with his hand another kind of food (to be cooked). When Za'farani saw that kind of food, he denied it and said: "I've not ordered that it should be cooked." The slave-girl showed him the parchment, having the handwriting of Shafi'i, and on seeing it he grew happy, and emancipated the slave-girl out of his joy of Shafi'i's suggestion.

Abu Bakr Al-Katani said: I visited As-Sari who brought a piece (of bread) and dipped half of it in the vessel, thereupon I said to him: "What are you doing since I drink it all at once?" he laughed and said: "This is much better for you than (the reward of) pilgrimage." One of the learned said: "Eating is of three kinds: When you share food with the poor, give them preference over you; and when you share food with your brothers, you should be joyful; and when you share food with those of this world, you should be courteous

The third is that the host should stimulate the appetite of his visiting brother, and seek to accept his suggestions (of such of kinds of food as he likes) as long as he will be well-pleased with that, since this is good, for which there is reward in abundance. In this connection (it is narrated by both Al-Bazzar and At-Tabarani on the authority of Abu Ad-Darda' that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who feeds his (Muslim) brother in coincidence with his need to eat, Allah Almighty will forgive for him (his sins); and he who causes his believing brother to be happy, Allah Almighty will cause him to be happy." It is further narrated (by Ibn Al-Jawzi) on the authority of Jabir that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who feeds his (Muslim) brother with what he has desire for, Allah Almighty will write for him one thousand thousand good deeds, plot out from him one thousand thousand evil deeds,

upgrade him one thousand thousand degrees higher, and feed him from three gardens: the garden of Paradise, the garden of Eden, and the garden of eternity."

The fourth is that the host should not start by suggesting to offer food to his visitor saying: "Should I present food to you?" but rather, let him initiate to serve him with food if he is really going to do so. According to Ath-Thawri: "If your brother visits you, do not say to him: 'Should you eat' or 'should I present food to you'. But rather, you should hasten to serve him with food: he might eat if he so likes, otherwise you might lift it." Furthermore, if he does not intend to present a certain kind of food to his visitors, he should not make announcement or description of it. According to Ath-Thawri: "If you do not intend to feed your dependents from what you are eating, do not talk to them about it, and do not let them see it with you." According to one of the Sufis: "If the poor men come to visit you, serve them with food, and if the jurisprudents visit you, raise to them questions pertaining to jurisprudence, and if the reciters visit you, guide them to the places of worship."

CHAPTER FOUR
ETIQUETTES OF ENTERTAINING

Those are six: to make invitation, to answer the invitation, to attend banquet, to serve food, to eat, and then to turn away. Now, let's come to explain each of those in detail, Allah Willing.

Excellence Of Entertaining

(It is narrated by Abu Bakr Ibn Lala on the authority of Salman Al-Farisi that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Place not upon yourselves a burden greater than what you could bear to serve your guest, lest you would come to dislike him, and he who dislikes his guest, dislikes Allah, and he who dislikes Allah Almighty, of a surety Allah Almighty dislikes him." (It is further narrated by Ahmad on the authority of Uqbah Ibn Amir that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There is no good in him who does not entertain (his guest nor deal with him generously)."

(It is narrated by Al-Khara'iti on the authority of Abu Al-Minhal that) once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" came upon a man who had a good property of camels and cows in abundance, who did not entertain him. Then, he came upon a woman who had but a little flock of sheep, who slaughtered one to entertain him. On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Behold! Of a surety, those characters are in the Hand of Allah Almighty: He grants the privilege of good manners to whomever He wills if He so likes." (According to the narration of Ishaq Ibn Rahawaih and Ibn Mardawaih) Abu Rafi' said: A guest visited the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" who said to me: "Tell so and so

from the Jews that 'a guest had visited me: so, please, lend me an amount of powder until the month of Rajab.'" The Jew said to me: "By Allah! I'm going to lend you nothing except for anything to be given in pledge." When I told him he said: "By Allah! I'm trustworthy among the inhabitants of the heaven, and I'm trustworthy among the inhabitants of the earth; and had he lent me (even with nothing to be taken in pledge) surely, I would have repaid it to him. Give him my armour in pledge."

It was the habit of Abraham, Allah's Bosom Friend that if he intended to have food, he would set out and walk as far as a mile or two, seeking anyone who might share his early meal with him. For this reason, he was called the Father of Guests. In view of his true intention in this respect, (the traces of) his hospitality survived until today in front of his station, to the extent that no night would elapse without a group from three to ten to one hundred having food there. The custodian of the setting report that no night elapses without (at least) a visitor.

(According to a unanimous narration on the authority of Abdullah Ibn Amr) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked about (the concept and significance of) faith, thereupon he said: "It is to serve food (to the poor and indigent) and salute with peace (whomever you meet)." (According to the narration of both Tirmidhi and Al-Hakim on the authority of Mu'adh) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: in description of what expiates sins and upgrades one to the high degrees: "It is to serve food (to your visitors) and offer (supererogatory) prayers at night when the people are sleeping." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was further about the greater pilgrimage which is accepted (by Allah Almighty), thereupon he said: "It is to serve food (to others) and say but good and pleasant words." According to Anas "Allah be pleased with him": "The angels never enter a house which no guest visits."

However, the narrations and reports of the great excellence of entertaining and serving the guests with food are beyond calculation. But now, let's make a mention of its proprieties.

The first is the invitation: let the inviter specify his invitation to the pious Allah-fearing and not the wicked. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Abu Dawud on the authority of Anas, by way of invoking good upon a host): "Might the pious eat of your food!" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Eat not but the food of a pious Allah-fearing, and let none but a pious Allah-fearing eat your food." It is the poor indigent and not exclusively the rich wealthy who are intended. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to a unanimous narration on the authority of Abu Hurairah): "The worst of food is that of a banquet, to which only the rich wealthy and not the poor indigent are invited."

Furthermore, one should not neglect to entertain his kith and in, since neglecting them is estrangement and severing relations of kinship. Let him also observe the order in inviting his friends and companions, since to favour some to others results in their estrangement. One should not make his invitation for the purpose of showing pride and flamboyance: on the contrary, he should intend, by his invitation, to attract the hearts of his (Muslim) brothers, and imitate the tradition of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" of serving food (to others) and cause the faithful believers to be happy and joyful. One should not invite such of persons as he knows it is difficult upon him to answer his invitation, and even in the case of response, he will be harmed by the other attendants for some reason. He should not invite but such of people as he has desire for his response. According to Sufyan Ath-Thawri: "He, who invites a person (to a banquet) and he dislikes that he should respond to his invitation, will bear a sin; and in case the invited one accepts the invitation he will bear two sins, for indeed, he has forced him to eat from his food even though against the desire (of the inviter), and were the invited to know that, surely, he would not eat it."

On the other hand, to feed a pious Allah-fearing is to help him obey (Allah and do acts of worship) and to feed a wicked is to strengthen him to persist in wickedness. A tailor said to Ibn Al-Mubarak: "It is my profession to weave the dresses of the magistrates: do you fear I might belong to the helpers of wrongdoers?" he said: "No, for the helpers of the wrongdoers are those who buy from you threads and needles. But it is you who is unjust to his own self."

The second is the acceptance of invitation, which is a confirmed usage, if not obligatory according to many narrations. (In this connection, It is narrated by Al-Bukhari on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that) The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If I am invited to a meal of trotters I will accept it; and if I am given a trotter as a present I will accept it." There are five proprieties pertaining to the acceptance of invitation:

One should not favour the rich wealthy with accepting his invitation to the poor, since this is the forbidden arrogance. For this reason, one of the learned refrained from accepting the invitation and said: "To expect for soup (from another) is to put himself to humiliation." Another one said: "If I place my hand in the bowl (of food) belonging to another, I would put down my neck to him." It is the habit of the arrogant to accept the invitation of the rich and not of the poor, in opposition to the Prophetic tradition. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to accept the invitation of even both the servant and the indigent (according to the narration of At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Anas). Once, Al-Hassan Ibn Ali came upon a group of indigent who used to beg from the people on the way, and they were spreading fragments of bread in the sand on the ground, from which they were eating. He was riding his mule when he saluted them and they said to him: "Come to share the early meal with us O son of the daughter of the Messenger of Allah "Allah's

blessing and peace be upon him"!" he said: "Yes. No doubt, Allah Almighty loves not the arrogant." He dismounted, sat with them on the ground, and started eating. Then he saluted them and rode his mount. He said to them: "I've accept your invitation, and it is your turn to accept my invitation." They answered in the affirmative. He gave them appointment, and when they attended, he served them with the expensive delicious kinds of food, and sat to share food with them.

As to the statement of he who says: "If I place my hand in the bowl (of food) belonging to another, I would put down my neck to him", it contradicts the usage and the sight of a learned man, who is of the opinion that one puts down his neck to the inviter if the latter will not be pleased with his (the former's) accepting his invitation, nor will he be under any obligation to the inviter, but rather he will consider himself to be his benefactor. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to accept the invitation of others because of his knowledge that the inviter, by so doing, would be under obligation to him, since he would seek to have his (the Prophet's) attendance a cause of honour, and a source of treasure (of good deeds) for him in both this world and the hereafter.

But this varies with the difference of states (of persons): it is not out of the right way (of Sunnah) to accept the invitation of anyone thought to feel it difficult upon himself to serve food to others, or to do so out of showing pride or ostentation (according to the narration of Abu Dawud on the authority of Ibn Abbas). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also forbade to have the food of such of persons as compete one another in glory, by way of showing pride, and in order to be seen of men, according to Abu Musa Al-Madini. It is more fitting in this case for one to apologize for his failure to answer the invitation.

For this reason, a Sufi man said: "One should not accept but the invitation of him who thinks that (by having food in his house) you have got only your sustenance (doomed to you to be in his house), and that he has handed over to you your trust which was kept with him, and sees himself under obligation to you because of your accepting this trust from him. According to Sari As-Saqati : "Alas for a morsel of food, in which there is no guarantee from Allah, nor there is anyone to be under obligation to another." For this reason, if the invited learns that the inviter will not be under obligation to him, he should not accept the invitation.

Abu Turab An-Nakhshi said: "Food was offered to me (by somebody) and I refrained from having it, thereupon I was put to suffering from hunger for fourteen days, till I came to learn that it was its punishment." It was said to Ma'ruf Al-Karkhi: "You always come upon him who invites you (to food)." On that he said: "I'm a guest and I dismount wherever they make me dismount."

2- As well as one should not cease to accept the invitation because of the poverty and low status of the inviter, he should not refrain from accepting it

because of the long distance (between him and the inviter). But he should not abstain from accepting the invitation in so far as it is within his capacity to cover the distance. For this reason, it is said in the Torah, or in one of the Scriptures: "You should visit a patient (to enquire about his health) even though it takes you to cover as long as a mile; and you should be eager to follow the funeral procession, even though it takes you to cover as long as two miles; and you should accept the invitation (of your Muslim brother) even though it takes you to cover as long as three miles; and you should visit your brother in (the religion of) Allah, even though it takes you to cover as long as four miles." Accepting the invitation and visiting the patient (to inquire about his health) are give priority for they are to fulfill the right of a living, which is more fit to be observed than that of the dead.

The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If I am invited to a meal of trotters even in (the place of) Ghaimi I will accept it; and if I am given a trotter as a present I will accept it." This place is several miles far from Medina, in which The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" broke his fast during the month of Ramadan (in the year of Conquest according to the narration of Muslim on the authority of Jabir). Furthermore, The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" made short the prayers on his journey.

3- One should not cease to come on the grounds of his claim of fasting. But, rather let him come, and if his brother (who has invited him) should be pleased with breaking his fast, let him do, in the case of the voluntary fast, and expect from Allah Almighty because of breaking his fast with the intention of pleasing his brother the same reward he expects because of his fasting, if not better. If he is not sure of his happiness, let him give trust to his external behaviours, and break his fast. If he is certain of his being ostentatious, let him apologize and give reason for (his nonattendance).

(In this connection, it is narrated by Al-Baihaqi on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri that he prepared food, and invited the Prophet and his companions, and when the food was presented a man from the people told him that he was fasting, thereupon) The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said to him who apologized on the grounds of his claim of fasting: "Is it appropriate that your father should invite you and draw upon himself the cost (of food) for your sake, and you should say that you are fasting?"

According to Ibn Abbas: "The best of deeds in this respect is to esteem the sitting persons with breaking one's fast, for indeed, to break one's fast with such intention is an act of worship and one of the good manners, whose reward is superior than that of fasting." If he does not break his fast, his entertainment should be scent and censor, in addition to the good speech. It is said that kohl and oil act as an aspect of generosity (with which one should treat his guest).

4- One should refrain from attending the banquet in case there is suspicion about the food, or the place and carpet are brought from unlawful sources, or there is in the location such abominable and shameful things as brocade mats silver utensils, pictures (of living beings) on the ceiling or wall, or hearing musical instruments, or engagement in amusement, playing music, jesting, or hearing viciousness and calumnies concerning those who are absent, false speech, lies, and the like of such things as hinders, and renders as forbidden the response to invitation. (One should also refrain from response) if the inviter is a wrongdoer, wicked, or innovator (of heresies which have no reference in the Qur'an and Sunnah), or ostentatious in the hunt for showing pride and glory.

5- One should not intend by answering the invitation only to satisfy his appetite, kept he would be of those whose work is for this world: but rather, let him make good his intention, perchance he would have his work for the hereafter. Let him intend (by his response) to imitate the guidance of The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" in his statement: "If I am invited to a meal of trotters even in (the place of) Ghaimi I will accept it; and if I am given a trotter as a present I will accept it." He should also intend to be cautious to disobey Allah Almighty, depending upon the statement of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" (according to the unanimous narration on the authority of Abu Hurairah): "He, who does not answer the invitation, has, indeed, disobeyed Allah and His Messenger." Let him also intend to treat with deference his brother (who invites him), in imitation of the guidance of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" who said (on the authority of Jabir): "He, who treats his believing brother with deference has, indeed, exalted Allah Almighty."

Furthermore, let him intend to cause his brother to be happy and joyful, in compliance with the statement of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" who said: "He, who causes a faithful believer to be happy, has, indeed, pleased Allah Almighty." He should intend, by visiting him, to be of those who love each other in (the religion of) Allah Almighty, since The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" stipulated that such (as love each other in Allah's religion) should exchange visits and visits in (the religion of) Allah. Since the giving (of gift) has been done from one side (by invitation), the visit should occur from the other side. He should also intend to safeguard himself from being exposed to evil suggestions because of his rejection to come, and give grounds for others to talk about him with evil, and ascribe to him arrogance, bad manners or regarding with contempt his Muslim brother, or the like of that.

Those are six intentions one should have by his response to the invitation, and anyone of them could make his answer one of the acts of worship: what then about them in combination? One of the early men used to say: "Verily, I like to have intent by any of my deeds, including even having food or drink." In connection with the like of that, (it is narrated by Al-Bukhari and others on the authority of Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" that) The

Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "(The rewards of) man's deeds are reckoned according to his intentions. In this way, one has only (the reward of) what he intended. So, he, who immigrated to Allah and his Messenger, (the reward of) his immigration would be to Allah and his Messenger; and he, who immigrated to a world (benefit) to gain, or a woman to marry, would have only what he left for."

To be sure, the intentions pertaining to the acts of worship and the permissible deeds are favourable, and this is not so pertaining to what is forbidden. But it is of no benefit to intend to please one's brother through helping them drink wine, or do what is unlawful, and it will not be possible to say that (the rewards of) deeds are reckoned according to the intentions. Moreover, if one intends by fighting (in Allah's Cause), which is, in itself, an act of worship, to show pride and vie in glory, and seek for property, he will deviate from the reality of worship. Similarly, such of things as is permissible, which drives one to fluctuate between various kinds of deeds, whether good or not: in this case, it joins the good deeds in accordance with the intention. Thus, the intentions are favourable in those two categories (what is lawful, and what is permissible), and not the third (which is unlawful and forbidden).

Thirdly: as for the proprieties of attendance, let him enter the house, but without seeking to be in the front to take the best of places: but, let him show humbleness. He should neither make them wait him for a long time, nor be hasty to come suddenly upon, just before they get ready (to receive him). He should also not make the space narrow for the attendants through congesting; and if the lord of the house suggested that he might sit in a certain place, he should not differ with him, because he might possibly have arranged the sitting place fit for each one, and to differ with him in this respect is to perplex him. If one of the guests beckons to him to raise high (above them), to exalt him, he should behave humbly, depending upon the statement of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" (as in the narration of both Al-Khara'iti and Abu Na'im on the authority of Talhah Ibn Ubaidullah): "It is out of showing humbleness for the sake of Allah Almighty to be satisfied with the lowest of sitting places."

He should not sit facing the door of the chamber of women where they are screened, nor should he look so much at the place from which the (dishes of) food are brought out (to be put on the table), since it refers to his greediness. Let him pay salutation and inquire about the state of him who is sitting near him. In the case of a guest who will spend the night in the house, the lord of the house should show him, on entering, the direction of the Qiblah, the water circulation and the place of ablution. Malik did the same with Shafi'i.

Furthermore, Malik washed his hand ahead of the people before having food and said: "It is incumbent that the lord of the house should wash his hand ahead of the people before having food, because he invites them to his generosity. For this reason, the rule requires him to wash his hand first before having food, and be the last of them to wash his hand in the end of the meal; to be able to wait

him who enters to eat, to share food with him."

If one enters and sees what is shameful, let him change it in case it is within his capacity, otherwise, let him deny it at least with his tongue, and then turn away. It is shameful to spread brocade, use utensils of gold and silver, to draw pictures (of living beings) on the walls, to listen to amusement and musical instruments, and to sit with women whose faces are uncovered, etc. Ahmad "Allah's Mercy be upon him" said: "If one sees even a kohl-pot of silver head, he should leave the gathering." He gave permission only to sit in a mosquito net, and said: "If one sees a door latch, he should turn away, since it is out of useless ostentation, for it never safeguards from cold or hot, nor does it act as a screen." He also said that "he should come out if he sees the walls of the house covered with brocade, in the same way as the Ka'bah is decorated." He further said: "If one rents a house in which there is a picture (of a living being) on the wall, or enters a public bath in which there is a picture (of a living being) on the wall, he should scrape it (to remove it); and if he could not do, he should then come out."

However, what he mentioned is right, but his argument of both the door latch and covering the walls with brocade is questionable, for they do not lead to doing what is unlawful. Verily, silk is forbidden to men depending upon the statement of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" (in accordance with the narration of Abu Dawud, An-Nasa'i and Ibn Majah on the authority of Ali): "Verily, both (silk and gold) are unlawful for the males and lawful for the females of my nation." What is on the wall is not ascribed to men, and had it been prohibited, of a surety, it would have been prohibited to decorate the Ka'bah. It is more appropriate to render it permissible, depending upon the statement of Allah Almighty: "Say: Who has forbidden the beautiful (gifts) of Allah, which He has produced for His servants, and the things, clean and pure, (which He has provided) for sustenance?" (Al-A'raf 32)

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾

This is so particularly at the time of adornment, provided that it should not be taken habitually by men to show pride and vie in glory with each other. Therefore, if it is imagined that men benefit from looking at it, of a surety, it is not unlawful for men to get benefit from looking at brocade when it is worn by slave-girls and women (lawful for them to see). Walls have the same rule of women, since they are not described as males.

Fourthly: is there are five proprieties pertaining to presenting food:

1- One (who is the inviter) should hasten to present food, since this is out of generosity with which one should treat his guest. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to a unanimous narration on the authority of Abu Suraij): "He, who has faith in Allah and His Messenger, should deal generously with his guest." Once the majority of the invited are present, and one or two delay to come at the time appointed, it is

more fitting to hasten to serve food to those who have attended than to delay it for the sake of those who have not attended yet, unless the late one is a poor or of those whose heart might be broken by that, and in this case, there is no harm to delay the food. One of both meanings which the statement of Allah Almighty "Has the story reached you, of the honoured guests of Abraham" (Adh-Dhariyat 24)

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

Implies is that they were honoured by hastening on the food to be served to them, as attested from Allah's saying: "and hastened to entertain them with a roasted calf." (Hud 69)

﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾

And: "Then he turned quickly to his household, brought out a fatted calf." (Adh-Dhariyat 26)

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ ﴾

It was said that he brought a fat thigh (of cooked meat) as quick as he could.

According to Hatim Al-Asamm (as in the narration of At-Tirmidhi on the authority of Sahl Ibn Sa'd, and Abu Dawud on he authority of Sa'd Ibn Abu Waqqas): "To do things in haste is caused by Satan except in five in which it is out of the right way of Sunnah of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": To serve the guests with food, to prepare the dead body for burial, to give the virgin in marriage, to fulfill the debt, and to repent from sin. It is desirable to hasten on to the banquet. It is said that the banquet on the first day is out of the right way of Sunnah, on the second a favour, and on the third out of showing off to be seen of men.

2- one should present the various kinds of food in due order: let him, for instance, first present the fruits if there are fruits to be served, since it is more appropriate from the medical point of view, for the fruits are more apt to be dissolved (and easier to be digested), and thus, it should be in the lower portion of the stomach. In reference to that, the Qur'an says: "And with fruits, any that they may select." (Al-Waqi'ah 20)

﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

Then it says: "And the flesh of fowls, any that they may desire." (Al-Waqi'ah 21)

﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

However, both meat and porridge are the best of food to be served after the fruits, depending upon he statement of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "The superiority of A'ishah to all the women is like the superiority of porridge with meat to all kinds of food." If sweet is joined to it

afterwards, all good things will have been combined.

That serving the guests with meat is a sign of honouring them is attested from Allah's statement about the guests of Abraham: "and hastened to entertain them with a roasted calf." (Hud 69)

﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾

To serve the guests with meat then confirms the generosity with which they should be treated, according to one of the meanings ascribed to generosity. N description of the good things, Allah Almighty says: "and We sent down to you Manna and quails (Salwa), saying: "Eat of the good things We have provided for you."" (Al-Baqarah 57)

﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾

Manna here refers to honey, and quails to the flesh (of a certain bird); and it was given the name of "Salwa" (condolence) for by it one is consoled from all condiments, and nothing other than it could stand in the same position.

For this reason, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, meat is the principal kind of condiment." After mentioning both Manna and quails, Allah Almighty says: ""Eat of the good things We have provided for you."" (Al-Baqarah 57)

﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾

This means that both meat and sweet are of the good things. According to Abu Sulaiman Ad-Darani : "Eating the good things summons the contentment with Allah Almighty." Those good things are integrated with drinking the cold water, and pouring the warm water over the hand on washing after finishing from food. According to Al-Ma'mun : "To drink water with ice makes one sincere in his gratitude."

According to a belletrist : "If you invite your brothers (to a banquet) and serve them with Hasramiyyah and Buraniyyah, and provide them with cold water, you will have indeed completed hospitality." One spent many Dirhams to entertain (his companions), thereupon a wise man (who was invited) said to him: "We were not in need of all of that: if your bread is good, your water is cold, and your vinegar is sour, this would be sufficient." One of the learned said: "The sweet after food is much better than many kinds of food, and to be able to satisfy one's need on the table is much better than to have two further kinds of food." It is said that the angels attend the repast which includes pot-herbs, since it is desirable, because of such of vegetables as adorn it. According to a certain narration, it is related that the repast which was sent down to the children of Israel had from all the various kinds of pot-herbs, except for leek, in addition to a fish, with vinegar by the side of its head and salt by the side of its tail, and seven loafs, on each of which there were olives

and seeds of pomegranate. If all of that is combined, it will be good for agreement (with that repast).

3- One should present the most pleasant kinds of food in combination so that everyone should take what satisfies his appetite, and does not make much of eating after it. However, it is the habit of the luxurious to present the thick food in order that the guests should resume their appetite by getting the pleasant after it; and this is different from the right way of Sunnah, since it is a trick used for making much of food. It was the habit of the early men to present the entire kinds of food, all at once, and align the bowls of food on the table, so that everyone should get what he desires. If one has only one kind of food, he should make a mention of it, in order that they would eat their fill from it, and wait not for what is more pleasant. It is related from a generous man that he used to write down such kinds of food as he had, and offer it to the guests.

An old man said: "One of the grand men of Sham served us with a kind of food and I said: "In Iraq, we are in the habit of making this kind is the last to be served." He said: "So we are in Sham." But since he had no kind of food other than it, I felt shy of him." Another man said: "We were a group of guests when several kinds of roasted heads, some of which were cooked and others dried. We did not eat in expectation for other kinds or for (the cooked meet of) a ram to be served. Then, the washing tub was brought to us (to wash our hands) and nothing else of food was presented to us. We looked at each other. An old man said jokingly: "Verily, Allah Almighty has power to create heads without bodies." We spent that night in a state of hunger, seeking even the fragments (of bread to satisfy our hunger) until the time of Suhur came upon us." For this reason, it is desirable that one should present the entire food all at once, or tell the guests of what he has (in order not to expect for more).

4- One should not hasten to lift the several kinds of food before they satisfy their desires from all of them, and raise their hands from them, lest a certain kind of food might be more delicious in the sight of anyone of the attendants than the others which have been presented, or one might still have need to eat more, and he would be disturbed if it is lifted hastily. This belongs to the act of enabling the guest to satisfy his needs on the table, which is said to be much better than two extra kinds of food. It probably means either to abandon the haste or to refer to the large space.

In this connection, it is related from As-Suturi, one of the Sufis and he was a joking man, that he attended a meal in the house of those of the world, and (the cooked meat of) a ram was served to them. The lord of the house was a niggard. When he saw the people having cut the ram into pieces, he was disturbed, and he said: "O slave! Lift it up to the children (to eat)!" he lifted the ram to the inside of the door, thereupon Suturi stood and ran after the ram. He was asked: "Where are you going?" he said: "I'm going to eat with the children." The man felt shy and ordered that the ram should be brought back.

One should not also lift his hand from the repast before the people, lest they

would feel shy of him: on the contrary, he should be the last to eat. One of the generous people used to tell the people of all kinds of food he was going to serve them with, and let them eat their fill, and when they would be about to finish, he would kneel on his knees and stretch his hand towards the food and start eating and say: "In the Name of Allah! Help me (O assembly of attendants consume this food) might Allah bless you and send His blessing upon you." The early men used to appreciate that from him.

5- One should present the amount of food that is sufficient, for to serve the guests with what is less than their satisfaction is out of niggardliness, and with what is beyond their satisfaction is out of ostentation and showing off, particularly if he is to be bothered by their eating the all quantity served to them. But in case he is to be well-pleased with their eating the all quantity served to them, and intend to seek the blessing of the remnant of their food, he might then present a great quantity, since he will not be reckoned for it according to a certain narration.

In this connection, it was reported that Ibrahim Ibn Adham brought a great quantity of food on his repast, thereupon Sufyan said to him: "O Abu Ishaq! Do you not feel afraid this might be out of extravagance?" On that Ibrahim said to him: "(To serve your guests with) food leads to no extravagance." If this intention is absent, then, it is ostentatious to make much of it. According to Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him": "We were forbidden to accept the invitation of him who vies in glory and shows pride because of his food." A group of the companions disliked to eat the food which was presented just for the purpose of showing glory and pride. Furthermore, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to leave no remnant of food to be lifted (after finishing), because they used to present as much as only to satisfy their need, and they used not to eat their fill.

Therefore, one should set aside the portion of the household, lest their eyes would be looking forward to anything to be brought back, which might not be brought back (as they expect), with the result that they would be disturbed, and go on abusing the guests, and in this way, he will have served the guests with that which incurred the aversion and hatred of others, and thus he will have betrayed them. The guests have no right to take the remnant of food, that which the Sufis call 'loss of balance', unless the food owner gives permission with good pleasure, or it is understood from his state that he agrees and is pleased with that. But if he is thought to dislike that, it should not be taken; and in case of his accord, justice and fairness among the fellows should be observed, so that one should not take what is beyond his need, with which his fellows would agree out of his own accord and not because of shyness.

Fifthly, there are three proprieties for turning away (after finishing from the meal) and they go as follows:

1- The inviter should come out to the door of the house in the company of the guest, out of honouring him as required by the Sunnah. the Messenger of

Allah "Allah's blessing and peace be upon him" ordered that the guest should be dealt with generously as shown from his statement: "He, who has faith in Allah and the Last Day should deal generously with his guest." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "It is out of the etiquette of treating the guest that he should be send off until the door of the house." According to Abu Qatadah: The delegate of the Negus came to visit the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", who stood to serve them by himself, and when his companions said to him: "O Messenger of Allah! Let's do it on your behalf" he said: "Nay! They honoured my companions (who emigrated to Abyssinia), and I like to reward them."

It is out of the perfect exaltation to receive the guest with cheerful face and good speech, on entrance and exit, as well as on the table. It was said to Al-Awza'i: "What is the dignity of the guest?" he said: "It is to meet him with cheerful countenance and good speech." according to Yazid Ibn Abu Ziyad: "I've never visited Abd Ar-Rahman Ibn Abu Laila but that he had a good speech with us, and served us with pleasant food."

2- The guest should turn away with content even though there is indulgence in treating him, for his content in any state is out of the good manners and humility. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Of a surety, a man might attain, with his good manners, the high degree of the fasting person, who stand for night supererogatory prayers." Once, an invitation was sent through a courier to one of the early men but the courier did not coincide with the time of his presence in the house. When he heard (of the invitation) he attended just by the time they (the invited people) had turned away sparsely after finishing from food. The lord of the house came out to him and said: "The people have come out." He asked him: "Has anything remained of the food?" he answered in the negative. He said: "And even not a remaining fragment (of bread)?" he said: "Why should it remain?" he said: "Then, give me the cooking vessel to sweep (the traces of food from) it." He said: "I've washed it." He then turned away, praising Allah Almighty. When he was asked about that he said: "Verily, the man has done well: he has invited us with good intention, and returned back with good intention."

This is the significance of humility and good manners. It is reported that the tutor of Abu Al-Qasim Al-Junaid was invited by a child four times to a meal in the house of his father, and the father returned him in the four times. In each time, he returned (to accept the invitation) to please the child, and turn away to please the father.

Undoubtedly, those souls were made humble by their submission to Allah Almighty, and reassured by (the faith they had in) Unitarianism, in such a way as they came to see in every acceptance and rejection a lesson to be learnt between them and their Lord. The result that they were not broken by being humiliated by the servants, neither did they rejoice at their being honoured by them; and that's because all things were seen by them to have come from Allah, the One and Only, the Irresistible. For this reason, one of them said: "I accept

the invitation only because by it I remember the food of the Garden, in the sense that it (the food of the invitation) is pleasant food, and we are relieved of such toil of earnings, supplies and reckoning (in the hereafter) as related to it."

3- The guest should not leave but by the consent and good pleasure of the lord of the house. Let him seek to soothe his heart in the duration of his stay in his house: if he visits him as a guest, he should not stay beyond three days, lest the lord of the house would be annoyed by him, and hopes to drive him away. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to a unanimous narration on the authority of Abu Shuraih Al-Khuza'i): "The time of entertaining a guest is (no more than) three days, and (it is not acceptable for one to stay) more but by chance." But if the lord of the house asked him persistently and faithfully to stay more, he has the right to stay. It is desirable for the lord of the house to have an independent bed for the guest (who is going to stay in his house). the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Muslim on the authority of Jabir): "(One should have only three beds) a bed for the man, another for the woman, a third for the guest, and the fourth (if any) then will be for Satan."

SUBCHAPTER CONTAINING GOOD SPORADIC ETIQUETTES AND INSTRUCTIONS PERTAINING TO LAW

The first is that it is related from Ibrahim An-Nakh'i that he said: "It is out of ignobleness to eat in the market." (This narration is transmitted by Tabarani on the authority of Abu Umamah, and Ibn Adi on the authority of Abu Hurairah, and it is attributed to the Messenger of Allah). The opposite of this narration is transmitted (by At-Tirmidhi, Ibn Majah and Ibn Hibban) on the authority of Ibn Umar who said: "We used to eat during the lifetime of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" while walking, and drink while standing." It is related from one of the well-known venerable Sufis that he used to eat in the market, and when he was discussed about that he said: "Woe to you! Should I become hungry in the market until I eat in the house?" it was said to him: "Then, you might enter the mosque." He said: "I feel shy of entering Allah's House just for eating."

The point of adaptation is that eating in the market is out of showing humbleness and giving up ostentation in the sight of some people, who are of the opinion that it is of good manners; as well as it is considered to violate gallantry in the sight of others, thereby it is undesirable. However, it varies in accordance with the different customs of countries and different states of persons. For this reason, if this act is not consonant with the entire deeds of a man, he would ascribe (eating in the market) to the lack of gallantry and surplus of greediness, which, in the end, has a negative impact on witnesses; and if this act is consonant with the whole of his deeds and states, which require him to give up ostentation, it would be out of showing humbleness.

The second is that Ali "Allah be pleased with him" said: "He, who starts his early meal with salt, Allah Almighty removes seventy diseases from him; and he, who eats seven pressed dates of Ajwah daily, all insects in his stomach are killed;

and he, who eats twenty-one red raisins daily, nothing he dislikes is experienced in his body. Verily, the flesh (one eats) begets the flesh (of the body); and the porridge is the food of Arabs. Verily, eating the edible sweet (so much excessively) makes huge the belly, and relaxes both testicles. The flesh of beef causes disease, whereas the milk of cows is healing, and it cooking butter a medical treatment. Fat drives out the like of it from the body. Nothing better than fresh dates, could cause the confined woman (because of postpartum) to recover. Surely, fish dissolves the body. The recitation of Qur'an and usage of toothpick remove the mucus. He, who likes to survive, even though in no way could one survive forever, should hasten to have his early meal, have his supper twice, and put on shoes. Nothing like ghee could treat men. Let him diminish his sexual intercourse with women, and make light his clothes. and this is out of (the proprieties of) religion."

The third is that Al-Hajjaj said to a physician: "Give me a medical prescription which I could foster, and never go beyond." He said: "Marry only a young woman, and eat only small pieces of meat. Do not eat what is cooked until it has been fully ripe. Have no medical treatment unless you are really ill. Eat not but the ripe from amongst the fruits. Eat nothing of food unless you chew it well. Eat such of food as you like, but drink no water immediately after it, and in case you drink, eat nothing after it. Confine neither urine nor excrement. If you have food during the day, you should sleep after it; and if you eat at night, you should walk before you go to bed, even one hundred steps." This is similar to the Arabic statement: "When you have your early meal, lie on bed, and when you have your supper, walk (as much as you can before going to bed)." Allah Almighty says: "Then did he stalk to his family in full conceit!" (Al-Qiyamah 33)

﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ ﴾

It is said that confining urine corrupts the body, in the same way as the river causes damage to its surroundings once the watercourse is plugged up.

The fourth is that it is narrated (by Ibn Adi on the authority of Abdullah Ibn Jarad and At-Tirmidhi on the authority of Anas) that "cutting off veins weakens the body, and giving up supper hastens on feebleness." According to a statement attributed to the Arabs: "Giving up the early meal removes the fat of the buttocks." A wise man said to his son: "O my son! Do not come out of your house until you get your forbearance, i.e. to have your early meal, since therewith you will keep patient, and far removed from being reckless." However, having one's early meal (before coming out of the house) makes him less desirous for such of food as he might see in the market. A sage said to a fat man: "I see you putting on amaranth weaved by your molar teeth: from where has it come?" he said: ""From eating the core of wheat, the young of goats, as well as from applying the oil of violet, and wearing linen."

The fifth is that diet is said to cause harm to the healthy, leaving it causes damage to the patient. According to a learned one : "If one practices diet, he is certain that something harmful would affect him, as well as he is suspicious that he might recover. However, it is good as much as it acts in accordance with the

health. (It is narrated by Ibn Majah on the authority of Suhaib that) once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saw Suhaib eating dates, while he was sore-eyed, thereupon he said to him: "Are you eating dates while you are sore-eyed?" he said: "O Messenger of Allah! I'm eating (and chewing) with the other side (which is not impaired)." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" smiled.

The sixth pertains to the desirability to deliver food to the family of the deceased. (According to Abu Dawud, At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Abdullah Ibn Ja'far that) when the news came of the death of Ja'far Ibn Abu Talib, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, the family of Ja'far were occupied by the matter of their deceased from preparing food: so, deliver to them such of food as they might eat." This then is out of the Sunnah. If this food is delivered in the presence of an assembly of people, it is lawful to eat thereof. But it is unlawful to eat with such of women as wailing and those who support them in weeping.

The seventh is that one should not attend the meal of a wrongdoer, and in case he is forced to do, let him stick to littleness, and do not aim to get the most pleasant of food. A charity collector rejected the witness of one on the grounds that he had food in the house of a magistrate, thereupon he said: "I was forced to do so." On that he said: "But I saw you aiming at the most pleasant of food, and making big your morsels, and you were not forced to do so." This charity collector was forced by the magistrate to eat (in his house), thereupon he said: "Either I should eat and thus give up collecting charity, or continue to do my job and leave eating." Since they could not find anyone to substitute for him in collecting charity, they left him.

It is reported that Dhu-Nun, the Egyptian was imprisoned, and did not have food for many days. He had a sister in (the religion of) Allah, who sent to him food which she got from her earnings as a spinner; and it was brought to him by a prison keeper, but he refused to have it. When the woman blamed him for that after (he was released) he said: "It was lawful, but it was brought to me on the dish of a wrongdoer" referring to the hand of the prison keeper. Of a surety, this is the culminating peak of piety.

The eighth is that it is reported that Fath Al-Mawsili visited Bishr Al-Hafi, who brought out a Dirham which he gave to his servant Ahmad Al-Jala' and said to him: "Buy by that good food and pleasant condiment." He (Ahmad) said: "I bought fine bread and said to myself: "The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: 'O Allah, bless us in it, and give us increase of it' only in reference to milk", thereupon I bought some milk and dates of good quality. I served him with those, and he ate and took the remaining with him. Bishr said: "Do you know why I have told (the servant) to buy pleasant and good food? That's because the good pleasant food extracts thankfulness with sincerity (from him who gets it). Do you know why he has not told me to eat? That's because it is not incumbent upon the guest to tell the lord of the house to eat. Do you know why he has carried the remaining food with him? That's because if one's trust (in Allah) is true, his carrying (food) would cause no harm to him."

It is reported that Abu Ali Ar-Rudhbari "Allah's Mercy be upon him" offered his guests a good hospitality in which he lighted up one thousand lamps. A man said to him: "You've exceeded the due limits!" he said: "Enter and have food, and extinguish whichever you find of them is lighted up for the sake of anyone other than Allah Almighty." The man entered and failed to extinguish even a single one of them. The same Abu Ali bought heavy loads of sugar, and ordered the sweet makers to build a wall of sugar, having window, and images and (forms of) arches inscribed on pillars, all made of sugar, and then he invited the Sufis, who devoured it and consumed it entirely.

The ninth is that Shafi'i said: "There are four ways of eating: to eat with one finger is out of aversion, with two out of arrogance, and with three out of the right way of Sunnah (according to the narration of Muslim on the authority of Ka'b Ibn Malik), and with four or five out of greediness. Four things might strengthen the body: to eat meat, to smell the pleasant perfume, to take bath so many times, but not because of sexual intercourse, and to put on linen. Four things might weaken the body: to have sexual intercourse so many times, to have much more concerns, to drink water in great quantities before breakfast, and to eat sore kinds of food in abundance. Four things might strengthen the sight: to sit in the face of the direction of the Qiblah, to apply kohl on going to bed, to look at greenery, and clean the clothes. Four things might weaken the sight: to look at the dirt, to look at the crucified, to look at the private parts of a woman, and to sit turning one's back to the Qiblah.

Four things increase the power of sexual intercourse: to eat the meat of sparrows, to eat big Atri fruits, to eat pistachio and to eat water-fruits. There are four ways of sleeping: to sleep on the nape, and this is the way of sleeping of the Prophet, to reflect on the creation of both the heavens and the earth; to sleep on the right side, and this is the way of the learned and worshippers; to sleep on the left side, and this is the way of sleeping of kings, to help them have their food digested easily; and to sleep on the abdomen, and this is the way of sleeping of the devils. Four things make one more rational: to give up the needless of speech, to apply tooth pick, to sit in the company of good righteous people and learned men. Four things are essential to worship: one does not take a step but while being in a state of ablution, to fall in prostration so much (in prayer), to adhere to mosques and places of worship, and to recite the Qur'an so much."

He further said: "I'm astonished at him who takes bath before having his breakfast, and then defers his food after getting out of the bathroom: how should he not die? I also am astonished at him, who gets himself cupped and then hastens to have food: how should he die?"

He also said: "I've never seen anything more beneficial to remove epidemic than the oil of violet to apply to the body, and its water to drink"; and Allah Almighty knows best.

Book Two: Etiquettes of Marriage

It is the second book of the quarter of customs of life

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

Praise be to Allah, in the marvels of Whose creation there is no place for the arrows of accident imposed by misapprehension of minds, and in no way could the minds consider the beginnings of such wonders but that they return in awe and bewilderment, and the favor of Whose graces continue to be bestowed upon all creatures, for they (graces) come in succession upon them even though willingly or unwillingly.

One of His marvelous favors is that He Has created human beings out of water, and subjected them to ancestry relation and marriage, and made them prone to the power of sexual desire, through which He drove them to tillage and preserved their descendants by force. Then He exalted the matter of lineage, to which He ascribed great importance, and because of which He forbade illegal sexual intercourse, and strongly denounced it by way of restrictions and reprimands, and made it being committed an outlandish crime and a serious matter. He exhorted the people to stick to marriage by way of desirability and command.

Glory be to Him who decreed death to His creatures by which He put them to humiliation, and made it a cause of their destruction and annihilation, then He placed seeds in the soil of the wombs from which He raised creatures, n order to conquer death, drawing the attention to the fact that the seas of fate run over the worlds with benefit and harm, prosperity and adversity, difficulty and ease, concealment and revelation.

Allah's blessing and peace be upon Muhammad who was sent with warning and good tidings (to all of men and jinns), and upon his family and his companions, as abundant as is beyond the calculation and limitation of reckoning, and as much as it could be.

To go further, marriage is to help (one achieve the requirements of) religion, an humiliate devils, since it is a strong fortress against the enemy of Allah, and a cause of population increase because of which the chief of the Messengers will outshine the rest of the prophets. How worthy then it is to examine its causes, learn its usage, and etiquette, explain its purposes and objectives, and present in detail its chapters and sections.

The important amount of its rules may be disclosed in three chapters:

The first chapter deals with the exhortation to and discouragement of marriage.

The second chapter deals with the etiquettes to be observed in marriage contract and between both parties involved in contract.

The third chapter deals with the etiquettes of cohabitation after marriage up to separation.

CHAPTER ONE: EXHORTATION TO AND DISCOURAGEMENT OF MARRIAGE

It should be known that the learned men differed about the excellence of marriage: Some went as far as to claim that it is better than solitude for the worship of Allah Almighty; and others admitted its excellence, but gave it inferiority to solitude for the worship of Allah Almighty, in so far as the soul does not yearn for marriage to the point of distracting one's state (of mind) and causing him to give way to adultery. Others have said that it is better to refrain from marriage particularly in this age of ours. However, in the past, it had a great excellence when the earnings were not illegal and the disposition of women was not chargeable. To be sure, its truth cannot be disclosed except by presenting at first what has been handed down in the narrations and traditions regarding encouragement and discouragement of marriage, and secondly by explaining its benefits and defects, in order to make clear the advantages or disadvantages of marriage pertaining to everyone who has or has not been saved from its calamities.

Qur'anic Verses On Marriage

Among the Qur'anic verses: Allah says: "And marry those among you who are single, or the virtuous ones among your slaves, male or female." (An-nur: 32)

﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ﴾

This is a command. He also said: "Place not difficulties in the way of their marrying their husbands" (Al-Baqarah: 232).

﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ ﴾

This prevented abstinence and enjoined against it. Allah said in describing and praising the messengers: "And, indeed, We sent Messengers before you, and We gave them wives and children" (Ar-Ra'd: 38)

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴾

Thus he said this in the context of praise and in pointing out excellence.

He also praised his saints for requesting it in supplication saying: "And those who say, `Our Lord, grant us of our wives and children the delight of our eyes, and make us a model for the righteous." It is said of the prophets that Allah has not mentioned in His book any but those who have families. Thus it was said that (St.) John" married but did not cohabit. It is said that he did that to gain virtue

and honor, thereby upholding the Sunnah. Others said that it was to avert the eye. As for Jesus," Allah be pleased with him" he will marry should he come down to earth and will have children.

Hadiths Of The Prophet

As for the Hadiths, a mention might be made of his (the Prophet's) sayings: "Marriage is of my Sunnah; whoever refrains from my Sunnah refrains from me"; and he" Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Marriage is of my Sunnah; whoever likes my Fitrah (natural disposition),' let him follow my Sunnah." He" Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Marry and multiply for I will boast about you over other nations on the day of resurrection, even about the least among you." And he" Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Whoever refrains from my Sunnah, he is not of me, and marriage is part of my Sunnah; whoever loves me, let him follow my Sunnah." And he" Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Whoever refrains from getting married for fear of having a family, is not of us." This is perhaps a reprimand (directed) against abstinence and not a reason for abstinence.

He" Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Whoever has the means, let him get married," for it will avert the eyes" and assure more relief and virtuousness; and who does not, "let him fast for fasting to him is (a form of) castration (Wija')." This indicates, that the reason for the encouragement of marriage is fear that the eye might become corrupted," as well as relief." Wija' is a form of castration of the male (organs) so that his manhood is removed; it (the term) is used metaphorically for sexual impotence during the fast.

And he" Allah's blessing and peace be upon him " also said: "If someone whose religion and trustworthiness you approve should come to you, then get him married; if you do not, you will cause discord on earth and great corruption." This also explains encouragement (to marry) out of fear of corruption.

He" Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Whoever marries or gives in marriage, for the sake of Allah, deserves the friendship of Allah." And he" Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Whoever marries safeguards half of his faith; let him fear Allah for the second half." This is also an indication that its virtue is in safeguarding against disobedience, and fortifying against corruption. For the corrupting factor in a man's religion lies for the most part both in his sexual organs (private parts) and stomach; he can satisfy one of them by marriage.

He" Allah's blessing and peace be upon him "also said: "All acts by the son of Adam shall cease except the third: a righteous son making invocation for him," etc. He cannot attain this except through marriage.

Traditions Of The Companions

As for the traditions, Umar "may Allah be pleased with him" said: "Nothing

should prevent marriage except incapacity or adultery. He thus asserted that religion does not prohibit marriage, and he limited its prevention to two disparate factors.

Ibn Abbas "may Allah be pleased with him" said: "The asceticism of an ascetic is not complete until he marries." It is possible that he considered marriage an act of devotion which renders asceticism perfect; but it seems that he meant to say thereby that the heart would not be safe from being overcome by desire except through marriage, and that asceticism is not perfect without emptying the heart (of all preoccupations). For that reason he would gather his young bondsmen, such as 'Ikrimah and Kuraib and others reaching adulthood, and would say, "If you wish to get married, I will get you married; for when a slave commits adultery, he removes faith from his heart." Ibn Mas'ud used to say: "Were there but ten days left of my life, I would be inclined to get married so as not to meet Allah a celibate." Two of Mu'adh Ibn Jabal's wives died from the plague, and he, too, was afflicted with the plague; so he said: "Get me married, for I would not like to meet Allah a celibate." And this coming from both of them indicates that they considered marriage a virtue rather than a defense against the excessiveness of desire.

Umar" Allah be pleased with him" used to marry frequently and would say, "I only marry for the sake of having offspring." One of the companions attached himself to the Messenger of Allah " Allah's blessing and peace be upon him" serving him and staying with him in case he needed to have something done; so the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him, "Won't you get married?" He answered, "O Messenger of Allah, I am a poor man possessing nothing and would be compelled to abandon your service." The Prophet said nothing, then repeated (the question), and he (the companion) repeated the answer. Then the companion reflected and said: "By Allah, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" knows better than I what is best for me in my earthly life and in my hereafter and what draws me near to Allah, and if he should tell me a third time, I will do it." and he (the Prophet) told him a third time: "Won't you get married?" The companion said: "O Messenger of Allah, get me married." He (the Prophet) said: "Go to such a family and say that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" commands you to give your daughter in marriage to me." He (the companion) said: "O Messenger of Allah I have nothing." So he (the Prophet) said to his companions, "Gather for your brother the weight of a date-pit in gold," and they did. Thus they took him to those people and got him married; so he said to (them), "Make a feast"; and they obtained for him from the companions a ewe for the feast." This repetition indicates a virtue in marriage itself. It is possible that he (the Prophet) recognized in him (the companion) a need for marriage.

Later Narrations

It has been related that a certain devotee in olden times excelled his

contemporaries in devotion. The goodness of his devotion was brought up to the Prophet of his time. His reply was, "It is so," although he had forsaken somewhat the tradition (of worship). It grieved the worshiper to hear that, so he asked the Prophet about it, and the Prophet said: "Have you forsaken marriage?" And he said: "I don't consider it forbidden, but I am poor and a burden to people." The Prophet said: "I will give you my daughter in marriage," and he" Allah be pleased with him" gave him his daughter in marriage.

Bishr Ibn Al-Harith said: "Ahmad Ibn Hanbal was preferred over me on three accounts: for seeking what is lawful for himself and others, while I seek it for myself only; for his ability to get married in contrast to my inability; and for being appointed an imam for the common people." It is said that Ahmad" Allah be pleased with him" married the second day following the death of the mother of his son, Abdullah, and said: "I detest spending the night as a celibate." As for Bishr, when it was said to him, "People have been talking about you because you have refrained from marriage, saying, `He has forsaken the Sunnah,", he replied, "Tell them that religious duties preoccupy him, leaving no time for the Sunnah." He was blamed on another occasion, so he replied, "Nothing keeps me from marrying except the words of the Almighty 'And they (the women) have rights similar to those (of men) over them in equity.' (Al-Baqarah: 228)

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾

"That was mentioned to Ahmad, who declared, "And where is the like of Bishr?" His position is likened unto the point of a spearhead. In spite of that, it has been related that he was seen in a dream and was asked, "What has Allah done to you?" He replied, "My stages in Paradise have been elevated and I was placed close to the stations of the prophets in rank, but I have not attained the stages of those with families." And in one account he told me, "I would not have wanted you to encounter" me as a celibate"; so we asked him, "What did Abu Nasr At-Tammar do?" He said: "He was placed seventy steps above me." We asked, "For what reason? We used to see you above him." He replied, "Because of his patience with his daughters and dependents." Sufyan Ibn 'Uyainah said: "Having numerous wives is not (indicative of love) of the world because 'Ali" Allah be pleased with him" was the most ascetic of the companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and yet he had four wives and seventeen concubines." Thus marriage is an ancient Sunnah and one of the traits of the prophets.

A man said to Ibrahim Ibn Adham: "Blessed are you, for you have dedicated yourself to worship through celibacy." He replied, "Indeed your concern for dependents is preferable to all that which I now enjoy." He (the man) replied, "And what prevents you from marriage?" He said: "I have no need for a woman.

I do not wish to misrepresent myself to a woman." It has been said: "A married man is preferred over the celibate in the same way that the Mujahid is

preferred over the non-Mujahid; and one bow (rak'ah in worship) of the married man is preferable to seventy bows of one who is celibate." (Sufi Views on Marriage As for what has been related concerning the disadvantages of marriage, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The best of all people outside the two hundred is a man light of back who has neither wife nor child." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "There will come a time upon people when a man's destruction shall be at the hands of his wife, his parents, and his children; they shall taunt him for poverty and demand of him beyond his means. He will enter paths wherein he will lose his religion and perish." And there is a narration, according to which, "One of the two sources of comfortable living is having fewer children, while one of the two sources of poverty is having many of them." Abu Sulaiman al-Darani was asked about marriage, and he said: "To abstain is better than to endure them (women) and to endure them is better than to suffer hellfire." He also said: "The single man will find in the pleasures of work and in the emptiness of the heart that which the family man cannot find." He once said: "I have not seen any of our companions who married and was able to retain firmly his first rank." He also said: "He who seeks the following three is inclined toward the world: he who seeks a living, or who marries a woman, or who transcribes a Hadith." Hassan" Allah be pleased with him" (Al-Basri) has said: "When Allah wishes the servant well, he does not preoccupy him with a family or with possessions." Ibn Abu Al-Hawwari once said: "A group exchanged views over this Hadith and came to the conclusion that it did not mean that a man (in this case) could not have both, but that he could have both and they would not preoccupy him." This is a reference to the saying of Abu Sulaiman al-Darani, "Whatever diverts you from Allah -whether wife, possession, or children -is a curse upon you." In general, none has been quoted as discouraging marriage unconditionally. As for encouragement to marriage, it has been related both unconditionally and conditionally. Let us, therefore, remove the veil from this subject by delineating the advantages and disadvantages thereof.

Merits OF MARRIAGE

Marriage has five merits: procreation, satisfying sexual desire, ordering the household, providing companionship, and disciplining the self in striving to sustain them.

The First Merit: Procreation

Procreation-is the prime cause, and on its account marriage was instituted. The aim is to sustain lineage so that the world would not want for humankind. As for sexual desire, it was created as an ingrained urge: like an overseer unto the male. In the male it is, as it were, an overseer to produce the sperm; in the female it serves to facilitate cultivations so as to produce children out of coitus." It is like luring the bird by spreading about the seed which it likes in order to lead it to the net.

The eternal powers of the Almighty were not incapable of creating beings from the beginning without tilling (Harithah) or coupling. But wisdom decreed the ordering of causes and effects together with the lack of need to demonstrate the power of Allah to complete the wonders of creation and to fulfill what the Divine Will decreed beforehand; thereby the Word was fulfilled as decreed by the pen. (Al-Alaq 4).

﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ ﴾

To bring forth a child" is a four-faceted intimacy which is the original reason for encouraging it even after being safeguarded against excessive desire, so that no one wants to meet Allah as a celibate. The first: to conform to the love of Allah by seeking to produce the child in order to perpetuate mankind. The second: to earn the love of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" by increasing those in whom he can be glorified." The third: to seek the blessing of the righteous child's invocation after him. The fourth: to seek intercession through the death of the young child should he precede his (father's) death.

The first facet: It is the most delicate of all the facets, the most removed from the understanding of the common folk, and the most meritorious as well as the strongest in the eyes of those with keen insight into the wonders of the Almighty's creation and into the course of His wisdom. It may be illustrated thus: if the master should give seed and cultivating tools to his slave, and prepare for him the soil to cultivate; if the servant is able to cultivate; if he (the master) should appoint someone to supervise him (the servant); and if he (the servant), nevertheless, is lazy or does not use the plowing instruments and neglects the seed until it rots, and he rids himself of the supervisor through some trickery, then he (the servant) would deserve contempt and reprimand from his lord.

Allah Almighty has created the pair; He has created the male organ and the two ovaries, as well as the sperm in the sheath; He has prepared for it (the sperm) in the ovaries, arteries and ducts, and created the womb as a depository for the sperm; He has endowed both the male and the female with desire. These deeds and instruments bear eloquent testimony to the design of their creator and declare their purpose unto those imbued with wisdom. This would be the case (even) if the Creator had not revealed the design through His Prophet" Allah be pleased with him" in the statement "Marry and multiply"; how (much more) if He had openly declared the matter and revealed the secret! Everyone who refrains from marriage neglects tilling, wastes away the seed, does not use the prepared instruments which Allah has created, and is a violator of the aim of nature as well as the wisdom implied in the evidences of creation foreordained upon these organs by divine writ, unexpressed in letters or voices-writ which can be read by every (person) who has divine insight to understand the intricacies of everlasting wisdom.

For that reason, divine legislation exceedingly made the killing of children and the burying (of girls) alive an abomination, for they (such acts) were forbidden for the fulfillment of existence. To this alluded the one who said: "coitus interruptus is one of the two burials." The one who marries is seeking to complete what Allah has desired, and the one who abstains, wastes away what Allah detests to have wasted. Because of Allah's desire, that mankind should survive, He made feeding (the hungry) a decree, encouraged it, and referred to it by the term "loan" when He said: "Who is it that will lend unto Allah a goodly loan?" (Al-Baqarah: 245)

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴿٢٤٥﴾ ﴾

Should you say: your statement, that sustenance of the species and of self is desirable, on the assumption that their passing away is detestable to Allah, which is the difference between life and death, not to mention the will of Allah Almighty, it being known that all is by the will of Allah and that Allah is not in need of creation, then what can the distinction be with Him between their life, or survival (bags chum), and their extinction? Know then that this word is a truth from which an untruth was sought, for what we have mentioned does not invalidate the relation of all things-good and bad, beneficial and detrimental-to the will of Allah. Love and abomination contradict each other but they do not oppose the will (of Allah); for many a desired aim is hated and many a detested aim is loved; acts of defiance are detestable and they, in spite of being hated, are desired; acts of obedience are desired and they, along with being desired, are loved and pleasing. As for apostasy and evil, we cannot say that they are pleasing and loved but, nevertheless, they are desired. For the Lord has said: "And He is not pleased with ingratitude in His servants." How then could the extinction of man, or the hatred thereof, with respect to the love for Allah, be the same as his subsistence? For the Almighty has said: "I have never hesitated over anything as I hesitate in taking the soul of my Muslim servant. He detests death and I detest harming him, but there is no escape for him from death." His saying, "There is no escape from death for him" is a reference to predetermination and to the decree stated in His words, "We have ordained death for all of you" (Al-Waqi'ah: 60)

﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ ﴿٦٠﴾ ﴾

And in His saying, "Who has created life and death." There is no contradiction between the Almighty's words, "We have ordained death for all of you," and His saying "and I detest harming him." However, elucidating the truth therein requires defining the meaning of will, love, and hatred; it also requires revealing their essences, because preliminary to understanding them are the matters which suit the desire of created beings, their love and their hatred. How preposterous! For between the traits of Allah Almighty and those of created beings, there is as much distance as between His beloved essence and theirs. The

essence of creations is substance and form, while that of Allah is hallowed beyond theirs; and just as that which is not essence and form cannot be the same as that which is essence and form, likewise His traits are not the same as the traits of creation. These facts lie within the realm of that which could be disclosed. Beyond them lies the mystery of divine decree, the disclosure of which has been prohibited. So let us stop short of mentioning it and let us confine ourselves to that about which we have been told concerning the difference between undertaking and refraining from marriage. For one of the two would cause the loss of lineage, perpetuating its existence from Adam," Allah be pleased with him" generation upon generation, thus ending with him (Adam). Therefore, he who refrains from marriage cuts off continuous being from himself (back) to Adam" Allah be pleased with him" and dies childless with no descendants.

If, however, the inducement to marriage is simply warding off desire, Mu'adh would not have said when he contracted the plague, "Get me married, I will not meet my Lord celibate." Should you say, "But Mu'adh could not expect to have children at that time, so why was he interested in it (marriage)?" I would reply, "Children result from coitus, which is a consequence of desire." That is a matter which does not fall in the realm of choice; what is dependent upon the servant's choice is providing the motivation for desire. That is expected in any event. Thus, whoever contracts (marriage), fulfills his obligation and what is incumbent upon him. The rest is beyond his choice. For that reason marriage is desirable also for the impotent; for the urges of desire are veiled and cannot be seen. Even the eunuch who cannot be expected to have an offspring still desires it, in the same manner that a bald man desires to have the blade pass over his head in emulation of others and in keeping with the precedent of the righteous progenitors, and in the same manner that trotting (al-Ramal) (while performing the circuit around the Ka'bah) and cloaking oneself over the left shoulder during the pilgrimage today are desirable." The purpose at first was to indicate (physical) endurance to the infidels. The emulation of those who manifested endurance has become a religious duty for those who succeeded them.

This desire is weak when' compared to the desire of one who is capable of tilling. Perhaps it is even weaker when compared with the undesirability of impairing the woman (that is, not using her) with regard to the gratification of desire, for this is not free of danger. Such an interpretation explains the great disapproval (by the righteous) of eschewing marriage in spite of languid sexual desire.

The second facet: striving to attain the love of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and to please him by increasing that which he can boast of, inasmuch as Messenger of Allah has openly declared it. Concern for procreation is indicated by what has been related concerning 'Umar that he used to marry often and used to say, "I marry for (the sake of producing) children." It was related that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said regarding the deprecation of the barren woman, "A straw mat

in the corner of the house is preferable to a barren woman." He also said: "The best of your women are the affectionate child bearers." He also said: "A black child bearer is better than a beauty that cannot give birth." This indicates that seeking children has been considered a greater virtue in marriage than satisfying the demands of sexual desire, seeing that a beautiful woman is more suitable for fortification (against desire), in averting the eye, and curtailing desire.

The third facet: that he should be survived by a righteous child who would invoke blessings upon him, as related in one narration that all the works of the son of Adam will cease except for three, and he mentioned (among them) a righteous child, and in another that "invocations are offered to the dead on platters of light." The saying that "the son might not be virtuous," would not make any difference for he is a believer. Virtue predominates in the offspring of religious parents, particularly if it is resolved to bring him up in and direct him along the path of virtue. By and large, the invocation of the believer for his parents is beneficial be he pious or wicked. He (the believer) is rewarded for his invocations and good deeds, for he has earned them, and he is not rebuked for his ill deeds; for the sin of a sinner is not superimposed upon another. For that reason the Almighty declared, "We cause their progenies to join them, and We deprive them of naught of their (life's) work" (At-Tur: 21)

﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾

That is, we do not take away from their deeds and we make their children an addition to their good deeds.

The fourth facet: that the child should die before him (the parent) and thus he has an intercessor. It has been related concerning the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that he said: (The child drags his parents into heaven." In some narrations, it is related that "the child takes him (the parent) by the garment the same (way) as I now take you by the garment." He" Allah be pleased with him" also said: "the progeny is told to enter paradise, but he stands at the gate of paradise in rage and anger saying, 'I will not enter paradise except in the company of my parents.' Then it is said: 'Let his parents enter paradise with him."' In another tradition, it is stated that "the children gather at the place of resurrection when created beings are brought to judgement, and it will be said to the angels, 'Take these (the children) to paradise,' but they will stand at the gate of paradise and it will be said to them, `Welcome to the progeny of the Muslims. Enter! There is no reckoning for you.' They will say, `Where are our fathers and mothers?' The keepers will reply, 'Your fathers and mothers are not like you, for they have committed sins and ill deeds and they are now rendering account and are making amends for them.' He (the Prophet) said: 'They shout and scream in unison at the gates of paradise.' The Lord Almighty who knows more about them says, 'What is this noise?' They (the keepers) will reply, 'Lord, the children of the Muslims say "We shall not enter paradise except in the company of our parents." Allah Almighty will say, "Go through the

crowds, take the parents by their hands, and lead them into paradise." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever has lost two of his children will be shielded from the fire." He" Allah be pleased with him" also said: "Whoever has lost three that did not attain puberty, Allah will make him enter paradise by virtue of His mercy for the children's sake." The Prophet was asked, "O Messenger of Allah, what about two?" And he replied, "Even two." It is related that marriage was propounded to one of the righteous men, but he hesitated for a while. The Prophet said: "One day he (the righteous man) awoke from his sleep and said: 'Get me married, get me married!' So they got him married. He was asked concerning that matter, to which he replied: 'Allah may grant me a child, and then receive him unto Himself; thus he would serve as a prelude for my afterlife.' Then he said: 'I saw in a dream that resurrection had come to pass and myself among the created beings there. I was suffering from mortal thirst; the other created beings were also suffering from intense thirst and distress. While we were in that state, behold a group of children filtered through the crowds covered with veils of light, carrying silver pitchers and golden goblets in their hands and offering drink to one (person) then to another; they filtered through the crowd yet bypassed most of the people. I stretched out my hand to one of them and said: "Give me water to drink, for I am extremely thirsty." But he (the child) replied, "You do not have a child amongst us; we only offer our fathers water to drink." So I said: "And who are you?" They replied, "We are the deceased infant children of the Muslims." One of the meanings incorporated in his statement, which is mentioned in the Almighty's saying, "so go to your tilth as you will, and prepare beforehand for your souls" (Al-Baqarah: 223)

﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ ﴿٢٢٣﴾ ﴾

Are children for the hereafter. Thus it has become clear from these four facets that the greatest virtue of marriage lies in its being the means of having children.

The Second Merit: Satisfying Sexual Desire

It pertains to fortification against the devil, curbing lust, warding off the excesses of desire, averting the eye, and safeguarding relief. To this the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" referred when he declared, "He who marries fortifies half of his religion, so let him fear Allah for the second half." To this he also referred when he stated, "You are enjoined to establish homes. He who cannot do it should fast, for fasting is a (form) of castration." Most of what we have quoted from the traditions and narrations points to this interpretation; and this purpose is inferior to the former one because desire is a charge to produce children.

Marriage is sufficient for bringing this about, a reason for causing it to be, and a safeguard against the evil of it becoming dominant. One who obeys his master in order to please him is not like one who obeys in order to be freed from a

heavy obligation. Sexual desire and children are foreordained and between them exist a tie. It is not appropriate to say that the aim is pleasure and the child is a necessary result, just as elimination is a necessary result of eating, not an aim in itself. Rather, the child is the aim by instinct and decree, and sexual desire is merely an inducement thereto. I cannot conceive of any purpose for sexual desire except procreation. The pleasure which accompanies it -pleasure which would be unrivaled was it to last-is a harbinger of the promised pleasures in paradise. For to encourage pleasure which one cannot enjoy is pointless. Thus were an impotent male encouraged to seek enjoyment of coitus, or were a young boy encouraged to seek rule and power, encouragement would be to no avail. One virtue of the world's pleasures is that people wish to see them (pleasures) continue in paradise; thus they are an inducement to the worship of Allah.

Behold the wisdom, the mercy, and the divine fulfillment: how two lives, one external and one internal, were fused together by one desire." The exoteric life is the perpetuation of the individual through the preservation of his lineage, which is a form of the perpetuation of existence. The esoteric life is the life in the hereafter, "so if this pleasure, diminished by the speedy passage of time, activates the desire for (attaining) pleasure by becoming everlasting, then it encourages the kind of worship which leads to it (pleasure)." Consequently the servant (of Allah) benefits by becoming so desirous of it and gains the ability to persist in that which leads him to the blissfulness of paradise.

There is not an atom in the body of man, internal or external in the Kingdom of Heaven and Earth, within which one would not discover a measure of wisdom and wonder that baffles the mind. Nevertheless, it can be revealed only to a pure heart in proportion to its purity and to the extent that it resists the world's pleasures, its enticements, and its snares. Thus, marriage for the sake of curbing excessive desire is important in religion to all who do not suffer from impotence-these happen to constitute the majority of created beings. For, if sexual desire prevails and encounters no resistance from the force of piety, it will lead to the commission of lewdness.

To this the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" referred when conveying the word of the Almighty, "If ye do riot so, there will be confusion in the land, and great corruption." If it (sexual desire) is bridled with the bridle of piety, and the purpose (of marriage) is to curtail the limbs (of the body) from responding to desire, then marriage would avert the eye and preserve relief by guarding the heart as well as the mind against temptation. For, that is not a matter of one's choice, rather the self will continue to entice him and tempt him to have coitus, and the tempting devil will not abandon him most of the time.

That could occur during prayer; thus he may envision such details of coitus which, were he to confess them to the lowliest of creatures, they would blush.

Yet Allah knows (the secrets of) his heart because the heart is to Allah as the tongue is to man. For the chief preoccupation of the novice who wants to pursue the path of the hereafter is his heart." (Moreover), persistence in fasting does not eliminate the element of temptation as pertains to most people, unless it is coupled with weakness of the body and disturbance of the temperament. For that reason Ibn 'Abbas "Allah be pleased with him" declared, "The asceticism of the ascetics cannot be complete without marriage." This is a universal ordeal from which few can be delivered.

Qatadah said: in interpreting the words of the Almighty, "Impose not on us that which we have not the strength to bear": that is, lust. It is said that 'Ikrimah and Mujahid interpreted the Almighty's words "for man was created weak" (An-Nisa' :28).

﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾

By saying, "He cannot refrain from women."

Najih said that "When the male experiences an erection, he loses two-thirds of his mind"; others say "He loses a third of his religion." One of the rare interpretations rendered by Ibn Abbas "Allah be pleased with him" of the verse "From the evil of the darkness when it is intense" (Al-Falaq: 3)

﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ ﴾

Is to the male erection, which is an overpowering catastrophe should it rage, as no mind or religion can resist it; for, although it can become an impetus for the two lives as was mentioned earlier, it is the devil's strongest instrument against the sons of Adam. To this he" Allah be pleased with him" referred in these words: "Among those who are deficient in intelligence and religion, I have never seen any who are more successful than you (women) in prevailing over those (men) of intelligence." And that is because of the rage of desire. The Prophet said in his invocation, "O Allah! I seek refuge in Thee from the evils of my hearing, my seeing, my heart, and the evils of my semen." He also said: "I ask you to purify my heart and safeguard my genitals", so how can there be laxity for others wherefrom the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" seeks refuge.

A righteous man used to marry frequently; he never had less than two or three (women). Some Sufis criticized him, to which he replied, "Has any of you presented himself before Allah or stood before Him and experienced sexual desire?" They replied, "This thing occurs frequently." He retorted, "Were I to accept throughout my life such a state as you have experienced once, I would not have married; but never did a distracting thought occur to me which I did not carry through, thereby relieving and enabling myself to return to my work. And for forty years, no transgression has befallen me." Some people criticized the status of the Sufis, to which a man of religion replied, "What is it you blame them

for?" He (one of the people) replied, "They eat a lot." To this he retorted, "And you, also, if you hungered as they do, would eat as they do." He (one of the people) said: "They marry often." To which he replied, "If you should safeguard your eye and genitals as they do, you, too, would marry as they do." Junaid used to say, "I am as much in need of coitus as I am of food, so the wife is definitely nourishment and a means for the purification of the heart." For that reason the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" commanded that everyone who sees a woman and is attracted to her should have intercourse with his wife, for that would ward off temptation from his soul." Jabir "Allah be pleased with him" related that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saw a woman, so he had intercourse with Zainab (his wife), fulfilled his desire, and departed. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" declared: "When a woman approaches, she approaches in the image of the devil; so should a man see a woman who appeals to him, let him approach his wife because she has what that woman has." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Do not have intercourse with a woman whose husband is absent because the devil runs through your veins as does the blood." So we said: "And your veins?" He replied, "And mine; but Allah has fortified me against it and therefore I am safe." Sufyan Ibn 'Uyainah said: "'safe' means delivered from it (temptation). That is its meaning because the devil does not deliver." It was also related that the son of Umar, one of the ascetics among the companions, also of the learned among them, used to break the fast by coitus before eating. It is probable that he had intercourse before the evening prayer, after which he would perform absolution and pray, all for the purpose of emptying the heart to enable it to concentrate on the worship of Allah and to remove from it the implements of the devil. It has been related that he (son of 'Umar) had coitus with three of his concubines during the month of Ramadan before the last evening prayer.

Ibn 'Abbas has declared, "The best of this nation is mostly women"; and since sexual desire was a predominant force in the temperament of the Arabs, the frequency of marriage among their righteous men was more common.

It was for the purpose of freeing the heart that marriage with the bondmaid was permitted when there was fear of hardship, even though it results in enslaving the son, which is a kind of attrition; such marriage is forbidden to anyone who can obtain a free woman. However, the enslaving of a son is preferable to destroying the faith, for enslavement affects temporarily the life of the child, while committing an abomination results in losing the hereafter; in comparison to one of its days the longest life is insignificant." It has been related that one day some people departed from a gathering with Ibn 'Abbas, except for one young man who did not leave. Ibn 'Abbas asked him, "Do you have something to ask?" He said: "Yes, I wish to ask you a question, but I was ashamed (to ask) in front of the people. Now I stand in awe out of respect for you." "A learned takes the place of the father," said Ibn 'Abbas, "so what you

would have divulged to your father, disclose to me." He said: "I am a young man with no wife. On occasion I have feared distress for myself, and thus sought relief in masturbation. Is there an act of transgression in it?" So Ibn 'Abbas turned away from him, then said: "How disgusting! Marrying a bondmaid is better than that, yet it is better than committing fornication." This is an indication that a youthful bachelor is torn among three evils: The least of these is marrying a bondmaid, that would lead to enslavement of the offspring; worse than that is masturbation; and the most abominable of the three is fornication. Ibn 'Abbas did not permit the commission of either because both (the first two) are forewarned against and should be resorted to only to prevent committing a greater evil, in the same manner as one would eat carrion to avoid self-destruction. Preponderance over the lesser of two evils cannot be construed as unrestricted permissiveness or as absolute virtue; cutting off a malignant arm is not a good act even though it is permissible when death is impending. Therefore marriage is meritorious in this respect, but this does not apply to all (people), only to most. Many a person's desire cools off on account of old age, illness, or the like, and therefore this factor would not apply to him; and what has already been mentioned concerning procreation remains intact. This is general except in the case of the eunuch, which is rare.

It is preferable for a person with temperament so overcome by desire that one woman cannot curb it to have more than one woman, up to four. For Allah will grant him love and mercy, and will appease his heart by them (women); if not, replacing them is recommended. Seven nights after the death of Fatimah,"Allah be pleased with him" 'Ali "Allah be pleased with him" got married. It is said that al-Hassan, the son of 'Ali, was a great lover having married more than two hundred women. Perhaps he would marry four at a time, and perhaps he would divorce four at a time replacing them with others. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to al-Hassan, "You resemble me in appearance and in character." He" Allah be pleased with him" also said: "Hassan takes after me and Hussain takes after Ali."` It was said that his indulgence in marriage is one of the characteristics in which he resembled the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" as well as al-Mughirah Ibn Shu'bah who married eighty women." Among the companions were those who had three and four (wives) while those who had two cannot be counted.

No matter how well known the inducement, the cure should be in proportion to the ailment; for the aim is tranquilizing one's self, and therefore this must be taken into consideration in deciding how many wives one should have.

The third Merit: Companionship

It pertains to comfort and relaxation for the soul through companionship;

seeing and dallying comforts the heart and strengthens it for the performance of the obligatory rituals. For the self grows weary and has the tendency to shun work because that is contrary to its nature. If compelled to adhere to what disagrees with its nature, it becomes recalcitrant and defiant. If it finds an outlet for itself periodically, it becomes stronger and more energetic.

The companionship of women provides relaxation which relieves distress and soothes the heart. It is incumbent upon the pious to acquire such comfort by permissible means. For that reason Allah Almighty declared, "That he might take rest in her" (Al-A'raf: 189)

﴿ ۞ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾

And 'Ali said: "Relax the heart an hour, for if it is compelled it is blinded." A narration states, "A wise man should divide his time three ways: one for meditating, one for self-examination, and one for eating and drinking. In this (latter) time, there is help for the other period." The same is stated in another expression: "The wise man is desirous only of three things: provisioning himself for a return journey, seeking a livelihood, or (seeking) pleasure in something not forbidden." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" states, "For every desire there is an eagerness, and for each eagerness there is a Fitrah (natural disposition). He whose Fitrah leads to my Sunnah is guided." I" Eagerness is the striving and the enduring which come about in the beginning when exercising the will, while Fitrah means stopping for rest. Abu Ad-Darda' used to say, "I find relaxation for myself with a little diversion, thereby gaining strength to walk in uprightness thereafter." In some narrations pertaining to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" he said: "I complained to Gabriel" Allah be pleased with him" of my inability to have coitus, and he suggested (I eat) harisah." If this be true, it can be interpreted only as a preparation for relaxation and cannot be interpreted to imply warding off desire; for it is rather a kindling of desire, and whoever is deprived of sexual desire is denied most of this intimacy.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Three things of your world have been made desirable to me: perfume, women and my delight in prayer." This, too, is a benefit that cannot be denied by one who has experienced the weariness of thoughts and celebrations (Dhikr) and different types of work, which lie outside the two previously mentioned benefits. Indeed, it extends even to the eunuch and to the one who has no sexual desire. As a matter of fact, this advantage renders marriage meritorious if it is concluded with such an intent, but rare are those who marry for this end.

As for the aim of having an offspring as well as that of warding off desire and the like, they are prevalent. Besides, many a person finds pleasure in looking at flowing water, greenery, and the like and is not in need of relieving himself by conversing and dallying with women. Thus this (aim) varies with circumstances

and individuals; so let it be taken into consideration.

The Fourth Merit: Ordering The Household

It is to free from the concerns of household duties, as well as of preoccupation with cooking, sweeping, making beds, cleaning utensils, and means for obtaining support. If a human being had no desire for coitus, it would still be difficult for him to live in his house alone; because if he were saddled with all the work of attending the house, he would waste most of his time and have very little of it left for learning and working.

The virtuous woman who takes care of the house abets religiousness in this manner, and any disturbance of these preoccupations would perturb the heart and impede life. For that reason Abu Sulaiman al-Darani' declared, "The virtuous wife is not of this world, for she liberates you for the hereafter. Her contribution to freeing (the man) is by both taking care of the house and by satisfying sexual desire." Muhammad Ibn Ka'b al-Qarzi said in interpreting the words of Allah, "O Lord! Give unto us in the world that which is good" (Al-Baqarah: 201)

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾

He meant a virtuous woman. The Prophet said: "Let each among you have a grateful heart; a tongue which invokes (the name of Allah); and a faithful, virtuous wife who assists you toward the hereafter." Behold how he has equated her with invocation and thanksgiving." In a commentary regarding the Almighty's word, it is stated: "him verily We shall quicken with good life" (An-Nahl: 97)

﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾

He meant a virtuous wife.

Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" used to say, "Next to faith in Allah, the best gift which has been given to man is a virtuous woman. There are some women that are priceless and others that are yokes from whom one cannot be redeemed"; by priceless is meant that she (woman) cannot be replaced by any other gift.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "I was preferred over Adam by two gifts: His wife abetted him into transgression, while my wives urge me in obedience; his devil was a blasphemer and my devil (is) a Muslim"" who only enjoins to good." Thus he (the Prophet) considered her helping him towards obedience as a virtue.

This, also, is one of the virtues to which the righteous (men) aim, except that it is pertinent to some individuals who have no legal guardian or manager.

It does not call for two wives, (since) plurality may render life miserable and disrupt the affairs of the home.

The aim of such an advantage is the expansion of kinfolk (through the wife)

as well as gaining strength by virtue of interfamily relations. This is one of the things that is needed in warding off evil and seeking tranquility. For that reason it was said: "Abased is the one who has no protector; but he who finds someone who repels evil from him, his state is secured and his heart is freed for worship." For, abasement disturbs the heart while strength in numbers wards off abasement.

The Fifth Merit: Disciplining The Self

It pertains to disciplining the self and training it to be mindful, faithful, loyal, and respectful of the rights of the wives, tolerating their manners, enduring harm from them, striving to reform them, guiding them to the path of religion, striving toward making lawful gains for their sake, and undertaking the upbringing of their children. All these are deeds of great merit, for they are an exercise in compliance (with Allah's injunction) and trust and loyalty; the wives and the offspring being the protected ones, and the virtue of guardianship is great. Those who avoid these responsibilities do so for fear of being unable to do justice by them, otherwise the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" would not have said: "One day of just guardianship is more preferable than seventy years of worship." Then he said: "Indeed, every one of you is a shepherd, and every one of you is responsible for his flock." The one who is preoccupied with reforming himself and others is not the same as the one who is preoccupied with reforming himself only; nor is the one who endures harm like the one who seeks pleasure and comfort for himself. Bearing the burden of wives and of offspring is equivalent to jihad for the sake of Allah. For that reason Bishr said: "Ahmad Ibn Hanbal was preferred over me on three counts, one of them being the fact that he sought what was lawful for himself and for others." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Whatever a man spends on his wife is an object of charity, and a man will be compensated for the morsel of food he offers his wife." Someone told one of the learned, "The Lord has granted me a share of every deed!" and he mentioned the hajj (pilgrimage), jihad, and the like. So he replied to him, "Where do you stand as concerns the deeds of the substitutions?" He asked: "And what are those?" To which he retorted,"Lawful gain and spending on dependents." Ibn Al-Mubarak said while with his companions during a battle, "Do you know of anything better than what we are doing?" They said: "We know of none." He answered, "I do." They asked, "What is it?" He said: "A virtuous man." He continued, "A virtuous man rose during the night and beheld his sleeping children uncovered, and so he covered them with his garment. His deed is more virtuous than what we are doing." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He whose prayer is good, and whose children are many and whose possessions are few, and who does not neglect the Muslims will be with me in paradise like these two women." In another Hadith it is said: "The Lord loves the poor, virtuous father of children."" Another Hadith related, "If the sins of the believer become many, Allah preoccupies him with the burden of children (in order) to

make restitution for them (the sins)." One of the forefathers said: "There are offenses that cannot be atoned for except through family burdens." A tradition relates that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There are certain sins that cannot be atoned for except by the burden of seeking a livelihood." He also said: "Whoever has three daughters whom he supports and to whom he is kind until the Lord renders them independent of him, Allah will most certainly make paradise his reward -unless he commits a deed for which he cannot be forgiven." Ibn 'Abbas would say whenever he referred to this Hadith, "By Allah, this is one of the strangest (Gharib) and most misleading articles of the Hadith." It has been related that a devout person used to provide well for his wife until she died. It was suggested to him that he remarry after her death, but he refrained and said: "Solitude is more soothing to my heart and allows me to concentrate better on my meditations." He continued: "I saw in a dream, a week following her death, the gates of heaven open, and men descending and marching in succession through the air. Every time one descended, he looked at me and told the one behind him, 'This is the unfortunate one.' The other would reply, 'Yes!' I refrained from asking them out of awe until the last one, who was a child, passed by me. I asked him: 'Say, who is the unfortunate one to whom you are referring?' He replied, 'You.' And I asked, 'Why so?' He replied, 'We used to exalt your deeds among those who have striven for the sake of Allah; but a week ago we were commanded to record your deed with those who have been inimical, and we do not know what you are guilty of.' So he said to his brethren, "Get me married, get me married." After that, he was not without two or three (wives).

It is related in one of the narrations of the prophets "peace be upon them" that a group entered upon Jonah, the prophet, and he, "peace be upon him", was hospitable to them. He,(Jonah) would enter and leave his house and be mistreated by his wife, yet remain silent. They were astonished, but he said: "Don't be; for I have beseeched Allah Almighty saying, 'Hasten upon me in this life whatever punishment You have prepared for me in the hereafter'; so He said: 'Your punishment is the daughter of so and so whom you should marry.' So I married her and am enduring from her what you see." Such endurance is a form of self-discipline, an appeasement of anger, and an improvement of character. A person who secludes himself or who associates himself with someone of a refined character does not reflect on the evils of his inner self, nor are his hidden faults revealed. It is, therefore, the duty of one who walks the path of the hereafter to tempt himself by being exposed to the like of such agitations, and to become accustomed to enduring them so that his character should be set straight, his soul should be calm, and he should be purified of the base qualities hidden within him.

Enduring the burden of dependents, which is a form of exercise and struggle to provide for them and sustain them, is an act of worship in itself. However, only one of two types of men benefits from it: either a man who seeks striving, exercising, and character training because he is at the beginning

of the Path and is therefore not unlikely to consider this a manner of striving by which his soul is exercised; or, a worshipper who does not pursue virtue through the path of the esoteric, mental activity, and the experiences of the heart, but whose (virtuous) deeds are physical, such as prayer, performing the pilgrimage, and the like. His working to gain lawfully for his wives and children, maintaining them and bringing them up properly, is better for him than acts of worship which are imposed upon his body and whose benefits do not extend to others.

As for the man whose character is well formed either. Through inherent traits or through a previous effort, if he wants to succeed in obtaining an inner life and an intellectual and spiritual activity in the domain of religious and mystical sciences, then he should not marry for that reason because he has no need for exercise." As for worship in the form of providing for dependents, seeking knowledge is better than that because it (seeking knowledge), too, is a form of work, but its benefits are more numerous and more encompassing than the benefit of providing for dependents. These then are the advantages of marriage, which in religion are decreed to be virtuous.

Demerits OF Marrige

The First Demerit: Inability To Seek Lawful Gain

The demerits of marriage are three: one-the strongest-is the inability to seek gain lawfully." For,that is not available to every person, especially nowadays, because of social instability, and because marriage encourages the amplification of attempts to provide (for dependents) through unlawful means.

In it (marriage) is, thus, a man's destruction and the destruction of his family; a bachelor is safeguarded therefrom. As for a married man, he is most often driven into the paths of evil by following the whims of his wife and selling his hereafter for this world.

There is a tradition which states that "the servant is made to stand before the scales with good deeds that resemble mountains in weight." He then is questioned concerning the care and support of his family, the source of his wealth and how he spent it, until such reckoning absorbs all his good deeds, thus not one good deed remains to his account; whereupon the angels cry out: 'Behold, here is the man whose dependents consume his good deeds in the world and is today mortgaged by his deeds.' Is said that those first to cling to man on the day of resurrection will be his wife and children who will cause him to stand in the presence of Allah Almighty and then say, "O Lord! Give us our just due from him, for he taught us not what we were ignorant of, feeding us by unlawful means and we did not know it." He (Allah) will punish him for their sake. One of the forefathers said: "When Allah wills evil to a servant, He sets upon him fangs in this world to devour him"; meaning dependents.

The Prophet "peace be upon him" said: "No one will meet Allah with a

greater offense than one who ignores (the needs of) his dependents." This is a general calamity from which few are delivered, excepting one with possessions that are inherited or gained lawfully, which he uses to redeem himself and his family, provided he is content not to seek more. Such a person will be delivered from this calamity as will be a craftsman who is able to gain lawfully through permissible means, such as gathering firewood, hunting, or engaging in a craft that is not dependent upon rulers, and thereby is able to deal with virtuous people; also, the one who manifests blamelessness and most of whose possessions are lawfully gained (will be delivered by Allah).

Ibn Salim said when asked about marriage: "It (marriage) is more desirable in this time of ours for someone who is overcome by lust: like the male donkey who sees a female donkey and can neither be dissuaded from her by beating nor can he control himself; should he control himself, it is preferable to leave him alone."

The Second Demerit: Failure To Uphold Wives' Rights

It pertains to the failure to uphold their (wives') rights, to tolerate their manners, or to endure harm from them. This is less prevalent than the previous (disadvantage), inasmuch as it is easier to overcome the latter than the former. Improving one's manners with women and upholding their rights are easier than seeking lawful gain. There is also danger in this because he (the husband) is a shepherd and is responsible for his flock. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It is sin enough for a man to destroy those for whom he provides." It has been related that one who deserts his family is like a runaway slave in that his prayer and his fasting are not acceptable until he returns to them.

Whoever fails to uphold his wives' rights, even though he might be present, is like a fugitive. The Lord said: "Ward off from yourselves and your families a (hell) Fire" (At-Tahrim: 6)

﴿ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴿٦﴾ ﴾

He commanded us to safeguard them from the Fire as we would safeguard ourselves.

A person might fail to uphold his own right, and were he to get married this obligation would be compounded, and to his self another person be added. Self is an impellent to evil; if self is increased, the incitement to evil usually increases. For that reason, a certain man declined to get married and said: "I am afflicted with my (own) self; how can I add another self to it?" As has been said: "The mouse hole would not be large enough to contain it (the mouse) if a broom was tied to its tail." Ibrahim Ibn Adham also declined (to get married) by saying, "I will not attach a woman unto me, nor do I have need for women; that is to say, I am unable to care for them, protect them, and provide for them since I lack the means." Likewise Bishr declined saying, "I am prevented from marriage by the

Almighty's words, 'and they (women) have rights similar to those (of men)." He used to say, "Were I to care for a chicken, I would fear becoming a butcher on the bridge." Sufyan Ibn 'Uyainah "Allah be pleased with him" was seen at the gate of the sultan and was told: "This is not your place!" He replied, "Have you seen a man with a family who is more successful?" Sufyan used to say, "I yearn for celibacy, the key, and a place of dwelling which the wind can penetrate and where no commotion or shouting (exists)." This (the second disadvantage) is, too, a common evil though less prevalent than the first-from which only an intelligent, wise man can be delivered: A man possessing good character and insight into the ways of women, is tolerant of their tongues, is not driven by their desires, is careful to fulfill his obligations towards them, can overlook their mistakes, and is cognizant of their manners. Most people are given to impudence, boorishness, irascibility, frivolity, bad manners, and injustice while seeking full justice. Inevitably, such men through marriage become more corrupt in this respect. Hence celibacy is safer for them.

The Third Demerit: Distraction From Allah

It is less (in evil) than the first and the second. (It lies in the possibility) that the wife and the offspring could distract him from Allah Almighty , luring him to pursue the world and indulge in providing a comfortable life for his children through gathering wealth and hoarding it for them, and enticing him to seek exaltation and multiplication through them. Whatever distracts (one's attention) from Allah -whether wife, wealth, or offspring-brings misfortune upon the possessor. I do not imply by this that it would lead to forbidden deeds, for that (whatever leads to forbidden deeds) has already been listed under the first and second disadvantages, but rather that it would entice him to indulge in the enjoyment of what is permissible, leading into excesses in dallying, flirting, and excessive enjoyment of them (women). From marriage arise various types of such distractions that engross the heart; thus night and day would pass and the person would not have time to think about the hereafter or prepare for it. For that reason Ibrahim Ibn Adham "Allah be pleased with him" said: "No good can come out of one who becomes accustomed to the thighs of women." Abu Sulaiman "Allah be pleased with him" said: "Whoever marries attaches himself to the world." That is to say, he is lured to depend on the world.

CONCLUSION

This is an overview of merits and demerits. To judge that a person is absolutely better off (by) being married or single falls short of taking into consideration all these matters. Rather, such advantages and disadvantages can be considered a precept and a criterion against which the novice should measure himself. If the disadvantages (of marriage) are nonexistent in his case and the benefits are all present, that is, if he has lawfully gained possessions, good character, and earnest pursuit of religion, marriage would not distract him from Allah; if he (the novice) is, nevertheless, a young man in need of appeasing

his sexual desire, if he is a bachelor in need of someone to take care of his house, and if he needs fortification through family associations, then marriage is unquestionably better for him even though its (primary) aim is to produce offspring. If the advantages are refuted and the disadvantages are brought together, being celibate is preferable for him; but if the two are equal, which is most likely, it is necessary to weigh on just scales the extent to which the advantages contribute to the promotion of his religion and the extent to which the disadvantages detract from it. If it appears that one group outweighs the other, it should be acted upon. For, the most obvious advantages are procreation and appeasing desire, while the most obvious disadvantages are the need for unlawful gain and distraction from Allah. Let us assume that these matters are comparable in importance: We would then conclude that if a man is not troubled by sexual desire, if the benefit of his marriage lies in the endeavor to obtain an offspring, and if the evils of his marriage lie in the necessity to gain unlawfully and to be distracted from Allah then celibacy is preferable. There is no advantage in whatever distracts one from Allah or in earning unlawful gain.

The matter of offspring cannot compensate for the absence of these two considerations, (because) marriage for the purpose of obtaining an offspring is illusory and this constitutes a consummate deficiency in religion. To preserve his own life and to, guard it from destruction is more important than seeking to produce an offspring; that is a gain, and religion is an investment. For in the corruption of religion lie the loss of the hereafter and the dissipation of the investment. Such a benefit cannot counteract either of those two disadvantages. However, if to the matter of the offspring is added the need to appease desire, which results from one's yearning for marriage, and then one might consider marriage. If the reins of righteousness are not strengthened in his mind, and if he fears committing fornication, then marriage is preferable for him because he is hesitant between committing fornication and attaining unlawful gain; earning unlawful gain is the lesser of the two disadvantages. If he trusts himself not to commit fornication, and is unable at the same time to avert the eye from what is unlawful, then abstaining from marriage is preferable. For, to look (lustfully) is unlawful and to earn gain in an improper way is unlawful. Seeking gain takes place continually and in it lies his (ultimate) ruin and the ruin of his family, while looking takes place occasionally and this pertains to him (and does not involve his relations) and passes away quickly. Looking constitutes adultery by the eyes but, if not rectified by relief, is easier to forgive than eating forbidden fruit, unless it is feared that looking should end in the defiance of relief, thus entailing the threat of affliction.

If this is the case, then we are confronted with the third situation: that is, to have the strength to avert the eyes but not to ward off thoughts distracting the heart; here it is preferable to abstain from marriage because the (evil) deeds of the heart are easier to forgive. Emptying the heart for the sake of worship is desirable; (besides) the act of worship is precluded by unlawful gain, consuming it

(gain), and feeding it to others. Thus it is necessary to weigh these disadvantages against the advantages and to judge accordingly. Whoever becomes aware of this will not find it difficult to comprehend what we have transmitted from the righteous forefathers, namely encouragement of marriage in certain situations and in others discouragement therefrom inasmuch as this is dependent upon circumstances.

If you should ask, "Which is better for someone who is safeguarded from the disadvantages (of marriage), seclusion for the worship of Allah or marriage?" I would reply: Combine the two, because marriage is a contract and does not preclude seclusion for the worship of Allah; rather, it pertains to the need for lawful gain. If he is able to earn lawful gain, then marriage is also better, because it is feasible for him during the night and the rest (that is, the unoccupied portion) of the day to be in seclusion for worship; persistence in worship without relaxation is not feasible. If it be assumed that earning a livelihood preoccupies his whole time to the extent that he has none left other than that prescribed-sleeping, eating, and performing the necessaries and if he is one of those who do not pursue the hereafter except through the supererogatory prayer, pilgrimage, or similar physical activities, then marriage is better for him. For earning lawful gain, supporting a family, seeking to obtain offspring, and tolerating the manners of women constitute forms of worship whose merits do not fall short of supererogatory acts of worship. If he should worship by means of knowledge, meditation, and the path of esotericism, and should lawful gain complicate that, then abstaining from marriage is preferable.

Should you ask, "Why then did Jesus" Allah be pleased with him" abstain from marriage in spite of its virtue? And if it is preferable to free oneself for the worship of Allah, why then did our Prophet" Allah be pleased with him" take on numerous wives?" Know ye, then, that it is preferable to combine the two in the case of one who is able, whose desire is strong, and whose ambition is high, because no preoccupation can distract him from Allah.

Our Messenger" Allah's blessing and peace be upon him" armed himself with strength and combined the virtue of worship and that of marriage. In spite of his nine women, he still dedicated himself to Allah. For him, the satisfaction of the sexual need was not an obstacle. At the same time, those who are preoccupied with worldly needs are not constrained in their affairs by the fulfilling of natural needs; outwardly, they perform that which is necessary, but their hearts are preoccupied with solitude not unmindful of their important duties. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", because of his elevated status, was not deterred by the dictates of this world from the presence of the heart with Allah. He used to receive Divine revelation while he was in his wife's bed." If this is true in the case of someone else, it is not inconceivable that irrigation canals can be altered by what cannot alter the mighty ocean; in other words, one cannot compare others unto him (that is, the

Prophet)." As for Jesus," Allah be pleased with him" he armed himself with resolutions and not strength; he took precautions, for perhaps his state was such that preoccupation with a family could have affected it, or made it difficult to seek lawful gain, or made marriage and seclusion for worship irreconcilable. Thus he preferred to devote himself to worship. For they (prophets) are more aware (than others) of the secrets of their states, of the precepts of their times regarding virtuous gain, of the manners of women, of the calamities of marriage upon the marrier, and of the benefits he (that is, the marrier) has therein. No matter how different the circumstances are, in some cases it is preferable to marry and in others to abstain. We should deem the deeds of the prophets as preferable in all cases -and Allah knows best.

CHAPTER TWO: CONCERNING MARRIAGE: CONDITIONS OF WOMAN AND STIPULATIONS OF MARRIAGE CONTRACT

Marriage Contract

As for the marriage contract, it has four conditions that facilitate its establishment and termination:

1- Permission of the guardian; if not, then (that of) the ruler.

2- Consent of the woman if she is a non-virgin adult or a virgin adult given away in marriage by someone other than her father or grandfather.

3- The presence of two witnesses openly known for fairness. If both enjoy a blameless record, then the establishment of the contract is decreed.

4- A declaration (Ijab) and a related acceptance (Qabul) encompassing the term "marry," "give in marriage," or some similar term, pronounced by two individuals charged with the responsibility, neither of whom is a woman; but (they) could include the husband, the guardian (of the woman), or the representative (of either party).

Etiquettes Of Marriage

Concerning the etiquettes of marriage: The engagement should be arranged with a guardian, not during the legally prescribed waiting period ('Iddat) of the woman, but rather after its termination if the woman is observing such a period, and provided that she is not already engaged to another, since an engagement while another is pending is forbidden.' Proper etiquette requires an engagement (period) prior to marriage, and associating the expression of praise (to Allah) with the declaration and the acceptance; thus the one giving the woman in marriage says, "Praise be to Allah and blessings upon the Messenger of Allah.

I give you my daughter, so and so, in marriage"; and the husband replies, "Praise be to Allah and blessings upon the Messenger of Allah. I accept her in marriage upon this dowry." Let the dowry be fixed and small. It is also desirable to pronounce the words "Praise be to Allah" before the engagement. Its etiquette

includes that the affairs of the husband be revealed to the wife; if she is a virgin, this is more appropriate and more conducive to congeniality between them. For that reason it is desirable that he should look at her before marriage, as it is more likely to lead to enrichment of their relationship.

Its etiquettes also call for the presence of a group of righteous people in addition to the two witnesses who are required to establish the validity (of the contract). The etiquette also specifies that the intent of marriage should be upholding the Sunnah, averting the eye, bearing children, and the rest of the aforementioned advantages; thus the purpose of marriage will not be merely for pleasure and enjoyment, which would render such an act a worldly endeavor. This does not preclude such intentions, for many a virtue coincides with passion. 'Umar Ibn 'Abd al-Aziz declared: "If virtue coincides with passion, it is like `butter with dates'.' It is not impossible that one should be motivated by his desires and the dictates of religion simultaneously. It is desirable that the marriage be contracted in the mosque and during the month of Shawwal 'A'ishah said: "The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" married me in Shawwal, and consummated the marriage in Shawwal." (REQUISITE QUALITIES FOR THE WOMAN) A woman given in marriage is either one who is taken as a lawful wife, or one who is taken for enjoyment and the attainment of certain purposes.

Legal Disabilities To Or Restrictions On Marriage

The first type: The woman taken as a lawful wife should be free from that which would prohibit her marriage. There are nineteen restrictions.

The first is That she be married to another.

The second is That she be in a legally prescribed waiting period (which precedes marriage) to another (person), regardless of whether that period is due to (the husband's) death, to divorce, to suspicion (of adultery), or is being cleared from suspicion aroused by (her) owner (that is, being a concubine-slave of the owner).

The third is that she be an apostate for having uttered an expression of unbelief.

The fourth is that she be a Magian.

The fifth is that she be an idolater or freethinker who follows neither a prophet nor a book. Women in this category include those who follow the doctrine of libertinism-marrying them is not lawful; also (included in this category is) every female subscribing to a false doctrine whose believer is deemed an infidel.

The sixth is (If) she is a follower of a revealed religion which she adopted after conversion or after the Prophet's mission (as Messenger of Allah), and who furthermore is not a descendant from the Children of Israel, unless both

conditions apply, marrying her is not permissible; but if she lacks genealogy only, then (among the jurisprudents) there is no consensus.

The Seventh is that she be a slave and the marrier a free man who is capable of marrying a free woman or who fears committing fornication (Canal.")

The eighth is that she be totally or partially a slave of the marrier.

The ninth is that she be related to the (man) either by descent from his progenitors (used) or collaterals (fusel), or of the collaterals of his first progenitors, or from the first collateral of every progenitor after a progenitor. By Usul, I mean mothers and grandmothers; and by his Fusel, (male) children and grandchildren; and by Fusel Awwal Fusul, brothers and their children; and by Awwal fall from every Asl (singular of Usul) after it, the progenitor of maternal and paternal aunts, not their children.

The tenth is That she be unlawful (for marriage) through nursing; and among those prohibited by reason of nursing are the relations prohibited in terms of the used and Fusul discussed above.

However, those forbidden are the ones who have been nursed five times, not the ones nursed fewer times.

The eleventh is That she be forbidden because of marriage ties; that is, (a) if the marrier were already married to her daughter or granddaughter, or (b) if he previously possessed them (as slaves either) by direct contract or semi-contract, or (c) if he had had sexual relations with them in a quasi-contract (common marriage), or (d) had sexual intercourse with her mother or one of her grandmothers in a marital contract or quasi-contract; for the mere contract of marriage with a woman renders her maternal female ascendants unlawful. Her collateral relatives are forbidden only on account of coitus, or if his (the marrier's) father or son had married her before.

The twelfth is that the woman be the fifth, that is, that the marrier already has four (wives) acquired either by marriage or by virtue of (the fact that at least one of his wives is in) the state of the legally prescribed waiting period pending remarriage to him. But if her divorce is final and she is in another prescribed waiting period, then marrying the fifth is not unlawful.

The thirteenth is that the marrier be married to her sister, her maternal aunt, or her paternal aunt; that is, through marriage he would bring both of them together (as wives). Marriage is not permissible between a related pair if one is male and the other a female, and thus they cannot be brought together (in marriage).

The fourteenth is that she be divorced three times by the marrier and thus be unlawful to him unless another husband (Muhallil) has sexual intercourse with her in a lawful marriage.

The fifteenth is that the marrier has exchanged curses with her; in this case, after the oath of condemnation, se is or ever unlawful to him.

The sixteenth is that she be in a state of ritual consecration of the major (hajj) or lesser ('Umrah) pilgrimage, or that the husband be in the same state;

marriage then cannot take place until the completion of the period of sanctification.

The seventeenth is that she should be a deflowered young woman; marrying her is then not permissible until she has reached puberty.

The eighteenth is that she be an orphan, in which case marrying her is not permissible until she reaches the age of puberty.

The nineteenth is that she be one of the widowed wives of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" or one with whom he has mated, for they are regarded as mothers of the believers; that (restriction) is not applicable in our time. These are the prohibitive hindrances.

Qualities Conducive To A Happy Conjugal Life

There are eight qualities which render a conjugal life happy and which must be sought in the woman in order to assure the perpetuity of the marriage: piety, good character, beauty, a small dowry, ability to bear children, virginity, (good) lineage, and she should not be a close relative.

The first is piety: That she should be virtuous and religious is the most fundamental requisite, and to that end (special) care must be taken. For, if her religious principles are too weak to give her the strength to be virtuous and constant, she will humiliate her husband, disgrace him among people, trouble his heart with jealousy, and thereby render his life miserable. Should he succumb to passion and jealousy, he would remain in trial and tribulation. Should he, on the other hand, follow the path of permissiveness, he would be apathetic toward his religion and honor and would be guilty of lacking zeal and pride. Also, if she is beautiful but corrupt, she will be the cause of greater tribulation; for then it becomes difficult for the husband to separate from her: Thus he is neither able to renounce her nor to endure her. His position is like that of one who came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "O Messenger of Allah, I have a wife who cannot turn back a touching hand." The Prophet said: "Divorce her"; to which he replied, "I love her." The Prophet responded, "Then, keep her." The Prophet commanded him to hold onto her, for if he divorces her he would yearn for her and become corrupt like her. Seeing that the man's heart was in anguish, he (the Prophet) considered it preferable for him to continue his marriage and thus safeguard himself against corruption. If her faith be corrupted in squandering his possessions or in some other respect, he will remain in misery. (However,) if he remains silent and does not denounce (her deeds), he becomes a partaker of her transgression and a violator of the Almighty's command: "Ward off from yourselves and your families a Fire." If he, on the other hand, denies and disputes (her ways), he will be miserable throughout his life.

For that reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" took pains in encouraging people to adhere to the faith saying, "A woman may be married either for her possessions, her beauty, her reputation, or her

religion; for if you do marry other than a religious woman, may your hands be rubbed with dirt." Another Hadith states: "He who marries a woman for her possessions and beauty loses both her beauty and her possessions; (but) he who marries her for the sake of her faith will be blessed by Allah with her possessions and her beauty." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "A woman should not be married (only) for her beauty, because her beauty may destroy her; neither for her wealth, as this may make her tyrannical; (rather) marry the woman for her religious faith." He emphatically recommended religious faith, because such a woman would bolster up the (husband's) faith. If she is not pious, she will be an element of distraction and of trouble in her husband's religion.

The second is good Character: Good character is the second quality. It is an important requisite in the search for emptying the heart" and in the pursuit of favorable surroundings for religion. For if she is vicious, ill-tongued, ill-mannered, and ungrateful, more harm than good will come from her. Toleration of a woman's tongue would try the saints. An Arab said: "Do not marry one of the following six types of women: a hypochondriac, an upbraider), a yearner, a coveter, a narcissist, or a prattler. The hypochondriac is one who excessively moans, complains, and (always) wraps her head.

Marrying a constantly ill (woman) or one who feigns illness is of no avail. an upbraider is one who is constantly needling her husband by saying, "I did such and such for you." a yearner is one who yearns after a previous husband or after her offspring from some other husband. This, too, is among the things to be avoided. a coveter is one who looks at everything, covets it, and forces her husband to buy it. a narcissist can be one of two: one who spends the whole day fixing her face or making it up and beautifying it in order to give it a luster, or one who becomes angry at mealtime, thus eating only by herself and singling out her share from everything. A Yemeni expression, which is appropriately used for a woman, or a child, who is not satisfied with the food given to her (or him), is to become angry at mealtime. a prattler is one who prattles a great deal; in this context the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah Almighty detests the loudmouthed prattler." It is related that the Azdi traveler," during his journey, met Elias" Allah be pleased with him" (the prophet) who ordered him to get married and discouraged him from celibacy. He then said: "Don't marry any of the following four types: divorce-minded, a boaster, a harlot, or a conceited." divorce-minded is one who asks for the divorce every hour for no reason; a boaster is one who boasts of the superiority of another and is proud of her worldly advantages, a harlot is a loose woman who is known to have lovers and intimate companions. To her the Almighty referred when He said: "nor of loose conduct" (An-Nisa: 25)

﴿ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ ﴾

A conceited is one who adopts a haughty attitude toward her husband in

deed and word: the word conceited designates that which is elevated above the ground.

Ali "Allah be pleased with him" used to say, "The worst characteristics of men constitute the best characteristics of women; namely, stinginess, pride, and cowardice. For if the woman is stingy, she will preserve her own and her husband's possessions; if she is proud, she will refrain from addressing loose and improper words to everyone; and if she is cowardly, she will dread everything and will therefore not go out of her house and will avoid compromising situations for fear of her husband. These accounts indicate the sum total of the good qualities sought in marriage.

The third is Beauty: beauty of face is desired because through it fortification is attained. For (a man's) natural disposition is generally not contented with an ugly woman, (even) when good character and physical beauty are often inseparable. What we have transmitted is encouragement to look for a pious woman and not marry one for her beauty, which does not discourage the cherishing of beauty, but rather discourages marrying a woman for her beauty alone (while she be) corrupt in religion. Beauty, per se, oftentimes makes marriage desirable and detracts from the importance of religion. Indicative of the regard given to beauty is the fact that closeness and love are often realized through it. For that reason the Shari'ah cats enjoined the safeguarding of the means to intimacy, and seeing (the woman) before marriage was deemed desirable.

The Prophet said: "If Allah should incline the heart of one of you toward a woman, let him look at her, for it will bring them closer together." That is to say, it will cause them to be closer to each other like the closeness of the epidermis to the endodermis, which is the inner skin (as opposed to) the epidermis (which) is the outer skin. He mentions that only to stress the degree of closeness. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There is something in the eyes of the Ansar; therefore, if one of you wishes to marry one of their women, let him look at them." It was said (in effect) that those women were "blear-eyed." It was also said: "small-eyed." Some Allah -fearing men would not marry off their daughters until they are seen as a precaution against delusion. Al-A'mash said: "Every marriage occurring without looking ends in worry and sadness." It is obvious that looking does not reveal character, religion, or wealth; rather, it distinguishes beauty from ugliness.

It was related that during the time of Umar" Allah be pleased with him" a man got married. The man had colored his hair and the dyestuff had faded. The woman's family complained to 'Umar saying, "We thought he was a young man." 'Umar beat him excessively and said: "You have deceived the people." It is related that Bilal and Suhaib came to a Bedouin household and asked to marry their daughters. They were asked: "Who are you?" Bilal said: "I am Bilal and this

is my brother, Suhaib. We were misguided, but Allah has directed us; we were enslaved, but Allah freed us; we were dependent (on others), but Allah has made us independent; if you should give us wives, then thanks be to Allah; and if you should turn us away, then praise be to Allah." They (the household) answered, "Rather, you will marry, and thanks be to Allah." Suhaib said to Bilal, "Would that you had mentioned our association and dealings with the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". He replied, "Be quiet. I spoke the truth and the truth will get you married." One may be deceived both in beauty and in character; therefore it is desirable to avoid deception in beauty by looking, and (deception) in character by description and inquiry. It is desirable that this precede marriage. A description of her character and beauty should not be sought from any but one who is keen, who is truthful, who is well versed in the apparent and the hidden (qualities), who is not predisposed toward her lest he should praise her too much, and who does not envy her lest he should not praise her enough. In stating the basis for marriage and in describing the would-be wives, the natural disposition leans toward exaggeration and excessiveness. Few are the ones who are truthful and are inclined to modesty; rather, deception and enticement often predominate. Caution, therefore, is important for one who would guard himself against longing for a woman other than his wife.

As for the man whose purpose in having a wife is mere observation of the Sunnah, bearing children, or caring for the house, should he renounce beauty, he would draw nearer to asceticism; because seeking beauty, in short, is a worldly interest even though in the case of some individuals (it) may be an aid to religion.

Abu Sulaiman Ad-Darani said: "Indifference (to worldly interests may be) in anything, even in women." Thus a man (might) marry an old woman because he has preferred to renounce worldly delights. Malik Ibn Dinar used to say, "Many a man among you would refrain from marrying an orphan, whose feeding and clothing would cost little and who would be easily satisfied, thus gaining merit (before Allah). Rather, he would marry the daughter of so and so-meaning prominent people-who would make many demands of him saying, `Clothe me with such and such.'" Ahmad Ibn Hanbal preferred a one-eyed (woman) over her sister who was beautiful. For he asked: "Who is the better behaved of the two?" He was told: "The one-eyed." He replied: "Give her to me in marriage." Such is the constant endeavor of one who does not seek (mere) sensual pleasures. If someone cannot secure his faith without a source of pleasure, then let him seek beauty because enjoyment of what is lawful strengthens faith.

It has been said that if a woman is beautiful, of good character, with black eyes and hair, large eyes, white complexion, loves her husband, and has an eye to no other men, she is in the image of hawar. For Allah Almighty has ascribed to the women of paradise this description in the verse, "the good and beautiful" (Ar-Rahman: 70)

﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴾

(By "good" He meant "those enjoying good manners"); in the verse "of modest gaze" (As-Saffat: 48)

﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴾

And in the verse "lovers (urub), friends" (Al-Waqi'ah: 37)

﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾

(By "lovers," He means someone who is in love with her husband and desirous of seducing him so as to complete her pleasure.

By al-hawar, He meant whiteness; al-Hawra' is a woman with intense whiteness of the sclera, profound blackness of the eyes matching the profound blackness of the hair, and big, wide (-set) eyes. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The best of your women is one who pleases her husband when he looks at her, who obeys him when he commands her, and guards his memory and his possessions when he is absent." Her husband will be delighted to look at her if she loves him.

The fourth quality is dowry: that is, her dowry should be small. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" declared that "The best women are those whose faces are the most beautiful and whose dowries are the smallest." He enjoined against excessiveness in dowries." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" married one of his wives for a dowry of ten Dirhams and household furnishings that consisted of a hand mill, a jug, a pillow made of skin stuffed with palm fibers," and a stone; in the case of another, he feasted with two measures of barley;" and for another, with two measures of dates and two of mush (Sawiq). 'Umar" Allah be pleased with him" (also) used to enjoin against excessive dowries and used to say, "In getting married and in marrying of his daughters, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" never spent more than four Hundred Dirhams." If paying excessive dowries for women were a virtue, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" would have been the first to do so. One of the companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was married for a date-pit of gold equal to five Dirhams. Sa'id Ibn Al-Musayyab married his daughter to Abu Hurairah "Allah be pleased with him" for two Dirhams. He then took her personally to him by night, let her in through the door, and then departed. Seven days later, he came back and greeted her.

Even if he (Sa'id) had married for ten Dirhams to be different from the rest of the learned, there would be nothing wrong with his act.

A tradition states that "a woman's blessing is in marrying and in bearing children quickly, and "in the reasonableness of her dowry." He also said: "The most blessed among them are the ones with the smallest dowries." Just as it is undesirable for the woman's dowry to be excessive, it is undesirable for the man to ask about the possessions of the woman. Marriage should never be motivated

by avidity for wealth. Ath-Thawri said: "Should one marry and ask `What does the woman possess?' know ye that he is a thief; and should a person give them a present, it should not be with the purpose of forcing them to reciprocate with more; likewise, should they give him a present, the expectation of receiving more (than they gave) is immoral. Exchanging gifts is desirable, and results in friendship." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If you exchange gifts, you will love each other." As pertains to seeking more, it is included in the words of the Almighty: "And show not favor, seeking worldly gain" (Al-Muddaththir: 6)

﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝ ﴾

That is to say, give (not) in order to receive more; also in the Almighty's words: "That which ye give in usury in order that it may increase on (other) people's property" (Ar-Rum: 39)

﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ ۝ ﴾

For usurious interest, is the increase, and that (giving a gift) is an attempt to increase the principal, though it is not usurious. All such attempts are detested and are regarded as heretical in marriage. For, they resemble trading and gambling, and their aim corrupts marriage.

The fifth quality is childbearing: that is the woman should be able to bear children. Should she be known to be barren, then one should avoid marrying her. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Marry the loving child-bearer"; if she has no husband and her affairs are not known, the decision should be based on her health and her youth for, given these two qualities, she will most likely be capable of bearing children.

The sixth quality is virginity: that is, she should be a virgin. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Jabir, who had married an unwed deflowered woman, "Would that she were a virgin so you could play with her and she with you."

Virginity has three merits:

1- The virgin will love the husband and feel close to him, which will favorably influence their conjugal attachment. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Marry the loving (woman)"; for the natural disposition is to be attached to the first mate with whom one has had intimate relations. On the other hand, a woman who has experienced men and life may not be satisfied with some of the qualities that differ from those she is accustomed to, and may, therefore, loathe the husband.

2- It engenders a greater measure of his love for her, as it is a man's nature to be somewhat repelled by a woman who has been touched by another husband; that would contradict (a man's) nature regardless of what might be said (to the contrary). Certain natures find it more repulsive than others.

3- The virgin does not yearn after the first husband, because, in general, the surest love is that which is engendered with the first loved one.

The seventh quality is good Lineage: that is, the wife should be of good

lineage, that is to say, she should come from a religious and righteous background, because she will bring up her daughters and sons. If she is not well bred, she will not be able to raise her children well. For that reason the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Beware of the green dung." It was asked, "What is the green dung?" He said: "The beautiful woman with an evil origin." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Exercise care in choosing (wives) for your sperm, for a hereditary quality is wont to return."

The eighth quality is that she be Not a Close Relative: that is, she should not be a close relative, as that would lessen desire. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Don't marry close relatives for then the child is born scrawny"; that is to say, weak; such is the weakening effect it (marrying close relatives) has on desire. For desire is excited by the deep emotions which result from sight and touch; emotions are strengthened by whatever is unfamiliar and new. On the other hand, what is familiar and seen continuously renders the faculties incapable of fully appreciating it (desire), being affected by it, or becoming aroused through it. These are the qualities desired in women.

INQUIRY INTO THE HUSBAND'S CHARACTER

It is incumbent upon the guardian also to examine the qualities of the husband and to look after his daughter so as not to give her in marriage to one who is ugly, ill-mannered, weak in faith, negligent in upholding her rights, or unequal to her in descent. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" has said: "Marriage is enslavement; let one, therefore, be careful in whose hands he places his daughter." Exercising caution on her behalf is important, because she becomes a slave by the marriage and cannot be freed from it, while the husband is able to obtain divorce at all times. Whoever gives his daughter in marriage to a person who is unjust, licentious, heretical, or an inebriate commits a crime against his religion and exposes himself to the wrath of Allah for having severed his parental tie by having made a bad choice. A man said to al-Hassan, "A number of suitors have asked for my daughter's hand in marriage; to whom should I give her?" He replied, "To the one who fears Allah; because if he loves her, he will be kind to her; and if he hates her, he will not wrong her." The Prophet said: "Whoever gives his daughter in marriage to a shameless man has betrayed her womb."

CHAPTER THREE

ETIQUETTES OF COHABITATION; WHAT SHOULD HAPPEN DURING MARRIAGE; AND THE OBLIGATIONS OF HUSBAND AND WIFE

FIRST PART OF THIS Chapter: Etiquettes Of Cohabitation

OBLIGATIONS INCUMBENT UPON HUSBAND

As for the husband, it is a part of his obligation that he should observe moderation and good manners in twelve matters: feasting, cohabitation, dallying,

exercising authority, jealousy, support, teaching, apportionment, politeness at times of discord, intimate relations, producing children, and separation through divorce.

The first etiquette is feasting: and that is desirable. Anas "Allah be pleased with him" said: "The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saw a trace of paleness in the face of Abd Ar-Rahman Ibn 'Awf "Allah be pleased with him" and said 'What is this?' He replied: 'I married a woman for a date-pit of gold.' The Prophet replied: 'May Allah bless her for you. Have a feast, even with a sheep." The Prophet of Allah feasted for Safiyyah with dates and Sawiq. "' The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The food of the first day is an obligation; of the second, a Sunnah; and of the third, a (cause for good) reputation; he who spreads the news is made known by Allah.' Only Ziyad Ibn 'Abdullah mentions it as being Gharib It is desirable to congratulate him (the husband); thus one who enters (the house of) the husband should say, "May Allah bless you and yours and bring you together in prosperity." Abu Hurairah "Allah be pleased with him" recounted that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" made it a command.

The publicizing of marriage is desirable. The Prophet said: "The separator of the lawful and unlawful (in marriage) is the tambourine and the voice." He also said: "Make known this marriage, perform it in the mosques, and celebrate it with the beating of tambourines." It is related that Ar-Rubai', the daughter of Mu'awwidh, said: "The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" came and entered upon me the morning that my marriage was consummated. He sat on my bed while some of our young girls were beating their tambourines for us and lamenting those of my forefathers who had been killed, until one of them said: 'and among us there is a prophet who knows what the morrow holds,' to which he replied, 'Don't say this and say only what you were saying before.'"

The second etiquette is **Conjugal Harmony**: good conduct with them (wives) and tolerating offense from them out of pity for their mental deficiencies. Allah Almighty declared, "But consort with them in kindness" (An-Nisa: 19)

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾

He also said in upholding their rights, "And they have taken a strong pledge from you" (An-Nisa': 21).

﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾

He (Allah) also said: "And what your right hands (possess)" (An-Nisa': 36)

﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾

Some say that (the verse) refers to women.

The last commandments,that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" left were three, which he continued to utter until he

stammered and his words became incomprehensible. He kept saying: "Pray, pray!" Do not impose upon your slaves that which you could not support. Fear Allah; fear Allah as concerns your women for they are like putty in your hands, that is, captives. You have taken them as a trust from Allah, and intimate relations with them was made lawful through the word of Allah." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "If a man is tolerant of his wife's bad manners, Allah will grant him the same recompense that He granted Job for his affliction; whoever tolerates the bad manners of her husband, will be granted by Allah the same recompense that was granted to Asiyah the wife of Pharaoh." Know you that good conduct with her does not mean not harming her, but rather enduring harm from her and forbearance in the face of her fickleness and anger in emulation of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"; for his wives used to talk back to him, and on occasion one would leave him for the whole night." Umar's wife talked back to him and he said to her, "Do you talk back to me, O foolish woman?" And she said: "The wives of the Prophet talk back to him and he is better than you."" To which Umar retorted, "How inappropriate of Hafsah to talk back to him!" Then he said to Hafsah, "Don't be deceived (by the conduct) of the daughter ('A'ishah) of Ibn Abu Quhafah, for she is the dearest of the Prophet's wives; and he warned her against talking back." It was also related that one wife hit the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in the chest, so her mother scolded her. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Leave her alone; they (wives) do worse than that." He and 'A'ishah got into an argument to the point that Abu Bakr was called upon to arbitrate, and the Prophet took him as a witness. So the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to her, "Are you going to talk, or shall I?" She replied, "You talk, but say only the truth." Abu Bakr struck her until her mouth bled, and said to her, "O enemy of yourself, does he utter anything but the truth?" So she took refuge with the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and sat behind him. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" then told him, "you were not called for this, nor did we desire this of you." She told him once in anger, "And you are the one who claims to be the Prophet of Allah!" So the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" smiled and bore that out of forbearance and kindness." He used to say to her, "I know when you are angry and when you are pleased." To which she replied, "And how do you know it?" He said: "When you are pleased, you say 'No, by the Lord of Muhammad'; and when you are angry you say, 'No, by the Lord of Abraham.'" She said: "You are right; I leave your name out." It is said that the first love that took place in Islam was the love of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" for 'A'ishah "Allah be pleased with her" He used to say to her, "I am to you like Abu Zar' vis-à-vis Umm Zar'; however, I won't divorce you." He used to say to his wives, "Don't talk ill of 'A'ishah to me for, by Allah, I have not received revelation under the cover of any of you but (rather under) hers." Anas "Allah be pleased with him" used to say that the

Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was the kindest of all people toward women and children."

The third is **Toleration of Wives**: Dalliance, jesting, and playfulness add to the toleration of offense; for these delight the hearts of women. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to joke with them and lower himself to the level of their minds in deeds and manners, to the extent that it was related that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to race 'A'ishah; she won once and he won several times, so the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Now we're even." In a narration it is related that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was one of the merriest with his wives. 'A'ishah (once) said: "I heard the voices of some Ethiopians and others playing on the day of 'Ashura'. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" asked me, 'Do you wish to see them play?' I said: 'Yes.' He sent after them and they came. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" stood between the two doors, placed his palm on the door and extended his arm; I leaned with my chin against his arm. They began to play, and I looked on. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" kept saying, 'That's enough'; and I would say, 'Be quiet,' twice or three times. Then he said: "A'ishah, that's enough!' So I said: 'Yes.' He pointed to them and they departed. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "the most perfect of believers in faith are those who are the finest in manners and most gentle toward their wives." He said: "The best among you are the most charitable toward their wives, and I am the best among you toward my wives." In spite of his harshness, Umar" Allah be pleased with him" said: "It is necessary that a man be like a child in his family; but if they seek what he possesses, he should be found a man." Luqman "Allah be pleased with him" said: "A wise man should be like a child in his family, and when he is in public, he should be found a man." In a commentary on the related narration, (it is stated that) "Allah detests the one who is harsh toward his family and who is arrogant. The same explanation has been offered for the term Utul used by Allah Almighty (Al-Qalam: 13)

﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾

For it has been said that 'Utul designates one who has a harsh tongue and who is cruel toward his family.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Jabir, "Would that she were a virgin, so you could dally with her and she with you."

The Fourth is **Asserting Authority**: not so to indulge in dalliance, good manners, and conformity in following her whims that he would corrupt her manners and lose respect altogether in her eyes. Rather, he should observe moderation, never abandon dignity and seriousness no matter how much evil he sees, nor open the door to abetting abomination; rather, whenever he sees an act which violates divine legislation and manliness, he should become resentful and

angry. Al-Hassan said: "Verily whoever obeys the whims of his wife will be cast by Allah into the Fire." 'Umar said: "Disagree with your wives, because disagreement with them is a blessing." It was also said: "Consult them, then disagree with them." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Miserable is he who is a slave to his wife." He said so because if the husband obeys her whims, he becomes her slave and thereby miserable; for Allah made him possessor over the woman but if he makes her possessor of himself, he reverses the order of things, overturns the matter, and obeys Satan when he said: "and surely I will command them and they will change Allah's creation" (An-Nisa': 119)

﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴿١١٩﴾ ﴾

It is a man's right to be followed, not to be a follower.

Allah has appointed men as trustees over women, and has called the husband "master"; and the Lord said: "and they met her lord and master at the door" (Yusuf: 25)

﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾

For if the master is transformed into a slave, then he has exchanged Allah's grace for thanklessness. The woman's behavior depends on you: If you slacken her reins a little, she will run off for a long distance; should you loosen the harness a span (Fitr), she will take a cubit; but if you restrain her and treat her firmly where firmness is called for, you will be her master.

Ash-Shafi'i "may Allah have mercy upon him" said: "There are three who will insult you if you honor them: the woman, the servant, and the Nabataean." He was referring to pure kindness and not harshness mixed with compliance, or coarseness with gentleness.

Arab women used to teach their daughters (how) to test their husbands. One would say to her daughter, "Test your husband before taking a step and before showing boldness toward him. Remove the edge of his spear; should he remain quiet, hack bones with his sword; and if he should still be quiet, then put the saddle on his back and ride him, for he is your donkey." At any rate, it is with justice that the heavens and the earth are upheld; whatever exceeds its limits turns into its opposite.

For that reason it is necessary to follow the path of moderation both in disagreement and in agreement, and to follow the truth in it all, so as to be safe from their (women's) evil; because their scheming is great, their evil is widespread; their predominant characteristics are bad manners and weak minds, and this cannot be set straight except through a certain amount of kindness mixed with diplomacy. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A virtuous woman amongst women is like a white-footed among a hundred crows".

In the will of Luqman to his son (it is stated): "My son, beware of the evil woman, for she will age you before your time; and beware of the evils of women, as they do not encourage good deeds; and be very careful of the better ones

among them." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Beware of the three causes of poverty," and among them he listed the "evil woman" for she is the one who ages a man before his time. In other words, "If you come to her, she will curse you; and if you are away from her, she will be unfaithful to you." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said concerning the best of women, "If (only) you were the companions of Joseph"; that is, turning Abu Bakr away from prayer indicates that, on your part, you have ignored the truth and turned to pleasure. Allah Almighty said when they (women) revealed the secret of the Prophet: "If you two turn in repentance to Him, your hearts are indeed so inclined" (At-Tahrim: 4)

﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾

He (Allah) said that about the best of the Prophet's wives." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No people dominated by a woman can succeed." 'Umar scolded his wife when she talked back to him saying, "You are no more than a toy in a corner of the house; if we have need of you (we take you), otherwise, you sit as you are." Thus there is evil and weakness in them (women); while diplomacy and harshness are a cure for evil, consolation and mercy are the cure for weakness. The skillful doctor is one who can estimate the amount of cure needed for the ailment; so let the man first know her character through experience, then let him deal with her in a manner that will set her straight in accordance with her state.

The fifth is Jealousy: moderation in jealousy; which means that one should not overlook preliminaries whose consequences may be undesirable, and should not go to extremes in misjudging, in acting adversely, or in spying upon concealed matters.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" enjoined against seeking out the faults of women, that is, against unexpectedly coming upon women. When the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" returned from a journey, he said before entering (the city of) Medina, "Don't come upon your wives at night." Two men disagreed with him and went ahead (of the rest), and each saw in his home what he detested." In a famous narration (it is stated): "A woman is like a rib: if you (attempt to) straighten it, you break it; leave it alone and enjoy it in spite of its crookedness." This refers to rectifying her character.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There is a type of jealousy which Allah detests, and that is the unjustifiable jealousy of a man over his wife when there is no justification (for suspicion)" because that suspicion we have decreed against. Certain (types of) suspicion are sinful. 'Ali "Allah be pleased with him" said: "Do not indulge excessively in showing jealousy over your wife lest she be accused of evil behavior because of you." However, jealousy in its proper place is both necessary and commendable. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah

Almighty experiences jealousy and the believer experiences jealousy as well; Allah Almighty's jealousy stems from the believer's perpetration of what Allah has enjoined against." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Do you marvel at the jealousy of Sa'd? By Allah, I am more jealous than he, and Allah is more jealous than me." Because of Allah Almighty's jealousy, He has prohibited abominations, whether manifest or hidden. Forgiveness is dearer to none than to Allah; for that reason He has sent warners and preachers. And praise is dearer to none than to Allah; for that reason He has promised Paradise.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I saw on the night (Mi'raj) (that) I was taken through Paradise a mansion and a maid in its courtyard; I inquired, 'To whom does this mansion belong?' and I was told, 'To 'Umar.' I wanted to look at her, but I remembered, O 'Umar, your jealousy." 'Umar wept and said: "Would I be jealous because of you, O Messenger of Allah?" Al-Hassan used to say, "Do you call upon your wives to jostle uncouth men in the market places? May Allah curse those who are not jealous." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah favors certain types of jealousy and detests others; He favors certain types of pride and detests others. As for the jealousy which Allah loves, it is jealousy which results from just suspicion; and the jealousy that Allah detests is that which results from unfounded (suspicion). The pride which Allah favors is that which a man has in battle and in the face of difficulties; and the pride that Allah detests is pride in falsehood." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I am indeed a jealous man and none is free from jealousy save one whose heart is degenerate." The only way to avoid jealousy is by having no man enter upon her and by preventing her from going into the marketplaces." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" asked his daughter Fatimah "Allah be pleased with her" "What is best for a woman?" She replied, "That she should see no man, and that no man should see her." So he hugged her and said they were " descendants one of another" (Al Imran: 34)

﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ ﴿٣٤﴾ ﴾

Thus he was pleased with her answer.

The companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to close peepholes and perforations in the wall to prevent women from looking at men. Mu'adh (b. Jabal) saw his wife looking through a peephole, and he struck her; he also saw her giving an apple to his male slave from which she had eaten, and he struck her again.

Umar" Allah be pleased with him" said: "Strip the women of their (beautiful) clothes and they will stay in their rooms." He said so because they (women) do not desire to go out in worn clothes. He also said: "Accustom your women to 'No!'" The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" permitted women to go to the mosques; the appropriate thing now, however, is to prevent them (from doing so), except for the old (ones).

Indeed such (prevention) was deemed proper during the days of the companions; 'A'ishah "Allah be pleased with her" declared, "If the Prophet only knew of the misdeeds that women would bring about after his time, he would have prevented them from going out." When the son of 'Umar quoted the words of the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" "Do not prevent the bondwomen of Allah from going to the mosques of Allah," one of his sons replied, "Yes, by Allah, we will prevent them." So he struck him and was irate with him, saying, "You hear me say that the Prophet of Allah said: 'Do not prevent (them),' and you say, 'Yes (we will)?' ""The dared to disagree because he knew that times had changed, and the father was angry with him for openly expressing disagreement without giving the reason.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also permitted them (women) to go out especially during feasts; but they could not go out without the approval of their husbands.

Nowadays, it is permissible for a chaste woman to go out with the permission of her husband; however, remaining (at home) is safer." She should not go out except for an important purpose; going out for the sake of looking (about) and for unimportant matters detracts from virtue and may lead to corruption., If she goes out, she must avoid looking at men. We are not saying that the man's face is shameful for her to look at as is the woman's face for him. Rather, it is for her like the face of the beardless boy whom a man should be prevented from seeing when sight may result in evil; when evil is not likely to result, sight should not be prevented. For men throughout the ages have had unveiled faces while women go out veiled; if their faces were shameful for women to look at, men would have been commanded to be veiled or prevented from going out except for a necessary purpose.

The sixth is support of woman: moderation in spending. One should not be stingy toward them nor should he be extravagant; rather he should be moderate. The Almighty said: "and eat and drink but exceed not the bounds" (Al-A'raf: 31)

﴿ ۞ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾

He also said: "And let not your hand be chained to thy neck nor open it with a complete opening" (Al-Isra: 29)

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾

"The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The most favored among you is the one who is most generous toward his wife." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "A Dinar spent for the sake of Allah, a Dinar spent for ransoming a slave, a Dinar offered (as charity) to a poor man, and a Dinar spent on your wife -the one that earns you the greatest reward is the one spent on your wife." It was related that 'Ali "Allah be pleased with him" had four wives and that he used to buy every four days a Durham's worth of meat for each. Al-Hassan" Allah be pleased with him" said: "Some men spent plenty, but when it came to

furnishings and clothes they were tight." Ibn Sirin "Allah be pleased with him" said: "It is desirable that a man prepare pastry every week for his wife; for even though sweet foods are not among the necessary things, to completely omit them is a stingy practice." It is desirable that he should order her to offer as charity whatever food remains (after the meal) and whatever would spoil if kept. This is the least thing to do as far as charity is concerned. The wife has the right to do this as circumstances dictate without specific permission from the husband.

He should not keep to himself, to the exclusion of his family, a delectable food. Not feeding them of it would incite malice and render it difficult to have a harmonious relationship. If he decides to withhold it (from them), let him eat in seclusion so that his family does not know about it; nor should he describe to them food which he does not intend to give them.

When he eats, let the whole family sit at his table; for Sufyan(Ath-Thawri) "Allah be pleased with him" said,, "We have been told that Allah and His angels invoke prayers on the members of the household who eat together." The most important thing for the husband to observe in spending is to feed the family from what is gained lawfully and not to pursue evil endeavors for their sake, as that constitutes a crime against them rather than upholding their rights. We have already mentioned the pertinent narrations when talking about the disadvantages of marriage.

The seventh is Instruction Concerning Menstruation: that the married man should know enough about the matter of menstruation to enable him to take necessary precautions; he also should teach his wife the rules of prayer: which prayers should be performed during menstruation and which should not. He has been commanded to safeguard her against the (hell)Fire according to the words of the Almighty, "Ward off from yourselves and your families a Fire" (At-Tahrim: 6)

﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴿٦﴾ ﴾

It is incumbent upon the husband to teach her the proper beliefs of the followers of the Sunnah, to remove from her heart every innovation should she lend an ear to it, and to make her fear Allah should she be lax in matters of religion.

The husband should also teach her the precepts governing menstruation and irregular menstrual flow, and the taking of precautionary measures." The information on menstruation is lengthy, but what a woman must be taught concerning menstruation are the prayers she should perform." If the blood stops shortly before the sunset (Maghrib) by (the end of) one prostration, then it is incumbent upon her to perform Zhuhr and Asr prayers; if it stops before morning by (the end of) one rak'ah then she should perform the Maghrib and 'Isha. This is the least that the women ought to observe.

If the husband is diligent in teaching her, she will not have to go out and ask the learned about it. If the husband's knowledge does not encompass such

matters, and if he should ask on her behalf, conveying to her the information from the mufti, then there is no need for her to go out. Otherwise, she has the right to go out and ask; in fact, she is obligated to do so, and the husband would be in defiance should he prevent her. No matter how much she learns about her obligations, she should not go out to attend a Dhikr nor receive instruction in superfluous knowledge without the consent of her husband.

Whenever a woman neglects one of the obligations imposed upon her by menstruation and irregular menstrual flow, and the husband does not teach her (concerning these matters), he, too, becomes her partner in sin.

The eighth is Equality Among Wives: If he has several wives, then he should deal equitably with them and not favor one over the other; should he go on a journey and desire to have one (of his wives) accompany him, he should cast lots among them, for such was the practice of the Messenger "Peace be upon him". If he cheats a woman of her night, he should make up for it, for making up for it is a duty upon him. For that reason it becomes necessary for him to learn the rules of apportionment which would take a long time to explain here. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whosoever has two wives and favors one over the other- that is to say, does not deal equitably between them- he comes to the Day of judgment bent to one side." He should be equitable in giving and in cohabiting at night. As concerns love and intimate relations, these do not come under the rubric of choice. Allah Almighty has declared, "You will not be able to deal equally between (your) wives, however much ye wish (to do so)" (An-Nisa: 129)

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴿١٢٩﴾ ﴾

That is to say, you cannot deal equally with regard to the desires of the heart and the preferences of the soul from which stems inequality in intimate relations. The Messenger" Allah's blessing and peace be upon him" used to be equitable to his wives in giving and cohabiting at night saying, "O Lord, this is the limit of my ability within my means, I have no access to that which You possess and I do not have,"" by which he meant love. He loved 'A'ishah "Allah be pleased with her" most, and the rest of his wives knew that. During his (last) illness, he was carried every day and every night in order to spend a night with each one of his wives. He would say, "Where am I supposed to be tomorrow?" So one of his wives saw through his question and said: "He is asking for the day with 'A'ishah." So they (his wives) said: "O Messenger of Allah, we permit you to stay at 'A'ishah's house, because it is difficult for you to be carried every night." He replied, "Are you agreeable to that?" They replied, "Yes," so he said: "Take me then to 'A'ishah's house." Whenever one wife grants her night to another with the husband's consent, the second wife gains the right to that night. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to allot time among his wives. He wanted to divorce Sawdah, the daughter of Zam'ah, when she became old, so she granted her night to 'A'ishah and asked him to keep her in

order that she (Sawdah) might remain in the circle of his wives. He left her and did not apportion for her; rather, he apportioned two nights for 'A'ishah and one night each for the rest of his wives. On account of his fair justice and virility, whenever he desired one of his wives whose turn was not due and had intercourse with her, he would then visit her during the same day or night the rest of his wives. It has been related that 'A'ishah "Allah be pleased with her" said the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" visited all of his wives in one night. Anas also related that he" Allah's blessing and peace be upon him" visited all nine wives in one morning."

The ninth is Insubordination of the Wife: as pertains to discord and whatever dissension takes place between them that cannot be reconciled. If it should ensue from both sides or from the husband, and the wife wants to dominate the husband, and if it is not possible for him to set her straight, then two arbitrators should be called representing each of the two families (husband's and wife's) to look into the matter and to reconcile them. "If they desire amendment (reconciliation), Allah will make them of one mind" (An-Nisa: 35)

﴿ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾

Umar sent an arbitrator to a couple, but he returned without succeeding in reconciling them; whereupon he ('Umar) beat him saying, "Allah Almighty says, 'If they desire amendment (reconciliation), Allah will make them of one mind." So the man returned and with (good) intention(s) and gentleness toward them, he reconciled them.

However, if the discord is the woman's fault, it is the husband's right to chastise and induce her forcibly to obey, since men are guardians over women.

Likewise, should she be remiss in performing her prayers, it is his right to force her to perform them. However, he should chastise her gradually: That is to say, first he should preach, then warn, then threaten; should he not succeed, he should turn his back to her in bed, sleep in another bed, or avoid her-while still remaining in the house-from one night up to three. Should all of this fail, then he should beat her but not excessively, that is, to the point that he would inflict only pain but without breaking a bone or causing her to bleed. He should not strike her face for that is forbidden.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked, "What rights can a woman claim from a man?" He replied, "To feed her when he eats, to clothe her when he is clothed, (but) not to be insolent or beat her excessively. He is to avoid her only in cohabitation (that is, desert her bed)." He can be angry with her and avoid her over matters of religion up to ten or twenty (days), or up to a month; the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did so to Zainab when he sent her a present and she returned it to him. The wife at whose house he was staying said to him, "She has insulted you by returning your presents, that is to say, she has humiliated and belittled you." The Messenger of Allah "Allah's blessing and

peace be upon him" replied, "You (wives) are too despicable in the sight of Allah to insult me!"Whereupon, he became angry with all of them for a month, then returned to them.

The tenth is **Etiquette of Intimate Relations**: on the etiquette of intimate relations. It is desirable that it should commence in the name of Allah and with the (following) statement: Say, "He is Allah, the One and Only" (Al-Ikhlas: 1)

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾

Then he should magnify (Takbir) and exalt (Tahlil) His name saying, "In the name of Allah, Most High, Most Great; O Allah, cause it to be a good progeny if you cause it to issue forth from my loins." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If one of you say when he comes upon his wife: 'O Allah, avert the devil from me and avert the devil from what You have granted us.' Then should a child result, the devil shall not hurt him." When you near ejaculation, say to yourself without moving your lips: "Praise be to Allah Who has created humans out of fluid, and made thereof relatives and in-laws, for your Lord is omnipotent." One of the men of Hadith used to raise his voice in praise to the extent that the members of the household could hear his voice. Then he would turn away from the Qiblah, and would not face the Qiblah during coitus out of deference for the Qiblah. He should also cover himself and his wife with a garment. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to cover his head and lower his voice, saying to the woman: "Remain quiet." A narration says, "If one of you should have intimate relations with his wife, you should not denude yourselves completely like two onagers," that is, two donkeys.

Let him proceed with gentle words and kisses. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Let none of you come upon his wife like an animal, and let there be an emissary between them." He was asked, "What is this emissary, O Messenger of Allah?" He said: "The kiss and (sweet) words." He" Allah's blessing and peace be upon him" also said: "There are three qualities which are considered deficiencies in a man: one, that he should meet someone whose acquaintance he wishes to make but parts from him before learning his name and lineage; second, that he should be treated kindly and reject the kindness' done unto him; and third, that he should approach his concubine or wife and have sexual contact with her before exchanging tender words and caresses, consequently, he sleeps with her and fulfills his needs before she fulfills hers." Intimate relations are undesirable during three nights of the month: the first, the last, and the middle. It is said that the devil is present during copulation on these nights, and it is also said that the devils copulate during these nights. It was related that 'Ali, Mu'awiyah, and Abu Hurairah also frowned upon it (during those nights). Certain learned recommended intimate relations on Friday and the night before it (Thursday) in

fulfillment of one of the two interpretations of the Prophet's words, "May Allah bless the one who purifies and performs the ablution, etc." Once the husband has attained his fulfillment, let him tarry until his wife also attains hers. Her orgasm may be delayed, thus exciting her desire; to withdraw quickly is harmful to the woman. Difference in the nature of (their) reaching a climax causes discord whenever the husband ejaculates first.

Congruence in attaining a climax is more gratifying to her because the man is not preoccupied with his own pleasure, but rather with hers; for it is likely that the woman might be shy.

It is desirable that he should have intimate relations with her once every four nights; that is more just, for the (maximum) number of wives is four which justifies this span. It is true that intimate relations should be more or less frequent in accordance to her need to remain chaste, for to satisfy her is his duty. If seeking intimate relations (by the woman) is not established, it causes the same difficulty in the same demand and the fulfillment thereof.

He should not approach her during menstruation, immediately after it, or before major ablution, for that is forbidden according to the decree of the Book." It has been said that it would engender leprosy in the offspring. The husband is entitled to enjoy all parts of her body during menstruation but not to have sodomy; intercourse during menstruation is forbidden because it is harmful, and sodomy will cause permanent harm; for that reason it (sodomy) is more strongly prohibited than intimate relations during menstruation." The words of the Almighty state, "so go to your tilth as you will" (Al-Baqarah: 223)

﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾

That is, "any time you please." He may achieve emission by her hand and can enjoy what is concealed by the loincloth short of coitus.

The woman should cover herself with a loincloth from her groin to (a point just) above the knee during the state of menstruation. This is one of the rules of etiquette. He may partake of meals with the woman during her period of menstruation; he may also sleep beside her, etc. He should not avoid her.

If the husband wishes to have intimate relations with one after having had coitus with another, then he should wash his genitals first. If he has nocturnal emission, then he should not have intercourse before washing his genitals or urinating. Sexual intercourse is frowned upon at the beginning of the night for he should not sleep in an impure state. Should he seek sleep or food, then let him perform first the limited ablution, for that is a recommended practice of the Sunnah. The son of Umar related, "I said to the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" Should any of us sleep in a state of major ritual impurity?' And he replied, "Yes, if he has performed the limited ablution." However, a dispensation was given in this regard: 'A'ishah "Allah be pleased with her" said: "The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to sleep in a state of major ritual impurity having not touched

water." Whenever he returns to his bed, he should wipe the covers or shake them, for he does not know what might have taken place thereon during his absence. He should not shave, trim his fingernails, sharpen the blade (with which he shaves), cause blood to flow, or reveal any part of him while in a state of major ritual impurity; for all parts of his body would be restored to him in the hereafter, and he would thus return to a state of major ritual impurity. It is said that every hair will demand an account for the infraction it committed.

Coitus Interruptus

Other etiquette includes refraining from coitus and not ejaculating except in the place of tilling, which is the womb, for there is not a soul whose existence Allah has decreed but that will exist." To that effect were the words of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". As pertains to coitus interruptus, the learned have split into four groups over whether it is permissible or reprehensible: There are those who consider it unconditionally permissible under all circumstances; there are those who forbid it in all circumstances; there are those who say it is permissible with her consent; evidently those proponents consider the harm (caused to the woman), which is forbidden rather than coitus interruptus itself; there are those who say it is permissible with the bondmaid but not with the free woman.

As far as we are concerned, it is permissible. As to a reprehensible act, it applies to cases where unlawfulness is disregarded, where uprightness is ignored or where virtue is abandoned. It (coitus interruptus) is reprehensible according to the third stipulation; in other words, it involves abandonment of a virtue, as it is said: It is reprehensible for someone in the mosque to sit without being preoccupied with Dhikr or prayer; and it is reprehensible for someone residing in Mecca not to perform the pilgrimage every year; this reprehensibility applies to the abandonment of what should take precedence and is more convenient, nothing more. This is firmly established in what we have explained concerning the virtue of (having) offspring, and in what has been related concerning the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "A man has intimate relations with his wife, and is thus decreed for him the reward of a male offspring who fights for the cause of Allah and is killed (martyred)." He said so because if such a son is born to him, he would receive the reward of being the cause for his (son's) existence, even though Allah Almighty is his creator, his sustainer, and the one who strengthens him for jihad. His part in causing (the child) to exist is the act of coitus at the time of ejaculating in the uterus. We have stated that there is no reprehensibility in terms of prohibition and purification, for upholding prohibition is possible only by text or by analogy with a text; there is no text without a basis for analogy. Rather, we have here a basis for analogy-namely, abstaining from marriage altogether, abstaining from intimate relations after marriage, or avoiding emission after penetration; all such abstentions are more preferable, but they do not constitute acts of unlawfulness or disagreement.

For the progeny is formed by the sperm being deposited in the uterus, which comes from four causes: marriage, then copulation, then patience until emission takes place after intercourse, then waiting until the sperm is implanted in the uterus. Some of these causes are more closely related than others. (Thus) abstaining from the fourth is like abstaining from the third; likewise, the third is similar to the second, and the second is like the first. All that, is not the same as abortion or the burying of girls alive (wad). These two things, in effect, constitute a crime against an already existing person; and that also has stages: The first stage of existence is that the sperm should lodge in the uterus, merge with the fluid of the woman, and become thus receptive to life; to interfere with this process constitutes a crime. If it develops into an embryo and becomes attached (a fetus), then the crime becomes more serious. If the spirit is breathed into it and the - created being takes form, then the crime (of abortion) becomes more serious still. The crime is most serious after the fetus is born alive (then buried if it is a girl).

We have said that the initial stage of existence is the planting of the sperm in the uterus, not emission from the urethra; for the offspring is not produced by the sperm of the male alone but from the agglutination of the mates, either from both his and her fluid or from his fluid and the blood of menses, and that the blood plays, in relation to it, the same role as milk to its coagulator; the sperm from the man is necessary in coagulating the blood of the menses as the thickening agent is for milk since through it the coagulator gels. However that might be, a woman's fluid is a fundamental element in coagulation.

The two fluids are likened unto an offer and related acceptance which result in the consummation of a contract. Whoever makes an offer and goes back on it before it is accepted has breached the contract by rendering it null and void. Whenever an offer and related acceptance take place, rescission becomes a nullification, an annulment, and a severance. As no child can issue forth from a sperm in the vertebra, likewise (a child would not be created) after the expulsion (of the sperm) from the urethra unless it mixes with the fluid or the blood of the woman. This is, therefore, a clear analogy." Should you say: "But coitus interruptus is not reprehensible on account of opposing the existence of a child, it is likely to be reprehensible on account of the motive behind it; for it cannot be motivated except by a corrupt intention which is blemished by concealed polytheism." I would answer that the motivations for coitus interruptus are five:

The first pertains to concubines who serve to preserve property from the destruction entailed by the right to manumission; the purpose of maintaining property by avoiding manumission and heading off its causes is not prohibited.

The second, preserving the beauty of the woman and her portliness in order to maintain enjoyment, and protect her life against the danger of childbirth; and this, too, is not prohibited.

The third, fear of excessive hardship on account of numerous offspring, and

guarding against the excessive pursuit of gain and against the need for resorting to evil means. This, too, is not prohibited, because encountering fewer hardships is an aid to religion (faith). Without doubt, perfection and virtue ensue from dependence on and faith in Allah's guaranty which is expressed in His words, "No creature is there crawling on the earth, but its provision rests on Allah" (Hud: 6)

﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴿٦﴾ ﴾

Falling short of the apex of perfection, and abandoning what is preferable is not a criminal act. However, we cannot say that taking consequences into account as well as preserving possessions and hoarding them are prohibited, even though they are contrary to dependence (on Allah).

The fourth, fear of having female children because of the stigma involved in getting them married, as was the custom of the Arabs in burying their female progeny. This would be an evil intention if marriage or coitus are to be abandoned on its account; a person would be guilty of the intention but not of abstinence from marriage and coitus; so likewise in coitus interruptus. Corruption engendered by belief in disgrace is stronger in the Sunnah of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". Such would be comparable to the circumstance of a woman who avoids marriage out of disdain for having to lie under a man and thus attempts to emulate them. Undesirability (in this case) is not due to abstinence from marriage per se.

The fifth, that the woman might abstain from having children on account of arrogance, excessive cleanliness, fear of labor pains, childbirth, and nursing.

Such was the custom of the Kharijite women in their excessive use of water to the point that they used to perform the prayers during the days of menses and would not enter the bathroom except naked (because) of their excessive cleanliness. This too is an innovation which contradicts the Sunnah and manifests a corrupt intent. One among them sought permission to see 'A'ishah "Allah be pleased with her" when she came to Basra, but she ('A'ishah) did not grant it. Thus it is the intent and not the prevention of having children which is corrupt.

If you should say that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever abandons marriage for fear of having dependents is not one of us in the least," I would say that coitus interruptus is like abstinence from marriage. By "he is not one of us" is meant that he does not concur with our Sunnah and our Path: Our Sunnah is the pursuit of the more preferable deed. Should you point out the fact that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said regarding coitus interruptus, "That constitutes a secret form of burying children alive" and (also) recited, "and when the girl-child that was buried alive is asked," which is reported in the Sahih (of Muslim), we would reply (that) in the Sahih are also authentic reports... concerning the lawfulness (of coitus interruptus). His expression "secret form of burying children alive" is like unto his words

"secret polytheism," and that is an act which constitutes undesirability but not unlawfulness.

If you should point out the fact that Ibn 'Abbas said: "Coitus interruptus constitutes the lesser degree of burying children alive, as conception is prevented by coitus interruptus", then we would reply, "He is equating the prevention of existence to cutting it off and that is a weak form of analogy." For that reason 'Ali" Allah be pleased with him" denounced this act upon hearing this saying, "A child is not buried alive until after the seventh, or seven phases have been completed," and he recited the Qur'anic verse pertaining to the stages of creation: "Verily We created man from a product of wet earth; then placed him as a drop (of seed) in a safe lodging," up to "and then produced it as another creation" (Al-Mu'minun: 12-14)

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

That is to say, we breathed a spirit into him. Then he recited the Almighty's words in (another) verse: "And when the girl-child that was buried alive is asked." (At-Takwir: 8)

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ ﴾

If you examine what we have already stated concerning analogy and point of view, you will perceive the difference between the method of 'Ali" Allah be pleased with him" and that of Ibn 'Abbas" Allah be pleased with him" in seeking hidden meanings and pursuing knowledge.

It appears that the Sahihs (of Al-Bukhari and Muslim) concur in relating what Ibn Jabir had said: "We used to have coitus interruptus in the days of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" while the Koran was being revealed." In another transmittal: "We used to have coitus interruptus; the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" heard about it, but he did not enjoin us against it." There is also a report that Jabir had said: "A man came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: `I have a bondmaid who is our servant and who brings us water (to drink) during the date-picking season. I do have intimate relations with her, but I dislike that she should conceive.' He" Allah be pleased with him" replied, 'Have coitus interruptus if you wish; for she shall receive what has been destined for her.' The man was absent for some time, then he came back to him (the Prophet) and said: `The bondwoman is pregnant.' He replied, 'I told you that she will receive what has been destined for her.'"" All this can be found in both Sahihs.

The eleventh is to Have Children: There are five points concerning the etiquette of having children.

The first, that one should not be overjoyed with the birth of a male child, nor should he be excessively dejected over the birth of a female child, for he does not know in which of the two his blessings lie. Many a man who has a son wishes he

did not have him, or wishes that he were a girl. The girls give more tranquility and (divine) remuneration, which are greater.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If a man brings up his daughter well, nourishes her well, and shares with her the gifts which Allah has bestowed upon him, she will bring him fortune and will facilitate his passage from Hell to Paradise." Ibn Abbas related that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If a man has two daughters and treats them well as long as they remain with him, they will cause him to enter Paradise." Anas said in quoting the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", "If a man has two daughters or two sisters and he treats them well for as long as they remain with him, he and I will be in Paradise like these two (women)." Anas also related that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" declared, "If a man goes to one of the marketplaces of the Muslims, buys something, carries it back to his home, and gives it to the females and not to the males, Allah will look upon him (with favor), and whomever Allah looks upon (with favor) He will not torment." Anas also related that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "When a man brings an extraordinary present from the market to his family, it is like bringing them a charitable gift which he places among them. Let him give the females before the males, for whoever brings joy to a female is like crying out of fear of Allah, and he who cries out of fear of Allah will be safeguarded by Allah from the Fire." Abu Hurairah related that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever has three daughters or sisters and tolerates their hardships and ordeals, Allah will bring him into Paradise for having shown mercy toward them." A man asked: "How about one?" And he said: "Even one."

The second etiquette is that he should chant the prayer (Adhan) in the ear of the offspring. Rafi' related the words of his father: "I saw the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" chanting the Adhan in the ear of al-Hassan (his grandson) when Fatimah" Allah be pleased with him" gave birth to him." It was related that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "When a man has a child and chants the Adhan in his right ear and the second call (Iqamah) in his left ear, he repels epilepsy (Umm As-Sibyan) from him." It is desirable that the first words he is taught to speak when he learns to talk be "there is no Allah but Allah (la ilaha ill Allah)" so that these words may constitute his first utterance. Circumcision on the seventh day is prescribed in the first.

The third etiquette is that he should be given a good name, for that is the child's right. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Should you give a name, let the word Abd be part of it. He" Allah be pleased with him" said: "The names most endearing to Allah are 'Abdullah and 'Abd Ar-Rahman." He also said: "Give them my name but not my nickname." The learned said: "That was applicable to his lifetime"; for he was surnamed 'Abd al-Qasim. Now it is acceptable (to call children by the Prophet's surname). True,

a person should not be called by both the Prophet's name and his surname; for the Prophet said: "Do not give both my name and my surname together." It was said that this, too, was applicable to his lifetime. One person took the name Abu 'Isa, so the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Isa has no father"; thus such a name is not desirable.

The miscarried fetus must be given a name. 'Abu Ar-Rahman Ibn Yazid Ibn Mu'awiyah said: "I learned that the miscarried fetus will cry out after its father on the Day of Judgment saying, 'You have destroyed me and left me without a name.' 'Umar Ibn 'Abd al-'Aziz said: 'How so, when he might not know whether he is a male or a female?'" Abd Ar-Rahman replied, "There are names that might apply to both, like Hamzah, Imarah, Talhah, and 'Utbah." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "You will be called on the Day of Judgment by your names and the names of your fathers; so let your names be good." Whoever has an undesirable name, it is preferable that it should be changed; the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" changed the name al-As to Abdullah. Zainab's name was Barrah; the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "She purifies her soul," so he called her Zainab. There has been an injunction against the use of the names Aflah (be lucky), Yasir (well-being), Nafi' (useful), and Barakah (blessing) for the question is frequently asked, "Is Barakah there?" The answer would be "No."

The fourth is Aqiqah: for the male, two sheep; and for the female, one sheep." But one can be happy with one (sacrifice) be it for male or female." 'A'ishah recounted that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" ordered that in the case of a lad, two complementary sheep should be sacrificed and in the case of a girl, one sheep." It has been related that one sheep was sacrificed." This makes it permissible to sacrifice only one. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "For every male, there must be a sacrifice; therefore, shed blood on his behalf and thus remove harm from him." It is part of the Sunnah that the weight in gold or silver of the child's hair (cut on the seventh day) be offered to charity. There is a narration to that effect, namely, that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" ordered Fatimah" Allah be pleased with her" on the seventh day of the birth of Hussain to shave his head and to give the weight of his hair in silver to charity." A'ishah said: "None of the bones of the sacrifice should be broken for the newborn."

The fifth is to put in his mouth a masticated date or some other sweet. It is related on the authority of Asma', daughter of Abu Bakr "Allah be pleased with both" that she said: "I gave birth to Abdullah Ibn Az-Zubair in a tunic; then I brought him to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and placed the child on his lap. The Prophet called for a date, chewed it, then spat it into the child's mouth." Thus the first thing that entered his stomach was the saliva of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". Then he chewed a date and rubbed it on his (the

child's) palate, invoked Allah's blessing upon him, and gave him his blessings. He was the first child born in Islam, so they rejoiced over him, for they had been told that the Jews had bewitched them so that they would not be able to have children.

The twelfth is **Divorce**: concerning divorce. Let it be known that it is permissible; but of all permissible things, it is the most detestable to Allah Almighty. It is permissible only if it involves no harm ensuing from deception; and whenever he divorces her, he brings harm upon her. It is not permissible to bring harm to another unless a crime is committed on her part or out of necessity on his part. Allah Almighty said: "If they obey you, seek not a way against them" (An-Nisa: 34)

﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾

That is to say, do not find an excuse for separation.

If his father should loathe her, then he should divorce her. Ibn Umar "Allah be pleased with him" said: "I had a woman I loved, but my father used to loathe her and command me to divorce her, so I consulted the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and he told me, "O Ibn Umar, divorce your wife." This indicates that the father's rights take priority, but he must be like Umar, a father who does not loathe her for an unjust cause.

Whenever she offends her husband or utters foul language against his family, she is guilty; likewise (she is guilty) whenever she is ill-mannered or corrupt in her religion. Ibn Mas'ud commented on the words of Allah Almighty , "nor let them go forth unless they commit open immorality" (At-Talaq: 1)

﴿ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾

Saying: "Whenever she utters foul language against his family or inflicts harm upon her husband, she has committed a grave act." This comment was made concerning behavior during the prescribed waiting period; nevertheless, it underscores what we mean.

If offense should come from the husband, then she can be redeemed through the payment of a compensation (Khul') (divestiture)." It is undesirable for the man to take from her more than he has given (as a dowry), for that would constitute injustice against her, unfairness toward her, and a trade (in making profit) on the dowry. Allah Almighty said: "There is no blame on either of them if she gives something for her freedom" (Al-Baqarah: 229)

﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾

Thus returning what she has taken, or less, is appropriate in redeeming herself.

Should she seek divorce for no just reason, she is a sinner. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whichever woman asks her husband to divorce her for no cause will not breathe the aura of

Paradise";"" in other words, Paradise becomes forbidden to her. In still another expression, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Women who seek divorce for a compensation are hypocrites."

The husband should observe four matters in divorce:

The first is that he divorces her during her state of (menstrual) purity, provided he has not had coitus with her. Divorce during menstruation or during a state of purity in which they had coitus, even though it does occur, is an unlawful innovation, as it lengthens the periods of her waiting ('Iddat)." If he should do so, he should take her back. The Ibn Umar divorced his wife during menstruation, so the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" told Umar, "Command him to take her back until she is purified, menstruates, and is purified (again); after that, he can choose either to divorce or keep her. Such is the period of waiting which Allah has ordained for divorcing women."" He commanded him to wait after taking her back for two states of purity, lest the intent of taking her back should be divorce only.

The second is that he should restrict himself to one divorce utterance and not pronounce all three at once because the one utterance after a legal period of waiting indicates the intent, and he can benefit from retracting it should remorse develop during the period of waiting in which he can renew the marriage if he wishes after this period. If he pronounces all three divorce utterances (at once), he might regret it and be compelled to have a Muhallil marry her and then wait awhile. To contract a Muhallil is a denounced act for which the husband would be the cause; besides, his heart (under the circumstances) would be at the mercy of someone else's wife (that is, the wife of the Muhallil), and at the mercy of the divorce which he (the Muhallil) grants. In addition, this would cause the wife to become disenchanted with him; all these are the fruits of al jams (uttering a threefold divorce). Uttering one divorce is sufficient in indicating the intent without danger. I do not mean to say that uttering a threefold divorce is unlawful; rather, it is undesirable for the aforementioned reasons, and by undesirability I mean disregard for himself.

The third is that he should be kind in offering a pretext to divorce her without stern censure and belittlement. He should soothe her heart by way of gratification with a present and cure the wounds inflicted by separation. Allah Almighty has said: "yet make provision for them" (Qur'an Al-Baqarah: 236)

﴿ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾

And this is a duty whenever it is the case that a dowry had not been specified in the original marriage (contract).

Al-Hassan Ibn Ali was an unbridled divorcer and marrier. One day he sent one of his companions to divorce two women among his wives and said: "Tell them to prepare for the legal period of waiting." He ordered him to give each

one of them ten thousand Dirhams. He did; and when he (the companion) returned to him, he (al-Hassan) asked him, "What did they do?" he replied, "One of them lowered her head and thus remained, but the other cried and wailed and I heard her say, 'These are very small provisions from a parting loved one.'" Al-Hassan bowed his head and invoked blessings on her saying, "Were I to take back a woman after separating from her, I would take her back." One day al-Hassan went to visit Abd Ar-Rahman Ibn Al-Harith Ibn Hisham, who was the jurisprudent of Medina and its chief, who had no equal in Medina, and whom 'A'ishah used as an example when she said: "Had I not already traversed this course of mine, I would have preferred to have sixteen males from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" like Abd Ar-Rahman Ibn al-Harith Ibn Hisham." Al-Hassan went to see Abd Ar-Rahman in his house. He honored him and told him to sit in his place saying, "Would that you had sent for me; I would have come to you." Al-Hassan replied, "The need is ours." He (Abd Ar-Rahman) asked, "What is it?" He told him, "I have come seeking your daughter in marriage." Abd Ar-Rahman lowered his head, then raised it and said: "By Allah, there is no one walking upon this earth who is dearer to me than you; but you know that my daughter is a part of my flesh: what offends her offends me, and what pleases her, pleases me. You are an unbridled divorcer: I fear that you would divorce her. Should you do that, I fear also that my heart would turn away from loving you, and I would be unhappy should my heart be turned away from you, because you are a part of the Messenger's flesh. If you promise not to divorce her, I will give her to you in marriage." Al-Hassan was silent, then he arose and left. One of his household heard him saying while walking, "Abd Ar-Rahman wanted to make his daughter a rope around my neck." Ali "Allah be pleased with him" used to be impatient with his (al-Hassan's) numerous divorces and would apologize on his behalf from the pulpit saying in his sermon: "Hassan is very prone to divorce, so do not give him (your daughters) in marriage." A man from Hamadan rose and said: "O Commander of Believers! We will give him our daughters in marriage to his heart's satisfaction. If he so wishes he can keep them, and if he so desires he can let them go." That pleased Ali and he said: "Were I a gatekeeper of Paradise, I would tell Hamadan to enter in peace." This is merely an indication that if a man, out of embarrassment, speaks ill of someone dear to him, whether wife or child, it is not necessary that one should agree with him since such an agreement would be undesirable. Rather, it is a rule of etiquette to disagree to the best of one's ability, for that is more pleasing to his heart and in accord with his hidden thought.

The aim of all of this is to show that divorce is permissible. Allah has promised riches in both separation and in marriage saying, "And marry those among you who are single, or the virtuous ones among your slaves, male or female. If they be poor, Allah will enrich them of His bounty" (An-Nur: 32)

﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟
فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ ﴿٣٢﴾ ﴾

And also saying, "But if they separate, Allah will compensate each out of His abundance" (An-Nisa: 130)

﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ﴿١٣٠﴾ ﴾

The fourth is that he should never reveal her secret (private affairs) while divorced or married. Concerning the revealing of women's secrets, an authentic Khabir transmits great threat." It is related that a virtuous man wanted to divorce his wife and he was asked, "What grievance have you against her?" And he replied, "A wise man does not reveal the secrets of his wife." After divorcing her he was asked, "Why did you divorce her?" And he replied "The affairs of someone else's wife are not my concern." This indicates the husband's obligation.

SECOND PART OF THIS CHAPTER: Examination of Husband's Rights

The authoritative statement in this context is that marriage constitutes a form of enslavement; thus she is his slave, and she should obey the husband absolutely in everything he demands of her provided such demands do not constitute an act of disobedience. There are many narrations that magnify the rights of the husband.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If a woman dies while her husband is satisfied with her, she will enter Paradise." A man went on a journey and enjoined his wife against descending from the high ground (where they lived) to the low ground where her father lived. He became ill, so the wife sent for the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", asking permission to descend to her father. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" replied, "Obey your husband." Her father died, and again she sought his (the Prophet's) counsel and he said: "Obey your husband." When her father was buried, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" sent word to her that Allah has forgiven her father by virtue of her obedience to her husband." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If a woman performs her five (daily) prayers, fasts during the month (of Ramadan), preserves her chastity, and obeys her husband, she will enter the Paradise of her Lord." He included obedience to the husband in the basic principles of Islam. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" described women as: "Child-bearers, mothers, nursers who are compassionate toward their children, and those who pray will enter Paradise, provided that they do not commit wrongs against their husbands." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I looked into Hell and found most of the occupants to be women," and we asked him, "Why, O Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"?" He replied, "Because they curse a lot and enrage their

mates"; by this he meant the husband with whom they consort. In another narration (the Prophet said), "I looked into Paradise and the minority of its inhabitants were women. So I asked, 'Where are the women?' And I was told, 'They are preoccupied with two red things: gold, and saffron,' " meaning jewelry and dyestuff for clothes.

According to 'A'ishah: "A young girl came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "O Messenger of Allah, I am a betrothed girl but I detest marriage. What are the husband's rights from the woman?" He replied: "Were he covered with pus from the tip of his head to the soles of his feet, and were she to lick him, she would not compensate him enough." She said: "Should I then not get married?" He said: "Do, for it is good."

Ibn Abbas "Allah be pleased with him" said: "A woman from Khath'am came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "I have no husband and I wish to get married: What is the husband's right?" He said: "The rights of the husband incumbent upon a wife are that if he should desire her and seek to have her while she is on the back of a camel, she should not deny him his wish. It is his right that she should not give (away) anything from his household except with his permission; should she do this, the burden is hers and the compensation is his. It is also his right that she should not observe a voluntary fast except with his permission; should she do it, she will suffer hunger and thirst and her fasting will not be acceptable (to Allah). If she leaves her house without his permission, the angels will curse her until she returns to his house or repents".

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Were I to command someone to prostrate himself before another, I would command the wife to prostrate herself before her husband on account of the magnitude of her obligation to him." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "A woman is nearest to the face of Allah when she is in the inner sanctum of her house; performing the prayer in the courtyard of her house is better than praying in the mosque, and praying in her house is better than praying in her courtyard, and praying in her bedchamber is better than praying (elsewhere) in her house." The alcove is a quarter within the house; it is a place of shielding. For that reason the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A woman is deficient; if she goes out, she will please the devil." He also said: "A woman has ten deficient qualities; if she marries, the husband covers one of those qualities, and if she dies, the grave covers all ten."

EXPOSITION OF THE RIGHTS OF THE HUSBAND

Thus the husband's rights toward the wife are many, but most important are two: the first is safeguarding and sheltering; the other is to leave asking for unnecessary demands that are beyond the need, and refrain from his earnings in case it is unlawful. This was the custom of women with the forefathers. When a man went out of his home, his wife or daughter would say to him:

"Beware of unlawful gain; we would endure hunger and harm rather than Fire (hellfire)." One of the predecessors was about to go on a journey of which his neighbors disapproved. They said to his wife: "Why do you let him go when he has not left you any provisions?" She said: "Since the day I knew my husband, he has been a consumer and not a provider; but I do have a Lord who provides. The consumer goes, but the Provider remains." Rabi'ah (of Syria) the daughter of Isma'il, asked Ahmad Ibn Abu al-Hawwari to marry her. He declined because he was preoccupied with worship and said to her, "My preoccupations are not inclined toward women, because I am too preoccupied with myself." She replied, "I am more preoccupied with myself than you are, and I have no (physical) desire. However, I have inherited much wealth from my husband and I wish you would spend it on your spiritual brothers, and that through you I should come to know the righteous ones, thus finding a path to Allah, may He be glorified and honored." He replied, "Wait until I seek permission of my master." So he returned to find Abu Sulaiman al-Darani, who used to enjoin against his getting married and (who had) said: "None of our companions ever got married without being changed." But when he heard her words, he said: "Marry her, for she is a friend of Allah. Hers are the words of the righteous." Al-Hawwari said: "I married her; and there was in our house a container made of plaster which had become worn out through use by those who hastily washed their hands and left after meals, not to mention those who had washed with potash." He also said: "I married three wives in addition, but she used to give me the best to eat and used to perfume me. She would say to me, 'Go with energy and strength to your wives.'" Thus Rabi'ah of Syria was likened unto Rabi'ah al-'Adawiyyah of Basra." Among the obligations of the woman is that she should not squander his (her husband's) possessions, but rather take great care of them. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It is not lawful for her to feed anyone from his house without his permission, except from food that would spoil if kept. Should she feed (others) with his blessing, then she would earn the same kind of reward he earns; but if she should feed (them) without his permission, then he would earn the reward and she would bear the bur den. It is the obligation of the parents to train her in the etiquette of cohabitation with her husband. It is related of Asma', the daughter of Kharijah al-Fazari, that she said to her daughter when the latter got married, "You have left a nest in which you grew up and proceeded to a bed which you know not and a mate with whom you have not associated; be an earth for him, and he will be your sky; be a resting place for him, and he will be your pillar; be his bondmaid, and he will be your slave; do not make excessive demands, for he will then desert you; do not become too distant from him, for he will then forget you; should he draw near, then draw close to him; should he become distant, stay away from him. Shield his nose, his hearing and his eye so he will smell nothing from you but that which is sweet, hear nothing but that which is good, and look at nothing but that which is

beautiful." A man said to his wife (in rhyme): Seek forgiveness from me, and you will cam my constant affection; Speak not when I am angry; Do not beat me once as you would beat the tambourine, for you do not know what the unknown may hold in store; Do not complain excessively, for it will cause love to depart and turn my heart away from you; I have seen love in the heart and harm; if the two should meet, love would soon disappear.

Etiquettes FOR THE WOMAN

Without going into lengthy details, a summary of what constitutes etiquettes for the woman is the following:

First: She should remain in the inner sanctum of her house and tend to her spinning; she should not enter and exit excessively; she should speak infrequently with her neighbors and visit them only when the situation requires it; she should safeguard her husband in his absence and in his presence; she should seek his pleasure in all affairs and refrain from betraying him through herself or his possessions; she should not leave his home without his permission: if she goes out with his permission, she should conceal herself in worn-out clothes"' and choose the less-frequented places rather than the main avenues and market places, being careful that no stranger hear her voice or recognize her personally; she should not approach friends of her husband while going about her business, but assume ignorance of those who might recognize her or whom she might recognize; her primary concern should be caring for her own affairs, tending to her house, performing her prayers, and fasting; should a friend of her husband knock at the door when he (the husband) is not present, she should not ask questions or engage in conversation, so as to maintain her self-respect and her husband's; she should be content with the means that Allah has provided her husband; she should place his rights before hers and before the rights of his relatives; she should always observe the rules of personal hygiene, and be ready at all times for him to enjoy her whenever he wishes; she should be affectionate toward her children, zealous to protect them, refraining from uttering profane words against them and from talking back to her husband.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I and a haggard woman like these two will be in Paradise: a widowed woman who dedicated herself to her daughters until they attained the age of puberty, or (one who has) died."'" The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Allah has forbidden all the descendants of Adam to enter Paradise before me; but I look and behold on my right a woman (who) has preceded me to the gate of Paradise; so I ask, "Why does she precede me?" And the answer comes, "O Muhammad, this was a fine, beautiful woman who had orphans. She was patient until they attained their present state, so Allah was pleased with her for that."

Other etiquettes governing the woman include the following:

That she should not boast to her husband of her beauty, neither should she

belittle her husband for his ugliness. It was related that al-Asma'i said: "I went to the desert and, behold, I saw a woman with a most beautiful face married to a man with the ugliest (face); so I said to her, `Woman, are you satisfied to be married to such a man?' She said: 'Be quiet! You have uttered ill words; perhaps he has earned high merits with his Lord and thus I became his reward; or perhaps I have offended my Creator and he thus became my punishment. Should I not then accept what Allah has seen fit for me?' Thus did she silence me." Al-Asma'i also related, "I saw a woman in the desert who was wearing a red garment and carrying a rosary; so I said to her, `What a discrepancy between the two!' She replied (in rhyme): `Part of me belongs to Allah and I shall not squander it; the other part belongs to folly and idleness.' I learned that she was a virtuous woman who had a husband for whom she adorns herself.

Second: she should be virtuous, and melancholy in the absence of her husband, and to return to her sprightliness and happiness in his presence.

She should never harm her husband in any way. Mu'adh Ibn Jabal related: "The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whenever a woman hurts her husband in this world, his Houri wife says: "Do not harm him, may Allah reproach you! For, he is a stranger in your house who will soon depart from you to join us."

Her marital obligations include:

First: she should not mourn over the death of the husband longer than four months and ten days during which she should avoid perfume and adornment. Zainab, daughter of Abu Salamah, said: "I went to visit Umm Habibah, the wife of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" when her father Abu Sufyan Ibn Harb died. She asked for perfume containing a yellow tinge or something like it. She anointed a female slave with it, then touched both cheeks and said: "By Allah, I have no need for perfume; however, I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying: "It is not lawful for a woman who believes in Allah and the Day of Judgment to mourn more than three days over the dead unless he is a husband, in which case she should mourn for four months and ten days." The woman should remain in the house of her marriage until the end of the legally prescribed waiting period, and must not move to her family or leave the house except out of necessity.

Second: she should perform every service of which she is capable at home. It is narrated on the authority of Asma', daughter of Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with both" that she said: "When A-Zubair married me, he had no real property or any slave or anything else except a camel which drew water from the well, and his horse. I used to feed his horse with fodder and drew water and sew the bucket for drawing it, and prepare the dough, but I did not know how to bake bread. So our Ansari neighbors used to bake bread for me, and they were honorable ladies. I used to carry the date stones on my head from

Zubair's land given to him by The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and this land was two third Farsakh (about two miles) from my house. One day, while I was coming with the date stones on my head, I met The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" along with some Ansari people. He called me and then, (directing his camel to kneel down) said: "Ikh! Ikh!"so, as to make me ride behind him (on his camel). I felt shy to travel with the men and remembered Az-Zubair and his sense of galosh, as he was one of those people who had the greatest sense of galosh. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" noticed that I felt shy, so he proceeded. I came to Az-Zubair and said: "I met The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" while I was carrying a load of date stones on my head, and he had some companions with him. He made his camel kneel down so that I might ride, but I felt shy in his presence and remembered your sense of jealousy. On that Az-Zubair said: "By Allah, your carrying the date stones (and you being seen by The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" in such a state) is more shameful to me than your riding with him." (I continued serving in this way) till Abu Bakr sent me a servant to look after the horse, whereupon I felt as if he had set me free.

It is the third book of the quarter of customs of life

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

We praise Allah in the same way as a Unitarian praises (Allah) the One and Only, other than Whom everything is going to inevitably vanish and fade away, and we glorify Him in the same way as does he who declares that everything barring Allah Almighty is vain, which never survives, an d that all in the heavens and the earth are not to create (anything even) a fly or a moth, even though they gather to back each other to do so. We give thanks to Him because He has raised the sky for His servants as a well-constructed ceiling (with no pillars), and made the earth as carpet and couch for His creatures, and folded up the night over the day, and made the night as a covering, And made the day as a means of subsistence, perchance they would outspread to seek from the Bounty of Allah Almighty in the different parts of the land and be animated. We invoke Allah's Prayer and Blessing upon His Prophet, from whose Fount-Lake the faithful believers would leave after quenching their thirst with which they will come, as well as upon his companions, who spared no effort nor endeavour to sustain and support the religion of Allah Almighty.

To go further: (Allah) the Lord of all lords, and the Causer of all causes has made the hereafter the final abode of reward and punishment, whereas the world the home of trial, movement, hard work and earning. To be sure, the hard work in this world is not limited to the place of return in the hereafter, on the exclusion of living in this world, for indeed, living is a means and an aid to reach such a place of return peacefully. However, the world acts as a farm for the hereafter, to which it leads in the end. The people (in this world) are of three kinds: the one that is occupied by his living (in this world) from his place of return (in the hereafter); the one who is occupied by (getting ready for) his place of return (in the hereafter), and of a surety, he is of the prosperous winners; and the nearest to moderation is the one who is engaged in his living just to get provision thereof for his place of return, thereby he is of the temperate. One would not attain the rank of the moderate unless he follows in his living (in this world) the way of righteousness; and one would not be able to take from his toil in this world a means and access to the hereafter unless he abides by the proprieties and rules of the law (of Islam). We are now going to explain in detail the proprieties of the different kinds of traffic and manufacturing, and the various ways and traditions of earnings, under five chapters:

The first chapter deals with the excellence of and exhortation to get earnings of living.

The second chapter deals with the science of right transactions and commercial treatments.

The third chapter offers an exposition of justice of commercial treatment.

The fourth chapter explains the doing of good pertaining to dealings.

The fifth chapter studies the fear of a merchant for himself and his religion.

CHAPTER ONE:
EXCELLENCE OF AND EXHORTATION TO EARN FOR LIVING

As far as the Holy Book is concerned, a mention might be made of Allah's statement: "And made the day as a means of subsistence" (An-Naba' 11)

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾

Which he mentions, by way of showing his favours and graces, (He has bestowed upon His creatures). He Almighty further says: "It is We Who have placed you with authority on earth, and provided you therein with means for the fulfillment of your life: small are the thanks that you give!" (Al-A'raf 10)

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾

Allah Almighty here makes it a favour, for which recognition is required. He Almighty further says: "It is no crime in you if you seek of the bounty of your Lord (during pilgrimage)." (Al-Baqarah 198)

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾

He also says: "He knows that there may be (some) among you in ill-health; others travelling through the land, seeking of Allah's bounty." (Al-Muzzammil 20)

﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾

Allah Almighty says too: "And when the Prayer is finished, then may you disperse through the land, and seek of the Bounty of Allah: and celebrate the Praises of Allah often (and without stint): that you may prosper." (Al-Jumu'ah 10)

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

In reference to the Prophetic traditions, a mention might be made of the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "From amongst sins, there are those that are not removed but through the hard work to get the living (earnings)." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said (according to the narration of both At-Tirmidhi and Al-Hakim on the authority of Abu Sa'id): "The truthful honest merchant will be mustered on the Day of Judgement in the company

of the truly faithful believers and martyrs." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Abu Ash-Shaikh, Abu Na'im and Al-Baihaqi on the authority of Abu Hurairah): "He, who seeks after (the material benefits of) this world through lawful ways, refrains from begging others, works hard to spend well on his dependents, and behaves kindly towards his neighbour, will meet Allah (on the Day of Judgement) with his face (as shining) as the moon on the night when it is full moon."

(It is narrated by Tabarani on the authority of Ka'b Ibn Ujrah that) one day, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was sitting with his companions when they saw a man of fortitude and strength having come out early in the morning to work, thereupon they said: "Woe to this (man)! Would that he utilizes his strength and good health in the Cause of Allah!" on that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Say not so! If he is working to spend on himself to make it self-sufficient and free of want of the people, his work will be in Allah's Cause; and if he is working to spend on his weak parents or offspring, in order to make them self-sufficient and free of want of others, his work will be in Allah's Cause; and if he is working just to increase his wealth and show pride and glory, his work will be in the cause of Satan."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Verily, Allah likes a servant who takes a profession to do in order to be free of want of the people; and Allah Almighty dislikes a servant who learns knowledge in order to take it as a profession." According to a certain narration, (by At-Tabarani and Ibn Adi on the authority of Ibn Umar) : "Allah Almighty loves the faithful believer who has a profession to do." (It is narrated by Ahmad on the authority of Rafi' Ibn Khadij, Al-Bazzar, Al-Hakim and Al-Baihaqi on the authority of Sa'id Ibn Umair that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The best and most lawful thing fit for human consumption is that which one earns from his own labour, and from every kind of transaction accepted (by Allah Almighty)."

According to another narration (by Ahmad on the authority of Abu Hurairah): "The most lawful thing a servant might eat is that which he earns from the labour of his own hand, provided that he is sincere and honest." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said (according to a narration on the authority of Nu'aim Ibn Abd Ar-Rahman): "I advise you to engage in traffic, since therein lies nine-tenths the livelihood." It is narrated that once Jesus "Peace be upon him" saw a man whom he asked: "What do you do?" he said: "I worship Allah." He asked him: "Then, who is responsible for your sustenance?" he said: "My brother." On that he said: "Of a surety, your brother is more Allah -worshipping than you."

(It is narrated by Ibn Abu Ad-Dunya, Al-Hakim and Al-Baihaqi on the authority of Ibn Mas'ud that) our Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I know nothing which draws you close to the Garden, and drives you

away from the fire (of Hell) but that I order you to do, and I know nothing which draws you close to the fire (of Hell) and drives you away from the Garden but that I forbid you to do. Verily, the Holy Spirit (Gabriel) inspired to me that no soul will die before it has fulfilled the whole livelihood doomed to it to receive, no matter late it might seem to come to it: so, safeguard yourselves against (the punishment of) Allah, and be moderate in your seeking (notice that he ordered them to be moderate, and not to cease to seek)...and let not your regarding livelihood too late to be bestowed upon you to seek after through disobedience of Allah Almighty, since nothing of what Allah Almighty has is to be attained through disobeying Him."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (though it is attributed to Al-Hassan, without being traced up to the Messenger of Allah): "The markets are Allah's repasts, and whoever visits them is to get from them (what is doomed to him to get)." (According to unanimous narration on the authority of Abu Hurairah) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It is better for anyone of you to take his rope and cut off and carry a bundle of fire wood on his back to sell than to go to a man whom Allah has given out of His Bounty to beg, who might or might not give him." (According to the narration of At-Tirmidhi on the authority of Abu Kabshah Al-Anmari, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said): "He, who opens for himself a gate of begging (others), Allah Almighty opens to him seventy gates of poverty and destitution."

As regards the traditions, Luqman the Wise is reported to have said to his son: "O my son! Make yourself free of want with the lawful earnings, for indeed, none has ever fallen a victim of poverty but that he comes to suffer from three bad attributes: lack in his religion, weakness of his mind, and loss of his generosity; and the most severe of all of those three is his being regarded with slightness by the people."

Umar Ibn Al-Khattab said: "None of you should cease to seek after livelihood, and is rather satisfied only by his invocation: 'O Allah! Provide me with sustenance!' you know, with certainty, that in no way would the sky rain showers of gold and silver." Zaid Ibn Muslim was planting in his land when Umar "Allah be pleased with him" said to him: "You've done right! Make yourself independent from the people, perchance you would be more able to safeguard your faith, and be more honoured in their sight. This is the case of your companion Uhaihah who said: "I will keep on Zawra' covering it (with generosity) since the honoured one in the sight of his brother is he, who has property (in abundance to spend upon them).""

Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" said: "I dislike to see an idle man who does engage himself neither in the matter of his world, nor in the matter of his hereafter."

When Ibrahim was asked whether the truthful honest merchant or the one

who was devoted to worship was dearer to him, he said: "NO doubt, the truthful honest merchant is dearer to me, for he is always given to mortification: Satan comes to him through the way of measure and weight, taking and giving, and (being a truthful and honest) he resists him." But Al-Hassan Al-Basri differed with him in this issue.

Umar "Allah be pleased with him" said: "No place where death should approach me is dearer to me than that, in which I practice traffic, through selling and buying for the sake of my family."

According to Al-Haitham : "I might be reported that a certain man abuses me, and when I remember my independence from him, it makes it easy upon me." According to Ayyub : "To earn a thing, no little it might be, is dearer to me than to beg the people."

Once, a ship was afflicted with a tempestuous wind, thereupon the riders aboard said to Ibrahim Ibn Adham, who was with them: "Do you see this severe calamity?" he said: "What is this calamity to be in comparison with one's need to and dependent upon the people?" Ayyub said: Abu Qilabah said to me: "Adhere to (the practice of traffic in) the market, since to be independent from the people is out of the good health and power." It was said to Ahmad: "What do you say about a man who has sat in his house or praying place and said: 'I'm not going to do anything until my sustenance comes to me'?" he said: "This man knows nothing. Has he not heard the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" (according to the narration of Ahmad on the authority of Ibn Umar): "Verily, Allah Almighty has made my sustenance underneath the shade of my lance"?"

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said in reference to birds (according to the narration of both At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Umar): "They come out early in the morning in the state of hunger, and return in the evening after eating their fill." He meant that they always come out to seek after sustenance. Furthermore, the companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to practice traffic across both land and sea, and take care of their date-palms; and it is they whom we should emulate. Abu Qilabah said to a man: "It is more pleasing to me to see you seeking after your livelihood than to see you (worshipping Allah) in the corner of the mosque."

It is reported that once Al-Awza'i saw Ibrahim Ibn Adham carrying a bundle of fire wood on his shoulder, thereupon he said to him: "O Abu Ishaq! To which time do you want to keep working? Your brothers are ready to suffice you (the matter of livelihood)." On that he said to him: "Let me leave that O Abu Amr! I was reported that he, who stands in a position in which he is mortified just to seek after unlawful livelihood, the Garden is assured to him." According to Abu Sulaiman Ad-Darani : "The real worship in our sight is not to align your feet (in your standing for prayer) and leave the others sustain you, but you should more

precisely start with getting your both loaves, and then you might engage in worship." According to Mu'adh Ibn Jabal "Allah be pleased with him": "On the Day of Judgement, a caller will call publicly: 'Where are the odious in the sight of Allah on earth?' these who used to beg in the places of worship will stand."

This is, however, how the law (of Islam) condemns begging and reliance on others; and rather encourages toiling or traffic to get one's earnings.

But even, you might argue that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Ibn Mardawaih on the authority of Ibn Mas'ud): "It has not been revealed to me to gather property and be one of the merchants, but rather, it has been revealed to me to 'glorify with the Praises of your Lord, and be of these who prostrate themselves (to Allah Almighty in prayers), and continue to worship your Lord until death approaches you." It was also said to Salman Al-Farisi: "Advise us (to do a good deed)." He said: "He, who could get himself die while performing Hajj, fighting in Allah's Cause, or inhabiting one of the places of worship of his Lord, let him do, and let not him die while being a merchant or a betrayer."

The answer is that the point of combination of those differing narrations is to explain the various states in more detail. We do not say that traffic is the best of all professions. But there are three purposes for traffic: they are either to seek after self-sufficiency, or to seek after wealth, or to seek after getting more than self-sufficiency. If it is sought thereby to get more than self-sufficiency in order to save it, and not to spend it on the various points of good and objects of charity, it will be blameworthy, for by so doing, one turns his face towards the (vanities and material benefits of) this world, whose love is the main cause of all sins. If one, besides that, is a wrongdoer and a betrayer, traffic in this way will be transgression and impiety and it is this concept intended by Salman's statement 'and do not die while being a merchant or a betrayer'. By a merchant he meant the hunter of what is more than sufficiency.

On the other hand, if one seeks, through traffic, to suffice himself and his dependent (the burden of sustenance), which he is able to save through begging, then, practicing traffic to refrain from begging is much better. But if he is free of want of begging, and is given (by the people) without begging, to get his earnings through labour is better, for indeed he is given for he is a beggar as his state signifies, and famous among the people for his poverty. In this case, to refrain and screen one's destitution through work is better than joblessness, if not than engagement in physical worship.

However, leaving the labour from which one gets earnings might be better for four types of persons: he who engages in the physical acts of worship; he who is endued with the esoteric knowledge, and is engaged in the works of heart of the sciences of internal states and disclosures; a learned man who is engaged in fostering the exoteric knowledge, from which the people get

benefit in their religion, such as the Mufti (giver of religious verdicts), the exegete, and narrator of Prophetic traditions, etc; or a man who engages in the affairs of Muslims, and undertakes their matters, like the magistrate, the judge, the witness, etc: if those are sufficed (the burden of sustenance) from the property assigned to the affairs of Muslims, or the endowments granted to the poor and indigent or the learned, their engagement in what they do is better than in getting their earnings.

For this reason, it was revealed to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" to glorify with the Praises of his Lord and be of those who prostrate themselves (in prayer for Allah Almighty), and it was not revealed to him to be one of the merchants for he combined those four concepts, in addition to many things beyond description. For the same reason, the companions told Abu Bakr to refrain from engagement in traffic when he was appointed as caliph, which would occupy him from undertaking the affairs of the Muslims and rather take his sufficiency from the property assigned to the interests of Muslims, and he thought of it as being more appropriate. It is true that when he died, he made a bequest that what he had taken should be restored to the treasury (from his own wealth), but this does not stand against the fact that he considered it to be more proper at first.

There are two other states related to those four types of persons: the first is to get their sufficiency, on leaving the work for earnings, from the hands of the people, as well as from the objects of charity given to them, but with no begging: in this case, to leave labour to get their earnings is better, for it is more appropriate to engage in what they do since (taking from the people in this way) is to aid the people (who give them) to do good, and cause them to accept only what is due upon them to give; and this is better for them.

The other state pertains to the need for begging, and this is questionable. To be sure, the severe restrictions which we have narrated in condemning the begging provide clear evidence that to refrain from begging is more fitting. It is difficult to give absolute judgement pertaining to it without observing the particular cases and different persons, and it relies in the end upon the servant's independent opinion and his comparison of the amount of humiliation and violation of gallantry he might receive in begging, and his need to be importunate in asking, with the amount of benefits and advantages which might return to him and the people from his engagement in knowledge, and acting (upon what he learns).

Perhaps, a man might be a source of great benefit to himself as well as to others because of his engagement in knowledge and acting upon it, and he finds it easy upon himself to get his sufficiency through the least degree of exposure to begging, or it may be the reverse of that; and it may be the case when both the required and the banned become face to face. In this case, the seeker (after the hereafter) should search for the advice of his heart, even though the giver of religious verdict might advise him, for in no way could the verdicts encompass all details of the different forms and niceties of the

various states. There were from the early people, the one who had three hundred and sixty almsgivers, and he used to visit each of them one night along the year, and the one who had thirty charitable persons (whom he frequented by turns). They used to engage in the acts of worship (and leave the work from which they would get livelihood) because they knew that those responsible for their expenses were under obligation to the acceptance of their objects of charity; and in this way, their accepting those objects of charity was good to be added to their acts of worship.

One should put those matters under accurate scrutiny, since the reward of a recipient is equal to that of a giver, as long as the former seeks its aid to undertake the acts of worship, and the latter gives it with good pleasure. Whoever is acquainted with those concepts is able to become well-aware of his own state, and identifies from his heart what is most convenient to him to choose in relation to his own state and time.

This is, to be sure, the excellence of earning. Furthermore, there are four elements to be combined in the contract of labour for earnings: validity, justice, kindness, and fear for faith. We are going to assign an independent chapter to each of those, beginning with the causes of validity in the next chapter.

CHAPTER TWO:
ON SCIENCE OF EARNING BY SUCH WAYS AS TRADE, USURY, PAYMENT IN ADVANCE, RENTAL, LOAN, AND PARTNERSHIP; AND THE EXPOSITION OF THE CONDITIONS STIPULATED BY ISLAMIC LAW FOR THE VALIDITY OF EACH OF THOSE WAYS WHICH ARE THE MAIN CAUSES OF EARNING ACCORDING TO LAW

It should be known that the obtainment of the science included in this chapter is binding upon every Muslim engaged in traffic, for indeed, seeking after knowledge is obligatory upon every Muslim in general. This is to seek after such of knowledge as is needed; and of a surety, the Muslim engaged in traffic needs to learn the science of commerce. Once he has learned this science, he will come to be acquainted with the treatment corrupters to safeguard himself from, and the related peculiar problematic issues to know the causes of its being so,, and stop until he seeks the religious verdict pertaining to them. However, if he does not learn the general causes of corruption, he will not be able to know when to stop in order to inquire. But if he says: "I will not come to learn that science in advance; but rather, let me wait until the problem occurs, and at that moment, I might learn and seek the religious verdict."

Having said so, the reply might be: "When would you come to know that a problem has occurred unless you do not learn the general corrupters of contracts?" in the absence of this knowledge, one might continue to do things, thinking them to be right and permissible. For this reason, he should learn this particular amount of the science of commerce, in order that what is

permissible would be distinguished from what is forbidden, and what is problematic from what is obvious. Thus, it is reported that Umar Ibn Al-Khattab used to walk across the market, and beat some traders with his stick saying: "Let none practice transaction in our market but he who has knowledge (of the general principles of law) lest he would devour usury willingly or unwillingly."

Although the science of contract has various branches, the several kinds of traffic more often focus on those six contracts: trade, usury, payment in advance, rental, partnership, and loan. Now, let's go on explain their conditions.

The First Contract Of Trade

This trade has been made lawful by Allah Almighty. It has three fundaments: the parties involved in the contract; the subject of contract; and the wording of contract.

The first fundament: the parties involved in the contract: A merchant should not enter into a transaction with four types of persons: the child, the mad, the slave, and the blind. As for both the child and the mad, they are under no responsibility or duty to be enjoined upon them, and thus their trade is invalid. The transaction entered upon by a child is invalid even though he is given permission by his guardian, according to Shafi'i; and what one takes from both should be under his guarantee for them, and what he hands over to them in the course of treatment and then is lost should be considered to have been wasted by him (and not them).

As to the sane servant, his transaction should be invalid unless his master gives him permission. Thus, the grocer, butcher and baker are required not to enter into commercial treatment with the slaves unless their masters give them permission to enter into commercial treatment. This permission might be heard evidently, or it might become in circulation among the people of this town that such and such master has given his slave permission to enter into transactions on his behalf; and the trader then should rely upon this publicity or upon the statement of a just and fair man. But if he enters into transaction with him without the leave of his master, his deal should be considered as invalid, and what he takes from him should be under his guarantee for his master; and neither the slave should be responsible for, nor his master guarantor of what he hands over to the slave, and is lost in his hand, and he has no claim to demand it except when the slave is emancipated.

In relation to the blind, he sells and buys what he sees not, which is invalid. So, let him deputize a sighted one to enter into transactions on his behalf, and since his deputation is valid, the trade made by his deputy on his behalf is also valid. But, if a trader enters into transaction with him in person,, it should be considered as invalid, and thus, he should guarantee what he takes from him as well as what he hands over to him by value.

As to the unbeliever, it is permissible to treat him commercially. But, it is impermissible to buy from him a Mushaf or a Muslim slave, or even the weapon

in case he belongs to the fighters; and if a Muslim does so, his transactions is to be cancelled, thereby he shall have disobeyed his Lord.

Furthermore, it is impermissible to take into one's possession what is in the hand of such of Turkish, Kurdish, and Arab soldiers, thieves, betrayers, usury devourers, wrongdoers as whose property and wealth are mostly unlawful, unless a particular thing (of theirs) is identified to be lawful. This will be explained in detail in the Book of What Lawful is and What Unlawful is.

The second fundament: the object of the contract, i.e. the property to be transferred from one party to the other, whatever a price (of goods) or evaluated goods, in connection with which, six conditions should be observed:

1- It should not be filth in itself: thus, it is invalid to make a transaction over a dog, a pig, ashes, dung, ivory, or even such of utensils as made of it, since the bone becomes impure by the death of the animal, and in no way could an elephant become pure by being slaughtered, nor its bone by causing its blood to flow. Furthermore, it is impermissible to sell wine, nor the filth fat extracted from the animals that are unlawful for eating, even though it is fit to be used for lighting up, or painting ships. There is no harm to sell the pure fat in its place even though when becoming filth by the falling of filth things on it or the death of a mouse, since it is possible to be utilized in many purposes other than eating, as being not filth in its place. I also see no harm to sell the larva of silk warm, since it belongs to an animal which is beneficial, and it is similar to the eggs. However, it is much closer to an animal than to pieces of dung. It is also permissible to sell the sachet, and it is judged as pure in case it is separated from a deer during its life.

2- It should be beneficial. Thus, it is impermissible to sell an insect, a rat, or a female-snake;and neither the sorcerer's utilization of the snake nor the snake charmer's use of it should be considered in this respect. But it is possible to sell a cat, the bees, a cheetah a lion, and such of animals as is fit for a game or whose hide might be utilized. It is also possible to sell an elephant for carriage. It is also possible to sell a parrot or a peacock, or such of birds as seem good-looking, even though unlawful for eating, since it is permissible to enjoy of hearing their pleasant voices, and look at them. But, it is the dog, from amongst the animals, that is impermissible to be kept just in admiration of its shape, depending upon the forbiddance given by the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" to keep a dog (as shown in the Hadith unanimously narrated on the authority of Ibn Umar, in which the Prophet said: "He, who keeps a dog, unless it is used for hunting or guarding cattle and sheep, as much reward as two daily Qirats will be reduced form his deeds".) On the other hand, it is impermissible to sell an Ud, a castanet, or any musical instrument, since they are of no benefit from the viewpoint of law. The same is true of the images sculpted from mud, such as the animal-shaped toys that are sold to the children during the feasts; and it is obligatory to break them. But it is allowed to sell the images of trees. It is also valid to sell the clothes, dishes and curtains which have pictures of animals; and it is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"

ordered A'ishah to make cushions of such curtains (accordion got a unanimous narration of her authority). But it is impermissible to use such curtains while being raised, but not laid. As it is permissible to make use of a thing from one side, to sell it depending on that.

3- The object of transaction should be in the possession of the contractor, or at least the owner's permission should be given to dispose of it. Thus, it is impermissible to be bought (or sold) from anyone else other than the owner, in expectation for his leave; and if he approves later, the transaction might be resumed. Furthermore, a husband's property should not be disposed of by the wife, nor should the wife's property by the husband, nor the father's property by the son, nor the son's property by the father just depending upon the presumption that if he (or she) knows, he (or she) will approve, for indeed, if his (or her) consent is ahead of transaction, it will not be valid; and this is true of the like of that which is ongoing in the markets of which it is then incumbent upon a religious servant to be cautious.

4- The object of contract should be legally and physically available. Thus, it is invalid to sell that which is not physically available, such as the fleeing slave, the fish in the sea, the fetus in the womb, the copulation of a male animal, the wool on the back of the animal, the milk n the udder, since it is difficult to be handed over (to the purchaser) on account of its being mixed with what is not under sale. From amongst the things which are not legally available, a mention might be made of such of property as mortgaged, endowed, or made to give birth, all are invalid to sell. Similarly, it is not valid to sell a mother without her child, or the child without his mother, since this leads to their separation, which is unlawful. For this reason, separating them from one another by way of selling is invalid.

5- The sold thing should be a concrete object of definite amount, weight and measure. That it should be a concrete object is to have a certain body to which one could refer. If one says to another: "I've sold to you a sheep of this herd, or a garment of those garments which are before you, or a cubit of this land, from whichever side you like, or ten cubits from this land, from whichever end you want", the transaction should be held invalid, to which those who indulge in their religion are accustomed, unless the object of transaction is common, such as the selling of half or one-tenth a certain thing, which is permissible. The knowledge of the amount of the sold thing comes from having a definite weight or measure or optical estimation.

Thus, if one says to another: "I've sold to you this garment by the same by which so and so has sold his garment" and the purchaser have no knowledge of the sold garment, the transaction should be held invalid. If he says to him: "I've sold this to you by such weight", whose amount is not known to him, the transaction should be held invalid. Similarly, if one says to another: "I've sold to you this heap of wheat, or for this parcel of Dirhams, or for this piece of gold", which he (the purchaser) sees with his own eye, and is able to guess correctly, the transaction would be held valid, and his estimation by sight would be sufficient for him to know the amount. To have knowledge of the attributes of a sold thing

is caused by seeing it in body. Thus, selling such of things as absent would not be held valid unless it has already been seen some time earlier, short enough for any changes to happen.

In no way could the description of a thing stand for the vision according to one of both doctrines. Therefore, it is impermissible to sell a garment in the weaving factory depending only upon seeing the marks, nor the wheat (or parley) in its ears. But it is permissible to sell rice in its crust in which it is kept, and both nut and almond in their lower crust, and not in both the upper and lower altogether. It is also permissible to sell the fresh grains in their crust, when there is need for it. It is possible to sell the abscessed fruits, since it was the habit of the early people to do it, but in this case, let's limit permissibility to be partial; and if one purchases it just to sell it, the analogy requires the transaction to be held invalid, since it will not be concealed by nature of creation. But, it is not unlikely to indulge in it, since excluding it might cause damage to it, just as pomegranate and what is concealed with it by nature of creation.

6- The sold thing should be in the possession of the seller (before selling it), particularly if its ownership occurs through exchange. However, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" forbade to sell what is not in the possession of the seller (according to the narration unanimously transmitted on the authority of Ibn Abbas). Both estate and removable commodities are equal in this rule. Thus, selling such of things as bought or sold before being in the possession (of the seller) should be held invalid. Possessing a removable commodity results from being transferred (to be in the possession of the purchaser), and the estate from being vacated, and possessing what is sold by measure or weight should not be achieved unless it has been measured or weighed. In relation to the sale of such of property as being under heritage, deposit, or bequest, or such of things as whose ownership does not occur through exchange, selling it is permissible even before its being possessed.

The third fundament: the wording of contract: any contract should imply an offer which leads to an agreement, which should be expressed in clear, unambiguous terms, either by way of statement or homonymy. Thus, if one says to another: 'I've given' (instead of 'sold') you this for that, and the other party says: 'I've accepted it', the transaction will be permissible, once selling is intended, since borrowing might possibly be intended, in case of two garments or riding mounts. It is true that the intention might avert any other probability, the expression by way of clear statement is much stronger to stamp out disputes, even though homonymy also is indicative of ownership. Let it then depend upon one's choice.

One party should not impose a condition to be in opposition to the context of the contract. If one party (the purchaser) stipulates to give more (money) in return for transferring the commodities to his own house, or if one purchases a bundle of fire wood on the condition of being carried to his

own house, it will be unacceptable unless he sets an independent charge for the transfer to be separate from the price of the commodity. If both parties rely only upon the reciprocal give and take by action and not by tongue, the transaction will not be fulfilled according to Shafi'i, even though it will be in the sight of Abu Hanifah in the case of the trivial commodities, determining which is difficult.

If the matter is referred to the usage, the people have exceeded the limit of trivial commodities in the process of reciprocal give and take. For example, a broker might go to a draper and take a ten-Dinar garment of brocade, and then bring it to a purchaser (to show it to him) and when he returns to the draper he tells him that the purchaser has accepted it, thereupon he orders him to take ten Dinars from the purchaser, which he takes and hands over to the seller, who, in turn, takes them. He might dispose of the money as he likes, while the garment purchaser might cut the garment as he likes, with no offer nor consent to occur directly between them.

Similarly, many furnishers might gather at a store of fittings in which a one-hundred Dinar furniture might be offered for auction, and one of the attendants might say: "I buy it for ninety Dinars", another might say: "I raise the price up to ninety-five Dinars", and a third might say: "I raise the price up to one hundred Dinars", who, on accepting his suggestion, would be told to weigh and take the furniture, with neither an offer (from his part) nor consent (from the part of the seller as in a contract).

However, the usage has remained among the people in this way. Those are the dilemmas which are too unfathomable to tackle. There are only three probabilities:

The first is to open the door of absolutely reciprocal give and take in the trivial as well as the valuable commodities; and this is questionable, since it implies the transfer of ownership with no clear indicative statement. Allah Almighty has made lawful trade, which is a noun implying both offer (from the part of the purchaser) and consent (from the part of the seller). But trade does not apply to only the action of giving and taking: which thing then according to which should the transfer of ownership from one side to the other be judged, particularly in the case of slave and slave-girls, estates, and expensive riding mounts, and such of things as over which much disputes arise among people? However, a Muslim might retract and say: "I've regretted, and I've not sold it, since I did but handed it over, which was not selling."

The second probability is to completely shut the door as stated by Shafi'i, who suggested the invalidity of the contract. But this is problematic from two sides: one is that this was likely the practice of the companions in relation to the trivial commodities: had they drawn upon themselves the necessity of the offer and consent in their daily treatments with such sellers as the grocer, the baker and the butcher, it would surely have been difficult upon them to do, and it would have been handed down widespread from them, and thus the

time of giving up this usage would also have been well-known, since the generations are different in their practices of the like of this. The other is that the people nowadays have been engaged in such practice, to the extent that one never buys any kind of food or anything else but that he knows for certain that it is in the possession of the seller by way of reciprocal give and take: having been so, what is then the significance of uttering the words of contract?

The third probability is to make distinction between the trivial and the valuable among the goods as stated by Abu Hanifah. But at that point, it will be difficult to limit the trivial, and the point of ownership transfer will be problematic with no clear word indicative of it. Ibn Suraij went as far as to interpret a statement belonging to Ash-Shafi'i which corresponded to that. This probability is, however, the closest to moderation. For this reason, there is no harm to incline to adopt it when forced by necessity, and on account of its being prevalent among the majority of people. Moreover, it is strongly thought to have been customary during the early generations.

As far as the answer to both problems is concerned, let's say that we are not required to draw upon themselves the difficulty of making accurate by just estimate the separation between what is trivial and what is valuable among the commodities, which, at any rate, is impossible, and it rather has two obvious extremes: it is not ambiguous that to buy vegetables, a few quantity of fruits, bread and meat, is to get things to be considered among the trivial commodities, which depends only upon the reciprocal give and take, and to seek after offer and consent (by words) is to go far beyond the norms, and it is unlikely heavy to be observed, since it is thought of as giving weight to what is insignificant, with no just cause. This is the side of the trivial.

The other extreme pertains to such of valuable commodities as riding mounts, slaves, slave-girls, estates, and expensive clothes: it is not unlikely to require both offer and consent in their trade. There lie in between both extremes some mediocres of similarity, which are suspicious, and of a surety, those are questionable, of which a religious man should then incline to be cautious. It is a well-known fact that all decisive criterion of law, according to the learnt usage, are divided into obvious extremes, and problematic mediocres.

Pertaining to the second problem, i.e. seeking after justifiable transfer of ownership, let one make the act of hand, through taking (the value) and handing over (the commodity) a just cause for ownership transfer, on account of its being concrete and pinpointing. In practice, the signification of this act has been continuous among the people, under their dire need, and the habit of the early generations.

It has been a well-established habit among the people to accept and dispose of the gifts, with no need to both offer and consent. Nonetheless, which

distinction could be made between doing so by way of, or without exchange, since the transfer of ownership should occur also for the granted thing? But the early practice made no distinction between what is trivial and what is valuable of gifts, in which the demand of offer and consent was detested, even though it was not disliked in relation only to the valuable sold things.

This is, we think, the closest probability to moderation. But, it is incumbent upon the religious pious not to give up the demand for offer and consent just to keep himself far from the suspicion of differences. He should not refrain from it just because the seller might have owned it with neither an offer nor an consent, a thing which might not be verified. Perhaps the seller might have bought it by way of offer and consent. If one is present at the time of purchase, or if the seller himself recognizes (the absence of both offer and consent), he then should refrain from buying it, and rather go to buy it from anyone else. If it is one of the trivial things, of which he is in dire need, let him utter the words of offer and consent, which will benefit him in canceling any coming disputes in the future, since to retract from one's clear statement is impossible, whereas possible from the act.

But you might ask: "This might be possible in relation to trade, what should one do in case he attends as a guest or on a repast of somebody, and he knows that its owners are satisfied only with reciprocal give and take in their transactions, either by hearing or seeing that from them? Is it necessary for him to refrain from eating?"

Let me say in reply that such should refrain from buying that thing from them in case that thing they have bought belongs to the valuable and not cheap commodities. But as far as eating is concerned, he should not refrain from it. Let me say that if we hesitate to make the act indicative of he transfer of ownership, by no means should that prevent us from making it indicative of permissibility. That's because the matter of permissibility is much larger than that of ownership transfer. The handing over of every edible food to be sold by way of reciprocal give and take might be known from the relevant state, just like the permission given by the owner of a public bath for anyone to enter. The leave of a purchaser for anyone to eat of the food he has bought, as shown from his saying: 'I've made it permissible to you to eat from that food, or feed whomever you like' makes it lawful for him to eat.

But, if he says to him: 'Eat that food, by way of exchange' eating shall become lawful, and in this case, a guarantee will be binding upon him after eating. This is, in my sight, the analogy of jurisprudence. But, after the process of reciprocal give and take, one shall have eaten and consumed what is possessed by him, and thus guarantee shall become due upon him. If the price he has paid is equal to the value of what he has taken, he will have got the like of his right, which he has claim to possess even though he fails to demand it; and if he is able to demand it, he will not have possessed what he has taken, for he might not be satisfied with

disposing of it in such a way, and thus he might retract. But in this case, he has known his content from the relevant state at the time of handing it over.

It is not unlikely that the action might be indicative of satisfaction, by taking his due in full from what is handed over to him. But at any rate, the part of the seller is more abstruse, for he might like to dispose of it as an owner, which he could not possess unless it is consumed by the purchaser. Moreover, he might not be able to resume ownership; and he might seem as though he has owned it only through content to be expressed by the act and not word. But even, the part of a purchaser of food whose goal is only to eat it is much easier, which is made permissible by the permissibility understood from the relevant state. But it might necessitate that the guest is required to give guarantee from what he consumes. But such guarantee might be plotted out from him in case the seller has possessed what he had taken from the purchaser, and thus he will be considered to have fulfilled his debt on his behalf. This is, however, our opinion in the ambiguous rule of reciprocal give and take; and Allah Almighty knows best. Those are but probabilities and suspicions we have tackled, and by no means could religious verdicts be based but upon such suspicions. But the religious pious man should seek the verdict of his heart, and ward off the points of suspicion.

The Second Contract Of Usury

Verily, Allah Almighty has prohibited usury, and made severe the punishment related to it. However, it is incumbent upon the money changers to avoid it in their dealings of both Dinars and Dirhams (of gold and silver), and the traders of food are also required to ward if off in their traffic of food, since the usury exists only in the exchange of money and food.

The money changer should keep himself away in his dealings from both trade on credit and divergence of value. As for trade on credit, he should not sell anything of one kind of money (say gold) for anything of the other (say silver) unless it is from hand to hand, i.e. the reciprocal give and take should be on the spot. This is, however, to avoid the trade on credit. It is unlawful for a money changer to give gold to the house of coinage and purchase coined Dinars, since it is a kind of trade on credit, as well as it implies divergence of value, for the coined money always is of lesser weight and value.

As for the divergence of value, a trader should avoid three things: he should not sell the fragmented with the sound, in which the dealing is impermissible unless in the case of equivalence. Secondly, he should avoid selling good with bad, in the sense that he should not purchase a thing of bad quality with that which is of better quality, though of lesser weight, nor should he sell a thing of good quality with that which is of lesser quality, though of more weight. This applies to the sale of gold for gold and silver for silver. But in case of the different kinds (i.e. gold for silver, and vice versa), there is no harm in the divergence of value. The third pertains to the composites of gold

and silver, including, for instance, the Dinars made of a mixture of gold and silver, in which the ratio of gold is unknown; and in this case, the dealing is impermissible, unless such is the currency used in the town, because of which a concession might be given, on the condition that it should not be judged on the basis of gold.

The same is true of the impermissibility of dealing with the Dirhams cheated with copper, in case of being not prevalent in the town, because it is the ratio of silver in it which is intended, whose amount is unknown. But in case of being prevalent coins in the town, a concession might be given to establish dealings with it to serve the needs, provided that one should not intend the extraction of the ratio of silver in it, neither judge it on the basis of silver. The same is true of every kind of ornament composed of a mixture of both gold and silver, which should be purchased neither by gold nor by silver, but by anything else in case the amount of gold therein is known. But in case the gold it contains is not intended in itself, but for the purpose of decoration as shown from its being exposed to the fire, in this case, it might be permissible to be sold by its like of silver.

Moreover, a money changer should not buy nor sell a collar containing beads and gold with pure gold, but by silver, from hand to hand, on the spot, provided that it contains no silver. It is also impermissible to buy (or sell) a dress weaved by gold, in which the gold is intended when being exposed to the fire by gold, but by silver.

On the other hand, it is incumbent upon the dealers in the field of food to give and receive mutually from hand to hand, on the spot, whether or not the kinds of food in which the transaction is made are different. In the case of exchanging the same kind of food, the dealers should give and take reciprocally on the spot, with observation of the equality (in value and weight). It is the habit to give a butcher sheep in return for flesh on the spot or on credit, even though it is unlawful; to give a baker the wheat (or parley) in return for bread on the spot or on credit, even though it is unlawful; to give a maker of oil grains, olive and sesame in return for the different kinds of oil on the spot or on credit, even though it is unlawful; to give a milk man the milk in return for cheese, ghee and butter on the spot or on credit, even though it is unlawful.

Therefore, any kind of food should not be sold by another kind of food unless it is on the spot, as well as it should not be sold by the same kind unless it is on the spot, weight by weight, like by like. It is impermissible to sell any edibles made up of a certain kind of foodstuff or fruits by the same kind from which they are made, whether equal for equal, or on the basis of difference of weight: for instance, baking powder, bread or Sawiq should not be sold for wheat, nor should molasses, vinegar, or juice be sold for grapes and dates, nor should cheese, ghee, or butter be sold for milk, and so on.

The equality of weight is not significant unless both (sold and purchased)

foodstuff (of the same kind) is fully stored: fresh dates or grapes should not be sold for fresh dates or grapes, whether equal for equal or on the basis of difference of weight.

This brief outline is satisfactory to define the trade, and draw the attention of a trader to the points of corruption, in connection with which he should seek the verdict (of a learned men) in case he falls in doubt; and without this knowledge, he would not make sense to the points at which he should ask, with the result that he would unknowingly plunge into usury and the unlawful.

The Third Contract Of Payment In Advance

Ten conditions should be considered by the trader:

1- The capital should be definite so that if it is difficult to give that for which it has been paid in advance, it will be possible to return to the value of the capital. Thus, if one pays in advance a handful of Dirhams (whose value is unknown) for a definite amount of wheat, it will be invalid, according to one of both opinions (of Shafi'i).

2- One should hand over the capital during the session of contract before departure. But if both depart from each other before receiving the money, the contract of payment in advance will be repealed.

3- The third is that the thing for which one pays in advance should have a definite attributes, such as the grains, animals, metals, cotton, wool, milk, meat, the gear of spice dealer or perfumer. But it is impermissible in case of creams and composites made up of mixtures of various elements, and such of things as whose parts are different just like Qassi (brocade mixed with cotton), footwears and sandals composed of different parts, and the hide of animals. Therefore, payment in advance is permissible for bread, no matter more or less the amount of salt and water, in accordance with the different ways of baking, might be, which is allowed at any rate.

4- One should state the details of the describable attributes of such of things for which he pays in advance, to the extent that no attribute which might lead to divergence of value because of which the people would fall victims of inequity but that he should make a mention of it. Verily, such way of description stands at the position of vision in the process of trade.

5- The payment in advance should be within a fixed date, i.e. the term given should not be deferred to the time of harvest, or of plucking the fruits, which might come earlier or later, but let it be within a definite months and days.

6- The thing for which one pays in advance should be deliverable at the term appointed, during which its existence more often is secured. For example, one should not pay in advance for grapes to a time at which it is difficult to be delivered; and this applies to the rest of fruits. If it more often is used to exist,

and the term appointed comes, with failure to be delivered, because of a destructive plight, one should have the freedom to choose either to give him respite if he so likes, or to repeal the contract and take back what he has paid if he so likes.

7- The place of delivery should be mentioned according to the different purposes, in order to avoid any arising disputes.

8- The contract should not be suspended with a referential condition like his saying: 'from the fruits or the crops of this garden or field', for this is invalid, unless he adds to that 'the fruits or crops of such and such town or village', in which case there is no harm.

9- No payment in advance should be held for such of expensive precious things as hardly ever exists, like a definite pearl, the like of which could hardly be found, or a very beautiful girl having her child, to mention only a few of those things which none more frequently has no power to bring.

10- No payment in advance should be held for food in case the capital is food, whether or not of the same kind, nor should it be held for money in case the capital is of money, as we've mentioned in the contract of usury.

The Fourth Contract Of rental

It has two main principles: the rental fee, and the benefit.

As for both contractor and the wording of contract, all that has been mentioned in the contract of trade should be considered.

The first pertains to the rental fee, which has the position of the price, which should be definite and described in terms of all that we have stipulated in the sold thing in case it is to be paid immediately. But if it is to be paid on credit, it should be of definite quality and amount. Many things which are usually done should be avoided: for example, if one rents a house in return for constructing it, it will be invalid, since the amount of the money to be used on construction is unknown. Therefore, if the rental is for a definite amount of Dirhams, and the owner stipulates that the renter should spent it on constructing it, it also will be held invalid, in view of the ignorance of the way in which he will spend the money on construction.

It also includes hiring a stripper on condition that he should take as charge the skin after being stripped off, hiring a carrier of dead bodies of animals in return for the hide of such dead bodies, hiring a grinder in return for the husk or a portion of the powder: all of that is pointless; and the same is true of everything, which fundamentally relies in being generated and separated upon the work of the renter himself, which should not be taken as rental fee.

Furthermore, if one hires a house or a store, for which he fixes the amount of charge, on a monthly basis, say, a Dinar per month, without fixing the number of months after which the contract should come to end, in this case, the duration

will be unknown, and the contract will not be held valid.

The second principle is the benefit intended to ensue from rental, i.e. the labour to be done: if such labour is permissible, definite, and for which effort should be made by the hireling, who does it voluntarily on behalf of the hirer (in return for charge), it will be permissible to make hire for it. However, all branches of this section are included under that principle. But we will not make long explanation of it, since we have discussed in lengthy detail in the sciences of jurisprudence. Nevertheless, let's point out only those which might cause general distress. Five things should be considered in the labour for which hire is made:

1- The first is that it should be of significance, i.e. one should make effort in order to do it. If one, for instance, hires food or Dirhams to decorate his shop, or trees to hang clothes on them, it will not be permissible, for those benefits are similar to those acquired from the grains of sesame or wheat, which is impermissible to be sold. It looks like as though one takes glance through another's mirror, drinks from his spring, shades by his wall, and come close to his fire. For this reason, if one hires a seller just to say a word therewith to publicize his commodities, it will not be permissible. What the sellers take in compensation for their alluring modesty, respect and splendor, and the acceptance of their words which helps publicize the commodities is unlawful, since all they do is but a word, in which they make no effort, and which carries no significance. What makes lawful that which they deserve is their effort by frequenting the market, saying much words to facilitate the transaction; and afterwards, they deserve but a charge equal to their effort. What the traders mutually conspire to take is inequity, which is illegally usurped with no just cause.

2- The hire should not include the mention of a specific intention to be independent from the object of rental: for example, it is not permissible to state the intent to hire a vine just for usage as a couch to recline on, or the cattle and sheep for their milk, or the gardens for their fruits. But, it is permissible to hire a suckling woman for her subsequent milk, for its independence is impossible. The same is true of the ink and thread, for they cannot be intended solely in isolation of paper and sewing machine.

3- The third is that the labour could possibly be delivered physically and legally. For example, it is invalid to hire a weak one to do what he has no power to do, or a mute person for teaching, and the like of that. Furthermore, what is unlawful to do should not be delivered according to law, just like hiring a physician to remove a good working tooth, or cut off an organ of the body which is legally impermissible to be cut off, or renting a menstruating a woman to sweep the place of worship, or a tutor to teach magic or what is shameful, or the wife of another person to give suck one's babe without the leave of her husband, or the painter to paint animals, or a smith to formulate

utensils and vessels from gold and silver, all of which is considered to be invalid.

4- The work to be done should not be of those obligatory duties enjoined upon the hireling, nor to those in which none could be delegated to work on behalf of the rider. For example, it is impermissible to take charge for fighting (in Allah's Cause) or for all acts of worship, which none could be delegated to work on behalf of another, since by no means would they be plotted out from anyone even by being done on his behalf. But it is permissible to take charge for performing Hajj (on behalf of another), washing the dead bodies, digging the graves, burying the dead, carrying the coffins, and the like of that. There is difference about taking charge for leading the Tarawih (night supererogatory prayers to be offered particularly in the month of Ramadan), pronouncing Adhan, undertaking the process of teaching, and instructing others to recite the Qur'an. Nevertheless, it is permissible to hire somebody to teach a certain person such things as some question of jurisprudence or Surah from the Qur'an.

5- Both work and benefit should be definite. For instance, a tailor's work is known from the dress he makes, a teacher from the Surah which is assigned to him to teach, the carrier from the amount of the carried things, and the length of the distance, and so on.

It is true that the points of disputes and differences among the people according to usage should not be neglected, but it is much lengthy to explain the details of all of that. However, we have been satisfied with this amount in order that therewith one should come to know the general rules, and make sense to the points at which problems arise, perchance he would ask (for the religious verdict), for indeed, the explanation of the finest details of things is up to the Mufti and learned, and not the laymen.

The Fifth Contract Of Loan

Three principles should be considered here:

1- The first pertains to the capital, which should be a definite amount of cash money to be delivered to the loan recipient. For instance, it is impermissible to limit the loans to certain things, such as fils or the advancement of particular things (instead of cash money), since it imposes constraints upon the range of trade, nor on a parcel of Dirhams (whose amount is unknown), in which the profit is not clear enough. Moreover, it is impermissible for the loan giver to stipulate particular conditions to serve his own interest, since this will impose restrictions upon the range of trade.

2- The second pertains to the profit, which should be defined by a certain portion, such as one-third, the half, or such of portions as he likes. But if he says to him: "You shall have a profit of one hundred, and the rest shall be for me", it will be impermissible, since the profit might not be more than

one hundred. Thus, it is impermissible to fix a certain amount but a certain portion of profit.

3- The third pertains to the business to be done by the loan recipient, which should be a kind of trade with no restrictions or particular assignments to be imposed upon him , that might limit the range of business. For example, if one stipulates the condition to use the property to buy cattle and sheep for their offspring which they are to share, or wheat to be baked and sold and have the resulting profit divided between them, it will not be valid, for loan is permitted to be used in business, i.e. the process of selling and purchasing in general, and what ensues from them, whereas the assignment of a certain kind of business, such as the baking of bread and looking after cattle and sheep, is to restrict it. Furthermore, the contract might be also be ineffective in case of imposing the conditions that might restrict the ways in which business might be practiced, such as the condition that he should not purchase goods but from so and so, or he should not traffic but for the red clothing, or the like of that.

Once the contract is made, the loan recipient becomes working agent, who is required to dispose of the property in the same way, and with the same jurisdiction given to the agents. The loan giver has the right to repeal the contract once he likes to do. If the contract is repealed when the property is in a state of cash money, the way of distribution will not be ambiguous. If it is in the state of displayed kinds of commodities, in which no profit has been made, it should be brought back to the owner, who has no right to impose upon the agent the task of restoring it to the state of cash money, since the contract shall have been repealed from the part of the owner and not the agent. If the agent offers to sell it (for cash money) and the owner rejects, it is the opinion of the owner that should be followed, unless the working agent finds a client to purchase it, because of which some profit will ensue.

In case of profit, the working agent should sell the amount of the principal by the same kind in which the capital has been delivered, and not by different kind of property, so that the profit should be clearly distinguishable, and become easier to be shared by both the owner and the working agent; and it is not incumbent upon any of both to sell the profit that is beyond the main capital. Once it is the turn of the year, they should identify the value of the property, in order to estimate the amount of the obligatory charity due upon it. In case of profit, the working agent should bear his portion of obligatory charity due upon him, since he possesses the profit.

Furthermore, the working agent has no claim to travel with the property of loan without the leave of the owner; and in case he does, his dealings will be held valid, but he should guarantee the soundness of goods and prices, for indeed, his transgression made by transporting goods shall have extended to imply also the price of what is transported. If he travels by the leave of the owner, it will be permissible, provided that the expenses of transportation and preserving property shall be reduce from the loan property, just as the costs of measuring, weighing

and carrying, the like of which is not customary to most traders is drawn upon the capital.

No charge should be paid for such easy and customary works as spreading and folding dresses. The working agent shall afford for his accommodation and residence in the town (to which he travels), but the rental fee of the store is not due upon him. If he is devoted in his journey to the loan property, his expenses during the journey should be drawn upon the loan property. Once he returns, he should give back the equipment of the journey that remain with him, like the pot used for ablution, the bag of provisions, and the other things.

The Sixth Contract Of Partnership

This category has four sub-contracts, three of which are invalid:

1- The first pertains to the partnership of negotiation, according to which both parties say: "We've negotiated to share in all benefits that we shall have and losses that we shall bear, even though what they have is clearly distinct; and this sub-contract is invalid.

2- The second pertains to the partnership of bodies, i.e. to equally share in the charge of work they do; and it is also invalid.

3- The third pertains to the partnership of eminence, i.e. one party has good fame and respectability and acceptability among the people, who uses his position to facilitate the business, while the work itself is done by the other party; and this also is invalid.

4- The fourth, which is the only one to be held valid among all kinds of partnership, i.e. the company according to which the property of both parties is mixed in such a way that it could hardly be distinguishable unless it is divided (according to the portion of each). Each party gives permission to the other to dispose of the property (for the interest of the company), and in the end, they should distribute profits and losses according to the portion of each of them. It is impermissible to change it depending upon the stipulation of a certain condition. Isolation, if it happens, cancels out the disposal of what is isolated, and the division separates both possessions. It is valid, pursuant to this kind of partnership, to establish the contract also upon the displayed goods and commodities, and the cash money is not necessarily required here, unlike the loan.

This amount of jurisprudence should be learned by every trader, otherwise, he would unknowingly plunge into what is unlawful. Therefore, everyone, whether or not he is a trader, could hardly dispense with dealing with such sellers as a butcher, a baker, a grocer, etc. the defect in those result from three causes: the negligence of the conditions of transaction; the indulgence in the conditions of payment in advance; or exclusiveness of the reciprocal give and take. It is the habit of these sellers to write down the sales according to the daily needs, to make regular inventories and reckoning, which leads to assessment (of profits and loss) every period of time pursuant to the mutual agreement and consent. It is the necessity of need that makes it permissible by the rule of

judgement. Thus, their delivery (of goods) is understood in terms of the permissibility of giving a certain kind of goods in expectation of compensation, which makes it lawful to devour it. But in this case, a guarantee is required, and his price is due on the day it is consumed. Thus, one will be indebted with the prices of many things. If they agree upon a certain amount, an absolute clearance should be sought, in order to give no room for the disparity of assessment.

It is with such that one should be satisfied. To be sure, to impose upon the seller to weigh the price of every kind of commodities every day and every hour is traversing. The same is true of the imposition of the task of the obligation of offer and consent; and it is very difficult to evaluate every little amount of a commodity. However, the more a commodity has items, the easier it is to be assessed; and it is Allah Almighty Who helps to achieve success.

CHAPTER THREE:
STICKING TO JUSTICE AND AVOIDING INEQUITY IN TRANSACTION

It should be known that the dealing might be judged as valid by a Mufti, even though it implies injustice, which exposes one to the wrath and anger of Allah Almighty. That's because not all forbidden things are equal to make void a contract. However, injustice is to cause damage to others, and it is divided into what causes public damage and what causes harm to the other party of dealing in particular.

The First Part: The Injustice Which Causes Public Damage

It is of various kinds, which might go as follows:

The first pertains to monopoly, according to which a food trader, for instance, saves food in expectation for the rising of prices. This is, however, a public injustice, and its doer is blameworthy according to law. In this respect, (It is narrated by Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Ali, and Al-Khatib on the authority of Anas that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who monopolizes food for forty days, after which he gives it in charity, his giving in charity will not act as expiation for his (grievous sin of) monopoly." It is further narrated (by Ahmad and Al-Hakim) on the authority of Ibn Umar from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that he said: "He, who monopolizes food for forty days, shall have, indeed, nothing to do with Allah, as well as Allah Almighty shall have nothing to do with him." It is said that such seems as though he has killed all of the people. According to Ali "Allah be pleased with him": "He, who monopolizes food for forty days, has, indeed, his heart hardened." It is narrated that he burnt food that was monopolized.

In connection with the excellence of him who gives up monopoly, it is narrated (by Ibn Mardawaih on the authority of Ibn Mas'ud that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who exports food,

which he sells at the very price which was duly current, will (receive the reward of him, who seems) as though he has given it in charity, (or according to another version as though he has emancipated a slave)."

In comment on Allah's saying: "and any whose purpose therein is profanity or wrong-doing, them will We cause to taste of a most grievous Penalty" (Al-Hajj 25)

﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

It is said that monopoly is out of injustice, and it is included under this threat.

It is related that one of the early righteous men who was living in Wasit prepared a ship full of wheat which he sent to Basra, and told his agent to sell it on the very day it would arrive in Basra, with no delay to even as short as the day after. The time of arrival coincided with good price, but the traders said to him: "If you delay the auction for a week, you would profit as much as many times the like of it." He delayed the auction to the next Friday, and when he sold it, he gained as much as many times the like of it. He sent a letter to the owner to inform him of that, who sent the following reply: "O so and so! We were satisfied by little profit for the perfection faith, which you have defied. Verily, we never like to profit many times like of it for the shortage of our faith. Of a surety, (by your doing) you have drawn a grievous sin upon us. Once this letter of mine reaches you, take the whole money and give it in charity to the indigent and poor among the people of Basrah: would that I might be delivered from the sin of monopoly even with the minimum requirements, with neither benefit nor loss."

It should be known that the forbiddance to practice monopoly is not absolute, in which both time and genre should be observed.

As far as genre is concerned, the forbiddance includes all kinds of food. But such forbiddance does not imply such of kinds as upon which sustenance depends, or such of items as help to sustain life, just like medicines, saffron, and the like of it, whatever edible they might be. As to such of kinds of food as meat and fruits, which help to sustain life, but with which one might dispense sometimes, and others which might be substituted for sustenance in some cases, on which one might not keep regularly, the forbiddance related to it is questionable. Some learned men extended the forbiddance to imply cooking butter, ghee, honey, oil, cheese, and the like of them.

As regards the time, the forbiddance might possibly extend to imply all times, as attested from the narration we've related about the food which coincided with a good price in Basra, as well as it might be restricted to the times of the scarcity of food, and the people's dire need for it that any delay of its auction might result in severe public harm. But in case there is plenty of food to the extent that the people might not be in need of purchasing it but by a low price, and at the same time, the owner of food waits until the prices might improve, and not until it is time of famine, there will be no harm to be

caused. If it is time of drought, the keeping of such kinds of food as cooking butter, honey, cheese, and the like of them will cause harm, and thus it should be forbidden.

On the other hand, the negation and affirmation of prohibition of monopoly depend upon the harm to be caused, which might be understood from being limited to particular kinds of food. But even in case there is no harm to be caused, monopoly could hardly be free from being undesirable, since the monopolizer waits the commencements of harm, represented by the rise of prices. Verily, it is forbidden to wait until the commencements of harm start to occur, even though less sinful than to wait until the harm itself afflicts the people, just as to wait the harm to start to afflict the others is less sinful than to cause the harm to them. However, the degrees of undesirability and prohibition (of monopoly) vary in proportion to the degrees of harm to be caused.

In brief, it is undesirable to traffic for foodstuff, since the main purpose of traffic and trade is to make profits, whereas food is among the essentials of life, which has been created to sustain the creatures. Therefore, given that the profit is complementary and not essential, it should be sought for in those things which are supplementary to life, which are not necessarily required by the creatures. For this reason, one of the followers gave another the following advice: "Keep your son away from two trades, as well as from two professions: as to the former, they are the trade of food and the trade of shrouds, as he always raises in himself the hope of the increasing of prices and the death of people. As to both professions, let not him be a butcher, since it hardens the heart, nor a goldsmith, since it helps him adorn the world with gold and silver."

The second pertains to corrupting the currency with the counterfeited Dirhams which is, of a surety, out of injustice, since it causes harm to the dealer in case of his ignorance of them, and even if he recognizes them, he might cheat another one with them, who might give them to a third, and so on to a fourth. In this way, this counterfeited currency would become in circulation among the people, causing public damage and extensive corruption. The whole sin thus would be drawn upon him, for it is he who opened this door. In this issue, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Muslim on the authority of Jarir Ibn Abdullah): "He, who lays the foundations of a bad tradition in Islam, upon which he who comes after him acts, will bear its sin, and the sin of him who acts upon it after him, without reducing anything from theirs."

According to a learned one, to spend even a single counterfeited Dirham is more grievous than to steal one hundred Dirhams. That's because to commit a theft is ultimately one sin, which is not continuous, since it comes to an end, whereas spending counterfeited currency is a bad tradition to be innovated in the religion, upon which he who comes after him might act, with the result that he will continue to bear the sin of spending it after his death up to one or even two

hundred years, until such counterfeited currency disappears. Moreover, he will carry the evil consequences of the damage caused to the property of the people by virtue of his bad tradition: blessed be he, whose sins die once he die; and woe to him whose sins remain even after his death for one or two hundred years or more, because of which he is punished in his grave, and about which he is questioned until they are extinct.

Allah Almighty says: "and We record that which they sent before and that which they leave behind, and of all things have We taken account in a clear Book (of evidence)." (Ya Sin 12)

﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾

This implies all the deeds which one does earlier and later. It is similar to Allah's statement: "That Day will Man be told (all) that he put forward, and all that he put back." (Al-Qiyamah 13)

﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ ﴾

Such of deeds as he puts back imply the evil and bad traditions he innovates, upon which those who come after him act.

Let one then know that there are five things to be implied in counterfeiting:

1- The first is that if anything of the counterfeited currency is brought back to him, he should throw it in a well, in order to withhold it from the hands of the people in their dealings. But, let not him spread it out in another transaction. If he damages it in such a way that it becomes inappropriate for use, it might be permissible.
2- The second is that a trader should learn how to distinguish the true from the false currency, not to protect himself so much as to keep himself from giving to a Muslim (or anyone else) any counterfeited money unknowingly; and in this way, he will be sinful because of his negligence of learning this science. To be sure, every science upon which one might act to be sincere in his treatment with Muslims should be obtained. For the same reason, the early people used to learn the distinctive features of the true currency, for the sake of their religion, and not for the sake of their world.
3- The third is that if one is given such counterfeited currency which he recognizes, he will persist in sin, for indeed he takes it just to cheat another one by giving it to him, without telling him; and had he not intended to do so, he would not have received them. But by so doing, he gives out the sin of damage caused only to his dealer.
4- The fourth is that one takes the counterfeited money in compliance with the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" (according to the narration of Al-Bukhari on the authority of Jabir): "Allah's Mercy be upon a person who is tractable in selling and buying, tractable in demanding his right, and giving what is due upon him." He will

receive the blessing of this invocation in case his intention is to throw such counterfeited currency he takes in a well (to prevent others to be cheated by it); and if his intention is to cheat others with it in his dealings, let him know that this is evil with which Satan has deceived him, by giving him the false impression of doing good. Thus, he is not included in those who are tractable in demanding their right.

5- The fifth is that the counterfeited currency refers to such of coins as in which there is no silver, as far as Dirhams are concerned, nor gold as far as Dinars are concerned. In case a Dirham has silver, that is mixed with copper, there is difference among the religious scholars over using it in treatment, particularly if it is the currency of the town: we are of the opinion that concession should be given to its use in dealings, in case it is the currency of the town, whether or not the amount of silver is known. But it should be impermissible if it is not the currency of the town, unless the amount of the silver is known. if one, for example, has in his money a coin whose silver is less in amount than that which the currency of the town has, he should tell his dealer about it, and should not give it but to him, who sees it unlawful to cheat the money with it. But to give it to him who regards as lawful to use it in his dealings with others is to help him do mischief: it is similar to selling grapes to him, who is known to use them to make wine. This is forbidden, since it helps others to do evil, in which he also participates. Verily, to follow the way of truth in trade concerning that matter is much better than to continue to do the supererogatory acts of worship persistently. For this reason, one of the learned said: "An honest trader is better, in the Sight of Allah, than a worshipper."

The early men used to be cautious in such issues. One of the fighters in Allah's Cause related: While I was on my horse, I attacked an enemy to kill him but the horse hindered me to reach him, thereupon I returned. The enemy came close to me and when I made an assault to kill him, my horse hindered me from reaching him, thereupon I returned. I attacked him for the third time, but my horse ran away, and I lost control over it. This was unfamiliar to me. So I returned in a state of sadness, and kept sitting my head upset, and heart broken for my failure to kill the enemy, and the strange conduct of the horse which had appeared to me. I placed my head on the pillar of the tent and my horse kept standing. I saw in a dream as though the horse was saying to me: "By Allah! You liked to attack the enemy thrice while you were riding on me, even though yesterday, you had bought fodder for me, for which you paid some money, including counterfeited Dirham. This (which you like to do) would never be done!" I woke up as scared and went to the trader of fodder, and exchanged the counterfeited Dirham. This state is representative of what causes public harm, with which the others should be compared.

The Second Part: The Injustice Whose Harm Is Limited To A Particular Person

It is a well-known fact that to cause harm to a trader is injustice, for it is out of justice to cause no harm to one's Muslim brother. The regulating standard in

all matters is that one should love for his brother the same as he loves for himself. He should not deal with others in such ways as might seem difficult upon him in case he is treated likewise: on the contrary, both his Dirham and the Dirham of anyone else should be equal in his sight. According to a learned man: "If one sells anything to his brother by a Dirham, even though its value is no more than five Daniqs in case he himself buys it, he will have left the command to be sincere to others in dealings, and will not have loved for himself just the same he loves for himself."

This is, however, a brief outline for this matter, which might be explained in detail under four items: He should not overestimate the commodity by ascribing to it such of qualities as it has not, to conceal nothing of its defects and hidden bad qualities, to conceal naught its real weight and measure, and not to conceal its real price because of which the dealer might cease to get it.

The first is that one should keep himself from describing a commodity with such of attributes and qualities as it does not have. If one describes a certain commodity with what it has not, he will have told a lie, and if a buyer accepts that, it will be misleading, injustice and deceit; and if he accepts not, it will be deceit and dishonesty, for indeed, such of deceit as does not lead to cheating others might also badly affect the integrity. Furthermore, if one praises a commodity even with what it really has, it will be nonsense, since he will have talked with what he intended not, and of a surety, one will be reckoned for every word he utters. Allah Almighty says: "Not a word does he utter but there is a sentinel by him, ready (to note it)." (Qaf 18)

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾

But there is no harm to describe a commodity with what it really has, which the buyer might not know about it, such as the hidden characters of slaves, slave-girls, riding mounts, etc, provided that he should avoid exaggeration and extended overstatement, and have the sole intention to make it known to his Muslim brother, so that his desire and need for it might be fulfilled.

But, he should never take oath (to confirm his statement), for indeed, if he is telling a lie, he will have taken a deceptive oath, which is one of the major sins that lead to perdition; and if he is truthful, he will have made Allah's Name an excuse in his oath, a bad conduct to be done by him, since the world is more despicable than to promote through Allah's Name with no dire necessity. According to (an unidentified) narration: "Woe to a trader from (his saying in which he swears) 'Nay, by Allah' and 'No, by Allah'; and woe to a manufacturer from (his statement in the course of procrastination) 'let it be tomorrow or the day after tomorrow'." According to a certain narration (unanimously transmitted on the authority of Abu Hurairah): "Verily, the deceptive oath might help to publicize a commodity, even though it blights the blessing." It is further narrated (by Muslim) on the authority of Abu Hurairah that the Messenger of Allah

"Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah will not look (with mercy) at three (types of) persons on the Day of Judgement: an arrogant dependent, a maker of reminder of his generosity, and a publicizer of his commodity with his oath."

Since it is undesirable to praise a certain commodity even with truth, as long as it does not increase sustenance, the severe warning of taking oath therein is then evident. It is narrated from Yunus Ibn Ubaid, who was a draper, that cloth was demanded from him for sale, thereupon his slave brought out cloth which he spread out. He looked at it and said: "O Allah! Endow us with the Garden!" he said to his slave: "Bring it back to its storing place." He did not sell it, for fear this (statement of his slave) might be a indirect suggestion of praising it. It is those people who practiced trade in this world, but did not waste their faith for the benefit of their trade, for they knew that the profit of the hereafter is much more valuable and precious.

The second is that the seller should show all the defects of the sold thing, be they hidden or evident, and conceal nothing of them, since this is obligatory. If he conceals all or some of them, he will be a cheating wrongdoer, and of a surety, cheating is unlawful; and by so doing, he will also have left the command to be sincere in his dealings with others, which is binding. If he shows the best side of a dress, and hides the other, (which might be defective), he will be a cheater. The same is true of displaying dresses in the dark, or the better of pair of footwears or sandals, etc.

The prohibition of cheating is attested from the authentic narration (of Muslim on the authority of Abu Hurairah that) on,e The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" passed by a heap of foodstuff which appealed to him, thereupon he thrust his hand into it, with his fingers moistened. He said to the owner of that heap of foodstuff: "What is this?" He replied: "O Messenger of Allah! It has been wetted by rainfall." He (The Messenger of Allah) said: "Would not you place this (the wet portion of the heap) over the other parts of the foodstuff, so that the people could see it? Whoever cheats is not from us (Muslim nation)." (i.e. he is not to belong to my followers). Therefore, the obligation of being sincere to all the Muslims in dealings is confirmed by the authentic narration on the authority of Jarir that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" accepted the pledge of allegiance from Jarir Ibn Abdullah, and he (the latter) intended to turn away, he pulled his dress and stipulated the condition that he should be sincere to all the Muslims. Henceforth, whenever Jarir intended to sell a commodity, he would first show its defects and then give the purchaser the freedom to choose saying: "Take it if you so like, and leave it if you so like." It was said to him: "If you keep doing the like of this, no transaction will be done for you." He said: "Verily, we gave the pledge of allegiance to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" on condition that we should be sincere to all of the Muslims."

According to another narration, Wathilah Ibn Al-Asqa' was standing ,when a man sold a she-camel belonging to him for three hundred Dirhams. Wathilah was heedless when the man went away with the she-camel, thereupon he walked in his pursuit and started to cry: "O this man! Have you bought this (she-camel) for (slaughtering it and eating) its flesh or for use in carrying?" he said: "I've bought it for use in carrying." On that Wathilah said to him: "Then, there is a hole in its hoof, and it could hardly keep walking." He returned and gave it back to the seller, who reduced one hundred Dirham from its price and said to Jarir: "Allah's Mercy be upon you! You've thwarted my transaction." On that he said: "Of a surety, we gave the pledge of allegiance to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" on condition that we should be sincere to all of the Muslims."

He further said (according to the narration of both Al-Hakim and Al-Baihaqi): I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" having said: "It is unlawful for anyone to sell anything without showing its defects, and it is unlawful for anyone who comes to know it not to show it (to the purchaser)." The concept of sincerity they understood is that one should not like and accept for his brother but just the same he likes and accepts for himself. They did not think of it as being supererogatory and additional deeds: on the contrary, they believed it to be an essential condition of Islam which was implied in their pledge of allegiance. This is difficult upon the majority of the people. For this reason, they favour to devote themselves to the acts of worship, and keep themselves away from the treatment with the people, for to undertake the rights of Allah Almighty while mixing with the people is self-mortification which none could be able to endure but the truthful. It might be available to a servant only if he believes in two important things:

One thing is that selling the defective things through hiding the defaults, and publicizing commodities by so doing increase nothing to his sustenance, if not blight it, and deprive it of blessing; and what he collects in fragments from different deceits might be ruined by Allah Almighty all at once. It is narrated that a man had a cow, which he used to get, and mix it with water, and sell the product. A torrent came to drown the cow. One of his sons said: "Those different portions of water which we had poured in the milk gathered all at once (in a form of the torrent) and took away the cow."

How not since the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to a narration unanimously transmitted on the authority of Hakim Ibn Hizam): "If both parties of transaction are truthful and sincere (to each other), they will be blessed in their deal, and if they conceal (the defects from each other) and prove untruthful, their deal will be deprived of blessing." According to another narration (by Abu Dawud and Al-Hakim on the authority of Abu Hurairah) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah's Hand is in the aid of both

partners as long as they are honest, and once they prove dishonest, He lifts His Hand from aiding them."

Just as no property increases from dishonesty, by no means does a property decreases as a result of giving in charity. However, he who considers both increase and decrease only in terms of weight and measure does not then believe in that narration. Furthermore, he, who knows that a single Dirham might be a cause of one's happiness in his world and religion, and that many thousand thousand might be deprived of their blessing by Allah Almighty, that they come to be a cause of the destruction of their owner, who, in turn, would entertain the hope of getting rid of them all, which seems more fitting for him, will come to know, for certain, the significance of our statement that no property increases from dishonesty, as well as by no means does a property decreases as a result of giving in charity.

The other thing in which he should have trust, in order to be sincere to others in his dealings is that he should know that the profit of the hereafter is much better and abiding than that of the world, and that the benefits of the property of this world vanish as the life comes to an end, and only its grievances and sins remain. How could a man of good reason consider it permissible to substitute what is lower for what is superior? All good lies in the perfection of faith. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to Abu Ya'li and Al-Baihaqi on the authority of Anas): "(The testimony that) 'There is no god (to be worshipped) but Allah' will remain averting Allah's Wrath from the people as long as they give no preference to the deal of their world over that of their hereafter." According to another Hadith narrated by At-Tirmidhi): "...until when they come to a place, where they will have no care for what decreases from their religion, given that their world is faultless..." according to another version: "...unless they have no care for what decreases from their world, on account of the perfection of their faith; and once they do, and say (in the end): 'There is no Allah but Allah', Allah Almighty will say to them: "You've told a lie! You are untruthful."

According to another narration (transmitted by At-Tabarani on the authority of Zaid Ibn Arqam the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said): "He, who says 'There is no Allah (to be worshipped) but Allah' with sincerity will be admitted to the Garden." It was said: "What is the sign of sincerity thereof?" he said: "It is to safeguard him from committing what is made unlawful by Allah Almighty." He further said: "Never does believe in the Qur'an he, who makes lawful that which it prohibits."

He, who knows that those (vanities of this world) afflict his faith, which will be ultimately his capital in the hereafter, verily, he will not favour to waste his capital prepared for a never-ending lifetime just to get benefit from a temporary profit for a limited number of days. According to one of the early followers: "If I

enter the mosque and it is filled with its inhabitants, and I'm asked about the best of them, I will say: "He, who is most sincere to them all", and if somebody is pointed out to me to be so, I will say: "Then, he is the best of them all"; and if I'm asked about the worst of them, I will say: "The most cheating to them", and if somebody is pointed out to me to be so, I will say: "Then, he is the worst of them all."

Nevertheless, cheating is unlawful in all kinds and branches of trade and industry. A manufacturer should not regard his work with such slightness as if he himself is treated likewise, he would not accept it. On the contrary, he should make perfect and elaborate the object of his craft, showing such of defects as it has; and it is only in this way that he will be delivered. A man asked Hadda' Ibn Salim: "How should I be delivered (from sin) in the trade of sandals?" he said: "Make equal both sides, and give no preference to the right over the left, and get it well-stuffed with seamless thing, and narrow the spaces between beads, and fold not one of the pair over the other." When Ahmad Ibn Hanbal was asked about darning in such a way as it does not appear, he made it impermissible for him who sells it to hide it; but darning is lawful in case of the mender's knowledge that he (the seller) would show it, or that he would not like to get it for the purpose of sale.

However, you might say: "Just as it is binding upon the dealer to make a mention of the defects of the sold thing, the transaction might not be finished." In reply to this, let me say that it is not so. The critical condition is that a trade should not purchase anything for sale but the good, which he accepts for himself on holding him, and that he should be satisfied only with the little profit from its sale, perchance Allah Almighty will bless it for him, without the least need of cheating and deceiving others. but this might seem difficult upon them because they are not satisfied with the little profit, and of a surety, the large profit might not be delivered but through cheating and deceiving. If one habituates himself to,(be satisfied with the little profit), let not him buy a defective thing for sale; and if a defective thing happens to fall in his hand, he should show it, and be satisfied with its price (whatever it might be).

Once Ibn Sirin sold a sheep, thereupon he said to the purchaser: "Let me set myself free of responsibility before you for a defect it has: it always turns the fodder with its foot." Once, Al-Hassan Ibn Salih sold a slave-girl, and said to the buyer: "Once upon a time, she expectorated blood while she was in our house." This was the conduct of the religious people. Let him, who could not follow it, leave trade, otherwise, accustom himself to the punishment of the hereafter.

The third is that the seller should not conceal anything from the real measure or weight, by modifying the weighing and measuring device: he should give others the same weight in full as he himself accepts from them.

Allah Almighty says in this issue: "Woe to those that deal in fraud, those who, when they have to receive by measure, from men, exact full measure, when they have to give by measure or weight to men, give less than due." (Al-Mutaffiffin 1:3)

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ ﴾

One could not be delivered from that unless he gives others more than their due, and takes less than his due, since the real justice could hardly be envisaged. So, let him make it visible at least through the apparent increase and decrease. However, he, who eagerly seeks to receive the minute particles of his right in full is about to go beyond it. One of the learned used to say: "By no means should I purchase perdition for a grain of food." Whenever he was to receive, he would take half a grain less than his due, and when he was to give, he would give a grain more than the taker's due. He used to say: "Woe to him who sells for a grain of food the Garden, whose breadth is like the breadth of both the heavens and the earth: what a loser he is! Woe to him!"

The cause of their extreme caution of this matter and the like of it is that those are grievances from which repentance could hardly be achieved, since these in whom the grains of injustice are related could not be identified in order to restore to them their due. For this reason, when the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" bought something, he said to the weigher who was weighing the price: "Weigh it, and add more to the weight." (This narration is transmitted by the compilers of Sunan, in addition to Al-Hakim). When Fudail saw his son washing a Dinar in order to spend it: he was cleansing it so much in order that its weight would not increase because of such of related blot as it might have, he said to him: "O my son! Of a surety, this which you have done is more rewardable than two performances of Hajj, and twenty performances of Umrah."

One of the learned said: "I wonder at a trader and a seller: how should they be delivered, given that they always weigh and take oaths (to publicize their commodities) during the day, and go to bed with assurance at night."

Solomon "Peace be upon him" said to his son: "O my son! As well as a grain (of food) enters between both stones (of grinding), the sin also enters between both parties of transaction." One of the righteous good men performed funeral prayer on an effeminate, thereupon it was said to him: "He was a wicked man." He kept silent, and when it was repeated to him he said: "It is as though you have told me that he used to deal with others according to a double-measured balance, to give others with one, and accept from them with the other." With this statement, he suggested that his wickedness was a grievance between him and Allah Almighty, whereas this (double-measured treatment) is a grievance between him and the servants, in connection with which forgiveness, tolerance and excuse are better removed.

However, there is severe warning of dealing in fraud with others as far as balance is concerned, from which one might be delivered by only a grain (to be left when one takes his due) and half a grain (to be given besides when one gives another his due). According to the way of recitation followed by Abdullah Ibn Mas'ud: " In order that you may not transgress (due) balance. So establish weight with the help of the weighing balance and fall not short in the balance." (Ar-Rahman 8:9)

﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝ ﴾

It is from the degree of the balance's inclination that both overweighing and underweighing appear. In brief, he who seeks to take his due in full from another, but does not seek to give him his due with the same fullness even with a word, is implied in Allah's saying: " Woe to those that deal in fraud, those who, when they have to receive by measure, from men, exact full measure, when they have to give by measure or weight to men, give less than due." (Al-Mutaffiffin 1:3)

﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ ﴾

The prohibition in connection with measures and weights is not because of measures and weights in themselves, but because it is a matter in which it might be intended to keep from justice and fairness. Thus, it applies to all deeds. The weigher is at risk of perdition, and of a surety, everyone that is required to do duties and obligations is considered to be a weigher of his deeds, words and even passing thoughts: woe to him if he deviates from justice, and inclines from straightness. Had it not been difficult upon all of the people to achieve, surely, Allah Almighty would not have said: " Not one of you but will pass over it: this is, with your Lord, a Decree which must be accomplished." (Mary 71)

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝ ﴾

Therefore, in no way could a servant, not protected from committing sins, be free from inclination from fairness. But even, the degrees of inclination vary to a great extent, according to which they shall have different terms of stay in the fire of Hell until it is time for their salvation. Some of them will remain as short as enough only to fulfill the oath (taken by Allah Almighty), others as long as thousand, if not many thousands of years.

We ask Allah Almighty to draw us close to justice and fairness, for indeed, it is not coveted to run at a quick pace with no deviation on the surface of the even path, which is thinner than a hair and sharper than a sword, otherwise, by Allah, a straight one then would have been able to cross the bridge that is held on the surface of the fire of Hell, which is thinner than a hair and sharper than a sword. As much as one is straight in his path (in this world), he will be light on the even

path on the Day of Judgement.

Everyone who mixes food with dust or anything else in order to increase its weight, belongs to those who deal with others in fraud pertaining to measure; and every butcher that adds bone to the flesh to increase the weight in defiance of the usage, belongs to those who deal with others in fraud pertaining to weight. It is to those that analogies should be made pertaining to the other things. Take, for instance, the cubit of the draper who, on buying, lets loose the dress while it is being measured, without straightening it, and, on selling it, straightens it, resulting in difference of both measures. All those belong to the fraud of dealing with others, which endangers its doer to the perdition.

The fourth is that the dealer should tell the truth about the price at the moment, for indeed the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" forbade receive the riders on the way before their arrival in the market (according to a narration unanimously transmitted on the authority of Ibn Abbas). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further forbade outbidding in opposition to each other (according to a narration unanimously transmitted on the authority of both Ibn Umar and Abu Hurairah).

To receive the riders on the way is to meet the dealers who come from another town on the way before they reach the market, and purchase from them for a price which is not current at the moment in his town. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Meet not the riders on the way (to buy from them before they reach the market), and if one does so, then, the dealer has the freedom to choose (to confirm or cancel the bargain) after his arrival in the market." It is true that this transaction is held valid, but in case the purchaser seems to be liar, the dealer has the freedom to choose (to confirm or cancel the bargain); and in case he (the purchaser) proves true, there is difference about giving the dealer the freedom of choice, on account of the contradiction between the general occasion of the statement and the disappearance of cheating and deception.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also forbade that a town dweller should act as a broker to sell on behalf of a desert dweller (according to a narration agreed upon on the authority of Ibn Abbas, Abu Hurairah and Anas). It is that a desert dweller comes to a certain town having foodstuff which he likes to sell hastily, thereupon a town dweller say to him: "Leave it with me so that I would raise its value, and expect for high price." The prohibition is decisive as far as foodstuff is concerned, but it is open to dispute in relation to the other commodities, even though it is more appropriate to be prohibited, because of the general forbiddance on the one hand, and the delay to sell it is to impose restrictions upon the people with no significant benefit to return to the public.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also forbade outbidding, i.e. to come in front of a seller and offer a higher price for a certain commodity in opposition to the buyer who has desire for it, with the intention not to buy it so much as to provoke the desire of the buyer to increase the price. If there is no conspiracy agreed upon by both the seller and such a man, this act is unlawful from the part of the doer, and the transaction is held valid; and in case of the conspiracy, giving the buyer the freedom to choose (to confirm or cancel the bargain) is open to difference among the religious scholars, even though to affirm it is more fitting, for it is a kind of delusion, similar to that of keeping the milk for a long time in the udder of an animal before being sold, or receiving the riders on the way before they arrive in the market.

Those forbiddances signify that it is impermissible to deceive both parties of transaction, by concealing the price current at the time, which might cause anyone of them to cancel the bargain in case of being informed of it. This is a kind of unlawful cheating, which contradicts the obligatory sincerity due upon every Muslim to his brother.

It is narrated from one of the early followers that he was living in Basra, and he had a slave in (the city of) Sus to prepare sugar to send to him. His slave sent a letter to him informing that the sugarcane had been afflicted with blight this year, and advising him to buy as much sugar as he could. He bought a great quantity of sugar, and when it was time for its price to rise, he sold it and made a profit of thirty thousand (Dirhams). He went home and spent the night in meditation and said to himself: "I've made a profit of thirty thousand, but for the loss of being sincere to one of the Muslims." When it was morning he went early to the trader of sugar and gave him the sum of thirty thousand and said to him: "Might Allah bless you in it." He asked him: "How has it become mine?" he said: "(When I bought the sugar from you) I concealed from you the reality (that the price of sugar would become very high because of the severe shortage of sugar)." He said to him: "Allah's Mercy be upon you! Now you've informed me, and I've conceded it to you with good pleasure." He returned with it to his house, and spent the night sleepless, in a state of meditation during which he said to himself: "Verily, I've not been sincere to him, and perhaps he left it to me out of feeling shy of me." Early in the morning, he went to him and said: "Might Allah provide you with power and health! Take your property for this will be more pleasing to my heart." He took the sum of thirty thousand.

All of those narrations and tales indicate that one should not avail himself of the opportunity of the seller's heedlessness, and conceal from the seller the rise of prices or hide from the buyer the fall of prices. If one does so, he will be wrongdoer, far from justice and sincerity to the Muslims. If one practices trade by way of Murabahah, let him prove truthful (to his partners) pertaining to the price of selling and purchasing. Let him also tell the truth about such of defect or reduction as might happen after the contract. In case he purchases anything on credit, or by way of liberality from his brother or son, he should make a mention

of that, for the dealer relies on his usage of pursuing the finest details, and persistence in looking for everything for himself; and in case he leaves it for some reason, he should be told of it, since it fundamentally depends upon one's honesty.

CHAPTER FOUR: DOING GOOD IN TRANSACTION

Allah Almighty commanded us to stick to justice and do good. Justice is a direct cause only of salvation, and it occupies the position of the capital in commerce; whereas doing good is a direct cause of happiness and achieving felicity, and it occupies the position of profit in commerce. Not heedless is the one who is satisfied only with his capital in the dealings of this world, it is not so in relation to the dealings of the hereafter. So, a religious person should not only stick to justice and keep away from wrongdoing, and leave the different gates which might enable him to do good (to others), given that Allah Almighty says: "but do you good, as Allah has been good to you." (Al-Qasas 77)

﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾

He Almighty further says: "Allah commands justice, the doing of good." (An-Nahl 90)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾

He also says: "for the Mercy of Allah is (always) near to those who do good." (Al-A'raf 56)

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

By doing good we mean to do what might be a source of benefit to a dealer, which one is not required to do by way of obligation so much as by way of voluntariness and out of his bounty and generosity. Verily, what is obligatory is included under justice and keeping away from wrongness, which we've mentioned earlier (in the previous chapter). Furthermore, the rank of doing good is attained by one of the following six things:

The first pertains to the much gain: One should not gain from his companion what he usually does not accept to be gained from him. But the gain itself is permissible, for the purpose of transaction is to make profit, and in no way could it ensue but through a certain gain one earns beyond the original price of the commodity. But let one endeavour to narrow the gap between the original price (by which he buys) and the profit-added price. Thus, it is out of doing good to refrain from forcing the buyer to afford much more than the usual profit because of his great desire or dire need for a thing at the moment. But, even since there is no deception, taking what is beyond the usual profit could not be considered as injustice.

According to a religious scholar, the much gain which goes beyond one-third

(the original price) enjoins (upon the seller to give the buyer) the freedom of choice. We are not of this opinion. But it is out of doing good to diminish the profit (as much as possible).

It is narrated that Yunus Ibn Ubaid had many suites of different values and kinds: one kind was estimated at four hundred for each, another at two hundred each. He went to offer prayer (in congregation), and left his nephew to sell on his behalf in the store. At the same time, a desert dweller came and asked for a four-hundred suite, and when he showed to him a two-hundred suite, he regarded it nice, and accepted it for four hundred. He bought it and went away while it was on his hands. Yunus received him on the way who recognized his suite, thereupon he asked him about the price by which he had bought it. The desert dweller said: "Four hundred." He said: "It is no more than two hundred: go back and return it." He said: "But in our town, it is five hundred, and I accept it with the price (I had paid)." Yunus said to him: "Go (to the store), for the sincerity in religion is much better than this world and all that it contains." He brought him back to the store, and gave him two hundred Dirhams and became angry with his nephew and quarreled with him saying: "Have you not felt shy? Have you not safeguarded yourself against the punishment of Allah? Do you profit the like of the price, and refrain from giving advice to the Muslims?" he said: "By Allah! He has not taken it but with satisfaction." On that he said to him: "Then, have you not accepted for him the same as you accept for yourself?"

However, the profit made through hiding the real price and deceiving others is out of wrongdoing. According to the narration (of At-Tabarani on the authority of Abu Umamah, and Al-Baihaqi on the authority of Jabir) : "Making profit on the expense of the innocence of others is unlawful." According to Az-Zubair Ibn Adi : "I've joined eighteen from amongst the companions, none of whom was well-versed in buying meat even by a single Dirham. So, making profit on the expense of the innocent persons is injustice. Furthermore, in the case of being far from deception, it is out of leaving good and kindness, even though it rarely could be done without deception and concealing the price current at the time.

The doing of good with sincerity is shown from the narration in which As-Sari As-Saqta bought a bushel of almond for sixty Dinars, and stipulated three Dinars as its profit in his almanac. It seemed to him to fix a profit of half a Dinar for each ten. Then, the price of the bushel of almond rose up to ninety Dinars. A dealer came and requested to buy almond. He said to him: "Here it is." He asked him: "How much is it?" he said: "Sixty-three Dinars a bushel." The dealer, who was one of the righteous good men, said to him: "But the price of a bushel of almond rose up to ninety Dinars." He said: "But, I've made a contract to sell it for no more than sixty-three Dinars, which I could not dissolve." The dealer said: "As for me, I also have made a contract between me and Allah not to cheat a Muslim: I'm going to buy it from you for no less than ninety Dinars." Neither did the dealer buy the almond, nor did

As-Sari sell it. This is typical of doing good with sincerity from the part of both sides.

It is narrated from Muhammad Ibn Al-Munkadir that he had pieces of clothing of different kinds: some for five and some for ten each. In his absence, his slave sold a five-Dirham piece for ten. Learnt that he kept pursuing the desert dweller who had bought it during the whole day until he found him. He said to him: "The slave committed a mistake, and sold to you what is equal to five for ten." He said: "O man! I've accepted." He said: "Even though you accept, we never accept for you but the same as we accept for ourselves. You have the freedom to choose one of three: either you take a ten-Dirham piece of clothing by the ten you've paid, or we give five back to you, or you bring back our piece and take your Dirhams." He said: "Then, give me five Dirhams." He gave him five Dirhams. When the desert dweller turned away he asked: "Who is this venerable man?" they said: "He is Muhammad Ibn Al-Munkadir." On that he said: "There is no Allah but Allah! It is by his name that we invoke Allah for rain in the desert whenever we are afflicted with drought."

Such is a kind of doing good that one makes a profit of no more than one-twentieth or one-tenth according to the usage pertinent to a certain kind of goods in a specific place. Verily, if one is satisfied with a little profit his dealings will increase, from which he will gain much profit, because of which the blessing is visible.

Ali (Ibn Abu Talib) used to frequent the market of Kufah with his stick in his hand, saying: "O assembly of traders! Take the right with justice, perchance you will be delivered. Do not reject the little profit lest you would be deprived of much profit."

It was said to Abd Ar-Rahman Ibn Awf: "What is the cause of your being wealthy?" he said: "There are three causes: I've never rejected profit (whatever little it might be); none asked me to buy anything and I delayed to sell it to him; and I've never sold anything on credit." It is said that once he sold one thousand she-camels, with a profit of their kids, which he sold for one thousand Dirhams. Thus, he made a profit of one thousand, and a further thousand for his spending on them for the very day (they were in his possession).

The second pertains to the tolerance of much gain. If a buyer buys food from a weak or anything from a poor person, there is no harm to tolerate the much gain he (the seller) profits, because of which he will become a doer of good, and be implied in the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Allah's Mercy be upon him who is lenient whenever he sells, and lenient whenever he purchases." But in case he purchases from a rich trader who pursues profit that is beyond his need, then, it is blameworthy to tolerate the much gain he gets, but it is to waste one's money with no reward nor praise to be received for it.

According to a narration that is handed down from the Family of the

Prophet's House (transmitted by At-Tirmidhi on the authority of Ubaidullah Ibn Al-Hassan from his father from his grandfather, and Abu Ya'li on the authority of Al-Hussain Ibn Ali): "There is neither reward nor praise to be received by such of purchasers as much gain is taken from him."

Iyas Ibn Mu'awiyah Ibn Qurrah, who took the office of judge in Basrah, and he was one of the rational men among the first generation of the followers, used to say: "I'm not a deceiver, and a cheater could hardly be able to deceive me or Ibn Sirin; but a deceiver might be able to deceive Al-Hassan and my father, i.e. Mu'awiyah Ibn Qurrah." It is out of perfection not to deceive nor to be deceived by others, as Umar Ibn Al-Khattab was described by a man as being too generous to deceive the others, and too rational to be deceived by others. Al-Hassan, Al-Hussain, and others from the elite amongst the early generation used to scrutinize the finest details of such of things as they liked to buy (whatever trivial it might be), but even they used to grant much money. It was said to one of them: "What is the matter with you that you try to know the finest details of even the trivial things as you buy, and at the same time, you grant much money and does not care?" on that he said: "Of a surety, a grantor gives out of his bounty, whereas the deceived scorns his mind by allowing it to be misled." Another one said: "I give (in charity of my own accord) to Allah Almighty, and regard it not much."

The third pertains to getting the price and related debts in full. To do good in relation to it might be once by excusing, once by reducing a portion of it from the debtor, once by giving respite, and once by being lenient in demanding it. All of this is desirable and commendable. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Al-Bukhari on the authority of Jabir): "Allah's Mercy be upon a person who is tractable in selling and buying, tractable in demanding his right, and giving what is due upon him." Let one then take benefit from the blessing of this invocation of the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him".

(According to the narration of At-Tabarani on the authority of Ibn Abbas) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Excuse others, perchance you might be excused by others." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Muslim on the authority of Abu Al-Yusr): "He, who gives respite to, or even exempts an insolvent from his debt, will receive an easy reckoning by Allah Almighty (or, according to another version, will be shaded by Allah Almighty underneath His Shade on the day on which there will be no shade other than His)."

(It is narrated by Muslim on the authority of Abu Mas'ud Al-Ansari that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A man from the people who were before you was reckoned (by Allah after death). Nothing of good (deeds he had done in the world) was found (in his record). It was said to him: "Have you ever done good in your world?" he said: "No, except that I was a man of wealth, and used to give loans to the others. I used to order my servants to be lenient to the solvent, and give respite to the insolvent." Upon this Allah

"Exalted and Hallowed be He" said: "We have more right than him to do so. Excuse him." Thus, Allah Almighty excused him, and forgave his sins for him."

(It is narrated by Ibn Majah and Ahmad on the authority of Buraidah that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who gives a loan of a Dinar to another for a specific date, will have (the reward of) its being charity for every day (he gives him); and when the term appointed comes and he gives him another respite (in case of being an insolvent), he will have besides, (the reward of) the like of his debt as being charity for every day (he gives him)." From amongst the early people, there were one who did not like to get his debt from his debtor on account of this narration, in order that he would be like the almsgiver of all of it everyday.

(It is narrated by Ibn Majah on the authority of Anas Ibn Malik that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "On my Night Journey, I saw (the following statement being) written on the gate of the Garden: "The (object of) charity will be (rewarded with) ten times the like of it, and the loan with eighteen." I asked: "O Gabriel! Why is the loan better (in reward) than the charity?" he said: "That's because the beggar asks (to be given) while he has (what he spends), and the loan-invoker does not take it except on account of his need of it."" That is, the object of charity might fall in the hand of the needy as well as the needless, while none could endure the ignominy of demanding the loan but the one forced by dire need and necessity.

(It is unanimously narrated on the authority of Ka'b Ibn Malik that he credited Ibn Abu Hadrad with some money and) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saw him sticking to him in demand of his debt. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" beckoned with his hand to the creditor to cut down half the debt, and he did accordingly, thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" ordered the debtor to stand and fulfill his debt.

Everyone who sells a thing and does not pursue its price at the moment (but rather gives the purchaser a respite to a specific date) looks like such a giver of loan. In this issue, it is narrated that once Al-Hassan sold a mule belonging to him for four hundred Dirhams; and when the time of getting the price was due, the purchaser said to him: "Be tolerant O Abu Sa'id!" he said: "I've reduced one hundred Dirhams form you." He said to him once again: "Do good O Abu Sa'id!" he said: "I've cut down a further hundred from what is due upon you." Thus, he received only two hundred Dirhams from his right. It was said to him: "O Abu Sa'id! This is only half the price." He said: "As such the doing of good should be, otherwise it will not be."

It is narrated (by Ibn Majah on the authority of Abu Hurairah) that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to the right petitioner: "Take the minimum requirement of your right with chastity, whether

(it is given to you) completely or incompletely, perchance Allah Almighty will put you to an easy reckoning."

The fourth pertains to the fulfillment of debt. The willingness to fulfill the debt is out of doing good in general. It is that the debtor should walk to the right claimant, and not force him to come to him to demand his right. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration agreed upon on the authority of Abu Hurairah): "The best among you is the best and most ready to fulfill his debt." Once a debtor finds himself at convenience to fulfill the debt, let him hasten to fulfill it, even before the coming of its specific date. Let him give back better than what has been stipulated. But if he fails to fulfill it, let him have the true intention to fulfill it once he is able to do so. In this respect (it is narrated by Ahmad on the authority of A'ishah that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who becomes in debt which he truly intends to fulfill, Allah Almighty will entrust him to angels to safeguard him, and keep invoking good upon him until he fulfills it." On account of this narration, a group of the early men used to take loans even with no need.

Furthermore, whatever harsh the way in which the right claimant might talk to him, he should endure, and meet his harshness with nicety and kindness, in emulation of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" (according to the narration agreed upon on the authority of Abu Hurairah), when the creditor came to demand his debt by the coming of the specific date and he happened to have not fulfilled it yet, thereupon he talked harshly to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and when his companions intended to harm him he said: "Leave him, for the right petitioner has the claim to speak (in demand of his debt)."

In case a quarrel breaks up between both loan recipient and lender, the mediators should be more inclined to the side of the loan recipient, for more often the lender gives loans out of bounty and richness whereas the loan recipient demands loan out of his dire need. Similarly, the aid should be offered more to the purchaser than to the seller, for the latter always sells the commodity of which he is independent and likes to publicize it, whereas the former always purchases it because of his need for it.

This is better unless the debtor transgresses the due limits, and at that point, he should be helped, by preventing him from transgressing the due limits, and supporting the right claimant to take his right. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration agreed upon on the authority of Anas): "Help your brother be he wrongdoer or wronged." It was said: "How should we help him when he is a wrongdoer?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "By preventing him from wrongdoing you have helped him."

The fifth is that one should relieve (of the transaction) him who asks for his relief. However, none but a regretful seeks to be relieved (of the deal) to

whom such transaction might be harmful. One should not accept to be a cause of harm to his brother. (It is narrated by Abu Dawud on the authority of Abu Hurairah that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who relieves a Muslim of (the burden of) a transaction (by accepting to cancel it at his request), Allah will relieve him of his difficulty."

The sixth is that one should intend to deal on credit with a group of the poor people, having the intention at the moment not to demand from them his right unless they become at convenience. Form amongst the righteous good early men, there were one who had two ledgers, one of which had the names of the unidentified persons, i.e. the names of the weak and poor whom he did not recognize. It was the habit of a poor to see a certain kind of food or fruits for which he had a desire, thereupon he would say: "I need, say, five pounds of this kind, but I could not afford for them at that moment." The trader would say: "Take it, and fulfill its price once you are at convenience. But this was not considered to be among the elite (among the weak and poor), for such were those whose names were not recorded in the ledger, nor what they took was counted as debts: but he used to say to anyone of those: "Take what you like and if you become at convenience, fulfill its price, otherwise, you are free from paying it."

Those are the ways in which the early people practiced their traffic, which, at any rate, have now vanished, and nothing of their tradition in this respect remains standing. In total, the trade is the touchstone of men, by which his faith and piety are tested. For this reason, it was said: "Let no man deceive you by his patched up shirt, nor by his lower garment which he lifts up over the ankles, nor by his forehead in which the trace of suffering appears, but consider whether he is quarrelsome or pious in relation to (his dealings with) the Dirham."

It was further said: "If a man was appreciated by his neighbours in residence, his companions on journey, by those who deal with him in the market, then, have no doubt in his righteousness."

A man bore witness in the presence of Umar, thereupon he said to him: "Bring to us anyone who recognizes you well." He brought a man to him, who appreciated him, thereupon Umar asked him: "Are you his closest neighbour in residence who knows well his ins-and-outs?" he answered in the negative. He asked him: "Then, have you ever been his companion on journey, with which the good manners of a man might be attested?" he answered in the negative. He asked him: "Then, have you ever treated him with both Dirham and Dinar, with which one's piety is recognized?" he answered in the negative. Umar said: "Then, I think you saw him in the mosque murmuring with the Qur'an, once lowering his head (during bowing and prostration) and once raising his head." He answered in the affirmative. He said to him: "Then, go away, you do not recognize him well." He said to the witness: "Go and bring another one who could recognize you well."

CHAPTER FIVE: TRADER'S FEAR FOR HIS RELIGION

Of a surety, a trader should not be occupied by his living (in this world) from the place of his final return (in the hereafter), with the result that his lifetime will be useless, and his deal lost, and nothing he might attain in this world could ever be equal to the profit that will escape him in the hereafter, and thus, he will have bartered the hereafter for this world. The rational should then fear for himself, which results in preserving his capital, and of a surety, one's real capital is his religion, in which he should traffic. According to one of the early men: "What is most appropriate for a rational man to do is that which he needs most immediately in this world, and what he needs most immediately in this world is that which has the best consequence late in the hereafter."

According to Mu'adh Ibn Jabal in his bequest : "One should have his portion in this world, even though you need for your portion in the hereafter is direr. So, you should start with getting your portion in the hereafter, and on the way, you should inevitably come upon yours in this world, which you would have. Allah Almighty says: "Forget not your portion in this world." (Al-Qasas 77)

﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾

He means that you should not forget your portion in this world as provisions for the hereafter, since the world acts as a farm for the hereafter, in which the good deeds are gained.

The trader's fear for his religion is fulfilled by observing seven things:

The first is that a trader should have, in the beginning of business, good intention and belief, through which he should decide to abstain from begging and holding back his greediness from the people, by being free from them with what is made lawful for him, and using what he earns to help him safeguard his religion, and sustain his dependents, perchance he would be of the fighters (in Allah's Cause). Furthermore, let him be lenient in giving advice to the Muslims: he should love for all of the creatures the same as he loves for himself. He should be easy to follow the way of justice and kindness in his dealings as mentioned earlier. He should be lenient in enjoining what is right, and forbidding what is shameful in all that he sees in the market. If one has all those intentions and beliefs, he will be one of the workers on the way to the hereafter; and if he gains property in this world, this will be more extra, and if he loses in the world, he will have profited in the hereafter.

The second is that one, in his traffic or craft, should aim to do one of the collective duties. To be sure, had all traffics and crafts been left, the sources of living would have become idle, and the majority of the people would have been ruined. The survival of all of them results from their co-operation in such a way that each group of them is confided to do a different work; and

had all of them turned to do one profession, surely, the rest of professions would have become idle, and the majority of the people would be vulnerable to destruction.

It is in this sense that some people came to understand the narration of the Messenger of Allah (which we related earlier in the Book of Knowledge): "Verily, the variation of my nation is a source of mercy (to be bestowed upon them)." He means their various concerns and interests in different industries and professions. Of professions, there are some that are essential, and others which are dispensable, because of their dependence on seeking after luxury and adornment in this world. So, let on engage himself in an essential profession, perchance, by doing it, he would suffice the Muslims against a religious task. Let him avoid such industries as painting, goldsmithing, and constructing with gypsum, and all things from which adornment is taken, since it was disliked by the religious people.

In relation to the making of amusing things, and instruments which are unlawful for use, to avoid it is in fact to leave wrongdoing. A mention might be made here of the weaving of domes from the fine brocade for men, goldsmithing rings and framing coaches of gold for men, and the like of that, which belongs to the sins, and taking charge for it is unlawful. It is for this that we've made the obligatory charity due upon such things, in spite of the fact that we do not make it binding upon the ornaments, which is unlawful in case it is intended for men. Its being appropriate for women to use does not join it to the permissible ornaments, as long as it is not really intended for that. In this way, it is the purpose (of making it) that enforces the ruling pertinent to it.

Moreover, we've mentioned that it is undesirable to engage in the trade of food and shrouds, for it enjoins upon such traders to expect for the death of people and the (shortage of food which leads to) the people's dire need, which accounts for the rising of prices. It is also undesirable for one to be a butcher, for it hardens the heart, or a cupper or a sweeper, for through both he might be in direct contact with filth, and the same applies to a tanner. Ibn Sirin disliked brokering, and Qatadah disliked the charge of a broker, almost because a broker could hardly be able to dispense with telling lies, and overvaluing a commodity, just to publicize it on the one hand, and in view of the lack of adequate estimation of the work done in it, which sometimes might be little and sometimes much on the second hand, and it is not the work itself but the price of the sold thing that is given priority in assessing a broker's charge on the third hand. This is the practice, which is, to be sure, a kind of injustice, for indeed, it is the amount of effort exerted that should be considered.

They also disliked to traffic for animals, for indeed, the buyer dislikes Allah's Fate concerning its probable death, from which there is no way to flee. It is said: "Sell the animal and buy what is not animal." They also disliked the profession of changing money, for it is difficult to avoid the finest details of usury therein. The change of money also requires the very details of the characteristics of that which

is not intended in itself, but rather intended to be publicized. A changer of money could seldom gain profit but depending upon the ignorance of whomever he deals with of the finest details of the currency. Thus, a changer could hardly be safe, no matter cautious he might be.

Moreover, it is dislikable for a changer or anyone else to break the perfect coins or Dinars unless there is doubt in their quality, or there is dire necessity. In this respect, grand Imam Ahmad Ibn Hanbal "Allah be merciful to him" said: "A forbiddance has been handed down from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" (to break such coins as Dinars and Dirhams according to the narration of Abu Dawud, At-Tirmidhi, Ibn Majah and Al-Hakim on the authority of Alqamah Ibn Abdullah from his father, in which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" forbade that the coins of the Muslims which is their currency in their dealings to be broken unless there is severe necessity, i.e. to break a Dinar to turn it into gold, or a Dirham into silver) as well as from his companions in relation to formulation of gold and silver from the sound coins; and for me, I dislike breaking coins." He added: "Let one (if he likes to have gold or silver from Dinars and Dirhams) to barter Dirhams for Dinars, and barter gold for Dirhams (which he has bought), and then formulate it."

They also liked the trade of drapery. In this issue, Sa'id Ibn Al-Musayyab said: "There is no trade dearer to me than that of drapery, as long as it is void of oaths." According to (an unidentified) narration: "The best of your trade is that of drapery, and the best of your crafts is that of seaming." According to another narration (by Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Abu Sa'id) : "Had the inhabitants of the people practiced traffic, they would have practiced the traffic of drapery; and had the denizens of the fire (of Hell) practiced trade, they would have practiced the exchange of currency."

Ten professions constituted most of the work of the best among the early people: seaming, practicing traffic, carrying, sewing, making shoes and sandals, tailing, making footwears, making irony, spinning, treating the land and sea games, and bookselling and scribing. According to Abd Al-Wahhab Al-Warraq: Ahmad Ibn Hanbal asked me: "What is your profession?" I said: "Bookselling and scribing." On that he said: "How good and lawful the earnings thereof is! Had I been to work with my own hand, I would have engaged in the same profession as yours." Then, he said: "Do not scribe but in the middle portion, and spare the margins and the back of things."

On the other hand, four craftsmen are described as weak-minded among the people: sewers, upholsterers, spinners, and tutors; and this might be due to the fact that women and children comprise the majority of those whom they mix with; and of a surety, mixing with weak-minded people afflicts one's mind with weakness, just as mixing with these of sound minds improves one's mind. It is narrated from Mujahid that Mary "Peace be upon her" came upon many sewers in her search for Jesus "Peace be upon him", and asked them to guide her to the

right way, and they misled her, thereupon she said: "O Allah! Deprive their earnings of blessing, cause them to die as poor and needy, and make them despicable in the sight of people." Her invocation received answer.

The early people disliked to accept charge for doing what is considered to be acts of worship and belong to the collective duties, like the washing and burying of the dead bodies, pronouncing Adhan, leading the Tarawih prayer, although being hired to do any of them is judged as valid. The same is true of teaching the Qur'an, and the science of law. However, it is in those deeds that trade should be practiced just for the sake of the hereafter; and to accept charge for them is indeed to substitute this world for the hereafter, a thing that is undesirable.

The third is that the market of this world should not engage him from those of the hereafter. Verily, it is mosques which are the markets of the hereafter. Allah Almighty says in this issue: " men whom neither traffic nor merchandise can divert from the Remembrance of Allah, nor from regular Prayer, nor from the practice of regular Charity: their (only) fear is for the Day when hearts and eyes will be transformed (in a world wholly new)." (An-Nur 37)

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾

He Almighty further says: "(Lit is such a light) in houses, which Allah has permitted to be raised to honour; for the celebration, in them, of His name: in them is He glorified in the mornings and in the evenings, (again and again)." (An-Nur 36)

﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ ﴾

Thus, one should assign the time from the break of the day until he enters the market to the hereafter, during which, he should betake himself to the mosque and do his daily devotional portions regularly. Umar "Allah be pleased with him" used to say to the traders: "Assign the first portion of your day to your hereafter, and what is next to your world." The righteous among the early men used to assign both the first and the last portion of their day to the hereafter, and only the middle portion to the trade (in this world), and none other than boys and non-Muslims who lived under the protection of Muslims sold the edible sweet and animals in the early morning, for the good people used to spend that time in the mosques.

According to a certain narration (by Abu Ya'li on the authority of Anas): "If the angels ascend with the servant's scroll containing the celebration of (the Praises of) Allah Almighty and of good things in both the first and the last portion of the day, Allah Almighty then plots out such of sins as committed in between them." According to another narration (unanimously transmitted on the

authority of Abu Hurairah): "The angels of both night and day meet (i.e. come in succession to raise the deeds everyday) at the rising of the dawn and at the time of Asr prayer. Allah Almighty says to them, even though He has the best knowledge of them: "In which state have you left my servants?" they say: "We've left them while they were praying, and come to them while they were still praying." On that Allah Almighty says: "Then, I make you witnesses that I've forgiven for them."

Once he hears the Adhan of both Zhuhr and Asr prayers, let not him hesitate to hasten to prayer because of his job: on the contrary, let him go forth, and leave anything he is doing, for indeed, if one misses the excellence of the first Takbir with the imam (in the congregational prayer in the mosque) in the first portion of the prayer time, it could hardly be substituted by the whole of this world and all that it contains. If one does not attend the (prayer in) congregation, he will have committed a grievous sin in the sight of some learned men. The early people used to hasten to go to the mosques once the Adhan was pronounced, leaving the markets for the boys and non-Muslims who were living under Muslims' protection. Furthermore, they used to hire for Qirats him who would keep the stores during the time of prayer, which was a source of living for such hirelings.

It is said: in comment on the statement of Allah Almighty: "men whom neither traffic nor merchandise can divert from the Remembrance of Allah, neither from regular Prayer, nor from the practice of regular Charity" (An-Nur 37)

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴿٣٧﴾ ﴾

"The reference here is made to a people who were smiths and seamers, and whenever anyone of them lifted the hammer or got in the stitching needle and the Adhan was heard, he would not get out the stitching needle, nor would the hammer fall, and rather both would be thrown away, and one would immediately hasten to the prayer.

The fourth is that one should not do so exclusively, but rather, let him devote himself to the celebration of Allah Almighty while being in the market, and engage in affirming the Divine Unity, and Allah's Glories, since the celebration of Allah Almighty even among the heedless is better (perchance they might be encouraged to do the same). In this respect, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He who remembers Allah Almighty among the heedless is like him who fights in Allah's Cause behind these who are fleeing away, and like a living being among the dead" or according to another version (of the narration) "like a green tree among ashes."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who says in one of the markets: 'There is no Allah (to be worshipped) but Allah, the One and Only, other than Whom there is no partner: to Him be the praise, and His is the dominion, and He has power over all things' Allah

writes for him one thousand thousand good deeds, and plots out of him one thousand thousand evil deeds, and constructs for him a house in the Garden." Ibn Umar, Salim Ibn Abdullah, Muhammad Ibn Wasi' and others were in the habit of entering the market just for the purpose of getting the excellence of this supplication.

According to Al-Hassan: "He who remembers (the Praises of) Allah Almighty in the market will come on the Day of Judgement having light like the moonlight, and a proof as evident as is the light of the sunlight; and he who asks for Allah's Forgiveness in the market, Allah Almighty forgives for him (as much sins) as is the number of the people present in the market at the moment." Whenever Umar "Allah be pleased with him" entered the market he used to say: "O Allah! I seek refuge with You from (being given to) infidelity and wickedness, and from the evil of that which the market is enclosing. O Allah! I seek refuge with You from an iniquitous oath, and from a losing deal."

Abu Ja'far Al-Farghani said: "One day, we were sitting in the house of Al-Junaid when a mention was made of a people who used to sit in the mosques, and imitate the Sufis, and thus rendered short of doing what they were required to do pertinent to the right of sitting; and at the same time, they used to find fault with those who might enter the market. On that he said: "How many a person in the market who has claim (because of his doing of good in the market) to enter the mosque, take hold of the ear of one of those sitting therein, drive him out and sit in his place. I recognize a man of those who enter the market regularly whose devotional portion everyday is three hundred Rak'ahs, and thirty thousand glorifications." He (Al-Farghani) said: "It occurred to my mind that he meant himself."

This was the traffic of him who practiced it in demand only for the minimum requirements of living, and not of leading a luxurious life. How should one, demanding this world only to help him attain the (profit of the) hereafter, leave the profit of the hereafter, given that the market, the mosque and the house are dealt with him under the same circumstances? To be sure, it is the piety and Allah -fearing which are the causes of salvation. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of At-Tirmidhi on the authority of Abu Dharr): "Safeguard yourself against (the punishment of) Allah Almighty wherever you are, and let the good deed (which you do) be next to the evil deed, so that it would erase it."

Thus, these devoted to the acts of religion ever persist in the duty of Allah - fearingness, in whichever state they are, by which they live, and in which they see their abiding trade and profit. It is said: "He, who loves the hereafter will live forever, and he who loves the world will swerve; and the foolish always goes in the early and returns in the evening (everyday) for nothing (he might gain for the provision of the hereafter); and the rational one is he, who is in the habit of investigating his own faults."

The fifth is that one should not dedicate himself wholeheartedly to the

market and traffic, by hastening to be the first to enter it, and waiting to be the last to come out of it, or by sailing aboard the sea in pursuit of trade. However, it is undesirable to sail aboard the sea only in demand of trade. It is said that he, who sails aboard the sea (only in demand of trade) has, indeed, striven the utmost of his power in pursuit of sustenance. According to the narration (by Abu Dawud on the authority of Abdullah Ibn Amr): "Ride not the sea but to perform Hajj, Umrah, or fight (in Allah's Cause)." Abdullah Ibn Amr Ibn Al-As used to say: "Be not the first to enter, nor the last to come out of the market, for indeed, therein Satan lays eggs and pullulates."

It is narrated on the authority of both Mu'adh Ibn Jabal and Abdullah Ibn Umar that Iblis says to his son: "Proceed forward with your legions, and come to the people of markets, and tempt them to tell lies and take oaths, deception, cunning and treachery, and be in the company of the first of them to enter, and the last of them to come out." According to a certain narration (transmitted by Abu Na'im on the authority of Ibn Abbas) : "The worst of places (on earth) is the markets, and the worst of their people are the first of them to enter, and the last of them to leave."

In order to fully achieve this avoidance (of dedication to markets), one should expect for the time of his satisfaction and once it comes, let him be satisfied, and leave the market in order to engage in the traffic for the hereafter. This was the habit of the righteous among the early people. From amongst them, there was one who, on earning no more than a single Daniq, would turn away with satisfaction. It was the habit of Hammad Ibn Salamah to sell the coarse wool in a basket which was in front of him, and once he gained two coins, he would lift it and leave the market.

It is narrated that Ibrahim Ibn Bashshar that he said: I said to Ibrahim Ibn Adham: "Let me work today in (building with) clay." He said: "O son of Bashshar! Today you are both demanding and demanded. You are demanded by Him Whom you could not escape, and you are demanding that against which you have been sufficed. Have you not seen a miser that is cut off, and a weak that is provided with sustenance (from sources he expects not)?" I said to him: "A grocer owes me a Daniq: let me go to demand it from him." On that he said: "How strange you are! Do you have a Daniq and seek for work?" Some of them used to leave the market after Zhuhr and others after Asr (prayers), and some used to work only one or two days per week, with which they would be satisfied.

The sixth is that one should not only refrain from what is unlawful, but rather, let him safeguard himself from what is suspicious and doubt-arousing, and he should not limit himself only to the religious verdicts, but let him seek the guidance of his heart, and avoid that which he thinks to arouse suspicion, and if a suspicious commodity is brought to him, he should inquire about it in order to know its source, otherwise, he would eat what is suspicious. (According to a narration by Tabarani on the authority of Umm Abdullah, the sister of Shaddad Ibn Aws) milk was brought to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace

be upon him" who asked about its source, thereupon they said: "From a sheep." He asked: "From where have you got this sheep?" they said: "From such and such a place." He drank from it and said: "We, assembly of Prophets, were commanded not to eat but what is good and lawful, and not to work but righteousness."

In another narration (transmitted by Muslim on the authority of Abu Hurairah), the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, Allah Almighty commanded the faithful believers to do the same as he commanded the Messengers, saying: "And eat of the good (and lawful) things We've provided you with." (Al-Baqarah 172)

﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked about the origin of a thing, and the origin of its origin, and no more, for what is beyond that is difficult. In the Book of What is Lawful and What is Unlawful, we will explain in detail, Allah Willing, when this question should be obligatory, for indeed, for indeed, it was the habit of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and his companions not to ask about all things that were brought to them (according to the narration of Ahmad on the authority of Jabir). But what is intended is that he was not to ask about the origin of the food that was brought to him from his wives, and Allah knows best.

The point is that a trader should consider whomever he deals with, and refrain from treating such of them as ascribes to wrongdoing, treachery, theft or usury; and the same is true of the soldiers and wrongdoers, and their companions and helpers, whom he should not deal with, for by dealing with them, he helps them continue their wrongdoing. It is related that a man undertook the building of a wall in one of the border openings, and he said: "Some doubt arose in myself, for although this was not one of the voluntary deeds so much as it was one of the obligatory duties enjoined by Islam, the governor appointed in charge was one of the wrongdoers. I asked Sufyan "Allah be merciful to him", who said: "Help them not in more or less." I said to him: "But, it is (the building of) a wall for the Muslims in Allah's Cause." On that he said: "Yes, it is true. But the least (wrongdoing) that might befall you is that you should like them to survive at least until they fulfill you your charge, thereby you will have liked the survival of those who disobey Allah Almighty."

According to a narration (by Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Al-Hassan) : "He, who invokes Allah for the survival of a wrongdoer has, indeed, liked that Allah should be disobeyed on earth." According to another narration (by Ibn Abu Ad-Dunya, Ibn Adi, Ibn Abu Ya'li and Al-Baihaqi on the authority of Anas) : "Allah Almighty grows angry when a wicked is

praised." It is also narrated that "He, who honours a wicked, will have contributed in the destruction of Islam." It is narrated that Sufyan visited Al-Mahdi and his house had stairs of white colour. He said: "O Sufyan! Give me the inkpot so that I would write something." Sufyan said: "Tell me what you are going to write: if it is true, I shall give you the inkpot." One of the governors asked a learned one who was in custody to give him clay to seal the letter, thereupon he said to him: "Show me first the letter in order to see what it contains."

Thus, they used to be cautious not to deal with the wrongdoers, nor to help them. For this reason, a religious man should avoid dealing with them as possible as he could. In total, the people should be divided in his sight into two: those whom he should deal with and those whom he should deal with not, and the former should be greater in number than the latter especially in those days. One of the people said: "A time came upon the people, during which one used to enter the market and ask: "Whom do you nominate to me to deal with?" they would say: "Deal with whomever you like." Then, another time came upon the people, during which they said: "Deal with whomever you like except so and so, and so and so." Then, a third time came during which they sued to say: "Deal not with anyone except so and so, and so and so." I fear a time will come in which even this will vanish, as though that which was in the past will not come to be in the future: we all to Allah, to Whom we are going to return."

The seventh is that he should scrutinize all areas of his dealings with others, for indeed, he is under observation and will be reckoned. So, let him prepare the answer for the Day of Reckoning and punishment for every word and deed he might have said or committed, (asking himself): "Why has he done so? And for which reason?" it is said that a trader will be made to stand with everyone of the people with whom he entered into transaction, and will be reckoned for everyone of them. Thus, he will be reckoned as much as is the number of those whom he has dealt with.

One of the learned said: I saw in a dream a trader whom I asked: "What has Allah Almighty done with you?" he said: "He spread out to me fifty thousand scrolls." I said: "Are all of those sins?" He said: "Those are your dealings with the people, according to their number in this world, and for each of them there is an independent scroll to record my dealings with him from the first to the last."

This is what a trader should be eager to do pertinent to justice and doing good, and fear for religion: if he is limited to justice, he will be among the righteous; and if he extends his behaviours to include the doing of good, he will be among Allah's nearest devotees; and if he observes, besides, all duties of religion, as stated in the fifth chapter, he will be among the sincere believers and lovers of truth; and Allah Almighty has best knowledge of what is right.

Book four: lawful and unlawful

It is the fourth book of the quarter of customs of life

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

Praise be to Allah Who created man from sticky clay, fashioned him in due proportion, gave him a just stature, and put him together in the best form possible, and fed him, from his very early babyhood, with milk, which He produced from between excretions and blood to be pure and agreeable (to those who drink it), as pleasant as the fresh sweet water. Then, He Almighty protected him with such of good and lawful sustenance as He bestowed upon him from all motives of weakness and dissoluteness, and restricted his evil desire from having control and being invested with authority over him, and overpowered it through enjoining upon him to seek after what is lawful of sustenance, and thus defeated, by breaking it, the soldiers of Satan, who is standing on the alert of putting human being to humiliation, since he circulates and reaches in the body of mankind everywhere the flowing blood circulates and reaches; but the power and honour of what is lawful restricted his movement, for nothing other than the overwhelming and prevailing desire causes him to get into the depths of veins, and when he was reined with the rein of what is lawful, it returned with failure and loss, with neither helper nor protector to support him.

Allah's blessing be upon Muhammad, who guided the people from error and upon his family, the best of families, and peace be upon them as much as it could be.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said according to the narration (of Tabarani and others) on the authority of Ibn Mas'ud: "Seeking after what is lawful is an obligation enjoined upon every Muslim." This, from amongst all duties, is the most abstruse to minds and the most challenging to organs to perform. For this reason, its science and acting upon it have entirely been obliterated, and in view of the abstruseness its knowledge has represented, acting upon it disappeared. However, the ignorant among men had the false impression that the lawful was lost and inaccessible, and nothing from amongst the good and lawful remained other than the fresh water, and the grass which grows in the dead land; and what is beyond that has been contaminated by the hands of people, and corrupted by the fraudulent dealings.

To be sure, in the absence of satisfaction with only the grass from amongst the plants, there was no way but to indulge in the unlawful things. They primarily rejected this pole of religion, and had in their sight no distinction between (what is lawful and what is unlawful of) property and wealth: how far this is (from the truth)! The lawful is evident, and the unlawful is evident, and in between them, there are suspicious things. Those three will remain in combination in whichever

state the people might become.

Since this (false impression) is a heresy innovated in the religion, whose harm is public, and evil prevalent among the people, it has become necessary to uncover its corruption, through guiding to the understanding of the clear difference between what is lawful, what is unlawful, and what is suspicious, without having the restriction obstruct it from being possible. This might be explained in seven chapters:

The first chapter pertains to the excellence of seeking after what is lawful, and condemnation of what is unlawful and the degrees of what is lawful and what is unlawful.

The second chapter pertains to the levels of suspicious things, and what arouses them, and what distinguishes them from what is lawful and what is unlawful.

The third chapter concerns with search and inquiry, criticism and negligence, and their role in both the lawful and unlawful.

The fourth chapter discusses how a repentant trader gets rid of the financial grievances.

The fifth chapter deals with the returns of the magistrates and their prayers: what is lawful and what is unlawful of them.

The sixth chapter addresses frequenting and mixing with magistrates.

The seventh chapter presents some different questions.

CHAPTER ONE:
EXCELLENCE OF LAWFUL; CONDEMNATION OF UNLAWFUL; EXPOSITION OF VARIOUS KINDS AND LEVELS OF LAWFUL; AND VARIOUS KINDS OF UNLAWFUL, AND THE LEVELS OF ABSTENTION PERTINENT TO LEAVING IT

Excellence Of Lawful, And Condemnation Of Unlawful

In relation to the proofs from the Qur'an, a mention might be made of the following:

Allah Almighty says: " Eat from things that are good and pure, and work righteousness: for I am well-acquainted with (all) that you do." (Al-Mu'minun 51)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾

Consider that he commanded here to eat from that which is good and pure, before giving the command to work righteousness. It is said that it is the lawful which is intended by the good and pure things. He Almighty further says: "eat not up your property among yourselves in vanity." (An-Nisa' 29)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴿٢٩﴾ ﴾

He says too: " Those who unjustly eat up the property of orphans, eat up a

fire into their own bodies: they will soon be enduring a blazing fire!" (An-Nisa' 10)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾

Allah says: " O you who believe! Fear Allah, and give up what remains of your demand for usury, if you are indeed believers. If you do it not, take notice of war from Allah and His Messenger: but if you turn back, you shall have your capital sums; deal not unjustly, and you shall not be dealt with unjustly." (Al-Baqarah 278:279)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟
بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾

He says in the same Surah: " but those who repeat (the offence) are Companions of the Fire; they will abide therein (forever)." (Al-Baqarah 275)

﴿ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴾

He firstly notifies the usury devourer of war from Allah and His Messenger, and at last of being vulnerable to the fire (of Hell). In brief, the Holy Verses in regard with identifying what is lawful and what is unlawful are numerous.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said according to the narration (of Tabarani and others) on the authority of Ibn Mas'ud: "Seeking after what is lawful is an obligation enjoined upon every Muslim." When the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Seeking after knowledge is a duty enjoined upon every Muslim", a learned man said: "He intended the knowledge of what is lawful and what is unlawful." In this way, he understood both narrations as giving the same significance.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Tabarani on the authority of Abu Hurairah): "He, who works to sustain his dependents from the lawful earnings he gains is like the fighter in Allah's Cause; and he, who seeks (the livelihood in) this world with chastity will stand in the rank of the martyrs." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Abu Na'im on the authority of Abu Ayyub): "He, who eats out of the lawful things for forty days, Allah Almighty enlightens his heart, and causes the springs of wisdom to gush forth from his heart (to appear) on his tongue (or, according to another version, Allah will cause him to abstain from (pleasures and delights of) this world)."

(According to the narration of Tabarani on the authority of Ibn Abbas) Sa'd asked the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" to invoke Allah for him to get his supplication receive answer, thereupon the

Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "Make good and pure your food, perchance your supplication will come to receive answer." (It is narrated by Muslim on the authority of Abu Hurairah that) The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" mentioned a man, of dishevelled hair, covered with dust, who travels for long journeys. He raises his hand to the sky (and invokes Allah saying): "O Lord! O Lord!" but, his (source of) food is unlawful, his drink is unlawful, his clothes are unlawful and his nourishment is unlawful. How can then his invocation receive answer (from Allah Almighty)?

According to (an unidentified) narration on the authority of Ibn Abbas from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that he said: "Verily, Allah Almighty has an angel standing at the gate of Jerusalem, calling every night: "He, who eats from what is unlawful, no obligatory nor supererogatory deeds will be accepted from him." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Ahmad on the authority of Ibn Umar): "He, who buys a ten-Dirham dress, and its price includes even a single Dirham which he has earned from unlawful sources, Allah Almighty will not accept his prayers as long as anything of it is still on his body." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Tirmidhi on the authority of Ka'b Ibn Ujrah): "The fire (of Hell) has more claim over any (part of) flesh that grows out of unlawful sources."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Ibn Umar): "He, who does not care from which sources he earns money, Allah Almighty will not matter from where He will admit him to the fire (of Hell)." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Abu Mansur on the authority of Anas): "Worship consists of ten parts, nine of which are implied in seeking after what is lawful." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Tabarani on the authority of Ibn Abbas): "Who, upon whom evening comes while being worn-out (because of hard work) in seeking after lawful earnings, will spend the night and Allah Almighty will have forgiven for him, and morning will come upon him while He is well-pleased with him."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Abu Dawud on the authority of Al-Qasim Ibn Mukhimirah): "He, who gets money from unlawful sources, which he uses to keep relation with kith and kin, or gives in charity, or spends in Allah's Cause, Allah Almighty will gather all of that and throw it together into the fire (of Hell)." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Abstention (from what is unlawful) is the best of your (acts and deeds of) religion." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who meets Allah in the state of abstention (from what is unlawful), Allah

will give him the reward of all (deeds and acts of) Islam."

It is related (by Ahmad on the authority of Abdullah Ibn Hanzalah) that Allah Almighty says in one of His Scriptures: "(The sin of earning) even a single Dirham from usury is more heinous in the sight of Allah than that of committing adultery thirty times after being converted to Islam." According to the narration (of Tabarani) on the authority of Abu Hurairah : "The stomach is the body's tank, to which the veins come (for nourishment) if it is good and healthy, the veins will return with good and health, and if it is weak, the veins will return with weakness."

The example of food in its position from religion is like the example of the base in position from the building: if the base is constantly firm and strong, the whole building will stand straight and (is ready to be) raised high, and if the base is weak and crooked, the whole building will collapse and fall. Allah Almighty says in this respect: "Which then is best? He who lays his foundation on piety to Allah and His Good Pleasure? Or he that lays his foundation on an undermined sand cliff ready to crumble to pieces? And it does crumble to pieces with him, into the fire of Hell. And Allah guides not people that do wrong." (At-Tawbah 109)

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

According to the narration (of Ahmad on the authority of Ibn Mas'ud): "If one earns money from unlawful sources which he gives in charity, it will not be accepted from him, and if he leaves behind him, it will be his provision (in his journey) to the fire (of Hell)." According to a narration (by Ibn Hibban) on the authority of Abu Hurairah : "He, who collects wealth from unlawful sources which he gives in charity, no reward is due to him for it, and moreover, he bears its burden (of being a sin)."

In the Book of the Etiquette of Earnings, we mentioned a set of narrations which tell about the excellence of lawful earnings.

Pertaining to the traditions, it is narrated that once Abu Bakr As-Siddiq drank milk from the earnings of his slave, and when he asked him about the source of his earnings he said: "I worked as a soothsayer for some people who gave me charge for that." On that Abu Bakr thrust his finger into his mouth, and went on forcing himself to vomit until I (the slave) thought his soul would get out. Then, he said: "O Allah! Let me apologize to you from that which is attached to the throat, and that which has mixed with the contents of the intestines (which I failed to get rid of)." When the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was informed about that he said: "Have you not learnt that nothing but good and pure is fit to enter into the body of As-Siddiq (faithful believer and sincere lover of truth)?"

Once, Umar drank mistakenly from the milk of the camels specified to the

obligatory charity, thereupon (on his knowing) he thrust his finger into his mouth, and forced himself to vomit. A'ishah "Allah be pleased with her" said: "You are heedless of the best act of worship, i.e. the abstention (from what is unlawful)." According to Abdullah Ibn Umar" "If you keep praying until your bodies bend down like the stooping date-palms, and if you keep fasting until you become as lean as strings, this would not be accepted from you unless you abstain (from what is unlawful)."

According to Ibrahim Ibn Adham : "None of those who are perceptive is considered to perceive unless he is aware of (the source of) that which enters into his belly." According to Al-Fudail: "He, who is well-aware of that which enters into his body, Allah Almighty records him as a faithful believer and sincere lover of truth: so, consider in the house of whom you break your fast, O poor!" Ibrahim Ibn Adham was asked: "Why do you not drink from the water of Zamzam?" he said: "Had I had a bucket, surely, I would have drunk from it." According to Sufyan Ath-Thawri: "He, who spends from unlawful money (in charity) in obedience of Allah Almighty, looks like him, who purifies the filthy dress with urine, and of a surety, nothing but water could purify a filthy dress, as well as nothing but the lawful could plot out sin."

According to Yahya Ibn Mu'adh : "The performance of religious duties is one of Allah's treasures, whose key is the invocation, and the teeth of such key are the morsels of lawful food." According to Ibn Abbas "Allah be pleased with him": "Allah Almighty never accepts the prayer of a man inside whose body there is unlawful (food and drink)." According to Sahl At-Tastari: "A servant would not attain the reality of faith until he has four characteristics: to fulfill the obligations enjoined upon him in conjunction with the traditional usage, to eat only what is lawful with abstention (from accepting what is unlawful), to avoid what is forbidden, outwardly and inwardly, and to keep constantly patient on that until death." He further said: "He, who likes that the signs of the faithful believers and sincere lovers of truth should be disclosed to him, let him eat but what is lawful, and work only in accordance with the Sunnah, and when it is necessary."

It is said that he who keeps eating from what is unlawful for forty days, his heart will become gloomy and this is the significance of Allah's statement: "By no means! But on their hearts is the stain of the (ill) which they do!" (Al-Mutaffiffin 14)

﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

According to Ibn Al-Mubarak: "To reject a Dirham in which there is suspicion is much dearer to me than to spend one hundred thousand, one hundred thousand, one hundred thousand (until he rose up to) six hundred thousand Dirhams." One of the early men said: "A servant eats a meal, thereupon his heart turns in the same way as the condiment does, after which he never returns to its first state." Sahl said: "He who eats what is unlawful, willingly or willingly, knowingly or unknowingly, his organs become disobedient to him and

he whose food is lawful, his organs become obedient to him, and help him do good deeds."

According to one of the early men: "The first morsel one eats from what is unlawful causes his earlier sins to be forgiven for him; and he, who places himself in a position of humility in pursuit of the lawful, his sins will fall out of him in the same way as the leaves fall down from a tree." It is related from the traditions of the early men that whenever a preacher sat to instruct the people, the learned men would say to them: "Inspect three things in him: if he has faith in the innovated heresies, sit not with him, for it is with the tongue of Satan that he speaks; and if his food is to good and pure, it is out of his own desire that he speaks; and if he is not of strong and sound mind, the corruption resulted from his speech is more than the improvements it might lead to: so, sit not with him."

It is handed down from Ali and others that he said: "The lawful things of this world are (to put one to) account, whereas its lawful things are (to send one to) punishment (and, according to an addition made by others, its suspicious things (exposes one to the risk of) rebuke."

It is narrated that one of the good righteous men gave food to one of the Substitutes (Abdal), who ate not. When he asked about the reason why id ate not he said: "We eat only what is lawful, thereby our hearts become straight upright, and remain in the state of being revealed with the invisible dominion, and having vision of the hereafter; and were we to eat from the same which you eat for only three days, we would never return to our knowledge of (the hereafter with) certainty, and both fear and contemplation would vanish from our hearts." The good man said to him: "Verily, I observe fasts along the whole year, and read the Holy Qur'an in full thirty times per month." The Substitute said to him: "The sip of drink which you've seen me drinking last night is much dearer to me than reading the Qur'an in full thirty times in three hundred rak'ahs of yours." His drink was the milk of an antelope.

Ahmad Ibn Hanbal and Yahya Ibn Ma'in were companions for a long time when Ahmad deserted him in the wake of hearing him saying: "I do not ask anyone for anything, and if Satan gives me a thing, I would (take and) eat it." Yahya apologized to him on the grounds that he was joking. On that Ahmad said to him: "Do you joke pertaining to religion? Have you not known that food is a part of religion, which Allah Almighty gave precedence, in mention, before the righteous deed when He said: "Eat of things which is good and pure, and work righteousness: for I am well-acquainted with (all) that you do." (Al-Mu'minun 51)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾

According to a certain narration, it is written in the Torah: "He, who does not care from which sources his food is, Allah Almighty will not care from which gate of the fire (of Hell) He will admit him." It is related from Ali that he ate no food after Uthman was killed, and his house was robbed unless it was sealed, for fear of being suspicious.

Once, Al-Fudail Ibn Iyad, Ibn Al-Mubarak and Ibn Uyainah met in the house of Wuhaib Al-Ward in Mecca. They made a mention of the fresh dates, thereupon Wuhaib said: "It is of the dearest kinds of food to me, but I do not eat it for the fresh dates of Mecca are mixed with the gardens of Zubaidah and others." Ibn Al-Mubarak said to him: "If you take such things in consideration, you will also find difficulty in eating the bread." He asked him: "What is the reason for that?" he said: "The assets of orchards have been mixed with the interests." On that Wuhaib fell unconscious. Sufyan said (to Ibn Al-Mubarak): "You have killed the man!" he said: "I have intended but to make things easy to him." When he recovered, he said: "I pledge before Allah Almighty not to eat bread until I meet Him." He used to drink milk. His mother brought him milk, about which he asked her, and she said: "It is from the sheep of sons of so and so." He asked her about its price, and from where they had got it, and she told him. When he drew it close to his mouth he said: "There remains only to ask you about the pasture in which it was grazing." She kept silent, thereupon he did not drink for it was grazing in a place in which the Muslims had a right. His mother said to him: "Drink, and Allah would forgive for you." He said: "I do not like that He should forgive for me and I have drunk it, with the result that I would attain His Forgiveness because of my disobeying Him."

Bishr Al-Hafi was among the pious. It was said to him: "From where do you eat?" he said: "From where you eat, but he who eats while weeping is like him who eats while laughing." He added: "A hand might be shorter than another, and a morsel of food might be littler than another." In this way, they used to be careful about avoiding what is suspicious.

Divisions Of Lawful And Its Ways

It should be known that it is the task of the books of jurisprudence to explain the finest details of lawful and unlawful, a thing which a seeker after the hereafter might dispense with through having a particular kind of food, which he identifies as lawful by virtue of Fatwa, and eats nothing other than it. But the one who makes his food of various kinds in different ways, is in need of the entire science of lawful and unlawful just as we have explained it in detail in the books of jurisprudence. Now, let's have an overview of it in the context of a particular division. The property in general might be unlawful either because of a certain attribute it has in itself, or because of some deficiency in how it is gained.

The first division pertains to what is lawful because of a certain attribute it has in itself, such as wine, swine, and the like of them. To explain, what is fit to be eaten on the surface of the earth could be included under only three kinds: they might be produced from minerals, such as salt and the like of it, or from vegetation, or from animals.

In relation to the minerals, they belong to the earth, and nothing of what is extracted from the earth could be considered as unlawful to eat in so far as it causes no harm or damage to the body; and some of them are like cooking butter

and bread in the sense that had they been harmful to the body, of a surety, they would have been unlawful to eat. Similarly, the mud which is usually eaten should not be regarded as unlawful unless it causes harm to its eater. Our statement that a certain thing is not unlawful despite the fact that it is not edible is significant in the sense that if anything of it falls in brother any kind of liquid food, it would not become unlawful because of it.

As far as vegetation is concerned, nothing thereof is unlawful except what causes one to lose the unconscious mind, life or health. Anesthetic and wine, and all intoxicants are among those which cause one to lose the conscious mind; poisons belong to those which damage life; and drugs ruin health in case they are taken unduly. It is the harm which accounts for prohibiting all of those except both wine and all intoxicants, which are unlawful in nature, even if the least quantity thereof does not inebriate, and this is due to its distinctive feature of severe intensity.

Poison itself might not be unlawful in case it is harmless, either because of its littleness, or because of its being mixed with other elements.

The animals might be divided into what is lawful for human consumption, and what is unlawful for human consumption. The details thereof are explained in the Book of Food. Furthermore, to explain it in detail here might be lengthy, particularly in relation to the unfamiliar birds and land and sea animals. As for what is lawful to eat among them, what makes it lawful to eat is its being slaughtered in accordance with instructions of law, in which the conditions of the slaughter, the instrument, and the way of slaughtering should be considered. All of that is mentioned in the Book of Game and Slaughtered Animals. But in case it is not slaughtered according to the instructions of law, or in case it dies, it should not be considered as lawful; and nothing from among the dead is lawful to eat, except for fish and locusts.

The same is true of such of food as is transformed like the larva of apple, vinegar, and cheese; and it is impossible to avoid eating them. But in case of being separated and eaten independently, it should be subject to the same ruling of flies, beetles, scorpions, and all animals of such kind, which nothing makes unlawful but disgust; and had they not been disgusted, they would have not become undesirable. If there is a person who has no aversion towards any of them, his unique disposition should not be considered, for indeed, they have been included among the bad impure things on account of their being disgusted by the majority. For this reason, eating them is undesirable, just as when one gets together the spit and drinks it.

The undesirability is not due to their being filthy , for the truth is that they do not become impure by death. Consider that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" ordered that the fly should be dipped and then removed from the food in case it fell in it (according to the narration of Al-Bukhari on the authority of Abu Hurairah). It might be of hot nature, which would lead to its death. On the other hand, if an ant or a fly is dissolved in a utensil, it is not required to be spilled out, for indeed, what is repulsive is its body,

in case it or part of it remains in the vessel. Its being unlawful is not due to its filth, since it is not filthy in nature; and this is indicates that its being unlawful is due only to its disgusting nature. For this reason, we say that if a part of the dead body of a human being, even as little as the weight of a Daniq, falls into a vessel, the whole contents should be prohibited, not because of its filth, for the truth is that the human being does not become impure by death, but because eating it is prohibited out of respect, and not because of disgust.

On the other hand, if such of animals as lawful for human consumption are slaughtered in accordance with the instructions imposed by law, not all their parts should be considered as lawful to eat. Blood and excretion are prohibited, and all that is judged to be filthy, for indeed, what is filthy is prohibited to be eaten at all. No substance is considered as lawful because of filth except (what might come) from animals (like blood and excretions), as well as from amongst the plant, only the intoxicants, and not those which cause one to lose conscious without intoxication like Anesthetic. However, rendering an intoxicant as filthy is to intensify the order to refrain from it.

If a drop of a impure liquid, or a piece of a dry element which is impure falls into a soup, fat or any kind of food, the whole food should be rendered unlawful to eat. But it might not be unlawful to utilize for other purposes other than consumption For example, it is permissible to lite the lamps or paint ships and bodies of animals with impure fat. This is an overview of what is prohibited because of a certain attribute it has in itself.

The second division pertains to what is prohibited because of deficiency in the way it is gained. It has a wide range of details. Let's say that property might be taken either by the will of the owner, or spontaneously. The inheritance, for example, belongs to the kind of property to be taken spontaneously. What is taken by will might be taken from no specific owner, such as taking minerals, or from a specific owner, which, in turn, might be taken by force, or by consent. What is taken by force might be due to the lapse of the owner's guardianship over it, such as the war spoils, or because taking it becomes due, such as the obligatory charity of those who refrain to give it, and the financial obligations due upon them. What is taken by consent might be taken by way of exchange, such as sale, dower, and charge, or without exchange such as the gift and the bequest.

Thus, six divisions might ensue:

1- What is taken from no specific owner, such as taking minerals, giving life to what is dead (i.e. cultivating the barren land), fishing and hunting, collecting fire wood, drinking from springs and rivers, and cutting grass from the land. All of this is lawful provided that it is not taken from a specific human beings who has sanctity to be observed; and if it is free from those restrictions, then, its owner is its holder. The finest details of that are explained in the Book of Giving Life to the Dead.

2- The second is that which is taken by force, i.e. from that which have no sanctity to be observed, like the Fai' (what is gained from enemies with no

fight), war spoils, and the whole property taken from the unbelievers and fighting enemies. This is lawful for the Muslims to accept if they give out one-fifth of it and distribute it with justice and fairness among those who are really eligible to have it, and, at the same time, it is not taken from an unbeliever who has sanctity, treaty of protection and safety to be considered. The details pertaining to that are shown in the Book of Biographies, the Book of Fai' and War Spoils, and the Book of Jizyah.

3- What is taken deservedly by force, i.e. from those who refrain from paying what is due upon them, and thus it is taken from them unwillingly: in this way, it is lawful if the following conditions are available: to have just cause why it is payable, to accurately identify who is liable, and what validates his liability, and not to go beyond the payable amount, which should be taken from him who has the power of authority to fulfill it, like a judge or a magistrate, or a liable. The details of that are explained in the Book of Distributing the Objects of Charity, the Book of Endowments, and the Book of Expenses, in which those who are illegible to get obligatory charity, endowments and expenses, and the similar rights are well identified. By having all related conditions fulfilled, what is taken is considered to be lawful.

4- The fourth is that which is taken by consent through exchange. This is lawful in case of observing the conditions of both parties of exchange and contract of transaction, and both statements of offer and consent, and avoiding all distorting conditions imposed by law. The details of that are shown in the Book of Trade, Payment on Credit, Hiring, Transference, Warranty, Loan, Partnership, Watering, Pre-emption, Reconciliation, divestiture (for the Divorce at the Wife's Request), Dower, Writing of Emancipation (for a certain sum of money), and the other kinds of exchange.

5- The fifth is what is taken with neither consent nor by way of exchange. It is lawful in case of considering the conditions of the object of contract, both parties of contract, and the body of contract, and causing no harm to any of heirs or the like of them. This is mentioned in detail in the Book of Gifts and Bequests, and Objects of Charity.

6- The sixth pertains to that which occurs spontaneously like inheritance. It is lawful as long as the inherited one has legally and lawfully gained property through anyone of the five previous divisions. But in order to be perfectly lawful, it should be taken after fulfilling the debts, implementing the bequests, setting the distribution among the deserving heirs, giving out obligatory charity, (the expenses of) Hajj or expiation in case of being binding (upon the deceased). This is mentioned in detail in the Book of Bequests and Obligatory Shares of Inheritance.

This is, however, a brief outline of the ways to what is lawful and what is unlawful, which we have gone over, in order that a seeker (for the hereafter) should know that if his earnings are of different kinds, and he gains in various ways, and not in a particular one, he could not dispense with the knowledge of those matters. Whichever the thing he gets in anyone of the different ways, he

should seek the verdict of those endued with knowledge, and should not hasten to get it ignorantly. As well as it will be said to the learned: "Why have you opposed your knowledge", it will be said to the ignorant: "Why have you persisted in your ignorance, and did not learn that seeking after knowledge is obligatory upon every Muslim?"

Levels Of Lawful And Unlawful

It should be known that all kinds of unlawful is abominable, but some is more abominable than others, as well as all kinds of the lawful is good and pure, but some are better and much purer than others. as well as all kinds of the edible sweet are judged by a physician as hot, with some occupying the first grade of heat, such as sugar, others the second grade, others the third grade such as molasses, and others the fourth such as honey, the unlawful is similarly so, with some of it in the first grade of abomination, others in the second grade, others in the third grade, and others in the fourth grade. The same is true of the lawful, which is of different grades in relation to its quality and pureness. Let's follow the four-grade classification of those of medicine, even though this restriction is not necessary, since each grade of those has a wide range of inestimable divergence: some edible kinds of sweet, for instance, are hotter than others, and so on in the remaining grades. Thus, let's say that there are four grades of abstention from what is lawful:

1- The first is the abstention of just and ordinary people, and in case of violating it, one becomes wicked, and justice lapses, and the sin of disobedience which exposes one to the fire (of Hell) is assured. It is to abstain from all that is made lawful by the Fatwas of jurisprudents.

2- The second is the abstention of the good righteous: it is to refrain from such of things as they might probably be prohibited, even though the Mufti gives concession for their use on the basis of what is apparent. In this way, they belong to those things which are suspicious. So, let's give such refraining from that the name of abstention of the good righteous people; and it occupies the second grade.

3- The third pertains to such of things as not made unlawful by Fatwas, nor is there suspicion in its being lawful: but doing it develops the fear that it might lead to what is unlawful. It is to leave that in which there is no harm for fear of leading to that in which there is harm. This is, assuredly, the abstention of Allah-fearing. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Ibn Majah): "A servant would not attain the rank of Allah-fearing until he leaves that in which there is no harm for fear of leading to that in which there is harm."

4- The fourth pertains to such of things as in which there is no harm, nor is there fear of leading to that in which there is harm: but by doing it, it is not (the Countenance of) Allah Almighty, nor the desire of safeguarding oneself from His punishment that is intended. Moreover, the causes which make it possible might be undesirable or sinful. However, refraining from

such things is the abstention of the faithful believers and sincere lover of the truth.

This is an overview of the different levels of lawful, which we shall explain in more detail with supporting evidences and examples.

As for the unlawful which is placed in the first level, it is that which the just and ordinary people should abstain from; and violating it ascribes one to wickedness. It is of various grades of abomination. What is taken, for example, by a false contract, such as to give what is impermissible to give, is unlawful. But it is not of the same degree as that which is illegally usurped by force, prohibiting which is more grievous, since by it one gives up the way of earning imposed by law, and causes harm to others. there is no harm to be caused from giving by false contract, in which one gives up only the way of sincere worship.

However, to give up the way of sincere worship even by a false contract is easier than to give it up through usury. This divergence might be perceived from the law's severe warnings, threats, and confirmed forbiddance of many things (more than others) which would be explained in more detail later in the Book of Repentance, in our discussion of the difference between the minor and major sins. More precisely, what might be taken unjustly from a poor, a good righteous, an orphan is much more abominable and grievous in sin that that which might be taken from a strong, a rich, or a wicked one. That's because the degrees of harm differ with the difference of the one to whom the harm is caused.

Those finest details of the different levels of the abominable things should be known to anyone. Had the sinful been of different grades and levels, surely, the fire (of Hell) would not have accordingly been of various grades. Once you know the causes which make grievous the forbiddance and prohibition, there is no point to limit them in, say, three or four grades, for this is only to have a desire to have control over what is incontrollable, or to calculate what is beyond calculation.

The difference of levels of the unlawful in relation to abomination might be attested from the contradiction between the forbidden things, and choosing some of them on the account of others, to the extent that one might be forced by necessity to eat the flesh of the dead body, eating the food of another (without his leave), or even eating the game of the Sanctuary. We, in fact, favour to do some before others in this respect.

Examples And Proofs Of The Four levels Of Abstention (From Unlawful)

The first level is the abstention of the just and ordinary people: what is judged by Fatwa to be unlawful, from all that is included under the six ways of earning which we have mentioned earlier, in which a thing might be rendered unlawful because of the loss of a certain condition, is absolutely unlawful, whose

doer is ascribed to wickedness and sin. This is what we intend by the absolute unlawful, which needs not to examples or proofs.

The second pertains to every suspicious thing avoiding which is not necessarily obligatory more than desirable as will be shown later in the chapter of the suspicious things. From among the suspicious things, there are some, avoiding which is binding, and thus they are joined with the unlawful, and there are some avoiding which is undesirable, and thus, it is only the skeptic who abstain from them, just like him, who refrains from hunting a game, for fear the game might have fled away from somebody, who had caught hold of, and possessed it; and this is, to be sure, skepticism. From among the suspicious things, there are also some avoiding which is desirable; and it is those in connection with which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of An-Nasa'i and At-Tirmidhi on the authority of Al-Hassan Ibn Ali): "Leave that which arouses doubt in you for that in which you have no doubt."

This is understood to be forbiddance according to which one deems himself far beyond what is suspicious. Similarly, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of At-Tabarani on the authority of Ibn Abbas): "Eat such of games as you kill directly, and leave such of games as you shoot and it disappears in order to be caught as dead some time later", since it might probably have died because of a headlong fall or as a result of another cause (than your shot). But, we are of the opinion that such is not unlawful, although leaving it belongs to the abstention of the good righteous people as will be shown later.

On the other hand, his statement "Leave what arouses doubt in you" is a command whose aim is to prompt one to deem himself far beyond what is suspicious whatever it might be, for it is related in a certain narration that he saw no obstruction to eat of it "even though it disappeared from you (and you found it later) so long as you did not see on it the trace of an arrow other than yours." Nevertheless, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Adi Ibn Hatim pertaining to the trained hound, by way of raising him far beyond what is suspicious: "And if it eats of the game, then, you should eat not of it, for I am afraid it might have caught the game for itself (and not for you)."

That's because the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" told Abu Tha'labah Al-Khushani (according to the narration of Abu Dawud on the authority of Amr Ibn Shu'aib from his father from his grandfather) to eat of such game. He asked him: "Even though a dog eats of it?" he said: "Even though a dog eats of it." That's because the state of destitution and poverty from which Abu Tha'labah who used to work hard to gain the minimum requirements of livelihood, was suffering, was not to enable him to endure such abstention, which the state of Adi enabled him to endure. It is related from Ibn Sirin that he gave up four thousand Dirhams to his partners because a doubt arose in his breast about them, in spite of being blameless according to the unanimity of

religious scholars. In brief, what is suspicious, avoiding which is not obligatory, belongs to this grade.

The third pertains to the abstention of the Allah-fearing, as attested from the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" (according to the narration of Ibn Majah): "A servant would not attain the rank of piety until he leaves that in which there is no harm for fear of leading to that in which there is harm." According to Umar "Allah be pleased with him": "We used to give up nine-tenths what is lawful, for fear of falling into what is unlawful." It is said that this statement is attributed to Ibn Abbas "Allah be pleased with them". According to Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him": "It is out of the perfect righteousness that a servant should fear (Allah Almighty) in regard with (all things, even as little) as an atom's weight, to the extent that he gives up some of what he thinks to be lawful, for fear it might be unlawful, perchance, this would act as a protecting veil between him and the fire (of Hell)."

For this reason, one owed another one hundred Dirhams, which he brought to him, thereupon he took only ninety-nine, and abstained from taking the whole sum in full, for fear of getting more than the due. One of those also used to be more cautious: whenever he was in the state of getting his right, he would take a grain less than his due, and whenever he was in the side of fulfillment, he would give a grain more than the due, in order that this might be a veil to protect him from the fire (of Hell).

Included also in this grade is that in which the people might indulge. It is true that it is judged to be lawful by Fatwas, but there is fear that by opening its door, one would be led to something else, which might be unlawful, with the result that one would be accustomed to do it with no restriction, and give up abstention. In this context, it is narrated from Ali Ibn Ma'bad that he said: I was living in a rented house. I wrote a letter, and intended to take a handful of dust from the wall in order to cover it with dust and they dry it. I said to myself: "The wall does not belong to me (but to the owner)." My soul whispered to me: "What is the value of a handful of dust from the wall?" I therefore took my need from the dust. When I slept, behold! I saw in a dream a man standing. He said to me: "O Ali Ibn Ma'bad! Tomorrow, he, who says 'what is the significance of a handful of dust from the wall' will come to know (its significance as well as the danger of his statement)." Perhaps, it means he will know how this statement will degrade him, since godliness has a high degree which escapes one with the loss of the piety and abstention of the Allah-fearing. That he deserves punishment for his doing (of taking such handful of dust) is not intended here.

It is narrated that a quantity of musk was brought to Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him", who said: "Would that I woman should weigh it, so that I would distribute it among the Muslims." His wife Atikah said: "I could do it." He kept silent and gave her no answer. He repeated the same and she gave the same reply. On that he said: "I do not like that you should put it in your hand,

and then, claiming it had the traces of dust, pass it over your neck, by which I will come to get more than the other Muslims."

Once, a quantity of musk was being weighed in front of Umar Ibn Abd Al-Aziz in order to be distributed among the Muslims. He smelled it with his nose, so that the scent would not affect him. Then, he exclaimed: "Could it not be of benefit but because of its scent?" he felt it difficult upon himself.

Once, Al-Hassan Ibn Ali (according to the narration of Al-Bukhari on the authority of Abu Hurairah), who was still a boy, took a date from the dates of the obligatory charity thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Ibn Majah): "A servant would not attain the rank of Allah-fearing until he leaves that in which there is no harm for fear of leading to that in which there is harm." Ordering him to throw it. It is further narrated that a man was in the house of somebody who was at his last moment, and when he died the man said (to the household): "Extinguish the lamp, since the heirs now have come to have a right in the fat (with which it is being lighted)."

It is narrated by Sulaiman At-Taimi on the authority of Nu'aimah Al-Attar that she said: Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" used to give one of his wives from the perfume of Muslims to sell (for the interest of the treasury). Once she sold some perfume to me. She went on assessing, which required her to increase, decrease, and crush with her teeth (to fulfill the weight exactly). Some of it clung to her finger, which she moved as such, and rubbed her veil with. When Umar "Allah be pleased with him" entered he asked: "What is this smell?" she told him, thereupon he said: "Do you take the perfume of Muslims?" he drew the veil from over her head and took a jar of water and start to pour water over the veil, rub it with dust and smell it, and then pour water over it once again, rub it with dust, and smell it until there remained no trace of the scent. She (Nu'aimah) resumed: I came to her once again, and when she weighed, some of perfume clang to her finger, which she got into her mouth, and then rubbed with dust. This is, from Umar "Allah be pleased with him" the abstention of the Allah-fearing, who felt afraid this was not given unfittingly, otherwise, by no means was his washing the veil to restore the perfume to the Muslims, but he seemed to have damaged it for her out of scolding and deterring her to do it once again, and for fear this might lead to anything else (which might be unlawful).

Ahmad Ibn Hanbal was asked about one who might happen to be in the mosque, carrying a censer belonging to a governor, and perfuming the mosque with the cense, thereupon he said: "Let him get out of the mosque, since it is only the scent which is benefited from the cense." This however might be approximately unlawful, for the amount of perfume with which his dress is scented might be intended, or unintended against his will: how then could his approval or disapproval be known?

Ahmad Ibn Hanbal was further asked about him from whom a paper containing narrations fell: is it permissible for him who finds it to write narrations

from it, and then give it back to its owner?" he said: "No, but let him ask for the owner's permission and then write (if he is given permission)." That's because there is doubt whether its owner would approve or disapprove of that. However, what is suspicious, and is fundamentally prohibited, should be rendered unlawful, and giving it up belongs to the first grade.

This includes, for example, to abstain from adornment, for fear it might summon to something else (rendered unlawful), even though the adornment itself is permissible. When Ahmad Ibn Hanbal was asked about the leather hairless sandals he said: "As for me, I do not use them, but in case of using them to walk on the mud, there is no harm; and in case of using them for the purpose of adornment, I give no permission." Similarly, it is narrated that when Umar "Allah be pleased with him" was appointed as caliph, he divorced one of his wives whom he loved most, for fear she might intercede with him for something invalid, and, (being affectionate to her) might do it to please her.

This is to leave that in which there is no harm for fear it might lead to that in which there is harm. As a matter of fact, the permissible things mostly summon to doing what is forbidden, including eating so much food, and applying perfume from the part of the celibate, which provokes the desire, which, in turn, stimulates reflection, and reflection summons one to look, and the look leads to what is beyond permissibility. Likewise, to look at the houses and adornments of the rich and wealthy is permissible in itself, but it motivates one to become so much eager to get the same, which might require one to commit what is unlawful in order to attain it.

This is true of all the permissible things: unless a permissible thing is taken exactly as much as is needed, and just when it is needed, with carefulness not to fall subject to its temptation, by virtue of knowledge, the consequence would seldom not be dangerous. This applies also to what is taken by desire, which could seldom lead to danger. Ahmad Ibn Hanbal, for instance, disliked that the walls of a house should be treated with gypsum and said: "To cover the ground with gypsum might keep the house far from dust, but to cover walls with gypsum is a kind of adornment, in which there is no benefit."

He also rejected to cover the walls of mosques with gypsum, on the grounds of the narration (by Ad-Daraqatni on the authority of Abu Ad-Darda'), in which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Ibn Majah): "A servant would not attain the rank of Allah-fearing until he leaves that in which there is no harm for fear of leading to that in which there is harm." Was asked to have the walls of the mosque painted, thereupon he said: "No, let it be a bower, like the bower of Moses." It was something like kohl used for painting, and it seemed that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of Ibn Majah): "A servant would not attain the rank of Allah-fearing until he leaves that in which there is no harm for fear of leading to that in which there is harm."

Gave no concession because of that.

Furthermore, one of the early men disliked the dress to be made of chiffon cloth, saying: "He, who has his dress made of smooth cloth, will have his faith weak." All of this is because of fear of the easy following of the desires in what is permissible to what is impermissible. To be sure, the soul's desire for what is permissible is the same for what is impermissible; and if soul is accustomed to do a thing with ease, it will let itself do more with freedom. For this reason, the fear of godliness requires the Allah-fearing to refrain and abstain from all of that. So, every lawful thing in doing which there is no fear is that which is good and pure, which belongs to the third grade. It is that in doing which there is no fear to lead to committing sin at all.

The fourth is the abstention of the faithful believers and sincere lover of truth. The lawful in their sight is that which brings no sin in relation to the causes which lead to it, nor could it be used to commit a sin, nor could it intended to fulfill a certain desire immediately or lately: on the contrary, it is done only for the Sake of Allah Almighty, and for the purpose of preserving piety in worshipping Him, and maintaining life in His service. It is those who render unlawful anything that might be done not for the Sake of Allah, in compliance with the statement of Allah Almighty: " Say: "Allah ": then leave them to plunge in vain discourse and trifling." (Al-An'am 91)

﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾

This is the rank of Unitarians who entirely refrain from their worldly portions, who are wholeheartedly devoted to Allah Almighty. There is no doubt that he, who refrains from that which might be accessible through a sin, or that in connection with which a sin might be committed, should, by nature, refrain from that which brings about a sin or undesirability in relation to the way it is obtained.

In this respect, it is narrated from Yahya Ibn Kathir that once he got medicine, and his wife said to him: "Would that you have a little walk in the house, so that the medicine would be effective." He said: "This is a walk which I could not recognize. However, I have been reckoning myself (for all of my acts and deeds) for thirty years." Since he entertained no intention in this walk in relation to religion, he rendered it impermissible to do.

It is further narrated from Sari that he said: I reached a mount in which there was grass, and a spring of water was gushing forth therefrom. I took and ate from the grass, and drank of the water and said to myself: "If there is a day on which I might have eaten good and lawful, then, it is that day." A visitant inspired to me: "From where have you got the power which conveyed you to that place?" I then returned with regret.

It is narrated from Dhun-Nun the Egyptian that he was hungry in the prison. A good righteous woman sent food to him with the prison keeper, but he did not eat and apologized saying: "It (the food) has been brought to me

on the dish of a wrongdoer." He meant that the power which conveyed food to him was not good and pure. This is, to be sure, the utmost degree of abstention.

It is said that Bishr refrained from drinking water from the rivers dug by governors: the river is a direct means which causes water to flow and reach him, and if water is permissible in itself, he will seem to utilize the river dug by hirelings who were given their charge from unlawful sources. For this reason, one of them refrained from having the lawful grapes from lawful vine, and said to its owner: "Of a surety, you have corrupted it when you watered it from the water which is flowing in the river dug by wrongdoers. river. the injustice in this is more unlikely than in drinking from water itself, for it is a caution of getting the grapes which is provided by water (and not of getting the water itself).

It was the habit of one of the people, on travelling through the way of Hajj, not to drink from the springs of water dug by the wrongdoers, although water itself was permissible, but in this case, it was preserved by virtue of the springs made by money from unlawful sources, and to drink it was to utilize what is unlawful. More important is Dhun-Nun's rejection to get the food from the hand of the prison keeper, for by no means could the hand of a prison keeper be described as unlawful, unlike the dish that is illegally usurped on which food might be carried. But the food (in the case of the prison keeper) reached him through a power which was obtained through unlawful food.. for the same reason, Abu Bakr As-Siddiq forced himself to vomit the milk (brought to him by his slave as related earlier) for fear he might obtain power from what is unlawful, although he drank it while being ignorant of its source, which meant it was not necessary for it to be extracted. But it is out of the abstention of the faithful believers and sincere lovers of truth to have their abdomens eject all that is abominable.

This is similar to the abstention from lawful earnings gained by a tailor working in the mosque, for Ahmad Ibn Hanbal disliked that a tailor should sit and work in the mosque. Furthermore, when he was asked about a weaver who might sit in a tent in the graveyards, at a time he was forced to protect himself from rain, thereupon he disliked his sitting (to work) there and said: "Those (graves) belong to the hereafter." One of the people extinguished a lamp lit by his servant from the fat of a people for he disapproved of (the sources of) their property. He rejected to kindle a furnace to bake the bread in which there remained some pieces of fire flamed from fire wood of which he disapproved. Another man rejected to tighten the strap of his sandal on the light of the lamp of a magistrate.

Those are the finest details of abstention observed by the followers of the way to the hereafter. The truth of matter is that abstention has a beginning, which is to abstain from all that is rendered unlawful according to the Fatwas of the jurisprudents, and it is the abstention of the just and ordinary people; and it has a final ending, which is the abstention of the faithful believers and sincere lovers of truth: it is to refrain from what is not for him, from what is taken with

desire, or accessed through an undesirable deed, or from what leads to undesirability. Between both extremes, there are degrees of caution. The more a servant is careful to be hard on himself, the least burdens he will come with on the Day of Judgement, and the quicker he will cross the path, and farther from having the scale of his evil deeds overweigh that of his good deeds. The ranks in the hereafter differ in accordance with the difference of the grades of abstention, in the same way as the grades of fire (of Hell) pertinent to the wrongdoers differ in accordance with the difference of the grades of abomination of the unlawful. Having known the truth of the matter, it is up to you to choose to make much of caution if you so like, or indulge in concession if you so like: if you are cautious, it is for the benefit of yourself, and if you indulge in concession, it is for the loss of yourself.

CHAPTER TWO:
LEVELS OF SUSPICIOUS THINGS; WHAT AROUSES THEM; AND WHAT DISTINGUISHES THEM FROM BOTH LAWFUL AND UNLAWFUL

(It is narrated by Abu Dawud on the authority of An-Nu'man Ibn Bashir that) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Both legal and illegal things are obvious, and in between them there are doubtful matters, of which lots of people have no knowledge. So whoever forsakes those doubtful things (lest he may commit a sin), definitely keeps his religion and honour blameless; and whoever indulges in these suspicious things bravely, is about to fall in what is clearly illegal." This narration affirms evidently the three divisions (of the lawful and unlawful and suspicious), and it seems that what lies in between them, i.e. the suspicious things, which the majority of the people do not know is challenging. So, it should be explained and disclosed in detail, for what might be unknown to most people might be known to the few among them.

Let's say that the absolute lawful is that which has in itself nothing to render it unlawful, nor is there anything unlawful or undesirable in the causes which lead to it, nor in the ways it is obtained. The typical example thereof is the water which one takes from rain before falling on any of the places which is in the possession of a certain man: in this way, one should be standing at the moment of rainfall to collect water drops from the air in a place belonging to him or in a location that is permissible to use. The unlawful is that which has an attribute because of which it is rendered undoubtedly unlawful, such as the severe intensity of wine, and filth and impurity of urine, or that thing which is unlawful in view of the way it is gained, like what is gained by way of wrongdoing or usury, and the like of that.

Both extremes are evidently clear. Included among any of both is such of things as whose reality is sure, but its nature might possibly be vulnerable to change which has no apparent reason to indicate. It is true that the land and

sea game is lawful. But if one takes hold of, say, a deer, it might probably have been owned by a previous hunter, from whom it fled away (before the other has caught); and fish similarly might probably have skipped from the fisher after falling into his hand and net (before another one takes). Such probability is unjustifiable in the case of rainfall which one takes directly from the air, and thus to be cautious not to take it is out of skepticism. So, let's give such the name of the abstention of the skeptic which has many examples to be joined to it, and that's because it is no more than mere illusion for which there is no clear proof.

However, in the event of a proof, whether evident such as to find a ring in the ear of a fish, or probable such as to find injury in the body of a deer, which could be the trace of cauterization, that could be done only after having caught hold of it, or the trace of an arrow, the abstention then would be justifiable. But in the event of having no proof at all, then, any probability for which there is no evidence should be pointless. The typical example is when one borrows a house, and when the lender disappears from him for a long time, he leaves it, having the idea that perhaps the lender died, and the house thereby has moved to the heirs by the right of inheritance. This is skepticism, since there is no reason to provide evidence for his death, whether clear or doubt-arousing.

To be sure, the suspicious thing which should be banned is that which results from what is doubtful, and doubt in turn results from two opposing beliefs, ensuing from two different reasons. That for which there is no clear reason could not be established in the same way as its opponent might be, and thus it turns to be suspicious. For this reason, we say that he who has doubt whether he has prayed three or four, let him build his certainty upon the three, since the fundamental rule is not to increase. If a man was asked whether the Zhuhr prayer he had offered ten years earlier was of three or four rak'ahs, he would not be sure to confirm whether it was of four rak'ahs, and in case of uncertainty, it might possibly be three. But this possibility could not considered to be suspicion, since there is no evident reason to develop the belief that it was of three rak'ahs. So, you should understand well the reality of suspicion, in order not to fail to distinguish between illusion and making permissible with no just cause. This type joins with the absolute lawful.

Included in the absolute unlawful is that which is proved to be unlawful, even though its being lawful might possibly seem, but with no evident cause indicative of it. Take, for example, the person who has food which belongs to an ancestor and he is his only heir, and, on his disappearance from him for a time, he thinks that he might probably have died, and thus regards the food to have become his own, and thus he eats it. Of a surety, having such food is unlawful, for he has relied on a probability for which there is no supportive reason. This type should not be included among the suspicious things.

The suspicious thing is that regarding which we are doubtful, because of having two beliefs ensuing from two reasons, which require both beliefs.

However, there are five suspicion-rousers:

The First Suspicion-Rouser

It is to have doubt in the cause which makes lawful or unlawful. In this case, both probabilities might be equal, or one of them might overweigh the other. In case of equality, the judgement should be established upon the preceding probability, and thus it should not be left depending upon suspicion. If one of both overweigh the other, because of a considerable evidence, then, the judgement should be established in favour of the overweighing one. But this might be explained clearly only by examples and proofs. So, let's divide it into four divisions:

1- The first is that in which the prohibition is already known, and then doubt arises in the matter of being lawful: this suspicious thing should be necessarily avoided, and it is prohibited to get it. The typical example is to shoot and injure a game, which falls into water, and some time later, he finds it dead, without knowing whether it died because of drowning or because of injury. This is unlawful, since the fundamental rule is to prohibit it, unless it dies in a particular way, in which doubt has occurred. So, certainty should not be overweighed by doubt, just as in making sound or wind, being in touch with filth, being in doubt in the number of rak'ahs, and the like of it.

It is in those terms that one should understand the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" to Adi Ibn Hatim: "Do not eat it, for perhaps it might be killed by a dog other than yours." For this reason, whenever anything was brought to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", about which he had doubt, whether it was a gift or an object of charity, he would inquire about it (according to the narration of Al-Bukhari on the authority of Abu Hurairah). According to another narration (by Ahmad on the authority of Amr Ibn Shu'aib from his father from his grandfather) one night, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" woke up and became sleepless (because of anxiety). One of his wives said to him: "Have you got up and become sleepless O Messenger of Allah?" he said: "I have found a date which I've eaten, and I'm afraid it might belong to those assigned to the obligatory charity."

It is further narrated (by Al-Baihaqi and Ibn Hibban on the authority of Abd Ar-Rahman) that he said: We were on journey in the company of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" when we halted in a territory in which there were mastigures in abundance. While the cooking vessels were boiling with those mastigures (to eat them), the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A sect from the children of Israel was transformed, and I'm afraid it might be those (mastigures)." On that we turned down the cooking vessels. Later on, Allah Almighty informed him that never had Allah Almighty transformed a sect of creatures and caused it to have offspring (according to the narration of Muslim on the authority of Ibn

Mas'ud). His refraining at first was built upon the fact that the origin of the matter was not to make it lawful, and he had doubt whether slaughtering should make it lawful.

2- The second is that one knows it to be lawful, and has doubt whether it is unlawful, and in this way, the basic rule is to render it lawful, upon which it should be judged. The typical example is when two men are married to two women, and then a bird flies in the air: one of them says: "If it is a crow, my wife then has been divorced", and the other says: "If it is not a crow, my wife has been divorced"; and there is doubt as to the reality of the bird, whether it is or is not a crow. In this case, prohibition of wives should not be judged in any of both, and they are not required to avoid them; but it is out of piety (abstention from what is suspicious) to avoid them, i.e. to divorce them in order to become lawful for other men to marry.

Makhul ordered that avoidance should be considered in such a case. Ash-Sha'bi issued a Fatwa of avoidance pertinent to two men who fell in dispute: one of them accused the other of being envier, thereupon he said to him: "The more ready to envy among us has his wife divorced thrice." The other answered in the affirmative. The matter became difficult. However, if avoidance is intended here for the sake of piety (abstention from what is suspicious), it is true; and if it is intended by way of absolute prohibition, it is then unjustifiable, since it is attested pertaining to water, making sound or wind, filth, prayers, etc, that by no means could certainty be overweighed by suspicion.

But you may say: "What is the relevance between both cases?" it should be known to you that no relevance is needed here, since it is essential in many instances: if one is sure of the purity of water, and then he comes to have doubt in its being impure, it is permissible for him to perform ablution with it: how then should it not be permissible to drink it? And by having made it permissible to drink such water, he has admitted that by no means could certainty be removed by suspicion. But here there is a subtle matter, i.e. the relevance of water is that one has doubt whether he really has or has not divorced his wife, in which it is said that the basic rule is that he has not divorced her. The relevance of the matter of the bird is to be sure of the filth of one of both vessels, and could not identify which of them is the other (which is pure), and in this case, it is impermissible for him to use any of them without making effort to investigate the matter, because he has countered the certainty of filth with that of purity, which invalidates the principle of abidance of the basic rule unless it is otherwise known. Similarly in this case (of the bird), one of the wives has been divorced, but she has not been identified.

Let's say that the companions and followers of Shafi'i have three opinions in the matter of both vessels: some say that one could rely on their being two different, with no need to make effort to investigate the matter; others say that by having the certainty of filth in opposition to that of purity, avoidance should be

considered, and it is of no profit here to make effort in attempt to clear the matter. The moderate ones are of the opinion that he should make effort to investigate the truth; and this is the right which should be adopted, but in this case, the relevant appendage is to have two wives, thereupon he says: "If this bird is a crow, then, Zainab (one of his wives) has been divorced; and if it is not, then, Amrah (the other wife) has been divorced."

In this case, there is no doubt that sexual relation with one of both is impermissible depending upon the abidance of the basic rule unless it is otherwise known, nor is it permissible to make effort to investigate the truth, for there is no sign indicative of it. Thus, both should be made unlawful for him, for if he has sexual relation with them, he will have plunged into what is prohibited, and if he has sexual relation with a certain one of them, claiming he would be satisfied with her, he will have assigned her with no overweighing evidence.

But, the judgement in relation to one person is different from that in relation to two, for the prohibition pertinent to one person is evident, unlike two persons, each of whom has doubt as to the prohibition in relation to him. Let's say that if both vessels belong to two persons, let each perform ablution from his own, and there is no need to make effort to clear the matter, because of his reliance on his being certain of its purity, in which he has come to doubt now. But, this might be probable from the perspective of jurisprudence, even though I think avoidance should likely be adopted. Being one or more than one person here is the same, for performing ablution (from the water of another person) does not summon ownership, and it is the same for man, in order to do away with the state of breaking ablution, whether to perform ablution from his own water or from the water of another. Indeed, no effect could ensue from having the ownership of water the same or different.

Of a surety, this is unlike the case of having sexual relation with the wife of another person, and if the indicative signs might be effective and the effort to investigate the truth possible in the issue of filth, it is not so in the case of divorce. Thus, the principle of abidance of the basic rule unless it is otherwise known should necessarily be strengthened by an indicative sign, in order to avert thereby the strong certainty of filth, which stands in the opposite side of the certainty of purity.

However, the topics of the principle abidance of the basic rule unless it is otherwise known is among the most abstruse and subtle ones in jurisprudence, which we have explained in detail in the books of jurisprudence. We intend here only to draw the attention to its general rules.

3- The third pertains to that which is fundamentally prohibited, but something seems to make it lawful, depending upon an existing thought, it is then suspicious, even though more likely lawful. Such being the case, it should be considered: if its being lawful depends upon a reason which is legally considered, I then choose to render it lawful, even though to avoid it is out of piety (abstention from what is suspicious). The typical example is to shoot a game

which disappears from his sight for a time, after which he finds it dead, having no trace other than that of his arrow, but it might probably have died because of a headlong fall or anything else: if there is a trace of blow or another injury, it should be joined with the first division.

Shafi'i himself has different opinions in this issue, and what is favoured is that it is lawful, because the injury is an evident cause and it really exists, and the basic rule is that nothing accident has occurred on it, and even if there is any as such, its occurrence is suspicious, and of a surety, by no means should certainty be left for suspicion.

But, it might be argued that (according to the narration of At-Tabarani) Ibn Abbas said: "Eat such of games as you kill directly, and leave such of games as you shoot and it disappears in order to be caught as dead some time later" (since it might probably have died because of a headlong fall or as a result of another cause than your shot). It is further narrated on the authority of A'ishah that a man brought a rabbit to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "I shot it and later on, I caught it, and recognized the trace of my arrow in its body." He asked him: "Have you killed it directly, or have you found it dead later?" he said: "No, I've found it dead later." On that he said: "Verily, night is among Allah's creatures, and none could give just estimate but He, Who has created it. Perhaps, something else (other than your arrow) might have helped to kill it." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Adi Ibn Hatim pertaining to his trained hound: "And if it eats of the game, do not eat, for I'm afraid it might have caught it for itself (and not for you)." Although the trained dog, most often, does not have bad manners, and does not catch a game but for its owner, he forbade him to eat of it.

This is out of verification, i.e. a thing's being lawful could not be achieved unless the perfect cause which leads to it occurs, and the perfect cause is that which should lead to the game's death with nothing accident to occur upon it. Since there is doubt, which is imperfect, to the extent that its death is suspicious, whether as lawful or unlawful (for eating), and this is different from that whose death is verified as lawful at the moment. Then, there is doubt in such of accidents as might occur to it.

However, the forbiddance of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and Ibn Abbas "Allah be pleased with both" could be understood in terms of deeming oneself far beyond what is suspicious on the one hand, and out of piety and abstention (from what is doubtful) on the other hand, as proved by another narration in which he said (to Adi Ibn Hatim): "You might eat of it even if it disappears from you (before you find it), as long as you don't find on its body the trace of anything other than your arrow." This is to confirm what we've described earlier, i.e. if there is the trace of another thing, there will be two differing causes in accordance with the differing thoughts, and if there is only the trace of his arrow, he will judge depending upon what is more likely, on the basis of the abidance of the basic rule unless it is otherwise known, in the same

way as one judges, by way of the abidance of the basic rule unless it is otherwise known, the individual narration, the analogies and general statements established on imagination.

That it has not died and become lawful at the moment, which leads to having doubt in the cause is not true, for indeed, the cause itself has occurred, on the basis that the injury was the cause which led to its death. This is attested from the unanimous agreement of the religious scholars that he, who was injured and then disappeared for some time, after which he was found as dead, retaliation in implementation of the law of equality should be exacted from his injurer. Furthermore, even if he died at the moment, his death might have resulted not from the injury so much as from an unexpected crisis, (such as heart attack and the like of it) which causes sudden death. For this reason, retaliation in implementation of the law of equality should be exacted only for cutting off the neck, or afflicting with deadly and fatal injury, for one could not be safe from the deadly internal causes, for which a sound person also might die unexpectedly. But in spite of that, none adopts this opinion, seeing that retaliation in implementation of the law of equality in such a way will be based upon suspicion.

Similarly, the fetus of the slaughtered animal is lawful (for eating), despite the fact that it might have died because of slaughtering the mother, or not because of slaughtering itself. The same is also true of the human fetus, for which a slave should be given (in case of harm leading to miscarriage), although the spirit might possibly have not been breathed into it or it might have died for another reason before the crime (which led to miscarriage). But retaliation here is based upon the apparent causes, for if there is no supportive proofs for the another probability, it will turn to be no more than illusion, as we stated.

That the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (to Hatim Ibn Adi): "I'm afraid your hound might have caught the game for itself (and not for you)", is open to two opinions of Shafi'i. We here choose to confirm prohibition, in view of the contradicting cause. The trained hound acts as an instrument, and the agent of the hunter might catch a game for its constituent, which makes it lawful (for eating), and if it catches for itself, it will not be lawful for the constituent to eat, for it is possible for it to catch the game for itself. When it rushes by the hunter's gesture, but, at the same time, it catches the game and eats of it, its rush in the beginning will indicate that it is acting as the hunter's instrument, and chasing the game as his agent, whereas its eating in the end will indicate that it has caught for itself and not for its owner; and this is how the indicative cause is contradictory, which leads to the contradiction of the probability.

The prohibition here is the origin, which could not be removed by suspicion. It is like the case in which a man is deputized to buy a slave-girl for another, and he really buys her, but dies before stating whether he has bought her for himself

or for the one who delegated him: is it lawful for the one who delegated him to have sexual relation with her, on the basis of the fact that the deputy as the power to buy for oneself as well as for the one who delegated him? However, there is no preponderant evidence; and prohibition here is the origin. This should then be joined with the first and not the third division.

4- The four divisions pertains to those whose being lawful is known, but something unlawful is more likely to occur for a considerable reason most often from the perspective of law. In this way, the principle of abidance of the basic rule unless it is otherwise known should be regarded as ineffective, and subsequently, such thing should be rendered unlawful, for the principle of abidance of the basic rule unless it is otherwise known seems to be weak and has no effect in comparison with what is more likely. The typical example is that one's effort to investigate (which of both vessels is pure) leads him to the filthy vessel, depending upon a certain sign, which supports the preponderant probability, and thus it enjoins the prohibition of drinking from it in the same way as it enjoins the prohibition of performing ablution from it. Similarly, if one says: "If Zaid killed Amr, or if Zaid killed a game by himself, with no aid from anyone else, then my wife is divorced", and then Zaid injured it, and it disappeared from him for some time, after which it was found to be dead, then, his wife should be rendered unlawful for him, for it seemed apparent that he had killed it by himself alone as stated earlier.

Shafi'i states that he who finds water of changing colour in a spring, and its change might probably be because of the long duration or because of being vulnerable to filth, he could use it. But if he sees a deer having urinated in it, and then he finds it having changed, probably resulting from urination or the long duration, it will be impermissible to use, for in this case, the visible urine has become a preponderant indication of the probability of filth. This example is typical of the preponderant thought supported by a certain sign.

But the opinion of Shafi'i is different in relation to the preponderant probability without a supportive sign, and whether it is strong enough to remove the lawfulness of a thing. His opinion is different in relation to performing ablution from the pots of the pagans, the wine addict, the offering of prayer in the dug out graves, and in the muddy streets, i.e. when the amount of mud is beyond that which is difficult upon people to avoid. However, if both the origin and the preponderant probability are contradicting, which of them should be considered? This applies to the lawfulness of drinking from the utensils of the pagans and the wine addicts. That's because it is unlawful to drink that which is impure, and to be reluctant in any of both enjoins the reluctance in the other.

But, I'm of the opinion that it is the origin which should be considerable here, particularly in the absence of any sign to support the preponderant probability, and thus abrogates the origin. This will be explained in detail later in the discussion of the second motive of suspicion, i.e. the suspicion of mixing. Now, the ruling of the lawfulness of a suspicious thing, on which something unlawful

or preponderant probability occurs, as well as the unlawfulness of a suspicious thing on which something lawful or preponderant probability occurs have become obvious, and the difference has become clear between a thought which is supported by a sign in the thing in issue, and that which is not supported by a sign. All of those judged to be lawful in the four divisions belongs to the lawful of the first grade, even though it is more cautious to leave it. But, the one who does it is not regarded among the group of Allah-fearing and good righteous, but among the group of the just and ordinary people, who are not judged by Fatwas of Shari'ah to be wicked or disobedient or even liable to the punishment. But an exception should be made of what is joined with the skepticism, which it is not out of piety or abstention (from what is suspicious) to avoid.

The Second Suspicion-Rouser

It is to have doubt resulting from mixing: that is, to have the lawful mix with the unlawful, and become indistinguishable. Mixing might ensue from incalculable items of both sides, of one of them, or of limited number of items. In case of mixing of a limited number of both sides, it could be either a mixture whose elements turn to be clearly indistinguishable, such as the mixture of the liquid substances; or a mixture leading to confusion whose elements could be distinguishable, such as the mixing of slaves, houses and horses. This latter kind which leads to confusion might be intended in itself, such as the displayed goods and commodities (for sale), or not intended in itself such as the money.

Three divisions then might be pointed out:

1- the first division is that in which the eye is put to confusion even in regard with a limited number of mixed things, like the case in which a dead animal mixes with one or even ten slaughtered animals, or a foster-girl with ten girls, or when one marries one of two sisters, and then is put to confusion (as to identify whomever of them he has married). This suspicion should be unanimously avoided, for there is no way for any effort to be made here to investigate the truth, particularly in the absence of any supportive signs.

On the other hand, the set of items included in the mixture of limited number of elements takes the rule of the one thing, in which certainties of both prohibition and making lawful stand face to face. There is no difference here between proving something as lawful before its being mixed with the unlawful occurs, such as the case in which one divorces one of his two wives in their absence, or being mixed before being made lawful, such as the case in which a foster-girl mixes with a strange girl, and he likes to make lawful for him one of them. This might be problematic in case when what is unlawful occurs, such as the divorce of one of two wives, because of the principle of the principle of abidance of the basic rule unless it is otherwise known to which we referred earlier, when we drew the attention to the answer, i.e. that the certainty of prohibition stands against that of making lawful, which weakens the principle of abidance of the basic rule unless it is otherwise known. The side of forbiddance

here should be preponderant from the perspective of law. This is the case in which a limited number of the lawful mix with a limited number of the unlawful. But in case of mixing a limited number of the lawful with unlimited number of the unlawful, it seems evident that avoidance is likely obligatory.

2- The second division is the mixing of a limited number of the unlawful with an unlimited number of the lawful, such as the mixing of ten foster-girls with a great number of the girls of a town or a city: in this instance, it is not required to avoid marrying from the girls of that city, for he has the right to marry such of them as he likes. Nevertheless, it is not the multiplicity of the lawful on which one should depend as justification, for this requires him to make permissible the marriage in case a single unlawful girl mixes with nine girls, and it is invalid. But the real justification here is both prevalence and need. Of course, the door of marriage should not be shut in the face of everyone who loses a foster-girl, female relative unlawful for him to marry, or any girl having the same prohibition because of blood-relation or any such reason. Similarly, one is not required to keep away from buying goods or food because of his knowledge that the property in this world is mixed with what is unlawful, for this abstention puts him in difficulty, and in no way could the religion put anyone to difficulty.

This is proved true for when a shield was stolen during the lifetime of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" (according to the narration of Ibn Umar, and the Prophet cut off the hand of the thief even though the shield was no more than three Dirhams), and when one misappropriated a garment from the war booty (according to the narration of Al-Bukhari on the authority of Ibn Umar), none from amongst the companions refrained from entering into transactions in regard with shields or garments, or anything that might be stolen in this world. Likewise, although some people were known to have been in the habit of practicing usury with Dinars and Dirhams, i.e. the money in general, neither the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", nor the companions "Allah be pleased with them" kept away from treatment with Dinars and Dirhams.

In total, in order that this world should be free from the unlawful, all of its inhabitants should be protected from committing sins, a thing which is impossible. Henceforth, if this is not a necessary condition to be required in this world, it also should not be so in a certain city or town, unless if it happens among a group of limited number of people. More important, to keep away from such practices belongs to the abstention of the skeptics, given that it is not handed down from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", or from anyone of the holy companions, not to mention that it is unattainable among the people of any nation, or in any period of time.

But you might argue that all things are ultimately counted and limited in number in the knowledge of Allah Almighty: what is then the extent to which a

number (of any set of things) becomes limited, given that if one likes to count the inhabitants of a certain city or town, he might do, in case of being able to do so.

It should be known that such things are subject to approximation rather than accurate calculation. If a certain number of things, say one or two thousand, gather on one plain land, it will be difficult upon the viewer to count them adequately from the first glance. Thus, it might be incalculable, unlike the case of ten or twenty, which is easier to count. There lie between both extremes some mediocres of similarity, some of which are close to each depending upon probability. Thus, one should seek the guidance of his heart in such of things as in which he has doubt, since sin is that about which hearts have doubt. In such occasion, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Wabisah: "Seek the guidance of your heart, even though the people give you their verdicts thrice."

Similarly, the four divisions which we have included in the first category have opposing extremes in which affirmation and negation are evident, but there lie between them mediocres of similarity. The Mufti gives his religious verdicts depending upon the probability, but one seeking guidance has to seek the guidance of his heart, and if something arouses doubt in his heart, it is the sin (which he should not do) between him and Allah Almighty, and in the hereafter, he will not be saved (from the punishment) by the Fatwa of the Mufti, who gives his religious verdicts depending upon what appears to him, and it is Allah Almighty Who knows the intentions.

3- The third division pertains to the mixing of unlimited lawful with unlimited unlawful, such as the mixing of property and wealth in our time. Depending upon the judgements taken from the different forms might suggest the idea that there is similarity between the mixing of unlimited lawful and unlawful and the mixing of limited lawful and unlawful, and since the former is subject to the judgement of prohibition, the latter also should have the same judgement. But the opinion we adopt is different, i.e. nothing should be judged as unlawful just depending upon probability, even though it might be lawful, unless there is a clear sign indicative of its being unlawful to be relevant with it; and in the absence of such indicative sign, it should not be judged as unlawful: to leave it then is out of piety and abstention (from what is suspicious), whereas taking it is lawful, and such as takes should not be considered as sinful. Among such signs is to be taken, for example, from a wrongdoer magistrate, and the like of it, which will be discussed later. They might be proved by both tradition and analogy.

In regard with the tradition, it is established upon what was known during the lifetime of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and then the rightly-guided successors after him, when the prices of wine and the money taken from usury practiced by the non-Muslims who were living under the protection of Muslims were mixed with money in general; and the

same is true of the misappropriated things from property and war spoils. Not all the people abandoned usury once at a time from the first moment the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" forbade usury as he stated (in his long speech he delivered in the Farewell Hajj according to the narration of Muslim on the authority of Jabir): "The first usury I cancel is that of Abbas." Likewise, not all of them gave up drinking wine or committing sins (albeit very few): consider that according to a certain narration, one of the companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" sold wine, thereupon Umar "Allah be pleased with him" said: "Allah's Curse be upon so and so! He is the first to lay the foundations of selling wine." He seemed to have not understood that prohibiting wine includes also prohibiting its price.

(According to the narration of Al-Bukhari on the authority of Ibn Umar) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "So and so is dragging a garment in the fire (of Hell) he had misappropriated from the war spoils." (According to the narration of Abu Dawud, Ibn Majah and An-Nasa'i on the authority of Zaid Ibn Khalid Al-Juhani) a man was killed, and when they inspected his luggage, they found with him some beads belonging to Jews he had stolen from the war spoils, whose price was less than two Dirhams. Similarly, the companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" lived until the time the unjust rulers appeared, but even, none of them refrained from buying or selling in the market, because of the robbery which struck Medina at the hands of the followers of Yazid Ibn Mu'awiyah for three days. Very few among them refrained from accepting this property, and they were referred to as pious ascetics, but the majority did not do the same, in spite of the great mixtures of wealth and robbed property during the time of the unjust and tyrant rulers.

Skeptic and irrational then is he, who enjoins what the righteous predecessors enjoined not, pretending that he discerned of evil what they discerned not. If it is possible to add to them in such issues, it then will be permissible to differ with them in questions, for which there are no grounds other than their consensus, like their saying that the grandmother is like the mother in the matter of prohibition, the grandson is like the son, the pig's hair and fat are like its flesh which is stated to be prohibited in the Qur'an, and usury is possible in what is beyond the six divisions of trade, etc. of a surety, this is questionable, since the early predecessors are more competent to understand the principles of Islamic law than their followers.

As far as analogy is concerned, if its door is opened, the doors of all other behaviours will be closed, resulting in the destruction of the world, since wickedness prevails over the majority of people for which they might indulge in the conditions of contracts stipulated by law, leading to the inevitable result of mixing which gives rise to confusion.

But, you might argue: "You related that the Messenger of Allah "Allah's

blessing and peace be upon him" refrained from eating mastigure, saying: "I fear it might belong to those sects transformed by Allah Almighty", and this animal belongs to the unlimited mixing."

The reply is that such refraining might be understood in terms of piety and abstention (from what is suspicious), or that the mastigure in itself is of odd form, and this might be a sign indicative of transformation.

You might argue once again: "No doubt, this was known during the lifetime of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and the time of the companions, because of such unlawful practices as usury, theft, robbery, misappropriation, etc, which were rarely committed in comparison with the prevalence of what is lawful: what is your opinion concerning our time, in which the unlawful has turned to constitute the greatest portion of what is in the hands of the people, on account of the corruption of dealings, the negligence of their related conditions, the domination of usury and the abundance of the wealth of the unjust magistrates and governors? If one takes money in which there is no clear sign indicative of its being unlawful, should it be considered as unlawful?"

The answer is in the negative, i.e. it is not unlawful, but it is out of piety and abstention (from what is suspicious) to leave it. To be sure, this abstention is more important than that in case of being only little. On the other hand, that the greatest portion of the property and wealth which is in the hands of the people in our time is unlawful is a false statement, due to being inattentive to the difference between what occurs a lot and what occurs most frequently. Most people, if not most jurisprudents think that what does not rarely occur means that it is most often occur, and thus it constitutes the greatest portion, building upon their false impression that they are opposing divisions, with no third to lie between them. But, it is not so. there are three divisions: what rarely occurs, and it stands for the little; what a lot occurs, and it stands for the much; and what most often occurs, and it stands for the largest part.

The example of that is the effeminate ones rarely exist among the people; the patients sometimes exist among the people, like travellers, to the extent that it is said that both sickness and travel are among the general legal excuses. Persistent bleeding from uterus is among the rare legal excuses. It is well-known that sickness is neither among the rare nor among the most frequent legal excuses: but it is among those things which occur a lot. If a jurisprudent, out of indulgence, judges that both sickness and travel occur frequently, and are among the general excuses, he should intend that they are not rare, and were he not to intend so, he would be mistaking. That is because the healthy and resident are the most frequent, patient and traveller are a lot, and the one who has persistent bleeding from the uterus and the effeminate are rare.

Having understood that, let's say that the statement that the unlawful is the most frequent i.e. constitutes the largest part is false, for the reference of it might be the great number of the wrongdoers and their supporting soldiers,

usury and its related invalid dealings, or even the multitudes of people who used the capitals and assets in succession as of the early days of Islam until now.

The first reference is invalid, since the wrongdoers are a lot, but not the most: they consist of the supporting soldiers, for none wrongs but he who has power and authority therewith to have control over others; and if they are counted in comparison with all the people, they would not exceed one-tenth of their tenth. Every sultan governs a region whose population is more than a million, mobilizes nearly one hundred thousand soldiers to help him practice his authority. Moreover, the number of the population of a certain city or town in his kingdom might exceed the number of all the soldiers he has. Had the number of the sultans been equal to that of the subjects, assuredly, the whole population would perish, for in this case, everyone is thought to have, say, ten subjects to rule, not to mention the luxury and pleasure in which they should live (as governors). This is absurd. It is very sufficient for everyone of them to have no less than one thousand subject to rule. (In this way, they are included among the rare). The same is true of the thieves, in the sense that a big city or town might include only a few of them.

As to the second reference, i.e. the lot of usury and related invalid dealings, they are a lot, and not the most frequent. Most Muslims deal with each other according to the conditions stipulated by law, and thus they constitute the greatest number, or say the majority of population. In regard to the dealing according to usury, if the dealings of a particular one are counted, one might find that the valid ones are more than the invalid, unless one intends a certain town famous for the wickedness, dissoluteness, debauchery, indulgence, and lack of religion, which prompts one to say that his invalid dealings are more than the valid ones.

Such cases are rare, and if they are said to be a lot, they are not the most frequent. How should one have all of his dealings invalid, since he is not unlikely to have valid dealings, equal, if not more than the invalid ones? This is admitted as shown from consideration. But this thinking is due to the fact that the people make much of even the least amount of invalidity, which they keep themselves away from, and think of as something grievous, no matter unusual it might be. That might lead them to think that usury and intoxication have become widespread in the same way as the unlawful is prevalent, which gives the impression that they are the most frequent; and of a surety, this impression is false, for they are the least, even though they are practiced a lot.

The third reference, i.e. the most imaginative, is to be said that the property is formed from three things: plants, animals and minerals. Plants and animals increase through reproduction. Consider, for example, a sheep that has a delivery every year: the number of its origins to the lifetime of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" is nearly five hundred. Since anyone of those could not be free from being usurped or subject to a kind of invalid dealing, how should all origins be free from any invalid dealing until this time of

ours? The same is true of the seeds of groceries and fruits, each of which might have, say, five hundred or one thousand origins to the first portion of the time of Islamic Sharia. They are not regarded lawful unless all of origins are also the same from the time of Prophethood.

As for minerals, they might be taken directly, and they represent the least portion of property, and they are used, for the most part, in the form of currency, i.e. Dirhams and Dinars. They are not produced in any place other than the coinage house; and it is in the hand of the wrongful persons, the same as the other minerals, which they forbid to the people, and coerce the poor among them to extract through difficult work, and then take from them forcefully. Considering this shows that no single Dinar could unlikely be free from any kind of invalid dealing or injustice, whether at the time of extraction, coinage, or even during the dealings in which it is spent or subject to usury.

In this way, nothing remains purely lawful but the game and the grass in the desert, in addition to fire wood that is permissible. But even, he who gets anything of them could not eat it, and thus needs to barter it for grain and animals which could not increase but through reproduction. He then will have given the lawful in return for the unlawful. This is the most imaginative form.

Let's say in reply that this high frequency does not originate from the great amount of the unlawful that is mixed with the lawful, which thus takes it out of the type in issue, and makes it a part of the aforesaid contradiction between the basic rule and the more probable. The basic rule is that those kinds of property are susceptible to dealings with agreement. But a more probable cause has contradicted that rule, which cancelled out its validity. This is like one of both opinions of Shafi'i, Allah be pleased with him, about the ruling of filth; and what is right in our sight is that it is permissible to pray in streets so long as they have nothing filth, since the mud of streets is clean; and it is also permissible to perform ablution in the vessels of the pagans; and it is permissible to offer prayer in the dug graves. This should be established first, in order to compare our doing to it.

This is supported by the fact that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" performed ablution from a water-skin of a pagan woman, and Umar "Allah be pleased with him" did from a jar of a Christian, although they (pagans and Christians) drink wine and eat the swine flesh, and they do not avoid what is rendered impure by our Sharia. How then could their vessels be free from their hands? It is also well-known that they used to put on tanned fur and dyed and tailed clothes. Considering the state of tailors, dyers and tanners shows that impurity represents the greatest part of their things, and that purity in those clothes is questionable, if not seldom. They also used to eat the bread made of wheat and parley, without washing and cleaning that, although it was trodden by cows and other animals, which urinated and defecated on it, and it rarely was free from that filth. They also rode the mounts although they were sweating, and they seldom washed their backs from filth. Every animal comes out of the womb with filthy secretions, which rain might

or might not remove, but even, they never avoided it. They also walked as barefooted and sometimes with sandals; and they prayed and sat on earth, and walked in the mud. But they did not walk nor sit in urine or dung, which they cleared themselves from. But, how could streets be completely free from filth in the presence of dogs with their urine and animals with their dung?

It should not be believed that this matter differs by the difference of time and place, which means that they used to wash or safeguard the streets from animals: how far! This is impossible. This attests that they never avoided but a visible filth, or a clear sign indicative of filth. Thus, the likelihood which might lead to rejecting coins because of their being subject to probable invalid dealings did not count in their sight.

This is the opinion of Shafi'i "may Allah have mercy upon him", according to which he sees that the few quantity of water could not become impure without occurring change. The companions (of the Prophet) used to enter the baths and perform ablution from tubs, although they had water in few quantity, and a lot of different hands were dipped in them. Once performing ablution from the jar of a female Christian was proven to be permissible, drinking also from it would be permissible, and thus the ruling of lawfulness and that of filthiness are related.

But it might be argued that "it is impermissible to compare the matters of lawfulness to those of filthiness, since they used to be at liberty in the matters of cleanness, and extremely avoid all suspicions that might lead to the unlawful: how then should that be compared to it?"

We might reply that if we think that they prayed besides those, i.e. besides filthiness, making prayer, which is the fundament of religion, a sin, how evil though it is! We should believe that they avoided every filth that was obligatory to be avoided, and were at liberty to such of filth as it was not binding to avoid. This liberty included this form in which there was contradiction between the basic rule and the more probable cause, which showed that the more probable cause which had no sign indicative of (the faultiness of) the thing in issue might likely be abandoned.

As for their abstention from anything that might not be lawful, it was out of their piety, i.e. to leave that in which there is no harm for fear it might lead to that in which there is harm. That is because the matter of wealth and property is fearful, and the soul is predisposed to incline to it unless it is made to refrain from it, unlike the matter of cleanness. Some of them, for example, refrained from things that were pure lawful for fear his heart would be engaged (from worship). It is reported from one of them that he avoided performing ablution with the sea water, even though it is pure.

However, the difference about this matter should not underestimate the significance of the purpose on which we've agreed. In this reference, we adopt the same answer we've introduced in the two previous references, and admit not their assumption that the unlawful represents the most frequent. That's because it is not necessary for the wealth, no matter how many its origins might be, to have anything unlawful in those origins. To be sure, the origins of the wealth that

exists nowadays have undergone injustice in some, and not in all of them. As well as what is (illegally) usurped today is less than what is not usurped or stolen, the same rule applies to every kind of property and wealth in every age. What is usurped (and illegally taken) of the property of this world is less than what is not. We do not know, for certain, to which division of both any branch of a particular kind of property belongs, and thus we should not admit that it is likely to be prohibited.

Both what is usurped and what is not among property increase through reproduction, and thus what is not usurped represents the greater portion at every time and place. More often, the usurped grains are taken for consumption and not for sowing, and similarly the usurped animals are taken for consumption more than for reproduction. How then is it said that the branches of the unlawful are greater in number, although the origins of the lawful are more?

Let then one to be guided aright understand the way of knowing the more, for it is a slip which many learned men commit: what then about laymen?

This is about animals and grains. In regard to minerals, they are available on the way, and in Turkey, they are available to anyone to take. But governors might take some from them, though the least and not the greatest portion. If a governor appropriates a particular mineral, his injustice forbids it to the people to utilize. And anyone of the people might take it from the governor for charge. It is right to delegate or rent such of permissible things as is in the hand. Thus, gold itself is not rendered unlawful unless its related work fee is unfairly reduced (by the governor), and this rarely happens, and does not obligate prohibition of gold, since he (the unfair) is wrongful by keeping a portion of the fee with him.

Furthermore, the gold that is processed (in the form of coins) and taken from the coinage house is not the same gold usurped and wrongfully taken from people by the governor. That's because merchants give them the formulated gold or bad coins in return for coins, and take from them the same weight as they give them, minus the charge of processing; and this is permissible. And even if such house is supposed to make Dinars for the governor, such property, in relation to the property of merchants and traders, is much less.

It is true that the governor wrongs the workers in the coinage house, by imposing tax upon them in return for assigning that job to them apart from others, until they come to have property under protection of the governor. But what he takes from them is the compensation for his protection; and if this is out of wrongness, it is less than what is brought out of the coinage house for traders and merchants. What is taken by the governor and the workers in the coinage house is no more than one hundred percent of the total currency. How then should it be regarded the most frequent?

Those are some false arguments which many of those of weak religion endeavored to make alluring to hearts, to the extent that they criticized piety (abstention from all unlawful and suspicious things) and closed its door, and depreciate him who distinguishes between the different kinds of property; and

this is, therefore, out of heretical innovation and error.

It may be said: "If the unlawful is supposed to be more than the lawful, in the event of mixing the unlimited lawful with the unlimited unlawful, what do you say about it, in the absence of any particular sign (indicative of the faultiness of) the object in issue?"

Let's say that what we see is that leaving it is out of piety (and abstention from what is suspicious), and taking it is not unlawful, for being lawful is the basic principle which is cancelled only by a particular sign (indicative of faultiness), like the mud in the streets. Let me add that if the unlawful prevails all over this world, until it is known for certain that there remains nothing lawful, I will be inclined to resume the application of conditions only from our time, and overlook what was in the past, and say: "What exceeds its due limit should turn into the opposite", i.e. when all things are unlawful, they all should turn to be lawful.

The proof for it is that in case of such event, there will be five probabilities: the first argues that the people should let eating until all of them die. The second is to take from it only what is necessary to satisfy their need and allay their hunger for a few days until they die. The third is that they take from it what they need in whichever way they wish, like usurping, stealing, or by mutual consent, with no distinction between different kinds of property or things (in terms of what is lawful and what is unlawful). The fourth is that they follow the conditions stipulated by Sharia, and resume their application of its rules, without being satisfied only with what they need. The fifth is that they restrict themselves only to what satisfies their need, with application of the conditions of Sharia.

As for the first probability, its being invalid goes without saying. The second is also certainly invalid, because if the people restrict themselves only to what allay their hunger, they will be inclined to weakness, and death will spread among them, works and industries will cease, and the whole world will be given to destruction; and of a surety, in the world's destruction lies the destruction of religion, for the world is a farm to the hereafter. The main purpose of the rulings of vicegerency, judiciary, policy, if not the greatest portion of the rulings of jurisprudence is to sustain the worldly interests therewith to achieve the benefits of religion.

The third probability, that is to be satisfied only with what is needed, and no more, making no distinction between different kinds of property, and get it in whichever way available, like fighting, stealing, or mutual consent, it is to lift the bar of Sharia that lies between the doers of mischief, and the various kinds of mischief, which allows for stealing, usurping, and doing all kinds of wrongness. In no way could they be averted, under pretext that 'the one who has possession over anything is not more liable for it than us; and since it is unlawful for both him and us, he could have but only what he needs: if he is in need, we also are in need, and if what I take is more than my need, I've taken and stolen it from him

as it was beyond his daily need; and as he fails to consider not to have more than his daily needs, what should we consider?' How then could it be adjusted? This, however, leads to invalidate the policy of Sharia, and induce the mischief doers to do mischief (on earth).

As for the fourth probability, it is that every one who has possession over anything should keep his possession over it, in such a way that nothing could be taken from him but by his consent. However, the mutual consent is the way of Sharia. If it is permissible only by mutual consent, such mutual consent has a way to be followed in Sharia, with which the interests (of people) are related, and if it is not taken in consideration, the principal consent will not be established, and become idle.

The fifth probability, which is to be restricted to what is needed, with application of the rules of Sharia, which means to take from those who have possession over things by way of Sharia, is fitting, as we think, for piety of him who wants to follow the way to the hereafter. But there is no point to obligate it upon all the people, or even to include it among the general Fatwas. That's because the wrongdoers always usurps what is beyond the needs in the hands of people; and the same applies to thieves, and everyone capable of robbing and stealing, under pretext that 'one has no right but in what he needs, and I'm in need'.

It becomes then incumbent upon the governor to take out all that is beyond the need in the hands of owners and distribute them among those in need, day by day, or even year by year. But even, this is severe difficulty and waste of property. The severe difficulty lies in the governor's failure to do such a job in view of the great multitudes of people, and it is unimaginable.

Furthermore, the property might be wasted when what is beyond the need, from fruits, meat and grains, should be thrown in the sea, or left on earth until they putrefy. That's because such of fruits and grains as created by Allah is surplus the opulent and luxurious consumption of the people: what then would it be in the case of only what is needed? On the other hand, this will lead to the lapse of Hajj and Zakat, and financial expiations, and every act of worship in which richness is required, when the people will have no more than their daily needs. It is extremely repulsive. Let me say that were it possible for a Prophet to come in those days, it would have incumbent upon him to resume the matter, and stipulate the details of ownership by way of mutual consent, and he would have done the same he should do had he found all property to be lawful, with no distinction.

I mean by making it incumbent upon him a Prophet to be sent for the sake of the interest of people in their world and religion, since by no means could the uprightness of people be achieved by reducing them to what they need only, and if he is not sent for the sake of such uprightness, he would not be incumbent upon him to do so. it is possible that Allah Almighty might ordain a means

thereby to destroy all of the people, causing them to lose their world, and go astray in their religion, since it is He Who leaves whomever He pleases to go astray and guides whomever He pleases to the right way, causes whomever He pleases to die, and brings whomever He pleases to life. But we assume that it goes in accordance to Allah's way on earth, in terms of His sending the Prophets for the uprightness of religion and world.

Why do I assume it since it really happened? Allah Almighty sent our Prophet Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" after a suspension interval of Messengers. Nearly six hundred years had passed after the law of Jesus "Peace be upon him", which left the people divided into beliers of it, from among the Jews and idolaters, and believers of it, among whom dissoluteness was prevalent in the way it is prevalent now. The disbelievers are addressed by various branches of Sharia, and the property was in the hands of both beliers and believers of it. The dealings of the beliers did not depend upon the laws of Jesus "Peace be upon him". the believers, on the other hand, indulged in that, in spite of their principal belief, just like the indulgence among the Muslims nowadays, although they were closer to the time of Prophethood. Thus, all, or the greatest portion of the property was unlawful. When the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" came, he overlooked what was in the past, and assigned to those who had possession over anything the right to be liable for it, and stipulated the details of Sharia. What was proven to be unlawful according to a particular Sharia could not turn to be lawful according to the Sharia of another Messenger, nor by delivering it (to the authority). For instance, we do not take as Jizyah from non-Muslims who live under protection of Muslims the money that is known to be the price of wine or to be usurious. The state of their property in this time was like the state of ours now, and the Arabs were more ferocious in view of the circulating raids and assaults.

Hence, it is evident that the fourth probability is more fitting for general Fatwas, whereas the fifth for the way of piety (abstention from what is suspicious), if not the perfect piety, which is to be satisfied, from what is permissible, only with what is needed, and abandon luxury completely in this world; and this is, to be sure, the way to the hereafter.

We are now talking about the jurisprudence which is concerned with the interests of people. To be sure, the issuance of Fatwas pertaining to the outward deeds should adopt a particular ruling and methodology which serves the benefits (of people) on the one hand, and the way of religion which none except for a few individuals could follow, on the other hand. Had all the people been engaged in the way of religion, surely, the system would have ceased to work, and the universe would have been ruined. It is by the way of religion that one seek a great dominion in the hereafter. Had all the people been engaged in seeking the worldly kingdom and left the low professions and simple industries, surely, the system would have ceased to function, thereby the kingdom would have become idle.

The craftsmen have been subjugated to work in those simple crafts in order that the kingdom would be organized for kings. Similarly, those inclined to this world were subjugated to make the way of religion, i.e. the dominion of the hereafter, safe for the religious; and had it not been so, the religion would not have become safe for the religious, since the condition that secures the religion for the religious is that the greatest portion of people should turn away from their way, and rather engage in the worldly matters. This division was preordained by the Will of Allah, to which He refers by His saying: "It is We Who portion out between them their livelihood in this world, and We raised some of them above others in ranks, so that some may employ others in their work. But the Mercy (Paradise) of your Lord (O Muhammad) is better than the (wealth of this world) which they amass." (Az-Zukhruf 32)

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

It might be argued: "There is no need to assume that all things in general are unlawful, to the extent that leaves no room for the lawful, since it is impossible, and unimaginable. There is no doubt that some things are unlawful, and being the least or the most frequent is questionable. Its being the least in relation to the whole as you have mentioned is evident. But, evidence is required to make it permissible, other than the Considerations of Public Interest in matters which were not specifically addressed by Islamic texts, since all divisions you have mentioned belong to such Considerations of Public Interest in matters which were not specifically addressed by Islamic texts. So, a particular quotation is necessary to which they might be compared, in order that the proof would become accepted by concurrence. It is known here that some scholars do not approve of the Considerations of Public Interest in matters which were not specifically addressed by Islamic texts."

Let me say, in reply to it that if we admit that the unlawful represents the least, it suffices us for proof the time of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and the companions, although there were such evildoings as usury, theft, robbery, misappropriation, etc. if a time is assumed to have the unlawful represent the most, in which consumption also is lawful, there are three supportive proofs:

The first is that the five probabilities we've introduced, of which we've abrogated four, and affirmed the remaining one assumes that if it is appropriate when the whole is unlawful, it should then be more fitting when the unlawful represents the most or the least. It does not belong to Considerations of Public Interest in matters which were not specifically addressed by Islamic texts, as one might falsely imagine. We have no doubt that the main purpose of Sharia is to serve the interests of the world and religion, a fact which is necessarily known and not probable. Undoubtedly, to reduce all of the people to take only what is

necessary or what is needed or to live on no more than grass and hunting is to destroy the world entirely, and the religion subsequently. The matters in which there is no doubt do not need a supportive proof, since proofs are necessary only for uncertain matters that are related with individuals.

The second proof is to be justified by an edited analogy which refers to a principle upon which the jurisprudents who use minor analogies agree. But even, the minor analogies are despicable in the sight of the learned in relation to what we've mentioned of the universal issue, i.e. the necessity of the Prophet in case he was sent in a time in which the unlawful is commonly general, that if he judged differently, the whole world would be ruined. The edited minor analogy is that there is contradiction between a principle and a probable cause in a thing in which there is no particular sign (indicative of faultiness), in relation to the matters which are unlimited, which requires to judge according to the principle and not the probable cause. The comparison here is made to the mud in the streets, the jar of the Christian, and the vessels of the pagans. We've proved that earlier by the conduct of the companions. Our mentioning the absence of particular signs (indicative of faultiness) is to avoid the kinds of vessels in connection with which Ijtihad is necessary. Furthermore, the unlimited is to avoid the mixing of the dead with the slaughtered (of animals), and the foster female child with the female foreign, and so on.

Therefore, it might be argued: "The water's being pure is certain; and it is the principle: who then could admit that property's being lawful is the principle, since prohibition therein is the principle?"

Let's say that a particular thing could not be prohibited for a certain characteristic it has, like wine and swine: things have been created to be susceptible to dealings by mutual consent, in the same way as water has been created to be susceptible to ablution; and since there is doubt in that susceptibility, there is no difference between both. As well as property turns by wrongness from being susceptible to dealings by mutual consent, water also turns by becoming filthy from being susceptible to ablution; and there is no difference between both in that point.

Second, the hand (that possesses) is an evident signification of ownership, and is regarded in the same position as relevant appendage, if not stronger, on the basis that it is joined with it according to Sharia. If one claims he is a debtor, his statement should be considered, since the basic rule is his freedom of obligations; and this is the concept of relevant appendage. Similarly, if one claims ownership of a particular thing that is really in his hand, his statement should be also considered, since the possessing hand here is regarded in the same position as relevant appendage. The basic rule requires that such of things as found in the hand of a certain man is his own so long as there is no clear sign otherwise.

The third proof is that everything refers to a genre that is unlimited, or a

person that is unidentified should not be considered, no matter decisive it might be: what then about its being probable? If something is known to be owned by Zaid, his right prevents anyone from disposing of it without his leave. If it is known to have an owner in the world, who is lost, and there is no hope to find him or his heirs, it should be set aside for the interests of Muslims, and it is permissible to dispose of it according to the interest. If it is known to have an owner who is included in, say, ten or twenty, the interest requires that it should not be disposed of. He who has doubt as to whether a certain thing has an owner other than him in whose hand it falls is no more than him who is certain that it has an owner, although he does not know him in person; and thus it is permissible for him to dispose of it as is required by the interest. The interest is the same as we've mentioned in the five probabilities.

It is a well-known fact that every property whose owner is lost, is subject to the disposal of the governor to serve the interests, such as to spend on the poor and others. If it is given to a poor, it becomes his own, and his disposal of it is effective. If a thief steals it, his hand will be cut off. How then has his disposal of the possession of another been effective? This is only due to the fact that the interest requires possession to transfer to him, and the property to become lawful for him.

It may be argued that none but the governor has the authority to dispose of such. Let say that, nothing other than the interest makes it permissible for the governor to dispose of the possession of another without his leave. The interest here is that if it is left, it would be lost. It is either to be lost or spent on what is important. Of a surety, to spend it on what is important is more fitting than to be lost; and this is why it preponderates. The interest concerning what is doubtful, whose being unlawful is not known for certain requires one to judge depending upon the indication which the hand gives of possession, since taking it depending only upon suspicion, and making them satisfied only with what they need leads to the harm we've mentioned earlier.

The areas of interests are different: sometimes, the governors see it better, to spend that property on building a bridge, sometimes on the soldiers of Islam, sometimes on the poor, and so turns with the interest wherever it turns. Likewise, the fatwa turns with the interests wherever it turns.

It might be elicited that the people should not be treated, concerning property, depending upon probabilities that are not supported by a clear evidence that it belongs to a particular possession, just like the governor and the poor who take from him are not blamed for their knowledge that the property (they dispose of) has a particular owner, since the knowledge does not identify a certain owner. There is no difference between the property's having one or more owners.

This is a clarification of the suspicions of mixing, and there remains only the mixing of liquids and Dirhams, and goods that are in the hand of one possessor. All of that will be explained later in the chapter on the details of the way to get rid of grievances.

The Third Suspicion-Rouser

It is that the reason for which a particular thing is lawful is related with a sin, whether in its presumptions, its precedings, its subsequents, or its compensation, provided it does not belong to those sins that corrupt the contract or cancel out the reason for which it is lawful.

An example of the sins that are connected with the presumption is to sell at the time of call (to prayer) on Friday, to slaughter with a usurped knife, or cut bundles of fire wood with a usurped axe, to override another's sale transaction. However, to refrain from anything that is forbidden in contracts, but there is no clear evidence that it corrupts the contract is out of piety, even though nothing refers to their being prohibited.

Naming this kind with the name of suspicion is out of easiness, since suspicion is, more often, intended to mean confusion and ignorance; and there is no confusion here, because the sin of slaughtering with another's knife is known, and the permissibility of the slaughtered animal is also known. But, a thing is suspicious if there is similarity between it and another that is unlawful; and since it is undesirable to get what results from both (the unlawful and lawful), undesirability might be thought to resemble prohibition. If suspicion is so intended, it is justifiable, otherwise, it should be named undesirability rather than suspicion. Therefore, if the concept is clear, the names are of less significance, since it is the custom of jurisprudents to show easiness in regard to names.

It should be known to you that such undesirability is of three levels, the first of which brings one close to the unlawful, and it is very important to abstain from it, whereas the last one is hyperbole, which is about to belong to the piety of skeptics; and in between both extremes, there are various degrees.

For example, it is more undesirable to catch a game with the help of a usurped dog than to slaughter with a usurped knife, or to catch a game with the help of a usurped arrow. That's because a dog is able to choose, and there is difference as to whether the game caught by it should go to the dog's owner or to the hunter.

The next suspicion is to sow seeds in a usurped piece of land. It is true that the crop should go to the owner of the seeds, but it is suspicious, for if we prove the right of forbidding the crop to the land's owner, it will be like the unlawful price. But it is more appropriate not to prove the right of prevention, just like grinding with a usurped millstone, or catching with a usurped net, if the right of the net owner is not related with its benefit for catching.

Following that is to cut the bundles of fire wood with usurped axe, and slaughtering his own animal with a usurped knife, for none tells that the slaughtered animal is unlawful. Next is to sell at the time of call (to prayer on Friday), in view of its weak relation with the main purpose of the contract, although some are of the opinion that the contract is corrupt. The point is that he only was engaged by selling from another obligation that was due upon him.

Were selling to become corrupt for such a reason, then, the selling of anyone owing even a single Dirham as Zakat, or a missed prayer to be compensated or a grievance, whatever insignificant, would become corrupt.

That's because his involvement in selling impedes him from undertaking the obligations due upon him: of a surety, Friday prayer should be performed after the call (to prayer). This leads to the invalidity of marrying the offspring of the wrongdoers, or of everyone owing a Dirham, for he was engaged by his statement from the deed that was due upon him. It may be that on Friday, there is forbiddance (to occupy oneself by anything else at the time of prayer), and this makes it particular in this issue, thereupon the relevant undesirability is more severe. There is no harm to be cautious (not to violate it). But, it might arouse obsessive doubts, that makes one feel shy of marrying from the daughters of the wrongdoers, and refrain from all kinds of dealings with them.

It is reported from a man that he bought something from another, and on hearing that he bought it on Friday, he returned it, for fear he might have bought it at the time of the call (to prayer). This is the utmost exaggeration which caused him to return a thing only because of suspicion. Such illusion in guessing the things which forbid or corrupt (the deeds) never ceases to function on Saturday, and the whole days of the week.

It is true that piety (abstention from what is suspicious) is good, and exaggeration therein is better, but it should not go beyond the reasonable limits. (According to the narration of Muslim on the authority of Abdullah Ibn Mas'ud) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Ruined be those who are engaged in the hair-splitting (issues of religion)."

So, let one be cautious of those illusions, for although they might not harm him, it, therefore, might cause others to have the false impression that they are important, and feeling so, he might fail to do even the things that are much easier. On doing so, he would leave the fundamental piety. It is under such pretext that most people behave in our time. The way has been constricted upon them, which caused them to despair to do the deeds, and thus they left the whole matter.

As well as the doubtful in purification might fail to get purified, which causes him to leave it entirely, some doubtful in the matter of the lawful had the false impression that the whole property in this world is unlawful, and this made them extend their impression to leave the distinction (between what is lawful and what is unlawful); and this is evident error.

The examples of sins that are connected with the subsequents imply any behaviour that leads to committing a sin in the end. The highest of it is to sell grapes to wine makers, slaves to one famous for doing lewdness with slaves, and swords to highway men. The scholars differ about the validity of this transaction, and the lawfulness of the price earned therefrom. It is more appropriate to be valid, and the price taken is also lawful, but the man (seller) is as sinful because of his contract, as the one who slaughters his animal with a usurped knife, whereas

the slaughtered animal itself is lawful. But the sin he commits is to help others become sinful, since the sin is not connected with the contract itself. But this does not mean that taking the price of such things is critically undesirable, and leaving it is out of significant and important piety, even though it is not unlawful.

Next to that is to sell grapes to him who drinks wine, even though not a wine maker, or to sell the sword to him who fights, although he is a wrongdoer, in view of the contradiction of probability as shown. The righteous predecessors disliked to sell the sword during the time of affliction, for fear a wrongdoer might buy it. This piety is higher than the first, and undesirability therein is less.

Next to it is what is described as exaggeration, which is about to belong to obsessive doubts. According to it, some say that it is impermissible to deal with farmers by selling to them the equipment of plow for they use it in plowing and sell food to the wrongdoers. So, no cows, nor crops nor plowing equipment should be sold to them. This piety is close to obsessive doubts, for it leads to selling no food to such farmers since they utilize it in plowing, nor to let them drink from the common water for the same reason. This results in engagement in the hair-splitting issues of religion, which is forbidden. One might be inclined to do a thing, for the sake of good, in which he exceeds the due limits, if not criticized by knowledge; and he might come to do a religious innovation, causing harm to the people who would do after him, thinking that he is engaged but in good. For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The superiority of a scholar to a worshipper is like the superiority of me to the best of my companions." It is these engaged in the hari-splitting matters of religion for whom it is feared that they might be intended by the following statement (of Allah Almighty): "Those whose efforts have been wasted in this life. While they thought that they were acquiring good by their works." (Al-Kahf 104)

﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

In total, one should not engage in the finest details of piety unless in the presence of a learned man endued with knowledge, for if he exceeds the prescribed limits, and behaves depending upon his own mind, without hearing from anyone, what corrupts him shall prevail over what reforms him. it is narrated from Sa'd Ibn Abu Waqqas "Allah be pleased with him" that he burnt his vine for fear grapes might be sold to him who utilizes it as wine. I do not know which grounds could it be based, unless he himself knew a particular reason which makes it binding upon him to burn his vine and date-palms, and who is higher in status than the companions? Were it to be permissible, surely, it would have been permissible to cut one's penis for fear of committing fornication, or the tongue for fear of telling lies, and so on.

In regard to the precedings, the sins connected with them are of three levels:

The first which is the most undesirable is that whose effect remains in the given thing, like eating the flesh of a sheep foddered with a usurped fodder, or

ate from a grazing land illegally: this is a sin, whose effect remains (even after doing it), since the remaining portion of its blood, flesh and parts might be from such fodder or grazing land. Although this piety is important, it is not obligatory. It is reported from a group of the righteous predecessors. It is narrated that Abu Abdullah At-Tusi had a sheep which he used to carry on his shoulder everyday to the desert and let it graze there while he was praying. He used to sustain himself with its milk. Once, he was heedless of it for an hour, during which it ate from the vine leafs at the end of a garden. So, he left it in that garden, and regarded it unlawful to take it.

But, it might be argued that it is narrated that Abdullah Ibn Umar and Ubaidullah "Allah be pleased with them" bought a herd of camels which they sent to the protected zone to graze there, until they became fat. Umar "Allah be pleased with him" said to them: "Have you let them graze in the protected zone?" they answered in the affirmative, thereupon he took half of them from them (for the interest of Muslims). This signifies that the flesh produced from such fodder is permissible for the fodder's owner, and thus it is not prohibited.

Let's say in reply that it is not so, for fodder becomes corrupt by eating from it, and the flesh is a new creation, and not the same fodder. So, the fodder's owner has no right, from the perspective of Sharia, to take part in that flesh. But Umar "Allah be pleased with him" made the value of grass due upon them, which he estimated, depending upon his Ijtihad, to be equal to half their camels, in the same way as he took half the wealth of Sa'd Ibn Abu Waqqas when he came back from Kufah, half the wealth of Abu Hurairah, seeing that all they had was beyond what an appointed governor would deserve, and that half of it was enough for their effort.

The middle level (of sins) is similar to what is reported from Bishr Ibn Al-Harith that he refrained from having water that was running in a river dug by wrongdoers, since the river might lead to it, and by digging it, he had disobeyed Allah. Another one abstained from grapes of a vine which was watered from a river dug by wrongdoers; and this is higher and much stronger in piety. A third one refrained from drinking from the wells prepared by the governors along the streets. Higher is the abstention of Dhun-Nun from a lawful food for it was brought to him by a custodian, saying that it had come to him at the hand of a wrongdoer. The degrees of such level is unlimited.

The third level is close to obsessive doubts, according to which one abstains from a lawful thing, for it was brought to him through a sinful one, who disobeyed Allah by committing adultery or launching a charge of adultery against an innocent woman. It is different from disobeying Allah Almighty by eating the unlawful, for the bringer, whose power resulting from the unlawful food, adultery and false charging does not require a counterbalancing to utilize in carrying. So, to abstain from taking a lawful thing to be brought at the hand of a disbeliever is out of obsessive doubts, unlike eating the unlawful, since disbelief does not lie in

carrying food. This leads to refraining from taking anything from him who disobeys Allah Almighty even with backbiting or telling a lie; and this is, to be sure, the highest degree of involvement in the splitting-hair issues and extravagancy.

So, let the sin which lies in the conveying means such as the river or the power of the hand produced from unlawful food be compared to the piety of Dhun-Nun and Bishr. If one refrains from drinking with the pot because the pottery maker which made it disobeyed Allah one day when he beat or abused a particular man, it will be out of obsessive doubts. If one refrains from having the flesh of a sheep driven by one whose food was unlawful, this will be more farther than the hand of the custodian, for the food brought by the power of the custodian, whereas the sheep walks by itself, and the driver only prevents it from swerving from the straight way; and this is, of a surety, much closer to obsessive doubts.

Consider how we assumed a gradational approach in showing the consequences to which those matters might lead. You should know that all of that is beyond the Fatwas of the scholars of the exoteric knowledge, for the fatwa given by a jurisprudent addresses only the first level, which the laymen could be obligated to do, and were all to do it, the world would not be ruined, unlike the piety observed by the pious and righteous men. The principal fatwa is that which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Wabisah, when he said to him: "Seek the advice of your heart, even though the people advise you more, more and more." He defined it when he said: "The sin is that which arouses doubt in the hearts."

So, if a seeker for the hereafter does any of those causes although they arouse doubt in his heart, his heart will darken as much as is equal to the doubt that arises in it. Moreover, if he does an unlawful thing in the Sight of Allah Almighty, which he thinks to be lawful, this will not harden his heart. If he does what is judged to be lawful by the jurisprudents of the exoteric knowledge, although doubt arises in his heart, it will harm him more.

The forbiddance of exaggeration here is intended to clarify that the pure and moderate heart is that which finds no suspicion in such things. If a heart possessed by doubts inclines from moderateness and finds suspicion which leads one to translate that into act, that will harm him, for he is seized, in the nature of relation between him and Allah, by the guidance of his heart (which is doubtful). In this way a severe warning should be made to him, who is seized by doubts, say, in purification and the intention of prayer. If he is convinced that the water has not reached all parts of ablution in his body thrice, he will be seized by doubts, which require him to wash the parts of his body for the fourth time; and thus, he will have laid something more upon himself, given that he might be mistaking in his doubt.

These are a people who persist in the hard terms of religion, thereupon Allah made it hard upon them. This is why He made it hard upon the people of Moses "Peace be upon him" when they delved into asking about the finest details about

the cow; and had they taken the general concept referred to by the word cow, it would have sufficed them. So, you should not overlook those subtleties which we've explained in more detail, for whoever does not understand the essence of words, and encompass their indications and significations is about to fail in perceiving their main purposes.

The sin pertaining to compensation is also of several levels, the highest of which therein that is severely undesirable is to buy a thing on credit, and pay its price from usurped or unlawful money. Let's consider: if the seller hands over the food to him before receiving its price with good pleasure, and he eats it before the fulfillment of its price, it is lawful, and leaving it is not compulsory by consensus before repaying the price, nor is it out of stressed piety. If he fulfills the price after eating food from unlawful money, it seems as though he has not paid it, and if he does not pay the price, he will become wrongdoer, as he will leave himself in pledge of the debt, even though it will not turn into unlawful. If he gives the price from the unlawful money, and the seller sets him free from the debt, even though he knows it is from the unlawful, he will have become free from obligation, and nothing is due upon him except the sin of his disposal of the unlawful Dirhams, by giving them to the seller. But if he sets him free on the basis of his thinking that the price is lawful, he will not be free from obligation, for the seller's clearing him is only to clear him from the fulfillment of the price, and this is not valid for setting him free from obligation. This is the ruling pertinent to the purchased thing, eating of it, and the freedom from obligation.

But if he does not give it to him with good pleasure, but he takes it anyway, his taking and eating it are unlawful, whether he ate it before or after fulfilling the price from the unlawful. That's because the fatwa here pertains to affirming the right of detaining the buyer in favour of the seller until what is equal to his possession is specified by receiving the money (i.e. the compensation), in the same way as the purchaser's possession is specified (by receiving the purchased thing). But the right of detaining is abrogated either by setting him free (from obligation) or by fulfillment of the price; and nothing of both is here. What happens is that he ate the possession of himself, therewith he commits the same sin as is committed by the one who takes food as mortgage from which he eats without the leave of the owner who mortgages it. Although there is difference between eating such food, and eating from the food of the other, both are included in the prohibition, i.e. in the case of receiving food before fulfillment of the price, whatever with or without the good pleasure of the seller.

But in the case he gives first the price from the unlawful, and then receives (the sold thing): if the seller learns that it is unlawful, and this does not prevent him from giving him the sold thing, his right of detaining the purchaser lapses, and what is due to him is also the price, since what he took is not price; and eating the food does not become unlawful because the price still remains due upon him. If the seller does not know that the price he is going to take is unlawful in such a way as if he knows it, he would not be pleased with that, nor give him the food, his right of detaining him does not lapse, and eating such food

is unlawful, like eating the mortgaged food (without the leave of the mortgager) until the seller sets him free, or he fulfills the price from the lawful, or the seller is satisfied with the unlawful, and thus sets him free. Although setting him free is valid, his being satisfied with the unlawful is invalid in itself.

This is the basis of jurisprudence, and explanation of the first level of the lawful and unlawful. To refrain from it is out of important and significant piety, for if the sin pertains to the means leading to the thing, it becomes much more undesirable as we've mentioned earlier; and of a surety, the price is one of the strongest means that lead directly to the thing. Had it not been for the unlawful price, the seller would have pleased Allah by giving it to him (the purchaser), but even his pleasure does not turn it from being strongly undesirable. But justice does not disappear because of it. Nevertheless, the level of piety and Allah-fearing vanishes.

If a governor, for example, buys a garment to pay its price later, and he receives it with the good pleasure of the seller before fulfilling the price, and then he gives it to a jurisprudent or anyone else, by way lf keeping good relation with him, or as a gift, and he doubts whether he is going to fulfill its price from the lawful or the unlawful, this will be easier, since doubt here lies in the probability of sin to occur in the price. The degrees of easiness here differs by the different rates of the unlawful in the wealth of that governor, and what is close to certainty.

In relation to the middle level, it is that the compensation is neither usurped nor unlawful, but it is gained through a sin, like giving grapes as compensation to him who drinks wine, or a sword to a highway man. Although this does not lead to prohibition concerning a sold thing one buys to give its price later, but it results in undesirability, even less than that of usurpation. This degree also is of different degrees, according to the different rates of sin of the compensation receiver.

Since the compensation is unlawful, giving it also as a price is unlawful. If it is likely to be unlawful or lawful, giving it as a price is undesirable. It is within this framework that, in my sight, the earnings of a cupper is forbidden and undesirable (according to the narration of Ibn Majah on the authority of Abu Mas'ud, and An-Nasa'i on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" forbade the cupper's earnings so many times, and ordered that it might be utilized in foddering the camels used for carrying water (according to the narrations of Abu Dawud, At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Muhaiyyisah). The false impression that the direct cause of such forbiddance is touching what is filth and impure is corrupt, since it is more favourable to be valid in tanning and sweeping, and it is incorrect; and even if it is said: what about the butcher who touches what is filth and impure more than the cupper, who takes blood by the cupping tool and sweep it with the cotton: how then should his earnings be considered undesirable given that it is to substitute meat, which is, in itself undesirable? But the reason is that cupping is to ruin the body of the living being, by taking out the blood, with which it lives. The

basic rule is to be prohibited, and it does not become lawful except under necessity and need; and both necessity and need are learnt by way of anticipation and personal thinking, by which it might be thought as beneficial, although it is harmful, which makes it unlawful in the Sight of Allah Almighty. Its being lawful is judged by both thinking and anticipation. For this reason, it is impermissible to make an operation of bloodletting to a mad, child, or a slave except with the leave of his guardian and a physician's prescription. But, had it not been outwardly lawful, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" would not have given fee to a cupper (according to the narrations of both Al-Bukhari and Muslim on the authority of Ibn Abbas). Nevertheless, had it not been likely to be unlawful, surely, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" would not have forbidden it. Both his giving (fee to a cupper) and forbidding (of cupper's earnings) could not be joined except under that way of understanding. This should have been mentioned in the presumptions relevant to the cause, since it is nearer to it.

The lowest level pertains to the doubtful. It is like a man who swears he would not wear the spin of his mother, thereupon he sells her spin, and buys a garment to wear. This is not undesirable, and abstention from it is out of obsessive doubts. But it is narrated that Al-Mughirah said about that event that it is impermissible, quoting the narration of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in which he said: "Might Allah curse the Jews: when wine was made unlawful for them, they sold it, and consumed its price." But this is mistaking, since selling wine is invalid, for wine has no benefit in Sharia, and thus, the price of the invalid selling is unlawful. But anyway, this does not belong to that type. The correct example is that a man has a slave-girl who is his foster-sister, whom he sells and buys another slave-girl, foreign to him. It is not befitting for anyone to abstain from such a thing. But to liken it to selling wine is extreme overstatement.

We have learnt then the different levels, and how to assume a gradational approach in connection with them, and although they are not included in three or four, or even in a definite number, counting here is intended to show and make it understandable.

But, it might be argued: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who buys a garment for ten Dirhams, one of which is unlawful, Allah will not accept a prayer from him so long as he puts it on." Ibn Umar (the narrator) got both his fingers into his ears and said: "Let them (my ears) become deaf if I did not hear it from the Prophet."

Let's say in reply that this pertains to buying it for a particular ten Dirhams, and not for a price to be paid later; and if it is bought as such on credit, it is judged to be unlawful in most cases.

The Fourth suspicion-Rouser: Difference of Evidences

This is like the difference of causes, since the cause itself is a reason for judging a thing as lawful or unlawful, where as evidence is a cause of

knowing whether a particular thing is lawful or unlawful. Thus, it is a cause of knowledge. If it does not prove the knowledge of anything, there is no significance of having it, even though it is in the Knowledge of Allah. It is caused either by the contradiction between the Shari-based proofs, or the contradiction between indicative signs, or the contradiction between resemblance.

The first division pertains to the contradiction between the Shari-based proofs, like the contradiction between two general concepts in the Qur'an or the Sunnah, contradiction between two analogies, or contradiction between an analogy and a general concept. All of that leads to doubt, and depends upon relevant appendage or the origin that was known before it in case there is no preponderance. If the side of forbiddance appears preponderant, it should be observed; and if the side of lawfulness appears preponderant, it is permissible to be adopted, even though it is out of piety to leave it.

In relation to piety, to avoid the points of difference and dispute is important on the part of the Mufti or the imitator, although it is possible for the imitator to follow such of Fatwas as issued by him, whom he follows, thinking he is the best of his town's learned. This is known through hearing from one another, in the same way as the best of physicians of the town is known through hearing from one another and presumptions, even if he is not competent in medicine. The seeker of fatwa should not choose such of juristic schools as the easiest to him: on the contrary, he has to investigate until the best appears most likely to him, which he has to follow and not disagree with. It is true that if his imam gives him a fatwa in which he differs from others, it is out of stressed piety for him to flee from difference and dispute to adopt the consensus.

Similarly, if a Mujtahid has contradicting proofs, and the side of lawfulness becomes preponderant by way of anticipation and probability, it is out of piety for him to avoid it. Some Muftis gave Fatwas of making lawful many things, which could not be done, out of piety and abstention from doing them, and caution of falling in what is suspicious concerning them. Let's divide that also into three levels:

The first level pertains to that in which it is certainly desirable to abstain from it. It is that in which the proof by which a juristic school disagrees and it becomes abstruse to be preponderated by the other juristic school. It is of special importance, for example, to abstain from the game caught by a trained hound, when it eats thereof, even if the Mufti gives a fatwa that it is lawful to eat of it, and that's because preponderance here is abstruse. To our preference, it is unlawful, and it is the more right of both opinions of Shafi'i "may Allah have mercy upon him". Nevertheless, if there is another opinion adopted by Shafi'i, in which he agrees with Abu Hanifah or anyone of the imams, abstention from it

out of piety should be observed, although the other Mufti might give fatwa in support of the other opinion.

The same is true of abstention from that on which Allah's Name is not mentioned, in connection in which the opinion of Shafi'i did not differ, for the Holy Verse is clear about obligating it, and the narrations pertaining to it is continuous. (According to the narrations of both Al-Bukhari and Muslim on the authority of Adi Ibn Hatim and Abu Tha'labah Al-Khushani) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him who asked him about the game: "Eat of the game after which you've sent your trained hound on which you've mentioned the Name of Allah." There are many versions of that narration which is reported repeatedly. The narration to slaughter in the Name of Allah is famous (according to the narration of both Sheikhs on the authority of Rafi' Ibn Khadij). All of that strengthens the proof of making it prerequisite.

But, as it is reported in an authentic narration that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The faithful believers slaughters in the Name of Allah, whether he does or does not mention the Name of Allah." It might probably be general to divert the Holy Verse and all the related narrations from their contexts,, and it also might be probably be particularized by certain people, in the absence of general context, and thus it has no interpretation. Understanding it to be particularized by certain people is possible in preparation for a legal excuse to leave mentioning the Name of Allah (on slaughtering) forgetfully. But if it is more likely to make it general, which requires us to interpret the Holy Verse appropriately, we then should give it preponderance, without denying the cancellation of the other probability. To be sure, the abstention from such things is important, and it lies in the first degree.

The second level, which mixes with obsessive doubts, implies that a man abstains from eating the fetus he happens to find in the womb of the slaughtered animal, although it is reported (by Abu Dawud, At-Tirmidhi, Ibn Majah and Ibn Hibban) in an authentic narration that (the Prophet said) "What makes its mother lawful makes it also lawful (to eat)." Its authenticity is reliable, beyond all doubts in term of its text and Isnad. Similarly, it is reported in an authentic narration (in both Sahihs on the authority of Ibn Abbas, Ibn Umar and Khalid Ibn Al-Walid) that the mastigure was eaten on the table of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". This narration is reported in both Sahihs, and I think such narrations did not reach Abu Hanifah, and had they reached him, he would have adopted it.

The third level is that there is no affirmed difference over a certain issue, but its being lawful is known only from an isolated or solitary narration. One then might say: "The people are different about the solitary narrations. And since some of them do not accept them, let me then abstain from that. That's because the transmitters, no matter fair and just they might be, could possibly commit mistakes, as well as they could tell a lie for a hidden purpose, and they

could possibly be subject to false impressions, for they might hear something different from what is said: which is reflected on their understanding. This kind of abstention has not been reported from the companions in what they heard from a just and reliable person. If there is suspicion in the narrator because of a particular reason and a specific indication, it is justifiable to refrain from accepting it, even though he is just and fair.

The difference about the isolated or solitary narrations is not considerable in this connection. Had such abstention been permissible, then, one would have rejected to accept the inheritance of the grandfather, under pretext that the Book of Allah Almighty does not mention but the son (and daughter), and the grandson was joined by the consensus of the companions, who are not infallible, and they could fall in mistakes (like all human beings). This is, to be sure, profanation, since it leads to leaving what is known from the universalities of the Qur'an, for some scholastic theologians go as far as to say that as such universalities have no definite forms, what is reliable is only that which the companions understood from them, with the help of presumptions and indications. All of that belongs to obsessive doubts, for almost all parties of suspicion here implie somewhat exaggeration and hyperbole. Let one then understand that well.

If something seems difficult upon anyone, let him seek the advice of his heart, and abstain from that which arouses doubt in him to that which arouses not doubt, and leave what he doubts; and this differs according to the difference of persons and events. But he should keep his heart from the causes of obsessive doubts, in order to judge only with the truth. It should take the position which allows it to have suspicion only caused by undesirability, and not by obsessive doubts; and how dear that heart is! For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did not refer everyone to seek the advice of the heart, but he said so to Wabisah because he knew well his state.

The second division pertains to the contradiction between signs indicative of lawfulness and unlawfulness. A particular item of furniture might be robbed at a time, and it might rarely exist at another time, without being robbed. When it is seen in the hands of a righteous man, his righteousness gives the impression that it is lawful, whereas its kind, as being rare without robbery signifies that it is unlawful; and this is how both contradict. Similarly, a just witness might tell that it is lawful, while another tells that it is unlawful. Also, it implies the contradiction of witnesses of two wicked persons, or the witness of a child and that of an adult. If one of both (opposing things) seems preponderant over the other, it should be judged according to it, although it is out of piety to avoid it. But in case none is preponderant, it is incumbent to leave them. This issue will be explained later in more detail in the chapter on recognition, investigation and questioning.

The third division pertains to the contradiction of similarities in the characteristics upon which judgement depends. The typical example is that a

wealth is bequeathed to the jurisprudents, which gives the impression that the excellent among the jurisprudents is implied, and the novice who began learning a day or even a month ago is not implied. Between both extremes, there are countless degrees, in connection with which there is suspicion. Since the Mufti gives his fatwa concerning that matter according to what is more likely, it is out of piety to abstain it.

This is, therefore, the most abstruse motive of suspicion, as it has different forms which put the Mufti to confusion in which he has no way to judge. One, for instance, might have a characteristic which situates him in the middle between both extremes, and there is nothing indicative of his inclination to any of them. The same is true of the objects of charity given to the needy. Whoever has no identifiable property is considered needy, whereas whoever has a certain property is regarded a rich; and in between both, there lie many abstruse questions and problems, like him, who has a house, furniture, dresses and books. The degree of neediness does not change his being given, unlike him, who has surplus. However, the neediness is not limited, but it is perceived by approximation. It extends to imply the consideration of the largeness of the house, its buildings, its value as being in the centre of the city, the kind, amount and value of furniture, the things which he needs daily, and those he needs yearly, etc. the relevant solution here is the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Leave what arouses doubt in you to what arouses not any doubt."

All of that pertains to the points of suspicion in which the Mufti stops. It is the most important point of piety. An example is the obligation of providing sufficient financial maintenance of the relatives and dress of wives, and the sufficient financial maintenance of jurisprudents and scholars is due upon the treasury. Two parties are involved, one of which is known to suffer from shortage (of maintenance) and the other to have abundance (of wealth), and in between both, there are suspicious things which differ according to the difference of the person and state. It is Allah Almighty Who is Well-Acquainted with all needs, and by no means could human beings encompass in knowledge their limits. A daily quantity of food that is less than a Meccan pound is insufficient for a huge man, and what is beyond three pounds is extra sufficient, and what is between them is unlimited. So, let one abstain from what arouses suspicion in his heart to what arouses not.

That applies almost to all judgements and rulings for not all words of any language are explicitly clear in representing a particular meaning in such a way which gives no probability for another one to be implied. In other words, not all words of vocabulary are like "six" for example, and the like of it in the terminology of arithmetic which provides no probability to be nothing other than this exact number with neither reduction nor addition. There is almost no word in the Book of Allah and the Sunnah of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" but that there is probably doubt in

its having various mediocre meanings lying between both opposing extremes. So, there is dire need of mastering that linguistic art in relation to bequests and endowments.

Those are suspicions raised by contradicting signs attracted to two opposing extremes. All such suspicions should be avoided unless the side of lawfulness is preponderant by way of an evidence that is close to certainty, or by way of continuation of the original state, depending upon the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Leave what rouses doubt in you to that which rouses no doubts in you", and depending also upon the remaining proofs we've already mentioned.

Those are the different suspicion-rousers, and some are stronger than others. If there are many suspicion in one thing, the matter becomes severely aggravated, like having disputable food, whose price was a compensation for grapes sold to a wine addict, and it was sold after the call to prayer on Friday, and something unlawful mixed with the property of the seller which represents not the greatest portion of his property, but therewith it became suspicious. The combination of suspicions then aggravates the matter, and makes it difficult upon one to indulge in.

We have learnt then the way of tackling those different levels of suspicion, and it is not within the capacity of a human being to enumerate them all. Take them what has been made clear from that explanation, and leave what is not, for the sin is that which arouses suspicion in the heart. Seeking the advice of the heart is in so much as the Mufti makes permissible, but one should refrain from whatever he prohibits. Furthermore, it is not that all hearts are reliable in that effect: one might be skeptic by nature, who refrains from everything, and another might be greedy and indulgent who accepts all things. Both hearts are not considered here. What counts is the heart of the guided learned who observes the subtleties of matters. This is the trial with which the concealed and hidden matters are examined. How dear that heart is! Whoever is not confident of his heart, let him seek the light of that characteristic, and judge his event according to it.

It is reported in Psalms that Allah Almighty revealed to David "Peace be upon him" the following: "Tell the children of Israel that I do not consider your prayers or fasts, but I consider whomever has doubt in anything thereupon he leaves it for My Sake. It is he, whom I consider, and support with My victory, and commend him in front of My angels."

CHAPTER THREE

ON INVESTIGATION, QUESTIONING, ACCEPTANCE AND INDULGENCE AND THEIR CAUSES

It should be known to you that it is up to you to inspect and question everyone who gives you food or a present, or from whom you want to buy or give a gift and say: "As I could not verify of the lawfulness of that, I do not take it, and rather I should inspect about it." Similarly, it is not up to you to leave

investigating that of whose unlawfulness you are not certain. Therefore, questioning might sometimes be obligatory, sometimes recommended, sometimes unlawful, and sometimes undesirable. So, there is a need to be explained in detail, and tackled satisfactorily.

To be sure, the cause of questioning lies in the places of usury; and the origin and motives of usury pertain either to the property itself or to the owner of the property.

The First Motive: The Various States Of The Owner

There are three states concerning the owner in relation to your knowledge: he might be either unknown, or suspicious, or known to be suspicious resulting from a certain indication.

The first state is that when he is unknown to you. The unknown person is he in connection with whom there is no presumption indicative of his corruption or injustice, like the uniform of soldiers, or indicative of his righteousness like the uniform of Sufism, trade, knowledge, or any such sign. If you enter a village of which you are ignorant, and see a man whom you know nothing about, and he has no sign to ascribe him to righteousness or corruption, he will be unknown to you. If you enter a strange town and goes to the market, and find there a baker, a butcher, and there is no sign on him to signify that he is suspicious or treacherous, or to give the impression that he is the opposite of that, he will be unknown to you, and his state is unidentified.

We do not say here that he is suspicious, for suspicion results from two opposing beliefs, which have two opposing reasons. However, most jurisprudents do not know the difference between what is unidentified and what is suspicious; and you have already learnt that it is out of piety to abstain from what is unidentified. According to Yusuf Ibn Asbat : "For thirty years, nothing has aroused suspicion in my heart but that I abstained form it." Some people discuss the most difficult deed, thereupon it was said: "It is piety." Hassan Ibn Abu Sinan: "Nothing is much easier to me than piety. Whenever anything arouses doubt in my breast, I shall leave it immediately."

This is the condition of piety. But now, let's mention the ruling of the outward side of it. The ruling pertinent to that matter is that if a person unknown to you gives you food, a gift, or you like to buy anything form his shop, it will not be incumbent upon you to question about him, but his possessing hand and being a Muslim are sufficient indications for you to accept to take it. It is up to you to say in this case: "Both corruption and injustice prevail in the greatest portion of the people." This is obsessive doubt and evil expectations from this particular Muslim, and of a surety, some suspicions are sins; and this particular Muslim deserves, by (the right of) his Islam he has upon you not to have evil expectations from him. If you have evil expectations from him just because you have seen corruption in anyone else, you will really drawn crime upon him, which causes you to become sinful immediately, even with no point of suspicion. If you

then take the property, its being unlawful is suspicious.

The proof thereof is that we know that the companions "Allah be pleased with them" used, in their holy battles and journeys, to halt at certain towns and villages, therein they did not reject hospitality, and whenever they entered cities, they would not avoid (dealings in) their markets. Although their time was not void of the unlawful, no reports of questioning were handed down from them except about what would arouse suspicious to them. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did not ask about all that was brought to him. But, a short time after his arrival in Medina, he asked about what was brought to him in relation to its being a gift or an object of charity (according to the narration of Ahmad and Al-Hakim on the authority of Salman). That is because there was a presumption indicative of the importance of the question, i.e. the Muhajirun's entrance into Medina while being in the state of poverty, which made it close to certainty that what was brought to them was by way of charity, and the giver's Islam and possessing hand were not sufficient indications that what is given was not by way of charity.

Moreover, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to answer the invitations of hospitality without asking whether it was a gift or by way of charity (according to the narration of both Sahihs on the authority of Abu Mas'ud). That is because it was not the habit to give hospitality by way of charity. For this reason, Umm Sulaim invited him, and a tailor also invited him, according to the narration reported on the authority of Anas Ibn Malik "Allah be pleased with him", and served him with food containing gourd. in addition, a Persian man invited me, thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "I and A'ishah." He said: "No." he said: "Then, it is not." Later, he agreed, and the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" went along with A'ishah, racing one another, thereupon he served them with food. There is no report of questioning in anything of that.

Abu Bakr "Allah be pleased with him" asked his slave about the sources of his earnings when he became doubtful about it. Umar "Allah be pleased with him" asked him, who gave him out of the milk of camels assigned to charity when he became doubtful about him, although it tasted good to him in a different way that was not habitual to him earlier. Those are the causes of suspicion.

Hence, if one accepts the hospitality of a particular person, unknown to him without inspecting his affair, he will not be sinful. Moreover, if he sees in his house aspects of luxury and abundance of wealth, it will not be up to him to say that the lawful is dear and this (which I see) is more: how then should it come from the lawful? It is likely that this particular person has inherited property, or has good earnings, and thus he deserves to be reliable. Additionally, it is not up to him to ask him: if he adheres to piety, which causes him to eat only what he knows about its sources, it will be good: so, he should be kind in leaving it. If he should inevitably eat, let him eat it without questioning, since questioning is to cause harm, and uncover the screen (of modesty), which is undoubtedly unlawful.

But you may argue that perhaps he would not be harmed, and I say that he might be harmed, and you should be cautious not to cause harm by questioning. If you are satisfied, perhaps his property is lawful. However, the forbidden sin of causing harm to a Muslim is not less than eating what is suspicious or unlawful. The people more often regard it terrible to be subject to inspection. It is impermissible for him to ask anyone else about that, which he knows, for it is more harmful, and if he asks about what he knows not, it belongs to lack of confidence of others, uncovering the screen (of modesty), spying, and backbiting, even though not explicit. All of that is forbidden in one Holy Verse in which Allah Almighty says: " O you who believe! Avoid many suspicions; indeed some suspicions are sins. And spy not, neither backbite one another. Would one of you like to eat the flesh of his dead brother? You would hate it (so hate backbiting). And fear Allah. Verily, Allah is the One Who forgives and accepts repentance, Most Merciful." (Al-Hujurat 12)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ ﴾

How many an ignorant ascetic, who hurts the hearts by his inspection, and speak with unkind harmful words. Of a surety, Satan makes that alluring to him in pursuit of fame and celebrity for eating the lawful. Were only the religion and faith to motivate him to do that, he would fear for the heart of a Muslim to do harm to it more than he would fear for his abdomen to get into it what he knows not about its sources, although he is blamed not for what he knows not about its sources, particularly in the absence of any sign which assures avoidance.

It should be known then that the way of piety is to leave (what should be avoided) without spying, and if it is necessary to eat, then, piety is to eat, and have good expectations. This was customary to the companions "Allah be pleased with them". Whoever goes beyond their piety is heretic and religious innovator and not a good follower. (The deed of) anyone of the people has never attained a Mudd or even half a Mudd of anyone of them (to be given in charity), even if he spends all that the earth contains. Why not given that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" ate from the food of Barirah (the slave-girl of A'ishah) and when it was said to him that it was given to her by way of charity he said: "It is an object of charity to her, and a gift (from her) to us" (according to the narration of both Al-Bukhari and Muslim on the authority of Anas), without asking about the almsgiver, who was unknown to him, nor rejecting to eat it.

The second state is that he is suspicious because of an indication that gives rise to doubt. Let's make a mention of a form of doubt, followed by its related ruling.

As for features, it is that he might have the features of the Turks, famous for their injustice and cutting off the highway, with a long mustache, with his hair

parted on his head in a way adopted by those of mischief.

As for the dress, a mention might be made of fez and hat, in addition to the uniform of the people of mischief and injustice among soldiers and others.

In relation to deeds and words, it is that he is seen to do what is unlawful, and this is an indication that he also indulges in the wealth, and accepts what is unlawful. Those are the points of doubt.

If one wants to buy anything, take a gift or accept an invitation of hospitality from such a person, who is unidentified to him and nothing appears from him but those signs, it might probably be said that the possessing hand signifies ownership, and those indicative signs are weak, and thus it is permissible to accept it, although to leave it is out of piety; and it might probably be said that as the possessing hand is a weak indication, and counteracted by those signs, which give rise to doubt, it is then impermissible to accept it; and it is that which we choose and give fatwa in favour of it, depending upon the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Leave what arouses doubt in you to what arouses not doubt in you." The command here represents the apparent meaning of it although desirability is also probable, in accordance with the other statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "The sin is that which one does with doubt in his heart."

The effect of that in the heart is unquestionable. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" asked whether (the food brought to him) was by way of charity or a gift; and both Abu Bakr and Umar "Allah be pleased with them" asked their slaves. All of those situations were suspicious, and although it might be construed within the framework of piety, but it should not be understood as such unless by way of analogy in effect; and even such analogy does not prove its being lawful, for the indication of the possessing hand in addition to Islam, as being counteracted by those signs, give rise to doubt. If both opposing indications gather together, there will be no grounds for making it lawful.

Nevertheless, the indication of a possessing hand and the continuation of the original state should not be left just because of a doubt that is not supported by a pinpointing sign, like the case in which we find the water having changed, with probability that it has resulted from the long endurance. But if we see a deer having urinated in it, with probability that the change has resulted therefrom, we should not stick to the basic rule. Although being close, there is divergence between those indications.Although the long mustaches wearing fezzes and the uniform of soldiers, refer to injustice through wealth. Both word and deed that defy Sharia might be regarded apparent indication of injustice because of property, like hearing him enjoin usurpation and injustice or contract a transaction on usury basis. But if he sees him abusing another in the course of his anger, or catching a glimpse of a passing-by woman, this indication should be regarded weak. How many a man who feels it difficult to pursue money and does not gain but what is lawful, but he could not have control over himself when

irritated by anger or sexual desire. So, let one pay attention to that divergence. Since this could not be determined, one should seek the advice of his heart.

Let me say that the ruling pertinent to seeing such from a person who is unidentified to him differs from the ruling pertinent to seeing it from a man recognized for his piety in purification, prayer and reciting the Qur'an. It depends upon the contradiction of indications in relation to the wealth, in which case the man becomes unidentified seeing that none of both indications befits the wealth in particular. How many a person who feels it difficult about the affairs of wealth, although he takes it easy in other affairs; and how many a person who is perfect in praying, performing ablution and reciting the Qur'an, and at the same time, he eats from what is available to him (without investigation). The ruling in connection with those situations depends upon the heart's inclination since this matter is between a servant and Allah. It is not unlikely to result from a hidden cause which one knows but he and Allah, the Lord of all lords, i.e. the judgement of what gives rise to doubt in the heart.

A special attention should be given to another subtlety, i.e. this indication should give the impression that the greatest portion of his property is unlawful, by being a soldier, a governor appointed by a sultan, a wailing woman, or a songstress. If the indication gives impression that the unlawful represents but only little in his property, questioning will not be incumbent in so much as out of piety.

The third state is that his affair is known, through one's experience and practice, in a way that gives rise to suspicion whether that property is lawful or unlawful. The typical example is to know man's justice, faith and righteousness outwardly, and the probability of being otherwise inwardly should not enjoin questioning, like the unidentified person, in which case to accept is more preferable. Moreover, to accept it here is farther from suspicion than to accept the food of the unidentified, which is far from piety, even though not unlawful.

As for eating the food of the righteous, it was the custom of the Prophets and devotees of Allah Almighty. Here, let's quote the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Eat not but the food of a pious, and let not but a pious eat of your food."

If he knows, from his experience, that he is a soldier, a singer, etc, without need to attest it from his appearance, features or dress, questioning here becomes obligatory, the same as when he is doubtful, if not more preferable.

The Second Motive: The Doubt Because Of The Property Itself And Not The Owner

It is to mix the lawful with the unlawful, like offering in the market loads of usurped foodstuff and the people present in the market buy it. In that case, it is not incumbent upon those who buy in this market, in that town to question about what they buy unless it appears to them that most of what is in their hands is unlawful. At this point, questioning becomes incumbent. But if it does not

represent most of it, inspecting becomes out of piety, and not incumbent. The big market takes the same ruling of a city. The proof that questioning and inspecting are not incumbent when the unlawful represents not the greatest portion of the property is that the companions "Allah be pleased with them" did not refrain from buying from markets, although they had the Dirhams gained through usury, misappropriated spoils of war, etc. they did not question in every deal, but questioning is reported from a few individuals among them in rare cases in which that particular person (about whom they asked) was suspicious.

Additionally, they took the war spoils from the disbelievers who fought the Muslims, and might have captured these spoils from them, and thus, probably those spoils might imply something of what was taken from the Muslims. It is unlawful to take such things by consensus. But rather it should be restored to its owner (once he finds it) according to Shafi'i, and its owner has more right to take it in return for its price according to Abu Hanifah. But even, no inspection about that was reported from the companions.

Umar sent a letter to the Muslims in Azerbaijan in which he said: "You are in a town in which the dead animals are slaughtered. So, point out the slaughtered from the dead among them." Although he commanded that they should ask about those animals, he did not give the same order to ask about the Dirhams which were to be paid for their price, for the price of hides (of dead animals) did not represent the greatest portion of their Dirhams, although the hides (of dead animals) were sold and they formed the greatest amount of hides at that time. Similarly Ibn Mas'ud said: "You are in a town, most of whose butchers are Magians. So, distinguish the slaughtered from the dead animals." He thus assigned his command to question about the most.

However, the purpose of that chapter could not be made clear unless some individual cases and questions which more often occur among the people are referred to. Suppose that the property of a particular person has been mixed with the unlawful, like selling usurped foodstuff or robbed things at the shop, or like the case in which a judge, chief, appointed governor, or a jurisprudent has inherited property, trade or anything like it, and at the same time, takes salary from a wrongful ruler, or a trader who has legal dealings along with usurious dealings. If the unlawful represents the greatest portion of his property, it will be impermissible to accept his hospitality, gift or charity, except after inspection. If it appears that what is taken is from the lawful, let it be, otherwise, it should be left. But if the unlawful represents the least part of his property, and what is taken is suspicious, it is questionable, since it lies in the middle between both levels.

We've already judged that if a slaughtered animal is ambiguously mixed with ten dead animals, all then should be avoided. There is similarity between both cases in the sense that the property is a particular person is limited, given that it is not so much like that of the ruler. But it differs from it in that the dead is known immediately with certainty, whereas the unlawful that has been mixed with the person's property might probably have come out of his hand currently, and is not present at the time. But if the property is little, and the unlawful is

clearly known to be present in it at once, it resembles then the confusion of the slaughtered with the dead animals; and if the property is much, and the unlawful might probably not be present at once, it is easier, and it has resemblance to the mixing with the unlimited like what is in the markets and towns, but it is more grievous on the grounds of its belonging to a particular person.

There is no doubt then that accepting it is far from piety. But to regard it wickedness is to contradict justice. As far as tradition is concerned, it is abstruse, in view of the interaction of things, and what is reported concerning the prevention of the companions and their followers from such things might be construed as out of piety, and there is no text in prohibition of it. What is reported also about the acceptance, like Abu Hurairah's eating from the food of Mu'awiyah, given that the unlawful supposedly represented the greatest portion of what was in his hand, might probably be after inspection and knowing that what he was eating came from lawful sources.

However, the evidence in those acts are weak, and there is difference among the late scholars, to the extent that one of them says: "If the ruler gives me something, I will take it (without inspection)." Permissibility is considered also even when the unlawful represents the greatest portion of ht property, so long as what is taken is not known for certain (to belong to the unlawful), and there is probability that it might be lawful. The evidence used for it is that some predecessors accepted the presents given to them by rulers, as will be explained later in the chapter on exposition of the property of the rulers. If the unlawful represents the least part, and it might probably not be present at the time, eating then is not unlawful; and if it is known for certain to be present at the time, like the doubt resulting from mixing of a slaughtered with the dead animals, I do not know what to say in this case, for it belongs to the suspicious things, in which the Mufti is put to confusion since it is uncertain whether it belongs to the limited or the unlimited. If a female foster (sister or daughter) is present in a town having no more than ten girls, avoiding all is incumbent. But if the number is over ten thousand, avoiding then is not incumbent. But if I was asked about the numbers lying between both, I would not know what to say concerning it.

The scholars themselves stopped at questions which were less complicated. Once, Ahmad Ibn Hanbal was asked about a man who shot a game which fell in the land that was owned by another: should the game be to the shooter or the owner of the land? He said: "I do not know." He was discussed about it many time, and every time he said: "I do not know." There are many like it we've narrated from the righteous predecessors in the Book of Knowledge. So, let a Mufti cease to hope to attain the relevant judgement in all cases and forms. Once, Ibn Al-Mubarak was asked by his companions from Basra about dealing with the people who deal with the rulers, thereupon he said: "If they have no dealings but with the rulers, then, deal not with them; and if they have dealings with the rulers

as well as with others, then, you might deal with them." This refers to the indulgence in the least part, and indulgence also in the most part is possible.

In total, there is no report from the companions that they ceased to deal with a butcher, a baker, or a trader just for a single corrupt contract, or for a single dealing with the ruler. However, it is almost impossible to estimate it with exactness, since the question in itself is abstruse.

But, it might be argued that it is narrated from Ali Ibn Abu Talib "Allah be pleased with him" that he gave concession pertaining to it and said: "Accept what the ruler gives you, for he indeed gives you from the lawful, and what he takes from the lawful is more than the unlawful." Once, Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" was asked by somebody: "I have a neighbour, who is wicked to the best of my knowledge. Sometimes he invites me and sometimes we are in need and take up loans from him." On that he said: "If he invites you, answer his invitation; and if you become in need, take up loan from him, fro the benefit will be for you, and the sin will be due upon him." Salman "Allah be pleased with him" issued a similar fatwa, giving the reason that the unlawful represents the most and not the whole, whereas Ibn Mas'ud gave the reason that the sin would be laid upon him, and the benefit would be for the other, for the sinful knows for certain where the unlawful is, and the other knows it not.

It is reported that a man said to Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him": "I have a neighbour, who devours usury; and he invites us to his food: should we answer his invitation?" he answered in the affirmative. There are many various narrations reported from Ibn Mas'ud in the same respect. Moreover, both Shafi'i and Malik "Allah be pleased with them" accepted the presents given to them by rulers, although they knew that the unlawful was mixed with their property.

Let's reply to that by saying that in relation to what is narrated from Ali "Allah be pleased with him", the piety for which he was famous signifies the opposite of that. He used to cease to take from the treasury and rather would favour to sell his sword (to satisfy his need). So many times, he had no more than a single shirt at a time, and even when he wanted to take bath or to wash it, he would have no other shirt to put on. However, I do not deny that his concession is explicit in making it permissible, and doing it might probably be out of piety, but if it is proven to be authentic, let's say that the property of the ruler is subject to a different kind of ruling, based upon its being almost unlimited and countless, as will be shown later. Similarly, the behaviour of both Shafi'i and Malik "Allah be pleased with them" in this respect pertains to the property of the ruler; and this issue will be explained in more detail later. We talk about individuals whose property, although so much abundant, could be under calculation.

As to the statement of Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him", it is said that it is Khawat At-Taimi who reported it, and he was of weak memory, for Ibn Mas'ud

was famous for avoiding all kinds of suspicion. He said: "Let none of you say 'I'm afraid', or 'I wish', for indeed, the lawful is evident, and the unlawful is evident, and in between them there are suspicious matters. So, leave what arouses doubt in you to that which arouses not doubt in you." He also said: "Avoid what gives rise to suspicion in your hearts, for therein sin lies."

It might be argued: "Why have you said that if the unlawful represents the greatest part, taking then becomes impermissible, although the taken thing has no sign to indicate that it is prohibited; and one's possessing hand is a sign of ownership so much evident that if one steals his property his hand will be cut off; and the muchness here enjoins uncertainty that is not restricted to a particular part of the thing, which gives it resemblance to what is close to certainty in relation to the mud in the streets, and what is close to certainty in relation to mixing with the unlimited, in case the unlawful represents the greatest portion; and it is impermissible here to take evidence from the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Leave what arouses doubt in you to that which arouses not doubt in you", since it is particular to certain situations by consensus, i.e. to arouse doubt in him by a sign in the owned thing, depending upon the mixing of the little with the unlimited: this enjoins suspicion. But even, you have already decided that it is not unlawful."

Let's say in reply that the possessing hand is a weak evidence, like the continuation of the original state, and it is effective if it is safe from a strong opponent, and if mixing is certain, and that the mixed unlawful is currently present in the property, and that the unlawful represents the greatest portion in the property of a particular person, which is almost under calculation, it appears that it is incumbent to leave the sign of the possessing hand, and if the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Leave what arouses doubt in you to that which arouses not doubt in you" is not construed in relation to it, it will have no significance, since by no means could it be understood in relation to the mixing of a little with unlimited lawful, for this type was prevalent during his lifetime, and he did not avoid it. But to construe it to give the sense of full abstention is to divert it from its apparent meaning with no analogy. However, prohibiting it is not far from the analogy of signs and continuation of the original state. Both muchness and limitation are effective in the matter of uncertainty.

They combine together that Abu Hanifah said: "Do not be diligent (to investigate) the vessels unless the pure ones represent the greatest part." Thus, he makes it prerequisite the combination of both continuation of the original state and diligence depending upon the sign and muchness. Whoever is of the opinion that one might take any vessel i.e. without diligence , depends only upon the continuation of the original state; and thus drinking is permissible, and permissibility here is made depending only upon the sign of the possessing hand. But this does not apply to urine that is doubtful to be mixed with water, in view of the absence of continuation of the original state, nor to the dubiousness of the

mixing of a dead with a slaughtered animals, because of the absence of the sign of continuation of the original state, and the possessing hand does not signify that it is not dead, whereas in the permissible food, it signifies that it is owned.

There are then four appurtenances in relation to independent reasoning: continuation of the original state, littleness or muchness of the mixed, limitedness or unlimitedness of the mixed, and a particular sign in the thing itself. Whoever neglects those four might fall in mistakes, and give incorrect resemblances to some questions.

From what we've mentioned, it might be elicited that the mixed in the ownership of a particular person takes several situations: either the unlawful represents the greatest portion, or the unlawful represents the least part; and each might be known either with certainty, or with probability, through a particular sign, or by way of illusion. Questioning them is incumbent if the unlawful represents the greatest part, with certainty, or with probability, such as the case in which one sees a Turkish person unidentified to him, whose property in full might probably be gained from war spoils; and when the unlawful represents the least part, to be known with certainty, it is the case in which one should stop, and there is inclination to give concession pertaining to that. Questioning is obligatory in the remaining situations.

Situation: if a man attends a banquet of a person, known to have received unlawful property from a salary he got earlier, and it is uncertain whether or not it remains with him until now: in this case, he might eat, and inspection is not incumbent upon him, except by way of piety; and even, if he knows that something of it remains with him until now, without knowing whether it represents the greatest or the least part, he then could have the impression that it represents the least part. We've already mentioned that the matter in which the unlawful represents the least part is abstruse in itself.

Situation: if the custodian of alms, endowments or bequests has in his hand two kinds of property, and a person deserves to be given one of them, and not the other, because of the absence of the characteristics required for it: should he take only what is given to him by the custodian of endowment? If that characteristic is known by the custodian, who is thought to adhere to justice, he then should take it with no investigation, for the custodian is thought not to give anyone but from the property that he deserves. But if the characteristic is hidden, and at the same time, the custodian is recognized for his mixing and carelessness about what he does, questioning here becomes incumbent, since there is neither possessing hand nor continuation of the original state to rely on.

It is similar to the question of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" about the gift and almsgiving when he hesitated about them, because neither the possessing hand nor the continuation of the original state distinguishes the gift from the almsgiving, and nothing other than the question could secure him from it. When we cancel the question in

the case of the unknown, we do so depending upon the sign of the possessing hand and Islam. But even, if he does not know that he is a Muslim, and he wants to take flesh from his slaughtered animal, that is, in his possessing hand, and there is probability that he might be a Magian, it will be impermissible for him unless he knows that he is a Muslim. That's because the possessing hand does not single out the dead (from the slaughtered), as well as the features do not indicate to Islam unless the greatest number of the inhabitants of the town are Muslims, which allows for him to think that the one who has no clear sign indicative of disbelief that he is a Muslim, putting in mind that the error therein is possible. So, you should not be put to confusion about the situations in which the possessing hand and state are indicative and those in which they are not.

Situation: one has to buy a home in a certain town, even if he knows that it contains many usurped homes, for this is a mixing with the unlimited. But questioning here is out of caution and piety. But if a particular street has, say, ten houses, and one of them is usurped or given as endowment, buying is impermissible, unless it is distinguished and it should be sought (in order to be avoided). Similarly, if one enters a town, having many hostelries assigned as endowments to those of different juristic schools, and he himself belongs to a particular juristic school, it is not fitting for him to live in and eat of such of them as he likes without asking for this belongs to the mixing of the limited; and thus differentiation here is necessary. Accepting in the absence of differentiation is impermissible, for hostelries and schools in towns are inevitably limited.

Situation: as we make questioning out of piety, it is not fitting for one to ask the holder of food or property if his (the latter's) anger is secured. But questioning is made binding when it is certain that the greatest portion of his property is unlawful, and at that point, his anger should not be taken into consideration, since the wrongful should be harmed even more than that. Such a person more often does not grow angry because of the question. It is true also that if he takes from his deputy, slave, disciple, or anyone of those under his guardianship, he should ask once he feels doubtful, for they do not grow angry because of his question, and he has to ask them in order to teach them the way of the unlawful.

For this reason, Abu Bakr asked his slave, and Umar asked him who gave him milk from the camels assigned to almsgiving, as well as he asked Abu Hurairah when he brought to him much property, saying: "Woe to you! Is all of that good (and lawful)?" he asked him when he was amazed by the great quantity of wealth he had brought, and he was one of his wards, and this is why he was kind in his question to him. Ali Ibn Abu Talib said: "Nothing is much dearer to Allah Almighty than the justice of an imam (ruler), and his kindness to his wards; and nothing is much hateful to Him than the imam's (ruler') injustice and harshness (with his people)."

Situation: Al-Harith Al-Muhasibi "may Allah have mercy upon him" said: "If one has a friend of a brother, from whose anger he is secure, he should not ask

him out of piety, for it may seem to him what was concealed from him, and by asking him, he might have led him to uncover the screen, which may result in hatred and anger." However, what he said is good: if asking is to be out of piety, and not obligatory, then, it is out of piety here not to uncover the screen and raise anger. Furthermore, he said: "If something doubtful seems to him from that person, he also should not ask him, and rather should have the good faith that he feeds him from the unlawful, and keeps the unlawful from him. But if he is not confident of him, let him avoid it kindly, without seeking to uncover the screen by asking, and that's because I have not seen anyone of the learned having done it."

Taking his asceticism for which he was famous into consideration, what he said signifies his tolerance in case the property is mixed with little unlawful. But this is applicable when it is illusion and not verification, for the word suspicion refers to illusion with an indication and does not impose certainty. So, let one observe those subtleties by asking.

Situation: one might say: "Which benefit does lie in asking anyone, a portion of his property is unlawful, given that he, who renders lawful the unlawful might tell a lie, and if he is to be reliable in his honesty, he should be also reliable in his telling about the lawful."

Let me say in reply to it, that if it is known that the unlawful mixes with the property of a particular man, who wishes to invite you to his banquet, or to give you a gift, do not rely only on his saying, in the sense that there is no benefit from asking him, and you might ask another about him. Similarly, if there is a seller, who wants to sell a thing in pursuit of the profit, do not rely on his saying that it is lawful, in the sense that there is no benefit from asking him, and you might ask another about him. The one of the possessing hand is asked only when he is beyond suspicion, like asking the property custodian by him who receives money from which area it has been brought. In this way the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" asked about the gift and almsgiving, without causing harm or launching charge against anyone.

Likewise, if one accuses him that he does not know the right way to gain lawful earnings, there is no accusation in his statement in case he tells him about a right way. In this way should one ask his slave or servant, in order to know the right of earning; and this is the benefit of the question. If the property owner is under suspicion, one should ask about him anyone else. If a just one tells about him, he should accept his witness; and if a dissolute one tells about him, and he is presumed to be not lying as he has no purpose, he might accept his statement, for this is a thing that is between him and Allah Almighty, and it is the confidence that is required; and the dissolute's statement might be, in some cases, more reliable than that of a just person.. it is not that every dissolute person is a liar, and it is not that everyone on whose face the signs of justice appear tells the truth. But the witness requires apparent justice because of the necessity of judgement, since in no way could the innermost mysteries be known.

Abu Hanifah "may Allah have mercy upon him" accepted the witness of a

dissolute person. How many a person whom you know to likely commit sins, and when he tells you about anything, you are confident of it. Similarly, if a discerning adolescent whom you recognize to be balanced tells you about something, you might be confident of his statement, and thus it is permissible to rely on him.

But if the one is unidentified, whose affairs are unknown, we've made it permissible to eat from his hand, for his possessing hand is a clear indication of his ownership. It might be said that one's Islam is an apparent indication of his truthfulness; and this is questionable. His statement is hardly free from having somewhat effect. So, one should consider the limit so such effect on his heart, which takes the position of a Mufti in this case. However, the heart might pay attention to many hidden presumptions which the tongue could hardly speak about. So, let one put that in consideration.

The obligation of it is attested by the narration of Uqbah Ibn Al-Harith that he said: I married a woman and then a black lady came to us and said: "I have suckled you both (you and your wife)." So I came to The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "I married so-and-so and then a black lady came to us and said to me, I have suckled both of you." But I think she is a liar." The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" turned his face away from me and I moved to face his face, and said: "She is a liar." The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "How (can you keep her as your wife) when that lady has said that she has suckled both of you? So abandon (i.e. divorce) her (your wife).

If the untruth of the unidentified person is not known, and no purpose appears for him to tell a lie, his statement shall have an effect in the heart. So, his command to avoid the matter is certain, and if one becomes confident of him, he should inevitably avoid the matter.

Situation: Where questioning is incumbent: if the statements of two just men are contradictory, both should lapse, and the same is true of the contradictory statements of two dissolute persons. But it is possible that one of both statements, either of the two just or the two dissolute persons is given predominance in his heart over the other. It is also likely that one of both sides might be made preponderant either by virtue of muchness, or the particular experience or knowledge that characterizes one and not the other. But this matter is of various branches and details.

Situation: if a particular furniture is robbed, and furniture of the same kind happens to be found in the hand of a certain man, and one likes to buy it, and it might probably not be of the robbed furniture: if the seller is recognized for his righteousness, buying it from him is permissible, and leaving it is out of piety. But in case the seller is unidentified, and nothing appears on him: if the furniture that is not robbed represents the greater part, it is permissible for him to buy it. But if the furniture in that place exists in a small amount, and it increased only by virtue of the robbed furniture, the possessing hand then should be considered, which is contradicted, anyway, by the sign of the similarity to the same kind and form of the robbed furniture. In this case, to refrain from buying it is out of the serious

and important piety. That it is obligatory to refrain from buying it is questionable. However, the sign here is contradictory; and I could give no particular judgement other than reducing it to the heart of the seeker for guidance in order to consider which of both is stronger in himself: if the thought that it is robbed has stronger effect, it becomes incumbent upon him to leave it, otherwise, it is lawful for him to buy it. In the largest part of those cases, one is put to confusion, for they are among the suspicious things, which a lot of people do not know. So, he, who safeguards himself from them has become free from sin in regard to his honour and religion; and he, who indulges in them has approached the protected zone, and put himself in danger.

Situation: One might argue that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" asked about the source of milk that was brought to him, and when he was told that it was a sheep milk he asked about the sheep, from where had it come? When he was told, he stopped from asking. This raises the question whether or not it is incumbent upon one to ask about the sources of fund, and about the number of resources. Indeed, there is no just estimate to be fixed for this matter. But let one consider the extent of suspicion that requires the question, in terms of being out of obligation or piety. The only objective of the question is to remove suspicion that requires it.

It differs by the different states: if the accusation pertains to the fact that the man of the possessing hand does not know the right way of gaining lawful earnings. If he says that he has bought it, the suspicion then will be removed from the first question. But if he says that it is from his sheep, the suspicion then will be focused on the sheep, and if he says that he has bought it, the suspicion will be removed. If suspicion comes from injustice, caused by what is in the hands of the Arabs, which proliferate from which the usurped represents a great part, suspicion then will be removed neither by his saying that it is from his sheep, nor by his saying that the sheep has been born by my sheep. But if he attributes it to the legacy inherited from his father, whose affair is unknown, question then should stop; and if the whole property of his father is known to be unlawful, it should be rendered unlawful; and if the unlawful is known to represent the greatest portion of the property of his father, the ruling should not be changed by the large amount of proliferation, the long time, and the state of being inherited.

Situation: I was asked about a group of Sufis, who were living in a house, and in the hand of their servant who serves them with food an endowment assigned to them, and another endowment assigned to other people, and he mixes both, and spends on all from the mixture: is it lawful or unlawful or suspicious to eat from his food? My reply is that in this case, seven principles should be considered:

The first principle is that he most likely buys the food which he presents by

way of taking and giving, and this is right according to our choice, particularly in the foodstuff and the trivial things. Nothing therein is harmful except the suspicion of difference.

The second principle is that the servant should be considered whether he buys it by the same unlawful property, or on credit. If he buys it by the same unlawful property, of a surety, it should be rendered unlawful; and if it is unknown, he most likely buys it on credit, and it is permissible to rely upon the most likely, and thus, no prohibition ensues in so much as it is the suspicion based upon a far probability, i.e. the possibility of buying it by the same unlawful money.

The third principle pertains to the place from where he buys it: if he buys it from one the greatest part of whose property is unlawful, it will not be permissible; and if it is from one the unlawful represents the least part of whose property, it is then questionable as we've already explained. But if it is unknown, it might be taken on the faith that he has bought it from one whose property is lawful, or from one whose affair is unknown with certainty. We've already made it permissible to buy from an unknown, as it is the prevailing custom, from which no prohibition but suspicion of probability should ensue.

The fourth principle is that he buys it for himself or for the people. However, the custodian or the servant is like a deputy, who could buy for himself or for the people. But this depends upon the intention or the explicit words. However, if buying could be achieved through giving and taking, the word itself could not do. More often, there is no intention to determine to whom a thing is bought at the time of giving and taking, and such sellers as the butcher, the baker, and anyone with whom he deals, sell to him and not to those who do not attend. In this way, the sold thing transfers from him to enter into the ownership of the buyer. And there is neither prohibition nor suspicion to ensue from that principle. All that it does is that it proves that they eat from what is in the possession of the servant.

The fifth principle is that as the servant serves them with food, neither hospitality nor gift should be made without compensation, a thing which he does not accept. But he serves them with food depending upon the compensation he receives from the endowment that is under his guardianship. Although this is a kind of compensation, it is not a result of selling or lending. That's because it is unlikely that he should stand and demand the price form them, as the presumption of state supports that. The most similar to that principle is the gift that is conditional upon reward, i.e. the present with no explicit word from a person, who is desirous, as shown from his state, for the reward. This is true, and the reward is binding. The servant desire neither to take a reward for what he serves them with more than their right in the endowment, therewith to fulfill his debts due to the butcher, the baker and the grocer. There is no suspicion in that kind, since no explicit word is a prerequisite in giving a gift or serving others with food, even though he waits

for the reward. The opinion of whom renders invalid the gift to be given in expectation for the reward.

The sixth principle is that there is difference about the reward that is binding. It is said that it should cover the least amount of money, or what is equal to the value, or as much as to please the grantor, even if he is not pleased but with many times the value. What is right here is that his pleasure should be sought, and if he is not pleased, the gift then should be given back to him. In our case, the servant has accepted to take the right of the residents in the endowment. If their right is equal to the amount of their food, let's be so, and if it falls short and the servant is pleased, it is also right. But if the servant is known not to be pleased were it not for his guardianship over the other endowment of the other residents, he seems to have been pleased with such of reward as a part of which is lawful, and a part is unlawful. But the unlawful itself has not approached the residents. This is similar to the deficiency of the price, and we've already mentioned the ruling pertinent to it, and when it should be made lawful, and when it should be made suspicious. No prohibition ensues from that as we've explained in detail, for by no means could a gift turn to be unlawful by which the giver of a gift is exposed to the unlawful.

The seventh principle is that the servant repays the debt due to the butcher, the baker and the grocer from the revenues of the endowment. If such of their right as taken is to cover the same value of food he has served them with, it is right, and if it falls short of it, and the butcher, the baker or the grocer accepts the price whatever, be it lawful or unlawful, this is deficiency in the price of food. So, let one consider whether it was bought on credit, and whether the price was paid from unlawful property, in case it is known to have been paid from what is unlawful. But if it is probable and not certain, in the sense that the opposite is also probable, it is more inclined to be suspicion.

What might be elicited from that is that eating such kind of food is not unlawful, but it is suspicious, and far from piety. That's because in the event of increasing number of the principles, each having probability of being unlawful, the probability of the unlawful becomes stronger, in the same way as the longer the chain of transmission is, the stronger it becomes probable for the related narration to have lies and faults than it is with the short chain of transmission.

This is the ruling pertinent to that event, and although it belongs to Fatwas, we've mentioned her in order to know thereby how similar confusing and complicated events could be tackled, and how they are reduced to their principles. However, this is what most Muftis fail to deal with.

CHAPTER FOUR

THE WAY A REPENTANT GETS RID OF HIS FINANCIAL INJUSTICE

It should be known that if one repents while he has still in his hand a property in which the lawful is mixed with the unlawful, two duties become incumbent upon him: first, he has to distinguish the unlawful and take out (from

the property). Second to determine the way of spending what he has taken out.

The First Duty: How To Distinguish And Take Out The Unlawful.

It should be known that if one repents (to Allah) and he has in his hand a property in which the lawful is mixed with the unlawful, but at the same time, the unlawful is known as of what is usurped or deposited with him, it is easy to distinguish and then take it out. but if it is confusing, it should be either in a property of similar kinds such as grains, currency or oils, or in a property of distinctive things such as the slaves, houses and dresses.

If it is in the property of similar kinds, or it is common in the whole property, such s the case in which one earns wealth through trade in which he knows that he has told a lie in part and told the truth in part in terms of Murabahah (resale with fixed profits), or usurps some oil and mixes it with his own oil, or does the same in the grains, Dirhams or Dinars, al of that should be either known or unknown in amount. If it is known in amount, like the case in which one knows that half his property is unlawful, he has then to distinguish half his property (and then take it out). In the event of his doubt, he has two ways to follow:

The first is to depend upon what is certain, and the other is to depend upon what is more likely. Both ways are considered by the learned men in one's doubt and being put to confusion about the number of the rak'ahs of his prayer. Concerning the prayer, we do not make permissible but to follow what is certain. The basic rule here is the diversion of the attention, which is not changed except by a strong sign, and there is no reliable sign in relation to the number of the rak'ahs of the prayer. But here, it is impossible to say that the basic rule is that what he has in his hand is unlawful, in so much as it is problematic, and thus it is impermissible for him, out of diligence, to depend upon what is most likely. But it is out of piety to depend upon what is certain.

So, if he likes to abide by piety, the right way to piety is not to keep in his hand but that amount which he is certain to be lawful. If he likes to depend upon what is most likely, the typical way is, for example, that he has property gained from traffic, and a portion thereof is corrupt, thereupon he is certain that half the property is lawful, one-third is unlawful, and the remaining sixth becomes questionable, which he judges depending upon what is most likely.

This is the way of investigation to be followed in every kind of property: i.e. to set aside the amount that he is certain to be lawful or unlawful, and take out the remaining unsettled amount if it is close to his certainty that it is unlawful, or keep it if it is close to his certainty that it is lawful, although it is out of piety to leave it. If he has doubt in it, it is permissible for him to keep it, although it is out of piety to take it out. such piety so stronger for it has come to be doubtful, whereas the permissibility for him to keep it depends upon its being in his own hand, which makes it most likely lawful, in spite of its being weak after the certainty of having been mixed with the unlawful.

But it might probably be argued that the basic rule is the prohibition, and thus he should not take but what is close to his certainty to be lawful, and none of both sides is preferable, and none is preponderant over the other; and this is one of the problems. If it is said that he depends upon what is certain, but he does not know that what he takes out is really the unlawful, and perhaps it is the unlawful that remains in his hand: then, how should he do it? If this is permissible, it will be likewise permissible to say that if a dead animal mixes with nine slaughtered animals making a total of ten, he then could throw away one whatever, and take the remaining nine, and make them lawful. But it might be said that perhaps the dead one is in those nine which he keeps, and even if he leaves nine and keeps only one, it will not be made lawful, for it might probably be the unlawful dead.

In reply to that, let's say that this comparison could have been right had the property been lawful by taking out the exchange in view of its being subject to the rules of compensation, whereas the rules of compensation do not apply to the dead. Let one uncover the abstruseness of that matter through the following supposition: suppose that a particular Dirham is confused with another in the money of a person who has only two Dirhams, one of which is unlawful, although it is confused with the other that is lawful. When Ahmad Ibn Hanbal "Allah be pleased with him" was asked about a similar case, he said: "Let him leave both until he is certain (which of them is the lawful and the other is unlawful). It is reported that he once mortgaged a vessel, and when the term of mortgage was over the mortgagee brought to him two vessels and said to him: "I do not know which of them is yours." On that he left both. The mortgagee said to him: "This is yours. I've just wanted to test you." He then fulfilled his debt and did not take the mortgaged thing.

Although this is out of piety, it is not obligatory. Suppose that one of both Dirhams has a particular owner who is present: let's say that if one of both Dirhams is given back to him, and he accepts it in spite of his knowledge of reality, the other Dirham will be made lawful for the other person, for it has two possibilities: either that which is given back is the same that was taken, in the Knowledge of Allah, and thus the goal has been achieved; otherwise, each Dirham has become in the hand of its owner, and it remains cautious for them to enter into transaction over that by words, and if they do not do, exchange will have become effective only by way of giving and taking.

That's because if a Dirham of anyone from whom it is usurped has escaped him to the hand of the usurper, and it is difficult to identify it, which makes him liable for the surety, the surety would lapse from him once he takes and receives the object of surety; and this is clear in his side, for the one to whom surety is made possesses the surety once he receives the object of surety even by no word. The problem in the other side lies in the fact that it has not entered into his possession. In this case, let's say that if he has received his own Dirham, another Dirham of him has escaped him to the hand of the other man, and as it is not

difficult to identify it, it is like the absent, which allows for the Dirham (which he has received) to be a substitute for it, in the Knowledge of Allah; and this exchange occurs in the Knowledge of Allah.

Such exchange is applicable in the case each one wastes the Dirham of the other. In regard to our issue: if each one throws in the sea or burns what is in his hand he will have wasted it. Suppose he is not committed to exchange by a pledge with the other. The same is true also if it is not wasted. This is preferable to saying that if one takes a single Dirham that is unlawful, and mixes it with a wealth of a million Dirhams belonging to another person, therewith the whole property becomes subject to restriction of legal competence which hinders him from disposal of it. But this is not selling as some might seem to say, for there is no sold thing to be referred to herein, nor is it known for certain in itself.

Furthermore, it might be of those things that are not susceptible to sale, such as the case in which one mixes a single pound of baking powder with one thousand pounds of baking powder belonging to another person. The same is true of molasses, fresh dates, and the like of it from those things which could not be sold as part for part thereof.

But it might be argued that 'you have made permissible for him to give up as much as is equal to his right in that form, and made it a kind of selling'. We say that we do not make it selling in so much as it is an exchange for what has escaped from his hand: so, let him possess it in the same way as when one whose fresh dates are ruined by another possesses the like of which he takes in substitution for it.

This is true in case the property holder helps him. But if he helps him not, and cause damage to him, by saying that he would not take any Dirham but his own, and (in case he does not find it) he would not give it as a gift, but would leave it, in order to make idle the property of the other person, I am ready to say here that the judge should act as his deputy in receiving such a Dirham until it purifies the property of the other for him, for this is, to be sure, extreme obstinacy and pigheadedness, and is not intended by Sharia.

If he fails to find a judge to undertake the matter, let him resort to a religious man to receive it on the behalf of the other person, and if he could find none to do so, he then should do it himself, i.e. take out a Dirham with the intention to give it to the other person, and this is permissible for him, and it purifies his property. This ruling is more obviously effective in the mixing of unaccountables.

But, if it is said that taking is lawful for him, which allows the right to transfer to him: why is there a need for him to take it out first, and dispose of the remaining afterwards? The reply is that some people say that it is lawful for him to take in so much as the amount of what is unlawful remains, and it is impermissible for him to take the whole, and if he is to take it, it will not be permissible for him. But others are of the opinion that he has no right to take

unless he takes out first the amount that is equal to the unlawful, by way of repentance and for the purpose of exchange. According to a third group, it is permissible for the taker to take from him, but it is not permissible for him to give, and were he to give, he would become disobedient, unlike the taker from him. Therefore, none of the learned makes it permissible the taking of the whole, for if the owner appears, he has the right to take only his right from it, arguing that what he takes might be his own right.

To be sure, the distinguishing and taking out the right of the other from the property empowers that probability, and the property becomes more inclined to be lawful depending upon that probability. It is well-known that what is close to the truth should have the precedence over anything else, just as the like has precedence over the value, and the same thing has precedence over the like, the probability of bringing back the like has precedence over the probability of bringing back the value, and the probability of bringing back the same thing has precedence over the probability of bringing back the like.

Had it been possible for one to say so (i.e. there is no need to take it out first and then dispose of the remaining), it then would have been possible for the owner of the other Dirham to take both Dirhams and dispose of them and say to the other: "Your right is due upon me, but from another sources." That's because mixing lies on both parties, and it is not in the possession of anyone in the sense that he might guess his missed one to be more preferable to the other but to consider the lesser as being his missed, or consider that which has been mixed, and regard himself having ruined the right of the other by such mixing. Both possibilities are more unlikely to happen. This is more obvious in the property of similar kinds (like grains, oils, etc), in which compensation for damage is available with no contract.

But in case a house is confused with other houses, or a slave with other slaves, there is no way to reconciliation or mutual consent. If he insists on taking but his own right, and the other fails to give it to him, and he thus intends to make idle the property for him: if they are of the same value, the right way for the judge is to sell all houses, and distribute on them the price in proportion to their definite shares; and if they are of different value, the judge then should take from the sale petitioner the value of the most expensive house, and give to the rejecter (to take but his own right) the value of the cheapest among them, and keep the amount of difference as charges for it is very abstruse and problematic. But if there is no judge to do so, one who likes salvation and he has the whole property then could do it by himself. This is the most fitting benefit, and the other probabilities are weak, which we should not choose.

In all that we've already introduced, the cause should be highlighted. This matter is clearly obvious in, say, wheat, followed by currency, whereas it is abstruse in case of goods which could not be substituted on the basis of a portion for a portion and thus selling here is needed. Let's raise some situations therewith to make perfect the exposition of that matter.

Situation: if one is involved in inheritance with a group of people, and the ruler had usurped a piece of land from their inheritor, and then he gave him back a particular piece of land: in this case, it should go to all the heirs. If he gave him half the piece of land, which is the right of the heirs from him, this half could not be distinguishable in order that it would be thought to be the one brought back, and the remaining half be the usurped. It would not become distinguishable even by the intention and purpose of the ruler to limit usurpation to the share of the others.

Situation: If one has property in his hand which he has taken from a wrongful governor and then he repents; and the property consists of a house, from which he has got benefit, he should then count the utilization fee due upon him during that period. The same is true of everything that is usurped, from which one has got benefit, or which has yielded in his hand. However, it is so much difficult to estimate the charge of slaves, dresses, vessels, and the like of that, unless by way of endeavour and guessing. Thus, all estimations is achieved by way of endeavour and guessing. The way of piety is to depend upon the maximum. Furthermore, what one profits from the usurped property, in relation to transactions and deals he made on credit, and then he fulfilled the price, becomes his own possession; but it is suspicious, since its price is unlawful, as we've already explained.

If it pertains to the property itself, the contracts made thereof are corrupt, although it might be effective by the consent of the one from whom it was usurped, for the sake of the interest; but the one from whom it was usurped is more fitting for it. But the right analogy is that those contracts should be repealed, and the price should be brought back, as one of both compensations (the price or the commodity). If he fails to give it back in view of being so much, it is unlawful property, and the one from whom it was usurped has as much as is equal to his capital, and the surplus is unlawful, and it should be taken out and given in charity; and it is unlawful for the usurper and the one from whom it was usurped, for it is subject to the same ruling pertinent to every kind of the unlawful that falls in his hand.

Situation: If one inherits property and he does not know from which sources has his inheritor gained it, and whether it is lawful or unlawful, and there is no sign (to indicate whether it is lawful or unlawful), it should be rendered lawful by consensus. If he knows that it has a portion that is unlawful, and he has doubt in its definite amount, he should take out as much as is equal to it which he should estimate by way of investigation. But if he does not know that, and rather knows that his inheritor was in charge of some jobs for the governors, and he has doubt whether or not he used to take charge for his work, and even in the event of taking, nothing remained with him by virtue of the very long time, this is a kind of suspicion, that it is better and not obligatory for one to abstain from.

If he knows that some of his property was gained wrongfully, it becomes binding upon him to give out that amount, which he should endeavour to estimate, although some scholars are of the opinion that it is not incumbent upon

him, and the sin thereof is due upon the inheritor. Their evidence is once a man who was in charge of a certain job belonging to the governor died, thereupon a Companion said: "Now, his property has become lawful for his heir." But this is a weak narration, since the companion referred to herein is not named; and perhaps, this word was given by an indulgent one, for among the companions, there were some who used to indulge in some matters, but we do not like to name those because of the sanctity of the holy companions. How should the death of a man make permissible the unlawful that is certain to be mixed (with the lawful)? On which grounds does it depend? It is true that in the absence of certainty, it might be argued that he is not blamed for what he knows not, and thus it might be made lawful for an heir who does not know for certain that it has unlawful.

The Second Duty: The Way of Spending It

Once he takes out the unlawful from the property, there are three cases:

The first is that it might have a particular owner, to whom it should be given, or to his heir, and if he is absent, one should wait until he comes back, or he should send it to him. In the event of the profit or surplus benefit, it should be counted and accumulated until he attends.

The second is hat it belongs to an owner, but he is not identified, and there is despair to find him, and it is not known whether or not he died and left heirs. This is not possible to be given back to the owner (since it is unknown), and it should be made endowment until it becomes clear. It might be impossible to be brought back in view of the numerous owners, like in the case of the misappropriation of war spoils: after the fighters disperse, how could they be gathered together in order to be distributed among them; and even if it is possible, how could a single Dinar be distributed among one or two thousand fighters? For this reason, such should be given in charity.

The third belongs to the property of Fai' (what is gained with no fight), and the property assigned for the public interest of all the Muslims: this should be spend upon building bridges, mosques, public houses, the wells of water dug on the way to Mecca, and the like of those affairs, the benefit of which is shared by all of the Muslims who pass by.

There is no suspicion in the first division. as for building bridges and giving in charity, it is the judge who should undertake the process. In case a religious judge is available, money should be handed over to him. The judge whatever should be liable for what he is given, and his religiousness should be judged by townsmen. If there is no such judge, let him undertake take the process by himself, for what is intended is to spend it, and the spender is sought only to direct it to the public interests. So, spending should not be abandoned because of the failure to find the spender who is preferable once he is available.

If it is asked: "What is the evidence to support the permissibility of giving in charity what is unlawful? And, how should one give in charity what he possesses not? Some people are of the opinion that this is impermissible due to its being

unlawful. In this issue, it is reported that two Dirhams fell in the hand of Al-Fudail, and on knowing that they were not lawful, he threw them between the stones and said: "I do not give in charity but the lawful, and I do not accept for anyone else but the same as I accept for myself."

In reply to that, let's say that this is probable, and it might be valid. But we otherwise choose depending upon a Prophetic narration, tradition and analogy.

As for the Prophetic narration, it is reported that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" commanded that the sheep of the praying woman brought to him be given in charity, and it had talked to him, and told him that it was unlawful. On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Feed therewith the captives." (This narration is reported by Ahmad on the authority of a man from the Ansar)

When Allah Almighty revealed the following statement: "The Romans have been defeated. In the nearer land (Syria, Iraq, Jordan, and Palestine), and they, after their defeat, will be victorious." (Ar-Rum 2:3) on that the disbelievers and pagans (of Quraish) belied him and said to the companions: "Do you not turn your face to that which your companion (Muhammad) is saying? He alleges that the Romans would emerge victorious." Abu Bakr betted with them, by permission of the Messenger of Allah,"Allah's blessing and peace be upon him". When Allah Almighty fulfilled His truthfulness (by having the Romans emerge victorious) and Abu Bakr brought to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" what he betted with them on, he said to him: "This is illegal thing. Give it in charity." The believers were very happy with the victory of Allah. Afterwards the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" prohibited betting. (This narration is reported by Al-Baihaqi on the authority of Ibn Abbas, but void of the statement that such betting was by the permission of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". The narration of At-Tirmidhi and Al-Hakim is void of the statement of the Prophet "This is illegal, so, give it in charity").

In regard to the tradition, it is reported that Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" bought a slave-girl, and he could not get her owner to give him the price, and he demanded him pressingly, but in vain. On that he gave the price in charity and said: "O Allah! This is on his behalf if he accepts, otherwise, let the reward be for me."

Once, Al-Hassan was asked about the repentance of the one who misappropriates war spoils, and the destiny of what is taken from him after the dispersal of the army, thereupon he said: "It should be given in charity."

It is further reported that it was made alluring to one to misappropriate one hundred Dinars from the war spoils, and when he came to give them back to the leader, he rejected, and said: "The people have dispersed." He went to Mu'awiyah who also rejected to receive them. He went to a devout worshipper who told him to give one-fifth to Mu'awiyah, and give the remaining in charity. When the news

of that reached Mu'awiyah, he grew sad in sigh of his failure to catch this idea. This opinion is adopted by Ahmad Ibn Hanbal, Al-Harith Al-Muhasibi and others from amongst the pious people.

The right analogy is to say that this money should be either wasted or spent in what is good, since there is despair to find its owner. Necessarily, it is well-known that spending it in what is good is preferable than throwing it in the sea; and if we throw it in the sea, we will waste it from ourselves as well as from the owner, with no benefit to be got from it. But if we give it to a poor, who invokes good upon its owner, the owner will get the blessing of his invocation, and the poor will satisfy his needs. Furthermore, the reward that the owner receives even without his choice (to give in charity) is undeniable. According to an authentic narration, the sower of seeds and farmer has reward in all that the people and birds get from the yields of his fruits and crops. (This narration is reported by Al-Bukhari on the authority of Anas).

Furthermore, the statement that "We do not give in charity but the lawful" is held valid if we demand the reward for ourselves. But now, we demand salvation from the injustice, and not the reward, and standing between wasting the money or giving it in charity, and of a surety, we give predominance to giving it in charity over wasting it.

The statement "We do not accept for anyone else but the same as we accept for ourselves" is true, but it is unlawful for us due to our dispensing with it, whereas it is lawful for the poor due to his need for it, once it is made lawful by a Sharia-based proof. If it is required by interest to be made lawful, it should be made lawful, and once it becomes lawful, we've accepted the lawful for him.

We go further by saying that he has the right to spend it on himself and his dependents in case they are poor. To be spent on his dependents is obvious, for in no way could poverty be removed from them only because they are his family and dependents: on the contrary, they are preferable to others for charity to be given to them. As for him, he might take from it as much as is in proportion to his need, due to his poverty; and if he gives it to another poor by way of charity it will be permissible; and why is it not so in case he himself represents that poor? Let's draw many situations in exposition of that principle.

Situation: If one has property belonging to a governor. Some people say that it should be brought back to the governor, since he knows, more than anyone else, from whom it was taken. This is better than to give it in charity. This is the preference of Al-Muhasibi, who says in his argument: "How should he give it in charity, given that it might have a particular owner? Had it been permissible, it would have been also permissible to steal anything from the governor, and then give it in charity." But according to other people, he might give it in charity if he knows that the governor will not give it back to its real owner. But to give it to

the governor is to help the wrongful and increase injustice. To give it to him then is to waste the right of the owner.

The preferred opinion here is that if the governor is known not to return it to its owner, then, it is better for the owner, in case there is any, to give it in charity on his behalf, than to give it back to the governor. That is because perhaps it may have no particular owner, and rather might be a right for the Muslims in general; and to give it to the governor is to waste it from the Muslims; and it might probably have a particular owner, in which case, to give it back to the governor is to waste it from such owner, help the wrongful governor (persist in injustice), and hold back the blessing of the invocation of the poor in favour of the owner.

If it falls in his hand from a legacy, and he does not take it by himself from the governor, it is similar to the Luqatah, whose owner is not available, and he fails to find him, and he has no right to dispose of it by giving it in charity on behalf of its owner, in so much as he has the right to own it. On the other hand, if he is not in need, and has gained it by a permissible way, which is the picking up, here, it has not been gained by such a permissible way, which prevents it from being owned but not from being given in charity.

Situation: If he has money which has no owner, and we make it permissible for him to take from it as much as in proportion to his need, in view of his poverty, what is equal to his need is questionable as we've already mentioned in the Book of the Mysteries of Zakat. According to some people, he might take as much as is equal to suffice him and his dependents for a year, and if he is able to buy an orchard or build a commercial enterprise to utilize in earnings for himself and his dependents, he could do.

Although this is the favorite of Al-Muhasibi, he is of the opinion that it is preferable for him to give in charity the whole if he finds himself having the power to put his trust on Allah, and keep patient in expectation for the lawful by virtue of Allah's kindness and mercy. If he is not able to do so, he could then buy an orchard or build a commercial project to earn his living thereof fairly. Everyday he finds other lawful sources, let him then refrain from that property for this day, until at the end of a whole year: if he finds particular lawful sources (for earnings), let him give in charity as much as is equal to what he has spent during that year, regarding it a loan with him. Let him be satisfied with eating bread and leaving meat if he has the power to do so, otherwise, he could eat meat but not liberally.

We could hardly add more to what he said: but to regard what he has spent (during the year) a loan with him is questionable. Undoubtedly, it is out of piety to regard it a loan, and once he finds lawful sources , he has to give the like of it in charity. But as this is not binding upon the poor to whom it is given in charity, it is not unlikely not to be binding upon him too in case he takes it because of his poverty, given that it falls in his hand from a legacy and he does not seek to usurp and gain it in order to become subject to hard terms concerning it.

Situation: If he has in his hand the lawful, unlawful, and suspicious property, and none of them is beyond his need. If he has dependents, he should not assign the lawful to himself apart from them, because the argument is more likely to be against himself than to be against his dependents, whom he should safeguard from the unlawful, provided that it should not result in giving them what is more grievous, in which case, let him feed them (from that unlawful) as much as is in proportion to their need. In brief, he should beware for others the same as he bewares for himself and more. That's, he takes from it with his knowledge (of being unlawful), whereas the dependents might be excused in the absence of knowledge of that.

So, he has to start with the lawful for himself and then for his dependents. If he is to spend on his own sustenance and dress on the one hand, and on providing for the various services like the butcher, baker, tailor, cupper, porter, painting and furnishing the house, looking after the riding mount, preparing the oven, paying for the fire wood, lighting up the lamp: in all of that, he should not assign the lawful only to his sustenance and dress, for what is related with his body, which is indispensable should more likely be good and lawful. If the matter is to revolve between his sustenance and dress, it might probably be aid that he has to assign the lawful to the sustenance for it is directly mixed with his flesh and blood, and of a surety, the fire (of Hell) is more likely to burn every (piece of) flesh that grows out of the unlawful. But the benefit of the dress is to cover his private parts, protect him from heat and cold, and avert sights from his complexion. This is more evident in my sight.

But Al-Harith Al-Muhasibi is of the opinion hat he should give precedence to dress over food for the dress remains on his body longer than food which is digested soon. This is supported by a narration (in which the Prophet said): "Allah Almighty never accepts the prayer from anyone who has on him a dress that he has bought for ten Dirhams, one of which is unlawful." (This narration is reported by Ahmad on the authority of Ibn Umar). This is probable. But such statements were said in connection with such of people as had unlawful in his belly and his flesh grew up from the unlawful. It is preferable for one to endeavour to nurture his flesh and bone from the lawful. For this reason, Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" forced himself to vomit what he drank while it was ignorant of its sources, for fear an amount of flesh would grow out of it.

It might be argued: "If the whole is being spent on his affairs, what is the difference between his own affairs and the affairs of others? Additionally, what is the difference between each area on which he is to spend? And what is the way to perceive such differences?"

In reply to that, let's quote the narration in which it is reported that Rafi' Ibn Khadij "Allah be pleased with him" died and left a camel to be used for carrying water and a slave whose profession was cupping. When the Messenger of Allah

"Allah's blessing and peace be upon him" was asked about that, he forbade the earnings of a cupper; and he was asked many times, and he insisted on his forbiddance. When it was said to him that he had orphans, he said: "Then, utilize it (the cupper's earnings) in foddering the camel used for carrying water." (This narration is reported by Ahmad and At-Tabarani on the authority of Abayah Ibn Rifa'ah Ibn Rafi' Ibn Khadij). This refers to the difference between what one eats and what his riding animal eats. You could then compare the other differences on it.

Situation: In regard to the unlawful that is in his hand: if he gives it to the poor by way of charity: he could give them liberally, whereas if he spends it on himself, he should do stingily as much as is within his capacity. He has to be moderate in what he spends thereof on his dependents. Let him be in the middle between liberality and stinginess. Thus, he has three levels of spending:

If he is to spend on a guest who comes to visit him, and he is poor, let him spend on him liberally as much as he could; and if he is rich, he has to feed him only in case he is in the desert, or comes at night has finds nothing (to eat), for at that time, he becomes poor. If the poor guest who comes to visit him is pious and on his knowledge (of the unlawfulness of the property from which he feeds him), he surely would refrain from eating, he should serve food to him, and tell him about it, in combination of the right of hospitality and the right not to deceive him. It is not fitting for him to provide hospitality to his brother with what he dislikes, nor to rely on his ignorance, and thus it harms him not to eat. However, if the unlawful enters the stomach, it would increase the harshness of the heart, even if one knows it not. For this reason, both Abu Bakr and Umar "Allah be pleased with them" forced themselves to vomit, although they drank while they were ignorant (of the sources).

If we give a fatwa that it is lawful for the poor, we will have made it lawful because of the need to it, like (the flesh of) swine and wine if made lawful because of necessity; but they could never join the lawful.

Situation: If one's parents have in their hands the unlawful or suspicious, he should refrain from sharing food with them. If they are to grow angry because of that, he should not submit to them: on the contrary, he should not cease to advise them, since there is no obedience of any creature in what leads to the disobedience of Allah Almighty. If what they have is (not unlawful but) suspicious, and his refraining from it is out of piety, it should be known that it is out of piety, if not obligatory, to seek their pleasure. So, he should be kind in refraining, and if he fails, let him submit to them provided that he should belittle his food, by making small the morsel, prolonging chewing, and avoiding openhandedness, since this will be transgression. Both brother and sister are also included, since their rights are certain.

Similarly, if his mother dresses him in a dress whose sources are suspicious, and she will become angry in case he rejects it, let him accept it, and wear it in

front of her, and take it off in her absence, and endeavour not to pray in it unless she is present, and pray in it as if he is forced by necessity. One should investigate those subtleties when the causes of piety contradict each other. In this respect, it is reported that the mother of Bishr "may Allah bestow mercy upon him" gave him fresh dates which he disliked, and said to him: "By my right upon you, you should eat it." Then, he came up to his chamber, and his mother followed him and behold! She saw him having forced himself to vomit it. He did so because he liked to combine pleasing his mother and maintaining his stomach (from what is unlawful or suspicious).

It was said to Ahmad Ibn Hanbal: When Bishr was asked whether it is incumbent to obey one's parents in what is suspicious, and he answered in the negative, Ahmad said: "This belongs to the hard terms in religion." It was said to him that when Muhammad Ibn Muqatil was asked about it he said: "Be dutiful to your parents": "What is your opinion?" he said to the asker: "I like you excuse me and exempt me from answer. I've heard what you said." Then he added: "How excellent is that if you adulate them."

Situation: If one has unlawful property in his hand, no Hajj is binding upon him, and no financial expiation is required from him, and Zakat is not due upon him for he is regarded bankrupt. That's because the Zakat is the obligation to give out one-fortieth, whereas it is obligatory for him to take out the whole of his property, either by way of giving it back to the owner in case he knows him, or spending upon the poor in case the owner is not known.

But if this property is suspicious, and it might probably be lawful: if he does not take out of his hand, Hajj becomes binding upon him, due to the fact that its being lawful is possible, and Hajj does not lapse except because of poverty, which is absent here in this case. Allah Almighty says: "And Hajj (pilgrimage to Mecca) to the House (Ka'bah) is a duty that mankind owes to Allah, those who can afford the expenses (for one's conveyance, provision and residence)." (Al Imran 97)

﴿ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴿٩٧﴾ ﴾

If it becomes due upon him to give in charity hat is beyond his need, as it becomes close to his certainty that it is unlawful, then, Zakat is more binding. If he is to make expiation (for anything) let him combine both fasting and emancipating, in order to get salvage with certainty.

According to some people, fasting and not feeding is binding upon him in case of expiation on the grounds that he has no definite richness. But Al-Muhasibi is of the opinion that feeding is sufficient for him. What we choose is that every kind of suspicious property that we judge to be avoided, and make binding upon him to take out as its being unlawful is probable, causes him to combine both fasting and feeding. Fasting is due to his being bankrupt in effect, whereas feeding is because it is due upon him to give the whole in charity, and as

he might probably have a share (in the property that is lawful), it becomes due upon him by way of expiation.

Situation: If one has unlawful property in his hand which he keeps because of his dire need, and he likes to perform voluntary Hajj: in case he is going on foot, there will be no sin on him for if he is to devour that property in anything other than the act of worship, then, it is preferable to devour it in the act of worship. But if he has no power to go on foot, and he needs extra to afford for the riding mount, it will be impermissible for him to take from the property to afford for hiring or even buying such a riding mount. If he expects to get lawful money if he waits for some time to dispense thereby with the unlawful that he has, then, it is more fitting to wait in expectation for the lawful than to go on foot for Hajj with the unlawful property.

Situation: If one has suspicious property and he sets out to perform the obligation of Hajj, let him endeavour to get his sustenance from the lawful. But if he fails during the period from assuming until putting off Ihram, let him do his best on the Day of Arafah not to stand before and supplicate Allah Almighty at a time his food and dress are from the unlawful. Let him endeavour to have nothing unlawful in his abdomen, or on his body. However, if we make Hajj permissible with that, it is because of necessity; and if he fails to do what we join with the lawful, let him at least adhere to fear and anxiety for his being forced to get what is not lawful, perchance he will be seen with the eye of mercy, and excused because of his fear, anxiety and aversion (towards what is unlawful).

Situation: Ahmad Ibn Hanbal was asked by a man who said to him: "My father died and left property, and he used to deal with those dealing with whom is undesirable." On that he said to him: "Leave out of his property as much as he profited." He said: "He has debt due to him, as well as owing debt." He said: "Repay what is due upon him, and take back what is due to him." He asked him: "Do you see that?" he said: "Then, should you leave him detained because of his debt?"

However, what he mentioned is right, and it signifies that he is of the opinion that one should investigate to take out as much as is equal to the lawful, as shown from his saying that he should leave out as much as is equal to what he profited. He also sees that the capital itself belongs to him, in return for what he gave as a corrupt compensation (i.e. the price), no matter how many dealings he had, and no matter how difficult it was to give them back. He also relied, in regard to fulfilling his debt, on its being certain, which should not be left because of suspicion.

CHAPTER FIVE: ANNUITIES AND GIFTS OF RULERS; AND WHAT IS LAWFUL AND UNLAWFUL OF THEM

It should be known that if one takes money from a ruler, he should consider three things: the resources of the income from which the governor gets it, the

qualities for which it is worthy of being taken, and the amount which he takes, and whether or not he deserves it in relation to his partners who share eligibility with him.

The First Consideration: The Resources Of Income Of The Governor

There are two resources of income that are lawful for the governor whether apart from or in common with his subjects: what is taken from the disbelievers, i.e. the war spoils taken through fighting, Fai' that is gained with no fighting, Jizyah and funds gained by way of reconciliation, i.e. the money that is taken through certain conditions and contracting. The second is that which is taken from the Muslims, and nothing thereof is lawful except two things: the legacies and all things which have no unidentified owners, and the endowments, which have no guardians. In regard to alms, there are no alms to talk about in this time. All things that are beyond that, like the taxes, imposed upon the Muslims, confiscated property and bribes are unlawful.

If a jurisprudent or anyone else is to be given by a written deed an annuity, a gift, or anything like it, it should be one of the following eight things:

It might be given to him by a written deed from Jizyah, from legacies, from endowments, from estate that is given life by the governor, from property which he has bought, from a collector of taxes imposed upon Muslims, from a seller who is one among the traders and merchants, or from treasury.

In regard to Jizyah, four-fifths should be spent on the public interests and the remaining fifth on particular areas. What is given by a written deed from that fifth, or even from the four-fifths to serve the public interests, with observation of caution in relation to the given amount, is lawful, provided that the Jizyah should be imposed in accordance with Sharia principles, which is no more than one to four Dinars. This is a matter of endeavour. The governor should do his best not to exceed.

Another condition is that the Jizyah taken from a non-Muslim should not be from unlawful earnings, i.e. he should not be an employee belonging to a wrongful governor, nor a wine seller, nor a boy, nor a woman, from whom no Jizyah is binding. So, one should observe the way the Jizyah is imposed, its amount, the way it is spent, the eligibility of those to whom it is spent, and the amount that is to be given to him.

The second pertains to legacies and lost property. They should be spent on the public interests. In this respect, one should consider the inheritor or the owner, whether the whole or the greatest or the least portion of his property is unlawful; and we've already judged it. If it is found to be not unlawful, one should next consider the eligibility of him on whom it is to be spent, with observation to the condition of benefit and interest to be achieved from spending on him. The spent amount also should be considered.

The third pertains to endowments, and the same rulings of legacies apply to

it, besides one thing, i.e. to consider the conditions stipulated by the grantor, in order that what is taken should go in accordance with those conditions.

The fourth pertains to the estate that is given life by the governor, and there is no particular condition to be considered herein, for he has the right to give from his own property whatever he likes to whomever he likes. But what should be considered here is that the governor most likely gives life to land by forcing the workers to work under compulsion, or give them their fees from the unlawful. To give life to an estate results, from digging canals and rivers, building walls, leveling the land, etc, a work that the governor does not do by himself. If they are forced to do, what they do then does not belong to the governor, and thus, it is unlawful for him; and if they are hired, and their charges are paid from the unlawful, this will summon suspicion to which we've already alerted.

The fifth pertains to what is bought by the governor on credit, like a piece of land, a garment, a horse, etc. all of that is his own property, and he has the right to dispose of it in the way he likes. But as he will fulfill the price from the unlawful, this will summon prohibition in some cases, and suspicion in other cases; and we've already explained that in more detail.

The sixth is what is given by a written deed from the collector of taxes of Muslims or the collector of his wealth through distributions and confiscated property: it is that which is illegal and unlawful, in which there is no suspicion. Most annuities in those days come from that division, except what comes from the land of Iraq, for it is endowment for the interests of Muslims according to Shafi'i "may Allah have mercy upon him".

The seventh pertains to what is taken by a written deed from a seller who has dealings with the governor. If he has no dealings with anyone other than him, his property then is like that of the treasury; and if he has dealings more with other people, what he gives is a loan due upon the governor, and he should take payment instead of it from the treasury. In this way, deficiency lies in the compensation, and we've already mentioned the ruling pertinent to the unlawful price.

The eighth pertains to what is taken by a written deed from the treasury or from an appointed deputy with whom both the lawful and unlawful gather together. If the governor has no income to be known other than the unlawful, it will be merely illegal; and if it is learnt with certainty that the treasury contains lawful as well as unlawful property, and what is given to him might probably be from the lawful, and this is his prevalent thought, or from the unlawful, and this is more likely for the property of governors are unlawful for the most part at those times, whereas the lawful in their hands represents the least, if there is any at all, what should be done then is debatable.

Some people say that we take all which we are not certain that it is unlawful; and others say that it should not be taken unless it is verified to be lawful, on the grounds of prohibiting the suspicious. Both opinions are extremely radical. The

moderate judgement is what we've mentioned earlier, i.e. if the unlawful represents the greatest portion, it should then be made unlawful, and if the lawful represents the greatest portion, and there is certainty of having unlawful, it is the situation at which we've stopped.

The argument driven by those who makes it permissible to take the funds from the governors even if both unlawful and lawful mix in it, and what is taken is not verified to be lawful or unlawful, is the narration from some companions that they caught the times of the wrongful rulers, and took form them, like Abu Hurairah, Abu Sa'id Al-Khudri, Zaid Ibn Thabit, Abu Ayyub Al-Ansari, Jarir Ibn Abdullah, Jabir, Anas Ibn Malik, and Al-Miswar Ibn Makhramah.

Both Abu Sa'id and Abu Hurairah from Marwan and Yazid Ibn Abdul-Malik; Ibn Umar and Ibn Abbas took from Al-Hajjaj. Many of the followers also took (from wrongful rulers) like Ash-Sha'bi, Ibrahim, Al-Hassan, and Ibn Abu Laila; and Ash-Shafi'i took one thousand Dinars from Harun Ar-Rashid; and Malik took much property from many caliphs. It is reported that Ali Ibn Abu Talib said: "Take what is given to you by the governor, for what he gives you is from the lawful, and what he takes from the lawful is more (than what he takes from the unlawful)."

Those who refrained from taking did so out of piety, and because of their fea for their religion, lest he would be forced to do the unlawful. Consider th statement of Abu Dharr to Al-Ahnaf Ibn Qais: "Take what is given to you as long as it is not for purpose, but if it leads to sin in religion, leave it." According to Abu Hurairah : "If we are given, we'll accept it, and if we are forbidden, we'll never ask for it." It is reported on the authority of Abu Sa'id that whenever Mu'awiyah gave Abu Hurairah, he would keep silent, and whenever he withheld from him, he would attack him.

It is narrated on the authority of Ash-Sha'bi from Masruq that he said: "The gift will keep tempting those who take it until it leads them to the fire." i.e. it leads them to commit the unlawful, and it is not that it is unlawful in itself.

It is narrated by Nafi from Ibn Umar that Al-Mukhtar used to send money to him, and he would accept it and say: "I do not beg anyone, nor do I reject what Allah Almighty has bestowed upon me." He gave him a she-camel as a gift, and he accepted it, and it was known as the she-camel of Al-Mukhtar. But there is a contradictory narration according to which Ibn Umar is reported to have rejected no gift except for the gift of Al-Mukhtar. The chain of transmission of this narration is stronger.

It is reported on the authority of Nafi' that Ibn Ma'mar sent to Ibn Umar sixty thousand, which he distributed among the people, and when someone came to beg him, he took a loan from a person of those whom he had given, and gave the beggar.

When Al-Hassan Ibn Ali came to Mu'awiyah, he said to him: "I will give you

a gift which I've never nor will I give to anyone of the Arabs other than you." He gave him four hundred thousand Dirhams, which he accepted. It is further reported on the authority of Thabit Ibn Habib that he said: "I saw the gift of Al-Mukhtar to both Ibn Umar and Ibn Abbas, and both accepted it." When he was asked about it he said: "It consisted of money and clothes."

It is narrated on the authority of Az-Zubair Ibn Adi that he said: Salman said: "If you have a friend who is a governor's deputy or trader, and he deals with others on usury basis, and he invites you to food or the like of it, or gives you anything, accept it, because the benefit will be for you, and the sin will be on him." If this is proven in regard to the usury devourer, then it should apply to the wrongful.

It is narrated on the authority of Ja'far from his father that both Al-Hassan and Al-Hussain used to accept the gifts of Mu'awiyah. Hakim Ibn Jubair said: "We came upon Sa'id Ibn Jubair and he was appointed in charge of the lower part of Euphrates, thereupon he sent to the tenths collectors 'that you should feed us from what you have', and they sent food, and he ate and we share food with him."

Al-Ala' Ibn Zuhair said: "Ibrahim visited my father, and he was the governor's viceroy of Hilwan, and he gave him a gift, which Ibrahim accepted and said: "There is no harm to accept the gifts of the viceroys, since they have provisions and sustenance and both the lawful and unlawful enter his treasury: but what he gives you is from the lawful of his own property."

All of those people accepted the gifts of wrongful governors, and all of them criticized him who obeyed them in what led to the disobedience of Allah Almighty. This group (of debaters) pretend that the reports that show how many of the predecessors rejected to accept such gifts do not refer to prohibition in so much as they indicate to piety; and a mention might be made here of the rightly-guided caliphs, Abu Dharr, and their likes from amongst the ascetics who refrained from the lawful out of abstention, as well as from such of lawful as it is feared to lead to the forbidden. However, their abstention was out of piety and Allah-fearingness.

In this way, the acceptance of those whom we have already mentioned affirms the permissibility, whereas the rejection of the others does not indicate to prohibition. The reports that show how Sa'id Ibn Al-Musayyab, for instance, refrained from getting his income from the treasury until it accumulated and amounted over thirty thousand, and the statement of Al-Hassan: "I never perform ablution from the water belonging to a money changer even if the prayer is due, for I do not know the original sources of his property, belong to undeniable piety, and to adopt it is much better than to adopt liberality, although the adoption of liberality is not unlawful.

This is the argument of those who make it permissible to take the funds from the wrongful rulers. But the reply to it is that the reports which show the

acceptance of some of them are limited and they represent the least in comparison with the reports which affirm the rejection and denial. But, putting in mind the probability that their refraining was out of piety, three probabilities of different levels and degrees according to their difference of piety might be elicited. There are four levels of piety in regard with the governors:

The first level is to take nothing from their funds in principle, like what the pious among them did, and so did the rightly-guided caliphs. Abu Bakr "Allah be pleased with him" counted all that he got from the treasury (during his caliphate) and it was six thousand Dirhams, which he made himself owe to the treasury. Umar "Allah be pleased with him" was distributing the money of the treasury one day when one of his daughters entered and took a single Dirham, thereupon Umar got up in pursuit of her until the covering fell down from one of his shoulders. The female child entered the house of her mother weeping, making the Dirham in her mouth. Umar got his finger and took it out of her mouth and placed it with the money of the taxes. Then he said: "O people! It is not for Umar, nor for the family of Umar more than what is for the Muslims, their near and far."

According to another narration, while Abu Musa Al-Ash'ari was sweeping the treasury he found a Dirham. At the same time, one of the children of Umar "Allah be pleased with him" passed by him, to whom he gave the Dirham. When Umar saw it in the hand of the child, he asked him about it, and he told him that Abu Musa had given it to him. He said to him: "O Abu Musa! Is there not amongst the inhabitants of Medina a house easier to you than the house of Umar? Do you like that there remains none from amongst the nation of Muhammad "Peace be upon him" but that he will have a claim of grievance against us?" he brought back the Dirham to the treasury.

Although the money here was lawful for him, he feared he might not deserve it. He used to keep his religion and honour blameless, and satisfy himself with the minimum requirements of living, in compliance with the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Leave what arouses doubt in you to that which arouses not doubt in you" and: "Whoever leaves (what is suspicious) has indeed kept his religion and honour blameless." He heard many severe warnings from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" of the funds of governors.

An example is the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" to Ubadah Ibn As-Samit when he sent him to collect almsgiving: "Fear Allah O Abu Al-Walid, lest you would come on the Day of Judgement with a camel that is grunting you are carrying on your shoulder, or a cow that is mooing, or a sheep that is bleating." He said: "O Messenger of Allah! Is it really going to happen?" he said: "Yes, by Him in Whose Hand is my soul, except for him, upon whom Allah has bestowed mercy." On that he said: "By Him Who has sent you with the truth, I will never become in charge of anything

like this." (This narration is reported by Shafi'i in his Musnad on the authority of Tawus, and Abu Ya'li on the authority of Ibn Umar, and its chain of transmission is correct).

It is further narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I do not fear for you that you will become pagans after me, but I fear for you that you come to compete one another." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of Uqbah Ibn Amir). He feared for them that they would compete in the funds. For this reason, Umar "Allah be pleased with him" said in a long narration in which he was talking about the funds of treasury: "I find myself only like the guardian of an orphan's property: "if I find myself not in need, I shall refrain from it, and if I find myself in need, I shall eat of it fairly and reasonably."

It is narrated that one of Tawus's sons wrote a message on the tongue of his father to Umar Ibn Abd Al-Aziz, thereupon Umar sent to him three hundred Dinars. On hearing that, Tawus sold an orchard belonging to him and sent to him from its price three hundred Dinars. We should put in mind that in no way could any ruler be like Umar Ibn Abd Al-Aziz. This is the highest level of piety.

The second level of piety is that one takes the funds of the ruler, provided that he knows that what he takes is from lawful sources. Thus, the ruler's having other funds from unlawful sources harms him not. It is within this concept that all or most reports or at least those connected with the glorious companions, and the pious among them in particular like Ibn Umar should be understood. Ibn Umar was of those who attained an extreme degree of piety: how then should he take liberally from the ruler's funds despite the fact that he was the most disapproving of their acts, and the most censorious of their funds?

It is reported that they gathered in the house of Ibn Amir during his fatal illness, and he feared for himself the evil consequences of his office as a governor, as he would be blamed in the Presence of Allah Almighty for it. They said to him: "We hope good for you: you've dug springs, provided pilgrims with water, and did such and such good things." Ibn Umar kept silent. He asked him: "What do you say O Ibn Umar?" he said: "I say that this will be good if the earnings are lawful, and the expenses are purified; and of a surety, you will be brought back (to life after your death) and see (yourself)." He also said to him according to another version of that narration: "No doubt, in no way could malice plot out malice, and you was appointed the governor of Basra, and I do not think but that you've got evil from it." Ibn Amir asked him: "Would you not supplicate for me to good effect?" Ibn Umar replied: "I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" having said: "Allah never accepts prayer without purification (ablution), nor does He accept almsgiving from misappropriation." (This narration is reported by Muslim). He resumed: "You were appointed the governor of Basra."

It is narrated that Ibn Umar said about the days of Al-Hajjaj: "Since the house was robbed, I've never been satiated from food until this day of mine." It is narrated that Ali Ibn Abu Talib "Allah be pleased with him" used to get Sawiq in a sealed utensil from which he would drink. It was said to him: "Do you do so in Iraq in which food is abundant?" he said: "I do not seal it with a stick, but because I dislike that something strange might be put in it, and I dislike that anything other than the lawful should enter my abdomen. This was their custom. It is reported that Ibn Umar did not admire a thing but that he would abandon it (for fear of temptation). Once, Nafi' was demanded from him fro thirty thousand, thereupon he said: "I fear the Dirhams of Ibn Amir (the petitioner) would be kept with me. Go and you are free." According to Abu Sa'id Al-Khudri : "There is none of us but that the world has inclined with him except for Ibn Umar." Thus, it should not be thought that neither he, nor anyone of the same status had taken funds which he knew not to be lawful.

The third level of piety is to take what he takes from the ruler just to give it by way of charity to the poor and needy, or spend it on those who deserve it. This is the ruling of Sharia pertinent to the funds which have no particular owner. If the ruler, in case it is not taken from him, will not distribute it among those who deserve it, and rather will make use of it in doing wrong, we might say here that it is more preferable to take it from him and distribute it among those who deserve it than to leave it in his hand. This is the opinion of many scholars, and the rationale for it will be explained later. It is in this connection that what most of them took should be understood.

Let's quote Ibn Al-Mubarak who said: "Those who accept the gifts (from the rulers) today, under pretext that they imitate Ibn Umar and A'ishah do not follow both, for Ibn Umar, for example, distributed all that he had taken until he was forced to take up a loan of sixty thousand after distributing all that he had (to give it to another beggar who came to ask him after the property was used up), and A'ishah did the same. When funds were brought to Jabir Ibn Zaid he distributed it entirely and said: "I saw it better to take it from them, and distribute it than to leave it in their hands." Ash-Shafi'i "may Allah have mercy upon him" did the same with what he had accepted from Harun Ar-Rashid, which he distributed entirely to the extent that he did not keep even a single grain for himself.

The fourth level is that one is not verified that it is lawful, and thus he does not accept and distribute it in so much as he leaves it. but he might take form a ruler the lawful represents the greatest portion of his property. As such was the caliphs during the lifetime of the companions "Allah be pleased with them", and the followers after the rightly-guided caliphs, in which case, the unlawful did not represent the greatest part of their property. This is attested from the justification given by Ali "Allah be pleased with him" who said: "What he (the ruler) takes form the lawful is more (than he takes from the unlawful)." This is made

permissible by a group of scholars, depending upon the fact that the lawful represents the greatest portion of the property.

We've stopped at that issue in regard to the ordinary people, what then about the property of the ruler which is likely beyond calculation? It is not unlikely that the assiduousness of a diligent person might lead him to make it permissible to take what is not known to be unlawful, depending upon the fact that the greatest portion is lawful. We've forbidden it in case the unlawful represents the most.

Having understood those levels, you should be certain that the annuities of the wrongdoers in our time are not similar to that. On the contrary, they differ from it in two things:

One thing is the property of the rulers in our time is unlawful in whole or for the most part, and why not since the lawful comes from the almsgiving, Fai and war spoils: things which are no longer present now? And if there is any, nothing of them is brought to the ruler. There remains nothing but Jizyah which is taken wrongfully which is unlawful in most cases. That is because they exceed the due limits of Sharia in what they take and the one form whom it is taken. If you add to that the taxes imposed upon Muslims, confiscated things and bribes, and the various kinds of injustices and grievances, the lawful would not amount even to one-hundredth the whole of it.

The other thing is that the wrongdoers during the first generation, as being still close to the time of rightly-guided caliphs, used to feel they were wrongdoers, and they always were eager to attract the hearts of the companions and followers, and keen on getting them accept their gifts and presents. They used to send that to them without forcing them to ask or put themselves to humiliation: on the contrary, they used to feel themselves under obligation and grow happy to them because they accepted their gifts. In turn, the companions and followers used to take from those rulers, and distribute what they took (among the needy), and did not comply with the political desires and purposes of rulers, nor did they attend their gatherings, nor did they frequent them, nor did they like them to remain in power: they used to invoke evil against them, attack them with their words, and disapprove of their evil acts and deeds. So, there was no fear to affect their religion in the same way as they would affect their world; and no harm was caused to them.

But now, the rulers do not agree to give a gift but to him whom they covet to use in fulfillment of their desires, increase their number, seek their aid to support their power, adorn themselves with their frequenting them in their gatherings, oblige them to regularly invoke good upon them and praise them so much, whether in their presence or absence. So, if the taker does not put himself to humiliation, first by begging the ruler, second by serving him so much repeatedly, third by praising and invoking good upon them, fourth by helping him fulfill his own desires when his aid is sought for, fifty by increasing the number of his sitters and processions, sixth by demonstrating love, loyalty and support against

his enemy, and seven by screening his injustices, evildoings, and vices, he will not be given even a single Dirham.

If it is impermissible to take from them in this time what is known to be lawful, for fear it might lead to these concepts, what about what is known to be unlawful or at least suspicious? For this reason, he, who takes the courage to accept their funds, in imitation of the companions and companions, will have compared the angels with the blacksmiths. To take funds from them means that one should mix with them, take care of them, serve their appointed employees, endure humiliation from them, praise them, frequent their doors; and all of that is sin as we shall explain later in the coming chapter.

Having become clear the sources of their property, and what is lawful and unlawful of it, if man imagines he could take from what is lawful of it, what he deserves, while he is sitting in his house, and it is brought to him without being in need to serve a governor, praise them, or even help them, it will be not unlawful, but it will be undesirable in view of many things we are going to explain in the next chapter.

The Second Consideration: The Amount of What Is Taken, And the Quality That Makes Taking Valid

Let's focus here on the funds to be spent on the public interests, i.e. four-fifths the Fai and legacies, for what is beyond that, such as endowments, almsgiving, one-fifth Fai or war spoils, the own property of the ruler, of such of things as he gives life or buys, is under the disposal of the ruler: he has the right to give of them whatever he likes to whomever he likes. But let's consider here the lost property and the property to be assigned to the public interests: it is impermissible for him to spend it but in what serves a public interest, or to him who is in need of it, and at the same time, he is unable to get his earnings. But it is impermissible to spend from the treasury to the rich, particularly if there is no general benefit to be achieved from that. This is the right opinion, although it is a debatable matter among the scholars.

The words of Umar "Allah be pleased with him" provides evidence that every Muslim has a right in the treasury, just because of his being a Muslim, who increases the number of Muslim community. But even, he never distributed the property among all the Muslims in equality, but he used to give such of them as had particular characteristics (which made them worthy of it). if this is proven, let's say that everyone does a job, which returns with interest for the Muslims, from which he might be hindered in case he is engaged in getting his earnings, should have a right in treasury that is to suffice him.

This includes all scholars, i.e. those engaged in the sciences related with the interests of religion, such as the sciences of jurisprudence, Hadith, exegesis, recitation; and it also includes teachers, Mu'adhdhins, and also the students of

those sciences, for if they are not sufficed, they will not be able to follow up their studies. It includes workers, with whose work the interests of this world depend, such as soldiers who safeguard the state with their weapons from the enemies and transgressors. It includes also scribes, accountants, deputies, and all of those who are needed to arrange the department of taxes, and I mean of course the workers who are in charge of the lawful and not unlawful funds.

Those funds are for the public interests. The interest might be related with the religion or with the world. It is with the scholars that religion is safeguarded, and it is with soldiers that world is safeguarded. Both religion and sovereignty are twins in the sense that each could not dispense with the other. If the knowledge of the physician does not imply any religious matter, its concern with the health of the body is important for the religion without which it would not be practiced. For this reason, it is permissible for him, as well as for any such like, to whose profession there is a need to serve the interest of the body or the country, to have rights in those funds, in order to be able to devote themselves to remedy the Muslims, and I mean of course those among them who remedy for no charge.

It is not prerequisite for those to be in need in order to deserve the annuities: if they are rich, they also might be given. However, the rightly-guided caliphs used to give both the Muhajirun and Ansar, without depending upon their need. It also has no fixed amount, since it is subject to the estimation of the imam, who has the right to give liberally to the point of richness, or to give only what is sufficient in so much as is fitting for the state of the taker, and the availability of funds. Al-Hassan "Allah be pleased with him" took from Mu'awiyah four hundred thousand Dirhams all at once. Umar "Allah be pleased with him" used to give many of people an annuity of twelve thousand Dirhams, and A'ishah "Allah be pleased with her" was enlisted among those. He used to give other group ten thousand each, others six thousand each, and so on.

Such money should be distributed among those until there remains nothing of it. if he favours anyone of them with much property, there will be no harm. The ruler has the right to give from that money gifts and presents to whose whom he sees to be qualified for them. This was done by the righteous predecessors. But the public interest also should be considered here. If he favours a scholar, or a brave man with a gift, this might encourage the people and prompt them to engage in labour, in imitation of him.

This is the benefit of gifts, presents and specifications given by the ruler. All of that is due to the diligence of the ruler. But two things should be considered in relation to the wrongful rulers:

One thing is that the wrongful ruler should desist (or is forced to desist) from his ruling: he is either ousted or should be ousted: then, how should it be made permissible to take from his hand, given that he is really not ruler? The other thing is that he does not comprehend with his money all of those who deserve it: how should it be permissible for the individuals to take from

it? is it permissible for them to take in proportion to their shares or is it impermissible for them to take at all? Is it permissible for anyone of them to take what he is given?

In regard to the first thing, we see that it should not stand against taking one's right. That's because if a wrongful tyrant is helped by his armed force to remain, and it is difficult to oust him, and replacing him with another might lead to raising intolerable affliction, it becomes obligatory to let him remain in his office, and it also becomes binding to obey him, in the same way as one obeys his rulers, depending upon the narration in which one is commanded to obey his rulers, (the narration referred to is reported by Al-Bukhari on the authority of Anas, and Muslim on the authority of Abu Hurairah and Abu Dharr) and another narration which forbids one to refrain from helping him (as shown in both Sahihs on the authority of Ibn Abbas and Abu Hurairah).

We see that the office of caliphate is held for him who undertakes it from amongst the offspring of Al-Abbas, and the ruling is enforced for the rulers in different parts of the state, who give the pledge of allegiance to the caliph. We should consider the conditions and qualities which a ruler should have, in achievement of the public interests, and had we decided that all rulings now are invalid, surely, all public interests would have become idle. Moreover, ruling now mainly depends upon the armed forces, and the caliph is the one given the pledge of allegiance by the leader of the army, and if one takes the lead of the army, and proves obedient to the caliph in terms of sermons and currency, his ruling is effective. On the other hand, the judgements of the judiciary in the different parts of the state are enforced.

As for the other thing, i.e. if the ruler does not comprehend with his gifts all of those who deserve, is it permissible for the individuals to take that? This is a matter of debate among the scholars, who divide into four opinions: some exceed to the extent of saying that if what he takes belongs to that in which all of the Muslims share, and he himself does not know exactly his share of it, he should leave it entirely. According to other people, he might take as much as is equal to his daily sustenance, for it is that amount which he deserves for satisfying his need is due upon the Muslims. A third group are of the opinion that he might take his yearly sustenance, for taking what suffices him on daily basis is difficult, and as he has right in that property, how should he leave it?

The fourth group of people say that he should take what he is given, and the wronged are the remaining (who are left without taking anything); and this is the right analogy, for the funds is not equally shared by all the Muslims, in the same way as the booty is by the winners, or the legacy by the heirs. That's because the booty and legacy becomes their own whereas if this funds is not distributed among them until their death, distributing it among their heirs is not incumbent under the rules of inheritance. This is not a right to be fixed for them, and it is fixed only by receiving it. It is more likely similar to

almsgiving. If the poor are given their share of almsgiving, it becomes their own property.

They are not forbidden their right if the ruler deals unjustly with the other groups, by refraining from giving them their rights in the almsgiving. This is in case he does not give him the whole funds. But he gives him only the same amount which will be permissible, if he gives it to him by way of favouring, along with comprehending the others with the funds. To be sure, favouring is permissible in gifts. When Abu Bakr "Allah be pleased with him" regarded them as equal in gifts, Umar "Allah be pleased with him" discussed him, he said to him: "Their superiority is in the Sight of Allah Almighty, and this life of world is but a means of conveyance (to the hereafter)." But Umar "Allah be pleased with him" gave some preference to others during his lifetime. He gave A'ishah "Allah be pleased with her" twelve thousand, and gave Zainab "Allah be pleased with her" ten thousand, Juwairiyah "Allah be pleased with her" six thousand, and Safiyyah "Allah be pleased with her" likewise. Umar allocated to Ali "Allah be pleased with him" in particular a landed property, and to Uthman "Allah be pleased with him" five gardens. When Uthman became the caliph, he favoured Ali "Allah be pleased with him" with them apart form others, and Ali accepted them from him.

All of that is permissible but in its appropriate place, and it is subject to the independent opinion of the giver. The independent opinion is applicable in the cases in which there is no text, nor is there in a similar case, which allows for analogy, like the case of the legal punishment of drinking wine. Abu Bakr gave forty lashes as legal punishment for drinking wine, and Umar rose it to eighty lashes, and both are out of the Sunnah. However, both Abu Bakr and Umar "Allah be pleased with them" were right by the consensus of the companions, in the same way as they were right in their different ways of giving. The one who was made inferior during the lifetime of Umar did not return anything to the superior from what he took during the lifetime of Abu Bakr, when both were equal, nor did the superior refrain from accepting the extra that was given to him during the lifetime of Umar. All the companions joined them in their opinions, thinking that each of them was right. So, let this be taken as a pattern to be followed in the disputable matters in which every diligent is regarded right in his independent opinion.

But we do not say so in every case, in which a diligent has skipped a particular text or an evident analogy, whether heedlessly or because of his bad opinion: i.e. we do not say in this case that every diligent is right, because here the right is him who gets the related text or the evident analogy.

From all of that, it might be elicited that if one is found to have a characteristic of those related with the public interests of the religion or world, and he takes from the ruler an annuity or a gift, from the funds of legacies or Jizyah, he will not become dissolute by such taking: but he will become dissolute by serving them, helping them, frequenting them, praising and flattering them,

and doing such thing from which the funds could more likely hardly be free from, as we shall explain later.

CHAPTER SIX

LAWFUL AND UNLAWFUL SOCIABILITY WITH WRONGFUL RULERS; AND RULING ON ATTENDING THEIR GATHERINGS, FREQUENTING AND HONOURING THEM

It should be known to you that there are three states to govern your relation with the wrongful rulers and chiefs: the first which is the worst is to visit them. The second, which is less in evil is that they themselves visit you. The third, which is the safest is to leave them, that is, not to see them, nor to let them see you.

The First State

In relation to the first state, i.e. that you visit them, it is extremely blameworthy under Sharia, and there are reports that relate severe warnings and grievous admonitions in that issue, and we are going to mention them, in order to know how Sharia criticizes it, and then, we shall mention what is unlawful, what is permissible, and what is undesirable thereof, according to the fatwa in the exoteric knowledge.

When the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" described the wrongful rulers and governors he said in comment on that: "He, who throws them away, will be saved (from their evil), and he who leaves them will be safe or at least about to be safe, and whoever shares them in their world belongs to them." (This narration is reported by Tabarani on the authority of Ibn Abbas, but with a weak chain of transmission). He further said: "He, who mixes with them will be ruined." That's because it is true that he, who leaves them, will be safe from their imam, but he will not be safe from being involved in the punishment that might comprehend them all, for he has not throw them away, nor has he disputed with them.

It is further narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "After me, there will be rulers, who will be liars and wrongful: so, he who rust their lies, and helps them in their injustice does not belong to me, and I have nothing to do with him, and he will not come to drink from the Fountain-Lake." (This narration is reported by both An-Nasa'i and At-Tirmidhi and authenticated by Al-Hakim on the authority of Ka'b Ibn Ujrah).

It is narrated on the authority o Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The reciters (of the Qur'an) who are the most hateful to Allah Almighty are those who frequent the rulers."

According to a particular narration : "The best of rulers are those who visit

the scholars, and the worst of scholars are those who visit the rulers." It is said in another narration: "The scholars are the trustworthy persons of the Messengers and Prophets on the slaves of Allah Almighty so long as they do not mix with rulers; and once they do so, they have betrayed the Messengers, and thus you should beware of them and leave them." (This narration is reported by Al-Uqaili on the authority of Anas).

From amongst the traditions (sayings of the companions and followers), a mention might be made of the statement of Hudhaifah "Allah be pleased with him": "Beware of the standing places of temptations." It was said to him: "What are the standing places of temptations?" he said: "The gates of the rulers: anyone of you visits a ruler, and trust his lies, and describes him with what he has not."

Abu Dharr "Allah be pleased with him" said to Salamah: "O Salamah! Keep yourself far from the gates of rulers, for you get nothing of their world but that they get something better of your religion." According to Sufyan: "In (the fire of) Hell, there is a valley, which none inhabits but the reciters who used to frequent kings." According to Al-Awza'i : "There is nothing more hateful to Allah Almighty than a scholar who visits an appointed governor."

According to Samnun: "How distasteful is the scholar whom you will not find when you go to his gathering, and on asking about him, you are told that he has gone to visit a governor." I heard that it was said: "If you see a scholar having love for this world, you should suspect him about you religion." And I've experienced that myself. I've never visited the ruler but that after coming out form him, I would go on reckoning myself, and see darkness on it, although I always face them severely and disagree with their desires and whims." According to Ubadah Ibn As-Samit : "The devout reciter's love for rulers is hypocrisy, and his love for the rich is out of showing off."

According to Abu Dharr : "If the darkness among a people is predominant, it is due to the predominance of the darkness of their wrongful persons."

It is reported that Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" said: "A person visits a ruler and he is religious, and when he comes out form him, he comes to have no religion." It was said to him: "What is the reason for that?" he said: "Because he always pleases him by displeasing Allah Almighty."

Once, Umar Ibn Abd Al-Aziz appointed a man in charge of some job, and when he was told that he was one of Al-Hajjaj's employees, he drove him. On that the man said to him: "I worked for him but a little." He said: "It suffices you for evil and distrust to accompany him only one or a part of a day."

According to Al-Fudail : "The close one comes to a ruler, the farther he becomes from Allah Almighty." Sa'id Ibn Al-Musayyab used to traffic in oil (to get his earnings) and say: "In this job, one could dispense with those rulers." According to Wuhaib : "Those who visit kings are more harmful to the nation than the gamblers." According to Muhammad Ibn Salamah : "A fly on the dung is better than a reciter standing at the gate of those (rulers)."

When Az-Zuhri mixed with the ruler, one of his brothers in religion wrote to

him the following: "May Allah save us and you, O Abu Bakr, from temptations: you've become in such a state as anyone who knows you well should invoke Allah for you. May Allah have mercy upon you. You've grown old, and the blessings of Allah upon you have made you weighty, when He Almighty endowed you with the understanding of His Book, and taught you the Sunnah of His Prophet Muhammad "Peace be upon him". But it is not so. Allah Almighty took the covenant from the scholars as stated in His saying: "(And remember) when Allah took a covenant from those who were given the Scripture (Jews and Christians) to make it (the news of the coming of Prophet Muhammad and the religious knowledge) known and clear to mankind, and not to hide it." (Al Imran 187)

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا ﴿١٨٧﴾ ﴾

I know that the easiest thing you've done, and the lightest burden you've carried is that you've removed the loneliness the wrongful, and mad easy the way of transgression, by your coming close to him who fulfills no right, nor leaves falsehood. When those rulers draw you close to them, they take from you an axis, upon which the millstone of their wrongness turn, a bridge upon which they cross to their mischief, and a ladder on which they ascend to their error. It is with you that they put the other scholars to suspicion, and keep off the hearts of the ignorant. How easier is that which they're done in comparison with what they've ruined in you, and how much is that which they've taken from you in comparison with what they've taken from you, in such of your religion as they corrupt. What does make you feel secure to be of those in whom Allah Almighty says: "Then, there has succeeded them a posterity who have given up As-Salat (the prayers) (i.e. made their Salat (prayers) to be lost, either by not offering them or by not offering them perfectly or by not offering them in their proper fixed times) and have followed lusts. So they will be thrown in Hell." (Maryam 59)

﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾

Of a surety, you deal with Him Who is not ignorant, and the One Who records your deeds is not heedless. So, you should remedy your religion, for weakness has afflicted it, and prepare your argument, for the long journey (to the hereafter) has become close, and nothing is hidden from Allah in the earth and in the heavens, and peace be upon you."

All of those narrations and traditions provide evidence for the various temptations and mischief that lie in mixing with rulers. But let's explain that in more detail, in order to distinguish the forbidden, the undesirable and the permissible.

Let's say that the one who visits the ruler is exposed to disobey Allah Almighty, either by his act, silence, words, belief, and he could hardly be free from one of those things.

Concerning the act, visiting them most likely occurs in usurped houses, and it

is unlawful to step over them, and enter them without the leave of their owners. Let not you be deceived by the statement of those who say that this is of the matters in which the people indulge, like a date or a fragment of bread; for this is true but not in the case of what is usurped. But this is not true of the usurped, for if it is said that every simple sitting does not decrease the ownership of the thing, it belongs to the indulgence, and this is true of stepping over the usurped place. In this way, the all will come to share in the process of usurpation. It might be indulged in if it is done individually in such a way that if the owner knows it, he might not dislike it. But sharing of many causes the ruling of prohibition to comprehend all the people who join in it. In this way, it is impermissible to take the possession of a man under pretext that everyone of the passers-by takes only a step which decreases nothing from ownership. It is like a light strike in the course of teaching, which is permissible, provided that it is done by an individual. That's because if a group of people give several strikes which result in killing, retribution then should be exacted from all, although every strike in itself would have not led to the same result had it been made individually.

Suppose that the wrongful ruler is in a place that is not usurped, and he is underneath a tent or a bower like it made from his property, then, it is unlawful and it is impermissible to enter into him, for in this way, it is to utilize and make use of the unlawful. But suppose that all of that is lawful, one will not be sinful if he enters into him and salutes him with pace, but if he bows or prostrates in his salutation or service, he thus will have honoured a wrongful one because of his ruling, which is the tool of his injustice. To be sure, to humble one self before a wrongful is a sin. Moreover, if one humbles himself before a wealthy one, who is not wrongful, just because of his wealth and not because anything else, his religion will decrease by two thirds. What should it be then if one humbles himself before a wrongful person?

Only saluting with peace is permissible. But to kiss the hand or bow in service is a sin, unless one is forced by fear or it is done to a just ruler or a respectable scholar, or to him who deserves it because of religion. It is reported that Abu Ubaidah Ibn Al-Jarrah kissed the hand of Ali Ibn Abu Talib when he met him in Sham, and the latter did not disapprove of it. but one of the predecessors went as far as not to return their greetings, and turn away from them, out of scorning them, regarding this to be one of the best acts of worship. But to keep silent and abstain from returning the salutation is questionable, since it is obligatory, which should not lapse because of wrongness.

But even, if the visitor leaves all of that, and limits himself only to saluting them, he could not hardly be free from sitting on their carpets; and as the unlawful represents the greatest portion of their property, it is impermissible to sit on their furnishings.

In relation to silence, of course, he will see in their gatherings such undesirable things as the silk carpets and thrones, silver vessels and utensils, silk garments which they wear in addition to the unlawful that is visible on their

slaves. Of a surety, he who sees an evil from which he keeps silent is a partner in it. Moreover, he might hear of their speech the obscene and foul, abuse, insult, harm, and falsehood, and to keep silent from all of that is unlawful. He also might se them wearing unlawful garments, eating unlawful food, and all that is in their hand is unlawful; and it is impermissible to keep silent from all of that. It is incumbent upon him to enjoin what is right and forbid what is evil by his tongue if he is not able to do so by his act.

But you might argue that he fears for himself, which gives him excuse to keep silent, let me reply that it is true, but at the same time, he is not in need to commit what is impermissible except for a legal excuse. Were he not to enter into them and see what is disapproved, surely, it would not binding upon them to address them by way of accounting, in order that it would lapse from him for excuse. At this point, let me say that he, who learns that there is mischief in a certain place, and he knows that he is not able to remove it, it is impermissible for him to attend, lest this would occur in front of him, and while he is seeing it he keeps silent from it. On the contrary, he should avoid seeing it (as much as possible).

In regard with saying, it is to invoke for the wrongful, praise him (with what he has not), trust his falsehood, whether explicitly by words or implicitly by nodding, or from the signs of pleasure on his face, or to demonstrate to him love, loyalty, and longing for meeting him, and hoping his survival and long life. However, one more often does not limit himself to salutation: on the contrary, he speaks, and he hardly talks in anything other than those things.

It is unlawful to invoke to him but with the following: "May Allah reform your state", "May Allah guide you to what is good", "May Allah make long your life in His obedience", and the like of those statements. But it is impermissible to invoke Allah to safeguard him, give him long survival, and attribute blessing and favour to him, by calling him the 'lord', or any similar word. It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who invokes long survival and life for a wrongful, has loved that Allah Almighty should be disobeyed in his land.

If he goes beyond supplication to praising, of a surety, he will describe him with what he has not, which makes him among the liars and hypocrites who honour the wrongful. Those are three grievous sins. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, Allah Almighty grows angry when a dissolute is praised." He said according to another narration: "He, who honours a dissolute person has indeed helped in destroying Islam."

If he goes beyond that, to trust him in what he says, and appreciates all that he does, he will become sinful by his trusting and helping him. As well as praising and appreciating are to help in sin, and motivate the desire for it, belying, criticizing and defacing are to scold one to do such evil act, weaken its reasons. Of a surety, to help in a sin even with half a word is in itself a sin. When Sufyan was asked about a wrongful who is about to perish in the desert: "Should he be given a sip of water (to save his life)?" He said: "No, but you'd rather leave him

until he dies, for to give him water is to help him (in his wrongness)." But another one said: "No, he might be given water until he returns to his senses, and then, he should be left alone."

Furthermore, he might go further by demonstrating his love and yearning for meeting him, and hoping for his long life. If he is a liar in those feelings, he will have committed the sin of lying and hypocrisy; and if he is truthful, he will have committed the sin of loving the survival of the wrongful, although he has to dislike him and have hatred towards him for the Sake of Allah. To dislike for the Sake of Allah is obligatory, whereas the lover of sin who accepts it is himself a sinful. If one likes a wrongful for his injustice, he will be a sinful because of his loving for him, and if he likes him for another reason, he will also be a sinful, for he has not disliked him, although it was incumbent upon him to dislike him (for the Sake of Allah). If both good and evil combines in a person, he should like him for such of good as lies in him, and dislikes him for such of evil as lies in him. We shall explain in detail the point of combining both love and dislike in the book on the brothers who love each other for the Sake of Allah Almighty.

If he is safe from all of that, and how far it is, he could hardly be free from the corruption that might infiltrate into his heart. He considers the abundance of blessing that is bestowed upon him, which causes him to despise Allah's blessing upon himself. By so doing, he will have indulged in the forbiddance given by the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" who said: "O assembly of Muhajirs! Enter not upon those who love this world, for indeed, it (the world with its delights and pleasures) always makes one discontented with such of sustenance (as provided for him by Allah)." (This narration is reported by Al-Hakim on the authority of Abdullah Ibn Ash-Shakhir, and he regards its chain of transmission as authentic).

Putting in mind that others might follow him in entering upon such wrongdoers, and through visiting them, he would help increase their injustice, and they might use him as a means of decoration and adornment if he is of those utilized for adornment, all of that is either forbidden or undesirable. Once, Sa'id Ibn Al-Musayyab was invited to give the pledge of allegiance to both Al-Walid and Sulaiman, sons of Abd Al-Malik, thereupon he said: "I never give the pledge of allegiance to such two so long as both night and day differ from each other, since the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" forbade giving pledge of allegiance to two simultaneously." (This narration is reported by Abu Na'im on the authority of Yahya Ibn Sa'id). When he was asked to enter from a certain gate and come out of another gate, he said: "No by Allah, lest anyone of the people would imitate me." On that he was given one hundred lashes, and forced to put on coarse and rough rag.

Therefore, it is impermissible for anyone to enter upon them except for two legal excuses: the first is that he is forced by compulsion to enter, not by way of

honouring them, but by learning that if he refrains from visiting them, he shall receive harm, or that this shall have a negative impact upon the people's obedience to them, and result in disorder. In this case, he enters upon them, not out of obedience or submission to them, but out of observing the public interests of the people, lest the governorate will be put to trouble.

The second is that he enters upon them to avert injustice from a Muslim other than himself, or even from himself, whether by way of accounting, or by way of complaint. This is a concession given to him, provided that he should neither tell a lie, nor praise, nor leave an advice he expects to be accepted (but that he will give it). This is the ruling pertinent to entering (upon the wrongful rulers and governors).

The Second State

According to that state, the wrongful ruler or governor enters upon you. In this case, you should inevitably return his salutation. It is not lawful to stand to receive him, and honour him as a guest. By his honouring both knowledge and religion, he deserves to be honoured, as well as by his wrongdoing he deserves to be averted.So, to honour in return for honour, and respond with salutation in return for salutation.

But if he is with him in seclusion, it is preferable not to stand for him, in order to demonstrate to him the power and honour of religion in comparison with the worthlessness of wrongness, and his fury and passion for the sake of religion, and turning away from him who turns away from Allah Almighty, thereupon Allah Almighty turns away from him. But if he comes to visit him in a gathering, it is important to observe the retinue of those endued with authority among their subjects, and thus, there is no harm to stand for him just with that sole intention. If he learns that his not standing for him will not summon corruption among the subjects, nor cause him to become angry with him, it is preferable for him not to stand for honouring him.

Once the meeting occurs between them, it is incumbent upon him to advise him. If the ruler has committed what he does not know to be unlawful, and it is expected from him to leave it once he knows it, it is binding upon him to tell him about it. But it is of no benefit for him to remind him of what he knows to be unlawful, like his extravagance and wrongness. He has to frighten him from such of sins as he commits, if he thinks this will have a positive impact upon him. He has to guide him to the way of achieving the public interests, in a way that might serve the purposes of the wrongdoer in accordance with Sharia, without committing sin, in order to keep him off achieving his purposes through injustice. Thus, it is incumbent upon him to show to him what he is ignorant of, and frighten him from what he dares to do, and guide him to what he is heedless of, which makes him dispense with injustice.

Those three things are incumbent upon him if he expects his speech will

influence him. This also applies to him who happens to enter upon a ruler whether with or without legal excuse. In this respect, it is narrated on the authority of Muhammad Ibn Salih that he said: I was sitting with Hammad Ibn Salamah and in the house there was no more than a piece of straw mat on which he was sitting, a copy of the Qur'an in which he was reciting, a leather container having his books and papers, and a pot in which he was performing ablution. While I was with him, somebody knocked at the door and behold! He was Muhammad Ibn Sulaiman. He was admitted and he entered and sat in front of him. He asked him: "What is the matter with me that if I see you, I will be filled with terror of you?" he said: "That is because the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If the scholars intends with his knowledge the Countenance of Allah Almighty, everything would come to fear of him, and if he intends therewith to heap up treasures, he will come to fear of everything." Then, he offered to him a sum of forty thousand Dirhams and asked him to take it to seek its help to satisfy his needs, thereupon he rejected it and said to him: "You'd rather give it back to him whom you've wronged by usurping it from him." He said: "By Allah, I've not given you but from what I've inherited. I'm not in need of it. Then, take it and distribute it (as it seems to you)." He said: "I'm afraid that if I even do justice in distributing it, anyone who is not given anything of it might say that I have not done justice in distributing it, and thus he will commit a sin. So, you'd rather keep it away from me."

The Third State

The third state is that he retires from them, and does not see them, nor do they see him. This is obligatory, since peace and safety lie only in it. let him believe that he should dislike them for their wrongness, should not like them to survive, nor praise them, nor ask about their affairs, nor draw himself close to their acquaintances, nor feel sorry in sigh for what he might miss because of his leaving them in case he remembers them. It is better for him to be heedless of them. If their living in luxury occurs to his mind, let him remember what Hatim Al-Asamm said: "There is only a day between me and those kings. As for the day before, they could hardly taste its sweetness. Both they and I are in awe of the day to come. It is the matter of only today, and what would it to be on that day?" let him also remember the statement of Abu Ad-Darda' when he said: "Those of wealth and riches eat and we also eat, drink and we also drink, get dressed and we also get dressed, and they have surplus property which they consider, and also we consider it with them; but the difference is that they will be reckoned for it, whereas we are free from it."

It is incumbent upon everyone who is informed about the sin of a sinful one, or the wrongness of a wrongdoer, to decrease the status of that person he has in his heart in proportion to the degree of that sin and wrongness, for if one does what is disliked his status he has in the heart would decrease. Of a surety, the sin should be disliked. He should either be heedless of it, or accept it, or dislike it; and since there is none could be heedless with his knowledge of it, and there is

no point to accept it, he then should dislike it. so, you should regard the crime of anyone against Allah like his crime against you.

But, you might argue that "the dislike is not optional: how should it be made compulsory?" in reply to it, let's say that it is not so. The lover dislikes, by the necessity of nature, what is disliked in the sight of his beloved; and whoever does not dislike the disobedience of Allah does not in fact like Allah Almighty. However,none does not like Allah but he who knows Him not. So, both knowledge of, and love for Allah Almighty are obligatory; and when one likes Him, he surely will come to like what He likes, and dislike what He dislikes. This matter will be explained with verification in the Book of Loving.

If you argue that the earlier scholars used to enter upon rulers and governors, I will authenticate it, but in this case, let me ask you to learn the etiquettes of entering as they used to do it, and then do as they did. It is reported that Hisham Ibn Abd Al-Malik came to Mecca to perform Hajj. When he arrived he said: "Bring me a man from amongst the companions." It was said to him: "O Commander of Believers! They've perished." He said: "Then, bring me a man from amongst the followers." Tawus Al-Yamani was brought to him. When he reached, he took off his sandals and left them on his carpet. He did not call him the Commander of Believers when he saluted him, but he said: "Peace be upon you O Hisham." He did not call him by his nickname. He sat by the side of him and said to him: "How are you O Hisham?" Hisham grew so much angry that he intended to kill him, but it was said to him: "You are in the Sanctuary of Allah and His Messenger, and killing is not fitting." He said to him: "O Tawus! What has led you to do what you've done?" he said: "What have I done?" he grew more fuming and infuriated, and said: "You have taken off your sandals on my carpet, and you have not kissed my hand, nor have you saluted me by my title as the Commander of the Believers, nor have you called me by my nickname, and you have sat down by the side of me without my leave, and said: 'How are you O Hisham'."

On that he said: "That I have taken off my sandals on your carpet, I always take them off everyday five times while I am in front of the Lord of power and honour; and He does neither punish me, nor grow angry with me. That I have not kissed your hand, I heard Ali Ibn Abu Talib, the Commander of Believers having said: "It is not lawful for a man to kiss the hand of another except for a man who kisses the hand of his wife out of sexual desire for her, or a father who kisses the hand of his child out of pity and mercy for him." In regard to your statement that I've not saluted you by your title as the Commander of the Believers, it is not that all the people accept your commandership, and I have disliked to be a liar. As for your claim that I've not call you by your nickname, no doubt, Allah Almighty calls His Prophets and devotees like "O Yahya, O Jesus", whereas he calls His enemies by their nicknames like "Let the hand of Abu Lahab be cut off!" that I've sat by your side, I heard the Commander of Believers, Ali Ibn Abu Talib having said: "If one likes to see a man from the denizens of the

fire, you might look at a sitting man, surrounded by standing people." Hisham said to him: Then, admonish me." He said: "I heard the Commander of Believers, Ali Ibn Abu Talib having said: "In the fire (of Hell), there are fountains like buckets, and scorpions like mules, which bite such of rulers as does not observe justice in his subjects.'"" Then he stood up and turned away quickly.

It is reported from Sufyan Ath-Thawri that he said: I was made to enter upon Abu Ja'far Al-Mansur while he was in Mina, and he said to me: "Raise your need to us." I said: "Safeguard yourselves from (the punishment of) Allah for you've filled the land with wrongness and injustice." He lowered his head and raised it and said to me once again: "Raise your need to us." I said to him: "You have been given that position by virtue of the swords of both Muhajirs and Ansar, and their offspring are dying because of hunger. So, fear Allah, and convey to them their rights." He lowered his head and raised and said to me once again: "Raise your need to us." I said: "Once, Umar Ibn Al-Khattab performed Hajj and (on his return) he asked his slave how much this journey had cost them, and he said to him: "A few over ten Dirhams." Nowadays, I see so much property that camels could hardly carry." Then, he came out.

In this way they used to enter upon rulers and governors when they were compelled to do it, and in those visits, they used to put their own souls at risk, by their retribution from their wrongness for the Sake of Allah. Once, Ibn Abu Shumailah entered upon Abd Al-Malik Ibn Marwan, who asked him to speak. He said: "On the Day of Resurrection, people will not be saved from its bitterness, sourness, and destruction preview, except for him, who pleases Allah Almighty by displeasing himself." On that Abd Al-Malik went on weeping and said: "I'm going to put those words in mind as long as I live." It is reported that when Uthman Ibn Affan "Allah be pleased with him" appointed Abdullah Ibn Amir, the companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and Abu Dharr, who was a close friend to him, delayed to visit him. On blaming him for that he said: I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" having said: "When a man appoints a governor, Allah Almighty moves far from him."

It is reported that Malik Ibn Dinar entered upon the governor of Basra and said to him: "O chief! I read in one of the Scriptures that Allah Almighty Says: "How foolish is a ruler, how ignorant is he, who disobeys Me, and how powerful and honoured is he, who seeks power and honour with Me!" O evil shepherd! A fat perfect sheep was given to you, thereupon you have eaten its flesh, put on its wool, and left it as parts of bone rattling each other." He said: "Do you know what causes you to dare to deal with us as such, and refrains us from harming you?" he answered in the negative, thereupon he said to him: "It is your not being covetous of us, and not desirous to get what we have."

It is reported that once, Umar Ibn Abd Al-Aziz was standing with Sulaiman Ibn Abd Al-Malik when the latter heard the sound of thunder, thereupon Sulaiman

got scared and placed his chest on the front part of a saddle. Umar said to him: "This is the sound of Allah's mercy: what should it be if you hear the sound of His punishment?" then, Sulaiman had a look of the people, and asked: "How many those people are!" Umar said to him: "Those are your opponents O Commander of Believers." On that he said to him: "May Allah test you by them (in reference to his being the would-be ruler)."

It is reported that Sulaiman Ibn Abd Al-Malik passed by Medina on his way to Mecca, and he sent a message to Abu Hazim, and invited him. When he came and entered upon him he asked him: "O Abu Hazim! What is the matter with us that we come to dislike death?" he said to him: "That's because you've destroyed your hereafter, and constructed your world, and thus you dislike moving from construction to destruction." He asked him: "O Abu Hazim! How should one meet Allah Almighty?" he said: "O Commander of Believers! The doer of good will be like the absent one who comes back to meet his family; whereas the doer of evil will be like the fleeing slave who comes to meet his master." Sulaiman went on weeping and said: "How far! What shall I have with Allah?" he said: "Expose yourself to the Book of Allah, Who says: "Verily, the pious and righteous will be in Delight (Paradise); And verily, the wicked, disbelievers, sinners and evildoers will be in the blazing Fire (Hell)." (Al-Infitar 13:14)

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾

He asked: "Then, where is the mercy of Allah Almighty?" he said: "It is close to the doers of good." Sulaiman asked him: "O Abu Hazim! Which of Allah's slaves is more honoured?" he said: "Those of righteousness and piety." He said: "Which deed is the best?" he said: "To perform the obligatory duties, and at the same time to avoid all that is prohibited." He said: "Which statement is more audible?" he said: "The word of truth in the presence of him whom you fear and desire for." He asked: "Which of the believers is the most prudent?" he said: "A man who acts according to the obedience of Allah Almighty, to which he invites the people." He asked: "Then, which of the believers does lose most?" he said: "A man follows in the steps of his brother wrongfully, thereupon he sells his hereafter for (the material benefits of) the world of another."

Sulaiman asked him: "What do you say about the state in which we are?" he said: "Exempt me!" he said: "No, it is necessary, since it is an advice you are giving me." He said: "O Commander of Believers! Your fathers have oppressed the people with the sword (power), and seized the ruling without consultation or consent of Muslims, until they killed a great number of them, and they left (by death). Would that you sense from what they said and what was said to them!" a man from amongst his sitters said to him: "How evil is that which you've said!" Abu Hazim said: "Allah Almighty took covenant from the scholars to show (the truth) to the people, and conceal it not."

He asked him: "How should we set right that corruption?" he said: "To take

it (property and ruling) from lawful sources, and place it in its right peace." Sulaiman asked him: "Who could do that?" he said: "He, who desires the Garden and fears the fire (of Hell)." Sulaiman asked him to invoke good for him, thereupon Abu Hazim said to him: "O Allah! If Sulaiman is one of Your devotees, make it easy for him to do what is good for this world and the hereafter; and if he is one of Your enemies, lead him to what You like and is pleased with." Sulaiman asked him to recommend him, thereupon he said: "I recommend you in brief: exalt your Lord, and refrain from making Him see you where He has forbidden you, and miss you where He has commanded you to be there."

It is reported that Umar Ibn Abd Al-Aziz said to Abu Hazim: "Advise me." he said to him: "Lie down, and make death by your head, and consider what you like to have in that particular hour, and take it, and leave what you dislike to have, for perhaps this hour (of death) might be very near."

It is further reported that a desert Arab entered upon Sulaiman Ibn Abd Al-Malik who asked him to speak, and he said: "O Commander of Believers! I'm going to speak to you with words: accept them if you endure them, and if you dislike them, what you like is beyond it if you accept it." he said to him: "O desert Arab! We endure generously the words of him from whom we do not expect to receive advice, and we do not feel safe from his cheating. Then, what about him from whom we expect to receive advice, and feel safe from his cheating?" the desert Arab said: "O Commander of Believers! The men who surround you have not made the good choice for themselves when they purchased their world for their religion, and your pleasure for the displeasure of their Lord. They fear (the onslaught of) you in their relation with Allah, and do not fear (the punishment of) Allah Almighty in their relation with you. To be sure, the war for the hereafter is the piece in this world. So, trust with them not what Allah Almighty has trusted with you. That's because they will spare no effort to waste the trust, and transgress and oppress the people; and you will be questioned about what they commit, whereas they will not be questioned about what you commit. So, do not reform your world with the corruption of your hereafter, for the one who loses most among the people is he, who sells hereafter for the world of the other." On that Sulaiman said to him: "O desert Arab! You have sheathed your tongue, which is the sharper of both your swords." He said: "Yes O Commander of Believers. But it is for your benefit, and not against you."

It is reported that once, Abu Bakrah entered upon Mu'awiyah and said to him: "Fear Allah O Mu'awiyah, and learn that on every day that comes upon you, and on every night that elapses on you, you but become farther from the world and closer to the hereafter. In pursuit of you, there is a petitioner whom you could not escape. He has appointed a goal which you could go beyond. And very soon you will reach that goal, and immediately your petitioner will join you. We, and that in which we are, are but visitors, and to that which we

shall go are proceeding: if it is good, it will be good, and if it is evil, it will be evil."

This is the way the scholars used to visit the rulers and governors, and of course, I mean here the scholars and learned of the hereafter. But as for the learned of this world, their purpose of entering is to come close to their hearts, which motivates them to guide them to the various concessions, and elicit for them, through the subtle tricks the liberalities which agree with their desires. More even, if they speak with the same words as we've already mentioned, their purpose will not be to reform in so much as it will be to gain celebrity and acceptability in their sight. This implies two deceptions which deceive none but the foolish:

The first is that he demonstrates that his purpose of entering upon those rulers is to reform their state through admonishing them, and in that they themselves might be put to confusion. But the real motive is a hidden desire within themselves for fame and reputation, and gaining recognition for being the men of knowledge among the people. The sign of the true desire for reform is that if admonition is given by anyone of his likes in knowledge, and has achieved its goal, resulting in the appearance of the effect of reform, he should be happy and pleased with that, and give a lot of thanks to Allah Almighty Who has sufficed him the task, in the same way as it is incumbent upon one who remedies a hopeless case, and then it is treated by another, to be happy and pleased with it so much. If he feels his speech is preponderant over that of someone else, he then is haughty.

The second is that he thinks that, by averting an injustice from a Muslim, I intend to intercede for him, and this is the suspicion of the haughty one, and the standard thereof is what we've mentioned earlier. Once the way of entering upon rulers has become clear, let's give some situations of mixing with rulers and governors, and taking from their property.

Situation: If a ruler sends to you some property to distribute among the poor. If there is an identified owner, it is unlawful to take it, and if there is any owner, and he likes to give it to the needy by way of charity, then, you have right to take it and distribute it by yourself. Although you will not be sinful by taking it, some scholars refrained from it. at that point, let's consider the preferable. We say that it is preferable to take it if you feel secure from three evil things:

The first is that the ruler might think that his property is lawful because of your taking it, and had it not been for its being lawful, surely, you would not have stretched your hand to take it. being so, take not it, for it is forbidden, and the good that lies in your distributing it is not equal to your courage to earn the unlawful.

The second evil thing is that others from amongst the scholars and ignorant people might look at you, and, thinking it is lawful, imitate you in taking it, and

depend upon your taking as evidence for its being permissible, without making distinction (between what is permissible and what is impermissible). This sin is greater than the former. A group of people rely on the taking of Ash-Shafi'i as evidence for permissibility of taking, and are heedless of his discrimination (between what is lawful and what is unlawful), and the fact that he took it with the intention to distribute it. so, the one whom the others follow and imitate should avoid such risks, for his act might lead so many others to go astray.

In this connection, it is narrated by Wahb Ibn Munabbih that a man was brought to a king at the sight of people in order to compel him to eat the flesh of swine, and he rejected. He presented to him the flesh of sheep, and he was put under compulsion by the sword, but he also rejected to eat. When he was asked he said: "The people think I have been required to eat the flesh of swine, and if I come out safely after having eaten, and they do not know what I've eaten, they will go astray."

It is reported that both Wahb Ibn Munabbih and Tawus entered upon Muhammad Ibn Yusuf, the brother and deputy of Al-Hajjaj, and this was on a cold morning. He said to his slave: "Take that silk cover and throw it on the body of Abu Abd Ar-Rahman" in reference to Tawus. He was sitting on a chair. He threw it on him, and he kept moving his shoulders until it fell from him on the ground. On that Muhammad Ibn Yusuf grew angry, thereupon Wahb said to him: "You would not in need of provoking his anger if you took the silk cover and gave it in charity." He said: "Yes, had it not been for the fact that anyone to come after me will say, (by way of argument to justify his taking) that Tawus had taken it, but he will not do the same as I did."

The third evil thing is that your heart might be moved by his loving for you, and favouring you with that property. Being so, accept it not, for it is the deadly poison, and the buried diseases, i.e. what causes you to like the wrongdoers, for if you like anyone, you should been keen on keeping relation with him, and adulate him. According to A'ishah "Allah be pleased with her": "The soul is predisposed to like him who does good to it."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (by way of invocation): "O Allah! Do not cause a dissolute person to have a favour upon me, which prompts my heart to love him." (This is narrated by Ibn Mardawaih on the authority of Kathir Ibn Atiyyah from an unidentified man; Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Mu'adh. In this narration, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" showed that the heart could hardly refrain from that.

It is narrated that a governor sent to Malik Ibn Dinar ten thousand Dirhams, which he distributed wholly. Muhammad Ibn Wasi' came to him and asked: "What have you done with the sum of money this man had sent to you?" he said: "Ask my companions." They told him that he had distributed them wholly. He asked him: "I beseech Allah to tell me: do you love him more now or you did

before he had sent to you the money?" he said: "No, but now (I love him more)." On that he said: "This is what I fear." However, he has told the truth. When he loves him (the ruler), of a surety he will like him to survive, and dislike him to be ousted, or exposed to affliction or even death; and he will also like his governorship to extend and his property to be more abundant. This is to love the means of wrongness, and it is blameworthy.

According to both Salman and Ibn Mas'ud "Allah be pleased with them": "He, who accepts a thing even though he is absent from it is like him, who attends it." in confirmation of that, Allah Almighty says: "And incline not to those who do wrong, or the Fire will seize you; and you have no protectors other than Allah, nor shall you be helped." (Hud 113)

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾

In interpretation of it, it is said that you should not accept their deeds.

But if you are powerful enough to have control over your heart in a way that you will not love them more because of taking from them, then, there is no harm to take from them. In this respect, it is narrated that one of the worshippers of Basra used to take money from the governors and distribute it wholly. He was asked: "Do you not fear that you will come to love them?" he said: "If a man takes hold of my hand and leads me to the Garden, and then he disobeys Allah Almighty, by no means will my heart love him. That's because He, who subjugated him to take hold of my hand and lead me to the Garden is the Same for Whose Sake I should dislike him, out of thankfulness to Him for His subjugating him to me." It now has become clear how to take property from them, and whether it is from lawful but forbidden and blameworthy sources, and it could hardly be free from any of those evils.

Situation: if it is said that in case it is permissible to take his (the ruler's or governor's) property and distribute it, is it permissible also to be stolen or is it permissible to hide and deny his deposit and distribute it among the people? In reply to that, let's affirm that it is impermissible, for this property might have a particular owner, and he (the ruler) has the intention to give it back to him; and it is not the same as in the case he sends it to you, for the rational does not think that he could give in charity anything he knows to have a particular owner, and his giving it to you signifies that he does not know its owner. If it seems difficult upon the taker to know that with certainty, then, let not him take it from him unless he knows that certainly.

On the other hand, how should he steal it, and it might probably be his own, which he has bought by his own money, given that the seizing hand is a clear sign of ownership? This is impossible. If a fallen thing is picked up, and it appears that its owner is a soldier who might probably have bought it by his own money, it should be then given back to him. For this reason, it is impermissible to steal their property, nor the deposits of others kept with them, nor is it permissible to

deny their deposits (with others). Moreover, the legal punishment of theft should be executed upon him who steals their property, unless he claims it is not their own, and at that point, the legal punishment should lapse by that claim.

Situation: it is unlawful to have dealings with them, for their property is unlawful for the most part, and thus, the compensations (prices) taken from them are unlawful. But if the price is paid from sources known to be lawful, then, what is delivered to them remains questionable. If they are known to disobey Allah therewith, like selling brocade to them, although the seller knows they wear it, it is then unlawful, like selling grapes to the makers of wine, with difference in the matter of validity. But if it is possible on the basis that the women of the house might wear it, it is (not unlawful but) undesirable suspicion. The same is true of selling horses to them at the time of their setting out to fight Muslims, or collecting their property (illegally), for in this case, the seller will help them do wrongness with his horse, and this is forbidden.

It is not lawful in so much as it is undesirable to exchange currency with them, for although they do not disobey Allah with it directly, they utilize it as access to disobedience. By selling currency to them, one helps them commit wrongness, for they utilize money, riding mounts and all that is available to them to do their injustice. This undesirability applies also to giving gifts to them, working for them for no charge, teaching them and their children the arts of writing and arithmetic. But of a surety, to teach them the Qur'an is not undesirable except in terms of taking charge, for it is unlawful unless it is from sources he knows to be lawful. If one is appointed as deputy to buy on their behalf from the markets for no charge, it is undesirable in terms of helping them do wrongness. If he buys for them such of things as he knows to use in committing sins, like a slave, brocade to be used for the throne and clothes, a horse or a riding mount to ride to do injustice, or commit murder, it is unlawful. If the purpose of sin appears to the seller, selling becomes evidently unlawful, and if it does not appear certainly, but probably from an indicative state, it is then undesirable.

It is unlawful to practice traffic or live in the markets they built with unlawful property. But if a trader live in anyone of them, and makes lawful earnings therein, his property will not be unlawful, but he himself will be sinful because of living therein. The people have right to buy from it, but in case they find another market, it is preferable to buy therefrom, in order not to help the wrongdoers, nor increase their funds, by renting their shops. Similarly, it is more desirable to practice deals in the markets in which they have no taxes due upon them than to do in markets in which they have taxes due upon them. Some people go as far as to avoid dealing with farmers and owners of pieces of land in which they have taxes due upon them, under pretext that they might spend the taxes they take and this is to help them do wrongness. But this is out of religious hyperbole, and putting the Muslims to difficulty, for the taxes now have come to comprehend the whole land, and in no way could it be withhold; and had it been possible, it

would have been made unlawful for the owner to cultivate the land in order not to give taxes. This is unattainable, and it pertains to the matter of living in general.

Situation: it is unlawful to deal with their appointed judges, workers and servants; and if it is unlawful to deal with those (rulers and governors), it is more unlawful to deal with their appointed workers.

As for judges, they take from their unlawful property, and increase their own wealth, and at the same time, they deceive the people with their uniform of judiciary. Although they put on the uniform of scholars and learned men, they mix with rulers and governors, take from their property. The people are predisposed, by nature, to follow and imitate those of authority and majesty among them; and it is through those judges that the people are encouraged to imitate the magistrates.

In regard with servants and retinue, most of their property is taken from the illegally usurped property of others, and they do not have in their hands the property of inheritance, public interests, Jizyah, or any lawful property so that suspicion of any lawful property to mix with their own is so much weak. According to Tawus : "I never give my witness to them even if I'm certain because I fear they might become aggressive towards him whom I witness against."

In brief, the subjects have become corrupt because of the corruption of their guardians, i.e. kings, and the kings have become corrupt because of the corruption of the scholars and learned. Had it not been for the evil judges and scholars, the kings would not have inclined to much corruption, for fear those judges and learned men might disapprove of it. For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "This nation will remain in the Hand of Allah, underneath His Shade (i.e. protected from Satan) so long as its reciters (learned and religious scholars) do not give in to its rulers and governors." (This narration is reported by Abu Amr Ad-Dani on the authority of Al-Hassan; and Ad-Dailami on the authority of both Ali and Ibn Umar). The reciters here are mentioned because they represented the scholars and learned at that time. Their knowledge was gained from the Qur'an and the Sunnah which explains its meanings, and the other sciences beyond it were innovated later.

According to Sufyan : "Mix not with the ruler, nor with anyone who mixes with him." He resumed: "The man of pen, the man of inkpot, and the man of paper are partners." He has told the truth. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" cursed ten who are involved in wine, to the extent that he cursed even the presser and the one who gets it pressed. (This narration is reported by At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Anas). According to Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him": "The usury devourer and giver, its witness and scribe are cursed on the tongue of Muhammad the

Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". (This narration is reported by Muslim and those of Sunan). The same is narrated on the authority of Jabir and Umar "Allah be pleased with them". (The narration of Jabir is reported by Muslim, and the narration of Umar is reported by At-Tirmidhi, even though it was not heard directly from him).

According to Ibn Sirin : "Do not carry a letter of the ruler unless you know what it contains." Sufyan "may Allah have mercy upon him" rejected to give the caliph at his time an inkpot in front of him and said: "No, unless I know what you are to write with it." in total, all of their servants and retinue who are wrongful like them should be hated just for the Sake of Allah Almighty. It is narrated from Uthman Ibn Za'idah that a man from the soldiers asked him to guide him to the road, and he kept silent, and pretended to be deaf, for fear he might go to do injustice, and by guiding him to the road, he would have helped him do it.

But to be sure, no reports of such exaggeration are handed down from the righteous predecessors in their dealings with dissolute traders, tailors, cuppers, workers in public baths, smiths, tanners, and the like of them, who used to tell lies most frequently, nor even with the disbelievers from amongst the non-Muslims who live under the protection of Muslims. But this applies to wrongdoers in general, and in particular those who devour the property of the orphans and needy, and those who regularly harm Muslims, who go hand in hand on defacing the features of Sharia and its rites.

That's because the sin is divided into two kinds: transitive and intransitive. Dissoluteness and even disbelief are intransitive for their effects do not transcend to others, but they are to commit a crime against Allah Almighty, and reckoning thereof is incumbent upon Allah. But the sin of rulers and governors through injustice and wrongness is transitive, and this is why it is severely grievous. They become hateful in the Sight of Allah Almighty in proportion to the extent to which their wrongness and injustice are encompassing and transitive. For this reason, they should be disliked, and dealings with them should be avoided.

In this respect, it is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "(On the Day of Judgement) it will be said to the policeman: 'Leave your whip and enter the fire (of Hell)'." (This narration is reported by Abu Na'im on the authority of Anas). the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Among the portents of the Hour (of Judgement) is that a people will appear, having whips like the tails of cows." (This narration is reported by Ahmad and Al-Hakim on the authority of Abu Umamah).

This is the ruling pertinent to them. Whoever of them is recognized, that's good, otherwise, the sign which characterizes him is the fez and long mustaches, in addition to the remaining settings in uniform and features. One should avoid anyone of those seen in that setting, and this is not out of evil suspicion, for it is

he who has incurred crime upon himself, by getting dressed in their dress, and the evil of dress indicates the evil of the heart. None but a mad pretends to be mad, and none but a dissolute imitates the conduct of the dissolute persons. It is true that a dissolute might make himself of those of righteousness, but it is not fitting for a righteous to imitate the dissolute, since by so doing, he helps to increase their number.

When Allah Almighty revealed: "When angels take the souls of those who die in sin against their souls" (An-Nisa' 97)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴿٩٧﴾ ﴾

It was in connection with a group of Muslims who used to increase the number of the pagans, by mixing with them. It is reported that Allah Almighty revealed to Joshua, son of Nun that 'We are going to ruin of your people forty thousand of their good, and sixty thousand of their evil'. He asked him: 'But, what is wrong with the good among them?' he said: 'They did not become angry for My Anger, but they used to share food and drink with them'.

It is then obvious that becoming angry with the wrongdoers for the Sake of Allah is binding. It is narrated on the authority of Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that Allah Almighty cursed the learned and scholars of the children of Israel for their mixing with the wrongdoers in their living. (This narration is reported by Abu Dawud, At-Tirmidhi and Ibn Majah).

Situation: in relation to the places constructed by wrongdoers, like bridges, hostelries, mosques, and wills should be regarded with caution. As for the bridge, it is permissible to cross over it because of need, although it is out of piety to avoid it as possible as it could be. This piety is affirmed if there is another way to go through. But we make it permissible to cross over it even though there is another place available for (the property from which it has been built) might probably have no particular owner, and in this case, it should be set aside for public interests and good; and crossing over it is good. But if he knows that the bricks or stones are taken from the place owned by a particular person, or that the property spent in building belongs to a particular person, it becomes incumbent upon him to seek its lawfulness from the owner he knows.

In regard to the mosque, if it is constructed in an illegally usurped land, or with wood that is illegally usurped from another mosque or property, it is impermissible to enter it, even to offer Friday prayer. Moreover, if the imam prays in it, let him pray behind the imam, and stand outside its borders, since the prayer in the usurped land suffices for the obligatory duty, particularly on the part of the follower, and this is why we make it permissible for the follower to pray behind an imam in an illegally usurped land, even if he disobeys its owner by standing in it. but in case it is built from a property whose owner is unknown, it is out of piety to leave it for another mosque in the event of availability; and if it is

not available, then, he should not leave Friday prayer nor the congregational prayer on the basis of probability. If there is no particular owner, it is made to the public interests of Muslims.

If in the big mosque there is a building belonging to a wrongful ruler, the praying one has no legal excuse, as far as piety is concerned, to pray in it given the immensity of the mosque. It was said to Ahmad: "What is your argument for which you forbid setting out for congregational prayer among the soldiers?" he said: "My argument is that both Al-Hassan and Ibrahim At-Taimi feared that Al-Hajjaj might put them to affliction, and I also that I might be put to affliction." But Khaluq and gypsum do not hinder from entering because they have no effect in the prayer itself, and rather belong to adornment and it is preferable that one should not look at it. Concerning the straw mats, if they have a particular owner, it is unlawful to sit on them, unless they are set aside for public interests, although it is out of piety to leave them, for it is suspicious.

The same ruling applies to the constructed well, and it is not out of piety to perform ablution or drink from it, unless the prayer is due, and one fears he would miss it; and the same is true of the wells along the road of Mecca.

As for hostelries and schools, if the land is illegally usurped or the bricks used in construction are moved from a place belonging to another, in a way that it might be restored to its owner, there is no concession to enter into them; and if there is confusion in regard to the owner, it is then set aside for one of the sides of good, even though it is out of piety to avoid it, but it is not necessary that one becomes dissolute by entering it.

If those buildings are set aside by the retinue of rulers, prohibition is more grievious, since they have no power of authority to set aside the property which has no owner to the public interests. Moreover, the unlawful represents the greatest portion of their property, and they have no authority to take the property of public interests. This task is up only to rulers and governors, and those endued with authority.

Situation: if the illegally usurped land is made a street, it is impermissible to walk in it. Although in case it has no particular owner, it will be permissible to walk in it, but it is out of piety to avoid it. if the street is permissible, and above it there is a roof, crossing it is permissible and even sitting underneath the roof is also permissible, in such a way as makes it of no benefit. But if the roof is utilized in shading against the heat of sun or the water of rain, it becomes unlawful, for the roof is intended only to be used as such.

This is the ruling pertinent to entering a mosque above which there is a usurped roof, or is walled with usurped walls, for once a man steps and enters, he will not benefit from the walls or the roof, unless in terms of the benefit of protecting against the heat of sun and water of rain, in which case it is unlawful, for it is to get benefit from what is unlawful.

CHAPTER SEVEN: DIFFERENT PROBLEMS

It was asked about the Sufi servant who sets out to the market to buy food, or collect cash to buy food therewith: for whom it is lawful to eat thereof? Is it particular to Sufis only? In regard to Sufis, there is no suspicion of their right to eat thereof. It is lawful also for the others if they eat it by the accord of the servant. Its being lawful is due to the fact that what the Sufi servant gives is because of Sufis, and he has right to feed someone else's other than the dependents. That is because it is unlikely to say that it does not become the ownership of him to whom it is given, and the servant's being able to buy therewith does not mean that he has not the power of authority to dispose of it, on the grounds that giving alone is not sufficient.

This opinion is weak, if not meaningless in the event of the charitable objects and gifts. It is also unlikely to say that the ownership has expired from the standing Sufis who are currently present at the time of asking, for there is no difference that he could feed thereof such of them as comes after them; and even if one or all of them die, his portion should not be given to his heir. It is not unlikely to say that it has become the property of the area of Sufism itself, for this does not give individuals the power of authority to dispose of it. Those who are included in it are countless, for it implies everyone who is born to the Day of Judgement. It is under the disposal of the guardian, and the servant is not authorized to hold himself an agent of the area. There is no point but to say that it is his own property, and he feeds Sufis thereof under the condition of loyalty and allegiance to Sufism, in such a way that if he withholds it from them, they will prevent him from assuming the position of taking care of them, until his endowment terminates in the same way as the endowment of him whose dependents die expires.

Problem: it was asked about property that is bequeathed to be given to the Sufis: for whom it is permissible to be given? I say that Sufism is an internal matter which none could know, and there is no criterion of discrimination other than many apparent signs that are relied on by usage and practice to give the name Sufi. The general criterion is that the one who has a particular characteristic and comes to their hostelry should not be rejected or denied by them, since he is included in them. Five characteristics should be observed in him: righteousness, poverty, the uniform of Sufism, joblessness, mixing with them through co-living with them in the hostelry. The absence of some of those characteristics deprives one of the Name Sufi.

Dissoluteness in general deprives one of warrant for the Sufi is known to be one of those of righteousness, depending upon a particular characteristic. For this reason, such of them as appears in their uniform, but proves dissolute does not deserve to have what is bequeathed for them. The minor sins here are not considered.

Having a job, i.e. being engaged in earning also stands against that warrant.

The seller, worker, trader, craftsman in his shop or house, and the hireling do not deserve to take what is bequeathed for Sufis. This could not be repaired only by putting on their uniform, or mixing with them. But to engage in writing or tailing, and such of things as fitting for Sufis does not prevent warrant provided that he does it not in a shop, nor for the sake of earning therewith, in addition to its being repaired by his co-living with them, and having the other characteristics. But to have the power to work does not prevent it. Preaching and teaching do not contradict Sufism given that all characteristics of Sufism are available, like uniform, co-living and poverty. It is not contradictory to say a Sufi learned, a Sufi teacher, a Sufi reciter, in so much as it is contradictory to say a Sufi trader, or a Sufi worker.

In relation to poverty, if it is removed by excessive richness, because of which one is ascribed to apparent wealth, it will not be permissible for him to take the bequest of Sufis. But if he has property which does not satisfy his expenses, his right will not lapse; and the same is true when his property is less than the Nisab which makes alms due upon him, even though he has no expenses. The evidence for those things could not be elicited but from habits and customs.

Mixing and co-habitation with them are effective. But he who does not mix with them, and he lives in his independent house, or in the mosque, and puts on their uniform, and behaves according to their manners, shares the bequest with them. It seems here that the absence of mixing is repaired by adherence to uniform. But if he does not put on their uniform, and at the same time, has the other characteristics, he deserves nothing unless he co-habits with them in the same hostelry. Both mixing and uniform are alternates. This is the ruling pertinent to the jurisprudent who does not put on their uniform: if he lives outside their hostelry, he is not a Sufi, and if he co-habits with them, and has the other characteristics, he is not unlikely to be given the same ruling pertinent to them. Wearing the dress with patches is not a prerequisite to make one worthy, and its absence harms not particularly in the presence of the aforementioned conditions. He who lives independently who fluctuates between his house and their hostelry is included in them.

Problem: what is given as endowment to the hostelry of Sufis is more extensive than themselves , for being given as endowment means that it should be spent on their interests. Having been so, the non-Sufis then has the right to share food with them on their own accord, once or twice, for the matter of food is based on tolerance. It is permissible for anyone, with whom there is benefit for them, to share food with them by their consent. It is also permissible for him to whom they bring to attract his heart to them, like a jurisprudent, a judge, a learned, a trader, or a worker, provided that it should not be permanent, in the sense that a non-Sufi is not allowed to co-habit and share food with Sufis permanently even by their consent, for they have no right to change the conditions of endowment which do not allow for anyone outside them to share them.

But if a jurisprudent puts on their uniform and has their conduct, he is allowed to co-habit with them, provided that his being a jurisprudent does not contradict his being a Sufi. On the other hand, ignorance is not a prerequisite in Sufism in the sight of anyone well-acquainted with Sufism. Let none be deceived by the superstitious statement of the foolish that knowledge is a veil, since ignorance is a veil; and we've already mentioned the interpretation of that statement in the Book of Knowledge, and that the veil is the blameworthy and not the praiseworthy knowledge, and we've distinguished the praiseworthy from the blameworthy knowledge, and explained the differences between them. But if a jurisprudent does not put on their uniform nor does he abide by their manners, they have the right to prevent him from co-habiting with them. But if they accept him to co-habit with them, it is lawful for him to share food with them. The lack of uniform might be repaired by co-habitation, but by the consent of those of uniform.

Those matters are subject to the rules of usage and practice. They have opposing extremes, which are evident in terms of affirmation and negation. But at the same time, they have middle things which are suspicious; and if one avoids them, he will keep his religion and honour blameless as we've alerted in the chapters of what is suspicious.

Problem: it was asked about the difference between bribe and gift: although each is given by consent, and is not free from purpose, one of them is prohibited and the other is not. I say that giving property does not occur but for the sake of a certain purpose. But the purpose might be deferred like the reward, or on time, and the latter might be either in the form of money, or in the form of act and help to achieve a particular goal, or to come closer to the heart of him to whom it is given, by seeking his love, either for the sake of love in itself, or as an access to what is beyond it.

Five divisions then could be elicited:

The first pertains to the deferred reward in the hereafter, and it is because the one who is given might be in need, learned, of religious ancestry, righteous or religious. It is unlawful for a taker to take what he knows to be given for his need unless he is really in need; and it is unlawful for him to take what he knows to be given for the honour of his ancestry if he is liar in his claim; and it is unlawful for him to take what he knows to be given for his knowledge unless he is in the same status of knowledge as thought by the giver, in the sense that if the giver imagines him to be perfect in knowledge, and this is the cause that prompts him to give, and the taker is not perfect in knowledge, it is unlawful for him to take it; and similarly, it is not lawful for one who is given for his righteousness to take if he is inwardly dissolute, to such extent as if the giver knows, he will not give him. How rare are those righteous to whom the hearts remain attached by the exposure of their innermost mysteries, but it is the screening of Allah which endears the creatures to each other. The pious used to deputize in buying for them the one who does not know their reality, in order not to lead to leniency in selling, for fear this might belong to the devouring by

religion. This is, to be sure, of great risk, unlike knowledge, poverty and ancestry. For this reason, taking by religion should be avoided as possible as it could be.

The second division is that which aims at an immediate purpose, like the poor's gift to a rich, in covet of his good reward. This gift is conditional on reward, and the ruling pertinent to it is not hidden. It becomes lawful at the time of fulfilling the coveted reward.

The third pertains to the seeking help by a particular aid, like the one who is in need of the ruler, and he gives a gift to the ruler's deputy, retinue, or anyone who has authority with him. This gift is also conditional on reward which is known by presumption. Such deed, which is the reward then should be considered: if it is unlawful, like seeking to have an unlawful annuity, wronging a certain person, or the like of that, taking becomes unlawful. If it obligatory, like averting injustice from every wronged one on the part of him who has the power to do it, or giving witness from him upon whom it is due, taking also becomes unlawful, and this is the bribe in which there is no doubt that it is unlawful. If it is permissible, not obligatory nor unlawful, and it causes trouble in such a way that in the event of knowing it, paying charge for it is permissible, what is taken then is lawful, and it is like the present. It is like the demand which is executed with difficulty and effort: "Convey that story to the hand of the ruler and you shall have a Dinar for it" or: "Suggest to so and so to appoint me for such and such a job", and the like of that.

This is similar to what the deputy takes from the foes in front of the judge. This present is not unlawful, so long as he does not seek to do the unlawful. If the objective is to be achieved through a word in which there is no effort to be exerted, but it needs to be said by such of endued with authority, like your saying to the porter: "Close not the door of the ruler at his face", or "Give that story to the ruler", it is then unlawful, for in this case, it is a compensation for authority, for which nothing in Sharia provides evidence: on the contrary, its being forbidden is proven as we shall explain later in the discussion of the gifts of kings. Similar to that is the physician's taking of compensation for only a single word therewith to highlight a medicine which none other than him knows. Different from that is the skilled craftsman, like a polisher, who removes the crookedness of sword or mirror only with a single strike, due to his good acquaintance with the place of defect: by a single strike, he could increase so much the value of the sword of the mirror. There is no harm to take charge for that, for such crafts are not learnt but after a great effort and suffering experienced by the craftsman, with the intention to lighten difficulty and effort from himself across time.

The fourth is to aim at loving, and attracting the hart of the person to whom a gift is given, with no purpose other than removing loneliness, affirming companionship, and be kind and affectionate to hearts. This is intended for the

rational, and encouraged under Sharia. It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Exchange gifts perchance you will come to love each other." (This narration is reported by Al-Baihaqi on the authority of Abu Hurairah). But generally speaking, one could hardly aim at loving just for the sake of loving in so much as for a particular benefit to be gained through that loving. But as this benefit is not determined, and there is no particular motive to prompt him at the moment to give that thing, it is called a gift, and it is lawful to take it.

The fifth is to seek nearness to his heart, and gain his love, not only for the sake of loving nor for removing his loneliness through him, but also to achieve certain purposes through him, which are limited in kind, but countless in item, and had it not been for his authority and majesty, he would have given no gifts to him. If his authority is because of knowledge and good ancestry, the matter is easier, and taking the gift is undesirable, since it resembles bribe, although it is a gift in appearance. But if he has got his authority because of a job in which he was appointed, like the office of judge, custodianship, guardianship, collecting the objects of charity and almsgiving, or any of those jobs relating to ruling, or even his being in charge of an endowment, and had it not been for this job, no present or gift would have been given to him, then, it is a bribe that is offered in the form of a present.

That's because the immediate purpose is to seek nearness and gain loving, the matter is limited. If somebody else is appointed in his place, surely, the gift would be given to him. This thing is severely undesirable, by consensus, although they differ about its being lawful or unlawful. The indication thereof is not the same, since it is fluctuant between the bribe and the present, and if the analogous resemblance is contradictory, in the absence of any traditions or narrations, it becomes incumbent to incline to the more praiseworthy of them.

There are many narrations which warn of that matter. It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A time will come upon a people, when they will make lawful what is illegal in the form of the present, and killing in the form of admonition, i.e. the innocent is killed in order to admonish the laymen." When Ibn Mas'ud was asked about the illegal thing he said: "A man fulfills the need of another, who, in turn, gives him a gift in return for that." Perhaps he fulfilled that need with a single word, in which there is no effort, or by way of bestowal, for which he wants no charge. He then should not take anything afterwards in the form of compensation.

It is reported that once Masruq made his good offices for a man, who gave him a slave-girl as a gift, thereupon Masruq grew angry and said: "Had I known what is in your heart, surely, I would not have talked about your affair, and I would not talk about what remains of it." when Tawus was asked about the gifts of the ruler he said: "Those are illegal." Umar "Allah be pleased with him" took back the money of the loan taken by his two sons from the treasury and said to them: "Had it not been for your position form me, you would have not been

given it." he learnt that they were given it just because of the authority of ruling. Once, the wife of Abu Ubaidah gave perfume as a gift to the Roman queen who rewarded it by a lot of diamonds. Umar took the diamonds and sold them, and gave back the price of perfume to the wife of Abu Ubaidah, and deposited the remaining in the Muslim treasury.

According to Jabir and Abu Hurairah : "The gifts of rulers are things taken by way of misappropriation." When Umar Ibn Abd Al-Aziz rejected the gift it was said to him that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" accepted the gift, thereupon he said: "It was a gift for him, but now it is a bribe for us." (This narration of the Prophet's accepting the gift is reported by Al-Bukhari on the authority of A'ishah). He means that "they used to come close to him because of His Prophethood, and not because of his guardianship, while we are given for the sake of our guardianship."

More obvious is the following narration on the authority of Abu Humaid As-Sa'idi: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" appointed a man from the Azd tribe called Ibn Al-Lutbiyyah, to collect the obligatory charity from Banu Sulaim. When he returned, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" asked him to render his account. He said: "This wealth is for you (i.e. for the treasury of Muslims) and this is a gift (presented to me)." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "You should have remained in the house of your father and your mother, until your gift came to you if you spoke the truth."

Then he addressed us. He praised Allah and extolled Him. afterwards he said: "I appoint a man from you to a responsible position sharing with the authority that Allah has entrusted to me, and he comes to me saying: This wealth is for you (i.e. for the treasury of Muslims) and this is a gift presented to me. Why did he not remain in the house of his father and his mother and his gift came to him, if he spoke the truth? By Allah, there is no one of you who will take anything from (the public funds) illegally, but that he will meet his Lord carrying it on himself on the Day of judgment . I will recognize any one of you meeting Allah and carrying a growling camel, or a cow bellowing or a goat bleating." Then he raised his hands so high that the whiteness of his armpits could be visible. Then he said: "O my Lord, I have conveyed (Your Commandments)."

Being proven, the judge of guardian then should suppose to be in the house of his father or mother: it is permissible for him to take in his guardianship what he would be given if he is ousted and remains in the house of his mother, and it is unlawful for him to take what he knows to be given to him only because of his guardianship. What seems problematic and difficult upon him to verify, concerning the presents of his friends, and whether they would have given him had he remained outside his job, he should render it suspicious, which he should avoid.

friendship and company with various kinds of people

It is the fifth book of the quarter of customs of life

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful.

Praise be to Allah, Who has encompassed the best of His servants (i.e. mankind) with favours and graces, and made their hearts adhere in love to each other, thereby they have come, by the blessing of Allah, to be brothers (after they had been enemies), and removed hatred and grudges from their chests, thereby they remain in this world friends and in the hereafter they will be companions. Allah's blessing and peace be upon Muhammad, the best-chosen, and upon his family and companions who followed him and imitated his conduct in words and deeds, in justice and good conduct.

To go further: to love each other for the Sake of Allah Almighty, and become brothers in the religion of Allah Almighty are among the best acts of worship, and the nicest service to be benefited in the course of habits. There are many conditions with which the companions and lovers for the Sake of Allah Almighty join each other, as well as there are rights and observing them brotherhood becomes purely free from the dirt of evil and suggestions of Satan. By observing the rights thereof, one becomes close to Allah Almighty, and by safeguarding them, the high degrees are attained. We are going to clarify the purposes of this book in three chapters:

The first chapter pertains to the virtue, conditions, degrees and merits of brotherhood and affection in (the religion of) Allah Almighty.

The second chapter pertains to the rights, etiquettes, reality and requirements of companionship.

The third chapter pertains to the right of the Muslim, kinship ties, neighbourhood, and anyone in one's possession, and the way of companionship.

CHAPTER ONE:

VIRTUE, CONDITIONS, DEGREES AND MERITS OF BROTHERHOOD AND AFFECTION IN (THE RELIGION OF) ALLAH

Virtue Of Affection And Brotherhood

It should be known to you that affection is the fruit of the good manners, whereas division is the fruit of the bad manners, since the good manners summon mutual love, affection and agreement, and the bad manners lead to

mutual hatred, envy and desertion. When the plant is praiseworthy, of a surety, the fruit thereof should be praiseworthy. The virtue of the good manners is not hidden in religion. It is with it that Allah Almighty praised His Messenger when He said describing him: "And you (stand) on an exalted standard of character." (Al-Qalam 4)

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾

From among the Prophetic narrations, a mention might be made of the following:

It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The people will enter the Garden most because of Allah-fearingness and good manners." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Al-Hakim on the authority of Abu Hurairah). It is further narrated on the authority of Usamah Ibn Sharik that he said: We said: "O Messenger of Allah! What is the best to be given to mankind?" he said: "Good manners." (This narration is reported by Ibn Majah, with authentic chain of transmission). It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I've been sent (as a Messenger by Allah Almighty) to perfect the good manners." (This narration is reported by Ahmad, Al-Baihaqi and Al-Hakim on the authority of Abu Hurairah).

It is further narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The heaviest thing to be placed in the scale of deeds is the good manners." (This narration if reported by Abu Dawud and At-Tirmidhi on the authority of Abu Ad-Darda', and At-Tirmidhi describes it as good and authentic). the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah never makes good the character and figure of a man whom He causes to taste the fire (of Hell)." (This narration is reported by Ibn Adi, At-Tabarani and Al-Baihaqi on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "O Abu Hurairah! I advise you to abide by good conduct." Abu Hurairah "Allah be pleased with him" said: "What does the good conduct mean O Messenger of Allah?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It is to maintain kinship ties with him who severs kinship ties with you, excuse him who wrongs you, and give him who withholds from you." (This narration is reported by Al-Baihaqi on the authority of Al-Hassan from Abu Hurairah, although he did not hear from him directly).

It is obvious that the affection and disappearance of loneliness is the resulting fruit of the good conduct, and when the plant is good, of a surety, the resulting fruit will be good. Why not since there are so many sufficient and satisfactory Holy Verses, Prophetic narrations and traditions in praising affability given that the tie is the piety, faith and the love for Allah Almighty?

In demonstration of His Favour upon them, by making their hearts adhere in love to each other: "And (moreover) He has put affection between their hearts: not if you had spent all that is in the earth, could you have produced

that affection, but Allah has done it: for He is Exalted in might, Wise." (Al-Anfal 63)

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣) ﴾

He also says: "and He joined your hearts in love, so that by His Grace, you became brethren." (Al Imran 103)

﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾

In criticizing division, He Almighty says: "And hold fast, all together, by the Rope which Allah (stretches out for you), and be not divided among yourselves; and remember with gratitude Allah's favour on you; for you were enemies and He joined your hearts in love, so that by His Grace, you became brethren; and you were on the brink of the Pit of Fire, and He saved you from it. Thus does Allah make His Signs clear to you: that you may be guided." (Al Imran 103)

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The one who is the nearest to me in position is him, who has the best conduct among you, who are tractable (in their treatment with others), who have affection (towards the people), and put affection (in the hearts of people)." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Jabir).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The faithful believer is he, who has affection (towards the people), who is loved (by others); and there is no good in a believer who neither has affection (towards others), nor is loved (by others)." (This narration is reported by At-Tabarani and Ahmad on the authority of Sahl Ibn Sa'd; and narrated and authenticated by Al-Hakim on the authority of Abu Hurairah).

In praising brotherhood in religion, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whomever Allah intends good , He bestows upon him (the blessing of) a righteous friend: whenever he forgets, he will remind him, and whenever he remembers, he will aid him." (This narration is strange in word).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The example of the two brothers (in the religion of Allah) whenever they meet is like the example of two hands, each of which washes the other; and two faithful believers never meet but that Allah Almighty benefits each of them good from the other." (This narration is reported by As-Sulami and Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Anas).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: in exhortation to the brotherhood for the Sake of Allah Almighty: "He, who takes somebody for brother for the Sake of Allah Almighty, Allah raises him up a degree in the Garden, which he could not attain by anything of his deeds." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Anas). It is reported that Abu Idris Al-Khawlani said to Mu'adh "Allah be pleased with him": "I love you for the Sake of Allah." He said to him: "Then, receive the glad tidings and receive the glad tidings once again, for I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" having said: "A group of people will have chairs set up for them round the Throne (of Majesty) on the Day of Judgement, whose faces will be like the full moon; and when the people will be scared, they will not be scared, and when the people will fear, they will not fear: they are the devotees of Allah upon whom there shall be no fear, and they will not grieve." It was said: "Who are those O Messenger of Allah?" he said: "They are those who love each other for the Sake of Allah Almighty." (This narration is reported by Ahmad and Al-Hakim on the authority of Abu Idris Al-Khawlani from Mu'adh).

It is further narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There will be round the Throne (of Majesty) pulpits of light, having over them people whose dress will be of light, and whose faces will be of light, and they will be neither Prophets nor martyrs, and the Prophets and martyrs will envy them." They said: "O Messenger of Allah! Describe them to us." He said: "They are these who love each other for the Sake of Allah Almighty, sit with each other for the Sake of Allah Almighty, and visit each other for the Sake of Allah Almighty." (This narration is reported by An-Nasa'i on the authority of Abu Hurairah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "There is no two persons who love each other for the Sake of Allah but that the dearer of them to Allah Almighty is the one who loves his companion more." (This narration is reported by Al-Hakim and Ibn Hibban on the authority of Anas).

It is said that if one of two brothers in (the religion of) Allah is higher in station than the other, he will raise him to the same station, until he joins him in the same way as the offspring join their parents, and the members of the family join each other. That's because if brotherhood is gained in (the religion of) Allah, it will not be less than the brotherhood gained through blood relation. In confirmation of that, Allah Almighty says: "And those who believe and whose families follow them in Faith, to them shall We join their families: nor shall We deprive them (of the fruit) of aught of their works: (Yet) is each individual in pledge for his deeds." (At-Tur 21)

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِىٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: Allah Almighty says: "My love is a fact to those who visit each others for My Sake; and My Love is a fact to those who love each other for My Sake; and My Love is a fact to those who give each other for My Sake; and My Love is a fact to those who help each other for My Sake." (This narration is reported by Ahmad on the authority of Amr Ibn Abasah and Ubadah Ibn As-Samit; and it is narrated and authenticated by Al-Hakim).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: Allah Almighty will say on the Day of Judgement: "Where are those who love each other by My Glory? I will shade them today in My Shade, on the day on which there is no shade but Mine." (This narration is reported by Muslim).

The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah will give shade, to seven, on the Day when there will be no shade but His. (These seven persons are) a just ruler, a youth who has been brought up in the worship of Allah (i.e. worships Allah sincerely from childhood), a man whose heart is attached to the mosques (i.e. to pray the compulsory prayers in the mosque in congregation), two persons who love each other only for Allah's sake and they meet and part in Allah's cause only, a man who refuses the call of a charming woman of noble birth for illicit intercourse with her and says: "I am afraid of Allah, a man who gives charitable gifts so secretly that his left hand does not know what his right hand has given (i.e. nobody knows how much he has given in charity), and a person who remembers Allah in seclusion and his eyes are then flooded with tears." (This narration is reported by both Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Hurairah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No man visits another for the Sake of Allah, out of longing for him, and desire for meeting him, but that an angel calls him from behind him saying: "Blessed be you, and blessed be your walk, and blessed be the Garden for you." (This narration is reported by Ibn Adi on the authority of Anas).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A man visited a brother of him in (the religion of) Allah, thereupon Allah made an angel lies in wait of him, and he asked him: "Where are you going?" he said: "I'm going to visit my brother so and so." He asked him: "Do you have any need from him?" he answered in the negative. He asked: "Is it because of tie kinship?" he answered in the negative. He asked: "Then, are you under obligation to him?" he answered in the negative. He further asked: "Then, what is the reason for your visit?" he said: "I love him in (the religion of) Allah." On that he said: "(Then, you should know that) Allah Almighty has sent me to inform you that He loves you because of your love for your brother, and that He has assured the Garden to you." (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The most trustworthy handhold of faith is the love and hate in (the religion

of) Allah." (This narration is reported by Ahmad on the authority of Al-Bara' Ibn Azib).

For this reason, one should have enemies to dislike in (the religion of) Allah as well as he has friends and brothers to love in the religion of Allah. It is reported that Allah Almighty revealed to one of the Prophets: "In regard to your asceticism in this world, no doubt, you have hastened to receive comfort; and in regard to devoting yourself to worship Me, of a surety, you've attained power and honour with My Power and Honour. But, have you ever taken for enemy anyone of My enemies for My Sake? Have you ever taken for friend anyone of My friends just for My Sake?"

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "O Allah! Make not me under obligation to a dissolute person; therewith You shall endow him with my love."

It is reported that Allah Almighty revealed to Jesus "Peace be upon him": "Were you to worship me as much as is equal to the entire inhabitants of the heavens and earth, but without loving anyone for the Sake of Allah, nor disliking anyone for the Sake of Allah, your worship would not avail you in the least." According to Jesus "Peace be upon him": "Endear yourselves to Allah Almighty by disliking the sinful, and come close to Him by keeping yourselves away from them, and seek the Good Pleasure of Allah Almighty by having aversion and displeasure with them." They asked him: "O Spirit of Allah! Then, with whom should we sit?" he said: "Sit with such of people as seeing whom reminds you of Allah, such of people as whose speech increases your deeds, and such of people as whose deed frightens you in the hereafter."

It is reported from the narrations of the old generations that Allah Almighty revealed to Moses: "O son of Imran! Be wakeful, and take for yourself brothers and such of friends as does not helps you to make Me pleased should be one of your enemies."

It is reported that Allah Almighty revealed to (the Prophet) David "Peace be upon him": "O David! Why do I see you sole in seclusion?" he said: "O my God! I've forsaken the creatures for Your Sake." on that he said to him: "O David! Be wakeful, and take for yourself companions, and forsake such of friends as does not helps you to make Me pleased for he is one of your enemies, who hardens your heart, and keeps you away from Me."

It is reported in the narrations of David that he said: "O Lord! Why should I gain the love of all the people and at the same time, keep myself safe (from evil) in my relation with You?" he said: "Deal with the people according to their manners, and make good your conduct in your relation with Me." He said to him according to another version: "Deal with the people of the world according to the conduct of the world, and deal with the people of the hereafter according to the conduct of the hereafter."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The dearest among you to Allah Almighty are those who have affection (to the people) and put affection (in the hearts of people); and the most hateful among you to Allah Almighty are those who go about with calumnies among the people, who divide the brothers." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Abu Hurairah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Allah Almighty has an angel, half of whom is from fire and the other half is from ice. He says: "O Allah! As You've made both fire and ice adhere to each other, make the hearts of the righteous among Your slaves adhere in love to each other." (This narration is reported by Ibn Hibban on the authority of Mu'adh Ibn Jabal and Al-Irbad Ibn Sariyah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "No servant (of Allah) takes a new brother for the Sake of Allah but that Allah Almighty creates a new degree in the Garden." (This is narrated by Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Anas).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "These who love each other for the Sake of Allah will be on a pillar of red pearl, on the top of which there will be seventy thousand chambers from which they look over the people of the Garden, and their beauty lights up for the inhabitants of the Garden as much as the sun lights up for the people of the world. The inhabitants of the Garden say: "Let's come to look at those who love each other for the Sake of Allah." their beauty lights up for the inhabitants of the Garden as much as the sun lights up for the people of the world. They will have dress of green silk, and on whose faces the following will be written: "They are those who love each other for the Sake of Allah." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Ibn Mas'ud).

In regard to the traditions, let's mention the following:

Ali "Allah be pleased with him" said: "I advise you to adhere to your brothers, for they are the equipment in both world and hereafter. Do you not pay your attention to the statement of the denizens of the fire: "Now, then, we have none to intercede (for us) Nor a single friend to feel (for us)." (Ash-Shu'ara' 100:101)

﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾

Ibn Umar "Allah be pleased with them" said: "By Allah, if I fast during the day, and do not leave fasting, and stand (for supererogatory prayer) at night, and do not sleep, and spend all of my property in the Cause of Allah, and die on the day I shall die, having in my heart no love for the obedient of Allah Almighty and hatred for the sinful disobedient of Allah, nothing of my good deeds will avail me aught."

At his death, Ibn Simak said: "O Allah! If you know that I used to disobey you, I, at the same time, used to love him who obeys You. So, please, make it an act of worship of me to You."

In opposition to him, Al-Hassan said: "O mankind! Let not you be deceived by the fact that one shall be resurrected in the company of whomever he loves. Of a surety, you will not join the righteous and pious but by virtue of their deeds. The Jews and Christians love their Prophets, but they will not be resurrected in their company." This refers to the fact that the mere love, without imitating them in only some and not all of their deeds avails naught.

According to Al-Fudail: "Do you like to live in the Paradise, and be in the neighbourhood of Allah the Most Gracious in His abode in the company of the Prophets, truly believers and sincere lovers of truth, martyrs and righteous? With which deed have you done? With which desire or lust have you left? With which anger have you suppressed? With which kinship tie that is cut off have you kept? With which slip or error of your brother have you forgiven? With which relative have you kept yourself away from for the Sake of Allah? With which alien have you draw close to you for the Sake of Allah?"

It is reported that Allah Almighty revealed to Moses "Peace be upon him": "Have you ever done a deed to Me?" he said: "O my God! I've prayed for You, observed fasts, paid almsgiving, and practiced regular charity." On that he said: "The prayer will be a proof in your favour (on the Day of Judgement). Fasting is a shield (to protect you). Almsgiving is a shade (to safeguard you). And the obligatory charity is a light (to guide you to the truth). Which deed then have you done for My Sake?" Moses said: "O my God! Guide me to a deed which is to be for Your Sake." He said: "O Moses! Have you ever taken for friend anyone for My Sake? Have you ever taken for enemy anyone for My Sake?" Moses came to know that the best of deeds is the love and hate for the Sake of Allah Almighty.

According to Ibn Mas'ud: "If a man stands in between the Corner and the Station (of Abraham) worshipping Allah Almighty for seventy years, Allah Almighty will raise him on the Day of Judgement with whomever he loves."

According to Al-Hassan : "To cut off relation with the dissolute person is an act of worship to Allah Almighty."

A man said to Muhammad Ibn Wasi': "I verily love you for the Sake of Allah." On that he said to him: "Let him for Whom you love me love you!" then, he turned his face and said (by way of supplication): "O Allah! I seek refuge with You from loving (anyone) for Your Sake, and You dislike me."

A man entered upon Dawud At-Ta'i to visit him, thereupon he asked him: "What is your need (from me to fulfill it to you)?" he said: "I've come just to visit you." He said to him: "As for you, you've done well when you visited me. But consider what will befall me if it is said to me: 'Who are you in order to be visited? Are you from amongst the ascetics? No , by Allah. Are you from amongst the worshippers? No, by Allah. Are you from amongst the righteous? No by Allah.'" Then, he went on censuring himself saying: "When I was a youth, I was a dissolute, and when I've grown up, I became of those who like to be seen of men. By Allah, he who likes to be seen of men is worse than the dissolute."

Umar "Allah be pleased with him" said: "If anyone of you receives affection and kindness from his brother, let him hold fast to that, for it rarely occurs."

According to Mujahid: "When these who love each other for the Sake of Allah meet and smile to each other, their mistakes and sins fall out of them in the same way as the leaves fall out of the trees in winter when they become dry."

According to Al-Fudail : "A man's look at the face of his brother by way of affection and mercy is an act of worship."

Exposition Of The Meaning of Brotherhood For The Sake Of Allah, And The Way Of Discriminating It From The Brotherhood For The Sake Of This World

It should be known to you that the love and hate for the Sake of Allah are abstruse, and what we are going to mention shall uncover that. Let's begin by saying that company is divided into that which occurs by chance, like the company because of neighbourhood, because of gathering in an office, school, market, at the gate of the ruler, on journey; and that which occurs optionally and intentionally, and it is that which we intend to clarify, since the brotherhood in religion is included in that division, for there is no reward to be given but for the optional acts, to which one is exhorted to do. The company is to sit with or be a neighbour of someone else, whom one intends only if he loves him. That's because the unloved person is always avoided by others, who keep away from them, and refrain from mixing with him.

In regard to the loved one, he becomes the object of love either for his own self , and not for the sake of having through him an access to anyone, or anything else, or for having through him an access to anything or anyone else. That intended thing might be limited to this world with its delights and pleasures, or related with the hereafter, or related with Allah Almighty. This results in four divisions.

The first division, i.e. to love a person just for his own self, it is possible, that he is the object of your love, in a way that causes you to take pleasure in seeing him, recognizing him, considering and appreciating his good manners and conduct. That's because every beautiful is pleasant in itself in the sight of him who perceives its beauty, and every pleasant is loved, and pleasure always results from appreciation, and appreciation results from relevance, agreement and conformity of dispositions. On the other hand, what you appreciate might lie in the apparent image, i.e. the good features, or the internal image, i.e. the perfect mind and good manners. However, the good conduct necessarily results from the good acts, as well as the perfect mind results from the abundance of knowledge. All of that is appreciated by the sound disposition and straight mind, and every appreciated is an object of pleasure and love.

The matter of affinity among hearts is more difficult and abstruse. Two

persons might become strongly sociable to each other, even in the absence of the good picture and features, but it results from a relevance which imposes affability and agreement. As a matter of fact, the similar things always are attracted to each other by nature. The internal things are hidden, and they have subtle reasons which none of the human beings has the power to be well-acquainted with. How beautiful did The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" express this fact when he said (according to the narration of Muslim on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him"): "Souls are mobilized troops, and those from amongst them who are familiar to each other (in the heaven) would have affinity with one another (in the world) and those from amongst them who opposed each other (in the Heaven) would also be different (in the world)."

Dissimilarity then results from opposition, whereas affinity results from familiarity described as mutual recognition. It is narrated in another version: "Souls are mobilized soldiers, and they meet and sense each other in the air." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Ali). In interpretation of that, some scholars say that Allah Almighty created souls, and split them into halves and made them go round the Throne (of Authority), and any two souls belonging to two different halves recognize each other, and meet in the world, become in touch, and so on.

In confirmation of that, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The souls of two faithful believers meet each other while their bodies are a day-and-night journey far from each other, even without anyone of them having seen the other." (This narration is reported by Ahmad on the authority of Abdullah Ibn Amr). It is narrated that there was a woman in Mecca, who used to make the women laugh, and in Medina, there was another (similar to her). The Meccan woman came as a guest on the Medinian woman, and when she visited A'ishah "Allah be pleased with her", she made her laugh, and A'ishah asked him where she had stayed as a guest. She mentioned to her female-companion, thereupon A'ishah said: "Allah and His Messenger have told the truth." (This story is reported by Al-Hassan Ibn Sufyan).

The truth of matter is hat vision and experience confirm such affinity, and affinity results from conformity of dispositions, and conformity of natures and characters inwardly and outwardly is understandable. But it is not within the power of a human being to know the reasons that impose such conformity, and it is of no significance to delve into things whose mysteries are not disclosed to mankind, for we are given of knowledge but a little. Experience and vision are sufficient for us to trust that, which is confirmed by many Prophetic narrations and traditions.

It is narrated that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If a believer enters into a gathering having one hundred

hypocrites and only one believer, he would not feel rest until he sits by the side of that (believer); and if a hypocrite enters into a gathering having one hundred believers and only one hypocrite, he would not feel rest until he sits by the side of that (hypocrite)." This provides evidence to the fact that the similar things are always attracted to each other by nature even though unconsciously. Malik Ibn Dinar used to say: "No two persons in every ten agree with one another but that they should share in some characteristics. That's because the people are of various kinds like the kinds of birds, and no two kinds of birds match in flight but that there should be relevance between them." One day, he saw a crow flying in the company of a pigeon, thereupon he was astonished and said: "They agree although they are of different kinds." But when they flew together, they were lame, thereupon he said: "It is that in which they agree with each other."

For this reason, a wise man says that each man becomes affable to his match, in the same way as each bird flies by the side of its match. If two persons become companions for a period of time, during which they have not agreed with one another, they should inevitably depart from one another. This hidden meaning has been made outbid poets as represented in the following poetic verses: "A man asked why you have left one another, thereupon I answer him with an impartial statement, i.e. our different kinds have not matched, and the people are of various kinds and it is not that all should match."

It seemed then that man might be loved for his own self and not for the sake of a benefit to be obtained from him, whether at present or in the future, but he is loved just because of the agreement and relevance of nature and character, inwardly and outwardly. The love of beauty just for the sake of beauty is included in that division, if the purpose is not to fulfill the sexual desire, for one takes pleasure of the beautiful image in itself, that one, for example, enjoy of looking at fruits, lights, flowers, running water, and greenery, just for the sake of themselves and no more.

But the love for the Sake of Allah is not included in it, for it occurs by nature and desire. This might be imagined to occur on the part of him, who has no faith in Allah. But if this love is caused by a blameworthy purpose, it becomes blameworthy in itself, like the love of a beautiful image just to fulfill the sexual desire, whereas it is not lawful to fulfill it; and if it is not caused by a blameworthy purpose, it becomes permissible, i.e. not blameworthy not praiseworthy, for love is either praiseworthy, or blameworthy, or permissible which is not one of both.

The second division is to be loved to attain something else other than himself, and in this way, he is only an access to another loved thing. But the access to the loved thing is also loved. Although the real loved thing is that which one seeks to reach, but the way to that loved thing is also loved. For this reason, the people love silver and gold, not in themselves as they are not food nor clothes in so much as they are kept as a means to other loved things. one might

love another in the same way as he loves gold and silver, as a means to attain a particular majesty, property, or knowledge, just as a man loves a ruler to get benefit of his property or majesty, which causes him to love his retinue to allure him to that ruler.

If the attainable benefit is limited to this world, the love then will not be for the Sake of Allah; and if it is not limited to this world, but only the world is intended therewith, it will not belong to the love for the Sake of Allah, and the pupil's love for his teacher is typical of that, for he loves him only to obtain knowledge from him, and thus it is knowledge that is the object of his love. If knowledge is intended not to come close therewith to Allah Almighty in so much as to attain majesty, authority and recognition of people, then, his real object of love will be majesty and people's recognition, and knowledge is only a means to it, and the teacher is only an access to reach that knowledge. Of a surety, nothing of that belongs to the love for the Sake of Allah Almighty, for this might be imagined to happen on the part of him who has no faith in Allah Almighty. This kind also is divided into blameworthy and permissible. If it is intended to attain therewith blameworthy purposes, like oppression or illegal usurpation of the property of the orphans, and wronging people through judges and governors, it will be blameworthy; and if it is intended to reach a permissible thing, the means then should take the same ruling to the attainable thing, since it is to follow it, and it is not independent.

The third division is to be loved, not for his own self, but for another thing, which pertains not to the world but to the hereafter. This concept is apparent, in which there is no ambiguity. The typical example is that a pupil loves his teacher, for through him he obtains knowledge and work, and both knowledge and work are intended to attain felicity in the hereafter. This belongs to those who love for the Sake of Allah Almighty. The same is he who loves his pupil, for he receives knowledge from him, with which he attains the rank of teaching, with which he rises up to the degree of exaltation in the dominion of the heaven, according to the statement of Jesus "Peace be upon him": "He, who learns, acts upon what he learns, and teaches what he learns will be called a great in the dominion of the heavens."

Since teaching could not be achieved but through a learner, he (the pupil) comes to be an instrument, with which this perfection is attained. Thus, if he loves him as being an instrument, by making his breast a farm for sowing the seeds of his knowledge, which is the cause of upgrading him to the degree of exaltation in the dominion of the heavens, he then is included in the group of lovers for the Sake of Allah. Moreover, he, who spends his wealth in charity for the Sake of Allah, and gathers the guests (from among the poor and indigent) and serve them with the various kinds of delicious and good food, in order to come close to Allah Almighty, he is included in the group of lovers for the Sake of Allah Almighty. Similarly, if one loves a person who conveys his almsgiving to those who deserve it, he will love him for the Sake of Allah.

Let's go further to say that if one loves the one who serves him, who washes his dress with his own hand, clean his house and cook his food, in order to devote himself to knowledge and work, and the intention of using him in service is to occupy himself to the worship of Allah Almighty, he is then a lover for the Sake of Allah Almighty. Moreover, if he has the one who spends on him from his own property, provides him with his clothes, food, house and all of his needs in this world with the intention to enable him devote himself to knowledge and work, which draw one close to Allah Almighty, he is then a lover for the Sake of Allah Almighty. A group of the wealthy maintained a group of the righteous predecessors with their sufficient sustenance, and both the giver and taker were among the lovers for the Sake of Allah Almighty.

Additionally, let's say that if one marries a righteous woman in order to safeguard himself therewith from the obsessive doubts roused by Satan, perchance he would protect his religion with her, or have a good child from her to invoke good for him, and he loves his wife because she acts as an instrument to achieve those religious purposes, he is then a lover for the Sake of Allah Almighty. For this reason, there are many narrations about the abundance of reward for spending upon one's dependents, and even for one's putting the morsel of food in the mouth of his wife.

Furthermore, if one does not care but to have love for Allah, meet Him, or even attain His good pleasure, and at the same time he loves anything else, he will be a lover for the Sake of Allah, for nothing is imagined to be loved in the absence of its relevance with that which is loved by him, i.e. the good pleasure of Allah Almighty. Therefore, if one combines in his heart two things in love, i.e. the love of Allah and the love of the world, and at the same time, he loves a thing that is fit for being a means to attain anyone of both through it, he will be of the lovers for the Sake of Allah if he loves that thing for such fit. Typical is the pupil who loves his teacher, who teaches him the religion, and suffices him the requirements of this world, by providing him with wealth, and he loves him in pursuit of comfort in the world, and the happiness in the hereafter, to which he is a means, he is then a lover for the Sake of Allah Almighty.

It is not a prerequisite for the love for the Sake of Allah not to love anything belonging to the material benefits of this world, since the invocations which the Prophets "Peace be upon them" were commanded to supplicate Allah therewith combine both the world and the hereafter. Take for example the invocation: "O our Lord! Give us a good deed in this world and a good deed in the hereafter, and save us from the punishment of the fire (of Hell)." In his invocation, Jesus "Peace be upon him" said: "O Allah! Make not my enemy gloat over my misfortunes, and harm not my friend because of me, and make not my greatest affliction in my religion, and make not the (material benefits of the) world my main concern." Thus, he adverted the gloating of the enemy over his misfortunes in the world, and did not ask Allah to remove the world from his concerns, but

just not to make it his main concern.

In his supplication, our Prophet the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "O Allah! Bestow upon me mercy therewith I attain the honour of Your Bounty in the world and the hereafter." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Ibn Abbas). He further said in another supplication: "O Allah! Provide me with power against the trial of this world and the hereafter." (This narration is reported by Ahmad on the authority of Bishr Ibn Arta'ah).

In brief, if the love for happiness in the hereafter does not contradict the love for the Sake of Allah Almighty, then, how should the love for safety, health, sufficiency and honour in this world contradict the love for the Sake of Allah Almighty? Both the world and the hereafter are two sates, one of which is nearer than the other: how is it thought of a man to love his fortunes in the future without loving them at present? The reason why he loves his fortunes in the future is that the future itself will come to be the present, and this is why the present is required. But the present fortunes are divided into those which contradict and hinder those of the hereafter, and it is those which the Prophets and devotees of Allah avoided, and ordered the people to avoid; and those which contradict not the hereafter, and it is those which they did not refrain themselves from, like marriage, eating the lawful, etc.

The rational then should dislike what contradicts the fortunes of the hereafter, and loves it not, i.e. he should dislike it by his mind, and not necessarily by his nature, like, for instance, his dislike to have a delicious kind of food of one of the kings he knows that if he gets it, his hand will be cut off, or his head will be chopped off. We do not mean the food which he desires for not by nature, nor takes pleasure in, but we mean that his mind forbids him forcefully to get it, which gives rise in him to the aversion of the harm he might receive.

The point is that if one loves his teacher because he condoles him (with money) and teaches him, or if the teacher loves his pupil because he learns from, and serve him, which means that one of those fortunes pertains to the present, and the other to the future, they will belong to the lovers for the Sake of Allah Almighty, but on the condition that if he withholds knowledge from him, or it is difficult upon him to obtain it, in view of shortage of his love because of missing it, such of love as decreases because of missing it is then for the Sake of Allah Almighty, for which he shall receive the reward of love for the Sake of Allah Almighty. It is not shameful to have strong love for a man because of certain purposes, in such a way that the decrease of some of them leads to the decrease of your love for him, and the increase leads to the increase of your love.

You love gold more than you love silver, even if both are equal in value, and that's because gold is an access to more objectives and goals than silver is. This

confirms the fact that the love increases by the increase of the achieved purpose. It is not impossible to combine the worldly purposes and the hereafter purposes, and being so, it is included in the love for the Sake of Allah Almighty. That's, such of love as is based on the faith in Allah Almighty and the Last Day is love for the Sake of Allah. Similarly, such of increase of love as is based on the faith in Allah belongs to the love for the Sake of Allah. But even, if it remains, it could hardly be obtained. According to Al-Jariri: "The people in the first generation dealt with each other on the basis of the religion until they fell short of religion; and in the second generation, they dealt with each other on the basis of loyalty until loyalty vanished; and in the third generation, they dealt with each other on the basis of gallantry, until gallantry disappeared; and there remains nothing but fear and hope.

The fourth division is that one loves for the Sake of, and in the religion of Allah, neither to obtain knowledge nor to get work from him, nor to utilize him to achieve a certain purpose. This is the highest degree, most subtle and most abstruse kind of love. This division is possible, for one of the effects of the prevalent love is to transcend the beloved to everything pertaining to him. If one has a strong love for a man, he will love the one who loves him, the oen who is loved by him, the one who serves him, the one who praises and appreciates him, and the one who hastens to please him. It is not surprising to hear Baqiyyah Ibn Al-Walid saying that if a believer loves another believer, he will love even his dog. This is the same as he says.

That is confirmed by the experience of lovers and confirmed by the poetry of poets. For this reason, he keeps the garment of the beloved, and hides it as a reminder of him, loves his house and the region where he lives, and even the neighbours who see him. Listen for instance to the mad of Banu Amir who says: "When I come upon the dwelling places, i.e. the dwelling places where Laila lives, I kiss those walls and fences. However, the dwelling places themselves do not fascinate my heart, but it is the love for the one who lives in those dwelling places." The experience and vision then confirm that love which transcends the self of the beloved to his surroundings and relations, no matter how far they might be. But this is achieved only because of the excessive love. The level of transcendence varies according to the strength and excess of love.

Similarly, if the love for Allah becomes strong, and prevails over the heart and possesses it entirely, and reaches the point of having no care (but about Him), it will then transcend to anything else, for all things other than Him are but effects of His Power. Whoever loves a man, loves also his making, handwriting, and all of his acts. For this reason, it was the habit of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that whenever a bunch of fruits of the first pluck was brought to him, he would pass it over his eyes and honour it by saying: "It is still a newly created by our Lord Almighty." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Ibn Abbas; Abu Dawud and Al-Baihaqi on the authority of Abu Hurairah).

One loves Allah Almighty sometimes because the sincere hope for His Promise and His Bliss that is expected in the hereafter, sometimes due to His previous favours and blessings upon the lover, and sometimes for His Own Self, and not anything else, and this is the most subtle and highest degree of love a lover might have. This matter will be explained with verification in the Book of Loving in the quarter of saviors, Allah Willing. If one loves Allah Almighty, and this love is strong, it will transcend to imply anything relating to Him, to the extent that it might imply also what is hateful and painful in itself. But the excess of love weakens the sense of aversion and pain, and the cheerfulness of the act of the beloved upon him, and intending him with that pain covers up the sense of it. It is like the cheerfulness of a beat or a pinch from the part of the beloved which carries blame for the lover: the power of love raises cheerfulness which covers up the sense of pain.

Some people loved Allah Almighty so much extremely that they said: "We do not differentiate between trial and blessing, since all come from Allah, and we do not cheer but with what pleases Him." Another one said: "I do not like to attain the forgiveness of Allah by disobedience of Allah." Samnun said: "I have no portion in anything else other than You, so, test me in whatever way You like." This will be explained with verification in the Book of Loving. What is meant here is that if the love for Allah becomes strong, it will result in loving him who serves and worships Allah Almighty in terms of knowledge and work, loving him who has a quality that pleases Allah Almighty, like the good manners, and abiding by the etiquette of Sharia.

If there is a lover for Allah and the hereafter, who is told about two men, one is a learned worshipper, and the other is ignorant wicked, he will incline to the former. But this inclination decreases and increases in accordance with the strength of his faith on the one hand, and of his love for Allah Almighty on the other hand. If this inclination is not affected by their being present or absent from him, i.e. he knows that he will receive no good nor evil from them in the world and the hereafter, such inclination then is a love for the Sake of Allah Almighty, and in the religion of Allah, without no fortune he expects from him. He loves him only because Allah Almighty loves him, and is pleased with him, and because he loves Allah Almighty and is occupied by the worship of Allah Almighty. But in the event of weakness, it will have no effect, and thus he shall receive no reward for it; and if it becomes strong, it will lead him to have allegiance to him, support and help him, protect him with his own soul, property and tongue. The people vary in that effect according to their disparity in love of Allah Almighty.

If love is limited to only getting a fortune from the loved, whether at present or in the future, of a surety, there will be no love for the dead from amongst the learned and worshippers, or from amongst the companions and followers, or even from amongst the Prophets who perished "Peace be upon all of them". But the love for all of them is lurking in the heart of every Muslim, as shown from his

anger when anyone of them is criticized by the enemies of Islam, and his cheerfulness when they are praised or appreciated. This love is for the Sake of Allah Almighty, for they are His private devotees and worshippers. There is no doubt that if one loves a good king, he would love his private devotees, servants, and relations, and in total, all that he loves.

But it is the habit that the love is put to test in comparison with the fortunes of oneself. It might prevail to the extent that one will have no fortune but what pertains to the beloved. How good is the expression of the poet who says in a form of a poetic verse: "I like to keep relation with him, although he likes to desert me, thereupon I will leave what I like for the sake of what he likes." Listen to the other expression: "No pain shall I receive from my wound in case it pleases you."

The love might lead to getting some fortunes, like the one who concedes to his beloved to share him in half, one-third or one-tenth his property, since it is with the amount of property that the love is scaled, for the degree of the love one has for the beloved is determined in proportion to the amount of another loved thing to be left for him. If the loved possesses the heart entirely, it will leave nothing to be loved other than it, and thus he will keep nothing for himself. The example of Abu Bakr As-Siddiq is typical of this case. He left for himself neither family nor property, after he had handed over his daughter who was the pleasure of his eye (i.e. A'ishah whom she gave in marriage to the Prophet), and spent the whole of his property in the Cause of Allah Almighty.

In this respect, it is narrated on the authority of Ibn Umar "Allah be pleased with both" that he said: while the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was sitting, and Abu Bakr was sitting with him, having a garment which he had patched with patches on the chest, Gabriel "Peace be upon him" came down, and saluted him with peace on behalf of Allah Almighty, and asked him: "O Messenger of Allah! Why am I seeing Abu Bakr having a garment which he had patched with patches on his chest?" he said: "He spent the whole of his property on me before the conquest (of Mecca)." He said: "Then, salute him with peace on behalf of Allah and tell him that Allah Almighty asks him: 'Are you pleased or displeased with Me because of this state of poverty you are suffering from?'" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" turned his face to Abu Bakr and said: "O Abu Bakr! This is Gabriel, and he salutes you with peace on behalf of Allah Almighty and asks you on His behalf whether you are pleased or displeased with Him because of this state of poverty you are suffering from." On that Abu Bakr "Allah be pleased with him" wept and said: "Should I be displeased with my Lord? Of a surety, I'm well-pleased with my Lord." (This narration is reported by Ibn Hibban and Al-Aqili).

To conclude, whoever loves a learned, a worshipper, or anyone in desire for knowledge of good, loves him for the Sake of and in the religion of Allah Almighty, for which he shall receive reward according to the strength of that

love. This is the exposition of the love for the Sake of Allah and its degrees, and the hate for the Sake of Allah is similar, but let's explain it in more detail.

Exposition Of The Hate For The Sake Of Allah Almighty

It should be known to you that whoever loves for the Sake of Allah should also hate for the Sake of Allah Almighty. If you love a man because he obeys Allah and is loved by Him, you should hate him if he disobeys Allah and is disliked by Him. That's because if one loves for a certain reason, he should dislike for its opposite. Those are inseparably connected. Each of love and hate is a hidden disease in the heart, and anyone of them appears when it prevails over the other, and the cause of its appearance results from the appearance of the acts of the loved or the disliked persons in closeness and remoteness, opposition and agreement. Once each appears in act, it is called allegiance or enmity. For this reason, Allah Almighty says: "Have you ever taken for friend anyone for My Sake? have you ever taken for enemy anyone for My Sake?"

This is clear in connection with him who demonstrates his acts of worship, thereupon you could over him, or his wickedness, dissoluteness and bad manners, thereupon you could dislike him. But the problem is when the acts of worship mix with the sins, you then might ask:" How should I combine both love and hate as they are contradictory?" this means that they also have contradictory results in terms of agreement and opposition, allegiance and enmity. Let me say that this is not contradictory in relation to Allah Almighty, as well as the human fortunes.

If a particular man has many characteristics some of which you love and others you dislike, you then will love him in part and dislike him in part. How many a beautiful but wicked wives, and an intelligent helpful but dissolute son! Both are loved in part and disliked in part, and one will have two states with them: suppose that he has three children, one intelligent dutiful, and the other stupid disobedient, and the third stupid dutiful or intelligent disobedient. In this case, he will have three states with them, which differ in accordance with the difference of their characteristics. As such you should have three degrees of dealing with him over whom wickedness prevails, and him over whom good prevails, and him in whom both combine. This is by giving every quality its portion of love and hate, alienation and devotion, companionship and boycott, etc.

But, you might argue that every Muslim is an obedient by his Islam, then, how should I dislike him in spite of his Islam? Let me say that you should love him for his Islam, and dislike him for his disobedience, and treat him as being of a degree less than the disbeliever and wicked, and this differentiation between both states is for the Sake of Islam, and in fulfillment of its rights. The crime against and obedience to Allah Almighty is the same as the crime against and the obedience to you. Thus, if one agrees with you on a certain thing, and

disagrees with you on another, you should stand in a middle way between withdrawal and coming, devotion and refraining, showing love for him, and having desertion from him. Do not honour him in the same way as you honour him who agrees with you on all of your objectives, and you should not disgrace him in the same way as you disgrace him who disagrees with you on all of your goals. This middling sometimes inclines to the extreme of disgrace when the disagreement is prevalent, and sometimes to the extreme of adulation and honouring when the agreement is prevalent. This is the way of dealing with him who obeys and disobeys Allah Almighty, and pleases and displeases Him.

But you may ask: "How should I demonstrate such dislike?" let me say that in regard to words, it is to cease from talking to him one time, or to aggravate your speech to him at another time. In regard to act, it is to cease to help him one time, or seek to spoil his plots and evil schemes at another time. However, some of those are more grievious than others, and they differ by the difference of the degrees of wickedness and dissoluteness. If it is no more than a slip, which he is thought to show regrets for it, and do not insist on doing it, it is preferable here to screen and overlook it. But if he does it persistently, be it major or minor, then, if affection and companionship are confirmed between you, another ruling should be followed, and it will be explained later. But if the brotherhood and companionship are not confirmed between you, then, the effects of hate should be shown, by turning away from him, not caring about him, or by dealing with him slightly and aggravating the speech to him, and this is more grievous than turning away, and it varies according to the severity of sin.

The signs of hate also might be shown in act and this is of two degrees: the first is to cease to help and support him, and it is less than the other, and the other is to seek to spoil his evil plots and schemes, in the same way as one does with his hateful enemies. This is necessary in so much as it blocks the way to sin in his face. But if it is of no benefit, then, do it not. The example is about a man who disobeys Allah Almighty by drinking alcohol, and he proposes to marry a woman, and if it is made easy fro him to marry her, he would be envied because of her in terms of wealth, beauty and noble ancestry, but this will not hinder him from drinking wine. In this case, if you have the power to help him achieve his goal, or spoil his endeavour, it is not fitting for you to seek to spoil his endeavour. In regard to helping him, if you do not help him, in order to show to him your displeasure with him because of his dissoluteness, there will be no harm in that. But at the same time, it is incumbent upon you not to leave it completely, for you might have the intention to be kind to him, and help him out of your compassion and pity for him, so that he would have faith in your kindness, and thus accept your advice, this is will be good from you.

But if he does not seem to accept your advice, but you see it better to help him achieve his purpose in fulfillment of the right of Islam he has upon you, it will be good from you, even if his sin is against you or anyone of your relations. It is in this connection that Allah Almighty revealed: "Let not those among you

who are endued with grace and amplitude of means resolve by oath against helping their kinsmen, those in want, and those who have left their homes in Allah's cause: let them forgive and overlook: do you not wish that Allah should forgive you? For Allah is Oft-Forgiving, Most Merciful." (An-Nur 22)

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

This was when Mistah Ibn Uthathah was involved in the true speech (fabricated about A'ishah) and Abu Bakr "Allah be pleased with him" took oath to withhold sustenance from him, and he used to aid him with property. On that occasion, the Holy Verse was revealed in spite of the grievous crime of Mistah, and which sin is more grievous than slandering the women of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and speaking bad about the like of A'ishah "Allah be pleased with her"? The crime seemed as though it was committed against As-Siddiq "Allah be pleased with him".

But to excuse him who wrongs you, and do good to him who does evil to you are characteristic of the good manners of the faithful believers and sincere lovers of truth. One might do good to the one who wrongs him, but it is not up to you to do good to him who wrongs others and disobeys Allah therewith, for your doing good to him is to do evil to the wronged one; and of a surety, it is more preferable to observe the right of the wronged, and to strengthen his spirits by turning away from his wrongdoer is much dearer to Allah Almighty than to strengthen the spirits of the wrongdoer. But if the wronged is you, it is more fitting for you to excuse and forgive your wrongdoer.

However, the predecessors had ways to show hatred and displeasure with the sinful, although they all agreed that displeasure and hatred should be demonstrated to wrongdoers, religious innovators and disobedient of Allah with a transitive sin. But the sinful whose sin is limited to himself had a different way of treatment. Some of the predecessors looked with the eye of mercy to all the sinful, and others severely disapproved of them, and preferred to desert them. It is said that Ahmad Ibn Hanbal used to desert these of the high status (in knowledge and social class) even for the least word of evil, to the extent that he deserted Yahya Ibn Ma'in for his statement: "I beg nothing from anyone, and if something is brought to me from the ruler, I would accept it." he also deserted Al-Harith Al-Muhasibi for his composition in reply to the Mu'tazilah, under the pretext that in order to establish such composition, he should first relate their arguments to be able to reply to them. Furthermore, he forsook Abu Thawr for his interpretation of the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Verily, Allah created Adam on His Image." (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah).

This matter differs by the difference of intentions, and the intentions differ by the difference of states. If they are more inclined to consider the people's being

forced by necessity, and their failure to change what is doomed to them, they will indulge in showing hatred and enmity, and it might be acceptable. But at the same time this might be confused with flattery and adulation, for among the greatest motive to look over sins are flattery, considering hearts and fearing their abandonment and desertion. Satan might confuse it upon the foolish stupid, giving him the false impression that he looks with the eye of mercy. The trial here is to look with the eye of mercy to the one who commits a crime against him, saying that he has been forced (by Allah) to do it, and caution could not avail from fate, and how should he not do it since he was doomed to do it? That person might have a true intention to look over such of crimes as committed against Allah Almighty. But in case he is enraged when a crime is committed against him, and satisfied only with showing mercy when a crime is committed against Allah Almighty, he is a flatterer, that is deceived by one of Satan's plots. So, let him be careful of it.

But, you may argue that the least degree of hatred and dislike is to desert, forsake, and sever relation and withhold aid from the sinful: is it incumbent to do so in such a way that man becomes sinful in the event of leaving it? let's reply by saying that it is not obligatory. We know that those who drank alcohol and committed fornication during the lifetime of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and his companions were not forsaken entirely. They had different way of treating them: many aggravated speech to some of them, many showed displeasure and dislike to some, many turned away and deserted others, and many looked with the eye of mercy to others,, favouring not desertion and abandonment.

Those are subtle ways of treatment adopted by the followers of the way to the hereafter; and the act of each of them is determined by his state and time, and the states in this matter are either undesirable or encouraged. The encouraged among them take the position of meritorious and not obligatory things, whereas the undesirable among them do not reach the degree of prohibition. However, as far as the legally competent is concerned, the origin of knowledge and love belongs to Allah Almighty, and this might not transcend the beloved to anyone or anything else. It is the excessive and possessing love that transcends. This is neither included under the Fatwas of jurisprudents, nor under the evident obligation of the laymen.

The Degrees Of Those Disliked For The Sake Of Allah Almighty, And The Way Of Dealing With Them

Indeed, you might argue that if showing displeasure and enmity for the Sake of Allah Almighty is not really obligatory in so much as it is encouraged, given that the sinful and dissolute persons are of different degrees: how should one attain surplus reward by dealing with them? Should he deal with all of them on equal footing?

It should be known to you that the opposition to Allah Almighty is either in faith or in act. The opposition in faith might result from religious innovation or

from disbelief. The religious innovator might invite others to his innovation, or keep silent; and the silent does so either (unwillingly) because of his failure (to invite to his religious innovation), or willingly.

Three divisions then could be elicited from the corruption of faith:

The first pertains to the disbelief: if he is in war (with Muslims), he deserves to be killed or enslaved, and this is the extreme humiliation he might receive. The Non-Muslim (who live under Muslims protection), it is impermissible to harm him by no more than turning away from him, regarding him with slightness, through forcing him to the narrowest of streets, and not taking the initiative to salute him with peace, and if he salutes you saying: "Peace be upon you", you should reply: "And the same be upon you". But it is preferable to desist from mixing with him, having dealings with him, and sharing food or drink with him. But it is severely undesirable to be delightfully extroversive with him, and let oneself go freely in treating him in the same way as one lets himself go freely in treating his friends.

The undesirability here is about to reach the point of prohibition, as stated by Allah Almighty: "You will not find any people who believe in Allah and the Last Day, loving those who resist Allah and His Messenger, even though they were their fathers or their sons, or their brothers, or their kindred. For such He has written Faith in their hearts, and strengthened them with a spirit from Himself. And He will admit them to Gardens beneath which Rivers flow, to dwell therein (forever). Allah will be well pleased with them, and they with Him. They are the Party of Allah. Truly it is the Party of Allah that will achieve Felicity." (Al-Mujadilah 22)

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟
ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ
وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ
إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

It is reported that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Let not the (cooking) fires of a Muslim and a pagan be visible to each other." (i.e. they should not live adjacent to each other) (This narration is reported by Abu Dawud on the authority of Jarir). Allah Almighty says: "O you who believe! Take not My enemies and yours as friends (or protectors), offering them (your) love, even though they have rejected the Truth that has come to you, and have (on the contrary) driven out the Messenger and yourselves (from your homes), (simply) because you believe in Allah your Lord! If you have come out to strive in My Way and to Seek My Good Pleasure, (take them not as friends), holding secret converse of love (and friendship) with them: for I know full well all that you conceal and all that you reveal. And any of you that do this has strayed from the Straight Path." (Al-Mumtahanah 1)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ ﴾

The second pertains to the religious innovator who invites others to his innovation: if his religious innovation stems from and causes disbelief, his matter is more grievous than the non-Muslim who lives under Muslims protection, for he is not approved to live among Muslims due to the Jizyah, nor is he to be tolerated under the contract of protection of Muslims (given to the non-Muslims). But if such religious innovation causes no disbelief, his matter with Allah is less grievous than the disbeliever. But the disapproval of his act should be stronger than that of the disbeliever, for the evil of the disbeliever is intransitive, for the Muslims do not turn to him under the conviction of his disbelief: he does not claim or ascribe himself to Islam.

This is unlike the religious innovator who invites to his innovation, and claims that it is the right: it is the cause of tempting the creatures, and this is why his evil is transitive. For this reason, it is more desirable to show dislike and enmity to him, forsake him, despise and slander him because of his religious innovation, and cause the people to refrain from him. If he salutes you with peace in privacy, there is no harm to return salutation to him, and if you know that not to speak to him, and turn away from him, and abstain from returning salutation to him would deform his religious innovation within himself, then, it is preferable not to return salutation to him, for the return of salutation, regardless of its being obligatory, lapses because of the smallest purpose in which there lies public interest for Muslims, and if it is to lapse by one's being in the bathroom or answering the call of nature, then, the purpose of forceful forbidding (from evil) is more preferable. If he is in public, it is preferable not to return salutation to him, in order to cause the people to refrain from him, and deform his religious innovation in their eyes.

Moreover, it is favourable to refrain from showing kinds to him, and helping him, particularly in what seems to the people. In this respect, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who scolds a religious innovator, Allah Almighty fill his heart with security and faith; and he, who puts a religious innovator to humiliation, Allah Almighty will secure him on the day of the great terror, or will receive him with good pleasure and delight, for he (the religious innovator) derides what was revealed upon Muhammad the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"." (This narration is reported by Abu Na'im and Al-Harawi on the authority of Ibn Umar).

The third pertains to the religious innovator from amongst the laymen, who could not invite to his innovation, and there is no fear that the others might imitate him. His affair is less grievious, and it is preferable not to aggravate speech to him, or humiliate and despise him harshly: on the contrary, it is better to be kind to advise him, for the hearts of the laymen turn quickly from one state to another. If the advice is of no benefit, and refraining from him is thought to

deform his innovation within himself, then, it is desirable to refrain from him. If he is learnt not to be influenced by that, due to his rigid nature and having the corrupt faith deep-rooted in his heart, it is also desirable to turn away from him, for if the religious innovation is not deformed openly and explicitly, it might become widespread among the people, and its impact become public.

The sinful by his act and work, and not by his faith is one of three: one who harms others directly, like injustice, anger, false witness, backbiting, talebearing, going about with calumnies among the people, and the like of it, the one who has his sin not limited to himself, and at the same time, causes harm to others indirectly, like the owner of a tavern, who gathers women and men in one place, and prepares the means and causes of drinking and corruption and debauchery, or the one who does not invite others to his corrupt practices, like him, who drinks wine and commits adultery. The latter, who drinks and commits adultery, without inviting others to his act, might disobey Allah through a major or a minor sin, and he might or might not persist in doing sin.

Three divisions then might be obtained from those, and each is of different degrees and levels, some of which are more grievous and difficult than others. Let's review all of them equally.

The first division is the most grievous, and it is that which cause damage to the people, like injustice, usurpation, false witness, talebearing, backbiting, and going about with calumnies among the people. In regard to those, it is preferable to turn away from them, not mix with them, and abstain from dealing with them, for the sin because of which the people receive harm is so much grievious. On the other hand, those are divided into different kinds: the doers of wrongness in blood, the doers of wrongness in property, the doers of wrongness in honour, and so on; and some of those are graver than others. For this reason, it is firmly desirable to despise them, and turn away form them. However, if humiliating them is expected to forbid them even forcefully from their evil, then, it becomes strongly desirable.

The second pertains to the owner of the tavern, who prepares the means and causes of corruption, and makes it easy for the people to delve into it: although he causes no harm to the people in their world, he causes damage to their religion, in spite of doing so by their own will. Although he is closer to the former he is less in degree. That's because a servant's sin to be done against his Lord is more likely to be forgiven, but as it is transitive to others, it is so much grievous. In this case, it is required to despise him, put him to humiliation, cut off relation with him, and even refrain from returning salutation if it will lead to scolding him or anyone like him.

The third pertains to him whose dissoluteness is limited to himself , by drinking wine, forsaking an obligatory duty, or committing what is forbidden: in this case, the matter is less heinous so long as it is limited to himself. But if he is seen to commit it, he should be forbidden with anything means available which might prevent him, even if by beating or despising and deriding him, for it is obligatory to forbid evil. If he finishes form it, and he is learnt to persist in doing

it usually, and at the same time, he is thought with certainty to be forbidden by advising him, in this case, giving him advice becomes binding; and if it is not thought with certainty, but it is expected, it is then better to advise him, and scold him gently or harshly if it is more beneficial.

But in case he persists in doing the sin, and it is of no profit to him to advise him, then, to refrain from returning salutation to him, and desist from mixing with him are questionable, and the scholars have different ways in dealing with such case. The sound opinion is that matter differs according to the difference of the man's intention, in which case it should be relied on the statement: "The (rewards of) deeds depend upon the intentions (which the doer has at the time of doing them)." It is out of humbleness to be kind to the people, and look at them with the eye of mercy and compassion, whereas it is out of forceful forbiddance and scolding to deal with them harshly and violently and turn away from them.

In both cases, the advice of the heart should be sought, and what one sees to be more inclined and much closer to his nature and disposition, let him then adopt its opposite, for his scorn and violence might be out of haughtiness and arrogance, and pleasure of showing supremacy and misleading by what is thought to be righteousness, whereas his gentleness and kindness might result from his flattery and adulation, and be caused by the desire to attract his heart to do a certain thing, or by fear of the effect of his desertion and abandonment in view of his property or majesty.

All of that is motivated by the devil, and far from the acts of the seeker for the hereafter. Everyone having the desire for the acts of religion should endeavour to inspect about the subtleties of those things, and watch those states, and it is the heart which ultimately gives counsel, in which one sometimes hits the target in his endeavour, and sometimes misses the mark, and at other times, he hastens to follow his desires unknowingly, and in may cases, one might hasten to do a thing, thinking, out of his haughtiness, that he works for the Sake of Allah Almighty, and follows the way to the hereafter. The finest details of that will be exposed later in the Book of Haughtiness in the quarter of destructives.

In confirmation of the fact that the matter is less heinous in regard to the dissoluteness that is limited to one and his Lord only, it is narrated that a drunk was beaten in front of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", but in spite of that, he persisted in drinking wine. One of the companions aid: "May Allah curse him! How often he drinks!" on that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Be not in the aid of Satan against your brother." (This narration is reported by Al-Bukhari on the authority of Abu Hurairah). This refers to the fact that to be kind and gentle (in advice) is more preferable than to aggravate speech and punishment.

Exposition of Conditions Required For Whomever One Chooses As Companion

It should be known that it is not all men are fitting for company. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "One imitates

the ways of his friend. So, let anyone of you consider whomever he takes for friend." (This narration is reported by Abu Dawud and At-Tirmidhi on the authority of Abu Hurairah). Such one should have many characteristics and qualities, because of which you desire for his company. Those conditions differ by the difference of the benefits and purposes required from such company. The condition in this sense is that thing which is required for one to get what is intended. The conditions are held according to what is intended.

The benefits to be obtained from the company might be religious or worldly. Typical of the worldly benefits is to make use of wealth or majesty, or to remove loneliness by vision and neighbourhood, and this is not our topic now. The religious benefits has many and different purposes, such as to make use of knowledge and work, to take majesty as a shield to protect one from what disturbs the heart, and keep off worship, to utilize money to be satisfied therewith from wasting time in getting earnings, to seek the aid in the serious matters, which makes it an equipment at the time of adversity and a means of power at the time of ease, to get blessing of invocation, to expect intercession in the hereafter, depending upon the statement of one of the righteous predecessors: "Have much brothers (in the religion and for the Sake of Allah), for every faithful believer will be given permission to intercede in the hereafter, perchance you will be included in the intercession of anyone of your brothers."

In interpretation of the following statement of Allah Almighty: "And He listens to those who believe and do deeds of righteousness, and gives them increase of His Bounty" (Ash-Shura 26)

﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴿٢٦﴾ ﴾

It is said that this implies they will be given the permission to intercede for their brothers, for which He will admit them to the Garden with them. It is said that if Allah Almighty forgives for anyone of His servants, He gives him permission to intercede for his brothers. This is why a group from amongst the righteous predecessors exhorted to establish company, intermixing and mutual affection and disliked isolation and solitude. Anyone of those different benefits summons particular conditions, without which it could not be obtained, and we are going to explain the matter in more details.

In total, the one whose company is favoured should have five general characteristics: he should be rational, of good manners, not dissolute or religious innovator, nor keen on the (material benefits of this) world.

The mind represents the capital, and it is the principle, for there is no good in accompanying the foolish one, for loneliness and cutting off relations are its expected consequence. According to Ali "Allah be pleased with him": "Do not take or company the brother of ignorance, and keep yourself away from him. How many an ignorant who ruined a forbearing person, when he established a bond of brotherhood with him. A man should be compared with his companion

in terms of characteristics and qualities, for the similar things always gather together, and the hearts always recognize in case they are familiar to each other."

Why not since the foolish one might harm you unknowingly from where he wants to benefit and help you? For this reason, a poet says: "I feel secure from an enemy who is rational more than I do from a friend possessed by madness. That is because the mind always has one way while the ways of madness are different and unknown."

For this reason, it is said that to boycott a foolish person is an act of worship therewith one comes close to Allah Almighty. According to Sufyan Ath-Thawri : "Looking at the face of a foolish person is a written mistake." The intended rational is he, who understands the realities of things whether by himself or through anyone else.

The second is the good manners, and it is a necessary characteristic, for how many a rational who understands the realities of things, but when he is possessed by anger, desire, niggardliness, cowardice, or any of such feelings, he will respond to his inclination, and disagree with what is known by his mind to be right and this is for nothing other than his failure to suppress his evil characteristics and amend his bad qualities and thus there is no good in his company.

Furthermore, no benefit lies in the company of the dissolute who persists in dissoluteness, for the one who fears Allah Almighty does not persist in doing the major sins, and the one who does not fear Allah, one could not feel secure from his evil and his friendship is not reliable, for he always changes by the change of purposes and desires. In confirmation of that, Allah Almighty says: "nor obey any whose heart We have permitted to neglect the remembrance of Us, one who follows his own desires, whose case has gone beyond all bounds." (Al-Kahf 28)

﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾

He further says: "Therefore let not such as believe not therein but follow their own lusts, divert you therefrom, lest you perish!" (Ta Ha 16)

﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾

He says too: "Therefore shun those who turn away from Our Message and desire nothing but the life of this world." (An-Najm 29)

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ﴾

Allah Almighty also says: "and follow the way of those who turn to Me (in love)." (Luqman 15)

﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴿١٥﴾ ﴾

This implies, therefore, to forbid forcefully from the company of the dissolute.

In regard to the religious innovator, his company carries the risk of spreading the religious innovation among the people, and this is why he deserves abandonment and desertion. How should its company be favoured although Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" said in exhortation to seeking religiousness of the friend, according to the narration of Sa'id Ibn Al-Musayyab: "I advise you to abide by the brothers of truth, in whose shade you live, for they are adornment at the time of ease, and equipment at the time of adversity. Have the best faith and expectation from your brother until the opposite comes to you from him. You should also get isolated from your enemy and beware of your friend, barring the trustworthy among the people, and there is no trustworthy but him who fears Allah. So, accompany not the dissolute lest you would learn something from his dissoluteness, and inform him not about your secrets, and consult in your matters only him who fears Allah Almighty."

As far as the good manners are concerned, they are combined together in the recommendation of Alqamah Al-Utaridi to his son when death approached him: "O my son! If you are in need of having company of men, then, you should accompany such of men as if you serve him, he would shield you, and when you are in his company, he would adorn you, and when you fall short of sustenance, he would provide you. Accompany such of men as when you stretch your hand with good, he would stretch his hand (with the like of it), and when he sees good from you, he would appreciate it, and when he sees an evil from you, he would screen it. Accompany the one who, if you beg him, he would give you, and if you do not ask him, he would take the initiative to help you, and when you are afflicted with a calamity, he would console you. Accompany him who, when you say, he would make belief of you, and when you are engaged in a matter, he would hearken to you, and when you fall in dispute, he would give you preference over himself." In this way, he combined all rights of company, and put the condition that the companion should fulfill all its prerequisites. According to Ibn Aktham: "When that was offered to Al-Ma'mun he asked: "Do you know why he had recommended him to do so?" he answered in the negative, thereupon he said: "Because he wanted him not to accompany anyone (for there is none to combine all of those characteristics and conditions)."

According to a belletrist: "Take for companion not but the one who keeps your secret, screens your defect, helps you face your calamities, and gives you preference in your absence, publicizes your good deeds among the people, and conceals your evil deeds (from them): if such is not available, then, take none for companion."

According to Ali "Allah be pleased with him": "Your true brother is him who is always with you, and (favours to) harm himself for your benefit, and when you are broken by time, he would consume himself in order to bring you back

together." One of the learned said: "Take for companion one of two men: a man from whom you learn anything in your religion, therewith he would benefit you, and a man whom you instruct in anything of his religion, which he would accept from you. But you should escape from the company of the third (kind of men who has none of both)."

According to another man: "The people are of four kinds: one is wholly sweet, from whom none would be satiated, the other wholly bitter from whom none could eat, the third acid in part, from whom you should take before he takes from you, and the fourth salty in part, from whom you should take only what fulfills your need."

Ja'far As-Sadiq "Allah be pleased with him" said: "Take not five kinds of men for companion: the liar, with whom you might be deceived, for he likes the mirage which shows the far as near to you and the near as far from you; the foolish person, from whom you get no benefit, for when he likes to avail you, he would harm you (even unknowingly); the niggard, for he withholds from you what you need most; the coward, for he always surrenders you and flees away from you at the time of adversity; and the dissolute, for he is apt to sell you even with a meal our less." He was asked: "What is less than it?" he said: "It is to covet of it, and fail to get it."

According to Al-Junaid : "It is much dearer to me to have a dissolute person of good manners accompany me than to have a reciter of bad manners accompany me." According to Ibn Abu Al-Hawari: "My teacher said to me: 'O Ahmad! Take for companion but one of two men: a man whom you accompany in the matter of your world, and a man with whom you increase in good and benefit in the matter of your hereafter; and to engage in anything other than those two is great silliness'." According to Sahl Ibn Abdullah: "Avoid the company of three kinds of people: the heedless tyrants, the adulating reciters, and the ignorant Sufis."

It should be known that all of those statements do not encompass all purposes of the company to the same extent as we've already mentioned, in terms of observing the different goals and conditions of company. To be sure, the conditions of company intended for the worldly benefits are unlike those of the company intended for the hereafter, and so on. Brotherhood is of different purposes, as Bishr said: "The brothers are of three kinds: a brother for your hereafter, a brother for your world, and a brother thereby you remove your loneliness." Those three purposes could hardly be combined in one person, but they disperse among different people , which implies that the conditions also disperse among them.

According to Al-Ma'mun: "The brothers are of three kinds: one is like nutrition, whom one could not dispense with, the second is like medicine, whom one needs from time to time, and the third is like the disease, whom none ever needs, although one might be afflicted with; and it is him, who could remove loneliness nor could he benefit (his companion)."

It is said that the society of people is like a cluster of trees and plants, one of which has shade with out fruits, and it is like him, with whom one benefits in the world but not in the hereafter, for the benefit of the world is like the shade which disappears quickly; and one has fruits but with no shade, and it is like him, with whom one benefits in the hereafter and not in this world; and one has both shade and fruits; and one has none of both, and its like from among the animals is the mouse or the scorpion. Allah says in connection with him: "(Perhaps) they call on one whose hurt is nearer than his profit: evil, indeed, is the patron, and evil the companion (for help)!" (Al-Hajj 13)

﴿ يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾

According to a poet: "The people are different in taste and they are not equal like plants: one has sweet fruits which are pleasant in flavor, and another has no taste, since it has no fruits at all." If one could not find anyone to accompany him, with whom he could attain at least one of those goals, then, it is preferable for him to remain lonely. It is reported that Abu Dharr "Allah be pleased with him" said: "Loneliness is better than the evil sitter, and the righteous good sitter is better than loneliness." This narration is reported from the Prophet but it is Marfu'.

In regard to religiousness and not dissoluteness, Allah Almighty says: "and follow the way of those who turn to Me (in love)." (Luqman 15)

﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾

To be sure, the vision of dissoluteness and depravity facilitates the sin upon the heart, and hinders the heart from refraining from it. According to Sa'id Ibn Al-Musayyab : "Look not at the wrongdoers, lest your good deeds would become fruitless." There is no safe in mixing with them, for safety lies in cutting off relation with them. Allah Almighty says in confirmation of that: "And the servants of (Allah) Most Gracious are those who walk on the earth in humility, and when the ignorant address them, they say, "Peace!"" (Al-Furqan 63)

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾

It means that you would be safe from our sin, as well as we would be safe from your evil.

This is what we like to mention about the meanings related to brotherhood, its conditions and benefits. Let's follow by making a mention of its rights and requirements, and the ways of establishing it. to be sure, the company of the one who is keen on the (material benefit of) this world is a deadly poison, for natures are predisposed to imitate and follow each other. Moreover, one might take stealthily from the nature of another: to sit with him who is keen on (the material benefits of) this world motivates such keenness, and to sit with an ascetic gives

rise to asceticism. For this reason, it is unfavorable to accompany the seekers for this world, as well as it is favourable to accompany the seekers for the hereafter. According to Ali Ibn Abu Talib "Allah be pleased with him": "Give life to the acts of worship by sitting in the company of him of whom one feels shy." According to Ahmad Ibn Hanbal "Allah's mercy be upon him": "Nothing makes me fall into adversity but the company of him of whom I feel no shy." According to Luqman : "O my son! Sit in the company of the learned, and race to be close to them as much as you could, for hearts are brought to life with wisdom in the same way as the dead land is brought to life with the rainfall."

CHAPTER TWO:
ON RIGHTS OF BROTHERHOOD AND COMPANY

It should be known that the contract of brotherhood is a bond of connection between two persons, in the same way as the contract of marriage is a bond of connection between a couple . Furthermore, as well as the bond of marriage requires many rights to be fulfilled, in accomplishment of the conditions of marriage, as we've already explained in the Book of Etiquette of Marriage, the same does the contract of brotherhood. Your brother has a right on you in terms of property and soul, heart and tongue, through forgiveness and invocation, sincerity and loyalty, making things easy and keeping from ostentation and overburdening. All of those are included under eight rights:

The first right pertains to property. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The example of the two brothers is like the example of two hands, each of which washes the other." He likens them to both hands, and not to a hand and a leg for they both co-operate to achieve the same purpose, and so do the brothers, whose brotherhood is only accomplished if they go hand in hand to achieve the same purpose. In this point, they are like the one person. This requires that both should share at both times of ease and adversity, at present and in the future, to rise above favoritism and partiality.

There are three degrees for the brothers to console each other with property: the lowest is to treat him like your slave or servant, and this requires you to cover his needs from your surplus property, in the sense that if he has a certain need, and you have what is beyond your need, you should hasten to give him, without forcing him to begging. But the extreme indulgence in the right of brotherhood upon you is to compel him to begging.

The second degree is to treat him like yourself, and accept to make him share you in your property and agree even to give him half of it. in this issue, Al-Hassan said: "One of those brothers used even to split his lower garment into two halves between him and his brother."

The third degree which is the highest is to give him preference over yourself, and give precedence to his needs over yours. This is the degree of the faithful believers and sincere lovers of truth, and the furthest point that those who love

each other for the Sake of Allah might reach. Among the fruits of this degree is to sacrifice oneself for the sake of his brother. In this respect, it is narrated that a group of Sufis were calumniated about with one of the rulers, and their heads were commanded to be chopped off. They included Abu Al-Hussain An-Nuri. When he asked the swordsman to be the first to be killed, and he was asked about that, he said: "I like to spare the lives of my brothers for that moment." This was the cause of saving the lives of all of them.

If none of those three degrees is missing in your relation with your friend, you should know that the contract of brotherhood has not yet been established inside yourselves, and what connects only is a formal intermixing which has no reality in the mind and religion. According to Maimun Ibn Muhran : "He, who accepts not to give his brothers preference over himself, let him then hold the bond of brotherhood with the dead."

As to the lowest degree, it is unacceptable in the sight of the men of religion. In this issue, it is narrated that Utbah Al-Ghulam came to the house of a person with whom he had established the bond of brotherhood, and said to him: "I need four thousand (Dirhams) from your property." He told him to take only two thousands, thereupon he turned away from him and said: "You've given preference to this world over Allah Almighty. Do you not feel shy when the brotherhood in (the religion of) Allah is called and you are referred to (as one of those brothers)?" if you have a brother (in the religion of Allah) in the lowest degree of brotherhood, deal with him not in the material benefits of this world. Abu Hazim said: "If you have a brother in (the religion of) Allah, deal with him not in the material benefits of this world." He refers here to the brotherhood of the lowest degree.

In relation to the highest degree of brotherhood, it is that which described by Allah Almighty in His saying: "Those who hearken to their Lord, and establish regular prayer; who (conduct) their affairs by mutual Consultation; who spend out of what We bestow on them for Sustenance." (Ash-Shura 38)

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

I.e. they mix with each other concerning property, with none of them distinguishing his belongings from those of the others. Moreover, some of them used not to take for companion the one who said 'my sandal', because by so doing, he would ascribe it to himself.

It is reported that Fath Al-Mawsili visited his one of his brothers (in the religion of Allah) and he was absent. He told his wife to bring his box to him, which he opened and took his needs from. When the man came back and his slave-girl told him, he said to her: "If you are true to what you've said: you will be free (for the Sake of Allah)" out of cheerfulness of what he had done.

It is further reported that a man came to Abu Hurairah "Allah be pleased with him" and said: "I like to establish a bond of brotherhood with you for the

Sake of Allah." He asked him: "Do you know what the right of brotherhood (in the religion of Allah) is?" he said: "Then, teach it to me." He said: "It makes you see that you have no more right over your Dinar and Dirham (money) than me." He said: "I've not yet attained such a station." On that he told him to go away from him.

Ali Ibn Al-Hussain "Allah be pleased with him" said to a man: "Do anyone of you get his hand into the pocket and case of his brother and take what he likes even without his leave?" he answered in the negative, thereupon he commented: "Then, you are not real brothers (in religion of Allah)." Some people visited Al-Hassan "Allah be pleased with him" and asked him: "O Abu Sa'id! Have you prayed?" he answered in the affirmative, and they said: "The people of market have not yet prayed." On that he said: "Who should take his religion from the people of market? I was reported that anyone of them might withhold even a single Dirham from his brother." He said it with exclamation.

A man came to Ibrahim Ibn Adham "Allah's mercy be upon him" while he was on his way to Jerusalem, and said to him: "I like to be your company (on that journey)." He said: "But on the condition that I should have more control over your own things than you have." He answered in the negative, thereupon he said: "No doubt, your truthfulness has appealed me." It was the habit of Ibrahim that whenever he accompanied a man, he would not disagree with him, for he used to accompany only him who would agree with him. Once, his companion was a maker of laces. On one station during the journey, a man gave Ibrahim as a gift a bowl of porridge with meat. Ibrahim opened the bag of his companion, and took a bunch of laces which he placed in the bowl, and gave it back to the man of the gift. When his companion came and asked about the bunch of laces, he said to him: "This is (the reward of) the porridge I've eaten." He said: "Why have you not given him two or three (instead of one)?" on another occasion, he gave a donkey belonging to his companion to a man who was walking on foot, and when his companion came back he kept silent and did not dislike it.

It is reported on the authority of Ibn Umar that he said: A man from among the companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" the head of a sheep, thereupon he said: "My brother so and so is more needy than me." He sent it to him, and the latter sent it to a third one (under pretext that he was more needy than him). They kept sending it from one to another until it returned to the first one, after it had fallen in the hands of seven men.

It is further reported that Masruq fell in debt, and his brother Khaithamah was also in debt. Masruq went and fulfilled the debt of his brother without his knowledge, by the time his brother went to fulfill the debt of Masruq without his knowledge. It is narrated that when the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" established the bond of brotherhood between Abd Ar-

Rahman Ibn Awf and Sa'd Ibn Ar-Rabie, the latter gave him preference over himself with property and soul, thereupon Abd Ar-Rahman said: "May Allah bless you in them." (This narration is reported by Al-Bukhari on the authority of Anas).

Of a surety, giving one's companion preference over himself is better than dealing with him as his equal. In this respect, it is reported that Abu Sulaiman Ad-Darimi: "Were the whole of this world to be in my possession, and I have the power to put it in the mouth of anyone of my brothers, surely, I would have regarded it very little for him." He further said: "When I give one of my brother a morsel of food, I experience its taste in my mouth." Spending on the brothers (in the religion of Allah) was better than giving the poor by way of charity. Ali Ibn Abu Talib "Allah be pleased with him" said: "To give twenty Dirhams to one of my brothers (in the religion of Allah) is dearer to me than to give one hundred Dirhams to the needy and indigent." He further said: "To make a Sa' of food and invite my brothers in the religion of Allah to share food is much dearer to me than to emancipate a slave (for the Sake of Allah)."

All the people, in giving preference to each other over themselves, imitated the conduct of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him." And got two teeth-cleansing sticks , one crooked and the other straight, which he gave to his companion. He said to him: "O Messenger of Allah! You have more right than me to take the straight one." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No man takes for companion one of men even for an hour of the day but that he will be questioned about his company, and whether he has established or wasted the right of Allah Almighty." He refers here to the fact that by giving preference to one's companion over himself, one establishes the right of Allah pertaining to the company.

Once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" went out to a well to take bath, thereupon Hudhaifah Ibn Al-Yaman "Allah be pleased with him" held the garment and stood to screen the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" while he was taking bath, and when he finished he sat down, and Hudhaifah stood to take bath, thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" took the garment and stood to screen Hudhaifah from the eyes of the people, and Hudhaifah rejected and said: "Let my father and mother sacrifice their lives for you O Messenger of Allah! Do not do so." But the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" insisted on screening him with the garment until he finished from his bath. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: No two men becomes companions but that the dearer among them to Allah Almighty is the one who assumes more gentle and kind attitude towards his companion."

It is reported that both Malik Ibn Dinar and Muhammad Ibn Wasi' entered the house of Al-Hassan and he was absent. Muhammad Ibn Wasi' brought out a

basket of food form underneath the bed of Al-Hassan and went on eating. Malik said to him: "Stop until the owner of the house comes." Muhammad paid no attention to his saying and went on eating. Malik was simpler and better of conduct. When Al-Hassan entered he said (addressing Malik): "As such we were not to feel shy of each other until you and your companions appeared." By this statement, he refers to the fact that behaving without reluctance in the houses of the brothers is a sign of pureness in the relation of friendship and brotherhood.

Why not given the statement of Allah Almighty: "or in houses of which the keys are in your possession, or in the house of a sincere friend of yours"? (An-Nur 61)

﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴿٦١﴾﴾

It was the habit of one to give the keys of his house to his brother, and give him the power of authority to dispose of his possessions, and before that revelation, his brother used to feel shy of eating in his house (without his leave) by way of piety until Allah Almighty revealed that statement, thereby He gave one's brother permission to behave without reluctance in the food of their brothers and friends.

The second right is to help with one's own soul to fulfill the needs of his brother before begging, and give them precedence over one's own needs. It is of several degrees, like the consoling with property. The lowest degree is to fulfill the need of one's friend whenever he is requested and has the power to do so, but with delight and cheerfulness, and demonstrating happiness and accepting to be under obligation. According to a learned man : "If you request a need from your brother, and he does not fulfill it, remind him of it once again, for perhaps he might have forgotten. But if he does not fulfill it, magnify Allah before him, and recite to him: "Your Lord is Self-sufficient, Full of Mercy: if it were His Will, He could destroy you, and in your place appoint whom He will as your successors, even as He raised you up from the posterity of other people." (Al-An'am 133)

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾

Once, Ibn Shubrumah fulfilled a big need to one of his brothers, who brought a present to him, and when he asked him about it he said: "It is the reward for the favour you've done to me." On that he said to him: "Take back your property, might Allah provide you with health! If you ask anyone of your brothers to fulfill a need for you which he fulfills it not, then, perform ablution, and offer prayer of four Takbirs on him, and regard him among the dead."

According to Muhammad Ibn Ja'far : "I hasten to fulfill the needs even of my enemies, for fear that when I reject them, they would dispense with me." If this is the case with the enemies, what then about the friends?

From amongst the righteous predecessors, there was one who investigated the affairs of the dependents of his brother after his death and fulfilled their needs for forty years, frequented them daily, and sustained them from his own property. In this way, they lost only the vision of their father. Moreover, they would see from him what they saw not from their father during his lifetime. Anyone of those righteous predecessors used to go to the door of his brother's house, and ask about anything missing in the house, so that he would bring it without the knowledge of his brother. This is the fruit of pity and brotherhood.

But if the brotherhood does not result in sympathy which makes him feel pity for his brother in the same way as he feels pity for himself, there is no good in the bond of brotherhood. According to Maimun Ibn Muhran: "Such of people as you get no benefit from his friendship, his enmity then harms you not." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Behold! Allah Almighty has utensil on His earth, i.e. the hearts. The dearest utensils to Allah Almighty are the purest, the strongest and the smoothest, i.e. the purest among them from sins, and strongest among them in religion, and the smoothest among them in kindness and sympathy for the brothers." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Abu 'Utbah Al-Khawlani).

In total, the need of your brother should be like, if not more important than, your need. You should also investigate the occasions of need, and be not heedless of his affairs and states, in the same way as you are not heedless of your own affairs. You should make him free of begging and demonstrating his need of aid: on the contrary, you should hasten to fulfill his need as though you do not know that he is in need. You should not see that you have superiority because of fulfilling his needs, for you in fact become under obligation to him for his accepting your favour to him. Nevertheless, you should not be satisfied only with fulfilling his need, but you should endeavour to present more, give him preference over yourself, and precedence over your kith and kin and children.

Al-Hassan used to say: "Our brothers (in the religion of Allah) are dearer to us than our families and children, for our families remind us of this world, whereas our brothers (in the religion of Allah) remind us of the hereafter." Al-Hassan said once again: "He, who sees off his brother (in the religion of Allah), on the Day of Judgement, Allah Almighty will send angels from underneath the Throne (of Majesty) to escort him to the Garden." According to a tradition: "No man visits one of his brothers in the religion of Allah, out of longing for meeting him, but that an angel calls him from behind him: "Blessed be you, and blessed be the Garden for you."

Ata' said: "Investigate your brothers (in the religion of Allah) after three days (of their absence from you): if they are sick, visit them to inquire about their health, or if they are engaged, help them, or if they are forgetful, remind them." It is narrated that Ibn Umar "Allah be pleased with both" used to turn right and left in front of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and when he asked him about that he said: "I love a man, and I search for him, but I could not see him." On that he said to him: "When you love a man, ask him about his name, the name of his father, and about his house and (about the name of his father and his clan, according to another version) and (when you miss him) if he is sick, visit him to inquire about his health, and if he is engaged, help him." (It is reported by Al-Khara'iti and Al-Baihaqi, and At-Tirmidhi on the authority of Yazid Ibn Na'amah).

Ash-Sha'bi said about a man who sits with another, and recognizes his face, but not his name: "This is the recognition of the insignificant." It was said to Ibn Abbas: "Who is the dearest of people to you?" he said: "My sitter." He further said: "No man comes to my gathering thrice, without having a need to be fulfilled but that I learn his reward in this world." According to Sa'id Ibn Al-As who said to his sitter: "I owe there things to my sitter: if he comes close to me, I pay welcome to him, when he talks, I turn my face to him, and when he sits, I make a space for him to sit."

In reference to pity and generosity of dealing, Allah Almighty says: "and those who are with him are strong against Unbelievers, (but) compassionate amongst each other." (Al-Fath 29)

﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾

It is out of perfect pity that he should not have a delicious kind of food, or attend any occasion of pleasure and delight without him: on the contrary, he should grieve for his departure, and feel lonely because of missing him.

The third right pertains to the tongue, i.e. sometimes by keeping silent and sometimes by speaking.

As far as keeping silent is concerned, it is that he should keep silent from mentioning his defects, in his absence or presence: on the contrary, he should overlook his faults, and keep silent from response to his speech (in case it is defective). He should also not argue or dispute with him. Let him keep silent from spying on his states and affairs, and whenever he sees him in a street or on his way to fulfill his need, he should not start with asking him about his resources and purposes, for it may be that it is difficult upon him to make a mention of that, which causes him to tell a lie. He should also not divulge his secrets which he tells him, and not spread them even among his most confidential friends. He should keep concealing them even after boycott and desertion, for this refers to the wicked nature and cunning inside. He should also keep silent from slandering and criticizing his dear persons, family and children, and refrain from reporting

the slanders of others concerning them, for none insults you but him who conveys the insult to you.

It is reported that Anas "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used not to face anyone with what he dislikes. (This narration is reported by Abu Dawud, At-Tirmidhi and An-Nasa'i). One receives harm first from the reporter, and then from the sayer. But the matter differs in regard to praising, for he should not hide such of praise and appreciation as he hears about him, for one receives pleasure first from the reporter and then from the sayer, and it hide it is out of envy. In total, one should keep silent and does not disclose anything his companion dislikes, unless it is incumbent upon him to speak, such as to enjoin what is right and forbid what is evil, and he is not allowable to keep silent, in which case, he should be careless about his dislike, for he will really do good to him from where his companion might think he apparently does evil.

On the other hand, it is unlawful to make a mention of his defects, and the defects of his family, for it belongs to backbiting. Two things should forbid you even forcefully to do so:

The first is that you should consider your own affairs: if you find even a single thing that is dispraised in yourself, in this case you should take with ease what you see in your companion, and suppose that he is unable to suppress that defect within himself in the same way as you are unable to suppress yours. Do not regard heavy only a single dispraised defect, for which of men is completely free (from defects)? Furthermore, do not expect from your brother what you expect not from yourself, since your right upon him is not greater than the right of Allah upon you.

The second is that you should put in mind that if you seek for one spotless from all defects, you will get isolated from all the people, and you find none to take for companion. Of a surety, there is none but that he has good as well as bad characteristics. If the good characteristics prevail over the evil ones, this is the sought goal. The generous faithful believer always attends in himself the good characteristics of his brother, in order to give rise to respect, love and appreciation for him, unlike the wicked hypocrite, whose eye is always on the bad characteristics and shortcomings. According to Ibn Al-Mubarak : "The faithful believer always seeks for the excuses for his brother, unlike the hypocrite, who always seeks for the slips." According to Al-Fudail : "It is out of power to overlook the slips of one's brothers." For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Seek refuge with Allah Almighty from the evil neighbour, that when he sees good, he screens it, and when he sees evil, he discloses it." (This narration is reported by Al-Bukhari in At-Tarikh on the authority of Abu Hurairah; and An-Nasa'i on the authority of Abu Hurairah and Abu Sa'id).

There is no man but that he is apt to be embellished or defaced depending

upon the good and bad characteristics he might have. In this issue, it is reported that a man praised another in the presence of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and when it was the next day, he dispraised him. On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Yesterday, you praised him, and today you are dispraising him (what is the matter?)" he said: "By Allah, I was true to my words of praise about him yesterday, and I do not tell a lie about him today (when I dispraise him). Yesterday, he pleased me, thereupon I said the best of his characteristics that I know about him, and today he displeased me, thereupon I said the worst of his characteristics I know about him." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "From amongst the eloquent speech, (some has the effect of) magic." (This narration is reported by At-Tabarani and Al-Hakim on the authority of Abu Bakrah).

He seemed to have disliked that, and this is why he likened it to magic. For this reason, he said in another story: "Both foul and eloquent speeches are two branches of hypocrisy." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Al-Hakim on the authority of Abu Umamah). According to another narration: "Allah Almighty dislikes you (to utilize) eloquent speech (to persuade others with what is not right)."

According to Ash-Shafi'i "may Allah have mercy upon him": "There is none to obey Allah without disobeying him, nor is there anyone to disobey Allah without obeying Him. But if one's obedience is more prevalent than his disobedience, it will be the justice." If such is justice in relation to Allah Almighty, then, it will be more fitting for you to make it justice in regard to your relation with your brothers and companions.

As well as it is incumbent upon you to keep silent from his defects with your tongue, you also should do the same with your heart, in the sense that you should leave the evil expectation from him, since the evil expectation belongs to backbiting with the heart, and it is forbidden. It is not to interpret his act to have an evil meaning if it is possible to be interpreted to have a good meaning, unless it is disclosed with certainty and vision. But also in this case, you should understand what you see as being out of forgetfulness and heedlessness as possible as it could be. Such expectation is divided into what is called phrenology, and it depends upon a particular sign, which motivates the expectation in such a way that could not be averted. The other is caused by your evil expectation from him, and when he does an act of double meanings, your evil expectation leads you to interpret his act in conformity with the evil meaning, even with no particular sign indicative of it. By so doing, you commit a crime against him, and it is unlawful for every faithful believer.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, Allah Almighty has made unlawful for a Muslim from any Muslim his blood, property, honour, and to have evil expectation from him." (This narration is reported by Al-Hakim on the authority of Ibn Abbas; and Ibn Majah on the

authority of Ibn Umar). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Beware of the evil expectation, for the evil expectation is the gravest lie in talk." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Hurairah).

Verily, the evil expectation invites one to be inquisitive about and spy on his brother. In this respect, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "do not be inquisitive about one another and do not spy upon one another and do not feel envy with the other, and nurse no malice, and nurse no aversion and hostility against one another. And be fellow-brothers and servants of Allah." (This narration is reported by both Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Hurairah). To be inquisitive is to seek the news of your companion, and to spy is to watch him with the eye. However, it is characteristic of the religious men to screen and overlook the defaults of others. Sufficient for you to know that to screen the shameful and disclose the good things are out of perfection is that it is the same description given by Allah Almighty to those who do so in the following supplication: "O man who screens the shameful and discloses the good things (of others)!"

The one with whom Allah Almighty is pleased is he, who behaves in accordance with His good manners: if He is the One Who screens the defaults, forgives the sins and excuses His slaves, how should you not excuse the one who is equal to, if not above you in degree, given that he is not your slave or creature? Jesus "Peace be upon him" said to the disciples: "What do you do if you find your brother sleeping and the wind lifting his garment from him?" they said: "We shall screen and cover him." He said: "No, but you shall uncover his privates." They said: "Glory be to Allah! Who shall do so?" he said: "Anyone of you hears anything about his brother, to which he adds and make it public among the people with what is more grievious than it."

It should be known to you that one's faith is not complete until he loves for his brother the same as he loves for himself. The lowest degree of brotherhood is to deal with his brother just in the same way as he likes to be dealt with. Undoubtedly, he expects from him to screen his shortcomings and refrain from disclosing his defaults; and if the opposite of his expectation seems from him, he will be severely enraged and infuriated with him: how far is he if he expects from him what he himself has not towards him, and woe to him in the Book of Allah Almighty Who says: "Woe to those that deal in fraud, Those who, when they have to receive by measure, from men, exact full measure, But when they have to give by measure or weight to men, give less than due." (Al-Mutaffifin 1:3)

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ ﴾

However, he who seeks after justice and fairness more than what he himself has is included in this Holy Verse.

The cause of indulgence in screening the defaults and seeking to disclose

them is the lurking disease, i.e. envy and resentment. The envier resentful always fills his inside with wickedness, which he suppresses within himself, and hides so long as there is no occasion for him to demonstrate it. But once there is an opportunity, the tie of control loosens, and shyness is removed, and the inside then oozes with the hidden wickedness. It is preferable to abandon him whose inside is filled with envy and resentment. According to a wise man : "the one whose blame is evident is better than the one who hides his feelings of envy and hatred."

To desert the resentful might alleviate his resentment, and if one has grudge in his heart towards a Muslim, his faith then is weak, and he is at risk, and his heart is wicked, and not fitting for meeting Allah Almighty. It is reported on the authority of Abd Ar-Rahman Ibn Jubair Ibn Nufair from his father that he said: "I was in Yemen, and I had a neighbour from amongst Jews and he used to tell me about the Torah. Once, the Jew came back from a journey and visited me, thereupon I said to him: "Allah has sent a Prophet to us, and he invited us to Islam, and we converted to Islam; and a Book (Qur'an) has been revealed to us, confirming the Torah." On that the Jew said: "You've told the truth. But you have no power to act upon what he has brought to you. His characteristics and the characteristics of his nation are found in the Torah. It is unlawful for a faithful believer to leave the threshold of his house while his heart has grudge towards his Muslim brother."

One also should keep silent from disclosing the secret of his brother (in the religion of Allah) which he trusted with him, and he has the claim to deny it (in case he is asked about it) and even if he is a liar, to tell the truth is not binding in all situations. As well as one has the right to hide the defaults and mysteries of his own self, he also has the claim to do the same with his brother, for his brother is like himself, and they are like one person, and there is no difference between them except in regard to their bodies. This is the reality of brotherhood (for the Sake of Allah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who screens the privates of his brother in this world, Allah Almighty will screen him in the hereafter." (This narration is reported by Ibn Majah on the authority of Ibn Abbas). According to another version: "If he does so, he will be as though he has brought to life (or brought out of the grave) a girl who was buried alive." (This narration is reported by Abu Dawud, An-Nasa'i and Al-Hakim on the authority of Uqbah Ibn Amir). the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "If a man says something (in the presence of another) and then he turns (rightward or leftward in reference to his intention to make it secret), it should be considered as a trust (which should not be wasted by being disclosed)." (This narration is reported by Abu Dawud and At-Tirmidhi on the authority of Jabir).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The sessions should rely upon the trust (of the sitters) barring (in case there is talk about anything of) the following three: bloodshed, illegal sexual relation, and usurping property with no just cause" (and in any of those things, what is raised relating to the would-be act should be disclosed in averting of mischief). (This narration is reported by Abu Dawud on the authority of Jabir). the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "(The meeting of) two persons who sit with each other relies on their trust in the sense that it is unlawful for anyone of them to divulge what his companion dislikes." (This narration is reported by Abu Bakr Ibn Lala on the authority of Ibn Mas'ud; Ibn Al-Mubarak on the authority of Abu Bakr Ibn Hazm; and Al-Hakim on the authority of Ibn Abbas).

It was said to one of the learned: "How do you keep the secret?" he said: "I'm like its grave." It is said that "The breasts of the free men is like the graves of mysteries." It is further said that "The heart of the foolish is in his mouth, whereas the tongue of the wise man is in his heart." This means that the foolish could not hide what lies within himself, and thus he discloses it from where he knows not. This is why it is incumbent to desert the foolish persons, and safeguard oneself from their company, if not form their vision.

Another one was asked: "How do you keep the secret?" he said: "I deny the teller, and swear to the asker about it (that I know it not)." Another added: "And also screen the fact that I screen it." Ibn Al-Mu'tazz, the Abbasid poet expressed it well in his poetic statement: "If one deposits a secret with me, I would endeavour to conceal it, thereupon I place it in my breast, which turns to be like a grave for it." another poet said in this issue: "The secret in my breast is not like the dead who lies in the grave, for the dead in the grave expects to be resurrected. But in regard to the secret, I forget it to the extent that I seem as though nothing was told to me; and were it possible to hide the secret that is between me and him even from my inside, surely, it would never be known forever."

One of them divulged his secret to his brother and then asked him: "Have you kept it?" he said: "No, I've forgotten it." Abu Sa'id Ath-Thawri used to say: "If you like to make a bond of brotherhood with a man, cause him to angry with you, and then tell somebody to ask him about your news with him: if he says good about you, and conceals your secret, then, accompany him, (otherwise leave him)." Abu Yazid was asked: "Which of the people whom do you take for companion?" he said: "It is he, who knows from you what Allah knows, and screens you in the same way as Allah Almighty screens you." According to Dhun-Nun: "There is no good in the company of him, who likes to see you but only infallible."

To be sure, it is the wicked who divulges the secret of his companion at the time of anger, for to conceal it at the time of pleasure is required by sound nature in general. According to a wise man: "Accompany not him who changes with

you in four states: in the state of his pleasure and anger, in the state of his covet and desire." That's because the companion should be true to his brotherhood, and unchangeable in those different states. For this reason, it is said in a form of poetic verses: "Verily, you see that when the relation with the honourable man is severed, he conceals the shameful and demonstrates only the good things (of his companion); unlike the wicked who, on severing relation with him, conceals the good, and demonstrates only the untruths."

Al-Abbas said to his son Abdullah "Allah be pleased with both": "I see this man, Umar, giving you precedence over the old and venerable men of Quraish. Being so, keep five things from me: divulge no secret for him, backbite none in his presence, tell not a lie to him, disobey no command given by him, and betray not him." In his comment on that, Ash-Sha'bi said: "Every one of those five is better than one thousand."

Furthermore, you should refrain from disputing and arguing with your brother in every word he speaks in the gathering. In this respect, Ibn Abbas "Allah be pleased with both" said: "Dispute not with a weak-minded, lest he would harm you, nor with a forbearing lest he would desert you." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who refrains from disputation (with his companion) while he is on the falsehood, a house will be built for him in the middle part of the Garden; and he, who refrains from disputation while he is on the right, a house will be built for him in the highest part of the Garden." It is out of obligation that he should refrain from disputation if he is on falsehood. In this way, the reward of the supererogatory deed, i.e. to refrain from disputation even if one is on the right was made greater than that of the obligatory deed, for to keep silent from the right is more difficult upon the self than to keep silent from the falsehood; and the reward is given according to the amount of trouble and suffering.

However, disputation and contention are the greatest cause of rousing enmity and resentment between brothers, for they lead to mutual desertion and discarding. That's because discarding is caused first by opposing opinions, then by differing words, then by bodies. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Don't feel envy (of one another) and don't outbid (one another in order to raise price) and don't nurse aversion or enmity and don't enter into a transaction when another one had entered into it, and be fellow-brothers and servants of Allah. A Muslim is the brother of a Muslim. He should neither wrong him nor should he humiliate him nor should he look down upon him. The piety is here, (he pointed towards his chest thrice). It is a great evil for a Muslim that he should look down upon his brother Muslim. All things of a Muslim are inviolable for his brother in faith: his blood, his wealth and his honour." (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah).

Disputation is the severest contempt, for if one refutes the words of another one, he will have ascribed him to ignorance and foolishness, or to heedlessness

and forgetfulness and failure of understanding. All of that belongs to showing contempt, and arouses grudge and rancor in the breast. It is narrated on the authority of Abu Umamah Al-Bahili "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" came out to us while we were disputing with one another, thereupon he grew angry and said: "Leave disputation, leave disputation for it is of little good! Leave disputation for it is of little benefit but it arouses enmity between brothers." (This narration is reported by At-Tabarani; and Abu Mansur Ad-Dailami).

According to one of the righteous predecessors : "He, who disputes with his brothers and contends with them, his gallantry vanishes, and his honour disappears." According to Abdullah Ibn Al-Hassan : "Beware of disputing with men, for you will not be safe from the cunning of a forbearing, or a sudden attack of a wicked." According to another one of the righteous predecessors: "The most failing of men is he who falls short of having brothers; but more failing than him is he who wastes such of them as he gets." To be sure, much disputation results in desertion and boycott, and develops enmity between people. In this issue, Al-Hassan said: "Buy not the enmity of one man with the affection of one thousand men."

In total, nothing arouses disputation other than the desire for demonstrating superiority and preeminence by virtue of greater mind and favour, and showing contempt to him with whom one disputes, through revealing his ignorance. This includes arrogance, showing contempt, abuse, offense, and ascribing to foolishness and ignorance. This is the main significance of enmity. In this respect, it is narrated on the authority of Ibn Abbas "Allah be pleased with both" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Dispute not with your brother, nor make fun of him, nor break your promise to him." (This narration is reported by At-Tirmidhi). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "It is not with your property that you attract the people, but you attract them with your cheerfulness and good manners." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Abu Hurairah).

Disputation is in opposition to the good manners. The righteous predecessors warned of disputation, and urged to help each other to the extent that they denied the question. For example, they say that if you told your brother to stand and go with you, and he asks you where, accompany him not, for he should stand with you without asking you. It is reported from Abu Sulaiman Ad-Darani that he said: "I had a brother in Iraq, whom I used to visit whenever I was stricken by a calamity, and ask him to give me something of his property, and he sued to give me his case of money, so that I would take from it what I wanted. One day I visited him and said to him: "I need some money." He asked me: "How much do you want?" I removed the sweetness of his brotherhood from my heart." Another one said: "If you demand some money from your brother, and he asks

you what you are going to do with it, he has abandoned the right of brotherhood."

Furthermore, it should be known to you that the fundament of brotherhood lies in words, deeds and sympathy. According to Abu Uthman Al-Hiri : "To agree with brothers is much better than to feel sympathy for them." It is the same as he said.

The fourth right pertains to speaking. As well as brotherhood requires one to keep silent from what is unfavourable, it also requires one to speak with what is desirable and favourable. This is closer to brotherhood, for he who is satisfied with keeping silent is more apt to accompany the dead in the graves. Brothers are required to get benefit from them more than to get rid of their harm; and to keep silent is to hold back harm from him. So, he should show affection to him by his good words, and investigating his states and affairs by asking about his adversities if there is any, and show his being occupied because of him, and his grief because of the delay of wellbeing. Moreover, he should demonstrate with his words and deeds his aversion towards what his companion dislikes, in the same way as he should show with words his sharing pleasure and happiness with him concerning the things with which his friend is pleased and happy.

The meaning of brotherhood is to share each other in both ease and adversity. In this respect, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If anyone of you loves his brother, he should tell him about that." (This narration is reported by Abu Dawud, At-Tirmidhi and Al-Hakim on the authority of Al-Miqdam Ibn Ma'di-Karib). Telling here leads to more love, for if one knows that you love him, surely, he will come to love you, and if you know that he loves you, surely you will come to love him more. This means that the love between both sides will multiply many times. The mutual love between the faithful believers is required by Sharia, and favored by religion.

For this reason, the way to it was learned by the Prophet "peace be upon him" who said: "Exchange gifts among you, perchance you will love each other." (This narration is reported by Al-Baihaqi on the authority of Abu Hurairah). It includes also that one calls his friend by the dearest of his names to him, whether in his presence or absence. In this respect, Umar "Allah be pleased with him" said: "Three things make pure the affection of your brother towards you: to take the initiative to salute him first whenever you meet him, to leave a space for him to sit in the gathering, and to call him by the dearest of his names to him." It also includes praising him with such of his good manners as you know about him, in case your praise is of benefit to him. This is the greatest cause of bringing about love. It includes also praising his children, family, craft and all of his deeds, mind, conduct, behaviours, appearance, clothes, and features, but without lying or exceeding the due limits in so much as through embellishing what is fitting for embellishment. More important is to convey to him the praise of the one who praises him, with pleasure, for to conceal it is out of envy.

It also includes that you should thank him for his favour to you, and for his intention to do good to you, even if he does not accomplish it. Ali Ibn Abu Talib "Allah be pleased with him" said: "He, who does not thanks his brother even for his true intention only will not thank him for his good favour." More important to attract affection is to defend him in his absence, whenever harm or offense is intended to him, for the right of brotherhood is to protect one's brother, avert evil from him, help him, aggravate the speech to such as abuses or harms him; and to keep silent from anything which arouses rancor in the breast, turns the heart away from him, and leads to indulgence in the right of brotherhood.

However, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" likened the two brothers to both hands (of a single person) washing each other, in order that they should avert from and act on behalf of each other. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A Muslim is the brother of a Muslim. He should neither wrong him nor should he humiliate him nor should he look down upon him." (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah). To keep silent from dishonouring him is to wrong him, for to neglect the offense of his honour is more severe than to neglect the cutting off the flesh. That's because to offense the honours is more difficult upon the souls than to cut off the flesh.

For this reason, Allah Almighty likens it to eating the flesh of the dead as shown from His statement: "nor speak ill of each other behind their backs. Would any of you like to eat the flesh of his dead brother? Nay, you would abhor it. But fear Allah: for Allah is Oft-Returning, Most-Merciful." (Al-Hujurat 12)

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾

Thus, to protect the brotherhood, by averting the offense of the enemies is obligatory for the establishment of the contract of brotherhood. According to Mujahid : "Remember not your brother in his absence but in the same way as you love to be remembered in your absence."

Two criteria then should be observed here: the first is to suppose that if what was said about him in your presence to be said about you in his presence, what do you like your brother to say in defense of you? Once you know it, you should reply to his offender with the same as you like him to reply to your offender. The second is to suppose that he is present and hearing what you say from behind the wall, and he thinks you know nothing of his presence. You should help and support him in his absence in the same way as you are supposed to do in his presence. Listen to the following statement of a learned man: "My brother is not mentioned in his absence but that I imagine he is present, thereupon I say about him what he likes to hear if he is present." Another one said: "My brother is not mentioned in his absence but that I imagine myself like him, thereupon I say

about him what he likes to be said about me." This is out of the true faith, i.e. not to see for his brother but the same as he likes to see for himself.

It is reported that Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" looked and saw two oxen's plowing the land, and when one of them stood to scratch his skin, the other stood (to console it). On that Abu Ad-Darda' wept and said: "As such the brothers for the Sake of Allah should work for the Sake of Allah Almighty: if one of them stands, the other should correspond to him." It is with correspondence that sincerity is accomplished, and if one is not sincere in his brotherhood, he is a hypocrite. Sincerity summons equal treatment in the state of presence and absence, tongue and heart, secrecy and openness, congregation and seclusion. But any difference or disparity in any of that belongs to adulation and flattery, (and not sincerity), since it turns to be abandonment and deception in religion. If one fails to do so, it is preferable for him to get isolated, and live in solitude, than to enter into bonds of brotherhood, for the right of company is difficult, which none but an investigator could fulfill, and its reward is abundant which none shall attain but him who is helped by Allah.

For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "O Abu Hurairah! Be a good neighbour to your neighbour, perchance you would be a true Muslim, and be a good companion to your companion, perchance you would be a faithful believer." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Abu Hurairah). Consider how he made true faith in return for good companionship, and true Islam in return for good neighbourhood. The degrees of superiority of Islam here are determined by the degrees of difficulty to fulfill the rights of neighbourhood and the rights of company. Company requires so many rights in convergent states and occasions on a permanent basis, whereas neighbourhood requires less rights in divergent times, on an interrupted basis.

A mention may be made here of instruction and advice. The need of your brother for knowledge is no less than his need for property. If you have abundant knowledge, you have to give him out of your bounty, and guide him to what benefits him in his world and religion. If you teach and instruct him, and guide him to the right, and he does not act upon your instruction, then, it becomes incumbent upon you to advise him. You should remind him of the evil consequence of that act, and the benefits he might receive from leaving it, and frighten him with what he dislikes in this world and the hereafter, perchance he would be forcefully forbidden from it. You should also alert him to its defaults, and deface the shameful to him and make the good alluring to his eyes. But you should do all of that in secrecy, and none should know about it, for what is done publicly is slander and scandal, whereas what is done in secrecy is out of sympathy and advice.

In this respect, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The believer acts as a mirror to the believer." (This narration is

reported by Abu Dawud on the authority of Abu Hurairah). It means that he sees from him what he sees not from himself. In this way, man gets benefit from his brother by knowing the defects and defaults of himself; and had he been alone, he would have gained no benefit. It is like the benefit one receives from the mirror, in knowing his apparent defaults. According to Ash-Shafi'i "may Allah have mercy upon him": "He, who admonishes his brother in secrecy has advised and adorned him, and he who admonishes him in public has scandalized and disgraced him." It was said to Mis'ar: "Do you like the one who tells you about your defaults?" he said: "If he advises me in secrecy, it is good; and if he strikes me (with that) in public, it is not."

However, he has told the truth. To give advice in public is a scandal, and on the Day of Judgement Allah Almighty will blame the believer under His shade, and screen, and inform him about his sins in secrecy. He might give the sealed record of his deeds and acts to the angels who will surround him until he goes to the Garden, and when he becomes close to the gate of the Garden, they give the sealed record to him to read. But it is not the same in the case of the sinful, who will be called in front of the people who witness , and their organs will be caused to talk about their mischief and sins, therewith they will become more ashamed and humiliated: we seek refuge with Allah from disgrace on the Greater Day of display.

The difference between advice and rebuke results from the difference between secrecy and openness. This is like the difference between permissible cajolery and impermissible flattery results from the difference of the motive to please the other party. If you adulate for the purpose of the safety of your religion and improvement of the affairs of your brother, your adulation will be legal, and if you do so just foot the purpose of your own portions, and fulfill your own desires and safety of your majesty, your flattery will be impermissible. According to Dhun-Nun: "Let your company with Allah Almighty depend upon your compliance (with all of His commands), and with the people upon mutual advice, with the soul on disagreement (with its own desires), and with Satan on enmity (to him)."

But you may argue that "as the advice might include the mention of defaults, which results in estrangement of the heart, how it is regarded one of the rights of brotherhood?"

In reply to that, let's say that the heart estrangement results from making a mention of a default which your brother knows about himself. But if you alert him to a default which he knows not in himself, it is out of sympathy, and it results in attracting his heart, i.e. in case he is rational. But no attention should be paid to the foolish in this respect. Of a surety, if one alerts you to a blameworthy default which you have, or a dispraised characteristic you have, perchance you might justify and purify yourself from it , he is like him who alerts you to a female-snake or a scorpion that is lying in wait for you in order to ruin you. If

you dislike that, how foolish is you! However, the dispraised characteristics are like female-snakes and scorpions which are destructives in the hereafter, since they bite the souls and hearts, and the pain they cause is more severe than what is caused to the apparent bodies. Moreover, they are created from the kindled fire of Allah Almighty.

For this reason, Umar "Allah be pleased with him" used to receive such (advices which would tell him about his defaults) as a gift from his brothers and say: "Allah's mercy be upon a man who presents to his brother his defaults as a gift." When Salman came to Umar "Allah be pleased with both" he asked him: "Tell me what has reached you about me of what you dislike." When Salman asked him to exempt him, he insisted, he said: "I was reported that you have two suites, on of which you put on by day, and the other at night. I also was reported that you combine two condiments in a meal." On that Umar said to him: "As for those two things, I was sufficed against them. Has anything else reached you?" he answered in the negative.

Hudhaifah Al-Mar'ashi sent a letter to Yusuf Ibn Asbat in which he said to him: "I was reported that you've sold your faith by two fragments: you stood in front of a milk seller, and asked him about something and he told you that it was for one-sixth, and you asked him to sell it to you for one-eighth. On that he said to you: "It is for you." Indeed, he seemed to have recognized you. So, you should remove from your head the veil of the heedless, and wake up from the sleeping of the dead, and put in your mind that whoever recites the Qur'an, and does not become independent, and rather gives preference to this world (over the hereafter) there is no guarantee that he might come to make fun of the signs of Allah Almighty." Allah Almighty describes the liars who keep themselves away from the givers of advice saying: "but you love not good counsellors!"

(Al-A'raf 79)

﴿ وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾

This is the case of a defect of which one is heedless. But in the case of the defect which he knows although he is obliged to it by nature, then, you should not divulge it if he screens it, and if he discloses it, then, you should be kind in giving advice to him, once implicitly and once explicitly, without leading to estrangement. If you come to know that it is of no profit to him to advise him, as he is forced by his nature to persist in it, then, it is preferable to keep silent from him.

This pertains to the interests and benefits of your brother in his religion and world. But in the event of his indulgence in your right upon him, it is incumbent upon you to endure, overlook him, forgive and excuse him, fail to notice his harm against you. It is not out of advice to face him with it, unless his persistence in it will lead to boycott, in which case, to blame him in secrecy is better than boycott, and to do it implicitly and with indirect speech is better than to do it

explicitly and with direct speech, and to do it through letters and messages is better than to do it face to face, i.e. orally. But to endure and keep patient is the best of all that, for your purpose in relation to your brother should be always to reform your own self by observing his rights, and enduring his indulgence, and not by utilizing that to keep away from him.

According to Abu Bakr Al-Katani : "A man accompanied me, and he was boring to me. One day, I granted something to him in the hope that this feeling would vanish; but it did not vanish. One day, I took hold of his hand and went with him to my house, and asked him to put his foot on my face. He rejected, but I asked him pressingly. When he did so, the bad feeling vanished from my heart."

According to Abu Ali Ar-Ribati : "I accompanied Abdullah Ar-Razi and he was going to the desert. He said to me: "On the condition that either you or I should be the chief." I said: "Let it be you." He said: "Then, obedience is incumbent upon you." I answered in the affirmative. He took bag and put the provisions in it, and carried it on his back. Whenever I asked him to give it to me to carry on his behalf, he would say: "Have you not told me to be the chief, and thus obedience is incumbent upon you?" one night it rained profusely and he kept standing until morning to shade my head from rain and he was having a mantle. I said to myself: "Would that I died before saying to him that he should be the chief."

The fifth right is to excuse the slips and flaws. The friend's flaw might be in his religion, by committing a sin, or against you, by his indulgence in fulfilling anyone of the rights of brotherhood. If it pertains to the flaw in religion, by committing a sin persistently, then, you should be kind in advising him with what reforms his state, sustains him and restores him to righteousness and piety. If you fail to lead him to do so, then, the Prophet's companions and their followers had different ways whether to keep relation with him, or sever relation from him.

Abu Dharr "Allah be pleased with him" is of the opinion of severing relation with him, and he says in this issue: "If your brother turns form the very state in which he was when you loved him, then, you should dislike him from where you loved him." According to him, this is required by the love and dislike for the Sake of Allah.

But Abu Ad-Darda' and some companions stand in the opposite side. Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" says in this matter: "If your brother changes and his state becomes different from that in which he was (when you recognized him), then, you should not leave him just because of that, for it is the habit of your brother to be crooked once, and straight once." According to Ibrahim An-Nakh'i: "Boycott not your brother, nor desert him when he commits a sin just because of his sin, for he commits it today and will leave it in the coming day." He said once again: "Tell not the people about the slip of the scholar, for the scholar commits a slip and he soon leaves it." According to the following Hadith : "Safeguard yourselves from the slip committed by a

scholar, and boycott him not for it, and expect for his retraction." (This narration is reported by Al-Baghawi and Ibn Adi on the authority of Amr Ibn Awf Al-Muzani).

It is reported that Umar "Allah be pleased with him" had a brother with whom he established the bond of brother for the Sake of Allah, and later he set out to Sham. A man came back from Sham, whom he asked about his brother. He said to him: "This is the brother of Satan. He commits major sins and even drinks wine." Umar said to him: "When it is time for you to go to Sham, inform me." He sent to him a letter in which he said: "In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful. "Ha-Mim. The revelation of this Book is from Allah, Exalted in Power, Full of Knowledge, Who forgives Sin, accepts Repentance, is Strict in Punishment, and has a Long Reach (in all things). There is no Allah but He: to Him is the Final Goal." (Ghafir 1:3)

﴿ حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝ ﴾

Under this statement, he blamed and admonished him. When his friend read the letter, he wept and said: "Allah Almighty has told the truth, and Umar has proved sincere (in his advice) to me." Thereupon he repented and retracted from evil.

It is reported that there were two brothers, one of whom was possessed by a sexual desire (towards a particular woman), and he divulged it to his brother. He said to him: "I've become ill: if you like you could cancel the contract of companionship between us for the Sake of Allah." He said to him: "I'm not to cancel the contract of brotherhood between us just for the sake of your sin." He made a pledge between him and Allah Almighty neither to eat nor to drink until his brother recovers from his illness. He remained for forty days, asking him everyday about his desire and in each time he said: "The heart is still standing unchanged." He was afflicted with leanness and weakness gradually because of anxiety and hunger until his brother recovered. When he told him about it, he began to eat and drink after he was about to die out of weakness.

It is reported that here were two brothers from amongst the righteous predecessors, one of whom turned from straightness and uprightness. It was said to his brother: "Should you not boycott and desert him?" he said: "Now, he is in the direst need, when he has slipped, of me to take hold of his hand, show kindness to him while blaming him, and invoke Allah for him to return to his first state (of straightness and uprightness)."

It is reported in the Israelite stories that there were two worshipping brothers in a mountain, and one of them descended to buy meat for a Dirham, thereupon he saw a prostitute in the shop of the butcher, whom he had a desire for, and he was possessed by her love. He took her to a place to be in privacy where he had sexual relation with her. He stayed with her three days, and felt shy of returning

to his brother after having committed such a crime. On the other hand, his brother in the mountain missed him, and he was concerned about him. He descended from the mountain in search for him. He kept asking him until he was lead to his place. He entered into him while he was sitting with her. He started to embrace and kiss him, but the other disapproved his recognition because of his extreme shyness of him. He said to him: "Stand O my brother with me! I've come to know your story and you've never been dearer to me, and much closer to my heart than you are at that moment." When he saw that his crime did not make him despicable in his sight, he stood with him and left the prostitute.

This is the way of some people, and it is more kind and more appropriate than that of Abu Dharr "Allah be pleased with him", although his way is better and safer.

But, you may raise the following question: "Why have you said that this way is more kind and more appropriate, although it is impermissible to make a bond of brotherhood with him who commits sins from the beginning, and thus relations should be severed with him in the end, under pretext that if the ruling is proven by a certain reason, the syllogism requires it to lapse by the disappearance of the reason. The cause of the bond of brotherhood for the sake of Allah is to co-operate in religion, and this will not continue with committing sins?"

In reply to that, let me say that its kindness refers to being a gentle and smooth way to attract the friend, and show sympathy towards him, which leads him to retract and repent, for with the continuous company, the feeling of shyness continues. But if relation is severed with him, and he comes to have no hope for company, he will persist in his sin. Its appropriateness refers to the fact that the contract of brotherhood places one in the same position of the blood-relation, and once it is held, the right (of company and brotherhood) should be confirmed, and it becomes incumbent to be fulfilled according to the contract. It is out of fulfillment not to neglect him at the time he is in need and poverty; and of a surety, the poverty in religion is more severe than the destitution in wealth.

One becomes destitute in religion when he is afflicted by a calamity and stricken by a blight. For this reason, he should be watched and observed, and he should not be neglected: on the contrary, one should remain kind to him until he is helped to get rid of such calamity. Brotherhood is an equipment therewith one faces his calamities and adversities, and committing sins is one of the most severe adversities. If a wicked man accompanies a pious man, he will observe his fear (of Allah Almighty) and continuous worship, which might lead him to retract from his wickedness, and feel shy of persistence in sins. It is like a lazy one who accompanies another who is eager to labour and work, with the result that he will come to be eager to work, out of feeling shy of him. Consider what Ja'far Ibn Sulaiman who says: "Once I weaken in work, I shall look at Muhammad Ibn Wasi', with his devotion to the acts of worship, with the result that I would restore my activity in worship, laziness would leave me, and I would continue to

work uninterruptedly for a whole week."

This is the verification of the truth. Friendship is a tie, like the tie of blood-relation; and it is impermissible to desert one's relative just because of his sin. For this reason, Allah Almighty said to His Prophet in connection with his clan: "Then if they disobey you, say: "I am free (of responsibility) for what you do!"" (Ash-Shu'ara' 216)

﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

Thus, He did not command him to tell them that he is free (of responsibility) from them, in observation of the right and tie of blood-relation. To this Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" referred when he was asked: "Should you not dislike your brother (for the Sake of Allah) as he has committed such and such (sins)?" He said: "I only dislike his deeds, otherwise, he is my brother."

Furthermore, the brotherhood of religion is more fixed than the brotherhood of blood-relation. For this reason, it was said to a wise man: "Which is dearer to you: your brother or your friend?" he said: "I only like my brother if he is a friend of me." Al-Hassan "Allah be pleased with him" used to say: "How many a brother of you who is not of your blood-relations!" it is said that the blood-relation is in need of affection, whereas affection is not in need of blood-relation. According to Ja'far As-Sadiq "Allah be pleased with him" said: "An affection to remain for one day is a kind of keeping good relation, and an affection to remain for a month is like blood-relation, and an affection to remain for a year is like a kinship tie: whoever severs it, Allah Almighty severs relation with him. To fulfill then the contract of brotherhood once it is established is incumbent, and this is our reply to the bond of brotherhood with the dissolute, even though if he has no other right, like blood-relation.

But in case he has another right, i.e. the right of blood-relation, of a surety, the relation with him should not be severed: on the contrary, he should be adulated. The evidence for that it is neither dispraised nor undesirable to leave company or brotherhood from the beginning, but others are of the opinion that solitude is preferable. But to cut off the tie of brotherhood permanently is forbidden and dispraised in itself . The leaving of brotherhood from the beginning (in avoidance of leaving it in the end) is like the leaving of marriage from the beginning in avoidance of divorce, given that divorce is more hateful to Allah Almighty than leaving marriage. In this respect, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The worst of people are those who go about with calumnies among the people, and separate the lovers from one another." (This narration is reported by Ahmad on the authority of Asma' Bint Yazid).

According to one of the righteous predecessors in connection with screening the slips of the brothers : "Satan likes to throw on your brother the like of that, in order to cause you to desert him, and sever relation with him. How then have

you safeguarded yourselves from the love of your enemies?" Satan likes you to separate between lovers in the same way as he likes you to commit sins. For this reason , if one of both objectives of Satan is achieved (by committing sins on the part of the brother), the other should not be added to it (by deserting and severing relations with him). To this the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" referred in his reply to him who insulted a man when he committed fornication: "Keep silent from him!" he scolded him and said: "Be not in the aid of Satan against your brothers." (This narration is reported by Al-Bukhari on the authority of Abu Hurairah).

This shows clearly the difference between continuous and initial leaving. Certainly, to mix with the dissolute and wicked is forbidden, and also to leave the companions and brothers is forbidden. The one who is safe from imitating the other is not like him who is not safe. Safety lies in the beginning, and thus desertion is preferable. The opposite lies in the continuity, and thus to fulfill the right of brotherhood and company is preferable. This pertains to one's slip in religion.

But if his slip is against the other, there is no difference that it is more preferable to forgive and endure him. Moreover, it is incumbent, in fulfilling the right of brotherhood, to incline to all that is endurable and excusable. It is said that 'you should seek for the slip of your brother seventy excuses, and if they are not accepted by you, you should blame none but yourself, and say to your heart: "How cruel are you! Your brother gives you seventy excuses, and you accept none of them: it is you and not your brother that to be blamed." But if he appears not to retract, you should not grow angry if it is possible for you, although it is not within one's capacity to do so, given the statement of Ash-Shafi'i "Allah be pleased with him": "He, whose anger is provoked and he does not grow angry, is like a donkey; and he, whose pleasure is sought and he is not pleased, is like a devil." So, you should be neither a donkey nor a devil, and rather please your heart by yourself on behalf of your brother, and avoid of being a devil if you do not accept.

According to Al-Ahnaf "Allah be pleased with him": "Among the right a friend has upon his friend is to endure three things form him: the injustice caused by anger, the injustice caused by intimacy, and the injustice caused by a slip." According to another: "I've never insulted anyone even if he insults me: if it is the honoured who insults me, I'm more fitting to forgive him, and if it is a wicked who insults, I'm not to make my honour a target for him." Then, he quoted the following poetic verse: "I forgive the slips of the honoured man, in pursuit of his company, and I turn away from the abuse of the wicked man out of honouring myself." It is said: "Take what is pure from your brother and leave what is impure, for the life is too short for one to blame his friend for that which is not pure."

When your brother apologizes to you, be he truthful or liar, you should

accept his excuse. In this respect, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, to whom his brother apologizes and he does not accept his apology, a sin like that of him who illegally usurps one-tenth the property becomes due upon him." (This narration is reported by Ibn Majah and Abu Dawud on the authority of Judan; and At-Tabarani on the authority of Jabir). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The anger of a believer is provoked quickly, and his pleasure is attained quickly." In this way, he did not deny his anger. Similarly, Allah Almighty said "who restrain anger" (Al Imran 134)

﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

And did not describe them as having no anger at all.

It is not that when a man is injured he will not suffer from pain, but it is that when he is injured, he will suffer from pain, which he will endure and keep patient on. As well as the nature of the body is to suffer from the pain of the injury, the nature of the heart is to suffer from pain of the causes of anger. If it is impossible to take it off, it might probably be restrained and adjusted and one might act in opposition to its nature, for its nature requires retribution, reprisal and revenge. But it is possible also not to act in opposition to its nature. Abu Sulaiman Ad-Darani said to Ahmad Ibn Abu Al-Hawari: "If you take for brother anyone in this time, blame him not for what you dislike, for you do not feel safe from seeing in his answer what is worse." He said: "When I tried, I found it the same as he told me." According to another: "To keep patient on the harshness of your brother is much better than to blame him, and to blame him is much better than to boycott him, and to boycott him is much better than to fight with him."

Furthermore, one should not exceed the due bounds of dislike and hate when fight breaks up between him and his friend. Allah Almighty says in this respect: "It may be that Allah will grant love (and friendship) between you and those whom you (now) hold as enemies. For Allah has power (over all things); and Allah is Oft-Forgiving, Most Merciful." (Al-Mumtahanah 7)

﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Love your beloved person to some extent perchance he will be hateful to you one day; and dislike your hateful person to some extent, perchance he will be dear to you one day." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Abu Hurairah). According to Umar "Allah be pleased with him": "Let not your love be a strong enthusiasm, and let not your hate be a means of destruction."

The sixth right is to invoke good for your brother during his lifetime and after his death, with what he likes for himself and his family. You should invoke for him in the same way as you invoke for yourself, with no differentiation, for

indeed to invoke for him implies also to invoke for yourself. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If one invokes good for his brother in his absence, an angel says in reply: "And the same is for you." (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Ad-Darda'). According to another version, Allah Almighty says: "And the same is for you O My slave." According to another Hadith : "One's invocation for his brother might receive answer more than his invocation for himself might do." According to another narration : "One's invocation for his brother in his absence is never rejected." (This narration is reported by Ad-Daraqatni and Muslim on the authority of Abu Ad-Darda').

Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" used to say: "I invoke good in my prostration for seventy of my brothers whom I name with their names." Muhammad Ibn Yusuf Al-Asbahani used to say: "Where is the like of the righteous good brother? Your family distribute your legacy (after your death) among themselves, and enjoy of what you leave, while he alone remain sad for your departure from him, concerned about the good you have sent forward and the state in which you are after your death, invoking good for you in the darkness of the night, while you are under the layers of the earth." The righteous good brother then seems to imitate the angels in his conduct.

According to a tradition: "When one dies, the people say: "What has he left?" but the angels say: "what good has he sent forward?" (This narration is reported by Al-Baihaqi on the authority of Abu Hurairah). They rejoice at the good deeds you have sent forward, ask about him, and feel sympathy for him. It is said that he, whom the news of the death of his brother reaches and he invokes for the mercy of Allah for him, and asks for the forgiveness of Allah for him, the reward that is written for him is equal to the reward of attending his funeral procession and offering funeral prayer for him." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The example of the dead in his grave is like the example of a drowned who sticks to everything available to him: he expects for an invocation from his child, parent, brother or relative." (This narration is reported by Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Abu Hurairah).

The invocations of the living persons send lights to the grave of the dead like mountains. According to a righteous predecessor: "The invocation for the dead is like the gift for the living. The angel enters the grave having a plate of light, and a handkerchief of light over it, and says: "This is a gift for you from so and so, your brother, your relative." He rejoices at it in the same way as a living person rejoices at a gift."

The seventh right pertains to loyalty and sincerity. Loyalty is to be constantly firm on his love, until death and even after death with his offspring and friends. The love is intended for the sake of the hereafter, and if it ceases before death, the deed will be fruitless, and the endeavour will fail. For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said in his description of the seven who will be shaded by the Shade of Allah Almighty on the Day of Judgement: "two persons who love each other only for Allah's

sake and they meet and part in Allah's cause only." (This narration is reported by both Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Hurairah).

According to a wise man: "A little loyalty after death is better (in so many cases) than much loyalty during one's lifetime." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" dealt generously with an old lady who came to visited him, and when he was asked about her he said: "She used to visit us during the lifetime of Khadijah, and of a surety, to continue to be on your covenant (with the one who dies) is out of faith." (This narration is reported by Al-Hakim on the authority of A'ishah). It is out of your loyalty to your brother to take care of all of his friends and blood-relations, and to take care of them has a greater influence on the heart of the friend than to take care of him. He rejoices more at his friend's care about his acquaintances for there is no indication of the strong sympathy and affection more evident than their transcendence beyond the beloved to all of his acquaintances. It even includes the dog what is standing at the gate of his house, which should be given superiority over the other dogs.

But if the loyalty to the continuous love ceases, Satan soon will gloat of him, for Satan's envy of two brothers and lovers for the Sake of Allah is more than his envy of two who co-operate in piety and righteousness. He strives his utmost to spoil the relation between them. In this issue, Allah Almighty says: "Say to My servants that they should (only) say those things that are best: for Satan does sow dissensions among them: for Satan is to man an avowed enemy." (Al-Isra' 53)

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾

He Almighty further says on the tongue of Yusuf: "(even) after Satan had sown enmity between me and my brothers. Verily my Lord understands best the mysteries of all that He plans to do. For verily He is full of knowledge and wisdom." (Yusuf 100)

﴿ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾

It is said that there is no two persons who hold a bond of brotherhood between them for the Sake of Allah and then they leave each other but that it is a result of a sin committed by one of them. According to Bishr : "If the slave indulges in his obedience to Allah Almighty, Allah Almighty deprives him of that which removes his loneliness." That's because brothers (in religion of Allah) are to console each other from their apprehensions, and help each other do the acts of religion. For this reason, Ibn Al-Mubarak said: "The most pleasant thing is to sit with the brothers, and return with sufficiency."

To be sure, the permanent affection is that intended for the Sake of Allah, and what is intended for a particular purpose vanishes by the disappearance of that purpose. One of the fruits of the affection for the Sake of Allah is to remove

any envy in religion and world; and how should one envy his brother, since all that belongs to him return with benefit to him? This is the way they are described by Allah Almighty in His statement: "and entertain no desire in their hearts for things given to the (latter), but give them preference over themselves, even though poverty was their (own lot). And those saved from the covetousness of their own souls; they are the ones that achieve prosperity." (Al-Hashr 9)

﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾

It is the need which provokes envy.

It is a part of loyalty not to change in one's humbleness towards his brother no matter high in position and authority he might have. That's because it is out of wickedness to show arrogance towards the brothers according to the vicissitudes of the state. According to a poet: "It is the habit of the honourable, when they become wealthy, to remember those whom they recognized during their rugged life." One of the righteous predecessors gave his son the following advice: "O my son! Accompany from the people only him, who comes close to you whenever you are in need of him, and does not covet of you whenever you become free of want, and does not behave arrogantly towards you whenever he becomes high in rank." A wise man said: "If your brother is appointed in office of a job, and his affection towards you is reduced even to the half, it is so much."

It is narrated on the authority of Ar-Rabie that Ash-Shafi'i "may Allah have mercy upon him" held a bond of brotherhood with somebody in Baghdad, and when the latter became the governor of Sibin, he changed with him. On that Ash-Shafi'i sent to him the following poetic verses: "Go: your affection is divorced from my heart, but not irrevocably. If you return to your mind, your affection will wake up in my heart, with two divorces remaining. But if you refrain, I shall give another divorce, with the result that they will be divorce twice in two monthly courses. If the third divorce reaches you from me, making the divorce irrevocable, the governorate of Sibin then will not avail you aught."

It should be known that it is not out of loyalty to agree with your brother on what opposes the truth in religion: on the contrary, it is out of loyalty to disagree with him in this case. It is narrated that Ash-Shafi'i "Allah be pleased with him" made a bond of brotherhood with Muhammad Ibn Abd Al-Hakam, whom he used to bring close to him, and devote himself to, and say: "Nothing causes me to stay in Egypt other than him." When Muhammad fell ill, Ash-Shafi'i "Allah's mercy be upon him" went to visit him and inquire about his health. He said: "When the beloved one fell ill and I visited me to inquire about his health, I became ill because of my fear for his sake; and when the beloved one came to visit me and inquire about my health, I recovered because of my seeing him."

In view of his sincere affection to him, the people thought that he would entrust to him the matter of his circle after his death, thereupon it was said to

Ash-Shafi'i "may Allah have mercy upon him" during his fatal illness: "O Abu Abdullah! To whom should we sit after you?" Muhammad Ibn Abd Al-Hakam stretched up his neck to him and he was sitting by his head, perchance he would beckon to him. But Ash-Shafi'i said: "Glory be to Allah! Is there any doubt in that matter? It is Abu Ya'qub Al-Buwaiti." Muhammad then broke down for that, and his companions inclined to Al-Buwaiti; and although Muhammad learnt from him all of his opinions, Al-Buwaiti was more excellent, much closer to piety and asceticism. Ash-Shafi'i then was sincere to Allah and the Muslims in his advice in which he abandoned flattery and adulation, and gave no preference to the pleasure of the creatures over the good pleasure of Allah Almighty.

When he died, Muhammad Ibn Abd Al-Hakam retracted from his school, and reverted to the school of his father, and studied the books of Malik "may Allah have mercy upon him", and he was one of the great companions of Malik. On the other hand, Al-Buwaiti favoured asceticism and sitting in his home, and it did not appealed to him to make circles and gatherings, and rather he was engaged in worship and composition. He composed the book of Al-Umm, which is attributed to Ar-Rabie Ibn Sulaiman, for which he is recognized, and this is because Al-Buwaiti did not mention his name in it.

The main point here is that what makes perfect the loyalty to love is to be sincere in advice to Allah Almighty. According to Al-Ahnaf : "The bond of brethren is a smooth jewel, and if you do not safeguard it, it will be exposed to damage. So, you should safeguard it with restraining your anger to the extent that you should apologize to him who wrongs you, and with pleasure so that you would not make much of your bounty, or make much of the indulgence of your brother."

One of the effects of the truthfulness, sincerity and perfect loyalty is to be scared by departure in the same way as a soul is scared by leaving its customs, as it is said by Ibn Uyainah in the form of a poetic verse: "No doubt, all the adversities of time are to easy to be compared by the departure of the beloved persons." He commented: "I recognized people whom I've left since thirty years, and I do not imagine that my grief for their departure has disappeared from my heart."

It is out of loyalty not to listen to the news that is reported to him from his friend, particularly from him, who shows himself in the beginning to love his friend, and then he tells about him things which raise rancor in the listener's heart: this belongs to the subtleties of wickedness and malice; and if one is not cautious of that, the affection then will not continue. In this respect, it is reported that a man said to a wise man: "I have come as a suitor of your affection." He replied: "Alright, on the condition that you should afford for its dower which comprises three things." He asked him about them, and he said: "Do not listen to any report about me, do not disagree with me, and do not trample me in my absence."

It is out of loyalty not to take for companion the enemy of his friend. According to Shafi'i "Allah's mercy be upon him": "If your friend agrees with

your enemy, both then have participated in your enmity."

The eighth right is to make it easy, leave ostentation and overburdening. It is that one should not lay upon his brother a task that is beyond his capacity: on the contrary, he should relieve him of his assignments and needs, and save him from overtaxing him with anything o his own burdens. He should not seek property or majesty from him, nor should he be ostentatious in showing humbleness towards him, inspecting his affairs and fulfilling his rights. He should not seek with loving him but the Countenance of Allah Almighty, by way of getting the blessing with his invocation, removing his loneliness with his meeting, and seeking his aid in his acts of worship, coming close to Allah Almighty through fulfilling his rights and carrying his burden.

According to a learned: "He, who demands from his brothers what they give him not has indeed wronged them, and he, who demands from them the like of what they demand has indeed troubled them, and he who does not demand from them has been bountiful to them." According to a wise man: "He, who places himself in a position higher than his due in his relation with his brothers becomes sinful, and so they do, and he who places himself in a position that is his due troubles himself, and causes them to trouble themselves, and he, who places himself in a position that is les than his due becomes safe, and so they do."

However, to take it easy is to fold the carpet of ostentation, in order to remove shyness from them as well as from himself. According to Al-Junaid: "There is no two persons who hold a bond of brotherhood between them for the Sake of Allah Almighty, and one of them feels shy or estranged from his companion but that it is due to a defect in one of them." According to Ali "Allah be pleased with him": "The worst of companions is him who is ostentatious in his relation with you, and forces you to adulation, and compels you to apology." According to Al-Fudail: "It is ostentation which severs relations among the people: one of them visits his brother, who troubles himself (to entertain) him, thereupon the other ceases to visit him once again." According to A'ishah "Allah be pleased with her": "The believer is the brother of the believer, who neither exploits nor feels shy of him." It was said to one of them: "Whom should we take for companion?" he said: "The one who removes from you the burden of ostentation, and the yoke of preservation and shyness lapses between you and him." Ja'far Ibn Muhammad As-Sadiq "Allah be pleased with him" used to say: "The heaviest of my brothers upon me is he, who troubles himself to (entertain) me, and forces me to become reserved and feel shy of him; and the lightest of them on my heart is him, with whom I am in the same state as I am alone."

According to one of the Sufis: "From amongst the people, treat only him with whom you increase not your piety, and decrease not your sins, for you will be in the same position in both cases." This statement implies to get rid of ostentation and reservation, otherwise, one is predisposed by nature to be ostentatious and reserved from him in case he knows this might reduce his position with him. Another one of them said: "Stick to politeness with the people

of this world, and to knowledge with those of the hereafter, and to whatever you will with the Gnostics."

According to a third one: "Take none for companion but him, who repents on your behalf if you commit a sin, apologizes to you if you do evil, and carry the burden of both you and him." But the one who adopts that has indeed made narrow the way of brotherhood upon the people; and it is not so. Everyone of religion and mind should establish the bond of brotherhood, with the intention to fulfill by himself those conditions, without overtaxing the other with them, perchance his brothers will increase, for by so doing, his brotherhood will be for the Sake of Allah, otherwise, it will be for his own portions in this world.

For this reason, a man said to Al-Junaid: "The brothers have become rare at this time. Where is my brother for the Sake of Allah?" Al-Junaid refrained from answering him until he repeated the same question thrice, after which he said to him: "If you like a brother to carry your burdens and endure your harm, you could rarely find him; and if you like a brother for the Sake of Allah, provided that you should carry his burden and keep patient on his harm, there is a lot whom I recognize." On that the man kept silent.

It should be known that the men are of three kinds: a man with whose company you get benefit, and a man whom you are able to benefit, and you receive no harm from him, but you get no benefit from him, and a man whom you are able to benefit, but you receive harm from him, and this is the foolish or the man of bad manners. It is this third whom you should avoid. But you should not avoid the second, for in the hereafter, you will get benefit by his intercession and invocation, and by the reward you receive for carrying his burden. Allah Almighty revealed to Moses "Peace be upon him": "If you obey Me, how many your brothers are" i.e. to console them, endure their harm, and do not envy them. According to a pious man: "I've accompanied the people for fifty years, during which no dispute broke up between me and them, and this is due to the fact that I have always been with them against myself." if one has such attribute, his brothers (for the Sake of Allah) will be great in number.

To take it easy and leave ostentation implies no objection to the supererogatory deeds and acts of worship. A group of Sufis used to establish the bond of company among them on the condition that they should make equality between four things: if one of them kept eating the whole day, his companion would not ask him to fast; if he kept fasting perpetually, his companion would not ask him to leave fasting; if he kept sleeping the whole night, his companion would not ask him to (wake up to) pray; and if one of them kept praying the whole night, his companion would not ask him to sleep. Each of them remains the same in the sight of the other in all of his different states, with neither increase nor reduction. That's because the variation of treatment according to the different states might prompt one to show off and become reserved.

It is said in this issue: "He, with whom one leaves ostentation , his affection

towards him becomes permanent, and he, whose burden is light, the love for him becomes also permanent." According to one of the companions "Allah be pleased with him": "Allah Almighty cursed the ostentatious." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I and the pious among my nation are free (of responsibility) from the ostentatious." (This narration is reported by Ad-Daraqatni on the authority of Az-Zubair Ibn Al-Awwam).

According to another tradition: "If a man does four things in the house of his brother, his affability with him becomes perfect: if he eats in his house, enters the privy; offers prayer; and sleeps." When it is mentioned to one of the sheikhs, he said: "A fifth one remains, i.e. to attend in the company of his wife in the house of his brother, and have sexual relation with her." That's because the house is taken in order to do those five things in secret, otherwise, the mosques and places of worship are more spacious for the hearts of the worshippers. If one does those five things, the brotherhood becomes complete, and the veil of shyness is removed between the brothers, and the extroversion is confirmed. However, the Arabs statements of greeting and salutation are expressive of that matter. When one visits another, he says: "Welcome", in reference to the immensity of place, "you've come upon a family" in your service, and "your entertainment is easy upon us".

On the other hand, the facilitation and leaving ostentation are not perfect unless one places himself in a position inferior to his companions and brothers, and have good expectation from them, and evil faith in himself: if he sees them better than him, the reality is then that he is better than them. In this respect, Abu Mu'awiyah Al-Aswad said: "All of my brothers are better than me." When he was asked about the reason for that he said: "All of them ascribes superiority to me over himself, and the one who ascribes to me superiority over himself is indeed much better than me." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A man always imitate the way of his companion, and there is no good in the company of him, who does not see for you the same as you see for him." (This narration is reported by Ibn Adi on the authority of Anas).

This is the lowest degree, i.e. to regard yourself as equal to him. But it is out of perfection to see that your brother has superiority to you. For this reason, Sufyan said: "If anyone of you tells you that you are the worst of people, and you grow angry because of that, then, you should know that you are really the worst of people, for you should think so of yourself. This will be explained in detail in the Book of Haughtiness and Arrogance. But if one sees himself superior to his brother, this means that he scorns his brother- a thing that is dispraised among the Muslims. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It suffices a believer for evil to scorn his Muslim brother." (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah).

It is out of perfect extroversion and leaving ostentation to consult his brothers in all that he does and intends to do, and accept their advices. In

confirmation of that, Allah Almighty says: "and consult them in affairs (of moment)." (Al Imran 159)

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

He should not hide from them anything of his secrets. It is reported on the authority of Ya'qub, the nephew of Ma'ruf that he said: Al-Aswad Ibn Salim came to my paternal uncle Ma'ruf, and he had a bond of brotherhood with him, and said to him: "Bishr Ibn Al-Harith likes to establish a bond of brotherhood with you, and he feels shy of asking you face to face, and he sent me to ask you on his behalf, perchance you would hold a bond of brotherhood with him, for which he expects reward (from Allah). But he stipulates many conditions: he does not like to be famous for that brotherhood, and he does not like to exchange visits and meetings between you, for he dislikes meeting with others so much."

On that Ma'ruf said: "But as for me, if I establish a bond of brotherhood with anyone, I do not like to leave him night or day, and I also like to visit him most frequently, and I like to give him preference over myself in all the states." He made a mention of many traditions in the excellence of brotherhood and love for the Sake of Allah Almighty, and said: "the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" made a bond of brotherhood with Ali "Allah be pleased with him", and shared him in all things and even in knowledge." (This narration is reported by An-Nasa'i on the authority of Ali). He also divided the sacrificial camels between him and Ali (according to the narration of Muslim on the authority of Jabir). He gave Ali (the knife) and he slaughtered the remaining camels, and made him his partner in his sacrifices, and gave him in marriage the best of his daughters, and the dearest of them to his heart, and favoured him with that in view of the bond of brotherhood he established with him. Then Ma'ruf resumed: I make you witness that I've established a bond of brotherhood with him, just foot the Sake of Allah, through your intermediation, and asking me through you, on the condition that he should not visit me if he dislikes it, and I should visit him whenever I like it. ask him to meet me in places to be fixed for our gathering, and ask him not to hide anything of his affairs from me, and to brief me on all of his states." When Ibn Salim told Bishr about that, he accepted it with good pleasure.

Those are all rights of company, which we presented in brief and in detail. But they are not complete unless you become with your brothers against yourself and not the opposite, and to place yourself in the position of their servant, and restrict all of your organs with their rights upon you.

As for the sight, you should look at them with the eye of affection and love which they recognize from you, and see their good things, and overlook their defaults, and not to divert your sight away from them when they turn their faces to you, and talk with you. In this respect, it is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to give everyone of his sitters a portion of his face, and no one asked him to pay his

attention but that he thought he was the dearest of the people to him. This is the way his sitting, hearing, talk, gentle questioning and turning to his sitter were. His sitting was that of modesty, humbleness, honesty and trustworthy.. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to laugh and smile most at the face of his companions, and he used to show attention to their speech to him. In imitation of his conduct and respect for his person "Peace be upon him", the laughter of his companions was in the form of smile.

As far as hearing is concerned, it is that you should hear his speech pleasantly and attentively, showing trust in him, and joy at what he is telling you, and not to interrupt his speech by way of argumentation or disputation or objection. And if an event troubles you, you should apologize to him. You should also safeguard your ears from listening to what he dislikes.

In regard with the tongue, we've already mentioned its rights; and to speak about them here will take us to a very lengthy discussion. Among its rights is that he should not raise his voice against them, and to talk them with only what they could understand. In relation to his hands, he should not withdraw them from helping them do anything that might be done with hands. Concerning foot, he should walk therewith behind them like their follower, and not like the one who is followed by others. He should come ahead of them only as much as they bring him forward, and come close to them only as much as they bring him close to them. He should stand for them whenever they come, and sit only after they sit down. Wherever he sits, he should appear in a posture of humbleness.

But once the union is complete, the burden of those rights will become light upon him, like standing, apology, praise, for although they are among the rights of company, they imply a kind of foreignness and ostentation. But when the union is complete, the carpet of ostentation will be folded up. However, those external etiquettes are indicative of the internal etiquettes and purity of heart, and when the hearts become pure, there will be no need of showing ostentatiously what they have. He, who looks forward to the company of the people, he sometimes is crooked, and sometimes becomes straight, unlike him, who looks forward to the company of the Creator, in which he sticks to straightness outwardly and inwardly, adorning his inward with the love for Allah Almighty and His creatures, and his outward with worship of Allah Almighty and service of His creatures, which is the highest level of service to Allah Almighty, Whom one could not attain but through the good manners; and the servant might attain, by virtue of his good manners, the degree of him who stands (for prayer) and fasts.

Conclusion

Let's conclude this chapter with some etiquettes of companionship and sitting with different kinds of people, adapted from the speech of some wise men. If you seek the good companionship, meet both your friend and enemy with good pleasure, with neither humiliation nor awe from them, showing respect without

arrogance, humbleness without ignominy. In all of your matters, you should stick to moderateness, for both extremes are blameworthy. You should not look sideways so much, nor should you turn here and there most frequently, nor should you stand by the side of the gatherings; and if you sit down, do not be uneasy, and refrain from intertwining your fingers, playing with your beard and ring, or entering your nails in between your teeth, or getting your finger into your nostrils, or spitting so much, or pushing flies away from your face, or protracting your body or yawning in the face of the present people, or in the prayer.

Moreover, make quiet your sitting with the people and arrange your talk, and pay attention to the good words, without showing excessive exclamation, or asking him to repeat it once again. Furthermore, you should keep silent from what arouses laughter, and do not tell about your admiration for your child or slave-girl, nor for your poetry or any of your compositions (if you are a composer). You should not also be ostentatious in making up yourself in the same way as a woman does with herself, nor should you neglect yourself in the same way as a slave does. You should not apply much kohl to your eyes, or much oil to your hair.

Do not be persistent in asking for things, nor encourage anyone to commit wrongness. Do not tell your family and children about the superiority they might have over the others in so much as is equal to your property, for indeed, if they know it is little, surely, you would be inferior in their sight, and if they know it is much, of a surety, you would never attain their good pleasure. Frighten them without violence, and be lenient to them without weakness. Do not joke with your slave-girls or slave in front of them, lest you would lose the respect of others. If you quarrel you should maintain your respect, and have control over your ignorance, and avoid your swiftness, and consider your argument. Do not beckon so much with your hand, nor turn to what is behind you so much, nor kneel down on your knees.

Do not talk until your anger is over, and if the ruler draws you close to him, be with him like the spear's edge: if he goes on unrestrictedly with you, do not feel secure of his possible turning against you, and be kind to him in the same way as you are to a child, and talk to him with what he desires in so much as it leads to no sin, and let not his kindness and gentleness towards you lead you to intervene between him and his family, children and retinue, even if you are fit to do so, for indeed, the lapse of the one who intervenes between the ruler and his family is irretrievable, and his slip is unpardonable. Do not make your property more respectable in your sight than your honour.

If you enter a gathering, it is a part of its etiquette to begin with saluting the attendants, and not to step over those who have already taken their sitting places. Sit wherever it is spacious and roomy, and is more convenient to humbleness. Salute with peace anyone close to you when you sit down. Do not sit on the main way (of people), and if it is necessary for you to sit there, then, it is a part of its

etiquette to lower your sight, help the wronged, relieve the needy, aid the weak, guide the straying one, return salutation, give the beggar, enjoin good and forbid evil. You should not spit in the direction of the Qiblah, nor on your right side, but it is possible for you to spit on your left side and under your left foot.

Sit not with kings, and if it is necessary for you to do, it is a part of its etiquette to avoid backbiting, lying, to maintain the secret, make little your needs, refine your words, make expressive your speech, study the behaviours and morals of the kings, keep from joking, and beware so much of those (kings), no matter their kindness and affection might seem to you. Do not puff out in their presence, nor clean your teeth by getting something in between them after eating in their houses. The king himself has to endure all things, except divulging the secret, or slandering the way of ruling, and speaking about what is inviolable in his house.

Sit not with the laymen, and if it is necessary for you to do, its etiquette not to delve into their vain talks, not to pay attention to their false speeches, to fail to notice their foul words and statements. You should also make little your meetings with them, although you are in need of them. Beware of joking with an intelligent or unintelligent, for the intelligent shall have rancor against you, whereas the unintelligent shall dare to talk to you baldly, for joking breaks awe, removes respect, summons resentment, wastes the sweetness of love, puts the venerable jurisprudent to shame, makes bald the foolish, lower the position of the wise man, and sends the heart to death, and keeps one far away from the Lord Almighty, increase heedlessness and develops humiliation, and with it the defects become much and sins more evident.

If one in a gathering is exposed to joking or nonsense, let him celebrate Allah Almighty on his standing and leaving it. In this respect, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No one sits in a gathering in which he has much nonsense, and he says before his standing and leaving it: "Glory be to You O Allah, and with Your Praises (I exalt You): I bear testimony to the fact that there is no Allah (to be worshipped) but You, I ask for Your forgiveness and turn to You in repentance", but that He forgives for him such of evil as he done in his sitting." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Abu Hurairah).

CHAPTER THREE:

ON RIGHTS OF MUSLIM, KINSHIP TIES, NEIGHBOURHOOD, AND WHAT RIGHT HAND POSSESSES; AND THE WAY OF COMPANY

It should be known that man has to live either alone or with others; and as it is difficult upon him but to live with others, then, it is incumbent upon him to learn the etiquette of mixing with the people. The etiquette of mixing is determined by one's relation and position from him with whom he mixes. Such relation might be kinship, and it is the most private, or the bond of brotherhood of Islam, and it is the most common, and it includes friendship and

companionship. The relation of mixing also might be the neighbourhood or the company in journey, the work, the school. For each of those, there are certain degrees.

For instance, although the tie of kinship has a right, the right of the kinship of prohibited consanguinity is more confirmed, as well as the right of the parents is more established than the latter. The right of the neighbour differs with the difference of his nearness or remoteness. Similarly, the right of the Muslim is confirmed with the establishment of the extent of recognition; and there are different degrees of recognition: the right of him who is recognized by vision is not like, if not more confirmed than that of him who is recognized only by hearing; and of a surety, recognition is confirmed by mixing. The same is true of the degrees of company: the right of the company in work and school is more confirmed that the right of company in journey. Friendship also is of different degrees, and when it becomes strong, it turns into brotherhood, and if it increases more, it becomes loving, and if it increases much more, it becomes intimacy; and to be sure, the intimate friend is closer than the beloved, because love attracts the feeling of the heart, whereas intimacy penetrates into the inside of the heart. In this way, every intimate friend is a beloved, with no reverse. The difference of the degrees of friendship is not hidden, on the basis of experience and vision.

The intimacy is higher than brotherhood means that the state of the intimate is more complete than that of brotherhood. This is clearly shown from the narration in which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Were I to take a bosom friend, surely, I would have taken Abu Bakr as my bosom friend, but your companion (the Prophet) is the bosom friend of Allah." (This narration is reported by both Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri).

The intimate of bosom friend then is him, whom the love penetrates all parts of his heart inwardly and outwardly. The heart of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did not have room but for the love of Allah Almighty, and the intimacy prevented him from having anyone amongst the humankind share in it, despite the fact that he took Ali "Allah be pleased with him" as a brother (in the religion of Allah). He "Allah's blessing and peace be upon him" stated : "Ali has from me the same position as Harun had from Moses, except that there is no Prophethood." (This narration is reported by both Al-Bukhari and Muslim on the authority of Sa'd Ibn Abu Waqqas). As well as he rejected the Prophethood in regard to Ali, he also rejected intimacy in regard to Abu Bakr "Allah be pleased with them". Although both shared in their brotherhood (to the Messenger of Allah), Abu Bakr surpassed him with his approaching intimacy if the Prophet were to take a bosom friend from amongst the humankind.

However, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was the bosom friend and the beloved of Allah Almighty. In this respect, it is narrated that one day, he ascended the pulpit in the state of joy and happiness

and said: "No doubt, Allah Almighty has taken me for bosom friend, as He had taken Abraham for bosom friend. In this way, I'm the beloved of Allah, as well as I'm the bosom friend of Allah Almighty." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Abu Umamah). Thus, there is no bond to be established before recognition, as well as there is no degree higher than the intimacy, and there are degrees between both extremes.

We have already mentioned the right of company and brotherhood, and intimacy and loving are included in both. The degrees of rights differ with the difference of the levels of love and brotherhood, and the end of it result in giving preference to one's brother and beloved over himself with his soul and property, the same as did Abu Bakr "Allah be pleased with him", when he favoured the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" with his property and soul, and Talhah with his body when he made it a defensive shield to protect him.

Now, we are going to make a mention of the right of the brotherhood in Islam, the right of kinship ties, and right of one's parents, the right of neighbourhood, and the right of anyone in one's possession, i.e. those whom the right hand possesses (of male and female slaves). We've already mentioned the rights of those under one's guardianship by way of marriage in the book of the etiquette of marriage.

Rights Of A Muslim

They are to greet him with peace whenever you meet him, accept his invitation whenever he invites you, say to him "May Allah have mercy upon you" whenever he sneezes and says: "Praise be to Allah", to visit him and inquire about his health whenever he falls ill, to attend his funeral procession whenever he dies, to fulfill his oath whenever he takes an oath that you should do something, to give him advice whenever he asks for your advice, to guard him in his absence whenever he is absent from you, to love for him the same as you love for yourself, and to dislike for him the same as you dislike for yourself. (This is adapted from a narration reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Hurairah).

All of those items are reported in many Prophetic traditions and sayings. It is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Four rights are due upon you to the Muslims: to help the doer of good among them, to ask for the forgiveness of Allah for the sinful among them, to invoke (Allah to guide) the one who turns his back (to the truth) among them, and to love him who turns to Allah in repentance among them."

According to Ibn Abbas "Allah be pleased with both" in his comment on the statement of Allah: "(but) compassionate amongst each other" (Al-Fath 29)

﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۝ ﴾

"It is that the good among them should invoke (Allah to guide) the evil among them and the evil among them should invoke good upon the good among them. If the evil sees the good one among the nation of Muhammad the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" he says: "O Allah! Bless him in the good that You have assigned to him, and make him firm on it, and cause it to be of benefit to us", and if the good sees the evil, he says: "O Allah! Guide him, and turn in repentance to him, and forgive his slip for him."

One of those rights is to love for the faithful believers the same as he loves for himself, and dislikes for them the same as he dislikes for himself. In this context, it is narrated on the authority of An-Nu'man Ibn Bashir "Allah be pleased with him" that he said: I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" having aid: "The similitude of the faithful believers in their mutual affection and mercy is like the one body: when a part of it falls ill, the remaining parts invite each other to share fever and insomnia with him." (This narration is reported by both Al-Bukhari and Muslim). It is further narrated on the authority of Abu Musa "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The believer in his relation to the other believer is like the building, whose parts strength each other." (This narration is reported by both Al-Bukhari and Muslim).

One of them is to cause no harm to any Muslim, whether by word or deed. In this respect, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The Muslim is him, from (the evil of) whose tongue and hand the Muslims become safe." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abdullah Ibn Amr). In a long narration in which he ordered people to adhere to good deeds, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If you could not do, then, at least, let the people be safe from your evil, for it will be an object of charity you've given to yourself." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Dharr).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The best of Muslims is him, from (the evil of) his tongue and hand the Muslims are safe." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Musa). In another narration, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Do you know who the Muslim is?" they said: "Allah and His Messenger know best." On that he said: "The Muslim is him, from whose tongue and hand the Muslims are safe." They asked him: "Then, who is the believer?" he said: "It is him, with whom the believers feel safe concerning their own souls and property." They further asked: "Who is the Emigrant?" he said: "It is he, who emigrates and forsakes evil." (This narration is reported by At-Tabarani and Al-Hakim on the authority of Fadalah Ibn Ubaidah; and Ahmad on the authority of Amr Ibn Abasah).

A man asked the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying: "O Messenger of Allah! What is Islam?" he said: "It is to submit your heart to Allah Almighty, and cause the Muslims to feel safe from (the evil of) your tongue and hand." According to Mujahid: "Mange will afflict the denizens of the fire (of Hell), and each of them will start itching his skin until his bone appear, thereupon he will be asked: "O so and so! Does that harm you?" he will answer in the affirmative, thereupon it will be said: "This is (the requital of) the harm you used to cause to the believers (in the world)."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I saw a man turning (out of pain) in the Garden because of a tree he cut off (in the world) which caused harm to the Muslims." (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah). It is further narrated on the authority of Abu Hurairah "may Allah be pleased with him" that he said: I said: "O Messenger of Allah! Teach me a thing to get benefit from." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Remove the harmful things from the way of Muslims." (This narration is reported by Muslim).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "He, who removes from the way of Muslims anything that might cause harm to them, Allah Almighty writes a good deed to him for it, and Allah assures the Garden to him to whom he writes a good deed." (This narration is reported by Ahmad on the authority of Abu Ad-Darda'). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "It is not lawful for a Muslim to look at his Muslim brother in such a way as causes harm to him, and it is not lawful for a Muslim to frighten another Muslim." (This narration is reported by Ibn Al-Mubarak on the authority of Hamzah Ibn Ubaid).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, Allah Almighty dislikes that a harm should be caused to the faithful believers." (This narration is reported by Ibn Al-Mubarak on the authority of Ikrimah Ibn Khalid). According to Ar-Rabie Ibn Khaithamah: "The people are of two kinds: a faithful believer whom you should cause no harm, and an ignorant whom you should not deal with ignorantly."

Among those rights is that he has to humble himself to every Muslim, and not to behave arrogantly towards him, for Allah Almighty never likes those who are haughty and arrogant. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, Allah Almighty revealed to me that you should humble yourselves to each other and not behave arrogantly towards each other." (This narration is reported by Abu Dawud and Ibn Majah on the authority of Iyad Ibn Jumaz). If one behaves arrogantly against him, he should patiently endure it. Allah Almighty addresses His Prophet the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying: "Hold to forgiveness; command what is right; but turn away from the ignorant." (Al-A'raf 199)

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾

It is narrated on the authority of Ibn Abu Awfa "may Allah be pleased with him" that he said: "The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to humble himself to every Muslim, and he never disdained to walk in the company of a widow or an indigent needy person, and fulfill his need." (This narration is reported by An-Nasa'i and Al-Hakim).

One of those rights also is hat he should not give his ear to the reports of the people against each other, nor should he report what he hears against the others. In this respect, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No talebearer should be admitted to the Garden." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Ayyub). According to Al-Khalil Ibn Ahmad: "He, who tells you evil about anyone should inevitably tell the others evil about you; and he, who tells you about anyone should inevitably tell others about you."

One of them also is that he should not exceed the three-day limit of desertion to whomever he recognizes, no matter how angry he is with him. It is reported on the authority of Abu Ayyub Al-Ansari "may Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It is not lawful for a Muslim to desert his Muslim brother over three days: both meet, and each of them turns away from the other, although the better is he who takes the initiative to salute his brother with peace." (This narration is reported by both Al-Bukhari and Muslim). It is narrated on the authority of Abu Hurairah that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who relieves a Muslim of (the burden of) a transaction (by accepting to cancel it at his request), Allah will relieve him of his difficulty on the Day of Judgement." (This narration is reported by Abu Dawud).

According to Ikrimah: Allah Almighty said to Yusuf (the Prophet) son of Ya'qub: "By forgiving your brothers, you have raised your mention in both the world and the hereafter." It is narrated that A'ishah "Allah be pleased with her" that he said: "Never did the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" revenge (on anyone) for his own sake, unless the sacred ordinances of Allah were violated, thereupon he would revenge for the Sake of Allah Almighty." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim). According to Ibn Abbas : "No man excuses a grievance but that therewith Allah increases him in power and honour." Abu Hurairah "Allah be pleased with him" reported: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "(Giving in) charity, in no way, decreases the wealth. No servant forgives (others), but that Allah adds to his respect, and no one shows modesty for the sake of Allah, but that Allah elevates him (in the sight of the people)." (This narration is reported by Muslim).

Those rights include also that one should do good to whomever among them

he could do good to, as much as is within his capacity, making no distinction between his family and those who do not belong to his family. It is narrated on the authority of Ali Ibn Al-Hussain from his father from his grandfather that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Do the favour to those who are as well as those who are not fitting for it: if you do it to those who are fitting for it, they then are fitting for it, and if you fail to give it to those who are fitting for it, then, then, you are one of those who are fitting for it." (This narration is reported by Ad-Daraqatni and Al-Quda'i).

It is further narrated on the same authority that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The best and highest thing of mind after religion is to have affection for the people and do favour to everyone, be he pious or wicked." (This narration is reported by At-Tabarani, Al-Khatabi and Abu Na'im). It is narrated by Abu Hurairah that he said: Never did anyone take hold of the hand of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" but that he (the Prophet) would not withdraw it until the man (who took hold of it) would release it first, and you never could see his knee more prominent than that of his sitter, and none spoke to him but that he would turn his face to him, and he would not turn away from him until he finished from his speech. (This narration is reported by At-Tabarani; and Abu Dawud, At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Anas).

One of those rights is that he should not enter upon anyone of them without seeking his permission. He should seek permission thrice, and if he is not admitted, he should leave. It is narrated on the authority of Abu Hurairah that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Permission should be sought thrice: the first is to keep silent, the second is to get ready, and the third is either to admit or to return him." (This narration is reported by Ad-Daraqatni). According to the narration of both Sahihs on the authority of Abu Musa: "Permission should be sought thrice: if you are given permission (you might enter), otherwise, you should return."

One of them also is that he should deal with all kindly and respectfully according to his own good manners. If he likes to face the ignorant with knowledge, the unlettered with jurisprudence, the aphasia-afflicted with eloquence, he will cause harm to, and receive harm from them.

One of those is to show respect for the old man and have mercy upon the young, in compliance with the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" on the authority of Jabir "Allah be pleased with him": "Let him not belong to us, who does neither show respect for the old among us, nor have mercy upon the young among us." (This narration is reported by At-Tabarani; and Abu Dawud and Al-Bukhari in his Adab on the authority of Abdullah Ibn Amr). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It is out of exalting Allah Almighty to respect the hoary-headed Muslim (i.e. the old man)."(This narration is reported by Abu Dawud on the authority of Abu Musa).

It is out of showing reverence to the old men not to speak in front of them without their permission. In this respect, it is narrated on the authority of Jabir that he said: The delegate of Juhainah came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and when a young man stood to speak the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Keep quiet! Where is the old one among you?" (This narration is reported by Al-Hakim). According to a certain tradition: "No young man shows respect for an old person but that Allah Almighty assigns somebody to show respect for him when he becomes old like him (whom he shows respect for)." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Anas). This is a glad tidings of a long life to which one should pay his attention, i.e. none is helped to show respect for the old men but him, to whom Allah Almighty has doomed a long life.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The Hour (of the Day of Judgement) will not be established until the child will be raging, rain will fall short, the wicked people will increase in abundance, the generous and honoured will decrease in number, and the young will dare to talk impolitely to the old, and the wicked to the honoured." (This narration is reported by Al-Khara'iti on the authority of A'ishah; and At-Tabarani on the authority of Ibn Mas'ud).

It was the habit of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" to be kind to the children. (This narration is reported by Al-Bazzar on the authority of Anas). It was the habit of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that whenever he came back from a journey, the children would receive him, and he would stop and order that they should be raised up to him, and they would be raised in front of him, on his back, and he used to order his companions to carry some of them. (This narration is reported by Muslim on the authority of Abdullah Ibn Ja'far).

According to both Sahihs, Abdullah Ibn Ja'far said to Abdullah Ibn Az-Zubair: "Do you remember one day when I, you and Ibn Abbas received the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"?" he said: "Yes, and he carried me and Ibn Abbas, and left you." (This narration is reported by Muslim). According to the narration of Al-Bukhari, Abdullah Ibn Az-Zubair said to him: "Allah knows best." Afterwards the young men vied in pride over one another, saying to each other: "the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" made me ride in front of him, whereupon he carried you on his behind." Or: "He commanded his companions to make you ride on their behind."

Young babis were brought to him in order to invoke blessing upon them, and give them names, and chew dates and put the juice into their mouths. Sometimes, he took a babe and placed him in his lap, and then the babe urinated on him, and when those who were present at that time cried at the babe, he quietened them,

and asked them not to cause the babe to detain his urine. But rather he left him until he finished from urination, and then he invoked good upon him and named him. He smiled in the face of the babe's family in order to show that he did not receive harm from that urine, and after they went away, he called for water and washed his garment. (This narration is reported by Muslim on the authority of A'ishah).

Among those rights is that he should be joyful, cheerful and gentle in the face of all the creatures. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Do you know whom the fire (of Hell) will be prohibited from?" they said: "Allah and His Messenger know best." He said: "From the lenient, easy, tractable and easy (with the people)." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Ibn Mas'ud). Abu Hurairah "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah Almighty loves the lenient cheerful person." (This narration is reported by Al-Baihaqi). It is narrated that one said to the: "O Messenger of Allah! Guide me to a deed to admit me to the Garden." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "What makes forgiveness incumbent (upon Allah) is to salute with peace (whomever you meet), and speak good with others." (This narration is reported by Ibn Abu Shaibah, Al-Khara'iti, At-Tabarani, and Al-Baihaqi on the authority of Hani' Ibn Yazid).

According to Ibn Umar "Allah be pleased with both": "How easy is to be dutiful: to have a cheerful countenance, and pleasant words." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Safeguard yourselves from the fire (of Hell) even with half a date, and if you could not find it, then, with a good pleasant word." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of Adi Ibn Hatim). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "In the Garden, there are mansions, (so much transparent and pure that) their backs are visible through their insides, and insides through their backs." A Bedouin said: "Whose will those mansions be O Messenger of Allah?" he said: "They will be to him who makes good and pleasant his words, serves (people) with food, and performs (supererogatory) prayer at night while the people are asleep." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Ali).

Mu'adh Ibn Jabal "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to me: "I advise you to safeguard yourself (from the punishment of) Allah, to be true in your speech, to fulfill your pledge, to give back the trust that is with you, to leave treachery, to take care of your neighbour, to have mercy upon the orphan, to talk with good and pleasant words, to salute with peace (whomever you meet), and to lower your wing (be humble in your dealing with others)." (This narration is reported by Al-Khara'iti, Abu Na'im and Al-Baihaqi). According to Anas "Allah be pleased with him": A woman appeared to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "I have some need with you." He was with his companions. He

said to her: "Sit in any side of the street as you like so that I would sit with you (to fulfill to you your need)." She did accordingly, and he sat with her until she fulfilled her need. (This narration is reported by Muslim).

It is reported on the authority of Wahb Ibn Munabbih that he said: A man from the early nations kept fasting for seventy years, and he broke his fasting for seven day each. He asked Allah Almighty to show to him how Satan tempts the people. When a long time passed with no answer to his question, he said (to himself): "Were I to learn my sin between me and my Lord, it would be better for me than that which I asked for." Allah Almighty sent an angel to him, and the angel said to him: "Allah Almighty says to you that those words you have uttered are dearer to Me than your previous worship entirely, and Allah Almighty has opened your sight for you to see." He cast a glance and behold! The soldiers of Satan are surrounding the earth, and there is none from amongst humankind but that Satans are round him like wolves. He asked: "O Lord! Who could be saved from those?" he said: "The pious lenient."

One of those rights is to fulfill your promise: one should not give a promise to a Muslim but that he should fulfill it. In this respect, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The promise is like a gift." (This narration is reported by Tabarani on the authority of Thabath Ibn Ashyab). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The promise is like a debt (which should be fulfilled)." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of both Ali and Ibn Mas'ud).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Three are the characteristics of the hypocrite: when he speaks, he tells lies, when he promises, he breaks his promise, and when he is entrusted, he proves treacherous." (This narration is reported by both Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "There are three (signs), and they are characteristic of a hypocrite, even if he performs prayers and observes fasts." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Hurairah).

One of those rights is to take the right of the people from himself, and give them only what he likes to be given by them. In this respect, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A servant shall not complete his faith until he has three characteristics: to spend without tightfistedness, to take the right of others even from himself, and to salute with peace (whomever he meets)." (This narration is reported by Al-Khara'iti on the authority of Ammar Ibn Yasir). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who is pleased to be moved away from the fire (of Hell), and admitted to the Garden, let his death approach him while he

bears testimony to the fact that there is none worthy of worship except Allah, and that Muhammad is the Messenger of Allah, and give the people just the same as he likes to be given by them." (This narration is reported by Muslim and Al-Khara'iti on the authority of Abdullah Ibn Amr Ibn Al-Ass).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "O Abu Ad-Darda'! be a good neighbour to your neighbour perchance you would be a good believer, and love for the people the same as you love for yourself perchance you would be a good Muslim." (This narration is reported by Al-Khara'iti). According to Al-Hassan: "Allah Almighty revealed to Adam to stick to four characteristics, and told him that they combine the whole matter (of good manners and morality) for you and your offspring: one for Me, one for you, one to be between you and Me, and one to be between you and the people. The one that is for me is that you should worship Me Alone, and associate none with Me in worship. That which is for you is your deed, for which I reward you, and your need for it is the direst. That which is between you and Me is that you invoke Me Alone, and I answer your invocation. That which is between you and the people is to accompany them in the same way as you like them to accompany you." Moses "Peace be upon him" asked Allah Almighty saying: "O Lord! Which of Your servants is the justest?" He Almighty said: "He, who takes from himself the rights of the people."

Those rights include also that he should show more respect to him whose appearance and clothes indicate his high position and rank. In this way, he deals with the people according to their positions. It is narrated that A'ishah "Allah be pleased with her" was on journey when she ascended at a resting place, and she started having her meal when a beggar came upon her, thereupon she said: "Give him a loaf of bread." Then, a rider came upon her, and she asked (those who were with her) to invite him to food. It was said to her: "Do you give that indigent (only a loaf), and invite that rich to your meal?" on that she said: "Allah Almighty has placed the people in particular position, according to which we should deal with them. This indigent accepts that loaf, and it is improper for us to give the same to that rich of such an appearance."

It is narrated that once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" entered one of his houses, and his companions entered upon him until the gathering was crowded with people. At the same time, Jarir Ibn Abdullah Al-Muzani "Allah be pleased with him" came and found no place for him to sit, thereupon he sat at the threshold of the door. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" folded his garment and threw it to him and said to him: "Sit on that garment." Jarir took it and placed it on his face, and went on kissing it and weeping. Then, he folded it and threw it back to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "It is not befitting for me to sit on your garment. Might Allah honour you in the same way as you have honoured me." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" looked right and left and then said: "If a person honoured by his

people comes to you, you should honour him (as he is honoured by his people)." (This narration is reported by Al-Hakim on the authority of Jabir).

One should also honour him who has early right upon him. In this respect, it is narrated that the foster-mother of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" who suckled him came to him, and he spread his garment to her and said to her: "Welcome to you O my mother!" he made her sit on the garment and said to her: "Intercede, so that your intercession will be accepted, and ask for anything, so that you will be given." She said: "I (intercede for) my people." On that he said: "As for my right and the right of the offspring of Hashim, it is for you." The people stood from every side and said: "And also our rights (are for you) O Messenger of Allah." Afterwards, he kept kinship ties with her, and gave her a servant, and his shares from the booty of Hunain. (This narration is reported by Abu Dawud and Al-Hakim on the authority of Abu At-Tufail).

It happened that somebody came to him while he was sitting on a cushion, which had no place for the comer to sit beside him, thereupon he took it off and placed it underneath his sitter to sit on it, and whenever he rejected, he would insist decisively until he would do. (This narration is reported by Ahmad on the authority of Abdullah Ibn Amr; and At-Tabarani on the authority of Salman).

Those rights include that one should make peace between the disputing Muslims as possible as it could be. It is narrated on the authority of Abu Hurairah that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Should I not tell you of a deed, higher in degree than that of fasting, offering (supererogatory) prayer and giving in charity?" they said: "Yes (tell us) O Messenger of Allah." He said: "It is to mend the affairs of the people (or to make peace between the foes), since it is the mischief of the people's affairs that obliterates the religion." (This narration is reported by Abu Dawud and At-Tirmidhi).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The best object of charity is to make peace between the people." (This narration is reported by At-Tabarani and Al-Khara'iti on the authority of Abdullah Ibn Amr). It is further narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: While the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was sitting when he laughed until his teeth became visible. Umar "Allah be pleased with him" said: "O Messenger of Allah! Let my father and mother be sacrificed for you! What has caused you to laugh?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Two men of my nation are kneeling in front of (Allah) the Lord of Power and Honour, and one of them said: "O my Lord! Take back to me (my right) from that man in which he wronged me." .Allah Almighty said: "Give back to your brother (his right) in which you wronged him." He said: "O Lord! Nothing of my good deeds remains (with me to give him)." Allah Almighty said to the petitioner: "What are you

going to do with your brother, given that nothing of his deeds remains with him?" he said: "O Lord! Let him bear some of my sins." Then, the eyes of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" overflowed with tears and said: "This is a terrible day, on which the people will be in need of the others bearing from their sins." Allah Almighty will say to the petitioner: "Raise up your sight and look in the gardens!" he will say: "O Lord! I see towns and cities of silver and palaces of gold adorned with pearl: whose are those? For which Prophet, sincere lover of truth or martyr are those?" Allah Almighty will say: "This is for him who affords it." He will ask: "O Lord! Who could have it?" Allah Almighty will say: "You have it." He will say: "By which thing O Lord?" he will say: "By forgiving your brother." He will say: "O Lord! I've forgiven him." Allah Almighty will say: "Then, take hold of the hand of your brother and admit him to the Garden." Then, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Fear Allah, and make peace between yourselves, for Allah the Almighty will make peace between the (disputing) believers on the Day of Judgement." (This narration is reported by Al-Khara'iti and Al-Hakim).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Not a liar is he, who, while making peace between two (disputing) people, says good (even if it is not so)." (This narration is reported by both Al-Bukhari and Muslim on the authority of Umm Kulthum Bint Uqbah Ibn Abu Mu'ait). This shows how obligatory is to make peace between people, for to leave telling lies is obligatory, and an obligatory deed should not lapse except for another obligatory deed that is more confirmed. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "All kinds of telling lies are written (as sins and mistakes), except in case man lies in war." (This narration is reported by Al-Khara'iti on the authority of An-Nawwas Ibn Sam'an). Of a surety, war is a guile. Man also might tell a lie in order to make peace between two foes, or tell his wife a lie in order to please her.

One of those rights also is to screen the defects of all the Muslims. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who screens (the defect of) a Muslim, Allah Almighty screens (his sins) in both the world and the hereafter." (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "No servant screens (the defects of) a servant but that Allah Almighty screens (his sins) on the Day of Judgement." (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah). It is narrated on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No one sees the defect of his believing brother which he screens but that he will enter the Garden." (This narration is reported by At-Tabarani and Al-Khara'iti).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Ma'iz when he told him: "Had you screened it with your garment, it would have been better for you." (This narration is reported by Abu Dawud and An-Nasa'i

on the authority of Na'im Ibn Huzal; and Al-Hakim on the authority of Huzal himself). It is then incumbent upon a Muslim to screen his own defect, for it is incumbent upon him to observe the right of his faith in Islam in the same way as he observes the rights of others in terms of their faith in Islam. According to Abu Bakr "Allah be pleased with him": "If I find a drunk, I like that Allah Almighty screens him; and if I find a thief, I like that Allah Almighty screens him."

It is reported that one night, Umar "Allah be pleased with him" was making a tour in Medina when he saw a man and a woman committing adultery, and in the morning he said to the people: "Tell me: if an imam sees a man and a woman committing adultery and then he executes the legal punishment upon them for it: what are you going to do with him?" they said: "You are the imam (i.e. the ruler and it is up to you to do so)." Ali "Allah be pleased with him" said: "It is not up to you, lest the legal punishment (of launching charge against Muslims) would be executed upon you. Allah Almighty has entrusted this matter to no more than four witnesses." He left them as long as Allah willed him to leave them, and then he asked them the same question, and they gave the same answer, and Ali also insisted on his opinion.

This shows to what extent Umar "Allah be pleased with him" was hesitant as to whether it is up to the guardian to decide the legal punishments prescribed for violating the limits of Allah only depending upon his own knowledge. For this reason, he discussed the matter with them, for fear it was not up to him to do so, and thus he would be a launcher of false charge. Ali was of the opinion hat it was not up to him to do so. This is a great evidence for the fact that the Sharia enjoins upon the people to screen the evildoing, the most shameful of which is adultery, which is entrusted to four just witnesses to confirm that the male organ has entered into the female organ in the same way as the feather enters into the kohl pot; and this is impossible. Furthermore, even if the judge himself knows it with verification and certainty, it is not up to him to disclose it.

Consider here the wisdom that lies behind averting adultery by prescribing the legal punishment of stoning to death, and it is the most grievous punishment. Consider, at the same time, how Allah Almighty intensely screens the sins of the disobedient among His servants, by making narrow the way of disclosing it. Would that be we should not be forbidden that bountiful generosity on the day when secrets will be put on trial. According to the following Hadith : "Verily, if Allah screens the defect of a slave in this world, He will be too generous to disclose it in the hereafter; and if He discloses it in this world, He will be too generous to disclose it once again in the hereafter." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Al-Hakim on the authority of Ali).

It is narrated on the authority of Abd Ar-Rahman Ibn Awf "Allah be pleased with him" that he said: While I was walking in the company of Umar "Allah be pleased with him" in Medina, behold! A lamp appeared to us, and we rushed towards it, and when we approached it behold! It was (a house with its) door

closed on a people producing sounds and clamor. Umar took hold of my hand and said to me: "Do you know whose this house is?" I answered in the negative, thereupon he said: "This is the house of Rabie'ah Ibn Umayyah Ibn Khalaf, and they now are drinking wine: what do you see?" I said: "I see that we've done what Allah Almighty forbade us to do. Indeed, Allah Almighty says: "And spy not on each other." (Al-Hujurat 12)

﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾

Umar "Allah be pleased with him" then returned and left them. This shows that it is obligatory to screen and not pursue (the defects and defaults of others).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Mu'awiyah: "If you pursue the defects of the people, you would corrupt or at least you would be about to corrupt them." (This narration is reported by Abu Dawud on the authority of Mu'awiyah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "O assembly of those who believe only with their tongues, although true faith has not yet entered their hearts! Backbite not the Muslims, nor pursue their defects, for indeed, whoever pursues the defects of his Muslim brother, Allah pursues his defects, and whomever Allah pursues his defects, He Almighty divulges him even if he is inside his home." (This narration is reported by Abu Dawud on the authority of Abu Barzah).

According to Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him": "If I see anyone having violated one of the limits ordained by Allah Almighty, I would not take him, nor invite anyone to take him unless there is somebody else with me." It is narrated that someone said: I was sitting in the company of Abdullah Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" when a man brought another and said to him: "This is a drunk." He said: "Detect him." They detected him and found him drunk." He detained him until the influence of intoxication was over. He asked for a whip and broke its end and said to the executor: "Lash him, and raise your hand, and give every organ of his body its due right." He lashed him while there was a sheet over his body. When he finished he said to the one who brought him: "What is your relation to him?" he said: "I'm his paternal uncle." On hat he said: "You have not disciplined him well, nor have you screened the unlawful. It is incumbent upon the imam to execute the legal punishment once its news reaches him. Verily, Allah forgives again and again, and He likes the one who forgives." Then, he recited: "let them forgive and overlook: do you not wish that Allah should forgive you? For Allah is Oft-Forgiving, Most Merciful." (An-Nur 22)

﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

He resumed: I remember the first one who was brought to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and he had committed theft, thereupon he cut off his hand, and then he seemed as if ash covered his face (out of grief). It was said to him: "O Messenger of Allah! You seem to have disliked

cutting off his hand." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Why not? Be not in the aid of Satans against your brothers." They asked: "Why have you not excused him?" he said: "It is incumbent upon the ruler to execute the legal punishment once the news of violating one of the limits ordained by Allah. Verily, Allah forgives again and again, and He likes the one who forgives." Then, he recited: "let them forgive and overlook: do you not wish that Allah should forgive you? For Allah is Oft-Forgiving, Most Merciful." (An-Nur 22)

﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

(This narration is reported by Al-Hakim and Al-Khara'iti).

It is reported that Umar "Allah be pleased with him" was in a night tour across Medina, when he heard the voice of singing inside the house of a man, and he intruded the house through the fence and found a woman sitting with him, and there was wine. He said to him: "O enemy of Allah! Do you think that Allah will screen you while you are disobeying Him?" he said: "Do not be hasty O Commander of Believers! If I have disobeyed Allah once, you have disobeyed Allah thrice. Allah Almighty says: "And spy not on each other" (Al-Hujurat 12)

﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾

And you have spied on me; and Allah Almighty says: "It is no virtue if you enter your houses from the back" (Al-Baqarah 189), and you have entered through the fence; and Allah Almighty says: "O you who believe! enter not houses other than your own, until you have asked permission and saluted those in them: that is best for you, in order that you may heed (what is seemly)" (An-Nur 27)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

And you have entered my house with no permission nor salutation." Umar said to him: "Do you have any good if I excuse you?" he said: "Yes by Allah, O Commander of Believers: if you excuse me, I will never return to the like of that." He excused him, and came out and left him.

Safwan Ibn Muhriz reported that a person said to Ibn Umar "Allah be pleased with both": How did you hear The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" as saying something about intimate conversation? He said: I heard him say: A believer will be brought to his Lord "Exalted and Glorified be He" on the Day of Resurrection and He would place upon him His veil (of Light) and make him confess his faults and say: Do you recognize (your faults)? He

would say: My Lord, I do recognize (them). He (the Lord) would say: I concealed them for you in the world. And today I forgive them. And he would then be given the Book containing (the account of his) good deeds. And so far as the non-believers and hypocrites are concerned, there would be general announcement about them before all creation telling them that these (people, i.e. non-believers and hypocrites) told a lie about Allah. (This narration is reported by both Al-Bukhari and Muslim).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "All of my nation will be excused except those who do sins openly and publicly." (This narration is reported by both Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Hurairah). It is out of doing sins publicly to commit a sin in secret, and then tell about it. Ibn Abbas "Allah be pleased with both" narrated: The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If somebody listens to the talk of some people who do not desire him to listen or they run away from him, then molten lead will be poured into his ears on the Day of Judgement." (This narration is reported by Al-Bukhari).

One of those rights also is hat he should safeguard himself from the places that cause the people to fasten an accusation on him, in order to keep the hearts of the people from evil suspicion and doubt, and their tongues from evil talk. If they disobey Allah Almighty by mentioning him with evil, and it is he who has caused them to do so, he will become a partner in it. Allah Almighty says in this respect: "Revile not you those whom they call upon besides Allah, lest they out of spite revile Allah in their ignorance. Thus have We made alluring to each people its own doings. In the end will they return to their Lord, and we shall then tell them the truth of all that they did." (Al-An'am 108)

﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "What do you think about him who insults his parents?" they said: "Is there anyone who insults his parents?" he said: "When one insults the parents of another, who, in turn, insults his parents." (This narration is reported by both Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abdullah Ibn Amr). Anas "Allah be pleased with him" reported that once, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was in the company of one of his wives, when a man passed by them. He called him, and when he came, he said to him: "O so and so! She is my wife, so and so." He said: "O The Messenger of Allah! If I were to have a doubt (about anyone), I would never have had any doubt about you." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily Satan circulates in the human being just as blood circulates in the body." (This narration is reported by Muslim).

Ali Ibn Al-Hussain narrated from Safiyyah Bint Huyai: while the Prophet

"Allah's blessing and peace be upon him" was in (the mosque for) I'tikaf, I (Safiyyah Bint Huyai) came to visit him at night. When I intended to return home, he stood up in order to accompany me. Her dwelling place was in the house of Usamah Ibn Zaid. Meanwhile, two Ansari men happened to pass by, and when they saw The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" (in the company of his wife), they went quickly. The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said to them: "Come here. She is (my wife) Safiyyah Bint Huyai." They replied: "Glory be to Allah! (How dare we think of evil) O Allah's Apostle! "The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" replied: "Satan circulates in the human being as blood circulates in the body, and I was afraid lest Satan might put an evil thought (or thing) in your minds." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim).

According to Umar "Allah be pleased with him": "He, who puts himself in the place of accusation, he should not blame him, who has evil suspicion about him." Once, he passed by a man who was talking to a woman in the main street, thereupon he beat him with the stick. The man said to him: "O Commander of Believers! She is my wife." On that he said to him: "Why are you not talking to her where none could see you (i.e. in your house)?"

Those rights also include that one should use his good offices for such of Muslims as has a need with anyone in whose sight he has a good position. He should endeavour to fulfill his need as much as is within his capacity. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The people come to me and ask me and demand their needs from me while you are present with me. So, intercede (for your brothers) perchance you will be rewarded for that, and Allah Almighty decrees what He likes as the hands of His Prophet." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Musa). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Intercede with me, so that you would be rewarded. I sometimes like to do a matter, and delay it to give you opportunity to use your good offices, perchance you would be rewarded for it."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There is no object of charity better than the charity of the tongue." It was said: "How is hat?" he said: "It is the intercession, therewith bloodshed is retained, the benefit is drawn upon some, and harm is averted from some." (This narration is reported by Al-Khara'iti on the authority of Samurah Ibn Jundub). It is narrated on the authority of Ikrimah from Ibn Abbas "Allah be pleased with him" that he said: Barirah's husband was a slave called Mughith, as if I am seeing him now, going behind Barirah and weeping with his tears flowing down his beard. The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said to Abbas: "O Abbas ! Are you not astonished at the love of Mughith for Barirah and the hatred of Barirah for Mughith?" The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" then said to Barirah: "Why don't you return to him? He is the father of your child." She said: "O Allah's Apostle! Do you order me to do so?" He said: "No, I only

intercede for him." She said: "I am not in need of him." (This narration is reported by Al-Bukhari).

One of those rights is that he should start with greeting every Muslim with peace before he talks to him, and shake hand with him when he salutes him with peace. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Answer not him who starts with talking before greeting with peace, until he starts with greeting with peace." (This narration is reported by At-Tabarani and Abu Na'im on the authority of Ibn Umar). It is narrated on the authority of Kildah Ibn Al-Hanbal that he said: I entered upon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" but I did neither pay salutation, nor seek permission, thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Return and say: "Peace be upon you: could you admit me?"" (This narration is reported by Abu Dawud and At-Tirmidhi).

It is further narrated on the authority of Jabir "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If you enter your houses, you should salute the inhabitants with peace, for if anyone of you salutes with peace, Satan dares not to enter that house." (This narration is reported by Al-Khara'iti). It is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: I served the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" eight years, and he said to me: "O Anas! Perform ablution perfectly, perchance your life will be longer, and salute with peace whomever you meet of my nation, perchance your good deeds will multiply, and if you enter your house, salute with peace the your household, perchance the good of your house will increase." (This narration is reported by Al-Khara'iti and Al-Baihaqi).

It is narrated on the authority of Anas that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "When two faithful believers meet and shake hands with each other, seventy parts of forgiveness are distributed between them, sixty-nine of which are for the more joyful of them." Allah Almighty says in this respect: "When a (courteous) greeting is offered you, meet it with a greeting still more courteous, or (at least) of equal courtesy. Allah takes careful account of all things." (An-Nisa 86)

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾

Abu Hurairah "Allah be pleased with him" narrated that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "By Him in Whose Hand is my life! You would not enter into Paradise until you believe; and your belief would not be regarded as complete and valid until you love one another. Would I not guide you to something, which if you did, you would love one another?" they said: "Yes O Messenger of Allah." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It is to greet with peace one another, whomever one might or might not know." (This narration is reported by Muslim).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "If a Muslim salutes with peace another Muslim, and he returns the salutation to him, angels invoke for Allah's prayer and blessing upon him seventy times." (This narration is reported on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Angels wonder at the Muslim when he comes upon another Muslim without paying salutation to him." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Let the rider salute with peace the walker, and if one of the people pays salutation, he will suffice them." (This narration is reported by Malik, in his Muwatta,' on the authority of Zaid Ibn Aslam).

According to Abu Qatadah : "The salutation of those before you was the prostration, and Allah Almighty gave this nation the salutation with peace, and it is the salutation of the inhabitants of the Garden. It is reported that Abu Muslim Al-Khawlani used to come upon a people whom he did not salute with peace, and in this respect he said: "Nothing prevented me from saluting them except that I fear they would not return the salutation, thereupon they would be cursed by angels."

Shaking hands with salutation is out of Sunnah. It is narrated on the authority of Imran Ibn Hussain that he said: A man came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "Peace be upon you." He returned the greeting to him and he sat down, and the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Ten (good deeds have been recorded in your account)." Then, another man came and said: "Peace and Allah's Mercy be upon you." He returned the salutation to him and he sat down, and the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Twenty (good deeds have been written in your record of deeds)." A third man came and said: "Peace, Allah's Mercy and Blessing be upon you." He returned the salutation and the man sat down, thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Thirty (good deeds have been recorded in your account)." (This narration is reported by Abu Dawud and At-Tirmidhi).

It is reported that Anas "Allah be pleased with him" used to pass by boys and salute them with peace. (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim). It is reported that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did so. It is reported on the authority of Abdul-Hamid Ibn Buhram that once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" passed by a pact of sitting people in the mosque, thereupon he beckoned with his hand to salute them with peace, and Abdul-Hamid beckoned with his hand in imitation of him. (This narration is reported by At-Tirmidhi, Abu Dawud and Ibn Majah on the authority of Shahr Ibn Hawshab from Asma' Bint Yazid).

the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Do not be the first to salute the Jews and Christians with peace, and when you meet anyone of them in the street, force him to walk in the narrowest part of it."

(This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah). It is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Do not shake hands with the non-Muslims living under the protection of Muslims, nor be the first to salute them with peace, and when you meet them in the street, force them to walk in the narrowest part of it."

A'ishah "Allah be pleased with her", the wife of The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him", reported: Once a group of Jews came to The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "Death be upon you." Understood what they said: I replied: "Upon you be death and curse." The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "O A'ishah! (Be quiet!) Allah loves that one should be kind and lenient in all matters ." I said: "Haven't you heard what they said?" The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "(Did not you hear what) I said (in reply to them): "and the same be upon you"?" (This narration is reported by both Al-Bukhari and Muslim).

the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Let the rider salute the walker with peace, and the walker salute the sitting with peace, the small group salute the large group with peace, and the young salute the old with peace." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Imitate not the Jews and the Christians (in regard with salutation), for the Jews salute each other by beckoning with their fingers, while the Christians by beckoning with their palms." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Amr Ibn Shu'aib from his father from his grandfather). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If anyone of you reaches a gathering of people, let him salute them with peace, and if it seems to him to sit, let him sit. Then, if he stands up (to leave), let him salute them with peace, for the first salutation is not worthier than the other." (This narration is reported by Abu Dawud and At-Tirmidhi on the authority of Abu Hurairah).

It is narrated on the authority of Anas that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "When two faithful believers meet and shake hands with each other, seventy parts of forgiveness are distributed between them, sixty-nine of which are for the more joyful of them." (This narration is reported by Al-Khara'iti on the authority of Anas). It is narrated on the authority of Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" that he said: I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" having said: "If two Muslims meet and salute each other with peace, and shake hands with each other, one hundred parts of mercy will be distributed between them, ninety of which to the one who is the first to salute with peace, and ten to the one who shakes hands." (This narration is reported by Al-Bazzar, Al-Khara'iti and Al-Baihaqi).

According to Al-Hassan : "Shaking hands increases love." It is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: the

Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Shaking hands perfects your salutation." (This narration is reported by Al-Khara'iti, and At-Tirmidhi on the authority of Abu Umamah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The kiss given by a Muslim to his Muslim brother is to shake hands with him." (This narration is reported by Al-Khara'iti and Ibn Adi on the authority of Anas).

There is no harm to kiss the hand of the one who is exalted in religion, out of getting blessing from, and in reverence for him. In this respect, it is narrated on the authority of Ibn Umar "Allah be pleased with both" that he said: "We kissed the hand of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". (This narration is reported by Abu Dawud). It is further narrated on the authority of Ka'b Ibn Malik "Allah be pleased with him" that he said: "When (the Holy Verse containing) my repentance was revealed, I came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and kissed his hand." (This narration is reported by Abu Bakr Al-Maqri). It is narrated that a Bedouin said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Messenger of Allah! Allow me to kiss your head and hand." He permitted him, and he did accordingly. (This narration is reported by Al-Hakim on the authority of Buraidah).

It is further narrated that when Umar Ibn Al-Khattab met Abu Ubaidah Ibn Al-Jarrah "Allah be pleased with him", he shook hands with him and kissed his hand, and they moved aside and went on weeping. It is narrated that Al-Bara' "Allah be pleased with him" saluted with peace the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" while he was performing ablution, thereupon he gave no reply until he finished from his ablution. Then, he returned the greeting to him, and stretched his hand towards him, and shook hands with him, and he said: "O Messenger of Allah! I knew but that this was the conduct of the Non-Arabs. On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If two Muslims meet and shake hands with each other, their sins fall out (from them)." (This narration is reported by Al-Khara'iti; and Abu Dawud, At-Tirmidhi and Ibn Majah).

the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If a man comes upon a people and salutes them with peace, and they return the salutation to him, he will have a degree above them, for he has reminded them of peace, and if they do not reply to him, an assembly better than them will reply to him." (This narration is reported by Al-Khara'iti and Al-Baihaqi on the authority of Ibn Mas'ud).

Furthermore, it is forbidden to bow while paying salutation. It is reported that Anas "Allah be pleased with him" said: We said: "O Messenger of Allah! Should we bow while paying salutation to each other?" he said: "No." we said: "Then, should we kiss each other?" he said: "No." we said: "Then, should we shake hands with each other?" he said: "Yes." (This narration is reported by At-Tirmidhi, Ibn Majah, Al-Baihaqi and Ahmad). To embrace and kiss one another is reported from the Prophet (according to the narration of At-Tirmidhi on the

authority of A'ishah). Abu Dharr "Allah be pleased with him" said: "I never met the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" but that he shook hands with me. One day, he demanded me (to come to him) and I was not in the house. When I was told about that, I went o him, and he was on a bed, thereupon he embraced me, and how better and better it was!" (This narration is reported by Abu Dawud). To hold the stirrup for the learned out of showing respect for them is reported. Ibn Abbas did so with Zaid Ibn Thabit "Allah be pleased with them", and Umar "Allah be pleased with him" kept holding the stirrup for Zaid until he rose (up to the mount), and he said: "It is like this that you should do with Zaid and his companions."

On the other hand, it is undesirable to stand up in exaltation, and not out of showing honour to anyone. Anas "Allah be pleased with him" said: "No man was dearer to us than the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and whenever they saw him, they would not stand for him, because of their knowledge of his disliking it." (This narration is reported by At-Tirmidhi). It is further narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If you see me, do not stand for me in the same way as do the non-Arabs." (This narration is reported by Abu Dawud and Ibn Majah on the authority of Abu Umamah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Whoever is pleased to have the people stand for him, let him occupy his seat in the fire (of Hell)." (This narration is reported by Abu Dawud and At-Tirmidhi on the authority of Mu'awiyah). Ibn Umar "Allah be pleased with both" reported: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No one should make another stand from his place (in a gathering) and then he would sit in it, but you should make room and accommodate (one another)." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim). They used to avoid doing so because of that forbiddance.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "If the people (in a gathering) take their seats, and then a man invites his brother (who has no place), and make room for him to sit, let him come to him, for this is an honour given to him by his brother; and if he does not make room for him to sit, let him seek the most spacious place to sit in." (This narration is reported by Al-Baghawi on the authority of Ibn Shaibah). It is narrated that a man saluted with peace the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" while he was urinating, thereupon he gave no answer. (This narration is reported by Muslim on he authority of Ibn Umar). For this reason, it is undesirable to greet with peace the one who is urinating or defecating.

It is also undesirable to say: "Upon you be peace". Once, a man said so to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", who said: "The phrase 'upon you be peace' is the salutation of the dead." He said it thrice and then he said: "If anyone of you meets his brother he should salute him with peace saying: 'Peace, Allah's mercy and blessing be upon you'." (This narration is

reported by Abu Dawud, At-Tirmidhi and An-Nasa'i on the authority of Ibn Jurai Al-Hujaimi).

It is desirable that if one enters a gathering and pays salutation, and finds no seat in the gathering, he should not leave, but rather should sit behind he row. Abu Waqid Al-Laithi "Allah be pleased with him" reported: While Allah's Apostle "Allah's blessing and peace be upon him" was sitting in the mosque with some people, three men came. Two of them came in front of Allah's Apostle "Allah's blessing and peace be upon him" and the third one went away. The two persons kept on standing before Allah's Apostle "Allah's blessing and peace be upon him" for a while. One of them found a place in the circle and sat there while the other sat behind the gathering, and the third one went away. When Allah's Apostle "Allah's blessing and peace be upon him" finished his preaching, he said: "Shall I tell you about these three persons? One of them betook himself to Allah, so Allah (took him into His grace and mercy and) accommodated him. The second felt shy, so Allah felt shy from him (and did not punish him). But the third turned his face from Allah and went away, so Allah turned His face from him likewise. " (This narration is reported by both Al-Bukhari and Muslim).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No Muslims meet and shake hands with each other but that their sins will be forgiven for them before they leave each other." (This narration is reported by Abu Dawud, At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Al-Bara' Ibn Azib). Once, Umm Hani' "Allah be pleased with her" saluted with peace the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", thereupon he asked: "Who is she?" it was said: "Umm Hani'." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Welcome Umm Hani'." (This narration is reported by Muslim on the authority of Umm Hani').

One of those rights is to safeguard the honour, property and soul of his Muslim brother from the injustice of others as much as is within his capacity, and avert the evil from him, help and support as possible as he could. That is incumbent upon him due to the brotherhood in Islam. It is narrated on the authority of Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" that a man backbited another in the presence of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", thereupon another man replied to him on his behalf. On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who avert (the evil) from the honour of his brother, it will be a veil to protect him from the fire (of Hell)." (This narration is reported by At-Tirmidhi). the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "No man averts (evil) from the honour of his brother but that Allah Almighty will avert the fire of Hell form him on the Day of Judgement." (This narration is reported by Ahmad on the authority of Asma' Bint Yazid; and At-Tabarani on the authority of Abu Ad-Darda').

It is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He,

in whose presence his Muslim brother is mentioned (with evil), and he has the power to help him (by averting evil from him) but he dos not help him (even with a single word), Allah Almighty will humiliate for it in the world and the hereafter; and he, in whose presence his Muslim brother is mentioned (with evil) and he helps him (by averting evil from him), Allah Almighty will help him in the world and the hereafter." (This narration is reported on the authority of Ibn Abu Ad-Dunya).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who protects the honour of his brother in this world, Allah Almighty will send an angel to protect him on the Day of Judgement from the fire (of Hell)." (This narration is reported by Abu Dawud on the authority of Anas). It is narrated on the authority of Jabir and Abu Talhah "Allah be pleased with them" that they said: We heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" having said: "No man helps a Muslim in a place where his honour is violated, and sanctity is contravened but that Allah Almighty helps him in a place he loves to be helped therein; and no Muslim disappoints a Muslim in a place where his honour is violated and his sanctity is contravened but that Allah Almighty disappoints him in a place he likes to be helped therein." (This narration is reported by Abu Dawud).

One of those rights is to say to the sneezer (who says 'praise be to Allah': 'Allah's mercy be upon you'. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The sneezer should say: "Praise be to Allah in every state", and one should reply to him saying: "Allah's mercy be upon you", thereupon the sneezer should reply to him: "May Allah guide you and amend your condition." (This narration is reported by both Al-Bukhari and Abu Dawud on the authority of Abu Hurairah). It is narrated on the authority of Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to teach us saying: "If anyone of you sneezes, he should say: "Praise be to Allah, the Lord of the worlds", and once he says so, the person that is present with him should say to him: "May Allah have mercy upon you." If he says so, he should say: "Might Allah forgive you and me." (This narration is reported by An-Nasa'i).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to a sneezer: "Allah's mercy be upon you", and he did not do the same with another sneezer. When he asked him, he said: "That is because he praised Allah, whereas you kept silent." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of Anas). It is narrated on the authority of Abu Hurairah that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Say to your brother (who sneezes): "Might Allah bestow His Mercy upon you" up to three times, and if he sneezes more than that, it is then out of cold." (This narration is reported by Abu Dawud). Iyas Ibn Salamah Ibn Al-Akwa reported that his father reported to him that he heard The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying to a

person who had sneezed in his presence: "May Allah have mercy upon you." He did so thrice, and in the fourth time he said to him: "You are suffering from cold (and no response is necessary)." (This narration is reported by Muslim).

It is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: Whenever the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" sneezed, he would lower his voice, and screened his mouth with his garment or hand. (This narration is reported by Abu Dawud and At-Tirmidhi). It is further narrated on the authority of Abu Musa Al-Ash'ari "Allah be pleased wit him" that he said: The Jews used to pretend to sneeze in the presence of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in he hope that he would say to them: "Allah's mercy be upon you", but the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to say to him: "May Allah guide you." (This narration is reported by Abu Dawud and At-Tirmidhi).

It is narrated on the authority of Abdullah Ibn Amir Ibn Rabie'ah from his father that he said: Once, a man sneezed in the prayer thereupon he said: "Praise be to Allah, so much, good and blessed, as to please our Lord: and praise be to Allah in whichever state one might be". When the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" finished from the prayer, he asked: "Who from amongst you did say those (previous) words?" the man said: "It is I O Messenger of Allah! I intended therewith nothing but good." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Indeed, I saw twelve angels hurrying towards them: who would raise them (first to be recorded)." (This narration is reported by Abu Dawud).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who sneezes and then hastens to praise Allah, no pain in his flank will harm him." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Ali). The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Sneezing is from Allah, and yawning is from Satan and if anyone of you yawns, he should check his yawning as much as possible, for if anyone of you (during the act of yawning) should say: 'Ha', Satan will laugh at him." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Hurairah).

According to Ibrahim An-Nakh'i, if one sneezes while answering the call of nature there is no harm to mention Allah, or praise Allah in himself according to Al-Hassan. According to Ka'b: Moses "Peace be upon him" said: "O Lord! Are You close so that I would talk to You in private, or far so that I would call You?" He said: "I'm the sitter of him who remembers Me." He said: "But sometimes, we might be in a state, like ceremonial impurity or defecation, that we exalt You from remembering You." He said: "Remember me in whichever state you are."

One of those rights is that if he is tested by an evil man, he should safeguard himself from his evil, and endure it. One of them said: "Be sincere to the faithful believer, and pretend not to disagree with the dissolute, for the dissolute is

pleased with the apparently good manners." According to Abu Ad-Darda': "We rejoice in the face of some people, although our hearts curse them." This is the meaning of cajolery, which should be practiced with such of people as whose evil is feared. Allah Almighty says: " Repel (Evil) with what is better: then will he between whom and you was hatred become as it was your friend and intimate!" (Fussilat 34)

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

In his comment on the statement of Allah: "and turn off Evil with good" (Ar-Ra'd 22)

﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ﴿٢٢﴾ ﴾

Ibn Abbas "Allah be pleased with both" said: "They avert obscenity and harm with peace and cajolery." In another comment on the statement of Allah: "Did not Allah check one set of people by means of another" (Al-Hajj 40)

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴿٤٠﴾ ﴾

He said: "By desire and fright, modesty and cajolery." A'ishah "Allah be pleased with her" reported: A person asked for the permission of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" to be admitted. He said: "Grant him permission, what a bad son of his tribe or what a bad person of his tribe he is!" When he came in he (The Prophet) spoke to him kindly. A'ishah reported that she said: "O Messenger of Allah! You said about him what you had said: and then you treated him kindly." He said: "O A'ishah! No doubt, the worst person from among the people in the sight of Allah on the Day of Judgement is the one whom the people abandoned in order to avoid his bad manners." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim).

According to a certain narration : "That with which a man protects his honour is an object of charity for him." (This narration is reported by Ibn Abu Ya'li and Ibn Adi on the authority of Jabir). According to another tradition: "Mix with the (evil) people in accordance with your deeds, and leave them with your hearts." According to Muhammad Ibn Al-Hanafiyyah "Allah be pleased with him": "Not wise is he, who does not fairly and reasonably intimate oneself with him whose companionship is necessary, until Allah Almighty relieves him of that."

One of those is to avoid mixing with the rich, and rather mix with the indigent and needy, and be kind to the orphans. In this respect, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to say: "O Allah! Make me live as an indigent, die as an indigent, and muster me in the company of the indigent." (This narration is reported by Ibn Majah and Al-Hakim on the

authority of Abu Sa'id; and At-Tirmidhi on the authority of A'ishah). According to Ka'b Al-Ahbar, whenever Solomon "Peace be upon him", in spite of his dominion, entered the mosque, and found an indigent, he would sit beside him and say: "An indigent sat with an indigent." No ward was dearer to Jesus "Peace be upon him" than to say to him: "O indigent!"

According to Ka'b Al-Ahbar: "The phrase "O you who believe" in the Quran is equivalent to "O indigent" in the Torah." According to Ubadah Ibn As-Samit : "The fire has seven gates, three for the rich, three for women, and only one for the poor and indigent." According to Al-Fudail: I was reported that one of the Prophets said: "O Lord! How should I learn that you are well-pleased with me?" he said: "Look how the indigent are well-pleased with you." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Avoid sitting with the dead." They asked: "Who are the dead O Messenger of Allah?" he said: "The rich." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Al-Hakim on the authority of A'ishah). Moses "Peace be upon him" said: "O my Lord! Where should I seek You?" He said: "In the presence of the heart-broken people." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Envy not a dissolute because of favour he might have, for you do not know where his destination will be after death as from behind him, there is a unremitting petitioner." (This narration is reported by Al-Baihaqi and At-Tabarani on the authority of Abu Hurairah).

In regard to the orphan, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who fosters an orphans from two Muslim parents until he becomes independent, the Garden is assured to him." (This narration is reported by Ahmad and At-Tabarani on the authority of Malik Ibn Umar). the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "I and the one who looks after an orphan will be (as close to each other) as those (fingers) in the Garden" beckoning with his index and middle fingers. (This narration is reported by Al-Bukhari on the authority of Sahl Ibn Sa'd; and Muslim on the authority of Abu Hurairah). the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "He, who puts his hand over the head of an orphan out of showing mercy towards him, he will have good deeds as much as is the number of the hair his hand comes upon." (This narration is reported by Ahmad and At-Tabarani on the authority of Abu Umamah; and Ibn Hibban on the authority of Ibn Abu Awfa). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The best of houses among the Muslims is that in which there is an orphan, who is dealt with kindly; and the worst of houses among the Muslims is that, in which there is an orphan, who is dealt with harshly." (This narration is reported by Ibn Majah on the authority of Abu Hurairah).

Those rights include also to be sincere in advice to every Muslim, and endeavour to please his heart. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The faithful believer is him, who loves for the believer the

same as he loves for himself." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "None of you will have his faith (complete) until he loves for his brother the same as he loves for himself." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Anyone of you should be the mirror of his brother: so, if he sees anything evil from him, he should avert him from it." (This narration is reported by Abu Dawud and At-Tirmidhi). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who fulfills a need for his brother seems as if he served Allah along the whole of his lifetime." (This narration is reported by Al-Khara'iti and At-Tabarani on the authority of Anas).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who cools the eye of a faithful believer, Allah Almighty will cool his eye on the Day of Judgement." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "To walk in fulfillment of a need of one's brother for an hour during night or day, whether or not it has been fulfilled, is better for him than to practice a two-month I'tikaf in the mosque." (This narration is reported by Al-Hakim on the authority of Ibn Abbas). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who relieves a distressed person, or helps a wronged one, Allah Almighty forgives for him seventy-three evildoings." (This narration is reported by Al-Khara'iti, Ibn Hibban and Ibn Adi on the authority of Anas).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Help your brother, oppressor or oppressed he might be." They said: "How should he help him while he is wrongdoer?" he said: "He should prevent him from doing it, for that is his help." (This narration is reported by both Al-Bukhari and Muslim on the authority of Anas). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The dearest deed to Allah Almighty is to please the heart of a faithful believer, to relieve him of a distress, to fulfill a debt on his behalf, or to feed him out of hunger." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Ibn Umar).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who protects a faithful believer from a hypocrite who puts him to difficulty, Allah Almighty will send an angel on the Day of Judgement, to protect his flesh from the fire of Hell." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "There are two characteristics, worse than which there is none: to ascribe partners to Allah in worship, and to cause harm to the servants of Allah; and there is other two characteristics, better than which there is none: to have faith in Allah, and benefit the servants of Allah." (This narration is reported on the authority of Ali). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who cares not about the affairs of the Muslims does not belong to them." (This narration is reported by Al-Hakim on he authority of Hudhaifah; and At-Tabarani on the authority of Abu Dharr).

According to Ma'ruf Al-Karkhi: "He, who says everyday: 'O Allah! Have

mercy upon the nation of Muhammad', Allah Almighty enlists him among the Abdal (Substitutes)." According to another version: "He, who says: 'O Allah! Amend the affairs of the nation of Muhammad, O Allah! Relieve the nation of Muhammad", thrice everyday, Allah will enlist him among the Abdal." Once, Ali Ibn Al-Fudail wept and it was said to him: "What causes you to weep?" he said: "I weep for him who wrongs me, when he will stand in front of Allah Almighty on the Day of Judgement, and will be asked about his injustice, without an argument to have to defend himself."

One of those rights also is to visit the sick among them, and inquire about his health. Both recognition and Islam are alone enough to affirm that right, and attain its extra reward. It is out of the etiquette of visiting the sick to make short the time of sitting, make little the questions, show sympathy and kindness, and invoke wellbeing upon the sick, and lower the gaze from seeing the private things in the place. When he seeks permission to be admitted, he should not face the door, nor knock the door heavily, nor say "I" when it is said to him: "Who are you", nor say "O slave", but let him praise and glorify Allah. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "To place one's hand on the forehead of the sick, and ask him about his state makes perfect the visiting for a sick; and to shake hands with each other makes perfect your greeting."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "He, who visits a sick to inquire about his health, sits in the gardens of the Paradise, and when he stands to leave, seventy thousand angels are entrusted to him to invoke for Allah's blessing and prayer upon him until night." (This narration is reported by those of Sunan and Al-Hakim on the authority of Ali).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who visits a sick in order to inquire about his health, plunges into mercy, and if he sits with him, it covers him." (This narration is reported by Al-Hakim and Al-Baihaqi on the authority of Jabir). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "If a Muslim visits his brother in order to inquire about his health, or pay a normal visit to him, Allah Almighty will say to him: "Blessed be you, and blessed be your walk, and let you occupy a place in the Garden." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Abu Hurairah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "If a servant falls ill, Allah Almighty sends two angels to him and they say: "Consider what he will say to his visitors. If they come to him and he praises Allah and lauds him for that, this will be raised to Allah Almighty, and He knows best, Who will say: "It is incumbent upon me that if I cause my servant to die, I will admit him to the Garden, and if I cure him, I will recompense him with flesh and blood better than his, and plot out his sins form him." (This narration is reported by Malik in his Muwatta' on the

authority of Ata' Ibn Yasar; and Ibn Abd Al-Barr on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If Allah intends good for a man, He smites him with harm (to plot out of his sins)." (This narration is reported by Al-Bukhari on the authority of Abu Hurairah). It is reported on the authority of Uthman "Allah be pleased with him" that he said: "I fell ill, and the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" visited me in order to inquire about my health, and he said: "In the Name of Allah, the One and Only, the Absolute, Eternal, Who begets not, nor is He begotten, and there is none like unto Him, from the evil of what you are suffering." He said it several times." (This narration is reported by At-Tabarani and Al-Baihaqi on the authority of Uthman). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" entered upon Ali "Allah be pleased with him" while he was sick, and he said to him: Say: "O Allah! I ask You to hasten on Your healing, help me keep patient on Your trial, or cause me to get out of that world (by death) to Your mercy", and you will be given one of them." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Anas).

It is desirable that a patient should say: "I seek with the Honour and Power of Allah from the evil of what I'm suffering and feeling." According to Ali "Allah be pleased with him": "If anyone of you has a stomach trouble, let him ask his wife something of her dower therewith to buy honey, and mix it with the water of rain, and drink it, and in this way, he will combine what is healthy, wholesome, curative and blessed." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "O Abu Hurairah! Should I not tell you about something which is true, that if one says it in the early beginnings of his sleeping out of illness, Allah Almighty will save him from the fire (of Hell)?" I said: "Yes, O Messenger of Allah." He said: Say: "There is no Allah (to be worshipped) except Allah: He brings to life, and He sends to death, and He is Ever-Living, Who never dies. Glory be to Allah, Lord of servants and states, and praise be to Allah as much, good and blessed for whichever state one is; Allah is really so much Greater; the Magnificence, Glory and Power of our Lord is all-encompassing: O Allah! If You cause me to fall ill with the intention to take my soul (by death) in this illness of mine, then, make my soul among those upon for whom You have sent forward (their record of) good, and keep me away from the fire (of Hell) in the same way as You have kept away from the fire those for whom You have sent forward (their record of) good." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "One should visit the patient to inquire about his health three days after his illness, and he should make his visit very short." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Anas). According to Tawus : "The best visit of a patient is the lightest (and shortest)." According to Ibn Abbas "Allah be pleased with both": "It is out of the Sunnah to visit the patient to inquire about

his health once, and what is beyond it is supererogatory." According to a learned : "Visiting the patient should be three days after (his illness)." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Visit the patient on alternate days, or every four days, unless one is overpowered (and hindered from doing so)." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Jabir).

The etiquette of illness is to keep patient, make not much complaints or revulsion, hasten to invoke and supplicate Allah Almighty, to put one's trust, after taking medicine, in (Allah) the Creator of medicine.

One of those rights is to send of the funeral processions of the people. In this respect, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who follows a funeral procession, shall have reward as much as a Qirat; and if he stands until the dead is buried, he will have reward as much as two Qirats." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Hurairah). According to a narration: "The Qirat (of reward) is as (huge as is the mountain of) Uhud." (This narration is reported by Muslim on the authority of Thawban and Abu Hurairah). When Abu Hurairah narrated that Hadith, Ibn Umar "Allah be pleased with both" said: "Then, we've indulged in so many Qirats."

The intention of sending of a funeral procession is to fulfill the rights of Muslims, and receive admonition (by remembering death). Whenever Makhul Ad-Dimashqi saw a funeral procession, he would say: "Go, for we are coming after you. How eloquent admonition and quick heedlessness (death is)! The foremost goes, and the last has no mind." Once, Malik Ibn Dinar went out to follow the funeral procession of his brother, and he went on weeping and saying: "By Allah, my eye will not be cooled until I know your destination, and as long as I'm living, I will never know." According to Al-A'mash: "We used to witness the funeral processions, and do not know whomever we should condole due to the severe grief that would encompass all the present people."

Once, Ibrahim Az-Zayyat looked at a people who were asking for the mercy of Allah upon a dead thereupon he said to them: "If you have mercy upon yourselves, it will be more fitting for you. This dead has been saved from three terrors: the face of the death angel whom he has seen, the bitterness of death that he has tasted, and the fear of the evil conclusion which he has become safe from." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Three follow the funeral procession of a dead, of which two return and only one remains with him. His family, property and deed follow him, and his family and property return, while his deed remains with him." (This narration is reported by Muslim on the authority of Anas).

One of those rights also is to visit their graves, with the intention to invoke good upon them, receive admonition, and make smooth the heart. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I've never

seen a horrible scene but that the grave is more horrible." (This narration is reported by At-Tirmidhi, Ibn Majah and Al-Hakim on the authority of Uthman). Umar "Allah be pleased with him" said: "We came out in the company of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" until we went to the graveyards, and he sat near a grave, and I was the closest of the people to him. He wept and we wept accordingly. He asked: "What causes you to weep?" we said: "We have wept for your weeping." On that he said: "This is the grave of Aminah Bint Wahb (his mother): I asked the permission of my Lord to visit her, and He gave me permission, and I sought His permission to ask for forgiveness for her, and He rejected, thereupon I felt what a son might feel of sympathy towards his mother." (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah; and Ahmad on the authority of Buraidah).

It was the habit of Umar "Allah be pleased with him" that whenever he stood on a grave, he would weep so much until his beard would be wetted. On that he said: I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" having said: "The grave is the first one of the stations of the hereafter, and if one is saved from it, what is beyond it will be much easier, and if he is not saved from it, what is beyond it will be much harder." (This narration is reported by At-Tirmidhi, Ibn Majah and Al-Hakim on the authority of Uthman and not Umar). According to Mujahid: "One's dig is the first thing to talk to him, saying: 'I'm the house of larva, the house of loneliness, the house of alienation, and the house of darkness. This is what I've prepared for you: what have you prepared for me?"

According to Abu Dharr "Allah be pleased with him": "Should I not tell you about the day I will become poor? It is the day I will be placed in my grave." It was the habit of Abu Ad-Darda' to sit on the graves, and when he was asked about that he said: "I sit with a people who remind me of my place of return, and whenever I stand and leave them, they would not backbite me." According to Hatim Al-Asamm: "He, who passes by graves and does not consider within himself, nor invoke good upon (the inhabitants of the graves), has indeed betrayed himself and proved treacherous to them." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There is no night but that that a caller calls: "O inhabitants of the graves! Whom do you envy?" they say: "We envy the visitors of mosques, for they fast, and we fast not, perform prayers and we pray not, and remember Allah and we remember Him not."

According to Sufyan : "He, who mentions much the grave, will find him one of the gardens of Paradise, and he, who is heedless of it, will find it one of the holes of the fire (of Hell)." Ar-Rabie Ibn Khaithamah dug a grave in his house, and whenever he felt his heart hard, he would enter and lie in it for an hour and recite: "(In Falsehood will they be) until, when death comes to one of them, he says: "O my Lord! send me back (to life), In order that I may work righteousness in the things I neglected"." (Al-Mu'minun 99-100)

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

Then, he would say: "O Rabie! You were sent back (to life), so, work righteousness now before you would become unable to return."

Maimun Ibn Muhran said: "I set out in the company of Umar Ibn Abd Al-Aziz to the graveyard, and when he looked at the graves he wept and said: "O Maimun! Those are the graves of my forefathers from the Umayyads, as if they did not take part with the inhabitants of this world in their pleasures. Do you not see them lying, while the exemplary punishments have come to pass before them, and the larva devoured their bodies?" then, he wept and said: "By Allah! I do not know anyone more blessed than the inhabitants of the graves, who have become safe from the punishment of Allah."

The etiquette of condolence is to lower the wing, show grief, not to talk or smile. The etiquette of sending of (a funeral procession) is to stick to submissiveness, leave talking, observe the dead, meditate on death, get ready for it, to walk in front of the bier, close to it. It is out of the Sunnah to hasten on with the bier (according to the narration of both Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Hurairah).

Those are many proprieties to observe the etiquette of companionship with all the people. What combines all of that is not to make little of anyone of them, be he living or dead, lest you would be ruined, for you do not know, may be he is better than you. If one is a dissolute, your deeds might be concluded with the same, whereas his with righteousness. You also should not make much of them in their world, for the world is but a little thing in the Sight of Allah, and all that it contains is insignificant. If you make much of the inhabitants of this world in yourself, the world will seem significant in your sight, with the result that you would lapse from the Sight of Allah Almighty. Do not sacrifice your religion for their sake in order to get of their world, thereupon you would become insignificant in their sight, and be deprived of their world; and even if you are not deprived, you will have exchanged the worse for the better.

Do not show enmity towards them, lest your religion and world would go in vain for their sake, and their religion for your sake, unless you see them doing something religiously disapproved, in which case, you should reject their shameful deeds. You should look at them with the eye of mercy, for the wrath of Allah Almighty upon them, and His punishment they will receive for their sins: the fire of Hell then is sufficient for them to taste. Why do you then resent them, and not counteract their apparent love for you, joyfulness in your face, and admiration for you? Indeed, if you seek the truth of that, you will find no more than one percent, if not less. Furthermore, complain not of your affairs to them lest Allah Almighty would entrust you to them.

Covet not of their having towards you in secret the same feeling they have in

public, for this will be a false covet, and how far it is from being realized. Covet not of what is in their hands, lest you would hasten on humiliation and fail to achieve your desire. Deem not yourself superior to them out of arrogance, because of your independence of them, for Allah Almighty forces you to be in need of them by way of punishment for your arrogance. If you ask anyone of them to fulfill a need for you, and he fulfills it, this is good, and if he does not , blame him not, lest he would turn into an enemy towards you. Do not engage in preaching such of persons as his no ready to accept your advice, lest he would not pay attention to you, but also he would become enemy to you. Let your preaching be general and comprehensive, without referring to a particular person or name. If you see good in them, thank Allah Almighty Who has made them subject to you, and seek refuge with Allah Almighty from entrusting you to them.

If the news of backbiting (against you) has reached you, or if you see something evil or if you receive harm from them, entrust them to Allah Almighty, and seek refuge with Allah from their evil. Engage not yourself with the reward, lest you would receive harm, and waste your lifetime by such engagement. Do not ask them to recognize your position in their heart, but rather have the belief that if you really deserve that position, it will be instilled in their hearts by Allah Almighty (without interference from you), for it is Allah Who cause hearts to love or hate. Pay attention to their right, and ignore their falsehood, speak with their right, and keep silent from their falsehood.

Beware of the company of most of laymen, for they do not remove a difficulty, nor forgive a slip, nor screen a private, and rather account for the least thing, and envy one because of what he has, be it more or little; and they always ask others to deal with them justly right, but they hardly deal with others justly; and they blame for mistake and forgetfulness, and do not excuse; and they always instigate brothers against their brothers through talebearing and false speech. For this reason, the company of the greatest portion of them caused loss, and boycotting them causes benefit. If they are pleased, their outward conduct will be flattery and adulation, and if they are displeased, their inward conduct will be resentment and hatred. One could not feel safe from their resentment, and there is no benefit to be expected from their flattery. Their appearance is good dressed in dresses, while their inside is like wolves. They take their decisions only depending upon suspicions, and wink at one another about you in your absence, and watch death to smite their friend. They calculate your slips in order to face you with during their anger with you.

Rely not on the affection of him, whom you do not experience so much satisfactorily: you should not depend upon you company of a person for some time in one location and situation, but you'd rather experience your companions in all of his affairs, of richness and poverty, being in office and out of office, etc. you should also travel with him, have dealing with him, be in need of him out of difficulty, and so on. If you are pleased with him in all of those affairs, then, take

him as your father if he is an old man, or a son if he is young, or a brother if he is of equal age.

Those are the proprieties of dealing with the different kinds of people.

Rights Of Neighbourhood

It should be known to you that neighbourhood requires more rights beyond those of the brotherhood in Islam. A Muslim neighbour deserves all that every Muslim deserves and more. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Neighbours are of three kinds: one who has a single right, one who has two rights and one who has three rights. The neighbour who has three rights is the Muslim neighbour, who has a degree of kinship: he has the right of neighbourhood, the right of Islam, and the right of kinship. The neighbour who has two rights is the Muslim neighbour: he has the right of neighbourhood and the right of Islam. The neighbour who has a single right is the non-Muslim neighbour." (This narration is reported by Al-Bazzar and Abu Na'im on the authority of Jabir; Ibn Adi on the authority of Abdullah Ibn Umar).

Consider how he has affirmed a right to the non-Muslim only because of neighbourhood. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Be good to your neighbour, perchance you would be a good Muslim." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Gabriel kept urging me to be good to the neighbour until I thought he would make him one of the heirs." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of A'ishah and Ibn Umar).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who has faith in Allah and the Last day, should honour his neighbour." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Shuraih). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No servant (of Allah) shall have his faith (complete) until his neighbour feels safe of his remnants." (This narration is reported by Al-Bukhari on the authority of Abu Shuraih). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The (disputing) neighbours will be the first whose matter will be decided on the Day of Judgement." (This narration is reported by Ahmad and At-Tabarani on the authority of Uqbah Ibn Amir).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "If you shoot the dog of your neighbour, you will have caused harm to him." It is reported that a man came to Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" and said: "I have a neighbour who causes harm to me, insults me, and makes it narrow upon me." On that he said: "Go: if he disobeys Allah in you, you'd rather obey Allah in him." It was said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Such and such a woman observes fasts during the day, and stands (for supererogatory prayers) at night, but she causes harm to her neighbours." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "She will be in the fire (of Hell)." (This narration is reported by

Ahmad and Al-Hakim on the authority of Abu Hurairah). It is narrated on the authority of Abu Hurairah that he said: A man came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" with a complaint against his neighbour, thereupon he said: "Return and keep patient." He came to him twice or thrice with the same complaint, and the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "Go and throw your luggage on the road." He went and threw his luggage on the road, and whenever the people asked him about the reason for that, he told them the story, thereupon they went on sending their curses upon his neighbour, saying: "Might Allah do such and such (evil) to him!" then, his neighbour came to him and said: "Return to your home, and you will never see from me anything which you dislike."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Both good and evil omen lie in the woman, house and horse. The good omen of a woman lies in her little dower and easy (sexual) relation with her, and her good manners, and the evil omen lies in her expensive dower, difficult (sexual) relation with her, and her bad manners. The good omen of a house lies in its immensity, and the good neighbourhood, and the evil omen lies in its narrowness and the bad neighbourhood. The good omen of a horse lies in its submissiveness and good conduct, and the evil omen lies in its difficulty and bad conduct." (This narration is reported by Muslim on the authority of Ibn Umar and Sahl Ibn Sa'd; and Ibn Majah on the authority of Muhammad Ibn Mu'awiyah; and At-Tabarani on the authority of Asma' Bint Umais).

It should be known that the right of the neighbour is not only to hold back harm from him, but also to endure harm. Only to hold back the neighbour's harm is not sufficient to fulfill the right of the neighbour. Furthermore, it is also not sufficient to endure the harm: but also one should be lenient and ready to do favour and good to his neighbour. It is said that the poor neighbour will hang to his rich neighbour on the Day of Judgement and say: "O Lord! Ask that man why he had prevented his favour from me, and closed his door in my face." Ibn Al-Muqaffa' was reported that one of his neighbours was selling his house in order to fulfill his debt, and he was sitting in the shade of his house, thereupon he aid: "I've not protected the sanctity of the shade of his house if he sells it because of bankruptcy." He paid the price of the house to him and asked him not to sell it. One of the people made a complaint of the number of rats in his house, and it was said to him: "Would that you keep a cat in the house!" on that he said: "I fear the rat might hear the voice of the cat and escape to the houses of my neighbours, and thus I will have loved for them what I've loved not for myself."

The rights of the neighbour is that one should take the initiative to greet him with peace, not to prolong the speech with him, nor to ask him much about his affairs and states. He should visit him and inquire about his health if he falls ill. He should console him whenever a calamity befalls him. He should stand beside him to receive condolence. He should congratulate him about the occasions of his joy, and share pleasure with him. He should overlook his slips, and not look forward to see his privates. He should not disturb him by placing, for instance, a

wooden stem on the wall of his house, or by pouring the water into his spout, or by throwing dust in the courtyard of his house.

He also should not make narrow his passage to the house, nor look at what he is carrying to his house. He should screen what is disclosed to him of his privates, and relieve him of his distresses. He should not be heedless to take care of the house of his neighbour in his absence. He should not allow for himself to hear something evil about him. He should protect his sight from looking at his sanctities. He should not have long gazes towards his maid. He should be kind in speech to his child, and guide him to what he ignores of the affairs of his religion and world. Those should be observed besides the proprieties we've already mentioned in relation of the Muslims in general.

It is narrated on the authority of Amr Ibn Shu'aib from his father from his grandfather that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Do you know what the right of a neighbour is? If he seeks your aid, you should aid him; and if he seeks your help, you should help him; and if he asks you for a loan, you should lend him; if he becomes poor, you should give him; and if he falls ill, you should visit him to inquire about his health; and if he dies, you should follow his funeral procession; and if he receives good, you should congratulate him; and if a calamity befalls him, you should condole him. Do not raise up your building in such a way as to withhold air from him unless you take his permission. If you buy fruits, give a gift to him thereof, otherwise, get it into your house in secret, and let not your child come out with it in order to tease his child. Do not harm him by the smell of your cooking vessel unless you give him a handful of it.." then, he resumed: "Do you know what the right of a neighbour is? By Him in Whose Hand is my soul, none could fulfill those rights of the neighbour but he, upon whom Allah has bestowed mercy." (This narration is reported by Al-Khara'iti and Ibn Adi).

Mujahid said: "I was sitting in the house of Abdullah Ibn Umar "Allah be pleased with him" and his servant was removing the skin of a sheep for him, when he said to him: "O servant! When you have finished from removing the skin, begin with our Jewish neighbour." He said it many times, after which he said to him: "How do you say so?" he said: "the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" kept urging us to be kind to our neighbour that we feared he would make him one of the heirs." (This narration is reported by Abu Dawud and At-Tirmidhi). According to Hisham, Al-Hassan saw no harm to feed your Jewish and Christian neighbours from the meat of your sacrifice. Abu Dharr "Allah be pleased with him" reported: My companion, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" ordered me: "When you cook broth, add water to it, and remember your neighbour's household, and give them from it as a gift." (This narration is reported by Muslim).

It is narrated on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that she said: "I said: "O Allah's Apostle! I have two neighbors, one of whom has the gate of his house next to me, and the other has the gate of his house far from me, and

I would like to know to which of them I should give presents." He replied: "To the one whose door is next to you." (This narration is reported by Al-Bukhari). Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" saw his son Abd Ar-Rahman quarrelling and pulling his neighbour by his forelock, thereupon he said to him: "Dispute not with your neighbour, for it is him who remains with you, while the people go away from you."

Al-Hassan Ibn Isa An-Naisaburi said: I asked Abdullah Ibn Al-Mubarak: "Sometimes, my neighbour comes to me, and complains tome that my servant causes harm to him, which the servant denies, and I dislike to beat him for he might be innocent, and I also dislike to leave him, lest my neighbour would become angry with me: what should I do?" he said: "Perhaps your servant does a thing for which he deserves to be punished, but you rather keep it for him. If your neighbour complains of him, punish him for that thing (which he has already done), and in this way, you will have pleased your neighbour and punished your servant for the evil he has done." This is a kind way of combining both rights.

A'ishah "Allah be pleased with her" said: "Ten characteristics distinguish the good or noble manners, that are found in the man but not in his father, the servant but not his master, and Allah Almighty assigns them to whomever He likes: the good speech, truthfulness with the people, giving reward for favour, keeping kinship ties, preserving trusts, safeguarding the sanctity of the neighbour, safeguarding the sanctity of the companion, and dealing generously with the guest. But the top of them all is modesty." Abu Hurairah "Allah be pleased with him" said: The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "O Muslim women! None of you should look down upon the gift sent by her she-neighbor even if it were the trotters of the sheep (fleshless part of legs)." (This narration is reported by Al-Bukhari). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The happiness of a Muslim lies in the immense house, good neighbour and graceful riding mount." (This narration is reported by Ahmad on the authority of Nafi' Ibn Abdul-Harith; and Al-Hakim on the authority of Sa'd Ibn Abu Waqqas).

Abdullah "Allah be pleased with him" said: A man said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Messenger of Allah! How should I come to know that I have done well or bad?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If you hear your neighbours say that you have done well, you then have done well, and if you hear them say that you have done bad, you have done bad." (This narration is reported by Ahmad and At-Tabarani on the authority of Abdullah Ibn Mas'ud). Jabir "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who has a neighbour or a partner in a garden or a house, he should not sell it until he offers it to him first." (This narration is reported by Ibn Majah and Al-Hakim).

Abu Hurairah "Allah be pleased with him" said: "the Messenger of Allah

"Allah's blessing and peace be upon him" passed the judgement that a neighbour had the right to fix his wooden trunk in the wall of his neighbour, willingly or unwillingly." (This narration is reported by Al-Khara'iti). Ibn Abbas "Allah be pleased with them" narrated: Allah's Apostle "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No one should prevent his neighbour from fixing a wooden peg in his wall." Abu Hurairah said (to his companions): "Why do I find you disinclined to it? By Allah, I certainly will narrate it to you (no matter harmful it might be)." (This narration is reported by both Al-Bukhari and Muslim). This is why some learned are of the opinion hat it is obligatory.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whomever Allah intends good for, endears him." They asked: "How does He endear him?" He said: "To make him lovable to his neighbours." (This narration is reported by Ahmad on the authority of Abu Utbah Al-Khawlani; and Al-Khara'iti and Al-Baihaqi on the authority of Amr Ibn Al-Humq).

Rights Of Kinship

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: Allah Almighty says: "I'm Rahman, and I derived the name of this Rahim from My Name. so, I shall maintain ties with him who maintain ties with it, and sever ties with him who severs ties with it." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of A'ishah). Anas Ibn Malik "Allah be pleased with him" reported: I heard The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying: "He, who likes that his means of sustenance be extended and his lifetime be lengthened, should maintain kinship ties." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim). It was said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" : "Which among the people is the best?" he said: "The one who fears Allah most, maintains kinship ties most, enjoins good and forbids evil most." (This narration is reported by Ahmad and At-Tabarani on the authority of Durrah Bint Abu Lahab).

Abu Dharr "Allah be pleased with him" said: "My bosom friend, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" advised me to maintain kinship ties even with him who turns his back to me, and to tell the truth, no matter bitter it might be." (This narration is reported by Ahmad and Ibn Hibban). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The Rahim is hung in the Throne (of Majesty); and the real maintainer of kinship ties is not the one who maintains kinship ties with others in reward (for their maintaining kinship ties with him), but it is he, who maintains kinship ties even with him who severs kinship ties with him." (This narration is reported by both At-Tabarani and Al-Baihaqi on the authority of Abdullah Ibn Amr).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The swiftest act of worship to be rewarded is to maintain kinship ties, to the extent that the household might be wicked, but at the same time, their property

grows, and their number increases, for nothing other than the fact that they maintain kinship ties." (This narration is reported by Ibn Hibban on the authority of Abu Bakrah; and Al-Khara'iti and Al-Baihaqi on the authority of Abd Ar-Rahman Ibn Awf). According to Zaid Ibn Aslam: When the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" set out to Mecca, a man appeared to him and said: "If you like the white women and good she-camels, you should go to Banu Mudlij." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah Almighty has prevented me from Banu Mudlij for their maintaining kinship ties among themselves." (This narration is reported by Al-Khara'iti).

Asma' Bint Abu Bakr "Allah be pleased with both" said: My mother came to visit me (and she was a disbeliever), thereupon I said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Messenger of Allah! My mother came to visit me, and she is desirous, even though a polytheist: should I maintain kinship ties with her?" he answered in the affirmative. (This narration is reported by both Al-Bukhari and Muslim). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The (object of) charity to be given to the indigent has a single reward of charity, and the (object of) charity to be given to the kith and kin has a double reward of charity and maintaining kinship ties." (At-Tirmidhi , An-Nasa'i and Ibn Majah on the authority of Salman Ibn Amir Ad-Dabbi).

Anas Ibn Malik "Allah be pleased with him" narrated: When this verse was revealed: "By no means shall ye attain righteousness unless ye give (freely) of that which you love; and whatever you give, of a truth Allah knows it well" (Al Imran 92)

﴿ لَن تَنَالُوا ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾

Abu Talhah said to Allah's Apostle "Allah's blessing and peace be upon him": "O Allah's Apostle! Allah, the Blessed, the Superior says: "By no means shall ye attain righteousness unless you give (freely) of that which ye love." No doubt, Bairuha garden is the most beloved of all my property to me. So I want to give it in charity in Allah's Cause. I expect its reward from Allah. O Allah's Apostle! Spend it where Allah makes you think it feasible." On that Allah's Apostle "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Bravo! It is useful property. I have heard what you have said (O Abu Talhah), and I think it would be proper if you gave it to your Kith and kin." Abu Talhah said: "I will do so, O Allah's Apostle." Then Abu Talhah distributed that garden amongst his relatives and his cousins." (This narration is reported by Al-Bukhari).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The best object of charity is that to be given to one's kith and kin who is indigent." (This narration is reported by Ahmad and At-Tabarani on the authority of Abu Ayyub; and Al-Baihaqi on the authority of Umm Kulthum Bint Uqbah). It is similar to the Hadith in which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace

be upon him" said: "The best of good deeds is to keep relation with him who severs relation with you, to give him who withholds from you, and forgive him who wrongs you." (This narration is reported by Ahmad on the authority of Mu'adh Ibn Anas; and At-Tabarani on the authority of Abu Umamah). Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" sent a message to his appointed governors in which he said: "Order the relatives to exchange visits but not to live in neighbourhood." He said so for neighbourhood develops congestion round rights, which leads to desertion and severing of relations.

Rights Of Parents and children

Once the relation of kinship is affirmed, the most fitting should be the relation of parenthood which multiplies the rights. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No child could reward his father unless he finds him a slave, thereupon he should buy and emancipate him." (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "One's dutifulness to his parents is better than prayer, charity, fasting, Hajj, Umrah and even Jihad in the Cause of Allah."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "He, upon whom morning comes while he is pleasing his parents, he will have two gates open to the Garden, and if evening comes upon him while he is so, he will have the same, and if he pleases only one, he will have only a single gate, even if he commits justice; and he, upon whom morning comes while he is displeasing his parents, he will have two gates open to the fire (of Hell), and if evening comes upon him while being so, he will have the same, and if he pleases only one of them, he will have only a single gate, even if he is wronged." (narrated by Al-Baihaqi on the authority of Ibn Abbas).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The Garden's smell is detected from a five-hundred-year journey, and no disobedient (of his parents) nor severer of relation with his kith and kin will detect its smell." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Abu Hurairah and Jabir). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Be dutiful to your mother and father, sister and brother, then the next to you of kin." (This narration is reported by An-Nasa'i on the authority of Tariq Al-Muharibi; and Ahmad and Al-Hakim on the authority of Abu Rimthah). It is reported that Allah Almighty said to Moses "Peace be upon him": "O Moses! He, who is dutiful to his parents and disobedient to me, I will write him as a dutiful; and he, who is undutiful to his parents and obedient to Me, I will write him as a disobedient."

It is further narrated that when Jacob entered upon Joseph "Peace be upon both", Joseph did not stand up in respect for him, thereupon Allah Almighty revealed to him: "Do you behave arrogantly towards your father? By My Power and Glory, I shall not produce Prophets from your loin." The

Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There is no harm upon anyone who likes to give in charity, to give it to his parents in case they are Muslims, thereupon they will have its reward, and he will have its reward, without reducing anything form theirs." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Amr Ibn Shu'aib from his father from his grandfather).

It is narrated on the authority of Abu Usaid: Malik Ibn Rabie'ah As-Sa'idi that he said: While we were with the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", a man belonging to (the tribe of) Banu Salamah came to him and asked: "O Messenger of Allah! Does there remain anything of my dutifulness towards my parents therewith to show kindness to them after their death?" he said: "Yes. It is to invoke (for Allah's) prayer upon them, ask for (Allah's) forgiveness for them, carry out their covenant after their death, and keep the good relations (with your kith and kin) which are not kept except for their good pleasure, and deal generously with their friends (for their sake)." (This narration is reported by Abu Dawud, Ibn Hibban and Al-Hakim).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "One of the greatest acts of dutifulness is that a man keeps good relations with those whom his father used to love after his father's death." (This narration is reported by Muslim on the authority of Ibn Umar). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "One's dutifulness to his mother should be twice (his dutifulness to his father)." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The mother's invocation is swifter to receive answer." It was said: "O Messenger of Allah! What is the reason for that?" he said: "For she is more merciful than the father, and the invocation that stems from mercy never lapses."

A man asked the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying: "Whom should I be dutiful to?" He said: "Be dutiful to your parents." He said: "But I have no parents." He said: "Then be dutiful to your child: as well as your parents have a right upon you, your child has a right upon you." (This narration is reported by Abu Umar An-Nuqati on the authority of Uthman Ibn Affan; and At-Tabarani on the authority of Ibn Umar). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "May Allah bestow mercy upon a parent who helps his child be dutiful to him." (This narration is reported by Ibn Hibban on the authority of Ali Ibn Abu Talib and Ibn Umar). He means that he does not lead him to be undutiful to him by his bad deeds.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Be equal in your gifts to your children." It is said that your child is like your basil which smells good for seven (years), and then he become your servant for other seven (years), and then he turns to be either your enemy or your partner. It is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon

him" said: "On the seventh day of the child's birth, an Aqiqah should be slaughtered on his behalf, and he should be given a name, and the harm should be removed from him. When he becomes six years old, he should be educated. When he becomes nine years old, he should have a separate bed. When he becomes thirteen years old, he should be beaten for leaving the prayer. When he becomes sixteen years old, his father should marry him. Then, the father should takes hold of his hand and say : "I have educated, instructed and married you: I seek refuge with Allah from your temptation in the world and your punishment in the hereafter."" (This narration is reported by Ibn Hibban).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A child's right upon his father is to educate him well and choose for him a good name." (This narration is reported by Al-Baihaqi on the authority of both Ibn Abbas and A'ishah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Every child is retained for his Aqiqah which should be slaughtered on his behalf on the seventh day of his birth, and his head should be shaved." (This narration is reported by those of Sunan on the authority of Samurah). According to Qatadah : "When the Aqiqah is slaughtered, take a piece of wool and rub it against the skull of the babe until it bleeds like a thin string . Then, his head should be washed and shaved." A man came to Abdullah Ibn Al-Mubarak and complained to him one of his children, thereupon he asked him: "Have you involved evil against him:?" he answered in the affirmative, thereupon he said: "Then, you have spoilt him."

It is desirable to be lenient to one's child. Once, Al-Aqra' Ibn Habis saw the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" kissing Al-Hassan, thereupon he said: "I have ten children, and I've never kissed anyone of them." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who is not merciful to others, receives no mercy (from Allah)." (This narration is reported by Al-Bukhari on the authority of Abu Hurairah). A'ishah "Allah be pleased with her" said: One day, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to me: "Wash the face of Usamah." I started washing his face disgustingly , thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" beat my hand, and took him, and washed his face and kissed him. "Allah has done well to us as he (Usamah) is not a girl." Once, Al-Hassan stumbled while the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was on the pulpit, thereupon he descended and carried him, and recited Allah's saying: "And know you that your possessions and your progeny are but a trial; and that it is Allah with whom lies your highest reward." (Al-Anfal 28)

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

(This narration is reported by those of Sunan).

It is narrated on the authority of Abdullah Ibn Shaddad from his father that he said: Once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" came out to us in order to lead one of both prayers of the evening (i.e. Maghrib and Isha), and he was carrying Hassan or Hussain. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" proceeded on and placed him, and said Takbir to assume the prayer, and went on offering prayer, during which he offered a prostration which he prolonged, thereupon I raised my head and behold! the child was on the back of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" while he was prostrating. I returned to my prostration. When the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" finished from the prayer the people said: "O Messenger of Allah! you've offered during the prayer a prostration which you've prolonged so much that we thought something serious had happened, or that you had being Divinely revealed." He said: "Nothing of that has happened. But my grandson took me as a riding mount, and I disliked to make haste before he was satisfied." (This narration is reported by An-Nasa'i and Al-Hakim). Many benefits might be obtained from that Hadith: one is that one becomes close to Allah Almighty in the prostration posture. One also learns how to be kind and lenient to his child, and how the nation should learn that from the Prophet. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The smell of the child is out of the smell of the Garden." (This narration is reported by At-Tabarani and Ibn Hibban on the authority of Ibn Abbas).

Yazid Ibn Mu'awiyah said: My father sent to Al-Ahnaf Ibn Qais and asked him: "O Abu Bahr! What do you say about the son?" he said: "O Commander of Believers! (Our sons are) the fruits of our hearts, the supports of our backs, and we are, in relation to them, plain land and shading sky, and with them we attain all glorious deeds. So, if they demand, give them, and if they grow angry, please them, perchance they would love you and strive their utmost in your cause. Be not a heavy burden on them lest they would disgust your life, hope for your death, and dislike to be close to you." Mu'awiyah said to him: "How good you are O Ahnaf! When you entered upon me, I was fully angry with Yazid." When Al-Ahnaf came out, he became pleased with Yazid and sent to him two hundred thousand Dirhams and two hundred garments. Yazid sent to Al-Ahnaf one hundred thousand Dirhams and one hundred garments.

These are the narrations that ensure the rights of the parents, and the way they should be fulfilled is known from the rights of brotherhood we've already mentioned. This bond (of parenthood) is more confirmed than that of brotherhood, and it has more two things: the first is that most learned are of the opinion that the obedience of one's parents is obligatory even in what is suspicious, but not in what is unlawful. Moreover, if they are disturbed by your eating alone, you should then share food with them, for to leave suspicion is out of piety, whereas to please one's parents is out of obligation. You are not allowed to set out on journey without their leave, even if it is for Hajj or seeking after

knowledge, unless one seeks after the knowledge of obligatory duties like prayer, fasting, Zakat, etc, and there is none to undertake that in your country. This is the case of him who embraces Islam, and likes to learn the obligatory duties and laws of Islam, and his country is lacking of those who do so: thus, it becomes incumbent upon him to set out in pursuit of knowledge, regardless of the right of his parents in this respect.

It is narrated on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him" that he said: A man migrated from Yemen to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and sought to take part in Jihad, thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "Do you have your parents in Yemen?" he answered in the affirmative. He said: "Have they given you permission?" he answered in the negative, thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Return to your parents and take their permission: if they give you permission, that's good, otherwise, strive yourself to be dutiful to them, for this is the best deed after monotheism therewith to meet Allah." (This narration is reported by Ahmad and Ibn Hibban).

According to another narration, another man came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in order to consult him concerning fight (in the Cause of Allah), thereupon he asked him: "Are your mother living?" he answered in the affirmative. He said: "Then, stick to her, for indeed, (your entering) the Garden is in (your sitting in her service beside) her feet." (This narration is reported by An-Nasa'i, Al-Hakim and Ibn Majah on the authority of Mu'awiyah Ibn Jahimah, and he was the man who came to the Prophet). A man came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in order to give him the pledge of allegiance to emigrate (in the Cause of Allah) and said: "I have come to you although I caused my parents to weep (for leaving them)." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Then, return and cause them to laugh as you have caused them to weep." (This narration is reported by Abu Dawud, An-Nasa'i, Ibn Majah and Al-Hakim on the authority of Abdullah Ibn Amr).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The right of the eldest brother upon his young brothers is like the right of the parent upon his children." (This narration is reported by Ibn Hibban on the authority of Abu Hurairah; and Abu Dawud on the authority of Sa'id Ibn Amr Ibn Al-As). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If the riding mount of anyone of you is difficult upon him, or the manners of his wife or anyone of his family become bad, let him recite Adhan in his/her/its ear." (This narration is reported by Ad-Dailami on the authority of Al-Hussain Ibn Ali Ibn Abu Talib).

Rights Of Slave

It should be known that what the right hand possesses should have many

rights to be observed. The last advice given by the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was: "Fear Allah concerning what your right hands possess: feed them from where you eat, clothe them from where you clothe yourselves, and overburden them not with what is beyond their capacity, and keep of them what you like, and sell of them what you dislike, and do not punish the creatures of Allah for it is Allah Who has made them your slaves, and if He wills, He could make you their slaves." (This narration is reported by Abu Dawud on the authority of Ali and Abu Dharr; Al-Bukhari and Muslim on the authority of Anas).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The slave should have his food and clothes fairly and reasonably, and he should not be overburdened with what is beyond his capacity." (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Neither a cheater, nor an arrogant, nor a betrayer, nor a person who treats his slaves with harshness should enter the Garden." (This narration is reported by Ahmad, At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Abu Bakr). It is reported on the authority of Ibn Umar "Allah be pleased with both" that he said: A man came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "O Messenger of Allah! How many times should we excuse the servant?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" kept silent for a moment after which he said: "Seventy times everyday." (This narration is reported by Abu Dawud and At-Tirmidhi).

It is narrated that Umar "Allah be pleased with him" used to go to the Heights of Medina every Saturday, and whenever he found on the way a slave doing a task that is beyond his capacity, he would relieve him of some of it. It is narrated from Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he saw a man riding a mount and his slave walking behind him thereupon he said to him: "O slave of Allah! Let him ride behind you, for he is your brother, and his soul is like yours." He made him ride behind him, and then Abu Hurairah said: "The more one let others walk behind him, the farther he becomes from Allah Almighty." A slave-girl said to Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him": "I poisoned you a year ago, but it did not affect you." He asked her: "Why did you do so?" she said: "In order to relieve myself of you." On that he said to her: "Then, go, you are free for the sake of the Countenance of Allah Almighty."

According to Az-Zuhri: "If you say to your slave: "May Allah disappoint you", he should be set free." It was said to Al-Ahnaf Ibn Qais: "From whom have you learnt forbearance?" he said: "From Qais Ibn Asim." It was said: "To what extent was he forbearing?" he said: "While he was sitting in his house, his servant-girl brought an iron rod having roasted meat, and it fell from her hand over one of his children, and fatally injured him which caused him to die. The servant-girl was scared so much that he said: "Nothing could calm that servant-

girl but to be emancipated." He said to her: "You are free. No harm befalls you." It was the habit of Abdullah Ibn Awn that whenever his slave disobeyed him, he would say to him: "How similar you are to your master: your master disobeys (Allah) his master, and you disobey your master." One day, he provoked his anger, thereupon he said to him: "Do you like me to beat you? Nay! Go, you are free."

It is reported that Maimun Ibn Muhran had a guest, and he urged his slave-girl to prepare supper quickly, thereupon she came fast with a bowl of food, and (out of her swiftness) she stumbled and the bowl fell over the head of her master. He said: "O slave-girl! You have burnt me!" she said: "O teacher of good and educator of people! Return to what Allah has said." He asked her: "What has Allah Almighty said?" she said: "He said: "who restrain anger" (Al Imran 134)

﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾

Thereupon he said: "I have restrained my anger." She said: "and pardon (all) men." (Al Imran 134)

﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾

He said: "I have pardoned you." Then she said: "Do more, for Allah Almighty says: "for Allah loves those who do good." (Al Imran 134)

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

On that he said: (You are free for the sake of the Countenance of Allah Almighty."

It is narrated on the authority of Ibn Al-Munkadir that one of the companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" beat a slave belonging to him, and the slave kept saying to him: "I beseech you by Allah, I beseech you by the Countenance of Allah (to pardon me)!" but he did not pardon him. Heard the cry of the slave, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" went to him, and when the man saw the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" he stopped from beating him. On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "Do you not forgive him although he has beseech you by the Countenance of Allah, and you stop your hand form beating him only when you have just seen me?" the man said: "Then, he is free for the sake of the Countenance of Allah O Messenger of Allah." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Had you not do so, the fire would have burnt your face." (This narration is reported by Ibn Al-Mubarak).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "If a slave is sincere to his master, and worships Allah perfectly, he will have

his reward twice." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of Ibn Umar). When Abu Rafi' was emancipated, he wept and said: "I had a double reward (when I was a slave), and now, one of them vanished (when I was emancipated)." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I was shown the first three to enter the Garden, and the first three to enter the fire (of Hell). The first three to enter the Garden are the martyr, a slave who worships his Lord perfectly and is sincere to his master, and a chaste one who refrains (from begging others) although he has many dependents. The first three to enter the fire (of Hell) are a wrongful ruler, a rich who does not give the right of Allah, and an arrogant poor." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Ibn Hibban on the authority of Abu Hurairah).

Abu Mas'ud Al-Ansari narrated: While I was lashing a slave of mine, I heard a voice from behind me saying: "Learn O Abu Mas'ud that Allah has more power over you than you have over this (slave)." I turned and behold! He was The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". I said: "O Messenger of Allah! He is free for the sake of Allah." He said: "Had you not done so, the fire (of Hell) would have burnt (or touched) you." (This narration is reported by Muslim). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "If anyone of you buys a servant, let the sweet be the first food to feed him therewith, for this pleases himself more." (It is reported by At-Tabarani and Al-Khara'iti on the authority of Mu'adh).

It is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If the servant of anyone of you brings food to him, he should make him sit and share food with him, and if he does not do, at least, he should give him a morsel thereof." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim, and also Al-Khara'iti). Once, a man entered upon Salman "Allah be pleased with him" and he was making his dough, thereupon the man exclaimed: "O Abdullah! What is that?" he said: "We have sent the servant to do a job, and we disliked to join two tasks upon him." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who has a slave-girl whom he safeguards and deals with kindly, and then he emancipates and marries her, he will have a double reward." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Musa). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Each one of you is a guardian and responsible for those under his guardianship." (This narration is reported by Al-Bukhari den Muslim on the authority of Ibn Umar).

The rights of a slave upon his master is to have him share food and clothes with him, not to overburden with what is beyond his capacity, not to look down upon him, to forgive for him his slips, to consider, when he becomes angry with him, his own crimes and sins in which he violates the right of Allah Almighty upon him, and his indulgence in obeying and worshipping Allah, although Allah has more Power over him than he has over his slave.

It is narrated on the authority of Fadalah Ibn Ubaid "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Three will not be questioned about: a man who departs from the group (of Muslims), and a man who disobeys his imam and dies while he is disobedient: they should not be questioned about, and a woman from whom her husband has become absent after having sufficed her the burden of the world provisions, and she put off her veil and displayed her beauty: she should not be questioned about. Other three should not be questioned about: a man who disputes Allah over His Lower Garment, and His Lower Garment is Majesty, and His Upper Garment is Power and Honour, a man who has doubt about Allah Almighty, and a man who despairs of the mercy of Allah Almighty." (This narration is reported by At-Tabarani).

It is the sixth book of the quarter of customs of life

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

Praise be to Allah, Who has bestowed his great favour upon the well-chosen among His creatures, by diverting their attentions to entertain their loneliness by being in His Presence, and make them enjoy the pleasure of seeing His Signs and Greatness, and comforted their hearts by causing them to have private talks with Him, and belittled in their sights the vision of the chattels and delights of this world, to the extent that anyone who is veiled from seeing Him has become pleased with living in seclusion (of the people as long as he is in the in the Presence of Allah), for by so doing, he has entertained himself with seeing the Glories of His Countenance in his seclusion, therewith he has become free of need to get sociable with the people, although sociability is among the most important of human characteristics. Allah's blessing and peace be upon our chief Muhammad, the chief of all the Prophets and Messengers, and the best of His creatures, as well as upon his family and his companions, the leaders of the truth.

To go further: the people are different about the matters of seclusion and sociability, and giving preference to each of them over the other. Although each has many demerits which make one refrain from it, as well as merits which summons one to stick to it, most of worshippers and ascetics inclined to choose seclusion, which they gave preference over sociability. But what we have already mentioned in the Book of the Etiquette of Companionship in terms of the virtue of brotherhood and good company almost contradict the inclination of the majority (of worshippers and ascetics). For this reason, it is important to disclose the truth in this matter, which might be done in two chapters:

The first chapter pertains to relating the different opinions and arguments.

The second chapter pertains to disclosing the truth through presenting the merits and demerits.

CHAPTER ONE: RELATING DIFFERENT OPINIONS AND STATEMENTS; AND ARGUMENTS OF EACH PARTY

The opinions about giving preference to each over the other are different, and this difference seemed obvious among the Tabi'is. Of those who favoured seclusion, and gave it preference over sociability, a mention may be made of Sufyan Ath-Thawri, Ibrahim Ibn Adham, Dawud At-Ta'i, Fudail Ibn Iyad, Sulaiman Ibn Al-Khawas, Yusuf Ibn Asbat, Hudhaifah Al-Mar'ashi, and Bishr Al-Hafi. But the majority of followers inclined to favour sociability, and taking

many friends, acquaintances and brothers, and it was desirable to them to be affable to and have affection for the faithful believers, and seek their help in religion, by way of co-operation in righteousness and piety. This is the inclination of Sa'id Ibn Al-Musayyab, Ash-Sha'bi, Ibn Abu Laila, Hisham Ibn Urwah, Ibn Shubrumah, Shuraih, Sharik Ibn Abdullah, Ibn Uyainah, Ibn Al-Mubarak, Ash-Shafi'i, Ahmad Ibn Hanbal, and others.

Statements Of Those Who Incline To Seclusion

The statements that are handed down from the learned are divided into absolute words that express full inclination to any of both opinions, and words carrying the rationale for such inclination and preference. Let's first relate the absolute words, in order to clarify the different opinions. But let's defer the words that carry the rationale for choice to the (second chapter, which is the) exposition of merits and demerits.

It is reported that Umar "Allah be pleased with him" said: "Take your fortunes of seclusion." According to Ibn Sirin "may Allah have mercy upon him": "Seclusion is an act of worship". According to Al-Fudail : "Allah Almighty is sufficient for lover, the Quran for entertainer, and death for preacher." It was said: "Take Allah for Companion, and avoid the (company of the) people." Abu Ar-Rabie Az-Zahid said to Dawud At-Ta'i: "Preach me." He said to him: "Fast from the world, and make the hereafter your breakfast, and run away from the people in the same way as you run away from a lion." Al-Hassan "Allah's mercy be upon him" said: "I memorize the following words from the Torah: when mankind was satisfied, he got free of need, and when he got isolated from the people, he became safe, and when he left desires, he became free, and when he avoided envy, he proved gallant, and when he kept patient a bit, he came to enjoy for a long time."

According to Wuhaib Ibn Al-Wurd : "We were reported that wisdom consists of ten parts, nine of which lie in silence, and the remaining one in seclusion from the people." Yusuf Ibn Muslim asked Ali Ibn Bakkar: "What has caused you to keep patient on loneliness?" he had already stuck to his house. On that he said: "When I was young, I kept patient on more than that. I used to sit with the people, but without communicating with them." According to Sufyan Ath-Thawri : "Now, it is time for silence, and sticking to houses." Ibrahim An-Nakh'i said to a man: "Understanding (and learn) religion, and then live in seclusion (from all the people)." This is also the saying of Ar-Rabie Ibn Khaithamah.

It was said that Malik Ibn Anas used to attend the funeral processions, visit the patient to inquire about their health, and give the brothers their rights. But he left that one by one until he left them all. He used to say: "It is not fitting for a man to adorn any excuse he presents." It was said to Umar Ibn Abdul-Aziz: "Would that you devote yourself to us!" on that he said: "No doubt, the time of devotion has gone away, and one could not devote himself but to Allah Almighty." According to Al-Fudail : "I find myself under obligation to a man

who does not greet me whenever he meets me, nor visits me to inquire about my health whenever I fall ill."

Abu Sulaiman Ad-Darani said: "While Ar-Rabie Ibn Khaithamah was sitting at the gate of his house, a stone fell on him, and struck his forehead and wounded it. He went on wiping the blood off his face and saying: "No doubt, you have been admonished O Rabie!" he then stood and entered his door, and after that he never sat at the door of his house until his dead body was brought out to be buried." Both Sa'd Ibn Abu Waqqas and Sa'id Ibn Zaid "Allah be pleased with them" stuck to their houses in Aqiq, and they never went to Medina to attend Friday (prayer) or any other occasion until they died in Aqiq. Yusuf Ibn Asbat said: I heard Sufyan Ath-Thawri saying: "By Allah, other than Whom there is no Allah! It is time for living in seclusion."

According to Bishr Ibn Abdullah : "Make little your acquaintances for you do not know what is going to be on the Day of Judgement. If you are put to shame, then, it is a few who shall recognize you." A governor entered to visit Hatim Al-Asamm and asked him: "Do you have any need?" he said: "Yes." He said: "What is it?" he said: "It is not to see me, nor to make me see you, nor to recognize me." A man asked Sahl: "I like to be in your company." He said: "When anyone of us dies, then, whom should the other accompany?" he said: "Allah." He said: "Then, let him be in the company of Allah from now.

It was said to Al-Fudail: "Ali, your son, says: 'Would that I be in a place where I see the people and they see me not'!" on that Al-Fudail wept and said: "Woe to Ali! Why has he not completed the phrase by saying: 'in a place where I see them not, and they see me not?" according to Al-Fudail: "It is out of silliness to have more acquaintances.

According to Ibn Abbas "Allah be pleased with both": "The best sitting is that in the bottom of your house, where you see none, and none is able to see you." Those are the statements of those who incline to seclusion.

Arguments Of Those Who Incline To Sociability

They base their argument upon the statement of Allah Almighty: "Be not like those who are divided amongst themselves and fall into disputations after receiving Clear Signs: for them is a dreadful Penalty." (Al Imran 105)

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾

And: "and He joined your hearts in love, so that by His Grace, you became brethren." (Al Imran 103)

﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴿١٠٣﴾ ﴾

But this argument is weak, for what is intended here is the division and difference in opinion about the understanding of the Book of Allah and the fundaments of religion. Similarly, to join hearts in love is to remove grudges and

resentment from the breasts, for they are the motives of afflictions and disputes. Of a surety, seclusion does not contradict that.

They also establish their argument upon the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "The faithful believer is to adhere to the people and the people adhere to him in love, and there is no good in him who does not adhere to the people, nor do the people adhere to him in love." This argument also is weak, for the Hadith blames the bad manners because of which one does not adhere to the people in love. Of course, it does not imply the person of good manners, who, when mixing with the people, adheres to them and they adhere to him in love. But it implies to leave mixing in occupation by oneself, and seeking safety from the others.

They also depend upon the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "He, who left the group of Muslims even as little as a span, has, indeed, removed the tie of Islam from his neck." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "He, who left the group (of Muslims) and died as such, his death would be like the death of those of the pre-Islamic period of ignorance." (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who defies the Muslims who are in unity, has indeed removed the tie of Islam from his neck." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Ibn Abbas). But this also is weak, for what is intended here is the group of Muslims who agree upon a particular imam by giving the pledge of allegiance to him: to defy them then is out of transgression, and it belongs to the opposition in opinion. However, this is forbidden, for the people are forced to gather under a particular imam to unite them, and this could be achieved only by giving him the pledge of allegiance through the majority of people, and to contend with them in that matter stimulates affliction. This does not imply seclusion.

They also quote the forbiddance given by the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" of desertion over three days. He said in this issue: "He, who deserts his Muslim brother over three days during which he dies, will enter the fire (of Hell)." (This narration is reported by Abu Dawud on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "It is unlawful for a Muslim person to desert his Muslim brother over three days, and anyone among them who procedes to make reconciliation will enter the Garden." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim, and At-Tabarani on the authority of Anas). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who deserts his brother for a year seems as if he has shed his blood." (This narration is reported by Abu Dawud on the authority of Abu Khirash As-Sulami). They say that seclusion is to desert all the people.

But even, this is also a weak argument, for what is intended in those

narrations is to grow angry with the people, and contentiously refrain from talking to them, greeting them, or mixing with them. In this way, it does not imply to leave mixing without anger, given that desertion over three days is permissible on two occasions: the first is to see benefit in reforming the state of the abandoned, in case he deserts him more; and the other is to see he will be safe by so doing. If the forbiddance is general, it should be restricted to what is beyond those two situations. This is attested by the narration on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her", that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" forsook her (or Zainab) for the months of Dhul-Hijjah, Muharram, and a portion of Safar. (This narration is reported by Abu Dawud). It is further reported on the authority of Umar "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" kept aloof from his wives, and took oath to refrain from them for a month, during which he ascended to an attic room which was his store, and spent there twenty-nine days, after which he descended, and when it was said to him: "You spent only twenty-nine days (and not a full month as you took oath)" he said: "The month might consist of twenty-nine days." (This narration is reported by both Al-Bukhari and Muslim).

It is narrated on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that she said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It is unlawful for a Muslim to desert his brother over three days unless he (the abandoned) is of those from whose evil one could not feel safe." (This narration is reported by Ibn Adi). This is an evident particularization, and it is within that framework that the statement of Al-Hassan "may Allah have mercy upon him" should be understood: "To desert the foolish is an act of worship therewith one becomes nearer to Allah Almighty." That's because such desertion lasts until death, for foolishness is not expected to disappear.

A mention was made, in the presence of Muhammad Ibn Umar Al-Waqidi, of a man who deserted another until he died, thereupon he commented: "This was done of old by people who preceded to it: Sa'd Ibn Abu Waqqas kept deserting Ammar Ibn Yasir "Allah be pleased with both" until he died; Uthman Ibn Affan deserted Abd Ar-Rahman Ibn Awf "Allah be pleased with both"; A'ishah deserted Hafsah "Allah be pleased with both"; and Tawus deserted Wahb Ibn Munabbih "may Allah have mercy upon both" until he died. The rationale is that they thought their safety lie in desertion. They quote the narration according to which a man came to the mountain in order to worship Allah, and when he was brought to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", who said to him: "Neither you nor anyone should do so. If anyone of you keeps steadfast in a particular scene (battle) of Islam, it will be much better for him than to live in seclusion to worship Allah for forty years." (This narration is reported by Al-Baihaqi on the authority of As'as Ibn Salamah).

But it seemed that he said so for the man left Jihad in the Cause of Allah

which was extremely obligatory in the early beginnings of Islam. This is attested by the narration on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: We set out in a holy battle with the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and we came upon a narrow pass in which there was a spring of pleasant water, thereupon a man of the people said: "Would that I live in seclusion from the people in that narrow pass! I would not do so until I make a mention of it to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Do not do, for indeed, the standing of anyone of you in the Cause of Allah is much better than his prayer (in the house) among his family for sixty years. Do you not like that Allah forgives for you your sins and that you enter the Garden? Fight in the Cause of Allah for whoever fights in the Cause of Allah (even as little as is) the interval between two milkings , Allah Almighty admit him to the Garden." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Al-Hakim).

They also quote the narration on the authority of Mu'adh "Allah be pleased with him" in which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", said: "Satan is the wolf of man. Like the wolf of sheep, it takes every goat that is far-off, left aside, and fleeing away. So, beware of the stay in the mountain passes, and I advise you to adhere to the group and community of people, and the mosques." (This narration is reported by Ahmad and At-Tabarani). But what is intended here is the one who lives in seclusion before attaining the full maturity; and this is forbidden as we shall explain later.

Arguments Of Those Who Incline To Favour Seclusion

They quote the statement of Allah Almighty about Abraham "Peace be upon him": "And I will turn away from you (all) and from those whom you invoke besides Allah: I will call on my Lord: perhaps, by my prayer to my Lord, I shall be not unblest." (Maryam 48)

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾

Then He Almighty said after that: "When he had turned away from them and from those whom they worshipped besides Allah, We bestowed on him Isaac and Jacob, and each one of them We made a prophet." (Maryam 49)

﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ ﴾

In reference to the fact, that this was granted to him, by the blessing of his seclusion. But this argument is weak, for there is no benefit from mixing with the disbelievers other than to invite them to the religion, and when one has no hope for their response, there is no way but to turn away from them.

But we talk about the mixing with Muslims and the blessing one gets from it. This is attested from the narration in which it was said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Messenger of Allah! Which is dearer to you: to perform ablution from a covered jar or from those tubes from

which the people perform ablution?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "(It is dearer to me) to perform ablution from those tubes, seeking the blessing of the hands of the Muslims." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Ibn Umar). It is further narrated that when the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" circumambulated the House, he betook himself to Zamzam to drink, and behold! He saw the soaked dates in the leather tubes having contaminated by the hands of the people in their taking and drinking form it. He sought to drink therefrom saying: "Give me drink from that." Al-Abbas "Allah be pleased with him" said: "That soakage was contaminated by the dipping hands. Should I not bring you a drink cleaner than that from a covered jar in the house?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No, give me drink from that from which the people drink, so that I would seek the blessing of the hands of Muslims." He drank from it. (This narration is reported by Al-Azraqi on the authority of Ibn Abbas). How segregation from the disbelievers and idolaters be taken as evidence for segregation from the Muslims, given the great deal of blessing one gets from mixing with them?

They also quote the statement of Moses "Peace be upon him" in the Quran: "If you believe me not, at least keep yourselves away from me." (Ad-Dukhan 21)

﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ ﴾

He rushed to live in seclusion from his people when he despaired of them. Allah Almighty said about the companions of the cave: "When you turn away from them and the things they worship other than Allah, betake yourselves to the Cave: your Lord will shower His mercies on you and dispose of your affair towards comfort and ease." (Al-Kahf 16)

﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ﴾

In this way, He Almighty ordered them to turn away from the people. Furthermore, our Prophet "Peace be upon him" secluded himself form his people of Quraish when they disbelieved in him, gave lie to his call, and caused harm to him: he entered the narrow pass (of Abu Talib), and ordered his companions to turn away from them, and to emigrate to Abyssinia (according to the narration of Musa Ibn Uqbah and Al-Baihaqi and Ibn Sa'd on the authority of Ibn Shihab). Then, they followed him to Medina after Allah Almighty had made superior his word. But even, this also belongs to seclusion from the disbelievers after getting despaired of them. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did not seclude himself from the Muslims, nor from those who were expected to embrace Islam. Similarly, the companions of the cave did not turn away from each other, and they were believers: but they secluded

themselves only from the disbelievers. The point here is the seclusion from the Muslims.

They also quote the narration in which Abdullah Ibn Amir Al-Juhani said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Messenger of Allah! What is the salvation?" he said: "It is to adhere to you rouse, keep your tongue and weep on your sin." It is narrated that it was said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Which of the people is the best?" he said: "A faithful believer who strives himself and his property in the Cause of Allah." It was said: "Who is next?" he said: "A man who lives in seclusion in a mountain pass, to worship Allah and safeguard the people from his evil." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Verily, Allah loves the pious pure man, who hides himself (from the assemblies of people)." (This narration is reported by Muslim on the authority of Sa'd Ibn Abu Waqqas).

But to quote those narrations in support of the argument is questionable. What the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Abdullah Ibn Amir refers to the light of Prophethood the Messenger had, therewith he knew what his state would be in the future, and to adhere to the house was more fitting for his state than to mix with the people. He did not order all the companions to do the same. It might be much safer for a particular man to get isolated or sit at home and not to set out for Jihad, and of a surety, this does not indicate that to leave Jihad is better. Furthermore, sociability summons self-mortification and patience. For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The one who mixes with the people and keep patient on their harm is better than him who does not mix with the people nor keep patient on their harm." (This is reported by At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Ibn Umar).

This is the significance of the statement : "A man who lives in seclusion to worship his Lord and relieve the people from his evil." It refers to an evil person from mixing with whom the people receive harm. His statement "Allah loves the pious pure person who hides himself from the people" refers to giving preference to inactivity and avoiding prominence. This differs from living in seclusion. How many a monk who lives in seclusion, and is known to all the people, and how many a person who mixes with the people, and at the same time, he is inactive and unknown.

They also quote the narration in which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to his companions: "Should I not tell you about the best of the people?" they said" "Yes O Messenger of Allah." He beckoned with his hand towards the West and said: "He is a man who catches hold of the rein of his horse in the Cause of Allah, in expectation to attack or be attacked by the enemies. Should I not tell you about the best of people after him?" he beckoned with his hand towards Hijaz and said: "He is a man who lives

with his sheep, establishes prayer, gives obligatory charity, and knows the right of Allah due upon his property, and gets isolated from the evil of the people." (This is reported by At-Tabarani on the authority of Umm Mubashshir; At-Tirmidhi and An-Nasa'i on the authority of Ibn Abbas).

But as those quotations could not be taken as decisive proofs, the truth then should be disclosed by showing the merits and demerits of seclusion, and making comparison between them, in order to know whether it is beneficial or harmful.

CHAPTER TWO: MERITS AND DEMERITS OF SECLUSION

It should be known that the people differ about that matter in the same way as they differ about the superiority of marriage and celibacy. This differs by the difference of states and persons, in accordance with the merits and demerits of marriage as we have already explained in detail. The same is true of seclusion. Let's first make a mention of the merits of seclusion.

Merits Of Seclusion

They are divided into religious and worldly, and the religious are divided into those merits which enable one to obtain the acts of worship and maintain regularity in that worship through the seclusion, meditation, self-discipline on worship; and merits by which one gets rid of committing what is forbidden, that appears to one when he mixes with people, such as showing off, backbiting, stopping from enjoining what is right and forbidding what is evil, and staining his disposition with the bad manners and wicked deeds to be acquired from the evil sitters.

The worldly are divided into merits that enable one to obtain what might be obtained through the seclusion, like the craftsman's ability during his seclusion to keep himself from seeing, hearing and doing what is forbidden, which might appear to him when he mixes with the people, such as his watching the splendor of the world, and how people dedicate themselves to it, how he covets of the people and how the people covet of him, and how the curtain of his gallantry is removed when he mixes with the people, and how he would receive harm from the bad manners of his sitters, through argumentation, evil suspicion, talebearing, envy, and how he would receive harm from his boring character and ugly features. Those are the total merits of seclusion.

Let's then enumerate them in six:

The first merit pertains to getting devoted to worship and meditation, and sociable with talking privately to Allah Almighty from the involvement in conversing the people. One also engages in exploring the mysteries of Allah Almighty in the creation of this world and the hereafter, and the dominion of both the heavens and the earth. All of that summons wholehearted devotion, which could not be achieved through mixing with the people. The seclusion then is a means to it. A wise man said: "None is able to live in seclusion unless he

holds fast by the Book of Allah Almighty." Those who hold fast to the Book of Allah Almighty are the people who comfort themselves from this world by celebrating Allah Almighty, i.e. the people who remember Allah with Allah, who live with the celebration of Allah, and die with the celebration of Allah, and meet Allah with the celebration of Allah.

Undoubtedly, mixing with the people hinders those from celebration and meditation; and seclusion is more fitting for them. For this reason, during the commencements of Prophethood, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to worship Allah in seclusion in the cave of Hira' until the light of Prophethood became strong within him. (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of A'ishah). In this way, the creatures did not hinder him from Allah. He lived with his person with the people, and devoted himself wholeheartedly to Allah Almighty. When the people thought of Abu Bakr "Allah be pleased with him" as his (the Prophet's) bosom friend, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: telling about his entire involvement in the worship of Allah: "Were I to take a bosom friend (I would have taken Abu Bakr), but your companion (meaning himself) is the bosom friend of Allah." (This narration is reported by Muslim on the authority of Ibn Mas'ud).

It is beyond the capacity of the ordinary people other than the Prophets to mix with the people outwardly, and devote themselves wholeheartedly to Allah inwardly. Thus, it is not befitting for every weak man to be deceived by himself, and covet of doing so. But some devotees of Allah could not unlikely attain such a degree. It is reported from Al-Junaid that he said: "I've been involved in private conversation with Allah for thirty years, during which the people thought I have been speaking with them." This is easy for him who is involved in the love of Allah so much entirely that there remains no place for anything in his heart; and this is not impossible. From among those who are famous for their love for the people there is the one who get sociable with his person, although he knows not what he says to them, or what is said to him, in view of his excessive love for his beloved. Take, for example, the own who is given to distress, which distracts his mind and heart to the extent that he mixes with the people and feels not about them, and hears not their voices, in view of his excessive involvement.

In the sight of the wise men, the matter of the hereafter is more significant. So, it is not impossible to occur. But it is more fitting for the majority to seek the aid of seclusion. For this reason, a wise man was asked about the aim people sought to achieve through seclusion, thereupon they said: "They sustain contemplation and confirm knowledge in their minds and hearts, and enjoy a good life and taste the sweetness of knowledge." It was said to a monk: "What led you to endure solitude?" he said: "I will never be alone. I sit with Allah Almighty: if I like Him to converse with me, I would recite His Book, and if I like to converse with Him, I would perform prayer." A wise man was asked: "To which seclusion and asceticism led you?" he said: "To be sociable with

Allah Almighty."

Sufyan Ibn Uyainah said: I met Ibrahim Ibn Adham "may Allah have mercy upon him" in Sham and I said to him: "O Ibrahim! Why have you left Khurasan?" he said: "I have not enjoyed life but here. I flee with my religion from a building to another, and whoever sees me ascribes me to doubtfulness or carrying or navigating." It was said to Ghazwan Ar-Raqashi: "Why do you not laugh? What prevents you from sitting with your brothers?" he said: "I get comforted by sitting with those with whom my need is."

It was said to Al-Hassan: "O Abu Sa'id! There is a man whom you have never seen for he always sits alone behind a pillar." Al-Hassan said: "If you see him, inform me about him." One day, they looked and saw that man and said to Al-Hassan: "This is the man whom we have told about." They pointed him out. Al-Hassan went to him and said: "O servant of Allah! I see that seclusion was endeared to you. What prevents you from sitting with the people?" he said: "Something that has occupied me from the people." He asked him: "What prevents you from coming to that man known as Al-Hassan and sit with him?" he said: "Something has occupied me from the people and also from Al-Hassan." Al-Hassan asked him: "What is that occupation, may Allah have mercy upon you?" the man said: "I find myself in blessing and sin every morning and evening. So, I see it better to occupy myself by thanking Allah Almighty for the blessing, and asking for forgiveness from the sin." Al-Hassan said to him: "You, O servant of Allah, have better understanding of religion than Al-Hassan in my sight. So, adhere to that which you are doing."

It is reported that while Uwais Al-Qarni was sitting, Haram Ibn Hayyan came to him, thereupon Uwais asked him: "What has led you to come?" he said: "I've come to sociable with you." On that Uwais said: "I do not think that a man knows his Lord could be sociable with anyone else." Al-Fudail said: "When I see night coming, I rejoice at it and say to myself: 'Let me be alone with my Lord'; and when I see the morning coming, I (grieve and) say: 'We all to Allah to whom we shall return', for dislike to meet the people who might come to occupy my from my Lord."

Abdullah Ibn Zaid said: "Blessed be he, who lives in the world as well as in the hereafter." It was said to him: "Who should one do so?" he said: "To converse with Allah in the world, and be in His Neighbourhood in the hereafter." According to Dhun-Nun Al-Misri: "The joy and pleasure which a faithful believers receives lie in his solitary conversation with his Lord." According to Malik Ibn Dinar: "He, who does not become sociable with the talk to Allah by which he dispenses with the talk to the people, his knowledge is superficial, his heart is blind, and he shall have lost his lifetime in vain."

According to Ibn Al-Mubarak : "How lovable is the state of him who dedicates himself to Allah Almighty." He related from one of the righteous that he said: While I was walking in a town within the region of Sham, behold! A worshipper came out of a mountain pass, and when he saw me, he moved aside to the root of a tree and screened himself with it. I said: "Glory be to Allah! Do

you withhold me even to cast a glance of you?" on that he said: "I've spent a long period in that mountain pass in an attempt to try my heart to keep patient on the things and people of this world, during which I have long been troubled and my lifetime has been exhausted. I asked Allah not to make my fortune to spend my days only to mortify my heart, and He answered my invocation and calmed down my heart, and accustomed it to solitude and privacy; and when I saw you, I felt afraid I would fall into the first state. So, please, leave me, for I seek refuge with Allah from join partners to the Lord of the Gnostics, and the beloved of the devout." Then, he cried: "How distressful I am for having a long stay in this world!" then, he turned his face from me, shook off his hands and said: "Leave me. O world! Get adorned for anyone else other than me, and deceive none but your lovers." Then he said: "Glory be to Him Who caused the hearts of the Gnostics to taste the pleasure of service and the sweetness of devotion to Him, and diverted their hearts from the remembrance of Gardens and the beautiful women of lustrious eyes, and drew their attentions to celebrate Him Alone: there is nothing more pleasant than to converse with Him." Then he went away while saying: "Hallowed be He! Hallowed be He!"

In seclusion, one then becomes sociable with the celebration of Allah Almighty, and has better knowledge about Allah Almighty. For this reason, a wise man said: "One estranges himself for lacking of virtue, thereupon he mixes with the people most frequently in order to drive away such estrangement from himself by being with them. But if his soul is virtuous, he seeks solitude therewith to help him meditate and extract knowledge and wisdom." It is further said that to become sociable (with the people) is a sign of bankruptcy (of goodness).

Seclusion then has a great benefit, but for some private and for him who finds it easy to be sociable with Allah through the permanent celebration, or with the knowledge of Allah through the continuous meditation. To devote oneself to that is much better than all kinds of worldly sociability. The ultimate objective of all acts of worship, and the greatest fruit of treatment is that one dies while having love for Allah Almighty, and knowledge about Him, and the love is not achieved but through the sociability with the continuous celebration of Allah, and the knowledge is not achieved but through the sociability with the permanent meditation. In each of both, one should be wholeheartedly devoted, and devotion is not achieved in the presence of material sociability.

The second merit is to get rid by virtue of seclusion of the sins that one always faces through sociability, and by seclusion, he could be safe from them. They are four: backbiting, talebearing and showing off, withdrawal from enjoining the right and forbidding evil, and having disposition stealthily take wicked manners and evil characteristics imposed by the keenness on that world.

In regard with backbiting, if you know from the Book of the Diseases of Tongue, its different ways, you shall know that it is extremely difficult to get rid of it in sociability, and one could not be saved from that but the true and sincere lovers of the truth. It is the habit of the people to rinse their mouths

with the honours of people, take them for ridicule and make fun of them, and use them as sweet talk. To them they amuse themselves to remove their loneliness. If you mix and agree with them, surely, you would be sinful, and exposed to the wrath and displeasure of Allah Almighty, and if you keep silent, you will be a partner in sin, and of a surety, the listener is one of the backbiters (even if he does not share talk with them). Furthermore, if you deny and reject their behaviour, they would disapprove you, and leave the one whom they are backbiting, and turn to backbite you. They might go beyond backbiting to derision and abuse.

To enjoin the right and forbid the evil is one of the fundamentals of faith, and it is an obligatory duty as we shall explain later towards the end of that quarter. Whoever mixes with the people could not be free from seeing the evildoing: if he keeps silent, he will disobey Allah Almighty, and if he disapprove that, he will expose himself to harm. Seeking salvation from it might drag him to more grievous sins. Seclusion then is the salvation from all of that. That is because to indulge in enjoining the right is sinful, and to undertake it is difficult.

When Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" addressed the people in his may Allah have mercy upon him he said: "O people! You recite the following Verse that you understand improperly: "O you who believe! guard your own souls: if you follow (right) guidance, no hurt can come to you from those who stray. The goal of you all is to Allah: it is He that will show you the truth of all that you do." (Al-Ma'idah 105)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾

(This narration is reported by those of Sunan). It is narrated on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri that he said: I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" having said: "On the Day of Judgement, Allah will ask the servant, until He will say to him: "What prevented you to reject what is evil?" if Allah dictates the argument to a servant, he will come to say: "O Lord! I've expected for Your (Mercy and Generosity) and (at the same time) I was afraid of the people." (Reported by Ibn Majah).

This is true if one fears he would be beaten or exposed to an intolerable matter. To know the limits of that is difficult and dangerous, and it is safer to assume seclusion, for there is salvation in it. On the other hand, to enjoin the right and forbid the evil is to raise disputes and stimulate resentment of the people (whom one should command to do so). Those who experience to enjoin the right and forbid evil have often regretted. It is like a slanting wall which man likes to straighten, and it is about to fall on him. He then says: "Would that I left it slanting." But if he finds helpers to hold the wall until he supports it, it will become straight. But as you find no helpers today, it is most suitable to leave them, and save yourselves (in the seclusion).

Showing off is the chronic disease, which is difficult upon even the strongest among men to avoid it. Whoever mixes with the people should flatter them, and whoever flatters the people has indeed showed off, and whoever shows off has fallen in the same in which they fall and has been ruined in the same way as they are. Hypocrisy is the least to do in that matter. If you meet two adversaries, and do not face each with what befits him, you will become hateful to both, and if you flatter them both, you will become among the evil people." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said in this respect: "Among the people, you find the double-faced who meet those with a face and these with another face (i.e. faces each with what befits him)." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The evil of people is the double-faced who comes to those people with a face, and these people with another face (i.e. treats each with what befits them)." (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah).

Mixing with the people forces one to ostentatiously show longing and in this he is a liar, either originally or in his exaggeration. You might show attention to him by asking him about his state and the state of his family, whilst you have no care about him in your heart. This is, to be sure, mere hypocrisy. Sari said: "If a brother of mine enters upon me and I straighten my beard for the sake of his visit, I am afraid I might be enlisted in the document of the hypocrites." Al-Fudail was sitting alone in the Sacred Mosque when a brother of his came to him, thereupon he asked him: "What has led you to come?" he said: "To be sociable with you O Abu Ali." He said: "It is, by Allah, more similar to seeking loneliness. Do you like to get adorned for me and I get adorned for you, to lie for me and I lie for you? You should rather leave me or I should leave you."

According to a learned man : "Allah never loves a servant but that He likes him not to have anyone sense about him." Once Tawus entered upon Hisham and asked him: "How are you O Hisham?" Hisham grew angry and said: "Why you do not call me by the Commander of Believers?" he said: "That's because it is not that all the people have unanimously agreed on your caliphate, and if I call you the Commander of Believers, I fear I might be a liar." Whoever is able to avoid that exactly, let him then mix with the people, otherwise, let him be enrolled in the document of the hypocrites. The righteous predecessors used to meet and avoid such things in their sayings to each other: "How have you come to be in the morning? How have you come to be in the evening? How are you?" they also sought to avoid that in their replies. They used to question about the states of religion and not the states of the world. Hatim Al-Asamm asked Hamid Al-Lafaf: "How are you in yourself?" he said: "I'm fine and well." Hatim disliked his reply and said to him: "O Hamid! Safety should not be but from the bridge (over the Hell on the Day of Judgement), and wellbeing will be only in the Garden."

It was the habit of Jesus "Peace be upon him" that whenever it was asked about his state, he would say: "Morning has come upon me while having no

power to hasten on what I hope, nor to avert what I fear, and I am in pledge of my deed, and all good is in the hand of One other than me, and there is no one poorer than me." Whenever Ar-Rabie Ibn Khaithman was asked about his state, he would say: "I have become among the sinful weak who seek their sustenance and expect for our death." Whenever Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" was asked about his state, he would say: "I've become fine if I am to be saved from the fire (of Hell)." Whenever Sufyan Ath-Thawri was asked about his state, he would say: "I've come to thank that to this, and dispraise that in front of this, and flee away from that to this."

When it was said to Uwais Al-Qarni: "How do you do", he said: "How does a man do given that when evening comes upon him he does not know whether the next morning will come upon him, and when the morning comes upon him, he does not know whether the evening will come upon him." It was said to Malik Ibn Dinar: "How do you do?" he said: "I've been between decreasing lifetime and increasing sins." A wise man was asked: "How do you do?" he said: "I've become in a state in which I do not accept my life to receive death, nor myself to meet my Lord." Another wise man was asked: "How do you do?" he said: "I've come in a state in which I eat out of the sustenance of my Lord, and obey Iblis, His enemy." Muhammad Ibn Wasi' was asked: "How do you do?" he said: "How do you think of a man who proceeds on a step everyday towards the hereafter?"

It was said to Hamid Al-Lafaf: "How do you do?" he said: "I've come in a state in which I have longing for the wellbeing of a single day to last up to the night." He was asked: "Are you not in wellbeing during all the days?" he said: "I am in wellbeing only on that day on which I do not disobey Allah Almighty." It was said to a man who was at his last moments: "How are you?" he said: "How do you think of a man who travels for a long journey with no provisions, enters a lonely grave with none to amuse him, and goes to a just King with no argument?" it was said to Hassan Ibn Abu Sinan: "How are you?" he said: "How should you think of a man who dies in order to be resurrected for reckoning?"

Ibn Sirin said to a man: "How are you?" he said: "How you think of a man who owes five hundred Dirhams and is responsible for dependents?" Ibn Sirin entered his home and brought one thousand Dirhams which he gave to him and said: "Fulfill your debt with five hundred, and return with benefit on yourself and your dependents with the other five hundred." He had no money other than those (one thousand). He said: "By Allah, I shall never anyone about his state afterwards." He said so for fear he would ask anyone without paying enough care to his affair, thereupon he would be a hypocrite. They used to question about the states of religion and the states of the heart in dealing with Allah Almighty. If they asked about the affairs of the world, they should do so with interest and determination to fulfill to such of needs as seemed to them.

One of the righteous said: "I know people (in the past) who did not meet each other, and if anyone of them judged that the property of another be given to him, he should do accordingly; and now, I know people who meet each other, and question each other even about the trivial things in the house, even though if

anyone of them needs a slight thing from the property of his companion, he would withhold from him." Is it something other than showing off and hypocrisy? The sign is that you see a man saying to his companion: "How are you", and the other saying to him: "How are you": the asker does not wait for the other to reply to him, whereas the questioned engages in questioning other than in giving answer. This refers to their knowledge that their questions are out of ostentation and showing off.

Perhaps they ask each other about their states, although their hearts are filled with resentment and rancor. According to Al-Hassan : "Those (of the past) used to salute each other with peace whenever their hearts were too pure and clear to salute each other. But now, "How are you, may Allah provide you with wellbeing" and "How are you may Allah reform your affair" prevail: if we adopt their saying, it will be out of innovation and not honour, and then they will be angry with us if they so like." However, he said so for taking the initiative to say: "How are you" is a religious innovation. A man asked Abu Bakr Ibn Ayyash: "How are you?" he gave no reply to him, and rather said: "Let's keep away from that religious innovation." He told that this innovation occurred during the time of the plague that was in Sham, and caused wholesale death among the people to the extent that a man would meet his brother in the morning and ask him: "How has morning come upon you in the plague?" he would meet him in the evening and ask him: "How has evening come upon you in the plague?" what is intended is that meeting could hardly be free from ostentation, showing off and hypocrisy, and all of that is dispraised between forbiddance and undesirability. Seclusion achieves salvation from that. If one meets the people and does not deal with them according to their conduct, they would dislike and disgust him, and have suspicion in him, and perhaps they would harm him. In this way, they would lose their religion for his sake, and he will lose his religion and world for exacting retribution from them.

To have one's disposition stealthily take the bad manners and wicked behaviours he sees is an unceasing ailment, and even the wisest among the people could hardly pay attention to it: what then about the heedless? If a man sits with a wicked and he disapproves his wickedness within himself: he will find a change within himself between his state before sitting and his state after sitting with him, in regard to the degree of his rejection of wickedness and evil. Wickedness becomes easier upon the disposition through watching it much, and thus it would not be bothered with the same degree as it was before. The driving force that makes one refrain from it is its severe effect on the heart, and if it becomes slight through watching it for a long time, that driving force would weaken, and the disposition would become more ready to incline to it.

If one watches the major sins from another for a long time, of a surety, he would despise the minor sins that he himself commits. For this reason, the one who beholds the rich often sees with contempt the grace of Allah Almighty upon him, for his sitting with them causes him to make little of what he has, whereas his sitting with the poor causes him to make much of the graces Allah Almighty

has bestowed upon him. The same is true of the obedient and disobedient among the people. Whoever restrains his vision to the observation of the states of the companions and followers in terms of worship and abstaining from this world, shall, surely, make little of his acts of worship. If one sees himself indulgent, he would strive his utmost to complete what is lacking in him, in imitation of them.

But if one beholds the states of most people at that time, and how they turn away from (the worship of) Allah, and devote themselves to the pleasures and delights of this world, and how they are accustomed to sins, he shall make much of his deed, even with the weakest desire for good in his heart; and this is the way of destruction. Sufficient to change a man's disposition is only to hear and see good and evil. With that subtlety one could understand the mystery of the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Mercy descends when the righteous men are remembered." (This is the statement of Sufyan Ibn Uyainah). The mercy is to enter the Garden and meet Allah Almighty. It does not descend on remembering (the righteous), but such remembrance is the cause of it, for the heart is moved to become eager to imitate those righteous, and disdain negligence and indulgence. The motive of mercy is to do good, and the motive of doing good is to wish (to do good), and the motive of wish is to remember the states of the righteous. This is the significance of the descent of mercy.

The opposite applies to affliction, i.e. the remembrance of the wicked summons curse, for remembering them makes sins easy upon the disposition. The curse is to be far removed from Allah Almighty, and to be far removed from Allah leads to committing sins and devoting to the worldly desires and benefits. The commencement of sins is to have no evil or wicked effect on the heart, and gradually, one becomes sociable with sins. If this is the state at the remembrance of the righteous and wicked: how do you think about watching them? The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" himself stated it by saying: "The example of the evil sitter is like the smith's bellows: if it does not burn you with its fire, it should touch you with its bad smell." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Musa). As well as the bad smell unfeelingly gets attached to the garment, the evil becomes easy upon the heart without feeling. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The example of a good sitter is like a seller of musk: if he does not give you, you will detect his pleasant smell."

For this, let me say that whoever knows a slip to be committed by a learned, it is unlawful for him to relate it; and this is due to two reasons: the first is that to relate it is to backbite him. The other, which is more grievious, is that to relate it makes it easier upon the listeners who will not make much of its danger. This will be a good reason for making easy that sin. When he falls into it and he disapproves it, he will refute that saying: "How should it be considered unlikely from us although we have been forced to do the like of it, which was done even by the learned and worshippers?" but on the contrary, if he regards that the like

of this is unlikely to be committed by a learned or a good worshipper, it will become difficult upon him to do it.

How many a person who compete with others over the world, is eager to heap up property and wealth, and strives himself to attain authority which he makes allures to himself, and belittles its evil upon himself, making the allegation that the companions "Allah be pleased with them" did not deem themselves far beyond the love of authority, supporting his argument with the fight between Ali and Mu'awiyah, thinking that this was not for the sake of seeking the truth in so much as it was for the sake of seeking authority. This is a false belief, which makes easy upon himself the matter of authority and its related sins.

To be sure, the wicked disposition is inclined to follow the slips and mistakes, and turn away from good deeds, and regard as a slip what is not in order to justify the fulfillment of his desires and lusts: this is one of the subtle plots of Satan. For this reason, Allah Almighty described those who challenge Satan saying: "Those who listen to the Word, and follow the best (meaning) in it: those are the ones whom Allah has guided, and those are the ones endued with understanding." (Az-Zumar 18)

﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾

It is narrated on the authority of Abu Hurairah that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The example of him who heard wisdom (from a man), and did not relate from his companion but the worst of what he heard is like the example of him who went to a shepherd and said: "O shepherd! Give me one of your goats to slaughter." He said: "Go and catch hold of the ear of the best of them." But he went and caught hold of the ear of the dog of the sheep." (This narration is reported by Ibn Majah).

This is also the example of him who relates the slips and mistakes of the imams and learned people. The evidence that the grievous effect of a sin on the heart gradually diminishes until it lapses because of seeing it repeatedly is that if the majority of Muslims see a man breaking his fast during the month of Ramadan, they would regard it unlikely so much that they would ascribe him to disbelief. But if they see somebody offering the obligatory prayers after their due times, they might not disgust that, in the same way as they might do in regard to breaking fast, given that leaving a single prayer might lead to disbelief in the sight of some people, and chopping off the head in the sight of others, whereas leaving the whole fasts of Ramadan does not lead to any of that. But the reason is that the prayer occurs repeatedly, and indulgence in it reoccurs almost everyday, to the extent that from seeing it so much repeatedly, the grievous effect of its delay on the heart dwindles until it gradually vanishes.

Similarly, if a jurisprudent or a learned puts on a silk garment, or a gold ring, or drinks in a gold or silver utensil, the people would regard it unlikely, and they would severely disapprove it. But at the same time, although he might been

seen in a gathering which lasts long hours, during which he speaks with talebearing and backbiting, this would not be regarded unlikely, given that backbiting is more grievous and shameful than fornication and adultery. How should it not be regarded more grievous in its effect than putting on silk or gold? However, hearing the talks of backbiting and seeing the backbiters so frequently remove its grievous effect from the heart, and make it much easier upon the soul.

So, you should make sense to those subtleties and flee from the people in the same way as you flee from a lion, for you see from them only what causes you to be more eager to get the pleasures and delights of this world, more heedless of the hereafter, makes sin easy upon you, and make you less desirous for doing the acts of worship. But if you find a sitter seeing and hearing whom reminds you of Allah Almighty, you should stick to him, and do not leave him, and regard him with high esteem, and do not despise him. Such a person is the game of the mindful and the sought object of the faithful believer. You should be aware of the fact that the good sitter is better than seclusion, and that seclusion is better than the evil sitter. Having understood those concepts, and observed your own disposition and customs, and turn to the states of him with whom you should sit, there will be no fear for you, whether to choose to keep yourself far by seclusion, or close by sociability. Give no absolute decision concerning seclusion or sociability, that anyone of them is more preferable. Each has its own details and conditions, and the absolute judgement always has a negative effect, for it ignores the details that should be elucidated before giving any decision.

The third merit is the salvation from affliction and disputes , and safeguard the religion and soul from plunging into them, and being exposed to their dangers and evil consequences. Any country or town could hardly be free from fanaticism, dispute and affliction, and one is safe when he keeps himself far from all of that. In this respect, It is narrated on the authority of Abdullah Ibn Amr Ibn Al-As that he said: While we were sitting around the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", he made a mention of the affliction and said: "When you see that the people break their pledges, and disrespect their trusts, and come to be (in confusion) like this (and he intertwined his fingers)." I stood towards him and said: "What should I do at that time might Allah make my life be sacrificed for you?" he said: "Stick to your house, and have control over your tongue, and further act upon (the truth) that you approve, and leave (the innovations and heresies) that you disapprove; and further, stick to those near to you (in kinship and service), and leave the affairs of the lowly among you." (This narration is reported by Abu Dawud and An-Nasa'i). it is further narrated on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A time will come that the best property of a Muslim will be sheep which he will take on the top of mountains and the places of rainfall (valleys) so as to flee (out of fear) for his religion from afflictions." (This narration is reported by Al-Bukhari).

It is narrated on the authority of Abdullah Ibn Mas'ud "Allah be pleased

with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A time will come upon the people during which the faith of the religious man will not be safe unless he flees (out of fear) for his religion from a village to a village, and from a high building to a high building, and from a hole to a hole, just as a fox which elapses from one place to another." It was said to him: "When will it be O Messenger of Allah?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "When the living is not attainable except through committing sins in which one disobeys Allah Almighty. When it is that time, celibacy will become lawful." They said: "How will it be O Messenger of Allah given that you have ordered us to get married?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "When it is that time, a man will be given to destruction at the hands of his parents; and if he has no parents, it will be at the hands of his wife and children, and if he has not, it will be at the hands of his kith and kin." They asked: "How it will be O Messenger of Allah?" he said: "They taunt him of his poverty thereupon he overtaxes himself with what is beyond his capacity, until he is led to destruction."

Although this narration is construed to justify celibacy, seclusion might be elicited from it. A married person could hardly be free from living and socializing with people, and getting his living through committing sins in which he disobeys Allah Almighty. I do not say that this applies to that time in so much as to a time earlier, for which Sufyan said: "By Allah, seclusion has become lawful." It is narrated on the authority of Abdullah Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" made a mention of the days of affliction and tumult, and I asked: "What is the tumult?" he said: "This is when a man will not feel safe of his sitter." I asked: "What do you command me to do if that time comes upon me?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Withhold yourself and hand, and enter your house." I said: "O Messenger of Allah! Tell me: (what should I do) if my house is intruded upon me?" he said: "Then, enter your chamber." I said: "Tell me: (what should I do) if my chamber is intruded upon me?" he said: "Then, enter your praying place and do as such" and he grasped his elbow "and say: "My Lord is Allah" until you die." (This narration is reported by Abu Dawud and Al-Khatabi).

It is reported that when Sa'd Ibn Abu Waqqas was invited to set out for fighting during the time of Mu'awiyah, he said: "No, unless you give me a sword of two sighted eyes and talking tongue in order to point out to me the disbelievers so that I would kill him, and the believer so that I would leave him." He further said: "The example of you and me is like the example of a people who set out and they were on a clear way until the wind blew upon them, which made them lose the way. They were put to confusion. Some of them said: "The right way is towards the right." But when they proceeded on they were lost and went astray. Others said: "The right way is towards the left." But when they proceeded on, they were lost and went astray. a third

group knelt down and halted until the wind vanished, and the way was made clear to them, thereupon they completed their journey with safety." Sa'd and a group with them kept themselves in seclusion, and did not become sociable until the affliction was over.

It is narrated that when Ibn Umar "Allah be pleased with both" was reported that Al-Hussain "Allah be pleased with him" set out towards Iraq, he joined him a three-day distance from Iraq and asked him: "Where are you going?" he had many of their letters which he showed to him saying: "Those are their letters in which they give the pledge of allegiance." He said: "Consider not their letters, and come not to them." He rejected. He said: "Then, let me relate to you a narration. Gabriel "Peace be upon him" came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and gave him the freedom to choose the world or the hereafter, and he chose the hereafter. You are a portion of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" (i.e. his grandson). By Allah, none of you shall ever be appointed the ruler, and He has never turned it away from you but for your benefit." But he rejected to return. Ibn Umar "Allah be pleased with both" embraced him and went on weeping. He said to him: "I trust with you (the religion of) Allah for you are to be killed or captured." (This narration is reported by At-Tabarani and Al-Bazzar).

From among ten thousand, the number of the companions at hat time, it was no more than forty who went forth during the days of affliction. Tawus stuck to his house, and when he was asked about that he said: "It is the evil of time and the injustice of rulers (that caused me to do so)." When Urwah built his palace in Aqiq and stuck to it, it was said to him: "You have adhered to your palace and left the mosque of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"." He said: "I saw that your mosques entertain (from the hereafter), and your markets are overwhelmed by falsehood, and your streets are filled with lewdness, and there (in my palace) there is safety from that in which you live." To conclude, to avoid the disputes and motives of affliction are among the benefits of seclusion.

The fourth merit: salvation from the evil of people. They harm you once through backbiting, once through having evil suspicion, once through false allegations and covets, which are difficult to be fulfilled, and once through talebearing and lying. Perhaps, they might see from your statements and deeds what is beyond their minds, thereupon they store them as ammunition to use when they find a suitable opportunity of evil. If you keep yourself away from them, you will not be in need of such evil. For this reason, a wise man said to another: "Let me teach you two poetic verses, which are much better than ten thousand Dirhams." He asked him: "What are those?" he said: "Lower your voice when you talk to anyone at night, and turn to whom you talk with when you speak during the day: indeed, one could not detract what he has said: no matter ugly or beautiful it might seem."

There is no doubt that when one mixes with the people, and share deeds with them, he could hardly be free from an envier or an enemy who has evil suspicion

of him, and puts the false allegation that he is getting ready to show enmity towards him, and making plots against him. If the people compete over a thing, on which they are keen, regarding every cry to be made against them from their enemies, you should then beware of them, for they are much keener on this world to the extent that they think that all the people have the same eagerness and keenness. It is said that the company of the evil summons the evil suspicion of the pious. There are several kinds of evil which a man receives from his kinship and acquaintances. We will not make to long by mentioning all of them in detail. But it is enough to say that seclusion is the salvation from all of them. This is the opinion of the greatest portion of people who give preference to seclusion.

According to Umar "Allah be pleased with him": "Seclusion relieves one from the evil companion." It was said to Abdullah Ibn Az-Zubair "Allah be pleased with both": "Would you not come to Medina?" he said: "None remains in it but an envier of a favour, or a joyful of a calamity." According to Ibn As-Simak: One of our companions wrote the following message: "To go further: "the people in the past were as curative medicine and now they have come to be ailments which have no medicine. So, flee from them in the same way as you flee from a lion." One of the Bedouins stuck to a tree and said about it: "It is a good sitter of three good characteristics: if it hears something from me, it would not inform against me; if I spit in it, it would endure me; and if I revel against it, it would not grow angry with me." When Ar-Rashid heard that he said: "He has made me abstain from all sitters."

One of the learned stuck to books and graves and when he was asked about that he said: "I have never found safer than lonesomeness, more admonishing than a grave , and no sitter better than a book." Al-Hassan said: I intended to perform Hajj. Thabit Al-Bunani, one of Allah's devotees, heard about that, thereupon he said: "I was reported that you intend to perform Hajj, so, I like to accompany you." On that he said: "Woe to you! Let's be companions by Allah's screen over us. I fear we might accompany each other, lest each would see from his companion what makes him hateful in his sight." this is another benefit of seclusion, i.e. to have the screen of Allah remain on one's religion, faith, manners, conduct, poverty, and the other defects.

Allah Almighty praises those who screen themselves by saying: "the ignorant man thinks, because of their modesty, that they are free from want. You shall know them by their (unfailing) mark: they beg not importunately from all and sundry, and whatever of good you give, be assured Allah knows it well." (Al-Baqarah 273)

﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾

Man could hardly be free from some defects in his religion, world, manners and conduct, and it is more preferable to be screened, for if they are to be

disclosed, he would not live with safety. According to Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him": "In the past, the people were like leaves which had no thorns. But today, they have become like thorns void of leaves." If this is the state of his time, and he lived until a few years before the end of the first century, there should be no doubt that the later time is worse.

Sufyan Ibn Uyainah said: Sufyan Ath-Thawri said to me, during my wakefulness when he was alive, and in a dream while I was sleeping after he died: "Do not recognize much of people, and it is difficult to save oneself from their evil; and I do not think I have received what I dislike much but from those whom I have recognized." A learned one said: I came to Malik Ibn Dinar and he was sitting alone, and behold! A dog was placing its mouth on his knee. When I intended to drive it away he said to me: "Leave it O man! This causes neither harm nor damage; and it is better than an evil sitter." One of the learned was asked: "What has led you to isolate yourself from the people?" he said: "I fear I would be unfeelingly deprived of my religion." This is a reference to the way the disposition stealthily have the stain of the bad manners from the evil companion.

According to Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him": "Fear Allah and beware of the people, for they have never ridden the back of a camel but that they caused it to turn away, nor the back of a horse but that they hamstrung it, nor the heart of a faithful believer but that they ruined it." According to another: "Make little your acquaintance acquaintances for it is safer for your religion and heart, and more convenient to cancel the rights upon you, for the more the acquaintances are, the greater the rights upon one become, and the more difficult it is upon one to fulfill all of them." According to a third one: "Reject (to have companionship) of those whom you recognize, and do not recognize those whom you recognize not."

The fifth merit is that the people would cease to covet of you, and you of them. There are many benefits when the people cease to covet of you. To please all the people is unattainable. So, it is more preferable for a man to engage in reforming his own affairs. One of the easiest and lightest rights is to visit the patient to inquire about his health, attend the funeral processions, respond to the banquet invitations; and all of those things are to waste the time and expose one to the diseases of tongues.

Furthermore, one might be hindered to attend some of them because of many obstructions and excuses, and it is not all excuses that should be disclosed. On that they would say to him: "You have fulfilled the right of so and so upon you, and indulged in our right upon you." It goes without saying that this might cause enmity between them. It was said that 'whoever has not visited a patient at the time of his illness, would hope for his death lest after his recovery, he would blame him for his failure to visit him'. But if on the contrary one treats all the people with equal prevention (from visiting or attending their occasions), they all would be pleased with him; and if he gives special treatment to some of them on the exclusion of others, they would estrange him. But to encompass all of them with all the rights they have upon him is difficult upon him, who wholeheartedly

devotes himself during day and night to do so: what then about him, who is engaged in the matters of his religion and world? According to Amr Ibn Al-Ass : "The multitude of friends increases creditors." According to Ibn Ar-Rumi : "The more your companions are numerous, the more your enemy gets benefit from them. So, make not numerous the companions, for the majority of diseases are caused by food and drink." According to Ash-Shafi'i "Allah's mercy be upon him": "Every kind of enmity originates from doing favor to the wicked."

On the other hand, a great deal of benefit lies in your ceasing to covet of the people. If one looks at the pleasure and delights of this world, he will become keener on it, and more covetous (of what he has not). He will not see but his failure in most cases. Of a surety, this harms him so much. But if he lives in seclusion, he will see nothing; and if he sees not, he will have no desire or covet. For this reason, Allah Almighty said: "Strain not your eyes, (wistfully) at what We have bestowed on certain classes of them, nor grieve over them: but lower your wing (in gentleness) to the Believers." (Al-Hijr 88)

﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Look not at those who are higher than you, but rather look at those who are inferior to you, for this is more convenient not to disdain the favor and grace of Allah Almighty upon you." (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah).

Awn Ibn Abdullah "Allah be pleased with him" said: "When I sat with the rich, I was distressed by seeing a garment better than mine, a riding mount more graceful than mine; and when I sat with the poor, I got comforted." It is reported that once, Al-Mazni "Allah's mercy be upon him" came out of the gate of Fustat mosque and saw the procession of Ibn Abd Al-Hakam, thereupon he was astonished by his good state and appearance. On that he recited the following statement of Allah: "We have made some of you as a trial for others: will you have patience? For Allah is One Who sees (all things)." (Al-Furqan 20)

﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾

On that he said: "Yes, I have patience, and I'm well pleased." He was poor.

To be sure, the one who sits at home is not put to such trials. If one sees the pleasures and delights of this world, he would either strengthen his religion and certainty of faith and have patience until he sips the bitterness of patience, or would become more desirous and endeavour and strive his utmost in pursuit of the world until he is given to destruction in this world through his failing covet, for it is not all who seek after the world that it is made easy for them, or in the hereafter, by giving preference to the chattels of this world over the celebration of Allah and coming close to Him in worship. For this reason, Ibn Al-A'rabi said: "If richness is to lead to humiliation, I then should rise up to loftiness through

poverty." He refers to the fact that the covet leads to immediate humiliation.

The sixth merit is the salvation from seeing the boring and foolish people, and suffering from the bitterness of their silliness bad manners and conduct. To be sure, to see a boring person belongs to the minor blindness. It was said to Al-A'mash: "From which have your eyes got blind?" he said: "From seeing the boring." It is reported that once Abu Hanifah visited him and he narrated (a Prophetic tradition in which he said): "If Allah deprives one of his eyes, He will recompense him with what is better than them." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Jarir). He asked him: "With which thing has Allah recompensed you?" he said: "Allah's recompense is that He sufficed me from seeing the boring, and you are one of them." Ibn Sirin said: I heard a man saying: "Once, I looked at a boring man, thereupon I fell unconscious." According to Jalinus : "Everything has a protected zone; and the spirit's protected zone is to look at a boring man." According to Ash-Shafi'i : "I have never sat with a boring man but that I found the side of my body that was next to him heavier upon me than the other side."

The last four benefits pertain not only to the worldly affairs, but also to the religious matters. If one sees a boring man, he could not feel safe from backbiting him, and disapprove of the creation of Allah Almighty. If he is harmed by another, through backbiting, evil suspicion, envy, talebearing, etc, he could help exact retribution on him; and all of that leads to the ruin of religion. Seclusion then achieves salvation from all of that.

Demerits Of Seclusion

It should be known that there are many religious and worldly purposes that could be achieved only with the help of others, and that help could be obtained only through sociability. For this reason, anything that could be obtained only through sociability is lost by seclusion, and it is out of the seclusion's demerits to skip it. Consider the merits of mixing and the causes and reasons for it, such as teaching, learning, benefitting others, and getting benefit from others, exerting strenuous effort and obtaining etiquettes and good manners, removing the loneliness of others as having one's loneliness removed, getting reward and causing others to get it through undertaking the rights of people and looking after their affairs and interests, getting accustomed to humbleness, making use of seeing the experience of others, witnessing the different states and cases and learning lessons therefrom. Let's explain all of that in detail. However, the merits of sociability are seven and they go as follows:

The first merit pertains to teaching and learning. We have already mentioned their excellence in the Book of Knowledge. They are among the greatest acts of worship in this world. They are not imagined to occur but through sociability. But sciences are numerous, and some are unnecessary , and some necessary in this world. If one is in need of learning what is obligatory upon him, he should be sinful by his seclusion. If he learns what is

binding upon him to learn, and it is better for him not to delve into more knowledge, and rather he engages in worship, seclusion would be beneficial to him. If he is able to be well-versed in the sciences of Sharia and theology, he should know that hastening to seclusion before learning would be the greatest loss. For this reason An-Nakh'i and others said: "Study religion and then go to live in seclusion."

When one goes to seclusion before learning, he most frequent wastes the greatest portion of his time in sleeping or hallucination. All that he does is to occupy his time by some devotional recitals which he memorizes. But he always persists in doing many deceiving works with his heart and body that cause his deed to fail, and his endeavor to become of no fruits without knowing. Moreover, his belief in Allah and His Attributes is based on illusions and false impressions which he thinks true , and therewith he removes his loneliness. In most of his states, he becomes an object of Satan's laughter, although he sees himself among the worshippers. To be sure, knowledge is the fundament of religion. There is no good in the seclusion of the ignorant and laymen. I mean those who do not do worship well in their seclusion, nor know all of its rights. The example of the soul is like a patient who is in need of a skilled physician to treat him. The ignorant patient who keeps himself from the physician before he learns medicine, his ailment would be aggravated many times. For this reason, seclusion is not fitting but for the knowledgeable.

In regard to teaching, there is a great reward for it as long as the intention of the teacher and the learner is true. But if the intention is to obtain celebrity and increase the number of one's companions and followers, it will lead to the destruction of religion. We have already made a mention of the reason for that. The ruling on the learned at that time is to get isolated, if he wants the safety of his religion. There is none to seek knowledge for the benefit of his religion. But for the most part, the students seek knowledge in search for flowery discourse therewith to convince the laymen in teachings and admonitions, and a means in argumentation therewith to silence the opponents, and come closer to the ruler. In this way, the knowledge of juristic schools is desired most, in order to utilize to attain supremacy over the opponents, and take offices and gather property. It is required by religion that a learned should get himself isolated from all of those. But if there is a student of knowledge for the sake of coming close to Allah Almighty, it will be one of the greatest major sins to get isolated and conceal knowledge from him. Such student is rare, and one could find no more than one or two by chance in a big town.

On the other hand, one should not be deceived by the statement of Sufyan: "We have learned knowledge for the sake of things other than Allah Almighty, but knowledge insisted on being for the sake of Allah Almighty", for indeed, jurisprudents learn for the sake of things other than Allah, and then return to Allah. Consider how the lifetime of the majority of them ended, and how they died as being given to destruction during their seeking after and competing each other over the vanities of this world, or as abstaining and refraining from it. It is well-known that the effect of the news is not the same as that of seeing with

one's eyes. It should be known that the kind of science referred to by Sufyan in his statement is the science of Hadith and interpretation of the Quran, and the knowledge of the biographies of the Prophets and companions. Warning and frightening lie in those sciences , and this reason is enough to raise fear from Allah Almighty. If its effect does not appear immediately, it will appear in the future. But concerning the jurisprudence that pertains to Fatwas and daily treatments, and deciding the disputes among the people, and belongs to the different juristic schools, the seeker after it who desires for the vanities of this world does not return to Allah: on the contrary, he continues to be persistent in this world until the end of his lifetime.

The amount of knowledge we've related in this book is permissible for a student to learn for the sake of this world, for therewith he is expected to be deterred from evil towards the end of his lifetime. It contains much about frightening by Allah and encouraging to do good for the sake of the hereafter, and also warning of (the evil of) that world. This is included in the Hadith and interpretation of the Qur'an, and not in any statements or tenets belonging to a particular juristic school. So, one should not deceive himself. The indulgent who knows that he is indulgent is much happier than the ignorant who deceives himself. The learned, for the most part, who are extremely keen on teaching are about to do so for the purpose of attaining celebrity, and taking the pleasure of having superiority over the ignorant.

To be sure, "the feeling of haughtiness and arrogance is the demerit of knowledge" according to the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". For this reason, it is reported that Bishr buried as much as seventeen Qintars of books of Hadith which he heard. He used not to relate Hadith saying: "As I have the desire to relate Hadith, it is not befitting for me to do; and if I have the desire not to relate Hadith, surely, I would relate Hadith." It is said that the saying 'it is narrated to us' is one of the worldly affairs. If a man says to another: 'It is related to us', he seems as if he were to say: 'Give room for me.' Rabi'ah Al-Adawiyyah said to Sufyan Ath-Thawri: "How good man you are, had it been for the fact that you have desire for this world." He said: "For which thing I have desire?" he said: "You have a desire for relating narrations." According to Abu Sulaiman Ad-Darani" "He, who gets married, seeks Hadith or engages in journey has relied on the world."

We've already brought to the attention that demerit of knowledge, and it is out of decisive faith to avoid it by seclusion, and not to increase one's companions as much as it could be. Moreover, whoever seeks the vanities of this world by his teaching, it is more right for him to leave it, if he is heedless at that time. Abu Sulaiman Al-Khatabi has told the truth when he said: "Leave those who have desire for your company and getting knowledge from you, for you have nothing good to obtain from them (for your benefit in the hereafter). They are your brothers in public, and your enemies in secret. If they meet you, they will flatter you; and if you are absent from them, they will slander you. Whoever of them comes to you is a watcher over you, and if he comes out he will backbite

you. They are a people of hypocrisy, talebearing, humiliation and deception. So, do not deceive yourself by their gathering upon you. Their purpose is not knowledge in so much as it is property and celebrity, and to take you as a ladder to climb up to their ambitions and purposes, and a donkey to fulfill their needs, and if you indulge in any of their needs, they will turn to be your most severe enemies. Furthermore, they regard their frequenting you a favor from them upon you, and see it a necessary right upon you, and impose upon you to dedicate your honour, celebrity and religion for their sake in such a way as to become enemy to their enemy, and support their relative, servant and helper, and thus come to be foolish after you have been a jurisprudent, and a despicable follower after you have been followed with authority. For this reason, it is said that keeping away from the laymen is a perfect gallantry."

Of a surety, he has told the truth. You always see the teacher live in slavery, under favour and obligation to those who frequent him, and think he endows them ,with gifts and rewards and regards himself to have a right upon them. In many cases, such a student would not come unless a teacher ensures to provide for his sustenance. If a poor teacher fails to do so from his own property, he will frequent the gates of rulers, and undergo humility and submission until he is given wealth, even from unlawful sources, to distribute it upon his companions who frequent him. If he gives them equally, the distinguished among them would hate him, and ascribe to him foolishness and stupidity and failure to estimate the superior among them with true estimation, and if he differentiates between them, the weak-minded would slander him. Surprisingly, he persists in hoping for the false things, and stretching for himself the rope of deception, saying to it: "Do not decline to do what you do, for you seek with doing it only the Countenance of Allah Almighty, and publicize the law of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" , spread the knowledge of the religion of Allah, and suffice the students of knowledge, the worshippers of Allah, from the property of rulers, that has no owner, and is assigned to serve the interests of Muslims; and which interest is much greater than to increase the number of the learned, with whom the religion prevails, and its men gain strength?"

But even, had he not been an object of Satan's laughter, he would have known that there is no reason for the mischief of that time other than the increasing number of such jurisprudents, who devour what they find, without distinction between the lawful and the unlawful, thereupon they are noticed by the ignorant, who dare to commit sins in imitation of them, and following in their footsteps. For this reason, it is said that the people have not become corrupt but by the corruption of kings, and the kings have not become corrupt but by the corruption of the learned. So, we seek refuge with Allah Almighty from conceit and blindness, for it is the ailment that has no medicine.

The second merit pertains to benefitting and getting benefit from the people. Getting benefit from the people is attained through earning and business dealings, which could be obtained only through sociability. The one who is in

need of earning is forced to become sociable and leave seclusion. In this way, he undergoes the conditions of mixing, in which he should comply with the principles and laws of Sharia as we've mentioned in the Book of Earnings. If he has property therewith he is satisfied, then, seclusion becomes better for him, given that most ways to earning are surrounded by sins. But if his purpose is to gain money in order to give in charity, then, leaving seclusion becomes better for him, in case he engages himself in seclusion by the supererogatory deeds, but not better in case he engages himself by verification and knowledge of Allah Almighty and the sciences of Sharia, and devotion to the celebration of Allah Almighty, I mean him, who becomes sociable with the private talk to Allah Almighty out of insight and understanding and not out of illusion and false impressions.

Benefitting is to be of advantage to the people, either with his body or his property. It is to fulfill their needs by way of expecting the reward for it from Allah, for there is a great reward for achieving the needs of the Muslims. This could be accomplished only through sociability. If one is able to undertake it with observation of the limits of Sharia, it is better for him than seclusion, particularly if he engages himself in his seclusion by only the supererogatory deeds. But if he is of those to whom the way of work with the heart, through the permanent celebration of Allah Almighty, or meditation of His signs, nothing will be equal to it in reward and value.

The third merit is to exert strenuous effort and obtain the etiquette and good manners. It is to discipline oneself to undergo the evil of people and endure their harm, by way of humiliating the soul and overpowering desires. This is among the merits that is obtained only through sociability. It is much better than seclusion for him, whose manners are not good enough, and desires are not subject to the limits of Sharia. For this reason, these who serve Sufis were delegated to work in hostelries to mix with the people through serving them, and with these of market to beg them, in order to overpower self-arrogance, and seek the blessing of the invocation of the Sufis who devote themselves to Allah Almighty.

This was the habit during the early times. But now, it has been confused with false purposes and swerved from the right purpose, like the other religious rites. By showing humbleness in service, they sought to increase the number of devotees, and gather property. If this is the intention, then, it should be known that seclusion even in the grave is much better. But if the intention of sociability is to discipline the soul, then, it is better than seclusion, particularly for him who is in need of self-discipline. But this is necessary in the beginning, and then, it will be needless, like the riding mount, which is to be trained in the beginning, and then, its benefit should be in being used as a vehicle. Souls act as mounts for the heart that one ride in order to cut the way to the hereafter, and if their desires are not broken, they would deviate from the right way.

For this reason, if one engages in self-discipline for the whole of his lifetime is like him who engages in training his mount for the whole of its life, without

having the advantage of riding it. The only benefit he gets is the immediate salvation through its biting, kicking and running, and although it might be intentional, but it could be obtained from any animal other than the riding mount. The real benefit of a riding mount is to be ridden. Similarly, the immediate salvation from the pain of desires might be obtained through sleeping and death, but it is not satisfactory. It is like a monk who is called: "O monk!" he said: "I'm not a monk, but I'm no more than a rabid dog and I detained myself in order not to bite the people." This is good in comparison with him who bites the people. But one should not limit himself to it, since whoever kills himself also will not bite the people. One should look forward to the intended goal. If one understands it well, and is guided to the right way, and is able to follow it, he will come to know that seclusion might be more helpful to him than mixing. For such a person, mixing is better in the beginning, and then seclusion in the end.

We mean by disciplining is to train others (to the good manners), like the case of the Sufi who trains his disciples. He could discipline them only through his mixing with them. His case is like the case of a teacher, who is exposed to the same demerits of hypocrisy and showing off. But we think that those who discipline themselves are far removed from seeking after the world than those who seek after knowledge. This explains their being few in number in comparison with the seekers after knowledge. Thus, he should compare his available seclusion with his available sociability and disciplining the people, and give preference to the better of them in his sight. This could be attained only with strenuous effort, and it differs with the difference of states, conditions and persons. For this reason, there is no absolute judgement in the affirmative or in the negative of it.

The fourth merit pertains to affability and sociability. This is the purpose of him who is in the habit of attending banquets and responding to invitations, and the occasions in which he mixes with others and removes his loneliness with sociability. This might be due to the immediate fortune of the soul. But it might be either unlawful, through mixing with the one who is unlawful for him to mix with, or permissible through mixing with the one lawful for him to mix with. Sociability might be religiously desirable, when one mixes with and witnesses the religious statements and deeds of a righteous person.

But it might also be due to the deferred fortunes of the soul, and it is desirable if the purpose is to comfort the heart with the intention to refresh it to do the acts of worship. If hearts are compelled,(to do only the same thing), they will become blind. If seclusion summons loneliness, and sociability removes that loneliness, and comforts the heart, it should be better, since observing balance in worship is essential to it. For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah never gets bored (of giving reward) until you get bored (of doing deeds)." Sociability in this respect is dispensable, for the soul could not persist in the same thing everlastingly, unless it is comforted from time to time. To be obligated to stick to the same thing leads it to intermit.

This is confirmed by the statement of the Messenger of Allah "Allah's

blessing and peace be upon him" in which he said: "This religion is strong. So, enter into it kindly and gently." This is the habit of the insightful. For this reason, Ibn Abbas "Allah be pleased with both" said: "But for fear of compelling doubts, I would not sit with the people (or according to another version, "I would live in a town in which there is none to become sociable with")." Are the people corrupted but by the people? Thus, a secluded could not dispense with a companion to remove his loneliness with seeing and talking to him, even for an hour in a night and a day. He should endeavour to find him who does not corrupt during that single hour his remaining hours of worship.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Man always follows the way of his companion. So, everyone should consider him whom he takes for companion." He also should be eager to have their talk whenever he meets him about religion in which one enjoys relief and gets comforted, for the matters of religion contain large fields for everyone who is engaged in improving his affairs, and the complaints are ceaseless. This kind of sociability might be better than seclusion at particular hours during the day. For this reason, the states of the heart on the one hand, and the states of the sitter on the other hand should be considered here, and then he could sit with him if he so likes.

The fifth merit pertains to getting reward and causing it to be given to others. One gets reward when he attends the funeral processions, visits the patient to inquire about his health, takes part in the celebrations of both Ids. But attending the Friday prayer is obligatory; and there is no concession not to attend the five obligatory prayers in congregation, unless there is an apparent harm to counterbalance, if not excel the superiority of congregational prayer. This occurs very rarely. There is also reward in attending banquets and invitations since it pleases the hearts of the Muslims.

To cause reward to be given to others is attained when one opens his door for the people to come to visit him and inquire about his health when he is sick, to console him about his calamities, or congratulate him for the favors and blessings he has. By so doing, they get reward. Similarly, if he is one of the learned and he gives them permission to visit him, they will get the reward of visit. By enabling them to do so, he will have caused the reward to be given to them. But he should compare the rewards that come from mixing with its demerits we have already mentioned. At that point, either seclusion or mixing could overweigh. It is reported that a group of righteous predecessors like Malik and others that they refrained from responding to invitations, visiting the patient to inquire about his health, and even attending the funeral processions. They stuck to their houses, and never came out but to attend the Friday prayer or visit graves. Some of them absconded cities and towns and turned to the mountain tops in order to be able to devote themselves to the worship and flee from the trivial occupants.

The sixth merit pertains to showing humbleness towards those with whom

one mixes. It is among the best stations, and it could not be attained through solitude. Arrogance might be a cause of choosing seclusion. It is narrated in the Israeli tales that a wise man composed over three hundred and sixty works about wisdom until he thought himself to have attained a high rank in the Sight of Allah. Allah Almighty revealed to His Prophet to tell that man that 'You have filled the earth with hypocrisy, and I accept nothing of your hypocrisy'. On that the man got isolated and lived in solitude in a tunnel under the ground and said to himself: "Now, I think I have pleased my Lord." But Allah Almighty revealed to His Prophet to tell him that 'You would not please Me unless you mix with the people and keep patient on their harm'. He came out, entered the markets and mixed with the people. He sat with them, shared food with them, ate food among them, walked in the markets with them, etc. on that Allah Almighty revealed to His Prophet to tell him that 'Only now you have pleased Me'.

How many a person who lives in seclusion in his house because of arrogance, and nothing prevents him from attending the congregational celebrations and occasions but his fear he might not be highly estimated as he thinks he should be, or because he sees that to refrain from mixing with them is more convenient to his status and more ready to ward off his bad mention among the people. Some live in seclusion for fear his shameful characteristics might appear when he mixes with the people in a way that they would not believe in his asceticism and worship; and this is why he takes his seclusion in the house to screen his shameful characteristics, and sustain the belief of the people in his asceticism and worship.

But those live in seclusion without occupying their time by celebration of Allah or even meditation of His signs. The portent characteristic of such persons is that they like to be visited by others and do not like to visit anyone, and rejoice at the rulers and laymen approaching them, and gathering near the doors of their houses, and kissing their hands by way of seeking blessing. But had it been his occupation by himself that makes sociability and people's visits hateful to him, surely, he would have disliked the people's visits to him, as we have already reported about Al-Fudail who said to his visitor: "Have you not come to me but in order that I would get adorned to you and you get adorned to me?" Hatim Al-Asamm also said to the governor who came to visit him: "My need is that I should not see you and you should not see me." So, whoever is not occupied with himself by the celebration of Allah Almighty, his seclusion then is caused by his concern with the people, for his heart is attached to cause them to turn to him with the eye of respect, reverence and admiration. But in this way, seclusion is out of ignorance.

To show humbleness through sociability never decreases the rank of him who is highly respected for his religion and knowledge. Ali Ibn Abu Talib "Allah be pleased with him" used to carry dates and salt in his garment and hand, and say in this respect: "The completion of a perfect one is not affected by his carrying

sustenance to his dependents." It was the habit of Abu Hurairah, Hudhaifah, Ubai and Ibn Mas'ud "Allah be pleased with them" to carry on their shoulders the bundles of fire wood and cases of powder. Abu Hurairah used to say while he was carrying the bundles of fire wood and he was the governor of Medina: "Give way to your governor." The chief of all the Messengers "Peace be upon him" used to buy a thing and carry it to the house by himself, and when his companion said to him: "Let me carry it on your behalf", he would say: "The owner of a thing is more fitting for carrying it." (This narration is reported by Abu Ya'li on the authority of Abu Hurairah). It was the habit of Al-Hassan Ibn Ali "Allah be pleased with both" that whenever he passed by beggars having fragments of bread to eat and they invited him saying: 'Come to share food with us o son of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"', he would dismount and sit on the way and share food with them and then ride once again. He used to say: "Verily, Allah never loves the haughty."

Another thing is that whoever occupies himself by seeking the pleasure of people with him, and improving their impression about him is conceited. That's because if he really knows Allah as He should be known, he will come to learn that in no way could the people avail him against Allah, and it is Allah Almighty Who benefits and harms him if He so likes, and that whoever seeks the pleasure of the people through displeasing Allah Almighty, Allah becomes displeased with him, and causes the people to become displeased with him. Moreover, to please all the people is unattainable. For this reason, it is more preferable to seek to attain the pleasure of Allah Almighty. For this reason, Ash-Shafi'i said to Yunus Ibn Abd Al-A'la: "By Allah, I only advise you. There is no way to become safe from the people. So, consider what reforms your affairs and do it."

It is reported that Sahl looked at a man from among his companions and told him to do a certain thing, thereupon he said to him: "O mister! I could not do it because of the people." He turned to his companions and said: "No servant attains the reality of that matter unless he has one of two characteristics: one who removes the people form his sight and sees none in the world but his Creator, and believes that in no way could anyone be able to benefit or harm him. The other is a servant who removes his own self from his heart in a way that makes him careless about the state in which he is seen by the people." According to Ash-Shafi'i "Allah's mercy be upon him": "There is no one but that he has lovers and haters. If it is so, let him be in the company of those who obey Allah." It was said to Al-Hassan: "O Abu Sa'id! Some people attend your gathering just to pursue your tongue slips and put you to difficulty by their questions." He smiled and said: "Take it easy! I have been satisfied with the tranquillity of my soul and neighbourhood of Allah, Most Gracious, and I have never been satisfied with the safety from the people for I learn that their Creator, Sustainer, Who brings them to life and sends them to death, is not safe from them."

It is reported that Moses "Peace be upon him" said to Allah: "O Lord! Keep the tongues of people away from me." On that He said: "O Moses! Since I've not

favoured Myself with that, how should I do it with you?" Allah Almighty revealed to Uzair that 'If you are not pleased that I make people mention you with evil, I would not enlist you among the humble." Thus, if one detains himself in his house in order to make good the belief of people about him, he will remain great suffering in this world, and the punishment of the hereafter will be more severe and more grievous if they know. For this reason, seclusion is desirable only for him who devotes the whole of his time to Allah Almighty through celebration, meditation, worship and knowledge in a way that if people mix with him, his time will be wasted in vain, his demerits will grow much, and his worship will be distracted. Those are some subtle demerits of choosing seclusion that should be avoided. They are destructive although they take the form of saviors.

The seventh merit pertains to trials. Trials are obtained from mixing with the people and witnessing their states. To be sure, the innate mind alone is not sufficient to understand the interests and benefits of religion and world. But those are acquired from trials and practice. There is no good in the seclusion of him whom trials have not cut his teeth. If a child lives in seclusion, he will remain innocent and ignorant. He first should engage in learning, and during the period of learning, he obtains satisfactory trials which suffice him, since he might complete his experience from hearing about the states and conditions of others with no need of mixing. He should try his own self, his manners, the attributes of his inward, and this could not be achieved through solitude. The trial in seclusion is very easy.

If an envier, a hater, or a resentful lives in seclusion, his wicked characteristics would not seem apparent from him. Those wicked characteristics are destructive and they should be removed and overpowered. It is not sufficient to pacify them through keeping away from their motives. The example of the heart that is laden with those wicked characteristics is like an ulcer filled with purulence, and one might not feel its pain as long as it is not moved or touched. If he has no hand to touch it therewith, or an eye to see it therewith, he would think himself sound, and does not feel the pain and form such ulcer. But if it is moved by something, or lanced by a cupper's scalpel, purulence would burst out of it. The same is true of the heart that is laden with envy, anger, resentment, hatred, niggardliness, and all wicked and bad manners which would burst out of it once it is motivated by others. It is in this way that the early followers of the way to hereafter who sought to purify their hearts tried their own selves. If anyone of them felt arrogant, he would break that attribute within himself, to the extent that anyone of them would carry a water-skin on his back in front of the people, or a bundle of fire wood on his head at the sight of people, and frequent the markets in an attempt to try himself. However, the intrigues of the soul and evil plots of Satan are hidden, and only few among the people could make sense to them.

For this reason, it is reported that one of the righteous said: "I repeated my thirty-year prayers although I used to pray them (in congregation) in the first row. But one day, I delayed for a legal excuse and when I came I found no place in the first row. I stood in the second row. I felt shy of the people's eyes on me, and

others preceded me to the first row (since they used to see me in the first row). On that, I came to know that all of my prayers were confused with the suspicion of showing off, and mixed with the pleasure of the people's view of me and seeing me among the group who hasten to do good." Sociability then has a great benefit of bringing demonstrating all wicked characteristics (so that one could get rid of them). For this reason, it is said that journey always uncovers the manners. That's because it is a kind of continuous mixing. However, the concepts of those intrigues will be explained in detail later in the Quarter of Destructives, since ignorance of it frustrates the much deed, and knowledge of it purifies the little deed. But for this fact, knowledge would have been given superiority to work. It is impossible to imagine that one acquires knowledge of prayer and intends therewith something but to perform it better than it. Sharia decides that scholar has superiority to the worshipper. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The superiority of a scholar to a worshipper is like the superiority of me to the best of my companions." (At-Tirmidhi)

To conclude, if you know the merits and demerits of seclusion, it will be mistaken to make an absolute judgement in the affirmative or in the negative of giving preference to it. The person and his different states should be considered, and the same is true of the one with whom he mixes, and the motive of mixing, and the benefits and defects of mixing. A comparison should be then made between both merits and demerits. At that point, the truth will be made clear. The statement of Ash-Shafi'i "Allah be pleased with him" is decisive in this respect when he said to Yunus: "O Yunus! To withdraw from the people is to develop enmity, and to turn towards them is to bring about the evil companions. So, be in the middle way between withdrawal from them and turning to them." For this reason, one should stick to moderateness in both seclusion and mixing. This differs by the difference of considering benefits and defects, merits and demerits.

Etiquettes Of Living In Seclusion

One should intend by solitude to save himself from the harms of men. He will seek safety from the harms of other people. He will intend to be free from the faults in fulfilling the duties to the Muslims. He will intend to prefer loneliness for divine services He shall engage himself in learning, celebration (of the Praises of Allah), meditation (of the signs of Allah) and other divine services. He will not allow the people to mix with him. He will not allow others to put questions to him. He will not ask the news of any place or any man. He will remain satisfied with little. He will remain patient at the harms of his neighbours, if any. He will be deaf in hearing of the praise of others. He shall know the merits of the path of the next world. In other words, he shall follow the etiquette of celebration with humility of mind, think of the wonderful creations of God, the heavens and the earth, sun moon, stars and of the sovereignty of God, think of life and death and of the conditions in grave after death.

If you do not give up the passions and temptations of the world, your patience in secluded living will not become perfect. The heart cannot be cleansed of impurities making short of your hopes and passions as you have got no power to prolong life. Think after getting up from bed in the morning that you will not be able to reach evening. In this way, you will be able to curtain your hopes and check passions. Know it for certain that he who cannot earn the love of God in his mind and His remembrance will not be able to bear loneliness after death. He who earns this attribute will be able to bear it, as death cannot destroy the place of God's love and remembrance. He will live in the midst of mercy of God. For this reason, God said about the martyrs: Don't think that those who have been killed in the way of God are dead, but they are alive near their Lord and get provisions.

Book seven: Etiquettes of journey

It is the seventh book of the quarter of customs of life

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

Praise be to Allah Who has opened the sights of His devotees with wisdom and lessons to be learned, and drew their attention to witness the wonders of His making in residence and journey, thereupon they have become well pleased with the vicissitudes of fate, and deemed their hearts far beyond turning to what seems alluring to eyes, except by way of consideration of what they see and meditate. Thus, both land and sea, even and uneven, town and desert became equal in their sights. Allah's prayer and peace be upon Muhammad, the chief of all mankind, as well as upon his companions, who followed in his footsteps: to go further:

The journey is a means either to get rid of a particular thing in flight from it or to pursue a particular thing for which one is desirous. There are two kinds of journey: the physical travel from one's homeland and residence to desert and the like of it, and travel with the heart from the lowest bottoms (of darkness and ignorance) to the dominion of the heavens. Of a surety, the more honoured is the internal journey. The one who remain in the same state on which he was brought up after his birth, and does not go beyond what he receives by way of imitation from his parents and grandfathers is short and defective, since he exchanges the large space that is as much broad as is both the heavens and the earth for the darkness of prison and constriction of detention.

One has told the truth when he said: "I have never seen a defect in the people like the shortage of perfection on the part of those who have the power to do so." But as in this journey one follows a dangerous way, a guide and a guard shoul be indispensable. But the ignorance of the right way, and the loss of the guide and guard on the one hand, and the satisfaction the followers have with the little on the exclusion of the abundant portion thereof, led to the obliteration of the features of the way, and the scarcity of companions, and rovers fell short of the desire for meditating the signs in themselves, the dominion and horizons to which Allah Almighty invites as shown from His statement: "Soon will We show them Our Signs in the (furthest) regions (of the earth), and in their own souls, until it becomes manifest to them that this is the Truth. Is it not enough that your Lord does witness all things?" (Fussilat 53)

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾

He also says: "On the earth are Signs for those of assured Faith, As also in your own selves: will you not then see?" (Adh-Dhariyat 20:21)

﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ ﴾

Allah Almighty rejects that one should remain behind and cease to travel as shown from His statement: "Verily, you pass by their (sites) by day, And by night: will you not understand?" (As-Saffat 137:138)

﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ ﴾

And: "And how many Signs in the heavens and the earth do they pass by? Yet they turn (their faces) away from them!" (Yusuf 105)

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ۝ ﴾

So, he, for whom this journey is made easy continues to walk in a large garden as broad and immense as is the heavens and the earth, while being physically firm and resident in his homeland. It is the journey in which all sources do not run short, nor do throng and competition cause harm: on the contrary, the benefits and fruits increase with the increasing number and multitude of travellers, for its benefits and fruits are always interminably available in abundance and not withheld, unless the traveller stops from travelling for a particular period of time, since "Verily never will Allah change the condition of a people until they change it themselves (with their own souls)." (Ar-Ra'd 11)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۝ ﴾

But if they swerve (from the truth), of a surety, Allah Almighty will cause their hearts to deviate, and Allah is not unjust to the people even in the least, but it is they who always wrong themselves.

But he, who is not well prepared for making such a tour in that immense field, and turning around the parks of that garden, might travel with his body, making a limited number of physical journeys for a limited number of Farsakhs, along a limited period of time, with the intention to get worldly trade or gain provisions for the hereafter. If he seeks religious knowledge or what suffices him to perfect his religion, he will be among the followers of the way to the hereafter. But in this way, many conditions and etiquettes of journey should be observed by him, and if he neglects them, he will be among the workers of this world and the devotees of Satan; and if he observes regularly, his journey will return with benefits upon him that join him with the workers of the hereafter. Let's make a mention of its etiquettes and conditions, Allah willing, in two chapters:

The first chapter pertains to the etiquettes of journey from departure to return; and the intention and benefits of journey. It discusses those matters in two topics.

The second chapter pertains to what a sojourner should learn, regarding the concessions of journey, the indications of Qiblah and due time of prayer.

CHAPTER ONE: ETIQUETTES OF JOURNEY FROM DEPARTURE TO RETURN; AND INTENTION, MERITS AND BENEFITS OF JOURNEY

Topic one: Benefits, merits and intention of journey

It should be known that journey is a kind of movement and sociability, and it has many benefits and merits as well as defects and demerits as we have already mentioned in the book of the Etiquettes of Company and Seclusion. The benefits of journey are focused on flight from something or pursuit of something. The traveller might be bothered in his residence, but for which he would not travel from his place to another, or might have a purpose and a thing which he pursues and travels for.

The thing from which one flees away might pertain to worldly affairs, like the emergence of plague or epidemic in a particular land, the fear of affliction, opposition, high price of commodities, etc. those causes might be public as we have mentioned or private, like the case in which a particular person is intended by harm in his town, from which he flees away. It might also pertain to religion, like the case in which one is put to trial in his country because of large property and celebrity that hinder him from devoting himself to the worship of Allah Almighty. By his journey, he gives preference to alienation and anonymity over property and celebrity. It also include the case in which one is invited to a religious innovation, or to be in charge of a work whose practice is unlawful, from which he seeks to flee.

The thing which one pursues might pertain to the world like property and celebrity, or religion like in terms of knowledge and deed. The knowledge might be one of the religious sciences, morals and ethics, acquaintance with the different signs and wonders on earth, like the journeys of Dhul-Qarnain along the different sides of the earth. The deed might be an act of worship, or a visit. The act of worship in regard with journey here implies Hajj and Umrah, and Jihad (in the Cause of Allah). The visit also is an act of worship. It might be intended to a particular place like Mecca, Medina or Jerusalem, or the bordering openings, or a particular learned or devotee, who might be dead, thereupon their graves are visited, or living, thereupon blessing is sought from seeing them, and benefit is gained from observing their states in strengthening the desire for imitating them.

Those are the different kinds of journey. Many divisions might be elicited therefrom:

The First Division Is To Travel In Pursuit Of Knowledge

It might be obligatory or supererogatory, according to the obligation or supererogation of the science itself. The knowledge might be one of the religious sciences, or of the morals of one's own self, acquaintance with the different signs and wonders of Allah Almighty on earth. The Messenger of

Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who sets out from his house in pursuit of knowledge is in the Way of Allah until he returns." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Anas). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "He, who follows a way in which he seeks knowledge, Allah makes easy for him a way to the Garden." (This narration is reported by Muslim). It is reported that Sa'id Ibn Al-Musayyab "may Allah be pleased with him" used to set out on journey for many days in pursuit of a dingle Hadith. According to Ash-Sha'bi "may Allah have mercy upon him": "Were one to travel from Sham to the farthest end of Yemen in pursuit of a single word to guide him to the truth and avert him from error, his journey would not be in vain." It is reported that Jabir "may Allah be pleased with him" with ten of the companions set out from Medina to Egypt on a month journey in pursuit of a Hadith that reached them on the authority of Abdullah Unais Al-Ansari "may Allah be pleased with him" from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" until they heard it from him. This is the habit from the time of the companions until that time. In other words, the knowledge has been obtained only by journey.

The knowledge of one's morals is very important. One could not be able to follow the way to the hereafter unless he edifies his manners and modifies his character, and the one who is not acquainted with his internal mysteries and malicious characteristics he has would not be able to purify his heart from them. It is journey that reveals the manners of men, with which Allah Almighty discloses what is hidden in the heavens and on earth. For this reason, Umar Ibn Al-Khattab "may Allah be pleased with him" said to him who commended to him one of the witnesses: "Have you accompanied him in journey with which his noble manners are attested?" he answered in the negative, thereupon he said: "Then, I do not think that you recognize him well." Bishr "may Allah have mercy upon him" used to say: "O assembly of reciters! Wander on earth, perchance you would be pleasant, for if the water runs it would become pleasant, and if it is stagnant it would change (in colour and taste)."

In total, the malicious characteristics of one in residence do not appear evident in view of his being sociable with the habits and customs that conform his disposition, and when he suffers the trouble of journey, and moves far from the habits and customs to which he has been familiar in residence, and is tested by the difficulty of alienation, its demerits and defects would be disclosed; and once those are known, they could be treated. In the Book of the Etiquettes of Seclusion, we have made a mention of the benefits of sociability, and journey is sociability, in addition to engagement and trouble.

In regard to witnessing the signs of Allah on earth, it has many benefits for the beholder. The earth includes neighbouring pieces of plain land, mountains, oceans, desert, and various kinds of animals and plants. There is nothing thereof

but that it indicates to the Oneness of Allah Almighty, and glorifies with the Praises of Allah by fluent tongues that none perceives but him "who gives ear and earnestly witnesses (the truth)." (Qaf 37)

﴿ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾

On the contrary are the rejecters, the heedless and those deceived by the mirage of splendor of this world, who neither see nor hear, for they are hindered from hearing, and veiled from seeing the signs of their Lord: "They know but the outer (things) in the life of this world: but of the End of things they are heedless." (Ar-Rum 7)

﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾

Of course I do not mean the external hearing, from which they were not hindered, but I mean the internal hearing. With the external hearing one could perceive only the voices, in which both men and animals are equal. But with the internal hearing, one could perceive the expression of the state, which is an utterance beyond the utterance of speech. There is no atom in the heavens and on earth but that it indicates to the Oneness of Allah Almighty, as well as to the Exaltation and Holiness of its Maker, by its glorification of the Praises of Allah Almighty, which might not be perceived by those who do not travel and come out of the narrow limitations of the external hearing to the large space of the internal hearing.

Were every one able to proceed on as such, Solomon, "Peace be upon him" would not have been favoured with the perfect acquaintance of the language of birds, nor would Moses "Peace be upon him" with hearing the speech of Allah Almighty that should be exalted from any resemblance to human letters and words. If one travels with the intention to elicit those scenes written by Divine lines on the pages of solid things will not be in need to prolong his physical journey: on the contrary, he will sit firm in his residence, and rather disengage his heart to be devoted to enjoy hearing the tones of glorifications from the atoms on earth. What does make him then go here and there along the wide desert given that his need could be fulfilled in the dominion of the heavens round him? The sun, moon and stars are subject to him by Allah's command. According to those of deep insights, they are on journey along months and years, and are in continuous movement along time.

On the other hand, as the traveller is short of seeing with his external sight the Knower of the dominion, he is still in the first station of travellers to Allah Almighty. He seems as though sitting in seclusion at the gate of his homeland, and has not yet set out to the immense space, and there is no reason fro staying long at that station other than cowardice and shortage. It is within that context that we should understand the statement of one of the master of hearts: "The people say: 'Open your eyes to be able to see', and I say: 'Shut your eyes in order to see well'." Both statements are true, with the

difference that the former tells about the first station that is near homeland whereas the latter about a station beyond it, which none tread but the adventurer who is not safe from dangers; and on his way he might remain straying for a long time before he reaches the right way by Allah's help. But the majority is ruined in labyrinth, and the wanderers by virtue of the light of success have won the abiding bliss and dominion, and it is those for whom good (record) has gone before from Allah Almighty. This is the ruling of the external journey when it is intended to imply internal travel to see the signs of Allah Almighty on earth.

The Second Division Is To Travel For The Sake Of Worship

It is like performing Hajj or Umrah, or Jihad. We have already mentioned its merit and etiquettes and its internal and external works in the Book of the Mysteries of Hajj. Included in this division is visiting the graves of the Prophets "Peace be upon them", as well as the graves of the companions, followers and the leading learned and devotees. In short, everyone from whom blessing is sought during his lifetime, blessing also might be sought from visiting his grave after his death. Thus, it is permissible to make journey for that purpose. It should not be abrogated by the statement of the,: "No journey to places of worship should be made but to three mosques: this mosque of mine (in Medina), the Sacred Mosque (the Ka'bah), and the Farthest Mosque (in Jerusalem)." That is because all mosques other than those three are equal, otherwise, there is no difference between visiting the graves of Prophets "Peace be upon him", Allah's devotees and learned as far as superiority is concerned, although they vary in degree, by the different degrees they have in the Sight of Allah Almighty.

In brief, visiting the living persons is preferable to visiting the dead. The benefit of visiting the living is to seek the blessing of their invocation and looking at them, since looking at the faces of the learned and righteous men is an act of worship, and it motivates one to imitate them and copy their guidance, let alone the other scientific and scholarly benefits. Why not given that the exchange of visits among the brothers (for the Sake of Allah) has a great merit? According to the Torah: "Walk for miles in order to visit your brother in (the religion of) Allah." There is no significance to visit any other site except the three mosques and the bordering openings for the sake of defense as stated by the Hadith. We have already mentioned the superiority of both Sanctuaries in the Book of Hajj. Furthermore, the Farthest Mosque has a great superiority. Ibn Umar "may Allah be pleased with him" set out from Medina aiming at the Farthest Mosque where he performed the five obligatory prayers and in the next morning he returned to Medina. Solomon "Peace be upon him" invoked his Lord that whoever comes to visit that mosque with the sole intention to perform prayer in it, that He should not turn His Eye from him as long as he is staying in it until he comes out of it, and that He should render him sinless as pure from his mistakes as he was on the day his mother gave birth to him; and his Lord Almighty responded to his invocation.

The Third Division Is To Set Out On Journey In Flight From A Thing That Distracts One's Religion

Of a surety, it is good. It is one of the established ways of Prophets and Messengers to flee from what is intolerable. Among the things from which one should flee are the office of government, celebrity and the great number of acquaintances: all of those divert the heart from devotion to the worship, and worship could be achieved only when the heart is entirely devoted to Allah Almighty. Of a surety to have the heart wholly devoted from the necessary needs of this world is unimaginable, but it is possible to make heavy or alleviate those needs. It is those whose burdens are light that have been saved, whereas those whose burdens are heavy have been ruined. But praise be to Allah that he did not make saving suspended on the entire and absolute devotion of the heart from all burdens. But the one of light burdens has been accepted and covered by the shade of the mercy of Allah Almighty. The one of light burdens is him whose main concern is not with the world. This is not easy in the homeland for the one of large celebrity and numerous acquaintances. His purpose of worship could be achieved only if he departs, cuts off his relations and turns to be anonymous until he gets accustomed. Then, Allah might aid him and bestow His favour upon him, by strengthening his certainty (of faith), and reassuring his heart, until both residence and journey become equal in his sight, and so do the presence and absence of acquaintances and means, and in this way, nothing keeps him off the celebration of Allah Almighty.

But this case is very rare for hearts are possessed by weakness and shortage of extending to imply both the creatures and the Creator at the same time. This power is unique to the Prophets, Messengers, and devotees. It is very difficult to obtain it by diligence, although it is justifiable to strive one's utmost to do so. The disparity of internal power is like the variation of the external power. A man of strong well-built body, nerves and muscles could have the power to carry as heavy weight as one thousand pounds. If a weak sick man likes to attain his rank by hard training, by no means could he be able to do, even though the training and exercise increase him in power and strength. Thus, one should not leave diligence when he despairs of attaining the supreme rank, for this is the evident ignorance and clear error.

It was the habit of the righteous predecessors to forsake their homeland for fear of temptation. According to Sufyan Ath-Thawri "may Allah have mercy upon him": "This is a time of evil, that the anonymous could not feel safe for himself, what then about the famous? This is a time in which one moves from a town to another town: whenever he is recognized among the inhabitants of a particular place, he moves to another (in which he is anonymous)." Abu Na'im said: I saw Sufyan Ath-Thawri having hung his bucket on his shoulder and carried his leather bag on his back, thereupon I asked him: "Where are you going O Abu Abdullah?" he said: "I have been informed about a village in which things are cheaper, and I like to go to live therein." I asked: "Do you do so?" he said:

"Yes: if news reaches you about a village in which things are cheaper, go and live therein for it is safer for your religion and more diminishing of your concerns." This is flight from the high prices.

Sari As-Saqta used to say to the Sufis whenever winter was over: "(The month of) March has finished, and the trees have been covered with leafs, and it have become fitting for you to spread (on earth), so you might spread." It was the habit of Al-Khawas not to stay in a town more than forty nights, and he was of those reliant (on Allah), who saw that stay implied to depend upon means and causes. However, the mysteries of depending upon means and causes will be discussed later in the Book of Reliance Allah willing.

The Fourth Division Is To Travel In Flight From What Afflicts Body And Property

It is like plague in regard to body, or the rising of prices in relation to property. There is no harm in that: on the contrary, it is obligatory in many cases, as well as desired in others, according to whether the subsequent benefits are obligatory or desired. But there is an exception in regard with plague, from which none should flee, depending upon a Prophetic narration, on the authority of Usamah Ibn Zaid "may Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "This disease or epidemic is an abomination with which a nation before you was afflicted, and some thereof remained on earth." (This narration is reported by both Al-Bukhari and Muslim). It is further narrated on the authority of A'ishah "may Allah be pleased with her" that she said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The wholesale death of my nation will be caused by killing or by plague." I said: "We know killing. What is plague?" he said: "It is a tumor like the camel's bite that afflict the abdomen: the Muslim who dies because of it will be a martyr, and the Muslim who stays (and does not flee from it) expecting the reward of that from Allah will be like the one who remains stationed (to guard the borders) in the Way of Allah, and the one who flees from it is like him who flees from the battlefield." (This narration is reported by Ahmad and Ibn Abdul-Barr).

It is narrated on the authority of Makhul from Umm Ayman "may Allah be pleased with her" that she said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" advised one of his companions "That you should ascribe none to Allah in worship, even if you are tormented or burnt, obey your parents, and if they command you to leave anything you have, you should obey them, and not lave prayer intentionally, for he, who leaves prayer intentionally, Allah is free from the covenant of protection for him (from the fire of Hell). Beware of wine for it is the key to every kind of evil. Beware of committing sin fro it displeases Allah with you. Flee not from the battlefield. If two deaths afflict the people and you are among them, you should keep firm on them. Spend out of your property upon your household, and do not leave them without punishment (for mistakes),

and always frighten them from Allah Almighty." (This narration is reported by Al-Baihaqi). Those narrations indicate that it is forbidden to flee from or to come to a place where plague spreads. This issue will be explained in detail in the Book of Reliance.

Those are the main divisions of journey. They show that journey is divided into dispraised, praised or permissible. The dispraised is divided into unlawful, like the flight of a slave from his master, and the travel of the disobedient, and undesirable like coming out of the place where plague spreads. The praised is divided into obligatory like travelling to perform Hajj, and seeking knowledge which is an obligatory duty upon every Muslim, and encouraged like visiting the learned and scholars, and visiting their sites.

The intent is determined by the motive of journey. Let the intent of anyone be the hereafter in all of his journeys, and it is evident in the obligatory and encouraged, and questionable in the undesirable and forbidden. The permissible is determined by the intention. If his purpose from travelling to gain property is to refrain from begging and rather become able to spend upon one's dependents and give in charity what remains thereof, this permissible will be one of the deeds of the hereafter. If his purpose is to set out to perform Hajj by way of showing off and be heard of men, it will not be one of the deeds of the hereafter. This is confirmed by the Prophetic narration in which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The (rewards of) deeds depend upon the intentions (of people form doing them)." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of Umar). The statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" applies to what is obligatory, encouraged and permissible, but not the forbidden, for the intent does not change its forbidden nature.

According to a righteous prodecessor : "Allah Almighty has entrusted to angels to consider the purposes of travellers, so that everyone should be given in accordance with his intention. If one's intention is only the world, he will be given thereof and many times like it will be reduced from his portion in the hereafter, and his concern will branch on him, and he will be fully occupied by eagerness and miserliness; and if one's intention is the hereafter, he will be given out of wisdom, deep insight and intelligence, and the gates of reminders and lessons to be learnt will be opened to him in proportion to his intention, and his concern will become only one, and the angels will involve good upon him and ask for forgiveness of Allah for him."

To consider whether journey or residence is better is equal to consider whether seclusion or sociability is better. We have already made a mention of the basis on which comparison between them is to be held in the Book of Seclusion. It is well-known that journey is a kind of sociability besides trouble and difficulty that divide attention and aggravate concern. The better is that which helps more undertake the deeds of religion. The ultimate fruit of religion in this world is to obtain knowledge of Allah Almighty and sociability

with celebrating His Praises, and sociability is obtained by virtue of permanent and continuous celebration of Allah Almighty, whereas knowledge is obtained by virtue of permanent and continuous meditation. Whoever does not learn the way of celebration and meditation would not be able to do them well.

The journey is to help the beginner learn them in the beginning, whereas residence is to help act upon that knowledge in the end. But continuous wandering through the earth is to distract the heart except for the men of power. The traveller in the company of his property is always in worry once about his own self and property and once about leaving the things to which he has been familiar in his residence. If he has no property to fear for, he could hardly be free from coveting of and looking forward to get what is in the hands of others. Once his heart weakens because of property, and once it becomes strong because of aggravation of the motives of covet. Furthermore, to be occupied by travelling from one place to another , and what ensues therefrom in regard to mounting and dismounting always distracts in all cases.

For this reason, a seeker should not set out on journey unless he seeks knowledge or sees an old man to take him as an example to follow, and instill desire to do good. But if one engages in himself and the way to meditation and work is opened to him, stillness then is preferable for him. But when the majority of Sufis at that time are inwardly lacking in fine thoughts and subtle works, nor are they sociable with Allah Almighty, or with celebrating His Praises in their seclusion, and rather they are idle non-working for they have got accustomed to joblessness and regard work to be difficult and heavy upon them, and exchanged earning for begging, they become hateful in the Sight of Allah Almighty, for Allah Almighty dislikes the idle man (particularly if he has the power to work). But an exception is made for him who travels to perform Hajj or Umrah, without showing off or to be heard of men, or him who travels to see an old man to imitate him and copy his guidance.

According to jurisprudents, the journeys of those are questionable in the sense that they uselessly trouble themselves. Some of them adopt the opinion of preventing it. But in our sight, we judge it to be permissible, for they relieve themselves of the disaster of idleness by seeing different places and countries. There is no harm then in their wander as long as they withhold their evil from the people and avoid putting them to confusion. Their sin lies in confusing the people, begging in the name of Sufism, eating from the endowments assigned to Sufis for the Sufi in the end is a righteous just man, and as those eat of the property of rulers and governors, and that property is unlawful (as we have already mentioned), then, it is one of the major sins to eat of the unlawful, which leaves no place for righteousness and justice. If it is possible to imagine that there is a dissolute Sufi, it is also possible to imagine that there is a disbelieving Sufi, a Jewish jurisprudent, etc. As well as a jurisprudent should be a Muslim in particular, a Sufi should be righteous. and just, and nothing else.

That is the final say about the divisions and merits of journey, and the intention of the traveller.

TOPIC TWO:
ETIQUETTES OF SOJOURNER FROM DEPARTURE TO RETURN

Those are eleven proprieties; and they go as follows:

The first is that he should settle the complaints, repay debts, prepare expenses for such of people as whose spending is due upon him, and restore trusts if he has trusts with him. He should not take for his provisions but what is good and lawful, and let him take what is sufficient to give his companions in journey. According to Ibn Umar "may Allah be pleased with him": "It is out of man's generosity to make good and lawful his provisions on journey". On journey, one should adhere to good speech, serving others with food, and demonstrating good and noble manners, for journey always extracts what is hidden. Whoever is fitting for company on journey is surely fitting for company in residence, although the one fitting for company in residence might not be fitting for company on journey. For this reason, it is said that if man is commended by his companions in both residence and journey, doubt not in his righteousness.

Journey always provokes bother, and whoever makes good his manners while being bothered is more ready to have good manners in all states. That's because if things go in agreement with one's disposition, his bad manners could hardly appear. It is said: "Three should not be blamed for bother: the fasting person, the sick, and the traveller." It is out of the good manners of the traveller to be kind and good to the hireling, to help his companions as much as he could, to avoid foul language and obscenity.

The second is that he should choose a companion in his journey: this means that he should not set out alone, for the priority should be given to the companion and then to the way. He should choose his companion to be of those who help him do the acts and deeds of his religion, i.e. to remind him whenever he forgets and help him whenever he remembers. Certainly, one always follows the ways of his companion, and one could be recognized well only from his companion. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" forbade that a man should set out on journey alone. (This narration is reported by Ahmad on the authority of Ibn Umar). he further said: "Three (travellers) form a group of riders." (This narration is reported by Abu Dawud, At-Tirmidhi and An-Nasa'i on the authority of Amr Ibn Shu'aib from his father from his grandfather).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "If you are three on journey, let one of you be your chief." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Ibn Mas'ud). This became their habit, saying (about the one whom they chose as their chief): "This is our chief, who was appointed by the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"." (This narration is reported by Al-Bazzar and Al-Hakim on the

authority of Umar). Let them choose as their chief the one who has the best manners among them, the kindest towards his companions, and the swiftest to give others preference over himself. A chief is needed for the people are of different opinions about setting the mansions, ways and interests of journey, and system always lies in unity, whereas corruption always lies in variation and disparity.

The universe is organized in such a system because the creator and disposer is one: "If there were, in the heavens and the earth, other gods besides Allah, there would have been confusion in both! But glory to Allah, the Lord of the Throne: (High is He) above what they attribute to Him!" (Al-Anbiya 22)

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

Thus, if the disposer is only one, the matter will be well organized, and if there are several disposers, this will lead to corruption in both residence and journey. In residence, there should be a general chief, like the governor of the city or town, and a private chief like the lord of the house. But as for journey, the chief should be selected by the travellers in order for all different opinions to gather in one. The chief should always observe the interest of the people, and act as a protective shield for them.

In this respect, it is narrated on the authority of Abdullah Al-Marwazi that he travelled in the company of Abu Ali Al-Ribati to whom he said: "Provided that either you or I should be the chief." He said: "No, let it be you." He kept in the habit of carrying provisions for himself and Abu Ali on his back. One night, it rained heavily, and Abdullah remained for the whole night standing with an umbrella to hade him from the rain. Whenever Abu Ali asked him not to do he said: "Have you not given me the command? So, do not give your decision over me, nor retract from your statement." Abu Ali said (in comment on that): "Would that I died before suggesting to him to be the chief." As such the chief should be,

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The best of companions are four." (This narration is reported by Abu Dawud, At-Tirmidhi and Al-Hakim on the authority of Ibn Abbas). Of a surety, to limit the number to four should be of special significance here. The point is that the traveller should be in need of a man who should be on guard and a need that should be fulfilled, and had they been only three, the executer will be only one, and thus he will have no companion in his journey, and this is to bother him because of his loss of affability, and the there are two executers, the one on guard of bags and luggage will be one, who, in turn, will have no companions. Similarly, if they are more than four, the fifth will be needless. It is true that the more the companions in journey become numerous, the more they are safe from the dangers of the way, but the four is better for the private and not the public companionship. How many a

companion, who is not communicated or mixed with along the journey because he is dispansible.

The third is that he should bid farewell to the companions of residence, family and friends, and supplicate with the supplication of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". It is narrated that one said: I was in the company of Abdullah Ibn Umar "may Allah be pleased with him" from Mecca to Medina. When I liked to leave him he sent me off and said: "I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying: "Luqman said: 'If anything is trusted with Allah Almighty, He safeguards it'", and I trust your religion, honesty and the concluding parts of your deeds." (This narration is reported by both An-Nasa'i and Abu Dawud). It is further narrated on the authority of Zaid Ibn Arqam "may Allah be pleased with him" from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that he said: "If anyone of you intends to set out on journey, let him bid farewell to his brothers, for Allah Almighty blesses him because of their supplication for him." (This narration is reported by Al-Khara'iti). It is narrated on the authority of Amr Ibn Shu'aib from his father from his grandfather that whenever the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" bid farewell to a man he would say to him: "May Allah provide you with piety, forgive for you your sin, and direct you to the good wherever you turn your face." (This narration is reported by Al-Khara'iti). This is the supplication of a resident for the traveller who bids farewell to him.

It is reported that Musa Ibn Wurdan said: I came to Abu Hurairah "may Allah be pleased with him" to bid farewell to him before I set out on journey. He said to me: "Should I not teach you, O son of my brother, something I learnt from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" at the time of farewell?" I said: "Yes (teach me)." He said: Say: "I trust you with Allah with Whom no trust is lost." (This narration is reported by Ibn Majah and An-Nasa'i). It is narrated on the authority of Anas Ibn Malik "may Allah be pleased with him" that a man went to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "I intend to set out on journey, so, please, advise me." He said: "(Go) in the protection and shade of Allah Almighty. May Allah provide you with piety, forgive for you your sin, and direct you to good wherever you turn your face."

If a man trusts anyone with Allah Almighty, he should address the group without limiting it to one in particular. It is reported that Umar "may Allah be pleased with him" was giving the people their annuities when a man came to him in the company of his son, thereupon he said: "I have never seen anyone more similar to you than that child." The man said: "Let me tell you about him O Commander of Believers. I intended to set out on journey while his mother was pregnant of him. She said: "Are you going to set out and leave me in such a state?" I said: "I trust with Allah Almighty what is in your womb." I set out and then returned and behold! She had died. We sat talking and behold! There was

fire on her grave. I asked the people: "What is that fire?" they said: "It comes from the grave of such and such a woman, and we see it every night." I said: "By Allah, she was in the habit of observing fasts and standing at night (for supererogatory prayers)." I took the mattock and stood towards the grave and dug and behold! There was a lamp and that child was creeping. It was said to me: "This is your trust, and had you trusted his mother (with Allah as you had trusted your child), surely, you would have found her (living like him)." Umar "may Allah be pleased with him" said to him: "He resembles you more than a crow to a crow."

The fourth is that before his journey, he should perform Istikharah prayer in the very way we have described in the Book of Prayer, and at the time of departure, let him pray for the sake of journey. It is narrated on the authority of Anas Ibn Malik "may Allah be pleased with him" that a man came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "I have made a vow to set out on journey and I have written a bequest: to whom of those three should I give it: my son, my father or my brother?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A servant leaves no successor to succeed him in taking care of his family dearer to Allah Almighty than four rak'ahs he prays in his house once he puts on the garment of his journey, in which he recites the Opening of the Book and 'Say: He is Allah, the One and Only', and then says: 'O Allah! I come closer to You with those. Make them my successor to succeed me in taking care of my family and property"; for those will be his successor in his family and family, and a means of protection surrounding his house until he returns to his family." (This narration is reported by Al-Khara'iti).

The fifth is that if one comes at the door of the house, let him say: "In the Name of Allah! I rely on Allah, and there is neither might nor power but with Allah. O Allah! I seek refuge with You from misleading or being misled, from stumbling or being stumbled, from wronging or being wronged, from dealing with others with ignorance or being dealt with ignorantly." When he walks let him say: "O Allah! It is with Your Power that I walk, on You I rely, by you I hold fast, and to You I turn my face. O Allah! You are the object of my confidence and my hope: suffice me against what concerns me and what concerns me not, and what You have better knowledge of than me. Honoured and strong be Your neighbour, and exalted be Your praise; and there is no Allah to be worshipped other than You. O Allah! Provide me with piety, forgive for me my sins, and direct me to good wherever you turn my face." Let him supplicate with that supplication in his departure from every station.

Once he rides the mount let him say: "In the Name of Allah, and by (the power of) Allah (I set out), and Allah is Greater, and I rely on Allah, and there is neither might nor power but with Allah, Most High, Exalted in Greatness. What Allah wills is and what Allah wills not is not. Glory be to Him Who has subjected that to our use, and without Him, we would not have accomplished

it; and we all are returning to our Lord." Once the mount becomes upright with him let him say: "Praise be to Allah Who has guided us to that, and we would not have been guided aright had Allah not guided us aright. O Allah! It is You Who carries people on the backs (of mounts), and Whose aid is sought to achieve all affairs."

The sixth is that he should leave very early in the morning. It is narrated on the authority of Jabir "may Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" set out on Thursday on his way to Tabuk and said: "O Allah! Bless in my nation for their seeking early in the morning." (This narration is reported by Al-Khara'iti; and by the men of four Sunan on the authority of Sakhr Al-Amiri). It is desirable to set out on Thursday. It is narrated on the authority of Abdullah Ibn Ka'b Ibn Malik from his father "may Allah be pleased with him" that he said: "Never did the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" set out on journey but on Thursday." (This narration is reported by Al-Bazzar and Al-Khara'iti). It is further narrated on the authority of Anas Ibn Malik "may Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "O Allah! Bless in my nation for their seeking very early in the morning on Saturday"; and whenever the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" dispatched a military expedition, he would let it set out in the first portion of the day. (This narration is reported by the four men of Sunan on the authority of Sakhr Al-Amiri).

It is narrated on the authority of Abu Hurairah "may Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "O Allah! Bless in my nation for their seeking very early in the morning on Thursday." (This narration is reported by Ibn Majah and Al-Khara'iti). According to Ibn Abbas "may Allah be pleased with him": "If you have a need from a man, demand it form him during the day, and not at night, and demand it from him very early in the morning . No doubt, I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying: "O Allah! Bless in my nation for their seeking very early in the morning." (This narration is reported by Al-Bazzar, At-Tabarani and Al-Khara'iti). Furthermore, one should not set out after the rise of dawn of Friday, for he will be sinful by leaving Friday prayer, which is obligatory, and should be attended from the very beginning of the day.

It is desirable, if not out of Sunnah to send of the travellers. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "To send of a Mujahid in the Cause of Allah and embrace him on his mount in the morning or in the evening is dearer to me than this world and what it contains." (This narration is reported by Ibn Majah on the authority of Mu'adh Ibn Anas).

The seventh is that one should not set out until it is hot, for it is the Sunnah. He should make the greatest portion of his journey by night. In this

way, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I advise you on (your journey) at the first portion of the night, since the long distance is much easier to be covered at night than it is by day." (This narration is reported by Abu Dawud on the authority of Anas). When he approaches the station let him say (by way of supplication): "O Allah, Lord of seven heavens and what they shade, Lord of the seven earths and what they contain, Lord of Satans and whom they mislead, Lord of the wind and what they scatter, and Lord of oceans and what floats over them: I ask You the good of that station and the good of its inhabitants, and I seek refuge from the evil of that station and from the evil of what it contains. Avert from me the evil of their evil ones."

When he ascends at that station, let him offer a two-rak'ah prayer and then say: "O Allah! I seek refuge with the perfect words of Allah which neither pious nor wicked could go beyond from the evil of what He has created." When night falls on him, let him say: "O land: your and my Lord is Allah. I seek refuge with Allah from your evil and from the evil of what you contain, and from the evil of what creeps on you. I seek refuge with Allah from the evil of every lion and black (dog), from the evil of every female-snake and scorpion, from the evil of the inhabitants of the town, and from (the evil) of every parent and his offspring: to Him does belong all that is still at night and by day, and He is All-Hearing, All-Knowing." When he rises to a high place while proceeding on, let him say: "O Allah! You are supreme and higher then everything high, and You have the praise in every state." When he comes down, let him glorify Allah Almighty. If he feels afraid of loneliness on his journey, let him say: "Glorified be (Allah) the Holy King, Lord of angels and (Holy) Spirit: You have exalted heavens with honour and overwhelming power."

The eighth is that he should be cautious during the day, in the sense that he should not walk alone apart from the caravan, for he might be assassinated or lost. Similarly, he should be vigilant at night when he goes to bed. It was the habit of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that whenever he slept on journey in the first portion of the night, he would spread out his arms, and whenever he slept in the last portion of the night, he would hold his arms and place his head on his palm. The purpose is that he would not fall heavy in sleep until sun rises upon him unknowingly, and thus the prayer he would miss is much better than the benefit he would achieve from his journey. It is desirable at night that the journey companions take on guard alternately, in the sense that if one falls asleep, the other would remain on guard. This is out of the Sunnah.

If he faces an enemy or a wild animal during the day or at night, let him recite the Holy Verse of the Throne (of Majesty), "There is no Allah but He: that is the witness of Allah..." (Al Imran 18)

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ﴾

The Surah of Al-Ikhlas, and the last two Surahs of seeking refuge with Allah from evil. Additionally, let him say: "In the Name of Allah, what Allah wills (is), there is no power but with Allah, Allah suffices me, I rely on Allah, there is no power but with Allah, none brings about good but Allah, there is no power but with Allah, none averts evil but Allah, Allah suffices me, Allah hears the one who invokes Him, there is nothing to resort to beyond Allah, and there is nothing to take shelter to other than Allah. "Allah has decreed: "It is I and My Messengers who must prevail": for Allah is One full of strength, able to enforce His Will." (Al-Mujadilah 21)

﴿ عَزِيزٌ قَوِيٌّ ٱللَّهَ إِنَّ وَرُسُلِيٓ أَنَا لَأَغْلِبَنَّ ﴾

I have shielded myself with Allah, the Great, and I have sought the help of Allah, Ever-Living, the Self-subsisting, Eternal, Who never dies. O Allah! Safeguard us with Your Eye that never sleeps, and shade us with Your power that is impenetrable. O Allah! Bestow mercy upon us by Your power over us, and do not destroy us and You are (the object of) our confidence and hope. O Allah! Make the hearts of Your servants sympathize towards us with Your mercy and kindness: You are the Most Merciful of those who show mercy."

The ninth is that he should be kind to his riding mount. If he is riding, he should not burden it with load that is beyond its capacity, nor slap it in the face for it is forbidden, nor sleep on it for one's body becomes heavy by sleeping which annoys the riding mount. The men of piety used not to sleep on the mount unless it was a catnap. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Take not the backs of your mounts as thrones." It is desirable that he should dismount every morning and evening to relieve the riding mount, for this is out of Sunnah, and reports are handed down from the righteous predecessors that they used to do the same. Some righteous predecessors used to hire mounts on the condition that he would not dismount, and when he paid the charge in full, he would dismount in order to be kind to the riding mount, and have that deed placed in the scale of his own and not the owner's good deeds.

Whoever harms a mount by beating it severely, or burdening it with a load that is beyond its capacity, will be required to recompense it on the Day of Judgement, for there is a reward for kindness towards every living animal. Abu Ad-Darda' "may Allah be pleased with him" said to a camel belonging to him at death: "O camel! Bring no lawsuit against me to your Lord for I've never burdened you with a load that is beyond your capacity." Two kinds of charity lie in dismount: the first is to relieve the animal, and the other is to please the owner. It has also another benefit that is to exercise body and move the muscles of legs, and avoiding indolence that results from the long ride. Furthermore, one should tell the owner about the things to be loaded over it, and show them to him one by one, and hire the mount with a valid contract in

avoidance of any future disputes that cause harm and lead to more evil words, for "Not a word does he utter but there is a sentinel by him, ready (to note it)." (Qaf 18)

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾

So, let him be cautious of much talk and quarrel with the owner. He should not carry anything beyond what is agreed upon, no matter light for the little always leads to the more, and whoever hovers round the protected zone is about to fall in it. A man said to Ibn Al-Mubarak while he was riding a mount: "Convey that parchment to so and so." He said: "No until I take the permission of the owner of the mount, for I have not agreed with him on that parchment." Consider how he did not depend upon the words of jurisprudents that make it tolerable, and he rather followed the way of piety.

The tenth is that he should take with him six things. A'ishah "may Allah be pleased with her" said: "Whenever the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" set out on journey, he would take with him five things: the mirror, the kohl pot, the file (or knife), the toothpick, and the comb." (This narration is reported by At-Tabarani, Al-Baihaqi and Al-Khara'iti). He used to take with him six things according to another version on her authority: the mirror, the bottle, the file, the toothpick, the kohl pot and the comb. It is reported on the authority of Umm Sa'd Al-Ansariyyah "may Allah be pleased with her" that she said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" never left the mirror and kohl pot on journey." (This narration is reported by Al-Khara'iti). It is narrated on the authority of Suhaib "may Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I advise you to apply antimony whenever you go to bed for it enhances sight and helps eyelashes grow more." (This narration is reported by Al-Khara'iti; and At-Tirmidhi on the authority of Ibn Abbas). It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to apply kohl thrice each time. In another version, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" applied kohl thrice to his right eye and twice to his left eye. (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Ibn Umar).

The Sufis added a pot and a rope, and one of them said: "If a poor has neither pot nor rope, it will indicate to his lack in religion." They added those because they were very cautious about the cleanness of water and washing the garment. The pot is to reserve the clean water, and the rope is to dry the washed garment and extract water from springs. Those of the early generations considered Tayammum sufficient, and they were not in need of carrying water with them, and they were careless about performing water from any spring or well unless they were certain of being impure. Umar "may Allah be pleased with him" himself performed ablution from the jar of a Christian woman. They also dispensed with rope by the land and mountains to spread their washed garments

on. Thus, although the rope is a religious innovation, it is good. The blameworthy religious innovation is that which opposes the well-established ways. But what helps one become more cautious about religion is desirable. It was said that Al-Khawas was of those who rely on Allah Almighty, and he never left four things whether in residence or on journey: the pot, the rope, the needle with its threads and the file. He used to say that those do not belong to this world.

The eleventh pertains to the etiquettes of return from journey. Whenever the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", (according to what is unanimously narrated on the authority of Ibn Umar) returned from a holy battle, Hajj or Umrah, he would magnify Allah thrice at the ascent of every promontory and say: "There is no Allah (to be worshipped) but Allah, the One and Only, other than Whom there is no partner: His is the dominion, and to Him be the praise and He has power over all things. We are returning, repenting, worshipping, prostrating and giving thanks to our Lord. Allah has proved true to His Promise, and helped His servant, and Alone defeated the confederates. One then should use this tradition in his return. If he approaches his city, let him move his riding mount, and say: "O Allah! Endow us a good residence and sustenance in it." Then, let him send to his family the one who tells them about his arrival, in order that he should not come to them suddenly. This is the tradition (which should be followed). One should not also knock the door of his family at night. When he enters the town, let him first go directly to the mosque and offer a two-rak'ah prayer, according to the followed tradition. As such did the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". When he enters his house, let him say: "(Let's) repent (let's) repent to our Lord, and return in such a way as to leave nothing (of our sins) without being forgiven."

He should bring with him a gift of foodstuff or anything else to his household or relatives, as much as lies within his capacity, for it is out of Sunnah. It is narrated that if one finds nothing, let him put a stone in his bag. (This narration is reported by Ad-Daraqatni on the authority of A'ishah). That exaggeration is to urge one to do such glorious deed, for the eyes always stretch towards the one who returns from journey, and the hearts grow pleased with him. So, it is desirable to please them and cool their eyes, by showing that he has been concerned with them during the journey.

Those are some of the external etiquettes. As for the internal etiquettes, some of them were shown in the first chapter. They are:

One should not travel unless his journey shall in crease him in religion. In every town, he should have the intention to see its sheikhs, and endeavour to get benefit from each of them in order to make use of and not to relate about it, by way of showing off and demonstrating that he had met the sheikhs. The duration of stay in every town should range between seven to ten days, unless the intended sheikh orders him to change it. During his stay, he should sit only with the truthful sincere poor. If his intention is to visit a brother, he should not stay with him more than three days, for it is the limit of hospitality

unless it is difficult upon his brother to leave him. If he intends to visit a particular sheikh, he should stay with him no more than a day and a night.

When he enters a city to visit its sheikh, if he is in his house, he should not knock at his door nor seek permission to be admitted until the sheikhs comes out, and when he comes out, he should proceed towards him politely and pay him salutation. He should not speak in advance before him until he asks him to speak, and if he asks him he should give his answer in proportion to the question and no more. He should not ask him about anything unless he takes permission first. Let him not make a mention of the different kinds of food and fruits characteristic of each country, nor should he mention its wealthy and generous people, and his friends and acquaintances in it. But rather he should make a mention of its sheikhs and poor.He should not neglect in his journey to visit the graves of the righteous: on the contrary, he should inspect about them and visit them. He should not show his need but when it is necessary, and only to him who is really able to fulfill it. On the way, he should adhere to celebration (of the Praises of Allah) and recitation of the Qur'an. If a man talks to him, he should leave the celebration and reply to him and after he finishes he should return to celebration once again. If he gets bored because of journey or residence he should oppose his own self, for blessing lies in opposition of the self. If it is made easy for him to serve righteous people, he should not travel out of boredom of their service for by so doing, he will have denied the favour and grace (bestowed by Allah upon him).

If he finds himself in a state of lack (in religion and knowledge) more than he was in residence, he should come to know that his journey is burdensome, which he should discontinue and return home. A man said to Abu Uthman Al-Maghribi: "A man has set out on journey." On that he said: "No doubt, journey is a kind of alienation, and alienation is humiliation, and it is not befitting for a faithful believer to put himself to humiliation." He refers to the fact that he who travels not to increase in religion (and knowledge), journey will be a means of humiliation to him, otherwise, the honour of religion could be attained only through the humiliation of alienation. So, it is the one who is able to oppose himself and curb his own desires that could set out on journey, in order not to be put to humiliation in that alienation, for he, who follows his own desire on journey will inevitably be put to humiliation sooner or later.

CHAPTER TWO:

WHAT A SOJOURNER SHOULD LEARN IN REGARD TO CONCESSIONS OF JOURNEY, INDICATIONS OF QIBLAH AND DUE TIMES OF PRAYERS

It should be known that the sojourner needs in the beginning of his journey to take provisions for his world as well as for his hereafter. In regard to the provisions for this world, a mention might be made of food, drink and expenses. If he sets out with reliance (on Allah) with no provisions, there will be no harm in case he is among a caravan or his journey is across contiguous

villages and towns. If he leaves for desert alone or in the company of a people who have no food, in this case: if he is of those who have power to keep patient on hunger for seven to ten weeks, or of those who are satisfied with grass, there will be no harm; and if he has no power to keep patient on hunger, nor to be satisfied with grass, then, to set out with no provisions will be sinful for he will have contributed with his own hand to his destruction. There is a mystery that lies behind this fact, and it will be discussed later in the Book of Reliance. Reliance does not mean to leave all causes, and were it to be so, it would have been idle by demanding a bucket and a rope, and extracting water from springs, and it would have been incumbent upon one to remain patient until Allah Almighty should subject an angel or another person to come and pour water into his mouth. As well as taking a bucket and a rope does not condemn reliance, since those are the means to get access to water, it is then preferable to take food and drink themselves where they are not expected to be found. This reality will be explained in more detail later in the Book of Reliance.

In regard to the provisions for the hereafter a mention might be made of the knowledge that is needed in purification, ablution, prayer and different acts of worship. The sojourner should take such provisions on his journey, for journey sometimes alleviates many acts of worship from him which he needs to know, like shortening prayer, breaking fast, etc, and sometimes toughens many things on him which he dispenses with in residence like his knowledge of the direction of Qiblah and the due times of prayer, for in residence one might be satisfied with the Mihrabs of mosques and the Adhan of Mu'adhdhins. Hence, there are two divisions of things to be learned on journey:

The First Division Pertains To The Knowledge Of Concessions

In relation to purification and ablution, two concessions are obtained from journey: to wipe the footwears and practice Tayammum. Concerning the obligatory prayers, there are also two concessions: shortening the prayer and combining prayers. Two concessions are included in the supererogatory prayers: to pray while riding the mount, and praying while walking. In fasting, there is only one concession, i.e. to leave fasting. The total is seven concessions.

The first concession: to wipe footwears

It is narrated on the authority of Safwan Ibn Assal that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" commanded us not to take off our footwears (whenever we liked to offer ablution provided that they were worn after offering ablution) for three days unless it would be because of the state of ceremonial impurity (resulting from sexual intercourse or nocturnal wet dream); but (we might not take them off) because of excrement, or of urination, or of sleep. (This narration is reported by At-Tirmidhi, An-Nasa'i and Ibn Majah). Thus, whoever put on his footwears while being in the state of

ablution, and then he broke ablution has the right to wipe his footwears (whenever he performed ablution) for three days and nights beginning from the time he broke ablution in case he is on journey, and only a day and a night in case he is in residence. But there are five conditions to be observed for the validity of that:

1- One should put on footwears after performing ablution in full. If one washes his right foot and then gets it into the footwear and then washes the left foot and gets it into the footwear, wiping footwears will be impermissible in the sight of Shafi'i juristic school until he puts off the right footwear in order to put them on once again.

2- The footwear should be thick enough to walk in them. It is permissible to wipe the footwear even in case there is no sandal, for the people are accustomed to walk in it without sandal unlike the socks of Sufis which are too weak to walk in without a shoe, and thus it is impermissible to wipe it during ablution.

3- It should not be worn in a way that uncovers a part of foot that is to be washed in ablution. In this case, it is impermissible to wipe it in ablution. But it might be permissible as long as it is stuck to the foot according to Maliki juristic school and the earlier opinion of Shafi'i, and there is no harm in that in view of the dire need and the difficulty of sewing on journey. It is permissible to wipe the woven footwear as long as it covers the whole foot up to the ankles.

4- It should not be taken off after wiping it; and if it is to be taken off, then, it is preferable to perform ablution without it. But if it is taken off for the purpose of washing feet, it is permissible.

5- It is the spot alongside the place to be washed in ablution that should be wiped, i.e. to wipe the back of the foot from over the footwear at minimum. If it is wiped with three fingers, it will be sufficient. But it is preferable to avert disputes and wipe the higher and lower portions of it all at once, without repetition. As such the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did.

It is to wet his hands and place the finger tips of his right hand over the tips of soles of his right foot, and pass it over that foot from front to back, and the finger tips of his left hand over his heel from the lower part of the footwear and pass it over that from back to front. If one wipes his footwear while being in residence and then sets out on journey, or wipes while being on journey and then becomes in residence, the ruling of residence should prevail. So, let him be limited to a day and a night. The three days and nights begin from breaking his ablution after wiping his footwears. If he puts on footwears and wipe them in residence and then sets out on journey and breaks his ablution at midday, he shall remain in the state of wiping his footwears for three days and nights beginning from the time of midday up to the midday of

the fourth day. Once the sun declines on the fourth day, that state shall be over, and he shall have no right to pray until he washes his feet (in ablution). Let him then wash his feet and put on the footwears once again, and observe the time he will break ablution (to begin new three days and nights). Furthermore, if he breaks ablution after putting on the footwears in residence, and then he sets out on journey, he has the right to remain wiping his footwears for three days and nights, for usually one might put on footwears before setting out, and could not avoid breaking ablution (after putting on footwears). But in case he wipes his footwears in residence and then sets out, he should limit it to the period of resident, i.e. a day and a night.

It is desirable, for him who likes to put on footwears in residence or on journey, to overturn them and shake them off anything for fear of a female-snake, a scorpion or a thorn. It is narrated on the authority of Abu Umamah "may Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" asked for his footwears and when they were brought to him he put on one of them and then a crow came and carried the other and threw it thereupon a female-snake came out of it. On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who believes in Allah and the Last Day should not put on his footwears until he shake them off." (This narration is reported by At-Tabarani).

The second concession pertains to Tayammum

It is to perform Tayammum with dust instead of performing ablution with water when there is a legal excuse of shortage of water. The shortage of water becomes fitting for excuse if it is so far from the dwelling place that if one walks towards it, he could not be relieved by the caravan if he cries or asks for relief. In this way, it is farther from the customary distance the people cut to answer the call of nature. Similarly, if the water is occupied by an enemy or a wild animal, practicing Tayammum is permissible, no matter near it might be. One also has the right to practice Tayammum if he needs the existing quantity of water to quench his thirst during his day or a portion of his day. If water also is needed to quench the thirst of anyone of his companions, it is impermissible for him to perform ablution thereof, and he should rather give it to him. But if it is needed for cooking soup or wetting fragments of bread, Tayammum will not be permissible: on the contrary, it is incumbent upon him to satisfy himself with the fragments of dry bread and dispense with soup.

Therefore, if water is granted to him, he should accept it; and if price is offered to him in return for water, he should not accept it. If it is sold for a fair and reasonable price it is incumbent upon him to buy it, but if it is sold for a price in which he dealt with unjustly, it is not incumbent upon him to buy it. If one has no water and he intends to practice Tayammum, the first thing he has to do is to seek water, as much as it is possible to have access to it: let him turn round the dwelling place and inspect his bags and ask for the remaining water in

the utensils and vessels. If he forgets water in his bags or is heedless of a well of water close to him (and he has performed Tayammum and offered prayer), it becomes incumbent upon him to perform ablution and repeat the prayer due to his indulgence in seeking for water. If he learns that he will find water towards the end of the due time of prayer, it is preferable to practice Tayammum and perform prayer in the beginning of time, for life is not ensured (to continue to the end of the due time), and by praying in the beginning of time one attains the good pleasure of Allah Almighty. It is reported that Ibn Umar "may Allah be pleased with him" practiced Tayammum and it was said to him: "Do you practice Tayammum and the people are looking at you from over the walls of Medina?" he said: "Should I wait (without prayer) until I enter it (the Hell)?"

If water is found after one started his prayer, his prayer would not be annulled, and it is not incumbent upon him to perform ablution (and repeat prayer). But if water is found before starting prayer, it becomes incumbent upon him to perform ablution. In the event of unavailability of water, he should aim at a piece of earth of good dust, and strike it one strike with his palms after holding his fingers, and wipe his face therewith, and strike it another strike after taking off his ring and spreading his fingers and wipe his hands up to his elbows therewith. You might see the details of that in the Book of Purification. If one practices Tayammum and offer one obligatory prayer therewith, he has the right to perform as much supererogatory prayers after it as he likes. But if he intends to perform another obligatory prayer, he should repeat Tayammum. That's because no two obligatory prayers should be performed with one Tayammum. Furthermore, he should not practice Tayammum for a particular obligatory prayer before its due time comes, and if he does, it becomes incumbent upon him to repeat Tayammum. On wiping his face, let him have the intention to make permissible the prayer. If he has water sufficient to perform ablution in part, let him use it and then practice Tayammum in full.

The third concession pertains to shortening the obligatory prayers

A sojourner has the right to shorten Zhuhr, Asr and Isha' from four to two rak'ahs, but with observation of the following three conditions:

1- To perform it in its due time. But should it be performed as compensatory, it is more likely to be performed in full.

2- To intend to shorten it for should he intend to perform it in full, it becomes incumbent upon him to perform it in full. If he has doubt as to whether he intended to perform it in full or as shortened, it becomes incumbent upon him to perform it in full.

3- He should not pray behind a resident or a sojourner who performs prayer in full, and if he does, it becomes incumbent upon him to perform it in full. Even if he has doubt as to whether his imam is a resident or a sojourner who performs prayer in full, it becomes incumbent upon him to perform prayer in full, and it does not care if he is sure afterwards that he is a sojourner. So, let him be certain

at the time of intention. However, it does not harm him if he has doubt as to whether his imam, whom he recognizes to be a sojourner, has intended to perform prayer in full or as shortened for none learns the intentions (but Allah Almighty). All of this applies to the long permissible journey whose beginning and ending limits are problematic.

In regard to the beginning, the journey is to move from one's residence to a particular destination for a certain purpose. Thus, there is no concession for him who wanders through the land and has neither certain purpose nor a particular destination to which he intends to go. One does not become a sojourner unless he leaves the inhabited places and precincts of the town, but it is not necessary for him to leave its ruins and gardens to which the people set out for picnic. In regard to village, the sojourner therefrom should leave its surrounding gardens. If the sojourner returns to the town to take something he has forgotten, no concession is due to him if it is his homeland and he has not left its inhabited places. But if it is not his homeland, he has the right to enjoy the concession.

The end of journey is determined by one of three things:

1- To arrive in the inhabited places and precincts of the town which he intends to stay in .

2- To intend to stay three days and more whether in a certain town or in the desert.

3- To achieve the form of stay even with no intention to stay. The typical case is to stay in a particular site for three days in addition to the day of arrival, after which he has no concession.

But in case he has no intention to stay, and he has occupation he expects to achieve everyday and it delays, he has the right to enjoy the concession whatever long his stay might be. It is of no difference whether or not he is engaged in fighting, whether the duration of stay is long or short, whether he delays to set out because of the heavy rains or anything else he does not know whether or not it will continue for three days. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" utilized the concession of shortening the prayer in one of his holy battles for eighteen nights he stayed in one site. (This narration is reported by Abu Dawud on the authority of Imran Ibn Hussain). What seems is that the continuity of concession is determined by the duration of fighting. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" seemed to have shortened the prayer because he was a sojourner and not a fighter.

We mean by long journey is to be of two transitions, each consisting of eight Farsakhs, each of three miles, each of four thousand steps, and each of three feet. We mean by the permissible journey is that one does not flee from his parents in defiance and disobedience of them, nor does he flee from his master (in case he

is a slave), nor does a woman flee from her husband, nor does a solvent debtor flee from his creditor, nor does one go to cut the road upon the people, kill a man with no just cause, get an unlawful gift from a wrongful ruler, or seek to spread mischief among the Muslims. In total, a man travels for a certain purpose which drives his journey. If his purpose from journey is to do or get what is unlawful, his journey is sinful, and no concession is due to him. Wickedness itself, such s drinking wine and the like of it does not impede concession. Let's say that every journey which is forbidden by Sharia should not be supported by any concession. If one has two purposes from his journey, one is permissible and the other is forbidden, and both are separate and independent from each other, then, he has the right to enjoy the concessions of journey. There is difference about the concession for the Sufis who wander through the land with no valid purpose other than seeing the different sites and places. But the preponderant opinion is that they have the right of concession.

The fourth concession is to combine prayers

It is to combine both Zhuhr and Asr prayers in their due time and Maghrib and Isha' prayers in their due time. This is allowable in every long permissible journey. But there is difference about its being permissible in the short journey. If one likes to pray Asr in advance, let him intend to combine both Zhuhr and Asr in their due time before the time of Zhuhr is over. Let him call for Zhuhr prayer and then establish prayer and once he finishes from prayer let him establish Asr prayer with observation of renewing Tayammum, making break between both with no more than Tayammum and Iqamah (prayer establishment). If he assumes Asr prayer first then combination becomes impermissible. But according to Al-Muzni if one, on assuming Asr prayer, intends to combine both Zhuhr and Asr prayers, it is permissible; and it might be logically acceptable since there is no reference for the obligation of giving precedence to intention over assuming prayer, and what counts is that combination of both prayers is permissible. The concession pertains to Asr in particular and thus intention in it is enough; and there is no difference in regard to Zhuhr prayer.

Once he finishes from both prayers, he should combine their Sunan. There is no Sunan to be offered after Asr. But as for the Sunan of Zhuhr, he should pray it after finishing from Asr prayer, whether riding or standing or sitting. That's because if he performs the Sunan of Zhuhr after Zhuhr, the consecution between both Zhuhr and Asr will be interrupted, although it is obligatory. There is another possibility, i.e. if he so likes, he could combine both four-rak'ah prayers of Zhuhr and Asr before performing two obligatory prayers: let him pray first the Sunnah of Zhuhr followed by that of Asr, and then pray the obligatory prayer of Zhuhr followed by that of Asr, and then the two-rak'ah prayer to be performed after the obligatory prayer of Zhuhr. One should not neglect supererogatory prayers on journey, for what he misses of them is much more than the profit he gains from journey, given that they are

alleviated for him and made permissible to him to perform them while being on the mount, in order not to delay from the journey because of them. If he delays to perform Zhuhr prayer until the due time of Asr comes, he should follow the same sequence, and it is of no care to him to offer the Sunan of Zhuhr after Asr, i.e. at the time when prayer is undesirable, as long as there is just cause for him to offer them at that time. The same, should be followed, in combining both Maghrib and Isha' in addition to Witr prayer. After finishing from the obligatory prayers, let him engage in performing the Sunan and conclude his entire prayers with Witr.

If he remembers Zhuhr which he has not yet performed before its due time elapses, let him intend to perform it in combination with Asr prayer. If he does not remember Zhuhr prayer until its due time has elapsed, either because of sleeping or engagement, he has the right to perform it in combination with Asr prayer, without being sinful, for as well as journey might occupy one from performing prayer, it also might divert him from remembering it. Furthermore, the time of both Asr and Zhuhr is shared between both prayers on journey. For this reason, a menstruating woman should compensate Zhuhr prayer once she gets clean from menses before sunset. When Zhuhr is delayed up to Asr time, it is not requisite to observe the sequence in praying them, unlike the case when Asr is to be performed in advance in combination with Zhuhr prayer. That is because it is unlikely that one who intends to leave or delay Zhuhr prayer engages in Asr prayer. The legal excuse of heavy rain, like journey, makes it permissible to combine prayers. One of the concessions of journey also is to leave Friday prayer. If one, after performing Asr prayer (in combination with Zhuhr), intends to stay in residence and the time of Asr comes upon him while being in residence, it is incumbent upon him to pray Asr once again, for the legal excuse has vanished.

The fifth concession pertains to performing supererogatory prayers as riding

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to perform the supererogatory prayers while being on his mount wherever it turned with him. (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of Ibn Umar). Additionally, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" performed Witr prayer while being on his riding mount. Neither bowing nor prostration is due upon the riding performer of supererogatory prayer except by way of nodding his head. In prostration he should make his head a bit lower than it is in bowing. It is not incumbent upon him to bow so much that he is exposed to danger because of riding. But if he is in a lying place, he should perform bowing and prostration in full for he has the power to do it well. It is not incumbent upon him to turn his face towards Qiblah whether in the beginning or during the prayer. But the direction of the way is substituted for the Qiblah. In all of his prayer, he should turn his face towards the Qiblah (if it is possible) or to the direction of

the way, and once he turns his mount away from that direction, his prayer will become valid, unless he turns it towards the Qiblah. If he turns it away forgetfully or for a short while, the prayer will not be valid. If his mount runs away with him uncontrollably and deviates from the direction, his prayer will not become valid, and no prostration of forgetfulness will be due upon him, since it is not he who causes it to deviate, unlike the case in which he himself turns it away forgetfully, and thus prostration of forgetfulness becomes due upon him by way of nodding his head.

The sixth concession pertains to performing supererogatory prayers as walking

It is permissible on journey, and he should nod his head in reference to bowing and prostration. It is not incumbent upon him to sit down to recite Tashahhud for this invalidates the benefit of concession. Although the ruling of rider applies to him, the walking should seek to face the Qiblah on assuming prayer, for it is not difficult upon him to turn towards the Qiblah for the very moment in which he assumes the prayer, unlike the rider. He should to walk in wet filth intentionally, and once he does so his prayer becomes invalid, unlike the case in which the riding mount of a rider treads on a wet filth. It is not incumbent upon him to trouble himself in attempt to avoid the filth which the road could hardly be void of. In brief, everyone who flees from an enemy, a wild animal or a torrent has the right to perform the obligatory prayer while riding or walking in the very way we have mentioned in the supererogatory prayer.

The seventh concession pertains to leaving fast

It is permissible for the sojourner to leave fasting except if morning comes upon him while being resident and then he sets out on journey: in this case, he should not leave fast. If morning comes upon him while travelling and he is fasting, and then he resides, he should complete his fast. But if he resides after he has broken his fast, it is not incumbent upon him to desist from food or drink for the remaining portion of the day. If morning comes upon him and he is travelling, and he has the intention to observe fast, it is not incumbent upon him to complete his fast, although fasting is better for him, just as shortening the prayer on journey is better than completing prayers in order to avoid the suspicion of disputes about that matter. That's because it might be difficult upon him to compensate for the missed fast. But in case fast harms him on journey, then, it is better for him to leave fast.It might be asked: "Is it obligatory or desirable upon the sojourner to learn those concessions before setting out on journey?" in reply to it, let's say that it should be known that if he intends to leave shortening prayer, wiping footwears, combining prayers, leaving fast, and performing supererogatory prayers as riding and walking, it is not incumbent upon him to learn the conditions of such concessions for it is not obligatory upon him to adhere to them. But it is incumbent upon him to learn

the conditions of Tayammum, for loss of water is most likely on journey unless he travels along the bank of a river or so.

You may argue: "Tayammum is needed for a prayer which is still not due: so, how is it incumbent to learn purification and ablution for a prayer which is still not due?" let me say that if there is a long distance to be covered in a year between anyone and the Ka'bah, several months before Hajj, he should set out on his journey to Hajj, and learn the rites if none is thought to teach him on the way. That's because the basic rule here is the continuation of life, and the thing without which an obligatory deed could not be achieved, should be considered as obligatory in itself. Similarly, any obligatory duty that is expected to be done and it has a particular condition and there is no access to it except by giving precedence to that condition over the time of obligation, it then is desirable to give precedence to learn that condition, like the knowledge of rites before the time of Hajj is due. For this reason, it is impermissible for a sojourner to set out on journey before learning that amount of Tayammum and the other concessions.

You might say: "If he does not learn the way of performing supererogatory prayers as riding and walking, what harm shall he receive? It is just that he will offer supererogatory prayer mistakenly, and those are not obligatory on him. Then, how should its knowledge be binding upon him?" in reply, let me say that it is binding upon him not to offer supererogatory prayers mistakenly, for to offer supererogatory prayers while being in a state of breaking ablution, impurity, facing direction other than the Qiblah, and without perfecting the basic conditions or prayer, is unlawful. For this reason, it is binding upon him to learn the amount with which he avoids performing supererogatory prayer mistakenly, lest he would fall in what is forbidden. This is the knowledge of the concessions of the sojourner.

The Second Division Pertains To The Functions To Change Because Of Journey

It is like the knowledge of the direction of Qiblah, and the times of prayer; and this kind of knowledge is obligatory in residence (as well as on journey). But in residence, there are something which suffices one to learn that, like the Mihrab of the mosque that makes him dispense with seeking to know the direction of Qiblah, a Mu'adhdhin who observes the due time of prayer that makes him dispense with seeking to pursue it, unlike the sojourner who might be put to confusion about the direction of Qiblah and the due time of prayer. Thus, it is incumbent upon him to acquire the knowledge of the indications of Qiblah and the due times of prayer.

The indications of Qiblah are three: land indications, like signification with the help of mountains, villages, and rivers, aerial like signification with the help of the wind from the four directions, and celestial like signification with the help of stars.

As for the land and aerial, they differ by the different countries and regions. Perhaps, there is a high mountain on a way known to be on the right, on the left, in front or on the back of the praying man. One should know and understand that well. Wind also might be suitable indications in some countries. However, a thorough survey of that is beyond capacity since every town and country has its specific nature.

In regard to the celestial indications, they are divided into daily and nightly: one of the important daily indications is the sun. before setting out on journey, a sojourner should observe his position from sun decline: should it be in front of him in between his eyebrows or to his right or to his left eye, or should it incline more to the forehead? Those are almost the positions of sun in the north countries. Once he knows that, and knows the sun decline with its indication we are going to mention later, he comes to know the direction of Qiblah. He also should observe the position of sun from him at the time of Asr prayer. As different as it is from town to town, a thorough survey is impossible. The Qiblah at the time of Maghrib prayer is perceptible with the help of the position of sunset. That's to know that sun sets on the right or as inclining to the face or the nape of the praying man. It is with the help of dusk that the direction of Qiblah is learnt for Isha' prayer, as well as it is with the help of sunrise that the direction of Qiblah is learnt for the Morning prayer. In other words, the sun is fit to indicate to the direction of Qiblah for the five obligatory prayers. But it is different according to the difference of winter and summer. There are so many points of setting and rising although they are limited to two directions.

But one might offer Maghrib and Isha' prayers after the disappearance of the dusk, which makes it difficult upon him to know the direction of Qiblah. In this case, he has to observe the position of Capricorn, for it is almost changeable. It might be on the nape, on the right or left shoulder, in the countries that lie in Northern Mecca, while it might be in the face of the praying man in the countries lying Southern Mecca like Yemen. He should learn that and depend in his way upon what he knows and sees in his country, unless the journey is long for the far distance leads to the difference of the positions of sun, Capricorn, as well as the points of rising and setting. Once he reaches a certain town, he should ask the people of knowledge or watch the planets and stars while facing the Mihrab of the mosque of that town. When he learns those indications, he should depend upon them. If it appears to him that he has committed a mistake while praying by deviating from the direction of Qiblah to another direction, it becomes binding upon him to compensate the prayer. But in case he deviated from Qiblah without leaving its direction, it is not incumbent upon him to repeat the prayer.

There is difference among the jurisprudents as to whether what counts is the direction or the same body of the Ka'bah. What counts in our sight is the same body of the Ka'bah if the Ka'bah is in a position that enables the praying person to see it, and the direction if it is difficult upon him to know it

except with the help of signification. There is consensus on the fact that the same body of the Ka'bah is required in the event of availability. To be satisfied with the direction of the Ka'bah when it is difficult to know it except by signification is proved by the Book, the Sunnah, the behaviours of the companions "may Allah be pleased with them", and the analogy.

In regard to the Book, Allah Almighty says: "Turn then your face in the direction of the Sacred Mosque: wherever you are, turn your faces in that direction." (Al-Baqarah 144)

Concerning the Prophetic tradition, It is narrated on the authority of Abu Hurairah that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "(The whole space) between the East and the West, acts as a Qiblah (particularly for him who is on journey and is put to confusion)." (This narration is reported by At-Tirmidhi, An-Nasa'i and Ibn Majah). The West lies on the right side whereas the East on the left side of the inhabitants of Medina. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" made the space between them as a Qiblah, although the area of the Ka'bah by no means could cover the whole space between East and West, unless its direction and not its body that is intended here. The same narration is also reported on the authority of Umar and his son "may Allah be pleased with them".

Regarding the behaviours of the companions, "may Allah be pleased with them", it is reported that those who were performing Morning prayer in the mosque of Quba' were facing Jerusalem and turning their backs to the Ka'bah and Medina was lying between them, when they were told that the Qiblah was changed towards the Ka'bah, thereupon they turned during the prayer without seeking indication. (This narration is reported by Muslim on the authority of Anas; and both Al-Bukhari and Muslim on the authority of Ibn Umar). However, their acts was not disapproved of, and for that reason, their mosque was named the mosque of two Qiblahs. It is difficult to face the same body of the Ka'bah from Medina except with the help of geometric indications: how were they able to know it spontaneously in the prayer and during the darkness? Furthermore, when they built their mosques in the precincts of Mecca and the other countries of Islam, they did not seek the aid of engineers to make their Mihrabs directly in the face of the same body of the Ka'bah.

Analogically, there is a dire need to build mosques through all parts of the earth that should face the Qiblah, and it is very difficult to face the same body of the Ka'bah except with the help of geometric sciences that were not stipulated in Sharia. For this reason, it is necessary to face the direction (and not the same body) of the Ka'bah.

The evidence for the validity of limiting all directions of the world to four is taken from the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" who said about the etiquettes of answering the call of nature: "Do not face the Qiblah nor turn your backs towards it: but rather turn Eastward or Westward." (This narration is reported by both Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Ayyub). This applies to Medina, since

East lies to the left and West to the right side of the praying person who faces the direction of the Qiblah. In this Prophetic statement, two directions were forbidden and two were permitted in connection with answering the call of nature. The total then is four directions. Man himself has no more than four directions: the front, the back, the right and the left. Since Sharia is based on such beliefs, then, it is clear that what is intended is the direction (and not the same body). This facilitates diligence concerning it. But to know exactly the position of the same body of the Ka'bah requires to learn first the position of Mecca in relation to both meridian and equator, and how difficult it is to know without precise instruments, which Sharia did not stipulate. It is then sufficient for the sojourner to know of the indications of Qiblah the position of the rising and setting when sun declines and the position of the sun in the afternoon, i.e. at the time of Asr.

But you might say: "If a sojourner sets out on journey without learning that, should he be sinful?" in reply, let me say that if during his way he passes across contiguous villages and towns, having Mihrabs of Qiblah in their mosques, or if he has in his company anyone who has the reliable knowledge to guide him to the direction of Qiblah, and he himself is trustworthy and just, of a surety, he will not be sinful, otherwise, he will be sinful, for he has inevitably to face Qiblah in his prayer, and without that knowledge, he will fail to do so correctly. But if he has the knowledge of those indications and it becomes difficult upon him to be guided to them because of vagueness or darkness, or there is none with him to guide him to the right direction, then, he has to offer prayers at their due times, provided that he shall compensate those prayers later, whether he has or has not got the right direction on his journey.

The blind has a special case here, since he has but to be guided by a reliable and trustworthy sighted one; and if the direction of Qiblah is clear, he ahs to rely upon the statement of every just and fair one telling him about it, whether in residence or on journey. But there is no claim for the blind or the ignorant to travel in a caravan that has none to know the indications of Qiblah, in the same way as there is no claim for the layman to stay in a town that has no jurisprudent who is knowledgeable of the items of Sharia: but rather it becomes incumbent upon him to leave for any place where he could find one to teach to him his religion. The same is true of him if the town has but a wicked dissolute jurisprudent, for it is impermissible to rely on his fatwa, and justice is requisite to accept the fatwa of any jurisprudent.

In connection with learning the due times of the five obligatory prayers, it is necessary. The due time of Zhuhr starts with the decline of sun. Everyone, in the early beginnings of the day, has a vertical shade towards the west which shrinks gradually until the sun declines, and starts to grow towards the East and continues to increase until sun sets. A sojourner should fix straight a stick and mark the position of shade on it, and look at it an hour or so later, and if he finds that the shade is still short, then, the time of Zhuhr prayer has not

come yet. The way of learning that is to observe in the town the shade of his height at the time of proclaiming Adhan: if it is three feet long, then once it becomes so on journey and starts to increase, he should perform Zhuhr prayer. If it becomes six and half feet long then the time of Asr shall have started, for the shade of every man is nearly six and half feet long. Moreover, the shade of sun decline increases gradually everyday from the beginning of summer, and decreases gradually everyday from the beginning of winter.

The best thing a sojourner could do is to take with him a balance to help him know the amount of shade accurately. Of course the due time of Maghrib prayer begins with the sunset. But the mountains might veil the direction of West form his sight. In this case, he should observe the East direction. If blackness as short as a lance high above the land appears in the horizon, then, Maghrib has become due. The due time of Isha' is known by the disappearance of the dusk. If it is veiled by mountains from his sight, he might know it by the emergence of the small stars in great numbers, which do not appear in such multitude except after the disappearance of the dusk. The morning appears vertically at first, and some time later whiteness appears horizontally that is easy to see; and this is the first portion of the due time (of Mornings prayer).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, the dawn (with which fasting starts) is not as such (the streaks of whose light are vertical, and he gathered his palms), but it is as such" (the streaks of whose light are horizontal in the sky, and he placed the index finger of one hand over the index finger of the other and opened them). (This narration is reported on the authority of Abdullah Ibn Mas'ud). It is narrated on the authority of Qais Ibn Talq from his father that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Eat and drink (during the night) and let not the vertical streaks (of the false dawn) stop you from eating: keep eating and drinking until it (the light of the true dawn) becomes horizontal." (This narration is reported by both At-Tirmidhi and Abu Dawud). According to a statement attributed to Ibn Abbas "may Allah be pleased with them": "Eat and drink as long as the light is still vertical."

To be sure, the sojourner needs to learn the due times of obligatory prayers so that he might hasten to perform prayer before departure in order not to suffer the difficulty of dismounting to pray, or before sleep in order to get comforted. But if he gets accustomed to delay the prayer until he is sure of the due time, and he accepts to miss the superiority of performing the prayer in the first portion of the time, and at the same time, he is able to dismount and delay sleep until he is sure of the time, he then might dispense with learning the due times of prayer. The problem lies in both extremes and not in the middle of time.

Book eight: etiquettes of Music and ecstasy

It is the eighth book of the quarter of customs of life

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

Praise be to Allah, Who has consumed the hearts of His chosen in the fire of His love, and hath enslaved their thoughts and their souls in longing unto meeting Him and looking upon Him, and hath fixed their sight and their insight upon consideration of the beauty of His presence until they have become drunken with inbreathing of the breeze that tells of union, and their hearts are distraught and confounded with considering the praises of Majesty, and they see not His equal in existence, visible and invisible, and are not mindful of aught except Him in The Two abodes. If a form presents itself to their sight, their insight passes to Him that formed it; and if a melody strikes upon their ears, their secret thoughts pass hastily to the Beloved; and if there come to them a voice disturbing or disquieting or moving or making to sorrow or making joyous or making to long or stirring up, that they, are disturbed is only unto Him, and that they are moved is only by Him, and that they are disquieted is only on account of Him; their sorrow is only in Him, and their longing is only unto that which is with Him, and their being aroused is only for Him, and their coming and going is only around Him. From Him is their hearing and unto Him is their listening, and He hath locked their eyes and ears from aught besides Himself. They are those whom Allah hath chosen to be his Saints and has separated from His chosen ones and His peculiar ones. And blessing be upon Muhammad, who was sent with His message, and upon his Family and Companions, leaders and guides in the truth, and much Peace I' Lo! Hearts and inmost thoughts are treasuries of secrets and mines of jewels. Infolded in them are their jewels like as fire is infolded in iron and stone, and concealed like as water is concealed under dust and loam. There is no way to the extracting of their hidden things save by the flint and steel of listening to music and singing, and there is no entrance to the heart save by the ante-chamber of the ears. So musical tones, measured and pleasing, bring forth what is in it and make evident its beauties and defects. For when the heart is moved there is made evident that only which it contains like as a vessel drips only what is in it. And listening to music and singing is for the heart a true touchstone and a speaking standard; whenever the soul of the music and singing reaches the heart, then there stirs in the heart that which in it preponderates. Since, then, the heart is by nature obedient to the ears, to the degree that its secret things plainly show themselves through them and its defects are uncovered by them and its beauties made evident, an explanation is needed of what has been said with regard to listening to music and singing and with regard to ecstasy, and also a statement of what advantages are in these

things and what disadvantages and of what is recommended in them of laws and modes, and of what pertains to them of disagreement on the part of the learned as to their being either forbidden or allowed. We will expound that in two chapters:

The first chapter pertains to the permissibility of listening to music and singing.

The second chapter pertains to its laws and the effects which music and singing produce upon the heart, consisting of ecstasy, and upon the parts of body, consisting of dancing and crying out and tearing of garments.

CHAPTER ONE:

ON DISAGREEMENT OF LEARNED AS TO PERMISSIBILITY OF LISTENING TO MUSIC AND SINGING, AND REVEALING THE TRUTH AS TO THAT PERMISSIBILITY

An Account Of Sayings Of Learned And Of The Stiffs As To Its Being Lawful Or Forbidden.

It should be known that the listening comes first, and that it bears as fruit a state in the heart that is called ecstasy; and ecstasy bears as fruit a moving of the extremities of the body, either with a motion that is not measured and is called agitation or with a measured motion which is called clapping of the hands and swaying of the members. Let us, then, begin with the rule as to listening-it comes first-and we will adduce with regard to it those sayings which express clearly the views which have been held on it. Thereafter, we will mention what points to its permissibility, and follow that up with an answer to what has been laid hold of by those who assert that it is forbidden.

As for the adducing of views, at-Tabari has related from ash-Shafi'i and Malik and Abu Hanifah and Sufyan and a number of the learned, expressions which indicate that they viewed it as forbidden. He said: "Ash-Shafi'i "Allah have mercy on him" said in The Book of the Laws of giving Judgment, 'Singing is a sport which is disliked and which resembles what is false ; he who meddles much with it is light of understanding, you shall reject his testimony.'" Further, Al-Qadi Abu At-Tayyib said: "That a man should listen to a woman who is not within the prohibited degrees of kinship is unlawful according to the followers of Ash-Shafi'i, equally whether she is in plain view or behind a curtain, is free or a slave." Further, he said: " Ash-Shafi'i "Allah be pleased with him" said: ' If the possessor of a slave-girl gather men together to listen to her, he is of light understanding, you shall reject his testimony.' "And he narrated further from ash-Shafi'i: "He disliked beating time with a staff and was wont to say that freethinkers made use of that to divert their attention from hearing the Qur'an. And ash-Shafi'i said: ' On account of tradition, playing at backgammon is disliked more than playing on any kind of musical instrument. And I do not like playing at chess; I dislike all the games which

men play, because play does not belong to the actions of the people of religion and manliness.

As for Malik "Allah have mercy on him", he has forbidden singing. He said: ' When a man buys a slave-girl and finds that she is a singer, then it is his duty to send her back.' That is the view of the rest of the people of Medina except Ibrahim Ibn Sa'd alone.

As for Abu Hanifa[6] "may Allah be pleased with him", he disliked it and made hearing singing a sin; and so all the people of al-Kufah, Sufyan Ath-Thawri and Hammad and Ibrahim and ash-Sha'bi and the rest." All this the Qadi Abut-Tayyib at-Tabari has adduced. But Abu Talib al-Makin[5] adduced the allowableness of listening to music and singing from a number of the first believers. He said: " Of the Companions, 'Abdullah Ibn Ja'far and 'Abdullah Ibn Az-Zubair[5] and Al-Mughirah Ibn Shu'bah' and Mu'awiyah and others listened to music and singing." He said further, "Many of the excellent first believers, both Companions and Followers, have done that along with pious works." And he said: " The people of al-Hijaz with us in Mecca did not cease to listen to music and singing even in the most excellent of the days of the year, and these are The Few Days in which Allah commanded His servants to remember Him, such as the days of at-Tashriq.

The people of Medina, like the people of Mecca, have not ceased persisting in listening to music and singing up to this our time. We have known Abu Marwan Al-Qadi who had slave-girls who chanted in public and whom he had prepared to sing to Sufis." And he said further, " 'Ata had two slave-girls who chanted, and his brethren were wont to listen to them." And he said further, " They said to Abu Al-Hassan Ibn Salim: "How do you forbid listening to music and singing when Junaid and Sari As-Saqati and Dhun-Nun were wont to listen?" Then he said: "And how have I forbidden music and singing when those who are better than I have allowed it and listened to it?" And Abdullah Ibn Ja'far At-Tabari was wont to listen, and he only forbade sporting and playing in listening.

It is related from Yahya Ibn Mu'adh' that he said: 'We miss three things and do not see them, and I shall not see them increase save little, beauty of face with modesty, beauty of speech with honesty, and beauty of brotherliness with abiding by duty.'" And I saw in some books this very thing related from Al-Harith al-Muhasibi and it shows that he permitted listening to music and singing in spite of his asceticism and piety and strenuousness and energy in religion. Further he said: "Ibn Mujahid was not wont to accept an invitation except there was to be music and singing." And more than one has narrated that he said: " We gathered together to a banquet, and along with us were Abu Al-Qasim Hinted: Man's and Abu Bakr Ibn Di'id and Ibn Mujahid with others their like, and there was music and singing there. Then Ibn Mujahid began to urge on Ibn hint Hani' against Ibn Dawud as to listening to the singing.

Ibn Dawud said: ' My father related from Ibn Hanbal that he disliked listening to music and singing, and my father disliked it, and I hold the view of my father.' Then Abu Al-Qasim said: 'As for my grandfather Ahmad, he told me from Salih Ibn Hamad[a] that his father used to listen to the voice of Ibn Al-Khabbazah Then said Ibn Mujahid to Ibn Dawud: 'Don't bother us with your father '; and to the other, 'Don't bother us with your grandfather. What do you say, Abu Bakr, of one who recites a verse of poetry ; is it unlawful? ' Ibn aid said: ' No.' ' And if he has a beautiful voice, is it unlawful for him to recite it? ' He said: ' No.' ' And if he recite it, and recite more than one and shorten in it that which is long and lengthen in it that which is short, is it unlawful? ' He said: ' I am not equal to one devil; then how should I be equal to two? ' " Further he said: " Abu Al-Hassan Al-Asqalani, the black one of the Saints, was wont to listen to music and singing and to be distracted with longing thereat, and ho wrote a book about it, and overthrew in that book those who blame music ; and, similarly, a number have written to overcome those blaming it."

Further it is related from one of the Sheikhs that he said: "I saw Abu Al-Abbas al-Khadir "peace be upon him" and I said to him, 'What do you say concerning this listening to music and singing as to which my comrades disagree?' Then he said: 'It is slipperiness itself; only the feet of the learned stand firm upon it.' Further it is related from Ad-Dinawri that he said: "I saw the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in sleep and said: 'O Apostle of Allah, do you blame anything in this listening to music and singing?' He said: ' I do not blame anything in it, but say to them that they open before it with the Qur'an and close after it with the Qur'an.' Further it is related from Tahir Ibn Bilal al-Hamadani Al-Warraq, of the people of science, that he said: " I was in retreat in the great Mosque of Jidda by the sea and saw one day a gathering of people who were repeating and listening to poetry in one of the sides of the Mosque. Then I blamed that in my heart and said to myself, ' In one of the houses of Allah they repeat poetry!' Then I saw the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that night, and he was sitting in that place and by his side was Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him ", and Abu Bakr was repeating some poetry and the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was listening to him and laying his hand upon his breast like one in an ecstasy at that. Then I said in my soul, ' It behooved me not to have blamed those that were listening to poetry, for here is the Apostle of Allah listening and Abu Bakr repeating.' Then I turned to the Apostle of Allah, and he said: 'This is truth in truth,' or he said: 'truth of truth - I am not certain which."

Further, al-Junaid said: " Grace descends upon this gathering on three occasions,-at eating, for they do not eat except from need; at conversation, for they do not talk together except at assemblies of the upright *true* and at listening to music and singing, for they hear with ecstasy and witness to truth."

Further, from Ibn Juraij, it is related that he was wont to allow listening to

music and singing, and that it was said to him, "Will this be brought on the day of resurrection among your good deeds or your evil deeds?" And he said: "Neither in the good deeds nor the evil deeds, for it is like idle talk; and Allah Most High has said: Allah will not blame you for idle talk in your oaths."

This is what is adduced of sayings and of the search for truth in tradition. Then, whenever anyone examines deeply, he finds sayings contradicting one another, and is left confused or inclining to one of the sayings through his desire; and all that means failure. But truth should rather be sought in its own way, and that is by examining into the legal sources of prohibition and permission just as we shall now do.

An Account Of Things Which Show That Listening To Music And Singing Is Permissible

It should be known that the meaning of the saying that listening to music and singing is unlawful is that Allah Most High has laid it under penalty. And that is a thing that cannot be known by simple reason, but by report and knowledge of the laws, which are limited to statute and to analogy from what is fixed by statute. I mean by statute what he (whom may Allah bless and save!) has made plain by his speech or action; and by analogy, the meaning that is to be understood from his expressions and actions. And if a statute does not exist with regard to this thing, and an analogy from something fixed by statute cannot be upheld with regard to it, then the saying that it is forbidden is void, and it remains an action in which there is no sin, like the rest of permitted things. But the forbidding of listening to music and singing is not shown by statute nor by analogy ; that such is the case, will be evident through, our answer to the proofs of those who incline to its being forbidden. Then, whenever the answer to their proofs is complete, our object will be sufficiently attained; but we go further, and say that both statute and analogy, as a whole, indicate its allowableness.

As for analogy, in singing there are joined ideas which, separately first and then as a whole, must be examined; for in it there is hearing of a sound, pleasant, measured, having a meaning to be understood, moving the heart. The general description is that it is a pleasant sound; then the pleasant is divided into measured and not measured ; and the measured is divided into what has a meaning to be understood, such as poems, and what has not, such as the sounds produced by lifeless substances and by other animals than man.

Hearing a pleasant sound ought not to be forbidden in respect that it is pleasant, but is lawful by statute and by analogy. By analogy, because it can be reduced to a pleasing of the sense of hearing by perception of which is assigned exclusively to that sense. Man has reason and five senses; and to each sense belong a perception, and in the things perceived by that sense is what gives pleasure. The pleasure of seeing is in the beautiful things seen, such as greenness, flowing water, or a fair face, and, in general, all beautiful colours which are opposed to what is disliked of dull ugly colours. Smelling has pleasant scents, and these are opposed to disagreeable stenches. Taste has pleasant foods, such as

gravy-meat and sweet-meat, and sour things, and these are opposed to nauseous bitters. Touch has the pleasure of softness and tenderness and smoothness, and these are opposed to roughness and jaggedness. And reason has the pleasure of knowledge and science, and these are opposed to ignorance and stupidity.

So, too, the sounds perceived by hearing divide into those that are regarded with pleasure, as the voice of nightingales and musical pipes, and those regarded as disagreeable, as the braying of the ass and such. Then what a manifest analogy there is between this sense and its pleasures and the other senses and their pleasures. As for statute, the allowableness of hearing a beautiful voice is shown by the fact that Allah has granted such to His creatures, since He said: "He adds to Creation as He pleases: for Allah has power over all things." (Fatir 1)

﴿ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾

It is said by exegetes that the thing increased here is beauty of voice. Also in tradition stands, "Allah has not sent a prophet except with a beautiful voice." Further, he (whom Allah bless and save I) said: "Allah listens more intently to a man with a beautiful voice reading the Qur'an than does the master of a singing slave-girl to his slave-girl." And in tradition by way of praise to Dawud (upon him be peace I) is that he was beautiful of voice in bemoaning himself and in repeating the Psalms to such an extent that mankind and Jinn and wild beasts and birds were wont to gather together to hear his voice, and there were wont to be carried out of his place of assembly four hundred corpses or thereabout on occasions.

Further, he (whom Allah bless and save) said of Abu Musa Al-Ash'ari:, " Verily, he has been granted a pipe of the pipes of the family of (the Prophet) David." And there is the saying of Allah Most High, Verily the worst of voices is the voice of the ass (Luqman 17)

﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾

Indicating implicit praise of a beautiful voice. Further, were it possible to say that such is permitted only on condition that the recital be of the Qur'an, then that would involve that listening to the voice of nightingales is forbidden, for they do not recite the Qur'an. Then, when it is possible to listen to an undistinguishable voice in which is no meaning, why is it not possible to listen to a voice from which wisdom may be understood and sound and commendable qualities ; and " Verily, from poetry is wisdom."' This is a consideration of the voice in so far as it is pleasant and beautiful.

The second step is considering the pleasant measured sound; for measure comes after beauty, and how many beautiful sounds there are which fall outside of measure, and how many measured sounds which are not regarded as pleasant! And measured sounds with regard to their place of origin are of three kinds; for they issue either from inanimate substances, as docs the sound of musical pipes and of strings and the beating of the Qadib and Tabl and so on, or they issue from the

throat of an animal. And the animal is either a man or not, as the voice of nightingales and turtle-doves and birds which coo. These, along with their being pleasant, are measured, having reciprocally related beginnings and endings, and, therefore, hearing them is regarded as pleasant. And the original source of musical sounds is the throat of animals; for musical pipes are based on the sounds from the throat only, which is an imitation of created things on the part of art. And what thing is there to the forming of which artisans have attained by their art, of which there was not an example in the creation which Allah has made peculiarly His own by originating it, and from which example the artisan taught himself and which he used as a thing to be imitated? This subject could be developed at great length.

So it is impossible that listening to these sounds should be forbidden simply because they are pleasant and measured; for there is no one who regards the voice of the nightingale or those of the other birds as forbidden. And there is no difference between our throat and another or between inanimate substance and animate. So we ought to draw an analogy from the sounds of the nightingale to the sounds which issue from all other bodies, especially to the sounds belonging to man, as those which issue from his throat, or from the staff or the Tabl or the tambourine or the rest. But from this there is excepted those idle instruments of music, both stringed instruments and pipes, to forbid which a law was revealed; not because of their giving pleasure, since if it were on that account all the things by which man receives pleasure would be judged like these. But wine was forbidden, and man's excessive addiction to it required, to wean him from it, that the command should extend at first so far as to involve the breaking of wine-jars.

Along with wine, was forbidden all that was a badge of people who drank it, in this case stringed instruments and pipes only. So these being forbidden was a consequence just as being alone with a woman unlawful for marriage is forbidden, for being so alone precedes sexual intercourse; and seeing the thigh is forbidden, for the thigh is near to the pudenda; and a little wine is forbidden, even though it does not intoxicate, because it invites to intoxication. There is no forbidden place but it has a sacred precinct which surrounds it, and the decree of prohibition extends to the sacred precinct in order that it may be a reservation for the forbidden place and a defence to it and an enclosure keeping off from it round about, as he (whom may Allah bless and save I) has said: " Lo every king has a reservation, and the reservation of Allah is the things which He has forbidden." [1] So these are forbidden as a consequence of wine being forbidden, and for three reasons.

The first is that they incite to the drinking of wine; for the pleasure found in them is only complete through wine. Like this reason is the forbidding of a little wine.

The second is that they, in truth, are of the closest kin to the drinking of wine and remind assemblies of men of drinking. They are thus a cause of remembering it, and remembering it, is a cause that longing is aroused, and aroused longing, when it is strong, is a cause of beginning. For this reason it is forbidden to make Nabidh in a Muzaffat or a Hantam or a Naqir for these are

vessels that were specially identified with wine. And the meaning of this is, that beholding the form of these vessels brings wine to mind and this reason is different from the first as there is not in it though element of pleasure in the memory, since there is no pleasure in seeing a wine-vessel and the pitchers for drinking, but the point is simply in the being reminded by them. Then, if listening to music and singing, in the case of him who has associated such, listening with drinking, reminds of drinking with a kind of reminder that urges towards wine, he is forbidden to listen on account of the occurrence of this reason especially in him.

The third reason is the gathering together to do those things after such a gathering together has become one of the customs of dissolute people. So it is prohibited to become like to them; for he who becomes like to a people becomes one of them. On this account we hold that the ordinary custom should be abandoned whenever it has become a badge for heretical people, so that we may not become like to them. For this reason beating of the cuba[1] is prohibited. It is a long-shaped drum, Blender in the middle and broad at the extremities, and beating it was a custom of some people" yet if it were not for the comparison it suggests it would be like the drum used by pilgrims and in warfare. For this reason, too, we hold that if a company come together and decorate their place of meeting and bring utensils for drinking and cups and pour into them drink and appoint a cupbearer who shall go round and pour out to them, and they take from the cupbearer and drink and salute one another with the phrases in common use, this is unlawful for them, although what they drink is permissible in itself; for in this there is a becoming like to dissolute people.

Even for this, wearing the hat and leaving the hair on the head in tufts are forbidden in those countries in which the hat belongs to the clothing of dissolute people, but is not forbidden out of the country , because moral people there are accustomed to wear it. For these reasons, then, the pipe of al-'Iraq and all stringed instruments are unlawful, such as the 'Ud' and the sanj and the raidi and the barbaf. But all besides these do not come under this, as the shahin of shepherds and pilgrims and the listeners of drummers and the drum and the Qadib and every instrument from which is extracted pleasing, measured sounds, except what drinking people use. This is because all these are not connected with wine and do not call wine to mind and do not incite to it and do not involve becoming like to those addicted to it and, generally, are not essentially connected with it. These remain in their original permissibility on the analogy of the sounds of birds, etc.

Further, I hold that the music of stringed instruments, even if they are played by one who plays with a rhythm that is out of proportion and is not pleasing, is also unlawful. From this it is plain that the reason why such music is unlawful is not simply because it is pleasing; for analog}' would lead to permission of all agreeable things except those in the permission of which is dissoluteness. Allah Most High said: Say, Who has forbidden the adornment of Allah which He has

provided for His creatures, and the agreeable things of sustenance?" (Al-A'raf 32)

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ ﴿٣٢﴾

So these sounds are not unlawful because they are rhythmical sounds, but only on account of another accident which we shall adduce among the accidents which render unlawful.

The third step regards that which is rhythmical and has a meaning, i.e. poetry. It issues from the throat of man only and has the permissibility of that which issues from the throat, since it has no addition save having a meaning. Speech which has a meaning is not unlawful, and an agreeable rhythmical sound is not unlawful. Then, since the single parts are not unlawful, how can the whole be unlawful? - always understood that there shall be an examination of the meaning conveyed If there is in it anything forbidden, Baying it, either in prose or verse, is unlawful, and speaking it, whether with melodies or without. And the truth in this is what ash-Shafi'i "may Allah have mercy on him" said. He said: "Poetry is speech, and what of it is beautiful is beautiful and what of it is vile is vile." Therefore, whenever reciting poetry is possible without music and melodies, reciting it is possible with melodies; for if the single things are allowable, the compound, when they are joined together, is allowable. And whenever an allowable thing is joined to an allowable, the result is not unlawful except when the compound contains something forbidden which the single things did not contain. But there is no forbidden thing here.

How could the reciting of poetry be blamed when it has been recited in the presence of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", who said: " Lo! From poetry is wisdom." And 'A'ishah "Allah be pleased with her" recited- "They went away in whose shadow men had lived, and I remained, left behind, like a mangy skin." And it is handed down in the two Sahihs' from 'A'ishah that she said: " When the Apostle of Allah came to Medina, Abu Bakr and Bilal "Allah be pleased with them both" Sickened and there was pestilence there. Then I said: "O my father, how do you find yourself?" and "O Bilal, how do you find yourself?" Then Abu Bakr would say when the fever seized him: "To every man saluted in the morning among his people Death is nearer than the latchet of his shoe.'

And Bilal was wont when the fever relaxed from him to lift up his voice and say: 'Ah! would that I knew whether I shall pass the night, one night, In a wild with fragrant rush and panic grass around me, And shall go down, one day, to the wells of Majanah, And there shall be seen by me Shamil and Ta'if!'"

'A'ishah said: " Then I told that to the Apostle of God, and he said: ' O Allah, make Medina beloved to us like our love for Mecca or more I'" And the Apostle of Allah was wont to carry the unburnt bricks with the people in the building of the Mosque, and he would say: " This is the fruit, not the fruit of Khaibar; This our Lord hath accepted and purified."

He said also another time: "O Allah, verily the true life is the life of the other

world; so have mercy on the Ansar and the Muhajirs." This is in the two Sahihs. And the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was wont to set for Hassan' a pulpit in the Mosque, on which he would stand erect boasting of the Apostle of Allah or defending him. And the Apostle of Allah was wont to say: "Allah aids Hassan with the Holy Spirit so long as he is defending or boasting of the Apostle of Allah." And when An-Nabighah recited to him his poetry he said to him, "May Allah not scatter thy teeth!"

'A'ishah said: "The Companions of the Apostle of Allah used to recite poems to one another in his presence, and he would smile." And it is related from 'Amr Ibn Ash-Sharid from his father; he said: "I recited to the Apostle of Allah a hundred verses of the poetry of Umayyah Ibn Abu As-Salt to all that he kept saying, ' Go on, go on !'-then he said: ' He has almost become a Muslim in his poetry.'" And it is related from al-Anas "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to make him sing the camel-driver's song when travelling, and that Anjashah used to sing it for the women and al-Bara Ibn Malik for the men. Then the Apostle of Allah said: "O Anjashah, go gently in thy driving with the big glass bottles." The driving-song behind the camels did not cease to be one of the customs of the Arabs in the time of the Apostle of God, and in the time of the Companions, and it is nothing but poems equipped with agreeable sounds and measured melodies. Blame of it has not been transmitted from one of the Companions, but often they used to ask for it, sometimes to rouse the camels and sometimes for the pleasure. So it is not possible for a thing to be unlawful on the ground that it is speech, having a meaning, equipped with agreeable sounds and measured melodies.

The fourth step is considering music and singing on the side that they are movers of the heart and arousers of that which preponderates in the heart. And I say that to Allah Most High belongs a secret consisting in the relationship of measured airs to the souls of men, so that the airs work upon them with a wonderful working. Some sounds make to rejoice and some to grieve, some put to sleep and some make to laugh, some excite and some bring from the members movements according to the measure, with the hand and the foot and the head. And we need not suppose that that is through understanding what is meant by the poetry, for it is possible in the case of stringed instruments, so that it is said: " He whom the Spring does not move with its blossoms, nor the *'Ud* with its strings, is corrupt of nature; for him there is no cure."

How can it be through the understanding of a meaning when, its working is seen on a child in its cradle? An agreeable sound stills him in his crying, and turns his soul from what made him cry to attention to the music itself. And the camel, in spite of its stupidity of nature, feels the effect of the driving-song to such a degree that, hearing it, he counts heavy loads light, and, in the strength of his alacrity through listening to it, holds long distances short; such an alacrity is aroused in him as intoxicates and distracts him. Then you will see, when the

deserts grow long to them, and fatigue and weariness under the loads and burdens seize upon them, whenever they hear someone strike up the driving-song, how they extend their necks and pay attention to the singer with ears erect, and hasten in their pace till the loads and burdens shake upon them, and often they kill themselves from the force of the pace and the weight of the burdens, while they do not perceive it through their alacrity.

Abu Bakr Muhammad Ibn Dawud Ad-Dinawri, known as Ar-Raqqi "Allah be pleased with him", has narrated:-" I was in the desert and came to a tribe of the tribes of the Arabs, and a man of them received me as guest and led me into his tent. And I saw in the tent a black slave fettered with a fetter. And I saw dead camels lying before the tent, and there remained but one camel alive, and it was weak and thin as though it were about to perish. Then the young man said to me, ' Thou art a guest and hast a right, so intercede for me with my master, for he honours his guest, and he will not reject thy intercession to this extent, and perhaps he may loose the fetter from me.' Then when they had brought in food I refused to eat and said: ' I will not eat until I have made intercession for this slave. And he said: ' This slave has made me poor and has destroyed all my wealth.' So I said: ' What has he done f' Then he said: 'He has a fine voice, and I got my living from the backs of these camels and their carrying heavy loads, and he would sing the driving-song to them, until they would perform a journey of three days in one night from the excellence and sweetness of his voice'; then when they had set down their loads they died, all of them, except this one camel. But you are my guest, and, for the honour due to you, I give him to you.' So I longed to hear that voice. Then when the morning came he commanded that he should sing to a camel that it might draw water from a well there. And when he lifted up his voice and that camel heard it, he ran wild and broke his tether and I fell upon my face. I do not think that I ever heard a voice finer than it."

Then, since the impression of music and singing upon the heart can be felt,- and he who is not moved by them is one who has a lack, declining from symmetry, far from spirituality, exceeding in coarseness of nature and is rudeness camels and birds, even, all beasts, for all feel the influence of measured airs and therefore the birds were wont to light on the head of Dawud (on him be peace!) to listen to his voice, and since the discussion is of music and singing in relation to their making impression on the heart, it is not possible to judge of the matter generally as to allowableness and whether it is not unlawful, for that varies with circumstances and persons and with the varying of the Tariqahs of the airs, and the rule which it follows is the rule of what is in the heart. Abu Sulaiman said: "Music and singing do not produce in the heart that which is not in it, but they stir up what is in it." So the chanting of rhymed measured words is adapted on certain occasions for certain fixed purposes; through it impressions attach themselves to the heart. These occasions are seven:

The first is the singing of the pilgrims; for, before setting out, they go round the country with Tabl and Shadw and singing. And that is permissible, because

they sing poems composed in description of the Ka'bah and the Maqam and the Hatim and Zamzam and the other places for the performance of the religious rites, and descriptions of the desert, etc. And the effect of that is to arouse a longing for pilgrimage to the House of Allah Most High, and to make to blaze up the fire of longing if it be already present there and to stir it and procure it if it be not already present.And, since pilgrimage is an act of piety and longing to perform it is praiseworthy, the arousing that longing by every means that can arouse it is praiseworthy. And just as it is possible for a preacher that he should arrange his speech in preaching and adorn it with rhyme and should arouse the longing of men to perform the pilgrimage by description of the House and the places where religious rites are performed and by description of the reward for it, so that is possible for others by making absolute poetry. For when measure is added to rhymed prose the speech becomes more affecting to the heart, and when, a pleasing voice and measured airs are combined with it, its power of affecting increases; then, if there be added to it a Tabl and a Shadw and movements of rhythm, the effect still increases.

All that is possible so long as pipes and stringed instruments which belong to the badges of evil people do not enter; it being always understood that if there is intended by it the arousing of longing in. one to whom it is not possible to go out on pilgrimage, like him who has annulled the duty for himself and whose parents do not permit to go out, then the arousing of his longing to make pilgrimage by music and singing and by any word which arouses longing to go out is unlawful, because rousing of longing for a forbidden thing is forbidden. And similarly, if the road is not secure and danger preponderates, it is not allowable to move hearts and to work upon them by arousing longing.

The second kind is that of which warriors make use to urge men to warfare, only it is fitting that their poems and the ways of their melodies should differ from the poems of the pilgrims and the ways of their melodies. For the rousing of that which summons a man to warfare by exciting courage and by moving wrath and anger in him against the unbelievers, and making courage appear fair and life and wealth appear contemptible as compared with warfare, is by such inspiring verses as the saying of Al-Mutanabbi: " Then, if you do not die under the swords, honoured, you will die and endure ignominy, dishonoured." His other saying is"The cowardly thinks that cowardice is prudence; but that is the guile of base nature."

And such as these . So, too, the elements of the measures exciting courage differ from the ways exciting longing. This is permissible on an occasion when warfare is permissible, and approved on an occasion when warfare is liked; but that is only in the case of one to whom going out on warfare is allowed.

The third consists of the Rajaz verses, of which the valiant make use on occasions of onset. The object of these is to excite courage in the speaker and his helpers, and produce briskness in them for battle. And in such verses there is praise of bravery and of fortitude, and such praise, when it comes in fitting word and with agreeable voice, is more affecting to the soul. It is allowable in every

allowed battle, and approved in every approved battle, and forbidden in battling with Muslims and with those secured by treaty and in every forbidden battle, because the arousing of incitements to that which is forbidden is forbidden. This custom is derived from the valiant ones of the Companions, such as 'Ali and Khalid "Allah be pleased with them both", and others than they. And for the same reason we say that the beating of the shahin should be restrained in the camp of warriors, for its voice softens and makes sad, and loosens the knot of courage and weakens the energy of the soul, and excites longing for family and home, and entails slackness in battle, and thus, too, all the sounds and melodies which soften the heart. So those that soften and make sad are distinct from those which move and excite courage, and he who uses these with intention to change hearts and slacken thoughts from a battle which is incumbent is a rebel against God; and he who does it with intention of slackening from a battle which is forbidden, by that is obedient to Allah.

The fourth consists of the sounds and musical airs of lamentation; these make an impression through rousing sorrow and weeping and continuous mourning. Sorrow is of two kinds, praiseworthy and blameworthy. The blameworthy is such as sorrow for what escapes Allah Most High said: That you may not grieve for what escapes you" (Al-Hadid 23)

﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾

And sorrow for the dead is of this class, for it is anger with the decree of Allah Most High and it regrets that which cannot be repaired. Since this sorrow is blameworthy the moving it by lamentation is blameworthy, and, therefore, a clear prohibition was revealed against such lamentation. The sorrow that is praiseworthy is the sorrow of a man for his own shortcoming in matter of his religion and weeping for his sins. And weeping and striving to weep and sorrowing and striving to sorrow are praiseworthy; of this kind was the weeping of Adam (upon whom be peace!). Also moving to this sorrow and strengthening in it are praiseworthy, for it arouses energy in amending.

Therefore, the lamentation of Dawud was praiseworthy, for it was in abidingness of sorrow and length of weeping because of sins and transgressions. And he used to weep and to cause weeping and to sorrow and to cause sorrowing, so that biers were lifted away from the assemblies where he lamented. And that he accomplished with his words and melodies, and it was praiseworthy; for what leads up to the praiseworthy is praiseworthy. And on account of this it is not unlawful for the preacher who has an agreeable voice that he should chant in the pulpit with melodies, poems that excite sorrow and soften the heart; nor that he should weep and strive *to* weep in order that he may attain by it to cause others to weep, and to stir up their sorrow The fifth is Music and Singing on occasions of joy as an intensifier and arouser of joy. It is allowable if the joy is allowable, as singing on the days of festival and at a marriage and on the occasion of the arrival of one who has been away and on the occasion of a wedding feast

and the first head- shaving and at the birth of a child and his circumcision and when his learning of the Mighty Qur'an is complete,-all that is allowable for the sake of the manifestation of joy through it. And the reason of its being allowable is that some melodies stir up gladness and joy and emotion, and in whatever thing joy is allowable the stirring up of joy in that thing is allowable. This is proved by the tradition of the chanting of poetry by women on the housetops with tambourines and melodies at the arrival of the Apostle of God- " The full moon has risen upon us from the mountain- passes of Al-Wajd', Gratitude is incumbent upon us so long as one man prays to Allah."

This was a manifestation of joy for his arrival, and it was a praiseworthy joy. So its manifestation through poetry and airs and dancing and movements is also praiseworthy. It has been handed down from a number of the Companions that they hoped on a joyful occasion that had befallen them, as we shall tell when we deal with the rules of dancing. It is allowable on the arrival of anyone on whose arrival gladness is allowable, and for every allowed cause of joy. This is indicated in what is handed down in the two Sahihs from 'A'ishah that she said: " I have known the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" concealing me with his mantle while I was looking at the Abyssinians at javelin-play in the Mosque until I was the one who tired of it; and think of a young girl eager for amusement!" this to indicate how long her standing lasted.

Al-Bukhari and Muslim narrate also in their Sahihs a tradition of 'Uqail from Az-Zuhri from 'Urwah from 'A'ishah that Abu Bakr came in to her in the Days of Mina, and with her were two girls playing tambourines and beating time while the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was wrapped in his robe. And Abu Bakr rebuked them, but the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" uncovered his face and said," Let them alone, Abu Bakr, for it is time of Festival." And 'A'ishah said: "I have known the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" concealing me with his mantle while I was looking at the Abyssinians playing in the Mosque, and 'Umar rebuked them, but the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: ' It is all right, O Banu Arfidah." And in a tradition of Amr Ibn Al-Harith from Ibn Shihab is what is similar, but in it the two girls sing and play.

Further, in a tradition of Abu Tahir from Ibn Wahb "By Allah, I have seen the Apostle of Allah standing by the door of my room while the Abyssinians were playing with their darts in the Mosque of the Apostle of God, and he was concealing me with his robe or mantle that I might look at the playing. Then he kept standing for my sake till I was the one who turned away." Again, it is handed down in tradition from 'A'ishah that she said: "I was wont to play with my dolls when beside the Apostle of God, and he would bring girl- companions to me, and they would veil themselves from him, and he used to have pleasure in their coming, and they would play with me."

According to another tradition it is reported that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to her one day, "What is this?" She said: "My dolls." He said: "But what is that I see in the middle of them?" She

said: "A horse." He said: "What is this on it?" She said: "A pair of wings." He said: "Has a horse a pair of wings?" She said: "Have you not heard that Sulaiman Ibn Dawud [1] had horses with wings." Then the Apostle of Allah laughed till his canine teeth appeared.

In our opinion the tradition is to be attributed to a custom of children of making up a figure of clay and pieces of paper without completing the figure? This is indicated by what is related in other traditions that the horse had a pair of wings of paper. Again, 'A'ishah said: " The Apostle of Allah came in to me while two girls were with me singing a song of the Day of Bu'ath, and lay down on his side on the bed and turned away his face. Then Abu Bakr entered and rebuked me, and said: ' The pipe of the Devil in the presence of the Apostle of Allah I ' but the Apostle of Allah turned to him and said: ' Let them alone!' Then, when he was not attending, I made a sign to them two, and they went out. It was a festival day and the blacks were playing with hide shields and darts; then either I asked the Apostle of Allah or he said: ' Would you like to look on? ' and I said: ' Yes.' So he made me stand behind him with my cheek against his cheek, and he kept Sam'an, ' Keep it up, O Banu Arfidah" until, when I turned, he said: " Had enough?" I said: "Yes" and he said: " Then go." And in Sahih Muslim is, "Then I put my head upon his shoulder and began watching their playing until I was the one who turned away."

All these traditions are in the two Sahihs and are a clear proof that singing and playing are not forbidden. And in the traditions are indicated different kinds of permission: - First is the playing, and how the Abyssinians dance and sing is well known; the second is doing that in the Mosque; and the third is his saying, "Keep it up, O Banu Arfidah!" that is a command to play or a request; then how can it be considered as forbidden?

The fourth is his restraining Abu Bakr and 'Umar from condemning and stopping it and his giving as excuse that it was a festival day, that is, a time of joy, and such play is one of the causes of joy; the fifth is his standing so long witnessing it and his attending to what suited 'A'ishah and in it is an indication that beauty of disposition in soothing the hearts of women and children by witnessing playing is better than harshness of asceticism and self-mortification in refraining and hindering from it; the sixth is his saying first to 'A'ishah, " Would you like to look on?" and that was not through being forced to help his wife through fear of anger or disunion, for rejection of a petition often causes disunion, and that is a thing feared,- then one thing feared is preferred to another thing feared,- but he asked the question first and there was nothing compelling him to do that; the seventh is the license given for singing and beating on the tambourine on the part of the two girls, in spite of its being compared to the pipe of the Devil, and that is a proof that the forbidden pipe is something different from what we have here; and the eighth is that the ear of the Apostle of Allah was struck by the voice of the two girls while he was lying on his side, but if there had been playing on stringed instruments in a place he would not have permitted even sitting there because of the sound of the stringed instruments striking his

ear, so this indicates that the voice of women is not unlawful in the same way that the sound of pipes is unlawful, but only unlawful where there is fear of temptation.

These, then, are the conclusions from analogy and from statute which indicate the allowableness of singing and dancing, and beating the tambourine and playing with hide shields and with darts, and looking on at the dancing of Abyssinians and Negroes on occasions of joy. All hold by analogy for a festival day, because it is an occasion of joy, and that covers a wedding-day and feast and a first head-shaving and circumcision and the day of arrival from a journey and the rest of the causes of gladness, that is, everything with which gladness is allowable by law. And gladness is allowable at the visit of brethren and their meeting in one place to eat and talk, and that describes the occasion of listening to music and singing.

The sixth is the listening to music and poetry on the part of lovers in order to move longing and arouse love, and cause forgetfulness of self. Then, if it is in the presence of the beloved, the object is to increase pleasure, and if it is during separation, the object is to arouse longing. And though longing is painful, yet in it there is a kind of pleasure since hope of union is joined to it. For hope is pleasant, and despair is painful, and the force of the pleasure of hope is in proportion to the force of the longing, and the love of the thing longed for. Then, in such listening as this, there is an arousing of love and a moving of longing, and an attaining of the pleasure of hope which is involved in union, along with diffuse description of the beauty of the beloved. All this is allowable if union with the object of longing is allowable, as he who loves his wife or his concubine, and so gives attention to her singing that his pleasure in meeting her may be doubled. So he is made happy by beholding with vision and hearing with the ear, and he learns the subtle meanings of union and disunion of the heart, and so the causes of pleasure keep following one another. These, then, are different kinds out of all the equipment and the permissible things of this world which are enjoyed, and what is the equipment of the life of this world but pastime and play?" (Al-Ankabut 64)

﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾

And this which we have mentioned is of that nature.

And so, too, if the slave-girl of a man be angry with him or there come about some change between them through the influence of some cause or other, it is for him to move longing by music and singing and to stir up therewith the pleasure of the hope of union[15] But if he sell her or free her, that is unlawful to him thereafter, since it is not allowable to arouse longing when union and meeting in earnest would not be allowable.

As for him who pictures to himself the form of a woman looking upon whom would not be lawful to him, and who applies what he hears to what is present in his mind, that is unlawful because it is a thing which moves the fancy

to forbidden deeds and stirs up an inciter to something the attaining to which were not allowable. And the majority of lovers and of the foolish, through youth, when lust is aroused, keep brooding over this kind of thing, but that should be prevented in their case on account of what is in it of hidden disease, not for anything which comes from the music itself. And therefore a physician who was asked what passionate love ['say] was replied, "A smoke which ascends into a man's brain and which sexual intercourse removes and music and singing excite."

The seventh is the listening of him who loves Allah and has a passion for Him and longs to meet Him so that he cannot look upon a thing but he sees it in Him (Whose perfection is extolled), and no sound strikes upon his ear but he hears it from Him and in Him. So listening to music and singing in his case is an arouser of his longing and a strengthener of his passion and his love and an inflamer of the tinderbox of his heart, and brings forth from it States consisting of Revelations and inspirations, description of which cannot be comprehended,- he who has tasted them knows them, and he rejects them whose sense is blunt so that he cannot taste them.

These States are called in the tongue of the Sufis Wajd, Capture or Ecstasy, from wujud, Finding, and Musadafah, Encountering; that is to say, he encounters in himself States which he had not encountered before he listened to the music. Then these States are causes of things which follow them, things which burn up the heart with their fires and purify it from taints of dinginess, just as fire purifies substances exposed to it from uncleanness. Then the purity that befalls the heart brings after it Visions and Revelations and they are the utmost limit of the things sought by the lovers of Allah Most High and the ultimate fruit of all pious works. And that which enables us to reach them has its origin in the sum of pious works, neither of rebellious works nor actions simply permissible. The cause of those States befalling the heart through listening to music is the secret of Allah Most High, and consists in a relationship of measured tones to souls and in the subjection of souls to them and their receiving impressions by them-longing and joy and sorrow and elation and depression.

The knowledge of the cause why souls receive impressions through sounds belongs to the most subtle of the sciences of the Revelations which Sufis are granted, and the foolish, the frozen, the hard of heart, who are shut off from the pleasure of poetry, marvels how he that listens takes pleasure and at his ecstasy and state of emotion and change of colour, as a brute beast marvels at the pleasure of almond-candy and the impotent at the pleasure of sexual intercourse and the youth marvels at the pleasure of governing and at the pleasure that lies in breadth of reputation, and as the foolish marvels at the pleasure of the knowledge of Allah Most High and the knowledge of His majesty and might and the wonders of His creation. And for all that there is one cause, and it is that pleasure is a kind of perception and perception demands a thing perceived and a power of perceiving. Then, in the case of him whose power of perception is imperfect, that

he should have pleasure through it is not to be imagined. How can he perceive the pleasure of things to eat what lacks the sense of taste, and how can he perceive the pleasure of melodies what lacks ear, and the pleasure that lies in the conclusions of the reason who lacks reason? 'Even thus is the tasting of music and singing in the heart. After the sound has reached the ear it is perceived by an inward sense in the heart, and he who lacks that lacks inevitably the pleasure that goes with it.

But, perhaps, you will say, " How can passion 'Ishq' be imagined in the case of Allah Most High so that music and singing move it P " Then know that he who knows Allah loves Him inevitably, and as his knowledge of Him strengthens, his love of Him also strengthens, and love when it grows strong is called passion 'Ishq', and passion is nothing else than love strengthened beyond bound. Therefore the Arabs said: "Lo! Muhammad has a passion for his Lord," when they saw him retiring for worship in Mount Him. And know that every loveliness 'Jamal' is beloved when there is one to perceive that loveliness, and " Allah Most High is lovely (Jamil) and He loves loveliness' But loveliness, if it be in proportion of make and beauty of colours, is perceived by the sense of sight. And if the loveliness be in majesty and might and loftiness of order and beauty of qualities and character and the willing of things excellent for the world in general and pouring them out upon it constantly and other such spiritual qualities, it is perceived by the sense of the heart. And for the expression " loveliness " there is sometimes a metaphorical usage, and it is said that so and so is beautiful and lovely, and his form is not meant, but only that he is lovely of character, praiseworthy m to his qualities, beautiful as to his mode of life; and so a man is sometimes loved for those internal qualities through their being considered beautiful, just as the external form is loved. And sometimes this love becomes strong, and then it is called passion.

How many there are of zealous in their love for the founders of parties, such as Ash-Shafi'i and Malik and Abu Hanifah "Allah be pleased with them" to such an extent that they give bountifully of their lives and of their goods in their aid and assistance and go further than any passionate lover in their zeal and excess! A marvel it is that it should be held reasonable to love passionately an individual whose form has never been seen whether it is lovely or vile and who is now dead, but who is loved for the loveliness of his internal form and for his approved walk and the benefits that have befallen the people of the Faith from his work and other qualities beside ; and then that it should not be held reasonable to love passionately Him from whom are seen to proceed excellent things, yea, Him whom, in verity, there is no Excellency and no loveliness and no loved one in the world but it is a boon from among His boons and a trace from among the traces of His generosity and a spoonful from the sea of His bounty.

Every beauty and loveliness in the world which is perceived by the intellect and by eyes and by ears and the rest of the senses from the beginning of the world to its end and from the summit of the Pleiades to the extremity of the earth, is a grain from the treasure-houses of His power and a ray from the lights

of His presence. So who shall tell me that the love of Him is not reasonable whose description this is, and that love of Him should not increase in the case of those who confess His descriptions until their love pass bound and the absolute use of the term passion for it become a wrong because it falls short in telling how great is His love? Then His perfection is extolled who has veiled Himself from appearing by the force of His appearing and by the rays of whose light eyes are filled. "If it were not for His veiling Himself with seventy veils of His light, the glories of His face would burn up the eyes of those regarding the loveliness of His presence." And if it were not that His appearance caused His concealment, verily intellects would be confused and hearts bewildered and strength of body would be left helpless and limbs at variance.

Though hearts were built up of stone and iron, verily the morning would see them crushed in pieces under the first beginning of the light of His self-manifestation. For how shall the eyes of bats endure the noonday light of the sun? And the proof of what is indicated here shall come in the Book of Love, and it will be explained that the love of any other than Allah is a falling short and a folly. But he who is firm in knowledge knows none other than Allah Most High, since there is not in existence a verity except Allah and His works; and he who knows the works, as works, does not pass from the knowledge of the Worker to that of another than Him. For example, he that knows ash-Shafi'i, and knows him directly and his productions in respect that they are his productions, and not in respect that they are whiteness and skin and ink and paper and ordered speech and the Arabic language, verily, he has known him, and does not pass from the knowledge of ash-Shafi'i to that of another than him, and the love of him does not pass over to another than him.

Every existence except Allah Most High is the production of Allah Most High and His work done first by Him. Then he who knows it in respect that it is the construction of Allah Most High, sees from the construction the qualities of the Constructor, as the Excellency of the producer and the greatness of his power are seen from the beauty of the production, and his knowledge and love are limited to Allah Most High without passing over to other than Him. And it is of the definition of this passion that it does not admit of being shared; and everything except this passion admits of being shared, since to every beloved except this there can be imagined something like either in existence or in possibility ; but for this loveliness there cannot be imagined a second either in possibility or in existence. Then, the name passion applied to other than Him is a pure metaphor, not a proper sense of the word, though he that has a lack, near in his lack to brute beasts, sometimes does not recognise in the expression passion anything but the seeking of sexual intercourse. And such a one as this is like a donkey-driver, with whom it is not fitting that one should use such terms as passion, union, longing, humane intercourse; yea, such expressions and ideas he leaves on one side, just as brute beasts leave on one side narcissus and myrtle, and give themselves to dried clover and hay and fresh leafage. For the absolute use of these expressions is only possible in the case of Allah Most High, and that

only whenever they are not suspected of a meaning which we must hold far from the holiness of God.

Since the power of imagination varies as power of understanding, our attention should be directed to the refinement that lies in such expressions as these; yea, it is a near possibility that there may spring from the mere listening to the qualities of Allah Most High, an overpowering ecstasy by which the aorta of the heart is broken. Abu Hurairah' has related from the Apostle that he made mention of a youth who was among the children of Israel on a mountain. And he said to his mother, "Who created the heavens?" She said: "God, whose are Might and Majesty." He said: "Then who created the earth P "She said," God, whose are Might and Majesty." He said: "Then who created the mountains P" She said," God, whose are Might and Majesty." He said: "Then who created the clouds?" She said: "God, whose are Might and Majesty." He said: "Lo, verily from Allah I hear a Mighty Thing!" And he cast himself from the mountain and was dashed in pieces. This is as though he heard something which indicated the Majesty of Allah Moat High and the completing of His Power; so he was moved by emotion at that, and fell into an ecstasy, and through the ecstasy cast himself down.

The Books have been revealed only in order that they should move with emotion at the mention of Allah Most High. Someone said: "I saw written in the Gospel, ' we have sung to you and ye have not been moved with emotion; and we have piped to you and ye have not danced.'" That is, "We sought to rouse in you longing by the mention of Allah Most High, but longing was not roused." This, then, is what we desired to mention of the divisions of listening to Music and Singing and its causes and its requirements. It has become most certainly evident that it is permissible in some cases and encouraged in some cases. Then if you ask, "Is there any state in which it is unlawful?" I say that it is unlawful with five accidents-an accident in him who produces the poetry or music, an accident in the instrument that is used, an accident in the content of the poetry, an accident in the person of the listener or in his perseverance, and an accident that consists in his being of the commonalty of creation.

The first accident is that the producer of the poetry or music be a woman upon whom to look is not lawful and from listening to whom temptation is dreaded; included with her is also the beardless youth whose temptation is dreaded. This is unlawful on account of what is in it of the fear of temptation, and it is not on account of the singing, but if the woman, through whom rises the temptation, were only talking without using melodies, her talking and conversation would not be permissible nor even listening to her voice in repeating the Qur'an; so, too, is it in the case of the youth from whom temptation is feared. Then if you ask, "Do you hold that this is unlawful in every situation without considering separate cases, or is it only unlawful where temptation is feared in the case of him who fears sin?" I say that this is a possible question in point of law, one in 'which two fundamental principles act against one another.

The one of these is that being alone with a woman not within the prohibited degrees and looking upon her face is unlawful equally whether temptation is

feared or not, because she is one with whom, in general, temptation may be supposed to exist. The law has decided that this shall close the matter without looking to special cases. And the second principle is that looking upon youths is permissible except where there is fear of temptation; so youths are not classed with women in this general prohibition, but the circumstances are followed in each case. Now, the voice of a woman sways between these two fundamental principles; if we follow the analogy of looking at her, then we must close the matter absolutely,--that is an analogy that has great weight. Yet between the two are differences, since lust invites to look when it is once roused, but it does not invite to listen to the voice; and the moving of the lust to touch, which is excited by looking is not the same as that which is excited by hearing, but is more powerful. And the voice of a woman, apart from singing, is not a thing of shame requiring concealment; in the time of the Companions the women always talked with the men, giving the salutation and seeking advice and asking and taking counsel and so on,- but with women there is a something more which effects the moving of lust. So the analogy of the voice of women to looking upon youths is more immediate, for they were not commanded to veil themselves, just as women were not commanded to conceal their voices.

Thus the arousing of temptation is the rule which ought to be followed, and the unlawfulness should be limited to that. This, in my opinion, is the more probable view and the nearer analogy, and is strengthened by the tradition of the two girls who sang in the house of 'A'ishah, since it is known that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was wont to listen to their voices and did not guard himself; temptation in this case was not to be feared and therefore he did not guard himself. So, then, this varies with the circumstances of the woman and the circumstances of the man in being young or old; and such a varying with circumstances has its analogies, for we say in the case of an old man that he may kiss his wife, though it be time of fast, but that that is not allowable for a young man; for kissing invites to sexual intercourse in time of fast, which is forbidden. And hearing' may invite to looking and drawing near which is unlawful; so that, too, varies with individuals.

The second attribute is in the instruments in so far as they are of the badges of people who drink and belong to the effeminate. They are pipes and stringed instruments and the Cuba drum. These three kinds are forbidden, and all besides these remain under the fundamental principle of allowableness, like the tambourine whether it has little bells or not, and the Tabl and beating with the Qadib and the other instruments.

The third accident is in the content of what is sung, the poetry. If there is in it anything of obscenity or ribaldry or satire or what is a lie against Allah Most High or against His Apostle or against the Companions, like what the Rafidahs composed in satire on the Companions and others, the listening to it is unlawful, with melodies or without melodies, and he that listens is partaker with him that speaks. So, too, is that in which there is description of a

particular woman; for the description of a woman before men is not allowable. And as for satire of unbelievers and heretics, that is allowable; Hassan Ibn Thabit was wont to boast of the Apostle of Allah and to satirize the unbelievers, and the Apostle of Allah commanded him to do that. And as for amatory poetry, i.e. love poetry with description of cheeks and temples and beauty of figure and stature and description of women in other points, it calls for consideration.

The sound view with regard to it is that the composing of it and the reciting it with melody and without, is not unlawful. But it is for the listener to see to it that he does not apply what he hears to a particular woman, and if he does apply it that he apply it to one permitted to him, his wife or slave-girl, for if he apply it to a strange woman then he is a rebel against Allah by thus applying it, and by his causing his thought to circle in it. He to whom this description applies ought to put aside music and singing absolutely. For he over whom a passion has gained control applies all he hears to that passion, equally if the expression suite it or not; for what expression is there that cannot be applied to ideas by means of metaphorical usage? So he over whose heart the love of Allah has control is reminded by the blackness of the hair on the temples of a like thing, the darkness of unbelief, and by the brightness of the cheek, of the light of Faith, and by the mention of union, of the meeting Allah Most High, and by the mention of parting, of the separation from Allah Most High in the company of the rejected, and by the mention of the censurer who disturbs the gladness of union, of the obstacles of the world and its defects that disturb the endurance of intercourse with Allah Most High And in this application there is no need of search or meditation or leisure; yea, the thoughts which control the heart weigh more than the expression in the understanding of what is heard. So it is related from one of the Sheikhs that he passed through the market and heard one saying, "The good ones ten for a grain! " then ecstasy overcame him. And he was asked about that, and said: "When the good are ten for a grain, then what is the value of the evil?" And one of them crossed in the market and heard a speaker saying, "O wild thyme!" then ecstasy overcame him. And they said to him, "For what is thy ecstasy?" He said: "I heard him as though he were saying, ' Persevere and you will see my benevolence!'" And this goes so far that ecstasy sometimes overcomes a Persian at verses in Arabic, for some Arabic words correspond to Persian words; so he understands from them another meaning. One recited:

"And there has not visited me in slumber aught but his phantom-form." '

Then a Persian was seized with ecstasy at that, and he was asked the cause of his ecstasy, and he said: " Lo, he said in Persian,' We are all coming nigh to destruction," and feared thereby the peril of the destruction of the other world And the ecstasy of him who is consumed in love of Allah Most High is in proportion to his understanding, and his understanding is in proportion to his power of imagination, and what he imagines does not necessarily agree with what the poet meant or with his language. This ecstasy is truth and sincerity; and he who fears the peril of the destruction of the other world is fitted that his intellect

should be disturbed in him and his limbs agitated, and then there is no great advantage in changing the expressions themselves. Yet he whom love of a created thing has overcome ought to guard himself against music and singing with whatever expression they come, but him whom the love of Allah Most High has overcome, the verbal expressions do not trouble and do not hinder from - understanding the benignant ideas that join themselves with the flow of his exalted aspiration.

The fourth accident is in the listener, and consists in lust having control over him. If he is in the glow of youth, and this quality have more control over him than any other, then music and singing are unlawful to him equally whether the love of a particular individual have control of his heart or not. For however that may be, he cannot hear a description of temples and cheeks and separation and union but it moves his lust, and he applies what he hears to a particular form, the Devil puffing at the lust in his heart, and the flame of lust is kindled in him and the arouser of evil incite him. And it is a help to the party of the Devil and a cause of cowardice to Reason which defends him and which is the party of Allah Most High.

The fighting is constant in the heart between the forces of the Devil- they are the lust-and the party of Allah Most High-it is the light of Reason-except in a heart which one of the two parties has conquered and over which it rules completely. The army of the Devil conquers most hearts and overcomes them; so, therefore, there is need that inciters of fighting should keep beginning afresh to harass the forces of the Devil. How, then, is the increasing of the weapons of these forces and the sharpening of their swords and spears allowable? And music and singing sharpen the weapons of the army of the Devil in the case of such an individual as this; so let such go out from the assembly where music and singing are heard, for he is hurt by them.

The fifth accident is that the individual should be of the commonalty of creations Given that the love of Allah Most High docs not control him; further, that music and singing are beloved to him, and that no lust controls him; yet in his case it is prohibited. But, just as the other kinds of permitted pleasures, it would be permitted in his case except that, when custom and habit of it take hold of him, and however numerous its occasions, they are yet too few for him, then he is one of the foolish whose testimony is to be rejected; for persistence in sport is a sin. And just as a little sin by persistence and continuance becomes a great sin, so some permitted things by continuance become little sins; and this case is like perseverance in following Negroes and Abyssinians, and constant watching of their playing, for that is prohibited, although its beginning is not prohibited, since the Apostle of Allah did it.

To this class belongs playing at chess, for it is permitted; yet perseverance in it is disliked with the strongest dislike. And whenever the object is play and taking pleasure in sport, then it is permitted only on account of what is in it quieting to the heart; since quiet of the heart at certain times is a medicinal treatment, so that

the impulses of the heart may be aroused, and then it may busy itself at other times in diligent application to worldly things, as gain and trade, or to religion, as prayer and recitation of the Qur'an. And regarding that as a good thing to come between periods of application is like regarding a black mole on the cheek as beautiful. But if the moles were to take possession of the whole face, as a curse on it, how ugly that would be I so beauty becomes ugliness on account of abundance, and it is not every beauty much of which is beautiful, nor every permissible thing much of which is permissible. Bread is permissible, but seeking much of it is unlawful. So this permissible thing is like the other permissible things.

But if you say: "What all this comes to is that it is permissible under some circumstances and not under others; so why did you first make it absolutely permissible when such a statement, when it comes to distinguishing cases with yes or no, is false and faulty?" Then know that this objection is mistaken; for the laying down such an absolute statement stands in the way only of such a stating of special cases as begins from the entity of the thing which is being considered; but as for that which begins from the circumstances which came as accidents joined to it externally, the absolute statement does not prevent that. Do you not see that we, when we are asked concerning honey whether it is lawful or not, say that it is lawful in the absolute, though it is unlawful for one who is of a sanguine temperament, to whom it is hurtful?

When we are asked concerning wine we say that it is unlawful, although it is lawful for him to drink it what is choking with a morsel whenever he cannot find anything else. But it, in respect that it is wine, is unlawful, and is only permissible on account of the accident of the need ; and honey, in respect that it is honey, is lawful, and is only unlawful on account of the accident of hurtfulness. And no attention is paid to what belongs to an accident, for selling is lawful, but becomes unlawful through the accident of its happening at the time of the summons to prayer on Friday; and there are many accidents such as that. Then music and singing belong to the class of things permissible in respect that they are listening to an agreeable measured voice with a meaning to be understood, and their being unlawful is only on account of an accident external to their true entity. So, when the veil is withdrawn from what shows the permissibility, no attention need be paid to him who opposes after the indication is plain.

As for ash-Shafi'i, his school does not pronounce singing unlawful as a fundamental principle. Ash-Shafi'i laid down a rule, and said of the man who takes up singing- as a profession that his evidence is not allowable. And that is because it belongs to sport which is disliked and which resembles what is vain ; and he who takes it up as a profession is put in a relationship to folly, and his manliness falls from him, and, although it is not an unlawful thing in itself, yet its being unlawful under these circumstances is clear. But if ho does not put himself into a relationship to singing, and people do not come to- him on account of that, and he does not go to people for its sake, and all that is known of him is that he is sometimes in a state of emotion and chants in it, then that does not

make his manliness fall away or render worthless his evidence. That is shown by the tradition of the two girls who were singing in the house of 'A'ishah.

Yunus Ibn 'Abd Al-A'la said: "I asked Ash-Shafi'i about the people of al-Medina permitting music and singing. Then ash-Shafi'i said: 'I do not know one of the learned of the Hijaz who disliked music and singing except what consisted in amatory descriptions; us for the driving-song and the mention of the traces of the encampment and of the spring pastures and the making beautiful the voice in singing poems, it is permitted.' "And when ash-Shafi'i says that it is a sport which is disliked and which resembles what is vain, then his saying 'sport' is right, but sport, in respect that it is sport, is not unlawful; the play of the Abyssinians and their dancing is sport, yet the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was wont to look at it sometimes and did not dislike it. And sport and nonsense [logic] Allah Most High does not blame if by it is meant doing that in which there is no advantage; for if a man lay upon himself that he will place his hand upon his head one hundred times a day, that is trifling with no advantage in it, yet it is not unlawful; Allah Most High said: Allah does not blame you for nonsense in your oaths (Al-Baqarah 225).

﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ ﴿٢٢٥﴾ ﴾

When Allah does not blame for the mention of His name to a thing by way of oath without being pledged to it and without being determined to keep it, rather being variable as to it, along with there being no advantage in it, how shall He blame poetry and dancing? And as for his saying that it resembles what is vain that does not indicate a belief that it is unlawful; even if he had said explicitly that it was vain, that would not have indicated that it was unlawful. It only indicates that it is destitute of advantage; what is vain is that in which there is no advantage. If a man says to his wife, for example, "I sell myself to you," and she says, "I buy," it is a vain bargain whenever the object is play and jesting, and it is not unlawful except when the object is really making a slave of him, which the law forbids.As for his saying "disliked" he means that it is disliked on some of the occasions which I have mentioned to thee, or else he means that it is disliked through fear of evil. For he has laid down a rule as to the allowableness of playing at chess, and has remarked, "Verily, I dislike every play." The explanation he gives indicates this; for he says, "It is not one of the customs of religious people and people of manly virtue." This points to fear of evil. And his rejecting evidence for persistence in play does not indicate that it is unlawful; he sometimes rejects evidence for eating in the market-place and for what in general violates manly virtue.

Thus, weaving is allowable; yet it is not of the occupations of those who possess manly virtue. And sometimes he rejects the evidence of those who pursue an ignoble trade, and his explanation shows that he meant by dislike fear of evil[15] This is the view also of others besides him of the great Imams. So if people desire to make it unlawful, what we have said above is an argument against them.

An Account of Arguments Of Those Who Pronounce Music And Singing Unlawful, And Reply To Them.

They base an argument upon what Allah Most High, says, And of mankind there are some who buy sport consisting of stories (in order to lead astray from the path of Allah'). Ibn Mas'ud and al-Hassan Al-Basri and An-Nakh'i said that "sport consisting of stories" was singing. 'A'ishah handed down that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, Allah hath made the singing-girl unlawful and the selling of her and her price and teaching her." To this we say, As to the singing-girl, what is meant by her is the slave-girl who sings to men in a place where there is drinking; and we have mentioned that the singing of a strange woman to men of dissolute life and to those for whom temptation is feared is unlawful; such seek from the singing-girl only what is legally forbidden. Hut as for the singing of a slave-girl to her possessor, its unlawfulness cannot be gathered from this tradition.

Further, even to any other than her possessor, listening is lawful when there is absence of temptation according to what is indicated by the tradition in the two Sahihs of the singing of the two slave-girls in the house of 'A'ishah. As for the buying of "sport consisting of stories" for religion, by way of exchange for it, "to lead astray" by it "from the path of God," that is unlawful and blameworthy and the question is not as to it. Every singing is not an exchange for religion, bought for it, and a thing leading astray from the path of Allah Most High, and that what is meant in the passage. If an'one reads the Qur'an " to lead astray thereby from the path of Allah," his so reading the Qur'an would be unlawful.

It is narrated from one of the Hypocrites that he used to act as Imam to the people, and would only recite the Surah 'Abasa ' on account of the rebuke of the Apostle of Allah which it contains. And 'Umar thought of killing him, and regarded his action as unlawful on account of the leading astray which is in it; then is the leading astray by poetry and singing to be regarded as more unlawful? Further, they base an argument on what Allah Most High says, and at this narrative do ye not marvel? But ye laugh and do not weep and you are lifters up Ibn Abbas said: "It is singing in the language of Himyar," moaning the "lifting up." To that we say, Laughter and lack of weeping ought to be unlawful too, since the passage embraces them. And if it be said that it is limited to laughter against the Muslims for their becoming Muslims, then this also is limited to their making poems and singing with the object of ridiculing the Muslims. Even as He Most High has said: and the poets-those going astray follow them (Ash-Shu'ara' 224)

﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ ﴾

He meant by that the poets of the unbelievers; it does not indicate that the composition of poetry is unlawful in itself.

Further, they base an argument on what was handed down that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Iblis was the

first who wailed and the first who sang." So he joined wailing and singing. Then we say, Verily, just as the wailing of Dawud and the wailing of sinners for their crimes are been excepted, so was excepted that singing which seeks the moving of joy and sorrow and longing where it is allowable that it should be moved. It is excepted just as the singing of the two slave-girls on the Festival day in the house of the Apostle of Allah was excepted, and the singing of the women who sang at his arrival, when they said: " The full moon has risen upon us, from the passes of always'."

Further, they base an argument on what Abu Umamah has handed down from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that he said: "No one lifts up his voice in singing but Allah sends to him two devils on his two shoulders, beating with their heels on his breast until he refrains." We say, This applies to some of the kinds of singing which we have already brought forward ; there are those which excite from the heart that which is the desire of the Devil, consisting of lust and passion "'Ishq" for creatures. But as for what excites longing towards Allah and joy in Festival time, and at the birth of a child or the arrival of him who has been absent, all (hut is the opposite of what is the desire of the Devil, as is indicated by the story of the two slave-girls and the Abyssinians and the narratives which we took from the Sahihs. So the fact that it was permitted on a single occasion is a statute that it is allowable; and that it was prevented on a thousand occasions is subject to interpretation and explanation; but the actual doing of a thing cannot be interpreted away, since when a thing is unlawful it can only become lawful through the accident of compulsion, and if it is allowable it is made unlawful by a great number of accidents up to intentions and objects.

Further, they base an argument on what 'Uqbah Ibn 'Amir handed down that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: " Everything with which a man sports is vain except his training his horse and shooting with his bow and playing with his wife." We say, His saying " vain" does not indicate that it is unlawful, but indicates the lack in it of advantage. And sometimes that is conceded on the ground that the having part in sport in watching the Abyssinians came outside of those three and yet is not unlawful; so things not excepted are joined to things excepted on analogy, just as the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: " The blood of a Muslim is not lawful save for one of three things," yet he joined with them a fourth and a fifth. Like this, too, is the playing with one's wife; there is no advantage in it, only the pleasure. And it shows that amusing oneself in gardens and listening to the voices of birds and to the different kinds of jesting, of that wherewith a man sports, nothing of that is unlawful although it may be possible to describe it as vain.

Further, they base an argument on the saying of 'Uthman, " I have not sung, and I have not lied, and I have not wiped my penis with my right hand since I did homage with it to the Apostle of God." 'We say,Then let the lying and the wiping the penis with the right hand be unlawful if this is an indication that singing is

unlawful! When was it established that 'Uthman abandoned only what is unlawful? Further, they base an argument on the saying of Ibn Mas'ud, Singing makes Hypocrisy to spring up in the heart," and some add, "just as water makes herbs spring up "; some even carry it back to the Apostle of God, but that form of the tradition is not sound.

They say, " There passed by Ibn 'Uma' some people wearing the Ihram and among them was a man singing. Then he said: 'Ho, I do not hear Allah from you; ho, I do not hear Allah from you'" And from Nafi' is handed down that he said: " I was with Ibn 'Umar on the road and I heard the flute- playing of a shepherd, and he put his fingers in his ears, then turned from the road, and did not cease saying, 'Nafi', do you hear it?' till I said ' No '; then he took his fingers out and said: ' Thus I saw the Apostle of Allah do.' " And al-Fudail Ibn Iyad said: " Singing is the spell which raises fornication." And one of them said: " Singing is one of the scouts of depravity." And Yazid Ibn Al-Walid said: " Beware you of singing, for it makes modesty to be lacking the person mind and increases lust and ruins manliness; and verily it takes the place of wine and does what drunkenness does ; then if you cannot avoid having to do with it, keep it out of the way of women, for singing incites to fornication."

But we say, When Ibn Mas'ud says that it makes Hypocrisy grow up, he means by that in the case of the singer; in his case it makes Hypocrisy grow up, for his whole desire is to show himself to advantage in competition with others, and to make his voice bell well in such competition, and he keeps playing the hypocrite and making himself beloved by people that they may desire his singing. But even that does not involve that singing must be declared unlawful. For the wearing of beautiful clothes and the riding of ambling horses and the other kinds of adornment and emulative glorying in wealth and pleasant things and children and so on make Hypocrisy and dissimulation spring up in the heart; but what Ibn Mas'ud said does not go so far as to make these unlawful. So it is not only acts of rebellion against Allah which cause Hypocrisy to spring up in the heart; yea, such permitted things as these on which the gaze of the people falls are still better fitted to procure it. And therefore 'Umar alighted from a horse which ambled under him and cut off its tail, because he feared in himself vainglory in the beauty of its gait. Thus the beginning of Hypocrisy is in permitted things.

As for the saying of Ibn 'Umar, "Ho, I do not hear Allah from you! " it does not indicate that singing is unlawful in respect that it is singing; but they were in Ihram and loose talk did not befit them, and it appeared to him from their signs that their listening was not for the sake of ecstasy and longing unto the visitation of the House of Allah Most High, but for pure export. So he disliked that in them, because it was objectionable in connection with their state and the state of Ihram. Again, in the stories of particular cases, the possible views are many. For example, opposed to his putting his fingers in his ears is the fact that he did not command Nafi' to do the like and did not disapprove of his listening. He only did it himself because he considered that he should guard his ear in its then condition, and his heart from a sound which usually would move sport, and so

might hinder him from a thought he was engaged in or a recollection that was more in place.

So, too, the action of the Apostle of God, along with the fact that he did not hinder Ibn 'Umar from listening, does not indicate that it is unlawful, but indicates that the more fitting course is abandoning it. And we hold that abandoning it is more fitting in most cases ; yea, that the abandoning of most of the allowable things of the world is more fitting when it is known that they make an effect on the heart. The Apostle of Allah actually stripped off the robe of Abu Jahm' after the completion of prayer because there was a pattern upon it which distracted his heart. But do you think that that indicates the unlawfulness of a pattern upon a robe? Perhaps the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was in a state from which the sound of the flute of the shepherd would have distracted him as the pattern distracted him from prayer.

Yea, the need of arousing the Glorious States in the heart by music and singing is a falling short in the case of him who is constant in his witnessing the Truth, though it may be perfection in the case of others than such a one. And therefore al-Hurl said: "Even the most affecting of Music and Singing (Hearing) is cut off when he dies who is listening to it"; thus pointing out the fact that the Hearing which is from Allah Most High is abiding. And the Prophets had constantly the pleasure of Hearing and Witnessing and had no need to have them aroused by devices.

As for the saying of al-Fudail, and similarly all the other sayings kin to it, it is applicable to the music and singing of dissolute people and lustful youths; and if these sayings were generally valid, wherefore did they listen to the two slave- girls in the house of the Apostle of Allah? Then, as for analogy, the utmost of what can be said as to it is that the analogy lies against stringed instruments, and the differences have already been given. Or it is said that Music and Singing are sport and play, and so they are, but the whole of this world is sport and play (Al-Ankabut 64)

﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾

Umar said to his wife, "Thou art only a plaything in the corner of the house." And all playing with women is sport except tillage, which, is the cause of the existence of children. "And all jesting which there is nothing vile is lawful." That is quoted from the Apostle of Allah and the Companions, as shall come in detail in the Book of the Defects of the Tongue, Allah willing; and what sport could exceed the sport of the Abyssinians and negroes in their playing?

Its permissibility stands firm by statute on the basis of what I said: that sport rests the heart and lightens from it the burden of thinking ; and when hearts are overdriven they are blind, and resting strengthens them for serious work. So he, for example, who is persistent in study that ought to cease work on Friday, for ceasing work on one day incites alertness on the other days. And he who is persistent in works of supererogation in prayer on most

occasions, ought to be idle on some occasions; and, on his account, prayer on some occasions is disliked. So idleness is a help to work, and sport an aid to seriousness; only the souls of the Prophets can endure against pure seriousness and bitter duty. Sport is the medicine of the heart against the disease of weariness and restlessness; so it ought to be permitted. But there ought not to be too much, of it, just as there ought not to be too much medicine.

Then, whenever sport is for this object, it becomes a pious work. This is even in the case of one in whose heart music and singing do not rouse a praiseworthy quality-the rousing of which is sought-but the hearer has only pleasure and simple rest. So it is fitting to be approved in him that he may attain by it to the goal which we have mentioned. It is true that this indicates a falling short from the summit of perfection, for the perfect man is he who has no need that his soul should be rested in other than duty, but " the good deeds of the pious are the evil deeds of angels," and he who has mastered the science of dealing with hearts and the different ways of being kind to them to lead them to the Truth, knows absolutely that resting them with such things as these is a useful medicine that cannot be done without.

CHAPTER TWO: ON LAWS AND EFFECTS MUSIC AND SINGING PRODUCE UPON THE HEART, CONSISTING OF ECSTASY, AND UPON THE PARTS OF BODY, CONSISTING OF DANCING AND CRYING OUT AND TEARING OF GARMENTS

It should be known that the first step in Hearing is understanding what is heard, and applying it to an idea which occurs to the hearer. Then this understanding has as fruit ecstasy, and ecstasy moving of the members. Let there be a consideration, then, of these three stages.

The First Stage: Receiving Or Understanding

It varies as the conditions of the hearer vary. The first of these is that his hearing consists in receiving the simple physical impression, that is, he has no satisfaction in what he hears apart from the pleasure taken in the melodies and tones. This is allowable, and is the lowest of the orders of hearing, since camels are partakers with him in it. And so, too, are all beasts, for this taste requires for itself life only, and every animal has a kind of pleasure in agreeable sounds. The second condition is that he hears with understanding, but applies what he hears to the form of a creature, either to a special individual or not. This is how youths and the lustful hear, and their application of the things heard is in proportion to their lusts and in accordance with their states. This condition is too low for us to speak of it, except to explain its lowness and that it is forbidden. The third condition is that he should apply what he hears to the states of his own soul in his Intercourse ' with Allah Most High, and to the changing of his states, consisting of possibility one time and of impossibility another time.

This is the Hearing of the seekers after (the next world), especially of such as

are beginners, for the seeker of the hereafter has a thing desired which is his object, and his object, is the experiential knowledge of Allah (who is exalted above nil imperfection), and meeting Him, and arriving at Him by the path of Witnessing that which is secret, and of uplifting the veil. In his object he has a Path which he pursues, and Intercourse in which he perseveres, and states which encounter him in his Intercourse. Then whenever he hears mention of chiding, or exhortation, or acceptance, or rejection, or union, or departure, or drawing near, or being distant, or bemoaning that which has escaped, or thirsting for that which is expected, or longing for that which arrives, or coveting, or despairing, or solitude, or seeking society, or accomplishing of a promise, or breaking of a covenant, or fear of separation, or rejoicing in close union, or mention of attention to the beloved and rejection of the watcher, or the pouring forth of tears, or the close following one another of sobs, or length of separation, or promise of close union, or anything besides of that of which poems contain the description, then, without fail, some of this must agree with the state of the wish in his seeking, and that will act the part of a tinderbox which will light the fuel of his heart.

Then its flames blaze up in him, and longing is strongly excited, and there assault him, because of it, states to which, he is not dutiful, all enter between man and himself. One is accustomed, and he has broad scope in applying the expressions to his states. And it is not incumbent on the hearer that he should consider what the poet intended in his words. For every saying has different aspects, and every man of understanding (in getting its meaning from it') has his own fortune.

Let us give some examples of this applying and understanding, in order that the foolish may not fancy that the listener to verses, in which there is mention of mouth and cheeks and temples, understands by them only their outward meaning. We have no need to tell how the meaning is gained from the verses ; in the stories of the People of Hearing there is enough to reveal that. It is narrated that one of them heard someone saying: " The messenger said: ' Tomorrow he will visit'; then said I, 'Doest thou know what thou hast said?' Then the melody and words excited him, and he constrained himself to an ecstasy, and began repeating it, putting 'we' in the place of ' he,' and saying, " The messenger said: ' Tomorrow we shall visit,'" until he fainted from the force of the joy and pleasure and gladness. And when he recovered they asked him about his ecstasy, whence it was. Then he said: "I remembered the saying of the Apostle of Allah that the people of the Garden shall visit their Lord every Friday, once."

Ar-Raqqi narrated from Ibrahim that he said: "I and Abu Al-Fudail were passing along the Tigris, between Basra and Al-Ubullah, and lo, there was a beautiful house with a raised veranda, upon which was a man with a slave-girl before him, and she was singing: 'Dedicate to Allah is a love which is given freely from me to you. Everyday you change; other conducts than this would be

more comely in you. (Do you not see life waning and the messenger of death drawing near?)

And lo, under the veranda was a beautiful youth with leather drinking-up in his hand and a patched gown on, listening. And he said: 'O slave-girl, by Allah, and by the life of your master, repeat that verse, "Every day thou change"!' Then she repeated it, and the youth kept saying, ' This, by Allah, is my changing in my state with the Truth!' And he sobbed a sobbed and died. Then we said: 'A duty has encountered us.' So we stood, and the master of the house said to the slave-girl, 'You are free for the Sake of the Countenance of Allah Most High.' Then the people of Basra came out and prayed over the youth, and when they had finished burying him, the master of the house said: 'I call you to witness that everything which belongs to me is dedicated to Allah, and all my slave-girls are free, and this house is dedicated.' Then he cast off his clothes and girt himself with a tunic ['-«>'] and put on another as a cloak and went his way, and the people were gazing at him until he vanished in the distance from their eyes while they were weeping, and there was nothing heard of him again." And the purport is that this man considered himself drowning at the time through his state in relation to Allah Most High and through the knowledge that he was too weak to be constant in the beauty of fair Intercourse with Allah and through grief at the changing of his heart and its turning from the laws of the Truth.

Then when there struck upon his ear what agreed with his state, he hoard it as from Allah Most High as though He were addressing him and saying to him: "Everyday you change; other conduct than this would be more comely in you." And it behaves him whose Hearing is from Allah and concerning Allah and in Him that he should have grasped firmly the canon of the science treating of the knowledge of Allah Most High and of His attributes. If he has not, there is danger to him of Hearing with regard to Allah Most High what is impossible concerning Him and of being an unbeliever in Him. And in the Hearing of the seeker after (the next world) , who is a beginner, there is danger, except when he applies what he hears to his own states only, in so far as what he hears cannot be connected with the description of Allah Most High.

This very verse exemplifies such a possible error. If he had heard it as to himself, as though he were addressing with it his Lord, whose are Might and Majesty, then he would have ascribed the changing to Allah Most High and so would have been an unbeliever. This sometimes happens from pure and absolute ignorance unmixed with any appreciation of the truth, and sometimes it springs from an ignorance to which he is led by a kind of appreciation of the truth. That last is when he sees that the changing of the states of his heart and the changing of the states of the rest of the world are from God, and that is truth, for He at one time expands the heart of His creature and at another contracts it, at one time illumines it and at another darkens it, at one time hardens it and at another softens it, at one time establishes it in obedience to Himself and strengthens it therein and at

another makes the Devil to rule over it and turn it from the laws of the Truth. This, all of it, is from Allah Most High.

And perhaps the poet meant here only to ascribe to his beloved the being changeable in accepting him and rejecting him, in making him draw near and making him retire- that such was his meaning. Then the Hearing of it in that way with regard to Allah Most High is pure unbelief. Yea, it is necessary that it should be known that He, who is exalted above imperfection and is Most High, produces change but is not changed Himself, makes others different but does not become different Himself, and therein is opposed to His creatures. This knowledge results to the Seeker after (the next world) by acceptance on faith and on the evidence of tradition, but results to the discerning the knower by certainty, revealed and verified. That is one of the greatest wonders of the attributes of Allah that He changes without being Himself changed; a thing that is only thinkable in the case of Allah Most High; all else that produces a change does not produce it in anything without that producing a change in itself.

And of those who fall into ecstasy there are some whom a state overcomes which is like that drunkenness which confounds the reason ; then they give free course to their tongues, chiding with Allah Most High, and they blame His subduing of hearts and distribution of the Glorious States as faulty. For He it is who chooses the hearts of the faithful believers and rejects the hearts of deniers and of the infatuate, and there is no one who hinders after He has given or gives after He has hindered, and He has not restrained His aid from unbelievers for any previous crime, nor has He assisted the Prophets with His aid and with the light of His guidance for any preceding favour, but He has said: And verily, Our Word came first to Our servants, those sent (As-Saffat 171).

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾

And He Almighty said: But the saying from Me stands firm, Verily, I will fill hell with Jinn and mankind, all (As-Sajdah 13).

﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾

And He Most High said-Verily, those to whom there came first from Us happiness, they are removed far from that (Al-Anbiya 101).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾

Then if the thought suggest itself to thee, Why does that vary which comes first [is predestined], while those on whom it falls tire partakers in the noose of servitude? It is proclaimed unto thee from the Canopy of Majesty " Pass not the bound of fair behaviour! For He is not asked concerning what He does, but they are asked" (Al-Anbiya 23).

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾

And, by my life, good government of the tongue and of the external behaviour belongs to that over which most persons have power, but as for the government of the secret thoughts to prevent them meditating over and finding strange this evident difference in bringing some near and rejecting others, and making some miserable and others happy, while the abiding of the happiness and misery is for ever and ever, for that none is strong enough save the learned who stand firm in knowledge. And, therefore, did al-Khadir, when he was asked in the dream concerning Hearing, say, "It is pure slipperiness, there stand not fast upon it save the feet of the learned." This is because it moves the secret parts and the hidden places of the heart, and disturbs it as that drunkenness which confounds the reason disturbs it, and almost looses the knot of fair behaviour from the secret thoughts, except in those whom Allah Most High protects by the light of its guidance and the benevolence of His protection.

Therefore, some said: "Would that we might escape on equal terms from this Hearing I " And in this kind of Hearing there is a danger greater than the danger that moves lust, for the end of that is an act of disobedience, but the end of failure here is unbelief.

And know that the understanding of what is heard varies with the states of the listener. Ecstasy obtains control over two listeners to one verse, and one of them hits the mark and the other fails, or both of them hit the mark, and yet they have understood two different meanings, contradictory to one another. But these, viewed in relation to the different states of the hearers, are not discrepant with one another. It is related from 'Utbah Al-Ghulam that he heard a man saying.

"How far from imperfection is the Mighty One of heaven! Verily, the lover is in distress."

Then he said: "Thou hast said truth," and another man heard him and said: Thou hast lied." Then said one of the possessors of perception , "They have both hit the mark together." And that was the truth. The acknowledging that the verse is true is the speech of a lover who cannot get what he desires, but is kept at a distance, and wearied by that and by being shunned. And the asserting that the verse is false is the speech of one who is rejoicing in love, taking pleasure in what he endures on account of the superabundance of his love, and not distressed by it. Or it is the speech of a lover who is not at the time debarred from his desire, and who does not fear the danger of eventually being debarred ; that is because hope and fair thoughts rule his heart. So, through the varying of these states, the understanding of what is heard varies.

Further, there is a story about Abu Al-Qasim Ibn Marwan He had accompanied Abu Sa'id the cobbler, but had abandoned attendance on Hearing for many years. Then he attended a part, and in it was a man who said: " One standing in the water and thirsty, but he is not given to drink."

Then the people arose and constrained themselves to ecstasy, and when they were quiet he asked them concerning what came to them of the meaning of the

verse, and they pointed to the thirsting after the Glorious States and the being debarred from them in spite of the presence of their causes. But that did not satisfy him, so they said to him, "And what is thy opinion as to it?" Then he said: "My opinion is that he is in the midst of states and graced with Charismata, and yet is not given a single grain of them." This point to the existence of a Truth behind the states and Charismata, to which the states are forerunners and of which the Charismata are amongst the beginnings; and that Truth itself is behind-no one attains to it. And between the meaning which they understood and that which, he mentioned there is no difference except in the distance in rank of the thing after which thirst is felt. For he that is debarred first from the Glorious States, thirsts for them; then if he can obtain them, he thirsts for what is behind them. So between the two meanings there is no varying as to understanding, but the varying is between the two ranks.

Ash-Shibl would greatly constrain himself to ecstasy at this verse: "Your liking is shunning and your love is hate, and your union is separation and your peace is war."

The Hearing of this verse is possible in different ways, some true, some false. The most evident of them is to understand it of creation, that is, of the world as a whole-everything except Allah Most High. For the world is full of guile and deceit and slaughter towards those that are of it, hostile to them within, though showing without an appearance of love. For, as has been handed down, in the tradition, "A house is never full of joy through it, hut it is full of weeping." And as Ath-Tha'alib said describing the world: " Cease from the World and seek her not in marriage; seek not in marriage a slayer of him whom she weds. What is hoped for from her is not procured by what is feared in her, and what in her is disliked-even though thou hope is the greater part. Verily, the describers have spoken of her and made long their speech, and with me is a description of her that, by my life I is sound. A juice the later end of which is deadly; and a desired steed which is restive whenever thou wouldst have pleasure in him; And a fair form, the beauty of which affects men, but it has vile secrets of evil."

The second possible meaning is that the hearer should apply it to himself in regard to Allah Most High. For whenever he reflects, he sees that his knowledge is ignorance, since men cannot measure Allah according to His true measure ; and his obedience is hypocrisy, since he cannot fear Allah according to His true fear; and his love is sickly, since he will not lay aside one of his lusts through his love. And him to whom Allah has willed good He instructs in the faults of his soul, and then he sees the truth of this verse in himself, although he may hold a high rank among those that are heedless. And on account of that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I cannot reckon up Thy benefits and praise Thee for them as Thou hast praised Thyself." And he said also, "Verily, I ask pardon of Allah in the day and the night seventy, times." And his asking pardon was only an account of states, that is step, long in respect to what is behind them, though they may be short in respect to what is before them.

For there is no approaching but beyond it there remains an approaching without end, since the path pursued of advance to Allah Most High is without end, and attaining to the farthest of the steps of approach is impossible.

The third possible meaning is that the hearer should regard his first states and be well pleased with them; and then should regard those that follow and contemn them on account of his meeting in them veiled things of the Deceitful One[1] Then he considers that to be from Allah Most High, and listens to the verse with regard to Allah Most High in complaint against Fate and Destiny which is unbelief according to the exposition which has preceded. And there is no verse but it is possible to apply it to different meanings, and that is in proportion to the abundance of the knowledge of the listener and the purity of his heart.

The fourth condition is the Hearing of him who has passed beyond states and stages. He is distant from knowing aught save Allah Most High to such a degree that ho is distant even from knowledge of his own self and its states and intercourse, and is like one stupefied, a diver in the very sea of Witnessing, whose state resembles the state of the women who cut their hands, witnessing the loveliness of Yusuf, when their wonder went so far that their perceptions were stupefied and failed. Of such as are in this condition the Sufis use the expression Fani " he has passed away from himself and come to an end " [i.e. he is oblivious to himself], and whenever anyone passes away from himself, he must pass away from all besides himself; then it is as though he passed away from everything except the One-the witnessed one. He passes away also from the act of witnessing, for the heart, whenever it turns aside to view the act of witnessing and itself as a witness, is heedless of the thing witnessed. But for him who is infatuated in a thing which he sees there is no turning aside, in his state of seeking to plunge into it, to his act of seeing, nor to his own self through which is his seeing, nor to his heart in which is his pleasure. A drunken man tells no tale about his drunkenness, neither he who is taking pleasure about his taking of pleasure, but his tale is only about that in which he takes pleasure. And an example of this is in knowledge of a thing, for it changes to knowledge of the knowledge of that thing, and the knowledge of the thing, whenever there comes to the knower knowledge of his knowledge, is turned from the thing. And such a condition as this sometimes suddenly appears with regard to created things, and sometimes, also, with regard to the Creator. For the most part it is like swift lightning which stands not and lasts not; if it should last, human strength could not endure it. And often he who is thus affected is agitated under its burdens with an agitation which slays his soul, like what is narrated concerning Abu Al-Hussain Al-Nuri that he was present at an assembly and heard this verse: " I ceased not alighting, on account of thy love, at a place of alighting, in alighting at which hearts are bewildered."

Then he arose and constrained himself to an ecstasy, and ran wildly on, and happened upon a cane-brake which had been cut, but the stems in which remained like swords. Then he kept running in it and repeating the verse until the

morning, and the blood flowed from his legs so that his feet and shanks swelled. And he lived after that a few days and died. May Allah have mercy upon him I This is the step of those who are faithfully true in understanding and in ecstasy, and it is the highest of the steps ; for Hearing through states is a descent from the steps of perfection. States are mingled with attributes of the flesh and Hearing is a kind of falling short; that only is perfection that the subject should pass away totally from himself and his states I mean, that he should forget them and that there should not remain to him any paving of attention to them, like as the women paid no attention to their hands and to the knifes. So he hears Allah, finds with Allah and in Allah and from Allah. This is the rank of him who wades the deep sea of verities and has passed the shore- land of states and works, and has occupied himself with the purity of the Unity and is confirmed in absolute sincerity. Then there does not remain in him anything of it as a root» but his fleshliness totally dies down, and his paying attention to fleshly attributes passes away absolutely. And I do not mean by his 'passing away ' the passing away of his body, but the passing away of his heart. And I do not mean by the ' heart' the flesh and blood, but a delicate secret thing which he has, a hidden relationship to the evident heart behind which is the secret thing of the spirit which exists by the command of God, whose are Might and Majesty. He knows it who knows it, and he is ignorant of who is ignorant of it. And to that secret thing there is an existence, and the quality (form as opposed to substance] of that existence is what is present in it. Then whenever there is present in it something else than itself, it is as though only that thing which is present had existence. And a parallel to it is a polished mirror, since it has no colour in itself, but its colour is the colour of what is present in it. And so, too, is a glass, for it imitates the colour of its resting-place, and its colour is the colour of what is present in it. It has not in itself any quality, but its quality is to receive qualities, and its colour is a kind of being prepared to receive colours.

There speaks clearly of this essence in the heart in relation to what is present in it, the saying of the poet". Fine is the glass and fine the wine, so they mingle together and the thing becomes hard.

It is as though there were wine and no glass, and as though there were a glass and no wine."

This is one of the stages of the sciences of Revelation.

From it begins the fantasy of him who claimed being 'in-dwelt' and 'becoming one' and said: "I am the Truth," and around it buzzes the talk of the Christians in claim of a uniting of the divine and the human, or of one being clothed with the other, or taking up its abode in it, according as their expressions vary.

This is a pure blunder, which resembles the blunder of him who assigns to a mirror the quality of redness whenever the colour of redness shows in it from what is opposite it.

But such cases as these do not pertain to the science of Intercourse, so let us return to the point; we have mentioned how the steps as to the understanding of things heard stand apart.

The Second Stage

After understanding and application comes ecstasy. And men have had a long discussion as to the reality of ecstasy ; I mean the Sufis and those philosophers who have considered the relation of Hearing to the soul. As for the Sufis, Dhun-Nun Al-Misri has said of ecstasy that it is a Visitant of truth which comes disturbing hearts and driving them towards the Truth ; then he who gives ear to it in truth, attains truth, and he who gives ear to it in fleshliness, becomes an unbeliever. So it is as though he used being aroused on the part of hearts and driven towards the Truth as an expression for ecstasy, and ecstasy was that which he found at the arrival of the Visitant of Hearing, since he calls Healing a Visitant of truth. And Abu Al-Hussain Ad-Darraj said: talking of what he found in Hearing, " Ecstasy is un expression for what is found with Hearing." He said also, " Hearing whirls about with me in the exercise-grounds of beauty, and causes me to find the existence of the Truth beside the Veil, and gives me drink from the cup of purity, so that I attain by it to the alighting-places of good-will, and it brings me out to the gardens of delight and ease." And Ash-Shibli said: " That which is external in Hearing is a temptation, and that which is internal is a warning, and to him who knows the signification, listening to the sing is lawful. But he who does not, has summoned temptation and exposed himself to ruin." And someone said: "Hearing is the morning meal of souls for the people of knowledge ; for it is a praise that is finer than all other works, and by subtleness of nature there is attainment to its subtleness, and by purity of the secret heart to its purity and its graciousness with those worthy of it." And 'Amr Ibn 'Uthman al-Makki said: "No explanation covers the nature of ecstasy, for it is a secret of Allah with His faithful believers" And someone said: "Ecstasy consists of Revelations proceeding from the Truth." And Abu Sa'id Ibn Al-'Arabi said: " Ecstasy is lifting of the curtain, and witnessing of the Watcher and presence of understanding, and observation of the Unseen, and converse with the secret, and intercourse with that which is missing ; it consists in your passing away and coming to an end in respect of what you are." He said also: " Ecstasy is the first of the stages of those whom Allah distinguishes and chooses out, and it is the inheritance that comes from belief in the unseen; then, *when* men taste it, and its light spreads abroad in their heart, there falls away from them all doubt and uncertainty." He said also: "That which curtains off from ecstasy is seeing the traces of the flesh and being entangled in affections and motives ; for the flesh is curtained in by its motives. Then whenever the motives sire broken away, and the memory is cleansed, and the heart is clean and fine and pure, and exhortation profits the subject, and he alights through secret intercourse in a near alighting-place, and he is addressed and hears with an attentive ear him who addresses him, and with a witnessing heart and a secret thought made evident, then he witnesses what was distant from him, and that is ecstasy because he has found what was lacking with him." He said also, " Ecstasy is what comes at a mention that arouses, or a fear that disquiets, or at a rebuke for

a slip, or in a conversation concerning one of God's gracious boons, or at something which points to an advantage, or at a feeling of longing for the unseen, or at grief for that which has passed, or at regret for that which has gone, or at an effort towards a state, or at what summons to a positive duty, or at intercourse in the secret heart ; it is when external and external are face to face, and internal and internal, and unseen and unseen, and secret thought and secret thought; it is the extracting of what is in. Your favour through what is against thee out of that in which there was labouring before the. Then that is written down to thee, after it was apart from thee; so there is established to thee a dignity without a dignity and a renown without a renown, since He is the one who dispenses favours first and to whom the whole command goes back." 'This is the external part of the science of ecstasy, and the sayings of the Sufis of this kind as to ecstasy are very numerous.

As for the Philosophers, one of them said: "There is in the heart a glorious Excellency; the force of speech is not able to elicit it with words, but the soul can do it with melodies. Then, when it appears, the soul is rejoiced and moved towards it; so listen to the soul and have secret converse with it, and summon the secret converse of external things." And one of them said: "The consequences of hearing music and singing are that he who was weak in counsel is set to work, and he who was distant from meditation is driven forward, and he who was wearied on account of considerations and plans is sharpened, so that there comes back what was distant, and begins to work what was weak, and is clean what was discolored, and he becomes lively in every plan and intention and hits the mark and does not go astray and arrives and does not linger." And another said: "Just as thought follows on the paths of science to the thing it deals with, so hearing music and singing follows on the paths of the heart to the spiritual world." And one of them said-he had been asked what was the cause of the spontaneous moving of the extremities of the body according to the measure of melodies and rhythms-"That is passionate love in the reason ; and he who loves passionately in the reason has no need that he should soothe or coax his beloved with my heart of the Lot.

Speech, hot he soothes and coaxes and has secret intercourse by smiling and glancing- and delicate movement of eyelash and eyebrow and signs, and these all speak, only they are spiritual. But as for the passionate lover of the animal kind, he uses speech that he may express by it the fruit of the external part of his weak longing and counterfeit passion." And another said: " He who sorrows let him listen to melodies, for when sorrow enters the soul the light of the soul dies down, but whenever the soul rejoices its light flames up, and its joy appears, and yearning appears in proportion to the possible receiving of him who receives it, and that is in proportion to his purity and cleanness from guile and filthiness." And the opinions that have been expressed concerning Hearing and ecstasy are very many, but there is no reason why we should adduce many of them ; so let us try to understand the idea for which ecstasy is an expression. We say that it is an expression for a condition which Hearing produces as its result, and it is a

truthful visitant, fresh, a consequence to Hearing, and the listener experiences it from his soul. This condition must fall in one of two divisions. It can either be referred to acts of revelation and Witnessing-these are on the side of knowledge and admonitions-or it may be referred to changing and states that are not from knowledge, but are such as longing and fear and grief and disquietude and joy and vexation and regret and expansion and contraction of the heart-these all are states which Hearing arouses or strengthens. Then if it is weak in so much that it does not produce an effect by way of external movement or repose or change of condition, so that the external form should be moved contrary to its custom, or goes or stays from looking or speaking or moving contrary to its custom, it is not called ecstasy. But if it shows itself externally it is called ecstasy either weak or strong, in proportion to how it shows itself and to the external change which it produces. And its producing movement is in proportion to the force with which it comes; and the guarding against external change is in proportion to the force of him who is under the ecstasy and his power to control his limbs. So, sometimes, the ecstasy is strong with regard to external things, yet no external change is produced because of the force of him who is being affected. And sometimes external movement does not appear on account of the weakness of the visitant and it's falling short of producing movement and loosing the knot of restraint.Towards the first sense Abu Sa'id Ibn Al-'Arabi pointed when he said of ecstasy that it consisted in Witnessing of the Watcher, and in the presence of understanding, and in beholding of the Unseen. And it is natural that Hearing should be a cause of revealing that which before was unrevealed, for revealing takes place through certain causes, one of which is admonition, and Hearing is an admonisher. And another of the causes of revealing is changing of the states, and witnessing of them, and attaining to them, for attaining to them is a kind of knowledge that helps to explain things that were not known before. And another of them is purity of heart; and Hearing produces purity of heart, and the purity is a cause of revealing. And another of them is the arousing alacrity of heart through force of Hearing, and thus the heart is strengthened to witness that which its strength was not equal to before, just as a beast of burden is strengthened to carry what before that it could not. And the work of the heart is seeking after revelation and beholding the secrets of the Kingdom just as the work of the beast of burden is the carrying of loads. Thus, through these causes, Hearing is a cause of revealing. Further, the heart, when it is pure, often has represented to it the truth in the form of an act of Witnessing, or in a bit of verse that strikes upon the ear which is expressed by the voice of the Ghati[f] when the hearer is awake or by a vision when he is dreaming (and that is one six and fortieth part of prophecy but the science by which that may be proved is foreign to the science of Intercourse). What is narrated from Muhammad Ibn Masruq Al-Baghdadi - is a case in point. He said: " I went out one night in the days *of* my foolishness, and I was drunk and singing this verse.In Mount Sinai is a vine which I never pass by but I marvel at those who drink water."

Then I heard one saying: "And in Jaliannum is a well; not a throat gulps it down, but it tears from its belly the entrails."

That was the cause of my repenting and busying myself with science and the service of God." Then consider how the singing worked in purifying his heart, until there appeared to him the essence of the truth in the description of Hell by means of an expression with a meaning couched in measured language, and which struck his external ear. And it is related from Muslim Al-Abbaduni that he said: " There came to us once Salih Al-Murri and 'Utbah Al-Ghulam and 'Abd Al-Wahid Ibn Zaid and Muslim al-Aswuri, and they alighted by the shore. Then I prepared for them that night some food, and summoned them to it and they came. But when I laid the food before them, lo, a speaker who said this verse, lifting up his voice: ' And meats divert thee from the eternal abode; and the going astray of a pleasure of the appetite is no thing of advantage.'

Then Utbah al-Ghulam cried a great cry and fell down fainting, and the people wept, and I took away the food, and, by Allah! They did not taste of it a morsel." And just as the voice of the caller is heard with purity of heart, so there is witnessed also with the eye the form of Al-Khadir, for he presents himself in varying forms to the possessors of hearts And under similar conditions the angels present themselves to the prophets, either in their veritable form or in a likeness which resembles their form with some resemblance. The Apostle of Allah saw Ariel twice in his own form and related of him that he blocked the horizon. That is what is meant in the saying of Him Most High, instructed him one terrible of strength, a possessor of prudence ; then he stood erect and he was in the upper horizon-to the end of the verse And in such states which have their origin in purity, perception swoops down on the secret thoughts of hearts. That perception is sometimes called insight and therefore the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Beware of the insight of the believer, for he sees in the light of God." It has been related that a man of the Magians used to go about to the Muslims and ask them, "What is the meaning of the saying of the Prophet, ' Beware of the insight of the believer'?" Then they would rehearse to him its interpretation, but that would not satisfy him. At last he came to one of the Sheikhs of the Sufis and asked him. Then he said to him, "Its meaning is that you should cut off the girdle that is about your middle under your dress." Then he said: "Thou hast said rightly; that is its meaning." Then he repeated the Muslim confession of faith and said: "Now I know that you are a believer, and that your belief is true." And similarly it is related from Ibrahim al-Khawas that he said: "I was in Baghdad among a company of poor in the Mosque, and there advanced a youth, excellent of odor, handsome of face. Then I said to my fellows, 'It occurs to me that he is a Jew,' but they all disagreed with me in that. Then I went out, and the youth went out and returned to them and said: ' What did the Sheikh say of me? 'So they were ashamed, but he pressed them and they said: 'That you were a Jew.' Then he came to me and bent over my hands and kissed my head and recited the Muslim confession of faith and said: 'We find in our books that the insight of the very veracious does not fail. So I

said: "I will test the Muslims." Then I regarded them and said: "If there is among them a very veracious one it is in this group, for they are speaking of the stories of Him whose glory is exalted and reciting of His might." Then I clothed myself like you, and when the Sheikh scrutinized me and had insight as to me, I knew that he was a very veracious one.' So was the story, and the youth came to be of the great ones of the Sufis." And it is to such revealing as this that the saying of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" points, " If the devils were not hovering around the hearts of the Sons of Adam, verily they would behold the dominion of heaven." And the devils hover around hearts only when they are equipped with blameworthy qualities, for such are the pasture-ground of the devil and of his host, and he who cleanses his heart from these qualities and purifies himself, the devil does not circle around his heart. And to this, too, points the saying of Him Most High, Except your servants from among them, the purified, and the saying of Him Most High, Lo, my servants, you have no power over them (Al-Hijr 40, 42).

﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

And Hearing is a cause of purity of heart, and by means of purity it is a net for truth. This is indicated by what is narrated that Dhun-Nun Al-Misri entered Baghdad, and there assembled to him a company of the Sufis and along with them was a reciter of poems then they asked his permission that the reciter should recite something to them, and he gave it. So the reciter chanted, saying: "A little of thy love torments me, then how will it be with it when it gains complete mastery? And thou hast joined in my heart all of a love in which others have formerly shared. Dost thou not lament for him who is sore wounded, who weeps when he that is free of care laughs?"

Dhun-Nun arose and fell upon his face. Then another man arose, and Dhu-n-Nun said: *He who sees you when you rise,* and the man sat down. And that on the part of Dhu-n-Nun was insight into the man's heart that he was trying to feign ecstasy. So he showed him that He who was seeing him when he rose was the opponent to his rising on account of anything else than Allah Most High. And if the man had been sincere he would not have sat down.

Then, since the result of ecstasy' resolves itself into revelations and states, know that each one of these two is divisible into that for which an expression, when one is free from it, is possible, and that for which an expression is fundamentally impossible. Perhaps you will find strange a condition or knowledge the real nature of which you do out know and the expression of the real nature of which is impossible ; but do not regard that as strange, for you will find witnesses for it in your ordinary states. As for the knowledge, how many a lawyer there is whom two questions confront, similar in form, but the lawyer gets so far by his natural faculty as to perceive that between them there is a difference as to the decision, yet whenever he tries to state the direction of the difference his

tongue does not help him to express it, although he may be the most eloquent of men. So he attains by his natural faculty to perceive the difference, but the expressing of it is impossible to him. And his attaining to see the difference is knowledge which he meets in his heart through natural faculty, and, without doubt, there is a cause for its occurrence in his heart. That difference has a real nature with Allah Most High, but the lawyer is not able to speak of it, not on account of any falling short in his tongue, but because the idea is too fine in itself for expression to present it. This belongs to what has been thought out by those who apply themselves to looking into complicated things.

As for the states, how many a man gets so far as to perceive in his heart, on some occasion which may appear in it, a contraction or an expansion, yet he does not know its cause! And a man sometimes thinks about a thing, and it makes an impression on his soul. Then he forgets the cause, but the impression remains upon his soul, and he feels it. And, sometimes, the condition which he feels is a joy which arose in his soul on his thinking about a cause which produces joy ; or it may have been a sorrow ; then he who was thinking about it forgets, but feels in the impression its consequence. And sometimes that condition is a strange condition which a word expressing joy or sorrow does not indicate clearly, and for which he cannot come upon a suitable expression revealing what was intended. Thus some people are distinguished above others by a natural faculty of taste in metrical poetry and a power of distinguishing between it and that which is not metrical. And the condition is one which the possessor of a natural faculty of taste attains to perceive in respect that he is not in doubt as to it-t mean as to the distinguishing between that which is good as to meter or bad. Yet he is not able to express the condition by anything which will make clear his meaning to one who has not a natural faculty of taste.

In the soul are strange states, and this is their description" The well-recognized ideas of fear and grief and joy occur only in the case of that Hearing which proceeds from singing that has a meaning. But as for vibrating strings and the other musical tones which have no meaning, they make on the soul a wonderful impression, and it is not possible to express the wonders of that impression. Sometimes it is expressed as a longing; but a longing which he who feels does not know for what he longs, is wonderful. And he whose heart is disturbed when he hears stringed instruments and the Shahin and their like does not know for what he is longing. He finds in his heart a state as though it demanded a thing he does not know what; this befalls even the common herd and those over whose hearts the love neither of man nor of Allah Most High can get control. There is a mystery in this, and it is that to every longing belong two fundamental bases: the one of them is a quality in him that longs, a kind of relationship with that which is longed for; and the second is a knowledge of the thing longed for, a knowledge of what attaining to it would be like. Then given the quality in which is the longing and given the knowledge of the appearance of the thing longed for, the matter is clear. But if the knowledge of the thing longed for is not given, and the quality of longing is given and the quality moves the

heart and its flame flares up, that entails confusion of mind and bewilderment without fail. If a human being grew up alone so that he never saw the form of women and knew not what sexual intercourse was, and thereafter approached puberty and lust overcame him, verily he would feel in himself the fire of lust, but would not know that he was longing for sexual intercourse, because he did not know what sexual intercourse was and had no experience of the form of women. There is a relationship like this in the soul of the human being with the upper world and the pleasures which ho is promised there at the Lote-tree of the Extremity and in the upper Paradises. Only he cannot imagine these things to himself except as qualities and names, like him who has heard the expression ' sexual intercourse ' and the name ' woman,' but has not seen the form of a woman even, nor the form of a man, nor his own form in a mirror that he might know by analogy. So Hearing moves in him longing, but abounding ignorance and the being occupied with this world have made him forget himself, and have made him forget his Lord, and have made him forget his abiding-place to which is his desire and his longing by nature. Then his heart demands from him a thing he does not know what, and he is confused and bewildered and disturbed like one who is choking, who does not know how to be saved. This, and things like it, belong to the states, a perception of the completeness of the verities of which is not to be attained, and he who is affected by them is not able to give them expression.

The division of ecstasy , into that, which can be made manifest and that which cannot be made manifest is now clear. Then know also that ecstasy is divided into that which itself attacks and that which is forced, and that is called affecting ecstasy. Of this forced affecting of ecstasy there is that which is blameworthy, and it is what aims at hypocrisy and at the manifesting of the Glorious States in spite of being destitute of them. And of it there is that which is praiseworthy, and it leads to the invoking of the Glorious States and the gaining of them for oneself and bringing them to oneself by device ; for the Glorious States may be brought through such gaining for oneself. And therefore the Apostle of Allah commanded him who did not weep at the reading of the Qur'an that he should force weeping and mourning; for the beginning of these States is sometimes forced while their ends thereafter are true. And how should forcing not boo a cause that that which is forced should become in the sequel a matter of nature? Everyone who learns the Qur'an at first memorizes it by force, and recites it by force, in spite of completeness of meditation and presence of intelligence, and, thereafter, that becomes a regular custom to the tongue, so that the tongue runs on through it in prayer, etc. While he who prays is inattentive So, he recites the whole of a Surah, and his soul returns to him after he has arrived at the end and he knows that he has recited it in a state of inattention. And so a writer writes at first with serious application, then his hand accustoms itself to penmanship and writing becomes to him nature. Then he writes many leaves while his heart is engrossed in thinking of something else.

So there is no path to gaining for oneself anything possible for the soul and

the members except by effort and practice at first; and, thereafter, it becomes nature through custom. And that is what is meant by the saying of some, Custom is a fifth humor's Thus it is with the Glorious States. It is not fitting that despair of them should arise when they are lacking, but it is fitting that an effort should be made to acquire them for oneself through Hearing and its like. And, in truth, as to habit, the case has been seen of one desiring to love passionately an individual that at the time he does not love ; then he does not cease repeating the mention of it to himself and keeping his gaze upon it and affirming to himself its amiable qualities and praiseworthy characteristics, until he does love it passionately, and that is fixed in his breast with a fixing that passes beyond the bound of his will. Then he may desire after that to be free of it and cannot get free of it. Like this is the love of Allah Most High and the longing to meet Him and the fear of His anger and other than that of the Glorious States; whenever a man misses them it is fitting that he should apply effort to bring them to himself by companioning with those who are characterized by them, and by witnessing their States and approving of their qualities in the soul and by sitting with them at Hearing and by praying and beseeching Allah Most High that He would grant him that condition through making easy to him its causes. And among its causes are the companionships of the excellent and of those who fear and love and long and of the humble; he who companions with any individual, to him there come qualities of that individual, though from whence he docs not know. And the possibility that love and the rest of the states may result through these causes is indicated by the saying of the Apostle of Allah when he prayed, "O Allah, grant me your love and the love of those that love you and the love of those who bring me near to your love." So he "peace be upon him" in peaking love has sought aid of prayer.

This is an exposition of how ecstasy is divided into revelations and states, and how it is divided into what can be clearly stated and what can not be clearly stated, and how it is divided into what is produced by effort and what is natural.

Then if you say: " What is the mind of those whose ecstasy does not appear at hearing the Qur'an and it is the word of God, but appears at singing, and it is the word of poets? So even if that last is a truth issuing from the benignity of Allah Most High, and is not a lie issuing from the craft of the devil, yet the Qur'an is worthier to cause ecstasy than singing." Then, we say, Ecstasy is truth. It is what grows up out of the abundance of the love of Allah Most High and out of sincerity in desiring Him and in longing to meet Him. That is stirred up by hearing the Qur'an also, and he who is not stirred up by hearing the Qur'an, only loves the creation and loves passionately the created. The saying of Allah Most High indicates that "Those who believe, and whose hearts find satisfaction in the remembrance of Allah: for without doubt in the remembrance of Allah do hearts find satisfaction." (Ar-Ra'd 28).

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾

He further said: "the skins of those who fear their Lord tremble thereat; then their skins and their hearts do soften to the celebration of Allah's praises. Such is the guidance of Allah: He guides therewith whom He pleases, but such as Allah leaves to stray, can have none to guide." (Az-Zumar 23).

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ
وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾

And everything that is experienced as a consequence of Hearing, because of Hearing in the soul, is ecstasy. The resting confidingly and the bristling ,and the fear and the softening of the heart, all that is ecstasy. And Allah Most High said: "The Believers are only those whose hearts dread when Allah is mentioned, and He Almighty said:" Had We sent down this Qur'an on a mountain, verily, you wouldst have seen it humble itself and cleave asunder for fear of Allah. Such are the similitudes which We propound to men, that they may reflect." Al-Hashr 21).

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

So dread and humility are ecstasy on the side of states if not on the side of revelations, but this ecstasy sometimes causes revelations and admonitions. "With regard to this the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Adorn the Qur'an with your voices." And he said with regard to Abu Musa Al-Ash'ari, "Verily, he has been given a pipe of the pipes of the family of Dawud." And the stories indicating- that ecstasy has showed itself in the possessors of hearts at hearing the Qur'an are many. The saying of the Prophet, "The Surah Hiri and those like it have turned my head white," speaks of ecstasy}', for white hair results from sorrow and fear, that is, ecstasy. And it is related that Ibn Mas'ud recited to the Apostle of Allah the Surah of Women, and when he came to where Allah Most High says: "hen how when We bring from every people a witness and bring you against these as a witness?" (An-Nisa' 41)

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾

He said: "That is enough," and his eyes were flowing with tears. And in a tradition stands that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" recited this verse, or it was recited in his presence: "With Us are Fetters (to bind them), and a Fire (to burn them), And a Food that chokes, and a Penalty Grievous." (Al-Muzzammil 12-13)

﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ ﴾

Then he fell fainting. And in a tradition stands that the Messenger of Allah

"Allah's blessing and peace be upon him" recited, if you punish them, they are your servants (Al-Ma'idah 18)

﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ ﴾

Then he wept. And whenever he passed a verse of compassion, he prayed and rejoiced; and rejoicing is ecstasy. And Allah Most High has praised the people of ecstasy in the Qur'an, and He Most High said: and whenever they hear what had been revealed to the Apostle you see their eyes flowing over with tears because of what of the truth they perceive (Al-Ma'idah 83).

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾

And it is narrated that the Apostle of Allah was wont to pray with a boiling in his breast like the boiling of a cooking-pot.

Much is transmitted from the Companions and the Followers concerning ecstasy through the Qur'an. Of them were some who fell swooning, and some who wept, and some who fainted, and some who died in their fainting. It is related that Zurarah Ibn Awfa', and he was one of the Followers, was acting as Imam in Ar-Riqaq, and he recited, Then when there is a sounding on the trumpet (Al-Muddaththir 8)

﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾

And fell fainting and died in his mil) rah-may Allah have mercy on him I and 'Umar heard a man reciting, Verily the punishment of thy Lord surely descends; there is none to keep it back. Then he cried with a great cry and fell fainting, and was carried into his house and ceased not to be seen in his house for a month. And Salih al-Murri recited to Abu Jarir and he sobbed and died. And ash-Shafi'i heard one reciting, this shall be a day when they shall not speak and shall not be permitted to excuse themselves (Al-Mursalat 35)

﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴾

Then he fainted. And 'All Ibn al-Fudail heard one reciting, A day when mankind shall rise up for the Lord of the worlds I and he fell fainting, and al-Fudail said: " May Allah repay thee what He has taught him from thee! "And similar Stories are transmitted from a number of them.

So, too, is the case with the Sufis. One night of Ramadan Ash-Shibli was in his mosque, and he was praying behind an Imam, and the Imam recited, and, verily, if we willed we would bring to thee him whom we inspired (Al-Isra' 86)

﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾

And Ash-Shibli shrieked a great shriek, the people thought that his soul had

fled ; his face grew red, and his shoulder muscles quivered, and he kept saying, " With such words He addresses the beloved," repeating that over and over. And al-Junaid said: "I entered one day to Sari As-Saqati and I saw before him a man who had fainted. Then he said to me, ' This man heard a verse from the Qur'an and fainted.' And I said: 'Recite to him the same verse,' and it was recited and he recovered. So he said: ' How didst thou come to say that?' I said: ' I considered Ya'qub, his blindness was on account of a created thing and through a created thing he saw, and if his blindness had been on account of the truth he would not have seen through a created thing then they approved that." And the saying of the poet points to what al-Junaid said: "And many a cup I drank for the sake of a pleasure; and I cured myself of that pleasure with another cup."

One of the Sufis said: "I was reciting one night this verse, every soul tastes of death? And I kept repeating it over. And lo, the voice of a Latif came to me and said: ' How oft will you repeat that verse? You have killed four of the Jinn; they had not lifted their heads to heaven since they were created.'" And Abu Ali Al-Maghazili said to Ash-Shibli, "Often there strikes my ear a verse from the book of Allah Most High and drags me to turn from this world; then I return to my former states and to mankind, and do not remain in that." Then he said: "What struck your ear out of the Qur'an by which He dragged you to Himself, that was favour from Him to you and benignity on His part towards you, and when He restored you to yourself that was solicitude on His part for you, for it is not well for our but that you should be free from force and compulsion in advancing to Him." And a man of the people of Sufism heard one reciting, O you soul who are at rest, return unto your Lord, well pleased, well pleasing (Al-Fajr 27).

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ﴾

Then he besought the reciter to repeat it and said: "Now often do I say to it, ' Return!' and it does not return!" And he constrained himself to an ecstasy and cried with a great cry, and his spirit departed. And Bakr Ibn Mu'adh heard one reciting, and warn them of the day that hastens on..."(Ghafir 18).

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ ﴿١٨﴾ ﴾

Then he was disquieted and thereafter cried, "Have mercy on him whom you have warned and who did not approach you in obedience after the warning." Then he fainted. And Ibrahim Ibn Adham when he heard one reciting: When the heavens are split (Al-Inshiqaq 1)

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ ﴾

His joints were disquieted to such a degree that he quivered. And it is related from Muhammad Ibn Sabba[h] that he said: "A man was washing in the Euphrates and there passed by him a man on the bank reciting: "And O you in sin! get you apart this Day!" (Ya Sin 59).

﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

Then the man ceased not being disquieted until he sank and died." And it is mentioned that Salman al-Farsi beheld a youth reciting, and he came to a verse and his skin bristled. Then Salman loved him. And he missed him once and asked concerning him, and was told that he was sick. So he went to visit him, and lo, he was at the point of death. Then he said: " O Abu 'Abd Allah, hast thou seen that bristling of the skin which is in me? For it came to me in a most beautiful form and informed me that Allah had pardoned me for it every sin." And, in general, he who has a heart is not free from ecstasy at hearing the Qur'an; for if the Qur'an does not make an impression on it at all, then it is like unto one who cried aloud to what did not hear save a crying and a shouting- deaf, dumb, blind are they, so they understand not (Al-Baqarah 171).

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾

But on him who has a heart a word of wisdom which he hears makes impression. Ja'far Al-Khalil said: " There entered one day to al-Junaid, with whom there was a company, a man of the people of Khurasan, and he said to al-Junaid, ' When are of equal account to a creature he who praises him and he who blames him and one said: 'When he has entered a madhouse and is bound with two chains.' Then said al-Junaid: 'This is not our affair.' Thereupon he turned to the man and said: ' When he is certain that he is created.' Then the man sobbed a great sob and died." And if you say, "But if hearing the Qur'an avails for ecstasy, what is their mind who gather together to hear singing from reciters of poetry instead of reciters of the Qur'an? Their gathering together and throwing themselves into ecstasy ought to be in the circles of reciters of the Qur'an and not in the circles of reciters of poetry. And there ought to be sought by every gathering in every party a reciter of the Qur'an, and not a reciter of poetry, for the word of Allah Most High is, without doubt, more excellent than singing." Then know that singing is more powerful than the Qur'an in arousing to ecstasy for seven reasons. The first reason is that all the verses of the Qur'an do not fit the state of the listener, and are not suited for him to understand and to apply to what is in close connection with him. Then he over whom rules sorrow or longing or regret, how shall he fit to his state the saying of Him Most High, Allah commands you concerning your children, to the male there shall be the like of the share of two females, (An-Nisa' 12)

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾

And so, too, are all the verses in which are expounded the laws of inheritance and of divorce and restrictive ordinances, etc. That which moves the contents of the heart is only what fit it; and poets compose their verses only to elicit by them states of the heart, so that there should be no need, in understanding the state through them, to use force to arouse longing.

It is true that he over whom rules an overwhelming and all-conquering

condition which does not leave room for any other than itself, and he with whom is wide awareness and quick penetration with which he can grasp ideas only suggested by the expressions, in such a case as his, his ecstasy sometimes comes on at anything heard, as in the case of him for whom there came on at the reminder by Allah Most High, Allah commands you concerning your children (An-Nisa' 12 and 175)

﴿ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾

The thought of the condition of death which makes wills necessary, and that there was no escape for any man from leaving his wealth and his children behind him, which are his two beloved things of this world, and leaving one of them to the other and abandoning both of them ; so fear and perturbation overwhelm him. Or, as in the case of him who hears the mention of Allah in His saying, Allah commands you concerning your children, and he is confused by the bare name apart from what is before it and after it, and there comes upon him the thought of the compassion of Allah for His creatures and His solicitude, in that He Himself rules the division of inheritances, to care for them in their life and death. So he says, " Since He cares for our children after our death, then we need not doubt that He will care for us "; so there is aroused from him a state of hope, and that brings after it joy and gladness.

Or, from the saying of Him Most High, to the male there shall be the like of the share of two females, there comes upon him the thought of the pre-eminence of the male in his being a man over the female, and that men whom trading and selling do not divert from the celebration of Allah will have the superiority in the other world, and that they who are diverted by other than Allah Most High from the thought of Allah Most High really belong to the class of women and not to that of men. Then he fears that he may be curtained or kept back in the pleasant abode of the other world, even as the female is kept back in the wealth of this world.

Such as these sometimes move ecstasy, but only in him in who has two qualities; the one of them is a condition, overwhelming, absolute, all - conquering, and the other is an effective penetration and a wide awareness of the utmost and the most complete kind to call attention to ideas hi that are remote through things that are near. And that is of the rarest ; so on that account

recourse had to singing, which consists of expressions fitted to states so closely that the states are aroused as quickly as the expression is heard.

It is narrated that Abu Al-Hussain An-Nuri was with a company in a party, and a question in science was discussed among them, but Abu Al-Hussain was silent. Thereafter he lifted up his head and chanted to them: " Many a cooing pigeon in the early dawn, full of disquietude, has cried among the swaying branches; she remembered a mate and a time of happiness, and she wept for sorrow and aroused my sorrow.

So my weeping often disquieted her and her weeping often disquieted me.

In truth, I would sometimes soothe her yet not make her understand, and she would sometimes complain yet not make me understand; but I, through emotion, made her perceive, and she also, through emotion, made me perceive." '

So he said: and there did not remain one of the people but rose and constrained himself to an ecstasy. And this ecstasy did not result to them from the science in which they were wading, though science is earnestness and truth. And the second reason is that the Qur'an is held by most in the memory and is committed to ears and hearts; and whatever is heard for the first time makes a greater impression on the heart, and on the second repetition its impression is weaker, while on the third its impression almost fails. If the possessor of overpowering ecstasy were to strive to bring on his ecstasy by the use of one verse continually on occasions near to one another, within a day or a week, that would not be possible for him. But if he change that verse for another verse the impression on his heart will be renewed, although the verse may state the same thought. So, if its poetical expression be new as compared with that of the first verse, it will move the soul, although the thought is the same. But the Qur'an reciter is not able to recite a new Qur'an on every occasion and in every party; for the Qur'an is limited and addition to it is not possible, and it is all held in the memory and repeated often. As-Siddiq pointed to what we have here mentioned when he said: on seeing the Arabs arriving and weeping at the bearing of the Qur'an,"We were as you are, but our hearts are hard." Yet think not that the heart of As-Siddiq was harder than the hearts of these rough Arabs, or that it was emptier of the love of Allah Most High and of the love of His word than their hearts, but the repetition upon his heart had produced callousness with, regard to it, and he was slightly impressed by it on account of what had befallen him of familiarity through his much listening. For, on account of custom, it is impossible that a hearer should hear a verse that he had not heard before and should weep, and then should keep on weeping on its account twenty years, and after that time should weep at it on its being repeated, and that the first hearing should not differ from the last except in its being strange and new. To every new thing belongs a pleasure, and to every fresh thing belongs an emphasis, and along with everything to which you are accustomed there is a familiarity which hurts the emphasis, and, therefore, was 'Umar anxious to prevent the people from much circuiting of the Ka'bah, and he said: "I fear that the people will

despise this House," i.e. will be familiar with it. And he who arrives as a pilgrim and sees the House for the first time, weeps and cries out and often faints when his glance falls upon it. And he sometimes remains in Mecca and does not feel a trace of that in his soul. So, then, the singer has at his disposal new verses of poetry for each occasion, but he has not at his disposal for each occasion a new verso of the Qur'an.

The third reason is that measure in language has a power, through poetic taste, of making impression on the soul.

For a pleasant voice with measure is not like a pleasant voice without measure; and measure is what is found in poetry as opposed to verses of the Qur'an. And if the singer were to drag the verse which he is chanting or err in it or turn aside from the limit of that way in the melody, the heart of the listener would be disquieted and his ecstasy and Hearing wasted, and the impression would be scared away on account of the lack of fittingness. And whenever the impression is scared away, the heart is disquieted and distressed. And whenever measure makes an impression, the poetry on that account is pleasant.

The fourth reason is that measured poetry varies as to making impression on the soul with the melodies which are called Tariqahs and Dastanat. And the varying of these Tariqahs is only by extending what is shortened and shortening what is extended, and by pause in the intervals of the words and by cutting short and joining on in some of the words. This changing is allowable in poetry, but in the case of the Qur'an it is only allowable to recite as it was revealed, and shortening and lengthening and pause and cutting off and joining on in opposition to what the recitation requires is forbidden or disliked. So, whenever the Qur'an is read distinctly as it was revealed, there falls away from it that impressiveness the cause of which, is the measure of the melodies ; it is a cause that has absolute power in making impression, even if it do not convey a meaning, just as in the case of stringed instruments and pipes and the other sounds which do not convey a meaning.

The fifth reason is that the measured melodies are helped and strengthened by rhythms and by other measured sounds, apart from those produced by the throat, like the beating of the Qadib and the duff and the rest. For even a weak ecstasy is not aroused except by a powerful cause, and it only becomes strong by a combination of these causes, and each one has a share in the arousing. But it is necessary that the Qur'an should be protected from such companions as these, for their aspect with the majority of people is an aspect of sport and play; but all the Qur'an is seriousness with all people. So it is not allowable that there should be mingled with pure truth what is sport according to the commonalty and the external aspect 'Surah' of which is sport according to the select, although they do not view it from the side of its being sport. Yea, it behooves that the Qur'an should be reverenced and should not be recited on thoroughfares, but in a sitting assembly, and not in a state of sexual impurity, nor in a state of impurity generally. But only those who keep careful guard over their states can attain

perfection with regard, to the inviolability of the Qur'an, and he who cannot claim for himself this careful guard and circumspection turns aside to singing. For this reason beating of the duff along with the reading of the Qur'an is not allowable on a night of marriage. Yet the Apostle of Allah has commanded beating of the duff at a marriage and said: " Proclaim the wedding if it be by beating of tambourine," or some expression of which that is the meaning[5] And that is allowable with poetry as opposed to the Qur'an, and, therefore, when the Apostle of Allah entered the house of Ar-Rubai Bint Mu'awwidh , while girls were with her singing, and he heard one of them say in the course of her singing: "And with us is a Prophet who knows what shall be to-morrow ";

Then he said: "Leave off that and say what you were saying." And what she had said bore witness to his Prophethood, but he rebuked her for that and brought her back to the singing, which is sport; for such hearing of witness is pure seriousness, and so is not to be joined to the aspect of sport. Then, whenever the strengthening of the causes by which Hearing becomes a mover of the heart is hindered for this reason, i.e. in order to preserve the inviolability of the Qur'an, what is incumbent is to turn aside from the Qur'an to singing, even as it was incumbent upon that girl to turn aside to singing from bearing witness to the Prophethood.

The sixth reason is that the singer sometimes sings a verse which does not fit the state of the hearer, so he dislikes it and rejects it and asks another; every saying does not fit every state. But if people agreed at parties upon a reciter of the Qur'an, often he would recite a verse which did not fit their state. Then, since the Qur'an is a medicine for the whole of mankind according to their varying states, so the verses of compassion are a medicine for him who is fearful and the verses of punishment are a medicine for the infatuated and the secure, and to adduce all would be tedious; whenever the hearer is not certain whether what is heard will agree with his state and his soul dislikes it, he encounters through it the danger of disliking the word of Allah Most High, in so far as he does not find a way to put it aside. And that he should guard himself from that danger is the best of good judgment and a necessary conclusion, since he will not find relief from it except by applying it to his condition as it is. And it is not allowable to apply the word of Allah Most High except to what Allah Most High intended, but the saying of a poet it is allowable to apply to other things besides what the poet meant. So in it is the danger of disliking or of erroneous exposition to suit the state, while, on the other hand, it is incumbent to reverence the word of Allah and to guard it from such danger. This is what has been given to me concerning the causes of turning aside on the part of the Sheikhs to hear singing in place of hearing the Qur'an.

Here there is a seventh reason which Abu Nasr as-Sarraj at-Tusi mentioned in defence of this use of poetry. He said: "The Qur'an is the word of Allah and one of His qualities; and it is a truth which humanity cannot comprehend, because it is uncreated, and created qualities cannot comprehend it. If a grain of its meaning and its dignity were unveiled to the hearts of men, they would split and be confused and bewildered. But pleasing melodies stand in a relationship to natural

dispositions, and their relationship is one of fanciful desires and not of necessary desires. And poetry, again, its relationship is that of fanciful desires. Then, whenever the melodies and sounds are joined with what of signs and subtleties are in the verses, the one of them fit the other and becomes still nearer to fanciful desires and lighter upon the hearts of men, because created is joined to created. Thus, so long as humanity remains, and we through our qualities and fanciful desires take pleasure in mournful tunes and pleasing sounds, our being open and unreserved, for the sake of witnessing the enduring of these fanciful desires towards poems, lies nearer than our being open and unreserved towards the word of Allah Most High, which is His quality and His word, from Him took beginning and to Him This is the sum of his meaning and of his returns.' defence.

It is narrated from Abu Al-Hassan Ad-Darraj that he said: " I travelled from Baghdad to Yusuf Ibn al-Hussain Ar-Razi to visit him and salute him. And when I entered Ar-Rayy I kept asking about him, and everyone whom I asked about him said: 'What will you with that unbeliever? ' And they straitened my breast until I determined to depart. Then I said within myself, 'I have travelled all this road and I will not make little of seeing him.' So I did not cease asking about him until I came upon him in a mosque; he was sitting in the Mihrab with a man before him, and in his hand was a copy of the Qur'an and he was reading. And lo, he was an old man, comely and handsome of face and beard. Then I saluted him, and he turned to me and said: 'From where have you come?' And I said: ' From Baghdad.' Then he said: ' And what brought you? ' And I said: " I have travelled to you to salute you.' And he said: 'If in one of those countries a man had said to you, "Abide with us until we buy you a house or a slave-girl," would that have withheld you from coming?' Then I said: ' Allah did not try me with anything of that kind, and if He had tried me I do not know how it would have been.' Thereupon he said to me, 'Art thou able to repeat anything?' I said: 'Yes,' and he said: ' Give us it.' Then I began saying: ' I saw thee acting constantly in opposition to me, and were you prudent, thou would have destroyed what you were doing.

It is as though I perceived you, with "would that" as your most excellent saying; you were saying, " Oh would that we were I " when "would that" does not avail's [a] Then he closed the copy of the Qur'an and ceased not weeping until his beard and dress were wet, and I had compassion on him for his much weeping. Thereupon he said: ' O my little son, do you blame the people of Ar-Rayy saying, "Yusuf is an unbeliever "? That I am. From the prayer of early dawn I have been reading in the Qur'an and there has not fallen from my eyes a drop, but the resurrection has come for me at these two lines.'" So then, although the hearts of men are inflamed with the love of Allah Most High, yet a. new verse will rouse from them what the recital of the Qur'an does not rouse. That is because of the measure of the poetry and its being in accord with natural qualities ; and it is because of its being in accord with natural qualities that human beings have the power of composing poetry. But the composing of the Qur'an lies outside of the paths and the track of speech, and, on account of that, it is a miracle which does

not enter into the power of human beings because of its not being in accord with their nature[15] It is related that a man came in to Israfil the teacher of Dhun-Nun al-Misri, and saw him writing on the ground with his finger and singing a verse of poetry. Then Israfil said: "Do you think it right to sing anything?" He said: No, Israfil." He who has a heart and experiences its natural quakes knows that verses of poetry and mescal tones move it with moving as is not encountered through other things than them; and so he imposes upon themselves the method of moving his heart either by his own voice or that of another.

We have now given the rule of the first stage concerning understanding what is heard and applying it; and also the rule of the second stage concerning the ecstasy which is encountered in the heart; so let us now give what of it oozes to the outside, consisting of cries and weeping and movements and rending of clothes, etc. So we say

The Third Stage of Hearing Music and Singing

We will give in it the laws of good conduct related to the hearing of music and singing internally and externally, and what of the traces of ecstasy is praised and what is blamed. The laws of good conduct are five. The first is showing regard for time, place, and company. Al-Junaid said: " Hearing has need of three things, and if they are not there, then do not hear; time, place, and company," His meaning is that there is no advantage in being occupied with Hearing on an occasion when food is present, or on an occasion of discussion or of prayer, or of anything that turns away from emotion of the heart. This is the meaning of showing regard for time; the hearer shows regard for his condition of emptiness as to the heart. And as for place, sometimes it is the beaten highway or a place whoso appearance is disliked or where there is some cause which distracts the heart; so he avoids that. And as for the company, its cause is that, whenever there is present one of a different nature, who dislikes Hearing, externally a devotee, poor in the subtle ties of hearts, he is found burdensome to the assembly and the heart is occupied with him. And so, too, when there is present one of the people of this world who magnifies himself, of whom a care must be taken and to whom regard must be shown; or one of the people of Sufism who strains and feigns ecstasy, being hypocritical in ecstasy and in dancing and in tearing of clothes. All these things are disturbing, and it is fitter that the Hearing should be abandoned in the case of the lack of these three conditions.

The conditions just mentioned are to be considered by the listener; but the second law is a matter to be considered by those who are present. It is that the Sheikh, whenever "beginners seekers (for the hereafter) are around him whom Hearing hurts, ought not to listen in their presence, and if he listens, let him. Occupy them in Borne other way. The beginner who is hurt by singing is one of three. The lowest of them in rank is he who does not attain in the Path except to external works, and who has no taste for Hearing. So his "being occupied with Hearing is his being occupied with what he does not know. For he is not of the people of sport that he should sport, nor of the people of taste that he should

enjoy himself in Hearing; so let him be occupied in praising and service, otherwise his time is wasted. The second is he who has taste for Hearing, but in him is a remainder of the fanciful desires and a turning to lusts and fleshly qualities, and he is not yet subdued with such a subduing that there is safety from his wickedness. Then, often, Hearing summons in him sport and lust; and so his path is cut off, and his way to perfection is barred. The third is that his lust should have been broken and there be safety from his wickedness, and his perception have been opened and the love of Allah Most High rule over his heart; but he be not wise in the external part of science, and does not know the names and the qualities of Allah Most High and what is allowable with regard to Him and what is impossible. Then, whenever the gate of Hearing is opened he applies what is heard to what is allowable and to what is not allowable with regard to Allah Most High; so his hurt from such thoughts as are unbelief is greater than his advantage from the Hearing. Sahl said: "Every ecstasy to which the Book and the Sunnah do not witness is false." And for such a one as this, Hearing is not good, nor for him whose heart is yet soiled with the love of this world and the love of praise and glory, nor for him who listens for the sake of the pleasure and to find delight in the impression. Then that becomes a custom to him and diverts him from his religious duties and from regard for his heart; and his path is cut off. So Hearing is a slippery place for the foot; from it the weak should be kept. Al-Junaid said: "I saw Iblis in sleep and said to him, ' Dost thou gain the mastery over any of our comrades in anything?' He said: ' Yes, on two occasions; on occasion of Hearing and on occasion of theological speculation for I go in to them thereat.'" Then said one of the Sheikh "If I had seen him I would have said to him, ' How foolish thou art! One who hears from Him when He hears, and speculates about Him when he speculates, how canst thou gain the mastery over him? Then said al-Junaid, "Thou hast spoken truth." The third law is that he should be attentive to what the speaker says, present in heart, turning aside little, guarding himself from gazing upon the faces of those who are listening and upon what they exhibit of states of ecstasy, absorbed in himself and in the guarding of his own heart and in the treasuring of what God Most High opens to him of His mercy' in his secret heart, keeping himself from a movement that would disturb the hearts of his comrades. He should be in external rest, still in his extremities, holding himself from coughing or yawning. And he should sit with bent head as he would act in thought that absorbed his heart, restraining himself from hand - clapping and leaping and the rest of the movements used to work tip the emotions and make a hypocritical show, silent in the intervals of the recitation from such conversation as can be avoided. Then if ecstasy overcomes him and moves him without his volition, ho is excusable in regard to it and not blameworthy. But whenever volition returns to him let him return to his stillness and to his repose; it is not incumbent on him that he should seek to prolong his ecstasy out of shame, lest it should be said: "His ecstasy was soon cut short," nor that he should constrain himself to an ecstasy, out of fear, lest it should be said: " He is hard of heart, lacking in purity and softness." It is

related that a youth used to accompany al-Junaid, and whenever he heard aught of the mention of Allah ho would cry out. Then al-Junaid said *to* him, "If you do that another time, you shall not accompany me." And thereafter be kept putting pressure upon himself until from every hair of him there would drip a drop of water, and he did not cry out. And it is related that lie choked one day through the force of the pressure upon him and sobbed a single sob, and his heart broke and he died.

It is narrated on tradition that Jufisa was telling traditional stories among the children of Israel, and one of them rent his dress or his shirt. And Allah Most High revealed to Musa, "Say to him, Rend for me tire heart and rend not your dress. Abu Al-Qasim an-Nasrabadhi said to Abu 'Amr Ibn Najid, " I say that whenever the people gather together, und there is with them a reciter of poems who recites, it is better for them than that they should talk slander." Then said Abu 'Amr, " Hypocrisy in regard to Hearing-and it is that you should show in yourself a state that is not in you- is worse than that you should talk slander thirty years or thereabouts." And if you should say, " Is the more excellent he whom Hearing does not move and upon whom it does not make ;in impression or lie upon whom it appears? " Then know that the lack of external appearance is at one time on account of weakness of the visitant that springs from Hearing and that is defeat; and at another time it is in spite of strength of ecstasy, but motion does not appear on account of perfect strength, in control of the limbs, and that is perfection. And, at another time, it is on account of the state of ecstasy inhering in and being part of all the states. Then an increase of impression does not show itself on occasion of Hearing, and that is the utmost degree of perfection. For the ecstasy of him who has ecstasy in most states do not last, but he who is in ;I lasting ecstasy is applying himself assiduously and constantly to the Truth, and is clinging to the essence of Witnessing, Then such a one the occurrence of the states does not change.

It is reasonable to suppose that what is pointed to in the saying of As-Siddiq, " We were like you; then our hearts became hardened," is our hearts became powerful and were strengthened, and became able to cling constantly to ecstasy in all states while we are hearing the thoughts of the Qur'an continually; and the Qur'an is not new with, regard to us nor fresh upon us so that we should be affected by it. So, then, the force of ecstasy moves the external manifestations, and the force of reason and self-restraint controls them, and sometimes the one of them overcomes the other either on account of the vehemence of its force or on account of the weakness of what opposes it, and it is defeat or perfection in accordance with that. Then think not that he who throws himself upon the ground in agitation is more perfect as to ecstasy than he who is still and does not agitate himself; yea, often he who is still is more perfect as to ecstasy than he who is in agitation.

Al-Junaid was wont to be moved through Hearing; then he came not to be moved, and people spoke to him about that. He said: "And you see the hills, you think them firm, but they shall pass away even as the clouds pass away, a work of

Allah who has made everything perfect" (An-Naml 90).

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾

This points to the fact that the heart may be agitated, circling in the invisible world, and the limbs externally well disciplined and at rest. Abu Al-Hassan Muhammad Ibn Ahmad said-he was in al-Basra-"I companied with Sahl Ibn 'Abd Allah sixty years, and I never saw him change at a thing which he heard of mention of Allah or from the Qur'an. And when he was at the end of his life a man recited before him, And on that day there shall not be taken a ransom from you..." (Al-Hadid 15).

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

Then I saw him tremble and almost fall and when he returned to himself I asked him about that. And he said: 'Yes, my beloved, we have grown weak.' And so, too, one time he heard the saying of Him Most High," The kingdom on that day shall verily belong to the Compassionate One" (Al-Furqan 26).

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴿٢٦﴾﴾

Then he was agitated. And Ibn Salim one of his companions, questioned him, and he said: 'I have grown weak.' Then they said to him, 'If this springs from weakness, what is strength of state?' He said: 'That there should not come upon one a visitant without his meeting it with the strength of his state; then the visitants do not change him, although they are powerful." And the cause of that strength in controlling the external parts in spite of tile presence of ecstasy, is equality of the states in constant clinging to witnessing; as it has been related concerning Saul that he said: "My condition before prayer and after it is one"; for he regarded the heart present in recollection with Allah Most High in every state.

Thus he was before Hearing, and after it, since his ecstasy was abiding and his thirst enduring and his drinking continuous, inasmuch as Hearing had no effect in increasing his ecstasy, like as it is related that Mimshadh Ad-Dinawri came upon a company, among who was a reciter of poems, and they became silent. But he said: "Return to what you were about, for even though you gathered all the musical instruments of the world in my ears, my meditation would not be disturbed, nor would aught appear of what is in me." And al-Junaid said: "Defect of ecstasy does not hurt when there is abundance of science, and abundance of science is more powerful than abundance of ecstasy." But, if you say, "Why does such a one as this attend Hearing?"

It should be known that some of these abandoned Hearing in the perfection of their strength, and were wont to attend only occasionally in order to assist one of the brethren and to cause joy to enter his heart. And often he would attend that the people might perceive the completeness of his power and know that

completeness is not in external ecstasy; then that they might learn from him the control of the external through application, though they might be unable to imitate him in his becoming a model to them. And if their being present fell with other than people of this kind, they were with them with their bodies, but distant from them with their hearts and what is within ; just as they might sit, apart from Hearing, with other than their kind for accidental causes which required such sitting with them.

Then some copied from these the abandoning of Hearing, thinking that the cause of their abandoning it was that they were able to do without it through what we have mentioned. And some of them belonged to the ascetics, and had no spiritual part in hearing, and were not of the people of sport, and so abandoned it. They might not be distracted through what did not concern them. And some abandoned it for lack of brethren. It was said to one, "Why do you not hear?" He said: "From whom and with whom?" The fourth law is that he should not rise up or raise his voice in weeping while he is able to restrain himself. Yet if he dance or force weeping, that is allowable whenever he does not intend hypocrisy by it; for forcing weeping induces grief and dancing is a cause of joy and liveliness. And the moving of every allowable joy is permissible ; if it were unlawful 'A'ishah would not have looked on at the Abyssinians with the Apostle of Allah while they were ' kicking out.' That is 'A'ishah's expression in some traditions, and it has been handed down from a number of the Companions that they hopped when a joy befell them which called for that. It is in the story of the daughter of Hamzah when there disputed about her 'All Ibn Abu Talib and his brother Ja'far and Zaid Ibn Harithah, and they contended together jealously as to rearing her. Then the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to 'All, "Thou art of me and I am of thee," and 'All hopped; and he said to Ja'far, " You resemble me outwardly and inwardly," and he hopped behind the hopping of 'All; and he said to Zaid, " Thou art our brother and our freedman," and he hopped behind the hopping of Ja'far. Then the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: " She belongs to Ja'far, for her maternal aunt is his wife, and the maternal aunt is the same as the mother," And in a tradition it is said that he said to 'A'ishah, " Wouldst thou like to look at the kicking out?" and 'kicking out' and ' hopping' are dancing. And that takes place on account of a pleasure or a yearning, and the law applicable to it is the law applicable to that which rouses it. If the pleasure which causes dancing is praiseworthy, and the dancing increases and strengthens it, then the dancing is praiseworthy, And if the one is permissible, then the other is permissible, and if blameworthy, blameworthy. Yet it is true that the practice of dancing does not befit the station of notable people or people who set an example, because, for the most part, it springs from sport and play, and that which has the aspect of play and sport in the eyes of the people should be avoided by him whose actions are imitated in order that he may not become small in the eyes of the people and they should leave off imitating him.

As to the tearing up of garments, there is no indulgence for it except when the matter passes beyond the control of volition. It is reasonable to suppose that ecstasy may overcome one so that he will tear his garment and yet not know it from the force of the intoxication of ecstasy which is on him. Or he may know it, but he is like one who is constrained and unable to control himself. Then he presents the appearance of one who is forced to do a thing though disliking it; since there is for him in moving or tearing a means of taking breath, and he is forced to it as a sick man is forced to groan. And though he was to impose patience upon himself as to it, he would not be able to control it in spite of its being a free-will action. For man is not able to abandon every action whose occurrence depends upon intention; taking breath is an action whose occurrence depends upon intention, but if a man imposed upon himself that he would hold breath, he would be compelled from within him to will taking breath. So, too, is crying out; and tearing of garments sometimes happens in this way ; then it is not to be described as forbidden. They spoke in the presence of as-Sari of the occurrence of extreme overwhelming ecstasy, and he said: " Yes, the face of one may be struck with a sword and he not know it." Then they disputed with him about it and found it strange that ecstasy should reach such a point, but he persisted and would not abandon his view that in some states this point was sometimes reached by some individuals.

If you ask: Then what do you say as to the tearing of new garments on the part of Sufis after the ecstasy has subsided and the Hearing is over, for they tear them in little pieces and distribute them to the people and call them pieces of cloth? " ' Know that that is permissible whenever it is torn into square pieces useful to patch garments and prayer- carpets for the piece of cloth is torn up that the s*hirt* may be sewn together from it. And that is not waste, for it is tearing for a purpose. So, too, the patching of garments is only possible by means of little pieces, and that is an object; and the dividing to the multitude that the benefit may be general is an allowable object. Every king is required to divide his garment into one hundred pieces and give to one hundred poor people, but it is necessary that the pieces shall boo such that they can be made useful in patching. And in Hearing we prevent only that tearing which spoils the garment, destroying part of it so that it does not remain capable of use. That is pure waste, and is not lawful when it happens by free will.

The fifth law of good breeding is agreement of the people in rising up when one of them rises up in a true ecstasy without hypocrisy and strives ; or rises up by choice without exhibiting ecstasy, and the company rises up to him.For there, must be agreement because agreement belongs to the laws of comradeship. So, too, if it is the custom of a party to throw off the turban in agreement with him who is in ecstasy whenever his turban falls off, or to pull off garments whenever his garment has fallen off him through tearing, then agreement in these things belongs to good comradeship and social intercourse, since disagreement is churlishness and every people has a usage of its own. We must "consort with

people according to their qualities"-as has come down in the tradition-especially when they are qualities containing good-fellowship and courteous treatment and soothing of the heart with help. And someone may say, "Lo, that is a religious innovation; the Companions did not do so." But everything judged allowable is not derived from the Companions. What is to he guarded against is committing an innovation which abandons a Sunnah handed down from one to another; but forbidding a thing is not to be deduced from this. Rising up on the entrance of anyone was not a custom of the Arabs; yea, the Companions did not rise up for the Apostle of Allah under some conditions, as Anas has narrated. But since there is not established a general prohibition of it, we do not see any harm in it in those countries where it is a custom to honour him who enters by standing up; for its object is to show respect and to honour and to soothe the heart. So, too, it is with the other kinds of help when they have as object to soothe the heart and are adopted as usage by a company of people. Then there is no harm in their helping in these; yea, the best of things is help, except in a thing with regard to which there has come down a direct prohibition, insusceptible of explanation.

It belongs to good breeding that no one should arise to dance with people if his dancing is considered sluggish and inert, lest he should disturb their states for them. For dancing without ecstasy is allowable, and a striver to show ecstasy is one in whom the trace of straining is evident to the company. And in the case of him who rises up in sincerity, whom you would not think sluggish and inert in nature, the hearts of those present, if they are possessors of hearts, are a touchstone of sincerity and of straining. One of them was asked concerning sound ecstasy, and he said: "Its soundness is the acceptance of it by the hearts of those present when they are likes and not opposites." ' Then if you say, " But what about that disposition which turns aside from dancing, does it rush erroneously to its opinion that dancing is lying, vain, and contrary to the Faith, while he that is vehement in the Faith never sees dancing without blaming it?" then know that there is no vehemence that is greater than the vehemence of the Apostle of God, and he saw the Abyssinians kicking out in the Mosque and did not blame what they were doing, because it was at a suitable time, that is, a time of Festival, and on the part of suitable individuals, that is, Abyssinians.

It is true that some dispositions turn aside from it, because it is seen for the most part in combination with vanity and play, and vanity and play are allowable, but only for the common people of Negro and Abyssinians and their like, while they are disliked in those who are notable people because they do not befit them. But it is not lawful to describe as forbidden what is disliked because it does not befit the position of a person of note.

If one asked a poor man for something, and he gave him a cake of bread, that would be a praiseworthy gift; but if he asked a king and he gave him a cake of bread or two cakes of bread, that would be blameworthy in the sight of all men and would be written in books of history as of the number of his evil deeds, and his posterity and adherents would be upbraided with it. But, in spite of that, it is

not lawful that what he did should be forbidden, since he, inasmuch as be gave bread to the poor man, was beneficent, but inasmuch as, in relation to his position, it was like refusing in relation to the poor man, his action is to be considered vile. So, too, it is with dancing and the class of permissible things that follow the same rule. "The permissible deeds of common people arc the evil deeds of pious people, and the good deeds of pious people are the evil deeds of archangels," ' But this is when we take account of relationship to different positions, and whenever the thing is looked at it in itself, the sentence must be passed that in it, as it is in itself, there is nothing forbidden-and Allah knows best.It follows from all that has preceded sections, that listening to Music and Singing is sometimes absolutely forbidden and sometimes permissible and sometimes disliked and sometimes to be loved. It is forbidden to the most of mankind, consisting of youths and those whom the lust of this world controls so that Music and Singing arouse in them only that which has control of their hearts, consisting of blameworthy qualities And it is disliked with reference to him who, it is true, does not apply it to the form of created things, but in whose case a habit, which he has, leads him on most occasions to the path of vain sport. And it is permissible with reference to him who has no delight in it except the taking pleasure in beautiful sounds. And it is loved with reference to him whom the love of Allah Most High controls and in whom Music and Singing arouse only praiseworthy qualities. Praise be to Allah alone, and His blessing be upon Muhammad and his Family!

Book nine: Enjoining good and forbidding evil

It is the ninth book of the quarter of customs of life

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

Praise be to Allah with praising Whom the books are started, and by virtue of His Bounty all favours and graces are given; and Allah's blessing and prayer be upon the chief of all the Messengers and Prophets, Muhammad, the Messenger and servant of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" , and upon his good family and pure companions who came after him.

To go further: the matter of enjoining right and forbidding evil is the greatest fundament of religion, and it is the most important task and mission for which all the Prophets and Messengers were sent by Allah Almighty. Had it been neglected and work and acting upon it left, surely, Prophethood would have been rendered idle, religion would have disappeared, pre-Prophetic age would have encompassed all the world with transgression, mischief and error would have prevailed, ignorance would have become widespread, corruption would have dominated, violation of good manners and conduct would have controlled, the world would have been ruined and the people would have been given to wholesale destruction, without making sense to such destruction and ruin until the Day of Judgement.But, unfortunately, what we feared has really been. We all to Allah to Whom we shall return. Both work and knowledge of that great pole have disappeared, and its reality has been obliterated, with the result that flattery of the creatures prevailed over the hearts, on the exclusion of the observation of the Creator, and the people went on following whims, inclinations and desires without ability to have control over themselves in the same way as animals and beasts are. There is hardly on earth a faithful sincere believer, who fears not, for the sake of Allah, the blame of a blamer. So, whoever endeavours to avoid that pre-Prophetic period, fill that large gap, either by acting upon it, or executing its principles, renewing its ways, and undertaking its burdens, and giving life to it, he will be, from amongst all the people, have given life to a way that has been obliterated across time, and come close to Allah with an act of worship that is superior to all other acts of worship. For this reason, we are going, Allah Willing, to explain in detail the knowledge thereof in four chapters:

The first chapter pertains to the obligation and merit of enjoining good and forbidding evil.

The second chapter pertains to the principles and conditions of enjoining good and forbidding evil.

The third chapter pertains to its ways and showing the evildoings among the customs and habits.

The fourth chapter pertains to commanding rulers and governors to do good and forbidding them to do evil.

CHAPTER ONE:
OBLIGATION AND MERIT OF ENJOINING GOOD AND FORBIDDING EVIL; AND CONDEMNATION OF NEGLIGENCE AND INDULGENCE IN IT

The evidence in support of it is taken from the consensus of the nation on the one hand, and the acceptance of the sound minds on the other hand. But before all of that, traditional evidence is taken from the Qur'an and Hadith. A mention may be made here of the following:

In regard to the Qur'anic Verses, they go as follows:

Allah Almighty says: "Let there arise out of you a band of people inviting to all that is good, enjoining what is right, and forbidding what is wrong: they are the ones to attain felicity." (Al Imran 104] this Holy Verse shows from the command "let arise out of you" the obligation of enjoining right and forbidding evil. It also shows that whoever does so shall attain felicity. It confirms that it is a collective duty and not a duty that is binding upon everyone in the nation. This is shown from His phrase: "Let there arise out of you a band", and this means that if it is undertaken by one or a group of the nation, it will lapse from the remaining people. The attainment is limited to those who undertake it. But if all the people fail to do it, the difficulty will encompass those who have the power to do it.Allah further says: "Not all of them are alike: of the People of the Book are a portion that stand (for the right); they rehearse the Signs of Allah all night long, and they prostrate themselves in adoration. They believe in Allah and the Last Day; they enjoin what is right, and forbid what is wrong; and they hasten (in emulation) in (all) good works: they are in the ranks of the righteous." (Al Imran 113-114)

﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾

يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ

وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾

He did not bear witness to their righteousness only by virtue of their faith in Allah and the Last Day: but besides, by virtue of their enjoining right and forbidding evil.

Allah Almighty also says: "The Believers, men and women, are protectors, one of another: they enjoin what is just, and forbid what is evil: they observe regular prayers, practice regular charity, and obey Allah and His Messenger. On them will Allah pour His Mercy: for Allah is Exalted in power, Wise." (At-Tawbah 71)

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ

ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

In this Holy Verse, Allah ascribes to the believers the characteristic of

enjoining right and forbidding evil. This means that those who abscond enjoining right and forbidding evil do not belong to the faithful believers described here in that Holy Verse.

Allah further says: "Curses were pronounced on those among the Children of Israel who rejected Faith, by the tongue of David and of Jesus, the son of Mary, because they disobeyed and persisted in Excesses. Nor did they (usually) forbid one another the iniquities which they committed: evil indeed were the deeds which they did." (Al-Ma'idah 78-79)

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

However, this is the most aggravation of their punishment, for He Almighty tells that they are worthy of curse for their leaving (enjoining right and) forbidding evil.

Allah Almighty further says in this issue: "You are the best of Peoples, evolved for mankind, enjoining what is right, forbidding what is wrong, and believing in Allah. If only the People of the Book had Faith, it were best for them: among them are some who have Faith, but most of them are perverted transgressors." (Al Imran 110) this indicates the superiority of enjoining right and forbidding evil, for He shows that it is with this merit that they were the best nation to be produced of mankind.

Allah Almighty also says in that respect: "When they disregarded the warnings that had been given them, We rescued those who forbade evil; but We visited the wrong-doers with a grievous punishment, because they were given to transgression." (Al-A'raf 165)

﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَئِيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾

In this Holy Verse, He Almighty shows that they attained salvation only for they used to forbid evil. This is an indication of the obligation of enjoining right and forbidding evil.

Allah Almighty says too: "(They are) those who, if We establish them in the land, establish regular prayer and give regular charity, enjoin the right and forbid wrong: with Allah rests the end (and decision) of (all) affairs." (Al-Hajj 41)

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾

Allah Almighty in this Holy Verse combines enjoining right and forbidding evil with establishing obligatory prayer and practicing regular charity in description of the righteous and faithful believers.

Allah also says in confirmation of that: "Help you one another in righteousness and piety, but help you not one another in sin and rancour: fear Allah: for Allah is strict in punishment." (Al-Ma'idah 2)

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾

Allah here gives His command to the believers to urge one another to do good, and facilitates the ways to it, and close the gates that lead to evil and transgression, as much as is within their capacity.

Allah Almighty says too: "Why do not the Rabbis and the doctors of Law forbid them from their (habit of) uttering sinful words and eating things forbidden? Evil indeed are their works." (Al-Ma'idah 63)

﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

In this Holy Verse, He Almighty shows hat they became sinful for their leaving the matter of forbidding evil.

Allah Almighty further says: "Why were there not, among the generations before you, persons possessed of balanced good sense, prohibiting (men) from mischief in the earth, except a few among them whom We saved (from harm)? But the wrong-doers pursued the enjoyment of the good things of life which were given them, and persisted in sin." (Hud 116)

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾

He Almighty shows that He destroyed all of them except a very few, who used to forbid mischief in the land.

Allah Almighty says too: "O you who believe! stand out firmly for justice, as witnesses to Allah, even as against yourselves, or your parents, or your kin, and whether it be (against) rich or poor: for Allah can best protect both. Follow not the lusts (of your hearts), lest you swerve, and if you distort (justice) or decline to do justice, verily Allah is well-acquainted with all that you do." (An-Nisa' 135)

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾

This is, to be sure, to enjoin right upon one's parents, kinship, etc.

Allah Almighty further says: "In most of their secret talks there is no good; but if one exhorts to a deed of charity or justice or conciliation between men,

(secrecy is permissible): to him who does this, seeking the good pleasure of Allah, We shall soon give a reward of the highest (value)." (An-Nisa' 114)

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾

He also says: "If two parties among the Believers fall into a quarrel, make you peace between them: but if one of them transgresses beyond bounds against the other, then fight you (all) against the one that transgresses until it complies with the Command of Allah; but if it complies, then make peace between them with justice, and be fair: for Allah loves those who are fair (and just)." (Al-Hujurat 9)

﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾

Reconciliation here means to forbid transgression and restore to compliance and obedience. But if there is no response, then, Allah Almighty commands to fight the disobedient as shown from the Holy Verse. This is, to be sure, the forbidding of what is evil.

In regard to the Prophetic narrations, a mention might be made of the following:

It is narrated on the authority of Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" that he addressed the people in his may Allah have mercy upon him he said: "O people! You recite the following Verse that you understand improperly: "O you who believe! Guard your own souls: if you follow (right) guidance, no hurt can come to you from those who stray. The goal of you all is to Allah: it is He that will show you the truth of all that you do." (Al-Ma'idah 105)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

(This narration is reported by those of Sunan). I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" having said: "No people commit sins and among them there is such as has power to disapprove their acts and he does not do, but that Allah Almighty is about to encompass them with punishment from Himself."

It is narrated on the authority of Abu Umayyah Ash-Sha'bani that he said: I came to Abu Tha'labah Al-Khushani and asked him: "How do you do concerning this Holy Verse?" he said: "Which Verse do you mean?" I said: "Allah's saying: "O you who believe! Guard your own selves! If you follow (right) guidance, no hurt can be caused to you by those who stray."" He said: "No

doubt, you've found one so much experienced and well-versed (to tell you about it). I asked about it The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", thereupon he said to me: "You should keep enjoining what is good upon one another, and forbidding one another to do evil until when you see niggardliness being prevalent, the own desires and inclinations being followed, the world being given preference (over the hereafter), and everyone having an opinion will come to admire his own opinion, then, you just have to protect your own soul, and let the laymen, for there will be days to come upon you, on which whoever patiently perseveres (on sticking to his faith) will be like the one grasping a piece of fire (in his hand), and whoever works (righteousness) will have a reward like the reward of fifty workers who work as your work." It was said to him: "O Messenger of Allah! (A reward like) the reward of fifty men among us or among them?" on that he said: "No, (a reward like) the reward of fifty men among you, for you find such as help you do good, whereas they find none to help them do good."

When Abdullah Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" was asked about the interpretation of that Holy Verse, i.e. Allah's statement: "O you who believe! Guard your own selves! If you follow (right) guidance, no hurt can be caused to you by those who stray" (Al-Ma'idah 105)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴿١٠٥﴾ ﴾

He said: "This is not the time intended by it. Today, it is acceptable (to enjoin right and forbid evil), but a time is about to come upon you, in which if you enjoin right or forbid evil, you will be exposed to punishment, and if you say, your advise will not be accepted. At that time, you should just safeguard yourselves, and no harm shall you receive from those who stray, if you are guided aright."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "You should enjoin right and forbid evil, otherwise, Allah Almighty will invest the evil among you with authority over you, and when the good among you invoke (Allah), their invocation will receive no answer." (This narration is reported by Al-Bazzar on the authority of Umar Ibn Al-Khattab; At-Tabarani on the authority of Abu Hurairah; and At-Tirmidhi on the authority of Hudhaifah). It means that their dignity will lapse from the eyes of the evil among them who, in turn, shall have no respect for them.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "O people! Allah Almighty says that 'You should enjoin right and forbid evil before a time comes that when you invoke (Allah) your invocation shall receive no answer.'" (This narration is reported by Ahmad and Al-Baihaqi on the authority of A'ishah; and Ibn Majah without attributing it to Allah Almighty). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "All deeds of dutifulness in comparison with Jihad in the Cause of Allah is like a drop of water in a vast deep ocean; and all the deeds of dutifulness and Jihad in the Cause of

Allah Almighty in comparison with enjoining right and forbidding evil are like a drop of water in a vast deep ocean." (The first portion is reported by Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Jabir, and the last portion by Ali Ibn Ma'bad on the authority of Yahya Ibn Ata').

It is narrated on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri that he said: I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" having said: "On the Day of Judgement, Allah will ask the servant, until He will say to him: "What prevented you from rejecting what is evil?" if Allah dictates the argument to a servant, he will come to say: "O Lord! I've expected for Your (Mercy and Generosity) and (at the same time) I was afraid of the people." (This narration is reported by Ibn Majah).

It is further narrated on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him" that he said: The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Beware! Avoid sitting on the roads." The people said: "There is no way out of it since these are our sitting places where we have talks." The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If it is necessary for you to sit there, then you must observe the rights of the road." They asked: "What are the rights of the road?" He said: "They are to lower your gazes (on seeing what is unlawful to look at), refrain from harming people, return back greetings, advocate good and forbid evil." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "All words of mankind are reckoned against him, except in case of enjoining right, forbidding evil and celebrating Allah Almighty." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, Allah Almighty does not punish the private (among worshippers) for the sins of the laymen until evil is seen prevalent among them, and although those (private people) have power to disapprove it, they do not disapprove it." (This narration is reported by Ahmad on the authority of Adi Ibn Amr; and At-Tabarani on the authority of Al-Urs Ibn Amr).

It is narrated on the authority of Abu Umamah Al-Bahili "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "What would you do when a time comes upon you that your women would prevail over you, your youth would become dissolute, and you would leave Jihad in the Cause of Allah?" they said: "Would that come to be O Messenger of Allah?" he said: "Yes, by Him in Whose Hand is my soul, and more terrible than it (will come to be)." They asked: "What is that O Messenger of Allah?" he said: "What would you do when a time comes upon you that you will not enjoin right nor forbid evil." "Would that come to be O Messenger of Allah?" he said: "Yes, by Him in Whose Hand is my soul, and more terrible than it (will come to be)." They asked: "What is that O Messenger of Allah?" he said: "What would you do when a time comes upon you that you will see right to be disapproved (by your people) and the evil accepted (by them)?" "Would that come to be O Messenger of Allah?" he said: "Yes, by Him in Whose Hand is my

soul, and more terrible than it (will come to be)." They asked: "What is that O Messenger of Allah?" he said: "What would you do when a time comes upon you that you enjoin evil and forbid right?" "Would that come to be O Messenger of Allah?" he said: "Yes, by Him in Whose Hand is my soul, and more terrible than it (will come to be). Allah Almighty tells that 'I took oath that I shall put them to affliction in which the most forbearing among them would be given to confusion.'" (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya).

It is narrated on the authority of Ikrimah from Ibn Abbas "Allah be pleased with them" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Do not stop near a man who is killing another wrongfully, for the curse descends upon those who are present and do not defend him; and do not stop near a man who striking another wrongfully, for the curse descends upon those who are present and do not defend him." (This narration is reported by At-Tabarani and Al-Baihaqi). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It is not befitting for a man who attends a situation in which right is required and does not tell the truth regarding it, for in no way would his speech hasten on his death, nor would it deprive him of sustenance that is doomed to him." (This narration is reported by Al-Baihaqi on the authority of Ibn Abbas). (According to the narration of At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Abu Sa'id, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A man's fear of people should not hinder him from telling the truth in case he knows it.")

This narration gives evidence for the fact that it is impermissible to enter the houses of injustice and dissoluteness or attend in the places where evil is practiced, as long as one has no power to change it, for in this case curse shall touch him. Furthermore, it is impermissible for him to witness evil to be practiced under the excuse of failure. This is why a group of righteous predecessors favoured to live in seclusion for they witnessed evil acts in the markets, festivals and assembly of people, without having the power to change it. This means that one is required to abscond the people. Umar Ibn Abdul-Aziz said: "However, the wanderer have not wandered through the land and left their homes and dependents except when they saw the evil has prevailed, good has vanished, advice has been rejected, and saw the afflictions widespread, and did not feel safe from them; and that if punishment descended upon the people, they would not be safe form it. So, they saw it better to live with wild animals and eat grains than to live with the people in their bliss." Then, he recited the statement of Allah: "Hasten you then (at once) to Allah: I am from Him a Warner to you, clear and open!" (Adh-Dhariyat 50)

﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾

He resumed: "Had it been for the mystery of Prophethood granted to Prophets by Allah Almighty, surely, we would have been of the opinion that they are not superior to those (who fled with their religion) for the angels

"Peace be upon them", as we have been reported, receive and shake hands with them, and clouds and wild animals come upon anyone of them, and if he called anyone of them, it would respond to him, and if he asked anyone of them about its direction, it would answer him although he was not a Prophet or a Messenger."

Abu Hurairah "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who is present while a sin is being committed, which he rejects, he is like him who is absent from it; and whoever is absent from a sin which he accepts, he is like him who attends it." (This narration is reported by Ibn Adi). It points out the one who is attendant by chance and not with intent, for the intentional attendance is forbidden according to the former narration.

It is narrated on the authority of Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah Almighty has never sent a Prophet but that he had disciples (from among his people). The Prophet would remain among them as long as Allah Almighty willed him to remain, working and acting according to Allah's Book and Command until when Allah caused His Prophet to die, the disciples would remain to work according to the Book and Command of Allah, and act upon the Sunnah of His Prophet. When they vanished, there would remain after them a people to ascend the tops of pulpits and say good and do evil." When you see that, it is incumbent upon every faithful believer to fight them with his own hand. If he could not, let it be with his tongue. If he could not , let it be with his heart; and there is no Islam (to be accepted from anyone doing) less than that." (The like of this narration is reported by Muslim).

It is narrated on the authority of Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" that he said: "The inhabitants of a village used to do sins, and there were among them four persons who disapproved of what they did. One of them stood and addressed them saying: "You do such and such (sins)." He forbade them, and told them about the shameful things they did, and they refuted his claim, but without changing their conduct. He insulted them, and they insulted him; and he fought them and they fought him and overpowered him. Then, he got isolated from them and said: "O Allah! I have forbidden them and they have not obeyed me. I then have insulted them, and they have insulted me. Then, I have fought with them, and they have fought with me and overpowered me." Then, he went away. The second man stood and forbade them, but they did not obey him. He insulted them and they insulted him. Then he got isolated from them and said: "O Allah! I have forbidden them, and they have not obeyed me. I have insulted them, and they have insulted me; and were I to fight them, surely, they would overpower me." Then, he turned away. The third one stood and forbade them, and they did not obey him. He got isolated from them and said: "O Allah! I have forbidden them and they have not obeyed me, and were I to insult them, they would insult me, and were I to fight them, surely, they would overpower me." Then, he turned away. The fourth man stood and said: "O Allah! Were I to

forbid them, they would disobey me; and were I to insult them, they would insult me; and were I to fight them, and surely they would overpower me." Then, he turned away." Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" commented: "The fourth had the least position among them, and a few among you are like him."

It is narrated on the authority of Ibn Abbas "Allah be pleased with him" that he said: It was said to the,: "O Messenger of Allah! Would the entire village be ruined (because of the sins of its inhabitants) although the righteous live in it?" he answered in the affirmative. They asked him: "For which thing would it be O Messenger of Allah?" he said: "For their carelessness and keeping silence about the sins therewith the people disobey Allah Almighty." (This narration is reported by Al-Bazzar and At-Tabarani).

It is narrated on the authority of Jabir Ibn Abdullah "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah Almighty revealed to one of His angels to turn a particular town over its people. He said: "O Lord! Among them there lives Your servant so and so, who has never disobeyed You even for an eye twinkle." He said: "Turn it over him and them, for he has never grown angry for My Sake even for a single moment." (This narration is reported by At-Tabarani and Al-Baihaqi). It is narrated on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that she said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The inhabitants of a town were punished, including eighteen thousand whose deeds were like the deeds of the Prophets." They asked: "How is that O Messenger of Allah?" He said: "They have never grown angry for the Sake of Allah, nor enjoined right, nor forbidden evil."

(It is narrated by Ibn Abu Ad-Dunya and Abu Ash-Shaikh on the authority of Ibrahim Ibn Umar As-San'ani that he said: Allah Almighty revealed to Joshua that 'I would ruin from your people forty thousand of their good and sixty thousand of their evil'." He said: "O Lord! Those are the evil (who deserve it): what is wrong with the good?" He said: "They have never become angry for My Anger. They shared food and drink with the evil ones.") It is further narrated from Urwah from his father that he said: Moses "Peace be upon him" said: "O Lord! Which of Your servants is the dearest to You?" He said: "The one who hastens to please Me in the same way as the eagle hastens to please himself, who is attached in love to My righteous servants in the same way as a babe is attached to the breast (of his mother), and who becomes angry when my forbidden things are committed in the same way as the tiger grows angry for himself, for when a tiger grows angry, he becomes careless about the people, be they little or much." This points out the superiority of Hisbah regardless of the fear of the people.

It is narrated on the authority of Abu Dharr Al-Ghifari "Allah be pleased with him" that he said: Abu Bakr "Allah be pleased with him" said: "O Messenger of Allah! Is there Jihad other than fighting the polytheists in Your Cause?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Yes O Abu Bakr. Allah Almighty has Mujahids on earth, better than the martyrs. They are living and provided with sustenance. They walk on earth, and

Allah Almighty commends them in front of His angels in the heaven. The Garden will be adorned for them in the same way as Umm Salamah "Allah be pleased with her" got adorned to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"." Abu Bakr "Allah be pleased with him" said: "O Messenger of Allah! Who are they?" he said: "They are those who enjoin right and forbid evil, who love for the Sake of Allah, and hate for the Sake of Allah." Then, he said: "By Him in Whose Hand is my soul! One of them will be in a mansion over the mansions over the mansions of the martyrs, each of which will have three hundred thousand gates adorned with pearls and emerald, and there will be light on each gate; and anyone of them will get married to three hundred thousand beautiful women of big lustrious eyes, whose sights are restricted only to those lawful for them, and every time he turns to one of them, she says to him: "Do you remember such and such a day on which you enjoined right and forbade evil?" every time he looks at one of them, she reminds him of a situation in which he enjoined right and forbade evil."

It is narrated on the authority of Abu Ubaidah Ibn Al-Jarrah "Allah be pleased with him" that he said: I said: "O Messenger of Allah! Which of martyrs is more honourable in the Sight of Allah Almighty?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A man who stood and went to an unjust governor and commanded him to do right and forbade him to do evil, thereupon he killed him. But even, if he did not kill him, the pen (of recording deeds) would not record any of his evil deeds no matter how long he lived afterwards." (This narration is reported by Al-Bazzar). It is narrated on the authority of Al-Hassan Al-Basri "Allah's mercy be upon him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The best martyr of my nation is a man who stands and goes to an unjust ruler and commands him to do good and forbids him to do evil, thereupon he kills him on that.. This martyr will have his position in the Garden between Hamzah and Ja'far."

It is narrated on the authority of Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" that he said: I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" having said: "How evil are a people who do not enjoin justice; and how evil are a people who do not enjoin right nor forbid evil." (This reported is narrated by Ibn Hibban and Abu Mansur Ad-Dailami).

In regard to traditions, a mention might be made of the following:

Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" said: "You should enjoin right and forbid evil, otherwise, Allah Almighty will invest with authority over you an unjust ruler, who does not respect the old among you, nor show mercy towards the young among you, and when the good among you invoke evil upon him, their invocations receive no answer, and if you seek support against him, you will receive no support, and if you ask for forgiveness, your sins will not be forgiven for you."

When Hudhaifah "Allah be pleased with him" was asked about the dead among the living he said: "It is he who never forbids the evil with his hand nor

with his tongue nor even with his heart." Malik Ibn Dinar said: "One of the rabbis of the children of Israel used to receive men and women in his house, in order to admonish him, and remind them of the days of Allah Almighty. One day, he saw one of his sons staring at one of the women, thereupon he said to him: "Keep quiet O my son! Keep quiet!" he then fell down from his bed and his spinal cord was cut off, his woman had miscarriage, and his sons were killed in the army. Allah Almighty revealed to the Prophet of his time to tell him that 'I shall never bring out of your loin a sincere lover of truth. Was it only your command to your son to keep quiet therewith you have become angry for My Sake?"

According to Hudhaifah "Allah be pleased with him": "A time will come upon the people in which the corps of a dead donkey will be dearer to them than a faithful believer who enjoins good and forbids them to do evil." It is narrated by Ibn Abu Ad-Dunya and Abu Ash-Shaikh on the authority of Ibrahim Ibn Umar As-San'ani that he said: Allah Almighty revealed to Joshua that 'I would ruin from your people forty thousand of their good and sixty thousand of their evil'." He said: "O Lord! Those are the evil (who deserve it): what is wrong with the good?" He said: "They have never become angry for My Anger. They shared food and drink with the evil ones."

According to Bilal Ibn Sa'd: "If a sin is concealed, it will not harm but the sinner. But if it is pronounced without being changed, it will cause harm to the public." Ka'b Al-Ahbar asked Abu Muslim Al-Khawlani: "What is your position among your people?" he said: "Good." Ka'b said: "But Torah tells something different." He said: "What does it tell?" he said: "It tells that if a man enjoins good and forbids evil, his position will be bad among his people." On that he said: "Torah has told the truth, and Abu Muslim has told a lie." It is reported that Abdullah Ibn Umar "Allah be pleased with both" used to visit workers (and admonish them), and then he ceased to come to them. It was said to him: "Why do you not come to them, perchance they would grieve (for your absence from them)." He said: "I fear if I talk to them they might see that my state differs from what they expect from me; and if I keep silent, I fear I would become sinful." This indicates that he who fails to enjoin right and forbid evil should keep himself away from the place where sins are committed, and conceal himself lest sins would be practiced in his presence.

Ali Ibn Abu Talib "Allah be pleased with him" said: "The first Jihad in which you would be overpowered is that (in which you change evil) with your hands, then that (in which you change evil) with your tongues, and then that (in which you change evil) with your hearts. If the heart does not accept good nor disapprove evil, it would be overturned." According to Sahl Ibn Abdullah "Allah's mercy be upon him": "If a man acts upon a thing in his religion in accordance with what he was commanded or forbidden to do, and it is related to him when things become corrupt, and people are given to confusion, he will be one of those who stood for Allah at his time to enjoin good and forbid evil." It

means that if he could have power but over himself, and reform it, and at the same time, disapprove the evil of the others with his heart, he will have achieved the objective (of enjoining good and forbidding evil).

It was said to Al-Fudail: "Would you not enjoin good and forbid evil?" he said: "We are a people who have been commanded (to do good) and forbidden (to do evil), and they have proved ungrateful." That is because they could not keep patient on their affliction. It was said to Ath-Thawri: "Would you not enjoin good and forbid evil?" he said: "When the ocean bursts, who would have the power to close it?"

From those evidences, it seems evident that to enjoin right and forbid evil is obligatory, and that obligation does not lapse if one has the power to do it, unless it is undertaken by somebody else. Now, let's mention the conditions of it and the conditions of its obligation.

CHAPTER TWO: FOUNDATIONS AND CONDITIONS OF ENJOINING GOOD AND FORBIDDING EVIL

It should be known that there are four foundations that constitute Hisbah, which includes to enjoin right and forbid evil: the one who prevents sins (Muhtasib), the one who commits sins (Muhtasab Alayhi), the sin which is prevented (Muhtasab Fihi), and the way of preventing sin (Nafs Al-Ihtisab). Each of those foundations has its particular conditions.

The First Foundation Pertains To The One Who Prevents Sins

Many conditions should be available in him: he should be a legally competent Muslim who has the capability. Thus, the mad, child, disbeliever and disabled are exempted from that. Apart from those, all the subjects are included in it, even if they are not given permission. Included in it also are the dissolute, the slave and the woman. Let's discuss each condition in more detail.

The first condition is the legal competence or responsibility. It is obviously clear that the non-legally competent is not required to enjoin or forbid anything. This condition pertains to obligation in particular. But in regard to possibility and permissibility, only rationality only is sufficient. Thus, an adult who is discerning, though not obligated, has the right to forbid evil, and spill over wine and break the musical instruments. If he does so, he will receive a reward for it, and none has the right to prevent him, just under the pretext that he is not obligated, for this is an act of worship which he does and gets reward for it, like prayer, leading the prayer, and the other acts of worship. Its ruling differs from that of guardianship or custodianship, which requires obligation and this, is why it is affirmed also to the slave and anyone of the subjects. It is true that the prevention of evil itself is a kind of guardianship, but it is obtained once one becomes a believer, like killing the polytheist, cutting off his means and depriving him of his missiles: the adult has the right to do it so long as it causes no harm. Prevention of wickedness or dissoluteness is like the prevention of disbelief.

The second condition pertains to belief. It is obviously clear too. To enjoin right and forbid evil is to support religion: how should there be from among the men of religion such as is ungrateful to it?

The third condition pertains to justness. It is considerable in the sight of some people who are of the opinion that a dissolute has no right to prevent evil. Perhaps, they take their supportive evidence from condemning the one who commands what he does not, as shown from the statement of Allah Almighty: "Do you enjoin right conduct on the people, and forget (to practise it) yourselves. And yet you study the Scripture? Will you not understand?" (Al-Baqarah 44)

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

And: "Grievously odious is it in the sight of Allah that you say that which you do not." (As-Saff 3)

﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾

In confirmation of that, it is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "On the night I was made to set out on a Night Journey (Isra'), I came upon a people whose lips were being filed with files. I asked them about the reason, they said: "We used to command people to do good, although we ourselves did not do it, and forbid them to do evil, although we ourselves did it."" It is further reported that Allah Almighty revealed to Jesus "Peace be upon him": "Admonish yourself, and if you receive admonition, then, you might admonish the people, otherwise, feel shy of Me." Perhaps they also support their argument by the analogy that guiding others is a branch of receiving guidance in general, in the same way as making straight the others is a branch of becoming straight, and reforming others is the obligatory charity due upon righteousness. Thus, if ones not righteous in himself, how should he reform others? How should the shade stand straight given that the stick is crooked?

But all of those are imaginations. The truth is that a dissolute has the right to prevent evil. Let's say, in support of our argument that is it necessary for the one who prevents sin to be infallible against all sins and mistakes? To require that as a necessary conditions to violate the consensus, and close the gate of prevention of evil. The companions "Allah be pleased with them" were not infallible apart from others, and there is difference about the infallibility of the Prophets themselves "Peace be upon them". The Holy Qur'an ascribes sins to Adam "Peace be upon him", and the same is true of some Prophets. For this reason, Sa'id Ibn Jubair "Allah have mercy upon him" said: "If none enjoins right and forbids evil except him who never commits sins or mistakes, then, there would be none to enjoin right and forbid evil." This statement of Sa'id Ibn Jubair was admired by Malik.

But, they allege that this necessity lapses only from him who does not commit but the minor sins. in this way, it is permissible for such as puts on silk to prevent the sins of drinking wine and committing fornication. In reply let's ask: should

the wine drinker not have the right to invade the disbelievers and prevent them from disbelief? If they answer in the negative, they would violate the consensus. The Muslim public include the dutiful and wicked, obedient and disobedient, those who drink and those who do not drink wine, those who wrong and those who do not wrong orphans. None of them has ever been forbidden to take part in battles (against the disbelievers) at the time of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and the time that came after it.

If they answer in the affirmative, let's then raise another question: Should the wine drinker have the right to prevent from killing? If they answer in the negative, let's say: Then, what is the difference between him and the one who puts on silk, to whom it is permissible to prevent from drinking wine? As well as killing is a major sin in comparison with drinking wine, drinking wine is a major sin in comparison with putting on silk. In this way, there is no difference. If they answer in the affirmative, and make the distinction that everyone who commits a sin has no right to prevent from the like of or less than it, but he has the right to prevent only from a sin that is above it, let's say that this is an arbitrary distinction.

As well as it is not unlikely that a wine drinker could prevent from committing fornication or killing, it is also not unlikely that an adulterer could prevent from drinking wine, and also it is not unlikely that a wine drinker could drink wine and at the same time prevent his slaves and servants from drinking, saying: "It is incumbent upon me to desist and forbid others from committing sins: then, why is it incumbent upon me, as I disobey Allah by committing one of both sins, to disobey Him by committing the other sin? If it is incumbent upon me to forbid (others to do sins), why should it lapse from me only by my doing the sin?" it is impossible to say that it is incumbent upon one to forbid from drinking wine as long as he himself does not drink wine, but once he drinks wine, the obligation of forbidding lapses from him.

It may be argued that this case is like the case in which one says: "It is incumbent upon me to perform ablution and offer prayer; and thus I perform ablution even if I will not offer prayer, and take Suhur even if I will not observe fast, although it is desirable for me to take Suhur and observe fasts." However, it is said that one of them follows the other. Similarly, making straight another follows making straight oneself. So, let him begin with himself and then with those who are under his guardianship. The reply is that taking Suhur is intended for fast, and had it not been for fasting, Suhur would not have been desirable. What is intended for another thing could not be separated from it. On the contrary, making right somebody is not intended for making right oneself, nor is making right oneself intended for making right somebody else. To say that one of them follows the other is an arbitrary statement.

But the matter is different in regard to performing ablution and offering prayer, which are concomitant. But there is no doubt that whoever performs ablution and does not pray has fulfilled the command of ablution, and he receives

punishment less than him who does not do both. Thus, whoever does not desist nor forbid sins receives punishment more grievous than him who forbids sins although he himself does not desist. But even, it might be argued that ablution is a prerequisite not intended for itself in so much as it is intended for the prayer. In this way, it has no judgement independent from prayer. On the contrary is Hisbah, which is not prerequisite for desisting. There is no similarity then between them.

It may be argued that from that it ensues to suppose that if a man committed adultery with a woman under compulsion and she was veiling her face, and then she uncovered her face willing, thereupon the man went on practicing Hisbah while he was having sexual intercourse with her, i.e. went on preventing her from committing such a sin, saying to her: "You are really forced to commit adultery, although you have uncovered your face willingly in front of a man who is unlawful for you, and I'm unlawful for you, so, you should screen your face." This is, however, an odious Hisbah which is disapproved by the heart and disgraced by the sound disposition of anyone.

In reply to it, let's say that truth might seem odious, whereas falsehood nice-to-see in the sight of natures. Let's say that ordering her in that state not to uncover her face is either obligatory, or permissible, or unlawful. If you adopt the opinion that it is obligatory, it is so, for indeed, uncovering the face is a sin, and forbidding a sin is right. If you say that it is permissible, then, he has the right to say what is permissible. Having been so, what is the significance of your statement that the dissolute has no right to prevent sins? if you say that it is unlawful, then, let's say that since it is principally obligatory, what made it unlawful because of committing adultery? It is surprising that the obligatory turns into unlawful because of committing another unlawful thing.

That it is disapproved and bothered by dispositions has two reasons. One is that he left what is more important and engaged himself only in what is important. As well as dispositions refrain from leaving the important and engagement in what is insignificant, they also abstain from leaving the more important and engagement in what is important, in the same way as they refrain from the one who feels it difficulty to have a usurped food while he devours usury, and the one who safeguards himself from backbiting, although he presents a false witness, for the false witness is more odious and grievous than backbiting, which is to tell about something in which the teller might be true. But, having been bothered and disapproved by nature does not indicate that leaving backbiting is not obligatory, or that if one backbites or eats a morsel of food that is unlawfully gained shall not increase his punishment.

Similarly, the harm he will receive in the hereafter because of his sin is more than the harm he will receive because of the sin of anyone else. Thus, his engagement in the less from the more is bothered by nature for he has left the more and not for he has engaged in the less. He, for example, whose horse and rein were usurped, and he engaged himself in demanding the rein

and left the horse, of a surety, would be bothered by dispositions and seen to have done evil, for he engaged in demanding the rein, and although it is not disapproved, but what is disapproved is to leave the horse for the sake of demanding the rein. Thus, he is disapproved for his engagement in the less significant from the more significant. The same is true of the Hisbah practiced by a dissolute. But this does not indicate that his Hisbah is disapproved in its own right.

The other reason is that Hisbah sometimes takes the form of forbiddance through admonishing and sometimes by oppression. Of a surety, the admonition of him who himself receives no admonition is not satisfactory. Let's say that whoever knows that his admonition in the field of Hisbah would not be acceptable to the people because of their knowledge of his dissoluteness, it is not incumbent upon him to prevent sins through admonishing, since there is no benefit in his admonition because of his dissoluteness. As there is no benefit in his speech, it becomes not binding upon him to speak. If sin is to be prevented through oppression, and oppression should be achieved by both act and argument. In case he is a dissolute, and he prevents through actual oppression, it should have implied his oppression by argument, for it would be said to him: "Why have you done so?" however, his actual oppression would be bothered by nature, although oppression by argument is implied. But this does not mean that the act is right. It is like the one who averts wrongness from a Muslim individual, and neglects his father although he is among the wronged, in which case, he would be bothered by nature, although his averting the wrongness from the Muslim individual is right.

It ensues from that that it is not incumbent upon a dissolute to prevent sins through admonishing particularly if he is recognized for his dissoluteness because he himself receives no admonition. If it is not incumbent upon him, and it is known that his preventing sins shall lead to insulting and dishonoring him because of rejecting his admonition, then, let's say that Hisbah is not binding upon him. This means that a kind of Hisbah, that is achieved through admonishing lapses because of dissoluteness, and justness becomes requisite therein. But this is unnecessary in regard to the oppressive Hisbah. There is no harm on the dissolute to spill over alcoholic drinks, and break the musical instruments, and the like of those if he has the power to do it.

In regard to the Holy Verses they quoted as evidence, it pertains to rejecting their leaving and not enjoining right. But as they enjoin right, it indicates to their knowledge, and the punishment of a knowledgeable in case he leaves doing right is more grievous because he has no legal excuse in view of his knowledge. Allah Almighty says: "Grievously odious is it in the sight of Allah that you say that which you do not" (As-Saff 3)

﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾

Refers to the false promise, and His statement: "Do you enjoin right conduct on the people, and forget (to practise it) yourselves" (Al-Baqarah 44)

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾

Criticizes them for they forget themselves and not because they enjoin right conduct upon others. But that they enjoin right upon others indicates to their knowledge, and establishes the argument against themselves.

Allah Almighty said to Jesus "Peace be upon him": "O son of Mary! Admonish yourself (first before you admonish the others)!" it pertains to prevention of sins by admonishing, and we have admitted that the dissolute's admonishing is of no benefit for him who learns he is dissolute. His saying to him : "And feel shy of Me" does not indicate to the prohibition of admonishing others, but it means that you should feel shy of Me when you engage yourself in the less important and leave the more important. This is like the case in which it is said: "Safeguard your father first and then your neighbour, otherwise, you should feel shy."

It might be argued that according to that opinion, the non-Muslim has the right to practice Hisbah if he sees a Muslim committing adultery, by saying to him: "Do not commit adultery", for this command is true in itself, and thus it is not unlawful for him to say it: on the contrary, it should be made permissible or even obligatory. In reply to that, let's say that if a disbeliever prevents a Muslim from doing it, he will have been invested with authority over him, and thus, he would be prevented from having authority over him, for indeed, "And never will Allah grant to the Unbelievers a way (to triumph) over the Believers." (An-Nisa 141)

﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾

But his statement "Do not commit adultery" in itself it not unlawful for him, in the sense that it is to forbid him from committing adultery, but it is unlawful in the sense that it indicates to his (disbeliever's) authority over such a Muslim and putting him (the Muslim) to humiliation. It is true that a dissolute deserves humiliation, but not from a disbeliever, who is much worthier of being given to humiliation. This is why he is prevented from practicing Hisbah.

The fourth condition pertains to the necessity of having the permission of the imam and the guardian. This condition is required by some people, who do not affirm to the individuals among the subjects to practice Hisbah by their own selves. But this condition is invalid, for all the Holy Verses and narrations and traditions provide evidence that whoever sees a shameful deed and keeps silent from forbidding it has indeed disobeyed Allah. That's because it is incumbent upon him to prevent it wherever and whenever he sees it. But to restrict it to the obligation of delegation from the imam is an arbitrary condition, for which there is no origin nor reference. The Rejecters go as far as to say that it is impermissible to enjoin right and forbid evil unless the infallible imam appears, and this is the

true imam in their sight. But those (Rejecters) are too despicable to be discussed, but the simplest answer is that if they come to the court to demand their rights concerning property and blood, then, to help them will be to enjoin right and to extract their rights from those who have illegally usurped them will be to forbid evil. Moreover, to ask for their right is a kind of enjoining good, and this time, according to your opinion, is not fitting to forbid wrongness and demand rights so long as the infallible imam has not yet appeared.

But it might be said that to enjoin right and forbid evil means to be invested with authority over the people, and this is why the disbelievers and non-Muslims are prevented from practicing it, although it is true. Thus, it should not be affirmed to the individuals unless they are delegated by the guardian. In reply to that, let's say that the disbeliever is prevented from it in view of the authority it summons over the people, and the disbeliever himself should be given to humiliation who does not deserve to have that authority over the Muslims. But the individuals among the Muslims are worthy of having that power of authority, which they gain by the power and honour of religion and knowledge. The authority it imposes does not need a delegation from the guardian, just like the authority granted by teaching and instructing. There is no difference that to let the ignorant who is about to commit sins because of his ignorance know what is lawful and what is unlawful, what is permissible and what is obligatory and what is forbidden does not need permission from the guardian, although it gives the power of authority to the one who undertakes it. The good faith and knowledge here are sufficient.

To explain that, let's say that Hisbah are of five levels as we shall mention later: the first is to let the others know (the right and wrong). The second is to admonish with kind words. The third is to abuse and scold (who do not respond); and I do not mean by abuse to use foul and obscene language, but it is sufficient to say to him: "O ignorant! O foolish! Do you not fear Allah?" the fourth is to prevent through oppression, by a direct act like breaking the musical instruments, spilling over the wine and snatching the silk garment from him who is wearing it, taking the usurped garment and restoring it to its real owner, etc. the fifth is to frighten and threaten to beat and even to actually strike him until he desist from that sin, like the one who always backbites others, and the one who launches false charges against others. Of a surety, it is impossible to take away his tongue, but he should be forced to keep silent by beating him. But this level might lead to seek the aid of helpers to both sides, which would result in fighting. All levels except the fifth do not need permission from the imam.

How should making others know and admonishing be in need of permission from the imam? To ascribe the ignorant and foolish to ignorance and foolishness and the dissolute to dissoluteness and lack of fear of Allah Almighty is true, and truth is desirable, and the best reward to be received from Allah Almighty is for a word of truth to be said in the presence of a wrongful imam (according to the narration of Abu Dawud, At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Abu

Sa'id Al-Khudri). If it is permissible to pass a judgement against a wrongful imam, how should his permission is needed for? The same is true of breaking the musical instruments and spilling over alcoholic drinks, for this act is known to be true without permission. But in regard to the violent prevention of sins, it might lead to gather helpers and enter into public affliction; and it is questionable as we shall explain later.

That the righteous predecessors continued to practice Hisbah against the rulers and governors confirms their consensus that there is no need for delegation from the imams. Moreover, if one enjoins right and forbids evil, therewith the guardian is pleased, it will be good, and in case of his displeasure with it, his conduct will be undesirable, and should be rejected. The righteous predecessors used to reject the misdeeds of governors. It is reported that once Marwan delivered the sermon before Id prayer, thereupon a man said to him: "The sermon should have been delivered after prayer." Marwan said to him: "Give up that habit O so and so." On that Abu Sa'id "Allah be pleased with him" said: "As for that man, he has fulfilled what is incumbent upon him. No doubt, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to us: "If anyone of you sees a misdeed, let him prevent it with his hand, and if he could not do, let it be with his tongue, and if he could not do, let deny it (at least) from his heart; and this is the least degree of faith." (This narration is reported by Muslim).

They understood from those generalizations that the rulers and governors should be included: how then should their permission is needed for? It is reported that when Al-Mahdi came to Mecca, he stayed there as long as Allah willed him to stay, and when he intended to perform Tawaf, he drove the people away from the House, thereupon Abdullah Ibn Marzuq jumped towards him and seized him by the garment and shook him and said: "Consider what you are doing! Who has given you more right in that House than such as comes to visit it from afar, that when he comes, you hinder him from it? Allah Almighty says in this issue: "We have made (open) to (all) men - equal is the dweller there and the visitor from the country" (Al-Hajj 25)

﴿ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾

Who has given you that right?" he looked at his face and recognized him for he was one of their freed slaves, and he said to him: "Are you Abdullah Ibn Marzuq?" he answered in the affirmative, thereupon he was arrested and brought to Baghdad, and Al-Mahdi disliked to afflict him with an odious punishment for which he would be famous among the public. He made him stay in the stable of animals to drive animals, and assigned to him a rebellious disobedient horse in the hope that it would strike and kill him. But Allah Almighty made the horse obedient to him. He was imprisoned in a house which was closed on him and the key was kept with Al-Mahdi himself. But three days later, he came out to the garden and ate fruits. When Al-Mahdi was informed of

that he asked him: "Who has brought you out?" he said: "The one who has imprisoned me." Al-Mahdi angrily clamored and cried: "Do you not feel afraid that I would kill you?" Abdullah raised his head with smile to him and said: "This would have been true had you possessed life or death." He remained in prison until Al-Mahdi died and he then was released and returned to Mecca. He had vowed that if Allah delivered him from them, he would sacrifice one hundred camels. He endeavoured until he was able to sacrifice them.

It is reported on the authority of Hibban Ibn Abdullah that he said: Harun Ar-Rashid descended at Dawin in the company of Sulaiman Ibn Abu Ja'far, a man from Banu Hashim. Harun said to him: "You have a slave-girl who is good in singing. Bring her to us to sing." She was brought and sang, but her singing was not appreciated by him. He asked her: "What is wrong with you?" she said: "This is not my Ud." He ordered the servant to go and bring her Ud. He brought the Ud and on the way he met an old man who was picking up kernels from the earth. He said to him: "Make spacious the way O old man!" the old man raised his head and saw the Ud, thereupon he took it from the servant and struck the ground with it and it went to pieces. The servant arrested him and brought him to the chief of police and ordered him to detain him as he was demanded by the Commander of Believers. The chief of police said to him: "There I in Baghdad none who worships Allah more than he does: how should the Commander of the Believers demand him?" the servant said to him: "Hearken to what I say to you." The servant entered into the gathering of Harun and said to him: "I've come upon an old man picking up kernels from the ground and when I told him to move to make spacious the way, he raised his head and saw the Ud, which he took and struck the ground with, and broke to pieces." Harun was infuriated and his eyes turned red out of anger, thereupon Sulaiman Ibn Abu Ja'far said to him: "What is the reason for that anger O Commander of Believers? Send to the chief of police a message ordering him to chop off his head and throw his body in the Tigris." He said: "No, but let's bring him and argue him first." The courier went to him and asked him to respond to the demand of the Commander of Believers. He said: "Yes." He was asked to ride, but he went on foot.

When he came and stood near the gate of the palace, it was said to Harun: "The old man has come." Harun said to his sitters:"What do you see better ? Should we lift the shameful things from us until that old man comes (and leaves) or go to another hall which contains no shameful things?" they said: "It is more fitting to go to another hall that contains no shameful things." They stood and went to another hall that contained no shameful things. Then, he ordered that the old man be admitted. The old man was admitted, and in his sleeve there was the case that had the gathered kernels. The servant aid to him: "Bring that out of your sleeve and enter upon the Commander of Believers." He said: "But I shall have my supper from that tonight." The servant aid to him: "We shall provide for your supper." He said: "I have no need for your supper." Harun asked the servant: "Which think do you ask him to do?" he said: "There is a case of kernels in his sleeve and I asked him to leave it and

enter upon the Commander of Believers." He said to him: "Leave it with him." He entered, greeted and sat down. Harun asked him: "O old man! What has led you to do what you've done?" he said: "Which thing have I done?" Harun felt shy of telling him that he had broken his Ud. When he asked him pressingly, he said: "I heard your father and grandfathers reciting the following Holy Verse on the pulpit: "Allah commands justice, the doing of good, and liberality to kith and kin, and He forbids all shameful deeds, bad conduct and rebellion: He instructs you, that you may receive admonition." (An-Nahl 90)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

Indeed, I've seen a bad conduct which I've changed." He said: "Then, change it." By Allah, he said nothing more. When the man came out, the caliph gave a handful of coins to a man and said: "Follow that old man, and if you see him saying to the people that he had said so and so to the Commander of Believers, and he had said to him so and so, give him nothing, and if you see that he does not speak about that, give that handful of coins to him." When he came out of the palace, behold! There was a kernel in the ground that was dipped in the soil, which he went on cleaning and picking up. He talked not to anyone. The man said to him: "The Commander of Believers tells you to take this handful of coins." He said: "Tell the Commander of Believers to bring it back from where he had taken it."

It is narrated on the authority of Sufyan Ath-Thawri "Allah's mercy be upon him" that Al-Mahdi performed Hajj in the year of one hundred and sixty-six, and Sufyan saw him throwing the pebbles of Aqabah and his guards were striking with lashes the people rightward and leftward, thereupon he stood and said to him: "O good-looking man! It is narrated on the authority of Qudamah Ibn Abdullah that he said: I saw The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" throwing the Jamrah of Aqabah while being on a blond red she-camel, which he did not beat nor did he drive away by force (as is widespread now among the chiefs and rulers). (This narration is reported by At-Tirmidhi and An-Nasa'i). And you are now throwing the pebbles with your guards striking the people in front of you rightward and leftward." He asked a man: "Who is that?" he said: "Sufyan Ath-Thawri." He said to him: "O Sufyan! Had you been talking to Al-Mansur (his father) as such, he would not have endured you." He said: "Had Al-Mansur told you, you would have refrained from doing it." It was said to Al-Mahdi: "He called you 'O good-looking man' and not the Commander of Believers." He said: "Then, chase him." He was pursued, but he was able to hide himself.

It is reported that Al-Ma'mun was informed that a Muhtasib used to walk among the people and enjoin right and forbid them to do evil, without being commanded by him to do so. He ordered to be guided to him, and when he came in front of him, he said to him: "I was informed that you see yourself fitting for

enjoining right and forbidding evil, although we have not commanded you to do so." At that time, Al-Ma'mun was sitting on a chair, reading a book or a story. Heedless of it, it fell down from him, and it came underneath his feet unfeelingly. The Muhtasib said to him: "Lift your feet from the Names of Allah Almighty and then say what you like to say." Al-Ma'mun did not understand, and asked him: "What are you saying?" he kept without understanding until he repeated it thrice, thereupon he said: "Either you should lift your feet, otherwise, give me permission to lift them." Al-Ma'mun looked and behold! He saw the book. He took and kissed it and was put to shame. Then he returned to the man and said to him: "Why do you enjoin right given that Allah Almighty has assigned it to us the family of the house (of the Prophet), and in connection with us Allah Almighty said: "(They are) those who, if We establish them in the land, establish regular prayer and give regular charity, enjoin the right and forbid wrong: with Allah rests the end (and decision) of (all) affairs." (Al-Hajj 41)

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾

The man said: "You've told the truth O Commander of Believers. You are just as you have described yourself, in terms of being established in power of authority. But at the same time, we are your supporters and helpers in that matter, and none denies it but him who is ignorant of the Book of Allah and the Sunnah of his Messenger "Peace be upon him". Allah Almighty says: "The Believers, men and women, are protectors, one of another: they enjoin what is just, and forbid what is evil: they observe regular prayers, practice regular charity, and obey Allah and His Messenger. On them will Allah pour His Mercy: for Allah is Exalted in power, Wise." (At-Tawbah 71)

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

Furthermore, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The believers in their relation to each other are like a building whose parts strengthen one another." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Musa). Of a surety, you have been established in power in the land; and this is the book of Allah, and the Sunnah of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". If you are to comply with their commands, you should be thankful to those who help and support you in that matter; and if you are not to comply with their commands and principles, then, Allah, to Whom your matter returns, and in Whose Hand is your power and honour stipulated that he would not suffer to be lost the reward of him who does well. Say now what you like to say." Al-Ma'mun was admired by his speech and was well-pleased with him and said: "No doubt, it should be permissible for the like of you to enjoin right (and forbid evil). Go on what you

used to do by our command and decision." The man continued to do what he used to do.

Those stories provide proof that there is no need for seeking permission of the guardian in enjoining right and forbid evil. But it might be asked: "Do you absolutely affirm the responsibility of Hisbah (prevention of sin) to the son over his father, the slave over his master, the wife over her husband, the pupil over his mister, and the ruled people over the guardian with no restrictions in the same way as it is affirmed to the father over his child, the master over his slave, the husband over his wife, the mister over his pupil, and the guardian over his people who are under his guardianship?" is it so or there is difference between both cases?"

It should be known that according to our opinion, the reality of guardianship is affirmed to both, with little difference. Let's explain the matter in regard to the son with his father. We say that the Hisbah is of five levels, and the son has the right to practice the first two, i.e. to show first and then to admonish and give advice with kindness. But he has no right to practice Hisbah through abusing or scolding or threatening or beating, i.e. through the last two levels. But that he has the right to prevent sin through the third level which might lead to harming the father and provoking his anger and wrath, is questionable. It is true that he might break his Ud, spill over his wine, break the musical instruments, undo the silk threads from his garments, restore back to the real owners their property he finds in the house of his father, which he might have illegally usurped, stolen or taken by force with no just cause, remove the pictures inscribed on the wall or wood of the house, and break the gold and silver utensils.

If he does so, it will not pertain directly to the father himself, unlike beating and abusing. But at the same time, this might lead to harming the father and provoking his anger and wrath. However, the act of the son is right, and the father's wrath is out of his love for falsehood and what is unlawful. Analogically, it seems that the son has the right to do so, and moreover, it is incumbent upon him to do it. Here, it is not unlikely to make a comparison between the viciousness of the evildoing on the one hand and the extent of harm that is caused and the wrath that is provoked on the other hand. If the wrongdoing is odious, and the wrath is endurable like the case of spilling over the wine of the one who does not grow so much angry, then, preventing the sin should prevail; and if the evildoing is not so much odious and the wrath to be provoked will become aggravated, like the case of breaking glass utensils in the forms of animals, and breaking them will cause much loss, and thus the anger will become aggravated, and at the same time, this sin is not like that of drinking wine, then preventing such sin is questionable.

But, it might be said: "On which thing do you depend in your statement that the son has no right to prevent the father from sin through scolding, beating and troubling him until he leaves falsehood, given that the command of enjoining right and forbidding evil is general in the Book and the Sunnah without restrictions, whereas the command of harming and beating is particular only to

doing what is odious of deeds?"

In reply to that, let's say that in connection with the father, it is reported that he should be exempted from that generalization. There is no difference that the executor has the right not to execute his father, in case he has to establish on him the legal punishment of committing adultery, nor to establish any other legal punishment upon him, even though his father is a disbeliever. Moreover, if the father cuts off the hand of his son, no retaliation is due upon him, and he has no right to harm him in retribution for it. Many narrations are reported in support of that claim and some of them gained consensus.

It is narrated that the Prophet said: "The father should not be killed in retaliation for killing his son." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Umar). Thus, as it is impermissible to harm him with punishment for a crime that he has really done, it is more preferable that he should not be harmed with punishment to prevent him from committing a sin. This should apply also to the slave with his master, the wife with her husband, given that what the right hand possesses is more confirmed that the possession because of marriage. But once again, let's quote the narration in which the Prophet says: "Had it been permissible for a man to fall in prostration to another man, I would have commanded the wife to fall in prostration to her husband." This provides evidence to confirm that right.

In regard to the people with the ruler or governor, the matter is different. They have no right but to prevent him from committing sin through the first two levels, i.e. to let him know it, and then to admonish and advise him. The third level is questionable. However, to attack his store and take the wealth and bring them back to their real owners from whom he has illegally usurped, or to undo the silk threads from his garment, or to break his gold and silver utensils, might lead to violating his reverence and respect in the sight of people whom he rules. This is forbidden according to many reports, in the same way as to keep silent from the evildoing is forbidden.

(This narration is reported by Al-Hakim on the authority of Ayad Ibn Ghunm in which the Prophet said: "If one has something to advise a ruler with, he should not talk to him in public, but rather he should be alone with him and talk to him: if he accepts it, this is good, otherwise, he will have fulfilled what is incumbent upon him." It is further narrated by At-Tirmidhi on the authority of Abu Bakrah that the Prophet said: "He, who disgraces a ruler, will be disgraced by Allah on earth.") In this way, it depends upon Ijtihad and comparison between the odious and shameful deed on the one hand, and the extent of respect the ruler shall lose because of attacking him to prevent him from sin. But this could not be adjusted.

The matter of the pupil with his mister is easier. The respectable is the mister who benefits religion with his knowledge, and there is no respect for such as does not act upon his knowledge. He (the pupil) has the right to deal with him according to the knowledge he has learnt from him. It is reported that Al-Hassan "may Allah have mercy upon him" was asked about the way a son could prevent his father from committing a sin, thereupon he said: "He should admonish him

as long as he does not grow angry, and if he grows angry, he should keep silent and leave him."

The fifth condition pertains to power. It is obviously clear that no Hisbah is due upon the powerless but with his heart. Such as loves Allah Almighty dislikes and rejects sins that lead to disobeying Him. According to Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him": "Strive the disbelievers with your hands; and if you could not but frown in their faces, you should do." Furthermore, it should be known that the obligation lapses not only from the physically powerless, but also from the one on whom it is feared, and from the one whose rejection is learnt to be of no benefit. Thus, two points should be considered here: the fruitlessness of rejection, and the fear of harm. Four considerations could be elicited from both:

The first is that they both are combined, i.e. that it is learnt that one's speech will be of no benefit, and moreover, he will be beaten because of it. In this case, Hisbah is not obligatory upon him. It also might be forbidden to him in some situations. It is true that he should in this case avoid the places where the evildoing is committed, and get isolated in his house, in order not to witness it, and not to come out except to fulfill his necessary need or fulfill an obligatory duty. It is not necessary for him to abscond the town unless he is troubled to do evil or forced to help rulers in their injustice and evildoing, in which case, it becomes incumbent upon him to leave the town and emigrate to another if he has power to do so. That's because in no way could compulsion be fitting for legal excuse for him who has the power to flee from it.

The second is that both are missing, i.e. that he learns that the evildoing would vanish by his speech, and there is no fear on him if he prevents it by word or deed. In this case, rejection and disapproval are due upon him. This belongs to the absolute power.

The third is that although he is sure of the fruitlessness of his disapproval, he also learns that there is no fear on him in case he rejects evildoing. In this case, Hisbah is not due upon him. But it is desirable with the intention to demonstrate the rites of Islam, and remind the people of the principles and laws of religion.

The fourth is the opposite of it, i.e. he learns that although he might possibly be touched with harm, the evildoing would cease because of his word or deed, like the case of one who has the power to throw the wine bottle of a dissolute with a stone and break it, spill over alcoholic drinks, break the Ud, and the result is that the evildoing will stop. But at the same time, he learns that he would be arrested and beaten. Hisbah in this case is not obligatory nor unlawful: it is rather desirable. This desirability is confirmed by the narration we have already related in the excellence of a word of truth in front of a wrongful ruler. But no doubt, there is fear on him, as confirmed by the narration on the authority of Abu Sulaiman Ad-Darani "may Allah have mercy upon him" that he said: I heard some words from a caliph, and I liked to disapprove of it, but I learnt I might be killed because of that. However, it is not the fear of killing that prevented me, but he was in an assembly of people, thereupon I feared I would be convicted of

getting adorned in front of the people, and thus I might be killed without doing the deed with sincerity."

But it might be argued: What is the significance of the following statement of Allah Almighty: "and make not your own hands contribute to (your) destruction; but do good; for Allah loves those who do good." (Al-Baqarah 195)

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾

In reply to it, let's say that there is no difference that a Muslim individual could attack an array of disbelievers and fight them, even though he learns he would be killed. This might be thought to differ from the interpretation of the Holy Verse. But it is not so. Ibn Abbas "Allah be pleased with him" said: "The destruction intended is not this, but it is to leave spending for the Sake and in obedience of Allah, i.e. he, who does not do so has indeed contributed to his destruction." According to Al-Bara' "Allah be pleased with him": "Destruction intended in the Holy Verse is to commit a sin and then thinks that no repentance would be accepted from him." According to Abu Ubaidah: "It is to commit a sin and then do no good after it until he is destroyed."

As it is permissible for him to fight the disbelievers until he is killed, it should be permissible for him in the matter of Hisbah. But if he learns that there is no benefit of his attacking the disbelievers, like the blind or disabled who throws himself on the array of fighting disbelievers, it should be rendered unlawful and included under the destruction intended in the Holy Verse. It is permissible for him to attack only if he learns that he will keep fighting until he is killed, or learns that he will break the hearts and lower the spirits of the disbelievers when they see his bravery and think that all the Muslims are careless about life and have desire for martyrdom in the Cause of Allah, and this would weaken their power.

Similarly, it is permissible, if not desirable for the Muhtasib to expose himself to beating and even killing if his Hisbah will contribute in the elimination of evildoing or breaking the authority of the dissolute, or strengthening the hearts of the men of religion. But in case the dissolute is strong and has the power and weapon to kill him, and the Muhtasib learns that if he tries to prevent him from sin, he will chop off his head and continue to do the sin, there is no point of practicing Hisbah here, since it might lead to destruction. What is required is to achieve a positive impact in the religion and sacrifice his life for it.

But to expose oneself to destruction with no effect to be achieved, there is no point for it. It should be made unlawful. It is desirable for him to disapprove sin in case he has power to stop it, or if there will be a benefit from his deed, on the condition that harm should be limited to him. But if he learns that some other than him will be beaten with him, in this case, Hisbah is impermissible, if not unlawful for him, for he fails to avert evildoing but with a deed that leads to another evildoing, and this is not power. Moreover, if a Muhtasib learns that his deed will remove the evildoing, but at the same time, will lead to an evildoing in connection with somebody else other than him, it should be made unlawful for

him, because what is intended is to prevent evildoing in religion in general. For example, if one has a lawful drink that has been contaminated with impurity, and a Muhtasib learns that if he spills it the owner of the drink will go to drink wine or his children will be forced to drink wine for their lacking of the lawful drink, then, it will be of no use to spill it.

But it might probably be said that if a Muhtasib spills over the impure drink, he has indeed changed an evildoing, and it is the drinker of wine that should be held responsible for drinking it, since a Muhtasib is unable to prevent him from committing it. This opinion is supported by many and it is not unlikely. Those matters that belong to jurisprudence could not be judged except on the basis of suspicion. It is unlikely to differentiate between the changeable evildoing and the evildoing which Hisbah might lead to. If he is to slaughter a usurped sheep that belongs to somebody else to eat of it, and he learns that if he prevents him from that, he will slay a man and eat him, this Hisbah then will be of no significance. If his preventing him from slaying a man leads him only to take his property, Hisbah will be of use. Those subtleties are subject to Ijtihad, and a Muhtasib has to follow his reasoning.

For this reason, in regard to the layman, he has not to prevent but from the evident sins whose being unlawful is apparent, like drinking wine, committing adultery and leaving prayer. But what is known to be a sin and preventing it might lead to another sin, a layman should cease from preventing it, for in this case the mischief he does will be more than the uprightness he will achieve. This is why they do not affirm the responsibility of Hisbah to anyone without the permission of the guardian, for it might be implemented by those who are not fitting for it because they are lacking in knowledge or religion, and this might lead to disorder and chaos. This will be disclosed later Allah Willing.

It might be argued that in case of substituting probability for knowledge of harm to afflict the Muhtasib or of fruitlessness of his Hisbah: what is the ruling pertinent to it? In reply to that, let's say that the probability that is close to certainty has the same rank of learning, and the difference seems apparent when there arised contradiction between probability and learning. In this case, the certain learning should overweigh the probability. There is another difference between learning and probability. If he learns with certainty that his Hisbah is of no benefit, it becomes not obligatory upon him. But if it is close to his certainty that it is of no benefit, although it might probably avail, and at the same time, he expects no harm to afflict him, there is difference whether or not it is obligatory. However, it is more likely to be obligatory since there is no harm to be caused from it. To be sure, to enjoin right and forbid evil in general is obligatory in all cases. But we exclude from it that which is learnt to be of no benefit, either by consensus or apparent analogy. The command is not intended for itself, in so much as it is intended for the one to whom it is given. If it is learnt that there is no hope for him, then, there will be no benefit from the command. But in the event of no despair, it should remain obligatory.

In regard to the expected harm, if it is not learnt with certainty or strong

probability but just it is doubtful, or it is close to his certainty that no harm shall befall him, and the matter is just likely: should that likeliness cancel out the obligation of Hisbah? Is it obligatory only when he is certain that no harm shall befall him? Is it obligatory in all cases except in the case it becomes close to his certainty that harm shall befall him? Let's say, in reply to it, that if it is close to his certainty that he will be afflicted, Hisbah will not be obligatory. If it is close to his certainty that no harm will afflict him, it should be obligatory. The likeliness only should not cancel out the obligation. If it is doubtful with no preponderance, it then is questionable. It might be said that the basic rule requires it to be obligatory, and that obligation is cancelled out by the expected harm. The harm might be probably or certainly expected. It might be said also that Hisbah is obligatory on him if it is learnt with certainty, or with likeliness that no harm will afflict him. But the former statement is more right, for the matter of enjoining right and forbidding evil is obligatory in general.

Therefore, it may be argued that expectation of harm differs with the difference of cowardice and audacity: the coward weak-hearted sees the far as if it were too close to come, which he fears, whereas the brave adventurous sees the close as if it were too far to come, that he will not believe it unless it really comes to pass. Such being the case, on which of both should one rely? Let's say that it is the moderate nature and sound mind and temperament on which one should rely. Cowardice is a disease that results from the weakness of heart and lack of power, whereas adventure is a result of excessive evaluation of power, and going beyond moderateness; and both are defective. Perfection lies in moderateness that is expressed by courage.

Both cowardice and adventurous bravery are produced once from a defect of mind, and once from disorder of temperament. If one is of moderate temperament, he might have no sense to the sources of evil, and thus his audacity is a result of his ignorance, or might have no sense to the way of averting evil, and thus his cowardice is a result of his ignorance. Therefore, he might, by virtue of his experience and practice, have knowledge of the sources and ways of averting evil, but at the same time, in view of his weak heart, the evil that is unlikely to come has on him the same effect which the evil that is likely to come has on the brave of moderate temperament. So, both should not be considered here. The coward has to remove his cowardice first by removing its cause, and its cause might lie in his ignorance or in his weakness. Ignorance is removed by experience, whereas weakness by practicing the act more than once, until he gets accustomed to it. The beginner who intends to debate or preach might refrain from it at first in view of his weakness; and once he practices it, weakness would leave him and he would get accustomed to it.

But in case this weakness and cowardice are chronic in a way that it is impossible for one to get rid of them, such a weak person should be given legal excuse, just in the same way as a disabled is given a legal excuse to sit at home (and be exempted from setting out for war). For this reason, we say that to travel by sea is not incumbent upon him whom weakness and cowardice possess,

whereas it is incumbent upon him who fears it not. The same is true of the obligation of Hisbah.

It might be asked: What is the limit of the expected harm? A man might be harmed by a word, a strike, or an abuse. No man is ordered to do good (and forbidden to do evil) but that a kind of harm, no matter little or much, is expected from him. Thus, what is the limit of harm therewith Hisbah becomes not obligatory?

Let's say that this matter is questionable since it is subject to the difference of people and their states. Let's do our best to enumerate it in many points. That which is undesired is the opposite to that which is desired. The desired things of the people in this world lie in four things: in the soul, like knowledge; in the body like health and safety; in the property like wealth; and in the hearts of the people like celebrity. The desired things are four: knowledge, health, wealth and celebrity. The celebrity is to preoccupy the hearts of the people, whereas the wealth is to possess money. In the Quarter of Destructives, we shall explain in detail the concept of celebrity and the reason why disposition is inclined to it. Each of those four things might be desired for oneself or for one's relatives and devotees.

But two things are undesired in regard to those four: the first is to lose what is really present; and the other is to hinder what is expected to come. Thus, no harm lies except in the loss of the present and the obstruction of what is expected. What is expected is that which is possible to happen, and what is possible to happen seems as if it is present. In this way, the undesired are divided into two things:

The first is the fear of obstructing what is expected; and it should not give concession to leave enjoining right and forbidding evil. Let's mention one example for each of the four desired things. In relation to knowledge, to refrain from practicing Hisbah with one who is connection with one's mister, for fear he might criticize him in front of his mister, who would stop from teaching him. Concerning health, one refrains from disapproving the sin of wearing silk committed by one's physician who visits him for fear he might not come to him, and this will have a negative impact on his expected health. In regard to property, one refrains from practicing Hisbah with the ruler, his companions and retinues, sitters, as well as with those who give him out of their property, for fear they would cease to give him in the future. In connection with celebrity, one leaves Hisbah with him from whom support is expected in the future, for fear he would abstain from supporting or helping him, or for fear he would criticize him in front of the ruler from whom he expects an office or guardianship. The obligation of Hisbah should not be cancelled out by anyone of those. That's because all of those are but additional things that are expected to happen in the future, and their prevention is not harmful. The real harm is to lose a thing that is present.

Nothing is excluded from those but that for which there is a dire need, and losing it would lead to what is forbidden more than that to which keeping silent

from an evildoing might lead. It is like him who is in dire need of the physician to treat a severe disease, and health and recovery are expected from such medical treatment, and it is learnt that in the event of delay of treatment, it will result in destruction. Such being the case, it is not unlikely that one might be given concession to leave Hisbah.

Concerning knowledge, it is like the case in which one is an ignorant of the religious tasks, and there is only one teacher, and he has no power to set out on journey to find another teacher, and at the same time, he learns that the one with whom he is going to practice Hisbah is capable of preventing his access to that teacher. In this way, it is forbidden to continue to be ignorant of the religious tasks, and it is also forbidden to keep silent from the evildoing. But it is not unlikely that anyone of them would overweigh the other; and this differs according to the extent to which the evildoing is grievous, and the need of knowledge about religious tasks is dire.

As far as property is concerned, it is like the one who fails to earn by himself or beg from others, and he is not too strong to rely (on Allah), and none sustains him but one person. If he disapproves of his evildoing, he will cut off means of sustenance from him, and force him either to get it unlawfully or to die out of hunger. This is also not unlikely to be given concession to leave Hisbah.

In regard to celebrity, it is that an evil man causes harm to him, and he has no way to avert his evil but to seek the protection of the celebrity of a ruler, and he ahs no access to him but through a man who puts on silk, or drinks wine, and he might lose his intercession if he disapproves of his evildoing. In this way, he might lose the celebrity of that ruler, and continue to receive the harm of the evil man. In this case too, it is unlikely to be given concession to leave it.

If anyone of those matters appears, it is not unlikely that it should be excluded. But all of that depends upon the reasoning of the Muhtasib, who should seek the guidance of his heart, and compare the two forbidden things, and give preponderance to anyone according to religion and not inclination. If he gives preponderance according to religion, his silence will belong to adulation; and if he depends on his inclinations and desires, his silence will belong to hypocrisy. This matter is internal, and could not be learnt but by deep insight and scrutiny. It is incumbent upon every religious to watch his heart, and put in mind that Allah Almighty is well-acquainted with his motives and stimuli. "On the Day when every soul will be confronted with all the good it has done, and all the evil it has done, it will wish there were a great distance between it and its evil." (Al Imran 30)

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ
مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴿٣٠﴾ ﴾

And in no way does Allah deal unjustly with all of the servants.

Concerning the second division which is to loss what is really present, it is undesirable, if not considerable enough to make one keep silent in all four things except knowledge. However, there is no fear of losing knowledge unless the one himself falls short of getting it, for there is no one able to deprive anyone of knowledge, even though he might be able to deprive him of health, safety, property and wealth. This is one of the reasons for the honour of knowledge, i.e. it continues to be in the world, and its reward will abide in the hereafter, and it never ceases to be.

But in relation to health, it might be taken away by striking. If one learns he will be severely beaten, Hisbah will not be incumbent upon him. But it is desirable as we've already mentioned. If this is so in connection with the painful striking, then, it should be more evident in relation to injuring, cutting off limbs and killing.

As far as property and wealth are concerned, it is that a Muhtasib learns that his home will be ruined, his possessions will be robbed and his garments and clothes will be taken away. No Hisbah is incumbent upon such a person. But it remains desirable, for there is no harm to sacrifice his property and wealth for the sake of his religion. On the other hand, as well as there is minimum limit for both striking and property, at which one is careless, like a piece (of coin) in the property and the light slap in relation to striking, there is also a maximum limit to be considerable, and between both there lies the middle limit which is subject to suspicion and reasoning. The religious has to be diligent and inclined to give preponderance to the side of religion as possible as it could be.

In regard with celebrity, it is that one is beaten, though not painfully, or is abused and insulted in the presence of an assembly of people, or tied by his neck and made to turn round in the town, or to have his face blackened and then to circumambulate with him in the city. Although all of that is not physically painful, it is to afflict celebrity, dishonour and disgrace personality. However, it is of many degrees and levels. The right conduct is that he is given concession to keep silent if he learns that he will be harmed with what deprives him of chivalry like circumambulating with him barefooted with his head uncovered in the town. That is because one is commanded to safeguard his chivalry. However, the psychological pan he receives from that is more severe than the physical or financial pain.

The second degree of celebrity pertains to putting on expensive clothes and riding graceful horses. If he learns that the result of his Hisbah is that he will be deprived of such expensive clothes and graceful horses, there will be no concession to be given to him like the former case, for it is not praiseworthy to keep on that luxury, whereas it is necessary to safeguard his chivalry. Thus, the obligation of Hisbah should not lapse form him because of that. Similarly, if he fears he might be harmed with words that ascribe him to ignorance or foolishness or showing off, whether in his presence or absence: the obligation so Hisbah also should not lapse form him. However, if Hisbah is to be given up because of the

blame of a blamer, the backbiting of a dissolute, or the insult of an abuser, there will be no place for its obligation.

Therefore, one could not be relieved of Hisbah unless the intended evildoing is the backbiting, and the Muhtasib learns that if he disapproves of his bad conduct, he will not only cease to do it, but also he will besides ascribe him to backbiting, and thus this Hisbah should be made lawful for it has caused his evildoing to grow more. If he learns that he will cease to backbite that person and rather will backbite the Muhtasib himself, Hisbah will not become due upon him, for backbiting him is a sin committed by the backbiter (and thus Hisbah will be of no benefit). But it might be desirable for him to sacrifice his own honour for the honour of the backbited person, by way of giving others preference over himself. It is generally obvious that Hisbah is obligatory, and it is grievous to give it up, unless in return for something of the same grievousness in religion, body, property, wealth and celebrity. But the privileges of celebrity, gracefulness, adornment, and seeking to get the praise of people, are unnecessary.

But to cease to practice Hisbah out of fear of any of those hateful things to afflict anyone of his relatives and family, the harm might be less painful to himself. But from the religious point of view, it will be more painful, for one has the right to tolerate about his own rights, but he has no right to tolerate about the rights of others. For this reason, he should cease to do it. If their lost rights are to expose them to such sins as beating and robbery, he should cease to do this Hisbah, for it is to avert an evildoing which will lead to another evildoing. If their rights are to be lost but not through committing such sins against them, he also should cease to do it, for it will lead to harming Muslims, unless they themselves accept it. If his Hisbah is to lead to harming his people, he should leave it, like the ascetic who has rich relatives: he has no fear about his own property if he practices Hisbah against the ruler. But the ruler might aim to harm his relatives in retribution of him.

Thus, if his Hisbah is to cause harm to his relatives and neighbours, he should leave it. Admittedly, to harm Muslims is forbidden just as to keep silent from an evildoing is also forbidden. It is true that in case the harm will not go beyond insulting, abusing or disgracing them, it will be questionable. It differs depending upon the extent to which the evildoing is grievous and odious on the one hand, and the abuses and insults are painful and harmful on the other hand.

It might be argued: "If a man intends to cut off a part of his own body, and does not cease to do so unless he has fought, which might lead to killing him: should he be fought for that? If you are of the opinion that he should be fought, it is questionable, since it is to destroy a soul just for fear of ruining a part of the body, and of a surety, such a part of the body will be ruined when one is killed."

In reply, let's say that he should be prevented and fought, for the purpose is

not to safeguard the soul and the part of the body (from being ruined) in so much as it is to prevent the evildoing and sin itself, and of a surety, killing him during practicing Hisbah is not a sin, whereas cutting off a part of his body is a sin. It is like the one who kills another in defense of the property of a Muslim. It is permissible not because we sacrifice the Muslim's property for a Muslim's soul, but because taking a Muslim's property is a sin, and killing him in defense of it is not a sin, but what is intended is to avert sins.

It might be argued: "If it is learnt that when he becomes alone with himself, he will cut off a part of his body: should then we kill him immediately in order to prevent such a sin?" we say that this learning is not certain, and it is impermissible to shed his blood depending upon our doubt that he will commit a sin. But when we see him cutting off a part of his body, we should immediately prevent him from doing so, and fight him if he fights us, and be careless about his being killed.

In total, there are three cases of sin: the first is when it has been done, and the punishment pertaining to it depends upon the limit prescribed for what has been done of it; and this case is under the responsibility of the guardians and not the individuals. The second is that a sin is current, and the sinner is doing it, like the one who is seen wearing silk and holding an Ud or wine: to prevent that sin is obligatory as possible as it could be, so long as it will not lead to another sin more grievous and odious. This lies under the responsibility of both the individuals and the guardians. The third pertains to the expected evildoing, like the one who is getting ready, by sweeping and adorning the hall in preparation for drinking wine, but the wine has not been brought yet. This is doubtful, for the wine might be obstructed. The individuals have no authority over such a person other than to admonish and advise him. But scolding and beating are impermissible here either for the individuals or for the ruler, unless this evildoing was learnt to be practiced by him habitually, and he has done what would lead to it, and nothing other than time separates him from the sin, like the youth who stand near the gates of the public baths of women in order to cast glimpse of them on their coming in and out. Although they do not make narrow the road, it is permissible to practice Hisbah against them and prevent them from leaving that place by scolding and beating. That is because this standing in itself is a sin for it leads to another sin, just as to sit alone with a strange woman is a sin since it leads to another sin. In this way, it might be a Hisbah against a present and not an expected sin.

The Second Foundation: The Sin That Should Be Prevented

It includes every evildoing that is currently present, visible to the Muhtasib without spying, and known to be an evildoing without reasoning. Those are four conditions, and let's explain in detail.

The first is that it should be an evildoing. We mean by it to be forbidden according to Sharia. We did not use the word 'sin' because the evildoing is

more general than sin. If a man, for instance, sees a mad, be he male or female, drinking wine, he has to spill over the wine, and prevent him from drinking it; and if a man sees a mad having illegal sexual intercourse with a female mad or an animal, he has to prevent him. This is not due to its being odious at the sight of people, for if he happens to see such an evildoing in seclusion, it is also incumbent upon him to prevent it. But in regard to the mad, it is not a sin, since the mad himself could not be regarded a sinner. This is why the 'evildoing' is more indicative and more general than 'sin'. Furthermore, the evildoing includes the minor and major sins, and Hisbah is not limited to the major sins on the exclusion of the minor sins. to uncover the privates in the public bath, to sit alone with a strange woman, to gaze at a woman who is unlawful for one to look at, etc, belong to the minor sins and they should be forbidden. However, the difference between the minor and major sin is questionable, and it will be explained in detail in the Book of Repentance.

The second condition is that the evildoing should be currently present, in avoidance of practicing Hisbah against him who has finished from, say, drinking wine, for this does not lie under the responsibility of the individuals. With that condition, we avoid the evildoing that is presumably to occur, such as the one who is learnt, from his state , that he is going to drink wine on that night, in which case, one has no right to practice Hisbah against him except by way of admonishing and advising. If he denies that he is going to do the evildoing, admonishing becomes impermissible. But, we should pay attention to another subtlety, i.e. that the standing near the door of the public bath (to look at women), and sitting alone with a strange woman are sins since they would lead to other sins.

The third condition is that the evildoing should be evident to the Muhtasib without spying. If one commits a sin which he screens in his house, it is impermissible to spy on him. Allah Almighty has forbidden spying. The story of Umar and Abd Ar-Rahman Ibn Awf "Allah be pleased with them" is famous in this respect, and we have related it in the Book of the Etiquette of Companionship. It is reported that Umar "Allah be pleased with him" was in a night tour across Medina, when he heard the voice of singing inside the house of a man, and he intruded the house through the fence and found a woman sitting with him, and there was wine. He said to him: "O enemy of Allah! Do you think that Allah will screen you while you are disobeying Him?" he said: "Do not be hasty O Commander of Believers! If I have disobeyed Allah once, you have disobeyed Allah thrice. Allah Almighty says: "And spy not on each other" (Al-Hujurat 12)

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا ۝﴾

And you have spied on me; and Allah Almighty says: "It is no virtue if you enter your houses from the back" (Al-Baqarah 189)

And you have entered through the fence; and Allah Almighty says: "O you who believe! enter not houses other than your own, until you have asked permission and saluted those in them: that is best for you, in order that you may heed (what is seemly)" (An-Nur 27)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ ﴾

And you have entered my house with neither permission nor salutation." Umar said to him: "Do you have any good if I excuse you?" he said: "Yes by Allah, O Commander of Believers: if you excuse me, I will never return to the like of that." He excused him, and came out and left him. For this reason, Umar "Allah be pleased with him" consulted the companions while he was on the pulpit about the case in which the imam sees by himself an evildoing: does he have the right to establish the legal punishment upon him? Ali "Allah be pleased with him" made the point that two just witnesses are required, and the imam is only one, and thus he is not sufficient. We have related those narrations in the Book of the Etiquette of Companionship.

It might be asked: "What is the limit of appearance and concealment?" it should be known to you that if one closes the door of his house on him, and screens behind the walls, none has the right to enter upon him without his leave to see the sin, unless it appears from within the house in a way that makes it known to those who are outside the house, like the voices of musical instruments. If the voices rise and become too high to hear from outside the house, the hearer has the right to enter it and break the musical instruments. Similarly, if the voices of the drunk rise and become audible to those walking in the street, Hisbah becomes obligatory. The same is true of the smell. In brief, what seems by indication is not screened, and we have been commanded to screen what Allah has screened, and disapprove the evildoing of him who demonstrates it.

The demonstration is of different levels: sometimes it seems by smelling, sometimes by hearing, sometimes by seeing, sometimes by touching. All of those senses are informative. Thus, it is permissible to break what is concealed underneath the garment if it is learnt to contain wine. But it is impermissible for him to ask to see it, for it belongs to spying. To spy is to ask for the indicative portents, and if those indicative portents appear without asking to see them and lead to knowledge, one has the right to act upon them. But there is no concession to ask to see and know the indicative portent.

The fourth condition is that its being evildoing should be learnt without reasoning. Hisbah is not due upon all that is known only by reasoning. The Hanifites, for instance, have no right to disapprove Shafiites for eating mastigure, nor do the Shafiites have the right to disapprove the Hanifites for drinking the Nabidh that is not intoxicant, or having the inheritance of kith and kin, and sitting in the house that is taken by the right of preemption. But if one of

Shafiites sees another from the same juristic school drinking Nabidh (that is not intoxicant), marrying a woman without her guardian and having sexual relation with her, it will be questionable; and what is more evident that he has the right to prevent him from that and disapprove of it.

But a subtle point might ensue from that approach: a Hanifite has then the right to object to a Shafiite if he sees him marrying a woman without her guardian, saying to him: "Although this act in itself is true, but it is not right in connection with you, for you deny it, depending upon your belief that the Shafiite juristic school is right and any other juristic school is wrong, and to oppose what you think to be right is a sin, even though it is right in the Sight of Allah Almighty." Similarly, a Shafiite might practice Hisbah against a Hanifites if the latter shares eating mastigure with him, saying: "You should either believe that Shafi'i is more preferable to be follow before you eat it, or do not believe it and thus you have no right to eat it, as it is in opposition to your belief."

Another more sensitive point is that when a deaf person has sexual relation with a woman by way of committing adultery, and a Muhtasib learns that she is his wife whom his father had married to him when he was young, but the deaf himself knows not, and the Muhtasib fails to let him know it either because of his deafness or because of the Muhtasib's ignorance of his signals. Thinking that she is a strange woman, he is sinful when he has sexual relation with her, and will be punished in the hereafter: should he then prevent him from her although she is really his wife? This might be impossible in the sense that it is lawful by the knowledge of Allah Almighty, and possible in the sense that it is unlawful for him because of his ignorance.

Undoubtedly, if he suspends the divorce of his wife upon a particular state that is in the heart of the Muhtasib, such as anger, will, etc, and this state occurs in his heart and he fails to let the couple know about it, and he learns that the divorce has occurred inwardly: when he sees him having sexual relation with her, should he prevent him from doing so i.e. by tongue, given that it is adultery although the adulterer is ignorant about it? Although they are ignorant of it, the Muhtasib here knows that she has been divorced from him thrice. But their being not sinful because of their ignorance of that state (with which the divorce has occurred) does not mean that the act itself is not an evildoing. The same is true of the adultery committed by a mad and we have shown that he should be prevented from it. If one is to be prevented from what is evildoing in the Sight of Allah, although not so in the sight of the doer because of his ignorance, this requires us to say that what is not evildoing in the Sight of Allah Almighty, although it is so in the sight of the doer because of his ignorance, should not be prevented; and this is more apparent in my opinion, and Allah knows best.

Thus, the Hanifite should not object to the marriage of a Shafiite from a woman without her guardian, although a Shafiite has the right to object to it, for both have agreed upon it. However, those questions belong to jurisprudence, and are of opposing and conflicting probabilities. We give fatwa depending upon

what is preponderant in our sight at the moment of giving fatwa, and we do not give a decisive statement about the mistake of the other who does the opposite, seeing that Hisbah applies only to what is known with certainty. Some people are of that opinion, seeing that there is no Hisbah except in such cases as drinking wine and eating the flesh of swine, and the like of them which is decisively unlawful. But to our knowledge, reasoning plays an important role in this matter. It is very unlikely that a man does his best to determine the direction of the Qiblah, and then states that the Qiblah takes such and such direction, while he in fact is turning his back to it, and ascribes anyone else of different opinion to mistake and error. Furthermore, it is inconsiderable to adopt the opinion that every imitator has the right to choose of the juristic schools what he likes.

But, it might be said that as there is no objection to the Hanifite's marriage from a woman without her guardian, seeing that it is right, this requires that there should be no objection to the Mu'tazili who says that Allah is never seen and that only good comes from Allah and evil comes not from Allah, and that the speech of Allah is created. This also requires that there should be no objection to the Hashawi in his statement that Allah Almighty has a body and image, and that He is stable on the Throne (of Majesty), nor should there be any objection to the argument of a philosopher that it is not bodies but only souls that will be resurrected (in the hereafter). This is because all of those say what they say as a result of their reasoning, thinking it to be right.

It also might be said that as the doctrines of such people are evidently invalid, those who contradict the clear text of the Prophetic authentic Hadith are also invalid. As it is proven from many authentic Hadiths that Allah Almighty is to be seen (by the faithful believers in the hereafter) – a thing which is denied by a Mu'tazili depending upon his independent interpretation, it is also proven that there are matters in which there is opposition to the opinion of Hanifites, such as the marriage from a woman without her guardian, and the neighbour's preemption."

In reply, let's say that the matters are divided into things in which it is said that every Mujtahid is right, and those pertain to the rulings on acts, which makes it lawful or unlawful. The Mujtahids in those matters are not objectionable, as long as their mistake is not known with certainty but just with probability. The other things belong to those matters in which only one is imagined to be right, like the matter of seeing (Allah in the hereafter), the Divine Decree, the sempiternity of the speech of Allah Almighty, and the negation of body, image and stillness from Allah Almighty. The mistake here is learnt with certainty, for it is based on mere ignorance. Thus, the gates of religious innovations should be closed, and the religious innovations should be rejected from the religious innovators, even though they think them to be right, in the same way as the disbelief of both Jews and Christians is rejected although they think it to be right, for their mistake is learnt with certainty, unlike the mistake in the matters of jurisprudence.

But it might be argued that if you make objection to the statement of the

Anti-fatalist that the evil does not come from Allah Almighty, the Anti-fatalist might make objection to your statement that evil comes from Allah Almighty, and to your opinion that Allah is to be seen, and in the other matters, given that the religious innovator always thinks himself to be true, and the right one is considered to be a religious innovator in the sight of the religious innovator himself. However, everyone thinks himself to be true, and rejects to be ascribed to religious innovation. Thus, how should Hisbah be done?

It should be known that in view of that contradiction, the city in which the religious innovation has emerged should be considered: if the religious innovation is strange to them, and the majority of people follow the Prophetic Sunnah, then, it is permissible to do Hisbah against him even without the leave of the ruler. If the people of that city are divided into those of religious innovations and those of Sunnah in a way that any opposition might raise affliction which leads to killing, then, it is impermissible for the individuals to do Hisbah by themselves, and the ruler should interfere. If the ruler sees and supports the right opinion, and appoints somebody to turn the people from the religious innovation, it will be good, and he has the right to do so, but this right is not for anyone else, so long as the leave of the ruler is given to that man in particular and not to anyone else.

In total, the Hisbah against the religious innovations is more important than against all the other evildoings. But this detail we've discussed should be considered in order not to lead to opposition and affliction. Therefore, if the ruler gives an absolute permission to prevent the statement of such religious innovations as that the Qur'an is created, that Allah Almighty is not to be seen, and that Allah Almighty is stable on the Throne (of majesty), in touch with it, instead of causing the individuals themselves to be invested with authority to prevent such innovations, there will be no opposition, for opposition breaks up only in the absence of the ruler's permission.

The Third Foundation: The One To Be Prevented From Sin

Such should do an evildoing in order to be prevented from it. The minimum requirement is that he should be a man, but it is not necessary for him to be legally competent, for it is evident that if a child drinks wine, he should be prevented from it, and Hisbah should be done against him, even if he has not attained the age of puberty. It is also not requisite for him to be discerning, for it is evident that if a mad commits adultery with a mad woman or having sexual relation with a female animal, he should be prevented from it. It is true that many acts are not considered evildoings in regard to the mad, such as his leaving prayer and fast, but let's go beyond the finest details in which there are many differences. Our objective is to show the characteristic with which the act becomes evildoing.It might be argued: "It is sufficient for you to make it an animal, and it is not requisite that he should be a man, given that if an animal corrupts the farm of a man, it should be prevented, in the same way as a mad is prevented from committing adultery with a female mad or having sexual relation with a female animal."

In reply to that, it should be known to you that in case of the animals, to name it Hisbah is pointless. Hisbah means to prevent an evildoing for the sake of Allah's' right in order to safeguard the prevented from committing sin. To prevent a mad from committing adultery with a mad woman or from having sexual relation with a female animal is for the sake of Allah in the first place, and the same is true of preventing a child from drinking wine. If a man damages the farm of another, he should be prevented from it for the sake of two rights: the first is the right of Allah Almighty, for causing such damage is a sin; and the other is the right of that man whose farm was damaged. Those are two divisible reasons.

If one cuts off a part of the body of another with his leave, there should be only one right, i.e. the right of Allah Almighty, and the right of the victim will lapse with his leave. But Hisbah is affirmed with anyone of both reasons. If an animal causes damage, it will not be sinful, but prevention is affirmed at least with one of both reasons. But there is a subtlety, i.e. we do not intend to prevent the animal in so much as we intend to guard the property of a Muslim. However, if an animal eats the flesh of a dead body, or drinks water mixed with wine, we shall not prevent it form that. Moreover, it is permissible to feed hounds with the flesh of the dead bodies. But if the property of a Muslim is exposed to be wasted, and we have the power to save it with no effort, it is incumbent upon us to do so. If a jar is to fall down from a high place over a bottle, it is incumbent upon us to hinder the jar form falling, not for the sake of the jar itself but for the sake of saving the bottle from destruction. We do not intend to safeguard the jar from falling down but that it would break the bottle. We also prevent the mad from committing adultery (with a mad woman), or having sexual relation with an animal, and the child from drinking wine not to safeguard the female animal, or the wine, but to safeguard the mad, be he male or female, to be a respected man. Those are subtleties that none understands but the scholars.

But you might argue: "Whoever sees animals having damaged the farm of another: is it incumbent upon him to turn them out? Similarly, whoever sees the property of a Muslim is about to be wasted: is it incumbent upon him to save it? If you adopt the opinion that it is obligatory, then, it will be a difficult obligation in which one becomes subjugated to others. If you adopt the opinion that it is not obligatory, in this case, it will not be obligatory to prevent anyone from usurping the property of another, with no cause other than his claim he is looking after it."

In reply to it, let's say that it is an abstruse discussion. In brief, let's say that if one has the power to safeguard it, with no physical trouble, or material and moral loss, it is incumbent upon him to do so. This is obligatory in regards to the rights of Muslims upon each other. However, there are many evidences that support the obligation of the Muslims rights upon each other; and this is the minimum. It is more obligatory than to return salutation with peace. That is for the harm caused in this is more severe than the harm caused by leaving the returning of salutation. Moreover, there is no difference that if the property of a Muslim is to be wasted

at the hands of a wrongdoer, and if a man's true witness is to restore that property to its wronged owner, it becomes incumbent upon him to give that witness, and he will be sinful in case he conceals witness. But if he is to suffer trouble or harm because of that, it is not incumbent upon him to do it. If he pays no trouble by awakening the owner of the farm, or informing him (of the damage), it becomes incumbent upon him to do it, for to neglect in letting him know is like to indulge in giving witness before the judge. However, there is no concession in it.

But if the property is to be lost through committing a sin, like illegal usurping by force or killing a slave belonging to the owner of the property, prevention becomes incumbent even if it requires trouble and effort to be exerted. What is intended is the right of Sharia, and the purpose is to avert the sin, and man has to trouble himself to avert sins, just as he has to trouble himself to leave sins. to be sure, the trouble results from the attempt to leave sins, all the sins, and the obedience (to Allah Almighty) lies in the opposition of one's own self and desires. Furthermore, it is not incumbent upon him to endure every kind of harm: but the various degrees of the forbidden things should be considered.

On the other hand, the scholars differ about two things close to our topic. The first pertains to the lost thing that is picked up (Luqatah): is picking it up obligatory, given that the thing that is to be picked up is lost, and to pick it up is to safeguard it form being lost? Let's say that if the Luqatah is in a place where if it is left, it will not be lost, and rather the one who recognizes it will come to take it, like a mosque, then, it is not incumbent upon him to pick it up. But if it is in a place where it would be lost in case it is left, then, the matter is questionable. If he is to be troubled by saving it, like the animal that needs fodder and stable, then, it is not incumbent upon him to take it. That is because picking up a Luqatah is obligatory for the purpose of saving the right of the owner, who is a man, and the one who picks it up is also a man, who has the right not to be troubled because of anyone else, just as he does not trouble anyone else. If it is gold, clothes, etc, because of which he receives no harm other than letting the people know about it (in order that the owner would come to take it), the matter is questionable.

Others say that as making a public announcement about it requires trouble, and thus there is no way to oblige him to do it unless he does it voluntarily. Others are of the opinion that this amount of trouble is trivial in comparison with the obligation of observing the rights of Muslims upon each other. This is like the trouble a witness in the court receives. If the court is in another town, it is not incumbent upon him to suffer the trouble of journey unless he does it voluntarily. But if the court is in the same town, it becomes incumbent upon him to attend (to give witness), for the trouble in this case will not be much in the way of establishing witness and fulfilling the trust. If the court lies in the other side of the town, and he is required to attend at the time of noon when it is very hot, the matter is subject to reasoning.

The harm a courier receives in the way of saving the property of Muslims has

two ends: the minimum that is undoubtedly endurable, and the maximum that is undoubtedly unbearable. Between both ends, there is the middle that is always subject to suspicion. It is a chronic suspicion too difficult upon any man to remove. But the pious considers what is more beneficial and more rewardable for himself, and leaves the doubtful for the sake of what is not doubtful. This is the final word in that issue.

The Fourth Foundation: The Way Of Preventing Sin

It has many degrees and etiquettes. Five degrees might be obtained: the first is to seek to know the evildoing, then to let him know, then to forbid him, then to admonish and advise him, then to insult and scold him, then to change the evildoing with hand, then to threaten to beat him, then to really beat him, then to take up arms, and then to seek the help of supporters and mobilize soldiers.

The first degree is to seek to know the evildoing. It is forbidden for it belongs to spying as we've already mentioned. One has not to try to stealthily listen from the house of another, in order to hear the sound of musical instruments, nor to smell to detect the smell of wine, nor to touch what is underneath his garment to know whether or not it is a reed pipe, nor to investigate from his neighbours to tell him about what occurs inside the home. It is true that if two just men take the initiative to tell him, without asking them, that so and so drinks wine in his house, or has in his house wine he prepares to drink, he has the right to enter his home without his leave, so long as the purpose is to avert the evildoing. But that it is permissible to attack his house when he is told by two just persons, or even by only one just person, about an evildoing being practiced inside the house, is questionable. What is more right is that he should not attack it, for the owner of the house has the right that none should enter his house without his leave. This right of a Muslim does not lapse unless there are two just witnesses. It is said that on the ring of Luqman, the following was engraved: "To conceal what you see with your own eyes is much better than to make public what you think to be."

The second degree is that he should let the evildoer know that what he does is an evildoing. Sometimes, one might do an evildoing just because of his ignorance of its nature, and once he knows that it is an evildoing, he would leave it. It is like a layman who prays and does not perform bowings and prostrations well, thereupon it is learnt that he does so out of his ignorance that by so doing, this is not a valid prayer. He should be shown his mistake kindly and gently. However, to let a man know something means implicitly that he is ignorant, if not foolish, and by no means would a man accept to be ascribed to ignorance and foolishness. Do you not see how a man becomes angry when he is informed about his ignorance, and how he tries hard to deny the truth even when he knows it, just to conceal the defect of his ignorance? To be sure, people are predisposed, by nature, to conceal the defect of ignorance than to screen the defect of body, for ignorance make ugly the soul, for which one is held responsible. As the soul is more honoured than the body, its ugliness is more harmful than the ugliness of the body, for which he is not guilty, for it does not occur by his will, and he has

no power to remove it willingly, unlike the ugliness of ignorance which could be willingly removed by knowledge. For this reason, the pain one receives because of his ignorance is severe, whereas the joy one receives because of his knowledge is so much, and he gets pleasure from showing the beauty of his knowledge to others.

Furthermore, as letting one knows his mistake is to pain his heart and disclose his defect of ignorance, he should stick to kindness. He might say to him that the man was not born as a knowledgeable, and one day we all were ignorant of the things to be done in prayer, and we learnt them from the scholars. It may be that there is no religious scholar to teach you the matters of the prayer, or perhaps his explanation of the prayer is insufficient. It is a prerequisite for the prayer to be at ease in bowing and prostrating..." he should go on as such to let him know his mistake without harming him, for it is unlawful and forbidden to harm a Muslim, as well as it is forbidden to leave him do the evildoing. there is no rational man who washes the blood with the blood or urine. If one avoids the forbidden silence of the evildoing, and chooses to harm a Muslim unnecessarily has indeed (become like the one who) washed blood with blood or urine. If you notices from him a mistake but not in a religious matter, do not alert him to it, for by the time he will benefit from your knowledge in that effect, he will into an enemy to you. But if you learn that he likes knowledge and avails himself of it, it is good, although it is very rare.

The third degree is to forbid him by admonishing, advising, and frightening him of (the punishment of) Allah Almighty. But this is true of him who does a thing which he knows to be an evildoing, or him who insists on doing it after he has known that it is an evildoing, like the one who persists in drinking wine, backbiting, wronging others. He should be admonished and frightened of (the punishment of) Allah Almighty. The narrations and stories about threats (of punishment) should be related to him, and the biography of the righteous predecessors and the worship of the pious should be narrated to him. But in all cases, kindness and gentility should be observed. He should be seen with the eye of mercy and sympathy, since his committing a sin is a calamity for all the Muslims, for the Muslims should be like one body and soul.

But there is a serious demerit that should be avoided because it is destructive. When a scholars comes to show a sinner his mistake, he sees that he is honoured by his knowledge, whereas the other humiliated by his ignorance. This might cause him to intend by showing to the other his mistakes to put him to humiliation, and give himself superiority by virtue of the honour of knowledge over the other who suffers the baseness of ignorance. If it is the intention, then, it is an evildoing that is more hideous than the evildoing committed by the other. The example of that Muhtasib is like the one who delivers another from the fire and rather burns himself in it. To be sure, it is an evident ignorance and tremendous evil.

The soul takes pleasure when one gives a judgement on another for two

reasons: the first pertains to knowledge, and the other pertains to the authority of judgement, which in turn refers to showing off and seeking for celebrity; and this is the hidden desire which lies behind he concealed polytheism. There is a criterion according to which a Muhtasib should examine himself. He should wonder about what is more lovable to him: if the evildoer refrains from the sin by himself or as a result of being prevented by another one or if he prevents from evildoing as a result of his preventing him. If he sees Hisbah difficult upon himself and heavy upon his heart, and he likes that anyone else would suffice him, in this case, there will be no harm upon him to practice Hisbah, for his motive is the religion. But if it is dearer to him that this evildoer should be deterred by his (the Muhtasib's) admonition and warning, then, he will be no more than a follower of his own desires and inclinations, and seek to achieve his own celebrity through his Hisbah. In this case, he should fear Allah, and do Hisbah first on himself. At that point, it should be said to him the same as was said to Jesus "Peace be upon him": "O son of Mary! Admonish first yourself, and when you receive admonition, then, you (will be apt to) admonish the people, otherwise, feel shy of Me!" it was said to Dawud At-Ta'i: "What do you see in a man who enters upon those governors and commands them to do good and forbids them to do evil?" he said: "I fear he might be beaten by the whip (as punishment)." He said: "He has power to endure it." He said: "Then, I fear he might be struck by sword (i.e. be killed)." He said: "He has power to endure it." He said: "I fear he might be exposed to the hidden ailment, i.e. haughtiness."

The fourth degree pertains to insulting and scolding with harsh words. A Muhtasib resorts to it when he fails to prevent the sin with the kind words, and the evildoer insists on sin and ridicules admonition and counsel. This is like the statement of Abraham to his people: "Fie upon you, and upon the things that you worship besides Allah! Have you no sense?" (Al-Anbiya 67)

﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

We do not mean by insulting to use obscene and foul words with the evildoer or ascribe him to adultery and telling lies or the like of it. But it is to address him with what he really has and does like such words as "O wicked, O dissolute man! O foolish! O ignorant! Do you not fear Allah?" indeed, every dissolute or wicked is a foolish and ignorant, and had he not been foolish and ignorant, he would not have disobeyed Allah Almighty. Therefore, everyone who is not intelligent should be a foolish. The intelligent is the same as described by the Messenger of Allah when he said: "The intelligent one is him, who puts himself to humiliation (in religious service), and works for (the life) after death; and the powerless one is him who makes his self follow all of its own lusts and then expects for (both mercy and forgiveness of) Allah." (At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Abu Ya'li: Shaddad Ibn Aws).

This degree has two proprieties to be observed: the first is that he should not use it unless there is severe necessity and failure to achieve the required objective

with the kind words. The other is that he should not speak but the truth, and do not let his tongue speak with what is unnecessary. If he learns that he is not to be deterred with his deterring speech, he should not continue to do it: he rather should restrict himself to showing his anger, contempt and disrespect for him in view of his sin. If he learns that in case he talks to him (about his evildoings), he will strike him, whereas if he only frowns in his face and shows his anger and grief, he will not strike him, then, he should not be satisfied with denying the evildoing only with his heart: but rather he should continue to frown his face in front of him and show his anger and grief out of rejection of his evildoing.

The fifth degree is to change the evildoing with the hand, like spilling over the wine, breaking the musical instrument, removing the pieces of silk from his head and body, and preventing him from sitting on it, driving him away from sitting on or having the property of another (without his permission), turning him out of the illegally usurped house, turning him out of the mosque if he is sitting while being in the state of ceremonial impurity, and the like of those things. But this is imaginable to be done in regard to some and not all the sins. there is no power to change the sins of tongue and heart, and the same is true of every sin that is limited to the sinner and his inward.

There are two proprieties to be observed for that degree: the first is that he should not hasten to change with his hand unless he fails to convince the sinner to give up his sin. If, he has the power to convince him to come out on foot from the usurped house or from the mosque (in case he is in the state of ceremonial impurity), he then should not push him or drag him by force. If he is able to convince him to spill over the wine by himself, break the musical instruments, loosen the pieces of silk from his garment, he should not do it with his own hand. Indeed, one finds it difficult upon himself to have another do those things for him.

The other is to be restricted to change only what is needed to be changed. He should not, for instance, catch hold of him by his beard while turning him out, or by his leg if he is able to draw him by his hand, nor tear his silk garment, but rather loosen it, nor burn the musical instruments or the like of them, but rather damage it only by breaking. In regard to spilling wine, he should avoid breaking the utensils as possible as it could be. But if he could not but to throw the receptacles with a stone which results in breaking them, he has the right to do it, and the receptacles becomes valueless because of the wine it contains. Had one screened the wine with his body, surely, we would have aimed at injuring and harming his body to have access to the wine. If the wine is in bottles of narrow mouths and it takes a very long time to spill it, then, he has the right to break those bottles that contain wine. Indeed, it is not required from him to lose his work because of engaging for a long time in preventing such a sin. But if wine is too easy to spill without being forced to break the utensil, then, breaking is not permissible.

But you may argue: "Is it not permissible to break the utensil out of scolding, and is it not permissible to catch hold of a man by his leg and turn him out from

the usurped land or the mosque (in case he is in the state of ceremonial impurity), by way of deterrence?" in reply to it, it should be known to you that deterrence pertains to the future sin, whereas punishment is for the past sin, and avert committing it in the present. The individuals have no right but to avert the present sin, i.e. exterminate the evildoing, and what is beyond it is either a punishment for a previous crime, or a deterrence of a future sin, and this is the responsibility of the governor and ruler and not the individuals themselves. The ruler or governor had the right to do it if he sees that the benefit lies in doing it. He has the right to break the receptacles that contain wine by way of deterrence. This was done during the lifetime of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in confirmation of deterrence. (This narration of breaking the receptacles that contained wine during the lifetime of the Prophet is reported by At-Tirmidhi on the authority of Abu Talhah). But at that time, there was a dire need of deterrence. If the governor sees a similar need, it becomes permissible for him to do so; but it is not permissible for the individuals to do it by themselves.

You might argue that it is permissible for the governor, by way of deterring people from committing sins, to ruin their property, demolish their houses in which they drink wine and commit sins, and damage and burn their property with which they do all of their sins. It should be known then that although it might be permissible under Sharia, it should not go beyond the achievement of interests and benefits of people. We do not invent such interests in so much as we follow the previous generations regarding them. It has been proven that breaking receptacles of wine was done because of a dire need, and that it was given up when such need disappeared should not abrogate it. The ruling disappears by the disappearance of its reason, and returns by the return of the reason. We make it permissible for the ruler by way of following (the previous generations) and make it impermissible for the individuals because it is abstruse upon the independent reasoning to attain the right in it. Let's further say that if the wine is to be spilled first, it will be impermissible to break the utensils after that. It is permissible only to break utensils in case they contain wine, and when they are empty of wine, then, to break them is to damage the property of others (and it is illegal), unless they are made for wine in particular, in a way that makes them not fitting for anything else.

Thus, the act that is handed down from the first generation was due to two reasons: the first is the dire need of deterrence, and the other is that the receptacles contained wine. Both reasons are inseparable, and none of them could be cancelled. But there is a third reason, which is of greater importance, i.e. that it was done by the command of the giver of law, i.e. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in view of his knowledge of the dire need of deterrence. This also could not be cancelled. The Muhtasib is in need of being well-acquainted with those subtleties of jurisprudence before he does his Hisbah.

The sixth degree is to threaten and frighten the evildoer by saying, for

instance: "Leave that sin otherwise I will break your head, chop off your head, or command that you be sentenced to severe punishment" and the like of this. This degree should be brought before the actual striking, as possible as it could be. The propriety to be observed here is not to give him a threat that is impermissible for him to achieve, like saying to him: "I shall rob the property of your house, or I shall strike your child, or I shall take as captive your wife" etc. if one says so with the determination to do it, it will be unlawful, and if he says it and he is not true, he will be a liar. If he threatens to strike and deride him, he might fulfill it but to a certain limit to be required by the current state. But one might threatens with what is more than his internal determination if he sees it more deterring for in this case, it will be a customary exaggeration and not forbidden lie, just like the one who exaggerates in his good speech about two opposing parties or two wives in one wedlock with the intention to make reconciliation between them. Concession has been given to do it if there is need for it. However, the intention here is to reform the affairs of the evildoing. Some refer to that concept saying that it is not odious in the Sight of Allah Almighty to threaten with what he really does not do, for it is out of generosity not to do what one threatens with, but what is odious in the Sight of Allah Almighty is to promise with what one does not do.

The seventh degree is to strike directly with one's hand and feet but not with weapons. This is permissible for the individuals to do it, on the condition that there should be dire necessity on the one hand, and they should limit it to what is required on the other hand. When the evildoing is turned, then, he should cease. The judge might punish the one upon whom the right is due by putting him in prison until he fulfills it, and if he rejects to fulfill it, and the judge learns he is able to do it, but he behaves obstinately he has the right to compel him to fulfill it by force, following a graduation approach, the same as the Muhtasib should assume. If he needs to take up arms and he ahs the power to avert the evildoing by injuring the evildoer, he has the right to do it so long as it will not lead to affliction among the people. It is like the case in which a dissolute takes hold of a woman (to rape), or plays on a pipe, and there is an impediment like a river or a wall between him and the Muhtasib, then, the latter has the right to take up his bow and say to him: "Leave her, otherwise, I shall throw you with it." If he leaves her not, he has the right to throw him, but aiming not at Achilles' heel i.e. a deadly organ. He should observe graduation. He also has the right to unsheathe his sword and say: "Leave that evildoing, otherwise, I shall strike you." Those are ways to avert the evildoing, which should be averted by all means available. There is no difference here between violating the rights of Allah Almighty and violating the rights of men. But according to Mu'tazilah, there should be no Hisbah but with words or strike in what pertains not to the rights of mankind, and it lies in the liability of the ruler and not the individuals themselves.

The eighth degree is that when a Muhtasib has no power to prevent the sin by himself, but he needs to gather armed helpers to help him do so. But in this case, a dissolute might ask the aid of armed helpers to help him resist

that. Of a surety, this leads to fighting and affliction. There is difference as to whether or not it needs a permission from the ruler . According to some, the individuals themselves should not do so, for it leads to raising affliction and tumult among the people, and destruction of the country. But others are of the opinion that it does not need a permission from the ruler ; and this is more right in our sight.

However, if it is made permissible for the individuals to enjoin right and forbid evil, and the first degree of doing it leads to the second, and the second to the third and so on until it inevitably leads to fighting which summons co-operation, then, a Muhtasib should not be careless about the ends of enjoining right and forbidding evil, which is to mobilize soldiers seeking the good pleasure of Allah Almighty and averting evildoings. As we make it permissible for the fighting individuals to gather and fight such of disbelievers and polytheists as they please, in order to suppress disbelief, why then should we not make it permissible to suppress the evildoers and corrupters? There is no harm to kill a disbeliever, and if a Muslim is killed, he will be a martyr. Similarly, there is no harm to kill the dissolute to struggle in defense of his dissoluteness, and if a true Muhtasib is wrongfully killed, he will be a martyr.

Anyway, such end is rare, and it should not change the original law of analogy: if one has the power to avert an evildoing, he should do it with his hand, his weapon, himself and his helpers; and it is subject to probability.

SUBCHAPTER
ON ETIQUETTES OF MUHTASIB

The etiquettes of the Muhtasib return to three characteristics that he should have: knowledge, piety and good manners. Knowledge makes him learn the locations, points, limits and impediments of Hisbah, in order to restrict his Hisbah to the requirements of law. The piety deters him from opposition. Not all who learn act upon what they learn. Perhaps a man knows he exceeds the due bounds of Hisbah, but he is forced to do so by a certain purpose. His speech and admonition should be acceptable, for the dissolute might deride and make fun of him and this encourages others to dare to behave impolitely towards him. The good manners make him kind and lenient towards the others while preventing them from sin. The good manners are the origin, without which both knowledge and piety are insufficient. If one's anger is provoked, both knowledge and piety will not be sufficient to suppress it, unless one's good manners help him accept it. In Verification, piety could not be achieved perfectly in the absence of the good manners, and the power to control one's desires and anger. It is with good manners hat a Muhtasib could persevere on what harms him for the Sake of Allah Almighty, otherwise, if his honour is violated, his property is afflicted, or he is abused or beaten, he will forget Hisbah, and be occupied by himself from the religion of Allah.

With those three main characteristics, Hisbah becomes one of the acts of worship, and evildoings are averted. In the absence of those characteristics,

evildoings might not be averted, and the Hisbah itself might turn into an evildoing, because of exceeding the due limits prescribed by Sharia. Those etiquettes are confirmed by the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in which he said: "None should enjoin right and forbid evil unless he is kind when he enjoins and kind when he forbids, forbearing when he enjoins good and forbearing when he forbids evil, jurisprudent in what he enjoins and jurisprudent in what he forbids."

This provides evidence for the fact that the absolute jurisprudence is not requisite, but one should be jurisprudent just in what he enjoins and forbids. The same is true of forbearance. According to Al-Hassan "may Allah have mercy upon him": "If you are of those who enjoin right and forbid evil, you should be the most ready among the people to act upon it, you will be ruined." It is said in this respect: "Do not blame one for the evil which you yourself do, because whoever blames anyone for the same he himself does slights his mind." But this does not mean that enjoining right is forbidden by dissoluteness, in so much as it has no impact upon the hearts when dissoluteness is visible to the people.

It is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: We said: "O Messenger of Allah! Should we not enjoin right unless we act upon what is right entirely, and forbid evil unless we avoid evil entirely?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No, but you should enjoin right even if you do not act upon what is right entirely, and forbid evil even if you do not avoid evil entirely." (This narration is reported by At-Tabarani). One of the righteous predecessors advised his sons saying: "If anyone of you likes to enjoin right and forbid evil, he should habituate himself to patience and have trust in the reward of Allah Almighty, for if one trusts in the reward from Allah Almighty, the harm shall have no effect on him."

One of the etiquettes of Hisbah then is to habituate oneself to patience. This is why Allah Almighty linked patience with enjoining right as shown from His statement on the tongue of Luqman: "O my son establish regular prayer, enjoin what is just, and forbid what is wrong; and bear with patient constancy whatever betide you; for this is firmness (of purpose) in (the conduct of) affairs." (Luqman 17)

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ ﴾

Another etiquette is to belittle one's relations and acquaintances, in order to have not much fear, and cease to covet of the people, perchance he would not be forced to flatter them. It is narrated that an old man had a cat for which he used to take a daily portion of meat from a neighbouring butcher. One day, he saw the butcher committing an evildoing. He entered his home first and drove out the cat and then came and forbade the butcher. The butcher said to him: "I shall give you nothing for your cat from now on." On that he said to him: "I have not come to forbid you except after I turned out the cat, and ceased to covet of you."

This is so. If one does not cease to covet of the people, he will not be able to forbid people form evil.

Similarly, if one covets to obtain the kindness and praise of people, Hisbah will not be made easy to him. Ka'b Al-Ahbar asked Abu Muslim Al-Khawlani: "What is your position among your people?" he said: "Good." Ka'b said: "But Torah tells something different." He said: "What does it tell?" he said: "It tells that if a man enjoins good and forbids evil, his position will be bad among his people." On that he said: "Torah has told the truth, and Abu Muslim has told a lie." The obligation of kindness is attested from Al-Ma'mun's narration when a man admonished him and he was severely harsh, thereupon he said to him: "O man! Be kind! Allah Almighty sent him (Moses) who was better than you, to a people who were worse than me, and ordered him to stick to kindness. Allah Almighty said: "But speak to him mildly; perchance he may take warning or fear (Allah)" (Ta Ha 44)

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾

A Muhtasib then should be kind in his words in imitation of the guidance of the Prophets "Peace be upon him". In this connection, it is narrated on the authority of Abu Umamah that a young man came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "O Messenger of Allah! Give me permission to commit adultery!" the people (who were present there) turned to him and started scolding him; and the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Let him come nearer (to me)!" then, he ordered him to sit, and when he sat he asked him: "Do you like this (adultery to be committed by others) with your mother?" he answered: "No, by Allah, let me sacrifice you!" he said: "Nor do the people like it (to be committed by others) with their mothers. Do you like it for your daughter?" he said: "No, by Allah, O Messenger of Allah! Let me sacrifice you!" he said: "Nor do people like it for their daughters. Do you like it for your sister?" he said: "No, by Allah, let me sacrifice you!" he said: "Nor do the people like it for their sisters. Do you like it for your paternal aunt?" he said: "No, by Allah, let me sacrifice you!" he said: "Nor do people like it for their paternal aunts. Do you like it for your maternal aunt?" he said: "No, by Allah, let me sacrifice you!" he said: "Nor do people like it for their maternal aunts." Then, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" put his hands over his body and invoked saying: "O Allah! Forgive for him his sin, purify his heart, and make him chaste!" after that, never did the young man turn to anything (wicked). (This narration is reported by Ahmad and Ibn Awf).

It was said to Al-Fudail Ibn Ayad "may Allah have mercy upon him": "Sufyan Ibn Uyainah accepted awards from rulers." He said: "What he took from them is but less than his due." When he sat alone with him he reproached and rebuked him so much, thereupon he said to him: "O Abu Ali! As we are not among the righteous, at least we love the righteous." It is narrated on the authority of

Hammad Ibn Salamah that he said: A man came upon Silah Ibn Ashyam and he had let his garment hang down (out of arrogance), and when his companions intended to take hold of him he said to them: "Let me, for I shall suffice you." He said to him: "O son of my brother! I have a need from you." He said: "What is your need O my uncle?" he said: "I like that you raise your garment something a bit." He said: "Yes, with pleasure." He raised his lower garment accordingly. On that he said to his companions: "Had you dealt with him harshly, he would not have responded, and moreover, he would have abused you."

According to Muhammad Ibn Zakariyya Al-Ghilabi: I was present at night when Abdullah Ibn Muhammad Ibn A'ishah came out of the mosque after Maghrib prayer with the intention to go home, and on the way, there was a drunk young man belonging to the Quraish, and he had caught hold of a woman and pulled her to himself, and when she asked for relief, the people gathered round him to strike him. Ibn A'ishah looked at him and recognized him. He said: "Move aside from the son of my brother." He said to him: "Come close to me O son of my brother." The young man felt shy and came close to him. He embraced him and asked him to go with him, and he went accordingly. When they reached the house he admitted him and told one of his servants to take him to spend the night with him, and said: "When he recovers from intoxication, inform him of his deed and do not let him leave until I see him." When he recovered, he mentioned to him what had happened, thereupon the young man felt shy and went on weeping. He intended to leave but the servant said to him: "The old man ordered that he should see you." He brought him to Ibn A'ishah who said to him: "Have you not felt shy for the sake of yourself? Have you not felt shy for the sake of your honour? Do you not see who your parent is? Fear Allah and leave the evil you are doing." The young man wept so much while lowering his head. Then he raised his head and said: "I take pledge on myself with Allah Almighty about which He shall ask me on the Day of Judgement , that I shall never return to drink wine or to any evil I have been doing, and I turn to Allah in repentance." He said to him: "Come close to me." He kissed his head and said: "You've done well O my son!" afterwards, he stuck to him and wrote tradition from him, by the blessing of his kindness towards him. He said to him: "People enjoin right and forbid evil, but their good turns into an evildoing. So, stick to kindness in all of your deeds, therewith you would attain what you seek for."

It is reported on the authority of Al-Fath Ibn Shukhruf that he said: "A man got attached to a woman and he disturbed her on the way, and he had a knife in his hand, and no man came close to him but that he injured him with it. The man was strong. Such being the case, and the woman was crying in his hand, Bishr Ibn Al-Harith passed by and came close to him, and rubbed his shoulder against the shoulder of the man who fell down on the ground. Bishr walked and came closer to the man while sweat was dropping from him profusely. The woman went away. When they asked him about his state he said: "I do not know. But an old man rubbed his body against mine and said to me: 'Allah Almighty is looking at

you and what you are doing'. My feet weakened because of his statement, and I revered him so much although I do not know who this man is." They said: "He is Bishr Ibn Al-Harith." On that he said: "Alas for me! How should he look at me after that day?" the man was afflicted with fever and died seven days later.

This was the habit of the religious men in regard to Hisbah. We have already related many narrations about it in the love and hate for the Sake of Allah Almighty in the Book of the Etiquettes of Companionship. So, let's not be lengthy by repeating that once again. This is a total consideration of the degrees and etiquettes of Hisbah; and it is Allah Who grants success with His Bounty; and praise be to Allah for all of His favours.

CHAPTER THREE: EVILDOINGS AMONG CUSTOMS AND HABITS

Let's here refer to many to be representative of all of them, since there is no hope of enumerating them all. They include the following:

Evildoings Pertaining To Mosques

It should be known that evildoings are divided into forbidden and undesirable. If we describe an evildoing as an undesirable, it should be known that to prevent it is desirable, but to keep silent from preventing it is undesirable and not unlawful. But if the evildoers does not know that it is undesirable, he should be alerted to that, for the undesirable is a ruling that should be conveyed to him who is ignorant of it. But if we describe an evildoing as forbidden, or absolute, then, to keep silent from it in the presence of power to prevent it is forbidden.

Among the things that are clearly seen in the mosques is to perform prayer imperfectly, i.e. that one does not feel at ease in his bowing and prostration. It is an evildoing that invalidates the prayer as stated by the Prophetic Hadith. So, it should be forbidden (according to all juristic schools) except the Hanifites, who thinks that this does not affect the validity of the prayer. To be sure, if one sees another performing prayer imperfectly, and he keeps silent from him, he will be his partner in the sin, as confirmed by many Prophetic traditions and narrations. In connection with backbiting for instance that the listener (who says nothing) is a partner of a backbiter. This applies to anything that affects the validity of the prayer, such as the invisible impurity on the garment, turning from the direction of Qiblah because of darkness or blindness, all of which should be prevented.

They also includes the recitation of Qur'an mistakenly, which should be forbidden, and the reciter should be corrected. If a Mu'takif in the mosque engages most of his time in that (correcting the mistakes of others in recitation) on the exclusion of voluntary prayers and celebration of Allah Almighty, let him do, for it is much better for him than his celebration, for it is an obligatory duty, and an act of worship whose benefit extends to others. Thus, it is more advantageous than a supererogatory deed whose benefit is limited to him. If this occupies him from his profession from which he earns his sustenance, in this case we should consider: if he has what suffices him, it becomes binding upon

him to engage in that (correcting), and it is impermissible for him to leave Hisbah for the sake of demanding more earnings. But if he needs to earn for the sustenance of his day, it will lapse from him, and this will be a legal excuse for him to leave it because of his failure (to combine both works).

Furthermore, whoever recites Qur'an with many mistakes and at the same time he has the power to learn, it becomes binding upon him not to recite it before he learns for his recitation with mistakes is a sin. If his tongue could not submit to him, and most of his recitation contains mistakes, he should leave it, and endeavour to learn at least Al-Fatihah with correctness. If most of his recitation is correct, there will be no harm then to continue to recite, but with lowering his voice, lest his mistaken recitation would be audible. Although others are of the opinion hat he should also be prevented from reciting as such in secret, I see no harm in it as long as this is the utmost of his power, and at the same time he becomes sociable with and keen on recitation.

Those also include the way Mu'adhdhins reverberate their voices and prolong the words of Adhan, and turn away from the direction of Qiblah with their whole chests while saying 'Come to prayer, come to prosperity'; or the way everyone of them proclaims Adhan solely without stoppage until the Adhan of the other finishes, in a way that puts the attendants to confusion as to how to respond to the words of Adhan in view of the tangle of voices. All of those are forbidden evildoing which should be shown and clarified. If the evildoer does those knowingly, it will be desirable to prevent him from it. Similarly, if there is a single Mu'adhdhin for a mosque who proclaims Adhan before Morning prayer, he should be prevented from proclaiming Adhan after Morning, lest he would put the fasting and praying persons to confusion. But he might be left if it is learnt that he proclaims Adhan before Mornings prayer so that the people would not rely on his Adhan in praying or leaving Suhur; or if there is another Mu'adhdhin with him whose voice is known, and he proclaims Adhan by the break of morning.

One of those undesirable things in connection with Adhan is to proclaim Adhan so many times one after another after the break of dawn, in succession, and along short intervals, either on the part of an individual or a group of people. There is no benefit in it unless there is no sleeping person in the mosque, and the voice is high enough to alert those outside the mosque. All of those are among the undesirable acts that oppose the right way of the companions and righteous predecessors.

Among those evildoings also is that the orator wears a black garment, which has much silk, or holds a golden sword. By so doing, he is a dissolute, and it is obligatory to reject his deed. The blackness itself is not undesirable, but it is also not desirable, for the white clothes are the dearest in the Sight of Allah Almighty. Those, who say that it is undesirable and a religion innovation means that it was not customary among the people of the first generation . But as it was not forbidden, it should not be described as a religious innovation or as undesirable.

One of those also is the speech of storytellers and preachers, who insert religious innovations in their words. If a storyteller tells lies in his stories, he then is a dissolute, and it becomes binding to reject his lies, and the same is true of the preacher who innovates in religion, and by so doing, he should be prevented from delivering speech. It is impermissible to attend his gatherings unless one does so with the intention to refute his lies and innovations, given that one should have the power (of knowledge) to do so. But in case of failure, it is impermissible to listen to the religious innovations. In confirmation of that, Allah Almighty said to His Prophet: "When you see men engaged in vain discourse about Our Signs, turn away from them unless they turn to a different theme. If Satan ever makes you forget, then after recollection, sit not you in the company of those who do wrong." (Al-An'am 68)

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

Furthermore, if his speech is inclined to increase hope, and cause the people to dare to do sins and the people become more audacious to commit sins and more confident of the mercy and forgiveness of Allah Almighty, it is an evildoing which should be prevented, for in this case their hope shall overweigh their fear, and this is grievous. What is more fitting and closer to the sound nature is to have their fear overweigh their hope, for their need of fear is more dire . But it is out of justice that both fear and hope should be adjusted according to the statement of Umar "Allah be pleased with him: "If on the Day of Judgement all the people are called to enter the fire (of Hell) except only one man, I hope I will be that man, and if all the people are called to enter the Garden except only one man, I fear I will be that man."

If a preacher is a young man who gets himself adorned in his clothes and appearance for women, who uses much poetry and signals and movements during his speech, and there are women attending his gathering, then, it is an evildoing which should be prevented, for its mischief is more than its rightness. Generally speaking, the responsibility of preaching should be given only to him whose outward reveals piety and rightness, whose setting tranquillity and reverence, and whose clothes are those of good and righteous among men, otherwise, the people shall but increase in their error and misguidance.

A barrier should be put up between men and women in the mosque, in order to prevent both to look at each other. However, this is the commencement of corruption, and this evildoing is customary. If there is fear of temptation because of women, they should be prevented from attending mosques for prayers and gatherings of celebration. A'ishah "Allah be pleased with her" prevented them, and it was said to her: "The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did not prevent them from attending the congregational acts of worship." She said: "Were the Messenger of Allah

"Allah's blessing and peace be upon him" to know what they changed after his death, surely, he would have prevented them." (This narration is reported by both Al-Bukhari and Muslim). But if she is to cross the mosque while being veiled, there is no harm. But it is more preferable for her not to take the mosque as a passage.

On the other hand, the way reciters recite the Qur'an in front of preachers, with prolonging words and reverberating their voices and doing mistakes which change the syntax of the Qur'an is an evildoing, and it is rejected and undesirable according to many righteous predecessors.

One of those evildoings also is to sit in ring-shaped gatherings in the mosque on Friday to sell medicine, foodstuff and incantations. It is also sinful to allow for beggars to stand and recite the Qur'an and read poetry (by way of begging the people on that day in mosques). Some of those things are unlawful for they belong to fraud, like the deceptive pharmacologists, and the men of charm and incantations: all of this is unlawful whether inside or outside the mosque, and it should be prevented. Every kind of transaction based on falsehood, deception and concealing defects is unlawful. But some of those are permissible outside the mosque, like sewing, selling medicine, foodstuff and books: all of this is not unlawful inside the mosque unless there is a particular occasion for it, i.e. to make narrow the praying area, and distract the praying people from their prayer. In the absence of such occasion, it is not unlawful, although it is more preferable to leave it. The condition of making it permissible in the mosque is to do it in a given time for taking the mosque as a permanent shop is forbidden. Some things are made permissible on the condition that they should occur very rarely, and in case they occur frequently, it loses that permissibility. The same is true of some sins which are minor on the condition that one does not insist on doing them. Thus, if the little of it will make it increase, it should be prevented, and this lies in the liability of the ruler and governor or the caretaker of the mosque with permission from the governor. But the individuals have no right to do so by themselves.

Another one of those evildoings is that the mad, boys and drunk enter the mosque. There is no harm if the boy enters the mosque, but without playing in it, although playing in the mosque is not forbidden to him. But at the same time, it is not forbidden to keep silent from his playing unless he takes the mosque as a permanent playground. In this case, he should be prevented from it. This is one of the things the little and not the much amount of which is lawful. This is confirmed by the narration of both Sahihs that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" stood to screen A'ishah "Allah be pleased with her" to watch the Abyssinians who were playing with their spears on the Id day in the mosque until she was satisfied. No doubt, had the Abyssinians taken the mosque as a playground, they would have been prevented. But it was not regarded evildoing at that time because it was rare and hardly to be repeated once again. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" commanded them to play so that A'ishah could be able to

watch them with the intention to please her. He said to them: "Play O sons of Arfidah!"

As far as the mad are concerned, there is no harm to enter the mosque, unless it is feared they might contaminate it or use foul and obscene language in it, or do what is shameful. But the quiet mad who is famous for his calmness and silence, he should not be turned out of the mosque. The same is true of the drunk. If it is feared of his ejection or causing harm with words, he should be turned out. If he drinks but is not intoxicated, and the smell of wine exudes a strong odor from him, it is an evildoing, which is undesirable. Why is not since the eater of onion or garlic should be turned out of the mosque if the smell of those exudes a strong odor from him? The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" forbade such to attend in mosques. But it is undesirable (not unlawful), although the matter of wine is more grievous.

If it is said that the drunk should be beaten and turned out of the mosque by way of deterring him, we shall reply that it is not: he should remain in the mosque, and is commanded to leave drinking. But to beat him by way of deterring is not up to the individuals, but it is up to the rulers and governors when he confesses of it, or two witnesses give witness to it. But the smell alone is not sufficient. It is true that if he is walking with a swinging gait among the people in a way that indicates his drunkenness, in this case, it is permissible to be beaten inside and outside the mosque to prevent him from demonstrating the effect of intoxication. However, to demonstrate the effect of lewdness is itself lewdness. Sins should be left, and after committing sins they and their effects should be screened. If one has succeeded to screen his sin, it is impermissible to spy on him. The smell of wine might exude a strong odor from him not because he has not drunk, but because he has sat near the place of wine. For this reason, it should not be reliable.

Evildoings Pertaining To Markets

One of the customary evildoings of markets is to tell a lie about Murabahah (i.e. to resell the commodity with a fixed and stated profit), and hide the defect of the commodity. Whoever says that he has bought such and such a commodity by ten Dirhams and I take such and such as profit, in which he tells a lie, is indeed a dissolute. Whoever knows it should inform the purchaser about his lies. If he keeps silent in order not to aggrieve the seller, he will be his partner in treachery, and will be sinful. Similarly, if one learns that a certain commodity has a defect, it becomes binding upon him to alert the buyer about it, otherwise, he will have accepted to waste the property of his Muslim brother, and it is unlawful. The same is true of the disparity of the cubit, measure and weight: it is incumbent upon him who knows something about that to change it with his hand, or at least inform the governor of it in order to change it.

Another evildoing is to leave offer and acceptance, and is satisfied only with giving; but this is subject to independent reasoning, and it should not be rejected

but in regard to him who thinks it is obligatory. The false and corrupt conditions between the parties of transaction also should be rejected, for they make invalid the contracts. Similarly, all transactions based on usury should be rejected, and they are prevalent among the traders nowadays. This applies also to all corrupt conducts.

Another evildoing is to sell the musical instruments and formed animals to the children on the Id day: all of those should be broken, and selling them should be prevented. The same applies to selling the utensils of gold and silver, the garments of silk and hats lined with gold, which men use: all of those are forbidden evildoings. Similarly, selling the old clothes, which are modified in order to seem as if new in the sight of people by way of deception should be prevented. This act is unlawful, and preventing it is obligatory. The same is true of all contracts that put the people to confusion; and they are too numerous to calculate. So, let one make analogies in what we have not mentioned depending upon what we have mentioned.

Evildoings Pertaining To Streets

Among the evildoings that are customary in streets is to place the pillars and build benches to be linked to the owned buildings, plant trees, bring out huge pieces of wood and big loads of foodstuff and grains in the main streets: if any of those leads to making narrow the way and harm the passers-by, it is then an evildoing; and if it does not lead to that because of the streets are broad enough, there is no harm in it, and it should not be prevented. It is permissible to put the loads of fire wood and foodstuff in the streets but only as much as is equal to what is transferred to the houses, for the need for it is shared among the people, and it could not be prevented at all. The same applies to fastening animals on the way, for it makes narrow the way and contaminates the passers-by: it is an evildoing that should be prevented, unless it is in proportion to the need of dismounting and mounting. To be sure, the benefit of streets is shared among the people, and one has no right to favour himself with the benefit on the exclusion of others. The pasture is the need for which the animals are made to cross the streets.

Another one of those evildoings is to drive mounts with thorns over them, in a way that tears the clothes of people: it is an evildoing. If it is possible, they should be pulled and stuck to each other in order not to tear the clothes, or go with them across another street which is larger, otherwise, it could not be prevented, since the need of the people of the country are dire for that. But they should not be left thrown on the street except as long as is equal to the time of loading and transferring.

Among those evildoings also is to overload mounts with what is beyond their capacity: it is a grievous evildoing that should be prevented. Another evildoing is that a butcher slaughters his animals in front of his shop, i.e. in the street, which he contaminates with blood. It is an evildoing which should be prevented. It is incumbent upon him to take a place for slaughtering in his shop in order not to

make narrow the street, and harm the people because of impurity and dirt. The same is true of throwing piles of ashes on the sides of the way, and sprinkling water in the street so much abundantly that one becomes vulnerable to slip. Similarly, it is an evildoing to take out water from the waterspout that are drawn out of walls in the narrow streets, for it contaminates the clothes and makes narrow the streets upon the passers-by. But in case the street is large, it should not be prevented.

Another one of those evildoings also is to leave the water of rain, hailstone and mud in the street, without sweeping. Although it is an evildoing, it lies not in the responsibility of a particular one of the people, unlike the snow which is thrown on the way by a particular one, or the water that is gathered from the waterspout of a particular person. It becomes binding upon this particular man then to sweep the way. But in the event of rain, it is a general Hisbah, and it is up to the rulers and governors to obligate particular persons to undertake it, and the individuals have nothing to do but to admonish and advise.

Furthermore, if one has a rabid dog on the gate of his house which harms the people, it should be prevented. But if its harm is only to contaminate the street, which might be avoided, it would not be prevented. If it makes narrow the street by stretching out its arms, it should be prevented. However, if its owner is to be prevented from lying in the way or sitting in a way that makes it narrow, it is more preferable to prevent his dog.

Evildoings Pertaining To Public Baths

One of those evildoings is the picture that is hung on the door or inside the bath: it should be removed by the one who intends to enter, as possible as he could. If it is too high for him to attain, it is impermissible for him to enter that bath unless there is severe necessity, and let him rather go to another bath, for it is impermissible to see the evildoing. It is enough for him to distort its face and wipe out its features. There is no harm in the picture of trees, unlike that of animals which should be prevented.

One of those evildoings is to uncover and look at the private parts. It is unlawful that a rubber uncovers the thigh and what is beneath the umbilicus to remove the dirt, or even get the hand in from underneath the lower garment: indeed, to touch the private parts of another is unlawful, just like to look at them.

Among those also is to lie on one's face in front of the rubber to poke thighs and buttocks: it is undesirable if there is an impediment, but it is not forbidden if there is no fear of raising the sexual desire. One of the shameful deeds is to uncover one's private parts to the non-Muslim cupper: it is impermissible for a woman to uncover her body before a Non-Muslim woman in the public bath, how should it be permissible for her to uncover her body before a non-Muslim male cupper?

Another evildoing is to dip the hand in the impure water particularly if it is

little in quantity, and wash the impure lower garment and wash ball in the tub whose water is very little. However, it contaminates the water, except according to the juristic school of Malik: so, it is impermissible to prevent the Malikites from it, although both Shafiites and Hanifites should be prevented. If both a Shafiite and a Malikite gather together in the public bath, it is impermissible for the Shafiite to prevent the Malikite from that, except by way of kind beseeching: "We need to wash the hand first and then dip it into the water, and of a surety, you are not to harm me and prevent me from getting purified." This is subject to independent reasoning, and the like of those affairs could not be prevented by oppression.

Another evildoing is to place smooth stones in the entrances and channels of water that belong to those public baths. That is because they might cause the heedless people to slip and fall down. For this reason, they should be removed. The negligence of the owner of the bath should be rejected and denied, for it leads to harm the people. It is an evildoing also to leave the soap on the ground of the bath. If one did so and left it and then another one came and slipped, and one of his organs was broken because of it, then the surety is due upon the owner of the bath and the one who has left it on the ground. It is due upon the owner of the bath to clean it. If it happened on the first day, the surety would be due upon the one who has left it, and if it was on the second day, it would be due on the owner of the bath, for it is the habit that the bath should be cleaned everyday. There are other evildoings pertaining to the public bath which we have already mentioned in the Book of Purification.

Evildoings Pertaining To Hospitality

Among those are to spread silk for men for it is unlawful, and to kindle the sense in gold or silver censors, to drink in silver utensils, to let down curtains with pictures, to listen to musical strings, to listen to songstresses. Among those also is that women gather on the roofs of houses to look at men, particularly if they include young men from whom temptation is feared. All of those are forbidden evildoings which should be changed. If one fails to change it, he should come out and leave the gathering. If one is not permitted to sit in a particular gathering, there is no concession for him to sit and see the evildoings. But the pictures that are on the cushions, pillows, dishes and plates are not forbidden. What is forbidden are the utensils that take the form of a particular picture . Sometimes, the heads of many censors take the form of birds, and this is unlawful, and the pictures should be broken. There is difference about the small kohl pot of silver. But Ahmad Ibn Hanbal rejected hospitality because of it.

On the other hand, one of the most grievous evildoings is that food is unlawful, the place of hospitality is illegally usurped, or the furnishings are unlawful. If wine is drunk there, it is impermissible to attend it, for it is unlawful to attend the gatherings of drinking wine, even if one does not himself drink. It is also impermissible to sit with the dissolute while he is committing wickedness. The point is whether it is permissible to sit with him after that, or he should be

hated and boycotted for the Sake of Allah Almighty, in the way we have already mentioned in the chapter on the Love and Hate for the Sake of Allah Almighty.

If there is among them a person who wears a silk garment or a gold ring, he is a dissolute, and it is impermissible to sit with him, unless there is severe necessity. If the garment is on a boy who has not yet attained the age of puberty, the matter is questionable. The right is that it is an evildoing, and it should be removed from him in case he is discerning. This is confirmed by the statement of the,: "Those (gold and silk) are unlawful for the male among my nation." (This narration is reported by Abu Dawud, An-Nasa'i and Ibn Majah on the authority of Ali). As well as it is obligatory to prevent the boy from drinking wine, not because he is legally competent, but because he will get accustomed to it in a way that makes it difficult upon him to leave it when he attains the age of puberty, he also will be possessed by the desire of getting adorned with silk, if he gets accustomed to it. In this way, it is a seed of corruption in his breast from which a rooted tree of desire shoot off, which becomes too difficult to displace after he attains the age of puberty. But the matter is different in regard to the undiscerning child, in connection with whom prohibition is not certain in so much as it is probable; and Allah knows best. The mad takes the same judgement of the undiscerning child.

It is permissible for women to get adorned with gold and silk without extravagance. I also see no concession to hole the ear of the female child to hang the gold earring in it, for it is a harmful injury. The like of it makes retaliation obligatory. Such injury is permissible only when there is a dire need like cupping, circumcision; and getting adorned with earring is not crucial. This, though customary, is unlawful, and preventing it is obligatory, and hiring for it is invalid, and the charge taken for it is not lawful, unless there is a proven concession to be handed down to us pertaining to it.

One of those evildoings is that in the gathering there is a religious innovator who speaks about his heretic. In this case, it is permissible only for him who has the power to refute him to attend that gathering with the certain intention to reply to him. But if one has no enough power to refute his religious innovation, it is impermissible for him to attend. If the religious innovator is not to speak about his innovation, it is permissible to attend, and show hatred towards him, and turn away from him as we have already mentioned it in the chapter of Love and Hate for the Sake of Allah. If in the gathering there is such as makes people laugh by humorous stories, it is impermissible to attend if they contain obscenity and falsehood. When one attends, he should reject his deed. But if it is no more than joking and jesting in which there is neither falsehood nor obscenity, it is permissible to attend. But the little thereof is permissible, and it is impermissible to take it as a profession and custom. Every kind of lie that is known to be a lie, and is not intended to put the people to confusion does not belong to evildoings, like one's saying: "I have invited you one hundred times today; and I have repeated the words to you one thousand times", and the like of it which is not intended to cause the people to believe it. The limit of the permissible joking and permissible lie will be discussed later in more detail in the Book of the Demerit of

Tongue in the quarter of the destructives.

Another one of those evildoings is to be extravagant in food and construction: it is a grievous evildoing. However, in regard to property, there are two evildoings: one is to waste it and the other to squander it with profligacy. To waste is to dissipate money with no benefit, like burning and tearing the dress, and demolishing the building with no purpose, and throwing money in the sea. Likewise, it is to spend money on the wailing and singing, and on the different kinds of corruption, for they are benefits which Sharia prohibits. The extravagance might be meant to spend money on singing and wailing, and all other evildoings. It also might be intended to overspend money on what is permissible, but with profligacy. The profligacy differs with the different states of people.

Let's say that if one possesses only one hundred Dinars and he has his family and dependents, and they have no other source of livelihood other than it, which he spends entirely on a banquet, he will be a spendthrift and should be prevented from committing that sin. Allah Almighty says: "Make not your hand tied (like a niggard's) to your neck, nor stretch it forth to its utmost reach, so that you become blameworthy and destitute." (Al-Isra' 29)

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾

This was revealed in connection with a man in Medina who distributed the whole of his property and left nothing for his dependents, and when he was required to spend on them, he failed for he had nothing. Allah Almighty further says: "And render to the kindred their due rights, as (also) to those in want, and to the wayfarer: but squander not (your wealth) in the manner of a spendthrift. Verily spendthrifts are brothers of the Evil Ones; and the Evil One is to his Lord (Himself) Ungrateful." (Al-Isra' 26:27)

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾

He Almighty also says: "Those who, when they spend, are not extravagant and not niggardly, but hold a just (balance) between those (extremes)." (Al-Furqan 67)

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾

Such a spendthrift should be rejected, and it is incumbent upon the judge to restrain his legal competence, unless he is alone, and is truly powerful enough to put his trust on Allah Almighty, in which case, he has the right to spend the whole of his property on the different kinds of goodness. But the one who has dependents, or is too weak to put his trust on Allah, has no right to dispose of the whole of his property. Similarly, if one spends the whole of his property on decorating his walls and adorning his house it will be unlawful extravagance,

although it might not be unlawful for him who has much property, for decoration is one of the valid purposes. As well as mosques are decorated and their gates and ceilings are engraved, although decoration itself is of no benefit other than adornment, so are the houses. The same is true of beautification with the smart clothes and luxurious food: it is permissible in itself, but it turns into profligacy as much as it is beyond the power and property of man. Such evildoings are beyond calculation, so you should make analogies depending upon what was mentioned, of the evildoings of the associations, gatherings of judges and rulers, schools of jurisprudents, hostelries of Sufis, and shops in the markets. No place is void of a forbidden or undesirable evildoing. To enumerate all evildoings summons us to enclose all details of Sharia, with its foundations, principles, branches. So, let's be satisfied with that amount.

Public Evildoings

It should be known that every one sitting at home at that time could hardly be free from a particular evildoing, in connection with refraining from instructing, guiding and exhorting people to do good. Most people are ignorant of the conditions prescribed by Sharia that make valid the prayer; and this applies to the town dwellers, what then about the desert dwellers and villagers? In the mosque of every town and village, there should be a jurisprudent to teach the people their religion. It is incumbent upon every jurisprudent who has finished from his essential duty that is obligatory upon everyone and devoted himself to the collective duty to go to the neighbouring town or village, in order to teach the inhabitants the principles and foundations of their religion. In this journey, he should take his provision with him, and refrain from eating of theirs, for the greater part of it is illegally usurped.

If only one undertakes that operation, the difficulty would lapse form the rest, otherwise all will be put to difficulty. The scholar will be put to difficulty because of falling short of setting out to teach the people; and the ignorant will be so because of his indulgence in learning. Every layman has learnt the condition of prayer has to teach them to the others, otherwise he will be a partner in the sin. It is a well-known fact that no man is born as learned of Sharia, but it is incumbent upon the people of knowledge to convey it to others. Whoever has learnt even a single question becomes knowledgeable of it. By my life, the sin of jurisprudents in this respect is more grievous, for their power is more evident, and this teaching is more fitting for their profession. If craftsmen leave their crafts (and devote themselves to teaching religion), the means of living would become idle. The duty and profession of a jurisprudent are to convey what was handed down to him from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". To be sure, the learned are the heirs of Prophets.

Furthermore, it is not for man to sit at home and not come out to the mosque under pretext that the people there could not pray perfectly: on the

contrary, if he knows that, it becomes incumbent upon him to come out to teach them, and forbid them to do evil. Similarly, if one is certain of an evildoing to occur in the market continuously or at a given time, and he has the power to change it, it is impermissible for him to cancel that duty from himself by sitting at home: on the contrary, it is incumbent upon him to come out. If he has power only to change some and not all evildoings, and he avoids seeing them, it also becomes binding upon him to come out, for if he comes out with the intention to change as much as he could, no harm shall he receive from seeing the evildoings which he could not change. But what is forbidden is to come out to see evildoings with no intention to change any of them.

It is then incumbent upon every Muslim to start with himself: he should first reform his own state by performing duties regularly, and leaving the forbidden things. Then, he should teach that to his household, and when he finishes from them, let him turn to his neighbours and then the men of his street, and then the inhabitants of his city, and so on until the farthest point of the world. If the nearest undertakes it, it will lapse from the farthest, otherwise, all who have power to do it, be he near or far, will be put to difficulty because of it. This difficulty never lapses so long as there is on the surface of the earth even a single ignorant of a religious duty, and one has the power to seek to teach it to him, whether by himself or through anyone else. This is an important occupation for anyone who is concerned with the matter of his religion, which diverts him from spending his time in what is not necessary for him, such as to probe into the finest subtleties and strange branches of science, which in the end is of the collective duties. However, nothing should be given preference over that except a duty that is obligatory upon everyone, or a collective duty of greater importance.

CHAPTER FOUR:

COMMANDING RULERS AND GOVERNORS TO DO GOOD AND FORBIDDING THEM TO DO EVIL

We have already mentioned the different degrees of enjoining good and forbidding evil, and the first is to let one know his sin, and the second is to admonish and advise him, and the third is to speak to him harshly, and the fourth is to prevent him by oppression, i.e. to compel him to leave sin by force, if it leads you to strike him. In regard to rulers and governors, it is only the first two degrees that are permissible, i.e. to let them know their sin and then to admonish and advise them. But it is not the duty of individuals to prevent rulers by force, for it stirs up affliction and leads to more grievous evil, and it is forbidden. As far as the harsh talk is concerned, like saying to him: "O wrongdoer! O you who fear Allah not!": it is impermissible if it is to stir up affliction whose evil touches others, and it is permissible if evil does not go beyond himself, and in this case, it is also encouraged.

It was the habit of the righteous predecessors to expose themselves to dangers, and reject sins and evildoings clearly and frankly, paying no care to the

possible destruction and severe punishment that would afflict them. That is because they knew with certainty that it was a kind of martyrdom (in the Cause of Allah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The best of martyrs is Hamzah Ibn Abd Al-Muttalib "Allah be pleased with him", and then a man who stood towards an imam and commanded him (to do good) and forbade him (to do evil), just in the Way of Allah Almighty, thereupon he killed him for it." (This narration is reported by Al-Hakim on the authority of Jabir). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The best deed of Jihad is a word of truth to be said in the presence of a wrongful ruler." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" described Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" saying: "He is a horn of iron whom never the blame of a critic prevents him (from telling the truth) for the Sake of Allah, and his (insistence on) telling the truth deprives him of friends." (The first portion of that Hadith is narrated by At-Tabarani on the authority of Ka'b Al-Ahbar, and the other by At-Tirmidhi on the authority of Ali). When the religious relentlessly headstrong know that the best deed of Jihad is a word of truth to be said in the presence of a wrongful ruler, and that such sayer of the truth will be a martyr if he killed, according to the handed down narrations, they exposed themselves to destruction, and endured various kinds of torment and punishment, with patience and perseverance for the Sake of Allah Almighty, and expecting the reward for what they receive from Allah.

The way of admonishing rulers, and commanding them to do good and forbidding them to do evil is handed down through the righteous predecessors. We have discussed something of that in the chapter of visiting rulers in the Book of Lawful and Unlawful. Now, let's be satisfied with many narrations from which the way of admonishing and disapproving of their evildoings might be pointed out.

A mention might be made of Abu Bakr's disapproval of the evil of the chiefs of Quraish when they intended to harm the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him":

It is narrated on the authority of Urwah Ibn Az-Zubair that he said: I asked Abdullah Ibn Amr: "What was the worst thing the pagans did to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"?" He said: "Some people of Quraish were in a place called Al-Hijr complaining that they had been too patient with the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", who suddenly appeared and began his usual circumambulation. They started to wink at him and utter sarcastic remarks but he remained silent for two times, then on the third, he stopped and addressed the infidels saying: "O people of Quraish! Hearken, I swear by Allah in Whose Hand is my soul, that you will one day be slaughtered to pieces." As soon as the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" uttered his word of slaughter, they all stood aghast and switched off to a new style of language smacking of fear and even horror trying to soothe his anger and comfort him saying: "You can leave Abu Al-Qasim, for you have never been foolish."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" turned away and when it was the next morning, they gathered in Al-Hijr and I was with them. They said to each other: "You have mentioned what he has done with you, and what you have done with him, until when he hastened to tell you what you dislike, you left him. Such being the case, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" suddenly appeared, thereupon they jumped towards him like the jump of a single man and surrounded him, saying: "Is it you who say so and so? Is it you who say so and so?" they referred to his disgracing their gods and abusing their religion. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Yes, it is I who say so and so." He (the narrator) said: I saw a man of them having caught hold of the ties of his upper garment. On that Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" stood in defense of him saying while weeping: "Woe to you! Do you slay a man just for he says that my Lord is Allah?" they left him. This was the hardest thing I saw Quraish had done to him." (This narration is reported by Al-Bukhari abridged and Ibn Hibban in detail).

It is narrated on the authority of Urwah Ibn Az-Zubair: I asked Abdullah Ibn Amr: "What was the worst thing the pagans did to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"?" He said: "I saw Uqbah Ibn Abu Mu'ait coming to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" while he was praying in the courtyard of Ka'bah. Uqbah took hold of The Prophet's shoulder and put his sheet round his neck and squeezed it very severely. Abu Bakr "Allah be pleased with him" came, took hold of Uqbah's shoulder, and pulled him away from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: " Will you slay a man only because he says: "My Lord is Allah, and he has indeed come to you with Clear Signs from your Lord?" (Ghafir 28)

﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾

(This narration is reported by Al-Bukhari).

It is narrated that Mu'awiyah withheld the gifts form the people, thereupon Abu Muslim Al-Khawlani stood towards him and said: "O Mu'awiyah! It is not (the produce of) the labour of you, nor of your father, nor of the labour of your mother." Mu'awiyah grew very angry, and dismounted of the pulpit and asked them to remain in their places. He disappeared from their eyes for an hour after which he came back to them and he had taken bath. He said to them: "Abu Muslim provoked my angry with his words, and I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" having said: "Verily, anger comes from Satan, and Satan is created from fire, and it is water that extinguishes fire. So, if anyone of you grows angry, let him take bath." (This narration is reported by Abu Na'im). I entered (my house) and took bath. Abu Muslim has told the truth. the gifts of Muslims are not (the produce of) my labour, nor of the labour of my father. So, come to take your gifts."

It is narrated on the authority of Dibbah Ibn Muhsin Al-Anzi that he said: Abu Musa Al-Ash'ari "Allah be pleased with him" was our governor in Basra. Whenever he delivered a sermon, he would praise and laud Allah Almighty, invoke Allah's blessing and peace upon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and then supplicate good for Umar "Allah be pleased with him". However, I was exasperated by that and I stood towards him and said: "Where is his (the Prophet's) companion (Abu Bakr) in your sight so that you give (Umar) preference over him?" he repeated the same in his sermons for many Fridays after which he sent a message to Umar "Allah be pleased with him" complaining of me in which he said: "Dibbah Ibn Muhsin Al-Anzi bothers me in my sermons." Umar sent to him inviting him to send me to him. I was sent to him.

When I arrived, I knocked at the door and Umar "Allah be pleased with him" came out to me and asked: "Who are you?" I said: "Dibbah Ibn Muhsin Al-Anzi." He said: "Neither welcome nor family be to you!" I said: "The welcome is from Allah Almighty, and as to family, surely I have neither family nor property. For which thing O Umar have you made lawful to summon me from my country with neither a sin that I have committed, nor a crime I have done?" he asked me: "What has broke up between you and my viceroy?" I said: "Let me tell you about it now. Whenever he delivered a sermon, he would praise and laud Allah Almighty, invoke Allah's blessing and peace upon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and then supplicate good for you. However, I was exasperated by that and I stood towards him and said: "Where is his (the Prophet's) companion (Abu Bakr) in your sight so that you give (Umar) preference over him?" he repeated the same in his sermons for many Fridays after which he sent a message to you complaining of me."

Umar "Allah be pleased with him" went on weeping and saying: "You, by Allah, are more successful and more rightly-guided. Are you going to forgive for me my sin, may Allah forgive for you?" I said: "May Allah forgive for you O Commander of Believers." Then, he went on weeping once again and saying: "By Allah, a single night and day of Abu Bakr is much better than (the entire life of) Umar and the whole family of Umar. Do you like that I should relate to you about his night and day?" I said: "Yes with pleasure." He said: "In regard to the night, when the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" intended to set out of Mecca, in flight from the infidels, he went out at night and Abu Bakr went out in his footsteps. He sometimes walked ahead of him, sometimes behind him, sometimes on his right and sometimes on his left side. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "What is that O Abu Bakr? I do not know that this is your habit." Abu Bakr, "Allah be pleased with him" said: "O Messenger of Allah! When I remember watch, I walk ahead of you, and when I remember the pursuit, I walk behind you, and once on your right and once on your left side, for I could not feel safe for you." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" went that night on the tips of his soles until they got swollen. When Abu Bakr "Allah be pleased

with him" saw how they had got swollen, he carried him on his shoulder, and walked swiftly with him until he reached the opening of the cave whereupon he let him get down. He said to him: "By Him Who has sent you with the truth, you should not enter before I enter it first: if there is something harmful, it would afflict me before you." He entered and when he found nothing he carried him and got him in it. In the cave, there was a hole containing female-snakes and scorpions, thereupon Abu Bakr "Allah be pleased with him" covered it with his foot lest a harmful thing would come out to hurt the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". Those went on biting the foot of Abu Bakr "Allah be pleased with him", and his tears flowed on the cheeks of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" because of his great suffering. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "O Abu Bakr! Do not grieve, for Allah is with us." Allah Almighty then sent down His tranquillity and calmness upon Abu Bakr "Allah be pleased with him". This is his night.

As for his day, when the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" died, the greater part of Arabs renegaded and rejected to pay Zakat, and I came to advise him saying: "O successor of the Messenger of Allah! Join people in love and be kind to them." He said to me: "Are you violent in Jahiliyyah and weak when you have embraced Islam? On which thing should I join them in love? The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" died and the Divine revelation ceased to come. By Allah, if they withhold from me a she-kid they used to give to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" I would fight them on it." We fought on it, and by Allah, he was rightly-guided in his opinion." Then he sent a message to Abu Musa blaming him." (This narration is reported by Al-Baihaqi).

It is narrated by Al-Asma'i that Ata' Ibn Abu Rabah entered upon Abdul-Malik Ibn Marwan while he was sitting on his throne and the chiefs of the different tribes were standing round him in Mecca during the season of his pilgrimage, and at that time he was the caliph. When he saw him, he stood towards him and made him sit beside him on the throne, and he sat in front of him and said: "O Abu Muhammad! What is your need?" he said: "O Commander of Believers! Fear Allah concerning the Sanctuary of Allah (Ka'bah) and the Sanctuary of His Messenger, and look after them perfectly; and fear Allah concerning the children of both the Muhajirs and Ansar, for it is with the help of them that you sat that sitting (of ruling); and fear Allah regarding the guards of bordering openings for they are the protective fort of Muslims; and inspect the different affairs of Muslims for you alone will be questioned about them; and fear Allah in regard with those standing at your gate: do not be heedless of them, nor close your gate against them." He said: "Yes, I shall do." When Ata' got up to leave he took hold of him and said: "O Abu Muhammad! You have asked for the need of others than you and we have fulfilled it: what is your need?" he said: "I have no need from a creature." Then, he left. Abdul-Malik commented: "This is, by the life of your father, the true honour."

It is narrated that Al-Walid Ibn Abdul-Malik said to his porter one day: "Keep standing at the gate and admit anyone who passes by you to talk to me." The porter stood at the gate for a long time and Ata' Ibn Abu Rabah came upon him, and he did not recognize him. He said to him: "O old man! The Commander of Believers orders that you enter into him." Ata' entered upon Al-Walid and Umar Ibn Abdul-Aziz was with him. When he came close to him he said to him: "Peace be upon you O Walid!" on that Al-Walid grew angry with his porter and said to him: "Woe to you! I have commanded you to admit a man to talk to me and entertain me, and you admit to me a man who even does not accept to name me with the name that Allah Almighty has chosen for me." His porter said to him: "None other him has come upon me." He asked Ata' to sit down. He sat down and went on talking to him and his talk included the following: "We were reported that in the Hell there is a valley called Habhab prepared by Allah Almighty to the wrongful rulers." Al-Walid was shocked by his statement. He was sitting in front of the threshold of the door of the hall and (when he was shocked) he fell unconscious on his nape inside the hall. Umar said to Ata': "You have killed the Commander of Believers." Ata' took hold of the arm of Umar Ibn Abdul-Aziz and poked it severely, and said to him: "O Umar! The matter is very serious!" Ata' then stood and left. Umar "may Allah have mercy upon him" said later: "I remained for a year feeling the pain of his poke in my arm."

It is reported that Ibn Abu Shumailah was known for his intellectual and literary talent. One day he entered upon Abdul-Malik Ibn Marwan who asked him to speak. He said: "With which should I speak since I know that everything one speaks with carries an evil consequence upon him except what is for the Sake of Allah Almighty?" on that Abdul-Malik wept. He said to him: "may Allah have mercy upon you! The people still admonish and communicate with each other." The man said: "O Commander of Believers! On the Day of Judgement, the people will not be saved from tasting its bitterness and seeing the destruction (to which they will be given) except him who has pleased Allah Almighty with displeasing himself." Abdul-Malik wept and said: "No doubt, I shall put those words as example in front of my eyes as long as I live."

It is reported on the authority of Ibn A'ishah that Al-Hajjaj invited the jurisprudents of Basrah and Kufah and they were made to enter upon him, and Al-Hassan Al-Basri "may Allah have mercy upon him" was the last to enter. When he saw him he said: "Welcome O Abu Sa'id!" he commanded that he be brought close to him, and he asked for a chair for him and made him sit beside his throne. Al-Hajjaj asked us about many things, and then a mention was made of Ali Ibn Abu Talib "may Allah be pleased with him" and he abused him, and we also abused him out of flattering him, and for fear of his (Al-Hajjaj's evil), and Al-Hassan was silent, biting on his thumb. He asked him: "O Abu Sa'id! Why do I see you silent?" he said: "What should I say?" he said: "Tell me about your opinion of Abu Turab." He said: "I heard the statement of Allah Almighty in which He says: "and we appointed the Qiblah to which you were used, only to

test those who followed the Messenger from those who would turn on their heels (from the Faith). Indeed it was (a change) momentous, except to those guided by Allah. And never would Allah make your faith of no effect. For Allah is to all people most surely full of Kindness, Most Merciful." (Al-Baqarah 143)

﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾

Ali "may Allah be pleased with him" was among those of faith whom Allah Almighty guided to the truth. in connection with him, let me say that he is the paternal cousin of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" whom he gave his daughter (Fatimah) in marriage, and he was the dearest of people to him, and he was of blessed antecedent from Allah Almighty which neither you nor anyone of the people could hinder form him. Furthermore, let me say that if there is fault with Ali, Allah Almighty suffices him. By Allah, I never find anything better than that to say about him." The color of Al-Hajjaj's face turned (red out of anger) and he stood and left the throne, and entered a house behind him and we left. Amir Ash-Sha'bi said: I took hold of the hand of Al-Hassan and said: "O Abu Sa'id! You provoked the anger of the governor, and stirred up his hatred against you." He said: "Leave me O Amir! The people say that Amir Ash-Sha'bi is one of the religious scholars of Kufah. You have come to one of the devils of men to speak to him with what pleases him and adulate him in agreeing him on his opinion. Woe to you O Amir! Do you not fear Allah? If you are asked, you should either tell the truth or keep silent to be safe." Amir said: "O Abu Sa'id! I said it and I know (that it is false)." Al-Hassan said: "This is more ready to establish the argument against you, and make evil your end."

It is reported that Al-Hajjaj invited Al-Hassan "may Allah have mercy upon him" and when he entered upon him he asked him: "Is it you who say: 'Might Allah kill them for they have killed the worshippers of Allah for Dinar and Dirham'?" he answered in the affirmative, thereupon he aid to him: "What has caused you to say so?" he said: "It is the pledges and covenants Allah Almighty has taken from the scholars to explain it to the people and to conceal it not." He said: "O Hassan! Keep your tongue, and beware of receiving any news about you with what I dislike, lest I would part your head from your body."

It is reported that Hutait Az-Zayyat was brought to Al-Hajjaj and when he entered upon him he asked him: "Are you Hutait?" he said: "Yes, ask me about what seems to you to ask about. Indeed, I have pledged Allah Almighty to adhere to three characteristics: if I was asked about something, I would tell the truth; and if I was put to trial, I would keep patient; and if I was relieved, I would thank (Allah Almighty)." He said: "Then, what do you say about me?" he said: "I say that you are one of the enemies of Allah on earth: you violate sanctities and kill only depending upon suspicion (and not upon certain proofs)." He said: "Then, what do you say about the Commander of Believer

Abdul-Malik?" he said: "I say that his crimes are more grievious than yours and you are but one of his sins and mistakes." Al-Hajjaj then ordered that he be put to torment. They sliced the reeds and straightened him with ropes and then cut his flesh with reed sides one after another until his flesh was removed (from his bones), and he kept silent. It was said to Al-Hajjaj: "He is at his last moments." He said: "Take him out and throw him in the market." Ja'far said: "I and one of his companions came to him and asked him: "Do you have any need?" he said: "Only a sip of water." It was brought to him and he drank and died immediately and he was no more than eighteen years old "may Allah have mercy upon him".

It is reported that Umar Ibn Hubairah invited the jurisprudents and reciters of Basrah, Kufah, Medina and Sham, and asked them about many things. He talked to Amir Ash-Sha'bi, and whenever he asked him about anything, he found him knowledgeable of it. Then, he turned his face to Al-Hassan Al-Basri and asked him. He then commented: "It is only those two, the man of Kufah, i.e. Amir Ash-Sha'bi, and the man of Basrah, i.e. Al-Hassan." He ordered the porter to evict the hall, and he sat alone with both Al-Hassan and Ash-Sha'bi. He turned his face to Ash-Sha'bi and said: "O Abu Amr! I'm the trustworthy and viceroy of the Commander of Believers in Iraq, and I'm commanded to obey his orders. At the same time, I am tried with the people, whose right also is due upon me, and I should be sincere to them in words and deeds. I like to look after them, and do what reforms their affairs. Sometimes, I might be informed of something wrong about some people, which causes me to grow angry with them, and (by way of punishment) I seize a part of their property for the purpose of setting them right and causing them to leave evil, and place it in the treasury, with the intention to restore it to them once again. But when the Commander of Believers knows about that, he commands me not to restore it to them. In this way, I could neither reject his command nor fulfill his order. I am only ordered to hearken and obey: is there sin upon me in that matter?" Ash-Sha'bi aid: I said to him: "May Allah reform the affairs of the governor! The ruler is but a human being who is vulnerable to do right and wrong." He was pleased with my statement, and it appealed to him, and I saw the signs of joy on his face. He said: "Praise be to Allah." Then, he turned his face to Al-Hassan and asked him: "What do you say O Abu Sa'id?" he said: "I heard the governor having said: "I'm the trustworthy and viceroy of the Commander of Believers in Iraq, and I'm commanded to obey his orders. At the same time, I am tried with the people, whose right also is due upon me, and I should be sincere to them in words and deeds. I like to look after them, and do what reforms their affairs." Thus, the people's right is due upon you, and it is incumbent upon you to encompass them with sincere advice. I heard Abd Ar-Rahman Ibn Samurah "may Allah be pleased with him", the companion of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" having said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who is granted the ruling over some people, whom he does not encompass with sincere advice, Allah Almighty will forbid the Garden to him."

(This narration is reported by Al-Baghawi; and both Al-Bukhari and Muslim on the authority of Ma'qil Ibn Yasar). (Al-Hassan resumed): (I also heard the governor having said): "and (by way of punishment) I seize a part of their property for the purpose of setting them right and causing them to leave evil, and place it in the treasury, with the intention to restore it to them once again. But when the Commander of Believers knows about that, he commands me not to restore it to them. In this way, I could neither reject his command nor fulfill his order." To be sure, the right of Allah is more binding than the right of the Commander of the Believers; and Allah Almighty has more right to be obeyed, and no obedience to a creature is due in what leads to disobey the Creator, compare the book of the Commander of Believer with the Book of Allah Almighty: if it agrees with (the principles and laws of) the Book of Allah, act upon it, otherwise, throw it away. O Ibn Hubairah! Fear Allah, for you are about to be visited by a messenger from the Lord of the worlds (i.e. the death angel) who will remove you from your throne, and take you out of your immense palace to your narrow grave, leaving your power of authority behind your back, and coming to your Lord and be dealt with according to your deeds. O Ibn Hubairah! Allah Almighty protects you from Yazid (the caliph) and in no way could Yazid protect you from Allah Almighty. The command of Allah Almighty is above all commands. No obedience is due as long as it leads to disobey Allah Almighty. I warn you of the strong vengeance of Allah Almighty which would not be prevented from the criminals." Ibn Hubairah said: "O old man! Keep your tongue from the Commander of Believers. The Commander of Believers is the owner of knowledge, ruling and favour. Allah Almighty granted him the ruling over this nation because of his knowledge of him and his favour and intention." Al-Hassan said to him: "O Ibn Hubairah! The reckoning will be lash by lash, and anger by anger, and Allah watches over all of the people. O Ibn Hubairah! It is better for you to meet such as gives you advice about your religion and leads you to care for your hereafter than to meet such as deceives you and gives you false hopes." Ibn Hubairah stood and the colour of his face changed. Ash-Sha'bi aid: I said to Al-Hassan: "O Abu Sa'id! You have provoked the anger of the governor, roused his hatred against us, and forbidden us his favour." He said: "Let me alone O Amir!" Ash-Sha'bi commented: "A while later, all expensive masterpieces and pieces of furniture were brought to Al-Hassan (in reward for his sincere advice), and he attained the highest position in the sight of the governor; whereas we were treated with slightness and deserted. Indeed, he was fitting for the advice he gave to him, and we also were fit to receive such treatment. I have never seen the like of Al-Hassan among the religious scholars, and his example was like the horse of the highest breeding among the foreign horses. We have never attended an event but that he excelled us and said (the truth) just for the Sake of Allah Almighty, while we flattered them (the rulers and governors)." Amir resumed: "I pledge Allah Almighty that after such gathering, I shall never witness a governor and adulate him once again."

It is reported that Muhammad Ibn Wasi' "may Allah have mercy upon him"

entered upon Bilal Ibn Abu Burdah who asked him: "What do you say about the Divine Decree?" he said: "Look at your neighbours from the inhabitants of graves: meditate their affairs, perchance you would be occupied from thinking about the Divine Decree."

It is reported on the authority of Ash-Shafi'i "may Allah be pleased with him" that he said: My paternal uncle Muhammad Ibn Ali told me: I was present in the gathering of the Commander of Believers, Abu Ja'far Al-Mansur, and among the attendants was Ibn Abu Dhu'aib. At that time Al-Hassan Ibn Zaid was the governor of Medina. Those of Ghifar came and made a complaint against Al-Hassan, who said: "O Commander of Believers! Ask Ibn Abu Dhu'aib about them." He asked him: "What do you say about them O Ibn Abu Dhu'aib?" he said: "I witness that they always dishonour the people and harm them." Abu Ja'far said: "You have heard (what you are)." They said: "O Commander of Believers! Ask him about Al-Hassan Ibn Zaid!" Abu Ja'far said: "O Ibn Abu Dhu'aib! What do you say about Al-Hassan Ibn Zaid?" he said: "I witness that he judges in opposition to the truth and follows his own whims." He said: "You have heard O Hassan what he said about you, and he is the righteous man." He said: "O Commander of Believers! Ask him about yourself." He said: "What do you say about me?" he said: "Excuse me O Commander of Believers." He said: "I beseech you by Allah to tell me the truth." he said: "You beseech me by Allah as if you do not know yourself." He said: "By Allah, you should tell me." He said: "I witness that you take property with no just cause and spend it improperly, and I also witness that wrongness spreads at your gate." Abu Ja'far stood form his place and came towards Ibn Abu Dhu'aib and placed his hand on his nape and caught hold of it and said: "By Allah, had I not been sitting here in that place, I would have seized Persia, Rome, Dailam and Turkey in that place from you now." Ibn Abu Dhu'aib said: "O Commander of Believers! Abu Bakr and Umar "may Allah be pleased with them" were appointed as caliphs, and they took property with just cause and distributed it among the people with equality. They also took hold of Persians and Romans and put them to ignominy." Abu Ja'far then released him and said: "By Allah, had I not known that you are sincere and true, I would have killed you." He said: "O Commander of Believers! By Allah, I am more sincere to you than your son Al-Mahdi." When Ibn Abu Dhu'aib left the gathering of Al-Mansur, he met Sufyan Ath-Thawri "may Allah have mercy upon him" who said to him: "O Abu Al-Harth! I was pleased with what you addressed that tyrant with, but I was displeased with your phrase 'Your son Al-Mahdi'." He said: "May Allah forgive for you O Abu Abdullah! All of us are Mahdi, i.e. in the cradle (as Arabic Mahd stands for cradle)."

It is reported on the authority of Al-Awza'i: Abd Ar-Rahman Ibn Amr "may Allah be pleased with him" that he said: Abu Ja'far Al-Mansur, the Commander of Believers, sent to invite me and I was near the coast. When I reached and saluted him with his title as the caliph, he return salutation and made me sit. He then asked me: "What has deferred you from coming to us fast O Anza's?" I said: "What do you like O Commander of Believers?" he

said: "I like to learn from you." I said: "Then, do not be heedless of anything of what I am going to tell you now." He said: "How should I be heedless of it given that I am asking you about it, and have invited you to come to me?" I said: "I am afraid that you might hear it and then do not act upon it." Ar-Rabie cried in my face and inclined his hand towards the sword thereupon Al-Mansur repulsed him and said: "This is a gathering of reward and not of punishment." He then admonished him with ten narrations; and let's mention them as follows:

Al-Anza's said: I was pleased with those words and said: "O Commander of Believers! It is reported to me on the authority of Makhul that Atiyyah Ibn Bishr "may Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If an admonition comes from Allah Almighty to one of His servants about his religion, it is a favour from Allah that has been brought to him: he should accept it with thankfulness, otherwise, it will turn into an argument from Allah against him therewith he becomes more sinful, and Allah grows more angry with him." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya).

O Commander of Believers! It is reported to me on the authority of Makhul from Atiyyah Ibn Yasar that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Any ruler who dies while he is cheating his people, Allah Almighty forbids the Garden to him." Whoever dislikes the truth dislikes Allah for Allah is the clear truth." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya and Ibn Adi).

O Commander of Believers! It is your kinship with the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that made soft the hearts of people to you when you were appointed to be rulers over them. Indeed, he was to them kind and merciful. He used to console them with himself therewith he became praiseworthy in the Sight of Allah Almighty and in the sight of people. So, it is more suitable to you to establish the truth among them on his behalf, do justice with them, and screen their defects. Do not close your gate against them, nor hold porters to prevent them, and rather rejoice at their blessing and grieve at their harm. O Commander of Believers! in the past, you were occupied by yourself from all the people, and now you have become the ruler over all the people, their red and black, their Muslims and disbelievers, and each of them should have his portion of your justice. What would your state be if they are raised, a group after another, and there is none of them without a complaint against you of a disaster you have put him to, or injustice you have inflicted upon him?

O Commander of Believers! I was reported on the authority of Urwah Ibn Ruwaimah that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" had a stick in his hand therewith he used to brush his teeth and at the same time cast terror into the hearts of the hypocrites. Gabriel "Peace be upon him" came to him and asked: "O Muhammad! What is that stick therewith you have broken the hearts of your nation and cast terror into them?" (This narration is reported

by Ibn Abu Ad-Dunya). What then about him who violates their veils, sheds their blood, demolishes their homes and expels them out of their countries?

O Commander of Believers! it is reported to me by Makhul on the authority of Habib Ibn Maslamah that once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" invited another to exact retribution from himself for an unintentional scratch he caused to a Bedouin. However, Gabriel "Peace be upon him" came to him and said: "O Muhammad! Allah Almighty has not sent you to be a tyrant or an arrogant." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" invited the Bedouin and asked him to exact retribution from himself. The Bedouin said to him: "I have released you O Messenger of Allah, let my father and mother be sacrificed for you; and I'm not to take retaliation from you even if you have finished off me." He then invoked good upon him. (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya).

O Commander of Believers! restore yourself to yourself, and seek protection from your Lord, and have a desire for a Garden that is as bread as is the heavens and the earth, in connection with which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The bow tie of anyone of you in the Garden is better to him than the world and all that it contains." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Al-Awza'i).

O Commander of Believers! where sovereignty to remain forever to those who were before you, it would not have come to you. As well as it did not remain for those who were before you, it would not remain for you. O Commander of Believers! do you know what was said by your grandfather (Ibn Abbas) in interpretation of the following Holy Verse? "And the Book (of Deeds) will be placed (before you); and you will see the sinful in great terror because of what is (recorded) therein; they will say, "Ah! Woe to us! What a Book is this! It leaves out nothing small or great, but takes account thereof!" they will find all that they did, placed before them: and not one will your Lord treat with injustice." (Al-Kahf 49)

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾

He said: "The small thing is the smile and the great thing is the laughter." What then about the evil done by hands and talked of by tongues?

O Commander of Believers! it is reported that Umar Ibn Al-Khattab "may Allah be pleased with him" said: "If a little sheep dies on a rock on the bank of Euphrates because of being wasted, I feel afraid I would be questioned about it." What then about him who is deprived of your justice while being on your carpet? O Commander of Believers! Do you know what was said by your grandfather (Ibn Abbas) in interpretation of the following Holy Verse? "O David! We did indeed make you a vicegerent on earth: so judge you between men in Truth (and justice): nor follow you the lusts (of your heart), for they will mislead you from the Path of Allah: for those who wander astray from the Path of Allah, is a Penalty Grievous, for that they forget the Day of Account." (Sad 26)

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾

He said: Allah Almighty said in Psalms: "O David! If two foes sit in front of you to judge between them, and you are inclined to any of them, do not wish that the truth be in his favour, therewith he wins over his opponent, lest I would oust you from my Prophethood, and you would not be My vicegerent. O David! I have made My Messengers to My servants shepherds like the camel shepherds in view of their knowledge of pasturing and leading people, so that they would amend the broken and guide to water and grass the one who is straying from it.

O Commander of Believers! You have been put to trial which, were it to be offered to the heavens, the earth and the mountains, they all would feel afraid thereof, and would reject to undertake. O Commander of Believers! it is reported on the authority of Abd Ar-Rahman Ibn Umrah Al-Ansari that Umar Ibn Al-Khattab "may Allah be pleased with him" appointed a man from Ansar in charge of collecting charity, and many days later he found him still in residence. He asked him: "What has prevented you from going to your work? Do you not know that you have a reward like the reward of Mujahid in the Way of Allah?" he answered in the negative and said: "Why is that?" he said: I was informed that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No guardian becomes in charge of any of the affairs of people but that on the Day of Judgement, he will come having it, with his hand tied to his neck, and be made to stand on a bridge of fire, which would shiver with him so much violently that removes all the parts of his body. After each is restored, he will be reckoned: if he is a doer of good, he will be saved by virtue of his goodness, and if he is a doer of evil, that bridge would hole with him, and cause him to fall in the fire as deep as seventy years." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya; and At-Tabarani on the authority of Abu Wa'il).

He then took the handkerchief with which he covered his face and went on weeping and sobbing so much that he caused me to weep too. I said: "O Commander of Believers! your grandfather Al-Abbas "may Allah be pleased with him" asked the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" to make him the governor of Mecca or Ta'if or Yemen, thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "O Abbas! O paternal uncle of the Prophet! To give life to a single soul (by celebration of Allah) is much better than to be given a governorate which you are unable to encompass (with your justice)." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya; and Al-Baihaqi on the authority of Jabir). The Prophet said so to him out of his pity for his uncle and by way of advising him, and told him that he would avail him naught from the punishment of Allah. Allah Almighty revealed to him: "And admonish your nearest kinsmen." (Ash-Shu'ara 214) he said: "O Abbas! O Safiyyah! (Paternal uncle and aunt of the

Prophet) O Fatimah! (Daughter of the Prophet) I would avail you naught against (the punishment o) Allah Almighty. I will be questioned about my deed, as you will be questioned about yours." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya; and Al-Bukhari on the authority of Abu Hurairah without the concluding phrase).

Umar Ibn Al-Khattab "may Allah be pleased with him" said: "None is able to undertake the matters of people but him who is of intelligence and decision, whose defects are screened, whom there is no fear for a free woman from, and the blame of a critic never keeps (from telling the truth and doing right)." He further said: "The rulers are of four kinds: a strong ruler who mortifies himself and his appointed officers, and this is like the Mujahid in the Way of Allah Almighty, upon whom Allah extends His mercy; the second is weak, who mortifies himself and lets loose his appointed officers (to do what they like) because of his weakness, and he is on the verge of destruction unless Allah Almighty bestows mercy upon him; and the third is him who mortifies his appointed officers and lets loose himself (to do what he likes freely), and this is the destroyed one in connection with whom the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The worst of guardians is the destroyed for he alone will be ruined" (This narration is reported by Muslim on the authority of A'idh Ibn Amr Al-Muzni); and the fourth is a ruler who lets loose himself and his appointed officers, and all thus are put to destruction."

O Commander of Believers! I was reported that Gabriel "Peace be upon him" came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "I have come to you just when Allah Almighty commanded that blowers be placed on the fire, to remain in flames until the Day of Judgement." He said: "O Gabriel! Describe the fire (of Hell) to me." He said: "Allah Almighty commanded that it be kindled for one thousand years until it turned red, and then it was kindled for further one thousand years until it turned yellow, and then it was kindled for further one thousand years until it turned black. It is then black and dark, whose pieces of fire never light up, nor flames be extinguished. By Him Who has sent you with the truth, if a garment of the garments of the denizens of fire was shown to the inhabitants of the earth, they all would die, and if a single bucket of its drink was poured in the water of the earth, all who taste therefrom would be killed immediately, and if a cubit of the chains mentioned by Allah Almighty is placed on all mountains of the earth, they all would be melted at once, and if a man was admitted to the fire and then brought out of it, all the inhabitants of the earth would die because of his nasty smell and distorted features." on that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" wept and Gabriel "Peace be upon him" wept for his weeping. He asked him: "O Muhammad! Do you weep given that Allah Almighty has forgiven for you all of your previous and later sins?" he said: "Would I not be then a thankful slave? As for you O Gabriel, why have you wept given that you are the trustworthy Holy Spirit, who is Allah's guardian of His Revelation?" he said: "I feel afraid I might be put to the same trial to which both Harut and Marut were

put. This is what prevented me from relying on my high position in the Sight of my Lord, and were I to do, I would have then felt safe of His plan." They kept weeping until it was called from the sky: "O Gabriel! O Muhammad! Allah Almighty has ensured to you that you should not disobey Him and receive His punishment. Verily, the superiority of Muhammad to all the Prophets is like the superiority of Gabriel to all the angels." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya).

O Commander of Believers! I was reported that Umar Ibn Al-Khattab "may Allah be pleased with him" said: "O Allah! If You know that when two opponents sit in front of me for judgement that I incline to him who takes the right (illegally), then, do not give me respite even as short as an eye twinkle." O Commander of Believers! the most difficulty is to establish the rights of Allah (on earth), and the most honoured deed in the Sight of Allah Almighty is to stick to piety, and that whoever seeks power and honour through his obedience to Allah Almighty, Allah raises him (to high degrees) and grants him honour and power, and whoever seeks power and honour through his disobedience to Him, Allah Almighty humiliates him and lowers his rank.

This is my advice to You O Commander of Believers; and peace be upon you." I got up (to leave) thereupon he asked me: "Where are you going now?" I said: "To my children and homeland Allah willing by permission of the Commander of Believers." he said: "I give you permission, and appreciate your advice, and accept it, and Allah helps us do good. It is His aid that I seek, and on Him that I rely, and He suffices me for the best disposer of affairs. Do not deprive me of the like of that, for your speech is acceptable and your opinion is reliable in our sight." I said: "I shall do Allah willing." According to Muhammad Ibn Mus'ab, he commanded that wealth be given to him to help me in his journey, but he rejected it and said: "I am not to sell my advice for the vanities of this world." Al-Mansur knew his opinion and did not grow angry with him because of that.

It is narrated on the authority of Ibn Al-Muhajir that he said: Al-Mansur, The Commander of Believers, came as a pilgrim to Mecca, which Allah honoured. Many times, he came out of the house of meetings to circumambulate the House and perform prayer towards the end of the night, without the sense and knowledge of anyone, and when dawn rose, he returned to the house of meetings, and the Mu'adhdhins came to pay salutation to him and call for prayer establishment and he led the people in prayer. One night, a short while before dawn, he came out (as his usual) and while he was circumambulating the House, he heard a man complaining: "O Allah! I complain to you the prevalence of transgression and mischief on earth, and wrongness and covet that prevent the people from taking their own rights." Al-Mansur hastened until his ears were filled with his speech. He then came out and sat in one side of the Mosque and invited the man through a messenger who said to him: "Respond to the Commander of Believers." he first prayed two rak'ahs and then touched the Corner and went with the messenger and paid salutation to him. Al-Mansur asked

him: "What is that I have heard you saying about the prevalence of mischief and transgression on earth, and the wrongness and covet that prevent a man from taking back his own right? By Allah! I have stuffed my ears with what embittered and worried me." He said: "O Commander of Believers! If you ensure not to harm me, I shall tell you about all things, otherwise, let me be limited to myself." He said: "You are safe about yourself."

He said: "The one whose covets made him even impede the right from its people and remove transgression and mischief on earth is you." He said to him: "Woe to you! How should I be covetous since all things, including gold and silver are in my hand, and every kind of food and fruits is in my possession?" he said: "Does anyone have the same covet as you have O Commander of Believers? Allah Almighty has made you guardian over the affairs and property of Muslims, whereupon you have been heedless of their affairs and given care to collecting their property. You further have placed a barrier between you and them, and kept yourself far from them, and sent your appointed officers to collect taxes and tributes. You also have taken wrongful ministers and helpers, that if you forget anything (of goodness) they do not remind you of it, and if you remember they do not help you. You further strengthened them with weapons and property to wrong the people. You commanded that none should enter upon you but so and so, and so and so, i.e. particular persons whom you named, but you prevent the wronged and thirsty, the hunger and the naked, the weak and the poor from having access to you, although there is none but that he has a right in this property.

When those whom you chose for your company, and preferred to your people, and ordered that they should prevent none from you, saw you collecting property without distributing it (among the people), they said (to themselves): "As he has betrayed Allah, why should we not betray him? Thus, they conspired that nothing of the news about the people should reach you, except for what they themselves wanted, and that no officer disagreed from them but that they would take him away until his position would be lowered. When this became well-known about both you and them, the people showed respect and reverence for them. The first to flatter them were your appointed officers through gifts and presents, to become too strong with them to wrong your people. Then these of power and property among your people did the same in order to be able to wrong those inferior to them. In this way, mischief and covet became widespread in the country of Allah, since those people became your partners in your sovereignty- a thing of which you are heedless. If a complainer came to make a complaint to you, he would be hindered from having access to you, and if he liked to raise his voice and relate his story to you at your emergence, he would find that you had forbidden that, and rather made another person stand to check their complaints. If a complainer came your entourage would ask the one in charge of complaints not to raise his complaint to you. If he cried out of anger he would be severely beaten in order to be an example for anyone having a same wish, while you were looking without disapproval or changing it.

What is then the reason for Islam and its people to survive as such? When it was the ruling of Banu Umayyah, almost all complaints of the Arabs would be raised to them, and he would be dealt with justly. A man used to come from the farthest town until he reached the gate of their ruler and called: "O men of Islam!" they then would hasten to respond to him: "what is wrong with you?" they would then raise his injustice to their ruler, and his right would be given back to him. O Commander of Believers! I have been in China, and there was a king there who lost his hearing, thereupon he went on weeping. His ministers asked him: "Why are you weeping?" he said: "I do not weep for the calamity that has afflicted me, but I weep out of pity for a wrongdoer who might cry at my gate and I do not hear his cry." He then resumed: "If I have lost my hearing, I still keep my sight. Make a public call among the people that none should wear red clothes but a wronged person (in order to detect him)." He then used to ride the elephant and take a tour in the country from the beginning to the end of the day, perchance he would see a wronged person in order to restore to him his right. This man, O Commander of Believers, is a polytheist, whose mercy and kindness overpowered his covet of dominion, whereas you are a faithful believer in Allah Almighty, and the paternal cousin of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": why should your mercy and kindness not overpower your own covet of kingdom?

You collect property only for one of three purposes: if you say that I collect property for my child, you were shown by Allah Almighty a lesson in the babe who fall down from the womb of his mother having no property on earth, and Allah Almighty is still kind to that babe until he is endeared to the people. It is not you who give, but it is Allah Almighty Who gives what He pleases. If you say that you collect property to establish in power your sovereignty, of a surety, you were shown by Allah Almighty a lesson in those who were before you: all that they collected availed them naught from the punishment of Allah Almighty. Do you not remember how weak and few in number you were until Allah Almighty wanted to do to you what He pleased to do? If you say that you collect property for a more important objective beyond what you are in now, it should be known that there is no objective beyond what you are in now but a position which none attains but with righteous labour. O Commander of Believers! do you punish such of your people as disobey you with a punishment more than killing?" he answered in the negative. He said: "Then, how should you do with the dominion you are entitled by Allah Almighty to dispose of, and He Almighty does not punish such as disobeys Him with killing in so much as He does with making him abide forever in severe torment? He sees from you your real intention and thought. What do you do if Allah the Real Sovereign takes from you the kingdom of this world and invites you to reckoning? Should anything which you had avail you in the least from His punishment?"

On that Al-Mansur went on weeping and sobbing until his voice raised. He said: "Would that I have not been created, and rather been nothing." Then he said: "How should I do in that entitled to me by Allah to dispose given that all

of those round me are traitors?" he said: "O Commander of Believers! Adhere to the leading guiding imams." He asked: "Who are those?" he said: "The religious learned men." He said: "They have fled away from me." He said: "They have fled from you for fear you might force them to adopt your way as shown by your appointed officers. But open your gates and make easy the custodians, and help he wronged against the wrongful, and prevent injustices, and take things from their lawful sources and distribute them with justice and truth; and I guarantee that such as has fled from you would come to help you amend the affairs of you and your people." Al-Mansur said: "O Allah! Help me do in accordance with what this man has said." The Mu'adhdhins came and paid salutation to him and then the prayer was established and he led the people in prayer.

When he came out he said to the guard: "Bring that man to me, and if you do not do, I should chop off your head." He indeed became extremely angry with him. The guard came out in search for the man and while he was going here and there, behold! The man was praying in a defile. He waited him until he finished. He said: "O man! Do you not fear Allah?" he said: "Nay!" he said: "Do you not recognize him?" he said: "Nay!" he said: "Then, go with me to the ruler for he swore to kill me if I do not bring you to him." He said: "I have no way (to come with you)." He said: "Then, he shall kill me." He said: "No." he said: "How?" he said: "Could you read well?" he said: "No." he took out from a bag that was with him a parchment in which something was written and said: "Take it and put it in your pocket, for it contains the invocation of relief." He asked: "What is the invocation of relief?" he said: "None but martyrs are granted it." He said: "May Allah have mercy upon you. If you do well, tell me about it (since I could not read) and also about its superiority." He said: "If one invokes with it in the evening and morning, his sins would be removed, his pleasure would be continuous, his mistakes would be plotted out, his invocation would receive answer, his sustenance would be enlarged for him, his hope would come true, he would be helped against his enemy, he would be enlisted among the sincere lovers of truth in the Sight of Allah Almighty, and he would not die but as a martyr.

Say: 'O Allah! As You are more kind (to Your servants) than the kind, much superior and lofty than the magnificent, and You know what is hidden underneath Your earth in the same as You know what is as clear and evident over Your Throne (of Authority), and to You what is concealed of thoughts of breasts is as apparent as what is public, and the public speech is like the secret in Your Knowledge, and to Your Greatness all things submit, and all powers are subject to Your Power of authority, and the whole matter of this world and the hereafter is in Your Hand: relieve me of every evening distress. O Allah! Your forgiveness for my sins, excusing my mistakes and screening my faults make me covet of asking You for what I have no claim to ask for in view of my indulgence therein. I invoke You for security, and I ask You to remove my loneliness. You are the doer of good to me although I do evil to myself. You become lovable to me with

Your favours, although I incur Your anger with sins. but my confidence of You leads me to dare to invoke You for such things. Return with Your bounty and goodness upon me: You are Oft-Returning, Most Merciful'."

The guard said: "I took it and put it in my pocket, and my main fear was but from the Commander of Believers. I entered upon him and paid him salutation. He raised his head and looked at me and smiled and said: "Woe to you! Do you practice sorcery?" I said: "No, by Allah, O Commander of Believers!" I related to him my story with the old man and he asked me to give him the parchment, and I gave it to him. He went on weeping and said: "You have been saved." He commanded that it be copied and gave me ten thousand (Dirhams). He asked me: "Do you recognize him?" I said: "No." he said: "He is Al-Khadir "Peace be upon him"."

It is reported on the authority of Abu Imran Al-Jawni "may Allah have mercy upon him" that he said: When Harun Ar-Rashid became the caliph, the scholars visited him and paid him congratulations for the caliphate, and he opened the treasury and gave them gifts and awards in abundance. Before that he used to sit with the learned and ascetics and he showed devoutness and asceticism. He had a bond of brotherhood with Sufyan Ibn Sa'id Ibn Al-Mundhir Ath-Thawri, who deserted him (when he became caliph) and did not visit him. Harun longed for his visit, in order to sit alone with him and talk in privacy to him. But Sufyan did not visit him, nor did he care about his position. It was difficult upon Harun who sent a message to him in which he said: "In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful. From the servant of Allah, Harun Ar-Rashid, the Commander of Believers to his brother Sufyan Ibn Sa'id Ibn Al-Mundhir: to go further: O my brother! You know that Allah Almighty has made brothers all of the faithful believers, and made this brotherhood to be for His Sake and in His religion. It should be known to you that I have held a bond of brotherhood with you, which keep me in touch with you, and have continuous affection for you. I have the best and greatest love for you. Had it not been for that collar (of caliphate) granted to me by Allah, I would have come to you even as crawling, for the great love and affection I have for you. It should be known to you O Abu Abdullah that none among your and my brothers but that he visited me and paid me congratulations for my new position. I opened the treasury and gave them such of gifts as with which I became pleased. But I feel you are too slow to come to me. I sent to you a message out of my great longing for you. You know, O Abu Abdullah the narrations that tell about the excellence of exchange of visits and good relations among the believers. If my message reaches you, hasten to visit me."

When he finished from writing his message, he turned his face to those who were present with him, and they all recognized Sufyan Ath-Thawri and his hardness. He said: "Bring to me a man from outside the door." A man called Abbad At-Talqani was made to enter upon him to whom he said: "O Abbad! Take this letter of mine and go to Kufah and ask there about the tribe of Banu Thawr and then ask about Sufyan Ath-Thawri, and when you find him, give him

this letter of mine. And keep in memory al that he would say in detail in order to convey it to me." Abbad took the letter and went with it until he arrived in Kufah and asked about the tribe and he was guided to it, and when he asked about Sufyan he was told that he was in the mosque. Abbad related: "I came to the mosque, and when he saw me he stood and said: "I seek refuge with Allah, All-Hearing, All-Knowing from Satan the despised, and I seek refuge with You O Allah from any visitant except if he comes with good." I felt it hard on my heart and when he saw me having descended at the gate of the mosque, he stood and was involved in prayer although it was not time for prayer. I tied my horse to the gate of the mosque and entered. His sitters were sitting and lowering their heads, as if they were thieves upon whom the ruler has come and they have been afraid of his punishment. I paid them salutation and none of them raised his head towards me, although they returned the salutation to me with the signals of finger tips. I kept standing, and none of them suggested to me to sit down. I shivered in awe of them. I stretched my eyes towards them and said (to myself): "Sufyan is the one who is praying." I threw the letter to him and when he saw it he trembled and moved away from it as if it were a female-snake that seemed to him in his Mihrab. He bowed, prostrated and then concluded the prayer with the end salutation. He then got his hand into his sleeve and wrapped it in his garment and took the letter and turned it with his hand and then threw it to those sitting behind him. He said: "Let anyone of you take and read it, for I deem myself far beyond touching anything touched by the hand of a wrongdoer." One of them took and unfolded it, as he were afraid of the bite of a female-snake. He then opened and read it. Sufyan turned his face to him with smile of surprise. When reading ended, he then said: "Turn it and write to the wrongdoer on the back of his letter." It was said to him: "O Abu Abdullah! He is the caliph: why should you not write to him on a blank parchment?" he said: "Write to the wrongdoer on the back of his letter. If he has gained it lawfully, he will be rewarded for it, and if he has gained it unlawfully, he will be punished for it, and nothing touched by a wrongdoer shall thus remain with us lest it would corrupt our faith."

He was asked: "What should we write?" he said: 'In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful. From the sinful slave Sufyan Ibn Sa'id Ibn Al-Mundhir Ath-Thawri to the hope-conceited slave Harun Ar-Rashid, who has been deprived of the sweetness of faith: to go further: I have written to you to let you know that I have cut off the rope of your friendship and severed the relation of affection (I had) for you. You have made me witness against you to your statement that you have illegally taken from the Muslim treasury, which you have spent with no just cause. Furthermore, you have not accepted to do so while you are far from me, but you have written to me to make me witness to it. Behold! I and my brothers in whose presence your letter have been read are witnesses against you, and tomorrow (in the hereafter) we will give such witness against you in front of Allah Almighty. O Harun! You have usurped from the Muslim treasury without their acceptance. Is your conduct accepted by those whose hearts are to be joined in love, those who administer alms, those who fight in the

Cause of Allah, those who are wayfarers, the carriers of the Qur'an, men of knowledge, widows, and orphans? Is your conduct accepted by anyone of your people? O Harun! Straighten your lower garment (round your waist), and prepare your reply to the question, and a dress to face the trial therewith. You should know that you shall stand in front of (Allah) the Just Ruler. You have afflicted yourself when you have been deprived of the sweetness of knowledge, asceticism, Qur'an, and sitting with the good among the people, and rather accepted to be a wrongdoer if not the chief of wrongdoers. O Harun! You have sit on the throne (of majesty) and put on silk, and hung a curtain on your gate, and imitated, with the wardens whom you have taken, the Lord of the worlds. Then, you have made your wrongful soldiers sit at your gate, to deal unjustly and not justly with the people. They drink wine although they beat such as drinks it (other than them). They commit adultery although they execute the legal punishment of adultery on the adulterer. They also steal although they cut off the hand of the thief. Why have you not enforced those rulings on you and them before you enforce them on the people? How should you do O Harun tomorrow when a caller from Allah Almighty calls that you should muster the wrongdoers and their helpers together? You shall come in front of Allah Almighty with your hands tied to your neck, and nothing shall untie them other than your justice and fairness. The wrongdoers will be round you and you will precede them as their leader to the fire (of Hell). You seem, O Harun, as if you will be constricted and suppressed when you see your good deeds in the scale of others, and the evil deeds of others in your scale, besides your own evil deeds, a trial upon a trial, and darkness over darkness. So, please, keep my recommendation, and receive admonition by my preachment to you. You should know that I have advised you sincerely. So, fear Allah O Harun in regard to your people, and observe (the teachings of) Muhammad, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" concerning his nation, and be a good vicegerent over them, and know that were the matter of ruling to remain for you, it would not have ended up to you, and inevitably, it will go to others after you. This is the case of the world, which move with its inhabitants from one to another: some of them take therefrom provision to benefit him (when he leaves it), and some lose both their world and hereafter. I think that you O Harun are of those who lose both their world and hereafter. So, beware of sending to me any letter after that, lest I would give you no reply to it: and peace be upon you."

Abbad resumed: He threw the letter to me spread and not folded nor sealed. I took it and went to the market of Kufah being under the influence of the preachment. I called: "O people of Kufah!" they responded and I said: "O people! Who could buy a man who has fled from Allah to Allah?" they turned towards me with Dinars and Dirhams. I said: "I have no need of money. Let it only be a rough woollen cloak and a cotton garment." I put off the clothes I used to wear while I was with the Commander of Believers, and replaced it with the new clothes. I then took the rein of the workhorse with the weapon I was carrying on it until I arrived near the gate of the palace of the Commander of

Believers as barefooted and walking. Those on the gate of the caliph made fun of me. A permission was sought for me to enter and when I was admitted and he saw me in that state he stood and sat down. Then he stood once again and started slapping his head and face and invoking woes and grief saying: "The messenger (whom I have sent) got benefit while the sender failed. What do I have to do with the world and with a dominion which could very quickly vanish from me?" I threw the letter to him as spread in the same way as it was thrown to me. Harun went on reading it with his tears flowing from his eyes and he was sighing. Some of his sitters said: "O Commander of Believers! Sufyan has dared to talk to you with baldness. Why should you not send to him and tie him in heavy iron fetters and put him in a narrow prison and make of him a lesson to be learned by others?" Harun said: "Leave us O slaves of this world! The conceited is him whom you have deceived, and the wretched is him whom you have given to destruction. Sufyan alone is a nation. So, leave Sufyan to his business.'"" The letter of Sufyan remained by the side of Harun to read at the time of every prayer until he died "may Allah have mercy upon him". May Allah's mercy be upon a servant who considers his affairs and fears Allah Almighty in his deed which he is going to bring tomorrow (in the hereafter), for he will be reckoned for his deed and given reward or punishment.

It is reported on the authority of Abdullah Ibn Muhran that he said: Ar-Rashid set out as a pilgrim and he came upon Kufah where he spent some days there. Then he departed and the people departed with him. Among those who came out was Buhlul the Mad whom children were harming. When the howdahs of Harun came, they stopped. Buhlul called at the top of his voice: "O Commander of Believers!" Harun lifted the curtain from his face and said: "I'm responding to your call O Buhlul!" he said: "O Commander of Believers! it is reported on the authority of Ayman Ibn Na'il from Qudamah Ibn Abdullah Al-Amiri that he said: I saw The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" throwing the Jamrah of Aqabah while being on a blond red she-camel, which he did not beat nor did he drive away by force (as is widespread now among the chiefs and rulers). (This narration is reported by At-Tirmidhi and An-Nasa'i). No doubt, your humbleness in your journey, O Commander of Believers, is much better for you than your arrogance and haughtiness." Harun wept until his tears fell down on the ground. He said: "O Buhlul! Give us more, may Allah have mercy upon you." He said: "Yes, O Commander of Believers! There is a man whom Allah Almighty gave property and beauty, and he has given out of his property (in charity) and observed chastity in regard to his beauty, and the result was that he was registered in the pure register of Allah Almighty with the pious." He said: "You have done well by that statement O Buhlul." He gave a gift to him and he said: "Return the gift to him from whom you have illegally taken for I have no need of it." He said: "O Buhlul! If you are in debt, let's fulfill it on your behalf." He said: "O Commander of Believers! the men of knowledge in Kufah unanimously agree hat to fulfill the debt with the debt is impermissible." He said: "O Buhlul! Let's then assign a yearly income to sustain

you." He raised his head towards the sky and said: "O Commander of Believers! both you and I are among the dependents of Allah Almighty, and by no means could He remember you and forget me." Harun then let the curtain hang down and proceeded on his way.

It is narrated on the authority of Abu Al-Abbas Al-Hashimi from Salih Ibn Al-Ma'mun that he said: One day I entered upon Al-Harth Al-Muhasibi "may Allah bestow mercy upon him" and asked him: "O Abu Abdullah! Have you reckoned yourself?" he said: "Only once." I asked: "What about today?" he said: "I cancel my state from myself. I read a Holy Verse from the Book of Allah Almighty and fear that my own self would hear it. One night, I was sitting in my Mihrab when a good-looking pleasant smelling young man greeted me and sat in front of me. I asked him: "Who are you?" he said: "I am one of the wanderers on earth and I aim at the worshippers in their Mihrabs, but I see you have made no diligence. What is your deed?" I said: "The concealment of calamities and exportation of benefits." He cried: "I have never learnt that there is anyone on the whole earth has such a characteristic. Al-Harth said: I liked to tell him more saying: "Do you not learn that the masters of hearts are in the habit of hiding their states and concealing their secrets, and they ask Allah Almighty to conceal that for them? How then do you recognize them?" he cried so loudly that he felt unconscious.

He spent two days with me with his mind lost. He then recovered after he had urinated in his garment, and knowing that he had lost his mind, I took out a new garment for him and said: "This is my shroud with which I have favoured you. So, take bath and compensate your missed prayers." He said: "Give me water." He took bath, performed prayer and wrapped himself in the garment and came out. I asked him: "Where should you go?" he asked me to stand with him. He kept walking until he entered upon Al-Ma'mun and greeted him, and said: "O wrongdoer! I am a wrongdoer if I do not tell you that you are a wrongdoer. I ask for Allah's forgiveness for my indulgence in admonishing you. Do you not fear Allah Almighty in what he has placed under your possession?" he said many things and when he intended to come out and I was sitting near the gate, Al-Ma'mun faced him and asked: "Who are you?" he said: "I am one of the wanderers on earth. I considered the good the righteous before me had done, and since I have no portion of it, I betook myself to admonish you perchance I would join them." He commanded that his head be chopped off. He was brought out and I was sitting near the gate wrapped in the garment, and a caller was calling: "Who is the guardian of that young man?" Al-Harth said: "I hid myself from him and strange people took him, and buried him and I was with them but without telling them about my state (with that young man). I stayed in a state of grief in a mosque near the graves, until I was overtaken by slumber and behold! He was among servant-maids better than whom I have never seen. He said: "O Harth! By Allah, you are among those who conceal their states and obey their Lord." I said: "What have they done?" he said: "They are going to meet you now." I saw a group of riders whom I asked: "Who are you?" they said: "We are those who

conceal their states. This young man was moved by your words to him, and before that his heart had nothing like it. After he had heard you he came out to enjoin right and forbid evil. Allah joined him with us and grew angry for His servant."

It is reported on the authority of Ahmad Ibn Ibrahim Al-Maqri that he said: Abu Al-Hussain An-Nuri was not curious, and he did not ask about what concerned him not, nor did he inspect about what he needed not. Whenever he saw evildoing, he would endeavour to change it even if he was to damage it. One day, he went to a port known as the port of coal makers to get purified and perform ablution for prayer. He saw a boat having thirty large jugs and the word of "Lutf" was written on them with pitch. He read and disapproved of it for nothing like that was learnt to be practiced in the trade or transaction. He asked the navigator: "What do those large jugs contain?" he said to him: "What is your business with them? Go on your work." Heard that from the navigator, An-Nuri became more eager to know what those contained. He said to him: "I like that you tell me what those large jugs contain." He said to him: "What is your business with them? You are, by Allah, a curious Sufi. This is wine for Al-Mu'tadid with which he likes to compete his gathering." An-Nuri asked: "Is this then wine?" the navigator answered in the affirmative. He said: "I like that you give me that big knife." The navigator was enraged by him and said to his slave: "Give it to him and wait to see what he will do." When he took hold of the big knife, he ascended the boat and started breaking them one after the other until he broke all of them except for a single large jug. At that time, the navigator was asking for relief, until the governor of Al-Jisr, Aflah Ibn Bishr came and arrested An-Nuri. He brought him to the presence of Al-Mu'tadid. Al-Mu'tadid used to have his sword precede his speech, and the people had no doubt that he would kill An-Nuri. Let Abu Al-Hussain tell us: he said: I was made to enter upon him while he was sitting on an iron chair, having a pillar which he was turning in his hand. When he saw me he asked: "Who are you?" I said: "A Muhtasib." He said: "Who has appointed you in charge of Hisbah?" I said: "The same Who has appointed you as a ruler has also appointed me in charge of Hisbah O Commander of Believers." he lowered his head for a moment and then raised it to me and said: "What has led you to do what you have done?" I said: "I have done it out of pity for you. I stretched my hand to an evildoing that I dislike for you and deprived you of it." He lowered his head and considered my speech and then raised his head towards me and said: "How has that large vessel been saved from among all the vessels?" I said: "There is a reason for that and I could tell you about it if you give me permission." He gave me permission and I said: "O Commander of Believers! I turned to break the vessels motivated by Allah's demand from me to do so, and at that time, I saw nothing but the truth, which removed from me the reverence and awe of the creatures. I was in that state until I came to that vessel, thereupon I felt myself too arrogant to dare to do the like of that with you, and thus I desisted. Had I turned towards it with the first state, surely, I would have broken as much

vessels as to fill the whole world, with no care." On that Al-Mu'tadid said: "Go and we've released your hand to change such of evildoings as you like to change." He said: "O Commander of Believers! Changing the evildoing has now become hateful to me." He asked: "What is your need then?" he said: "To command that I come out safely." He commanded that he should come out safely, and he came out and left for Basrah. He stayed there until Al-Mu'tadid died and then he returned to Baghdad.

This is the habit of the religious scholars and learned men of enjoining right and forbidding evil, and their careless about the power of rulers and governors, for they relied on the bounty of Allah Almighty to guard them, and accepted the decision of Allah Almighty to bestow martyrdom upon them. When their intentions were sincere to Allah Almighty, their speech had its positive impact on smoothing the hard hearts. But now, the covets and desires tie the tongues of the learned, thereupon they keep silent; and even if they speak, their states never confirm their words, and the result is that they are not successful. Were they to be true and sincere to the right of knowledge upon them, surely, they would prosper. To be sure, the corruption of the people results from the corruption of their kings, and the corruption of kings results from the corruption of the scholars and learned men, and the corruption of scholars and learned men results from their being possessed by love for wealth and celebrity. If the love for this world possesses anyone, he would not be able to prevent the lowly from sins, what then about preventing kings and chiefs from sins? it is Allah whose aid is sought in every state.

End of the book of enjoining good and forbidding evil, praise be to Allah.

Book ten: Etiquettes of living and Prophetic manners

It is the tenth book of the quarter of customs of life

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful.

Praise be to Allah, who created the all things, embellished its form and order, and caused His prophet Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" to be well mannered; and who, having adorned his conduct and purified his qualities and character, selected him as His chosen and His beloved. Praise be to Allah who guides the copying of Muhammad's attributes by them whose refinement he desires, and who prevents the assuming of his character by them whose debasement He desires. May Allah bless our lord Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him", the lord of the messengers, his good and chaste family, and may He grant (them) peace.

To begin: Verily one's external manner is the mark of one's inner manner, and the movements of the productive members of the body are the results of passing thoughts. Moreover, actions are the result of character, and fine breeding is the distillate of knowledge. Indeed, actions are rooted and originate in the innermost thoughts of the heart. (Verily) the innermost lights of the heart shine upon one's external behavior, adorning and embellishing it, and substitute good qualities for disliked and evil ones. Furthermore he whose heart is not humbled, his external members are not humbled; and he whose chest is not the niche of the divine lights, there does not spread over his external features the beauty of the prophetic manner.

I had resolved to end the "Quarter of Customs of Life" of this Book with a comprehensive book dealing with manners of living, in order that their deduction from the entirety of this book should not be difficult for the student. Then I realized, however, that each book of the "Quarter of Customs of Life" had already dealt with a particular class of manners, and since I find the task of repetition painful and tedious-people being disposed to a dislike of the repetition of customs-I have decided to restrict myself in this book to the mention of the manner and character of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" as related by tradition. In this, I will gather together the reports, section by section, without their Isnad, in order that there be brought together in this book, in addition to the mention of the manners (of Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him"), the restoration and strengthening of the faith through the testimony of Muhammad's noble character; a fact to which the single traditions testify without a doubt, namely, that he was the most noble of Allah's creations, and the most noble in rank and in power. Hence how much more so is this true when they (the traditions) are all combined!

To the consideration of his character I will join the mention of his physical appearance. Then I will consider his miracles by which the reports are verified, since they (the miracles) speak clearly for the noble qualities of character and nature, and remove the lid of deafness from the ears of the rejecters of his Prophethood. Allah, the exalted, is the Lord who directs one's imitation of the lord of the apostles, in regard to character, qualities, and the rest of the guideposts of religion. Verily, Allah is the guide of the perplexed and the answerer of the prayers of those in need.

We will first mention the account of Allah's disciplining Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" by means of the Qur'an, then the accounts concisely summarizing the fine qualities of his character, his speech and laughter, his character and manner in regard to food, his character and manner in regard to dress, his pardoning although he had the power not to pardon, his aversion from whatever he disliked, his generosity and his liberality, bravery and courage, modesty, his external countenance and appearance, and his miracles and signs which point to his truth. The Account of Allah's Disciplining Muhammad, His Friend and His Chosen, by the Holy Qur'an

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was very humble and supplicatory of Allah, continuously asking Him to adorn him with fine qualities of breeding, and the noble qualities of character. While praying he used to say (according to the narration of Ahmad on the authority of A'ishah): "O Allah, embellish my external and internal natures;" and (according to the narration of At-Tirmidhi on the authority of Qutbah Ibn Malik): "O Allah, cause me to shun the disapproved qualities of character." Thereupon Allah answered his prayer, in fulfillment to his statement: "If you will call me, I will answer you" (Ghafir 60)

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴿٦٠﴾ ﴾

By sending down the Qur'an and disciplining him through its teaching, so that Muhammad's nature was the Qur'an.

Sa'd Ibn Hisham said (according to the narration of Muslim): "I visited 'A'ishah, may Allah be pleased with her and her father, and asked her concerning the character of the Messenger of Allah "Allah's blessing andpeace be upon him". She said: 'Do you not read the Qur'an?!' I said: "Yes." She said: "The moral nature of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was the Qur'an."

Only the Qur'an disciplined him by the examples of its word; e.g., "Take amnesty and command what is just and shun the ignorant." (Al-A'raf 199)

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾

"Verily Allah ordered justice, the doing of good, and the giving of gifts to kindred, and He forbade wickedness, wrongdoing, and oppression." (An-Nahl 90)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ﴾

"Enjoin what is just, and forbid what is wrong; and bear with patient constancy whatever betide you; for this is firmness (of purpose) in (the conduct of) affairs." (Luqman 17)

﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾

"But indeed if any show patience and forgive, that would truly be an exercise of courageous will and resolution in the conduct of affairs." (Ash-Shura 43)

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾

"But forgive them, and overlook (their misdeeds): for Allah loves those who are kind." (Al-Ma'idah 13)

﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

"Let them forgive and overlook: do you not wish that Allah should forgive you? For Allah is Oft-Forgiving, Most Merciful." (An-Nur 22)

﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

"Nor can Goodness and Evil be equal. Repel (Evil) with what is better: then will he between whom and you was hatred become as it were your friend and intimate!" (Fussilat 34)

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى

بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾

"Those who spend (freely), whether in prosperity, or in adversity; who restrain anger, and pardon (all) men; for Allah loves those who do good." (Al Imran 134)

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

"O you who believe! Avoid suspicion as much (as possible): for suspicion in some cases is a sin: and spy not on each other, nor speak ill of each other behind their backs." (Al-Hujurat 12)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ

وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾

When Muhammad's two teeth were broken and he was wounded in the battle of Uhud, so that the blood flowed over his face, he wiped the blood saying (according to the narration of Muslim on the authority of Anas): "How do a people who dye the face of their Prophet with blood succeed, while he

calls them to their Lord!" Therewith Allah sent down the verse: "It is not your concern" (Al Imran 128)

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾

As a correction in regard to that; and there are innumerable examples of these corrections in the Qur'an."

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" was the first intended for (the function of) disciplining and refining. Then the light spread from him over the whole of creation, for he was disciplined by means of the Qur'an and he in turn disciplined creation. For this reason he said (according to the narration of Ahmad, Al-Hakim and Al-Baihaqi on the authority of Abu Hurairah): "I was sent to complete the noble qualities of character." Thereupon mankind became desirous of the fine qualities of character as we mentioned in the book The Disciplining of the Soul and the Refinement of Character, (a process) which we will not mention here.

When Allah perfected his character, He praised him and said: "Verily you are of a noble nature." (Al-Qalam 4)

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

How great is His state and how perfect His bestowal of favor is! Consider His embracing kindness and great bounty: how munificently He bestowed (favour) and then praised him. It is He Who adorned him with noble character and great excellence. Furthermore, He (Allah) added that praise and said: "Verily you are of a noble nature." (Al-Qalam 4)

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

Thereafter the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" explained to mankind that Allah loves the fine qualities of character and detests the bad qualities of character (according to the narration of Al-Baihaqi on the authority of Sahl Ibn Sa'd).

(According to the narration of At-Tirmidhi) 'Ali, may Allah be pleased with him, said: "How strange that a Muslim, when a fellow Muslim comes to him in need, does not regard himself competent to bestow favor. For, even were he not to hope for reward and fear punishment, it still would have been necessary for him to hasten to act generously, since good actions point the path to salvation." Then a man said to 'Ali: "Did you hear this from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"?" 'Ali said: "Yes, and that which is better than this. When the prisoners of Tai' were brought, there arose a girl from amongst them who said: 'O Muhammad, would that you free me and prevent the Arab tribes from gloating at my misfortune; for, I am a daughter of the chief of my people, who defended the family, freed the captive, satiated the hungry, extended greetings, and never refused anyone who sought

him in need. I am a daughter of Hatim At-Ta'i. Then Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" said: 'O girl, this is truly a description of the Muslims. If your father were a Muslim, we would say, 'Might Allah have mercy on him.' Free her! For her father loved the noble qualities of character, and verily Allah loves these qualities.' Then Abu Burdah Ibn Niyar arose and said: 'O Messenger of Allah, does Allah love the noble qualities of character?' Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" replied: 'By Him in whose hands is my life; no one shall enter paradise except he who is of good character."

It is further narrated on the authority of Mu'adh Ibn Jabal that Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily Allah encompasses Islam with noble qualities of character and with fine deeds."

Now amongst these qualities are: having pleasant social relations, doing noble actions, being submissive, bestowing favor, feeding others, extending greetings, visiting the sick Muslim whether he be pious or profligate, escorting the bier of a Muslim, protecting your neighbor whether he be a Muslim or a disbeliever, honoring the aged Muslim, answering the invitation to food, inviting others to it, bestowing pardon, making peace between people, liberality, nobility of character, forbearance, being the first to extend greeting, repressing anger, pardoning people, shunning what Islam forbids, namely, frivolous sport, vanity, song, all musical instruments, revenge, guile, slander, falsehood, avarice, niggardliness, rudeness, artifice, deception, calumny, wronging friendship, forsaking blood kindred, bad moral character, haughtiness, boasting, self-conceit, arrogance, pride, immoderation, foulness of language, rancour, envy, levity, injustice, oppression, and tyranny.

Anas Ibn Malik, may Allah be pleased with him, said: "Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" did not call out 'a fine counsel' without having induced and ordered us to follow it, not did he call out 'fraud' or say 'vice' or 'disgraceful' but that he cautioned and prohibited us in regard to it." And this verse of the Qur'an will suffice for all of these maxims, "Verily Allah orders justice and good actions." (An-Nahl 90)

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴿٩٠﴾ ﴾

Mu'adh Ibn Jabal said (according to the narration of Abu Na'im and Al-Baihaqi): "The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" commanded me saying: 'O Mu'adh, I command you to fear Allah, to tell the truth, to fulfill the oath, to act loyally, to avoid perfidious actions, to care for the neighbor, to have mercy on the orphan, to be soft spoken, to be liberal of extending greeting, to perform fine acts, to limit expectation, to stick to faith, to study the Qur'an, to love the other life, to be anxious in regard to the reckoning, to act humbly; I forbid you to abuse the learned, to accuse an honest man of lying, to obey the sinner, to disobey a just man, to put a land in disorder; and I command you to fear Allah at every stone, tree, or village, and

that you show repentance for every sin, secret or public." Thus Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" disciplined the servants of Allah and urged them to be well mannered and to possess the noble qualities of character.

A BRIEF ACCOUNT OF HIS FINE QUALITIES OF CHARACTER, WHICH A LEARNED HAS GATHERED AND COLLECTED FROM THE REPORTS

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" was the most forbearing, honest, just, and chaste of men. His hand never touched the hand of a woman whom his right hand did not possess, or whom he did not marry, or who was unlawful for him to marry. He was the most generous of men. Neither a Dinar nor a dirham was left with him in the evening. If something remained, and there was not anyone to whom he could give this excess-night having fallen unexpectedly-he would not go to his lodging until he was able to give this excess to who was in need of it.

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" did not take of those things which Allah gave him, except his yearly provisions. He gave the remaining excess of his small quantity of dates and barley to the needy. He was never asked for anything but that he gave it (to him who asked). Moreover he returned to his yearly provisions (which he stored for his family) and (taking of them) preferred him (the seeker) (over himself and his family). Thus he was often in need before the end of the year, if nothing was presented to him. He patched his sandals and clothing, performed household duties, and ate meat with his women-folk.

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" was the most bashful of men and did not stare into anyone's face. He answered the invitation of the slave and the freeborn. He accepted presents, even if they consisted only of a draught of milk, or of a leg of rabbit; he ate them and requited equally for them. However, he did not eat of that which was offered to him as legal alms. He did not consider himself too great to answer the (ordinary) people and the poor. He became angry for Allah and not for his own sake. He exacted the truth even though it brought harm to him and his companions.

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him", while fighting certain polytheists, was offered the help of other polytheists. However, he replied, "I do not seek assistance in conquest from a polytheist," even though he was with few men and in need of anyone who could increase his numbers.

One of the most virtuous and best of his companions was found murdered amongst the Jews, but Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" did not hasten against them nor did he exceed the course of justice. Rather he accepted no more than the blood-money of a hundred female camels although his companions needed a single male camel with which they would be strengthened.

Because of hunger he at times tightened a stone around his stomach. He

often ate what was at hand, did not reject what was available, and did he refrain from lawful food. If there was available a date without bread, he ate it; if there was roast meat, he ate it; if there was wheat or barley bread, he ate it; if there was sweets or honey, he ate it; if there was milk without bread, he was content with it; if there was a melon or fresh dates, he ate it.

He did neither eat as reclining nor from a footed tray. He used his sole as a napkin. Until the time of his death, he did not dislike to eat wheat bread three days in succession as a sign that one (should) choose neither poverty nor avarice.

He attended feasts, visited the sick, attended funerals, and walked alone without a guard amongst his enemies. He was the humblest of men, the most silent without being insolent and the most eloquent without being lengthy. He had the most joyful countenance, none of the affairs of the world awing him.

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" wore what was at hand-at times a cloak covering the whole body, at times a striped-cloth garment of Yemen, at times a gown of wool. He wore any permissible garment which was available. His signet was of silver which he wore now on the little finger of his right hand, now on that of his left hand.

He mounted his servant and others behind him on the same beast. He rode whatever was possible for him. At different times he rode a horse, a male camel, a gray she mule, an ass; at times he walked on foot, barefoot without a cloak, turban, or cap.

He visited the sick in the farthest section in the city. He loved perfumes and disliked foul odors. He sat and ate with the poor. He showed regard to the people of virtue for their character and was intimate with the people of rank because of their piety. He did good for his kindred without preferring them to him who was more virtuous than they. He did not tyrannize anyone and accepted the excuse of him who begged his pardon.

He jested but he only spoke the truth. He laughed without bursting out into laughter. He witnessed the permitted games and did not disapprove of them. He raced sportingly with his family. Voices were raised against him, but he was patient.

His milch camels and sheep nourished him and his family with their milk; He did not eat better food nor wear better clothes than his male and female slave. A moment did not pass without his doing an action for Allah or (doing) that which was indispensable for the soundness of his soul. He went to the garden of his companions. He did not despise a poor man for his poverty and misfortune, nor he did not fear a king because of his power; rather, he urged them equally to Allah.

Allah combined in him virtuous conduct and perfect rule of people, though he was untaught, unable to read or write, grew up poor amongst the shepherds in the land of ignorance and desert, and was an orphan without father and mother. Allah taught him all the fine qualities of character, the praiseworthy paths, the

reports of the first and last affairs, and those matters through which there is (obtained) salvation and reward in the future life and happiness and reward in the world. Allah taught him to cleave to that which is as obligatory and to forsake the useless.

May Allah direct us to obey Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" in his commands and to imitate him in his actions. Amen, Lord of the worlds.

Another Summary of His Manner and Character

Of that which Abu Al-Bakhtari related, they said that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did not insult a Muslim but that he atoned for this and bestowed mercy. Moreover, he never cursed either a woman or a slave. While he was waging war it was said to him, "Would that you curse them (the enemy) O Messenger of Allah!" To which he responded, "I was sent to forgive not as a curser." Whenever he was asked to wish evil against anyone whether he be a Muslim, a disbeliever, a man of the common people, or a man of worth, he turned from wishing him evil to blessing him.

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" never struck anyone except for the sake of Allah; nor did he ever revenge himself for what was done to him except when the sanctity of Allah was violated. He never chose between two matters but that he chose the easier, unless there was a sin in this choice, or it would result in the forsaking of kindred, in which case Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" would be furthest removed from that.

No person, whether he be free born, male or female, came to Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" but that he supported him in his need. Anas Ibn Malik said: "By Him who sent him with the truth, Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" never said to me in regard to anything what he disapproved, 'why did you do it? Moreover, his wives did not rebuke me but that he said: 'let it be'; it was written in a book and fated."

They said that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did not regard a bed as something amiss; for if they spread out a bed for him, he reclined upon it ; if not, he reclined on the earth.

Allah had already described him in the Torah before he sent him in the first generation saying: "Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" is the Messenger of Allah; he is my chosen servant. He is neither harsh, coarse, nor clamorous in the market places. He does not reward evil with evil, but he forgives and examines the affair. Mecca is the place of his birth, and Medina is the place of his emigration, and Sham is the place of his kingdom. He and those with him clothe themselves with a waistband wrapper. Allah called him for the Qur'an and firm belief. He washes his extremities." He is thus also described in the New Testament.

It was his nature to be the first to extend greetings to whomever he met. He

was patient with anyone who asked him for help, to the point that he (Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him") was the one dismissed. While hand- shaking, Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" was never the first one to release his hand. When he met one of his companions he was first to commence handshaking; he then took his hand and clasped it, strengthening his grasp over his hand.

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" did not rise or sit without the mentioning of Allah. No one sat in his company while he was praying but that he shortened his prayer and came forth to him and said: "Have you a need?" After satisfying his need, Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" returned to his prayer.

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" sat most of the time with his feet together, grasping them like a cloth which is used as a support. His sitting place could not be distinguished from that of his companions because he sat in the last row of those assembled. He never was seen stretching his legs before his companions, lest he put anyone in a strait position the exception was when there was ample space in which there was no narrowness. Most of the time Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" sat facing in the direction of Mecca.

He used to show regard to his visitor to the point of often spreading his garment and seating upon it him who was neither a relative nor foster brother. He preferred his guest (over himself) by (offering him) the cushion on which he reclined; and if he refused, Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" urged him until he did accept it.

No one chose Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" as a friend, but that Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" regarded him as the most noble of men. He shared his attention with all his guests. Moreover he sat, listened, conversed, acted gracefully, directed himself to his guest, his company being, in spite of all that, modest, humble, and sincere. Allah said: "By the mercy of Allah, you have been mild towards them, but had you been harsh and hard-hearted, they would have certainly dispersed from around you." (Al Imran 159)

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴿١٥٩﴾ ﴾

He called his companions by their titles *so* as to honor and conciliate them. He nicknamed whoever did not have a nickname and called him by it. Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" also nicknamed the women who did not have children. He nicknamed the young boys, therewith softening their hearts.

Of all men he was the least angry and the readiest to be pleased. He was the most merciful, beneficial, and useful of men towards his fellow men.

No noise was raised in his company. When he arose he said: "Allah be praised, O Allah, I testify praising Thee that there is no Allah but Thou; I ask Thy pardon and repent to Thee." Then he said: "Gabriel-may Allah bless him-taught me this."

Account Of His Speech And Laughter

Of all men Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" had the most eloquent diction and the most pleasant speech. He said (according to the narration of At-Tabarani on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri): "I am the most eloquent of the Arabs." He also said that the people of Paradise speak the dialect of Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" (according to the narration of Al-Hakim on the authority of Ibn Abbas). His speech was exiguous and compliant. When he spoke he was not a babbler. His speech was like a string of (matched) gems. 'A'ishah said: "He did not construct his speech the way you do; he spoke little, and you speak a great deal." They said that of all men Muhammad's speech was most concise, this quality having been brought to him by Gabriel. However, in spite of its concision his speech expressed all that he wanted to say. He used to speak comprehensively and concisely, neither exceeding nor falling short (from his purpose). His sentences followed each other and were cohesive, so that his listener heard and understood him.

He had a powerful and most melodious voice. He was long silent, and did not speak without necessity. He did not say that which was forbidden to say. He only spoke the truth whether he was pleased or prone to anger. He avoided whoever spoke without eloquence. Moreover he used to express himself metonymically whenever he had to say anything which he loathed expressing.

When he was silent, his companions spoke. One did not argue in his presence. He warned by exhortation and by advice. Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Do not refute the Qur'an by comparing one part by another, for the Qur'an was sent down in various ways."

He was the most smiling and laughing of men in the presence of his companions, admiring what they said: and mingling with them. He often laughed so that his molar teeth showed. The laughter of his companions in his presence, in imitation of him and as a sign of their regard for him, was a smile.

They said: "One day an Arab Bedouin came to Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" while he was in a frame of mind of which his companions were ignorant; and he (the Bedouin) desired to ask Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" something. Thereupon his companions said: 'No, do not do it (ask him), O Bedouin, for we do not know his frame of mind.' The Bedouin answered, 'Let me! I swear by Him who sent Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" as a prophet that I shall not leave him until he smiles.' Then he said: 'O Messenger of Allah, it has reached us that the Anointed, meaning the Anti-Christ, has brought the people who were dying of

hunger a bowl of soup. Do you think, you who are dearer to me than my father and mother, that I should desist from his soup, because of chastity and purity so that I die of emaciation, or do you think that I should take his soup so that when I am satiated I will believe in Allah and deny the Anti-Christ.' Thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" laughed until his molar teeth became visible, and said: 'No, but Allah will reward you with that which he rewards the Believers."

They said that he was the most smiling and agreeable of men except when a revelation (Qur'an) was revealed to him, when he mentioned the hour of the Resurrection, and when he preached a sermon. When he rejoiced and was pleased, he was the most pleased of men. If he preached, he preached vigorously; if he were angered, being angered only for the sake of Allah, nothing could withstand his anger. Thus he was in all his affairs.

When he undertook an affair, he entrusted the matter to Allah, renounced his strength and power, and asked for guidance, saying, "O Allah, show me the truth, qua truth, and I will follow it. Show me what is denied, qua denied, and cause me to shun it. Protect me, lest the truth becomes dubious to me, and I will follow my inclination without guidance from You. Cause my inclination to act in obedience to You, and may You be pleased with my soundness. Guide me correctly in regard to whatever I am, with Your permission, in doubt as to the truth. Verily You guide whomever You desire to the right path."

Account Of His Character And Manner In Regard To Food

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" ate whatever was available. His most beloved food was that upon which the hands would multiply (i.e. to share food). When the table was set he said: "In the name of Allah, render the food favorable and praiseworthy and cause it to have the favor of Paradise."

While he sat eating, he frequently joined his knees and feet just as he who prays, except that one knee was over the other knee and one foot over the other foot, and said: "I am only a servant; I eat and sit as he does."

He did not eat very hot food, in regard to which he said: "It is without blessing; verily Allah did not feed us fire, therefore cool it." He ate whatever was within his reach, eating with his three fingers. Sometimes he used a fourth finger but he did not eat with two fingers for he said: "That is the way Satan eats."

Uthman Ibn 'Affan brought Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" a sweetmeat (made of starch, water and honey), and Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" said: "What is this, O 'Abd Allah?" 'Uthman answered, "You who are dearer to me than my father and mother, we put butter and honey in the stone cooking pot, put it over the fire, and boil. Then we take the purest part of wheat when it is milled, and roast it over the butter and honey

in the pot. It is then mixed until it is thoroughly cooked, and the result is what you see." Thereupon Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" said: "This food is good."

He ate bread made of unsifted barley and cucumbers with dates and with salt. His favorite fresh fruit were the melon and the grape. He ate the melon with bread and sugar; he often ate it with dates, using his two hands. One day, while he was eating the dates in his right hand and storing the date stones in his left hand, an ewe passed. Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" showed her the date stones, and the ewe began eating out of his left hand while he ate with his right hand. When he finished eating, the ewe left.

He frequently ate grapes by putting the bunch in his mouth and drawing forth its stalk bare; (in doing this) the foam on his beard appeared as shining beads. His most frequent food consisted of water and dates. He mixed milk and dates and called them "the two best."

His favorite food was meat, of which he said: "It is beyond fame; it is the lord of food in this world and in the next; and if I were to ask Allah to feed it to me every day, he would do so." He used to eat soup with meat and pumpkins. In regard to pumpkins, which he loved, he said: "It is the tree of my brother Yunus."

'A'ishah relates that Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" used to say, "O, A'ishah, when you cook a pottage put in plenty of gourds, for verily it strengthens the heart of the grieved." He used to eat meat of hunted birds. However, he did not follow a hunt. Rather he preferred that it be hunted and brought to him; then he ate of it.

When he ate meat, he did not lean over it. Instead he lifted the meat to his mouth and then bit into it with his front teeth. He ate bread and butter, and liked the forearm and shoulder of sheep. Of pottage, he loved gourds; of seasoning, he loved vinegar; of dates, he loved those of Medina (al-'Ajwah), which he named "The Blessed." Moreover he said: "It (the dates of Medina) is of Paradise and is a remedy for poison and magic." Of vegetables, he liked the endive, mountain balm, and garden purslane, which is called Ar-Rijlah. He disliked the kidneys because of their proximity to the urine. He did not eat seven parts of the ewe, namely, the male organ, ovaries, knees, gall vesicle, goiter, vulva, and the blood, since he disliked them. He did not eat garlic, onions, or leek.

Muhammad, "Allah's blessing and peace be upon him" never found fault with food. If he was pleased with it, he ate of it; if he disliked it, he neglected it; if he discarded it, he did not render it hateful to another person. He disliked the lizard and the spleen but did not declare them forbidden.

He used to wipe clean the dish with his fingers saying, "The last portion of food is very much blessed." Moreover he licked his fingers until they became red.

He did not wipe his hand with a towel until he licked his fingers one by one, saying that he did not know in which morsel of food was the blessing. When he finished he said: "Praise be to Allah! Allah, Thou art worthy to be praised. Thou hast fed, sated, given drink, and quenched thirst; praise belongs to Thee, who cannot be denied, who is eternally present, and who is indispensable." When he ate bread and especially meat, he washed his hands vigorously and wiped his face with the excess water.

He used to drink in three portions, invoking Allah thrice. When he finished he praised Allah thrice. He sucked the water and did not gulp it.

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" gave the excess of his food to him who was on his right side. If there was someone on his left, who was more illustrious as to rank, he said to him who was on his right, "It is the custom that it be given to you, but if you wish I will prefer them."

He sometimes drank with one breath until he was finished. He did not drink from the vessel without separating it from his mouth; rather, he avoided doing it.

There was brought to him a vase in which there was honey and milk, and he refused to drink it saying: "There are two draughts in one, and two foods in one vase." Then he said: "I do not forbid it, but I dislike boasting in respect to the excesses of the world and calculating regarding them for the morrow; rather I love humility. For, verily, whoever is humble before Allah, Allah will extol him."

In his house he was more modest than his freed servants. He did not ask them for food, nor did he importune them with requests for food. If they fed him, he ate. He ate whatever they fed him, and drank whatever they gave him to drink. He often rose and took that which he ate and drank (i.e. he served himself).

Account Of His Character And Manner In Regard To Dress

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to wear whatever was at hand: e.g., a wrapper, an outer wrapping garment (Rida), a long shirt gown, an upper gown with full sleeves, or other garments. He used to admire green garments. He wore white garments most frequently, saying, "Wear them while you are living and shroud yourself in them when you die." Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" wore a padded tunic for battle and for other occasions.

He had a tunic of fine silk brocade which was very attractive to him because of his white complexion. All of his garments were tucked up above his ankles; his waist wrapper over them (his garments) reached to the middle of his shank. His long shirt gown was fastened by buttons, which he often unfastened during prayer and on other occasions. He had a saffron dyed cloak in which, wearing nothing else, he led prayer. He sometimes wore a single

piece garment wearing nothing else. He had a padded garment which he used to wear saying, "I am only a slave. I dress as the slave dresses." He had two special garments for Friday prayer, excluding his other garments which he wore otherwise.

On occasion he only wore the waist wrapper, tying the two ends between his shoulder blades; and so dressed, he led the people in funeral prayer. Sometimes he prayed in his house wearing the single waist wrapper, tying its two ends crosswise. Moreover he wore that particular garment on the day in which he had sexual relations. Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" sometimes prayed during the night in a waist wrapper, wrapping himself with the end part of the garment, which was in his reach, and laying the remainder over his wife.

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" gave away a black single piece garment. Thereupon Umm Salamah said: "You who are dearer to me than my father and mother, what happened to that black garment?" Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" answered, "I clothed someone with it." Then she said: "I never saw anything which was more attractive than your whiteness against its blackness."

Anas Ibn Malik said: "I sometimes saw him leading us in prayer; his back (was) in a cloak the two ends of which he tied in a knot." He used to wear a ring on his finger, and sometimes he went out with a string tied to his ring, thereby reminding himself of things. Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" used to put his seal on letters saying, "A seal on a letter is better than suspicion." He used to wear the cap beneath his turban and without a turban. He sometimes removed his cap from his head and making it a covering before him prayed towards it. At times, when he had no turban, he tied a black kerchief over his head and forehead. Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" had a turban called al-Sahib (the cloud) which he received from 'Ali. At times 'Ali went out wearing it, and Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" said: "'Ali comes to you in a cloud."

When he dressed, he dressed from his right side saying, "Praise to Allah who clothed me with that which I conceal my nakedness and with which I adorn myself amongst the people." When he took off his clothing, he removed it from his left side. If Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" put on a new garment, he gave his shabby garment to a poor man and said: "There is not a Muslim who clothes another Muslim with his worn out clothes, doing so for the sake of Allah, but that he (the giver) partakes in the security, refuge, and benefit of Allah, whilst living or dead."

He had a mat (bed) of skins, which was stuffed with palm fibers; its length was approximately two cubits, and its width was approximately a cubit and a span. He had a wide outer garment, which was spread out for him wherever it was carried and which he folded into layers. Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" slept on the ground with nothing else beneath him.

It was Muhammad's habit to name his beasts of burden, his weapons, and his belongings. The name of his banner was Al-'Iqab (the eagle); the name of his sword with which he faced battle was Dhul-Faqar (possessor of vertebrae). He had a sword which was called Al-Midham (the cutting sword), another called Ar-Rusub (the steady), and another called Al-Qadib (the sharp). The handle of his sword was adorned with silver. Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" used to wear a belt made of skins in which were three rings of silver. The name of his bow was Al-Katum (the unbroken), and the name of his quivers was al-Kafur (camphor). The name of his female camel was al-Qaswa' (the clipped ear); it is she whom he called Al-'Atba' (the slit ear). The name of his she-mule was Ad-Duldul (the hedgehog); the name of his ass was Ya'fur (gazelle); the name of the ewe whose milk he drank was 'Ina (choice).

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" had a vessel for ablutions made of baked clay from which he washed and drank. The people sent to him their young children who had just reached the age of understanding. They visited the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and did not quit him. When they found water in the vessel they drank from it and wiped their faces and bodies with the water. In so doing they desired the blessing (therein) for themselves.

Account Of His Pardoning, Notwithstanding His Power Not To Pardon

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was the most forbearing of men and most desirous of pardoning, notwithstanding his power not to do. When he divided a necklace of gold and silver amongst his companions there aroses a Bedouin who said: "O Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him", by Allah, verily, He (Allah) commanded that you act justly; whereas, I do not see you act thus." Thereupon Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Woe to you; who will act equitably to you after me?" When the Bedouin turned away, Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Bring him back to me gently."

Jabir Ibn 'Abdullah related that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", in a wet garment, was giving people silver on the Day of Khaibar. Thereupon a man said to him, "O Messenger of Allah, act justly!" Then the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Woe to you; who will act justly if I do not act justly? in that case I would have failed and lost, if I did not act equitably." When 'Umar Ibn Al-Khattab rose and said: "Shall I not strike his neck, for verily he is a hypocrite?" To which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" answered, "God forbid, that the people should relate that I kill my companions!"

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was in battle, and there was observed a carelessness amongst the Muslims, so that a man

advanced against the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" with a sword saying, "Who will defend you against me?" Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah," and the sword fell from his hand. Seizing the sword Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Who will defend you against me?" And the man replied, "Be quick about it;" to which Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Say, I testify that there is no Allah other than Allah and that I am the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"!" The man replied, "No, I only say that I will not fight you, nor will I be with you, nor will I be with a people who will fight you." Thereupon Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" released him. When Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" came back to his companions he said: "I come to you from the presence of the best of men."

Anas Ibn Malik related that a Jewish woman brought the Prophet a poisoned ewe in order that he ate from it. She was then brought to the Prophet who asked her in regard to this matter. She said: "I desired to kill you;" then Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah did not empower you over that." Thereupon they asked, "Shall we not kill her?" and he said: "No."

A certain Jew bewitched Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him", and Gabriel informed him of that. Thereupon he drew forth (the charm) and untied the knots so that the sorcery was removed. However, Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" did not mention nor reveal this matter to the Jew.

'Ali said: "The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" sent for me, Az-Zubair (Ibn Al-Awwam) and Miqdad (Ibn 'Amr Al-Aswad) and said: 'Go until you come to Rawdat Khakh, where you will find a woman whose husband has left her. In her possession there is a letter. Take it from her.' We went until we reached Rawdat Khakh, and we said (to the woman), 'Bring forth the letter,' to which she replied, 'I have no letter.' Then we said: 'Bring forth the letter or we will take off your garments.' Therewith she brought out the letter from her plaited hair. When we brought the letter to the Prophet, behold there was contained therein a missile of Hatib Ibn Abu Balta'ah to certain polytheists in Mecca, which informed them of one of the affairs of the Prophet. Then Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" said to him, 'O Hatib, what is this?' to which he replied, 'O Messenger of Allah, do not hasten against me. Verily, I was a man who was adopted amongst my people, and there are amongst the refugees with you those who have relatives in Mecca who protect their families. I desired, since I was unrelated to them, to choose amongst them a hand with which my kindred would be protected. However, I did not do that out of unbelief, or preferring unbelief after being a Muslim, or out of apostasy.' Thereupon 'Umar Ibn Al-Khattab said: 'Let me kill the hypocrite'; and Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" replied, 'Verily he was at Badr, and how do you know, perhaps Allah examined the people of Badr and

said: 'Do you what you will, I have already forgiven you." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" distributed allotments, and one of the Ansar said: "This is a distribution by means of which the pleasure of Allah is not intended." When this was mentioned to the Prophet, his face reddened and he said: "Allah have mercy; my brother Moses had suffered more than this, and he was patient." Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" used to say, "Let no one of you inform me of anything (unfavorable) regarding one of my companions, for I like to go out to you with a sound heart."

Account Of Averting His Gaze From Whatever He Disliked

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" had thin skin and was delicate internally and externally, so that his anger and his pleasure was visible in his face. When he became very excited, he touched his noble beard frequently. He did not talk with anyone in regard to what he disliked. When he was visited by a person who was wearing a yellow dye, which he disliked, he did not say anything to him until he left. Then he said to certain of people, "Would that you tell this man that he forego this (i.e. the yellow dye)." When a Bedouin urinated in the mosque in his presence, and his companions intended to prevent him, Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Do not stop him." Then Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" said to him, "These mosques are not suited to serve as places of urination, excretion, or of any foul matter." In certain accounts it is stated, "Draw (people) close and do not scare (them) away."

One day a Bedouin came to Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" and asked him for something. Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" gave it to him and said: "Have I done well by you?" To which the Bedouin answered, "No, nor have you acted decently." Upon this reply the Muslims became angered and rose against the Bedouin. At this point, however, Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" advised them to desist. Later, Muhammad ,"Allah's blessing and peace be upon him" ,rose and went to his lodging and sent a further amount to the Bedouin and said to him, "Have I done well by you? To which the Bedouin answered, "Yes, may Allah reward you with well being of family and tribe." In reply, the Prophet said to him, "You have made a certain statement and something of that has remained in the minds of my companions. Hence would you like to say before them what you said before me, so that they would remove from their chests (hearts) what they have against you." Thereupon the Bedouin answered, "Yes." When it was dusk or the next day, the Bedouin came, and the Prophet said: "Verily this Bedouin said what he said: and we increased his amount so that he asserted that he was pleased. Is that so? And the Bedouin answered, "Yes, may Allah reward you with well being of family and tribe." Then Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily the narrative of myself and this Bedouin is as the narrative of the man who had a female camel which only caused her to be more frightened. Then the owner of the camel called the people and said to

then, 'Leave me and my camel alone, for verily I am gentle with her and have more understanding.' He turned to the camel, took some sweepings for her, and returned her gently until she kneeled. Then he saddled her and sat upon her. Now, verily, if I forsook you when the Bedouin said what he said: and you had killed him, he would have entered the Fire."

Account Of His Munificence And Liberality

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" was the most generous and liberal of men. In the month of Ramadan he was like the "Sent-Wind," a withholding nothing. 'Ali, when he described the Prophet, used to say, "Of all men, he was the most liberal handed, the most open hearted, the most truthful, the most fulfilling of promise, the gentlest of temper, and the noblest toward kindred. Whoever saw him unexpectedly was awed by him, and whoever was his intimate, loved him." 'Ali said: describing him, "I did not see his likeness before or after him." Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" was never asked for anything for Islam but that he gave it. When a man came to Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" asking for something, Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" gave him a flock which closed the breach between two mountains. Then the man returned to his people and said: "Accept Islam, for Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" gives the gift of one who does not fear poverty." Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" never said: "No" when he was asked for something.Having put on the earth ninety thousand dirham which were brought to him,he rose and divided it, not refusing anyone who asked until there was no longer any (Dirhams) to distribute.

A man came and asked him for something. Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him", having nothing with him, said: "Buy, making me responsible, and when we will have something we will pay for it." Thereupon 'Umar Ibn Al-Khattab said: "O Messenger of Allah, Allah did not impose upon you what you cannot do." This answer having displeased Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him", the man said: "Spend graciously, and do not fear from Allah a diminution." The Prophet then smiled and the joy was noticeable on his face.

When he returned from Hunain the Arabs came to him and persisted in asking until they compelled him to climb up a tree, his cloak having been snatched from him. Then the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" stood up and said: "Give me my cloak. If I had camels equal to the number of these trees, I would divide them amongst you; moreover you will not find me avaricious, a liar, or a coward."

Account Of His Bravery

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" was the most gallant and the bravest of men. 'Ali said: "You have indeed seen me at Badr at the time when we were taking refuge in the Prophet of Allah, who was closest to the enemy. Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" was on that day

the most courageous of men." 'Ali also said: "When there was intense adversity, and the people encountered each other, we preserved ourselves by the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", there being no one closer to the enemy than he."

It is said that Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" spoke little. But when he ordered the people to fight, he tucked up his garments and went quickly. He was the bravest of men. The courageous person was one who was close to Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" in battle, because of Muhammad's proximity to the enemy. 'Imran Ibn al-Hussain said: "The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did not come upon a squadron but that he was the first to strike." They said that he was very courageous. When the polytheists approached him, he alighted from his male camel and said: "I am the prophet; there is no falsehood in what I say. I am the grandson of 'Abd Al-Muttalib." On that day there was not seen anyone who was more vehement than he.

Account Of His Modesty

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" was the most modest of men regarding his noble origin. Ibn 'Ammar said: "I saw him throw stones riding on a gray camel; he did not strike, nor whip, nor did he say 'betake yourself!'" He rode on an ass on which there was packed a hairy cloth; Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him", notwithstanding that, asked one to ride behind him. Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" used to visit the sick, follow the funeral bier, answer the call of the slave, and patch his shoes and garments. In his house he did the family duties together with the rest of the family. His companions did not rise for him because they knew that he disliked that.

When he passed by young boys, he greeted them. When a man frightened by his reverential fear of Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" was brought to him, Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" said to him, "Be at rest. I am not a king. I am only the son of a woman of Quraish, who eats dried meat."

He sat amongst his companions conversing with them, as if he were one of them. When a stranger came, not knowing which one of them was Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him", he asked concerning him until the companions asked Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" to sit in a way in which the stranger could distinguish him from the rest. Later he sat on a mud bench which they built for him.

'A'ishah said to Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him": "Eat, let me sacrifice my life for you, as reclining; it is easier for you." Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" replied, inclining his head until his forehead almost touched the ground: "On the contrary, I eat as the slave eats and sit as the slave sits." Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him", until he died, did not eat off a tray, from a saucer, or from a

bowl.

No one of his companions called him but that he said: "At your service." When he sat with the people, if they spoke regarding the future world, he participated with them; if they spoke regarding food and drink, he did likewise; if they spoke regarding worldly matters, he did likewise, gently and modestly. They used to recite poetry for a period of time before him and used to mention matters which occurred in the "State of Ignorance." Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" smiled when they laughed; and he did not restrain them except from that which was sinful.

Account Of His External Manner And His Countenance

There is a description of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" wherein he is described as not being excessively short or tall. Rather, he was middle stature, when he walked by himself. However, there was not a tall person who walked with him, but that Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" appeared as tall as he. Very often two tall men flanked him, and he appeared as tall as they; but when they left him, they were tall, and Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" again appeared to be middle stature. Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The best (men) were of moderate stature."

His complexion was Azhar, neither brown nor very white. As for the term "Azhar," it is defined as pure white unmixed with red or yellow or any other color. Moreover, Muhammad's uncle Abu Talib described him saying, "White, with his face the clouds were asked for rain.A feeder of the orphan and a protecter for the widow."

Some described him as being of a reddish hue; and they explained, however, that only those parts which were exposed to the wind and sun, such as face and neck, were of a reddish color. However, the color of the parts of his body which were not exposed was pure Azhar unmixed with any red tint.

His beads of sweat on his face were like pearls; they were more fragrant than the most pungent musk. As for his hair, he had beautiful curly hair, which was neither lank nor short and woolly. When he combed his hair, it appeared as streaks of sand. It is said that his hair touched his shoulders; whereas, most of the reports state that his hair reached the lobe of his ear. Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" used to make four plaits with each ear exposed between two plaits. He sometimes put his hair over his ears, so that the locks of hair on his temples appeared to be shining. The total number of white hair on his head and his beard did not exceed seventeen.

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" was the most handsome and luminous of men. No one described him but that he likened him to the moon on the night of Badr. His anger and pleasure were seen in his face because of the purity of his skin. They said that he was as his friend Abu Bakr As-Siddiq described him when he said: "Loyal, pure, calling to good, as the

moonlight of Badr, darkness was removed from him."

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" had a wide forehead and very long arched eyebrows. The brightness (of the gap) between his two eyebrows was as if the space was made of pure silver. His eyes were very wide, black of pupil, and had a reddish tint. He had long eyelashes so that one was almost dubious of their length. The upper part of his nose was hooked, i.e. his nose was not humped. There was a space between his teeth, i.e. they were separated; and when he showed his teeth while laughing, they flashed like lightning.

He had the most beautiful lips and the most delicate closed mouth of all of the servants of Allah. He had broad even cheeks. He was not long or round faced. He had a thick beard which he let grow. He clipped his mustache. He had the most beautiful neck of all the servants of Allah-a neck that was neither long nor short. However, that part of his neck which was exposed to the sun and wind was like a kettle of silver mixed with gold, glistening because of the whiteness of the silver and the redness of the gold.

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" had a broad chest, and his skin did not overlap. His chest was like a mirror in its evenness and the moon in its whiteness. Between his navel and upper chest there was a single hair which was stretched like a sword, there being no other hair on his chest or stomach. He had three belly folds; one of them was covered by the waist band, while the other two were visible. He had big, hairy shoulders; his chief bones were well covered with flesh, that is, for example, the shoulders, elbows, and hips. He had a wide back; between his shoulder blades there was the "seal of prophecy," which was adjacent to his right shoulder. In this place there was a black mole inclining toward yellow; around it were continuous hairs, as if they were from a mane of a horse.

He was bulky of upper arm and forearm, and the bones of the forearm, i.e. his radius and ulna, were long. He was broad of palm and long of extremities. His fingers were as rods of silver. His palm was softer than silk; it was (his palm) as the perfumed hand of a perfumer, whether he did or did not perfume it. If someone shook his hand, when night fell the odor was still present. Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" put his hand on a boy's head, and this boy distinguishable from his fellows by the odor of his head.

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" was bulky of those parts of the body which are beneath the waist wrapper, i.e. of thigh and shank. He was well proportioned as regards fat. He became stout at the end of his life, but his flesh was almost as compact as formerly age, not having injured it.

As regards his walk, it was as though he fell off a rocky place or walked down a declivity. He walked inclined and walked at a narrow pace without swaggering. It is defined as bringing one's footsteps close together.

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" used to say, "I most resemble Adam, and my father Ibrahim most resembled me in external appearance and moral nature." He also used to say, "Before my Lord I have

ten names: Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him", Ahmad, the Abolisher through whom Allah abolishes disbelief, the Last, there being no one after him; the Assembler, God assembles them after my step; I am the Apostle of mercy, the Apostle of repentance, the Apostle of war, the Follower, I follow all the people (Prophets); I am al-Qutham." Abu l-Bakhtari said that al-Qutham is defined as the complete perfect person. Allah knows whether this is correct.

Account Of His Miracles And Signs Which Prove His Truthfulness

It should be noted that if one witnessed Muhammad's qualities and heard the reports which deal with his character, actions, qualities, habits, natural disposition, his ruling the various classes of people, his guiding their organization, his acquaintance with the various classes of people, leading them to obey him, together with what is related of his wondrous answers in regard to perplexing questions, his wondrous manner of maintaining the well being of the people, his excellent indications in regard to the details of the outer law, its most elementary subtleties being beyond the grasp of the legists and the wise men although it take their entire lifetime, there could not remain for him the slightest doubt or suspicion that all this was not acquired by human means. Rather, all this cannot be conceived except by seeking heavenly help and divine power, nor could all this be conceived by a liar or by a confused person. Moreover, Muhammad's good qualities and his virtues were absolute testimony of his truth, so much so that when a true-born Arab saw him he said: "By Allah, this is not the face of a liar." If his good qualities alone were testimony to this truth, how much more so is his truth validated by the testimony of one who witnessed his character and studied his qualities in all his dealings!

We, however, only presented some aspects of his character in order that the fine quality of his character may become known, and in order that one become mindful of his truth, of his high rank, and his great place with Allah. Moreover Allah bestowed all that upon him, even though he was untaught, did not occupy himself with learning, did not examine books, did not set out in search of learning, did not cease being an orphan, and was weak and regarded as weak amongst the chiefs of the Arabs. Hence from where did he obtain the fine qualities of character and manner, the knowledge of the workings of jurisprudence only for example, besides the other sciences, not to mention his true knowledge of Allah, His angels and His books, the special properties of prophecy, were it not revelation? From whence can the human faculty do this by itself? Furthermore, if only these matters were attributed to Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him", it would be enough. Whereas there were revealed his signs and miracles, which the scholar cannot doubt.

We will mention of their totality those signs and miracles which the reports have spread far and wide and which are contained in the "sound books" as an

indication of their great quantity, without, however, going into the detailed narrative. Allah changed the customary course of events through the agency of Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" more than once:

The moon was split at Mecca when he was asked for a sign.) He fed the great party of men in the house of Jabir (Ibn 'Abd Allah al-Ansari).

He fed the great party of men in the house of Abu Talhah (Zaid Ibn Sahl).

He fed the great party of men at the battle of Khandaq (the ditch.)

Once he fed eighty people from four Mudds of barley and a she kid, which is one of the children of goats and superior to the yearling goat.

He fed more than eighty men from four round cakes of barley which Anas (Ibn Malik) carried in his hand.

He fed the army from a small quantity of dates which the daughter of Bashir (Ibn Sa'd) carried in her hand; moreover, after they all ate and were satiated there still remained an excess.

They washed from a small bowl, which was so narrow that Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" could not stretch his hand inside.

The water emerged from between his fingers, and the whole thirsting army, drank.

There being no water, he caused the water of ablution to pour forth at 'Ayn Tabuk, and another time a t the well of Hudaibiyah so that they both swelled with water. Furthermore the army at 'Ayn Tabuk which numbered in the thousands drank until they quenched their thirst; whereas one thousand five hundred drank from the well of Hudaibiyah, a well which previously had no water.

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" ordered 'Umar Ibn Al-Khattab to feed four hundred riders from dates which were arranged in the form of camel lying on its breast, which is the place of its kneeling. Thereupon 'Umar fed all of them, and there remained some dates which he kept.

He threw a handful of dust against the army (foe) and their eyes were blinded; the Qur'an was revealed in regard to that stating, "You did not throw when you threw, but Allah threw."

Allah abolished the practice of divination by sending Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him". Thus the practice of divination ceased to exist, although, formerly, it existed openly.

When the platform was made for him, the beam, by which he supported himself while speaking, squeaked, so that all of his companions heard what seemed like a camel sound. Thereupon Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" grasped the beam, and it became silent.

He urged the Jews to covet death but at the same time informing them that they did not wish it. An obstacle intervened between them and their speech, and they were unable to utter their desire for death. And this is what is mentioned in a verse which is read publicly on Friday in all the mosques of Islam from East to West, as an exaltation for the sign therein.

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" related the affairs which were beyond the reach of sensual or mental perception.

He warned 'Uthman (Ibn 'Affan) that a calamity would overtake him, after which he would enter Paradise.

He warned 'Ammar (Ibn Yasir) that the party of unjust men will kill him.

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" related that Allah would make peace between the two great Muslim parties through the agency of al-Hassan (Ibn 'Ali).

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" related concerning a man who fought for the sake of Allah that he was of the people of Hell; this became evident because that man killed himself. Now these are all divine matters which certainly cannot be known by any of the ways through which knowledge was promoted not by the stars, by inspecting the shoulder, by twisting the hair, by lines on sand, nor by the auguring of birds, but by Allah's teaching and revelation.

Suraqah Ibn Malik pursued Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him". But the feet of his horse sank, and the dust followed him in his steps until he asked for help. Then Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" wished him Well and freed his horse; at the same time he told him that he would wear on his forearms the bracelets of Khosrau; and it was so.

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him", on the night when the murder took place, reported the murder and the name of the murderer of Al-Aswad Al-Ansi the Liar who was in San'a' in Yemen.

He attacked one hundred of the Quraish who were awaiting him. He cast dust over their heads and they did not see him.

A male camel complained, but became submissive to Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" in the presence of his companions.

He said to a group of his companions who were gathered, "The tooth of one of you is in the fire similar to Uhud;" they all died on the right path; but one of them apostatized and was killed for his apostasy.

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" said to another group, "The last one of you is dead in fire," and the last one of them fell lifeless into the fire, where he burned and died.

He called two trees; thereupon they came to him and joined; then he ordered them, and they separated.

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" was of medium-stature, but when he walked with tall people he was as tall as they.

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" urged the Christians to imprecate him, but they refused. Moreover, Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" informed them that if they did imprecate, they would die, and since they knew the truth of his statement they refused.

Amir Ibn Tufail' and Irbad Ibn Qais, who were the two horsemen and the scorners of the law of the Arabs, came to him and intended to kill him. However,

an obstacle intervened, and Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" cursed them. The result was that Amir was killed by a plague and Irbad was killed by a thunderbolt which burned him.

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" related that he would kill Ubai Ibn Khalaf Al-Jumahi. At the battle of Uhud Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" scratched him slightly, and Ubai died thereof.

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" was fed a poisoned shoulder with the result that the one who ate it with him died; however, Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" continued to live for forty years thereafter. Moreover the poisoned shoulder spoke to him, i.e. it informed him that it was poisoned.

He related at the battle of Badr the slaughtering places of the chiefs of Quraish; he furthermore acquainted them man after man of their respective places; not one of them deviated from that place.

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" warned that a portion of his nation would raid by sea; and it was so.

The earth was rolled up for him and he was shown its eastern parts and its western parts. Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" reported that a king of his nation would reach those areas collected for him. And it was so, for a king of his nation did reach from the beginning of the East, i.e. from the land of the Turks, to the extreme west, i.e. the sea of Spain and the land of the Berbers. However, they did not spread out in the South and in the North, exactly as Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" had related.

He told his daughter Fatima that she would be the first of his family to reach him (i.e. die); and it was so.

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" told his wives that she who had the longest hand would be the quickest to reach him (die). And it was Zainab Bint Jahsh, who was the longest of hand in regard to alms, i.e. most generous, who was the first to reach him.

He stroked the udder of a barren ewe which gave no milk, and she gave milk; this was the cause of Ibn Mas'ud becoming a Muslim. Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" did this another time in the tent of Umm Ma'bad the Khuza'iyyah.

The eye of a certain of his companions was dislodged and fell. Thereupon Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" restored it with his hand, and it became the handsomer and sounder of his two eyes.

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" spit into the eye of 'Ali who had an eye sickness at the battle of Khaibar and it became sound; then Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" dispatched him with the banner.

They used to hear the food, which was before Muhammad "Allah's blessing

and peace be upon him", praise Allah.

The foot of a certain of his companions was smitten. Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" rubbed the foot with his hand, and from that moment it was well.

The provisions of the army with Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" having become small in quantity, Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" called for all that remained. When the very small quantity was collected, he blessed it and ordered them to take of it: This they did, and there was not a vessel in the camp but that it was full.

Al-Hakam Ibn al-'As Ibn Wa'il imitated Muhammad's gait in a derisive manner. Thereupon Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Become like that;" and until he died, Al-Hakam did not stop trembling.

Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" asked a woman in marriage. Her father said to him, "Verily she has leprosy," as an excuse and as an obstacle. The truth being, however, that she was not leprous. Thereupon Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Be so," and she became leprous. This woman was the mother of Sahih Ibn Al-Barsa' the poet. Etc.

We have confined ourselves to those reports which are spread widely. He who suspects Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" upsetting the customary course of events and asserts that the reports of these occurrences were not transmitted by several independent sources and that only the Qur'an is to be regarded as collectively contiguous, is like the one who doubts the bravery of Ali and the munificence of Hatim At-Ta'i. Whereas, it is known that though the single reports of their occurrence is not collectively contiguous, the sum total of the occurrences gives certain knowledge. Moreover, he will not have doubts concerning the independent consecutive transmission of the Qur'an, which is the greatest everlasting miracle among mankind: there not being any other everlasting miracle by any prophet other than Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him". Furthermore, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" contended with the orators of the people and with the eloquent men of the Arabs by means of the Qur'an, the Arab peninsula at this time being filled with thousands of them and with their oratory which was their method of boasting and vying. Furthermore, Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" called them to produce its likeness, or ten Surahs or even one Surah like the Qur'an, if they doubted him. Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" said to them, "Say, indeed, if mankind and the Jinn should conspire to produce the like of this, they could not produce its likeness, although the one should help the other," saying that to baffle them. The result was that they were unable to produce its likeness, and they turned away from him until they exposed themselves to slaughter and their wives and children to capture. Moreover they were unable to match or to impugn its (the Qur'an) chaste

language and its beauty. And it (the Qur'an) was spread after Muhammad's (time) throughout the zones of the world, east and west, generation after generation, age after age-there having elapsed close to five hundred years and yet no one was able to match it. Hence, how great is the ignorance of one who, reflecting upon Muhammad's qualities, sayings, deeds, character, miracles, the continuance of his law till the present, its spreading throughout the zones of the world, the submission rendered to it by the kings of the earth in Muhammad's own age and in the following ages, notwithstanding his being weak and an orphan, still doubts his truth after that! And how great is the salvation of one who believes Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him", has faith in him, and follows him in regard to all his doings.

We ask Allah to help us imitate Muhammad's character, actions, qualities, and sayings, through His grace and the ampleness of His generosity.

The Book of "Etiquettes of living and Prophetic manners" is ended with praise of Allah, by means of His help, His grace, His generosity. And there will follow it, if Allah wills, the book of "The Exposition of the Wonders of the Heart" of the "Quarter of Destructives".

CONTENTS

quarter of customs of life 3
The second quarter of REVIVAL OF RELIGIOUS SCIENCES 3
Book one: etiquettes of eating 3
Chapter one: What should be observed by him who eats alone 4
The First Part Pertains To The etiquettes To Be Observed In Advance Of Having Food 4
The Second Part Pertains To The Etiquettes To Be Observed During Eating 8
The Third Part Pertains To What Is Desirable After Finishing From Food 10
Chapter two: further etiquettes because of gathering and sharing in food 12
Chapter three: etiquettes of serving visitors with food 15
Chapter four: etiquettes of entertaining 22
Excellence Of Entertaining 22
subchapter containing good sporadic Etiquettes and instructions pertaining to law 35
Book Two: Etiquettes of Marriage 39
CHAPTER ONE: exhortation to and discouragement of Marriage 40
Qur'anic Verses On Marriage 40
Hadiths Of The Prophet 41
Traditions Of The Companions 41
Later Narrations 42
Merits OF MARRIAGE 44
The First Merit: Procreation 44
The Second Merit: Satisfying Sexual Desire 49
The third Merit: Companionship 53
The Fourth Merit: Ordering The Household 55
The Fifth Merit: Disciplining The Self 56
Demerits OF MARRIAGE 58
The First Demerit: Inability To Seek Lawful Gain 58
The Second Demerit: Failure To Uphold Wives' Rights 59
The Third Demerit: Distraction From Allah 60
CONCLUSION 60
CHAPTER TWO: Concerning Marriage: Conditions of Woman and Stipulations of Marriage Contract 63
Marriage Contract 63
Etiquettes Of Marriage 63
Legal Disabilities To Or Restrictions On Marriage 64
Qualities Conducive To A Happy Conjugal Life 66
CHAPTER THREE 72
Etiquettes of Cohabitation; What Should happen During Marriage; and the Obligations of Husband and Wife 72
FIRST PART OF THIS Chapter: Etiquettes Of Cohabitation 72
OBLIGATIONS INCUMBENT UPON HUSBAND 72
SECOND PART OF THIS CHAPTER: Examination of Husband's Rights 94
EXPOSITION OF THE RIGHTS OF THE HUSBAND 95
Etiquettes FOR THE WOMAN 97
Book three: etiquettes of earning and living 100

Chapter one 101
excellence of and exhortation to earn for living 101
Chapter two: On science of earning by such ways as trade, usury, payment in advance, rental, loan, and partnership; and the exposition of the conditions stipulated by Islamic law for the validity of each of those ways which are the main causes of earning according to law 107
The First Contract Of Trade 108
The Second Contract Of Usury 115
The Third Contract Of Payment In Advance 117
The Fourth Contract Of rental 118
The Fifth Contract Of Loan 120
The Sixth Contract Of Partnership 122
Chapter three: Sticking to justice and avoiding inequity in transaction 123
The First Part: The Injustice Which Causes Public Damage 123
The Second Part: The Injustice Whose Harm Is Limited To A Particular Person 127
Chapter four: Doing good in transaction 137
Chapter five: trader's fear for his religion 144
Book four: lawful and unlawful 153
Chapter one: excellence of lawful; condemnation of unlawful; exposition of various kinds and levels of lawful; and various kinds of unlawful, and the levels of abstention pertinent to leaving it 154
Excellence Of Lawful, And Condemnation Of Unlawful 154
Divisions Of Lawful And Its Ways 160
Levels Of Lawful And Unlawful 164
Examples And Proofs Of The Four levels Of Abstention (From Unlawful) 165
Chapter two: levels of suspicious things; what arouses them; and what distinguishes them from both lawful and unlawful 172
The First Suspicion-Rouser 174
The Second Suspicion-Rouser 180
The Third Suspicion-Rouser 195
The Fourth suspicion-Rouser: Difference of Evidences 202
Chapter three: On investigation, questioning, Acceptance and indulgence and their causes 207
The First Motive: The Various States Of The Owner 208
The Second Motive: The Doubt Because Of The Property Itself And Not The Owner 212
Chapter four: The way a repentant gets rid of his financial injustice 223
The First Duty: How To Distinguish And Take Out The Unlawful. 224
The Second Duty: The Way of Spending It 229
Chapter five: annuities and gifts of Rulers; and what is lawful and unlawful of them 236
The First Consideration: The Resources Of Income Of The Governor 237
The Second Consideration: The Amount of What Is Taken, And the Quality That Makes Taking Valid 245
Chapter six: lawful and unlawful sociability with wrongful rulers; and ruling on attending their gatherings, frequenting and honouring them 249
The First State 249
The Second State 255
The Third State 256

Chapter seven: Different problems....269
Book five: etiquettes of sociability, brotherhood, friendship and company with various kinds of people....275
Chapter one: virtue, conditions, degrees and merits of brotherhood and affection in (the religion of) Allah....275
Virtue Of Affection And Brotherhood....275
Exposition Of The Meaning of Brotherhood For The Sake Of Allah, And The Way Of Discriminating It From The Brotherhood For The Sake Of This World ..283
Exposition Of The Hate For The Sake Of Allah Almighty 292
The Degrees Of Those Disliked For The Sake Of Allah Almighty, And The Way Of Dealing With Them 295
Exposition of Conditions Required For Whomever One Chooses As Companion 299
Chapter two: On rights of brotherhood and company....305
Conclusion....338
CHAPTER three: On rights of Muslim, kinship ties, neighbourhood, and what right hand possesses; and the way of company....340
Rights Of A Muslim 342
Rights Of Neighbourhood....375
Rights Of Kinship....379
Rights Of Parents and children 381
Rights Of Slave....385
Book six: etiquettes of living in seclusion 390
Chapter one: Relating different opinions and statements; and arguments of each party....390
Statements Of Those Who Incline To Seclusion 391
Arguments Of Those Who Incline To Sociability 392
Arguments Of Those Who Incline To Favour Seclusion....395
Chapter two: Merits and demerits of seclusion 398
Merits Of Seclusion 398
Demerits Of Seclusion....414
Etiquettes Of Living In Seclusion....424
Book seven: Etiquettes of journey 426
Chapter one: Etiquettes of journey from departure to return; and intention, merits and benefits of journey....428
Topic one: Benefits, merits and intention of journey 428
The First Division Is To Travel In Pursuit Of Knowledge 428
The Second Division Is To Travel For The Sake Of Worship....431
The Third Division Is To Set Out On Journey In Flight From A Thing That Distracts One's Religion 432
The Fourth Division Is To Travel In Flight From What Afflicts Body And Property....433
Topic two: Etiquettes of Sojourner from departure to return 436
Chapter two: What a sojourner should learn in regard to concessions of journey, indications of Qiblah and due times of prayers....445
The First Division Pertains To The Knowledge Of Concessions 446
The Second Division Pertains To The Functions To Change Because Of Journey 454
Book eight: etiquettes of Music and ecstasy....459

Chapter one: On disagreement of learned as to permissibility of Listening to Music and Singing, and revealing the truth as to that permissibility 460
An Account Of Sayings Of Learned And Of The Stiffs As To Its Being Lawful Or Forbidden. 460
An Account Of Things Which Show That Listening To Music And Singing Is Permissible....463
An Account of Arguments Of Those Who Pronounce Music And Singing Unlawful, And Reply To Them. 484
Chapter two: On laws and effects music and singing produce upon the heart, consisting of ecstasy, and upon the parts of body, consisting of dancing and crying out and tearing of garments....488
The First Stage: Receiving Or Understanding....488
The Second Stage 496
The Third Stage of Hearing Music and Singing 513
Book nine: Enjoining good and forbidding evil 521
Chapter one: Obligation and merit of enjoining good and forbidding evil; and condemnation of negligence and indulgence in it 522
Chapter two: foundations and conditions of enjoining good and forbidding evil 533
The First Foundation Pertains To The One Who Prevents Sins 533
The Second Foundation: The Sin That Should Be Prevented....554
The Third Foundation: The One To Be Prevented From Sin 559
The Fourth Foundation: The Way Of Preventing Sin....562
subChapter: On Etiquettes of Muhtasib 568
Chapter three: Evildoings among customs and habits....572
Evildoings Pertaining To Mosques....572
Evildoings Pertaining To Markets 576
Evildoings Pertaining To Streets 577
Evildoings Pertaining To Public Baths....578
Evildoings Pertaining To Hospitality 579
Public Evildoings....582
Chapter four: Commanding rulers and governors to do good and forbidding them to do evil....583
Book ten: Etiquettes of living and Prophetic manners....608
A BRIEF ACCOUNT OF HIS FINE QUALITIES OF CHARACTER, WHICH A LEARNED HAS GATHERED AND COLLECTED FROM THE REPORTS....613
Another Summary of His Manner and Character 615
Account Of His Speech And Laughter 617
Account Of His Character And Manner In Regard To Food....618
Account Of His Character And Manner In Regard To Dress....620
Account Of His Pardoning, Notwithstanding His Power Not To Pardon....622
Account Of Averting His Gaze From Whatever He Disliked 624
Account Of His Munificence And Liberality 625
Account Of His Bravery....625
Account Of His Modesty....626
Account Of His External Manner And His Countenance....627
Account Of His Miracles And Signs Which Prove His Truthfulness....629
CONTENTS 635

Imam Abu Hamed AL-GHAZALI
(450-505 H.=1058-1111 A.D.)

REVIVAL OF RELIGION'S SCIENCES
IHYA' ULUM AD-DIN

إحياء علوم الدين

Translated by
Mohammad Mahdi al-Sharif

Volume III
The quarter of the destructives

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
DKi
Beirut- Lebanon

Imam Abu Hamed AL-GHAZALI
(450-505 H.=1058-1111 A.D.)

REVIVAL OF RELIGION'S SCIENCES (IHYA' ULUM AD-DIN)

إحياء علوم الدين

Translated by
Mohammad Mahdi al-Sharif

Volume III

The quarter of the destructives

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title : **REVIVAL OF RELIGION'S SCIENCES (IHYA' ULUM AD-DIN)**

إحياء علوم الدين

Classification: Jurisprudence and sufism

Author : Imam Abu Hamed AL-GHAZALI

Translator : Mohammad Mahdi al-Sharif

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Pages : 2784 (4 volumes)

Size : 17* 24

Year : 2011

Printed in : Lebanon

Edition : 1st

DKI

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1871 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Solah Beirut 1107 2290

عرمون-القبة-مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤-١١ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

Exclusive rights by © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

ISBN 978-2-7451-5945-8
ISBN 2-7451-5945-3
9 782745 159458 90000

CONTENTS

QUARTER OF DESTRUCTIVES 3
THE THIRD QUARTER OF REVIVAL OF RELIGIOUS SCIENCES 3
BOOK ONE: EXPOSITION OF WONDERS OF HEART 3
INTRODUCTION 3
CHAPTER ONE: EXPOSITION OF MEANING OF NAFS (SOUL), RUH (SPIRIT), QALB (HEART), AND AQL (MIND); AND THEIR RELATED SIGNIFICANCE 4
CHAPTER TWO: EXPOSITION OF ARMIES OF HEART 8
CHAPTER THREE: EXPOSITION OF SIMILITUDES OF HEART WITH ITS INTERNAL ARMIES 10
CHAPTER FOUR: EXPOSITION OF SPECIAL PROPERTIES OF HEART OF MAN 13
CHAPTER FIVE: EXPOSITION OF QUALITIES AND SIMILITUDES OF HEART 18
CHAPTER SIX: EXPOSITION OF SIMILITUDES OF HEART REGARDING SPECIAL SCIENCES 22
CHAPTER SEVEN: EXPOSITION OF CONDITIONS OF HEART REGARDING DIVISIONS OF SCIENCES: INTELLECTUAL AND RELIGIOUS, AND PERTAINING TO THIS WORLD AND THE HEREAFTER 28
CHAPTER EIGHT: EXPOSITION OF DIFFERENCE BETWEEN GENERAL INSPIRATION AND LEARNING; AND DIFFERENCE BETWEEN SUFI WAY OF SEEKING THE UNVEILING OF REALITY AND THE WAY OF SPECULATIVE PHILOSOPHERS 32
CHAPTER NINE: EXPOSITION OF DIFFERENCE IN RANK BETWEEN BOTH POSITIONS BY A TANGIBLE EXAMPLE 35
CHAPTER TEN: EXPOSITION OF TESTIMONY OF DIVINE LAW TO VALIDITY OF METHOD OF MYSTICS IN GAINING EXPERIENTIAL KNOWLEDGE, NOT THROUGH INSTRUCTION NOR BY THE ORDINARY WAY 40
CHAPTER ELEVEN: EXPOSITION OF DOMINATION OF SATAN OVER HEART THROUGH PROMPTING EVIL SUGGESTIONS; MEANING OF SUCH EVIL SUGGESTIONS; AND MEANS OF OVERCOMING THEM 46
CHAPTER TWELVE: EXPOSITION IN DETAIL OF WAYS BY WHICH SATAN ENTERS HEART 56
CHAPTER THIRTEEN: EXPOSITION OF THAT FOR WHICH MAN IS HELD ACCOUNTABLE AND THAT FOR WHICH HE IS PARDONED IN FIELD OF EVIL SUGGESTIONS TO HEARTS, THEIR DECISIONS, INVOLUNTARY THOUGHTS AND PURPOSES 71
CHAPTER FOURTEEN: EXPOSITION OF WHETHER OR NOT EVIL SUGGESTION COULD BE IMAGINED TO BE ENTIRELY CUT OFF DURING DEVOTIONAL EXERCISES 76

CHAPTER FIFTEEN: EXPOSITION OF HOW SWIFT HEARTS TURN, AND ARE CLASSIFIED IN RESPECT TO CHANGE AND STABILITY 79
BOOK TWO: SELF-DISCIPLINE AND IMPROVEMENT OF MORAL CHARACTER AND REMEDY OF HEART DISEASES 85
CHAPTER ONE: MERIT OF GOOD CHARACTER; AND DEMERIT OF BAD CHARACTER . 86
PROPHETIC NARRATIONS 86
TRADITIONS AND SAYINGS 90
CHAPTER TWO: EXPOSITION OF REAL NATURE OF GOOD AND BAD CHARACTER 92
CHAPTER THREE: EXPOSITION OF CHANGEABILITY OF MANNERS BY WAY OF DISCIPLINE 96
CHAPTER FOUR: EXPOSITION OF WAY OF ATTAINING GOOD CHARACTER 100
CHAPTER FIVE: EXPOSITION OF DETAILED WAY OF IMPROVING MORAL CHARACTER 105
CHAPTER SIX: EXPOSITION OF SIGNS BY WHICH HEART DISEASE IS KNOWN, AND SIGNS BY WHICH RECOVERY IS KNOWN 108
CHAPTER SEVEN: EXPOSITION OF WAY BY WHICH MAN KNOWS HIS DEFECTS 111
CHAPTER EIGHT: PROOFS HANDED DOWN FOR INSIGHTFUL; AND EVIDENCES OF RELIGIOUS LAW FOR THE FACT THAT WAY OF REMEDY OF HEART DISEASES LIES IN ABANDONING DESIRES, AND HEART DISEASES LIE IN FOLLOWING DESIRES 113
CHAPTER NINE: EXPOSITION OF SIGNS OF GOOD MORAL CHARACTER 120
CHAPTER TEN: EXPOSITION OF WAY TO DISCIPLINE KIDS FROM THEIR EARLY YEARS; AND WAY TO IMPROVE THEIR MANNERS 125
CHAPTER ELEVEN: EXPOSITION OF CONDITIONS OF WILLPOWER AND COMMENCEMENTS OF SELF-MORTIFICATION; AND NOVICE'S GRADUATION IN FOLLOWING WAY OF SELF-DISCIPLINE 130
BOOK THREE: CURBING TWO APPETITES 138
CHAPTER ONE: VIRTUE OF HUNGER AND REJECTION OF SATIETY 139
CHAPTER TWO: BENEFITS OF HUNGER AND EVILS OF SATIETY 144
CHAPTER THREE: EXERCISING TO CURB LUST OF STOMACH 152
OBLIGATIONS TO BE OBSERVED 152
CHAPTER FOUR: DIFFERENCES CONCERNING IMPACT OF HUNGER; ITS VIRTUES; AND HOW IT AFFECTS DIFFERENTLY CONDITIONS IN PEOPLE 163
CHAPTER FIVE: IMPACT OF AILMENT OF DISSIMULATION ON SUCH AS ABANDON LUSTFUL APPETITES AND EAT LESS 167
CHAPTER SIX: SAYINGS CONCERNING LUST OF GENITAL 168
CHAPTER SEVEN: MARRIAGE AND ABSTINENCE FOR NOVICE 171
CHAPTER EIGHT: VIRTUE OF ONE WHO DEFIES LUST OF GENITAL AND EYE 177
BOOK FOUR: EVIL OF TONGUE 182

CHAPTER ONE: EXPOSITION OF GREAT DANGER OF TONGUE AND VIRTUE OF SILENCE 183
PROPHETIC TRADITIONS 183
SAYINGS 186
CHAPTER TWO: DIFFERENT EVILS OF TONGUE 188
THE FIRST EVIL: SPEAKING IN WHAT CONCERNS YOU NOT 188
THE SECOND EVIL: SURPLUS TALK 192
THE THIRD EVIL: ENGAGING IN FALSEHOOD 194
THE FOURTH EVIL: DISPUTATION AND ARGUMENTATION 195
THE FIFTH EVIL: DISPUTE 199
THE SIXTH EVIL: LOUD-MOUTHING 201
THE SEVENTH EVIL: SHAMELESSNESS AND FOUL LANGUAGE 202
THE EIGHTH EVIL: CURSING 205
THE NINTH EVIL: SINGING AND POETRY 210
THE TENTH EVIL: JOKING 211
THE ELEVENTH EVIL: RIDICULE AND MOCKERY 217
THE TWELFTH EVIL: DISCLOSURE OF SECRET 218
THE THIRTEENTH EVIL: THE FALSE PROMISE 219
THE FOURTEENTH EVIL: TELLING LIES IN WORD AND OATH 221
THE PROPHETIC NARRATIONS 221
THE TRADITIONS AND SAYINGS 225
EXPOSITION OF ALLOWABLE LIES 226
EXPOSITION OF AVOIDANCE OF TELLING LIES BY WAY OF IMPLICIT REFERENCES. 230
THE FIFTEENTH EVIL: BACKBITING 233
EXPOSITION OF MEANING AND DEFINITION OF BACKBITING 237
EXPOSITION OF THE FACT THAT BACKBITING IS NOT EXCLUSIVE TO TONGUE 239
EXPOSITION OF MOTIVES OF BACKBITING 241
EXPOSITION OF REMEDY THAT IMPEDES TONGUE FROM BACKBITING 244
EXPOSITION OF PROHIBITION OF BACKBITING WITH HEART 248
EXPOSITION OF EXCUSES THAT JUSTIFY BACKBITING 250
EXPOSITION OF EXPIATION TO BE MADE FOR BACKBITING 253
THE SIXTEENTH EVIL: TALEBEARING 255
EXPOSITION OF DEFINITION OF TALEBEARING AND THE WAY TO REPEL IT 257
THE SEVENTEENTH EVIL: THE SPEECH OF TWO-FACED 261
THE EIGHTEENTH EVIL: PRAISE 263
EXPOSITION OF DUTIES OF PRAISED 266
THE NINETEENTH EVIL: HEEDLESSNESS OF TONGUE SLIPS 266
THE TWENTIETH EVIL: LAYMEN'S ASKING ABOUT ATTRIBUTES AND SPEECH OF ALLAH 268

BOOK FIVE: CONDEMNATION OF ANGER, RANCOR AND ENVY 271
CHAPTER ONE: ANGER 272
EXPOSITION OF CONDEMNATION OF ANGER 272
EXPOSITION OF REAL NATURE OF ANGER 276
EXPOSITION OF WHETHER OR NOT IT IS POSSIBLE TO REMOVE ANGER THROUGH SELF-DISCIPLINE 280
EXPOSITION OF CAUSES OF ANGER 284
EXPOSITION OF TREATING ANGER AFTER BEING PROVOKED 285
EXPOSITION OF EXCELLENCE OF RESTRAINING ANGER 289
EXPOSITION OF EXCELLENCE OF FORBEARANCE 291
EXPOSITION OF THE EXTENT TO WHICH IT IS PERMISSIBLE TO SLAKE ONE'S ANGER WITH SPEECH 297
CHAPTER TWO: MEANING AND CONSEQUENCES OF RANCOR; AND EXCELLENCE OF FORGIVENESS AND KINDNESS 300
VIRTUE OF FORGIVENESS AND KINDNESS 301
VIRTUE OF KINDNESS 307
CHAPTER THREE: CONDEMNATION OF ENVY; ITS REAL NATURE AND CAUSES; ITS TREATMENT; AND THE EXTENT TO WHICH IT SHOULD BE REMOVED 310
EXPOSITION OF CONDEMNATION OF ENVY 310
EXPOSITION OF THE REAL NATURE OF ENVY, ITS RULING, DIVISIONS AND LEVELS 315
EXPOSITION OF CAUSES OF ENVY AND HARMLESS JEALOUSY 321
EXPOSITION OF REASONS FOR CIRCULATION OF ENVY AMONG FELLOWS, PEERS, MATCHES, BROTHERS AND COUSINS IN CONTRAST TO OTHERS 325
EXPOSITION OF MEDICINE THAT REMOVES ENVY FROM HEART 328
EXPOSITION OF THE EXTENT TO WHICH IT BECOMES INCUMBENT TO REMOVE ENVY FROM HEART 334
BOOK SIX: CONDEMNATION OF WORLD 336
CHAPTER ONE: EXPOSITION OF CONDEMNATION OF WORLD 337
EXPOSITION OF ADMONITIONS PERTAINING TO CONDEMNATION OF WORLD 353
CHAPTER TWO: EXPOSITION OF ATTRIBUTES OF WORLD THROUGH MANY OF ITS EXAMPLES: CHAPTER THREE 365
EXPOSITION OF REAL NATURE AND ESSENCE OF WORLD 365
CHAPTER FOUR: EXPOSITION OF REAL NATURE OF THIS WORLD IN ITSELF; AND ITS OCCUPATION THAT DIVERTED PEOPLE FROM THEMSELVES, THEIR CREATOR, THEIR COMING AND DEPARTURE 373
BOOK SEVEN: CONDEMNATION OF NIGGARDLINESS AND GREED FOR WEALTH 383
CHAPTER ONE: EXPOSITION OF CONDEMNATION OF WEALTH AND REJECTION OF LOVING IT 384

CHAPTER TWO: EXPOSITION OF PRAISE AND CONDEMNATION OF WEALTH SIMULTANEOUSLY 388
CHAPTER THREE: EXPOSITION OF MERITS AND DEMERITS OF WEALTH 390
CHAPTER FOUR: EXPOSITION OF CONDEMNATION OF MISERLINESS AND COVET; AND PRAISE OF CONTENTMENT 392
CHAPTER FIVE: TREATMENT OF MISERLINESS AND COVET; AND MEDICINE BY WHICH CONTENTMENT IS ACQUIRED 397
CHAPTER SIX: EXPOSITION OF EXCELLENCE OF BOUNTEOUSNESS 401
CHAPTER SEVEN: STORIES ABOUT BOUNTEOUS 406
CHAPTER EIGHT: EXPOSITION OF CONDEMNATION OF NIGGARDLINESS 414
CHAPTER NINE: STORIES ABOUT NIGGARDS 421
CHAPTER TEN: EXPOSITION OF ALTRUISM AND ITS EXCELLENCE 422
CHAPTER ELEVEN: EXPOSITION OF DEFINITION AND REAL NATURE OF BOUNTEOUSNESS AND NIGGARDLINESS 425
CHAPTER TWELVE: EXPOSITION OF TREATMENT OF NIGGARDLINESS 429
CHAPTER THIRTEEN: EXPOSITION OF MAN'S DUTIES REGARDING HIS WEALTH 432
CHAPTER FOURTEEN: CONDEMNATION OF RICHNESS AND COMMENDATION OF POVERTY 433
BOOK EIGHT: CONDEMNATION OF MAJESTY AND SHOWING OFF 451
PART ONE: CONDEMNATION OF MAJESTY 452
CHAPTER ONE: EXPOSITION OF CONDEMNATION OF FAME AND REPUTATION 452
CHAPTER TWO: EXPOSITION OF EXCELLENCE OF ANONYMITY 454
CHAPTER THREE: EXPOSITION OF CONDEMNATION OF MAJESTY 456
CHAPTER FOUR: EXPOSITION OF MEANING AND REAL NATURE OF MAJESTY 457
CHAPTER FIVE: EXPOSITION OF REASON WHY MAJESTY IS DEARER THAN WEALTH; AND DIFFICULTY OF REMOVING IT FROM HEARTS EXCEPT BY SELF-MORTIFICATION 458
CHAPTER SIX: EXPOSITION OF THE FACT THAT MAJESTY GIVES ILLUSORY AND NOT REAL PERFECTION 463
CHAPTER SEVEN: EXPOSITION OF THE EXTENT TO WHICH MAJESTY AND WEALTH MIGHT BE PRAISED OR DISPRAISED 467
CHAPTER EIGHT: EXPOSITION OF CAUSES OF LOVE FOR PRAISE AND DISLIKE FOR DISPRAISE 468
CHAPTER NINE: EXPOSITION OF REMEDY OF LOVING MAJESTY 470
CHAPTER TEN: EXPOSITION OF REMEDY OF LOVE FOR PRAISE AND DISLIKE FOR DISPRAISE 472
CHAPTER ELEVEN: EXPOSITION OF REMEDY OF DISLIKING DISPRAISE 475
CHAPTER TWELVE: EXPOSITION OF DIFFERENT CASES OF PEOPLE REGARDING PRAISE AND DISPRAISE 476

PART TWO: CONDEMNATION OF SHOWING OFF 479
CHAPTER ONE: EXPOSITION OF CONDEMNATION OF SHOWING OFF 479
CHAPTER TWO: EXPOSITION OF REAL NATURE OF SHOWING OFF 486
CHAPTER THREE: EXPOSITION OF LEVELS OF SHOWING OFF 492
THE FIRST PILLAR: THE PURPOSE OF SHOWING OFF 492
THE SECOND PILLAR: THE OBJECT OF SHOWING OFF 493
THE THIRD PILLAR: THAT FOR WHICH ONE MAKES SHOW (OF DEEDS) 496
CHAPTER FOUR: EXPOSITION OF CONCEALED SHOWING OFF THAT IS MORE HIDDEN THAN CREEPING OF ANTS 498
CHAPTER FIVE: EXPOSITION OF THE EXTENT TO WHICH SHOWING OFF FRUSTRATES WORK 501
CHAPTER SIX: EXPOSITION OF MEDICINE AND REMEDY OF SHOWING OFF 505
THE FIRST STATION IS TO REMOVE ITS ROOTS AND ORIGINS 505
THE SECOND IS TO AVERT WHAT OCCURS OF IT 509
CHAPTER SEVEN: EXPOSITION OF CONCESSION TO DISCLOSE ACTS OF WORSHIP 516
THE FIRST DIVISION: TO DISCLOSE THE DEED ITSELF 517
THE SECOND DIVISION IS TO TALK ABOUT HIS DEED AFTER FINISHING FROM IT ... 518
CHAPTER EIGHT: EXPOSITION OF CONCESSION TO CONCEAL SINS 520
CHAPTER NINE: EXPOSITION OF LEAVING SOME ACTS OF WORSHIP FOR FEAR OF SHOWING OFF AND EVILS 524
THE FIRST DIVISION 524
THE SECOND DIVISION 526
CHAPTER TEN: EXPOSITION OF WHAT IS VALID FOR A SERVANT TO DO TO PRACTICE HIS ACTS OF WORSHIP BECAUSE OF PEOPLE'S SEEING HIM 535
CHAPTER ELEVEN: EXPOSITION OF WHAT IS BINDING UPON A NOVICE TO DO BEFORE AND AFTER AN ACT OF WORSHIP 538
BOOK NINE: CONDEMNATION OF ARROGANCE AND VANITY 544
PART ONE: CONDEMNATION OF ARROGANCE 545
CHAPTER ONE: EXPOSITION OF CONDEMNATION OF ARROGANCE 545
CHAPTER TWO: EXPOSITION OF CONDEMNATION OF BOASTING 549
CHAPTER THREE: EXPOSITION OF EXCELLENCE OF HUMBLENESS 551
CHAPTER FOUR: EXPOSITION OF REAL NATURE AND EVIL OF ARROGANCE 556
CHAPTER FIVE: EXPOSITION OF HIM TO WHOM ONE BEHAVES ARROGANTLY; AND THE LEVELS OF ARROGANCE 559
CHAPTER SIX: EXPOSITION OF CONSTITUENTS OF ARROGANCE 564
CHAPTER SEVEN: EXPOSITION OF MOTIVES OF ARROGANCE 573
CHAPTER EIGHT: EXPOSITION OF GOOD MANNERS OF HUMBLE; AND THE TRACES OF BOTH HUMBLENESS AND ARROGANCE 574

CHAPTER NINE: EXPOSITION OF REMEDY OF ARROGANCE 580
THE FIRST STATION 580
THE SECOND STATION 585
CHAPTER TEN: EXPOSITION OF SELF-DISCIPLINE TO ACQUIRE THE CHARACTER OF HUMBLENESS; AND PRAISEWORTHY AND BLAMEWORTHY EXTENT OF HUMBLENESS 597
PART TWO: CONDEMNATION OF VANITY 598
CHAPTER ONE: EXPOSITION OF CONDEMNATION AND EVILS OF VANITY 598
CHAPTER TWO: EXPOSITION OF EVILS OF VANITY 600
CHAPTER THREE: EXPOSITION OF REAL NATURE AND DEFINITION OF VANITY AND ANTICIPATION OF SPECIAL TREATMENT 601
CHAPTER FOUR: EXPOSITION OF REMEDY OF VANITY 602
CHAPTER FIVE: EXPOSITION OF DIVISIONS OF THINGS OF VANITY AND THE REMEDY OF EACH IN DETAIL 606
BOOK TEN: CONDEMNATION OF CONCEIT 614
CHAPTER ONE: EXPOSITION OF CONDEMNATION, REAL NATURE AND EXAMPLES OF CONCEIT 615
THE FIRST EXAMPLE: THE CONCEIT OF THE DISBELIEVERS 616
THE SECOND EXAMPLE: THE CONCEIT OF THE DISOBEDIENT AMONG THE BELIEVERS 625
CHAPTER TWO: EXPOSITION OF SORTS OF CONCEITED; AND DIVISIONS INTO WHICH EACH IS DIVIDED 631
THE FIRST CLASS: MEN OF KNOWLEDGE 631
THE SECOND CLASS: MASTERS OF WORSHIP AND WORK 649
THE THIRD CLASS: SUFIS 654
THE FOURTH CLASS: OWNERS OF WEALTH 658
CONTENTS 665

Imam Abu Hamed AL-GHAZALI
(450-505 H.=1058-1111 A.D.)

REVIVAL OF RELIGION'S SCIENCES
IHYA' ULUM AD-DIN

إحياء علوم الدين

Translated by
Mohammad Mahdi al-Sharif

Volume III
The quarter of the destructives

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
DKi
Beirut- Lebanon

Imam Abu Hamed AL-GHAZALI
(450-505 H.=1058-1111 A.D.)

REVIVAL OF RELIGION'S SCIENCES (IHYA' ULUM AD-DIN)

إحياء علوم الدين

Translated by
Mohammad Mahdi al-Sharif

Volume III

The quarter of the destructives

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title : **REVIVAL OF RELIGION'S SCIENCES (IHYA' ULUM AD-DIN)**

إحياء علوم الدين

Classification: Jurisprudence and sufism

Author : Imam Abu Hamed AL-GHAZALI

Translator : Mohammad Mahdi al-Sharif

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Pages : 2784 (4 volumes)

Size : 17* 24

Year : 2011

Printed in : Lebanon

Edition : 1st

DKI

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun

1871 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Solah Beirut 1107 2290

عرمون-القبة-مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤-١١ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

Exclusive rights by © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

ISBN 978-2-7451-5945-8

ISBN 2-7451-5945-3

9 782745 159458 90000

IN THE NAME OF ALLAH, MOST GRACIOUS, MOST MERCIFUL

REVIVAL OF RELIGIOUS SCIENCES

Quarter of destructives

The third quarter of REVIVAL OF RELIGIOUS SCIENCES

Book one: Exposition of wonders of heart

It is the first book of the quarter of destructives

INTRODUCTION

In the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

Praise be to Allah whose majesty does perplex the hearts and thoughts of those who seek in vain to comprehend him; whose shining light at its beginning bewilders eye and sight; who is acquainted with all hidden secrets; who knows all that conscience does conceal; who has no need of counselor or helper in ruling of His kingdom; the Overturner of hearts and the Forgiver of sins; the Concealer of faults; the Deliverer from anxieties. In addition, Allah's blessing and peace rest in abundance upon the chief of the messengers, the uniter of religion, the exterminator of heretics, and upon his descendants..

To go further: The honor and excellence of man in which he surpasses all other sorts of creatures are his aptitude for knowing Allah, whose is the praise. This knowledge provides for man's beauty and perfection and glory in the present world, and his provision and store for the hereafter. He is prepared for this knowledge only through his heart, and not by means of any of his body organs. For it is the heart which knows Allah, draws near to Him, works for Allah, strives toward Allah, and discloses that which is in the presence of Allah. The organs of body, on the other hand, are no more than followers, servants, and instruments which the heart uses and employs as the king uses his servants, as the shepherd makes use of his flock, or as the craftsman uses his instrument.

That is because it is the heart which is accepted with Allah when it is free from all barring Him, even though veiled from Allah when it becomes wholeheartedly engaged in anything other than Him. It is the heart which is required (to do good), is communicated with, is admonished (for violation), and is punished (for doing evil). It rejoices in nearness to Allah and prospers if justified, and becomes undone and miserable if debased and corrupted. It is that which in reality is obedient to Allah, and the acts of worship manifested in the organs of the body are but (the signs of) its light. It is it also which is disobedient and rebellious against Allah, and the acts of violation that run through the organs are but its effects. By its darkening and its enlightening, there appear the good

and evil qualities of its external appearance, since "every vessel drips of what it contains."

The heart is that, which, if a man knows, he knows himself, and if he knows himself, he knows his Lord Almighty; and vice versa, it is that which, if a man ignores, he ignores himself, and if he ignores himself, he indeed ignores his Lord Almighty. He who ignores his own heart is still more ignorant of everything else, since the majority of mankind ignore their own hearts and their own selves, for intervention has been made between them and their own selves as confirmed by Allah's saying: "Allah comes in between a man and his own heart." (Al-Anfal 24)

﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾

His intervention consists in preventing man from observing it (his heart), watching over it, and becoming acquainted with its qualities, and perceiving how it is turned between two of the fingers of (Allah) Most Merciful; and how at one time it lusts for the lowest of the low and is brought down to the plane of the demons; and at another time, it mounts up to the highest of the high, and advances to the world of the angels who are drawn near to Allah. He who ignores his heart to watch over it and be mindful of it, and to observe such of treasures of the unseen as shines on and in it from the Dominion of the unseen, he is one of those in whom Allah Almighty says: "they forget Allah, so He has Therefore, caused them to forget themselves. They are indeed the wicked." (Al-Hashr 19)

﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾

Thus, the knowledge of the heart and its qualities is the root of religion and the foundation of the way followed by the novices. Since we have completed the first half of this book which deals with the acts of worship and customs carried on by the external body organs, and this is the exoteric knowledge, and since we have promised to explain in the second half the destructives and saviors which come upon the heart, and this is the esoteric knowledge, we must preface this part with two books: The first will deal with the explanation of the wonders of heart qualities and characteristics, and the other with the manner of disciplining the heart and improving its characteristics. After that, we will launch forth into a detailed discussion of destructives and saviors. Let us now mention that which can be most readily understood of the exposition of the wonders of heart by means of examples. Most minds are too dull to make a clear statement of its wonders and secrets which pertain to the realm of the dominion of the unseen.

CHAPTER ONE

EXPOSITION OF MEANING OF NAFS (SOUL), RUH (SPIRIT), QALB (HEART), AND AQL (MIND); AND THEIR RELATED SIGNIFICANCE

It should be known that these are four names used in these chapters. However, few of the leading scholars have a comprehensive knowledge of these

names and their different meanings, and of the definitions of the things named. Most mistakes regarding them originate in ignorance of the meaning of these names, and of the way in which they are applied to different objects. We will explain the meaning of these names as much as pertains to our purpose.

The first of these is the term Qalb (heart), and it is used with two meanings:

One of them is the cone-shaped organ of flesh which is located inside the left side of the chest. It is flesh of a particular sort within which there is a cavity, and in this cavity, there is black blood which is the source and seat of the spirit. We do not now intend to explain its shape nor its mode of operation since religious ends have no connection therewith, but this is the field of physicians. Animals and even the dead have this heart of flesh. Whenever we use the term heart in this book, we do not mean this sort of heart, for it is but an impotent bit of flesh, belonging to the visible material world, and is perceived by the sense of sight, by animals as well as by mankind.

The other meaning of the heart is a subtle tenuous substance of an ethereal spiritual sort (Latifah Rabbaniyyah Ruhaniyyah), which is connected with the physical heart. This subtle tenuous substance is the real essence of man. The heart is the part of man which perceives and knows and experiences; it is addressed and held responsible and rebuked, and it has some connection with the physical heart. The majority of men have been mentally bewildered when they tried to perceive the nature of this connection. Its connection therewith resembles the connection of accidents with substances, of qualities with the things they qualify, of the user of a tool with the tool, or of that which occupies a place with the place.

We will guard against trying to explain this for two reasons: first, because it deals with mystical sciences (Ulum Al-Mukashafah) and our aim in this book is limited only to the science of practical religion (Ilm Al-Mu'amalah). Second, to verify it summons disclosure of the secret of spirit, concerning which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did not speak, and Therefore, no one else should speak. Our aim then is that whenever we use the term Qalb (heart') in this book we mean by it this subtle tenuous substance. Our intention is to mention its characteristics and states, not its real nature in itself, for the science of practical religion necessitates to know about its characteristics and states and does not require to make a mention of its real nature.

The second term is Ruh (spirit), and it is also used with two meanings relevant to our purpose:

One of these is a subtle body whose source is the cavity of the physical heart, and which spreads by means of the pulsative arteries to all the other parts of the body. Its circulation in the body and the overflowing from it of the light of life, sense perception, sight, hearing, and smelling to the members of the body resemble the flood of light from a lamp which is moved about throughout a house, whenever the lamp is brought to any part of the house it is lighted by it. Life is like the light that falls upon the walls; the spirit is like the lamp; the

circulation of the spirit and its movement within (the body) correspond to the movement of the lamp throughout the house by the moving of him who moves it. Whenever physicians use the term spirit, they have in mind this meaning, which is a subtle vapor produced by the heat of the heart. It is not our purpose to explain this meaning of the term since it lies in the scope of physicians who treat the body. The purpose of physicians of religion who treat the heart that it may be led near to the Lord of the worlds, has no connection at all with the explanation of this 'spirit.

The second meaning is that subtle tenuous substance in man which knows and perceives, as we have already explained in the second meaning of the heart. It is the meaning intended by Allah in His statement: "And they ask you (O Muhammad) concerning the Ruh (the Spirit); Say: "The Ruh (the Spirit): it is one of the things, the knowledge of which is only with my Lord. Moreover, of knowledge, you (mankind) have been given only a little."" (Al-Isra' 85)

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾

It is a marvelous and Divine thing, and it is beyond the limit of most minds and understandings to perceive its real and ultimate nature.

The third term is Nafs (soul) and it includes many meanings, two of which pertain to our purpose:

One is intended to refer to the faculties of anger and appetence in man, which we will explain later. This meaning prevails among Sufis, for they mean by the soul that principal in man which includes his blameworthy qualities. So they say: "The soul must be mortified and broken." It is that which is referred to by the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in his statement: "Your worst enemy is your soul that lies between your sides." (This narration is reported by Al-Baihaqi on the authority of Ibn Abbas).

The other meaning is that subtle tenuous substance which we have mentioned, i.e. man in reality. It is the soul and essence of man. Nevertheless, its description differs according to its different states. When it is at rest under His command, and agitation has left it on account of its opposition to the fleshly appetites, it is called "soul at rest" (An-Nafs Al-Mutma'innah), of which Allah says: "(It will be said to the pious - believers of Islamic Monotheism): "O soul in (complete) rest and satisfaction! Come back to your Lord well pleased (yourself) and well pleasing (unto Him)! Enter you then among My (honored) slaves, And enter you My Paradise!" (Al-Fajr 27:30).

﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾

The soul according to the first concept cannot be conceived of as returning to Allah for it is far removed from Allah and belongs to the party of Satan. However, when the soul is restless, but is striving to drive off and oppose the appetent soul, it is called "upbraiding soul" (An-Nafs Al-Lawwamah), for it upbraids its possessor whenever he falls short in the worship of his Master, of

which Allah Almighty says: "I swear by the upbraiding soul." (Al-Qiyamah 2).

﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾

Nevertheless, if the soul leaves opposition and becomes submissive and obedient to the demands of the fleshly appetites and the invitations of Satan, it is called 'the soul that commands to evil (An-Nafs Al-Ammarah Bis-Su'), of which Allah said relating about the wife of Al-Aziz (Egyptian prime minister): "And I free not myself (from the blame). Verily, the (human) self is inclined to evil, except when my Lord bestows His Mercy (upon whom He wills). Verily, my Lord is Oft-Forgiving, Most Merciful."(Yusuf 53)

﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾

Yet it may be said: "By the soul that commands to evil' is meant the soul with the first concept", for that, 'soul' is most blameworthy. Nevertheless, the soul with the other concept is praiseworthy, for it is man's very self, or his essence and real nature, which knows Allah and all other knowable things.

The fourth term is Aql (mind). It also includes various meanings which we have mentioned in the Book of Knowledge, of which two pertain to our purpose:

First, Aql (mind) refers to the force of knowledge of the real nature of things, and is Thus, an expression for the quality of knowledge whose seat is the heart.

Second, it refers to that which perceives knowledge, and Thus, it points out the heart in the sense of the subtle tenuous substance. We know that every knower has within himself an entity (Wujud) which is a self-existing principle, and knowledge is a quality residing in it, and the quality is something other than the thing qualified. So mind may be used to refer to the quality of the knower, and also to mean the seat of perception, the mind which perceives. It is the latter meaning that is referred to in the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "The first thing Allah created was mind." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Abu Umamah; and Abu Na'im on the authority of A'ishah). Knowledge is an accident which cannot be conceived as the first created thing, and its seat should have been created before or along with it, and because one cannot converse with it (knowledge). It is reported in a particular tradition that He (Allah) said to mind: "Draw near" and it drew near. Then He said: "Retreat" and it retreated.

Therefore, it has now been made clear to you the following meanings of these names: the corporeal heart, the corporeal spirit, the appetent soul, and mind. These are four meanings which are denoted by four terms. There is also a fifth meaning which is that subtle tenuous substance in man which knows and perceives, and all these four names are successively applied to it. There are then five meanings and four terms, and each term is used with two meanings. Most scholars are confused in distinguishing between these terms, and concerning their successive usage. So you find them talking about thoughts, saying: "This is the thought of mind, this is the thought of spirit, this is the thought of heart,

and this is the thought of soul", and the observer does not understand the distinction in the meanings of these names. So for the sake of uncovering this matter we have put here at the beginning an explanation of these names.

Wherever the word heart occurs in the Qur'an and in the Sunnah, it refers to that in man which discerns and comes to know the real nature of things. This may be alluded to by metonymy as the heart which is in the breast, because there is a special connection between that subtle tenuous substance and the physical heart. For although this subtle tenuous substance is connected with and used by the rest of the body as well, yet this connection is by means of the heart, so Therefore, its primary connection is with the heart. It is as though the heart where its seat, its kingdom, its world, and its mount. For this reason, Sahl At-Tastari has likened the heart to the throne and the breast to the seat. He said: "The heart is the throne and the breast is the seat." Nevertheless, it must not be supposed that he meant the throne and seat of Allah, for that is impossible. But he meant that the heart is the subtle tenuous substance's kingdom and the primary channel for its planning and activity. These then (the physical heart and the breast) stand in the same relationship to the heart (subtle tenuous substance) as do the throne and seat to Allah Almighty. This simile is appropriate only in certain respects. The explanation of this is not fitting for our purpose and so let us pass it by.

CHAPTER TWO: EXPOSITION OF ARMIES OF HEART

Allah says: "And none knows the armies of your Lord save Himself." (Al-Muddaththir 31).

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ ﴾

In hearts and spirits and in other worlds Allah has levied armies, whose nature and the details of whose number none knows save He. We will now refer to some of the armies of heart pertaining to our purpose.

Heart has two armies: one visible seen with the eyes, and the other invisible seen only by insight. The heart is as king, and the soldiers are as servants and helpers, and this is the meaning of army. Now its visible army seen by the eye includes the hand, the foot, the eye, the ear, the tongue, and the rest of the outward and inward body organs. These all serve the heart and are in subjection thereto, and it has the disposition of them, and repels for them. They were created with an inherent disposition to obey it, and cannot disobey it nor rebel against it. For if it orders the eye to be opened, it is opened; if it orders the foot to move, it moves; if it orders the tongue to speak and is decisive about the matter, it speaks; and so also for the rest of the organs.

The subjection of organs and senses to the heart resembles, from one point of view, the subjection of the angels to Allah; for they were created with an inherent disposition to obedience, and they cannot disobey Him. "They disobey not Allah in what He commands them, but they do what they are commanded (to do)." (At-Tahrim 6).

﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾

But even, there is one difference, that is, the angels know their own obedience and conformity, whereas the eyelids obey the heart in opening and dosing because they are in subjection to it, and have no knowledge of themselves nor of their obedience to the heart. The heart is in need of these armies in the same way as it is in need of a vehicle, and provision for that journey for which it was created, the journey to Allah, thereby it is able to come upon its different stations until He is met face to face. It is for this reason that hearts were created as Allah says: "I have not created jinn and men but to worship Me." (Adh-Dhariyat 56)

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

The vehicle of the heart is the body alone; its provision is knowledge alone; and the means of attaining the provision for the journey and supplying one's self therewith lie only in righteous acts. It is impossible for the creature to reach Allah except by dwelling in the body and passing through this present world, for the nearest stage must be passed through in order that the most distant stage may be attained. This present world is the seedbed of the hereafter, and it is one of the stages of right guidance. It is called nearer only because it is the nearer of the two abodes. The heart must Therefore, get its supply of provision from this world. The body is its vehicle by which it comes into contact with this world. Thus, the body needs to be cared for and preserved, and it is preserved only by procuring for it such food and other things as are suitable for it, and by warding off from it the causes of destruction which are repugnant to it and destroy it. The heart Thus, needs two armies in order to procure food: an internal army which is the appetite, and an external which is the hand and organs that procure food. So the needed appetites are created in the heart, and the members of the body are created which are the instruments of the appetites.

Likewise, the heart needs two armies to drive off the things which destroy: an internal army of anger, by which it drives off things that destroy and takes revenge upon its enemies, and an external which is the hand and the foot by which it carries out the dictates of anger. This is completed by means of things outside the body. The organs then are like weapons, etc. Then, too, the appetite for food and the means of securing it are of no profit to him who needs food as long as he has no knowledge of food. So in order to gain such knowledge the heart needs two armies: an internal army, which is the perception of sight, taste, smelling, hearing, and touch; and an external, which is the eye, ear, nose, etc. A detailed account of the need for these and the wisdom in them would be very long, and many volumes would not be sufficient to contain it. We have referred to a small portion of it in the Book of Thanksgiving, and this will suffice.

All the armies of the heart are limited to three classes. One class incites and instigates either to the obtaining of that which is profitable and suitable, as, for example, appetence; or to the removing of that which is harmful and destructive, as, for example, anger. This impulse may be called will. The second class is that

which moves the members to the attainment of these desired ends, and it is called power. These are armies which are diffused throughout the rest of the members, especially the muscles and sinews. The third class is that which perceives and gathers information as spies. These include the power of sight, hearing, smell, taste, etc, which are divided among particular members. This is called knowledge and perception. Corresponding to each of these internal armies there are external armies which are the physical members. These are made up of flesh, fat, nerve, blood, and bone, which are prepared as the instruments of these armies. Thus, the power to seize lies only in the fingers, the power to see only in the eye, and so on for the other powers. We are not now speaking of the external armies, I mean the physical members, for they belong to the visible material world, but rather of those unseen armies by which the heart is helped.

This third class, which alone of this group perceives, is divided into that which is lodged in the outer abodes, i.e. the five senses, hearing, sight, smell, taste, and touch; and that which is lodged in inner abodes, or the ventricles of the brain which are also five. Thus, a man after seeing an object closes his eye and perceives its image within himself. This is the retentive imagination. This image then remains with him by means of something which preserves it that is the army of memory. He then thinks about what he has remembered and combines pert with pert, after which he recalls what he had forgotten and it comes back to him again. Then he gathers together in his retentive imagination all the meanings of his sense impressions by means of the common sense. For there are within man common sense (Hiss Mushtarak), imagination (Takhayyul), reflection (Tafakkur), recollection (Tadhakkur), and memory (Hifdh).

Had Allah not created the powers of memory, thought, recollection, and imagination, the brain would be devoid of them even as is the hand and the foot. Thus, these powers are internal armies and their seats are internal. Such then they are the armies of the heart. It would take a long time to explain this by setting forth examples so that the understanding of the week could comprehend it, while our purpose in such a book as this is that the strong and superior from among the learned shall be profited thereby. Yet we will strive to make the weak understand by setting forth examples so that this may be brought within the range of their understanding.

CHAPTER THREE: EXPOSITION OF SIMILITUDES OF HEART WITH ITS INTERNAL ARMIES

It should be known that the two armies of anger and appetence are sometimes perfectly obedient to the heart, and help it go on the path it follows, and be good companions in the journey which lies before it. But these two also sometimes might disobey the heart, in trespass and revolt, until they gain the mastery over it and bring it into subjection. This results in destroying it and cutting it off from its journey by which it might reach eternal happiness. The heart has another army which is knowledge, wisdom, and reflection, the

explanation of which will follow. it should seek the aid of this army, for it is the party of Allah, against the other two armies, for they may Join themselves to the party of Satan. If it neglects this help and gives the army of anger and appetence dominion over itself, it will surely perish and suffer a manifest loss.

This is the state of the majority of people, for their intellects have been forced by their appetence to labor at devising stratagems to satisfy the appetence, whereas appetence should have been forced by their intellects to labor to satisfy the need of mind. We will make this clearer to your understanding by means of three examples.

Example One

We may say that the soul (I mean by the soul the aforementioned subtle tenuous substance) is like a ruler in his city and his kingdom, for the body is the kingdom, world, abode and city of soul. The powers and organs occupy the place of craftsmen and laborers. The intelligent reflective power is like the sincere advisor and intelligent minister. Appetence is like an evil slave who brings food and provisions to the city. Anger and passion are like the chief of police. The slave who brings the provisions is a liar, a deceiver, an impostor, and a malicious person who plays the part of a sincere advisor, while there lies beneath his advice dreadful evil and deadly poison. It is his wont and custom to contend against every plan which the wise minister makes, so that not even, for an hour does he cease his contention and opposition to his opinions.

When the ruler in his kingdom seeks the advice of his minister and shuns the counsel of this vile slave, inferring indeed from his counsel that the right course is that which is contradictory to his opinion; and the chief of police disciplines him and brings him under the authority of the minister and causes him to be under his orders, empowering him on his part over this vile slave and his followers and devotees, so that the slave becomes under authority and not the possessor of it, and subject to orders and directions and not one who gives orders and directs; then the rule of his state becomes upright and justice prevails because of him. Thus, when the soul seeks the aid of the intellect and is disciplined by the passion of anger which it empowers over appetence, seeking the aid of one of the two against the other; sometimes through diminishing degree and excess of anger by making an ally of appetence and gradually modifying it; sometimes through subduing and overcoming the appetence by giving anger and ardor power over it and by disapproving of its demands; then its powers are made harmonious and its character comely. Whoever turns aside from this path is like unto him of whom Allah says: "Have you seen he who has taken as his god his [own] desire, and Allah has sent him astray due to knowledge and has set a seal upon his hearing and his heart and put over his vision a veil? So who will guide him after Allah? Then will you not be reminded?" (Al-Jathiyah 23).

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً
فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

He also says: "And if We had willed, we could have elevated him thereby, but he adhered [instead] to the earth and followed his own desire. So his example is like that of the dog: if you chase him, he pants, or if you leave him, he [still] pants. That is the example of the people who denied Our signs." (Al-A'raf 176)

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾

Again, He says about him who restrains his soul from lust: "But as for he who feared the position of his Lord and prevented the soul from [unlawful] inclination, Then indeed, Paradise will be [his] refuge." (An-Nazi'at 40-41)

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾

The way in which these armies strive, and the way in which some of them are given power over others will be discussed, if Allah so wills, in the Book of Discipline of Soul.

Example Two

It should be known that the body is like a city and the mind, I mean the perceptive power in man, is like a king who rules over it. Its perceptive external and internal powers of the senses are like its armies and helpers. Its organs are like the people of the city. The soul which commands to evil, i.e. appetence and anger, is like the enemy who opposes him in his kingdom and strives to destroy his people. His body Thus, becomes as it were a frontier outpost, and his soul is stationed on guard therein. So if he is one who strives against the enemy and routs him and conquers him as it should be, then will his deeds be praised on the day when he returns to the Presence (of Allah), Who says: "Not equal are those believers remaining [at home] - other than the disabled - and these who strive and fight in the cause of Allah with their wealth and their lives. Allah has preferred these who strive with their wealth and their lives to those who remain [behind], by degrees. And to both Allah has promised the best [reward]. But Allah has preferred those who strive over those who remain [behind] with a great reward." (An-Nisa' 95)

﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ ﴾

But if he loses the frontier and neglects his people, his deeds will be blamed and vengeance will be exacted from him when he meets Allah. According to a certain Tradition: "It will be said to him on the day of Judgement: 'O evil shepherd, you ate meat and drank milk and did not bring back the lost nor restore the broken; today I will revenge on you.'" It is also due to this struggle that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" refers in

his statement: "We have returned from the minor fight in the Cause of Allah (jihad) to the major fight." (This narration is reported by Al-Baihaqi on the authority of Jabir).

Example Three

The mind is like a horseman who has gone hunting. His appetence is his horse and his anger is his dog. When the horseman is skilled and his horse well broken and his dog trained and taught, then he is able to succeed. But when he is himself clumsy, his horse ungovernable, and his dog vicious, then his horse neither is guided under him, nor does his dog go forth in obedience to his signs. So he himself deserves to perish rather than to gain that which he seeks. The clumsiness of the horseman is like the ignorance, lack of wisdom, and dim insight of a man. The agitation of the horse is like the victory of appetence, especially the appetite for food and sexual intercourse. The rabidity of the dog is like the victory of anger and its domination. We ask Allah to grant us success with His grace.

CHAPTER FOUR
EXPOSITION OF SPECIAL PROPERTIES OF HEART OF MAN

It should be known that Allah has bestowed on all animals other than man all of the things we have mentioned. For animals, have appetence and anger, and external and internal senses. Thus, the sheep sees the wolf with her eye and knows in her heart its enmity, and so flees from it. That is an inner perception. We will now mention that which peculiarly characterizes the heart of man, because of which he has been given great honor and is qualified to draw near Allah. This special characteristic has its basis in knowledge and will. By 'knowledge' is meant to have knowledge of the things of this world and the hereafter, and of intellectual realities. These things are beyond the objects of sense perception, and animals do not share man in them. Nay rather, knowledge of axioms and universals is a peculiar property of the reason. Thus, a man judges that a single person cannot be imagined to be in two places at one time. This is his judgment for every person, although it is well known that he has observed some persons by his sense perception. So his judgment he passed on all persons goes beyond that which sense has perceived. If you understand this concerning this obvious axiomatic knowledge, it is even more obvious in the rest of theoretical sciences.

Regarding the will, when a man perceives by his intellect the consequences of an act and the good way to deal with it, there is aroused within his essential self a desire for the interest, a desire to exert himself in the means to attain it, and also the will to this end. This differs from the will stirred up by appetence and the willpower that animals have: indeed, it is quite the opposite of appetence. For appetence shuns bleeding and cupping, while the intelligent man wants them, seeks them, and freely spends money for them. The appetite inclines to savory foods in time of sickness, while the intelligent man finds within himself a

deterrent from them. This abstinence does not come from appetence. Had Allah created the intellect which gives information regarding the consequences of things, and not created this motive which moves the organs to carry out the mandates of the intellect, then the Judgment of the intellect would in reality have been lost.

Thus, the heart of man has the special properties of knowledge and will, which are lacking in the other animals, if not lacking in the child in his original constitution, for this comes to him with maturity. Now appetence, anger, and the external and internal senses exist potentially in the child, but in attaining them the child must pass through two stages: the first is that his heart must comprehend the knowledge of axioms and universal principles, such as the knowledge of the impossibility of impossible things, and the possibility of things manifestly possible. But in this stage, he has not yet attained the speculative sciences, save that they have become possible and within easy reach of attainment. His status in relation to knowledge is like that of the writer whose knowledge of writing does not go beyond inkstand, pen, and the letters as they are written separately but not in their combined forms, for such a person is on the way to writing but has not yet achieved it. The second is that he shall acquire that knowledge by experiment and reflection, so that it is stored up in him in a way that enables him to return to it whenever he wills. His status is like that of a man skilled in writing who, on account of his ability therein, is called a writer, even though he is not actually engaged in writing.

This is the highest stage of humanity, but in this stage, there are innumerable degrees of disparity among men in the abundance or paucity of knowledge, in the majesty or sordidness of knowledge, and in the way of attaining it. Sometimes, knowledge comes to some hearts through divine inspiration by way of immediate revelation and disclosure, and for some it is a thing to be learned and acquired. Sometimes it is gained quickly and sometimes slowly. In this stage the varying degrees of learned, wise, saints, and prophets are seen.

The degrees of advancement in knowledge are unlimited in as much as Allah's knowledge is infinite. The highest rank is that of the prophet to whom is revealed all or most of realities, not by a process of acquisition nor after difficulty, but by a divine inspiration within the shortest possible time. In this happiness, man draws close to Allah in thought, reality, and quality, regardless of place and distance. The stepping-stones up to these various degrees are the stations reached by those seeking after Allah, and they are limitless. Each traveller knows his own station which he has attained on his journey. He knows it and he knows also those stations which are behind him. He does not know the real nature of that which is just ahead of him, but he may believe in it as he believes in the unseen.

Even as we believe in Prophethood and the prophet and accept his existence as true, while no one but a prophet knows the real nature of Prophethood; and even as the embryo knows not the state of the baby, nor does the baby know the state of the discerning child and what has been opened

up to him of axiomatic knowledge; nor does the discerning child know the state of the intelligent man and what he has acquired of speculative knowledge; so also the intelligent man knows not what attainments of the grace and mercy of Allah have been revealed to His saints and prophets: "Whatever Allah grants to people of mercy - none can withhold it; and whatever He withholds - none can release it thereafter. And He is the Exalted in Might, the Wise." (Fatir 2)

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾

Although this mercy is generously bestowed by virtue of the goodness and generosity of Allah who never withhold it from anyone, it appears in those hearts which are exposed to the gifts of Allah. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily your Lord has, in many of your days, gifts (of mercy), so, behold! Expose yourselves to those gifts!" (This narration is reported on the authority of Abu Hurairah and Abu Sa'id). One exposes himself to them through cleansing and purifying the heart from evil and from the wickedness which comes from blameworthy character, as will be discussed later. This liberality is that which is referred to in the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Allah descends every night to the lowest heaven and says, 'Is there anyone who asks, that I may respond to him?'" Again, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said relating from his Lord: "Great indeed is the longing of the righteous to meet me, and I long even more to meet them." Consider also the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in his narration about his Lord Almighty: "Whoever draws a span nearer to me, I come a cubit nearer to him."

All of this is an indication that the light of knowledge is not veiled from men's hearts by any stinginess or prohibition on the part of the Giver, who is far removed from such acts, but rather it is veiled by wickedness, uncleanness and anxiety within the heart. For hearts are like vessels; as long as they are filled with water air cannot enter them. So the knowledge of the majesty of Allah cannot enter into hearts which are occupied by anything else apart from Him. It is that to which the following statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" refers: "Had it not been for the fact that Satans hover over the hearts of mankind, They would have been able to see the dominion of Heaven." (This narration is reported by Ahmad on the authority of Abu Hurairah).

It is obviously clear that the special characteristic of man is knowledge and wisdom, and that the noblest kind of knowledge is the knowledge of Allah, His attributes and deeds. By this, man achieves perfection, and in his perfection lie his happiness and worthiness to live near the divine majesty and perfection. The body then is a vehicle for the soul, and the soul is the seat of knowledge. Knowledge is the end destined for man and his special characteristic for which he

was created. As well as the horse shares with the donkey the power to carry burdens and is distinguished from it by its own special characteristics of advancing and fleeing properly, and beauty of form, for which the horse was created in a way that the removal of which from it would bring it down to the low rank of the donkey; likewise man shares some things with the donkey and horse, and differs from them in others which are his own special characteristics. These distinguishing characteristics are among the qualities of the angels who are drawn near Allah.

Man lies in a rank between brutes and angels. Man, in nourishment and reproduction, is a plant; in having sense perceptions and movement by his own free will, he is an animal; and as regards his figure and stature, he is like the figure engraved on the wall; but his distinguishing characteristic is his experiential knowledge of the real nature of things. Whoever makes use of all of his organs and powers in such a way as to seek their aid in attaining knowledge and work, becomes like the angels and is worthy to be joined to them, and deserves to be called an angel and a lord-adherent (Rabbani), or an honourable angel as stated by Allah on the tongue of the women who described the Prophet Yusuf: "This is no mortal; this can be no other than an honorable angel." (Yusuf 31).

﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾

But whoever spends his energy in lagging behind bodily pleasures and lusts as do the animals is brought down to the low depth of the brutes. So he becomes ignorant as an ox, glutinous as a pig, greedy as a dog or a tomcat, malevolent as a camel, arrogant as a tiger, or sly as a fox; or he may unite all of these and become a rebellious devil.

There is not a single organ nor a single sense perception but that it may be helpful along the path that leads to Allah, as will be discussed in part in the Book of Thanksgiving. Whoever uses them therein achieves felicity, but whoever turns aside therefrom loses and fails. The totality of man's happiness therein lies in making the meeting with Allah his aim, the abode of hereafter his dwelling place, this present world his temporary stopping place, the body his vehicle, and its members his servants.

So the perceptive part of man dwells in the heart, as a king in the midst of his kingdom. The imaginative faculty whose seat is in the front of the brain acts as the master of his couriers, for the reports of sense perceptions are gathered therein. The faculty of retentive memory, whose seat is the back of the brain, acts as his storekeeper. The tongue is his interpreter and the active members of his body his scribes. The five senses act as his spies, and he makes each one of them responsible in a carte in domain. Thus, he sets the eye over the world of colors, hearing over the world of sounds, smell over the world of odors, and so on for the others. These are the bearers of news which they collect from their different worlds and transmit to the imaginative faculty which is like the master of the couriers. The latter in turn delivers them to the storekeeper, which is memory. The storekeeper sets them forth before the king who selects therefrom what he

needs in managing his kingdom, in completing the journey ahead of him, in overpowering his enemy by whom he is afflicted, and in warding off from himself those who cut off his path.

If the king does that, he is successful, happy, and thankful for the blessings of Allah. But if he neglects all of these things, or uses them for the welfare of his enemies which are appetence and anger, and other swiftly passing pleasures, and in the building of his path instead of his abode, given that this present world is his path through which he must pass, while his own homeland and permanent abode is the hereafter, then he is forsaken, wretched, ungrateful for the blessings of Allah, being one who misuses the armies of Allah and forsakes His path. So he deserves hatred and exile in the day of overturn and return. We seek refuge with Allah from such.

Ka'b Al-Ahbar "Allah be pleased with him" referred to this example which we have set forth when he said: "I visited A'ishah "Allah be pleased with her" and said to her: "Man's eyes are a guide, his ears a funnel, his tongue an interpreter, his hands wings, his feet couriers, and the heart is his king.

If the king enjoys good health, so also will his armies." She said: "Thus, have I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying." In his illustration of man's heart, Ali "Allah be pleased with him", said: "Verily Allah has vessels on His earth, and they are the hearts of men. Those most beloved to Him are the smoothest, the purest, and the most robust." Then he explained: "The most robust in religion, the purest in certainty (of faith), and the smoothest to the brethren." This is a reference to the statement of Allah Almighty: "and those with him (the Prophet) are forceful against the disbelievers, merciful among themselves." (Al-Fath 29)

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴿٢٩﴾ ﴾

And: "Allah is the Light of the heavens and the earth. The example of His light is like a niche within which is a lamp, the lamp is within glass, the glass as if it were a pearly [white] star lit from [the oil of] a blessed olive tree, neither of the east nor of the west, whose oil would almost glow even if untouched by fire." (An-Nur 35)

﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴿٣٥﴾ ﴾

Ubai Ibn Ka'b "Allah be pleased with him" said: "This refers to the light of a faithful believer and his heart." He Almighty further says: "Or [they are] like darknesses within an unfathomable sea which is covered by waves, upon which are waves, over which are clouds - darknesses, some of them upon others. (An-Nur 40)

﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ

﴿أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾

It is an illustration of the heart of the hypocrite. Zaid Ibn Aslam "Allah be pleased with him" said in comment on the statement of Allah: "in a preserved tablet" (Al-Buruj 22)

﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾

"It is the heart of the faithful believer." Sahl said: "The heart and the breast are like the throne and the seat." These then are the examples of the heart.

CHAPTER FIVE

EXPOSITION OF QUALITIES AND SIMILITUDES OF HEART

It should be known that there are four mingled factors which dwell together in man's nature and makeup, and Therefore, four kinds of qualities are combined against him. These are the qualities of the beasts of prey, brutish qualities, devilish qualities, and lordly qualities. In so far as anger rules over him, he is addicted to the deeds of a beast of prey, such as enmity, hatred, and attacking people by beating and cursing them. In so far as appetence rules over him, he is addicted to brutish acts of gluttony, greed, carnal desire, and so on. In so far as there is within his soul something lordly, as Allah says: "The Ruh (the Spirit): it is one of the things, the knowledge of which is only with my Lord, and of knowledge, you (mankind) have been given only a little" (Al-Isra' 85)

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾

He claims lordship for himself and loves mastery, superiority, exclusiveness, and despotism in all things, and to be the sole ruler, and to slip away from the rope of servitude and humility. He longs to study all the sciences, and even he claims for himself science and knowledge and the comprehension of the real nature of things. He rejoices when knowledge is attributed to him, and grieves when accused of ignorance. The comprehension of all realities, and seeking to rule by force over all creatures are among the lordly qualities, for which man is greedy. In so far as he differs from the brutes in having the faculty of discernment, although sharing with them in anger and appetence, he attains to devilish qualities. Thus, he becomes wicked and uses his discernment in the discovery of ways of evil. He seeks to attain his ends by guile, deceit, and cunning, and sets forth evil as though it were good. These are the characteristics of devil.

Every man has within him a mixture of these four qualities, i.e., lordly, devilish, beastly, and brutish; and all of these are gathered together in the heart. So there are gathered inside of a man's, skin, as it were, a pig, a dog, a devil, and a pig. The pig is appetence, for the pig is not dispraised for his color, his shape or appearance, but for his covetousness, his voracity, and his greed. The dog is anger, for the wild beast and the rabid dog are not dog and beast for their appearance or color or shape, but because the spirit and meaning of this bestial

quality is rabidity and enmity. Now within man there is the rabidity and anger of the beast, and the greed and voluptuousness of the pig. Thus, the pig through gluttony invites man to excess and abomination, and the wild beast by means of anger calls him to oppression and harmful acts.

The devil continues to stir up the appetite of the pig and the wrath of the wild beast, and to incite the one by means of the other, and makes their inborn dispositions alluring to them. The sage, who represents the intellect, is in duty bound to ward off the plotting and guile of the devil by disclosing his dissembling, by way of penetrating insight and evident clear illumination; and to destroy the gluttony of this pig by setting the dog over him, for by means of anger he breaks down the assault of appetence. He wards off the rabidity of the dog by setting the pig over him and bringing the dog in subjection under his rule. If he does this successfully, his affairs are set right, equity is manifest in the kingdom of the body, and all goes in the straight path. But if he is unable to overcome them, they overpower him and bring him into servitude, and so he continues to search out crafty tricks and careful plans to satisfy his pig and please his dog. Thus, he is constantly in servitude to a dog or a pig.

This is the condition of the majority of mankind whenever their primary concern is for the belly, sexual indulgence, and vying with the enemy. The strange thing is that he disapproves of idolaters worshipping stones, whereas if the veil were removed and his true state were disclosed and his true condition were disclosed to him as it is disclosed to mystics, either in sleep or when awake, he would see himself standing before a pig, now prostrating himself before him and again kneeling, awaiting his signal and his command: whenever the pig is roused up to seek the satisfying of any of his appetites, the man is sent forth at once to serve him and to bring that for which he lusts. Or else the man would see himself standing before a rabid dog. worshipping him, obeying his demands and requests, and carefully planning schemes to render obedience to him. Thus, he endeavors to please his devil, for it is he who stirs up the pig and arouses the dog and sends them forth to bring the man into subjection. In this way, he worships the devil in his worship of these two.

So every man should first of all watch over times of his activity and inactivity, his silence and his speech, his rising up and his sitting down, and let him meditate them with careful insight, and he will find, if he is just to himself, nothing but an effort all day long to serve these base impulses. This is the peak of oppression for it makes the possessor to be possessed, the lord to be lorded over, the master a slave, and the conqueror to be conquered, for that man forces the mind which is worthy of lordship, conquest and rule to serve these low impulses.

Undoubtedly from obedience to these three, there spring forth unto the heart qualities which are heaped up thereupon so that they become a dirty stain and a rust which is destructive and deadly to the heart. From obedience to the pig of appetence, there result the following characteristics: shamelessness, wickedness, wastefulness, avarice, hypocrisy, defamation, wantonness, nonsense, greed,

covetousness, flattery, envy, rejoicing at another's misfortune, etc. As for obedience to the dog of anger there issue to the heart the qualities of rashness, squandering, haughtiness, boasting, hot temper, pride, conceit, sneering, disregard, despising of creatures, the will to evil, the lust of oppression, etc. In regard to obedience to devil through obedience to appetence and anger, there result from it the qualities of guile, deceit, craftiness, cunning, deception, dissembling, violence, fraud, mischief, obscenity, and such like.

But if the matter is reversed and man overcomes all these, bringing them under the rule of the lordly element within him, then his heart becomes the abode of such lordly qualities as knowledge, wisdom, comprehension of real nature of things, knowledge of things as they really are, subjugation of all by the power of knowledge and insight, and worthiness to excel all creatures because of the completeness and majesty of his knowledge. Then, too, he dispenses with the worship of appetence and anger, and, through holding in check the pig of appetence and placing him back again within his proper limits, he acquires such honorable qualities as chastity, contentment, quietness, abstemiousness, godliness, piety, happiness, goodly aspect, modesty, sagacity, helpfulness, and such like. By holding in check the power of anger and conquering it, and putting it back within its proper limits, man attains the qualities of courage, generosity, gallantry, self-control., patience, gentleness, endurance, pardoning, steadfastness, nobility, valor, majesty, and others.

The heart is as a mirror which is surrounded by these factors which exert their influence upon it. These influences reach the heart in an uninterrupted succession. The praiseworthy influences which we have mentioned increase the clearness, shining, illumination, and brightness of the mirror so that the clear statement of Reality shines therein and there is revealed in it the real nature of thing sought in religion. To such a heart the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" referred in his statement: "Whenever Allah intends good for a man He causes his heart to exhort him." He further said: "The man whose heart is his exhorter has a protector from Allah over him." This is the heart in which there abides the celebration (of the Praises of Allah Almighty). Allah says: "Unquestionably, by the remembrance of Allah hearts are assured." (Ar-Ra'd 28)

﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾

The blameworthy influences are like a darkening smoke which rises up over the mirror of the heart and is heaped up upon it time after time until it becomes black and gloomy and entirely veiled from Allah. This is corrosion and rust. Allah said: "No! Rather, the stain has covered their hearts of that which they were earning." (Al-Mutaffifin 14)

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾

He also said: "if We willed, We could afflict them for their sins? But We seal over their hearts so they do not hear." (Al-A'raf 100)

﴿ لَوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

Here He connected their lack of hearing with sealing over their hearts by sins, even as He connected hearing with godly fear in His statement: "Fear Allah and listen" (Al-Ma'idah 108)

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ﴿١٠٨﴾ ﴾

(And: Fear Allah, for Allah teaches you." (Al-Baqarah 282

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾

Whenever sins are heaped up the heart is sealed, thereupon it is blinded to the perception of reality and the goodness of religion. It scorns the hereafter and magnifies this present world, feeling concern for it alone. So if anything concerning the hereafter and the dangers therein knocks at its ear gate, it goes into one ear and out the other. It does not find an abiding-place in the heart nor stir it to repentance and making amends. These are they who despair of the hereafter just as the infidels despair of those who are in their graves. This is the meaning of the blackening of the heart by sins according to the statement of the Qur'an and the Sunnah.

Maimun Ibn Muhran said: "Whenever a man commits a sin he makes a black spot upon his heart, and whenever he turns away from it and repents, the spot is polished away, and if he returns to sin it increases until it covers the heart." This is rust. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The heart of the believer is stripped clean therein a lamp shines, but the heart of the disbeliever is black and upside down." (This narration is reported by Ahmad and At-Tabarani on the authority of Abu Sa'id). Obedience to Allah by striving against the appetites polishes the heart, but disobedience to Him blackens it. So whoever engages, in acts of disobedience blackens his heart; and whoever does a good deed after he has done an evil one, thereby removes its effect, does not have his heart blackened, but its light decreases. It is like a mirror which is breathed upon and then wiped off, and then breathed upon again and wiped off, causing it to be without cloudiness.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There are four kinds of hearts: a heart which is stripped clean in which a lamp shines and this is the believer's heart; a heart which is black and upside down, and it is the unbeliever's heart; a hardened heart bound in its sheath of evil, and it is the heart of the hypocrite; and a broad heart in which there is both belief and hypocrisy. Its belief is like green herbage which pure water causes to abound, and its hypocrisy is like an ulcer which purulent matter and pus cause to spread. This heart is judged to belong to whichever of the two prevails over the other." (This narration is reported by At-Tabarani and Ahmad on the authority of Abu Sa'id). Allah said: "And if an evil suggestion comes to you from Satan, then seek refuge in Allah. Indeed, He is Hearing and Knowing." (Al-A'raf 200)

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾

Thus, He stated that the clearness of the heart and its perspicacity are attained by the practice of celebration of Allah, and none achieves this except those who fear Him. For the fear of Allah is the door to celebrating Him; celebration is the door to disclosure; and disclosure is the door to the greatest felicity which is the success of meeting Allah.

CHAPTER SIX: EXPOSITION OF SIMILITUDES OF HEART REGARDING SPECIAL SCIENCES

It should be known that the seat of knowledge is the heart, by which I mean the subtle tenuous substance which rules all the parts of the body and is obeyed and served by all its members. In its relationship to the real nature of intelligibles, it is like a mirror in its relationship to the forms of changing appearances. For even as that which changes has a form, and the image of that form is reflected in the mirror and represented therein, so also every intelligible has its specific nature, and this specific nature has a form which is reflected and made manifest in the mirror of the heart. Even as the mirror is one thing, the forms of individuals another, and the representation of their image in the mirror a third, being Thus, three things in all, so here too there are three things: the heart, the specific nature of things, and the representation and presence of these in the heart. The intellect stands for the heart in which there exists the image of the specific nature of things. The intelligible stands for the specific nature of things. Comprehension stands for the representation of the image in the mirror.

As well as the act of grasping, for example, requires that which grasps, such as the hand, that which is grasped, such as the sword, and an act bringing together the sword and the hand by placing the sword in the hand which is called the act of grasping, so also the presence of the image of the intelligible into the heart is called comprehension. The reality was in existence and so also was the heart, but there was no comprehension present, for comprehension stands for the presence of the reality into the heart. Similarly the sword was in existence and so also was the hand, but there was nothing named 'the act of grasping and taking' hold because the sword has not actually come into the hand. It is true that grasping stands for the presence of the sword itself in the hand, while the Intelligible itself does not actually come into the heart. For fire, itself does not actually come into the heart of one who knows fire, but that which is actually present is its definition and real nature which corresponds to its form. So the comparison of the heart with the mirror is more fitting, for man himself is not really present in the mirror, but there is present merely an image which corresponds to him, and Thus, the presence of an image in the heart corresponding to the real nature of the intelligible is called comprehension.

The mirror may not reflect the forms for five reasons: first, because of a defect in its formation, as, for example, a piece of crude iron before it is turned and shaped and polished; second, because of its dirt and rust and dullness, even

though it is perfect in formation; third, because it is turned away from the direction of the object toward something else, as, for example, if the object were behind the mirror; fourth, because of a veil placed between the mirror and the object; and fifth, because of ignorance of the direction of the object desired, so that it is impossible to place it in front of the position and direction of the object.

Likewise, the heart is a mirror ready to have reflected in it the true nature of reality in all things. Hearts are short of knowledge which they lack only because of the following five reasons:

The first reason is an imperfection in its own nature, such as the heart of a child which does not reflect intelligibles because of its imperfection.

The second reason is because of the dullness due to acts of disobedience, and the filth heaped up upon the face of the heart because of many lusts, for these prevent the purity and cleanness of heart. Reality ceases to be manifest therein in proportion to its darkness and the filth heaped up upon it. To this, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" referred in his statement: "When a man commits a sin something of his mind forsakes him and does not return to him again." That is to say, there comes over his heart a dullness whose influence abides forever, even when his purpose is to remove it with a good deed. But if he had done the good deed without the preceding evil deed, then the heart would unquestionably shine more. However, when the evil deed preceded, the value of the good deed was lost, although the heart was restored by it to its state previous to the evil deed, but its light was not increased thereby. This is an evident loss and an inescapable defect. The mirror which has been stained and then wiped off with a polishing cloth is not like that which has been wiped with the polisher to increase its clearness without any previous stain. So undertaking obedience to Allah and opposing the demands of the appetites brighten the heart and purify it. Therefore, Allah Almighty says: "But those who strive in Our Cause We will surely guide them into our ways." (Al-Ankabut 69)

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah causes him who acts upon the best he knows to become the heir of knowledge which he knows not." (This narration is reported by Abu Na'im on the authority of Anas).

The third reason is that the heart may be turned away from the direction of reality which is sought. The heart of the righteous and obedient man, although being bright, might not have the clear statement of reality, for he does not seek reality nor does he have his mirror opposite to the direction of the thing sought. Perhaps all of his attention is taken up by the details of bodily submission or arranging the means of his livelihood, and his thought is not free to contemplate the Lordly Presence and the hidden divine realities. So there is revealed to him only that which he thinks about, whether it is the minute defects of his religious works or the hidden faults of the soul if it is these which

occupy his mind, or the interests of gaining a livelihood if he thinks of them. If limiting one's attention to works and details of acts of obedience prevents the revelation of reality with clarity, what is your estimation of one who spends his energy in the lusts and pleasures of this present world and the things connected therewith? How should true revelation not be veiled from such a man?

The fourth reason is the veil. The obedient man who has overcome his appetites and devoted himself exclusively to a certain specific reality may not have this revealed to him because it is veiled from him by some belief which he had from his early childhood, and he has blindly followed and accepted in good faith. This belief walls him off from the true nature of reality and prevents anything being revealed to his heart in opposition to the strict interpretation of the doctrines which he has blindly accepted. This too is a great veil which overshadows most Muslim scholastic theologians and those who are fanatical followers of juristic schools, if not most righteous men who think upon the dominion of the heavens and the earth; for they are veiled by their blindly followed dogmas which are hardened in their souls and firmly fixed in their hearts, and have become a veil between them and the perception of realities.

The fifth reason is ignorance of the direction from which the knowledge of the thing sought must be obtained. For the novice cannot obtain knowledge of that which is unknown except by recalling the sciences which are related to what he desires. Once he recalls them and arranges them within himself in a special order to which the learned name process of deduction, he will then have found the direction of the thing sought, and its true nature will be clearly revealed to his heart. For the things which are not instinctive that one desires to know cannot be caught save in the net of acquired knowledge; indeed no item of knowledge is acquired except from two preceding items of knowledge which are related and combined in a special way, and from their combination a third item of knowledge is gained. This is like the product of the copulation between a male stallion and a mare. Here even as well as one who wishes to produce a mare cannot do so from donkey, camel, or man, but from a special source, from male and female horses, through a particular way of union, so also every item of knowledge has two special sources and a particular way for their combination, and from this combination there is gained the derived item of knowledge which is sought. Ignorance of these sources and of the manner of combining them is what hinders understanding. An example of this already mentioned is the ignorance of the direction in which the object is.

Another example is that of a man who desires to see his nape in a mirror. If he holds up the mirror in front of his face, he does not have it placed opposite to the position of his nape, which Thus, does not appear in it. If he holds it behind his nape and facing it, he has turned the mirror away from his eyes and so cannot see either the mirror or the reflection of his nape in it, So he needs another mirror to place behind his nape, with the first mirror facing it in such a way that he can see it and he must observe the proper relationship between the placing of

the two mirrors so that the image of his nape is reflected in the mirror opposite to it, and the image of this mirror is reflected in the other mirror which faces the eye. Then the eye perceives the image of his nape. So in the pursuit of knowledge there are strange ways in which there are devious turnings and oblique ways, stranger than those we have mentioned concerning the mirror; and rare indeed upon the face of the earth is he who is guided to the way of clearly seeing through those devious ways.

These are the reasons which prevent the heart from coming to know the real nature of things. Otherwise every heart is constitutionally fitted to come to know realities, for it is a lordly and noble thing, distinctive from other substances in the world by this special property and noble quality, To which it is referred by the statement of Allah Almighty: "Verily we offered the trust to the heavens and the earth and the mountains, and they refused to bear it, and feared it; but man (undertook to) bear it." (Al-Ahzab 72)

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾

This refers to the special characteristic which distinguishes him from the heavens, the earth, and the mountains, by which he is enabled to bear the trust of Allah; This trust is experiential knowledge and monotheism.

The heart of every human being is, in its original constitution, fitted for and capable of bearing this trust, but the reasons which we have mentioned prevent it from carrying this burden and realization of the trust. In this connection, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Every child is born with a natural conformity to the true religion (of Islam), and it is only his parents who make him a Jew, a Christian or a Magian." (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Had it not been for the fact that devils hover over the hearts of the children of Adam they would have been able to see the dominion of Heaven." This is a reference to many of these hindrances which are the veil between the heart and the dominion.

To this also is the reference in the narration on the authority of Ibn Umar "Allah be pleased with him" in which he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked: "O Messenger of Allah! Where is Allah: on earth or in the heaven?" He replied: "In the hearts of His believing creatures." According to a particular narration, Allah said: "Neither My earth nor my heaven could contain me, but the tender and calm heart of my servant." It is further narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked: "Who are the best of men?" He replied: "Every believer whose heart is cleansed." They asked: "What is the cleansed heart?" He answered: "It is the god-fearing pure heart in which there is no fraud, nor inequity, nor treachery, nor rancour, nor envy."

In this context, Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" said: "My

heart saw my Lord when, because of piety, He removed the veil." For if the veil is lifted between oneself and his heart, the visible material world and the dominion of invisible unseen become clearly manifest in his heart, and he sees a Garden the breadth of a part of which is that of the heavens and the earth. Its total expanse is greater than the heavens and the earth, for the heavens and the earth stand for the visible material world, which, although broad in extent and far-reaching in compass, is yet but finite in relation to the whole, But the dominion of invisible unseen is boundless, consisting of those mysteries that are beyond the sight of the eyes and perceived only by insight. It is true that only a part of it appears to the heart, but in itself and in its relation to the knowledge of Allah, it is infinite.

The material world and the unseen dominion taken together under one classification are called the Lordly Presence, for the Lordly presence encompasses all existing things. For there exists nothing except Allah, His Acts and Dominion; and His servants are a part of His Acts. What appears of this to the heart is, according to some, the Garden itself; but according to the people of truth, it is the means of meriting the Garden, and the extent of his possession in the Garden is in proportion to the extent of his knowledge, and the extent to which Allah and His attributes and Acts have been revealed to him. The intent of all of these acts of worship and actions of organs is the purification, improvement and enlightenment of the heart. "Prosperous is he who purifies it." (Ash-Shams 9).

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ ﴾

The purpose of purification is to achieve the Illumination of faith in it; I mean the shining of the light of knowledge (of Allah). That is the point in the statement of Allah Almighty: "Whomsoever Allah wishes to guide, He expands his breast to Islam" (Al-An'am 125)

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۝١٢٥ ﴾

And: "Is he whose breast Allah has expanded for Islam, and who is in light from his Lord "(Az-Zumar 22).

﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۝٢٢ ﴾

This illumination and this faith have three degrees: The first degree is the faith of the laymen which is purely blind imitation. The second is the faith of scholastic theologians which is mingled with a sort of logical reasoning. The third degree is the faith of the Gnostics, which is seeing clearly with the light of certainty (of faith).

We will make this clear to you by an example: your admitting that Zaid, for instance, is in the house has three degrees. The first is that someone has told you, someone whom you have experienced to be truthful and never known to lie and never doubted his word. Your heart by the mere hearing calmly receives his report and is satisfied with it. This is the belief by mere blind acceptance, and of such nature is the faith of the laymen. For when they reached the age of discrimination they heard from their fathers and mothers of the existence of Allah, of His knowledge, will, and power, and the rest of His attributes; also of

the sending of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", his veracity, and his message. They received even as they heard and became established therein and satisfied therewith, and it never occurred to their minds to disagree with what their fathers and mothers and teachers told them because of the high esteem in which they held them. This faith is the efficient cause of salvation in the hereafter, and those who embrace it are in the first (i.e. lowest) ranks of the people of the right hand, but not among those who are drawn near Allah. For this faith has in it no mystical unveiling, nor insight, nor expansion of the breast by the light of certainty, since it is possible for errors to lie in what is heard from individuals, nay indeed from groups, in that which pertains to doctrine. The hearts of Jews and Christians are also satisfied with what they hear from their fathers, only their belief is a mistaken one because an error has been passed on to them. Muslims believe the truth, not because they have studied it, but because the word of truth has been passed on to them.

The second degree of belief is that you hear the words and voice of Zaid from within the house, but from behind, a wall and you deduce from this the fact of his being in the house. Then your belief, your admittance, and your certainty that he is in the house are stronger than your belief through hearsay alone. For if you are told that "He is in the house" and then hear his voice, you become more certain of it, for the voice indicates shape and form to him who hears it on condition of seeing the form. So his heart judges this to be the voice of that person. This is belief mingled with proof. It is also possible for error to follow because one voice might resemble another. Also, pretense is possible by means of imitating the voice. This does not occur to the mind of the hearer, for he had no thought of any such accusation, or that anyone had a purpose in such dissembling and imitation.

The third degree of belief is to enter the house and look at him with your own eyes and see him. This is the real experiential knowledge and sure observation. It is like the knowledge of those who are drawn near Allah and of the sincere lovers of truth, for their belief is based on eyewitness. This belief includes that of laymen and that of scholastic theologians; and they have this very evident additional advantage that leaves no place for the possibility of error. It is true that believers of this class differ in rank according to their attainments in knowledge, and the degrees of unveiling.

An example of the difference in degrees of knowledge is that one man sees Zaid in the house when he is near at hand in the courtyard and while the sun is rising, and so he sees him perfectly; while another sees him in a room, or at a distance, or in the evening, so that his form is sufficiently plain that he can be sure that it is he, but the minute details and hidden features of his form are not made clear to him. The variance in degree in seeing divine things is of this sort. Regarding the difference in the attainment of knowledge, it is as though one sees Zaid, Amr, Bakr, and others in the house, while another sees Zaid only. The knowledge of the former is unquestionably greater than that of the latter because of the abundance of things known.

This is the state of the heart in relation to the sciences; and Allah knows best that which is right.

CHAPTER SEVEN:

EXPOSITION OF CONDITIONS OF HEART REGARDING DIVISIONS OF SCIENCES: INTELLECTUAL AND RELIGIOUS, AND PERTAINING TO THIS WORLD AND THE HEREAFTER

It should be known that the heart is innately predisposed to apprehend the real nature of ideas as has been stated previously. But the knowledge which exist in it is of different kinds: intellectual and Sharia-based. Intellectual knowledge is divided into axiomatic and acquired, Acquired knowledge is divided into that which deals with this present world, and that which deals with the hereafter. By intellectual knowledge, we mean that by which the innate mind makes its judgments and which does not come into existence through blind imitation and instruction. It is divided into axiomatic and acquired. No one knows whence or how the axiomatic is attained, Such is a man's knowledge that one person cannot be in two places at the same time, and that one thing cannot be both created and eternal, existent and non-existent at the same time. For man finds this knowledge to be a natural endowment of his soul from his early childhood, and does not know when or whence he attained it, I mean that he does not know any proximate cause for it. Otherwise, it would not be hidden from him that it is Allah who has created and guided him.

Acquired knowledge is that which is gained by learning and deduction. Both of these are sometimes called intellectual. Ali "Allah be pleased with him" said: "I beheld the intellect as though it were two-fold: innately endowed, and developed through instruction. That which is developed through instruction is of no avail apart from the innately endowed, even as the sun is of no avail apart from a seeing eye." The first of these is referred to in the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Allah certainly has created nothing more honorable to Him than the intellect." The second is referred to in his statement to Ali "Allah be pleased with him": "When men draw near Allah by different kinds of good deeds, you draw near by your intellect." For it is impossible to draw near by innate constitutional endowment, nor by axiomatic knowledge, but by that which is acquired. In Ali's case, he was able to draw near by using his intellect to acquire the knowledge by which close proximity to the Lord of the worlds is bestowed.

The heart is like the eye, and the innate intellect in it is like the potentiality of sight in the eye. The potentiality of sight is a subtlety which is lost in blindness, but present in sight, even though a man may have closed his eyes, or the darkness of night may have enfolded him. The knowledge attained thereby in the heart is like the potentiality of perception of sight in the eye, and seeing of the essence of things. The fact that knowledge is deferred from the eye of the intellect during childhood until the age of discretion and maturity is like the deferment of vision

from the sight until the time when the sun shines with its flood of light upon the objects of sight.

The pen with which Allah has written knowledge upon the pages of the heart is like the disk of the sun. Knowledge is not achieved within the heart of the child before the age of discretion only because the tablet of his heart is not yet prepared to receive the engraving of knowledge. The pen is one of the creations of Allah which He has made a cause for achieving the engraving of knowledge upon the hearts of men. Allah said: "Who taught with the pen, taught man what he did not know." (Al-Qalam 4-5)

﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ﴾

The pen of Allah does not resemble the pen of His creatures, even as His attributes do not resemble the characteristics of His creation. Thus, His pen is not made from a reed nor from a piece of wood, even as He Himself is not made up of substance nor of accident.

So the comparison between the inner insight and the outer vision is valid from these points of view, save that there is no comparison between them in honor. For the inner insight is the very soul itself which is the perceiving subtlety. This is like the horseman, and the horse like his mount; and blindness of the horseman is more dangerous to him than blindness of his mount. Indeed, there is no relation between the one affliction and the other, nor comparison between the inner insight and the outer vision. Allah has called it by its name for He said: "The heart belies not what he saw" (An-Najm 11)

﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝ ﴾

Thus, calling the perception of mind "vision". Likewise is the statement of Allah Almighty: "Thus, did we show Abraham the dominion of the heavens and the earth" (Al-An'am 75)

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۝ ﴾

In this, He did not mean the outer vision of the eye, for that was not granted exclusively to Abraham that it should be set forth as having been a special favor. Therefore, the non-perception is called blindness. Allah Almighty says: "For it is not their eyes which are blind but blind are the hearts which are within their breasts." (Al-Hajj 46)

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ۝ ﴾

He further says: "But he who in this life is blind shall be blind in the hereafter too, and err farther from the way." (Al-Isra' 72)

﴿ وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝ ﴾

This is the exposition of intellectual science.

Now as regards the religious sciences, they are taken by way of acceptance on the authority of the prophets "Peace be upon them". This is acquired by learning the Book of Allah and the Sunnah of the Messenger of Allah "Allah's blessing

and peace be upon him", and understanding their meaning after having heard them. In this is the heart made perfect in quality and safe from illness and disease. For the intellectual sciences, although needed by the heart, are not sufficient for its safety; just as the intellect is not sufficient to maintain the causes of physical health, but needs also to gain the experiential knowledge of the properties of medicines and drugs by learning them from the physicians, since the intellect alone cannot find the knowledge. But after it is heard, it cannot be understood except by means of the intellect. Thus, the intellect cannot dispense with instruction nor can instruction dispense with the intellect.

So he who is a proponent of mere blind imitation and of setting the intellect entirely aside is ignorant; and he, who is satisfied with the intellect alone, without the light of the Qur'an and the Sunnah, is deceived. Take care of not becoming in either of these two groups, but be one who combines both sources. For the intellectual sciences are like foods, and the religious sciences are as medicines. The sick person is harmed by food whenever he neglects the medicine. Thus, the diseases of the heart can be treated by the medicines derived from Sharia, which are the duties of the acts of worship and the works which the prophets set in order for the reformation of hearts. So he who does not treat his sick heart by the use of ritual worship, but is content to use the intellectual sciences alone, is harmed thereby, even as the sick man is harmed by food.

The assumption of those who think that the intellectual sciences are contradictory to the sciences of Sharia and that it is impossible to combine them arises from blindness in the eye of insight. We take refuge with Allah from it. But often such a man finds some of the sciences of Sharia contradictory to others and is unable to combine them; so he supposes that there is a contradiction in our religion and is perplexed thereby, and he withdraws from religion as a hair is withdrawn from dough. This is only because his own impotence has caused him to imagine an inconsistency in our religion. How far that is from the truth. He is indeed like a blind man who entered a house and there stumbled over some of the vessels of the house and said: "What are these vessels doing in the path; why are they not put in their place?" They answered him: "Those vessels are in their place, but you did not find the way because of your blindness. How strange it is of you not to hold the blame of your stumbling on your blindness, but rather to hold blame of it upon the negligence of someone else." This is the relationship between religious and intellectual sciences.

The intellectual sciences are divided into those of the present world and those of the hereafter. Those of this present world are such sciences as medicine, arithmetic, geometry, astronomy, and the other professions and trades. Those of the hereafter are such as the knowledge of the states of the heart, of defects in religious works, and of the knowledge of Allah and His attributes and acts as we have explained in the Book of Knowledge. These are two incompatible kinds of

sciences, by which I mean that whoever devotes himself to one of them and goes deeply into it has his insight into the other fallen short for the most part.

Ali "Allah be pleased with him" has given three parables of this present world and the hereafter. He said: "They are like both scales of balance; and like the East and the West; and like two fellow-wives, for when he makes one content he displeases the other." So you see those, who are wise in the affairs of the present world, in medicine, arithmetic, geometry, and philosophy, are ignorant in the matters of the hereafter. Similarly, those who are wise in the minute details of the sciences of the hereafter are ignorant, for the most part, of the sciences of this present world; for the power of the intellect cannot accomplish the two things together, as a general thing. Thus, one of them prevents the perfection of the other.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Most of the inhabitants of the Garden are simpletons." That is, they are simpletons in the things of this present world. Al-Hassan said: "We saw a group, which if you saw them, you would say that they are mad; and if they saw you, they would say that you are demons." So whenever you hear about a strange thing in the field of religion which people well-versed in the sciences deny, do not let their denial delude you so that you do not accept it; for it is impossible for him who walks the Eastern path to get possession of that which exists in the West. So also is the case with this present world and the hereafter. Allah Almighty says: "Verily those who hope not for our meeting, and are content with the life of this world, and are comforted thereby and feel secure therein and those who are heedless of Our signs, " (Yunus 7)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا
وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾

He further says: "They know the outward appearance of the life of this present world, but of the hereafter they are heedless." (Ar-Rum 7)

﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾

He also says: "But turn aside from him who turns his back upon our warning and desires naught but the life of this present world. This is their sum of knowledge." (An-Najm 29-30)

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴿٣٠﴾ ﴾

So to combine a complete attentive observance of the affairs of this present world and of religion could hardly be available, save to those whom Allah has firmly established for the direction of His servants in their livelihood and their return (to Allah). Such are the prophets who are helped by the Holy Spirit, and receive divine power sufficient for all things, that does not fall short at all. But when the hearts of creatures are given over completely to that which pertains to this present world, they turn aside from the hereafter and fall short of coming to perfection therein.

CHAPTER EIGHT

EXPOSITION OF DIFFERENCE BETWEEN GENERAL INSPIRATION AND LEARNING; AND DIFFERENCE BETWEEN SUFI WAY OF SEEKING THE UNVEILING OF REALITY AND THE WAY OF SPECULATIVE PHILOSOPHERS

It should be known that the sciences which are not axiomatic but which come into the heart at certain times differ in their manner of attainment. Sometimes they come upon the heart as though something were flung into it from a source it knows not. At other times, they are gained through deduction and study. That which is not attained by way of acquisition nor through the cunning of proof is called general inspiration and that which is attained through inference is called reflection and mental perception. Furthermore, that which exists in the heart apart from some expedient or cunning or effort on the part of man is divided into two classes. In the first, the man is not aware how he achieved it, and whence it came; in the other he is acquainted with the cause from which he has derived that knowledge, which is the vision of the angel who casts it into his heart. The former is called general inspiration, and breathing into the heart. The latter is called Divine revelation, and it is an exclusive characteristic of the prophets, whereas the former is given only to saints and pure. The preceding kind of science which is gained through deduction is that given to the learned.

The true doctrine is that the heart is predisposed by nature to have the true nature of reality in all things revealed in it. But this is prevented by the intervention of the five aforementioned causes. These are as a veil which hangs down between the mirror of the heart and the Preserved Tablet, which is engraved with all that Allah, has decreed until the day of Judgement. The reflection of the real nature of knowledge from the mirror of the Tablet upon the mirror of the heart is like the reflection of an image from one mirror to another mirror opposite it. The veil between the two mirrors is sometimes removed by the hand and at other times by a gust of wind which moves it. Thus, the winds of divine favor sometimes blow and the veils are drawn aside from the eyes of hearts so that there is reflected in them something of that which is written upon the Preserved Tablet.

Sometimes this takes place during sleep, thereby there is revealed that which will come into being in the future. The veil is completely lifted by death when the covering is withdrawn. At other times, revelation is made during wakefulness and the veil is lifted by a secret favor from Allah, and some of the marvels of knowledge glisten in the heart from behind the curtain of the unseen. This may be like a dazzling flash of lightning, or it may be continuous up to a certain point, but its continuance is most rare. Revelation then does not differ from acquiring as regards the knowledge itself, its seat, and its cause, but it differs only in the removal of the veil, for this is beyond man's will. General inspiration does not differ from Divine revelation in any of these respects, but only in the matter of seeing angel who imparts the knowledge; for our hearts attain knowledge only by

means of angels. To this Allah Almighty refers in His statement: "It is not fitting for any mortal that Allah should speak to him, except by inspiration, or from behind a veil, or by sending a messenger who reveals, by His permission, what He pleases." (Ash-Shura 51).

﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ
أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾

If you have come to know this, know also that the inclination of the Sufis is toward the knowledge gained through inspiration, and not to that gained through instruction. Therefore, they do not covet the study of knowledge, nor the acquiring of that which authors have composed, nor discussion about the statement of doctrines and proofs which have been mentioned. But they say: "The way of knowledge is to put foremost self-mortification, to abolish blameworthy traits, to cut all ties, and to advance toward Allah with utmost concern." Whenever this takes place, Allah becomes the ruler over the heart of His creature and the surety for its illumination with the light of knowledge. When Allah becomes the ruler of the heart He floods it with mercy and sheds His light upon it, and the breast is opened and there is revealed to it the mysteries of the unseen, and by a gift of mercy there is cleared away from the surface of the heart the veil of deceit which blinds its eye, and there shines in it the real nature of divine things.

The novice has only to make himself ready by a thorough purifying, by summoning intention along with a sincere desire, by utter longing, and by watching with constant expectation for the mercy which Allah may grant him. Prophets and saints had divine things revealed to them, and the light flooded their breasts, not by learning and study of books, but by their approach of asceticism in this present world, by cutting their own selves off from all of its ties, by disengaging the heart of all of its affairs, and by advancing with the utmost concern toward Allah; for, whoever belongs to Allah, Allah belongs to him. The Sufis assert that the way to this is, first of all, by cutting off all ties with this present world and by disengaging the heart of them, by taking away concern for family, possessions, children, native land, knowledge, rule, and rank.

Nay, rather, he must bring his heart into that state in which the existence and non-existence of all these are the same. Then he must withdraw alone and remain in privacy in a special place apart and limit himself to the prescribed religious duties and supererogatory prayers. He must sit with empty heart and concentrated purpose. He must not divide his thought by reciting the Qur'an, nor the contemplation of its exegesis, nor by books of tradition, nor anything else. But he must strive that nothing save Allah shall come into his mind.

Then after he has seated himself in a place apart, he shall keep saying continuously with his tongue, "Allah, Allah," and his heart shall be fixed on it too, until he comes finally to a state in which the motion of the tongue will end and it will seem as though the word is flowing over his tongue. He must continue

patiently in that until every trace of the word is effaced from the tongue and he finds his heart persevering in that devotional exercise. Still he shall persevere until the form and letters of the expression and the very appearance of the word is effaced from the heart and there remains present in it naught save the ideal meaning which is, as it were, adhering to and inseparable from the heart.

It is up to him to choose to attain this point or to prolong this condition by warding off the suggestions of Satan. But it is beyond his choice to procure Allah's gift of mercy. By what he has done Thus, far he has exposed himself to the breezes of Allah's mercy, and it only remains for him to wait for such mercy which Allah may grant to him, even as He gave His mercy to the prophets and saints. Upon doing this, if his desire is sincere, his intention pure, and his perseverance good, and if his lusts do not draw him aside nor the suggestions of the self engross him with the ties of this present world, there will shine forth the gleams of reality into his heart. In its beginning, this will be like a swift flash of lightning. It is not continuous but it returns, although it may delay. If it returns it may continue, and it may be but a flash. If it continues, it may be for a longer or shorter time. These different types may appear, one succeeding the other, or they may be limited to one sort only. The stages of the saints of Allah in this are unlimited, even as the superiority of their nature and moral characteristics is beyond limitation. So this way goes back to an absolute purifying and clarifying and brightening of the heart on your part, and then only to make ready and wait in expectation.

The speculative theologians and those whose opinions deserve consideration have not denied the existence of this way, that it is a possibility, and that it does, in rare instances, lead to the desired end. Indeed this way has been that of most prophets and saints. But they consider it a difficult way, and think it slow in bringing results, and feel that the fulfilling of all of its conditions is very improbable. They claim that to blot out all ties to this extent is practically impossible. If it does happen for a moment, its continuation is even more difficult, since the slightest evil prompting or involuntary suggestion disturbs the heart. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The heart of the believer is more unsteady than a cooking vessel as it boils." (This narration is reported by both Al-Hakim and Ahmad on the authority of Al-Miqdad Ibn Al-Aswad). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The heart of the believer is between two of the fingers of (Allah) Most Merciful." (This narration is reported by Muslim on the authority of Ibn Umar)

During such strenuous effort, the physical constitution may be disordered, the intellect confused, and the body diseased. If progress in the discipline and improvement of the soul is not made by means of the realities of the sciences, then the heart is ensnared with corrupt images which the soul trusts for a long time before they come to an end; and one may live out his appointed time without success. Many Sufis has traveled this way and still has continued to hold a certain fancy for twenty years, whereas if he had studied science thoroughly

beforehand, the point of confusion in his fancy would have been opened up to him at once. So to engage one's self in the path of learning is a surer and easier means of attaining the aim.

They claim that it is as though a man left off the study of jurisprudence, asserting that "the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did not study it, but even he became one who understood the divine law by means of Divine inspiration without any repetition or application, and perhaps discipline of the soul will bring me finally to that goal." Whoever thinks this wrongs himself and wastes his life. Nay rather, he is like one who gives up the way of gain through farming, hoping to chance upon some treasure. The latter is indeed possible, but extremely unlikely. So too in the matter of gaining knowledge.

They say: "It is first of all necessary to attain that which the learned have achieved and to understand what they said. Then after that there is no harm in expectantly waiting for that which has not been disclosed to the other learned men, and it may be that this will be disclosed afterwards through strenuous effort."

CHAPTER NINE: EXPOSITION OF DIFFERENCE IN RANK BETWEEN BOTH POSITIONS BY A TANGIBLE EXAMPLE

It should be known that the wonders of the heart are beyond the realm of perceptibles of senses, for the heart is also beyond sense perception. The understandings are too weak to grasp, except by means of a tangible example, to put to sense that which is not perceived through the senses. So we shall explain this to people of weak understanding by means of two examples.

For the first illustration let us suppose a reservoir dug in the earth, into which the water can be conducted from the surface above through streams which empty into it. The bed of the reservoir may also be dug up and the dirt removed from it until the fountain of pure water is reached, and then the water bursts forth from the bottom of the reservoir. This water is purer and more constant, and perhaps more copious and abundant. The heart than is like the reservoir and knowledge like the water. The five external senses are like the streams. Knowledge may possibly be conducted to the heart by means of the streams of the senses and the consideration of things observed until it is Thus, filled with knowledge. It is also possible to stop up these streams from it by solitude and retirement and averting the eyes from seeing, and then to resolve in the depth of the heart upon purifying it and taking away from it the layers of coverings until the fountain of knowledge bursts forth from within it. But you might say: "How can knowledge burst forth from the heart itself while it is destitute of it?" Know that this is one of the wonders of the heart's mysteries. It is not permissible to deal with it in the science of practical religion.

What can be mentioned is that the real natures of things are written down in the Preserved Tablet, and indeed in the hearts of the angels who are brought near (Allah). For just as an architect draws plans for buildings on blank paper and then

brings them into actuality in accordance with that archetype; Thus, the Creator of the heavens and the earth wrote an archetype of the world from beginning to end upon the Preserved Tablet, and then brought it into actuality in accordance with that archetype. From the world which has been brought into actuality in the image of the archetype there is transmitted to the external senses and retentive imagination still another image. For whoever looks at the sky and the earth and then closes his eyes, sees in his imagination the image of the sky and the earth, so that it is as though he were looking at them; and were the sky and the earth annihilated and he himself survived, he would find within himself the image of the sky and the earth as though he were beholding them and looking at them, Then from his imagination an effect is transmitted to the heart, so that there is represented in it the real natures of things which have entered into sensation and imagination.

The representation in the heart corresponds to the world which is represented in the imagination, which in its turn corresponds to the world as it exists in itself external to the imagination and heart of man. This existing world corresponds to the archetype existing in the Preserved Tablet. Thus, the world has four degrees of existence. There is existence in the Preserved Tablet which is prior to its corporeal existence. Sequel to it is its real existence, which is followed in turn by its imaginative existence; I mean the existence of its image in the imagination. Its imaginative existence is followed by its intellectual existence; I mean the existence of its image within the heart. Some of these orders of being are of spiritual and some of corporeal character. Of the spiritual, some are more spiritualistic in their order of being than others. This is a kindness coming from the divine wisdom; for Allah has made your eyeball in such a way that, in spite of its smallness, there is pictured within it the image of the world, the heavens and the earth, with all their widely spreading extent. Then it goes on from existence in the realm of sensation to existence in the imagination; and from it to existence in the heart. For you can never apprehend anything save that which has reached you; and Had He not placed an image of the whole world within your very being you would have no knowledge of that which is apart from yourself. Glory be to Him who has arranged these wonders in heart and eye, and then blinded heart and eye to the perception of them so that the hearts of the majority of creatures have become ignorant of themselves and their wonders

Let us now go back to the purpose in view and say: It is conceivable that the real nature of the world might be represented in the heart, once from the senses and once from the Preserved Tablet; even as it is conceivable that the image of the sun should be represented in the eye once from looking directly at it and once from looking at the water on which the sun shines which reproduces its image. So whenever the veils are lifted between the heart and the Preserved Tablet, the heart sees the things which are therein, and knowledge bursts forth into it therefrom, so that it does not have to acquire its knowledge through the avenues of the senses. This is like the bursting forth of water from the depth of the earth. Whenever the heart becomes occupied with things in the imagination derived

from sensibles, this veils it from examining the Preserved Tablet, just as when water is preserved in streams thereby it is prevented from bursting forth from the earth; or just as he who looks into the water which reproduces the image of the sun is not looking at the sun itself.

Thus, the heart has two doors. One door opens toward the dominion of the unseen which is the Preserved Tablet and the world of the angels. The other door opens toward the five external senses which lay hold on the visible material world; This visible world also resembles the dominion of the unseen to a certain extent. Now the fact that the door of the heart is opened to the acquisition of knowledge through the senses is a thing you understand. But regarding its door which opens to the dominion of the unseen and the examining of the Preserved Tablet, you have certain knowledge through meditating upon the wonders of visions and the heart's observation in sleep of what will be in the future or what was in the past, without any acquisition on the part of the senses.

That door However is opened only to him who devotes himself exclusively to the remembrance of Allah. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Men of a single thought have taken the lead." He was asked: "Who are they?" He answered: "Those who are infatuated with the remembrance of Allah, for this devotional exercise of theirs has put away from them their load of sin and they come to the resurrection unburdened." Then he described them by relating the statement of Allah: "Then I shall draw near with my face toward them. Do you think about what anyone knows what thing I desire to bestow upon him toward whom I turn my face?" Then He said: "The first thing I give them is that I cast something of my light into their hearts and they give tidings of me even as I give tidings of them." (This narration is reported by Muslim, Al-Hakim, Al-Baihaqi and At-Tabarani on the authority of Abu Hurairah).

The entrance for these tidings is the inner door. So then therein lies the difference between the knowledge of the prophets and saints and that of the learned and the philosophers: the knowledge of the former comes from within the heart through the door which is opened toward the dominion of the unseen, whereas the knowledge of the philosophers comes through the doors of the senses which open to the material world. The wonders of the world of the heart and its wavering between the visible and invisible worlds cannot be fully dealt with in the science of practical religion. But this is an example which will teach you the difference in the place of entrance of the two kinds of knowledge.

The second example will let you know the difference between the two types of work; I mean the work of the learned and that of the saints. The learned work to acquire knowledge itself and gather it into the heart, but the saints among the Sufis labor only to the end of polishing, cleansing, clarifying, and furbishing the heart. It is related that once the Chinese and the Byzantine Greeks vied with one another before a certain king as to the beauty of their workmanship in decorating and painting. So the king decided to give over to them a portico so that the Chinese might decorate one side of it and the Byzantine Greeks the other side

and to let a curtain hang down between them so as to prevent each group from looking at the other. And he did so. The Byzantines brought with them numerous strange colors, but the Chinese entered without any color at all and began to polish their side and to furbish it. When the Byzantines had finished the Chinese claimed that they had finished also. The king was astonished at their statement and the way in which they had finished the decorating without any color at all. So they were asked: "How have you finished the work without any color?" They replied: "You have nothing to do with us; just lift the veil." So they lifted it, and behold on their side there shone forth the wonders of the Byzantine skill with added illumination and dazzling brilliance, since that side had become like unto a polished mirror by virtue of much furbishing. Thus, the beauty of their side was increased by its added clearness. The care of the saints about cleansing, polishing, purifying, and clarifying the heart until the true nature of reality shines forth clearly therein with utmost illumination is like the work of the Chinese. The care of the learned and the philosophers about acquiring and adorning knowledge, and the representation of this adornment in the heart is like the work of the Byzantines.

But, whatever it might be, the heart of the believer never dies, nor is its knowledge erased at death nor its clearness beclouded. To this Al-Hassan referred in his saying: "Dust will not consume the seat of faith." This knowledge is a means of access that draws one near to Allah, But what the heart has attained of knowledge itself, or what it has attained of purity and capacity to receive what knowledge writes upon the heart, does not enable it to dispense with more knowledge. There is no happiness for anyone apart from learning mystical knowledge, and some degrees of happiness are more noble than others, just as there is no wealth without money. For he who has a dirham is wealthy and he who has storehouses crammed full is wealthy. The difference between degrees of the happy is in accordance with their difference in mystical knowledge and faith, just as the difference between degrees of men of wealth is in accordance with the scarcity or abundance of their money.

The varieties of mystical knowledge are lights, and believers do not run to meet Allah save by their lights. Allah Almighty says: "On the Day you see the believing men and believing women, their light proceeding before them and on their right, [it will be said],"Your good tidings today are [of] gardens beneath which rivers flow, wherein you will abide eternally." That is what the great attainment is." (Al-Hadid 12)

﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴿١٢﴾ ﴾

It is narrated that "Some of them are given light as much as a mountain and some smaller...and so on until the last of them will be a man who is given a light on his big toe, which sometimes shines and sometimes goes out. Whenever it shines, he puts his foot forward and walks, and when it goes out, he stands still.

Their crossing the bridge (that is over the Hell) is in accordance with their light. Some of them cross within the twinkling of an eye, some as quick as a flash of lightning, some as the passing of a cloud, some as a falling star, and some as a charging horse. He who is given a light on his big toe crawls prone on his face, hands and feet. When one hand slips off, he holds on with the other, and when one foot slips off, he holds on with the other. The fire reaches his sides, but he keeps on In this way, until he is saved." (This is reported by At-Tabarani and Al-Hakim on the authority of Ibn Mas'ud).

Thus, the distinction in the faith of men seems evident, and if the faith of Abu Bakr "Allah be pleased with him" is to be placed on one scale of the balance, and on the other scale that of all men except prophets and messengers, it shall overweigh. This resembles the statement of him who said:" Were the light of the sun to be placed in the one scale of balance against that of all lamps it would preponderate." For the light of the faith of individuals among the laymen is like the light of a lamp, and with some it is as the light of a candle. But the light of the faith of the righteous is like that of the moon and stars, and the faith of the prophets is as the light of the sun.

Just as the form of the entire horizon with all its broad expanse is revealed in the light of the sun, while only a narrow corner of the house is revealed in the light of a lamp, Thus, also is there a distinction in the expansion of the breast by mystical knowledge, and in the disclosure of the breadth of the dominion of the unseen to the mystics. It is narrated that "On the day of resurrection the command will be given: 'Bring out from the fire whoever has as little faith as a weight, half a weight, a quarter of a weight, or even a grain of parley, or an atom'." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Abu Sa'id). All of this goes to show the distinction in the degrees of faith, and that these quantities of faith do not prevent entering the fire. It is also understood from this that whoever has more than a weight of faith will not enter the fire. For were he to enter orders would be given for bringing him out first of all. Again, whoever has an atom's weight of faith in his heart does not deserve to abide forever in the fire even though he would enter it.

Similarly, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There is nothing better than a thousand like it except a believing man", (this narration is reported by At-Tabarani on the authority of Salman) referring to the superiority of the heart of a believing mystic, for it is better than a thousand hearts of the common folk. Allah Almighty says: "You shall be the highest if you but be believers." (Al Imran 139)

﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾

He Thus, gives preference to believers over Muslims. The one referred to is the believing mystic and not the blind imitator. Allah Almighty says: "Allah will raise all you who believe, as well as those who are given knowledge, many degrees." (Al-Mujadilah 11).

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ﴾

By 'those who believe' here He means those who give trust apart from learning, Thus, distinguishing them from 'those who are given knowledge. This indicates that the word 'believer' is applied to the blind imitator even though his giving trust does not result from insight nor mystical revelation. In his comment on the statement of Allah: "Allah will raise all you who believe, as well as those who are given knowledge, many degrees" (Al-Mujadilah 11)

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ﴾

Ibn Abbas "Allah be pleased with both" said: "The learned man is exalted above the believer by seven hundred degrees, between each two of which there is a distance equal to that between heaven and earth." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Most of the people of the Garden are simpletons, but the seventh Heaven is for men of understanding." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The learned man is as far superior to the layman as I am superior to the least man of my Companions" or, according to another version "as the full moon is superior to the rest of the stars." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Abu Umamah). These evidences make it clear that the distinction in rank among the people of the Garden is in accordance with the distinction in their hearts and their mystical knowledge. For this reason, the day of resurrection will be a day of mutual gain and loss, since he who is deprived of the mercy of Allah will be a great loser and suffer a severe failure. For he who is Thus, deprived will see high ranks above his own station, and he will look forward to them in the same way that a rich man who owns ten Dirhams looks forward to the rich man who owns the earth from East to West. Each of them is rich, but how great is the difference between both. So how great loser has he been who has lost his fortune (of the favor of Allah):" In the hereafter are greater degrees and greater preference." (Al-Isra' 21)

﴿ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾

CHAPTER TEN:

EXPOSITION OF TESTIMONY OF DIVINE LAW TO VALIDITY OF METHOD OF MYSTICS IN GAINING EXPERIENTIAL KNOWLEDGE, NOT THROUGH INSTRUCTION NOR BY THE ORDINARY WAY

It should be known that whosoever has had even a small thing revealed to him through inspiration, and brought into his heart from whence he knows not, has learnt by experience the validity of this way. He who has never apprehended this must nevertheless believe in it, for the rank of mystical knowledge therein is very rarely attained. It is attested by proof texts from Divine law, experiences, and stories.

In regard to the proof texts of Divine law, a mention may be made of His

statement: "And those who strive for Us - We will surely guide them to Our ways. And indeed, Allah is with the doers of good." (Al-Ankabut 69)

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾

All wisdom that appears in the heart through regular steadfastness in worship apart from instruction comes by way of mystical disclosure and inspiration. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah causes him who acts upon what he knows to inherit the knowledge of that which he knows not, and aids him in what he does so that he comes to deserve the Garden. But he who does not act upon what he knows goes astray in that which he knows, and is not aided in what he does so that he comes to deserve the fire." Allah Almighty says: "And whoever fears Allah, to him will He grant a way out (from all difficulties and doubts), and will provide for him from whence he reckons not" (At-Talaq 2)

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿٣﴾ ﴾

I.e. 'He will cause Him to know without instruction and to be sagacious without experiment.' Allah further says: "O you who believe! If you fear, Allah He will make for you a criterion "(Al-Anfal 29)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴿٢٩﴾ ﴾

I.e. light thereby to distinguish reality from falsehood, and one finds a way out of uncertainties.

Therefore, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to invoke much for light. He said (by way of supplication): "O Allah! Give me light and increase light unto me; grant me light in my heart, light in my grave, and light in my hearing, light in my sight..." until He said: "(and light) in my hair, my skin, my blood, my flesh, and my bones." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Ibn Abbas). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked about the significance of the statement of Allah: "Is he whose breast Allah has expanded for Islam, and who is in light from his Lord "(Az-Zumar 22)

﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴿٢٢﴾ ﴾

Thereupon He replied: "Expanding (of the breast) is enlarging, for, when the light is cast into the heart, the chest is enlarged and expanded for it." (This narration is reported on the authority of Ibn Mas'ud). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said to Ibn Abbas "Allah be pleased with both": "O Allah! give him religious understanding and teach him interpretation." Ali "Allah be pleased with him" said: "We have nothing which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" divulged to us save that Allah gives a servant understanding in His book." This was not by instruction.

In his comment on the following statement of Allah Almighty: "He brings wisdom unto whom He wills" (Al-Baqarah 272)

﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾

It is said that 'wisdom is understanding in the Book of Allah. Allah says: "And this we gave Solomon to understand" (Al-Anbiya 79)

﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ﴾

Referring especially to what was revealed to him under the name of standing. Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" used to say: "The believer sees with the light of Allah from behind a thin veil." And by Allah, that is the truth; Allah casts it into their hearts and makes it to move upon their tongues. One of the righteous predecessors said: "The estimation of the believer is divination." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Beware of the natural insight of the believer, for he sees with the light of Allah." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Abu Sa'id). It is to this that the following statements of Allah Almighty refers: "Verily, in that there are signs for those who read them aright" (Al-Hijr 75)

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾

And: "We have made manifest the signs unto a people that are sure." (Al-Baqarah 118)

﴿ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

Al-Hassan related a tradition from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", in which he said: "Knowledge is of two kinds: one of them is the esoteric knowledge within the heart and it is the profitable knowledge." One of the learned was asked about that esoteric knowledge, and he replied: "It is one of the secrets of Allah which He casts into the hearts of His beloved, and with which He has acquainted no angel nor human being." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily there are from among my nation those communicated with, instructors and (Divinely) inspired, and Umar is one of them." (This narration is reported by Al-Bukhari on the authority of Abu Hurairah; and Muslim on the authority of A'ishah). Ibn Abbas "Allah be pleased with both" recited: "We have not sent any Messenger before you" (Al-Anbiya 25)

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ ﴾

Nor any prophet, nor anyone to be communicated with, i.e. trustworthy. The (Divinely) inspired is he in whose heart an unveiling has been made from within, and not from the direction of external sensibles.

The Qur'an states that god-fearingness is a key to right guidance and mystical revelation, and it is knowledge without instruction. Allah says: "And in what Allah has created in the heavens and the earth are signs unto a people who do fear." (Yunus 6)

﴿ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾

He Thus, makes it particular to them. He further says: "This is an explanation unto men, and a guidance and a warning to those who fear." (Al Imran 138)

﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

Abu Yazid and others used to say: "The learned man is not he who learns something by heart out of a book, for if he forgets what he has memorized he becomes ignorant, but the learned man is he who takes his knowledge directly from his Lord whenever he wishes without any memorizing or study." Such a man is a Divine learned, and to him it is referred in the statement of Allah Almighty: "We taught him knowledge from our presence." (Al-Kahf 65)

﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾

Although all knowledge is from His presence, yet some of it come through the means used in teaching mankind, and this is not called Divine knowledge. This latter however, is the knowledge which is opened in the secret of the heart without any usual means from without. These are the traditional evidences, and were all of the existing evidences of this sort to be gathered together including verses, traditions, and recorded sayings, it would be boundless.

The witness of experience to this is also boundless. This appears from the Companions, the Followers, and those who came after them. Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" said to A'ishah "Allah be pleased with her" just before his death: "They are but your two brothers and two sisters." At that time, his wife was pregnant and later she bore a daughter, and he knew before her birth that she was a girl. Umar "Allah be pleased with him" said during his sermon on Friday: "O Sariyah! (Take shelter to) the mountain"; since it had been disclosed to him that the enemy was upon them. Learnt about that, he warned them. The fact that his voice reached them was one of the many miraculous gifts of the saints.

Anas Ibn Malik "Allah be pleased with him" said: "I entered upon Uthman "Allah be pleased with him" and on my way there I had come across a woman and looked at her out of the corner of my eye and reflected on her charms. As I entered, Uthman "Allah be pleased with him" said: "One of you comes upon me with the traces of adultery visible in his eyes. Do you not know that the adultery of the eye is the look? So repent or I shall punish you." I said: "Is there Divine revelation after the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"?" He replied: "No, but mental perception, inference, and true natural insight.""

Abu Sa'id Al-Kharraz said: "I entered the sacred mosque and saw a poor man wearing two tattered cloaks and said to myself: 'This man and his like are a burden upon mankind.' He called me to him and said: "Allah knows what is in your hearts, so beware of Him." (Al-Baqarah 235)

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾

Then I asked for forgiveness of Allah secretly, at which he again called me and said: "He it is who accepts repentance from His servants." (At-Tawbah 106)

﴿ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾

Then he disappeared from me and I did not see him again."

Zakariyya Ibn Dawud said that Abu Al-Abbas Ibn Masruq went to see Abu Al-Fadl Al-Hashimi when he was sick; and at that time, he had children but was without known means of livelihood. Abu Al-Abbas said: "When I got up I said to myself: "How does this man get earnings to eat from?" But he shouted at me: 'O Abu Al-Abbas put away this sordid anxiety, for Allah has hidden kindnesses.'"

Ahmad An-Naqib said: "I went to Ash-Shibli who said: 'Tried be you O Ahmad.' I said: 'What do you mean?' He said: 'As I was sitting there came over me the thought that you are niggard.' I said: 'I an not niggard.' But my thought continued to reproach me saying: 'but you are niggard.' So I said: 'Whatever the day brings to me, I shall give to the first poor man who meets me.' No sooner had I finished the thought than there came to me a courier of Mu'nis Al-Khadim who brought fifty Dinars and said: 'Use this for your own expenses.' When he said so, I rose up and took it and went out, and behold, a poor blind man was sitting in front of a barber who was shaving his head. So I approached him and gave him the Dinars. He said: 'Give them to the barber.' I said: 'But their sum is such and such.' He replied: 'Have we not told you that you are niggard?' When he said this I gave them to the barber, who said: 'When this poor man sat down before me I agreed that I should take no fee from him,' So I threw them into the Tigris and said: 'No one magnifies you but Allah Almighty humbles him.'"

Hamzah Ibn Abdullah Al-Alawi said: "I went to Abu Al-Khair An-Ninani, with the intention in my heart to greet him but not eat food in his house. After I left his house, he soon caught up with me, carrying a plate of food. He said: 'Eat, O young man, for you have now passed out from the limits of your former resolution.'" This man Abu Al-Khair An-Ninani was famous for his miraculous gifts. Ibrahim Ar-Raqqi said: "I went to see him to greet him, but I arrived at the time of Maghrib prayer, and he had not recited Al-Fatihah correctly. So I said to myself that my journey was in vain. When he finished I went outside to perform ablution and a lion attacked me, so I went back to Abu Al-Khair and told him that a lion had attacked me. Then he went and shouted at it: 'Had I not told you not to attack my guests?' Thereupon the lion turned aside and I performed ablution. When I returned he said to me: 'You have labored to make right the external act and were afraid of the lion, while we have labored to make right the internal act and the lion was afraid of us.'"

The stories of the natural insights of Sheikhs and of the way they were able to tell the thoughts and intents of men are beyond calculation. Indeed, the stories told of their seeing Al-Khadir "Peace be upon him" and asking him questions, of hearing the voice of an unseen speaker, and of various kinds of miraculous gifts are numerous. A story is of no value to him who denies as long as he does not see it with his own eyes, and he who denies the basic idea denies also the details.

The absolute proof which no one can deny consists of two things. One of

them is in the wonders of true vision, for by it the unknown is unveiled. If this is permissible in sleep, it is also not impossible during wakefulness; for sleep does not differ from wakefulness save in the fact that the senses become still and disengaged from the things perceived by them. How many a waking man is there so deep in thought that he neither hears nor sees because of his preoccupation with himself.

The second is that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was able to speak accurately about the unknown and things in the future, as is set forth in the Qur'an. If that is permissible in the case of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" it is also permissible for others. For the prophet is merely a person to whom the true nature of things has been disclosed, and who worked for the reformation of mankind. So it is not impossible that there should exist a person to whom the true nature of things might be disclosed, but who does not work for the reformation of mankind. Such a man is not called a prophet, but a saint.

So whoever believes in the prophets and considers true vision as trustworthy must unquestionably assert that the heart has two doors: a door to the outer world which is the external senses; and a door to the dominion of the unseen within the heart, which is the door of both general and prophetic inspiration and breathing into the heart. If he asserts his belief in both of these, he cannot limit knowledge to what is gained by learning and the ordinary direct methods, but striving is also another way for him. This illustrates the fact which we have mentioned of the strange swaying of the heart between the material world and the dominion of the unseen.

As for the cause that lies behind the unveiling of a thing in sleep by means of an example which needs interpretation, and likewise the appearance of angels to prophets and saints in different forms, these are among the secrets of the wonders of the heart, the knowledge of which befits not but the science of disclosure. So let us limit ourselves to what we have mentioned, for it is sufficient to stir up to striving and to seeking unveiling therein.

One of those to whom secrets are unveiled said: "There appeared unto me an angel who asked me to dictate to him something of my hidden celebration of the Oneness of Allah. He said: "What deed shall we write down to your account? We wish to take up (to Allah) for you a deed by which you shall draw near to Allah." I said: "Do you not write down the practice of the obligatory duties?" They answered: "Surely." I said: "That will suffice you." This is an indication that the noble recording angels are not acquainted with the secrets of the heart, but only with deeds which are manifest.

One of the mystics said: "I asked one of the Substitutes (Abdal) concerning the perception of certitude, and He turned to his left and said: "What do you say, Allah's mercy be upon you?" Then he turned to his right and said: "What do you say?" Then he smote upon his breast and said: "What do you say?" Thereupon he answered me with the strangest reply I have ever heard. So I asked him about his turning and he replied: "I did not have any ready answer in that matter; so I asked

the angel on the left and he said: 'I do not know'; then I asked the angel on the right who is more learned than he, and he also said: 'I do not know'; then I looked into my heart and asked it, and it told me the answer which I gave you, so Therefore, it is more learned than both of them." This is the meaning of statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Verily there are in my nation such as inspired, and Umar is one of them."

According to a certain tradition, Allah says: "Whenever I examine the heart of a man and find persistent remembrance of me preponderant therein, I assume control over him and become his companion; I converse with him and become his familiar friend." Abu Sulaiman Ad-Darani said: "The heart is like a pavilion pitched, around which are closed doors, and whatever door is opened into it influences on it." So it appears that one of the doors of the heart is opened toward the dominion of the unseen and the highest assembly (of angels). This door is opened by means of striving, scrupulous abstinence, and shunning the lusts of this present world.

For this reason, Umar "Allah be pleased with him" wrote to the commanders of the troops: "Memorize what you hear from those who are obedient (to Allah) for they have revelations which are true." One of the learned said: "The Hand of Allah is on the mouth of sages, and they only speak of that reality which Allah has prepared for them." Another said: "You can say, if you will, that Allah acquaints the submissive humble with some of His mysteries."

CHAPTER ELEVEN

EXPOSITION OF DOMINATION OF SATAN OVER HEART THROUGH PROMPTING EVIL SUGGESTIONS; MEANING OF SUCH EVIL SUGGESTIONS; AND MEANS OF OVERCOMING THEM

It should be known that the heart, as we have mentioned, is like a pavilion pitched, to which there are doors and their influences and resultant effects pour into it from each door. It is also like a target into which arrows are shot from every direction. Or it is like a mirror which is set up, across which there pass various different images; so there appears in it one image after another, one (the current) image being always present. Or it is like a basin into which different streams of water empty from channels opening into it.

The entrances of these influences which are constantly being renewed in the heart are either from without i.e. the five external senses; or from within i.e. imagination, appetence, anger, and characteristics which are made up of the temperament of man. For if, he apprehends a thing by means of senses it has an effect upon the heart. Likewise when lust is aroused, caused, for example, by vigorous eating and a strong constitution, it leaves its trace on the heart. Even if the effect upon senses ceases, there remain the imaginative images which have been formed in the soul. The imagination shifts from one thing to another, and in accordance with the shifting of the imagination, the heart shifts from one state to another. We mean that the heart is constantly in a state of change and of being

influenced by these causes. The most important of these influences which come into the heart are involuntary thoughts. By involuntary thoughts, I mean the ideas and recollections which take place therein. By these, I mean its perceptions of knowledge, either by way of renewal or recollection; for these are called involuntary thoughts since they occur to the mind while the heart has been unmindful of them.

These involuntary thoughts are motives of wills. Intention, resolution, and will are all unquestionably subsequent to the thought of the thing intended to the mind. Thus, the basis of action is involuntary thoughts. Then the thought stirs up desire; desire stirs up resolution; resolution stirs up intention; and intention stirs up the members of the body. The involuntary thoughts which stir up desire are of two kinds: that which leads to evil, I mean that which has a harmful result; and that which leads to good, I mean that which is profitable in the hereafter. These are two different kinds of thought and need two different names. The praiseworthy thought is called inspiration, and the blameworthy thought, I mean that which leads to evil, is called evil suggestions.

Moreover, it should be known to you that these thoughts is a created occurrence, and every created occurrence must have a creator. Whenever the created occurrences differ, this refers to a difference in their causes. This is what is known from the Sunnah of Allah regarding the relationship between effects and causes. Whenever the walls of a house are lighted by the light of the fire and its ceiling is blackened by the smoke, you know that the cause of the blackening differs from that of the lighting. Similarly, the light of the heart and its darkness have two distinct causes. The cause of the thought which leads to good is called an angel, and the cause of the thought which leads to evil is called Satan. The divine favor by which the heart is prepared to receive the inspiration of the angel is called divine succor; while that by which it is prepared to receive evil suggestion of Satan is called deception and disappointment. For these different meanings, need different names.

Angel' stands for a creature whom Allah has created whose business is to bestow benefit, to serve knowledge, to reveal the truth and right, to promise good, and to enjoin good; and Allah has created him and constrained him to do these things.

Satan' stands for a creature whose business is the opposite of all this, to promise evil, to enjoin shameful deeds, to threaten with poverty whenever one intends to do good. Thus, evil suggestion vis-à-vis inspiration; Satan vis-à-vis angel; and divine succor vis-à-vis disappointment. To this is referred in the statement of Allah Almighty: "And of everything have we created pairs." (Adh-Dhariyat 49)

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾

All existing things have opposites, being in pairs, save only Allah who is unique and has none vis-à-vis Him, Indeed He is the One and Only, the Real, the Creator of all these pairs. The heart is strained between Satan and angel. The

Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The heart has two visitations. The one is from the angel and it is a promise of good and belief in the Divine Reality; and whoever finds this let him know that it is from Allah, and let him give praise to Allah. The other visitation is from the enemy and it is a promise of evil, a denial of the Divine Reality, and forbidding of good; and whoever finds it let him take refuge with Allah from Satan the Stoned." Then he recited the statement of Allah Almighty: "Satan threatens you with poverty and orders you to immorality, while Allah promises you forgiveness from Him and bounty. And Allah is all-Encompassing and Knowing." (Al-Baqarah 268)

﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾

Al-Hassan said: "These are but two anxieties which revolve in the heart: an anxiety from Allah, and another from the enemy. Allah has mercy on the creature who pays attention to his own concern, executing that whose source is from Allah and striving against that whose source is from His enemy." In regard to the attraction of the heart toward these two ruling forces, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The heart of the believer is between two of the fingers of (Allah) Most Merciful." Allah is too highly exalted to have a finger made up of flesh, bone, and blood, and divided by joints. But the significance of a finger here refers to swiftness in turning and ability to move and change objects; for you do not want your finger for its own sake, but for what it will do in turning and replacing things, even as you ordinarily do your work with your fingers.

Allah does what He does by subjugating the angel and Satan by His power to turn hearts, even as, for example, your fingers are forced by you to turn objects. The heart in its original innate condition is fitted for receiving the influences of angel and Satan alike, with no preponderance of the one over the other. The preponderance of the one side over the other is, however, brought about either by following whims and giving one's self over to the appetites, or by turning from and opposing them.

When a man follows the dictates of anger and appetence the domination of Satan through desire appears, and the heart becomes the nest and seat of Satan. Desire is the pasture and abundant provision of Satan. But when a man strives against the appetites and does not give them the rule over him, and imitates the moral character of the angels, then his heart becomes the habitation and resting place of angels. Since no heart is devoid of Appetence, anger, miserliness, covetousness, hope of long life, and other similar human qualities which originate in desire, there is no heart in which Satan does not roan about prompting to evil. In connection with this, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There is not one of you but that he has a devil." They asked: "And you, O Messenger of Allah?" He answered: "And I also, save that Allah helped me to gain the victory over him and he became a Muslim and commands only good." (This narration is reported by Muslim on the authority of Ibn Mas'ud). This is because Satan works only through

appetence. So when Allah has given anyone the victory over appetence so that it extends only in proper directions and within proper limits, then appetence does not invite to evil and Satan which is armored thereby commands naught but good. Whenever the thought of this present world predominates in the heart by virtue of the demands of desire, then Satan finds an opportunity and prompts to evil. But when the heart is devoted exclusively to the thought of Allah, Satan leaves it and his field is constrained, and the angel draws near and inspires.

In the battle of the heart, there are constant attacks and counter-attacks between the forces of the angels and Satan until it is conquered by one of them which takes up its residence and abode therein. When the other enters, he takes it by a trick. Most hearts have been conquered and occupied by the forces of Satans, and so filled with evil suggestions which call for the preference of the swiftly passing world and the casting aside of the hereafter. The starting point for their taking possession is the following of the appetites and desire. After this takes place, the heart cannot be reconquered except by emptying it of the Satan's sustenance which is desire and appetites, and building it up by means of remembrance of Allah which is the place of angelic influence.

Jabir Ibn Ubaidah Al-Adawi said: "I complained to Al-'Ala' Ibn Ziyad about the evil suggestions I find in my breast. He said: "This is like a house which thieves pass by; if there is anything in it they take it. otherwise they pass on and leave it." That is to say, Satan does not enter the heart which is devoid of desire. Regarding this Allah Almighty says: "Verily you have no authority over My servants." (Al-Isra' 67)

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴿٦٥﴾ ﴾

But whosoever follows his desire becomes the servant of desire, not a servant of Allah; Therefore, Allah gives Satan power over him. Allah says: "Do you see him who takes his desire as his god?"

That is, his desire is his god and the object of his worship, and so he is a servant of Satan, not a servant of Allah.

Therefore, Amr Ibn Al-As "Allah be pleased with him" said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Messenger of Allah, a devil has kept me from my prayer and reciting (the. Qur'an)." He replied: "That demon is called Khinzib, so whenever you are conscious of his presence seek refuge from him with Allah, and spit thrice to your left." He said: "I did so, and Allah sent him away from me." (This narration is reported by Muslim). According to another tradition there is a devil for ablution called Al-Walhan, so seek refuge from him with Allah. (This narration is reported by both Ibn Majah and At-Tirmidhi on the authority of Ubai Ibn Ka'b). The evil suggestion of Satan is not removed from the heart save by the remembrance of anything other than what he suggests. For if there is suggested to the heart the

thought of anything, what has been in it previously is annihilated. Everything other than Allah and what is connected with Him may possibly become a field for Satan's activity.

The remembrance of Allah is the safe side, for it is known that there is no room for Satan there. A thing is treated only by its opposite, and the opposite of all the evil suggestions of Satan is the remembrance of Allah by seeking refuge with Him and disclaiming strength and power. This is what you mean when you say: "I seek refuge with Allah from Satan the Stoned", and: "There is no strength nor power save in Allah Most High, Almighty." This can be done only by the pious in whom the remembrance of Allah predominates, and Satan only approaches them as a sly trick at the times of their blunders. Allah says: "Indeed, those who fear Allah - when an impulse touches them from Satan, they remember [Him] and at once they have insight." (Al-A'raf 201)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾

In his comment on Allah's statement: "...from the whisperer who slinks off" (114: 4)

﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ﴾

Mujahid said: "He (i.e., Satan) stretches out his authority over the heart; if Allah is remembered he slinks away and crouches down, but if this is carelessly overlooked he stretches out his authority over the heart." The mutual hostility existing between the remembrance of Allah and the evil suggestion of Satan is like the mutual hostility between light and darkness and night and day. Of their mutual opposition, Allah says: "Satan has overcome them and made them forget the remembrance of Allah." (Al-Mujadilah 19)

﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾

Anas "Allah be pleased with him" told that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Satan places his snout on the heart of the son of Adam, If he remembers Allah, Satan slinks away, but if he forgets Allah, Satan gobbles up his heart." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya, Abu Ya'li and Ibn Adi). Ibn Waddah in one of his traditions said: "When a man becomes forty years old without repenting, Satan rubs his hand over the man's face and says: 'By my father it is the face of one who will not succeed.'" Just as the appetites are mingled with the flesh and blood of the son of Adam, so the authority of Satan runs through this flesh and blood and surrounds the heart on all sides. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily Satan runs through the son of Adam just like the circulation of his blood, so make difficult his circulation by means of hunger." For hunger breaks down appetence, and Satan's course is in the appetites. Because the appetites surround the heart on all sides, Allah has revealed the words of Iblis: "I will lie in wait for them in Your straight path; then I will surely come to them from before and behind, on their right hand and on their left." (Al-A'raf 16-17)

﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ﴿١٧﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily Satan lies in wait for the son of Adam in all his ways. He lay in wait in the way of Islam and said: 'Will you become a Muslim and leave your religion and the religion of your fathers?' But he disobeyed him and became a Muslim. Then he lay in wait for him in the path of emigration and said: 'Will you emigrate; will you leave your land and your sky?' But he disobeyed him and emigrated. Then he lay in wait for him in the path of Jihad saying: 'Will you engage in war which is the destruction of self and property, and kill and be killed, and your wives be remarried and your property divided?' But he disobeyed him and took part in Jihad." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever does this and dies, it is incumbent upon Allah to admit him to the Garden." (This narration is reported by An-Nasa'i on the authority of Sabrah Ibn Abu Fakih). Thus, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" mentioned the meaning of evil suggestion, i.e. the thoughts that occur to the mind of the Mujahid that he will be killed and his wives remarried, and similar thoughts which would keep him from Jihad.

These thoughts are known, and so the evil suggestion is known by observation. Every involuntary suggestion has a cause which requires a name to define it, and the name of this cause is Satan. It is not to be imagined that any human being will be released from him. People differ only in the degree of their disobedience or obedience to him. Therefore, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There is no one but that he has a (companion from) Satans."

From this sort of investigation there is made clear the meaning of evil suggestion, inspiration, angel, Satan, divine succor, and disappointment. In addition to this, some have speculated out the essence of Satan: whether he is a refined body, or incorporeal; and how, if he is a body, that which is a body can enter into the body of a man. But this is not now needed in the science of practical religion. He who seeks after this is like the man into whose clothing a female-snake has crawled. What he needs is to remove it and get rid of its harm, but he occupies himself with investigating its color, form, length, and breadth, which is absolute ignorance. The way in which these involuntary evil suggestions strike the soul is known. This indicates undoubtedly that a cause lies behind it. It is known that he who invites to the evil against which warning has been given for the future is an enemy. Undoubtedly, also, man knows through experience who the enemy is, so he ought to busy himself in struggling against him. Allah has made known his enemy in many passages of His Book that men might believe in his existence and guard against him. Allah Almighty said: "Satan is a foe to you, so take him as a foe. But he only calls his party that they may become the companions of the blaze." (Fatir 6)

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾

He further says: "Did I not enjoin on you, O children of Adam, that you should not serve Satan? Verily he is an open enemy to you." (Ya Sin 60)

﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾

So man must work to ward off the enemy from himself, not by asking about his origin, his relationships, and his dwelling place. It is true that he must ask about his weapons so that he may ward them off from himself. The weapons of Satan are desire and the appetites. This is sufficient for the intelligent. But in regard to the knowledge of the quality of his essence, his real nature, and the real nature of the angels, this is the field of the mystics who have penetrated deeply into the science of mystical revelations, and it is not required in the science of practical religion that one should know it. One must indeed know that involuntary suggestions are divided into the following: what is known certainly to invite to evil, which is manifestly evil suggestion; what is known to invite to good, which is undoubtedly inspiration; and what one is uncertain about, for he does not know whether it is from the visitation of the angel or Satan.

Indeed, it is one of the tricks of Satan to set forth evil in the form of good. To make correct distinctions in this matter is a subtle problem and the majority of men perish therein. Satan cannot invite them to open evil, but he portrays evil in the form of good. Thus, he says to the learned in the art of preaching: "Will you not look at mankind dead through ignorance, lost through heedlessness, and about to enter the fire? Do you not have mercy on the creatures of Allah to rescue them from the dangerous places by your counsel and preaching? Allah has blessed you with a perspicacious heart, an eloquent tongue, and an acceptable manner of speaking; so how can you deny the grace of Allah and expose yourself to His wrath by refraining from spreading knowledge abroad and calling mankind unto the straight path?" He continues to confirm this idea within the man's soul and to draw him on by agreeable tricks until he engages in preaching to the people for a time. After that Satan invites him to adorn himself for them, and to affect a more beautiful style of utterance and a show of good, saying to him: "If you do not do this your discourse will make no impression upon their hearts, and they will not be guided to the Truth." Satan keeps on confirming this to him, and at the same time fastening on him unmistakably the stains of hypocrisy, popularity with the crowd, delight in high rank, pride in the power given by many followers and much learning, and a contemptuous attitude toward mankind, Thus, with his advice he leads the poor man gradually to destruction, for he speaks, supposing that his purpose is good, whereas it is actually to attain high rank and popularity. By reason of this he perishes, supposing his position is good in the Sight of Allah, even though he is among those of whom the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, Allah aids this religion by a group for which there is no share of happiness." (This narration is

reported by An-Nasa'i on the authority of Anas). He further said: "Verily, Allah establishes this religion by means of the impious man." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Abu Hurairah).

It is narrated that Iblis appeared to Jesus and said to him: "Say, "There is no god save Allah." He answered: "That is a true word, but I do not say it because of your saying." So, underneath the good, Satan has dissemblings, and his dissemblings of this sort are endless. By them are destroyed learned men, godly worshippers, ascetics, the poor and the rich, and all types of men who hate evident evil, and will not allow themselves to enter into open acts of disobedience. We shall give a summary of the tricks of Satan in the Book of Things that Deceive in the end of this Quarter.

It is our purpose, if time allows to write a special composition on the subject which we shall call 'The Dissembling of Iblis. His dissembling is now spread abroad among lands and peoples, especially among the sects and creeds, so that of good things only a trace remains. All of this is in submission to the dissemblings of Satan and his tricks. So it is the duty of man to pause at every intent which is suggested to him so that he may know whether it is from the visitation of the angel or of Satan, and to ponder over it as he looks into it with true insight, not with the desire of nature. He should not consider it save in the light of piety, insight, and abundant knowledge, as Allah Almighty says: "Indeed, those who fear Allah - when an impulse touches them from Satan, they remember [Him] (i.e. return to the light of knowledge) and at once they have insight (have the ambiguity revealed to them)." (Al-A'raf 201)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾

But he who has not disciplined his soul through godly fear, and whose nature is inclined to submit to the dissembling of Satan through following after desire, makes many mistakes thereby, and his destruction is, though unknown to him, hastened through it. Allah Almighty says about him: "...But there shall appear to them from Allah that which they had not reckoned on." (Az-Zumar 47)

﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

It is said that this refers to deeds which they supposed to be good deeds, and behold they are evil deeds.

The most obscure type of the sciences of practical religion to understand is the deceit of the soul and the will of Satan. This is the individual obligation of every creature, but men have neglected it and busied themselves with sciences which bring evil suggestions to them and give Satan authority over them, and cause them to forget his enmity, and the way to guard against him. Nothing can deliver from an abundance of evil suggestions save closing the doors of the involuntary thoughts. These doors are the five external senses, and the inner doors are the appetites and the affections of this present world. Solitude in a dark house will close the door of the senses, and disentangling one's self from kin and

money lessens the entrances for evil suggestions from within. There remain, however, inner entrances in the imaginings which course in the heart, and these cannot be warded off save by exercising the heart in the remembrance of Allah. But still Satan continues to contend and struggle with the heart, and to divert it from meditating on Allah. So there is no escape from struggling against him, and this struggle has no end but death, since no one, as long as he lives, is safe from Satan.

It is true that one may become strong so that he is not led astray by him, and he may ward off his evil from himself by means of struggle, but he can never dispense with struggle and defense as long as the blood runs through his body. For as long as he is alive, the gates of evil are open to his heart and cannot be closed. They are appetence, anger, envy, covetousness, greed, and others which will be explained later. So whenever the gate is open and the enemy not careless, he cannot be warded off except by watchfulness and struggle.

A man said to Al-Hassan: "O Abu Sa'id! Does Satan sleep?" He smiled and answered: "Were he to sleep we should rest." Therefore, the believer has no escape from him. It is true that he has a way of warding him off and weakening his power. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The believer can trouble his Satan just as anyone of you troubles his camel on his journey." (This narration is reported by Ahmad on the authority of Abu Hurairah). Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" said: "The Satan of the believer is emaciated." Qais Ibn Al-Hajjaj said: "My Satan said to ne: 'When I entered into you I was like a camel fit to be slaughtered, and now I am like a sparrow.' I asked him: 'Why is that?' He answered: 'You cause me to melt away by your remembrance of Allah.'" Thus, it is not impossible for pious people to stop up the doors of Satan and to keep them by being on guard; I mean the obvious doors and the clear paths which lead to overt acts of disobedience. But they stumble in his obscure paths, for they are not clearly guided to them so as to guard them, as we mentioned in "The Deceiving of Learned and Preachers".

The difficulty lies in the fact that the doors to the heart which are opened to Satan are many, while there is but a single door for the angels, and that one door is likely to be confused with all the others, Man before them is like a traveler in a desert of many paths and obscure roads on a dark night, where he can hardly know the way except by the eye of insight or the rising of a shining sun. The eye of insight here is the heart which has been purified by piety; and the shining sun is that abundant knowledge derived from the Book of Allah and the Sunnah of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". By these two, he is rightly guided regarding Satan's obscure ways; otherwise, his paths are many and obscure.

Abdullah Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" said: "the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" one day drew a line for us and said: 'This is the way of Allah.' Then he drew other lines to the right and left of that line and said: 'These are ways on every one of which, there is a Satan inviting

(men) to him.' Then he recited the statement of Allah: "And, [moreover], this is My path, which is straight, so follow it; and do not follow [other] ways, for you will be separated from His way. This has He instructed you that you may become righteous." (Al-An'am 153)

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾

He Thus, referred to those other lines. Thus, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" showed the abundance of Satan's ways.

We have mentioned an example of one of his obscure ways by which he deceives the learned and worshipers who have control over their appetites and abstain from overt acts of disobedience. Let us now mention an example of his plain ways by which it is evident that the son of Adam must pass. This is contained in the following narration attributed to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him".

There was once a monk of the children of Israel. Satan entered into a maid and caused her to have a fit, and put it into the hearts of her folk that she could be cured by the monk. So they brought her to him, but he refused to receive her. They continued asking him until he finally took her in. When she was with him for treatment, Satan came to him and made approaching her seem alluring to him, and he kept on tempting him until he had sexual relation with her and she became pregnant. Then he whispered to him saying: "Now you will be disgraced. Her folk will come to you: so kill her, and if they ask you, tell them that she died." So he killed her and buried her. But Satan went to her folk and whispered to them, and put in their hearts that he had sexual relation with her and made her pregnant, and then killed and buried her. Her folk then came to him and asked him about her and he told them that she had died. They took him to kill him in revenge for her. Then Satan came to him and said: "I am he who caused her to have the fit, and I put the thought in the hearts of her folk. Now obey me and you will be rescued. Prostrate yourself before me twice," So he prostrated himself twice. He (Satan) said to him: "Now, I am disassociated from you." It is of him that Allah said: "Like unto Satan when he said to man, 'Disbelieve.' But when he disbelieved, he said: 'Verily I am disassociated from you.' (Al-Hashr 16)

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾

So look at his tricks and the way in which he compelled the monk to commit these great sins, and all of this because he obeyed him in taking in the maid for treatment.

This in itself was an insignificant matter, and perhaps he who did it considered it a good and charitable act, and he approved of it in his heart because of a hidden desire. So he went ahead with it as one desirous of doing good, and thereafter the matter went beyond the sphere of his choice, one

thing leading him on to another, until he found no escape. We seek refuge with Allah from the loss of the beginnings of things. To this, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" referred in his statement: "He who hovers about a forbidden thing is in danger of falling into it." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of An-Nu'man Ibn Bashir).

CHAPTER TWELVE

EXPOSITION IN DETAIL OF WAYS BY WHICH SATAN ENTERS HEART

It should be known that the heart is like a fortress, and Satan is an enemy who wishes to enter the fortress, to take possession of it, and to rule over it. The fortress cannot be kept secure from the enemy except by guarding its doors and entrances, and the breaches in its walls. He who does not know its doors cannot guard them. The protection of the heart from the evil suggestions of Satan is an prescribed duty and an individual obligation upon every legally competent. That which is indispensably connected with fulfilling duty is itself also obligatory. The warding off of Satan cannot be achieved save by the knowledge of his ways of entering, and so the knowledge of his entrances becomes an obligation. The entrances and doors of Satan are the characteristics of the creature, and they are many. But we shall refer to the great doors which are like the large street gates, which are not too narrow for the many forces of Satan.

One of his great gates is anger and appetence. Anger is the ogre of the intellect. If the forces of the intellect grow weak the forces of Satan attack, and whenever man becomes angry Satan plays with him just as a lad plays with a bell. It is narrated that Iblis met Moses "Peace be upon him" and said: "O Moses! You are he whom Allah chose to give His message and spoke to directly, and I am one of the creatures of Allah. I have sinned and desire to repent. So intercede with my Lord on my behalf that He may forgive me." Moses said: "Well." So Moses climbed the Mount and talked to his Lord, and then intended to descend, his Lord said to him: "Fulfill the trust (you have been required to fulfill)." Moses "Peace be upon him" said to him: "O Lord! Your servant Iblis likes that you should accept his repentance." Allah revealed to Moses: "O Moses, you have fulfilled your duty; order him to prostrate himself before the grave of Adam in order that he may be forgiven." Then Moses met Iblis and said to him: "You are commanded to prostrate yourself before the grave of Adam in order to be forgiven." But he became angry and proud and said: "I rejected to prostrate myself to him when he was alive, should I do it now that he is dead?" Then he said: "O Moses, you have made me indebted to you in that you have interceded with your Lord on my behalf. So remember me on these three occasions and I shall not destroy you: Remember me when you are angry, for then my spirit is in your heart and my eye in yours, and I run through you even as the circulation of your blood. Remember me when you are angry, for when a man is angry I 'breathe into his nose and he does not know what he is doing. Remember me when you encounter the army of the enemy,

for I come to a man who meets the army of the enemy and remind him of his wife, his children and people, so that he will turn back. Do not sit by a woman who is unlawful for you, for I am her apostle to you and yours to her." By this, he referred to appetence, anger and greed. Fleeing from the army is greed for this present world. His refusal to prostrate himself to Adam after he was dead was envy, which is the greatest of his entrances.

It is narrated that one of the saints said to Iblis: "Show me how you overcome a son of Adam." He replied: "I take him while in anger or desire." It is further related that Iblis appeared to a monk who asked him: "Which characteristics of mankind are more helpful to you?" He answered: "Hastiness of temper; for if a man is sharp-tempered we can turn him upside down even as lads toss a ball." It is narrated that Satan says: "How can the son of Adam overcome me, for if he is content I come so that I may be in his heart, and if he gets angry I fly so that I may be in his head."

Among the great doors for his entrance are envy and greed. For whenever a man is greedy for anything his greed makes him blind and deaf, as the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Your love for the thing blinds and deafens." (This narration is reported by Abu Dawud on the authority of Abu Ad-Darda'). The light of insight is that which makes known the entrances of Satan, but if envy and greed cover it up man cannot see and then Satan finds his opportunity. He makes everything which will help to the attainment of his desire seem alluring to the greedy one, even though it be disapproved and immoral.

It is narrated that when Noah "Peace be upon him" entered the ark, he took into it a pair of every sort as Allah commanded him. He saw in the ark an old man whom he did not recognize. So he asked him: "What brought you here?" He said: "I came to seize the hearts of your friends, so that their hearts would be with me and their bodies with you." So Noah "Peace be upon him" said to him: "Go out from here, O Enemy of Allah, for you are accursed." Iblis said to him: "By means of five things I destroy mankind, and I shall tell you about three of them, but I shall not tell you about the other two." Allah then revealed to Noah: "You have no need of the three; let him tell you of the two." Noah said to Iblis: "What are the two?" He replied: "They are the two which never play me false nor disobey me, and by them I destroy man: they are greed and envy. Through envy I was cursed and became stoned Satan; and as for greed, the whole garden was permitted to Adam, save only the tree, but I obtained my desire over him through greed."

One of his great doors is satiety of food, even though it be lawful and pure. Satiety strengthens lusts, and lusts are weapons of Satan. It is narrated that Iblis appeared to Yahya Ibn Zakariyya "Peace be upon both" who saw on him hooks of every sort. So he said to him: "O Iblis, what are these hooks?" He replied: "These are the lusts by which I overcome the son of Adam." He asked: "Do I have any of these?" He answered: "Perhaps you become satiated with food and Thus, we make ritual prayer and devotional exercises a burden to you." He asked:

"Is there anything else?" He answered: "No." So he said: "By Allah I shall never eat my fill." Iblis replied: "And, by Allah, I shall never give advice to a Muslim again."

It is said that in eating abundantly there are six blameworthy qualities: First, it drives the fear of Allah from his heart. Second, it drives from his heart compassion toward mankind; for he supposes that, they are all satiated. Third, it makes the acts of worship a burden upon him. Fourth, if he hears wise speech he is not impressed by it. Fifth, if he speaks in admonition and wisdom it makes no impression on the hearts of men. Sixth, it stirs up disease within him.

Another one of his great doors is the love of adornment in furnishings, apparel and house. When Satan sees this quality dominant in the heart of man he lays eggs in that heart and hatches them, and keeps on bidding him to make the house heritable, to adorn its ceiling and walls, and to enlarge its buildings. He invites him also to adorn his apparel and his riding animals, and seeks to enslave him therein along his lifetime. If he overcomes him in this, he has no need to return to him again, for one phase of this leads on to another and continues to take him on from one thing to another until his fixed term comes, and he dies while he is in the way of Satan and following desire. Evil consequences are to be feared therefrom in infidelity; we seek refuge with Allah from it.

Another one of his great doors is covetousness of men. Satan constantly makes it seem alluring to him to use craftiness and flattery towards him whenever his desire prevails over his heart, using all sorts of hypocrisy and deception so that he becomes the object of his desire or the object of his worship. So the man keeps on thinking of a trick for attracting his love and affection, and tries every means possible to attain this end. The very least he does is to praise him for something he does not possess, and to treat him with adulation by not commending him to do good nor forbidding him to do evil.

Safwan Ibn Salim told that once Satan appeared to Abdullah Ibn Hanzalah and said to him: "O Ibn Hanzalah! Learn from me a thing which I shall teach you." He answered: "I have no need of it." He said: "Look, and if it is good, take it, otherwise, leave it. O Ibn Hanzalah do not ask for anything for which you desire any save Allah; and look how you will be if you get angry for I take possession of you when you become angry."

Among his great doors is haste, and giving up steadfastness in affairs. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Haste is from Satan whereas deliberateness is from Allah Almighty." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Sahl Ibn Sa'd). on that, Allah Almighty says: "Man was created of haste." (Al-Anbiya 37)

﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾

And: "And man was ever hasty" (Al-Isra' 11)

﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾

He said to His Prophet "Peace be upon him": "Hasten not (on reciting) the Qur'an until its inspiration is completed for you." (Ta Ha 114)

﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾

This is because actions should follow clear understanding and experiential knowledge. Clear understanding requires reflection and leisurely action, but haste prevents this. For when man seeks to make haste Satan readily dispenses to him his own evil from whence he knows not.

It is narrated that when Jesus "Peace be upon him" was born devils came to Iblis and said: "All of the idols have bowed their heads this morning." He answered: "This is some new event that has taken place; remain in your places." So he flew over the earth until he came from its East to West, but he found nothing. Then he found Jesus who had been born, and beheld the angels surrounding him. So Satan returned to them and said: "A prophet was born last night. No female ever conceived or brought forth save when I was present except this one. So despair of idols being worshipped after this night, but approach the sons of Adam through haste and agility."

Another one of his great doors lies in Dirhams and dinars, and all types of possessions, such as goods, beasts and estates; for whatsoever exceeds the bounds of daily sustenance and need is the abiding-place of Satan. For he who has his daily provision has an empty heart. But if he found a hundred dinars, for example, on the road, ten desires would be stirred up in his heart, each of which would require another hundred dinars. So what he found would not satisfy him, but he would need nine hundred more. Before he found this hundred, he had been self-sufficient, and now when he has found the hundred he thinks that through them he has become rich. But he has come to be in need of nine hundred in order to buy a house in which to dwell, to buy a servant girl, furniture, and graceful clothing. Each one of these things calls for something else to go with it, and that for something else ad infinitum, until he falls into a pit the bottom of which is Hell, for it has no other end.

Thabit Al-Bunani narrated that when the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was sent forth on his mission, Iblis said to his soldiers: "Something has happened, so go and see what it is." They dispersed in their search until they were weary, and then they came back and said: "We do not know." He said: "I shall bring you the news." So he went, and returned saying: "Allah has sent forth Muhammad." Thabit went on to say: "So He began sending his soldiers to the Companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", but they returned frustrated, saying: 'We have never encountered such folk as these. We no sooner smite anyone of them than they rise up for their prayers and it is all cancelled.' Iblis said to them: 'Take your tine with them; perhaps Allah will give them some of this present world's goods, and then we shall seize those of whom we have need.'" (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya).

It is related that one day Jesus "Peace be upon him" took a stone for a cushion and Iblis passed by him and said: "O Jesus! You have desired something in this present world." On that Jesus "Peace be upon him" took it and threw it away from beneath his head and said: "You may have this along with this present world." In reality, he who owns a stone to use for a cushion during sleep, possesses a thing of this world which may be a tool of Satan against him. Take for example a man who rises by night for prayer. whenever there is near him a stone which he can use for a cushion, it keeps on calling him to sleep, and to use it as a pillow, and but for it he would not think of doing such a thing, nor would his desire for sleep be aroused. This being true for a stone, what is the state of who possesses downy pillows and a soft bed and goodly recreation pieces? Then will such a man rouse himself to the worship of Allah?

Among his great doors is stinginess and fear of poverty. This is what prevents from spending and giving alms, and summons to storing up roods, to laying up treasures, and to that, painful punishment which is promised to those who vie with one another in possessions, as the Qur'an says. Khaithamah Ibn Abd-Ar-Rahman quotes Satan as saying: "No son of Adam has overcome me, nor will anyone overcome me in three things when I command him: to take money wrongfully, to spend it wrongfully, and to withhold it from its proper use." Sufyan said: "Satan has no weapon like the fear of poverty, and if man accepts this from him he begins doing deeds of vanity, withholding the right, talking with falsehood, and supposing evil of his Lord." One of the evils of stinginess is a greedy frequenting of markets to gather money, for marketplaces are nesting-places of Satans.

It is narrated on the authority of Abu Umamah "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "When Iblis descended to the earth he said: 'O Lord! You have cast me down to the earth and caused me to become a stoned one, so appoint for me a house. 'The Lord answered: 'The bath.' Then he said: 'Appoint for me a sitting place.' He answered: 'The marketplaces and the intersections of the streets.' He said: 'Appoint food for me.' He answered: "That on which the name of Allah has not been mentioned.' He said: 'Appoint drink for me.' He answered: 'Everything intoxicating.' He said: 'Appoint for me an announcer, ' He answered: 'Musical instruments,' He said: 'Appoint a Qur'an for me.' He answered: 'Poetry.' He said: 'Appoint for me a kind of writing.' He answered: 'Tattooing.' He said: 'Appoint a tradition for me.' He answered: 'Falsehood.' He said: 'Appoint snares for me.' He answered: 'Women.'" (This narration is reported by At-Tabarani).

Among his greed doors is sectarianism and partisanship, prejudice and secret hatred of opponents and looking upon them contemptuously and disdainfully. This is one of the things which destroy both pious and profligate together. For one of the savage characteristics in nature is an inborn disposition to slander, and to busy oneself with men's shortcomings. So when Satan makes this appear to a man as the truth and it becomes agreeable to his nature, its sweetness overcomes

his heart, and he goes to work at it with all enthusiasm. He is glad and happy in it, and thinks that he is striving in the field of religion when he is really endeavoring to follow Satan. Thus, you will see one who is a devoted partisan of Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" and at the same time a partaker of that which is unlawful, giving free rein to his tongue as a busybody and in falsehood addicted to all manner of corruption, and were Abu Bakr "Allah be pleased with him" to see him he would be his foremost enemy; for the follower of Abu Bakr is he who chooses his way and walks in his mode of life, and guards his mouth. It was the habit of Abu Bakr "Allah be pleased with him" to put pebbles in his mouth so that his tongue would be silent about what did not concern him. So how can such a busy body pretend loyalty to and love for him?

Then you will see another busy body who goes beyond all bounds in his partiality for Ali "Allah be pleased with him" who was so much ascetic in his manner of life that he wore, while he was Caliph, a garment which he bought for three Dirhams, and cut off the end of the sleeve up to the back of the hand. But you see the wicked wearing silk garments and adorned with wealth gained unlawfully, while he quarrels over love to Ali "Allah be pleased with him" and pretends such love, when in fact Ali "Allah be pleased with him" will be his foremost opponent on the day of Judgement. What would you say of a person who took a man's son, dear to him, his consolation and his heart's life, and began to beet him and tear him, to pluck out his hair and cut it off with sheers, and at the same time he pretended to love the boy's father and be loyal to him? What would the father think of such a man?

Now it is a well-known fact that religion and religious law were more loved by Abu Bakr, Umar, Uthman and Ali and the rest of the Companions "Allah be pleased with them" than their families or children, if not more than their own selves. Those who rush blindly into disobedience to the law are they, who rend the law and cut it off with the shears of lusts, thereby show their love for Iblis, the enemy of Allah and of His saints. What then do you suppose will be their condition on the day of resurrection in the presence of the Companions of the Prophet and the saints of Allah? May rather, if the lid were removed so that these might know what the companions desire in the people of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", they would be ashamed to mention them with their tongues because of the turpitude of their acts. Satan also makes them imagine that if anyone dies as a devotee of Abu Bakr and Umar "Allah be pleased with them" the fire will not come near to him. He makes another imagine that if he dies as a devotee of Ali "Allah be pleased with him" there will be no fear for him. This is what the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Fatimah "Allah be pleased with her" who was a part of his own self: "Do righteously, for I cannot avail you against Allah in the least." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Al-Miswar Ibn Makhramah).

We have cited that as a representative example of all the partisan loyalties. Such also is the predicament of the partisans of Ash-Shafi'i, Abu Hanifah, Malik

and Ahmad. For if anyone pretends to belong to the sect of an imam and does not walk according to his manner of life, that imam will be his opponent on the day of resurrection when he will say to him: "My doctrine is to do, and not merely to talk with the tongue; and talking with the tongue is to the end of doing, not raving. So why have you disobeyed me in the practise and manner of life which are my belief, and my walk by which I advanced, and in which I departed to Allah, and then afterward you pretended falsely to belong to my sect?" This is one of the greed entrances of Satan by which he destroyed most of the world.

The juristic schools have been given over to a group in which there is but little fear of Allah, whose insight into religion has grown week, whose desire for this present world has become intense, and whose greed to gain followers has grown strong, and they have not been able to gain a following and attain influence save through their partisanship. So they have veiled this within their own breasts, and have not reminded their followers of the wiles of Satan therein, but indeed, they have acted as agents of Satan in carrying out his wiles against them. So men have continued in partisanship and have forgotten the principal truth of their religion. Thus, they have perished and caused others to perish. May Allah forgive us and them.

Al-Hassan narrates that Iblis said: "I enticed the people of Muhammad "Peace be upon him" to disobedience, but they overcame me by seeking forgiveness. Then I enticed them to sins for which they would not seek forgiveness: these are partisan prejudices." In this, the Accursed One told the truth, for they do not know that these are the causes which lead to acts of disobedience, so how should they seek forgiveness for them?

One of the great devices of Satan is to turn man's attention away from himself by busying them with the disputes and contentions which arise between people in the matter of sects. Abdullah Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" said: "A group of people were sitting in the state of celebration (of Allah) when Satan came to cause them to abandon their assembly and to cause divisions among them, but he could not. So he came to another company who were conversing on worldly affairs, and stirred up dispute among them so that they began to fight with one another. But it was not they on whom he had set his purpose. Then they who were engaged in the celebration (of Allah) rose up and busied themselves in deciding between those who were fighting, and so were scattered from their assembly; and this was what Satan was aiming to accomplish with them."

Another one of his great doors is to induce the laymen, who are not experienced in the science of theology and have not gone deeply into it, to set themselves to thinking about the essential nature and attributes of Allah, and about subjects which their limited intelligence cannot attain, until he causes them to doubt the basis of their religion or to indulge in vain imaginings unworthy of Allah, thereby a man becomes a disbeliever or an innovator, while at the same time he is happy, joyful, and rejoicing at that which has come into his heart. He supposes it to be mystical knowledge and insight, and that this has been revealed

to him because of his own perspicacity and greater intelligence. The most foolish of men are those who believe most strongly in their own intelligence; and the men of most stable intelligence are those most suspicious of themselves and most ready to ask the learned.

A'ishah "Allah be pleased with her" narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily Satan comes to one of you and says: 'Who has created you?' He replies: 'Allah who is blessed and exalted.' Then Satan says: 'But who has created Allah?' Therefore, if one of you has this experience let him say: 'I believe in Allah and His Apostle', and Satan will go away from him." (This narration is reported by Ahmad, Abu Ya'li and Al-Bazzar; and both sheikhs on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did not order any investigation of a way of treating this evil suggestion because it effects the laymen rather than the learned. The laymen should content themselves with believing, submission, and occupying themselves with their worship and their means of gaining living, and leave learning to the learned. It is better for a layman to commit adultery and theft than to talk about the science of theology, for he who speaks about Allah and His religion without sure learning falls into disbelief in a way which he knows not, and is like one who rides the fathomless sea without knowing how to swim. Satan's devices that have to do with creeds and sects are numerous, and we only mentioned these by way of example.

Another one of the doors by which Satan enters the heart is thinking evil of Muslims. Allah says: "O you who believe, shun much assumption, for verily sin lies in much assumption." (Al-Hujurat 12)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ ﴿١٢﴾ ﴾

For if, anyone passes an evil judgment on another through conjecture, he is sent by Satan to slander him by means of backbiting, and he shall perish. Satan may induce him to give the other less than his just rights, or to be remiss in honoring him, or to look at him with the eye of disdain, considering himself much better than the other. These all are among the things that destroy. Divine law has Therefore, forbidden man to give himself to accusations. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Ward off the places of accusations." He himself guarded against exposing himself to accusation.

In this issue, it is narrated on the authority of Ali Ibn Al-Hussain that he said: Safiyyah, the wife of The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" told me that she went to The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" to visit him in the mosque while he was in I'tikaf in the last ten days of Ramadan. She had a talk with him for a while, then she got up in order to return home. The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" accompanied her. When they reached the gate of the mosque, opposite the door of Umm Salamah, two Ansari men were passing by and they greeted The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". He told them: "Do not run away! And

said: "She is (my wife) Safiyyah Bint Huyai." Both of them said: "Glory to Allah, (How dare we think of any evil) O Allah's Apostle!" And they felt it. The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said (to them): "Satan reaches everywhere in the human body as blood reaches in it, (everywhere in one's body). I was afraid lest Satan might insert an evil thought in your minds." (This narration is reported by both sheikhs).

Observe how the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was anxious about their religion and guarded them, and how he felt anxiety for his nation and taught them how to guard themselves against accusation. Thus, the godly learned who is known for his religion should not think lightly about his affairs and say in self-admiration: "No one would assume aught but good of me." For ell men do not look at even the most godly and pious and benevolent people in the same way. Some look upon them with the eye of approval, and others with the eye of displeasure. A poet said: "The eye of consent is dulled to every fault, but the eye of disapproval reveals the defects." So one must guard against supposing evil of another, and against accusation of evil men. Wicked men think naught but evil of all men; so whenever you see a person thinking evil of men and looking for faults, know that he is a corrupt person in his own heart. His wickedness is his thinking evil of others, and this fairly oozes out of him. He thinks of others only from his own standpoint. The believer looks for excuses; the hypocrite for faults. The believer is sound-hearted in his attitude toward all creatures.

These are some of the entrances of Satan into the heart. If I desired to compass all of them, I should be unable to do so. But that number will point to others. There is no blameworthy characteristic in man that is not an instrument of Satan, and one of his entrances into the heart.

Now you may ask: "What then is the remedy and the way to ward off Satan? Is it not enough to remember Allah and for a man to say: 'There is no might nor power save with Allah'?" It should be known that the remedy for the heart in this matter is to obstruct these entrances by purifying the heart of these blameworthy characteristics. This is something that would take a long tine to mention. Our aim in this quarter of the book is to set forth the remedy for the destructive characteristics, and every characteristic needs a separate book, as will be explained later. It is true that if you are to cut out of the heart the roots of these characteristics, Satan would still be able to pass through it and make suggestions to it, but it would not be an abiding-place for him, and the celebration of Allah prevents him from passing through it. The true nature of celebration does not dominate the heart until after it has been built up in piety and cleansed of all blameworthy qualities. Otherwise remembrance is merely a suggestion of the self which has no power over the heart and does not ward off the power of Satan. Therefore, Allah says: "Indeed, those who fear Allah - when an impulse touches them from Satan, they remember [Him] and at once they have insight." (Al-A'raf 201)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾

He thereby makes this a special characteristic of the god-fearing men.

Satan is like a hungry dog which comes to you. If you have neither bread nor meat in your hands it is driven back by your saying 'go away', the voice alone sufficing to ward it off. But if you have some meat in your hands and the dog is hungry, it will rush at the meet and will not be driven away by mere talk. Thus, Satan can be driven away from the heart which is devoid of his food by merely remembering Allah. But if appetence overcomes the heart it drives the true nature of remembrance of Allah to the marginal regions of the heart so that it does not gain the mastery over its core. This core becomes the abiding-place of Satan. But Satan tempts the hearts of those who fear Allah, which are devoid of whims and blameworthy characteristics, not to lusts, but to emptiness through neglect of remembrance. When one begins the exercise of celebration again Satan crawls back. The proof of this is the statement of Allah Almighty: "So seek refuge with Allah from Satan the expelled [from His mercy]." (An-Nahl 98)

﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾

There are also other traditions and Holy Verses on the subject of remembrance.

Abu Hurairah "Allah be pleased with him" said that the devil of a disbeliever met the devil of a believer. the devil of the unbeliever was sleek, fat, and well clothed, while the devil of the believer was emaciated, dishevelled, dust-colored, and naked. The unbeliever's devil asked that of the believer: "What is the matter with you that you are so emaciated?" He replied: "I am with a man who mentions the name of Allah when he eats, and so I remain hungry. He mentions the name of Allah when he drinks, so I stay thirsty. He mentions the name of Allah when he gets dressed, and I continue naked, and when he anoints himself he mentions the name of Allah and I remain disheveled." The other said: "I dwell with a man who does nothing of all of this, so I share with him his food, his drink and his clothing."

Muhammad Ibn Wasi' used to say every day after the morning prayer: "O Allah, You have invested with power over us an enemy who has insight into our faults, and who with his cohorts sees us as we cannot see them. O Allah, cause him to despair of us ever, as You have caused him to despair of Your mercy. Make him abandon hope of us as You have made him abandon hope of Your pardon. Remove him far from us as You have removed him far from your mercy, for You have power over all things." One day he was on his way to the mosque when Iblis appeared to him and said: "O Ibn Wasi', do you recognize me?" He replied: "Who are you?" He said: "I am Iblis." He asked: "What do you want?" He said: "I desire that you will not teach anyone this supplication of seeking refuge perchance I would not touch you with harm." He answered: "By Allah, I shall not keep it from anyone who desires it, and you may do what you will."

Abd-Ar-Rahman Ibn Abu Laila said: "There was a devil who used to come to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" with a firebrand in his hand and stand before him as he prayed. Whenever the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" recited and sought refuge with Allah, the demon would not go away. Then Gabriel "Peace be upon him" came to him and said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Say, 'I seek refuge with the perfect words of Allah, which neither pious nor impious crosses, from the evil which persists in the earth and from what goes forth from it; from what comes down from heaven and what ascends up into it; from the temptations of night and day and the misfortunes of night and day, except that which brings good, O (Allah) Most Merciful.'" When he said this the devil firebrand was extinguished and he fell on his face. (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya and others).

Al-Hassan said: "I was informed that Gabriel "Peace be upon him" came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: 'Verily a demon of the jinn is plotting against you, so when you retire to your bed recite the Holy Verse of Throne (of Majesty, i.e. Al-Baqarah 255).'" (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A demon came to me and contended with me and contended with me again, so I seized him by the throat, and by Him Who sent me forth as a messenger of truth, I did not release the demon until I found the cold saliva from his tongue on my hand; and had it not been for the summons of my brother Solomon "Peace be upon him", he (the demon) would have been left lying in the mosque." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Ash-Sha'bi; Al-Bukhari on the authority of Abu Hurairah; and An-Nasa'i on the authority of A'ishah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Never did Umar follow a path but that Satan took a course different from his." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Sa'd Ibn Abu Waqqas). This is because the hearts of these had been cleansed of that on which Satan pastures and feeds, namely the appetites. So if you desire that Satan be warded off from you only by mere celebration of Allah, as he was warded off from Umar "Allah be pleased with him", you will find it impossible, and you will be like a man who takes medicine before he abstains from food, whose stomach is burdened with heavy foods, and yet he hopes that the medicine will benefit him as it benefits one who has taken it after abstaining and emptying his stomach. The celebration of Allah acts as medicine, piety as abstinence which frees the heart from the appetites. When celebration comes into a heart that is empty of anything else save the thought of Allah, Satan is warded off, even as illness is repelled when the medicine enters a stomach that is empty of all foods.

Allah said: "Indeed in that is a reminder for whoever has a heart or who listens while he is present [in mind]." (Qaf 37)

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾

He also said: "It has been decreed for every devil that whoever turns to him - he will misguide him and will lead him to the punishment of the Blaze." (Al-Hajj 4)

﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤ ﴾

Whoever helps Satan by his work is his devotee, even though he celebrates Allah with his tongue. If you say that the tradition is absolute that celebration of Allah drives out Satan, and do not understand that most general statements of the divine law are limited in their particular application by conditions transmitted by those learned in religion, then consider your own self, for hearing is not like seeing with the eye. Consider prayer, the highest point of your celebration of Allah and of your worship. Watch your heart when you are at prayer and see how Satan attracts it to the markets, to the reckoning of dealers, and to answering those obstinate. Observe how he causes you to pass through the valleys of this present world and its places of destruction, so that you do not recall the unnecessary things of this world which you had forgotten, except during your prayer. Satan does not press upon your heart save while you prey. Thus, prayer is the touchstone of hearts by which its good and vile qualities both appear. Prayer which comes from hearts laden with lusts is not accepted.

It is no wonder then that Satan is not driven away from you; nay rather, his evil suggestions to you may increase, just as the medicine taken before refraining from food may increase disease. So, if you seek deliverance, do abstinence through piety, and then follow it with medicine of remembrance and Satan will flee from you as he fled from Umar "Allah be pleased with him". It is narrated on the authority of Wahib Ibn Munabbih that he said: "Fear Allah, and do not insult Satan openly while in secret you are his friend", i.e., while you are obedient to him. Another said: "How strange it is that a man, knowing the benefactor's goodness, will disobey Him; and knowing likewise the Accursed One's rebellion, will obey him." As Allah said: "Call upon me, I will answer you ", (Ghafir 60)

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۝٦٠ ﴾

And you claim He does not answer, so also you celebrate Allah, and Satan does not flee from you because of your failure to observe the conditions of celebration and supplication.

Ibrahim Ibn Adham was asked: "Why is it that we invoke and our invocations receive no answer, although Allah Almighty says: 'Call upon me, I will answer you'?" He answered: "Because your hearts are dead." He was asked: "What has caused them to die?" He answered: "Eight habits: You have known Allah's right (over you) but have not done your duty towards Him. You have read the Qur'an, but have not acted according to the limitations it has imposed. You have said 'We love the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"' but you have not followed his law. You have said 'We fear death' but you have not prepared for it. Allah said: 'Verily Satan is to you a foe, so take him as a foe' (Fatir 6)

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾

But you have agreed with him upon acts of disobedience. You said 'We fear the fire', and constrained your bodies to enter it. You said 'We love the Garden', but have not labored to gain it. Whenever you get up from your beds you cast your faults behind your backs and spread the faults of other men before your faces. You have angered your Lord, so how can He answer your prayers?"

If you ask whether he who invites to the different acts of disobedience is a single devil or different devils, you should know that in practice you have no need to know about this matter. Busy yourself in warding off the enemy, and do not ask about his characteristics. Eat the vegetable wherever it comes from, and do not ask where the garden is. However, in the light of investigation and the testimony of tradition it appears evident that the devils are armies set in array, and that every type of disobedient act has its own devil, appointed to it and inviting to it. But the path of investigation is a long one, and what we have mentioned will suffice you, namely, that different effects indicate different causes. This is what we have mentioned regarding the light of the fire and the blackness of smoke.

As for tradition, Mujahid said: "Iblis has five sons and has appointed to each one of them the charge over a certain matter. They are Thabr, Al-A'war, Mabsut, Dasin, and Zalanbur. Thabr is the master of afflictions who enjoins destruction, splitting of pockets, smiting of cheeks, and the claim of the pre-Islamic days of ignorance. Al-A'war is the master of adultery who commands thereto and makes it appear beautiful. Mabsut is the master of lies. Dasin enters into the relations between a man and his wife, bringing about faults to him and making him angry at them. Zalanbur is the master of the market-place, and by virtue of him those in the market continue to be unjust to one another." The devil of prayer is called Khinzib, and the devil of ablution is called Walhan. There are many narration on this subject.

As well as devils are a host so also angels are a host. In the Book of Thanksgiving we mentioned the secret of the multitude of angels, and that each one of them is appointed for a special work unique to him. It is narrated on the authority of Abu Umamah Al-Bahili "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "One hundred and sixty angels have been given charge over the believer to drive away from him that which he cannot ward off. Of these seven are for sight and they drive away (evil) from it just as flies are driven away from a plate of honey on a summer day. They drive away also those who, were they to appear to you, you would see them on every plain and mountain, each one with outstretched hand and open mouth; and that which if the believer were given charge of himself therein for a single instant, the demons would snatch him away." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya and At-Tabarani).

Ayyub Ibn Yunus Ibn Yazid said: "We have been reported that there are born children to the jinn along with the children of mankind, and these grow up together." It is narrated on the authority of Jabir Ibn Abdullah "Allah be pleased with him" that when Adam was cast down to the earth he said: "O Lord, You have placed enmity between this creature and myself, so should You not give me help against him I would not be able to overcome him." Allah answered: "There shall not be a child born to you but he will be given to the keeping of an angel." He said: "O my Lord, give me more." He answered: "I shall recompense an evil deed with an evil deed and a good deed with ten and more." He said: "O Lord, give me more." He answered: "The door of repentance is open as long as the spirit is in the body." Then Iblis said: "O Lord, would You not give me help against this creature whom You have honored above ne, so that I may be able to overcome him?" He answered: "No son shall be born to him but there shall be one born to you also." He said: "O Lord, give me more." He answered: "You shall course through them as the circulation of their blood, and you shall take their breasts as dwelling- places." He said: "O Lord, give me more." He answered: "incite [to senselessness] whoever you can among them with your voice and assault them with your horses and foot soldiers and become a partner in their wealth and their children and promise them." But Satan does not promise them except delusion." (Al-Isra' 64)

﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾

It is narrated on the authority of Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah has created the jinn of three sorts. One sort is snakes, scorpions and creeping insects of the earth. Another is like the wind blowing through the air. The third sort is subject to reward and punishment. Allah has also created three kinds of men. One kind is like the brutes, as Allah Almighty says: "They have hearts they discern not therewith; they have eyes they see not therewith; they have ears they hear not therewith; they are like cattle, nay, they go more astray" (Al-A'raf 178)

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ
أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾

Another kind have bodies of human beings and spirits of devils. A third sort are those who will be in the shadow of Allah on the day when there is no other shadow save his alone." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya and Ibn Hibban).

Wuhaib Ibn Al-Ward told that once Iblis appeared to Yahya Ibn Zakariyya "Peace be upon both" and said: "I want to give you an advice." He said: "I do not need your advice, but tell me about the sons of Adam." He said: "They are of three sorts. The first sort which is the strongest of them upon us, is such that, when we come to one of them to tempt him and gain control over him, he in fear

betakes himself to protection to seeking forgiveness and repentance. Thus, he destroys every advantage we may have gained over him. we return to him again and he repeats the same thing. Thus, we neither despair of him, nor do we achieve our purpose in him, so we are in distress regarding him. Another kind consists of those who are in our hands just like a ball in the hands of your children, and we catch them as we will, for we can cope with their souls. The third kind are those who, like yourself, are infallible (from committing sin), and we can do nothing with them."

You may say: "But how can Satan appear to some men and not to others? If one sees his form, is it his real form, or is it an image in which Satan appears to him? If it is his real form, how is it that he is seen in different forms? How can he be seen in two places and in two forms at the same time in such a way that two people see him in two different forms?" It should be known that the angels and devils each have two forms which are their real forms. These are not perceived by natural sight, save only by the illumination of the prophetic office. The Prophet only saw Gabriel in his true form on two occasions. Once the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" asked him to appear to him in his real form, and Gabriel made his appointment with him at Baqi', and he appeared to him and filled the whole horizon from East to West. He saw him again in his true form on the night of the Heavenly Journey at the Lote tree. But for the most part he saw him in the form of a man. He used to see him in the form of Dihyah Al-Kalbi who was a good-looking man.

For the most part he (angel or devil) unveils an image of his form to mystics and masters of hearts, and Thus, he appears to one of them while he is awake, and this man will see him with his eye and hear him with his ear. This will take the place of his real form. likewise he is revealed to a majority of good men during sleep. Revelation during wakefulness is made only to one who has attained such a high rank that the occupation of his senses with the things of this world does not prevent the revelation which comes in sleep, so he sees while awake what one sees during sleep. It is narrated on the authority of Umar Ibn Abdul-Aziz that a man asked his Lord to show him the place Satan occupies in relation to the heart of a man. He saw in his sleep the body of a man like crystal, and the inside of it was visible from without. He saw Satan in the form of a frog sitting on the left shoulder, between the shoulder and the ear, and he had a long and thin proboscis which he had put in through the left shoulder into the heart in order to make evil suggestions to it. Whenever the man made mention of Allah, Satan withdrew. This very same thing is sometimes seen during wakefulness, for some of the mystics have seen Satan in the form of a dog reclining on a carcass and inviting men to it. The carcass represents this world.

This is like observing his real form. That's because reality must appear in the heart from that side of it which is turned toward the dominion of the unseen. Then its influence shines upon the side which is turned toward the visible materiel world, for the two sides are connected with each other. We have already

explained that the heart has two sides. One of them is turned toward the dominion of the unseen which is the place of entrance of inspiration and Divine revelation, and the other side is turned toward the world of sense; and that which appears of this world in the side turned toward the world of sense is only an imaged form, for the world of sense is entirely subject to imaginative reproduction. But that image comes from looking by means of sense (of sight) at the exterior of the visible world. It is possible that the form may not correspond to the ideal reality. You may see a person with a beautiful external appearance, while he is abominable in his heart and hideous in his inner life, because the world of sense abounds in deception.

But the form produced in the imagination by the illuminating effect of the dominion of the unseen upon the inner secret hearts cannot but reflect accurately their qualities and correspond to them. For the form in the dominion of the unseen follows the true characteristic and corresponds to it. So it is not strange that the hideous reality is not seen save in a hideous form. Thus, Satan is seen in the form of a dog, a frog, a pig, etc, whereas angel in a pretty beautiful form. form is an indication of the ideal realities and a true reflection of them. Therefore, the monkey or pig seen in sleep indicates some hideous likeness, while a sheep indicates a man of integrity, Thus, it is with all the categories of dreams and their interpretation. These are strange mysteries, and they belong to the wonders of the heart. It is not fitting to mention them in the science of practical religion. But the intent is that you shall believe that Satan and angels are revealed to masters of hearts, sometimes by means of representation and reflection during sleep, and sometimes in reality. For the most part revelation is representation by a form that reflects the ideal reality, not the ideal reality itself. The latter is However, seen by the eye in very truth. Only the mystic has this direct sight, not others around him, as for instance a man asleep.

CHAPTER THIRTEEN: EXPOSITION OF THAT FOR WHICH MAN IS HELD ACCOUNTABLE AND THAT FOR WHICH HE IS PARDONED IN FIELD OF EVIL SUGGESTIONS TO HEARTS, THEIR DECISIONS, INVOLUNTARY THOUGHTS AND PURPOSES

It should be known that this is an obscure matter and that there have appeared Holy Verses and traditions regarding it which contradict each other. It is confusing for all save discriminating scholars of the law to find a way of combining these statements.

Regarding pardon, it is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "My people are pardoned their self talk as long as they do not translate it in words or deeds." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Abu Hurairah). It is further narrated by both Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily Allah says to the recording angels: 'If a servant of mine intends to do an

evil deed, do not write it down; but if he does it then write it down as an evil deed. If he intends to do a good deed record it as a good deed, and if he does it write it as ten.'" This points to pardon for the act of heart and its intention to do an evil deed. According to another version: "He who intends to do a good deed but does not do it has it reckoned to him as a good deed, and he who intends a good deed and does it has it reckoned to him up to seven hundred folds. He who intends an evil deed but does not do it does not have it reckoned against him, but if he does it, then, it is written down." According to a third version: "If one thinks about doing an evil deed, I will forgive him this, as long as he does not do it." All of this points to pardon.

In relation to punishment, Allah Almighty says: "Whether you show what is within yourselves or conceal it, Allah will bring you to account for it. Then He will forgive whom He wills and punish whom He wills, and Allah is over all things competent." (Al-Baqarah 284)

﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾

He further says: "And do not pursue that of which you have no knowledge. Indeed, the hearing, the sight and the heart - about all those [one] will be questioned." (Al-Isra' 36)

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾

This indicates that the deed of the heart is like that of the hearing or sight and is not pardoned. He also said: "And conceal not testimony, for he who conceals it, verily, sinful is his heart." (Al-Baqarah 283)

﴿ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ ﴾

He also says: "Allah will not hold you accountable for a casual word in your oaths, but He will hold you accountable for what your hearts have earned." (Al-Baqarah 225)

﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ ﴾

One cannot become well acquainted with the true nature of this matter, as it seems to us, unless he comprehends the details of the heart's acts from the time they begin to appear until the act is committed by the members of the body. Let's say that the first thing that comes to the heart is the involuntary thought, For example, of the form of a woman, and that she is behind him in the road so that if he were to turn around he would see her. The second is the stirring up of his desire to look, which is the moving of appetence in human nature. This is generated by the first involuntary thought and we call it natural inclination, while the first is called the self-talk. the third is the judgment of the heart that the thing must be done, i.e., that he must look at her. For when there exists a natural inclination there is still no decision nor intention until the inhibitions are put away. Thus, modesty or fear may prevent him from looking. The nullification of

those inhibitions may come through reflection, but in any case it is a judgment of the reason and is called a conviction. This is subsequent to the involuntary thought and natural inclination.

the fourth stage is to fix his determination upon looking, and to make it his definite intent. This is call a decision to act and intent and purpose. This decision may have a weak beginning, but if the heart gives heed to the first involuntary thought until its attraction to the heart is prolonged, this decision becomes inevitable, and it becomes a determination of the will. Then when the will is determined one may repent after determination and give up the action. Perhaps he may neglect it because of some happening and neither do it nor give heed to it, or again, perhaps some hindrance may come along to prevent him from the action. There then are four states of the heart before the bodily member acts: involuntary thought, which the talk of the self is; then inclination; then conviction, then decision.

Now regarding the involuntary thought we say that one is not held accountable for it because it is not included in voluntary choices. Such also is the case with inclination and the stirring up of appetence, for they too are involuntary. These are what the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" intended in his statement: "My people are pardoned the talk of the self." The talk of the self stands for the involuntary thought which suddenly occurs to the mind, but is not followed by any determination to carry it out. Determination and decision are not called talk of the self. This is confirmed by a narration on the authority of Uthman Ibn Maz'un "Allah be pleased with him" in which he said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Apostle of Allah! My self talks to me to divorce Khawlah." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" answered: "Be deliberate; my usage includes marriage." He said: "My self talks to me to get castrated." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Be deliberate; castration of my nation is persistent fasting." He said: "My self talks to me to become a religious ascetic." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Be deliberate; the asceticism of my people is to take part in Jihad and pilgrimage." He said: "My self talks to me to give up meat." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" answered: "Be deliberate, for I like it. If I should find it I would eat it; and if I were to ask Allah for it He would feed me therewith." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Sa'id Ibn Al-Musayyab; and Ad-Darimi on the authority of Sa'd Ibn Abu Waqqas; and At-Tabarani and Al-Baghawi on the authority of Uthman Ibn Maz'un). These are involuntary thoughts, unaccompanied by a determination to carry them out, and they are the talk of the self. Therefore, he consulted the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" since he had no determination nor decision to act.

The third stage is conviction, and the judgment of the heart that the thing must be done. There is an extent of uncertainty in this, in that it may be

compulsory or voluntary, and the states differ accordingly. One is held accountable for that which is voluntary, But not for that which is compulsory.

The fourth is a decision to act, and one is held accountable for it. But if it is not carried out, in this case: if one has given it up through fear of Allah and contrition for his decision, then this is reckoned to him as a good deed. His decision was evil, but his abstaining from it and struggle with himself against it were good. A decision in accord with nature does not indicate a complete heedlessness of Allah, but abstinence through struggle against the nature requires great power. One's effort in going contrary to nature, which is a work done for Allah, is stronger than his effort to agree with Satan through agreeing with his own nature. Thus, it is reckoned to him as a good deed, because his effort in abstaining and his decision thereto outweighed his decision to do the deed. But if the act is stopped by a hindrance, or if he gives it up for any reason other than the fear of Allah, it is reckoned to him as an evil deed, for his decision is a voluntary act of the heart. The proof of this detailed statement is attested from the authentic narration in which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The angels say: 'O Lord, that servant of You desires to do an evil deed', although He perceives (that) better (than they). He says: 'Keep watch of him, and if he does it, write it as an evil deed like it. But if he gives it up write it down as a good deed for him, for he has given it up only for my sake'." Then He said: 'If he does not do it', He meant the forsaking of it for Allah's sake.

But if one has determined on an act of lewdness which is made impossible for him by some cause or neglect, how can this be reckoned to him as a good deed? The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "People will be mustered (on the Day of Judgement) according to their intentions solely." (This narration is reported by Ibn Majah on the authority of Jabir and Abu Hurairah; and Muslim on the authority of A'ishah and Umm Salamah). We know that he who determines at night to get up the next morning and kill a Muslim or commit adultery with a woman, and then he dies that night, he will have died with his deed made up and will be mustered (on the Day of Judgement) according to his intention, having decided upon an evil deed which he has not carried out. The decisive proof of this is confirmed by the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "If two Muslims meet in a sword fight, both the killer and the killed will be in the fire." Someone said to him: "This one was a murderer, but what about the slain?" He replied: "Because he desired to slay his fellow." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Abu Bakrah).

This is an authoritative statement which shows that by mere desire a man became one of the people of the Fire even though he himself was unjustly slain. How can anyone suppose that Allah will not punish for intention and decision, when man is punished for everything that comes within the scope of voluntary action, save as he atones for it by a good deed? Destroying the determination by contrition is a good deed, and it is Therefore, reckoned to him as a good deed. But to miss the thing desired because of hindrance is not

a good deed.

But involuntary thought, the talk of the self and the stirring up of desire are all outside the realm of voluntary acts. So to consider them as worthy of punishment would be to make man responsible for what is beyond his power. In this connection, It is narrated by the grand imam Ahmad and Muslim on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him": When Allah Almighty revealed: "To Allah belongs all that is in the heavens and on earth. Whether you show what is in your minds or conceal it, Allah calls you to account for it. He forgives whom he pleases, and punishes whom he pleases. For Allah has power over all things", (Al-Baqarah 284)

﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾

The companions of The Messenger of Allah felt it hard. They went to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and knelt down. They said to him: "O Messenger of Allah! We have been order to do the deeds, which are within our capacity, such as performing the prayer, observing fasts, practicing Jihad and giving in charity. Then, this Verse has been revealed to you, which we cannot bear." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (to them): "Do you want to say the same as those of the two Scriptures (i.e. Jews and Christians) said: "We hear and disobey"? no! you should say: "We hear, and we obey: (we seek) Your forgiveness, our Lord, and to You is the end of all journeys." Accordingly, they said: "We hear, and we obey: (we seek) Your forgiveness, our Lord, and to You is the end of all journeys." they recited it, and it flowed smoothly on their tongues, and when they did so, Allah Almighty annulled it by the following Holy Verse: "On no soul does Allah place a burden greater than it can bear. It gets every good that it earns, and it suffers every ill that it earns." (Al-Baqarah 286)

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴿٢٨٦﴾ ﴾

From this it appears that man is not held accountable for the deeds of the heart which are not within his power.

Here then is an uncovering of this ambiguity. who ever supposes that every act of the heart is called self-talk and does not differentiate between these three classes must inevitably err. For how could it be that man would go unpunished for such acts of his heart as pride, conceit, hypocrisy, dissimulation, envy, and all the malicious acts of the heart? Allah Almighty says: "And do not pursue that of which you have no knowledge. Indeed, the hearing, the sight and the heart - about all those [one] will be questioned." (Al-Isra' 36)

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾

I.e., as much as is included in voluntary action. If one's eye were to fall involuntarily upon a woman unlawful for him, he would not be blameworthy for it; but if he followed it with a second look he would be punished, for it

would be voluntarily. likewise the involuntary thoughts of the heart follow the same course. Indeed the heart is more deserving of blame since it is fundamental.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Piety is here", pointing to his heart. (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah). Allah says: "Their flesh will never reach Allah, nor will their blood; but piety on your part will reach Him." (Al-Hajj 37)

﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Sin is the allurement of heart." He further said: "Righteousness is that in which the heart quietly trusts, even though men may give you advice after advice." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Abu Tha'labah; and Ahmad on the authority of Wabisah). So we can say that if the heart of a mufti gives an advice making anything obligatory, even though it errs therein, this becomes a meritorious act. Indeed, if a man thinks that he has performed ablution and must pray, and then prays, but afterwards remembers that he had not performed ablution, he still has the reward for doing it. But if he remembers and then neglects it he is punished. If a man finds a woman in his bed and supposes her to be his wife, he commits no act of disobedience by sleeping with her, even though she is stranger. But if he thinks that she is a stranger and then sleeps with her, he becomes disobedient even though she is his wife. All of this is so because it is the heart and not the organs that is considered.

CHAPTER FOURTEEN

EXPOSITION OF WHETHER OR NOT EVIL SUGGESTION COULD BE IMAGINED TO BE ENTIRELY CUT OFF DURING DEVOTIONAL EXERCISES

It should be known that the learned, who observe the heart of man and investigate its characteristics and its wonders, disagree on this question, holding five different opinions. One group says that evil suggestion is cut off by remembrance of Allah. They quote the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in which he said: "Whenever Allah is remembered, he (Satan) hides himself." To hide one's self is to keep still, so it is as though he keeps silent.

Another group says that the source of evil suggestion does not entirely cease to exist, but continues to move in the heart, even though with no effect, however, for the heart, since it is entirely immersed in remembrance, is veiled from the effect of evil suggestion. The heart is like a man so engrossed in his chief concern in a way that, if he were spoken to, he would not understand, even though the voice reaches his hearing.

A third group says that neither the evil suggestion nor its effects are out off entirely, but its domination over the heart is cut off. It is as though Satan weakly whispers at a distance.

A fourth group says that evil suggestion ceases to exist for a moment at the remembrance of Allah, and that remembrance also stops for a moment. These two states follow each other in succession at such close intervals that they seem, because of their closeness, to be pressing against each other. They are like a ball which has many separate dots on it, for if you roll it rapidly you will see the dots as though they were circled, because of the speed with which the motion brings them together. This group says that (Satan's) hiding is mentioned (by the Prophet), while we observe evil suggestion along with remembrance, and there is no other explanation for it than this.

A fifth group says that evil suggestion and remembrance crowd upon each other constantly within the heart endlessly. Just as a man may see two things at the same time, so also the heart may be the channel for two things. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Every man has four eyes. Two are in his head and through them he sees what pertains to his relationships to this present world. The other two are in his heart, and through them he sees what pertains to his religion." (This narration is reported by Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Mu'adh). Al-Muhasibi held this view.

But in fact, in our sight, all of these groups are correct. Each one fails to include all the species of evil suggestions, and looks only at one species of evil suggestion and tells of it.

Evil suggestions are of different sorts. The first is clothed with truth to a certain degree, for Satan may be garbed with truth. Thus, he will say to a man: "Do not give up the enjoyment of pleasures; life is long and resisting your desires throughout your whole life causes great suffering." But if the man remembers at this time the greatness of Allah's right (over him) and His great rewards and punishments, he will say to himself: "Resisting the desires is hard, but it is still more difficult to endure the Fire, and one of the two is inevitable." So if the man remembers the promise and threat of Allah and renews his faith and certainty, then Satan hides himself and flees away, For he cannot say that the Fire is easier to bear than resisting acts of disobedience, nor can he say that disobedience does not lead to the Fire, because his faith in the Book of Allah prevents him from that, and Thus, his evil whisperings are cut off.

So also he will suggest that one should be proud of his own deeds, saying: "What creature knows Allah as you know Him, or serves Him as you serve Him? How great then is your place with Allah." But then the man remembers that his knowledge, his heart, and his members with which he works, and his work itself are all of these created by Allah, so how can he be proud of them? Then Satan hides himself, for he cannot say: "This is not from Allah", because his knowledge and faith compel him. This is a sort of evil suggestion that can be cut off entirely from those who have mystical knowledge and are enlightened by the light of faith and knowledge.

The second species of evil suggestion is that which moves and stirs up appetence. This is divided into that which man knows assuredly to be an act of disobedience, and that of which he is almost certain. If he knows it assuredly

Satan withdraws from the stirring up which results in moving appetence, but does not withdraw from stirring up per se. But if it is of the suspected sort it may continue to exert its influence in such a way as to call for a struggle in warding it off. Thus, the evil suggestion exists, but is warded off and does not gain the victory.

The third type of evil suggestion is that which comes only from involuntary thoughts and recollecting pest states; like, for example, thinking about something other than prayer while praying. So when the man begins the practice of remembrance, conceivably it is warded off and returns again and again. Remembrance and evil suggestion Thus, keep alternating. It is conceivable that they press so closely upon one another that the understanding will include an understanding of the meaning of the thing recited, and also of those involuntary suggestions, as though the two were in two different places in the heart. That this sort of evil suggestion should be entirely warded off so as not to recur is very unlikely, but it is not impossible since the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever prays a two-cycle prayer without experiencing any suggestions of the self about this present world during the prayer will have all his former sins forgiven." If this were not conceivable he would not have mentioned it. This cannot be conceived, however, save of a heart over which love has so gained the mastery that it has become as one infatuated. Thus, we sometimes see a man whose heart is so wholly occupied with an enemy who has injured him that he may think about contending with his enemy as long as is equal to offering a two-rak'ah prayer and more, and no other idea save that of his enemy will cross his mind. So too one deeply in love may think in his heart about conversing with his beloved and be so deeply submerged in this thought that nothing else save conversing with his beloved ever occurs to him. If someone else were to speak to him he would not hear, and if one should pass in front of him he would be as were unseeing. If this is conceivable in the case of fearing an enemy and coveting reputation and money, why should it be inconceivable in the case of fearing the Fire and coveting the Garden? But this is rare because of the weakness of faith in Allah and the last day.

If you consider all of these classifications and types of evil suggestions you will understand that each one of these groups has its own point which applies under particular circumstances. To summarize: Salvation from Satan for a moment or for an hour is not unlikely, but salvation from him for a long lifetime is indeed very out-of-the-way and impossible of attainment. If anyone could have escaped from the evil suggestions which Satan makes by means of involuntary thoughts and rousing of desire, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" surely would have escaped it. It is narrated about him that he looked at the marks of his garment during prayer, and when he finished the prayer he threw the garment away, saying, "It distracted me from prayer." He said: "Take it to Abu Jahm and bring me his coarse garment." (This narration is reported by Al-Bukhari). It is further narrated that the Messenger of Allah

"Allah's blessing and peace be upon him" had a gold ring on his finger, and he looked at it while he was in the pulpit. Then he flung it away, saying: "One look at it and one at you." (This narration is reported by An-Nasa'i on the authority of Ibn Abbas). This was due to the evil suggestion of Satan by arousing the pleasure of looking at the gold ring and the marks of the garment. This took place before gold was forbidden, and Therefore, he wore it and then threw it away.

The evil suggestions of this world of show and its money are cut off only by casting them away, and separating one's self from them. For as long as a man owns anything beyond his actual need, be it but a single dinar, Satan will not cease during prayer to cause him to think about his dinar. How will he keep it? For what will he spend it? How can he hide it so that no one will know about it? How shall he show it so as to boast of it, etc.? Whoever fixes his clutches on this present world and then desires to get rid of Satan is like a man dipped in honey who thinks that the flies will not light on him. This is impossible, for this present world is a great entrance for the evil suggestions of Satan, Indeed there is not one entrance only, but many.

One of the wise men said: "Satan approaches the son of Adam from the direction of his acts of disobedience. If he abstains from these, Satan comes to him by way of giving advice, in order to cause him to fall into some religious innovation. If he refuses this he commands him to lead a life of narrowness and abstinence so that he considers as unlawful that which is lawful. If he refuses this, Satan makes him doubt regarding his ablution and prayer so that he may not have certain knowledge (about the performance of them). If he abstains from this Satan makes righteous acts easy for his so that men may see him as patient and pure, and their hearts be turned to him. Then he becomes proud of himself, and by this he (Satan) destroys him. At this point man is in great need, for this is the extreme degree of temptation, and Satan knows that if man passes by it he has escaped from him into the Garden.

CHAPTER FIFTEEN

EXPOSITION OF HOW SWIFT HEARTS TURN, AND ARE CLASSIFIED IN RESPECT TO CHANGE AND STABILITY

It should be known that the heart, as we have mentioned, is surrounded by the qualities which we have spoken of, and that various effects and states are poured into it from the entrances which we have described. So it is, as it were, a target which is being hit constantly from every direction. Whenever a thing hits the heart by which it is influenced, it is also hit from another direction by an opposing influence so that its character is changed. If a demon comes to the heart and calls it to desire, there comes also an angel to drive it away. If a demon entices it to one evil, another demon entices it to another. If an angel attracts it to one sort of good, another angel attracts it to some other good. So at one time it is torn between two angels, at another between two demons, and at another between an angel and a demon. It is never left alone at all.

To this refers the statement of Allah Almighty: "We will overturn their hearts and their sights "(Al-An'am 110)

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", because of his wide observation of the strange doings of Allah in the wonders of the heart and its constant changes, used to swear by it and say: "No, by Him Who overturns hearts." (This narration is reported by Al-Bukhari on the authority of Ibn Umar). He often used to say: "O You Who overturn hearts, establish my heart firmly upon Your religion." They said: "Do you fear, O Apostle of Allah?" He answered: "What is there to make me sure since the heart is between two of the fingers of (Allah) Most Merciful, Who turns them about even as He wills?" Or according to another version, "..if He wills to establish it He causes it to stand, and if He wills to cause it to go astray He does so." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Anas; and Al-Hakim on the authority of Jabir; and Muslim on the authority of An-Nawwas Ibn Sam'an).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" set forth three parables for the heart saying: "The heart is like a sparrow, turning about every hour." (This narration is reported by Al-Hakim, Al-Baghawi and Al-Baihaqi on the authority of Abu Ubaidah Ibn Al-Jarrah). "The heart in its constant changes is like a pot boiling up together." (This narration is reported by Ahmad and Al-Hakim on the authority of Al-Miqdad Ibn Al-Aswad). "The heart is like a feather in a desert which the winds blow along over and over." (This narration is reported by At-Tabarani and Al-Baihaqi on the authority of Abu Musa Al-Ash'ari; and Al-Bazzar on the authority of Anas).

These changes and the wonders of the dealings of Allah in causing them, which cannot be sought out, are known only by those who watch and ponder over their own condition in relation to Allah. Hearts are divided into three classes from the standpoint of being fixed on good, on evil, or wavering between both:

There is a heart which is inhabited by piety, purified by discipline, and cleared of all evil characteristics. Into it are poured involuntary suggestions of good from the storehouses of the unseen and the entrances to the heavenly dominion. The intellect is then wholly occupied with thinking about that which has been suggested to it so as to know the minute details of good therein and understand the secrets of its benefits. Thus, its purpose is revealed to the intellect by the light of insight, and so it decides that this thing must be done. It then urges the heart and calls it to do the act. The angel looks to this heart and finds it good in substance, pure because of its piety, enlightened by the light of reason, furnished with the light of experiential knowledge, and he sees that it is worthy to be his place of abode and alighting. Thereupon he supplies it with an unseen host, and guides it into other blessings, so that good is Thus, led on to greater good unceasingly. His help in causing it to desire good and making it easy of attainment does not cease. To such a heart is referred in the statement of Allah

Almighty: "But as for him who gives alms and fears Allah and believes in the best, we will make easy his path to happiness." (Al-Lail 5-7)

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ ﴾

In such a heart there shines the light of the lamp from the niche of lordship, so that therein lies no hidden polytheism, for such is more hidden than the creeping of a black ant on a dark night. No hidden thing is concealed from this light, nor does any of the wiles of Satan get the start of a heart like this. Indeed Satan stands and speaks flowery words striving to deceive, but the heart will not turn to him. This heart, after being purified from the destructives, soon becomes filled with the saviors we are going to mention: thanksgiving, patience, fear, hope, poverty, asceticism, love, satisfaction, longing, trust, meditation, examination of conscience, etc. This is the heart to which Allah turns His Face. It is the heart referred to in His statement: "Do hearts not find rest in remembrance of Allah?" (Ar-Ra'd 28)

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۝ ﴾

And : "O You soul which are at rest." (Al-Fajr 27)

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ﴾

The second heart is disappointed, laden by passion, corrupted by foul actions, stained by blameworthy characteristics, Its doors for demons are open, and its doors for angels closed, The starting point of evil in it is an involuntary suggestion of passion which is cast into it and speaks therein. Then the heart turns to the intellect as judge to get its decision and learn the right course therein. But the intellect has become accustomed to serve passion, and familiar with it, and continues to invent tricks to agree with passion and assist it until they entice the soul and help on the passion. Thus, the breast rejoices in passion whose darkness covers it because of the withdrawal of the forces of the intellect from the defense of the heart. Accordingly the power of Satan grows because of the breadth of his area due to the spread of passion. Satan then approaches the heart with allurement and seduction and anticipations, speaking flowery words to deceive. The power of faith in (Allah's) promise and threat grows weak and the light of certainty regarding fear of the hereafter is extinguished. For there rises up from passion a dark smoke over the heart which fills it entirely so that its lights are extinguished. Then the intellect becomes like an eye whose lids are full of smoke so that it is not able to see.

This is what the victory of appetence does to the heart, so that there is no possibility left for the heart to stop and look. If a warner should try to make it see and hear what the truth is, it would blind itself to understanding and close its ears against hearing. Appetence is roused up in it and Satan overpowers it. The bodily members move in accordance with the desires of passion, and the act of disobedience appears in the physical material world from the dominion of the unseen in accordance with Divine decree and fate of Allah. To such a heart is referred in the statement of Allah Almighty: "Do you consider him who takes his

lusts for his god? Will you then be in charge over him? Or do you reckon that most of them will hear or understand? They are only like the cattle, if not more straying from the way." (Al-Furqan 43-44)

﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾

And: "Already the word has come into effect upon most of them, so they do not believe." (Ya Sin 7)

﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ ﴾

And: "It is all the same to them if you do warn them or do warn them not; they will not believe." (Ya Sin 10)

﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

Many a heart in this condition is regards all desires, and many a heart is in this state as regards certain desires, like a man who abstains from some things, but if he sees a pretty face he cannot control his eye and heart. Or it may be like a man who cannot control himself in anything having to do with high rank, leadership, and pride. He has no grip to hold himself firm when the occasion appears. It may be like one who cannot control himself in anger, no matter how much he may despise it and recall its faults. Or it may be like a man who cannot control himself when he is able to get a dirham or a dinar, but he covets it as one bereft and disordered, forgetting therein-manly virtue and piety. All of this is because of the rising of the smoke of passion over the heart so that the light of modesty, manly virtue, and faith is extinguished, and he strives to secure what Satan desires.

The third heart is that in which there appears suggestions of passion which summon it to evil. But there follows then a suggestion of faith which summons it to good. the soul with its lusts hastens to the aid of the evil suggestion, the lust grows stronger, and enjoyment and delight seem good. But the intellect hastens to the aid of the good suggestion, repels the idea of the lust, and makes the doing of it appear abominable, attributing it to ignorance and likening it to a brute or a lion in rushing blindly into evil and showing little concern for consequences. The soul then inclines toward the advice of the intellect. Satan in turn attacks the intellect and makes the call of passion louder, saying: "What is this cold narrow aloofness? Why do you abstain from your passions and torment yourself? Do you see any of your contemporaries going contrary to his passions, or giving up his aim? Will you Thus, leave the pleasures of this present world for them to enjoy, and deprive yourself of them until you are avoided, miserable, and worn out, and become the laughing-talk of modern folk? Do you want to attain a higher rank than so-and-so and so-and-so? They have done what you have longed to do and have not abstained. Don't you see the learned man so-and-so? He does not guard against doing this, and if it were evil he would abstain from it." Thus, the soul inclines to Satan and is turned to him. Then the angel attacks Satan and says: "Has Anyone ever perished save he who followed the pleasure of the moment,

forgetting the consequences? will you be contented with a trifling pleasure and forsake the pleasure of the Garden and its blessedness forever? Or do you think that the pain of resisting your lust is too great a burden, but do not think the pain of the Fire grievous? Will you be deceived by men's neglect of themselves, their following their own passions, and their taking sides with Satan, in spite of the fact that the torment of the Fire will not be made easier for you to bear because of the disobedience of another? Now if it were summer and all the people were standing in the sun, but you had a cool house, would you stay with the people, or would you seek shelter for yourself? How could you disagree with men through the fear of the sun's heat and not disagree with them through fear of the Fire?" Thereupon the soul inclines to the saying of the angel.

The heart continues to sway between the two forces, being attracted by each of the two parties, until there overcomes It that which is dominant therein. For if the satanic qualities are predominantly in the heart which we have mentioned, then Satan is victorious and the heart inclines to its own sort among the parties of devils, turning away from the party of Allah and His saints, and taking sides with the party of Satan and its own soldiers. Because of predestination its members have done what causes them to be remote from Allah.

If the angelic characteristics are predominant in the heart it will not give heed to the allurement of Satan, nor his urging the claim of the swiftly passing world, nor his making light of the hereafter. But it inclines to the party of Allah, and its obedience appears in its members in accordance with what has previously been decreed.

"The heart of the believer is between two of the fingers of (Allah) Most Merciful", i.e., between the attraction of these two parties. This is the case with most men; I mean the turning and shifting from one party to another, for perpetual constancy in the party of the angels or that of the devils is rare in both cases. These acts of obedience and of disobedience appear, coming from the storehouses of the unseen into the physical material world, by means of the storehouse of the heart; for it is one of the storehouses of the dominion of the unseen. When these appear they are signs which teach masters of hearts the fact of the predetermined decree. For him who is created for the Garden the means of obedience are made easy, and for him who is created for the fire the means of disobedience are made easy. Evil companions have been empowered over him, and the sayings of Satan have been cast into his heart. For by varieties of sayings he (Satan) deceives the foolish. Examples of these sayings are: "Truly Allah is merciful, so do not worry. Men do not all fear Allah, so do not disagree with them. Life is long, so wait and repent tomorrow." "He makes them promises, and stirs up desires within them, but Satan promises only dilution." (An-Nisa' 120)

﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾

He promises them repentance and stirs up within them a desire for forgiveness, but he destroys them, by the permission of Allah, through these

tricks and the like. He opens a man's heart to receive deception, but contracts it against the reception of truth. All of this is because of the Divine decrees of Allah. "Whomsoever Allah wishes to guide, He expands his breast to Islam; but whomsoever He wishes to lead astray, He makes his breast tight and constricted, as though he would mount up into the sky." (Al-An'am 125)

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ ﴿١٢٥﴾ ﴾

"If Allah helps you there is none can overcome you; but if He leaves you in the lurch, who is he that can help you after Him?" (Al Imran 160)

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ ﴿١٦٠﴾ ﴾

He is the One who guides aright and leads astray. He does as He wills and judges as He desires. There is none to avert His judgment, nor is there any who can repel His decree, He has created the Garden and created a people for it, and He engages them in obedience. He has also created the fire and created a people for it, and He engages them in disobedience.

He has taught mankind the sign of the people of the Garden and of the people of the fire. He said: "Surely the righteous are in bliss, and, verily, the wicked are in hell." (Al-Infitar 13-14)

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾

Then He said, according to a narration of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "These are in the Garden and I care not, and these are in the fire and I care not." So Allah, the King, the Real, is exalted; "He shall not be questioned concerning what He does, but they shall be questioned." (Al-Anbiya 23)

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

Let us then limit ourselves to this brief amount in mentioning the wonders of the heart, for to survey it completely is not suitable for the science of practical religion. But we have mentioned what is needed in order to know the depth and secrets of the science of practical religion, in order that one may be profited thereby who is not satisfied with things external, nor content to take the shell instead of the kernel, but longs to have a detailed knowledge of the true nature of causes. In what we have mentioned he will find that which, if Allah wills, will both suffice and convince. Allah is Lord of success.

The Book of Wonders of Heart is ended, and to Allah be praise and gratitude. It is followed by the Book of Discipline of Soul and Improvement of Character, Praise be to Allah alone, and may His blessing be upon every chosen servant.

Book two: Self-Discipline and improvement of moral character and remedy of heart diseases

This is the second book of the quarter of destructives

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

Praise be to Allah Who has managed affairs with His ordinance and justice, and composed creatures and gave them good form, and adorned the form of man with making him stand straight, and giving him good estimate, causing him to be proportionate in shape and size, and referred the matter of improving character to the effort of man, and urged him to improve his character by frightening and warning him (of His punishment), and made it easy on the private among His servants to improve theirs by granting them help and success, and favored them with making easy its difficulty and complexity for them. Allah's blessing and peace be upon Muhammad, the slave and Messenger of Allah, His beloved and well chosen, the bearer of His glad tidings and warnings, on whom the lights of Prophethood were visible, and from his visions and glad news the reality of the true nature of things seemed evident. Blessing and peace be also upon his family and companions, who purified the surface of Islam from the darkness and dimness of infidelity, and obliterated falsehood whose filth never touched them.

To go further: the good character is the quality of the chief and master of the Messengers, and the best conduct of the sincere lovers of truth. it represents, with certainty, half of religion, and the fruit of the efforts of god-fearing, and discipline of worshippers. On the contrary, the bad manners are the deadly poisons, abrogating destructive, disgracing shames, evident vices, and the wicked things that draw one far from (the mercy of) the Lord of the worlds, and rather bring him into the way of devils. They are the doors that are opened to the blazing fire of Allah Almighty, which burn hearts, whereas the good manners are the doors that are opened from the heart to the pleasures and delights of the Garden and the neighbourhood of (Allah) Most Gracious.

Of a surety, wicked manners are the diseases of hearts and ailments of souls. But they differ from the ordinary diseases that do not go beyond the living body in that they transcend to the eternal life (of the spirit). If the physicians care about setting laws of remedy for bodily diseases, that do not go beyond the life of this world, it should be preferable to set laws of treatment of the heart diseases that transcend to the eternal life. However, it is incumbent upon every man of sound mind to learn this sort of medicine, for all hearts could hardly be free from diseases and if they were to be neglected, they would accumulate and become too strong to remedy. For this reason, one needs to have knowledge of their sources and causes, and exert his greatest effort to remedy and reform them. Treating them is intended by the statement of Allah Almighty: "He has succeeded who

purifies it", (Ash-Shams 9)

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ ﴾

Whereas neglecting them is intended by the statement of Allah Almighty: "And he has failed who instills it [with corruption]." (Ash-Shams 10)

﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝ ﴾

In that book, we are going to refer to some of heart diseases and the way of treating them, but briefly and with no minute details, for the details shall be brought along the remaining books of that quarter. Our purpose is to have a general overview of the improvement of character, and paving the way for treating them, taking from the treatment of the body an example to make it more understandable and perceptible. This matter shall be clarified by exposing first the merit of good character; exposing the true nature of the good character; exposing the changeability of character by discipline; exposing the means of attaining good character; exposing the ways by which the means to improve character and discipline souls are known; exposing the signs by which the heart disease is known; exposing the ways by which a man knows his own defects; exposing evidences from tradition that the way of treating heart diseases is to leave desires; the signs of good character; exposing the way to discipline children during their early childhood; and exposing the conditions of discipline and commencements of self-mortification. Those are eleven chapters to be included in this book, Allah willing.

CHAPTER ONE:
MERIT OF GOOD CHARACTER; AND DEMERIT OF BAD CHARACTER

Prophetic Narrations

Allah Almighty said addressing His Prophet "Peace be upon him" out of praising him and showing his favour upon him: "And you (stand) on an exalted standard of character." (Al-Qalam 4)

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾

It is narrated on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that she said: "The character of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was taken from the Qur'an." (This narration is reported by Muslim). It is narrated that a man asked the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" about the good character, thereupon he recited the statement of Allah Almighty: "Hold to forgiveness; command what is right; but turn away from the ignorant." (Al-A'raf 199)

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝ ﴾

Then he said: "It is to keep good relation with such as severs relation from you, to give such as withholds from you, and to forgive such as wrongs you." (This narration is reported by Ibn Mardawaih on the authority of Jabir). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "I

have been sent (as a Prophet) in order to perfect the noble manners." (This narration is reported by Al-Hakim, Ahmad and Al-Baihaqi on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "The heaviest thing to be put in the scale of balance (on the Day of Judgement) will be a good character." (This narration is reported by Abu Dawud on the authority of Abu Ad-Darda').

It is narrated that a man came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in front of him and said: "O Messenger of Allah! What is religion?" He said: "It is to have good character." He came to him on his right side and said: "O Messenger of Allah! What is religion?" He said: "It is to have good character." He came to him for the third time on his left side and said: "O Messenger of Allah! What is religion?" He said: "It is to have good character." Then, he came to him from behind his back and said: "O Messenger of Allah! What is religion?" He turned his face to him and said: "Do you not understand? It is not to grow angry." (This narration is reported by Al-Marwazi on the authority of Abu Al-Ala' Ibn Ash-Shikhkhir).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked: "O Messenger of Allah! What is the bad omen?" he said: "It is the bad character." (This narration is reported by Ahmad on the authority of A'ishah). A man said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Advise me!" he said: "Fear Allah wherever you are." He said: "Give me more." He said: "Make the good deed follow the evil deed so that it would erase it." He said: "Give me more." He said: "Deal with the people depending upon good character." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Abu Dharr).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked: "Which deed is the best?" he said: "To have good character." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Allah does not make good the character and appearance of a man to let him to the fire (of Hell) to devour." According to Al-Fudail, it was said to the,: "So and so of women stands for prayer at night and observes fast during the day, but she is of bad character, and she causes harm to her neighbours with her tongue." On that he said: "She has no good; and she will be among the denizens of the fire (of Hell)." According to Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him": I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" having said: "The first thing to be placed in the scale of balance (on the Day of Judgement) will be the good character and generosity. When Allah Almighty created faith it said: "O Allah! Give me power." He strengthened it with good character and generosity. When Allah created disbelief it said: "O Allah! Give me power." He strengthened it with bad character and stinginess."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Verily, Allah has chosen that religion for His Own Self; and your religion is good only through the good character and generosity. So, adorn your religion with them." (This narration is reported by Ad-Daraqatni and Al-Khara'iti on the

authority of Abu Sa'id). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The good character represents the greatest of Allah's manners." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Ammar Ibn Yasir). It was said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Messenger of Allah! Who among the believers has the best faith?" he said: "Who has the best character." (This narration is reported by Abu Dawud, An-Nasa'i, At-Tirmidhi and Al-Hakim on the authority of Abu Hurairah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "You never satisfy the people with your property, but at least satisfy them with your joyfulness and good character." (This narration is reported by Al-Bazzar, Abu Ya'li and At-Tabarani on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The bad character spoils the deed just as vinegar spoils honey." (This narration is reported by Ibn Hibban on the authority of Abu Hurairah; and Al-Baihaqi on the authority of Ibn Abbas and Abu Hurairah). It is narrated on the authority of Jarir Ibn Abdullah "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah has made your good appearance, so, make your good character." (This narration is reported by Al-Khara'iti). It is narrated on the authority of Al-Bara' Ibn Azib "Allah be pleased with him" that he said: "The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was the best of people in character and appearance." (This narration is reported by Al-Khara'iti).

It is further narrated on the authority of Abu Mas'ud Al-Badri "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to say in his supplication: "O Allah! As You have made my good appearance, make my good character." (This narration is reported by Al-Khara'iti; and Ahmad on the authority of A'ishah). It is narrated on the authority of Ibn Umar "Allah be pleased with them" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to supplicate so much saying: "O Allah! I ask You to provide me with good health and wellbeing and good character." (This narration is reported by Al-Khara'iti). It is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The believer's religion represents his honour, his good character represents his ancestry, and his gallantry represents his mind." (This narration is reported by Ibn Hibban, Al-Hakim and Al-Baihaqi).

It is narrated on the authority of Usamah Ibn Sharik "Allah be pleased with him" that he said: I was present when the desert Arabs asked the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying: "What is the best to be given to a man?" He said: "The good character." (This narration is reported by Ibn Majah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The dearest one to Allah Almighty who will have the closest seat to me on the Day of Judgement is the one who has the best manners among you." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Abu Hurairah). It is narrated on the authority of Ibn Abbas "Allah be pleased with them" that he

said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There are three characteristics, which if one has not, or at least one of them, his deeds will be fruitless: fear of Allah that prevents him from committing sins therewith he disobeys Allah, forbearance therewith to hold back the weak-minded, and good character therewith he lives among the people." (This narration is reported by Al-Khara'iti; and At-Tabarani on the authority of Umm Salamah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to supplicate Allah in the beginning of his prayer saying: "O Allah! Guide me to the best of characters, for none could guide to the best of them but You; and keep me away from the worst of characters, for none could keep me away from the worst of them but You." (This narration is reported by Muslim on the authority of Ali). It is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: While we were with the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" one day he said: "Verily, the good character dissolves sin just as sun dissolves ice." (This narration is reported by Al-Khara'iti; and At-Tabarani and Al-Baihaqi on the authority of Ibn Abbas and Abu Hurairah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The good character is out of one's happiness." (This narration is reported by Al-Khara'iti and Al-Baihaqi on the authority of Jabir). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The good character is out of one's good fortune." (This narration is reported by Al-Khara'iti on the authority of Ali). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Abu Dharr "Allah be pleased with him": "O Abu Dharr! No mind is better than to dispose of (the affairs), and no family status is better than the good character." (This narration is reported by both Ibn Majah and Ibn Hibban on the authority of Abu Dharr).

It is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: Umm Habibah "Allah be pleased with her" said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Tell me about a woman who has two husbands in the world and they die and both are admitted to the Garden: to whom should she be in the hereafter?" he said: "To the one of the better character in her sight in the world. O Umm Habibah! The good character has taken away all the good of the world and the hereafter." (This narration is reported by Al-Bazzar, At-Tabarani and Al-Khara'iti). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Indeed, the Muslim who does deeds correctly attains the rank of the fasting person who stands at night for prayer (or the rank of the thirsty person during the scorching heat of noon, according to another version) by virtue of his good character and noble standing." (This narration is reported by Ahmad on the authority of Abdullah Ibn Amr, and the other version on the authority of Abu Hurairah). It is narrated on the authority of Abd-Ar-Rahman Ibn Samurah "Allah be pleased with him" that he said: We were sitting with the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace

be upon him" when he said: "Yesterday, I saw (in a dream) an amazing thing. I saw a man from my nation kneeling , and there was a screen between him and Allah Almighty. Then, his good character came and admitted him to Allah Almighty." (This narration is reported by Al-Khara'iti).

It is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, one might attain by virtue of his good character the great ranks in the hereafter and the noble positions (given to the honoured people) no matter weak he might be in worship." (This narration is reported by Al-Khara'iti and At-Tabarani on the authority of Anas).

It is narrated on the authority of Sa'd Ibn Abu Waqqas "Allah be pleased with him" that he said: Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" asked the permission of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" to see him while some Quraishi women were sitting with him, talking to him, asking him for more expenses, and raising their voices (above the voice of Allah's Apostle). When Umar asked for the permission to enter, the women quickly went behind the curtain. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" allowed him to enter. Umar came in while The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was smiling.

Umar said: "O Allah's Apostle! May Allah always keep you smiling." The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I was astonished at these women who have been here. as soon as they had heard your voice, they quickly went behind the curtain." Umar said: "O Allah's Apostle! You have more right to be feared by them than I." Then Umar addressed the women saying: "O enemies of yourselves! Do you fear me more than you fear The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"?" They said: "Yes, for you are harsher and sterner than Allah's Apostle "Allah's blessing and peace be upon him"." Then The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "O Ibn Al-Khattab! By Him, in Whose Hands my life is! Never does Satan find you going on a way, but that he takes another way other than yours." (This narration is reported by both sheikhs).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "No doubt, the bad character is unpardonable sin; and the distrust (of people) is a foul-smelling sin." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of A'ishah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Verily, a servant might fall down, because of his bad character, until he reaches the lowest bottom of the fire of Hell." (This narration is reported by Al-Khara'iti and At-Tabarani on the authority of Anas).

Traditions And Sayings

The son of Luqman the Wise said to his father: "O my father! Which characteristic is the best that a man should have?" he said: "Faith." He said: "But in case they should be two?" he said: "Faith and property." He said: "In case they

should be three?" he said: "Faith, property and modesty." He said: "In case they should be four?" he said: "Faith, property, modesty and good character." He said: "In case they should be five?" he said: "Faith, property, modesty, good character and generosity." He said: "In case they should be six?" on that he said: "O my son! If he combines those five characteristics he will be pious and pure, a devotee of Allah, and far removed from Satan."

According to Al-Hassan: "He, who has bad character will have tormented himself." According to Anas "Allah be pleased with him": "A man might attain, by virtue of his good character, the highest rank in the Garden regardless of his weak worship; and a man might fall down to the lowest bottom of the fire of Hell because of his bad character, regardless of his much worship." According to Yahya Ibn Mu'adh: "There lies in the good character the abundance of sustenance." According to Wahb Ibn Munabbih: "The example of the one of bad character is like a broken pot which could neither be repaired nor be returned to clay." According to Al-Fudail: "It is better for me to have a wicked companion of good character than to have a worshipping companion of bad character."

Once, a man of bad character accompanied Ibn Al-Mubarak on journey, and he endured from him and at the same time dealt with him kindly. When he left him he wept for him. Being asked about that he said: "I have wept out of pity and kindness towards him. It is true that I have left him, his bad character still remains with him and has not left him." According to Al-Junaid: "Four things raise man up to the highest degree, regardless of his little work and knowledge: forbearance, humbleness, generosity and good character; and this is the perfect faith." According to Al-Kinani: "Sufism makes one of good character. Thus, he whose character is better than yours is more Sufi than you." According to Umar "Allah be pleased with him": "Mix with the people depending upon your good manners, and leave them with deeds."

According to Yahya Ibn Mu'adh: "The bad character is a sin with which much good deeds would not avail; and the good character is a good deed with which much sins would cause no harm." Ibn Abbas "Allah be pleased with them" was asked about honour, thereupon he said: "It is what Allah Almighty has exposed in His Holy Book: "Verily the most honoured of you in the sight of Allah is (he who is) the most righteous of you. And Allah has full Knowledge and is well-acquainted (with all things)." (Al-Hujurat 13)

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾

He was further asked about family status, thereupon he said: "He who has the best character among you is of the best family status among you."

He further said: "Every structure should have a foundation, and the foundation of Islam is the good character." According to Ata': "None among those who has risen high (above others) has become so except by virtue of the good character, and none has attained the perfection therein except the chosen one, (i.e. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"). Thus, those among the creatures who are the nearest to Allah Almighty are the

followers of his traces with their good character."

CHAPTER TWO

EXPOSITION OF REAL NATURE OF GOOD AND BAD CHARACTER

It should be known that although the people talked much about the reality of the good character and made attempts to define it, they in fact did not mention its true nature in so much as they mentioned its fruits, which they did not also encompass. Each of them mentioned of its fruits what occurred to his mind, but they did not care about mentioning its definition and true nature, and all of its fruits in minute details. Al-Hassan, for instance, said: "The good character comprises cheerfulness, openhandedness and holding back harm." Al-Wasiti said: "It is not to fall in dispute (with anyone) due to his great knowledge of Allah Almighty." Shah Al-Karmani said: "It is to hold back harm and bear food supplies." According to another one: "It is that one should be close to the people and strange among them." According to Al-Wasiti once again: "It is to please the creatures at both times of ease and adversity." According to Abu Uthman: "It is to be satisfied and well-pleased with Allah Almighty."

When Sahl At-Tastari was asked about the good character he said: "At least it is to stick to endurance, not to expect for reward, to show mercy towards the wrongdoer, ask for forgiveness for him and sympathize for him." Once again he said: "It is to have no distrust of the Real about sustenance, and rather to have confidence of Him, and admit the fact that He is going to fulfill what He has ensured which causes him to obey Him, and not to disobey Him in all affairs, in what is between both as well as in what is between him and the people." Ali "Allah be pleased with him" said: "Three qualities constitute the good character: to avoid what is forbidden, to seek after what is lawful, and to be openhanded with one's dependents." According to Al-Hussain Ibn Mansur: "It is not to be affected by the desertion of the people after you have known the truth." according to Abu Sa'id Al-Kharraz: "It is to be concerned only with Allah Almighty."

Those and many sayings alike refer to the fruits of the good character and not to its true nature. Moreover, all of those do not encompass all of its fruits. But even, to uncover the reality is preferable to transmit the different sayings.

Let's say that both words of character and appearance are concomitant in usage. It is said that so and so is of good character and appearance, i.e. both his internal and external are good. The appearance is intended to mean the external image, whereas the character the internal image. Man is composed of a concrete body to be visible by the eye, and a soul and a spirit to be perceived by insight. Each of those has an image, which might be either beautiful or ugly. The soul that is perceived by insight is of more importance than the body that is visible by the eye. This is why Allah Almighty gave it a great estimate when he ascribed it to Himself as shown from His statement: "Behold! your Lord said to the angels: "I am about to create man, from sounding clay, from mud moulded into

shape; When I have fashioned him (in due proportion) and breathed into him of My spirit, fall you down in obeisance unto him." (Al-Hijr 28-29)

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

In this he alerted that the body is ascribed to clay, whereas the spirit to the Lord of the worlds.

Both spirit and soul are synonyms here. The character then is a quality well established in the soul from which all acts and behaviours issue easily with no need of reasoning or reflection. If such quality is set in a way that from which beautiful acts issue that is accepted by law and reason, it is named the good character; and if it is set in a way that from which bad acts issue, it is named bad character. However, we describe it as being well established in the soul for if one gave money out of his property in a few cases in order to serve an accidental need, he would not be described as generous unless the characteristic of generosity is affirmed to him. The condition of easy issuance of acts with no need of reasoning or reflection is necessary here, for he who forces himself to give money out of his property, or he who exerts a great effort to have control over himself when he becomes angry could not be ascribed to generosity or forbearance.

There are then four things to be observed here: the first pertains to the beautiful and ugly act; and second pertains to the power to do them; the third is to have knowledge about them; and the fourth is the quality therewith the soul inclines to any of both sides, and it is made easy for it to do either the good or the bad act.

The character is not the act itself. How many a man who is generous, but he does not give money either because of lack of property or of another impediment; and how many a man who is niggard although he gives money either because of a particular motive or out of showing off to be seen of men. It is also not the power, because it is the same to ascribe the power to giving or withholding. Everyone is created by nature with the power either to give or to withhold, which does not require the quality of generosity or the quality of niggardliness. It is not the knowledge, since knowledge pertains to both the beautiful and ugly alike. Thus, it applies only to the fourth meaning, i.e. the quality with which the soul is prepared in a way that from which either giving or withholding should issue.

The character then is the quality and internal image of the soul. As well as the external appearance is not perfectly good only by the beautiful eyes on the exclusion of the beautiful nose, mouth and cheeks, but all the external features should be beautiful in order for the good appearance to be perfect, four principles should be beautiful in the internal image in order for the good character to be perfect. Once those four become straight, upright and proportionate the good character shall be achieved. They are the power of

knowledge, the power of anger, the power of appetence, and the power of making proportionate those three powers.

The power of knowledge should be correct and good in a way that enables it to perceive with ease the difference between the true and false of statements, beliefs, the beautiful and ugly of acts if this power is valid, its fruit will be wisdom, which is the fountainhead of good character. It is the wisdom about which Allah Almighty says: "He grants wisdom to whom He pleases; and he to whom wisdom is granted receives indeed a benefit overflowing; but none will grasp the Message but men of understanding." (Al-Baqarah 269)

﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾

The power of anger is good when it grows and shrinks in accordance to wisdom. Similarly, the power of appetence is correct and good when it becomes at the disposal of wisdom, i.e. at the disposal of mind and religious law.

The power of justice is to adjust both anger and appetence to come under the disposal of mind and religious law. The example of mind is like the consultant advisor; and the power of justice is like an executive power, and it undertakes to implement the mind's orders and instructions. The anger is that on which the order is implemented; and its example is like a hunting dog which needs to be trained in order for its setting off and stoppage are subject to the disposal of mind and not in accordance to the self-agitation. The example of appetence is like the horse that is ridden in order to chase a game: sometimes it is trained and well mannered and sometimes it is rebellious. Whoever has all of those qualities moderate and proportionate, his character is absolutely good; and whoever has some of those qualities moderate his character is good in relation to those on the exclusion of the others, just like him who has some parts of his face good-looking on the exclusion of the others. The good moderate power of anger is called courage, whereas the good moderate power of appetence is called chastity.

If the power of anger exceeds the due bounds it is called recklessness; and if it weakens and decreases from the due limit, it is called cowardice and half-heartedness. Likewise, if the power of appetence exceeds the due bounds, it is called greediness; and if it weakens and decreases from the due limits, it is called lifelessness.

The praiseworthy is the moderate which is meritorious virtue, whereas both extremes are blameworthy vices. Justice itself has no extremes of increase or decrease: it has but one opposite, i.e. injustice.

When wisdom is overused particularly for evil purposes, it is called cunning and sneakiness, and silliness in case it is short, and it is the moderate only that is worthy of the name of wisdom.

The foundations of manners are four: wisdom, courage, justice and chastity. Wisdom is intended to mean a state of mind therewith to distinguish right from wrong in all optional and voluntary acts. Justice is intended to mean a state of mind and power that adjusts both anger and appetence, and subjugates their activity and stoppage to the requirements of wisdom. Courage is intended to

mean that the power of anger is, in its advance and retraction, subject to the mind. Chastity is intended to mean that the power of appetence is disciplined in accordance with the requirements of mind and religious law.

From the moderateness of those four foundations there issue the beautiful and good manners:

The moderate power of mind brings about common sense, sound mind, penetrating opinion, right suspicion, and making sense to the minute and fine details of work, and the hidden diseases of souls. But excess in it brings about cunning, craftiness, deception and sneakiness. Indulgence in it brings about silliness, folly, naïvety and madness. Naïvety is intended to mean inexperience in matters, but with sound imagination: a man might be naive about something apart from another. The difference between folly and madness is that a foolish might be right in purpose even though wrong in conduct, due to his shortage of judgment while following the way that enables him to achieve his purpose. The mad's preferences are unsuccessful, which leads to his failure.

The manner of courage brings about generosity, relief, gallantry, self-submission, forbearance, endurance, steadfastness, control of anger, reverence, lovability, etc. all of those manners are praiseworthy. Excess in it, i.e. recklessness brings about pigheadedness, profligacy, burst with anger and loss of temper, arrogance and conceit. Indulgence in it brings about mortification, humiliation, fright, baseness, subjection, and refraining from getting right.

The manner of chastity brings about openhandedness, modesty, patience, tolerance, satisfaction, piety, kindness, helpfulness, gaiety, and non-covetousness. Excess or indulgence in it brings about tightfistedness, greediness, rudeness, cunning, extravagance, parsimony, showing off, depravity, debauchery, jest, flattery, envy, schadenfreude, self-humiliation before the wealthy, and scorn of the poor, etc.

These four virtues then constitute the fountainhead of all good manners, i.e. wisdom, courage, justice and chastity; and the other virtues act as their shooting branches.

None but the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" has ever attained the perfect moderateness of those four virtues, and after him the people are of different degrees in closeness to and remoteness from him. The more one becomes close to him in those good manners, the more he draws near to Allah Almighty in proportion to his being close to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". If one combines (as much as he could of) those manners, he deserves to be among the people an obeyed angel, whom they all refer to and emulate in all of their behaviours and conduct. On the contrary, whoever leaves all of those manners and rather is described with their opposites, deserves to be removed from among the nation, for he has become close to Satan, the accursed and despised, and it is for this that he should be kept away, just as the former has become close to the angel that is near Allah, and it is for this that he should be emulated, and to him people should draw near. Of a surety, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was sent

only to make perfect the noble manners as he himself said.

In description of the faithful believers, the Holy Qur'an refers to those manners. Allah Almighty says: "Only those are Believers who have believed in Allah and His Messenger, and have never since doubted, but have striven with their belongings and their persons in the Cause of Allah: such are the sincere ones." (Al-Hujurat 15)

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

Faith in Allah and His Messenger with no doubt is the power of certainty, which is the fruit of mind, and the utmost of wisdom. Striving with property is the openhandedness that refers to the adjustment of the power of appetence. Striving with soul and life is courage which refers to the use of the power of anger in accordance with the prerequisites of mind and the due limit of moderation. Allah Almighty described the companions "Allah be pleased with them" saying: "and those who are with him (the Prophet) are strong against Unbelievers, (but) compassionate amongst each other" (Al-Fath 29)

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴿٢٩﴾ ﴾

In reference to the fact that strength should be used when it is needed, and compassion should be used when it is needed. Perfection does not lie in absolute strictness or compassion.

This is an exposition of the concept of character, its goodness and badness, its pillars, fruits and branches.

CHAPTER THREE

EXPOSITION OF CHANGEABILITY OF MANNERS BY WAY OF DISCIPLINE

It should be known that the idle among men regards self-mortification and discipline hard upon himself, and feels it difficult to engage in justifying himself and improving his manners. He does not admit that this is due to his indulgence, shortage and wickedness in so much as it is due to his claim that manners are unchangeable since disposition remains constantly fixed.

He supports his claim with two proofs: the first is that the character represents the internal image as well as the appearance the external image, and just as the external appearance is unchangeable, for the short could not make himself tall, nor could the tall make himself short, nor could the ugly make beautiful his features, so is the case of the internal ugliness. The other is that they say that 'the good character suppresses both appetence and anger, and we have experienced it through a long mortification, and have come to know that it is subject to the temper and disposition, and Thus, it never leaves man, who spends his time in vain if he engages in attempt to get rid of it. The point is to divert the heart from concern with the transitory fortunes of this present world'.

In reply to that, let's say that if manners are unchangeable, of no avail then

will be all advices, recommendations and preachings, and of no significance will be the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Make good your manners." How should we reject the changeability of human character given that the conduct of a beast is changeable? The falcon, for instance, is susceptible to turn from wildness to domestication, the dog from greediness to self-discipline and abstinence, and the horse from rebellion to obedience and submission. If this is not to change the character, what should it be?

To unveil the abstruseness, let's say that things are divided into those in which mankind has no way to choose or put in different order, like the sky, stars and planets, the internal and external members of the body, and the parts of animals. In brief, this applies to all perfect things from whose existence and perfection it have been finished. the other sort of things are those that exist with shortage and are susceptible to change into perfection, once the necessary conditions are fulfilled. The condition might be related with the choice of mankind. Although the kernel is not an apple not a date-palm, it is created in a way that enables it to turn into a date-palm once it is planted, but by no means should it become an apple. Henceforth, based upon the case of the kernel that is, by virtue of choice, susceptible to some states on the exclusion of others, if we like to suppress and overpower both appetence and anger absolutely, in order to become completely ineffective, of a surety, we would fail. But if we like to make them obedient and submissive by way of discipline and mortification, we would succeed to do so. It is with this that we have been commanded, and it is the means and way of salvation that shall convey us to the Presence of Allah Almighty.

It is true that dispositions are different: some are quick in response to change and others are slow. There are two reasons for that difference. The first is the power and duration of instinct. The powers of appetence, anger and arrogance exist in man, but from among them, the power of appetence is the most difficult and disobedient to change. It is the oldest. It is created within the child once he becomes a baby, and in his seventh year the anger might be created within him, and some time later, the power of discernment is created.

The other is that a particular manner might be confirmed by acting upon it so much, and being subject to its requirements, and having the faith that it is good and satisfactory. Mankind are divided into four types in this connection: the first is the naive who could not distinguish true from false, beautiful from ugly: but he remains on his innate nature on which he was created, void of any acquired beliefs or opinions, and his appetence is not mature by seeking after pleasures. Such is responsive to remedy. He needs only a tutor and a guide, and a self-motive that leads him to strive with the result that his character would be improved as soon as possible. The second is he who knows the ugliness of the ugly, but he has not got accustomed to do good. His evil act has been made alluring to him, and Thus, he does it in obedience to his appetence, and refraining from his sound opinion because he is possessed by appetence. But he knows he

is indulgent in his deed. His case is more difficult than the former, for he has to exert a double effort. First, he has to get rid of the evil and wickedness he has been accustomed to, and then to plant within himself the quality of getting accustomed to do good. But he is susceptible to self-discipline if he takes it seriously and decisively. The third is to believe that the bad manners is binding nice-to-see and true and beautiful, on which he has been brought up. The treatment of such is almost impossible, and his righteousness is unexpected save very rarely, due to the multiple ways leading to misguidance. The fourth is that although he has been brought up to wicked opinion upon which he acts, he sees it virtuous to make much of evil of which he is proud before others, thinking that thereby his rank is high. Such is the most difficult level. From amongst those, the first is only ignorant; and the second is ignorant and misguided; and the third is ignorant, misguided and dissolute; and the fourth is ignorant, misguided, dissolute and evil.

As for their second proof, i.e. their claim that as long as man is living, he could not leave anger, appetence, love for world and the other vices. But it is false. Some people who committed such falsity had the impression that the purpose of self-mortification is to absolutely suppress anger and appetence, and exterminate them; and how far! Appetence was created for a particular benefit and it is necessary for the sound disposition. If the appetite for food discontinues man will be ruined; and if the appetite for sexual relation is absent, there will be no propagation. If the power of anger does not exist, man will not be able to defend himself against his destructives, and Thus, he will be given to destruction.

As the origin of appetence remains, one will be in the habit of love for money to enable him fulfill such appetence, after which he might refrain from money. What is required is not to remove that entirely in so much as it is to adjust it to be moderate, i.e. to be in the middle between excess and indulgence. What is required in the quality of anger is the good zeal, which draws one far from both recklessness and cowardice. In brief, it should be a power in itself and at the same time be subject with its power to the requirements of mind (and religious law). This is why Allah Almighty says: "and those who are with him (the Prophet) are strong against Unbelievers, (but) compassionate amongst each other" (Al-Fath 29)

﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾

In reference to the fact that strength should be used when it is needed, and compassion should be used when it is needed. Of a surety, strength springs from anger, and were anger to be idle, there will be no Jihad.

How should they intend to remove both anger and appetence absolutely, given that the Prophets and Messengers "Peace be upon them" were not free from those? The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I am but a human being and I grow angry (when my anger is provoked) just as human beings grow angry." (This narration is reported by Muslim on the

authority of Anas). (It is narrated by both sheikhs on the authority of Abdullah Ibn Az-Zubair that he said about the Prophet): "If somebody spoke in front of him with what he disliked, he would grow angry so much that the colour of his cheeks would turn red, but he never said but the truth, and by no means did anger keep him from the truth." Allah Almighty says in description of the righteous: "who restrain anger, and pardon (all) men" (Al Imran 134)

﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾

And does not tell that they have no anger at all.

In this way, both anger and appetence are to be adjusted to be moderate in a way that none of them should overpower the mind : on the contrary, it is the mind that should adjust them, and might possibly overpower them; and this is what is intended by change of character. Appetence might possess a man so forcefully that his mind would have no power to avert it, and Thus, he dares to commit shameful deeds. But through self-discipline, it might be reduced to the limit of moderateness; and it is possible, as certainly attested from experience and observation. That the moderate and not one of both extremes in all manners is required is confirmed by the fact that openhandedness, that is praiseworthy under religious law, lies in the middle between both extremes of profligacy and parsimony. Allah Almighty praises it many times as shown from His statement: "Those who, when they spend, are not extravagant and not niggardly, but hold a just (balance) between those (extremes)." (Al-Furqan 67)

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾

He Almighty further says: "Make not your hand tied (like a niggard's) to your neck, nor stretch it forth to its utmost reach, so that you become blameworthy and destitute." (Al-Isra' 29)

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾

The same is true of the appetite for food, that should be moderate, and this places it in between greediness and prevention. In confirmation of that, Allah Almighty says: "eat and drink: but waste not by excess, for Allah loves not the wasters." (Al-A'raf 31)

﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾

He says about anger: "and those who are with him (the Prophet) are strong against Unbelievers, (but) compassionate amongst each other" (Al-Fath 29)

﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The moderate is the best in all matters." (This narration is reported by Al-Baihaqi on the authority of Mutarrif Ibn Abdullah).

There is a great mystery that lies behind this fact. Happiness lies in the heart's soundness and freedom from the accidental causes of this present world. Allah Almighty says: "But only he (will prosper) that brings to Allah a sound heart."

(Ash-Shu'ara 89)

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾

Both niggardliness and extravagance are among the accidental causes of this present world. It is requisite for the heart to be safe from both, i.e. not to be devoted to the money, nor be eager to spend or withhold it. The perfect heart is that which is safe from both. But as this is not possible in this present world, we seek after what is close to it, i.e. the moderate that is far from both extremes. The tepid is neither hot nor cool, but it is in the middle between them; and Thus, it is close to be safe from both. The same is true of openhandedness that lies in between extravagance and niggardliness, courage that lies in between cowardice and recklessness, and chastity that lies between greediness and prevention, etc. both extremes of all matters are blameworthy.

That is what is required; and it is possible. It is true that the man who guides a novice should deface in his sight anger and criticize withholding of money wholly, and give him no concession about anything of that, for in this case the novice will depend upon the least amount in which concession is given to take excuse to stick to niggardliness and anger. If he intends the origin and it is not made easy for him but to be close to it, i.e. to be moderate, the right is that he should intend to remove the origin in order for the intended amount to be made easy for him. This secret should not be unveiled for the novice, for by which the foolish is deceived, thinking that his anger and niggardliness are true.

CHAPTER FOUR

EXPOSITION OF WAY OF ATTAINING GOOD CHARACTER

You have known that the good character refers in the end to the moderate power of mind and perfect of wisdom, as well as to the moderate powers of anger and appetence, and their being obedient to mind and subject to religious law. Such moderateness is attained by virtue of one of two ways: the first is existence by nature and perfection by disposition, in the sense that man is created with perfect mind and good character, as being guarded against the overwhelming power of both appetence and anger, which are created moderate and obedient to mind and subject to religious law. Such a man becomes educated with no need to be educated, polite with no need to be disciplined, like Jesus, son of Mary and Yahya, son of Zakariyya, and all the Prophets and Messengers "Peace be upon them". But there are things that should be attained by way of acquisition. A child might be created as true and openhanded, and he might be created on the contrary of that, and he acquires those good qualities by getting accustomed to them and mixing with those who behave in accordance with them, or attains them through learning.

The other way is to acquire those good manners by way of self-mortification and discipline, i.e. to force oneself to do the deeds required by a certain character. If one, for instance, likes to acquire the quality of generosity, he should force himself to do all things a generous man does, pertinent to giving money. He

should press himself upon doing it, and mortify himself to do it regularly until he gets accustomed to do it fluently by nature. Thus, he becomes generous. The same is true of him who likes to acquire the quality of humbleness, and he is arrogant: he should do all things the humble do for a long time during which he has to force himself with mortification and striving until he gets accustomed to do it fluently by nature. All good manners praiseworthy under religious law might be acquired through that way. The end he should seek to achieve is to get pleasure of the act he is doing. The innate openhanded is him who gets pleasure of giving money, unlike him who does so unwillingly; and the humble by nature is him who gets pleasure of behaving humbly towards others, and so on.

Indeed, the religious manners will not become deep-rooted in the soul unless one gets accustomed to do all good deeds and leave all evil deeds, and does so regularly as the one who has longing for beautiful deeds and gets pleasure thereof, and aversion towards the ugly acts and is pained thereby. This is confirmed by the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" who said: "The pleasure of my eye has been made in prayer." (This narration is reported by An-Nasa'i on the authority of Anas).

When doing the acts of worship and avoiding what is forbidden is done under compulsion, it is imperfection, and by no means could happiness be attained thereby. It is true that to strive oneself to do it regularly is good, but this applies to avoiding (what is forbidden) and not to doing (the acts of worship) that should be done willingly. This is the significance of the statement of Allah Almighty: "Nay, seek (Allah's) help with patient perseverance and prayer: it is indeed hard, except to those who bring a lowly spirit."(Al-Baqarah 45)

﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Worship Allah with satisfaction; and if you could not do, (you should know) that much good lies in your patience on doing what you dislike." (This narration is reported by At-Tabarani).

Furthermore, the happiness that lies in getting pleasure of obedience and feeling aversion towards disobedience should not apply to one time on the exclusion of another: on the contrary, it should apply to all times along the lifetime of men. The more the life is longer, the more the virtue becomes deep-rooted and closer to perfection. When the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked about happiness, he said: "It lies in the long life to be spent in worship of Allah Almighty." (This narration is reported by Ad-Dailami on the authority of Ibn Umar). This is why the Prophets and Saints disliked death, for indeed the present world is the farm of the hereafter. The more worship is much because of the long life, the more reward becomes abundant, soul clean and pure, and character strong and well established.

It is the impact of worship on the heart that is intended, and its impact becomes stronger by doing it regularly. The final aim of good manners is that

one's love for this present world should discontinue, for his love for Allah Almighty to become strong, in a way that nothing becomes dearer to him than to meet Allah Almighty. He does not use the whole of his property but in a way that conveys him to that effect. He also subjugates both his anger and appetence to serve that purpose, and does not use them but in a way that conveys him to the way of Allah Almighty. He measures all of his acts and deeds with the measure of both mind and religious law, and then becomes happy and well pleased therein. He should strive as much as it lies within his capacity to make prayer the pleasure of his eye.

However, the way of doing the acts of worship is pleasant, and the soul might experience many things more wonderful. Many of kings and those who live in luxury might been seen in perpetual sadness and grief, whereas the signs of pleasure and joy might be visible on a gambler with his gambling, in such a way that he feels it hard how the people live without gambling, given that gambling might deprive him of his property, ruin his house, and leave him bankrupt. But even, he loves and is proud of it, due to his long practice and familiarity with it, and his wholehearted devotion to it. Similarly, the one who plays with birds might stand on his feet along the day with its scorching heat, but he does not feel trouble because of his pleasure and joy of the movement, flying and hovering of birds in the air.

Moreover, a wicked dissolute might be seen to show pride of himself and his power to keep patient on wickedness and debauchery. One of them might choose to be cut off other than to confess of his own crimes or of the crimes of others, and insist on denial, careless about punishment, seeing it a source of pride for what he thinks to be courage, manhood and power of perfection. That is because those have become the pleasure of his eye and the cause of his pride, regardless of their harmful pain. There is no state more odious than that of an effeminate in his imitation of women as shown from dilapidating hair, tattooing face, and mixing with women. Such effeminate in his joy of his state and pride of his perfect effeminateness vies in glory with his peers. Sweepers and cuppers also might feel proud of their states in the same way as kings and learned might do of their states. All of that is a result of the long and regular practice of one thing. It might be seen in many people.

If soul is apt to get pleasure of falsity and inclined to what is shameful to which it is accustomed, why should it not be inclined to get pleasure of the truth once it is returned to it for a long time and get accustomed to it? This is due to the fact that the soul's inclination to those odious things is unnatural, just like the inclination to eating mud and clay. Some people might be so only by habit. But one's inclination to wisdom, and love, knowledge and worship of Allah Almighty is natural, like inclination to food and drink. It is an innate inclination instilled in the heart and disposition by the Lord, whereas his inclination to the causes and means of appetence is strange. The food of the heart is wisdom, and love and knowledge of Allah Almighty. But man is diverted from it for being stricken by a particular disease just as a stomach might be afflicted with a particular disease

that causes it to abstain from food and drink, by which it survives. In short, every heart is diverted to the love of anything other than Allah Almighty should be under the influence of a particular disease in proportion to the degree of diversion unless he loves that thing only to help him love Allah Almighty and strengthen his faith.

You then have come to know that those good manners might be acquired through self-discipline, i.e. to force oneself in the beginning to do a particular act by effort in order for that act to spring from it by nature in the end. This is due to the wonderful relation between the heart and the organs, i.e. the soul and the body. Every quality in the heart has its effect flood on the organs in a way that makes them move only in accordance to it. Similarly, every act issued from the organs might have an effect in the heart. Let's illustrate that by an example: if one likes to be skilled in writing and make it a natural characteristic well-established in the soul, in order to become in the end a writer by nature, he should at first force himself to do by his hand what a skilled scribe does, i.e. to remain for a long time in the habit of regular imitation of the good handwriting, since the act of the writer in the end is the good handwriting. Thus, he imitates the writer by force and by doing so regularly and constantly, until it becomes a characteristic well established within his soul. The good handwriting then will spring from him by nature in the end in the same way as it used to spring from him by force in the beginning. In the first stage, he makes the good writing by force, from which an effect overflows on the heart, therefrom it is reflected on the organ of the hand, and therewith he comes to write with good handwriting by nature in the last stage.

Similarly, if one likes to become a jurisprudent by nature, there is no way for him but to do repeatedly the acts of jurisprudents, until the quality of jurisprudence is reflected on his heart therewith he becomes jurisprudent by nature. Likewise, if one wills to become openhanded, chaste and humble by nature, he should first do the acts of those (who have these characteristics) by force, until those characteristics become integral to his disposition. This is the only remedy for such a person. As well as the one who likes to be a jurisprudent by nature would not attain such a degree by doing the act of jurisprudence for one night, nor would he be deprived of it by stopping for one night, likewise the one who seeks to justify, purify and make good his own soul by the good deeds, who would not attain that by the worship of one day, nor would he be deprived of it by the disobedience of one day.

This is the significance of our saying that in no way would a major sin assure perpetual punishment, but stoppage from practice only for one day might summon another one like it, and little by little they would invite each other and accumulate on the soul until it gets sociable with idleness and abandons the acquisition of knowledge, and Thus, loses the virtue of jurisprudence. Similarly, the minor sins lead to each other until the origin of happiness is lost by ruining the origin of faith in the end of one's lifetime. As well as the doing of jurisprudence for one night has no immediate concrete effect on the soul, which

appears gradually along time, just like the growth of the body and the rising of stature, similarly, doing an act of worship for one time has no immediate concrete effect on justifying and purifying the soul. But at the same time, the single acts of worship should not be regarded with slightness, for although much of them are influential, this much in the end is a compilation of single acts of worship. Every single act of worship has a share of effect, no matter invisible it might be, for which one surely receives reward. The same is true of sin (in relation to punishment).

How many a jurisprudent who regards with slightness to stop from learning and studying for a single night and pacifies himself with hope he shall do later and remains as such day after day until his disposition comes to reject learning at all. The same is true of him who regards with slightness the minor sins and pacifies himself with the future repentance day after day until death snatches him suddenly before he repents, or the darkness of sins rusts over his heart until repentance becomes difficult upon him. Of a surety, the little gradually summons the much until the heart gets fascinated with the chains of lusts and desires which it could not be released from. This is when the door is repentance is closed; and this is the significance of the statement of Allah Almighty: "And We have put a bar in front of them and a bar behind them, and further, We have covered them up; so that they cannot see." (Ya Sin 9)

﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾

It is shown clearly from the statement: "Faith appears as a white dot in the hart, which increases by the increase of faith and when one has his faith complete, the heart becomes entirely white; and hypocrisy appears as a black dot in the heart which increases by the increase of hypocrisy until when one has hypocrisy complete, the heart becomes entirely black."

Perhaps you now have come to know that the good manners might be once by disposition, once by getting accustomed to the good acts, once by seeing and mixing with the masters of good acts, who are the companions of good and brothers of righteousness, given that disposition is always affected by the dispositions of others in good and evil. The most virtuous is he who has the good manners by way of the three ways, i.e. by nature, habit and learning; and the most vicious and remote from Allah Almighty is he who is wicked by nature, and happens to have evil companions, from whom he learns, and the means and ways of evil are made available to him, until he gets accustomed to them. Between both extremes, there are various levels, different according to the strength or weakness of one way of those three, and each level is close or remote (from Allah) in accordance with its different states and conditions: "Then shall anyone who has done an atom's weight of good, see it! And anyone who has done an atom's weight of evil, shall see it." (Az-Zalzalah 7-8)

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾

"It is not Allah that has wronged them, but they wrong themselves." (Al

Imran 117)

﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

CHAPTER FIVE

EXPOSITION OF DETAILED WAY OF IMPROVING MORAL CHARACTER

You have known that the moderate character is healthy, and the diversion therein causes ailment, just as the moderate mood is healthy for the body and the diversion therein causes ailment to it. So, let's take the body as an example (for illustration). Let's say that the example of the soul in being treated by removing vices and bad manners from it and rather bringing virtues and good manners is like the body in being treated by removing ailments and bringing health. As well as the mood is supposed to be moderate, and the stomach receives harm by the effect of food and the other factors, every child is born as moderate with sound disposition, and it is his parents who convert him to Judaism, Christianity or Magianism. This implies that by practice and teaching, vices might be obtained. As well as the body is not created as complete, but it attains completion and strength gradually by nourishment and rearing, the soul also is created as incomplete, and obtains completion by education, improvement of moral character and knowledge.

Just as if the body is healthy, the role of the physician is to prepare the law that preserves it healthy, and if it is sick, his role is to bring health to it, likewise if the soul is pure and clean, your role is to endeavor to preserve it pure and clean, and bring more purity and transparency to it, and if it is lacking in perfection and purity, your role is to seek to make it perfect and pure. Just as the cause that changes the condition of the body and makes it sick is treated only by its opposite, i.e. if it is from heat, it should be treated by cold, and if it is from cold, it should be treated by heat, and so on, likewise the vice that causes the heart to be sick should be treated by its opposite, i.e. the virtue: the ailment of ignorance should be treated by learning, the ailment of niggardliness by becoming openhanded, the ailment of arrogance by showing humbleness, and the ailment of greediness by forcing oneself to refrain from what is desired. As well as one should endure the bitterness of the medicine and keep patient on leaving the desired things for the sick bodies to be treated, similarly, one should endure the bitterness and pain of self-mortification and keep patient in order for the sick heart to be treated well. But if one might get rid of the sickness of his body by death, the sickness of his heart, we seek refuge with Allah, survives forever (since its negative impact extends to the hereafter).

As well as the remedy of cold by heat is not beneficial unless it lies within a certain limit, which is different in terms of strength and weakness, permanence and intermission, muchness and littleness, and it should be measured on a particular criterion to distinguish what is beneficial from what is harmful thereof, for in case it goes beyond it, the damage shall be aggravated, similarly, the opposites therewith the manners are treated should be subject to a particular

criterion, to be determined by the degree of the ailment. The physician does not start to remedy unless he knows first whether the ailment is caused by heat or by cold. If it is caused by heat, he should know its degree, and whether it is weak or strong. If he knows that, he should turn to the conditions of the body, the atmosphere, the profession and age of the patient, and then determine the remedy according to all of those.

Likewise, the followed sheikh who remedies the souls of the novices, and treats the hearts of those who seek guidance, should not surprise them with discipline in a particular field unless he becomes well acquainted with their morals and heart diseases. As well as if the physician remedies all the patients with one medicine, he will bring the majority of them to death, similarly, if the sheikh guides all the novices to the same sort of self-discipline, he will ruin the majority of them, and cause their hearts to die. But rather, he should consider the patient's state, age, mood, and capacity to endure self-discipline, and build his sort of discipline on that.

If the novice is a beginner, ignorant of the limits of religious law, he should first instruct him in the rules of purification and prayer, and the other outward actions of worship. If he is involved in unlawful property, or committing sins, he should first order him to leave it. If he outwardly gets adorned with the acts of worship, and his organs get purified from the external sins, then, he should consider ins inward, to know his morals and the diseases of his heart. If he finds with him surplus money that is beyond his necessary requirements, he should take it from him, and spend it on the sides of good, lest the novice should devote himself to it. If he sees him haughty, arrogant and over-confident, he should order him to go out to markets and engages himself in begging, for indeed, the over-confidence and arrogance get broken only by humiliation, and there is nothing more humiliating than begging. So, he should oblige him to do so for a long time until his arrogance and over-confidence get broken. To be sure, both arrogance and haughtiness are among the destructive diseases.

If he sees him clean in body and clothes, which he is inclined to and fond of, he should make him take care of the water closet, by cleaning it, sweeping the dirt places, sticking to kitchens and the places of smoke, so that his fondness of cleanness would be distracted. However, there is no difference between the one who excessively cleans his garment, gets himself adorned, and seeks the decorated pieces and colourful carpets and the bride who gets herself adorned along the day. There is no difference between man's worshipping himself and worshipping an idol, for if he worships anything other than Allah Almighty he will be veiled from Allah; and if one observes in his garment anything other than its being pure and lawful, in a way that occupies his heart, he then is engaged by himself.

One of the fine things pertinent to self-discipline in relation to him who is not able to leave a blameworthy character like haughtiness, all at once and move to its opposite, is to make him turn from a certain blameworthy character to

another blameworthy character lighter and less harmful. The example of him is like that of a man who washes off blood with urine, and then washes off urine with water, in case the water could not remove blood by itself. Another example is the boy who is fond of playing with ball and toss from which he is moved to be concerned with adornment and expensive clothes, from which to the desire of seeking authority and majesty, from which to be exhorted to seek the hereafter.

Likewise, he, who is not pleased to be moved from leaving majesty all at once, should be moved to another kind of majesty, lighter and less harmful. The same is true of all the characteristics. If one is seen to be greedy for food, he should first be exhorted to observe fasts and diminish the food he takes, and then obliged to prepare delicious food and serve others therewith on the exclusion of himself, in order that he would become stronger and get accustomed to patience and break his greediness. If one is seen to be a young man who has great longing for marriage, although he does not have the financial wherewithal, he should be commanded to observe fasts, perchance his sexual desire would be diminished. He might be commanded to break his fast one night with water only, and on another night with bread only. But he should be prevented from meat and other condiments in order that his own soul would get broken, and his power weakened. That is because there is no remedy in the beginning more influential than hunger. If one is seen to have his anger provoked most frequently, he should be commanded to stick to stillness and calmness, and obliged to serve such of persons as of bad manners, in order to be trained to endurance and patience.

It is reported about one of the predecessors that he used to habituate himself to forbearance and remove anger from himself by hiring such as would insult him at the presence of the people, and force himself to keep patient and control his anger, until forbearance became his main habit, to the extent that he was an ideal of forbearance. One of the people felt coward and weak-hearted, and in order to acquire the characteristic of courage, he used to set out aboard the sea during the severe winter and surging waves. Some Indian worshippers remedy their indolence from worship by forcing themselves to keep standing for the whole night on one state. One of the sheikhs used, at the beginning of his way, was lazy from standing (at night for supererogatory prayer), hereupon he forced himself to keep standing on his head for the whole night, in order that it would become much easier upon him to stand on foot willingly. Another one remedied his love for wealth by selling all his possessions and threw the money in the sea, for he was afraid of the suspicion of haughtiness by being described with generosity and showing off by being described with giving in case he distributed it among the people.

Those examples let you know the way to remedy the diseases of hearts. It is not our purpose here to mention the medicine of every disease for this will be mentioned along the coming books. But the point is to bring to the attention the fact that the universal way to remedy in general is to follow the opposite of every conduct that the soul has desire for, and inclination to. Allah Almighty gathered

all of that in a single statement in His Holy Book when He said: "But as for he who feared the position of his Lord and prevented the soul from [unlawful] inclination, Then indeed, Paradise will be [his] refuge." (An-Nazi'at 40-41)

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ ﴾

The basic rule is the self-mortification and fulfillment of determination. If one is determined to leave a particular desire, its means shall have been available to him, by way of trial and test from Allah Almighty, and Thus, he should keep patient and continue to leave it. But if he gets accustomed to abandon determination, it would weaken and he would return with failure. If he happens to repeal his determination, he should betake himself to punishment for it, as we have mentioned it earlier in the self-punishment in the Book of Self-Reckoning and self-watch. But if he does not frighten himself with the punishment (for cancelling his determination), he would see it good to fulfill his desire, which will corrupt self-discipline entirely.

CHAPTER SIX

EXPOSITION OF SIGNS BY WHICH HEART DISEASE IS KNOWN, AND SIGNS BY WHICH RECOVERY IS KNOWN

It should be known to you that every part of body is created for a certain functioning, and its ailment represents in its failure to do it, or at least to do it perfectly. The ailment of the hand for instance is to fail to do the particular functioning for which it is created. All parts of body are created to help man attain knowledge, wisdom, learning, love of Allah Almighty, worship, the pleasure of celebrating His Praises, and giving it preference over any desire else, and seek the aid of all desires and parts of body to achieve the act of worship. Allah Almighty says: "And I did not create the jinn and mankind except to worship Me." (Adh-Dhariyat 56)

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ ﴾

Then, there is a benefit for every part of body.

The benefit of heart is wisdom and knowledge, which is the distinctive characteristic that separates mankind from all animals. Indeed, mankind is not distinguished from animals by the power of eating, drinking, having sexual relation, or seeing, but by his knowledge of the real nature of things. The primal source and creator Who causes things to come to existence is Allah Almighty, Who causes them to be things. If man knows all things, but without knowing Allah, their Creator, he indeed knows nothing. Furthermore, the sign of knowledge is love, and whoever knows Allah Almighty surely loves Him, and the sign of love is to give no preference over Him to this present world and any of the loved things as confirmed by Allah Almighty in His statement: "Say, [O Muhammad], "If your fathers, your sons, your brothers, your wives, your relatives, wealth which you have obtained, commerce wherein you fear decline, and dwellings with which you are pleased are more beloved to you than Allah and His Messenger and jihad in His cause, then wait until Allah executes His

command. And Allah does not guide the defiantly disobedient people."" (At-Tawbah 24)

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

So, whoever has a thing which he loves more than Allah, his heart is sick, just as every stomach that loves clay more than bread and water, or loses its appetite for bread and water is sick.

Those are the signs of ailment, therewith all hearts are known to be sick, except what Allah wills. But there are diseases that the sick might not know, and the heart disease is of those which the sick does not know. For this reason, he is heedless of it; and even if he knows it, it is difficult on him to keep patient on its bitter medicine, which is to oppose desires, and this is like the removal of one's spirit. Moreover, if one is powerful enough to keep patient on such bitter medicine, he might not find a skillful physician to remedy him therefrom. The physicians are the learned and scholars, who have come to be possessed by disease, and a sick physician could hardly make sense to remedy it. This is why the disease has become chronic. This science has been obliterated, and the heart medicine and disease have been entirely rejected, and the people devoted themselves to the love of this present world, and doing the deeds which are outwardly acts of worships, and inwardly no more than habits and means of showing off. Those are the signs of the fundamental diseases.

The signs of recovery after remedy are to consider first the ailment which is treated: if one treats the evil of niggardliness, which is a destructive ailment that keeps one far away from Allah Almighty, and its remedy is to give out money and spend (it properly). But spending might exceed the due limits which causes one to become spendthrift, and over-spending itself is a disease which should be treated. His example is like him who treats cold with heat so much excessively until he becomes hot, and both are diseases. Moderateness between both extremes then is required, in order for one to be in the middle, and it is this which keeps him far from both extremes.

If you like to know the middle (between both extremes), consider the act enjoined by the forbidden character. If it is easier and more pleasant to you than its opposite, then, you frequently are on that character which enjoins it, like, for instance, the case in which you find it more pleasant and easier on you to withhold and gather property than to spend it properly: you should know then that you are possessed by niggardliness. Then, you should increase your spending until when you find that spending improperly has become easier and more pleasant to you, you should know that you are possessed by extravagance; and in this case, you should return to withholding once again. Continue to observe yourself and see your character by way of finding acts easy or difficult on you, until your heart is diverted from devotion to wealth, in the sense that you incline

neither to withholding nor to spending it, for it becomes in your sight like water, which you do not withhold except to satisfy the need of a needy, or spend only to fulfill the need of a needy, giving none of both preference over the other.

If the heart attains such a state, it is sound in this respect. It should be sound in all respects until its relations with all the things of this present world are cut off, enabling his soul to leave the world without being fastened to anything pertaining to it. It is in this station that it returns to its Lord with satisfaction, well pleased, and pleasing (to Him), and enters into the assembly of Allah's servants who are nearest to Him, from among the Prophets, sincere lovers of truth, witnesses, and righteous, and what a good company it is!

Since the middle that lies in between both extremes is abstruse, for it is thinner than hair and sharper than the sword, there is no doubt that he who stands straight on that path in the present world will be able to cross the bridge (held over the Hell) in the hereafter. But a servant cannot hardly persist without swerving, even a bit, from the straight path, i.e. that moderate, until he becomes inclined to anyone of both extremes, with his heart attached to the side to which he is inclined. This is why he will hardly come without punishment and crossing over the fire (of Hell) even as swift as a lightning. In confirmation of that, Allah Almighty says: "And there is none of you except he will come to it. This is upon your Lord an inevitability decreed. Then We will save those who feared Allah and leave the wrongdoers within it, on their knees." (Maryam 71-72)

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾

Those who fear Allah are those who are nearer to the straight path in this world than the others (who will be left in the Hell). In view of the difficulty of remaining on the right course, it has become obligatory upon every servant to invoke Allah Almighty seventeen times a day saying: "Guide us to the straight path", (Al-Fatihah 6)

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾

For it is binding to recite Al-Fatihah in every rak'ah (in the prayer).

It is narrated that one of the predecessors saw the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in a dream and asked him: "O Messenger of Allah! You said: "The (Surah of) Hud has made me hoary-headed: why have you said so?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "For Allah Almighty says: "So remain on a right course as you have been commanded, [you] and those who have turned back with you [to Allah], and do not transgress. Indeed, He is Seeing of what you do." (Hud 112)

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾

Thus, to remain on the right course in this present world is very abstruse. But

man should do his best to do it as much as lies within his capacity if he is not able to do it perfectly. Whoever wants to be saved should do righteous deeds, and righteous deeds are produced only by good manners. So, let everyone consider his characteristics and manners and enumerate them, and engage himself in treating them one by one according to the sequence of priorities. We ask Allah Almighty to make us among the pious.

CHAPTER SEVEN

EXPOSITION OF WAY BY WHICH MAN KNOWS HIS DEFECTS

It should be known to you that if Allah intends good for a man, He lets him see the defects of his own self; and if one has a penetrating insight, his defects are not hidden from him; and once he knows his defects, he becomes able to remedy himself. But unfortunately, most people are ignorant of their defects. One of them sees the speck in the eye of his brother, even though he does not see it in his own eye. However, if one wants to know the defects of his own self, he has four ways to achieve that:

The first is to sit in front of a sheikh insightful of the self-defects, and acquainted with the hidden diseases, and let him judge on him and then follow his advice in relation to self-mortification. This is the case of the novice with his sheikh, and the student with his mister. The sheikh and mister should let novices and beginners know the defects of their own selves, and put them on the right way to remedy them. But regrettably, this could no longer be found in this time.

The second is to seek a truthful, sincere, insightful and religious friend and appoint him watchful over himself, in order to observe his states and deeds, and alert him to what he dislikes of his deeds, acts, states and internal and external defects. This was the practice of the intelligent and important imams of religion. Umar "Allah be pleased with him" used to say: "May Allah bestow mercy upon he who let me know my defects." He used to ask Salman "Allah be pleased with him" about his own defects. When Salman "Allah be pleased with him" came to him (from his governorate) he said to him: "What has reached you about me of the acts you dislike?" he demanded that he should exempt him, but he insisted thereupon he said: "I have been reported that you combined two condiments on one table and that you have two suites, one you put on by day and the other at night." He asked: "Has anything else reached you?" he answered in the negative, thereupon he said: "As regards those, I have been sufficed against them." He further used to ask Hudhaifah "Allah be pleased with him": "You are the keeper of the secret of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" concerning the hypocrites: do you see in me any sign of those signs characteristic of hypocrites?" he thus, in spite of his high rank and elevated position, used to suspect himself, "Allah be pleased with him".

The more one is intelligent and high in rank, the less he is fond of himself and the more he is suspicious of himself. But this also could hardly be found at

that time. A very few friends are those who abandon flattery in order to tell about the defects, or are far from envy that causes them to go far beyond the real defects. From among your friends, there are such as is envious or tendentious who renders as defect what is not a defect, or such as is an adulator who conceals from you some of your defects.

It is reported that Dawud At-Ta'i get himself isolated from the people and when he was asked: "Why do you not mix with the people?" He said: "What should I have to do with people who conceal from me my defects?" it was the desire of the religious people to make sense to their own defects through being alerted to them by others. But now, we have become in such a state as the most hateful to us is he who gives us advice, and draws our attention to our defects. This indicates to the weak faith. To be sure, the bad manners are like stinging female-snakes and scorpions. If somebody draws our attention to the fact that there is a scorpion underneath our clothes, of a surety, we would grow pleased with him, and become under obligation to him, and occupy ourselves by removing and killing that scorpion. The scorpion affects the body, and its pain stands for a day or so, whereas the bad manners affects the heart, and I fear it might survive forever. But in spite of that, we do not grow pleased with the one who alerts us to it, nor do we engage ourselves in removing it: on the contrary, we engage ourselves by confronting such as alerts us with a counter alert telling him that he also does such and such (evil), and our enmity towards him diverts us from getting benefit from his advice. This is out of the hardened heart which is a fruit of much sins. The fundamental cause that lies behind all of that is the weak faith. So, we ask Allah Almighty to put us on the right way, let us see our defects, and occupy us by treating them, and help us, by His grace and bounty, be thankful to such as shows us our shortcomings.

The third way is to seek to know his own defects from his enemies, for indeed the eye of hatred always reveals the faults. It is better for a man to get benefit from a disputing enemy who lets him know his own defects more than from a flattering friend who praises and lauds him and conceals from him his defects. But man is predisposed by nature to give lie to the statements of the enemy, and construe what he says to be out of envy and jealousy. Therefore, the insightful is he who gets benefit from what is said by his enemies about him, for his faults are to spread on his tongue.

The fourth way is to mix with the people, and require himself to get rid of such of deeds as he sees blameworthy among them, supposing it to be attributed to him, for indeed the believer acts as a mirror for the believer. Thus, he sees his own defects through the defects of others, regarding the dispositions to be almost similar in following desires. Any quality that exists in one person might be found, more or less, in his fellow. So, let one inspect himself, and purify it from what is seen blameworthy by him. If all the people abandon what they dislike to see in the others, of a surety, they would dispense with the educator.

It was said to Jesus "Peace be upon him": "Who has educated you?" He said: "None has educated me. But I saw the ignorance of the ignorant a defect which I

avoided." But if one finds a sheikh who is knowledgeable and insightful of the defects of the people, sincere in advice about the religion, disengaged from disciplining himself and devoted to disciplining the servants of Allah, he indeed has found a good physician whom he has to stick to, for it is he who will relieve him of his disease, and save him from the destruction he is going to encounter.

CHAPTER EIGHT

PROOFS HANDED DOWN FOR INSIGHTFUL; AND EVIDENCES OF RELIGIOUS LAW FOR THE FACT THAT WAY OF REMEDY OF HEART DISEASES LIES IN ABANDONING DESIRES, AND HEART DISEASES LIE IN FOLLOWING DESIRES

It should be known that if you take in consideration what we have mentioned, your sight will be opened, and the heart diseases and their remedy will be revealed to you by the light of knowledge and certainty. But if you fail to attain it, you should, at least, give trust and faith by way of imitation to such people who deserves to be imitated. Faith has a particular degree, and so does knowledge which ensues from faith. Allah Almighty says: "Allah will raise those who have believed among you and those who were given knowledge, by degrees. And Allah is Acquainted with what you do." (Al-Mujadilah 11)

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾

Whoever trusts the fact that the opposition of desires is the way to (know) Allah Almighty, even without being acquainted with its cause and mystery is of the believers; and whoever is acquainted with the assistants of desires we have mentioned earlier is of those endowed with knowledge; and both are promised good by Allah Almighty.

What makes faith in that matter binding in the Qur'an, sunnah and statements of scholars are beyond calculation. Allah Almighty says: "But as for he who feared the position of his Lord and prevented the soul from [unlawful] inclination, Then indeed, Paradise will be [his] refuge." (An-Nazi'at 40-41)

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾

He further says: "they are the ones whose hearts Allah has tested for righteousness. For them is forgiveness and great reward." (Al-Hujurat 3)

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾

In comment on it, it was said that He deprived them of the love of desires. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The faithful believer lies between five disasters: an envious believer who envies him, a hypocrite who dislikes him, a disbeliever who fights him, a devil who misleads him, and a soul that disputes him." (This narration is reported by Abu Bakr Ibn Lala on the authority of Anas). He Thus, showed that the soul is a disputing enemy which should be opposed.

It is narrated that Allah Almighty revealed to David "Peace be upon him": "O

David! Beware, and warn your companions of following their desires, for the people whose hearts are attached to their desires of the present world, their minds will be veiled from Me (in the hereafter)." Jesus "Peace be upon him" said: "Blessed be he who leaves a present desire for an absent invisible promised (reward)." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to a people who returned from Jihad: "Welcome to you! You have come from the minor Jihad to the major Jihad." They asked: "O Messenger of Allah! What is the major Jihad?" he said: "It is the self-mortification." (This narration is reported by Al-Baihaqi). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The Mujahid is him who mortifies himself in obedience of Allah Almighty." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Fadalah Ibn Ubaid). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Withhold your harm from your soul and do not follow its desire in disobedience of Allah Almighty."

According to Sufyan: "I have never treated anything harder on me than my own soul: once I overpower it and once it overpowers me." Abu Al-Abbas Al-Mawsili used to address his soul saying: "O my soul! Neither you are in the present world living in comfort with the sons of kings, nor do you strive seeking for the hereafter with the worshippers (of Allah), as though you are detained in between the Garden and the fire (of Hell). O my soul! Do you not feel shy?" according to Al-Hassan: "There is no noncompliant beast in need to be reined more than your soul."

According to Yahya Ibn Mu'adh Ar-Razi: "Strive against yourself with the swords of discipline. Discipline is of four kinds: lack of food, lack of sleep, lack of speech, and enduring harm of all the people. The lack of food diminishes desires; and the lack of sleep purifies willpower; and the lack of speech saves from faults; and enduring the harm of the people helps one attain his desired purpose. To be sure, there is nothing harder on the slave than forbearance on desertion, patience over the harm. If the will of desires is stimulated and the sweetness of surplus speech is provoked, the swords of the lack of food are taken out of the sheathes of the shortage of sleep to strike it with the hands of silence and lack of speech until it stops from wrongness and vengeance. The result is that it would be purified from the darkness of its desires and saved from the evil of its defects, and become clean and luminous like a light spirit, roaming in the fields of good, and following the ways of the acts of worship, like the horse that attacks the enemy in the battlefield, or like the king who tours in the garden."

He said once again: "The enemies of man are three: his present world, his devil and his own soul. So, beware of the present world by abstinence in it, of the devil by opposing him, and of the soul by leaving desires."

One of the sages said: "He, who is possessed by his soul, becomes captivated by the love of its desires, imprisoned in the custody of its whims, oppressed and chained, and his rein is with its hand, driving it wherever it wishes, and hindering his heart from any benefit." According to Ja'far Ibn Humaid: "The scholars and wise men unanimously agree on the fact that he

blessing (of the hereafter) could be attained only by leaving the blessing (in the present world)." According to Yahya Al-Warraq: "He, who pleases his organs by desires has indeed planted the trees of regret in his heart." According to Wuhaib Al-Word: "What is beyond the bread belongs to the appetence." He said once again: "Whoever loves the desires of this present world, let him get ready for humiliation."

It is narrated that after Joseph "Peace be upon him" became in charge of the depositories of the land, the wife of Al-Aziz said to him, and she had sat on the way in expectation for him while he was marching in a procession of nearly twelve thousand from among the chiefs and nobles of his kingdom: "Glory be to (Allah) Who has made the kings slaves because of their disobedience, and the slaves kings by virtue of their obedience to Him. Verily, greediness and desire have made the kings slaves; and this is the requital of the doers of mischief, and patience and righteousness have made the slaves kings." On that Joseph "Peace be upon him" said, as Allah Almighty tells about him: "Indeed, he who fears Allah and is patient, then indeed, Allah does not allow to be lost the reward of those who do good." (Yusuf 90)

﴿ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾

Al-Junaid said: "One night I was befallen by insomnia and when I stood to recite my daily portion, I did not detect the same sweetness I was accustomed to. I tried to sleep but I failed. I sat but I could not endure sitting. I came out and behold! There was a man wrapped in a garment and he was lying in the street. When he saw me he said: "O Abu Al-Qasim! Are you coming to me at that hour?" I said: "But there is no appointment O sir." He said: "Nay! I asked Allah Almighty to move your heart towards me." I said: "He has really done. What is your need?" he asked: "When does the disease of the soul turn to be the remedy?" I said: "When the soul opposes its desire." He addressed himself saying: "Listen! I gave you the same reply seven times, and you insisted but to listen to it only from Al-Junaid. Now, you have listened to it." Then, he turned away, and I did not recognize him."

Yazid Ar-Raqashi said: "Keep away from me the cold water in this present world, perchance I will not be deprived of it in the hereafter." A man asked Umar Ibn Abdul-Aziz: "When should I speak?" he said: "When you desire for silence." He further asked: "Then, when should I keep silent?" he said: "When you desire for talking." According to Ali "Allah be pleased with him": "He, who has longing for the Garden should abandon the desires in the present world." Whenever Malik Ibn Dinar was roaming and he saw something which he desired, he would say to himself: "Keep patient, for by Allah, I forbid you only for the honour you have in my sight."

Thus, the religious scholars and wise men agree on the fact that the only way to the happiness in the hereafter is to prevent the soul from the unlawful inclinations and oppose the desires. It is binding to have faith in this fact. We have already introduced what lets one have knowledge of the details of the

forbidden and lawful desires. The basis and mystery of discipline are that the soul should not be made to enjoy of anything that is not in the grave except as much as is necessary. In this way, he should limit himself from food, marriage, clothes and residence only to what satisfies his need. If one enjoys of anything thereof, he will be affable with it, to the extent that if he dies, he will hope to return once again to the present world because of it. Without doubt, none hopes to return to the present world but he, who has no portion in the hereafter. There is no salvation from it unless the heart is engaged in the knowledge and love of Allah Almighty, thinking of Him, and devoting oneself to celebrating Him; and one has no power to do it except by virtue of Allah Almighty. One should limit himself only to what averts the obstructions of celebration (of Allah).

But whoever has no power to do it as it should be in reality, he should, at least, do it with proximity. The people are of four kinds in that respect: **the first** is a man whose heart is devoted to the celebration of Allah, and does not turn to this present world except to fulfill the necessities of living. He is of the sincere lovers of the truth, a rank which could be attained only through long discipline and patience over (the abandonment of) desires for a long time.

The second is a man whose heart is wholly devoted to the present world in which there remains no place for the celebration of Allah Almighty except through the self talk, that he remembers Him only by tongue and not by the heart. This is among the ruined.

The third is a man who is engaged in both world and religion altogether, even though religion is preponderant in his heart. Such should pass by the fire, but in the end he will be saved from it as quickly as is equal to the prevalence of the celebration of Allah over his heart.

The fourth is a man who is engaged in both altogether, even though the world is dominant in his heart. This will stand longer in the fire, but he ultimately will come out of it in view of the power of the celebration of Allah in his heart, regardless of the fact that the remembrance of the present world dominates his heart. O Allah! We seek refuge from Your putting the people to disgrace, for You are the One with Whom refuge is sought.

But even, one might say: "As the enjoyment of the permissible is permissible, how should it be a cause of being far from Allah Almighty?" however, this thought is not accurate, for the love of this present world is the fundament of all sins and mistakes, and the cause of rendering fruitless all good deeds. The permissible that is beyond the need in this world is not praiseworthy, as will be discussed in detail later in the Book of Criticizing the Present World.

Ibrahim Al-Khawas said: "Once, I was in the mountain of Lukam when I had a desire for pomegranates thereupon I picked up one and split it open, and found it sore. I left it and went away. On the way I found a man lying with bees over his body. I greeted him with peace: "Peace be upon you." He replied: "Upon you be peace O Ibrahim." I asked him: "How have you recognized me?" he said: "He who knows Allah Almighty, nothing becomes hidden from him." I said to him: "I

see you have a good position with Allah, why do you not ask Him to protect you from those bees?" on that he said: "And I also see that you have a good position with Allah. Why do you not ask Him to protect you from the desire for pomegranates? Of a surety, the pain caused by the sting of pomegranates extends to the hereafter, whereas the pain caused by the sting of bees is detected only in that present world." Then, I left him and went. As-Sari said: "For forty years, I have been confronting the idea of dipping a morsel of bread in fat, but I have never taken it."

Thus, the heart could not be amended and adjusted to be fit for following the way to the hereafter unless it is prevented from the enjoyment of what is permissible. If the soul is not prevented from some of the permissible, it surely will covet of the forbidden. If one likes to safeguard his tongue from backbiting and curiosity, he should stick to silence except from the celebration of Allah Almighty, and the necessities of religion until the desire for talking vanishes with him, and he talks only with what is true and right, with the result that both his silence and talking become acts of worship. Likewise, if the eye gets accustomed to look at all that is beautiful, it will not safeguard itself from looking at the forbidden (as long as it is beautiful). The same applies to all desires, for both lawful and unlawful are subject to the same desire. The desire is one, and it is binding upon one to prevent it from the unlawful. Unless he habituates it to be limited only to what is necessary, of a surety it will overpower him.

This is one of the permissible things, and there lie behind it a great deal of blights. The soul always rejoices at the enjoyment of this present world, in which it feel secure and on which it relies, out of arrogance and haughtiness until it becomes intoxicated like a drunk who never recovers from the influence of intoxication. To be sure, this joy of the present world is like a deadly poison that runs in the veins and removes from the heart the fear, grief, reminder of death and the terrors of the Day of Judgement. This is, therefore, the heart death. In confirmation of that, Allah Almighty says: "Indeed, those who do not expect the meeting with Us and are satisfied with the life of this world and feel secure therein and those who are heedless of Our signs: For those their refuge will be the Fire because of what they used to earn." (Yunus 7-8)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٨ ﴾

He further says: "And they rejoice in the worldly life, while the worldly life is not, compared to the Hereafter, except [brief] enjoyment." (Ar-Ra'd 26)

﴿ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ۝٢٦ ﴾

Allah Almighty also says: "Know that the life of this world is but amusement and diversion and adornment and boasting to one another and competition in increase of wealth and children." (Al-Hadid 20)

﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ ﴾

The means that it (the present world) is blameworthy. So, we ask Allah to grant us safety.

The people of determination from among the masters of hearts tried their hearts in the state of joyfulness of he things of this present world, and found them hardened and far from the effect of the celebration of Allah and the Last Day, and they tried them in the state of grief and found them lenient, smooth and pure, susceptible to the effect of the celebration of Allah Almighty. They came to know that salvation lies in the permanent grief and remoteness from all means of joyfulness and arrogance. Thus, they weaned them from its pleasures and delights, and habituated them to keep patient over their desires, be they lawful or unlawful, given that the lawful among them leads to reckoning, whereas the unlawful among them leads to punishment, and the suspicious among them incurs rapprochement, which is a sort of punishment; and of a surety, whoever is called to account on the Day of Judgement will be punished.

They relieved themselves of its punishment, and attained permanent freedom and dominion in the present world and the hereafter by releasing themselves from all desires, and rather socialized with the celebration of Allah Almighty and engaged in obedience of Him. They did with their souls the same as one does with a falcon which is to be disciplined and moved from uncontrollable flight and wildness to obedience and submission. First of all, it is detained in a dark house and his eyes are sewed in order to be weaned from flying in the air, and made to forget its unruly wildness to which it was accustomed. At a second stage, it is treated with lenience and gentility until it gets familiar to its owner to the extent that whenever he invites it, it responds to his invitation, and whenever it hears his voice, it returns to him.

Likewise, the soul becomes familiar with Allah Almighty and socializes with the celebration of Him only when it is weaned from its old habits, and this is achieved through living in privacy and seclusion for hearing and seeing to be safeguarded against their habitual things. Secondly, it gets accustomed to supplicating, celebrating and lauding Allah Almighty until it becomes sociable with the celebration of Allah Almighty in substitution for its being sociable with the things of the present world and its related desires. The novice finds it difficult on him in the beginning. But in the end, he comes to enjoy of its pleasure. His example is like a baby who is weaned from the breast of his mother, to which he is powerfully attached to the extent that he could not keep patient over leaving it even for an hour: and Thus, in the beginning, he weeps and is scared so much, and refrains from food that is served to him instead of milk. But when he is prevented from milk all at once, and he gets tired and exhausted out of hunger, he forces himself to take food. But across time, he comes to take it by nature to the extent that if he is made to return to the breast once again, he will reject it, refrain from milk, and rather become familiar with food. Similarly, the riding

mount in the beginning disdains saddle, rein and riding, and Thus, it is compelled to it by force.

The soul then should be disciplined in the same way as the birds and animals are disciplined. The way of disciplining it is to be prevented from looking at, socializing with and enjoying of the good things of this present world, and in total, from all things which it is going to leave by death. It is said to the soul: "Love whatever you wish to love, but in the end, you are going to leave it." When it is learnt that whoever loves anything should inevitably leave it and become so much miserable of that departure, he then has to direct his longing and love to that which he never leaves, i.e. the celebration of Allah Almighty, which accompanies him in the grave, and never leaves him. All of that is achieved by patience in the beginning for a few days, for the lifetime is very short in comparison with the duration of the hereafter.

The rational is he who willingly accepts to set out on journey and be involved in learning a profession for a month, in order to enjoy thereof for a whole year, if not for his entire lifetime. The entire lifetime in comparison with the duration of the perpetual time is shorter than the month in comparison with the duration of the world lifetime. Patience and mortification then are necessary in this respect. Every morning, the people sing the praises of daylight, and the darkness that covers their eyes because of sleep leaves them, according to the statement of Ali "Allah be pleased with him". The way of mortification and discipline in relation to everyone of the people differs by the difference of his particular states and conditions. The basic rule therein is that everyone should leave that with which he rejoices of the things of this present world. The one who rejoices with wealth should leave wealth; and the same applies to him who rejoices with majesty, acceptability in preaching, honour and power in judgement, increasing number of followers and devotees in teaching and instructing, etc. Everyone then should leave at first that with which he rejoices.

If one is prevented from any of those and is told that prevention has not affected his reward in the hereafter, for which he was aggrieved and disliked that prevention, he then is of those who rejoices with the life of this world, and feels secure therein; and the result is that he will be given to destruction. When one leaves all means and causes of joyfulness, let him get isolated from the people and remain alone in solitude, and watch his heart so that it would be engaged only in the celebration of Allah Almighty. He also should lie in wait for such of desires and suspicion as occur within himself, in order to suppress them, for there is a reason for every kind of suspicion, and in order to vanish, its reason should vanish first. Let him remain as such for the remaining portion of his life, for the mortification comes to end only by death.

CHAPTER NINE

EXPOSITION OF SIGNS OF GOOD MORAL CHARACTER

It should be known to you that every man is ignorant of his own defects; and if he mortifies himself in the least until he leaves the shameful sins, he might think that he has improved his own self and made good his moral character, and thus dispense with self-mortification. For this reason, the sign of good character should be made clear. The good character lies in the faith, whereas the bad character lies in hypocrisy. Allah Almighty made a mention of the qualities of both believers and hypocrites in His Book, and both are direct fruits of good and bad character. Let's introduce a set of those qualities in order that you would know the sign of good character.

Allah Almighty says: "Certainly will the believers have succeeded: They who are during their prayer humbly submissive And they who turn away from ill speech And they who are observant of Zakat And they who guard their private parts Except from their wives or those their right hands possess, for indeed, they will not be blamed - But whoever seeks beyond that, then those are the transgressors - And they who are to their trusts and their promises attentive And they who carefully maintain their prayers - Those are the inheritors." (Al-Mu'minun 1-10)

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ
هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ
مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝
وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝ ﴾

He Almighty further says: "[Such believers are] the repentant, the worshippers, the praisers [of Allah], the travelers [for His cause], those who bow and prostrate [in prayer], those who enjoin what is right and forbid what is wrong, and those who observe the limits [set by] Allah. And give good tidings to the believers." (At-Tawbah 112)

﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ ﴾

He also says: "The believers are only those who, when Allah is mentioned, their hearts become fearful, and when His verses are recited to them, it increases them in faith; and upon their Lord they rely - The ones who establish prayer, and from what We have provided them, they spend. Those are the believers, truly. For them are degrees [of high position] with their Lord and forgiveness and noble provision." (Al-Anfal 2-4)

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ
دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ ﴾

Allah Almighty says too: "And the servants of the Most Merciful are those who walk upon the earth easily, and when the ignorant address them [harshly], they say [words of] peace..." up to the end of the Surah (Al-Furqan 63)

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾

Therefore, if one finds it abstruse upon him to discover his own state, he should then offer himself to those Holy Verses. The sin of good character lies in the presence of all of those qualities, whereas the sign of bad character lies in the loss of them all, and there are fields in between both according to the presence or loss of some of them. So, let one engage in acquiring what he loses, and keeping what he has got of them.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" described the faithful believer with many qualities, all of which refer to the good moral character. He said: "The believer is he who loves for his brother the same as he loves for himself." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Anas). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "He, who has faith in Allah and the Last, should deal with his guest generously; and he, who has faith in Allah and the Last Day should deal with his neighbour generously; and he, who has faith in Allah and the Last day should say good or (at least) keep silent." (It is reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Hurairah and Abu Shuraih Al-Khuza'i).

He mentioned that the good moral character distinguishes the faithful believers, as shown from his statement: "The one who has the most perfect faith among the believers is he, who has the best manners among them." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "If you see the believer silent with reverence, then, approach him, for wisdom appears on his tongue." (This narration is reported by Ibn Majah on the authority of Abu Khallad). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" aid: "He, who is pleased with his good character, and displeased with his bad manners, is then a believer." (This narrations reported by Ahmad, Al-Hakim and At-Tabarani on the authority of Abu Musa and Abu Umamah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It is unlawful for a believer to hint to his brother with a harmful glance." (This narration is reported by Ibn Al-Mubarak). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "It is unlawful for a Muslim to frighten another Muslim." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of An-Nu'man Ibn Bashir; and Al-Bazzar on the authority of Umar). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said too: "(When two persons sit with each other) they sit with safety of Allah Almighty. So, it is unlawful for anyone of them to disclose what his brother dislikes."

One of the predecessors combined the signs of the good character saying: "They are that one should be more modest, less harmful, more righteous, true in speech, who talks little and works much, less stumbling, less curious, dutiful, keeping of good relations (with his kith and kin), respectful, forbearing, thankful,

well-satisfied, wise, kind, chaste, sympathetic, who is neither cursing, nor abusing, nor a talebearer, nor a backbiter, nor hasty, nor resentful, nor a niggard, nor envious; and rather he is joyful, cheerful, who loves and hates, is pleased and displeased only for the sake of and in (the religion of) Allah Almighty. The good character lies in all of that.

Once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked about the sign of the believer and the sign of the hypocrite, thereupon he said: "The believer directs his endeavor to prayer, fasting and acts of worship, and the hypocrite directs his endeavor to food, drink, like the animal." According to Hatim Al-Asamm: "The believer is occupied by thought and meditation, whereas the hypocrite by greediness and hope; and the believer despairs of all except Allah Almighty, whereas the hypocrite expects from all except Allah Almighty; and the believer feels safe from all except Allah Almighty, whereas the hypocrite feels afraid of all except Allah Almighty; and the believer gives up his property for the sake of his religion, whereas the hypocrite gives up his religion for the sake of his property; and the believer does good and weeps, whereas the hypocrite does evil and laughs; and the believer loves seclusion and solitude, whereas the hypocrite loves mixing and assembly; and the believer plants and fears corruption, whereas the hypocrite uproots and expect for harvest; and the believer commands and forbids for the sake of policy thereupon he amends, whereas the hypocrite commands and forbids for the sake of sovereignty, thereupon he does mischief."

The first thing with which the good character is tested is to keep patience over harm and endure desertion. Whoever complains of the bad character of the others provides evidence for his bad character, for it is out of the good character to endure the harm. It is narrated on the authority of Anas Ibn Malik "Allah be pleased with him" that he said: I was walking with the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" who was wearing a Najrani garment with a thick border. A Bedouin met him and pulled the garment so violently that I saw the traces of its border on the neck of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" because of this violent pulling. He (the Bedouin) said: "O Muhammad! Order that something should be given to me from the wealth of Allah which is with you." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" turned to him, smiled, and ordered that a gift l (provision) will be given to him. (This narration is reported by Muslim).

When the Quraish people intensified their harming and beating him, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (by way of supplication): "O Allah! Forgive for my people for they do not know (the truth)." It is said that this happened on the day of the holy battle of Uhud. This is why Allah Almighty revealed: "And you are indeed on a great moral character." (Al-Qalam 4)

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾

It is narrated that once, Ibrahim Ibn Adham set out to the desert where he met a soldier who asked him: "Are you a slave?" he said: "Yes." He asked him

to guide him to the habitations. He pointed out the graveyards to him. The soldier said: "I meant the habitations." He said: "Those are the graveyards." He was exasperated and struck him with the whip over his head and wounded it and took him back to the town. His companions received him and asked him about the story, and the soldiers told them. They told the soldier that he was Ibrahim Ibn Adham. On that the soldier dismounted from his horse and went on kissing his hands and feet and apologized to him. Later on, he was asked: "Why did you say to him that you were a slave?" he said: "He did not ask me whose slave I was. He just asked me: 'Are you a slave?' and I answered in the affirmative, for I'm the slave of Allah. When he struck my head I asked Allah to admit him to the Garden." It was said to him: "How since he wronged you?" he said: "I learnt that I would get reward for the harm I had received from him, and I did not want that my portion from him be good and his from me evil."

Once, Abu Uthman Al-Hiri was invited by somebody who intended to examine his character. When he reached the gate of the house, he returned him and he did accordingly. He did so with him so many times and Abu Uthman did not change. In the last time the inviter said to him: "O sir! I intended only to test you; and how good your character is!" on that he said to him: "That character you have seen from me is like the dog's character: whenever it is invited it would respond, and whenever it is averted, it would return."

It is reported from him also that one day he was crossing the street when a bowl of ashes was thrown at him. He dismounted and fell in prostration out of thankfulness and then wiped the dust off his garment and said nothing. He was asked: "Why have you not scolded them?" he said: "It is not possible for such as deserves the fire to become angry, given that he is reconciled with ashes instead." It is reported that Ali Ibn Musa Ar-Rida was of blackish complexion for his mother was black. In front of his house, there was a public bath, and whenever he liked to enter it, the worker would empty it for him. One day, he entered and the worker closed the door on him and went to fulfill his needs. Then, a man came and opened the door of the public bath and entered and put off his clothes and then saw Ali Ibn Musa. Thinking him to be a servant working in the bath, he asked him to stand up and bring water to him. He did accordingly, and executed his other commands. When the worker returned and saw the clothes of the man and heard his speech with Ali Ibn Musa, he feared and escaped. When Ali Ibn Musa came out he asked about the bath worker and he was told that he had escaped for fear of him. On that he said: "He has not to escape for it is the sin of him who had sexual relation with a black slave-girl (and begot a black child from her)."

It is narrated that Abu Abdullah Al-Khayyat (the tailor) used to sit in front of his shop, and he had a Magian client, and whenever he made a dress for him, he would give him the charge in the form of false coins, which he would accept from him, without telling him about that, although he knew they were false. One day, Abu Abdullah happened to go to fulfill some of his needs, and the Magian came and gave his apprentice the charge and took the sewed garment. Since the

charge was a false Dirham, which the apprentice knew once he looked at it, he rejected to take it. When Abu Abdullah returned, his apprentice told him about that, thereupon he said to him: "How bad! This Magian has been treating me with those (false coins) and I have been patient over him: I accepted from him the false coins which I threw in the well lest he would deceive another Muslim by them."

According to Yusuf Ibn Asbat: "Ten characteristics comprise the sign of the good moral character: taking oaths rarely, good justice and fairness, keeping away from pursuing slips of others, making good what seems of evil deeds, accepting the excuses of others, enduring harm, blaming oneself, seeking to know one's defects on the exclusion of the defects of others, cheerfulness of countenance in the face of both the young and the old, and the kind speech for the higher and lower."

When Sahl was asked about the good moral character he said: "The least of which is to endure harm, leave seeking the reward (for favour), showing mercy towards and asking forgiveness for the wrongdoer." Al-Ahnaf Ibn Qais was asked: "From whom have you learnt forbearance?" he said: "From Qais Ibn Asim." He was said: "To what extent was he forbearing?" he said: "While he was sitting in his house, one of his slave-maids brought to him a tray having a roasted meat, which fell from her hand over a child belonging to him, thereupon the child died. The slave-maid was scared, and he said to her: "Let no fear befall you! Go, you have become free for the Countenance of Allah Almighty."

It is reported that whenever boys saw Uwais Al-Qarni they would throw him with stones. On that he said to them: "O my young brothers! If it is necessary for you to do so, then, let it be with small pebbles, lest you would cause my legs to bleed and Thus, hinder me form performing prayer." A man insulted Al-Ahnaf Ibn Qais and he did not reply to him. He kept pursuing and insulting him and Al-Ahnaf kept silent. When they became a short distance before the entrance of the dwelling places, he turned his face to him and said: "O my brother! If there remains anything with you to say (of insults), say it now before we enter the habitations, lest some of the inhabitants would hear you and cause you harm because of that."

It is reported that Ali "Allah be pleased with him" called a slave who did not respond to him. He called him twice or thrice, and he did not respond to his invitation. He stood to see him and found him lying. He asked him: "Have you not heard my call O slave?" he said: "Yes I have heard." He asked: "Then, what has led you not to respond to my call?" he said: "Since I felt safe of your punishment, I have been too lazy (to answer you)." On that he said to him: "Then, go, you have become free for the Countenance of Allah Almighty." A woman called Malik Ibn Dinar, "may Allah have mercy upon him" saying: "O adulator!" on that he said to her: "No doubt, you have discovered one of my names from which the people of Basrah have gone astray." Yahya Ibn Ziyad Al-Harithi had an evil slave, and it was said to him: "Why do you keep him?" he said:

"In order to learn forbearance through him."

Those souls have been subdued through self-discipline, resulting in the moderateness of their manners, and their internals were cleansed from cheating, rancour and resentment, resulting in their satisfaction with what has been decreed by Allah Almighty; and this is the highest level of good moral character. That is because the highest level of bad character is to dislike and be dissatisfied with the act of Allah Almighty. The signs (of good moral character) then appeared on the external behaviour of those in the very way we have mentioned. If one does not detect within himself the same signs, he should not deceive himself, thinking himself to be of good moral character. On the contrary, he should engage in self-discipline and self-mortification until he attains the degree of good moral character, for it is a high degree which none attains but the nearest (to the Presence of Allah Almighty) and the sincere lovers of truth.

CHAPTER TEN

EXPOSITION OF WAY TO DISCIPLINE KIDS FROM THEIR EARLY YEARS; AND WAY TO IMPROVE THEIR MANNERS

It should be known to you that the way to discipline kids is one of the most important things; and a kid represents a trust in the hands of his parents: his heart is like a precious gem , pure and clean from every engraving and image, and Thus, it is susceptible to every image that might be engraved and imprinted on it. If one is accustomed to good, and instructed to do it, he surely will be brought up on it, with the result that he will attain happiness in both the world and the hereafter, and his parent besides all the teachers who contribute in his learning will have a share in the reward. If one is accustomed to evil, and neglected in the same way as an animal is neglected, he will become wretched and be ruined in both this world and the hereafter, and the sin of that will be due upon his guardian. Allah Almighty says in this respect: "O you who have believed, protect yourselves and your families from a Fire whose fuel is people and stones." (At-Tahrim 6)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴿٦﴾ ﴾

If a child's parent is to protect him from the fire of this world, then, it will be preferable to protect him from the fire of the hereafter. To protect him is to discipline him, improve his manners, instruct him in the good character, keep him from the evil companions, not to habituate him to comfortable life, nor to endear to him adornment and luxury, lest he would waste his time in pursuit of them when he grows old, and be given to everlasting destruction. He rather should watch him from his early childhood: he should choose a religious woman who eats from lawful sources to wet-nurse and suckle him, for no blessing lies in the milk that is produced from the unlawful. If the child happens to drink it, his clay would be made up of malice, to which he will be predisposed by nature.

Once he notices in him the commencements of discernment, he should observe him. The first portent of that is modesty: if he is self-effacing and feels shy of doing some things, this will be due to the shining of the light of mind on him, in which he sees many things ugly and disagreeing with the requirements of usage and practice, on the exclusion of others, and Thus, he feels shy of doing many acts apart from others. Therefore, this is a gift bestowed upon him by Allah, and a portent of the moderateness of character and pureness of heart, and gives glad tidings of his would-be perfect mind at adolescence. The bashful child should not be neglected: on the contrary, the aid of his bashfulness and discernment should be sought to discipline him.

The first quality that prevails over him is the greed for food, in which he should be disciplined: he should be accustomed to pick food only with the help of his right hand, to mention the Name of Allah on it, to eat only from what is close to him in the dish, not to start taking food before others, not to stare at it or to those who eat, not to be swift in eating, to chew food well, not to stain his hand or garment. Furthermore, he should be accustomed to eat bread alone with no condiment in many times so that condiment would not become inevitably necessary in his meals. On the other hand, eating much food should be dispraised in his sight, by likening such as eats so much to the animals, and criticizing before him the child who eats so much, and praising before him the child who eats little. He also should be made to like giving others preference over him in terms of food, about which he has to be careless, and to be satisfied with the rough kinds of food whatever they might be.

He also should be made to like the white among the clothes, on the exclusion of the colorful and silk garments, giving him the impression that those are the clothes of women and effeminate apart from men. He should be made to disdain it as a man to the extent that if he sees a silk or a colorful garment on a child, he should disapprove of and criticize it. Furthermore, the child should be kept far from the children who are accustomed to luxurious and comfortable life, and dress themselves in the expensive dresses. He should also be kept far from mixing with such of people as encourages him to do so, for however, if a child is neglected in his beginning and early age, he will come to have bad manners, and grow a liar, envious, going about with calumnies, and dissolute. He should be kept from all of that through good discipline and being diverted to engage in learning and memorizing Qur'an, the stories and narrations (of the Prophet and the companions), the tales and states of the pious, in order to be brought up on the love of the righteous from among all the people. At the same time, he should be kept far from the poetic compositions of love and adoration, and from mixing with the poets and writers who allege this is out of kindness and smoothness of disposition, for it sows the seeds of corruption in the hearts of children.

The child should be honoured and rewarded for such of good deeds and praiseworthy acts as appear from him, which causes him to grow happy and have a good position among the people. If he behaves in opposition to that only once, his behaviour should be overlooked, and not to be disclosed nor should he be

encountered with it, giving him the impression that none has the courage to do the like of it, particularly if the child himself does his best to screen it (out of shyness and regret for it). That is because if it is disclosed to him, he might turn to be more audacious and bald to repeat it once again. But in case he repeats the same odious act, he should be encountered with, and blamed for it in secret, and given the impression that it is too heinous that one like him should do the same, with the warning statement: "I warn you of returning to the same act once again, lest you would be scandalized among the people." Do not blame him so frequently at all times, for one by one, it would become easy upon him to hear reprimand and do the evil things, and the warning speech would become of no effect on his heart. The father always should keep the reverence of words with him: he should not reproach him but sometimes; and the mother should always frighten him with the father, out of averting him from doing what is shameful.

He should be prevented from sleep during the day for it brings about laziness, but he should not be prevented from it at night. He should be kept from the smooth beds in order for his body members to get hardened, and his body not to grow fat, with the result that he would not keep patient over leaving luxury. Thus, he should be accustomed to coarseness and roughness in terms of food, clothes and bed. Therefore, he should be prevented from doing anything in secret, for one always conceals what he thinks to be shameful and in opposition to the generally accepted practice. So, if he is left to do it, he will get accustomed to it. He should be accustomed to practice regular walk, movement and sport during the day in order not to be lazy and inactive. He should be habituated not to uncover his limbs, nor to walk at a quick pace, nor to relax his hands, which should be tightened to his chest.

He should be prevented from boasting over his fellows because of anything his father possesses, or because of anything he has on the exclusion of them, regarding food, clothes and money. On the contrary, he should be habituated to behave humbly and generously with such as with whom he mixes. He also should be prevented from taking anything from the other children depending upon the high authority and majesty of his family: but he should be taught that supremacy lies in giving rather than in taking, and that taking is out of baseness and sordidness; and if he belongs to the offspring of the poor, he should be taught that covet and taking are out of humiliation, mortification and disgrace, for one is like a dog which peeps into the things of others in expectation for a morsel to be thrown away to it.

In brief, the covet of and love for gold and silver should be defaced in the sight of children, of which they should be warned more than they should be of female-snakes and scorpions. Of a surety, the evil of love for and covet of gold and silver is more harmful to the children, if not to the old too, than that caused by the poison of female-snakes and scorpions. He should be habituated not to spit nor to expectorate in the gathering, nor to yawn in the presence of others, nor to turn his back to anyone, nor to put his leg over the other, nor to place his palm underneath his chin, nor to support his head against his forearm, for this

indicates to laziness and idleness.

A child also should be taught the way to sit, and that much (useless) talk indicates to rudeness and impoliteness, since it belongs to the acts of the sons of the cunning persons. He should be prevented from taking oaths at any rate, truthful or untruthful he might be, in order not to get accustomed to it since his early childhood. He should be prevented from taking the initiative to speak first, and rather not to talk unless he is required in reply and proportion to the question. He should be encouraged to pay attention to the speech of others, particularly if they are older than him. He should be instructed to stand up and leave his place to the older and superior and make space for him to sit. He should be prevented from false speech, foul and obscene language, cursing and insulting, and from mixing with such of people as on whose tongue these foul words run. To be sure, this is obtained from the evil fellows; and the basic rule of disciplining children is to be prevented from mixing with the evil fellows. On the other hand, if a child is beaten by his tutor, he should not cry so much, nor prove unruly, nor invoke for the intercession of anyone: but he'd rather keep patient and remember that patience over harm is always the behavior of the courage and brave among men, whereas the cry is always the usage of slaves and women.

After leaving the nursery school, he should be given permission to play in order to relieve himself of the trouble of the day nursery. However, if a child is prevented from play and rather given to the trouble and exhaustion of learning all the time, his heart would die, and his intelligence would be idle, and his living would embitter to the extent that he would seek a way to flee from it. He should be instructed to obey his parents, his tutor who disciplines him, and anyone who is older than him, be he a relative or a stranger, and show respect and exaltation for them, and leave playing in front of them. Once a child has attained the age of discernment, he should not be excused for leaving purification, ablution and prayer. He should be encouraged to observe many fasts during the month of Ramadan. He also should be prevented from wearing silk and brocade clothes, in addition to gold. He should be taught everything required by the limits of religious law.

He should be frightened from stealing, eating the unlawful, telling a lie, deceiving and cheating, betraying, behaving shamefully and immorally, etc. if he is warned of those in his early childhood, then, when he becomes adult, it is possible (and easier) for him to be acquainted with their mysteries. A mention may be made to him of the fact that different kinds of food are medicines intended to strengthen the body and provide him with power enough to be able to worship Allah; that the entire world is useless, for it should inevitably come to end by death, which interrupts its blessing for it is only a pathway, and not an abode of residence, whereas the hereafter is the abode of residence and not a pathway; that death is expected to come at any time; that the intelligent is he who takes from this world provisions for the hereafter in order for his rank to become great in the Sight of Allah Almighty, and his blessing in the Garden to

be abundant.

If upbringing is good, then, all of this will have a strong effect on a child once he becomes an adult, and is firm in his heart just in the same way as the engraving is constantly firm on the stone. But if upbringing is on the opposite, in a way that allows for the child to be accustomed to play, foul and obscene language, impoliteness, rudeness, greed for food, clothes and adornment, inclination to boast over others, he then will come to reject the truth. It is the commencements of things then that should be observed. That is because every child is created with readiness, by nature, to accept both good and evil, and it is his parents who make him incline to any of them. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Every baby is born on the true religion (of Islam), and it is his parents who convert him to Judaism, Christianity or Magianism." (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah).

Sahl Ibn Abdullah At-Tastari said: "When I was three years old, I used to get up at night and look at my maternal uncle, Muhammad Ibn Sawa', while he was praying. He saw me and said: "Do you not remember Allah Who has created you?" I said: "How should I remember Him?" he said: "Say thrice in your heart, without moving your lips therewith, whenever you turn: 'Allah is with me; Allah is looking at me; Allah is seeing me'." I said it for many nights and when I told him he said: "Then, say it seven times every night." I did and told him thereupon he said to me: "Then, say it eleven times every night." I said it and I found its sweetness in my heart. A year later my maternal uncle said to me: "Retain what I have taught you, and say it regularly until you (die and) enter the grave, for it shall benefit you in both this world and the hereafter." I have done it for many years until I found its sweetness in my breast. One day my maternal uncle said to me: "O Sahl! He, whom Allah is with, looking at and seeing, should not disobey Him. So, beware of committing any sin." I used to sit in seclusion and when they (my family) sent me to learn in the nursery school, I said: "I am afraid I might divide my concern." They stipulated with the tutor the condition that I should go to him to learn for some time and then return to the house. I then went to the nursery school and learnt the Holy Qur'an which I was able to keep in full when I was six years old. I used to observe fasts perpetually (i.e. on alternate days) when I was twelve years old, and parley bread at that time constituted my main sustenance. When I was thirteen years old, I had a problem, and I requested that my family should send me to the learned of Basra to ask them about it. I went to Basra and asked its learned about it, but none of them quenched my thirst. I then set out to Abdan where there was a man called Abu Habib Hamzah Ibn Abu Abdullah Al-Abdani, whom I asked about it, and he gave me a satisfactory answer. I spent a period of time with him to get benefit from his speech, and obtain his morals. Then, I returned to Tastar where I limited my sustenance so much. I asked that as much parley as is equal to one Dirham be bought and ground and baked as bread for me, and I used to break my fast with no more than an ounce thereof, just a short while before dawn, with no salt nor condiment. This quantity should suffice me for one year. Then I decided to keep fasting and tie my belly (out of

hunger) for three nights and break my fast in the fourth; and those three rose gradually to five, seven, up to twenty-five. I remained as such for twenty years. I then set out and wandered through the different parts of the land for many years after which I returned and stabilized in Tastar. I used to stand the whole night (for supererogatory prayer) as much as Allah willed me to do." Ahmad commented: "I have never seen him eating salt (or any kind of condiment) until he died and met Allah Almighty."

CHAPTER ELEVEN

EXPOSITION OF CONDITIONS OF WILLPOWER AND COMMENCEMENTS OF SELF-MORTIFICATION; AND NOVICE'S GRADUATION IN FOLLOWING WAY OF SELF-DISCIPLINE

It should be known to you that he, who sees the hereafter with his heart by way of certainty of faith has come to seek after its tilt, have longing for it, and follow the way that leads to it, attaching no importance to the delights and pleasures of this present world. If one has a bead and then he sees a precious stone, he will have no desire for the bead, and rather will be inclined to sell it for such precious stone. If one does not seek after the tilt of the hereafter, nor does he have a desire for meeting Allah Almighty (in the hereafter), he is nearer to have no faith in Allah and the Last Day. Of a surety, I do not mean by faith self-talk and movement of tongue with both testimonies with no truthfulness nor sincerity, for this is equal to the statement that 'the precious gem is better than the bead, even though he knows only the word and not the real meaning of the gem.

If such a man becomes familiar with the bead, he might not be inclined to leave it, nor to have longing for the gem. Thus, it is the lack of following the way that impedes from reaching (the end), and it is the lack of will that impedes from following the way, and it is the lack of faith that impedes the will; and it is misguidance that lies behind the lack of faith, due to the absence of the reminders and those who have knowledge of Allah Almighty, who guide the people to His Way, and bring to the attention the insignificance and extinction of this present world, and the significance and permanence of the hereafter. The people are heedless, since they have become involved in their desires and lusts, and among the religious scholars, there is none to alert them. More important, if anyone of them takes heed, he will fail to follow the way to the hereafter because of his ignorance; and if he asks the learned to lead him to it, he will find them more inclined to their desires and whims, and deviating from the true and straight way. Thus, the weakness of will, the ignorance of the true and straight way, and the scholars' following their desires cause the people to deviate from the true way of Allah Almighty. When the required thing is veiled, the evidence is missing, the desire is prevalent, and the petitioner is heedless, of a surety, that will lead to failure to reach the end, and all ways will inevitably become idle.

If one takes heed by himself, or another person stimulates in him the will to seek for the tilt and profit of hereafter, he should observe many necessary conditions in the beginning, and hold fast to a protective fort in order to feel safe of the enemies who might cut the road on him. Additionally, he has to fulfill many duties during his following of the way.

As far as conditions to be observed first are concerned, they are to lift the barrier and veil that lies between him and the truth. However, the people are deprived of the gift of truth because of the accumulated veils and the barrier on the way. Allah Almighty says: "And We have put before them a barrier and behind them a barrier and covered them, so they do not see." (Ya Sin 9)

﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾

There are four things that constitute the barrier which lies between the novice and the truth: property, majesty, imitation and sin. The barrier of property is lifted when wealth becomes not in one's possession, and there remains with him only what is necessary. That is because if there remains something beyond the necessary, even though as little as a Dirham, to which he turns, he then will become fastened to it and veiled from Allah Almighty. The veil of majesty is lifted by keeping oneself far from the positions of majesty, and sticking to humbleness and anonymity, and flight from the means of celebrity. The veil of imitation is lifted by abandonment of fanaticism for juristic doctrines, and having sincere faith in the fact that there is none worthy of worship except Allah Almighty, and that Muhammad is the Messenger of Allah, and confirming that faith by leaving all things that could be taken as objects of worship other than Allah Almighty, the greatest of which is one's inclination and desire. Once he does so, the real nature of his faith which he has received by way of imitation at first is revealed to him. He should seek to have this revealed to him by way of self-mortification rather than argumentation. But if he remains zealous for his own doctrine, which leaves in his heart no place for anything else, he will become fastened to it, and veiled by it, for it is not requisite for a novice to abide by a particular doctrine. In relation to sin, it is a veil in itself, and nothing lifts it except sincere repentance from it, decision not to return to it once again, showing regret for it, restoring rights to their real men, and pleasing foes. However, unless one makes right his repentance, and leaves external sins, and at the same time, he likes to be acquainted with the mysteries of religion by way of disclosure is like him who likes to be acquainted with the mysteries and interpretation of the Qur'an without having learnt the Arabic language yet. That is because one has to understand first the language of the Qur'an, from which one should rise up to know the mysteries of its meanings. Similarly, the Sharia should be acted upon correctly first, from which one moves to its mysteries and depths.

If one does those four conditions first, and relieves himself of property and majesty, he will be like him who gets purified and performs ablution in preparation for prayer. Being so, he needs an imam to follow him, just as a novice needs a sheikh and mister to copy his conduct, in order to guide him to the

straight path, for indeed, the path of religion is abstruse, whereas the ways of Satan are obvious and evident. Whoever has no sheikh to guide him, becomes vulnerable to Satan who drives him to one of his different ways. If one follows the destructive ways of desert with no sentinel exposes himself, with no doubt, to ruin and destruction. The man who depends on himself solely in this respect is like the tree which grows independently: it inevitably withers in the near future, and even if it produces leaves, it will remain fruitless.

The protective shield which a novice should hold fast to after accomplishing the four conditions is his sheikh: he should stick to him in the same way as a blind on a river's bank sticks to his sighted guide, and depends on him in all of his affairs, and does not disagree with him in the least. If such a protective shield is found, it has to protect the protection-seeker with an impenetrable protection, therewith to avert from him these which might cut the way on him; and those are four: seclusion, silence, hungry and insomnia. The purpose here is to repair the novice's heart in order to witness his Lord therewith, and become fit to come close to Him.

The role of hunger is to decrease the blood of the heart and whiten it, and in such whiteness lies its light. It also dissolves its fat which causes it to become smooth; and its smoothness is the key to disclosure, whereas its hardness veils it. When the blood of heart decreases, the way of the enemy becomes narrow, for indeed, the veins that are filled with lusts and desires are the paths which that enemy follows. In this respect, Jesus "Peace be upon him" said: "O assembly of disciples! Make hungry your bellies, perchance your hearts would see your Lord." Sahl Ibn Abdullah At-Tastari said: "The Abdal (Substitutes) have become so only by virtue of four characteristics: exposing themselves to severe hunger, insomnia, silence, and isolation from the people." The benefit of hunger in enlightening heart is self-evident. The gradual approach regarding it will be discussed in detail later in the Book of Breaking Two Desires.

As for insomnia, it polishes, purifies and enlightens the heart. Taking it together with the purity that resulted from hunger, it becomes like a shining star and a polished mirror, in which there is reflected the beauty of truth, the high rank in the hereafter in opposition to the contempt and baseness of this world. It is that which makes one turn from this world and its vanities, and rather devote himself to the hereafter. Insomnia results from hunger, since by no means could it be achieved with satiety. Sleep always hardens the heart and causes it to die unless it is as much as is equal to what is necessary, which makes it a means of disclosing the mysteries of the unseen. In description of the Abdal (Substitutes), it is said that they eat but are never satisfied, sleep only when they are overpowered by slumber, and speak only when it is necessary for them to speak. According to Ibrahim Al-Khawas: "About seventy sincere affirmers of truth agree together on the fact that sleep so much results from drinking water in great quantity."

Although silence becomes easier by seclusion, the one who lives in solitude could hardly dispense with such as serves him. Thus, he should speak only when it is necessary for him to speak, for indeed speech diverts the heart; and the heart has great gluttony for it, since it gets comforted with it, to the extent that speech makes it heavy and difficult upon the heart to return to be disengaged for celebration and meditation. In this way, silence revises mind, brings about abstention, and teaches piety. The benefit of living in seclusion is to push away occupations and adjust both hearing and seeing, since they are the heart's courtyard. The heart is like a fountain to which malodorous dirty water is poured from the rivers of the five senses. The purpose of self-discipline is to empty such fountain from that stinking water with its mud in order for the heart to burst and the clean and pure water to gush forth therefrom. How could the fountain be emptied given that the rivers (of the five senses) are open to it and what enters into it is more than what comes out of it? For this reason, the senses should be adjusted in order to receive only what is necessary. This could be achieved only by living in seclusion in a dark house; and in case one has no dark house to live in, let him cover his head with his shirt or wrap his body in a covering, for at that time, he is susceptible to hear the call of the truth, and witness the majesty of the Divine Presence.

Those four act as a shield and a fort that avert from him the evil and means of those who cut the way on him. Once he does them, he becomes ready to follow the way (to the hereafter) and eliminate the obstacles that might hinder him. However, the obstacles on the way to Allah Almighty depend upon the constitution of the heart itself, in its turning towards this present world. Some obstacles are harder and more difficult than others. The right order for eliminating them is to engage in the easiest then the easier and so on, i.e. the ties which he cut at first (that relate him with the present world), and their effects representing in property, majesty, love for this present world, devotion to people, and longing for committing sins. One then should empty his interior from their effects just as he has emptied the exterior from their apparent means. In this respect, self-mortification might take a very long time, and vary in accordance with the difference of states. A particular one might happen to be sufficed against most of those qualities, and thus, his mortification shall take no long time.

We have already mentioned that the way of self-mortification is to behave in opposition to desires and appetence in all fields. If those desires and appetence get broken or at least weaken through mortification, nothing then shall remain in the heart to divert it from having a kind of regular celebration (supplication of Allah Almighty) which makes him not in need of doing numerous external daily portions: on the contrary, he limits himself to only the obligatory duties and regular acts of worship in addition to a single daily portion. This is the core and fruit of daily portions, i.e. to get the heart persist in the celebration of Allah Almighty after disengaging it from the celebration of others than Him. Once, Ash-Shibli said to Al-Husari: "If any thought other than Allah Almighty occurs

to your mind from the Friday on which you visit me to the next Friday, then, it will be unlawful for you to visit me." That disengagement is attained only with the sincere willpower and true possessing love for Allah Almighty in a way that makes it preoccupy the whole concern of the lover.

Having done so, his sheikh then has to make him stick to a certain corner to live in seclusion, and assign somebody to serve him only with the necessary requirements of lawful sustenance, for the lawful sustenance is the basis for the way of religion. At that point, he has to dictate to him a supplication to occupy thereby his tongue and heart, like "Glory be to Allah; glory be to Allah", or anything similar to it. He should persist in uttering it until the tongue stops from movement and the word seems to run on the tongue without movement. He also should continue to say it until its effect fades from the tongue, and only its image remains reflected on the heart. He should continue until the image of the word fades from the heart, and only its real meaning comes to predominate and preoccupy it wholly. It is known that if the heart is occupied by a particular thing, it will be disengaged from anything else. If it is occupied by the celebration of Allah Almighty, and this is the intended goal, it will be disengaged from anything else.

At that point, he has to watch such of doubts and passing thoughts as occur to the mind, regarding the present world, and remembrance of the states and affairs of him as well as of others. However, if he does his best to avert all doubts and passing thoughts and reduces his soul to that word solely, some doubts and passing thoughts will still occur to his mind from the direction of this word: what does this word mean? What is the significance of our saying 'Allah'? what is the reason for His being a God that is to be worshipped? This, therefore, opens to him the gate of suspicions and evil thoughts brought about by Satan, which lead him to disbelief and religious heresies. But if he dislikes that, and does his best to push it away from the heart, it will not harm him.

Those are divided into things which it is evidently known that Allah Almighty is deemed far beyond, but Satan dictates them to his heart and makes them run on his passing thoughts. Those should be cared for, and one should betake himself to celebrate Allah Almighty, and implore to Him to avert them from his heart. Allah Almighty says in this respect: "And if an evil suggestion comes to you from Satan, then seek refuge in Allah. Indeed, He is Hearing and Knowing. Indeed, those who fear Allah - when an impulse touches them from Satan, they remember [Him] and at once they have insight." (Al-A'raf 200-201)

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾

The other things are those in which one has doubt; and those should be offered to the sheikh, putting in mind that he should conceal it from anyone else other than the sheikh.

The sheikh should then consider his state and intelligence: if he knows that through meditation he might attain the truth, he then should leave him to meditation and tell him to persist in it until a light is cast into his heart, thereby the real nature of the truth is disclosed to him, otherwise, he should return him to the certainty of faith through a suitable preaching and evidence that he could endure and understand. The sheikh should be kind and gentle to him, for those are the destructive things and places of risk on the way. How many a novice engaged himself in self-mortification, and, being occupied by a false thought which he failed to remove and Thus, it cut the way on him, turned from self-mortification to the opposite, i.e. the way of falsehood and dissoluteness; and this is, to be sure, the great destruction.

Whoever devotes himself to celebration (of Allah Almighty), and drives away from his heart all ties that relate him to anything else, could hardly be far from such thoughts, for indeed, by so doing, he has ridden the ship of danger: if he is safe, he shall be one of the kings of religion, and if he errs, he shall be given to destruction. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I advise you to stick to the faith of the old women." (This narration is reported on the authority of Ibn Umar, and it is very weak). It is to receive the fundamental faith and apparent belief by way of imitation and doing good deeds. Much danger lies in swerving from that. For this reason, it is said that the sheikh should gaze at the novice: unless he finds him too intelligent, prudent and ready to be competent in the external faith, he should not engage him by meditation and celebration: on the contrary, he should return him to the apparent deeds and collectively contiguous daily portions, or by having him serve those who are devoted to celebration and meditation in order to get benefit from their blessing. However, the one who is unable to take part in fighting among the rows of fighters should provide soldiers with water and look after mounts in order that on the Day of Judgement he will be mustered in their company, regardless of having a degree less than theirs.

On the other hand, the one who is devoted to celebration and meditation might have many obstructions that hinder his way, like pride, showing off, joyfulness of what is disclosed to him and what seems to him of the first commencements of miracles. If he is to be diverted by those and turn himself to them, his way might be closed against him. So, he should persist in his state along his lifetime just as a thirsty persists in water who is not quenched even if the water of oceans is poured over him. His capital should be to disengage himself from the people and get devoted to the truth, and persist in seclusion. One of the wanderers through the land said: I asked one of the Abdal who live in seclusion from all the people: "What is the way to uncover the veils of truth?" he said: "It is to be in this present world like a wayfarer." He said once again: I asked him: "Guide me to a deed in which I could find my heart with Allah Almighty perpetually." On that he said: "Look not at the people, for looking at them brings about darkness." I said: "But, this matter is inevitable." He said: "Then, hear not their speech, for their speech brings about harshness."

I said: "But this matter is inevitable." He said: "Then, deal not with them, for dealing with them leads to desertion." I said: "But I live with them, and it is necessary for me to deal with them." He said: "Then, get not comforted with them, for indeed comfort with them leads to destruction." I asked: "What is the reason for that?" he said: "O man! Do you look at the heedless, hear the words of the ignorant, and deal with the false and at the same time, like to have your heart with Allah Almighty perpetually? It is surely impossible."

The culminating peak of self-discipline is to find one's heart with Allah Almighty perpetually, and this is impossible unless it is disengaged from anything else; and it is not disengaged from anything else except through long self-mortification. If his heart becomes with Allah Almighty, the majesty of Divine presence will be disclosed to him, and the glory of the truth will appear to him. But one of the hindrances here is that he might find himself speaking with that by way of instructing and teaching, a thing in which the soul finds a great pleasure, which summons him to think about the way how to bring about those meanings, prepare and beautify the words expressive of them, adorn that with supportive stories, tales and Qur'anic quotations, and improve the art of speech in order for receivers to become more inclined to him. Satan might give him the false impression that by so doing, he brings to life the dead hearts of those heedless of Allah Almighty.

Satan's intrigue here is clear when one of his fellows appears to be of better speech, more elegant words and more capable of attracting the hearts of laymen: if he is moved by the scheme of acceptability, he will become envious of that man, and if he is moved by the truth and eagerness to inviting the worshippers of Allah Almighty to His straight path, he will rejoice with him and say: "Praise be to Allah Who has helped and aided me with him who supported me to reform His worshippers." His example is like him upon whom it is incumbent under Sharia to carry the dead body of a man to bury him for he has none of his family to do so, and when somebody comes to help him do so, he rejoices with him, and does not envy such as aids him. The heedless are those whose hearts are dead, and preachers are to give life to their hearts. For this reason, their increasing number leads to comfort and mutual support, with which one should be pleased.

However, this hardly exists, and a novice should be very careful of it. It is the longest snare of Satan, with which he cuts the way on him to whom it is opened. Man, by nature, gives preference to this present world over the hereafter. This is the significance of the statement of Allah Almighty: "But you prefer the worldly life, While the Hereafter is better and more enduring." (Al-A'la 16-17)

﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾

In highlighting the fact that this evil is deep-rooted in disposition as of old as mentioned in the previous scriptures, He Almighty says: "Indeed, this is in the former scriptures, The scriptures of Abraham and Moses." (Al-A'la 18-19)

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾

This is the method of novice's self-discipline and gradual approach to meet Allah Almighty. But the details of each quality will be discussed later. Most evil comes upon man from his abdomen, private parts and tongue, i.e. the desires that are related to them, and the anger that acts as an army to protect those desires. If man likes and gets affable with the desire of abdomen and private parts, he shall love this present world, and it is by virtue of wealth and majesty that in which he will be well established; and if both wealth and majesty are available to him, he will become arrogant and haughty. Such being the case, his soul never accepts to leave this world, and rather takes from the religion what supports his haughtiness.

Thus, after introducing those two books, it becomes incumbent upon us to complete the quarter of destructives with eight books, Allah willing: a book Concerning the breaking of the Two lusts: The Appetite of the Stomach and the Sexual Desire; a book concerning The evil of Tongue; a book concerning the breaking of Anger, Resentment, and Envy; a book concerning The Curse of the World; a book concerning The breaking of love for Wealth, and Curse of Niggardliness; a book concerning The Curse of Showiness and Hypocrisy; a book concerning The Curse of Pride and Vanity; and a book concerning The Places of Haughtiness. By making a mention of those destructives, and the way to remedy them, our purpose will be achieved, Allah willing. The first book pertains to the wonders of the heart which is the primal source of destructives and saviors, and the second book is a total reference to the way of improving morals and remedy of heart diseases. The details will be mentioned in the following books, Allah willing.

The Book of Self-Discipline and Improvement of Moral character is ended, praise be to Allah, by virtue of the aid and help of Allah Almighty, and it is followed by the Book of Curbing Two desires.

Praise be to Allah Alone, and Allah's blessing and peace be upon Muhammad, his family and companions, and upon every servant chosen by Allah Almighty, from the inhabitants of the earth and the heaven. I depend in my success on Allah Alone, on Whom I rely, and to Whom I return.

Book three: Curbing Two Appetites

This is the second book of the quarter of destructives

In the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

Praise be to Him Who is Alone in His majesty and grandeur; who deserves adulation, sanctification, praise and loftiness; who is just in what He establishes and what He decrees; who is generous with what He bequeaths and what he fulfills; who takes on the responsibility to safeguard His servant in all his comings and goings; who grants him more than His commitments require that his wishes might be fulfilled; for He is the one who guides him and sets him upon the straight path, and He is the one who ordains when he lives and when he dies. Should he (the servant) become ill, it is He who cures him. Should he become weak, it is He who strengthens him. He is the one who guides him to obedience and contentment. He is the one who causes him to eat and drink; preserves him from destruction; protects him, guards him with food and drink against the agents of destruction and perdition; who causes him to be satisfied with little food and to be tranquil that he might curb the ways of the devil who haunts him. In so doing he curbs the lust of the self (An-Nafs), which opposes him, and wards off its (the self-s) evil. He worships His lord and fears Him.

It results from His (the Lord) granting him (the servant) that which he desires and delights him; kindles his initiatives and strengthens his motives. He tries him therewith and afflicts him in order to test how He can curb his covetousness and whims (and points to him) how he might safeguard His decrees and desist from what He enjoins against in order that he (the servant) might resume his obedience to Allah and cease his acts of defiance.

May prayer be upon His enlightened servant Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him", His illuminating messenger, and may such prayer draw him (the Prophet) ever nearer to Allah and to (good) fortune, raise his station, and lift him to ever loftier heights.

It should be known to you that the greatest pain afflicting man is the lust of the stomach. It is on account of it that Adam "Allah's blessing and peace be upon him" and Eve were ejected from the abode of tranquility (the garden of Eden) to the abode of humiliation and impoverishment (this world). The fruit of the tree (apple) had been proscribed to them but they allowed their covetousness to overwhelm them, so they ate of it and the evil thereof became clear to them.

In truth, the stomach is the fount of lust and the source of ailment and evil in that its cravings are followed by the craving of the penis for coitus with women. Food and sex lead to intense desire for ostentation and wealth, to all kinds of envy and greed. Both give rise to the evil of deception, boastfulness, excessiveness, and ostentation (or, in modern terms, elitism). This in turn leads to

hatred, envy, jealousy, enmity, and hostility, which (in turn) induces one to commit (what is) outrageous, objectionable, and adultery. Such are the fruits of yielding to the stomach and its strong demands for food and satiation.

If the servant (of Allah) were to humble himself through hunger and deprive the devil (power to) work (within himself), the self would meekly yield to the obedience of Allah, may He be praised and glorified, and would refrain from pursuing the path of arrogance and oppressiveness. It would not cause him to become preoccupied with the world and to prefer that which soon passes away (the transient world) over the (day of) Accounting (Judgment and the Hereafter and its rewards). Nor would he persist in pursuing (offerings of) the world. And should the evil of the stomach's lust intensify (much), then it becomes necessary to view its disasters and evils as (constituting) a warning (to him).

It is incumbent (upon us) to explain the way to combat it (lust) and point out the virtue thereof as an incentive in itself. The same applies to the lust of the penis, in that it follows a similar course. We shall make this clear, with the help of the Lord, in those chapters treating this subject, showing hunger to be a virtue, also how to exercise in order to curb the appetite of the stomach by reducing and delaying food intake. We shall also point out preferences decreed by hunger, and the virtue thereof, in terms of differing conditions in people, as well as those exercises that are necessary for abandoning lust. Next we shall relate sayings concerning the lust of the penis and why the one who seeks the path (the novice or Murid) should set aside marriage and what is required by such an abandonment. Lastly, (we shall recount) the virtue of the one who combats the lust (induced by) stomach, penis (sic) and sight.

CHAPTER ONE

VIRTUE OF HUNGER AND REJECTION OF SATIETY

The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Combat the self with hunger and thirst, for the reward thereof is like the reward of the one who strives (Mujahid) for the sake of Allah. There is no commitment dearer to Allah than that of hunger and thirst. Ibn Abbas "Allah be pleased with him", quoted the Prophet saying, "no one who has filled his stomach will enter the kingdom of heaven." When he (the Prophet) was asked: "who among mortals is the more virtuous?" he replied: "he who eats and laughs less and is content with that which conceals his nakedness." He also said that the best way to achieve hunger and subjugation of the self is to wear wool. Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him" quoted the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" as having said: "to be fair to the stomach, (one must) dress, eat, and drink for it is a quality of Prophethood." Al-Hassan also quoted the Prophet "peace be upon him" as saying: "he who has hungered the longest and reflected upon Allah, may He be glorified, enjoys the highest status with Allah on the Day of Resurrection. He, may He be glorified, detests most on the Day of Judgement the one who eats, drinks, and sleeps, much."

There is a saying that the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" used to hunger without need, that is by choice. He "Allah's blessing and peace be upon him" also said that Allah Almighty has proclaimed that "he who drinks and eats less in this world is a rival of the angels." Allah Almighty has declared: "behold my servant: I have tempted him with food and drink in the world. He was patient and abandoned both. Bear witness, O my angels, for every meal he forsakes I shall compensate him many times more (for it) in paradise." He (Muhammad, "Allah's blessing and peace be upon him") has stated: "do not kill your hearts with abundant food and drink, for the heart is like a plant, it will die if overwatered." He also said: "when man fills a vessel with evil from his stomach he believes that little morsels (of food) will strengthen his body. If so, then let a third (thereof) go to (satisfy his need for) food, a third for his drink, and a third for his self.

A saying attributed to Usamah Ibn Zaid, and a longer one to Abu Hurairah, both stress the virtue of hunger and state that those nearest to Allah, may He be glorified, on the Day of Resurrection are the ones who hunger and thirst the longest. His (God's) grief on earth is for the barefooted-pious (ones), who if they should bear testimony (to Allah) would not be recognized and if they should disappear would not be missed. They are scattered on earth and the angels of heaven hover over them. Men enjoy the comforts of the world while they obey Allah. Men bed down in ease while they (lie down) on their bellies and knees. Men caused the work and manners of the prophets to be lost, while they preserved them. The earth would weep should they disappear and the mighty would vent their anger on every place wherein one of them is not to be found. They pursued not (offerings of) the world as persistently as dogs pursue carcasses. They ate fodder and wore tattered rags. Their hair was dusty and matted. People looked at them and thought that they were ill, but they were not ill. It might be said that they are confused and their minds lost, but their minds are not lost. They obeyed with their hearts the decrees of Allah who placed them apart from the world. To the people of this world they walk mindlessly, but they became wise when the wisdom of men disappeared. They have honor in the Hereafter. O Usamah, should you encounter them in a town, It should be known to you that they are a trust for the inhabitants of that town. Allah will not cause a people among whom they dwell to suffer. The earth rejoices in them and the mighty are pleased with them. Take them brethren unto yourself that ye may be saved through them. And should death overtake thee on an empty stomach, (or) a thirsty liver, accept it; for you will attain thereby the honor of the dweller (in Paradise) and you will be among the prophets. The angels will rejoice at the arrival of your soul and the mighty will pray for thee.

Al-Hassan quoted Abu Hurairah saying that the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" declared: "wear wool, roll up your sleeves, and be fair to the stomach and you will enter the kingdom of heaven." And Jesus "Allah's blessing and peace be upon him" has declared: "O disciples, starve your livers and bare your bodies so that your hearts will see Allah, may He be glorified." Our Prophet

(Muhammad) has declared the same, as has Tawus.

They say it is written in the Torah that Allah detests a fat rabbi because fleshiness is a sign of neglect and much eating. This is objectionable, especially for a rabbi, because of it Ibn Mas'ud "may Allah be pleased with him, declared: "Allah despises the reciter (of the Qur'an in public) who has grown fat from eating much." In a tradition of limited authenticity, it is alleged that the devil flows through man like blood; Thus, man must narrow the passageways (of the devil) through hunger and thirst. In another tradition (it is stated that) to eat when one is satiated leads to leprosy.

The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" declared: "the faithful (one) eats with one gut, the infidel with seven," that is, he eats seven times as much because his gluttonous appetite absorbs food as does the gut (only seven times more). This does not mean that the gut of the hypocrite is greater than that of the faithful. Quoting 'A'ishah, may Allah be pleased with her, Al-Hassan relates: "I heard the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" say, 'continue knocking on the door of Paradise, it will be opened for you;' I asked, how do we continue knocking on the door of Paradise?' and he replied, 'with hunger and thirst'."

It is related that Abu Juhaifah burped in an assembly of the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" who told him: lessen your burping (by eating less) for those who hunger the longest on the Day of Judgement are the ones who are most satiated in this world." 'A'ishah, may Allah be pleased with her, used to say that the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" would never eat to satiation and "I often wept out of pity for him because of the way he used to hunger. I would rub his stomach with my hand and say, 'I will offer myself as a sacrifice if only you would chew enough (food) to give you strength and prevent you from being hungry'. His reply to that was: O 'A'ishah, my brethren, the strong-willed messengers (of Allah) endured greater hardship (than hunger); they persevered and came into the presence of their Lord, who welcomed them and rewarded their righteousness. Were I to be comfortable in my life, I would be ashamed lest tomorrow I be less than they. To be patient a few days is dearer to me than to lose my fortune tomorrow in the Hereafter. Furthermore, there is nothing more preferable to me than to follow my companions and brethren. It was less than a week later," added 'A'ishah, "that the Lord called him unto Himself."

Anas "Allah be pleased with him" said that Fatimah "Allah be pleased with her" brought a morsel of bread to the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" who asked: "what is this morsel?" to which she replied: "a small loaf which I baked and which it would not have pleased me not to bring you a piece (of it)." His reply (to Fatimah): "this is the first bit of food to enter your father's mouth in three days." Abu Hurairah "Allah be pleased with him" related that the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" took care of the food needs of his family for three days before departing this world.

He (Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him") has declared:

"Those who hunger in this world are the ones to be filled in the Hereafter. Verily, the most detested by Allah are the satiated gluttonous ones. The servant who avoids a meal which he craves will earn a (higher) level in paradise."

As concerns effects, 'Umar "may Allah be pleased with him" said: "avoid gluttony, for it is a burden in life and rot in death." Shaqiq Al-Balkhi maintained that "worship is a craft; its form is solitude and its tools are hunger." Luqman the Wise told his son: "my son, when the stomach is filled, thinking falls asleep, wisdom is silenced, and the organs cease to perform acts of worship." Al-Fudail Ibn 'Iyad used to say to himself: "what do you fear? Are you afraid of being hungry? Do not fear it! You are less of a burden to Allah than it (is for you)." Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him", also his companions, would go hungry as if it was being whispered to his Lord: "you caused me to go hungry but not naked; in the darkness of night you sat me down without a lantern; by what means did you teach what I learned from thee?"

Fath Al-Mawsili would say when overtaken by illness and hunger, "my Lord, you have afflicted me with illness and hunger, Thus, do you treat your saints; by what deed may I thank you for that which you have bequeathed unto me?" Malik Ibn Dinar related that he had said to Muhammad Ibn Wasi': "O Abu 'Abdullah, blessed is he who has an ardent desire to satisfy his need and to render him needless of people." He replied: "O Abu Yahya, blessed is he who goes to bed and wakes up hungry and is content with Allah." Al-Fudail Ibn Iyad used to say: "my Lord, you caused me and my family to go hungry, and you left me in the darkness of night without a lantern; but that is how you treat your saints; by what station (level of devotion) have I earned this (favor) from you?" Yahya Ibn Mu'adh declared: "the hunger of those who seek is theft; the hunger of the repentant is tribulation; the hunger of the one who strives is a blessing; the hunger of the patient one is an art, and the hunger of the ascetic is wisdom."

It is stated in the Torah: "Fear Allah; and if you should be satiated (with food) then remember the hungry. Abu Sulaiman said: "it is dearer for me to give up a portion of my supper than to stay up a whole night." He also said: "hunger is a store with Allah; He grants of it only to those who love Him."

Sahl Ibn 'Abdullah At-Tastari used to spend more than twenty nights without eating. One dirham satisfied his food requirements for a whole year. He would glorify hunger and exaggerate it, saying: "there is no deed worthy of the Resurrection like abandoning desire for food and emulating the eating habits of the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him"." "To seek profit from anything besides hunger," he continued, "wisdom and knowledge were placed in hunger; defiance and ignorance, in satiation; there is no better way for the servant (of Allah) to oppose whim than to abandon that which is lawful."

It is related in the Traditions that "a third (of one's acts of devotion) is in food; he who exceeds this is surrendering (a portion of) his good deed (s). When

asked: "what constitutes excess?" he replied: "to exceed the level in eating when refraining is more preferable; and when one hungers for a night, he asks Allah to make it two (nights); that is when one knows the excess." He maintained that such a preference can be achieved by constraining the stomach and staying up at night observing silence and seclusion." He also said that "at the head of every pious act descending from heaven to earth is hunger while heading every licentious one is a full stomach." Furthermore, "he who allows himself to go hungry will be free of anxiety." He maintained furthermore that hunger, sickness, and affliction are visited upon the servant chosen by Allah. "Know ye," said he, "this is a time when no one will gain salvation except by deadening the (physical) self through hunger, staying awake at night, and striving." Moreover, "no one passes through this world drinking to fill without committing an act of defiance; and offer thanks to Allah filled with food."

A wise man was once asked, "how do I curb my self?" to which he replied: "bind it by hunger and thirst; humble it by stifling its vanity and restrain the penis and the self s trifles by placing it under the feet of those who have earned the Hereafter (Paradise). Curb it (the self) by forsaking the apparel of the affluent. Deliver yourself of its evils by always thinking ill of it and by opposing its whims."

'Abd-Al-Wahid Ibn Zaid used to take an oath in the name of Allah Almighty saying that He never purified anyone except by (causing him/her to) hunger. "Nor did they (the pure) walk upon water except through Him or the earth cater to them except by hunger."

Abu Talib Al-Makki declared: "the stomach is like a Mazhar; its tunes are sweet because it is light and delicate, and because it is hallow, not filled; and because it is empty (hallow), it is sweeter for recitation, more conducive to wakefulness, and requires less sleep."

According to Abu Bakr Ibn 'Abdullah Al-Mazini, Allah loves three (types of people): he who sleeps less, eats less, and rests less. It is said that Jesus "Allah's blessing and peace be upon him" spent sixty days contemplating the Lord without food. It was when bread came to his mind that his contemplation ceased. A loaf was placed between his hands, but he sat up weeping over the loss of contemplation (instead of eating it). An old man suddenly cast his shadow upon him and Jesus said to him: "Allah bless you O friend of Allah; please entreat Him on my behalf. I was in state of contemplation when bread came to my mind and I lost it (the state)." The old man cried out: "O Lord, if you knew that bread crossed my mind since I knew you, then forgive me not, for whenever anything came to mind, I ate without thinking or deliberating."

It is said that when Allah Almighty decided to manifest Himself to Moses "Allah's blessing and peace be upon him", he (Moses) had already gone without food for forty days — thirty plus ten according to the Qur'an; another ten were added when he was unable to hold back sleep one day.

CHAPTER TWO
BENEFITS OF HUNGER AND EVILS OF SATIETY

The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "combat your self with hunger and thirst, for there is reward in that." One might perhaps ask: "wherefrom is this great virtue of hunger? What is the reason for it when there is but pain for the stomach and harmful suffering? And if it is to be so, then man should be granted greater rewards for allowing the self to suffer such harm in denying the flesh what it craves and forcing it to accept the objectionable and the like." It should be known to you that this (question) resembles the saying of the one who drinks medicine and benefits there from thinking that this benefit is due to the repugnance of medicine and its bitterness. Therefore, he proceeds to taste all that he hates. This is wrong. Benefit derives from the peculiar quality of medicine, not from its being bitter. Doctors attest this particular quality. Likewise, nobody speaks ill of the benefits of hunger but the brokers of the learned. Whoever suffers himself to endure hunger as an act of faith in keeping with the Sharia's commendation thereof, he will benefit there from, even if he does not understand the effect of the benefit, in the same manner as he who drinks medicine benefits there from, even if he does not know the nature of the benefit. This can be explained for those who seek to rise above faith to that of 'Urn (cognition, formal theological knowledge). Allah Almighty said that "I will raise those who have believed among you and acquired 'Urn to higher levels." (Al-Mujadilah 11)

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴿١١﴾ ﴾

Benefits of Hunger

We say, then, that hunger has ten benefits:

The first is purification of the heart and awakening of intuition, as well as giving vent to perception. Satiation causes dullness and blinds the heart. It increases fuzziness in the brain, in the same manner as does drunkenness, until it overpowers the elements of thought, burdens the heart, and slows down both the thinking process and quickness of perception. The lad who indulges food is unable to memorize (the Qur'an); his thinking is distorted, his understanding and perception slowed.

Abu Sulaiman Ad-Darani said: "indulge hunger because it humbles the self, renders the heart tender, and allows one to inherit heavenly knowledge." The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "enliven your hearts with less laughter and less satiation; (for it is by means of) hunger that they (hearts) are purified and softened." It is alleged that hunger is like unto thunder, contentment like unto the cloud, and wisdom like unto rain. He "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "he who renders his stomach hungry, increases his thinking and sharpens the awareness of his heart. Ibn Abbas "Allah be pleased with him" told that the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "he who sleeps on a full stomach, his heart hardens." He added further that "everything has its nourishment, and the nourishment of the body is hunger." Shibli said: "I

hungered not a day (for the sake of Allah) without experiencing in my heart, like nothing before, a door opened by wisdom and example.

It is no secret that what one seeks in acts of worship is the contemplation that leads to knowledge and pondering the truths of Allah. Satiation detracts there from while hunger opens its door (there to). Knowledge is one of the gateways of Paradise. It is on account of this that Luqman told his son: "my son, if the stomach is filled, thinking falls asleep and wisdom is muted, and faculties cease their acts of worship."

Abu Yazid Al-Bastami said: "hunger is (like) a cloud: if the servant is hungry, wisdom rains down upon (his) heart." The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "the light of wisdom is hunger and what creates distance between one and Allah, may He be glorified, is satiation. Nearness to Allah Almighty is (in) loving the poor and drawing near to them. Do not become filled (with food) lest ye turn off the lights of wisdom in your hearts. He who sleeps with less food, the Houris sleep around him until he awakens."

The second benefit is tenderness and purity of heart, which prepare it to attain the delight of contemplation and the impact of Dhikr. How often remembrances (Dhikr) flow on the tongue with the presence of the heart but there is no delight for the heart nor any satisfaction because it is screened by coarseness. Occasionally the heart might soften under certain circumstances permit Dhikr a greater impact there on; indeed, it might even delight in contemplation. A precondition for this experience However, is an empty stomach.

Abu Sulaiman Ad-Darani declared: "the best form of worship for me is an empty stomach attached to my back." Junaid said that "one (should) leave between the self and the chest a space free of food in order to discover the delight of contemplation." Abu Sulaiman argued that "if the heart is made to endure hunger and thirst, it would become pure and soft. But should it be filled, the heart becomes blind and harsh. Treating the heart with sweetness and contemplation facilitates thought and gains it knowledge." This is the second benefit (sic.)

The third benefit lies in submission, humiliation, the elimination of ungodliness, rejoicing, and what is more evil, namely oppressiveness and obliviousness of Allah Almighty. Nothing will curb the self and humble it more than hunger. For through hunger the self-reposes in its Lord and reveres Him, becoming thereby aware of its incapacity and abject nature. If its quest should be weakened and its urges circumscribed by means of a morsel of food, the world would turn away from the lower self and cast its darkness upon it (in reward) for not having food or drink for one day. If man does not recognize the abject nature of his self and its limitations, he cannot see the glory of the Lord, nor His power. His happiness lies in always reflecting upon the self with the eye of humility and incapacity, and upon his Lord with the eye of glory and capacity. So let him go hungry at all times and depend on his Lord, a witness for Him by choice. It is for such reason that when the world and its treasures were offered to the Prophet

"Allah's blessing and peace be upon him" he said: "No, I would rather hunger a day and be filled a day; for if I were to hunger, I would become patient and humble. Were I to be filled, I would be grateful." As he put it, "the stomach and the genitals are gateways to Hellfire." The cause lies in satiation. Humility and submission constitute one of the gateways of Paradise. Both originate in hunger. He who closes one of the doors of the Fire (Hell) opens one of the doors of Paradise by necessity, because they are as opposite as east and west; for nearness to one (is) distance from the other.

The fourth benefit lies in not forgetting the affliction of Allah and His torment, nor for those afflicted to forget; for, he who is satiated is oblivious of the one who hungers, and of hunger itself. The mindful servant does not see the affliction in others without remembering the affliction of the Hereafter. He becomes mindful through his own thirsting — the thirsting of created beings in the halls of Resurrection — and own hungering — the hungering of those destined to the fire (Hell). Indeed they will hunger, and (they) will be fed humiliation and deadly food. They will be given purulent substances to drink and the puss of corpses.

It is fitting for the servant to be mindful of the torments of the Hereafter and its pains, for it is indeed what excites fear. He who has not suffered depravity, or affliction, or wantonness, or ailment, forgets the torment of the Hereafter and sets no example through himself, nor exercises control over his (own) heart.

It also behooves the servant to endure pain and to experience affliction. The foremost affliction he can endure is hunger. In it are many benefits besides his being aware of the torments of the Hereafter. This is one reason why affliction became the mark of prophets and saints (which is) the greatest example they could set. Joseph "Allah's blessing and peace be upon him" was told: "You shall not hunger while in your hands are the treasures of the earth," to which he replied: "I fear in being filled that I would forget the hungry." Remembering the hungry and needy is one of the benefits of hunger, for it invokes mercy and (is conducive to) feeding (those in need) and showing pity for God's created beings, because he who is filled is oblivious to the pain of the hungry.

The fifth benefit, and one of the greatest of all, is in curbing the lusts of all defiances. To take charge of the self is to overcome evil. The source of all defiances is lust and power, and the ingredients thereof. Without doubt, lust is (a form of) nourishment; curbing it weakens every desire and urge. Happiness lies in taking charge of one's self, and misery is in it (the self) taking possession of it. The self is like unto a runaway beast of burden, it can be controlled only when weakened by hunger. Should it be fed to fill, it gains strength, becomes uncontrollable and runs away.

Such is also the self. When someone was told, "why is it with age you have shown no concern for your body, which has deteriorated?" to which he replied: "because it is quick to enjoy merriment in excess of most evil. So I fear that it

might overwhelm and hurl me into the abyss. It is better that I make it (the self) endure hardship than to let it propel me towards (committing) excesses."

Dhun-Nun said: "I never was satiated without becoming defiant or being preoccupied by it." 'A'ishah, may Allah be pleased with her, said, "the first religious innovation after (the passing away of) the messenger (Muhammad, "Allah's blessing and peace be upon him"), was satiation. When the stomach of man is filled, the self propels him into the world" (i.e. towards worldliness.)

In this there is not just a single, but rather a store of benefits, on account of which hunger was deemed one of the treasures of Allah. A leading benefit is (to be able) to contain through hunger the lust of both genitals and speech. He who hungers is not affected by the lust of inquisitive talk. He is delivered thereby from the evils of the tongue, such as backbiting, garrulousness, mendacity, deceiving, and the like. Hunger prevents all this. If, on the other hand, one becomes filled, he would seek desert, and his desert inevitably leads to his amusing himself with the honor of people. Nothing would hurl such folk into the Fire like the harvest of their tongues.

As concerns the lust of the genitals, its evils are not concealed. Hunger is sufficient to avert such evils. A man who is filled cannot control his genitals, even when restrained by piety, because he cannot avert what the eye sees, and the eye sins as much as the genitals do. Should one control the eye by not looking, he might not control his thoughts; bad thoughts would come to him like the murmurings of the self because of the enticements of lust, Thus, defiling his contemplations, which might occur in the course of (his) praying.

We have cited the evil of the tongue and of the genitals as examples. However, all defiances of the seven members (of the body) are caused by compulsiveness wrought by satiation. A wise man once said: "every Murid (novice) who is patient in his conduct abstains from (eating) pure bread for a year and mixes no lust with it. He eats only on half a stomach. Allah (already) has relieved him of the need for women."

The sixth benefit lies in warding off sleep and (in maintaining) continuous wakefulness. He who satisfies his appetite drinks a lot, and he who drinks a lot sleeps a lot. For this reason a certain (Sufi) sheikh said when food was being prepared: "O disciples, do not eat a lot because you will drink a lot and become content a lot, so you lose a lot." Seventy believers were of the same opinion, namely that excessive sleep is wasteful to life, causes one to miss his nightly devotional recitals , leads to a lazy disposition, and hardens the heart.

Life is a most precious tool and the servant's capital, with which he trades. Sleep is (like) death, by increasing it one, decreases life. The virtue of night prayers are not hidden, but in sleep they elapse; and when sleep overtakes night prayers, there can be no rewards. Moreover, he who sleeps on a full stomach is susceptible to night emission, and that also prevents him from performing his night prayers and obliges him to perform major ablution either with cold water, which could harm him, or require a full bath, which would not be possible to have at night, so he misses the Witr because he was delayed in performing his

night prayers. Moreover, he would need provisions for the bath and perhaps his eye would be attracted to a naked body while entering the (public) bath. So there are many dangers, such as we discussed in the Book of Purification.

All this is the result of satiation. Abu Sulaiman Ad-Darani maintained that being forced to dream (have night emission) is a punishment. He said this because it detracts from many acts of worship on account of one not being able to perform full ablution in every situation. Sleep is Thus, a fountain of sin and satiation is a magnet for it, while hunger is a cessation thereof.

The seventh benefit lies in facilitating continuous worship. Food prevents many acts of worship because it requires time, Thus, preoccupying one with eating. Perhaps it would also require time to buy food and to cook it. Then one has to wash his hands and to excrete; this might entail frequenting the bathroom on account of drinking (which accompanies eating). The time spent on all this if spent on Dhikr and contemplation would redound with greater benefit to him (the worshipper). Sari (al-Saqati) said: "I saw a gruel of parched barley (Sawiq) in the possession of 'Ali Al-Jurjani who was picking at it. I said to him: what has made you do this? His reply: Between each picking and chewing I recited seventy praises (of Allah), and have not chewed bread for forty years." Behold how he carefully apportioned his time and did not waste it in chewing.

Every soul is a precious jewel of life that has no value (in itself), so one must distill from it a lasting unending store for the Hereafter by devoting himself to the Dhikr of Allah and obedience to Him.

Among endeavors prevented by much eating is (a state of) continuous purity, (obliging one to) frequent the mosque (for prayer) because it (eating) requires exiting (the place of prayer) for drinking much water and quenching (of thirst). Fasting is another (store). Someone accustomed to enduring hunger finds it easy to fast, pray, practice seclusion, maintain purity, and spend time away from food. Such inducements to worship yield much benefit. But those who are oblivious, that is the ones who do not appreciate the value of faith, and who are content with life in this world and are satisfied with it, would detest these (benefits). "They know only the outer (things) but of the end of things, they are heedless." (Ar-Rum 7)

﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾

Abu Sulaiman Ad-Darani mentions six sins resulting from satiation: the first, one loses the sweetness of contemplation; the second, one is prevented from retaining wisdom; the third, he is deprived of pity for created beings because when he is full he believes that they too are full; the fourth, worshipping becomes a burden (for him); the fifth, lusts increase; and the sixth, others tarry in mosques while he moves around garbage piles (looking for more food).

The eighth benefit is in the soundness of body. It is achieved by eating less and warding off sickness caused by excessive food intake and by much mixing in

stomach and veins. Sickness detracts from acts of worship, impairs the (functioning of) the heart (Qalb), prevents Dhikr and thinking, increases the pressures on life, necessitates blood letting and cupping, (recourse to) doctors and medicine. All this requires provision (money or payment in kind) and expenses which man cannot avoid after much striving to combat defiances and curb lusts. In hunger are the means for preventing all this.

It is told that Ar-Rashid gathered together four doctors: an Indian, a Greek, an Iraqi, and a Black. He told them: let each one of you describe the (cause of) disease that has no cure. The Indian replied: "for me the incurable disease is (caused by) myrobalan"; the Iraqi replied: "it is the white seed of garden peppergrass "; the Greek said: "for me, it is hot water;" and the Black, who was the most knowledgeable among them, answered: "myrobalan, because it causes constipation for the stomach and this is a disease, while peppergrass renders the stomach slippery, which also is an ailment. Hot water loosens the stomach, and this too is an ailment." He (Harun Ar-Rashid) said to him: "what do you suggest?" And he (the Black doctor) replied: "I say that one should not eat so much food as would (make him) lust for more, and that he should stop (eating) while he is still in need of more." Harun answered: "you are right."

Addressing a certain philosopher and doctors from the People of the Book, Harun related (to them) the saying of the Prophet (Muhammad, "Allah's blessing and peace be upon him"): "a third (of food intake) is for nourishment, a third for drink, and a third is for (satisfying) the self." He (the doctor) was surprised and said: "I never heard words about food wiser than these. It is indeed the words of a wise man." He (the Prophet, "Allah's blessing and peace be upon him") said: "gluttony is the cause of disease; dieting is a source of treatment, so train every body to (accept) what it has been accustomed (to accept)." I (al-Ghazali speaking) believe that the surprise of the doctor stemmed from this, not the other, saying.

Ibn Salim said: "he who eats the bread of pure wheat with propriety will be afflicted with no more than the affliction of death." When asked about propriety, he replied: "that you eat after being hungry, and stop before you are full."

An honorable doctor said in condemning excess that the best thing a man can put into his stomach is pomegranate, and the worst he can put in it is salt. Lessen the intake of salt; it is better than to increase the intake of pomegranate. There is a saying: "fast, for through fasting you can cure hunger." In eating less the body is cured of sickness and the heart from the ailment of oppressiveness and excessiveness caused by other things.

The ninth benefit is in lessening the intake. He who eats less requires little money; but he who is accustomed to satiation becomes a constant debtor to his stomach, which has him by the throat every day asking him: "what will you eat today?" So he is obliged either to seek unlawful gain, and Thus, commit a crime, or (seek) lawful gain, and is Thus, humiliated. Perhaps he is compelled to extend imploring looks at people, which is an extreme form of humiliation and contemptibility.

The faithful require light provision. A certain wise man said: "I usually satisfy my needs through abandonment. It is more restful for my heart." Another said: "If I had to borrow from others to satisfy a lust or an excess, I would rather borrow from myself, Thus, abandoning lust, for it is the best debtor for me."

Ibrahim Ibn Adham, Allah rest his soul, used to ask his companions about the price of food; and when told that it was expensive, he would reply: "render it cheap by abandoning it." Sahl (al-Tastari), may Allah forgive him, said that food can be blamed in three situations: rendering a worshipper lazy, afflicting with evil (misfortune) the gainfully employed, and preventing the one who is (easily) affected from giving of himself freely to Allah Almighty.

In short, the cause of perdition for people is their possessive attitude toward the world; and the cause of their eagerness for things worldly lies in both the belly and the genitals; and the cause of the genital's lust is the lust of the stomach. So in reducing food intake, one finds barriers to all of these entries as they are the gateways to Hell; and in closing them, the gateways of Paradise are opened. He (the Prophet, "Allah's blessing and peace be upon him") said: "persist in knocking on the gates of Heaven with hunger. He who is satisfied each day with a loaf of bread is immune from other lusts, is liberated, and is in no need of other people; he is immune to fatigue and is free to worship Allah, may He be glorified."

Trading (for) the Hereafter is (a preoccupation) by those who are not detracted by buying and selling from mentioning (the name of, i.e. Dhikr) Allah. They are not detracted (therefrom) because they have no need for it and because they are content. He who is need of it, however, is detracted regardless (of the circumstance).

The tenth benefit is in being responsive and generous by giving food to orphans and to the poor so that on the Day of Resurrection one would dwell in the shade of His generosity in accordance with a tradition that states: "what one eats is stored in a public lavatory; and what one contributes is stored in the grace of Allah Almighty." The servant does not possess other than what he contributes. If he hoards and eats, he is lost; if he clothes himself, he is afflicted. So being generous with surplus food is more commendable than (suffering) indigestion and satiation.

When repeating the words of Allah, "We did indeed offer the trust to the heavens and the earth, and the mountains but they refused to undertake it, being afraid thereof. Man, however, undertook it and he was indeed unjust and foolish," (Al-Ahzab 72)

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾

Al-Hassan "may Allah forgive him" interpreted it to signify that He offered it to the Seven Heavens, to match the paths which He adorned with stars and the bearers of the great Throne. Allah, may He be praised and glorified, asked: "will you bear this trust and all that attends it? And the heavens replied: "what is the

reward?" He replied: "if you do good, you will be recompensed; and if you do wrong, you will be punished." They refused (the trust). So he offered it to the earth, and it, too, refused. Then He offered it to the tall, mighty and impregnable mountains saying: "will you bear this trust and what attends it?" They asked, "and what is the reward?" He mentioned both reward and punishment, and they said "No." Then He offered it to man, and he accepted, but he was an oppressor, ignorant of God's command.

We have seen them, by Allah, purchase this trust with their wealth and cause suffering to thousands; but what did they do with it? They expanded with it their power, and narrowed thereby their tombs, while fattening their workhorses. They made a mockery of their faith and burdened themselves by running to and from the door of the sultan, Thus, exposing themselves to affliction when they already enjoyed health from Allah.

One of them says: "I would like to have this and that; bring me this or that" while reposing on the left and eating from that which is not his. His attendants are charmers and his possessions unlawful. Were he to over indulge and become a victim of gluttony, he would say: "young man, bring me something with which I can digest my food!" How contemptible! "It is food you would digest when it is your faith that you should digest! How about the poor? What about the widow? Where is the destitute, or the orphan? Those whom Allah Almighty commanded that you care for! (asks Al-Ghazali).

This (argument) is in reference to the benefit (deriving) from transferring the best food to the poor in order to build up store for reward (in the Hereafter) which is better than for one to consume (the would-be recompense) Thus, increasing his burdens.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" looked at a pot-bellied man and pointed to his stomach with his finger saying: "were it (stored) in other than this (your stomach), it would have been better for you; that is, it should have been sacrificed for the sake of the Day of Reckoning by benefiting someone else with it (excess food). Al-Hassan is alleged to have said: "I knew people among whom a man would pass a night with more food than he needed. Had he wished, he could have eaten it, but he would say, instead: by Allah, I will not have all of this for my stomach, rather I shall give Allah His due of it."

These are the ten benefits of hunger. From each derives countless other benefits whose rewards are endless. Hunger, then, is a great store for the rewards of the Hereafter. On account of it a righteous forefather once said "hunger is the key to the Hereafter and the gateway to piety, while satiation is the key to the world and the gateway to lust." This is clearly evident in the accounts that we have related. In knowing the details of these benefits, one perceives the meaning of these accounts, a realization based on cognition and perception. If one is unaware of this and becomes righteous by virtue of hunger, he would be ranked among the traditional imitators. Allah knows best what is right.

CHAPTER THREE
EXERCISING TO CURB LUST OF STOMACH

It should be known that the novice (Murid) has four obligations as concerns both his stomach and what he eats. The first is that he should eat only what is lawful. To perform acts of worship while eating what is unlawful is like building upon the waves of the sea. We have mentioned what needs to be observed (in this regard) in the "Book on What is Lawful and Unlawful." There are in addition three other obligations relating to eating: to assess the merit of food in terms of small and large quantities; to judge the pace (of eating) in slowness and hurriedness, and to determine what type of food to eat and what to avoid.

Obligations To Be Observed

The first obligation is to reduce intake of food and exercise to accomplish this (reduction) by steps. He who is accustomed to eating much, his temperament will not permit him suddenly to eat less. He would become weak and his suffering intensifies. He must build up to it gradually by reducing a little at a time his food intake. If he were in the habit of eating two loaves (of bread), for example, then seeks to accustom himself to eating one loaf, he should reduce his consumption by a fourth of seven loaves, that is one out of twenty-eight or one out of thirty portions in order to reach a consumption level of one loaf a month without harming himself in the process or suffering side effects. Should he choose, he might do it by weight or by estimation, that is, eating each day one portion less than the day before.

There are four steps in accomplishing this, the most extreme being to master the capacity of being wakeful, which is imperative for him (the Murid), and which is also the manner of the sincere lovers of truth. It was also the choice of Sahl At-Tastari "may Allah be pleased with him" when he said that Allah imbued human beings with three (qualities): life, intelligence, and strength. Should the servant (of Allah) respect two of these, that is life and intelligence, he eats or breaks the fast, if he is fasting, and obliges himself to ask for something should he be poor. If through strength he cannot avoid either, then he should not be concerned if he becomes (so) weak that he (is able to) pray (s) only from a sitting position. He (Sahl) preferred praying sitting up weakened by hunger over praying standing up satiated by much food.

Someone asked Sahl about how he got started (being a Sufi) and what he was accustomed to eating (as a Murid). He replied: "my consumption each year was three dirham's worth. I would buy with one-dirham molasses; with another, rice flour; and with the third, butter. I would mix it all together and make out of it little balls, three hundred and sixty of them. Every night I dined on one of the balls. "At what time?" he was asked. "At no set time," (he would answer). It is said that some monks could satisfy the self with one dirham of food.

The second step is to appease the self through training day and night (to

accept) half a Mudd, which is a loaf (sic) and a bit more, equivalent to four (loaves) as a favor to it (the self). Most probably this is equivalent to one third of a stomach (full) for most people, according to the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" who did not concern himself with small mouthfuls. This is a form of the plural (of words) applied to a measure less than ten. It used to be the habit of 'Umar "Allah be pleased with him", who would eat seven or nine mouthfuls.

The third step is to appease it (the stomach) to the limit, that is (letting it have) two loaves and a half, which is more than a third of a stomach for most people, approximating indeed two thirds of the stomach, Thus, leaving a third for drink and nothing for Dhikr. In some expressions, "a third for Dhikr" rather than his "Allah's blessing and peace be upon him" saying: "for the self."

The fourth step is to increase a Mudd by a Mann which, if exceeded, would not be deemed over indulgence or contradicting God's words, "do not indulge" (Al-A'raf 31)

﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓا ﴾

(I.e., exceed the limits), which applies to most people. The need for food differs with age and the individual, as well as the work engaged in. We have here a fifth way that has no value because it is misplaced, namely that one should eat if his hunger is real and hold back if something truly appeals to him afterwards. Most probably he who does not apportion for himself a loaf or two would not discover the limit of true hunger and would resort to estimating this through false desire.

It has been said that true hunger has manifestations, one of which is for the body to reject the eating of condiments in favor of plain bread, any (kind of) bread, but with appetite. However, much it covets bread with the eye, or seeks condiments, that is not the result of true hunger. It is also said that one of the signs (of hunger) is spitting without attracting flies, suggesting that the spittle has no grease or fat (in it). This would signal an empty stomach, although verifying it is uncertain.

What is proper for the Murid is that he should estimate for himself the amount which would not weaken him so much that he cannot perform (acts of) worship, which is his quest. Were he to attain it, he then should stop. But if his desire should persist, (then it must be assumed that) one cannot always estimate how much is proper to consume since it (the amount) varies according to conditions and individuals.

Certain companions (of the Prophet, "Allah's blessing and peace be upon him") nourished themselves on one Sa'[1] of wheat. If they ate dates, they consumed a Sa' and a half. A Sa' of wheat is four Mudd[2], Thus, averaging half a

(1) Sa' is a measurement unit of volume equals to 2512 ml. One Sa' is approximately 4 Mudd. And in weight, it is 2.600 Kg.

(2) Mudd (or injection) is a measurement unit of volume equals to 628 ml. And in weight it is equal to 650 grams.

Mudd each day. This, as said before, approximates a third (of the stomach's need). More dates are required because they are pitted.

Abu Dharr "may Allah be pleased with him" used to say: "my food (need) every week since the days of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" has been a Sa' of barley. By Allah, whatever exceeded it by the slightest, I threw out." I heard him (the Prophet, "Allah's blessing and peace be upon him") say: "he who dies in the state he enjoys today will be closer (to me) in rank and dearer to me on the Day of Resurrection." In criticizing some of the companions he (the Prophet, "Allah's blessing and peace be upon him") would say: "you have changed; barley is (now) sifted for you when it was never sifted before; it is baked into thin bread, combined with condiments; your menus have become varied; you arrive with one set of clothes and depart with another. This is not the way it was in the days of the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him", when nourishment for the pious consisted of one Mudd of pitted dates per day for each two (individuals).

Al-Hassan "may Allah have mercy upon him" would say: "the faithful (one), like a small goat, is content with a handful of grass and a pinch of dates and a swallow of water, while the hypocrite is like a wild beast; he gobbles up food in huge quantities without satisfying his stomach. He does not curb his appetite for the sake of his neighbor, nor bestows upon his brother from his generosity. Be generous with such surpluses!" Sahl (al-Tastari) used to say: "if the world consisted of flowing blood streams, it would be lawful nourishment for the faithful because the food of the faithful by necessity is judged only by his need to maintain himself (in his state of worship)."

The second obligation concerns the time of eating and the length of its postponement. It, too, has four levels; the highest is to allow three days or more. Some Murids, however, would approach their exercises with intention not quantity, up to thirty or forty days. Among the learned who reached the limit are Muhammad Ibn 'Amr Al-Qarni, 'Abd-Ar-Rahman Ibn Ibrahim, Adham and Ibrahim At-Taimi, Hajjaj Ibn Farafisah, Hafs Al-'Abid Al-Massisi, Muslim Ibn Sa'id, Zuhair and Sulaiman Al-Khawas. Abu Bakr As-Siddiq "may Allah be pleased with him" used to take six days while 'Abdullah Ibn Az-Zubair, seven: as did also Abu Jawz, a companion of Ibn Abbas. It was related that Ath-Thawri and Ibrahim Ibn Adham each used to take three times as much. They relied on hunger to pave the way for themselves to the Hereafter.

One of the learned claimed that "power descends from heaven upon the one who endures forty days (of hunger) for the sake of Allah." It is certain that heavenly secrets would be revealed to him. It is related that such a person (once) encountered a monk and discussed with him his state, suggesting that he (the monk) might wish to adopt Islam and abandon the state that he (himself) was in. He talked to him much about it, and the monk told him that Christ used to spend forty days (fasting), a miracle reserved only to a prophet or a righteous believer. The Sufi replied: "if I should (fast) for fifty days, would you abandon the state you are in and accept Islam as the (true) faith and concede that it is the truth

while the state you are presently in is false?" "Yes," answered the monk. The Sufi sat without moving (from the same spot) so that the monk could see him until he passed the fiftieth day fasting, then added: "I will increase it for you," continuing (his fast) for a full sixty days. The monk was astonished and said: "I never believed that anyone could surpass Christ!" And that was the reason he converted to Islam.

This is a great attainment, equaled by very few who have not received revelation or have been totally absorbed in the vision (of Allah) to the point of becoming separated from their own nature and habits and so taken up by the ecstasy that they would forget hunger and need (physical).

The second step is to spend up to two or three days (fasting), which is not abnormal, indeed attainable by earnest striving. The third step, which is the lowest, is to be content with one meal per day and night. This is the minimum; anything exceeding it is indulgence and commitment to satiation and the absence of a state of hunger. Such is the way of those who seek comfort, which is a departure from the sunnah. Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him" recounted that when the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" took his evening meal he did not have lunch (before then) and if he did take lunch he would not have dinner. The forefathers would consume (only) one meal per day. The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" told 'A'ishah: "do not indulge; two meals a day are excessive; one every two days (leads to) enfeeblement; one meal a day suffices for sustenance, is both proper and the right balance." It is also lauded in the book of Allah (Qur'an), may He be praised and glorified.

He who confines himself to one meal a day and chooses to eat it early in the morning, at dawn or before daybreak, or right after awakening in the morning, will be able to sustain the hunger of the day for fasting and that of the night for wakefulness. An empty stomach renders the heart free, thoughts tender, and (enables) the self to experience the convergence of energy and tranquility, for it would not contend with him before his appointed prayer time.

'Asim Ibn Kulaib was told by his father, as narrated by Abu Hurairah, that "the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" never stayed up the way you do even though he stood until his feet were swollen; nor did he persevere as you do although he did delay breaking the fast until dawn." 'A'ishah related that the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" persisted until dawn.

If the heart of someone fasting should be distracted by food after sunset and prevented from concentrating on prayer, it is preferable that he should divide food into two portions; if it consists of two loaves, for example, then he should eat one to end his fasting, and another at dawn to quiet the self and lighten the body for night prayers without being made to experience intense hunger during the day. One loaf helps him at dawn, the other contributes to his fasting (during the day). It is acceptable for someone who fasts a whole day and breaks the fast another (day) to eat during the day when he breaks the fast at noon and the day of fasting at dawn. These paths are within the time frame of eating or avoiding (it) and abstaining.

The third obligation concerns types of food (to be eaten) and the avoidance of condiments. The choicest food is the kernel of wheat, which if sifted is extremely delicious. The middle type is sifted barley, and the lowest is unsifted barley. The best of condiments is meat; the worst, salt and vinegar; in between, trimmings and fat without meat.

It is not unusual for those (proceeding) on the path to the Hereafter to abstain from condiments altogether; indeed, from all appetites. Every sweetmeat coveted and consumed by man enfeebles the self and hardens the heart. He is attracted to the delights of the world, grows accustomed to them and oblivious to death and meeting Allah Almighty. The world becomes his Paradise and death a prison for him. Were he to deny the self its desires or curb them, in so doing he would strip it (the self) of its delights rendering the world a prison and (a form of) confinement for it. The self would seek to escape, and death becomes its release.

With regard to this (argument) we cite Yahya Ibn Mu'adh who proclaimed: "O ye who are righteous suffer hunger (in preparation) for the feast of Paradise." The lust for food is in proportion to the degree of the self's hungering. All that which we have mentioned concerning the evils of satiation applies to eating what one desires and to partaking of delights. So we shall not prolong discussion by repeating them.

Rewards are greater in abandoning desires, even if lawful, and danger is greater in partaking of them. The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "the wicked among my people are those who eat the kernel of wheat." This in itself is not forbidden; rather, it is permissible in that he who eats it once or twice does not commit a defiance, nor does one who continues to do so (i.e. to eat). The self, however, is accustomed to luxury and is drawn to the world and its delights, demanding more of the same. This is what induces it (the self) to (commit) defiances. These are the evil members of the community, because this kernel of food leads to committing defiances, which is at the root of the matter.

The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "the most evil among my people are those who have been nourished by luxury, upon which their bodies are built; who are preoccupied with all kinds of food and clothing, and who choke on their words."

Allah Almighty inspired Moses "Allah's blessing and peace be upon him" to believe that he dwells in a tomb, Thus, helping (him) to bypass many desires. Forefathers were afraid to partake of tasty food and accustom the self to it. They saw in that a sign of hardship, and in Allah Almighty forbidding it (a sign of) happiness.

Wahb Ibn Munabbih related that two kings met in the fourth heaven. One said to the other: "where are you from?" The other replied: "I was commanded to fetch a whale from the sea which a certain Jew, Allah curse him, desired." The former retorted: "I was ordered to pour out oil which a certain worshipper desired." In this is a warning that to make easy that which leads to pleasure is not a sign of prosperity. It is on account of this that 'Umar "Allah be pleased

with him" denied himself a cold drink of water (mixed) with honey saying (to the one offering it): "take it away!" There is no greater (expression of) devotion to Allah Almighty than to deny the self its lusts and abandon delights, which we have discussed in our book "Self-Discipline". Nafi' related that the son of 'Umar "Allah be pleased with them" told him that he was ill and asked (him) for a fresh fish. "I looked in Medina," (said he) "but did not find any. Later I found one and bought it for him for a dirham and a half. I grilled it and took it to him on a loaf of bread. A bearer came (with it) to the gate. He ordered the servant to wrap it in the loaf and give it to him. The servant said to him: may Allah set you straight; you wanted it (the fish) for so long and we could not find it; then when you found it, we bought it for a dirham and a half; so we should pay him its price; his reply: wrap it and give it to him! The servant asked the bearer: would you take a dirham for it? and he answered, yes. So he gave (him) the dirham and took it from him. He (Ibn 'Umar "Allah be pleased with them") told him (the servant): wrap it up and give it back to him (the bearer) and do not take the dirham (back) from him, for I have heard the Messenger of Allah (Muhammad, "Allah's blessing and peace be upon him") say: whoever experiences a desire, suppresses it, and influences the self positively, Allah will forgive him.

He (the Prophet, "Allah's blessing and peace be upon him") also said: "if one appeases the dog (sic) of hunger with a loaf and a small jug of pure water, catastrophe will befall the world and its inhabitants." The aim behind this (appeasement) as the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" pointed out, is to ward off the pain of hunger and thirst and to avert the ill effects of both without enjoying the delights of the world.

'Umar "Allah be pleased with him" learned that Yazid Ibn Abu Sufyan used to eat all sorts of food. 'Umar "Allah be pleased with him" said to one of his attendants: "when you hear that his supper has been brought to him, let me know!" He did so. 'Umar "Allah be pleased with him" entered upon him (Yazid) at suppertime and sat close to him. Soup and meat were offered, and 'Umar "Allah be pleased with him" dined with him. When it came time to thank him, Yazid stretched out his hand but 'Umar "Allah be pleased with him" did not respond saying, "By Allah, by Allah, O Yazid, son of Abu Sufyan, when my soul is in His (God's hands) and when you are turned away from the ways of the ones you defy (the righteous) would you enjoy meals such as this one?"

It is related that Yasar Ibn 'Ammar (once) said: "I never sifted flour for 'Umar "Allah be pleased with him" without being in defiance of him." He also related that 'Utbah Al-Ghulam used to knead flour (into dough), dry it in the sun, then eat it saying, "a small piece and a bit of salt to make ready for grilling (of meats) and the good food in the Hereafter." He would take ajar and scoop it with seed lying in the sun the whole day. A female servant would say to him: "O 'Abdullah, if you give me your flour I will bake it for you and cool your water for you;" but his reply to her was: "O mother of so and so (the name of the son not known to the author), I have warded off the dog of hunger from myself."

Shaqiq Ibn Ibrahim said: "I encountered Ibrahim Ibn Adham in Mecca at the night bazaar during the Prophet's "Allah's blessing and peace be upon him" birthday sitting on the curb of a street weeping. I approached him, sat down next to him, and asked, repeating once, twice and three times: what is this crying about, O Abu Ishaq? He replied: O Shaqiq, do not embarrass me!

One said to him: O brother, say whatever you wish! He answered: for thirty years I have desired a stew cooked with vinegar and was able through my effort to control it (this desire) until yesterday when, while sitting, sleep overcame me and behold a young man (before me) with a green goblet in his hand from which steam was rising, and the odor of stew! I called upon all my strength to ward it (temptation) off, but he (the lad) insisted, saying: O Ibrahim, eat! No, I will not eat, I said, because I have given this (the stew) up for the sake of Allah, may He be glorified. But Allah has given it to you to eat, so eat! was his answer. Since I had no reply, I wept. He said to me: eat, may Allah be merciful with you! and I replied: we have been enjoined to place in our containers (stomachs?) only that which its origins we know. He replied: eat, may Allah give you strength, for I have granted it unto you! I was told: O Khadir, take it and feed it to Ibrahim Ibn Adham's self for the sake of Allah, who has sanctioned it on account of its long patience and enduring what it had been denied. Know, O Ibrahim, that I have heard the angels say: he who gives and does not make a request will not receive. I replied: if that is the case, then here I am, ready to enter a covenant with Allah Almighty. He then turned and behold, I was with another young person who had been handed something and told: O Khadir (symbolic reference) you feed it to him! and he kept on feeding me until I became sleepy, and its taste remained in my mouth." Shaqiq continued, one said to him: let me see your palm! He stretched out his palm to me and I accepted it saying: O you who grants the hungry his desire in justification of (his) abstinence; you who grants assuredness to conscience and cures the heart through love, do you see for Shaqiq, your servant, a state? I then lifted Ibrahim's hand to heaven and said: by the deference of this palm (stretched) before You, grant this poor servant (Shaqiq) of Your generosity, benefaction and mercy, even if he does not deserve it! Ibrahim rose and walked until we reached home."

It has been told that Malik Ibn Dinar spent forty years yearning for milk, but would not have it. One day he was given fresh (milk). He said to his companions: "drink it, for we have not tasted it for forty years!"

Ahmad Ibn Abu Al-Hawari said that Abu Sulaiman Ad-Darani desired a hot loaf with salt and I brought it to him; he took a bite from it then cast it aside and began to weep saying: "I hastened to satisfy my desire after a long resistance and distress and am now determined to atone (for it), so belittle me!" Ahmad went on to say: "before he had finished eating the salt he met the Lord (died)."

Malik Ibn Daigham said: "I passed through the bazaar of Basra and looked at the vegetables; my self said to me: if only you would feed me one night of this! I swore (instead) not to feed it (vegetables) for forty nights." Malik Ibn Dinar spent

fifty years without eating any greens from the people of Basra, not even a bit, declaring: "O people of Basra, I have lived among you for fifty years without eating a tiny morsel of vegetables; this has not made you richer, nor me poorer; for I have been divorced from the world for fifty years, forty of which my self has desired milk and by Allah I would not feed it; not even for the sake of the Almighty."

Hammad Ibn Abu Hanifah related that he called on Da'ud At-Ta'i and found his door closed. "I overheard him say to himself: you have desired a carrot, and I fed you carrots, then you desired dates, and I recommended that you do not eat dates ever. I greeted him and entered and found him alone."

Abu Hatim one day passed through the bazaar and saw fruit; he desired it; so he said to his son: "buy for us some of this forbidden fruit that we might journey to the fruit that is not forbidden!" When he (the son) bought it and brought it to him, he said to himself: "you have enticed me into buying it, but by Allah I will not let you taste it." He sent it to the poor orphans instead.

Someone related that Musa Ibn Al-Ashajj once said: "my self has craved coarse salt for twenty years." Ahmad Ibn Khalifah is alleged to have maintained that his self-wanted in twenty years only water to quench its thirst but he would not give it to drink. It was also said that 'Utbah Ibn Ghulam coveted meat for seven years, but when it (his self) continued to yearn for it, "I was ashamed to resist it year after year, so I bought a piece of meat on bread, grilled it, and left it on the loaf. I found a boy and asked (him): are you not the son of so and so whose father has died? Yes, he replied; so I handed it to him."

They say that he began to weep while reciting: "and they feed the poor and the orphan and the captive with food for the love of Him." (Al-Insan 8)

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾

He never tasted meat after that, but he continued to crave dates for two years. One day he bought a Qirat of date and saved it for the night in order to break his fast with it. But a very strong wind blew and the world turned dark. People were frightened and 'Utbah began to blame himself saying, "this is my punishment for buying a Qirat of date," and addressing his self he continued, "I believe people are critical oh account of you and you are not going to taste it!"

Da'ud At-Ta'i bought greens with half a fils and spent his whole life saying to himself, "woe unto thee O Da'ud; how long your account will be on the Day of Judgement!" After that he would eat only unseasoned food. 'Utbah Al-Ghulam said one day to 'Abd Al-Wahid Ibn Zaid: "so and so described a stage which he had experienced and I had not, saying: it is because you eat dates with your bread while he eats only bread." I asked, "were I to stop eating dates would I experience that stage?" "Yes," he answered, "and even more!" He ('Utbah) began to weep. One of his companions said to him: "has Allah caused you to shed tears over dates?" to which 'Abd Al-Wahid replied: "leave him alone; his self recognizes the truthfulness of his intention in abandoning

(something), for he is one who should he abandon something he would not take it up again."

Ja'far Ibn Nasr related that Junaid had ordered him to purchase Waziri figs for him. When he bought them, he (Junaid) took one at breakfast and put it in his mouth, then cast it out and began to weep telling Ja'far to take them away. "I asked him why?" and he replied: "because a voice whispered into my heart: are you not ashamed? you abandoned it for my sake (God's) then you returned to it (eating figs)!"

Salih Al-Murri (once) declared: "I told 'Ata* As-Sulami: I am going to give you something and do not reject my offer! to which he replied: do as you please! He said: I sent him a drink with my son made from Sawiq with which I had mixed butter and honey and told him (the son) not to leave until he had drunk it. Next morning I took it to him but he returned it to me without drinking it. I rebuked him and blamed him for that saying: praise be to Allah, you have rejected my generosity! When he noticed how serious I was, I urged him not to be offended (because) I had drunk it the first time and coaxed myself to drink it the second time, but to no avail. Whenever I so wished, I would remember the words of Allah: "He drinks it in gulps but is unable to swallow it", (Ibrahim 17)

﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴾

Whereupon Salih said: I wept and told myself: I am in one chasm and you are in another!"

Sari Al-Saqati once declared: "for thirty years my self has been urging me to dip a carrot in molasses and I would not respond to it."

Abu Bakr Al-Jalla' once said: "I know a man whose self told him: I will be patient for they sake up to ten days; after that feed me what I desire! His reply: I don't want you to wait ten days. I want you to abandon this desire!"

Someone related that an ascetic invited one of his brethren and offered him loaves (of bread). The brother began to sort through them to pick the best. The ascetic said to him: "what are you doing? Don't you know that in the loaf that you reject there is such wisdom and labor (invested in its making)? So many people have labored on it until it became round (the loafs shape), from the cloud that bears water, the water that gives the earth to drink, besides the winds, the earth, animals and man until it reached you! And after all this you start to sort through them and are not satisfied!"

There is a saying that a loaf does not become round (fully formed) to be placed between your hands except after three hundred and sixty work on it. First among them is Michael (the Archangel) who measures out water from the stores of (God's) mercy; then the angels who draw the clouds, the sun, moon, and heavenly bodies; the angels of the skies and the beasts of burden on earth; and lastly, the baker. "If you count up the favors of Allah, never would you be able to remember them."

Someone said: "I came upon Qasim Al-Jaw' I and asked: what is piety? He

answered: what did you hear about it? I recounted to him the sayings (thereon) and he fell silent. I asked him: and what do you say? He replied: It should be known to you that the stomach is the world of the servant; to the extent that he controls his stomach, he gains piety; and to the extent that his stomach possesses him, the world possesses him."

Bishr Al-Harth fell ill one day. 'Abd-Ar-Rahman At-Tabib (physician) came to him to ask for something appropriate to eat. He said (to him): "you ask me, but if I recommend something, you won't accept it from me." He told him to describe it, and he said to him: "drink oxymel and suck a quince then eat afterwards asfinaj." Bishr asked: "do you know anything less that can substitute for oxymel?" He replied: "No." he said: "But I do know." He asked: "What is it?" "Dandelion with vinegar," he replied. Again he asked: "do you know anything less than quince which can substitute for it?" "Yes," he replied. "What is it?" he asked. "Syrian carob," was his reply. "Do you know anything less than asfinaj which can substitute for it?" he asked. "No," he answered. He said: "But I know." He asked: "What is it?" he said: "the water of the chick mixed with the fat of the well-fed cow, or something like it." Whereupon 'Abd Al-Rahman said to him: "you know more than I do about medicine, so why do you ask me?"

Through this I learned that these people have refrained from every delight and satiation involving food for the sake of the benefits mentioned before. And when at times what is lawful was not available to them, only in cases of extreme necessity did they yield to cravings not regarded as necessities, to the extent that Abu Sulaiman (Ad-Darani) declared: "salt is a craving because it is superfluous to bread, beyond which is excessive craving."

Such is the limit; and he who is not capable of staying within it, must not be oblivious to the self, nor indulge appetites. It suffices someone to eat all what he desires and do all that pleases the self, but he must not persist in eating meat. 'Ali, Allah be pleased with him, said: "he who abandons meat for forty days his manners would worsen and he who continues to eat meat for forty days his heart would harden."

It is said that constant eating of meat is as harmful as (drinking) wine. Regardless of how much one might hunger and yearn for coitus, he must not indulge or partake of coitus when, (in so doing) he would be granting the self two appetites to overpower it. It is likely that the self might require food to gain strength for coitus, but it is preferable that one does not go to sleep with a full stomach Thus, combining two foolish acts and becoming accustomed to listlessness, which again causes the heart to harden. So let that person pray or sit and mention the name of Allah Almighty because it is nearer to gratefulness.

It is stated in the Hadith (which is the Prohetic tradition) that one should dilute food with Dhikr and prayer, and sleep not on food so as not to cause the heart to harden. The lesser (choice) is to perform four prostrations (ritual prayer), recite one hundred praises (of Allah) or read a section of the Qur'an in

compensation for each meal (forsaken).

Whenever Sufyan Ath-Thawri was satiated for one night, he passed it in prayer; or for one day, he passed it continuously in prayer and Dhikr. One time he would say: "compensate the black man for his toil;" another time he would say: "compensate the donkey for its toil." However, much one desires some food and delicious fruit, he must forsake bread and eat only fruit, so it would be for his nourishment and not for pleasure, in order to avoid causing the self to combine a habit with an appetite.

Sahl (al-Tastari) saw Ibn Salim with bread and dates in his hand and told him to start with dates; if it is enough, then he should stop; otherwise, take only as much bread as needed. Whenever one encounters delectable and coarse food, let him give preference to the delectable, for he would not choose the coarse after that. Were one to eat the coarse first, he would still want the delectable because of its good taste.

A certain companion used to say to others: "do not eat what your appetites crave; but if you do, do not seek it again. Should you desire it once more, do not acquire a taste for it." He asked for a certain kind of bread because he craved it. 'Abdullah, the son of 'Umar, may Allah be pleased with both of them, said: "we get no better fruit from Iraq than bread." He looked upon bread as fruit.

All in all, there is no need to prevent the self from craving when pursuing what is permissible and the like under all circumstances. However, for the servant (of Allah) who responds to his cravings it is feared that he would be told on the Day of Resurrection: "You received your good things in the life of the world and you took your pleasure out of them." (Al-Ahqaf 20)

﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴿٢٠﴾ ﴾

To the extent that one combats the self and abandons craving (in this world), he is permitted to enjoy it (the craving) in the abode of the Hereafter.

A person from Basra said: "my self craved bread and fish but I denied it both. Its demands continued and got stronger, and the struggle within me not to respond became more intense during the whole of twenty years." After he died someone saw him in a dream and asked him: "what did the Lord do with you?" He replied "I cannot do justice in describing the gifts and graces with which He offered me. The first thing He did was to welcome me with fish and bread saying: "eat, drink, and enjoy what you craved without end." (Al-Haqqah 24)

﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾

The Lord said: "Eat ye and drink ye with full satisfaction because of the (good) that ye sent before ye on the days that are gone." What they had stored up is the abandonment of cravings.

It is on account of this that Abu Sulaiman (Ad-Darani) said, to give up a craving is more beneficial for the servant than to fast and pray a whole year.

May the Lord bless us with the success that brought con tenement to Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him", to his household, and to his companions.

CHAPTER FOUR

DIFFERENCES CONCERNING IMPACT OF HUNGER; ITS VIRTUES; AND HOW IT AFFECTS DIFFERENTLY CONDITIONS IN PEOPLE

It should be known to you that the ultimate goal in all matters and manners is moderation, for the best choice lies in the middle path. Either extreme is frowned upon. What we have discussed concerning the virtues of hunger stresses the need to indulge it. Far be it. Among the secrets of the Sharia's wisdom is recognizing that there is an extreme side to what temperament commands. In it lies corruption, which law struggles to prevent, in a way that might cause an ignorant person to believe that what is sought is the opposite of what nature decrees to the extent possible. But the knowledgeable learns that what is sought is moderation, because if nature decrees extreme satiation, the law must then praise the extreme form of hunger. So in a way, nature is an inducement and law a prevention; the two struggle with each other and the result is moderation. He who can fully curb temperament is compelled to realize that he will not attain the end he desires. He who indulges in opposing temperament will find in the law what points to the abuse of it.

Similarly, Allah's law exaggerates the praise of praying at night and fasting by day. When the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" learned that someone was fasting the entire period and remaining wakeful the whole night, he forbade it. If you are aware of this, then know also that what is more preferable in addition to a temperate nature is to eat without overburdening the stomach or sensing the pain of hunger. Rather, one should ignore the stomach so that hunger would not affect it in the first place.

The purpose of eating is to stay alive and strengthen worship. A heavy stomach deters from worship and the pain of hunger distracts the heart and preoccupies it (with other than worship). The aim is to eat that which would not have an effect in order to allow one to be like the angels, who are sacredly immune to the burden of food and the pain of hunger. Man's goal is to emulate them. If humans cannot avoid satiation and hunger, then the farthest position from both (extremes) is the medial, or moderation. The best example for a human being is staying away from these opposite extremes by returning to the moderate.

It is like unto the example of an ant tossed into the middle of a circle surrounded by a fire cast upon the earth. The ant runs away from the heat of the circumference that surrounds it and prevents it from exiting. But it will not stop attempting to escape until it settles on a point in the middle. Should it perish, it would die in the middle, for the middle position is the farthest one from the heat that engulfs the circle.

Similarly, appetites engulfing man are like unto the circle of the ant. Angels,

on the other hand, are outside the circle. Man has no ambition to exit, but at the same time he wishes to emulate the angels in (attaining) salvation. So the closest he can come to resemble them is in distance, and the farthest position from the extreme is the middle. And so the middle becomes the desired end in all related manners.

There is an example in the Hadith (which states): the best state is moderation. And in the words of the Almighty: "Eat and drink but do not indulge." (Al-A'raf 31)

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾

To the extent one does not experience either hunger or satiation, worship and meditation become easier for him. He feels lightness and exerts more energy for work because of this lightness. This, however, can come about only after one moderates his nature.

If at the beginning of a spiritual state the self is capricious, strongly inclined to excessive desires, leaning towards indulgence (then) moderation would not benefit it. The only solution is to intensify its pain by hunger, as one intensifies the suffering of a beast of burden which has not been trained by hunger, inflicting a beating, and other (disciplinary) measures until it moderates (its conduct). Should it become moderate and steady and revert to a medial position, (then) one stops tormenting it and causing it pain. It is on account of this necessity (secret) that the sheikh orders his novice (Murid) to do what he does not, that is to endure hunger while he does not; denies him (the novice) fruit and (fulfillment of) appetites while he himself might not (deny it to his self) because he (the sheikh) has already completed the training of his own self and no longer needs to discipline it.

Because the self is naturally inclined towards gluttony, lust, capriciousness, and circumventing acts of worship, the best way to combat this (inclination) in most circumstance is with hunger and pain, until it is curbed. By constraining the self, it becomes moderate and takes food moderately.

There are two types (of individuals) who have set themselves on the path to the Hereafter without the need to have recourse to hunger: a righteous person and a misguided fool. As concerns the righteous person, it is on account of his pursuit of the straight path and not being in need to be led by means of hunger to the Truth (al-Haqq, i.e. Allah). But as concerns the fool, it is because of his having deluded himself into believing that he is righteous and is not in need of self-training. He thinks well of it, and in so believing lies the great deception.

This type (of individual) is in the great majority, because rarely does the self become completely trained. Often it is deceived by looking upon the righteous and the way he tolerates his (own) self in order to forgive his own. It is like the patient who looks upon someone who has been cured from his illness and starts to emulate him in what he does, believing that he himself is being cured, and Thus, perishes.

Proof of (preference for) using food sparingly at a set time and in limited

amounts, not for its own sake but rather as a striving for the self that has deviated from the path to Allah without having attained the rank of perfection is in the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" not setting a formal priority or time frame for his meals.

'A'ishah, may Allah be pleased with her, said that the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" used to fast so we would not say he eats not; and he would eat so that it would not be said that he fasts. He would call upon his wives and ask if they had anything. If they answered yes, he would eat; if they said no, he would say: "then I shall fast." Should they offer him something, he would say: "I intended to fast," but would eat.

He went out one day saying that he was fasting.' A'ishah told him that they had received a gift of hays. He replied that he wanted to fast but would have it (hays) anyway. Similarly, it was said that Sahl (al-Tastari) was asked: "how was it for you at the beginning of your training?" He responded with examples of exercises, one of which was to feed the self-leaves of Lote-tree once and the grind of figs for three years. He claimed that he fed himself with one dirham for three years. "How are you doing now?" he was asked. "I eat without limit and at no set time," came the reply. What he meant by eating often at no set time is not that he ate much, but rather that he did not attach much value to what he ate.

Ma'ruf Al-Karkhi used to receive gifts of fine food, and he would eat it. Someone said to him: "your brother Bishr does not eat like this!" His reply: "my brother Bishr is obsessed with the fear of Allah. I, on the other hand, have already been rewarded with the (gift of) knowledge"; moreover, "I am but a guest in the abode of my Lord; should He offer me something to eat, I would eat (it); if He causes me to hunger, I will wait patiently. What need have I to object or show preference?"

Ibrahim Ibn Adham paid a brother saying, "buy us some butter, honey, and white bread." "O Abu Ishaq, with all this money?" he asked. "Woe unto you," he answered; "if it is available, we shall eat the food of men; if it is not, we will endure the patience of men." One day he obtained much food, so he invited a large group, among them Al-Awza'i and Ath-Thawri. Ath-Thawri said to Abu Ishaq: "are you not afraid that this might be a form of indulgence?" His reply: "there is no indulgence in food, but rather in dress and possessions."

He who has received gnosis from audition and learned about it, so they beat him, broke his ribs and caused his death. He was buried in Baghdad. He preached love as a gift of Allah, not an acquired quality; "gifts come from striving, not from arguing," he would say.

Imitative transmission according to tradition can accept this from Ibrahim Ibn Adham and Malik Ibn Dinar, who claimed: "no salt has entered my abode in twenty years." And also from Sari Al-Saqati who alleged that he had a strong urge for forty years to dip a carrot in molasses but would not do so. To such a person this might seem contradictory and bewildering, concluding there from that one of

them is wrong. Yet he who knows the secrets of 'Urn knows that this is true, but with the additional knowledge that conditions differ (in differing situations). He who hears about these different situations surmises that one is limited, foolish or deceived. The victim might say: "I am not among those who have attained knowledge (Gnostic knowledge), so I should forgive my self because it is more obedient than that of Sari As-Saqati's or Malik Ibn Dinar's (self)." But these (men) are immune to lustful appetites and one can follow their example. The one who is deluded might say: "my self is not harder on me than Ma'ruf Al-Karkhi's or Ibrahim Ibn Adham's, (each on himself), so I will emulate them and place no limit on what I eat. If I am a guest in the abode of my Lord, why should I object?" Yet if someone fails to respect that person's right, majesty, possession, and self- expression in any way, he would invoke upon himself the retributions of the Day of Judgement. If, rather, he should prefer to occupy himself with acts of defiance (of Allah), the devil would welcome such a path from the foolish ones.

Raising the limits on food, fasting and cravings is suitable only for those who cast their sights out from the niche of sainthood and prophecy. There is a sign for him in abandonment and contraction which occur only after the self completely abandons submission to pleasure and habit. He eats or abstains (there from) by intention, thereby becoming an agent of Allah when eating and breaking fast.

He should learn determination from ' Umar "may Allah be pleased with him" who noticed that the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" loved honey, ate it and did not deny it to himself. When offered a cold drink mixed with honey, he would turn the vessel in his hand and say, "I shall drink it; its sweetness will disappear, and only the after taste would remain. So let it not be (charged) to my account!" Thus, did he abandon it.

A sheikh must not reveal such secrets to his Murid; rather he should limit himself only to praising hunger. He should not even enjoin upon him to be moderate lest he fail in this endeavor. He (the sheikh) must counsel extreme hunger for him in order to facilitate (his achieving) moderation. Nor should he mention to him (the Murid) that the perfect Gnostic does not need spiritual exercise because the devil might attach himself to his heart, telling him every hour: "you are a perfect Gnostic! What do you lack in knowledge of Allah and perfection?" It was customary for Ibrahim Al-Khawas personally to immerse himself in every exercise he ordered for his Murid so that the latter would not think that his sheikh was ordering him to perform exercises which he would not himself undertake. When the strong preoccupies himself with training and reforming others, he must descend to the level of the weak; be like them, and gentle in leading them to happiness. This is a great affliction for prophets and saints.

If the limit of moderation is concealed from every one, resolve and caution decree that it not be abandoned in every situation. With this in mind 'Umar "may Allah be pleased with him" scolded his son 'Abdullah saying: "have you no mother!" after entering upon him and finding him eating meat sauced in butter

and topped by corn. He said to him: "eat one day bread and meat; another, bread and milk; still another, bread and butter; then bread and oil, bread and condiments and one day, plain bread."

This is moderation; for to persist with meat and lustful appetite constitutes indulgence and excessiveness. To abandon meat completely is niggardliness. Such is the proper position between one (extreme) and the other. Allah, however, knows best.

CHAPTER FIVE

IMPACT OF AILMENT OF DISSIMULATION ON SUCH AS ABANDON LUSTFUL APPETITES AND EAT LESS

It should be known to you that he who abandons lustful appetites is afflicted with two great evils which are greater than partaking thereof. One, the self cannot forsake certain appetites and, though it desires them, it does not want to admit that it desires them. So, he conceals his craving and eats in seclusion what he would not eat in public. This is the secret (sin of) shirk. One of the learned was asked about a certain ascetic but he would not answer. He was asked again if he knew anything about that person's strength; to which he replied that he ate in secret what he would not eat in public, which is a great evil.

It is proper for the servant when afflicted with a lustful appetite pleasing to him that he display it openly because it would be more honest and points to (his) striving with deeds. To conceal it and display the opposite in a form of perfection constitutes two deficiencies. Untruth accompanied by concealing constitutes two lies and is deserving of two detestations which cannot be compensated for except by two genuine repentances. For this reason hypocrites were hard pressed. The Lord says: "Hypocrites are in the lowest ring of (Hell) Fire," (An-Nisa' 145)

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾

Because the blasphemer commits and displays his blasphemy then attempts to conceal it, and the act of concealment constitutes another blasphemy. He seeks thereby to unburden his heart in the eyes of fellow created beings by attempting to remove this act of blasphemy in open while Allah, may He be glorified, is not unaware of his motive.

Gnostics are afflicted with appetites, even by defiances, but are not (afflicted) with dissimulation, deception and concealment. The Gnostic's perfection is in abandoning such an appetite for the sake of Allah Almighty. Displaying a lustful appetite should be as an act of belittling the self in the sight of created beings. One of them used to buy something he coveted and display it in the house wherein he observed abstinence. He did that in order to conceal his condition and divert the attention of those who were unaware of it so as not to compromise the mystical state he was in.

The Aim of Abstinence

What is abstinence? True abstinence lies in revealing the opposite thereof,

which is the lot of the righteous. He Thus, reconciles two opposites in one vein, while he who is self deluded seeks to reconcile two lies. The latter is simply doubling the burden of the self and causes it to drink from the cup of patience twice; one time by (literally) drinking, the other by shunning it. There is no crime in so doing. The former will be rewarded twice as much for his patience.

This resembles the way of someone who was offered something publicly, takes it then responds quietly in order to break the self by humiliating it openly and impoverishing it secretly. He who has not had such an experience must not avoid displaying his lust and its defects, and being honest about it. He must not be deceived by the words of the devil: "if you should display something which someone else might emulate, then conceal it out of righteous consideration for the other (person)." If his aim is to reform others, then it is more important for him to reform his own self instead.

This is the aim of pure dissimulation, inspired in him by the devil, in the guise of reforming another person. For this reason it was burdensome for him to manifest it. It should be known to you that he who is aware of this, would not emulate it in deed; nor would he waver in the belief that he is abandoning lusts.

The second evil lies in one's ability to abandon lusts but rejoices in acquiring the reputation of being immune to lusts. In resisting lesser lust, that of eating, he succumbs to a more evil one, that of ostentation or the hidden lust. Whenever he senses that (lust) in himself, curbing this lust is more certain than curbing the lust of food. So let him eat, it is better for him.

Abu Sulaiman (Ad-Darani) once said: "if you are offered an appetizer after you had abstained from it, take a small portion of it, but do not give free rein to the self. In such a manner you rid yourself of this lustful desire, for you would be disturbing it by not heeding its craving.

Ja'far Ibn Muhammad Al-Sadiq said: "should I come upon something appetizing, I (first) look to my self; were it to display lust (for it), I would feed it, which is better than denying (this) to it. Should it conceal this lust and distance itself from it, I would punish it by abandoning it and not letting it (self) have any part of it (lust). This is my way of punishing the self for having this secret lust."

To sum up, he who abandons the lust of food and falls into the lust of dissimulation is like the one who escapes the scorpion and fears the snake because the lust of dissimulation is more harmful than that of eating. Allah is the guardian of success.

CHAPTER SIX
SAYINGS CONCERNING LUST OF GENITAL

It should be known to you that coitus has dominated humanity for two benefits. One of them is to allow humans to experience its pleasures and measure thereby the pleasures of the Hereafter. Should the pleasure of coitus persist, it

becomes the strongest of all physical pleasures. Conversely fire and its pain are the greatest pains the body can experience. By inducement and intimidation people are led to happiness, which can be achieved only by experiencing pain and pleasure. That which one does not experience by taste is no great endearment for him.

The second benefit (of coitus) is perpetuating progeny and (mankind's) existence. This is the real benefit. But there is also an evil (side) which threatens with destruction both faith and existence if not controlled, overcome, and moderated. In the words of the Almighty, "Our Lord: do not burden us with that which we cannot bear!" (Al-Baqarah 286)

﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾

By which is meant intense awareness, as related by Ibn Abbas in the words of the Almighty: "And from the evil of Nightfall when it becomes dark." (Al-Falaq 3)

﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ ﴾

By this is meant the erection of the penis. Some transmitters of Hadith attribute this saying to the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him". However, in interpreting it they meant: if the penis penetrates. It is also said that if man's penis achieves erection he loses two-thirds of his mind. The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" used to say in his invocation: "I seek refuge in Thee from the evil of my hearing and my seeing, my heart and my delights and my desires. The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "women are the snares of the devil. Were it not for this lust, women would have no power over men."

It is said that Moses "Allah's blessing and peace be upon him" was engaged in one of his sessions when Iblis came to him wearing a robe that was changing colors. As he came close, he took off his robe, put it down, and approached him (Moses) saying: "Peace be upon thee Moses." "Who are you?" asked Moses, to which he replied: "I am Iblis." Whereupon Moses retorted: "May Allah not grant thee peace! What brings you here," he asked. "I came to greet you on account of your nearness to Allah and stature in His eyes," replied Iblis. Moses asked: "What is this that I saw you wearing?" Iblis answered: "A hooded cloak with which I abduct the hearts of men." "What does one do to appeal to you?" asked Moses. Iblis replied: "becoming enamored of himself, magnifying his deeds, and being oblivious to his faults. I caution you in three things: do not seclude yourself with a woman who is not lawful to you, for never has a man secluded himself with a woman who is not lawful to him without my becoming his exclusive possessor, because I enamor him of her and her of him. Secondly, never has the Lord made a commitment that I have not fulfilled. Thirdly, never was there a pious act that I myself did not dissipate. Nor has man made such a commitment and not fulfill it without my becoming his sole owner, Thus, coming between him and its fulfillment." Then he departed saying: "Woe unto

me; Moses now knows what he needs to know for warning mankind."

It is related that Sa'id Ibn Al-Musayyab said: "whenever the Lord sends a prophet, Iblis despairs and seeks to destroy him through women. Nothing frightens me more than them (women). The only homes I enter in Medina are mine and my daughter's, in which I perform ablution for the Friday (noon) prayers, then I depart."

Someone said: "the devil tells woman: you are half my army; you are my arrow with which I strike and do not miss; you are the repository of my secrets; you are my messenger in time of need." Half his army is lust and the other half is anger. The greatest lust of all is lusting after women. It also has its exaggerations, excessiveness, and moderations. Its excessiveness overpowering the mind to the point that men dedicate much of their energy to the enjoyment of women and their concubines, Thus, being distracted from pursuit of the Hereafter. It might overpower faith (to a point that) he commits fornication.

Anyone who indulges these (lustful desires) faces two abhorrent situations: one, partaking of that which strengthens lusts for indulging coitus, as some people take medicine to strengthen the stomach to increase lust for food. Such (a conduct) is like that of someone who has been accosted by ferocious lions and menacing snakes. They might let up (on him) sometimes, but then he would connive further to arouse and excite them (lusts) and is Thus, diverted towards taming and appeasing them.

Verily, the lust of food and of coitus are pains which man seeks to abandon in order to experience the pleasure of deliverance (from error). It has been related in the (collection of) rare Hadith that the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I complained to Gabriel about the weakness of coitus and he ordered me to eat Harisah." It should be known to you that he (the Prophet, "Allah's blessing and peace be upon him") was responsible for nine women and he had to fortify them with contentment. If he divorced them, he forbade others from marrying them. He sought thereby strength not pleasure.

The second situation: such lust could lead through misguidance to excessive love, which is extreme ignorance of the purpose of coitus. It is excessive even for the female animal, given the limits set for animals. For, he who is in love is not content with satisfying the lust of coitus, which is the worst of lusts and most deserving of shame. Indeed, in my opinion such lust can be curbed only in a special place, whereas the female beast satisfies her lust wherever she might be, and is content with it.

This (lust) can not be satisfied except with one specific person (partner), Thus, compounding his (own) abasement and (state of) servitude by more of the same until his mind is enslaved in the service of this lust, albeit he was created to be obedient, not to be a slave of lust or to connive to serve its ends.

Excessive love is no more than a symptom of indulging lust. It is an evil of the heart, void and mindless. One must be careful from the very outset. He must not cast a second glance (at a woman) nor contemplate (her) because once it

(lust) takes hold (of him), it is difficult (for him) to ward it off.

Such is also (the effect of) excessive love of possession, ostentation, property, and progeny (not unlike addiction to) playing with birds, nerdeshir and chess. These can overpower a group (of people), diminish their faith and render them captives of the world to the point that they lose patience and are unable to refrain (from succumbing thereto).

The example of someone who seeks to break the grip of excessive love is that of the one who gives the beast of burden full rein as she heads towards a gate to enter. How much easier it would have been to prevent her from doing so by holding back the rein. The example of the one who treats it (excessive love) after it has taken hold (of him) is that of the person who allows the beast of burden to enter and go past the gate then grabs her by the tail and starts to drag her backwards. How great the difference between the two oversights in terms of ease and hardship.

So let one be cautious at the start of undertakings because in the later stages they (undertakings) cannot be treated except with great effort; so great, indeed, that it (the strain) might lead to the wrenching of the spirit. Indulgence of lust to the extent that it overpowers the mind is utterly condemned. Permitting it through helplessness or weakness to enjoy the sex partner is also condemned. What is praiseworthy is moderation and obedience to reason and the law of the faith (Shari'ah) in abstaining or responding (to the urge of lust). Whenever it exceeds the bounds, then it should be curbed with hunger or marriage. The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Young men, beware of fornication; he who is not capable of restraint, let him fast; for, it will diminish his sexual desire"

CHAPTER SEVEN
MARRIAGE AND ABSTINENCE FOR NOVICE

It should be known to you that the novice at the start of his commitment (to the Sufi program of training) must not be preoccupied with the self; nor his heart with marriage, because it is a full commitment and it (marriage) would distract him from (pursuit of) the path and divert him towards intimacy with a wife. He who seeks intimacy with other than Allah is turned away from Allah. He (the novice) should not be misled by the multiple marriages of the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" because nothing in the world could turn his heart away from Allah. One cannot compare angels to smiths. For such reason Abu Sulaiman Ad-Darani declared: "He who marries is bound to this world." He also said: "I never knew a novice to marry and remain firm to his initial commitment (i.e. spiritual exercises). "Someone once asked him: "Do you not need the pleasures of a woman?" to which he replied: "May Allah not cause me to enjoy one, because intimacy with her prevents intimacy with Allah." He also said: "Whatever turns you away from Allah, be it family, possessions or offspring, it is a curse upon you."

How can one have any person other than the Prophet "Allah's blessing and

peace be upon him" as a standard of comparison? He was steeped in the love of Allah to such an extent that it was like being consumed by fire. Indeed, he feared at times that it would penetrate his heart and demolish it. Sometimes he would tap the thigh of 'A'ishah with his hand and say to her: "Talk to me O 'A'ishah!" in order to be distracted by her words from what so intensely preoccupied him (i.e. the contemplation of Allah), because his heart could not bear such a heavy burden. His very nature was to be intimate with Allah, may He be glorified. Thus, intimacy with human beings was a (form of) restraint out of sympathy for his body. Moreover, he did not display patience for human company. When he was bored, he would say: "Comfort us O Bilal!" so he could revert to a state of ease. A weak person viewing this state (in the Prophet) might be deluded, because to assume he is Thus, enlightened is to be prevented from learning the secrets of his (the Prophet's) deeds.

The state for the novice at the commencement of his undertaking, and until he acquires strength through gnosis, is celibacy—if in the meanwhile he is not overtaken by lust. His enemy is lust. He must curb it by continuous hunger and fasting over a long period of time. If he cannot curb lust in such a manner, or by restraining the eye, for example, even if he restrains his genitals, then it is better that he appease this lust by marriage. Because to the extent that he cannot restrain his eye, his mind cannot be clear and his concerns are multiplied. He might even become afflicted with something which he cannot tolerate. Sinning by sight is one of the greater of the lesser (category) of sins leading one closer to the greater sin, that of the genitals, or adultery. He who cannot lower his sight is unable to safeguard his faith.

Jesus " peace be upon him" said: "Beware of looking; it plants lust in the heart when it is already rebellious enough." Sa'id Ibn Jubair (once) said: "Rebelliousness came to David "Allah's blessing and peace be upon him" through (his) sight, for which reason he said to his son: "O my son Amos, walk behind a lion, even lions, but not behind a woman!"

John " peace be upon him" was asked, "What is the beginning of sinning?" to which he replied, "looking and desiring." Fudail, claimed that Iblis says: "It is my old bow and arrow with which I never miss," by which he means "looking." The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "looking is one of Iblis' poisoned arrows. He who abandons it out of fear of Allah, Allah will grant him faith, the sweetness of which he finds in his (own) heart." He "Allah's blessing and peace be upon him" also said "Henceforth, no temptation is to be avoided on account of its harmfulness to man than (that of) women." He "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Beware of the rebelliousness of the world and the rebelliousness of women, for the first rebelliousness by the children of Israel came from women." The Lord said: "Say to the believing men to lower their sights." (An-Nur 30)

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾

The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Every human being has his share of sinning. Both eyes sin and their sin is looking. Both hands sin, and their sin is violence. The two legs sin, and their sin is walking. And the mouth sins, and its sin is kissing. And the heart wishes and desires, and that is proved or disproved by the genital."

Umm Salamah related that "the blind (man) Ibn Umm Maktum sought permission to visit with the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" while I and Maimunah were sitting (with him). He said (to us): veil yourselves, and we retorted: is he not blind? He cannot see us! His answer: but can you not see him?" Here is proof that women are not permitted to be in the presence of the blind as used to be the custom during funerals and feasts.

Similarly, it was forbidden for the blind to seclude themselves with women, and for women to consort with the blind and fix their sights upon them for no purpose. It was permitted, however, for women to converse with men and to look at them for recognized need. If he can avoid staring at women but cannot avoid looking at boys, then it is better for him (the novice) to be married.

The evil associated with boys is greater than if his heart were to be inclined towards women, because they can become lawful unto him (i.e. in marriage). Fixing one's eye upon the face of a boy through lust is forbidden. Indeed, whenever one's heart is captivated by the image of a beardless one (boy), to the extent that he is aware of the difference between him and the bearded one, then it is not lawful for him to look at him. If someone should say that everyone who can see can tell the difference between the beautiful and the ugly, there is no disputing this because the faces of young boys are not covered. Moreover, I do not mean by this simply discernment of the eye because he should be able to recognize the difference as one would between a green tree and a dead tree; between pure and polluted water; between a tree in bloom and flowery, and one whose leaves have fallen. One inclines towards the one or the other by sight and temperament. It is, however, an inclination void of lust. For such reason one does not seek to touch flower and blossom, nor pure water with one's lips.

It is likely in a given situation that the eye might be attracted to a handsome grey-haired one (older person) knowing the difference between that and an ugly face, but (again) it is a matter of discernment not lust. One knows this through the self-s inclination to nearness and touching. To the extent that one senses this inclination in his heart and recognizes the difference in a handsome face, nice plants, decorative clothes and gold-plated roofs, his gazing is motivated by lust and it is forbidden. This is something people tend to overlook and are led (consequently) to perdition without their knowing it.

One of the companions (of the Prophet, "Allah's blessing and peace be upon him") said: "I fear not the wild lion as much as I fear the company of a beardless ascetic young man." Sufyan (Ath-Thawri) said: "if a man cajoles a young man with two of his toes out of lust, he is a Sodomite." One of the forefathers is quoted saying: "there will be three types of Sodomites in this community (Islamic Ummah): one that gazes, one who embraces, and one who acts." Should the evil

of looking for the beginner be great, However, much he tries he will fail to lower his sight and control his thoughts. It is more proper (under such circumstances) for him to curb such a lust with marriage. It is possible that the rage of a certain self cannot be quieted by hunger.

Another (companion) said: "lust burdened me at the beginning of my commitment (to an ascetic life) with that which I could not bear. I cried out to Allah (to unburden me), then someone appeared to me in a dream and asked: what is wrong with you? I complained to him and he asked me to draw near (to him) and I did. He put his hand on my chest and I felt its coldness in my heart and in my entire body. When I awoke, what had troubled me was gone and I remained immune to it for a year. Then it came back to me. Once again I increased my appeal for help (from Allah) and another person appeared in my dream and said: do you want what bothers you to go away by (my) striking your neck? Yes, I replied. Stretch out your neck then, he commanded, and I did. He then unsheathed the sword of light and struck my neck with it. When I awoke in the morning, what had been disturbing me disappeared and I remained immune for another year. Then it came back to me (once again) even more strongly (than before) and I felt as if there was someone between my side and my chest saying to me: woe unto thee, how often (must) you ask Allah to lift from you what He does not like to do! After that, said he (the companion), I got married. It put an end (to my suffering) and I begot children."

However, much he (the novice) needs to marry, he must not abandon the requirement of his intention (to become a practicing Sufi) at the beginning (of his undertaking) and during marriage. It should start with good intention and continue in good manner, firm conduct, and the fulfillment of required duties. This is something we have explained in detail in the book Rules of Marriage and it will not be repeated here in detail.

Proof of genuine intention is in his (the novice) marrying a poor religious woman and not seeking a rich one. Someone said: "he who marries a rich one will be inflicted by her with five demands: excessive dowry, delayed consummation of the marriage, forestalling of service (to Allah), heavy spending, and, should he wish to divorce her, he would not be able to do so because he would fear the loss of her wealth. All this in contrast to the poor woman."

Another person said: "a woman must be inferior to the man in four things, otherwise she would despise him: age, height, possessions, and status. But she should be superior to him in four: beauty, upbringing, religiosity, and good manners."

A sign of true commitment is in perpetuating marriage among human beings. A novice married one woman and continued to serve her until she felt ashamed. She complained to her father: "this man puzzles me; I have been in his house for years and could not go to the bathroom once without him carrying water in front of me."

Another (novice) married a beautiful woman. When the day of consummation

drew near, she was afflicted with smallpox and her folks grieved a great deal fearing that he would find her ugly. But the man showed them that he was (himself) afflicted with trachoma and had lost his sight, so she was married to him. Sadness disappeared and she remained with him twenty years. Only after she died did he open his eyes. They asked him: "why did you do that?" He replied: I pretended it (to be blind) for the sake of her folk so that they would not grieve." Their retort to that: "you are far ahead of your brethren with such a display of manners."

One Sufi married a woman of bad character and was very patient with her. He was asked: "why don't you divorce her?" His reply: "I am afraid someone (else) might marry her, would not be patient with her, and would be harmed by her!" So if a novice marries, he should act in like manner. If he is able to abstain, it would be better for him, especially if he cannot reconcile between the virtue of marriage and (that of) undertaking the path, and if he believes that by marriage he would be diverted from his state.

It was related that Muhammad Ibn Sulaiman Al-Hashimi used to earn from this world's yield 80,000 Dirhams. He wrote to the people of Basra and its learned seeking a woman to marry. They all agreed that he should marry Rabi'ah Al-'Adawiyyah. He wrote to her as follows: "In the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful. The Lord has endowed me from this world's wealth 80,000 Dirhams each day, and by the time night follows day it becomes 100,000. I shall be like that unto you and more (i.e., increase his bequests to her). Please answer me." She wrote back to him: "In the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful. Verily, to abstain from this world is to gain a tranquil heart and body. Indulging it causes one to inherit worry and sadness. When you receive this letter of mine, prepare your provision and get ready for your return (to Allah) and be a guarantor of yourself and do not let men become your guarantor so they might divide your inheritance. Fast for eternity and let death be your fast breaking. As for myself, the Lord Allah, may He be glorified, has given me what he has given you, and many times more. Not by a blink of the eye would I turn my preoccupation away from Him."

This is proof that whatever turns one's attention away from Allah constitutes a deficiency. Let the novice, therefore, look to his state and to his heart. If he can be content with being unmarried, it is nearer (to what is desired); if he cannot (concentrate) then marriage is better for him.

There are three treatments for this disease: hungering, averting sight, and concentrating on that which preoccupies the heart. Should these three not be profitable, then let marriage be the cure. It is on account of this that the righteous forefathers engaged in marriage and gave their daughters in marriage. Whenever Iblis despaired, he came to Sa'id Ibn Al-Musayyab as an envoy of women. When he was eighty-four years old, he had already lost the sight of one eye, and was about to depart for the Hereafter when he declared: "I fear nothing worse than women."

'Abdullah Ibn Abu Wada'ah was quoted saying: "I used to visit with Sa'id Ibn

Al-Musayyab, and when I called on him after not seeing him for some days he asked: where were you? I told him my wife had died and I was preoccupied with her, whereupon he responded: why did you not let us know so we could have borne witness for her. When I was about to rise he asked if I would like to have a wife I replied: may Allah be merciful with you; who is going to give me in marriage when I only possess two or three Dirhams? I will, he answered. You would! I exclaimed. Yes, said he. So he praised the Lord and prayed for the Prophet and had me married (sic) with two or, as he put it, three Dirhams. I rose not knowing what to do on account of my joy. I went home and began to consider whom I should marry and from whom I might borrow. I lit the lamp and performed the sunset prayer. I had been fasting. My dinner was brought forth. It consisted of bread and oil. Suddenly there was a knock at the door. I asked who it was. Sa'id, came the answer. I thought of every one named Sa'id except Sa'id Ibn Al-Musayyab because for forty years he never called on anyone, remaining at home or going to the mosque. I went to answer (the door) and behold it was Sa'id Ibn Al-Musayyab. I felt it was an inconvenience for him and said to him: O Abu Muhammad, had you sent for me I would have come to you. No, he replied, you are more deserving that I should come to you. I asked: what do you command? You were an unmarried person, he answered, and now you are married, for I did not wish you to spend the night alone. Behold your wife! There she stood, behind him, the same height. He took her by the hand and put her through the door and closed it. The woman fell down out of shame. She rose supporting herself with the door then came towards the large bowl containing the bread and the oil. I placed it in the shadow of the lamp so she would not se it. I then ascended to the roof and called out to the neighbors. They came and asked me what was the matter? I replied: woe unto me, Sa'id Ibn Al-Musayyab has given me his daughter in marriage today and brought her over suddenly tonight. Said is the one who married you? they asked in surprise. Yes, I replied. They then approached her.

Word reached my mother and she came to me and said: face to face I tell you it is unlawful for you to touch her for three days, until she is made ready. I waited three days praying and then entered upon her. Lo! she was most beautiful (of people), most respectful of the word of Allah (Qur'an), the most knowledgeable of sunnah (traditions) of the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him", and most aware of the husband's rights.

A month went by during which I neither visited Sa'id nor he me. Soon thereafter, I called upon him while he was sitting in his circle (with disciples) and greeted him. He returned the greeting but did not talk to me until those attending his session departed. He inquired about the condition of "that person" (sic) (meaning his daughter) and I said, fine, O Abu Muhammad, (she is) in the manner of the righteous not the defiant. He said: if you have doubt about anything do not resort to the stick. I went home and he sent me 20,000 Dirhams."

'Abdullah Ibn Sulaiman related that Abd Al-Malik Ibn Marwan sought the

hand of the daughter of Sa'id Ibn Al-Musayyab in marriage for his son Al-Walid, the heir apparent, but Said refused to marry her to him. 'Abd Al-Malik, it is said, did not stop looking for a way, even ordering one hundred lashes inflicted on Said on a cold day and having a large jug of water poured on him while he wore a woolen cloak, and still he would not change his mind. Sa'id's hastening to give his daughter away in marriage that night is testimony to the calamity of lust and the need to quench its fires through marriage as ordained by the Faith (Islam). May the Lord be pleased with him and forgive him.

CHAPTER EIGHT
VIRTUE OF ONE WHO DEFIES LUST OF GENITAL AND EYE

It should be known to you that this lust (of the genital) is the most overpowering of lusts confronting man and the most defiant when it excites the mind. Moreover, its aims are ugly. One is ashamed of its ends and fears its assaults. When most people abstain from its urges either through impotence, shame or fear, or to safeguard one's body, and not because of any reward therein, it is the result of one coincidence prevailing over another in the self.

The benefits of chastity are inestimable, and in abstinences like these are rewards, namely to avert sinning, for he who avoids fornication abandons sinning regardless of how it is done. There is much repentance and compensation in abandoning it out of fear of Allah Almighty. With determination and increased resistance comes the facilitation of means, particularly when lust is real. Such is the way of the righteous.

The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said in this regard: "he who has loved and abstained, remained silent about it until he died, he is a martyr." The Prophet "peace be upon him" also said: "the Lord will cast His (protective) shade upon seven on the Day of Judgement in the shade of His throne, when it is a day on which there will be no shade other than Allah's; among them is the man who had been enticed by a beautiful woman but responded with 'I fear Allah, the Lord of the worlds'.

The story of Joseph "peace be upon him" resisting Zulaikha with firmness in spite of her lusting (for him) is well known. And Allah Almighty has praised him on account of that in His noble book (Qur'an). He, Joseph, is a leader (model) for everyone who succeeds in resisting the devil as concerns this great lust.

It was said that Sulaiman Ibn Yasar was very good looking. A woman entered upon him and he was tempted but he kept away from her. He fled his home and left her behind. Sulaiman said: "I saw Joseph "Allah's blessing and peace be upon him" in my dream that night and found myself saving to him: are you Joseph? Yes, he replied, I am Joseph, the one who was tempted; and you are Sulaiman, the one who was not tempted, referring to the words of the Almighty: And (with passion) did she desire him, and he would have desired her, but that he saw the evidence of his Lord." (Yusuf 24)

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾

Something still more extraordinary is related about him (Sulaiman). It is that he left Medina to perform the pilgrimage (to Mecca) with a companion. When they reached Al-Abwa' his companion got up, dined and went to the bazaar to buy something while Sulaiman sat in the tent. A Bedouin woman spotted him from the top of the mountain and came down to him. When she saw the beauty of his face, she came closer and stood close before him (between his arms) wearing a veil and cover. She was one of the best looking and God-fearing of women. She removed the veil from her face and it was like a half moon (mark of great beauty). She said to him: "give me a treat!" and he thought she meant food. He took what was left of the meal to give her some of it, but she interjected saying: "I don't want this. I want what a man offers his wife!" "So the devil has arranged you for me," he replied. He placed his head between his knees and began to weep and went on weeping. When she saw that, she put the veil back over her face and returned to her folk.

His companion came back and noticed that his eyes were puffed from crying until he could cry no more and his throat was parched. "What made you weep?" he asked. "You would remind me of my youth?" said he. "No," but by Allah you do have a story. You do remember the period of your youth, since (age) three or more." He kept urging him until he told him the story of the Bedouin woman. The companion put down the meal and began to weep profusely. Sulaiman said to him: "and what makes you weep?" to which he replied: "I deserve more to weep than you because I fear that had I been in your place I would not have resisted her." And so they went on weeping together.

When Sulaiman reached Mecca and performed his Sa'i and circumambulation of the Ka'bah, he came upon the Black Stone, sat down, wrapped his cloak around his leg and fell asleep. He beheld (in his dream) a comely tall man with fine outward appearance and alluring scent. "Allah have mercy! who are you?" Asked Sulaiman. "I am Joseph," came the reply. "Joseph, the righteous one?" He inquired further. "Yes," came the answer. "There is something to marvel in your affair with the wife of Al- 'Aziz (Potyphor)!" "But your encounter with the woman of Al-Abwa' is more wondrous still!" (answered Joseph).

It is said that 'Abdullah, the son of Umar, related that he heard the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" say: "three people before you went out one night to a cave, and as they entered it a stone came tumbling down from the mountain and blocked the entrance. They said (to themselves): "nothing will save you from this stone other than to appeal to Allah Almighty with your virtuous deeds." One of the men proclaimed: "Lord, You know that I had two elderly fathers (sheikhs) when before (them) I had no family or money. One day I had to seek a tree but I would not move before obtaining (for them) their evening milk.

They were, however, asleep. Since I did not wish to have my evening milk before they did, out of respect (for them), not for gain, I stood waiting with the cup in my hand until dawn and boys began to mill around me. They awoke and drank their milk. Lord, if I had done this to please Thee, then relieve us from our predicament and remove this rock!" It moved a little, but not enough for them to exit.

The other said: "O Lord, You know that I had a wife who was dearer to me than any other (person). I trained her to be abstemious and she abstained from me until she became afflicted one year (with need). She came to me and I gave her a hundred and twenty dinars on condition that she separate herself from me. She did. When I sought to force her, she called upon me to fear Allah and not to break the tie except by what is right. It was very difficult for me to stay away from her when she was the dearest person to me. So I abandoned the gold I had given her. Lord, if I had done this to please You then grant us relief from our predicament." The rock moved again, but (still) they were unable to exit.

The third said: "Lord, I hired runners and gave all except one their salaries. One man left before collecting his. I kept investing his salary until it had made much money. He came to me after some time and said: "'Abdullah, let me have my due!" I said to him: "all that which you see of camels, cattle, sheep and slaves are from your salary!" He replied: "O Abdullah, you are mocking me." "No," I said, "I am not mocking you; take it!" He rounded them up and led them away leaving none behind. Lord, if I had done this to incur your pleasure, (then) help us out of our predicament!" The rock moved and they exited.

Such is the virtue of those who are able to overcome lust and are fortified against it. It is the lot (also) of someone who can overcome the lust of the eye, because the eye is the start of sinning. To safeguard it is important. It is difficult because it is easily overlooked. One cannot, however, exaggerate the fear it causes because looking is the source of all evil.

Looking for the first time, the unintentional first look, one can forgive; repeating it, however, evokes rebuke. The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "the first (transgression) is forgiven, but the second counts against you." By it he meant looking.

Al-'Ala' Ibn Ziyad stated: "let not your sight be fixed upon the raiment of women, because looking plants lust in the heart and rarely can one refrain afterwards from repeating gazing at women and boys. However, much he imagines that his intention is good, nature decrees that he cast a second glance. He must then determine within himself that this defiance is the essence of ignorance. For, were he to fix his gaze and like it, the self would be excited by lust and he would not be able to reach his goal, experiencing frustration instead. Should he be repulsed (there from), not enjoy (looking) but endures pain after he had set out to experience pleasure, he would not necessarily be immune to defiance and to enduring pain and frustration."

To the extent that one can refrain from gazing, he wards off many evils

from his heart. For his eye not to err and his (sexual) organ to be restrained with firmness would require a great deal of strength and would lead to ultimate success.

Abu Bakr Ibn 'Abdullah Al-Mazini related that a certain butcher was enamored of a slave women belonging to one of his neighbors. Her family sent her on an errand to another village. He followed her and enticed her away from her self. She told him not to do so because "I am more in love with you than you are with me, but I fear God!" "You fear Allah and I do not?" was his reply. He returned home repentantly and suffered so much thirst that he almost died. One of the prophets of the children of Israel (sic) appeared to him and asked what was ailing him. "I suffer from thirst," he replied. "Come along, let us call for a cloud to shade us until we reach the village." He asked the prophet what righteous work he had done to earn such a favor and suggested he (the prophet) do the invoking (of the cloud). The prophet said to him: "I will invoke and you trust in my invocation." He invoked the Prophet (Muhammad, "Allah's blessing and peace be upon him") and (the other) trusted. A cloud (appeared and) cast its shade upon them until both reached the village. He escorted the butcher to his place and the cloud departed with him. The prophet (Muhammad, "Allah's blessing and peace be upon him") said to him: "you claim that you do not possess righteous work! I was the one who invoked and you showed faith and the cloud did protect us both! I accompanied you so you could tell me about your state, so do it!" The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "the repentant enjoys a state with Allah unmatched by any other (person)."

Ahmad Ibn Sa'id, the ascetic quotes his father saying: "there was with us in Kufah a young worshipful lad who always confined himself to prayer in the mosque. He was good looking, tall, and fine in appearance. An intelligent beautiful young woman looked at him and became enamored of him for a long time. One day she intercepted him on his way to the mosque and said: young man, listen to what I say to you then do as you please! He continued on without speaking to her. She intercepted him again as he was returning home and repeated: please listen to what I wish to say to you! He swerved away from her saying: this is a posture of someone who is being accused and I do not wish to be the target of blame! She replied: may Allah be my witness, I have not taken this position out of ignorance of your lot! Allah forbid that worshipers should experience this from me! What has induced me to find you in such a predicament on account of me is the knowledge that what is seen as little may be (regarded as) much to other people. You Allah fearers are like (something) supple, bending too much for me to shame. In short, what I wish to say to you is that my limbs are totally preoccupied with you. Allah is the master of both, my lot and yours!" He (Ahmad) went on (to say): "the young lad continued on his way home. He wished to pray but his mind was unsettled. He took a pen, wrote a letter then left the house. But the woman was still standing where he had left her. He thrust the letter at her and returned to his home. In it (he wrote): in the name of Allah, the compassionate, the most merciful. Know ye, O woman, that Allah,

may He be glorified, if defied by a servant will forgive; if the defiance is repeated, He will shield him; but if he (the servant) should disguise it in different forms, He becomes silently angry, to such an extent that heaven and earth tremble, as do mountains, forests, and creatures that crawl. Who is it that can tolerate His anger? If what you say is false, I remind you of a day when heavens are helpless and mountains (soft as) colored wool and nations on bended knee before the great force of the All-powerful (God). Allah be my witness, I have failed to reform my self; how can I reform others? If what I say is true, I point you to a doctor of guidance who treats festering wounds and scorching pains: He is Allah of the worlds. Seek Him out with your true state, for I am preoccupied with someone else." In His (Allah's) words: Warn them of the Day when hearts are stuck in throats concealing what awaits tyrants, for whom no protectors or intercessors are heeded. He knows what have betrayed eyes and what hearts have concealed." (Ghafir 18-19)

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾

Whereto is the escape from such a revelation?"

She came back a few days later and (again) intercepted his path. When he saw her at a distance, he wanted to return to his home in order to avoid her bu she said to him: "Young man, do not go back; there will be no more encounter. between us after today except in the presence of Allah Almighty!" She wept profusely and said: "ask Allah who possesses the keys to your heart to make easy (for me) what he has made difficult for you!" She followed him to ease her pain with a bit of wisdom which she could attribute to him and provide her with advice that would comfort her. He said to her: "I counsel you to protect your self from yourself, and I remind you of His saying: It is He who does take your souls by night, and has knowledge of all that you have done by day." (Al-An'am 60)

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴿٦٠﴾ ﴾

She left crying more profusely than before. When she awoke to her condition, she confined herself to her home and proceeded to pray, continuing that way until she died of a broken heart. The young man remembered her after she died and wept. When asked for whom he was weeping, "when you were the one who caused her to despair of you?" he replied: "I killed her lust for me at the beginning of her state and made of her estrangement (from me) a treasure for myself before Allah Almighty. I am ashamed to ask back from Him the treasure I have stored with Him."

Thus, ends the book of curbing the two appetites by virtue of His mercy and kindness.

Book four: evil of tongue

It is the fourth book of the third quarter of destructives

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

Praise be to Allah Who made good the creation of man, and formed him in due proportion, and inspired him the light of faith with which He has adorned and beautified him, and revealed to him the faculty of speech therewith He gave him superiority over all of His creatures, and overflowed his heart with depositories of knowledge, and sent upon him a curtain from His mercy which He hung on it, and provided him with a tongue therewith to interpret what lies within the heart and mind, disclose what is concealed in him, tell the truth, and send praises and thanks for His favors on him.

I bear witness to the fact that there is none worthy of worship but Allah Almighty, the One and Only, Who has no partner with Him, and that Muhammad is His slave and Messenger, whom He honoured and exalted, and sent with a Book He revealed to him, made superior his favor, and clarified his ways "Peace be upon him".

Coming to the point: verily, tongue is one of the great favors bestowed by Allah on man, and His amazing and fine things. Although it is small in size, its sin and obedience have a great consequence. It is that the faith could be distinguished from disbelief only through the witness of tongue, and they represent the utmost degree of obedience and disobedience. Furthermore, there is neither existing nor non-existing, neither creator nor created, neither imagined or concrete, but that the tongue deals with it and either affirms or denies it. The tongue expresses of all the objects of knowledge whether in truth or in falsehood. This characteristic is lacking in all the other organs of the body. The eye, for instance, perceives only images and colors, the ear sounds, the hand the concrete bodies, etc.

The field of tongue is expansive and limitless, and it applies to both good and evil. If the tongue is released with nothing to rein it or bind its freedom, Satan then takes it to all fields of evil, and drives it to the verge of a bank that is about to collapse, until it leads him to perdition. Of a surety, nothing draws the people prone on their faces into the fire of Hell other than the evil of their tongues. None is saved from the evil of the tongue except he, who reins it with the rein of religious law: he releases it only in what benefits him in the world and the hereafter, and stops it from anything whose evil consequence is feared.

The knowledge of the praiseworthy and blameworthy states in which the tongue should be released, and acting upon that accordingly are abstruse and difficult. The tongue is the most disobedient organ upon man. There is no trouble to be exerted to release and move it. The people have indulged in avoiding its evils and vices, and its traps and snares. It is the strongest tool Satan

utilizes to subjugate man. By virtue of Allah's help and guidance, we are going to make a mention of the details of the evils and vices of tongue one by one, with their reasons and evil results, and clarify the way to avoid them and transmit the traditions and sayings in dispraising them.

Let's first make a mention of the virtue of silence, followed by the evil of speaking in what concerns not, then the evil of surplus talk, the evil of delving into falsehood, the evil of argumentation, the evil of disputation, the evil of loud-mouthing, the evil of using an obscene language, the evil of cursing, whether an animal or a man, the evil of singing with poetry, the evil of joking, the evil of ridicule, the evil of disclosing secret, the evil of the false promise, the evil of untruth in statement and oath, the evil of backbiting, the evil of talebearing, the evil of going about with calumnies, the evil of eulogy, the evil of heedlessness of the subtleties of errors in the speech content, and finally the evil of the laymen's asking about the attributes of Allah Almighty. the total then is twenty evils. We ask Allah to help us with His favor and bounty.

CHAPTER ONE

EXPOSITION OF GREAT DANGER OF TONGUE AND VIRTUE OF SILENCE

Prophetic Traditions

It should be known to you that a great danger lies in the tongue, and we could be saved from it only by silence. For this reason, silence is praised and encouraged in Shari'a. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever keeps silent would be saved." (This narration is reported by At-Tirmidhi and At-Tabarani on the authority of Abdullah Ibn Amr). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Wisdom lies in silence, and only a few among men who do it." (This narration is reported by Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Ibn Umar; and Al-Baihaqi on the authority of Anas). It is narrated on the authority of Abdullah Ibn Sufyan from his father that he said: "I said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Messenger of Allah! Tell me about Islam with something, about which I shall ask none after you." On that he said: "Say: 'I have faith in Allah' and then be upright." I asked: "What is piety?" he beckoned to his tongue." (This narration is reported by At-Tirmidhi, An-Nasa'i and Ibn Majah).

It is narrated on the authority of Uqbah Ibn Amir "Allah be pleased with him" that he said: "I asked the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Messenger of Allah! How should one be saved?" he said: "Keep your tongue and stick to your house, and continue to weep in regret for your sins."" (This narration is reported by At-Tirmidhi). It is narrated on the authority of Sahl Ibn Sa'd, "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I assure the Garden to him who is complete to safeguard his tongue and private parts." (This narration is reported by Al-Bukhari). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "He who safeguards himself against the evil of his belly, tongue

and private parts has indeed safeguarded himself against all kinds of evil."

It is with those three desires that most of people are ruined. This is why we have engaged in discussing the evil of tongue after finishing from discussing the evil of both desires, i.e. the belly and the private parts. It is reported that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked about the thing that causes most of people to enter the Garden, thereupon he said: "Fear of Allah and good moral character." He was asked about the thing that causes most of people to enter the fire (of Hell), thereupon he said: "Both mouth and private parts." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Abu Hurairah).

The mouth in this Hadith might refer to the evil of tongue, or to the abdomen for it represents the passage of food to the belly. It is reported that Mu'adh Ibn Jabal, "Allah be pleased with him" said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Messenger of Allah! Would we be blamed for what we say?" he said: "Let your mother be bereaved of you O Ibn Jabal! Would the people be thrown prone on their nostrils into the fire (of Hell) but because of the evil of their tongues?" (This narration is reported by At-Tirmidhi, Ibn Majah and Al-Hakim). Abdullah Ath-Thaqafi said: I said: "O Messenger of Allah! Guide me to something therewith to protect myself." He said: "Say: 'My Lord is Allah' and then stand straight (on the truth)." I further asked: "O Messenger of Allah! What is that which you fear most for me?" he beckoned to his tongue and said: "This." (This narration is reported by An-Nasa'i, At-Tirmidhi and Ibn Majah).

It is narrated that Mu'adh Ibn Jabal "Allah be pleased with him" said: "O Messenger of Allah! Which deed is the best?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" brought out his tongue and placed his finger on it (in reference to the excellence of keeping one's tongue from speech). (This narration is reported by At-Tabarani and Ibn Abu Ad-Dunya). Anas Ibn Malik "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The faith of a servant does not stand straight until his heart stands straight; and one's heart does not stand straight until his tongue stands straight; and one would not enter the Garden as long as his neighbour does not feel safe from his evil behaviour." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya and Al-Khara'iti).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "He, who is pleased to be safe, let him adhere to silence." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya, Abu Ash-Shaikh and Al-Baihaqi on the authority of Anas). It is narrated on the authority of Sa'id Ibn Jubair, tracing it up to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that he said: "Whenever morning comes upon the son of Adam, all of his organs remind the tongue saying: "Fear Allah concerning us, for if you stand straight, we will stand straight consequently; and if you are crooked, we shall be crooked consequently." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri).

It is narrated that once Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" saw Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" beating his tongue with his hand. He asked him: "What are you doing O successor of the Messenger of Allah?" he said: "This (my tongue) has caused ruin to me. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There is no part of the body but that he complains to Allah of the tongue for its sharpness." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya, Abu Ya'li, Al-Baihaqi and Ad-Daraqatni). It is narrated on the authority of Abdullah Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" that he was on Safa (mountain) reciting Talbiyah and saying: "O tongue! Say good perchance you would gain felicity, and stop from saying evil perchance you would be safe before you regret (in sigh for it)." It was said to him: "O Abu Abd-Ar-Rahman! Is this something you devise or something you heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying?" on that he said: "It is something I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya, At-Tabarani and Al-Baihaqi).

It is narrated on the authority of Ibn Umar "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said "He, who holds back his tongue (from the evil speech) Allah screens his defects and he, who has control over his anger, Allah safeguards him against His punishment; and he, who apologizes to Allah, Allah accept his excuse." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya). It is narrated that Mu'adh Ibn Jabal "Allah be pleased with him" said: "O Messenger of Allah! Advise me." He said: "Worship Allah as if you see Him, and regard yourself among the dead. But if you like, let me guide you to what is better for you than anything else." He then beckoned to his tongue. (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya and At-Tabarani).

It is narrated on the authority of Safwan Ibn Sulaim that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Should I not tell you about the act of worship that is the easiest on the body? It is to keep silence and adhere to good moral character." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya). Abu Hurairah said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He who has faith in Allah and the Last day, let him speak good or keep silent." (This narration is reported by both Al-Bukhari and Muslim). Al-Hassan said: It was mentioned to us that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "May Allah bestow His mercy upon a servant who speaks (good) thereupon he has attained felicity, or keeps silent (from speaking evil) thereupon he has become safe." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya and Al-Baihaqi on the authority of Anas).

It was said to Jesus "Peace be upon him": "Guide us to a deed that causes us to enter the Garden." He said: "Speak not at all." They said: "We could not do so." He said: "Then, do not speak but good." Solomon, son of David "Peace be upon them" said: "If speech is of silver, then, (you should know that) silence is of gold." It is narrated on the authority of Al-Bara' Ibn Azib "Allah be pleased with

him" that he said: A Bedouin came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "Guide me to a deed that causes me to enter Paradise." He said: "Serve the hungry with food, provide the thirsty with water, enjoin what is good and forbid what is evil; and if you have no power to do all of that, then (at least) hold back your tongue (from speaking) but good." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Keep your tongue (from speech) except what is good." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Abu Sa'id; and Ibn Hibban on the authority of Abu Dharr). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Verily, Allah watches over the tongue of every speaker: so, let anyone fear Allah in what he says." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "When you see a believer silent and venerable, approach him for it is inspired wisdom." (This narration is reported by Ibn Majah on the authority of Abu Khallad but with a slight change of wording). Abdullah Ibn Mas'ud said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "People are of three kinds: winner, safe and loser. The winner is he who celebrates Allah Almighty; and the safe is he who keeps silent; and the loser is he who engages in falsehood." (This narration is reported by At-Tabarani and Abu Ya'li on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The believer's tongue lies behind his heart and if he likes to say something, he would first think about it, and then conduct it with his tongue, unlike the hypocrite, whose tongue is ahead of his heart, and if he intends to do anything, he would conduct it with his tongue, without thinking about it." (This narration is reported by Al-Khara'iti). Jesus "Peace be upon him" said: "Worship is of two parts, nine of which lie in silence, and the remaining part lies in the flight from the people." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who speaks so much, slips much, and he who slips much commits much mistakes; and the fire (of Hell) has more right to get the one who commits much mistakes." (This narration is reported by Abu Na'im on the authority of Ibn Umar; and Ibn Hibban and Al-Baihaqi, ending it with Umar).

Sayings

It is reported that Abu Bakr "Allah be pleased with him" used to put a pebble into his mouth to prevent himself from speaking, and he used to beckon to his tongue and say: "It is that which caused ruin to me." Abdullah Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" said: "By Allah other than Whom there is no god, nothing is in need of a long prison more than the tongue." Tawus said: "My tongue is like a wild animal and if I let it loose,, it would eat me." Wahb Ibn Munabbih said relating from the wisdom of the family of David: "It is incumbent upon a rational to have acquaintance with his time, keep his tongue, and devote himself to his own affairs." According to Al-Hassan: "One will not understand his religion well

unless he keeps his tongue."

According to Al-Awza'i: "Umar Ibn Abdul-Aziz wrote to us: "Coming to the point: whoever remembers death so much, he will be satisfied only with the little from this world; and whoever regards his speech a part of his deeds, he will hardly speak but in what concerns him." A man said: "Silence combines two virtues for man: safety in his religion and understanding from his talker." Muhammad Ibn Wasi' said to Malik Ibn Dinar: "O Abu Yahya! Of a surety, to keep tongue is harder upon the people than to keep Dirham and Dinar." Yunus Ibn Ubaid said: "I have never seen a man who takes heed of his tongue but that the good impact of it is reflected on all of his deeds." Al-Hassan said: "Some people spoke in the presence of Mu'awiyah, and Al-Ahnaf Ibn Qais kept silent. He said to him: "What is the matter of you O Abu Bahr that you do not speak?" he said: "I fear Allah if I speak falsely, and I fear you if I speak with the truth.""

Abu Bakr Ibn Ayyash said: Once, four kings gathered together: the Indian and Chinese kings, in addition to Caesar and Khosrau. One of them said: "I regret for what I have said, and regret not for what I have said not." Another said: "If I say a word, it possesses me, and I possess it not, and if I do not say a word, I possess it and it possesses me not. The third said: "I wonder at the speaker: if his word returns to him, it will harm him; and if it does not return t him, it will not benefit him ." The fourth said: "I am capable of retracting fro what I have not said more than from what I have really said." It is reported tha Al-Mansur Ibn Al-Mu'tazz kept in the state of silence after performing Isha' prayer for forty years. It is also reported that Ar-Rabie Ibn Khaithamah remained for twenty years without speaking in the worldly affairs and matters, and whenever morning came upon him, he would place a paper, an inkpot and a pen to record all he spoke, with the intention to reckon himself therewith in the evening.

If you ask about the reason that lies behind the great virtue of silence, let me say in reply to that: it should be known to you that the reason for that is the much evil caused by tongue due to falling in mistakes, telling lies, backbiting, talebearing, showing off, hypocrisy, obscenity, argumentation, giving prestige to oneself, delving in false discourse, disputation, curiosity, perversion, addition, reduction, harming people and tearing the screen of privates. Those are the vices of tongue, and it finds them not hard nor difficult on it: on the contrary, the heart feels their pleasure and sweetness, and the disposition and Satan lie behind them. Such as delves into them could hardly withhold his tongue in order to unleash it in what he likes and hold it back from what he likes not. This is abstruse as will be discussed later in detail. In short, danger lies in delving, whereas safety lies in silence. This is why its virtue is great. Add to that what it brings about in terms of unifying concern, reverence, continuous respectability, and devotion to meditation and celebration (of Allah Almighty) and worship, and safety from the evil consequences of harmful words in this world and reckoning about it in the hereafter. Allah Almighty says in this respect: "Man does not utter any word

except that with him is an observer prepared [to record]." (Qaf 18)

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾

There is a proof to support the virtue of adherence to silence. It is a well-known fact that speech is of four kinds: what is entirely harmful, what is entirely beneficial, what is partly harmful and partly beneficial, and what is neither harmful nor beneficial. One should keep silence from what is entirely harmful and what is partly harmful and partly beneficial, in case the benefit thereof is less than the harm. But to engage in what is neither harmful nor beneficial is out of useless gossip in which one wastes his time; and this is a clear loss. Thus, there remains only the fourth kind, which is entirely beneficial. In this way, three-fourths the speech lapse and only a quarter remains working; and even danger lies in this quarter, for it is vulnerable to be mixed with what is sinful caused by the subtleties of showing off, ostentation, backbiting, giving prestige to oneself, and useless talk.

One might not make sense to such mixing, which leads him to be at risk. Whoever knows well the subtleties of the evils of tongue, should come to learn that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was decisive in his statement: "Whoever keeps silent has been saved (from harm)." That is because the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was endowed with the gift of wisdom and the shortest phrases expressive of the longest and most comprehensive meanings (according to the narration of Muslim on the authority of Abu Hurairah). None but the private scholars could perceive the deep meanings that underlie his words, a fact that will be shown from the presentation of the different evils of tongue, and how it is difficult to avoid them.

Now, let us count the different evils of tongue, beginning with the easiest and the lightest of them, moving up to the heavier, and defer the discussion of backbiting, talebearing and telling lies, i.e. the most difficult and the heaviest of them. The evils of tongue are twenty and they go as follow.

CHAPTER TWO: DIFFERENT EVILS OF TONGUE

The First Evil: Speaking In What Concerns You Not

It should be known to you that the best state you might be in is to keep your tongue from all evils we have already mentioned, such as backbiting and talebearing, telling lies, argumentation, disputation, etc, and rather to speak in what is permissible from which no harm befalls you. But if you speak in what you need not to speak in, you shall waste your time, and be reckoned for the evil deed of your tongue, for you will replace what is bad with what is good. That's because if you divert your attention during the time you spend in that kind of speech to meditation and reflection, the gifts of Allah's mercy might be opened to you, causing a great benefit to you. Moreover, if you sing the glorifications, praises, magnifications and oneness of Allah Almighty, it will be good for you.

How many a word for which a palace is constructed in the Garden! If one has the power to get one of the treasures and instead he gets what harms and

not benefits him, he will be a clear loser. The is an example for leaving the celebration of the Praises of Allah Almighty, and rather engaging in what is permissible, but which concerns one not. Although he commits no sin, he has lost the great profit of skipping the celebration of Allah Almighty. The true believer is he, whose silence is meditation, vision a lesson to be learnt, and speech a celebration (of Allah Almighty). It is reported on the authority of Muhammad Ibn Zakariyya from Ibn A'ishah from his father that he said: Once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" addressed the people saying: "Indeed, Allah commanded me to have my speech a celebration, my silence a meditation, and my vision a lesson to be learnt."

To be sure, time is the main capital of a servant; and if he spends it in what concerns him not, and does not use in saving a reward to benefit him in the hereafter, he will lose his capital. For this reason, It is narrated on the authority of Abu Hurairah that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It is out of one's good (faith in) Islam to leave that which concerns him not." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Ibn Majah). More grievous, it is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: On the day of (the battle of) Uhud, a man from among us fell as a martyr, and a rock was seen to be tied to his belly out of severe hunger. His mother wiped dust off his face and said: "Blessed be you O my son with the Garden!" on that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "What does make you know? Perhaps, he used to speak in what concerned him not, and withhold what benefitted him." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Ibn Abu Ad-Dunya).

According to another narration, it is reported that once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" missed Ka'b "Allah be pleased with him", and when he asked about him he was told that he was sick. He went out walking and when he entered upon him he said: "Receive the glad tidings O Ka'b!" his mother said: "Blessed be you with the Garden O Ka'b!" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" asked: "Who is that woman that decides a matter without (knowing the decree of) Allah Almighty?" Ka'b said: "She is my mother O Messenger of Allah." On that he said: "What does make you know Umm Ka'b? perhaps Ka'b has said what concerned him not, and withheld what benefitted him." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Ka'b Ibn Ujrah). The meaning is that the Garden is prepared for him who will not be reckoned, and whoever speaks in what concerns him not will be reckoned. If his speech is impermissible, the Garden will not be prepared for him since he will be called to account, and calling to account is a kind of punishment.

It is narrated on the authority of Muhammad Ibn Ka'b that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The first one to enter from that gate is a man from the inhabitants of the Garden." Then, Abdullah Ibn Salam "Allah be pleased with him" entered, to whom the

companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" stood and told of what he had said. They further asked him: "Tell us about the most trustworthy deed for which you expect reward." On that he said: "I am a weak, but the most trustworthy deed for which I expect (reward from) Allah Almighty is the purity of my breast and leaving what concerns me not." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya). Abu Dharr "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to me: "Should I not guide you to a deed which, though being light on the body, is heavy in the scale of deeds?" I said: "Yes O Messenger of Allah." He said: "It is to keep silent, adhere to good moral character, and leave what concerns you not." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya).

Mujahid said: I heard Ibn Abbas "Allah be pleased with him" having said: "Five qualities are dearer to me than anything else: do not speak in what concerns you not, for it is useless, and more convenient to leads you to sin; and do not speak in what concerns you unless you find it proper, for how many a man who speaks improperly in what concerns him and he is put to difficulty; and do not argue with a forbearing or a weak-minded, for the forbearing might desert you, and the weak-minded might harm you; and remember your absent brother with the same as you like him to remember you when you are absent, and excuse him from the same as you like him to excuse you from, and treat your brother with the same as you like him to treat you with; and do the deeds of a man who knows that he is given reward for kindness and dealt with for respect."

It was said to Luqman the Wise: "What is your wisdom?" he said: "I never ask about that which I know, nor do I work hard to know what concerns me not." Muwarriq Al-Ajli said: "I have been seeking after a matter for twenty years, and I failed to get it, but even I shall never leave seeking after it." He was asked about it, and he said: "To keep silent from what concerns me not." Umar "Allah be pleased with him" said: "Do not ask about what concerns you not, keep yourself away from your enemy, and beware of your friend among the people except the trustworthy, and there is no trustworthy except he who fears Allah Almighty. Do not accompany the wicked lest you would learn from his wickedness, nor disclose to him your secret, and seek the advice of such of people as fear Allah Almighty."

The definition of speaking in what concerns you not is to speak with such words as if you keep silent you will not be sinful, nor will you receive harm in your soul or property. It is like the case in which you sit with people and talk to them about your journeys and tell them about your scenes and experiences there, as the mountains and rivers you have seen, the kinds of food and clothes you have enjoyed, and the sheikhs and incidents you have wondered at. If you keep silent from those things, you will not be sinful, nor will you receive harm at any rate. If you do your best in order to make no change by addition or reduction, nor justification of yourself, nor pride of seeing the great events, nor accusation of anyone, nor criticism of anything created by Allah Almighty, you will have wasted your time.

How should you be safe from all evils we have already mentioned? It is like

your asking anyone about what concerns you not: by asking him, and forcing him to reply to you, you will have wasted the time of both you and him. This is clear in things asking about which is evil. You may ask somebody about his worship saying: "Are you fasting?" If he answers in the affirmative, he will demonstrate his worship and a suspicion of showing off shall touch his act of worship, and even if there is no suspicion of showing off, his act of worship will not become secret, given that the worship in secret is many degrees superior than the worship in public. If he replies in the negative, he will be a liar. If he keeps silent, he will seem to scorn you, and you will be bothered by him. If he uses trickery to escape from reply, he will be forced to exert effort to do so. In this way, by asking him, you will have exposed him to showing off, telling lies, scorning or even exerting effort to escape from the answer.

The same is true of asking him about the rest of his acts of worship, and even about his sins, and about all that he conceals and feels shy to demonstrate.. likewise, your asking about what the others say or think is included here, like your asking somebody, for instance: "What do you say or think about that matter?" Similarly, you may see a man on the way and ask him: "Where are you going?" Perhaps, there is a particular impediment to prevent him from mentioning it, and if he mentions it, he will receive harm and feel shy, and if he does not prove true he will be a liar, and you will be the one who caused him to do so. In other cases you may ask about what concerns you not, and the asked may feel shy to tell you that he does not know, which causes him to give you answer with no knowledge.

I do not mean by speaking in what concerns not those things, in which there is harm or sin to be received. But a typical example of what concerns not is the narration that once Luqman the Wise entered upon David "Peace be upon him" who was making an armor, which he had not seen before that day. He wondered, and liked to ask him about it, but his wisdom prevented him and Thus, he kept silent and did not ask him. When David finished from making it he stood and wore it and said: "How good this armor is for war!" on that Luqman said: "Silence is wisdom, and people rarely do it." That is because he learnt what he liked to learn without asking. It is reported that he frequented him for a year with the intention to know that without asking. If this kind of asking does not lead to harm, removing screen, causing one to be seen of men or to tell a lie, it, at least, belongs to those things which concern not, and leaving it is out of good (faith in) Islam. This is its definition.

Its causes lie in eagerness to know that in which there is no need to know, affability with somebody through speech by way of having affection for him, and consuming time in useless tales and stories. The remedy lies in his learning that death is ahead of him, that he is responsible for every word he utters, that his breaths represent his main capital in this present world, that his tongue is a net therewith to catch the beautiful women with big lustrious eyes (in the Garden). To neglect and waste that is a big loss. This is its remedy in terms of learning. In relation to action, he has to be in seclusion, or to place a pebble in his mouth, therewith he forces himself to keep silent from some of what concerns him, in

order that the tongue would get accustomed to leave what concerns it not. However, it is very difficult for such as does not live in seclusion to adjust his tongue in that way.

The Second Evil: Surplus Talk

It is blameworthy. It includes to speak with what concerns not, and make much of what concerns more than what is needed. One might talk about what concerns him with brief words, as well as he might amplify, state and repeat it. If it is possible to convey his purpose with a single word, and he expresses it with two, then, his speech would be surplus and beyond the need. This is why it is blameworthy regardless of being not sinful or harmful. According to Ata' Ibn Abu Rabah: "Those who were before you disliked surplus talk, and regarded surplus any words other than the Book of Allah Almighty, the sunnah of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" enjoining good and forbidding evil, or one's necessary need: "When the two receivers receive, seated on the right and on the left. Man does not utter any word except that with him is an observer prepared [to record]." (Qaf 17-18)

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝ ﴾

Does anyone of you feel shy, when his scroll is spread out, to find that most of what is dictated in it does not belong to the matter of his world or religion? One of the Companions said: "A man might ask me about something, and I have longing to give reply to him just as a thirsty has longing for cold water, but even I leave it for fear it might possibly be surplus." According to Mutarrif: "Let the Majesty of Allah Almighty be exalted in your hearts and souls, so that you do not mention Him like the statement of anyone of you to the dog or donkey: "O Allah! Disgrace it."

It should be known to you that the surplus speech is limitless; and the most important is limited to the Book of Allah Almighty Who says: "No good is there in much of their private conversation, except for those who enjoin charity or that which is right or conciliation between people. And whoever does that seeking means to the approval of Allah - then We are going to give him a great reward." (An-Nisa 114)

﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Blessed be who withholds the surplus of his talk and spends the surplus of his property." (This narration is reported by Al-Baghawi and Al-Baihaqi). Consider how the people reversed it by withholding the surplus of property and rather unleashed the surplus of speech. It is narrated on the authority of Mutarrif Ibn Abdullah from his father "Allah be pleased with him" that he said: I came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" among members of Banu Amir, and they said: "You are (in the position of) our father

and chief, and you are the best of us all, etc. on that he said: "Say what you like to say (in his praise), on condition that Satan should not make it alluring to you." (This narration is reported by Abu Dawud and An-Nasa'i).It refers to the fact that if one prolongs his speech in praising even with truth, there is fear that Satan might make alluring to him to plunge into the dispensable surplus. Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" said: "I warn you of the surplus speech. It suffices a Muslim of words only what enables him to convey his need." According to Mujahid: "Words are written even when a man asks his child to keep silent by saying to him: "I shall buy such and such a thing for you", with the result that he is written as a liar." According to Al-Hassan (Allah Almighty says): "O son of Adam! I have spread out a scroll for you and it is entrusted to two angels to record your deeds. So, do as you like, be it more or less." It is reported that Solomon "Peace be upon him" sent one of his demons and sent after him some to watch him and tell him what he would say. They told him that when he passed by the market he raised his head to the sky and then cast a glance at the people and nodded. Solomon asked him about that and he said: "I wonder at the angels who stand by the heads of people and how fast they record what they do, and at those below them how fast they dictate them."

According to Ibrahim At-Taimi: "If a faithful believer intends to speak, he would consider: if it concerns him, he would speak, otherwise, he would keep silent, unlike the wicked, whose tongue is ahead of his mind." According to Al Hassan: "He, who talks so much, tells much lies, and he who has much property commits much sins, and he, who has bad manners gives himself to punishment." It is narrated on the authority of Amr Ibn Dinar that he said: A man talked so much in the presence of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" asked him: "How many veils do you have to conceal your tongue?" he said: "My lips and teeth." On that he said: "Would you not have what repel your words?" (This narration is reported on the authority of Ibn Abu Ad-Dunya). According to another version, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said so about a man who was involved in praising him exaggeratingly, thereupon he said: "Man was given no worse than surplus talk."

Umar Ibn Abd Al-Aziz "may Allah have mercy upon him" said: "Nothing prevents me from speaking with most of words but my fear of seeming proud." According to a wise man: "If a man is in a gathering and speech is made alluring to him, let him keep silent; and if silence is made alluring to him, let him speak." According to Yazid Ibn Abu Habib: "Among what tempts a learned is to admire speaking more than listening. However, if he finds such as suffices him (the burden of speaking), let him then know that safety lies in listening whereas adornment, addition and reduction lie in speaking." According to Ibn Umar "Allah be pleased with them": "Tongue has the most right to be purified." Once Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" saw a woman of offensive tongue, thereupon he said: "Had she been mute, it would have been better for her." According to Ibrahim: "Two things ruin man: surplus talk and surplus property."

This is the criticism of surplus talk. As regards the motive that causes it, and its remedy, they have already been mentioned in the discussion of speaking in what concerns not.

The Third Evil: Engaging In Falsehood

It is to talk about sins like relating about the states of women, gatherings of wine, stations of mischief, comfortable life of the rich and wealthy, tyranny of the oppressive tyrants and kings, their blameworthy decrees and hateful states. It is unlawful to engage in such discourses. It differs from speaking in what concerns not is to leave the preferable, but there is no prohibition in it. But even, such as talks much about what concerns him not is not safe from engaging in falsehood. Most people gather together to entertain themselves with talk, and their speech more often leads them to make fun of the honours of people, and engage in falsehood. The kinds of falsehood are limitless. For this reason, there is no way of salvation from it but to restrict one's speech to what concerns him of the affairs of his religion and world.

In this respect, there are words which ruin their sayer even though he regards them with slightness. It is narrated on the authority of Alqamah Ibn Waqqas that an honourable man came upon him, to whom he said: You are of such kinship as gives you a right (upon me to advise you): I've seen you visiting those chiefs and speak in their presence with what Allah wills you to speak. I heard Bilal Ibn Al-Harith Al-Muzani, the companion of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", having said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Anyone of you might say a statement on account of which Allah's Good Pleasure is acquired, even though he does not think how far it would reach, by which Allah Almighty will keep writing His Good Pleasure for him until the Day of Judgement; and anyone of you might say a statement, which draws Allah's Anger upon him, even though he does not think how far it would reach, by which Allah Almighty will keep writing His Anger for him until the Day he will meet Him." Alqamah further said to him: So, consider, mercy be upon you, what you say, and with which you speak. Perhaps, there are statements which I refrained from saying on account of what I heard from Bilal Ibn Al-Harith. (This narration is reported by Ibn Majah and At-Tirmidhi).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A man might utter a word with the intention to bring his sitters to laughter, because of its (evil) he falls down in the fire (of Hell) farther than stars (from the earth)." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Abu Hurairah). Abu Hurairah "Allah be pleased with him" said: "A man might utter a word carelessly, because of its (goodness) Allah raises him up to the highest portion of the Garden." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Such of people as shall have the greatest sins on the Day of Judgement are those who engage most in falsehood." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Qatadah).

In confirmation of that, Allah Almighty says: "What led you into Hell-Fire?"

They will say, "We were not of those who prayed; Nor were we of those who fed the indigent; But we used to talk vanities with vain talkers." (Al-Muddaththir 42-45)

﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

He Almighty further says: "Already has He sent you word in the Book, that when you hear the Signs of Allah held in defiance and ridicule, you are not to sit with them unless they turn to a different theme: if you did, you would be like them. For Allah will collect the Hypocrites and those who defy Faith, all in Hell." (An-Nisa' 140)

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾

According to Salman "Allah be pleased with him": "Those among the people who shall have the greatest number of sins on the Day of Judgement are those who talk most in disobedience of Allah Almighty." It is reported that Ibn Sirin said: A man belonging to the Ansar passed by one of their gatherings and say to the people: "Perform ablution, for some of what you say is worse than Hadath (breaking ablution through urinating, defecating, passing wind or making sound)."

This is the significance of engaging in falsehood, and it lies behind backbiting, talebearing, obscenity, which will be discussed later. It includes engagement in forbidden things already exists without no religious need. It also implies to talk about religious innovations and invalid opinions, and the fighting that broke between the companions of the Prophet in a way that leads to slandering some of them. All of that belongs to falsehood, and engagement in it is to engage in falsehood. We ask Allah Almighty to help us with His favor and bounty.

The Fourth Evil: Disputation And Argumentation

It is clearly forbidden. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Do not dispute with your brother, nor make fun of him, nor give him a promise and then break it." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Ibn Abbas). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Leave disputation, for its wisdom is beyond reason, and its temptation is not safe." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Abu Ad-Darda', Abu Umamah, Anas and Wathilah Ibn Al-Asqa'). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He who leaves argumentation although he is on the right, a house in the highest portion of the Garden will be built for him; and he who leaves disputation and he is on the false, a house in the middle portion of the Garden will be built for him." (This narration is reported by Abu Dawud on the authority of Abu Umamah).

It is narrated on the authority of Umm Salamah "Allah be pleased with her" that she said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"

said: "The first thing my Lord confided to me and forbade me to do after worshipping idols and drinking wine is the quarrel between men." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya, At-Tabarani and Al-Baihaqi). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "No people went astray after Allah Almighty had guided them except when they were given to argumentation." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Abu Umamah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said too: "No servant has his faith complete in truth unless he leaves argumentation even though he is on the right." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Abu Hurairah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Six characteristics cause one to attain the real nature of faith if they exist in him: to observe fast in summer, to strike the enemies of Allah with the sword, to hasten to offer prayer on the day of hard atmosphere, to keep patient over afflictions, to perform ablution perfectly at times one dislikes (to have water touch his body because of ailment or cold atmosphere), and to leave disputation even though he is true." (This narration is reported by Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Abu Malik Al-Ash'ari). Az-Zubair "Allah be pleased with him" said to his son: "Argue not the people with the Qur'an, for you could not do it, but you may do with the Prophetic sunnah." Umar Ibn Abd Al-Aziz "may Allah have mercy upon him" said: "He, who exposes his religion to disputes is forced to moves more often from one place to another."

Muslim Ibn Yasar said: "Beware of disputation for it is the time at which the learned is exposed to ignorance, and Satan seeks after his slip." It is said that no people went astray after they had been guided aright except by argumentation. Malik Ibn Anas "may Allah have mercy upon him" said: "Argumentation never belongs to religion." He further said: "Disputation hardens hearts and develops grudges." Luqman said to his son: "O my son! Argue not the learned lest they would hate you." Bilal Ibn Sa'd said: "If you see that a man is quarrelsome, argumentative and swollen with pride, know that his loss has been complete." Sufyan said: "If I disagree with my brother about a pomegranate which he describes as sweet and I as sore, I should be taken and brought before the ruler." He further said: "If you clarify the atmosphere with such of people as you like and then make him angry through disputation with him, then, he will throw you with a calamity that hinders you from living." According to Ibn Abu Laila: "I never dispute with my companion lest I would either give lie to him or cause him to become angry." According to Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him": "It suffices you for sin to remain argumentative."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A two-rak'ah prayer is necessary to make expiation for every quarrel." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Abu Umamah). Umar "Allah be pleased with him" said: "Do not learn knowledge for three things, and do not leave it for other three things: do not learn it therewith to dispute nor to vie in glory because of it, nor to be seen of men by it. Furthermore, do not

leave learning out of shyness of seeking after it, nor out of abstinence in it, nor out of pleasure with ignorance of it." Jesus "Peace be upon him" said: "He, who tells much lies causes his majesty to vanish, and he who quarrels men causes his gallantry to fall down, and he who has much concerns causes his body to be weak, and he who has bad manners throws himself into punishment." Maimun Ibn Muhran was asked: "Why do you not desert your brother?" he said: "Because I neither dispute with him nor quarrel him." However, the narrations about criticizing argumentation and disputation are beyond calculation.

The definition of disputation is to make objection to the other's speech through showing fault in it either in word or in meaning or in the intention of the speaker. If you leave such objection you shall have abandoned disputation. In case you listen to anything: if it is true, then give belief to it, and if it is false or untrue, but it does not pertain to the affairs of religion, then, keep silent of it. To slander the other's speech is to criticize either the words by showing such of defects and mistakes as they contain in terms of grammar, usage of language, and syntax. Regardless of the cause that lies behind such defect, there is no point to demonstrate it. It also might pertain to the meaning like saying: "The point is not as you say, and you have committed mistake in it from such and such viewpoints." As regards the mistake of intention, it is like your saying: "Although this statement is true, it is not truth which you intend thereby." If it occurs in a scientific matter, it is called argument, and it is also blameworthy. It is binding here to keep silent or at least ask for the purpose of getting benefit and not for rejection or refutation.

Argumentation is to silence the other, incapacitate and discredit him, through slandering his speech, and ascribing it to shortage and ignorance. Its portent is that you notify him to the truth from another perspective that is hateful in the sight of such as involved in the argumentation, and show him his mistake in a way that enables you to demonstrate your superiority to him. There is no salvation from that but to keep silent from all that which, if one stops from stating it, he will not become sinful.

The motive that lies behind that is to attain supremacy through demonstrating knowledge and superiority, and to attack others through demonstrating their shortcomings. Those are internal desires. The appetence of demonstrating superiority is to justify and give prestige to oneself, resulting from the claim for loftiness and majesty, and both are Divine and not human attributes. As for discrediting others, it ensues from the brutal nature, which is to tear, break and harm the others. Those characteristics are blameworthy and destructive without doubt. They get their power from both argumentation and disputation. Thus, whoever is engaged in argumentation and disputation regularly strengthens those destructive characteristics. This is not only undesirable, but it is sinful as long as it leads to harming the other. The argumentation could hardly be free from causing harm, irritating the anger and forcing the adversary to support his words as much as he could, no matter in truth or falsehood it might be, in attempt to disgrace his opponent, and of a surety, the result is that both adversaries fall in dispute just in the same way as fight breaks up between two dogs.

Its treatment is to break the arrogance which motivates him to demonstrate his superiority, and the brutality which motivates him to discredit the other; and this matter will be discussed later in more detail in the Book of Criticizing Arrogance and Haughtiness, and the Book of Criticizing Anger. To be sure, the remedy of each ailment is to remove its cause. The cause of both argumentation and disputation is the same as we have already mentioned. To be engage in it regularly turns it to be a custom and integral to disposition, and so on until it establishes itself deep in the soul and becomes difficult to leave it. It is narrated that Abu Hanifah said to Dawud At-Ta'i: "Why have you preferred to live in seclusion?" he said: "In order to mortify myself to leave argumentation." He said to him: "Attend the gatherings of knowledge, and listen to what is said, but do not speak." He did so and nothing was harder on him than this.

However, this is true for if one listens to a mistake from another and he has the power to disclose it, it is difficult on him not to do so. For this reason, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He who leaves argumentation although he is on the right, a house in the highest portion of the Garden will be built for him." This is due to its difficulty on the soul. This occurs more often in the matters that are subject to different religious beliefs and juristic schools. Disputation is integral to disposition, and if one thinks he will receive a reward for what he does, he will become keener on it, and both disposition and religious law will go hand in hand to support it; and of a surety, this is an evident mistake. Man has to withhold his tongue from the Muslims and if he sees a religious innovator, he should be kind in his counsel to him: he should advise him in privacy and not in public, and not by way of argumentation, for argumentation gives him the impression that it is only a trick for dissemblance, since argumentation is an art to be mastered by the debaters who belong to his own juristic school if they like; which gives continuance to the religious innovation.

But if one is sure that advice will be of no use, he should then engage in himself and leave him. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah's mercy be upon him who withholds his tongue from Muslims except in the best manner he could." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Hisham Ibn Urwah; and Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of A'ishah). Hisham Ibn Urwah said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to repeat this statement of him seven times (per day). If one gets accustomed to argumentation for a long time, because of which the people have praised him and he has attained power and acceptability among the people, those destructives shall become strong within himself in a way that it will become difficult on him to get rid of them, since the authority of anger, arrogance, haughtiness, showing off, love for majesty, and power of being superior to others will have gathered on him. As it is difficult to strive against anyone of those alone, what should it be if one is to strive against all at once?

The Fifth Evil: Dispute

It is also blameworthy. It stands behind argumentation and disputation. Disputation is to slander the other's speech through showing fault in it for no purpose other than discrediting him and showing one's superiority and intelligence. Argumentation is to demonstrate opinions and state them clearly. Dispute is to be contentiously quarrelsome in speech with the intention to take back one's due in full, either in the beginning or by objecting to previous speech. Disputation is to object to previous speech. A'ishah "Allah be pleased with her" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The most hateful of men in the Sight of Allah Almighty is the contentious quarrelsome." (This narration is reported by Al-Bukhari).

It is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He who argues in a dispute with no knowledge remains in the wrath of Allah until he retracts." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya). A man said: "Beware of dispute for it blights religion." It is said that no pious ever falls in dispute (with anyone) over religion." Ibn Qutaibah said: Once, Bishr Ibn Abdullah Ibn Abu Bakrah came upon me and said: "Why are you sitting here?" I said: "A litigation I have against one of my paternal cousins." On that he said: "Verily, I am under obligation to your father, and I like to reward you for his favor. By Allah, I have never seen anything which removes religion, decreases gallantry, wastes pleasure and diverts the heart than dispute." I stood up to turn away, thereupon my foe said to me: "What is the matter with you?" I said: "I shall not dispute with you." He said: "Then, you have come to know that the right is with me." I said: "No, but I like to refrain from that." He said: "I do not demand from you anything that is your right."

You may say: "If one has his right with another, he has to bring a lawsuit against him in order to take it back from his wrongdoer: how then should be his ruling? And how should litigation in this case be criticized?" In reply to that, let's say that such criticism includes him who disputes with falsehood and him who settles disputes without knowledge, like the judge's agent who settles the dispute before being certain of the party with which the right is. It also includes him who demands back his right but not fairly and reasonably in so much as querulously, for the purpose of harming and investing himself with authority over his opponent. It also implies him who mixes with litigation dispute words that are harmful although they are needless to support his right and claim. It includes him who makes his litigation over a small amount of money which he regards with slightness, and some of people states it clearly saying: "My intention is only to break his nose and if I take back that money from him, perhaps I may throw it into a well carelessly." The real intention of such is dispute, dissention and quarrel. It is blameworthy.

But the wronged who supports his claim by way of religious law, without contention, quarrel, obstinacy, or harm, his act is not unlawful, although it is

preferable for him to leave it as much as he finds a way to do so for it is difficult to adjust tongue so as not to go beyond the limit of litigation; and dispute always causes resentment, provokes anger, and once anger is provoked, the object of dispute itself will be forgotten, and only resentment and hatred remain prevalent to the extent that each rejoices at the misfortune of his foe, grieves because of his good luck, and unleashes his tongue to disgrace him. So, whoever takes the first move towards dispute has indeed exposed himself to the forbidden things, the least of which is to distract his mind so that in his prayer he is occupied by the way he has to argue his foe, and so on. Dissention then is the origin of every kind of evil; and the same is true of disputation and argumentation. Its gate should not be opened unless it is necessary, and at necessity, one should keep his tongue and heart from the evil consequences of such dissention. This, therefore, is very difficult.

So, one who restricts himself only to what is necessary his dispute will not be blameworthy, although it is preferable for him to leave it in case he could dispense with that over which he disputes. But if he does not leave it he will not be sinful. It is true that in the least, in dissention, argumentation and disputation, he loses the good speech, and their related reward. The least degree of good speech is to show approval. There is nothing in speech harsher than slandering and rejecting the words of the other, either by giving lie to him or by ascribing him to ignorance. Whoever argues, disputes or quarrels with another, he indeed has belied him, or rendered him ignorant, which causes him to lose the good speech.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It is the good speech and serving others with food that shall admit you to the Garden." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Jabir). Allah Almighty says: "speak fair to the people."

Ibn Abbas "Allah be pleased with him" said: "If anyone salutes you with peace, return salutation to him even if he is a Magian, for Allah Almighty says: "When a (courteous) greeting is offered you, meet it with a greeting still more courteous, or (at least) of equal courtesy. Allah takes careful account of all things." (An-Nisa' 86)

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾

Ibn Abbas "Allah be pleased with him" further said: "If even Pharaoh says good to me, I shall reply to him (with similar good)." Anas "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "In the Garden there are mansions which (are so much transparent that) their outward is seen from its inward, and its inward from this outward, prepared by Allah Almighty for him who serves food (to the needy) and talks with kindness." (This narration is reported by At-Tirmidhi).

It is reported that once a pig passed by Jesus "Peace be upon him" thereupon he said: "Pass by peacefully!" it was said to him: "O Spirit of Allah! Do you say so to a pig?" he said: "I dislike to habituate my tongue to speak with evil." The

Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The good word is (an object of) charity." (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Safeguard yourselves from the fire (of Hell) even with half a date (to give in charity), and if you could not find, then, with a good word (to say)." (This narration is reported by both Al-Bukhari and Muslim on the authority of Adi Ibn Hatim).

Umar "Allah be pleased with him" said: "Righteousness is easy: a cheerful countenance and a good and kind word." A wise man said: "The kind words wash off the grudges that are lurking in the organs." Another sage said: "Do not withhold such of words as do not provoke the anger of your Lord therewith you please your sitter, perchance you shall be recompensed with the reward of the doers of good."

This is the superiority of the good words, in opposition to disputation, argumentation and litigation, which imply the hateful odious and loathsome words, which harm the heart, embitter the living, provoke the anger, and cause resentment. We ask Allah to help us with His favor and bounty.

The Sixth Evil: Loud-Mouthing

It is to make utterances from both corners of one's mouth, be ostentatious in using much rhymes and eloquent words, and flamboyant in bringing prologues and rhapsodies: all of this is out of hateful ostentation and hateful pretention, in connection with which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I and the pious among my people are disassociated from ostentation." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Those who are the most hateful to me, that will have their seats the farthest from mine (on the Day of Judgement) are chatterers, loudmouths and ranters." They said: "O Messenger of Allah! Who are ranters?" he "peace be upon him" said: "They are the arrogant. "(This narration is reported by Ahmad on the authority of Abu Tha'labah; and At-Tirmidhi on the authority of Jabir).

It is narrated on the authority of Fatimah "Allah be pleased with her" that she said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The worst of my nation are those who are provided with blessing: they eat the various kinds of food, wear the various kinds of clothes, and prove loudmouthed in their speech." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya and Al-Baihaqi). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said thrice: "Behold! Let such as involved in (saying and doing what is beyond the reason, and exceeding the due limits) be ruined!" (This narration is reported by Abu Dawud on the authority of Ibn Mas'ud). According to Umar "Allah be pleased with him": "Splitting of words results from the splitting of Satan." It is reported on the authority of Amir Ibn Sa'd Ibn Abu Waqqas that once he came to his father Sa'd to ask him for some need, and he sent forward for his need with an introduction, thereupon Sa'd "Allah be pleased with him" said to him: "You have never been farther from

your need than you are today. No doubt, I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" having said: "A time will come upon my people in which they will make spaces between their words with their tongues in the same way as a cow makes spaces between grass with its tongue."" (This narration is reported by Ahmad). He seemed to have disapproved of the rhapsody and ostentatious introduction he sent forward for his speech.

This belongs to the evils of tongue, which include also all pretentious rhyme and seeking eloquence that is beyond the customary habit; and the same is true of the usage of pretentious rhyme in dialogues. Abu Hurairah "Allah be pleased with him" narrated: Two women from Hudhail fought with each other, one of whom threw the other with a stone that killed her and what was in her womb. They (i.e. the relatives of the killer and the relatives of the victim) filed their case to The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" who judged that the blood-money for the fetus was a slave or a slave girl, and the blood-money for the killed woman was to be paid by the killer's family. He made her son and those with him her heirs. Hamal Ibn An-Nabighah Al-Hudhali said: "O Messenger of Allah! Why should I pay blood money for one who neither drank, nor ate, nor spoke, nor cried (after miscarriage by which it would be known that he died after he was alive). It is like a nonentity (which deserves no blood-money)." Allah's Apostle "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He seems to be one of the brothers of soothsayers in view of the rhymed speech he composed." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim).

He seemed to have disapproved of that due to the evident traces of ostentation on the speech. One should limit his expression to his intention, and the intention of every kind of speech is to make his purpose understandable, and what is beyond that is out of blameworthy ostentation and pretention. But embellishing the words of discourse without hyperbole does not belong to such blameworthy kind. That is because the purpose there from is to move hearts and cause them to have longing for something, to make them rejoice or grieve; and the smoothness of word plays a great role in that respect, which makes it fitting for that, unlike the dialogues which aim at fulfilling needs and demanding back rights: ostentatious rhymes, declamation and ranting are not fitting for them. To engage in it is out of blameworthy ostentation, and nothing motivates it other than showing off, and demonstrating the faculties of rhetoric and eloquence. All of that is hateful and deterred by religious law.

The Seventh Evil: Shamelessness And Foul Language

It is blameworthy and forbidden, and it originates from wickedness and baseness. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Beware of obscenity for Allah Almighty never likes obscenity or using foul language." (This narration is reported by An-Nasa'i and Al-Hakim on the authority of Abdullah Ibn Amr; and Ibn Hibban on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"

forbade that the polytheists who were killed in the holy battle of Badr be insulted and said: "Nothing of what you say would reach them, and you do but harm the living. Behold! The foul language is out of sordidness." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Muhammad Ibn Ali Al-Baqir).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The faithful believer never slanders (others) nor curses, nor uses foul language, nor is he naughty in speech." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Ibn Mas'ud). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The garden is forbidden to every shameless in speech." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya and Abu Na'im on the authority of Abdullah Ibn Amr). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Four things harm the denizens of the fire besides the harm they receive and cause them to walk between boiling water and Hell, and supplicate with woes and destruction: a man from whose mouth pus and blood flow, thereupon it will be said to him: "What is the matter with the farthest (from Allah's mercy) have harmed us besides the harm we are receiving?" he will say: "The farthest used to pick up every slanderous vile word and take pleasure from it in the same way as one takes pleasure from sexual intercourse." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Shafayy Ibn Mani').

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to A'ishah "Allah be pleased with her": "O A'ishah! Had obscenity been a man, he would have been an evil man." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of A'ishah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Both vulgarity and articulate exposition are among the branches of hypocrisy." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Al-Hakim on the authority of Abu Umamah). He seemed to have meant the disclosure of such of things as it is impermissible to be disclosed, or exaggeration of clarification until it becomes ostentatious, or exposition in the religious matters pertinent to the attributes of Allah Almighty, which should be dictated to the laymen in brief more than in detail, for the details might arouse suspicions whereas briefness causes hearts to have faith in them in general. But the context of vulgarity here gives the impression that what is intended is such of things as it is shameless to be exposed. It is preferable to over look and not to clarify them.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, Allah Almighty never likes the shameless whose language is foul, who cries in markets." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Jabir). It is narrated on the authority of Jabir Ibn Samurah "Allah be pleased with him" that he said: I was sitting in the presence of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and my father was in front of me when he (the Prophet) said: "Certainly, using foul language and shamelessness never belong to Islam; and the one whose Islam is the best among the people is

he who has the best manners among them." (This narration is reported by Ahmad and Ibn Abu Ad-Dunya). According to Ibrahim Ibn Maisarah: "It is said that the shameless whose language is foul will be brought on the Day of Judgement in the form of, or inside a dog." Al-Ahnaf Ibn Qais said: "Should I not tell you about the most chronic among the diseases? The vulgar tongue and base character."

This is the criticism of shamelessness. It definition is to express of shameless things with the help of clear words. Most of this occurs in the words of sexual intercourse and its related affairs. The mischievous have clear words expressive of it directly, which they use in reference to it, unlike the righteous, who avoid using those, and rather refer to the matter indirectly and implicitly. Ibn Abbas "Allah be pleased with him" said: "No doubt, Allah Almighty adheres to shyness and generosity, and He always pardons and makes allusions (in direct reference to things): He refers to sexual intercourse with contact, and so on." Contact, touch, companionship and consummation are references to sexual intercourse, and they are not shameless. On the other hand, there are shameless phrases whose mention is odious, and they are used most frequently in insulting and abusing. They are unequal in vulgarity, and some of them are more vulgar than others, and the difference thereof is determined by the difference of the habits and customs of the different countries. As well as the least of them is undesirable, the utmost is forbidden, and in between them there are degrees, some of which are forbidden and others are only desirable.

Therefore, it implies not only sexual intercourse, but also the words that refer to urination and defecation; and it is preferable to refer to those with the answer of the call of nature. That is because those are among the things to be done in secrecy, and one feels shy of making a mention of all that is done in secrecy with clear and evident words, for it is out of shamelessness. It is also favorable to refer to women indirectly. For example, one should not say: "Your wife has said so and so", but rather: "It has been said in the chamber, or from behind the screen, or the mother of children has said so and so." It is praiseworthy to be subtle in using those words for clear usage of them leads to shamelessness. The same is true of such of people as has defects of which he feels shy. He has not to express of them with clear words, like leprosy, baldness and piles, for clear expression of such things belongs to shamelessness. All of those are among the evils of tongue. Al-Ala' Ibn Harun said: "Umar Ibn Abd Al-Aziz used to be diffident in his speech. Once, he had an ulcer under his armpits, and we came to him to ask him about it, with the intention to know how he would express of it. We asked him: "From where has it come out?" he said: "From the inside of the hand."

As for the motive of shamelessness, it might be meant to cause harm to others, or it might be caused by a habit acquired from mixing with the shameless, wicked and sordid among the people, who are recognized for their abuses and insults. It is reported that a Bedouin said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Give me advice." He said: "I advise you to fear Allah Almighty ; and if a man disgraces you with any defect he knows about

you, do not disgrace him with any defect you know about him, perchance the evil consequence of his (disgracing) would be drawn upon him, and the reward of it would be for you." He said: "Afterwards, I have never insulted anything." (This narration is reported by Ahmad and At-Tabarani on the authority of Jabir Ibn Sulaim). It is narrated on the authority of Iyad Ibn Himar that he said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Messenger of Allah! It happens that a man of my people insults me: is there any harm on me to repel his abuses?" on that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Both men involved in abusing each other are two devils who exchange lies and abuses." (This narration is reported by Abu Dawud).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "To abuse a faithful believer is wickedness, and fighting him is disbelief." (This narration is reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of Ibn Mas'ud). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "If two are involved in abusing each other, the sin of that is on the one who abuses first until the wronged transgresses the due limits (of reply)." (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Curse be he who abuses his parents." (This narration is reported by Ahmad, At-Tabarani and Abu Ya'li on the authority of Ibn Abbas). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said according to another narration: "One of the greatest major sins is to abuse one's parents." They asked: "O Messenger of Allah! How should a man abuse his parents?" he said: "He abuses the father o another, who, in turn, abuses his (the former's) father." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Abdullah Ibn Amr).

The Eighth Evil: Cursing

One might curse an animal, a non-living being or a man; and all of this is blameworthy. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The faithful believer is not he who always sends curses." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Ibn Umar). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Curse not each other by the curse of Allah, nor by His anger nor by Hell." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Abu Dawud on the authority of Samurah Ibn Jundub). Hudhaifah "Allah be pleased with him" said: "No people curse each other but that the sentence (of punishment) has become due upon them."

Imran Ibn Hussain "Allah be pleased with him" reported: We were in the company of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in some of his journeys, and there was a woman from the Ansar riding a she-camel which shied with the result that she invoked curse upon it. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" heard her and said: "Unload it and set it free for it is accursed." Imran said: It is as if I am seeing it walking amongst people and none paying any heed to it. (This narration is reported by

Muslim). According to Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him": "None curses the earth but that it says: "May Allah curse such of us as is more disobedient to Allah Almighty."

It is narrated on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that she said: Once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" heard Abu Bakr "Allah be pleased with him" cursing one of his slaves, thereupon he turned to him and said: "O Abu Bakr! How should one be a sincere lover of truth and a curser simultaneously? No, by the Lord of the Ka'bah!" he said it twice or thrice. (This narration is reported on the authority of Ibn Abu Ad-Dunya). On that day Abu Bakr "Allah be pleased with him" emancipated his slave, and went to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "I shall never do it once again."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "By no means shall cursers be intercessors or witnesses on the Day of Judgement." (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Ad-Darda'). It is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: A man was proceeding on a camel in the company of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" when he cursed his camel. On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "O slave of Allah! Do not proceed in our company on an accursed camel." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya). He said it to him out of disapproval of his cursing his camel.

To curse is to drive away and avert far from the mercy of Allah Almighty; and this is impermissible but for him who has a quality that keeps him away from the mercy of Allah Almighty, like disbelief and injustice, saying: "Behold! Let Allah's curse be upon the wrongdoers or on the disbelievers." One should abide in it by the words stipulated in religious law, for the curse is of great danger because in it one judges that Allah Almighty has driven away the accursed from His mercy, and this belongs to the unseen which none knows but Allah Almighty, and the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" since Allah Almighty made it known to him.

Cursing is required by three qualities: disbelief, religious innovation and wickedness. Cursing in each of those has three levels: The first is to curse by the general description, like your saying: "Allah's curse be upon the disbelievers, the religious innovators and the wicked." The second is to limit the curse to a particular quality, like your saying: "Allah's' curse be upon the Jews, Christians, Magians, Qadarites (Anti-Fatalists), Khawarij, Rafidites, adulterers, devourers of usury and wrongdoers. To curse all of those is impermissible, but a great risk lies in cursing the religious innovators, for the knowledge of a religious innovation is abstruse, and no clear word is reported in connection with cursing it. For this reason, the laymen should be prevented from it for it summons reply with the like of it, which leads to disputes and mischief among the people.

The third is to curse a particular person in which a great danger lies, like your saying: "Zaid was cursed by Allah Almighty; and he is a disbeliever, a wicked and

a religious innovator." However, it is permissible to send curse upon everyone proven to be cursed under law, like: "Pharaoh was cursed by Allah; and Abu Jahl was cursed by Allah", for those were proven to have died as disbelievers as known from law. But if you are to affirm Allah's curse to a particular person, say a Jew, belonging to our time, it has a great risk, for it might embrace Islam, and die while being near to Allah Almighty: how then should he be judged to be accursed?

But you may say that he is cursed for being a duly disbeliever, just as one says about a Muslim: "May Allah have mercy upon him" for his being a duly Muslim, who might possibly renegade as apostate, it should be known to you that when we say "May Allah bestow mercy upon him", we supplicate Allah to make him firm on Islam and obedience to Him, which is the cause of such mercy, and it could not be required that Allah should make a disbeliever firm on disobedience and disbelief which is the cause of curse. It is impossible, for it is to ask for disbelief although one is already in disbelief. But it is permissible to say: "Allah's curse be upon so and so if he died as a disbeliever, and Allah's curse be not on him if he died as a Muslim." This matter belongs to the unseen which is beyond perception; and the absolute cursor wavers between both.

This is why a great danger lies in cursing certain persons, for they turn from one state to another, except for him whose matter was made known to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". He sent curse upon a particular people in his invocation of evil against Quraish saying "O Allah! Send Your curse upon Abu Jahl Ibn Hisham, Utbah Ibn Rabie'ah..." and made a mention of a group of pagans who were killed as disbelievers (according to the narration of both sheikhs on the authority of Ibn Mas'ud). But in another context, he cursed some people whose end was unknown to him, thereupon he was forbidden by Allah. It is narrated that he cursed for a month those who killed the companions of Bir Ma'unah, but Allah Almighty revealed: "Not for you, (but for Allah), is the decision: whether He turn in Mercy to them, or punish them; for they are indeed wrong-doers." (Al Imran 128)

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾

(This narration is reported by both sheikhs on the authority of Anas). He means that they might possibly become Muslims, so, how should you know that they are accursed?

Similarly, it is permissible to curse such of people as proven to have died as disbelievers so long as it causes no harm to a Muslim. In this respect, it is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" asked Abu Bakr "Allah be pleased with him" about a grave he came upon on his way to Ta'if, and he said: "This is the grave of one who was disobedient and rebellious against Allah and His Messenger, i.e. Sa'id Ibn Al-As." His son Amr grew angry and said: "O Messenger of Allah! This is the grave of a man who used to serve food (to the needy) and strike the heads (of the enemies) more than Abu

Quhafah did." Abu Bakr "Allah be pleased with him" said: "Is it fitting for such a person to address me with the like of those words O Messenger of Allah?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "Stop from Abu Bakr." He turned away and the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" faced Abu Bakr and said: "O Abu Bakr! When you make a mention of disbeliever, let it be general, for if you make it particular (to certain persons), the sons would grow angry in fervor for their fathers." The people then stopped from that. (This narration is reported by Abu Dawud on the authority of Ali Ibn Rabie'ah).

It is narrated that Nu'aiman drank wine many times and was brought to have the legal punishment executed on him during the lifetime of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", thereupon one of the companions said: "May Allah curse him! He often is brought for legal punishment to be implemented on him." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Do not be in the aid of Satan against your brother." (This narration is reported by Ibn Abd Al-Barr on the authority of Muhammad Ibn Amr Ibn Hazm). He said according to another version: "Do not say so, for by Allah, I do not know but that he loves Allah and His Messenger." Thus, he forbade them in an indication to the fact that it is impermissible to curse a particular wicked in name.

In brief, there is a great danger in cursing individual, so, one should not cease to do it. Moreover, it is permissible to keep silent from cursing Iblis and anyone else in particular. But it may be asked: "Is it permissible to curse Yazid for he fought or at least commanded to fight with Al-Hussain "Allah be pleased with him"?" in reply, let's say that as it is not certainly proven that he killed him or commanded that he be killed, then, it is impermissible to curse him. This is because it is impermissible to ascribe a Muslim to a major sin without verification. But it is permissible to say that Ibn Miljam killed Ali "Allah be pleased with him" and Abu Lu'lu'ah killed Umar "Allah be pleased with him" for both cases have been proven through contiguous narrations.

But in general, it is impermissible to make a charge against a Muslim with wickedness or disbelief without verification. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No man makes a charge against a man with disbelief or wickedness but that the charge returns to him unless he (the charged) is so." (This narration is reported by both Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Dharr). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "No man witnesses to the disbelief of another but that it should be incurred upon one of them: if he is really a disbeliever, then, he will be the same as described, otherwise, the charger then will become a disbeliever by ascribing the other to disbelief." (This narration is reported by Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Abu Sa'id).

This implies him who renders another as disbeliever although he knows that he is a Muslim. But in case he ascribes him to disbelief depending upon a religious innovation or heresy, he will be mistaken and not a disbeliever. It is

narrated on the authority of Mu'adh "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to me: "I forbid you to insult a Muslim or disobey a just ruler, and it is more severe to abuse the dead." (This narration is reported by Abu Na'im). Masruq "may Allah have mercy upon him" said: I entered upon A'ishah "Allah be pleased with her" and she asked me: "What is the state of so and so, may Allah curse him?" I said: "He died." She said: "may Allah have mercy upon him." I asked her: "How should (both curse and mercy) be combined together?" she said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Insult not the dead for they have come to what they had sent forward." (This narration is reported by Al-Bukhari).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Do not insult the dead therewith you might cause harm to the living." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Al-Mughirah Ibn Shu'bah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "O people! Observe my (right on you) in my companions, brothers and relatives, and do not insult them. O people! When one dies, remember but good about him." (This narration is reported by Abu Mansur on the authority of Iyad Al-Ansari).

But even, if it is asked: "Is it permissible to say 'Allah may curse the killer of Al-Hussain or the one who ordered that he be killed'?" The right is to say that if the killer of Al-Hussain died before repentance, Allah Almighty will curse him. However, he might possibly have died after repentance like Wahshi who killed Hamzah, "Allah be pleased with him", the paternal uncle of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and when he killed him he (Wahshi) was a disbeliever, and later on he repented, gave up disbelief and rather embraced Islam, and Thus, it is impermissible to curse him. It is true that killing is a major sin, but the killer does not become a disbeliever by doing it. More even, if he does not repent and continues on his state, there is a danger in cursing him, although no danger lies in keeping silent from doing so, let alone its being preferable.

The people indulge in the matter of cursing in which they unleash their tongues, although the faithful believer should not be an invoker of curse. He should not unleash his tongue to curse but him who died as a disbeliever, or particular types in general famous for disbelief (like Khawarij, Rafidites, etc) and not particular persons, otherwise, it is preferable to engage in the celebration of Allah Almighty, otherwise, safety lies in keeping silent. Makki Ibn Ibrahim said: We were sitting in the house of Ibn Awn and they made a mention of Bilal Ibn Abu Burdah, and went on cursing him and speaking bad about him, while Ibn Awn was silent. They said: "O Ibn Awn! We curse him for his abuses against you." Ibn Awn said: "Only two words shall come out of my account on the Day of Judgment: 'There is none worthy of worship except Allah' and 'May Allah curse so and so'; and it is dearer to me to have 'There is none worthy of worship except Allah' than 'May Allah curse so and so'."

It is narrated that a man said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and

peace be upon him": "Advise me." He said: "I advise you not to be an invoker of curses." (This narration is reported by Ahmad and At-Tabarani on the authority of Jurmuz Al-Hujaimi). According to Ibn Umar "Allah be pleased with him": "The most hateful in the Sight of Allah Almighty is every slanderer and invoker of curses." According to Hammad Ibn Zaid: "Cursing a believer is equal to killing him." Then he commented: "I do bear the responsibility of saying that this narration is Marfu'." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Thabit Ibn Ad-Dahhak). It is narrated on the authority of Abu Qatadah that he said: He (the Prophet) used to say: "Cursing a believer is like killing him."

Close to cursing is to invoke evil against a man, even if he is a wrongdoer, like saying: "May Allah damage his body or May Allah not keep him safe" etc. all of this is blameworthy. According to a certain tradition: "A wronged continue to invoke evil against his wrongdoer until he rewards him (because of his invocation), and there remains for the wrongdoer a surplus to demand back from him on the Day of Judgement."

The Ninth Evil: Singing And Poetry

In the Book of singing, we have mentioned the unlawful and lawful kinds of singing, and we shall not repeat it here. Concerning poetry, it consists of words, and the good thereof is good and the bad thereof is bad. But it is blameworthy to devote oneself wholeheartedly to it. It is narrated on the authority of Sa'd "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It is better for anyone of you that his belly be stuffed with pus which might eat away than to have his mind stuffed with poetry." (This narration is reported by Muslim). It is reported that Masruq "may Allah have mercy upon him" was asked about a poetic verse which he disliked. When he was asked about the reason for that he said: "I dislike to have even a single poetic verse in my account." One of the righteous was asked about some poetry, thereupon he said: " I replace it with the celebration (of Allah) for it is better than it."

In brief, to recite and compose poetry in itself is not unlawful as long as it contains nothing odious. In this respect, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, wisdom lies in some of the poetry." It is true that the main purpose of poetry is eulogy, satire or rhapsody, which might mix with lies and untrue speech. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" commanded Hassan Ibn Thabit Al-Ansari "Allah be pleased with him" to lampoon the disbelievers and praise extensively (the faithful believers). (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Al-Bara': "Lampoon the pagans and the Holy Spirit (Gabriel) is with you). Although it contains lies, it is not subject to the same ruling of telling lies.

Consider the following poetic verse: "Even were he to have but his spirit at his hand, he would have spent it (out of generosity), so, let him fear Allah who

asks him for anything." This is no more than to ascribe one to the utmost limit of openhandedness: if the described is not generous, the sayer will be a liar, and if he is generous, then, exaggeration here is required by the art of poetry, by which it is not intended to have the listener and receiver believe in its real form. Some poetic verses were recited in front of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" containing the like of that, but he did not cease to listen to them.

In that respect, it is narrated on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that she said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was stitching his sandal and I was spinning beside him I cast glance of him and behold! his forehead, of a sudden, sweated and light came out of his sweat. I was confounded, and when he turned his face to me he said: "What is wrong with You A'ishah that you have been confounded?" I said: "O Messenger of Allah! I looked at you and behold! Your forehead sweated and light came out of your sweat; and had Abu Kabir Al-Hudhali seen you, he would have known that you are more deserving of his poetry." He asked: "What does Abu Kabir Al-Hudhali saying O A'ishah?" I said: "He says: "How pure you are from the filth of menses, the pollution of suckling, and the evil of disease. If you cast a glance of his countenance, it would sparkle like the lightning of the cloud which portends approaching rain."" On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" put down what was in his hand and stood towards me and kissed in between my eyes and said: "May Allah reward you O A'ishah! I have never been pleased with you more than I am today." (This narration is reported by Al-Baihaqi in his Dala'il An-Nubuwwah).

When the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" distributed the spoils on the day of the holy battle of Hunain, he commanded that Al-Abbas Ibn Mirdas be given four camels. (out of anger) he composed the following poetic verses: "In no way were Badr (Uyainah's grandfather) nor Habis (Al-Aqra's father) to have priority to Mirdas in a gathering; and in no way was I to be inferior than any of them. and whomever you lower today shall never been raised in the future." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Keep his tongue from me." Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" took him and made him choose one hundred camels, and when he returned he was the most contented among the people. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "Do you say poetry against me?" he apologized to him saying: "I feel the creeping of poetry on my tongue like the creeping of ants on the ground, and it bites me in the same way as ants do to the extent that I find no way but to say poetry." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" smiled and said: "Arabs will never leave poetry until camels leave propensity." (This narration is reported by Muslim).

The Tenth Evil: Joking

It is blameworthy and forbidden in its nature, barring a little to be excepted from it. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said:

"Do not dispute with your brother nor joke with him." (This narration is reported by At-Tirmidhi). But you may say: "Disputation causes harm since it implies to give lie to one's brother or ascribe him to ignorance, unlike joking which is to please one's brother: why should it be forbidden?" in reply to that, it should be known to you that it is forbidden to be excessive or regular in doing it. As for regularity, it is forbidden to engage in playing and jesting wholeheartedly. Although playing in its nature is permissible, it is blameworthy to be regular on it. Furthermore, to be excessive in it leads to much laughter, which causes heart to die, develops resentment in some cases, and removes reverence and respect. But what is free from all of those is not blameworthy.

In confirmation of that, it is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I sometimes joke and say but what is true." The like of him could hardly achieve the same equation, i.e. to joke and say only the truth. If somebody else opens the gate of joking, his purpose will be to cause the people to laugh However, it seems to him to do. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A man might utter a word with the intention to bring his sitters to laughter, because of its (evil) he falls down in the fire (of Hell) farther than stars (from the earth)." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Abu Hurairah). According to Umar "Allah be pleased with him": "He, who laughs much, becomes less respectable, and he who jokes is regarded slightly, and he who does a thing so much is recognized for it, and he who speaks much commits much mistakes, and he who commits much mistakes becomes less shy, and he, who is less shy becomes less pious, and he who is less pious causes his heart to die."

Of a surety, laughter indicates to the heedlessness of the hereafter. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Were you to know that I know you would weep much and laugh little." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Anas and A'ishah). A man said to his brother: "O my brother! Has the news reached you that you should inevitably enter the fire (of Hell)?" he answered in the affirmative. He further asked him: "Then, has the news reached you that you shall come out of it?" he answered in the negative, thereupon he said: "Then, why do you laugh much?" afterwards, he was never seen laughing until he died. According to Yusuf Ibn Asbat: "Al-Hassan remained thirty years during which he never laughed." Ata' As-Sulami was said to have remained forty years during which he never laughed.

Once, Wuhaib Al-Wurd looked at a people and found them laughing in Id Al-Fitr, thereupon he said: "If it has been forgiven for those, then, their behavior is not the one of the thankful; and if it has not been forgiven for them, then, their behavior is not the one of the fearful (of Allah Almighty)." Abdullah Ibn Abu Ya'li used to say: "Do you laugh although (death might have approached you that) your shroud has been brought out from the tailor?" according to Ibn Abbas "Allah be pleased with him": "He who commits a sin while laughing will enter the fire (of Hell) while weeping." Muhammad Ibn Wasi' said: "When you see a man

weeping in the Garden, would you not wonder at his weeping?" It was said: "Yes." On that he said: "He who laughs in the world without knowing his destiny in the hereafter is more astonishing."

This is the evil of laughter. It is blameworthy to laugh so deeply and noisily, but only smile is praiseworthy, in which the teeth are uncovered but with no voice to be heard. This was the way the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to laugh. It is narrated on the authority of Al-Qasim, the freed slave of Mu'awiyah that he said: A Bedouin came on a rebellious camel to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and paid salutation. Whenever he tried to come close to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" to ask him, his camel fled away with him, and the companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" laughed at him. After he had done so many times the camel dropped him and he got broken and died. It was said: "O Messenger of Allah! The Bedouin has been dropped and ruined by his camel." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Yes and your mouths (which were laughing) are filled with his blood." (This narration is reported by Ibn Al-Mubarak).

In confirmation of the fact that joking might remove respect, Umar "Allah be pleased with him" said: "He who jokes is regarded slightly." Muhammad Ibn Al-Munkadir said: My mother said to me: "O my son! Joke not with children lest you would be trivial in their sight." Sa'id Ibn Al-As said to his son: "O my son! Joke not with a dignitary lest he would rancor you, nor the lowly lest he would dare to talk to you rudely." According to Umar Ibn Abd Al-Aziz "may Allah have mercy upon him": "Fear Allah and avoid joking for it summons resentment and leads to what is odious. Speak with the Qur'an and make it the object of your gatherings, and if this is heavy on you, then, let it be with a good speech from those of men." Umar "Allah be pleased with him" said: "Do you know why joking is called Mizah (remover)?" they answered in the negative thereupon he said: "For it removes the joker from the truth." It is said that everything has seeds, and the seeds of enmity lie in mockery. It is also said that joking is to steal mind, cut off friends and companions.

But you may say: "Since the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and his companions are reported to have been involved in joking, how should it be forbidden?" in reply to that, let me say that if you have the power to do the same as the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and his companions did, i.e. to joke and not say but the truth, nor harm a heart, nor indulge in it, then, there will be no harm on you. But it is a great mistake that a man takes joking a profession to do regularly, and indulge in it, and then adhere to the practice of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and his companions.

His example is like him who engages his day with the negroes, watching their dance and viewing their plays, under pretext that he adheres to the practice of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" who authorized

A'ishah "Allah be pleased with her" to watch their show on the day of Id. It is a mistake. Some minor sins turn to be major sins as a result of persisting in them, as well as some permissible things turn to be minor sins as a result of insistence on doing them regularly. So, this fact should be cared for.

But it is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: They said: "O Messenger of Allah! Verily, you sometimes have fun with us." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Yes, although I sometimes make fun with you, I do not say but what is true." (This narration is reported by At-Tirmidhi). It is narrated on the authority of Ata' that he said: A man asked Ibn Abbas "Allah be pleased with him": "Did the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" use to joke?" he answered in the affirmative. He further asked: ""Then, what was his joking?" he said: "Once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" dressed one of his wives in a large dress thereupon he said to her: "Wear it, praise (Allah) and drag there from a tail like a bridegroom's tail."" It is further narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: "Verily, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was from among the people the most joking with his wives." It is further reported that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to smile so often.

It is narrated on the authority of Al-Hassan that he said: An old woman came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" who said to her: "No old woman (or man) should enter the Garden." She wept thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to her: "At that time, you will not be old. Allah Almighty says: "Indeed, We have produced the women of Paradise in a [new] creation And made them virgins, Devoted [to their husbands] and of equal age," (Al-Waqi'ah 35-37)

﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾

(This narration is reported by At-Tirmidhi; and Ibn Al-Jawzi on the authority of Anas).

It is narrated on the authority of Zaid Ibn Aslam that he said: A woman called Umm Ayman came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "My husband invites you." He said: "Who is your husband? Is he in whose eye there is whiteness?" she said: "No, by Allah, there is no whiteness in his eye." He said: "Nay! There is whiteness in his eye." She said: "No, by Allah!" on that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There is no man but that there is whiteness in his eye." Of a surety, he means the whiteness surrounding the eyeball. (This narration is reported by Az-Zubair Ibn Bakkar; and Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Ubaidah Ibn Sahm Al-Fihri with a slight variation in wording).

It is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that a woman came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "O Messenger of Allah! Give me a riding mount!" the Messenger of

Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "You should be carried on such as born by a she-camel." The woman asked: "What should I do with such as born by a she-camel (since it is too young to carry me)?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Are all the camels but the offspring of she-camels?" (This narration is reported by Abu Dawud).

It is narrated by Anas "Allah be pleased with him" that he said: Abu Talhah "Allah be pleased with him" had a child called Abu Umair and whenever the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" came to visit them he would say to him (by way of joking): "O Abu Umair! What has happened to An-Nughair?" (He refers to a nightingale he had with which he used to play). (This narration is reported by both sheikhs). It is narrated on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that she said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" took part in a race with me, and I preceded him. When put on flesh and we were engaged in a race once again he preceded me and then said: "this is in return for that." (This narration is reported by An-Nasa'i and Ibn Majah).

It is further narrated on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that she said: Once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was in my house and Sawdah Bint Zam'ah was with him. I prepared food and brought it to them and asked Sawdah to eat thereof. She said: "I do not like it." I said: "By Allah, you should eat it otherwise I would stain your face with it." She said: "I am not going to taste it." I took with my hands something from the bowl with which I stained her face and the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was sitting between us. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" lowered his knees for her to exact retribution from me, and then she took something from the bowl and stained my face with it, while the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was laughing. (This narration is reported by Az-Zubair Ibn Bakkar and Abu Ya'li).

It is narrated that Ad-Dahhak Ibn Sufyan Al-Kilabi said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "I have two wives who are prettier than this red-complexioned (A'ishah, and this was before the Holy Verse of veiling was revealed): should I not give up anyone of them for you to marry?" at the same time, A'ishah "Allah be pleased with her" was sitting and hearing. She asked him: "Who is more beautiful: she or you?" he said: "No, I am prettier and more generous than her." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" laughed at her asking him for he was ugly. (This narration is reported by Az-Zubair Ibn Bakkar on the authority of Abdullah Ibn Hassan).

It is narrated on the authority of Alqamah from Abu Salamah "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to move his tongue to Al-Hassan Ibn Ali "Allah be pleased with them" who, on seeing it, would rejoice so much. When Uyainah Ibn Badr Al-Fazari saw that he said: "By Allah! My son might grow old and marry and I have never kissed him." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No doubt, he who does not show mercy (to

others), would not receive mercy (from Allah Almighty)." (This narration is reported by Abu Ya'li on the authority of Abu Hurairah).

Most of those pleasing funs are transmitted from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" with women and children, in which he dealt with their weak hearts, but without inclination to excessive joking. Once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Suhaib "Allah be pleased with him" who was sore-eyed and he was eating dates: "Are you eating dates although you are sore-eyed?" on that he said: "I am eating with the other side O Messenger of Allah." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" smiled. (This narration is reported by Ibn Majah and Al-Hakim on the authority of Suhaib).

Once, Khawat Ibn Jubair Al-Ansari was sitting with some women from Banu Ka'b on the way to Mecca when the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" appeared to him and asked him: "O Abu Abdullah! What is the matter with you that you are sitting with women?" I said: "They are twisting a nose-string for an errant camel belong to me." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" then left for his need and when he returned he said: "O Abu Abdullah! Has this camel not ceased to run away yet?" I kept silent and felt shy of him and afterwards I used to flee from him whenever I saw him out of shyness of him until I arrived in Medina. When I arrived in Medina he saw me in the mosque praying; and when I prolonged the prayer he said to me: "Do not prolong the prayer for I am waiting you." When I concluded with the end salutation he asked me: "O Abu Abdullah! Has this camel not ceased to run away yet?" I kept silent and felt shy of him. He then stood and left and afterwards I used to flee from him whenever I saw him out of shyness of him until one day he caught me up on his donkey and he was placing his feet in one side. He said to me: "O Abu Abdullah! Has this camel not ceased to run away yet?" I said: "By Him Who has sent you with the truth. It has never run away since I embraced Islam." He said: "Allah is Greater! Allah is Greater! O Allah! Guide Abu Abdullah!" Thus, he proved good in faith and Allah guided him to the right. (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Zaid Ibn Aslam from Khawat Ibn Jubair).

Nu'aiman was a man of fun. He used to drink alcohol more often in Medina, and whenever he did so, he would be brought to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" to execute the legal punishment on him, and he would beat him with his sandal, and order his companions to do the same. When he did so repeatedly, one of the companions said to him: "May Allah curse you!" on that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "Do not curse him for he loves Allah and His Messenger."

Furthermore, no foodstuff entered Medina but that he bought from it and brought it to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying: "O Messenger of Allah! I have bought this as a gift for you." Whenever the seller came to demand its price he would bring him to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying: "O Messenger of Allah! This is

the seller: give him the price of his things." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" would say to him: "Have you not given it to us as a gift?" he would say: "O Messenger of Allah! At that time, its price was not with me but I liked that you should eat thereof." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" would smile and order that the price be given to the seller. (This narration is reported by Az-Zubair Ibn Bakkar and Ibn Abdul-Barr on the authority of Muhammad Ibn Hazm).

Those kinds of pleasing funs are permissible but in rare cases and not regularly, for regularity on it is blameworthy joking which causes much laugh that is to bring the hearts to death.

The Eleventh Evil: Ridicule And Mockery

This is forbidden as long as it is harmful. In confirmation of that, Allah Almighty says: "O you who believe! let not some men among you laugh at others: it may be that the (latter) are better than the (former): nor let some women laugh at others: it may be that the (latter) are better than the (former): nor defame nor be sarcastic to each other, nor call each other by (offensive) nicknames: ill-seeming is a name connoting wickedness, (to be used of one) after he has believed: and those who do not desist are (indeed) doing wrong." (Al-Hujurat 11)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ ﴾

Mockery means to ridicule, contempt, scorn and highlight one's defects and shortcomings in a way that causes the others to laugh at him. This might be done through mimesis of words and deeds, or reference and hint. If it is in the presence of the one at whom ridicule is made, it will not be called backbiting, although it carries its meaning.

A'ishah "Allah be pleased with her" said: I imitated a man (by way of making fun of him) thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to me: "By Allah! I do not like to imitate a man (by way of making ridicule at him) and have such and such (property)." (This narration is reported by Abu Dawud and At-Tirmidhi). In his comment on the following statement of Allah Almighty: ""Ah! woe to us! what a Book is this! it leaves out nothing small or great, but takes account thereof!" they will find all that they did, placed before them: and not one will your Lord treat with injustice." (Al-Kahf 49)

﴿ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩ ﴾

Ibn Abbas "Allah be pleased with him" said: "The small is to smile by way of mocking at a believer, and the big is to laugh noisily at him." This refers to the fact that laughter at people is one of ht major sins.

It is narrated on the authority of Abdullah Ibn Zam'ah "Allah be pleased

with him" that he said: I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in his sermon admonishing them of laughing at making sound saying: "Why does anyone of you laugh at what he does?" (This narration is reported by both sheikhs). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "As to those who mock at the people, a gate of the Garden will be opened to anyone of them and he will be invited to enter, and he will come with his distress and anxiety and once he approaches it, it will be closed in his face. Another gate will be opened to him and he will be invited to enter, and he will come with his distress and anxiety and once he approaches it, it will be closed in his face, and so on until he comes to a state in which whenever a gate is opened to him and he is invited to enter, he rejects to go to it." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Al-Hassan).

It is narrated on the authority of Mu'adh Ibn Jabal "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He who disgraces his brother for a sin from which he has repented, will not die until he himself commits it." (This narration is reported by At-Tirmidhi). That is because in all of that, one mocks at another, and laughs at his misfortunes, out of ridicule and contempt for him. To it Allah Almighty draws the attention as shown in His statement: "it may be that the (latter) are better than the former." (Al-Hujurat 11)

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾

This is forbidden in particular to him who is harmed by it, unlike him who makes himself an object of ridicule to the extent that he rejoices when one laughs or mocks at him: in which case, it belongs to joking and not mockery. In brief, what is forbidden thereof is that which causes harm to others by way of scorning and regarding him with slightness. It is done through many ways: sometimes one laughs at another's words in case he is troubled, and sometimes at his deeds if they are distracted, like mocking at his handwriting, profession, features and so on, in case he is defective or suffers from any fault like shortness. Laughing at anything of that belongs to the forbidden mockery.

The Twelfth Evil: Disclosure Of Secret

It is forbidden, for the harm it causes to others, and regarding as slight the rights of one's friends and acquaintances. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If a man tells something to another and then he turns his face, his talk has become a trust (to be kept by the listener)." (This narration is reported by Abu Dawud and At-Tirmidhi on the authority of Jabir). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Any talk among you is a trust (to be preserved)." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Ibn Shihab).

Al-Hassan said: "It is out of betrayal to disclose the secret of your brother." It is reported that Mu'awiyah told a secret to Al-Walid Ibn Utbah, who went to his father and said to him: "O my father! The Commander of Believers has told me a

secret, and I do not think that he is to conceal from you what he has disclosed to anyone else." He said: "Then, do not disclose it to me for indeed, whoever conceals his secret, good will be his portion; and he who discloses his secret, evil will be his portion." I said: "O my father! Is it applicable also to the relation between a man and his son?" he said: "No, by Allah, O my son. But I don't like that you habituate your tongue to disclose secrets." I went to Mu'awiyah and told him, thereupon he said to me: "O Walid! Your father has emancipated you from the slavery of error."

To be sure, the disclosure of secret is betrayal, and it is forbidden if it is harmful, and in case it is not harmful, it is cunning. We have already made a mention of the benefit of concealing the secret in the Book of the Etiquettes of Companionship, and there is no need of repeating it here.

The Thirteenth Evil: The False Promise

The tongue always hastens to make promises, even though the soul might not be willing to fulfill it, which causes one to break his promise; and this is a sign of hypocrisy. Allah Almighty says: "O you who believe! Fulfill (all) obligations." (Al-Ma'idah 1)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said "Promise (takes the position of) gift." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Qibath Ibn Ashyam; and Abu Na'im on the authority of Ibn Mas'ud). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said also: "The promise is like the debt or even better (which should be fulfilled)." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Ibn Lahi'ah; and Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Ali).

Allah Almighty praised His Prophet Ismael "Peace be upon him" in His Book when He said: "Also mention in the Book (the story of) Isma'il: he was (strictly) true to what he promised, and he was a Messenger (and) a Prophet." (Maryam 54)

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴾

It is said that he made an appointment to a man who forgot and did not come to him in the promised place, and Ismael remained twenty-two days in expectation for him in the same place. When death approached Abdullah Ibn Umar "Allah be pleased with him" he said: "A man from Quraish demanded the hand of my daughter and I almost promised him, and by Allah, as I dislike to meet Allah with a sign of the three signs of hypocrisy, I make you witness that I have given my daughter to him in marriage."

It is narrated on the authority of Abdullah Ibn Abu Al-Hamsa' that he said: I purchased something from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" before his being sent (as a Prophet), and a portion of its price remained due upon me for him, and I gave him a promise to bring it to him in his place, but I forgot it. Three (nights) after (the time of the promise) I

remembered that, and I went to him and behold! He was in the same place, thereupon he said to me: "O young man! You've put me to trouble! Indeed, I've been here for three (nights), expecting for your coming." (This narration is reported by Abu Dawud).

It was said to Ibrahim: "What about him who is given an appointment by another who does not come to him?" he said: "He has to wait him until the coming prayer is due." It is said that whenever the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" made a promise, he should say: "It may be!" Abdullah Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" never gave a promise but that he said: "Allah willing"; and this is preferable. Therefore, if the promise is given with decision, he has to fulfill it unless it is difficult upon him to do so. But if he, at the time of promise, has the intention not to fulfill it, he will be a hypocrite.

Abu Hurairah "Allah be pleased with him" said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The sign of a hypocrite is to have those three characteristics... even if he offered the prayers, observed the fasts, and claimed to be a Muslim: If he talked he would tell a lie; if he made a promise, he would break it; and if he was entrusted, he would prove to be treacherous." (This narration is reported by both sheikhs). Abdullah Ibn Amr "Allah be pleased with him" said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If anyone has those following four characteristics, he will be a clear hypocrite, and if he has anyone of them, he will have a characteristic of hypocrisy until he gives up it: If he talked (to anyone) he would tell a lie; if he made a treaty (with anyone) he would prove to be treacherous; if he made a promise, he would break it; and if he quarreled (anyone), he would deviate from the truth." (It reported by both sheikhs).

This pertains to the intention to break the promise or not to fulfill it with no legal excuse. But if one has the intention to fulfill his promise and then he encounters a legal excuse which hinders him from doing so, he will not be a hypocrite, although the form of hypocrisy will appear in him. But even, he has to beware of the form as well as he does of the real nature of hypocrisy, and keep himself far from seeking excuses with no need. It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" promised Abu Al-Haitham Ibn At-Taihan to give him a servant. Three were brought to him from the captives, and he gave two of them and one remained with him. Fatimah "Allah be pleased with her" came to him to ask him to give her a servant saying: "Do you not see the trace of the millstone in my hand?" he remembered his promise to Abu Al-Haitham and said: "What should I do with my promise to Abu Al-Haitham?" thus, he favored him with that servant and Thus, gave him preference over Fatimah "Allah be pleased with her". (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Abu Hurairah). Thus, he gave preference to him over Fatimah for his previous promise to him, in spite of her fatigue resulting from her turning the stone with her own weak hand.

On another occasion, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was sitting at Hunain to distribute the war spoils of Hawazin when a man stood in front of him and said: "O Messenger of Allah! You have made a promise to give me!" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "You have told the truth. Give your judgement on what you like." He said: "I give my judgement on a herd of eighty sheep with its shepherd." He said to him: "It is for you. Indeed, how easy your judgement is! No doubt, the woman who guided Moses "Peace be upon him" to the bones of Yusuf was more decisive and strong in her judgement when she said to him: "My judgement is that you should restore me to my youth and admit me to the Garden with you." (This narration is reported by Ibn Hibban and Al-Hakim on the authority of Abu Musa). It is said that the people came to regard as weak his judgement and elicit a proverb on that occasion saying: "This man is more stingy than the lord of the eighty sheep and their shepherd."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If a man gives a promise to another with the intention to fulfill it, he will not be regarded to have broken it if he fails to achieve it." (This narration is reported by Abu Dawud and At-Tirmidhi on the authority of Zaid Ibn Arqam). According to another version, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If a man gives a promise to his brother with the intention to fulfill it and he fails to achieve it as it is beyond his capacity, there will be no sin on him."

The Fourteenth Evil: Telling Lies In Word And Oath

It is one of the odious sins and shameful defects.

The Prophetic Narrations

From among the Prophetic narrations, a mention may be made of the following:

It is narrated on the authority of Abu Bakr that just after the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" had died, he said: "Last year, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" took this position of mine..." and then Abu Bakr went on weeping, after which he resumed: "I advise you to stick to telling the truth, for it is in the company of dutifulness (and piety), and both will (admit one) to the Garden; and I beware you of telling lies, for it is in the company of wickedness, and both will (admit one) to the fire (of Hell). You further should invoke Allah (to endow you with) power and health, for none has been given, after certainty (of faith) a thing better than power and health. You should not envy one another, nor should you show hatred to one another, nor should you sever the relation with one another, nor should you show desertion to one another, and rather be Allah's servants, brothers (in the religion of Allah)!" (This narration is reported by Ibn Majah and An-Nasa'i).

According to Abu Umamah "Allah be pleased with him": the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Indeed, telling lies is one of the gates of hypocrisy." (This narration is reported by Ibn Adi). According to Al-Hassan: "It is said that one of the signs of hypocrisy is to

have the secret different from the public, the word from the deed, the inside from the outside, and telling lies is the basis on which hypocrisy is built." It is narrated on the authority of Sufyan Ibn Asid Al-Hadrami that he said: I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" having said: "How treacherous it is to tell your brother something, to which he gives trust, even though you give lie to it." (This narration is reported by Al-Bukhari in Al-Adab Al-Mufrad and Abu Dawud; and At-Tabarani on the authority of An-Nawwas Ibn Sam'an).

It is further narrated on the authority of Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A man continues to tell lies and seek after lies until he is written as a liar with Allah Almighty." (This narration is reported by both sheikhs). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" came upon two men involved in a transaction of a sheep, and one of them was saying to the other: "By Allah, I never decrease for you from such and such." The other was saying: "By Allah, I never add for you to such and such." One of them bought the sheep, thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No doubt, sin and expiation have become due upon one of them." (This narration is reported by Abu Al-Fath Al-Azdi on the authority of Nasikh Al-Hadrami).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No doubt, telling lies decreases sustenance." (This narration is reported by Abu Ash-Shaikh on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Indeed, traders are the wicked." It was said: "O Messenger of Allah! Is it not that Allah Almighty ahs made lawful trade?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Yes, but they always take oaths therewith they commit sins, and talk and tell lies (in their talks)." (This narration is reported by Ahmad, Al-Hakim and Al-Baihaqi on the authority of Abd-Ar-Rahman Ibn Shibl). Abu Dharr "Allah be pleased with him" said: The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There are three with whom Allah would not speak on the day of judgement. They are: the one who never gives a gift (to people) but that he reminds them of it, the one who sells his goods by false oaths, and The one who hangs down his lower garment (out of haughtiness)." (This narration is reported by Muslim).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No one swears by Allah Almighty over even the like of a mosquito's wing but that it becomes a dot in his heart until the Day of Judgement." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Al-Hakim on the authority of Abdullah Ibn Unais). It is narrated on the authority of Abu Dharr that Allah's Apostle" Allah's blessing and peace be upon him" said: "Three are loved by Allah Almighty, and other three are disliked by Allah Almighty: as for those whom Allah Almighty loves, (The giver of) a man who came to a people and asked them (to give him) by Allah, and not by a certain kinship he had with them and they withheld him, thereupon a man followed him from amongst them, and gave him in secrecy, and

none knew his gift barring Allah Almighty and its giver; and a (man among a) people who proceeded on (during their journey) at night until sleep became dearer to them than anything like it, they ascended and lay down their heads (and fell asleep) thereupon he got up, supplicated Me (Allah Almighty), and recited My Holy Verses; and a man who was in a military detachment, who faced the enemy and then they were defeated, thereupon he faced them until he was killed (as a martyr) or emerged victorious. As for those whom Allah Almighty dislikes, the trader who swears so much, the arrogant poor, and the niggard who always reminds others of his generosity." (This narration is reported by Ahmad and An-Nasa'i).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Woe to him who talks to the people and tells lies in his talk in order to cause them to laugh: woe to him, woe to him, woe to him!" (This narration is reported by At-Tirmidhi, Abu Dawud and An-Nasa'i on the authority of Bahz Ibn Hakim from his father from his grandfather). The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I saw (a dream) last night that two men came to me, caught hold of my hands, and took me to the Sacred Land (Jerusalem). There, I saw a person sitting and another standing with an iron hook in his hand pushing it inside the mouth of the former till it reached the jawbone, and then tore off one side of his cheek, and then did the same with the other side; in the meantime the first side of his cheek became normal again and then he repeated the same operation again. I said: "What is this?" They said: "He was a liar and he used to tell lies, and the people would report those lies on his authority till they spread all over the world. So, he will be punished like that till the Day of Resurrection."" (This narration is reported by Al-Bukhari On the authority of Samurah Ibn Jundub).

Abdullah Ibn Jarad "Allah be pleased with him" said: I asked the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Does the believer commit adultery?" he said: "It may be." I further asked: "Does he tell a lie?" he said: "No." then the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" recited the following statement of Allah Almighty: "It is those who believe not in the Signs of Allah, that forge falsehood: it is they who lie!" (An-Nahl 105)

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

(This narration is reported by Ibn Abdul-Barr and Ibn Abu Ad-Dunya). Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him" said: I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying in his supplication: "O Allah! Purify my heart from hypocrisy, my private parts from adultery, and my tongue from falsehood." (This narration is reported by Al-Khatib but on the authority of Umm Ma'bad).

Abu Hazim narrated from Abu Hurairah that The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There are three whom Allah would neither speak with on the day of judgement, nor would He purify (of their sins), nor would He look at, and for them is a painful penalty. They are: an old man who

is adulterer, a liar king, and a proud destitute." (This narration is reported by Muslim). It is narrated on the authority of Abdullah Ibn Amir that he said: One day, my mother called me (and I was still young) and the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was sitting in our house, and she said: "Come to me so that I would give you such and such." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" asked her: "What have you intended to give him?" she said: "I've intended to give him dates." On that he said: "You should know that if you do not give him, it will be written as a lie (in your record of deeds for which you will have a sin)." (This narration is reported by Abu Dawud).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Were Allah Almighty to endow me with property as much as is the number of those pebbles, I would distribute it among you, and you would not find me a niggard, nor a liar nor a coward." (This narration is reported by Muslim). Abd-Ar-Rahman narrated from his father Abu Bakrah "Allah be pleased with him": The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said thrice: "Should I inform you what the greatest of the major sins are?" They said: "Yes, O Allah's Apostle!" He said: "To join others in worship with Allah and to be undutiful to one's parents." The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" then sat up after he had been reclining (on a pillow) and said: "And I warn you against giving a false witness." He kept on saying that warning till we said (to ourselves): "Would that he might stop!" (This narration is reported by both sheikhs).

Ibn Umar "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A servant might tell a lie because of whose stench the angel (entrusted to him) moves as far as a mile from him." (This narration is reported by At-Tirmidhi). Anas "Allah be pleased with him" said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Come to me with six characteristics, perchance I would assure the Garden to you." They said: "What are those?" he said: "If anyone of you talks, he should not tell a lie; and if he gives a promise, he should not break it; and if he is entrusted, he should not prove treacherous; furthermore, you should lower your gazes; safeguard your privates (from the unlawful); and withhold your hands (from the evil)." (This narration is reported by Al-Hakim and Al-Khara'iti).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Satan has kohl, gum and snuff. His gum is falsehood; his snuff is anger; and his kohl is sleep." (This narration is reported by At-Tabarani and Abu Na'im on the authority of Anas). It is narrated on the authority of Ibn Umar "Allah be pleased with him" that he said: Once, Umar addressed the people with a sermon in which he said: One day, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" stood from us at the same position I am standing from you now and said: "Be kind to my companions and the generation to follow them, for after that falsehood would become so widespread that a man would take oath although he is not asked to do so, and give witness although he is not asked to give it."

(This narration is reported by At-Tirmidhi and An-Nasa'i).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "He, who tells a false narration about me, is one of the liars." (This narration is reported by Muslim on the authority of Samurah Ibn Jundub). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "He, who takes a false oath to usurp the property of a Muslim with no just cause, will meet Allah Who will be angry with him." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Ibn Mas'ud). It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" rejected the witness of a man because of a lie he told. (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Musa Ibn Shaibah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Each evil deed done by a believer might possibly be removed except for falsehood and betrayal." (This narration is reported by Ibn Abu Shaibah on the authority of Abu Umamah; Ibn Adi and Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Sa'id Ibn Abu Waqqas). A'ishah "Allah be pleased with her" said: "Falsehood was the most difficult among the characters upon the companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and he used to check anyone of his companions about falsehood, and he would not clarify his breast to him until he knew that he had repented to Allah Almighty from it." (This narration is reported by Ahmad and Abu Ash-Shaikh).

Moses "Peace be upon him" said: "O Lord! Which of Your servants does the best deed in Your Sight?" he said: "He, whose tongue never lies, whose heart never proves wicked, and whose privates never commits adultery." Luqman said to his son (by way of admonishing him): "O my son! Beware of telling lies for it is as delicious as a sparrow's flesh, and after a short while, its doer would desert it." In praising truthfulness, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If you have the following four characteristics, no harm shall befall you for losing anything else in this world: true speech, keeping trust, good moral character, and pure and lawful sustenance." (This narration is reported by Al-Hakim and Al-Khara'iti on the authority of Abdullah Ibn Amr).

In a sermon he delivered after the death of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", Abu Bakr "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" stood like my standing in front of you last year and wept and said: "Beware of telling lies for it, taken together with righteousness leads to the Garden." (This narration is reported by Ibn Majah and An-Nasa'i). Mu'adh "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to me: "I advise you to fear Allah, be true in speech, give back the trust, fulfill the pledge, salute with peace whomever you meet, and lower the wing (to the weak and helpless)." (This narration is reported by Abu Na'im).

The Traditions And Sayings

Ali "Allah be pleased with him" said: "The worst mistake in the Sight of Allah

Almighty is that which results from a tongue that tells lies; and the worst regret will be that on the Day of Judgement." Umar Ibn Abdul-Aziz "may Allah have mercy upon him" said: "I've never told a lie since I (grew up and) straightened my lower garment on my waist." Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" said: "The dearest of you to us in case we do not see you is he, who has the best name among you; and in case we see you, then, the dearest of you to us is he who has the best moral character among you, and in case we check you, then the dearest of you to us is he who is the truest in speech and the most trustworthy among you."

Maimun Ibn Abu Shabib said: "I sat to write a book and came upon a word, which, if I write it, it would adorn it, although I would be a liar, thereupon I decided to leave it. On that I was called from outside the house: "Allah will establish in strength those who believe, with the Word that stands firm, in this world and in the Hereafter; but Allah will leave, to stray, those who do wrong: Allah does what He wills." (Ibrahim 27)

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾

Ash-Sha'bi said: "I do not know which of both will sink deeper in the fire (of Hell), the liar or the niggard." Ibn As-Sammak said: "I do not think I shall receive reward for leaving falsehood, for indeed, I give it up because I disdain it." Subaih was asked: "Should a man be called a liar only for a single lie he tells?" he answered in the affirmative.

According to Malik Ibn Dinar: "I have read in a book that there is no orator but that his sermon is compared to his deed: if his deed is true to his word, he will be truthful, otherwise, his lips will be filed with files from fire, and whenever they are filed, they would grow once again (in order to be filed anew)." According to Malik Ibn Dinar once again: "Both falsehood and truth fight within the heart until one of them should drive the other away." Once Umar Ibn Abd-Al-Aziz talked to Al-Walid Ibn Abd-Al-Malik about something, thereupon he said to him: "You have told a lie." On that he said: "By Allah, I have never told a lie since I came to know that falsehood disgraces the one who does it."

Exposition Of Allowable Lies

It should be known to you that telling lies is not unlawful in its real nature in so much as in the harm it causes to the addressee. At the least, the addressee might have the false impression that a particular thing is true even though it is not really so, which causes him to ignorant. But even, in many cases, ignorance might serve the benefit, and since it is caused by telling lies, it then might be allowable, if not obligatory. According to Maimun Ibn Muhran: "Telling lies in some cases is better than telling the truth. Tell me: if a man chased another man with the sword to kill him, and the latter ran until he entered your house (to flee from him), and he (the chaser) came to ask you whether or not you have seen him: what then would you say? Would it not be better if you say 'I have not

seen him'? but if by saying so you are not truthful, telling lies as such is obligatory."

Let's say that speech is a means to achieve praiseworthy purposes: if it is possible to achieve a praiseworthy purpose by means of telling truth or telling lies alike, telling lies therein is unlawful, and if it is possible to achieve it only by telling lies, then, telling lies is permissible in case achieving that purpose is permissible, and obligatory in case achieving that purpose is obligatory. It is obligatory to protect the blood of a Muslim, and if telling the truth is to lead to shedding the blood of a Muslim who has hidden himself from a wrongdoer, then, telling lies is obligatory as long as it will save his blood. Furthermore, if it is impossible to accomplish war or mend the relation between two adversaries and attract the heart of the plaintiff but through telling lies, then, telling lies in this case is allowable.

But at the same time, one should avoid it as much as he could, for if its door is opened so widely, there is fear it might lead to what is dispensable and unnecessary. Thus, telling lies is unlawful unless it is necessary. The exception is confirmed by the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" on the authority of Umm Kulthum "Allah be pleased with her" in which she told that she never learnt that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" gave concession to tell lies but in three cases: in battle for bringing reconciliation amongst persons, and in the husband's talk to his wif or the wife's speech to her husband (just in order to bring reconciliation betwe them). (This narration is reported by Muslim). Umm Kulthum "Allah be please with her" further said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Not a liar is he who makes reconciliation between two adversaries and says good or tells good (to each about the other)." (This narration is reported by both sheikhs). Asma' Bint Yazid "Allah be pleased with her" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "All kinds of lies are written (as sins) against the son of Adam, except when a man tells lies therewith he seeks to make reconciliation between Muslims." (This narration is reported by Ahmad).

It is narrated on the authority of Abu Kahil "Allah be pleased with him" that he said: There was a quarrel between two Muslims which resulted in their schism. I met one of them and said to him: "What has happened between you and so and so given that I heard him mentioning you with good?" I met the other and said to him the same. They reconciled and I said to myself: "No doubt, I have ruined myself in the way of making reconciliation between them." I told the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" about that, thereupon he said: "O Abu Kahil! Make reconciliation between the people (even by means of telling lies)!" (This narration is reported by At-Tabarani). Ata' Ibn Yasar said: A man said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "I sometimes tell lies to my wife." He said: "There is no good in telling lies." He said: "I sometimes promise her and say to her such and such (to attract her heart)." On that he said: "There is no sin on you." (This

narration is reported by Ibn Abd-Al-Barr and Malik in his Muwatta').

It is reported that Ibn Abu Udhrah Ad-Du'ali who lived during the caliphate of Umar "Allah be pleased with him" used to beat the women whom he married until a bad talk about him became in circulation among the people. Learnt about that, he caught hold of the hand of Abdullah Ibn Al-Arqam and accompanied him to the house and addressed his wife saying: "I beseech you by Allah: do you dislike me?" she said: "Do not beseech me by Allah." He said: "But I beseech you by Allah to tell me." She said: "Yes." He said to Abdullah: "Do you hear?" they both went to Umar "Allah be pleased with him" and he said to him: "You talk that I am in the habit of wronging and beating women. But, ask Abdullah Ibn Al-Arqam about that." He asked him and Ibn Al-Arqam told him (about what he had heard). He sent to invite the wife of Ibn Abu Udhrah and she came in the company of her paternal aunt. He asked her: "Is it you who tell your husband that you dislike him?" she said: "I am the first to repent and comply with the command of Allah Almighty. He besought me by Allah and I felt shy of telling a lie: should I tell a lie O Commander of Believers?" he said: "Yes, you might tell a lie in that concern. If anyone of you (women) does not like her husband, she should not tell him about that. A very few houses that are based on mutual love, but most frequently people treat each other on the basis of Islam and ancestry."

It is narrated on the authority of An-Nawwas Ibn Sam'an "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Why do I see you competing each other to tell lies in the same way as flies compete each other to the fire? Of a surety, all kinds of lies are written (as sins) against the son of Adam except when a man tells lies in war for indeed war is a guile; or when he makes reconciliation between two adversaries; or when he talks to his wife with what pleases her." (This narration is reported by Abu Bakr Ibn Bilal and At-Tabarani). According to Thawban "Allah be pleased with him": "All lies are sins except that therewith one benefits a Muslim or averts harm form him." Ali "Allah be pleased with him" said: "If I tell you anything about the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" then, it is better for me to fall down from the sky than to tell lies about him. But were I to tell you something frankly about me, let me tell you that war is guile."

In those three, telling lies is reported to be allowable; and it is true of their like in case the related purpose to be achieved thereby is valid and praiseworthy, whether it is for his own benefit or for the benefit of others, like the instance according to which a wrongdoer arrests him and asks him about his property to usurp it illegally and wrongfully, or a ruler arrests him and asks him about an evildoing he has committed in what is between him and Allah Almighty, in which case he has the right to deny it and say: "I have never committed adultery or theft." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If one commits anything of those dirt (and shameful) things, he should screen himself with the screen of Allah Almighty." (This narration is reported by Al-Hakim on the authority of Umar). That's because to disclose a shameful deed is itself another shameful deed.

One has the right to safeguard his soul and property if it is to be usurped with no just cause, and his honour with his tongue, even if he is to tell a lie. Concerning the honour of another, he has the right to deny what he knows about his secrets. He has the right to tell lies in making peace between two foes, or between his fellow-wives, by showing to each of them that she is the dearest to him. Furthermore, if his wife does not obey him unless he achieves for her something he has no power to do, let him promise her immediately, with the intention to please her. If he is to apologize to another man who is not pleased unless he denies a particular sin and shows more affection for him, there is no harm in it.

But the limit which one should not go beyond is that telling lies is forbidden, and were he to be truthful in those instances, what is forbidden would ensue there from. So, he should make comparison between both cases and measure with the just and fair scale of balance. If he learns that the forbidden that ensues from telling the truth is more grievous under religious law than that which ensues from telling a lie, then, he ahs the right to tell a lie. But if the purpose to be achieved by telling a lie is more trivial than that to be achieved by telling the truth, then, it becomes binding upon him to tell the truth.

But in some cases, both might become equal in a way that makes him waver: as to which of them he should incline. In this case, to tell the truth is preferable for as we know telling lies is allowable only to serve a severe necessity or dire need. If he has doubt as to the importance or necessity, then, the basic rule is the prohibition to which he should return. As it is abstruse to know the different levels of purposes, one should avoid lying as much as he could. Likewise, if it is his own need, it is desirable for him to leave it than to tell a lie; and if it pertains to another, it is impermissible for him to indulge in the rights of others, or cause harm to them. But unfortunately, the people lie most frequently for their own portions, and to increase their property and majesty, or for such of things as skipping them is not harmful or forbidden. You see a wife tell lies about her husband to show pride and vie in glory with her fellow-wives; and this is, to be sure, unlawful.

Asma "Allah be pleased with her" reported that a woman came to The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "I have a fellow-wife. Is there any harm for me if I tell her falsely of getting something from the wealth of my husband which he has not really given me for the purpose of enraging her?" The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The one who falsely tells of getting what he has not been given is like one who wears two garments of falsehood." (This narration is reported by both sheikhs). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "He, who claims to eat what he has really not eaten, or to have what he does not really have, or to be given what he has not really been given, is like him who will put on two garments of falsehood on the Day of Judgement." This applies to the learned who does not verify of what he says or narrates. He

narrates the tradition which is not proven to him just for the sake of showing his superiority and preeminence to others, and disdaining of saying that he does not know. This is unlawful.

The same rule of women is true of children. If a child does not like to go to the nursery school unless he is given a false promise or falsely frightened, it is permissible. It is true that we have already transmitted that this kind is also written as lies, but the permissible lies might be written for which one will be reckoned and required to justify his purpose therein, and then it will be forgiven for him for telling lies has been made permissible only for the sake of reform. But a great deception lies in this respect. One's motive of telling a lie might be his own benefit and fortune, although he justifies it by the purpose of reform and this is why it is written (as sins). Whoever is engaged in a lie has indeed come under the risk of diligence in order to know whether or not the purpose for which he tells a lie is more important under religious law than to tell the truth. This matter is very abstruse. So, it is more decisive to leave it unless it is obligatory in a way that makes it impossible to leave it, like the case in which leaving it will lead to the shedding of the blood of a Muslim or committing a sin.

But this is quite different from the case in which some think, though falsely, that it is permissible to fabricate Prophetic traditions to confirm the virtues and rewards of good deeds and aggravate the punishment of sins, alleging that the purpose there from is right; and of a surety, it is clearly invalid. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who attributes lies to me intentionally, let him occupy his seat in the fire (of Hell)." Telling lies is impermissible unless there is a severe necessity; and there is no necessity in fabricating Prophetic traditions since the Holy Verses and authentic traditions are sufficient. There is no necessity at all to justify the attribution of lies to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". To open such a gate leads to distracting the religious law. To be sure, telling lies about the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" is one of the major sins which are unjustifiable: we ask Allah to pardon us as well as all of the Muslims.

Exposition of Avoidance of telling lies by Way Of Implicit references

It is transmitted from the righteous predecessors that one might dispense with telling lies by implicit reference. Umar "Allah be pleased with him" said: "The implicit reference suffices man for telling lies." The same is reported from Ibn Abbas "Allah be pleased with him" and others. But they mean when one is forced by necessity to tell a lie; and in case there is no necessity, then, neither implicit reference nor explicit statement (in which one lies) are permissible. But at any rate, the evil and harm of implicit reference are easier. The example of implicit reference is the narration that Mutarrif was invited to visit Ziyad, and when he delayed to come, and Ziyad asked him about that, he justified his delay by his ailment saying: "I have not raised my side since I left the governor, except

when Allah Almighty raises me."

According to Ibrahim: "If something was attributed to you and you dislike to tell a lie, just say: "Verily, Allah Almighty knows what I have really said of that." This statement will give the negative to the listener, though not clearly. Mu'adh Ibn Jabal "Allah be pleased with him" was appointed by Umar "Allah be pleased with him" in some office and when he returned his wife asked him: "What have you brought with you from those things which the appointed officers bring to their wives (when they return)?" as he brought nothing to her he said: "A watcher has been sent over me." She said: "You were a trustworthy in the sight of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and the same in the sight of Abu Bakr "Allah be pleased with him": how should Umar "Allah be pleased with him" send a watcher over you?" she stood and conveyed that news to her family and made a complaint against Umar "Allah be pleased with him". When the news of that reached Umar "Allah be pleased with him" he invited Mu'adh "Allah be pleased with him" and asked him: "Have I sent a watcher over you?" he said: "I did not have any way to apologize for her but that." Umar "Allah be pleased with him" laughed and gave him something and said: "Please her with that." He intended by the watcher Allah Almighty.

An-Nakh'i used to say to his daughter: "What do you see if I buy sugar for you?" He used to say so for perhaps he might not be able to realize it. Whenever Ibrahim was invited by him whom he disliked to meet and he was in the house, he would say to his slave-girl: "Tell him to demand him in the mosque, and do not tell him that I am not in the house in order not to be a liar." Whenever Ash-Sha'bi was invited by him whom he disliked to meet and he was in the house, he would draw a circle and ask his slave-girl to place her finger in it and say to the inviter: "Tell him that he is not in that (circle)." This is properly applicable when there is a dire need for it. But in case there is no need, it should be avoided, for it gives the impression of telling something different from the reality and even though it is with no clear words, it is undesirable in general.

In this respect, it is narrated on the authority of Abdullah Ibn Utbah that he said: I entered in the company of my father upon Umar Ibn Abd-Al-Aziz "may Allah have mercy upon him" and when I came out there was a garment over me. The people went on saying: "This garment has been given to you by the Commander of Believers." I said to them: "May Allah reward the Commander of Believers." On that my father said to me: "O my son! Safeguard yourself against telling lies and the like of it." He forbade him for his statement confirmed to them a false impression, just for the sake of vainglory, which is, in itself, a false purpose of no benefit.

It is true that implicit references are permissible to serve simple purposes like pleasing by way of joking, such as, for instance, the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" to an old woman: "No old should enter the Garden" and his statement to another woman: "There is whiteness in the eye of your husband", and to a third one: "Let us carry you on

the camel's baby", etc. this is unlike the clear lie like the statement of Nu'man Al-Ansari to Uthman "Allah be pleased with him" in the story of the blind one: "He is Nu'aiman", and the jokes of the follies common among the people with which they deceive one for example that such and such a woman has a desire for marrying him: if it is to cause harm to a particular person, it is evidently unlawful; and if it is intended only to please somebody, the perpetrator is not regarded a wicked but his faith will decrease.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "One's faith shall not be complete until he loves for his brother the same as he loves for himself, and until he avoids telling lies even in his jokes." (This narration is partially reported by Ibn Abd-Al-Barr on the authority of Abu Mulaikah; and partially by both sheikhs on the authority of Anas; and partially by Ad-Daraqatni on the authority of Abu Hurairah). The statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "A man might utter a word with the intention to bring his sitters to laughter, because of its (evil) he falls down in the fire (of Hell) farther than stars (from the earth)", he means thereby backbiting or harming a Muslim, but not the pure joke. Among the lies that bring about no wickedness is the exaggerations that are customary among the people in such statements as "I have asked for you such and such times", and "I have said to you that such and such time", and the like of those things which are not intended to give the impression of the exact number of times but just the impression of exaggeration. But if he has done the thing only once, he will be a liar, and if he has done it so many times the like of which is not customary, he will not be sinful.

From among the lies that are also customary in which the people indulge is one's statement to another: "Eat food" and the other's reply: "I have no appetite for it". However, this is forbidden if not unlawful, if it does not mean the real sense. In this respect, it is narrated on the authority of Mujahid that he said: Asma' Bint Umais "Allah be pleased with her" said: "I was in the company of A'ishah "Allah be pleased with her" on the very night she was prepared for the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" to consummate marriage with her. There were some women with me. By Allah, we found in his house nothing other than a vessel of milk. He drank and then gave it to A'ishah "Allah be pleased with her" who felt shy. I said to her: "Do not return (with failure) the hand of the," but rather take it form his hand." She took it form him with shyness and drank thereof. He said to her: "Give to your companions to drink thereof." We said: "We have no appetite for it." On that he said: "Do not talk in the plural about yourselves in the matters in which you tell lies." I said: "O Messenger of Allah! If anyone of us says about anything she likes that she has no appetite for it: is it regarded a lie?" he answered: ""No doubt, a lie is written as a lie (with no exception)." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya and At-Tabarani).

The people of piety used to avoid indulgence in this kind of lies. According to Al-Laith Ibn Sa'd: "The eyes of Sa'id Ibn Al-Musayyab used to be covered with

dust until it would come out of them, and it was said to him: "Why do you not wipe your eyes?" he said: "Then, what about the statement of the physician: 'Do not touch your eyes', and my reply to him that I would not do?" this is the way men of piety used to watch over themselves, and if one leaves it, his tongue might be drawn stealthily to tell lies even though without feeling. Khawat At-Taimi said: A sister of Ar-Rabie Ibn Khuthaim came to visit a sick child of his and inquire about his health, and when she turned over him she asked him: "How are you O my son?" on that Ar-Rabie said to her: "Have you suckled him?" she answered in the negative, thereupon he said: "Then, what is the matter with you if you call him 'son of my brother'?" she gave trust to it.

It is customary to say: "Allah knows" about things which he himself knows not. Jesus "Peace be upon him" said: "One of the greatest sins in the Sight of Allah Almighty is to say 'Allah knows' about things which he himself knows not." Furthermore, one might tell lies in dreams, although telling lies therein is a great crime. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "One of the greatest falsehoods is that a man claims to a person other than his father, to ascribe to his eyes a dream vision which he saw not, and to attribute to me what I said not." (This narration is reported by Al-Bukhari on the authority of Wathilah Ibn Al-Asqa'). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "He who tells a lie about a dream will be required on the Day of Judgement to make a knot between two hair, and in no way would he be able to do it." (This narration is reported by Al-Bukhari on the authority of Ibn Abbas).

The Fifteenth Evil: Backbiting

The discussion of it is very lengthy. But let's first mention its criticism supported by quotations and proofs from religious law. Allah Almighty stated that it is severely blameworthy, and likened its doer to the eater of the flesh of a dead, saying: "nor speak ill of each other behind their backs. Would any of you like to eat the flesh of his dead brother? Nay, you would abhor it. But fear Allah: for Allah is Oft-Returning, Most-Merciful." (Al-Hujurat 12)

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Everything belonging to the Muslims is sacred (and inviolable) to the Muslim, his blood, property and honour." (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah).

Of a surety, backbiting touches the honour, whose sanctity Allah Almighty placed in combination with blood and property. It is narrated on the authority of Abu Barzah that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Envy not each other, nor dislike each other, nor speak to each other shamelessly, nor desert each other, nor backbite each other, and be, O slaves of Allah, brothers (in the religion of Allah)." (This narration is reported by

both sheikhs on the authority of Abu Hurairah). It is further narrated on the authority of Jabir and Abu Sa'id at, that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Beware of backbiting for indeed, backbiting is more grievous than adultery. The adulterer commits adultery and repents, thereupon Allah Almighty turns to him in repentance, while the backbiter will not be forgiven until the backbitten himself pardons him." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya and Ibn Hibban).

It is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "On the night I was made to set out on a Night Journey, I came upon people lacerating their faces with their nails, and I asked: "O Gabriel! Who are those?" he said: "They are these who backbite the people and plunge in their honours." (This narration is reported by Abu Dawud). Sulaim Ibn Jabir said: I went to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "Teach me something good to get benefit therewith." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Do not look down upon a favor whatever it might be, even if it is only to get some water by your bucket from the fount of the water provider, and receive your brother cheerfully, and if he turns his back to you, backbite him not." (This narration is reported by Ahmad and Ibn Abu Ad-Dunya).

Al-Bara' "Allah be pleased with him" aid: One day, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" addressed us with a sermon so impressive that even the women in their houses heard it, in which he said: "O assembly of those who believe with their tongues and not with their hearts! Backbite not Muslims nor seek after their defects, for whoever seeks after the defects of his brother, Allah Almighty seeks after his defects and whomever Allah Almighty seeks after his defects puts to shame while he is amidst his house." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya; and Abu Dawud on the authority of Abu Barzah).

It is reported that it was revealed to Moses "Peace be upon him" that 'Whoever dies while repenting from backbiting will be the last to enter the Garden, and whoever dies while insisting on backbiting will be the first to enter the fire (of Hell)." Anas "Allah be pleased with him" said: Once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" commanded the people to observe a fast and said: "None of you should break fasting until I give him permission." The people observed fast and when it was sunset, one came to him after another saying: "O Messenger of Allah! I have fasted, so, please, give me permission to break my fasting", and he gave permission to them in succession. Then, a man came and said to him: "O Messenger of Allah! Two young women from your family have fasted, and they now feel shy to come to ask for your permission to break fasting." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" turned away from him. The man repeated the statement to him and the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" turned away from him once again. When he repeated it to him for

the third time the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "No doubt, they have not fasted, and how should one who continues to eat the flesh of others during his day be regarded as fasting? Go to them and tell them, if they are still fasting, to force themselves to vomit." He returned and told them, and they did accordingly, and each vomited a leech-like clot of blood. He returned and told him, thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "By Him in Whose Hand is my soul, had they remained in their bellies, the fire would have devoured them." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya and Ibn Mardawaih).

According to another version, when the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" turned away from him he came to him later and said: "O Messenger of Allah! By Allah! They died or are about to die." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Bring them to me." They were brought and the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" asked for a vessel, and told one of them to force herself to vomit and she vomited pus and blood so abundant that the vessel was filled. He told the other to force herself to vomit and she vomited the same. On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No doubt, those have fasted from what Allah has made lawful for them, and broken their fast on wha' Allah has made unlawful for them. One of them sat with the other and both wer on eating the flesh of people (by backbiting them)." (This narration is reported b Ahmad and Abu Ya'li on the authority of Ubaid, the freed slave of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him").

Anas "Allah be pleased with him" said: One day, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" addressed us with a sermon in which he made a mention of usury and made grievous its evil consequence, and said: "A single Dirham to be gained from usury is more grievous in sin in the Sight of Allah Almighty than committing adultery thirty-six times; and the most grievous usury is to plunge in the honour of the Muslim." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya).

Jabir "Allah be pleased with him" said: We were walking in the company of the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" when he passed through one of the graveyards of Medina thereupon he said: "These two persons are being tortured in their graves, not for a major sin (to avoid)." The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" then added: "Yes! (they are being tortured for a major sin). Indeed, one of them never saved himself from being soiled with his urine while the other used to backbite others." The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" then asked for a green leaf of a date-palm tree, which he broke into two pieces and put one on each grave. On being asked why he had done so, he replied: "I hope that their torture might be lessened, till these get dried." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya; and both sheikhs on the authority of Ibn Abbas).

When Ma'iz Ibn Malik was ordered by the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" to be stoned to death (as a corporal

punishment for committing adultery), a man said to his friend: "No doubt, this man (Ma'iz) has been lying just as a dog lies." Later, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" came upon a corpse and they were with him, thereupon he said to them: "Tweak (and eat) thereof!" they said: "O Messenger of Allah! Should we eat out of a corpse?" he said: "No doubt, your ill speech about your companion (Ma'iz) is more stinking than it." (This narration is reported by Abu Dawud and An-Nasa'i on the authority of Abu Hurairah).

The companions "Allah be pleased with them" used to meet each other cheerfully, and they were never engaged in backbiting, seeing that meeting each other with cheerfulness to be of the best deeds, and the opposite of it the habit of the hypocrites. Abu Hurairah "Allah be pleased with him" said: "He who eats the flesh of (i.e. backbites) his brother in the world, it will be brought close to him in the hereafter, and he will be asked to eat it while dead in the same way as he ate it while living in the world; and he will do accordingly." (This narration is reported by Ibn Mardawaih). It is narrated that two men were sitting at one gate of the mosque when a previously effeminate man passed by them, thereupon one of them said to the other: "But there still remains in him a part of effeminateness." Then, prayer was established and they entered and performed prayer with the people. But the evil of what they said aroused doubt in their breasts, thereupon they went to Ata' and asked him about that, and he commanded them to repeat ablution and prayer, and compensate fast if they did so while fasting.

In his comment on Allah's statement: "Woe to every (kind of) scandal-monger and backbiter" (Al-Humazah 1)

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ﴾

Mujahid "may Allah have mercy upon him" said: "The scandal-monger is he who slanders the people, and the backbiter is he who tweaks their flesh (by speaking ill about them in their absence)." According to Qatadah "may Allah have mercy upon him": "It is reported to us that the grave punishment is of three thirds: one-third results from backbiting, one-third from going about with calumnies (among the people), and one-third from being soiled with the traces of urine (without removing it)." According to Al-Hassan "may Allah have mercy upon him": "By Allah! Backbiting is swifter to obliterate the religion of a Muslim than are the eaters of the body."

One of the righteous said: "We caught up with the righteous predecessors, and they did not regard worship in prayer or fasting in so much as in withholding from the honours of people." According to Ibn Abbas "Allah be pleased with him": "If you like to remember the defects of your friend, you should first remember your own defects." According to Abu Hurairah "Allah be pleased with him"" "One of you is ready to take heed of the dust in the eye of his companion, although he is complete to be heedless of it in his own eye." Al-Hassan "may Allah have mercy upon him" used to say: "O son of Adam! You shall not attain

the real nature of faith until you do not criticize anyone with a defect which you yourself have, and once you start to improve that defect in yourself, it will become your main concern; and such is the dearest worshipper to Allah Almighty."

Malik Ibn Dinar "may Allah have mercy upon him" said: Jesus "Peace be upon him" was in the company of his disciples when he passed by the corpse of a dog, thereupon they said: "How stinking the smell of that corpse is!" he "Peace be upon him" said: "How white its teeth are!" he seemed to have disliked to criticize it. Ibn Abbas "Allah be pleased with him" saw a man backbiting another, thereupon he said to him: "Beware of backbiting, for it is the condiment of the dogs of the people." Umar "Allah be pleased with him" said: "Stick to the celebration of Allah Almighty for it is a cure (from all diseases), and beware of remembering people for it is a disease." We ask Allah Almighty to help us obey Him.

Exposition Of Meaning And Definition Of Backbiting

It should be known to you that backbiting is to mention your brother in his absence with what he dislikes in case he is informed about it, whether it pertains to defects in his body, ancestry, character, deed, word, religion, world, and even his garment, house and riding mount. As for the body, it is like your mentioning his blindness, baldness, shortness, tallness, blackness, yellowness, etc, of the characteristics which one dislikes to be described with. In relation to ancestry, it is like your saying that one's father is a peasant, an Indian, a wicked, a baseborn, a lowly, etc, of those which one dislikes to be described with. Pertaining to character, it is to say, for instance, that he is ill-mannered, niggard, arrogant, haughty, hypocrite, bad-tempered, coward, weak, reckless, etc. as far as the religious deeds are concerned, it is to say that he is a thief, a liar, a drunk, a betrayer, a wrongdoer, indulgent in prayer or alms, or that he does not bow or prostrate perfectly, or that he does not avoid filth, or that he is undutiful to his parents, or that he does not spend alms properly, or that he does not distribute it with justice, or that he does not safeguard his fasting from obscenity, backbiting and harming the honours of people. As for his worldly deeds, it is to say that he is impolite, who regards people with slightness, and sees no right due to anyone on him, or no duty on him to anyone, or that he is a big mouth, who eats and sleeps much improperly. As for his garment, it is like your saying that he is of large sleeve, long tail, and dirty garment.

But according to some people, there is no backbiting in the matters of religion, for it is to criticize with such of things as Allah Almighty criticized, and it is permissible to criticize him, and remind him of the sins he commits. It is confirmed by the narration that a mention was made to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" of a woman who used to pray and fast so much, but at the same time, she used to harm her neighbours with her tongue. On that he said: "She will be in the fire (of Hell)." (This narration is reported by Ibn Hibban and Al-Hakim on the authority of Abu Hurairah). Another woman

was mentioned to him with her niggardliness thereupon he said: "Then, what good does she have afterwards?" (This narration is reported by Al-Khara'iti on the authority of Abu Ja'far: Muhammad Ibn Ali).

But even, this saying is invalid, for they mentioned that to serve their need of learning the rulings through questioning and by no means depreciation was their purpose. There is no need for the like of it except in the gathering of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". The proof is the consensus that whoever mentions another in his absence with what he dislikes is a backbiter, for he is involved in the definition of backbiting given by the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"; and even in case he is truthful in what he mentions, he is a backbiter, disobedient to his Lord, and eater of the flesh of his brother as attested from the narration in which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Do you know what backbiting is?" They (the Companions) said: "Allah and His Messenger know best." On that he said: "Backbiting is to talk about your brother in such a way that he does not like." It was said to him: "What is your opinion if I found (such a fault) in my brother which I mentioned?" He said: "If this (fault) is really in him (which you mentioned in his absence), you would be regarded to have backbitten him, and if it is not in him, that (which you did) is a slander." (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah).

Mu'adh Ibn Jabal "Allah be pleased with him" said: A mention of a man was made in the presence of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and they said: "How powerless he is!" on that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Indeed, you have backbitten your brother." They said: "O Messenger of Allah! We have mentioned no more than what he really has." He said: "(By so doing you have backbitten him and) in case you have mentioned what he has not, you will have slandered him." (This narration is reported by At-Tabarani). It is further narrated on the authority of Hudhaifah "Allah be pleased with him" that A'ishah "Allah be pleased with her" mentioned a woman to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "How short she is!" on that he said: "No doubt, you have backbitten her." (This narration is reported by Ahmad, Abu Dawud and At-Tirmidhi).

According to Al-Hassan "may Allah have mercy upon him": "To make a mention of another in his absence is of three kinds, all of which are in the Book of Allah: backbiting, slander and untruth. To backbite him is to mention him with what he really has. To slander him is to mention him with what he really has not. To fabricate untruth about him is to say only what has reached you about him." Once, Ibn Sirin "may Allah have mercy upon him" mentioned a man saying: "Ah! This is the black man!" then, he said: "I pray for Allah's forgiveness! I think I have backbitten him." On another occasion, Ibn Sirin "may Allah have mercy upon him" mentioned Ibrahim An-Nakh'i thereupon he placed his hand over eye in avoidance of saying 'the one-eyed'. It is narrated that A'ishah "Allah be pleased

with her" said: "Do not backbite each other! Once, I made a mention of a woman in the presence of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "She is of long tail!" he said to me: "Eject! Eject!" I then ejected something like a piece of flesh." (It is reported by Ibn Abu Ad-Dunya and Ibn Mardawaih).

Exposition Of The Fact That Backbiting Is Not Exclusive To Tongue

It should be known that mentioning with tongue is forbidden for it is intended to make others make sense to the shortcomings and defects of your brother, and let them know what he dislikes them to know about him. In it, both explicit and implicit reference are equal as well as both word and deed are equal. In short, every movement or act that is intended to make others have such impression is included in backbiting, which is evidently unlawful. A mention may be made here of the narration on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that she said: A woman came to visit us, and when she left I beckoned with my hand expressing of her being very short. On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No doubt, you have backbitten her." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya and Ibn Mardawaih).

Included in that also is the imitation in act and behaviour, which is backbiting, if not more grievous than backbiting, for it is more illustrative and expressive. When the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upor him" saw A'ishah "Allah be pleased with her" having imitated a particular mar. he said: "I would not be pleased to imitate a particular man in return for my having such and such property." The same is true also of backbiting with writing, for indeed, pen is one of both tongues. It is a part of backbiting that a composer or a compiler makes a mention of a particular man in his composition and criticize his words unless there is a dire need for it as will be discussed later. But to say that 'Some say so and so' is not backbiting; for actual backbiting is to refer to a particular person in name, no matter living or dead he might be.

It is a part of backbiting to say 'One of those who have come upon us today', if it leads to making the addressee understand that it is a particular person who is intended, for what is forbidden is to make him have such understanding and not the way whichever. But in case it leads not to that, it will be permissible. Whenever the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" disliked anything from a particular person, he would say: "What is the matter with some people who do such and such?" (This narration is reported by Abu Dawud on the authority of A'ishah). If you say "One of those who have returned from journey" or "One of those who claim knowledge" thereby a particular person is presumably to be designated, it will be backbiting.

But even, the most wicked backbiting is that of the reciters who behave in order to be seen of men, for they make others understand their purposes while

being dressed in the dress of men of piety, in order to show how far they are from backbiting. But while doing so, they do not know, due to their ignorance, that they combine two shameful deeds: backbiting and showing off. A typical example is that a mention is made to him of a man thereupon he says (in implicit reference to him): "Praise be to Allah Almighty Who has not put us to the trial of frequenting rulers and disregarding ourselves in pursuit of wealth" or "We seek refuge with Allah from the lack of shyness, and ask Him to protect us from it", just with the intention to refer to the shortcoming to the one in issue. He might first praise such of people as he likes to backbite saying: "How excellent his state is! He never fell short of doing the acts of worship, but nowadays he has become somewhat lukewarm, and been put to the same trial to which the majority of us are sometimes put, i.e. the lack of patience." Although he seems to remind himself, his real purpose is to dispraise such a person and praise himself by likening himself to the righteous. In this way, he is a backbiter, a hypocrite, and a giver of prestige to himself, combining thereby three shameful deeds, thinking, due to his ignorance, that he is among the righteous who abstain from backbiting.

For this reason, Satan plays with ignorant people when they engage in worship without knowledge, pursues them, makes fruitless their deeds with his intrigues and plots, and laughs at them. An example is to mention the defect of a particular person, of which some attendants might not take heed, thereupon he says: "Glory be to Allah! How astonishing this is!" but when he pays attention to him and makes sense to what he says, he mentions Allah Almighty, and uses the name as instrument to realize his cunning, regarding it a favor to mention the Name of Allah, out of ignorance and haughtiness. In another context, he might say: "I have grieved for what happened to our friend; and we ask Allah to relieve him of it." Of a surety, his intention is not to supplicate to good effect to him, for were it would be his real purpose, he would have invoked good on him in secrecy and privacy after his prayer.

He also might say: "That poor man has been tested by a great evil: may Allah Almighty turn to him and us in repentance." In all of that, he demonstrates supplication, and Allah Almighty is well-acquainted with his cunning inside and conscience; and he, being ignorant, does not know that he has been exposed to displeasure much greater than that to which the ignorant is exposed when they backbite publicly. Included in it also is to pay attention to the backbiter by way of wondering, in order to make him more eager to do it, as if he extracts backbiting from him. He says in this respect: "How astonishing! I have not learnt that he is so! Until now, I have not known but that he is good. May Allah Almighty save us from that slip." On that he gives trust to the backbiter, and of a surety, to give trust to a backbiter is in itself a backbiting.

Therefore, the silent also shares the backbiter in his backbiting. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The listener (to backbiting) is one of the two backbiters." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Ibn Umar). It is further narrated on the authority of

both Abu Bakr and Umar "Allah be pleased with her" that one of them said to the other that 'So and so is in the habit of sleeping so much'. Later they asked the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" for condiment thereupon he said to them: "You have taken your condiment." They said: "We do not learn that we have done so." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Nay! You have eaten of the flesh of your brother (about whom you have talked)." (This narration is reported by Abu Al-Abbas Ad-Du'ali on the authority of Abd-Ar-Rahman Ibn Abu Laila).

See then how backbiting included them both although it was one of them who talked and the other just listened. Similarly, when a man said to his friend: "No doubt, this man (Ma'iz) has been lying just as a dog lies" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to them: "Tweak (and eat) thereof!" the listener then is not far from the sin of backbiting unless he disapproves of it with his tongue, or with his heart in the event of fear; and if he is able to stand or at least interrupt the speech of backbiting by talking in another theme and he does not do, the sin becomes due upon him. If he asks him to keep silent and, at the same time, he is willing to listen with his heart, he then is a hypocrite. Nothing keeps him far from sin unless he dislikes it also with his heart.

Furthermore, it is not sufficient for him to beckon with his hand or nod with his head or eyebrows to the backbiter to keep silent out of slightness with which he regards it: on the contrary, he should aggravate it, and avert from the backbitten explicitly. In that respect, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, in whose presence a believer is humiliated (through backbiting him) and he has the power to defend him, and he does not do, he will be put to humiliation by Allah Almighty in the presence of people on the Day of Judgement." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Sahl Ibn Hunaif). Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He who defends the honour of his brother in his absence, it becomes due upon Allah Almighty to defend his honour on the Day of Judgement." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya and At-Tabarani). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "He, who averts evil from the honour of his brother in his absence, it becomes incumbent upon Allah Almighty to release him from the fire (of Hell)." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Asma' Bint Yazid).

Exposition Of Motives Of Backbiting

It should be known that the motives of backbiting are numerous, but they may be summed up in eleven, eight of which are unique to the laymen, and the remaining three to the private and men of religion. As for the eight that pertain to the laymen they are:

The first is to quench one's anger, once his anger is provoked for a certain reason, which leads him to extinguish it by making a mention of the

shortcomings and defects of the anger-rouser. This happens always in the absence of deep faith and true religion. Furthermore, if one fails to slake himself during his anger, it might be congested and turn into firm resentment, and become a permanent cause of making mention of his defects and shortcomings. Both anger and resentment then are among the strong motives of backbiting.

The second is to agree with the companions, adulate the fellows and help them continue their speech. If they are making fun of backbiting and making a mention of the honours of people, he might think that if he disapproves of their conduct, they would regard him boring, and drive him away from their gathering. This leads him to help them seeing it to be out of the good treatment and company adulation. his fellows might become angry, thereupon he becomes in need of growing angry just for the sake of their anger, in demonstration of sharing them the times of adversity and ease. Thus, he engages with them in conversation about the shortcomings and defects of people.

The third is that one feels a would-be attack or expected harm or witness against him from another, which motivates him to take the initiative to slander him before the other attacks him, making fruitless his attack or witness. He might mention first what he really has in truth, in order that when he tells lies about him later, his lies would be trusted publicly depending upon his first truthfulness, quoting: "Telling lies is not my habit; and I told you such and such about him in which I was truthful, and it came true as I have told you."

The fourth is that something he dislikes is attributed to him, from which he wants to set himself free. In doing so, he mentions the one who has done it. It is true that he has the right to set himself free from what he likes, but he has no right to involve in it anyone else, and attribute to him something he dislikes, or at least mention that someone else has taken part with him in it, only to justify his situation.

The fifth is to have the will to be ostentatious and proud (over others), by raising his own rank on the exclusion of depreciating others. He might say, for instance: "So and so is ignorant, of weak understanding, and his speech is enervate", just with the intention to show himself superior and higher than him. He might also slander him for fear the people would exalt another one with the same exaltation he receives from them.

The sixth is the envy. If one is praiseworthy, lovable and honoured among the people, he will be exposed to envy of those who hope that such of favors and privileges as he has would vanish from him. The envier might find no way to do so but to slander him and depreciate his rank in the sight of people, in order to desist from giving thanks to him and singing his praises, which it is difficult upon him to hear. This is evident envy and it differs from anger and resentment. Anger is provoked by a certain act against somebody, whereas envy might be against one's fellow and friend.

The seventh is to make fun, play, joke, and enjoy of the leisure time in laughter. He might make a mention of the defects of others just to cause the

attendants to laugh. However, its origination is arrogance and haughtiness.

The eighth is to ridicule and mock at another, out of showing contempt for him. This might happen in the presence or in the absence of those whom he mocks at or scorns. Its origination also is arrogance and haughtiness.

As for the three causes that are unique to the private people, they are more abstruse and complicated, for they are no more than evils stored by Satan in the form of good things. Although good might lie in them, they are contaminated by evil.

The first is that, out of faith, one might be led by the desire to disapprove of the evildoings and faults in religion, to wonder saying: "How astonishing that is which I have seen from so and so!" he might be true to his wonder at the evildoing. But in order to be really so, he should have wondered at the evildoing itself, with no reference to its perpetrator. But unfortunately, Satan makes it easy upon him to mention the name of the perpetrator during his wonder, thereby he becomes a backbiter and sinful even though he knows not. A typical example is the statement of a man: "I wonder at so and so how he loves his slave-girl although she is ugly!" or "I wonder at so and so, how he sits in front of so and so although he is ignorant!"

The second is to show mercy, i.e. to show grief in sigh for the trial to which somebody else has been put, saying: "How poor so and so is! His disaster has really aggrieved me!" he might be true to his grief, and his anxiety might also divert him from take heed not to mention is name, and once he mentions his name, he becomes a backbiter. Thus, although his grief, anxiety and mercy he shows for the afflicted one are good, Satan leads him to backbiting which is evil from where he knows not. Although there is possibility to show mercy and grief for a particular person with no need to make a mention of his name, Satan always prompts him to make a mention of his name in order to make fruitless his deed, and cause him to lose the reward for it.

The third is to grow angry for the Sake of Allah Almighty. One might grow angry for an evildoing or sin committed by another he has seen or heard of, and while showing his anger, he might make a mention of the name of the perpetrator, although it is incumbent upon him to show anger towards him in the form of enjoining good upon him and forbidding him to do evil, with no need to announce his name publicly.

Those three are abstruse upon the religious scholars, let alone the laymen! They think, though falsely, that showing wonder, anger and mercy for the Sake of Allah Almighty justifies the mention of the name. there is no need at all to make the mention of anyone with evil in his absence. However, the concession thereof will be discussed later.

It is narrated on the authority of Amir Ibn Wathilah "Allah be pleased with him" that a man came upon a people during the lifetime of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and greeted them and they returned the greeting to him. When he surpassed them, a man

from the sitting people said: "I dislike that man in (the religion of) Allah Almighty." The sitting people said: "How bad that is which you have said! By Allah, we will inform him." They told a man from them to stand up, catch him, and tell him about that. Their messenger caught him and told him. He went to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and told him the story and asked him to invite that man and inquire from him why he had said so.

He invited and asked him and the man confessed. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" asked him: "Then, why do you dislike him?" he said: "I am his neighbour and I know him well. by Allah, I have never seen him performing but the (obligatory) written prayer." He said: "Ask him O Messenger of Allah: has he ever seen me delaying it from its due time, or performing ablution for it imperfectly, or falling short of its bowings and prostrations?" he asked him and the man answered in the negative. He said: "By Allah, I have never seen him fasting but that month (of Ramadan) which both the righteous and wicked fast." He said: "Ask him, O Messenger of Allah: has he ever seen me leaving fast in it, or falling short of fulfilling what is due in it?" he asked him and the man answered in the negative. He further said: "By Allah, I have never seen him giving a beggar or a needy or an indigent, or even spending in the Cause of Allah anything other than the obligatory charity which is given by both the righteous and the wicked equally." He said: "Ask him, O Messenger of Allah: has he ever seen me decreasing it than what is due, or withholding it from its proper recipient?" he asked him and he answered in the negative. On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to the man: "Stand up (and leave), perchance he is better than you!" (This narration is reported by Ahmad).

Exposition Of Remedy That Impedes Tongue From Backbiting

It should be known to you that all bad manners are susceptible to remedy by a mixture of knowledge and deed, and the remedy of every disease is to contradict its cause. So, the right way is to search for its real cause. There are two ways to remedy tongue and impede it from backbiting: general and detailed. In general, one has to know, from the many narrations and traditions we have already transmitted, that by his backbiting, he exposes himself to the anger and wrath of Allah Almighty, and that backbiting shall render fruitless all of his good deeds on the Day of Judgement. That is for his good deeds will be transferred to him whom he backbitten in the world, out of compensation for dishonouring him, and in case he has no good deeds, the evil deeds of him whom he backbitten will be transferred to him.

Besides, he is vulnerable to Allah's anger and displeasure, as he is likened to an eater of the flesh of a dead body. It is known that a man enters the fire (of Hell) when the scale of his evil deeds overweighs that of his good deeds, and only a single evil deed to be transferred to him from him whom he backbitten, is

sufficient to make his evil deeds overweigh his good deeds, thereby he enters the fire (of Hell). But at the least, it will decrease the reward of his good deeds, after settling disputes, deciding the cases, questioning and answering, and reckoning, and giving everyone his due in full. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Backbiting is swifter to devour the deeds of the servant than the fire is to eat up the dry things." It is reported that a man said to Al-Hassan "may Allah have mercy upon him": "I have been reported that you backbite me." On that he said: "Which esteem do you have with me in order to invest you with the authority over my good deeds?"

Once a servant has faith in the narrations we have transmitted, of a surety, he would hardly unleash his tongue to backbite and dishonour people for fear of its evil consequences. Of benefit to him also is to consider his own affair: if he finds a defect in himself, let him engage in repairing it, putting in mind the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Blessed be he who engages by his own defect from the defects of others." (This narration is reported by Al-Bazzar on the authority of Anas). If he detects a shortcoming in himself, he should feel shy to engage in criticizing others on the exclusion of criticizing himself or his own shortcoming. He should verify that the other's failure to free himself from his defect is just like his own failure to set himself free from his shortcoming.

This is in relation to the defects and shortcomings which are subject to human's act and choice (i.e. the moral character and manners). But if it pertains to a physical fault, then, to criticize him for it is to criticize the Creator Himself However, whoever criticizes an artifact has indeed criticized its maker. A man said to a sage: "O ugly man!" on that he said: "The matter of creating my face was not up to me to beautify it." furthermore, if one finds no defect in himself, let him engage in giving thanks to Allah Almighty, and not pollute himself with the greatest defect, i.e. dishonouring people and eating their flesh (through backbiting). If one is just and fair, he shall know that thinking of himself as purely free from all defects is out of his ignorance, which is one of the greatest defects. He also should learn that the pain caused to anyone by his backbiting him is like the pain caused to him if anyone else backbites him. If he does not accept to be backbitten by anyone, he should not accept to anyone but what he accepts to himself.

In regard with the detailed remedy, he should look for the motive of backbiting. The remedy of each disease is to contradict its cause. We have already presented the causes. As for anger, let him treat it by saying to himself: "If I grow angry with him, Allah Almighty might become angry with me because of backbiting, which He forbade me to do, and I dared to do it, and Thus, regarded slightly the forbiddance and deterrence of Allah Almighty." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said in this respect: "The (fire of) Hell has a gate which none shall enter but him who dares to extinguish his anger by disobeying Allah Almighty." (This narration is reported by Al-Bazzar, Ibn Adi, Al-Baihaqi and An-Nasa'i on the authority of Ibn Abbas).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "He who safeguards himself against (the punishment of) his Lord, let him hold back his tongue and cease to quench his anger." (This narration is reported by Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Sahl Ibn Sa'd). the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "He who has control over his anger although he has the power to carry on it, on the Day of Judgement, Allah Almighty will invite him in front of the people, and give him the freedom to choose such of beautiful women with big lustrious eyes as he likes." (This narration is reported by Abu Dawud, At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Mu'adh Ibn Anas). According to one of the Scriptures revealed unto one of the Prophets, Allah Almighty says: "O son of Adam! Remember me when you grow angry (with anyone), perchance I remember you when I grow angry (with you), and Thus, does not obliterate you among those whom I obliterate."

As for adulation and agreement (with your fellows in their backbiting), its remedy is to learn that Allah Almighty grows angry with you if you endeavor to displease Him through pleasing His creatures. How should you accept to revere the creatures and regard slightly your Creator, by displeasing Him in the way of pleasing them? And even, if your anger is for the Sake of Allah Almighty, there is no need to mention with evil the one with whom you are angry for the Sake of Allah. You should grow angry for the Sake of Allah with your fellows if they mention him with evil, for by doing so, they have disobeyed their Lord by backbiting, one of the most shameful sins.

In relation to ascribing others to treachery in the way of freeing yourself from it, where there is no point of it, the remedy thereof is to learn that to expose yourself to the displeasure of the Creator is more severe than to expose you to the displeasure of the creatures, and by backbiting, you certainly expose yourself to the displeasure of Allah Almighty, without knowing that your hope to set yourself free in this world from the hatred and wrath of the people will lead you to destruction in the hereafter, and the loss of your good deeds. However, you will gain the criticism of Allah on the spot, in expectation for averting from you the criticism of people on credit; and this is the peak of ignorance and weakness.

As for your justifying excuse: "Were I to eat the unlawful, so and so has eaten it; and were I to accept money from the ruler, so and so has accepted it", this is evident ignorance, for by so doing, you excuse by imitating such as disobeys Allah Almighty, following whom is impermissible. One should not imitate such of people as opposes the command of Allah Almighty. Should anyone enter the fire and you have power to enter it not, you then has not to agree with him; and should you agree with him you would be foolish and weak-minded. What is then the point of making a mention of him by way of backbiting, thereby you add a sin to your one for which you have apologized? Therefore, if you do so, you will combine both sins due to your ignorance and stupidity.

In relation to your purpose of showing pride and justifying yourself by

demonstrating your superiority and preeminence to others, through slandering them, you should learn that by the evil with which you mention others, you cancel out your superiority and preeminence in the Sight of Allah Almighty. Moreover, danger lies in the people's thinking of your superiority, for it might decrease once they know your inclination to depreciate others. In this way, you will sell what is certainly with the Creator for what is falsely with the creatures. More precisely, if the creatures are to think of your superiority, in no way would they avail you against Allah Almighty.

Concerning backbiting for the purpose of envy, it is to combine two kinds of punishment. That is because you envy him for a favor in this world, with the result that you live in the punishment of envy in this world; and you are not satisfied only with that, but also (by backbiting) you add to it the punishment of the hereafter. Thus, you lose in the world and the hereafter. Although you aim at your envied, you harm yourself and present your good deeds to him as a gift. You are then his friend by the time you are the enemy of yourself. Your backbiting him harms him not in so much as it harms you, but it benefits him, by transferring your good deeds to him or transferring his evil deeds to you. To the wickedness of envy, you add the ignorance of foolishness. Therefore, your envy and slander might be a main cause of spreading the superiority and preeminence of your envied, as it is said (in the form of a poetic verse): "If Allah wills to make public a forgotten virtue, He assigns to it the tongue of an envier (to spread i among the people)."

In relation to mockery, its purpose is to put to shame the one at whom you mock, but in fact, you put yourself to shame before Allah Almighty, the angels and the Prophets. If you consider your crime, misdeed, and sigh, and the evil deeds you will carry on the Day of Judgement of him whom you mock at in this world, with the result that you would be driven to the fire (of Hell), of a surety, you would cease to ridicule him. If you know in truth your own state, you would find it preferable to laugh at yourself. That is because you have mocked at him before a few number of people in this world, thereby exposing yourself to be taken in the presence of a big assembly of creatures in the hereafter by him to give you of his own misdeeds just as a donkey is driven to the fire, mocking at you, rejoicing at your disappointment, and happy at the victory given to him by Allah Almighty.

As for showing mercy and sympathy towards one for his sins and misdeeds, it is good in its nature, but Iblis here deceives you, and prompts you to speak in a way that moves much of your good deeds to the other more than the mercy and sympathy you have showed towards him. Thus, you will turn from being an invoker of mercy to being worthy of it. That is because your reward will become fruitless, and your good deeds would decrease.

The same is true of showing anger for the Sake of Allah Almighty, which in itself does not require backbiting. But it is Satan who endears backbiting to you in order to render fruitless the reward of your anger, and expose you by backbiting to the wrath of Allah Almighty.

Concerning wonder, if it is to lead you to backbiting, you should first wonder at your own self, how you have ruined yourself and your faith by the faith and world of another. At the same time, you could hardly be safe from the punishment in this world, which might be in the form of Allah's tearing your curtain (of defects and shameful deeds) just as you have done the same with your brother by wondering at his state.

In brief, the total remedy of all of that is first the knowledge, and verification of those matters which are among the keys to faith, for he whose faith is strong in all of that, his tongue disdains from backbiting in all of its different forms.

Exposition Of Prohibition Of Backbiting With Heart

It should be known to you that negative assumption about your brother is forbidden just like negative speaking about him. As well as it is unlawful for you to talk to anyone about the defects of another in his absence, it is equally unlawful to talk in yourself about his shortcomings, and think ill about him. I mean by it the heart decision and judging him as evil. But as for self talks and passing thoughts that occur to the mind, they are forgiven, and the same also is true of suspicion. What is really forbidden is negative assumption, i.e. that on which the soul relies and to which the heart inclines (in passing judges). Allah Almighty says in that respect: "O you who have believed, avoid much [negative] assumption. Indeed, some assumption is sin." (Al-Hujurat 12)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ ﴿١٢﴾ ﴾

As to why it is forbidden, it is because the mysteries of hearts are unknown but to Allah, the Knower of the unseen. So, you should not think ill about anyone unless it is revealed to you clearly and outspokenly, in which case you come to think only of what you really have known and seen with your eye and heard with your ear. But what you have not seen with your eye, nor heard with your ear, and, at the same time, it has occurred to your mind, it is Satan who dictates it into your mind, to whom you should give lie, for he is the most wicked of those who are wicked. Allah Almighty says: "O you who have believed, if there comes to you a disobedient one with information, investigate, lest you harm a people out of ignorance and become, over what you have done, regretful." (Al-Hujurat 6)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾

This is why it is impermissible to give trust to Iblis.

If there is suspicion about his corruption and otherwise is probably possible, it is impermissible for you to give trust to that suspicion. However, if the smell of wine is detected in anyone, it is impermissible to execute the legal punishment on him for it is possible to say that this smell resulted only from rinsing his mouth with wine, and that he did not drink it. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah has made sacred from a Muslim his blood and property, and to have negative assumption about him." (This narration is reported by Al-Baihaqi on the authority of Ibn Abbas; and Ibn Majah on the

authority of Ibn Umar). Thus, the negative assumption is subject to the same ruling of blood and property in this respect, i.e. there should be witnessed with the eye, or there should be a just evidence. But if it only occurs to your mind because of suspicion, it should be averted.

But, you may ask about the criterion according to which the negative assumption is distinguished. In reply to it, let's say that from among the portents of the negative assumption you might have of anyone is that your heart changes, and turns from the state in which it was (before that), in such a way that causes you to disdain from him, and heed not about his affair. However, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Three things befall a believer, and there is a way out of them: his way out of the negative assumption is to give no trust to it." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Harithah Ibn An-Nu'man). He means that you should not put such negative assumption to practice, whether by heart or by organs.

By the least degree of fancy, Satan might give your heart the impression that such assumption is sound, due to your good intelligence and swift perception, depending upon the claim that the faithful believer always sees with the light of Allah Almighty. But in this state, Satan causes you to see with the eye of deception and conceit. If it is a just man who instills in you such suspicion, and you give trust to it, you will have excuse, for were you to give lie to him, you would Thus, be unfair to that just man by giving lie to him, which is out of negative assumption. It is not justice then to have a good expectation of one and have a negative assumption of another. The right course is to inspect whether there is an enmity between both before making your decision. The religious law rejects the witness of a just father to his son for fear of charge (of prejudice) just as it also rejects the witness of an enemy (according to the narration of At-Tirmidhi on the authority of A'ishah). Thus, you have to stop.

But even, if the teller is a just man, you should neither give lie nor give trust to him. But rather, you'd say: "The state of the aforementioned is screened from me, and the teller might seem just, and there is no enmity between him and the aforementioned, but at the same time, he might be in the habit of conversing about the people, and mentioning their defects, and Thus, he is not really a just man." Of a surety, the backbiter is wicked, and his witness is cancelled under religious law. But the people, being increasingly accustomed to it, have come to indulge in backbiting, and be careless about conversing about the honors of people. However, whenever an evil thought occurs to your mind about a Muslim, you should hasten to have a good expectation of him, and supplicate to a good effect for him. Therefore, this averts Satan from you, and impedes him from inspiring any evil idea about that man, for fear of your engagement in supplication.

If you learn a flaw about a Muslim, you should advise him in secret, and do not let Satan deceive you and lead you to backbite him. If you admonish him, do not seem to him joyful of having acquaintance with his flaw, which causes you to

regard him with slightness, and him to appreciate you for your being in the position of his counselor. But rather let your purpose be to deliver him from his sin while you are as sad as you might be for your own self in case you are in the same position of sinfulness. It should be much dearer to you if he gives sin without your advice. If you do so, you will combine the rewards of admonition, grief for his disaster, and aiding him maintain his religion.

Spying is one of the fruits of negative assumption. The heart is not satisfied with suspicion, and in quest for verification, it engages itself in spying, although it is forbidden. Allah Almighty says: "O you who have believed, avoid much [negative] assumption. Indeed, some assumption is sin. And do not spy or backbite each other." (Al-Hujurat 12)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًا ﴿١٢﴾ ﴾

To spy is not to leave the servants of Allah under the screen of Allah, and seek to know and remove the screen until he knows that which, being veiled from him, would be safer for his heart and religion. We have already mentioned the definition and ruling of spying in the book of Enjoining Right and Forbidding Evil.

Exposition Of Excuses That Justify Backbiting

It should be known to you that the mention of evils and defects of others in their absence is justifiable only in case the purpose is valid under religious law, and that purpose could be achieved only by that mention, which, in turn, would avert the sin of backbiting. They are six:

The first is grievance: the one who ascribes a particular judge to wrongdoing, treachery, and accepting bribe is a sin and backbiting unless he himself is wronged. The one who is wronged by the judge has the right to make a complaint to the ruler and ascribe wrongdoing to that judge, since this is the only way for him to take back his right. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Indeed, the one who has a right is more entitled to speak (to demand his right)." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "No doubt, the wealthy's procrastination (to repay his debt) is injustice." (This narration is reported by both sheikhs on the same previous authority). It is narrated on the authority of Amr Ibn Ash-Sharid from his father that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The procrastination of such as is able (to fulfill his debt) makes lawful both his honour and punishment." Ibn Al-Mubarak says: He means by making lawful his honour that he leads him to be put to shame; and his punishment is that he should be sentenced to prison. (This narration is reported by Abu Dawud, An-Nasa'i and Ibn Majah).

The second is to seek the aid of changing evildoing, and reverting the disobedient to righteousness. It is narrated that once Umar "Allah be pleased

with him" came upon Talhah or Uthman "Allah be pleased with him" and greeted him, but he did not return the greeting. He went to Abu Bakr "Allah be pleased with him" and told him about that, thereupon Abu Bakr went to him to mend the relation between them; and of a surety, this was not backbiting. Similarly, when the news reached Umar "Allah be pleased with him" that Abu Jandal drank alcohol in Sham, he sent to him the following letter: "In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful: "Ha-Mim. The revelation of this Book is from Allah, Exalted in Power, Full of Knowledge, Who forgives Sin, accepts Repentance, is Strict in Punishment, and has a Long Reach (in all things). There is no god but He: to Him is the Final Goal." (Ghafir 1-3)

﴿ حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝ ﴾

The result was that he repented and gave up drinking. The point here is that Umar "Allah be pleased with him" did not regard it backbiting from him who reported that news to him, for his purpose was to change his bad conduct, and let him benefit from the advice of Umar better than he could from anyone else. It was then the right purpose which made it permissible. But in case there is no right purpose as such, it is evidently unlawful.

The third pertains to seeking fatwa (Islamic legal opinion) from the Mufti (Interpreter of Islamic Law), like one's saying to him: "My father/wife/brother/mother/son/etc, has wronged me." But here, it is safer for such to make an indirect reference saying for instance: "What do you say about a man whose father/brother, etc, has wronged him?" but any way, the explicit designation to that effect is permissible, as confirmed by the narration that Hind Bint Utbah said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Abu Sufyan is a miser and he does not give me what suffices me and his dependents: could I take from his wealth without his knowledge?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Take what suffices you and your children but fairly and reasonably." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of A'ishah). Here she made a mention of his miserliness and unfairness to her and her children, and the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did not deter her, for her purpose was to seek his fatwa.

The fourth is to warn a Muslim of evil. If you see a religious jurisprudent, for example, frequenting a religious innovator or a wicked, and you fear his innovation or wickedness should overtake him, you have the right to draw his attention and uncover to him such innovation or wickedness, as long as your purpose is the fear for him of the evil effects of innovation and wickedness. But the origination of this might be deception since it is envy, for instance, which might motivate one to do so, and Satan dissembles that by showing sympathy for the creatures. Similarly, if a man bought a slave whom you know to be

characterized by theft or wickedness or any other defect, you have the right to highlight it. Although your silence causes harm to the purchaser, your mention causes harm to the slave; and the purchaser has more right to be observed in this respect.

The same is true of the one who seeks consultation in the matters of marriage, in which case you have the right to mention what you know about him, only by way of advising and not by way of making enmity between them. If he is thought to be deterred only by explicit disclosure of his defects, then, you have the right to reveal it, as confirmed by the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Reveal the screen from the wicked so that the people would know his wickedness, and make a mention of his defects so that the people would take heed of him." (This narration is reported by At-Tabarani, Ibn Hibban, and Ibn Adi on the authority of Bahz Ibn Hakim from his father from his grandfather). They used to say: "(If you make a mention of) three persons (even in their absence), it will not be regarded as backbiting: the wrongful ruler, the religious innovator, and the wicked who makes public his wickedness."

The fifth is that a man is famous for a nickname that expresses his defect, like Al-A'raj (the lame), Al-A'mash (the blind). Thus, there is no sin on him who says: "It is reported on the authority of Abu Az-Zinad from Al-A'raj, or Salman from Al-A'mash" etc. this is necessary for recognition on the one hand, and such nickname turned to be familiar to the extent that its carrier would not hate it in case he heard it, given that he became famous for it. It is true that if there is another statement for recognition, it will be preferable.

The sixth pertains to the person who makes public his wickedness, like the effeminate, the one who drinks alcohol publicly, or the one who confiscates the property of people illegally, of which he is so much proud that if it is mentioned to him, he would not be perturbed; and in this way, there is no sin on him who mentions such a person. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who lifts the veil of modesty from his face, then, (mentioning him in his absence) is not regarded as backbiting." (This narration is reported by Ibn Adi and Abu Ash-Shaikh on the authority of Anas). According to Umar "Allah be pleased with him": "There is no sanctity for a wicked." By the wicked he means such of people who makes public his wickedness, unlike him who conceals his wickedness, whose sanctity should be observed. As-Salt Ibn Tarif said: I asked Al-Hassan: "If a wicked who makes public his wickedness is mentioned in his absence with what he really has, is it regarded as backbiting?" he answered in the negative.

Al-Hassan said: "There are three persons, whose mention (even in their absence) is not regarded as backbiting: the whimsical, the wicked who makes public his wickedness, and the wrongful ruler." Those three always blow their own horn because of what they do, so, how should they disliked to be mentioned with it given that their purpose is to demonstrate it? Awf said: Once, I visited Ibn Sirin, and spoke ill about Al-Hajjaj, thereupon he said: "No doubt, Allah is a Just Ruler, and He exacts retribution on behalf of Al-Hajjaj from such of people as

backbites him, in the same way as He exacts retribution from Al-Hajjaj on behalf of such of people as he wrongs. If you are to meet Allah tomorrow (by death), the least sin you have committed will be more grievous on you than the greatest sin Al-Hajjaj has committed."

Exposition Of Expiation To Be Made For Backbiting

It should be known that a backbiter should show regrets and sorrow, and repent from what he has done in order to fulfill the right of Allah Almighty on him in this matter. Therefore, he has to ask him whom he has backbitten to set him free from that sin, showing sorrow, regret and grief for what he has done with him. However, such of people as wants to be seen of men might ask him who he has backbitten to set him free from that sin just to show his piety, while within himself he is not regretful or sorry for the harm he ahs caused to him. In this way, he will have committed a further sin (of showing off to be added to that of his backbiting). According to Al-Hassan: "It suffices him to ask for forgiveness (of Allah), with no need to ask your brother to set you free from that sin." Perhaps, he took evidence for that from the narration on the authority of Anas Ibn Malik "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The expiation of such of people as you have backbitten is to ask for (Allah's) forgiveness for him." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya).

According to Mujahid "may Allah have mercy upon him": "The expiation of your eating the flesh of your brother is to praise him and supplicate to a good effect for him." When Ata' Ibn Abu Rabah "may Allah have mercy upon him" was asked about the expiation for backbiting he said: "It is to go to your brother (whom you have backbitten) and said to him: "I have told a lie about you, wronged you and done evil to you: take then back your right from me if you so like, or pardon me if you so like." However, this is the most right. It is of no value the statement of him who says that there is no compensation for the honour, and Thus, asking for release from the sin is not binding.. that is because the legal punishment for launching a false charge is incumbent. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said in an authentic Hadith: "If one has a complaint against his brother pertaining to honour or property, let the latter ask him to release him of it in this world before the coming of a day on which there will be neither a Dinar nor a Dirham, but it will be taken from his good deeds, and if he has no good deeds, it will be taken from the evil deeds of his companion to be added to his evil deeds." (This is reported by both sheikhs on the authority of Abu Hurairah). A'ishah "Allah be pleased with her" said to a woman who described another woman as of long tail: "No doubt, you have backbitten her. So, you should ask her to release you from that sin." Thus, asking for release from the sin of backbiting is necessary as much as is it possible. But in case he is absent or dead, he then should ask for forgiveness and supplication to a good effect for him more often, and do much good deeds (to remove his evil ones).

If you ask whether or not giving him release is binding, let me answer in the negative for it is given as a gift, and the gift is voluntary and not obligatory. The only way is that the backbiter should do his best to apologize to him, and praise him so much and continue to do so until he gets pleased; and if he does not get pleased, his apology and praise would be a good deed to be reckoned for him therewith to counteract his evil deed of backbiting on the Day of Judgement. However, some righteous predecessors were in the habit of giving no release to their backbiters. Sa'id Ibn Al-Musayyab "may Allah have mercy upon him" said: "I never release from sin such of people as has wronged me." According to Ibn Sirin "may Allah have mercy upon him": "It is not I who has forbidden it to him in order to make it lawful for him. It is Allah Almighty Who has made it unlawful, and I am not to make lawful what Allah Almighty has made unlawful."

You may ask: "What is the significance of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "He should ask his brother to release him from that sin", given that making lawful what Allah Almighty made unlawful is impermissible?" in reply to that let's say that what is intended is to ask him to pardon him for that grievance and not to turn the unlawful into lawful. The statement of Ibn Sirin is good for it is impermissible for him to make lawful the backbiting for anyone whatsoever.

You may further ask: "What is the significance of the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Does anyone of you fail to be like Abu Damdam who used to say whenever he comes out of his house: 'O Allah! I have given in charity (the sin of harming) my honour to the people'?" (This narration is reported by Al-Bazzar and Al-Aqili on the authority of Anas). How should one give in charity (the harm of) his honour? And if one gives it in charity, should it be permissible to violate it through speech? And if the charity here is not effective, what is the significance of exhortation to it?"

In reply to that, let's say that he intended to have no complaint against him on the Day of Judgement because of harming his honour, otherwise, by no means would backbiting become lawful with it, nor would the complaint lapse from the criminal. But since he promised to forgive for it, he has the right to fulfill it if he so likes, or retract from it if he so likes. Therefore, the religious jurisprudents state that even the pardon of the falsely charged does not cancel the execution of the legal punishment on the charger in this world; and the complaint in the hereafter is like the complaint in this world.

In short, pardon is favorable. Al-Hassan "may Allah have mercy upon him" said: "When it will be the Day of Judgement, and the peoples will kneel down before Allah Almighty, a caller will cal: "Let those stand who have their reward incumbent upon Allah Almighty." Only whose who used to pardon the people in the world will stand." Allah Almighty says in this respect: "Hold to forgiveness; command what is right; but turn away from the ignorant." (Al-A'raf 199)

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾

the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" asked: "O Gabriel! What is that forgiveness (which Allah Almighty commands me to hold to)?" he said: "Allah Almighty commands you to forgive such of people as wrongs you, keep relation with such of them as severs relation with you, and give such of them as withholds from you." It is reported that it was said to Al-Hassan "may Allah have mercy upon him": "So and so has backbitten you." On that he sent a gift of dates on a dish to him with the following message: "I was reported that you have presented to me as a gift some of your good deeds, and I liked to reward you for it. But excuse me for I could not recompense your reward in full."

The Sixteenth Evil: Talebearing

Allah Almighty says: "A slanderer, going about with calumnies, (Habitually) hindering (all) good, transgressing beyond bounds, deep in sin, Violent (and cruel), with all that, base-born." (Al-Qalam 11-13)

﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝ ﴾

According to Abdullah Ibn Al-Mubarak "may Allah have mercy upon him": "The baseborn is he who is produced out of fornication, and does not conceal secrets." His reference to the fact that such of people as does not conceal secrets and rather goes about with calumnies should be produced out of fornication is elicited from the statement of Allah Almighty: "Violent (and cruel), with all that, base-born." Allah Almighty further says: "Woe to every (kind of) scandal-monger and backbiter." (Al-Humazah 1)

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝ ﴾

The scandal-monger is said to be the one who goes about with calumnies. He says (in description of the wife of Abu Lahab): "His wife shall carry the (crackling) wood; As fuel!" (Al-Masad 4)

﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ ﴾

She was said to have used to carry secrets and go about with calumnies. He Almighty also says (about the wives of both Noah and Lut): "but they were false to their (husbands), and they profited nothing before Allah on their account, but were told: "Enter you the Fire along with (others) that enter!" (At-Tahrim 10)

﴿ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ۝ ﴾

It was said that the wife of Lut used to tell her people about his guests, and the wife of Noah used to tell her people that her husband was mad.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No talebearer should enter the Garden." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Hudhaifah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The dearest among you to Allah Almighty are those who have affection (to the people) and put affection (in the hearts of people);

and the most hateful among you to Allah Almighty are those who go about with calumnies among the people, who divide the brothers." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him"). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Should I not tell you about the evil among you?" they said: "Yes O Messenger of Allah." He said: "These among you who go about with calumnies, who corrupt the relation between the lovers, and seek to ascribe defects to the faultless." (This narration is reported by Ahmad on the authority of Abu Malik Al-Ash'ari).

Abu Dharr "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who attributes to a Muslim a word of evil and publicizes it among the people to defame him with it with no just cause, Allah Almighty will defame him in the fire (of Hell) on the Day of Judgement." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya and At-Tabarani). Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If anyone attributes an evil word to a Muslim of which he is innocent, and publicizes it among the people to defame him with it in this world, it is incumbent upon Allah Almighty to admit him to the fire (of Hell) because of it on the Day of Judgement." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya and At-Tabarani). Abu Hurairah "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who gives a witness against a Muslim which he does not deserve, let him occupy his seat in the fire (of Hell)." (This narration is reported by Ahmad and Ibn Abu Ad-Dunya).

It is said that one-third the punishment of the grave is caused by talebearing. Ibn Umar "Allah be pleased with him" narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "When Allah Almighty created the Garden, He told it to speak, and it said: "Happy be he who shall enter me." (Allah) the Irresistible Almighty said: "By My Honor and Majesty, eight persons are forbidden to reside in you: an addict to wine, a persistent in adultery, a talebearer, a cuckold, a (transgressing) policeman, an effeminate, a severer of relation with kith and kin, and whoever says 'The pledge of Allah is due on me if I do not do so and so', and breaks his vow."

It is reported on the authority of Ka'b Al-Ahbar that the children of Israel were afflicted with draught, and Moses "Peace be upon him" prayed for rainfall many times, but he received no answer. On that Allah Almighty revealed to him that 'I shall never respond to you and to those with you and there is a talebearer among you, who persists in talebearing'. Moses said: 'O Lord! Who is he? Guide me to him so that I would dismiss him away from us'. He Almighty said: 'O Moses! Should I forbid you talebearing and I become a talebearer?' on that all of them repented and were provided with rainfall.

It is further reported that a man followed in the steps of a sage for seven hundred Farsakhs just for the sake of seven words. When he met him he said: "I have come to you to obtain from the knowledge that Allah Almighty has

conferred upon you. Tell me about the heaven and what is heavier than it, about the earth and what is more spacious than it, about rock and what is harder than it, about fire and what is more sweltering than it, about chill and what is colder than it, about the ocean and what is more abundant than it, and about the orphan and what is more humiliated than him." The sage said to him: "No doubt, fabrication of falsehood about an innocent is heavier than the heaven; the truth is more spacious than the earth; the satisfied heart is more abundant than the ocean; both envy and miserliness are more sweltering than the fire; the failure of one's need to his kin is colder than chill; the disbeliever's heart is harder than the rock; and the talebearer who is recognized for his talebearing is more humiliated than the orphan."

Exposition Of Definition Of Talebearing And The Way To Repel It

It should be known that the term going with calumnies is given to him who transmits the speech of somebody about another to him, like your saying, for instance: "So and so said such and such about you." But even, talebearing is not only unique to that: it refers to disclose what is disliked to be disclosed, whether it is hateful in the sight of the one about whom the tale is transmitted, the one to whom it is transmitted, or a third party, and whether the disclosure is done by way of saying, writing, or hinting, whether the tale belongs to the words or deeds, and whether the tale does or does not pertain to a defect of him about whom it is transmitted.

Talebearing in its reality is then to disclose a secret and uncover a thing that is disliked to be disclosed or uncovered. If one sees anything of the states of people that is undesirable to be disclosed, he should keep silent from it, unless telling it causes benefit to a Muslim or averts a sin. For instance, if one sees a man usurping the property of another, he should witness to it in observation to the right of the latter. But if he sees him hiding money for himself and he discloses it, it belongs then to talebearing and disclosure of secrets. If the tale which he bears carries a defect or a shortcoming of him about whom it is transmitted, one then will have combined both sins of backbiting and talebearing. The motive of talebearing might be to do evil to the one about whom the tale is transmitted, to show love for him to whom it is transmitted, or just to entertain others with conversation and engage in useless talk and falsehood.

There are six Issues due upon everyone to whom a tale is transmitted and said to him: "So and so says about you such and such, does such and such harm to you, or makes a plot to harm you" etc:

The first is that he should give no trust to him for the talebearer is a wicked whose witness is cancelled. Allah Almighty says in this respect: "O you who believe! if a wicked person comes to you with any news, ascertain the truth, lest you harm people unwittingly, and afterwards become full of repentance for what you have done." (Al-Hujurat 6)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦ ﴾

The second is that he should forbid him to be a talebearer, advise him to leave it, and deface that behavior to him. Allah Almighty says: "enjoin what is just, and forbid what is wrong." (Luqman 17)

﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾

The third is that he should hate him for the Sake of and in the religion of Allah Almighty, for he is hateful in the Sight of Allah Almighty, and such of people as is hateful in the Sight of Allah Almighty should be disliked.

The fourth is that you should not have negative assumption about your absent brother, due to the statement of Allah Almighty: "O you who believe! avoid suspicion as much (as possible): for suspicion in some cases is a sin." (Al-Hujurat 12)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾

The fifth is that what is reported to you should not lead you to spy in inspection and verification of it, in compliance with the statement of Allah Almighty: "and spy not on each other." (Al-Hujurat 12)

﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ ﴾

The sixth is that you should accept to do what you forbid the talebearer to do, and transmit his tale saying: "So and so has told me such and such", thereby you will be both a talebearer and a backbiter. It is narrated that a man entered upon Umar Ibn Abd-Al-Aziz "may Allah have mercy upon him" and told him something about another, thereupon he said to him: "If you like, let me consider your case: if you are a liar, then, you will be from those about whom the following Holy Verse tells: "O you who believe! if a wicked person comes to you with any news, ascertain the truth, lest you harm people unwittingly, and afterwards become full of repentance for what you have done." (Al-Hujurat 6)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾

If you are true to what you have told, then, you will be among those about whom the following Holy Verse tells: "A slanderer, going about with calumnies." (Al-Qalam 11)

﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴾

But if you like, let's pardon you." He said: "Pardon me O Commander of Believers! I shall never do it once again."

It is reported that a sage was visited by one of his brothers who told him something about one of his friends, thereupon he said to him: "You have delayed to visit me, and committed three crimes: you have sowed the seeds of aversion towards my brother in my heart, engaged my heart that was empty (from any ties with this world), and put your supposedly trustworthy soul to suspicion." It is reported that Sulaiman Ibn Abd-Al-Malik was sitting and Az-Zuhri was sitting with him when a man came to him, to whom Sulaiman said: "I have been reported that you conversed about me and said such and such about me." The

man said: "I have never done nor said anything about you." Sulaiman said: "But the one who told me is truthful." On that Az-Zuhri said: "By no means would a talebearer be truthful." Sulaiman said: "No doubt, you have told the truth." Then, he addressed the man saying: "Go peacefully."

According to Al-Hassan "may Allah have mercy upon him": "He who transmits a tale to you is the same who transmits tales about you" in reference to the fact that a talebearer should be hateful, and not be reliable nor trustworthy. Why should he not be disliked since he persists in telling lies, backbiting, talebearing, treachery, betrayer, envy, rancor, hypocrisy, spoiling relations between the people and deception? It is he who seeks "to sunder the relations that Allah Almighty commanded to be kept, and do mischief in the land." (Al-Baqarah 27)

﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴿٢٧﴾ ﴾

Allah Almighty says: "The blame is only against those who oppress men with wrong-doing and insolently transgress beyond bounds through the land, defying right and justice: for such there will be a Penalty grievous." (Ash-Shura 42)

﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾

Of a surety, the talebearer belongs to those. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "From the evil ones among the people is he whom the people safeguard themselves from because of his evil." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of A'ishah). No doubt, the talebearer is one of them. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "No cutter shall enter the Garden." It was said: "Who is the cutter?" he said: "It is he who sunders relations between the people." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Jubair Ibn Mut'im). Such sunderer is the talebearer.

It is reported that a man told something evil to Ali "Allah be pleased with him" about another, thereupon he said to him: "O man! Let's verify of what you have said: if you are truthful, we will dislike you (for you are a talebearer); and if you are a liar, we will punish you. But if you like that we should excuse you, we shall excuse you." On that he said: "No, excuse me O Commander of Believers." Muhammad Ibn Ka'b Al-Qarzi was asked: "Which characteristics are to lower the rank of a believer?" he said: "To talk so much, to disclose secrets, and accept the tale of everyone." A man said to Abdullah Ibn Amir and at that time he was a governor: "I have been reported that so and so told you that I had said something evil about you." He said: "Yes it was so." He said: "Then, inform me of what he had told you perchance I would prove his falsehood before you." He said: "But I do not like to abuse myself with my own tongue, and it suffices me that I have not given trust to what he had said, nor have I severed relations with you."

Going about with calumnies was mentioned in the presence of a man who

said: "What do you think about a people who are given no thanks for their credibility apart from anyone else?" according to Mus'ab Ibn Az-Zubair: "We see that accepting calumnies is worse than going about with calumnies, for to go about with calumnies is to guide (to something), whereas to accept it is to sanction it, and in no way is he who guides to anything and tells about it like him who accepts and sanctions it. So, safeguard yourselves from those who go about with calumnies for if such is truthful to his tale, he will be cunning, for he does not observe a sanctity nor does he screen what should be screened."

Going about with calumnies belongs to talebearing, but it is unique to the transmission of stories to those from whose power it is feared. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He who goes about with calumnies among the people belongs to an illegal origin." (This narration is reported by Al-Hakim on the authority of Abu Musa). Once, a man entered upon Sulaiman Ibn Abd-Al-Malik and sought his permission to speak and said: "O Commander of Believers! I am going to tell you something so, endure it if you dislike it, and if you accept it, then, it will lead you to what you like." He said: "Speak." He said: "O Commander of Believers! There surrounded you men who have sold their religion for your world, and the displeasure of their Lord for your pleasure. They have feared you instead of Allah, although they have not feared Allah instead of you. So, do not trust them to what Allah Almighty has trusted you to, and do not give your attention to their counsel concerning what Allah has entrusted to you, for they never cease to ruin the nation, waste the trust, and cut and violate honors. Their highest acts of adoration are transgression and talebearing, and their best means are backbiting and going about with calumnies among the people; and you will be questioned about their crimes, although they themselves will not be responsible for your crimes.. so, do not reform their world by the corruption of your hereafter, for the greatest loser among the people is he who has sold his hereafter for his world."

In another context, a man went about with calumnies to Sulaiman Ibn Abd-Al-Malik against Ziyad Al-A'jam, and when Sulaiman gathered them to make peace between them, Ziyad turned his face to the man and said: "You were either a man whom I have trusted with a private speech and you have proved treacherous, or you have said something without knowledge, thereby you have been sinful. Thus, you are either a betrayer or a sinner." A man said to Amr Ibn Ubaid: "Al-Aswari still makes an evil mention of you in his stories." On that Amr said to him: "O man! You have not observed the right of sitting with him, as you transmitted to us his speech, nor have you fulfilled my right as you informed me of something about my brother which I dislike.. but anyway, inform him that death encompass us all, the grave includes us, the Day of Judgement will gather us, and Allah Almighty will judge between us, and He is the best to judge."

A man raised a notification to As-Sahib Ibn Abbad in which he brought his attention to the property of an orphan, and asked him to take it because of its

abundance, thereupon he signed on the back of the paper: "The notification is odious, although it seems true. However, if you do it by way of advising, you will lose more than you will profit; and Allah forbids us to accept to uncover what is screened. Had it not been for the fact that you are in the protection of your old age, we would have punished you severely. So, safeguard yourself (against punishment) O defective man, for it is Allah Alone Who is well-acquainted with the unseen. May Allah have mercy upon the dead, mend the affairs of the orphan, invest the property, and send His Curse upon he one who goes about with calumnies."

Luqman said to his son (by way of counseling him): "O son! I recommend you to adhere to many characteristics, and if you adhere to them, you will remain a chief (among your people): lower your wing to the close to and far from you; withhold your ignorance from the generous and the cunning; preserve your brothers; keep good relation with your kith and kin, and let them safe from the statement of such of people as goes about with calumnies, or hear a transgressor who likes to corrupt and deceive you; and choose your brother of those who, in case of your departure, you would not try to find fault with them, nor would they do with you."

According to a man: "Talebearing is based on falsehood, envy, deception, hypocrisy, and it is the stone trivet of humiliation." According to another man "Were the tale that is transmitted to you by the talebearer to be true, then, it is he who has dared to abuse you, and him about whom it is transmitted is more fitting for your forbearance, for he has not abused you in your face."

In short, the talebearer is of great evil which should be warded off. It is reported on the authority of Hammad Ibn Salamah "may Allah have mercy upon him": "A man sold a slave to another and said to him: "I find no fault in him except that he is a talebearer." The purchaser accepted and bought it. After a few days the slave said to the wife of his master: "My master does not love you and he likes to have a slave-girl besides you. So, when he is asleep, cut some hair from his nape so that I would make a magic on him to love you more." He further said to her husband: "Your wife has taken a companion and she likes to kill you, so, pretend you are asleep in order to detect it." He pretended to have fallen asleep, and his wife brought the razor, and he thought she liked to kill him, thereupon he stood up and killed her. The woman's family came and killed the husband (in retaliation), which resulted in fighting between both tribes (of the man and the woman)." We ask Allah to help us.

The Seventeenth Evil: The Speech Of Two-Faced

It is he who talks to two adversaries each with what befits and pleases him; and this is evident hypocrisy. Ammar Ibn Yasir "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He who has a double faces in this world, will have two tongues of fire on the Day of Judgement." (This narration is reported by Al-Bukhari in his Adab and Abu Dawud). Abu Hurairah "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah

"Allah's blessing and peace be upon him" said: "On the Day of Judgement, you will find among the evil ones of the people the two-faced, who brings to each people of speech that pleases them." (This narration is reported by Al-Bukhari, Muslim and Ibn Abu Ad-Dunya). According to Abu Hurairah "Allah be pleased with him": "It is not fitting for a two-faced to be a trustworthy in the Sight of Allah Almighty."

Malik Ibn Dinar said: I read in the Torah: "Trust has become idle since there existed a man who lives among his companions with two different lips, and on the Day of Judgement, Allah Almighty will bring to destruction everyone of two different lips." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The most hateful to Allah Almighty from among His creatures on the Day of Judgement will be the liars and arrogant, who instill hatred in the breasts of their brothers; and if they meet them, they flatter them: it is those who, being invited to Allah and His Messenger, will be too slow to respond, and, being invited to Satan and his command, would be quick to respond." Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" said: "None of you should be of those who run with every current."

They agree that one's meeting two persons each with a face different from the other belongs to hypocrisy. Hypocrisy has man signs, and this is one of them. It is reported that a man from among the companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" died, and Hudhaifah did not offer funeral prayer on him. Umar "Allah be pleased with him" asked him: "Should one of the companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" die and you do not offer funeral prayer on him?" he said: "O Commander of Believers! He was of those (hypocrites)." He asked him: "I beseech you by Allah: am I of them?" he said: "No, by Allah, and I shall give no safety from it to anyone after you."

You may ask: "How man become of two tongues? And what is the limit of that?" let me say in reply to it that if he visits two adversaries and flatters each in which he is true, he would not be a hypocrite, nor of two tongues. However, one might be a friend of two adversaries, but very soon such friendship comes to end, for the real friendship requires to become enemy to your friend's enemies as we have mentioned in the Book of Etiquettes of Company and Brotherhood. But if he transmits the speech of each of them to the other, he will be of two tongues, and this is worse than talebearing, for a talebearer transmits the speech from one side to the other, while a two-faced transmits speech from both sides to both sides, thereby he becomes worse than the talebearer. Similarly, if he does not transmit speech, but at the same time, adorns to each one his enmity towards the other, he will be of two tongues. The same is true of his promising each to support him against the other, his praising each in his enmity towards the other, his praising each in his presence, and criticizing him in his absence, in which case he should keep silent, or at least praise such of the adversaries as is on the right, and praise him in his presence, in his absence, and in front of his enemy.

It was said to Ibn Umar "Allah be pleased with him": "We sometimes enter

upon our rulers and say to them something and when we come out we say about them something different." He said: "We regarded it hypocrisy during the lifetime of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"." Without doubt, this is hypocrisy. It is better for such not to enter upon rulers as long as he fears their evil in case he praises them not, particularly if there is no compelling need for him to visit them. If it is his need of property and majesty that forces him to enter upon them and praise them, his behaviour will belong to hypocrisy, and this is the significance of the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Love for property and majesty plants hypocrisy in the heart, just as water plants grains." (This narration is reported by Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Abu Hurairah). But if he is forced by necessity to enter upon rulers, and Thus, he has to praise them otherwise he would be punished, then, it is permissible for him to safeguard himself from evil. In this respect, Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" said: "Sometimes we smile in the faces of people whom we curse by heart." A'ishah "Allah be pleased with her" reported: A person asked for the permission of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" to be admitted. He said: "Grant him permission, what a bad son of his tribe or what a bad person of his tribe he is!" When he came in he (The Prophet) spoke to him kindly. A'ishah reported that she said: "O Messenger of Allah! You said about him what you had said, and then you treated him kindly." He said: "O A'ishah! No doubt, the worst person from among the people in the sight of Allah on the Day of Judgement is the one whom the people abandoned in order to avoid his bad manners." (This narration is reported by both sheikhs).

This is applicable to smiling, rejoicing, but not to praising, for it is evident lie, which is impermissible unless one is forced by necessity or under compulsion. Thus, it is impermissible to praise, or give trust, or move the head affirmatively in response to falsehood. If one does so, he will be a hypocrite. He has to disapprove of it, and if he has no power to disapprove of it with his tongue, let him keep silent and disapprove of it with his heart.

The Eighteenth Evil: Praise

It is forbidden in many cases. Dispraising belongs to backbiting and going about with calumnies among the people whose ruling we have already mentioned. There are six evil in praise, four of which pertain to the praiser, and two to the praised.

In relation to those pertaining to the praiser:

The first is that a praiser might make too much of the praised which leads him to falsehood. According to Khalid Ibn Ma'dan: "He, who praises a ruler or a man with what he has not in the presence of people, on the Day of Judgement, Allah Almighty will resurrect him as having aphasia."

The second is that it might mix with showing off. However, by praising one demonstrates his love for the praised, and in case the praiser does not really love the praised, nor does he have faith in all that he says, he would become a hypocrite.

The third is that he might say something with which he is not well-acquainted, and there is no way for him to learn it about him. In this respect, Abd Ar-Rahman Ibn Abu Bakrah reported on the authority of his father that a person praised another in the presence of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", whereupon he said: "Woe to you, you have decollated the neck of your friend, you have decollated the neck of your friend; and were he to hear it, he would not prosper. If one of you has to praise his friend at all, he should say: 'I think (him to be) so and Allah knows it well and I do not know the secret of the heart and Allah knows the destined end, and I cannot testify his purity against Allah but (he appears) to be so and so." (This narration is reported by both sheikhs).

This evil includes praising with such general and absolute qualities as piety, god-fearingness, abstinence, etc. but in case of praising with particular verifiable qualities, such as: "I have seen him observing fasts by day and standing at night (for supererogatory prayers)", there is no harm. Once, Umar "Allah be pleased with him" heard a man praising another thereupon he asked him: "Have you ever accompanied him on journey?" he answered in the negative. He further asked: "Have you ever dealt with him in transaction and the like of it?" he answered in the negative. He asked: "Then, are you his neighbour all the time?" he answered in the negative. On that he said: "By Allah other than Whom there is none worthy of worship, I do not think that you recognize him well."

The fourth is to please the praised, although he is wrongful or wicked, and it is impermissible. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah Almighty grows angry when a wicked is praised." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya and Al-Baihaqi on the authority of Anas). According to Al-Hassan "may Allah have mercy upon him": "He, who supplicates for a wrongdoer to have a long life likes that Allah Almighty be disobeyed in His land." A wicked wrongdoer should be dispraised to grow aggrieved and not to be praised to be pleased.

As far as the praised is concerned, praise harms him from two perspectives:

The first is that it develops arrogance and haughtiness within him, which are destructives. It is reported on the authority of Al-Hassan "may Allah have mercy upon him" that once Umar "Allah be pleased with him" was sitting having his stick and the people were sitting round him, when Al-Jarud Ibn Al-Mundhir came thereupon a man said: "This is the chief of Rabie'ah." Umar "Allah be pleased with him" heard it, and so did Al-Jarud. When he came close to him, he beat him with the stick. Al-Jarud said: "What is wrong with me O Commander of Believers?" he said: "Have you not heard it?" he said: "I heard it: what is the matter?" Umar "Allah be pleased with him" said: "I was afraid a portion thereof might mix with your heart, and I liked to lower your rank a bit."

The other is that when he is praised with good, the praised grows pleased with it, satisfied with himself as he is, and becomes less active and operative. It is well-known that it is him who sees himself running short that endeavors and does his best in work. But if he is praised, he would think he has hit the mark,

and nothing extra is required from him. This is why the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (to the one who praised his companion): "You have decollated the neck of your companion, and were he to hear it (your praise), he would not prosper." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "If you praise your brother in his face, you seem as though you have passed a razor over his throat." (This narration is reported by Ibn Al-Mubarak on the authority of Yahya Ibn Jabir). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said to a man who praised another: "You have hamstrung the man, may Allah hamstring you!"

according to Mutarrif: "I have never heard a praise or thanks in my favor but that I would regard myself too little." Ziyad Ibn Abu Muslim said: "None hears praise or thanks in his favor but that Satan seems to him, but it is the faithful believer who should avert it." In his comment of both statements, Ibn Al-Mubarak "may Allah have mercy upon him" said: "Both have told the truth. The statement of Ziyad tells about the hearts of laymen, and that of Mutarrif tells about the heart of the private among the people."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Were a man to walk to another carrying a sharp knife against him, it would be better than to praise him in his face." According to Umar "Allah be pleased with him": "To praise a man is to slay him", for the slain is he who ceases to work, and praise leads him to do so, or develops in him both arrogance and haughtiness, and both are destructive.

If praise is safe from all of those six evils, there will be no harm in it: on the contrary, it might be favored. It is within this framework that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" praised his companions saying: "If the faith of Abu Bakr to be balanced with the faith of all the people in the worlds, it would overweigh it." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Were a Prophet to be sent after me, it would have been Umar Ibn Al-Khattab." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Uqbah Ibn Amir). Which praise is better than that! But the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said so in truth and out of deep insight. Furthermore, the companions, "Allah be pleased with them" were too dignified to let praise develop in them arrogance, haughtiness and idleness.

On the other hand, it is odious that a man praises himself, for it summons arrogance and pride. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I am the chief of the sons of Adam, because of which I never show ride." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri; and Al-Hakim on the authority of Jabir). i.e. "I do not say so out of boasting because of it", like others who might intend by praising themselves. If the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" to be proud of anything, it was of Allah Almighty and of his closeness to Allah Almighty, and not of being superior to all sons of Adam. It is like the one who is

acceptable to a particular king, of which he is proud and not of being superior to anyone else.

It is within the details of those evils that you could be able to know where to reject praise and where to encourage it. When some companions praised a deceased, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It (Paradise) has become assured to him." But when they dispraised another he said: "It (fire) has become assured to him." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Anas). According to Mujahid "may Allah have mercy upon him": "Everyone has sitters from amongst the angels. If a Muslim makes a mention of his Muslim brother with good, they say: "And the like of it is assured to you", and when he makes a mention of him with evil they say: "O son of Adam whose defect is screen! Care about yourself, and praise Allah Almighty Who has screened your defect."

Exposition Of Duties Of Praised

It should be known to you that a praised has to be extremely eager to avoid arrogance, haughtiness, idleness, a thing from which he is not saved until he recognizes himself very well, considers the danger of the end of journey, and the risk that lies in the subtleties of showing off, and the conclusion of deeds. However, he knows about himself what a praiser knows not; and were all of his secrets and passing thoughts that occur to his mind to be uncovered to the praiser, he would cease to praise him.

He also has to show his aversion to praise. In this issue, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Throw dust in the faces of praisers." (This narration is reported by Muslim on the authority of Al-Miqdad). According to Sufyan Ibn Uyainah "may Allah have mercy upon him": "The praise causes no harm to him who recognizes himself well." Once, a man from the righteous was praised, thereupon he said: "O Allah! Those do not recognize me, and You recognize me well." When another was praised he said: "O Allah! This slave of You (who praised me) has come close to me by displeasing You, and I make You witness that I dislike him." When Ali "Allah be pleased with him" was praised he said: "O Allah! Forgive for me what they know not, and blame me not for what they say (about me), and make me better than what they assume of me." A man praised Umar "Allah be pleased with him" thereupon he said: "Are you going to ruin me and yourself?" a man praised Ali "Allah be pleased with him" in his face, and the news had reached him that he spoke ill about him in his absence, thereupon he said: "I'm below what you say, and beyond what you think in yourself about me."

The Nineteenth Evil: Heedlessness Of Tongue Slips

It pertains to mistakes in speech, particularly about Allah Almighty and His attributes, and the religious matters. Only eloquent religious scholars could evaluate each word in the religious matters. If a religious scholar is short of eloquence in speech or the knowledge of any science, he might err, but Allah Almighty forgives for him in view of his ignorance. A typical example is the

statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" on the authority of Hudhaifah, "Allah be pleased with him": "None of you should say: 'As Allah and you (O Messenger of Allah) will; but rather say: 'As Allah Almighty wills and you (O Muhammad) will accordingly." (This narration is reported by An-Nasa'i and Abu Dawud). That is because the first phrase gives the impression of ascribing others to Allah in worship. Ibn Abbas "Allah be pleased with him" said: A man came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and talked to him about some matters in the religion and then said: "As All and you will." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Do you set me a rival to Allah Almighty? You'd rather say: 'As Allah Alone wills." (This narration is reported by An-Nasa'i and Ibn Majah).

On another occasion, a man delivered a sermon in the presence of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in which he said: "Whoever obeys Allah and His Messenger has been guided aright, and whoever disobeys them has gone astray." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No, but say: 'and whoever disobeys Allah and His Messenger has gone astray'." (This narration is reported by Muslim on the authority of Adi Ibn Hatim). However, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" disliked his phrase for it revealed equality anc combination.

Ibrahim disliked that a man should say: "I seek refuge with Allah and you", and preferred that it be substituted by: "I seek refuge with Allah and then with you", and "But for Allah and so and so" by "But for Allah and then so and so". One of the people disliked to supplicate: "O Allah! Release us from fire", under pretext that release always ensues from detention in the fire, from which they used to seek shelter and refuge with Allah. Once, a man said: "O Allah! Let the intercession of Muhammad "Peace be upon him" grasp me." On that Hudhaifah "Allah be pleased with him" said: "No doubt, Allah Almighty causes the sinless among believers to dispense with the intercession of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" which is due to the sinful among Muslims."

Ibrahim said: If one says to another: "O donkey! O pig!" on the Day of Judgement, it will be said to him: "Have you seen that I created him as a donkey? Have you seen that I created him as a pig?" Umar "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah Almighty forbids you to swear by your fathers. If anyone of you is to swear, let him swear by Allah or keep silent." (This narration is reported by both sheikhs). Umar "Allah be pleased with him" commented: "By Allah, since I heard it, I have never sworn by it (my fathers)." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Do not give the name of Karm to vine for Karm refers to a Muslim person." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Abu Hurairah).

Abu Hurairah "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah

"Allah's blessing and peace be upon him" said: "None of you should say 'O my slave, O my slave-girl!' for all of you are slaves of Allah Almighty, and all of your women are slave-girls of Allah Almighty. But rather say: 'O my boy, O my maid!' therefore, no slave should say: 'O my Lord, O my female Lord!' but rather let him say: 'O my master, O my mistress!' all of you are slaves of Allah Almighty, and the Only Lord is Allah Almighty." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Say not to the wicked: 'O our master!' for if you do so, you will displease Allah Almighty." (This narration is reported by Abu Dawud on the authority of Buraidah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He who says 'I am free from Islam', he will be so in case he is true to his word, and in case he is false, he will not return to the same state in which he previously was." (This narration is reported by An-Nasa'i and Ibn Majah on the authority of Buraidah).

If one considers all evils of tongue we have mentioned, he comes to know that if he unleashes his tongue he could hardly be safe from anyone of them; and this is the significance of the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "He, who keeps silent is saved." (This narration is reported by At-Tirmidhi). However, those evils are destructives and they lie on the way of the speaker: if he keeps silent, he will be saved from all of them; and if he speaks, he will run the risk of committing one of them. But an exception is made for such of people as has an eloquent tongue, abundant knowledge, protecting piety and abiding observance, provided that he speaks very little, perchance he might be safe. But even, he could hardly be free from risk. If you could not be of those who speak and gain, at least be of those who keep silent thereby they are safe, since safety is one of both spoils.

The Twentieth Evil: Laymen's Asking About Attributes And Speech Of Allah

They ask about the speech of Allah and letters, and whether they are primal or created, although it is due upon them to engage in acting upon what is in the Qur'an. But unfortunately, that engagement is heavy on the souls, whereas curiosity is very light and easy on the heart. A layman rejoices at delving into knowledge for Satan gives him the false impression that he is from the religious scholars and men of excellence, and he continues to endear that o him until he speaks in knowledge in a way that renders him a disbeliever although he knows not. However, every major sin committed by a layman is safer to him than to talk in knowledge in general, and in what pertains to attributes of Allah Almighty in particular.

The main occupation of laymen is to engage in acts of worship and have faith in what is mentioned in the Qur'an and admit what is brought by the Messenger without further search. But it is impolite of them to ask about things that do not pertain to the acts of worship, for which they deserve the displeasure of Allah Almighty, and expose themselves to the risk of disbelief. It is like the animal

drivers' asking about the secrets of kings, which enjoins punishment upon them. It is blameworthy to ask about an abstruse knowledge that is beyond one's limited understanding and perception.

For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Just (stick to my orders and) abandon (asking) me so long as I left you (and did not order you to do a certain thing). However, those who were before you were destroyed for their excessive questions, and their disputes with their Prophets. So when I order you to do anything, do it as much as is within your power, and when I forbid you to do anything, then leave it." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Abu Hurairah).

Anas Ibn Malik "Allah be pleased with him" said: "One day The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" came out (before the people) who disturbed him with much questions until he grew angry. Then, he ascended the pulpit and said: "Ask me as you like and you do not ask me any question but that I will give you answer to it." Abdullah Ibn Hudhafah stood up and asked (him): "Who is my father?" The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" replied: "Your father is Hudhafah." The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" told him repeatedly (in anger) to ask him anything they liked. Two men asked him about their fathers, and he told them that their fathers were those to whom they claimed themselves. A man stood to him and said: "O Messenger of Allah! Will be in the Garden or in the fire?" he said: "In the fire." When people saw that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" grew angry, they desisted. Umar "Allah be pleased with him" knelt down before The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" and said : "We accept Allah as (our) Lord, Islam as (our) religion and Mohammad as (our) Prophet." The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Sit down O Umar, may Allah have mercy upon you, for you, to the best of my knowledge, are prosperous." (This narration is reported by both sheikhs).

In another context, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" forbade useless talk, wasting money and asking much questions. (This is reported by both sheikhs on the authority of Al-Mughirah Ibn Shu'bah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The people would keep on asking (about creation) until it would be said: "Allah has created the creatures; then, who has created Allah?" so, when you reach such a point, say: "Say: He is Allah, the One and Only, Allah: Absolute and Eternal; He begets not, nor is He begotten, and there is none like to Him." Then, let him spit on his left side thrice, and seek refuge with Allah from Satan the stoned." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Abu Hurairah).

According to Jabir "Allah be pleased with him": "Allah Almighty revealed the Holy Verse of invoking curse upon the liar of both couples (when a husband launches charge against his wife of committing adultery), but in response to asking much questions in that matter." (This is reported by Al-Bazzar).

Furthermore, the story of Moses and Al-Khadir "Peace be upon them" highlights the prevention of asking any question before its due time. Al-Khadir said to Moses: "Then if you follow me, do not ask me about anything until I make to you about it mention." (Al-Kahf 70)

﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ﴾

But when he asked him about the ark, he said to him: "Did I not say that with me you would never be able to have patience?" [Moses] said, "Do not blame me for what I forgot and do not cover me in my matter with difficulty." (72-73)

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ
وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ ﴾

But Moses "Peace be upon him" did not endure to keep more patient, and asked him again and again, thereupon Al-Khadir said to him: "This is parting between me and you. I will inform you of the interpretation of that about which you could not have patience." (78)

﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾

Thus, the laymen's asking about the abstruse religious matters is one of the greatest evils, and it brings about affliction. For this reason, they should be suppressed and prevented from that. However, their delving into the letters of the Qur'an is like the case of one to whom the king sent a letter in which he commanded him to do many things. But he carried out nothing thereof, and rather wasted his time in asking whether the parchment was new or old, which, inevitably made punishment due upon him. Similarly, this is the case of a layman who indulges in acting upon the principles and teachings of the Qur'an, and engages himself in asking whether its letters are primal or invented. The same is true of all attributes of Allah Almighty; and Allah knows best.

Book five: condemnation of anger, rancor and envy

it is the fifth book of the third quarter of destructives

in the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

praise be to Allah, on Whose forgiveness and mercy rely only these who have hope in Him, and of the evil consequence of Whose anger and onslaught only the fearful beware, Who gradually visited with punishment His servants, in ways they perceive not; made them subject to their desires, commanded them to leave what they desire for, and tested them with anger, and obligated them to have control over their anger. He Almighty further surrounded them with pleasures and adversities, and gave them respite to see what they would do, and checked their love for those in order to know whether or not they are true to their claim. He let them know that nothing of what they do in public or in secret is hidden from Him, and warned them of seizing them suddenly while they feel not. He says: "They do not await except one blast which will seize them while they are disputing. And they will not be able [to give] any instruction, nor to their people can they return." (Ya Sin 49-50)

﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

Blessing and peace of Allah be upon Muhammad, His Prophet and Messenger, under whose flag all Prophets and Messengers walk, as well as upon his family and companions, the rightly-guided imams and pleased chiefs, blessing as much as is equal to the number of Allah's creatures to the Day of Judgement, whose good grasps all the foremost and the last generation.

Coming to the point: anger is a flame that is taken from the eternally fueled fire of Allah Almighty, Which mounts directed at the hearts. It is lurking within the heart just as pieces of fire are lurking under ashes, and it is extracted only by arrogance and haughtiness buried in the soul of every obstinate tyrant, in the same way as fire is extracted by stone from iron.

It is obvious to the beholders who consider by the light of certainty that man, by nature, is partially inclined to Satan the accursed: thus, whoever is irritated by the fire of anger comes much closer to Satan as confirmed by his statement to Allah Almighty: "You created me from fire whereas You created him (Adam) from clay." Clay is characterized by calmness and tranquillity, whereas fire by blazing, flaming, burning and moving. Anger always results in rancor and envy with which those were ruined were destroyed, and those who were corrupt were spoiled. Furthermore, their source (i.e. the heart) is no more than a morsel which, if it is upright, all parts of the body will be upright.

As anger, rancor and envy lead the servant to damage, how needy he is to know their evils and defects, in order to ward them off, safeguard himself from them, remove and remedy them in case they reside in his heart and soul. However, he, who knows not the evil should inevitably fall in it; and even whoever knows it, knowledge alone is not sufficient unless he knows the way to avert it. In this book, we are going to discuss the condemnation of anger, rancor and envy, under many topics including:

Exposition of condemnation of anger
Exposition of the real nature of anger and the possibility of removing it by self-discipline
Exposition of motives of anger
Exposition of treating anger after provocation
Exposition of having control over anger; and the virtue of forbearance
Exposition of the extent to which it is permissible to quench one's anger with speech
The concept, definition and consequences of rancor
Virtue of forgiveness and kindness
Condemnation of envy, its real nature, causes, remedy, and such of envy as whose removal is binding
Exposition of the reason for prevalence of envy among peers, fellows, brothers, cousins and relatives, and whether it is stronger or weaker among others than them
Exposition of the medicine that removes the envy disease from the heart
Exposition of how much envy whose removal from the heart is obligatory
May Allah Almighty help us

CHAPTER ONE: ANGER

Exposition Of Condemnation Of Anger

Allah Almighty says: "When those who disbelieved had put into their hearts chauvinism - the chauvinism of the time of ignorance. But Allah sent down His tranquillity upon His Messenger and upon the believers and imposed upon them the word of righteousness, and they were more deserving of it and worthy of it. And ever is Allah, of all things, Knowing." (Al-Fath 26)

﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾

Allah Almighty here condemned the disbelievers for their ostentatious chauvinism falsely springing from anger, whereas He praised the faithful believers for the tranquillity that He sent down upon them.

It is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that a man said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Messenger of Allah! Guide me to a deed to do and let it be simple (but of great benefits)." He said: "Do not grow angry." The man repeated the same demand, and the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"

gave the same reply. (This narration is reported by Al-Bukhari). Ibn Umar "Allah be pleased with him" said: I said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Tell me of a statement to say, and let it be simple in order for me to be able to retain." He said: "Do not grow angry." I repeated the same request to him twice or thrice, and in each time he gave the same reply: "Do not grow angry." (This narration is reported by Abu Ya'li).

It is further narrated on the authority of Abdullah Ibn Amr "Allah be pleased with him" that he said: I asked the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Which thing should save me from the anger of Allah Almighty?" he said: "Do not grow angry." (This narration is reported by At-Tabarani and Ibn Abd-Al-Barr). Abdullah Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Who is the strong in your sight?" we said: "Such of men as none could overpower him." On that he said: "No, it is not so. But it is he who has control over himself when his anger is provoked." (This narration is reported by Muslim). Abu Hurairah said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The strong is not he who overpowers others, but the strong is he who has control over himself when his anger is provoked." (This narration is reported by both sheikhs).

Ibn Umar "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He who holds back his anger, Allah Almighty screens his defects." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya). Solomon, son of David "Peace be upon them" said: "O my son! Beware of becoming angry more often, for becoming angry more often deprives a forbearing of solemnity." In his comment on the statement of Allah Almighty: "honorable, abstaining [from women], and a prophet from among the righteous." (Al Imran 39)

﴿ وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾

Ikrimah "may Allah have mercy upon him" Said: "The honorable is him whom anger never overpowers."

Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" said: I said: "O Messenger of Allah! Guide me to a deed that admits me to the Garden." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Do not grow angry." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya and At-Tabarani). Yehia said to Jesus "Peace be upon them": "Do not grow angry." He said: "But I could not help growing angry for I am no more than a human being." He said to him: "Do not save money." He said: "This is possibly expected." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No doubt, anger spoils faith in the same way as bitterness spoils honey." (This narration is reported by At-Tabarani and Al-Baihaqi on the authority of Bahz Ibn Hakim from his father from his grandfather). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be

upon him" said: "No one grows angry but that he becomes on the verge of Hell." (This narration is reported by Al-Bazzar and Ibn Adi on the authority of Ibn Abbas). In another narration, a man said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Which from Allah is the hardest on me?" he said: "The anger of Allah Almighty." He asked: "Then, what should keep me away from the anger of Allah?" he said: "Do not grow angry." (This is reported by Ahmad on the authority of Abdullah Ibn Amr).

Of the traditions, a mention may be made of the following:

According to Al-Hassan "may Allah have mercy upon him": "O son of Adam! Every time you grow angry, you jump, until one time you are about to jump and fall in the fire (of Hell)." It is reported from Dhul-Qarnain "Peace be upon him" that he met one of the angels and said: "Guide me to a knowledge therewith I advance in faith and certainty." He said: "Do not grow angry, for Satan becomes the ablest to overpower man at the time of his anger. So, avert anger with restraining it, and calm it with quietness; and beware of haste, for when you make haste, you become more ready to err; and be easy and lenient to the close and far from you, and be not an obstinate tyrant."

It is reported from Wahb Ibn Munabbih "may Allah have mercy upon him" that a monk was in his hermitage when Satan tried to misguide him, but he failed. He came to him and called him to open the gate, but he gave him no reply. He said: "Open the gate for should I go away, you would be regretful." He did not turn to him. He said to him: "I am the Christ." The monk said: "Should you be the Christ, what would I do with you? Did you not command us to worship and endeavor with the promise of good on the Day of Resurrection? If you come to us now with anything different, we would not accept it from you." He said: "Indeed, I am Satan, and I liked to misguide you but I failed. So I came to you in order for you to ask me about what you like and I would tell you." The monk said: "I do not want to ask you about anything." Thus, he turned back in retreat. The monk then said to him: "Do you not hear?" he said: "Yes." He said: "Tell me: which of people's manners helps you more against them?" he said: "The temper for if man is bad-tempered, we turn him just as a boy turns the ball."

According to Khaithamah: Satan says: "How could mankind overpower me given that if he is pleased, I come till I be within his heart, and when he is angry, I fly till I be in his head?" according to Ja'far Ibn Muhammad: "Anger is the key to every kind of evil." According to one of the Ansar: "Temper is the head of silliness, and anger is its guide; and whoever is pleased with ignorance dispenses with forbearance, although forbearance is a means of honour and benefit, and ignorance is a cause of disgrace and harm, and the best answer to the foolish is to keep silent." Mujahid "may Allah have mercy upon him" said: Iblis says: "Were sons of Adam to render me helpless, by no means would they incapacitate me when they are in three states: when anyone of them is drunk, we take hold of his rein and lead him wherever we like, and he does for us what we like him to do; and when he is angry, he says what he knows not, and does what he regrets for, and we cause him to withhold what he has in hand, and instill in him the hope for what is beyond his reach."

It was said to a sage: "How able that man is to have control over himself!" he said: "Then, no desire could humiliate him, and no whim could overpower him, and no anger could overcome him." One said: "Beware of anger for it lets you fall in the ignominy of apology." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No doubt, anger spoils faith in the same way as bitterness spoils honey." (This narration is reported by At-Tabarani and Al-Baihaqi on the authority of Bahz Ibn Hakim from his father from his grandfather). According to Abdullah Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him": "Try to detect man's forbearance whenever anger afflicts him, and his trustworthiness whenever covet grasps him; and how do you come to know that he is forbearing unless he grows angry, and that he is trustworthy unless he covets?" Umar Ibn Abd-Al-Aziz "may Allah have mercy upon him" sent a message to one of his appointed officers saying: "Do not punish anyone at the time of your anger; and if you grow angry with anyone, detain him until you are quiet, and when you are quiet take him out and punish him just as much as is in proportion to his sin, and do not your punishment over fifteen lashes."

According to Ali Ibn Zaid "may Allah have mercy upon him": A man from the Quraish was very harsh in his speech to Umar Ibn Abd-Al-Aziz "may Allah have mercy upon him", thereupon he lowered his head and waited for a long time after which he said: "You liked Satan to irritate me with the power of authority in order to punish you today with what you are going to punish me with tomorrow (in the hereafter)." A man said to his son: "O my son! Mind does not keep firm at the time of anger just as a living spirit does not keep firm in an oven kindled with fire. The most rational among the people are the least angry among them. If one's angry is for the sake of this world, it is no more than cunning and sneakiness, and if it is for the sake of the hereafter, it is adorned with forbearance and knowledge, for it is said that anger is the enemy of mind."

Umar "Allah be pleased with him" used to sermon: "Prosperous from among you is he who is kept from covet, inclination and anger." One of the wise men said: "He, who submits to his desire and anger, they lead him to the fire (of Hell)." Al-Hassan Ibn Ali "Allah be pleased with him" said: "Among the signs of a Muslim is strength in faith, decisiveness with lenience, faith with certainty, knowledge with forbearance, intelligence with kindness, giving with right cause, moderation with richness, tolerance with destitution, kindness with power, endurance with companionship, and patience in difficulty: it is he whom anger does not overpower, nor does zeal cause to deviate, nor does his appetence overcome, nor does his abdomen disgrace, nor do his guards regard with slightness, nor does his intention run short: it has he who helps the oppressed, shows mercy towards the weak, never proves stingy nor extravagant: it is he who forgives whenever he is dispraised, and pardons the ignorant. He suffers much from himself, whereas the people are at ease from him."

It was said to Ibn Al-Mubarak "may Allah have mercy upon him": "Encapsulate in a single statement to us the good moral character." He said:

"Leave anger." One of he Prophets said to those who followed him: "Who could ensure to me not to grow angry, perchance he will be with me, have the same rank as mine, and become my successor after my death?" a young man from among the people said: "I could." He repeated the same question, and the young man said once again: "I could fulfill it." When the Prophet died, that young man took the same rank of him, and he was Dhul-Kifl (Man of surety), a name given to him for he ensured not to grow angry and fulfilled his surety. According to Wahb Ibn Munabbih "may Allah have mercy upon him": "Disbelief has four pillars: anger, appetence, stupidity and covet."

Exposition Of Real Nature Of Anger

It should be known to you that when Allah Almighty created the animal as being vulnerable to damage and death as a result of internal and external causes, He endowed it with things therewith to protect itself from damage and destruction for a specific term appointed in the Book of Allah. In relation to the internal causes, he composed it from a mixture of moisture and heat, and there is opposition between both: heat continues to dissolve, dry and evaporate moisture, until it vanishes, and had it not been for the provision it gets from food to compensate what is lost of it, of a surety, the animal would damage. Thus, Allah Almighty created food that befits the animal's body, and created in the animal an appetence thereby it is prompted to have food, in order to preserve it from destruction.

As for the external causes that might damage it, they are like sword, lance, spear, and the other destructives that are meant to ruin it. As it is lacking of power and zeal to emanate from within itself to protect it from those destructives, Allah Almighty created the real nature of anger from fire and instilled it in man. Whenever he is kept off any of his goals or hindered from achieving any of his objectives, the fire of anger then is kindled and erupts in a way that boils the heart's blood, which extends to circulate across the different veins and rise up to the highest top of the body, just as fire or boiling water rises up; and this is why face, eye and complexion turn red, in imitation of the color of the blood.

But blood extends as such whenever a man grows angry with whom is inferior and he feels he has power over him, unlike the one who grows angry with him who is above him, and he has no hope of exacting retribution from him, in which case the blood deflates from the external surface of the skin to the inside of the heart, with the result that he would grow sad; and this is why his complexion turns yellow. If one grows angry with him who is equal or rival to him, and he is in doubt as to whether he has or has not power over him, blood then turns red in part and yellow in part.

In short, the heart is the place where the power of anger resides, and it means that the blood gets boiled whenever revenge is needed. When this power is irritated, it is directed to avert harm before it occurs, and to exact retribution and revenge after it occurs. However, revenge is the fuel that sustains that power, in

which it gets its pleasure, and without which it could not calm. In relation to that power, people are of three degrees: indulgence, extremism and moderation.

Indulgence results from the loss or weakness of that power, and it is blameworthy, and such is described as has no passion. Imam Ash-Shafi'i "may Allah have mercy upon him" said in this respect: "He, whose anger is provoked and he does not grow angry, is then like a donkey." It is out of imperfection and deficiency in man to lose the power of anger and passion. Allah Almighty described the companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" as being strong and hard (against the enemies) although kind and lenient to the believers as shown from His statement: "and those who are with him (the Prophet) are strong against Unbelievers, (but) compassionate amongst each other" (Al-Fath 29)

﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾

He Almighty said to His Prophet "peace be upon him": "O Prophet, fight against the disbelievers and the hypocrites and be harsh upon them. And their refuge is Hell, and wretched is the destination." (At-Tawbah 73)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾

Harshness and forcefulness result from the power of anger and passion.

Extremism is that this power exceedingly prevails until it become. beyond the control of mind and religion, to the extent that man comes to have no sound insight, nor good reasoning nor ability or freedom of choice: on the contrary, he becomes like him who is compelled by necessity. The reasons for which this power prevails might be instinctive or customary. From among people, there is a man who is, by nature and disposition, more responsive to anger. This is motivated by the bad temper of the heart, for indeed the heart of the anger stems from the fire (of Hell) as the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said (according to the narration of At-Tirmidhi on the authority of Abu Sa'id). It is extinguished and broken by the good temper.

Among the customary reasons is that he mixes with a people who dare to respond to anger and exact retribution, giving it the name of courage and manhood. One of them says: "It is I who could not keep patient on cunning and slyness, and I could endure nothing from anyone." He means that he has neither mind to think therewith nor forbearance to endure therewith. Out of his ignorance, he mentions it by way of boasting so that whoever hears it, the love for anger would be made alluring to his heart, and he would like to do the same, and his anger would become stronger. Whenever the fire of anger becomes more intense and flaming, it causes one to be blind and deaf from paying attention to any kind of admonition. If he is admonished, he would pay no attention: on the contrary, he would grow more angry. If he seeks the light of his mind in order to review his situation, he would fail to do so, since the light of mind is extinguished and removed immediately by the smoke of anger.

To be sure, the brain is the source of thinking, and when anger is intensified, a smoke rises from the boiling blood of the heart up to the mind, which prevails over the source and origin of thinking and goes beyond it to the source of senses, thereupon the eye darkens, so that he would not see the truth with his eye, and the whole world seems black to him. His brain Thus, is like a dark cave in which fire is kindled, and Thus, its sides and atmosphere are black and gloomy, out of overwhelming smoke, but it has a weak lamp by which none could see well. Moreover, none could extinguish the fire therein whether from inside or from outside it, and there is no solution but to wait until all that is susceptible to burning should get burnt. This is just the same as anger does with both the heart and mind. Perhaps, the fire of anger is intensified to the point of burning and drying the moisture therewith the heart lives, with the result that man dies out of rage, just as the fire is intensified in the cave and divides it and causes it to collapse. This is the state of the heart with anger.

The apparent traces of anger include the change of color of complexion, disorder of acts and behaviours, quiver of limbs, trouble of movement and speech, so that bubbles appear on both corners of the mouth, and eyes turn red, nostrils turn over, and features change. If an angry man is seen at the time of severe anger, his face seems ugly to the beholders. But even, his inside is much more ugly than his outside, since the outside is no more than a portent of the inside, and the inside becomes ugly first, and then spreads its ugliness to the outside. Thus, the change of the outside is nothing but a fruit of the change of the inside. This is its trace in the body.

In relation to its traces in the tongue and speech, it results in the unleashing of tongue to use foul language, obscene speech, profane words, harmful abuses, disgracing insults, and the like of that of which not only the mindful, but also the one himself who says it feels shy when his anger calms. Its traces on organs and parts of body represent in attacking, beating, tearing clothes, killing and wounding when it is possible. When, due to some reason, he fails to exact retribution or quench his anger, his anger then returns to him and he comes to tear his own clothes, slap his body, strike the ground with his hand, and run like a drunk who is under the influence of intoxication. In brief, the anger might lead him to behave like a mad, and do the same acts a mad does.

Its trace in the heart of him because of whom anger is provoked, it represents in rancor, envy, rejoicing at the misfortunes of him who grows angry with him, determination to divulge his secrets and unveil his defects and all that should be screened, mockery, and the like of those. Those are the traces of the radical anger.

The fruit of lack of passion represents in the weakness of refraining from such of things as from which an ordinary man should refrain, like dishonoring sanctities, wife and mother, tolerating humility from the baseborn, vileness and cuckoldry, which is blameworthy, for it results in lack of jealousy and loss of self-respect. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Indeed, Sa'd (Ibn Ubadah) is jealous and has self-respect (for his women), and I

have self-respect for mine much more than Sa'd; and Allah Almighty has self-respect much more than me." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Al-Mughirah). However, jealousy is created to help preserve ancestries, and without it, the ancestries of people would be unknown. For this reason, it is said that every people whose men are jealous and self-respected have their women protected.

One aspect of the weakness of anger is to be helpless and keep silent on witnessing evildoings. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said in this respect: "The best of my people are those of strong temper (when Allah's sanctities are violated), who, when they grow angry, would return to their state" i.e. of faith. (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Ali Ibn Abu Talib). In confirmation of that, Allah Almighty says: "and do not be taken by pity for them in the religion of Allah, if you should believe in Allah and the Last Day. And let a group of the believers witness their punishment." (An-Nur 2)

﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ
وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ﴾

We could say that whoever loses anger entirely fails to discipline himself, for self-discipline is achieved only when one invests his anger with authority over his desires, that he grows angry with himself when he finds himself inclined to despicable desires.

Thus, loss of anger is blameworthy (just as severity of anger is dispraised). What is praiseworthy is the amount of anger that is under the disposal of mind and religion that it erupts when passion and zeal are needed, and extinguished when forbearance and patience are required. To keep it at the point of moderation is the uprightness enjoined by Allah Almighty upon His servants, as well as it is the moderateness described by the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in his statement: "The moderate is the best in all matters." (This narration is reported by Al-Baihaqi).

If one is given to loss of anger to the point of baseness, despicability, lack of jealousy and self-respect, and readiness to endure humiliation and disgrace, he should treat himself, until it is strengthened; and if one is given to excessive angry that leads him to behave recklessly and commit what is shameful and disgraceful, he should treat himself until his anger decreases. In short, he should stand in the middle between both extremes of excess and indulgence, for this is the straight path which is thinner than a hair and sharper than a sword. If one fails to attain it, let him seek to achieve it even approximately as much as lies within his capacity. Allah Almighty says in that issue: "And you will never be able to be equal [in feeling] between wives, even if you should strive [to do so]. So do not incline completely [toward one] and leave another hanging. And if you amend [your affairs] and fear Allah - then indeed, Allah is ever Forgiving and Merciful." (An-Nisa 129)

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ ﴾

It is not fitting for a man who fails to do good in entirety to do evil in entirety, for indeed some evils are easier than others, as well as some good things are higher than others. This is the real nature of anger, we ask Allah Almighty to help us do what pleases him: He has power over all things.

Exposition Of Whether Or Not It Is Possible To Remove Anger Through Self-Discipline

It should be known that some think that anger is susceptible to be entirely removed by self-discipline, and others on the opposite extreme adopt the opinion that it is a fundament which could hardly be treated or removed, like one's moral character and features. But even, both opinions are weak. The truth is what we are going to mention. As man continues to like things and dislike others, he should have anger and rage, and as there is such of things as agrees with him, and such of things as disagrees with him, he then likes what agrees with him, and dislikes what disagrees with him. Anger follows the same course: when that which he loves is taken from him, he grows angry, and when anything he dislikes affects him, he also grows angry.

But indeed, the objects of love in relation to man are of three divisions: **the first** is necessarily common to all the people, like sustenance, clothes, residence and soundness of body. If one's body is beaten and wounded, he should inevitably grow angry. The same is applicable if he is deprived of his garment which screens his private parts, or is driven out of his house in which he resides, or the water that quenches his thirst is spilled over. Those are essential necessities, and man is hardly able not to dislike that they be removed, nor to grow angry when he is afflicted in terms of any of them.

The second division pertains to such of things as are unnecessary for anyone of the people in general, like majesty, much property, slaves and riding mounts. Men came to love those things by custom, and ignorance of the right purposes of things that he came to like gold and silver in themselves (and not for their benefit), and be eager to hoard them, to the extent that he grows angry with anyone who steals them although he is not in direct need of them. Being so, man is imagined to be able not to grow angry about that kind of things. If he, for instance, has a further home besides that in which he lives, and it is ruined by a wrongdoer, he might not possibly grow angry, for it may be that he is insightful of the real nature of this world, which causes him to abstain in what is beyond his need, and do not grow angry if it is taken from him for indeed, he does not like it to exist with him, and were he to like it, surely, he would grow angry because of it.

But unfortunately, people grow angry most frequently because of what is not necessary, like majesty, wealth and taking the lead in gatherings and knowledge, etc. it is those bad customs that increased the number of things which man likes

and dislikes, and Thus, made him more ready to grow angry. As a matter of fact, the more desires and lusts are, the more man becomes degraded and defective, for need is an aspect of shortage in man, and the more they are, the more one falls short. The ignorant does his best to increase his needs and desires, without knowing that by so doing, he increases the means of anxiety and grief. Some ignorant, being overwhelmed by such evil habits and bad customs, is responsive to anger even if it is said to him: "You are not good at playing with birds, or you are not good at chess, or you have no power to drink much wine, or eat much food" and the like of that. However, it is not necessary to grow angry because of that kind of things, for loving them is not necessary for men in general.

The third division pertains to what is of necessity and importance for some on the exclusion of others, like the book for a scholar, which he is forced to possess, and Thus, he grows angry with him who damages it; and the equipment for the worker, without which he could not get his earnings. The means to what is necessary and beloved becomes necessary and beloved. This differs with the difference of people. The necessary love is that referred to by the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in his statement: "He, upon whom morning has come while he is secure in his garment (and house), in good health, and has the sustenance of his day, seems as if the whole world is in his possession." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Ubaidullah Ibn Mihsin). Now, let's mention the aim of self-discipline in relation to each division of those three.

As for **the first division,** the discipline is not intended to remove anger entirely from the heart in so much as to be governed to be under the disposal of mind, and to be used only in a way that is acceptable to religious law and mind; and this is possible by way of self-mortification, and adhering to forbearance and tolerance for a specific period of time until they become deep-rooted in the heart. But it is impossible to uproot anger from the heart, for it is in opposition to nature. It is true that it is possible to restrain it, break its form and weaken it so much until it comes to have no visible traces on the face, but this is too difficult to achieve. **The same is true of the third division.**

In relation to the **second division,** it is possible to remove the anger therein through self-discipline, by getting rid of the love of such things, when one knows for certain that his home is the grave and his eternal abode is the hereafter and not this world, which is no more than a crossing point on which he comes and passes just to take provisions necessary for the hereafter, and what is beyond that is of evil consequence on him in which he then has to abstain. In this way, he comes to remove the love of this world from his heart. Accordingly, if man has a dog which he does not like, he will not grow angry if it is beaten by anyone else. That is because anger adheres to love; and in this respect, self-discipline leads to restrain the origin of anger, even though it happens in very rare cases. But in more cases, it might lead to reduce anger and not to use it nor act upon it.

But even, you may say: The necessary thing pertaining to the first division is to feel pain without growing angry on losing what is needed. If one, for instance,

has a sheep which he gets his daily sustenance from and then dies, he will feel pain, but will not grow angry with anyone. It is not that every kind of pain should lead to anger. To be sure, one feels pain by bloodletting and cupping, although he does not grow angry because of that, nor does he gnash his teeth at the bloodletter or cupper (although pain seems to be caused to him by them). That is because people has faith in monotheism believes that all things come from Allah, and Thus, he never grows angry with anyone of His servants, whom he sees to be subjugated by Him, under His disposal and power, just like a pen in a writer's hand.

If a king signs a decree of sentencing somebody to death, he does not grow angry at the pen itself with which the decree is signed. Such does not also grow angry at slaughtering or even the death of his sheep, for he sees all things from Allah Almighty. Anger is repelled by the power of monotheism, as well as by the good expectation and confidence of Allah Almighty, which causes him to see that all things come from Allah Almighty Who, in turn, does not decree but what is for his benefit. His benefit might lie in his being exposed to hunger, injury, killing and death. He does not grow angry with any of those just as he does not grow angry with the cupper or bloodletter, seeing good in it.

But unfortunately, the prevalence of faith in monotheism to such a degree is like a swift lightning, which never survive, and very soon the heart returns to its normal state of paying attention to intermediaries. Had it been imagined to survive forever with any human being, it would have been expected from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", who was exposed to anger to the extent that sometimes his cheeks turned red (according to the narration of Muslim on the authority of Jabir). This explains the following narration: Abu Hurairah "Allah be pleased with him" reported that he heard The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying: "O Allah, Muhammad is a human being. I get angry as human beings become angry. So, I made a pledge with You which You would not break: Any believer to whom I cause trouble or upon whom I invoke curse or whom I beat, make that an expiation (for his sins) and a source of closeness to You on the Day of Judgement." (It is reported by Muslim).

It is narrated on the authority of Abdullah Ibn Amr "Allah be pleased with him" that he said: I used to write (and record) everything I heard from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", with the intention to memorize it, but the Quraish people forbade me saying: "Should you write (and record) everything you hear from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" is but a human being, who speaks while being in the state of anger as well as he speaks while being in the state of pleasure?" I desisted from writing, and I made a mention of that to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", who beckoned with his finger to his mouth and said: "Write (what you hear from me), for by Him, in Whose Hand is my soul: nothing but the truth comes out of it, for I am a Prophet sent by Allah with the truth." (It is

reported by Abu Dawud) However, he did not reject anger from himself, but he stated that anger would not turn him from the truth.

One night, A'ishah "Allah be pleased with her" grew angry, thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to her: "What is wrong with you O A'ishah? Is it your devil that had come to you?" She said: "O Allah's Messenger! Is there along with me a devil?" He said: "Yes." She said: "Is devil attached to everyone?" He said: "Yes." She said: "O Messenger of Allah! Is it with you also?" He said: "Yes, but my Lord helped me against him until he embraced Islam (and Thus, I am absolutely safe from his mischief)." (This is reported by Muslim). Here also he did not say that no devil was with him, and of a surety he meant the devil of anger, but he stated that such devil was not to force him to do evil.

It is narrated on the authority of Ali "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was not to grow angry for the sake of this world, and if his anger was provoked, it was only for the sake of the truth; and once he grew angry for the sake of the truth, he would change that none would recognize him, and nothing could break his anger but to support the truth." (This is reported by At-Tirmidhi). Thus, he used to grow angry only with the violation of the truth, for the sake of Allah Almighty. There is here no turning to intermediaries, for such of people who grows angry for being deprived of his religious sustenance and requirements, his anger is for the sake of Allah Almighty.

But in some cases, one might not become angry for a necessary thing, and that is because of his being engaged in what is more necessary. The heart's being involved in a particular task hinders it from turning to another. Consider, for instance, the statement of Salman (Al-Farisi) "Allah be pleased with him" in reply to him who insulted him: "If my scale (of good deeds on the Day of Judgement) is light, then, I will be careless for in this case I will be worse than your insult; and if my scale is heavy, then, no harm will befall me because of what you say about me." That is because he was mainly concerned with the hereafter and that is why he was not influenced by the insult. Similarly, when Ar-Rabie Ibn Khaitham was insulted by a man he said to him: "O man! No doubt, Allah Almighty heard your word. There is an obstacle before the Garden, which, if I am able to cross, no harm will befall me because of what you say, and if I fail to cross, then, I will be careless for in this case I will be worse than what you say about me." Once, a man insulted Abu Bakr "Allah be pleased with him" thereupon he said: "What Allah Almighty has screened from you (of my faults) is more (than you know)." He seemed to be more concerned with his indulgence in his fearing of Allah Almighty as He should be feared, and knowing Him as He should be known than to turn to anyone ascribing him to deficiency, for he regarded himself defective (although he was not so); and this is out of his glorious esteem and high rank, "Allah be pleased with him". A woman said to Malik Ibn Dinar "may Allah have mercy upon him": "O showy man!" on that he said to her: "No doubt, none other than you has recognized me." Indeed, he was engaged in

removing from himself the evil of showing off, and Thus, he did not grow angry. On another occasion, a man insulted Ash-Sha'bi, thereupon he said to him: "If you are true to your statement, may Allah forgive me; and if you are a liar, may Allah forgive you." All of those situations give impression that they did not grow angry for they were engaged in the matters and affairs of their religion which were more important to them.

Thus, to engage in what is important does not hinder one from becoming angry when he loses something he likes. The absence of rage is expected then either by engagement in what is more important, or by prevalence of faith in monotheism, or by knowing that Allah Almighty does not like him to be angry, and Thus, his great love for Allah Almighty extinguishes the heat of his anger, but it happens in very rare cases. You now have come to know that the way to get rid of the fire of anger is to remove the love for this world from your heart, by knowing the evils of the world, as will be discussed in the Book of Condemning the World. If one is able to remove the love for the unnecessary things, he could manage to get rid of most causes of anger. However, what is too difficult to remove could be broken and weakened: we ask Allah to help us attain success, for He has power over all things.

Exposition Of Causes Of Anger

You have come to know that the treatment of every evil is by removing its causes. So, it is necessary to learn the causes of anger. Yahya asked Jesus "peace be upon them": "Which thing is most severe?" he said: "The anger of Allah Almighty." He asked: "Then, what is next to the anger of Allah?" he said: "To grow angry." He said: "Then, what are the causes of anger?" he said: "Vanity, arrogance, self-conceit, and zeal." The causes of anger are haughtiness, arrogance, joking, humor, mockery, satire, putting to shame, disputation, opposition, treachery, and severe keenness on surplus wealth and majesty. All of those are bad manners and condemned by religious law. There is no salvation from anger with the continued existence of those causes. So, they should be removed by their opposites.

You have to kill vanity by humbleness, and arrogance by estimating yourself with due estimate as will be discussed later in the Book of arrogance, and remove pride by believing that you belong to the same race to which your servant belongs, since all the people belong to the same father and mother. But they regard themselves different by their superiority over each other. Pride, vanity and arrogance are among the most vicious things. We do not exaggerate if we say that they are the fountainheads of all vices and unless you get rid of them, you will have no superiority to anyone else. You will have nothing to boast of, given that you belong to the same race to which your servant belongs, in terms of body structure, organs, ancestry, etc.

In order to remove joking, you have to engage in the serious religious and hereafter affairs, in which lifetime is consumed. In order to remove humor, you have to endeavor to obtain the good manners and virtues, and the religious

sciences that help you attain felicity and happiness of the hereafter. In order to remove mockery, you have to disdain to harm others, and saving yourself far from being mocked at by anyone else. In order to avoid putting others to shame, you have to give up bad words and protect yourself against the shameless and bitter replies. In order to give up the severe keen on the luxuries of living, you have to satisfy yourself only with the necessary requirements, in pursuit of the honor of freedom of want and need, and abstinence of the humiliation of need.

To treat each of those manners, you are in need to practice self-discipline and endure difficulties. The first step of discipline is to know the evil of each manner in order for the soul to refrain from it. The next step is to do its opposite regularly for a particular time, until the soul becomes, by custom, familiar with it. Once they are removed from the soul, it gets purified and cleansed from those vices, which helps it get rid of the anger that is caused by them. One of the strongest causes that provokes anger in the sight of most ignorant men is their giving it such names as courage, manhood, gallantry, self-honour, and the like of those thereby they regard it praiseworthy, just out of their stupidity and ignorance. The result is that the soul inclines to it and sees it nice. What confirms it is describing the severe anger of the chiefs among men as courage, and the laymen are fond of imitating and copying the behaviours of the chiefs.

It is out of ignorance, heart disease, mental deficiency and weak-mindedness to name such anger with the names of courage and self-honour. The sign of its being out of self-weakness is that the weak always is more responsive to anger than the sound one, woman more responsive to anger than man, the child more responsive to anger than the mature, the old man more responsive to anger than the middle-aged man, and so on. The bad-tempered vicious man is more responsive to anger than the good-tempered virtuous man. That is because the vicious one grows anger for the sake of his appetite if he misses a morsel of food, for the sake of his stinginess if he misses even a grain to the extent that he grows angry with his wife, children and companions. But only the strong one has control over himself when his anger is provoked, according to the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "The strong one is not he who overpowers others. But the strong one is he who has control over himself when his anger is provoked."

The treatment of such ignorant is to listen to the tales of the good virtuous men of forbearance and forgiveness, and how they were able to restrain their anger. This is handed down from the Prophets, saints and devotees of Allah, religious scholars, sages, and the virtuous kings, whereas the opposite of those is handed down from the lowly stupid and ignorant among men, whose minds are weak, and there is no good in them.

Exposition Of Treating Anger After Being Provoked

All we have mentioned pertains to how to prevent and cut off the means and causes of anger in order not provoke it. But once it is provoked due to a

particular cause, the angry one should keep firm in order not to behave in opposition to what is acceptable. Once anger is provoked, it should be treated by a mixture of both knowledge and deed. Knowledge includes six things:

The first is to reflect the stories and news we are going to state about the excellence of restraining anger, tolerance and forgiveness, and have desire for its reward. In this way, his severe desire for the reward of restraining anger prevents him from seeking to exact retribution, and his anger is extinguished and removed from him. It is reported that Malik Ibn Aws Ibn Al-Hadthan "may Allah have mercy upon him" said: Umar "Allah be pleased with him" grew angry with a man and commanded that he would be beaten. I said to him: "O Commander of Believers! "Take what is given freely, enjoin what is good, and turn away from the ignorant."" (Al-A'raf 199)

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾

Umar "Allah be pleased with him" repeated it: "Take what is given freely, enjoin what is good, and turn away from the ignorant." He was reflecting on it while reciting it for he was in the habit of acting upon the Book of Allah whenever it was recited to him. He reflected on it and released the man. On another occasion, Umar Ibn Abd-Al-Aziz "may Allah have mercy upon him" ordered that a man be beaten, and then he recited the statement of Allah Almighty: "and who restrain anger and who pardon the people - and Allah loves the doers of good." (Al Imran 134)

﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

Thereupon he released him from his anger.

The second is to frighten himself by the punishment of Allah Almighty, saying that 'the power of Allah over me is greater than mine over that man, and were I to conduct my anger on him, I would not be safe from the anger of Allah Almighty on the Day of Judgement, when I will be the neediest of forgiveness and pardon'. Allah Almighty said in one of His previous scriptures: "O son of Adam! Remember me when you grow angry so that I would remember you when I become angry and Thus, would not obliterate you among those whom I obliterate." Once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" sent a servant to fulfill a need for him and he delayed to do it. When he returned he said to him: "Had it not been for the retaliation (on the Day of Judgement), I would have punished you painfully." (This narration is reported by Abu Ya'li on the authority of Umm Salamah). It was said that there was no king in the children of Israel but that a sage was with him so that whenever he grew angry, he would give him a scroll reading: "Be merciful to the needy, fear death, and remember the hereafter." He used to read it continuously until his anger should calm.

The third is to warn himself of the evil consequence of enmity and retribution, his enemy's seeking to harm him, and rejoice at his misfortunes, from which almost none is free. Let him frighten himself by the evil

consequence of anger in this world if he does not fear the hereafter. This is due when an appetence is invested with authority over anger, and one shall receive no reward for it for it does not belong to the deeds of the hereafter: but it pertains to the transient fortunes of this world and giving priority to some over others. Therefore, if his anger is provoked for distraction of his devotion to knowledge and deed which help him for the hereafter, then, he shall be rewarded.

The fourth is to remember how ugly he seems at the time of anger, by recalling to his mind the ugliness of anyone else when he is angry, and how ugly the anger is in itself, and how the angry is like a rabid dog or a wild animal, and how the forbearing who gives up anger is like Prophets, devotees of Allah, sages, scholars and the like of those, giving himself the freedom to choose whether to imitate dogs and wild animals and the lowly among the people or to imitate the Prophets, sages and scholars. And of a surety, his soul will incline to imitate the latter if he is of sound mind.

The fifth is to consider the cause of his anger that prompts him to exact retribution, and hinders him from restraining rage, and there should be a particular cause, like, for instance, Satan's saying to him: "If you do not exact retribution, you will prove failing, humiliated, despicable and slight in the sight of people." Being so, let him say to himself in reply to that: "How astonishing you are! Do you disdain to endure harm in this world, and will not disdain to endure punishment on the Day of Judgement, when that man will catch hold of your hand and take back his right from you? Do you disdain to be put to humiliation in this world and will not disdain to be disgraced and put to shame on the Day of Judgement? Do you disdain to seem slight in the sight of people today and will not disdain to seem despicable in the sight of Allah, angels and Prophets on the Day of Judgement?"

If he is to restrain anger, he should do so just for the Sake of Allah Almighty, for it will raise him in rank with Allah Almighty. What should he have to do with the people since the disgrace he receives on the Day of Judgement from him whom he wrongs today will be more severe and grievous than the disgrace he causes to him in this world in case he exacts retribution at present? Does he not like to be of those who will stand whenever they are called on the Day of Judgement, to have his reward due upon Allah Almighty, for none but these who forgive who will be stand in response to the call (of Allah Almighty)? he should then repeat the like of those thoughts of faith perchance he would calm and restrain his anger.

The sixth is to learn that his anger is caused by things that happen according to the will and in ordinance of Allah Almighty: how then should be apply his will and ordinance in opposition to the will and ordinance of Allah Almighty?

As for the deed, it is to say with your tongue at the time of anger: "I seek refuge with Allah from Satan the stoned" in response to the command of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" (according to the

narration of both sheikhs on the authority of Sulaiman Ibn Surd). Whenever A'ishah "Allah be pleased with her" grew angry, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" would take hold of her nose and said to her: "O A'ishah! Say: 'O Allah, Lord of the Prophet Muhammad, forgive for me my sin, remove my anger and deliver me from the humiliating afflictions." (This narration is reported by Ibn As-Sunni on her authority). It is then desirable to utter that statement at the time of anger.

If anger does not vanish, then, sit down if you are standing, and lie on your back or side if you are sitting, and come close to the earth from which you have been created in order to know how despicable you are, and calm down yourself by sitting or lying for anger stems from the heat that is caused by movement. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Anger is a piece of fire that is kindled in the heart." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Abu Sa'id). Do you not see how his jugular veins get swollen, and his eyes turn red? If anyone of you detects that in him, let him sit down in case he is standing, or lie in case he is sitting. But if that state is not over, let him perform ablution or take bath with the cold water, for the fire is extinguished only by water.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If anyone of you grows angry, let him perform ablution with water for anger stems from fire." (This narration is reported by Abu Dawud on the authority of Atiyyah As-Sa'di). According to another version, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No doubt, anger is caused by Satan and Satan is created from fire, and fire is extinguished only by water. So, if anyone of you grows angry, let him perform ablution." It is narrated on the authority of Ibn Abbas "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If you grow angry, then, keep silent." (This narration is reported by Ahmad, At-Tabarani, Al-Baihaqi and Ibn Abu Ad-Dunya).

It is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: It was the habit of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that whenever he grew angry, he would sit down if he was standing, or lie if he was sitting, with the result that his anger would be over." (This narration is reported by Ahmad and Ibn Abu Ad-Dunya). It is further narrated on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Behold! Anger is a piece of fire (that is kindled) in the heart of the son of Adam." Do you not see how his jugular veins get swollen and his eyes turn red? If anyone of you detects that in himself, let him get his cheek stuck to the earth, in reference to prostration, and lowering the dearest of man's parts of body to the most humiliating places, perchance the soul would feel how disgraced it is, therewith its vanity and pride which cause anger would vanish.

It is reported that one day Umar "Allah be pleased with him" grew angry, thereupon he asked for water which he snuffed and said: "No doubt, anger is

caused by Satan and this removes anger." It is reported that Urwah Ibn Muhammad "may Allah have mercy upon him" said: When I was appointed as the governor of Yemen my father said to me: "Have you been appointed as governor?" I answered in the affirmative, thereupon he said: "If you grow angry, look at the sky over you and the earth beneath you, and exalt (Allah Almighty) their Creator."

It is reported that once Abu Dharr "Allah be pleased with him" abused a man while quarrelling with him, saying: "O son of the red-complexioned woman!" the man went and made a complaint against him to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" who said: "O Abu Dharr! I have been reported that you abused your brother by his mother." He said: "Yes." Abu Dharr "Allah be pleased with him" went to please his companion, who, in turn, hasten to greet him with peace first. When he made a mention of that to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" he said: "O Abu Dharr! Raise your head and behold! Then, put in mind that you are not superior to anyone (on the earth) be he black or red, unless you doo a deed better than his." Then he resumed: "If you grow angry, then, sit down in case you are standing, recline in case you are sitting, and lie in case you are reclining." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya, Ahmad and both sheikhs in their Sahihs).

Al-Mu'tamir Ibn Sulaiman said: A man from those who were before you used to grow angry more often, thereupon he wrote many scrolls and gave it to some people and said to the first: "When I grow angry, give me the scroll I have given to you." He said to the second: "When I calm partially, give me your scroll." He said to the third: "When my anger is entirely over, give me your scroll." One day he grew very angry, thereupon the first man gave him his scroll, and behold! It had the following: "Why do you grow angry as such? You are not a god. But you are no more than a human being who is about to (die and) your parts devour each other." On that he became quiet a bit. Then, he was given the second scroll and behold! It had the following: "Be merciful to those on the earth, perchance those in the heaven might have mercy upon you." Then, he was given the third scroll in which it was written: "Deal with the people according to the right of Allah Almighty, for it is only that which benefits them", i.e. do not make idle the legal punishments of Allah Almighty.

One day Al-Mahdi grew angry at a man thereupon Shabib said to him: "Do not grow angry for the Sake of Allah more than He becomes angry for His Own Sake." On that he ordered that he would be released.

Exposition Of Excellence Of Restraining Anger

Allah Almighty says in His praising the faithful believers: "Who spend [in the cause of Allah] during ease and hardship and who restrain anger and who pardon the people - and Allah loves the doers of good." (Al Imran 134)

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He who holds back his anger, Allah Almighty withholds His punishment from him;

and he who apologizes to his Lord from his sin, Allah Almighty accepts his apology; and he who keeps his tongue (from speaking ill about others) Allah Almighty screens his privates." (This narration is reported by At-Tabarani and Al-Baihaqi on the authority of Anas). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The strongest among you is he, who has control over himself at the time of anger; and the most forbearing among you is he who forgives at the time he has power (over his wrongdoer)." (This narration is reported by Al-Baihaqi and Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Ali). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "He who restrains his anger although he has the power to enforce it if he so likes, Allah Almighty will fill his heart with satisfaction (or safety and faith according to another version) on the Day of Judgement." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Ibn Umar).

It is further narrated on the authority of Ibn Umar "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No servant sips a gulp more rewardable than a gulp of anger he restrains for the Sake of the Countenance of Allah Almighty." (This narration is reported by Ibn Majah). It is narrated on the authority of Ibn Abbas "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The Hell has a gate which none will enter through except him who satifies his anger by disobeying Allah Almighty." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No gulp is dearer to Allah Almighty than a gulp of anger which a servant restrains and no servant restrains his anger that Allah Almighty fills his heart with faith." (This is reported by Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Ibn Abbas). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever restrains his anger although he has the power to enforce it, Allah Almighty will call him before all the people (on the Day of Judgement) and make him choose such of beautiful women of big lustrious eyes as he likes."

As far as traditions are concerned, a mention may be made of the following:

Umar "Allah be pleased with him" said: "Whoever safeguards himself from the punishment of Allah Almighty never seeks to slake his anger; and whoever fears Allah never does what he wills; and had it not been for the Day of Judgement, you would have seen things different from what you see them now." Luqman said to his son: "O son! Do not remove your modesty by begging others; and do not slake your anger by disgrace; and estimate your own self with due estimate, perchance you would get benefit from your living." Ayyub said: "To show forbearance for an hour averts much evil." Sufyan Ath-Thawri, Abu Khuzaimah Al-Yarbu'i and Al-Fudail Ibn Iyad met together and discussed asceticism, and agreed on the fact that the best of deeds is to show forbearance at the time of anger, to keep patience at the time of calamity.

A man said to Umar "Allah be pleased with him": "By Allah, you never decide the cases with justice, nor do you give in abundance." Umar "Allah be pleased with him" grew angry so much that (the traces of anger were) visible

on his face. Another man said to him: "O Commander of Believers! Do you not take heed of the statement of Allah Almighty in which He says: "Hold to forgiveness; command what is right; but turn away from the ignorant"?" (Al-A'raf 199)

﴿ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴾

Umar "Allah be pleased with him" said: "You have told the truth." It seemed as though his anger was fire which was extinguished. According to Muhammad Ibn Ka'b "may Allah have mercy upon him": "There are three characteristics, which if one has, he will complete his faith in Allah Almighty: if he is pleased, his pleasure will not lead him to falsehood; if he grows angry, his anger will not turn him out of the truth; and if he has power, he will not usurp what is not for him." A man came to Salman "Allah be pleased with him" and said: "O slave of Allah! Advise me." He said: "Do not grow angry." He said: "I could not do so." He said: "Then, if it is necessary for you to grow angry, hold back your tongue and hand."

Exposition Of Excellence Of Forbearance

It should be known that forbearance is better than restraining anger, for the latter is just to force oneself to forbear, and only he whose anger is provoked needs to restrain anger, in which he is forced to exert great effort. But by long practice, he gets accustomed to it, and he becomes too difficult to irritate, and even if his anger is provoked, it will be easier upon him to restrain it; and this is the natural forbearance. It is the portent of perfect and prevailing mind in opposition to the weak and broken power of anger in submission to mind. But at first, one should force himself to forbear in order to get familiar with forbearance in the end.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Behold! Knowledge is obtained through learning, and forbearance is acquired by forcing oneself to forbear; and whoever seeks to good is given it, and whoever wards off evil is safeguarded against it." (This narration is reported by At-Tabarani and Ad-Daraqatni on the authority of Abu Ad-Darda'). It is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Seek after knowledge, and seek with it tranquillity and forbearance. Be lenient to those whom you teach, and those whom you learn from, and be not among the repressive scholars lest your forbearance would be overpowered by your ignorance." (This narration is reported by Ibn As-Sunni). With this Hadith, he "peace be upon him" Referred to the fact that both repression and arrogance provoke anger, and keep off lenience and forbearance.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to supplicate with the following supplication: "O Allah! Make me independent (and rich) with knowledge, adorn me with forbearance, honor me with piety and beautify me with wellbeing." It is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Seek highness of rank in the Sight of

Allah." They asked: "How is that O Messenger of Allah?" he said: "To keep good relation with whoever severs relation with you, give whoever withholds from you, and show forbearance on whoever behaves ignorantly to you." (This narration is reported by Al-Hakim and Al-Baihaqi).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The following five are among the usages and practices of Prophets: modesty, forbearance, cupping, applying Siwak and perfume." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Malih Ibn Abdullah Al-Khatmi from his father from his grandfather). It is narrated on the authority of Ali "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A Muslim attains, by virtue of his forbearance, the rank of the one who observes fasts and stand at night (for supererogatory prayers); and he might be enlisted as obstinate oppressor although he has none but his family." (This is reported by At-Tabarani).

Abu Hurairah "Allah be pleased with him" reported that a person said: "O The Messenger of Allah! I have relatives with whom I try to keep good relationship, but they sever (this relation). I treat them well, but they treat me ill. I am sweet to them but they are harsh to me." Upon this he (The Prophet) said: "If it is so as you say, then it is as if you throw hot ashes (upon their faces) and there would always remain with you on behalf of Allah (an Angel to support you and) keep you dominant over them so long as you stick to this (course of good behaviour)." (This narration is reported by Muslim).

One of Muslims said: "O Allah! I have nothing to give in charity. So, please, if anyone harms my honor, let it be an object of charity from me to him." Allah Almighty revealed to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that 'I forgave for him his sins." (This narration is reported by Abu Na'im and Al-Baihaqi on the authority of Abd-Al-Majid Ibn Abu Abs Ibn Jabr from his father from his grandfather). the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Does anyone of you fail to be like Abu Damdam who used to say whenever he comes out of his house: 'O Allah! I have given in charity (the sin of harming) my honour to the people'?" (This narration is reported by Al-Bazzar and Al-Aqili on the authority of Anas).

In comment on the statement of Allah Almighty: "Be pious scholars of the Lord because of what you have taught of the Scripture and because of what you have studied." (Al Imran 79)

﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

It is said that it refers to the forbearing and religious scholars. In his comment on the following statement of Allah Almighty: "And the servants of the Most Merciful are those who walk upon the earth easily, and when the ignorant address them [harshly], they say [words of] peace" (Al-Furqan 63)

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾

Al-Hassan "may Allah have mercy upon him" said: "It refers to the forbearing

who, if the ignorant behaves ignorantly towards them, they would not react ignorantly to them." The same is confirmed by Ata' Ibn Abu Rabah "may Allah have mercy upon him".

In his comment on the statement of Allah Almighty: "and in maturity and will be of the righteous." (Al Imran 46)

﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

Ibn Abu Habib "may Allah have mercy upon him" said: "Maturity refers to the utmost of forbearance." In his comment on the following statement of Allah Almighty: "and when they pass near ill speech, they pass by with majesty." (Al-Furqan 72)

﴿ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾

Mujahid "may Allah have mercy upon him" said: "If they are harmed, they will forgive." It is reported that once Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" passed by people who were engaged in ill speech and falsehood, and he turned away from them. On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Indeed, Morning and evening have come upon Ibn Mas'ud while being dignified." (This narration is reported by Ibn Al-Mubarak). Then, Ibrahim Ibn Maisarah, the narrator of the Hadith recited the statement of Allah Almighty: "and when they pass near ill speech, they pass by with majesty."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "O Allah! Let not me join a time in which the people will not follow the knowledgeable nor feel shy of the forbearing, having hearts like those of non-Arabs, and tongues like those of Arabs." (This narration is reported by Ahmad on the authority of Sahl Ibn Sa'd). It is narrated on the authority of Abu Mas'ud that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Let such as have good forbearance and sound minds among you stand next to me (in prayer), and then such as follow them (in position) and such as follow them, and do not differ (in your position of standing from one another) lest you would become at odds, and beware of the noisy disputes and afflictions of markets." (This is reported by Muslim and Abu Dawud).

It is narrated on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri that he said: We were sitting in the house of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" when he said: "The delegates of Banu Abd Al-Qais has come to you." None of us had seen that until they came and halted, and then they went to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and Al-Ashajj Al-Asri remained behind (for some time). Later on, he came and descended at a certain place, and made his mount kneel down, and put aside his garment. Then, he went to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "O Ashajj! You have two good characteristics which Allah loves: both forbearance and deliberateness." He asked: "O Messenger of Allah! Is it

something on which I've been created (by nature), or is it something I've acquired?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Well, it is something on which Allah Almighty has created you." On that he said: "Praise be to Allah Who has created me on two characteristics which Allah and His Messenger love." (This narration is reported by Ibn Majah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Indeed, Allah Almighty likes the forbearing, shy, pious, who is free of want, and refrains from begging, and has dependents; and dislikes the shameless, foul-speaking stupid, who begs others importunately." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Sa'd). it is narrated on the authority of Ibn Abbas "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Man should get three things, and in case of missing anyone of them, then, be careless about all of his remaining deeds: piety to keep him from committing sins thereby he disobeys Allah Almighty; forbearance therewith to treat the weak-minded foolish; and moral character therewith to live among the people." (This narration is reported by Abu Na'im; and At-Tabarani on the authority of Umm Salamah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If Allah Almighty gathers the people on the Day of Judgement, a caller will call: "Where are the people of superiority?" a few of people will stand and rush swiftly to the Garden, whereupon the angels will receive them and say to them: "We see that you rush towards the Garden (what is the reason?)" they will say: "We are the people of superiority." They will ask them: "With which thing you have attained your superiority?" they will say: "It was our habit that whenever we were wronged, we would keep patient, and whenever we were harmed, we would forgive, and whenever people behaved ignorantly towards us, we would show forbearance." On that it will be said to them: "Enter then the Garden, for excellent is the reward of the [righteous] workers!" (This narration is reported by Al-Baihaqi on the authority of Amr Ibn Shu'aib from his father from his grandfather).

From among the traditions and sayings, a mention may be made of the following:

Umar "Allah be pleased with him" said: "Seek after knowledge, and seek with it tranquillity and forbearance." Ali "Allah be pleased with him" said: "Good does not lie in your much property and children in so much as it lies in your much knowledge and forbearance and avoidance of vying in glory with others because of your worship of Allah Almighty; and whenever you do good, praise Allah Almighty, and whenever you do evil, ask for forgiveness of Allah Almighty." Al-Hassan "may Allah have mercy upon him" said: "Seek after knowledge, and adorn it with veneration and forbearance." According to Aktham Ibn Saifi "may Allah have mercy upon him": "Forbearance is the support of mind, and patience is the prop of all matters."

According to Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him": "I joined the people when they were like papers in which there were no thorns; and now they

have become like thorns without paper: if you recognize them, they would criticize you, and if you leave them, they would not leave you." According to Ali "Allah be pleased with him": "The first thing therewith the forbearing is recompensed for his forbearance is that all the people become his assistants against the ignorant." According to Mu'awiyah: "None shall attain the rank of giving sound opinions until his forbearance overpowers his ignorance, his patience overcomes his desire; and none shall obtain that except by the power of knowledge." Mu'awiyah asked Amr Ibn Al-Ahtam: "Which of men is the most courageous?" he said: "He who removes his ignorance with his forbearance." He further asked: "Which of men is the most generous?" he said: "He, who spends what he has in this world for the benefit of his religion."

In comment on the following statement of Allah Almighty: "Nor can Goodness and Evil be equal. Repel (Evil) with what is better: then will he between whom and you was hatred become as it were your friend and intimate! And no one will be granted such goodness except those who exercise patience and self-restraint, none but persons of the greatest good fortune." (Fussilat 34-35)

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

Anas "Allah be pleased with him" said: "It refers to a man whom his brother insults, thereupon he says to him: "If you are a liar, then, may Allah forgive you; and if you are truthful, then, may Allah forgive me." One of the people said: "I insulted a man from the inhabitants of Basrah thereupon he was forbearing on me, with which I came to be under obligation to him for a long time."

Mu'awiyah said to Urabah Ibn Aws: "O Urabah! With which thing have you attained sovereignty over your people?" he said: "I used to stick to forbearance on the ignorant against them, give the beggar among them, and seek to fulfill the need of the needy among them. So, whoever does like my doing becomes equal to me, and whoever does more than my doing is better than me, and whoever does less than my doing I then am better than him." Once a man insulted Ibn Abbas "Allah be pleased with him" and when he finished he said: "O Ikrimah! Does the man have any need to fulfill for him?" the man lowered his head out of shyness. A man said to Umar Ibn Abd-Al-Aziz "may Allah have mercy upon him": "I bear witness that you are among the wicked." He said to him: "Your testimony is not acceptable."

It is reported on the authority of Ali Ibn Al-Hussain Ibn Ali "Allah be pleased with them" that one insulted him, thereupon he gave him a square garment of wool he was wearing and one thousand Dirhams. In comment on his deed they said that by so doing, he did to the man five good things: forbearance, abrogation of harm, delivering the man from what keeps him from the mercy of Allah Almighty, forcing him to show regret and repent, and having him return to praise him after he had blamed him. However, he bought all of that by a little thing from this world.

A man said to Ja'far Ibn Muhammad "may Allah have mercy upon him": "There was a dispute between me and some of my people over a thing and I like to leave it, but at the same time, I fear it might be said that leaving it is humiliation." On that Ja'far said to him: "Indeed, the humiliated is the wrongdoer." Al-Khalil Ibn Ahmad said: "It was said that he who did evil and then good was done to him (in reply to his evil), his heart would become like a barrier to deter him from doing the like of his evil." Al-Ahnaf Ibn Qais said: "I am not forbearing, but I force myself to be forbearing on others."

Wahb Ibn Munabbih "may Allah have mercy upon him" said: "Whoever shows mercy to others, they become merciful to him, and whoever keeps silent becomes safe, and whoever behaves ignorantly is overpowered, and whoever makes haste errs, and whoever is keen on evil does not become safe, and whoever does not avoid argumentation exposes himself to abuse, and whoever does not dislike evil commits sin, and whoever dislikes evil is protected against sin, and whoever follows the counsel of Allah is saved against evil, and whoever safeguards himself against the punishment of Allah becomes secure, and whoever takes Allah as friend and protector is kept from evil, and whoever does not ask Allah become destitute, and whoever feels safe from the plot of Allah is disappointed, and whoever seeks the aid of Allah attains felicity."

A man said to Malik Ibn Dinar "may Allah have mercy upon him": "I was informed that you spoke ill about me." On that he said: "You are then more honorable in my sight than myself, for were I to do so, I would give you my good deeds as a gift." One of the scholars said: "Forbearance is higher than mind, for Allah Almighty is named by it (as one of His most beautiful Names)." A man said to one of the sages: "By Allah, I am going to insult you with an insult that would enter the grave with you (i.e. its effect would last long after your death)." On that he said: "No, it would enter with you (in your grave)." Jesus "peace be upon him" passed by some Jews who spoke ill to him, and he spoke good to them. It was said to him: "They speak ill to you and you speak good to them!" He said: "Each spends from what he has."

According to Luqman "Allah be pleased with him": "Three kinds of men are not recognizable but in three situations: the forbearing is not recognizable but at the time of anger, nor the brave but at the time of war, nor the brother but at the time of need." One of the sages was visited by his friend whom he served with food. Then, the sage's wife, who was of bad manners, came out and lifted the table and went on insulting the sage (her husband). His friend came out angrily and the sage followed him and said to him: "Do you remember the day on which we were having food in your house, and a hen fell on the table and spoilt the food but none of us grew angry?" he answered in the affirmative. He said to him: "Then, regard that (woman) like the hen." Thus, the anger was over and he turned away saying: "The sage has told the truth. Forbearance is cure from every kind of pain."

A man painfully struck the foot of a sage who did not grow angry. When he was asked about the reason why he did not grow angry he said: "I regarded him

like a stone by which I stumbled and Thus, I removed anger from me." Mahmud Al-Warraq said (in a form of poetic verses): "I will restrain myself to forgive such of people as is sinful to me regardless of the number of his crimes against me. People are but one of three: an honorable, a humiliated and an equal unto me. As for him who is beyond me, I know well his esteem, and follow the truth in my dealing with him, and truth is binding. As for him who is inferior to me, if he speaks ill about me, I will save my honor from answering him. As for him who is equal to me, if he says something in which he slips, I will forgive him out of bounty, for bounty helps forbearance."

Exposition Of The Extent To Which It Is Permissible To Slake One's Anger With Speech

It should be known that it is impermissible to counter every kind of wrongness: it is impermissible to counter backbiting, spying, talebearing, etc, with their likes. But exacting retribution should be in accordance to what is permissible under religious law.

It is impermissible to offset insults with insults like them. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said in this respect: "If a man insults you with what you have, do not insult him with what he has (which you know about him)." (This narration is reported by Ahmad on the authority of Jabir Ibn Sulaim). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "If two are involved in abusing each other, the sin of that is on the one who abuses first until the wronged transgresses the due limits (of reply)." (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The two who are involved in abusing each other is like two quarrelsome devils."

It is narrated on the authority of Sa'id Ibn Al-Musayyab that he said: While the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was sitting among his companions, a man abused Abu Bakr and caused harm to him, but Abu Bakr kept silent (and gave no reply) to him. He harmed him once again but Abu Bakr kept silent (and gave no reply). When he harmed him for the third time, Abu Bakr exacted retribution from him (acting upon the concession of returning back the harm). When Abu Bakr exacted retribution the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" stood (and turned away). On that Abu Bakr said: "Have you grown angry with me O Messenger of Allah?" on that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "An angel came down from the heaven to give lie to him for what he has said to you (while you were keeping silent), and when you exacted retribution Satan stood (between you and replaced the angel), and I was not to sit in a place where Satan was standing." (This narration is reported by Abu Dawud).

But according to some people, it is permissible to fend off abuses with that in which there is no lie. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" forbade to counter abuses with the like of them out of piety, although

one who does so will not be sinful by it. But it is better to leave it (in compliance with the forbiddance of the Prophet). What is permissible therein is to say: "And who are you? Are you but one who belongs to sons of so and so?" This is like the statement of Sa'd to Ibn Mas'ud "Allah be pleased with them": "Are you but one who belongs to sons of Hudhail?" Ibn Mas'ud replied to him: "And are you not but one who belongs to the sons of Umayyah?" it is also permissible to say: "O foolish!" according to Mutarrif: "Everyone is foolish in what is between him and his Lord Almighty, but some are less foolish than others." The same is true of saying: "O ignorant!" for there is none but that he has a portion of ignorance. Similarly, such sayings as: "O bad-tempered man! O barefaced man! If you feel shy even a bit, you would not say such and such! How despicable you are in my sight for what you have done! May Allah frustrate you and exact retribution from you!"

But as for talebearing, backbiting, telling lies and insulting parents, they are unlawful by consensus. It is narrated that there was a clash between Khalid Ibn Al-Walid and Sa'd, and a man spoke ill about Khalid in the presence of Sa'd, thereupon he said to him: "Shut your mouth! What is between us has not reached the point of violating our religion." He meant that the clash that was between them was not to lead them to commit sins by abusing each other. Thus, he rejected to hear evil: how then is it permissible for him to say it?

The evidence for the permissibility of saying that in which there is no lie, nor is it unlawful is taken from the narration on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" in which she said: The wives of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" sent Fatima, the daughter of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", to The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". She asked for permission to be admitted, as he had been lying with me in my mantle. He gave her permission and she said: "O Messenger of Allah! Your wives have sent me to you in order to ask you to be just in case of the daughter of Abu Quhafah." She (A'ishah) said: I kept silent. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to her (Fatima): "O daughter! Do you not love whomever I love?" She answered in the affirmative. He said: "Then, I love this (A'ishah)." Fatima stood up when she heard this from The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and went to the wives of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and informed them of what she had said to him and what The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" had said to her. They said to her: "We think you were of no benefit to us. You may again go to The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and tell him that his wives seek for his justice in case of the daughter of Abu Quhafah." Fatima said: "By Allah, I will never talk to him about this matter." A'ishah added: The wives of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" then sent Zainab Bint Jahsh, the wife of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", who was fairly equal in rank with me in the sight of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". However, I

have never seen a woman, more advanced in religious piety, more Allah-conscious, more truthful, more keeping of the blood relations, more generous, having more sense of self-sacrifice in practical life and having more charitable disposition and Thus, more close to Allah *ALMIGHTY* than Zainab. But, she used to loose temper very soon, but immediately, she would be calm. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" permitted her to enter, while she (A'ishah) was still with The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in her mantle, in the same very state when Fatima had come. She said: "O Messenger of Allah! Your wives have sent me to you, seeking for your equity in case of the daughter of Abu Quhafah. She then came to me and was harsh to me. Meanwhile, I was looking at the eyes of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" whether he would permit me (to reply to her). Zainab went on until I knew that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" would not dislike that I should reply (in the same way to her). Then I aimed at her with hot words until I caused her to be silent. On that, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" smiled and said: "She is really the daughter of Abu Bakr." (This is reported by Muslim). She did not intend, by saying that she had insulted her, to be foul-speaking or shameless, but to fend off her speech with the truth. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "If two are involved in abusing each other, the sin of that is on the one who abuses first until the wronged transgresses the due limits (of reply)." (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah).

This is just the extent to which it is permissible to fend of oneself. Although there is concession for harming to such extent in retaliation for previous harm, it is better to leave it out of piety, for it is easy to lead one to what is beyond it; and it is easier to keep silent from reply than to set off answer and stop at the limit that is set by law. From among the people, there are such as could not practice self-control at the time their anger is provoked, but soon they return to the truth, and such of them as holds back from reply, but always feels resentment towards others. However, people are of four kinds in relation to anger: some are like dry grass which is swift to be kindled and swift to be extinguished, others like wet grass which is slow to be kindled and slow to be extinguished, others slow to be kindled and swift to be extinguished, and those are the most praiseworthy as long as it does not lead them to lack of zeal and passion, and others swift to be kindled and slow to be extinguished, and those are the worst among them all.

According to the narration: "The believer is swift to grow angry and swift to be pleased." According to Ash-Shafi'i "may Allah have mercy upon him": "Whoever is provoked and does not become angry is like a donkey; and whoever is besought to be pleased and does not become pleased is like a devil." Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Behold! Men have been created on different kinds: from among them, there is such as too slow to grow angry, too

swift to return (to tranquility); such as too swift to grow angry, too swift to return (to tranquility); such as too slow to grow angry and too slow to return (to tranquility); and this (who is too swift to grow angry, too swift to return (to tranquility)) vis-à-vis that (who is too slow to grow angry and too slow to return (to tranquility)); and behold! From among them, there is such as too slow to return (to tranquility)and too swift to grow angry; and this is vis-à-vis that (who is too slow to grow angry, and too swift to return (to tranquility). Behold! The best of them is the one who is too slow to grow angry and too swift to return (to tranquility); and the worst of them is the one who is too swift to grow angry and too slow to return (to tranquility)."

Since anger is provoked and has a remarkable effect on every man, it is incumbent upon the ruler to avoid punishing anyone at the time of anger, for he might exceed the due bounds and go beyond the required sentence. Furthermore, he might be motivated only by his anger at him, and if he punishes him, he might do so just to quench his anger and exact retribution from him, although his defense and retribution should be for the Sake of, and in the religion of Allah Almighty, and not for anything or anyone else. Once, Umar "Allah be pleased with him" saw a drunk and when he wanted to arrest and punish him, he insulted him thereupon he left him. He was asked: "O Commander of Believers! Do you leave him although he has insulted you?" on that he said: "I left him because he provoked my anger, and were I to punish him, it would be only for the sake of my anger, and not for the Sake of Allah Almighty; and I do not like to beat a Muslim out of zeal for myself." Umar Ibn Abd-Al-Aziz "may Allah have mercy upon him" said to a man who provoked his anger: "Had it not been for the fact that you have provoked my anger, I would have punished you."

CHAPTER TWO

MEANING AND CONSEQUENCES OF RANCOR; AND EXCELLENCE OF FORGIVENESS AND KINDNESS

It should be known that if it is necessary to restrain anger immediately due to failure to slake it or exact retribution, it lurks in the soul and is congested therein in order to turn into rancor. The meaning of rancor is to have in one's heart long-lasting aversion and hatred towards another. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The faithful believer is not rancorous." Rancor then is the fruit of anger; and it yields eight things:

The first is the envy, i.e. to hope the removal of blessing and favor of him whom you envy. This means that you grieve at his good fortunes and rejoices at his misfortunes. This is the conduct of the hypocrites, and it will be condemned later, Allah willing.

The second is to go beyond the lurking envy to glee at one's distresses and disasters.

The third is to desert him, sever relation with him, detach from him, even if he asks for you, and turns towards you (with kindness).

The fourth is to turn your back to him, out of regarding him slightly, and

considering him inferior and insignificant.

The fifth is to speak ill about him with what is unlawful, as to tell lies about him, backbite him, divulge his secrets.

The sixth is to mimic him out of mocking at and making fun of him.

The seventh is to beat him painfully.

The eighth is to deprive him of his right, concerning debt, kinship, giving back to him his illegally usurped right, etc.

To be sure, all of this is unlawful, and the least degree is rancor is to avoid those eight evils, and not to do, because of rancor, what leads to disobeying Allah Almighty. But if it is necessary, do not let the aversion you have towards him in your heart appear on your face whenever you happen to meet him, or forbid you to take care of him, fulfill his needs, be kind to him, gather with him to celebrate (worship) Allah Almighty, help him do good, praise him, supplicate to a good effect for him, and console him when he is stricken, lest your faith would decrease, and much reward would be lost from you, though you would receive no punishment because of it.

When Abu Bakr "Allah be pleased with him" swore to withhold the gift he used to give to Mistah, and he was his relative, for he was involved in the false speech about A'ishah "Allah be pleased with her", Allah Almighty revealed His statement: "Let not those among you who are endued with grace and amplitude of means resolve by oath against helping their kinsmen, those in need, and those who have left their homes in Allah's cause: let them forgive and overlook: do you not wish that Allah should forgive you? For Allah is Oft-Forgiving, Most Merciful." (An-Nur 22)

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

On that Abu Bakr "Allah be pleased with him" said: "Yes, by Allah, we like that (Allah would forgive for us our sins)." He then returned his gift to him.

If one could do more good to him towards whom he feels rancor, out of self-mortification and humiliation of Satan, let him do; and this is the rank of the sincere lovers of truth. That is because this is one of the virtuous deeds of these near to Allah Almighty. Thus, the one who represents the object of rancor has three ways to be treated therewith: the first is to take his due right with neither addition nor reduction; and the second is to receive kindness by forgiveness and good relation, and this is the bounty; and the third is to be wronged and deprived of his right illegally, and this is the evident wrongness and injustice. The third is the preference of the lowly among men, the second is the preference of the sincere lovers of truth, and the first is the highest rank of the righteous. Now, let's talk about the virtue of forgiveness and kindness.

Virtue Of Forgiveness And Kindness

It should be known to you that forgiveness means that one has a right which he remits and gives up, whatever it might be. It differs from forbearance and

swift to return (to tranquility); such as too swift to grow angry, too swift to return (to tranquility); such as too slow to grow angry and too slow to return (to tranquility); and this (who is too swift to grow angry, too swift to return (to tranquility)) vis-à-vis that (who is too slow to grow angry and too slow to return (to tranquility)); and behold! From among them, there is such as too slow to return (to tranquility)and too swift to grow angry; and this is vis-à-vis that (who is too slow to grow angry, and too swift to return (to tranquility). Behold! The best of them is the one who is too slow to grow angry and too swift to return (to tranquility); and the worst of them is the one who is too swift to grow angry and too slow to return (to tranquility)."

Since anger is provoked and has a remarkable effect on every man, it is incumbent upon the ruler to avoid punishing anyone at the time of anger, for he might exceed the due bounds and go beyond the required sentence. Furthermore, he might be motivated only by his anger at him, and if he punishes him, he might do so just to quench his anger and exact retribution from him, although his defense and retribution should be for the Sake of, and in the religion of Allah Almighty, and not for anything or anyone else. Once, Umar "Allah be pleased with him" saw a drunk and when he wanted to arrest and punish him, he insulted him thereupon he left him. He was asked: "O Commander of Believers! Do you leave him although he has insulted you?" on that he said: "I left him because he provoked my anger, and were I to punish him, it would be only for the sake of my anger, and not for the Sake of Allah Almighty; and I do not like to beat a Muslim out of zeal for myself." Umar Ibn Abd-Al-Aziz "may Allah have mercy upon him" said to a man who provoked his anger: "Had it not been for the fact that you have provoked my anger, I would have punished you."

CHAPTER TWO

MEANING AND CONSEQUENCES OF RANCOR; AND EXCELLENCE OF FORGIVENESS AND KINDNESS

It should be known that if it is necessary to restrain anger immediately due to failure to slake it or exact retribution, it lurks in the soul and is congested therein in order to turn into rancor. The meaning of rancor is to have in one's heart long-lasting aversion and hatred towards another. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The faithful believer is not rancorous." Rancor then is the fruit of anger; and it yields eight things:

The first is the envy, i.e. to hope the removal of blessing and favor of him whom you envy. This means that you grieve at his good fortunes and rejoices at his misfortunes. This is the conduct of the hypocrites, and it will be condemned later, Allah willing.

The second is to go beyond the lurking envy to glee at one's distresses and disasters.

The third is to desert him, sever relation with him, detach from him, even if he asks for you, and turns towards you (with kindness).

The fourth is to turn your back to him, out of regarding him slightly, and

considering him inferior and insignificant.

The fifth is to speak ill about him with what is unlawful, as to tell lies about him, backbite him, divulge his secrets.

The sixth is to mimic him out of mocking at and making fun of him.

The seventh is to beat him painfully.

The eighth is to deprive him of his right, concerning debt, kinship, giving back to him his illegally usurped right, etc.

To be sure, all of this is unlawful, and the least degree is rancor is to avoid those eight evils, and not to do, because of rancor, what leads to disobeying Allah Almighty. But if it is necessary, do not let the aversion you have towards him in your heart appear on your face whenever you happen to meet him, or forbid you to take care of him, fulfill his needs, be kind to him, gather with him to celebrate (worship) Allah Almighty, help him do good, praise him, supplicate to a good effect for him, and console him when he is stricken, lest your faith would decrease, and much reward would be lost from you, though you would receive no punishment because of it.

When Abu Bakr "Allah be pleased with him" swore to withhold the gift he used to give to Mistah, and he was his relative, for he was involved in the false speech about A'ishah "Allah be pleased with her", Allah Almighty revealed His statement: "Let not those among you who are endued with grace and amplitude of means resolve by oath against helping their kinsmen, those in need, and those who have left their homes in Allah's cause: let them forgive and overlook: do you not wish that Allah should forgive you? For Allah is Oft-Forgiving, Most Merciful." (An-Nur 22)

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

On that Abu Bakr "Allah be pleased with him" said: "Yes, by Allah, we like that (Allah would forgive for us our sins)." He then returned his gift to him.

If one could do more good to him towards whom he feels rancor, out of self-mortification and humiliation of Satan, let him do; and this is the rank of the sincere lovers of truth. That is because this is one of the virtuous deeds of these near to Allah Almighty. Thus, the one who represents the object of rancor has three ways to be treated therewith: the first is to take his due right with neither addition nor reduction; and the second is to receive kindness by forgiveness and good relation, and this is the bounty; and the third is to be wronged and deprived of his right illegally, and this is the evident wrongness and injustice. The third is the preference of the lowly among men, the second is the preference of the sincere lovers of truth, and the first is the highest rank of the righteous. Now, let's talk about the virtue of forgiveness and kindness.

Virtue Of Forgiveness And Kindness

It should be known to you that forgiveness means that one has a right which he remits and gives up, whatever it might be. It differs from forbearance and

anger restraint, and this is why we singled it out. Allah Almighty says: "Hold to forgiveness; command what is right; but turn away from the ignorant." (Al-A'raf 199)

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾

He further said: "and the remission (of the man's half) is the nearest to righteousness and do not forget liberality between yourselves." (Al-Baqarah 237)

﴿ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ ﴾

From among the Prophetic narrations, a mention may be made of the following:

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "By Him in Whose Hand is my soul, there are three things, and were I to swear, I would swear on them: No charity decreases from property, so you should give in charity (as much as possible); and no man forgives an injustice therewith he seeks the Countenance of Allah Almighty, but that Allah Almighty advances him in power and honour for it on the Day of Judgement; and no man opens on him a gate of begging but that Allah Almighty opens on him a gate to poverty for it." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Abu Kabshah Al-Anmari).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "No doubt, humbleness does not but advances a servant in loftiness, so, behave humbly perchance Allah would raise you in rank; and forgiveness does not but advances a servant in honour, so, forgive perchance Allah would raise you in honour; and charity does not but increases wealth, so, give in charity perchance Allah would have mercy upon you." (This narration is reported by Al-Asfahani and Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Anas). A'ishah "Allah be pleased with her" reported: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" never beat anyone with his hand, neither a woman nor a servant, except that when he had been fighting in the cause of Allah. Moreover, he never was hurt by anyone on whom he took revenge (for his own sake), except that when Allah's Legal limits were outraged; in this case, he would take revenge for Allah's Sake. (This narration is reported by At-Tirmidhi and Muslim).

Uqbah Ibn Amir "Allah be pleased with him" said: One day I met the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and either I took hold of his hand first, or he took hold of mine first and then said to me: "O Uqbah! Should I not tell you of the best manners of the inhabitants of the world and the hereafter? To keep good relation with whoever severs relation with you, to give whoever withholds from you, and forgive whoever wrongs you." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya, At-Tabarani and Al-Baihaqi). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Moses said: "O Lord! Which of Your servants is the dearest and

the most honoured in Your Sight?" He Almighty said: "He who, whenever he has power (to exact retribution from his wrongdoer) would stick to forgiveness."" (This narration is reported by Al-Khara'iti on the authority of Abu Hurairah).

Once, Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" was asked about the dearest and most honoured person, thereupon he said: "He, who, if he has power (to exact retribution from his wrongdoer) would stick to forgiveness. So, stick to forgiveness, perchance Allah would give you honour and power." A man came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and made a complaint to him of an injustice committed against him. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" told him to sit down in order to take back his right, and said to him: "But, the wronged will be the prosperous on the Day of Judgement." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Abu Salih). In this way, he rejected to take back his right when he heard the Hadith.

A'ishah "Allah be pleased with her" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who invokes evil upon his wrongdoer has indeed exacted retribution from him." It is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "When Allah Almighty raises the people (from dead) on the Day of Judgement, a caller will make a public call from underneath the Throne (of Majesty) thrice: "O assembly of monotheists! Allah Almighty has pardoned you, so, pardon each other!" (This narration is reported by Al-Maqri and At-Tabarani).

It is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: When the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" conquered Mecca, he circumambulated the House and offered a two-rak'ah prayer and then came to the Ka'bah and caught hold of its gate posts and addressed the people saying: "What do you say?" they said: "We say that you are forbearing merciful brother and cousin." They gave the same answer thrice thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I say the same as Yusuf "peace be upon him" said: "This day let no reproach be (cast) on you: Allah will forgive you, and He is the Most Merciful of those who show mercy!"" (Yusuf 92)

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾

(This narration is reported by Ibn Al-Jawzi). They came out as if they were resurrected from the graves and then embraced Islam.

It is narrated on the authority of Suhail Ibn Amr "Allah be pleased with him," that he said: When the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" entered Mecca he came to the House and placed his hands on its gate and the people were standing round him. Then he said: "There is no god (to be worshipped) but Allah Alone, Who has no partner: He was true to His promise and made victorious His servant, and He Alone defeated the

confederates." Then he said: "O assembly of Quraish! What do you say? And what do you expect (from me to do with you)?" Amr said: I said: "O Messenger of Allah! We say good and expect good. You are but a generous brother and merciful cousin and now you have power over us." On that, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I say the same as my brother Yusuf "peace be upon him" said: "This day let no reproach be (cast) on you: Allah will forgive you, and He is the Most Merciful of those who show mercy!""

It is further narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "When the servants stand (in front of Allah on the Day of Judgement) a caller will call: "Let those whose reward is due upon Allah stand up and enter the Garden!" it was said: "Who are those whose reward is due upon Allah Almighty?" he said: "Those who used to pardon people. Then, dozens of thousands will stand and enter the Garden without reckoning." (This narration is reported by At-Tabarani).

It is narrated on the authority of Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No one is brought to a guardian concerning anyone of the legal limits of Allah but that he will implement it, and Allah Almighty is Most Forgiving, and He likes forgiveness." Then, he recited the statement of Allah: "and let them pardon and overlook. Would you not like that Allah should forgive you? And Allah is Forgiving and Merciful." (An-Nur 22)

﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

(This narration is reported by Ahmad and Al-Hakim). It is further narrated on the authority of Jabir "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If man has the following three things, in addition to his faith (in Allah and His Messenger), he will enter the Garden from whichever he likes of its gates, and get married to whomever he likes of its beautiful women with big lustrious eyes: to fulfill a debt (of another) in secret, to recite "Say, He is Allah, the One and Only" ten times following every (obligatory) prayer, and to pardon his killer." Abu Bakr "Allah be pleased with him" said: "And even if he does any of those things O Messenger of Allah?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him," said: "Yes." (This narration is reported by At-Tabarani).

From among the traditions and sayings, a mention may be made of the following:

According to Ibrahim At-Taimi: "Whenever a man wrongs me, I show mercy to him." This is out of faithfulness, which is beyond forgiveness, for his heart is engaged in being exposed to disobeying Allah Almighty by wrongness, and when it is the Day of Judgement, and he is asked to give reason for it, he will have no

answer to give. According to a righteous man: "If Allah Almighty wants to endow blessing upon a man, He assigns to him such of people as wrongs him." A man entered upon Umar Ibn Abd-Al-Aziz "may Allah have mercy upon him" and made a complaint to him of a man who wronged him, thereupon he said to him: "Indeed, it is better for you to meet Allah with your injustice as it is than to meet him when you have exacted retribution for it."

According to Yazid Ibn Maisarah: "If you continue to invoke Allah against your wrongdoer, Allah Almighty then says to him: "So and so invokes Me against you that you have wronged him: if you like, We would respond to the invocation, and if you like, We would defer you both to the Day of Judgement, and by then My pardon will extend over you both." Muslim Ibn Yasar said to a man who invoked Allah against his wrongdoer: "Entrust the wrongdoer to his injustice, for it is swifter in effect than your invocation against him, unless he saves it with a good deed he does, which he might not do." It is narrated on the authority of Ibn Umar from Abu Bakr that he said: We were reported that on the Day of Judgement, Allah Almighty would order a caller to make a public call: "Let those stand who have anything with Allah Almighty." Those of forgiveness then will stand and be rewarded for their pardoning the people."

It is reported on the authority of Hisham Ibn Muhammad that two sinners were brought to An-Nu'man Ibn Al-Mundhir, one of whom committed a major sin and the other a trivial one. He excused him who committed the major sin and punished him who committed the small sin and said: "Kings always pardon, out of their bounty, the major among sins, and they might punish for the small among sins, and this is not out of their ignorance, in so much as it is that the people would know their forbearance, and fear their severe power."

It is reported on the authority of Mubarak Ibn Fadalah that he said: "Siwar Ibn Abdullah visited Abu Ja'far among a delegate from Basrah and I was with him when a man was brought to him and he commanded that he should be killed. I said (to myself): "Should he kill one of the Muslims in my presence?" then I said to him: "O Commander of Believers! Should I not tell you a narration I heard from Al-Hassan?" He said: "What is it?" I said: "I heard him saying: When it is the Day of Judgement, Allah Almighty would gather all the people in one plain valley, so that the voice of the caller would reach them all, and the sight would grasp them all. Then, a caller will stand and make a public call: "Let those stand, who do a favor (for which they have reward) with Allah." By then, none will stand but those who used to stick to forgiveness." He asked me: "Tell me by Allah, have you heard it from Al-Hassan?" I said: "By Allah I have heard him from Al-Hassan." Thus, he pardoned the man.

Mu'awiyah said: "Stick to forbearance and tolerance until you have the opportunity (to exact retribution), and if you seize the opportunity, stick then to forgiveness and remitting." It is reported that a monk entered upon Hisham Ibn Abd-Al-Malik who asked him: "Do you see that Dhul-Qarnain was a Prophet?" he said: "No, but he was given the favor he had been given for four

characteristics he had: whenever he had power (to exact retribution), he would forgive; whenever he made a promise, he would fulfill it; whenever he spoke, he would prove truthful; and he never load the occupation of a day to the next day." According to a wise man: "The forbearing is not he who is wronged and then keeps patient until when he has power (to exact retribution) he takes revenge, but the forbearing is he who is wronged and keeps patient until when he has power (to take revenge), he pardons."

According to Ziyad: "Power removes rancor and anger." A man was brought to Hisham and he was reported to have done something wrong, and when he was made to stand in front of him, he went on offering his argument. Hisham said to him: "Do you argue in front of me?" he said: "O Commander of Believers! Allah Almighty said: "On the Day when every soul will come disputing for itself, and every soul will be fully compensated for what it did, and they will not be wronged." (An-Nahl 110)

﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

Would we dispute for ourselves in front of Allah Almighty and not speak in front of you?" he said to him: "Woe to you! Say what you like to say!"

It is reported that a thief entered the tent of Ammar Ibn Yasir "Allah be pleased with him" at Siffin, and it was said to him: "Cut off his hand for he is from our enemies." He said: "No, screen him perchance Allah would screen my faults on the Day of Judgement." In another context, Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" was sitting in the market to buy foodstuff and when he made the transaction and looked for money to pay, and it was in his turban, he found out that he had been loosened and the money missing. He said: "When I sat down, the money was with me." The people went on invoking evil against the thief saying: "O Allah! Cut off the hand of him who stole it! O Allah! Do with him such and such (punishment)!" on that Abdullah "Allah be pleased with him" said: "O Allah! If he took it for a certain need, then, bless in it for him; and if he took it thereby he dared to commit sin, then, make it the last sin for him to commit."

According to Al-Fudail: "I have never seen a man more devout than a man from the people of Khurasan who was sitting with me in the Sacred Mosque, and when he stood up to circumambulate the House, his Dinars were stolen from him. On that, he went on weeping and I asked him: "Are you weeping for your stolen Dinars?" he said: "No, but I imagined the thief and myself in front of Allah Almighty (on the Day of Judgement), and I was about to refute his argument, thereupon I wept out of mercy for him."

Malik Ibn Dinar said: One night, we came to the house of Al-Hakam Ibn Ayyub, who was the governor of Basra, and Al-Hassan came and he was frightened. We entered with him into the governor, and we were like moths in relation to Al-Hassan. Al-Hassan related the story of the Prophet Yusuf "peace

be upon him" and how his brother threw him in the spring and how he was sold, and said: "They got rid of their brother, and aggrieved their father." He also made a mention what Yusuf received of the evil scheme of women and imprisonment. Then he said: "O governor! What did Allah Almighty do to him? He made him superior to them, raised his repute, made higher his word, and caused him to be in charge of the depositories of the earth. Then, what did Yusuf himself do when the favor was completed on him, and his family were brought to him? He said to his brothers: "This day let no reproach be (cast) on you: Allah will forgive you, and He is the Most Merciful of those who show mercy!"" (Yusuf 92)

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾

He thus, referred to Al-Hakam to pardon his companions. On that, Al-Hakam said: "This day let no reproach be (cast) on you; and were I to have another garment than that I am wearing now, I would have screen you with it."

Ibn Al-Muqaffa' wrote the following statement to his companion, asking him to pardon one of his brothers: "So and so has escaped from his sin to your pardon, and taken refuge to your forgiveness from your punishment. It should be known to you that the more the sin to be committed is great, the more the forgiveness becomes meritorious." The captives of Ibn Al-Ash'ath were brought to Abd-Al-Malik Ibn Marwan who asked Raja' Ibn Haiwah: "What do you see?" he said: "O Commander of Believers! As Allah Almighty has given you the victory you like, then, give Him the pardon He likes." On that, he pardoned them. It is reported that Ziyad captured a man from the Khawarij and he fled from him. He arrested one of his brothers, and said to him: "You should bring your brother, otherwise I would chop off your head." He said: "Tell me, if I bring to you a statement (of pardon) from the Commander of Believers, should you release me?" he answered in the affirmative, thereupon he said: "Then, I bring to you a statement from (Allah) Exalted in Power, Most Wise, and make two witnesses to it, i.e. Abraham and Moses "peace be upon them"." Then, he recited the following statement of Allah: "Nay, is he not acquainted with what is in the books of Moses, And of Abraham who fulfilled his engagements, Namely, that no bearer of burdens can bear the burden of another?" (An-Najm 36-38)

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾

On that, Ziyad said: "Release him, for this man dictated his argument." Finally, it is said that the following statement is written in the Gospel: "He, who asks for forgiveness for his wrongdoer has indeed defeated Satan."

Virtue Of Kindness

It should be known that kindness is praiseworthy, and its opposite is violence and severity, which result from anger and harshness, whereas kindness and lenience result from good manners and safety. Severity might be caused by anger, or extreme eagerness and greed, which hinder from thinking and taking

heed. Kindness then is the fruit of good manners, and the manners are good only if the powers of anger and appetence are controlled and preserved at the level of moderation.

For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" praised kindness so much when he said to A'ishah "Allah be pleased with her": "O A'ishah! Whoever is given his portion of kindness has indeed been given his portion of the good of this world and the hereafter; and whoever is deprived of his portion of kindness has indeed been deprived of his portion of good in this world and the hereafter." (This narration is reported by Ahmad and Al-Aqili). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "If Allah likes a family He gives them the privilege to adhere to kindness." (This narration is reported by Ahmad and Al-Baihaqi on the authority of A'ishah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah Almighty gives (rewards) for kindness much more than He gives for violence; and if Allah Almighty likes a servant, He gives him the privilege to adhere to kindness; and no family are deprived of kindness but that they will be deprived of the love of Allah Almighty." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Jarir). A'ishah "Allah be pleased with her" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No doubt, Allah Almighty is Kind, and He likes kindness, and He gives (rewards) for kindness much more than He gives for violence." (This narration is reported by Muslim on the authority of A'ishah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to A'ishah "Allah be pleased with her": "O A'ishah! Be kind, for if Allah Almighty likes to honour a family, He guides them to the gate of kindness." (This narration is reported by Ahmad on the authority of A'ishah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Whoever is deprived of kindness is indeed deprived of all good." (This narration is reported by Muslim and Abu Dawud on the authority of Jarir). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Whoever among rulers is appointed a ruler in which he proves kind and lenient (to his wards), Allah Almighty will be kind and lenient to him on the Day of Judgement." (This narration is reported by Muslim on the authority of A'ishah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Do you know to whom the fire (of Hell) will be forbidden on the Day of Judgement? Every lenient, easygoing, even-tempered tractable." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Ibn Mas'ud). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No doubt, kindness is a good omen, whereas violence is an evil omen." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Ibn Mas'ud; and Al-Baihaqi on the authority of A'ishah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said too: "Indeed, carefulness is from Allah, whereas hastiness is from Satan." (This narration is reported by Abu Ya'li on the authority of Anas; and At-Tirmidhi on the authority

of Sahl Ibn Sa'd).

It is narrated that a man came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "O Messenger of Allah! Allah Almighty has blessed all of the Muslims in you. So, please, give me a portion of good from you." He said twice or thrice: "Praise be to Allah." Then he faced him and said to him twice or thrice: "Are you going to seek and get benefit from the advice?" the man answered in the affirmative. On that he said: "If you like to do a thing, then, consider first its consequence: if it is right, then, carry it on, otherwise, desist from it." (This narration is reported by Ibn Al-Mubarak on the authority of Abu Ja'far: Abdullah Ibn Miswar Al-Hashimi).

It is narrated on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that once she was on journey with the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and she was riding a disobedient camel which she tried to turn rightward and leftward violently. On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to her: "Never kindness is found in anything but that it beautifies it, and never it is taken from anything but that it distorts it." (This narration is reported by Muslim).

From among the traditions and sayings, a mention may be made of the following:

Umar "Allah be pleased with him" was informed about the complaints made by some of his people against his appointed officers, thereupon he commanded that they should come to him; and they did accordingly. When they came he stood up, praised Allah and lauded Him, and then addressed them saying: "O people! O wards! You have on us the right to advise you in absence, and help you do good. O governors! Your people have right on you. It should be known to you that nothing is dearer to Allah Almighty than the imam's forbearance and kindness; and there is no kind of ignorance, more hateful in the Sight of Allah Almighty and more painful than the imam's ignorance that leads to wrongness. Furthermore, it should be known to you that whoever uses his power to take back the rights of others from the strong will be bestowed with power from him who is weaker than him."

According to Wahb Ibn Munabbih: "Kindness is to follow up forbearance." According to a Prophetic narration: "Knowledge is the believer's companion, forbearance his minister, mind his guide, work his caretaker, kindness his parent, lenience his brother, and patience the leader of his army." (This narration is reported by Abu Ash-Shaikh on the authority of Anas). One of the wise men said: "How good faith is when it is adorned with knowledge; and how good knowledge is when it is adorned with deed; and how good deed is when it is adorned with kindness; and nothing is added to another better than forbearance to knowledge." Amr Ibn Al-As asked his son Abdullah "Allah be pleased with him": "What is kindness?" he said: "It is to be lenient and deal kindly with governors." He further asked him: "What is violence?" he said: "To be hostile to your imam and oppose such of people as is able to strike you."

Once, Sufyan "may Allah have mercy upon him" asked his companions: "Do

you know what kindness is?" they said: "Tell us O Abu Muhammad." He said: "It is to place things in their proper positions: to be hard where hardness is required, lenient where lenience is required; to use sword where sword is required, the whip where whip is required." However, it refers to the necessity of mixing kindness with hardness, lenience with harshness. That is because the praiseworthy thing is to be moderate, and stand in the middle between harshness and lenience. But since natures and dispositions are more inclined to violence and harshness, it has become incumbent to exhort them to take the side of kindness and lenience more and more. This is why religious law praises lenience and kindness more than violence, although violence is good when it is used properly, i.e. when it is required, just as lenience is good when it is used properly, i.e. when it is required.

Umar Ibn Abd-Al-Aziz "may Allah have mercy upon him" said: It is reported that Amr Ibn Al-As sent to Mu'awiyah a letter in which he blamed him for carefulness, thereupon Mu'awiyah replied with the following: "Coming to the point: to seek to understand good is to be more guided to the right, and the rightly-guided is he whose guidance averts him from hastiness; and the loser is he who fails to be careful. To be sure, the careful always does, or at least is about to do right, whereas the hasty does, or at least is about to do mistake. Furthermore, he, whom kindness does not benefit, without doubt violence harms him, and he, whom experience does not benefit, does not attain loftiness."

It is narrated that Abu Awn Al-Ansari said: "No harsh word people speak with but that there is another word easier than it, and of the same effect." According to Abu Hamzah Al-Kufi: "Take no servants but that for whom there is severe necessity, for there is none but that he has a devil with him. Moreover, it should be remarkable that there is nothing which they give you by harshness but that they could give you better than it by kindness and lenience." According to Al-Hassan "may Allah have mercy upon him": "The believer is always thoughtful, careful and not hasty."

This is the praise of the men of knowledge for kindness, because it is more often praiseworthy and beneficial. On the other hand, violence might be needed, but in very rare cases. However, the perfect one is he who has the power to distinguish the contexts of violence from those of kindness, and use each properly. But if he is short of insight, or unable to give the right judgement, let him be more inclined to kindness and lenience, for more often success is achieved with it.

CHAPTER THREE

CONDEMNATION OF ENVY; ITS REAL NATURE AND CAUSES; ITS TREATMENT; AND THE EXTENT TO WHICH IT SHOULD BE REMOVED

Exposition Of Condemnation Of Envy

It should be known that envy is the outcome of rancor, and rancor is the outcome of anger. The blameworthy branches that offshoot from envy are

beyond calculation. There are many narrations in condemnation of envy.

From among the Prophetic narrations, we can mention the following:

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Envy devours good deeds in the same way as fire consumes wood." (This narration is reported by Abu Dawud on the authority of Abu Hurairah; and Ibn Majah on the authority of Anas). In his forbiddance of envy, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Envy not each other, abandon not each other, dislike not each other, desert not each other, and be, O servants of Allah, brothers (in the religion of Allah)." (This narration is reported by both sheikhs).

It is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: We were sitting with the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" when he said to us: "Now there will appear to you from that side a man from the inhabitants of the Garden." A man from the Ansar appeared and he was shaking his beard off the water of ablution, hanging his sandals in his left hand, and then he paid salutation. When it was the next day, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said the same, and the same man appeared. On the third day, he said the same, and the same man appeared. When the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" stood up, Abdullah Ibn Amr Ibn Al-As followed that man and said to him: "I quarreled with my father and took oath not to enter the house for three days. So, if you see to host me in your house until those three days elapse, you then might do." The man welcomed him. He spent three nights with him during which he did not see that he stood at night (for supererogatory prayers), but whenever he went to bed, he would celebrate the Praises of Allah Almighty. He also observed that the man did not stand specifically to offer Fajr prayer. He (Abdullah) said: "But at the same time, I did not hear him saying but good. At the conclusion of the three days, and when I was about to despise his deed, I said to him: "O slave of Allah! I have not quarreled with my father, nor have I deserted him. But I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying such and such, and Thus, I liked to know your deed, and I did not see you doing much deed. So, with which have you attained that rank?" he said: "Nothing different from what you have seen." When I turned away he invited me and said: "It is nothing other than you have seen. But I never cheat nor envy anyone of the Muslims for good bestowed upon him by Allah Almighty." Abdullah said to him: "Then, it is that which raised you up to that high rank, and it is that which we could not do persistently." (This is reported by Ahmad and Al-Bazzar).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "There are three evils, from which none could hardly be saved: (negative) assumption, bad omen and envy; and I am going to tell you about the way out of them: if you have a (negative) assumption, do not act upon it; and if you have bad omen, go on (your way without care); and if you envy, then, do not desire (what you envy for)." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The

disease that afflicted the previous nations before you has attacked you: envy and hatred. Hatred is that which shaves; and I do not mean that it shaves the head and hair, but it shaves religion. By Him in Whose Hand is my soul, you will not enter Paradise until you have faith; and you would not have faith until you love each other. Should I not tell you about what realizes that for you? It is to make peace widespread among you."(This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Az-Zubair).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Poverty is about to cause disbelief, and envy is about to overpower fate." (This narration is reported by Al-Baihaqi and At-Tabarani on the authority of Anas). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Indeed, the disease that afflicted the nations before you will strike my nation." They asked: "What is the disease of the previous nations?" he said: "Arrogance, rejection of the truth, proliferation and competition over the things of this world, mutual desertion and envy, resulting in transgression and tumult." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya and At-Tabarani on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Do not glee at the misfortune of your brother lest Allah might relieve him and afflict you with the same." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Wathilah Ibn Al-Asqa').

It is narrated that when Moses "peace be upon him" hastened to the appointment of his Lord Almighty, he saw a man in the shade of the Throne (of Majesty), thereupon he envied him because of his position. It was said to him: "This man is honourable in the Sight of his Lord." He asked his Lord about him, and He Almighty did not tell him about his name but said: "Let me tell you about three of his deeds: he never envied the people for the favor bestowed upon them by Allah Almighty, nor did he prove disobedient or undutiful to his parents, nor did he go about with calumnies among the people." Zakariyya "peace be upon him" said: Allah Almighty says: "The envier is an enemy of My favor, and hateful of My fate, and displeased with the allotment I have made among My servants."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The thing which I fear most for my nation is that the wealth will proliferate so much among them that they would envy each other and kill each other (in competition over it)." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Ibn Amir Al-Ash'ari). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Seek the aid of secrecy to be able to fulfill your needs, for indeed, everyone of good things is vulnerable to envy." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya and At-Tabarani on the authority of Mu'adh). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "No doubt, there are enemies to the favors of Allah." It was said: "Who are those?" He said: "They are those who envy the people for what they are given by Allah Almighty out of His bounty." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Ibn Abbas). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Six (of people) will enter the fire (of Hell) a year before

reckoning." It was said: "Who are those O Messenger of Allah?" He said: "The rulers because of their injustice and wrongness, the Arabs for their Fanaticism, the governors for their arrogance, the traders and merchants for their treachery, the laymen for their ignorance, and religious scholars for their envy (of each other)." (This is reported by Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of both Ibn Umar and Anas).

From among the traditions and sayings, a mention may be made of the following:

According to one of the righteous predecessors: "The first sin to be committed is the envy: Iblis envied Adam "peace be upon him" for his rank in the Sight of Allah Almighty, and Thus, rejected to fall in prostration to him (as commanded by Allah). The result was that he turned to be disobedient."

It is reported that one day Awn Ibn Abdullah entered upon Al-Fadl Ibn Al-Muhallab who was at that time the governor of Wasit. He said to him: "I like to give you an admonition." He said: "What is it?" he said: "Beware of arrogance, for it is the first sin with which Allah Almighty was disobeyed (by Iblis)." He then recited to him the following statement of Allah Almighty: "And behold, We said to the angels: "Bow down to Adam:" and they bowed down: not so Iblis: he refused and was haughty: he was of those who reject Faith." (Al-Baqarah 34)

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

He then said: "Beware of greediness, for it is that which turned Adam "peace be upon him" from the Garden. Allah Almighty established him in a Garden, whose breadth is like the breadth of the heavens and earth, to eat therefrom as he liked barring one tree, which Allah Almighty forbade to him, but he ate from it, thereupon Allah Almighty drove him out of the Garden, addressing him: "Get you down, all (you people), with enmity between yourselves. On earth will be your dwelling place and your means of livelihood for a time." (Al-Baqarah 36)

﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾

Beware also of envy, for the son of Adam killed his brother only when he envied him." He then recited to him: "Recite to them the truth of the story of the two sons of Adam. Behold! they each presented a sacrifice (to Allah): it was accepted from one, but not from the other. Said the latter: "Be sure I will slay you." "Surely," said the former, "Allah does accept of the sacrifice of those who are righteous." (Al-Ma'idah 27)

﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ ۖ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

If a mention is made of the companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", keep silent (from speaking ill about them), and if a mention is made of the Divine Decree, then, speak not, and if a mention is

made of stars (astrology), then, keep silent."

Bakr Ibn Abdullah said: "There was a man who used to frequent a king and stand by his side and say: "Do good to the doer of good because of his good, for you will be sufficed against the evil of the doer of evil." Another man envied him because of his position from the king, and the good speech he used to say, and Thus, he went about with calumnies against him to the king, saying: "That man who stands by your side and says that good speech says that the king is a bad-smelling." The king asked him: "How should I verify of your statement?" he said: "Invite him to you, and when he comes close to you, he would put his hand over his nose in order not to smell the bad smell of the breath." The king said to him: "Go then until I think over the matter." He went out of the king's palace and invited the man to a banquet in his house and served him with food containing garlic. Then, the man went out from his house and stood by the side of the king, as usual and said: "Do good to the doer of good because of his good, for you will be sufficed against the evil of the doer of evil." The king then asked him to come close to him, and he did accordingly, and put his hand over his mouth for fear the king would detect in him the smell of garlic. The king said to himself: "I think but that so and so has told me the truth." The king never wrote documents with his handwriting but that it should contain a gift or a present (to be given to anyone of his wards). He gave him a letter with his handwriting to give to one of his appointed officers, in which he said: "If this carrier of my letter comes to you, then, slay him, remove his hide and stuff it with straw and then send it to me." The man then took the letter and came out where he met the man who envied him and went about with calumnies against him to the king, and asked him about the letter, and he said: "The king has commanded with his handwriting that a gift be given to me." He asked him to grant it to him, and he did. He took it and went to the officer who said: "Your letter reads that I should slay and remove your hide." He said: "But this letter is not mine. Defer my matter until you return to the king." He said: "The king's letter could not be changed." He then slew him, removed his hide and stuffed it with straw and sent it to the king. The good man returned to the king as usual and said to him what he used to say. The king wondered and said: "What about the letter I have given you?" he said: "So and so met me and asked me to grant it to him, and I granted it to him." The king said: "He told me that you pretended that I am a bad-smelling." He said: "I have never said so." He asked him: "Then, why had you put your hand over your mouth?" he said: "Because he served me with food containing garlic, and I disliked you to detect in me the smell of garlic." On that the king said: "You have told the truth. Return to your place, for we have been sufficed against the evil of the doer of evil."

Ibn Sirin "may Allah have mercy upon him" said: "I have envied anyone because of anything belonging to this world for, if he is from among the inhabitants of the Garden, then, how should I envy him because of anything belonging to this world, given that this world is no more than a small ditch in the Garden? If he is from the denizens of the fire of Hell, then, how should I envy

him because of anything belonging to this world given that the end of his journey is the fire of Hell?" a man asked Al-Hassan "may Allah have mercy upon him": "Does a believer envy?" he said: "Have you forgotten the sons of Jacob? But conceal it in your breast, for it will bring about no harm to you so long as it is not translated into deed or word."

According to Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him": "No servant (of Allah) remembers death more often but that he becomes less happy and less ready to envy." According to Mu'awiyah: "I have the power to please all the people except the envier of a favor, for nothing pleases him but the disappearance of that favor." According to a sage: "The envy is an incurable wound." According to a desert dweller: "I have never seen a wrongdoer who resembles a wronged more than an envier for he sees your favor a disfavor for himself." According to Al-Hassan "may Allah have mercy upon him": "O son of Adam! By no means would you be able to envy your brother! If he is given what he is given by Allah Almighty out of his honour in the Sight of Allah, of a surety, you would not envy him who is honoured by Allah Almighty; otherwise, you would not envy such of people as the end of whose journey is the fire of Hell." According to another man: "The envier does not get from gatherings but blame and humiliation, from angels but curse and aversion, from the people but fright and anxiety, at the time of death but suffering and terror, and at standing (on the Day of Judgement) but scandal and disgrace."

Exposition Of The Real Nature Of Envy, Its Ruling, Divisions And Levels

It should be known that there is no envy but because of a favor. If Allah bestows a favor on your brother, you have two behaviours to do with him in relation to it: you might dislike it, and like its removal; and this is the envy. The envy then is to dislike a favor bestowed upon a particular man, and desire for it to be removed from him. The second is that you might not like it to be removed, nor dislike it to remain with him, but you desire it for yourself ; and this is called Ghibtah (harmless jealousy). However, Ghibtah might result from aspiration. But even, there is confusion between both terms of envy and aspiration in the sense that each of them might be replaced with the other in usage. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The believer might have harmless jealousy (longing for favor), unlike the hypocrite who always envies because of it."

In relation to the first case, i.e. the envy, it is unlawful by all means, unless a favor is given to a wicked or disbeliever, which he uses to kindle affliction and cause cprruption: in this case, no harm befalls you if you dislike it and hope it to be removed from him. That is because you do not like it to be removed as being a favor in so much as being an instrument of corruption; and should you be safe from his corruption, the favor itself will not concern you. The proof for prohibition of envy is taken from the narrations and traditions we have transmitted. Moreover, envy means to dislike the fate and decree of Allah in

giving some of His servants preference over others. There is no legal excuse nor concession pertaining to that. Which sin is more grievous than your dislike for the comfort and relief of a Muslim, so long as you receive no harm from it?

To that the Qur'an refers as shown from the following statement of Allah Almighty: "If aught that is good befalls you, it grieves them; but if some misfortune overtakes you, they rejoice at it. But if you are constant and do right, not the least harm will their cunning do to you; for Allah compasses round about all that they do." (Al Imran 120)

﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾

This rejoicing is a kind of schadenfreude; and both envy and schadenfreude are concomitant. Allah Almighty further says: "Quite a number of the People of the Book wish they could turn you (people) back to infidelity after you have believed. From selfish envy, after the Truth has become manifest unto them: but forgive and overlook, till Allah accomplishes His purpose: for Allah has power over all things." (Al-Baqarah 109)

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾

He Almighty tells that their longing for the removal of the favor of faith is envy. He also says in this respect: "They but wish that you should reject Faith, as they do, and Thus, be on the same footing (as they)." (An-Nisa 89)

﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾

He Almighty mentioned how the brother of Yusuf "peace be upon him" envied him, saying on their tongue: "Truly Joseph and his brother are loved more by our father than we: but we are a goodly body! really our father is obviously wandering (in his mind)! Slay you Joseph or cast him out to some (unknown) land, that so the favour of your father may be given to you alone: (there will be time enough) for you to be righteous after that!" (Yusuf 8-9)

﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾

Thus, when they disliked his father's love for him, and were aggrieved by it, for which they envied him, and desired to remove that love, they took Yusuf "peace be upon him" away from him.

In another context, Allah Almighty says about the faithful believers: "and entertain no desire in their hearts for things given to the (latter), but give them preference over themselves, even though poverty was their (own lot). And those saved from the covetousness of their own souls; they are the ones that achieve prosperity." (Al-Hashr 9)

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾

He Almighty Thus, praised them for their being non-envious. He Almighty says also in rejection of the behaviours of the enviers: "Or do they envy mankind for what Allah has given them of His bounty?" (An-Nisa 54)

﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾

Allah Almighty further says: "Mankind was one single nation, and Allah sent Messengers with glad tidings and warnings; and with them He sent the Book in truth, to judge between people in matters wherein they differed; but the People of the Book, after the Clear Signs came to them, did not differ among themselves, except through selfish contumacy. Allah by His Grace guided the Believers to the Truth, concerning that wherein they differed. For Allah guides whom He will to a path that is straight." (Al-Baqarah 213)

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾

He Almighty also says: "And they became divided only after knowledge reached them, through selfish envy as between themselves." (Ash-Shura 14)

﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ ﴿١٤﴾ ﴾

Allah Almighty then sent knowledge in order to gather them in love to obey Him, and commanded them to join to each other in love through knowledge, thereupon they envied each other, and were divided among themselves, for each of them liked to have the authority to give the final say and decision, and this is why they refuted the claims of each other.

Ibn Abbas "Allah be pleased with him" said: Before the emergence of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" whenever the Jews were engaged in fighting with a people, they would supplicate Allah saying: "O Allah! We beseech You with the Prophet You promised to send to us, and the Book You revealed on us, to endow us with victory." (This is reported by Ibn Ishaq in his Sirah). Thus, they were given victory. But when the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" came and he was from among the descendants of Ishmael "peace be upon him" they recognized him, and at the same time, they gave lie to him, and rejected his Prophethood. In confirmation of that Allah Almighty says: "And when there comes to them a Book from Allah, confirming what is with them - although from of old they had prayed for victory against those without Faith - when there comes to them that which they (should) have recognized. They refused to believe in it but the curse of Allah is on those without Faith. Miserty is the price for which they have sold their souls, in that

they deny (the revelation) which Allah has sent down, in insolent envy that Allah of His Grace should send it to any of His servants He pleases: Thus, have they drawn on themselves Wrath upon Wrath, and humiliating is the punishment of those who reject Faith." (Al-Baqarah 89-90)

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ ﴾

It is reported that Safiyyah Bint Huyai "Allah be pleased with her" said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": One day, my father and paternal uncle came from you and my father said to my uncle: "What do you say about him?" he said: "I say that he is the Prophet of whom Moses "peace be upon him" had given the glad tidings." He asked him: "Then, what do you think (we should do with him)?" he said: "I think we should be enemies to him as long as we live." (This narration is reported by Ibn Ishaq in his Sirah). This is the ruling of prohibition of envy.

On the opposite is the aspiration which is not unlawful: it might be obligatory, favored or just permissible. We have already referred that both terms of envy and aspiration are replaceable in usage. Qutham and Al-Fadl intended to go to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and ask him to appoint them in charge of alms, and when they consulted Ali "Allah be pleased with him" about that he said to them: "Go not, for he would not appoint you." Qutham said to him: "This opinion of you expresses nothing but your aspiration for what we would get; and by Allah, we have never aspired for your favor when you got married to his daughter Fatimah." (This narration is reported by Muslim, and Qutham is wrong and the right is Al-Muttalib Ibn Rabie'ah). By aspiration, they intend envy, i.e. we have never envied you for your getting married to Fatimah.

The evidence for the fact that aspiration is permissible is taken from the statement of Allah Almighty: "and for this let those aspire, who have aspirations." (Al-Mutaffifin 26)

﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

Allah Almighty further says: "Hasten as in race for Forgiveness from your Lord, and a Garden (of Bliss), the width whereof is as the width of heaven and earth." (Al-Hadid 21)

﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

One hastens to precede another for fear he might be preceded, like two servants who race each other in service of their master, for each of them is scared

that he might be preceded by the other who, in turn, would have a higher position with his master. Why not since the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" himself put it clearly in his statement: "There is no (acceptable) envy except in two: a person whom Allah has given wealth and caused him to spend it in the right way, and a person whom Allah has given wisdom (religious knowledge) according to which he gives his decisions and which he teaches to the others." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Ibn Umar).

It is narrated on the authority of Abu Kabshah Al-Anmari that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The example of (the people of) this nation is like the example of four persons: a man whom Allah gives both property and knowledge, upon which he acts in his property, which he spends on what is right; and a man whom Allah gives knowledge but He gives him no property, thereupon he says: "Had I been given the like of what so and so had been given, surely, I would have done in it (the property) the same as he does."" The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Both are equal in the reward; and a man whom Allah gives property, but He gives him no knowledge, and he misuses his property, which he spends on what is wrong; and a man whom Allah gives neither knowledge nor property, thereupon he says: "Had I been given the like of what so and so had been given, surely, I would have done in it (the property) the same as he does."" The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Both are equal in the sin." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Ibn Majah). In the first two similes, he likes to have the same as his property to do like his doing, without longing for the favor to be removed from him. As for the fourth one, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" dispraised him in terms of his desire for sin and not in terms of his longing for the like of the property.

Thus, there is no harm on him who aspires for the like of a favor another is given, , so long as he does not dislike it to be removed from him, or to remain with him. It is true that in case that favor is religious, like prayer, almsgiving and fasting, then, aspiration for it becomes incumbent upon him for he wishes to be like him; and of a surety, if he does not wish to be like him concerning faith, he will then be contented with disobedience which is evidently unlawful. If the favor is meritorious like spending money on charity, alms, and good deeds, then, aspiration for it is encouraged and exhorted. If it is permissible, then, aspiration for it is only permissible. That is because the matter in the end returns to the aspiration to be like the one upon whom the favor is bestowed, provided that the favor itself is not undesirable. The favor then brings about two things: the first is the comfort of him upon whom it is bestowed; and the other is the inferiority and retardation of the aspirer from him. The latter then dislikes one of both things, i.e. his retardation from him, and at the same time, likes to attain equality with him. However, there is no harm on him who dislikes his inferiority and retardation from others as long as it pertains to what is

permissible, even though this decreases his excellence, contradicts asceticism, reliance on Allah Almighty, and satisfaction (with one's portion), and hinders from attainment of high stations, but at the same time, it does not lead to disobedience.

But even, an abstruse subtlety arises in this issue. If one loses hope to be like him upon whom favor is bestowed, and at the same time, he dislikes his being inferior to him, of a surety, he likes to remove that inferiority. This is removed either by attaining the like of the favor of the envied, or by the disappearance of the favor from him upon whom it is bestowed. By the disappearance of favor from the envied, his superiority and advancement over him would subsequently be over. No heart could be free from that feeling. But if he is to endeavor to remove the favor by himself willingly once it lies within his power to do so, he will be a blameworthy envier. But he will be not an envier if his piety prevents him from removing the favor, given his aversion for it in himself. It seems that this is the significance of the statement of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "There are three evils, from which none could hardly be saved: (negative) assumption, bad omen and envy; and I am going to tell you about the way out of them: if you have a (negative) assumption, do not act upon it; and if you have bad omen, go on (your way without care); and if you envy, then, do not transgress the due limits." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya).

It is impossible for a man who aspires to attain equality with his brother and fails to do so, and at the same time, he does not incline to like the disappearance of the favor from him upon whom it is bestowed. This limit of aspiration is close to envy, which is unlawful. For this reason, one should be cautious of it, since danger lies in it. There is no man but that he sees others from among his acquaintances and fellows superior to him, and he likes to be equal to them. If one is not of strong faith and good piety, that might lead him to forbidden envy. If he is prompted by fear of distinction and the emergence of his inferiority to others, it might lead him to blameworthy envy, according to which he is inclined, by nature, to have the favor removed from his brother until he falls down to be equal to him, since he fails to rise up to be equal to him by getting the like of his favor.

There is no concession in that, for it is unlawful whether it pertains to worldly or even religious affairs. But so long as he does not act upon it, he might be pardoned, Allah willing, and his aversion for it within himself becomes expiation for him. This is, indeed, the real nature and rulings of envy.

As for its levels, they are four: the first is that the envier likes the favor to be removed from his brother at all; and this is the worst kind of malice. The second is that he wishes the favor that is in the hand of his brother for he has a desire for it, like his desire for a good house, a beautiful woman, a power of authority, or abundance of living that is attained by another: he likes such favor to be with him, and does not like it to be removed from his brother. What he really dislikes is his loss of the favor and not his brother's being blessed in it. The third is that

he desires not the favor itself but the like of it, and if he fails to attain the like of it, he then will like it to be removed from his brother, in order for no distinction to appear between them. The fourth is that he desires for himself the like of it; and if he fails to get it, he will not like it to be removed from his brother.

It is this last division which is pardoned in case it pertains to worldly affairs, and encouraged in case it belongs to religious matters. The third level is divided into blameworthy and not blameworthy. The second is somewhat lesser than the third. But the first is the worst of them all; and it is evident envy. There is somewhat laxity in giving that (second) level the name of envy, although it is blameworthy in view of the statement of Allah Almighty: " And in no wise covet those things in which Allah has bestowed His gifts more freely on some of you than on others." (An-Nisa' 32)

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾

But one's desire for the like of it is not blameworthy, whereas his desire for it in itself is blameworthy.

Exposition Of Causes Of Envy And Harmless Jealousy

The main cause of harmless jealousy is to love the object of jealousy. If it pertains to religious matters, then, its cause might be the love for Allah Almighty, the desire for obeying Him. If it pertains to the worldly affairs, its cause might be the love for what is permissible in this world, and for being blessed in it. But now, let's consider the motives of the blameworthy envy whose approaches are numerous. But they might be summed up in seven: enmity, exaltation, vanity, wonder, fear of failure to attain desired goals, love for authority, self-wickedness and greed.

One might dislike the favor to be in the hand of another because he is his enemy, and thus, he likes no good for him. This is not limited to the fellows: the lowly might envy the king and likes any favor to be removed from him in view of his aversion for him, because of his causing harm to him or to such as he likes. One also might dislike the favor to be given to another for he knows that by virtue of it, he will become haughty and behave arrogantly towards him, a thing which he never endures. But the envier himself might be, by nature, inclined to behave arrogantly towards the envied, and due to the favor that is bestowed upon him, he will not be able to do so; and this is what is intended by exaltation. In many cases, the favor might be great, to the extent of raising the wonder of the envier about how such a man gets such a favor. The envier also might fear of his failure to attain his desired goal if the envied competes him over it because of the favor that is bestowed upon him. He also might like the authority that is based upon a particular favor. But even, envy might not be due to any of those causes in so much as to the self-malice and greed. Those causes then are to be explained in some detail.

The first motive: enmity and hatred

It is the strongest motive of envy. If one causes harm to another or disagrees with him due to any reason, he would dislike him and grow angry with him,

which would, in turn, bring about rancor and hatred towards him. Rancor of course requires vengeance and retribution, and if he fails to exact retribution from him by himself, he wishes that time would exact retribution from him. Furthermore, he might refer any misfortune that afflicts the envied to his honour and majesty in the Sight of Allah Almighty. If a calamity befalls his enemy, he would rejoice at it, and think it to be a reward for him from Allah Almighty in return for his hatred and aversion for his enemy. On the contrary, if any favor touches him, he would grieve for it would be in opposition to his desires and wishes; and it might occur to his mind that he is not dignified or dear in the Sight of Allah Almighty for He has not taken revenge on his enemy who caused harm to him.

In short, envy always is related with hatred and enmity and does not leave them. The piety here is not to transgress in his aversion and to restrict his dislike to be within his heart. But it is impossible to have aversion for a particular man and at the same time to be careless about his misfortunes as well as good fortunes. It is This kind of (envy caused by enmity and hatred) that Allah Almighty describes in His statements: " when they meet you, they say, "We believe": but when they are alone, they bite off the very tips of their fingers at you in their rage. Say: "Perish in your rage; Allah knows well all the secrets of the heart." If aught that is good befalls you, it grieves them; but if some misfortune overtakes you, they rejoice at it. But if you are constant and do right, not the least harm will their cunning do to you; for Allah compasses round about all that they do." (Al Imran 119-120)

﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾

He further says: " they will not fail to corrupt you. They only desire your ruin: rank hatred has already appeared from their mouths: what their hearts conceal is far worse. We have made plain to you the Signs, if you have wisdom." (Al Imran 118)

﴿ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾

Envy caused by hatred might result in disputing and fighting, and spending the whole lifetime in repeated attempts to remove the favor from the envied, go about with calumnies to do evil to him, and unveiling his negatives.

The second motive: exaltation

It is that he feels it too heavy and difficult upon himself to see others superior to him. If anyone of his fellows is granted an office, knowledge or property, he fears that by such favor, he might behave arrogantly towards him, a thing which he does not endure. However, it is not the purpose of the envier to make himself superior but only to avert the probable arrogance of the envied. That is because if

he has accepted to be equal with him, in no way would he accept to see him superior to him.

The third motive: vanity

It is that the envier is predisposed to behave arrogantly towards him, despise him, and expect him to submit to and comply with his purposes. However, if he gets a favor, the envier fears that he might not come to submit to him as he was before it. It was out of vanity that the envy of most disbelievers and pagans was against the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". They wondered how an orphan man should be given superiority to them, and how they would lower their heads to him, as shown from the Holy statement of Allah Almighty: " Also, they say: "Why is not this Qur'an sent down to some leading man in either of the two (chief) cities?"" (Az-Zukhruf 31)

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾

(This narration is reported by Ibn Ishaq in his Sirah). He Almighty further said in description of the statement of Quraish: ""Is it these then that Allah has favoured from amongst us?" Does not Allah know best those who are grateful?" (Al-An'am 53)

﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾

The fourth motive: wonder

It is like what Allah Almighty told about the previous nations in their sayings: "Ah! you are no more than human, like ourselves!" (Ibrahim 10)

﴿ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾

And: "Shall we believe in two men like ourselves? And their people are subject to us!" (Al-Mu'minun 47)

﴿ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾

And: "If you obey a man like yourselves, behold, it is certain you will be lost." (Al-Mu'minun 34)

﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾

They exclaimed how men like them should win the honor of carrying the message and revelation and nearness to Allah Almighty, with the result that they envied them, and liked the removal of Prophethood from them, out of dislike that men like them should be given superiority to them. They also said out of exclamation: "Has Allah sent a man (like us) to be (His) Messenger?" (Al-Isra' 94)

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾

And: ""Why are not the angels sent down to us, or (why) do we not see our Lord?" Indeed they have an arrogant conceit of themselves, and mighty is the insolence of their impiety!" (Al-Furqan 21)

﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

And: "Do you wonder that there has come to you a message from your Lord, through a man of your own People, to warn you, so that you may fear Allah and haply receive His Mercy?" (Al-A'raf 63)

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

The fifth motive: fear of attaining the desired goals

This motive is particular to more than a competitor over one thing, according to which each one envies his fellow for any favor that might help him attain that goal. That kind includes the mutual envy of fellow-wives in their competition to attain the desires of marriage, and the mutual envy of brothers in competition to attain the high rank and love in the heart of their father, thereby they might attain honour, property and wealth, the mutual envy of two pupils in competition to get the love and esteem of their mister, the mutual envy of the king's sitters and attendants to get the best rank and appreciation in his heart thereby they would get property and majesty, the mutual envy of many preachers in their competition to polarize the people of a particular town, the mutual envy of scholars in competition to attract a limited number of jurisprudence seekers, and so on.

The sixth motive: seeking after authority and majesty

It is to seek after authority with no other purpose. The typical example is a man who likes to be matchless in a particular science or art if he is inclined to be praised and appreciated by others: if he hears about an equivalent or peer to him in that art or science even in the farthest end of the world, he would grieve, and hope for his death, or at least the removal of that favor by which he shares him that rank. The cause is not enmity, nor arrogance, nor vanity, nor fear of attaining the desired goals other than the authority under pretext of matchlessness and uniqueness. However, this type is particular for the most part to scholars. The Jewish learned and rabbis rejected to recognize the Prophethood of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" Or to have faith in him for fear their authority and majesty would be lost.

The seventh motive: self-wickedness and greed

It is that one does not like good for the servants of Allah Almighty. If a mention is made to such enviers of some one of good state and favor, it would become difficult upon them to know that; and if a mention is made to them of people's misfortunes and loss of favor, they would rejoice at it. Such envier likes people's misfortunes and dislikes that Allah's favor be bestowed upon anyone of His servants, as if it is taken from his own. It is said that the niggard is he who withholds his own property from people, whereas the greedy is he who likes the property of others to be withheld from people. Such envier then likes to withhold the favor of Allah Almighty from His servants, although he might not have enmity with them or be related to them by any kinship or connection. There is no clear reason for that other than self-wickedness and

greed to which one is predisposed by nature; and it is difficult to remedy it, for the envy that is caused by anyone of the other motives are accidental, and imaginable to be removed, and thus their remedy is expected, unlike the self-wickedness that is established in the soul and thus its removal is impossible.

Those are the motives of envy. However, men are different in the degree of envy in terms of strength and weakness due to their difference in the number of motives they have for envy: one might have all or some of them, and another might have more or less and so on. But the point is that if all motives of envy is combined in a man, his envy reaches a culminating peak with which it becomes too difficult to conceal or hide, regardless of the adulation or flattery he might seem to show to the envied: on the contrary, the veil of adulation and flattery is removed, and enmity and hatred appear by disclosure.

Exposition Of Reasons For Circulation Of Envy Among Fellows, Peers, Matches, Brothers And Cousins In Contrast To Others

It should be known that the more the motives of envy we have already mentioned are available among a people, the more envy spreads among them. A single man might envy because he rejects arrogance of others over him, or for he himself is arrogant, or for he has an enemy of him whom he envies, and so on. Those reasons increase among a people in proportion to the number of links that connect them, because of which they meet in gatherings, or share the same purposes. If one of them competes with his companion over a particular purpose, the latter would refrain from him and have rancor towards him; and at that point, he would incline to despise him, behave arrogantly towards him in reward for his competition with him, and further dislike the favor that might enable him to achieve his own purposes.

But there is concomitance between a set of those reasons. No doubt, there might probably be no envy between two persons from two different towns so long as there is no connection between them. But in case they are neighbours in the residence, market, school, etc, they might share purposes in which their means are contradictory, which results in opposition and mutual hatred, from which the remaining causes of envy originate. For this reason, it is not surprising that a scholar envies a similar scholar and not a worshipper, whereas a worshipper envies a similar worshipper and not a scholar, and a trader envies a similar trader and not anyone else, and so on. A man is more inclined to envy his brother and paternal cousin than anyone else, the woman her fellow-wife and slave-girl of her husband more than her mother-in-law (i.e. her husband's mother).

The point is that the envy between men belonging to the same craft and profession or doing the same things is more than it is between men belonging to different crafts or doing different things. Moreover, the more the fellows are close to each other, the more envy grows between them, and vice versa: the more they are far from each other, the less envy becomes between them. That is because the origin of those kinds of envy is the enmity, and the origin of enmity

is the competition over the same purpose, which hardly gathers two persons far from or belonging to different fields in so much as it gathers two persons between whom there is relevance, and this is why envy grows much between them. But it is true that he who likes to be matchless in his power of authority in the world envies anyone expected to share him in that privilege, no matter how far from him he might be.

The origin of all of this is the love for this world, which is too narrow for the competitors to compete over it, unlike the hereafter, which is a wide field fitting for all competitors. The favor of knowledge is a typical example of the love for the hereafter. Undoubtedly, he, who likes to know about Allah Almighty, His attributes, Names, His angels, Prophets, His dominion in the heaven and earth, and the like of those does not envy anyone who shares him in that. That is because such knowledge is not limited to the knowers: on the contrary, the given specifics might be learnt by one million scholars, each of whom rejoices at and is pleased with learning it, and the pleasure of anyone does not decrease by the knowledge of knowers: On the contrary, sociability, affability, in addition of the fruits and benefits of learning more often increase by the increasing number of knowers.

For this reason, there is no envy between the real learned of religion who seek for the hereafter, for their purpose is to know about Allah Almighty, and it is a large ocean fitting for all the competitors to seek for it; and their purpose is to attain the high rank in the Sight of Allah Almighty, and what is with Allah Almighty is not limited to anyone, for the reward to be given by Allah Almighty is the pleasure of meeting Him, from which none (of the believers) would be hindered (in the hereafter), nor would anyone of them cause trouble to the other while seeing Him. But the ruling is different when scholars intend by their knowledge property and majesty, in which case they envy each other, for property in the end is a limited and concrete thing, and if it falls in the hand of anyone, it would be lost from the other; and the same is true of majesty, for if one attracts the hearts of a people, they would be diverted from another person. In this way, it becomes a reason for envy.

To be sure, if one is filled with joy of knowledge of Allah Almighty, no harm shall he receive when anyone else is filled with joy of knowledge about Allah Almighty. The difference between property and knowledge is that property does not fall in the hand of anyone unless it first is lost from another hand, whereas knowledge resides in the heart of the learned, and it could be in the heart of anyone else with no need of being lost from the heart of the former. Another difference is that property in the end is limited bodies, in such a way that if only one man has in his possession the whole property on earth, there will remain nothing for anyone to possess, whereas knowledge is endless and it is beyond grasp. If one gets himself accustomed to meditation on the Glory and Majesty of Allah, His dominion in the heavens and earth, his Magnificence and Grandeur, it would become in his sight more pleasant than any favor else, from which he would not be hindered, and in which he would not compete anyone.

So, he would have no envy in his heart for anyone, for if anyone knows the like of his knowledge, it would, by no means, decrease his pleasure and delight: on the contrary, his pleasure would increase by the increase of sociability an affability. Reflecting on the wonders of the dominion of Allah Almighty regularly then becomes for those more pleasant than looking at the trees and gardens of Paradise with the eye. That is because the pleasure and Garden of the Gnostic is his knowledge which is characteristic of him and he feels safe of being removed from him. He always plucks its fruits, for he, with his soul and heart, is always nourished by the fruits of his knowledge, which is ceaseless and endless. Even if he shuts up his concrete eye, his spirit remains grazing in a high garden and flourishing meadows.

Many are the Gnostics who have never entertained envy among themselves: on the contrary, they have been the same as Allah Almighty described them in His Holy Book: " And We shall remove from their hearts any lurking sense of injury: (they will be) brothers (joyfully) facing each other on thrones (of majesty)." (Al-Hijr 47)

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾

As such their state is in this world, what do you think them to be in the hereafter? However, no envy is imagined to be in the hereafter among the inhabitants of the Garden, as well as there is no envy among the inhabitants of this world who share the Garden, for Garden is too wide to befit all who seek for it, and it is not attained but by the knowledge of Allah Almighty, in which there is no competition between the inhabitants of this world. In this way, the inhabitants of the Garden are necessarily free from envy in this world as well as in the hereafter. Envy is the attribute of him who is driven away from the immensity of Illiyyin to the narrowness of Sijjin. For this reason, envy is attributed to Satan because he envied Adam for the favor bestowed by Allah Almighty upon him, and when he was invited to fall in prostration to him, he rejected, regarded himself too arrogant to prostrate to him, rebelled and disobeyed the command of Allah Almighty.

You now have come to know that there is no envy but between a people who share a purpose too narrow to suffice them all at the same time. For this reason, they do not envy each other for looking at the adornment of the sky, although they envy each other for looking at the gardens which represent only a very few among the things of the earth, which is, in itself, no more than a trivial thing in relation to the sky. But the sky, being too wide and spacious to befit the sights of all the inhabitants at the same time, brings about no envy nor competition between the people.

So, it is incumbent upon you, if you are insightful, and have sympathy for yourself, to seek after a favor because of which there is no envy nor competition, and to demand a pleasure that brings about no arrogance. But this is not available in this world except in the knowledge of Allah Almighty, His attributes and acts, and the wonders of the dominion of the heavens and the earth. This will not be

attained in the hereafter except through that knowledge. But even, if you have no longing for the knowledge of Allah Almighty, and your desire is too weak to entertain it, then, you are excusable, for by no means does the sexually impotent have longing for the pleasure of sexual relation, nor does a boy have longing for the pleasure of sovereignty.

That is because those pleasures are particular to men and effeminate on the exclusion of boys. Similarly, the pleasure of knowledge (of Allah Almighty) is particular to men, i.e. men whom no trade nor transaction entertain from the remembrance of Allah Almighty. None else have such longing, for longing is experience after tasting, and whoever does not taste does not know, and whoever does not know has no longing, and whoever has no longing does not seek, and whoever does not seek does not attain, and whoever does not attain remains with the depraved in the lowest bottom; and " If anyone withdraws himself from remembrance of (Allah) Most Gracious, We appoint for him an evil one, to be an intimate companion to him." (Az-Zukhruf 36)

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾

Exposition Of Medicine That Removes Envy From Heart

It should be known that envy is among the chronic heart diseases, which could not be treated but by knowledge and work. The beneficial knowledge regarding the disease of envy is to know for certain that the envy is harmful to you in religion and world, and it causes no harm to the envied in the world and religion: on the contrary, the envied gets benefit from it (i.e. receives reward for it). Having known this fact for certain, and with deep insight, and having been no enemy to yourself, nor a friend of your enemy, you should, inevitably leave envy.

That it is harmful to you in religion is because by so doing, you are displeased with the decree of Allah Almighty, and dislike His favor that He allotted among His servants, and His justice which He established in His dominion with His wisdom which none knows but He. . without doubt, it is a crime against the eyeball of monotheism, and dust in the eye of faith, and sufficient are them for crime against religion. Additionally, by envy, you cheat one of the faithful believers, and abandon counseling him with sincerity, and leave the devotees and Prophets of Allah in their loving good for the servants of Allah Almighty, and join Iblis and all the disbelievers in their loving misfortunes and disasters for the faithful believers. Of a surety, those are vices in the heart that devour the good deeds just as fire consumes wood, and remove them in the same way as night dissipates daylight.

That it is harmful to you in this world is because you entertain pain in yourself by your envy and continue to be in anxiety and grief, for Allah removes not the favor that He has bestowed upon your enemies (as you like). Thus, you continue to entertain pain because of every favor you see having bestowed upon them, and for every distress and misfortune you see having removed from them, with the result that you come to be in continuous grief, distress, anxiety, and

narrowness, just the same as your enemies desire for you. Although you desire affliction for your enemy, it is you who now is being afflicted. Nevertheless, the favor is not removed from the envied because of your envy. If you have no faith in resurrection and reckoning in the hereafter, it would be out of prudence and intelligence to entertain no envy, given its being harmful and painful to your heart, and useless to you at all: then, what would it be, seeing that you have faith in resurrection and reckoning in the hereafter, and have knowledge of the punishment and torment caused by envy in the hereafter? How astonishing is the rational man who exposes himself to the displeasure and wrath of Allah Almighty with no benefit he gets but rather with harm and pain he suffers, and thereby destroys his religion and world with no advantage he might obtain!

That it is not harmful to the envied in his religion and world is obvious, for by no means would the favor be removed from him as a result of your envy. That is because the favor and bounty doomed to be by Allah should survive to an unspecific term as Allah decrees it to be. Thus, there is no way to avert it, for everything is done by Him in due proportion, and everything has a term appointed by Allah Almighty. For this reason, one of the Prophets of Allah made a complaint to him of a wrongful woman who oppressed the people, thereupon Allah Almighty revealed to him to flee from her until her days would elapse, i.e. 'There is no way to change what we have decreed from the beginning, so keep patient until the term preordained to be by Allah Almighty would pass safely.

As long as the favor is not removed from the envied, then, he will entertain no harm in his world nor there will be sin due upon him in the hereafter. Perhaps you say: "Would that the favor is removed from the envied because of my envy!" to be sure, this is the utmost ignorance. That is because it is a disaster which you first desire for yourself, for you could hardly be free from an enemy to envy you (in the same way as you have an enemy to envy); and were the favor to be removed because of envy, surely, no favor from Allah would have remained with you or with anyone of the creatures, including even the favor of faith, for the disbelievers envy the believers for the favor of faith, as shown from the statement of Allah Almighty: " Quite a number of the People of the Book wish they could turn you (people) back to infidelity after you have believed. From selfish envy, after the Truth has become manifest unto them: but forgive and overlook, till Allah accomplishes His purpose: for Allah has power over all things." (Al-Baqarah 109)

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾

That is because what the envier wills does not come true. It is true that he himself strays by his will that the envied should go astray, and whenever he wills that the envied be a disbeliever, he himself becomes a disbeliever, and so on. Hence, whoever likes that a favor be removed from the envied because of envy,

seems to like to have the favor of faith removed from him because of the envy of the disbelievers; and the same is true of all favors. Therefore, that you desire to have the favor removed from your envied because of your envy, and removed not from yourself because of the envy of others for you, is the utmost ignorance and stupidity. Every foolish envier likes to be favored by that privilege, and of a surety, you are not preferable to anyone else. If the favor of Allah upon you is not removed because of envy, you are more fitting to give thanks to Allah for that, but unfortunately, you dislike it.

The benefit of the envied in this world and religion is clear. In relation to religion, he is wronged by you particularly if your envy leads you to do and act in opposition to him, by backbiting, slandering and criticizing him, and unveiling his defects and secrets, and all of those are gifts you present to him, i.e. that by so doing, you give him as gifts from your good deeds until when it is the Day of Judgement, you will meet him as insolvent and deprived of favor just as you have been deprived of it in the world. Although you liked to have his favor removed from him, it was not removed. Furthermore, Allah Almighty increased him in favor, for when He Almighty helped you do good and gain good deeds, you transferred those good deeds of you to him, and thus added to his account favor after favor, and added to yours disfavor after disfavor.

As for his benefit in this world, it is that the most important purpose of the people is to harm their enemies and make them miserable and wretched, and no torment befalls you more severe than the pain you entertain because of your envy. The utmost hope of your enemies is to be in favor whereas you be in disfavor and grief because of them, and by your envy, you do to yourself the same as they like. This is why your enemy has no desire for your death: on the contrary, he always desires for your life to be longer, provided that you spend it in punishment and torment of envy, in order to see the favor of Allah upon him, thereby your heart would fret in envy for it. For this reason, it is said (in a form of poetic verses): "Let your enemies entertain no death until they see in you what aggrieves them. You continue to be envied for the favor that is bestowed upon you for indeed, it is the perfect among men who is vulnerable to envy."

However, the joy of your enemy with your grief and disaster is more than his joy with his favor, and were he to know that you have got rid of the pain and torment of envy, it would be then the most grievous affliction he might receive. For the pain of envy you experience fulfills the desire of your enemy. If you consider that, you will come to know that you are but the enemy of yourself in this world, and the friend of your enemy, for indeed, you do what harms you in the world and the hereafter, and at the same time benefits your enemy in the world and the hereafter. Moreover, you also become despised and dispraised in the Sight of your Creator and the creatures, wretched and miserable, given that the favor of your envied will remain as long as Allah wills, whether or not you like it.

Furthermore, you do not only fulfill the desire of your enemy, but also please

and gratify Iblis, the despised and cursed, for when he sees you deprived of the blessing of knowledge, piety, property and majesty with which your enemy is favored, he fears you might love that for him, and thus share reward with him for your love, for whoever loves good for Muslims shares it with them, and whoever fails to join the rank of the dignitaries in this world, would not miss the reward of loving that for them in the hereafter. Thus, when Iblis fears you might love the favor bestowed by Allah upon anyone of His servants, in terms of the uprightness of his world and religion, with the result that you would win the reward of that love, he then causes you to dislike it for him, in order that you would not join him with your love just as you have not joined him with your deed.

It is reported that a desert dweller said to the Prophet "peace be upon him": "O Messenger of Allah! What about a man who loves a people and he does not join them in rank?" on that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The man will be gathered in the company of whomever he loves." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Ibn Mas'ud). In another context, a Bedouin stood for the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" while he was delivering a speech and said: "O Messenger of Allah! When will the Hour (of Judgement) be?" he said: "What have you prepared for it?" he said: "Indeed, I have prepared for it no much prayers, nor much fasts, but I love Allah and His Messenger." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Then, you will be gathered in the company of whomever you love." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Anas).

Anas "Allah be pleased with him" said: "The Muslims have never entertained pleasure and happiness after their embracing Islam greater than theirs on that day", in reference to the fact that their greatest aspiration is to love Allah and His Messenger. Anas "Allah be pleased with him" resumed: "No doubt, we love the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", Abu Bakr and Umar "Allah be pleased with them" and hope to be with them, although our deed is not like theirs."

Abu Musa "Allah be pleased with him" said: I said: "O Messenger of Allah! A man might like praying people and not offer much prayers like them, and like fasting people and not observe much fasts like them..." and he counted many other things. On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The man will be in the company of whomever he loves." (This narration is reported by both sheikhs with a slight variation of wording). A man said to Umar Ibn Abd-Al-Aziz "may Allah have mercy upon him": "It was said that if you could become a scholar, then, become a scholar, and if you could not, then, become a learner, and if you could not, then, love them, and if you could not love them, then, do not dislike them." On that he said: "Glory be to Allah Who has made to us a way out."

Consider then how Iblis envies you to the extent that he wastes your reward of love. He also is not only satisfied with it, but also he causes you to dislike

your brother until you fall in sin. Why do you not become sinful given that you envy a man of religious scholars, and likes him to err in the religion of Allah or at least shut up his mouth, or fall ill in order to speak and learn or teach; and which sin is more grievous than that? Would that when you fail to join him in rank, because of which you grieve, you become safe from sin and punishment of the hereafter! According to a certain Prophetic narration: "Three kinds of people constitute the inhabitants of the Garden: the doer of good, his lover and he who holds back harm and evil from him." It refers to him who withholds his harm, evil, envy, hatred and aversion, and the like of those vices. Consider how Iblis drives you away from those three entrances. Indeed, it is the envy of Iblis for you that is effective and not yours for your brother.

Moreover, if the real state is disclosed to the envier, he would find himself as if throwing an arrow at his enemy in order to kill him, but it naught harms him: it rather returns to his right eyeball and remove it, increasing thereby his anger. He returns to throw another arrow, which harms his enemy not: but it returns to remove his left eyeball, increasing his anger and rage more and more. In the third time, his arrow returns to injure his head, and so on, whereas his enemy remains safe and secure, and his other enemies round him rejoice at his misfortunes one after the other. This is always the state of the envier and the ridicule of Satan at him. But even, the state of envy is more odious for the end of arrows is to kill the envier, whereas the envy returns with sin, and there is no end for sin by death, for it leads to the anger and wrath of Allah Almighty, and the punishment of the fire of Hell. To have his eyes removed in this world is better for him to have one of his eyes remain to the hereafter for the blaze of fire to remove it.

Consider how Allah Almighty exacts retribution from the envier in retaliation for his will that the favor should be removed from the envied. It indeed is not removed from the envied in so much as it is removed from the envier, for safety from sin is a favor, and safety from grief and anxiety is a favor, and both are removed from the envied. In confirmation of that, Allah Almighty says: " But the plotting of Evil will hem in only the authors thereof." (Fatir 43)

﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾

Therefore, the envier might be afflicted with the same as he desires for his enemy. One rarely glees at the misfortunes of another but that he is stricken with the like of it. A'ishah "Allah be pleased with her" said: "I did not wish anything for Uthman but that it afflicted me, to the extent that were I to wish him to be killed, I would have been killed." This is the sin of envy: what about its results of dissention, rejection of truth, unleashing of tongues and hands with shameful deeds and words while taking revenge on the enemies. It is the chronic disease by which the previous nations were put to destruction.

Those are then the concrete medicines of envy. If one reflects on them with pure mind and present heart, the fire of envy might be extinguished from him,

and he comes to know that by envy, he would destroy himself, please his enemy, displease his Lord, and embitter his living. The beneficial remedy then is to have control over envy: he has to force himself to do the opposite of all words and deeds that are required by and ensue from envy. If envy leads him to slander his envied, he has to force his tongue to celebrate him with praise; and if it leads him to behave arrogantly towards him, he has to force himself to show humbleness to him; and if it prompts him to withhold beneficence from him, he has to force himself to increase his beneficence to him; and so on.

Once he does so even ostentatiously, and the envied knows it from him, he is pleased with him, and loves him; and once he loves him, and shows that love to him, the envier himself comes to love him accordingly. There ensues from that the harmony and agreement that break the substance of envy. That is because humbleness, praise, and showing pleasure with favor always attract the heart of the beneficiary, and lead him to reward that with kindness. That kindness returns to please the heart of the envier and shifts his ostentation into spontaneity and nature. He should not be kept off by the statement of Satan to him: "If you show humbleness to him and praise him, your enemy might construe it to be out of your failure, hypocrisy or even fear, and this is the utmost humiliation and disgrace." However, this is a kind of deception and one of the evil plots made by Satan against him. That is because adulation, whatever it might be, breaks the enmity between both enemies, relieves the hearts from the pain of envy and anxiety of hatred.

Those are the medicines of envy; and although they are very beneficial, their bitterness is, at the same time, severe on the hearts. But to be sure, benefit always results from the bitter medicine. Whoever does not keep patient on the bitter medicine will not taste the sweetness of cure. The bitterness of such medicines of showing humbleness to the enemies, praising and giving thanks to them are diluted by the power of knowledge of the concepts we have already explained, and the strong desire for the reward of satisfaction with the decree and fate of Allah Almighty, and having love for what He loves, in addition to self-honour, and refraining from feeling that there is anything in the world in opposition to what one wills and likes, for in this case, one will like what is not to be, since there is no hope that what he likes should be; and of a surety, to loose what one wills is a means of humiliation and baseness. There is no way of salvation from that humiliation except by one of two: either what you will should be, or you will what really is. The former is not up to you, and there is no way to get it. But the latter is possible and it is attainable through self-mortification; and here discipline plays a great role. Every rational person has to attain it.

This is the universal medicine. As for the detailed medicine, it is to follow the motives of envy one by one, such as arrogance, self-honour and the like of those, as will be discussed in detail later, Allah willing. Those motives represent the substance of that ailment, which is not curbed except by curbing its substance. But if the substance is not curbed, envy will remain lurking to appear from one

time to another. If one continues to have love for majesty and authority, of a surety, he will envy such of men as have majesty and authority in the hearts of people, because of which he will grieve; and the remedy is to diminish that grief within himself since it is impossible for him to remove it entirely from him; and Allah Almighty helps us all.

Exposition Of The Extent To Which It Becomes Incumbent To Remove Envy From Heart

It should be known that such of men as causes harm is hateful by nature, and of a surety, you dislike anyone who harms you, and if a favor is bestowed upon him, you could but dislike it for him, and thus, it becomes the same to you the good state and bad state of your enemy. But Satan forces you to envy him for that. If this prompts you to show envy to your enemy by act or word, you are disobedient envious. But if you withhold that outwardly, and become inwardly in the state of disliking the favor for him, and hoping for its removal from him, you are also a disobedient envious, for envy is characteristic of the heart and not the tongue. Allah Almighty says in this respect: " and entertain no desire in their hearts for things given to the (latter), but give them preference over themselves, even though poverty was their (own lot)." (Al-Hashr 9)

﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴿٩﴾ ﴾

He also says: If aught that is good befalls you, it grieves them; but if some misfortune overtakes you, they rejoice at it. But if you are constant and do right, not the least harm will their cunning do to you; for Allah compasses round about all that they do." (Al Imran 120)

﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾

But in relation to act or word, it is backbiting and lying, and it is a result of envy and not envy itself, for the destination of envy is the heart and not the organs. It is true that envy is not an injustice from which you should seek freedom, but it is a sin in between you and Allah Almighty. What one has to be free from is the outward acts and words that result from it. If you withhold your outward acts and words resulting from envy but continue to have aversion for your wish that the favor be removed from whomever you envy, making such aversion counter to your inclination of your disposition to the desire for the removal of the favor, you will have fulfilled what is due on you in this respect, and nothing more is required from you. But it is impossible to change your disposition in such a way that it becomes the same to you the good or affliction of whomever you envy, so long as you are engaged in the love for the fortunes of this world and its vanities. But it is possible for him who entirely devotes himself to the love for Allah Almighty: in this case, he pays no attention to the detailed affairs and states of people, but rather looks at all of

them with one eye, i.e. the eye of mercy, seeing all of them slaves of Allah Almighty, whose acts, behaviours and deeds are for Allah Almighty. But unfortunately, if this is possible, it is like a swift lightning, which does not persist but for short moments after which the heart returns to its original state and disposition, and his enemy, i.e. Satan returns to force him to entertain envy.

According to some learned, one is not sinful so long as envy does not appear on his outward appearance. This is confirmed by the narration on the authority of Al-Hassan "may Allah have mercy upon him" that he was asked about envy, thereupon he said: "Conceal it for no harm befalls you so long as you do not show it outwardly." It is further narrated that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that he said: "There are three evils, from which none could hardly be saved: (negative) assumption, bad omen and envy; and I am going to tell you about the way out of them: if you have a (negative) assumption, do not act upon it; and if you have bad omen, go on (your way without care); and if you envy, then, do not transgress the due limits." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya). It is preferable to construe that to refer to the aversion, under religion and mind, in contrast to the inclination of the disposition to the desire for the removal of the favor, for it is this aversion which prevents him from transgression and harming.

However, all narrations that are reported about envy confirm that the envier is sinful by all means. Envy is characteristic of heart and not of the organs and their external acts. Whoever likes that a Muslim be harmed is sinful. It is unlikely to pardon a servant whenever he has a wish that evil or harm should afflict a Muslim, without having aversion for that wish.

From all of that, you have come to know that you have three states in relation to your enemy: the first is to love their harm by nature, and dislike that inclination of you with your mind and under your religion, and rather wish to have any means to remove that inclination from you; and this is pardonable for it is beyond free choice. The second is to like it and rejoice at the harm of your enemy, either by act or word; and this is the forbidden envy. The third which stands in the middle between both extremes, is to envy only with the heart without aversion for your envy, but with the difference that you keep your organs from complying with your envy; and this is debatable among the learned. But what seems is that it is sinful which varies in degree in proportion to the power and weakness of that envy; and Allah Almighty knows best; and praise be to Allah; and Allah suffices us for the best disposer of affairs.

Book six: Condemnation of world

It is the sixth book of the quarter of destructives

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

Praise be to Allah Who let His devotees and saints know the evils and vices of this world, and uncovered to them its defects and shortcomings until they were able to reflect on the witnesses and signs, and balanced its evil deeds with its good deeds, thereby they came to know that the evildoings in it are more than its good things, that what is expected from it is more than what is feared, and that its rising could not cancel out its eclipse. But it takes the form of a beautiful woman who attracts people with its prettiness. But at the same time, she has many secret aspects of ugliness, by which it ruins those who desire for connection with her. Therefore, she always flees away from her seekers, and she rarely turns towards them, and even in case she turns towards them, people are not secure from her evil and danger.

If it proves good for an hour, it will prove evil for a whole year. In short, it rarely turns towards its adherents with good, and their traffic therein are always lost, and its evils are to come consecutively one after the other. Everyone who is deceived by it is led to humiliation, as well as sigh and grief are the portion of every arrogant because of it. It always flees from its seeker, and turns towards its runaway. It escapes such of men as serves it, and if one turns away from it and it turns towards him, its pureness will not be void of impurity, nor will its pleasure be free from embitterment. Its safety brings about sickness, and its youth leads to decrepitude, and its bliss has no fruits but sigh and regret.

It is deceptive, cunning, flying and fleeing. It continues to get itself adorned to its seekers until when they love it, it soon uncovers its canine, and distracts upon them its seemingly associated causes, and reveals to them its mysteries, with the result that it lets them taste its fatal poisons and shoots them with its deadly arrows. At the same time, its adherents are pleased and happy with it: if it turns from them, it seems to them as if it were confused medley of dreams, and of a sudden, it comes to contaminate their atmosphere with its calamities and disasters and crush them like harvest and bury them in their shrouds underneath its earth. If it causes anyone of its inhabitants to have in his possession all things on which the sun rises, it in the end turns him into something like a harvest clean-mown, as if he had not flourished only the day before. It always gives its adherents hopes of pleasure, and promises them by way of deception, until they have long hopes and build huge castles, which turn to be graves for them, and their gathering is given to perdition, their endeavor becomes in vain and their supplications are but woes. Those are its attributes; and the command of Allah is a decree preordained.

Allah's blessing and peace be upon Muhammad, His slave and Messenger, who was sent to the world as a carrier of glad tidings and a warner, and as a

luminous lamp, as well as upon his family and companions, who supported and backed him in religion.

Coming to the point: the world is an enemy of Allah, to the devotees and allies of Allah as well as to the enemies of Allah Almighty. Its enmity to Allah Almighty is shown from distracting the way on the slaves of Allah, and this is why Allah Almighty has not looked at it since He created it. Its enmity to the devotees and saints of Allah Almighty is shown from the fact that it has got adorned to them, and covered them with its splendor until they came to taste the bitterness of patience over boycotting it. Its enmity to the enemies of Allah Almighty is attested from the fact that it draws them gradually with its cunning and sneakiness and catches them with its net until when they have confidence of it and rely on it, it disappoints them at the time they are the neediest for it, thereupon they pluck from it sigh and grief, and are deprived of happiness forever. They regret for their departure from it, and seek for relief of its intrigues although they receive no relief. On the contrary, it is said to them: "Be you driven into it (with ignominy)! and speak you not to Me!" (Al-Mu'minun 108)

﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾

"These are the people who buy the life of this world at the price of the Hereafter: their penalty shall not be lightened nor shall they be helped." (Al-Baqarah 86)

﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾

If the evils and vices of this world are great, we first have to know its real nature, and the wisdom that lies behind its creation in spite of its enmity; the approach to its deception and evils, for indeed, whoever does not know evil is unable to safeguard himself from it, and is about to fall in it. So, we are going, Allah willing, to discuss here the condemnation of this world, its parables, its real nature, its detailed concepts, the kinds of occupation related to it, the point of need for its necessary things, and the reason for which the creatures turn away from Allah because of engagement in its unnecessary things. . He is to help us do what He wills.

CHAPTER ONE
EXPOSITION OF CONDEMNATION OF WORLD

There are many Holy Verses in condemnation of this world, and the greater portion of the Qur'an condemns world and commands the people to turn away from it, and rather invites them to the hereafter. Moreover, this is the purpose of all the Prophets "peace be upon him" and we could say that they were not sent but for that purpose. So, there is no need to quote the Holy Verses for they are very clear in showing the significance. But let's be satisfied with many narrations pertaining to that.

Once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" passed by a dead sheep and he said to his companions: "Do you see that this

sheep is trivial in the sight of its owners?" they said: "They have thrown it away for it is very trivial in their sight." On that he said: "By Him in Whose Hand is my soul, the world is more trivial in the Sight of Allah Almighty than this sheep in the sight of its owners, and had this world been equal to a mosquito's wing in the Sight of Allah, He would not have provided a disbeliever with even a sip of water therefrom." (This narration is reported by Ibn Majah and Al-Hakim on the authority of Sahl Ibn Sa'd; and At-Tirmidhi on the authority of Al-Mustawrid Ibn Shaddad).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "This world is the believer's prison and the disbeliever's garden." (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "This world is cursed, and all that it has is cursed, except what is taken from it (in regard with the celebration of Allah)." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Abu Hurairah). Abu Musa Al-Ash'ari "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever loves his world causes damage to his hereafter, and whoever loves his hereafter causes damage to his world. So, give preference to what abides over what perishes." (This narration is reported by Ahmad, At-Tabarani, Al-Bazzar, Ibn Hibban and Al-Hakim).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The love for this world is the cause of every sin." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya and Al-Baihaqi on the authority of Al-Hassan). Zaid Ibn Arqam "Allah be pleased with him" said: We were in the company of Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" when he asked for drink and water and honey were brought to him. When he brought it close to his mouth he wept and caused his companions to weep. They stopped from weeping, but he did not. He wept once again that they thought they were unable to ask him about the reason. But when he dried his eyes they asked him: "O successor of the Messenger of Allah! What has led you to weep?" he said: "I was with the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" when I saw him averting something from himself, although I saw none with him. I asked him: 'O Messenger of Allah! What is that which you avert from yourself?' he said: 'It is this world which is represented to me and I said to it: "Keep away from me!" then, it returned and said to me: "Indeed, if you are able to flee away from me, those to come after you will never flee away from me."' (This narration is reported by Al-Bazzar, Al-Hakim, Ibn Abu Ad-Dunya and Al-Baihaqi).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "I wonder at him who seeks after the home of deception although he has trust in the abode of eternity." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Abu Jarir). It is further narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" stopped at a trash and said: "Come to that world!" then, he picked up a torn shabby cloth and a piece of decomposed bone therefrom and said: "Those represent the world." (This narration is

reported by Ibn Abu Ad-Dunya and Al-Baihaqi on the authority of Ibn Maimun Al-Lakhmi). It refers to the fact that the adornment of this world will inevitably be torn like that shabby cloth, and that the bodies it contains will be decomposed like those bones. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "This world is sweet and green, and Allah so going to make you vicegerents in it and consider what you would do in it. When the world was expanded and made easy for the children of Israel, they were lost in its adornments, women, perfume and clothes." (This narration is reported by Ibn Majah and At-Tirmidhi on the authority of Abu Sa'id).

According to Jesus "peace be upon him": "Take not the world as Lord lest it would take you as its servants. Keep your treasures with Him who never wastes it, for indeed the owner of the treasure of this world fears evil for it, whereas the owner of the treasure of Allah Almighty fears nothing for it." He "peace be upon him" further said: "O assembly of disciples! I have overturned the world prone on its face for you, so, do not refresh it after me. However, this world is malicious for Allah Almighty is disobeyed in it; and it is malicious for the hereafter is unattainable unless by leaving it. Behold! cross this world, and do not incline to inhabit it forever. It should be known to you that the foundation of every sin is the love for this world. How many a desire for even an hour that has brought about long term sadness."

He "peace be upon him" said: "The world has been made plain for you you have sat on its back. So, let not kings or women dispute with you over it. not dispute with kings, for they will not harm you so long as you leave them their world. As for women, safeguard yourselves from them by prayer and fasts He "peace be upon him" further said: "This world is a petitioner and a sought for. The seeker for the hereafter is pursued by the world until he completes the sustenance doomed to him in it; and the seeker after the world is pursued by the hereafter until death approaches him and leads him by the neck to it."

It is narrated on the authority of Musa Ibn Yasar that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah Almighty has never created a thing more hateful to Him than this world; and since He created it, He has never looked at it." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya and Al-Baihaqi). It is narrated that Solomon, son of David "peace be upon them" was in his procession under the shade of birds and jinns and men on his right and left, came on his way upon a worshipper from the children of Israel who said to him: "By Allah, O son of David! Indeed, Allah Almighty has given you an enormous dominion!" Solomon "peace be upon him" heard it and said: "Verily, a believer's glorification to be written down in his record is much better than what the son of David has been given, for what has been given to the son of David would perish, whereas the glorification abides forever."

Mutarrif reported from his father: I came to The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" as he was reciting:" Abundance diverts you." He said: "The son of Adam claims: 'My wealth, my wealth.' O son of Adam. is there anything as your belonging except that which you consumed, which you

utilized, or which you wore and then it was worn out or you gave as charity and sent it forward?" (This narration is reported by Muslim). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "This world is the home of him who has no home, and the property of him whom has no property, for which only one who has no mind gathers (wealth), over which only he who has no knowledge disputes with others, for which only he who has no religious understanding envies others, and after which only he who has no certainty of faith seeks." (This narration is reported by Ahmad, Al-Baihaqi and Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of A'ishah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "He, upon whom morning comes while the world constitutes his main concern, Allah Almighty is careless about him, and He further causes his heart to be engaged in four things which he never leaves: an anxiety which never ceases to relieve him; occupation from which he never is disengaged; a destitution from which he never becomes rich; and a hope which he never realizes." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Abu Dharr; Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Anas; and Al-Hakim on the authority of Hudhaifah).

Abu Hurairah "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to me: "Should I not show you the entire world with what it contains?" I said: "Yes O Messenger of Allah." He took hold of my hand and went with me to one of the valleys of Medina and behold! It had a trash containing skulls, pieces of dung, bones, and pieces of shabby torn cloth. Then he said: "O Abu Hurairah! Those heads were of a people who had the same miserliness and hopes as you have now, and they turned to be bones without skin, which are going to become no more than ashes. Those pieces of dung were the different kinds of food which they earned from wherever they had earned, and then threw them into their bellies, and now they turned into dirty things from which people safeguard themselves. Those shabby torn pieces of cloth were their garments and clothes, and now they turned to be as you see in the face of wind. Those bones were the bones of their riding mounts on which they used to travel from one place to another. So, let him weep, who is to weep in sigh for this world." He (Abu Hurairah) said: We did not leave before we went on weeping so much."

It is reported that when Allah Almighty caused Adam "Peace be upon him" to descend to the earth, he said to him: "Build, but what you build will be destruction; and proliferate in offspring, but the end will be annihilation." According to Dawud Ibn Hilal, the following is written in the documents of Abraham "Peace be upon him": "O world! How easy is you upon the pious dutiful, to whom you gets adorned. I cast into their hearts aversion for, and keeping off you; and I have never created a thing slighter in My Sight than you. Your affair is trivial and its end will be annihilation. On the very day I created you, I decreed that you would never abide to anyone, nor would anyone abide to you even though he is niggard and too stingy to give out of your things. Blessed be the pious dutiful who let me know the satisfaction and pleasure of their hearts,

and truthfulness and uprightness of their conscience: blessed be them. Their reward when they come to me from their graves will be the light running forward before them, and the angels surrounding them, until I give them My mercy that they expect."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The world is pending between the heaven and the earth, and since Allah Almighty created it, He has never looked at it. On the Day of Judgement, it will say: "O Lord! Make me the portion of he least of Your devotees." Allah Almighty will say: "Keep silent O nothing! I did not accept you for them earlier, how should I accept for them now?" it is further narrated that when Adam "peace be upon him" ate from the tree he was forbidden to eat therefrom, he was moved to excrete, a thing he had not whenever he ate from any food else in the Garden; and this is why he and Eve were forbidden to eat therefrom. Thus, he started to revolve in the Garden, Allah Almighty told an angel to ask him: "What do you like?" he said: "I like to excrete." The angel was required to ask him: "Where do you like to excrete? Do you like to excrete on the thrones, on the beds, on the rivers or under the shadows of trees? Do you see here any place fitting for that? Descent then to the earth."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A people will come on the Day of Judgement, with deeds like mountains of Tihamah, but they will be commanded to be taken to the fire (of Hell)." They asked: "O Messenger of Allah! Do they pray?" He said: "Yes, they pray, fast, and further stand for parts of the night (to offer supererogatory prayers); but whenever anything of the vanities of this world seems to them, they would jump towards it (and leave their worships)." (This narration is reported by Abu Na'im on the authority of Salim, the freed slave of Abu Hudhaifah; and Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Anas).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said in one of his sermons: "The believer is between two fears: a term that has elapsed and he does not know what Allah would do with it, and a term to come, and he does not know also what Allah Almighty is going to decree regarding him. So, let one take provisions from himself for himself, from his world to his hereafter, from his life to his death, and from his youth to his decrepitude. Although the world has been created for you, you have been created for the hereafter. By Him in Whose Hand is my soul! There is no blame after death, nor is there any abode after this world but the Garden of the fire (of Hell)." (This narration is reported by Al-Baihaqi on the authority of Al-Hassan from one of the companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him").

According to Jesus "peace be upon him": "In no way could the love for this world and the love for the hereafter gather together within a believer, just as fire and water could not gather together in the same utensil." It is reported that Gabriel "peace be upon him" said to Noah "peace be upon him": "O one who has the longest life among the Prophets! How have you found the world?" he

said: "Like a house having two doors: I entered from one and came out from the other." Our Prophet "peace be upon him" said: "Beware of this world, for its charm is the result of the magic of both Harut and Marut." (This is reported by Al-Baihaqi and Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Abu Ad-Darda' Ar-Rahawi, and not Abu Ad-Darda', the companion often Prophet).

It is reported on the authority of Al-Hassan "may Allah have mercy upon him" that he said: "One day, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" came out to his companions and said: "Is there anyone of you who likes that Allah Almighty should remove blindness from him and make him sighted? Behold! he, who desires for the vanities of this world, and has his hope long in it, Allah makes blind his heart in proportion to that; and whoever abstains in this world and shortens his hope in it, Allah Almighty gives him knowledge without learning, and guidance without seeking guidance. Behold! after you, there will be a people whose dominion will not be established without killing and tyranny, nor will their wealth will be without pride and niggardliness, nor love will be without following their own desires and whims. Behold! he among you who joins that time and he keeps patient on poverty although he has the power to become rich, keeps patient on hatred and he has the power to be involved in love, and keeps patient on humiliation and he is able to attain honour and power, seeking thereby nothing but the Countenance of Allah Almighty, Allah Almighty gives him the reward of fifty sincere lovers of truth." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya and Al-Baihaqi).

It is reported that one day Jesus "peace be upon him" came under heavy rains and strong thunder and lightning, and he sought a shelter and his eyes fell on a far tent and when he came to it, behold! there was a woman, thereupon he turned aside from it. Then, he came to a cave in a mountain, and behold! there was a lion therein. He placed his hand over it and said: "My God! You have given shelter to everything barring me." Allah Almighty revealed to him the following: "Your shelter is in the residence of My mercy. On the Day of Judgement, I shall marry you from one hundred beautiful women with big lustrious eyes of My Own Handiwork, and on the occasion of your bridal celebration, I shall make a banquet to last for four thousand years, each day of which will be as long as the whole lifetime of your world, and I shall command a caller to make the public announcement: 'Where are the ascetics? Come to attend the bridal celebration of Jesus son of Mary, the ascetic of this world.'"

Jesus, son of Mary "peace be upon him" said: "Woe to him who desires for this world! How should he die and leave it with what it contains? How should it deceive him and he has trust in it and it disappoints him and he has confidence of it? Woe to those who are deceived! How it shows them what they dislike and they leave what they like, and receive what they feel enmity for? Woe to him for whom the world is the main concern, the mistakes his deeds! How should he be put to shame tomorrow because of his sin?"

It is reported that it was revealed to Moses "peace be upon him": "O Moses! What do you have to do with the home of the wrongdoers? It is not

your home. Make it not your main concern, and leave it with your mind, for how evil it is for home except for him who works good in it. I watch over the wrongdoer therein until I take back from him the right of the wronged." It is narrated on the authority of Amr Ibn Awf Al-Badri that he said: "The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" sent Abu Ubaidah Ibn Al-Jarrah to Bahrain to bring the Jizyah taxation from its people, for The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" had made a peace treaty with the people of Bahrain and appointed Al-Ala' Ibn Al-Hadrami as their ruler. So, Abu Ubaidah arrived with the money from Bahrain. When the Ansar heard of the arrival of Abu Ubaidah (on the next day) they offered the morning prayer with The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" and when the morning prayer had finished, they presented themselves before him. On seeing the Ansar, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" smiled and said: "I think you have heard that Abu Ubaidah has brought something?" They replied: "Indeed, it is so, O Allah's Apostle!" He said: "Be happy, and hope for what will please you. By Allah, I am not afraid that you will be poor, but I fear that worldly wealth will be bestowed upon you as it was bestowed upon those who lived before you. So you will compete amongst yourselves for it, as they competed for it and it will destroy you as it destroyed them." (This narration is reported by both sheikhs).

Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "What I fear for you most is the blessings of the land that will be brought out to you by Allah Almighty." They asked: "What are the blessings of the land?" he said: "The splendor of this world." (This narration is reported by both sheikhs). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Engage not your hearts in the remembrance of the world." (This narration is reported by Al-Baihaqi on the authority of Muhammad Ibn An-Nadr Al-Harithi). Here, he forbade people to remember it.

Ammar Ibn Sa'id said: Once, Jesus "peace be upon him" came upon a village whose dwellers were dead across courtyards and streets, thereupon he said to the disciples: "O assembly of disciples! Those died out of displeasure (of Allah with them), and had they died for any reason other than that, they would have buried each other." They said: "O Spirit of Allah! Would that we know their story!" he asked Allah Almighty and He revealed to him that when it is night, call them, and they would respond to you. When it was night, he ascended a high land and said: "O dwellers of the village!" one of them responded: "Here we are, responding to your call O Spirit of Allah!" he asked: "What is your story?" he said: "We spent the night in wellbeing and when morning came upon us, we became in a pitfall." He asked him: "How was that?" he said: "Because of our love for the world and obedience of the sinners." He said: "How was your love for this world?" he said: "Like the love of the child for his mother: whenever it turned towards us, we rejoiced at it, and whenever it turned back, we grieved and wept for it." He asked: "But why have

your companions not responded to me (like you)?" he said: "Because they are reined by reins of fire in the hands of strong harsh angels." He asked: "Then, why have you responded to me from among them?" he said: "Because I lived among them although did not belong to them. When punishment struck them, I was included in them and now I am hanging on the verge of Hell, without knowing whether I would be saved from it or be thrown prone on my face in it." On that the Messiah "peace be upon him" said to the disciples: "It is better then to be satisfied with eating the parley bread with crushed salt, put on coarse wool, lie on trashes and keep the wellbeing of the world and the hereafter."

Anas "Allah be pleased with him" said: The she-camel of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" Al-Adba' was hardly excelled (in a race). Once, a Bedouin came with a camel which preceded it. When that was difficult upon the Muslims, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It is the law of Allah to lower such of things as rises up in this world." (This narration is reported by Al-Bukhari). Jesus "peace be upon him" said: "Who is that who could build a house on the waves of the sea? This is the example of this world. So, take it not as residence." It was said to Jesus "peace be upon him": "Teach us something thereby Allah loves us." He said: "Dislike this world, perchance Allah Almighty would love you."

Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Were you to know what I know, surely, you would laugh little and weep much, and the world would become much easy in your sight, and you would give preference to the hereafter over the world." (This narration is reported by At-Tabarani; At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Abu Dharr, with a slight change of wording). Then, Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" said in comment on that: "(Were you to know that) you would further come out to the mountains invoking and weeping for yourselves, leaving your property with no guard, save what you necessarily need of them. But unfortunately, the remembrance of the hereafter is absent from your hearts, which are engaged in the long hope (in this world). Thus, the world has become your main concern, and you have turned to be like those who know nothing. Some of them are worse than the beasts which never leave their desires for fear of the consequences. Why do you not love and advise each other with sincerity, given that you are brothers in the religion of Allah Almighty? Nothing divided your desires but your malicious intentions, and were you to gather on the land, you would not love each other. Why do you advise each other about the worldly matters and not do the same regarding the matters of the hereafter? Does anyone of you fail to advise whomever he loves to help him attain the good of his hereafter? This is due to the lack of faith in your hearts. If you are certain that the good and evil will be effective in the hereafter just as you are certain of this world, of a surety, you would seek after it more than you seek after this world for it is more beneficial to you.

If you claim that the love for the transitory things is prevalent, let's say that we see that you leave the transitory things for the deferred things of this world.

You trouble yourselves with difficulty in pursue of a particular thing you may not attain: how evil people you are! You have never achieved your faith as it should be. If you are in doubt about what was brought by Muhammad "peace be upon him" then, come to us, so that we would show you of the light what illuminates your hearts. By Allah, you are not of weak minds so that we would excuse you: on the contrary, you are able to distinguish the right from falsehood. Why do you rejoice at the little you get from this world and at the same time grieve for the little that escapes you in it, until the traces of that become visible on your faces and tongues, calling it calamities? Although the majority of you have left much of their religion, the traces of that are not visible on your faces, nor do you change for it. I think but that Allah Almighty has dissociated from you. You meet each other with joy and everyone of you rejects to receive his companion with what he dislikes, for fear that his companion might receive him with the same. In this way, your company has been based on spite, and grazed on dunghill, and agreed on rejecting death, and I wish that Allah Almighty would relieve me of you, and join me with those whom I like to see, and were he to be still alive, he would not have persevered you more. If there is good in you, then, I have caused you to hear (good), and if you seek after what is with Allah Almighty, surely, you would find it too easy to obtain; and I seek the aid of Allah against myself and you."

Jesus "peace be upon him" said: "O assembly of disciples! Satisfy yourselves with the little in this world along with the perfection of their religion, and do not be like the lovers of this world who satisfy themselves with the little in their religion along with the perfection of their world." Jesus "peace be upon him" said once again: "O seeker after this world to be dutiful! To leave the world is more dutiful." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "After my death, you will encounter a world which will eat up your faith in the same way as fire consumes fire wood."

Allah Almighty revealed to Moses "peace be upon him": "O Moses! Do not rely on the love for this world, for you will not come to Me with a major sin more grievous than it." Once, Moses "peace be upon him" came upon a man who was weeping, and when he returned, he was still weeping, thereupon he said to Allah: "O Lord! Your servant is weeping for fear of You." On that Allah Almighty said: "O son of Imran! Even if his brain becomes like a liquid to flow with his eyes and if he raises his hands so much high until they fall down, I would not forgive for him for his love for this world."

From among the traditions and sayings, a mention may be made of the following:

According to Ali "Allah be pleased with him": "He, who has the following six characteristics, he will spare no way to the Garden, nor a shelter to take refuge to from the fire (of Hell): the first is to know Allah and obey Him, to know Satan and disobey him, to know the truth and follow it, to know falsehood and safeguard himself against it, to know the world and reject it, and to know the hereafter and seek after it." According to Al-Hassan: "Allah's mercy be upon a people with whom the world was no more than a deposit

which they gave back to Him Who entrusted them with it and then went away without burden." He further said: "Whoever competes you over your religion, then, compete him; and whoever competes you over your world, then, throw it at his face."

Luqman said to his son: "O my son! The world is like a deep ocean, and a lot of people sank in it. So, let your ship in it your fear of Allah Almighty, its contents the faith in Allah Almighty, and its mast the reliance on Allah Almighty, perchance you would be saved, even though I think you would not be saved." Al-Fudail said: I have deeply reflected on the following Holy Verse: "That which is on earth We have made but as a glittering show for the earth, in order that We may test them, as to which of them are best in conduct. Verily what is on earth We shall make but as dust and dry soil (without growth or herbage)." (Al-Kahf 7-8)

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝
وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝ ﴾

According to a sage: "There is nothing you possess in this world but that it was in the possession of another one before you, and would be in the possession of another one after you. However, from this world you really have nothing more than the meals of your evening and morning. So, do not ruin yourself in eating them. Make your fast from this world, and break your fast on the hereafter, for indeed, the capital of this world is the desire, and its profit is the fire (of Hell)."

One of the monks was asked about his opinion regarding the time, thereupon he said: "It damages bodies, renews hopes, draws death closer, and brings far the wish." He was asked about the state of his people, and he said: "Whoever attains it suffers, and whomever it escapes wearies." According to a sage: "The world was and I was not in it, and it would go, and I would not in it. I never reside in it for its living is gloomy, its clearness is mixed with impurity, and its adherents are fearful of it, either because of a perishing favor, coming affliction, or ruining death." According to another one: "Among the defects of this world is that it never gives anyone what he really deserves: but it gives either more or less than the due."

According to Sufyan: "Do you not see how favors seem as if wrath falls on it since they are given to their improper men?" according to Abu Sulaiman Ad-Darani: "Whoever seeks after the world out of love for it, he is given nothing from it but that he likes more; and whoever seeks after the hereafter out of love for it, he is given nothing thereof but that he likes more; and there is no ending limit for that." A man said to Abu Hazim: "I complain to you my love for this world, although it is not my abode." On that he said to him: "Regard what Allah Almighty has given you and take thereof only what is lawful, and spend it only in what is right, and after that, no harm shall befall you from the love for the world." He gave him that advice because if he stuck

to it he would be troubled so much until he would get bored by the world entirely and seek to come out of it.

According to Yahya Ibn Mu'adh: "The world is the store of Satan, so, do not steal anything from the store of Satan, lest he would come to take it back and take you with it." According to Al-Fudail: "Were the world to be of perishable gold, and the hereafter of abiding pottery, we have to give preference to the abiding pottery over the perishable gold: how then should it be seeing that we have given preference to perishable pottery (this world) over abiding gold (the hereafter)?" according to Abu Hazim: "Beware of this world! Indeed, I have been reported that on the Day of Judgement, the slave who exalted the world would be made to stand referred to as 'The slave who exalted what Allah Almighty has despised'."

According to Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him": "The morning has not come upon anyone of the people without being a guest, and his property a loan: the guest should inevitably leave, and the property be given back to its owner." A similar meaning is given by the following poetic verse: "Verily, the property and families are but deposits, and one day, the deposits should be given back to their owners." Once, the companions of Rabi'ah Al-Adawiyyah paid visit to her and they made a mention of this world and went on condemning it so much. On that she said to them: "Keep silent from it, for had it not been for its position in your hearts, you would not have remembered it more often. Behold! Whoever likes a thing remembers it more often."

When Ibrahim Ibn Adham was asked about his state he said: "We patch up our world by pieces we tear from our religion, and thus neither our religion nor what we patch up survive. Blessed be a servant who devotes himself wholeheartedly to Allah Almighty, and dispenses with his world entirely in expectation for death." It was said in a similar context: "I see the world seeker, no matter how long he lives, and how many favors and delights he attains from this world, like a builder who has built his building and established it well, and when it stood straight, it collapsed." The same is given in the following two poetic verses: "Suppose the world with its things has been driven to you freely: is it not doomed to move from you (sooner or later)? That is because your world is but like a shade that has shaded you and then it is time for it to decline from you."

Luqman said to his son: "O my son! Sell your world for your hereafter perchance you would gain both of them, and do not sell your hereafter for your world lest you would loose both of them." According to Mutarrif Ibn Ash-Shakhir: "Do not be concerned about the luxurious living of kings, but rather about their swift departure and evil return." According to Ibn Abbas "Allah be pleased with them": "Allah Almighty has made the world three parts: a part for the believer, another for the disbeliever, and a third for the hypocrite. The believer takes therefrom provisions, the hypocrite gets adorned, and the disbeliever enjoys." One of the wise men said: "The world is like a carcass: so, whoever likes anything from it, let him keep patient on co-living with dogs."

Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" said: "One of the signs that shows how despicable this world is in the Sight of Allah Almighty is that He is not disobeyed but in it, and what he has is not attained but by leaving it." It is said: "If a man of sound mind tests the world, its real nature will be uncovered to him as an enemy putting on the garment of a friend." According to Abu Umamah Al-Bahili "Allah be pleased with him": "When Muhammad "peace be upon him" was sent as a Messenger, Iblis was visited by his assisting soldiers and said to him: "A Prophet has been sent and a nation has been produced." He asked: "Do they love the world?" they answered in the affirmative, thereupon he said: "If they really love the world then, I do not mind whether or not they worship idols. But visit them every morning and evening with three things: to take money with no just cause, to spend it improperly, and withhold it from being spend rightfully." However, it is from those that evil stemmed.

A man said to Ali "Allah be pleased with him": "O Commander of Believers! Describe the world to us." He said: "Which should I describe to you in it: it is a home in which the sound gets ill, the secure regrets, the destitute grieves, whoever dispenses with it is tempted, its lawful leads to reckoning, and its unlawful brings about punishment, and its suspicious things incur reproach." The same request was given to him once again and he said: "Should I be long or short in describing it?" he was asked to be short thereupon he said: "Its lawful leads to reckoning, and its unlawful brings about punishment." Malik Ibn Dinar said: "Safeguard yourselves against the sorcerer for it bewitches the hearts of the learned." Of course, he means the world.

Abu Sulaiman Ad-Darani said: "If the hereafter lies in the heart, the world comes to compete it; and if the world lies in the heart, the hereafter never comes to compete it. That is because the hereafter is honourable, whereas the world is malicious." But even, this is a severe aggravation. What is said by Sayyar Ibn Al-Hakam is expected to be more right: "Both world and hereafter gather together in the heart, and whoever of them prevails over the other, it becomes subservient to it." According to Malik Ibn Dinar: "As much as you grieve for the sake of this world, the interest in the hereafter vanishes from your heart; and as much as you grieve fro the sake of the hereafter, the interest in the world vanishes from your heart." He seemed to have adapted the statement of Ali "Allah be pleased with him": "Both this world and the hereafter are like two fellow-wives: as much as one of them is pleased, the other is displeased."

Al-Hassan said: "By Allah, I have joined a people in whose sight the world was slighter than the earth on which you walk, and they had no care whether it rose upon or set from them, whether it was possessed by them or by anyone else." It was said to Al-Hassan: "What do you say about a man whom Allah Almighty has given property from which he gives in charity and strengthens good relation with his kith and kin: is it better for him to enjoy luxurious living by it?" he said: "No. if the entire world is in his possession, he should have therefrom no more than the minimum requirements of his living, and save what is beyond that

(i.e. by spending it in charity) to benefit him on the day he will be needy (i.e. the Day of Judgement)."

According to Al-Fudail: "Were the world to be offered to me in entirety as lawful, for which I would not be reckoned (in the hereafter), I would detest it in the same way as anyone of you detests the dead body whenever he passes by it for fear it might affect his garment." It is reported that when Umar "Allah be pleased with him" came to Sham, Abu Ubaidah Ibn Al-Jarrah "Allah be pleased with him" received him on a she-camel reined with a nose-string. He greeted him and asked him (about the affairs), and when he came to his house, he found in it only his sword, shield and luggage. He asked him: "Would that be your furniture!" on that he said: "O Commander of Believers! This also is enough to reach one the place of his repose."

Sufyan said: "Take from this world what nourishes your body, and from the hereafter what nourishes your heart." According to Al-Hassan: "The children of Israel worshipped idols after they had worshipped Allah Most Gracious; and that is because they were engaged in love for this world." Wahb said: "I read in a certain book: 'The world is the game of the intelligent; and the heedless among ignorant have made no sense to it until when they came out of it, they asked to return once again, but they did not return." Luqman said to his son: "O my son! From the very day you were born, you have turned your back to the world, and faced the hereafter; and verily, you should love the abode to which you are coming closer than a home from which you are moving away."

According to Sa'id Ibn Mas'ud: "If you see a man having his world increasing and his hereafter decreasing, and he is well-pleased with that, then, you should know that this is the absent-minded who plays with his countenance unfeelingly." Amr Ibn Al-As said while being on the pulpit: "By Allah, I have never seen a people more desirous for the things from which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" abstained than you. By Allah, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" never spent three days but that what is due to him is more than what is due upon him." (This narration is reported by Al-Hakim, Ibn Hibban and Ahmad).

After he had recited the statement of Allah Almighty: "let not then this present life deceive you, nor let the Chief Deceiver deceive you about Allah." (Luqman 33)

﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾

Al-Hassan said: "He, who said so is its Creator Who has better knowledge of it. Beware of the concerns of this world, for its concerns are so much. None opens to him a gate of concern in it but that it is about to open ten further gates of concern to him." He further said: "Poor is the son of Adam! He has been satisfied with an abode whose lawful leads to reckoning, and its unlawful leads to

punishment. If he takes its lawful, he would be reckoned for it, and if he takes the unlawful, he would be punished for it. The son of Adam regards as little his property, and does not regard as little his deed. He rejoices at his affliction in his religion, and is scared about his affliction regarding his world."

Al-Hassan sent the following letter to Umar Ibn Abd-Al-Aziz: "Peace be upon you! You seem as if you are the last to be doomed to death, but even you have died." In reply to him, Umar sent to him the following: "Peace be upon you! You seem as if you are in the world, although you have not been engaged in it, and rather you are still engaged in the hereafter." According to Al-Fudail Ibn Iyad: "It is easy to enter the world, but it is very difficult to come out of it." Another one said: "I wonder at him who knows that death is a fact, how he rejoices; and I further wonder at him who knows that the fire is a fact, how he laughs; and I wonder at him who sees the turning of the world with its adherents, how he rests assured of it; and I wonder at him who is sure that the Divine decree is a fact, how he grieves."

Mu'awiyah received a man of two hundred years old and asked about his opinion in this world, thereupon he said: "It consists of years of affliction and years of luxury. Night after night, and day after day, it receives new births and loses many deaths. Had it not been for the newborn, the creatures would have perished; and had it not been for the death, the world would have become too narrow to suffice all the inhabitants." He said to him: "Then, ask for what you like (you would be given it)." He replied: "Restore the lifetime that has passed, or avert the death that is about to come." He said: "I have no power to do so." He said: "Then, I have no need for you."

Dawud At-Ta'i said: "O mankind! You rejoice at the fulfillment of your hope, which you do not fulfill but with the termination of your life; and procrastinate your deed whose benefit thus returns to others than you." According to Bishr: "Whoever asks Allah to give him of this world seems as though he asks him to have a long standing in front of him (for reckoning in the hereafter)." According to Abu Hazim: "There is in this world nothing to please you but that Allah has joined with it a thing to aggrieve you. According to Al-Hassan: "The soul of mankind does not come out from this world but with three sighs: he has never been satisfied with what he gathered; he has not attained what he hoped for; and he has not made good his provisions for his journey (to the hereafter)."

It was said to a worshipper: "Verily, you have attained richness." On that he said: "It is he who is released from the chains of this world that attains richness." According to Abu Sulaiman: "None could keep patient on the desires and lusts of this world but he, who has in his heart what engages him in the hereafter." According to Malik Ibn Dinar: "We have agreed on the love for this world, thereby, we do not enjoin good upon each other, nor forbid each other to do evil, nor will Allah Almighty leave us in that state: which of Allah's punishment would be sent upon us?" according to Abu Hazim: "The little of this world occupies from the much of the hereafter." According to Al-Hassan:

"Despise this world, for by Allah, it is not pleasant to anyone more than it is to him who despises it." According to him once again: "If Allah Almighty intends good for anyone of His servants, He gives him something of this world, and then withholds from him until when it is consumed, He gives him once again (and so on); and on the contrary, if He Almighty regards with slightness anyone of His servants, He extends the world to him so much (to take therefrom as he likes)."

In confirmation of that, one of the righteous used to say in his supplication: "O (Allah) Who withholds the sky to fall down on the earth except by Your permission: withhold the world from me." Muhammad Ibn Al-Munkadir said: "What do you think of a man who observes fasts perpetually, stands at night (for supererogatory prayers) regularly without sleep, spends his entire property in charity, strives in the Way of Allah, and avoids what is forbidden by Allah Almighty, but on the Day of Judgement, he will be brought and it will be said: 'This man has exalted what was despicable in the Sight of Allah Almighty, and despised what Allah Almighty exalted'? what do you think his state will be? Who among us is not so like him? The world seems great in the eyes of us, let alone what we commit of sins and mistakes."

Abu Hazim said: "The supplies of the world and hereafter are more. But there is a difference between them: you could find no helpers to help you on the supplies of the hereafter, unlike those of the world which, once you stretch your hand to any of them, you find that a wicked has preceded you to it." Abu Hurairah "Allah be pleased with him" said: "The world remains bending between the earth and the heaven, like a torn water-skin, calling its Lord from the very day it was created to the day of annihilation: "O Lord! O Lord! Why do You dislike me?" He says to it: "Keep silent O nothing!" according to Abdullah Ibn Al-Mubarak: "The love for this world causes sins to inhabit the heart, then, when should it receive good?" according to Wahb Ibn Munabbih: "Whoever rejoices at anything of this world errs; and whoever makes his desires underneath his feet causes Satan to fear even of his shade; and he, whose knowledge overpowers his inclination is indeed the winner."

It was said to Bishr: "So and so died." He said: "He collected the things of this world, and then went to the hereafter: of a surety, he has wasted himself." It was said to him: "But he used to do such and such good." On that he said: "But, what is the benefit of that given that he used to gather the things of this world?" a wise man said: "Although the world makes itself hateful to us, we like it: then, how it will be if it endears itself to us?" another sage was asked: "Whose is the world?" he said: "He, who leaves it." He was further asked: "Then, whose is the hereafter?" he said: "He who pursues it."

One of the wise men said: "The world is a home of devastation, and more devastated is the heart of him who constructs it; whereas the Garden is an abode of construction, and more constructive is the heart of him who seeks after it." Al-Junaid said: Ash-Shafi'i was a novice who used to speak the truth. Once, he admonished one of his brothers in the religion of Allah, and frightened him with

Allah, saying: "O my brother! This world is a land of slippery and an abode of humiliation: its construction will be destroyed, and its inhabitants will go to the graves (by death). Its gathering will be divided, and the richness therein will turn to destitution. The more you get much of it, the more you will become insolvent, and the more you abstain from it, the more you will become solvent. So, turn to Allah, and be satisfied with the sustenance of Allah. Do not take from the abode of your eternity for the sake of the abode of your annihilation. Indeed, your living is like a setting shade, and a bowed wall. Make much your deed, and shorten your hope."

Once, Ibrahim Ibn Adham asked a man: "Which is dearer to you: a Dirham you see in a dream or a dinar you have in your wakefulness?" he said: "Of a surety, a Dinar I have in my wakefulness." On that he said to him: "You have told a lie, for what you like in this world is the same which you like in your dream, and what you do not like in the hereafter is the same as you do not like in your wakefulness." According to Isma'il Ibn Ayyash: "Our companions gave this world the name of pig, and they used to address it saying: "Leave us O pig!" had they found names more odious than that, surely, they would have given it to this world." According to Ka'b: "This world will be endeared to you until you adore it and its adherents." According to Yahya Ar-Razi: "These of sound mind are three: whoever leaves this world before it leaves him; whoever builds his grave by himself before he enters it; and pleased his Creator before He meets Him." He further said: "The world is so much evil that it hopes you with what diverts you from the obedience to Allah Almighty: how then should you fall in it?"

According to Bakr Ibn Abdullah: "He, who likes to dispense with this world by the world is like him who likes to extinguish fire with straw." According to Bandar: "If you see the adherents to this world speak about abstinence, you should know that they are under the subjugation of Satan." He further said: "He, who devotes himself to this world, its fire burns him (and of course, he refers here to miserliness) until he turns into ashes; and he who devotes himself to the hereafter, its fire purifies him until he turns into a golden bullion of use; and he, who devotes himself to Allah Almighty, the fire of monotheism burns him until he turns into a gem of limitless value."

Ali "Allah be pleased with him" said: "The world is of six things: food, drink, clothes, vehicle, marriage and smell. The noblest of food is honey, although it attracts flies; and the noblest of drink is water, in which both the obedient and disobedient are equal; and the noblest of clothes is silk though it is produced by a worm; and the noblest of vehicles is the horse though on which men are killed (during fighting); and the noblest of marriage is to marry a woman though what is sought in her is the urethra, and although she adorns the best parts of her body, what is wanted in her is the worst of it; and the noblest of smell is musk, though it is the product of blood."

Exposition Of Admonitions Pertaining To Condemnation Of World

A wise man said: "O people! Work at ease, and be fearful of Allah Almighty, and do not be deceived by hopes and forget your death. Do not rely on this world for it is treacherous and deceptive: it has got adorned for you with its deception, tempted you with its wishes and desires, and adorned itself for its suitors and has become like the clean bride: all eyes look forward to it, and all hearts are attached to it, and all souls adore it. How many a lover it killed and ruined! So, you should look at it with the eye of the fact. It is an abode of much dirty remnants. Its Creator has condemned it. Its new things turn old and shabby, and its dominion perishes. The honoured in it is given to humiliation, and the much in it decreases. Its good is lost. So, wake up from your heedlessness, and get up from your sleep, before you become fatally ill and your cure is hopeless. Do that before you become at the threshold of death, and the others weep for you, and it is said to you: "This is your son so and so, and this is your brother so and so", but you do not speak for you are hindered from speech. Then, your soul is brought out of your body and raised up to the sky, and your dead body is washed by your brothers, and shrouded in your shroud and buried in your grave, with the result that your visitors cease to visit you, your enviers are relieved of you, and your family leave you and rather go to take possession of your property, and you remain alone in pledge of your deeds."

One of the righteous said to a king: "The most entitled to condemn this world are those to whom it is expanded and who are given their need from it in full. That is because anyone of those always expects a blight to damage his property, to divide his gathering, to undermine his dominion, to harm his body with ailment, or to afflict him with any calamity. Thus, the world is more entitled to be condemned, for it always takes what it gives, withdraws what it grants; and while it causes anyone to laugh, it causes another to laugh at him, and while it weeps for him, it causes another to weep from him, and while it gives anyone with one hand, it takes back from him with the other hand: it places a crown on the head of one today, and on the coming day, it covers it with dust."

Al-Hassan Al-Basri wrote the following admonition to Umar Ibn Abd-Al-Aziz: "Coming to the point: Verily, the world is an abode or travel and not an abode of residence. Adam "peace be upon him" was sent down from the Garden to the earth in fulfillment of a punishment which you should beware O Commander of Believers. The provisions thereof is to leave it, and the richness thereof is to remain in destitution. Those who are killed by it are numerous. It always humiliates him who honours it, and impoverishes him who gathers things in it. It is like poison which is eaten by him who recognizes it not, and it results in his death. So, you should be in it like him who treats his injuries, who has only little thereof for fear of the much he dislikes, and keeps patient over the severity and bitterness of medicine for fear of the disease to last long. Beware this treacherous, deceptive and cunning abode, which has got adorned with its

deception, and tempted the people with its vanity, and become like the clean bride: all eyes look forward to it, and all hearts are attached to it, and all souls adore it. How many lover for it whom it killed and ruined! The present does not learn from the past, nor does the last get benefit from the foremost, nor does the Gnostic of Allah Almighty remember how Allah has told him about it. How many a lover of it who has got from it his need in full, thereupon he has been deceived and has transgressed the due limits and forgotten the place of return! He has engaged his mind in it until his foot slipped. The result is much regrets, sighs, and grief, and severe pain of death agonies. On the other hand, how many lover for it who has not got his need as he liked from it, thereupon he came out of it with no provisions! So, you should beware it O Commander of Believers, and the more you beware it, the more you grow pleased with it. That is because the more one rests assured of pleasure in this world which he likes, the more it leads him to disaster which he dislikes. Its wishes are false, its hopes are invalid, its cleanness is impure, and its living is depressing. The son of Adam therein is in danger: if he has mind therewith he reflects things and signs, he will become at the risk of luxury, and be cautious of disaster. If the Creator has not told about this world, or even warned the people of it, it would have awakened the sleeping and stimulated the heedless. Then, what do you think given that Allah Almighty has warned people of it, and deterred them of its evil? It is insignificant in the Sight of Allah Almighty and He has never looked at it since He created it. It was offered to your Prophet "peace be upon him" with its treasures, depositories and keys in entirety, but he rejected it (according to the narration of Ibn Abu Ad-Dunya, Ahmad and At-Tabarani), for he was afraid he might disagree with the command of Allah, or like what the Creator dislikes, or raise high what He Almighty has lowered. Allah Almighty has kept it away from the righteous in order to put them to trial, and expanded to His enemies in order to be deceived by it. The one who is deceived by it, and seems to put it under his disposal thinks he is honoured by it, forgetting what Allah Almighty made with Muhammad "peace be upon him" when he caused him to straighten the stone on his belly (out of severe hunger) (according to the narration so Ibn Abu Ad-Dunya; and Al-Bukhari on the authority of Anas). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" related from his Lord Almighty that He said to Moses "peace be upon him": "If you see richness coming, say about it: 'This is a sin whose punishment has been hastened on for me', and if you see poverty coming say about it: 'Welcome to the slogan of the righteous'." If you so like, follow the guidance of the Holy Spirit, Jesus, son of Mary "peace be upon him", who used to say: "Hunger is my condiment and fear is my slogan, and wool is my clothes, the rising of the sun is my warmth, my lamp is the moonlight, my feet is my riding mount, what the earth produces is my food and fruits. The night comes upon me while having nothing, and morning comes upon me while having nothing, but even none on the surface of the earth is richer and wealthier than me."

It is reported on the authority of Wahb Ibn Munabbih that he said: When

Allah Almighty sent Moses and Aaron "peace be upon them" to Pharaoh, He said to them: "Do not be deceived by his clothes I have given from this world, for indeed, his forelock is in My Hand, and he neither speaks, nor winks nor breathes but by My Permission. You also should not be deceived by what he enjoyed of it, for it is only the splendor of the life of world, and the adornment of these made wealthy among its inhabitants. If you so like, I could adorn you from this world with adornment which shows his inability. But I like to turn you from that, and keep such things away from you; and so do I with My devotees. I avert them from its luxuries in the same way as a kind shepherd averts his sheep from the destructive pastures; and I drive them away from its pleasures and delights in the same way as a merciful shepherd drives his camels from the deceptive kneeling places. However, this is not because of their insignificance in My Sight, but rather in order to complete their portion of My Honour upon them in full perfection. My devotees get adorned for me with their humiliation, fear, submissiveness; and thus piety grows in their hearts and seems visible upon their bodies. It is their dress which they put on, their outer garment which they adorn themselves with, their conscience which they feel with, their salvation which they attain, their expectation which they hope for, their glory which they are proud of, and their sign which they are recognized by. If you meet them, then, lower your wing to them, and make submissive your heart and tongue to them. You should know that whoever frightens anyone of My devotees has indeed waged war against Me, and it is I Who will take retaliation on behalf of him on the Day of Judgement."

One day, Ali "Allah be pleased with him" delivered an impressive speech in which he said: "Coming to the point: it should be known to you that you are to die and then be resurrected after death and suspended on your deeds, therewith you will be rewarded. So, let not the life of this world deceive you, for it is surrounded with afflictions and recognized for annihilation, and described by treachery; and everything in it should inevitably perish. It is given to its men in turns, and it never survives with anyone on the exclusion of others, and its adherents are not safe from its evil. By the time its inhabitants are pleased and luxurious, they are given to trials and deception. Its states are vulnerable to variation and vicissitude. Living in it is blameworthy, and luxury in it never abides. Its inhabitants are like targets which it throws with its arrows, and hardens with its disasters and calamities, and everyone in it is doomed to death in the end, and receives his fortune in it according to what is due to him. It should be known to you, O servants of Allah, that you, in relation to the states in which you are in this world, but follow the ways of those who were before you, who had been given longer lives, stronger power, more numerous homes and monuments than yours. But in the end, their voices became still and silent, their bodies were decomposed, their homes hollow tumbled down on their roofs, and their monuments obliterated. Their well-built castles, and smooth beds, thrones and cushions were replaced with rocks and stones probed in graves. The destination to which they are to go is very near, and they live in this world but as aliens. They are to travel from it, and there is no way for them to return once again: how far!

How far! "(In Falsehood will they be) until, when death comes to one of them, he says: "O my Lord! send me back (to life), in order that I may work righteousness in the things I neglected" - "By no means! It is but a word he says." - Before them is a Partition till the Day they are raised up." (Al-Mu'minun 99-100)

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

In this way, you will have the same destiny. How would you do when you see the matters, the graves are scattered, what is in the breasts is taken out, and you are made to stand for reckoning in front of Allah the Glorious King? At that time, the hearts will fly for fear of the previous sins, and the curtains and veils will be removed form you in order for what is concealed to be disclosed: at that time, every soul will be rewarded with what it has earned. Allah Almighty says in this issue: "so that He rewards those who do evil, according to their deeds, and He rewards those who do good, with what is best." (An-Najm 31)

﴿ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾

He further says: "And the Book (of Deeds) will be placed (before you); and you will see the sinful in great terror because of what is (recorded) therein; they will say, "Ah! woe to us! what a Book is this! it leaves out nothing small or great, but takes account thereof!" they will find all that they did, placed before them: and not one will your Lord treat with injustice." (Al-Kahf 49)

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾

May Allah Almighty help us and you act upon the Book of Allah, follow His devotees until He brings us to the abode of eternal residence, out of His bounty: He is All-Praiseworthy, All-Glorious."

According to a sage: "Days are like arrows, and people are targets, and time throws you everyday with its arrows and affects you with its nights and days until it consumes all parts of your body. Then, how should you ensure safety and peace in it given that its days and nights might inflict harm upon you soon? If the defect inflicted upon you by days are uncovered to you, you will dislike everyday to come upon you, and have aversion for those which elapsed on you. But the ordinance of Allah is above the ordinance of consideration, and the taste of its pleasures and delights is detected by consoling you from its evils, although it is, in reality, more bitter than colocynth. However, in view of its apparent defects and acts, it is beyond description; and any preacher could not encompass all of its wonders: O Allah, guide us to the right."

When one of the wise men was asked to describe the world and estimate it, he said: "The world is only the time during which your twinkle returns to you, for you have lost what elapsed on you, and you have no knowledge of what has not come yet. The time is but what is to come, with its nights, days, events, incidents

which occur upon man with change and reduction. Time also is entrusted to divide gatherings and turn the states; and the hope is long but the lifetime is short; and to Allah the end of all matters returns."

Once, Umar Ibn Abd-Al-Aziz "may Allah have mercy upon him" delivered a sermon in which he said: "O people! You have been created for a thing which, if you have trust in it, you then are foolish, and if you give lie to it, you then are to be ruined. You have been created for eternity, but in reality, you are, O servants of Allah, moved from one abode to another. You are in an abode in which your food might be bitter for you, your drink might choke you, and there is no bliss with which you are pleased but that you are displeased with leaving another. So, work for that to which you are going to abide forever." Then, he could not help weeping and dismounted from the pulpit.

Ali "Allah be pleased with him" said in one of his sermons: "I advise you to fear Allah Almighty and leave the world which is to leave you inevitably, even though you dislike to leave it, and consume your bodies which you endeavor to refresh and renew. The example of you and it is like a people who followed a way and thought they have come to its end, or got knowledge and thought they have attained it entirely; and how long should one spend in this world until he reaches the final end, and how many days should remain for one in this world while death awaits him until he leaves it! So, do not be scared by its adversity and distress, for they should inevitably cease, and do not be pleased with its delight and enjoyment for they should inevitably vanish. I wonder at the petitioner of this world although death awaits him, and at the heedless, although (his Creator) is not heedless of him."

Muhammad Ibn Al-Hussain said: "When the people of bounty, knowledge and literature know that Allah Almighty has regarded slightly this world, and not accepted it for His devotees, and that it is insignificant and trivial in His Sight, and that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" abstained in it and warned his companions of its temptation, they ate from it moderately, and gave what is beyond their needs, and took from it only what sufficed them, and left what diverted them, . they wore of clothes only what screened the privates, and ate of food only what satisfied hunger. They regarded the world to be perishing and the hereafter to be abiding forever, thereupon they took from the world the provisions of the rider. In this way, they were careless about inhabiting the world for the sake of inhabiting the hereafter. Furthermore, they looked at the hereafter with their hearts, and learnt that they would see it with their eyes, thereupon they travelled to it with their hearts when they learnt that they would inevitably travel to it with their bodies. They troubled themselves for a short time in order to enjoy for a long time. All of that is by virtue of the help of their Bountiful Lord: they liked what He liked for them, and disliked what He disliked for them."

CHAPTER TWO: EXPOSITION OF ATTRIBUTES OF WORLD THROUGH MANY OF ITS EXAMPLES

It should be known that the world is to swiftly perish and shortly terminate, . it gives false hopes of survival,and even though it breaks its promise. If you look

at it you will see it still and stable, even though it is moving and turning from one state to another. But since the beholder of it might not sense its movement, he feels rest at it. But he only senses when it terminates. Its example is like the shade which seems still although it is in reality moving. But its motion is not visible by the apparent sight in so much as it is by the internal insight. When a mention of this world is made to Al-Hassan Al-Basri "may Allah have mercy upon him", he said: "It is like dreams of sleep and perishable shade, and it is not fitting for the smart to be deceived by the like of it."

More often, Al-Hassan Ibn Ali "Allah be pleased with him" quoted the following poetic verse as example for this world: "O adherents to the pleasures of a world which is perishable, it is out of foolishness to be deceived by a vanishing shade." It is reported that a desert dweller came as a guest upon a people who served him with food and after he had eaten he stood and slept in the shade of their tent. Later on, they tore down the tent and sun affected him severely. He woke up while saying: "Behold! This world is like a temporary shade, and one day, your shade should inevitably perish." It is said: "Behold! The one whose main concern is the world sticks in reality to a deceptive rope."

Another example for this world is like the dream fancies in terms of giving false impressions , which vanish at the time it terminates. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "This world is like a dream for which its adherents are either rewarded or punished." According to Yunus Ibn Ubaid: "The example of myself in this world is but like one who sleeps and sees in his dream what he likes and what he dislikes. Such being the case, he wakes up. So are the people sleeping, and they wake up only when they die, for they find in their possession nothing of what they rely on or rejoice at." One of the wise men was asked about the thing that resembles this world most, thereupon he said: "The dreams of the sleeping person."

A further example for this world in terms of its enmity to its adherents and causing destruction to its dwellers: it should be known to you that the real nature of world is to gradually draw with gentility at first, and lead to destruction in the end. It is like a woman who gets adorned for suitors until when it marries them, it soon slays them. It is reported that the reel image of this world was disclosed to Jesus "peace be upon him" and he saw it in the form of a toothless old lady, having various colours of adornment and ornament, and he asked her: "How many have you married?" she said: "I could not count them." He further asked: "Have all of them died because of you or has anyone of them divorced you?" she said: "No, I have slain all of them." On that Jesus "peace be upon him" said: "How evil your living husbands are! How do they not take from your perishing husbands lessons to learn? How do you ruin them one after another without being careful of you?"

A further example for this world pertaining to the fact that its outward contradicts its inward: It should be known that this world is outwardly adorned, and inwardly ugly. It is like an old woman who deceives beholders with its appearance. But once they uncover its inward, and the veil is removed from its face, its ugliness is revealed to them, thereupon they regret for following it, and

feel shy of their weak minds, which are deceived by its appearance. Al-Ala' Ibn Ziyad said: "I saw in a dream an old lady dressed in skin, and having from all colours of adornment, and the people were attached to her in awe, and looking at her. I came close to her and looked and wondered at their looking at her and devotion to it in such admiration. I then asked her: "Woe to you! Who are you?" she said: "Do you not know me?" I answered in the negative, thereupon she said: "I'm the world." I said: "Then, I seek refuge with Allah from your evil!" she said: "If you like to be given refuge from my evil, then, you should have aversion for the Dirham."

According to Abu Bakr Ibn Ayyash: "I saw the world in a dream like an old ugly defaced woman clapping with her hands, and behind her there were a lot of people following her with clapping and dancing. When she came alongside me, she turned to me and said to me: "Should I get you, I would do with you the like of what I have done with those people." Then, Abu Bakr went on weeping and said: "I saw it before I arrived in Baghdad." According to Al-Fudail Ibn Iyad, Ibn Abbas "Allah be pleased with him" said: "On the Day of Judgement, the world will be brought in the form of an old ugly defaced woman of blue canine teeth and when it will look at the people they will asked: "Do you know this?" they will say: "We seek refuge with Allah from her!" it will be said: "This is the world over which you competed, and by which you severed relation with kith and kin, you envied each other, and had hatred towards each other and be deceived." Then, it will be thrown in Hell. It will call: "O Lord! Where are my followers and adherents?" Allah Almighty will say: "Join to it its followers and adherents."

Al-Fudail further said: I was reported that the soul of a man was made to ascent (to the sky), and behold! On the main road there was a woman having from all colours of adornment, clothes and ornaments, and she injured all who passed by her. When she turned away, she seemed the most beautiful and the prettiest thing to be seen by the people, and when she turned her face towards them, it seemed the ugliest thing to be seen by the people, an old toothless blind blue-complexioned woman. I said: "I seek refuge with Allah from you!" she said: "No, by Allah, Allah never gives you refuge from me until you have aversion for the Dirham." I asked her: "Who are you?" she said: "I'm the world."

A further example for this world and how man crosses it (to the hereafter): it should be known to you that you have three states: the first state in which you were nothing, i.e. before your existence; and the second state is that in which you will not see the world, i.e. the period after your death up to the Day of Judgement; and the third state lies in the middle between both extremes, i.e. the duration of the world in proportion to your lifetime in it. If you compare that state with both extremes, you learn that it is no more than a short station in a long journey. For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "What should I have to do with this world? My example and the example of this world are like a rider who proceeded on during a summery day and when he found a tree, he took a nap under its shade for a short while after which he got up, went away and left it." (This narration is reported by At-

Tirmidhi, Ibn Majah and Al-Hakim on the authority of Ibn Mas'ud; and Ahmad on the authority of Ibn Abbas).

Whoever sees the world with that eye never relies on it, nor care about whether he spends his days in it in adversity or in ease, in affliction or in pleasure, nor place a brick over another. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" died and did not place a brick over another nor a pipe over another. (This narration is reported by Ibn Hibban and At-Tabarani on the authority of A'ishah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further saw one of his companions building a house of gypsum, thereupon he said: "I see that the matter (of death which leads to hereafter) will come sooner than that." (This narration is reported by Abu Dawud on the authority of Abdullah Ibn Amr).

To that meaning, Jesus "peace be upon him" referred in his statement: "The world is but a bridge which you cross and not inhabit." This is a clear example, for the life of this world is a crossing point to the hereafter. The cradle is the first slope of the bridge, whereas the grave is the other slope, and between both there is a limited distance. Some of people cover half the bridge, others one-third, others two-thirds, and others have only a step to its end and they are still heedless. Whatever it might be, one has to cross the bridge. But if he builds on it, and adorns it with various colours of adornment, although he is only to cross it, he will be disappointed and frustrated.

A further example for this world in terms of the easy coming to and difficult departure from it. It should be known to you that this world seems easy and lenient in its beginning to the extent that the one who plunges in it thinks it to be entirely sweet and lenient. But how far! It is easy to plunge in this world, but it is difficult to come out of it with safety and peace. Ali Ibn Abu Talib "Allah be pleased with him" sent the following message to Salman Al-Farisi "Allah be pleased with him": "The example of this world is like a female-snake: its skin is smooth but its poison is fatal. So, turn away from what pleases you in it, for what will accompany you of it is very little, and leave your interest and concern with it by your certainty of your departure form it, and the more you are cautious of it, the more you become pleased in it, for the more its adherents rely on any source of pleasure and delight therein, the more it is removed from him by a disaster which he dislikes. And peace be upon you."

A further example for this world in relation to the difficulty of getting rid of its consequences after plunging in it. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The example of the adherent to this world is like him who is walking on water: could he, who is walking on water, avoid wetting his feet?" (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya and Al-Baihaqi on the authority of Al-Hassan from Anas). This example lets you learn how ignorant are those who think they will abide forever in the pleasures and delights of this world with their bodies whereas their hearts are purified from it, and their relations are cut off from it. This notion is one of the intrigues of Satan, for should they be taken out of what they are in they would be the most stricken. As well as walking on water requires that the feet should be wetted with water, living

in this world results in relation with it, and darkness in the heart because of it. Moreover, the relation of the heart with the world deprives worship of its sweetness.

Jesus "peace be upon him" said: "I tell you the truth: as well as the patient looks at food and feels no pleasure in it because of his severe pain, similarly, the adherent to this world does not feel the pleasure of worship because of the love for this world he has. I tell you the truth: as well as unless the riding mount is ridden and trained, its character changes, similarly, unless hearts are made smooth by remembrance of death and suffering of worship, they are hardened and become harsh. I tell you the truth: as well as unless the water-skin has holes and openings, it is about to become a container for honey, similarly, unless hearts are torn by desires and lusts, contaminated by covet, and hardened by pleasures, they are about to be containers for wisdom." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It is only the affliction and trial that remain of this world, and the example of the deed of anyone of you is like a container: if its upper portion is good, its lower portion will be good, and vice versa, if the upper portion of it is malicious, its lower portion will be malicious." (This narration is reported by Ibn Majah on the authority of Mu'awiyah).

A further example for the little that has remained of this world in comparison to the much that has passed. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The example of this world is like a garment that has been split from its beginning to its end, and what has remained is only a thread in its end which is about to be cut off." (This narration is reported by Ibn Hibban, Abu Na'im and Al-Baihaqi on the authority of Anas).

Another example for the association between the relations of this world as leading to each other until death. Jesus "peace be upon him" said: "The example of the seeker after that world is like one who drinks from the water of the ocean: the more he drinks, the more he becomes thirsty, until he is killed."

A further example for the fact that the end of this world contradicts its beginning, and although its beginning is green an fresh, its consequences are malicious. It should be known to you that the lusts and desires of this world are pleasant in the heart, just as the appetite of food is delicious in the stomach, and at the moment of one's death such pleasant desires and lusts turn to be hateful and loathsome in the same way as the delicious food turns to be nasty and stinking once it fulfills its objective and is to be excreted. As well as the more the food is delicious, sweet and fat, the more its product is nasty, stinking, similarly, the more a desire is pleasant and delightful in the heart, the more it becomes hateful, loathsome and harmful at the moment of death.

This example is visible in this world, the more one likes and is keen on a particular thing, such as his family, property and house, the more he is afflicted and stricken once this is taken from him. However, there is no significance for death but that therewith one looses what he has in this world. It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Ad-Dahhak Ibn Sufyan: "Do you not get your food as salty and tasty and then drink water and milk over it?" he said: "Yes O Messenger of Allah." He further asked:

"Then, what does it turn to be?" he said: "To (excretion) as you learn O Messenger of Allah." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, Allah Almighty has set forth an example the state to which the food of mankind turns to be for this world." (This narration is reported by Ahmad and At-Tabarani).

Ubai Ibn Ka'b "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The world is set forth as an example for mankind: consider such of salty and tasty food as he eats and how it turns to be when he excretes." (This narration is reported by both At-Tabarani and Ibn Hibban). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Allah Almighty set forth as an example the world for the food of mankind and his food for the world." According to Al-Hassan: "I saw them making food tasty with all kinds of pleasant things and then they eject it (in the form of excretion) as you see." In his comment on the following statement of Allah Almighty: "Then let mankind look at his food" (Abasa 24), Ibn Abbas "Allah be pleased with them" said: "It refers to excretion."

A man said to Ibn Umar "Allah be pleased with them": "I like to ask you a question but I feel shy." He said to him: "Ask and do not feel shy." He said: "When anyone of us answers the call of nature and then gets up to look at what he excretes!" He said: "Well. An angel says to him: "Look at that which you withhold (from others)! See how it turned to be!" It was the habit of Bishr Ibn Ka'b to say to his companions: "Go with me so that I would show you the world." He then would go with them to the dumps (of any people) and say: "Look at their fruits, chicken, honey, and cooking butter (how they have turned to be)!"

A further example for this world in relation to the hereafter. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The world in relation to the hereafter is but like anyone of you as he places his finger in the spring: let anyone of you consider then with what it shall return to him." (This narration is reported by Muslim on the authority of Al-Mustawrid Ibn Shaddad).

A further example for this world and its inhabitants in their occupation by the delights and pleasures of this world, and heedlessness of the hereafter, and great loss because of that. It should be known to you that the example of this world in relation to its inhabitants is like a people riding a ship which has conveyed them to an island and the navigator commanded them to come out in order to answer the call of nature, and warned them of having long stay there, and frightened them of the departure of the ship and asked them to hasten to come back. But they scattered about across the different parts of the island. One of them answered the call of nature quickly and hastened to go back to the ship where he found the place empty and thus took the largest and fittest seats; and one of them stopped in the island in order to look at its wonderful lights, thriving flours and flourishing roses, its intense trees of abundant branches and the sweet voices of its birds, and their consonant tones, and consider its precious stones, jewels and metals of different colours, which attract the eyes of the beholders with their

wonderful aquamarine and forms, and suddenly, he became attentive to the danger of missing the ship, thereupon he returned and found but a narrow constricted place wherein he resided; and one of them turned over those shells and precious stones as being astonished by their wonder and brilliance, and did not reject to leave them: but rather took with him some of them, but found in the ship only a narrow constricted place fitting for him only, thereupon what he carried with him became a heavy burden and a means of regret and sorrow for him, and although he regretted for taking those, he could not throw them, nor found a place to put them in. the result is that he carried them on his shoulder while being sorry and regretful for taking them, but it was of no profit to him to regret for that. One of them entered the clusters of trees and forgot the vehicle, and went as far as he could not hear the call of the navigator, for he was engaged in eating the fruits, smelling the pleasant smell of the flours, and watching the beauty of trees and gardens, and at the same time, he was afraid of wild animals and was not free from thorns that might tear his garment or injure his body, and hinder him from departure once he intended to depart; and even when the call of departure made by the navigator reached him, he left for the ship where he found no place, and remained in the shore until he died out of hunger. Some of them did not receive the call of departure, thereupon they remained in the island after the ship had left. Some of those who remained were eaten by the wild animals, and others lost the right way and wandered prone on their faces until they were ruined, others died in the mud, others were bitten by female snakes and scattered about like putrefied dead bodies.

As to him who reached the ship with his burden of flours and stones, he was occupied by them, and diverted by storing them and fear of missing them, and at the same time, they made the place narrow upon him. A short while later, these flours withered and the brilliant colours of the stones vanished, and there remained only their nasty smell, therewith they harmed him, besides their narrowing the place upon him, and he had no way but to throw them in the sea in order to get rid of them. Furthermore, what he ate from the island affected him and by the time he reached his homeland, he had been befallen by diseases and ailments. As for he who was disturbed only by the narrow place in the ship, he was harmed a bit by the constriction of the place, but no sooner had he reached the homeland than he took rest and recovered. In relation to him who came back first to the ship and took the largest seat therein, he returned home safely and with no damage.

This is the example of the world in relation to its inhabitants, and their occupation by their transitory fortunes, and forgetfulness of how they come and depart, and their heedlessness of the consequence of what they do. How ugly is he who alleges to be insightful and intelligent, and at the same time, is deceived by the stones of this land, i.e. gold and silver and precious stones, and the vestiges of its plant, which is the adornment of this world, for nothing of those goes with him after his death: on the contrary, they become a heavy burden and an evil weight upon him to carry. This is, therefore, the state of all the people except for those protected by Allah Almighty.

A further example for people's being deceived by this world and their weak faith. Al-Hassan "may Allah have mercy upon him" said: I was reported that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, my example, your example and the example of this world is like a people who went through a gloomy desert, until when they reached a point at which they did not know whether or not they had covered the greater portion, and whether or not there remained the shorter distance, they consumed their provisions and used up their riding mounts, and remained in the desert with neither provisions nor riding mounts, and were sure of their destruction. Such being the case, a man came out to them, wearing a good suite and his head was dribbling water, thereupon they said: "This man has just left the greenery, and he has just come to you." When he reached them, he said to them: "O people!" they said: "O man!" he asked them: "What are you going to do?" they said: "We are going to do what you command us to do." He said: "Tell me: if I lead you to a pure water and green gardens: what are you going to do?" they said: "We will not disobey you even in the least." He asked them to give him their pledges and covenants by Allah, and they did accordingly. He brought them to a pure water and green gardens, therein they remained as long as Allah willed. Then he said to them: "O those people!" they said: "O man!" he said: "Let's depart." They asked: "Where?" He said: "To a water that is better than yours and gardens that are better than yours." Most of them said: "By Allah, we have not found that until we lost hope of finding anything like it; an d we are not in need of a living better than this." A sect of them, and they are a few among them, said: "Have you not given this man your pledges and covenants by Allah not to disobey him even in the least? As he was true to you in the first part of his speech, by Allah, he will be true to you in the last part of his speech." He then departed among the few who followed him and the greater part of them remained behind. Then, an enemy attacked those who remained behind and killed many and captured many of them." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya; and Ahmad and Al-Bazzar as abridged on the authority of Ibn Abbas).

A further example for people's blessed in the delights of this world and their grief for leaving it. It should be known to you that the example of the people and the delights and pleasures they have been given from this world is like a man who has prepared a house and invited a people to it. One entered his house to whom he offered a golden dish having cense and different colours of perfume to smell and leave it for the one to come next, and not to have possession of it. But this one, being ignorant of the host's plan, thought he had granted it to him, thereupon his heart got attached to it, and when it was taken back from him, he was disgusted and bored to tears. Another one, being informed of his plan, got benefit from it, thanked him, and gave it back to him with pleasure and expansion of breast. This is the state of him who knows the way of Allah on earth, for he learns that this world is a hosting abode available to the wayfarers and not to the residents, to take therefrom their provisions and get benefit from what it contains just in the same way as travelers get benefit from the things on the way, without giving their entire attention to them, lest their affliction would become grievous when they leave them.

Those are the example for this world, its evils and vices: we ask Allah Almighty, the Knower of all mysteries, Full of Knowledge, to help us with His Bounty and Forbearance.

CHAPTER THREE
EXPOSITION OF REAL NATURE AND ESSENCE OF WORLD

It should be known to you that it is of no significance to condemn the world before you know what this world is which you are to condemn, what should be avoided, and what should be kept thereof. We then should clarify the condemned world which one is commanded to avoid due to its being an enemy that cuts off the way to Allah Almighty.

Let's say that your world and hereafter are two states of your heart. The nearest is called the world, which includes all things before death; and what is deferred of it is called the hereafter, and it includes all things to come after death. The world then includes your portion of transitory desires, lusts, pleasures and delights before death. But it is not that all your desires, delights and pleasures are condemned: they are divided into three divisions:

The first division pertains to what goes with you in the hereafter, whose fruit remains with you after death. This division includes two main things, i.e. knowledge and deed. By knowledge I mean the knowledge of Allah, His attributes, acts, angels, Books, Messengers, His dominion in the heavens and on earth; the knowledge of His ordinance and the Sharia given by His Prophet "peace be upon him". By deed I mean the sincere worship for the Countenance of Allah Almighty. The learnt might get socialized with knowledge until it becomes the most pleasant and enjoyable thing to him, for the sake of which he abandons sleep and food, for it is more pleasant to him than all such things. Although it might seem to be a transitory fortune belonging to this world, but if we mention the condemned world, we should not regard such knowledge to belong to it in so much as it belongs to the hereafter. Similarly, a worshipper might get affable to his worship and take pleasure from it in such a way that if it is forbidden to him, it will be his most grievous punishment. One of the worshippers said: "I never fear death but that it will hinder me form standing at night (for supererogatory prayers)." Another said: "O Allah! Bestow upon me a power of prayer, bowing and prostration in the grave." The prayer to this person seems to be one of the transitory fortunes, but it does not belong to the condemned world.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Three things of your world are made lovable to me: women, perfume, and prayer is the delight of my eye." (This narration is reported by An-Nasa'i and Al-Hakim on the authority of Anas). By saying so, he made prayer one of the pleasures of this world. Those include also all sensibles and perceptibles, that belong to the world of visibles, i.e. this world in which we live. To get pleasure from moving the parts of body through bowing and prostration in prayer occurs in the world (and not in the hereafter). This is why prayer is included in the things that belong to the world. But since we are discussing now the condemned world, let's say that it does not belong to such world.

The second division lies in the other extreme that is opposite to it, i.e. the transitory fortunes of this world which have no fruit in the hereafter, such as taking pleasure from all sinful things, and from the permissible things that are beyond the need, that belong to luxury and lavishness, like enjoyment of great quantities of hoarded gold and silver, horses, cattle, farms, slaves, slave-girls, palaces, expensive homes and garments, and delicious kinds of food. The fortune of mankind from such things belongs to the condemned world. But as to what those things are that are beyond the need, it is debatable. It is reported that once Umar "Allah be pleased with him" appointed Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" as the governor of Hims wherein he had a privy which cost him two Dirhams. On that Umar "Allah be pleased with him" sent to him the following letter: "From Umar Ibn Al-Khattab, the Commander of Believers, to Uwaimir: the construction of Persia and Rome should have been sufficed you to build anything in this world when Allah Almighty intended to ruin it. Once this letter of mine reaches you, you and your family should soon leave for Damascus." He went and stayed there until he died. However, Umar "Allah be pleased with him" considered such a trivial thing to be beyond the necessary needs of this world.

The third division lies in the middle between both extremes: it includes such of transitories as help one do the deeds of the hereafter, like the amount of food that is sufficient to sustain life, the rough coarse single garment, etc. in short, it includes all that is necessary to sustain man's life and good health that ensure to him knowledge and work. It does not belong to this world, for indeed, it helps one do those things that belong to the first division. If one gets anything of those with the intention to be helped maintain knowledge and work, he will not be regarded to take anything belonging to this world, nor will he become one of its adherents. But if he is motivated only by one of the transitories, and not to seek aid to adhere to piety and devoutness of worship, he then will join the second division, and become one of the world's adherents.

At death, only three attributes remain with the servant: the purity of the heart, i.e. from all filth and dirt, socialization with the remembrance of Allah Almighty, and love for Allah Almighty. Of a surety, purity of heart results only from avoiding the desires and lusts of this world; socialization results only from regular and permanent remembrance of Allah Almighty more often; and love for Allah results only from having knowledge of Him, and knowledge of Allah Almighty is achieved only by continuous meditation. It is those three attributes that are the assistants after death. The purity of the heart from all desires and lusts is one of the saviors, for it represents a protective shield to safeguard one from the punishment of Allah Almighty. According to a particular narration: "The deeds of the servant defends him: if punishment comes to him from the direction of his feet, standing at night (for supererogatory prayers) averts it from him, and if it comes from the direction of his hands, his charity averts it from him." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Abd-Ar-Rahman Ibn Samurah).

Both socialization and love are assistants', and they bring forth the pleasure of meeting and contemplation. This happiness comes soon after death until it is

time for seeing Allah Almighty in Paradise, thereby the grave becomes a garden from the gardens of Paradise. And why should the grave not be a garden of the gardens of Paradise given that the heart had no beloved but One, i.e. Allah Almighty? Although there were many obstruction to hinder him from regular socialization by regular remembrance of Allah, and thinking about His beauty, his soul got rid of those obstructions and he was left alone with his Beloved, thereupon he came to Him pleased and delighted, safe from obstructions and impediments. On the contrary, how should the lover of this world not be punished at death given that he had no beloved but the world? Moreover, the way to Allah was constricted if not closed upon him, and he was impeded from returning to Him once again.

For this reason, it is said: "What do you think of him who has only one beloved when he is absent from him?" to be sure, death is not merely nonexistence in so much as it is a departure from the things loved in this world and arrival to the presence of Allah Almighty. The followers of the way to the hereafter then is he who has those three attributes, i.e. celebration (of Allah Almighty), meditation (of His Signs), and work (i.e. worship in accordance with Sharia) which wean him from the desires and lusts of this world, instill in him the aversion for its pleasures and delights, and cause him to sever all relations and ties with it. All of that is achieved only when the body is healthy, and the health is not obtained without food, clothes and residence.

If one takes from those three to the extent that sustains him for the sake o the hereafter, he will not be of the world adherents: on the contrary, the worl will turn with him to be a farm for the hereafter. But if he takes from those jus for the sake of his own self, and with the intention to be blessed in it, he will be of the world adherents who desire for its transitory fortunes. But the desire for the transitory fortunes of this world is divided to that which exposes one to the punishment of the hereafter, and this is the unlawful, and what impedes him from attainment of high ranks and exposes him to long reckoning, and this is the permissible. The insightful learns that the long standing in the plain ground on the Day of Resurrection for reckoning is a kind of punishment, for he who is called to account will inevitably be punished (according to the narration of both sheikhs on the authority of A'ishah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Its (the world's) lawful leads to reckoning, whereas its unlawful to punishment." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya and Al-Baihaqi on the authority of Ali Ibn Abu Talib). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said in another version that 'Its lawful also might lead to punishment'.

But its punishment is lesser than that caused by the unlawful. And even, in the absence of the concrete punishment, the loss of high ranks in the Garden and grief for that because of despicable perishable fortunes should be also a kind of punishment. Consider your state in this world while your fellows have preceded you in worldly fortunes and pleasures: how should you fret yourself in sigh for that given that they are but perishable pleasures? What will your state be then when you loose permanent abiding pleasures that are beyond description and calculation?

Whoever is blessed in anything of this world, like hearing the pleasant voice of a bird, watching the wonderful beauty of a flour, or even drinking a sip of cold water, as much as many times of it will be reduced from his portion in the hereafter. This is the significance of the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" to Umar "Allah be pleased with him": "This is from the bliss about which you will be questioned." By that statement, he referred to drinking cold water, and while one is answering that question, he exposes himself to humiliation, fear, suffering and difficulty, and this indicates to the reduction of one's portion and fortune in the hereafter. When Umar "Allah be pleased with him" was given to severe thirst and he asked for water, a cold water mixed with honey was brought to him, thereupon he turned the utensil in his hand and said: "Remove from me the reckoning fro it (perchance I would drink from it)." Then he rejected to drink it.

The world entirely, with its little and much, its lawful and unlawful, is cursed, except the extent to which one is helped ward off evil and safeguard himself against the punishment of Allah Almighty, for indeed, that extent does not belong to the world (that is condemned). The more one is knowledgeable and perfect, the more he is cautious of the blessing of this world. This is why Jesus "peace be upon him", after placing his head on a stone and fell asleep, threw it away when Iblis appeared to him and said: "You have desired for this world." Solomon "peace be upon him" used to serve the people in his kingdom with the delicious kinds of food, and he limited himself to the parley bread. By so doing, he exposed himself to self-mortification in spite of his great dominion. That is because it is more difficult to keep patient on refraining from the delicious kinds of food in spite of their availability on the one hand, and one's power to get them on the other hand.

For this reason, it is reported that Allah Almighty kept the world far from our Prophet "peace be upon him" who used to remain in severe hunger for many consecutive days. (This narration is reported by Muhammad Ibn Khafif on the authority of Umar Ibn Al-Khattab). He further used to tie a stone over his belly out of hunger. This is also why Allah Almighty made the Prophets and Saints the most vulnerable to trials and affliction, and then those who follow them in power, in order to regard them with the eye of mercy, and keep for them their portion in the hereafter in full and entirety, just as a merciful father prevents his child from the pleasure of fruits, and get him endure the pain of bloodletting and cupping, out of sympathy and love for him, and not because of niggardliness and stinginess on him.

In this way, you have come to know that what is done for the Sake of Allah does not belong to this world, and what is done not for the Sake of Allah belongs to this world. You may ask: "What is that which is to be considered for the Sake of Allah Almighty?" in reply to it, let me say that things are divided into three divisions: one pertains to those not thought to be for the Sake of Allah Almighty, and they include sins and crimes, forbidden things and enjoyment of what is permissible in this world. This is the condemned world in form and content. The second includes those things whose form seems to be

for the Sake of Allah, although the content might be for the sake of anything else, like remembrance, thought and refraining from desires and lusts: if the motive that lies behind those three is only the fear of Allah Almighty, and the faith in the Last Day, they are done for the Sake of Allah Almighty, and do not belong to this world. If the purpose of thought is to seek for knowledge to honour oneself with it, and acquire acceptability among the people, or if the purpose of refraining from desires and lusts is to save property or to protect the health of the body, or to be famous for asceticism, they then belong to this world in content, although their form reveal that they are done for the Sake of Allah Almighty. The third division pertains to those things whose form is thought to be for the sake of one's own self, although their content might be for the Sake of Allah Almighty, like eating and marriage, and all such things which sustain mankind on earth: if the purpose is the portion of mankind, it then belongs to the world, and if it is to seek its aid for piety, then, it is for the Sake of Allah Almighty in content, although its form seems to be for the sake of this world.

In this context, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who seeks after this world lawfully, but out of seeking abundance, and showing pride and arrogance, he will meet Allah Almighty on the Day of Judgement Who will be angry with him, and whoever seeks after it in order to make himself refrain from begging others, and maintain himself, he will come on the Day of Judgement with his face as shining as the moon on a night of full moon." (This narration is reported by both Abu Na'im and Al-Baihaqi on the authority of Abu Hurairah). Consider then the difference between both in accordance with the difference of intention. That is because in the former case, the world turns to be your transitory portion of which you have no need for the hereafter. This is referred to by 'lower desires', to which Allah Almighty refers in His statement: "And for such as had entertained the fear of standing before their Lord's (tribunal) and had restrained (their) soul from lower Desires, Their Abode will be the Garden." (An-Nazi'at 40-41)

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾

The lower desires are five combined in the following statement of Allah: "Know you (all), that the life of this world is but play and amusement, pomp and mutual boasting and multiplying, (in rivalry) among yourselves, riches and children." (Al-Hadid 20)

﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴿٢٠﴾ ﴾

The resources of those five are seven things, combined in the following statement of Allah Almighty: "Fair in the eyes of men is the love of things they covet: women and sons; heaped-up hoards of gold and silver; horses branded (for blood and excellence); and (wealth of) cattle and well-tilled land. Such are the possessions of this world's life; but in nearness to Allah is the best of the goals (to return to)." (Al Imran 14)

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ

ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾

Now, you have come to know that what is done for the Sake of Allah Almighty does not belong to this world; and the necessary sustenance, residence and clothes are for the Sake of Allah if only the Countenance of Allah is intended therewith, and to get much of it is luxury, which is not for the Sake of Allah Almighty, and between luxury and necessity, there is a degree referred to as 'need', which has two extremes and a middle: one of those extremes is close to the limit of necessity, and it has no harm, and the other is close to the limit of luxury, which one should beware. There are middle levels between both which are suspicious; and of a surety, whoever hovers round the protected zone is about to fall in it.

Determination requires to beware all of that, adhere to piety and come close to the limit of necessity as much as possible, in imitation of the Prophets and devotees of Allah Almighty, who restricted themselves to the limit of necessity. The family of Uwais Al-Qarni thought him to be a mad because of his constriction upon himself, thereupon they built for him an independent house near theirs, and it happened that one, two or even three years passed without seeing his face. He used to come out with the first call to prayer (i.e. Fajr prayer), and return home after Isha' prayer. He used to have food by picking up kernels, and whenever he got a dry unripe date, he would keep it in order to break his fast on it, and if he did not get anything, he would sell kernels for dry unripe dates. His clothes comprised of pieces of torn cloth picked up from dumps, which he would wash in the Euphrates and sew and war them. It happened that children came upon him and threw him with stones describing him as mad, and he said to them: "If it is necessary for you to throw me, then, throw me with small pebbles, for I fear you might cause my feet to bleed and when it is time for prayer, I would find no water to wash them." This was his conduct.

It is reported that when Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" became the caliph, he addressed the people saying: "O people! Let those among you who are from Iraq stand up!" they stood up and he said: "Sit down except for those who are from Kufah." They sat down and he said: "Sit down except those who are from Murad." They sat down and he said: "Sit down except those who are from Qarn." They sat except one man. Umar "Allah be pleased with him" asked him: "Are you from Qarn?" He answered in the affirmative and he further asked him: "Do you know Uwais Ibn Amir Al-Qarni?" he described him, and then said: "What is that about whom you ask O Commander of Believers! By Allah, none among us is more foolish, more crazy, more ugly and more lowly than him." On that Umar "Allah be pleased with him" wept and said: "I have not said what I said except that I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying about him: "As many as is the number of Rabie'ah and Mudar will enter the Garden because of his intercession."

Haram Ibn Hayyan said: When I heard that statement from Umar "Allah be pleased with him" I went to Kufah, with nothing in my mind but to find Uwais Al-Qarni, and I kept asking about him until I found him sitting on the bank of

Euphrates at the middle of the day, performing ablution, and washing his garment. I recognized him with the help of the description given to me, and behold! He was a fleshy man of deep brown complexion and shaved head, beard of copious hair, ugly face, and fearful appearance. I greeted him and he returned the greeting to me. I said to him: "may Allah salute you!" he looked at me and I stretched my hand to shake hands with him, but he did not shake hands with me, thereupon I said: "May Allah bestow mercy upon you, and forgive for you O Uwais! How are you, may Allah bestow mercy upon you?" then, my tears throttled me because of my great love for him, and sympathy for the state in which I saw him. I went on weeping and so did he. He said to me: "May Allah salute you O Haram Ibn Hayyan! How are you O my brother? And who guided you to me?" I said: "Allah." On that he said: "There is none worthy of worship but Allah; and glory be to Allah. Verily, the promise of our Lord is to be accomplished!" I wondered at his recognizing me although I have never met him before. I asked him: "How have you known my name and the name of my father although we have never met before?" he said: "(Allah) the All-Knowing, Full of Wisdom has told me." Furthermore, my soul recognized yours when they communicated. Indeed, souls are like bodies in their contact, and the faithful believers recognize each other and love each other with the spirit of Allah although they do not meet each other. They recognize and talk to each other no matter how far in residence they might be from each other.

I said to him: "Relate to me, may Allah forgive mercy upon you, a narration I might hear from you about the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"." He said: "Unfortunately, I have not joined the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" nor have I had the privilege of his company. But I saw men who have accompanied him, and I received from his narrations the same as you have received. But I do not like to open upon me the gate of being a narrator, a judge or a Mufti, for I have occupation which engages me from all the people O Haram Ibn Hayyan." I said to him: "O my brother! Recite to me a Holy Verse from the Qur'an so that I would hear it from you, supplicate to a good effect upon me, and give me an advice to act upon, for indeed, I love you in (the religion of) Allah so much." He stood up, took hold of my hand on the bank of Euphrates and said: "I seek refuge with Allah, All-Hearing, All-Knowing from Satan, the stoned." Then, he went and said: "My Lord says, and His saying is the truth, and the truest speech is that of Allah: "We created not the heavens, the earth, and all between them, merely in (idle) sport; We created them not except for just ends: but most of them do not understand. Verily the Day of Sorting Out is the time appointed for all of them, The Day when no protector can avail his client in aught, and no help can they receive, Except such as receive Allah's Mercy: for He is Exalted in Might, Most Merciful." (Ad-Dukhan 38-42)

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ ﴾

Then, he took a breath so strongly that I thought he had fallen unconscious. Then he said: "O Ibn Hayyan! Your father died, and you are about to die and go either to Paradise or to the fire (of Hell). Similarly, your father Adam, your mother Eve, Noah, Ibrahim, the Intimate Friend of (Allah) Most Gracious, Moses, who was saved by (Allah) Most Gracious, David, the vicegerent of (Allah) Most Gracious, Muhammad, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", Abu Bakr, the first successor of the Prophet, and Umar Ibn Al-Khattab, my brother and intimate friend – all of them died." Then he said: "Alas for Umar! Alas for Umar!" I said: "May Allah bestow mercy upon you! Umar "Allah be pleased with him" has not died yet." He said: "But, my Lord has announced to me the news of his and my death." Then he said: "I and you are in death" as if it were. Then, he invoked blessing and peace upon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and supplicated with supplications in a low tone and then said: "Here is my advice to you O Haram Ibn Hayyan: stick to the Book of Allah Almighty and the right method of the righteous believers. However, the news of my and your death has been announced to me. So, you have to remember death regularly and let not it be absent from your heart even as short as an eye-twinkle as long as you survive. When you return to your people, warn them, and advise all of the people to do good. Beware of leaving the established community even as short as a span, lest you would leave your religion without knowing and thus enter the fire (of Hell) on the Day of Judgement. Invoke good upon me and upon yourself."

Then he said: "O Allah! This man claims he loves me in (the religion of) You, and has come to visit me for Your Sake. So, please, make me recognize his face in the Garden, and cause him to enter upon me in Your Abode, the abode of peace, and keep him in this world as long as he survives, and wherever he lives, and make easy for him what You have given him of this world, and make him thankful and grateful to Your gifts and favors upon him, and reward him with the best reward on my behalf." Then, he said: "I entrust you with Allah O Haram Ibn Hayyan, and peace be upon you, and let not me see you asking for after that day, may Allah bestow mercy upon you, for indeed, I dislike fame and like solitude and privacy. That is because the more man have much interests, the more he becomes anxious and concerned. So, do not ask for me and know that you are in my mind even if we do not see each other. But remember me and supplicate Allah for me, for I will remember you and supplicate Allah for you, Allah willing. Go then from that direction, for I shall go from the other direction." I was eager to walk in his company for an hour, but he rejected. Then, he bade farewell to me and wept and caused me to weep. I remained looking at him until he entered one of the streets. Afterwards I asked about him, and none told me anything about him: may Allah bestow mercy upon him, and forgive him."

This was the conduct of these of the hereafter who refrained from this world with its vanities. From the exposition of the real nature of this world on the one hand, and from the conduct of the Prophets and devotees of Allah Almighty, you have come to know that the world includes everything under the shade of the sky

and on the surface of the earth except that which is done for the Sake of Allah Almighty, and the opposite of that is the hereafter, which includes all that with which Allah Almighty is intended from what is done or taken from the world in proportion to what is necessary for the Sake of obeying and compliance with the command of Allah: this does not belong to the world. Let me explain that through the following example:

If a pilgrim takes an oath that on his way to perform Hajj, he will not engage in anything other than pilgrimage, to which he will devote himself entirely, and then he engaged in reserving provisions, foddering his riding camel and sewing the water-skin, and all that is necessary for Hajj, he will not have broken his oath, for he will not have engaged in anything far from Hajj. Similarly, the body is the vehicle of the soul which covers with it the distance of lifetime. If the body pledges to spend the remaining portion of man's power to follow the way through knowledge and work, he will not belong to the world in so much as to the hereafter. It is true that if the intention is to take pleasure from those things, he will deviate from the way to the hereafter, and there is fear that his heart might be hardened. At-Tanafisi "may Allah have mercy upon him" said: "I remained for seven days at the gate of Shaibah in the Sacred Mosque in the state of severe hunger; and on the eighth night, I heard the voice of a visitant while I was in a state between wakefulness and sleep: "Behold! Whoever takes from this world more than he needs, Allah blinds the insight of his heart." This is the real nature of this world. You should know that, perchance you would be guided aright, Allah willing.

CHAPTER FOUR

EXPOSITION OF REAL NATURE OF THIS WORLD IN ITSELF; AND ITS OCCUPATION THAT DIVERTED PEOPLE FROM THEMSELVES, THEIR CREATOR, THEIR COMING AND DEPARTURE

It should be known to you that the world is the existing concrete things that it contains, and man has a portion in it, and he is occupied by reforming it. Those are three elements of which the world consists. It is not restricted to anyone of them on the exclusion of the other two. As to the first element, it includes the earth and all that is in and on its surface. Allah Almighty says in this respect: "That which is on earth We have made but as a glittering show for the earth, in order that We may test them, as to which of them are best in conduct." (Al-Kahf 7)

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ ﴾

The earth then is a couch, repose, and residence for mankind, and what is on its surface is their food, drink, clothes, and marriage. What is on earth is divided to three divisions: minerals, plant and animals. The plant is required by mankind for sustenance and medicine, minerals for equipment, utensils and vessels like copper and lead, money like gold and silver, etc.

As for animal it is divided into man and beasts. Beasts are required for their meat to be eaten, and their backs to be ridden, and to be used as adornment. As for mankind, man might require others to have them in his possession with the

intention to use and subjugate them like slaves, or take pleasure from them like slave-girls. He also might require the hearts of people to fascinate them, through instilling in them exaltation and honour, referred to as majesty. Those are the concrete things that constitute this world. They are combined in the following statement of Allah Almighty: "Fair in the eyes of men is the love of things they covet: women and sons; heaped-up hoards of gold and silver; horses branded (for blood and excellence); and (wealth of) cattle and well-tilled land. Such are the possessions of this world's life; but in nearness to Allah is the best of the goals (to return to)." (Al Imran 14)

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾

Mankind is attached to it through two kinds of relations: it has a relation with the heart which is represented in his love for it, his portion form it, and his devotion to it until the heart falls a slave of it. This relation includes all characteristics of the heart which attach it to the world like arrogance, envy, hatred, rancor, showing off, dissimilation, fame, evil assumption, flattery, adulation, love of praise, love of proliferation, and boasting. This is the internal world. The apparent world is the concrete things we have already mentioned. It has another relation with the body, i.e. his occupation to reform those concrete things to befit his interests and the interests of others, or in other words, all the industries and crafts in which the people are engaged.

However, the people have forgotten themselves, their coming, departure and turning in this world because of those two relations. Should man know himself, his Lord, and the wisdom that lies behind the world, he would learn, with certainty, that those concrete things have been created only to fodder his riding mount with which he walks on his way to Allah Almighty. Of course, I mean by the riding mount the body. The body does not survive without food, drink, clothes and residence, just as the camel does not survive to continue the way to Hajj without fodder, water and hide. The example of the man in this world who forgets himself and his real purposes is like the pilgrim who halts at a particular station on his way, and engages in foddering his she-camel, providing it with water, cleaning it, covering it with different clothing, carrying to it various kinds of grass, cooling water with ice for it, until the caravan escapes him while he is heedless of Hajj and of missing the caravan and of his remaining alone in the desert as an easy game for wild animals.

As for the insightful pilgrim it does not matter him from the camel but the extent that sustains it to cover the journey, while his heart and soul remain attached to the Ka'bah and Hajj. In this way, he turns to the she-camel in proportion to what is necessary. The same is true of the insightful traveler to the hereafter: he does not engage in maintaining his body unless it is necessary, and does not enter the privy unless it is necessary. There is no difference between getting food into the body, and emitting it out of it in terms of being necessities of body. If one is interested in what enters his belly, he should be concerned with what comes out of it. However, people have been diverted,

more often than not, by their bellies from Allah Almighty, for food is a necessary sustenance, and the matter of clothes and residence is less necessary. Should they know the cause of their need for those things, and restrict themselves to it, surely, they would not be entirely involved in the occupations of this world in the same way as they are. But they have been engaged in the world in view of their ignorance of it, the wisdom that lies behind it, and their portions of it. But they have been ignorant and heedless, and the occupation of the world have contiguously accumulated upon them, and endlessly led to each other. The result is that they were lost in the details of those occupation, forgetting their real purposes let's here mention the details of the occupation of this world, and the people's need for them, and how the people erred about their real purposes, so that it would be clear to you how they diverted them from Allah Almighty and caused them to forget the consequences resulting from that.

Let's say that the worldly occupations are the crafts, industries and works in which mankind is engaged. Those occupation are much because man is in need for three things: sustenance, clothes and residence. Sustenance is to maintain his body and help him survive, clothes to protect him from cold and heat, and residence to avert evil and harm of others from him and his family and property. Indeed, Allah Almighty has never created food, clothes and residence to be obtained easily in a way that makes man dispense with work in them, as He Almighty has done so regarding beasts, for plants nourish animals without being cooked, and both cold and heat do not affect their bodies thereupon they are not in need of building, and rather satisfied with living in desert. Moreover, their clothes are their hair and hide thereby they dispense with garments and dresses, unlike human.

There ensued from that a need for five industries, which represent the foundations of all worldly occupations: farming, pasturing, hunting, weaving and building. Building is needed for residence. Weaving with its sub-works is necessary for making clothes. Farming is necessary for sustenance. Pasturing cattle and horses is needed for food, as well as transportation. Hunting is to obtain what Allah Almighty has created of games, minerals, grass, fire wood, etc. the farmer gets plants, the shepherd preserves animals and works for their proliferation. The hunter gets what is produced by itself without being made or worked, and extracts from the minerals of the land what is created by Allah Almighty in it without being subject to human labour. Those industries need different equipment and tools, like weaving, farming, building and hunting. Those equipment and tools are taken either from plants like wood, from minerals like iron and lead, etc, or from the hide of animals. That gave rise to the need of three extra industries: carpentry, smithery, and drilling. Those works are related to equipment and tools. Carpentry includes all workers who work on wood, whereas smithery includes those who work with iron and all other metals like copper, lead, etc, and drilling includes all who work with the hide of animals. Those are the main industries.

On the other hand, man is created in order not to live alone, but to live in a

community with other men; and this is due to two reasons: the first is his need of sexual reproduction for the survival of mankind on earth, and this occurs only by the gathering of both male and female. The other is to co-operate to prepare the means of sustenance, residence and clothes, and educate children. Gathering (of male and female) results in children, and one alone could not be engaged in preparing means of sustenance, residence and clothes, and educating children at the same time. Furthermore, one could not continue to live with his family in the house all the time: but a large number of people are required to gather together in order that each one should do his work. How should one alone undertake farming, given that farming needs equipment, and equipment, in turn, need such workers as a smith, a carpenter, and the food needs a grinder and a baker. Similarly, how should one alone get clothes, given that he is in need of guarding cotton, equipment of weaving and sewing, etc? for this reason, man could not live alone, but he should live in a community.

If men gather in an uncovered desert, they would be harmed by cold, heat and rain, in addition to thieves. From this, there has been a need for tightened buildings and houses in order for each family to live independently. But even, those houses might become targets for thieves, which has given rise to a need for mutual co-operation and helping each other, and building up a fence to enclose all houses of a particular community, and in this way, cities and town have been established. If people gather together and enter into dealings, disputes start to appear among them. Those disputes originate, for the most part, from guardianship of people over each other, like the guardianship of a husband over his wife, and of the parents over their children, unlike the man's guardianship over animals which brings about no dispute between them. Dealings also between people in regard to their needs bring about disputes among them over those needs, and should they be left with themselves, they certainly would engage in killing each other. Shepherds and farmers come to the same land, pastures, meadows, and resources of water, which might not be sufficient to satisfy all of their needs, which would inevitably result in disputes among them over those things.

Therefore, one of them might fail to do his work because of a particular disease, old age, or any of those major forces, and should he be left, surely, he would be given to destruction. If his matter is entrusted to all the people, they would be lukewarm to do it in view of the fact that each of them would rely on another to do it; and should his matter be entrusted to a particular man without a just cause, he might not comply. From those incidents of gathering, further industries and works have been born, like gauge, with which land is measured in order to facilitate its division among them; soldiery in order to defend the city or town with missiles, and protect inhabitants from thieves; judging in order to decide the cases and settle disputes among people; and engagement in jurisprudence, i.e. the knowledge of law that regulates the conduct of people, in order to limit their disputes: it is to know the limits and conditions prescribed by Allah Almighty in dealings.

Those political things are necessary, and they need certain men of particular

characteristics of knowledge, guidance, and discernment; and should they engage n them, they would not be able to devote themselves to any work else. At the same time, they need sustenance, and the inhabitants of the city or town are in need of them. Should the inhabitants of a town engage in fighting with their enemies, almost all works and industries would cease; and should the people of war and weapons engage in work to seek sustenance, surely, the town would loose protection, and its inhabitants would become vulnerable to evil and harm. Thus, there has been a dire need for income to be given to them for their sustenance from the property which has no particular owner in case there is any, or from the war booty in case there is enmity with disbelievers.

If they are characterized by contentment, they would be satisfied with the little from the property specified to interests of Muslims, and if they seek for enlargement, then, there will be a need to be provided from the property of the people of their town, in order to undertake their tasks of guarding and judging, and the like of them; and this is the significance of taxes. Tax in turn gives rise to further jobs, for it needs men to administer it to distribute it with justice among those who are eligible to it, men who collect it with compassion, men who store it until it is time for it to be distributed. Unless those men of different industries and jobs are not subject to a kind of organization to manage them properly, then, chaos would prevail in the town; and this is the significance of rulers and ministers.

The role of the minister is to assign to each job a particular man who is fitting for it, to choose soldiers and supervise training them, to determine the directions of war, to assign leaders and chiefs of soldiers, to undertake the distribution of weapons and missiles among them, to observe justice in taking taxes, etc. from this, a need is born for scribes and recorders to enlist the employees of the state, storekeepers to store weapons and missiles, accountants to undertake the process of reckoning and calculation – and all of those are in need of property to sustain their living, since their jobs could not enable them to work by their hands to get their earnings.

At that point, we could divide people in relation to their industries into three sects: the first includes farmers, shepherds and craftsmen; and the second includes soldiers and guards who work with their weapons to defend the country; and the third includes those who lie in between both sects in terms of taking from the first and giving to the other, i.e. workers and collectors, and the like of them. Consider then how it starts from the necessary need for sustenance, residence and clothes, and how it ends. This is the world: no gate is opened from it but that it leads to the opening of other gates, in an endless limitless series. In this respect, it seems as if it were a bottomless pitfall, and if one falls into any direction of it, he will inevitably fall in another and never return.

Those are the crafts and industries. But they are not achieved without equipment and property, i.e. wealth and money. Property is the land and what is on its surface, which is of benefit. The most wanted of those is foodstuff, then the places to which man takes shelter, i.e. dwellings, then the places in which he

seeks to get his earnings, i.e. shops and stores, markets and farms, then the clothes, then the house furniture and equipment, and then the tools. The tools might be animals, like the dog which is the tool of hunting, the cow which is the tool of tilting, and the horse which is the tool of riding during war.

This gives rise to the need of transaction which is a process of reciprocal giving and taking. A farmer might live in a village in which the tools of farming are missing, and the same is true of a smith and carpenter, who might live in a village in which farming is missing. Thus, there is a reciprocal need between them which is expressed by way of exchange of commodities. But the carpenter might demand his food from the farmer for his tool, at a time the farmer does not need it, and thus he would not sell it to him; and similarly, the farmer might demand from the carpenter his tool for food, at a time the latter has food and needs no more, with the result that he would not sell it to him. This problem has roused a need of shops to contain the tools of each industry and craft in expectation for such of people as need them to come and buy them, and stores for the farmer to store his crops in expectation for such of people as need them to come and buy them; and this is the significance of markets. The farmer brings grains, and in case there is none to buy them, the storekeeper buys them for a cheap price and store them in expectation for those who need them to come and buy them. By so doing, he covets for profit. The same is true of all commodities and goods.

The commercial relations between people force them to go beyond the borders of one village or town, whereas people make their journeys between villages to buy foodstuff, and cities to buy equipment and tools, and transport what they buy and live with from one place to another in order for their life to suit them. To be sure, each village or city could not have all things it needs in terms of food and equipment; and this is the significance of trade undertaken by traders who transport commodities and goods from one place to another with the intention to make profit. They tire themselves during night an day on journeys in order to comfort others and collect money and wealth for themselves. However, that money might go to others than them, like, for example, a highwayman, or a wrongful governor, etc. but Allah Almighty has made in their heedlessness and ignorance an organization of the state and a benefit for the people. We can say that almost all worldly matters have been based on ignorance, heedlessness and lowly endeavors of some people. Had all the people become mindful and risen beyond the lowly endeavours, they would have abstained in this world; and were they to do so, their living would have become idle; and they were living to become idle, they would have been given to destruction.

Those transported things are beyond the capacity of man to carry, and thus there is a need for mounts to carry them. The owner of property might have no mount to carry his property, and thus he is forced to hire a mount from him who have mounts. In this way, hiring becomes a kind of getting earnings. The process of transaction itself gives rise to a need for coins, i.e. money to be used in exchange. If one likes to sell food for a garment, how should he come to know that both are of equal value? Moreover, the transaction includes different kinds of

things, of different values. For this reason, there is a need for a just ruler to establish justice between dealers and those involved in transaction. But in order for just evaluation to be implemented well, there is a need for long-enduring money; and since such metals as gold and silver have the longest life, they have been taken as coins and money; and this has given rise to the industry of coinage and its appurtenances.

In this way, occupations and works lead to each other endlessly and limitlessly. The people's occupations are their living. None of those crafts or industries could be done without learning and fatigue at least in the beginning. Some of people are heedless of this fact during their youth or at least are hindered from learning a particular industry, with the result that when anyone of them grows up he becomes unable to get his earnings. He needs then to eat of what is earned by others. This gives rise to two vile jobs: theft and begging. Since people beware of thieves and beggars and keep their property far from them, they, therefore, do not trouble their minds to make tricks to use in hiding their property. From among thieves, there are such as seek to collect assistants and helpers until they become a considerable force cutting off the roads on the people, like the desert Arabs and Kurds. But the weak among them is forced to make tricks to fulfill his purposes.

In relation to beggars, if they seek to get what is earned by others, and at the same time, they are required to work and leave idleness, and be like others whc work and get their earnings form their labour, and they are given nothing, they recourse to trickery and sneakiness in order to extract money from others, and let their idleness seem justifiable in their sights. They might validate their failure to work, either by reality, through making blind themselves or any of their children by trickery in order to be excused for their blindness and thus given money by others, or through pretending madness, disease, and any other defect that might seem to hinder them from work. Others invent many words and acts to show before the people to please them, and force them, being under the effect of astonishment, to give them no matter how little it might be, and when the effect of astonishment is over, they regret, but it is of no profit to them to regret. Of all the things to be invented, the rhymed poetry in general, and that which carries fanaticism in particular is the most influential, like the poetry that describes the good merits of the companions and the virtues of the family of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". A mention may be made also of the words and acts that stimulates in the people the causes and means of love and adoration, the acts of astrologers, the preachers on pulpits whose purpose is not to teach people their religion with sincerity in so much as just to attract the hearts of laymen and usurp their property.

Those are the worldly occupations of people in which they engage, under the necessity of their need of sustenance, clothes and residence. But during their journey, they have forgotten themselves and their real purposes, turning and returning (to Allah), with the result that they were lost and misguided. After their minds had been contaminated with the competition over this world, they were overpowered by false fancies, with the result that they were divided into different sects and opinions.

Some of them are overpowered by ignorance and heedlessness, and their minds are not opened to perceive the consequence of their matters, thereupon they say: "The purpose is to live many days in this world, during which we work to earn sustenance, and eat to be able to earn, and earn in order to eat." Thus, they eat to earn and earn to eat. This is the doctrine of farmers and craftsmen, and such of people as have no luxury in this world, nor grounds in religion: they work by day in order to eat what they earn at night, and eat at night in order to work by day, and so on. Such a man remains in endless journey which does not cease unless by death.

Others claim that they have perceived the real nature of the matter. They are of the opinion that the real purpose is not to endeavor by work to lead a comfortable and luxurious life, but the real happiness in their sight is to fulfill their desires in this world, and of course, they intend the desires for food and sex. Those have forgotten themselves, and rather given their entire attention to women to have sexual relation with, and different kinds of food to eat: they eat in the same way as cattle eat, thinking that by so doing, they have attained happiness. Thus, they were diverted from Allah and the Last Day.

A third sect think that happiness lies in the abundant property which enables them to become independent of anything else in this world. Thus, they spend night and day in collecting wealth and property, and although they trouble themselves and suffer heavy burdens in hard work in order to collect as much as they can, they do not eat from what they earn but as little as is necessary, out of their niggardliness and miserliness and for fear of reducing from what they collect. This is their pleasure and conduct, until death overtakes them, thereupon what they collect turns to be either under the ground or be taken by others who spend it on their desires and lusts. In this way, the collector draws upon himself its trouble and evil consequences, whereas its pleasure and delight become the portion of the heir. Although the collectors see this fact with their own eyes through others, they do not take from them as examples or lessons to learn.

A fourth sect think that happiness lies in good reputation, and praise of good characteristics and manners. Those trouble themselves to earn their living, and constrict upon themselves in food and drink, and rather spend all of their property on expensive clothes and riding mounts and graceful adornment and furniture, in order that when people's sights fall on the things of anyone of them, they would describe him as rich and wealthy, thinking it to be the real happiness. In this way, they endeavour during night and day just to attract the people's sights and admiration.

A fifth sect think that happiness lies in majesty and honour in the sight of people who, in turn, are inferior to them through veneration and reverence. Thus, they divert their attention to seek authority and ruling, in order to practice their power over a sect of people. They think that the more their ruling extends and the people comply with their commands, the more they become happy and pleased. They are diverted by the love of people's humbleness towards them from their love of humbleness before Allah Almighty, their worship and meditation of the hereafter.

There are as many as seventy-two sects like those, all of whom have misguided others and deviated from the right path. They have been forced to do so by their need for food, clothes and residence. But during their journey in life, they have forgotten the real purposes of those three things and the extent to which they are sufficient. However, the first causes have led them to such evil consequences, thereby they have fallen into the bottomless pitfall, and could not get up from it. Whoever knows the point of those causes and occupation, and their real purposes, he should not get a craft, occupation or work unless he is well-aware of its real purposes, and his own portion and fortune from it. He should learn that the real purpose of it is just to maintain his body with food and clothes from destruction. If he takes from that only what is necessary for him, all occupation would be averted from him, and his heart would be disengaged and rather devoted to the remembrance of the hereafter, and his attention would be diverted to get ready for it. But if he goes beyond what is necessary for him, the occupations would increase, and invite each other, leading him to an endless series. In this way, he would come to have many concerns, and whoever have many concerns in the different fields of this world, Allah Almighty never cares about whichever of them He would ruin him in.

This is the state of those involved in the occupations of this world. Some of people made sense to that, and turned away from the world, thereupon Satan envied them, and did not leave them, and rather misguided them and let them divide in their rejection of this world. Some of them think that this world is a home of trial and affliction whereas the hereafter is the abode of happiness for such of people as attains it, no matter whether or not he was of the worshippers in this world. Thus, they think that the right is to kill themselves in order to get rid of the affliction of this world. This is the conduct of some Indians, who throw themselves into the fire, and burn themselves, thinking it to be their salvation from the afflictions of this world.

Another sect think that killing alone is not sufficient: but they should kill in themselves the human attributes and curb them entirely, since happiness lies in curbing desire and anger. In order to achieve that, they came to mortify themselves so much strictly, until some of them died because of severe self-discipline, others were given to madness, others to chronic diseases, with the way of worship closed upon him. But some of them failed to curb human attributes entirely, and thought that the obligations of religious law are questionable, as the religious law in their sights is but dissembling, which has no origin, and this led them to atheism.

Others are of the opinion that all this suffering and trouble is for the Sake of Allah Almighty, Who is not in need of the worship of all the worshippers, and in naught would the disobedience of a disobedient reduce anything from Him, nor would the worship of a worshipper add anything to Him. The result is that they returned to lusts and desires, and gave themselves to lewdness, and folded the carpet of law and rulings, claiming it to be out of their pure and clear monotheism, under pretext that Allah Almighty is not in need of the worship of worshippers.

Others are of the opinion that the real purpose of worship is the self-mortification until one reaches with it the knowledge of Allah Almighty; and once it is obtained, one will have attained the goal, after which there will be no need of means. The result is that they abandoned endeavor and worship, and claimed that by their knowledge of Allah Almighty, they have risen above being constrained by religious obligations, for such obligations are due only upon the laymen.

Those are but examples of false doctrines and invalid sects which are seventy-two, and it is only one of those which will be saved, Allah willing, i.e. the followers of the way of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and his companions "Allah be pleased with them" and those who followed them with good conduct. It is not to leave world entirely, nor curb desires and lusts entirely. As for the world, he should take from it only as much as is sufficient for his provisions; and as for the desires, he should curb of them what is beyond the religious law and mind, and not follow all desires, nor leave all desires: but rather follow justice. He should not seek after everything nor leave everything in this world: but rather, he should learn the real purpose of everything created in this world, and deal with it in accordance with that purpose. Let him take from sustenance what sustains his body to worship, from residence what protects him from thieves, cold and heat, and from clothes what protects him also from heat and cold. That is because when one's heart is disengaged from bodily occupations, it is devoted entirely to the worship and remembrance of Allah Almighty, and meditation (of His signs) all of his lifetime. At the same time, let him continue to watch over desires and lusts in order not to exceed the due limits of piety and god-fearingness.

One will not learn the details of that unless he imitates the saved sect, i.e. the men of sunnah and established community, according to the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". He was asked about these of sunnah and established community, thereupon he said: "(Those who follow) that on which I and my companions are." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Abdullah Ibn Amr). They followed the method of moderation and clear and right path we have already explained . they never took the world for the sake of world but rather for the sake of religion, nor adhered to monasticism and abandoned world entirely, nor were they indulgent nor excessive: on the contrary, they were in the middle between both extremes. This is the dearest thing to Allah Almighty, as mentioned earlier in many places; and Allah knows best.

This is the end of the Book of Condemnation of World; and praise be to Allah at first and last; and the blessing and peace of Allah be upon the Prophet, his family and companions.

Book seven: Condemnation of niggardliness and greed for wealth

It is the seventh book of the quarter of destructives

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

Praise be to Allah, Who deserves praise for the sustenance He enlarged (for some of His servants), and removes disaster after despair, Who has created the creation, enlarged sustenance, endowed the worlds with various kinds of property, and tried them with the turning from one state to another, from ease to adversity, from poverty to richness, from covet to despair, from richness to bankruptcy, from solvency to insolvency, from miserliness to satisfaction, from niggardliness to generosity, from pleasure with what is at hand to grief for what is lost, from altruism to selfishness, from extravagancy to parsimony, and from contentment with the little to regarding with slightness the much. He has made so in order to test them as to which of them are best in conduct, and which of them gives preference to the world over the hereafter.

The blessing and peace of Allah be upon Muhammad, with whose religion he abrogated all the religions before him, and upon his family and companions who followed the way of their Lord with good conduct.

Coming to the point: the temptations and afflictions of this world is so much and they include all fields of life. But property is the most greatest temptation, the most destructive affliction, in the sense that none could dispense with it, and once it exists, none could hardly be safe from it. Once it is lost, one is given to destitution which is about to lead to ingratitude, and once it is present, it leads to transgression and great loss. In short, as well as property has merits, it also has demerits. Its merits are among the saviors, whereas its demerits are among the destructives. It is abstruse to distinguish its good from its evil, and none is able to do it except those of insightful minds among the learnt. So, it is important to specify an independent book to the exposition of that, for what we have mentioned in the condemnation of this world did not deal with property in particular in so much as it included the world in general, for the world includes all transitory portions and fortunes; and property is a part of it, in addition to desires, lusts, love for authority, inclination to exacting retribution, anger, envy, and arrogance.

But now, we are going to consider in this book the property in particular in terms of its merits and demerits, and if man looses it, he is given to destitution, and if it is available to him, he is given to richness. It is with both states of destitution and richness that man is put to trial. The one who lacks money always wavers between two states: parsimony and satisfaction, one of which is blameworthy and the other is praiseworthy. The miser also wavers between two states: the covet of what is at the hands of people, and endeavor to work hard in different professions and industries, with loss of hope in getting what is with the people; and the former is worse than the latter. The wealthy has two states:

withholding due to niggardliness and spending, and one of them is praiseworthy and the other is blameworthy. The two states of the spendthrift are extravagancy and thrift, and the latter of them is praiseworthy.

It is important to uncover those unclear issues, which might be explained in fourteen chapters, Allah willing:

Exposition of condemnation of property
Praise of property
Exposition of its merits and demerits in detail
Condemnation of miserliness and covet
Treatment of miserliness and covet
Excellence of bounteousness
Stories about bounteous
Condemnation of niggardliness
Stories about niggards
Altruism and its excellence
Definition of generosity and niggardliness
Treatment of niggardliness
Various duties concerning property
Condemnation of richness and commendation of poverty

CHAPTER ONE: EXPOSITION OF CONDEMNATION OF WEALTH AND REJECTION OF LOVING IT

Allah Almighty says: "O you who believe! Let not your riches or your children divert you from the remembrance of Allah. If any act thus, the loss is their own." (Al-Munafiqun 9)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ ﴾

He further says: "And know you that your possessions and your progeny are but a trial; and that it is Allah with whom lies your highest reward." (Al-Anfal 28)

﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ۝٢٨ ﴾

So, whoever prefers his property and children to what is with Allah Almighty has indeed been given to a great loss. Allah Almighty further says: "Those who desire the life of the Present and its glitter, to them We shall pay (the price of) their deeds therein, without diminution." (Hud 15)

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ۝١٥ ﴾

He also says: "Nay, but man does transgress all bounds, In that he looks upon himself as self-sufficient." (Al-Alaq 6-7)

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ ﴾

There is neither might nor power but with Allah, Most High, Most Great. He says too: "The mutual rivalry for piling up (the good things of this world) diverts you (from the more serious things), Until you visit the graves." (At-Takathur 1-2)

﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝ ﴾

From among the Prophetic narrations, a mention may be made of the following:

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Love for property and majesty causes hypocrisy to grow in the heart, in the same way as water causes herbage to grow." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "No rabid wolves have been sent to a fold of sheep, more destructive than those two of love for property, honour and majesty in the religion of a Muslim person." (This narration is reported by At-Tirmidhi and An-Nasa'i on the authority of Ka'b Ibn Malik). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said too: "Let these of much property be ruined, except those who spend it on the servants of Allah as such and such; and how few they are!" (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Abd-Ar-Rahman Ibn Abza; Ahmad on the authority of Abu Sa'id; and both sheikhs on the authority of Abu Dharr). It was said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Messenger of Allah! Which of your people is the worst?" he said: "The rich among them." (This narration is reported, with slight change of wording, by At-Tabarani and Al-Baihaqi on the authority of Abdullah Ibn Ja'far; and Al-Bazzar on the authority of Abu Hurairah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "After you, a people will come and eat the most pleasant things of this world in their variety, ride the most graceful horses in their variety, marry the most beautiful women in their variety, put on the smartest clothes in their variety. They will have bellies which are not satiated with the little, and souls which are never satisfied with the much. They will devote themselves to this world, go and return to it. They will take it as a god apart from their God (Allah), and a lord apart from their Lord. They will be subject to it, and follow their own desires and whims. So, it is a command from Muhammad Ibn Abdullah, to such of your spring as joins that time, not to greet them, nor visit the sick among them, nor follow their funeral processions, nor respect the old among them, for whoever does so will help undermine (the structure of) Islam." (This is reported by At-Tabarani on the authority of Abu Umamah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Leave the world to its adherents, for whoever takes from the world more than his need will indeed take his destruction unfeelingly." (This narration is reported by Al-Bazzar on the authority of Anas). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "The son of Adam says: 'My property! My property! Do you have from your property but what you eat and consume, you put on and tear, or give in charity and send forward?" (This narration is reported by Muslim on the authority of Abdullah Ibn Ash-Shakhir and Abu Hurairah). A man asked the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Messenger of Allah! Why do I not love death?" he asked him: "Do you have property?" he answered in the affirmative, thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Then, send it

forward, for whoever sends forward his property likes to join it, and whoever leaves behind his property likes to remain behind with it." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Mankind has real three friends: one follows him until his souls is arrested, the other to his grave, and the third to his resurrection. His property follows him until his soul is arrested. His family follows him to his grave. His deed follows him to his resurrection." (This narration is reported by Ahmad and At-Tabarani on the authority of An-Nu'man Ibn Bashir).

The disciples said to Jesus, son of Mary "peace be upon them": "Why do you have the ability to walk on water and we have not?" he asked them: "What is the rank of money in your sight?" they praised it, thereupon he said: "But it is of no significance to me." Salman Al-Farisi wrote the following to Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with them": "O my brother! Beware of gathering from this world what you do not give thanks for it, for I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying: "On the Day of Judgement, the world adherent who obeyed Allah in it will be brought with his property in front of him, and the more he will turn down on the path, the more his property will say to him: 'Proceed on safely, for you have fulfilled the right of Allah due upon me'; and the world adherent who did not obey Allah in it will be brought with his property in between his shoulders, and the more he will turn down on the path, the more his property will say to him: 'Woe to you! Why did you not fulfill the right of Allah due upon me?' He will remain as such until he will invoke perdition and destruction upon himself." (This narration is reported by Al-Baihaqi).

What we have narrated in the Book of Asceticism and condemnation of richness and praise of poverty refers in the end to the condemnation of wealth. So, there is no need to repeat that once again here. The same is true of what has been related in condemnation of this world, since wealth constitutes its main component. But, let's now relate what is narrated regarding wealth in particular.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If a man dies, the angels say: "What has he sent forward?" but the people say: "What has he left?" (This narration is reported by Al-Baihaqi on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Do not take landed property, lest you would have desire for this world." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Al-Hakim on the authority of Ibn Mas'ud).

From among the sayings, a mention may be made of the following:

It is reported that a man abused Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" and did evil to him, thereupon he said: "O Allah! as for him who has abused me, make healthy his body, make abundant his property, and make long his lifetime." Consider how he regarded much property to be the utmost trial and affliction, particularly when added to health and long life, and this is because it should inevitably lead to transgression. Ali "Allah be pleased with him" put a Dirham on his hand and said: "Indeed, if you are not given out by me, you would be of no benefit for me."

It is reported that Umar "Allah be pleased with him" sent to Zainab Bint Jahsh her income, and when she asked about it, she was told that it was her income which was sent to her by Umar. She said: "May Allah forgive for him!" Then she took a curtain she had and tore it and made it a case in which she put her income and distributed it among her family, kith and kin and the orphans who were under her guardianship. Then, she raised her hand saying: "O Allah! let not me receive the income of Umar after this year of mine!" she died and was the first among the wives of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" to join him.

According to Al-Hassan: "By Allah, none has ever honoured money but that Allah disgraced him." It is said that when Dirham and Dinar were coined, Iblis raised them and placed them on his forehead and kissed them saying: "Whoever likes you is really my servant." Samit Ibn Ajlan said: "No doubt, Dirhams and Dinars would be the reins of hypocrites, thereby they would be led to the fire of Hell." According to Yahya Ibn Mu'adh: "The dirham is like a scorpion and if you are not perfect in treating it with good Ruqyah, then, do not take it, for if it bites you, its poison will kill you." He was asked: "What is its Ruqyah?" he said: "To take it form lawful sources, and spend it properly."

Al-Ala' Ibn Ziyad said: "I saw in a dream an old lady dressed in skin, and having from all colours of adornment, and the people were attached to her in awe, and looking at her. I came close to her and looked and wondered at their looking at her and devotion to it in such admiration. I then asked her: "Woe to you! Who are you?" she said: "Do you not know me?" I answered in the negative, thereupon she said: "I'm the world." I said: "Then, I seek refuge with Allah from your evil!" she said: "If you like to be given refuge from my evil, then, you should have aversion for Dirham and Dinar." That is because money constitutes the main component of this world, for with them everything might be obtained. Whoever keeps patient on abandoning them has indeed kept patient on abandoning the entire world.

It is reported that Maslamah Ibn Abd-Al-Malik entered upon Umar Ibn Abd-Al-Aziz "may Allah have mercy upon him" at his last moments and said to him: "O Commander of Believers! You have done a thing which none of the rulers has ever done before you. You have left your children with no single Dirham (to inherit from you)." He had thirteen children. On that he asked to be made to sit down and then he said: "As for your statement that I have not left any Dirham for them (to inherit), it should be known that I have not forbidden to them any right they are eligible to take, nor have I given them any right that is for others than them. My children are one of two: either obedient to Allah, and Allah suffices him, for Allah is the friend and protector of the righteous, or disobedient to Allah, and I do not care about his destiny."

It is reported that Muhammad Ibn Ka'b Al-Qarzi had much property and it was said to him: "Save it for your children." He said: "No, but I save it for my own soul with my Lord, and leave my Lord for my children." It was said to Abu Abd Rabbih: "O my brother! Do not go with evil and leave your children with good." On that he gave out one hundred thousand Dirhams from his property."

Yahya Ibn Mu'adh said: "Man encounters two calamities at his death regarding his property, and neither the foremost nor the last have ever heard about them before." He was asked about them, thereupon he said: "Although his property entirely is taken from him, he will be questioned about it entirely."

CHAPTER TWO

EXPOSITION OF PRAISE AND CONDEMNATION OF WEALTH SIMULTANEOUSLY

It should be known that Allah Almighty has given the property the name of good in many places of His Holy Book. Consider His Statement: " It is prescribed, when death approaches any of you, if he leave any goods, that he make a bequest to parents and next of kin, according to reasonable usage." (Al-Baqarah 180)

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "How good is the property for the good man." (This narration is reported by Ahmad and At-Tabarani on the authority of Amr Ibn Al-As). To be sure, what is related concerning charity and performance of Hajj refers to the good of property, since without it nothing of those could be achieved.

Allah Almighty further says: "so your Lord desired that they should attain their age of full strength and get out their treasure a mercy (and favour) from your Lord." (Al-Kahf 82)

﴿ وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴿٨٢﴾ ﴾

He says reminding His servants of His favors upon them: "Give you increase in wealth and sons; and bestow on you gardens and bestow on you rivers (of flowing water)." (Nuh 12)

﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Poverty is about to lead to ingratitude." (This narration is reported by Al-Baihaqi on the authority of Anas). This statement is to praise property.

One could not understand the point of combination between praise and dispraise of property unless he knows the wisdom of property, the real purpose of it, and its merits and demerits. By so doing, it would be revealed that it is good in some point and evil in some point, and it is praised when it is good, and dispraised when it is evil. It is not merely good nor merely evil. This is why it is sometimes praised and sometimes dispraised. But the insightful discerning person knows for certain that what is praiseworthy of it differs from what is blameworthy thereof. It is satisfactory to say here that the purpose of the intelligent wise people is the happiness of the hereafter which represents the abiding bliss. This is the purpose of the generous and bountiful. When the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked about the most generous and the most intelligent among the people, he said: "Those

who remember death and get ready for it most among them." (This narration is reported by Ibn Majah on the authority of Ibn Umar).

This happiness is attained only by three means in this world: merits of soul, like knowledge and good manners; merits of body like health and soundness; and merits that are outside the body like property and all the other means. The highest of them all are those of the soul, then those of the body and then those outside the body. In this way, those outside the body are the most despicable among them all, and of a surety, wealth is included in those. Money is also the most despicable among the despicable merits for it serves all and nothing serves it, and it is wanted for other than it and not for its own self. As for soul, it is the precious valuable gem that should be made happy, and it serves knowledge and good manners, in order to obtain them as integral part of it. Body serves soul by means of organs and senses, and food and clothes serve body; and we have already explained that the purpose of food is just to sustain body, and of marriage to preserve progeny, and of body to perfect and justify soul and adorn it with knowledge and good character. The knowledge of that sequence gives a due estimate of wealth, in terms of being necessary for food and clothes, which, in turn, is necessary to sustain the body, which, in turn, is necessary to perfect the soul, which is good in itself. If one is acquainted with the benefit, final goal and purpose of a particular thing, and uses it only for that final goal, without turning to anything else, he will do good and get benefit, and his deed will achieve the right purpose.

The wealth then is a tool and a means for a right purpose. But at the same time, it is possible to be used as a tool and a means for corrupt purposes, i.e. the purposes that keep off the happiness of the hereafter, and close the way of knowledge and deed. This is why it is praiseworthy at some point and blameworthy at some point: it is praiseworthy when its purpose is praiseworthy, and blameworthy when its purpose is blameworthy. Whoever takes from this world more than what is sufficient for him, has indeed taken his destruction unfeelingly (according to the narration of Al-Bazzar on the authority of Anas). Since men are inclined, by nature, to follow desires and lusts which cut the way to Allah Almighty, and since wealth is to facilitate that, there is a great danger in taking from it more than the necessary needs and requirements.

This is why the Prophets "peace be upon them" sought refuge with Allah from its evil. Our Prophet "peace be upon him" said in this issue: "O Allah! Limit the sustenance of the family of Muhammad to the point of satisfying only the minimum requirements of living." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Abu Hurairah). Thus, he did not demand from this world but that whose good is expected. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "O Allah! let me live as a poor, Cause me to die as a poor, and gather me in the company of the poor persons." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Anas; Ibn Majah and Al-Hakim on the authority of Abu Sa'id). Abraham "peace be upon him" sought refuge with Allah Almighty from such wealth when he said: "O my Lord! make this city one

of peace and security: and preserve me and my sons from worshipping idols." (Ibrahim 35)

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾

Of a surety, he intended here both gold and silver, for the rank of the Prophet deems him far above ascribing divinity to such stones, given that he was sufficed that even before his Prophethood when he was still very young. But the meaning of worship here is to have love for, be deceived by, and rely on them.

The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: " Let the slave of Dinar, Dirham, and the garment perish as he will be pleased if these things are given to him, and if not, he will be displeased. Let such a person perish and relapse, and if he is stabbed with a thorn, let him find no one to take it out for him." (It is narrated by Ibn Majah, Al-Hakim and Al-Bukhari on the authority of Abu Hurairah). Here, he shows that whoever loves those (Dirham and Dinar) becomes a worshipper of them, and whoever worships a stone is a worshipper of an idol, and whoever worships anything else other than Allah Almighty is like a worshipper of idols, for such worship diverts him from Allah Almighty, and hinders him from fulfilling His rights. This is polytheism. But there are two kinds of polytheism: hidden polytheism which does not enjoin the eternal life in the fire of Hell, and the believers could almost hardly be free form it, for it is more hidden than the creeping of ants; and apparent polytheism, which enjoins the eternal life in the fire of Hell: we seek refuge with Allah form both.

CHAPTER THREE
EXPOSITION OF MERITS AND DEMERITS OF WEALTH

It should be known that property is like a female-snake which has poison and medicine. Its merits lie in the medicine it has, and its demerits lie in the poison it contains. If one knows its merits and demerits he becomes able to beware of its evil and get benefit from its good.

As for its merits, they are divided into worldly and religious. There is no need to mention those worldly merits for they are well-known and common to all of the people, and had it not been for this, they would not have competed over demanding it.

As for the religious merits, they are included under three:

The first is to spend on oneself, either in an act of worship or to seek its aid on an act of worship. One might spend money in such acts of worship as Hajj and Jihad, which could not be accomplished without property; and they are among the principal acts of worship, of which the poor and needy are deprived. He might spend money to sustain himself like getting food, clothes, residence, marriage, and all the other requirements of living. If those needs are not available, the heart will be occupied by them and not disengaged for the religion; and the means by which worship is accessed is also regarded worship. Thus, to take what is sufficient from this world in order to seek its aid in fulfillment of the requirements of religion is a religious merit. But this does not include luxury and

getting what is beyond the need, for those belong to the worldly transitory portions.

The second is to spend money on people. It is of four divisions: alms, benevolence, protection of honour and charge of employment. The reward alms is not hidden, and it is sufficient to say that it extinguishes the fire of the wrath oh the Lord Almighty. We have already made a mention of its reward in detail. In relation to benevolence, it is meant to spend money on the rich and dignitaries in the form of hospitality, gifts and aids. This is different from alms which is unique to the needy and poor. But anyway, it is among the religious merits, since by which one acquires brothers and friends, obtains the attribute of generosity and bounty, and joins the company of the generous. None is described as generous unless he does favor to others. There is a great reward for that, according to many narrations about the excellence of giving food and gifts and entertaining not the poor and needy.

As for protection of honour, we mean by it the spending of money to avert the verbal criticism of the foolish and lampoon of poets, and repel their evil and harm. This is one of the religious portions no matter how close it might be to the transitory fortunes. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "What is spend by a man to protect his honour therewith is recorded as a charity for him." (This narration is reported by Abu Ya'li on the authority of Jabir). Why not since it prevents the backbiter from backbiting, and suppresses enmity because of his evil words, which might result in transgression and exceeding the due limits in exacting retribution.

Regarding the charge for employment, to be sure, the acts and works that facilitate life for man are many, and if he is to do all of them by himself, he will waste his time, and it will become difficult upon him to follow the way to the hereafter through remembrance and meditation, which is the highest station. Whoever has no money needs to do by himself all works to serve himself, , which puts him to severe trouble, for by so doing, he will loose the other acts of worship such as knowledge, deed, celebration and meditation, which none else could do on his behalf. In this way, he will waste his time in great loss.

The third is not to spend on a particular man, but rather to achieve a public interest, like building mosques, bridges, hospitals, hostelries, and the other endowments assigned to serve the public interests of people. This is among the permanent good things whose reward survives even after death, and which bring about the blessing of the supplications of the righteous.

These are the religious merits of money, let alone the transitory portions, like salvation from humiliation of begging, getting rid of destitution and attaining honour and power, getting more brothers, friends and helpers, and gaining respect and reverence in the hearts of others.

In relation to the demerits of property, they are divided into religious and worldly. The religious are three:

The first is to lead to disobedience and committing sins. To be sure, desires and lusts are various, and in many cases, financial disability might hinder one from committing much sins, and in this way, it is out of protection for him to have no money. Whenever man has no hope of doing a sin, he is not motivated

to do it. But once he feels he is able to do it, he is motivated to do it. Money gives one the ability to do sins, and once it is available, one is motivated to commit sins. If he commits sins, he would be ruined, and if he keeps patient, he will be put to severe difficulty, for patience with ability is more difficult on the soul, and the affliction of luxury and comfort is more grievous than that of adversity and hardship.

The second is to lead to luxury and indulgence in what is permissible, and this is the first degree (of evil). Should the wealthy be able to limit himself to the parley bread, the coarse and rough clothes, and leave the delicious kinds of food as the Prophet Solomon "peace be upon him" used to do, in spite of his great dominion? But with luxury , indulgence in the pleasures of this world becomes customary to him with which he could not dispense. Once he is not able to give it up, and at the same time, he is exposed to a financial crisis, he would probably be forced to achieve his luxury through unlawful sources, adulation, flattery, hypocrisy, showing off, and even telling lies. Whoever has much property, his need of people grows so much, and whoever becomes in need of people should inevitably be forced to flatter them and disobey Allah Almighty in order to please them. It is from that need that both enmity and friendship arise, which give rise to envy, hatred, rancor, arrogance, talebearing, backbiting, telling lies, and the other sins which belong to both heart and tongue.

The third from which almost none is free is that the maintenance of his property diverts him from the remembrance of Allah as it should be, and it is a great loss to be diverted from Allah Almighty. For this reason, Jesus "peace be upon him" said: "Money has three evils: it is taken from unlawful sources." It was said: "But if it is taken from lawful sources?" he said: "Then, it is spent improperly." It was said: "But if it is spent properly?" he said: "Then, it surely diverts from the remembrance of Allah Almighty." This is the chronic disease, for the foundation, essence and marrow of worship is to remember Allah Almighty, and reflect on His Majesty and Glory, and this requires a disengaged heart, and the owner of property is not so, for he always spends morning and evening in occupation of the maintenance of his wealth, each according to his profession and trade. But he, who has only the sustenance of his day is safe from all of that.

Those are the worldly evils of property, let alone the suffering of the owners of wealth, regarding trouble, hard work of collecting money, fear of loosing it, anxiety, worry, anguish, difficulty of averting enviers, trouble of maintaining and preserving it, and the like of these. The medicine of property then is to take only the necessary sustenance from it, and spend the surplus on different sides of good; and what is beyond that is poisons. We ask Allah Almighty to help us do so, and grant us safety form its evil: He has power over all things.

CHAPTER FOUR

EXPOSITION OF CONDEMNATION OF MISERLINESS AND COVET; AND PRAISE OF CONTENTMENT

It should be known that poverty is praiseworthy provided that the poor

should be satisfied, not covetous of what is in the hand of people, nor eager to earn money whatever it might be. He is not so unless he becomes contented with the necessary food, clothes and residence, and limit the range of his hope to his day or month at maximum. But if he has longing for much wealth, or makes long the range of his expectations, the honour of contentment will escape him, and he will be put to humiliation of covet and greed, which inevitably lead him to the bad manners and committing shameful deeds. However, mankind is predisposed, by nature, to greed and covet, and lack of contentment and satisfaction.

From among the Prophetic narrations regarding this issue, a mention may be made of the following:

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Were mankind to have two valleys of gold, he would seek to have a third, for nothing fills the inside of mankind but dust, and Allah turns in repentance to whomever He wills." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Ibn Abbas and Anas). It is narrated on the authority of Abu Waqid Al-Laithi "Allah be pleased with him" that he said: Whenever the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" received a new revelation, we would come to learn it from him. One day I came to him and he said: Allah Almighty says: "We have sent money in order that people would establish prayer and give alms; and were mankind to have a valley of gold, he would like to have another valley, and were he to have two, he would like to have a third, and nothing but dust fills the inside of mankind; and Allah Almighty turns in repentance to whoever repents." (This is reported by Ahmad and Al-Baihaqi).

Abu Musa Al-Ash'ari "Allah be pleased with him" said: A Surah like Bara'ah was revealed and then it was taken away, with the following remaining of it: "Verily, Allah Almighty supports that religion through people who have no portion (in the hereafter); and Were mankind to have two valleys of money, he would seek to have a third, for nothing fills the inside of mankind but dust, and Allah turns in repentance to whoever repents." (This narration is reported by Muslim with a slight variation of wording; and At-Tabarani literally).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Two eaten things never satiate: that of knowledge and that of wealth." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Ibn Mas'ud). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Mankind grows old and two things remain still young with him, the long hope and love for wealth" or in similar words. (this narration is reported by both sheikhs on the authority of Anas).

Since this is a misleading instinct and destructive nature in mankind, Allah and His Messenger "peace be upon him" praised contentment. In this issue, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Blessed be he who is guided to Islam and has only the minimum requirements of living with which he is satisfied." (This narration is reported by At-Tirmidhi and An-Nasa'i on the authority of Fadalah Ibn Ubaid; and Muslim on the authority of Abdullah Ibn Umar). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be

upon him" said too: "No one, be he poor or rich, but that on the Day of Judgement, he would like to have been given sustenance in this world (as little as) to cover only his basic needs)." (This narration is reported by Ibn Majah on the authority of Anas). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Richness does not result from much property, but rather richness results from self-satisfaction." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Abu Hurairah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further forbade greed and earnest pursuit of money. He said: "O people! Constrict your pursuit (of wealth), for no servant will take but what is written for him, and no servant will leave this world before he is given what is written for him." (This narration is reported by Al-Hakim on the authority of Jabir). It is reported that Moses "peace be upon him" asked Allah Almighty: "O Lord! Which of Your servants is the richest?" He said: "The most contented among them with what I have given him." He said: "Then, which of them is the justest?" He said: "Who takes back the right from himself most among them."

Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The Holy Spirit inspired me that no soul will die until it receives its sustenance that is written for it. So, fear Allah and constrict your pursuit (of money)." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya and Al-Hakim). Abu Hurairah "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to me: "O Abu Hurairah! If you are given to severe hunger, I advise you to have a loaf and a cup of water, and everything otherwise in this world is exposed to destruction." Abu Hurairah "Allah be pleased with him" further said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Be pious perchance you would be the most worshipping among the people; and be contented perchance you would be the most thanksgiving among the people; and love for the people the same as you love for yourself, perchance you would be a faithful believer." (This narration is reported by Ibn Majah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" forbade covet according to the narration of Abu Ayyub Al-Ansari "Allah be pleased with him" in which he said: A Bedouin came to the Prophet "peace be upon him" and said: "O Messenger of Allah! Give me a brief advice." On that he said: "When you offer prayer, pray like a man who bids farewell (as he is going to leave this world immediately), and do not say anything (evil) for which you are forced to apologize, and loose hope of what is in the hands of people." (This narration is reported by Ibn Majah; and Al-Hakim on the authority of Sa'd Ibn Abu Waqqas).

It is narrated on the authority of Awf Ibn Malik Al-Ashja'i "Allah be pleased with him" that he said: We were seven, eight or nine with the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and he said to us: "Should you not give the pledge of allegiance to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him?" we stretched our hands and one (of us) said: "O Messenger of Allah! We have given you the pledge of allegiance (earlier): then,

for which (more) should we give you the pledge of allegiance (once again)?" on that he said: "To worship Allah (Alone) and not ascribe anything to Him (in worship), to establish the five (obligatory) prayers (in congregation), to listen and obey (your rulers), (and he said a word in secrecy after which he said) and to ask nothing from the people." He (the narrator) said: I saw that if the whip fell down from anyone of those, he would not ask anyone to bring it to him. (This narration is reported by Muslim, Ibn Majah and Abu Dawud).

From among the sayings and traditions, a mention may be made of the following:

Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" said: "No doubt, covet leads to poverty, and despair (of getting what is in the hands of people) leads to richness; and whoever looses hope of having what is in the hands of people dispenses with them." One of the wise men was asked about the concept of richness, thereupon he said: "It is to limit your hopes, and be satisfied with what suffices you." In this meaning, it was said (in a form of poetic verses): "Living is but hours to pass quickly. So, be satisfied with your living, perchance you would be contented, and leave your desires perchance you would living as a free. For it may be that gold and pearl lead to destruction of its pursuer."

It was the habit of Muhammad Ibn Wasi' "may Allah have mercy upon him" to wet the dry bread with water and eat thereof and say: "Whoever is satisfied with that needs not anyone." According to Sufyan "may Allah have mercy upon him": "The best of your world is that by which you are not put to trial, and the best of your trials is that which is not in your hands." According to Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him": "No day comes but that an angel calls: "O mankind! The little that satisfies you is better than the much that causes you to be a transgressor." According to Samit Ibn Ajlan: "O mankind! Your abdomen is no more than a span in a span: why should it leads you to the fire?" a wise man was asked bout his wealth thereupon he said: "It is to seem outwardly beautiful and be inwardly moderate, and loose hope of what is in the hands of the people."

It is reported that Allah Almighty said: "O mankind! if the integral world becomes in your possession, you will have from it only your sustenance, and if I give you your sustenance from it and make the reckoning for it on anyone else, then, I would be charitable to you." According to Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him": "If anyone of you is to ask for anything, let him ask for it easily and kindly, for indeed, he will not take but the sustenance that is doomed to him to take." One of the Umayyads wrote to Abu Hazim, asking him decisively to raise his needs to him, thereupon he replied: "I have raised my needs to my Lord, and have accepted what He gives me of it, and been satisfied with what He withholds from me from it."

It was said to a wise man: "Which is the most pleasant thing to the rational, and which is the most helpful thing to remove grief?" in reply, he said: "The most pleasant thing to him is the good righteous deed which he sends forward, and the most helpful thing to remove grief is the contentment with the preordained fate." According to another wise man: "I have found out that the one who has the

deepest anxiety among the people is the envier, the most pleased among them is the contented, the most long-suffering among them on harm is the miser when he covets, the one who has the best living is he who rejects the world most among them, and the one who shows the greatest regrets among them is the learnt who indulges in this world."

Umar "Allah be pleased with him" said: "Should I not tell you about what I render lawful from the property of Allah Almighty? Two garments, one to protect me from the cold of winter, and the other from the heat of summer, a riding mount to perform Hajj and Umrah, and afterwards, my sustenance is like the sustenance of anyone of the Quraish people, in a way that makes me neither the highest nor the lowest among them. By Allah, I do not know even whether or not this is lawful." He seemed to have doubt whether this amount was beyond what is sufficient for contentment.

One blamed his brother for miserliness, saying: "O my brother! You are a petitioner and petitioned: you are petitioned by Him Whom nothing could escape, and you petition that which you are sufficed, as if what is absent from you has been revealed to you, and what is you have has been removed from you. You seem, O my brother, that you have not seen a deprived miser nor a sustained abstinent." In a similar meaning, it was said (in a form of poetic verses): "I see that your richness makes you more keen on this world, as if you would never die, but, is there an end with which you could say: 'This is sufficient for me for I have been contented'?"

It is related by Ash-Sha'bi "may Allah have mercy upon him" that a man caught a comb, thereupon it asked him: "What do you like to do with me?" he said: "I like to slaughter and then eat you." It said: "By Allah, my flesh never satiates you. But let me teach you three things, which are better for you than to eat me, one of which while I am in your hand, the second when I become on the tree, and the third when I become on the mountain. He asked it to give him the first advice, and it said: "Do not grieve for what escapes you." He then released it. When it became on the tree, he asked it to give him the second and it said: "Do not believe that what is not will not be." When it flew and became on the mountain, it said: "O wretched man! Were you to slay me, you would have extracted from my inside two pearls, the value of each of which is twenty weights." He then grieved and bit his lip. Then he asked it to give him the third advice, thereupon it said: "You have forgotten two things, how should I give you the third? Have I not told you not to grieve for what has escaped you, nor to believe that what was not would be? My flesh, blood and feather are not equal to twenty weights, how would I have in my inside two pearls, the value of each of which is twenty weights?" then, it flew and disappeared. This is an example for the excessive covet characteristic of mankind, which blinds him from seeing the truth, until he thinks what is not will be.

According to Ibn As-Sammak: "No doubt, hope is a rope in your heart and a fetter in your foot. So, take out the hope from your heart, so that your foot would be released from the fetter." Abu Muhammad Al-Yazidi said: I visited Ar-Rashid and found him looking at a paper containing something written in gold,

and when he saw me, he smiled. I said: "Does it contain a benefit, may Allah mend you O Commander of Believers?" he answered in the affirmative saying: "I have found these two poetic verses in a store belonging to the Umayyads, and regarded them as good, to which I added a third verse." He then recited to me the following: "If the gate of a need is closed in your face, then, leave it for another perchance its gate would be opened to you. It is sufficient for you to fill your abdomen (to satisfy your hunger), and avoid the evil matters. Moreover, do not give out your honour, and avoid sins, perchance you would be kept far from punishment because of that."

Abdullah Ibn Salam "Allah be pleased with him" asked Ka'b: "What does cause the sciences to vanish from the minds of the learnt, after they had understood and retained them well?" he said: "Covet, self-greediness and demand of needs." A man asked Al-Fudail to explain to him the statement of Ka'b "Allah be pleased with him" thereupon he said: "It means that a man covets of a thing which he demands thereupon he looses his religion. As for self-greediness, it makes one the keenest eager to skip nothing at all. In relation to the demand of needs, it is that you have a need from so and so, and another need from so and so, and once he fulfills your need, he might disgrace you with it, leads you wherever and whatever he likes, with the result that you would become subject to him. If he passes by you, you greet him, and if he falls ill, you visit him to inquire about his health, just out of your love for this world and not for the Sake of Allah Almighty. Were you to have no need from him, it would have been better for you." Then he said: "This is better for you than one hundred narrations to take through weak chains of transmission."

According to a wise man: "It is surprising that if mankind is given the glad news of his permanent life in this world, he would not be inclined, by nature, to collect wealth more than he does, given his short enjoyment and expectation of death at any moment." According to Abd-Al-Wahid Ibn Zaid: "I came upon a monk whom I asked: "From where do you eat?" he said: "From the grain-store of (Allah), Most Kind, Full of Knowledge: He Who created the millstone brings to it its grist." Then, he beckoned with his hand to his molar teeth. Glory be to (Allah), the Omnipotent, Full of Knowledge.

CHAPTER FIVE

TREATMENT OF MISERLINESS AND COVET; AND MEDICINE BY WHICH CONTENTMENT IS ACQUIRED

It should be known that this medicine is composed of three elements: patience, knowledge and work, and their composition produces five things:

The first pertains to work, i.e. to be thrifty and moderate in living and spending. Whoever likes to attain the honour of contentment, should close upon himself all gates of spendings as much as he could, and reduce himself, as possible as he could, to the necessary needs and requirements. That is because he whose spendings are extensive could not be satisfied with contentment. If one lives alone, he should be satisfied with a single coarse and rough garment, a single kind of food whatsoever, make little his condiment as much as lies within his capacity and get himself accustomed to it. If he has dependents, he should reduce

each of them to the same extent which is easy with the minimum effort, and with which one becomes able to reduce his demands and be reasonable in his living. It is the origin of contentment, i.e. to be moderate in spending, and give up extravagancy and profligacy.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Indeed, Allah likes moderateness in all affairs." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of A'ishah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Not destitute is he who adheres to economy (in his living)." (This narration is reported by Ahmad and At-Tabarani on the authority of Ibn Mas'ud and Ibn Abbas). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said too: "Three are saviors: fear of Allah Almighty in secrecy and public, moderateness in both states of richness and poverty, and justice in both states of anger and pleasure." (This narration is reported by Al-Bazzar, At-Tabarani, Abu Na'im and Al-Baihaqi on the authority of Anas).

It is reported that a man saw Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" picking up grains from the ground saying: "Your moderateness in living is out of your religious knowledge and understanding." Ibn Abbas "Allah be pleased with them" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Economy, right way and guidance are a part of over twenty parts of Prophethood." (this narration is reported by Abu Dawud; and At-Tirmidhi on the authority of Abdullah Ibn Sarjis). According to a particular narration: "Economy constitutes half the living." (This is narrated by Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Anas).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "He who adheres to economy (in living), Allah Almighty enriches him; and he, who spends extravagantly, Allah Almighty impoverishes him; and he who remembers Allah, Allah Almighty loves him." (This narration is reported by Al-Bazzar on the authority of Talhah Ibn Ubaidullah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If you intend to do a thing, you have to be thrifty until Allah Almighty makes for you a relief and a way out." (This narration is reported by Ibn Al-Mubarak). To be sure, thrift in spending is one of the most important things to be observed.

The second is that if what is suffices him immediately is available to him, he should not trouble himself for the sake of the future. He is helped do so if he shortens the range of his hope and is verified that he should inevitably receive the sustenance that is doomed to him, no matter miser or generous he might be. That is because the severe miserliness is not the right way to receive sustenance. On the contrary, he should be confident of the promise of Allah Almighty Who says: " There is no moving creature on earth but its sustenance depends on Allah: He knows the time and place of its definite abode and its temporary deposit: all is in a clear Record." (Hud 6)

﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾

However, Satan always promises him poverty and enjoins lewdness upon him, saying: "Unless you are miser and keen on collecting and saving, it may be that

you fall ill and become powerless, and expose yourself to endure humiliation of begging."

Thus, he continues to trouble him, along his lifetime by pressing him to pursue wealth and money, for fear of poverty, and at the same time, the more he gets troubled, the more he laughs at him. It is said in description of such a case: "And whoever spends long times in collecting his wealth for fear of poverty, then, it is indeed the poverty which he does." Once, both sons of Khalid entered upon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" who said to them: "Despair not of the sustenance as long as life runs in your bodies, for man is born by his mother as red and naked and then he is sustained by Allah Almighty." (This narration is reported by Ibn Majah on the authority of Habbah and Sawa', sons of Khalid). Once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" came upon Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" who was in the state of grief. On that he said to him: "Reduce your concerns, for what has been decreed would inevitably be, and you should certainly receive your sustenance (that is doomed to you)." (This narration is reported by Abu Na'im on the authority of Khalid Ibn Rafi'). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Behold! O people! Reduce your pursuit (for this world), for no servant will have but what has been doomed to him, and none would leave this world before he receives from it what has been doomed to him in willing submission."

Therefore, man could not give up miserliness unless he has good confidence of Allah's right regulation of the matters, in terms of the determination of the sustenance of his servants, which they should inevitably get even if they reduce their pursuit. I should be known that Allah gives sustenance more often to His servant from sources which he expects not as shown from His statement: " And for those who fear Allah, He (ever) prepares a way out, And He provides for him from (sources) he never could imagine." (At-Talaq 2-3)

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۝ ﴾

If a gate of sustenance is closed upon him, he should not put himself to trouble for it. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah is resolute but to sustain His believing servant from sources which he never imagines." (This narration is reported by Ibn Hibban on the authority of Ali).

Al-Mufaddal Ad-Dabbi said: I asked a Bedouin: "From where do you earn your living?" he said: "From the vows made in Hajj." I further asked: "Then, if they depart (what do you do)?" on that he wept and said: "Were our living to be suspended only on sources we know, surely, we would not live at all." Abu Hazim "Allah be pleased with him" said: "I found out that this world is of two things: one is for me, and thus I would not receive before its due time even if I demand it by the power of the heavens and the earth; and the other is not for me, and as I did not get it in the past, I would never expect to get it in the future. What belongs to others than me is withheld from me, just as what belongs to me is withheld form the others. How then should I spend my lifetime in any of both?" this medicine is relevant to knowledge, and it is necessary to avert Satan's intimidation of poverty.

The third is that one should know the honour of free of want that is gained by contentment in contrast with the humiliation of miserliness, greed and covet. Being verified of this fact, he would be more inclined to contentment, for miserliness always brings about trouble, and covet leads to humiliation, in contrast with only the pain of patience on lusts, desires and extra things that is to be experienced in contentment. This pain is not known but to Allah Almighty, for which one receives the reward in the hereafter, unlike miserliness and covet, which make one vulnerable to the sight of people, in addition to the evil consequence and sin he incurs upon himself. Moreover, the covetous always looses the self-honour and the power to follow the truth. The more one is covetous and miser, the more he becomes in need of people, whom he could not invite to the truth: On the contrary, he is forced to flatter and adulate them, which causes his religion to destruction. Whoever gives no preference to the self-honour over the appetence of the abdomen surely suffers from deficiency and weakness of mind and faith .

In this respect, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The believer's honour results from his dispensing with the people." (This narration is reported by At-Tabarani, Al-Hakim, Abu Ash-Shaikh and Abu Na'im on the authority of Sahl Ibn Sa'd). both freedom and honour lie in contentment. For this reason, it is said: "Dispense with whomever you like, perchance you would be like him; and be in need of whomever you like, perchance you would be his captive; and be kind to whomever you like, perchance you would be his chief."

The fourth is to consider so often the luxury of Jews and Christians, in addition to the lowly and foolish among the people, and those who have neither religion nor mind, and compare their states with the states of the Prophets and saints, the devotees of Allah Almighty, the rightly-guided caliphs, and all of the companions and their followers and successors who followed them with good conduct. He should also listen to their speech and narrations, regard their affairs and states, and then give his mind the freedom to choose whether to imitate the lowly and foolish among the people, or emulate the best and the highest of people in the Sight of Allah Almighty. Having done so, it becomes easier to him to keep patient on destitution and poverty, and be satisfied with the little. If he enjoys much food, it should be known that the donkey eats more than him; and if he enjoys much sex, it should be known that the pig is stronger than him in sex; and if he gets adorned with clothes and ornaments, it should be known that there is among the Jews and Christians such as has much adornment and ornaments than him. But, on the contrary, if he is satisfied with the little, none would share him in his rank except the Prophets and saints.

The fifth is to understand the great risk that lies in collecting wealth, as we have already mentioned in the evil of money, in terms of the fear of robbery, theft, loss, in contrast with the security and disengagement from worry to be experienced by him who has no wealth. Furthermore, he should remember the severe damage he would receive as we have mentioned in the evil of wealth, as he would be kept away from the Garden for as long as five hundred years. That is

because if he is not satisfied with the necessity that suffice him, he would join the company of the wealthy and rich, and be taken out of the group of the poor. In order to do so, he should always look at such as inferior to him, and not to such as superior to him in this world, for by the time Satan always turns his sight to such of people as superior to him in wealth, saying: "Why do you weaken to pursue wealth, given that owners of wealth enjoy delicious kinds of food, smart clothes and graceful residence?" on the contrary, he turns his sight to such of people as inferior to him in religion saying: "Why do you constrict living upon yourself and fear Allah so much, given that so and so, who is more knowledgeable than you, does not fear Allah as such? Furthermore, all the people are amidst their enjoyment and luxury, so, why do you like to distinguish yourself from them?"

Abu Dharr "Allah be pleased with him" said: My bosom friend, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" recommended me to look at such of people as inferior to me, and not at such of them as superior to me (in this world)." (This narration is reported by Ahmad and Ibn Hibban). Abu Hurairah "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If anyone of you looked at such of people as given superiority by Allah to him in wealth and character, he should immediately turn to look at such of them as inferior to him, to whom he is given superiority." (This narration is reported by both sheikhs).

It is by virtue of those things that one is able to acquire the characteristic of contentment. Its basic fundament is patience and short hope. Additionally, he should know that his patience in this world, whatever it might be, is very limited, i.e. no more than a few days after which he will enjoy a long time. In this way, he is like a sick who perseveres the bitter medicine in expectation for the permanent cure.

CHAPTER SIX
EXPOSITION OF EXCELLENCE OF BOUNTEOUSNESS

It should be known that if wealth is not available, one should devote himself to satisfaction and keep himself from miserliness and greed; and if it is available, he should devote himself to altruism, bounteousness, doing favour, and rather keep himself far from niggardliness and covetousness. To be sure, bounteousness is one of the good manners characteristic of the Prophets "peace be upon them" as well as one of the foundations of salvation, to which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" referred in his statement: "Bounteousness is one of the trees of the Garden, whose branches are hanging to the earth, and whoever takes hold of any of those branches, it would inevitably lead him to the Garden." (This narration is reported by Ibn Hibban on the authority of A'ishah; Ibn Adi and Ad-Daraqatni on the authority of Abu Hurairah; and Abu Na'im on the authority of Jabir).

Jabir "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: Gabriel "peace be upon him" said: Allah Almighty said: "This (Islam) is the religion which I have admitted for

Myself, and nothing maintains it but bounteousness and good moral character. So, honour it with them as much as you could, (or, according to another version, as much as you go along with them)." (This narration is reported by Ad-Daraqatni). A'ishah "Allah be pleased with her" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah Almighty has never created any of His devotees but to be predisposed, by nature, to good character and bounteousness." (This narration is reported by Ad-Daraqatni and Ibn Adi).

Jabir "Allah be pleased with him" said: It was said: "O Messenger of Allah! Which deed is the best?" on that he said: "Patience and openhandedness." (This narration is reported by Abu Ya'li and Ibn Hibban; and Ahmad on the authority of A'ishah). Abdullah Ibn Amr "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah Almighty likes two characteristics and dislikes other two: as for those which Allah Almighty likes, they are good character and bounteousness; and as for those which Allah Almighty dislikes, they are bad character and niggardliness; and if Allah intends good for a man, He uses him in fulfillment of the needs of people." (This narration is reported by Abu Mansur Ad-Dailami).

It is narrated on the authority of Al-Miqdam Ibn Shuraih from his father from his grandfather that he said: I said: "O Messenger of Allah! Guide me to a deed that causes me to enter Paradise." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "What causes forgiveness to be assured to you is to serve people with food, to greet with peace whomever you meet, and to speak good words." (This narration is reported by At-Tabarani). According to another version: "What makes Paradise assured is to serve others with food and spread peace among the people." According to a third narration on the same authority: "Adhere to good words and serve others with food."

Abu Hurairah "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Bounteousness is a tree in the Garden, and if anyone of the people is bounteous, he takes hold of anyone of its branches, which never leaves him until it admits him to the Garden." (This narration is reported by Ad-Daraqatni). Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: Allah Almighty says: "Seek bounty from the merciful among My servants, perchance you would live in their shade for I have lodged in them My mercy; and do not seek it from those of hardened hearts, for I have lodged in them My displeasure." (This narration is reported by Ibn Hibban, Al-Khara'iti and At-Tabarani).

It is narrated on the authority of Ibn Abbas "Allah be pleased with them" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Ignore the sin of the bounteous, for Allah Almighty takes hold of his hand whenever he stumbles." (This narration is reported by At-Tabarani and Al-Khara'iti). Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No doubt, sustenance runs faster

towards the provider of food than a knife to the hump of a camel; and Allah Almighty commends the provider of food before His angels "peace be upon them"." (This narration is reported by Ibn Majah on the authority of Anas and Ibn Abbas but with a slight variation of wording).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Indeed, Allah is munificent, and He likes munificence and good manners; and He dislikes the trivial and insignificant of matters." (This narration is reported by Al-Khara'iti on the authority of Talhah Ibn Ubaidullah Ibn Kariz; and At-Tabarani, Al-Baihaqi and Al-Hakim on the authority of Sahl Ibn Sa'd with a slight variation of wording). Anas "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was not asked to give anything for the sake of Islam but that he gave it. a man came and asked him, and he commanded that a big herd of sheep grazing between two mountains, from those of charity be given to him. On that he returned to his people and said: "O my people! Embrace Islam, for Muhammad gives like the giving of a man who has no fear of poverty." (This is reported by Muslim).

Ibn Umar "Allah be pleased with them" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah has servants whom He chooses for His favors for the benefit of people. So, if one withholds those benefits from the people, Allah Almighty then will transfer His favor from him to another." (This narration is reported by At-Tabarani and Abu Na'im). It is reported on the authority of Al-Hilali that he said: Some captives belonging to Banu Al-Anbar were brought to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" who commanded that they be killed except for a man from them. Ali Ibn Abu Talib "Allah be pleased with him" said: "O Messenger of Allah! All of them worship the same god, religion, and commit the same sin: why have you spared the life of this man from among them?" on that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Gabriel "peace be upon him" descended to me and commanded me to kill them and leave that man for Allah Almighty appreciates his bounteousness."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Everything has a fruit, and the fruit of doing favor is the quick release (from punishment)." It is further reported on the authority of Nafi' from Ibn Umar "Allah be pleased with them" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Food given by a munificent is a medicine, and food given by a niggard is an ailment." (This narration is reported by Ibn Adi and Ad-Daraqatni). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "He in whose sight the favor of Allah is great, then, the service of people becomes great in his sight." (This narration is reported by Ibn Adi and Ibn Hibban on the authority of Mu'adh). So, whoever does not endure that service, exposes the favor of Allah to disappear from him.

Jesus "peace be upon him" said: "Take much of that which the fire never eats." It was said: "What is that?" he said: "It is to do favor). A'ishah "Allah be pleased with her" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No doubt, the Garden is the abode of the bounteous." (This

narration is reported by Ibn Adi, Al-Khara'iti and Ad-Daraqatni). Abu Hurairah "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The bounteous is close to Allah, close to the people, close to the Garden, and far from the fire; whereas the niggard is far from Allah, far from the people, far from the Garden, and close to the fire. No doubt, an ignorant bounteous is dearer to Allah than a knowledgeable niggard; and niggardliness is the most chronic disease." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Ad-Daraqatni).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Do favor to such as are and such as are not eligible to it equally. If you succeed to get those who are eligible to it, this is well, otherwise, you yourself would be one of those eligible to it." (This narration is reported by Ad-Daraqatni on the authority of Ja'far Ibn Muhammad from his father from his grandfather). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "No doubt, the pious among my nation do not enter the Garden by virtue of their prayer or fasts in so much as by virtue of their bounteous souls, sound hearts and sincere advice to Muslims." (This narration is reported by Ad-Daraqatni and Abu Bakr Ibn Lala on the authority of Anas; and Al-Khara'iti on the authority of Abu Sa'id).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah Almighty has chosen for doing favor some of His creatures, to whom He has made it lovable, and made them love it. he has directed the favor seekers to them, and made it too easy upon them to give in the same way as He has made easy the rainfall to the barren territory to give life to it and give life to its inhabitants therewith." (This narration is reported by Ad-Daraqatni; and Al-Hakim on the authority of Ali). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Every favor one does is a charity, and whatever one spends upon himself and his family is written as a charity for him, and whatever one safeguards his honour therewith is reckoned as a charity for him, and no spending one spends but that it is incumbent upon Allah to compensate it." (This narration is reported by Ad-Daraqatni, Ibn Adi, Al-Khara'iti and Al-Baihaqi on the authority of Jabir).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Every favor one does is a charity; and the guide to good is like its doer, for Allah Almighty likes to relieve the desirous for relief." (This narration is reported by Ad-Daraqatni on the authority of Amr Ibn Shu'aib from his father from his grandfather). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Every favor you do to a rich or a poor is a charity." (This narration is reported by Ad-Daraqatni on the authority of Abu Sa'id and Jabir; Al-Khara'iti and At-Tabarani on the authority of Ibn Mas'ud). It is narrated that Allah Almighty revealed to Moses "peace be upon him" not to kill As-Samiri for he was bounteous.

It is narrated on the authority of Jabir "Allah be pleased with him" hat he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" dispatched an expedition under the leadership of Qais Ibn Sa'd Ibn Ubadah and

when they were given to severe trouble, he slaughtered for them nine riding mounts to eat. When they made a mention of that to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" he said: "No doubt, generosity is characteristic of the members of this family." (This narration is reported by Ad-Daraqatni).

There are many traditions and sayings in this respect, of which a mention may be made of the following:

According to Ali "Allah be pleased with him": "If the world turns its face towards you (i.e. you become wealthy and rich), then, spend of it as much as you could, for it never vanishes; and if it turns away from you (and you become poor), then, spend also for it never survives." Mu'awiyah asked Al-Hassan Ibn Ali "Allah be pleased with him" about valor, relief and generosity, thereupon he said: "As for valor, it is that a man safeguards his religion, warns of himself, deals with his guest generously, and become good in case he is forced to engage in dispute, attack and aversion. Relief is to avert one's neighbour and keep patient on adversity. Generosity is to hasten to do favor before one is asked to do it, serve others with food, be kind to the beggar, and give him what is available to him."

A man raised a complaint to Al-Hassan Ibn Ali "Allah be pleased with him" who said to him: "Your need would be fulfilled, Allah willing." It was said to him: "O son of the (daughter of the) Messenger of Allah! Why do you not look at the complaint first and then give your reply in accordance with it?" On that he said: "By so doing, Allah Almighty will ask me about the time I make him stand in humiliation in front of me until I finish from reading the complaint." According to Ibn As-Simak: "I wonder at those who buy slaves with thier property, and doe not buy the free men with their favor." A Bedouin was asked: "Who is your chief?" he said: "He, who endures our insult, gives our beggar, and excuse our ignorant."

Ali Ibn Al-Hussain "Allah be pleased with them" said: "Whoever is described to given his property to those who ask is not a bounteous. That is because the real bounteous is he who begins with giving the rights of Allah Almighty in relation to those who worship and obey Him, expecting no thanks from the people, in case he does so in expectation for the reward of Allah Almighty." Al-Hassan Al-Basri "may Allah have mercy upon him" was asked about bounteousness, thereupon he said: "It is to give your wealth, generously for the Sake of Allah Almighty." He was further asked about decisiveness, thereupon he said: "It is to withhold your wealth for His Sake." When he was asked about extravagancy, he said: "It is to spend your wealth out of love for authority and majesty."

According to Ja'far As-Sadiq "may Allah have mercy upon him": "No wealth is more helpful than mind; and no calamity is more grievous than ignorance; and no support is beneficial as consultation. Behold! Allah Almighty says 'I am Bounteous, Generous, and no wicked should be My neighbour'. No doubt, wickedness is out of disbelief, and disbelievers will be in the fire; whereas generosity and munificence are out of belief, and the faithful believers will be in the Garden." According to Hudhaifah "Allah be pleased with him": "How many

a person who is wicked in religion and reckless in living would enter the Garden by virtue of his bounteousness and openhandedness."

It is reported that Al-Ahnaf Ibn Qais saw a man having a Dirham in his hand. He asked him: "Whose is this Dirham?" he said: "It is mine." On that he said to him: "It is yours until it comes out of your hand (i.e. until it is spent in charity)." The following poetic verse was said in a similar meaning: "You are subject to money as long as you withhold it and once you spend it, then, it becomes yours." Wasil Ibn Ata' was called Al-Ghazzal (spinner) because he used to sit with the spinners and whenever he saw a weak woman, he would give her (as much as he could). According to Al-Asma'i: Al-Hassan Ibn Ali wrote to his brother Al-Hussain "Allah be pleased with them" blaming him for giving poets, thereupon he sent to him the following reply: "No doubt, the best property is that with which one safeguards his honour."

It was said to Sufyan Ibn Uyainah: "What is bounteousness?" he said: "It is to be kind to one's brothers and spend money generously in charity." He resumed: "My father inherited fifty thousand Dirhams which he sent in secrecy to his brothers, and said: "I used to ask Allah Almighty in my prayers to admit my brothers to the Garden: should I then withhold money from them?"" according to Al-Hassan "may Allah have mercy upon him": "To give what is available as much as one could is the utmost generosity." It was said to a wise man: "Who among the people is the dearest to you?" he said: "He, who does favor more often to me." It was said: "But if this is not available?" he said: "Then, he to whom I do favor more often." According to Abd-Al-Aziz Ibn Marwan: "If a man surrenders to me until I do my favor to him, then, his favor to me is like mine to him."

Al-Mahdi asked Shabib Ibn Shabbah: "How have you found the people in my house?" he said: "O Commander of Believers! Anyone of them enters your house hopeful (of your gifts), and comes out well-pleased and satisfied." A man quoted the following two poetic verses in front of Abdullah Ibn Ja'far: "No doubt, the favor does not become a favor until its effect returns to such of people as eligible to it. so, if you intend to do a favor, direct it to Allah, or your kith and kin, otherwise, leave it." on hearing that, Abdullah said: "Those two poetic verses cause one to become covetous. But rather you should exceed the favor and if it gets the honoured among the people, then, it is good for they are eligible to it, and if it gets the wicked, you yourself would be one of its men."

CHAPTER SEVEN: STORIES ABOUT BOUNTEOUS

It is narrated on the authority of Muhammad Ibn Al-Munkadir from Umm Durrah, the servant-maid of A'ishah "Allah be pleased with her" that once, Mu'awiyah sent a wealth of one hundred and eighty thousand Dirhams in two cases to A'ishah "Allah be pleased with her", who asked for a dish to be brought in which she started to distribute the money among the people and when it was evening, she asked the slave-girl to bring her breakfast. She brought bread and oil as condiment. Umm Durrah said to her: "Have you not been able to keep aside a Dirham from what you have distributed today

therewith to buy meat for our breakfast?" she said: "Had you reminded me, I would have done."

It is reported on the authority of Iban Ibn Uthman that a person liked to do harm to Ubaidullah Ibn Abbas. He went to the dignitaries of Quraish and said to them: "Ubaidullah Ibn Abbas invites you to have your lunch in his house." They came until the house became crowded with them. He said: "What is the matter?" they told him the story. He commanded that fruits be bought and served to them, and ordered his servants to cook food and bake bread. The fruits were presented to them and by the time they had finished from them, the tables of food were placed before them. They ate and then left. Ubaidullah said to his agents: "Do we have what allows us to do the like of that everyday?" they answered in the affirmative, thereupon he said: "Then, let those come to have their lunch in our house everyday."

It is narrated on the authority of Mus'ab Ibn Az-Zubair that he said: Mu'awiyah performed Hajj and when he finished he passed by Medina. Al-Hussain Ibn Ali said to his brother Al-Hassan "Allah be pleased with them": "Do not meet or greet him." When Mu'awiyah left, Al-Hassan said: "We owe a debt and we have to come to him to discuss the matter with him." Thus Al-Hassan rode until he caught up with him. He greeted him and told him about it. at the same time, a camel of big hump passed by him, and it was carrying eighty thousand Dirhams, and it was a heavy load that it was troubled and remained behind the other camels. Mu'awiyah asked about it, and he was told, thereupor he said: "Give it with what it has to Abu Muhammad."

It is narrated on the authority of Waqid Ibn Muhammad Al-Waqidi from his father that he raised a complaint to Al-Ma'mun, about his much debt and his inability to endure it. on that Al-Ma'mun wrote the following on the back of the complaint: "No doubt, two characteristics have been combined in you: bounteousness and shyness. It is bounteousness that has consumed your wealth, and it is shyness that hinders you from telling us about the hardship in which you are. Based on that, I have commanded that one hundred thousand Dirhams be given to you. If I have got your desire, then, expand your hand in giving more and more; and if I fail to get your desire, then, it is your crime upon yourself. You related to me when you were in charge of judiciary of Ar-Rashid on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Az-Zubair Ibn Al-Awwam "Allah be pleased with him": "O Zubair! It should be known to you that the keys of sustenance of servants are opposite to the Throne (of Authority), and Allah Almighty gives every servant as much as is in proportion to what he spends: whoever spends more receives more, and whoever spends little receives little." And you know better." (This narration is reported by Ad-Daraqatni). In his comment, Al-Waqidi said: "By Allah, that Al-Ma'mun reminded me of the narration is dearer to me than the gift which was one hundred thousand Dirhams."

A man asked Al-Hassan Ibn Ali at for a need, thereupon he said to him: "O so and so! I appreciate the right of your asking me, and my knowledge of what is

incumbent upon me to do to you is too great upon me (to return you with failure), and my hand fails to fulfill to you what you are fitting for, and whatever is given, no matter how much it might seem, is little in the Sight of Allah Almighty. So, if you accept what is available, and relieve me of the difficulty of the obligation to fulfill your right as it should be." He said: "O son of the (daughter of the) Messenger of Allah! I accept and thank you for your gift, and further excuse for unavailability." Al-Hassan called his agent and went on accounting him for his spendings until he investigated it. then he said to him: "Bring me what remains of the three hundred Dirhams." He brought fifty thousand Dirhams thereupon Al-Hassan asked him: "What have you done with the five hundred Dinars?" he said: "It is with me." He asked him to bring it and he brought it to him. Al-Hassan then gave both Dirhams and Dinars to the man and told him to bring carriers to carry them for him. When he brought the carriers, Al-Hassan gave him his garment to pay their charge. His agents said to him: "By Allah, after that, we would have no Dirham." He said: "But I expect to have a great reward with Allah Almighty."

The reciters of Basrah gathered in the house of Ibn Abbas "Allah be pleased with them" and said: "We have a neighbour who was in the habit of standing at night (for supererogatory prayers) and fasting by day, and everyone of us hopes to be like him. He gave his daughter to his nephew and he is poor and does not have the wherewithal of marriage to prepare her." Ibn Abbas "Allah be pleased with them" stood and took hold of their hands and got them into his house and opened a box there and brought out six cases of money. He asked them to convey them to him. Then, Ibn Abbas "Allah be pleased with them" said: "But even, we have not been just to him. We gave him what would divert him from his standing and fasting. Let's go to help him prepare his daughter. However, the world is too insignificant to divert a believer from the worship of his Lord, and we should not be too arrogant to serve the devotees of Allah." They then did accordingly.

It is reported that when the people in Egypt were stricken by famine, at the time Abd-Al-Hamid Ibn Sa'd was the governor, he said: "By Allah, I would show Satan that I am his enemy." He then spent on the needy among them until prices fell. Then, he was dismissed and left owing as much as one million Dirhams to traders. He mortgaged with them the ornaments of his wives which were as much as five hundred million Dirhams. When it was difficult upon him to repay the debt, he sent to them to sell them, and spend the remaining upon such of people as did not receive his gift.

Abu Tahir Ibn Kathir was a Shiite. A man said to him: "I beseech you by the right of Ali upon you to grant me your date-palms in such and such place." On that he said to him: "I have done, and by his right upon me, I would give you what is next to them." This was many times the like of what the man demanded. A poet praised Abu Marthad who said to him: "By Allah, I have what I would give you. But anyway, go to the judge and claim I owe you ten thousand Dirhams, and I would admit it until when the judge puts me to prison because of that, my family would not leave me in prison." He did accordingly, and it was not

after the evening that ten thousand Dirhams were given to him, and Abu Marthad was taken out of the prison.

Ma'n Ibn Za'idah was the governor of Basrah. A poet was present at the gate of his palace with the intention to enter upon him, but he stayed for a long time, and it was not available to him. He said to one of Ma'n's servants: "If the governor enters the garden, then, point him out to me." When he entered the garden, the servant informed him and he wrote a poetic verse on a piece of wood and threw it in the spring of water that is open to the garden. Ma'n was at the head of the spring. When he saw the piece of wood, he took and read it: "O bounteousness of Ma'n! Talk to Ma'n in privacy about my need, for I have no intercessor to him but you." He asked about the writer of this and he was invited to him. He asked him: "What have you said?" he recited to him his poetry (in his praise), thereupon he ordered that ten cases of money would be given to him. He took them and the governor put the piece of wood underneath his carpet. When it was the next day, the governor took out the piece of wood and read the poetic verse once again, thereupon he invited the man and gave him one hundred thousand Dirhams. When the man took the sum he felt afraid the governor might take back what he had given him. He left the town. When it was the third day, the governor read the poetic verse, and called for the man, but he was not available. On that Ma'n said: "It is incumbent upon me to give him until there remains no Dinar in my treasury."

According to Abu Al-Hassan Al-Mada'ini: Once, Al-Hassan, Al-Hussain, sons of Ali, along with Abdullah Ibn Ja'far "Allah be pleased with them" set out as pilgrims and their belongings delayed to catch up with them. They then were given to hunger and thirst. They came upon an old lady in her tent whom they asked: "Do you have anything to drink?" she answered in the affirmative. They made their riding mounts kneel near her tent, and she had nothing but a little sheep in one corner of the tent. She said: "Milk it and drink its milk." They did accordingly. Then they asked her: "Do you have anything to eat?" she said: "I have nothing other than this little sheep. Let anyone of you slaughter it in order that I would cook food for you to eat." One of them stood and slaughtered it and removed skin and she cooked food for them to eat. They ate and stayed there until it became cooler. When it was time for them to leave, they said to her: "We are men from Quraish and our journey is in that direction. If we return safely, we would do a good favor to you."

Then, they left. Her husband came and she told him about the story of these men, thereupon he became angry and said to her: "Woe to you! Do you slaughter my sheep for a people whom you do not recognize, and claim that they are men from Quraish?" some time later, they were forced to enter Medina, and were engaged in transporting dung to it and sell it and get their earnings from that. The old lady passed by one of Medina's streets, and behold! Al-Hassan Ibn Ali "Allah be pleased with them" was sitting on the gate of his house. He recognized her, but she did not recognize him. He sent his slave to invite her and he asked her: "O slave-girl of Allah! Do you recognize me?" she answered in the negative. He said: "I am your guest on such and such a day."

She said: "Let my father and mother sacrifice their lives for you! Are you he?" he said: "Yes." Al-Hassan "Allah be pleased with him" commanded that one thousand sheep of those of charity be bought for her, and one thousand Dinars be given to her.

He sent her in the company of his slave to Al-Hussain "Allah be pleased with him" who asked her: "What is the gift of my brother to you?" she said: "One thousand sheep and one thousand Dinars." Al-Hussain "Allah be pleased with him" commanded that the like of it be given to her. Then, he sent her in the company of his slave to Abdullah Ibn Ja'far "Allah be pleased with him" who asked her: "How much is the gift of both Al-Hassan and Al-Hussain to you?" She said: "Two thousand sheep and two thousand Dinars." On that Abdullah Ibn Ja'far gave her two thousand sheep and two thousand Dinars. He said to her: "Had you started with me, surely, you would have troubled them." The old lady returned to her husband with four thousand sheep and four thousand Dinars.

It is reported that Abdullah Ibn Amir Ibn Kariz came out of the mosque in order to go home. As he was alone, a young man stood and walked besides him. He asked him: "O young man! Do you have a need?" he said: "May Allah reform you! I saw you walking alone, and I said to myself: "Let me protect you with myself, and I seek refuge with Allah from receiving any harm." Abdullah took hold of his hand and walked with him to the house. He called for one thousand Dinars which he gave to the young man and said to him: "Spend this for how good manners you have been taught by your family!"

It is related that some Arabs came to visit the grave of one of the bounteous among them. They halted near his grave and spent the night there. They had came from a far town. One of them saw in a dream that bounteous man who said to him: "Do you like to exchange your camel for my excellent mount?" however, the deceased bounteous had left an excellent mount. The man who was sleeping had a fat camel. He said: "Yes." He exchanged his camel for his excellent mount. When he signed the deal, the deceased man slew that camel in the dream. At that time, the sleeping man woke up and behold! Blood was flowing out of the breast of his camel. He stood towards it and slaughtered it, and distributed its flesh among his companions and cooked it and they satiated their desire for hunger. Then, they left and proceeded on. When it was the next day, and they were still on the way, a caravan received them, and a man said: "Who is so and so?" the man who saw the bounteous in the dream said: "I am." He asked him: "Have you bought from so and so anything?" he referred to the deceased, the inhabitant of the grave. He said: "Yes, I have exchanged my camel for his excellent mount in a dream." He said: "Then, here it is his excellent mount. He is my father and I saw him in a dream and he said to me: "If you are really my son, give my excellent mount to so and so."

A man from Quraish returned from journey and on the way he found a Bedouin who was disabled and diseased. He said to the man: "O so and so! Help me endure the difficulty of time!" he said to his slave: "Give him what has remained with you of the expenses." The slave poured in the lap of the Bedouin

four thousand Dirhams. The Bedouin started to get up but he failed because of weakness. On that he wept. The man asked him: "What is wrong with you? Do you regard little what we have given you?" he said: "No, but I have remembered what the earth eats of your generosity, thereupon I wept."

Abdullah Ibn Amir bought from Khalid Ibn Uqbah Ibn Abu Mu'ait his house which was in the market for ninety thousand Dirhams. When it was night, he heard Khalid's family weeping. He asked his family: ""Why are those weeping?" they said: "They are weeping for the loss of their house." On that he said: "O slave! Go to them and inform them that both the money and house together are theirs."

It is related that Harun Ar-Rashid sent five hundred Dinars to Malik Ibn Anas "may Allah have mercy upon him". When the news of that reached Al-Laith Ibn Sa'd, he sent to him one thousand Dinars. Harun became angry with him and said: "Do I give him five hundred and you give him one thousand, although you are one of my wards?" he said: "O Commander of Believers! I get a daily income of one thousand Dinars from my crops, and I have felt shy of giving the like of him less than the income of one day." It is reported that the obligatory charity was not due upon him, although his income was one thousand Dinars a day (and this is because he used to spend them all in charity). It is related that a woman asked him to give her some honey, thereupon he gave her a big water-skin full of honey. It was said to him: "But she would have been satisfied with less than that." On that he said: "She has asked in accordance with her need, and we give her in proportion to the favor of Allah upon us." It was the habit of Al-Laith "may Allah have mercy upon him" not to deliver his daily talk before he would give three hundred and sixty needy and indigent in charity.

Al-A'mash said: One of my sheep fell ill, and Khaithamah Ibn Abd-Ar-Rahman used to come to visit it every morning and evening in order to inquire about its health, and asked me: "Has it got its fodder in full? How have the boys kept patient on loosing its milk since it fell ill?" I had a piece of matted hair to sit on and whenever he came out he would tell me to take what he left underneath it. he kept doing so until his gift reached as much as three hundred Dinars during the period the sheep was ill, to the extent that I hoped the sheep did not recover.

Abd-Al-Malik Ibn Marwan said to Asma' Ibn Kharijah: "I have been reported that you have many good characteristics. So, tell me about them." He said: "But others could tell about them better than I could do." He said: "I assure that you should tell me about them." On that he said: "O Commander of Believers! I have never stretched my legs in front of anyone of my sitters, nor have I served others with food but that I was grateful to them more than they were to me, nor has anyone begged anything from me and I regarded as much what I gave him."

Sa'id Ibn Khalid entered upon Sulaiman Ibn Abd-Al-Malik and Sa'id was a generous man: whenever he was asked to give anything which was not available to him, he would write a bill on himself until he would receive his yearly income.

When Sulaiman looked at him, he quoted the following poetic verse: "I have heard in the morning a caller calling: 'Help that helpful assisting young man'!" Sulaiman asked him: "What is your need?" he said: "To fulfill my debt." He asked him: "What is it?" he said: "thirty thousand Dinars." He said: "I shall give you your debt and the like of it besides."

Once, Qais Ibn Sa'd Ibn Ubadah fell ill and he felt his brothers were too slow to come to visit him. When he asked about that it was said to him: "They feel shy of so much debt they owe you." On that he said: "May Allah disappoint a wealth that hinders the brothers from visiting their brother!" then, he ordered a caller to announce publicly that 'He who owes a debt to Sa'd Ibn Qais is free from obligation'. In the evening, the step of the stairs of his house got broken because of the great number of people who came to visit him.

It is narrated on the authority of Abu Ishaq that he said: I offered Asr prayer in the mosque of Al-Ash'ath at Kufah, in pursuit of a debtor of mine, and after prayer a garment and a pair of sandals were placed in front of me. I said: "But I am not of the people of this mosque." It was said: "Al-Ash'ath Ibn Qais Al-Kindi came back from Mecca yesterday, and ordered that a garment and a pair of sandals be given to such of men as prayed in this mosque."

It is narrated on the authority of Ash-Shafi'i while he was in Mecca in the neighbourhood of the Ka'bah that he said: There was in Egypt a man who used to gather money for the poor. Once, a man begot a child. He said: "I went to him and said: "I have begotten a child and I have nothing to spend." He stood with me and went to a family and entered upon them and asked them, but nothing was given to him. He came to the grave of a man and sat near it and said: "May Allah bestow mercy upon you! You used to do such and such (deeds of generosity). Today, I visited some people and asked them to pay the spendings of a born child, but they gave me nothing." He stood up, brought out a Dinar and divided it into two halves, and gave me one and took the other. He said to me: "This is a debt you owe until Allah opens (the gates of sustenance) for you." I took it and went away, and remedied with it what I was able to remedy.

On that night, the man (who gave half the Dinar to me) saw in a dream the deceased inhabitant of that grave, who said to him: "I have heard all that you said, and I could give no answer to you. but anyway, go to my house, and tell my sons to dig in the place of the oven and extract a parcel containing five hundred Dinars: carry it to that man." When it was the next day, he went to the house of the deceased and related the story to his family. They told him to sit and they dug the place and extracted the parcel of Dinars. They brought it and placed it in front of him. He said: "This is your property, and I have no right to take it." they said: "Should he give out of bounteousness while he is dead and we do not do while we are living?" when they insisted, he carried the parcel of Dinars to the parent of the born child, and related the story to him. He took from it only a Dinar which he divided into two halves, and gave him back the one he had given as a loan, and took the other and said: "This is sufficient for me." He gave the remaining in charity to the poor. In his comment on that,

Abu Sa'id (the narrator) said: "I don't know which of them is more bounteous."

It is reported that when Ash-Shafi'i, "may Allah have mercy upon him" fell fatally ill in Egypt, he said: "Tell so and so to wash my dead body." When he died and the news of his death reached him, he came and said: "Bring me his reminder." He looked at it and behold! Ash-Shafi'i was owing seventy thousand Dirhams, which the man recorded on himself, and repaid it on his behalf and said: "This is my washing of his dead body." Abu Sa'id said: "When I came to Egypt, I asked about the house of that man, and was guided to it. I saw some of his grandsons and visited them and found the traces of good in them. I said (to myself): "The traces of his good have reached them, and the effect of his blessing have appeared on them." I quoted the statement of Allah Almighty in this respect: " their father had been a righteous man." (Al-Kahf 82)

﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴿٨٢﴾ ﴾

Ash-Shafi'i "may Allah have mercy upon him" said: "I still love Hammad Ibn Abu Sulaiman for a particular thing I have been informed that he did: Once, he was riding his donkey when one of his buttons was cut off. He went to the tailor and asked him to sew it. When he liked to dismount the tailor said to him: "By Allah, you would not dismount." He sewed it while he was riding. When he finished, he brought out a parcel containing ten Dinars which he handed over to the tailor and apologized to him for regarding it very little."

It is reported on the authority of Ar-Rabie Ibn Sulaiman that he said: A man caught hold of the stirrup of Ash-Shafi'i "may Allah have mercy upon him" thereupon he said to me: "O Rabie! Give him four Dinars and apologize to him on my behalf for they are very little." According to Ar-Rabie once again: I heard Al-Humaidi saying: "Ash-Shafi'i "may Allah have mercy upon him" came from San'a to Mecca with ten thousand Dinars. He pitched his tent outside Mecca and spread the Dinars over his garment, and went on giving every passer-by a handful of that until when it was time for him to offer Zhuhr prayer, he shook off the garment which was empty."

It is reported on the authority of Abu Thawr that he said: "Ash-Shafi'i "may Allah have mercy upon him" intended to go to Mecca with a great wealth, and he could hardly save money in his hand because of his openhandedness, thereupon I said to him: "Would that you buy a landed property to be for you and your children after you!" he then came out and when he returned I asked him about the wealth, thereupon he said: "I have found no landed property fitting for me to buy in Mecca, for most of them were made endowments. But ii built in Mina dwellings for our companions when they perform Hajj to stay in them." On that he recited the following two poetic verses: "I see myself desirous for things which are beyond the reach of my wealth. My soul does not submit to me to withhold money, and my wealth does not enable me to do what I like to do."

It is narrated on the authority of Muhammad Ibn Abbad Al-Muhallabi that he said: "My father entered upon Al-Ma'mun who gave him as a gift one hundred thousand Dirhams. When he came out he gave all of them in charity. Having learnt that, Al-Ma'mun blamed him when he returned to him once again. On that

he said to him: "O Commander of Believers! To withhold what is available means that you have bad assumption of (Allah) the worshipped." Then, he gave him a further one hundred thousand Dirhams."

It is reported that a man entered upon Sa'id Ibn Al-As and begged something from him, thereupon he commanded that one hundred thousand Dirhams be given to him. The man went on weeping, and Sa'id asked him about the cause of his weeping, thereupon he said: "I weep for the earth to eat up the one who is like you." he commanded that another one hundred thousand Dirhams be given to him.

It is reported that Talhah owed fifty thousand Dirhams to Uthman "Allah be pleased with them". One day, Uthman came out to the mosque to whom Talhah said: "Your money has become ready, so, take it." on that he said: "It is for you O Abu Muhammad, to help you on your valor." Su'dah Bint Awf said: I entered upon Talhah and found him in anxiety. I asked him about the reason and he said: "I have much property which aggrieves me." I said: "What does aggrieve you? invite your people (and distribute it among them." He said: "O slave! Invite to me my people!" he then distributed it among them. I asked the servant: "How much was it?" He said: "Four hundred thousand." A man entered upon Talhah "Allah be pleased with him" and begged something from him by the right of his kinship, thereupon Talhah said to him: "None has ever asked me by the right of this kinship before you. I have apiece of land for which Uthman "Allah be pleased with him" offered to give me three hundred thousand Dirhams. Take it if you so like, otherwise, let me sell it to Uthman and give you the price." He favored the price, thereupon he sold it to Uthman and gave its price to the man.

It is said that Ali "Allah be pleased with him" wept one day and when he was asked about the reason he said: "I have received no guest for seven years, and I fear Allah might have humiliated me." It is reported that a man went to his friend and knocked the door of his house, and when he opened the door for him and asked him about the reason for his visit, he said: "I owe a debt of four hundred Dirhams." He weighed and gave it to him. Then, he went on weeping. His wife asked him: "Why have you given him since it was difficult upon you?" on that he said: "I weep because I have not inspected his state and waited until he became in need."

May Allah bestow mercy upon those who have such characteristics of generosity and bounteousness, and forgive for them their sins.

CHAPTER EIGHT

EXPOSITION OF CONDEMNATION OF NIGGARDLINESS

Allah Almighty says: " And those saved from the covetousness of their own souls; they are the ones that achieve prosperity." (Al-Hashr 9)

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾

He also says: "And let not those who covetously withhold of the gifts which Allah has given them of His Grace, think that it is good for them: nay, it will be the worse for them; soon shall the things which they covetously withheld be tied to their necks like a twisted collar, on the Day of Judgment. To Allah belongs the

heritage of the heavens and the earth; and Allah is well-acquainted with all that you do." (Al Imran 180)

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾

He says too: "(Nor) those who are niggardly, or enjoin niggardliness on others, or hide the bounties which Allah has bestowed on them; for We have prepared, for those who resist faith, a punishment that steeps them in contempt." (An-Nisa 37)

﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ ﴾

There are many Prophetic narrations, of which a mention may be made of the following:

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Beware of niggardliness, for it ruined those who were before you, and forced them to shed the blood of each other, and made lawful their taboos." (This narration is reported by Muslim on the authority of Jabir). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Beware of niggardliness, for it invited those who were before you to shed the blood of each other and they did accordingly, invited them to make lawful their taboos and they did accordingly, and invited them to sever relations with each other, and they did accordingly." (This narration is reported by Al-Hakim on the authority of Abu Hurairah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No niggard, nor a deceptive nor a betrayer, nor a person who makes reminder of generosity shall enter the Garden." (This narration is reported by Ahmad and At-Tirmidhi on the authority of Abu Bakr). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "There are three destructives: niggardliness that is obeyed, an inclination that is followed, and self-vanity." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, Allah Almighty dislikes three: the old man who commits adultery, the niggard who makes reminder of his generosity, and the poor who is arrogant." (This is reported by At-Tabarani on the authority of Ali).

The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The example of a miser and an almsgiver is like the example of two persons wearing iron cloaks." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "The example of an almsgiver and a miser is like the example of two persons who have two iron cloaks on them from their breasts to their collar bones, and when the almsgiver wants to give in charity, the cloak becomes capacious till it covers his whole body to such an extent that it hides his fingertips and covers his footprints (obliterates his tracks). And when the miser wants to spend, it (the iron cloak) sticks and every ring gets stuck to its place and he tries to widen it, but it did not become wide." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Abu Hurairah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Two characteristics never gather in a faithful believer: niggardliness and bad manners." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Abu Sa'id). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said (by way of supplication): "O Allah! I seek refuge with You from niggardliness, and I seek refuge with You from cowardice, and I seek refuge with You from being sent back to the geriatric age." (This narration is reported by Al-Bukhari on the authority of Sa'd). the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Beware of injustice, for injustice will be darkness on the Day of Judgement. Beware of profanity for Allah Almighty never likes the profane or the disrespectful. Beware of niggardliness for it was niggardliness that ruined those who were before you: it enticed them to lie and they lied, to do injustice and they did injustice, and to sever relations with each other and they did accordingly." (This narration is reported by Al-Hakim and Abu Dawud on the authority of Abdullah Ibn Amr; and Muslim on the authority of Jabir).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The worst of characteristics a man has is niggardliness with fearfulness, and cowardice with weakness." (This narration is reported by Abu Dawud on the authority of Jabir). Once, a person fell as a martyr during the lifetime of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and a woman wept on him crying: "O my martyr!" On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "What makes you know that he is really a martyr? Perhaps he used to engage himself in what does not concern him, or withhold from his property what would not have decreased it." (This narration is reported by Abu Ya'li on the authority of Abu Hurairah; and Al-Baihaqi on the authority of Anas).

It is narrated on the authority of Jubair Ibn Mut'im "Allah be pleased with him" that he said: While we were in the company of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" with the people returning from Hunain, some Bedouins caught hold of The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" and started begging of him so much so that he had to stand under a (kind of thorny tree (i.e. Samurah) and his cloak was snatched away. The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" stopped and said: "Give me my cloak. If I had as many camels as these thorny trees, I would have distributed them amongst you and you will not find me a miser or a liar or a coward." (This is reported by Al-Bukhari).

Umar "Allah be pleased with him" said: Once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" distributed something among the people and I said: "Such and such a people were more entitled to it than those." On that he said: "They put me between two choices: either to beg me disrespectfully, or accuse me of niggardliness, and of a surety, I am not a niggard." (This narration is reported by Muslim). Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him" said: Two men entered upon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and asked him to give them the price of a camel

and he gave them two Dinars. When they came out they met Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" and they thanked the Prophet and said good words about him. Umar "Allah be pleased with him" entered upon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and greeted him and told him about what they had said. On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "But I have given so and so ten to one hundred Dinars, and he said no good word. One of you might beg me importunately even though he begs fire." Umar "Allah be pleased with him" said: "Then, why do you give them what is fire?" he said: "They insist on begging me and Allah Almighty rejects niggardliness for me." (This narration is reported by Ahmad, Abu Ya'li and Al-Bazzar).

It is narrated on the authority of Ibn Abbas "Allah be pleased with them" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Generosity stems from the generosity of Allah Almighty. So, be generous, perchance Allah would be generous to you. behold! Allah Almighty has created generosity and made it in the form of a man whose head is rooted in the stem of the tree of Tuba, and straightened some of its branches by the branches of the Farthest Lote-tree, and let the others hang down to the world: whoever catches hold of any branch of it will be admitted to the Garden. Behold! Bounteousness is out of faith, and (those of) faith will be in the Garden. On the other hand, He Almighty has created niggardliness from His displeasure and made it in the form of a man whose head is rooted in the stem of the tree of Zaqqum, and let some of its branches hang down to this world: whoever catches hold of any of its branches will be admitted to the fire. Behold! Niggardliness is out of disbelief, and (the men of) disbelief will be in the fire (of Hell)."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Bounteousness is a tree that produces its fruits in the Garden. For this reason, no one but a bounteous shall enter the Garden. On the other hand, niggardliness is a tree that produces its fruits in the fire. So, none but a niggard shall enter the fire." Abu Hurairah "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" asked the delegate of Banu Lihyan: "Who is your chief O Banu Lihyan?" they said: "Our chief is Al-Jadd Ibn Qais, except that he is a niggard." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Which disease is more chronic than niggardliness? But your chief is Amr Ibn Al-Jamuh." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Ka'b Ibn Malik). According to another version, they said: "Our chief is Jadd Ibn Qais." He asked: "By which thing do you regard him your chief?" they said: "He is the wealthiest among us, except that niggardliness is seen from him." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Which disease is then more chronic than niggardliness? This is not your chief." They asked: "Then, who is our chief O Messenger of Allah?" he said: "Your chief is Bishr Ibn Al-Bara'."

Ali "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing

and peace be upon him" said: "Verily, Allah dislikes him who is covetous during his lifetime, and bounteous only when death overtakes him." Abu Hurairah "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "An ignorant bounteous is dearer to Allah than a covetous worshipper." (This narration is reported by At-Tirmidhi). Abu Hurairah "Allah be pleased with him" further said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Both covetousness and faith never gather in the heart of a servant." (This narration is reported by An-Nasa'i). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Two characteristics never gather in a faithful believer: niggardliness and bad manners." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Abu Sa'id).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It is not fitting for a faithful believer to be covetous, nor to be coward." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Anyone among you might say that the sin of the covetous is more justifiable than that of the wrongdoer; and which wrongness is more grievous in the Sight of Allah than covetousness? Allah Almighty has sworn by His Honour, Magnificence and Majesty that neither a covetous nor a niggard shall enter the Garden."

It is reported that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was circumambulating the House and behold! There was a man hanging in the curtains of the Ka'bah, saying: "I beseech you (O Allah) by the sanctity of this House to forgive for me my sin." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "What is your sin? Describe it to me." He said: "It is too great to describe to you." he said: "Woe to you! is your sin greater or are the earths?" he said: "No, my sin is greater O Messenger of Allah." He said: is your sin greater or are the mountains?" he said: "No, my sin is greater O Messenger of Allah." He said: is your sin greater or are the seas and oceans?" he said: "No, my sin is greater O Messenger of Allah." He said: is your sin greater or are the heavens?" he said: "No, my sin is greater O Messenger of Allah." He said: is your sin greater or are the Throne (of Authority)?" he said: "No, my sin is greater O Messenger of Allah." He said: is your sin greater or is Allah?" he said: "No, Allah Almighty is greater and higher O Messenger of Allah." He said: "Woe to you! describe to me your sin." He said: "O Messenger of Allah! Although I am a wealthy, whenever a beggar comes to beg me, he seems as if he faces me with a flame of fire." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Keep away from me, and do not burn me with your fire. By Him Who has sent me with guidance and honour, were you to stand in between the Corner and Station (of Abraham) and keep praying for a million years, and wept so much until your tears turn into running rivers therewith you water the plants, and then die while you are cunning (i.e. niggard), Allah Almighty would throw you prone on your face into the fire (of Hell). Woe to you! have you not learnt that niggardliness is disbelief, and that people of disbelief would be in the fire? Woe to you! have you not learnt that Allah Almighty says: " Behold, you are those invited to spend (of your substance) in the Way of Allah: but among you

are some that are niggardly. But any who are niggardly are so at the expense of their own souls. But Allah is free of all wants, and it is you that are needy." (Muhammad 38)

﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴿٣٨﴾ ﴾

And: "And those saved from the covetousness of their own souls; they are the ones that achieve prosperity." (Al-Hashr 9)

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾

From among the sayings and traditions, a mention may be made of the following:

Ibn Abbas "Allah be pleased with them" said: "When Allah Almighty created the Garden of Eden, he told it to get adorned, and it did accordingly. Then, He told it to demonstrate its rivers, and it demonstrated the spring of Salsabil, the spring of camphor, and the spring of Tasnim, from which there burst into the Gardens the rivers of wine, honey and milk. Then, He told it to show its thrones, chairs, suites, ornaments, and the beautiful women with big lustrious eyes, , and it did. He looked at it and told it to speak, and it said: "Blessed be he who shall enter me." On that Allah Almighty said: "By My Honour and Power, I shall cause no niggard to inhabit you."

According to Umm Al-Banin, sister of Umar Ibn Abd-Al-Aziz: "Fi to the niggard! Had niggardliness been a shirt, I would not have put it on, and had it been a way, I would not have followed it." according to Talhah Ibn Ubaidullah "Allah be pleased with him": "We feel regarding our wealth what niggards feel, but we persevere and keep patient (and expect the reward from Allah)." According to Muhammad Ibn Al-Munkadir: It was said: "If Allah Almighty intends evil for a people, He causes the worst of them to be their chiefs, and makes their sustenance in the hands of the niggard among them." According to Ali "Allah be pleased with him": "A severe time will come upon the people in which the rich among them would have a strong grip on what is in his hand, although he has not commanded to do so. Allah Almighty said: " and do not forget liberality between yourselves. For Allah sees well all that you do." (Al-Baqarah 237)

﴿ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ ﴾

According to Abdullah Ibn Amr "Allah be pleased with them": "Covetousness is more grievous than niggardliness. For the covetous is he who covets of what is in the hand of another until he takes it and then withholds what he has; and the niggard is he who withholds what he has." According to Ash-Sha'bi: "I do not know which of both shall go farther in the fire of Hell: the niggard or the liar." It is said that the Indian sage and the Roman philosopher came to visit the Persian king Anushirvan. The Indian sage was required to speak and he said: "The best of people is he who is seen bounteous, reverent at the time of anger, deliberate in his speech, humble when he is elevated, and compassionate towards every one fitting for mercy."

The Roman philosopher said: "He, who is niggard and his property, is taken by his enemy, and he does not give thanks as much as it should be, will not be successful. Of a surety, the liars are blameworthy, and the talebearers die as poor, and whoever shows no mercy to others, is placed under the control of him who is merciless."

In his comment on the following statement of Allah Almighty: "We have put yokes round their necks right up to their chins, so that their heads are forced up (and they cannot see)" (Ya Sin 8)

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ ﴾

Ad-Dahhak said: "It refers to niggardliness. Allah Almighty has held back their hands from spending in the Cause of Allah, and thus they see no guidance." According to Ka'b: "Every morning, two angels are entrusted to man, and one of them says: "O Allah! Hasten on to destroy the wealth of him who withholds from spending" and the other says: "O Allah! Hasten on to compensate him who spends his property." Al-Asma'i aid: I heard a Bedouin describing a man saying: "He has become trivial in my sight since the world became great in his sight, to the extent that he regards the beggar like the angel of death when he comes to him."

According to Abu Hanifah "may Allah have mercy upon him": "I think I could not regard as just a niggard, for niggardliness forces him to seek to take what is beyond his due for fear of being wronged. So, whoever is like this could not be trustworthy." According to Ali "Allah be pleased with him": "By Allah, no generous seeks to take even what is due to him. Allah Almighty says: " he confirmed part thereof and repudiated a part." (At-Tahrim 3)

﴿ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ﴿٣﴾ ﴾

Bishr Ibn Al-Harith said: "It is not sinful to backbite a niggard. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "You are then indeed a niggard."" Once, a woman is praised in presence of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" as having the habit of fasting by day and standing at night for supererogatory prayers, except that she was stingy. On that he said: "Where is her good then?" .

Bishr said: "Looking at the niggard hardens hearts, and meeting niggards causes distress to the faithful believers." According to Yahya Ibn Mu'adh: "The heart could but love the bounteous no matter disobedient they might be; and it could but dislike the niggards, no matter obedient they might be." According to Ibn Al-Mu'tazz: "The one who withholds his wealth most among the people is he who gives out his honour generously most among them." Yahya Ibn Zakariyya "Allah be pleased with them" met Iblis in his real form and asked him: "O Iblis! Tell me about the dearest of people to you and the most hateful of them to you." he said: "The dearest of people to me is the stingy believer; and the most hateful of them to me is the bounteous wicked." He asked him about the reason, thereupon he said: "Because the niggard has sufficed me with his niggardliness. As regards the bounteous wicked, there is fear that Allah Almighty might regard his bounteousness, and then admit him." Then, he

turned back saying: "Had it not been for the fact that you are Yahya, I would not have told you."

CHAPTER NINE: STORIES ABOUT NIGGARDS

It is reported that in Basrah, there was a rich stingy man. One of his neighbours invited him to a meal of eggs mixed with butter, from which he ate so much excessively, and then drank a great quantity of water until his abdomen got swollen, and he suffered severe pain and became at the threshold of death. The physician visited him and asked him to vomit what he had eaten, thereupon he said: "Do you like me to vomit eggs mixed with butter? Death is dearer to me than that."

It is reported that a Bedouin came to visit a man who was eating figs, and when he sensed him he covered the figs with his garment. Then, he asked the Bedouin: "Do you recite anything of the Qur'an perfectly?" he said: "Yes. Allah said: "By the olive and the mount of Sinai."" The man asked him: "Where is the fig?" he said: "it is underneath your garment."

A man invited his brother to his house and served him with no food until afternoon. The guest became so much hungry to the extent of turning mad. The host took the 'Ud and said to him: "Tell me, by my life: which song do you like me to sing for you?" he said: "The song of frying food."

It is reported that Muhammad Ibn Khalid Ibn Yahya Al-Barmaki was severely stingy. One of his relatives was required to describe his repast, and he told that it was almost empty void of any delicious kind of food. He asked him: "Who among the people attends it?" he said: "The honourable scribes (of deeds)." He said: "Then, who eats with him?" he said: "The flies." He said to him: "But I see that your privates are exposed, and your garment has much holes, although you are his relative." On that he said: "By Allah, I could not have a needle to sew it therewith. Were Muhammad to have a house lying from Baghdad to Nubia filled with needles, and were Gabriel and Michael, and even the Prophet Jacob to come to borrow from him a needle to sew the shirt of the Prophet Joseph which was torn from the back, he would not have done."

It is reported that Marwan Ibn Abu Hafs used not to eat flesh out of stinginess and niggardliness, barring the flesh of the heads, which he used to send his slave to buy it for him whenever an animal was slaughtered. He was asked: "We see that you eat but the flesh of heads at summer and winter: why do you favor it?" he said: ""Because I know well the price of the head exactly and the slave could not deceive me regarding it. Furthermore, it is not like the flesh that is to be cooked from which the cooker might eat without my knowledge. If he were to take an eye, an ear, or a part of the tongue, I would know it easily. It also represents different kinds of flesh to me: the eye, the ear, the tongue, and the flesh that covers the skull. Therefore, I am sufficed the cost of being cooked."

Once, he came out aiming at meeting Al-Mahdi, the caliph. His wife said to him: "What is my reward if you are given the gift?" he said: "If I am given one hundred Dirhams, I would give you a Dirham thereof." He was given sixty thousand Dirhams from which he gave her only four Daniqs." On another occasion, he bought meat for a Dirham, and then he was invited to a meal by one

of his friends. On that he returned the meat to the butcher and lost a Daniq from the payment, and said: "It is out of extravagance to eat meat."

It is reported that Al-A'mash had a neighbour who invited him pressingly to visit him for a meal of bread and salt. At last, Al-A'mash, out of his anger, agreed and entered his house. He served him with bread and salt. Then a beggar came and asked for something, and the house lord said to him: "May Allah bless you." He asked him for the second time and the man said the same. In the third time, the man said to him: "You should go, otherwise I would come out to strike you with the stick." On that Al-A'mash said to him: "You should go, for by Allah, I have never seen a man more true to his word than him. For a long time, He have been inviting me to a meal of bread and salt, and when I came, he added nothing to that."

CHAPTER TEN
EXPOSITION OF ALTRUISM AND ITS EXCELLENCE

It should be known that each of bounteousness and niggardliness is divided into many levels, and the highest level of bounteousness is altruism, which is that one gives out his money although he is in need of it. Bounteousness in itself is to give out money without being in need of it, to such of men as is or is not in need of it. To be sure, to give out with need is more severe. As well as bounteousness could reach to a level at which one gives his money to another although he is in need of it, niggardliness might also reach a level at which one withholds from himself, although he is in dire need. How many a niggard who withholds money to the extent that when he falls ill, he does not buy the treatment, and when he has any desire, he does not satisfy it so long as he is to afford for it, and were he to find it for free, surely, he would get it. This niggard withholds money from himself although he is in need of it, in contrast with the bounteous who gives out his money although he is in need of it. However, the morals are gifts given by Allah Almighty to whomever He likes.

There is no level higher than altruism in bounteousness. For this reason, Allah Almighty praised the companions "May Allah be pleased with them" when He said: " but give them preference over themselves, even though poverty was their (own lot)." (Al-Hashr 9)

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴿٩﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever of people has a desire which he suppresses and rather gives another person preference over him, his sins will be forgiven." (This narration is reported by Ibn Hibban and Abu Ash-Shaikh on the authority of Ibn Umar). A'ishah "Allah be pleased with her" said: "The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" never ate his fill for three consecutive days until he died; and had we liked, we would have been able to eat our fill, but rather we used to give others preference over ourselves." (This narration is reported by Al-Baihaqi).

It is narrated in both Sahihs on the authority of Abu Hurairah: A man came to The Prophet "PEACE BE UPON HIM", and told him that he was suffering from a severe hunger. The Prophet "PEACE BE UPON HIM" sent a messenger

to his wives (to bring something for that man to eat) but they said that they had nothing except water. Then Allah's Apostle "PEACE BE UPON HIM" said: "Who will take this (person) or entertain him as a guest?" An Ansari man said: "I will do." So he took him to his wife and said to her: "Entertain generously the guest of Allah's Apostle "PEACE BE UPON HIM"." She said: "We have got nothing except the meals of my children." He said: "Prepare your meal, light your lamp and let your children sleep if they ask for supper." So she prepared her meal, lighted her lamp and made her children sleep, and then stood up pretending to mend her lamp, but she put it off. Then both of them pretended to be eating, but they really went to bed hungry. In the morning the Ansari went to Allah's Apostle "PEACE BE UPON HIM" who said: "Tonight Allah laughed or wondered at your action." Then Allah revealed: "But give them preference over themselves, even though poverty was their (own lot)." (Al-Hashr 9)

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

Bounteousness is one of the morals that belongs to Allah Almighty, and altruism is its highest level. This was a part of the good manners of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and this is why Allah Almighty described him as great in His statement: " And you (stand) on an exalted standard of character." (Al-Qalam 4)

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

Abdullah Ibn Sahl At-Tastari said: Moses "peace be upon him" said to his Lord: "O Lord! Let me see one of the degrees given to Muhammad "peace be upon him" and his nation." He said: "O Moses! You would not endure it. But anyway, I would show you only a great glorious position therewith I preferred him to you as well as to all of My creatures." He uncovered to him the dominion of the heavens and he saw a position which was so much great that he was about to be damaged, as a result of its glorious lights and nearness to Allah Almighty. He asked: "O Lord! With which thing have You raised him up to that honour?" He said: "With a character with which I have favored him apart from all the people. I mean altruism. O Moses! None comes to me, having acted upon it even for a part of his lifetime but that I would feel shy of calling him to account, and let him occupy in my Garden wherever he likes."

It is reported that Abdullah Ibn Ja'far went to his landed property and came upon an enclosed garden of date palms belonging to a people, and there was a black slave working in it. When the slave received his sustenance, a hungry dog entered the enclosed garden and came closer to the slave, who, in turn, threw a loaf of bread and it ate it. Then, he threw to it another one and it ate it. Then, he threw the third one and it ate it. He did so while Abdullah was looking at him. He asked him: "O slave! How much is your daily sustenance?" he said: "Only what you have seen." He asked him: "Then, why have you given that dog preference over you with it?" he said: "This is not a land of dogs. But this dog has come from a far distance while being hungry, and I disliked to eat my fill and it remains hungry." He asked him: "Then, what are you going to do today?" he said: "I am going to leave my stomach empty that day." Abdullah said: "Should I be blamed

for my bounteousness, given that this slave is more bounteous than me?" he bought the enclosed garden with its slave and equipment, emancipated the slave, and granted the garden to him.

Once, a man presented to Umar "Allah be pleased with him" the head (of a slaughtered animal) as a gift thereupon Umar said: "My brother so and so is in need of it more than me." He sent it to him, and the latter said the same and sent it to a third, and so on until the head continued to be moved among seven families and in the end, it returned to the first one (who gave it).

When Ali Ibn Abu Talib "Allah be pleased with him" spent the night on the bed of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" (on the day the polytheists conspired to kill him), Allah Almighty revealed to Gabriel and Michael "peace be upon them" that "I have made a bond of brotherhood between you, and given one of you a longer life than the other: so, who of you would give preference to his brother with his life over himself?" both chose and loved the life, thereupon Allah Almighty revealed to them: "Do you not have a good example in Ali Ibn Abu Talib? I have made a bond of brotherhood between him and my Prophet Muhammad "peace be upon him" thereupon he spent the night on his bed in order to sacrifice his life for him, and give him preference over himself. Descend then to the earth in order to safeguard himself from his enemies." Gabriel kept standing by his head, and Michael by his feet, and Gabriel was saying: "Well done Ibn Abu Talib! Allah Almighty commends you in the presence of the angels." On that occasion, Allah Almighty revealed: " And there is the type of man who gives his life to earn the pleasure of Allah; and Allah is full of kindness to (His) devotees." (Al-Baqarah 207)

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾

It is reported that over thirty persons gathered in the house of Abu Al-Hassan Al-Antaki in a village near Rayy, and there were only a limited number of loaves, which could not satisfy them all. They then fragmented them and extinguished the lamp, and sat to have their meal, and when it was lifted, behold! The food was the same since it had not been touched by anyone, for each of them gave the others preference over himself. It is reported that once, Shu'bah was visited by a beggar but he had nothing to give him. On that he took off a piece of wood from the ceiling of the house and gave it to him, and apologized to him (for he had nothing to serve him with)."

It is reported on the authority of Hudhaifah Al-Adawi that he said: "On the day of the battle of Yarmuk, I set out in search for a paternal cousin of mine, and I had some water. I said to myself: "If he is still alive, I would water him, and wash his face therewith." I found him and asked him whether he needed water, and he beckoned to me in the affirmative. But another person said: "Ah!" my paternal cousin beckoned me to go to water that man. I went to him and behold! He was Hisham Ibn Al-As. I said to him: "Would I water you?" a third person heard us and said: "Ah!" Hisham beckoned to me to go to water that man. I went to him and behold! He had died. I returned to Hisham and he had died. I returned to my paternal cousin, and he also had died: may Allah bestow mercy

upon all of them."

According to Abbas Ibn Dihqan: "None has ever come out of this world in the very state in which he entered it like Bishr Ibn Al-Harith. During his fatal illness, a man came to him and made a complaint of his need, thereupon he took off his shirt and gave it to him, and borrowed a garment in which he died.

It is reported on the authority of a Sufi that he said: "We gathered with the intention to set out for Jihad. We came out through the gate of Jihad and a dog from the town followed us. When we walked a little, behold! We saw a dead beast. We ascended a hillock land and sat there. Looked at the dead animal, the dog returned to the town and came back with twenty dogs, which went on eating of the dead animals until they finished it, while the dog was looking at them, but did not take part with them. Only the bones remained, and it was not before the dogs returned to the town that the dog started to eat of the remaining bones. Then, it turned away.

However, we have related a set of stories about altruism and states of saints in the Book of Poverty and Asceticism. So, there is no need to repeat them here; and it is by Allah that success is obtained, and on Him we should rely.

CHAPTER ELEVEN

EXPOSITION OF DEFINITION AND REAL NATURE OF BOUNTEOUSNESS AND NIGGARDLINESS

You may say that through the proofs of Sharia, it is learnt that niggardliness is among the destructives: but what is its definition, and with which thing man becomes a niggard? No man sees himself but a bounteous, although he might be seen as a niggard by others. One might do a thing in which people are different: some render it as an act of niggardliness, and others do not regard it so. People could hardly be free from having love for wealth, for which he safeguards and withholds money; and once he withholds it, he becomes a niggard. In this way, none could be far from niggardliness. If withholding in its own right does not lead to niggardliness, and niggardliness is of no significance without withholding, then, what is the kind of niggardliness, which brings about destruction? What is the definition of bounteousness with which one is described as bounteous, for which he receives reward?

In reply to that, let's say that some people are of the opinion that the definition of niggardliness is to withhold what is due upon the person to give; and thus, if one gives out what is due upon him to give, he is not a niggard. But even, this alone is not sufficient. He, who returns meat to a butcher or bread to a baker because of being a bit less than what is due, is a niggard, according to the consensus. He, who hands over to his dependents the amount of expenses enjoined upon him by the judge and then constricts upon them in a morsel or a date they might eat beyond what is due, is also a niggard. Similarly, he, who has a loaf of bread in front of him, and then is visited by him whom he thinks to share food with him, thereupon he hides the loaf from him, is, by all means, an evident niggard.

According to others, the niggard is he who regards it difficult upon himself to give a gift. But also, this alone is not sufficient for definition. If it is intended to

refer to any kind of gift, then, how many a niggard upon whom it is not difficult to give a little gift, like a grain, but no more. If it is intended to refer to some gifts on the exclusion of others, how many a bounteous to whom it is difficult to give particular gifts on the exclusion of others. For this reason, this should not be judged as a niggard.

As regards bounteousness, some say that it is to give, but without making reminder of generosity, and to relieve others immediately. Others say that it is to give others without waiting for them to beg. It is also said that bounteousness is to be pleased with the beggar and joyful of giving a gift, as much as it could be. It is further said that bounteousness is to give for the Sake of Allah Almighty: since a servant belongs to Allah Almighty, he gives from the property of Allah Almighty, giving no importance to poverty or destitution. It is said that whoever gives some and keeps some, is bounteous, and whoever gives the greater portion and keeps the least portion for himself, is generous, and whoever favors to suffer trouble in order to give another preference over himself, is altruistic, and whoever gives nothing is stingy.

But even, all of those statements does not encompass the real nature of generosity and niggardliness. Let's say that money is created for a particular wisdom and objective, i.e. its fit to fulfill the needs of people. It might be withheld from being spent on that for which it is created, and it might be spent on that for which it is not created, and it might be disposed of with moderation, i.e. to be saved where it should be saved, and spent where it should be spent. Thus to withhold where you should spend is stinginess, and to spend where you should withhold is extravagance, and in between them there is a middle which is praiseworthy. It is in this middle that both generosity and bounteousness lie.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was commanded to be bounteous, and nothing else, as shown form the statement of Allah Almighty: " Make not your hand tied (like a niggard's) to your neck, nor stretch it forth to its utmost reach, so that you become blameworthy and destitute." (Al-Isra' 29)

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾

He Almighty further said: " Those who, when they spend, are not extravagant and not niggardly, but hold a just (balance) between those (extremes)." (Al-Furqan 67)

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾

Generosity then lies between extravagance and tightfistedness, between withholding and stretching the hand forth to the utmost reach. In other words, it is to determine his spending and withholding in accordance with what is due. But it is not sufficient for him to do so only with the organs unless his heart is well pleased with it. If one spends where he should spend, but his soul pulls him to withhold, and he resists it, he is not bounteous by nature in so much as he pretends to be bounteous. That is because one's heart should not be attached to wealth except in so much as to that for which it is created, i.e. where it is to be spent.

But you may say that this depends upon the knowledge of what is due to be spent. In reply to it, let me say that what is due is divided into two: what is due by religious law, and what is due out of valor and usage. The bounteous is he who withholds neither what is due by religious law, nor what is due out of valor and usage. If he withholds any of both, he is a niggard. But whoever withholds what is due by religious law is more stingy, like him who rejects to pay the due alms, or give the spending of his dependents, or gives it but with difficulty. Such is stingy by nature, although he pretends to be bounteous. A mention also may be made of him who points out the impure of his property to give, and is not pleased to give out of the good and lawful of his property: all of this is niggardliness.

As to what is due out of valor, it is not to constrict upon or disturb others in regard with the trivial and insignificant things: this is blameworthy. But blameworthiness here differs by the difference of states and persons. of a surety, what is rendered blameworthy from the wealthy is not rendered so from the poor, and what is rendered blameworthy from one with his family and dependents is not rendered so from him with anyone else, and what is rendered blameworthy from one with his neighbour is not rendered so from him with anyone else, and so is true of hospitality: what is rendered blameworthy concerning food is not rendered so concerning anything else, and what is rendered blameworthy in relation to buying a shroud, a sacrifice, or bread for charity, is not rendered so in relation to buying anything else.

The niggard then is he who withholds where he should not withhold, either by law or out of valor. But there is no specific amount to determine as a limit But we can say that niggardliness is to withhold money from a particular purpose, which is more important than to save it. To maintain religion is more important than to save money. Thus, the withholder of alms and spending is a niggard. To maintain valor is more important than to save money. Thus, to constrict upon others in the trivial things improperly disgraces the valor for the sake of his love for property. Thus, he is a niggard.

There is another level, i.e. that a man fulfills what is due upon him, either by law or out of valor. But at the same time, he has much property, which he does not spend in the different aspects of charity, and on the needy among the people. In this way, the purpose of saving wealth in order to help him confront the calamities of time in this world, is counteracted by the purpose of receiving reward, which is to raise him in degree in the hereafter. To withhold money from that latter purpose is niggardliness in the sight of the intelligent among the people and not so in the sight of the laymen. That is because the laymen's sight is restricted to the transitory fortunes of this world. They regard as of great importance to withhold money in order to avert therewith the disasters and afflictions of time in this world. A layman also might seem stingy when he has an indigent neighbour whom he does not give, under pretext that he had paid the due alms. But this, as we have mentioned, differs by the difference of the amount of money each of them has, and the extent to which the needy is in need of sustenance, righteous and eligible. Whoever fulfills what is due upon

him either by law or out of valor, as it is fitting for him, becomes free from niggardliness. But by no means would he be described as bounteous and generous unless he gives out what is beyond that, in search for excellence and high rank.

If he is pleased to spend beyond what is obligatory by law and valor, in a way that makes him blameless, he will be generous and bounteous as much as he is pleased to spend. The levels therein are countless, and some people are more bounteous and generous than others. That is because doing favor beyond what is obligatory by usage and valor is out of bounteousness and generosity, provided that it is done with good pleasure, and not for the sake of any kind of interest, like seeking reward, service, or thanks, for such of people as covets of thanks and praise is a seller of favor and not a generous or bounteous person. That is because he buys praise with his wealth, and praise is delicious, and it is in itself intended, unlike generosity, which is to give out without compensation.

This is the real nature of generosity; and it is not expected in its reality but from Allah Almighty. In regard to mankind, he is described as generous or bounteous by way of allegory and not reality. That is because he gives out nothing without a particular purpose to be expected. But in case his purpose is to receive reward in the hereafter, or to obtain the excellence of generosity, and purify himself from the vice of niggardliness, he then is generous. If he is prompted by his fear of being lampooned, or becoming an object of blame of people, or by an interest or a benefit he expects from the beneficiary, he is not generous nor bounteous, for he is forced to give out by necessity of those motives, which are encouraging compensations.

In confirmation of that, it is reported that a worshipping woman stood by the side of Hibban Ibn Hilal who was sitting among his companions and said: "Is there anyone of you to ask about something?" they said: "Ask about what you like." They referred to Hibban Ibn Hilal. She asked: "What is bounteousness in your sight?" they said: "It is to give out and spend and adhere to altruism." She said: "This is bounteousness in this world: what is bounteousness in the religion?" they said: "It is to worship Allah Almighty with good pleasure, and not under compulsion." She asked: "Then, do you expect reward for that?" they said: "Yes." She said: "Why?" they said: "Because Allah Almighty has promised to give us by each good deed as much as ten times the like of it." On that she said: "Glory be to Allah! If you give only one act and take ten times the like of it, with which thing do you regard yourself bounteous?" they asked her: "Then, what is bounteousness in your sight, may Allah bestow mercy upon you?" she said: "Bounteousness is to worship Allah with good pleasure and delight with obeying Him, and not under compulsion, and expect no reward for that, and rather leave yourselves to your Lord to do with you what He likes. Do you not feel shy of Allah Almighty that He would look at your hearts and know that you seek a thing in return for a thing? This is evidently odious in this world."

Another worshipping woman said: "Do you regard bounteousness in Dirham and money?" they asked: "Then, in which thing else?" she said: "In the souls." According to Al-Muhasibi: "Bounteousness in religion is to give out yourself and

fret it for the Sake of Allah Almighty; and your heart is generous by giving out yourself and shedding your blood for the Sake of Allah Almighty, with good pleasure, and not under compulsion, expecting no transitory nor deferred reward, even though you could hardly dispense with reward: but it becomes close to your certainty that to make perfect your bounteousness and generosity, you should leave the matter of choice to Allah Almighty, to do with yourself what you could not do well to it."

CHAPTER TWELVE
EXPOSITION OF TREATMENT OF NIGGARDLINESS

It should be known that niggardliness results from the love for wealth. There are two causes of loving wealth: one is the love for desires, which could not be attained except by money, besides the long-lived hope. If one is to know that he will die a day or a few days later, perhaps he would not withhold his money, for the amount he needs during that short period is not much. But if his hope is short-lived and at the same time, he has children, his children take the place of his long-lived hope, for he regards their survival as a continuation of his own survival, and this is why he withholds money. This is why the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The child causes (his parent) to be stingy, coward and ignorant." (This narration is reported by Ibn Majah on the authority of Ya'li Ibn Murrah'; and Abu Ya'li and Al-Bazzar on the authority of Abu Sa'id). If to that is added the fear of poverty and lack of confidence of the coming of sustenance, inevitably, niggardliness becomes stronger.

The second cause is to have love for the money in its own right. How many a person who has of money what is sufficient for his spending during his entire lifetime, in addition to more extra, given that he is an old man with no descendants. But in spite of that, he is not pleased to give out alms, or even to treat himself when he falls ill. That is because he has come to love Dinars and Dirhams, and adore them and be delightful with their presence in his hand. Thus, he hoards them under the ground, and knows that he is to die inevitably, and somebody else is to take it after him, and this one might be his enemy. But even, he is not pleased to eat thereof or give in charity anything out of it, even as little as a grain. This is one of the heart diseases, which is too difficult to treat, particularly during the old age. It is a chronic disease whose medicine is not expected.

The example of such a niggard is like a man who loves another person, but he engages in the messenger of his beloved, with whom he forgets his real beloved, and gradually, he comes to love the messenger instead of the beloved. To be sure, Dinars and Dirhams are no more than a messenger through which one's needs are attained, and this is why they are loved; and this is because what makes the beloved accessible is beloved in itself. At a later stage, the needs themselves are forgotten, and gold turns to be beloved in itself. But this is the greatest error. It is the ignorant who sees difference between gold and stone except in so much as being a means to fulfill the needs. But what is beyond his needs and the stone are in the same position.

Those are the causes of loving wealth. Each of them should be treated by its

opposite. Love for desires is treated by contentment with and keeping patient on the little. The long-lived hope is treated by remembering death so often, and taking lessons from the death of one's fellows, and their severe trouble in gathering wealth and its loss or going after them to somebody else. One's care about his child is treated by the faith in the fact that when his Creator has created him, He also has created his sustenance with him. How many a child who inherited nothing form his father, but his state is much better than him who inherited. He also should know that although he gathers wealth in order to leave his child in good, he himself, by so doing, would go to evil. Moreover, if his child is pious and righteous, Allah Almighty will not forget him; and if he is wicked and disobedient, he might use the wealth he has left for him in his wickedness, and the evil consequence of that will return to him.

Moreover, he should treat his heart by reflecting so often the narrations and stories pertaining to the condemnation of niggardliness, and praise of bounteousness, and Allah's threat to punish for niggardliness. One of the great medicines is to meditate the states of the niggards, and people's aversion towards them, for there is no niggard but that his stinginess is seen by others as odious; and once he becomes a niggard, he knows that he will be odious and hateful in the hearts and sights of all the people, like the other niggards. His heart is treated also by thinking about the real purposes of money for which it is created. Having learnt so, he would not save from money except as much as suffices his needs, and save the remnant for himself in the hereafter, i.e. to give it in charity in expectation for the reward.

Those medicines result from his knowledge and work simultaneously. If he knows by the light of his insight that spending is much better for him than withholding in both the world and the hereafter, he will be prompted to spend, particularly if he is of sound mind. He should not cease to spend for Satan always frightens him of poverty, and keeps him off spending. It is reported that Abu Al-Hassan Al-Bushanji was one day in the privy when he called his pupil and asked him to take off his shirt to give it to so and so in charity. His pupil said to him: "Would you not wait until you come out of the privy?" he said: "I do not feel secure of changing my mind, and a thought had already occurred to my mind to give it in charity."

However, the niggardliness could not disappear unless one forces himself to do so, just as adoration could not be removed unless one travels and becomes far from the residence of the beloved. The long time he spends abroad consoles his heart and helps it forget him. Similarly, he, who likes to treat niggardliness, should leave wealth, by giving it out. Furthermore, if he is to throw it into the sea, it will be much better for him than to withhold it, out of love for it. One of the nice tricks is to deceive himself by good reputation of spending, in order to be seen of men, thereby he removes from himself the impurity of niggardliness and rather obtains the impurity of showing off. However, later on, he could turn to remove dissimilation. In this way, seeking a good reputation is like the thing by which he consoles himself, when it is weaned from wealth, just as a baby is consoled when he is weaned from his

mother's breast by playing with birds, not for the sake of playing in itself, but in order to be engaged from breast by it and later on he might be diverted from it to anything else.

It is in that way that the vicious qualities should be directed over each other, as appetence is directed over anger in order to break it, and anger is directed over appetence in order to curb it. But this treatment is beneficial for him in whom niggardliness prevails the power of authority and showing off. If the power of authority is important to him like wealth, then, it will be of no benefit, for he will give up a vice to strengthen another. The sign of that is that it is not difficult upon him to spend for the sake of showing off, in which case, dissimilation prevails in him. If it is difficult upon him to spend for the sake of showing off, then, he should spend, for in this case, it is the disease of niggardliness that prevails in his heart.

The example of how the vicious qualities avert each other is like a dead body that is eaten by warms. Later, those warms turn to eat each other until they become less in number. They continue to eat each other until they are reduced to two strong warms, which fight each other until one of them eats the other and becomes fat. It remains alone hungry until it dies. Similarly, those vicious qualities might be directed over each other, and thus curbed, in such a way as to make the weak among them sustenance for the strong, until there remains only one, which it becomes easier upon him to remove through self-mortification, i.e. to withhold sustenance from it. To withhold sustenance from a quality is not to act in accordance with it. Any quality requires one to act upon it, and once it is opposed, it will die. Niggardliness, for instance, requires one to withhold money. If one does not withhold money, and rather starts to spend it even with difficulty at first, one by one, spending becomes natural, and niggardliness dies gradually.

To be sure, the treatment of niggardliness results from both knowledge and work. The knowledge is to learn the evil of niggardliness in contrast with the benefit of bounteousness; and the work is to adhere to generosity and bounteousness, and spend even by way of ostentation. But niggardliness might be too strong to hinder one from making sense to its evil. The desire to remove it will not be stimulated in absence of such knowledge, leaving the disease chronic. It is like the illness whose medicine is unknown. There is no way to treat it but to keep patient until death.

It was the habit of some Sufi sheikhs to treat the quality of niggardliness in their pupils by forbidding their assignments and specifications to them, or exchanging theirs for those of others; and if anyone of them was pleased with a new garment or carpet, it would be taken from him and given to another, and he would be given an old shabby one to which he might not be inclined. In this way, the heart forsakes the enjoyment of this world. Whoever does not follow that way will get affable to this world and its chattels. If they are taken from him, he will grieve as much as he loves it.

One day, a vessel of turquoise adorned with jewels the like of which had never been seen was given as a gift to a king, with which he became pleased. He

asked a sage who was with him about his opinion in it, thereupon he said: "I see that it is a cause of affliction or poverty." He asked him about the reason, and he said: "If it gets broken, it will not be repaired, and this is an affliction; and if it is stolen, you will be in need of it, and will not find the like of it; and before it was given to you, you were safe from such affliction and poverty." It happened that it got broken or was stolen one day, thereupon the king became very aggrieved. On that he said: "No doubt, the sage has told the truth. Would that it was not given to us!"

This is the case of all means and causes of this world. The world is an enemy to the enemies of Allah for it drives them to the fire of Hell; an enemy to the devotees of Allah, for it aggrieves them when they keep patient on giving it up; an enemy to Allah Almighty, for it cuts off His way on His servants; and an enemy to itself for it eats itself. Wealth could not be kept but in treasures and stores under the guardianship of guards, and those could not be obtained except by money. In this way, money eats itself and opposes itself until it perishes. Whoever knows the evil of money does not become affable to, nor pleased with it, nor does he take from it but as much as is sufficient for his need. Whoever is satisfied with the necessary amount that is sufficient for his need does not become stingy, for what is withheld for his need is not niggardliness. Therefore, he does not trouble himself to save what he needs not: on the contrary, he spends it, and in this way, money becomes like the water on the shore of a river, which the people do not withhold from anyone for they take from it only as much as is sufficient for their needs.

CHAPTER THIRTEEN
EXPOSITION OF MAN'S DUTIES REGARDING HIS WEALTH

It should be known to you that the wealth, as we have already described it, is good in some point and evil in some point. Its example is like a female-snake, which a physician might take and extract medicine therefrom, and a heedless might take and be killed by its poison unknowingly. But anyway, none could be free from the poison of wealth unless he observes five duties:

The first is to know the real purpose of money for which it is created, to need it only when it is earned, to save from it only as much as what is sufficient to fulfill the need, and to give no importance to it more than it deserves.

The second is to observe the sources of his income: in this issue, he should avoid the sources, which are entirely unlawful, or unlawful for the most part, like the property of rulers and governors. He should also avoid the undesirable sources, which contradict valor, like the gifts, which carry the suspicion of bribe, or begging which is not free from humiliation, and the like of those which tear the curtain of valor and modesty.

The third pertains to the extent to which he should earn of money: he should neither multiply, nor decrease it: but rather reduce himself to the necessary amount, which is sufficient to fulfill his need of food, clothes and residence. Each of those consists of three levels: the maximum, the minimum and the middle, which is the optimum. If one inclines to the little, and is close only to what is necessary, he is right; and if he goes beyond that, he falls in a

bottomless pit. We have already mentioned the details of those levels in the Book of Asceticism.

The fourth is to observe the way of exit, i.e. to spend moderately, and keep himself far from extravagance and tightfistedness. This is to spend what he lawfully earns properly, i.e. in its right places. That is because it is equally sinful to take it from unlawful sources, and spend it improperly.

The fifth is to have good intention whenever he takes, leaves, withholds and spends. He should take what he takes just to seek its aid to do the acts of worship, and leave what he leaves out of piety and asceticism. Once he does so, no harm shall befall him, no matter how much money he might have. This is the significance of the statement of Ali "Allah be pleased with him": "If one takes all what the earth contains therewith he intends the Countenance of Allah Almighty, he will be abstinent; and if one leaves all that the earth contains, therewith he does not intend the Countenance of Allah Almighty, he will not be abstinent."

Thus, all of your movements and motionlessness should be for the Sake of the Countenance of Allah Almighty, which you should restrict to worship or what helps you worship perfectly. However, although eating and fulfillment of sexual desires are the farthest from worship, at the same time, they help one do his acts of worship perfectly. If you direct your intention in them to such a goal, they would become acts of worship in their own right. This is the same intention you should have in all that keeps you, like clothes, sustenance, furniture, etc, for all of that is needed in religion; and what is beyond the necessary need should be intended to benefit another one of the servants of Allah Almighty. Whoever does so is like him who takes from the female-snake of wealth its medicine, and avoids its poison. Thus, the abundance of money causes no harm to him.

But none is granted such a high rank barring he, who is well-established and well-educated in religion. If a layman imitates a learned in multiplying wealth, under pretext that he resembles the rich among the companions "Allah be pleased with them", he then is like a boy who sees a physician taking a female-snake in order to extract its medicine, and, thinking that he takes it only because he regards it as beautiful and its skin as smooth, he imitates him and takes it, with the result that its poison kills him immediately. But there is difference between them: the one killed by a female-snake knows that he is a killed person, whereas the one killed by wealth does not know that he is a killed person. The world is likened to a female-snake which blows poison although its skin is smooth. As well as it is impossible for a blind to imitate a sighted in crossing the mountain tops, seas and the difficult and rough streets, it is also impossible for a layman to imitate a learned in dealing with wealth.

CHAPTER FOURTEEN

CONDEMNATION OF RICHNESS AND COMMENDATION OF POVERTY

It should be known to you that people are different as to whether the thankful rich is superior to the patient poor or vice versa. We have explained that in detail in the Book of Poverty and Asceticism. But in this book, our purpose is to confirm that poverty is much better and higher than richness in general, giving

no attention, at least now, to the detailed states of each, we are going to limit ourselves to relating a chapter written by Al-Harith Al-Muhasibi in one of his book in reply to a rich learned, who based his argument upon the rich among the companions, and the proliferation of the wealth of Abd-Ar-Rahman Ibn Awf "Allah be pleased with him" in particular, in an attempt to give himself resemblance to them. Al-Muhasibi was an encyclopedist and well-versed in the science of practical religion, in which he had precedence over all the nation's researchers in the field of self-defects and evils of works, in addition to the profound acts of worship. For this reason, his speech is worthy of being related without adaptation.

After his speech in reply to some evil learned, he said: "We have been reported on the authority of Jesus, son of Mary "peace be upon him" that he said: "O evil learned! You observe fasts, offer prayer and give in charity, but at the same time, you do not do what you are commanded to do, and study what you do not do. Evil is your judgement! You repents in words and hopes, and act in accordance with your inclinations. It is of no profit to you to clean your skin, and leave your hearts impure. Let me tell you the truth: do not be like the sifter, from which the pure and fine powder comes out, and only the rubbish remains in it. Similarly, you bring out wisdom from your mouths, and only hatred and rancor remain in your breasts. O slaves of this world! How could he attain success in the hereafter, whose desires of this world never die out? Let me tell you the truth: your hearts weep because of your deeds. You have put your world under the control of your tongues, and your deeds under your feet. Let me tell you the truth: you have corrupted your hereafter for the good of your world has become dearer to you than the good of your hereafter. Which people then are to lose more than you if you know? Woe to you! Until which time would you describe the way to the walkers and remain in the place of the confused people? It seems as if you invite the people of this world to leave it for you step by step. Woe to you! What could the lamp avail in the dark house if it is put on its surface, while the inside of it remains lonely and dark? Similarly, it is of no profit to give out the light of knowledge with your mouths, while your insides remain idle, lonely and dark. O slaves of this world! You are neither pious slaves, nor honourable free men. This world is about to uproot you, throw you prone on your faces and then on your nostrils, seize you by your forelocks because of your mistakes and sins, and then drive you from behind you until it hands you over to the King, as naked and individuals, Who, in turn, will show you your privates, and punish you for your evil deeds."

Then, Al-Harith "may Allah have mercy upon him" said: "O my brothers! Those are the evil learned, the devils of men who tempt people to do evil like them. they have desire in this world and its good things, which they give preference over the hereafter. They interpret religion to serve their worldly interests and affairs. In this way, they are put to shame and disgrace as regards their transitory fortunes, and in the hereafter they will be the losers, unless Allah Most Generous forgives out of His Bounty.

Coming to the point: I have seen that the pleasure of the ruined by this world

is mixed with embitterment, which results in different kinds of concerns and sins, and to destruction and perdition he will be given in the end. The ruined one rejoices at his hope, with the result that neither his world remains for him, nor does his religion become faultless. That is because he has lost both the world and the hereafter, and this is, to be sure, the evident loss. How grievous this affliction is, and how odious this calamity is! Behold! Observe Allah (in all of your deeds) O my brothers, and let not Satan and his devotees deceive you, using arguments which are refuted in the Sight of Allah Almighty. They compete over this world, under pretext of false excuses and arguments.

They claim that the companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" had wealth. In this way, those deceived adorn their attitudes with the mention of the companions "Allah be pleased with them" in order to be excused by the people for gathering wealth. No doubt, Satan has deceived them, although they know not. Woe to you O tempted person! Your argument by the wealth of Abd-Ar-Rahman Ibn Awf "Allah be pleased with him" is caused by an intrigue from Satan, who shows it on your tongue, in order to bring you to destruction. That is because once you allege that the best among the companions "Allah be pleased with them" intended to multiply their wealth for the sake of honour and adornment, you have backbitten the masters, and ascribed them to an odious thing.

Once you allege that gathering wealth from lawful sources is better than leaving it, you have criticized Muhammad, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and all the Messengers, and ascribed them to lack of desire and asceticism in this good for which you and your companions are desirous, and further ascribed them to ignorance since they did not gather wealth as you do. Once you allege that gathering wealth from lawful sources is higher and better than leaving it, you then claim that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was not sincere in his advice to the nation, for he forbade them to gather wealth; and had gathering wealth been good, he then would have cheated the nation when he forbade them to do so, according to your false claim. But even, by the Lord of the heaven, you have told a lie about the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". He was sincere in his advice to this nation, merciful and compassionate towards them.

Once you allege that gathering wealth is better than leaving it, you then claim that Allah Almighty has not looked, with the eye of mercy, to His believing servants, when He forbade them to gather wealth, given that gathering wealth is good for them, or that Allah Almighty does not know the excellence of gathering wealth, thereupon He forbade them to gather it, and it is you who know well its excellence and good, which prompts you to have a desire to multiply wealth, seeming, by so doing, more knowledgeable of the points of good and excellence than Allah Almighty "Exalted and Hallowed He Be from your ignorance".

O tempted man! Consider with your mind how Satan afflicted you when he made it alluring to you to argue by the wealth of the companions. Woe to you! What would you avail from arguing by the wealth of Abd-Ar-Rahman Ibn Awf

"Allah be pleased with him", given that on the Day of Judgement, he would like he was not given more than his daily sustenance? In this respect, I was reported that when Abd-Ar-Rahman Ibn Awf "Allah be pleased with him" died, some of the companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "By Allah, we fear for Abd-Ar-Rahman concerning the property he left." Ka'b said: "Glory be to Allah! Why do you fear for Abd-Ar-Rahman, since his earnings are lawful, he spent properly, and what he left is lawful?" his statement reached Abu Dharr "Allah be pleased with him" who set out in search of Ka'b, and on the way, he came upon a part of a camel's jawbone, which he took with his hand. He then proceeded on in pursuit of Ka'b. it was said to Ka'b that Abu Dharr was searching for him, thereupon he came out in flight from him until he entered the house of Uthman "Allah be pleased with him". At the same time, Abu Dharr "Allah be pleased with him" traced him until he reached the house of Uthman "Allah be pleased with him". When he entered, Ka'b stood and hid himself behind Uthman, in flight from him. Abu Dharr said addressing him: "O son of the Jewish woman! Do you claim that there is no harm in the property left by Abd-Ar-Rahman Ibn Awf? One day, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" set out towards (the mountain of) Uhud and I was in his company. He said: "O Abu Dharr!" I said: "I am responding to your call O Messenger of Allah!" he said: "Those who have the greatest wealth (in this world) will have the least (good deeds) on the Day of Judgement, except such as spends like this and this, i.e. on his right, on his left, in front of him and on his back, and few are they!" then, he said: "O Abu Dharr!" I said: "Yes, O Messenger of Allah, let my father and mother sacrifice their lives for you!" he said: "I would not be pleased to have as much wealth as the mountain of Uhud to spend in the Way of Allah, if when I die there will remain thereof even as little as two Qirats." I said: "Or two quintals (hundredweights) O Messenger of Allah?" he said: "No, only two Qirats." Then he said: "You want the more, and I want the less." (This narration is partially reported by both sheikhs). He means that 'Should the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" intend so, and you, son of the Jewish woman, say that there is no harm in the property left by Abd-Ar-Rahman? You have then told a lie, and anyone who says so has told a lie." He gave no reply to him out of fear of him until he came out.

It is reported that a caravan belonging to Abd-Ar-Rahman Ibn Awf "Allah be pleased with him" arrived from Yemen, thereupon the people of Medina clamored all at once. A'ishah "Allah be pleased with her" said: "What is the matter?" they said: "It is because of a caravan belonging to Abd-Ar-Rahman that arrived in Medina." On that she said: "No doubt, Allah and His Messenger have told the truth." When the news of that reached Abd-Ar-Rahman "Allah be pleased with him" he asked her, and she said: "I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying: "I saw the Garden, and saw that the poor among the Emigrants and Muslims will enter it as running, and none among the rich will enter with them except Abd-Ar-Rahman Ibn Awf, who will enter it with them as crawling."" (This narration is reported by Ahmad). On that Abd-Ar-Rahman "Allah be pleased with him" said: "Then, I have given the

caravan and what it contains in charity in the Way of Allah Almighty; and emancipated the slaves who work in it perchance I would enter the Garden in their company as running."

It is reported that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Abd-Ar-Rahman Ibn Awf "Allah be pleased with him": "You will be the first among the rich of my nation to enter the Garden, and you will not enter it except as crawling." (This narration is reported by Al-Bazzar on the authority of Anas; and Al-Hakim on the authority of Abd-Ar-Rahman Ibn Awf).

Woe to you O tempted man! What is the significance of your arguing by the wealth, given that Abd-Ar-Rahman Ibn Awf "Allah be pleased with him" with his good deeds and favors he used to do, and charitable gifts he used to give, let alone his company with the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and being one of the ten given the glad tidings of entering the Garden (according to the narration of At-Tirmidhi on the authority of Sa'id Ibn Zaid), would be made to stand in the plain ground on the Day of Judgement, and suffer its terrors because of his property which he earned from lawful sources? Because of his earning his wealth for the sake of abstinence (from begging), doing favors, spending from his wealth moderately, giving charitable gifts, and spending in the Cause of Allah with good pleasure and heart contentment, he would enter the Garden in the company of the poor Muslims, though not as running like them, but rather lagging behind them as crawling. What do you think then about the like of us, who are sunk in the temptations of this world?

Therefore, how amazing you are O tempted man! You roll in the mixtures of suspicions and impure things, and compete with others over the dirty among the people, and turn in lusts, desires and ornaments, and in the temptations of this world, and in spite of all that, you argue by Abd-Ar-Rahman Ibn Awf "Allah be pleased with him". You allege that if you gather wealth, you do only what the companions "Allah be pleased with them" did, likening yourself to the righteous predecessors. Woe to you! This is one of the false analogies made by Iblis to his devotees. Let me describe to you your states and the stats of the righteous predecessors in reality, perchance you would come to know your faults and flaws, and the extent to which the companions "Allah be pleased with them" were superior to anyone else.

By my life! Some companions intended their wealth for abstinence (from begging), spending therefrom in the Way of Allah. They earned from lawful sources, ate from lawful and good sustenance, spent with moderation, and gave in charity the surplus that was beyond their needs. Moreover, they neither withheld the rights due upon their wealth, nor were they stingy: on the contrary, they gave most of their wealth in charity for the Sake of Allah, and some of them gave theirs entirely. At the times of adversity, they gave preference to Allah most often over themselves. Tell me by Allah: are you as such? By Allah, your resemblance to the people is very far.!

Nevertheless, the good companions "Allah be pleased with them" were inclined to be indigent, safe from the fear of poverty, confident of Allah Almighty in sustenance, well-pleased with His decrees, contented at the time of

hardship, thankful at the time of prosperity, patient at the time of adversity, praising at the time of ease, humble to Allah Almighty, and abstinent from arrogance and pride. They did not take of the permissible from this world but what is sufficient for the minimum requirements. They drove away the world with its good things, persevered its undesirable things, tasted its bitterness, and refrained from its luxuries and splendour. Tell me by Allah: are you like them?

It is reported that whenever the world turned its face to them, they would grieve and say: "It is a sin whose punishment has been hastened on for us from Allah Almighty", and whenever they saw poverty turning its face to them, they would say cheerfully: "Welcome to the motto of the righteous." It is reported from one of them that whenever morning came upon him and his dependents had anything (of this world), he would remain sad and depressed, and whenever morning came upon him and they had nothing, he would become pleased and cheerful. It was said: "It is the habit of people to become sad if they had nothing, and pleased if they had anything (of sustenance), and you are not so." On that he said: "No doubt, whenever morning comes upon me and my dependents have nothing, I would become pleased, in imitation of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and whenever morning comes upon me and my dependents have anything, I would become aggrieved, for in this case, I would not imitate the pattern of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and his family." It is also reported that whenever they followed a way to luxury in this world, they would grieve and fear saying: "What do we have to do with this world?" Whenever they followed a way to adversity, they would be pleased and happy and say: "It is only now that our Lord has cared about us."

Those are the states of the righteous predecessors; and their excellence is beyond our description. Tell me by Allah: are you like them? you are, to be sure, unlikely similar to them. let me describe to you your states, O tempted man. At the time you become rich and luxurious, you soon transgress all bounds and grow too arrogant to submit to the truth. At the time of prosperity, you grow happy and neglect to give thanks to the Lord for His favor. At the time of adversity, you despair of Allah's mercy, and at the time of disaster, you become displeased, and not satisfied with the fate of Allah. You further dislike poverty and disdain from neediness, given that this is the source of pride of the Messengers. You gather and save wealth, for fear of poverty; and this is due to your evil assumption of Allah Almighty, and lack of confidence of His guarantee, and sufficient is this for sin. You also gather wealth to seek its aid to fulfills your desires and enjoy the splendor and blessings of this world.

It is reported that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The worst among my nation are those who are nourished with the luxury of this world until their bodies put on flesh on them." it is also reported that a learned said: "On the Day of Judgement, some people will come to demand their good deeds, thereupon it will be said to them: "You have consumed your good things in the life of your world, and enjoyed of them."" but

even, you are heedless for you will be deprived of the blessing of the hereafter because of the blessing of this world. What a disastrous sigh it is! You also gather and save wealth for the sake of proliferation, boasting, loftiness and adornment in this world. It is reported that whoever seeks after this world for the sake of proliferation or boasting will meet Allah Who will be angry with him. But even, you are careless about the anger of your Lord with you when you seek after proliferation and loftiness.

You also prefer to survive in this world more than to move to the neighbourhood of Allah Almighty. That is because you dislike to meet Allah, and Allah dislikes more to meet you. You are heedless. You regret for the vanities of this world that escaped you. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever regrets for the vanities of this world that escaped him, draws himself as long as a month (or a year) closer to the fire of Hell." But you regret for what has escaped you, careless about your closeness to the punishment of Allah Almighty. You sometimes leave your religion in order to enjoy of your world with pleasure. It is reported that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever likes and is pleased with this world, will have no fear of the hereafter." It is also reported that a learned said: "You will be reckoned for your regret for the vanities of this world that escape you, as well as for your pleasure with its luxury and splendor." But even, you are pleased with your world, by which you are deprived of the fear of the punishment of Allah Almighty.

You also are concerned with the affairs of your world more than you are with the affairs of your hereafter. You also regard your disaster in your sins easier upon you than your disaster in the reduction of your world, and you fear the loss of your wealth more than you fear committing sins. You also spend on the people all that you gather of the impurities, in quest for loftiness and fame in this world. You also please the creatures on the account of displeasing Allah Almighty, in order to be respected and honoured in this world. Woe to you! It seems as if it is easier upon you to be despised by Allah on the Day of Judgement than to be scorned by the people in this world. You also hide your shameful deeds from the people and do not care that Allah Almighty knows them all. It seems as if your scandal in the Sight of Allah Almighty is easier upon you than your disgrace in the sight of the people. Do you regard the slaves in a higher position in your sight than Allah Almighty? Exalted and Hallowed be Allah from your ignorance!

How do you argue given all of those defects and shortcomings of you? How do you contaminate yourself with the impurities and dirty things and at the same time argue by the wealth of the good and pious among the people? How far! How far! How removed you are from the righteous predecessors! By Allah, it is reported that they were more abstinent in what was made lawful for them than you are in what is made unlawful for you. That in which you see no harm was among the destructives in their sight. The minor slip was regarded by them more grievous than a major sin is regarded by you now. Would that the best and most lawful of your property attains the degree of their suspicious things. Would that

you fear of your evil deeds just as they feared for their good deeds that they might not be accepted. Would that your fasting is like their leaving fast, your diligence in worship is like their weariness and sleep, and all of your good deeds are like a single one of their evil deeds. It is reported that one of the companions "Allah be pleased with them" said: "The booty of the sincere lovers of truth is what they loose of this world, and their satiety is what is concealed from them of it. Whoever is not so is not with them in this world, nor will he be with them in the hereafter." Glory be to Allah! How different those two parties are from each other! The party of the good and glorious companions "may Allah be pleased with them" in their highness in the Sight of Allah Almighty, and the party of the like of you in lowness until Allah the Most Generous forgives and pardons by His bounty.

Therefore, if you claim that you imitate the glorious companions "Allah be pleased with them" in gathering wealth for refraining from begging and spending it in the Cause of Allah Almighty as they did, you should first consider your state. Woe to you! Do you find the lawful in your time like theirs in their own time? Do you regard yourself cautious of seeking after the lawful just as they were in their search for it? It is reported that one of the companions "Allah be pleased with them" said: "We used to leave seventy doors to lawful for fear we might fall into a door leading to the unlawful." Do you expect yourself to have such caution? No, by the Lord of the Ka'bah, I do not think that you are so.

Woe to you! Be sure that your gathering wealth to spend it on the acts of righteousness is no more than intrigue that is made alluring to you by Satan, thereby to lead you to earn what is suspicious, mixed with the unlawful and forbidden. It is reported that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who dares to plunge into the suspicious is about to fall in the unlawful." (This narration is reported with a slight variation of wording by both sheikhs on the authority of An-Nu'man Ibn Bashir).

Do you not know, O deceived man, that to fear of plunging into the suspicious is higher, much better and more significant in the Sight of Allah Almighty than to obtain them and spend them in the Way of Allah Almighty and righteousness? This is reported to us from one of the learned, that he said: "To leave a single Dirham for fear of being from unlawful sources is much better to you than to spend in charity one thousand Dinars from suspicious sources, which you do not know whether or not it is lawful for you." If you claim that you are too cautious and pious to approach the suspicious, and that you gather wealth from lawful sources, in order to spend it in the Way of Allah Almighty, woe to you! You should be more pious in avoidance of being called to account. However, the glorious companions "Allah be pleased with them" were afraid of the matter of question. It is reported that one of them said: "I would not be pleased to earn one thousand Dinars daily from lawful sources and spend them all in the Way of Allah even if it is not to divert me from performing Friday prayer." When he was asked about the reason he said: "For I am not in need of standing on the Day of Judgement, and being asked (by Allah): "O My servant! From which sources have you earned, and in which thing have you spend?""

Those pious who were present when Islam was flourishing, and the lawful was prevailing, left wealth for fear of reckoning, lest the good might not be able to avert the evil, if there is any. In contrast with them you are: you feel safe although the lawful in your time is lost. You compete with others over the impurities and dirty things, and then claim falsely that you gather wealth from lawful sources. Woe to you! Where is the lawful so that you would gather it? And even, if the lawful is available to you, do you not feel afraid your heart might change when you become rich? It is reported that many of the companions "Allah be pleased with them" inherited lawful wealth, which they left, for fear it would spoil their hearts. Do you covet of having your heart cleaner and purer than the hearts of the companions "Allah be pleased with them"? if you think so, of a surety, you then have good assumption of your own self, which always enjoins evil upon you.

Woe to you! I am only a counselor to you. I see it better for you to earn money only in so far as it is sufficient for the minimum requirements of your living than to gather wealth to spend it on the acts of righteousness, lest you would be called to account. It is reported that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who is called to account will be punished." (This is reported by both sheikhs on the authority of A'ishah).

It is further reported that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "On the Day of Judgement, a man will be brought, and he gathered wealth from unlawful sources, and spent it on what is unlawful thereupon it will be said: 'Admit him to the fire of Hell'; and a man will be brought, and he gathered wealth from lawful sources, and spent it on what is unlawful, thereupon it will be said: 'Admit him to the fire of Hell'; and a man will be brought, and he gathered wealth from unlawful sources, and spent it on what is lawful, thereupon it will be said: 'Admit him to the fire of Hell'; and a man will be brought, and he gathered wealth from lawful sources, and spent it on what is lawful, thereupon it will be said to him: 'Stand, for perhaps you, seeking after that wealth, neglected anything I have enjoined upon you: perhaps you did not offer prayer in its due time, or indulged in anything of its bowings and prostrations or ablution'. He will say: 'No Lord: I earned money from lawful sources, spent it on what is lawful, and did not waste anything of what You have enjoined upon me'. It will be said to him: "Then, perhaps you boasted because of that wealth in your vehicle or garment, by which you showed pride'. He will say: "No Lord, I did neither boast nor show pride over anyone by any of those'. It will be said: 'Then, perhaps you withheld the right of anyone I have commanded you to give, as regards your relatives, orphans, needy and indigent, and wayfarers'. He will say: "No Lord, I earned money from lawful sources, and spent it on what is lawful. I neither indulged in anything of what You have enjoined upon me, nor boasted, nor showed pride, nor wasted the right of anyone You have commanded me to give'. Then, those will be brought to raise their cases against him, saying: 'O Lord, You have given him, enriched him, caused him to live among us, and further commanded him to give us'. If he really gave them as it should be, neither boasted, nor showed pride, nor wasted anything of what has been enjoined upon

him, it will be said to him: 'Now, stand and give thanks for every kind of favor that was bestowed upon you, as regards your food, clothes, drink, pleasure, and so on'. He will continue to be questioned as such."

Woe to you! who could dare to expose himself to be questioned in the same way as this man will be questioned, i.e. this man who earned his money from lawful sources, spent it on what is lawful, did not waste anything of what was enjoined upon him, and rather fulfilled all of the rights due upon him as it should be. What do you think of men like us, who are sunk in the temptations and pleasures of this world? Woe to you! it is for the sake of avoiding those questions that the pious feel afraid of approaching the good things of this world. For this reason, they were pleased with the little that covered only the minimum requirements of their living, and acted upon righteousness.

Woe to you! you should have in those righteous men a good pattern to follow. But if you reject, and insist on your claim that you are too pious and righteous to earn only from lawful sources, in order to refrain from begging, and spend it in the Way of Allah, and that you will not spend anything of the lawful but properly and rightfully, and that your heart will not change because of wealth, and that you will not displease Allah in anything concerning your secret and public: if you claim you will do all of that, although I have doubt that you will do so, you'd rather be satisfied with the minimum requirements of living, and keep yourself away from those of wealth when they are made to stand to be questioned, and join the first generation in the company of the well-chosen "peace be upon him" without being detained for questioning or reckoning, receiving either safety or just blame.

It is reported that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The poor among the Emigrants will enter the Garden five hundred years before the rich among them." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Abu Sa'id). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The poor among the faithful believers will enter the Garden before the rich and wealthy among them, and will eat and enjoy of its good things, while the others will remain barefooted and kneeling. Allah will say: "Those before you are my requested people. You were the kings and rulers of the people: show Me what you did concerning what I gave you."

It is reported that a learned said: "I would not be pleased with the red cattle (i.e. the most expensive among them) should I not be in the company of he first generation, with Muhammad the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"." O people! Hasten to be among the racers in the company of those of the light burdens, i.e. the company of the Messengers "peace be upon them", and be in awe of remaining behind and leaving the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and all the pious. Zaid Ibn Arqam "Allah be pleased with him" said: We were in the company of Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" when he asked for drink and water and honey were brought to him. When he brought it close to his mouth he wept and caused his companions to weep. They stopped from weeping, but he did not. He

wept once again that they thought they were unable to ask him about the reason. But when he dried his eyes they asked him: "O successor of the Messenger of Allah! What has led you to weep?" he said: "I was with the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" when I saw him averting something from himself, although I saw none with him. I asked him: 'O Messenger of Allah! What is that which you avert from yourself?' he said: 'It is this world which is represented to me and I said to it: "Keep away from me!" then, it returned and said to me: "Indeed, if you are able to flee away from me, those to come after you will never flee away from me.'" He commented: "So, I feel afraid this might have caught me, with the result that it would separate me from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"." (This narration is reported by Al-Bazzar, Al-Hakim, Ibn Abu Ad-Dunya and Al-Baihaqi).

O people! Those people wept in awe that a sip of lawful drink might separate them from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". Woe to you! you are blessed in various kinds of luxury and delights, different sorts of desires and lusts, and unlawful earnings, having no fear that those might not separate you from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". Woe to you! how ignorant you are! Should you remain behind the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" on the Day of Judgement, put in mind the terrors from which angels and Prophets "peace be upon them" would be scared. Should you fail to hasten to be among the racers, surely, you would fail to join them. should you seek to have much wealth, you would be led to a difficult reckoning. Should you not be satisfied with the little, you would be led to a long standing, crying and wailing. Should you be satisfied with the states of these who remain behind, you would be separated from the companions of the right hand, and from the Messenger of the Lord of the world "peace be upon him". Should you disagree with the pious, you would be among those to be called to account in the terrors of the Day of Judgement. So, consider your state, and resolve upon your plan.

Therefore, if you claim that you copy the guidance of the righteous predecessors, regarding your satisfaction with the little and abstinence even in the lawful, spending your wealth, giving others preference over yourself, fearing no poverty, saving nothing for your future, aversion for proliferation and richness, contentment with poverty and adversity, happiness with neediness and littleness, pleasure with humility and meekness, dislike of loftiness and highness; and claim that you are too strong to have your mind and heart change from good, since you reckon yourself one by one for the Sake of Allah Almighty, and judge all of your affairs in accordance with what pleases Allah Almighty, and that you gather wealth from lawful sources in order to spend it in the Way of Allah: woe to you O deceived man! Consider your matter carefully! Do you not learn that to leave engagement in gathering wealth in order to disengage your heart to worship, remembrance of Allah, meditation of His signs, and taking lessons from the states of others to learn, is safer for your religion, easier for reckoning, more secure from the terrors of

the Day of Judgement, more rewardable and much higher in the Sight of Allah Almighty?

It is reported from one of the companions "Allah be pleased with them" said: "If there is a man having Dinars in his lap which he gives in charity, and another who is remembering Allah Almighty, then, the latter who remembers Allah should be better than the former who gives in charity." A learned was asked about him who gathers wealth in order to spend it on righteous deeds, thereupon he said: "To leave that is more righteous for him." One of the Tabi'is was asked about two persons, one sought for this world and gained wealth from lawful sources, therewith he kept relation with his kith and kin, and sent forward good for himself, and the other avoided it entirely: which of them was the better. On that he said: "No doubt, how far they are from each other! The one who avoided it is superior to the other as much as the East is far from the West." Woe to you! consider how superior you will be if you leave the world and do not engage in gathering wealth.

Therefore, even if there is excellence in gathering wealth, it should become incumbent upon you to imitate your Prophet "peace be upon him" whose guidance Allah Almighty commanded us to copy, and be satisfied with what he accepted for himself when he preferred to avoid the transitories of this world. Woe to you! consider what you have heard, and be certainly confident of the fact that happiness and felicity lie in avoiding this world. So, you should proceed on to be among the racers under the flag of the well-chosen "peace be upon him" to the abode of Garden. It is reported that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The masters of believers in the Garden are such of men as whenever he has his early meal, he does not find his supper, and whenever he likes to have a loan, he would find none to give him, whoever has no garment but what screens him, is not able to get his earnings permanently: but at the same time, every morning and evening he is satisfied with his Lord: they will be in the company of those upon whom Allah Almighty has conferred favor,, from among the Prophets, the sincere lovers and affirmers of truth, the martyrs, and the righteous, and how good those are for company!" (This is reported on the authority of Abu Hazim from Abu Hurairah).

O my brother! After going through this statement, if you gather wealth, you then will be false to your claim that you do so for the sake of righteous deeds, but you do so for fear of poverty and in search for bliss, adornment, proliferation, showing pride, loftiness, affectation, exaltation, and reputation. Woe to you! observe Allah Almighty, and feel shy of your claim O deceived man! Woe to you! if you are tempted by the love for this world, you should acknowledge that good and excellence lie in your satisfaction with what provides for the minimum requirements of your living, and avoiding what is unnecessary. Whenever you gather wealth, you should scorn yourself, admit your sin and fear reckoning. This is, to be sure, more convenient to salvage you than to seek for arguments to justify your gathering wealth. O my brothers! It should be known to you that although the lawful was mostly available during the time of the companions "Allah be pleased with them" they were the most pious and abstinent from what

is permissible. On the contrary: although the lawful is mostly missing in our time, we do not limit ourselves to satisfaction with what provides for our sustenance and screens our privates. May Allah Almighty save you and us from gathering wealth.

Therefore, where are we from the piety, abstinence and caution taken by the companions "Allah be pleased with them"? where are we from their conscience and good intentions? We have been afflicted, by the Lord of Heaven, with the inclinations and diseases of souls, and in the near future, we are going to come upon the fire. How excellent the happiness will be of these of light burdens on the Day of Resurrection, and how long the sadness and grief will be of those of proliferation and pride. I have advised you in general, and those who accept my advice in particular, and how few are those who accept it. May Allah help you and us attain success, for every good lies with His mercy: amen."

His speech is sufficient to show the superiority of poverty to richness; and there is no more we could add to it. It is confirmed by all stories we have related in the Book of Condemnation of This World, and the Book of Poverty and Asceticism. It is also confirmed by the narration on the authority of Abu Umamah Al-Bahili "Allah be pleased with him" that Tha'labah Ibn Hatib said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Messenger of Allah! Supplicate Allah to bestow wealth upon me." He said: "O Tha'labah! A little for which you give thanks is better than much which you never endure." He said once again: "O Messenger of Allah! Supplicate Allah to bestow wealth upon me." He said: "O Tha'labah! Do you not have a good pattern in the Prophet? Are you not pleased to be like the Prophet of Allah Almighty "peace be upon him"? behold! By Him in Whose Hand is my soul, had I liked to have mountains turn into gold and silver with me, they would have turned." He said: "By Him Who has sent you with the truth as a Prophet, if you supplicate Allah to bestow wealth upon me, I would give the right to every one eligible to take it, and do such and such." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "O Allah! Bestow wealth upon Tha'labah Ibn Hatib!"

he took property of sheep, and they grew as much as worms, until Medina became narrow upon him. He left it and took resort to one of its valleys and limited himself to performing Zhuhr and Asr in congregation, and left the other prayers. His sheep further proliferated and grew so much (by which he was occupied) to the extent that he left performing all prayers in congregation except Friday. They grew further like worms until he was diverted even from performing Friday prayer in congregation. He used to meet riders every Friday and ask them about the news of Medina. Later on, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" asked about him saying: "What is about Tha'labah Ibn Hatib?" it was said: "O Messenger of Allah! He has taken property of sheep, until Medina became narrow upon him..." and he was told about his news in full, thereupon he said: "Woe to Tha'labah! Woe to Tha'labah! Woe to Tha'labah!"

On that occasion, Allah Almighty revealed: " Of their goods take alms, that so you might purify and sanctify them; and pray on their behalf, verily your prayers are a source of security for them: and Allah is One Who hears and knows." (At-Tawbah 103)

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾

Allah Almighty then enjoined the obligatory charity upon Muslims. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" sent two men, one from Juhainah and the other from Sulaim to collect charity, and sent a letter with them, in which he ordered the people to give them the charity due upon their property. He commanded them to collect charity from Muslims and said to them: "Come upon Tha'labah Ibn Hatib and so and so, a man from Sulaim, and take form them the charity due upon their property." They set out and came upon Tha'labah and asked him to give his charity, and showed to him the letter of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". On that he said: "This is nothing more than Jizyah! This is nothing more than Jizyah! This is nothing more than the like of Jizyah! Go and when you finish from the other people, return to me."

They set out aiming at the one from Sulaim who, hearing of their arrival, kept aside the best of his camels to the obligatory charity, and when they came to him, he received them with those camels. When they saw them they said: "This is not due upon you, and we do not like to take the best of your property as charity." But he insisted that they should take them. when they finished and returned to Tha'labah once again, and asked him to give his charity, and he said: "Show to me your letter." He read it and said: " This is nothing more than the like of Jizyah! Go until I give my decision." They went to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" who, before seeing him, said: "Woe to Tha'labah!" he further invoked good and blessing upon the man from the tribe of Sulaim. They told him about what Tha'labah and the man from Sulaim had done. On that occasion, Allah Almighty revealed: " Amongst them are men who made a Covenant with Allah, that if He bestowed on them of His bounty, they would give (largely) in charity, and be truly amongst those who are righteous. But when He did bestow of His bounty, they became covetous, and turned back (from their Covenant), averse (from its fulfillment). So He has put as a consequence Hypocrisy into their hearts, (to last) till the Day whereon they shall meet Him: because they broke their Covenant with Allah, and because they lied (again and again)." (At-Tawbah 75-77)

﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾

At that time, one of Tha'labah's relatives was sitting with the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and when he heard what had been revealed in connection with him, he set out until when he came to him he said: "Let your mother be bereaved of you O Tha'labah! Allah Almighty has

revealed such and such in connection with you." Tha'labah set out until when he came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and asked him to accept his charity from him. He said: "Allah Almighty has forbidden me to accept charity from you." he went on throwing handfuls of dust on his head, thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "This is the (consequence of) your deed. I commanded you, but you did not obey me." When he rejected to take anything from him, he returned home. When the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" died, he brought his charity to Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" who rejected to accept it. Then, he brought it to Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" who rejected to take it from him. Later on, Tha'labah died during the caliphate of Uthman "Allah be pleased with him". (This narration is reported by At-Tabarani).

This is an example of the transgression caused by wealth, which you might learn from that narration. For the blessing of poverty on the one hand, and the evil omen of richness on the other hand, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" favored poverty for himself and his family. In this issue, it is narrated on the authority of Imran Ibn Hussain "Allah be pleased with him" that he said: I had a good position and rank with the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". One day I came to him and he said to me: "O Imran! You have a good position and rank with us: do you like to accompany me to visit Fatimah, the daughter of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and inquire about her health?" I said: "Yes, let my father and mother sacrifice their lives for you O Messenger of Allah." He stood and I stood with him (and we proceeded on) until he came at the gate of the house of Fatimah "Allah be pleased with her". He knocked the door and said: "Peace be upon you! could I enter?" she said: "Yes O Messenger of Allah." He asked: "I and the man that is with me?" she said: "Yes you and the man that is with you O Messenger of Allah." Then she said: "By Him Who has sent you as a Prophet, I have nothing over me but a garment." He said: "Do with it such and such." He beckoned with his hand to her (to cover her body with it). She said: "I have then screened my body: what about my head?" he threw to her a worn out sheet he was having over himself and said: "Put it over your head." Then, she admitted them. he entered and said: "Peace be upon you O my daughter! What are you now?" she said: "By Allah, I have become suffering, and what increased my pain is that I have no food to sustain myself, and hunger has troubled me." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" went on weeping, and said: "Do not be scared O my daughter. By Allah, I have never had food for three days; and I am dearer than you to Allah Almighty, and were I to ask my Lord, surely He would provide me with food. But I have preferred the hereafter to this world." Then, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" patted on her shoulder and said to her: "Receive the glad tidings! By Allah, you will be the chief of women of Paradise." She said: "Then, what about Asia, the wife of Pharaoh, and Maryam, daughter of Imran?" on that he said: "Asia is the chief of the women of her own world; Maryam is the chief of

the women of her own world; Khadijah is the chief of the women of her own world; and you are the chief of the women of your own world: you will have your homes of pipes in which you will receive no harm nor noise." Then, he said to her: "Be satisfied with (Ali) your paternal cousin, for by Allah, I have given you in marriage to a chief in this world, and a chief in the hereafter." (This narration is reported by Ahmad and At-Tabarani on the authority of Ma'qil Ibn Yasar).

Consider the state in which Fatimah "Allah be pleased with her" who was a part of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and how she gave preference to poverty over richness. Whoever observes the states, acts and sayings of the Prophets and Messengers "peace be upon them", allies and devotees of Allah "Allah be pleased with them" will have no doubt that the loss of wealth is much better than having it even if it is to be spent on aspects of good and righteousness. The least thing to do with it, in terms of fulfilling the rights due upon it, warding off suspicions, and spending it on the aspects of good might divert people from the remembrance of Allah Almighty, which requires disengagement of heart, and there is no disengagement in the presence of wealth.

It is narrated on the authority of Jarir from Laith that he said: A man accompanied Jesus "peace be upon him" and said to him: ""Let me be in your company." They set out together until they came upon the bank of a river where they sat down to get their early meal and they had three loaves. They ate two and the third remained. Then, Jesus "peace be upon him" stood to the river and drank and when he returned he did not find the third loaf. He asked the man about who had taken it, and he told him that he did not know. He saw a deer with its little sons. He invited one of them and it came running towards him. He slaughtered and roasted it, and they ate of its flesh. He then said to the little deer: 'Stand (and be raised) by permission of Allah." It stood (and was raised) and went away. Jesus "peace be upon him" said to the man: "I ask you by Him Who has shown to you this miracle: who has taken the loaf?" He said: "I do not know." They reached a spring of water where Jesus "peace be upon him" took hold of the hand of the man and both walked on water. When they crossed it he said to him: "I ask you by Him Who has shown to you this miracle: who has taken the loaf?" He said: "I do not know." They reached a desert where they sat down. Jesus "peace be upon him" heaped up a hillock of dust and sand and then said to it: "Be gold by permission of Allah." It turned to gold and he divided it into three thirds and said: "A third is for me, a third is for you, and a third for him who has taken the loaf." He said: "Then, it is I who has taken the loaf." Jesus "peace be upon him" said to him: "Then, let the entire of it be for you." He left him.

Two men reached him in the desert and the gold was with him. They wanted to take it from him and kill him. He said: "Let it be divided into three thirds among us. Send one of us to the village to buy food for us to eat." One of them was sent to the village. He said (to himself): "Why should I let those share this gold with me? This gold is mine alone. Then, I should poison the food to kill them and take the gold." They did accordingly. At the same time,

both men said: "Why should we let this man share this wealth with us? If he returns, we should kill him and divide the wealth between us." When he returned they killed him and took the wealth. But they also ate the food and were killed by poison. All of them died and the wealth remained in the desert until Jesus "peace be upon him" came upon them while being in that state and said to his companions: "This is (an example of) this world. So, you should warn of it."

It is reported that Dhul-Qarnain came upon a nation having nothing of the worldly enjoyments like the other people. They dug graves and every morning, they looked after them, cleaned and swept them, and offered prayer near them. they grazed pot-herbs like animals did. Their sustenance depended upon the plants of the earth there. Dhul-Qarnain sent to their king to come to him, and he replied: "I have no need of him. So, let him come to me if he so likes." Dhul-Qarnain said: "Really, he has told the truth." Dhul-Qarnain came to him and asked him: "I have sent to you to come to me and when you rejected, I came to you." he said: "Had I had a need for you, surely, I would have come to you." Dhul-Qarnain asked him: "Why do I see you in a state in which I have never seen anyone of the other nations?" he said: "What is that?" He said: "You have no worldly enjoyments, or anything else. Would you not take gold and silver to get benefit from them?" he said: "No, for none has been given anything of them but that he has longing for what is better than it." He asked him: "Then, why have you dug graves, and every morning you look after them by cleaning and sweeping them, and then offer prayer near them?" he said: "In order that whenever we look at this world had have hope in it, our graves should prevent us from hope." He said: "I see also that you have no food barring the pot-herbage: why do you not take animals and milk them and drink their milk and get benefit from riding them?" he said: "We dislike to make our bellies graves for them, and see that the pot-herbage is sufficient for sustenance. To be sure, the minimum quantity of food is sufficient for the sustenance of mankind, and once it goes beyond the pallet, its taste becomes unfelt, whatever it might be."

Then, the king stretched his hand from behind Dhul-Qarnain and took a skull and said: "O Dhul-Qarnain! Do you know whose this is?" he answered in the negative thereupon he said: "It belongs to one of the kings on earth, whom Allah Almighty gave power of authority over the people of the earth, thereupon he transgressed the due bounds, wronged people and oppressed them. when Allah Almighty saw that from him, He caused him to die, and he became like a thrown stone. Allah Almighty calculated his evil for him in order to punish him with them in the hereafter." Then, he took another decomposed skull and said: "O Dhul-Qarnain! Do you know whose this is?" he answered in the negative, thereupon he said: "this belongs to another king who succeeded him, and, seeing how the previous king was wrongful, transgressing and oppressing, he humbled himself and became submissive to Allah Almighty, and enjoined justice among the people of his kingdom. Then, he became like what you see: Allah Almighty calculated his good deeds for him in order to reward him with them in the

hereafter." Then, he inclined to the skull of Dhul-Qarnain and said: "And this skull will be like those both. So, O Dhul-Qarnain, consider what you are going do to." Dhul-Qarnain said to him: "Do you like to be in my company so that I would take you as brother and minister, and make you my partner in the dominion bestowed upon me by Allah Almighty?" he said: "Both you and I could not gather in one place." Dhul-Qarnain asked him about the reason, and he said: "Fro all the people are enemies of you, and friends of me." He said to him: "What is the reason for that?" he said: "They show enmity to you because of the authority and wealth you have in your hand, whereas none shows enmity to me for I reject all of that." Then, Dhul-Qarnain left him with surprise from his state, and admonition of his affair."

Those stories guide you to the evil of richness.

This is the end of the Book of Condemnation of Wealth and Niggardliness, praise be to Allah Almighty, and it is followed by the Book of Condemnation of Majesty and Showing Off.

Book eight: Condemnation of majesty and showing off

It is the eighth book of the quarter of destructives

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

Praise be to Allah, the Knower of the unseen, Who learns the mysteries of hearts, and forgives the major sins, knows what is hidden in the conscience, and is well-acquainted with the secret intentions, Who accepts of deeds only the perfect, and pure of the flaws and stains of showing off and polytheism, for all the dominion is His Alone, and He is free of want of the polytheism of the polytheists. Allah's blessing and peace be upon Muhammad, his family and companions, who are free from treachery and showing off, .

Coming to the point: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said according to the narration on the authority of Shaddad Ibn Aws "Allah be pleased with him": "What I fear most for my nation is to join things (in worship) with Allah: I do not say that they will worship the sun or the moon, or even an idol, but it is that they do deeds for things other than Allah (in reference to showing off), and have lust as hidden as the creeping of a black ant on a rock on a dark night (for women and property, no matter illegal it might be)." (This narration is reported by Ibn Majah). The brokers among the learned failed to encompass its evils, let alone the laymen and pious among the people. that is because its evils are most hidden within the self, with which the learned, worshippers and serious followers of the way to the hereafter are afflicted.

When they oppress, mortify and humiliate their own selves, wean them from lusts, and safeguard them from desires and suspicions, and force them by oppression to do several acts of worship, their selves then fail to covet of committing apparent sins that are visible and sensible, and rather seek for comfort by affectation of doing good and demonstration of knowledge and work. Thus, they find a way to flee from the difficulty of mortification to the pleasure of acceptability and respectability among the people, which causes them to hasten to demonstrate obedience in order to be seen of the creatures giving no importance to satisfaction with the sight of the Creator Himself, to be pleased with the praise of the creatures giving no attention to the satisfaction with the praise of the Creator, putting in mind that if the people know that so and so avoids lusts and suspicions, and mortifies himself in worship, they surely will praise him exaggeratingly and excessively, look at him with great respect and reverence, seek blessing from seeing and meeting him, desire for the blessing of his supplication and invocation of good upon them, become eager to adopt his opinions and thoughts, take the initiative to offer service to him, honour him in celebrations to the best and highest degree, excuse him as regards transactions and deals, give him priority in gatherings, banquets and clothes, humble

themselves before him, and comply with his purposes and commands.

This results in the pleasure and desire which the soul receives and they are among the greatest pleasures and desires, for they prompt the soul to scorn the avoidance of sins and flaws, and make it easy upon it to endure the coarseness and roughness of regular acts of worship, for by so doing, it fulfills one of the greatest pleasures and desires. Such person thinks that his life is with Allah and well-pleasing acts of worship, although his life is with his hidden desire which minds are too blind to perceive. He also sees that he is sincere to his obedience of Allah and avoidance of His taboos, although this desire is lurking in the self, to make alluring to it the acts of worship, affectation, and pleasure with the rank and position it receives among the people. By so doing, one's deeds and acts of worship become fruitless, and he is enlisted among the hypocrites, although he thinks he is among the nearest to Allah Almighty.

This is, to be sure, one of the intrigues that afflict the self, from which none is safe barring the sincere lovers and affirmers of truth, and a profound pitfall from which none is saved but the nearest to Allah Almighty. For this reason, it is said that the last thing to come out of the heads of the sincere lovers and affirmers of truth is the love for authority.

Given that showing off is the lurking chronic disease, which is the great net of devils, it becomes incumbent to explain its real nature, causes, levels, divisions, the ways of treating it and how one should beware of it. This might be exposed in two parts about majesty and showing off.

PART ONE
CONDEMNATION OF MAJESTY

It includes:

Exposition of condemnation of fame
Exposition of excellence of anonymity
Exposition of condemnation of majesty
Exposition of meaning and real nature of majesty
Exposition of the reason why it is dearer than wealth and property
Exposition of the fact that majesty gives illusory and not real perfection
Exposition of the extent to which majesty might be praised or dispraised
Exposition of causes of love for praise and dislike of dispraise
Exposition of treatment of love for majesty
Exposition of treatment of love for praise
Exposition of treatment of dislike of dispraise
Exposition of different cases of people as regards praise and dispraise

Those are then twelve chapters, from which the concept of majesty is clear; and it is Allah Who grants success.

CHAPTER ONE
EXPOSITION OF CONDEMNATION OF FAME AND REPUTATION

It should be known to you, may Allah reform you, that majesty ensues from prominence and fame, and it is dispraised; and what is praise is the anonymity unless Allah Almighty makes famous a man in order to help him spread the

religion of Allah, without being ostentatious to seek fame.

In this respect, Anas "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It suffices a man for evil in his religion and world that people point to him with their fingers, unless Allah Almighty protects him." (This narration is reported by Al-Baihaqi). Jabir Ibn Abdullah "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It suffices a man for evil in his religion and world that people point to him with their fingers, unless Allah Almighty protects him. No doubt, Allah Almighty does not look at your faces, but rather He looks at your hearts and works." (The first part of this narration is reported by At-Tabarani and its concluding part by Muslim on the authority of Abu Hurairah). In relation to that, this narration was mentioned to Al-Hassan and it was said to him: "O Abu Sa'id! Whenever people see you, they point to you with their fingers." On that he said: "He (the Prophet) does not mean that, but rather he refers to the religious innovator who is wicked in his world."

According to Ali "Allah be pleased with him": "Humble yourself and avoid fame, and don't raise yourself in order to be renowned; and learn and conceal (your knowledge), and keep silent perchance you would become safe. By so doing, you would please the dutiful pious and taunt the wicked." According to Ibrahim Ibn Adham "may Allah have mercy upon him": "He is not truthful to Allah Almighty who loves fame." According to Ayyub As-Sikhtiyani: "By Allah, none proves true to Allah Almighty but that he is pleased to have his position unknown to the people." It is reported from Khalid Ibn Ma'dan that whenever the attendants of his gathering increased in number, he would leave it for fear of fame. It is reported from Abu Al-Aliyah that whenever more than three sat tc listen to him, he would leave them. once, Talhah saw with him a people who were more than ten, thereupon he likened them to flies coveting of honey and moths desirous for fire.

It is reported on the authority of Sulaim Ibn Hanzalah that he said: While were walking behind Ubai Ibn Ka'b "Allah be pleased with him" Umar "Allah be pleased with him" saw him, thereupon he struck him with the stick. He said: "Consider O Commander of Believers what you are doing!" he said: "No doubt, this (gathering of people round you) is a slip to the follower and a source of temptation to the followed." According to Al-Hassan: Once, Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" came out of his house, and some people walked behind him. He turned to them and said: "Why are you following me? By Allah, were you to know in which state I am when I close the door of my house upon me, none of you would follow me."

It is reported that a man accompanied Ibn Muhairiz on journey, and when he was about to leave him he asked him for an advice. He said: "If you could, know others and let none know you, walk behind others and let none walk behind you, ask and let none ask you." once, Ayyub set out on journey and a lot of people came out to send him off thereupon he said: "Had I not been sure that Allah Almighty knows well that I dislike this conduct, I would have feared the displeasure of Allah Almighty." Mu'ammar said: I blamed Ayyub for his

long shirt (which refers to fame), thereupon he said: "In the past, fame was in the long shirt, and now, it is in shortening it." A learned one said: I was with Abu Qilabah when a person wearing dazzling clothes entered upon him. Looking at him, he said: "Beware of this praying ass", in reference to seeking for fame.

According to Ath-Thawri: "They disliked fame regards expensive and cheap clothes together, for both attract the sights of people." A man asked Bishr Ibn Al-Harith to advise him, thereupon he said: "Be anonymous and make good and lawful your food." Hawshab used to weep for his name reached the people in the gathering mosque. According to Bishr: "I do not know a man who likes to be renowned among the people but that he looses his religion and is disgraced among them." he said once again: "None will taste the sweetness of the hereafter who likes to be renowned among the people in this world."

CHAPTER TWO
EXPOSITION OF EXCELLENCE OF ANONYMITY

Abu Hurairah "Allah be pleased with him" reported: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Perhaps there is a person with disheveled hair and covered with dust, who might be turned away from the doors (though he is highly estimated by Allah) that if he took oath by Allah (about anything) Allah would fulfill his oath." [This narration is reported by Muslim] it is further narrated on the authority of Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "How many a person with no more than two coarse woollen garments, and although he is trivial in the sight of people (he is highly estimated by Allah that) were he to take oath by Allah Almighty, He would fulfill his oath, and were he to ask Allah for Paradise, He would give him Paradise, although He might give him nothing in this world." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: " May I not inform you about the inmates of Paradise?" They said: "Do this, of course." He said: "Every humble person who is considered to be humble; and if he were to adjure In the name of Allah, He would fulfill it." He then said: "May I not inform you about the denizens of Hell-Fire?" They said: "Yes." He said: "Every haughty, fat and proud (person)." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Harithah Ibn Wahb). It is reported on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The inhabitants of Paradise comprise each disheveled person that is covered with dust, and puts on two coarse rough woolen garments, and seems trivial in the sight of the people to the extent that if he seeks permission to enter on the governors, he would be given no permission, and if he demands the hand of a woman, his demand would not be accepted, and if he says anything, no attention would be paid to his saying. The needs of anyone of them do not go beyond his breast. (This is their state in this world and) on the Day of Judgement, should the light given to anyone of them be divided among the people, it would extend to cover them all."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said:

"From among my nation, there is such as if he comes to anyone of you to ask him for a Dinar, he would not give him, and if he asks him for a Dirham, he would not give him, and if he asks him for even a fils, he would not give him. But at the same time, if he asks Allah for the Garden, He would give it to him. If he asks him to give him anything of this world, He would not give it to him; and He does not withhold this world from him except that because it is insignificant in His Sight." (This narration is reported by Tabarani on the authority of Thawban).

It is reported on the authority of Umar "Allah be pleased with him" that once, he entered the mosque and found Mu'adh Ibn Jabal "Allah be pleased with him" weeping near the grave of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". He asked him about the reason, thereupon he said: I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying: "No doubt, showing off is polytheism, no matter how little it might be. Verily, Allah Almighty loves the pious righteous who are anonymous among the people to the extent that if anyone of them is absent, he would not be missed, and if they are present, they would not be known. But in spite of that, their hearts are lights of guidance, with which they are saved from each dark gloomy calamity." (This narration is reported by At-Tabarani and Al-Hakim).

It is reported on the authority of Muhammad Ibn Sawid that he said: Once, the people of Medina were given to drought. There was in Medina a righteous man and he was trivial in the sight of people. He stuck to the mosque of th Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". While the peop were engaged in their supplication (for relief), a man came upon them, havin two worn of coarse woolen garments. He offered a two-rak'ah prayer which he shortened. Then he raised his hands and said: "O Lord! I swear that You should provide us with rain at this time." He did not return his hand nor finish from his supplication before the sky was covered with clouds and it rained so much heavily that the people feared of drowning. On that he said: "O Lord! If You know that they have been satisfied, then, withhold it now." The rain stopped. The righteous man followed the one who invoked rain until he knew his house. Early in the morning of the next day, he went to him and said: "I have come to ask you for a need." He asked him: "What is it?" he said: "To supplicate with a supplication for me." He said: "Glory be to Allah! Should a man like you ask me to supplicate Allah with a supplication for him?" he asked him: "What has caused you to reach such a rank as I saw?" he said: "I have obeyed Allah in what He has commanded and forbidden me, and when I asked Him, He gave me."

Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" said: "Be lights of guidance, and stick to your houses, and give light to the dark nights, and refresh your hearts (with faith), no matter how worn of your garments might be, perchance you would be known among the inhabitants of the heaven, no matter how anonymous you might be among the people of the earth." Abu Umamah "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah Almighty says: "The Happiest among My slaves is a person of a little

portion (from this world), and a great fortune of prayer, who worships and obeys his Lord perfectly in secrecy, is anonymous among the people who knows him not to point to him with fingers, and keeps patient on that." Then, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" poked him and said: "I mean a man whose death is hastened on for him, whose legacy is little, and for whom no much people weep when he dies." (This is reported by both At-Tirmidhi and Ibn Majah).

Abdullah Ibn Umar "Allah be pleased with them" said: "The dearest of Allah's servants to Him are the strangers." It was said: "Who are the strangers?" he said: "Those who flee for their religion. On the Day of Judgement, they will gather with the Messiah "peace be upon him"." According to Al-Fudail Ibn Iyad: I was reported that Allah Almighty will say, out of showing His favors He bestowed upon His servant: "Have I not conferred favors upon you? have I not screened you? have I not made you anonymous?" Al-Khalil Ibn Ahmad used to say: "O Allah! Raise me to the highest degree in Your Sight, make me the humblest in my sight, and make me no more than an ordinary person in the sight of the people."

According to Ath-Thawri: "I found my heart agree with a strange people in Mecca and Medina who suffer hardship." According to Ibrahim Ibn Adham: "I have never been pleased except once when I spent the night in the mosque of a village in Damascus until the Mu'adhdhin dragged me by my leg and drove me out." According to Al-Fudail: "If you could make yourself unknown to the people, then, do it, and there is no harm on you not to be known, and there is no harm on you not to be praised, and there is no harm on you to be dispraised by the people so long as you are praised by Allah Almighty."

Those are the Prophetic narrations and traditions which confirm to you how fame is blameworthy, and how anonymity is excellent. Fame here is intended to seek majesty and authority. Love for majesty is the origin of all kinds of corruption. You may say: "Which fame is greater than the fame of the Prophets "peace be upon him", the rightly-guided caliphs and the pioneering learned and scholars? Why has the excellence of anonymity escaped them?" in reply to that, let's say that what is blameworthy is to seek for fame. But when fame is given to a servant by Allah Almighty, without being ostentatious to get it, it is not blameworthy. But it is a means of temptation for the weak and not the strong among the people. The weak is like a would-be sunk in the company of some people who are about to sink. It is better for him to be anonymous among them than to be renowned for if he becomes known, they would attach themselves to him, and he will weaken to help them, with the result that all will sink, unlike the strong one for whom it is better to be known to them, for in this case when they attach themselves to him, he would be powerful enough to help and rescue them, and receive reward for that.

CHAPTER THREE

EXPOSITION OF CONDEMNATION OF MAJESTY

Allah Almighty says: " That House of the Hereafter We shall give to those who intend not highhandedness or mischief on earth: and the End is (best) for the righteous." (Al-Qasas 83)

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

He Almighty then has assigned the abode of hereafter to such of men as intends neither highhandedness nor mischief. He further says: " Those who desire the life of the Present and its glitter, to them We shall pay (the price of) their deeds therein, without diminution. They are those for whom there is nothing in the Hereafter but the Fire: vain are the designs they frame therein, and of no effect are the deeds that they do!" (Hud 15-16)

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

Loving for majesty is one of the greatest pleasures and adornments of this world.

From among the Prophetic traditions, a mention may be made of the following:

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Loving for wealth and majesty causes hypocrisy to grow in the heart just as water causes herbage to grow in the earth." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "No rabid wolves have been sent to a fold of sheep, more destructive than those two of love for property, honour and majesty in the religion of a Muslim person." (This narration is reported by At-Tirmidhi and An-Nasa'i on the authority of Ka'b Ibn Malik). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Ali "Allah be pleased with him": "Verily, the people are ruined mostly by following their inclinations and loving for praise."

CHAPTER FOUR:
EXPOSITION OF MEANING AND REAL NATURE OF MAJESTY

It should be known to you that both property and majesty represent the main foundations on which this world is established. Property is to have possession of concrete things from which one gets benefit. majesty is to have possession of hearts which exalt and dignify the person and obey and comply with his commands. As well as the rich person is he who possesses money therewith he fulfills his desires, achieves his purposes, and accomplish all of his fortunes in this world, the dignified one is he who has possession of the hearts of people, i.e. has the ability to dispose of them in what serves his interests. As well as the rich gains money by means of many professions and crafts, he also gains the hearts of people by means of many dealings.

Hearts are not subjugated except through particular kinds of knowledge and beliefs. If a heart believes that a particular person has a certain characteristic that draws him close to perfection, it soon is attracted to him, and becomes subject to his personality as much as is in proportion to the strength of its belief on the one hand, and in accordance with the degree of the perfection of the prominent on the other hand. It is not requisite that the prominent should be perfect in himself; but it is sufficient for the heart to have faith in his perfection. As well as the lover for property likes to have possession of slaves and slave-girls, the seeker after

majesty likes to subjugate and enslave the free men through having possession of their hearts. But even, the enslavement sought by the prominent is greater for the owner possesses the slaves by force and oppression, and the slave by nature is disobedient, and were he to be left, he would rebel against slavery, unlike the prominent who possesses hearts of the free men by obedience and submission. In this way, what is required by the prominent is beyond what is required by the wealthy.

The concept of majesty then is to establish a high rank of a particular person in the hearts of people, and as strong as is their belief that he has a certain characteristic of perfection, they submit to him; and as strong as the hearts submit to him, he becomes able to dispose of those hearts; and as strong as is his power to dispose of hearts, he loves and rejoices at majesty. This is the concept and real nature of majesty. It has many fruits, like praise and acclamation. The one who has belief in the perfection of the prominent could not help but making a mention of his good characteristics. Service also is one of those fruits, for he could not help offering himself to serve him in the very manner he likes. A mention may be also made of altruism, exaltation, reverence, veneration, etc.

To have majesty established in the hearts means that hearts have faith that a particular person has a certain characteristic that draws him to a degree of perfection, in terms of knowledge, or worship, or good manners, or good ancestry, or power of authority, or physical beauty, or strength of body, etc. all of those characteristics and their likes cause hearts to exalt him, and this is how majesty is established in them; and Allah knows best.

CHAPTER FIVE:

EXPOSITION OF REASON WHY MAJESTY IS DEARER THAN WEALTH; AND DIFFICULTY OF REMOVING IT FROM HEARTS EXCEPT BY SELF-MORTIFICATION

It should be known that the reason why gold and silver, and all kind of property are dear to a person is the same which causes majesty to be dear, if not dearer to a person than property and wealth, just as gold is dearer than silver even if they are equal in value. That is because you know, for certain, that both Dirhams and Dinars (i.e. silver and gold) are not useless as pebbles in themselves to fulfill desires and achieve purposes required by people in so much as they are means to do all that one loves; and this is why they are dear to him. The same is true of majesty. The meaning of majesty is to have possession of hearts. As well as the possession of wealth gives one power to fulfill his desires, the possession of hearts of free people, and subjugation of them to his service provide him with power to achieve his purposes. That they join in the same cause requires that they should join in the same love. Moreover, giving preponderance to majesty over wealth requires that majesty should be dearer than wealth.

However, there are three reasons why majesty is dearer than wealth:

The first is that it is easier to attain wealth through majesty than to attain majesty through wealth. If a learnt or an ascetic who is prominent in the hearts of people likes to have wealth, it becomes easy upon him to do so. The wealth of

the masters of hearts are available to serve the hearts, and be given to such of people as in whose perfection there is a belief. On the contrary, if a despicable man finds a treasure, and he has no characteristic of perfection, and he likes to attain majesty through that treasure, he fails to do so. Thus, majesty is a tool and a means to wealth. Whoever has majesty could possess wealth through it, whereas whoever has wealth could not possess majesty through it. This is why majesty is dearer.

The second is that wealth is exposed to damage and wasting,, by being lost, stolen, or illegally usurped; and in order to preserve it, there is a dire need of guards and storekeepers. But once hearts of people are possessed, they are not exposed to such evils and dangers, and thus there is no need of any of those things, for they are far from the hands of thieves and usurpers. Majesty then is safe and secure from being usurped or stolen. It is true that hearts might grow angry and be ready to turn if the state or belief in perfection changes, but it is easier to avert that.

The third is that the possession of hearts grows and increase with no effort or difficulty. That is because once hearts submit to a person out of faith in his having a certain characteristic of perfection, tongues go on speaking fluently in praising and appreciating him, and the result of course is that others come to submit to him too. This is why man is inclined by nature to love majesty and fame. But in relation to wealth, it is only one person who possesses it, and he could not guard and invest it except with effort and suffering. Thus, if majesty of a particular person becomes in circulation among the people, hearts submit tc him, and tongues go on speaking about him fluently, the wealth then will be regarded with contempt in comparison with it.

Those are the points of giving majesty preponderance over wealth. But you may argue that the problem still exists in the sense that neither wealth nor majesty should be loved. However, it is true. The extent to which one becomes able to fulfill his desires and avert harm from him is known, like the one who needs clothes, residence and food, or the one who is afflicted with disease or punishment, which he could not avert from himself except by means of wealth or majesty: in which case, his loving for majesty and wealth is understood. That is because such of things as without which the beloved is unattainable is in itself beloved.

The nature of mankind is therefore amazing. It is predisposed to collect wealth, hoard up gold and silver and save money as much as is beyond the essential needs, to the extent that if one has two valleys of gold, he wishes to have a third, and so on. Similarly, one likes to be prominent across the land as far as he could reach, even if his majesty is to extend to areas and countries he would not go nor see its inhabitants, in order that they might exalt him, keep good relation with him through gifts and grants, or help him achieve certain purposes. And even in case of despair of any gift, grant or exaltation, he takes pleasure from that, for people are predisposed by nature to it.

Therefore, it is out of ignorance, for it is love for such of things as of no use in the world and the hereafter. But in spite of that, hearts could hardly be free

from that love; and this is due to two reasons, one is evident and perceptible, and the other is more subtle and ambiguous, and although it is greater than the former, it, therefore, is more delicate and abstruse, and beyond the reason of the intelligent, let alone the stupid among people. That is because it stems from a vein that is hidden in the self, and an instinct that is lurking in the nature, which none knows but those who dive deep into people's selves.

The first reason is to avert the pain of fear. One always feels afraid because of his evil assumption. Although he might have of wealth what suffices him immediately, his long hope prompts him to feel afraid that his money would be consumed and he might have nothing to sustain him in the coming days, and thus he needs further money. Once this occurs to his mind, fear rises within himself, and nothing removes that fear except to collect and save money. It is due to his fear for himself and his love for life, he assumes that life is long, that his needs in it are more, and that his money is exposed to damage and danger. Feeling afraid of all of that, he seeks to collect as much wealth as he could in order to remove that fear from himself. There is no limit of money to remove that fear. Such a person could not cease to collect money even if he is to have possession of all what the world contains.

For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Two greedy persons are never satisfied: the person who has greed for knowledge, and the person who has greed for wealth." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Ibn Mas'ud; and Al-Bazzar on the authority of Ibn Abbas). Such a disease provokes his love for majesty and fame to be established in the hearts of those far in residence form him, thinking that it is not unlikely that he might leave his homeland for theirs, or that they might leave theirs for his country, and in both cases, he might seek their aid to achieve his purposes and fulfill his desires. Being so, the majesty he receives in their hearts causes him a great pleasure and joy, in view of the security it saves for him from that fear (of time's vicissitudes).

The second reason is stronger and more effective, for it is spiritual, and the spirit is a Divine matter, which Allah Almighty describes in His statement: " They ask you concerning the Spirit (of inspiration). Say: "The Spirit (comes) by command of my Lord: of knowledge it is only a little that is communicated to you, (O men!)" (Al-Isra' 85)

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾

Its being Divine means that it belongs to the mysteries of the sciences of disclosure, and there is no concession to demonstrate it so long as the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" himself did not demonstrate it. But first of all, you should know that the heart is inclined to such brutal qualities as eating and having sexual relation; such wild qualities as fighting, striking and harming; such devilish qualities as cunning, deception, cheating, and seducing; and such Divine qualities as magnificence, honour, and seeking loftiness. That is because it is composed of different origins explaining which takes a very long time.

Anyway, let's say that in view of its Divine origin, it likes divinity by nature,

i.e. oneness of perfection and uniqueness of existence by way of independence. As perfection is one of the Divine characteristics, it is lovable to man by nature. Perfection lies in the uniqueness of existence, for to be sure, sharing in existence is shortage and imperfection. The sun is perfect for it exists alone, and had there been another sun sharing existence with it, it would have been imperfect, in view of the shortage of the unique existence of sunniness. It is only Allah Almighty Who maintains sole existence, for there is none to share existence with Him, and all things that exist are but traces and effects resulting from His power, which could not survive by themselves, but they are sustainable only by His power. In this way, they do not co-exist with Him Almighty, for co-existence requires equality in rank, and the equality in rank is shortage and imperfection, for the perfect is He Who is uniquely matchless. As well as the rising of sunlight over all parts of the earth is not an imperfection in its nature in so much as it is integral to its perfection, and that the sun is imperfect when there exists another sun to be equal to it in rank, similarly, all things in this world that exist result from the rising of the lights of the Divine power, and thus it is following and not followed.

The meaning of divinity then is to maintain unique existence, and this achieves perfection. Every man, by nature, likes to be uniquely perfect. This explains the statement of a Sufi person: "There is no man but that he has in his mind the idea stated by Pharaoh: 'I am your supreme Lord', except that he finds no way to declare it." It is the same as he said. Slavery is a kind of self-oppression and divinity is lovable in itself. This is due to the Divine portion He Almighty ha lodged in man as shown from His statement: " Say: "The Spirit (comes) t command of my Lord"". But although the soul fails to attain perfection, it neve ceases to have desire for it. It loves perfection, has longing for it, and takes pleasure from it for the sake of itself and not for the sake of anything beyond it. Every existing being loves itself and likes to be perfect, and dislikes destruction which expresses its shortage and imperfection. Ranking second to the uniqueness of existence, perfection lies in having possession of all the other existing things in the universe. The utmost degree of perfection is that others offshoot from you, and as this is impossible, the degree ranking second to it is to have possession of them. In this way, to have possession of all things has become lovable for it achieves a kind of perfection.

Every existing being knowing itself likes itself and desires to be perfect in itself, and takes pleasure from it. To have possession of a thing is to have the power to affect or change it, according to the strength of willpower on the one hand, and the extent to which this thing is subject to your power on the other hand. This is why man likes to have possession of all things that exist with him. But the existing beings are divided into the unchangeable in itself, like the essence, attributes and acts of Allah Almighty; those changeable in themselves, though being beyond the power of people, like the celestial bodies, the dominion of the heavens, the souls of angels, jinns, devils, as well as mountains and oceans; and those changeable by the people's power, like the land, its parts, and what it contains of minerals, plants and animals. To this third class, the hearts of men belong, for they are effectible and changeable, like their bodies and the bodies of animals.

As existing beings then are divided into that which man has no power to

change, like the essence, attributes and acts of Allah Almighty, the dominion of the heaven, the celestial bodies, etc, and those which could change like the things that exist on the surface and within the earth, man then is inclined to have possession of these of the first class by encompassing them with knowledge, learning and recognition. This is why man likes to know about Allah Almighty, angels, orbits, planets, stars, and all wonders of heaven, oceans and mountains, for this is a kind of possession, which, in turn, achieves a degree of perfection.

The second class which contains the earth and the earthly things, which man could change by his power, he likes, by nature, to have possession of them, by his power to affect and dispose of them as much as he pleases. They are of two divisions: bodies and souls. The bodies pertain to things like Dirhams, Dinars, and luggage: He should have power to do with them what he likes, such as to give, withhold, deliver or take; and it is this power which achieves for him a degree of perfection. Perfection is one of the Divine characteristics, which is lovable by nature. This is why he likes wealth, even though it is beyond his essential needs of food, clothes and residence. He also likes to possess slaves and further enslave free men even by oppression and dominance, in order to be able to dispose of their bodies and personalities, even if he does not have possession of their hearts, which might not believe in his perfection to come to love him. In this way, oppression replaces love in subjugating them.

The second division includes the souls and hearts of men, which he likes to have possession of, and power to dispose of in the very manner and way that cause them to be subject to his command and under his disposal. This possession is also a kind of perfection, for it belongs to the Divine characteristics. But hearts become subject only by love, which stems from the belief in one's perfection. Every kind of perfection is lovable in itself, for perfection belongs to the Divine characteristics. All the Divine characteristics are lovable by nature in view of the Divine portion lodged within man by Allah Almighty. It is that which experiences no death in order to vanish, nor does it come under the consumption of dust. It is the lodging of faith and knowledge, which reaches man to the meeting of Allah Almighty.

The meaning of majesty then is to subjugate hearts; and whoever gets the hearts subject to him has a power and possession. Both power and possession belong to the Divine characteristics. The hearts, by nature, loves perfection, which is attained through knowledge, power, authority, wealth, and majesty. Majesty, therefore, is a means to power, and as well as there is no limit to what is learnt, there is also no limit to the things over which man might have power. As long as there remains a thing to be known or possessed, longing never fades away, and this means that imperfection survives. For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Two greedy persons are never satisfied: the person who has greed for knowledge, and the person who has greed for wealth." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Ibn Mas'ud; and Al-Bazzar on the authority of Ibn Abbas).

What is sought by the heart is perfection, which is attained through knowledge and power. Its different degrees are beyond calculation. That is because the pleasure and delight of every one are determined by the extent to which he attains perfection. This is why wealth, power and majesty are lovable. The matter of loving them goes beyond the fulfillment of desires, for even in the absence of this factor, they also remain lovable. Man might love such of sciences as through which he achieves no purposes or fulfills no desires. Moreover, he might skip many purposes for the sake of obtaining knowledge about all wonders and problems that is available to him. That is because knowledge means to have possession of what is learnt, and this achieves a kind of perfection, which belongs to the Divine characteristics. For this reason, it is lovable by nature. But even, many errors result from the love for perfection of knowledge and power, which we shall show in detail later, Allah willing.

CHAPTER SIX:
EXPOSITION OF THE FACT THAT MAJESTY GIVES ILLUSORY AND NOT REAL PERFECTION

You now have come to know that in the absence of the uniqueness of existence, there is no perfection to be attained but through knowledge and power. But its real perfection is confused with illusory perfection. That is, the perfection of knowledge belongs only to Allah Almighty Alone (and not to anyone else). This is clear from three points:

The first pertains to the abundance and extensiveness of what is learnt: He Almighty encompasses with His knowledge all existing beings. Thus, the more man's knowledge is much, the more he is close to Allah Almighty.

The second pertains to the relation of the knowledge with what is learnt in its reality, as being completely revealed and exposed. In this issue, the learnt objects are exposed and revealed in their reality to Allah Almighty in the most perfect way. Thus, the more one's knowledge is clear, certain, authentic and reliable in the details of what is learnt, the more he is close to Allah Almighty.

The third pertains to the eternal survival and constancy of knowledge in a way in which it never changes nor disappears. The knowledge of Allah Almighty survives forever, and its change is unimaginable. Similarly, the more one's knowledge is unchangeable and invariable, the more he is close to Allah Almighty.

As to what is learnt, they are two divisions: the changeables and the eternals. The example of the changeables is like the knowledge that Zaid is in the house. It is a knowledge that implies a learnt object. But it is conceivable that Zaid might come out of the house, while the belief that he is still in the house remains, thereby turning knowledge into ignorance, which belongs to imperfection and not perfection. If you have a belief in a right thing which is conceivable to change, your perfection then is susceptible to turn into imperfection, and your knowledge into ignorance. This example represents all changeable things in this world, like your knowledge, for instance, of the height of a particular mountain, the area of a particular piece of land, the distance between particular countries, etc, and your knowledge of a particular language which consists of a changeable

set of vocabulary, that varies from time to time by the change of different generations, customs and habits. The specifics of that kind of knowledge is like mercury which changes from a state to another. Its perfection is temporary and not permanent.

The second division includes the eternal knowledge, like, for instance, the necessity of what is necessary, the possibility of what is possible, and the impossibility of what is impossible. This kind of knowledge is eternal, for in no way could a necessary turn into a possible, nor a possible into an impossible, nor an impossible into a necessary.

All those divisions belong to the knowledge of Allah Almighty, as to what is necessary for Him, what is impossible of His attributes and what is possible of His acts. The knowledge about Allah Almighty, His attributes and acts, and wisdom that lies behind the creation of both the heavens and the earth, his organization of things in this world and the hereafter, is the real perfection, which draws the knowledgeable of it closer to Allah Almighty, and whose benefit returns to the soul even after death. This knowledge becomes a light for the knowledgeable after death, since their Light runs forward before them and by their right hands, and they say: "O Lord! Perfect upon us our light." This means that this knowledge is a beneficial capital to uncover what is not uncovered in this world. Whoever has nothing of the knowledge of Allah Almighty should not covet to get such a light: on the contrary, he remains like him who is in the darkness from which he never comes out, Or like such as in "the depths of darkness in a vast deep ocean, overwhelmed with billow topped by billow, topped by (dark) clouds: depths of darkness, one above another: if a man stretches out his hand, he can hardly see it! For any to whom Allah gives not light, there is no light!" (An-Nur 40)

﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾

There is no happiness then but in the knowledge of Allah Almighty. The knowledge of anything else is divided into what is pointless, like the knowledge of poetry, genealogies of Arabs, etc, and what helps in the knowledge of Allah Almighty like the knowledge of Arabic language, interpretation of the Qur'an, religious jurisprudence, and news and stories (of the ancient people). The knowledge of Arabic language helps in the knowledge of the interpretation of the Qur'an; and the knowledge of the interpretation of the Qur'an helps in the knowledge of the way acts of worship are done correctly, and a soul is purified; and the knowledge of the way a soul is purified helps in making it more ready to accept the guidance to the knowledge of Allah Almighty, as shown from His statement: " Truly he succeeds that purifies it, And he fails that corrupts it!" (Ash-Shams 9-10)

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾

He further says: "And those who strive in Our (Cause), We will certainly guide them to Our Paths: for verily Allah is with those who do right." (Al-Ankabut 69)

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾

All of those items of knowledge are means to achieve the knowledge of Allah Almighty. Perfection then lies in the knowledge of Allah Almighty, His attributes and acts, and it implies all kinds of knowledge that encompass the existing beings. All existing beings are produced from His acts. So, whoever knows them as being the act of Allah Almighty, and as being subject to the Divine power, will and wisdom, it would be integral to the knowledge of Allah Almighty. This is the ruling on the perfection of knowledge. Although it is not relevant with the rulings on majesty, showing off and wealth, we have mentioned them here in order to complete all the divisions of perfection.

As for power, man could not attain real perfection in it. Although he might have real knowledge, he could not have real power. The real power belongs to Allah Almighty, and what occurs following the man's will, power and movement is indeed produced by the act of Allah Almighty as we have already stated in the Book of Patience and thanks, and in the Book of Reliance, and in many other places. The perfection of knowledge remains with the servant after his death, and conveys him to the meeting with Allah Almighty, unlike power, in which no real perfection is possible for man. It is no more than a means for him to attain the perfection of knowledge, like the soundness of his organs and limbs, the power of his hand to grasp things, his foot to walk, and his senses to perceive. This power is only a tool for him to achieve the reality of the perfection of knowledge.

In order to attain those faculties, he might seek the power of majesty and wealth, to help him get his food, clothes and residence. Unless he use it to help him know the Glory of Allah Almighty, no good lies in it, except the temporary pleasure. Ignorant is he who thinks it to be perfection; and most people suffer the same ignorance in this respect. They, though false, think that to have power over bodies by oppression, over money by getting much wealth, and over hearts by majesty, is perfection. When they love it, they pursue it, and when they pursue it they engage themselves in and compete over it, thereby they forget the real perfection, which draws one nearer to Allah Almighty and His angels, i.e. the knowledge and freedom.

Knowledge is, as we have already mentioned, to be well-acquainted with Allah Almighty, His attributes and acts. As for freedom, it is to release oneself from the fetters of desires and lusts, and anxieties and concerns of this world, in imitation of the angels whom no desire induce, nor anger irritate. However, to avert the traces of desire and anger from the self is a part of perfection, which is one of the characteristics of angels. One of the attributes of the Divine perfection is the impossibility of change and variation. Thus, the more one is less changeable and affected by the incidents, the more he is close to Allah Almighty, similar to the angels, and his position higher in the Sight of Allah Almighty. This is a third kind of perfection besides the perfection of knowledge and power. We have not included it in the previous divisions for its real nature refers to shortage and scarcity. To be sure, change is a shortage, for it means the loss of a certain attribute. The loss of a particular thing then is a shortage in the pleasures.

There are then three kinds of perfection, given that invulnerability to change and submission to desires and lusts is perfection in itself, like the perfection of knowledge and freedom. I mean by it not to submit to desires and seek the worldly means and causes. Furthermore, the perfection of power is a way to attain the perfection of knowledge and freedom. But, if the perfection of power ends with his death, his perfection of knowledge and freedom continues to be effective after his death, as being a mean to the nearness of Allah Almighty. Consider then how the ignorant have been turned over prone on their faces, and sought the perfection of power through majesty and power, although it is not valid, and even in case it is valid, it is perishable. At the same time, they turned away from the freedom of knowledge and freedom which is endless and everlasting.

It is those who have purchased the life of this world for the hereafter: no doubt, the punishment will not be lightened from them, nor will they be helped. They did not understand the significance of the statement of Allah Almighty: " Wealth and sons are allurements of the life of this world; but the things that endure, Good Deeds, are best in the sight of your Lord, as rewards, and best as (the foundation for) hopes." (Al-Kahf 46)

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾

Both knowledge and freedom are the everlasting good things, which continue to be perfection in the soul even after death, unlike the perfection of wealth and majesty which perishes sooner or later. It is just like the example given by Allah Almighty when He says: " The likeness of the life of the Present is as the rain which We send down from the skies: by its mingling arises the produce of the earth, which provides food for men and animals: (it grows) till the earth is clad with its golden ornaments and is decked out (in beauty): the people to whom it belongs think they have all powers of disposal over it: there reaches it Our command by night or by day, and We make it like a harvest clean-mown, as if it had not flourished only the day before! thus do We explain the Signs in detail for those who reflect." (Yunus 24)

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ
حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا
فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

He further says: " Set forth to them the similitude of the life of this world: it is like the rain which We send down from the skies: the earth's vegetation absorbs it. But soon it becomes dry stubble, which the winds do scatter: it is (only) Allah Who prevails over all things." (Al-Kahf 45)

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا
تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾

What is scattered by the wind of death is the splendor of this world, and what survives even after death is among the good things that endures forever.

Perhaps you now have come to know that the perfection of power through

wealth and majesty is illusory and not real, and whoever spends his time in attaining it is ignorant. To this meaning, Abu At-Tayyib Al-Mutanabbi, the great poet, refers when he says: "Whoever spends the long hours on collecting wealth and gathering property for fear of poverty, then, it should be known to him that it is poverty which he does." But exception is made here for such of men as earns only what provides for the minimum requirements of his living, which helps him attain the real perfection (of knowledge and freedom). O Allah! Make us among those whom You have helped and guided to the good.

CHAPTER SEVEN

EXPOSITION OF THE EXTENT TO WHICH MAJESTY AND WEALTH MIGHT BE PRAISED OR DISPRAISED

Since you learned that majesty is to have possession of hearts, it is then subject to the same ruling of possessing wealth. It is one of the transient things of this world. It ends by death. At the same time, the world is the farm of the hereafter. All that is created in this world is fitting for provision for the hereafter. As well as the least amount of wealth is necessary to provide for food, clothes and residence, the least extent of majesty is necessary, in order for man to be able to live among the people. As well as man could not dispense with food to sustain him, and this is why he loves the money therewith he buys food, he also could not dispense with a servant to serve him, a companion to help him, a teacher to guide him, and a ruler to safeguard him and avert from him the injustice of the evil among men.

Thus, it is not blameworthy for him to like to have in the heart of his servant a certain position which summons him to serve him, in the heart of his companion a certain position which encourages him to accompany and aid him, in the heart of his teacher a certain position which motivates him tc guide and teach him, in the heart of his ruler a certain position that urges him to protect him and avert evil from him. Majesty, like wealth, is a mean to transient things; and there is no difference between them. But by verification, it is clear that both wealth and majesty are not loved for their own sake. Their example is like one who likes to have a water circulation in his house for which he is forced by necessity of answering the call of nature. Indeed, he likes to dispense with answering the call of nature, in order to dispense with that water circulation. He does not then like the water circulation in itself. Whatever is sought just as a means to a beloved thing, it is that beloved which is intended by love.

Let's give another example. A man might love his wife in order that through her he gets rid of the surplus desire, just as he gets rid of the remaining food in the water circulation, and were he to fulfill his desire through any way else, he would then abandon her, just as were he to dispense with answering the call of nature, he would not enter the privy. But one might love his wife for her own sake, for he adores her, and in this case, were he to fulfill his desire through any way else, he would also remain with her (for he loves her for her own sake and not only for the sake of fulfilling his sexual desire).

The same ruling is applicable to both majesty and wealth. Each of them might be loved for any of both ways: it is not blameworthy to like them to have access

through them to the essential tasks of body; and it is blameworthy to love them for their own sake in what is beyond the necessary needs and requirements of body. But such a person is not described as sinful or disobedient as long as this love does not lead him to commit a sin. But it is sinful, if not forbidden, to have access to majesty and wealth through worship. This is the concept of the forbidden showing off, as we shall see later.

But you may ask about the extent to which it is permissible to pursue that. in reply, let me say that there are three ways to pursue that, two are permissible and the third is forbidden:

The forbidden way is to seek a position in their hearts based on their belief in his having a certain attribute which he does not have, like knowledge, piety or ancestry. This is forbidden for it belongs to falsehood and dissembling, either by word or deed.

One of the permissible other two ways is to seek a position for a certain attribute he really has, like the demand of the Prophet Yusuf "peace be upon him" from the king as told by Allah Almighty: "Set me over the treasuries of the land: I will indeed guard them, as one that knows (their importance)." (Yusuf 55)

﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾

He sought to have position in his heart depending upon his power of safeguarding and knowing on the one hand, and the king's need of him on the other hand; in which case he was true to his demand.

The other permissible way is to seek to hide one of his defects or sins in order that his position in the hearts of people would not disappear because of it. this is also permissible for it is not blameworthy to put curtain over one's defects, and it is impermissible to remove the curtain and highlight what is shameful. There is no dissembling in that. It is just to close the gate of knowing what is pointless or useless. It is like the one who hides from the ruler, for instance, that he drinks wine, but does not give him the false impression that he is pious. His statement that he is pious is dissembling, whereas his avoiding to recognize that he drinks wine does not give the impression that he is pious.

One of the forbidden ways here is to seek to pray perfectly in front of a certain person, in order to instill within him the belief of being pious. This is showing and dissembling, for by so doing, he gives him the false impression that he is of the sincere worshippers who submit to Allah Almighty. To seek majesty through that way is forbidden and unlawful. It applies to seeking it by the way of committing any other sin. It is similar to seeking to earn wealth from unlawful sources. As well as it is impermissible for one to possess the property of another by way of dissembling, it is also impermissible for him to have possession of his heart by falsehood and deception. To be sure, the possession of hearts is more serious than the possession of wealth.

CHAPTER EIGHT:
EXPOSITION OF CAUSES OF LOVE FOR PRAISE AND DISLIKE FOR DISPRAISE

It should be known that there are four causes of loving praise and taking pleasure from it:

The first cause, which is the strongest of them all, is that one feels perfection in himself. We have already mentioned that perfection is lovable, and the perception of what is loved is pleasant in itself. When one feels he is perfect, he gets comforted and pleased and delighted. The praise gives the praised the sense of perfection. The attribute with which one is praised might be evident or suspicious. If it is evident and clear, the pleasure taken from it is less effective, but not absent. If the attribute is suspicious, the pleasure taken therefrom is greater and more effective. It is like being praised by perfection of knowledge, perfection of piety, or absolute goodness. One might have doubt as to whether his knowledge or piety is perfect, and have longing for this suspicion to be removed, in order to become certain of being matchless in those attributes. If this is mentioned to him by another, he then rests assured of being so. The more the praiser is acquainted with those attributes, the more the praised becomes pleased and delighted. A pupil becomes very pleased with his teacher praising him with good intellect, much knowledge and sound mind. It is by the same cause that dispraise is disliked, for it always reminds one of his shortage and defect. Shortage is counter to the lovable perfection, and this is why it is hateful and painful. For this reason, the pain is greater when dispraise comes from such of men as well-acquainted with attributes and qualities, as we have already mentioned in the cause of praise.

The second cause is that the praise gives the impression that the heart of the praiser is in the possession of the praised, under his disposal, subject to his will, and submissive to his command. The possession of hearts is lovable, and to sense it is pleasant. Based on that, the more the praiser is important and renowned, the more the praised is pleased and delighted, and vice versa. It is by that cause also that dispraise is hateful and painful.

the third cause is that the praise given by a praiser could be a means to catch the hearts of other people, particularly if the praiser is a man of authority and influence. This applies to the public praise: in this case, the more the audience is massive, and the praiser is important and renowned, the more the praise is pleasant, and the dispraise is painful.

The fourth cause is that praise indicates to the veneration and reverence of the praised. The praiser is forced to give a free rein to the tongue to speak fluently about the praised, either willingly or unwillingly. In this way, veneration is pleasant for the power of influence and oppression it carries. This pleasure happens even if the praiser does not believe within himself in what he praises with. But that he is forced to praise him with it indicates to oppression. Thus, the pleasure is determined in proportion to the power of the praiser: the pleasure taken from the praise given by the powerful praiser is more effective than the pleasure taken from the praise given by a weak praiser.

The pleasure of praise becomes the strongest when those four causes gather altogether in a praiser, and weakens as much as they decrease. In relation to the first cause, i.e. the feeling of perfection, it might be repelled if the praised knows for certain that the praiser is not true in what he says about him. If he is praised, for example of being generous, openhanded, courageous, etc, and he knows that

he is not so, the pleasure of perfection then disappears from himself, and there remains only the pleasure of the possession of the heart of the praised. If he knows that the praiser does not believe in what he says about him, and that he, at the same time, does not have such attribute of praise, then, the second pleasure of the possession of the heart fades away, and there remains only the pleasure of oppressing him and forcing his tongue to praise him with good. If the praise is not caused by fear, and is rather by way of jesting and joking, all pleasures vanish.

This is sufficient to highlight the reason for which one takes pleasure from praise, and gets pained because of dispraise. We have mentioned that in order to know the remedy for loving majesty and wealth, and loving praise and fear of criticism. If the cause is unknown, the remedy becomes impossible. The remedy in the end is to analyze the causes of the disease. And Allah is the helper to attain success with His bounty and kindness; and Allah's blessing and peace be upon every chosen servant.

CHAPTER NINE:
EXPOSITION OF REMEDY OF LOVING MAJESTY

It should be known that he who is seized by the love for majesty, limits his interest and attention to care about the people, seeks to endear himself to them, and is eager to have his acts and deeds help exalt his position in their hearts. This is, to be sure, the first seed of hypocrisy and showing off. Of course, this leads to indulgence in worship, and doing acts of worship just in order to be seen of men, and delve into what is forbidden in order to catch hearts. For this reason, it is not strange that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" likened the love for honour and property to two rabid wolves. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "It (such love) causes hypocrisy to grow in the same way as water causes herbage to grow in the land." Hypocrisy is the contradiction between the outward and inward by deed and word. Whoever seeks to have position in the hearts of people is forced to behave with hypocrisy towards them, and seem to them as having good and praiseworthy moral character, which he might not have. This is out of hypocrisy.

Love for majesty then is among the destructive sins which should be treated and remedied. If it lasts for a long time, the heart is predisposed by nature to it, just as it is to the love for wealth. Its remedy is composed of knowledge and work. The knowledge is to learn the reason for which he loves majesty, i.e. to have the power over the hearts of people. We have already explained that even if this is valid, it ends by death, and thus it is not among the good things that endure forever. If all of the people on the surface of this earth, from the East to the West fall in prostration to you during your lifetime, fifty years later, neither you nor those who do this will remain alive on the earth. The religion should not be given up for the sake of that transient thing, for religion represents the eternal life which never ends.

To be sure, whoever understands the difference between the real and illusory perfection, majesty seems slight in his sight. But majesty seems slight only in the sight of such of men as regards the hereafter as if he sees it with his

own eyes, and despises the transients of this world, and seems in the very state of Al-Hassan Al-Basri who wrote the following admonition to Umar Ibn Abd-Al-Aziz: "Peace be upon you! You seem as if you are the last to be doomed to death, but even you have died." In reply to him, Umar sent to him the following: "Peace be upon you! You seem as if you are in the world, although you have not been engaged in it, and rather you are still engaged in the hereafter." Those devoted themselves to the good consequence, for which they acted in accordance with piety. They learnt that the good consequence should be for the faithful believers. The result was that they despised both wealth and majesty in this world.

But unfortunately, the sights of most people are weak and limited to the transients of this world. That is because their light does not extend to see the consequences. It is in that context that we should consider the statement of Allah Almighty: " Nay (behold), you prefer the life of this world; But the Hereafter is better and more enduring." (Al-A'la 16-17)

﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝ ﴾

He Almighty further says: " Nay, (you men!) But you love the fleeting life, And leave alone the Hereafter." (Al-Qiyamah 20-21)

﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ۝ ﴾

Such a person should treat his heart, first by knowing the evils and diseases of the world, i.e. to consider the dangers that threaten the prominent in this world. However, every prominent is an object of envy and harm of the people. He always fears for his majesty lest he would loose his position when the hearts of people towards him change, and the hearts change swifter than cooking vessels do when they are boiling. What is built upon the hearts of people is like what is built on the sea waves. On the other hand, to engage in caring about the hearts, maintaining majesty, repelling the intrigues of the enviers, and avert the harms is a transient concern, which contaminates the pleasure of majesty. In no way could the fear be removed by the hope in this world, let alone the loss of the hereafter. As such the weak sight should be treated. But the one of piercing sight and strong faith does not turn to this world with its transitory things. This is the remedy regarding knowledge.

In terms of work, it is to cancel out majesty from the hearts of people, by doing acts for which he is blamed, until he seems slight in the sight of people. By so doing, he will give up the pleasure of acceptability, become affable with anonymity, reject the people and be satisfied with the acceptability in the Sight of the Creator. This is the school of blame-seekers, who delved into the shameful deeds in their form in order to fall in the eyes of the people, and become safe from the evil of majesty. But even, this is impermissible for him whom the people imitate and follow, because he weakens the religion in the hearts of the Muslims. Furthermore, he, whom none imitates or follows, it is impermissible for him to do what is forbidden for the sake of that: but he is likely to do of such permissible acts as falls his position from the hearts of people. It is reported from one of the ascetics that he was visited by a king and when he learnt that he

became in a position close to the king, he asked for food, and went on eating greedily until he lapsed from the eyes of the king, who turned away and left him. On that the ascetic said: "Praise be to Allah Who has turned you from me." Some of them drank a lawful drink in a vessel whose colour gave the false impression that he was drinking wine, thereupon he fell from the eyes of the people.

Regardless of that conduct's being harmful when it is made permissible from the perspective of religious jurisprudence, the masters of hearts always treat themselves differently from what a Mufti might say, so long as they see it more convenient to reform their hearts, and later they would compensate the things in which they have indulged. In this respect, one of the people was recognized for his asceticism. In order to remove that idea from the minds, he entered a public bath and when he came out, he had put on the clothes of another one, and kept standing in the way for some time. When the people saw him, they beat him so much, deprived him of the clothes, and abandoned him.

One of the strongest ways of removing majesty is isolation from the people, and migration to a land in which one is anonymous. However, the one who gets isolated in his house in the town in which he is famous could hardly be free from loving the position he has in the hearts of the people because of his isolation. He might think that he does not love that majesty. But even, he is deceived, for were the hearts of the people to change from the belief they had in him, and ascribe him to a bad deed, he might become grieved and sorry, as shown from his attempts to apologize for that evil act to which they ascribe him, in order to remove from their hearts that idea they have about him.

On the other hand, whoever loves position and majesty is like him who loves wealth and property. But the former is worse for the temptation of majesty is more grievous. So long as he covets of the people, he could not help loving the position and majesty in their hearts. But if he earns his sustenance from his labour, and becomes independent of the people, they will be equal in his sight, and it will be the same to him whether or not he has position in their hearts. Nevertheless, one could not cease to covet of the people except by satisfaction: if one is satisfied with what is doomed to him, he will dispense with the people, and once he dispenses with the people, he will not engage himself in caring about them, nor will he give importance to his position in their hearts.

In order to do so, one might seek the aid of the news and narrations about condemnation of majesty and commendation of anonymity. He also should consider the states of the righteous predecessors, and how they adhered to mortification on the exclusion of honour and power, and desired for the reward of the hereafter.

CHAPTER TEN
EXPOSITION OF REMEDY OF LOVE FOR PRAISE AND DISLIKE FOR DISPRAISE

It should be known that most people were ruined because of their love for praise and dislike of dispraise; and this made them suspend all of their movements and procedures on pleasing others, in the hope of their praise

and for fear of their dispraise. This is, to be sure, one of the destructives which should be remedied, by knowing the causes that lead people to love praise and dislike dispraise. There are many reasons, and a mention may be made of the following:

The first is that by praising, the praised feel perfection. The way of remedy is to return to your mind and say to yourself: "Do you really have the same characteristic you are praised with?" If you really have it, then, does it deserve praise? it might be either a characteristic that deserves praise, like knowledge and piety, or does not deserve praise like property and majesty, or anything of the transients of this world. If it belongs to the transients of this world, then, rejoicing with it is like the rejoicing with the plant of the earth which grows and then turns to be dry stubble, which the winds do scatter. It is the weak-minded foolish who rejoices with such transients. For this reason, the rational should not rejoice with the transients of this world; and in case he rejoices with them, he should not rejoice with being praised with them, for it is not the praise which causes them to exist.

But if it is a characteristic which deserves praise, like knowledge and piety, then, he should also not rejoice with it, for indeed, the conclusion of deeds is unknown. Although such characteristics require pleasure, for they draw one close to Allah Almighty, the fear of the danger of the evil conclusion of deeds should divert one from any kind of pleasure and delight in this world. To be sure, the world is an abode of grief and distress and not an abode of happiness and pleasure. On the other hand, if you rejoice with them in the hope of the good end, then, you should rejoice with the favor of Allah Almighty upon you, Who has provided you with knowledge and piety, more than you rejoice with the praise of the praiser. The pleasure results from feeling of perfection, and perfection results from the bounty of Allah Almighty and not from the praise of the praiser. You then should not rejoice with the praise for by no means would the praise increase you in bounty.

If this characteristic with which you are praised is not in you, then, to rejoice with it is a kind of madness. Your example is like him whom another one mocks at saying: "How pleasant is the odor that comes out of his belly when he excretes." Although he knows well what his excretion carries of stinking odor and putrid substance, he rejoices at what the other says about him. The same is true of you if you are praised with righteousness and piety, and Allah Almighty knows well your evil and wickedness, it will be evident ignorance. If the praiser is true, you should rejoice with the bounty of Allah upon you when He has provided you with that good characteristic, and if he is false, then, you should grieve.

The second reason is the feeling of possession of the heart of the praiser, which might lead to the possession of other hearts. This reason refers to the love for majesty and position in the hearts of the people. We have already mentioned the way of its remedy, i.e. to cut off all covets of the people, and leave seeking position in their hearts for the seeking of position in the Sight of Allah Almighty. You should also know that your seeking and rejoicing with position in the hearts

of people lapses your position in the Sight of Allah Almighty. How then should you rejoice with it?

The third reason is the shyness that forces the praiser to praise you. You should not rejoice with that: on the contrary, you should grieve for the praiser praises you under compulsion of shyness. You should rather grow angry with that in imitation of the righteous predecessors, for the evil of the praise returns to the praised more than to the praiser. According to a righteous predecessor: "Whoever rejoices with the praise, has enabled Satan to enter into the inside of his body." Another one said: "If it is said to you 'How good you are' which is dearer to you than the statement 'How evil you are', then, you should know that you are evil not good."

It is narrated that a man praised another in the presence of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" thereupon he said: "If your companion (whom you have praised) was present and accepted what you have said about him, and then died in that state, he would enter the Garden." If this narration is authentic, then, it is destructive. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said to another praiser: "Woe to you! You have broken his back. If he (the praised) heard you (and accepted your praise), he would never prosper until the Day of Judgement." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Do not praise each other, and if you see the praisers, then, throw dust at their faces."

This is the state of the glorious companions "Allah be pleased with them". All of them were in awe of praise and its temptation, and the great pleasure with it that might enter the heart because of it. one of the rightly-guided caliphs asked a person about something, and he said: "O Commander of Believers! You are better than me, and know best." On that he grew angry with him and said: "I have not commanded you to commend me or give me prestige (before Allah Almighty)." It was said to one of the companions "Allah be pleased with them": "People are still good as long as you survive among them by virtue of Allah." On that he grew angry and ascribed him to those of Iraq (who were predisposed to hypocrisy). When another one was praised, he said: "O Allah! This man has come close to me by displeasing You. O Allah! I make you witness that I dislike him."

They seemed to have disliked praise for fear they would rejoice with the praise of the creatures while they might be hateful in the Sight of the Creator. Their occupation by their own affairs in the Sight of Allah Almighty caused them to dislike the praise of anyone else. That is because the real praised is he who is close to Allah Almighty, and the dispraised is he who is far removed from Allah Almighty. If the praised is among the denizens of fire in the Sight of Allah, and at the same time, he rejoices with the praise of people, then, how ignorant he is! If he is among the inhabitants of the Garden, he should rejoice only with the bounty of Allah Almighty upon him, more than with the praise. That is because his matter is in the Hand of Allah Almighty and not in the hand of anyone else. Once he knows for certain that he receives his sustenance and death from Allah Almighty, and not by virtue or help of anyone else, he does not turn to the praise and dispraise of the creatures. By

so doing, the love for praise would lapse from his heart, and he would devote himself to what concerns him of his religion and worship. Allah guides us to right, by His mercy.

CHAPTER ELEVEN
EXPOSITION OF REMEDY OF DISLIKING DISPRAISE

We have already explained that the cause of disliking dispraise is counter to the cause of loving praise. The remedy is similar. It is enough to say here that whoever dispraises you is one of three: he might be true to what he says, and he intends with it to advise you and show mercy towards you; and he might be true to what he says, but he says it with the intention to cause harm to you; and he might be false in his statement.

If he is true to what he says, with which he intends to advise and counsel you, then, you should not grow angry and resent him. That is because whoever presents to you your defects and shortcomings, you should thank him for he has guided you to what might destroy you perchance you would avoid it. you should rejoice with that, and occupy yourself by removing from you the dispraised attribute, as much as you could. But to grieve at that, condemn and dislike him because of that, is evident ignorance.

If his intention is to cause harm to you, at least you have got benefit from his statement about you, with which he has guided you to your defects to avoid if you are ignorant of it, reminded you of it if you know it and try to overlook it, or defaced it in your eyes in order to be prompted to remove it from you. All of that should cause happiness to you. So, you should engage in pursuit of the means of happiness, which he has made available to you. If you intend to enter upon a king and your garment is dirty, and somebody alerts you to that, you should rejoice with him, for he has saved you from the anger of the king if you enter upon him with that dirt. All evil manners are destructive in the hereafter, and since man knows them from his enemies, he should seize that opportunity. if his intention is to cause harm to you, then, the crime of it would be upon himself, and he benefit would return to you, for he has alerted you to your defects. In this way, you should get benefit from that, and let him bear the crime and incur the sin upon himself.

The first case is that he attributes lies to you, and dispraise you with that from which you are free in the Sight of Allah Almighty. You should also not grieve because of that: on the contrary, you should think of three things: the first is that if you are really free form that defect, you could hardly be free from any like it, and what Allah Almighty screens of your defects is more. So, you should give thanks to Allah, for He has not let him know your defects, and diverted him to that from which you are free.

The second is that this might be expiation for your sins. By so doing, he seems to throw you with a defect from which you are free, and purifies you from sins with which you have been contaminated. To be sure, whoever backbites you has indeed presented his good deeds to you, and whoever praises you has indeed cut off your back. What is the matter with you that you rejoice with cutting off your back and grieve with the gifts of good deeds which draw you close to Allah

Almighty? Do you not claim that you like to be close to Allah Almighty?

The third is that the poor little man (who dispraises you) has harmed his religion and looses his dignity infront of Allah Almighty, and by fabricating lies, ruined himself and exposed himself to His painful punishment and torment. You should then not grow angry with him, for Allah Almighty is angry with him. That is because if you grow angry with him, and invoke evil upon him, you would cause Satan to tease him. But rather you should invoke good upon him saying: "O Allah! Reform him! O Allah! Turn to him in repentance! O Allah! Bestow mercy upon him!" you should do so in imitation to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" who said: "O Allah! Forgive for my people! O Allah! Guide my people for they know not." (This narration is reported by Al-Baihaqi, and he said so when some of his people struck him "peace be upon him"). He seemed to have said so when his people struck him, broke his canine tooth and wounded his face, and killed Hamzah "Allah be pleased with him" his paternal uncle. Ibrahim Ibn Adham invoked forgiveness upon him who wounded his head, and when he was asked about that he said: "I learn that my sins would be forgiven for me because of him, and since I received from him nothing but good, I do not like that he would be punished because of me."

What facilitates the dislike of dispraise upon you is to cut off covet of people. Whatever he, with whom you dispense, dispraises you, you would give no care to his dispraise. The foundation of religion is satisfaction, by which covet of majesty and wealth is cut off. As long as there is covet, the love for majesty and praise prevails in the heart of him of whom you covet, and you do your best to attain the high position in his heart. But the result of that is the destruction of religion. The petitioner of wealth and majesty who covets of praise and position and dislikes dispraise and condemnation should not hope to keep his religion sound and perfect. How far it is!

CHAPTER TWELVE
EXPOSITION OF DIFFERENT CASES OF PEOPLE REGARDING PRAISE AND DISPRAISE

It should be known that the people have four cases in relation to the praiser and dispraiser:

The first is that one rejoices with the praiser and gives thanks to him, and grows angry with the dispraiser and resents him, and likes to requite him. This is the case of the most people; and it is the utmost degree of disobedience.

The second is to have feeling of rancor for the dispraise, but he holds back his tongue from condemning the dispraiser, and rather rejoices within himself. On the other hand, he gets comforted with the praiser, but keeps his outward from showing pleasure with it. although this belongs to shortage, it is better than the previous case.

The third which represents the first degree of perfection is to give no care about both praiser and dispraiser equally. He neither grieves with the dispraise, nor rejoices with the praise. Although a worshipper might think he is so, he might be deceived by his false assumption unless he checks its signs. Its signs are that he does not get bored of the dispraiser no matter how long he sits with him

more than he gets of the praiser, nor does he fulfill the needs of the praiser faster and more active than he does of the dispraiser, nor is it easier upon him to miss the dispraiser in his gatherings than to miss the praiser, nor is it more distressing to him the death of the praiser who always lauds him than the death of the dispraiser who condemns him, nor does he grieve for the misfortunes of the praiser more than he does for the misfortunes of the dispraiser, nor does he find the slip of the praiser lighter upon his heart than the slip of the dispraiser. The more both dispraiser and praiser are equal in his sight, the more he comes to attain that level of perfection. But even, how far this is from hearts! Most people rejoice with the praise though they feel not because they do not check themselves about those signs.

On the other hand, a worshipper might find himself to be more inclined to the praiser than to the dispraiser, and Satan adorns this inclination to him, saying: "The dispraiser has disobeyed Allah by dispraising you and the praiser has obeyed Allah by praising you. How then should you regard them equal in your sight? It is out of faith to get bored of the dispraiser." This is evident dissembling. Considering the matter, one finds that from among the people, there are many who commit major sins more than the dispraiser with his dispraise. But he does not get bored of them in the same way as he does of the dispraiser. Furthermore, he knows that the praiser who praises him might also dispraise others (therewith he commits sins). But in spite of that, he does not get bored of him (as long as he does not dispraise him), given that the dispraise is sinful, regardless of the dispraised.

Thus, the deceived worshipper grows angry for his own sake, and resents for his own inclination. Furthermore, Satan makes alluring to him to behave as such, with the intention to give precedence to his inclination, which keeps him far away from Allah more and more. Whoever does not know well the intrigues of Satan and the evils of the self, most of his acts of worship are no more than useless trouble and fruitless effort, which cause him to loose the goods of this world, and the rewards of the hereafter. In connection with them, Allah says: " Say: "Shall we tell you of those who lose most in respect of their deeds? Those whose efforts have been wasted in this life. While they thought that they were acquiring good by their works?" (Al-Kahf 103-104)

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

The fourth is to be true to his worship. It is to dislike praise and becomes displeased with the praiser, for he knows well that this praise is a means of temptation to him, which is to harm him, break his back, ruin his religion, and destroy his good deeds, and, at the same time, like the dispraiser, for he knows well that by dispraising him, he presents his defects to him, guide him to avoid them, and further grants his good deeds to him. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The top of humility is to dislike to be described with righteousness and piety." It is reported that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Woe to the fasting! Woe to

the one who stands (at night to perform prayer)! Woe to him who puts on wool (out of asceticism)! Except such and such." It was said: "Except who O Messenger of Allah?" he said: "Except he who refrains from this world, dislikes praise and likes dispraise." This is very difficult and grievous, and if this narration is authentic, it is destructive.

The highest ambition of the like of us is to covet of the second case, i.e. to conceal pleasure with the praise and displeasure with the dispraise, and not to demonstrate that through word and deed. We could not covet of the third case, which is to give no care to both the praiser and dispraiser equally. If we check ourselves about the signs of the second case, we would fail to do it, for we could not help dealing generously with the praiser more than with the dispraiser, and be more active in fulfilling the needs of the former than we would be regarding the latter. Indeed, we could not treat them with equality outwardly and inwardly. If there is one who could assume equality of treatment with both at least outwardly, let us take him as example to follow. What do you think then about the other two levels?

On the other hand, each of those four levels has many degrees. In relation to raise, from among the people, there is such as hopes for praise and appreciation, in order to attain good reputation and fame among the people, and he is ready to so anything in order to achieve this desire. He is ready to do acts of worship just to be seen of men. He also is careless about committing what is forbidden in order to attract the hearts of others, and magnetize tongues to praise and laud him. Such a person is among the ruined and destroyed. There is such as seeks it but through the permissible and not the impermissible things nor the acts of worship. Such a man is on an undermined sand cliff ready to crumble to pieces. The limits of the words and deeds therewith he attracts the hearts of people could hardly be adjusted, and this is why he is apt to fall into what is unlawful, in order to attain praise. Thus, he is very close to the ruined of the previous degree.

There is such of people as does neither wants nor seeks to attain praise. But if he is praised, of a surety, the signs of pleasure would be visible on him. If he does not mortify himself to reject that, he is about to be drawn by the excessive pleasure to the previous degree. But even, if he mortifies himself to force his heart to dislike pleasure, by putting before his eyes the evil of praise, he would be given to the risk of self-mortification, and wavering between win and loss. There is such of them as when he hears praise, he would neither be pleased with, nor grieve at, nor care about it. such person is good if he is really sincere to his conduct. There is such of them as dislikes the praise whenever he hears it. but his aversion does not lead him to grow angry with the praiser, nor reject his conduct. At the best, he dislikes, grows angry and demonstrates his anger, truthfully and sincerely, for if he is not true or sincere, in the sense that what he pretends contradicts what he feels in his heart, he then is a hypocrite.

On the contrary, the same is true of the people in relation to the dispraiser. The first degree is to demonstrate anger with the dispraiser, and the last is to demonstrate joy with him. One does not demonstrate joy with the dispraiser unless he is enemy to his own self, dislikes it, and knows well its defects and

shortcomings. Of a surety, man always is pleased with him who dispraises his enemy. Such a person does not only rejoice with him who dispraises his own self, but rather thanks him, thinking him to be prudent and smart as he brings to his attention his defects and flaws. It is a profit to him, for by dispraising him, he lowers his position in the sight of people, thereby protects him from their temptation. If good deeds are given to him as a result of dispraise, it will be good for him to compensate for his defects which he fails to remove. If one engages himself along his lifetime just to get accustomed to have both the praiser and dispraiser equal in his sight, he will have no time for anything to do. Furthermore, there still remain many obstacles that separate him from happiness, and this is one of them. Nothing could remove any of them but by way of difficult long self-mortification.

PART TWO
CONDEMNATION OF SHOWING OFF

It pertains to seeking for majesty and position through acts of worship, which stands for showing off, and it includes:

Exposition of condemnation of showing off

Exposition of real nature of showing off; and what validates the description of showing off

Exposition of Levels of showing off

Exposition of concealed showing off

Exposition of the extent to which showing off frustrates work

Exposition of medicine and remedy of showing off

Exposition of concession to disclose acts of worship

Exposition of concession to conceal sins

Exposition of leaving some acts of worship for fear of showing off and evils

Exposition of what is valid for a servant to do to practice his acts of worship because of people's seeing him

Exposition of what is binding upon a novice to do before and after an act of worship

Those then are eleven chapters; and Allah helps us attain success.

CHAPTER ONE
EXPOSITION OF CONDEMNATION OF SHOWING OFF

It is should be known that showing off is unlawful, and the maker of show (of deeds) is hateful in the Sight of Allah Almighty as confirmed by many Holy Verses, Prophetic narrations and traditions and sayings.

From among the Qur'anic Verses, a mention may be made of the following statements of Allah Almighty:

"So woe to the worshippers Who are neglectful of their Prayers, Those who (want but) to be seen (of men), But refuse (to supply) (even) neighbourly needs." (Al-Ma'un 4-7)

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝ ﴾

"Those that lay Plots of Evil, for them is a Penalty terrible; and the plotting of such will be void (of result)." (Fatir 10)

﴿ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝ ﴾

According to Mujahid, they are the hypocrites. Allah Almighty further says: ""We feed you for the sake of Allah alone: no reward do we desire from you, nor thanks." (Al-Insan 9)

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝ ﴾

He praised the sincere and truthful who had no intention but the Countenance of Allah Almighty, which is counter to hypocrisy or showing off. He also says: "whoever expects to meet his Lord, let him work righteousness, and, in the worship of his Lord, admit no one as partner." (Al-Kahf 110)

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝ ﴾

This Holy Verse was revealed in connection with those who expect the hereafter with their works and acts of worship, and do not intend to be seen of men.

From among the Prophetic narrations, a mention may be made of the following:

It is reported that a man asked the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Messenger of Allah! How does one get salvation?" he said: "It is that a man does not do any act of worship with the intention to be seen of men." According to the narration of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" about the three men, i.e. the killed in the Way of Allah, the almsgiver, and the reciter of the Book of Allah, Allah Almighty says to each of them: "You have told a lie! You wanted to be said that so and so is generous. You have told a lie! You wanted to be said that so and so is brave. You have told a lie! You wanted to be said that so and so is a reciter (of the Qur'an)." In this way, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" told that they would receive no reward, and that it is showing off which made fruitless their deeds. (This narration is reported by Muslim).

It is reported on the authority of Ibn Umar "Allah be pleased with them" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who makes a show (of deeds) to be seen of men, Allah makes his (humiliation) visible to the people; and he who makes a show (of deeds) to be heard of men, Allah displays his (sins) publicly." (This narration is reported by Al-Baihaqi and At-Tabarani). According to a long narration, Allah Almighty will say to His angels: "This man did not intend Me with his deed. So, put him in a deep pitfall (of Hell)." (This narration is reported by Ibn Al-Mubarak and Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Hamzah Ibn Habib).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The thing of which I fear most for you is the minor polytheism." They

asked: "What is the minor polytheism O Messenger of Allah?" he said: "Showing off. On the Day of Judgement, Allah Almighty will say when He rewards the people by their deeds: "Go to those to whom you used to make show (of your deeds): do you find any reward with them?"" (This narration is reported by Ahmad and Al-Baihaqi on the authority of Mahmud Ibn Labid; and At-Tabarani on the authority of Rafi' Ibn Khadij). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Seek refuge with Allah Almighty from the well of grief." It was said: "What is that O Messenger of Allah?" he said: "It is a valley in the Hell prepared for the (Qur'an) reciters to be seen of men." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Abu Hurairah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said too: "Allah Almighty says: "Whoever does a deed for Me, in which he joins others with Me, it is entirely for such a partner, and I'm free from it, I'm free from it. I'm the most independent of ascribing partners to Me (in worship)."" (This narration is reported by Malik, Ibn Majah and Muslim with slight variation of wording on the authority of Abu Hurairah).

According to the Messiah "peace be upon him": "If anyone of you observes fast, let him oil his head and beard and wipe his lips in order that people would not see that he is fasting. If he gives in charity with his right hand, let him hide it from his left hand. If he prays, let him hang down the curtain of the door of his house. Of a surety, Allah distributes praise in the same way as He distributes sustenance."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah Almighty never accepts a deed in which there is (as little as) an atom's weight of showing off." It is reported that Umar "Allah be pleased with him" said to Mu'adh "Allah be pleased with him" when he saw him weeping: "What does lead you to weep?" he said: "A Hadith I heard from the inhabitant of this grave", i.e. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". He said: "The least degree of showing off is a kind of polytheism." (This narration is reported by At-Tabarani and Al-Hakim). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The thing of which I fear most for you is showing off and hidden fame." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "In the shade often Throne (of Majesty) on the Day on which there will be no shade but His, there will be a man who gave a charity with his right hand, which he was about to hide from his left hand." (This narration is reported by both sheiks on the authority of Abu Hurairah). For this reason, it is reported (by Al-Baihaqi on the authority of Abu Ad-Darda') that the deed to be done in secrecy is seventy times superior to that to be done in public.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "On the Day of Judgement, the maker of show (of deeds) will be called: "O wicked! O treacherous! O maker of show (of deeds)! Your deed has been lost and your reward rendered fruitless. Go and take your reward from him for whom you used to do your deeds."" (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya on

the authority of a companion whom he did not name). it is further narrated on the authority of Shaddad Ibn Aws "Allah be pleased with him" that he said: I saw the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" weeping thereupon I said: "What causes you to weep O Messenger of Allah?" he said: "I fear polytheism for my nation. Behold! They do worship neither sun nor moon nor stone, but they make show of their deeds." (This narration is reported by Ibn Majah and Al-Hakim).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "When Allah Almighty created the earth, it trembled with its inhabitants, thereupon He created mountains as pegs to make firm the earth. The angels said: "Our Lord has never created a creation stronger than mountains." Then, He Almighty created iron therewith He cut off mountains, and created fire therewith He melted iron, and created water therewith He extinguished fire. Thus, the angels differed (as to which of the creation is the strongest). They said: "Let's ask Allah Almighty." They said: "O Lord! Which among Your creation is the strongest?" Allah Almighty said: "I have never created a creation stronger in My Sight than the heart of mankind when he gives a charity with his right hand which he hides from his left hand." This is the strongest creation He has ever created." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Anas, with a slight variation of wording).

It is narrated by Abdullah Ibn Al-Mubarak from a man that he said to Mu'adh "Allah be pleased with him": "Relate to me a Hadith you heard from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"." Mu'adh went on weeping so much that I thought he would not stop. Then, he stopped and said: I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" having said to me: "O Mu'adh!" I said: "I am answering your call O Messenger of Allah, let my father and mother sacrifice their lives for you!" he said: "I'm going to relate to you a Hadith, which, if you keep, it will benefit you, and if you waste, your argument with Allah Almighty will be lost on the Day of Judgement. O Mu'adh! Before Allah Almighty created the heavens and the earth, He had created seven angels, and assigned each angel to be a gatekeeper of each one of the seven heavens. The keepers of deeds ascend with the servant's deed from morning to evening, having light like the sunlight, and when they ascend with it to the first heaven, they multiply it, thereupon he angel entrusted to guard the first heaven says to the keepers: "Strike with that deed the face of its doer. I'm in charge of backbiting. My Lord has commanded me not to let the deed of a backbiter pass over me to anyone else."

He said: "Then, the keeper ascend with a righteous deed belonging to a servant and multiply it and when they come with it upon the second heaven, the angel entrusted to guard it says to them: "Stop, and strike with that deed the face of its doer, for he intended with this deed of his the good things of this world. No doubt, my Lord has commanded me not to let the deed of such a man pass over me to anyone else. He used to boast because of it over the people in their gatherings."

He said: "Then, the keepers ascend with an illuminating deed of fasting,

obligatory charity and prayer, that appeals the keepers, until when they come up with it to the third heaven, the angel entrusted to guard it says to them: "Stop, and strike with that deed the face of its doer. I'm the angel in charge of arrogance. My Lord Almighty has commanded me not to let his deed pass over me to anyone else. He used to behave arrogantly towards the people in their gatherings because of that deed."

He said: "Then, the keepers ascend with a deed of the servant, as shining as a glittering star, having sounding resulting from glorification, prayer, Hajj and Umrah, until when they come up with it to the fourth heaven, the angel entrusted to guard it says to them: "Stop and strike with that deed the face of its doer. Strike with it his back and front. I'm in charge of haughtiness. My Lord Almighty has commanded me not to let his deed surpass me to anyone else. It was his habit that whenever he did a deed, he would mix it with haughtiness."

He said: "Then, the keepers come up with the servant's deed to the fifth heaven, as if it were a bride to be carried home in procession to her husband, thereupon the angel entrusted to it says to them: "Stop and strike with that deed the face of its doer, and let him carry it on his shoulder. I'm the angel in charge of envy. He used to envy the people. He used to envy such of men as learnt and did the like of his deed, or did extra acts of worship. My Lord Almighty has commanded me not to let his deed surpass me to anyone else."

He said: "Then, the keepers come up with the servant's deed of prayer, obligatory charity, fasting, Hajj and Umrah, to the sixth heaven, thereupon he angel entrusted to it says to them: "Stop and strike with it the face of its doer, for he showed no mercy to anyone of the servants of Allah Almighty stricken with affliction: on the contrary, he used to glee at his misfortune. I'm the angel of mercy. My Lord has commanded me not to let his deed surpass me to anyone else."

Then, the keepers come up with the servant's deed of prayer, obligatory charity, fasting, striving (in the Way of Allah), piety to the seventh heaven, having sounding like the sounding of thunder, and light like the light of sun; and it ascends in the company of three thousand angels, and when they reach the seventh heaven, the angel entrusted to it says to them: "Stop and strike with that deed the face and organs of its doer, close therewith his heart. I screen from my Lord such of deeds as therewith the Countenance of Allah is not intended. He intended with his deed others than the Countenance of Allah Almighty. He intended celebrity among the religious jurisprudents, and renown among the religious scholars. My Lord has commanded me not to let his deed surpass me to anyone else. Every deed that is not done for the Sake of Allah is showing off. Indeed, Allah never accepts the deed of him who makes show (of his deeds)."

He said: "Then, the keepers come up with the servant's deed of prayer, obligatory charity, fasting, Hajj, Umrah, celebration of Allah, and good manners, in the company of many angels until when they go through all veils and screens to the Presence of Allah Almighty, stand in front of Him, and bear witness of this

deed's being righteous and done with sincerity for Allah Almighty, thereupon He says to them: "You are the keepers of My servant's deed, and I am the Watcher over himself. He did not intend Me with that deed, but intended others than Me. So, let My curse be upon him." All the angels then say: "Let Your curse and our curse be upon him." The inhabitants of the heavens say: "Let the curse of Allah and the curse of us be upon him." All seven heavens and earth and their inhabitants send their curses upon him."

Mu'adh said: I said: "O Messenger of Allah! You are the Messenger of Allah, and I am no more than Mu'adh." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Then, imitate me, and if your deed is defective O Mu'adh, hold back your tongue from harming your brothers from among the keepers of the Qur'an, incur your sins upon yourself, and not upon them, commend not yourself by dispraising them, nor raise yourself above them, nor mix the deed of this world with that of the hereafter, nor behave arrogantly in your gathering lest people would beware of your evil manners, nor speak privately to a man while you have another (i.e. when you are only three), nor regard yourself superior to men lest the good of both the world and hereafter would cease from you, nor tear the (honour of the) people lest the dogs of fire would tear you in the fire on the Day of Judgement. Allah Almighty says: "By those who gently draw out the souls of the blessed." (An-Nazi'at 2)

﴿ وَٱلنَّشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢ ﴾

Do you know what those are O Mu'adh?" I said: "Who are those let my father and mother sacrifice their lives for you O Messenger of Allah?" he said: "They are Dogs in the fire that remove flesh and bone." I said: "Let my father and mother be sacrificed for you O Messenger of Allah! Who could endure all of that, and who could be saved from it?" he said: "O Mu'adh! This is easy upon him to whom Allah makes it easy." The sub-narrator said: "Afterwards, I have never seen anyone more reciting of the Qur'an than Mu'adh "Allah be pleased with him"."

From among the traditions and sayings, a mention may be made of the following:

It is reported that Umar "Allah be pleased with him" saw a man lowering his neck thereupon he said to him: "O man of the neck! Raise your neck. Submission does not lie in the necks in so much as it lies in the hearts." Once, Abu Umamah Al-Bahili "Allah be pleased with him" saw a man in the mosque weeping in his prostration, thereupon he said to him: "Is it also your same conduct if you are in the house?" according to Ali "Allah be pleased with him": "The maker of show (of deeds) has three signs: he becomes lazy when he is alone, and becomes active when he is in congregation, and does more when his deed is praised, and does little when it is not praised."

It is reported that Ubadah Ibn As-Samit "Allah be pleased with him" said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "I fight with my sword in the Way of Allah Almighty, intending the Countenance of Allah and the praise of people." He said to him: "Then, you shall receive no reward." He asked him thrice, and in each time the Prophet gave him the same reply. In the

third time, he added: "Allah Almighty says: "I am the most independent of ascribing partners to Me (in worship)."" A man asked Sa'id Ibn Al-Musayyab: "Anyone of us does a favor with the intention to receive both praise from people and reward from Allah Almighty." He asked him: "Do you like to be hateful (in the Sight of Allah)?" he answered in the negative, thereupon he said to him: "Then, if you do a deed for the Sake of Allah, do it with sincerity to Him Alone."

Ad-Dahhak said: "None of you should say: 'This is for the Countenance of Allah and the face of you', nor 'This is done for the Sake of Allah and for keeping good relations with kith and kin', for indeed, it is not befitting for Allah Almighty to have a partner with Him." Once, Umar "Allah be pleased with him" beat a man with the stick and then asked him to take retaliation from him. He said: "No, I leave it for the Sake of Allah and for your sake." On that Umar "Allah be pleased with him" said to him: "Then, you shall have done nothing. Either you should leave it for my sake so that I would know it, or for the Sake of Allah Almighty Alone." He said: "I have left it for the Sake of Allah Almighty Alone." He said: "This is good then."

Al-Hassan "may Allah have mercy upon him" said: "I have accompanied a people, and wisdom used to occur to the mind of anyone of them and were he to speak with it, it would have been of great benefit to him and his companions, and nothing prevented him from that except his fear of fame; and anyone of them used to pass in the street and see a harmful thing, and nothing prevented him from removing it but his fear of fame." It is said that a maker of show (of deeds) will be called by four names on the Day of Judgement: "O maker of show (of deeds)! O Treacherous! O looser! O wicked! Go and take your reward from him for whom you did your deed, for there is no reward with us for you."

According to Al-Fudail Ibn Iyad: "In the past, they used to make show (of deeds) which they really did, and nowadays, they make show (of deeds) which they do not do." According to Ikrimah: "Verily, Allah Almighty gives a man for his intention more than he gives for his work, for no showing off lies in the intention." According to Al-Hassan "Allah be pleased with him": "A maker of show (of deeds) intends to challenge the decree of Allah Almighty. Although he is an evil man, he likes that people should describe him as a good man. But even, how should it be given that the hearts of the faithful believers should recognize him, for he is recognized for putting on hypocrisy in the Sight of Allah Almighty?"

Qatadah said: "If a servant makes show (of deeds), Allah Almighty says: "Look! My servant makes fun of Me." According to Malik Ibn Dinar: "Reciters (of the Qur'an) are of three kinds: Reciters of (Allah) Most Gracious, reciters of this world, and reciters of kings; and Muhammad Ibn Wasi' belongs to the reciters of (Allah) Most Gracious." According to Al-Fadl: "Whoever likes to see a maker of show (of deeds), let him look at me." According to Muhammad Ibn Al-Mubarak: "Show righteousness at night, for it is more honourable than to show it by day, for your righteousness by day is for the sake of people, whereas it is at night for the Sake of the Lord of the worlds." According to Sulaiman: "To ward off (the evil effects of showing off resulting from) a deed is more difficult than to

do the deed itself." According to Ibn Al-Mubarak: "It was the habit of one of people to circumambulate the House while he was in Khurasan." It was said to him: "How is that?" he said: "He liked that no mention should be made of his being close to the house in Mecca." According to Ibrahim Ibn Adham: "Not true to Allah is he who likes to be renowned."

CHAPTER TWO
EXPOSITION OF REAL NATURE OF SHOWING OFF

It should be known that the (Arabic) word 'Riya'" (showing off) is derived from Ru'yah (vision), i.e. to make show of a thing to be seen of men; and Sum'ah is derived from Samma'a (to cause to hear), i.e. to do a thing in order to be heard of men. Showing off is to seek position in the hearts of people, by showing to them the good characteristics. Majesty and position in the hearts of others are sought by acts of worship as well as by deeds other than worship. But showing off is usually restricted to seeking position and majesty through acts of worship. The definition of showing off then is to intend people by doing deeds of worship. Thus, the (false) worshipper represents the maker of show (of deeds), the people are those in whose hearts he seeks with his worship, and the characteristics and deeds he does to achieve that purpose are the objects of showing off.

The objects of showing off are divided into five divisions, with which one adorns by way of affectation: body, clothes, speech, deed and followers and concrete things. The world-seekers make show of those things. But it is less punishable to seek majesty and make show of deeds different from worship than to make show of the acts of worship.

The first division which is to make show in religion of the body. It is to show leanness and paleness to give the false impression of excessive diligence trouble and grief for religion, and giving preference to the hereafter over this world. By leanness, one intends to indicate to the scarcity of food, and by paleness to insomnia, diligence and sadness. Such a person also makes show of disheveled hair to give the false impression of wholehearted devotion to worship and religion. Once those things appear to the people, they know that this man is righteous, because of which he gets comforted. In order to achieve such comfort, his soul summons him to show those showy things. A mention may be made also of lowered voice, sunken eyes, and withered lips, in order to indicate to his regularity on fasting, religious reverence, and hunger. In connection with that, the Messiah "peace be upon him" said: "If anyone of you fasts, let him oil his hair, comb his head and apply kohl to his eyes." The same is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him". This is due to the fear of Satan's evil suggestion to him of showing off. For this reason, Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" said: "If morning comes upon you as fasting, oil your hair."

This is how those of religiosity make show of the religious deeds. In contrast to them are the world-seekers, who make show of fatness, brightness, medium size, smartness and prettiness, cleanness of body, strength and proportion of muscles, etc.

The second is to make show of appearance and clothes. As for appearance, it is to dishevel the hair of the head, shave mustaches, lower the head in walking, be quiet in movement, keep the trace of prostration on the forehead, put on coarse and rough clothes in general, and the woolen garments among them in particular, shorten the lower garment to half the leg, shorten the sleeves, give up cleaning the clothes, and leave it torn. He make show of all of that to demonstrate that he follows the sunnah, and imitates the righteous servants of Allah Almighty. There are many other aspects of that.

The point here is that those makers of show (of clothes) are of different classes: some of them seek the position among the righteous men, by demonstrating asceticism. That is, to put on torn dirt coarse rough clothes, with the intention to show that he is careless about this world and its good things. Were he to be asked to put on a moderate clean garment as the righteous predecessors used to do, it would be as harmful to him as slaying, for fear that the people would say that he had given up asceticism, and turned away from austerity, and rather desired for the good things of this world. Another class seek acceptability not only among the righteous people, but also among kings and dignitaries and those who have the power of authority. If they put on expensive graceful clothes, they would be rejected by the reciters, and if they put on torn coarse clothes, they would be despised by the dignitaries and celebrities. That is because they seek to be acceptable to the world-seekers and men of religion. For this reason, they put on clothes that might please both parties. Were they to be required to wear coarse and rough wool, it would be as harmful to them as slaying, for fear of being scorned by kings and rich, and were they to be asked to wear expensive and graceful clothes, it would be grievous upon them, for fear of being accused by men of righteousness of turning to the clothes of the world-seekers. The members of each class see their position in a particular kind of uniform, and disdain to change it, regardless of being more or less expensive than theirs, and of being permissible, for fear of being an object of blame.

The world-seekers make show of expensive clothes, fine garments, graceful vehicles, extensive adornment of residence and furniture, and the like of that. This is evident to the people. Although they put on coarse rough clothes in their houses, it is difficult upon them to meet the people with them, and rather prefer to be excessive in adornment.

The third is to make show of speech. The men of religion make show of preaching, reminding (of the hereafter), speaking with wisdom, retaining stories and news (about the righteous) to use in argumentation and debate, demonstrate much knowledge, and show care about the states and affairs of the righteous predecessors. It is also to move lips with celebration (of Allah) in the presence of people, enjoin right and forbid evil at the sight and hearing of people, show anger for evildoings, show regret for people's committing sins, weakening voice in speech, making it smooth during recitation of the Qur'an, to indicate to fear, grief, sadness, submission, and humility, claim to memorize Prophetic traditions and narrations, meet grand sheikhs and imams, criticize narrators of Hadith by pointing out his linguistic errors, in order to show how

acquainted he is with the Prophetic narrations, to hasten to debate and engage in argumentation with the intention to silence his opponents, in order to show to the people his religious knowledge. However, the kinds of affectation with speech are countless.

As for the world-seekers, they make show of retaining poetry and ostentation of eloquent speech, quoting strange and rare cases of grammar to highlight their superiority and excellence over others, and showing affection to the people to attract their hearts.

The fourth is to make show of deed, like the one who makes show in prayer of long standing, protracting back, long bowing and prostration, lowering head, leaving turning sideways, showing quietness and tranquility, and straightening both feet and hands. He also resorts to observing much fasts, giving much in charity, serving others with food, performing Hajj and Umrah, sticking to reverence and quietness and lowering head in walking to the extent that a maker of show might walk hastily to fulfill his need until when he makes sense to somebody looking at him, he soon returns to slowness and quietness, and lowering head, for fear he might be ascribed to hastiness, and once the man disappears, he soon returns to hastiness. Moreover, he does not remember Allah by way of renewing submission in so much as in response to his fear of a man seeing him, who might think he is not righteous. Some of them feel shy of having their privacy contradict their public, thinking that by so doing, they would get rid of showing off. But how far! Since they do so for fear of people and not for the Sake of Allah Almighty, their showing off is multiplied.

The world-seekers make show of deed by strutting and moving both hands while walking, narrowing paces, taking up the garment's tail, and moving shoulders, in indication to majesty and respect.

The fifth is to make show of the increasing number of companions, visitors and those with whom he mixes. Such a person forces himself to have the learnt, celebrities and righteous men and worshippers visit him, in order to be said that so and so seeks blessing by visiting him, or so and so frequents him so much, or to have kings or rulers come to his house, in order to be said that such and such a king or governor seeks blessing by him in view of his high rank in religion. Some of those also remember so often many sheikhs and righteous people, in order to boast of having a lot of them among his acquaintances.

Those are the things of which the hypocrites make show, seeking therewith position and majesty in the hearts of people. Some of them are satisfied with getting people have good assumption of his good manners and religion. How many a monk who kept himself in his church for many years, and how many a worshipper who got isolated to the top of a mountain for a long time! What makes such do so is just his knowledge that by doing so, he would receive high position and great rank in the hearts of the people. Were he to know that the people have ascribed him to a sin or crime in religion, from which he is guiltless, he would be confused and troubled, and would not be satisfied with the knowledge of Allah Almighty about his innocence: on the contrary, he would

grieve so much, and endeavor, as much as he could, to remove that evil assumption from the people's hearts, given that he does not covet of their wealth. But he does so for he loves majesty which is pleasant in itself as we have already mentioned in the previous part of this book.

Some makers of show are not satisfied with having a high position in the hearts of people: but he endeavors to have tongues unleashed to speak fluently about him with praise and acclamation. Some of them seek fame along the country, in order that a lot of people would frequent him. Some of them seek to be renowned in the sight of kings, in order that his intercession would be accepted, and his needs fulfilled quickly. Others seek to gather wealth and gain property from the endowments and the wealth of the orphans, all of which is unlawful. Those represent the worst class of makers of show.

But you may ask about whether showing off is unlawful, undesirable or permissible, or is subject to details. In reply to that, let me say that it is subject to details which go as follows: showing off is to seek majesty, whether through acts of worship or other deeds. If it is sought through acts other than those of worship, then, it is like seeking wealth, and thus it is not unlawful as being to seek majesty and position in the hearts of people. But as well as wealth might be earned by forbidden means, the same is true of majesty, and as well as earning little wealth which provides for one's necessary needs is praiseworthy, to get a little majesty in the hearts of people therewith to ward off evils is praiseworthy. It is that sought by Yusuf "peace be upon him" when he said: "Set me over the store-houses of the land: I will indeed guard them, as one that knows (their importance)." (Yusuf 55)

﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾

As well as wealth contains fatal poison and beneficial medicine, the same is true of majesty. As well as much wealth diverts one from the remembrance of Allah Almighty, and the hereafter, the same is true of majesty, if not more, for the temptation caused by majesty is more grievous than that caused by wealth. If we say that to have possession of much wealth is unlawful, we do not say that to have possession of much hearts is unlawful, unless wealth and majesty lead one to do what is impermissible. It is true that to divert one's attention to the extensive majesty and wealth is the beginning of evil, for the lover for both wealth and majesty could not give up the sins of heart and tongue. But to receive majesty without seeking to get it nor becoming aggrieved for its removal is harmless. None has ever had majesty and position greater than that of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and the rightly-guided caliphs after him, but to divert one's attention to seek majesty and position is deficiency in religion, but not unlawful.

Based on that, let's say that to make good man's dress whenever he comes out to the people belongs to making show (of deeds), but is not unlawful, because it is not showing off through acts of worship but through the worldly deeds. Compare to it then all adornments therewith one beautifies himself. This is confirmed by the narration of A'ishah "Allah be pleased with her" that once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" intended to come

out to meet his companions, and he started to look at the spring of water and straighten his hair and turban, thereupon she asked him: "Do you do so O Messenger of Allah?" he said: "Yes. Indeed, Allah likes that a servant should get adorned for his brothers when he comes out to meet them." (This narration is reported by Ibn Adi).

This is out of worship from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" for he was commanded to invite the people and attract their hearts to follow the new religion, and it was incumbent upon him to seem honorably smart in their sights, and were he to fall from their eyes, they would have no desire to follow him. So, it was due upon him to seem to them in his best states lest the eyes of the laymen would despise him, for indeed, the laymen's eyes always stretch to see the outward other than the inward aspects. This was the real purpose of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". But if one intends to seem smart in the eyes of people, for fear of their criticism and blame, and in order to receive respect and honour in their hearts, it would not be unlawful, for man has the right to relieve himself of the pain of blame and criticism, and seek the company of his brothers and friends, and if they get bored of and detest him, they would not become companionable to him.

This is why to make show (of deeds) through acts other than those of worship might be either permissible, or dutiful or undesirable, according to the different purposes intended. For this reason, we say that if a man spends his wealth on a group of the rich not by way of worship or charity, but in order to get him think he is generous, he is a maker of show (of deeds), but his conduct is not unlawful.

But if one makes show of deeds of worship, like prayer, fasting, almsgiving, performing Hajj and Umrah, and fighting, the perpetrator has two cases:

the first is that his purpose is only showing off, giving no importance to the reward. This conduct then invalidates his worship, for the reward of deeds ultimately depends upon the intention one has when he does it. it is also sinful and by doing it he becomes disobedient, as confirmed by a lot of Qur'anic Verses and Prophetic narrations.

It has two implications: the first pertains to the worshippers, which is dissembling and cunning, for by making show of acts of worship, he gives people the false impression that he is sincere and obedient to Allah Almighty, although he is really not so. However, dissembling in the worldly matters is unlawful. If one, for instance, fulfills the debt of another just to give the people the false impression of being generous and openhanded, he is sinful, for he has got possession of the hearts of people by way of deception and cunning.

The second pertains to Allah Almighty, for by doing the acts of worship to make show, he ridicules Allah Almighty. Qatadah "may Allah have mercy upon him" said: "When a man makes show (of acts of worship), Allah Almighty says to His angels: "Look at that man how he ridicules Me!"" a typical example is to stand in front of a king along the day. His intention is not to be in service of the king in so much as to be able to watch a king's particular slave-girl. By so doing, he ridicules that king, for his intention is not to serve him, but to watch

one of his slaves.

Which contempt is greater than that with which one regards Allah Almighty when he intends by obeying Him to make show of his deeds to one of His servants, too powerless to benefit or even harm him? Is it but because he thinks (though falsely) that this servant has more power to fulfill his needs than Allah, and that he is worthier of nearness and closeness than Allah Almighty? Which ridicule is more than to raise a servant above the master? To be sure, this is among the major destructive sins. This is why the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" named it the minor polytheism (according to the narration of Ahmad on the authority of Mahmud Ibn Labid; and At-Tabarani on the authority of Rafi' Ibn Khadij).

But this does not mean that some kinds of showing off are more severe and grievous than others, as we shall see later in the levels of showing off, Allah willing. But in general, showing off in entirety with its all levels is sinful. If one does not but fall in prostration and bow (in prayer) in order to make show (of deeds) to anyone other than Allah Almighty, it is sufficient for sin. That is because by so doing, one intends to come close to anyone other than Allah Almighty; and this is evident polytheism. But showing off belongs to the concealed polytheism, for the maker of show makes much of people in his heart, which requires him to bow and prostrate, in order to show his deeds to them rather than to do so with sincerity to Allah Almighty. The exalted is the people and not Allah Almighty. Once a person intends to exalt the people by his prostration rather than to exalt Allah Almighty, he has become at the threshold of polytheism.

But since he intends to exalt himself in the heart of him to whom he make show of deeds, in order that the latter would exalt him as a result of his seeming to exalt Allah Almighty, it is then a concealed and not evident polytheism. It results from ignorance, and none commits it but him who is deceived by Satan, who gives him the false impression that the servants have the power to benefit or harm him, and to dispose of his interests, sustenance, death, etc. this is why he turns his face from Allah Almighty to them, and seeks to attract their hearts to them. If Allah Almighty entrusts to them to dispose of his matters and affairs in this world and the hereafter, it would be the least punishment for him to receive for his evil deed. All servants are too powerless to benefit or harm themselves: how could they then benefit or harm others than them? If it is the case in this world, how would it be on a day on which no parent would save his child in the least, nor would a child save his parent? How should an ignorant exchange the reward of the hereafter and closeness to Allah Almighty for the false covet of people in this world? We should have no doubt that the maker of show of deeds of worship displeases Allah Almighty.

The second case is that in which one intends both reward of Allah and praise of people. This is the polytheism that contradicts sincerity. We have mentioned its ruling in the Book of Sincerity. This is confirmed by the statement of both Sa'id Ibn Al-Musayyab and Ubadah Ibn As-Samit "Allah be pleased with him", that he receives no reward for that.

CHAPTER THREE
EXPOSITION OF LEVELS OF SHOWING OFF

It should be known that some kinds of showing off are more grievous and severe than others, and it differs by the difference of its pillars. It has three pillars: the object of showing off, that for which one makes show of deeds, and the purpose of showing off.

The First Pillar: The Purpose Of Showing Off

Showing off might be intended solely without the worship of Allah Almighty or the reward, or it might be intended in the company of the worship of Allah and the reward. In the second case, the purpose of reward might be stronger, weaker, or equal to the purpose of worship. This results in four levels of showing off.

The first level which is the most grievous pertains to the absence of the intention of reward, like him who prays among the people, and were he to be alone, he would not pray at all. Moreover, he might pray among the people even without performing ablution. That is because his real purpose is only showing off. This is hateful in the Sight of Allah Almighty. The same is true of him who gives out charity for fear of the blame and criticism of people, and not in expectation for reward, and were he to be alone, he would not give it out at all. This is the highest level of showing off.

The second is to have besides showing off the purpose of getting reward. But this purpose is weak to the extent that were he to be in privacy, he should not have it, nor would it lead him to act upon it. were the purpose of getting reward to be absent, the purpose of showing off alone would lead him to act upon it. this is close to the previous level. Such a person is hateful and sinful.

The third is to have both purposes of reward and showing off equally, in a way that were each of them to be alone, it would not lead him to act upon it; and when both gather together, they prompt him to act. This person has his righteousness corrupted by his evils; and we hope that he be safe with neither benefit nor loss. But the apparent stories indicate that such a person is not safe. We have discussed this case in the Book of Sincerity.

The fourth pertains to him who is prompted to act by the knowledge of people about his affair. But in the absence of that knowledge, he would not give up worship. Were his purpose to be only showing off, he would not have done it. we think, and Allah Almighty knows best, that his reward would not be fruitless, but it would be reduced, or he would be punished as much as is in proportion to the extent to which his purpose is showing off, and rewarded as much as is in proportion to the extent to which his purpose is to get reward. As for the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that Allah Almighty says: "I'm the most independent of ascribing partners to Me (in worship)", it is understood to refer to the case in which both purposes are equal, or the case in which the purpose of showing off is preponderant.

The Second Pillar: The Object Of Showing Off

It pertains to the acts of worship. It is divided into making show of the fundamentals of worship, and making show of the features of worship.

The first division: making show of the fundamentals of worship; and it is more often. It is of three degrees:

The first is to make show of the foundation of faith, and this is the most grievous kind of showing off, and its perpetrator abides in the fire of Hell forever. It refers to the person who utters the words of testimony with his tongue, to which he gives lie within himself. He indeed makes show of the outward acts of Islam. Allah Almighty describes such a person in many Qur'anic Verses. He says: " When the Hypocrites come to you, they say, "We bear witness that you are indeed the Messenger of Allah." Yea, Allah knows that you are indeed His Messenger, and Allah bears witness that the Hypocrites are indeed liars." (Al-Munafiqun 1)

﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾

I.e. that their saying contradicts what is lurking in their conscience. He Almighty further says: " There is the type of man whose speech about this world's life may dazzle you, and he calls Allah to witness about what is in his heart; yet is he the most contentious of enemies. When he turns his back, his aim everywhere is to spread mischief through the earth and destroy crops and cattle. But Allah loves not mischief." (Al-Baqarah 204-205)

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾

He also says: "when they meet you, they say, "We believe": but when they are alone, they bite off the very tips of their fingers at you in their rage." (Al Imran 119)

﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ﴿١١٩﴾ ﴾

He says too: "The Hypocrites, they think they are over-reaching Allah but He will over-reach them: when they stand up to prayer, they stand without earnestness, to be seen of men, but little do they hold Allah in remembrance; (They are) distracted in mind even in the midst of it, being (sincerely) for neither one group nor for another. Whom Allah leaves straying, never wilt you find for him the Way." (An-Nisa 142-143)

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾

There many other Holy Verses in this issue.

Showing off was widespread in the early days of Islam as a lot of people embraced Islam outwardly, in order to achieve certain purposes. But this kind of

showing off has dwindled during our time, and given room for another kind according to which hypocrites withdraw inwardly from the religion, as shown from their denial of the Garden and the fire and the abode of the hereafter, in inclination to the statement of atheists, or from rejection of some religious laws and judgements in inclination to the freethinkers, or from a disbelief or religious innovation they believe in, whilst otherwise showing, etc. those are among the hypocrites and makers of show who will abide forever in the fire of Hell. There is no kind of showing off beyond that. They are more grievous than the disbelievers who announce their disbelief publicly, for they combine both the inward disbelief and outward hypocrisy.

The second degree is to make show of the fundamentals of worship, but with reservation of the foundation of faith. Although this is odious in the Sight of Allah Almighty, it is less grievous than the former. The example is him is like a man whose wealth is in the hand of another, whom he orders to give out charity, just for fear of his blame and criticism; and Allah Almighty knows well that were his property to be in his hand, he would not give out charity. It is also like a man who is in a gathering, and when the prayer is due, he prays with them, although were he to be alone, he would not pray at all. It is like a man who fasts Ramadan as long as he is in the company of people, with the desire for being in privacy to break fast. It is also like him who attends Friday prayer in the mosque just for fear of people's blame and criticism, and but for that, he would not attend. It is like him who keeps good relations with his kith and kin, or is dutiful to his parents, just for fear of the people, or fights or performs Hajj, not for the sake of fulfilling the respective obligation.

Such a person makes show of deeds of worship, although he has the foundation of belief that there is no god but Allah Almighty, Who Alone is worthy of worship. Were he to be required to worship or fall in prostration to anyone else other than Allah Almighty, he would not do. But he leaves the acts of worship because of laziness when he is in privacy, and when he learns that the people should know about him, he becomes active in doing the acts of worship. That is because his position in the sight of the people is dearer to him than his position in the Sight of the Creator, his fear of the people's blame and criticism greater to him than his fear of the punishment of Allah Almighty, and his desire for the people's praise stronger than his desire for the reward of Allah Almighty. This is the utmost degree of ignorance. Such a person is worthy of being hateful in the Sight of Allah, although he does not turn from the foundation of faith in terms of belief.

The third degree is to make show not of the foundation of faith nor of the obligatory duties, but of optional and supererogatory acts of worship, which, if he leaves, he would not be sinful. But at the same time, were he to be alone, he would not do them, in view of his weak desire for their reward, and giving preference to the pleasure of laziness over the expected reward. But he is motivated to do them by showing off. It is like attending prayers in congregation, visiting patient to inquire about his health, following funeral procession, taking part in washing the dead body of men, offering Tahajjud prayer at night, fasting

the day of Arafah, Ashura' (the tenth day of Muharram), and every Monday and Thursday. A maker of show might do so for fear of blame, or seeking praise, although Allah Almighty knows well that were he to be alone, he would not add anything to the obligatory duties.

Although this is odious in the Sight of Allah, it is less grievous than the former. In the former case, a maker of show prefers the people's praise to the Creator's appreciation, and wards off the people's blame more than the Creator's blame, regarding the people's blame greater in his sight than the punishment of the Creator. But in this case, the maker of show does not do so, for he does not fear punishment for leaving a supererogatory deed if he leaves it. He seems to receive half the punishment of the maker of show in the former case. This is the showing off with the fundamentals of worship.

The second division is to make show of the features of the acts of worship; and it is of three degrees:

The first degree is to make show of an act which, being left, leads to deficiency in worship, like him who likes to lighten bowing and prostration, and shorten standing and recitation, and when the people see him, he makes perfect bowing and prostration, leaves turning sideways, and completes sitting in between both prostrations. According to Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him": "Whoever does so regards with slightness his Lord Almighty." That is because he does not care about Allah's seeing him in privacy, whereas when somebody sees him, he hastens to make perfect his prayer. The same is true of him who is used to give out charity from among the bad coins or grains, and when the people see him, he gives it out from the good coins and grain for fear of their blame. Similarly, when such a person fasts, he abstains from backbiting and obscenity not to make perfect his worship but for fear of the blame of the people. This belongs to the forbidden showing off, for by it one gives precedence to the creation over the Creator. But at the same time, it is less grievous than to make show of the supererogatory acts of worship.

If a maker of show argues that he does so to keep their tongues from backbiting, for if the people see how he lightens bowing and prostration, shortens standing and recitation, they unleash their tongues to speak fluently with blame and criticism. In reply to him, you could say that this is an intrigue made by Satan to dissemble you. The harm you receive from the deficiency of your prayer which is a service to your Lord is more grievous than the harm you receive from the people's backbiting you. If it is religion that lies behind your conduct, you then would have more sympathy for yourself.

There are two cases for the maker of show in that respect: in the first case, he seeks position and praise of the people; and this is evidently forbidden. In the second case, he says: "I do not have the intention to be sincere to make perfect bowing and prostration. But at the same time, if I lighten that, my prayer would seem defective in the people's sight, and they would turn to backbite and blame me. So, to avert their blame and backbiting, let me make perfect my bowing and prostration in prayer, and although I expect no reward for that, it is better than to leave it entirely, with the result that I would loose reward and receive the blame."

This is suspicious. The right opinion is that it is binding upon him to be sincere in his worship, by making perfect his bowing and prostration in prayer. But if he does not have the intention to do so, he should continue to stick to his habit in privacy. It is not fitting for him to avert the people's blame by making show of deeds of worship, for by so doing, he mocks at Allah Almighty.

The second degree is to make show of a deed leaving which does not lead to deficiency in religion, and doing it is complementary to his worship, like prolonging bowing and prostration, standing, improving appearance, raising both hands, hastening to the first Takbir, reciting more than the usual Surahs, sitting in seclusion so much during the fasting of Ramadan, adhering to long silence, selecting the best of property for almsgiving, choosing the most expensive slaves to emancipate for expiations, etc. if he is in privacy, he would not do any of those things, of which he makes show in the presence of people to be seen of men.

The third degree is to make show of deeds that are extra what is supererogatory, like hastening to attend the mosque to offer prayer in congregation before all the people, aiming at the first row, choosing the right side of the imam, and the like of those acts. Allah knows that were he to be in privacy, he would not hasten to do any of those at all.

Those are the degrees of showing off as regards its object. Some of them are more grievous than others, and all are blameworthy.

The Third Pillar: That For Which One Makes Show (Of Deeds)

Of a surety, showing off should have a goal one seeks to achieve, like obtaining property or majesty, or any of the worldly purposes. It has three degrees:

The first which is the most grievous is to seek to do a sin, like him who makes show of his acts of worship, demonstrates his piety and abstention from eating what is unlawful or suspicious, and does much supererogatory deeds, and his purpose is to be recognized for his honesty and righteousness perchance he would be appointed in charge of judges or endowments or the property of the orphans which he illegally usurps, or the wealth collected from almsgiving to distribute among the people, from which he takes as much as he could, etc. one of them might seem in the dress of Sufism, speak with wisdom and behave with piety and submission, with the intention to attract a woman or a boy to commit lewdness with them. Some of them might attend the gatherings of knowledge and hear preachings and teachings and recitation of the Qur'an, and their purpose is to watch women and good-looking boys, or set out on journey to perform Hajj, with the intention to gain the company of a woman or a good boy from the caravan, etc. those are the most hateful makers of show in the Sight of Allah Almighty, for they take His obedience as a stairway to disobey Him.

Close to those, though less grievous, is a man who commits a crime and insists on refuting the claim from himself, and confirms his insistence by showing piety, like him who denies a particular deposit, and the people claim that it is with him, thereupon he gives out in charity from his property, in order to be said that since he gives out in charity from his own wealth, how should he make lawful the

property of anyone else? The same is true of him who is ascribed to committing fornication with a woman or a boy, thereupon he averts the claim from himself by showing piety and submission.

The second is that his purpose is to obtain a worldly permissible fortune, like gaining wealth or marrying a good-looking or noble woman,, etc. a mention may be made of him who pretends to be sad and weep so much and engages in preaching and teaching, in order that much wealth would be brought to him, and women would have desire to get married to him. One also might have a desire to marry the daughter of a learnt or worshipper, to whom he shows to be knowledgeable and righteous worshipper, so that he would give him his daughter in marriage. This showing off is forbidden, for by obedience of Allah, one seeks worldly fortunes. But at the same time, it is less grievous than the former, for what is sought here is permissible in itself.

The third is that he does not seek to have any of the worldly portions such as wealth or marriage, but he shows that he is a good worshipper for fear of being accused of indulgence or negligence in worship, or ascribed to the laymen and not to the ascetics or righteous worshippers. A mention may be made of him who walks hastily, and when he makes sense to somebody looking at him, he soon slows down his pace and improves his walk; or him, who hastens to laugh or joke at something, and, fearing of being despised by others, hastens to pray for forgiveness and show grief saying: "How heedless man is of himself! " Allah knows well that were he to be in privacy, surely, he would not disdain his conduct.

The same is true of him who sees a group praying Tarawih, Tahajjud, fasting every Monday and Thursday, or giving in charity, thereupon he does the same as their doing for fear he might be joined with laymen, although were he to be alone, he would not do any of that; or he who becomes thirsty on the day of Arafah or during the Sacred months, and rejects to drink to quench his thirst, for fear that people would know that he is not fasting, or him who is invited to food, and rejects in order to confirm that he is fasting. He might not state that he is fasting, but he would rather say: "I have a legal excuse." By so doing, he combines two cunning things: at first, he shows that he is fasting and sincere to his worship, and that he does not make show of his deeds of worship, since he avoids to make a mention of his worship to the people thereby he would be a maker of show of deeds of worship, with the result that people would say that he screens his worship. On the other hand, if he is forced to drink, he could not help justifying his conduct, by showing sickness or ailment, for which he is given to severe thirst, or claiming that he breaks his fast in order to please so and so, who likes his brothers, and always invites them to share food with him, or to please his mother who is weak-hearted, and shows sympathy for him and does not let him fast for fear of him. All of this belongs to the evils of showing off.

In contrast with him is the sincere to his worship, who does not care how people look at him. If he has no desire for fasting, and Allah Almighty knows that from him, he will not give others a false impression of something different about him; and if he has desire for fasting, he will be satisfied with

the knowledge of Allah about him, and will not let anyone share that knowledge with Him. It might occur to his mind that by showing it, he prompts others to imitate him. But even, this is among the intrigues devised by Satan, as will be explained later.

Those are the different levels and degrees of showing off, and the classes of makers of show, and all are hateful in the Sight of Allah Almighty, Who is angry with them all. It is among the most destructive sins, for it has many stains as hidden as the creeping of ants, according to many narrations and traditions, in which the greatest religious scholars slip, let alone the worshippers who are ignorant of the self evils and heart diseases; and Allah knows best.

CHAPTER FOUR
EXPOSITION OF CONCEALED SHOWING OFF THAT IS MORE HIDDEN THAN CREEPING OF ANTS

It should be known that showing off is divided into what is clear and what is hidden. The clear showing off is that which leads to doing a deed, even if his purpose is the reward. More hidden a bit is that which does not lead directly to doing deeds, but rather lightens the deed therewith the Countenance of Allah is intended. It is like him who offers Tahajjud prayer and finds it difficult upon him every night, and when a guest visits him, he becomes more active to do it, knowing that but for the expectation of reward, he would not pray only for the sake of making show of deeds before the guest. More hidden is that which does not affect the deed anyway, but at the same time, it is lurking in the heart.

Since it does not lead to any deed, it could be known only by its signs, the clearest of which is one's pleasure with people's knowing the acts of worship he does. How many a servant who is sincere to his worship, and does not like showing off. But if the people happen to know about his worship, he would become pleased with that. However, this pleasure indicates to his hidden showing off that produces delight. Were his heart not to care about the people, surely, he would not be pleased with their knowing about his worship. That is because showing off is potential in the heart in the same way as fire is potential in the stone, and it is the people's knowledge about his worship that extracts pleasure and delight, i.e. its characteristic signs. Once he feels the pleasure of delight, and does not counteract it with aversion for it, it turns to be sustenance for the hidden vein of showing off that is lurking within himself. One of its results is that it leads him, though stealthily, to make show of a thing that causes the people to know about him, like showing his leanness, paleness, dry lips, low tone of speech, traces of tears, etc.

More hidden than that is his concealment from the sight of people, so that they would know nothing about his worship, nor he would be pleased to make show of his acts of worship. But at the same time, once he sees the people, he likes that they should take the initiative to salute him, receive him with joy and reverence, praise him and make a good mention of him, be active to fulfill his needs, be lenient with him in transaction, and leave space for him to sit in the gathering. If their behaviours towards him fall short of his expectations, he would

grieve and feel estrangement. By so doing, he seems as if he expects reverence and veneration in reward for his acts of worship of which he does not make show to the people. Were he not to do those acts of worship in advance, he would not feel such estrangement because their behaviours towards him are less than his expectations from them. Were it not to be the same to him whether or not the people know about his acts of worship, he then would not be satisfied with the knowledge of Allah about him, nor would he be free from a hidden stain of showing off, more hidden than creeping of ants. All of that is about to make fruitless the reward, from which none but the sincere affirmers and lovers of truth could be safe.

In this respect, it is narrated on the authority of Ali "Allah be pleased with him" that he said: Allah Almighty will say to the reciters (of the Qur'an) on the Day of Judgement: "Were prices not made cheap for you? Did the people not take the initiative to greet you first? Were your needs not fulfilled for you? there is no reward for you because you have taken in full your rewards (in the world)." It is narrated by Abdullah Ibn Al-Mubarak on the authority of Wahb Ibn Munabbih that an itinerant said to his companions: "Indeed, we have left property and children for fear of transgression, and we feel afraid we have become more transgressing in this matter of ours than the owners of wealth in their property. That is because if anyone of us is received by a people, he likes to be honoured by them because of his religious position, and if he asks for a need, he likes to be fulfilled soon because of his religious position, and if he buys a thing, he likes that price be made cheap because of his religious position." The news of that reached their king, who rode and went to him in a great procession of people, and behold! The land with its valley and mountain was crowded with the people. The itinerant asked about that and it was said to him: "This is the king and he has come to visit you." he asked his servant to bring food to him, and he brought to him herbage, oil and tree bith. , the itinerant started to fill both corners of his mouth and eat greedily. The king asked about the man and he was pointed out to him. He asked him: "How are you?" he said: "Fine, like the ordinary people." The king said: "This man has no good." He left him and went away. On that the itinerant said: "Praise be to Allah Who has turned you from me, while you are criticizing me."

As such the sincere to their worship continue to feel afraid of the concealed showing off, and endeavor to hide their righteous work from the people, more than a sinner endeavors to hide his shameful deeds. They do so in the hope that their righteous deeds be sincerely for the Countenance of Allah Alone, and that they shall receive reward from Allah on the Day of Judgement for their sincerity before the people. That is because they learn that Allah will never accept on the Day of Judgement but that which is done with sincerity, and that they will be in dire need and destitution on that day on which neither property nor wealth would be of benefit, nor would a parent be punished on behalf of his child, nor a child on behalf of his parent, for each of them would be occupied by his own self.

The stains of hidden showing off then are countless. If one feels there is a difference between a man's knowing about his acts of worship and an animal's

knowing about that, then, he suffers a branch of showing off within himself. It is of no interest to the sincere one that anyone should know about his worship, regardless of his entity. Were he to be sincere to his worship, he would despise the rational, let alone the foolish and mad among the servants, i.e. would not mind whether or not they know about his acts of worship, putting in consideration that none has the power to do anything for him, to benefit or harm him, to provide him with or withhold sustenance from him, to change the time of his death, to increase or decrease his reward, etc. but if he does not feel that, then, he has a stain of showing off.

But not all stains of showing off make fruitless the reward, or corrupt the deeds, since there is difference among them. You may argue that there is no one but that he is hardly free from feeling pleasure if his acts of worship are known to the people. Are all kinds of pleasure blameworthy, or blameworthy in part and praiseworthy in part? In reply to that, let's say that not all kinds of pleasure are blameworthy. They are praiseworthy in part and blameworthy in part. The praiseworthy kinds of pleasure are of four divisions:

The first is that one intends to hide his acts of worship, and be sincere to Allah Almighty. But when the people know about his worship, he comes to learn that it is Allah Almighty Who has let them know about that, and demonstrated the good of his states, therewith he verifies that Allah Almighty does good to him, and looks at him with the eye of mercy, for he screens his sins and acts of worship, and Allah Almighty screens his sins upon him and demonstrates his acts of worship; and there is no kindness better than to screen the evil and demonstrate the good. In this way, he is pleased with Allah's kindness and mercy therewith He looks at him not with people's praise for him, and his position in their hearts. In confirmation of that, Allah Almighty says: " Say: "In the Bounty of Allah. And in His Mercy, in that let them rejoice": that is better than the (wealth) they hoard." (Yunus 58)

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

It seems to him that he is accepted in the Sight of Allah, therewith he is pleased.

The second is that since Allah screens his sins and demonstrates his good things in this world, he deduces that He Almighty would do the same in the hereafter, as confirmed by the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Allah never screens a sin upon a servant in this world but that He would screen it upon him in the hereafter." (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah). In the first case, one is pleased with the present giving no attention to the future, and in the second case, one is concerned with the future.

The third is that he thinks that those know about his worship with the intention to imitate him, with the result that his reward would be multiplied for their sake. In this way he receives a double reward: the reward of publicity (which prompts them to imitate him), and the reward of secrecy for he does not intend to make show of his acts of worship. It is well known that he would receive as much reward as is the number of those who imitate him; and expectation for that

abundant reward alone is sufficient for his pleasure.

The fourth is that those who know about his worship praise him for his acts of worship, thereupon he is pleased with their obedience to Allah as shown from their praise of him, love for the obedient of Allah, and inclination to obedience of Allah Almighty. This pleasure is with the good faith of the servants of Allah. The sign of sincerity in that kind is that his pleasure with their praise of anyone else is the same as his with their praise of him.

The fifth :But the blameworthy kind of pleasure is that one is pleased with the position he has in the hearts of the people until they praise him, fulfill his needs, and receive him with honour and respect. This is undesirable; and Allah Almighty knows best.

CHAPTER FIVE
EXPOSITION OF THE EXTENT TO WHICH SHOWING OFF FRUSTRATES WORK

Let's say that if one decides with sincerity to do an act of worship, and then something of showing off occurs to him, it might occur to him either after or before finishing from work. If it occurs after finishing from work, therewith he becomes pleased, but without the intention to demonstrate it, then, it would not frustrate his work, for the work in this case has been done and finished with sincerity, and free from showing off. That is because he did not hope to make show of it, nor did he talk to others about it, but it was demonstrated by Allah Almighty, therewith he became pleased and got comforted.

This is unlike the case in which he decides to do a work with sincerity, and after he finishes from it, it seems to him to demonstrate it and talk to others about it: this is risky. But many narrations and traditions tell that it frustrates the work. It is narrated that once Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" heard a man saying: "Yesterday, I have read the Surah of Al-Baqarah entirely." On that he said: "This is only his fortune from it." (i.e. he receives no reward for it because he made show of his recitation). It is narrated that a man said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "I have observed fasts perpetually O Messenger of Allah." On that he said to him: "You have neither observed fast (for you would receive no reward for it because you made show of it), nor broken your fast (for you troubled yourself by abstention from food and drink in vain)." (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Qatadah).

The statement of both Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" and the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" might provide evidence for the fact that such a person was not entirely free from showing off when he decided to do the work, as confirmed by his talking about it before the people. But it is more relevant to say that he would receive reward for his deed, and be punished for making show of it after finishing form it. but in case his heart changes into showing off during working, then, this might make fruitless his deed.

But sometimes, the idea of showing off might occur during working a deed, which he decides to do with sincerity. It might be only pleasure which does not

affect the work itself, or showing off which motivates him to work more. In this last case, if he concludes the work with showing off, then, its reward would be fruitless. Its example is like a man who, during his doing a supererogatory deed, a king or a celebrity comes upon him, and he desires him to look at him while doing the religious service; or like a man who, during his religious service, remembers something of his wealth he has forgotten, and he likes to get it, and were it not for fear of people's criticism, he would leave the service and go to his wealth. In this case, his reward would be fruitless, and if he is doing an obligatory duty, it is binding upon him to repeat it. this is confirmed by the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "The deed is like a vessel (containing cooked food): if its last portion is ripe, then, its first portion would be ripe too." (This narration is reported by Ibn Majah on the authority of Mu'awiyah Ibn Abu Sufyan). It is further reported that "He, who makes show of his deed for an hour, the reward of all the previous deeds become fruitless."

But if showing off occurs to him while he is working the deed in a way that does not prevent him from completing it for the sake of reward, it then belongs to the showing off that affects the work. Its example is like a man who is in prayer and then a group of people come, and, on seeing them, he is pleased with them and makes show of his deed in their presence, and improves his prayer for their sake. But even if they did not come, he would complete his prayer. If showing off prevails over the sense of the purpose of reward, then, the deed would be fruitless. But it might probably be said that it does not render fruitless the deed in view of the original decision of sincerity in the beginning, and the survival of the purpose of reward, no matter how weak it might turn to be.

Al-Muhasibi "may Allah have mercy upon him" is of the opinion that one's deed is fruitless by even less than that. He said: "If one does not intend more than pleasure with people's knowing about his deed, it is debatable: some argue that it renders fruitless the deed, for by so doing, he contradicts the first decision, and turns to rely on the praise of the people, and does not complete his work with the sincerity, for indeed, what counts is the conclusion of work." Then, he adds: "But as for me, I do not confirm that his work becomes fruitless if he is not motivated to do more; but I do not feel safe for him. However, if he concludes his work with showing off, it is close to my certainty that his work would be fruitless."

But, it may be argued that Al-Hassan "may Allah have mercy upon him" said: "Those are two cases: if there is no harm on him in the first, the second would cause no harm to him." However, it is narrated that a man said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Messenger of Allah! I do my work in secrecy, and do not like to have anyone know about it, and then the people know about it, with which I would become pleased." On that he said: "You would have a double reward: the reward of secrecy, and the reward of publicity." (This narration is reported by Al-Baihaqi on the authority of Ibn Mas'ud; and At-Tirmidhi and Ibn Hibban on the authority of Abu Hurairah). In comment on the statement of Al-Hassan, he (Al-Muhasibi) said: "As for the first

case in which there is no harm on him, it is that he does not leave the work; and the second case, which cause no harm to him, it refers to the delight and pleasure he receives (from being known to the people) as long as he intends the Countenance of Allah Almighty. But he did not say that there was no harm on him in case he decided to make show of the deed after he had decided to do it with sincerity.

In regard to the Hadith of the Prophet, there are three possibilities: the first is that he refers to the publicity of his work after finishing from it. the second is that he refers to his pleasure with the others' imitating him, or to any kind of praiseworthy pleasures we have already mentioned, and not the blameworthy pleasure with praise of others, or his position he has in their hearts. This is confirmed by the fact that he would receive reward for it. none among the nation is of the opinion that there is reward for pleasure with praise. Then, how should a sincere receive a single reward, and a maker of show a double reward? The third is that the Hadith is ended up with Abu Hurairah and not with the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him".

In our sight, the right is to say that if this kind of pleasure does not affect the work, which remains the same, i.e. is produced from the sincere intention, then, it would not be fruitless. As regards the narrations about showing off, they are construed to refer to the case in which one intends anything other than Allah Almighty. What is related concerning partnership, is construed to refer to the case in which the purpose of showing off and that of seeking reward are equal. But the case in which the purpose of showing off is weaker than that of seeking reward, the reward would not be entirely fruitless. We have discussed that matter in the Book of Sincerity in more detail. So, you might go to it.

The third division is that one starts his work with the intention of showing off. There is no difference that if his intention remains as such until he finishes from his work, then, his reward would be fruitless. But if he regrets during his work, and repents and returns to sincerity before finishing from the work, then, there are three probabilities: a party of people is of the opinion that he should continue his work. Another party is of the opinion that he should repeat the acts and deeds during which showing off occurs to him, for they are corrupt, but the entire work would not be forbidden. The third party adopts the opinion that it is not binding upon him to repeat anything: but it is sufficient for him to pray for forgiveness with his heart, and complete his act of worship with sincerity, for what counts, as we have said, is the conclusion of works. If one starts his work with sincerity, and concludes it with showing off, surely, his work would be corrupt. They likens that to a white garment which is contaminated with filth: if the filth is removed form it, it will returns to its original case. They argue that prayer, fro instance, with its bowing and prostration is for Allah Almighty, and if one bows or prostrates for anything other than Allah Almighty, then, he will be a disbeliever. But in this case, the incident of showing off is mixed with his deed and then is removed by virtue of regret and repentance; and thus his prayer would be valid.

The opinion of the last two parties is different from the religious jurisprudence. The right is to say that if his intention while assuming prayer is showing off, then, his assuming prayer is invalid, and what follows up also is invalid. Its example is like a man who, being alone, does not pray, and, on seeing the people, assumes prayer. This prayer is void of intention, for the intention is to respond to the motive of religion, and here there is no religious motive. But if he is in a state in which he would pray even in the absence of people, and on seeing them, he likes to be praised by them, then he would combine two motives: if he is doing an act of worship, in which there is no lawful nor unlawful, like recitation of the Qur'an, giving in charity, etc, he disobeys when he responds to the motive of showing off, and obeys when he responds to the religious motive: " Then shall anyone who has done an atom's weight of good, see it!, And anyone who has done an atom's weight of evil, shall see it." (Az-Zalzalah 7-8)

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝ ﴾

He shall receive reward as much as is equal to his true intention, and punishment as much as is equal to his wrong intention. But none of them frustrates the other.

If he is in prayer, which might be corrupt by the corruption of the intention, then, in case it is a supererogatory prayer, it has the same ruling of recitation of the Qur'an and giving in charity, i.e. one disobeys from one point of view, and obeys from another point of view, and then he receives reward as much as is equal to his right purpose, and punishment as much as is equal to his wrong purpose. But we could not say that his prayer is corrupt or that praying behind him is invalid. Since one should have good assumption of a Muslim that he seeks reward by his supererogatory prayer, then, it is rendered valid depending upon that right purpose, and praying behind him is valid, even if his right purpose is mixed with another purpose in which he is sinful.

If he is in obligatory prayer, in which he combines both motives equally and inseparably, then, he should be considered to have not fulfilled the obligation, for the motive of obligation alone did not prompt him to do it. but in case both motives are independent, in the sense that in the absence of the motive of showing off he would offer the obligatory prayer, and in the absence of the obligation motive he would offer supererogatory prayer to make show of his worship, then, the matter is debatable. It may probably be argued that the obligation is to pray with sincerity to Allah Almighty, and by so doing, he has not fulfilled the obligation, or that the obligation is to comply with the command of prayer, and he has really done it, for the mixing of another motive with it does not stand against fulfilling the obligation. For example, if one prays in an illegally usurped house, although he will be sinful by praying n a usurped house, at the same time, he will have obeyed by fulfilling the obligation itself.

If showing off is mixed with the initiative to the prayer, and not with the prayer itself, like him who, on seeing a group of people, hastens to offer the prayer at the first portion of its due time, and but for them, he would delay

the prayer to the middle portion of the time, and but for the obligatory duty, he would not assume the prayer just for the sake of showing off, then, there is no doubt that his prayer is valid, and he will have fulfilled the obligation due upon him, for the motive of prayer itself is not contradicted by any motive else, and in no way would the motive of choosing the time of prayer invalidate his prayer. This is all to be said about showing off that motivates one to do a work. But as for pleasure with people's knowing about one's deed of worship, which not affects the performance of the deed itself, it is unlikely that it corrupts the prayer.

We see that this is fitting for the law of jurisprudence. But even, the matter is abstruse in the sense that the religious jurisprudents did not talk about it, and even those who talked about it did not take heed of the laws of religious jurisprudence and the fatwas of jurisprudents concerning the validity and corruption of the prayer. Their eager to purify hearts and cleanse souls and seek sincerity led them to render corrupt almost all the acts of worship, depending only on passing thoughts. To be sure, the knowledge is with Allah Almighty, Who knows the unseen and the visible, and He is the Most Gracious, the Most Merciful.

CHAPTER SIX

EXPOSITION OF MEDICINE AND REMEDY OF SHOWING OFF

You have come to know that showing off frustrates deeds, and causes one to be hateful in the Sight of Allah Almighty, as it is among the major destructives. Being so, it is fitting for one to seriously undertake to remove it as much as he could, through self-mortification and enduring all kinds of trouble and suffering. No cure is expected but by drinking bitter and sore medicines. Almost all the people are forced to that mortification. The child who is created as weak-minded sees with his eyes how people deal with each other ostentatiously, with the result that he turns to be ostentatious in his dealing with others. It is not before the maturity of his mind that he feels that this is destructive, but unfortunately, after showing off has become deep-rooted within himself, which he could not suppress except by self-mortification and resistance of the power of desires and lusts. This is why almost all the people are forced to undergo that mortification. But it is very difficult at first and gradually, it turns to be easy. There are two stations to remedy it: the first is to remove its roots and origins from which its branches spring. The second is to avert what occurs of it immediately.

The First Station Is To Remove Its Roots And Origins

Its origin is to love majesty and position in the hearts of people. It includes three principles: pleasure of praise, flight from pain of dispraise, and covet of what is in the hands of people. In confirmation of the fact that those are the causes of showing off, which motivates the maker of show to do so, it is narrated on the authority of Abu Mussa "Allah be pleased with him" that he said: a Bedouin asked The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Messenger of Allah, one of us fights to display his courage"; i.e. he disdains to be overpowered or dispraised for his being defeated, "And a

man fights in order to see his position"; and this is the pleasure of seeking majesty and appreciation, "and a man fights in order to be remembered (by people)"; and this is the love for praise. "who amongst these fights in the way of Allah?" The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Who fights that the word of Allah be exalted fights in the way of Allah." (This narration is reported by both sheikhs) in another version, the Bedouin said:

According to Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him": "When both rows (of warriors) meet, the angels descend and enlist the fighters according to their ranks: So and so fights to be remembered by others, so and so fights for the sake of dominion; and of a surety, fighting for the sake of dominion is caused by covet of this world." According to Umar "Allah be pleased with him": "They say that so and so is a martyr, and perhaps he might have filled what is between the binders of his riding mount with silver." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who fights seeking for nothing but a she-kid, will have only what he intends for." (This narration is reported by An-Nasa'i).

But one might not have no covet of anything in this world, nor a desire for being remembered by them: but he bewares of the pain of dispraise, like the niggard among generous people who give abundance of wealth in charity, in which case, he gives a little in charity in order not to be dispraised by niggardliness, although he does not covet of praise, since others have preceded him, or the coward among brave people, who does not flee from the battlefield in order not to be dispraised by cowardice, although he does not covet of any praise, since others have preceded him to attack the enemies. If he despairs of praise, he likes to flee from the pain of dispraise. It is also like a man among some people who spend the whole night in prayer, in which case he prays a few number of rak'ahs in order not to be dispraised by laziness, though he does not covet of praise.

Although one might have the power to keep patient on loosing the pleasure of praise, by no means could he keep patient on the pain of dispraise. For this reason, he might refrain from asking about something of knowledge which he needs, for fear of being dispraised by ignorance, or give fatwas without knowledge, or pretend to have knowledge of Hadith of which he is really ignorant. He does all of that in avoidance of dispraise.

Those three things motivate the maker of show to make show of deeds. Its remedy has been mentioned in general in the first half of this book. But now, let's mention the remedy of showing off in detail. There is no doubt that one likes a thing and has a desire for having it thinking it to be good, pleasant and beneficial for him whether immediately or in the future. If he knows that it is pleasant for him immediately, and harmful to him in the future, it becomes easy upon him to turn from it, like him who knows that the honey is delicious, but, learning that it is poisoned, he turns away from it. similarly, the way to remedy this desire is to know the harm that lies in a desired thing. Once a servant knows the harm that lies in showing off, and how it corrupts his heart and soul, deprives him of

success and guidance immediately, and of the good position in the Sight of Allah Almighty in the hereafter, exposes him to grievous punishment, heinous wrath and apparent humiliation when he will be called in front of all the people: "O wicked! O betrayer! O maker of show! Had you not felt shy when you sold the obedience of Allah Almighty for the fortunes of the world, observed the hearts of the servants, ridiculed the obedience of Allah, sought to obtain the love of people by displeasing Allah Almighty, get adorned to them by being shameful in the Sight of Allah, come close to them by becoming far from the Presence of Allah Almighty, seek to be praised by them by being dispraised by Allah Almighty, and invoke their pleasure by putting yourself to the danger of the displeasure of Allah Almighty? Was there not anyone more insignificant to you than Allah?"

When one considers all of that , and compares what he receives from the people in this world with what he will loose in the hereafter, and how the reward of his deeds becomes fruitless, given that by the reward of a single deed to be done with sincerity, the scale of good deeds might overweigh that of his evil deeds, and if it is corrupt by showing off, it will move to the scale of his evil deeds, causing it to overweigh the scale of his good deeds, leading him to the fire of Hell, of a surety, he turns from showing off. If showing off has no harm but to frustrate the reward of a single act of worship, it will be sufficient to know to which extent it is harmful. And even in the case his good deeds overweigh his evil ones, he knows that in the absence of showing off he would attain, by virtue of that deed, the highest rank in the company of the Prophets, martyrs and sincere affirmers of truth. But it is showing off that would lower his rank. Let alone the dispersion of his interests in pursuit of observing the hearts of people, for indeed to please all the people is unattainable. Whoever seeks their pleasure for the displeasure of Allah Almighty, of a surety, Allah becomes displeased with him, and causes them to be displeased with him. Moreover, which thing would he gain by praising them which exposes him to the dispraise of Allah Almighty? His praising them would not avail him in the least in regard with sustenance or time of death, nor would it benefit him on the day of his poverty and bankruptcy, i.e. the Day of Judgement.

As for covet of what is in their hands, its remedy is to learn that it is Allah Who subjugates their hearts: it is He Who causes them to give, and it is He Who causes them to withhold. There is no provider of sustenance other than Allah Almighty. The one who covets of the creatures exposes himself to humiliation; and if he achieves his objective, he becomes under obligation to them. How should one then leave what is with Allah Almighty for a false hope and corrupt imagination, which might or might not hit the mark? And even if it hits the mark, the pleasure obtained from it is not equal to the pain of humiliation caused by it. to displease the people is not harmful and does not cause one to be sinful unless he translates it into words which Allah writes as sins against him. It neither hastens death on him, nor increases his sustenance, nor causes him to be of the denizens of the fire if he is among the inhabitants of the Garden, nor causes him to be hateful in the Sight of Allah if he is praiseworthy to Him. That is because all

servants are helpless and have no power to benefit or harm each other.

Once he is sure of those evils, and of their causes and means, he then leaves showing off, and devotes himself to Allah Almighty, for the rational is he who does not take what harms him much and benefits him little. It is sufficient for him to know that if the people learn the purpose of showing off that is lurking in his heart, they would hate him. Sooner or later, Allah Almighty is to uncover his secret, until he causes him to be hateful to the people, as being a maker of show, hateful in the Sight of Allah Almighty. But if he proves sincere to Allah Almighty, surely, Allah uncovers to them his sincerity, causes them to love him, makes their hearts subject to him, and unleashes their tongues to praise and laud him, given that no perfection lies in their praise, nor does imperfection lie in their dispraise. It is narrated that a poet belonging to the sons of Tamim said: "My praise adorns and my dispraise defames." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "You have told a lie, since the one who does so is Allah Almighty with Whom there is no god." (This is reported by Ahmad on the authority of Al-Aqra' Ibn Habis).

That is because adornment lies only in Allah's praise, and defamation lies in His dispraise. Which good do you have in the people's praise given that you are blameworthy in the Sight of Allah Almighty, and among the denizens of fire, and which evil do you receive from the people's dispraise given that you are praiseworthy in the Sight of Allah Almighty, in the company of those brought near to Him? So, whoever recalls to his mind the hereafter with its bliss and happiness would inevitably despise this world and all evils and embitterment that it contains.

This remedy of showing off and removing its causes pertains to knowledge. As for the practical remedy, it is to get himself accustomed to hide his acts of worship as much as he could from the people, and close all gates upon it in the same way as one closes the gates upon shameful deeds, until his heart is satisfied with the knowledge of Allah alone of his acts of worship, giving no importance to the knowledge of people. It is reported that one of the companions of Abu Hafs Al-Haddad condemned the world and its inhabitants, thereupon he said to him: "You have showed what you have been concealing. Do not sit with us after that day." This is why no concession was given afterwards to condemn it, for condemning the world carries a claim of abstinence in it.

There is no remedy of showing off better than concealment, which is difficult in the beginning of self-mortification. But if one keeps patient on it, it gradually becomes easy upon him. To be sure, " Verily never will Allah change the condition of a people until they change it themselves (with their own souls)." (Ar-Ra'd 11)

﴿ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴿١١﴾ ﴾

Mortification is due upon the servant, and guidance is incumbent upon Allah Almighty, and it is due upon the servant to knock at the door, and it is incumbent upon Allah Almighty to open it, " for Allah suffers not the reward to be lost of those who do good." (At-Tawbah 120)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

"Allah is never unjust in the least degree: if there is any good (done) He doubles it, and gives from His own presence a great reward." (An-Nisa 40)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

The Second Is To Avert What Occurs Of It

This also should be learnt. When one removes showing off from himself, cuts off the roots and origins of it from the heart, by satisfaction and contentment, giving up covet of what is in the hands of people, lowering himself from the sight of people, and giving no importance to their praise or dispraise, Satan does not leave him alone during his engagement in the acts of worship: but rather, he tries to divert him by thoughts of showing off and dissimilation, and his tendencies and self-inclinations towards it do not cease at all. For this reason, one should be serious to avert from himself such thoughts of showing off. There are three thoughts of showing off, and they might occur to mind all at once, or in succession.

The first is the thought that people know his acts of worship, and that he likes them to know. This provokes in him the hope of their praise, and expectation for having a position in their hearts. Then, he is prompted to accept it and rely on it. those are three states: the first is called knowledge, the second is called desire, and the third is called determination. Perfect power lies in averting the first thought before it develops and brings about both the second and third states. If it occurs to his mind that the people know about his acts of worship, which encourages his hope for having them know, he should avert it by saying to himself: "What does it matter you whether or not the people know since Allah Almighty knows your state? Which benefit does lie in the knowledge of anyone else?" if the pleasure of praise is roused in his heart, let him remember the evil of showing off, and how it exposes him to the hate of Allah Almighty, and punishment and humiliation in the hereafter. As well as the information of people's knowledge of the acts of worship rouses the desire for showing off, the information of the evil of showing off provokes aversion for it to counteract that desire. He thinks of Allah's hate and punishment, and as well as desire invites him to accept (people's praise), aversion summons him to reject it, and the soul is attracted to the stronger of them.

Those three are necessary for averting showing off: knowledge, aversion and rejection. One might go on to do an act of worship with sincerity, and then the thought of showing off occurs to his mind unintentionally, which he accepts in the absence of knowledge and aversion. This is because he has love for praise and fear of dispraise, which causes him to skip the required knowledge of its evil and miserable consequence, for the heart in this case is fully occupied by the desire for praise and fear of dispraise. His example is like him who likens forbearance to himself and condemns anger, and is determined to adhere to forbearance once his anger is provoked. But later, it occurs to him what causes him to forget his determination of forbearance, and rather his heart is filled with rage that hinders him from remembering the evil of anger.

Similarly, the sweetness of desire fills the heart and drives out the light of knowledge and anger. To this Jabir "Allah be pleased with him" referred in his statement: "We gave the pledge of allegiance to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" under the tree not to flee,, and we did not give him pledge of allegiance for death. But we forgot it on the day of (the battle of) Hunain." (This narration is reported by Muslim). That is because their hearts were filled with fear, which caused them to forget the previous pledge. This is the case of most desires that attack suddenly. Once it does so, it causes one to forget his knowledge that is included in the determination of faith; and once he forgets knowledge, the aversion does not appear, for aversion is the fruit of knowledge.

In some cases, man might remember, and know that the thought which occurs to his mind results from showing off, which exposes him to the displeasure of Allah Almighty. But, because of his overwhelming desire, he goes on it, for his inclination here overpowers his mind. As he could not give up the immediate desire, he delays his repentance, or engages himself from thinking about that due to his sweeping desire. How many a scholar who is motivated to do a thing only by the desire to make show of his deeds before the people, even though he knows it well. But he goes on it, strengthening the argument against him, for he accepts the caller for showing off, given his knowledge of its evil and grievous consequence, and its being blameworthy and condemned by Allah Almighty. Here, of no profit to him is his knowledge in the absence of aversion, which is its fruit.

Sometimes, both knowledge and aversion are present, but even he accepts the caller of showing off, for the aversion is weak in comparison with his overwhelming desire. In this case, the aversion is of no benefit, for the purpose of aversion is to divert one from the act. This means that the real benefit lies only in the combination of those three elements: knowledge, aversion and rejection. Rejection is the fruit of aversion, and aversion is the fruit of knowledge. Strength of knowledge is determined by the strength of faith, and weakness of knowledge is determined by heedlessness, love for worldly affairs, forgetfulness of the hereafter, lacking meditation of what is with Allah Almighty, and missing reflection on the evils of the life of this world, and the great bliss of the hereafter. Some of those are produced by others; The origin of all of that is the love for this world, and the dominance of desires. It is the head of all sins and the source of all mistakes. That is because the sweetness of the love for majesty and position, and the worldly good things provokes the anger of the heart, fascinates it, and hinders it from taking heed of the evil consequences, and seeking the lights of the Book and the sunnah in addition to the religious sciences.

You may argue: "If one really dislikes showing off, and rejects it, but even, he could hardly be free from having his heart inclined to it: would he be in the company of the makers of show (of deeds)?" in reply to that, it should be known to you that Allah Almighty did not lay upon the soul a burden more than it could bear, and one has no power to prevent the evil suggestions of Satan, or curb his nature in order not to incline to the desires. But the furthest aim is to endeavor

not to invest that desire, by learning the evil consequences of that, giving care to the religious knowledge, and supporting the foundations of faith in Allah and the Last Day. Once he does so, he has really reached the farthest end of his obligation.

This is confirmed by the narration in which some companions complained to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying: "Sometimes there occur to our minds passing thoughts, and to fall down from the sky and be snatched away by birds or be vulnerable to wind to throw us in a very distant place, is dearer to us than to talk about them." He asked them: "Have you really experienced that?" they answered in the affirmative, thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "This is the evidently clear faith." (This narration is reported by Muslim on the authority of Ibn Mas'ud; and An-Nasa'i on the authority of A'ishah). It is further narrated on the authority of Ibn Abbas "Allah be pleased with them" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Praise be to Allah Who has reduced the plot of Satan to no more than whispering doubts." (This narration is reported by Abu Dawud and An-Nasa'i). according to Abu Hazim: "Whatever occurs to your mind and you dislike for yourself, no harm shall you receive from your enemy, and whatever occurs to your mind and you accept for yourself, then, blame it for it."

Therefore, the doubts roused by Satan and dispute of yourself cause no harm to you as long as you avert them by aversion and rejection. The passing thoughts pertaining to sciences, imaginations and remembrance which provoke showing off come from Satan; and desire and inclination stem from the self, and then aversion springs from faith and traces of mind. But here Satan devises a trick, i.e. if he fails to lead him to accept showing off, he tries to persuade him that his righteousness lies in debating Satan, until he deprives him of the reward of sincerity and presence of heart, for the occupation by arguing Satan and averting his plots divert the heart from the private conversation with Allah Almighty, which, in turn, decreases his position in the Sight of Allah Almighty.

Those who get rid of showing off by averting the passing thoughts of showing off are of four kinds:

The first is that he does not only return the passing thought to Satan and give lie to him, but also engages in arguing with him for a long time, thinking it to be safer for his heart. But with verification, it brings about deficiency, for in this case, he is diverted from the private conversation with Allah and from the good he receives in it, by fighting the highway man.

The second is to know that argumentation and fighting bring about deficiency in the behaviour, and this makes him limit himself to giving lie to and avert Satan, and not to engage in arguing and disputing with him.

The third is not to engage in giving lie to him at all, thinking it to delay him from private conversation with Allah Almighty. By so doing, he has decided in his mind the aversion of showing off and giving lie to Satan, and continues to do what he started to do, even in the presence of aversion, giving no care to belie Satan.

The fourth is to know that Satan is going to envy him by sowing within him the seeds of showing off. Thus, whatever evil suggestions Satan might whisper to him, he goes on doing his deed of worship with more sincerity and engagement with Allah Almighty, hiding his acts of worship in order to enrage Satan and suppress him. this is what infuriates Satan, and gives him to despair and disappointment. It is reported that it was said to Al-Fudail Ibn Ghazwan: "So and so mentions you (with evil)." He said: "By Allah, I would enrage him who commands him to do so." He was asked: "Who commands him to do so?" he said: "Satan. O Allah! Forgive for him." he meant that he would enrage Satan by obeying Allah in him. if Satan knows that form a servant, he would refrain from him, for fear he would increase his good deeds. According to Ibrahim At-Taimi: "Satan always invites a servant to the door of sin, and once he does not obey him, and does good instead, he leaves him." he says once again: "If Satan sees you wavering, he would covet of you; and if he sees you constantly firm, he would abscond you."

Al-Harith Al-Muhasibi "may Allah have mercy upon him" set forth an example for those four: "Their example is like four people who went to a gathering of knowledge and Hadith, with the intention to obtain benefit and favor, and guidance and assistance. A heretic innovator envied them, and feared they would know the real nature of things. He proceeded to meet one of them, and tried to hinder him by inviting him to a gathering of error and falsehood, but he rejected. When he was sure of his rejection, he engaged him by argument, thereupon he was involved in argumentation and disputation, with the intention to avert his error, thinking it to be for his benefit, although the purpose of the innovator is to make him miss the benefit of gathering as much as he delays to come.

When the second came upon him, he stopped him, and tried to forbid him to attend the gathering. He stopped a little and pushed the straying person in his chest, and did not engage himself in fighting him, and soon hastened to join the gathering. But the straying person rejoiced a bit with the little time he was able to stop him to push him. when the third came upon him, he gave no care to him at all, but he did not despair of him entirely. The fourth came upon him, and he did not only give no care to him, but also intended to enrage him. he quickened his pace more and more, and did not slow down in the least. The straying person reached certitude that if all of them returned and came upon him once again, he would try with all barring that last one."

You may argue: "Since one could not feel safe from the evil suggestions of Satan, should one be on the alert in expectation of him to come before he attacks the mind, or rely on Allah Almighty to avert it from him, or engage in worship and take no heed of him?" in reply to it, let's say that the people differ in this issue and are divided into three parties:

A party from Basrah are of the opinion that the strong among the people dispense with taking any precaution of Satan, for they devote themselves entirely to Allah Almighty, and engage themselves in loving Him, and the result is that Satan keeps away from them, and despairs of misguiding them, in the

same way as he despairs of inviting the weak among servants to wine and adultery. That is because the pleasures of this world, no matter permissible they might be, have become like wine and adultery in their sights. They absconded them entirely, leaving for Satan no way over them. Those are not in need to beware of him.

A second party from Sham are of the opinion that to take precaution of him is needed only for him who is less certain and reliant. That is for whoever is certain that there is no partner with Allah Almighty Who alone ordains the affairs of the universe, comes to know that it is of no significance to beware of Satan, for he is no more than a humiliated weak creature, and he has no power to do anything except what Allah Almighty dooms it to be, for it is Allah Alone Who benefits and harms. Thus, one should feel shy of bewaring of anyone other than Him Almighty. One's certainty of the Oneness of Allah then makes him not in need of caution.

A third party from the learned are of the opinion that to take precaution of Satan is necessary, arguing that, according to those of Basrah, that the strong among men who devote themselves entirely to Allah Almighty, and engage in the love of Allah Almighty, dispense with the love for this world and its pleasures, is a means used by Satan to deceive such men. The Prophets "peace be upon them" themselves were not able to get rid of the evil thoughts and suggestions of Satan entirely, then, how could anyone else have the power to do so? Not all the evil suggestions of Satan belong to the love and pleasures of this world. But some of them pertain to the attributes and names of Allah Almighty, the embellishment of religious innovations and errors, etc. none could be saved from the danger therein. For this reason, Allah Almighty says: " Never did We send a Messenger or a prophet before you, but, when he framed a desire, Satan threw some (vanity) into his desire: but Allah will cancel anything (vain) that Satan throws in, and Allah will confirm (and establish) His Signs: for Allah is full of knowledge and wisdom:." (Al-Hajj 52)

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Sometimes the stain (of what I do) is on my heart", given that his devil embraced Islam, and enjoined upon him nothing but good.

Whoever thinks that his engagement with the love for Allah Almighty is greater than that of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and all the Prophets and Messengers "peace be upon them", is, indeed, a deceived person. But even, this did not ensure to them to be safe from the evil plots and intrigues of Satan, from which Adam and Eve were not safe while they were in the Garden, which is the abode of security and pleasure. Allah Almighty had already warned them of him saying: "O Adam! verily, this is an enemy to you and your wife: so let him not get you both out of the Garden, so that you are landed in misery. There is therein (enough provision) for you not to go hungry nor to go naked, Nor to suffer from thirst, nor from the sun's heat." (Ta Ha 117-119)

﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾

Since one of the Prophets was not safe from the intrigue and plot of Satan in the Garden, which is the abode of security and happiness, then, how could anyone else be able to feel safe from his evil plots in this world, which is the homeland of afflictions and disasters, and the fountainhead of pleasures and desires that are forbidden? Moses "peace be upon him" said as told by Allah Almighty: "This is a work of Evil (Satan): For he is an enemy that manifestly misleads!" (Al-Qasas 15)

﴿ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾

This is why Allah Almighty warned all the people of Satan saying: " O you Children of Adam! let not Satan seduce you, in the same manner as he got your parents out of the Garden, stripping them of their raiment, to expose their shame: for he and his tribe watch you from a position where you cannot see them: We made the Evil Ones friends (only) to those without Faith." (Al-A'raf 27)

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

The Qur'an entirely warns people of Satan and its plots. How then should one not beware of him? to beware of Satan whereas Allah Almighty has commanded does not stand against the engagement with the love of Allah Almighty; for it is out of loving Him to comply with His orders and commands. He Almighty ordered people to beware of the enemy, just as He ordered to beware of the disbelievers saying: " and let them pray with you, taking all precautions, and bearing arms: the Unbelievers wish, if you were negligent of your arms and your baggage, to assault you in a single rush." (An-Nisa' 102)

﴿ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ﴿١٠٢﴾ ﴾

He further says: "Against them make ready your strength to the utmost of your power, including steeds of war, to strike terror into (the hearts of) the enemies, of Allah and your enemies, and others besides, whom you may not know, but whom Allah does know." (Al-Anfal 60)

﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴿٦٠﴾ ﴾

As well as you are required by Allah Almighty to take precaution of your enemy which you see well, then, it is preferable to take precaution of your enemy which sees you and you see it not. According to Ibn Muhairiz: "If it is a game which you see and it sees you not, You are likely to catch it, and if it is a game

which sees you and you see it not, it is likely to catch you." he refers here to Satan. To engage in the love for Allah Almighty is not to refrain from what He has warned of. It is on the basis of that argument that the opinion of the second party becomes invalid. I mean those who say that taking precaution of Satan stands against reliance on Allah Almighty. That the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" mobilized his soldiers, prepared the army well, dug the trench round Medina, and put on the shield and took up arms did not cancel his reliance on Allah Almighty. How then should the fear of what Allah Almighty frightened the people with, and taking precaution of what He commanded them to beware of stand against the reliance on Him?

we mentioned in the Book of Reliance that the meaning of reliance is not to refrain from all means and causes entirely. The statement of Allah Almighty: "Against them make ready your strength to the utmost of your power, including steeds of war, to strike terror into (the hearts of) the enemies, of Allah and your enemies, and others besides, whom you may not know, but whom Allah does know" (Al-Anfal 60)

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴿٦٠﴾ ﴾

Does not contradict the submission to reliance on Him, if the heart has faith in the fact that it is Allah Alone Who gives life and brings to death, who benefits and harms and none shares him in that matter. Similarly, one should beware of Satan, putting in mind that it is Allah Who guides and leaves to stray, and that causes are but means subjugated by Allah Almighty. This is the choice of Al-Harith Al-Muhasibi, and this is the right that is confirmed by the light of knowledge.

The members of the last party are divided into three divisions concerning the way they should take precaution of Satan. The first say: "If Allah Almighty warns us of the enemy, nothing should be more prevailing in our hearts than to remember him, be on the alert of him, and watchful of his attack at any time, for if we are heedless of him even for a single moment, he would likely ruin us." Others say: "This leads to the disengagement of our hearts from the celebration of Allah Almighty, and concentrate our attention to Satan, and this is the objective of Satan. The right is to engage in the celebration of Allah Almighty and worship, but without forgetting Satan, its enmity, and the need of taking precaution of him; and in this way, we would combine both things. That is because if we forget Satan entirely, he might attack us suddenly from where we do not expect, and if we devote ourselves to be watchful of him, we would neglect the celebration of Allah Almighty. This is why it is better to combine both things."

But some learned render both parties wrong. These of the first party devote themselves to the remembrance of Satan and take precaution of him, and the result is that they forget the celebration of Allah Almighty; and this is evidently wrong. We have been commanded to take precaution of Satan, in order not to hinder us from the celebration of Allah Almighty. Then, how should we make

remembering him prevail in our hearts over anything else, given that this is the goal of our enemy? This leads to the disengagement of the heart from the light of the celebration of Allah Almighty. If Satan attacks that heart which is void of the light of the celebration of Allah Almighty, he would likely possess it easily. We then are not commanded to be watchful in expectation of Satan.

As for the second party, its members share the first when they combine in their hearts both the celebration of Allah Almighty and the remembrance of Satan. As much as the hart is occupied by the remembrance of Satan, it withdraws from the celebration of Allah Almighty. Allah Almighty commanded that the hearts should be devoted entirely to remember Him, and forget anything else. The right then is that one should make it binding upon himself to take precaution of Satan, and have faith in his enmity, and once he does so, he wholeheartedly devotes himself to remember Allah Almighty, and give no care to Satan. If Satan comes to him and he knows well that he is his evident enemy, he would soon take heed of him, and once he takes heed of him, he would avert him from himself. To engage in the celebration of Allah does not prevent one from being vigilant to the evil suggestion of Satan.

It is such a heart that is able to avert the enemy from itself if the engagement in the celebration of Allah Almighty has killed inclination in it, brought to life in it the light of knowledge and mind, and exterminated in it the darkness of desires and lusts. The men of deep insight in this way instilled in their hearts the enmity of Satan, and the readiness to be watchful of it, and made it binding upon them to take precaution. But at the same time, they did not engage in remembering him, but in the celebration of Allah Almighty, therewith they averted the evil of the enemy, and illuminated themselves by the light of celebration until they were able to get rid of the thoughts of their enemy. The example of the heart in this case is like a spring intended to be purified from the dirty water in order for the sweet fresh water to gush forth therefrom. He who engages in remembering Satan has left in it the dirty water; and whoever combines the celebration of Allah and the remembrance of Satan has emptied it from the dirty water of one side, and left it running in the other side, and although he troubles himself so long, the spring does not become dry of the dirty water; and the man of insight is he who has blocked the course where the dirty water runs, and filled it with the pure water, in a way that if the dirty water comes, he averts it with the least trouble.

CHAPTER SEVEN

EXPOSITION OF CONCESSION TO DISCLOSE ACTS OF WORSHIP

It should be known that the benefit of concealing the deeds of worship is sincerity and salvation from showing off; and the benefit of disclosing them is to urge the others to imitate them, and exhort them to do good. But at the same time, the evil of showing off lies in it. according to Al-Hassan: "The Muslims know well that to conceal the deeds of worship is better." But there is benefit in disclosing them; and this is why Allah Almighty appreciates concealing and disclosing when He says: " If you disclose (acts of) charity, even so it is well, but if you conceal them, and make them reach those (really) in need, that is best for you: it will remove from you some of your (stains of) evil. And Allah is well

acquainted with what you do." (Al-Baqarah 271)

﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾

Disclosing deeds is divided into two divisions: the first pertains to the deed itself, and the second to talking about it.

The First Division: To Disclose The Deed Itself

It is like giving in charity in front of the people in order to exhort them to do the same. This is confirmed by the narration in which an Ansari man brought a parcel (of food) as charity, and the people then brought their objects of charity in succession after him. on that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who lays the foundation of a good deed, upon which the people act after him, will have its reward and the reward of such of men as follows him, without reducing anything from his reward." (This narration is reported by Muslim on the authority of Jarir Ibn Abdullah). The same is true of all the deeds like prayer, fasting, Hajj, Umrah, etc.

But the people more likely incline to imitate each other in giving in charity. If the fighter in the Way of Allah Almighty intends to set out, and saddles his riding mount and gets ready before the people to instigate them to follow him, it will be better for him, for fighting in itself is one of the public deeds which could not be concealed. Thus, to hasten to do it does not mean to disclose it in so much as to instigate the others to do the same. Similarly, a man might raise his voice with prayer at night in order to awaken his neighbours to imitate him. it is better then to hasten to do such of deeds as could not be concealed like fighting in the Way of Allah, Hajj, Umrah, etc, in order to stimulate others to do it, provided that it should have no stain of showing off.

As regards such of deeds as could be concealed, like prayer and giving in charity, if disclosing the charity, for instance, would harm its recipient, even though it would stimulate the others to give in charity, then, it is much better to conceal it, for harming is unlawful. But in case it would cause no harm, it is debatable. Some say that concealing is better than disclosing even if disclosing would motivate people to do it. others say that concealing is better than disclosing which would not instigate the others to follow him. but disclosing which would motivate the others to follow him is undoubtedly better.

The evidence is that Allah Almighty ordered the Prophets to disclose their good deeds in order for the people to follow them. As being Prophets, it is impermissible to think that they were deprived of the better of both. This is confirmed by the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "He, who lays the foundation of a good deed, upon which the people act after him, will have its reward and the reward of such of men as follows him, without reducing anything from his reward." According to another narration: "The (reward of the) deed to be done in secrecy is multiplied seventy times that of the deed to be done in public; and the (reward of the) deed to be done in public upon which the people act is multiplied seventy times that of the deed to be done in secrecy." (This narration is reported by Al-Baihaqi on the authority of Abu Ad-Darda').

There is no difference about that, for if the heart assumes sincerity, and is free from the stain of showing off in both cases of concealing and disclosing, no doubt, that which leads to imitation of good is better. But what is really feared is the emergence of showing off, for when the stain of showing off occurs, of no profit to him would be the people's following him, and rather he would be ruined for it; and in this case, to do deed in secrecy is better than to do it in public.

But, two duties is incumbent upon such of men as discloses the deed: the first is that he discloses it where he knows or at least thinks that he would be followed, and his deed be imitated by the people. How many a man who is followed by his family and not his neighbours, another by his neighbours and not the inhabitants of his market, and a third by the inhabitants of his town and not anyone else, and so on. It is the renowned religious scholar whom the people follow. But if anyone else discloses any of his deeds, he might be ascribed to showing off, and none would follow him, and in this case, it is not fitting for him to disclose his deed uselessly. That is because disclosing deeds is acceptable from him who is apt to be followed, to those who are eligible to follow him.

The second is to observe his heart for it might experience the love for hidden showing off, which summons him to disclose his deed under pretext of having others follow him, although the real purpose is the pleasure to get adorned by the deed, and by being followed by others. This is the case of almost such of people as disclose their deeds, barring the strong and sincere among them, and how few they are! So, the weak should not deceive himself with the result that he would be ruined unknowingly. This is the way many religious scholars and worshippers slip, for they try to imitate the strong among the people in disclosing their deeds, but their hearts fail to be sincere like theirs, and the result is that the reward of their deeds becomes fruitless by virtue of showing off. However, to make sense of that is very abstruse.

The touchstone is to be asked to hide his deed for the people to follow another worshipper of his fellows, on condition that he would receive in secrecy the same reward of doing the deed in public. If his heart is inclined to disclose his deed, then, he is motivated by showing off, and not by seeking the reward and the desire of having others do good, for the people desire good regardless of whom they are to follow. Given also that he would receive the same reward, then, what does cause him to disclose his deed other than the desire to have position in the sight of the people? So, let the servant beware of self-deception, for the self is a deceiver, and Satan is on the alert, and the love for position prevails in the heart. The apparent deeds are hardly safe from evils. So, one should not exchange safety for anything else, and safety here lies in concealing deeds, whereas disclosing deeds has of dangers what is beyond the power of men like us. So, it is preferable for us and all the weak to beware of disclosing deeds.

The Second Division Is To Talk About His Deed After Finishing From It

It is subject to the same ruling of disclosing the deed itself. But the danger

here is more grievous, for talking is easier on the tongue, and the narration might be subject to addition and exaggeration, for the sol takes pleasure from disclosing the claim. But in this case, it does not affect the deed itself particularly if one has really finished from it before talking about it. the ruling on that is if one has his heart perfectly strong and sincere, and the people are of no significance in his sight, and it is the same to him whether they praise or dispraise him, and he makes a mention of his deed to him who expected to follow him in good, it will be permissible, if not encouraged, particularly in case the intention is good and pure from all kinds of evil, for it will be exhortation to good, and the exhortation to good is good in itself.

The like of that is transmitted from many of the strong righteous predecessors. It is reported that Sa'd Ibn Mu'adh "Allah be pleased with him" said: "Since I embraced Islam, I have never offered a prayer and thought of anything else, and I have never followed a funeral procession and thought of anything else other than what it is saying, and what is to be said to it; and I have never heard the Prophet "peace be upon him" saying anything but that I learnt that it is a fact." According to Umar "Allah be pleased with him": "I do not care whether I have become in adversity or prosperity, for I do not know which of both is better for me." According to Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him": "I have not become in a state and hoped to be in a different state other than it."

According to Uthman "Allah be pleased with him": "I have never made reminder of generosity, nor hoped (for anything false), nor touched my penis with my right hand since I gave the pledge of allegiance to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"." (This narration of Uthman is reported by Abu Ya'li on the authority of Anas). According to Shaddad Ibn Aws "Allah be pleased with him": "Since I embraced Islam, I have never uttered a word before I thought of it well barring that." That to which he refers is his statement to his slave: "bring us the provision to send it in order to join the early meal." When death approached Abu Sufyan, he said to his family: "Do not weep for me, for I have never committed a sin since I embraced Islam." According to Umar Ibn Abd-Al-Aziz "may Allah have mercy upon him": "Allah Almighty has never decreed for me a thing and I hoped that He would have otherwise decreed."

All of that is to disclose noble states, and it is indicative of showing off if it issues from people whose purpose is to make show of deeds. But at the same time, it is indicative of exhortation to good if it issues from one whose purpose is to have people follow him. the like of this then is permissible by way of exhortation to imitation for the strong among men, on the conditions we have already mentioned. For this reason, the door of disclosing deeds should not be closed entirely, for men are predisposed, by nature, to have love for imitation, and following each other. Furthermore, much good lies in disclosing the deed from a maker of show if the people do not know that it is showing off, although it is a source of evil for the maker of show himself. How many a sincere who became faithful in worship because of imitating a maker of show in the Sight of

Allah Almighty! To be sure, "Allah Almighty supports that religion by the wicked man, and by people who have no portion (in the hereafter)." (The first part of this narration is reported by both sheikhs on the authority of Abu Hurairah, and the second by An-Nasa'i on the authority of Anas). Some of the makers of show are among those who are followed and imitated by people in this respect; and Allah Almighty knows best.

CHAPTER EIGHT
EXPOSITION OF CONCESSION TO CONCEAL SINS

It should be known that the basic rule of sincerity is that one's secrecy and openness should be equal. It is reported that Umar "Allah be pleased with him" said to a man: "I advise you to do public deed." He said: "O Commander of Believers! What is the public deed?" he said: "It is that of which, if the people come to know, you would not feel shy." According to Abu Muslim Al-Khawlani "may Allah have mercy upon him": "I have never done a deed and cared whether or not the people would know it, except my sexual intercourse with my wife, excretion and urination." But this is a high rank which a very few receive, for none could be free from sins which he conceals and dislikes people to know, particularly his thoughts of desires, lusts and hopes, given that Allah Almighty is the knower of all things, no matter secret or public they might be.

One's will to conceal such things from the other people might be thought of as forbidden showing off. But it is not so. The forbidden showing off is to conceal that in order to give people the false impression that he is pious and god-fearing, although he is not so. This is the concealment of a maker of show. But the truthful person who seeks not to make show of deeds has the right to conceal his sins, and to grieve if the people know about them, and this is due to eight excuses:

The first is to rejoice with Allah's screening his sins, and grieve when Allah tears the screen off him, and puts him to shame, which provokes his fear that Allah would tear the screen off him on the Day of Judgement, in agreement with the narration that "If Allah screens a sin upon a man in this world, He will screen it on the Day of Judgement." This grief springs from the power of faith.

The second is that he knows that Allah Almighty dislikes the emergence of sins and likes them to be concealed. This is confirmed by the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Whoever commits anything of those evil sins, let him screen himself with the screen of Allah Almighty." (This narration is reported by Al-Hakim). If he has disobeyed Allah by committing a sin, he should not refrain from loving what Allah Almighty loves. This springs from the power of faith in Allah's dislike of sins to emerge. The trace of truthfulness in that is to dislike the emergence of the sin of anyone else, and grieve for it too.

The third is that he dislikes to be dispraised by people for that sin, for this aggrieves him, and occupies his heart and mind from the obedience of Allah Almighty. That is because one, by nature, is harmed by dispraise, and diverted from the acts of worship. It is for this reason too that he should dislike to be praised, for praise also diverts him from the celebration of Allah Almighty. This

results from the power of faith, for the true desire to disengage his heart for the obedience and worship is out of faith.

The fourth is that he screens himself for he dislikes people's dispraise, with which he is harmed, for dispraise is harmful as we know, in the same way as beating is painful to the body. The heart's fear of the pain of dispraise is not unlawful, nor is man sinful for it. but he would be sinful if he is scared by people's dispraise when it summons him to do what is impermissible, for fear of their dispraise. It is not binding upon one not to grieve or be pained by the people's dispraising him. it is true that the perfect truthfulness is to overlook the appreciation of all the people in a way that his praiser and dispraiser become equal in his sight, in view of his knowledge that both benefit and harm come from Allah Alone, and that all servants are powerless. But this does not happen except in rare cases, for most people are pained and harmed by dispraise, for it gives the impression of deficiency and shortcoming.

But in many cases, causing pain by dispraise is commendable , if the dispraiser belongs to those endued with insight of religion, for they are Allah's witnesses on earth, and their dispraise represents the dispraise of Allah Almighty, and indicates to deficiency in religion, for which one should grieve. But it is blameworthy to grieve for loosing the people's praise because of piety, as if he seems to like praise and appreciation, given that it is impermissible for one to like to be praised for his obedience of Allah Almighty, for in this case, he seems to seek a reward for that from anyone else other than Allah Almighty. If one finds that in himself, he should counteract it with aversion and rejection.

But it is not blameworthy to dislike to be dispraised for sin, and one has the right to conceal it for fear of that. Such a man is imagined to have aversion for praise but dislike dispraise, for his purpose is that the people should leave praising and dispraising him. how many a patient on missing the pleasure of praise could not persevere the pain of dispraise. In short, it is not forbidden to dislike people's dispraise for sin except for one reason, i.e. when his grief for people's knowing his sin diverts him from fear of Allah's knowing about it, for this is the greatest deficiency in religion. That is because he should grieve much more for Allah's knowing about it, and criticizing him for it.

The fifth is to have aversion for dispraise because the dispraiser has disobeyed Allah Almighty. This is out of faith, and its sign is that he dislikes his dispraise for anyone else in the same way as he dislikes it for himself. This kind of pain makes no difference between him and anyone else.

The sixth is to screen his sin in order not to be targeted with evil once he is recognized for it. That is caused by the pain of dispraise. Dispraise is harmful in the sense that it gives the heart the impression of one's shortage and deficiency. If one feels afraid of the evil of him who might know about his sin for one reason or another, he has the right to conceal it for fear of him.

The seventh is just that he feels shy of having his sin disclosed to the people. It is a kind of pain, which one experiences from the early days of childhood once the light of reason shines on him, causing him to feel shy of

the shameful deeds. It is praiseworthy. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Modesty as a whole is good." (This narration is reported by Muslim on the authority of Imran Ibn Hussain). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Modesty is a branch of faith." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Modesty brings about nothing but good." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Imran Ibn Hussain). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Indeed, Allah likes the modest forbearing." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Fatimah; and Al-Bazzar on the authority of Abu Hurairah).

To be sure, he who commits wickedness and dissoluteness and does not care whether or not the people would know his wickedness is more sinful than him who does so but screens himself and feels shy of people's knowing about his dissoluteness. But modesty here is much similar to showing off, and a very few among people could make sense of that. Every maker of show claims that he is modest, and that he makes good his acts of worship because he feels shy of people. But this is falsehood, for modesty is a moral character which originates from the honored disposition, and the motives of both showing off and sincerity are provoked after it. one might be sincere or might make show of deeds with it.

Its example is that a man asks his friend for a loan, and although the later is not pleased to give him, he feels shy of returning his demand with failure. But were this demand to be transmitted to him through a third party, he would not have felt shy of him, nor loaned him out of showing off, nor for the sake of seeking reward. Such a person is subject to one of many states: one of them is to give a clear reply, and do not care to his being ascribed to the lack of modesty. This is the practice of such of men as barefaced, for the modest should either give reason for his withholding or give loan. But in case of giving, he is subject to one of three states:

One of them is to have both showing off and modesty mixed. that is, the motive of modesty is provoked, which, in turn, prompts the thought of showing off, according to which he says to himself: "You should give in order to be praised and appreciated by him, and have your generosity propagate among the people; or you should give in order that he would not dispraise you and ascribe you to niggardliness." If he gives, he will have given by motive of showing off, which has sprung from modesty.

The second is to find it difficult upon himself to return him with failure by virtue of modesty, and the caller of sincerity is provoked within himself which causes him to say to himself: "The reward of charity is one, and that of the loan is eighteen times like it." there is a great reward for that, let alone the pleasure he would cause to the heart of his friend. This is praiseworthy in the sight of Allah Almighty. It is a kind of sincerity provoked by modesty.

The third is that one has no desire for reward, nor fear of dispraise, nor

wish for praise. Its sign is that if the demand of loan is transmitted to him through a third party, he would not respond to it. but he gives him only for the sake of modesty. had it not been for modesty, he would have returned him with failure. If anyone comes to him of whom he feels no shy, he would return him with failure, regardless of the reward or praise he would receive. This person is motivated only by modesty and nothing else. It occurs mostly with such of men as have shameful characteristics like niggardliness and wickedness. The maker of show also might feel shy of committing the permissible deeds. Sometimes, whenever he is seen walking with hastiness, he would return to quietness; and whenever he is seen laughing, he would return to silence and reverence, thinking that to be out of modesty, although it is evident showing off.

It is said that modesty is weakness in part; and this is true. It refers to feeling shy of what is lawful, like, for instance, feeling shy of preaching the people, or leading prayer. This kind of modesty is praiseworthy in regard with children and women; but in regard with men, it is not praiseworthy. Sometimes, you might see a sin to be committed by an old man and you feel shy of disapproving his act for it is out of glorifying Allah Almighty to respect the Muslim hoary-headed person. This shyness is praiseworthy. But better is to feel shy of Allah Almighty. So, you should not indulge in enjoining right and forbidding evil. The strong person favors to feel shy of Allah other than to feel shy of people, unlike the weak, who might not have power to do it.

The eighth is to fear that by disclosing his sin, people might dare to do the like of it in imitation of him. it is for the same reason only that the acts of worship might likely be disclosed. It is unique to the imams and persons whom people are apt to follow. For the same reason too, the sinful should hide his sin from his family and children in order not to take and learn it from him.

All of those excuses are fitting for concealing sins, but only the last excuse is fitting for disclosing the acts of worship. If one intends by concealing his sin to give people the impression of his piety and devoutness, he would be a maker of show; and the same is true if he has the same intention from disclosing his acts of worship.

You may ask: "Is it permissible for one to like that people praise him and love him for his righteousness? It is reported that a man said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Guide me to a deed for which Allah Almighty loves me and the people love me too." On that he said to him: "Abstain in this world perchance Allah would love you, and throw to people the chattels of it perchance they would love you."" (This narration is reported by Ibn Majah on the authority of Sahl Ibn Sa'd).

In reply to it, let's say that your liking that people should love you might be permissible, praiseworthy, or blameworthy. It is praiseworthy when you like this in order to know how Allah Almighty loves you, for if Allah Almighty loves a servant, he endears him to the hearts of His servants. It is blameworthy when you like their love and praise for your acts of worship, like prayer, fasting, Hajj, fighting in the Way of Allah, etc. that is because by so doing, you demand a

transitory compensation for your obedience of Allah other than the reward of the hereafter. It is permissible when you like them to love you for particular good merits you have other than the acts of worship. Your love for that is like your love for wealth, for the possession of hearts is a means to achieve your purposes like the possession of wealth.

CHAPTER NINE

EXPOSITION OF LEAVING SOME ACTS OF WORSHIP FOR FEAR OF SHOWING OFF AND EVILS

It should be known hat some people give up acts of worship for fear of the suspicion of showing of; and this is a clear fault, in which one agrees with Satan. The following discussion explains what should be left and what should not be left of the acts of worship for fear of the suspicion of showing off.

The acts of worship are divided into two: those which have no pleasure in themselves, like prayer, fasting, performing Hajj, and fighting in the Way of Allah. Those are body mortifications and sufferings. But they become pleasant when they bring about the praise of people, and the people's praise is pleasant. The second division includes those which are pleasant in themselves, and extend beyond the body to imply the dealing with the people, like ruling, judging, governing, etc. the evils of this division are more grievous than those of the former for the more it is related with the people, the more it becomes dangerous.

The First Division

It pertains to those which have no pleasure in themselves, and are related with the body, like prayer, fasting, performing Hajj, and fighting in the Way of Allah, etc. the passing thoughts of showing off are three in relation to those:

The first occurs to one before doing the act of worship, which prompts in him the desire for having the people know it, without being stimulated by the motive of religion. it should be left, for it is a sin in which there is no worship. Indeed, in this case, one puts on worship in order to seek the position in the hearts of people. If one has the power to avert that from him, let him do. It is to say to himself: "Do you not feel shy of your Lord? Do you do the deed for the sake of the people and not for the sake of Allah Almighty?" he continues to do so until the motive of showing off is removed and the soul does the deed for the Sake of Allah instead of showing off.

The second is that the motive of sincerity prompts him to do the deed, but on assuming it, the motive of showing off occurs to him. in this case, he should not leave the deed for it was initiated by a religious motive. Let him go on doing the deed, and mortify himself to avert from him showing off and strengthen the motive of sincerity by the remedies and medicines we have already mentioned, i.e. to enjoin upon himself the aversion and rejection of showing off.

The third is to intend and decide to do the deed with sincerity, and later on the motive of showing off occurs to him. in this case, he should do his best to avert showing off in order to return to the first state of sincerity with which he

intended to do the deed until he completes the deed. That is because Satan invites you to leave the deed, and if you do not respond and continue to do it, he leaves that and invites you to showing off, and if you do not respond and do your best to avert it, he leaves that and rather says to you: "This deed is not done with sincerity but you are a maker of show and your effort is fruitless. So, which benefit lies in doing a deed without sincerity?" he continues to entice you to leave the deed. If you leave it, you then will have achieved his purpose.

Similarly, it is of no significance to leave the deed out of fear for the people to ascribe him to showing off, therewith they disobey Allah Almighty. This is one of Satan's intrigues. That is because he has made a bad assumption of the Muslims, although he had no right to do so. Even if this is right, their saying should not cause harm to him and lead him to leave the act of worship and loose its reward. However, to leave the deed for fear of the people's saying that he is a maker of show is evident showing off. Had it not been for his love for their praise and dislike of their dispraise, he would have given no concern to their saying that he is a maker of show. What is the difference between his leaving the deed for fear of their saying that he is a maker of show, and his doing the deed perfectly for fear of their saying that he is indulgent and neglectful? To leave the deed in this context is more grievous.

Those are Satan's plots therewith to deceive the ignorant and heedless among men. There is no salvation from him but to know well the evil of showing off, i.e. that it is harmful in the hereafter, and no benefit lies in it in this world. The result is that both aversion and rejection of it are provoked in your heart. You should further continue to do the deed giving no care to his temptation. That is because leaving the deeds leads to idleness and loss of all good. As long as you find a religious motive to do the deed, do not give it up. You should strive against the passing thought of showing off, and stick to the feeling of shy of Allah Almighty if you are forced to exchange His praise for the praise of people. It is He Who knows well the mysteries of your hearts. If the people are to know your heart, and that you covet of their praise, surely, they would dislike you.

Moreover, if you could do more deed out of feeling shy of your lord, and mortification to yourself, you should do it without hesitation. If Satan suggests to you that you are a maker of show, you should know that he is a deceiver in view of your rejection of showing off, and feeling shy of Allah Almighty. But if you find no rejection nor fear of it, and the religious motive disappears, giving room for showing off, at that point, leave the deed. But this is unlikely, for whoever starts the work with the intention to do it for Allah Alone, the origin of the purpose for reward should remain with him.

But you may argue that it is reported from some people that they left the deed for fear of fame. It is narrated that a man entered upon Ibrahim Ibn Adham while he was reading in the Mushaf, thereupon he folded it and left recitation. In justification, he said: "This person should not see that we read the Qur'an regularly." According to Ibrahim At-Taimi: "If your speech appeals you, then, keep silent, and if your silence appeals you, then, speak." According to Al-

Hassan: "It was the habit of anyone of them to come upon a harmful thing in the street, and nothing prevented him from removing it but his fear of fame; and it was the habit of anyone of them that whenever it was necessary for him to weep, he would change it into laughter for fear of fame." However, there are many traditions in support of that argument.

In reply, let's say that this argument is counteracted by numerous narrations in favor of showing the acts of worship. Al-Hassan's preference of turning from weeping to laughter and not to remove the harmful things from the road for fear of fame belongs to preaching. But at the same time, he did not give it up entirely, given that it is permissible to leave the supererogatory deeds for the same purpose. But as we talk about the better in this respect, which is fitting only for the strong apart from the weak, it is to complete the deed and strive to avoid showing off and be sincere as much as one could. But the masters of work always remedy themselves by what is in opposition to the better out of their severe fear. But one should follow the strong and not the weak of men.

That Ibrahim An-Nakh'i folded the Mushaf might be because he knew that he was to leave recitation once this man came to visit him, and that he would need to resume recitation once he leaves. As he would be occupied from recitation, he did not like this man to see him reciting in avoidance of the suspicion of showing off, given that he intended to leave it during the visit and return to it once again. But those who did not remove the harmful things from the road, it was those who feared fame for themselves, and people's devotion to them, and diverting them from acts of worship, which are more important than removing a harmful wood from the street. In this way, they left that in order to ensure more important acts of worship.

The statement of Ibrahim At-Taimi "If speech appeals you, then, keep silent" might be possibly intended to refer to the permissible kinds of speech like eloquent speech in stories and the like of them, which summons self-importance; and the same is true of silence. It is then to turn from a permissible thing to another permissible thing in avoidance of self-importance. But this does not apply to the true speech to which one is encouraged to speak. The statement of Al-Hassan about turning from weeping to laughter and abstention from removing the harmful things from the road for fear of fame might be a narration of the states of some weak men who do not know really what is better in that issue, nor perceive those subtleties. But rather he mentioned that in order to frighten people from the evil of showing off, and deter them to seek after it.

The Second Division

This pertains to the dealing with the creatures, in which dangers and evils are so much grievous. The greatest of those is the office of caliphate, followed by judging, teaching and preaching and issuing fatwas, and spending money.

Caliphate and ruling are among the best acts of worship if they are done with justice and sincerity. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A day to be spent by a just ruler is better than sixty-year worship of a worshipper who worships Allah individually." (This narration is

reported by At-Tabarani and Al-Baihaqi on the authority of Ibn Abbas). How excellent is a day whose worship is greater than the worship of sixty years. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Three will be the first to enter the Garden: the first is the just ruler." (This narration is reported by Muslim on the authority of Ayad Ibn Hammad). Abu Hurairah "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Three do not have their invocations return with failure, one of whom is the just ruler." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "He who will have his seat the closest to mine on the Day of Judgement is a just ruler." (This narration is reported by Al-Asbahani in his Targhib on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri).

How great then is that act of worship, which the pious and devout among men strive themselves to avoid. That is because great danger lies in it. By it the internal characteristics are motivated, and the love of possession and majesty, in addition to the power of authority prevails in the heart, and those are the greatest pleasures in this world. If the ruling is lovable as such, the ruler seeks to obtain his own fortunes, and is about to follow his own desires and inclinations, with which he rejects to accept any threat for his ruling, regardless of being true, and rather does what establishes his authority more and more, regardless of being false. At this point, he exposes himself to destruction. Being so, a day to be spent by a wrongful ruler is worse than a sixty-year wickedness of individual wicked according to the concept given by the previous Hadith.

For this great danger that lies in it, Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" used to say: "Who could take it (the ruling) with all what it contains?" why not since the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There is no ruler of even (as little as) ten people but that on the Day of Judgement he will come with his hand tied to his neck, and either his justice will release him, or his injustice will destroy him." (This narration is reported by Ahmad on the authority of Ubadah Ibn As-Samit). When Ma'qil Ibn Yasar "Allah be pleased with him" was appointed a ruler by Umar "Allah be pleased with him", he said to him: "O Commander of Believers! Advise me!" he said: "Sit down and do not accept it from me."

It is reported on the authority of Al-Hassan that a man was appointed a ruler by the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" thereupon he said to him: "O Messenger of Allah! Chose the better for me." He said to him: "Sit at home (and reject the office)." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Ismah Ibn Malik). It is further reported on the authority of Abd-Ar-Rahman Ibn Samurah "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "O Abd-Ar-Rahman! Do not seek for ruling, for if it is given to you without seeking for it, you will be helped (by Allah) to achieve its burdens; and if you seek for it, its burdens will be entrusted to you." (This narration is reported by both sheikhs).

Abu Bakr "Allah be pleased with him" said to Abu Rafi' Ibn Umar: "Do not be a chief over even (as little as) two persons." Then, he was appointed the ruler of all the Muslims, and he undertook it to the best. Rafi' Ibn Umar asked him: "Have you not advised me not to be a chief of even (as little as) two persons? But you have been appointed the ruler of all the followers of Muhammad "peace be upon him"." On that he said to him: "And even now, I repeat my advice to you, for whoever does not do justice in it incurs upon himself the curse of Allah Almighty."

The man lacking insight might see that there is contradiction between the narrations that are reported about the excellence of ruling and the narrations about the forbiddance of it. But it is not right. The fact is that the strong in religion among men should not abstain from the offices of ruling, unlike the weak among them, who should not betake themselves to it lest they would be ruined. By the strong I mean him who is not swerved (from the truth) by this world, nor instigated by his covet of its vanities, nor cares, for the Sake of Allah Almighty, about the blame of a blamer. It is those in whose sight the people seem insignificant, and who abstain in this world and get bored of it, overpower and curb their own selves, and suppress Satan who comes to despair of them. Those are moved only by the truth, and become motionless only by the truth. They are fitting for the excellence of ruling and governing.

Whoever knows that he is lacking in those attributes, then, it becomes unlawful for him to seek for ruling; and whoever experiences himself and finds that he has the power to persevere the loss of desires and lusts but in fields other than ruling, and at the same time, fears for himself the temptation of tasting the pleasure of ruling, there is a debate among the scholars as to whether or not it is binding upon him to flee from ruling. Some say that it is not binding upon him for it pertains to the fear of something to occur in the future, and at present, he finds himself strong enough to adhere to the truth and leave the self pleasures and delights. But the right is that it is incumbent upon him to take heed of that, for the self is deceptive in its false claim of the truth and promise of good. If the self makes a decisive promise to adhere to good, there is fear lest it might be vulnerable to change because of ruling: What then about the wavering hesitating self? To abstain from accepting the office of ruling is much easier than to be sacked after assuming it. Dismissal is severely painful and it is the divorce for men as said. If one assumes the office of ruling, he would hardly accept to be sacked, and rather give himself to flattery and adulation, and negligence of the truth, which throws him into the bottom of the fire of Hell.

If the self is inclined to seek the office of ruling, and forced to beg and demand, this would be a portent of evil. This is why the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "We do not appoint in our jobs such of men as asks us for them." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Abu Musa). If you understand the different points of view concerning the judgment on the strong and the weak, you then would know that Abu Bakr's advice to Abu Rafi' Ibn Umar not to be a ruler, and then Abu Bakr's being appointed the ruler of all the Muslims is not contradictory.

Judging, being less important and effective than ruling and governing, is subject to the same regulation. That is because every one in charge of a thing is regarded a ruler and his authority is effective. To be sure, the reward of judging is great, provided that one should follow the truth, and the punishment in it is severe if one deviates from the truth. In this respect, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There are three kinds of judges: two will be in the fire (of Hell), and only one in the Garden." (This narration is reported by men of Sunan on the authority of Buraidah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "He who is appointed a judge has been slain without a knife." (This narration is reported by the men of Sunan on the authority of Abu Hurairah).

It is subject to the same regulation of ruling as we have mentioned above, in the sense that the weak among men, and such of people as gives care to the pleasures and delights of this world should leave it. But the strong in religion among men, who are careless about the blame of the blamer for the Sake of Allah should undertake it. One should not undertake judging in case the rulers and governors are wrongful, and he finds that he would not be able to give his judgements unless he flatters and adulates them, and neglects the rights of people for their sake, for were he to judge on them with the truth, they would dismiss him. But in case he undertakes it, it becomes incumbent upon him to demand the rights from them, and not to make the fear of dismissal an excuse to allow for him to neglect the rights. On the contrary, if he is dismissed, the responsibility would lapse from him. For this reason, he should rejoice with the dismissal if he judges with sincerity for the Sake of Allah Almighty. If he does not accept to be dismissed, then, he should know that he judges out of following the desire and Satan: how should he expect reward for it? Of a surety, he will be in the company of the wrongdoers in the lowest bottom of the fire of Hell.

In regard with preaching, teaching, narrating Hadith, giving fatwas and religious verdicts, etc which contributes to raise the majesty and position of men in the hearts of people, their danger is grievous, the same as ruling and judging. These among the righteous predecessors who feared of that used to flee away from giving fatwas and religious opinions, as much as they could, saying in this respect: "To say that 'It is reported from so and so' is one of the gates of this world; and whoever says 'It is reported to us from so and so' seems as if he says 'Leave a place for me to occupy (in this world)'." Bishr said: "What prevents me from relating narrations is that I desire to narrate, and I could relate narrations only when I dislike to narrate."

Furthermore, the preacher finds in the people's submission and impression for his preaching, a matchless pleasure. If this prevails over his heart, he would be inclined to every kind of flowery discourse, which appeals to the laymen, and refrain from every kind of speech which the laymen get bored of, regardless of being true. That is because he gives entire interest to what moves the hearts of the laymen and subjugate them to his influence and authority. It is also subject to the same regulation of ruling and judging, i.e. if one has no motive but to seek

majesty and position in the hearts of people, gain wealth through religion, and show pride over others, he should leave it in opposition to his desire until he becomes strong enough in religion to feel safe from temptation. At that point, he could return to it.

But you may argue that this judgement on the religious scholars might result in the idleness and disappearance of all sciences and branches of knowledge, and the emergence of ignorance among the people. In reply, let's say that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" forbade people to seek ruling, and threatened them of that. He "peace be upon him" said: "You seek after ruling although it will e a cause of grief and regret on the Day of Judgement, except for him who undertakes it rightfully." (This narration is partially reported by Al-Bukhari on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "How good the suckling is, and how bad the weaning is!" (This is a part of the previous Hadith).

It is a well-known fact that if ruling and governing are idle, both religion and world would become idle, tumult would spread among the people, security and safety would vanish, the countries and states would be ruined, and in general, living would become inoperative. But in spite of all of that, why did he forbid it? Once, Umar "Allah be pleased with him" beat Ubai Ibn Ka'b "Allah be pleased with him" when he saw some people following him, although he used to say about him: "Ubai is the chief and master of Muslims." Although he used to recite the Qur'an to him, he prevented people from following him, and said in this respect: "This is a cause of temptation to the followed, and humiliation for the follower." Umar "Allah be pleased with him" himself used to preach and teach, and did not abstain from that. A man sought the permission of Umar "Allah be pleased with him" to preach and admonish the people after the Morning prayer but he gave him no permission. He asked him: "Do you prevent me from admonishing and advising the people?" he said: "I fear you would be blown with pride." He saw in him the desire for position and majesty through preaching.

Ruling, governing, judging, like preaching are very crucial to the living and religion of people. Each of them has its own pleasure and temptation, and there is no difference between them in this issue. But to say that forbidding most people to engage in them leads to the obliteration of knowledge is wrong. That the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" forbade most people to engage in judging did not lead to the idleness of judging. Allah Almighty promised to support this religion with people who have no portion (in the hereafter). So, do not engage yourself with the matter of people, for Allah never wastes them; and rather take care of yourself.

Therefore, if there are in a particular city a group of people who engage in preaching, for instance, then, the forbiddance does not include all its inhabitants. If the city has but a single man who engages in preaching, and is recognized for his good speech, deep influence on the hearts of people, and he gives the impression that he seeks with his preaching only the Countenance of Allah, we

should not prevent him from that: On the contrary, we should encourage him to engage in it, and mortify himself. If he says that he could not overpower himself, we ask him to engage in preaching and mortify himself as much as is within his capacity, for we know well that if he leaves preaching, the religion of all the people would be ruined, for there is none to maintain it other than him. If he goes on that, and his desire is to seek majesty, then he alone would be ruined. The safety of the religion of the group is dearer and more important in our sight than the safety of the religion of an individual. So, we make him redemption for the people. Perhaps it is he in whom the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: " Allah Almighty supports this religion with people who have no portion (in the hereafter)." (This narration is reported by An-Nasa'i).

The real preacher is he who desires for the hereafter and refrains from this world with its vanities as shown in his speech and outward conduct. But as regards the flowery discourse and rhymed speech invented by the modern preachers that do not frighten the people from the punishment of Allah, but rather causes them to dare to commit sins and mistakes, all of them should be eliminated from the countries for they are the deputies of imposters and successors of Satan on earth. But we mean the preacher of good preaching and beautiful outward, who inwardly intends to be acceptable to the people. In the Book of Knowledge, what we mentioned concerning the threat and punishment that await the evil learned is sufficient for showing the obligation of caution of the evils and afflictions of knowledge.

It is within this context that the following statement of the Messiah "peace be upon him" should be understood: "O evil scholars! You pray, fast, and give in charity, but at the same time you do not do what you command others to do, and study what you do not act upon. How evil is your judgement! You repent only with words and hopes, but act according to your own desires. What does avail you to cleanse your bodies and leave your hearts contaminated and impure? Let me tell you the truth: do not be like the sifter from which the pure and fine powder comes out and only the dregs remains in it. So are you: you bring wisdom from your mouths and rancor and hatred remain within your hearts. O slaves of this world! How should such of you as whose desires from this world never cease attain the (good fortunes of the) hereafter? Let me tell you the truth: your hearts are weeping in sigh for your evil deeds. You have made the world under your tongues, and thrown the deed underneath your feet. Let me tell you the truth: you have corrupted your hereafter with the correctness of your world. The correctness of your world is dearer to you than the righteousness of your hereafter. Which people then are more despicable than you if you know? Woe to you! Until which time will you continue to describe the way to the walkers, and you yourself remain in your very places, as if you invite the inhabitants of this world to leave it for you? Be quiet! Be quiet! What does avail the dark house to place a lamp on its top if its inside remains dark and lonely? Similarly, it does not avail you to have the light of knowledge on your tongues, while your insides remain loncly and idle. O slaves of this

world! You are neither pious slaves nor honored free. The world is about to uproot you and throw you prone on your faces and then on your nostrils, and your mistake seize you by your forelocks, and the knowledge behind you drives you and delivers you to the King, barefooted and naked, Who will show you your shame, and punish you for your evil deeds." When Al-Muhasibi narrated this tradition in his book, he mentioned that it refers to the evil learned among men who are a cause of affliction and temptation to the people, for they desire for the vanities of this world and give it preference over the hereafter, and subjugate religion to the world. They are ashamed in this world and will be the losers in the hereafter.

But you may argue that those evils of preaching and teaching are evident. At the same time, many narrations exhort to engage in them. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said in this respect: "If Allah guides through you even an individual (to the truth) it will be better for you than this world and what it contains." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Sahl Ibn Sa'd). the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "If a caller calls to guidance in which he is followed by anyone, he will receive his reward and the reward of such of people as follows him." (This narration is reported by Ibn Majah on the authority of Anas). Thus, a scholar should be advised to engage in teaching knowledge, but without the intention to make show of his deeds, just as a praying man who experiences a stain of showing off mixed with his sincerity is encouraged not to leave the prayer but rather to complete it, and strive himself (to get rid of showing off).

In reply to it, it should be known that the excellence and importance of knowledge are great, like ruling and judging. We do not tell anyone of the worshippers to leave knowledge for knowledge in itself has no evil. But the real evil lies in him who intends to make show of his knowledge, by undertaking the task of preaching and teaching, narrating Hadith, etc. We also do not tell him to leave it as long as he has a religious motive to do it, even if it is mixed with the motive of showing off. But if nothing but showing off motivates him, then, to leave making show of knowledge is more beneficial and much safer for him. The same is true of the supererogatory prayers. But if the thought of showing off occurs to him during prayer and he dislikes that, he should not leave the prayer for its sake, for indeed the evil of showing off in the acts of worship is weaker than it is in such matters as ruling, judging and preaching and teaching.

In short, we could say that there are three levels: the first pertains to the offices of ruling, and its evil is very dangerous. For this reason, it was left by many of the righteous predecessors for fear of that evil. The second pertains to such acts of worship as fasting, praying, performing Hajj and Umrah, and fighting in the Way of Allah. Both the strong and the weak among the righteous predecessors undertook them, and there is no report from anyone of them that he left that for fear of evil; and this is due to the weakness of evils implied in them, and the power to overcome them by virtue of completing the worship with sincerity to Allah Almighty. The third level is in the middle between both

extremes. It is to undertake the offices of preaching, teaching, issuing fatwa, narrating Hadith, etc. their evils are weaker than those of ruling and judging, but stronger than those of such acts of worship as prayer. The prayer should not be left no matter how strong or weak one might be. But one should avert from himself the passing thought of showing off, unlike the offices of ruling which should be left by the weak apart from the strong; and the offices of knowledge lie in the middle between both. Whoever experiences the evil of knowledge comes to know that one more resembles rulers and governors, and it is safer for the weak to beware of it; and Allah knows best.

There lies a fourth level, i.e. to gather wealth and distribute it on these eligible to take it. To be sure, spending and showing generosity bring about the praise and thanks of people, and causing others to become happy gives rise to a pleasure in the soul. But at the same time, many evils lie in that. For this reason, when Al-Hassan "may Allah have mercy upon him" was asked about two men, one demanded his sustenance and no more, and the other demanded more and gave in charity what is beyond his sustenance, he said: "The sitter (who demands only his sustenance) is much better." That is because they knew well that little safety lies in this world, and it is more secure to abstain in it in order to come closer to Allah Almighty. According to Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him": "I will not be pleased to stand at the threshold of the mosque of Damascus, and receive a daily earnings of fifty Dinars, even to give them in charity. Behold! I do not forbid trade, but I like to be of those whom no trade nor transaction divert from the celebration of Allah Almighty."

There is a debate among the religious scholars over that matter. Some say that if one demands this world from lawful sources, is safe from its evils, and gives in charity as much as he could, it will be better than to engage in supererogatory acts and deeds of worship. Others say that to sit in permanent celebration of Allah Almighty is better than to engage in anything that diverts from Allah Almighty. The Messiah "peace be upon him" said in this issue: "O seeker of world to be dutiful therewith, it is more dutiful for you to leave it." To be sure, the remembrance of Allah Almighty is much better and greater. This is due to him who is safe from the evils. But if one is exposed to the evil of showing off, of a surety, it will be more dutiful for him to leave the world entirely, and rather engage in remembrance of Allah Almighty.

In short, many evils arise in all deeds in which one deals with the people, and this brings about pleasure in the soul. It is better for one to do it and avert evils from himself. If he fails, let him consider, strive himself as much as he could, seek the advice of his heart, compare evil with good, do what he is guided to by the light of knowledge, and give no care to his natural inclination. In total, what is felt to be easier upon the hart is frequently more harmful upon him, for the self more often points out evil and hardly takes pleasure from good. But the details of these matters could not be judged by simple affirmation and negation: They are entrusted to the diligence of the heart and mind to determine what is more right and fitting for his religion, and leave what he doubts to what he doubts not.

Furthermore, an ignorant might be deceived in this respect. He might collect

wealth and withhold it and abstain from spending it for fear of the evil of showing off; and this is evident niggardliness. There is no difference that to distribute money on what is permissible, in addition to the charitable gifts is much better than to withhold it. But the difference is over him who needs to gain his earnings, as to whether it is better for him to gain and spend or to devote himself to the remembrance of Allah Almighty due to the evils that lie in earning. As for the money that is gained from lawful sources, to distribute it (on what is permissible) is better than to withhold it.

You may ask: "By which sign could you distinguish the scholar or preacher who is sincere and true to his religion from him whose purpose is to make show of his deed?" in reply to it, let's say that there are many signs for that, one of which is that if emerges a preacher or scholar who is better than him in knowledge and preaching, to whom the people are more inclined, he never envies him. It is true that Ghibtah (harmless jealousy) i.e. to desire for himself the like of his knowledge is blameworthy. Another sign is that when the celebrities and dignitaries attend his gathering, his speech never changes: on the contrary, it remains the same as it was before their arrival. This means that he looks at all the people with the same eye. A third one is that he dislikes people to follow him in the streets or markets. There are many other signs for that, which are beyond calculation.

It is reported on the authority of Sa'id Ibn Abu Marwan that he said: I was sitting beside Al-Hassan "may Allah have mercy upon him" when Al-Hajjaj entered the mosque from one of its gates on a yellow workhorse and the guards were surrounding him. He turned sideways in the mosque, and saw no ring-shaped gathering more crowded with people than that of Al-Hassan. He turned towards it and when he became near it he dismounted and walked towards Al-Hassan who, on seeing him, moved away a bit for him to sit, and so I did, and he came and sat in between us. Al-Hassan was delivering the same speech he used to deliver everyday, which he did not interrupt. I said to myself: "I will consider Al-Hassan today, and see whether the presence of Al-Hajjaj would lead him to make any change in his speech, either by addition to become closer to him, or by reduction in awe of him." But Al-Hassan spoke the same words he used to speak, without the least change. When he finished from his speech, giving no care to Al-Hajjaj, the latter raised his hand and patted on the shoulder of Al-Hassan and said: "This sheikh is true and dutiful. Stick to those gatherings and the like of them and take them a custom for you. Indeed, I was reported that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The gatherings of remembrance (of Allah) are the gardens of Paradise." Had it not been for the responsibility of ruling people that is entrusted to us (which occupies us more often), surely, you would not have attended those gatherings more than us, in view of our knowledge of their excellence."

Then, Al-Hajjaj smiled and went on delivering a speech so impressive that Al-Hassan and his companions were astonished by its eloquence and elegance. When he finished he stood and left. Then, a man from the inhabitants of Sham came and said: "O Muslim servants of Allah! Do you not wonder? I am an aged

old man who fights in the Way of Allah, which costs me a horse, a mule and a tent. My income is no more than three hundred Dirhams, and I have seven daughters." He complained of his state of destitution, until Al-Hassan and his companions sympathized for him. When the man finished from his speech, Al-Hassan raised his head and said: "What is the matter with them, may Allah kill them? They have taken the servants of Allah as subjects, and wealth as their possession, and killed the people for Dirham and Dinar. If one of them fights an enemy of Allah, he would fight in graceful tents and on racing mules, and at the same time, if he makes his brother fight, he would make him fight on foot and as hungry." Al-Hassan did not finish before he mentioned them with the most shameful of their misdeeds.

A man from the inhabitants of Sham who was sitting in the company of Al-Hassan stood and came to Al-Hajjaj, and went about with calumnies against Al-Hassan. A short while later, the couriers of Al-Hajjaj came to invite Al-Hassan to him. He went with them and we feared for him due to the severity of his speech he had delivered. Some time later, Al-Hassan returned to his gathering smiling, and he hardly smiled. He came until he sat in his gathering. He then exalted trustworthiness and said: "Indeed, you sit with us by virtue of trustworthiness, thinking that treachery lies only in the money. Nay! The greatest treachery is that a man sits with us and we feel confident of him, and then he goes and carries out calumnies against us. I went to this man (Al-Hajjaj), who asked me to hold back my tongue and abstain from saying that "If one of them fights an enemy of Allah, he would fight in graceful tents and on racing mules, and at the same time, if he makes his brother fight, he would make him fight on foot and as hungry." He said to me: "I do not think you instigate the people against us, and I do not doubt your sincerity in advice." However, Allah Almighty averted his evil from me." Al-Hassan rode his donkey with the intention to go home and when he turned, he saw some people following him. He asked them: "Do you have any need to fulfill for you? If you have no need, then, return."

It is by those signs that the sincere and true scholars and preachers could be distinguishable. When you see scholars have mutual hatred, envy and hate each other, and behave in opposition to and not in cooperation with each other, you should know that they have sold their hereafter for their world: they will be the losers. O Allah! Bestow mercy upon us, O Most Merciful of those who show mercy.

CHAPTER TEN

EXPOSITION OF WHAT IS VALID FOR A SERVANT TO DO TO PRACTICE HIS ACTS OF WORSHIP BECAUSE OF PEOPLE'S SEEING HIM

It should be known that a man might spend the night with some people, and all or some of them might stand for Tahajjud prayer. It is the habit of that man to stand for Tahajjud prayer for a portion of the night whenever he is in his house. But he is motivated by those to stand and pray more in agreement with them, or at least pray if he is not accustomed to pray in the house. Similarly, he might be in a place where its occupants observe voluntary fasts, thereupon he is motivated by their act to observe fast, and had it not been for that, he would not have

observed fasts. This might be thought of as showing off, and being so, one is advised to leave the deed. But even, this is not right. It is subject to profound details.

Every faithful believer has the desire to worship Allah Almighty, to stand for supererogatory prayer at night, and observe voluntary fasts by day. But he is hindered by impediments, prevented by occupations, and overpowered by desires and lusts, and possessed by heedlessness. It may be that his seeing others do the deed is a means to avert that heedlessness, impediments or occupations. A man in his house might be hindered from standing for Tahajjud prayer by his lying on a smooth bed, enjoying of his wife, talking with his family, etc. when he spends the night in another house, those impediments would be removed from him which weaken his desire for good. That is because by seeing them, he is motivated to do good, as he sees them having devoted themselves to Allah Almighty, and turned away from this world and its occupations. When he looks at them, he is motivated to compete them, and it becomes difficult upon him to let them excel him in good. Being so, what stimulates him is a religious motive and not showing off.

Similarly, he might find it difficult upon him to observe voluntary fasts in his house due to the availability of the delicious pleasant kinds of food, which he could not abstain from. But when those kinds of food are lacking, fasting becomes easy upon him supported by the religious motive. It is well-known that the present desires are impediments and motives that overpower the religious motive. If one is safe from them, the religious motive becomes stronger. The cause that lies behind all of that is one's seeing the people do the deeds and acts of worship. But at the same time, Satan suggests to him not to do the deed, lest he would be a maker of show. Furthermore, his desire for doing more might be caused by his seeing them and fear of being dispraised by them, particularly if they think he stands for Tahajjud prayer all the night. That is because he does not accept to let himself fall from their sight, and rather he prefers to preserve his position in their hearts. At that point, Satan says to him: "Pray for you are sincere, and you do not pray for their sake, but for the Sake of Allah Almighty. You did not pray in your house every night because of the much impediments and occupations; and now you are motivated by the desire to remove the impediments and not by your desire for their seeing you."

This matter is suspicious except for those of deep insight and understanding. If one knows that the motive is showing off, he should not add to what he used to do even a single rak'ah for by so doing, he disobeys Allah when he seeks the praise of people through acts of worship. If the motive is to remove the impediments and occupations, his Ghibtah (harmless jealousy) to compete them, let him agree with them. The sign of that is to wonder that were he to see them praying from behind a screen where they see him not, should he desire to pray while they do not see him? If he has such desire, let him do it, for in this case it is the religious motive which stimulates him; and if he finds difficult upon himself to pray, he should leave it, for the motive is showing off.

On Friday, one might become active to go to attend the prayer in the

mosque more than he does on any day else. Such activity might be caused by his love for people's praise, or by his imitation of their activity, and his heedlessness might be removed by their devotion to Allah Almighty. In this case, the religious motive might be mixed with his tendency to the love for people's praise. If he finds that the religious motive is preponderant, he then should continue to do the deed, and develop within himself the aversion for the love of praise. Similarly, one might see some people weeping, thereupon he weeps in imitation of them, not for the sake of showing off but for fear of Allah Almighty. Were he only to hear the speech (which led the people to weep), he might not weep. But people's weeping helps make the heart smooth. At other times, he might not be ready to weep for their weeping, but he forces himself to weep, once for the sake of showing off, and once with sincerity, for fear of his heart to become hardened, when they weep while his eyes shed no tears. However, this might likely be praiseworthy. The sign of sincerity is to offer to him the suggestion that were he to hear their weeping from behind a screen where they see him not, would he weep for fear of his heart to become hardened, giving no importance to his absence from their sight? If he weeps only for fear that they would accuse him of being heart-hardened, he should give up weeping. Luqman "peace be upon him" said to his son: "Do not show to the people that you fear Allah, perchance they would honour you, while your heart is wicked." The same is true of the other acts and deeds of worship.

All of those belong to the intrigues of Satan and self evil tendencies. If any of them occurs to his mind, he should soon remember that were the people to know his hypocrisy and showing off, and learn what is lurking in his conscience, surely, they would hate him. But Allah Almighty knows well what is lurking in his conscience, for which He hates him more than they do. It is reported in a particular narration: "Seek refuge with Allah from the submission caused by hypocrisy." (This narration is reported by Al-Baihaqi on the authority of Abu Bakr As-Siddiq). The submission caused by hypocrisy is that the organs apart from the heart become submissive.

You should observe your heart in every thought that occurs to your mind, and consider its sources. If it is for the Sake of Allah, then, go on it, but with caution of having any hidden implication of showing off, which is like the creeping of ants. Furthermore, be in awe of your worship, whether or not it would be accepted by Allah, for fear of your sincerity in it. You should also beware of having the thought of people's praise occur to you anew after starting the deed with sincerity. However, this more often happens. If it happens to you, then, think that Allah Almighty knows you well, and hates you for your showing off. Remember also the statement of one of the three persons who argue Job "peace be upon him": "O Job! Do you not know that one's disclosure of deeds with which he used to deceive himself always misleads him, and that he is rewarded only for his real intention?" another one of them said: "O Job! Do you not know that those who maintain their outward and neglect their inward, their faces would blacken when they ask Allah Most Gracious for their needs?"

A righteous predecessor used to say: "O Allah! I seek refuge with You from

having the people see that I fear You, although You hate me." Ali Ibn Al-Hussain "Allah be pleased with him" used to supplicate: "O Allah! I seek refuge with You from having my outward seem good in the sight of people, while my inward hideous in Your Sight, from maintaining my showing off before the people, and neglecting that which You know about myself, from showing to the people the best of my affairs, and to you the worst of my deeds, in order to come close to the people with my good deeds, and flee away from them to You with my evil deeds, with the result that Your displeasure and wrath become due upon me: save me from all of that, O (Allah) Lord of the worlds."

Those are some evils of showing off. One should observe his heart in order to make sense of them. According to a particular narration: "Showing off has seventy doors." Some of them are more abstruse than others; and some are as hidden as the creeping of ants, and some more hidden than the creeping of ants. How would one perceive that which is more hidden than the creeping of ants except by strong inspection and observation? And would that he is able to perceive it after doing his best to do so. How should one covet of perceiving it without inspecting the heart and examining the soul in order to know well its deception. We ask Allah Almighty to provide us with wellbeing by virtue of His favor, generosity and kindness.

CHAPTER ELEVEN

EXPOSITION OF WHAT IS BINDING UPON A NOVICE TO DO BEFORE AND AFTER AN ACT OF WORSHIP

It should be known that it is incumbent upon the novice to be satisfied, in all acts of worship, with the knowledge of Allah Almighty, and no one else; and none is satisfied with the knowledge of Allah but he who fears none and expects reward from none but Allah Almighty, unlike him who fears anyone else, and has hope in him, in which case he wishes to let him know the best of his affairs and states. If one finds himself in that state, he should then instill with himself the aversion for it, from his heart and faith, due to the danger of wrath and anger of Allah that lies in it. He should also observe himself while doing the great difficult acts of worship which none could do but he, for at that point, the self is about to boil out of longing for disclosing the deed of worship, saying: "If the people know such a great act/fear/weeping from you, they would fall in prostration to you (out of honouring you). Since none among the people has the power to do the like of it, how do you accept to conceal it? If you conceal it, the people would ignore your rank and underestimate your position, and are deprived of taking you as an example to follow." In this matter, one should make firm his feet, and, in opposition to his great deed, remember the greatness of the dominion of the hereafter, the everlasting bliss of the Garden, and the momentous anger and wrath of Allah upon him who asks for his deed of worship a reward from His servants.

He should also know that if his disclosing the deed to anyone else is dear to him, it causes him to fall from the Sight of Allah Almighty, and suffers his great deed to be fruitless. In this respect, let him say to himself: "How should I follow that great deed by the people's praise for it, given that the people are too

powerless to avail me in sustenance or death?" He should persist in that thought and further say: "It is only the strong among men who are able to adhere to sincerity; but those who mix (showing off with their deeds), sincerity is not their portion." By saying and thinking so, he shall have no need to strive himself for sincerity. Indeed, the need of the person who mixes (showing off with his deed) to strive himself for sincerity is more pressing, for if the obligatory deeds of the pious become corrupt, his supererogatory deeds will continue to suffice him, unlike the mixer, whose obligatory deeds could hardly be free from shortage, and they are always in need to be amended by the supererogatory deeds. If they are not faultless, he would be punished for the shortage of his obligatory deeds.

Thus, the mixer has more need for sincerity. It is narrated on the authority of Tamim Ad-Dari that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The first thing for which a servant will be reckoned on the Day of Judgement is his (obligatory) prayers: If he completed it, it would be written as additional (good deed) for him. But if he did not complete it, Allah Almighty would say to His angels: "Look: Do you find any voluntary (prayers) to be offered by My servant therewith to complete whatever obligatory (prayers) he missed?" If this is available, it is good, otherwise, he would be seized by his hands and feet and thrown into the fire of Hell." (This narration is reported by both Abu Dawud and Ibn Majah).

The mixer will come on the Day of Judgement with his obligatory deeds short, and his sins very much. So, he needs to strive to mend the obligatory deeds and plot out his sins. This could not be done except by being sincere in doing the supererogatory deeds. But the pious strives to increase his degrees, in a way that if his optional deeds become fruitless, his good deeds would remain to overweigh his evil ones, thereby he would enter the Garden.

Thus, one should not have a desire for anyone other than Allah Almighty to know about his deeds, in order that his supererogatory deeds would be held valid. He should abide by that also after finishing from the deed, in the sense that he should neither show nor talk about it. If he does all of that, he should also remain in awe of his deed, lest something of hidden showing off might have been mixed with his intention, which stands against the acceptance of his work. Both awe and doubt should accompany him during and after finishing from the work, but not on assuming it. On assuming the work, he should be certain that he is sincere and that he intends by his work only the Countenance of Allah Almighty. But a short moment after he starts the work, and because of an unintentional heedlessness or forgetfulness, he experiences a fear of any hidden stain of showing off or haughtiness that might render fruitless his work. But in this way, his hope should overweigh his fear, for he is certain that at least he has assumed the work with sincerity. For this reason, the pleasure of private conversation with Allah and doing the acts of worship becomes so much, for in sincerity one is certain, while in showing off he is only doubtful. His fear caused by that doubt is to compensate for any passing thought or feeling of showing off that might occur to him heedlessly.

On the other hand, whoever comes close to Allah Almighty by doing his best

to fulfill the needs of people, and benefit them with knowledge, should put in his mind the expectation of the reward for causing pleasure to whomever he fulfills his need or teaches knowledge. Indeed, he should expect the reward for that from Allah Almighty, and not any praise or thanks from anyone else lest his work would become fruitless. To be sure, if he expects anything from whomever he fulfills his need or teaches knowledge, he will be regarded to have received the reward for his work. It is true that if he does not expect anything of that, and does not intend but the reward from Allah Almighty, he will have the like of his reward. But there is no blame on him if his pupil serves him, on condition that he has no previous expectation for it. We hope this would not frustrate his work.

But in spite of that, many scholars used to beware of that. It is reported that a man fell in a well of water and some people came and dropped a rope to raise him. He took an oath that none to whom he has read even a single Verse of the Qur'an or heard from him a Prophetic narration should stand with them, lest his work would become fruitless. Shaqiq Al-Balkhi said: "I presented a dress to Sufyan Ath-Thawri who returned it to me thereupon I said to him: "O Abu Abdullah! I am not of those who hear the Prophetic narrations from you to return my gift to me." He said: "I know that. But your brother hears Hadith from me, and I fear I would incline to him more than I do to anyone else."

A man brought one or two handfuls of Dirhams to Sufyan Ath-Thawri and his father was a friend of him, and Sufyan used to frequent him. The man asked him: "O Abu Abdullah! Do you feel something bad about my father?" He said: "May Allah bestow mercy upon your father. He was such and such..." and he praised him. He said: "O Abu Abdullah! You know how this wealth has become mine. I like that you should take this money to seek its aid in spending on your dependents." Sufyan accepted it from him. But when he came out, Sufyan said to his son: "O Mubarak! Catch and return him to me." He caught and invited him and when he entered he said to him: "I like that you should take back your money." He asked him pressingly until he took it back. Since the bond of brotherhood that was between him and his father was for the Sake of Allah Almighty, he seemed to have disliked to take money because of that. His son said: When the man came out I could not help saying to my father: "May Allah bestow mercy upon you! What kind of heart is yours? Do you not think that you have children? Do you not show mercy to me, my brothers, and family?" When I worried him with my questions, he said to me: "O Mubarak! You would really eat it with pleasure and satisfaction, and I would be questioned about it on the Day of Judgement."

The scholar then should abide by the expectation of reward from Allah Almighty, and nothing else, whereas the learner should abide by praising and thanking Allah Almighty for His favor on him, and seeking the high rank in His Sight, and expecting the reward from Him, giving no care to his position in the sight of his teacher or the people. Perhaps the learner thinks that he has the right to make show of his obedience to his teacher in order to obtain the high position in his heart. But this is a big mistake, for if he intends by his obedience anyone else other than Allah Almighty, he will lose immediately.

The knowledge might or might not benefit. He should learn for the Sake of Allah, worship none but Allah, and serve his teacher only for the Sake of Allah Almighty, not for the purpose of having a good position in his heart, particularly if he likes his learning to be an act of worship to Allah Almighty. The servants are commanded to worship none but Allah, and intend by their obedience none but Allah. Similarly, whoever serves his parents should not do so to seek the position in their hearts, except in the sense that Allah's pleasure with him lies in their contentment with him. He should not make show of his obedience to have a position in the sight of his parents, for this is an immediate sin, and sooner or later, his showing off would inevitably be uncovered by Allah Almighty, and his position would subsequently fall from their eyes.

Nevertheless, the ascetic who isolates himself from the people, should abide by the permanent celebration of Allah Almighty, and give no importance to make his asceticism known to anyone else other than Allah Almighty, lest the seed of showing off would be planted in his heart. Being so, the acts of worship in solitude become easy upon him. Ibrahim Ibn Adham said: "I have learnt knowledge from a monk called Sam'an. I entered his monastery and asked him: "O Sam'an! How long have you been here?" he said: "Seventy years." I further asked: "What is your food?" he said: "O Hanafi! What has caused you to raise that question to me?" I said: "I just like to know." He said: "A single grain of pea every night." I asked him: "Then, what is that in your heart which helps you be satisfied only with a single pea every night?" he said: "Do you see that church?" I answered in the affirmative, thereupon he said: "Every year, its dwellers come on one day to adorn my monastery, circumambulate round it, and honour me. So, every time I feel worship heavy on my soul, I soon remind it of the honour of that hour. In this way, I endure the effort of a whole year just for the honour I receive in that hour. So, O Hanafi, endure the effort of one hour in order to receive honour for the whole of your lifetime." The knowledge then was inspired to me.

He asked me: "Should I give you more or you are satisfied?" I said:" Nay, give me more." He asked me to dismount of the monastery and then he gave me a pot containing twenty grains of pea. He said to me: "Enter the church for they have seen what I gave you." The Christians gathered to me and asked: "O Hanafi! What is that which the monk has given to you?" I said: "Something of his sustenance." They said: "What do you do with it since we have more right over it than you?" they asked me to haggle with them over it and I suggested twenty Dinars, which they gave to me. I took the money in exchange for the pea. I returned to the monk who asked me what I had done. I said: "I have sold that to them for twenty Dinars." He asked me about the price and I told him: "Twenty Dinars." On that he said: "You have made a mistake! Had you haggled with them to give you even as much as twenty thousand Dinars, they would have agreed to do. That is the honour of whomever you worship not. What about the honour of Him Whom you worship? O Hanafi! Devote yourself wholeheartedly to your Lord, and give up going and returning."

The point is that the feeling of honour in the hearts is a motive to worship in solitude. But a servant might not feel it at all. Anyway, he should abide by caution of it. The sign of that is that men should be in the same rank as animals in his sight. If they change their thought of him, he should not be scared nor disturbed, except in so far as he has a weak aversion for that, which he should repel at once by virtue of his mind and faith. Were he to be in worship and the people to know him, that would not cause him to add more to his worship, nor would it please him that the people know about it. But in case he entertains a simple pleasure, it will be a sign of his weakness. But if he is able to repel it with the aversion for it he has in his mind, and by virtue of his faith, which causes him to hasten to reject that pleasure, his endeavor is expected not to fail.

However, if he increases in piety and anguish in order that they would not rejoice at him, there is no blame. But a kind of deception lies in it, for the soul might have a hidden desire for making show of piety, and give a good reason for seeking anguish. None is saved from that but he who has a firm faith that there is none in existence but Allah Almighty. This causes him to do the same work which, being even alone on the surface of the earth, would do. This means that his heart gives no care to the people except in so far as it is in the form of passing thoughts, too weak to remove. Being so, he never changes by the people's seeing him.

The sign of truthfulness in this is that if he has two companions, one rich and another poor, both would be in the same position in his heart, except in case one of them has more knowledge and piety. Whoever then gets comforted with seeing the rich more than the poor, he is a covetous maker of show, otherwise, seeing the poor increases the desire for the hereafter, and endears neediness and meekness to the heart, whereas seeing the rich gives a different impression. It is reported that the rich were not seen humiliated in a gathering more than they were seen in the gathering of Sufyan Ath-Thawri. He used to make them sit in the rear, and bring the poor forward to the extent that they wished would that they were poor in his gathering.

It is true that you have the right to honour the rich more if he is closer to you in relation, or there is a bond of friendship between you and him, but in the sense that were the poor to have the same from you, you would not give the rich priority to him at all. To be sure, the poor is dearer to Allah Almighty than the rich. In this way, your preference of the rich would be caused by your covet of his richness, and desire for making show before him. But even, if you deal with them equally in the gathering, it is feared that you might probably show wisdom and piety to the rich more than the poor. This is evidently hidden showing off or covet as Ibn As-Simak said to his slave-girl: "What is the matter with me that if I come to Baghdad, the gates of wisdom would be opened to me?" He said: "Indeed, the covet sharpens your tongue." She has told the truth. One speaks in the presence of a rich what he speaks not in the presence of a poor; and the same is true of piety.

Self intrigues in this respect are countless. Nothing saves you from them but

to drive anything away from your heart other than Allah Almighty, live in awe for yourself for your entire lifetime, and accept not the fire for it because of the embittering desires and lusts. You should be like a king in this world who is well-established in pleasures and lusts, and he suffers illness in his body, and he fears destruction might overtake him at any time. But at the same time, he knows well that were he to protect himself by striving against his desires and lusts, he would live and his kingdom would survive. Being certain of that, he comes to sit with physicians and chemists, and gets himself accustomed to drink bitter medicines, abscond all pleasures and keep patient on them. Although his body grows thinner day by day, his illness decreases gradually because of self protection he abides by. Every time his soul attracts him to a particular desire, he soon remembers the subsequent pains and troubles he might receive, which brings him to death that is to separate him from his kingdom, a thing at which his enemies might glee. Similarly, every time he feels it difficult upon himself to drink a bitter medicine, he soon remembers the cure he will get benefit from because of it, which is the cause of enjoyment of his kingdom and abiding bliss.

Similarly, the faithful believer who seeks for the dominion of the hereafter protects himself from all that might ruin it, i.e. the pleasures and splendor of this world, from which he takes only the minimum requirements, and gives preference to thinness, wilt, loneliness, solitude, grief and fear, over affability with the people, for fear the wrath of Allah would become due upon him, thereby he would be ruined, and in the hope of being saved from His punishment. Because of his certainty of faith, his belief in the good end of his journey, and in the abiding bliss that is prepared for him, under the shade of the pleasure and satisfaction of Allah with him, all of that becomes easy upon him. He also knows that Allah Almighty is Most Merciful and Kind to His servants who seek His Countenance, and helps them please Him well. Had He willed, he could make them free of such trouble. But He Almighty liked to test them, and know how true they are to their will, out of His wisdom and justice.

If one endures the trouble in the beginning, Allah Almighty will turn to facilitate the matter to him, remove burdens from him, make it easy upon him to persevere, endear obedience to his heart, and bestow therefrom upon him of the pleasure of private conversation (with Allah Almighty) what entertains him from all other pleasures, help him deaden all desires and lusts, have the best leadership of him, and provide him with His aid. It is the habit of the Generous not to suffer to be lost the endeavor of the one who has hope in Him, nor to frustrate the expectation of the lover. It is He Almighty Who says: "Whoever draws as little as a span close to Me, I draw as much as a cubit close to him." He further says: "The longing of the pious for meeting Me has become long, and My longing for meeting them is greater." For this reason, a servant should be serious, faithful, truthful and sincere in the beginning of his endeavor, and spare no effort to draw close to Him, as it is fitting for His generosity, bounty, mercy and kindness.

End of the Book of Condemnation of majesty and showing off; and praise be to Allah Alone.

It is the ninth book of the quarter of destructives

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

Praise be to Allah, the Creator, the Evolver, the Bestower of Forms (or Colours), the Sovereign, the Holy One, the Source of Peace (and Perfection), the Guardian of Faith, the Preserver of Safety, the Exalted in Might, the Irresistible, the Supreme, Whom none is able to turn from His Glory, the Irresistible to Whom every strong tyrant is submissive in humiliation, and every arrogant, in the shade of His Honour, is poor and humble, the Supreme, Whom nothing could avert His will, the Free of Want, Who has no partner nor anyone to dispute Him, the Omnipotent, Whose brilliance and Majesty have dazzled the sights of all the creatures, Who has established Himself over the glorious Throne (of Majesty), Who is beyond the description and appreciation of all the Prophets and Messengers, that His angels and Prophets "peace be upon them" acknowledged their failure to encompass in description and understanding His Majesty and Glory, Whose Power and Supremacy broke the dominion of Khosraus and Caesars, for indeed Greatness is His lower garment, and Supremacy is His upper garment, and whoever disputes with Him over any of both would be given to destruction: Exalted and Glorified be He, and Hallowed be His Names.

Allah's blessing and peace, as much as it is fitting, be upon Muhammad, upon whom the light that illuminating over all the universe was sent, as well as upon his family and companions, Allah's lovers, friends, allies, and well-chosen from among His creatures.

Coming to the point:

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah Almighty says: "No doubt, Greatness represents My lower garment, and supremacy My upper garment; and whoever disputes with Me over any of both, would be broken by Me." (This narration is reported by Al-Hakim). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "There are three destructives: niggardliness that is obeyed, an inclination that is followed, and self-vanity." (This narration is reported by Al-Bazzar, At-Tabarani and Al-Baihaqi on the authority of Anas). Both arrogance and haughtiness are destructive diseases, and both arrogant and haughty are hateful sick in the Sight of Allah Almighty.

If our purpose from this quarter of the revival of religion sciences is to clarify the destructive evils and sins, it is incumbent upon us then to explain what arrogance and vanity are. Indeed, they are among the shameful deeds. We are going to explain them in two parts: the first part pertains to arrogance, and the other to vanity.

PART ONE
CONDEMNATION OF ARROGANCE

It includes:
Exposition of condemnation of arrogance
Exposition of condemnation of boasting
Exposition of excellence of humbleness
Exposition of the real nature and evil of arrogance
Exposition of him to whom one behaves arrogantly; and the levels of arrogance
Exposition of constituents of arrogance
Exposition of motives of arrogance
Exposition of the manners of the humble
Exposition of remedy of arrogance
Exposition of self-discipline to acquire the character of humbleness; and praiseworthy and blameworthy extent of humbleness

CHAPTER ONE
EXPOSITION OF CONDEMNATION OF ARROGANCE

Allah Almighty has condemned arrogance and criticized every arrogant boaster in many places of His Book. He Almighty said: " Those who behave arrogantly on the earth in defiance of right, them will I turn away from My Signs: even if they see all the Signs, they will not believe in them." (Al-A'raf 146)

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ﴿١٤٦﴾ ﴾

He further said: "Thus does Allah seal up every heart of arrogant and obstinate transgressors." (Ghafir 35)

﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾

He said: "But they sought victory and decision (there and then), and frustration was the lot of every Powerful obstinate transgressor." (Ibrahim 15)

﴿ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾

He Almighty said too: "Undoubtedly, Allah does know what they conceal, and what they reveal: verily He loves not the arrogant." (An-Nahl 23)

﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾

He also said: " Indeed they have an arrogant conceit of themselves, and mighty is the insolence of their impiety!" (Al-Furqan 21)

﴿ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

He said too: "but those who are too arrogant to serve Me will surely find themselves in Hell, in humiliation!" (Ghafir 60)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "None shall enter the Garden, in whose heart there is the weight of a mustard seed of arrogance; and none shall enter the fire (of Hell), in whose heart there is the weight of a mustard seed of faith." (This narration is reported by Muslim on the authority of Ibn Mas'ud). Abu Hurairah "Allah be pleased with him" said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah Almighty says: "No doubt, Greatness represents My lower garment, and supremacy My upper garment; and whoever disputes with Me over any of both, I would throw him into (the fire of) Hell, and I would not care." (This narration is reported by Muslim, Abu Dawud and Ibn Majah).

It is narrated on the authority of Abu Salamah Ibn Abd-Ar-Rahman that he said: Both Abdullah Ibn Umar and Abdullah Ibn Amr "Allah be pleased with them" met on Safa (mountain), and stopped for a while and then Abdullah Ibn Amr went while Abdullah Ibn Umar remained and went on weeping. They asked him: "What does cause you to weep O Abu Abd-Ar-Rahman?" He said: "This, i.e. Abdullah Ibn Amr, pretends that he heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying: "He who has in his heart a mustard seed's weight of arrogance, Allah would throw him prone on his face into the fire (of Hell)." (This narration is reported by Ahmad and Al-Baihaqi). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "A man would continue to feel self-important until he is enrolled among the tyrants, with the result that he would receive the same punishment they receive." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Salamah Ibn Al-Akwa').

It is reported that Solomon, son of David "peace be upon them" one day ordered men, jinn, animals and birds to set out, and they set out in two hundred thousand each. He was raised until he heard the voice of angels glorifying (Allah Almighty) in the heavens, and was lowered until his feet touched the sea, whereas he heard a voice saying: "If there is, in the heart of your companion, the weight of a mustard's seed of arrogance, I would cause him to sink down farther than I have raised him up." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There will come out from the fire (of Hell) a neck having two hearing ears, two seeing eyes, and a speaking tongue. It will say: "I have been entrusted to deal with three: every obstinate tyrant, every one who associated partners with Allah in worship, and the picture makers." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Abu Hurairah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No niggard, nor a tyrant nor a bad-mannered will enter the Garden." It is further narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There was a dispute between the Hell and the Paradise and it (the Hell) said: "The haughty and the proud would find abode in me." The Paradise said: "The meek and the humble would find their abode in me." On that Allah "Exalted and Glorified be He" (addressing the Paradise) said: "You are only My Mercy by

means of which I shall show mercy to those whom I wish." (addressing the Hell) He said: "You are (the means) of My punishment by which I punish those of My servants whom I wish, but each one of you would have its fill." (This narration is reported by both sheikhs).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "What an evil servant is he who tyrannizes and behaves arrogantly, forgetting the Supreme Irresistible! What an evil servant is he who tyrannizes and boasts, forgetting the Most Supreme, Most High! What an evil servant is he who neglects and takes no heed, forgetting the graves and trials! What an evil servant is he who transgresses and oppresses, forgetting the beginning and the end!" (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Asma' Bint Umais). It is reported on the authority of Thabit that he said: We have been informed that it was said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Messenger of Allah! How arrogant is so and so!" on that he said: "Is there anything after it but death?" (This narration is reported by Al-Bihaqi).

Abdullah Ibn Amr "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "When death approached Noah "peace be upon him" he invited both his sons and said to them: "I order you to do two things, and forbid you to do two things. I forbid you to ascribe partners to Allah in worship, and to be arrogant. I order you to bear testimony to the fact that there is no god to be worshipped but Allah. No doubt, were the heavens and the earths and all that they contain to be placed in a scale of the balance, and the testimony that 'There is no god to be worshipped but Allah' in the other scale, it would overweigh; and were the heavens and the earths and all that they contain to be a ring, and the testimony that 'there is no god to be worshipped but Allah' to be placed over it, it would break it. I further order you to glorify and praise Allah Almighty, for it is the prayer of all beings, and therewith all beings are given sustenance." (This narration is reported by Ahmad and Al-Hakim, and Al-Bukhari in his Adab).

Jesus "peace be upon him" said: "Blessed be he whom Allah Almighty teaches His Book and then he dies while being not arrogant." It is further narrated on the authority of Harithah Ibn Wahb "Allah be pleased with him" that he heard The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying: "May I not inform you about the denizens of Hell-Fire?" They said: "Yes." He said: "Every haughty, fat and proud (person)." (This narration is reported by both sheikhs). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Those who are the most hateful to me, that will have their seats the farthest from mine (on the Day of Judgement) are chatterers, loudmouths and ranters." They said: "O Messenger of Allah! Who are ranters?" He "peace be upon him" said: "They are the arrogant. "(This narration is reported by Ahmad on the authority of Abu Tha'labah; and At-Tirmidhi on the authority of Jabir).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "On the Day of Judgement, the arrogant will be mustered in the form of

atoms trampled by the people, atoms in the form of men, underneath all things. Then, they will be driven into a prison in the Hell called Bolis, where the fire of fires will be over them. Then, they will be made to drink from Tinat Al-Khabal, i.e. the pus of the denizens of the fire of Hell." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Amr Ibn Shu'aib from his father from his grandfather). Abu Hurairah "Allah be pleased with him" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "On the Day of Judgement, the tyrants and arrogant people will be mustered in the form of atoms trampled by all things due to their slightness in the Sight of Allah Almighty." (This narration is reported by Al-Bazzar).

It is narrated on the authority of Muhammad Ibn Wasi' that he said: I entered upon Bilal Ibn Abu Burdah to whom I said: Your father reported to me from his father (Abu Musa) that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Indeed, in Hell, there is a valley called Habhab, and it is incumbent upon Allah to make it the abode of every arrogant tyrant. So, O Bilal! Beware of being one of those who live in it." (This narration is reported by Abu Ya'li, At-Tabarani and Al-Hakim).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "In the fire (of Hell), there is a palace assigned by Allah to the arrogant and it will be folded upon them." (This narration is reported by Al-Baihaqi on the authority of Anas). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "O Allah! I seek refuge with You from being blown with arrogance." He "peace be upon him" said: "He, whose soul leaves his body while being free from the following three, will enter the Garden: arrogance, debt and misappropriation." (This narration is reported by At-Tirmidhi, An-Nasa'i and Ibn Majah on the authority of Thawban).

From among the traditions and sayings, a mention may be made of the following:

Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" said: "None should look down upon a Muslim, for such as seems trivial in your sight is honoured in the Sight of Allah Almighty." According to Wahb: "When Allah Almighty created the Garden of Eden, He looked at it and said: "You are forbidden to every arrogant tyrant." It is reported that Al-Ahnaf Ibn Qais used to frequent Mus'ab Ibn Az-Zubair and sit on his throne beside him. One day he came and Mus'ab was stretching his legs. He did not withdraw them, and Al-Ahnaf sat down. He pushed them a little, and the traces of disturbance were visible on his face. On that he said: "How amazing mankind is! He proves arrogant although he is born from the (vagina which close to the) urethra."

According to Al-Hassan "may Allah have mercy upon him": "How astonishing mankind is ! he washes his excretion with his hand once or twice everyday, and then comes to oppose (Allah) the Irresistible of the heaven and the earth." One of the interpretations given to the following statement of Allah Almighty: " As also in your own selves: will you not then see?" (Adh-Dhariyat 21)

﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

"It refers to both channels of urine and excretion." According to Muhammad Ibn Al-Hussain Ibn Ali: "No man in whose heart arrogance enters but that something equal is reduced from his reason." Solomon "peace be upon him" was asked about the evil deed which no good deed could remove, thereupon he said: "The arrogance."

An-Nu'man Ibn Bashir "Allah be pleased with him" said while addressing the people from over the pulpit: "Indeed, Satan has snares and traps (therewith to catch mankind), and among Satan's snares and traps are to be too haughty to be grateful to the favors of Allah Almighty, to boast because of Allah's gifts, to behave arrogantly towards the servants of Allah Almighty, and to follow the inclination but not for the Sake of Allah Almighty." We ask Allah Almighty to provide us with wellbeing and power in the world and the hereafter, by His bounty and generosity.

CHAPTER TWO
EXPOSITION OF CONDEMNATION OF BOASTING

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah never looks (with the eye of mercy) at him who drags his lower garment out of haughtiness." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "While a man was strutting in his Burdah since he was proud of himself, Allah Almighty caused him to sink down into the earth and he will be sinking deeper and deeper in it until the Day of Judgement." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He who drags his dress out of boasting, Allah will not look at him (with the eye of mercy) on the Day of Judgement."

It is narrated on the authority of Zaid Ibn Aslam that he said: I came to visit Abdullah Ibn Umar "Allah be pleased with them" and Abdullah Ibn Waqid was passing, getting dressed in a new dress. I heard Ibn Umar "Allah be pleased with them", On seeing him, having said to him: "O my son! Raise your garment, for I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying: "Allah never looks (with the eye of mercy) at him who drags his dress out of haughtiness." (This narration is reported by Muslim). It is narrated on the authority of Busr Ibn Jahhash Al-Qurashi that he said: Once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" spat in his palm, and then he put his index finger (on it) and said: Allah Almighty says: "How should you frustrate me, O son of Adam, since I created you from the like of that (water), until when I fashioned you and made you in due proportion, you walked heavily on the earth in two garments, where you collected (wealth) and withhold it until when your soul reaches here (and he pointed to his throat), you say: Let me give in charity! But how should the time of charity come?" (This narration is reported by Ibn Majah and Al-Hakim).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "When my people come to walk with haughtiness, and both Persians and Romans serve them, then, it is time for Allah Almighty to invest them with

authority over each other." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Ibn Hibban on the authority of Ibn Umar). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "He who makes much of himself and walks with haughtiness, will meet Allah Who will be angry with him." (This narration is reported by Ahmad, At-Tabarani, Al-Hakim and Al-Baihaqi on the authority of Ibn Umar).

From among the traditions and sayings, a mention may be made of the following:

It is narrated on the authority of Abu Bakr Al-Hudhali that he said: While we were sitting with Al-Hassan, Ibn Al-Ahtam passed by us, intending the Maqsurah, and he was wearing a garment of Khazz which he prepared neatly, and he was strutting in his walk. Al-Hassan looked at him and said: "Fi! Fi! How he is raising his nose, twisting his body, swelling his cheek, and looking at both his sides! Which foolish are you? You are not grateful to the favors bestowed upon you (by Allah), which you neither take with the right of Allah, nor give what is due upon of the right of Allah." Hearing that, Ibn Al-Ahtam returned to him and apologized to him. On that he said to him: "Apologize not, and rather repent to your Lord. Have you not heard the statement of Allah Almighty: " Nor walk on the earth with insolence: for you can not rend the earth asunder, nor reach the mountains in height." (Al-Isra' 37)

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾

It is reported that a young man came upon Al-Hassan and he had a smart suite on him. On that Al-Hassan invited him and said to him: "Mankind is proud of his youth, fond of his characteristics, as if the grave has covered your body, and you have met your deed. Woe to you! Remedy your heart for Allah's need of His servants is the soundness of their hearts." It is reported that once Umar Ibn Abd-Al-Aziz performed Hajj before he was appointed as caliph, and when Tawus saw him boasting in his walk, he poked his flank with his finger and said to him: "This is not the walk of him who has excretion in his belly." On that Umar said to him apologizing: "O my uncle! Every part of my body was struck to get accustomed to that walk until I have been accustomed to it."

Once, Muhammad Ibn Wasi' saw his son boasting in his walk, thereupon he said to him: "O my son! Do you know who you are? Your mother is a slave-girl whom I buy for two hundred Dirhams, and your father (is not so good): let not the Muslims have any more like him." Ibn Umar "Allah be pleased with them" saw a man dragging his lower garment, thereupon he said: "Satan has many brothers!" he said it twice or thrice. It is reported that once Mutarrif Ibn Abdullah Ibn Ash-Shakhir saw Al-Muhallab strutting in a cloak of Khazz, thereupon he said to him: "O servant of Allah! This is a walk which Allah and His Messenger never like." Al-Muhallab asked him: "Do you not know me?" he said: "Nay! I know you well. In the beginning, you were a sperm scattered (and thrown into the womb), and in the end you will be a putrefied corpse, and in the interval between both, you are carrying dung (in your belly)." On that Al-Muhallab went away and gave up his way of walking.

In his comment on the following statement of Allah Almighty: " Then did he

stalk to his family in full conceit!" (Al-Qiyamah 33)

﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴾

Mujahid said: "i.e. strutting in his walk."

Since we made a mention of the condemnation of arrogance and boasting, let's now make a mention of the excellence of humbleness; and Allah Almighty knows best.

CHAPTER THREE
EXPOSITION OF EXCELLENCE OF HUMBLENESS

It is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "(Giving in) charity, in no way, decreases the wealth. No servant forgives (others), but that Allah adds to his respect, and no one behaves humbly (towards others) for the sake of Allah, but that Allah elevates him (in the sight of the people)." (This narration is reported by Muslim). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There is no servant but that there are two angels with him, and something like a tie over him by which they seize him: If he elevates himself, they would soon pull it saying: "O Allah! Humiliate him!" and if he humbles himself they would say: "O Allah! Raise him!" (This narration is reported by Al-Aqili and Al-Baihaqi on the authority of Abu Hurairah; and Al-Baihaqi alone on the authority of Ibn Abbas).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Blessed be he who behaves humbly (towards the people) without meekness, spends wealth he has collected without disobedience, shows mercy for the people of humiliation and poverty, and mixes with men of jurisprudence and wisdom." (This narration is reported by Al-Baghawi, Ibn Qani' and At-Tabarani on the authority of Rakb Al-Misri; and Al-Bazzar on the authority of Anas). It is narrated on the authority of Abu Salamah Al-Madini from his father from his grandfather that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was in our house in Quba' and he was fasting. At the time of breaking fast, we served him with a drink of milk mixed with honey. When he raised it to his mouth and tasted it, he detected the sweetness of the honey, thereupon he asked about it, and we said: "O Messenger of Allah! We have mixed some honey with it." He put it down and said: "Behold! As for me, I do not forbid it (although I would not drink of it). Indeed, whoever behaves humbly (towards the others) for the Sake of Allah, Allah Almighty elevates him (in rank), and whoever is arrogant, Allah Almighty humiliates him, and whoever is thrifty, Allah Almighty enriches him, and whoever is extravagant, Allah Almighty impoverishes him, and whoever celebrates Allah more often, Allah Almighty loves him." (This narration is reported by Al-Bazzar; and At-Tabarani on the authority of A'ishah).

It is reported that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was in his house with his companions and they all were eating when a beggar knocked at the door, and he had a bothersome disease. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" admitted him and made him sit on his thigh and told him to share food with them. A man from the Quraish

seemed as if he was disgusted by him, thereupon he did not die before he was afflicted with the same bothersome disease. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "My Lord has given me the freedom to choose whether to be a Messenger servant or to be a Prophet king, and I did not know what to choose. Gabriel "peace be upon him" was my selected angel. I raised my head towards him and he said to me: "Show humbleness for the Sake of your Lord." I said: "Then, I have chosen to be a Messenger servant." (This narration is reported by Abu Ya'li on the authority of A'ishah; and At-Tabarani on the authority of Ibn Abbas).

It is reported that Allah Almighty revealed to Moses "peace be upon him": "I accept the prayer of him who shows humbleness for the Sake of My Greatness, and does not regard himself superior to My creatures, i.e. he who persists in fear of Me, celebrates Me more often during his day, and desists from desires and lusts for My Sake." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Generosity lies in piety and honour lies in humbleness, and certainty (of faith) provides one with richness." (This narration is reported by Ibn Abu Ad-Dunya). The Messiah "peace be upon him" said: "Blessed be the humble in this world: they will be the owners of pulpits (of light) on the Day of Judgement. Blessed be those who make peace among the people in this world: They will inherit the Paradise on the Day of Judgement. Blessed be those whose hearts are purified in this world: they will look at Allah Almighty on the Day of Judgement."

It is reported that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whomever Allah Almighty guides to Islam, makes good his face, keeps him faultless, and endows him with humbleness, he is among these selected by Allah Almighty." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Ibn Mas'ud). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "There are four things which Allah Almighty never gives but to whomever He loves among His servants: silence, which is the beginning of worship, reliance on Allah Almighty, humbleness, and abstinence in this world." (This narration is reported by At-Tabarani and Al-Hakim on the authority of Anas).

Ibn Abbas "Allah be pleased with them" said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If a servant shows humbleness, Allah Almighty raises him to the seventh heaven." (This narration is reported by Al-Baihaqi). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Humbleness does not add to a servant but highness. So, behave humbly (toward each other), perchance Allah Almighty would bestow mercy upon you." (This narration is reported by Al-Asfahani in his Targhib on the authority of Anas; and Ibn Adi on the authority of Ibn Umar). It is reported that once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was having his meal when a black man afflicted with variola came to share food with him. He never came to sit beside anyone but that he stood in flight from him. On that, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" made him sit beside him.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I

appreciate a man who carries anything in his hand in service of his family, therewith to remove arrogance from himself." It is reported that one day, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to his companions: "Why do I not see on you the sweetness of worship?" They asked: "What is the sweetness of worship?" he said: "Humbleness." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "If you see the humble from among my nation, then, show humbleness for them; and if you see the arrogant from among my nation, then, behave arrogantly towards them, for this will be a means of humiliation and disgrace for them."

From among the traditions and sayings, a mention may be made of the following:

Umar "Allah be pleased with him" said: "If a servant shows humbleness for the Sake of Allah, Allah Almighty raises him saying: "Refresh, may Allah Almighty raise you!" and if he proves arrogant, Allah Almighty puts him down to earth saying: "Be disgraced, may Allah disgrace you!" although he is great in his sight, he seems despicable in the sight of people, and more despicable than a pig." Jarir Ibn Abdullah "Allah be pleased with him" said: "I came to a tree and found a man sleeping underneath it, shading himself with his sheet, and the sun had passed over it and touched a part of his body which was exposed. I then straightened the sheet over his body (to cover him from the heat of sun), and when he woke up, behold! He was Salman Al-Farisi. I made a mention to him of what I have made, thereupon he said to me: "O Jarir! Show humbleness for the Sake of Allah in this world, for whoever shows humbleness for the Sake of Allah in this world, Allah Almighty raises him in rank on the Day of Judgement. O Jarir! Do you know what the darkness of fire will be on the Day of Judgement?" I answered in the negative, thereupon he said: "It will result from the people's wronging each other in this world."

A'ishah "Allah be pleased with her" said: "You indeed are heedless of the best act of worship, i.e. humbleness." According to Yusuf Ibn Asbat: "The one of little piety is rewarded if he does many deeds, and the one of little humbleness is rewarded if he strives so much." When Al-Fudail was asked about humbleness, he said: "It is to submit to the truth and accept it even if you hear it from a child, and even from the most ignorant of people." According to Ibn Al-Mubarak: "The head of humbleness is to lower yourself to a position lesser than him who is inferior to you in favor of this world until you get him know that you have no superiority over him; and to raise yourself to a position higher than him who behaves arrogantly towards you until you get him know that he has no superiority over you."

According to Qatadah: "Whoever is given property, beauty, knowledge, etc, in which he does not show humbleness, this would become an evil against him on the Day of Judgement." It is said that Allah Almighty revealed to Jesus "peace be upon him": "If I confer a favor on you, receive it with humility, perchance I would perfect it upon you." According to Ka'b: "No servant was given a favor from Allah in this world for which he gives thanks to Allah, and shows humbleness for the Sake of Allah but that Allah Almighty endows him

with its benefit in this world and raises him a degree higher in the hereafter; and No servant was given a favor from Allah in this world for which he gives no thanks to Allah, nor shows humbleness for the Sake of Allah but that Allah Almighty deprives him of its benefit in this world and opens to him a gate to the fire of Hell in the hereafter to punish him therewith if He so likes, or forgive him if He so likes."

It was said to Abd-Al-Malik Ibn Marwan: "Which of men is the best?" He said: "It is he who shows humbleness in spite of his power, abstains in this world in spite of his richness, and refrains from helping (the wrongful) in spite of his strength." Once, Ibn As-Simak entered upon Harun Ar-Rashid and said to him: "O Commander of Believers! Your humbleness in your honour is more honoured for you than your honour." On that he said: "How good is that which you have said." He said: "O Commander of Believers! A man was endowed with beauty, high social status, and abundance of wealth, thereupon he refrained (from evil) in regard with his beauty, spent out of his property to console the needy, and showed humbleness in spite of his high social status, and the result is that he was enrolled among the selected devotees of Allah Almighty." On that Harun called for a pen and a parchment in which he wrote it with his own hand.

It was the habit of Solomon, son of David "peace be upon him" every morning to look at the faces of the rich and dignitaries until when he came to the poor, he would sit with them (apart from the rich) and say: "A poor sits with the poor like him." A wise man said: "As well as you dislike that rich people should see you in cheap garments, you should dislike to have the poor see you in very expensive garments." It is reported that Yunus, Ayyub and Al-Hassan set out and went to a particular place and started to discuss humbleness. Al-Hassan asked: "Do you know what humbleness is? It is that if you come out of your house you do not meet a Muslim but that you see that he has superiority over you."

According to Mujahid: "When Allah Almighty drowned the people of Noah "peace be upon him" all the mountains rose up and pronged themselves except the Judi which showed humbleness, thereupon Allah Almighty rose it above all the mountains and made the ark land on it." Abu Sulaiman said: "Allah Almighty looked at the hearts of mankind and found no heart more humble than that of Moses "peace be upon him", thereupon He favored him from among all of them with speaking direct to him." When he turned away from Arafat, Yunus Ibn Ubaid said: "I have no doubt about the mercy (of Allah), but that since I was with them, I fear they might have been deprived of it because of me."

It is said that a believer becomes in the highest position in the Sight of Allah Almighty when he becomes the humblest in his own sight; and he becomes in the lowest position in the Sight of Allah Almighty when he becomes the loftiest in his own sight." According to Ziyad An-Namri: "The abstinent who does not show humbleness is like a tree which produces no fruits." According to Malik Ibn Dinar: "By Allah, if a caller is to call at the door of the mosque that the

worst of you should come out, by Allah, no one shall precede me except by force or speed." When his statement reached Ibn Al-Mubarak, he said: "It is with that conduct that Malik has become (in such a position as fitting for none but) Malik."

According to Al-Fudail: "Whoever loves authority never prospers." According to Musa Ibn Al-Qasim: "We were under earthquake and stormy wind thereupon I went to Muhammad Ibn Muqatil and said to him: "O Abu Abdullah! You are our imam. So, please, supplicate Allah for us." He wept and said: "Would that I should not be a cause of your destruction." Then, I saw the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in a dream and he said to me: "Indeed, Allah Almighty has relieved you because of the supplication of Muhammad Ibn Muqatil." A man came to Ash-Shibli and he asked him: "Who are you?" this was his habit. He said: "I am no more than the dot that is under the letter Ba'." On that Ash-Shibli said to him: "May Allah eliminate your witness! Do you assign a place to yourself?" it is said that whoever sees he has some value, has no portion of humbleness.

It is reported that Abu Al-Fath Ibn Shukhruf said: "I saw Ali Ibn Abu Talib "Allah be pleased with him" in a dream, thereupon I said to him: "O Abu Al-Hassan! Give me admonition." On that he said: "How good is the humbleness of a rich in the gathering of the poor out of their desire for the reward of Allah Almighty; and how good is the carelessness a poor give to the rich out of their confidence of Allah Almighty." According to Abu Sulaiman: "No servant shows humbleness until he knows well himself." According to Abu Yazid: "As long as a servant thinks there is among the people such as worse than him, he then is an arrogant." He was asked: "Then, when should he be humble?" he said: "When he thinks he has no place nor position on earth. However, every man shows humbleness as much as he knows his Lord Almighty and knows his own self."

According to Abu Sulaiman: "Were all the people to gather to put me down as I put down myself, they would not be able to do." According to Urwah Ibn Al-Ward: "Humbleness is one of the traps of evil, and man is envied because of all favors except for humbleness." It is said that humbleness is good if it is observed by all the people, but if it is observed by the rich, it will be better; and arrogance is bad if it is observed by all the people, but if it is observed by the poor, it will be worse. It is further said that none receives honour unless he shows humbleness for the Sake of Allah Almighty, and none receives security unless he fears Allah Almighty, and none profits unless he sells himself to Allah Almighty.

According to Abu Ali Al-Jawzajani: "The soul is mixed with arrogance, greediness and envy; and if Allah intends to ruin a person, He deprives him of humbleness, advice and satisfaction ; and if Allah intends good for him, He endows him with all of those: If the fire of arrogance is kindled within himself, it will be extinguished by the water of humbleness with the assistance of Allah; and if the fire of envy is kindled within himself, it will be extinguished by the water of advice with Allah's help; and if the fire of greediness is kindled within himself, it

will be extinguished by the water of satisfaction with Allah's aid." Al-Junaid used to sit in his gathering every Friday: "Had it not been for the statement reported from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that 'A time will come upon my nation where the chief of people will be the most lowly among them', I would not have talked before you."

It is reported that Amr Ibn Shaibah said: I was in Mecca between Marwah and Safa (mountains), when I saw a man riding a mule and there were servants ahead of him, pushing the people to give way for him to pass. Some time later, I returned to Baghdad, and while being on the bridge, I saw a barefooted man, of short clothes which left parts of his body exposed, and long hair. I kept looking at him and in the end I said to him: "You resemble a man whom I saw in Mecca doing such and such..." and I related to him his state, thereupon he said: "It is I." I asked him: "What has Allah done with you?" He said: "I raised myself in a place where people should be humble, thereupon Allah Almighty humiliated me where people should raise." Al-Mughirah said: "We used to be in awe of Ibrahim An-Nakh'i as a chief or a governor is feared, and he used to say: "The time in which I have become the jurisprudent of Kufah is indeed an evil time."

It was the habit of Ata' As-Sulami that whenever he heard the thunder he would stand and sit and his belly would pain him as if he were a woman suffering from the pain of childbirth. On that he used to say: "This evil afflicts you because of me, and should Ata' (meaning himself) die, the people would be relieved." Bishr Al-Hafi used to say: "Your greeting of the inhabitants of this world is to give up greeting them." A man supplicated to a good effect for Abdullah Ibn Al-Mubarak saying: "May Allah Almighty give you what you ask for!" on that he said: "No doubt, the hope always follows knowledge: where is the knowledge (that should have preceded your expectation)?" One day, the Quraish people vied in glory before Salman Al-Farisi "Allah be pleased with him" thereupon he said: "But as for me, I have been created from a despicable sperm thrown (into the womb), and I would be a putrefied corpse, and then I would come to the balance of deeds: if the scale of my good deeds overweighs, , I would be honoured, and if it overweighs not, I would be wicked." Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" said: "We have found out that generosity lies in piety, richness in certainty (of faith), and honour in humbleness." We ask Allah, the Exalted in Honour to help us with good success.

CHAPTER FOUR

EXPOSITION OF REAL NATURE AND EVIL OF ARROGANCE

It should be known that arrogance is divided into internal and external. The internal is a built-in character in the self; and the external is the acts and deeds that issue from the organs and parts of body. The internal division is more entitled to have the name of arrogance. But the works and deeds are no more than fruits of that character. For this reason, if it appears on the organs, it is said that one is arrogant, and if it does not emerge, it is said that he has arrogance within himself. The origin of arrogance then is that character which lies in the self. It is to get comforted and rely on regarding oneself superior to another,

whom he regards inferior to him. Arrogance summons a second party whom the arrogant regards inferior to him, and a thing with which he becomes arrogant. It is with this that arrogance is distinguished from vanity as we shall see later. That is because vanity does not summon anyone other than him who is swollen with pride, and were he to be created alone, he would likely be a proud, whereas he would unlikely be an arrogant unless in relation with anyone else, for as an arrogant, he sees himself above that other person.

He regards himself superior in the attribute of perfection. At that point, he becomes an arrogant. It is not sufficient for him to make much of himself in order to be given the name of arrogant, for one might make much of himself, but at the same time, he sees anyone else greater than or at least as great as him. It is also not sufficient for him to scorn the other, for were he to see himself more despicable than anyone else, he would not be an arrogant. He then should place himself in a particular position, and place the other in another position in a way that lets him see himself above him in rank and position. Those three elements give rise to arrogance within himself. Once those occur, he thinks himself to be self-important and overjoyed and relies on what he has thought of himself, and those are the components of the character of arrogance.

For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I seek refuge with You (O Allah) from the swelling of arrogance." Umar "Allah be pleased with him" also said to him who sought his permission to give admonitions after Morning prayer: "I am afraid you would get swollen until you reach the Pleiades." If man sees himself with the eye of loftiness, he would get swollen and over-confident. Arrogance then is that state that is stimulated in the self by those three beliefs. It is also called self-importance and self-magnificence. For this reason, in his comment on the following statement of Allah Almighty: " there is nothing in their breasts but (the quest of) arrogance, which they shall never attain to" (Ghafir 56)

﴿ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ﴾

Ibn Abbas "Allah be pleased with them" said: "It refers to the greatness which they never attain." He thus explained arrogance by the greatness.

Furthermore, this self-importance requires internal and external works, which are their fruits. This is called showing of arrogance. The more one makes much of himself in relation to another, the more he despises the other, scorns him, keeps him away from himself, disdains to sit with him or share food with him. That is because he sees him in the position of his servant; and if he is more arrogant, he would even disdain to accept him as a servant. But if he is less arrogant, he would disdain to regard him as equal to himself, hasten to have precedence over him in the streets, raise himself above him in gatherings, expect him to be the first to greet him, etc. if he is in the office of teaching, he would not be kind to the learners: on the contrary, he would humiliate them, repulse them, put them under obligation to him, and use them in his service. Therefore, he looks down upon the laymen as if he looks at asses, out of scorning them, and ascribing them to ignorance. To be sure, the works springing from arrogance are

numerous, and too famous to mention.

This is the arrogance: Its evils are extremely dangerous, and its adversities are radically tremendous, in which the private among the people would probably be ruined, and from which none among worshippers, ascetics and scholars could be free, let alone the laymen. Why should its adversity not be tremendous since the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "None shall enter the Garden in whose heart there is an atom's weight of arrogance." It becomes a veil to prevent one from the Garden for it deprives the arrogant of all the good manners characteristic of the faithful believers. Those good manners represent the different gates of the Garden. Arrogance and self-importance close all of those gates. That is because one is not able to like for the other believers the same as he likes for himself as long as he has in himself an atom's weight of arrogance, nor is he able to be humble, which is the fountainhead of all the good manners characteristic of the pious as long as he feels supercilious, nor is he able to purify his heart from rancor, envy and resentment as long as he is haughty, nor is he able to persist in truthfulness as long as he is bigheaded, nor is he able to give up anger as long as he is arrogant, nor is he able to curb his fury as long as he is arrogant, nor is he able to give good advice as long as he is arrogant, nor is he able to accept advice from others as long as he is arrogant, etc.

In short, there is no blameworthy characteristic but that the arrogant is forced to do in order to maintain his arrogance, whereas there is no praiseworthy characteristic but that he keeps himself from, in order not to lose his arrogance. For this reason, none shall enter the Garden in whose heart there is an atom's weight of arrogance.

The worst arrogance is that which prevents the arrogant from acquiring the knowledge and accepting the truth. It is in this connection that there are many Holy Verses in condemnation of arrogance and arrogant persons. Allah Almighty says: " the angels stretch forth their hands, (saying), "Yield up your souls: this day shall you receive your reward, a penalty of shame, for that you used to tell lies against Allah, and scornfully to reject of His Signs!"" (Al-An'am 93)

﴿ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

"So enter the gates of Hell, to dwell therein. Thus evil indeed is the abode of the arrogant." (An-Nahl 29)

﴿ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

He Almighty tells that the one who will receive the most severe punishment is he who is in the worst obstinate rebellion against Allah Almighty as shown from His statement: " Then shall We certainly drag out from every sect all those who were worst in obstinate rebellion against (Allah) Most Gracious." (Maryam 69)

﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ﴾

He Almighty further says: " as to those who believe not in the Hereafter, their hearts refuse to know, and they are arrogant." (An-Nahl 22)

﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

He also says: "those who had been despised will say to the arrogant ones: "Had it not been for you, we should certainly have been believers!"" (Saba 31)

﴿ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

He Almighty says too: " but those who are too arrogant to serve Me will surely find themselves in Hell, in humiliation!" (Ghafir 60)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾

He says: " Those who behave arrogantly on the earth in defiance of right, them will I turn away from My Signs." (Al-A'raf 146)

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴿١٤٦﴾ ﴾

For this reason, the Messiah "peace be upon him" said: "As well as the plant grows in the valley, and grows not on the rock, the wisdom works positively in the heart of the humble and not in the heart of the arrogant. Do you not see that whoever raises his head up to the ceiling injures it, and he who lowers it, the ceiling shades him?" this is a parable given by him for the arrogant and how they are deprived of wisdom. In confirmation of that, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" made one of the aspects of arrogance is to be grateful to the truth (according to the narration of At-Tirmidhi on the authority of Ibn Mas'ud).

CHAPTER FIVE
EXPOSITION OF HIM TO WHOM ONE BEHAVES ARROGANTLY; AND THE LEVELS OF ARROGANCE

It should be known that those towards whom the arrogant behaves arrogantly are Allah Almighty, His Messengers, or anyone of His creatures. That is because man was created as ignorant and wrongful. He sometimes behaves arrogantly towards the people, and sometimes towards the Creator, i.e. Allah Almighty. From the perspective of these towards whom the arrogant behaves arrogantly, arrogance then is divided into three divisions:

The first is to behave arrogantly towards Allah Almighty; and this is the most odious arrogance. Its only motives are mere ignorance and transgression. A typical example is Numrudh, who thought of fighting the Lord of the heaven. The same is true of anyone claiming lordship, like Pharaoh, who, out of his arrogance, claimed that he was their supreme lord, and disdained to be only one of the servants of Allah Almighty. For this reason, Allah Almighty said: " but those who are too arrogant to serve Me will surely find themselves in Hell, in humiliation!" (Ghafir 60)

﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ ﴾

He also said: "Christ disdains not to serve and worship Allah, nor do the angels, those nearest (to Allah): those who disdain His worship and are arrogant, He will gather them all together unto Himself to (answer)." (An-Nisa' 172)

﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ ﴾

He said too: " When it is said to them, "Adore you (Allah) Most Gracious!" they say, "And what is (Allah) Most Gracious? Shall we adore that which you command us?" And it increases their flight (from the Truth)." (Al-Furqan 60)

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ ﴾

The second is to be arrogant towards the Messengers "peace be upon them" out of self-conceit and refraining from submission to men belonging to mankind. Such is sometimes diverted from reflection and consideration, and thus persists in the darkness of ignorance which hinders him from submission, and sometimes abstains from submission, in spite of his knowledge, since his own self does not accept to submit to the truth and humble themselves before the Messengers and Prophets. This is what Allah Almighty relates about them when He says: "Shall we believe in two men like ourselves? And their people are subject to us!" (Al-Mu'minun 47)

﴿ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

"He is no more than a man like yourselves; he eats of that of which you eat, and drinks of what you drink. "If you obey a man like yourselves, behold, it is certain you will be lost." (Al-Mu'minun 34-35)

﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

"Such as fear not the meeting with Us (for Judgment) say: "Why are not the angels sent down to us, or (why) do we not see our Lord?" Indeed they have an arrogant conceit of themselves, and mighty is the insolence of their impiety!" (Al-Furqan 21)

﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

"They say: "Why is not an angel sent down to him?" If We did send down an angel, the matter would be settled at once, and no respite would be granted them." (Al-An'am 8)

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ ﴾

Pharaoh said as Allah Almighty related about him: "Then why are not gold bracelets bestowed on him, or (why) come (not) with him angels accompanying him in procession?" (Az-Zukhruf 53)

﴿ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

Allah Almighty said: "And he was arrogant and insolent in the land, beyond reason, he and his hosts: they thought that they would not have to return to Us!" (Al-Qasas 39)

﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

In this way, Pharaoh behaved with arrogance towards Allah and His Messengers. According to the narration of Wahb: Moses "peace be upon him" said to him: "Believe in Allah and you will keep all that is in your possession." He said: "Give me respite until I consult Haman." When he consulted Haman the latter said to him: "After you were a Lord to be worshipped by people, you would then be no more than a servant to worship another." Thus, he disdained to be a servant of Allah Almighty, and to follow Moses "peace be upon him".

The Quraish people said as Allah Almighty related about them: "Why is not this Qur'an sent down to some leading man in either of the two (chief) cities?" (Az-Zukhruf 31)

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾

They referred, according to Qatadah, to both Al-Walid Ibn Al-Mughirah of Mecca, and Abu Mas'ud Ath-Thaqafi of Ta'if. They exclaimed: "How should an orphan poor man, i.e. the Prophet "peace be upon him" be sent by Allah to us as a Prophet apart from us?" in reply to them, Allah Almighty said: " Is it they who would portion out the Mercy of your Lord? It is We Who portion out between them their livelihood in the life of this world." (Az-Zukhruf 32)

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ ﴾

He further said: "Thus did We try some of them by comparison with others, that they should say: "Is it these then that Allah has favoured from amongst us?" Does not Allah know best those who are grateful?" (Al-An'am 53)

﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

The Quraish further said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "How should we sit with you while your gathering includes the poor and indigent of the Muslims?" they despised them because of their poverty, and were too arrogant to sit with them. On that occasion, Allah Almighty revealed: " Send not away those who call on their Lord morning and evening, seeking His Face. In naught are you accountable for them, and in naught are they accountable for you, that you should turn them away, and thus be (one) of the unjust." (Al-An'am 52)

﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

He further said: "And keep your soul content with those who call on their Lord morning and evening, seeking His Face; and let not your eyes pass beyond them, seeking the pomp and glitter of this Life; nor obey any whose heart We have permitted to neglect the remembrance of Us, one who follows his own desires, whose case has gone beyond all bounds." (Al-Kahf 28)

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾

(This narration is reported by Muslim on the authority of Sa'd Ibn Abu Waqqas, but with a slight variation of wording). Then, Allah Almighty told about their wonder when they would enter the Hell as they would not see those whom they despised, saying: "What has happened to us that we see not men whom we used to number among the bad ones?" (Sad 62)

﴿ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴾

They meant both Bilal, Ammar, Suhaib and Al-Miqdad "Allah be pleased with them".

Some of those disbelievers were prevented by arrogance from consideration and knowledge, and thus ignored that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was on the truth; and others knew that, but were prevented by their arrogance from acknowledgement of him. Allah Almighty says about them: " When there comes to them that which they (should) have recognized, they refused to believe in it." (Al-Baqarah 89)

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِۦ ﴾

He further said: "And they rejected those Signs in iniquity and arrogance, though their souls were convinced thereof: so see what was the end of those who acted corruptly!" (An-Naml 14)

﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾

Although this kind of arrogance is close to the showing of arrogance towards Allah Almighty, it is lesser in degree. But anyway, it is an arrogance to accept the command of Allah Almighty, and submit to His Messenger "peace be upon him".

The third is to show arrogance to the servants, i.e. to make much of himself and despise the others, with the result that his own self rejects to submit to them, and summons him to refrain from them. Thus, he scorns and shows contempt for them, and rejects to regard them as equal to him. Although this kind of arrogance is lesser in degree than the previous two, it is grievous for two reasons:

The first is that loftiness, superiority and magnificence are fitting but for Allah Almighty, Who is the Omnipotent King. But as for the powerless and helpless servant, who is too powerless to do anything, how should loftiness be fitting for him? If a servant regards himself lofty, he indeed has disputed with Allah Almighty over one of His attributes, which is not fitting but for His Majesty. Its example is like a servant who takes the hat of the king and puts it on his head and sits on his throne: how daring he is! How rude and wicked he is! How disgraceful and shameful he is! How deserving of punishment and torment he is! To this meaning, Allah Almighty refers by His statement: "No doubt, Greatness represents My lower garment, and supremacy My upper garment; and whoever disputes with Me over any of both, I would throw him into (the fire of) Hell, and I would not care." (This narration is reported by Muslim, Abu Dawud and Ibn Majah). Since showing loftiness over the servants of Allah Almighty is not fitting but for Him, so, whoever does so has indeed committed a crime against Him. All the people are servants of Allah Almighty, and all majesty in the

heavens and on earth belongs to Him Alone. For this reason, whoever shows arrogance to anyone of Allah's servants has indeed disputed with Him over one of His rights, which is fitting only for Him.

The other reason for which the vice of arrogance is grievous is that it summons one to disagree with Allah Almighty in His commands. That is because if an arrogant heard the truth from anyone of the servants of Allah Almighty, he would disdain to accept it from him, and rather would reject it. Therefore, the debaters about the religious matters claim they try to discover the mysteries of religion, and in the course of argument, they end by rejecting each other like arrogant; and even if the truth becomes evident on the tongue of anyone of them, the other would disdain to accept it, and rather would strive to reject it, and use trickery in order to avert it. That is the conduct of disbelievers and hypocrites as described by Allah Almighty: " The Unbelievers say: "Listen not to this Qur'an, but talk at random in the midst of its (reading), that you may gain the upper hand!" (Fussilat 26)

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

Thus every debater who debates only to gain the upper hand, and not to obtain the truth whenever and wherever it might be, has indeed been involved with them in that mistake.

The same is true of disdaining from accepting wisdom and admonition as described by Allah Almighty in His statement: " When it is said to him, "Fear Allah," he is led by arrogance to (more) crime. Enough for him is Hell; an evil bed indeed (to lie on)!" (Al-Baqarah 206)

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾

It is reported that Umar "Allah be pleased with him" recited that Holy Verse and then commented: "We all belong to Allah, and to Him we shall return. A man stood and enjoined good thereupon he was killed. Another stood and said: "Do they kill those who enjoin justice from among the people?" The arrogant then killed the one who disagreed with him, and him who commanded him to do good." According to Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him": "It suffices man for sin that if it is said to him: 'Fear Allah' he would say in reply: 'Advise only yourself'."

It is reported that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to a man: "Eat with your right hand." The man said: "I could not do so." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" ordered him once again and he gave the same reply. On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "Then, let you not be able (to eat with it) once again." The result was that he never raised it once again (as it was paralyzed). However, nothing but his arrogance prevented him from responding to the command of the Prophet "peace be upon him". (This narration is reported by Muslim on the authority of Salamah Ibn Al-Akwa').

This is why one's arrogance to the people is grievous, for it would inevitably summon him to be arrogant to the command of Allah Almighty. It is for this state that the case of Iblis was presented as an example for the people to learn.

He said: "I am better than he: You did create me from fire, and him from clay." (Al-A'raf 12)

﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝﴾

Which caused him to abstain from falling in prostration to him. That is because his principle is to show arrogance to Adam and envy him, which led him to be arrogant to the command of Allah Almighty. This was the cause of his destruction forever.

This is one of the great evils of arrogance to the servants of Allah Almighty. However, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" explained arrogance by those two evils: it is reported that Thabit Ibn Qais "Allah be pleased with him" asked the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying: "O Messenger of Allah! I am a man to whom beauty is endeared as you see: does it belong to arrogance?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No, but arrogance is to reject the truth and despise the people." (This narration is reported by Muslim and At-Tirmidhi) it is not fitting for anyone to despise the people for they are the servants of Allah, like him, if not better than him. This is the first evil; and the other is to reject the truth.

So, whoever regards himself higher than his brother, despises and scorns him, looks at him with slightness, or rejects the truth although he knows that it is the truth, is indeed arrogant to the servants of Allah Almighty. Whoever disdains to submit to Allah Almighty, to comply with His orders, and to humble himself before Allah Almighty by obeying Him and following His Messengers, is arrogant to Allah Almighty and His Messengers.

CHAPTER SIX

EXPOSITION OF CONSTITUENTS OF ARROGANCE

It should be known that one does not show arrogance unless he makes much of himself; and he does not make much of himself unless he sees it has an attribute of perfection. The perfection might belong to religion or the world. The religious perfection lies in work and knowledge; and the worldly perfection lies in good ancestry, beauty, power, wealth and number of patrons. Those are seven constituents which represent the reasons for arrogance.

The first pertains to knowledge; and how fast the scholars become arrogant with their knowledge! For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The evil of knowledge is haughtiness." (This narration is reported by Al-Quda'i on the authority of Ali, but he says in it: "The evil of knowledge is forgetfulness; and the evil of beauty is haughtiness"). The scholar soon cherishes himself by the honour of knowledge, feels in himself the beauty and perfection of knowledge, makes much of himself, despises the people, and looks at them with the same eye with which he looks at animals, and renders them ignorant. He always expects them to show great respect for him, and hasten to greet him first. But if he himself hastens to greet anyone of the people, or at least returns the greeting joyfully, or stands for him, he would regard it to be a favor he has bestowed upon him, for which he should receive thanks. More

often, he thinks that it is they who should be dutiful to him and visit him, and inquire about his health, although it is not incumbent upon him to be dutiful to them, to visit them, or to inquire about their health as they do with him. Furthermore, he likes to use whomever he mixes with among them to work in his service; and if they fall short of fulfilling any of his needs, he would disapprove that conduct as if they were no more than his servants. That is because his teaching knowledge to them seems to him as if it were a favor upon them for which they should be under obligation to him. This is in regard with arrogance to them in the world.

In regard with the hereafter, he shows arrogance to them by seeing himself in a position higher than them in the Sight of Allah Almighty. Thus, he fears for them more than he fears for himself, and expects for himself more than he expects for them (from Allah Almighty). Such a person is more entitled to be called ignorant than to be called a learned. The real knowledge is that with the help of which one knows well himself, his Lord Almighty, the danger of the conclusion of his deeds, the argument of Allah against the learned, in addition to the great danger of the knowledge upon himself as we shall see later. This kind of knowledge should make him more humble, submissive and fearful. It requires him to see all people better than him in view of the great argument of Allah against him by knowledge, and his failure to thank Him for the favor of knowledge. This is the significance of the statement of Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him": "The more one advances in knowledge, the more his pain becomes."

You may ask: "What is the matter with some people who become more arrogant and safer by knowledge?" You should know than that there are two reasons for that: The first is that he engages in what is called knowledge, although it is not the real knowledge. That is because the real knowledge is that with the help of which the servant knows well himself, his Lord Almighty, the danger of meeting Him, and of being screened from him. Of a surety, this develops in him more piety and humbleness, and not safe and arrogance. In confirmation of that, Allah Almighty says: " Those truly fear Allah, from among His Servants, are those who have knowledge: for Allah is Exalted in Might, Oft-Forgiving." (Fatir 28)

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

As regards the other sciences like medicine, poetry, arithmetic, linguistics, grammar, jurisprudence, philosophy and logic, the more one devotes himself to and fills himself with any of them, the more he is swollen with pride and arrogance. Those are more entitled to be included under arts rather than knowledge. That is because the real knowledge is that with the help of which one knows the significance of his being a servant of Allah Almighty, and the way of worshipping Him Alone, which develops humbleness and piety as we have mentioned.

The other reason is that a man delves into knowledge while he is wicked, cunning, bad-mannered and ill-behaved,. Before going on knowledge, he does

not engage in disciplining himself and purifying his heart by self-mortification, nor does he satisfy himself in the worship of his Lord Almighty. But rather, he remains wicked. If he is to delve into knowledge while being in such a state, and knowledge happens to have an evil place in his heart, it becomes fruitless and ineffective. For that state, Wahb presents the following example: "Knowledge is like a rain that falls from the sky as pleasant and pure, and trees absorb it through their roots and turn it, each according to its own taste and flavour. The sore among them becomes sorer, and the sweet sweeter. Similarly, knowledge is preserved by men and turned by them each according to his endeavour, inclination and benefit. Thus, the arrogant becomes more arrogant, the humble more humble, and so on."

That is because if one endeavours to be arrogant and is ignorant and then acquires knowledge, he finds that by which he becomes arrogant, and in this way, he becomes more arrogant. If a man is fearful and he is ignorant, and then he acquires knowledge, he knows well that the argument of knowledge has become established against him, and thus he becomes more fearful, scared and humble. Knowledge is one of the greatest things by which the arrogant becomes arrogant. For this reason, Allah Almighty said to His Prophet "peace be upon him": " And lower your wing to the Believers who follow you." (Ash-Shu'ara 215)

﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾

He further said: "It is part of the Mercy of Allah that you do deal gently with them. Were you severe or harsh-hearted, they would have broken away from about you: so pass over (their faults), and ask for (Allah's) forgiveness for them." (Al Imran 159)

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴿١٥٩﴾ ﴾

He described His friends and devotees saying: " lowly with the Believers, mighty against the Rejecters, fighting in the Way of Allah, and never afraid of the reproaches of such as find fault. That is the Grace of Allah, which He will bestow on whom He pleases. And Allah encompasses all, and He knows all things." (Al-Ma'idah 54)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾

It is narrated on the authority of Al-Abbas "Allah be pleased with him" that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A people will come and they will recite the Qur'an, but it will never go beyond their throats. They will say: "We recite the Qur'an well. Who could recite better than we? Who does have knowledge better than we have?"" then he turned his face to his companions and said: "They will be from you O my people! They are

the fuel of the fire." (This narration is reported by Ibn Al-Mubarak). Umar "Allah be pleased with him" also said: "Do not be tyrants of scholars lest your knowledge would not compensate for your ignorance." Tamim Ad-Dari sought the permission of Umar "Allah be pleased with him" to relate narrations, but he refused to give him permission and said: "This is likely to bring you to destruction." Another man who was the imam of his people in prayer sought his permission to admonish them once he finished from Morning prayer, thereupon he said to him: "I fear you would be swollen with pride until you reach the Pleiades." Once, Hudhaifah "Allah be pleased with him" led the prayer and when he finished he said to the people: "Seek for another imam otherwise, pray individually, for I saw in myself that there is among the people none better than I."

How should we find the like of Hudhaifah "Allah be pleased with him"? if Hudhaifah "Allah be pleased with him" did not feel safe, how would the scholars of this time feel safe for themselves? Had it not been for the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "A time will come upon the people in which, if anyone of them sticks to one-tenth what you are on now, he would be saved (from the fire of Hell)" (according to the narration of Ahmad on the authority of Abu Dharr), we would have been given to despair and hopelessness in view of our shameful deeds and wickedness, we seek refuge with Allah. Do you see that we are able even to stick to one-tenth, if not one-hundredth what they were on? How far! We ask Allah Almighty to treat us with what is fitting for Him and not for us, and screen our shameful deeds upon us, out of His bounty and generosity.

The second pertains to work and worship. It could hardly be free from the vice of arrogance and self-importance, which attract the hearts of both worshippers and ascetics. The arrogance lies in both religion and world.

As regards the world, it is that they see they are more fitting to be visited by others than to visit them, and expect the people to hasten to fulfill their needs, show respect for them, make it spacious for them to sit in the gatherings, ascribe them to piety and righteousness, give them precedence over all the people, etc. that is because they see their worship a favor upon the people.

In relation to religion, it is that such an arrogant sees that all the people would be ruined and he is the only one to be saved, although he would be ruined if he has such a vision. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "When you hear a man saying that the people would be ruined, you should know that he would be ruined more than them." (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah). This means that such an arrogant despises the people, feels safe from the plans of Allah Almighty, and fears not of His onslaught. Why not since it suffices him for evil to despise the people? The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It suffices a man for evil to look down upon his Muslim brother." (This is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah).

How different is he from the person who loves and honours him for the Sake of Allah Almighty, and expects for him more than he expects for himself! Those

who love him for the Sake of Allah attain salvation. Although they come close to Allah Almighty by their closeness to him, he, at the same time, becomes hateful in the Sight of Allah by refraining from them. As they love him for his righteousness, they deserve to be moved up to his degree; and as he despises them, he deserves to be neglected by Allah Almighty. In this respect, it is narrated that there were among the children of Israel a man known as the Dissolute person of the children of Israel in view of his wickedness, and another man known as the worshipper of the children of Israel in view of his asceticism and piety. One day, the dissolute person passed by the worshipper over whose head there was a cloud shading him. He said to himself: "I am the dissolute person of the children of Israel; and this is the worshipper of the children of Israel: why do I not sit with him, perchance Allah would bestow mercy upon me." He sat with him and the worshipper said to himself: "I am the worshipper of the children of Israel; and this is the dissolute person of the children of Israel: how should I sit with him?" he refrained from him and ordered him to stand and leave him. Allah Almighty revealed to the Prophet of that time to tell them to resume their work for 'I have forgiven for the dissolute person and made fruitless the deed of the worshipper'. The cloud then turned to be over the head of the dissolute person according to another narration.

This lets you know that Allah Almighty wants from His servants only their hearts. If a disobedient ignorant humbles himself before Allah Almighty in awe of Allah, and humiliates himself out of fear of Him, he will have obeyed Allah Almighty with his heart. He then is more obedient to Allah Almighty than the arrogant scholar and the conceited worshipper. It is further narrated that a man belonging to the children of Israel came to a worshipper and trampled on his neck while he was falling in prostration. On that he said to him: "Raise your feet for by Allah, Allah would not forgive for you." On that Allah Almighty revealed to him that "Allah would not forgive for you, who swears (by Allah)." (This narration is reported by Abu Dawud on the authority of Abu Hurairah).

However, almost all the people persist in this evil, i.e. if one is harmed or looked upon down by another, he thinks that Allah would not forgive for him, and does not doubt that he would be hateful in the Sight of Allah Almighty. But if another Muslim is harmed alike, he would not have the same aversion and disapproval; and this is due to his making much of himself, and regarding himself with arrogance and vanity. The stupidity of anyone of them sometimes leads him to say to such a causer of harm: "You would say the evil he will receive later." Moreover, if he is exposed to calamity, he would claim that he was afflicted because of him, as Allah Almighty wanted to get him slake his anger by exacting retribution from him. But even, he knows well that although many of the disbelievers abused Allah and His Messenger, and others from among the Jews killed their Prophets, Allah Almighty gave them respite and did not hasten on punishment for them in this world. Moreover, some of them embraced Islam, with the result that they received no punishment in this world as well as in the hereafter.

This is the belief of the conceited man. But the intelligent among the

servants are those who say what Ata' As-Sulami used to say whenever there was a stormy wind or thunder and lightning: "What has befallen them is only because of me, and were Ata' to die, they would be relieved" and the statement of the other after returning from Arafat: "I expected mercy for them all had I not been among them." Consider then the difference between those two kinds of men: One fears Allah Almighty outwardly and inwardly, and is afraid for himself, and despises his work, no matter how much it might be; and the other conceals of hatred, envy, arrogance, rancor and showing off what causes Satan to mock at him. Moreover, he regards his deed a favor from him upon Allah Almighty.

On the other hand, if one thinks that he is above anyone of the servants of Allah Almighty, his entire work would become fruitless, by virtue of his ignorance. To be sure, ignorance is the most odious of sins, which removes one far from the mercy of Allah Almighty. His judgement that he is better than anyone else is out of his ignorance on the one hand, and feeling safe of the plan of Allah Almighty on the other hand; and none feels safe of the plan of Allah Almighty but the losers. In this connection, it is narrated that a man was mentioned with good before the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". One day he came and the people said: "O Messenger of Allah! This is the man of whom we have already made a mention to you." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" looked at him and said: "I see in his face a slap of Satan." The man greeted and stood by the side of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". Then, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "I beseech you by Allah to tell me: have you not ever talked to your own self that there are none among the people better than you?" he said: "Yes, by Allah." (This narration is reported by Ahmad and Al-Bazzar on the authority of Anas). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saw by the light of Prophethood what was concealed within that man in the form of a slap of Satan on his face.

Almost all among men have this evil, except him who is protected by Allah Almighty. But even, both scholars and worshippers are of three degrees in regard to the evil of arrogance.

The first degree is that arrogance resides in one's heart in a way that makes him see himself better than the others. But he strives to humble himself and behave in a way of him who sees the others better than him. Although this man has the tree of arrogance fixed in his heart, he has cut off its branches.

The second is that this evil is visible on his acts by refraining from the people, giving himself precedence in the gatherings, and disapproving of him who falls short of fulfilling his rights. This is visible on the countenance of both the worshiper and scholar with a slight difference, forgetting that piety does not lie in the appearance in so much as it lies in the heart. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Piety is here", and he beckoned to his breast. (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"

was the most generous, the most pious and the most god-fearing, and he had the best manners among all the people. But at the same time, he was the most joyful, the most cheerful and the most smiling. For this reason, Al-Harith Ibn Juz' "Allah be pleased with him" the companion of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I admire from among the reciters (of the Qur'an) the one who is cheerful and smiling." But he whom you meet joyfully and cheerfully, and he meets you gloomily an frowningly, may Allah create the like of him among the Muslims! Were Allah Almighty to accept that conduct, He would have not said to his Prophet "peace be upon him": " And lower your wing to the Believers who follow you." (Ash-Shu'ara 215)

﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

But anyway, those are less grievous than those of the third degree.

The third is that arrogance appears on one's tongue, and motivates him to show pride, vie in glory, blow his own horn, and sing his own praises. As for the worshipper, he says to the people in the course of boasting: "Who is he? What is his deed? How does he abstain from this world?" and the like of those questions which lead him to defame them. At the same time, he praises himself by ascribing himself to the best of deeds, saying, for example: "I have never left fasting for such and such days; and I have not slept the night without standing for supererogatory prayers; and I am in the habit of reading the Holy Qur'an entirely everyday, whereas so and so sleeps until the last portion of the night, and does not recite the Qur'an more often." He might give prestige to himself implicitly like saying: "So and so harmed me thereupon his son was ruined, his wealth was lost, and he was overtaken by disease." One aspect of how he vies in glory is that if he happens to be in the company of people who stand at night for prayer, he would imitate them, and offer more prayers than usual, and if they are to persevere hunger, he would force himself to keep patient on hunger so much in order to get the better hand. He also strives himself in worship lest it would be said that so and so worships Allah more or better than he does.

As regards the scholar, he shows pride by attempting to defame the other scholars and praise his knowledge and understanding of facts. As to how he vies in glory, it is that he does his best in the debate in order not to be overpowered, and spend his day and night in acquiring such of sciences as therewith he adorns himself in gatherings, like polemics, argumentation, devices of speech, etc. he keeps the strange things in order to show how he excels his fellows. He also keeps the Prophetic traditions, their bodies and chains of transmission for nothing but to pick up the faults of the others, showing his excellence in contrast with the shortage of his fellows. He rejoices at the mistake of anyone of his fellows in order to be able to correct it, and grieve if anyone of them is correct lest he would seem better than him.

All of those represent the evils and traces of arrogance that ensue from showing pride of knowledge. Who among the people could be free from all or at least some of them? Alas! How could one who heard the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "None shall enter the Garden in whose heart there is a mustard seed's atom of arrogance"

regard himself with greatness and boast over the people, given that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" made such a person from the denizens of the fire of Hell? The great is he who is free from all of those vices and evils. The real scholar is he who understands that Allah Almighty says to him: "You have a good position in Our Sight as long as you do not regard yourself significant; and once you regard yourself significant, you loose your position with Us." Whoever does not know that, does not deserve the name of scholar. Whoever knows it is bound not to be arrogant nor to regard himself significant. This is the arrogance that ensues from knowledge and work.

The third pertains to arrogance because of good ancestry and high social status. Whoever has a good ancestry and belongs to a high social class despises him who is of no good ancestry nor belongs to a high social class, even though the latter might be higher than him in knowledge and work. One of those might be arrogant to the extent that he sees that the other people are but his chattels and servants. The result is that he disdains to mix or sit with them. That is a natural instinct which is inherent to most people no matter how righteous they might be. It might not be visible in normal states; but once the anger is provoked, its darkness would soon extinguish the light of insight.

In confirmation of that, it is narrated on the authority of Abu Dharr "Allah be pleased with him" that he said: I was engaged in a quarrel with a man in the presence of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and I said to him: "O son of the black woman!" on that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "O Abu Dharr! The son of the white-complexioned woman has no superiority over the son of the black-complexioned woman." (This narration is reported by Ibn Al-Mubarak). Abu Dharr "Allah be pleased with him" said: I lay down and said to the man: "Tread on my body with your foot (in retaliation)." Consider how the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" brought to his attention the fact that he had seen superiority for himself as being the son of a white-complexioned woman over him who was the son of a black-complexioned woman, and that this was a big mistake. Consider also how he repented soon and removed from himself the tree of arrogance with the toe of him over whom he was arrogant. That is because he knew well that arrogance could be removed only by humiliation.

It is further narrated that two men vied in glory with each other in the presence of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and one of them said to the other: "I am so and so, son of so and so. Who are you, let your mother be bereaved of you?" on that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Two men vied in glory with each other in the presence of Moses "peace be upon him" and one of them said to the other: "I am so and so, son of so and so..." until he counted nine of his grandfathers. On that Allah Almighty revealed to Moses "peace be upon him": "Tell him who showed pride with his nine grandfathers that all of them would be in the fire of Hell, and he would be their tenth." (This narration is reported by

Abdullah Ibn Ahmad in Zawa'id Al-Musnad on the authority of Ubai Ibn Ka'b; and Ahmad on the authority of Mu'adh without tracing it up to the Prophet). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Let some people cease to vie in glory with their grandfathers for they are no more than (burnt pieces of) coal of the coal of the fire (of Hell), otherwise they would become more trivial in the Sight of Allah Almighty than the small animals which avert nasty excrement with their noses." (This narration is reported by Abu Dawud, At-Tirmidhi and Ibn Hibban on the authority of Abu Hurairah).

The fourth is to vie in glory with beauty; and this happens most among women. It summons them to defame and backbite each other, and make mention of the defects of the people. It is narrated on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that she said: A woman entered upon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and I said (with the help of a signal) with my hand that she was such and such, i.e. she was very short. On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to me: "No doubt, you have backbitten her." This arises from the concealed arrogance, for even if she was short as such, she had not to make a mention of her shortness. She seemed to have admired the woman's beauty, and regarded her short in her sight.

The fifth pertains to arrogance because of wealth. It always occurs among the kings in their treasuries, the traders and merchants in their goods and commodities, farmers in their farms, etc. the rich always despises the poor, and becomes arrogant over him. That is because he regards richness with significance and poverty with slightness, out of his ignorance of the virtue of poverty and evil of richness. To this meaning, Allah Almighty refers in the story of the two men: " he said to his companion, in the course of a mutual argument: "More wealth have I than you, and more honour and power in (my following of) men."...(His companion said): "if you do see me less than you in wealth and sons, It may be that my Lord will give me something better than your garden, and that He will send on your garden thunderbolts (by way of reckoning) from heaven, making it (but) slippery sand! Or the water of the garden will run off underground so that you will never be able to find it."" (Al-Kahf 34-41)

﴿ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٤﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ ﴾

That is because he was arrogant because of his children and wealth. Then, Allah Almighty showed to him the evil consequence of that by saying: "and he could only say, "Woe is me! would I had never ascribed partners to my Lord and Cherisher!" (Al-Kahf 42)

﴿ وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴾

A mention may be also made here of the arrogance of Qarun over his people as told by Allah Almighty about him: " So he went forth among his people in the (pride of his worldly) glitter. Said those whose aim is the Life of this World: "Oh!

that we had the like of what Qarun has got! For he is truly a lord of mighty good fortune!" (Al-Qasas 79)

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾

The sixth pertains to arrogance with power and strength. In this, the powerful and strong always is arrogant over the weak and oppressed.

The seventh pertains to arrogance with the number of followers, adherents, servants, pupils, clan members, tribe, folk, etc. it occurs among kings in regard to showing pride with the number of soldiers, among scholars in regard to pupils and students, etc.

In short, one could be arrogant with every kind of favor thought to have something of perfection, although it is not perfect in its real nature. The effeminate, for example, might be arrogant with his knowledge of both women and men alike, no matter how evil his conduct might be. Similarly, the wicked might be arrogant with his drinking wine and sexual relation with women and youngsters, thinking this to be perfection, although it is not so. We could say that everyone becomes arrogant over him whom he thinks to be inferior to him, or lesser than him in the thing with which he is arrogant, although his thought might be false: we ask Allah Almighty to provide us with good aid by His mercy and bounty: He has power over all things.

CHAPTER SEVEN
EXPOSITION OF MOTIVES OF ARROGANCE

It should be known that arrogance in origin is an internal character, and what emerges outwardly of acts and behaviours is its fruits and outcomes. Those acts should belong to showing pride and haughtiness. There is one main reason for arrogance, i.e. self-vanity and pride, for if one is proud of his moral character, knowledge, wealth, etc, he soon makes much of himself, and behaves arrogantly towards the people. But in regard with the outward arrogance, it has three reasons, one pertains to the arrogant, another to the one over whom he is arrogant, and the third to others. The reason pertains to the arrogant is the self-vanity and pride. That which pertains to him over whom one becomes arrogant is rancor and envy. That which pertains to others is showing off. Under that consideration, there are then four reasons: self-vanity and pride, rancor, envy, and showing off.

As regards self-vanity, we have already mentioned that it summons internal arrogance, which, in turn, produces apparent showing pride and haughtiness in terms of deeds, words and states.

As for rancor, it invites one to show arrogance without vanity, like the one who is arrogant over him whom he sees equal if not above him in rank, but he has become angry with him because of a lurking feeling of rancor he has towards him due to a certain cause. This makes him reject to humble himself before him, even though he sees he deserves to humble himself before him. He also disdains to accept the truth once it comes from him, to accept his

advice no matter sincere he might be, and rather strives to get precedence over him, knowing that he deserves it not, and does not apologize to him even if he wrongs him, etc.

As for envy, it summons hatred and aversion for the envied, even he does no harm to the envier, or there is nothing to give rise to his anger and rancor. Envy also summons one to be ungrateful to the truth and thus reject the advice whatever it might be, or even learn knowledge. How many an ignorant that has remained in the darkness of ignorance for nothing other than he rejects to get benefit of anyone of his fellows, out of envy and hatred for him: On the contrary, he turns away from him, and behaves with arrogance towards him, although he knows well that he deserves to humble himself before him by virtue of his knowledge. But it is envy that motivates him to treat him with the manners of the arrogant, even if he sees him above him in rank.

As for showing off, it also summons one to behave in accordance with the behaviours of the arrogant. An arrogant might debate him whom he knows to have better knowledge than him, given that he is not motivated neither by envy, nor by rancor, nor by anger: but it is the desire of showing off that induces him to do so. He abstains from accepting the truth from him, or getting benefit from him just for fear the people might say that he is better than him. In this way, nothing other than showing off instigates him to do so. Were he to be alone with him, perhaps he would not be arrogant over him.

An arrogant also might claim a false thing to himself, like, for instance, his belonging to a good ancestry, or a high social class, with which he becomes arrogant over him who is lacking those things. But this arrogance is only apparent because within himself, he is not arrogant for he knows well that he is a liar in his false claim. But it is showing off that leads him to do the acts of the arrogant. Arrogance then is given to anyone who does this acts because of self-vanity and pride. We ask Allah Almighty to save us and grant us success; and Allah Almighty knows best.

CHAPTER EIGHT

EXPOSITION OF GOOD MANNERS OF HUMBLE; AND THE TRACES OF BOTH HUMBLENESS AND ARROGANCE

It should be known that arrogance is visible in appearance, deeds, words, the way of doing things, walking, sitting, movement and silence, etc: in short it is visible in all of states and acts. Some arrogant are arrogant entirely, others in part and humble in part, and so on. One might be arrogant when he likes that people should stand in awe and respect for him. In this respect, Ali "Allah be pleased with him" said: "He who likes to see a man from the denizens of the fire (of Hell), let him look at a sitting person and the people standing before him." Anas "Allah be pleased with him" said: "No one was dearer to them than the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". But in spite of that, whenever they saw him, they would not stand for him, for they knew well that he disliked that."

A second aspect of arrogance is that one does not like to walk but with another to walk behind him. Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" said:

"One is increasingly removed far from Allah Almighty so long as he has others walk behind him." Abd-Ar-Rahman Ibn Awf "Allah be pleased with him" was not recognizable from his servants outwardly, for he did not distinguish himself from them. Some people walked behind Al-Hassan Al-Basri, thereupon he prevented them. Sometimes, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" walked with some of his companions, thereupon he ordered them to walk before him and he in the rear of them. (This narration is reported by Mansur Ad-Dailami on the authority of Abu Umamah). He did so either to teach them the good manners of humbleness, or to remove from himself the doubts roused by Satan of arrogance and vanity. In confirmation of that, he took off the new garment and exchanged it for an older one in prayer just for one of both reasons.

A third one of those aspects is that the arrogant never visits him over whom he is arrogant, regardless of the religious benefits he might obtain from those visits. It is in opposition to humbleness. In this respect, it is narrated that Sufyan came to Ramlah, and Ibrahim Ibn Adham sent a messenger to him that 'Come to talk to us'. Sufyan came and it was said to Ibrahim: "O Abu Ishaq! Do you send to him to come in that way of seemingly contempt?" he said: "I like to know to what extent he is humble."

A fourth aspect is that the arrogant disdains to have the other sit close to him unless he is in front of him. This is also in opposition to humbleness. It is reported that Ibn Wahb said: "I sat beside Abd-Al-Aziz Ibn Rawwad and when my thigh touched his, I moved aside. Thereupon he took hold of my garment and pulled me towards himself and said: "Why do you do with me the like of what you do with the tyrants? I do not know that there is anyone among you worse than me."" Anas "Allah be pleased with him" said: "It happened that a slave-girl took hold of the hand of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and he would not withdraw his hand from hers until she went with him wherever she liked."

A fifth aspect is to avoid sitting with the patient and destitute among people. It is an evident arrogance. In this respect, It is reported that once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was having his meal when a black man afflicted with variola came to share food with him. He never came to sit beside anyone but that he stood in flight from him. On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" made him sit beside him. Furthermore, it was the habit of Abdullah Ibn Umar "Allah be pleased with them" not to prevent anyone, be he a leper, or afflicted with any disease, from his repast of food: on the contrary, he would make such sit beside him and share food with him.

A sixth aspect is to disdain not to do anything in his own house, for it is also in opposition to humbleness. In this issue, it is reported that there was a guest in the house of Umar Ibn Abd-Al-Aziz who was engaged in writing something. Then, the lamp was about to be off. The guest said to him: "Let me stand to maintain it." He said: "It is not out of generosity that a man causes his guest to serve him." He said: "Then, let me tell the servant to do

it." Umar said: "He is sleeping." Umar then stood, and filled the lamp with oil. On that the guest said to him: "Do you do it yourself O Commander of Believers?" Umar said: "I have gone and I was Umar, and returned and I am still Umar, with no reduction. The best of people is he who is humble in the Sight of Allah."

A seventh aspect is to disdain to carry his things by himself to his house. This is counter to the habit of the humble. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to carry his own things by himself (according to the narration of Abu Ya'li on the authority of Abu Hurairah). According to Ali "Allah be pleased with him": "Nothing decreases from the perfection of the perfect man to carry things for his own dependents." Abu Ubaidah Ibn Al-Jarrah "Allah be pleased with him" used to carry a wood container of water to the bathroom whenever he liked to take bath or perform ablution, given that he was a governor at that time. Thabit Ibn Abu Malik said: I saw Abu Hurairah "Allah be pleased with him" who was at that time the successor of Marwan in Medina, carrying a bundle of fire wood to his house, and he said to me: "Give room for the governor to pass O Ibn Abu Malik!" it is reported on the authority of Al-Usbugh Ibn Nubatah that he said: "It seems as if I am seeing Umar "Allah be pleased with him" carrying meat in his left hand, and the stick was in his right hand while taking a tour in the market until he entered his house." It is also reported that Ali "Allah be pleased with him" bought meat for a Dirham which he carried in his covering. One said to him: "Let me carry it on behalf of you O Commander of Believers!" he said: "No, the one in charge of dependents has more right to carry his own things."

An eighth pertains to clothes which might be a sign for arrogance or humbleness. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Wearing cheap clothes is out of faith." (This narration is reported by Abu Dawud and Ibn Majah on the authority of Abu Umamah). It is reported that Zaid Ibn Wahb said: "I saw Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" having come out to the market and the stick was in his hand, and his lower garment had over fourteen patches, some of which were of leather. Once, Ali "Allah be pleased with him" was blamed for putting on a patched lower garment, thereupon he said: "It is by it that the faithful believer is guided, and to which the heart submits." According to Jesus "peace be upon him": "The smart garment indicates to haughtiness." According to Tawus: "I wash those two garments of mine, and my heart disapproves it as long as they are clean."

It is reported that before his being appointed the caliph, Umar Ibn Abd-Al-Aziz used to have his suite purchased for him by as much as one thousand Dinars thereupon he would say: "How smart and pretty it is, had it not been coarse." When he was appointed the caliph, he used to have his garment purchased for him by five Dirhams, thereupon he would say: "How good it is, had it not been soft." It was said to him: "Where is your smart clothes, perfume and vehicle O Commander of Believers?" he said: "I have a good taste, and the

more my soul tasted anything, the more it had longing for what is above it until it tasted the caliphate, the highest in this life, thereupon it had longing for what is with Allah Almighty."

Sa'id Ibn Sawid said: "Once, Umar Ibn Abd-Al-Aziz led us in Jumu'ah prayer and then sat down, having over him a shirt of many patches in its front and on its back. A man said to him: "O Commander of Believers! Allah Almighty has given you: would that you put on good clothes!" he lowered his head for a while after which he raised it and said: "No doubt, the best moderation is that which is observed when one is wealthy; and the best pardon is that which is observed when one has the power to punish." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He who gives up adornment for the Sake of Allah, and puts down a smart garment out of humbleness to Allah Almighty, and seeking His Good Pleasure, it becomes incumbent upon Allah to reward him with the rich Carpets of the Garden." (This narration is reported by Abu Na'im on the authority of Ibn Abbas).

But you may argue that Jesus "peace be upon him" said: "The smart clothes brings about haughtiness", and when our Prophet "peace be upon him" was asked about the beauty of garment, and whether it was out of arrogance, he said: "No, but the arrogance is to reject the truth and despise the people": how should both be combined? In reply to it, let me say that it should be known that the new and smart garment does not cater for arrogance with everyone and at every time and in every state. This is the same which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" referred to. This is also the same which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" recognized from the state of Thabit Ibn Qais "Allah be pleased with him" who said: "I am a man to whom the beauty is endeared as you see." It was then known that he inclined to cleanness and smartness of clothes not to become arrogant over the people.

But in some cases, seeking the smart garment might indicate to arrogance, just as the satisfaction with the cheap garment to humbleness. However, the sign of arrogance is that the arrogant seeks beauty where the people should see him, and gives no care where he should be alone. But to love beauty in all states, times and places, is not out of arrogance. This is why the smart garment might bring about haughtiness in many cases according to the statement of Jesus "peace be upon him" on the one hand, but it does not require it in all cases as understood from the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" on the other hand. In brief, people are of different states as to that which is loved. Nothing is dearer than the moderate of clothes, which brings about no fame, either by extreme smartness or untidiness in accordance with the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Eat, drink, dress and give in charity, as much as you like but with no extravagance nor haughtiness." (This narration is reported by An-Nasa'i and Ibn Majah on the authority of Amr Ibn Shu'aib from his father from his grandfather). Bakr Ibn Abdullah Al-Mazni said: " Dress yourselves in the dresses of kings, and wrap your harts in piety." By saying so,

he addressed people who sought arrogance by the garments of those of righteousness. Jesus "peace be upon him" said: "What is the matter with you that you come to me having the dresses of monks, while your hearts are the harts of lost wolves? Dress yourselves in the dresses of kings, and wrap your hearts in piety."

A ninth aspect is to humble himself by endurance of harm once he receives harm and takes back his right. We have already transmitted what is reported from the righteous predecessors in regard with endurance of harm in the Book of Condemnation of Anger and Envy. In short, all good manners regarding humbleness are represented in the conduct and behaviours of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". One should imitate him, copy his conduct, and learn from his guidance. In this respect, it is narrated on the authority of Abu Salamah that he said: I asked Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him": "What is your opinion about the changes made by the people concerning the clothes, food, drink and vehicle?" he said: "O son of my brother! Eat for the Sake of Allah; drink for the Sake of Allah; and dress yourself for the Sake of Allah; and if vanity, or pride, or showing off, or arrogance is mixed with anything of that, it will be a sin. Furthermore, do in your house the like of the service which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to do in his house: he used to provide the camel used for irrigation with fodder, tie the camel, milk the sheep, stitch the sandal, patch up the garment, eat with his servant, and grind on behalf of him whenever he fell ill, buy things from the market by himself, and shyness did not prevent him from carrying his things in his hand or in the end of his garment. On his way to his family, he used to shake hands with the rich and the poor, the old and the young, and was the first to salute whomever he met, be he old or young, black or red, free or slave. He had no two different suits for his exit and entrance. He never felt shy of responding to the invitation of everyone whatever he might be, nor did he look down upon what he was invited to, no matter trivial or insignificant it might be. Therefore, he was light-burdened, tractable, lenient, easygoing, even-tempered, generous, bountiful, cheerful, and joyful. Whenever he smiled, he would not extremely laugh, and whenever he grieved, he would not frown. He was strong but without violence, humble but not with humiliation, generous but without extravagance. He showed merciful towards everyone of kith and kin. He was kind. He never ate his fill, nor stretched his hand covetously."

Abu Salamah resumed: "I entered upon A'ishah "Allah be pleased with her" and told her about what Abu Sa'id "Allah be pleased with him" had related to me regarding the abstinence of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", thereupon she said: "He has not been mistaken even in a single letter, except that he fell short of telling you that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" never ate his fill, nor complained to anyone (of his pains). No doubt, poverty was dearer to him than richness. It happened that he spent his night in the state of severe hunger, but this did not prevent him from observing fast in the coming day. Had he liked, he would have asked his Lord to provide him with the treasures of this earth, the abundant living, fruits from East

to West, and his Lord would have responded to him accordingly. Many times, I wept out of pity for him in view of the severe hunger he was suffering. I passed my hand over his abdomen and said: "Let my life be sacrificed for you! Would that you seek from this world what sustains you, and removes hunger from you!" he said: "O A'ishah! My brothers from among the Messengers of determination kept patient on what is more severe and harder than that. They went on their way, and came to their Lord Who, in turn, honoured them, and multiplied their reward. So, I feel shy of falling short if I get luxury in my living. So, to keep patient for a few days in this world is better for me than to have my portion in the hereafter decrease. However, there is nothing dearer to me than to join my brothers and friends." A'ishah "Allah be pleased with her" said: "By Allah, it was not a week later that Allah Almighty caused him to die."

Thus, whoever likes to adhere to humbleness, let him imitate the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and whoever sees himself above that rank, and does not accept for himself the same as the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" accepted for himself, is indeed an ignorant. There is neither honour nor power without imitating him "peace be upon him". For this reason, when Umar "Allah be pleased with him" was blamed for the cheap garment he was wearing on his way to Sham, he said: "We are a people whom Islam has honoured, and we do not seek the honour in anything else."

According to Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him": "It should be known to you that Allah Almighty has servants called the Abdal (Substitutes), i.e. the Prophets "peace be upon them". When the Prophethood was over, they were exchanged for a people from among the nation of Muhammad "peace be upon him". They excel the people not by much prayers, nor fasts nor good ornaments, but by being sincere in piety, true in intention, faithful and loyal to all the Muslims, sincere in advising them, and seeking the Good Pleasure of Allah Almighty, through patience without cowardice, and humbleness without humiliation. They are a people whom Allah Almighty chose and selected for Himself. They are forty sincere affirmers and lovers of truth, or thirty men, whose hearts have the same certainty of faith of Abraham, the bosom friend of Allah Most Merciful "peace be upon him". None of them dies before Allah Almighty creates him who is to succeed him.

It should be known to you O my brother that they never curse, nor despise, nor look upon down, nor cause harm, nor abuse, nor envy anyone. They are not keen on this world. They are the best and the most kind, the most tractable, the most lenient, the most generous, and the most bountiful of people. Their characteristic sign is generosity, their nature is cheerfulness, and their character is peace and safety. They are not of those who fear now and are heedless tomorrow: but they are in the same state. They are, in their relation to their Lord, unsurpassed. Their hearts ascend with comfort and satisfaction to Allah Almighty, out of longing for Him, while their feet hasten to the good things. They are the party of Allah, and behold! It is the party of Allah that will prosper." The narrator said: I said to him: "O Abu Ad-Darda'! I have never heard a

description more difficult upon me than that. How should I attain it?" he said: "Nothing separates you from it but to dislike this world. That is because if you dislike this world, you will devote yourself to the love of the hereafter, and as much as you love the hereafter, you abstain in this world, and as much as you do so, you see what benefits you. To be sure, if Allah Almighty knows that a man is sincere in seeking good, He grants him success and help, and covers him with protection (from evil). It should be known to you O son of my brother that this is in the revealed Book of Allah Almighty: "For Allah is with those who restrain themselves, and those who do good." (An-Nahl 128)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾

Yahya Ibn Kathir commented: "We considered that and behold! None gets any pleasure greater than the pleasure of the love for Allah Almighty, and seeking His satisfaction." O Allah! Make us from among the lovers of Your lovers, O Lord of the worlds, for none is fitting for Your love but whomever You approve "peace be upon him".

CHAPTER NINE
EXPOSITION OF REMEDY OF ARROGANCE

It should be known that arrogance is one of the destructives, and there is none but that he has something of it. But its removal is obligatory duty that is binding upon everyone. It is not by hopes only that it might be removed: but in order to be removed, it should be treated with medicines that are to curb it. There are two stations to treat it: The first is to uproot it and remove its tree from the heart entirely, and the second is to avert its symptoms, i.e. the means with which man is arrogant.

The First Station

It is to uproot it, and its remedy pertains to knowledge and work, and no cure is complete unless they are used in combination. In regard with knowledge, it is to know himself and know his Lord Almighty, and this is sufficient for him to remove arrogance from his heart. That is because if one knows himself as it should be known, he shall learn that he is more humiliated than every humiliated, more trivial than every trivial thing, and that it is befitting for him only to adhere to humbleness, humiliation and submission. Moreover, if he knows his Lord and makes estimate of Him as it should be, he will learn that greatness and supremacy are fitting only for Allah Almighty and not for anyone else. It will be too lengthy to explain the knowledge of one's Lord, His Greatness, Glory and Majesty. But it is sufficient to say that it is the utmost degree of the science of disclosure.

But in relation to the knowledge of himself, let's mention what is beneficial to stimulate humbleness, humiliation and submission. It is sufficient for him to know the significance of only a Holy Verse in the Book of Allah, for the Qur'an has the knowledge of the foremost and the last generations, but for him whose insight is open. Allah Almighty says: " Woe to man! What has made him reject Allah? From what stuff has He created him? From a sperm-drop: He has created him, and then moulds him in due proportions;

Then does He make his path smooth for him; Then He causes him to die, and puts him in his Grave; Then, when it is His Will, He will raise him up (again)." (Abasa 17-22)

﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾

The Holy Verse refers to the different stages of man, with its beginning, middle and end. It tells about the source of his creation, and concludes with the end of his journey. So, let man consider that Holy Verse in order to understand its significance.

In the beginning, man was nothing mentioned: he was in the nonexistence. Which thing is more despicable than nonexistence? Then, he was created by Allah Almighty from the most contemptible thing: he was created from dust, then from a sperm-drop, then a leech-like clot of blood, then a morsel of flesh, then bone covered with flesh. That is the beginning of his creation. He was not created to be complete from the beginning: on the contrary, he was created like a dead lifeless, having no sight, no hearing, no feeling, no sense, no movement, no speech, no perception, and no understanding. In this way, he began with his death before his life, his weakness before his power, his ignorance before his knowledge, his blindness before his sight, his deafness before his hearing, his muteness before his speech, his misguidance before his guidance, his poverty before his richness, and his helplessness before his strength. This is the significance of the statement of Allah Almighty: "From what stuff has He created him? From a sperm-drop: He has created him, and then moulds him in due proportions." (Abasa 18-19)

﴿ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾

And: "Has there not been over Man a long period of Time, when he was nothing, (not even) mentioned? Verily We created Man from a drop of mingled sperm, in order to try him: so We gave him (the gifts), of Hearing and Sight. We showed him the Way: whether he be grateful or ungrateful (rests on his will)." (Al-Insan 1-3)

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾

And: "Does not man see that it is We Who created him from sperm? Yet behold! he (stands forth) as an open adversary!" (Ya Sin 77)

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ ﴾

And: "Among His Signs is this, that He created you from dust; and then, behold, you are men scattered (far and wide)!" (Ar-Rum 20)

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

Consider the favor of Allah Almighty upon him in the sense that how He has moved him from humiliation and scarcity to that rank and honour, thereby he came to existence after he was nonexistent, to life after death, and was given speech after he had been mute, sight after he had been blind, hearing after he had

been deaf, power after he had been weak, knowledge after he had been ignorant, guidance after he had been in error, power after he had been helpless, and richness after he had been in destitution. In short he was nothing and then turned to be a thing by virtue of Allah Almighty. He Almighty created him from the despicable dust that is trampled by feet in order to make him know how despicable he is , and then perfected His favour upon him in order to know thereby the real estimate of his Lord Almighty, His Magnificence and Greatness, and that supremacy and majesty are fitting only for Him Alone. For this reason, He Almighty reminds him of His favor upon him saying: "Have We not made for him a pair of eyes? And a tongue, and a pair of lips? And shown him the two highways?" (Al-Balad 8-10)

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝ ﴾

Allah also reminds him how he was despicable in the beginning, and how He Almighty bestowed His favor upon him: "Was he not a drop of sperm emitted (in lowly form)? Then did he become a clinging clot; then did (Allah) make and fashion (him) in due proportion. And of him He made two sexes, male and female." (Al-Qiyamah 37-39)

﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝ ﴾

Whoever is in such a despicable state and contemptible condition, how should he become arrogant and haughty, given that he is, with certainty, the most despicable, the most distasteful, the weakest, and the most humiliated? But it is the habit of the despicable to raise his nose to the sky whenever he is moved up from his baseness: there is neither might nor power but with Allah. Had He unleashed his power in the existence, it would have been possible for him to transgress and forget his beginning and end. But along his continuous existence, he is afflicted with diseases, calamities, conflicting conditions and states, which cause the parts of his body to ruin each other, willingly or unwillingly. He becomes hungry and thirsty against his will, falls ill and dies against his will. He neither benefits nor harms himself, neither brings good nor causes evil to himself. Whenever he likes to know anything, he becomes ignorant of it; and if he likes to remember a thing, he forgets it, and if he likes to forget a thing and is heedless of it, he neither forgets nor is heedless of it, and if he likes to divert his heart to what concerns him, he is lost in the valleys of doubts and suspicions. He might desire a thing, even though his destruction lies in it; as well as he might dislike a thing, even though his good lies in it. He gets pleasure from food, which might ruin him, at the same time he feels the bitterness of medicine even though it cures him. He could not feel safe from losing all that he has of his faculties, wealth, position, etc, even in a single moment. He is an owned slave who has no power to avail himself and anyone else. Which thing is more despicable than him if he is to know his real nature? How should arrogance be fitting for him unless he is ignorant? This is his simplest condition. So, let him consider it well.

The end of his journey is death as referred to by Allah Almighty: " Then He causes him to die, and puts him in his Grave; Then, when it is His Will, He will raise him up (again)." (Abasa 21-22)

﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾

It means that he is deprived of his soul, sight, hearing, power, knowledge, sense, perception, motion, and returns lifeless as he was in the beginning of his creation. Then, he is placed in the dust and becomes stinking corpse, as he was in the beginning a despicable sperm-drop. Then, the parts of his body become rotten and decomposed, and consumed by insects. The dead body itself becomes moldy corpse from whose stinking odor the animals flee, and at the best state, it turns into dust as it was before creation. In this way, it becomes nonexistent as it was.

Moreover, would that he should remain as such! How far! He will be raised from death in order to suffer the severe torment for his sins and evils, and entertain with himself the great terrors of the Day of Judgement with its sky rent asunder, its earth ruined, its sun folded up, its light extinguished, angels severe and strong, hell breathing out with flames, and Garden at which the criminal looks and grieve for his being deprived of it, and spread scrolls, where he will be asked to read his book, and when he asks about it, it will be said to him: "During your lifetime, with which you were arrogant, haughty, pleased and proud of its bliss and delights, two watching angels were entrusted to record all of your deeds and acts, and if you forget all of that, Allah Almighty has taken account of it for you. So, come to be reckoned, and be ready to be driven to the abode of punishment." Then, his heart will be scared and frightened, even before his book is spread and he sees what it contains of his disgrace and shame. Once he sees that, he says: "Ah! woe to us! what a Book is this! it leaves out nothing small or great, but takes account thereof!" They will find all that they did, placed before them: and not one will your Lord treat with injustice." (Al-Kahf 49)

﴿ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾

That is the end of his journey; and this is the significance of the statement of Allah Almighty: " Then, when it is His Will, He will raise him up (again)." (Abasa 22)

﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾

How should he who is in such a state become arrogant or haughty? How should he rejoice even for a single moment? he sees the beginning and the middle of his state while being in this world, and were the end of his state to be visible to him, he might have chosen to be no more than a dog or a pig in order to turn into dust in the company of animals, and not a man to hear speech and receive punishment. If he is worthy of fire in the Sight of Allah, of a surety, the pig is honourable and higher than him, for it starts from dust and ends into dust, far from reckoning or punishment. The people never flee from dog and pig, whereas if the sinful and disobedient servant is seen by the inhabitants of this world in the fire of Hell, they would be shocked by his ugliness and repulsiveness, and if his smell is detected by them, they would die

out of its severe stench, and if a single drop of the pus given to him in the fire is to fall into the oceans of this world, they would be more stinking than the rotten corpse.

How should such a person, who expects to be delivered only by forgiveness and excuse of Allah Almighty be arrogant or haughty? And with which thing should he become arrogant? How should he regard himself of significance in order to feel himself superior to others and transgress in tyranny? Who among the people does not commit a sin for which he deserves punishment, unless Allah Almighty forgives by His bounty and grace? This is expected from Him, due to the good assumption of Him, by virtue of His mercy and generosity: and there is neither might nor power but with Allah. His example is like him who committed a sin against his king who sentenced him to one thousand lash strikes, and he was put in jail in expectation for the punishment to be executed on him in the presence of a great assembly of people, and he does not know whether or not he will be forgiven: to what extent then should he be humiliated in the prison? Do you see that he would become arrogant over anyone in the prison? There is no sinful servant but that the world represents his prison, and he deserves punishment from Allah Almighty, and does not know whether or not he will be forgiven, and what the end of his journey will be. This suffices him for humiliation and ignominy! This is the remedy of removing the roots of arrogance in regard to knowledge.

As for the remedy by work, it is to humble oneself before Allah Almighty through acts and deeds, and before the people by adhering to the good manners of the humble among men, as described earlier from the states of the righteous predecessors and from the states of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". He was so humble that he used to eat on the ground and say: "I am a servant and eat as a servant eats." Once, it was said to Salman "Allah be pleased with him": "Why do you not put on a new dress?" he said: "I am only a servant, and when I am emancipated, surely, I would put on a new dress." He referred here to the emancipation in the hereafter. Humbleness will not be complete after knowledge without work to confirm it. For this reason, the Arabs who were arrogant over Allah and His Messenger "peace be upon him" were commanded to have faith and offer prayer simultaneously.

That is because prayer is the fundament of religion, and it has mysteries for which it is a fundament, including the way a praying man humbles himself before Allah Almighty through standing, bowing and prostration. Of old, Arabs used to disdain to bow to the extent that if the lash fell from the hand of anyone of them, he would not bow to pick it up, and if the strap of his sandal was cut, he would not lower his head to mend it. In confirmation of that, Hakim Ibn Hizam "Allah be pleased with him" said: "I have given the pledge of allegiance to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" not to fall down but as standing." However, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" accepted from him the pledge of allegiance for that; and some time later, his understanding of religion became deeper and his faith complete. (This

narration is reported by Ahmad). Since prostration was the utmost humiliation and ignominy in their sight, they were invited to do it, in order for their arrogance to get broken, their haughtiness be removed, and humbleness reside in their hearts. All the people then were commanded to do it. That is because humbleness requires the acts of bowing, prostration and standing in submission.

Similarly, if one knows himself well, let him regard the acts and deeds required by arrogance, and do their opposites until humbleness becomes a part of his good manners. To be sure, hearts do not acquire the praiseworthy manners without both knowledge and work altogether, due to the hidden relation between the hearts and the organs on the one hand, and the mystery of connection that is established between the world of the visible and the dominion of the invisible on the other hand; and the heart, as it is known, belongs to the dominion of the invisible.

THE SECOND STATION

It pertains to the symptoms of arrogance due to the seven causes. We have already mentioned in the book of condemnation of majesty that the real perfection lies in both knowledge and work altogether; and apart from that, anything, which vanishes by death, brings about no perfection. For this reason, the learned could hardly become arrogant with his knowledge. But let's mention the way of remedy regarding both knowledge and work in relation to these seven causes.

The first pertains to him who feels arrogant because of his good ancestry. The treatment is to know two important things: one thing is that it is ignorance, for it is honour with the perfection of anyone else. If the arrogant is of wicked characteristics, how should he repair his wickedness by the perfection of anyone else? Were the one to whom he belongs to be alive, he would have the right to say: "The excellence returns to me, and you are no more than an insect produced from my sperm." Do you see that the insect produced from the sperm of a man better than the insect produced from the sperm of a horse? How far! Both are equal. The honour lies in man and not in the insect. The other is to know his real ancestry, i.e. his father and grandfather. His near father is no more than a despicable sperm-drop; and his far grandfather is no more than dust. Allah Almighty showed to him his real ancestry when He said: " He Who has made everything which He has created Most Good: He began the creation of man with (nothing more than) clay, And made his progeny from a quintessence of the nature of a fluid despised." (As-Sajdah 7-8)

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧
ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ﴾

How should he whose origin is the dust that is trampled by feet, mixed with despicable water become arrogant because of that? If he sees himself closer to his father than to his origin of dust, let's say that he vies in glory with the close apart from the near, since the sperm-drop and morsel of flesh from which he was are closer to him than his near father. Let him then despise himself because of that.

That is the most despicable and the basest of ancestry. The origin of man is trampled by feet that is the real ancestry of man; and whoever knows it well would not become arrogant because of it. This should be the state of the man of deep insight when he reflects on his base origin and knows that he is created from sperm-drop and dust, the most contemptible and the vilest of things on earth.

The second cause is to be arrogant because of beauty. Its medicine is that one should look, as a rational man, inside himself and not to his outward appearance. Once he looks inside himself, he soon sees what spoils his honor with his beauty. Inside his body contains all kinds of dirt: Excretion in his intestines, urine in his bladder, sputum in his nose, dirt inside his ears, blood in his veins, pus underneath his skin, and sweat underneath his armpits. Everyday, he washes his excretion with his own hand once or twice, and frequents the privy once or twice in order to excrete that which, being seen by his eyes, would bother him so much, let alone if he touches it with his hand or smells it with his nose. How humiliated and dirty he is then!

Let him also know how he was created from the dirty things, i.e. the sperm-drop, and the blood of menstruation, and how he was taken out from the tubes where the dirty things run, i.e. from the urethra wherefrom urine comes out and uterus wherefrom the blood of menstruation comes out. It is reported that Anas "Allah be pleased with him" said: "Whenever Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" addressed us with his sermons, he would make ourselves seem dirty in our sight, saying: "Anyone of you has come out from the urethra once or twice." It is reported that once Umar Ibn Abd-Al-Aziz performed Hajj before he was appointed as caliph, and when Tawus saw him boasting in his walk, he poked his flank with his finger and said to him: "This is not the walk of him who has excretion in his belly." On that Umar said to him apologizing: "O my uncle! Every part of my body was struck to get accustomed to that walk until I have been accustomed to it."

If one were to leave himself without washing or cleaning only for one day, all kinds of dirt and stench would come out of his body. If one has such a look of himself, he would not be arrogant because of his beauty, which is inevitably perishable. Even if his beauty is to survive as faultless and perfect, he should not become arrogant because of it, for the ugliness of the ugly was not up to him to remove it, nor was the beauty of the beautiful to be praised for it. But it is not abiding: it is apt to be removed by disease, leprosy, smallpox, defacement, etc. how many a beautiful face was distorted and the beauty and glitter vanished for one reason or another. The knowledge of those matters deprives of the heart the ailment of arrogance because of beauty, particularly for him who reflects it more often.

The third is to be arrogant because of power and might. One is prevented from that once he knows the sorts of ailments and diseases that are invested with authority over him; and that if only a single vein in his hand is ached, he would become more powerless than all the powerless, and more humiliated than all the humiliated; and that if a fly takes anything from him, he would fail

to restore it once again; and that if a mosquito enters into anyone of his nostrils or an ant into anyone of his ears, it would kill him; and that if a thorn enters into his foot, it would make him powerless and helpless; and that the fever of one day takes from his power as much as he could not compensate but after a long time: whoever is in such a state of powerlessness should not then become arrogant because of his power. On the other hand, as strong as man might be, he would not be stronger than a donkey, a cow, an elephant, a horse, etc. Which kind of pride is that because of a characteristic in which the animals excel you?

The fourth and fifth causes pertain to majesty, majesty, wealth and the abundance of money; and the increasing number of followers, adherents, and allies. This kind is arrogance because of a thing that is external to man himself, unlike beauty and power. That is the most odious of arrogance. Such as is arrogant because of his wealth is like him who is arrogant because of his horse and home, and if his horse dies or his home is ruined, he will become humiliated. Similarly, if one is arrogant because of closeness and nearness to the ruler, he indeed will be on a heart that is more turning and changing than a cooking vessel on the fire: if the ruler changes against him, he will be the most humiliated of people.

Every one who is arrogant because of a thing that is external to himself is evidently ignorant. Why not since if the one who is arrogant because of wealth reflects his case, he will find that there is from among the Jews such as wealthier and richer than him: how cursed then is a characteristic in which Jews excel him who is arrogant because of it! And how cursed is that which, being stolen by a thief, causes its owner to become humiliated at once! Indeed, nothing of those belongs to you: but all things belong to Allah the Grantor and if He wills, He could take back from you what He has given you; and you are no more than an owned slave and has no power to do anything. Whoever knows all of that, his arrogance should vanish at once.

His example is like a heedless man who is proud of his wealth, slaves, horses, riding mounts, vehicles, immense palaces and farms and gardens; and while being in the midst of that pleasure, two just witnesses bear witness before a just ruler that he is a slave belonging to so and so, and that his parents were owned by him, thereupon the ruler passes his judgement that his owner should come and take him with all that he has in his possession, and leaves him frightened of the expected punishment because of his indulgence in taking care of the wealth of his master. This man finds himself in the end in a dark prison surrounded by female-snakes and scorpions, of which he feels afraid. He does no longer have authority over himself, nor over is property, and does find no way to escape from that destiny. Do you think that a person in such a state has the right to become arrogant because of his power, wealth and property? This is the way of treating the arrogance because of things that are external to the body. The treatment here is easier than that of the arrogance of internal characteristics like knowledge and work, for they are worthy of being a cause of pleasure and delight for man. But showing arrogance because of them also is hidden ignorance as we shall mention later.

The sixth is to show arrogance because of knowledge. It is the greatest evil, the most odious ailment, and the most difficult to remedy, except with great effort and struggle. That is because the knowledge is appreciated in the Sight of Allah Almighty as well as in the sight of people. It is greater than wealth and beauty. We could say that neither property nor beauty are significant in the absence of knowledge. This is why Ka'b Al-Ahbar said: "Knowledge brings about transgression like the transgression caused by wealth." Umar "Allah be pleased with him" said: "If a learned slips, a whole world will fall because of his slip." for this reason, a learned could hardly not make much of himself and regard himself superior to the ignorant in view of the excellence given to the knowledge in Sharia.

But in short, the learned could avert arrogance from himself only if he is to know two important things:

The first is to know that the argument of Allah against the learned is more confirmed, and what is accepted from the ignorant is ten times what might be accepted from the learned. Whoever disobeys Allah Almighty knowingly, his crime is more odious and grievous, for he did not fulfill the right of the favor of knowledge bestowed upon him by Allah Almighty. It is narrated by both sheikhs on the authority of Usamah Ibn Zaid that he heard Allah's Apostle "Allah's blessing and peace be upon him" having said: "On the day of Judgement, the learned man will be brought forward and thrown into the fire of Hell whereas his bowels will gush out and he will be made to carry them round and go round all over the Hell in the same way as a donkey turns a mill-stone round and round. Then the people of Hell will ask him about the reason of his torture and he will say: "I was wont to enjoin what is right upon others but failed to do it myself, and to forbid what is wrong and committed it myself." Allah Almighty likened him who learns and does not act upon his knowledge to a donkey and a dog as shown from His statement: " The similitude of those who were charged with the (obligations of the) Mosaic Law, but who subsequently failed in those (obligations), is that of a donkey which carries huge tomes (but understands them not). Evil is the similitude of people who falsify the Signs of Allah: and Allah guides not people who do wrong." (Al-Jumu'ah 5)

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾

And: "Relate to them the story of the man to whom We sent Our Signs, but he passed them by: so Satan followed him up, and he went astray. If it had been Our Will, We should have elevated him with Our Signs; but he inclined to the earth, and followed his own vain desires. His similitude is that of a dog: if you attack him, he lolls out his tongue, or if you leave him alone, he (still) lolls out his tongue. That is the similitude of those who reject Our Signs; so relate the story; perchance they may reflect." (Al-A'raf 175-176)

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ

شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ
تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾

That suffices a learned for danger. Who among the learned does not follow his own desires? Who among the learned does not enjoin good, which he himself has not done, and forbid evil, which he himself has not abstained from? If a learned thinks to regard himself superior to an ignorant, let him think of that great danger which he is facing, for his danger is greater than the danger of anyone else, just as his rank is greater than the rank of anyone else. His example is like a king who makes himself vulnerable to the danger in his kingdom because of the great number of his enemies: if his king is taken from him, he would wish that if he was poor. How many a learned in the hereafter will have longing for the safety of the ignorant! This danger alone is sufficient to prevent him from arrogance. If he is from the denizens of the fire, to be sure, the pig is better than him.

How should he who is in such a condition become arrogant? The learned should not regard himself higher than the companions "Allah be pleased with them". One of them used to say: "Would that my mother did not give birth to me!" another used to pick up a straw from the ground and say: "Would that I be this straw!" or: "Would that I be a bird!" or: "Would that I be nothing mentioned!" all of that was for fear of the danger of the consequence. They saw themselves in a condition worse than birds and lifeless things. If one has a long reflection on the danger he is facing, his arrogance will be removed entirely, for he will see himself the worst of people.

His example is like a slave who was given many assignments by his master to do; and he neglected to do some of them, and failed to do others, and doubted as to whether or not he has done many of them. Some time later, his master sent a messenger to arrest him, and make him stand barefooted and naked in the scorching heat of sun for a long time. When his suffering was aggravated, he was called to account, and then was put in a narrow prison and severe punishment. He learned that his master had done the same with many of his slaves like him, and forgiven others, and he does not know from which parties he would be. If he considers all of that, his own self would get broken, his honour would become idle, and his arrogance would be removed. He would not become arrogant over anyone of the people: on the contrary, he would humble himself before them in the hope of that anyone of them would be of his intercessors at the time of punishment. Similarly, if the learned thinks of what he wasted of the commands of his Lord, regarding the crimes and sins he has committed, caused by showing off, arrogance, envy, rancor, hatred, vanity and hypocrisy, and learns to what extent he is in the face of danger, of a surety, he would abandon arrogance.

The other is that the learned knows well that supremacy is fitting only for Allah Almighty Alone, apart from anyone of His servants, and that if he becomes arrogant, he will be hateful in the Sight of Allah Almighty. That is because Allah Almighty likes that he should be humble. He should do what his Lord likes him

to do. This, therefore, removes arrogance from his heart. It is by this that the arrogance was removed from the hearts of the Prophets "peace be upon them", for they knew well that whoever disputed with Allah Almighty over the upper garment of Majesty, he would be broken by Allah, and Allah Almighty ordered them to humble themselves in order to rise in His Sight. This also instigates him to be humble.

But you may argue: "How does a learned humble himself before a dissolute wicked and religious innovator whose wickedness is evident? How does he see himself inferior to such given that he is a worshipper and a learned? How does he ignore the excellence of worship and knowledge in the Sight of Allah Almighty? How does he satisfy himself with thinking only of the danger of knowledge, given that the danger of the dissolute wicked is more grievous?"

In reply to it, it should be known to you that this is possible if one thinks of the danger of the conclusion, in the sense that if he sees a disbeliever, he would not become arrogant over him for he might probably embrace Islam, and thus conclude his deed with faith, whereas this learned might probably err and conclude his deed with disbelief. To be sure, the great is he who will be great in the Sight of Allah Almighty in the hereafter; and both pig and dog are higher in the Sight of Allah than him who will be of the denizens of the fire. How many a Muslim considered the condition of Umar "Allah be pleased with him" before his Islam, and despised and scorned him due to his disbelief, and later he was endowed by Allah Almighty with Islam in which he excelled all the Muslims barring Abu Bakr "Allah be pleased with him".

The consequences of the future are hidden from the servants, and the rational is he who looks over the consequence, for all virtues and good merits in this world are intended for the consequence in the hereafter. Thus, no servant has the right to become arrogant over anyone: on the contrary, if a servant sees an ignorant, he should say: "This has disobeyed Allah because of his ignorance, whereas I have disobeyed Him in spite of my knowledge. He is then more excusable than me." If he sees a learned he should say: "It may be that this has better knowledge than I have. How should I be then like him?" if he sees one who is older than him, let him say: "This has preceded me to obey Allah Almighty: how should I be equal to him?" if he sees one who is younger than him, let him say: "I have preceded him to disobey Allah Almighty: how should I be equal to him?" if he sees a religious innovator, let him say: "What makes me to know? It may be that Allah Almighty would conclude his work with Islam, and conclude my work with the same on which he is now. It is not up to me to persist in guidance as well as it was not up to me to create it in the beginning."

By observing the conclusion, one might remove arrogance from himself. It is to know that the real perfection lies in the happiness of the hereafter and the closeness to Allah Almighty and not in the seemingly good perishable things of this world. By my life, this danger is shared by both the arrogant and the one over whom he is arrogant. But it is incumbent upon everyone to be mainly concerned with his own fear of his consequence, and not with the

consequence of anyone else. If some people are put in prison because of a particular crime, and told that their heads would be chopped off, everyone of them would be occupied from being arrogant over the other by his own fear of his future consequence.

You may argue: "How should I dislike the religious innovator and dissolute wicked, whom I was commanded to dislike, and at the same time, humble myself before them? To combine both is indeed contradictory." In reply to it, it should be known to you that this matter is suspicious and most people are put to confusion regarding it. Your anger for the Sake of Allah in regard to rejection of religious innovation and dissoluteness mixes with self-arrogance and haughtiness because of knowledge and piety. How many an ignorant worshipper or a deceived learned is disturbed by having a dissolute wicked sit besides him due to a lurking arrogance within himself, thinking that he is angry for the Sake of Allah Almighty, the same as was the case of the worshipper of the children of Israel with their dissolute wicked. That is because arrogance is visible as evil on the obedient, and it is possible for him to beware of it, whereas arrogance in relation to the dissolute wicked and religious innovator looks like showing anger for the Sake of Allah, and thus seems good in his sight. That is because the angry becomes arrogant over him with whom he is angry, in the same way as the arrogant himself grows angry with him over whom he is arrogant. One of both brings about the other; and they are mixed and confused, and it is difficult to make a clear distinction between them.

In order to deliver yourself from that confusion, let you present three important things to your heart, whenever you see a religious innovator or a dissolute wicked, or enjoin good on them and forbid evil to them: the first is to observe your sins and mistakes in order that you would become trivial in your own sight. The second is to observe the knowledge and piety with which you are distinguished as a favor bestowed upon you from Allah Almighty for which you are under obligation to Him, in order that you would not then be proud of yourself, and once you are not proud of yourself, you would not be arrogant. The third is to observe your undecided consequence, in the sense that your deed might probably be concluded with evil, and his with good, in order that your own fear would occupy you from arrogance over him.

You may ask: "Then, how should I become angry in those conditions?" in reply to it, let me say that you should become angry for the Sake of your Master and Lord Almighty, Who ordered you to become angry for His Own Sake and not for your sake. But during your anger, you should not see that you would be saved and your companion ruined: on the contrary, your fear for yourself, due to the hidden sins and mistakes you have committed which Allah Almighty knows well, should be more than your fear for him, given the ignorance of the conclusion. To be sure, it is not required by the anger for the Sake of Allah Almighty to be arrogant over him with whom you are angry.

Let me give you an example for that: suppose a man has a slave and a child, i.e. his son, who is the cool of his eye, and that he entrusted to the slave to watch over him, and punish him once he is impolite and behaves in opposition

to the good manners. If the slave is faithful and loyal to his master, it becomes then necessary for him to be angry with the child once he does anything evil, just for the sake of his master, and in compliance with his order that he should do so, and as his child does what his master dislikes, he finds himself forced to strike him in order to please his master. But although he grows angry with him, and beat him, this does not require him to be arrogant over him, for he knows well that he is higher in rank in the sight of his master than his own self, for indeed, none is dearer to the father than his child. Similarly, you should regard the religious innovator and the dissolute wicked, and imagine that they might be higher in rank in the Sight of Allah Almighty in the hereafter, for they have been doomed to conclude their deed with good, and you with evil, of which you are heedless. But in spite of that, you should become angry with them, just for the Sake of your Lord and in compliance with His command.

This is the case of the real faithful sincere learned. But the deceived one becomes arrogant with his knowledge, and expects for himself more than he expects for him over whom he is arrogant, given his ignorance of the consequence. This is the utmost degree of deception and self-conceit. That is the way to humble yourself before him who disobeys Allah or makes a religious innovation, and grow angry with him for the Sake of Allah Almighty.

The seventh pertains to arrogance because of piety and acts of worship. It is a cause of great temptation for the worshippers. The way of remedy is to adhere to humbleness to all the servants, putting in mind that one should not become arrogant over him who excels him in knowledge, in view of the superiority of knowledge. Allah Almighty says in this respect: " Say: "Are those equal, those who know and those who do not know? It is those who are endued with understanding that receive admonition." (Az-Zumar 9)

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The superiority of a learned over a worshipper is like my superiority over the least of my companions." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Abu Umamah).

If a worshipper argues that this applies to the learned who acts upon his knowledge: what about the wicked learned? In reply to that, let us say that does he not know that the good deeds remove the evil deeds? As well as knowledge might be an argument against a learned, it might be a means and expiation for his sins. If this is absent from his mind, it then becomes incumbent upon him not to despised a learned whatsoever. You may argue once again that were this to be true, then, it should be possible for a learned to regard himself above the worshipper, in view of the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "The superiority of a learned over a worshipper is like my superiority over the least of my companions." In reply, let's say that it would have been possible had the consequence and the end of the journey of the learned are known to him. But the conclusion is suspicious, and he might die while being worse in the Sight of Allah Almighty than an ignorant wicked, just for a single sin he has committed which he thought to be trivial, although it is

grievous in the Sight of Allah Almighty. If it is possible, he then should feel afraid for himself. In this way, if the learned and the worshipper fear for themselves, and each is required to be concerned with his own self, fear then should prevail in regard with himself, and hope in regard with the others. Anyway, this prevents him from arrogance.

This is the case of a worshipper with a learned. As for his case with anyone else, they are divided into screened and exposed. As for the screened, he should not be arrogant over him, for perhaps he might probably have a fewer sins, more acts of worship, and love Allah more than him. As to the exposed, you have no right even to criticize such of them as whose sins are more than yours during your entire lifetime, for it is difficult to take account of the number of sins of you or of anyone else during your lives. It is true that you might judge his sins to be more severe and grievous, when you see him, say, kill or commit fornication, but even at this case, you have no right to be arrogant over him, since the sins of hearts, like envy, hatred, rancor, showing off, doubts about the attributes of Allah Almighty, etc, are so much grievous in the Sight of Allah Almighty. You may become, by virtue of your hidden sins, more hateful in the Sight of Allah Almighty than the dissolute wicked whose wickedness is evident, in view of his sincere obedience, fear and love for Allah Almighty, that are lacking in you, by which Allah makes expiation for his other sins; and when the veil is removed on the Day of Judgement, you will find that he is above you in rank and position.

Of a surety, this is possible. So, do not trouble yourself by what is possible for others, and rather engage yourself in what stimulates your terrors and fears, for in no way could a bearer of sin bear the sin of another, and the punishment of anyone else does not lighten yours. If you reflect on that danger, you will be occupied from arrogance and haughtiness. According to Wahb Ibn Munabbih: "The perfection of mind is achieved only by ten characteristics." After he had counted nine of them, he was asked about the tenth, thereupon he said: "The tenth with which one's repute becomes high, is to see all the people better than him in rank. That is because the people in his sight are of two divisions: one is better and higher than him, and the other is worse and lower than him. He should humble himself before both divisions with his heart. If he sees such of them as better than him, he should be pleased with him, and entertain the hope to join him; an if he sees such of them as worse than him, he should say: 'Perhaps this might be saved and I be destroyed'. He always feels afraid of the consequence, and always says to himself: 'Perhaps, this might be inwardly dutiful, and this is good for him, and I do not know, perhaps he has good moral character which none knows but Allah Almighty, by virtue of which Allah would bestow mercy upon him, turn to him in repentance, and conclude his life with the best of his deeds, unlike me, whose apparent acts of worship could hardly be safe from any evils to mix with and frustrate them'. At that point, his mind would be perfect, and he would have the authority over the people of his own time."

In brief, he, who is likely doomed to be miserable, has no right to become arrogant over anyone else: on the contrary, being possessed by fear and terror, he

should see all the people better than him. It is reported that a worshipper took shelter to the top of a mountain, and during his sleep, a visitant came to him and told him to 'go to so and so, the shoemaker and ask him to supplicate for you'. He went to him and asked him about his deed, and he told him that he was in the habit of fasting the day and working to gain his earnings and giving in charity some thereof, and feeding his dependents with some thereof. He returned and said to himself: "That is good, but it is not like the wholehearted devotion to the worship of Allah." In his sleep the same visitant came to him and told him: "Go to that shoemaker and ask him about the paleness of his face." He went and asked him, thereupon he said: "I never see a man but that I think he would be saved and I be ruined." The worshipper said: "Then, it is with this (that you have attained felicity)."

In confirmation of the excellence of that characteristic, Allah Almighty says: " Verily those who live in awe for fear of their Lord; Those who believe in the Signs of their Lord; Those who join not (in worship) partners with their Lord; And those who dispense their charity with their hearts full of fear, because they will return to their Lord." (Al-Mu'minun 57-60)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

He Almighty further says: "They will say: "Aforetime, we were not without fear for the sake of our people." (At-Tur 26)

﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

About the angels who are deemed far from all kinds of sins and mistakes, and wholeheartedly devoted to worship their Lord, Allah Almighty says: " To Him belong all (creatures) in the heavens and on earth: even those who are in His (very) Presence are not too proud to serve Him, Nor are they (ever) weary (of His service): They celebrate His praises night and day, nor do they ever flag or intermit... and they stand in awe and reverence of His (glory)." (Al-Anbiya 19-20,28)

﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ۖ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

Once the fear and terror fade away, and one is no longer cautious of what

has been preordained, he feels safe from the plot of Allah Almighty, which, in turn, brings about arrogance; and it is the cause of destruction. To be sure, arrogance indicates to feeling safe from the plot of Allah, and feeling safe from the plot of Allah is destructive; whereas humbleness indicates to fear and terror, which, in turn, brings about happiness and pleasure. The mischief caused by arrogance, showing contempt for people and looking at them with slightness is more than the good brought about by the apparent acts of worship. It is with this knowledge and no more that arrogance might be removed from the heart.

But even, after that knowledge, one's soul might conceal humbleness and claim, though falsely, that it is free from arrogance. But it is false to its claim for once it is exposed to calamity, it soon forgets and returns to its nature. For this reason, only knowledge is not sufficient for remedy. But it should be completed with work and put to test with the acts of the humble on the occasion where arrogance is provoked in it. It is to test oneself with five tests in order to extract what is lurking in it.

The first test is that if he engages in debate with anyone of his fellows, and then the truth emerges on the tongue of his foe, which he does not accept, nor submit to nor acknowledge of nor give thanks to him, he should know that his heart has something of arrogance lurking in it. At that point, he should fear Allah Almighty, and engage in treating it: in terms of knowledge, by reminding himself of the baseness and meanness of his own self, the danger of his consequence, and the fact that supremacy is not fitting but for Allah Almighty; and in terms of work, by forcing himself to do what he feels heavy upon himself, such as to acknowledge the truth, give thanks to him for it, declare his failure, and be grateful to him for the good he has guided him to. Indeed, the wisdom is the best thing sought by a faithful believer, and once he finds it, he should thank him who has guided him to it. If he does that regularly many times, it would turn to be integral to his disposition, in such a way that causes him not to feel the heaviness of accepting the truth. If he feels it heavy upon himself to praise his fellows with what they really have, he still has some arrogance. If it is heavy upon himself only when he is in public, it is not arrogance in so much as it is showing off, which he should strive to remove from himself. But if it is heavy upon him in both private and public, it has both arrogance and showing off, and of no profit to him is to get rid of one without the other. So, let him remedy both ailments for they are destructive.

The second test is that when he is in the company of his fellows and companions in the gatherings, let him give them precedence over himself, walk behind them, and sit below them. If this is heavy upon himself, he is then an arrogant. So, let him habituate himself to do it until it becomes a part of his nature. Thus, arrogance will be removed from his heart. But here lies an intrigue of Satan: it is that he sits in the same row where sandals are placed, thinking it to be out of humbleness. But this is evident arrogance. Indeed, it is hidden from the breasts of the arrogant, who think that they leave their sitting places, which they should deserve out of bounty and generosity. That is arrogance by showing

humbleness. He should rather give precedence to his fellows and sit by their side and not in the rear of them, in the same row where sandals are placed. It is that which removes the arrogance from the heart.

The third test is to respond to the invitation of the poor, and go to the market to fulfill the needs of his companions. If it is heavy upon himself to do so, it is out of arrogance, because those acts indicate to the noble manners, for which one receives reward in abundance. To abstain from them means there are internal arrogance and wickedness. The remedy is to endeavor to do those acts even ostentatiously at first, putting in mind all items of knowledge we have already mentioned, which are to remove the disease of arrogance.

The fourth test is to carry by himself his things, the things of his dependents and the needs of his companions from the market to the home. If he disdains to do so, it is arrogance or showing off. If it is heavy upon himself even in privacy, it is arrogance, and if it is so only in public, it is showing off. Both belong to the destructive heart diseases, which should be remedied and removed entirely. The people have neglected the heart medicine and rather engaged in the body medicine, given that bodies are doomed to death, whereas hearts attain happiness only when they are sound, in accordance with the statement of Allah Almighty: "But only he (will prosper) that brings to Allah a sound heart." (Ash-Shu'ara 89)

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾

It is reported that Abdullah Ibn Salam "Allah be pleased with him" was seen carrying a bundle of firewood, thereupon it was said to him: "O Abu Yusuf! Your servants and daughter could suffice you that burden." On that he said: "Yes, but I like to test my soul, and whether or not it would disdain to do so." It is reported in another narration: "Whoever carries fruits or things (of himself or anyone else on his behalf) has indeed been free from arrogance." (This is reported by Al-Baihaqi on the authority of Abu Umamah).

The fifth test is to put on cheap clothes. Indeed, to abstain from that is showing off if it is in public, and arrogance if it is in privacy. Umar Ibn Abd-Al-Aziz had a coarse wool mantle, which he used to put on at night. Furthermore, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who does not abstain to tie the camel by himself and put on wool has indeed been free from arrogance." (This narration is reported by Al-Baihaqi on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "I am no more than a servant and I eat on the ground in the same way as a servant eats, put on wool, tie the camel by myself, lick my fingers (to clean them from the remaining food), and answer the invitation of the slave : whoever then turns away from my sunnah does not belong to me." It is reported that it was said to Abu Musa "Allah be pleased with him": "Some people remain behind from attending the Friday prayer because of their clothes." On that he put on a cheap mantle in which he led the prayer.

In those situations, both arrogance and showing off gather together: What is unique to the public belongs to showing off, and what is unique to privacy belongs to arrogance. So, you should be acquainted with that, for indeed,

whoever does not know evil is not able to safeguard himself from it, and whoever does not know the disease could not be able to remedy it.

CHAPTER TEN

EXPOSITION OF SELF-DISCIPLINE TO ACQUIRE THE CHARACTER OF HUMBLENESS; AND PRAISEWORTHY AND BLAMEWORTHY EXTENT OF HUMBLENESS

It should be known to you that this quality, like the other qualities, has two extremes and a middle. That which inclines to excess is called arrogance, and that which inclines to reduction is called ignominy and baseness, and the middle is called humbleness. The praiseworthy is to be humble but without ignominy or baseness. To be sure, the two extremes of all things are blameworthy, and the dearest to Allah is the middle of everything. Whoever raises himself above his fellows is an arrogant, and whoever lowers himself to be inferior to them is humble, in the sense that he puts down something of his rank, which he deserves. If a shoemaker enters upon a learned who makes him sit in his place, and then proceeds on to straighten his sandals and runs to be at the door of the house behind him, he will have indeed humiliated himself; and this is blameworthy.

It is moderation then that is praiseworthy in the Sight of Allah Almighty, i.e. to give everyone his own right, which he deserves. With such standard one should then humble himself before his fellows and those who are close to him in rank. But the way to humble himself before the laymen is to stand and speak with them joyfully, to be lenient in dealing with them, to answer their invitation, to endeavor to fulfill their needs, etc. therefore, he should not regard himself better than anyone of the laymen: On the contrary, he should fear for himself more than he fears for anyone else. He should neither despise nor look down upon him, given that he is ignorant of the conclusion of his deeds.

His way to acquire the quality of humbleness then is to humble himself before his fellows and those inferior to him until the praiseworthy kind of humbleness becomes integral to his disposition, and the vice of arrogance is removed from his heart. If he finds it light and easy upon himself, then, he has acquired the quality of humbleness; and if he still finds it heavy upon himself although he does it, he then is ostentatious and not humble by nature. But if it becomes lighter in a way that makes it difficult upon him to observe his own rank, and rather causes him to incline to flattery and baseness, he has then gone as far as to the extreme of reduction, which is blameworthy. At that point, he should raise himself, until he returns to the middle that is preferred. Indeed, it is not fitting for a faithful believer to humiliate himself to anyone else (other than Allah Almighty).

But since that middle is always abstruse in all things, it is easier to incline to the extreme of reduction which brings about adulation and flattery than to incline to that of excess which brings about arrogance and haughtiness, just as to incline to the extreme of profligacy in spending is more praiseworthy in the sight of people than to incline to the extreme of thriftiness. As well as both extremes of

extravagance and stinginess are blameworthy, and one of them is more odious than the other , both extremes of arrogance and humiliation are blameworthy, and one of them is more odious than the other. What is praiseworthy then is the moderation, i.e. to do things properly and appropriately as required, according to what is known from Sharia and usage.

Let's then be satisfied with that amount of exposition of the qualities of both arrogance and humbleness.

PART TWO
CONDEMNATION OF VANITY

It includes the following chapters:
Exposition of condemnation of vanity
Exposition of evils of vanity
Exposition of real nature of vanity and anticipation of special treatment
Exposition of remedy of vanity
Exposition of divisions of things of conceit; and the remedy of each in detail

CHAPTER ONE
EXPOSITION OF CONDEMNATION AND EVILS OF VANITY

It should be known to you that vanity is blamed in the Book of Allah Almighty, as well as in the sunnah of His Messenger "peace be upon him". Allah Almighty says: " Assuredly Allah did help you in many battle-fields and on the day of Hunain: behold! your great numbers elated you, but they availed you naught." (At-Tawbah 25)

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا ﴿٢٥﴾ ﴾

He remembered that by way of rejecting their conduct. He Almighty further says: " and they thought that their fortresses would defend them from Allah! But the (Wrath of) Allah came to them from quarters from which they little expected (it), and cast terror into their hearts, so that they destroyed their dwellings by their own hands and the hands of the Believers. Take warning, then, O you with eyes (to see)!" (Al-Hashr 2)

﴿ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾

With that He Almighty replied to the disbelievers in their pride of their strong fortresses. He further says: "Those whose efforts have been wasted in this life. While they thought that they were acquiring good by their works?" (Al-Kahf 104)

﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

To be sure, one might be proud of a work in which he is mistaken, as well as

of a work in which he is right.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There are three destructives: Niggardliness that is obeyed, an inclination that is followed, and self-vanity." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Abu Tha'labah "Allah be pleased with him": "You should keep enjoining what is good upon one another, and forbidding one another to do evil until when you see niggardliness being prevalent, the own desires and inclinations being followed, the world being given preference (over the hereafter), and everyone having an opinion will come to admire his own opinion, then, you just have to protect your own soul." (This narration is reported by Abu Dawud, At-Tirmidhi and Ibn Majah).

According to Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him": "The ruined is he who is desperate and self-conceited." Indeed, he combined both for happiness is achieved only when one endeavors and works hard, and the desperate never endeavors nor works hard, and the self-conceited thinks he has attained happiness and achieved his purpose in a way that makes him have no desire to do more. In other words, the happiness is present in the sight of the self-conceited, and impossible in the sight of the desperate. This is why both are combined here. Allah Almighty says: " Therefore justify not yourselves: He knows best who it is that guards against evil." (An-Najm 32)

﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾

In his comment on it, Ibn Juraij said: "If you do good, do not say that you have done such and such good." According to Zaid Ibn Aslam: "Do not render it pure." This is the concept of vanity.

It is reported that on the day of the holy battle of Uhud, Talhah "Allah be pleased with him" protected the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" with his own body as he overturned on him and received the arrow strikes on his behalf until his arm was paralyzed. It seemed as if his deed elated him that he was able to redeem the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" at the cost of his hand. Umar "Allah be pleased with him" observed that in him and said: "The traces of vanity have been visible on the face of Talhah since his fingers were injured while sacrificing the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" on the day of the holy battle of Uhud." (This is reported by Al-Bukhari on the authority of Qais Ibn Abu Hazim).

But, there is no report that he showed it or despised any Muslim because of that. When it was the time of consultation (to choose the caliph after Umar), it was said to Ibn Abbas "Allah be pleased with them": "Where is your position from Talhah?" he said: "This is a man in whom there is something of vanity." If the like of them were not able to get rid of such an evil entirely, how should the weak get rid of it unless they are cautious and take heed? In confirmation of that, Mutarrif "Allah be pleased with him" said: "To spend the night sleeping and become regretful in the morning is dearer to me than to spend the night standing (for supererogatory prayers) and become self-conceited in the morning." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Even if you

do not commit any sin, I would fear for you what is more than that, i.e. vanity, vanity." (This narration is reported by Al-Bazzar, Ibn Hibban and Al-Baihaqi on the authority of Anas). In this way, he made vanity one of the greatest sins.

It is reported that Bishr Ibn Mansur was in the habit of celebrating Allah Almighty and the abode of the hereafter so often. One day, he prolonged the prayer and there was a man behind him looking at his deed. Bishr made sense of him and when he finished and turned away from the prayer he said to him: "Do not admire what you have seen from me, for Iblis, may Allah curse him, worshipped Allah Almighty with the angels for a long time after which he turned to be as you know about him." It was said to A'ishah "Allah be pleased with her": "When would the man be evil?" She said: "When he thinks that he is good." Allah Almighty says: " O you who believe! Cancel not your charity by reminders of your generosity or by injury, like those who spend their substance to be seen of men, but believe neither in Allah nor in the Last Day." (Al-Baqarah 264)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴿٢٦٤﴾ ﴾

Reminder of generosity ensues from making much of charity, as well as vanity ensues from making much of deed. This shows to what extent vanity is blameworthy.

CHAPTER TWO
EXPOSITION OF EVILS OF VANITY

It should be known to you that the evils of vanity are numerous. It brings about arrogance, since it is one of its causes. This pertains to servants in their relation with each other. But as regards the relation with Allah Almighty, it summons one to forget and neglect his sins. One does not care about some of his sins under pretext that he does not need to inspect them, with the result that he forgets them entirely, and regards with slightness such of them as he remembers. In this way, he does not strive to plot out them, thinking they would be forgiven for him. But the case is different regarding his deeds and acts of worship, which he makes much of, and dares to remember, and regard Allah Almighty under obligation to him because of them, forgetting the favor of Allah Almighty upon him as it is He Who helps him and grants him success to do them.

On the other hand, if one is proud of his deeds, he would be blind from their evils; and whoever does not inspect the evils of deeds, wastes the greatest portion of his endeavour. Unless the apparent deeds and acts of worship are done with sincerity and freedom from stains of showing off, they could hardly be fruitful. It is the fearful who always inspects that, unlike the self-conceited, who is deceived by his pride, which makes him feel safe from the punishment and plot of Allah Almighty, under belief that he has a good position with Him, and a right due to his deeds, which are a part of the gifts and favors given to him by Allah Almighty. His vanity causes him to praise himself, give prestige to and justify himself. If one

is proud of his opinion, reason and deed, he would not be able to get benefit from others, since by so doing, he disdains to ask him who has better knowledge than him.

Perhaps, he might admire his opinion, regardless of being wrong, and rejoice that it is from his own thought, and at the same time reject the opinion of others regardless of being right. That is because he always sees all the people with the eye of ignorance, and does not submit to the advice or the admonition of anyone in so much as he insists on his wrong opinion. If his wrong opinion belongs to the worldly affairs, it then might be subject to investigation; and if it belongs to religious affairs in general, and what pertains to the foundations of creed in particular, he would be ruined by it. But were he to have doubt in his opinion, seek guidance by the light of the Qur'an and the Sunnah, study the religion well, seek the aid of the learned and scholars, and continue to ask those endued with good insight, surely, he would attain the truth. Such is among the destructive evils of vanity.

CHAPTER THREE

EXPOSITION OF REAL NATURE AND DEFINITION OF VANITY AND ANTICIPATION OF SPECIAL TREATMENT

It should be known that vanity is that a man sees himself perfect in a particular characteristic like knowledge, property, wealth, etc. The learned, who regards himself perfect in terms of knowledge, wealth, property and majesty, has two cases: the first is that he fears the loss of anyone of those, or of his being deprived of anyone of them; and this is not vanity. The second is that he does not fear the loss of any of those, but he rejoices at it as being a favor from Allah Almighty and not as being a privilege attributed to him. But this also is not vanity. There is a third case (which is blameworthy since it represents) the evident vanity, i.e. he rejoices at it as being a privilege attributed to him, to raise his rank and make high his repute, and not as being a favor conferred upon him by Allah Almighty. Indeed, if he more likely thinks that it is a favor from Allah Almighty in the sense that if He wills, He could deprive him of it, vanity is removed from his heart.

Vanity then is to make much of a favour and rely on it, forgetting that it is a favour conferred by the Benefactor. If, besides that, one more likely thinks that he has a right with Allah Almighty, and that he expects for his deed a great reward in the hereafter, and no harm to befall him in this world, it is called anticipation of special treatment because of deed, which makes him think that he has an intimacy with Allah Almighty. Similarly, one might give a gift to another, make much of it, and remind him of his generosity: if he uses him, proposes that he should do a favor to him (in recompense for it), or expects he does not delay to fulfill his need, he then anticipates to be cherished by him. In his comment on the statement of Allah Almighty: " And give not a thing in order to have more (or consider not your deeds of Allah's obedience as a favor to Him)" (Al-Muddaththir 6)

﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ ﴾

Qatadah said: "He means anticipate no special treatment because of your deed." It is said in a certain narration: "The prayer of him who anticipates special treatment because of his deed is not raised even over his head (i.e. it is not accepted by Allah); and to laugh while confessing your sins is better than to weep while anticipating special treatment because of your deed."

To be sure, anticipation of special treatment is beyond vanity, for there is no one anticipating special treatment because of his deed but that he should be proud of it, and not vice versa, for how many a person who is swollen with pride of his deed, because of which he does not anticipate to be cherished. That is because vanity results from making much of the deed, and forgetting that it is a favor, but without expecting reward for it, whereas anticipation of special treatment always is related with expectation of reward for the deed. If one expects response to his supplication, and disapproves that it be returned, and wonders at that, he is then an anticipator of special treatment because of his deed, for he does not wonder at the return of the supplication of the dissolute wicked, and wonders at the return of his own supplication. This is vanity and anticipation of special treatment; and it is one of the commencements and causes of arrogance; and Allah knows best.

CHAPTER FOUR
EXPOSITION OF REMEDY OF VANITY

It should be known that the remedy of each disease is to counteract its cause with its opposite; and the cause of vanity is ignorance, and its remedy is to adhere to knowledge, which opposes that ignorance. Suppose that vanity is one of the acts to be done optionally, like worship, prayer, fasting, giving in charity, etc. That is because vanity of those things prevails over that of beauty, power, ancestry and wealth, as well as of anything that is beyond his option and will. Based upon that, let us say that one might be conceited by piety, worship, god-fearingness, and work, either in themselves, or as being brought about by his power. If he is conceited by any of those in itself, then it is an evident ignorant, for he has nothing to do with it. If he is conceited by it as being brought about and caused by his power and will, then, let him consider his willpower, organs, and parts of his body, asking himself about their creator: since all of them are but a grace bestowed by Allah Almighty upon him, in which he has no favor, then, it is preferable for him to be grateful to the generosity, bounty and mercy of Allah Almighty, Who conferred upon him what he deserves not with which He favored him to anyone else. If one is to be conceited, he should be conceited by the Benefactor, but to be conceited by himself is of no significance.

Suppose that there is a king who has many servants, and he favors one of them with special things apart from all the others, the beneficiary then should appreciate the generosity and bounty of the king and not his own self. But a servant might be conceited, saying that the king is just and fair, and he never brings backward or forward, nor gives precedence to anyone but due to a special privilege. Therefore, it may be said to him, that this privilege might be bestowed upon you by the king himself or by anyone else. If it is given to you by the king,

you have no right to be conceited. It is like the case in which the king gave you a horse, which you did not admire, and then he gave you a slave, whom you admired, saying: "He has given me a slave for I own a horse." But it is said that since it was he who gave you the horse, then, there is no difference whether he has given you both simultaneously or one after the other. If both are from him, you should then appreciate his bounty and generosity, and not be conceited. But if this privilege is from anyone else, it is not unlikely that you could be conceited, but this is possible in regard with the kings among men, and impossible in regard with Allah Almighty, Who alone creates, invents and gives all things to whomever He likes.

Furthermore, if you are conceited by your worship, saying: "He has helped me worship Him out of loving for Him", it is said: "Who then has inculcated that love in your heart?" of course you will say that it is He who has done so, and the answer will be: "Then, both worship and love are graces which He has bestowed upon you, in which you have no favor." In this way, you should appreciate His generosity and bounty as it is He Who has bestowed on you the favor of existence, good attributes, acts and their causes and motives. Thus, it is of no significance for a worshipper to be conceited by his worship, the learned by his knowledge, the beautiful by his beauty, the wealthy by his wealth, etc, for all of this is out of the bounty of Allah Almighty.

You may argue: "I could not ignore my deeds, and as it is I who do them, I expect reward for them; and had they not be mine, I would have expected no reward for them. If all acts and deeds are invented by Allah Almighty, by which thing should I deserve reward? If they are done by my power and will, then, why should I not expect reward for them?" In reply to that, it should be known to you that the answer to your question has two points: the one is evidently true, i.e. that you, your power, will, movement, and all things belong to you are created and invented by Allah Almighty. When you work, pray, do, throw, it is not your power in so much as it is the power of Allah Almighty (which brings about the act). This is the truth that has been disclosed to the masters of hearts. It is He Almighty Who has crated you, your organs and parts of body, and placed in them the power, will, and health, and created for you both reason and knowledge; and if you want to remove anything of that from yourself, of a surety you would not be able to do. It is He Alone Who has created the movement of your organs, without the least effort or favor from you. But He has created all of that according to a certain order in such a way that the movement requires power in the organ and will in the heart; and the will requires knowledge of what is wanted; and knowledge requires the mind, which represents its location. It is that graduation, which makes you fancy that it, is you who bring about your work by yourself; and this is a great mistake. The exposition of how you should receive a reward for a work that is created by Allah Almighty will be mentioned later in the Book of Thanksgiving.

As to the other answer, which is somewhat indulgent, it is that you think the work is done by your power and will. But even, from where have you obtained your power? The work could not be envisaged without the existence of you,

your work, power, will, in addition to all causes of your act. All of that comes from Allah Almighty with no favor from you. If the work is to be done by power, which is its key, you should know then that the key is in the Hand of Allah Almighty, and if you are not given the key, you would not be able to work. Works are treasures through which one attains happiness, and their keys are power, will, knowledge and reason, and all of those are in the Hand of Allah Almighty. Once the power is created, the decisive will is directed, the causes and motives are moved, and the impediments and obstructions are kept away from you, the work becomes so much easy upon you. To be sure, stimulating the causes and motives, keeping away the impediments and obstructions, and facilitating the means: All are done by Allah Almighty, and you have nothing to do with any of them. It is then surprising that you are conceited by yourself, and do not appreciate Him to Whom the whole matter returns, nor His bounty and generosity that He has favored you over the dissolute wicked of His servants, as He directed the causes and motives of wickedness over the dissolute, and kept them away from you, directed the friends and callers of evil over them and kept them away from you, kept away from them the causes and motives of good and directed them over you, until good has been made easy upon you and evil easy upon them. He has done all of that to you without being worthy of it, nor because of a crime on the part of the wicked disobedient. He has given you precedence, favored you and chosen you by His bounty, whereas kept the disobedient away (from His mercy), and given him to wretchedness by His justice. How amazing you are when you are conceited!

Your power then could not do an act unless the cause of that act is directed on you from which you have no way to flee, as if you are forced to do it. In all circumstances, thanks should be given to Allah Almighty and not to you. In the book of Monotheism, you will see in detail the series of associated causes in a way that shows clearly that the real actor and creator is Allah Almighty. How amazing is he whom Allah Almighty endowed with reason and poverty, when he sees that an ignorant is endowed with wealth and property, thereupon he says: "How has he prevented me my daily sustenance, although I am of good reason, and given that heedless ignorant the bliss of this world?" He sees it a kind of wrongness, without knowing that if both reason and wealth are combined to him, it will be evident injustice. The poor ignorant will say in this case: "O Lord! Why have You combined to him both reason and wealth, and deprived me of them?, why have You not combined both to me or at least bestowed one of them upon me?" To this fact Ali "Allah be pleased with him" referred when he was asked: "What is the matter with the men of reason that they are poor?" On that he said: "The reason of a man is counted of his sustenance." For surprise, the poor rational might see the ignorant wealthy better than him. But if he was asked whether he would exchange his richness and ignorance for his reason and poverty, he would reject it. This indicates that the favor of Allah upon him is greater.

The same is true of the poor beautiful woman when she is allured by the ornaments and adornments of an ugly wealthy woman, although if she was given

the freedom to choose ornaments and ugliness or beauty and poverty, she would prefer the latter, and this indicates to what extent the favor of Allah on her is great. To be sure, ignorance is the origination of all those false imaginations. It is removed by the certain knowledge that the man, his acts, attributes, power and will are created by Allah Almighty, as a favor upon him, without being worthy of that. This alone is sufficient to remove vanity and anticipation of special treatment, and brings about submission and humility, thanks and fear of the loss of the favor.

Whoever knows that well is not imagined to be conceited by his knowledge and work, since he knows for certain that all of this is from Allah Almighty. For this reason, David "peace be upon him" said: "O Lord! No night (or no hour) comes but that there is one belonging to the family of David doing an act of worship, praying, fasting, and celebrating Your Praises." On that Allah Almighty revealed to him: "O David! How do they do so without Me? Had it not been for My aid, you would have had no power to do anything. But let me entrust you to yourself." Ibn Abbas "Allah be pleased with them" said: "The great sin of David "peace be upon him" was caused by his conceit of his deed, which he attributed to himself and his family, in anticipation of special treatment because of it, until he was entrusted to his own self. He thus committed a great sin which led him to grief and regret."

On another occasion, David "peace be upon him" said: "O Lord! The children of Israel ask you by Abraham, Isaac and Jacob." He said: "I have tested them perchance they would keep patient." He said: "O Lord! As for me, if You test me too, I would keep patient." In this way, he anticipated of special treatment because of his deed. Allah Almighty said to him: "Then, I have not told them by which thing, and in which month and on which day I would test them. But now, I tell you that I am going to test you in this year of yours, in this month of yours, and on the coming day, by a woman. So, be cautious." But he fell in the sin in which he had fallen."

Similarly, when the companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" relied on their power and great number on the day of the holy battle of Hunain, and forgot the favor of Allah on them, saying: "Today we would not be defeated because of our great number" (according to the narration of Al-Baihaqi on the authority of Ar-Rabie Ibn Anas), Allah Almighty revealed: " and on the day of Hunain: behold! your great numbers elated you, but they availed you naught: the land, for all that it is wide, did constrain you, and you turned back in retreat." (At-Tawbah 25)

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

It is reported by Ibn Uyainah that Job "peace be upon him" said: "O Lord! You have tested me with that trial, although I always give preference to Your love over mine." He was called from above a cloud with ten thousand voices: "O Job! How have you done so?" he took some ashes and put it on his head and said: "It is by Your virtue O Lord! It is by Your virtue O Lord!" he thus recovered from

forgetfulness and attributed the favor to Allah Almighty.

In confirmation of that, Allah Almighty says: " and were it not for the grace and mercy of Allah on you, not one of you would ever have been pure: but Allah does purify whom He pleases: and Allah is One Who hears and knows (all things)." (An-Nur 21)

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to his companions who were the best of people: "There is none of you whose deed alone would deliver him." They asked: "And not even you O Messenger of Allah?" He said: "And not even I, unless Allah covers me with His mercy." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Abu Hurairah). After him, his companions "Allah be pleased with them" whose hearts were pure and deeds sincere, hoped to be dust, straw, birds, or anything else which would not be subject to reckoning and punishment. How should a man of deep insight be conceited by his deed or anticipate special treatment because of it, without fear for himself?

That is the remedy which removes the vanity from the heart. If that feeling prevails over the heart, the fear of being deprived of the grace of faith would occupy one from conceit because of it. He sees the disbelievers and dissolute wicked who have been deprived of the favor of faith with no crime they committed, thereupon he says: "He, who does not care to deprive with no crime and give with no worth does not care to take back what He has given." How many a believer has renegaded, and an obedient has his deed concluded with evil. Of a surety, this gives no place for vanity; and Allah knows best.

CHAPTER FIVE

EXPOSITION OF DIVISIONS OF THINGS OF VANITY AND THE REMEDY OF EACH IN DETAIL

It should be known that one might be proud of things which are rationale for pride, as we have already mentioned, or of other things which are unfitting like one's vanity of his wrong opinion, which is made alluring to him falsely, by virtue of his ignorance. In short, we could divide things of conceit into eight divisions:

The first is to be conceited by his body, in regard to beauty, health, good appearance, due proportion between its parts, good voice, i.e. the details of his features. By so doing, he turns to the beauty of his body, forgetting that it is a favor from Allah Almighty, and that it is apt to perish at any moment. its remedy is, as we have already mentioned in the remedy of beauty, to think of the dirty things and impurities which his belly contains, the things from which he was created, and the end to which he would be, and how the beautiful and soft bodies have been torn to pieces in the dust and become putrefied and decomposed, until they were disgusting.

The second is to be conceited by onslaught and might as was the case of the people of Aad, when they said as told by the Qur'an: "Who is superior to

us in strength?" What! did they not see that Allah, Who created them, was superior to them in strength? But they continued to reject Our Signs!" (Fussilat 15)

﴿ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

The same is true of Awj who was conceited by his power, thereupon he lifted a mountain in order to cover up therewith the army of Moses "peace be upon him", thereupon Allah Almighty holed that huge portion of the mountain by means of the clicking of a weak hoopoe until it affected his neck. Similarly, one might rely on his power only, as is reported from Solomon "peace be upon him" that he said: "Tonight, I would go round and have sexual relations with one hundred women", without making exception by saying "Allah willing", and the result was that he was deprived of the offspring he intended (from that approach). (This narration is reported by Al-Bukhari on the authority of Abu Hurairah). David "peace be upon him" also said, out of his conceit by his power: "If you (O Allah) put me to trial, I would keep patient." But when he was tried with the woman, he did not keep patient. The conceit by power summons one to proceed to attack in wars, put himself into destruction, and hasten to strike and kill such of people as causes harm to him. The remedy of it, as we have already mentioned, is to know that the fever of a single day might weaken his power to the extent that it takes him a very long to recover, and that if he is conceited by it, it might be deprived by Allah Almighty with the least and weakest blight.

The third is to be conceited by intelligence, shrewdness, and making sense of the subtleties of the benefits of religion and world. Its fruit is to depend on one's own opinion and give up consultation and advice, regarding as ignorant all the people who disagree with him, and give no care to the opinion of the men of knowledge. Its remedy is to give thanks to Allah Almighty for the favor of intelligence He has bestowed upon him, putting in mind that with the least disease, his brain might be affected. In this way, he could not feel safe of being deprived of his mind once he is conceited by it, and does not give thanks as it is due upon it. Let him also regard as short both his reason and knowledge, and put in mind that the knowledge he is endowed with is little whatsoever, and that his ignorance of what the people know is much more than what he himself knows, let alone what the people do not know, which belongs to the knowledge of Allah Almighty. Let him also suspect is mind and wonder how the foolish are conceited by their minds, and the people mock at them, and be cautious he might be like them unknowingly, for the man of short mind does not know that he is short of mind. Thus, one should know the real nature of his own reason and mind in comparison with the minds of people and not himself, and from his enemies and not from his friends. That is because his flatterers always praise him which increases him in shortage and deficiency of mind, given that he assumes himself nothing but good, and makes no sense of his ignorance.

The fourth is to be conceited by his noble ancestry, to the extent that such thinks he would be saved and his sins forgiven only by virtue of his ancestry,

because of which he puts in mind that all the people are no more than his servants and subjects. Its remedy is to know that if he disagrees with his fathers and grandfathers in their deeds and acts, and at the same time, joins himself to them, he would be ignorant; and that if he imitates his forefathers, it should be known to him that conceit was not a part of their conduct: On the contrary, they used to fear for themselves, despise themselves, and think themselves inferior to all the people round them. They were honoured by obedience, knowledge and good manners, and not by ancestry. So, let him get honoured by the same by which they were honoured, putting in mind that they were shared in ancestry and belonging by those who did not believe in Allah and the Last Day, and were, in the Sight of Allah Almighty, worse than dogs and pigs.

This is the significance of the statement of Allah Almighty: " O mankind! We created you from a single (pair) of a male and a female, and made you into nations and tribes, that you may know each other (not that you may despise each other). Verily the most honoured of you in the sight of Allah is (he who is) the most righteous of you. And Allah has full Knowledge and is well-acquainted (with all things)." (Al-Hujurat 13)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾

Therefore, when the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked about the most honoured and the most intelligent of people, he did not point out those who belong to his family, but rather he said: "The most honoured of them is he who remembers death most frequently among them, and is most ready to receive it among them." (This narration is reported by Ibn Majah and Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Ibn Umar.(

The occasion on which this Holy Statement was revealed is that when Bilal "Allah be pleased with him" pronounced Adhan from over the surface of the Ka'bah, Al-Harith Ibn Hisham, Suhail Ibn Amr and Khalid Ibn Usaid said: "This black slave is pronouncing Adhan from over the Ka'bah." On that Allah Almighty revealed: " Verily the most honoured of you in the sight of Allah is (he who is) the most righteous of you." (Al-Hujurat 13)

﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, Allah has removed from you the arrogance that was characteristic of the pre-Islamic days: All of you are offspring of Adam and Adam was created from dust." (This narration is reported by Abu Dawud and At-Tirmidhi on the authority of Abu Hurairah; and At-Tirmidhi alone on the authority of Ibn Umar).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "O assembly of Quraish! Let not the people come with their good deeds on the Day of Judgement, and you come with (the burden of) your world which you would carry on their shoulders, saying: "O Muhammad! O Muhammad! (Save us)", for at that moment, I would turn away from you." (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Imran Ibn Hussain). He showed to

them that if they inclined to this world, of no profit will be to them their belonging to the Quraish. It is narrated that when Allah revealed the Verse: "Warn your nearest kinsmen" (Ash-Shu'ara' 214)

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾

Allah's Apostle "Allah's blessing and peace be upon him" got up and said: "O community of Quraish (or said similar words)! Buy (Save) yourselves (from the Hell fire), as I cannot save you from Allah's Punishment. O Banu Abd Manaf! I cannot save you from Allah's Punishment. O Abbas Ibn Abd-Al-Muttalib! I cannot save you from Allah's punishment. O Safiyyah, (the Aunt of Allah's Apostle)! I cannot save you from Allah's Punishment. O Fatimah Bint Mohammad! Ask me anything from my wealth, but I cannot save you from Allah's Punishment." (This narration is reported by Al-Bukhari on the authority of Abu Hurairah; and Muslim on the authority of A'ishah). For this reason, whoever knows that his real honour is in proportion to his piety and righteousness, and that it was the habit of his fathers to humble themselves, he should imitate them in their humility and piety, otherwise, he would be a slanderer of his ancestry by his behaviour since he belongs to them and does not imitate them in their humility, piety and fear.

But you may argue that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Fatimah "Allah be pleased with her" in the same Hadith: "But indeed, I cannot protect you from Allah (if He wanted to punish you). But you have relation with me, which I would keep (and support)" (according to the narration of Muslim on the same authority), and that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said in another Hadith: "Should the tribe of Sulaim expect for my intercession and the offspring of Abd-Al-Muttalib should not?" (This narration is reported by At-Tabarani on the authority of Abdullah Ibn Ja'far). This means that he "peace be upon him" shall give his kinship a great portion of his intercession.

In reply to that, let's say that every Muslim person expects for the intercession of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". Anyone of his relatives also is more entitled to expect for it, provided that he should safeguard himself from the wrath and anger of Allah Almighty with him. But once Allah grows angry with anyone, the intercession for him will not be admitted. That is because sins are divided into those which assures displeasure and hate, for which no intercession would be admitted, and those which are ready to be forgiven by virtue of intercession. To this He Almighty refers in His statement: "and they offer no intercession except for those who are acceptable, and they stand in awe and reverence of His (glory)." (Al-Anbiya 28)

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾

And: " Who is there can intercede in His presence except as He permits?" (Al-Baqarah 255) and: "No intercession can avail in His Presence, except for those for whom He has granted permission." (Saba' 23) and: " Then will no intercession of (any) intercessors profit them." (Al-Muddaththir 48)

﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾

That there are sins for which no intercession is accepted, and others which might be forgiven by virtue of sins, requires fear and terror. Had all sins been forgiven by virtue of intercession, surely, there would have been no necessity for the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" to order the Quraish to adhere to obedience, nor to forbid Fatimah "Allah be pleased with her" from committing sins, and would rather have given her permission to follow her desires in order for her pleasure in this world to be complete, and then in the hereafter, he would intercede for her, so that her pleasure in the hereafter would be complete. To be engaged in sins and give up piety out of reliance on intercession is like the engagement of a patient in his lusts and desires depending on the skill of a clever and well-trained physician. But even, this is evident ignorance for the skill of a physician could not avail in removing all diseases. Based on that, one should not leave diet absolutely depending upon the skill of the physician, for the physician plays an important role, but it is not only his role that removes all diseases.

It is within this framework that you should understand the care of Prophets and righteous men in regard to intercession for their relatives and friends, which, by no means, could remove terror and fear entirely. How should it remove terror and fear given that the best of people after the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", in spite of their perfect piety, righteousness, pure hearts and sincere intentions and good deeds, and the promise they received from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" of being admitted to the Garden, hoped to be like animals for fear of reckoning? On the contrary, they did not rely on that, nor was fear removed entirely from their hearts. So, how should such as is not equal to them in position and precedence to faith be conceited by and rely on intercession ?

The fifth is to be conceited by belonging to wrongful rulers, governors and their helpers and assistants, apart from belonging to religion and knowledge. To be sure, this is evident ignorance. Its remedy is to think of their shame and disgrace, and how they wronged the servants of Allah Almighty, caused mischief in the land, corrupted the religion and have become hateful in the Sight of Allah Almighty. Were he to imagine their state in the fire of Hell, surely, he would disdain to belong to them; and were he to imagine their humiliation in the hereafter, with the foes hanging to their necks, and the angels seizing them by their forelocks, and dragging them prone on their faces to the fire of Hell, because of the complaints of servants against them, surely, he would declare himself free from them before Allah Almighty, and it would become dearer to him to belong to dogs and pigs than to them. It is then incumbent upon the children of wrongdoers to give thanks to Allah Almighty for protecting them from the wrongness of their relatives, and pray for forgiveness for their fathers if they are Muslims. But to be conceited by that is out of evident ignorance.

The sixth is to be conceited by the great number of children, offspring, servants, patrons, supporters, helpers, allies, etc, just like the statement of the disbelievers that they were greater in property and children, and the statement of

the Muslims on the Day of the battle of Hunain that they would not be defeated on that day because of their great number. Its remedy is the same remedy of arrogance as we have already mentioned, i.e. to think of one's weakness and powerlessness, in the sense that all the people are no more than helpless servants who could neither benefit nor harm themselves, let alone anyone else: "How oft, by Allah's will, has a small force vanquished a big one? Allah is with those who steadfastly persevere." (Al-Baqarah 249)

﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾

How should he be conceited by them given that they would inevitably leave him once he dies, and is buried alone in the grave, in a state of humiliation and disgrace, with none to be in his company? Similarly, how should he be conceited by them given that they would flee from him on the Day of Judgement, on the day a man would flee from his brother, from his mother and father, and from his consort and children? Which good lies in him who leaves you when you are in the direst need of him? How should you be conceited by him given that nothing would avail you in the grave, on the Day of Judgement, and on the bridge (over the Hell), barring your deed and the bounty of Allah Almighty? How should you rely on him who avails you naught, and forget the graces and favors of Him in Whose Hand is your benefit and harm, life and death?

The seventh is to be conceited by property and wealth, like the state of the owner of both gardens when he said to his companion in the course of argument: "More wealth have I than you, and more honour and power in (my following of) men." He went into his garden in a state (of mind) unjust to his soul: he said, "I deem not that this will ever perish, Nor do I deem that the Hour (of Judgment) will (ever) come: even if I am brought back to my Lord, I shall surely find (there) something better in exchange."" (Al-Kahf 35-36)

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ﴾

Once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saw a rich man having withdrawn himself and drew his garment from a poor man when he sat beside him. On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Have you feared that his poverty would transcend him to you?" (This narration is reported by Ahmad).

Its remedy is to think about the evil of wealth, the more rights which are due upon it, the superiority of the poor and how they would precede the rich to the Garden, how property and wealth are perishable, and that from among the Jews, there are such as have more wealth than him. Let him also consider the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "While a man was strutting in his Burdah since he was proud of himself, Allah Almighty caused him to sink down into the earth and he will be sinking deeper and deeper in it until the Day of Judgement." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Abu Hurairah). It is further narrated on the authority of Abu Dharr "Allah be pleased with him" that he said: While I was in the company of

the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" he entered the mosque and said to me: "O Abu Dharr! Raise your head!" I did and behold! There was a man putting on smart clothes." Then, he said to me once again: "Raise your head!" I did and behold! There was a man wearing shabby clothes." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to me: "O Abu Dharr! This (poor) is, in the Sight of Allah Almighty, better than as many of the other as fills the earth." (This narration is reported by Ibn Hibban in his Sahih). How should it be imagined that a believer is conceited by his property and wealth, given that the poor is more honourable in the Sight of Allah Almighty? A real faithful believer is he who always entertains the fear of indulgence in fulfilling the right that is due upon property, as regards taking it from lawful sources, and spending it properly. Whoever does not do so is doomed to disgrace and perdition. So, how should he be conceited by his property?

The eighth is to be conceited by wrong opinion. Allah Almighty says: " Is he, then, to whom the evil of his conduct is made alluring, so that he looks upon it as good, (equal to one who is rightly guided)?" (Fatir 8)

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾

And: "Those whose efforts have been wasted in this life. While they thought that they were acquiring good by their works?" (Al-Kahf 104)

﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" told that this conduct would be prevalent among the later generations of this nation (according to the narration of Abu Dawud and At-Tirmidhi on the authority of Abu Tha'labah). It is with this that the previous nations were ruined, as they were divided into many divisions, with each conceited by and inclined to their opinions and fancies. All men of religious innovations and heresies insisted on theirs because of their conceit by their opinions, thinking them to be right.

But the remedy of that is more difficult than the remedy of anything else, for the man of wrong opinion is ignorant of his mistake, and were he to know it, surely, he might leave it. The unknown disease could hardly be treated. Since ignorance is an unknown disease, its remedy is difficult. A learned could show to the ignorant his ignorance and remove it from him, unless he is obstinately persistent. So, how should it be treated? Moreover, how should he be asked to flee from that which he thinks to be a cause of his happiness? But anyway, its remedy is to doubt his own opinion, and not to be deceived by it, unless it is supported by proven evidence. One could not be acquainted with the Sharia-based and mental proofs and evidences without sharp intellect, shrewd intelligence, earnest endeavor and experience in the Book and sunnah, sitting with the learned and scholars, and studying knowledge. But in spite of all of that, he could not be entirely safe from mistakes and errors in many respects.

The right for him who is not acquainted with religious sciences is not to delve into the different doctrines without knowledge: but rather to have faith in the fact that Allah Almighty is One Who has no partner, and that there is nothing like

Him, and He is All-Hearing, All-Seeing, and that His Messenger "peace be upon him" is truthful in all that he brought and said. Let him also follow the tradition of the righteous predecessors, and believe in what is brought in the Book of Allah and Prophetic sunnah, without investigation nor inspection. Let him also engage in piety, avoiding sins, and doing acts of worship, and show mercy to all the Muslims. If he delves into the different doctrines and innovations without enough protective knowledge, he would be ruined unknowingly.

This is the duty of him whose engagement is not the religious sciences. But as for him whose occupation is the religious knowledge, first of all, it is incumbent upon him to know the right way of acquiring supportive proof and evidence, according to the right terms. But this is very difficult except on those strong supported by the Light of Allah Almighty. We ask Allah Almighty to protect us from error, and seek refuge with Him from being deceived by the fancies of the ignorant.

End of the Book of Condemnation of Arrogance and Vanity; and praise be to Allah Alone; and Allah suffices us for the best disposer of affairs; and there is neither might nor power but with Allah, Most High, Most Great; and Allah's blessing and peace be upon the Prophet, his family and companions.

Book ten: Condemnation of conceit

It is the tenth book of the quarter of destructives

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

Praise be to Allah in Whose hand are the keys of all matters, and with Whose Power He moves the keys of good and evil things, Who takes His allies and devotees out of darkness to light, and brings His enemies to the afflictions of haughtiness. Allah's blessing and peace, as much as it could be along time and space, be upon Muhammad, who rescued the people from darkness, his family and companions, whom the life of this world did not deceive, nor did the deceiver deceive them about Allah Almighty.

Coming to the point: the key of happiness is alertness and shrewdness, whereas the spring of wretchedness is haughtiness and heedlessness. There is no favor bestowed by Allah Almighty upon His servant much greater than the favor of faith (in Him) and knowledge (about His attributes and acts), and there is no way to attain it unless the breast is expanded by the light of insight. On the contrary, there is no disfavor much severe than that of disbelief and disobedience, and nothing summons them other than the blindness of the heart because of the darkness of ignorance. The intelligent and those endued with deep insight have their hearts "as if there were a Niche and within it a Lamp: the Lamp enclosed in Glass; the glass as it were a brilliant star: lit from a blessed Tree, an Olive, neither of the East nor of the West, whose Oil is well-nigh luminous, though fire scarce touched it: Light upon Light!" (An-Nur 35)

﴿ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ
زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴿٣٥﴾ ﴾

But the deceived have their hearts " like the depths of darkness in a vast deep ocean, overwhelmed with billow topped by billow, topped by (dark) clouds: depths of darkness, one above another: if a man stretches out his hand, he can hardly see it! For any to whom Allah gives not light, there is no light!" (An-Nur 40)

﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ
أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾

The intelligent are those whom Allah Almighty intended to guide thereupon He expanded their breasts to faith and Islam, whereas the conceited are those whom Allah intended to leave to stray, thereupon He made their breasts close and constricted as if they had to climb up to the skies: thus does Allah (heap) the penalty on those who refuse to believe. The deceived is he whose breasts has not opened to be guided to the right path, and rather he remains in the darkness of blindness, and takes fancy as leader and Satan as guide "and whoever remains

blind in this (life of world) will remain blind in the hereafter, and more astray from the path." (Al-Isra' 72)

﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾

Since conceit is the spring of wretchedness and destruction, then, its causes, means and ways should be explained in detail, in order for the novice to safeguard himself from it. To be sure, the helped among the servants is he who knows the evils of things in order to remedy them. In the following pages, we are going to explain the different ways of haughtiness, and the sorts of haughty among the people who are deceived by the delights and splendor of this life, whose outward is good and inward is evil, of which they are heedless. As many as the sorts of deceived might be, they could be included under four main categories: the first are from the scholars; the second are from the servants; the third are from the Sufis; and the fourth are from the owners of property and wealth.

Each sort has many sects, and there are many ways of haughtiness. Some of them renders good the evildoing, like him who takes the mosque and adorns it from unlawful wealth. Some of them do not distinguish that in which they endeavor for their own selves from that in which they endeavor for the Sake of Allah Almighty, like the preacher whose purpose is only to attain acceptability and majesty among the people. Some of them leave the most important of matters and engage in what is not necessary. Some of them leave the obligatory duty and engage in the supererogatory deed. Let's begin with exposition of the conceit of the learned and scholars, but after exposition of the condemnation of conceit.

CHAPTER ONE
EXPOSITION OF CONDEMNATION, REAL NATURE AND EXAMPLES OF CONCEIT

Allah Almighty says: " let not then this present life deceive you, nor let the Chief Deceiver deceive you about Allah." (Luqman 33)

﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾

And: " but you led yourselves into temptation; you looked forward (to our ruin); you doubted (Allah's Promise); and (your false) desires deceived you; until there issued the Command of Allah. And the Deceiver deceived you in respect of Allah." (Al-Hadid 14)

﴿ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾

It should be known to you that those alone are sufficient for condemnation of conceit.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "How good is the sleep and breakfast of the intelligent, and being deprived of the insomnia and effort of the foolish, and an atom's weight of deed to be done by one endued with certainty of faith is better than as much deeds as fills the earth of the deeds to be done by the deceived." (This narration is reported by Ibn Abu

Ad-Dunya on the authority of Abu Ad-Darda'). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The intelligent is he who mortifies himself and works for (the hereafter) after death, whereas the foolish is he who follows his own inclinations and desires, and wishes good from Allah Almighty." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Shaddad Ibn Aws).

In brief, all that is transmitted in commendation of knowledge and condemnation of ignorance refer to the condemnation of conceit, for conceit is an outcome of ignorance. The ignorance is to believe that a particular thing is in opposition to its reality, and the conceit results from that. But conceit summons a deceiver and a deceived. If the thing in which one believes agrees with his own inclinations, and the cause of ignorance is a suspicious and corrupt fancy thought to be an indication and it is not really so, the resulting ignorance is called conceit. Conceit then is to have oneself comforted with what agrees with the inclination and disposition, by way of deception caused by Satan. Whoever thinks that he is good, whether in this world or in the hereafter, as a result of a false suspicion, is conceited. Since most people think they are good, and they are not really so, this requires that most people are conceited. But they are different in the ways and degrees of conceit in the sense that the conceit of some is more apparent than that of others. The most severe conceit is that of the disbelievers and sinners. So, let's present for them examples of the real nature of conceit.

The First Example: The Conceit Of The Disbelievers

Some of them are deceived by the life of this world, and others by the chief deceiver about Allah Almighty. As for those who are deceived by the life of this world, they say that cash is better and more secure than delay of payment, and since world represents the cash and the hereafter the delay of payment, then, this world is better than the hereafter, and it should be given preference. They also say that certainty is better than uncertainty, and since the pleasures of this world are certain, and those of the hereafter uncertain, they are not to sacrifice the certain for the uncertain. Those are corrupt analogies like that made by Iblis when he said: "I am better than he (Adam), for You have created me from fire, and created him from clay." To those Allah Almighty refers in His statement: " These are the people who buy the life of this world at the price of the Hereafter: their penalty shall not be lightened nor shall they be helped." (Al-Baqarah 86)

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾

The remedy of that conceit might be either by giving trust by mere faith, or by evident proof. To give trust depending upon more faith is to trust Allah Almighty in His statements: " What is with you must vanish: What is with Allah will endure. And We will certainly bestow, on those who patiently persevere, their reward according to the best of their actions." (An-Nahl 96)

﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

And: " Whatever you are given (here) is (but) a convenience of this Life: but

that which is with Allah is better and more lasting: (it is) for those who believe and put their trust in their Lord." (Ash-Shura 36)

﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

And: "And verily the Hereafter will be better for you than the present." (Ad-Duha 4)

﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾

And: "Know you (all), that the life of this world is but play and amusement,." (Al-Hadid 20)

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾

And: "Verily, the promise of Allah is true: let not then this present life deceive you, nor let the Chief Deceiver deceive you about Allah." (Luqman 33)

﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" told many previously disbelievers about that, thereupon they gave trust to him, believed in what he brought to them, and did not ask him to provide them with any supportive proof for that (according to many narrations in the Sunan). A mention might be made here of the Ansar's conversion to Islam and giving the pledge of allegiance to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and the belief of others depending only upon their asking him: "We beseech you by Allah to tell us: has Allah sent you as a Messenger?" once he answered in the affirmative, they would soon believe in him. This is the laymen's faith which keeps one away from conceit. This is like the child's trust in his father when he tells him that to attend the school is better than to go to play, given that he himself does not know the point of goodness.

The knowledge depending upon proof and evidence is that he knows the corruption of such analogy as devised by Satan and placed in his heart. Indeed, there is a reason for every kind of conceit, and this reason depends upon a sort of analogy with which one gets comforted unknowingly, without being able to put it in the same words of scholars. Indeed, there are two foundations for every analogy devised by Satan: the first is that this world represents the cash whereas the hereafter the delay of payment; and this is true. The other is the claim that the cash is better than the delay of payment; and this is dissembling, for the fact is not so. If the cash is equal to what is to be paid later in size and amount, it will be better, and if it is lesser, then, the latter is better.

The deceived disbeliever gives a single Dirham in trade in order to gain thereby ten on credit, without saying that the cash is better than the delay of payment in order to leave it. If he is warned by a physician of getting the fruits and delicious kinds of food he would leave that immediately for fear of the pain of disease in the future. In this way, he sacrifices the cash for the delay of payment. Almost all the traders travel aboard the sea and exert much effort by way of cash in order to get rest and gain profit on credit. To be sure, ten to be paid on credit are better than one to be paid immediately. If you measure the

duration of this world to that of the hereafter, the lifetime of anyone is no more than one hundred years at maximum, and this is less than one of billions of parts of the hereafter. By leaving it, he seems to have sacrificed a single one for the sake of what is infinite and never-ending. As far as the kind is concerned, the pleasures of this world are contaminated by embitterment and disturbance, in contrast with the pure uncontaminated pleasures of the hereafter. This is then why the statement that the cash is better than the delay of payment is mistaking. This conceit originates from the acceptance of a famous general phrase which is intended to refer to a particular meaning; and the deceived one forgets that particular meaning for which it is intended. The phrase that 'The cash is better than the delay of payment' is intended to refer to the cash which is equal in size and amount to that to be paid later.

At that point, Satan hastens to rouse the other false analogy, i.e. that the certain is better and more secure than the uncertain, and since the world is certain and the hereafter uncertain, then, the world is better. This analogy is more corrupt than the first, for both its foundations are false. The certain is better than the uncertain if both are equal, otherwise, the trader is certain of his effort and uncertain of the profits he is to gain; the jurisprudent is certain of his diligence, and uncertain of attaining the degree of knowledge; the hunter is certain of hesitation and uncertain of catching his game, etc. but at the same time, the trader argues that if he does not practice traffic, he will remain hungry and receive much harm, whereas if he practices traffic, he will exert little effort in order to gain much profit. The same is true of a patient who drinks the bitter sore bothersome medicine of which he is certain while he is uncertain of cure. But he argues that the harm caused by the bitter medicine is little in comparison with the expected ailment and death.

Similarly, if one doubts in the hereafter, it is incumbent upon him to say: "No doubt, the days of patience and endurance are very little, since they are no more than the duration of the lifetime, in comparison with what is said about the hereafter. If what is said about it is false, then, I shall miss only the pleasure and delights of those few days before which I was nonexistent and after which I would return to nonexistence. But if what is said is true, then, I shall have no power to abide in the fire of Hell."

The other foundation of the analogy is that the hereafter is uncertain; and that is false, for the hereafter is certain in the sight of the faithful believers. In this respect, two perceptibles bring about the knowledge of the hereafter for the believer:

The believer has faith in and gives trust to the hereafter in imitation of the Prophets "peace be upon them" and religious scholars. This is the faith of the laymen and most private among the people, since with which conceit is removed. His parable is like a patient who does not know the medicine of his ailment. But there is consensus among all physicians and those skilled in the profession of medicine that such and such plant is the proper treatment. He then gives trust to their saying, without asking them for any supportive medical proof: On the contrary, he becomes confident of and acts upon their statement; and were he to

depend on his own mind and opinion which is in opposition to theirs, he would be deceived and conceited.

The same is true of such as considers those who acknowledge the hereafter, and claim that piety is the beneficial medicine to have access to the abiding happiness. Those are the most honoured, the highest and the best in mind, insight and knowledge among the creatures of Allah Almighty. They comprise the Prophets, the devotees of Allah, the religious scholars, and the wise, whom the people have followed in their varieties. But those who have deviated are individuals that inclined to their desires and lusts, and regarded it difficult upon themselves to give up their desires, and to acknowledge that they will be from among the denizens of the fire of Hell. The result was that they denied the hereafter and gave lie to the Prophets. As well as the saying of a child could not remove the self-assurance with what has been agreed upon among the physicians, similarly, the saying of that rich who is spellbound by his own desires and lusts could not contradict the statements of the Prophets, the devotees of Allah Almighty and the religious scholars. This amount of faith is sufficient for the laymen. It is a decisive certainty which stimulates one to work for the hereafter, and with which conceit might be removed.

The other perceptible for the knowledge of the hereafter comes from the Divine revelation sent upon the Prophets and Messengers, and inspiration given to the devotees and allies of Allah Almighty. Do not think that the knowledge given to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" of the hereafter, and of all the religious and worldly matters was obtained only from his imitation of and listening to Gabriel "peace be upon him" in the same way as you might imitate him with the result that your knowledge would be like his. How far! There is a big difference. That is, the mere imitation is not a knowledge in so much as it is a right belief. But the Prophets "peace be upon them" are knowledgeable, in the sense that the things were disclosed to them as they really were in nature, which they saw with their internal insight as clear as you see the visible things with the external sight. In this way, they told about things they really saw and not only listened about.

It is that the matter of spirit, for example, was disclosed to them to be by the command of Allah Almighty. But the command here is not that which counteracts forbiddance, for this command is given by speech, and the spirit is not speech. It is also not intended to refer to the state, for this means that it is among the things created by Allah Almighty. Indeed, there are two worlds: the world of the command and the world of creation; and to Allah Almighty do belong the command and creation. The concrete bodies which have a particular quantity and size belong to the world of creation, and every existent that is deemed far beyond quantity and size belongs to the world of the command. This item of knowledge belongs to the mystery of the spirit; and whoever knows the mystery of spirit has indeed known himself, and whoever knows himself has indeed known Allah Almighty.

Once he knows himself and his Lord Almighty, he has known that he is no more than a Divine command, by nature, and that he is a strange in the world of

bodies, to which he did not descend by nature and disposition in so much as by an accident which occurred to Adam "peace be upon him" in the form of a sin he had committed, which caused him to descent from the Garden which is more fitting for him according to the requirements of his nature and disposition. That is because it is in the neighbourhood of the Lord Almighty, and as he is a Divine command, he should have, by nature and disposition, longing for the neighbourhood of his Lord Almighty, unless he is diverted from the requirements of his nature by the accidents of this world which is strange to him, causing him to forget his Lord and his own self. Once he does so, he has indeed wronged himself, for it was said to him: " And be you not like those who forgot Allah, and He made them forget their own souls! Such are the rebellious transgressors!" (Al-Hashr 19)

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

Although the Gnostics get pleasure from listening to those things, those who are short of mind and intelligence disgust from them, for the harm they cause to them is more than their benefit, and they dazzle their weak eyes in the same way as the light of sun dazzles the eyes of bats. The openness of that door from the heart to the dominion of the invisible is called mysticism "Ma'rifah" and alliance "Wilayah", and the one endued with such is called a Gnostic and a Wali. This is the first station of Prophets, and the last station of Awliya'.

The main point is that the conceit made by Satan about the uncertainty of the hereafter might be removed either by traditional trust and faith or by an internal insight and witness (by way of inspiration and revelation). If the believers by their tongue and faith waste the commands of Allah Almighty, and abandon the righteous acts of worship, and rather put on desires and sins, they will join the disbelievers in that conceit, for by so doing, they give preference to this world over the hereafter, with the difference that their punishment they shall receive is less for their faith in general protects them from the abiding torment. They will come out of the fire some time later. But at the same time, they are among the conceited, for they, though implicitly, acknowledge that the world is better than the hereafter. Their faith alone is not sufficient to make them attain felicity since they incline to this world and prefer it.

Allah Almighty says in this respect: "But, without doubt, I am (also) He that forgives again and again, to those who repent, believe, and do right, who, in fine, are ready to receive true guidance."" (Ta Ha 82)

﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾

And: "for the Mercy of Allah is (always) near to those who do good." (Al-A'raf 56)

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "To do good is to worship Allah as if you see Him." (This narration is reported by both sheikhs on the authority of Ibn Umar). Allah Almighty further says: " By (the Token of) Time (through the Ages), Verily Man is in loss, Except such as

have Faith, and do righteous deeds, and (join together) in the mutual teaching of Truth, and of Patience and Constancy." (Al-Asr 1-3)

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝ ﴾

Throughout the entire Book of Allah Almighty, the promise of forgiveness is suspended on both faith and righteous deed, and not on faith alone. Thus, those also are deceived, who are comforted and pleased with this world, enjoy of its delights and luxuries, like it so much, and dislike death for fear of their loss of the pleasures and delights of this world. This is an example of the disbelievers' conceit by this world. Let's present two further examples for the conceit of disbelievers and sinners about Allah Almighty.

The first is about the disbelievers' conceit about Allah Almighty, and its example is like their saying in themselves: "If there is an appointment with Allah Almighty, of a surety, we are more entitled to it than anyone else, in which we will be the happiest and our portion will be the greatest. Allah Almighty says in description of their state on the tongue of the wealthy man who said to his companion in the course of mutual argument: "Nor do I deem that the Hour (of Judgment) will (ever) come: even if I am brought back to my Lord, I shall surely find (there) something better in exchange." (Al-Kahf 36)

﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ۝ ﴾

It is said, in comment on it, that the wealthy built a palace at cost of one thousand Dinars, bought a garden for one thousand Dinars, and servants for one thousand Dinars, and married a woman with a dower of one thousand Dinars. His companion said to him: "Is it not better for you if you exchanged that perishable palace in this world for another in Paradise which would never perish, this perishable garden for a garden which would never perish, those servants for others who would abide forever, and this woman for one of the houris who would never die?" every time, the disbeliever gave the same reply: "What is said about the hereafter is nonsense, and in case it is true, I shall have the greatest portion there."

The same is true of Al-As Ibn Wa'il when he said: "I shall certainly be given wealth and children." Allah Almighty said in reply to that: "Has he penetrated to the Unseen, or has he taken a contract with (Allah) Most Gracious? Nay! We shall record what he says, and We shall add and add to his punishment. To Us shall return all that he talks of, and he shall appear before Us bare and alone." (Maryam 77-80)

﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ۝ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۝ ﴾

In this connection, it is narrated on the authority of Khabbab Ibn Al-Aratt "Allah be pleased with him" that he said: Al-As Ibn Wa'il was owing me some money and when I went to take it back he rejected. I said to him: "Then, I shall take it back from you in the hereafter." On that he said: "Then, when you come

to the hereafter, I shall have much wealth and children, and at that time, I shall fulfill you your debt." On that occasion, Allah Almighty revealed: " Have you then seen the (sort of) man who rejects Our Signs, yet says: "I shall certainly be given wealth and children." Has he penetrated to the Unseen, or has he taken a contract with (Allah) Most Gracious? Nay! We shall record what he says, and We shall add and add to his punishment. To Us shall return all that he talks of, and he shall appear before Us bare and alone." (Maryam 77-80)

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ ﴾

(This narration is reported by both Al-Bukhari and Muslim).

On a similar occasion, Allah Almighty says: " When We give him a taste of some Mercy from Ourselves, after some adversity has touched him, he is sure to say, "This is due to my (merit): I think not that the Hour (of Judgment) will (ever) be established; but if I am brought back to my Lord, I have (much) good (stored) in His sight!" but We will show the Unbelievers the truth of all that they did, and We shall give them the taste of a severe Penalty." (Fussilat 50)

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ ﴾

All of this belongs to the conceit about Allah Almighty, depending upon one of the analogies devised by Iblis, we seek refuge with Allah from it. They regard the favor of Allah upon them in this world, and measure the favor of the hereafter upon it, and the delay of punishment in this world and measure the punishment of the hereafter upon it. This is confirmed by the statement of Allah Almighty: " and they say to themselves, "Why does not Allah punish us for our words?" Enough for them is Hell: in it will they burn, and evil is that destination!" (Al-Mujadilah 8)

﴿ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ ﴾

Sometimes, they regard the faithful believers in their state of poverty and destitution, thereupon they despise them saying: "Is it these then that Allah has favoured from amongst us?" Does not Allah know best those who are grateful?" (Al-An'am 53)

﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

And: "If (this Message) were a good thing, (such men) would not have gone to it first, before us!" and seeing that they guide not themselves thereby, they will say, "This is an (old), old falsehood!" (Al-Ahqaf 11)

﴿ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾

The analogy they make goes as follows: "Allah has done good to us with the bliss of this world; and every doer of good loves whomever he does good to, and every lover shall do good in the future to whomever he loves." The point of dissembling is that such a man thinks that the bestowal of pleasures and delights

upon him in this world is out of doing good to him. This is conceit about Allah for he thinks that he is honoured in His sight, depending upon a proof that indicates not to honour in so much as to humility in the sight of those endued with deep intelligence. That is because the pleasures and delights of this world are but destructives, which remove one far from the mercy of Allah Almighty. "Allah Almighty protects His devotees from the evils of this world, out of His love for them, in the same way as anyone of you protects his patient from food and drink out of love and sympathy for him." (This narration is reported by both At-Tirmidhi and Al-Hakim on the authority of Qatadah Ibn An-Nu'man). This statement is transmitted from the master of mankind, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him".

It was the habit of the masters of insight to grieve and say whenever the world turned to them with its pleasures and delights: "This is a sin whose punishment has been hastened on for us in this world" seeing it a sign of Allah's displeasure with and carelessness for them; and whenever the poverty turned to them, they would say: "Welcome to the motto of the righteous!" on the opposite side is the deceived who, if the world turns to him with its pleasures, thinks it is due to his honour in the Sight of Allah; and whenever it is turned away from him, he thinks this is due to his humiliation. This is confirmed by Allah's statement: " Now, as for man, when his Lord tries him, giving him honour and gifts, then says he, (puffed up), "My Lord has honoured me." But when he tries him, restricting his subsistence for him, then says he (in despair), "My Lord has humiliated me!" Nay, nay!" (Al-Fajr 14-17)

﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ ﴾

Nay! This is out of conceit. Al-Hassan said in his comment on that: "He Almighty gave lie to them by saying 'Nay', i.e. "This is not the way of My honouring or humiliating, but the honoured is him whom I honour with My obedience, be he rich or poor, and the humiliated is he whom I humiliate with My disobedience, be he rich or poor."

The remedy of that is to know first of all the portents of honour and humiliation, either by insight or by imitation. As for the way of insight, it is to know that the closer one comes to the desires and lusts of this world, the farther he turns from Allah Almighty, and the farther he turns from the desires and lusts of this world, the closer he comes to Allah Almighty. This is perceived by way of inspiration; and exposition of it belongs to the science of Disclosure (Mukashafah), which is not relevant to the science of practical religion. As for the way of imitation and trust, it is to have faith in the Book of Allah Almighty, and give trust to His Messenger "peace be upon him". Allah Almighty says in this connection: " Do they think that because We have granted them abundance of wealth and sons, We would hasten them on in every good? Nay, they do not understand." (Al-Mu'minun 55-56)

﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

And: "by degrees shall We punish them from directions they perceive not." (Al-Qalam 44)

﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

And: "But when they forgot the warning they had received, We opened to them the gates of all (good) things, until, in the midst of their enjoyment of Our gifts, on a sudden, We called them to account, when lo! they were plunged in despair!" (Al-An'am 44)

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا بِمَآ أُوتُوٓا أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾

In comment on the statement of Allah: "by degrees shall We punish them from directions they perceive not" (Al-Qalam 44)

﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

It is said that whenever they commit a sin, We give them a new favor in order to increase in conceit. In confirmation of that, He Almighty says: " Let not the Unbelievers think that our respite to them is good for themselves: We grant them respite that they may grow in their iniquity: but they will have a shameful punishment." (Al Imran 178)

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾

And: "Think not that Allah does not heed the deeds of those who do wrong. He but gives them respite against a Day when the eyes will fixedly stare in horror." (Ibrahim 42)

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾

Whoever has faith in Allah Almighty gets rid of that conceit, which stems from people's ignorance of Allah, His acts and attributes. Whoever knows Him well does not feel entirely safe from His plan, nor is he conceited by those false fancies. That is because he regards the kings of the earth like Pharaoh, Haman, Numrudh, etc: How Allah Almighty did good to them in the beginning, and in the end He destroyed them entirely, as confirmed by His statement: " But how many (countless) generations before them have We destroyed? Can you find a single one of them (now) or hear (so much as) a whisper of them?" (Maryam 98)

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴾

Of His planning and seizing by degrees, Allah Almighty warns saying: " Did they then feel secure against the Plan of Allah? But no one can feel secure from the Plan of Allah, except those (doomed) to ruin!" (Al-A'raf 99)

﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾

And: "They plotted and planned, but We too planned, even while they perceived it not." (An-Naml 50)

﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

And: "They plot and plan, and Allah too plans, but the best of planners is Allah." (Al-Anfal 30)

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾

And: "As for them, they are but plotting a scheme, And I am planning a scheme. Therefore grant a delay to the Unbelievers: give respite to them gently (for a while)." (At-Tariq 15-17)

﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ۝ ﴾

Whoever then feels secure against the plan of Allah Almighty is conceited, and it originates from taking as evidence for his honour the pleasures and delights of this world, although this might probably be a sign of humiliation. But this probability does not agree with one's inclinations and desires. Satan, by virtue of fancy, causes the heart to agree with him, i.e. to give trust to its being an evidence for honour. This is the definition of conceit.

The Second Example: The Conceit Of The Disobedient Among The Believers

That is by their saying that "Allah is generous, and we expect for His forgiveness", upon which they rely, causing them to neglect deeds. This kind of conceit and deception is made alluring to them by calling it expectation and hope, assuming it to be a station of praise in religion, saying that "the favor of Allah is extensive, His mercy is all-embracing, His generosity is wide-ranging: so where are the sins of the servants in the midst of the oceans of His mercy? and as we are believing monotheists, we expect His forgiveness by means of faith." Perhaps they depend in their expectation on adherence to the righteousness and high rank of their forefathers. A mention may be made of the offspring of Ali "Allah be pleased with him" who are conceited by their belonging (to Ali), although they disagree with the conduct of their forefathers of piety, righteousness and fear of Allah, assuming themselves to be more honoured in the Sight of Allah Almighty than their forefathers, who, given their piety and righteousness, were in horror, while they, given their dissoluteness and wickedness, are in safety and peace. That is the utmost degree of conceit about Allah Almighty. The analogy devised by Satan to Ali's offspring is that "whoever loves a man should love his offspring, and since Allah Almighty loved your fathers, He should love you too, in such a way that makes you not in need of obedience."

But that conceited forgets that when Noah "peace be upon him" wanted to take his son in his company in the ark, Allah Almighty rejected (for he was a disbeliever), thereupon he was among those overwhelmed in flood. He said: "O my Lord! Surely my son is of my family! and Your promise is true, and You are the Justest of Judges!" He said: "O Noah! he is not of your family: for his conduct is unrighteous. So ask not of Me that of which you have no knowledge! I give you counsel, lest you act like the ignorant!" Noah said: "O my Lord! I do seek refuge with You, lest I ask You for that of which I have no knowledge. And

unless You forgive me, and have Mercy on me, I should indeed be lost!" (Hud 45-47)

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾
قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ
أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى
وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

He also forgets that when Abraham "peace be upon him" prayed for forgiveness for his father, it was of no profit to him. When our Prophet Muhammad "peace be upon him" sought the permission of his Lord to visit the grave of his mother and pray for forgiveness for her, He gave him permission to visit her grave, but not to pray for forgiveness for her, thereupon he sat weeping on her grave, for his sympathy for her due to the tie of kinship to the extent that he caused those round him to weep too. (This narration is reported by Muslim on the authority of Abu Hurairah).

This is conceit about Allah Almighty, for Allah Almighty loves the obedient and dislikes the disobedient. As well as He Almighty does not dislike the obedient father because of His dislike for the disobedient son, He also does not like the disobedient son because of His love for the obedient father. Were love to be inherited from fathers to sons, the same should be true of dislike. But the right is that no bearer of a sin would bear the sin of another. Whoever assumes he would be delivered and saved just by virtue of the piety and righteousness of his father is like him who assumes he would be satiated by virtue of eating and quenched by virtue of drinking of his father. To be sure, piety is a duty which is obligatory upon everyone and no father could suffice his son in aught. On the Day of Judgement, every one will flee from his brother, his mother and father and seek the reward of his own piety and righteousness, unless Allah Almighty permits intercession for whomever He pleases as we have already mentioned in the Book of Arrogance and Vanity.

But you may argue: "Where is the error of the statement of the disobedient and wicked that "Allah Almighty is generous and oft-forgiving, and we expect His forgiveness and mercy", given that He Almighty says about Himself: "I am to fulfill the assumption of My servant about me. So, let him have but good assumption of Me." In reply to that, let's say that this statement seems apparently accepted in the hearts. But at the same time, it should be known to you that Satan always seduces man with words to be outwardly accepted and inwardly rejected; and were it not for its good appearance, surely, the hearts would not have been deceived by it. But our Prophet "peace be upon him" disclosed this fact when he said: "The intelligent is he who mortifies himself and works for (the hereafter) after death, whereas the foolish is he who follows his own inclinations and desires, and wishes good from Allah Almighty." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Shaddad Ibn Aws).

That is the wish from Allah Almighty which Satan, by way of deception, calls it hope. But Allah Almighty shows the meaning of hope when He says: "Those

who believed and those who suffered exile and fought (and strove and struggled) in the path of Allah, they have the hope of the Mercy of Allah: and Allah is Oft-Forgiving, Most Merciful." (Al-Baqarah 218)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾

This means that hope is fitting for them for the reward of the hereafter will be in recompense for the deed they do in this world, as shown from His statement: "Now no person knows what delights of the eye are kept hidden (in reserve) for them, as a reward for their (good) Deeds." (As-Sajdah 17)

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

And: "and only on the Day of Judgment shall you be paid your full recompense." (Al Imran 185)

﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾

It was said to Al-Hassan: "Some people say that they hope for good from Allah, and at the same time, they waste the deed." On that he said: "How far! How far! Those are their own desires, for whoever has a hope for something should seek after it, and whoever fears of something should flee from it." Muslim Ibn Yassar said: "Yesterday, I kept prostrating (to Allah in prayer) until my two front teeth fell down." A man said to him: "We hope for the mercy and forgiveness of Allah." On that he said to him: "How far! How far! Whoever has a hope for something should seek after it, and whoever as a fear of something should flee from it." As well as anyone is mad if he has a hope for a child and he has not got married yet, and in case he gets married he has not had sexual relation with his wife yet, and in case he does, he has not ejaculated sperm into her vagina yet, similarly, he is conceited who has a hope for the mercy of Allah Almighty, given that he has not believed yet, or even if he believes, he has not worked righteous deeds yet, or even if he works good, he has not given up sins yet. On the contrary, as well as one is intelligent when he marries, has sexual relation with his wife, and ejaculates sperm into her vagina, and at the same time, remains hesitant between fear and hope for the bounty of Allah Almighty, to create the child and avert diseases from the womb until the child becomes full, similarly, one is intelligent if he believes, works righteousness and gives up sins, and, at the same time, remains hesitant between fear and hope: fear lest his deed would not be accepted from him, and hope for Allah to set him firm with the constant words, safeguard his religion from the thunderbolts of death agonies until he dies on monotheism, and keep his heart from inclination to desires and lusts.

Any other than those are conceited about Allah Almighty: " Soon will they know, when they see the Penalty, who it is that is most misled in Path!" (Al-Furqan 42)

﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾

"And you shall certainly know the truth of it (all) after a while." (Sad 88)

﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾ ﴾

At that time, they will say, as told by Allah Almighty: "Our Lord! we have seen and we have heard: now then send us back (to the world): we will work righteousness: for we do indeed (now) believe." (As-Sajdah 12)

﴿ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾

I.e. we have indeed come to know that you are true in all things You have told us about, and " That man can have nothing but what he strives for; and That (the fruit of) his striving will soon come in sight." (An-Najm 39-40)

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾

"every time a Group is cast therein, its Keepers will ask, "Did no Warner come to you?" They will say: "Yes indeed; a Warner did come to us, but we rejected him and said, 'Allah never sent down any (Message): you are in nothing but an egregious delusion!"" (Al-Mulk 8-9)

﴿ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝ ﴾

It will be said to them: Since "Then shall every soul be paid what it earned, and none shall be dealt with unjustly" (Al-Baqarah 281)

﴿ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ ﴾

And "Every soul will be (held) in pledge for its deeds"(Al-Muddaththir 38)

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝ ﴾

What has conceited you about Allah Almighty after you had heard and understood? they will reply: "Had we but listened or used our intelligence, we should not (now) be among the Companions of the Blazing Fire!" They will then confess their sins: but far will be (Forgiveness) from the Companions of the Blazing Fire!" (Al-Mulk 10-11)

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝ ﴾

1- You may ask: "Then, when should hope be praiseworthy?" in reply to that, let's say that hope is praiseworthy in two points: The first pertains to the disobedient who is engaged in sin, when the idea of repentance occurs to his mind, thereupon Satan says to him: "How should your repentance be accepted from you?" by so doing, he causes him to despair of the mercy of Allah Almighty. At that point, he has to curb despair by hope, and remember that Allah Almighty forgives all sins and that He is generous and turns in repentance to His servants, and that repentance is an act of worship which plots out sins. Allah Almighty says: " Say: "O my Servants who have transgressed against their souls! despair not of the Mercy of Allah: for Allah forgives all sins: for He is Oft-Forgiving, Most Merciful.

"Turn you to your Lord (in repentance) and bow to His (Will), before the Penalty comes on you: after that you shall not be helped." (Az-Zumar 53-54)

وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾

And: "But, without doubt, I am (also) He that forgives again and again, to those who repent, believe, and do right, who, in fine, are ready to receive true guidance." (Ta Ha 82)

وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾

If one then expects forgiveness with repentance, he will be a hoper (of Allah's mercy);and if he expects it without repentance, but rather with insistence on sin, he will be conceited.

The other point is that one weakens to do the supererogatory good deeds, and limits himself to the obligatory deeds, and, expecting the bliss of Allah Almighty, and His promise of good to the righteous believers, he is stimulated to do the supererogatory good deeds, and remember the statement of Allah Almighty: " The Believers must (eventually) win through, Those who humble themselves in their prayers; Who avoid vain talk; Who are active in deeds of charity; Who abstain from sex; Except with those joined to them in the marriage bond, or (the captives) whom their right hands possess, for (in their case) they are free from blame, But those whose desires exceed those limits are transgressors, Those who faithfully observe their trusts and their covenants; And who (strictly) guard their prayers; These will be the heirs, Who will inherit Paradise: they will dwell therein (forever)." (Al-Mu'minun 1-11)

قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾
وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ
فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ
رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾

The first hope curbs the despair which hinders repentance, and the other curbs the weakness which stands against doing the supererogatory deeds. To put it, every kind of expectation that stimulates one to repent or do acts of worship is a hope for the mercy of Allah; and every kind of wish that brings about indolence in reliance on it only is a conceit. Its example is like one who gives up sin and intends to engage in worship, thereupon Satan says to him: "Why do you harm yourself and you have a generous forgiving merciful Lord Who forgives sins again and again?" The result is that he weakens to repent and do the acts of worship. This is conceit. At that level, one should resort to fear, i.e. to frighten himself by the anger and punishment of Allah Almighty, saying to himself: "Although He is forgives sins and accepts repentance, He also is strict in punishment; and although He is generous, He will leave the disbelievers in the fire of Hell forever, given that in naught does their disbelief harm Him. Moreover, He has made many of His servants subject to afflictions, trials, diseases and evils in this world, given that He has the power to remove them all. If this is His way with His servants, and at the same time He has frightened me of

His punishment, how should I not fear Him, and how should I be conceited about Him?".

Both hope and fear are to lead men to do and work, and what does not stimulate one to work belongs to wishful conceit. To be sure, the wishful conceit of all the people causes them to weaken and fail to do and endeavor, turn their faces to the world, refrain from Allah Almighty, and neglect to seek for the hereafter. That is the conceit. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" told that conceit would prevail over the hearts of the later generations of this Muslim nation. The prophecy of the Prophet "peace be upon him" came true.

During the first generations, the people used to do the acts of worship regularly, and do all they did while their hearts were in awe that they would inevitably return to Allah Almighty. They feared for themselves although they spent night and day in worship out of obedience to Allah Almighty, strove to safeguard themselves from the taint of suspicions and desires, and endeavored to remain in privacy and solitude (for fear of the suspicion of showing off). But now you see the people living in safety, pleasure, self-assurance, entertaining no fear, given their engagement in sins, involvement in the pleasures and delights of this world, and turning away from Allah Almighty, under pretext that they are confident of the generosity and bounty of Allah Almighty, and expecting His forgiveness and pardon, as if they seem to know of His bounty and generosity what the Prophets "peace be upon him", the companions "Allah be pleased with them", and the righteous predecessors knew not.

If this matter is to be attained only by hopes and desires, then, for which thing did those righteous predecessors weep, grieve and fear? We have mentioned those things in detail in the Book of Hope and Fear. Furthermore, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said according to the narration on the authority of Ma'qil Ibn Yasar "Allah be pleased with him": "A time will come upon the people in which the Qur'an would become old in the hearts of men just as clothes grow old (and torn(on the bodies; and that is because they will be seized by covet and not fear: if anyone of them does good, he will think that Allah should inevitably accept his deed, and if anyone of them does evil, he will think that He Almighty should inevitably forgive for him." (This narration is reported by Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Ibn Abbas). He told that they would replace fear with covet due to their ignorance of the threats brought in the Qur'an (of Allah's punishment).

To a similar case, Allah Almighty refers in His statement about the Christians: " After them succeeded an (evil) generation: they inherited the Book, but they chose (for themselves) the vanities of this world, saying (for excuse): "(Everything) will be forgiven for us."" (Al-A'raf 169)

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦٩ ﴾

It means that although they inherited the Scripture, they took from this world their own desires and lusts, be it lawfully or unlawfully, under pretext that they would be forgiven by Allah Almighty Who says: " But for such as fear the time when they will stand before (the Judgment Seat of) their Lord, there will be two Gardens." (Ar-Rahman 46)

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾

And: "This for such as fear the Time when they shall stand before My tribunal, such as fear the Punishment denounced." (Ibrahim 14)

﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾

The Qur'an entirely from beginning to end is full of threats and warnings which no one reflects well but that he becomes sad and fearful in case he has faith in what it contains. But it seems that the people nowadays deal with the Qur'an in opposition to that, and act upon it carelessly and slightly. Is there any conceit more grievous than that?

Those are some examples for the conceit about Allah Almighty. This is almost the case of people who do acts of worship, in addition to sins, and although their sins are more, they expect forgiveness from Allah Almighty, and assume that the scale of their good deeds would overweigh that of their evil deeds. This is, to be sure, an evident ignorance. One of those might give in charity a few Dirhams from lawful as well as unlawful sources, although what he illegally usurps from the property and wealth of Muslims is many times what he gives. Some of them think their acts of worship are more than their sins, and that is simply because they do not reckon themselves, nor inspect their sins, and whenever anyone of them does an act of worship, he always remembers it with pride. His example is like him who prays for Allah's forgiveness with his tongue or celebrates the glories of Allah one hundred times a day, and at the same time, backbites the Muslims and injures their honours, and talks with what displeases Allah Almighty along the whole day. But even, he considers only the number of his glorifications and prayers for forgiveness, and takes no heed of his nonsense along the entire day which, should it be written, would be one hundred if not one thousand times the number of his glorifications . But Allah Almighty threatens to punish him for every word he utters, saying: " Not a word does he utter but there is a sentinel by him, ready (to note it)." (Qaf 18)

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾

CHAPTER TWO

EXPOSITION OF SORTS OF CONCEITED; AND DIVISIONS INTO WHICH EACH IS DIVIDED

They are of four sorts:

The First Class: Men Of Knowledge

The conceited among them are divided into many divisions:

The first are those well-versed in religious and mental sciences, which they

perfected on the exclusion of maintaining the organs and parts of body from committing evil and sins. That is because they were conceited by their knowledge, thinking they would have a good position in the Sight of Allah, for they attained with their knowledge an extent at which the like of them would never be punished, and that their intercession for people should be accepted by Allah, and that they would not be reckoned for their sins and mistakes in view of their honour in the Sight of Allah Almighty. But nay! They are conceited. If they consider the matter with the eye of insight, they would know that knowledge is of two kinds of sciences: The sciences of practical religion (Mu'amalah) and the sciences of disclosure (Mukashafah), i.e. the knowledge about Allah, His Names, attributes and acts.

As for the sciences of practical religion, like the knowledge of what is lawful and unlawful, what is praiseworthy and blameworthy of manners, and the way of treatment, they are intended only to put to practice; and were it not for the need of practice, surely, they would have no value at all. Suppose that there is a patient whose illness caters for a particular medicine to be learnt from a skilled physician: Would his prescription alone suffice to remove the illness unless the patient takes that medicine regularly and properly as defined by the physician? Of course not. Similarly, the religious jurisprudent who perfected the science of the acts of worship and did not act upon it, perfected the science of sins and did not avoid sins, perfected the science of blameworthy manners and did not justify and purify his own self from them, perfected the science of praiseworthy manners and did not acquire them to be integral to his own character: He is, to be sure, a conceited. Allah Almighty says: " Truly he succeeds that purifies it" (Ash-Shams 9)

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ ﴾

And does not say that he succeeds who learns and teaches to the people how to justify the self.

But at that point, Satan says to him, by way of deception: "Let not that example deceive you, for although the mere knowledge of the medicine alone does not remove the illness, your intention is to come closer to Allah Almighty and get reward, and knowledge alone is rewardable." Moreover, he relates to him the narrations and stories about the excellence and superiority of knowledge. If the poor jurisprudent is conceited, this deception would agree with his fancy and inclination, and he would rest assured on it on the exclusion of work; and if he is intelligent, he would reply to Satan: "Do you remind me of the excellence of knowledge, and make me forget the demerits of the dissolute learned who does not act upon his knowledge?"

Of course, he refers to the statement of Allah Almighty: " So his example is like that of the dog: if you chase him, he pants, or if you leave him, he [still] pants." (Al-A'raf 176)

﴿ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ
فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝ ﴾

And: "The similitude of those who were charged with the (obligations of the) Mosaic Law, but who subsequently failed in those (obligations), is that of a donkey which carries huge tomes (but understands them not)." (Al-Jumu'ah 5)

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ ﴾

Which disgrace is greater than both similitudes?

Furthermore, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who advances in knowledge but not in guidance, is but removed farther from Allah Almighty." Allah's Apostle "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "On the day of Judgement, the learned man will be brought forward and thrown into the fire of Hell whereas his bowels will gush out and he will be made to carry them round and go round all over the Hell in the same way as a donkey turns a mill-stone round and round. Then the people of Hell will ask him about the reason of his torture and he will say: "I was wont to enjoin what is right upon others but failed to do it myself, and to forbid what is wrong and committed it myself." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said too: "The worst of people are the evil learned."

Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" said: "Woe once to him who does not learn and if Allah wills, He would cause him to learn; and woe seven times to him who learns and does not act upon his knowledge." That is because knowledge would be an argument against him on the Day of Judgement, and it would be said to him: "How have you acted upon your knowledge? How have you thanked Allah Almighty for His favor of knowledge He bestowed upon you?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The one who shall receive the most grievous punishment on the Day of Judgement is a learned whom Allah Almighty benefitted not by his knowledge."

But this is in case the suggestion of Satan does not agree with the inclination of the dissolute scholar. But since the stories and narrations about the superiority and good merits of knowledge agree with him, Satan soon inclines his heart to what he desires. That is an evident conceit, which becomes clear if he considers it with the eye of deep insight. If he considers it with the eye of faith, he should know that he who told him about the superiority of knowledge is the same who told him about the condemnation of the evil scholars, who would be more worse in the Sight of Allah Almighty than the ignorant. If he, after all of that, is sure of being on the right, although he knows well that the argument of Allah is against him, he would be evidently conceited.

The same is true of him who claims he is knowledgeable of the sciences of disclosure (Mukashafah), i.e. the knowledge about Allah, His names, attributes and acts, but at the same time, he neglects work and practice, and wastes the command of Allah Almighty: He is more conceited. His example is like one who intends to serve a king, and limits his knowledge of him to his physical characteristics and visible appearance, on the exclusion of his spiritual

character, what he likes and dislikes, what he accepts and rejects, etc. that such a learned indulges in piety and neglects the command of Allah, and rather follows his own desires and lusts indicates that what is revealed to him of the knowledge about Allah Almighty is no more than the names without their meanings: Were he to know Allah Almighty as it should be, He would safeguard himself from His punishment.

It is unimaginable that a rational person knows a lion and does not safeguard himself from it. Allah Almighty revealed to David "peace be upon him": "Fear me in the same way as you fear a wild animal." Indeed, whoever knows Allah Almighty well should learn that He has the power to destroy all the worlds and does not care, and learn that he is subjugated in service of Him Who has the power to ruin thousands of thousands like him. For this reason, Allah Almighty says: " Such as truly fear Allah most, among His Servants, are those who have knowledge: for Allah is Exalted in Might, Oft-Forgiving." (Fatir 28)

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

The opening of the Psalms of David is: "The head of wisdom is to fear Allah." According to Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him": "Sufficient for knowledge is to fear Allah Almighty; and sufficient for ignorance is to be conceited about Allah Almighty." Once, Al-Hassan's religious verdict was sought, and when he gave his opinion, it was said to him: "But this is not the opinion of our religious jurisprudents." On that he said: "Is there any religious jurisprudent? The real religious jurisprudent is he who spends his night in standing (for supererogatory prayers), his day in fasting, and abstains in this world." He said once again: "The real religious jurisprudent is he who neither adulates, nor quarrels, but rather publicizes the wisdom of Allah Almighty: if it is accepted from him, he should praise Allah, and if it is rejected from him, he also should praise Allah." The religious jurisprudent is he who understands from Allah Almighty His command and forbiddance, and learns what He likes and what He dislikes: By so doing, he becomes a real learned. If Allah intends good for a man, He gives him the faculty of religious understanding and learning; otherwise, he will be among the conceited.

Another division perfected both knowledge and work. They did regularly the apparent acts of worship and avoided sins. But they did not inspect their hearts in order to plot out the characteristics that are hateful in the Sight of Allah Almighty, like envy, arrogance, haughtiness, hatred, showing off, seeking majesty, loftiness and fame, doing harm and evil to fellows, etc. Perhaps, some of them do not know that those are blameworthy, and thus they are involved in them, careless about the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "The least degree of showing off is (equal) to ascribe partners to Allah in worship." And the second statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "None shall enter the Garden in whose heart there is an atom's weight

of arrogance." And the third statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Envy consumes good deeds in the same way as fire consumes wood." And the fourth statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Love for honour and majesty causes hypocrisy to grow in the same way as water causes grains to grow." Those adorned their outward appearances and neglected their inward secrets, forgetting the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Indeed, Allah never considers your faces nor your bodies, but rather He considers your hearts and deeds." They thus fostered the apparent works but not hearts, given that the heart is the origin for none shall be saved unless he who will come to Allah with a sound heart.

A third division know that although those inside manners are blameworthy under Sharia, they, being conceited by themselves, think that they are free from them entirely, and that they are too honoured and lofty in the Sight of Allah to put them to trial because of those things, with which Allah tests only the laymen. But if the traces of arrogance or seeking majesty, loftiness, honour and power of authority appear on them, they would claim that this is not arrogance or haughtiness in so much as it is to exalt religion, show the honour of knowledge, support the religion of Allah, and humiliate the innovators of heresies who disagree with it. But such a conceited person forgets that his real enemy of whom Allah Almighty warned him is Satan, who rejoices at what he does, and makes fun of him.

By so doing, he forgets how the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" supported religion, made superior the Word of Allah Almighty, and humiliated the disbelievers and polytheists. He also forgets how the companions "Allah be pleased with them" were humble and modest, and how they were satisfied with poverty to the extent that Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" was blamed for the cheap clothes he was putting on when he went to Sham, thereupon he said: "We are a people whom Allah honoured with Islam. So, we do not seek honour in anything else." Therefore, that conceited person seeks the honour and power of religion through the expensive garments of forbidden silk and brocade, and graceful vehicles and mounts, claiming that he maintains the honour of knowledge and religion.

The same is true of him who envies his fellows or his debaters, thinking it not envy in so much as a zeal for the sake of truth, and refutation of the invalidator in his transgression and wrongness. He indeed makes show of his knowledge and behaviours. If the thought of showing off occurs to his mind, he would say: "How far! I show my deed and knowledge just so that the people would imitate me, and be guided to the religion of Allah Almighty, and delivered from His punishment." But he is heedless that he does not rejoice when people imitate anyone else as he rejoices when they imitate him, given that if his purpose is the righteousness of people in general, he would rejoice when they become right at the hands of any person. When he remembers that, Satan gives him no opportunity, saying: "That is because if they are guided through me, the reward would be for me, unlike the case when they are

guided through anyone else. In this way, I rejoice at the reward given by Allah to me, and not by the people's acceptance of my saying." That is what he shows, which contradicts what he really conceals. Were he to be told by a Prophet that the reward he shall receive from Allah if he remain anonymous is more than that he shall receive if he makes show of his knowledge, he would not submit.

Similarly, one might frequent rulers and governors, praise them so much, adulate them with sweet talk and flattery, humble himself before them, etc; and if it occurs to his mind that to humble oneself before wrongful rulers and governors is unlawful, Satan would soon say to him: "How far! This is true when you covet of their property. But your purpose is just to intercede for Muslims, avert harm from them, and drive the evil of your enemies from yourself." But nay! Allah Almighty knows well what is lurking within himself: If one of his fellows is made closer to the ruler to the extent that he is able to intercede for all Muslims and avert harm from them all, he would feel it difficult upon himself, and if he is able to slander him and defame him in the sight of the ruler, he would not hesitate to do so.

The conceit of many of them might lead them to take from the property of those rulers and governors, regardless of being unlawful. But Satan says to anyone of them: "This property has no owner, and it is assigned to the benefits of Muslims, and you are the imam and scholar of Muslims, and with you the religion is established: Is it not fitting for you to take what satisfies your need?" By that dissembling, he is conceited in three things:

The first is that this property has no owner. But of course he knows that taxes are taken from Muslims and non-Muslims who are living, and their offspring and heirs are also living. But the point is that what is given of one's property is mixed with what is given by others. Whoever usurps one hundred Dinars from ten people and mixes them, there is no doubt that it is unlawful, and it should not be said that it is a property which has no owner: but it should be divided into ten portions, and each of the ten should take his due.

The second and third pertain to the statement that he is the imam and scholar of Muslims, and with him the religion is established. It may be that those who had their religion corrupted, rendered lawful the property of rulers and governors, and turned to the world on the exclusion of the hereafter, are more in number than those who abstained in this world, and turned their faces to Allah Almighty. Such conceited is the imposter of religion and the fundament on which the doctrine of Satan is established. By no means is he the imam of religion, for the real imam is he whom the people imitate in turning away from this world, and wholehearted devotion to Allah Almighty, like the Prophets and Messengers "peace be upon them" the companions "Allah be pleased with them" and the religious scholars of the earlier generation, whereas the imposter is he whom people imitate in turning away from Allah Almighty, and earnest devotion to this world. It may be that the death of anyone of those is more beneficial for Muslims than his life, although he claims he is the fundament of religion. His example is like the statement of

Jesus "peace be upon him" about the evil scholar: "He is like a solid rock that fell in the mouth of a river: It never drinks water, nor lets the water pass to the plants."

A fourth division have perfected knowledge, purified organs and parts of body, adorned them with deeds and acts of worship, avoided the apparent sins, inspected the evil self-characteristics like showing off, envy, arrogance, haughtiness, hatred, rancor, seeking loftiness and majesty, etc, and strove themselves as much as they could in order to get rid of them, and removed from their hearts their roots. But they remained somewhat conceited, for there are still in the corners of their hearts some hidden plots of Satan and self-deception, too abstruse to perceive. The result is that they made no sense of them.

A learned as such might strive himself and spend long nights and days in collecting items of knowledge and science, giving them a good form, seeing that his motive is just to publicize the religion of Allah Almighty, and spread His Sharia among the people. But it may be that his hidden motive is to seek a high repute and good mention, have visitors from different parts of the earth, and have good praise from the people describing his abstinence, piety, devoutness, righteousness and knowledge, etc. He might also get pleasure from being distinguished among his fellows, as combining both knowledge and piety simultaneously. But once the people change their mind of him, and think he is not abstinent although he strove himself to seem abstinent in their eyes, of course, he would change his behaviours, duties and acts of worship, and make excuses to himself in order to justify his turning, even if it were to force him to tell lies.

Furthermore, he might give preference to some of his followers over others, and particularly those who believe more than others in his abstinence and piety, and at the same time, relegate those who make a due estimate of his bounty and piety. Those given preference might think they are preferred for their precedence in knowledge and understanding. But the fact is that they are preferred for they are more submissive to him, more obedient to his commands, more eager to serve him, more appreciative of his conduct, and have more faith in his piety and abstinence as he likes to seem to others. It may be that they come close to him in order to benefit from his knowledge, while he thinks they do so due to his sincerity, truthfulness and fulfillment of the rights of knowledge upon him.

He then praises Allah Almighty for the benefits He makes easy to His creatures through his tongue, thinking this alone is to plot out his sins. But at the same time, he does not inspect within himself in order to correct his intention. It may be that were he to be promised of reward with anonymity and segregation from the people, he would have no desire for it, for in seclusion, he will lose the pleasure of acceptability, and the power of authority and fame. Such is intended by the statement of Satan: "Whoever among the sons of Adam claims he has fled away from me with his knowledge, should know that (by such a claim) he has indeed fell in my snares with his

ignorance." Such a conceited might also compose many compositions in knowledge under pretext that he preserves the knowledge of Allah Almighty in order for the people to benefit from it, although his real intention is to gain fame and high repute throughout the land. If somebody claims to be the author of one of his compositions, erases his name and replaces it with his (the latter's) name, he would feel it very difficult upon himself, although he knows well that the reward shall return to the real author, and Allah Almighty knows that he is the real author. He also may exert much effort to adorn the wording of his composition and make good its syntax, under pretext that he likes to publicize wisdom, and have it seem good in the eyes of people. But at the same time, he is heedless of the narration that one composed three hundred compositions in the wisdom, thereupon Allah Almighty revealed to the Prophet of his own time to say to him: "You have filled the earth with hypocrisy; and I never accept anything of your hypocrisy."

It may be that if a group of those conceited gathered together, they would think their hearts are pure and safe from those diseases; and whenever they depart, and each of them follows or even is followed by an independent party, he would then rejoice at the great number of his followers, and the more they increase, the more he becomes conceited and elevated. In short, when they meet, they adulate each other, and when they depart, they behave differently in such a way that makes them envy each other. If somebody who used to frequent anyone of them left him for another, he would feel it difficult and heavy upon himself, even if the other is more beneficial for him. Anyone of them might have the commencements of envy for another in his heart which he could not show, thereupon he starts to slander his religion and piety in order to construe his anger as being for the Sake of the religion of Allah Almighty and not for his own self. Whenever the defects of another is mentioned before him, he would rejoice, and whenever he is praised before him, he would grieve.

Those and their likes are among the hidden diseases of heart of which none makes sense but the intelligent, and from which none could be free but the strong among men, and of which we the weak have no covet. But the least degree is that a man should recognize the defects of himself, for which he grieves and becomes eager to repair. Indeed, if Allah Almighty intends good for a man, He makes him see his own defects in order to repair them. Whoever is pleased with his good and displeased with his evil is better than the conceited who gives prestige to himself, and regards Allah Almighty under obligation to him for his knowledge and deed, thinking himself to be among the best of people. We seek refuge with Allah from conceit and heedlessness and from seeing our hidden defects and neglecting them. This is the conceit of those who attain important knowledge, and neglect to act upon their knowledge. Now let's mention the conceit of those who satisfied themselves with the unnecessary and left the important sciences, by which they are conceited.

A party of those were satisfied with the knowledge of fatwa in passing of

judgements and settlement of disputes among the people, as well as in the details of the worldly treatments for the benefit and interest of people. They limited the name of jurisprudence to that science. But even, they might waste the apparent deeds and internal works: They neither inspected the organs and parts of body to prevent them from doing the unlawful, nor stopped their tongues from backbiting, nor their bellies from eating the illegal, nor their feet from walking to rulers and governors; and the same is true of all organs and parts of body. Furthermore, they did not safeguard their hearts from arrogance, envy, showing off, as well as from all the other destructive heart diseases.

Those are conceited in two things: The first pertains to work, and the other to knowledge. As for work, we have already mentioned the way of conceit in it, and showed that their example is like the patient who knows the medicine but engages in learning and teaching it to others rather than in taking it himself. Their further example is like a patient who has a destructive ailment, say, piles, and instead of engagement in learning the medicine of his own disease, he is occupied by learning the medicine of another disease, say, persistent bleeding from uterus, given that he is a man who would never have persistent bleeding from uterus. But his argument is that perhaps a particular woman might have that disease and ask him about its medicine. That is the utmost degree of conceit.

Similarly, a poor religious jurisprudent might be afflicted with the love for this world, following desires and lusts, envy, arrogance, showing off, and all the other destructive evils, and perhaps death might take him away before repentance, thereupon he would meet Allah Almighty while He is angry with him. But even, in spite of that, he leaves all of that and engages in the sciences of hiring, payment in advance, Zihar, Li'an, equality of wounds, blood-wets, etc, given that he might not in need of any of that during his lifetime; and if anything of that is needed by anyone, these of fatwa would be sufficient. But he engages in that due to what it has of majesty, authority, fame, etc. by so doing, he is deceived by Satan unfeelingly, since he thinks that he engages in one of the religious obligatory duties, heedless of the fact that even in case his intention is good, it is sinful to engage in the collective duties before the obligatory duties binding upon everyone of people. That is his conceit in work.

As for his conceit in knowledge, it is that he was satisfied with the science of fatwa, thinking it to be the knowledge of religion, and left the Book of Allah Almighty, and the sunnah of His Messenger "peace be upon him". He might slander the modern scholars, accusing them of being no more than transmitters of narrations and stories. He also might leave the science of morality refinement and discipline and the knowledge about Allah Almighty, although it is that knowledge which develops fear and submission and leads one to piety and god-fearingness, for he always feels safe from the punishment of Allah Almighty, is conceited about him, and relies on his assumption that He should inevitably bestow mercy upon him, for he is the

fundament of His religion, and unless he engages in the science of fatwa, the knowledge of the lawful and unlawful would be idle.

By so doing, he has left the more important sciences, because he is conceited and heedless. The cause of his conceit is the exaltation given to the science of jurisprudence in Sharia, without knowing that the intended knowledge is the knowledge about Allah Almighty, His attributes and acts, which develops fear and piety in the heart in compliance with the statement of Allah Almighty: " Nor should the Believers all go forth together: If a contingent from every expedition remained behind, they could devote themselves to studies in religion, and admonish the people when they return to them, that thus they (may learn) to guard themselves (against evil)." (At-Tawbah 122)

﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

The purpose of the science of jurisprudence is to preserve property with the terms of treatments and maintain bodies with property and averting crimes and wounds; and the property, in the way of Allah Almighty, is an instrument, and the body a vehicle. But the important knowledge is to learn how to follow the way to Allah Almighty, remove the heart obstacles which are the blameworthy characteristics. They are the veil which stands between the servant and Allah Almighty. If one dies while having a taint of those characteristics, he would be veiled from Allah Almighty.

Another party of those limited their science of jurisprudence to the knowledge of controversial matters, and were concerned only with learning argumentation, the way to silence foes and avert the truth just for getting the higher hand in debate. Such a person spends his night and day inspecting the opposites of masters of doctrines and defects of fellows and foes. They are the wild animals among men, whose purposes are harmful. They do not intend knowledge but to vie in glory with their fellows. In this way, they despise all items of knowledge which they do not need in showing pride and glory to others, like the knowledge of hearts, and how to follow the way to Allah Almighty, by removing the blameworthy characteristics and exchanging them for the praiseworthy ones.

They devoted themselves to the detailed ways of polemics. Although they got what the previous scholars had got of the science of fatwa, they added to it more, for they engaged in the unnecessary branches which do not belong to the collective duties. Indeed, the detailed subtleties of argumentation and disputation were strange to jurisprudence and unfamiliar to the previous scholars. As for the proof of judgements, they are included in the Book of Allah and the sunnah of His Messenger "peace be upon him". But the tricks used in polemics were invented to show strength and victory in debate, and publicize argumentation and disputation. This is why the conceit of these is more odious than that of the previous scholars.

Another party engaged in scholastic theology and argumentation in

inclinations and whims, and refutation of the claims of opponents. They engaged in learning the best ways to do so. They believed that no servant should have his deed written for him without faith, and the faith of a servant should not be valid unless he learnt their way of argumentation and disputation, and what they called the proofs of their creed. They thought none had better knowledge of Allah Almighty and His attributes and acts than them, and no faith is valid for him who did not adopt their doctrine, and learn their knowledge. They were divided into many sects. Two of them are famous: The false one which invites to something other than the sunnah, and the true which invites to the sunnah. But both are conceited alike.

As for the false one, they are heedless of their falsehood, although they think they would be saved. They are divided into many sub-divisions, and all of them ascribe each other to disbelief. As for the true sect, they are conceited for they think argumentation and disputation are among the best acts of worship for the benefit of the religion of Allah Almighty, and that the faith of anyone is defective unless he puts religion to scrutiny and investigation, and whoever gives trust to and believes in Allah Almighty and His Messenger "peace be upon him" with no mental proof has his faith incomplete, and is not close to Allah Almighty. For this reason, they devoted themselves wholeheartedly to learning the ways and means of argumentation and disputation, and the profanities and heresies of religious innovators, and neglected to maintain themselves and their hearts until they failed to see their apparent and internal sins and misdeeds.

Anyone of them thinks his engagement in argumentation and disputation is better in the Sight of Allah Almighty. But his pleasure with the power to win and silence the opponents, to attain majesty and authority, and to belong to those who avert evil from the religion of Allah Almighty, blinded his sight, and hindered him from considering the first generation of Muslims, given that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" bore witness that they are the best of people. Although they joined the time of many religious innovations and heresies, they never exposed their deeds and religion to be a target for disputes and arguments, nor occupied themselves by that from inspecting their hearts and parts of body. They did not speak in religion unless they felt there was a dire need for that; and whenever they saw a straying one insisting on his error, they would abandon him, turn away from him, and dislike him in the religion of Allah Almighty.

That is because they said that the right is to invite to the sunnah, and it is a part of sunnah to abscond argumentation. It is narrated on the authority of Abu Umamah Al-Bahili "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No people have gone astray after the guidance on which they had been but that because they were given to argumentation." On another occasion, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" came out to his companions who were engaged in argumentation and quarrel, thereupon he grew so much angry that his cheeks became red as if the seeds of pomegranates were gouged out

on them. He said angrily: "Have you been sent with that? Have you been commanded to strike the parts of the Book of Allah Almighty with each other? Consider what you have been commanded to do and do it, and what you have been forbidden to do and avoid it." He thus scolded them to do so.

They saw that although the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was sent as a Prophet to all peoples of the previous religions, he did not engage with anyone of them in argumentation only for the purpose of getting the better hand. He did not argue them but with the recitation of the Book of Allah Almighty, and no more, for this distracts minds and hearts, given that if he so liked, he would not fail to argue them in the same means and analogies they used, and teach his companions the way of argumentation and disputation. But the intelligent and those endued with sound minds did not see that, and said: "If all the inhabitants of the earth are saved and we are ruined, their salvation would not benefit us; and if we are saved and they are ruined, their destruction would cause no harm to us. We are not required but to do what the companions did in this respect with the Jews and Christians and others, who did not waste their lifetime in argumentation and disputation with them. So, why should we waste our lifetime and do not utilize it in what benefits us on the day of our bankruptcy? We are not to delve in things in whose details we are exposed to errors and mistakes. Furthermore, the religious innovator becomes more obstinate and insists more on his innovation with argumentation, rather than leaving it. So, it is preferable to engage in self-argumentation and mortification in order to abscond this world for the hereafter. This is in case argumentation is permissible: But what should it be given that I have been forbidden to engage in argumentation? How should I invite to the sunnah by leaving the sunnah? It is preferable to inspect my own soul and refrain from the things which Allah Almighty dislikes, and adopt those which He likes."

Another sect were engaged in preaching and reminding people of the hereafter; and the highest in rank were those who talked about the self-morality, and the heart attributes of fear, hope, patience, thanksgiving, gratefulness, reliance, abstinence, certainty of faith, truthfulness, sincerity, etc. but they are conceited for they think that because they talk about those attributes, they are inevitably characterized by them. But even, they are free from them in the Sight of Allah Almighty except for a little amount common to the laymen. The conceit of those is the most severe, for they are proud of themselves, and think that they penetrated the depth of the science of loving (for Allah) only because they are lovers for Allah Almighty, mastered the subtleties of sincerity only for they are sincere to Him, and perceived the hidden self-defects for they are free from them.

By those false thoughts, that poor assumes he is among these fearful of Allah Almighty, although he feels safe from His punishment, that he is hopeful of His reward, although he is among the conceited losers, that he is among those pleased with the fate of Allah Almighty, although he is displeased with it, that he is among those who rely on Allah Almighty,

although he depends on his honour, power and property, for which he leave the deed, that he is among the sincere, although he is a maker of show with his deeds. He describes sincerity although he does not act upon it, describes showing off although he acts upon it, and makes show of mentioning it in order for people to think that were he not sincere, he would not have been guided to its subtleties. He describes abstinence in this world, and at the same time, he is so much covet of this world and desirous for its good things. He places stress upon supplication for Allah Almighty, although he himself flees away from Him. He frightens others with Allah Almighty, although he himself feels safe from His punishment. He reminds the people of Allah Almighty, although he himself forgets Him. He urges people to come close to Allah Almighty, although he himself is far from Him. He motivates people to be sincere, although he himself is not sincere. He warns them of the blameworthy attributes, although he himself is characterized by them.

Those are the most conceited, and the farthest from leaving that conceit. That is because what motivates one to stick to the praiseworthy manners and refrain from blameworthy manners is to know the merits and demerits of both. As for such conceited, although he knows all of that, of no profit would it be to him to know. He is occupied by the love for calling the people to the truth from acting upon it. Afterwards, how should he be treated? What is the way to frighten him? It is true that if one claims those praiseworthy characteristics, let him put himself to test about them: If somebody claims he loves Allah Almighty, let him ask himself about what he has left in this world for the sake of the Love he has for Allah Almighty. If he claims he fears Allah Almighty, then, let him ask himself about what he refrained from for the sake of that fear. If he claims he abstains in this world for the Sake of Allah Almighty, let him ask himself about what he abstained from in this world, and so on.

The intelligent always put themselves to test about those attributes. but the conceited persons always have good assumption of themselves; and in the hereafter, when the cover would be removed from them, they would be disgraced. That is because they order people to do good, although they themselves do not do it, and forbid them to do evil, although they themselves do it. They are indeed conceited because the origins of those attributes, i.e. the love for Allah Almighty, the fear of His punishment and the pleasure with His decrees, are weak in their hearts. At the same time, they are able to describe those attributes to the best, thereby think they are given by Allah Almighty this ability of description and the knowledge of those things only for they are characterized by those attributes, forgetting, or ignoring that acceptability pertains to speech, and speech pertains to knowledge, and those differ from the acquisition of attributes. in this way, anyone of them is distinguished from the laymen of Muslims not in the attribute itself but in the ability to describe it.

Another sect deviated from the right method of preaching; and they represent the preachers of this time, except him whom Allah Almighty

protected with His protection. They are engaged in euphoric utterances and heresies, and combination of words that are unfamiliar to religion and mind, seeking preeminence and fame. Others are engaged in jokes and rhymed phrases and sentences, and recitation of lyric poems of love and departure. Indeed, they are engaged in form on the exclusion of the content. Those are the evil among men who have gone astray and misled the others. If the former did not repair themselves, at least they contributed to repair others. But as for the latter, they keep off the way of Allah, and drive people to be conceited about Allah Almighty under the name of expectation and hope for His reward. In this way, they become more daring to commit sins and more desirous for the good things of this world, particularly if such a preacher is adorned with smart clothes, expensive horses and vehicles, etc: In which case, he is shown to be more covetous of this world. Indeed, what this conceited man corrupts is more than what he repairs.

Another sect were satisfied with memorizing the words and stories of ascetics, and their statements in condemnation of this world. They memorize words and convey them as they are uttered, without perceiving their meanings. Some do that over the pulpits, some in the markets, and some in the prayer chambers. Each of them assumes that he, being distinguished from the laymen by memorizing such words, has prospered and attained success, and his sins forgiven by Allah Almighty, and he safe from His punishment. Without safeguarding his outward and inward from sins, he thinks his memorizing the words of the religious people would be sufficient to save him. The conceit of those is more evident.

Another sect spend their time in engagement in the science of Hadith, i.e. to listen to it, collect its different and abundant narrations and chains of transmission. Anyone of them might be much concerned to go round towns and cities to see different sheikhs and scholars of Hadith, in order that when he returns, he would claim that he is narrating Hadith from so and so; and that he has seen so and so; and that he has of chains of transmission what others have not, etc. they are conceited for many things:

They are like the carriers of huge tons, i.e. they do not care to understand the meanings of sunnah, for they are short of knowledge and deficient in mind, and they have nothing but the transmitted texts and think this alone is sufficient. Furthermore, since they do not understand its meanings, they consequently do not act upon it. They also leave the knowledge which is a collective duty, i.e. to know the way to remedy the heart, and rather engage in collecting numerous chains of transmission as much as they could, given that this is needless. They also, and this is unique to these of the present time, do not fulfill the terms of listening. The listening in itself might have no benefit, but at the same time, it is very important to prove the authenticity of Hadith. The basic rule in Hadith is to be heard directly from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", memorized in the very way and manner it was heard, and then narrated just as it was memorized. Thus, narration ensues from memorization, and memorization from listening. But if you fail to hear it directly from the Messenger of Allah "Allah's blessing and

peace be upon him", you should, at least, hear it from anyone of the companions or Tabi'is, thereby your hearing it from the narrator is like the hearing of him who heard it from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him".

The point then is to devote yourself wholeheartedly to hear (and understand), memorize in the very manner you hear, and narrate just as you memorize, in a way that allows you not to change anything even a letter in it, and if a slight change is made by anyone in it, you would detect the mistake easily. There are two ways for you to memorize: The first is to keep by heart, and persist in remembering and repeating what you keep. The other is to write what you hear, and correct it, and preserve it in order that no hand of change would have access to it. But if you kept it neither by heart nor by writing, and you heard something in a gathering of which you were not well-aware, and when you left the gathering you found a written version which you thought to be of what you have heard in the gathering, and thought there was a probable change from what you have heard, it would not be possible for you to claim you heard it for you do not know, perhaps you have heard something different. If you do not keep by heart, nor have an authentic reliable written version to correct according to it, how should you know that you have heard the same? In confirmation of that, Allah says: " And pursue not that of which you have no knowledge; for every act of hearing, or of seeing, or of (feeling in) the heart will be enquired into (on the Day of Reckoning)." (Al-Isra' 36)

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾

The simplest requirement of hearing is to allow one to keep what he hears by heart in a way that causes him to detect any slight change. the heedless hearing, like that of a child, a mad, or a mentally impaired, is not fitting to rely upon in this issue. The supportive foundation is the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "May Allah honor a man who heard my statement, understood it and reported it in the same way he has heard it." (This narration is reported by Ibn Majah, At-Tirmidhi and Ibn Hibban on the authority of Zaid Ibn Thabit). How should one report what he has heard given that he was unaware of it? That is the most odious conceit; and unfortunately, the people of the present time have been afflicted with it. The sheikhs of this time are, for the most part, of those who heard heedlessly and inattentively when they were children. But since they feared this might reduce their position and majesty in the hearts of the modern people, and the narrations they have decrease in number, they agreed among themselves upon omitting that requirement, and rather made it possible to depend upon the heedless hearing of a child.

But to be sure, the conditions of hearing should be taken from the earlier and not the modern generations, for the science of the foundations of religious jurisprudence belongs to men of the earlier generation. What we have mentioned here is taken for granted in the laws of foundations of religious jurisprudence. But it is the conceit of the conceited men who causes them to omit it. I mean these who are conceited by spending their lives in

collecting chains of transmission as much as they could, without turning to the more important religious task, and knowing the meanings of what they narrate. The Hadith is intended to motivate one to follow the way of the hereafter, and the follower of that way might be satisfied with a single Hadith for his entire lifetime. In this respect, it is narrated that a sheikh attended a gathering of listening, and the first Hadith he heard was the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "It is out of mans good faith in Islam to leave what concerns him not." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Abu Hurairah). On that he stood and said: "This is sufficient for me to hear until I finish from (understanding and acting upon) it, after which I would listen to another one." This is the way the intelligent listen, who are cautious of conceit.

Another sect engaged in learning grammar, linguistics, philology, poetry, prosody, and their related sciences, by which they were conceited, thinking their sins would be forgiven for them for the sake of those sciences, and that they were among the fundaments of this Muslim nation, under pretext that the religion depends upon the Book of Allah and the sunnah of the Prophet, and the Book and sunnah depend upon the sciences of language and grammar. The result is that those who spent their lives in learning the subtleties of grammar, art of poetry, and eccentric vocabulary. Their example is like him who spends his lifetime in learning the handwriting and improving the form of writing letters, under claim that sciences depend upon handwriting, without which they would not be kept and preserved. By so doing, he ignores that it is sufficient for him to learn just the way of writing and reading correctly and no more. the same is true of language. All languages are equal in learning, and if there is a superiority for the Arabic, it lies in its representing the language of the Qur'an and Hadith. So, one should learn from its grammar, linguistics, philology and vocabulary what enables him to understand both well, and what is beyond that is needless surplus.

Moreover, if one is satisfied with learning the profound subtleties of language, and takes no heed of understanding and acting upon the matters of Sharia, he then is conceited. That is because the main crux is the work, and the knowledge of the work, though very important, is beyond work: It is as a husk for it, and a core for what is beyond it, i.e. the hearing of words and sentences correctly, and memorizing them by way of transmission, and this is the husk of knowledge and the core of what is beyond it, i.e. the sciences of language, grammar, vocabulary, etc. those who are satisfied only with those are conceited, except him who takes them as stations to fulfill his need until he reaches the main core, i.e. the work itself, which he spends his lifetime forcing his heart, organs and parts of body to do perfectly, and purify from stains and evils. It is that which should be served by all sciences of Sharia, which are but servants, stations and means to attain it. Whoever does not attain the main purpose at any point or station has indeed failed. Since those sciences belong to Sharia, they have become an object of conceit for their masters. As for the sciences of medicine, arithmetic's, geometry, and all arts

which do not belong to Sharia, their masters do not think their sins would be forgiven for them for the sake of those sciences. This is why they are less conceited by them.

Another sect became much conceited by the art of religious jurisprudence. They thought the judgement of Allah Almighty on a man depends on the judgement he receives from a judge in the court. They made much tricks to avert rights, and misinterpreted abstruse words and were deceived by the apparent meanings in which they proved mistaking. That applies to the mistake in fatwa. Although the mistake in fatwa might occur, but what we mention has become widespread among them. let's refer to some examples for the incorrect fatwa they gave in this respect, like the fatwa that when a woman releases her husband from the dower, he has become free from it in the Sight of Allah Almighty. This is, to be sure, an evident mistake. A husband might do evil to his wife and put her to difficulty that forces her, in the way to get rid of her difficulty, to clear him from the dower in order for him to divorce her. That clearance is not done with good pleasure. Allah Almighty says in this issue: " And give the women (on marriage) their dower as a free gift; but if they, of their own good pleasure, remit any part of it to you, take it and enjoy it with right good cheer." (An-Nisa' 4)

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ ﴾

Such a woman does so under internal compulsion, although she might seem to approve. It is true that the judge in this world does not know the secrets of hearts, and thus he considers only the apparent clearance. But this would not be the case before the Greatest of Judges on the Day of Resurrection, Who would not hold valid that clearance.

This is why it is unlawful to take money from a man except with his own good pleasure. If one was asked to give some of his wealth at the sight and hearing of an assembly of people, and he gave it only for he felt shy of them, and were he to be asked in seclusion, he would not have given it, but when he was asked in front of people, he fell between the pain of people's condemnation in case of abstention, and the pain of giving in case of giving, and he chose the lighter pain, i.e. that of giving, thereupon he gave him, it would not differ from confiscation. The confiscation is to put the body to punishment until its pain becomes more severe than the pain of giving money, thereupon one chooses the lighter of them, which is to give money. Begging in public depending upon fear of shyness produces the same pain but to the heart. There is no difference between spiritual and corporal pain in the Sight of Allah Almighty. It is the judge of this world only who judges depending upon the outward appearance, for he does not know the secrets of the heart.

The same is true of him who gives another to safeguard himself from the evil of his tongue: It is unlawful. Do you not see what is narrated in the story of the Prophet David "peace be upon him"? After he had been forgiven by Allah, he said: "O Lord! How should I clear myself from my opponent?" He was commanded to clear himself from him, and he was dead. He was commanded to call him from over the rock of Jerusalem, and he called: "O

Uriya!" he said: "I am responding to your call O Prophet of Allah! You have brought me out of the Garden: What do you want from me?" he said: "I have done a misdeed to you, so, pardon me for it." He said: "I have pardoned you O Prophet of Allah." He turned away relying on that pardon, thereupon Gabriel "peace be upon him" said to him: "Have you made a mention to him of what you did?" he answered in the negative. He said: "Then, return and make a mention to him of what you did." He returned and called him and he said: "I am responding to your call O Prophet of Allah!" he said: "I committed a sin against you." He said: "Have I not pardoned you for it?" he said: "But would you not ask me about it?" he said: "What is that O Prophet of Allah?" he said: "Such and such..." and made a mention of the story of the woman. Uriya gave no answer, thereupon David "peace be upon him" asked him: "O Uriya! Would you not answer me?" he said: "O Prophet of Allah! That is not the conduct of the Prophets, and I shall stand against you in front of Allah to judge between us." He went on weeping and crying so much and did not cease until Allah promised to ask him to pardon him for it in the hereafter. This shows to you that the gift without good pleasure is pointless, and that the good pleasure is not attained except with knowledge. The good pleasure regarding clearance and gift is not attained unless man is left alone and given the freedom of choice, so that he would be motivated from within himself and not forced by external factors to do.

A mention may be made here also of the case in which a man gives as a gift the wealth upon which almsgiving is due to his wife towards the end of the year, and takes her wealth as a gift, in order for almsgiving to lapse from it. As for the religious jurisprudent, he judges that no almsgiving is due upon it in this case; and he is outwardly true, in the sense that the governor would not ask him to pay it. But if it is thought that it would lapse from him on the Day of Judgement, just as he who has no property at all, this would be evident ignorance of the religious knowledge and understanding, and of the mystery of almsgiving. The mystery of almsgiving is that it purifies the heart from the vice of miserliness, which is destructive in itself. In this respect, The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There are three destructives: Niggardliness that is obeyed, an inclination that is followed, and self-vanity." It is obeyed for he followed it when he abstained from paying the almsgiving due upon him. In this way, it will lead to his destruction, although he thinks by so doing, he has saved himself. That is because Allah Almighty knows well what is lurking in his heart, and to what extent his love for wealth is, that prompted him to deduce tricks closing on himself the way of salvation by ignorance and conceit.

The same is true also of the case in which Allah Almighty makes permissible the property of Muslim interests to religious jurisprudents and the others as much as is required by their need. But the ignorant conceited jurisprudents make no distinction between their aspirations, hopes and desires on the one hand, and their needs on the other hand. On the contrary, all that contributes to their unnecessary luxury belongs, in their sight, to their

essential need, forgetting, or ignoring, that the world itself is created for the people's need of it in their worship and following the way to the hereafter. All that is taken by a servant to help him practice his religion and do the acts of worship belongs to his need, and what is beyond that is unnecessary surplus that is needless.

The Second Class: Masters Of Worship And Work

The conceited among them are numerous. Some of them are conceited by prayer, others by recitation of the Qur'an, others by Hajj, others by fighting in the Cause of Allah, others by asceticism, etc. the same is true of anyone of them who is mainly devoted to a particular method or act of worship, by which he is conceited, barring the intelligent among them, and how few they are.

A division among them neglected the obligatory duties, and rather engaged in supererogatory deeds, in which they were radically excessive. One of them might be possessed by obsessive doubts about ablution, for instance, to the extent that he is not satisfied with performing ablution from the water that is judged permissible under Sharia, or with eating from what is judged to be lawful under Sharia. By so doing, he forgets the conduct of the companions in this respect: It is reported, for example, that Umar "Allah be pleased with him" performed ablution from water that was in the jar of a Christian woman, although the probability of impurity was possible, given that he, at the same time, used to leave many doors of the lawful for fear it would lead to the unlawful.

Similarly, some of them might pour water wastefully while performing ablution, although it is forbidden (according to the narration of At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Ubai Ibn Ka'b). he also might prolong the time of ablution until he misses the due time of prayer, or at least delays it from its due time; and his conceit here is self-evident for losing the superiority of performing prayer in the first portion of its due time, or for wasting a great quantity of water profligately, or for wasting his lifetime in what is needless. But it is the habit of Satan to keep the people off the worship by trickery. Since he could not keep them off except by that which he presents to them in the form of an act of worship, thereby he takes them far from Allah Almighty.

Another division have been possessed by obsessive doubt about the intent in prayer. Satan does not leave anyone of them to assume it with a correct intention, but rather continues to distract his mind until the congregational prayer escapes him, or until he delays the prayer from its due time. Even if he assumes prayer with Takbir, he remains in hesitation about the correctness of his intention. One of them also might resort to change the pronunciation of Takbir in pursuit of correctness. He does so in the beginning of prayer, and once he enters in prayer, he becomes heedless. that is because their hearts are not fully present in prayer as it should be. They are conceited for they think, though falsely, that if they trouble themselves in correcting the intention in the beginning of prayer, and taking all possible precautions, by which they are distinguished from the laymen, no matter heedless they might seem afterwards

during prayer, they would be good in the Sight of their Lord Almighty.

Another division are possessed by the obsession of the necessity of correcting the utterance of letters of the Qur'an in prayer, in which they are so much excessive until it causes them to forget the real essence, i.e. the meanings and concepts of the Qur'an, and refrain from receiving admonition from it. That is, to be sure, the most odious kind of conceit. The people are obligated to recite the Qur'an only as required by their habits of speech, and not to be excessive in utterance and pronunciation.

Another division are conceited by their recitation of the Qur'an, which they do so much quickly that they conclude it at least once per day. Although they recite it with their tongues, their hearts are grazing in the valleys of hopes and desires. That is because one of them does not consider the meanings of the Qur'an, so that he would be deterred by its deterrents and forbiddances, accept its admonitions, and comply with its commands and orders, in addition to the other purposes of the recitation of the Qur'an we have already mentioned. Such a person is conceited for he thinks, though falsely, that the real purpose is to move his tongue with the letters and words of the Qur'an, no matter heedless he might be of its meanings and concepts.

It is true that persistence in recitation of the Qur'an is necessary in itself in order that one should forget nothing of it. But the real purpose here is to continue to memorize it, and memorizing it is required for understanding it, and understanding it is required for acting upon it and behaving in accordance with its principles, and getting benefit from its meanings. One might have a good pleasant voice and he recites the Qur'an, and is pleased with his voice. Thus, he is conceited by his pleasure, thinking it to be the pleasure of conversation with his Lord Almighty, and listening to His Words. But nay! It is the pleasure with his own voice and not with the Qur'an itself. Were he to recite poetry or anything else with his melodious voice, he would have the same pleasure. He is conceited for he does not inspect his heart in order to know the difference between the pleasure with the speech of Allah Almighty caused by its good syntax, structure and meaning, and the pleasure with his own voice caused by its melodious nature.

Another division have been conceited by fasting. They might observe fasts perpetually, or at least fast the noble days, although they do not keep their tongues from backbiting and nonsense, their thoughts from showing off, and their bellies from eating the unlawful at the time of breaking fast, etc. in spite of that, such a person thinks himself good, although he neglects the obligatory deeds, and troubles himself in pursuit of the supererogatory deeds. That is the highest degree of conceit.

Another division have been conceited by Hajj. One of them sets out for Hajj without relieving himself of the complaints of people against him, nor fulfilling his debts, nor seeking to please his parents, nor gaining the lawful provisions. He might do so after the Hajj enjoined by Islamic Sharia lapses from him, as he has performed it. On the way, he might waste such obligatory deeds as prayer, fail to purify body and garment, beware not of obscenity and

quarrel. One of them might collect unlawful wealth which he spends on his companions in the way, seeking to be heard and seen of men, thereby he disobeys Allah Almighty first by gaining what is unlawful, and second by spending in order to be seen of men. He neither takes it lawfully, nor spends it lawfully. Then, he goes to the House with his heart contaminated by the evil manners and vices, for he has not given his purification precedence to his attendance. But at the same time, he thinks, though falsely, that he is good in the Sight of his Lord. But nay! He is evidently conceited.

Another division went on the way of Hisbah: They enjoin right and forbid evil: Anyone of them forbids evil to the people although he himself does it, and enjoins good upon them, although he himself forgets to do it. If he enjoins good, he seeks authority and majesty, and if he forbids evil, and somebody discusses him, he grows angry and does not accept that the like of him should be rejected. He might seek to gather the people in his mosque, and if anyone of them delays to come, he would speak harshly to him. That is because his purpose is showing off and seeking authority, and no more. If anyone else takes care of the mosque, he would antagonize him. One of those might pronounce Adhan thinking it to be for the Sake of Allah Almighty, and if another one comes to pronounce Adhan on his behalf once he is absent, he would resent him bitterly. One might become the imam of a mosque, thinking it to be good for himself, although his real purpose is to have the people say that he is the imam of the mosque, and if anyone else proceeds to act as an imam, given that he is more pious and knowledgeable, he would feel it difficult upon himself.

Another division lived in Mecca or Medina by which they were conceited. That is because they neither watch their hearts, nor purify their outward and inward. So, their hearts remain attached to their homelands, and concerned with the statement of those who say that so and so is living in Mecca or Medina, i.e. anyone of those does so in order to be seen and heard of men. Out of pride, he publicizes among the people that he has lived in Mecca or Medina such and such years. But if he thinks it is ugly to declare that explicitly, he resorts to the implicit expression with the intention to have the people recognize him for that. He might live in Mecca or Medina, and at the same time, stretch his sight to the impurities of people's wealth to gather it to himself, and once he takes it, he, out of niggardliness, abstains from spending it, or even some of it by way of charity. In this way, he combines niggardliness, showing off, covet, and other destructives, of which he would have not been in need had he stayed at home. But it is the love for praise, as being described as one of those who have lived in Mecca or Medina, which causes him to live there, and have those vices and evils. He is conceited. There is no deed or act of worship but that it has evils; and unless anyone knows well the causes and means of those evils, and depends upon them in his attitudes towards those acts, he would be conceited. Those are known from the books included in the Revival of religious sciences: He should know the causes of conceit in prayer from the Book of Prayer, in Zakat from the

Book of Zakat, in Hajj from the Book of Hajj, and in anyone of the acts of worship from its relevant book.

Another division have abstained in wealth: They have been satisfied from clothes and food with the minimum requirements, and from residence with living in mosques. By so doing, they thought they attained the rank of ascetics. But at the same time, anyone of those desires for authority and majesty either by knowledge, or by preaching, or even by just asceticism. He leaves the easier and incurs upon himself the more destructive. To be sure, majesty is greater than wealth, and were he to leave majesty and take wealth, he would be closer to safety. This man is conceited for he thinks he is among the ascetics who abstain in this world. He indeed does not understand the meaning of this world, and that the greatest of its pleasures is the authority and majesty, and that the one who desires for it should be a hypocrite, an envier, an arrogant, and a maker of show of deeds: In short he should be characterized by all vices and evil manners.

He might leave authority and majesty, and rather favors seclusion and privacy. But he is still conceited, for by so doing, he deals harshly with the wealthy and rich, despises them, looks at them with the eye of contempt and slightness, expects for himself from good more than he expects for them, and is proud of his deed. In short, he is characterized by a lot of evil manners and vices although he might know not. He might be given property and reject to take it, for fear he would be described to have absconded asceticism; and if it is said to him that it is lawful, so, take it in public and return it in secrecy, he would reject to do so, lest he would be subject to the condemnation of people. That is because he loves to be praised, and this is one of the greatest pleasures of this world. Although he regards himself abstinent in this world, he is conceited. But even, he might incline to respect the rich and give them precedence to the poor; and incline to those who follow him and praise his good deeds, and refrain from those who follow anyone other than him from the ascetics. All of this is deception by which Satan deceives men: We seek refuge with Allah from it.

From among worshippers, there is such as makes it hard upon himself to the extent that he might pray more than one thousand rak'ahs per day, and conclude the Qur'an at least once per day. But at the same time, it does not occur to his mind to observe and inspect his heart to purify it from all vices of showing off, arrogance, envy, conceit, etc. he might not know that this is destructive, and even if he is to know it, he does not think he is so, and if he thinks he is so, he has the false impression that he would be forgiven by Allah Almighty due to his external and outward deed, and that he would not be blamed and reckoned for the internal states of the heart, under pretext that the good deeds overweigh only by virtue of the external acts. But how far! An atom's weight of heart piety and god-fearingness is better than as much external deeds as the mountains. Therefore, such a conceited person, besides his evil manners, could hardly be free from showing off and love for praise. If it is said to him that he is one of the established pegs on earth, and one of the

devotees and friends of Allah Almighty, he would rejoice at it so much, give trust to it, and increase in conceit and arrogance, thinking that the people's praise of him is an indication to the good pleasure of Allah with him. Knowing not that this praise is due to their ignorance of his internal vices and evils.

Another division engaged in the supererogatory deeds on the exclusion of the obligatory deeds. One of them is concerned with the Duha or night prayer more than anyone of the obligatory prayers, with which he does not have the same pleasure, nor does he hasten to perform it in the first portion of its due time, forgetting the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", relating from his Lord Almighty: "No servant comes close to me more than he who comes close to Me with what I have enjoined upon him." (This narration is reported by Al-Bukhari on the authority of Abu Hurairah).

To fail to observe the order in doing the acts of worship is one of the evils. There might be two obligatory or supererogatory deeds, one of which would be missed if it is not performed at the moment: If one does not observe the order in doing them, he would be conceited. Those things are beyond calculation. the sin is apparent, and the act of worship is apparent, and what is abstruse is to know how to put the acts of worship in order, in a way that allows for giving precedence to some over others, like giving precedence to all the obligatory deeds over all the supererogatory deeds, the duties that are binding upon everyone over the collective duties, and so on.

The mother's needs, for example, should be given precedence over those of anyone else. In this respect, it is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked: "O Messenger of Allah! Whom should I be dutiful to most?" he said: "Your mother." He was asked: "Then, who is next?" he said: "Your mother." He was asked for the third time: "Who is next?" he said: "Your mother." He then was asked: "Who is next?" he said: "Your father." He was asked: "Then, who is next?" He said: "Then, the next of kin." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Al-Hakim on the authority of Zaid Ibn Hakim from his father from his grandfather). This means that one should first fulfill the needs of the nearest in kin, and if they are equal in the degree of kinship, then, let it be the more needy of them, and if they are equal in need, let it be the more pious and righteous of them.

The same is true of him whose property is not sufficient for the maintenance of his parents and the spendings of Hajj simultaneously. If he gives precedence to Hajj over the maintenance of his parents, he is conceited. That is because he should give precedence to their right over his. This is to give precedence to a more important duty over an important duty. Similarly, if one is to fulfill an appointment and the time of Friday prayer has entered, it is sinful to engage in the appointment and miss the Friday prayer, given that to fulfill the appointment is an act of worship in itself. Similarly, the garment of anyone might be affected by filth, and he speaks harshly to his parents because of that. Although filth is forbidden, harming them also is forbidden.

But the forbiddance of harming them is more grievous than that of filth.

In short, whoever does not observe the order in doing the acts of worship, is evidently conceited. This conceit is the most abstruse, for the conceited therein in fact does acts of worship, but he does not make sense of the way the act of worship might turn into a sin, for by doing it he has left a more important obligatory act of worship. A mention may be made of him who engages in the difference between juristic schools given that there are many acts of worship that are due upon him, and sins which he has to leave. If the real purpose of jurisprudence is to know what others need in their worship, then, it is preferable for him to know what he himself needs to purify his heart. But the love for majesty and authority, the pleasure of pride and glory because of knowledge, and desire for excellence over foes and opponents make him blind and conceited that he thinks he is engaged in the concerns and interests of his religion.

The Third Class: Sufis

The conceited among them are of many divisions:

A division of them, and they are the Sufis of this time, except him whom Allah Almighty protected, have been conceited by clothes, appearance and speech. They share the truthful Sufis in their clothes, appearance, speech, terms, vocabulary, and even manners and etiquettes and outward states of music, dancing, purification, prayer, sitting on carpets while lowering the heads, difficulty of breathing, lowering voice in conversation, etc. but when they forced themselves to do those things, in which they imitated the Sufis, they thought they were real Sufis. They did not trouble themselves in mortification, discipline, purification of inward and outward from both external and internal sins and mistakes, given that all of this represents the first station of Sufism, and without them, they would not be regarded Sufis at all; and how should they be regarded Sufis given that they do the opposite of those? They compete each other over taking what is unlawful, envy each other over the trivial as well as the important things, and dishonor each other once they become different in opinion. Those are evidently conceited. Those are called pretender of Sufism more than Sufists. But their reality which is concealed in this world would appeared naked of veils and curtains in the hereafter, before the Judge Whom no clothes nor appearance would concern, other than the heart and what is lurking in it.

Another division were more conceited than those. It was difficult upon themselves to imitate the Sufis in their cheap and ragged clothes. They wanted to seem Sufis, and had no way but to appear in their dress and appearance. They left silk and brocade in exchange for the pieces of expensive mantles, thin and smooth pieces of towel, and dyed carpets, and dressed themselves in dresses smoother than silk. By such pieces of expensive dyed mantles, Anyone of them thought he was a Sufi, forgetting that the real Sufis dyed their garments in order not to be engaged in washing them every time to remove the dirt from them, and that they put on the patched garments for their dresses were torn, and this is why they patched them. But as for those

pretenders, they are more foolish and conceited, for although they are blessed in the delicious kinds of food, and the expensive clothes, seek the abundance of living, accept money from rulers, avoid not the external, let alone the internal sins, they think they are good. The evil of those is transitive to the people, for whoever imitates them will be ruined; and whoever does not imitate them will have a bad assumption of Sufism at all, thinking all of them are the same.

Another division claimed the knowledge of Ma'rifah, contemplation of the Real, transcendence to the high stations, and abiding nearness, although they do not know from those things except their names and related phrases. That is because anyone of those picks up some euphoric utterances, which he repeats, thinking them to be higher than the knowledge of the earlier and later generations. He looks at the religious jurisprudents, exegetes, traditionalists and scholars with the eye of contempt, let alone the laymen. A farmer or a tailor might leave his profession and stick to them for a few days during which he picks up some of their words which he repeats, as if he is telling about the revelation and high mysteries, thereby looks down upon the worshippers and religious scholars and jurisprudents. He describes the worshippers as troubled hired, and the religious scholars as veiled from speaking about Allah Almighty. But he claims he has access to the Real, and that he is among those made close to Allah Almighty, given that he is among the dissolute hypocrites in the Sight of Allah, and among the foolish stupid in the sight of the masters of hearts. That is because he neither perfects a knowledge, nor disciplines a character, nor does deeds in order, nor observes and purifies his heart. All he does is to follow his inclination and pick up nonsense and euphoric utterances.

Another division announced debauchery and folded the carpet of Sharia. They rejected rulings of Sharia, and made equality between the lawful and unlawful. Some of them allege that since Allah Almighty is not in need of the deeds, why should they trouble themselves by work? Others allege that since the people were obligated to purify their hearts from desires and lusts, and from the love for this world, and this is impossible, as learnt from their experience, their attempt to do it is pointless. But this foolish seems to know not that one is not obligated to remove the roots of anger and desire but rather to eliminate their matter which strengthens them, in a way that causes each of them to submit to the governance of mind and Sharia. Some of them allege that the deeds with organs and parts of body are weightless, for it is the hearts that are considered; and their hearts are filled with the love for Allah Almighty, and they live in this world only with their bodies, while their hearts are attached to the presence of the Lord. In this way, they fulfill the desires outwardly and not inwardly. They further allege that as they have raised to a station higher than the laymen, they are not in need to purify their own souls with the bodily deeds, and that the desires never hinder them from the way of Allah Almighty, due to their great power. In this way, they raise themselves higher than the Prophets and Messengers "peace be upon them" , whom even a single sin would hinder from the way of Allah Almighty, for which they

would weep for long years.

Another division went as far as to leave the deed entirely, including even the lawful, and devoted themselves to inspect the hearts. Anyone of them might now ascribe himself to the different stations of abstinence, reliance, contentment, pleasure and love, without knowing the real nature, conditions and signs of each of them. Some of them claim their great love and adoration for Allah Almighty, although they might not hesitate to commit what Allah dislikes, and give preference to their own desires and inclinations over the command of Allah Almighty. One of them might leave things just for he feels shy of the people, and not of Allah, and were he to be alone, he would not leave them. Some of them might incline to love and reliance, thereupon he sets out on journey to the desert with no provisions to be true to his claim of reliance, knowing not that this is a religious innovation which is not transmitted from the righteous predecessors and companions, who knew the reliance more than he does, and understood that reliance is not to put one's soul to risk and abstain from taking provisions: On the contrary, they used to take provisions and rely on Allah and not on the provisions, unlike him who leaves the provisions and relies on a particular means rather than on Allah Almighty.

Another division constricted the matter of food on themselves, and endeavored to get only the pure lawful. But at the same time, they did not engage in inspecting the heart and organs and parts of body in anything else. One of them neglected the lawful in his food, residence and clothes, and rather delved in it in different things, knowing not that it is not sufficient in the Sight of Allah Almighty just to seek the lawful in some and neglect it in all the works. So, whoever thinks that some of those would be sufficient to save him on the exclusion of the others is indeed conceited.

Another division claimed the good manners, humbleness, tolerance, leniency, etc, thereupon they undertook to serve the Sufis. They stuck to a people of Sufis whom they served. But they took that as a means of authority and majesty, and collecting money and wealth. Their purpose is arrogance and loftiness, although they show service and humbleness. Furthermore, they collect money from what is unlawful and suspicious and spend on them from it, in order to increase the number of their followers, and advance in fame and reputation. Some of them take the property of rulers and spend on them from it. Others take money and spend it on the way of Hajj on the Sufis, claiming that his purpose is kindness and dutifulness. But the motive that pushes them to do all of that is to be seen and heard of men. The sign of that is clear in their neglecting all commands and forbiddances of Allah Almighty outwardly and inwardly, and accepting to take the unlawful to spend from it. The example of him who spends on men from the unlawful on the way of Hajj is like him who builds mosques and covers their walls with dung, claiming that his purpose is to construct places of worship.

Another division engaged in self-mortification and purification of souls and hearts from defects and evils, and discipline of manners and moral

character. They delved in those things to the extent that they took the search for the defects and evils of the soul as a profession. In all their states, they are engaged in search for the defects and evils of the soul. They say, for example: "That is a defect in the soul, and to be heedless of it is defective, and to turn to its being a defect is defective", and so on. Whoever spends his lifetime in search for the subtle defects of the soul, just in order to know the way to treat them rather than to treat them actually, is like him who engages himself in inspecting the obstructions of Hajj, without following the way of Hajj. Of a surety, this is of no avail to him.

Another division exceeded that station, and started to follow the way to the Allah Almighty, and the gates of Ma'rifah were opened to them. But the more they smell a good smell from a gate of Ma'rifah, the more they are pleased with it and their hearts stick to it. They thus engage in the way its gate is opened to them and closed to others; in which case they are conceited. That is because the wonders of the way to Allah Almighty are endless, and were one to stick to every door, he would run short of realizing the purpose.

Another division exceeded all of those: They were not pleased with the items of Ma'rifah flowed over them, nor with the gifts and grants of knowledge given to them. But they were eagerly serious in their way until they became at a bow-length distance close to the presence of Allah Almighty, they were conceited, for they thought they had reached the presence of Allah Almighty, thereupon they stopped. To be sure, Allah Almighty has seventy veils of light, and no followers comes to anyone of them on his way but that he thinks he has reached. To this Allah Almighty refers in His statement about Abraham "peace be upon him": " When the night covered him over, he saw a star: He said: "This is my Lord." But when it set, he said: "I love not those that set." When he saw the moon rising in splendour, he said: "This is my Lord." But when the moon set, he said: "Unless my Lord guide me, I shall surely be among those who go astray." When he saw the sun rising in splendour, he said: "This is my Lord; this is the greatest (of all)."" (Al-An'am 76-78)

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ
بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ
بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

Of course, he did not mean those celestial shining bodies which he used to see when he was a child, and knew well that none of them was a god at all. But he meant those lights which are the veils of Allah Almighty, on the way of the followers of the way to Allah Almighty, and it is unimaginable to reach the presence of Allah Almighty without passing by them. Those veils of light are different in size and power. So, when Abraham "peace be upon him" was shown the signs of the dominion of the heavens, he moved from one light to another, and every time he came to a particular light, he thought he had reached. But at that time, he was shown that there was something greater beyond it which he had to reach. He remained as such until he reached the closest veil, which he

described as the greatest. But when it seemed to him that this also was short of perfection, he said: "I love not those that set."

The follower of that way might be conceited by standing at a particular one of those veils, and he might be deceived by the first veil. To be sure, the first veil that stands between a servant and his Lord is his own soul. It is a Divine matter, and one of the lights of Allah Almighty, i.e. the mystery of the heart, in which the truth of the Real in entirety is clear. It extends to imply the whole world, and the image of the whole is clear in it, and at that point, the light of Allah shines upon it, in which the whole existence appears as it really is. In the beginning it was veiled, but when the light of Allah shines on it, and the beauty of the heart itself seems to him, he becomes fascinated by it. In the face of that surprise, his tongue might hasten to utter such words as: "I am the Real", before it is clear to him what is beyond that. In this way, he is conceited for he has been deceived by a small star from the lights of the Divine presence before he reaches the moon, let alone the sun and what is beyond it.

That is the point of confusion, in which the shining light is confused with that on which it shines, like the mirror which is confused with the colour of the thing that is seen in it, and seems to be the colour of the mirror itself. With that eye, the Christians look at the Christ "peace be upon him": They saw that the light of Allah Almighty shone in him, thereupon they were mistaking in seeing it. It is like him who sees the image of a star in the mirror or the water, and thinks that the star itself is in the water, thereupon he stretches his hand to the mirror or the water to touch it. But nay! He is conceited. The kinds of conceit in this respect are numerous.

The Fourth Class: Owners Of Wealth

A division of them are eager to build mosques, schools, homes of hospitality, bridges, etc, and engrave their names on them in order to eternalize their mention and reputation, and their traces survive after their death. By so doing, they think they deserve forgiveness because of their deed. But even, they are conceited for two things:

The first is that they build those things from property which they earn from unlawful sources. They expose themselves to the wrath of Allah when they earn it, and also when they spend it, given that it was incumbent upon them to abstain from getting it. But as they earn it unlawfully, they have disobeyed Allah Almighty, and it is incumbent upon them to repent to Allah, and return that wealth to its real owners. But if the owners are not available, it should be given to their heirs, and in case there are no heirs, the wealth should be spent on the most important of Muslim benefits. It should be spent on the needy and indigent. But the conceited among men do not do so, for fear their deed would not be shown to all people, and rather prefer to spend it on building mosques, schools, etc, and engrave their names on them by way of showing off to be seen and heard of men.

The other is that they think they are good for they are sincere and true in their intention in spending on things which belong to the public interests. But

even, if anyone of them imagines to spend a single Dinar on a thing on which his name is not written, he would abstain from spending it, given that Allah Almighty knows it well, whether or not his name is written on it. Had he not intended the face of the people and not the Countenance of Allah Almighty, he would not have been in need of that.

Another division might earn property from lawful sources and spend it on mosques and schools, etc. but even, they are conceited for two things: The first is showing off and seeking to be praised by people. Perhaps in the neighbourhood or even in the same town, there might be poor and indigent and to spend the property on them is more important and preferable. But to spend money on mosques and schools is more visible to the people than on the poor and indigent. The other is that they spend on adorning the mosques with adornments and ornamentations that are forbidden, for they attract the heart and divert the people from the prayer. The purpose of prayer is submission and the presence of the heart. But such adornments spoil the hearts of the praying people and frustrate their reward.

But such a conceited person regards it one of the good things, and a means to draw him close to Allah Almighty. But in fact, by so doing, he exposes himself to the wrath of Allah Almighty, although he thinks he obeys Him and complies with His command. That is because he distracts the minds of the praying people by those adornments, and develops in them the longing for having the like of them in their homes. Of a surety, they are diverted by that from the state of submission and heart presence they should have in the mosque. Malik Ibn Dinar said: Two men came to a mosque, and one of them stood at the gate and did not enter and said: "The like of me does not deserve to enter the house of Allah Almighty." The two keeping angels enlisted him as truthful in the Sight of Allah (for he was true to himself). He saw that the mosque should be exalted and honoured from being contaminated with the like of him to enter into it. What then about contaminating it with the unlawful and forbidden things?

Once, the disciples said to Jesus "peace be upon him": "Look at that place of worship! How beautiful and wonderful it is!" on that he said to them: "Let me tell you the truth. Verily, Allah Almighty will not leave a stone built on a stone in it but that He would destroy it because of the sins of its people. No doubt, Allah Almighty never cares about gold and silver, nor even about stones which appeal you. The dearest things to Allah Almighty are the sound and good hearts, with which Allah constructs the earth, and destroys it if they are different." Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "When you adorn your mosques and decorate your Mushafs, then, destruction becomes due on you." (This narration is reported by Ibn Al-Mubarak). Al-Hassan said: When the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" intended to build his mosque in Medina, Gabriel came to him and said: "Make it no more than seven cubits high, and do not adorn nor decorate it."

Another division spend property on the poor and indigent, thereby they

seek fame and reputation. They indeed give in charity publicly and dislike to do in secrecy. They are of the opinion that if a poor conceals what he takes from them, it is a crime to be committed against them. They might be eager to spend money on Hajj, thereupon they perform Hajj one after another, leaving their neighbours hungry. For this reason, Ibn Mas'ud said: "Towards the end of time, the people would perform Hajj so much with no just cause: The journey would be easy for them, and the money abundant with them, given that the neighbour of anyone of them might be in destitution and deprivation, and he does not console him."

It is narrated on the authority of Abu Nasr At-Tammar that a man came to bid farewell to Bishr Ibn Al-Harith and said to him: "I have intended to perform Hajj: Do you order me to do anything?" he said: "How much have you prepared for spending?" He said: "One thousand Dirhams." He asked: "Which thing do you seek with your Hajj? Do you seek abstinence, longing for the House, or the good pleasure of Allah Almighty?" he said: "The good pleasure of Allah Almighty." He said: "Then, if you please Allah Almighty while you are at home, and spend one thousand Dirhams and you are sure of attaining the good pleasure of Allah Almighty: Would you do it?" he answered in the affirmative. On that he said to him: "Then, go and give the money to ten men: It may be that a debtor would fulfill his debt, a poor would sustain himself, a guardian would maintain his dependents, and a caretaker would please an orphan under his care. But if you are strong enough to give the whole of it to one person, do it. To be sure, to please a Muslim, relief a needy, remove the distress and help the weak is much better than to perform Hajj one hundred times after the obligatory Hajj due on you by Islam. Go and give the money in the same way as we have told you, otherwise, tell us what is lurking in your heart." He said to him: "O Abu Nasr! My journey seems more appealing to me." Bishr smiled and turned his face to him and said: "If the wealth is gathered from the impurities of trade and from what is suspicious, one's own self urges him to fulfill a particular desire therewith in the form of a good righteous deed, given that Allah rejects but to accept the work of the god-fearing pious."

Another division of the owners of property withhold their money out of niggardliness. But at the same time, they engage in acts of worship in which no wealth is needed, like observing fasts, standing at night for supererogatory prayers, and so on. They are conceited for by so doing, they forget that the destructive niggardliness should be curbed, by giving out money. Indeed, such a person endeavors to seek supererogatory deeds of which he might not be in need. It was said to Bishr: "So and so the rich offers much fasts and supererogatory prayers." On that he said: "How poor he is! He has been diverted from his own affair, and engaged in the affair of others than him. The affair of such is to serve with food the indigent hungry and spend money on the poor. To be sure, this is better for him than his much fasts and supererogatory prayers."

Another division are possessed by niggardliness in such a way that allows

them to give out only alms and obligatory charity. Furthermore, they give it from the worst of their property, which they themselves disdain to get. They choose to give it to such of people as are expected to serve and help them, and not to anyone of the poor or indigent. All of this is to corrupt the intention, frustrate the work and make it fruitless, and its perpetrator is conceited. He thinks that he obeys Allah Almighty, although he is dissolute wicked for he seeks recompense for his worship of Allah Almighty.

Another division of the laymen and owners of property limit themselves to attend the gatherings of celebration, thinking it to be the only work they are required to do. The gatherings of celebration are good as long as they exhort one to do good deeds, and if one is not moved to do, they lose their goodness. Those people are evidently conceited. It does not matter to weep or show impression for what one hears in the gathering unless it positively moves him to do work. It is of no profit to him to save him from Allah Almighty to hear the description of the acts of worship without doing them.

You may argue that the causes and means of hidden conceit are numerous, and one could hardly get rid of them all or at least most of them. What should one do? In reply to it, let's say that if one divides his mind into different concerns and interests, the way would seem difficult on him, and the tunnel of darkness endless. But if one concentrates his concern and thinking on one thing, he would be able to deduce the necessary tricks, means, instruments and equipment to help him achieve it. Consider how man succeeded to subjugate the things of his world to be in his service; and that is because his main concern is focused on his world and no more. based on that, if his main concern is focused on the affair of his hereafter, there is only one thing for him to do, i.e. to repair his heart. But even, he failed to repair it, regarding it impossible. But nay! This is not impossible if one's concern is true to which he is sincere. The righteous predecessors and those who followed them with good conduct never failed to do it. So, let him of strong determination and true willpower not fail to do it.

You may ask: "Then, by which could man be saved from conceit?" in reply to that, it should be known to you that one is saved from conceit by three things: Mind, knowledge and Ma'rifah. Those three are inevitable.

The first is mind: By mind I mean the natural light by which one perceives things as they really are. The purity of mind and intelligence should be natural in man for it is impossible to acquire them. But once mind exists, it is apt to be supported and strengthened by practice and exercise. To be sure, the good reason and intelligence represent the basis for all happiness. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Blessed be Allah Who divided mind into portions among His servants." (This narration is reported by At-Tirmidhi on the authority of Tawus). It is also reported on the authority of Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" that it was said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Messenger of Allah! A man might observe fasts by day, stand at night (for supererogatory prayers), perform Hajj and Umrah, give in charity, fight in the Way of Allah, visit the

patient to inquire about his health, follow the funeral processions, and help the weak. But at the same time, he knows not his position with Allah Almighty on the Day of Judgement." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, he would be rewarded as much as is equal to his mind." (This narration is reported by Al-Khatib in his Tarikh).

Anas "Allah be pleased with him" said: A man was praised in front of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and the people described him as good. He asked them: "What about his reason?" they said: "O Messenger of Allah! We tell about what seems of his worship, good merits and manners." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further asked: "But what about his reason? The foolish might be, with his foolishness, more criminal than the dissolute wicked with his wickedness. To be sure, on the Day of Judgement, the people would be brought near (to Allah) in proportion to their minds." It is further narrated on the authority of Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" that he said: Whenever a mention was made to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" of a man as being strong in worship, he would ask about his mind. If they described it as good, he would say: "I expect (good for him), and if something otherwise was said about him, he would say: "He would attain nothing." (This narration is reported by At-Tirmidhi and Ibn Adi). On another occasion, a mention was made to him of a man as being strong in worship. He asked about his mind and it was said: "It is not good enough." On that he said: "Then, your companion would not attain (the high rank) as you assume of him."

The second is knowledge. By knowledge I mean that he should know four things: He should know himself, his Lord, the world and the hereafter. As for himself, he should know that he is no more than a humiliated strange slave, outsider to those brutal desires and lusts which are in opposition to his nature on which Allah has created him. What agrees with his nature only is to know Allah Almighty, and have a look at His Honored Face. This is impossible if he limits his knowledge to himself and extends it not to imply his Lord. As for the knowledge of both the world and the hereafter, let one seek the aid of what is mentioned in the Book of Condemnation of World and the Book of Mention of Death, in order to know that the world, whatever it might be, is weightless in comparison with the hereafter. Once he knows himself, his Lord Almighty, the world and the hereafter, his knowledge of Allah would stimulate his love for Allah Almighty, his knowledge of the hereafter would make him more desirous for it, and his knowledge of this world would make him more turning from it. He would be mainly concerned only with what conveys him to the Presence of Allah Almighty, and benefits him in the hereafter. If this will prevails in his heart, his intention in all matters would be good. That is because he intends, by everything he does, to seek its aid to follow the way to the hereafter, and remove from himself the desire and inclination to this world. To be sure, as long as one's love for the world prevails over his love for the hereafter, and his own desires and delights

are dearer to him than the pleasure of his Lord, he would not be able to get rid of conceit. But the love for Allah Almighty by having good knowledge of Him should prevail; and this leads to the third thing.

The third is Ma'rifah. I mean by Ma'rifah the knowledge of how one should follow the way to Allah Almighty, and of what draws him close to Allah, and what removes him far from Allah, of the evils, obstacles and obstructions of the way, etc. all of this is mentioned throughout the different books of the Revival of Religious Sciences. The basic rule is that the love for Allah Almighty should prevail in his heart, and replace the love for this world, until the will becomes strong and the intention good.

You may argue: If one does all of that, which thing he should fear? In reply to it, let us say that he should fear lest he would be deceived by Satan, who might invite him to call the people to the truth, instruct them and guide them to the right path, and spread religious knowledge. That is, when the sincere novice finishes from his self-discipline, and purifies his heart from all impurities and embitterment's, and sets it right on the straight path, and concentrates his concerns on one, i.e. Allah Almighty, and gives no care to this world which seems slight in his eye, in such a way that Satan fails to seduce him from the direction of the world and its desires and lusts, he comes to him from the direction of religion, and invites him to show pity and mercy for the servants of Allah Almighty. The person then looks with the eye of mercy to the servants and sees them in confusion and under the influence of this world, deaf and blind and possessed by diseases (of ignorance) unknowingly, to the point that they become at the threshold of destruction. Feeling merciful for them, and having what is beneficial to guide them to the truth, he is stirred up to respond to his invitation immediately.

Once he responds to his invitation, Satan finds a field to tempt him. He first invites him, as slyly as is the creeping of the ants, to seek authority and majesty. Then, he invites him to be ostentatious and get adorned to the people in his speech, clothes and appearance. The result is that the people turn to exalt him, show respect and honour to him more than they show to kings and rulers. That is because they see him willing to cure their ailments just out of mercy and pity for them, and without asking him to do so. He becomes dearer to them than their parents, children, and anyone else. They favor him with themselves and their property, and become to him like servants to their master. At that level, he gets comforted, and tastes the greatest worldly pleasure one could ever taste during his life, with which he despises any pleasure. He had previously left the entire world with its pleasures and delights; and now he has fallen in one of its greatest pleasures. That is the expected opportunity of Satan. He stretches his hand to his heart, and uses it in the very way and manner he likes, under the claim of saving for him all that maintains his pleasure.

The sign of this state is that if anyone else undertakes the mission of guiding the people to the truth, and taking them out of darkness to the light of faith, he would feel it difficult and heavy upon himself. That is because

Satan makes him imagine that it is he and not anyone else who should take the lead of guidance. But if one is sincere to his purpose of guiding the people and delivering them from the fire, and he finds such as suffices or at least assists him in that, he would not feel it difficult on himself. But once this is found in his heart, Satan avails himself of that opportunity to invite him to all majors sins of heart and shameful deeds of organs, which leads to his destruction: We seek refuge with Allah from that.

You may ask: "Then, when should one engage in advising and guiding the people?" let me say that he should do so once he finds that he has no purpose but to guide the people to the truth just for the Sake of Allah Almighty, in such a way that if he finds anyone else to assist him or suffice him, he would rejoice and not grieve with that. This means that he should have no covet of their wealth and praise, and it is the same to him whether they would praise or dispraise him. He should give no care to their dispraise since Allah Almighty praises him, nor should he rejoice at their praise unless Allah Almighty praises him.

He should look at them indifferently in the sense that he should neither become arrogant over them, and rather see all of them better than him, due to his ignorance of the conclusion of deeds, nor should he have covet of seeking position and rank in their hearts. This means that he should not be ostentatious, nor should he get adorned for them. to be sure, the real purpose of the shepherd is not to get adorned for the cattle and sheep in so much as to look after them, graze them, and protect them from the wolves and all harmful animals, careless of the eye with which the cattle and sheep might see him. Unless one sees all the people whom he guides with the same eye a shepherd sees the cattle and sheep, he would not be safe from the evils of engagement in reforming them. it is true that he might succeed to reform them, but he would surely impair himself. In this way, he becomes like the lamp that illuminates for the others and burns itself.

You may argue: "If the preachers are to leave preaching unless they attain that high degree, the world would fall short of preaching, and the hearts would go astray." In reply to that, let me say that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Love for this world is the head of every sin." (This narration is reported by Al-Baihaqi on the authority of Al-Hassan). But had it not been for the fact that people love this world, the world would have been destroyed, living would have become idle, and the hearts and bodies would have been ruined. But the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" knew well that the love for this world is destructive, and that telling that it is destructive does not remove it from the hearts of the majority. But an exception is made of a very few, whose leaving the world would not lead to its destruction. This is the reason that lies behind his advice. So, the preachers would continue to have love for authority and majesty, and would not leave it because of the claim that preaching for the purpose of seeking authority is unlawful.

CONTENTS

QUARTER OF DESTRUCTIVES 3
THE THIRD QUARTER OF REVIVAL OF RELIGIOUS SCIENCES 3
BOOK ONE: EXPOSITION OF WONDERS OF HEART 3
INTRODUCTION 3
CHAPTER ONE: EXPOSITION OF MEANING OF NAFS (SOUL), RUH (SPIRIT), QALB (HEART), AND AQL (MIND); AND THEIR RELATED SIGNIFICANCE 4
CHAPTER TWO: EXPOSITION OF ARMIES OF HEART 8
CHAPTER THREE: EXPOSITION OF SIMILITUDES OF HEART WITH ITS INTERNAL ARMIES 10
CHAPTER FOUR: EXPOSITION OF SPECIAL PROPERTIES OF HEART OF MAN 13
CHAPTER FIVE: EXPOSITION OF QUALITIES AND SIMILITUDES OF HEART 18
CHAPTER SIX: EXPOSITION OF SIMILITUDES OF HEART REGARDING SPECIAL SCIENCES 22
CHAPTER SEVEN: EXPOSITION OF CONDITIONS OF HEART REGARDING DIVISIONS OF SCIENCES: INTELLECTUAL AND RELIGIOUS, AND PERTAINING TO THIS WORLD AND THE HEREAFTER 28
CHAPTER EIGHT: EXPOSITION OF DIFFERENCE BETWEEN GENERAL INSPIRATION AND LEARNING; AND DIFFERENCE BETWEEN SUFI WAY OF SEEKING THE UNVEILING OF REALITY AND THE WAY OF SPECULATIVE PHILOSOPHERS 32
CHAPTER NINE: EXPOSITION OF DIFFERENCE IN RANK BETWEEN BOTH POSITIONS BY A TANGIBLE EXAMPLE 35
CHAPTER TEN: EXPOSITION OF TESTIMONY OF DIVINE LAW TO VALIDITY OF METHOD OF MYSTICS IN GAINING EXPERIENTIAL KNOWLEDGE, NOT THROUGH INSTRUCTION NOR BY THE ORDINARY WAY 40
CHAPTER ELEVEN: EXPOSITION OF DOMINATION OF SATAN OVER HEART THROUGH PROMPTING EVIL SUGGESTIONS; MEANING OF SUCH EVIL SUGGESTIONS; AND MEANS OF OVERCOMING THEM 46
CHAPTER TWELVE: EXPOSITION IN DETAIL OF WAYS BY WHICH SATAN ENTERS HEART 56
CHAPTER THIRTEEN: EXPOSITION OF THAT FOR WHICH MAN IS HELD ACCOUNTABLE AND THAT FOR WHICH HE IS PARDONED IN FIELD OF EVIL SUGGESTIONS TO HEARTS, THEIR DECISIONS, INVOLUNTARY THOUGHTS AND PURPOSES 71
CHAPTER FOURTEEN: EXPOSITION OF WHETHER OR NOT EVIL SUGGESTION COULD BE IMAGINED TO BE ENTIRELY CUT OFF DURING DEVOTIONAL EXERCISES 76

CHAPTER FIFTEEN: EXPOSITION OF HOW SWIFT HEARTS TURN, AND ARE CLASSIFIED IN RESPECT TO CHANGE AND STABILITY 79
BOOK TWO: SELF-DISCIPLINE AND IMPROVEMENT OF MORAL CHARACTER AND REMEDY OF HEART DISEASES 85
CHAPTER ONE: MERIT OF GOOD CHARACTER; AND DEMERIT OF BAD CHARACTER . 86
PROPHETIC NARRATIONS 86
TRADITIONS AND SAYINGS 90
CHAPTER TWO: EXPOSITION OF REAL NATURE OF GOOD AND BAD CHARACTER 92
CHAPTER THREE: EXPOSITION OF CHANGEABILITY OF MANNERS BY WAY OF DISCIPLINE 96
CHAPTER FOUR: EXPOSITION OF WAY OF ATTAINING GOOD CHARACTER 100
CHAPTER FIVE: EXPOSITION OF DETAILED WAY OF IMPROVING MORAL CHARACTER 105
CHAPTER SIX: EXPOSITION OF SIGNS BY WHICH HEART DISEASE IS KNOWN, AND SIGNS BY WHICH RECOVERY IS KNOWN 108
CHAPTER SEVEN: EXPOSITION OF WAY BY WHICH MAN KNOWS HIS DEFECTS 111
CHAPTER EIGHT: PROOFS HANDED DOWN FOR INSIGHTFUL; AND EVIDENCES OF RELIGIOUS LAW FOR THE FACT THAT WAY OF REMEDY OF HEART DISEASES LIES IN ABANDONING DESIRES, AND HEART DISEASES LIE IN FOLLOWING DESIRES 113
CHAPTER NINE: EXPOSITION OF SIGNS OF GOOD MORAL CHARACTER 120
CHAPTER TEN: EXPOSITION OF WAY TO DISCIPLINE KIDS FROM THEIR EARLY YEARS; AND WAY TO IMPROVE THEIR MANNERS 125
CHAPTER ELEVEN: EXPOSITION OF CONDITIONS OF WILLPOWER AND COMMENCEMENTS OF SELF-MORTIFICATION; AND NOVICE'S GRADUATION IN FOLLOWING WAY OF SELF-DISCIPLINE 130
BOOK THREE: CURBING TWO APPETITES 138
CHAPTER ONE: VIRTUE OF HUNGER AND REJECTION OF SATIETY 139
CHAPTER TWO: BENEFITS OF HUNGER AND EVILS OF SATIETY 144
CHAPTER THREE: EXERCISING TO CURB LUST OF STOMACH 152
OBLIGATIONS TO BE OBSERVED 152
CHAPTER FOUR: DIFFERENCES CONCERNING IMPACT OF HUNGER; ITS VIRTUES; AND HOW IT AFFECTS DIFFERENTLY CONDITIONS IN PEOPLE 163
CHAPTER FIVE: IMPACT OF AILMENT OF DISSIMULATION ON SUCH AS ABANDON LUSTFUL APPETITES AND EAT LESS 167
CHAPTER SIX: SAYINGS CONCERNING LUST OF GENITAL 168
CHAPTER SEVEN: MARRIAGE AND ABSTINENCE FOR NOVICE 171
CHAPTER EIGHT: VIRTUE OF ONE WHO DEFIES LUST OF GENITAL AND EYE 177
BOOK FOUR: EVIL OF TONGUE 182

CHAPTER ONE: EXPOSITION OF GREAT DANGER OF TONGUE AND VIRTUE OF SILENCE 183
PROPHETIC TRADITIONS 183
SAYINGS 186
CHAPTER TWO: DIFFERENT EVILS OF TONGUE 188
THE FIRST EVIL: SPEAKING IN WHAT CONCERNS YOU NOT 188
THE SECOND EVIL: SURPLUS TALK 192
THE THIRD EVIL: ENGAGING IN FALSEHOOD 194
THE FOURTH EVIL: DISPUTATION AND ARGUMENTATION 195
THE FIFTH EVIL: DISPUTE 199
THE SIXTH EVIL: LOUD-MOUTHING 201
THE SEVENTH EVIL: SHAMELESSNESS AND FOUL LANGUAGE 202
THE EIGHTH EVIL: CURSING 205
THE NINTH EVIL: SINGING AND POETRY 210
THE TENTH EVIL: JOKING 211
THE ELEVENTH EVIL: RIDICULE AND MOCKERY 217
THE TWELFTH EVIL: DISCLOSURE OF SECRET 218
THE THIRTEENTH EVIL: THE FALSE PROMISE 219
THE FOURTEENTH EVIL: TELLING LIES IN WORD AND OATH 221
THE PROPHETIC NARRATIONS 221
THE TRADITIONS AND SAYINGS 225
EXPOSITION OF ALLOWABLE LIES 226
EXPOSITION OF AVOIDANCE OF TELLING LIES BY WAY OF IMPLICIT REFERENCES. 230
THE FIFTEENTH EVIL: BACKBITING 233
EXPOSITION OF MEANING AND DEFINITION OF BACKBITING 237
EXPOSITION OF THE FACT THAT BACKBITING IS NOT EXCLUSIVE TO TONGUE 239
EXPOSITION OF MOTIVES OF BACKBITING 241
EXPOSITION OF REMEDY THAT IMPEDES TONGUE FROM BACKBITING 244
EXPOSITION OF PROHIBITION OF BACKBITING WITH HEART 248
EXPOSITION OF EXCUSES THAT JUSTIFY BACKBITING 250
EXPOSITION OF EXPIATION TO BE MADE FOR BACKBITING 253
THE SIXTEENTH EVIL: TALEBEARING 255
EXPOSITION OF DEFINITION OF TALEBEARING AND THE WAY TO REPEL IT 257
THE SEVENTEENTH EVIL: THE SPEECH OF TWO-FACED 261
THE EIGHTEENTH EVIL: PRAISE 263
EXPOSITION OF DUTIES OF PRAISED 266
THE NINETEENTH EVIL: HEEDLESSNESS OF TONGUE SLIPS 266
THE TWENTIETH EVIL: LAYMEN'S ASKING ABOUT ATTRIBUTES AND SPEECH OF ALLAH 268

BOOK FIVE: CONDEMNATION OF ANGER, RANCOR AND ENVY 271
CHAPTER ONE: ANGER 272
EXPOSITION OF CONDEMNATION OF ANGER 272
EXPOSITION OF REAL NATURE OF ANGER 276
EXPOSITION OF WHETHER OR NOT IT IS POSSIBLE TO REMOVE ANGER THROUGH SELF-DISCIPLINE 280
EXPOSITION OF CAUSES OF ANGER 284
EXPOSITION OF TREATING ANGER AFTER BEING PROVOKED 285
EXPOSITION OF EXCELLENCE OF RESTRAINING ANGER 289
EXPOSITION OF EXCELLENCE OF FORBEARANCE 291
EXPOSITION OF THE EXTENT TO WHICH IT IS PERMISSIBLE TO SLAKE ONE'S ANGER WITH SPEECH 297
CHAPTER TWO: MEANING AND CONSEQUENCES OF RANCOR; AND EXCELLENCE OF FORGIVENESS AND KINDNESS 300
VIRTUE OF FORGIVENESS AND KINDNESS 301
VIRTUE OF KINDNESS 307
CHAPTER THREE: CONDEMNATION OF ENVY; ITS REAL NATURE AND CAUSES; ITS TREATMENT; AND THE EXTENT TO WHICH IT SHOULD BE REMOVED 310
EXPOSITION OF CONDEMNATION OF ENVY 310
EXPOSITION OF THE REAL NATURE OF ENVY, ITS RULING, DIVISIONS AND LEVELS 315
EXPOSITION OF CAUSES OF ENVY AND HARMLESS JEALOUSY 321
EXPOSITION OF REASONS FOR CIRCULATION OF ENVY AMONG FELLOWS, PEERS, MATCHES, BROTHERS AND COUSINS IN CONTRAST TO OTHERS 325
EXPOSITION OF MEDICINE THAT REMOVES ENVY FROM HEART 328
EXPOSITION OF THE EXTENT TO WHICH IT BECOMES INCUMBENT TO REMOVE ENVY FROM HEART 334
BOOK SIX: CONDEMNATION OF WORLD 336
CHAPTER ONE: EXPOSITION OF CONDEMNATION OF WORLD 337
EXPOSITION OF ADMONITIONS PERTAINING TO CONDEMNATION OF WORLD 353
CHAPTER TWO: EXPOSITION OF ATTRIBUTES OF WORLD THROUGH MANY OF ITS EXAMPLES: CHAPTER THREE 365
EXPOSITION OF REAL NATURE AND ESSENCE OF WORLD 365
CHAPTER FOUR: EXPOSITION OF REAL NATURE OF THIS WORLD IN ITSELF; AND ITS OCCUPATION THAT DIVERTED PEOPLE FROM THEMSELVES, THEIR CREATOR, THEIR COMING AND DEPARTURE 373
BOOK SEVEN: CONDEMNATION OF NIGGARDLINESS AND GREED FOR WEALTH 383
CHAPTER ONE: EXPOSITION OF CONDEMNATION OF WEALTH AND REJECTION OF LOVING IT 384

CHAPTER TWO: EXPOSITION OF PRAISE AND CONDEMNATION OF WEALTH SIMULTANEOUSLY 388
CHAPTER THREE: EXPOSITION OF MERITS AND DEMERITS OF WEALTH 390
CHAPTER FOUR: EXPOSITION OF CONDEMNATION OF MISERLINESS AND COVET; AND PRAISE OF CONTENTMENT 392
CHAPTER FIVE: TREATMENT OF MISERLINESS AND COVET; AND MEDICINE BY WHICH CONTENTMENT IS ACQUIRED 397
CHAPTER SIX: EXPOSITION OF EXCELLENCE OF BOUNTEOUSNESS 401
CHAPTER SEVEN: STORIES ABOUT BOUNTEOUS 406
CHAPTER EIGHT: EXPOSITION OF CONDEMNATION OF NIGGARDLINESS 414
CHAPTER NINE: STORIES ABOUT NIGGARDS 421
CHAPTER TEN: EXPOSITION OF ALTRUISM AND ITS EXCELLENCE 422
CHAPTER ELEVEN: EXPOSITION OF DEFINITION AND REAL NATURE OF BOUNTEOUSNESS AND NIGGARDLINESS 425
CHAPTER TWELVE: EXPOSITION OF TREATMENT OF NIGGARDLINESS 429
CHAPTER THIRTEEN: EXPOSITION OF MAN'S DUTIES REGARDING HIS WEALTH 432
CHAPTER FOURTEEN: CONDEMNATION OF RICHNESS AND COMMENDATION OF POVERTY 433
BOOK EIGHT: CONDEMNATION OF MAJESTY AND SHOWING OFF 451
PART ONE: CONDEMNATION OF MAJESTY 452
CHAPTER ONE: EXPOSITION OF CONDEMNATION OF FAME AND REPUTATION 452
CHAPTER TWO: EXPOSITION OF EXCELLENCE OF ANONYMITY 454
CHAPTER THREE: EXPOSITION OF CONDEMNATION OF MAJESTY 456
CHAPTER FOUR: EXPOSITION OF MEANING AND REAL NATURE OF MAJESTY 457
CHAPTER FIVE: EXPOSITION OF REASON WHY MAJESTY IS DEARER THAN WEALTH; AND DIFFICULTY OF REMOVING IT FROM HEARTS EXCEPT BY SELF-MORTIFICATION 458
CHAPTER SIX: EXPOSITION OF THE FACT THAT MAJESTY GIVES ILLUSORY AND NOT REAL PERFECTION 463
CHAPTER SEVEN: EXPOSITION OF THE EXTENT TO WHICH MAJESTY AND WEALTH MIGHT BE PRAISED OR DISPRAISED 467
CHAPTER EIGHT: EXPOSITION OF CAUSES OF LOVE FOR PRAISE AND DISLIKE FOR DISPRAISE 468
CHAPTER NINE: EXPOSITION OF REMEDY OF LOVING MAJESTY 470
CHAPTER TEN: EXPOSITION OF REMEDY OF LOVE FOR PRAISE AND DISLIKE FOR DISPRAISE 472
CHAPTER ELEVEN: EXPOSITION OF REMEDY OF DISLIKING DISPRAISE 475
CHAPTER TWELVE: EXPOSITION OF DIFFERENT CASES OF PEOPLE REGARDING PRAISE AND DISPRAISE 476

PART TWO: CONDEMNATION OF SHOWING OFF 479
CHAPTER ONE: EXPOSITION OF CONDEMNATION OF SHOWING OFF 479
CHAPTER TWO: EXPOSITION OF REAL NATURE OF SHOWING OFF 486
CHAPTER THREE: EXPOSITION OF LEVELS OF SHOWING OFF 492
THE FIRST PILLAR: THE PURPOSE OF SHOWING OFF 492
THE SECOND PILLAR: THE OBJECT OF SHOWING OFF 493
THE THIRD PILLAR: THAT FOR WHICH ONE MAKES SHOW (OF DEEDS) 496
CHAPTER FOUR: EXPOSITION OF CONCEALED SHOWING OFF THAT IS MORE HIDDEN THAN CREEPING OF ANTS 498
CHAPTER FIVE: EXPOSITION OF THE EXTENT TO WHICH SHOWING OFF FRUSTRATES WORK 501
CHAPTER SIX: EXPOSITION OF MEDICINE AND REMEDY OF SHOWING OFF 505
THE FIRST STATION IS TO REMOVE ITS ROOTS AND ORIGINS 505
THE SECOND IS TO AVERT WHAT OCCURS OF IT 509
CHAPTER SEVEN: EXPOSITION OF CONCESSION TO DISCLOSE ACTS OF WORSHIP 516
THE FIRST DIVISION: TO DISCLOSE THE DEED ITSELF 517
THE SECOND DIVISION IS TO TALK ABOUT HIS DEED AFTER FINISHING FROM IT ... 518
CHAPTER EIGHT: EXPOSITION OF CONCESSION TO CONCEAL SINS 520
CHAPTER NINE: EXPOSITION OF LEAVING SOME ACTS OF WORSHIP FOR FEAR OF SHOWING OFF AND EVILS 524
THE FIRST DIVISION 524
THE SECOND DIVISION 526
CHAPTER TEN: EXPOSITION OF WHAT IS VALID FOR A SERVANT TO DO TO PRACTICE HIS ACTS OF WORSHIP BECAUSE OF PEOPLE'S SEEING HIM 535
CHAPTER ELEVEN: EXPOSITION OF WHAT IS BINDING UPON A NOVICE TO DO BEFORE AND AFTER AN ACT OF WORSHIP 538
BOOK NINE: CONDEMNATION OF ARROGANCE AND VANITY 544
PART ONE: CONDEMNATION OF ARROGANCE 545
CHAPTER ONE: EXPOSITION OF CONDEMNATION OF ARROGANCE 545
CHAPTER TWO: EXPOSITION OF CONDEMNATION OF BOASTING 549
CHAPTER THREE: EXPOSITION OF EXCELLENCE OF HUMBLENESS 551
CHAPTER FOUR: EXPOSITION OF REAL NATURE AND EVIL OF ARROGANCE 556
CHAPTER FIVE: EXPOSITION OF HIM TO WHOM ONE BEHAVES ARROGANTLY; AND THE LEVELS OF ARROGANCE 559
CHAPTER SIX: EXPOSITION OF CONSTITUENTS OF ARROGANCE 564
CHAPTER SEVEN: EXPOSITION OF MOTIVES OF ARROGANCE 573
CHAPTER EIGHT: EXPOSITION OF GOOD MANNERS OF HUMBLE; AND THE TRACES OF BOTH HUMBLENESS AND ARROGANCE 574

CHAPTER NINE: EXPOSITION OF REMEDY OF ARROGANCE 580
THE FIRST STATION 580
THE SECOND STATION 585
CHAPTER TEN: EXPOSITION OF SELF-DISCIPLINE TO ACQUIRE THE CHARACTER OF HUMBLENESS; AND PRAISEWORTHY AND BLAMEWORTHY EXTENT OF HUMBLENESS 597
PART TWO: CONDEMNATION OF VANITY 598
CHAPTER ONE: EXPOSITION OF CONDEMNATION AND EVILS OF VANITY 598
CHAPTER TWO: EXPOSITION OF EVILS OF VANITY 600
CHAPTER THREE: EXPOSITION OF REAL NATURE AND DEFINITION OF VANITY AND ANTICIPATION OF SPECIAL TREATMENT 601
CHAPTER FOUR: EXPOSITION OF REMEDY OF VANITY 602
CHAPTER FIVE: EXPOSITION OF DIVISIONS OF THINGS OF VANITY AND THE REMEDY OF EACH IN DETAIL 606
BOOK TEN: CONDEMNATION OF CONCEIT 614
CHAPTER ONE: EXPOSITION OF CONDEMNATION, REAL NATURE AND EXAMPLES OF CONCEIT 615
THE FIRST EXAMPLE: THE CONCEIT OF THE DISBELIEVERS 616
THE SECOND EXAMPLE: THE CONCEIT OF THE DISOBEDIENT AMONG THE BELIEVERS 625
CHAPTER TWO: EXPOSITION OF SORTS OF CONCEITED; AND DIVISIONS INTO WHICH EACH IS DIVIDED 631
THE FIRST CLASS: MEN OF KNOWLEDGE 631
THE SECOND CLASS: MASTERS OF WORSHIP AND WORK 649
THE THIRD CLASS: SUFIS 654
THE FOURTH CLASS: OWNERS OF WEALTH 658
CONTENTS 665

Imam Abu Hamed AL-GHAZALI
(450-505 H.=1058-1111 A.D.)

REVIVAL OF RELIGION'S SCIENCES
IHYA' ULUM AD-DIN

إحياء علوم الدين

Translated by
Mohammad Mahdi al-Sharif

Volume IV
The quarter of the saviors

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
DKI
Beirut- Lebanon

Imam Abu Hamed AL-GHAZALI
(450-505 H.=1058-1111 A.D.)

REVIVAL OF RELIGION'S SCIENCES (IHYA' ULUM AD-DIN)

إحياء علوم الدين

Translated by
Mohammad Mahdi al-Sharif

Volume IV

The quarter of the saviors

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales @al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title : **REVIVAL OF RELIGION'S SCIENCES (IHYA' ULUM AD-DIN)**

إحياء علوم الدين

Classification: Jurisprudence and sufism

Author : Imam Abu Hamed AL-GHAZALI

Translator : Mohammad Mahdi al-Sharif

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Pages : 2784 (4 volumes)

Size : 17*24

Year : 2011

Printed in : Lebanon

Edition : 1st

DKI

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1871 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون،القبة،مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤-١١ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

Exclusive rights by © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated,reproduced,distributed in any form or by any means,or stored in a data base or retrieval system,without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beyrouth-Liban Toute représentation,édition,traduction ou reproduction même partielle,par tous procédés, en tous pays,faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

ISBN 978-2-7451-5945-8
ISBN 2-7451-5945-3
9 782745 159458 90000

CONTENTS

REVIVAL OF RELIGIOUS SCIENCES 3
QUARTER OF SAVIORS: THE FOURTH QUARTER OF REVIVAL OF RELIGIOUS SCIENCES 3
BOOK ONE: REPENTANCE 3
FIRST PILLAR: ON NATURE OF REPENTANCE: EXPLICATION OF REPENTANCE AND ITS DEFINITION 4
EXPLICATION OF OBLIGATION AND EXCELLENCE OF REPENTANCE 6
EXPLICATION THAT PROMPTNESS IS (ESSENTIAL IN FULFILLING) OBLIGATION OF REPENTANCE 11
EXPLICATION OF UNIVERSALITY OF OBLIGATION OF REPENTANCE FROM WHICH NONE IS FREE 13
EXPLICATION OF THE FACT THAT REPENTANCE IS SURELY ACCEPTED ONCE ITS REQUISITES ARE AVAILABLE 20
SECOND PILLAR: ON CONTEXT OF REPENTANCE, SINS: TRIVIAL AND MORTAL 24
EXPOSITION OF DIVISIONS OF SIN IN RELATION TO QUALITIES OF MAN 24
EXPLICATION OF HOW HIGHER AND LOWER STATES, IN THE HEREAFTER ARE DISTRIBUTED ACCORDING TO GOOD AND EVIL DEEDS IN THIS LIFE 33
EXPLICATION OF HOW MINOR SINS ARE INCREASED 47
THIRD PILLAR: ON PERFECTION, REQUISITES AND PERMANENCE OF REPENTANCE 50
EXPOSITION OF HOW PEOPLE DIFFER IN THE PERSEVERANCE OF REPENTANCE 65
EXPOSITION OF WHAT MUST THE REPENTANT HASTEN TO DO IF HE SINS EITHER WITH INTENTION AND DOMINANT DESIRE OR BY CHANCE 70
FOURTH PILLAR: ON REMEDY OF REPENTANCE; AND THE WAY OF TREATMENT FOR THE DISSOLUTION OF KNOT OF PERSISTENCE 75
BOOK TWO: PATIENCE AND GRATITUDE 91
PART ONE: PATIENCE 91
CHAPTER ONE: EXPLICATION OF MERIT OF PATIENCE 91
CHAPTER TWO: EXPLICATION OF REAL NATURE AND MEANING OF PATIENCE 94
CHAPTER THREE: EXPLICATION OF THE FACT THAT PATIENCE CONSTITUTES HALF THE FAITH 100
CHAPTER FOUR: EXPLICATION OF THE FACT THAT ITS NAMES DIFFER BY THE DIFFERENCE OF ITS APPURTENANCES 101
CHAPTER FIVE: EXPLICATION OF CATEGORIES OF PATIENCE IN RELATION TO STRENGTH AND WEAKNESS 102
CHAPTER SIX: EXPLICATION OF THE DIRE NEED FOR PATIENCE; AND THAT ONE COULD NOT DISPENSE WITH IT 105
CHAPTER SEVEN: EXPLICATION OF MEDICINE OF PATIENCE; AND THAT WHOSE AID IS SOUGHT TO SUPPORT IT 116
PART TWO: GRATITUDE 124
FIRST PILLAR: EXCELLENCE, REAL NATURE, DIVISIONS AND RULINGS OF GRATITUDE 124
EXCELLENCE OF GRATITUDE 124
EXPLICATION OF DEFINITION AND REAL NATURE OF GRATITUDE 127
EXPLICATION OF THE WAY OF GRATITUDE TO ALLAH ALMIGHTY 133
EXPLICATION OF THE DIFFERENCE BETWEEN WHAT ALLAH LIKES AND WHAT HE DISLIKES 140
SECOND PILLAR: THE OBJECT OF GRATITUDE 155
EXPLICATION OF REAL NATURE AND DIVISIONS OF FAVOR 155
EXPLICATION OF AN EXAMPLE THAT IS TYPICAL OF THE FACT THAT THE FAVORS OF ALLAH ALMIGHTY ARE COUNTLESS 171
THE FIRST SIDE OF ALLAH'S FAVORS: THE CREATION OF THE CAUSES OF PERCEPTION 172
THE SECOND SIDE OF ALLAH'S FAVORS AS REGARDS THE CREATION OF WILL 174
THE THIRD SIDE OF ALLAH'S FAVORS OF CREATING WELL AND INSTRUMENTS OF MOVEMENT 175
THE FOURTH SIDE: THE FAVORS OF ALLAH ALMIGHTY AS REGARDS THE SOURCES OF FOOD 181
THE FIFTH SIDE. THE FAVORS OF ALLAH ALMIGHTY CONCERNING THE MEANS BY WHICH FOOD REACHES YOU 184
THE SIXTH SIDE: PREPARATION OF FOOD 184
THE SEVENTH SIDE: PREPARATION OF MAKERS 185
THE EIGHTH SIDE: EXPOSITION OF THE FAVORS OF ALLAH CONCERNING THE CREATION OF ANGELS "PEACE BE UPON THEM" 187
EXPOSITION OF WHY PEOPLE ARE DIVERTED FROM GRATITUDE 191
THIRD PILLAR: THAT IN WHICH PATIENCE AND GRATITUDE SHARE AND ARE RELATED TO EACH OTHER 196
EXPOSITION OF THE WAY IN WHICH PATIENCE AND GRATITUDE GATHER ON ONE THING 196
BOOK THREE: FEAR AND HOPE 216
PART ONE: HOPE 216
CHAPTER ONE: EXPOSITION OF ESSENCE OF HOPE 216
CHAPTER TWO: EXPOSITION OF MERIT OF HOPE AND INCLINATION TOWARDS IT 220
CHAPTER 3: EXPOSITION OF REMEDY OF HOPE AND THE WAY IN WHICH THE STATE OF HOPE IS OBTAINED FROM IT AND BECOMES DOMINANT 222
PART TWO: FEAR 234
CHAPTER ONE: EXPOSITION OF ESSENCE OF FEAR 234
CHAPTER 2: EXPOSITION OF DEGREES OF FEAR AND ITS DIFFERENTIATION INTO POWER AND WEAKNESS 237
CHAPTER 3: EXPOSITION OF DIVISIONS OF FEAR IN RELATION TO THE OBJECT WHICH IS FEARED 239
CHAPTER 4: EXPOSITION OF MERIT OF FEAR AND INCLINATION TO IT 243
EXPOSITION THAT THE OPTIMUM IS THE DOMINANCE OF FEAR OR THE DOMINANCE OF HOPE OR THE TWO IN EQUILIBRIUM 249
CHAPTER 5: EXPOSITION OF REMEDY BY WHICH STATE OF FEAR IS OBTAINED 254
CHAPTER 6: EXPOSITION OF MEANING OF EVIL OF SEAL 265
CHAPTER 7: EXPOSITION OF STATES OF PROPHETS AND ANGELS IN RESPECT TO FEAR 276
CHAPTER EIGHT: EXPOSITION OF STATES OF COMPANIONS, THEIR FOLLOWERS AND THE RIGHTEOUS PREDECESSORS AND THOSE ENDUED WITH FAITH IN THE GRIP OF FEAR 280
BOOK FOUR: POVERTY AND ASCETICISM 290
PART ONE: POVERTY 291
CHAPTER ONE: EXPOSITION OF REAL NATURE OF POVERTY; AND DIFFERENT STATES AND NAMES OF THE POOR 291
CHAPTER TWO: EXPOSITION OF EXCELLENCE OF POVERTY IN GENERAL 295

CHAPTER THREE: EXPOSITION OF MERIT OF SOME PARTICULAR POOR FROM AMONG THE CONTENTED, SATISFIED AND TRUTHFUL 303
CHAPTER FOUR: EXPOSITION OF SUPERIORITY OF POVERTY OVER RICHNESS 306
CHAPTER FIVE: EXPOSITION OF ETIQUETTES OF THE POOR IN HIS POVERTY 313
CHAPTER SIX: EXPOSITION OF ETIQUETTES OF THE POOR IN ACCEPTING GIFTS WHEN GIVEN TO HIM WITHOUT BEGGING 315
CHAPTER SEVEN: EXPOSITION OF PROHIBITION OF BEGGING WITH NO NECESSITY; AND ETIQUETTES THEREIN IF ONE IS FORCED TO DO 320
CHAPTER EIGHT: EXPOSITION OF THE EXTENT TO WHICH SELF-SUFFICIENCY MAKES BEGGING UNLAWFUL 326
CHAPTER NINE: EXPOSITION OF STATES OF BEGGARS 328
PART TWO: ASCETICISM 330
CHAPTER ONE. EXPOSITION OF THE REAL NATURE OF ASCETICISM 330
CHAPTER TWO: EXPOSITION OF SUPERIORITY OF ASCETICISM 335
CHAPTER THREE: EXPOSITION OF DEGREES AND DIVISIONS OF ASCETICISM IN RELATION TO ITSELF, THE THING ABSTAINED FROM, AND THE THING DESIRED FOR 344
CHAPTER FOUR. EXPOSITION OF PREFERENCE OF ASCETICISM IN LIFE NECESSITIES 351
CHAPTER FIVE: EXPOSITION OF SIGNS OF ASCETICISM 366
BOOK FIVE: MONOTHEISM AND RELIANCE ON ALLAH ... 369
INTRODUCTION: EXPOSITION OF VIRTUE OF RELIANCE ON ALLAH 370
PART ONE: MONOTHEISM 373
CHAPTER ON EXPOSITION OF THE REAL NATURE OF MONOTHEISM, WHICH IS THE FOUNDATION OF RELIANCE 373
PART TWO: STATES AND DEEDS OF RELIANCE ON ALLAH 388
CHAPTER ONE· EXPOSITION OF STATE OF RELIANCE .. 388
CHAPTER TWO: EXPOSITION OF THE STATEMENTS OF MANY SHEIKHS ABOUT THE DIFFERENT STATES OF RELIANT 393
CHAPTER THREE: EXPOSITION OF DEEDS OF RELIANT 395
THE FIRST PURPOSE: TO GET A BENEFIT 395
EXPOSITION OF RELIANCE AS TO EARNING FOR THE SINGLE AND THE RESPONSIBLE FOR HIS FAMILY 405
EXPOSITION OF STATES OF RELIANT IN ATTACHMENT TO SUSTENANCE THROUGH A SIMILITUDE 410
THE SECOND PURPOSE: TO KEEP A BENEFIT 411
EXPOSITION OF RELIANCE AS REGARDS THE CAUSES OF SAVING AND THE AMOUNT TO BE SAVED 411
THE THIRD PURPOSE: TO AVERT HARM EXPOSITION OF SEEKING MEANS THAT AVERT HARM WHICH LEADS TO FEAR 415
EXPOSITION OF ETIQUETTES OF RELIANT WHEN THEIR LUGGAGE IS STOLEN 419
THE FOURTH PURPOSE: TO PREVENT HARM 422
EXPOSITION OF SEEKING TO PREVENT HARM LIKE TREATING AILMENT AND THE LIKE OF IT 422
REFUTATION OF THE CLAIM THAT LEAVING MEDICINE IS BETTER IN ALL STATES 432
EXPOSITION OF STATES OF RELIANT IN DISCLOSING AND CONCEALING ILLNESS 435
BOOK SIX· LOVE, LONGING, INTIMACY AND CONTENTMENT 437
PART ONE: LOVE, LONGING AND INTIMACY 437
CHAPTER ONE: EXPOSITION OF THE SHARIA-BASED QUOTATIONS IN LOVE OF THE SERVANT FOR ALLAH ALMIGHTY 438
CHAPTER TWO. EXPOSITION OF REAL NATURE AND CAUSES OF LOVE FOR ALLAH; AND VERIFICATION OF THE SERVANT'S LOVE FOR ALLAH ALMIGHTY 441
CHAPTER THREE: EXPOSITION OF THE FACT THAT NONE DESERVES LOVE OTHER THAN ALLAH ALMIGHTY ALONE 447
CHAPTER FOUR: EXPOSITION OF THE FACT THAT THE NOBLEST AND HIGHEST PLEASURE LIES IN THE GNOSIS OF ALLAH ALMIGHTY AND LOOKING AT HIS BOUNTEOUS FACE; AND NO PLEASURE HAS THE SAME EFFECT UNLESS ONE IS DEPRIVED OF IT 457
CHAPTER FIVE: EXPOSITION OF WHY THE PLEASURE OF LOOKING IN THE HEREAFTER EXCELS THE PLEASURE OF THE GNOSIS IN THE WORLD 464
CHAPTER SIX: EXPOSITION OF CAUSES THAT STRENGTHEN LOVE FOR ALLAH ALMIGHTY 469
CHAPTER SEVEN: EXPOSITION OF WHY PEOPLE VARY IN LOVE 473
CHAPTER EIGHT: EXPOSITION OF WHY PEOPLE'S MINDS FALL SHORT OF GNOSIS OF ALLAH ALMIGHTY 475
CHAPTER NINE: EXPOSITION OF MEANING OF LONGING FOR ALLAH ALMIGHTY 477
CHAPTER TEN. EXPOSITION OF ALLAH'S LOVE FOR SERVANT, AND ITS MEANING 484
CHAPTER ELEVEN: EXPOSITION OF SIGNS OF SERVANT'S LOVE FOR ALLAH ALMIGHTY 489
CHAPTER TWELVE: EXPOSITION OF MEANING OF INTIMACY WITH ALLAH 502
CHAPTER THIRTEEN: EXPOSITION OF MEANING OF ELATION AND PAMPERING PRODUCED BY OVERWHELMING INTIMACY 504
PART TWO. CONTENTMENT 510
CHAPTER ONE: EXPLICATION OF VIRTUE OF CONTENTMENT 510
CHAPTER TWO: EXPLICATION OF REAL NATURE OF CONTENTMENT AND ITS NOTION WITH WHAT OPPOSES INCLINATION 516
CHAPTER THREE: EXPLICATION OF THE FACT THAT INVOCATION NEVER CONTRADICTS CONTENTMENT 521
CHAPTER FOUR: EXPLICATION OF THE FACT THAT FLIGHT FROM OR CRITICISM OF PLACES OF SINS AND DISOBEDIENCE DOES NOT DISAPPROVE OF CONTENTMENT 524
CHAPTER FIVE: EXPLICATION OF MANY STATEMENTS OF LOVERS 526
BOOK SEVEN: INTENTION, SINCERITY AND TRUTH 531
CHAPTER ONE: INTENTION 532
EXPLICATION OF VIRTUE OF INTENTION 532
EXPLICATION OF REAL NATURE OF INTENTION 536
EXPLICATION OF DEEDS THAT ARE RELATED TO INTENTION 541
EXPLICATION OF THE FACT THAT INTENTION IS BEYOND CHOICE 548
CHAPTER TWO: SINCERITY ITS VIRTUE, REAL NATURE AND DEGREES 552
VIRTUE OF SINCERITY 552
EXPLICATION OF REAL NATURE OF SINCERITY 556
EXPLICATION OF STATEMENTS OF RIGHTEOUS IN SINCERITY 559
EXPLICATION OF DEGREES OF IMPURITIES AND EVILS THAT STAIN SINCERITY 561
EXPLICATION OF THE RULING OF THE DEED IN CONNECTION WITH WHICH SINCERITY IS STAINED; AND TO WHAT EXTENT IT IS REWARDABLE 563
CHAPTER THREE: TRUTH 566
ITS VIRTUE AND REAL NATURE 566
EXPLICATION OF VIRTUE OF TRUTH 568
EXPLICATION OF REAL NATURE, MEANING AND RANKS OF TRUTH 568
BOOK EIGHT. WATCHING AND RECKONING 575
CHAPTER ONE: FIRST STATION: PUTTING CONDITIONS 577
CHAPTER TWO: SECOND STATION: WATCHING 581

EXPLICATION OF VIRTUE OF WATCHING 581
CHAPTER THREE: THIRD STATION: RECKONING SELF AFTER DOING THE DEED 590
VIRTUE OF RECKONING SELF 590
EXPLICATION OF REAL NATURE OF RECKONING AFTER DOING THE DEED 592
CHAPTER FOUR: FOURTH STATION: PUNISHING SELF .. 593
CHAPTER FIVE: FIFTH STATION: SELF-MORTIFICATION 595
CHAPTER SIX: SIXTH STATION: SELF REPROACHING AND BLAMING 603
BOOK NINE: MEDITATION 609
CHAPTER ONE: EXPLICATION OF VIRTUE OF MEDITATION 609
CHAPTER TWO: EXPLICATION OF REAL NATURE AND FRUIT OF MEDITATION 612
CHAPTER THREE: EXPLICATION OF FIELDS OF MEDITATION 614
CHAPTER FOUR: EXPLICATION OF THE WAY OF MEDITATION IN THE CREATION OF ALLAH ALMIGHTY 620
BOOK TEN:REMEMBRANCE OF DEATH AND HEREAFTER LIFE 630
PART ONE: WHAT PRECEDES AND SUCCEEDS DEATH TO THE SOUNDING OF THE TRUMPET 631
CHAPTER ONE: EXCELLENCE OF REMEMBRANCE OF DEATH AND EXHORTATION TO REMEMBER IT 631
EXPLICATION OF EXCELLENCE OF REMEMBRANCE OF DEATH 632
EXPLICATION OF THE WAY TO REMEMBER DEATH 635
CHAPTER TWO: CONCERNING LONG HOPE; AND EXCELLENCE OF SHORT HOPE; AND WHY IT IS LONG; AND HOW IT IS REMEDIED 635
EXCELLENCE OF SHORT HOPE 635
EXPLICATION OF WHY HOPE IS LONG, AND ITS REMEDY ... 640
EXPLICATION OF THE DIFFERENT RANKS OF PEOPLE CONCERNING LONG AND SHORT HOPES 642
EXPLICATION OF THE NECESSITY TO HASTEN TO WORK AND CAUTION OF THE EVIL OF DELAY 643
CHAPTER THREE: DEATH AGONIES AND DIFFICULTIES; AND WHAT IS FAVORABLE OF STATES WHENEVER IT COMES 647
EXPLICATION OF SUCH OF STATES AS FAVORABLE FOR THE WOULD-BE DEAD AT DEATH 653
EXPLICATION OF GRIEF AT MEETING THE ANGEL OF DEATH THROUGH MANY TALES 655
CHAPTER FOUR: CONCERNING THE DEATH OF THE MESSENGER OF ALLAH "ALLAH'S BLESSING AND PEACE BE UPON HIM" AND THE RIGHTLY-GUIDED CALIPHS AFTER HIM 657
THE DEATH OF THE MESSENGER OF ALLAH "ALLAH'S BLESSING AND PEACE BE UPON HIM" 657
THE DEATH OF ABU BAKR AS-SIDDIQ "ALLAH BE PLEASED WITH HIM" 666
THE DEATH OF UMAR IBN AL-KHATTAB "ALLAH BE PLEASED WITH HIM" 668
THE DEATH OF UTHMAN IBN AFFAN "ALLAH BE PLEASED WITH HIM" 671
THE DEATH OF ALI "ALLAH BE PLEASED WITH HIM" 672
CHAPTER FIVE: THE WORDS OF THE WOULD-BE DEAD FROM AMONG RULERS AND RIGHTEOUS 672
EXPLICATION OF STATEMENTS OF A SET OF RIGHTEOUS FROM AMONG THE COMPANIONS AND THEIR FOLLOWERS 674
CHAPTER SIX: OPINIONS OF THE LEARNED ABOUT FUNERALS AND GRAVES; AND RULING ON VISITING GRAVES 676
EXPLICATION OF THE STATE OF THE DEAD IN THE GRAVE, AND THEIR STATEMENTS AT THE GRAVES .. 678
EXPLICATION OF VISITING THE GRAVES AND SUPPLICATION FOR THE DECEASED 682
CHAPTER SEVEN: REAL NATURE OF DEATH; AND WHAT A DEAD RECEIVES IN THE GRAVE UNTIL THE SOUNDING OF THE TRUMPET 687
EXPLICATION OF REAL NATURE OF DEATH 687
EXPLICATION OF THE GRAVE'S SPEECH TO THE DEAD , AND THE DEAD'S SPEECH, EITHER IN WORD OR IN STATE, WHICH IS MORE EXPRESSIVE TO REACH THE DEAD THAN THE WORD TO THE LIVING 693
EXPLICATION OF PUNISHMENT OF GRAVE; AND INTERROGATION OF MUNKAR AND NAKIR 694
CHAPTER EIGHT: WHAT IS KNOWN FROM THE STATES OF THE DEAD BY MEANS OF REVELATION IN DREAMS 701
EXPLICATION OF VISIONS THAT UNCOVER THE STATES OF THE DEAD AND THE DEEDS THAT BENEFIT IN THE HEREAFTER 705
PART TWO: STATES OF THE DEAD FROM THE SOUNDING OF THE TRUMPET TO THE ABIDANCE EITHER IN PARADISE OR IN HELL, AND ITS RELATED TERRORS AND RISKS 708
CHAPTER ONE: EXPLICATION OF THE SOUNDING OF THE TRUMPET 708
CHAPTER TWO: ACCOUNT OF THE MUSTERING LAND AND ITS INHABITANTS 711
CONCERNING THE SWEAT 712
CHAPTER THREE: ACCOUNT OF THE DURATION OF THE DAY OF RESURRECTION 714
CHAPTER FOUR: ACCOUNT OF THE DAY OF JUDGEMENT, ITS TERRORS AND NAMES 715
CHAPTER FIVE: ACCOUNT OF INTERROGATION 718
CHAPTER SIX: ACCOUNT OF THE BALANCE (OF DEEDS) 722
CHAPTER SEVEN: ACCOUNT OF FOES AND REMOVAL OF INJUSTICES 723
CHAPTER EIGHT: ACCOUNT OF SIRAT 727
CHAPTER NINE: ACCOUNT OF INTERCESSION 729
CHAPTER TEN: ACCOUNT OF THE FOUNTAIN 734
CHAPTER ELEVEN: ACCOUNT OF HELL, ITS TERRORS AND CHAINS 736
CHAPTER TWELVE: ACCOUNT OF PARADISE AND ITS BLISS 745
ACCOUNT OF WALLS, FLOORS, TREES AND RIVERS OF PARADISE 750
ACCOUNT OF THE CLOTHES, THRONES AND CUSHIONS OF THE INHABITANTS OF PARADISE 751
ACCOUNT OF THE FOOD OF THE INHABITANTS OF PARADISE 752
CHAPTER THIRTEEN: ACCOUNT OF HOURIS OF BIG LUSTROUS EYES 754
A SET OF VARIOUS ATTRIBUTES OF THE INHABITANTS OF PARADISE 755
CHAPTER FOURTEEN: ACCOUNT OF VISION AND LOOKING AT THE COUNTENANCE OF ALLAH 757
CHAPTER FIFTEEN: EXTENSIVE MERCY OF ALLAH ALMIGHTY 758
CONTENTS 766

Imam Abu Hamed AL-GHAZALI
(450-505 H.=1058-1111 A.D.)

REVIVAL OF RELIGION'S SCIENCES
IHYA' ULUM AD-DIN

إحياء علوم الدين

Translated by
Mohammad Mahdi al-Sharif

Volume IV
The quarter of the saviors

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
DKI
Beirut- Lebanon

Imam Abu Hamed AL-GHAZALI
(450-505 H.=1058-1111 A.D.)

REVIVAL OF RELIGION'S SCIENCES (IHYA' ULUM AD-DIN)

إحياء علوم الدين

Translated by
Mohammad Mahdi al-Sharif

Volume IV

The quarter of the saviors

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title : **REVIVAL OF RELIGION'S SCIENCES (IHYA' ULUM AD-DIN)**

إحياء علوم الدين

Classification: Jurisprudence and sufism

Author : Imam Abu Hamed AL-GHAZALI

Translator : Mohammad Mahdi al-Sharif

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Pages : 2784 (4 volumes)

Size : 17*24

Year : 2011

Printed in : Lebanon

Edition : 1st

DKI

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1871 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون،القبة،مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤-١١ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

Exclusive rights by © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

ISBN 978-2-7451-5945-8
ISBN 2-7451-5945-3
9 782745 159458 90000

IN THE NAME OF ALLAH, MOST GRACIOUS, MOST MERCIFUL
REVIVAL OF RELIGIOUS SCIENCES
QUARTER OF SAVIORS
THE FOURTH QUARTER OF REVIVAL OF RELIGIOUS SCIENCES

Book one: Repentance

It is the first book of the quarter of saviors

In the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

Praise be to Allah with whose praise every book is prefaced; with Whose invocation every discourse is commenced; by whose praise the people of felicity shall abide with ease in the abode of recompense; and by Whose Name the wretched are consoled, even if the bar is set down before them, and they are separated from the bliss by a portal wall, inside which there is Divine Mercy, while outside there is Divine Chastisement.

We turn unto Him in repentance, are convinced that He is master of all masters and originator of all causes. We look to Him in anticipation, are certain of His being the King, compassionate, forgiving and ready to accept repentance. We blend dread with hope, and have no doubt that while forgiving of transgression and receptive to repentance He is stern in inflicting punishment.

We pray for His prophet Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him" and for his family and companions, a prayer that will rescue us from the terror of the place whence one will look down on the day of resurrection and will secure for us nearness to and safe refuge with Allah.

Coming to the point: Repentance from sin, by recourse to the Concealer of defects and Knower of secrets is the starting point for the followers of the spiritual path, the capital of the successful, the first step of the aspirants, key to the straightening of the bent, the prelude of the selection and election for those who are brought close to Allah, and for our father Adam "Allah's blessing and peace be upon him" and all the other prophets. How appropriate it is for children to emulate their fathers and ancestors. There is no wonder if a son of Adam sins and does wrong, a disposition recognizable as a hereditary trait, For whoever resembles his father (even in sin) is not wrongful. However, if the father is restored after failing and is revitalized after aging, let the emulation of him be at both poles, of the negative and the positive. Adam has been smitten with remorse, filled with repentance over his past deeds. Anyone who follows him as a model of sinning (only), and not in repentance, has stumbled.

Devotion to pure goodness is a trait of the angels close to Allah. Devotion to uncorrected evil is the nature of devils. But, return to good after stumbling in evil is inevitable in human beings. The devotee of absolute good is an angel intimate of the King (who is) Judge. The devotee of evil only is a devil. But he who rectifies evil by returning to good, is, indeed, a human being. So, in man's nature

there is a duality of disposition, two traits joining in him.

Every human being verifies his relationship with the Angel, Adam or the Devil. The repentant, by keeping to the definition of Man, truly proves that he is related to Adam, whilst he who persists in iniquity proves that he is related to the Devil. Confirmation of relationship to the Angels, however, by dedication exclusively to the good, is beyond the realm of possibility. For evil is firmly kneaded with good in the nature of man, and it cannot be refined except by one of the two fires: fire of repentance, or fire of Hell. Burning in fire is necessary to purify the human essence from the Satanic pollution. It is up to you now to choose the easier fire, and to be prompt in embarking on the lesser discomfort before the choice is withdrawn to give way to the inevitability of either Paradise or Hell.

Since repentance occupies such a place in religion, it must be put first in the Quarter of saviors with explanation of its true nature, requisites, motivation, manifestation and benefit, the difficulties barring it and the remedies facilitating it. This will become clear by discussing four pillars.

The first pillar: on the nature of repentance:

Explication of its definition and true character; that it is obligatory, at once, on all men, under all conditions and that, if properly carried through, is accepted.

The second pillar: On the context of repentance (injustice):

Explication of sin's, their division into trivial and major sins, some toward one's fellow man others toward Allah; how higher and lower states (in the hereafter) are distributed according to good and evil deeds (in this life); the circumstances that turn the trivial into major sins.

The third pillar: On the requisites and perseverance of repentance. How past iniquities may be corrected, and sins atoned; the categories of men according to their perseverance in repentance.

The fourth pillar: On the stimulus of repentance and the way of treatment for the dissolution of the knot of persistence.

The goal of exposition will be attained through these four pillars by Allah's will.

FIRST PILLAR

ON NATURE OF REPENTANCE; EXPLICATION OF REPENTANCE AND ITS DEFINITION

It should be known to you that repentance is a concept that consists of three successive and joined elements: Knowledge, state (of regret) and action. Knowledge is first, state second and action third. The first necessitates the second, and the second necessitates the third, in accordance with the continuity of the divine way in kingdom of visibles and dominion of invisibles.

As for knowledge, it is the realization of the magnitude of the harm caused by sins and its being a barrier between man and the Beloved. If he realizes this with utter and decisive certainty, overwhelming his heart, this realization will stir heartache on account of losing the Beloved. For whenever the heart perceives the withdrawal of the Beloved, it is pained. If the withdrawal is through man's own action, he is regretful of that alienating behaviour. Such grief of the heart over

behaviour alienating the Beloved is called Regret.

When this anguish becomes overpowering, another inner state is induced, termed volition and aspiration towards (new) behaviour connected with the present, the past, and the future. Its connection with the present consists of the repudiation of the sin with which he was entwined. For the future, it involves the determination to abandon forever the sin which causes alienation from the Beloved. With regard to the past, it involves correction of what was omitted by (doing) good and performing (the omitted act), if it is susceptible to be corrected and compensated.

Thus, knowledge is prerequisite and is the starting point of these blessings. By this knowledge, I mean faith, and certitude. To have faith is to accept as true the fact that Sins are a deadly poison. Certitude is to confirm the acceptance of this truth, and to remove all doubt about it leading to its mastery over the heart, so that whenever the illumination of this Faith shines upon the heart it produces the fire of Regret. It, in turn, will bring forth anguish as the heart perceives, through this illumination of the light of the faith, that it has become veiled from its Beloved. As one who was in darkness and on the verge of ruin, and, with the dispersal of clouds and the rending of a veil, the illumination of the sun shone and radiated upon him, and he saw his Beloved. Then the flames of love burn in his heart and these flames flare up in his will to rise to correct his ways.

Knowledge, Regret and intent connected with abandonment (of sin) in the present and future, and correction of the (sin perpetrated in the) past are three successive concepts within this process. Repentance *(Tawbah)* consists of them all. But repentance, more often, is used for the concept of Regret alone, as if making knowledge a precondition, and abandonment a result and later consequence. It is in this sense that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Regret is Repentance." (Ibn Majah, Ibn Hibban and Al-Hakim on the authority of Ibn Mas'ud; and Ibn Hibban and Al-Hakim on the authority of Anas). That is because Regret is hardly void of knowledge which necessitates and evokes it, and of determination which follows it. Regret is surrounded by both ends, i.e. its result and its cause.

In this sense, it is said about Repentance that it is the melting of the entrails as a result of previous offense for this exposes to sheer agony. It is therefore said: "It is a fire raging in the heart, a fissure within the liver that does not recover." With respect to the meaning of Abandonment as an element of Repentance, it is said: "It is to take off the garment of alienation and put on the garment of fidelity." Sahl Ibn 'Abdullah At-Tastari said: "Repentance is the change from reprehensible acts to commendable acts. This can be accomplished only in solitude and silence, and eating from what is lawful." He seems to have pointed to the third element of Repentance.

The sayings about Repentance are innumerable. Yet, if you have understood these three aspects in their junction and sequence, you will know that all that has been said regarding it falls short of encompassing all its aspects. The search for the knowledge of the true essence is more important than the pursuit of mere verbalizations.

Explication Of Obligation And Excellence Of Repentance

It should be known that obligation of repentance is evident in the Qur'an and the Prophetic Tradition, and it is manifest in the light of discernment to him whose discernment has developed and whose heart Allah has laid open to the light of faith, so that he is capable of advancing in this light amidst the murk of ignorance, without need of a guide in every step.

A follower of the way (to the hereafter) may be blind, and must have a guide to direct his steps; or his vision may be good enough, and he will be guided to the beginning of the way whence he will guide himself. In the way of religion, men are similarly divided. There is the limited who are unable to transcend blind imitation of past authority, and require, at each step, a text from Allah's book or the tradition of his prophet "peace be upon him" and in the absence of such a passage he may become perplexed, and, though he lives long and be most diligent, such a man's progress may be limited, and his steps failing. Another is the happy man whose heart Allah has opened to an acceptance of Islam, and who is illumined by Allah. He will respond to the slightest indication to follow a difficult path and overcome tiresome obstacles. The light of the Qur'an and the faith will glow in his heart, and, due to the intensity of his inner illumination, the slightest explanation will suffice him. It is as if his oil would shine even if no fire touched it; and if the fire touched it then it would be light upon light. Allah guides to his light whom he will. Such a man has no need for a traditional text at every turn.

A person like that, if he desires to understand the obligation of repentance, examines, through the light of discernment, what is the nature of repentance, then he scrutinizes what is the meaning of Obligation, then he combines these, and there will be no doubt as to his perseverance therein: That is, he knows that the meaning of the obligatory is that which is obligatory for attainment of eternal bliss and deliverance from everlasting damnation. For unless 'happiness and misery are dependent on some action or its Omission, describing the act as being obligatory would be meaningless. The statement, 'it became obligatory by being given obligation (in some impersonal way)', is mere verbiage. For, in the case of an act where we have no purpose, near or distant, in doing it or leaving it undone and so has no meaning in busying ourselves with it, whether or not someone else made it obligatory for us.

If man understands the concept of obligation (of repentance), that it is the means to eternal bliss; that there is no bliss in the Hereafter except in the meeting with Allah Almighty; that everyone barred therefrom is no doubt suffering, feeling separated from the object of his desire, and seared by the flame of separation and hellfire; that what keeps him away from meeting Allah is following the desires and lusts and fondness for this ephemeral world and the pursuit of affection for something which he inevitably must leave; that nothing can bring near the presence of Allah except the severance of his heart's attachment to the vanity of this life, complete responsiveness to Allah, in search of intimacy with Him by constantly remembering Him and by love for Him, in the knowledge of His Majesty and Beauty, to the extent of man's capability; and that the

transgressions which constitute turning from Allah and following the delights of the devils, those enemies of Allah that keep one away from His presence, are the cause of man's being shut off, kept out from (the presence) of Allah; then there is no doubt that renunciation of the path leading away (from Allah) is obligatory in order to achieve closeness to Him.

Renunciation, however, is achieved by Knowledge, Regret, and Determination. As long as man knows not that sins are the causes for the remoteness of the Beloved, he will neither, regret nor grieve over his traveling on the path of withdrawal. As long as he has not grieved, he will not turn back, given that retreat is abandonment and determination. No doubt, these three elements are necessary in reaching the Beloved. Such is then Faith that derives from the light of perception.

As for the (ordinary) man who is not qualified for such a station, whose climax transcends the bounds of most people, he has ample scope, through the blind imitation of convention and example, to attain salvation from damnation. Let him take heed of the statements of Allah Almighty, His prophet "peace be upon him" and the righteous predecessors.

Allah says: " And O you Believers! turn you all together towards Allah, that you may attain Bliss." (An-Nur 31)

﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

He further says: "O you who believe! Turn to Allah with sincere repentance: in the hope that your Lord will remove from you your ills and admit you to Gardens beneath which Rivers flow." (At-Tahrim 8)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴿٨﴾ ﴾

The meaning of 'sincere' in the verse is to be sincere to Allah, free of blemish. The word is derived from 'sincere advice'. The excellence of repentance is stated by Allah in His saying: " For Allah loves those who turn to Him constantly and He loves those who keep themselves pure and clean." (Al-Baqarah 222)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The repentant is dear to Allah, and he who repents of sin is as the one who has no sin." (Ibn Majah on the authority of Ibn Mas'ud). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Allah is happier with the repentance of His faithful servant than the man who is accompanied by his camel carrying his provisions, and when he came to an arid desert, he laid down his head and napped. He awoke and his camel has gone. He searched for it until the heat and thirst overcame him. He said: "I will return whence I started and sleep until I die." He proceeded to place his head upon his arm so as to die. Then, he awoke, and lo, his camel stood before him, provisions intact. Allah's joy at the repentance of the faithful servant is more intense than that of the man on account of (the return of) his camel." (Muslim on the authority of Ibn Mas'ud

and Anas). According to another version, he said, out of his great joy and desire of thanking Allah: "I am your lord and you are my servant."

It is narrated on the authority of Al-Hassan Al-Basri that he said: When Allah forgave Adam, the angels congratulated him. Gabriel and Michael descended to him and said: "O Adam, may you delight in Allah's forgiveness!" Adam "peace be upon him" replied: " O Gabriel, if a question remains after this pardon, what is my standing?" Allah, then, revealed to him: " O Adam, you have bequeathed your descendants toil and hardship but also repentance. Whoever of them shall call upon Me, I shall respond to him as I did to you. Whoever shall seek pardon, I shall not withhold it from him, for I am nigh and responsive! O Adam, I shall gather up the repentants from their graves happy and laughing, with their supplication answered."

There are innumerable traditions on the subject, and there is within the community a general consensus on its obligation. For its meaning is the recognition that sins and iniquities are destructive and remove Man from Allah. This sense is part and parcel of the obligation of Faith. At times, however, disregard of it may occur. Knowledge means the elimination of this disregard. There is no doubt of the obligatory nature of repentance. Among the various aspects of repentance are the abandonment of iniquities in the present; resolve to abstain in the future; and correction of previous shortcomings. Of the obligation of these, there is no doubt. As for regret and sadness of past offenses, surely this is obligatory. It is the very spirit of repentance which includes full rectification. How could this not be obligatory? Nay, it is a sort of pain one suffers following the realization of how much of lifetime has passed and was wasted in the wrath of Allah.

You may ask: "Heart anguish is a necessary state about which one has no choice. How then can it be classified as an obligation?" in reply to that, it should be known that such anguish is caused by the certain knowledge of having missed the Beloved. Man has a path by which to grasp its cause. In this

sense, knowledge can be classified as obligatory. It cannot, however, be understood as a self-induced creation of man, for this would be absurd. Rather, Knowledge, Regret, Action, Volition, Capacity and the carrier are all creations and deeds of Allah. "Allah has created you and (all) that you do." (As-Saffat 96)

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

This is what men of insight consider true, and all else is wrong.

You may also ask: "Does man, then, have no choice in action and abandonment?" The answer is in the affirmative. Yet this does not contradict our previous statement that everything stems from Allah's creation. So, also, does choice. Man is compelled in that choice which is his. Indeed when Allah creates the right hand, delicious food and the appetite for food in the stomach, He also creates the innate awareness that this food would appease the craving. He also produces the opposing notions: Does or does not this food, while appeasing the craving, also contain harm and, perhaps, there is some objection to it, making its consumption objectionable. Further, He creates the knowledge that there is no obstacle. When these factors converge, there emerges a resolve motivating

consumption. The emergence of the resolve, then, after vacillating between contradictory notions, and following on the intense appetite for the food, is called choice. It is inevitable that it should set in upon the convergence of all these conditions. Then, as resolve emerges through Allah's creation of these conditions, the right hand duly rises towards the food. For after volition and ability are attained, the following of the act is necessary so that the movement is produced. Thus, the movement is by Allah's creation, following the attainment of ability and the emergence of the resolve, both also of Allah's creation. The emergence of volition follows real appetite and the recognition that there are no objections, again by Allah's creation. But some of these creations follow others in an order habitual in Allah's creation: "you shall not find for the way of Allah aught of change." (Al-Ahzab 62; Al-Fath 23)

﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾ ، ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾

Allah does not create the movement of the hand in orderly writing so long as He has not created in the hand the quality of capacity, life and emerging will, nor does He create a firm resolve as long as He has not brought forth desire and inclination in the soul. This inclination is not fully induced until there is knowledge that it suits the soul either immediately or ultimately. Knowledge, also, comes about only by other elements going back to movement, will and knowledge. Knowledge and natural disposition, then, always entail firm resolve. Movement always follows power and resolve. Such is the order of each action. All of it derives from divine origination.

Some of His creatures are preconditions of others and, therefore, some will have to precede others, e.g., will appears only after knowledge, which comes only with life, which emerges only after the creation of the body. The creation of the body is, therefore, requisite for the incidence of life but not in the sense that life is generated from the body. Likewise, the creation of life is a condition for the creation of knowledge, but not in the sense that knowledge is born of life. Yet, there is no ready receptacle for knowledge except it be alive. The creation of knowledge is then a requisite for the emerging resolve but not in the sense that knowledge engenders resolve. But only a live and knowing body is receptive of a state of volition.

Nothing exists except that which is possible, and possibility is an ordained order which does not tolerate change, for such would be an absurdity. As soon as the precondition of a quality exists, the carrier endowed with it is created to receive the quality. This quality, then, is attained through divine grace and eternal power, once the disposition has set in. Inasmuch as the disposition, on account of the preconditions, has (preordained) order, the flow, by Allah's directives, of events has a set order, and Man, then, is the arena of these divine preordained successive events. These events are regulated by divine decree, which is as the twinkling of an eye, in a universal and unchangeable order. Their manifestation is so predestined in detail that man cannot transcend them. This is referred to by Allah's statement: "We have created all things according to a fixed decree." (Al-Qamar 49)

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾

Concerning the absolute and eternal decree He says: " And Our Command is but a single (Act), like the twinkling of an eye." (Al-Qamar 50)

﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾

Men are subject to the flow of fate and divine decree. Part of destiny is the creation of the movement in the hand of the writer after the creation of a special quality in the hand which quality is termed capacity. This follows the introduction of a strong and definite inclination, called Intent, in man's soul. This succeeds knowledge of the object of his inclination, which is called Awareness and Perception.

When, from the hidden reaches of the invisible dominion, these four elements appear upon the body of a man, who is subject to the compulsion of fate, the people of the visible world, barred as they are from the invisible and sublime dominion, come and say: "O man, you who have moved, aimed and written." But proclaimed from behind the veil of the transcendental and the whirlwind of majesty, it is announced: "when you have aimed it is not you that has aimed but Allah." (Al-Anfal 17)

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾

When you have killed, it is not you that have done it But "fight them, Allah chastises them at your hands."

The minds of those sitting in the middle of the sensible world are confused. Some call it mere predestination *(Jabr Mahd),* others pure indeterminism *(Ikhtira' Sirf).* Yet others mediate and tend towards the theory of acquisition *(Kasb).* If the gates of heaven were opened to them and they looked into the transcendental world, it would become apparent to them that each one is right in a sense, and yet all share in failure, and not one of them had fathomed the matter in all its aspects. Complete perception of it is attained by illumination through an aperture reaching into the invisible world. Allah knows the hidden world and the manifest. He reveals this hidden realm only to such a messenger with whom He is well-pleased. The manifest may be perceived by one who has not come within the scope of (His) satisfaction. To him, who sets into motion the chain of causes and results, and knows the manner of its sequence and the nature of its connection to the primal cause, the secret of destiny is disclosed, and he acquires certainty that there is no creator and originator barring Allah.

If you say: "As you have concluded that each of these respective advocates of predestination, free will and acquisition is correct, to some degree, but also falls short of truth, are you not positing a contradiction? How can such a situation be understood? Is it possible to explain this through a parable?" In reply to that, it should be known to you that its example is like a group of blind men who heard that a strange animal, called an elephant, had been brought to the town but none of them had seen its shape nor had they heard its name. They said: "We must inspect and know it by touch of which we are capable." So, they sought it out, and when they found it they groped about it. One of them grasped its leg,

another its tusk and the third its ear. Then they said: "Now we came to know it." When they departed, the other blind men questioned them but the three differed in their answers. The one who felt the leg said: "The elephant is similar to a coarse cylinder outside although it appears to be softer than that." The one who had felt the tusk said: "It is not as he says. It is solid without any softness on it. It is smooth, not coarse. It is not at all stiff but rather it resembles a column." The third man, who had grasped the ear, said: "By my life, it is soft and somewhat coarse. One of them is right but it is not like a column or a cylinder. It is rather, like broad, thick hide." Now, each of these presented a true aspect when he related what he had gained from experiencing the elephant. None of them had strayed from the true description of the elephant. Yet, together, they fell short of fathoming the true appearance of the elephant. Ponder this parable and learn from it. It is the pattern of most human controversies. If these words touch the sciences of Disclosure (Mukashafah) and provoke ripples therein, this was not our intention. Let us, then, return to our present concern, i.e., the fact that repentance with its three elements: Knowledge, Regret and Renunciation is obligatory. Regret comes within the scope of obligation as this occurs in all of Allah's actions that are interposed between man's knowledge and his will and power. That which answers this description is included in the term 'obligation.

Explication That Promptness Is (Essential In Fulfilling) Obligation Of Repentance

There is no doubt that promptness is (essential in fulfilling) this obligation, since perception of sins' destructive nature is out of faith, which is immediately obligatory. Its obligation is profoundly grasped by him whom this keeps from reprehensible action. Indeed this perception is not of the Disclosure (Mukashafah) sciences which are independent of action. Rather, it is of the sciences of practical religion. Every (item of) knowledge that is intended to be a stimulus to action has not been fully perceived as long as it has not become such a stimulus. The knowledge of sins' harm was intended to be a stimulus to renouncing them. He, then, who has not abandoned sin is failing in this part of faith. Such is the intent of the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "The adulterer does not commit adultery at the time of fornication while he is a believer." (both sheikhs on the authority of Abu Hurairah).

His intent is not the denial of the faith which pertains to the Mukashafah sciences, such as knowledge of Allah, His unity, His attributes, His scriptures and Apostles. Indeed, adultery and sin do not preclude that. Rather, he thereby means denial of the belief that adultery alienates (one) from Allah and leads to abomination. It is similar to the case in which a physician says: "This is deadly poison, do not take it." If the patient then takes it, it can be said (that) he took it as a non-believer, not in the sense that he lacks belief in the existence of the physician or in his being a physician, nor due to the patient's distrust of the physician. Rather, what is meant is that the patient distrusts the physician's statement that the compound is a lethal toxin. Indeed, he who knows (the nature of) the toxin will not take it at all.

The sinner, of necessity, lacks in faith. Faith is not one variety but rather over seventy the highest point of which is to bear testimony that there is only one God, and the lowest point of which is to remove harm from the road. It is similar to the statement that man is not one creature but rather over seventy the highest of which is the heart and spirit, and the lowest is keeping harm from the outer skin so that the mustache will be shaven, the nails cut and the skin free of scum so that he is set apart from the beasts soiled by their detestable dung, with their long claws and hooves. This is a proper simile.

Faith is similar to man. The loss of the affirmation of (God's) unity produces total futility like the loss of the spirit. He who has nothing save the affirmation of Allah's unity and of (Muhammad's) mission is like a man whose limbs are cut off, whose eyes have gouged out, and who has lost all his organs, both internal and external, except the spiritual element. Just as he, who is in this condition, is close to death, the weak and solitary spirit, bereft of the limbs which support it and give it strength, abandoning him, so he, who is deficient in works, has naught save the root of faith is near to having the (whole) tree of his faith uprooted when, preceding the approach and arrival of the Angel of Death, the tempest which dislocates faith strikes the tree.

Any faith that is not firmly rooted in certitude nor branched out in action will not withstand the stormy terror of the Angel of Death, and may be in danger of an evil end, unlike faith that is tempered continuously with pious deeds until faith is firmly anchored. The statement of the disobedient to the obedient (servant): "I am a believer just as you are a believer" is like the statement of the pumpkin tree to the stone pine: "I am a tree and you are a tree." How apt is the pine's retort when it says: "When the autumn winds blow you will surely realize your foolishness in including (us both under the same) nomenclature, for then your roots will be severed, your leaves will fall away, and your conceit in sharing the name 'tree', as well as your heedlessness of the conditions of a tree's stability, will be made apparent." When the dust settles, you will see, If it's a horse you're riding, or an ass. This matter will become apparent at the end. The arteries of Gnostics collapse in fear of the vicissitudes of death and its terrible foreshadowing *which* only very few will withstand.

The sinner, fearless of eternal hellfire because of the evil consequence of his disobedience,is like the healthy man who, addicted to injurious passions, is not, while in his healthy state, afraid of death. Indeed death does not usually occur suddenly. He may be told: "The healthy man fears sickness, then, if he takes ill he fears death. So, the sinner fears a bad end, then, when, Allah forbid, his end is bad, he is consigned to eternal hellfire."

Sins are to faith like toxic foods to the body. They keep accumulating inside (the body) until the component elements change, imperceptibly, and the composition deteriorates and suddenly the man falls ill, then, suddenly, dies. So is the sinner. If a man afraid of ruination in this passing world must, immediately and constantly, abandon toxic substances and harmful foods, so too, and even more so must he who fears eternal perdition. If a man who consumed poison, then felt regret, would need to vomit and discontinue the consumption of poison by invalidating and removing it from the stomach in the quickest manner, to save his body which is on the verge of death, the loss merely of this ephemeral world,

then, he who consumes what is toxic to religion, that commits sins, is even more obliged to desist from these sins by correcting whatever is possible so long as there remains time for correction, namely (the remainder of his) lifetime.

For, what is feared from this toxin is the loss of everlasting life which contains lasting bliss and the great kingdom; its loss entails the fire of Hell and lasting chastisement which is so much that multiples of life in this world are less than one tenth of a tenth of its duration, given that it has no end at all. Hurry, hurry, then, to repent before the toxic sins do their work on the spirit of faith, and the matter will transcend physicians and their knowledge After which seeking shelter will avail naught nor will counsel and admonition, and man may be included in the damned, as He Almighty says: " We have put yokes round their necks right up to their chins, so that their heads are forced up (and they cannot see). And We have put a bar in front of them and a bar behind them, and further, We have covered them up; so that they cannot see. The same is it to them whether you admonish them or you do not admonish them: They will not believe." (Ya Sin 8:10)

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ ﴾

Do not be deluded by the word 'faith', claiming that the verse pertains to the unbeliever, since it has been explained to you that faith is of over seventy branches, and that 'the adulterer does not fornicate at the time he is committing adultery while he is a believer', he then who is barred from faith which is bough and branch, will be barred, in the end, from that faith which is the root. Just as the man who, bereft of limbs, which are the branches, will be led to final death of that spirit which is the root. That is because the root has no continuity without the branch, nor has the branch existence without the root. There is no difference between the root and the branch except in one point: the existence and continuity of the branch requires the existence of the root while the existence of the root does not require the existence of the branch. The continuity of the root, then, lies in the branch, and the branch draws its existence from the root.

Likewise the sciences of Disclosure and the sciences of practical religion are as inseparable as the root and branch. Neither can dispense with the other even though one of them has a primary status and the other is secondary. If the sciences of practical religion have not become a stimulus to action, their non-existence is preferable to their existence. If they have not carried out their intended function, they turn into a supportive argument against their student. Therefore, the chastisement of the immoral learned is greater than that of the immoral ignorant, as can be seen from the Traditions we cited in the Book of Knowledge.

Explication Of Universality Of Obligation Of Repentance From Which None Is Free.

It should be known to you that the apparent meaning elicited from the text of the Qur'an has already indicated this, as shown from the statement of Allah Almighty: " And O you Believers! turn you all together towards Allah, that you may attain Bliss." (An-Nur 31)

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾

Thus He universally addressed all believers. The light of the mind also advises so, as the meaning of repentance is the retreat from the road which leads away from Allah and draws (man) nigh unto Satan. That is conceived only by one endowed with reason. The natural disposition of the intellect is fulfilled only after the fullness of the instincts of desire, anger and the rest of the negative qualities which are Satan's instruments for the enticement of man.

The perfection of the intellect comes at the age of about forty; its foundation becomes complete only at puberty and its rudiments appear at the age of seven. The passions are the soldiers of Satan, and the minds those of the angels. When they come together, combat, of necessity, breaks up between them, as one does not yield to the other, they being adversaries.

The strife between them is like the struggle between night and day, light and darkness. Whenever the one gains ascendancy, the other is, necessarily, roused. If the desires mature during childhood or adolescence, before the perfection of the intellect, then the satanic forces have preceded and mastered the situation. Familiarity and intimacy with Satan befall the heart, no doubt, as usual requisites of the desires. This overcomes man and makes it difficult to abstain therefrom. Then the intellect, which is Allah's troop and force, emerges to save, gradually, those favoured by Allah, from the hands of His enemies. But if the mind is not strong and perfect, the kingdom of the heart surrenders to Satan, and the Evil One carries out his promises: "I shall verily master his progeny, save a few." (Al-Isra' 62)

﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾

But if the intellect is perfect and strong enough, its first occupation is to suppress the satanic forces by breaking the appetites and habits and by forcefully reverting the natural disposition to acts of worship. Only this is the meaning of repentance. It is the return from that road whose guide is lust and whose sentry is Satan, to Allah's path.

In every human being passion prevails over intellect; the impulse which is a device of Satan prevails over the impulse which is an instrument of the angels. Every human being, be he Prophet or fool, must abandon the steps taken to promote desire. On no account should you suppose that this is peculiar to Adam "peace be upon him". It has been said: "Do not suppose that only Hind (shows) treachery as a personal temper. Every songstress is like Hind." Rather, it is an eternal rule, the fate of humankind, which no decree can alter so long as there is no variance in the immutable divine way.

Consequently, anyone who has come of age as an ignorant disbeliever must repent from his ignorance and disbelief. If he has come of age as a Muslim, following his parents, yet negligent of the real meaning of Islam, he must repent from his negligence by comprehension of the meaning of Islam. Indeed, his parents' Islam is of no avail to him so long as he himself does not turn Muslim. If he has understood that, then he must turn from his practice and propensity for following the desires, without anyone to divert him, and turn toward the pattern

of the divinely set limits in prevention, release, absolution and renunciation. This is of the hardest kinds of repentance, and it is the ruin of most, as they fail therein. All this is retreat and repentance. It points to (the fact) that repentance is an obligatory duty binding upon every person. It is unimaginable that anybody can be exempted from it, as Adam was not either. The constitution of the progeny cannot accommodate that which the original constitution of the progenitor could not.

As for the explanation of the constancy and universality of this obligation, it is that no man is free from sins by his limbs; for even the prophets were not free of them, as is mentioned in the Qur'an and Prophetic Traditions about the sins of the prophets: How the prophets got rid of, and repented from them. If a man, in some cases, is free of sin by commission, he is not free of thinking about sin in his mind. If he is free, sometimes, from such thought, he is not free of satanic temptation by instigation of sporadic thoughts distracting from invoking Allah's name. But even if he is free therefrom, he would not be free from heedlessness and shortcoming in the knowledge of Allah, His attributes and acts. All this is a shortage which has its causes. Abandonment of its causes, by taking refuge to their opposites, is a turning from a path to one leading to the opposite direction. The intent of repentance is (such a) turning.

Freedom from this shortage in humans is inconceivable, but they differ as to the extent of shortage. Yet, basically there is no escape from it. That is why the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily my heart is beclouded so that I pray for forgiveness of Allah seventy times per day." (Muslim and Abu Dawud on the authority of Al-Agharr Al-Muzni with a slight variation of wording). For this reason, Allah honoured him, by saying: "that Allah may forgive you that which has preceded of sin and that which shall follow." (Al-Fath 2)

﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴿٢﴾ ﴾

If such was the case of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", what could another person expect?

You may say: "It is obvious that the concerns and thoughts that overtake the heart are a blemish, and that perfection consists of freedom from them; that the defective cognition of the essence of Allah's sublimity is a deficiency, and as cognition grows, so does perfection increase; that the transition from the sphere of deficiency toward perfection is also a turning away and that turning away is repentance. These, however, are virtues not (religious) precepts. You have made a statement on the obligation of repentance under all conditions. Yet, repentance of these matters is not obligatory, as the attainment of perfection is not obligatory under Islamic law. What then is intended by your statement: "Repentance is obligatory under all conditions"?"

In reply to that, it should be known, as it has already been stated, that basically, by his very nature, man cannot but follow his desires. The meaning of repentance is merely not to abandon them. Rather, full repentance includes the correction of that which has passed. From each desire that a man pursues, a darkness rises onto his heart, as a dark spot is picked up from man's breath by the

surface of a polished mirror. If the darkness of the desires accumulates, it forms a stain, as the gathering vapor of breath becomes dross on the surface of the mirror. As it is stated in the Qur'an: "no indeed, but that which they were earning has rusted upon their hearts." (Al-Mutaffiffin 14)

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝﴾

When the rust collects it becomes characteristic and it is imprinted onto the heart, like the dross on the surface of the mirror, when the dross accumulates over a long time, becomes immersed in the iron and corrupts it: the metal will not take further polishing, and becomes imprinted with the slag. In correcting (the evil consequences of) following the appetites, it is not enough to abandon them in the future. It is necessary to wipe out those stains that impressed themselves upon the heart. Likewise, the future elimination of breath and vapor that darken the mirror's surface will not suffice for clear reflection in the mirror, as long as no effort is made to wipe out the stain that had imprinted itself in the mirror.

Just as darkness will arise onto the heart from (the commission) of sins and (the pursuit of) appetites, so a light will arise upon it from acts of obedience and abstention from the appetites. The darkness of sin will then be eradicated by the light of obedience, as referred to by the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Follow an evil deed with a good deed, perchance it would wipe it out." (At-Tirmidhi on the authority of Abu Dharr). Consequently, in any given situation, man will not be free of the need to eliminate from his heart the traces of evil by pursuit of good deeds, whose influence would contravene the effects of those evil deeds. This is applicable to a heart which has first had its purity and clarity, and then became dark due to obstructive factors. As for the initial burnishing, it is a protracted affair, because polishing to remove rust from the mirror is unlike the initial work of producing the mirror. Such operations are long lasting, never ending. All this applies to repentance.

As for your statement that this cannot be called obligatory, but is rather a virtue and search for perfection, it should be known to you, then, that (the term) 'obligatory' has two meanings. One of them is that which falls within the scope of a legal decision and which applies to all the people. It is the measure with which, if all mankind were to observe it, the world would not be destroyed. If all men were truly bent on fearing Allah, they would abandon (the pursuit) of livelihood and would forsake the world totally. That would lead to the total nullity of piety. For whenever livelihood is impaired, no one has the leisure for piety. Rather, occupation in weaving and cultivation and (baking) bread absorbs everyone's life totally, according to his needs. From this point of view, none of these stages (freedom from sinful thought in quest for perfection) is obligatory.

The other meaning of the obligatory is that which is essential for attaining the sought after closeness to Allah And the good abode among the righteous. Repentance from all we have mentioned (of sins) is necessary to attain it, As it is said: purification is obligatory for a voluntary prayer for anybody who desires

to perform it. Indeed, he will not come by it without that purification. On the other hand, for him who is satisfied with the omission of and preclusion from the virtue of voluntary service, purification, on its account, is not obligatory. This is the same when we say that The eye, ear, hand and leg are a requisite for the existence of man. That is to say, it is a requisite for him who desires to be a complete man, enjoying his humanity and seeking thereby to attain the noblest rank in this world. But he who is content with basic life and is satisfied to be like meat on the block and like a cast off rag, for such a life the eye, hand and foot are not requisite.

The root of the obligations, which enters the general mandate, brings one merely to the root of salvation. The root of salvation is like the root of life. The bliss beyond the root of salvation which shapes life flows through the limbs and tools by which life perfection is being prepared. It is this that the prophets, the saints, and the scholars sought, each according to his rank. That was their aspiration and quest, and it is for this that they totally rejected the pleasures of this world. Jesus "peace be upon him" came to rest his head on a stone to sleep. Satan then came to him and said: "Were you not (resolved) to forsake this world for the next?" Jesus "peace be upon him" answered: "Yes. What now?" Satan said: "Your use of this rock as a pillow is a worldly enjoyment. Why do you not place your head on the ground?" Jesus "peace be upon him" cast away the stone, and placed his head on the ground. His casting off of the rock was out of repentance from that (worldly) enjoyment.

Are you, then, of the opinion that Jesus "peace be upon him" did not know that placing the head on the ground is not, by general mandate, obligatory? Do you further think that our Prophet Muhammad "peace be upon him", when the marks of the garment he had on distracted him from his prayer until he removed the garment, or when the lace of his shoe, which was new, distracted him until he replaced it with an old one, did not know that such is not obligatory, according to the revelation he brought to all mankind? And, if he knew that, why did he repent through abstention from his deeds? Was that not because he saw (the amenities) acting upon his heart (in such a way as to) prevent him from reaching the station of praise which had been promised for him? Similarly, after Abu Bakr "Allah be pleased with him" had drunk some milk and was informed that it was improper, he inserted his finger in his throat, gagging almost to the point of death, so as to bring (the milk) up. Do you think that he was so unaware of the rule of (Islamic) law by which anything eaten (of improper food) through ignorance (of its state), is not (an object of) guilt, and the food need not, according to jurisprudence, be evacuated? Then why did he repent from his drinking, by attempting, to the best of his ability, to empty his stomach of it? Was it not the conscience embedded within him which informed him that the general mandate is one thing and that the gravity of the path to the next world is (another) known only by the righteous?

Contemplate the state of these who, of Allah's creation, are most cognizant of Allah, of His path, of His scheme and of the hiding places of the Deluder. Beware lest the life of this world should delude you even once. Beware, beware a

million times of the Deluder's guile concerning Allah. These are mysteries. He, who sniffs them out early, knows that the need of sincere repentance with every breath, clings to the man who follows Allah's path, even if he lives as long as Noah "peace be upon him" does. He also. knows that this (repentance) is obligatory immediately and with no delay.

Indeed, Abu Sulaiman Ad-Darani has told the truth when he said: "If the sensible man kept weeping for what remains of his life only over what he missed in breach of piety, this would be apt to aggrieve him unto death. How is it then for him who receives the remainder of his life with the same (behaviour) of his past ignorance?" He said this because if the sensible man possessed a precious gem and it was lost senselessly, certainly he would cry over it; if its loss were the cause of his own destruction, his weeping would be yet greater. Each hour of life, if not each breath, is a precious stone for which there is no substitute or exchange. It is beneficial for it leads you to eternal bliss and saves you from endless misery. Which gem is more precious than this? If you have lost it through negligence, you have suffered patent damage and if you have expended it in sin, then you have already perished repugnantly. If you do not weep over this sin, it is because of your ignorance. Your misfortune through ignorance is greater than any other. Ignorance, however, is a calamity in which the one stricken is unaware of his misfortune. Indeed, heedless slumber intervenes between man and his perception. Men are asleep, but when they die they awaken. At that time to every wretch his destitution is revealed, and to every afflicted person his misfortune. Yet correction is already out of their reach.

One of the mystics has said: "If the Angel of Death "peace be upon him" appeared to a man and informed him, "there remains one hour to your life, and you cannot be reprieved for even one moment", the man would experience such sorrow and grief, that if the whole world were all his, he would (be ready to) leave it for another hour to be added, just to enable him to seek Allah's pleasure and correct his own remissness. He will, however, find no way to accomplish this. This is the first meaning to appear from the statement of Allah Almighty: "and a barrier is set between them and that which they desire." (Saba' 54)

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾

This is also referred to by the His statement: " before Death should come to any of you and he should say, "O my Lord! Why did You not give me respite for a little while? I should then have given (largely) in charity, and I should have been one of the doers of good." But to no soul will Allah grant respite when the time appointed (for it) has come; and Allah is well-acquainted with (all) that you do." (Al-Munafiqun 10-11)

﴿ قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ ﴾

It is said that the meaning of the 'The little while' the man requests (according to the verse) is that when the matter is disclosed to him, man says: "O Angel of Death, grant me an additional day, to plead to be excused by Allah, repent and

provide a good record for my soul." But the Angel replies: "The days have come to an end, and there is not a single day." The man says: "Then give me a respite for an hour." The Angel says: "The hours have lapsed and there is no additional hour." The gate of repentance is then closed to man, thereupon he gags, and breathes heavily in his bitter regret. He suffers the agony of despair about correction, and bitter sorrow over the waste of his lifetime. The very foundation of his faith will be (surely) shaken under these blows. When a man dies in Allah's grace, his soul expires with the words of the creed, and that (is to be considered) the good end. If he, Allah forbid, is doomed to wretchedness, he expires in doubt and confusion, and that is the bad end. In regard with him, it is said: "but Allah shall not turn towards those who do evil deeds until, when one of them is visited by death, he says, 'indeed now I repent." (An-Nisa' 18)

﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ ﴿١٨﴾ ﴾

And: "Allah shall turn only towards those who do evil in ignorance, then shortly repent." (An-Nisa' 17)

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴿١٧﴾ ﴾

'Shortly' refers to temporal closeness in time to the offense, so that he repents from it and erases any trace of it through good works, substituting such for (the bad) before a stain beyond removal can accumulate upon the heart.

This is the significance of the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Follow an evil deed with a good deed, perchance it would eliminate it." Of this too, Luqman "peace be upon him" said to his son: "O My son, do not delay repentance for death comes suddenly. He who has put off the effort to repentance finds himself between the two great perils: one of them is that darkness, brought on by his sins, will accumulate upon his heart until it becomes deeply embedded grime beyond elimination; and the other is that sickness or death may befall him swiftly, giving him no time to engage in correction." That is what is narrated in a certain Prophetic tradition, that "most of the cries from those consigned to hellfire result from procrastination (of repentance from sins)."' It is this that accounts for perdition. Blackening of the heart is cash while purging it by obedient action is credit, until death snatches man, and he comes before Allah with an impaired heart. But only he is saved who comes before Allah with a sound heart. The heart is a trust left by Allah with man. So is a lifetime. The same is true of the other acts of worship. He who breaches this trust and does not make amends is in sore peril.

A mystic has said: "Indeed, Allah has entrusted to man, through inspiration, two secrets. Firstly, when man comes out of his mother's womb Allah says to him: "O My servant, I have brought you into the world clean and pure, and have consigned you life and entrusted it to you. Heed how you keep this trust safe, and consider how you shall meet Me (later)." Secondly, at the time of death He says: "O My servant, what have you done with my trust? Have you kept it safe until you would meet Me under the covenant, so that I would meet you as faithful? Or, have you forfeited it, so that I would meet you with claim and punishment?" This

is the significance of the statement of Allah Almighty: "Fulfill my covenant and I shall fulfill your covenant." (Al-Baqarah 40)

﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾

And: "And who protect their trusts and covenant." (Al-Mu'minun 8; Al-Ma'arij 32)

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾

Explication Of The Fact That Repentance Is Surely Accepted Once Its Requisites Are Available

It should be known to you that if you have understood the concept of acceptance, you will not doubt that every correct repentance is accepted. Those who contemplate through the illumination that stem from the lights of the Qur'an know that every sound heart is received well by Allah, is enjoying in the next world nearness to Allah, and its master, through his immortal eye, is prepared to perceive Allah's countenance. They also know that, originally, the heart was created sound, since every creature has such a nature. This soundness, however, eludes man because of a murkiness which overcomes the surface of his heart from the pollution and darkness of sins. They are aware that the fire of regret can burn this pollution, and that the light of good deeds can obliterate the darkness of evil from the heart's surface, and that the darkness of transgressions has no power against the light of pious acts, just as the gloom of night is helpless in the face of the light of day; nay, just as the turbidity of filth cannot exist with the whiteness of soap; and as a king would not accept a dirty garment as his attire, so Allah does not admit a darkened heart into His presence; and just as the use of a garment for vile labor will soil it, and to clean it one needs to wash it with soap and warm water, so exposure of the heart to the desires fouls it, and to clean, purge and purify it, one needs to wash it in the flow of tears and the burning of regret. Every clean and pure heart is well received, just as every clean garment is. The purification and cleansing, however, are up to you.

As for acceptance, it is freely granted as irrevocably preordained. This is the so-called 'prosperity' in the statement of Allah: "Prosperous is he who purifies it." (Ash-Shams 9)

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾

He who does not know, strictly speaking, with a perception greater and clearer than that achieved through eyesight, that the heart is affected contrarily by sins and good deeds, using for the former, the metaphor 'darkness', as it is used also for ignorance, and for the latter, the metaphor 'illumination', as it is used also for knowledge; and that between illumination and darkness there exists a necessary unbridgeable contradiction; then he is as one to whom only the husk of religion was left with nothing attached save appellations. His heart is in a dense wrap (barred) from the essence of religion, if not even from his own essence and attributes. But he who is ignorant of himself, surely is yet more ignorant of another. I refer, in this, to his heart. Since knowledge of

another (lies) within his heart, how can he have (such) knowledge when he has no knowledge of his own heart?

He who fancies that the sound repentance could not be accepted is like him who imagines that the sun will rise but the darkness will also persist, or that a garment will be laundered with soap but the dirt will persist, unless it be that lengthy accumulation of filth penetrated into the interstices of the garment and spoiled it so that the soap will lack the strength to extricate it. Likewise the accumulation of sins may become stained and imprinted upon the heart. Such a heart cannot return and repent. Certainly, at times, a man says, with his tongue: "I have repented." Yet, that is like the fuller saying, with his tongue (alone): "I have cleaned the garment." But this will never clean the garment so long as he does not change the disposition of the garment by use of something effective against the filth ingrained in it. In this case repentance is fundamentally impossible. This is not unlikely but rather prevailing among all those creatures who devote themselves to this world and completely renounce Allah Almighty.

This explanation of the acceptance of repentance should be sufficient for men of discernment. But we shall support it by quoting Holy verses, Prophetic traditions and sayings of the Companions, for any reflection not attested to by the Book and the Prophetic tradition *is* not reliable:

Allah Almighty says: "It is he who accepts repentance from his servants, and pardons evil deeds." (Ash-Shura 25)

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴿٢٥﴾ ﴾

He also says: "Forgiver of sins, accepter of repentance." (Ghafir 3)

﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ ﴿٣﴾ ﴾

There are many more Verses in this connection.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah rejoices in the repentance of (even) one of you more..." Joy is behind acceptance, and it indicates to acceptance, if not more than acceptance. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Indeed, Allah extends His hand with repentance until morning to him who sins at night, and to him who sins during the day He extends His hand until nightfall (and so on) until the sun would rise from its setting (putting an end to the acceptance of repentance)." (Muslim and At-Tabarani on the authority of Abu Musa). Such Extension of the hand amounts to a call for repentance and the (attribute of) seeker is behind (the attribute of) accepter. Many are the receivers who do not seek but one does not seek unless he is (willing to) accept.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If you sinned until your sins reached the heaven, and then you repented, surely Allah would turn to you in repentance." (Ibn Majah on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Indeed a man can commit a sin and enter paradise with it." It was said to him: "How can this be, O Messenger of Allah?" He replied: "He will direct his attention to repent from it, in flight (from sin) until he enters paradise." (Ibn Al-Mubarak on the authority of Al-Hassan; and Abu Na'im on the authority of Abu

Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The expiation of sin is repentance." (Ahmad, At-Tabarani and Al-Baihaqi on the authority of Ibn Abbas). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said too: "He who repents from sin is like one who has never sinned."

It is narrated that an Abyssinian said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": " O Apostle of Allah, I used to commit shameful deeds, do I have (a chance) of repentance?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" answered in the affirmative. The Abyssinian turned away and then returned saying: "O Apostle of Allah, did He see me when I committed them?" He "peace be upon him" answered in the affirmative. (At this point) the man uttered a shout with which his soul departed. It is narrated that when Allah cursed Iblis, he asked for a respite. Allah granted him a respite until the Day of Judgement. (Iblis) said: "By Your glory, I would not leave the heart of the son of Adam so long as he lives." Allah replied: "By My glory and majesty, I would not bar repentance from (man) so long as he lives." (Ahmad, Abu Ya'li and Al-Hakim on the authority of Abu Sa'id). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Good deeds remove evil as water (washes away) dirt."

The Prophetic traditions in this matter are beyond calculation.

As for the sayings of the Companions and righteous predecessors, a mention may be made of the following:

Sa'id Ibn Al-Musayyab said: "Allah's statement: "Indeed he is forgiving of those that return" (Al-Isra' 25)

﴿ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ ﴾

Refers to man who sins, repents, sins and repents again. Al-Fudail said: Allah has said: "Announce to the sinners that if they repent I will accept their repentance; and warn the righteous that if I applied to them My justice, I would punish them." Talq Ibn Habib said: Allah's rights (upon man) are greater than man's capability; yet repent day and night." 'Abdullah Ibn 'Umar "Allah be pleased with them" said: "If a man calls to mind an offense he perpetrated, then is afraid in his heart on account of that offense, then that sin is erased from him in the (celestial) Register."

It is narrated that one of the prophets of the Children of Israel sinned. Allah revealed to him: "By My glory, if indeed you do it again, I shall chastise you." The prophet replied: " O my Lord, You are You and I am I. By Your majesty, if You do not grant me immunity I will surely do it again." Thereupon Allah granted him immunity. One said: "If a man sins and does not cease to regret it until he enters paradise, Iblis says: "Would that I had not plunged him into sin." Habib Ibn Thabit said: "A man is confronted with his sins on the Day of Resurrection. Then he passes by a sin and says: "Verily, I was afraid of it." That man is forgiven."

It is narrated that a man asked Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" about a sin he committed: "did I have a chance of repentance?" Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" turned away from him, and when he turned back to him he saw tears flowing from his eyes. Ibn Mas'ud "Allah be pleased with

him" said to the man: "Indeed paradise has eight gates which open and close but the gate of repentance, guarded by a special angel, does not close. So, do (repent), and do not despair." 'Abd-Ar-Rahman Ibn Abu Al-Qasim said: "I conferred with 'Abd-Ar-Rahim about the repentance of an unbeliever and Allah's saying: "If they cease (what has already passed, it will be forgiven for them." (Al-Anfal 38)

﴿ إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾

On that he said: "I indeed expect that a Muslim will be better off with Allah. Yet, I have learnt that the repentance of a Muslim is like a (second and new) embracing of Islam after the original adherence thereto."

'Abdullah Ibn Salam "Allah be pleased with him" said: "I would not report to you except of a (duly) charged prophet or a revealed book. Indeed, when a man sins, then feels remorse because of it for as short as a twinkle of an eye, the sin falls away from him quicker than the twinkling of an eye." 'Umar "Allah be pleased with him" said: "Sit in the company of repentants. Indeed, they are the most delicate of hearts." One said: "I know when Allah forgives for me." He was asked: "When?" he said: "When He turns to me in repentance." Another said: 'I am more afraid of being deprived of repentance than of being denied forgiveness. That is because forgiveness is certainly among the requisites and results of repentance."

It is narrated that there was among the Children of Israel a young man who had served Allah for twenty years, then defied Allah for another twenty years. Afterwards he gazed in a mirror and saw a gray hair in his beard. This aggrieved him and he said: "O My Lord, I obeyed You for twenty years, and disobeyed You for another twenty. If I return would you accept me?" He then heard a voice, although he saw no one: "You loved Us and We loved you; you abandoned Us and We abandoned you; you defied Us but We granted you respite; if you return, We will accept you."

Dhun-Nun Al-Misri said: "Allah has servants who planted trees of sins that were like guardians of the soul. They watered the trees with the water of repentance; the trees then produced regret and sadness. They became possessed without madness and idiotic without faltering or muteness. They are the profound, the eloquent, who knew Allah and His Messenger. They drank from the cup of purity and achieved forbearance throughout tribulation. They lost their hearts in the spiritual world and their thoughts roamed among the palaces veiling (Allah's) omnipotence. They sought shelter under the portico of regret, and read the ledger of sin. Then they were seized with anguish until they reached the height of asceticism on the ladder of piety. They found sweet the bitter (taste) of abandoning this world, and found supple the coarse bed, until they seized the thread of salvation and the grip of security. Their spirits roamed freely in the heights until they attained the gardens of pleasure. They plunged into the sea of life; filled in the trenches of anxiety and forded the bridges of passion until they descended to the courtyard of knowledge. They drank from the stream of wisdom; traveled on the ship of sagacity, and set sail, under the breeze of salvation, on the sea of security, until they reached the gardens of comfort, the source of glory and nobility."

This is sufficient to confirm that all true repentance is surely accepted.

But you might say: "Do you adopt what the Mu'tazilah have taught that the acceptance of repentance is obligatory upon Allah?"

In reply to that, let me say: In what I have mentioned of the necessity of Allah's acceptance of repentance I intend only what is intended by him who says: "Indeed, when a garment is cleansed with soap, the dirt must vanish; When the thirsty drinks water the thirst must cease; When he is, for awhile, denied water, he must become thirsty; if the thirst continues, this must lead to death." There is nothing in this of what the Mu'tazilah intended by the concept of obligation as regards Allah's actions. I would rather say that Allah created obedience as an atonement for sin, and good as an antidote to evil, as He created water as a remedy of thirst. His omnipotence is sufficient for the opposite should it have been His pleasure. There is, then, no obligation upon Allah but what His eternal Will has anticipated must, certainly, come to exist.

You might argue: "Every repentant doubts the acceptance of his repentance, while he who drinks water is certain of the abatement of thirst. Why then does he (the repentant) doubt?"

In reply to that, let me say that his doubt about acceptability (of his repentance) is like the doubt about the presence of the conditions of health. Repentance has delicate requisite props and conditions as will be mentioned later. The presence of all its requisites cannot be ascertained as if it were the case of one who doubts a laxative he took, i.e., will it work? That is because of his doubt in getting the requisites for relief by the medication in the given case, time, manner of mixing and preparing the remedy, and the potency of its various component drugs. Such and the like lead to fear even after repentance and, certainly, necessitate doubt about its acceptability, as will be seen, Allah willing, from the discussion of conditions of repentance.

SECOND PILLAR

ON CONTEXT OF REPENTANCE, SINS: TRIVIAL AND MORTAL

It should be known that repentance is the abandonment of sin. But it is impossible to abandon a thing unless it is perceived. Now since repentance is obligatory, it follows that anything, without which it cannot be achieved, must be obligatory. Sin is the deviation from Allah's command by omission or commission. A detailed exposition of this calls for an explanation of the whole range of Obligations. Such is not our intent. Yet, we shall indicate to their general principles and the interconnections of their constituent parts. Allah is the one who, with His mercy, helps to (reach) what is correct.

Exposition Of Divisions Of Sin In Relation To Qualities Of Man

First division

It should be known to you that man possesses many qualities and characteristics, as explained in the Book of Wonders and evils of Heart. The stimuli of sin, however, are included under four qualities: supremacy, devilry, bestiality and predatory. Such is the case, for man's substance is molded of different ingredients, each one resulting in a (different) effect, just as sugar,

vinegar and saffron exert, in oxymel, different influences.

The bent for the supremacy qualities, encourages such traits as prestige, glory, power, love of praise, appreciation and wealth, the desire for perpetuate life, and quest for superiority over all until it seems that man wishes to say, "I AM YOUR LORD, THE MOST HIGH." From these some of the greatest sins result, of which men are heedless, and which they do not reckon as sins. yet they are the great ravagers which are the source of most transgressions, as we have explained in detail in the Quarter of Destructives.

The second is the satanic quality from which derive envy, injustice, subterfuge, perfidy, instruction to immorality and deception, including corruption, hypocrisy, and the urge to (unlawful) innovation and error.

The third is the bestial quality from which derive gluttony, greed and desire for the fulfillment of the carnal appetites. From it derive also adultery, homosexuality, robbery, misappropriation of the property of orphans and all the other vanities for the sake of the appetites.

The fourth is the predatory quality from which derive anger, malice, assault, vilification, murder and waste of wealth. From these, various sins branch off.

These qualities have (a certain) gradation in human nature. The bestial quality is first predominant. It is followed by the predatory quality. Then, when the two get together and apply the mind to deceit, scheming and subterfuge, this is the satanic quality. Then, finally, the supremacy qualities prevail such as (the bent for) glory, power, arrogance, grandeur and control over all creatures.

These are the sources and origins of sin, from which the spring of sin gushes forth to the limbs. Some of them (pertain) especially to the heart, such as unbelief, heresy, hypocrisy and harboring evil designs; others (pertain specifically) to the eye and ear, or to the tongue, or the stomach and genitals, or the hands and feet; some to the entire body. As this is clear, there is no need to go into details.

Another division

It should be known that sins are divided into that which is between man and Allah, and that which pertains to the relation of man to man; that which concerns an individual man, such as abstention from prayer, fast or obligations particular to him; and that which concerns inter-human relations, such as abstention from almsgiving, murder, usurpation of property, vilification of people's honour, and anything that infringes on the rights of others, whether of life, limb, property, honour, belief or dignity; infringement on belief by leading astray and calling to heresy; incitement to transgression and to defiance against Allah, as practiced by certain preachers who cultivate hope over fear.

Sin that pertains to men is graver. In that which is between man and Allah (alone), unless it be polytheism, pardon is more expected. It is narrated in a tradition: "There are three accounts: one which is forgiven, one which is never forgiven, and one which is not neglected. The account which is forgiven is that of the sins between man and Allah. The account which is never forgiven is that of polytheism. The account which is not neglected is that of the injustices toward humans." (Ahmad and Al-Hakim on the authority of

A'ishah). That is, man must be called to settle them before he is forgiven.

Third division

Sins are divided into trivial and mortal. There is much disagreement about them. Some say that there is no trivial or mortal (sin), rather, every transgression of Allah's command is mortal sin. This position is weak since Allah said: "If you avoid the heinous sins that are forbidden you, we will acquit you of your evil deeds and admit you by the gate of honour." (An-Nisa' 31)

﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾

And: "Those who avoid great sins and shameful deeds, only (falling into) small faults; verily your Lord is ample in forgiveness." (An-Najm 32)

﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The five (obligatory) prayers and (performance of) Friday (congregative prayer) to the next, atone for the sins that are committed between them, if mortal sins are avoided." (Muslim on the authority of Abu Hurairah). According to another version, "They are expiations for such (of sins as committed) between them except the mortal sins." It is further narrated on the authority of 'Abdullah Ibn 'Amr Ibn Al-'As "Allah be pleased with him" ,that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Ascribing partners to Allah, undutifulness to parents, murder and willful perjury are among the mortal sins." (Al-Bukhari).

The Companions and Tabi'is differed about the number of mortal sins, ranging from four, to seven, to nine, to eleven or more. Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" said: "They are four." Ibn 'Umar "Allah be pleased with them" said: "They are seven." 'Abdullah Ibn 'Amr "Allah be pleased with him" said: "They are nine." When Ibn 'Umar's statement, that they are seven, reached Ibn 'Abbas "Allah be pleased with them" he said: "They are closer to seventy than seven." He once said: "All that Allah has forbidden constitute mortal sins." Another said: "Any (action for which) Allah has threatened hellfire is of the mortal sins." One of the righteous predecessors said: "Anything which necessitates (the execution of) legal punishment in this world is a mortal sin." It has been said that it is an obscure point, the number of which is not known, like the Night of Power or the hour of the Friday (at which the supplication receives answer). when Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" was asked about this, he said: "Read from the beginning of the Surah of An-Nisa' to verse thirty where Allah says: "If you avoid the heinous sins that are forbidden to you." (An-Nisa' 31)

﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾

Everything that Allah has prohibited in this Surah to this point is a mortal sin."

Abu Talib Al-Makki said: "The mortal sins are seventeen. I collected them from all the traditions and from all that is gathered of the sayings of Ibn 'Abbas "Allah be pleased with them", Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him", Ibn 'Umar "Allah be pleased with them", and others. Four are of the heart:

polytheism, persistence in disobedience, despair of divine mercy, and false security from divine plot. Four are of the tongue: false testimony, false charge against chaste, willful perjury i.e., that which justifies a falsehood or perverts the truth, by which the property of a Muslim is seized wrongly, even a toothpick, and it is called 'plunger' *(Ghamus)* because it plunges its perpetrator into hellfire), and sorcery which through any speech alters man or other substances from the states fixed at Creation. Three are of the stomach: drinking wine or getting any intoxicating drink, eating illicitly, and from the property of an orphan, and conscious usury. Two are of sexual nature: adultery and homosexuality. Two are of the hands: murder and theft. One is of the feet: flight (from the enemies) in the battlefield, one from two and ten from twenty. One is of the entire body: undutifulness to parents." He resumed: "The peak of undutifulness is that if they justly adjure (the son) he does not respect their appeal; if they ask something from him, he does not give it to them; if they rebuke him he hits them; if they are hungry he does not feed them."

This is what he said, and it is plausible. Complete satisfaction, however, will not be gleaned from it, since it is possible both to add to it or subtract from it. Thus he has listed usury and embezzlement of an orphan's property as mortal sins, given that they are misappropriation of property. But of criminal acts he mentioned only murder as a mortal sin. Yet, gouging the eye, cutting off the hands and torture of Muslims by beating and types of punishment, did not occur to him. Surely, beating and torturing an orphan, and amputating his limbs are graver than embezzling his property. It is narrated in a certain tradition: "Excessive reviling, and detraction from the reputation of a fellow Muslim are mortal sins." (Ahmad and Abu Dawud, according to Abu Mansur Ad-Dailami, on the authority of Sa'id Ibn Zaid). This is graver than slander of the chaste. Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him" and other Companions said: "Indeed you are doing things which are, in your eyes, finer than a hair, even though in the time of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" we used to reckon them as mortal sins." (Ahmad and Al-Bazzar).

A faction said: "Any premeditated (evil act) and anything that Allah has forbidden are mortal sins." To clarify this, take the case of the investigator of theft: as to whether or not it is a major crime, will not be sound so long as one does not understand the meaning of mortal sin. What is intended by this is like the statement: Is theft prohibited or not? There is no hope of clarifying this without first establishing the essence of 'prohibition, and then, finding out whether that essence is present in theft.

Major sin', then, is lexically vague and has no specific connotation, either in (Arabic) lexicography or in (Islamic) law. This is due to the fact that 'major' and 'minor' are modifiers. Any sin is major in comparison to what is beneath it and minor in comparison to what is above it. To lie down with an alien female is a major sin relative to gazing (at her), and a minor sin in comparison to fornication. Amputation of a Muslim's hand is a major sin relative to beating him and minor in comparison to killing him.

It is true that the action for which hellfire was set can be called a mortal sin.

By this appellation we mean to say that the punishment of hellfire is grave. Man can also apply the term 'mortal' to that action which necessitates a legal punishment, for that which hastens a necessary punishment in this world is grave. He may also apply (the same term) to that which is mentioned in the text of the Book as interdicted, for he can say that its specification in the Qur'an indicates the act's gravity. Then, again, since the Qur'anic stipulations also differ in their gradation, it will certainly be both grave and mortal by comparison. To these applications there is no objection, and preserved expressions of the Companions vacillate between these points. Possibly they can be reduced to one of these cases.

It is true then, that it is important to know the meaning of Allah's saying: "If you avoid the heinous sins that are forbidden you, we will acquit you of your evil deeds and admit you by the gate of honour." (An-Nisa' 31)

﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾

And (the meaning of) the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "'Prayers are atonement for such (of sins as committed) between them except mortal sins." Indeed, this is the ruling principle on mortal sin. The truth of the matter is that sins are divided, according to the view of Sharia, into those known as grave; those known to be counted among the trivial sins; and those in which there is doubt and the rule about them is unknown. To strive for a comprehensive definition or a definite figure is to strive for the impossible. For this is impossible unless it is heard from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "By mortal sins I meant ten or five..." listing them. But as this is not reported, though in some versions "three or seven are among the mortal sins "or "blasphemy is one of the mortal sins", it becomes clear that no specific number was meant. How could one then aspire to set a specific number when the divine law does not? Perhaps Sharia intended to obscure it so that men would be in dread, as they are on the Night of Power, *to* increase (thereby) men's diligence in searching for it.

Surely, we have an overall method which enables us to know the categories and types of mortal sin, upon investigation. As for its main manifestations we know them by contemplation and approximation. We also know the greatest of mortal sins. But, as for the most minor of the trivial sins, there is no way of knowing it. The point is that we know, by the testimony of both the Divine law and the illumination of insight, that the purpose of all the precepts is to lead men into the closeness of Allah and the bliss of meeting Him; and that men can attain this only through perception of Allah, His attributes, books and prophets. This is indicated by the verse: "I have not created jinn and mankind except to serve Me." (Adh-Dhariyat 56)

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾

That is, to be My servitors. Yet, man (the servitor) cannot be a servant so long as he has not perceived his master in His mastery, and himself in his servitude. Man must know himself and his Master.

This, indeed, is the ultimate purpose of the mission of prophets. But it could be fulfilled only in the life of this world. This is the meaning of the statement of

the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "This world is a place to cultivate for the hereafter." Maintenance of this world thus becomes the domain of religion, inasmuch as the world is a means of fulfilling religion. Two things of this world are connected with the hereafter: human beings and possessions. Anything which stands in the way of the perception of Allah is the gravest of mortal sins, the next being that which is destructive of human life, and the next is that which impedes the livelihood of men. These are three stages. The intent of all the creeds is that the hearts must hold the perception (of Allah), the bodies preserve life, and humans preserve possessions. It is unimaginable that these three matters would be debatable among the various creeds. It is, then, inconceivable that Allah would send a prophet, desiring thereby the improvement of His creatures in their affairs, both spiritual and material, and then He would command them to do what impedes them from perceiving Him and His messengers, or that He would command them to destroy life and property.

It follows that mortal sins are of three levels. The first level is that which prevents (man) from perception of Allah and His Messengers. This is disbelief, and there is no mortal sin greater than disbelief, for it is ignorance that is the barrier between Allah and man, and man's means to draw nigh to Allah is knowledge and perception. Man's closeness (to Allah) corresponds to the measure of man's perception while his remoteness (from Him) corresponds to the measure of his ignorance. That ignorance called disbelief is followed by (man's feeling of) security from Allah's plots and despair of His mercy. This, indeed, is also of the very essence of ignorance. For he who perceives Allah could not conceive himself to be secure or despairing.

This stage is followed by the various heresies connected with (the concepts of) the essence of Allah, His attributes and acts. Some of these are graver than others. The disparity among them is commensurate with people's varying degrees of ignorance, and with their holding on to the belief in Allah, His acts and revelations, His commands and prohibitions. The gradations of this are unlimited. They are divided into what one knows to be included within the mortal sins mentioned in the Qur'an; what is known not to be included; and what one is in doubt about. Seeking to dispel the doubt about this middle category is a hopeless aspiration.

The second level pertains to human beings, since on their survival and maintenance depend the continuity of life and attainment of perception of Allah. Consequently, murder, even though beneath (the gravity) of disbelief, is certainly of the mortal sins. For, while one strikes at the goal (of religion) itself, the other strikes at the means to the (fulfillment) of that goal. For life in the world is intended only for the sake of the hereafter and the attainment thereof by means of human perception of Allah. This mortal sin is followed by amputation of limbs and whatever leads to death, even beating, with some acts being graver than others.

The prohibition of adultery and homosexuality falls within this category because if all men were to be content only with males to fulfill their carnal desires, procreation would cease. Rejection of the existence is close to cutting off

existence. As for adultery, it does not negate the principle of existence but rather distorts the lines of kinship and nullifies inheritance, mutual aid and many of those matters without which life cannot be well ordered. How can good order be achieved together with the permission of adultery? Animal life is not well thriving so long as the male is not with his particular females, set apart from the other males. For this reason it is inconceivable for adultery to be permissible according to a religion whose aim is the improvement of life. Adultery must be on a level beneath murder as it does not threaten the continuity of human existence, nor does it prevent its principle. It only threatens the distinction of familial relationships, and stimulates factors that lead to strife. It (adultery) must be considered graver than homosexuality as the natural desires spur it on both sides, its frequency is greater, and with frequency its impact becomes more harmful.

The third level pertains to property, which is the life stuff of man. Men cannot control its acquisition chaotically, even through seizure, theft and the like. Rather it must be preserved, so that its continuity might insure the continuity of human beings. Nevertheless, property, when it is seized, can be regained, and if it has been disposed of, restitution is possible. The affair, then, cannot become as grave (as is the previous level). It is true that when its acquisition occurs in a manner that would make correction difficult, such (usurpation) should be considered a mortal sin. This can be in four ways. The first is hidden, which is theft. If it is not generally controlled: how can it be corrected. The second is consumption of an orphan's property. This too is covert. I refer to a guardian or custodian, entrusted with (the property), who has no possible opposition save the orphan who is a minor unaware of the matter. This must be considered grave. Different is the case of extortion which is overt, and that of breach of a normal trust where the consignor can oppose the action and seek justice for himself. The third is its alienation by false witness. The fourth is seizure of a trust and the like by willful perjury.

Indeed these methods are not open to correction and it is unimaginable that religions should differ at all as to interdicting them. Some (cases) are graver than others, but they all are beneath the second level which is concerned with life. These four are worthy of being assigned as mortal sins even though canon law does not invoke legal punishment in some cases. However, Divine threats in their regard are numerous, and in the affairs of this world their impact is evidently great.

As for usury it is only the consumption of another's property by mutual consent, along with the breach of a condition imposed by canon law. It is not unlikely that there should be a variance among the religions in a matter like this. If extortion, which is the taking. of another's property without his consent and without the law's permission, has not been deemed a mortal sin, then usury, done with the assent of the owner, albeit without legal sanction, should preferably not be considered a mortal sin. Even though the canon law rebukes usury, it has done so also with regard to the iniquity of extortion and the like, and to breach of trust, with the result that it merits consideration whether a Daniq's worth of embezzlement and extortion is mortal sin, yet this is an area of doubt, and the

trend of thought is against including such deeds under the heading of mortal sin. Rather, it is appropriate to limit mortal sin to that which is legally so indisputable that it be religiously obvious.

Thus, of what Abu Talib Al-Makki mentioned, only false charge, intoxication, witchcraft, flight in the battlefield (from the enemies) and undutifulness to parents remain.

As for drinking, inasmuch as it removes reason, it is appropriate that it be a mortal sin, as attested to by both the severity of the law and rational considerations. For indeed, the intellect is a gift just as life, nay, life is worthless without the (faculty of) reason. Depriving reason of its faculty is a mortal sin.

This does not follow, however, from a drop of wine. No doubt, if a man drank water containing a drop of wine, that would not constitute a mortal sin. It is merely drinking polluted water. The drop itself is an object of doubt. That the law lays down legal punishment for it (only) indicates how grave it views the matter of intoxication. For it is counted as a mortal sin under the law. It is beyond human ability to grasp all the subtleties of the divine law. If there is consensus that it is a mortal sin, this line must be pursued. If not, there is room for hesitation.

As for false charge, it involves only hurting (people's) honor, and this falls below the level of ruining property. Harming honour is serious, its most severe being false accusation regarding committing fornication. The canon law views this gravely. I think that the Companions used to count any (action) which called for legal punishment a mortal sin. From this viewpoint, it is not expiated by the five prayers, and this is what we mean by mortal sin'. But, inasmuch as it is possible that the (scriptural) laws would differ about this, while analogy alone does not point to the magnitude and gravity (of this false charge), nay, it would be possible for the Law to stipulate that one just witness, upon seeing a man committing adultery, may bear testimony, in which case the accused is flogged by virtue of this testimony. But, if his testimony is not accepted, then the other man's punishment is not evident, even if it is one of the actually occurring affairs in the category of needs. Then, this too is appended to the mortal sins for him who knows the rule of canon law. As for he who thinks that he must testify himself or that another may join him in support, it is not necessary that it be counted as a mortal sin for him.

As for witchcraft, if it contains disbelief, it is a mortal sin, otherwise, its gravity depends upon the damage which results from it, such as loss of life, sickness or the like.

As for flight in the battlefield and undutifulness to parents, this too should be, by virtue of analogy, subject to hesitation. Thus we conclude that since any accusation, except adultery, assaulting people, oppressing them by usurpation of their property, evicting them from their dwellings and villages and ousting them from their homelands, does not involve a mortal sin, for it has not been mentioned among the seventeen, the highest listing given, so that hesitation in this too is not unlikely. The Tradition, however, indicates its designation as mortal sin, and so it may be appended to such sin.

In conclusion, the matter reverts to the meaning we attached to mortal sin, i.e., that which the five prayers never expiate, according to the rule of canon law. That again is divided into what one knows will not, at all, be expiated; that for which people should atone; and that which is open to doubt. Of the last, some cases may be presumed to be solved positively or negatively, and others are so doubtful that only a text from the Book or (prophetic) tradition can resolve them. In the absence of such a text' there is no point in seeking resolution of the doubt.

You might argue: "This proves the impossibility of perceiving the definition of a mortal sin, and how can the Law deal with what cannot be defined?"

In reply to that, it should be known to you, then, that anything in connection with which there is no judgment in this world can be open to ambiguity. Yet it is this world that is the sphere of obligation. About mortal sin, as such, there is no rule in this world. Rather, anything necessitating legal punishment is known by its (distinctive) name, such as theft, adultery and the like. But the rule of mortal sin is merely that the five prayers do not atone for it. This is a matter relating to the hereafter, and ambiguity about it is appropriate in order that man be fearful and cautious, and should not venture, relying on the efficacy of the five prayers, into trivial sins. Thus, avoidance of mortal sins atones trivial ones, in accordance with the statement of Allah Almighty: "If you avoid the mortal sins that are forbidden you, we will acquit you of your evil deeds." (An-Nisa' 31)

﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾

But, avoidance of mortal sin atones for the trivial sin only when man abstains despite his ability and volition, like one who has power over a woman and could cohabit with her but restrains himself from intercourse and limits himself to gazing or touching. His internal struggle to abstain from sexual relation has greater effect in the illumination of his heart than his audacity in gazing has in the darkening of his heart. This is the meaning of his atonement. If, however, he was sexually impotent, or he abstained only because of disability, or refrained in fear of another superfluous matter, then such would, by no means, serve the purpose of atonement. Whoever, by nature, had no desire for wine, and even were it permitted to him he would not drink of it, his abstention would not atone for the auxiliary trivial sins like listening to the playing of musical instruments. Certainly, he who craves wine and listening to music, yet restrains himself with great effort from wine and rather settles for music, his internal struggle in abstention may erase from his heart the darkness which accrued to it through the sin of listening to music. All of these judgements pertain to the hereafter, and it is conceivable that some of them will remain in a state of uncertainty and doubt. Their particulars can be known only from a text. But no text nor comprehensive definition has yet been presented, and only varying versions have reached us.

It is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "One prayer to the next and one Ramadan to the next is an atonement (for sins to be committed between them), except in three matters: polytheism, abandonment of *sunnah* and breach of contract." (Al-Hakim and Ahmad). He was

asked: "What is meant by abandoning sunnah?" He said: "to secede from the community." The breach of contract is that a man swears allegiance to (a ruler) and then goes out with sword against him. This and similar expressions do not indicate a total number, nor do they point to a general rule. Thus the matter certainly remains obscure.

You might argue: "Testimony *is* accepted only from him who avoids the mortal sins, and caution from trivial sins is not a requisite for its acceptance. This is according to the rules of this world." In reply to that, it should be known that we do not restrict the rejection of testimony to the mortal sins. Indisputably, one who listens to the playing of musical instruments, dresses in silk brocade, wears a golden ring, and drinks from gold and silver vessels, his testimony is not accepted, yet no one has concluded that these matters are mortal sins.

Ash-Shafi'i said: "If a Hanafite drank Nabidh, I should impose legal punishment but would not reject his testimony." By obligating legal punishment he made it a mortal sin, yet he did not reject the testimony. This shows that neither acceptance nor rejection of testimony depends upon either trivial or mortal sins. Rather, all sins damage integrity except those which man obviously cannot escape, such as slander, snooping, evil assumption, falsehood in some statements, listening to gossip, abandoning the enjoinment of good and forbidding the evil, eating doubtful food, abuse of a child and slave, beating them, in anger, more than due, deference to tyrannical rulers, friendship with profligates, and indolence in instruction of household and child in all their religious needs. It is inconceivable that the witness could avoid, more or less, these sins except by withdrawing and devoting himself exclusively to the affairs of the hereafter, and curbing himself for awhile to the extent that he would be able to stick to his path even after he has rejoined society. If only the word of such a man were to be accepted, then it would be so scarce that all litigation and testimony would prove untenable.

Dressing in silk, listening to music, playing backgammon, social intercourse with the drinking set at the time of a party, intimacy with alien women, and the like of these trivial sins are not of this kind. In accepting or rejecting testimony one must look into these ways, not into mortal or trivial sins.

Then again some of these trivial sins, because of which testimony is not rejected, surely may bring on the rejection of testimony if a man persists in them, e.g., habitual gossip and slander, keeping company and friendship with profligates. The trivial sin grows by persistence, just as the permissible but indifferent act, like playing chess, singing constantly, etc., may become, through persistence, a trivial sin.

That is enough to explicate the ruling on mortal and trivial sins

Explication Of How Higher And Lower States, In The Hereafter Are Distributed According To Good And Evil Deeds In This Life

It should be known to you that This life belongs to the material world of visibles while the hereafter to the transcendent dominion of invisibles. By 'this life' I refer to your state before death, and by the 'hereafter' to your condition

after death. For your (temporal) existence and afterlife are your attributes and states: that which is near is called 'this life' and that which follows later is called the hereafter. We speak now while being in this life about the next world. Because, we speak in this life, it being the sensible world, but our purpose is the explanation of the hereafter, which is the world beyond the senses, and it is inconceivable to describe the transcendent world within the sensible world except by adducing parables. That is the significance of the statement of Allah Almighty: "And those parables, we set them forth for the people, but none understands them save those who know." (Al-Ankabut 43)

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

This is because the temporal world, compared to the transcendent world, is like slumber. That is meaning of the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "men are asleep, and when they die they awaken." (This statement is attributed to Ali Ibn Abu Talib and not to the Prophet). That which will occur in the state of wakefulness becomes clear to you during sleep only through parables which are in need of interpretation. Likewise, that which will take place in the state of wakefulness in the hereafter cannot be explained in the slumber of this life except through a multitude of parables, by which I mean that we know from the science of dream interpretation. Of these similitudes three should suffice if you are sagacious.

A man came to Ibn Sirin and said: "In my dream I saw as if I had a seal in my hand with which I sealed men's mouths and women's pudenda." Ibn Sirin said: "You are a Mu'adhdhin (pronouncer of call to prayer) who pronounces the call to the prayers during Ramadan before the break of dawn." He said: "You have told the truth."

Another man came to him and said: "I saw myself pouring oil into olives." Ibn Sirin said: "If you have a female slave whom you bought, examine her case closely, for, indeed, she is your mother who was taken as a captive while you were an infant For the olives are the source of the oil, and now (in your dream) it is restored to the source." The man looked into the matter, and behold! the slave was his mother who had been taken captive while he was an infant.

A third man said to Ibn Sirin: "I saw myself adorning the necks of pegs with pearls." Ibn Sirin said: "You teach wisdom to these unfitting for it." It was really as he said.

Dream interpretation, from first to last, consists of parables that guides you to the way of setting forth parables. By a parable we mean the rendering of meaning in such a way that if one considers its meaning he will find it true, but if he looks at its form he will find it false. Thus the Mu'adhdhin , looking at the form of the seal and the imprinting of it upon the pudenda, would consider it false. Indeed, he did not seal with it at all. But, if he considered its meaning he would find it true since from it issued the spirit and sense of sealing, which is the prevention intended by sealing.

The prophets address humans only by use of parables, for they are obligated to speak to men according to their level of understanding. But men are as in sleep, and nothing is revealed to a sleeping except through parable. When they

die they awake and realize that the parable is true. That is the significance of the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "The heart of the believer is between two of the fingers of (Allah) Most Merciful." This is of the parables that only those that know can understand. As for the ignorant, his level (of understanding) does not go beyond the literal sense of the parable, because of his ignorance of interpretation (Tafsir) which is called allegorical interpretation (Ta'wil) just as the interpretation of the parables seen in sleep is called 'dream interpretation' (Ta'bir). Thus he affirms to Allah a hand and a finger, exalted be Allah far above this view! Similar to this is the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Indeed, Allah created Adam in His image." The ignorant understands image as no more than color, form and shape. He attributes these to Allah. That is why some people stumbled in the matter of divine attributes, even in the divine speech, which they represent as voice and letter etc. It would take too long to discuss it.

Parables might be set forth concerning the hereafter, which the atheist, whose view rigidly sticks to the literal sense, renders contradictory and rejects. For example, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "On the Day of Judgement, Death will be brought in the form of a beautiful ram and killed." (both sheikhs on the authority of Abu Sa'id). The stupid heretic revolts, deems it a falsehood, and infers from it the falsity of the prophets, saying: " Glory be to Allah! Death is an accident and the ram is a body. How is an accident transformed into a body? Is this not absurd?" But Allah keeps the knowledge of His secrets out of reach of those fools, as He says: "None understands it save those that know." (Al-Ankabut 43)

﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

The poor fool does not understand the significance when a man said: "I saw in my dream that a ram was brought and it was said that it was the plague which ravaged the village. Then, it was slaughtered." The interpreter said: "You have told the truth. It is as you have seen it. It indicates that the plague will cease and never recur, for the slaughtered was the source of desperation." Both are right: the interpreter in his explanation, and the dreamer in his vision. The truth here' goes back to the fact that the angel in charge of dreams is the one who informs spirits during sleep of that which is (written) on the Preserved Tablet, instructing the dreamer, by means of a parable which he set forth for him, of what is on the preserved tablet. That is because the sleeper is more apt to grasp the parable, and the parable is true and its meaning sound.

The prophets, also, when they address men in this life, which, compared to the hereafter, is as slumber, convey meanings to men's minds through similitudes, out of divine wisdom and kindness to men, facilitating the comprehension of that which they would fail to grasp without parables. The statement that death is brought in the form of a beautiful ram is a simile coined to convey to the mind that death brings on despair. The heart is predisposed to being influenced by similes and establish their meanings. The Qur'an expressed the utmost degree of power when it stated: ""Be", and it is" (Al-Baqarah 117)

﴿كُن فَيَكُونُ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" expressed the alacrity of transformation when he said: "the heart of the believer is between two fingers of (Allah) Most Merciful." We have already indicated the sense of that in the Book of the Foundations of the Articles of Faith in the quarter of Acts of Worship.

Let us now return to the matter at hand. The point is that the indication of the distribution of high and low degrees for good and evil works is impossible except by giving similes. Let us, then, understand our simile as to its meaning, not its form. Just as men differ in (the attainment) of happiness or misery in this life, so are they divided in the hereafter into classes and their difference in the high and low degrees of happiness or misery is beyond calculation. The hereafter is not at all different in this respect. For the ruler of (both) the temporal and the transcendent worlds is one, and no associate has He. His order, which originates from His eternal will, is constant and unchangeable. While we are unable to enumerate the individual levels, we can at least calculate the (broader) categories.

In the hereafter, men are divided into four categories: the ruined, the chastised, the redeemed and the blessed. The analogy in this world is the following. A king captures a region. He kills some of the (natives): they are destroyed. He chastises some for awhile but does not kill them: they are chastised. He frees some: they are redeemed. He confers honours on some: they are successful. If the king is just he will divide them strictly on their merits. He will slay only those who deny the king's right, and resist him politically. He chastises only those who fell short in his service while acknowledging his dominion and lofty rank. He would free only those who, following recognition of his power, have not failed to the extent of deserving chastisement, nor have rendered service to the extent of deserving reward. He honours only those who have spent their lives to serve and support him.

It is proper that honours granted should vary in rank in accordance with the degrees of service; that the destruction of the ruined should be, either by beheading or infliction of an exemplary punishment, in accordance with their degree of opposition; that the severity, duration and type of punishment for the chastised should be in accordance with the degree of their failing. Each of these categories is subdivided into innumerable groups.

It is thus to be understood that, in the hereafter too, men are variously disposed. One will be destroyed, another chastised for awhile, one redeemed to reside in the abode of security, and another blessed. Moreover, the blessed are divided into those residing in the gardens of Eden, the gardens of sheltering retreat, or the gardens of Paradise. Among the chastised, also, there are those punished for a while, those tormented for one thousand to seven thousand years. These latter are the last to leave hellfire, as it has been reported in a certain tradition. The destroyed despairing of Allah's mercy are also of different categories. All these variations correspond to the differences in their acts of obedience and disobedience. Let us mention the way of distribution.

The first level is that of the ruined, by which we refer to those who despair of Allah's mercy. Do not be heedless of the meaning of our simile in which the slain was he who despaired of the king's pleasure and deference. This level is only for heretics, disdainers, those devoted solely to temporal existence, and those who deny Allah, His Messengers and scriptures. Yet, ultimate happiness lies in nearness to Allah and gazing at His countenance. Such is attained only through that perception which finds its expression in faith (in Allah) and acceptance (of His prophets). The heretics are those who deny, and the disbelievers are those who despair of Allah's eternal mercy. It is they who disbelieve in the Lord of the Universe and His appointed prophets. But upon that day they shall be veiled from their Lord most certainly. Yet whenever someone is veiled from his beloved, a bar is set between him and that which he desires, he certainly is seared as by hellfire by the fire of separation.

The Gnostics therefore say: "Our fear is not of hellfire, nor is our yearning for the houris of paradise. Nay, what we seek is only the meeting (with Allah), and what we flee from is the Veil. they Also said: "The one who worships Allah seeking compensation is ignoble. He worships Allah as if out of the quest for paradise or for fear of hellfire." The Gnostic, however, serves Him for His own sake, and seeks naught save Allah Himself. He desires neither a houri nor a Paradisaic fruit, and fears not hellfire. For the overwhelming fire of separation is likely to prove more painful than the fire which consumes the body. Indeed, the fire of separation is the fire of Allah kindled roaring over the hearts. The fire of Hell affects naught save the body, but, in relation to the affliction of the heart, the torment of the body is scorned. Therefore, it has been said (in the form of a poetic verse): "The hottest fire of Hell is cooler than The flame of passion in the lover's heart."

One should not ignore this (phenomenon) of the hereafter as there exists a visible parallel in the temporal world. It has been observed that a man possessed by the ecstasy of love runs over fire and on the roots of reeds that injure his feet, yet he feels it not due to the intensity of that which fills his heart. You can see, in combat, how fury overwhelms a man, so that he remains unaware of injuries sustained. That is because The rage is a fire filling his heart. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Rage is a portion of hellfire." (At-Tirmidhi on the authority of Abu Sa'id). The burning of the heart is more potent that the burning of the body. As you can see, the stronger nullifies sensitivity to the lesser. Death by fire and sword is merely due to the separation of two components connected in a union feasible in bodies. But that which separates the heart from its beloved, to whom it is joined in a union more perfect than that (found) in bodies, is far more painful. (This is clear) if you are a man of heart and insight.

It is not unlikely that one who has no heart will not grasp the intensity of this pain and will regard it lightly in comparison to the pain of the body. If a youth were given the choice between the pain of doing without ball and mallet and the pain of missing the rank of a ruler, he would, by no means, be sensitive to the deprivation of power, nor would he reckon that as painful. He would exclaim: "(Running) with the mallet on the playing field is dearer to me than occupying a thousand royal thrones." Likewise, one who is dominated by

gluttony, if given the choice between pastry and sweets and a good action by which he would triumph over his enemies and delight his friends, surely would choose the pastry and sweets, as a result of the loss of that stimulus by which glory becomes desirable, and the presence of the faculty by which food becomes delightful.

This applies to one who has been dominated by bestial and predatory traits, in whom the angelic qualities have not appeared, those traits which tally with the delight exclusively in nearness to the Lord, and are aggrieved only by remoteness and concealment (from Him). Just as taste resides only in the tongue and hearing only in the ears, so this quality is only of the heart. And, just as one who is bereft of hearing and sight cannot appreciate the delight of melody nor the beauty of form and colour, so a man who has no heart cannot have this (spiritual) sensation. Not every man has a heart, otherwise, the statement of Allah: "Surely in that there is a reminder to him who possesses a heart" (Qaf 37)

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴿٣٧﴾ ﴾

It would not have been true. In this verse Allah qualified one unmindful of the Qur'an as one who is bereft of the heart.

I do not mean by 'heart' that which is encased by the ribs. Nay, I mean the conscience which is of the world of dominion, that piece of flesh which is of the world of creation, is its throne, the chest (cavity) its seat and the other limbs are its sphere and its realm. Both creation and dominion are the Lord's. Yet, that conscience about which Allah said: "Say, the spirit is of the command of my lord",(Al-Isra' 85)

﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴿٨٥﴾ ﴾

Is the commander and king. For between the world of creation and that of dominion there is a certain relation, the world of dominion commanding the world of creation. It is that spiritual substance which, if it is sound, brings soundness to the rest of the body. One who perceives it, knows himself and one who knows himself knows his Lord. Then man can have the first inkling of the spiritual wisdom implied in the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that "Allah created Adam in His image."

Allah views with compassion those who attribute to Him the literal meaning of His expression and those who stray in the method of (allegorical) interpretation. If His compassion for the former is greater than for the latter, it is because compassion comes in accordance with the measure of the error, their error being greater even though they share in the common misfortune of being deprived of the truth. For the truth is the bounty of Allah, which He gives to whom He will, and Allah is of bounty abounding. It is His wisdom: " He grants wisdom to whom He pleases; and he to whom wisdom is granted receives indeed a benefit overflowing; but none will grasp the Message but men of understanding." (Al-Baqarah 269)

﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾

Let us return to the matter 'at hand. We went to all that length and dwelt extensively on a matter which is higher than the study of practical religion which we pursue in this book. It has become evident, then, that the degree of destruction is visited only on the ignorant deniers. As the evidence of this from Allah's book and *sunnah* of His Messenger is too extensive, we have not cited it.

The second level is that of the chastised. On it are those who are endowed with the basic faith but have failed in corresponding fidelity. Indeed, the beginning of faith is monotheism *(Tawhid),* that is, that one serves only Allah. But a person who pursues his own whim, takes his whim to be Allah, and consequently pays lip-service to being monotheist and not so in fact. However, the meaning of the profession, 'there is none worthy of worship save Allah ', is the same as the Qur'an states: "Say: "Allah". then leave them alone, playing their game of plunging." (Al-An'am 91)

﴿ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾

That means: abandon completely everything save Allah. The significance of the statement: "Those who have said 'our lord is Allah', then have gone straight... (Fussilat 30; Al-Ahqaf 13)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ﴿٣٠﴾ ﴾ ، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ﴿١٣﴾ ﴾

The straight path, following of which is the only means to complete monotheism, is, like the bridge (over Hell) in the description of the hereafter, thinner than a hair and sharper than (the blade) of a sword. No man can escape deviation from it, even in an easy matter, as he is yet not free of following his whim, even if it be in a trifling. That detracts from the completeness of monotheism according to the (degree) of deviation from the straight path. Such certainly necessitates a defect in the degree of nearness to Allah. With each (such) defect, two fires attend: the fire of separation resulting from that elusive fullness of faith, and the fire of hell as described in the Qur'an.

Everyone who deviates from the straight path is punished twice in two respects. The severity or leniency, however, and the varying duration of that punishment is decided by two factors: the intensity of his faith and the degree of his pursuit of whim. Since man, in most cases, is not devoid of failing in one of the two respects, Allah said: "Not one of you there is, but he shall go down to it: that for your lord is a thing decreed, determined. Then we shall deliver those that were god-fearing: and the evil doers we shall leave there, hobbling on their knees." (Maryam 71:72)

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾

The pious among the righteous predecessors said: "Our fear is caused by our being sure that we are destined for the fire, and we have doubts about salvation." When Al-Hassan reported the tradition of the one who leaves hellfire after a thousand years crying: " O Compassionate One! O Benefactor!", Al-Hassan said: "Would that I be that man!"

It should be known to you that some traditions indicate that the last to leave hellfire will do so after seven thousand years, and that the duration differs between a moment and seven thousand years, so that some pass over hellfire like a fleeting bolt of lightning without any sojourn. Between the single moment and the seven thousand years there are varying degrees of duration: A day, a week, a month, and so forth. There is also a diversity in the intensity with the maximum limitless, and the minimum an accounting, just as the king who sometimes punishes, by rebuke, those who have fallen short in their works, then grants pardon; sometimes by flogging and at other times he inflicts a different sort punishment. A third difference beyond duration and intensity, pertains to chastisement; that being variety of type. For one is punished by mere confiscation of his property; another by loss of his property and the slaying of his children and seizure of his women, chastisement of his kinsfolk, flogging, amputation of tongue, hand, nose, ear and so forth. Such variations exist also in the chastisement of the hereafter. These are indicated in the trenchant propositions of the law (of Islam).

These are in accordance with the strength or weakness of faith and the greater or lesser quantity of good and evil deeds. The intensity of chastisement is according to the intensity and frequency of the evil deeds, while its quantity is in proportion to the quantity of evil, and The variety of type to the variety of deeds. This has been disclosed to those who possess hearts, through Qur'an statements, by virtue of illumination of faith. This is the meaning of the statement: "Your Lord wrongs not His servants even in the least." (Fussilat 46)

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾

And: "And that man has naught save as he has labored." (An-Najm 39)

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾

And: "Who so has done an atom's weight of good shall see it; and who so has done an atom's weight of evil shall see it." (Az-Zalzalah 7:8)

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾

There are other such statements in the Book and Hadith as to reward and punishment being recompense for man's acts, all this injustice without iniquity. The trend toward pardon and mercy is preponderant as related by our Prophet "peace be upon him" from Allah as saying: "My mercy outweighs My wrath." (Muslim on the authority of Abu Hurairah). Allah Almighty said: "And if it be a good deed he will double it, and give from himself a mighty wage." (An-Nisa' 40)

﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾

Thus these general points, therefore, pertaining to the relation of high ranks and low degrees to good and evil works, are known through the trenchant statements of revelation and the illumination of gnosis. As for the particulars, they can be known only as (probable) opinion relying on the literal sense of the traditions and the type of intuition drawing upon the lights of contemplative scrutiny.

We assert, then, that anyone who absorbs the principle of faith, avoids all major sins and fulfills all religious obligations, i.e. the five pillars, with only sporadic minor transgressions, his punishment will, it seems, be merely a reprimand. When he is brought to account, his good works outweigh his evil ones, according to traditions that the five prayers, Friday prayer, and the fasting of Ramadan atone for that which (is committed) between them. Also, according to the Qur'an text, avoidance of major sin plots out minor ones. The minimum of atonement is that the punishment be averted though the accounting was not. Anyone in this position, with his scales heavy in the balance (of deeds), shall, after the favourable balance is evident and the accounting disposed, inherit a pleasing life. How excellent is his joining the Companions of the Right Hand or the near-stationed, and his entering the gardens of Eden or the Supreme Paradise.

The same applies to the classes of faith. For faith is of two types: imitative, as is the faith of the laymen who believe in what they are told and persist therein; and the revelatory faith which is achieved through the enlarging of the breast by divine illumination until all reality is exposed as it is. It then becomes clear that everything originates and ends in Allah for naught is real save Allah, His attributes and works. It is the people of this class that are the near-stationed ones who abide in the Supreme Paradise. They enjoy the utmost degree of closeness to the heavenly host. They too, however, are of various categories. Some are more advanced, others less, the disparity dependent upon the differences in their knowledge of Allah. The Gnostics' degrees of gnosis are innumerable inasmuch as fully fathoming Allah's glorious essence is impossible. The sea of gnosis has no coast nor bottom and, therefore, men dive in it according to their strength and according to what they have been granted by Allah throughout the ages. The stations on the road to Allah are endless, and innumerable are the levels of those who travel on Allah's path.

One who believes by imitation is of the Companions of the Right Hand but on a level lower than the near-stationed. The Companions of the Right Hand are further subdivided. The level of the highest among them approaches the lowest level of the near-stationed. This is the position of one who avoided all major sins and performed all religious obligations, i.e. the five pillars: the verbal utterance of the profession of faith, prayer, alms, fast and pilgrimage. One who perpetrated one or more major sins or neglected some of Islam's pillars, if he truly repents before his time came due, joins those who sinned not. For he who repents is as one who has never sinned, like a washed garment which is as one which was never soiled.

If he died before repentance, it is a risky matter, for he may die while persisting (in sin) and this may be the cause of wavering in his faith, and he may be assigned to a bad end. This is especially so when his faith was imitative. For imitation, though resolute, is apt to disintegrate at the least doubt or distortion. The insightful Gnostic is less likely to be afraid for a bad end. Both of them, if they died in faith, would be chastised, except that Allah may forgo, with chastisement beyond rebuke at the accounting. The duration of the punishment is commensurate with the duration of persistence in sin; its intensity with the

ignominy of the major sins; the variety of type with the variety of evil works. At the termination of the period of punishment the conformists will abide in the levels of the Companions of the Right Hand while the Gnostics of insight will abide in the highest *heights.*

It is narrated : "The last to leave hellfire will be given ten times the like of this whole world ." (both sheikhs on the authority of Ibn Mas'ud). Do not imagine that the intent is the calculation of the physical area, as one parasang compares to two parasangs or as ten compares to twenty. This would be ignorance of the way parables are coined. Rather, it is like the saying: "One took from him a camel and gave him ten like it" or, "the camel was worth ten dinars but someone gave him a hundred."

If one understands the simile only in terms of weight, surely then, the hundred dinars, if placed on one balance of a scale, would not register one-hundredths the weight of the camel on the other balance. Nay, it is a comparison of the meanings of bodies and spirits not of their individual existences. The camel is not wanted for its weight, length, breadth or area, but for its monetary worth. Its spirit is its monetary worth, and its body is its flesh and blood. One hundred dinars are equal to its tenfold on the spiritual balance, not on the bodily balance. This can be seen as true by anyone who knows the concept of monetary worth of gold and silver.

If one gave him, however, a jewel whose weight was a Mithqal though whose value a hundred dinars, and said: "I gave him ten times the like of it", he would be right. Only jewelers, however, would grasp his veracity. For the jewelry's spirit is not comprehended by mere eyesight but by a different sense beyond the eye. Therefore, a youth, especially a villager or Bedouin, would deny the statement saying: "This jewel is but a stone weighing a Mithqal"; the camel weighs a million Mithqals; hence the man lied when he said: "I gave him tenfold thereof." In truth, however, it is the youth who is wrong but there is no way to prove it to him, until he be left to mature and become refined, or until he attain in his heart the illumination with which he may grasp the inner worth of gems and other valuables. Then only would the truth be revealed to him.

The Gnostic is unable to make the conformist, lagging behind, understand how right is the Prophet "peace be upon him" in this comparison, as the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" says, according to traditions: "Paradise is in the heavens." (Al-Bukhari on the authority of Abu Hurairah). The heavens are of this world. How can this world hold ten times the like of it? This incapacity is like that of the adult who is unable to make the boy grasp the above-mentioned comparison. The same is true of explaining the matter to the Bedouin.

Just as one may pity the jeweler when he attempts to enlighten the Bedouin and villager concerning the parable, so the Gnostic may be pitied when he attempts to enlighten the dull-witted. It is for this reason that the Prophet "peace be upon him" said: "Have mercy on three: a learned man among the ignorant; the rich man who became poor and the mighty man who was humbled ." *(Ibn Hibban on the authority of Anas; and also on the authority of Ibn Abbas with a slight variation of*

wording). For this reason the prophets are pitied from among the people. Their tribulations, because of the people's lack of understanding, are a trial and test for them from Allah. Such tribulation is assigned to them, by eternal preordained decree. This is the meaning of the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Tribulation is assigned to the prophets, then the saints, and then others rank by rank." (At-Tirmidhi, An-Nasa'i and Ibn Majah on the authority of Sa'd Ibn Abu Waqqas).

Do not surmise that the tribulation is like that of Job, an affliction of the body. Indeed, Noah's trial was also great. He suffered from people who the more he called them to turn to Allah, the more they fled. Therefore, when the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was troubled by the speech of some he said: "God had mercy on my brother Moses. Indeed, he was troubled by more than this, yet he endured." (Al-Bukhari on the authority of Ibn Mas'ud). Thus, the prophets are not free of being afflicted by the unbelievers. Nor are the saints and the learned free of being afflicted by the ignorant. Therefore, the saints are seldom free of types of harm and tribulation: by expulsion from the land, or their being denounced before the authorities, or by accusation of their unbelief and heresy. It is inevitable that the men of gnosis be viewed as unbelievers by the ignorant just as that he who substitutes a small gem for the large camel should be viewed, by the ignorant, as a squanderer and loser.

When you are aware of these points, trust the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "The last to leave hellfire will be given ten times the like of this world." Beware lest you limit your belief to that which is perceived through the sense alone, and become a two-legged ass. For the ass shares with you the five senses; you, however, differ from the ass in a divine conscience which has been offered to the heavens, the earth and the mountains, but they refused to carry (the trust) and were afraid of it. Yet, understanding of that which is beyond the sensible world occurs only within the scope of that conscience which distinguishes you from the ass and the other animals. He who overlooks that, disregards and neglects it, and is content with the bestial level, does not transcend the (level) of sensual perceptions, is the one who destroys himself by wrecking his soul, forgetting it by ignoring it. "Be not as those who forgot Allah, and so he caused them to forget their souls." Anyone who knows no more than what is grasped through the five senses has forgotten Allah, inasmuch as His not being encompassed, in this world, through the senses. But anyone who has forgotten Allah, is certainly made to forget his own soul, and is lowered to the animal level, and abandons the ascent to the higher horizon. He betrays the trust which Allah placed with him and bestowed upon him, is ungrateful of His blessings and is risking His rancor, nay his state is worse than that of the beast. For, the beast is redeemed by death.

But man has a trust which shall, certainly, be returned to its consignor. He is the source and end of the consignment. The trust is like the radiant sun, yet, it falls into this evanescent mold and sets in it. At the destruction of this mold this sun will rise from its setting place and return to its creator, either in eclipsing darkness or with brilliant radiance. The brilliant and radiant are not barred from

the divine Presence. The darkened will also return to the Presence for Allah is the source and end of all; only that (the darkened soul) turns its head from the highest heights to the lowest depths. That is the significance of the statement of Allah Almighty: "If you could see the guilty handing their heads before their lord." (As-Sajdah 12)

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾

It is clear, then, that they are, before their Lord, in confusion, with their faces turned back and their heads lowered. Such is the divine rule for all to whom He has denied success and whom He has not guided on His path. We seek refuge with Allah from error and from descent to the station of the ignorant.

Such is the fate of him who leaves hellfire and is given ten times or more the like of this world. But only a (true) monotheist will leave hellfire. By monotheism I do not refer to the verbal profession: 'there is none worthy of worship but Allah'. The tongue is of the temporal world and avails only in the temporal world. (Such verbal profession) removes the sword from man's neck and repels the hands of plunderers from his wealth. Security of limb and property extends only along the duration of life. But as limb and property do not remain, verbalization avails not. On the contrary, sincerity in monotheism avails, and its perfection is that man sees all things as coming only from Allah. Its sign is that he does not become angry at any creature in what befalls him, inasmuch as he sees not the means but the Prime Cause, as will be shown in the Book of Reliance on Allah. This monotheism is variegated. There are those whose monotheism is like mountains; others like only the weight of an ounce; and others like the weight of a mustard seed or grain. He who has in his heart a dinar's weight of faith, will be the first to leave hellfire. It is said in a tradition: "Get out of hellfire those in whose heart there is a dinar's weight of faith." The last to leave is he in whose heart there is only a grain of faith. The amount of degrees between the dinar's weight and the grain determines the order of exit from hellfire in between the two extremes. The comparison between the ounce and the grain is, in terms of simile, as we have mentioned in the comparison between property assets and species.

For the most part, what leads monotheists into hellfire is injustices toward men, since the account of men is that which will not be neglected. As for the remainder of evil deeds, they may be quickly pardoned and atoned. As a tradition puts it: "Man is brought before Allah. The man has good deeds (to his credit) the likes of mountains; if they be admitted he is of the people of Paradise. Then the examiners of interpersonal injustices rise: he may have abused someone's dignity, misappropriated someone's property, assaulted someone. These deeds are subtracted from his good deeds until none remain. Then the angels declare: ' O Lord, this man's good deeds are gone and many claims against him remain.' Allah proclaims: 'Heap their grievances upon his account, and make out his ticket to hellfire.'" Just as he is destroyed by the evil done to another, by way of retribution, so the wronged one is saved by the good deed of the evildoer who committed the injustice against him. For, it is transferred to him in exchange for the wrong he suffered at the other's hand.

It is narrated from Ibn Al-Jalla' that one of his brethren slandered him, then, requested his forgiveness. He said: "I cannot. My ledger has no good in it better than this. How can I erase it?" He and others said: "My brethren's transgressions are of my good deeds with which I intend to adorn my ledger."

It is this that we desired to mention of the variation of man's degrees of happiness and misery in the hereafter.

All this is judgement of external causes, like the decision of the physician about a particular patient that he will certainly die and no treatment will avail, and about another patient that his disease is slight and his cure easy. Indeed, that notion is correct in most instances. Yet, sometimes, unexpected by the physician, the soul's soundness may return to man close to death. Sometimes, however, the end comes unexpectedly to one who suffers from a light disease. These are Allah's mysteries, concealed in the living and in the obscurity of causes determined with a certain measure of the Prime Cause, for it is not given to human power to fathom them.

Likewise, salvation and bliss in the hereafter have secret causes beyond the capacity of human comprehension. That concealed cause leading to redemption is called pardon and favour, and that leading to destruction is called wrath and vengeance. Behind this mystery is the eternal divine volition which no creature can comprehend. Thus we must admit the pardon of the rebellious, even if his apparent evil is great, and the wrath upon the obedient, even if his apparent acts of obedience are many.

Indeed, we rely on piety, which is in the heart and it (the heart) is too obscure to be grasped by its possessor, the more so by another. It has already, however, been revealed to the masters of hearts that forgiveness comes to man only through a secret reason which accounts for it. Wrath also comes only because of a hidden cause which draws man away from Allah. If not for that, pardon and wrath would not be recompense for acts and qualities. Were it not recompense it would be unjust, and, if it were unjust, the verses: "Your lord wrongs not his servants" (Fussilat 46)

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾

And: "Surely Allah shall not wrong so much as an atom's weight " (An-Nisa' 40)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴿٤٠﴾ ﴾

Would not be correct. Yet all of this is true: And that a man shall have to his account only as he has labored, and that his labouring shall surely be seen. Every soul shall be pledged for what it has earned. When they swerved, Allah caused their hearts to swerve and, when they change what is in themselves, Allah changes that which is in them. This confirms the significance of the statement of Allah: "Allah changes not what is in a people until they change what is in themselves." (Ar-Ra'd 11)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴿١١﴾ ﴾

All this has been revealed to possessors of heart in a manner clearer than

visible evidence, inasmuch as eyesight can err, as when, at times, it perceives a distant object as near and a large one as small. But the evidence of the heart cannot err. The point is the opening of the eyesight of the heart and not to imagine falsity in the heart after this development. This is referred to in the statement of Allah: "The heart lies not of what he saw." (An-Najm 11)

﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾

The third level is that of the saved. By salvation I mean security only, without felicity or bliss. They are people who have neither rendered service to be rewarded, nor have they failed (so as) to deserve punishment. It seems that this is the state of the insane, the youngsters of the unbelievers, the feeble-minded and those whom the call to Allah has not reached due to geographical isolation. They live in ignorance without perception. Their portion is neither knowledge nor unbelief, neither obedience nor rebellion. There is no means that can bring them close to Allah nor any offence which can turn them away from Allah. They are not of the people of paradise nor of the people of hellfire. Rather, they are stationed midway between the two. The revelation calls this *A'raf* (the Heights) The existence of some people in this stage is known with certainty from Qur'an verses, traditions and the lights of various considerations. Essentially, the judgement, for example, that the youth are in this category, is presumed and not known with certainty. Learning about it truly belongs to the sphere of prophecy, and it is unlikely that (men in) the grade of the saints and the scholars would rise to it.

The traditions as regards the youth are also contradictory. When one of the youths died, A'ishah "Allah be pleased with her" said: "A bird from among the birds of Paradise." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" denied this saying: "How do you know?" (Muslim). Ambiguity and obscurity, therefore, prevail about this station.

The fourth level is that of the blessed. They are the Gnostics, as distinct from the mere imitators. They are the successful, and their station is close (to Allah). The imitator, even if he attains, on the whole, a station in Paradise, is of the Companions of the Right Hand, but these are the near-stationed, and what they experience is beyond description. The extent of possible explanation is what is described in the Qur'an. There can be no explanation beyond Allah's. That which cannot be expressed in this world is summed up in the Holy statement: "No soul knows what comfort is laid up for them secretly" (As-Sajdah 17)

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم ﴾

And also in the Prophetic tradition: "I have prepared for my righteous servants that which no eye has seen, which no ear has heard of, and which has not occurred to the human mind." (Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Hurairah).

The desire of the Gnostics is that state which could not conceivably have occurred to the human mind in this world. As for the houris, palaces, fruits, milk, honey, wine, and jewelry of Paradise, the Gnostics do not covet of them.

Moreover, if these were given to them, they would not be content. They seek only the ecstasy of gazing at Allah's countenance. This is the utmost of felicities and the ultimate delight. That is why, when Rabi'ah Al-Adawiyyah was asked: "What do you long for in Paradise?", she answered: "first the Neighbour and then the House." For these are people whose preoccupation with the love of the Master deflects them from taking interest in the house and its embellishment, indeed in anything other than He, even in themselves.

They are like the lover who is blindly devoted to his Beloved, whose mind is riveted to gazing at His countenance and thinking of Him. He is in the state of immersion, he is neglectful of himself, not aware of what affects his body. This state is called the self-annihilation. That means that he becomes immersed in another, and all his concerns become one concern, namely his Beloved. There remains no room in him for anything but his beloved until he pays no attention to either himself or others. This is the state through which, in the hereafter, one attains such delight as inconceivable in this world, in anyone's mind, as it cannot be imagined that one deaf and blind would form the notion of colour and melody unless the bar was lifted from (the impairment of) his faculties of hearing and sight. At that point he might understand his condition and know, assuredly, that earlier it was impossible for him to have formed such notions. This life is a veil to realization, and with its removal the hidden is revealed. At that point, the flavour of the good life is perceived. "Surely the last abode is life, did they but know." (Al-Ankabut 24)

﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

This suffices for explication of the distribution of degrees (in the hereafter) according to good deeds. May Allah, in His benevolence, grant success.

Explication Of How Minor Sins Are Increased

It should be known that there are circumstances by which minor sins are magnified. Among them are persistence and assiduity. That is why they say: "A sin persisted in cannot be minor, and a sin followed by the quest for forgiveness cannot be major." A major sin can go by and, if it can be imagined that it is not followed by the like, then pardon for such is more likely than for a minor sin in which man persists. A model for this is drops of water falling continuously upon a stone until they wear it away. The same amount of water, poured onto the stone all at once, would not produce a like effect. That is why the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "the best of deeds is that to be done regularly no matter how little it might be." (both sheikhs on the authority of A'ishah).

Matters are clarified through their opposites. If the useful work is the constant, even if it be minor, then the intermittent though numerous works are of little advantage in the illumination and purification of the heart. Likewise, a few evil deeds, if they persist, have great influence in corrupting the heart. Yet, it is hardly imaginable that man storms for the major sin suddenly without antecedents and accessories from the category of minor sins. Rarely does the adulterer fornicate without enticement and plotting. Rarely, also, does one kill

abruptly without previous rancor and enmity. Thus every major sin involves previous and dependent minor ones. If we could imagine a major sin independent and sudden, without recurrence, perhaps pardon of it would be more likely than of a minor sin in which a man persists throughout his life.

Another (cause of augmenting the minor sin to be major) is to consider sin minute. Indeed, whenever man himself deems the sin as major, it becomes, in Allah's view, minor, because the apprehension of its magnitude stems from the heart's aversion to it and loathing of it. This aversion to it restrains the intensity of its influence upon the heart. On the contrary, considering a sin insignificant stems from habitude which makes, for an intense influence on the heart. The heart must be illumined through acts of obedience, and its blackening through evil deeds must be avoided. It, therefore, will not be censured for what befalls it inadvertently. Indeed, the heart is not impressed by what occurs inadvertently, according to a certain tradition: "The believer considers his sin (as huge as) a mountain, suspended above him, and fears it may fall upon him; whilst the hypocrite considers his sin (as trivial as) a fly which passed by his nose, and is swatted away." (Al-Bukhari on the authority of Al-Harith Ibn Suwaid from Ibn Mas'ud). Somebody said that the sin which is not forgiven is man's saying: "Were all my sins to be like this."

The sin waxes in the heart of the believer because of his awareness of Allah's majesty, and when he contemplates the greatness of Him against whom he rebelled, he sees a minor sin as major. Allah has revealed to one of His prophets: "Look not at the insignificance of the gift but rather at the greatness of the giver; look not at the smallness of the offense, but rather at the majesty of Him whom you confront with it." In this sense a Gnostic has said: "There is no minor sin, but every offense is major."

Likewise, one of the Companions "Allah be pleased with them" said to Tabi'is: "Surely you do things which, though in your eyes they are finer than a hair, we, in the time of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", would reckon among the major sins." Since the Companions' perception of Allah's majesty was more sterling, they considered the minor sins, with regard to Allah's majesty, as major sins. For the same reason what is a minor sin in the case of an ignorant, becomes a major sin in the case of a learned man. Matters which are disregarded in the case of a common person, are not so disregarded in the case of an enlightened one, for sin and offense grow in proportion to the perception of the transgressor.

Another cause of augmenting the minor sin is to be delightful in the minor sin, take pride in it, consider its realization as pleasure, and disregard of its being the cause of misery. The more the sweetness of the minor sin overcomes a man, the more a minor sin becomes major, and its impact in blackening the heart is growing. There are sinners who pride themselves on their sins and boast of them, because of the intensity of their joy at having yielded to them. one might say: "Have you not seen how I rent his dignity?" A disputant might say: "Have you now seen how I exposed him, how I brought out his shortcomings to the point of shame, how I scorned him and how I duped him?" A trader might say: "Have

you not seen how I sold him the spurious, how I deceived him, how I cheated him of his wealth and how I made a fool of him?" By such deeds, minor sins are magnified. But sins are destructive. When man is led to them, and Satan has succeeded in inducing him to act that way, then he should be in trouble and incurs regret on him by the triumph of the Enemy over him and his own remoteness from Allah Almighty. If a sick person rejoices in the destruction of the bottle containing his medication, just to escape the bitterness of drinking it, his cure is not expected.

A further cause of increasing a minor sin is that man disdains Allah's protection of him, His forbearance, and the respite He grants to him. Man does not grasp that he is given respite out of intense dislike, so that the offense might increase. He thinks that his ability to sin is a sign of Allah's concern for him. This is because of his feeling secure from Allah's planning, and his ignorance of the pitfalls of delusion about Allah. In confirmation of that He says: "And they say within themselves: "Why does Allah not chastise us for what we say?" sufficient for them shall be Hell, at which they shall be roasted - a wretched lot." (Al-Mujadilah 8)

﴿ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾

Another cause is that he commits a sin and exposes it by mentioning it after committing it, or that he commits it in another's presence. Indeed, such is an offense against the protection Allah lowers upon him and an incitement of the craving for evil in him whom he tells of his sin or whom he makes witness his action. Two offenses join into his offense to harden it. If encouraging another person to commit that sin, inducing him and involving him, are added, it goes into a fourth crime, and it becomes a monstrous affair.

It is narrated in a tradition: "All men are excused except the declarers. One of them spends the night in sin, and Allah conceals it, yet he arises and removes divine concealment, and speaks of his sin." (both sheikhs on the authority of Abu Hurairah). This is because one of Allah's attributes and favours is that he reveals the good deed, conceals the unsightly and does not rip the protective veil. But man's exposure (of sin) is a repudiation of this grace. Somebody said: "Do not sin, but if you cannot avoid sin, awaken not such a desire in another, for then you will have sinned twice." That is the reason why Allah Almighty states: " The Hypocrites, men and women, (have an understanding) with each other: they enjoin evil, and forbid what is just, and are close with their hands." (At-Tawbah 67)

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾

It is narrated that somebody said: "The gravest violation of a man's reputation is to assist him in committing a sin, and then make him regard it slight."

Another cause of magnifying a sin is the case in which the sinner is a learned having followers. If his sin is displayed, it increases, e.g., the scholar's putting on silk, riding golden carriages, taking doubtful money from rulers,

frequenting the company of rulers, encouraging them by abstention to disapprove (of their evil), reckless slandering, intemperance in controversy, by way of scorning, and occupying himself with such learning as leads only to glory, like the art of controversy and argumentation. For these are sins in which the learned will have a following. He dies but his evil remains spreading in the world indefinitely. Blessed is he whose sins die with him. According to a particular tradition: "He who enacts an evil practice bears its burden and the burden of anybody practicing it, reducing nothing of theirs at all." (Muslim on the authority of Jarir Ibn Abdullah). Allah Almighty says: "And We write down what they have forwarded and what they have left behind." (Ya Sin 12)

﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَٰرَهُمْ ﴾

What "is left behind" refers to those acts which continue after the expiration of the deed and the perpetrator.

Ibn 'Abbas "Allah be pleased with both" said: "Woe to the scholar from his followers; he slips but goes right yet people carry the error far away." Somebody said: "The error of the learned is like a ship, it sinks and its passengers drown." In the Israelite tales "There was a scholar who misguided people into unlawful innovation, then was overtaken by repentance and acted toward correction over a lifetime. Allah then revealed to their prophet: "Say to him: 'If your sin were only in that which is between Me and you, I would surely forgive it. However, what about those of My servants you have misled and plunged into hellfire?'"

Thus it becomes clear that the position of the learned is grave. They have two duties: first, abandonment of sin, and second, concealment of it. Just as their responsibility for sins is compounded, so is their recompense for good deeds emulated by their following. If the learned abandons pursuit of affectation and the affection for the mundane world, is satisfied with little thereof, as well as with little food and apparel against the elements, and is followed in this by leading scholars and laymen, he will enjoy the likes of their reward. If, however, he leans toward affectation, they consequently would lean to imitate him. they would be able to attain success only in the service of rulers and the gathering of scraps from unlawful wealth. For all this he will be responsible. Thus the behaviour of the scholars is compounded manifold, be it in merit or demerit, in gain or less.

This is sufficient for the details of the sins from which repentance is effective.

THIRD PILLAR

ON PERFECTION, REQUISITES AND PERMANENCE OF REPENTANCE

We have already mentioned that repentance consists of regret which leads to determination and resolution. This regret is itself caused by knowledge that the offenses are a barrier between man and his Beloved. Each of these, knowledge, regret and determination, has permanence and perfection. Its perfection has a sign, and its permanence has requisites, all to be clarified.

As for knowledge, it is to know the cause of repentance; its strengthening and its perfection by factors such as the company of the virtuous, attendance of the gatherings of celebration (of Allah), questioning about the fatal impact of

transgressions and about the punishment they may bring on in this world. But cleaving to a sheikh is more useful than all this; indeed it is the efficacious remedy. It will be discussed later in more detail.

As for regret, it is the heartache, when man discerns that the Beloved has been lost. It is marked by long grief and sorrow, tears flowing and much weeping. When one becomes aware of torment afflicting his child or one of his dear ones, his grief and weeping are protracted. And, who is dearer to a person than himself, what punishment is severer than hellfire, what is more indicative of the descent of punishment than sins, and what announcer is more reliable than Allah and His Messenger?

If a man is told by a physician that his child would not recover from his illness and would die thereof, surely his grief would be aroused. Yet, his child is not dearer than himself, nor is the physician more knowledgeable or more reliable than Allah and His Messenger, nor is death more severe than hellfire, nor is sickness more indicative of death than sins are of Allah's wrath and the risk of hellfire. The stronger the anguish of regret is, the more the expiation of sin through it is expected. The sign of the sincerity of regret is the mellowness of the heart and the profusion of tears.

It is said in a particular tradition: "Sit with the contrite, for their hearts are the most mellow." (Ibn Abu Ad-Dunya from the saying of Abdullah Ibn Abu Awn). A sign thereof is that instead of the sweetness of those sins, their bitterness seizes man's heart, and inclination turns- into loathing, desire into aversion. It is stated in the Israelite tales that Allah Almighty said to one of His prophets who had asked Him to accept the repentance of a certain man after he had strived in vain for years in worship: "By My power and majesty, if the inhabitants of heaven and earth interceded, I would still not accept his repentance, for the sweetness of that sin, from which he repents, yet lurks in his heart."

You may argue: "Sins by nature are agreeable acts. How, then, can one find bitterness in them?" in reply to that, let me say that one who eats honey containing poison, and does not discover it by taste, and relishes it, but afterwards falls ill, his illness and its pain progress, his hair falls out and his limbs are left paralyzed, should honey containing a like substance, be set before him, even if he is in an extreme state of hunger and urge for sweetness, would his soul shun such honey or not? If you answer in the negative, such answer would be a denial of the evident and of experience.

Rather, it is possible that even uncontaminated honey would be shunned because of its resemblance to the other. That is how the repentant may have the sensation of the bitterness of sin. This is brought on by his knowledge that the taste of every sin may be the taste of honey, but its effect is that of poison. Repentance is not sincere or true without such belief. As such belief is rare, repentance and repentants are rare. You see only such as turn away from Allah, think lightly of sins, and persist in them. This is a requisite for the perfection of regret, and must be constant unto death.

Man must find such bitterness in all sins, even if he has never committed them before, just as one who consumed poison contained in honey feels aversion

to fresh water as soon as he learns that it contains a similar poison, since the harm was not from the honey but rather from what it contained. Likewise, the damage that afflicts the repentant from his theft or fornication does not stem from the nature of the act itself but rather from its being a transgression and violation of Allah's command. This applies to every sin.

As for the resolution which emerges therefrom, it is the will to correction and it has a connection with the present, the past and the future. As far as the present is concerned, it entails renouncing anything prohibited which he practices, and the fulfillment of every obligation which faces him in the present. As far as the past is concerned, it is the correction of what has preceded. As for the future, it is the continued obedience and permanent renunciation of sin unto death.

The requisite of the sincerity of repentance, as far as the past is concerned, is that man should turn his thought back to the first day when he came of age or attained the age of puberty, and scrutinize his past life, year by year, month by month, day by day and moment by moment. He should review, in what acts of obedience he was negligent and to which sins he yielded.

If he missed a prayer or performed it while wearing an impure garment or not with the proper intent because he was unaware that the intent is a requisite of prayer, he should perform it in full. If he has doubts as to the number of prayers missed, computing from the period of his attaining maturity, subtracting the number of prayers which he feels sure he had performed, he should perform the remainder. He may use common sense, and he will attain the right figure by way of inquiry and careful reckoning.

As for fasting, if he neglected it during a journey, or if he broke the fast intentionally or forgot the proper intention at night and did not make it up, he should, after most careful computation, busy himself with making it up.

As for alms, he should compute his total wealth and the number of years that elapsed since he acquired it, and not from the time of his attaining maturity, for alms are due even on the property of the child. He then discharges that which he feels he most likely owes. Further, if he discharged it in a manner inconsistent with his rite, as not having disbursed to all the eight categories or discharged an alternate while he is of the Shafi'i school, he should execute all that; otherwise it is not fully satisfactory. The computation of alms and the knowledge of this matter is protracted, and requires lucid consideration: He may have to consult the jurists on how to settle the matter.

As for pilgrimage, if one had been able, over the years, but his departure did not come to pass, and presently he has become destitute, he still should go on the pilgrimage. If, considering his destitution, he is unable, he must acquire, by lawful means, enough for provisions. If he has no means of acquisition, he should request people to grant him from the Zakat or charitable funds, the necessary sum for the pilgrimage. If he dies before performing the pilgrimage, he dies in transgression. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If one dies without having performed pilgrimage, it is the same to him to die as a Jew or a Christian." Accidental inability succeeding a state of capacity does not cancel man's obligation of pilgrimage.

Such is the way for one to examine acts of obedience and to correct them.

As for sins, he should trace his hearing, eyesight, tongue, stomach, hand, foot, pudendum and the rest of his limbs, from the beginning of his maturity, then look through all his days and hours and detail to himself a record of his transgressions until they all are established, the minor and the major, and he should sift them. Some of them are between Allah and himself, i.e., do not entail injustice to others. This includes such acts as gazing at a woman unlawful for him to look at, sitting in a mosque despite a major ceremonial impurity, touching the Mushaf before performing ablution, entertaining a heresy, drinking wine, listening to entertainment, etc. in other words, all that is unconnected with harm to another person.

Repentance from these comes through regret and grief. Let him also reckon their measure as regards magnitude and duration, and seek for each of these sins a corresponding good deed. He performs good deeds in proportion to the measure of the transgressions in compliance with the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Fear Allah wherever you be and follow an evil deed with a good one to wipe it out." (At-Tirmidhi on the authority of Abu Dharr). In confirmation of that, Allah said: "Surely the good deeds will drive away the evil deeds." (Hud 114)

﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾

Listening to entertainments is atoned by listening to the recitation of the Qur'an and Dhikr gatherings. Sitting in a mosque in an impure state is atoned by I'tikaf in a mosque for engaging in worship. Touching the Qur'an while unclean is atoned by esteem for the Qur'an, extensive reading from it, kissing if often, and by preparing a copy of the Book and making it an endowment. The consumption of wine is atoned by charitable donation of a lawful beverage which is better and liked by him.

It is impossible to enumerate all the transgressions. The point is to tread the opposite path. Illness is cured by its opposite. Every stain, which arose upon the heart through transgression can be erased only by an illumination raised upon it through an opposite good deed. These opposites are proportionate to one another. Therefore, each evil should be expunged with a good of its own kind but opposite in effect. White is cancelled by black, not by heat or cold. This classification and verification are subtleties toward expunging transgression. Expectation is so justified, trust so great that one should not persist in one kind of worship, even though this too is effective in erasing sin.

Such is the rule concerning sins of man towards Allah. That a thing is atoned by its opposite is indicated by the fact that the love of the mundane is the beginning of all error, and that the effect, in the heart, of the pursuit of the mundane is delight in it and craving for it. Since faced with anxieties and worries, the heart shuns the world, certainly any hurt which befalls the Muslim and draws his heart away from the mundane, will serve as an atonement. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There are sins for which only anxieties atone (or, according to another version: 'only the anxiety in search for livelihood')." (At-Tabarani, Abu Na'im and Al-Khatib on the authority of Abu

Hurairah). It is further narrated on the authority of 'A'ishah "Allah be pleased with her": "When man's sins multiply and he has no works by which to atone for them, Allah brings upon him anxieties, that should become atonement for his sins." (This is reported by Ahmad). It is said that the anxiety which enters the heart, while man is unaware, is the strain of sins, and the worry about them, the feelings of the heart at the eve of Reckoning and terror of the day of Judgement.

You might say: "Man worries mostly about his wealth, children and status. This is an error. How will it be an atonement?" in reply to that, you should know then that love for these is an error, and deprivation of these is an atonement. If man savored it, the error set in. It is narrated that Gabriel "peace be upon him" entered unto Joseph "peace be upon him" in the prison. He asked him: "How was my poor father when you left him?" he replied: "He grieved for you with the sorrow of a hundred bereaved mothers." He asked: "What does he have, then, with Allah Almighty?" he said: "The reward of one hundred martyrs." Thus, anxieties also atone for sins against Allah. This is the rule concerning sins against Allah.

As for injustices towards one's fellow-men, they too include felony and transgression of Allah's limits. For Allah has also forbidden the wronging of one's fellow. The correction of such, insofar that they pertain to Allah's limits, is to show remorse, contrition, renunciation of similar acts in the future, and the performance of good deeds counted as opposites of the sins. The repentant will requite with benevolence toward men for the hurt he may have caused them. He will atone illegal usurpation of their property by charitable gifts from his lawfully earned property. Degrading their dignity by slander and vilification will be atoned through praise for those of religiousness, telling people of what he knows of the good qualities of one's fellow, etc. The taking of life is atoned by manumission of slaves. For this is like giving life, since the slave is lost to himself and exists only for his master. Manumission is a creation, the maximum of creation man is able to do. The destruction (of life) is countered by the creation (of life).

By this you learn that what we have discussed of following the path of opposites in atonement and annulment is attested to in the Law, as the atonement for slaying is the manumission of slaves. But, even if he did all that, it would not be sufficient so long as he has not turned away from injustice to men, be it against life, or property, or dignity, or heart, I mean sheer hurt.

As for matters of life, if a man happens to kill by mistake, then his repentance is by compensation, through conceding the blood money, either from him or his closest relatives from the side of his father, and it should reach the entitled party. Such is his responsibility until the delivery would be executed. If the murder is committed intentionally, and legal retribution is due, then repentance is through (being ready to suffer) retaliation. If he was not identified, he must reveal himself to the avenger who will decide about his life: he may forgive him if he so likes or kill him if he so likes. Only by such means is the killer's responsibility fulfilled. Concealment is not permitted.

This is not like fornication, drinking wine, stealing, robbery or taking part in

an illicit affair for which legal punishment under the divine law had been stipulated, for these cases do not require that the repentant should publicly compromise himself, disclose himself or seek the application of the sacred law from the ruler. Rather, he should avail himself of Allah's protection, and carry out Allah's declared punishment upon himself by various sorts of mortification and chastisement. Pardon, in the case of sins toward Allah alone, is nigh unto the regretful repentant.

But even, if he submits his case to the authorities and the prescribed punishment is imposed, he will have done his duty, and his repentance is sound and accepted by Allah. This is attested by what is narrated of Ma'iz Ibn Malik, who came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: " O Messenger of Allah, I have stained my soul and fornicated, and I desire that you cleanse me!" The Prophet "peace be upon him" then turned him away. The next day he approached the Prophet "peace be upon him" and said to him: " O Messenger of Allah, I have fornicated!" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" turned him away. When Ma'iz came for the third time, the Prophet "peace be upon him" took up his case, and a pit was dug for Ma'iz, and the Prophet "peace be upon him" gave the order that the man be stoned to death. People, in this matter, were of two opinions. Some said: "He was ruined as his crime engulfed him." Others said: "No repentance is more sincere than his." But the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "His repentance surely would, if divided, suffice for a whole people." (Muslim on the authority of Buraidah).

It is further narrated that a woman from the Ghamid tribe came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "O Messenger of Allah, I have committed adultery, cleanse me!" The Prophet "peace be upon him" turned her away. On the next day, she came and said: "O Messenger of Allah, why do you turn me away? Do you reject me as you did to Ma'iz? By Allah, I am pregnant!" The Prophet the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "As for now, go away until you bear the child." When she gave birth she came with an infant boy wrapped in a tatter and said: "Here, this is the child I bore." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to her: "Go away and nurse him until he is weaned." Then, when she weaned him she came with the infant, having in his hand a piece of bread. She said: "O Messenger of Allah, I have weaned him and he has already got food." The child was given over to a man from among the Muslims. the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" gave command that a bit be dug for her to be buried unto the chest, and stoned to death. Khalid Ibn Al-Walid approached with a stone and cast it upon her head. The blood splashed upon his face and he cursed her. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" heard him insulting her, and said: "Be quiet O Khalid, for indeed, by Him in whose hand my soul is, she has certainly repented in such a way that if the tax collector repented like her, he would be forgiven." After that he issued instructions to establish funeral prayer on her and she was buried. (Muslim on the same previous authority).

As for retaliation and the punishment of false accusation, the one responsible must expiate his guilt before the one in the right. If the subject is property unlawfully usurped, treachery, or swindle in business matters by means of fraud, such as sale of spurious goods, concealing a defect in the sold goods, undercutting a workman's wages or withholding his wages, all this requires investigation, not from the limit of a man's maturity but from the beginning of its occurrence. That which is due from a youth's property, the youth, upon his attaining maturity, must pay, if the trustee failed to do so. If he does not do this, he becomes a transgressor liable for it. For the youth and the adult are equal as regards monetary claims.

Let man, then, be careful of the smallest sums from the first day of his life until the day of his repentance, before he is held responsible on the Day of Judgement. Let him examine his own self before he is examined. One who is not careful of this world, his accounting is protracted in the next. If his total obligation is, most plausibly and with all possible effort, summed up, let him write it down. Let him, also, record the names of the wronged, one by one, and travel around the world seeking them, to expiate his guilt before them or give them satisfaction. Such repentance is hard on the wrongdoers and the merchants, as they are unable to seek out all their business contacts or the heirs of these. Each one must do as much as is within his capacity. If he is unable, there remains for him only the way of profusion of good works that, on the Day of Resurrection, will prove abundant, so that they will be taken and placed on the scales of the wronged claimants. The abundance of his good deeds is measured against his wrongdoings. But if his good works do not counterbalance them, he will be saddled with some evils of the wronged claimants, so that he will perish by the evil of others.

This is the way for every repentant of repelling the claims of the wronged. This necessitates the investment of a lifetime in good deeds, commensurate with the duration of unjust behaviour. How is this possible when it involves an unknown quantity? And perhaps the end is near? Time being limited, he must be more energetic in accumulating good deeds than he was in gathering sin over extended time. Such is the rule concerning injustices to which he is under obligation.

As for his actual possessions, let him return to the rightful owner that which is known to belong to that owner. The property whose rightful owner is not known should be given in charity. If lawful possessions become mixed up with unlawful ones, he must do his best to learn the amount of the illicit property, and give in charity that amount, as has already been clarified in the Book of the Lawful and the Unlawful.

As for such verbal offense against the heart, like tormenting or defaming people, he must seek out everyone who suffered from his tongue or whose heart hurt by his actions, and seek to expiate his sins with each, one by one. If one has died or disappeared, that matter is forfeit, and correction is possible only through augmenting good deeds to be accepted as substitutes on the Day of Judgement. If he finds a claimant who releases his guilt in good faith, then that is his atonement.

The repentant must put his offense and opposition before the claimant, for ambiguous pardon is insufficient. Perhaps, if the wronged were to know all that, and the magnitude of the offense against him, he would not be inclined to forgive him, and would rather store that until the Day of Judgement, in order to take it from the repentant's good deeds or loading his own evils upon his evil record. If the repentant's offense against others includes anything that, were it mentioned or made known, would hurt the wronged person, such as the fornication with the wronged person's slave girl or female relative, or verbal reference to some secret failings, the pain may be increasing should the repentant seek to stimulate him, then the repentant's way in search of pardon is blocked. There remains but to seek release from his guilt. Still a guilt will remain. Let him seek to compensate for it through good deeds as in the case of the injustices against those now dead or missing.

Harmful remark and characterization also represent a new evil from which expiation must be sought. Whenever the repentant mentions his offense and announces it to the aggrieved, who does not permit expiation, the repentant's guilt remains. Such is the right of the aggrieved. The repentant must, therefore, subtly win him over, act in his interests, and show love and solicitude such as would take sway over his heart. Indeed, man yields to beneficence. Everyone who feels aversion to an evil may be swayed by a good deed. When the heart of him (the aggrieved man) recovers, through the abundance of (the wrongdoer's) affection and solicitude, he will permit himself pardon. If he persist in refusal, the sinner's solicitude and pleas are counted among his good deeds which, on the Day of Judgement, will possibly make good for his offense. Let his effort to gladden the other's heart through tenderness be as much as it was in inflicting harm, or surpass it. On the Day of Judgement, this will be taken as his compensation, according to the divine judgement. This is similar to one who, in this world, has damaged property, then offered the equivalent (in maintenance), but the owner declined to accept it or absolve him, and the Judge then ordered the owner to accept willingly or unwillingly. That is how Allah, the Judge of all judges, and the Fairest of all the fair, will decree on the Day of Judgement.

It is narrated in both Sahihs on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him" that the Prophet "peace be upon him" said: "There was, among those who were before you, a man who had killed ninety-nine persons. He inquired after the wisest man upon the earth, and was directed to a monk. He came to the monk and asked: 'One has killed ninety-nine people, is there (a possibility) of repentance for him?' he answered in the negative, thereupon The man killed him, thereby completing the number of his victims one hundred. Then he again sought after the wisest man in the land, and was directed to a learned man, to whom he said: 'One has killed a hundred men, is there repentance for him? he answered in the affirmative and said: 'Who prevents him from repenting? Go to such and such a land, where people serve Allah, worship with them, and do not return to your land, for it is an evil land.' He set out on the road but midway death overtook him. Then the angels of mercy argued over him with the angels of chastisement. The angels of mercy said: 'He came as a repentant, with

his heart directed toward Allah.' The others said: 'He has never done any good.' An angel appeared to them in a human form, and they appointed him to judge between them. He said: 'Measure the distance to the two lands; he belongs to the one which is nearer.' They measured, and found him nearer to the land he sought. So the angels of mercy took hold of him." According to another version, "he was a span closer to the righteous city, so he became one of it." In a third version, "Allah urged this side to move away and the other side to draw near, then said: 'Measure what is between them.' They found the man closer to the one by a span; and he was forgiven."

From this you may learn that there is no salvation except through the preponderance of good deeds even as little as an atom's weight. The repentant must show an abundance of good deeds. Such is the rule of intent as far as the past is concerned.

As to the determination linked to the future, it is that one should give a firm pledge to Allah, and contract with Him a firm covenant not to repeat such sins nor their like. This is like the man who, in his sickness, knows that a certain kind of fruits, for example, will cause him harm. He resolves, with determination, that he will not get the fruit so long as he remains ill. This resolution is immediately imperative, even though it can be imagined that craving will overcome him next. One is not, however, a repentant so long as he has not firmed up the resolution in the present. It is inconceivable that a repentant should succeed therein, at the start, except by means of solitude, silence, reducing food and sleep to a minimum, and sticking to lawful sustenance.

If he has lawfully inherited wealth, or a craft by which he can earn a sufficient amount, let him be content with it. The beginning of all sin is the consumption of the forbidden. How can one be repentant while persisting therein, not content with the lawful nor abstinent from the doubtful, unable to give up the cravings for food and raiment? Someone said: "He who is sincere in giving up desire and conquered himself for Allah's sake seven times, would never be afflicted by that desire." Another said: "He who has repented from sin and kept to the straight seven years, will never return to it." If the repentant is not learned, he should learn what is incumbent upon him in the future and what is forbidden, so that he would be able to stick to uprightness.

Unless man chooses solitude, his uprightness is incomplete, even though he may have renounced some sins. Such is the case of him who renounces, for instance, drinking wine, fornication or usurpation, yet this is not full repentance. Some people said that this repentance is not valid, while others said that it is right. Validity, in this context, is a vague expression. We would say to one who holds it invalid: "If you mean by this that his abstention from certain sins is of no avail at all, and that its presence is the same as its absence, then great indeed is your error. We know that the more the sins are, the more the punishment increases, and vice versa." To one who asserts the validity (of such repentance) we say: "If you mean thereby that renunciation of some sins is necessarily accepted and will inevitably lead to salvation or bliss, this, also, is an error.

Salvation and bliss come with total abstention from sin." Such is the apparent sense. We are not speaking of the subtle secrets of divine forgiveness.

If he, who takes the position that such repentance is invalid, says: "I mean thereby that repentance amounts to remorse; man feels remorse for theft, for instance, as a transgression and not as theft per se. It is impossible that he regret for it without (regretting also for) fornication, so long as his grief is due to sin being a transgression, for both have a common cause. A man who grieves over the murder of his child by sword would also grieve over the child's death by knife, because his grief is due to the death of his beloved, whether by sword or knife. Likewise man grieves over missing his Beloved, which occurs through transgression, be it by theft or fornication. How does he grieve over one but not the other? Remorse is a state brought on by the knowledge that transgression, as such, alienates the Beloved.

It is inconceivable that it would be so in the cause of some transgressions and not of others. For, if this were possible, it would be conceivable that one could repent from drinking wine from one jug but not from another. Yet, such is impossible, for the transgression, in both cases, is one, and the jugs are no more than receptacles. In the same way, the particular transgressions are (mere) tools of sin per se, while sin, insofar as it is disobedience, is one and the same. The meaning of the invalidity is that Allah has promised the repentants a rank, and this rank can be achieved only through remorse, but remorse over only some and not all of these sins is not imaginable. It is like the 'case of a property which is predicated upon offer and acceptance: if the offer and acceptance do not take place, we say that the contract is not valid, i.e., that the result, which is the disposition of property, does not occur. This is confirmed by the fact that the fruit of mere abstention is the elimination of the punishment for the sin given up. The fruit of remorse is the atonement of past sin. abstention alone could not atone theft in the absence of Remorse over it. Remorse can only be conceived (as referring to) a transgression. This applies to all sins. This is an exposition of the opinion of those who deny the validity of (partial abstention from sin). It is a clear opinion, which a fair man examines in detail to eliminate obscurity thereby.

We also assert that repentance of some sins might be to repent either from major sins without regard for the minor ones, or from minor without regard for the major, or from one major sin rather than another.

First: as for the repentance from major sins without regard for the minor, it is possible. It is known that the major sins are greater in Allah's view and are more apt to arouse Allah's displeasure and wrath. But it is easier to obtain pardon for minor sins. It is not inconceivable, then, for one to repent from the greater and feel remorse about them. This is as he who commits an offense against the family of a king and his women and also an offense against his animal. He is more fearful about the former offense in comparison with the latter. Remorse follows in proportion to the notion about the magnitude of the sin and the conviction that it alienates from Allah. It is possible to find this in Sharia. Many were the repentants among the past generations and not one of them was infallible. Repentance does not call for infallibility.

The physician might caution the patient strongly about honey, and, to a lesser degree, about sugar, in a manner that the patient will feel that the harm of sugar might never occur. The patient might then give up, by doctor's order, honey but not sugar. Such a situation is not at all impossible. If he consumed them both, because of his craving, he might regret for consuming the honey but not the sugar.

Second: it is possible that one could repent from some major sins and not others, due to hi belief that some sins of that degree are more severe and vicious in Allah's eyes. One may renounce murder, robbery, tyranny and injustices to men because he knows that the human record is not neglected, while pardon for acts which are between man and Allah is readily achieved. Just as there is disparity between major and minor sins, so it is also possible to make differentiation among the major sins themselves, and in the evaluation of the perpetrator for them. For that reason one might renounce some major sins which are not directed against his fellow-men. For example, one may renounce drinking wine but not fornication, since it becomes clear to him that wine is the key to vice, and that after drinking it he loses his mind, and becomes apt to commit all sins unknowingly. As drinking wine is graver in his opinion, a fear is aroused in him which forces him to renounce wine in the future and to regret for drinking it in the past.

Third: one may renounce a minor sin or some minor sins while persisting in a major sin, with full knowledge of its being a major sin. One may renounce slander, glancing at a woman unlawful for him to look at, or something of the same class, while persisting in drinking wine. The way this is possible is that any believer is afraid of his sins and more or less regretful of having committed them. Yet, the delight in that sin can be stronger than the heartache brought on by this fear, as factors of ignorance and neglect lead to the weakening of the fear, or there may be factors which strengthen craving. Contrition exists but it is neither constant nor strong enough to actuate resolution. If, however, he is free from a craving stronger than himself, and is able to master the drives encountered, fear overcomes the craving, conquers it, and it imposes renunciation of that transgression.

Perhaps the voracity of the sinner for wine intensifies and he is not able to endure it. He also might have rather a desire for slander and defamation of people or for glancing at females. But in this case, his fear of Allah has reached the point of taming this weaker drive, although not the stronger one. The element of fear then forces the emergence of determination toward abstention. This sinner says to himself: "If Satan vanquishes me through the overpowering desire for some sins, it is not proper that I throw off all restraint or let down the reins totally; rather, I shall fight him in some sins, and perhaps I shall prevail over him, and my victory over him in resisting some sin will be an atonement for some of my sins." Were we not to imagine this, we would not be able to conceive of the sinner as praying or fasting. One would have to say to him: "If your prayer is to other than Allah, it is of no avail, and if it is to Allah, renounce your depravity. Allah's command, in all this, is one. It is inconceivable that your prayer intends to

achieve closeness to Allah so long as you do not draw near through abandonment of depravity."

It would be impossible for him to say to Allah : "I am under two commandments and, upon disobedience, I face two penalties. I am able to vanquish Satan over one but am failing to do so about the other. I shall vanquish him as far as I can, expecting, with my mortification, that this may atone for some of my failure due to my excessive craving." But how is such absurd when it is the condition of every Muslim? Any Muslim combines obedience to Allah and disobedience for no other reason than this. If one understands this, he would understand that the victory of fear over craving for some sins is quite possible.

When fear pertains to past action, it causes remorse. Remorse, in turn, induces resolution. The Prophet "peace be upon him" said: "Remorse is repentance." He did not stipulate contrition of all sin. He "peace be upon him" also said: "One who renounces a sin is like him who has never sinned." He *did* not refer to the one who renounces all sins. These concepts clarify the wrongness of the claim that partial repentance is impossible due to the essential similarity of the appetites and the equal exposure to the displeasure of Allah. Yes, it is possible that one renounces drinking wine and does not renounce drinking *Nabidh* because of the disparity between them in the exposure to displeasure. One might renounce many sins and not renounce a few, for the more the sins are numerous, the more severe the punishment is. He thus fulfills the desire inasmuch as he fails to renounce, and give up a part of his desire for the Sake of Allah Almighty. Man then is like the ill person who was warned, by the physician, of fruits. He might take some little amount without doing so in excess. It follows from this that he cannot renounce a thing and does not renounce anything similar. It is inescapable that this which he renounces is in opposition to what he continues to do, either in the severity of the transgression or the victory of the craving. When this discrepancy affects the belief of the repentant, one can conceive his various states of fear and remorse as well as of renunciation. Even though he has not obeyed Allah in all command and prohibitions, his contrition over that sin, and his loyalty to his resolution to abstain, sets him in the category of him who has not sinned.

You might argue: "Can an impotent repent from fornication to which he yielded before the incidence of impotence?"

I would answer in the negative, for renunciation means remorse which induces the determination to abstain from that action which he is able to commit. But the deed a man cannot execute is gone of itself, not as a result of abstention from it. Let me say that if, after impotence, illumination and realization occur to him, he is convinced of the harm of fornication to which he yielded, and heartache, remorse and suffering are so aroused in him, that had a desire for coition remained in him, searing remorse would have tamed and mastered that desire, I would hope that such would atone for his sin, and wipe out his evil deed. Undoubtedly, had he repented before the onset of impotence and died following repentance, he would be among the repentants, even if a

situation did not arise in which his craving was stimulated, and in which it could be readily satisfied. But, he is repentant in that his contrition has attained such a level as would deflect him from fornication were his desire to surface. It is then not unlikely that the strength of contrition should, in the case of an impotent man, reach such a level, though it might not be known to himself. Everyone who does not crave for something considers himself capable of renouncing it, through minimal fear, while Allah is aware of his conscience and the measure of his contrition. Perhaps Allah will accept it from him; nay, it seems He will do.

The truth in all this goes back to the fact that the stain of transgression is effaced from the heart by two things: the searing contrition and the intense mortification to abstain from sin in the future. With the termination of craving, mortification ceases. Yet, it is not inconceivable that contrition would wax to such an extent that it obliterates the craving without self-struggle. Had it not been for this, we would have said that repentance is not accepted unless the repentant lives for a period enough to struggle with that same craving many times after repentance. But the apparent sense of Sharia does not substantiate such a condition.

You might say: "If we assume two repentants, one having lost all urge to sin, and the other retaining it while fighting against it and blocking it, which of them would be better?" in reply to that, it should be known that this is debatable among the learned. Ahmad Ibn Abu Al-Hawari and the companions of Abu Sulaiman Ad-Darani said: "The fighter is better since, in addition to repentance, he has the merit of striving." The learned of Basra said: "The other one is the better, for, if he becomes lax in his repentance, he will still be nearer to being faultless than the struggler who is liable to relax in his struggle." Each school's opinion contains some truth but fails to encompass the full truth.

The truth of the matter is that one whose urge has been discontinued is subject to two states:

The first is that the discontinuance of the longing is due merely to a relaxation in the craving itself. Then the struggler is better than the one in this state inasmuch as his abstention through struggle is indicative of self-control and the conquest of his drives by his faith, which is a trenchant proof of the strength of conviction and belief. By strength of belief I mean the willpower emerging at the direction of certainty, and taming the craving which emerges at the direction of Satans. The struggle decidedly points to these two powers. The statement (of the Basra learned) that this one is more secure, since if he is lax he will still not return to sin, is correct, but the use of the term 'better' in this context is a mistake.

This is like saying that the impotent is better than the virile for he is secure from the risk of lust, or, that the youth is better than the adult for he is more secure (from sin), or, that the weakling is better than the king, who overpowers his enemies, for the weakling has no enemies while the king, though having been victorious many times, might, sometime, be defeated. These are the words of a man, though sound of heart, but lacking in understanding of worldly affairs, unaware that glory lies in facing risks and grandeur is suspended on confronting

dangers. One may say that the hunter who has no horse nor dog is better in the art of hunting and of higher rank than one who possesses a horse and a dog, for he is safe of the bolting of his horse, which may result in breaking his limbs when he falls on the ground; he is safe, also, from being bitten and attacked by the dog. This is indeed an error. On the contrary, the owner of a horse and dog, being strong and knows how to control them, is better off and more likely to attain the felicity of hunting.

The second is to thwart the longing by virtue of the strength of conviction and the sincerity of the preceding struggle as it reaches the point of taming the fury of the craving until it is controlled by the discipline of Sharia, so that it is activated only by a directive from the faith and, because of the dominance of the faith over it, it lies inactive. This is a higher grade than that of the struggler who endures the fury of desire and of curbing it. The statement that such a person has not the merit of striving fails to grasp the goal of striving, as if striving were an end unto itself. But the end of striving is the elimination of the greed of the enemy lest it should drag you into his cravings. If he fails in his effort to involve you, he will not impede you from following the path of religion. Once you have subdued him and attained the goal, you are victorious, while so long as you continue to strive you are yet in the pursuit of victory.

Compare one who has vanquished the enemy and enslaved him, as against one who is engaged in fighting on the battle line and does not know how he will fare. Or, take a man who has taught a dog to hunt, and trained a horse, both staying with him after the dog has lost its voracity and the horse its recalcitrance, and compare him with one who is yet engaged in the difficult animal training. Some people have gone astray on this point, and considered that the struggle is, itself, the ultimate goal. They did not grasp that the struggle is conducted in order to get rid of the impediments on the Way. Others considered that the total curbing and elimination of the desires is an end unto itself, to the extent that one tried that, and when he failed he said: "This is absurd." He then rejected Sharia, and followed the road of licentiousness giving himself to the pursuit of passions. All of that is ignorance and error, as we have stated in the Book of the self-Discipline in the quarter of Destructives.

You may ask: "What do you say of two repentants, one who forgot sin, did not engage in sinful thoughts, and the other who held sin in full view of his eyes, constantly reflecting on it, and then burning in contrition. Which of the two is better?" in reply to that, it should be known that this is also subject to controversy. One says: "True repentance is that you set your sin before your eyes." The other says: "True repentance is to forget your sin." We consider each school correct but in relation to two situations.

The speech of Sufis is always deficient. Indeed, the usage of each of them is to relate only his own mystic experience, another's does not concern him. The answers they give differ according to the variation in their mystic experiences. This is a shortcoming as regards mood, will and depth, inasmuch as the person in question is limited in view to his own experience, the other's state being of no concern to him. For his way is to Allah Himself and to mystic experiences. Man's

way to Allah may be knowledge. But there are many ways to Allah, even though they differ as to closeness to or remoteness from Allah. Although they share divine guidance, only Allah knows who is the best guided of them.

I argue that To ponder about the sin, remember it, and be distressed by it is an accomplishment in the case of the novice. If he were to forget it, his vexation would not increase nor would his will and urge to follow the Way be strengthened, for then he would be left without the grief and the fear which impedes his reverting to similar sins. For the heedless, this is an accomplishment, but for the mystic traveler a deficiency. It is an occupation which prevents from following the Way. The mystic must not swerve from the way, and if he makes progress, and the illumination of gnosis and the shimmering of the mystery is revealed to him, it will engross him, and no scope will remain for attention to previous experiences. This is an accomplishment. But if the traveler to a certain town is hampered on the road by an obstructing river, his trouble, in fording it, is prolonged because he had previously destroyed his bridge. Should he sit on the banks of the river after fording it, and weep, lamenting his destruction of the bridge, this would constitute an additional hindrance engaging him after coping with the first. Truly, if the time is not fitting for departure, either because it is night and the going is impractical, or because there are rivers on the road, and he is fearful of crossing them, let his weeping and sadness, over the destruction of the bridge, go on through the night, so that in the prolonging of grief, his determination not to return to such a situation, will be confirmed. If such admonition has produced in him inner strength not to revert, then it is more appropriate for him to follow the path rather than engage in recounting the destruction of the bridge and weeping over it. This is known only to one who understands the way, the goal, the barrier and how to pursue the way. We have already referred to this in the Book of Knowledge and in the quarter of Destructives.

We must say that the prerequisite for the constancy of repentance is that man should meditate much on the delights of Paradise to increase his longing. If he is a youth, he should not ponder and think about all that parallels worldly things, such as the heavenly maidens and palaces, for such reflections may perhaps stimulate his longing, with the result that he will pursue transitory worldly delights rather than the deferred hereafter. Nay, he should reflect, solely, on the delight of gazing exclusively at Allah's countenance, which has no worldly parallel. Thus, even recalling sin may arouse desire. The novice might be provoked, and forgetfulness, in such a case, is preferable.

You should not be dissuaded from believing this examination by what you are told of David's weeping and lamentation. Drawing analogy between yourself and the prophets is an utter distortion, because they may have descended, by word and deed, to the levels befitting their peoples to whom they were sent to give guidance, and they were not sent but to act in a way which may benefit their people, even if it detracts somewhat from the peak of their station. Some masters, whenever they assigned their disciples any type of spiritual exercise, would join them therein, not because they were in need of it after having accomplished their

struggle and soul-training, but in order to facilitate the matter for the disciple. This is why the Prophet "peace be upon him" said: "I do not forget but I forget to prescribe laws." or, in another version, "but I neglect to prescribe laws." (Malik in his Muwatta' but without tracing it up to the Prophet himself). Do not wonder at this. Peoples under the protective wing of the prophets' compassion, are as youth under the loving wings of their fathers, and as the cattle under the care of the shepherd. Do you not see how a father, when he wishes to talk to his young child, comes down to the child's level of articulation? Thus the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said to Al-Hassan: "Kakh, Kakh!", when the child took a date, from those assigned to charity, and put it in his mouth. (Al-Bukhari on the authority of Abu Hurairah). The Prophet "peace be upon him" did not lack the fluency to say: "Drop that date for it is forbidden." Yet when he realized that the child would not understand his locution, he abandoned eloquence and sank to the child's usage. He who trains an ewe or a bird must make sounds for it, using as a device of instruction chattering or whistling like an animal or bird. Beware lest you neglect such intricacies, the stumbling block of the Gnostics, let alone the heedless. We ask Allah, in His tenderness and generosity, good success.

Exposition Of How People Differ In The Perseverance Of Repentance

It should be known that those who turn unto Allah in repentance are of four categories.

The first category: the sinner repents and keeps his repentance intact for all his remaining days. He corrects that in which he was remiss, and it does not occur to him to revert to his sins, except for those lapses of habit from which man cannot disengage himself as long as he is not on the level of Prophethood. This is integrity of repentance. He who has it goes ahead with good, and substitutes good deeds for evil. Such repentance is called 'sincere repentance.' The name of this calm soul, which returns to its Lord well-pleased, well-pleasing is the serene self. These are the people referred to in the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "The solitary who are totally devoted to the invocation of Allah, the invocation frees them of their burden so that they appear on the Day of Judgement light (of the burden of sins)." (At-Tirmidhi on the authority of Abu Hurairah). Indeed, in this lies an indication that they were oppressed by burdens which the invocation of Allah removed from them.

The people of this category are divided into different levels with respect to their leaning towards appetites: from the repentant, there are such as whose desires subsided under the domination of gnosis, upon whom their pressure abated, and who follows the Way undisturbed by fighting them; the one who incessantly is struggling with the soul but is able to contend with it and deter it. The differentiation also pertains to the levels of struggle as regards quantity, duration and type. Men differ also as regards the length of lifespan. One is grabbed, dying soon after his repentance, and is gladdened by that for his escape and death before debility. Another is granted time, continues a long

strife and endurance, his integrity continuous and his good deeds multiplying. The state of this one is higher and better since every evil is wiped out by a good deed.

A scholar said: "The sin, which the offender committed, is atoned only when it overcomes man ten times as true desire, but he renounces it, and breaks his lust out of fear of Allah." But even, it would be implausible to stipulate this, though the great impact of such a rule, if imposed, is undeniable. However, the weak disciple should not follow this path lest the appetites be aroused, the circumstances brought on for the sin to overcome man, but when he aspires to desist, he may not be able to escape the reins of desire at will. Consequently he will proceed with the sin and he will break his repentance. Rather, the path of repentance is to flee from the outset elements of sin, thus barring to man the paths of sin. At the same time, he will seek to conquer his lust as far as possible. Thereby his repentance will be safe from the outset.

The second category: the repentant follows the path of integrity in the major acts of obedience and abandons all mortal abominations, yet is not free of sins which grip him unawares and without premeditation. He suffers from them in the course of his affairs, without intention to commit them. But whenever he commits them he censures himself, regrets, is sad, and renews his resolution to be most careful to avoid circumstances which expose him to such acts. This soul is worthy of being the 'upbraiding soul' as it rebukes man for the objectionable matters he pursues though with no strong will or calculation or intention.

This is also a high rank though inferior to the first category. It is the state of most repentants, as evil is so kneaded into human substance, that rarely is man free from it. Yet, the goal of man's effort is that the good in him should prevail over the evil, so that the scale of good deeds will be heavier and favour his record. But it is hardly imaginable that the scale of evil deeds would be altogether void. Men of this category hold the good promise from Allah as shown from His statement: "Those who avoid the heinous sins and indecencies, save lesser offenses." (An-Najm 32)

﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴿٣٢﴾ ﴾

That is because surely your Lord is wide in His forgiveness. As each lesser offense results in a minor sin, without man being accustomed to it, it is proper that it be among those lesser offenses which are forgiven. Allah said: "And who, when they commit an indecency or wrong themselves, remember Allah and pray forgiveness for their sins." (Al Imran 135)

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ ﴿١٣٥﴾ ﴾

Their recompense is forgiveness. Because of their regret and self censure, Allah commends them in spite of their wronging themselves.

To those of this class, refers the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" on the authority of Ali "Allah be pleased with him": "The best of you all are those who are subject to temptation and are contrite." (Al-Baihaqi). In another tradition he "peace be upon him" said: "The

believer is like a spike of grain, at times he recovers, and at times he is swayed." (Abu Ya'li and Ibn Hibban on the authority of Anas; At-Tabarani on the authority of Ammar Ibn Yasir; and Al-Baihaqi on the authority of Al-Hassan).according to a third tradition: "It is unavoidable that the believer should sin from time to time." (At-Tabarani and Al-Baihaqi on the authority of Ibn Abbas).

All these statements prove decisively that this amount (of minor offenses) does not invalidate repentance, and does not put the perpetrator in the category of the persistent sinners. To deprive a man of this kind of hope to reach the level of the repentant, is to act like the physician who induces a healthy person to despair of remaining healthy if he eats fruit and hot dishes from time to time, though not persistently and continuously; or like the religious jurisprudent who induces in the student a despair of ever attaining the degree of a religious jurisprudent, because, at rare and sporadic intervals, he may be lax in repetition and let up taking notes. This points out the fault of the physician and the religious jurisprudent. On the contrary, a (real) religious scholar is he who does not induce people to despair of attaining the grades of felicity because of temporary failures and the yielding to fleeting seizures of evil. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "All human beings are sinners, and the best of the sinners are the repentant who pray for forgiveness." (At-Tirmidhi and Al-Hakim on the authority of Anas). Allah said: "These shall be given their wage twice over for that they patiently endured, and avert evil with good." (Al-Qasas 54)

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴿٥٤﴾ ﴾

He has not described them as totally devoid of evil.

The third category: the one who repents and, for some time, persists in uprightness. Then, the appetites involve him in some sins, and, unable to curb the desire, he commits them with intent and premeditation. Yet, along with that, he persists in acts of obedience and avoids some sins despite drive and opportunity (to commit them). But as this desire or two may overcome him, he wishes only that Allah would enable him to curb it and that He protect him from its evil. Such is his aspiration as he satisfies the desire, but in the end he is contrite and says: "Would that I had not done it. I will repent from it and strive to subdue it." But, he is tempted and puts off repentance, time after time, day after day. This soul is called the 'tempted soul', about which Allah said: "And others have confessed their sins; they have mixed a righteous deed with another evil." (At-Tawbah 102)

﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴿١٠٢﴾ ﴾

On account of his assiduity in obedience and his aversion to the sins he perpetrates, his case is hopeful. Perhaps Allah will turn to him. Yet, his end is perilous because of his procrastination and postponement. Perhaps he will be snatched (by death) before the repentance, and his case will come under (Allah's) pleasure. If Allah, in His generosity, corrects him, cures his defect and grants him repentance, he will join the preceding categories. But if his misfortune overcomes

and his desire overtakes him, then it may be feared that in the end he will eternally abide in what was predestined for him (i.e., hellfire).

If it is impossible for the student to avoid the distractions from learning, this difficulty indicates that he is predestined to be an ignorant, and the hope, in his case, becomes weak. But if diligence facilitates learning, it indicates that he was predestined to be one of the learned. Similarly the relation of the joys and attainments of the hereafter to good and bad deeds, according to divine preordainment, is like the relation of sickness and health to the consumption of food and drugs, and like the relation of the attainment of soul comprehension, by which the high dignities in this world are merited, to the abandonment of indolence and diligence in soul training. Just as no soul but that, which has become understanding through prolonged training, lends itself to the dignities of leadership, judgeship and advancement in knowledge, so none but a sound heart, which has become pure through prolonged purification and refinement, is fit to gain the hereafter, and closeness to the Master of the Universe. Thus has it been preordained by Allah's direction. That is why Allah said: "By the soul, and that which shaped it and inspired it to lewdness and god-fearing! prosperous is he who purifies it, and failed has he who seduces it." (Ash-Shams 7-10)

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝ ﴾

When man falls into sin, and the sin becomes a debit, repentance a credit, this is then one of the signs of a setback. That is the significance of the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "A man can perform for seventy years the deeds of the people of Paradise, until others say that he is one of the Paradise dwellers, and there remains between him and Paradise only a span. Then, what is written overtakes him, and he performs an act of the people of hellfire, and enters hellfire."(both sheikhs on the authority of Sahl Ibn Sa'd, with a slight variation of wording; and Ahmad on the authority of Abu Hurairah). Fear of the end is prior to repentance. Each breath is an end to that which was prior to it inasmuch as death might be contiguous to it. Let man, then, be attentive to each moment lest he fall into the perilous. Long is regret when it is of no avail.

The fourth category: the repentant who proceeds, for a time, in uprightness but then reverts to the temptation of sin or sins without admonishing his soul to repent and without regret for his action. Rather, he becomes heedlessly absorbed in following his appetites. Such a person is among those who persist in sin. Such is called 'the soul that commands to evil' and flees from good Therefore the evil end may be feared, and his affair is in Allah's pleasure. If he is destined for an evil end, he suffers endless misery; and if he is destined for the reward most fair, so that he dies on monotheism, then deliverance from hellfire can be expected for him, at least after some time. Possibly he will be included in the broad pardon because of a hidden inscrutable cause. His is like the case in which it is not impossible for a man to enter a ruin to find a treasure, and quite accidentally, find it; or to sit at home and be made learned by Allah without study, as it happened to the prophets "peace be upon them".

Seeking forgiveness through acts of obedience is like searching for knowledge through effort and repetition, or like seeking wealth through trade and travel. Seeking forgiveness through sheer hope, despite corrupt acts, is like seeking treasures in ruins or knowledge from angelic teaching. If only the one who worked hard could learn! If only the one who traded would gain wealth! If only one who fasted and prayed would be forgiven! All men are deprived (of ultimate happiness) except those who know. Those who know are all debarred except those who act. Those who act are all precluded except for the righteous, and the righteous are in great peril. Just as one destroyed his house, squandered his wealth, and left himself and his dependents hungry, claiming that he anticipates Allah's generosity in providing for him a treasure to be found under his destroyed home (even though it is not beyond Allah's power and generosity), is considered, by the sensible, as an ignorant and deluded man, likewise, , one who expects pardon from Allah's generosity, while he is negligent in obedience, persisting in sin, and not treading the path of forgiveness, is considered, by sensible people, as demented.

One can only be astonished at the reasoning of this idiot and his propagating his foolishness in a nice form when he says: "Allah is generous, His paradise is not too narrow for one like me, nor does my sin injure Him." Then you see him traveling overseas and hurtling perils in search of dinars. Should he be told: "Indeed Allah is generous, the dinars of His treasury do not fall short of your need, and your indolence in abandoning commerce will not harm you; sit, then, in your home and perhaps He will provide for you in an unanticipated manner", he would consider the speaker stupid and would mock at him. He would say: "What is this nonsense? The heavens do not rain gold and silver. That must be earned. Thus Allah ordained it, and set His process in motion. Allah's usage is immutable."

Fool is he, when he does not grasp that the Master of the hereafter and the Master of this life is one and the same, and that His usage in both worlds does not vary. This was announced when Allah said: "And that a man shall have to his account only as he has labored." (An-Najm 39)

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾

How, then, can the man believe that Allah is generous in the hereafter but not so in this life? How can he say that laxity in acquiring wealth is not a requisite of divine generosity while laxity in works for (attaining) abiding possession and eternal felicity is such a requisite, and, further, that Allah, by virtue of generosity, will give him in the hereafter without (human) effort, but usually will hold back, despite man's effort, in this world? He forgets Allah's statement: "And in heaven is your provision, and that you are promised." (Adh-Dhariyat 22)

﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾

O Allah, save us from blindness and going astray.

This is nothing save standing on one's head and immersion in the darkness of ignorance. To such a man may apply Allah's statement: "Ah, if you could see the

guilty hanging their heads before their Lord (saying): 'our lord, we have seen and heard; now return us, that we may do righteousness.'" (As-Sajdah 12)

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا ﴿١٢﴾ ﴾

That is, we have seen that You were right when You said: "And that man shall have to his account only as he has labored." (An-Najm 39)

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾

So turn us back, we shall labour. At that point no alteration is possible and he deserves chastisement. We seek refuge with Allah from the urges of ignorance and doubt, and of suspicion that necessarily leads to an evil fate in the hereafter and resurrection.

Exposition Of What Must The Repentant Hasten To Do If He Sins Either With Intention And Dominant Desire Or By Chance

It should be known that repentance, contrition and action toward atonement through good deeds to counter the sin, as we have mentioned, are incumbent upon him. If the soul, because of the triumph of desire, does not assist toward the resolution to abstain, then he has failed in one of the two imperatives. He should not abandon the second which is to ward off the evil deed with a good one so as to obliterate the former, that he may be of those who mix a righteous deed with an evil one. The good deeds which atone evil, are through the heart, the tongue or the limbs. Let the good deed stand in the stead of the evil with its ramifications.

In his heart let him atone by entreating Allah for pardon and forgiveness, and by humbling himself with the self-abasement of the fugitive slave. His humiliation should be manifest to others in reducing his rank among them. The sinful fugitive has nothing to be proud of among other people. Likewise, he should harbor in his heart benevolence toward Muslims, and the resolve to perform the acts of worship.

His tongue should confess the sin and ask for forgiveness by saying: "O my Lord, I have stained my soul and have done evil, forgive my sins." Thus he should multiply the kinds of apology we have cited in the Book of Invocations and Supplications.

The limbs should be engaged in acts of worship, charity and various acts of obedience. Some sayings of the Companions indicate that pardon of sin is expected if the sin is followed by eight acts, four of which are acts of the heart: repentance or resolution to repent, wish to desist from sin, fear of sin's punishment, and desire for forgiveness. Four are acts of the limbs: that following sin you should offer a two-rak'ah prayer, then seek Allah's forgiveness after them seventy times, say one hundred times: "Exalted be Allah the Great, with Whose Praise I exalt Him", then give alms, and then fast for a day. According to the saying of a Companion: "You should perform ablution perfectly, enter the mosque and offer a two-rak'ah prayer." (those of Sunan on the authority of Abu Bakr As-Siddiq). Or a four-rak'ah prayer for atonement according to a certain

tradition (by Al-Baihaqi, Ibn Mardawaih on the authority of Ibn Abbas). According to another tradition: "When you have done an evil, follow it with an atoning good deed. A secret (evil act) should be followed by a secret (good act) and a public (evil act) by a public (good act)." (Al-Baihaqi and At-Tabarani on the authority of Mu'adh). It is said that charity given in secret atones the sins of night, and charity given in public atones the sins of day.

It is narrated in an authentic tradition that a man said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "I have taken up with a woman and I have done with her all save sexual relation. Judge upon me with the judgement of Allah." The Prophet "peace be upon him" said: "Have you not prayed with us the early morning prayer?" The man answered in the affirmative. The Prophet "peace be upon him" then said: "Indeed, good deeds cancel the evil ones." (This narration is reported as abridged by both sheikhs on the authority of Ibn Mas'ud; and Muslim alone on the authority of Anas and Abu Umamah, with a slight variation of wording). This indicates that approaching women save fornication is a minor sin, which prayer atones, in accordance with the statement of the Prophet "peace be upon him": "The five (obligatory) prayers are an atonement for all that happens between them save the major sins." Under all circumstances, man should every day take himself to account, sum up his evil acts, and strive to cancel them out with good deeds.

You might say: "How can the prayer for pardon be beneficial without untying the knot of persistence? In a particular tradition it is narrated: "One who prays for pardon from sin, while persisting in it, is as one who mocks at the verses of the Qur'an." (Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Ibn Abbas). One used to say: "I pray for Allah's pardon for my saying: 'I pray for Allah's pardon'." It is said: "Prayer for pardon with the tongue is the repentance of liars." Rabi'ah Al-'Adawiyyah said: "Our prayer for pardon needs much apology."

In reply to that, it should be known that innumerable Prophetic narrations have been handed down on the merit of prayer for pardon, we have mentioned in the Book of Invocations and Supplications, to the point that Allah connected the prayer for pardon with the life of the Messenger "peace be upon him", as shown from His saying: "But Allah would never chastise them, with thee among them; Allah would never chastise them as they begged forgiveness." (Al-Anfal 33)

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

One of the Companions used to say: "We have two assurances of clemency. One of them, the Prophet's being among us, is gone, and only the prayer for pardon remains. Were that to disappear, we would perish." (Ahmad on the authority of Abu Musa; and Ibn Mardawaih on the authority of Ibn Abbas).

We say, then, that prayer for pardon which is the repentance of liars, is that which pertains merely to the tongue, with the heart having no share, like the utterance of a man who, by habit and with utmost neglect, says: "I pray for Allah's forgiveness", or when he hears the description of hellfire, says: "We seek refuge with Allah from it", without his heart being affected. This refers to the mere movement of the tongue and is of no avail. Yet, if the heart

implores Allah and prayer to Him is added in the request of pardon, with sincere will, pure intent and desire, then it is, in itself, a pious deed, and may succeed in cancelling out the evil deed. Such is understood by the traditions handed down on the merit of seeking pardon. The Prophet "peace be upon him" said: "One who prays for pardon does not persist (in sin), even if he reverts (to sin) seventy times during a day." This is tantamount to prayer for pardon with the heart.

Repentance and prayer for pardon have various stages. Even their beginnings are not devoid of benefit, though the initial benefit is not like the final benefit. Sahl said: "Never can man do without his Lord. The best man can do is return to Him in every matter. If a man transgresses he should say: "Lord! Forgive me." When man is through with his sin, he should say: " Lord! Grant me immunity from sin." If man acts in repentance, he says: "Lord! Accept it from me."Sahl was also asked about the prayer for pardon which atones sins. He said: "The beginning of the prayer for pardon is response, then turning (to Allah), and then (full) repentance. Response consists of acts of the limbs, turning (to Allah) of acts of the heart, and repentance is man's approach to his Master, promising to renounce his evil nature. Then he prays for Allah's pardon for his actual failings, his ignorance of divine grace and his ingratitude. At that point he will be forgiven and he will attain refuge with Allah, which leads to a shift to solitude, stability, elucidation, contemplation, gnosis, confidential conversation, purity, friendship, and then secret discourse which is intimacy. This does not establish itself in a man's heart until knowledge is his nourishment, supplication his sustenance, contentment his provision and reliance on Allah his companion. Then Allah will gaze upon him, raise him unto the throne. His station will be that of the throne bearers."

Sahl was also asked about the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "The repentant is Allah's beloved." He said: "He is beloved when he becomes of " Those that turn (to Allah) in repentance; that serve Him, and praise Him; that wander in devotion to the Cause of Allah; that bow down and prostrate themselves in prayer; that enjoin good and forbid evil; and observe the limits set by Allah; (these do rejoice). So proclaim the glad tidings to the Believers." (At-Tawbah 112)

﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ
وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾

Further, he said: "The beloved is he who does not engage in that which his beloved abhors."

The point is that repentance has two effects. The first is the atonement of evil so that man becomes as one who has never sinned. The second is the attainment of high degrees so that he becomes a friend. Atonement, also, is of (various) stages. It may be a total obliteration of the sin, or a reduction thereof. The difference depends on the different grades of repentance. The prayer for pardon through the heart, and correction by good deeds, even if man is not yet free from persistence in sin, is of the initial stage and is not

without some benefit. You must not think it is irrelevant whether it is present or absent. For men of vision and masters of hearts know beyond doubt, that the statement of Allah: "And whoso has done an atom's weight of good shall see it" (Az-Zalzalah 7)

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾

Is true and that, just as a grain cast upon the balance is not without effect, so, also, a grain's weight of good is not without effect. If the first grain has no consequence, surely the second would be like it, and the balance would not be upset by the load of them. That is, evidently, impossible. But the scale of good deeds is given preponderance by the atoms of good until it carries weight and lifts away the scale of impious deeds. Beware, lest you belittle the smallest measure of transgression, without disavowing it. You will be like the stupid woman who neglects her spinning excusing herself by the fact that she is unable to produce more than one thread per hour. She said: "What is the benefit of one thread? What impact does it have upon a garment?" Fool is she, for she does not comprehend that a worldly garment is achieved threat by thread, and that worldly bodies, despite the expansion of the world's areas, are collections of individual atoms. Supplication and apology with the heart, therefore, are a good deed that does not at all get lost before Allah.

I say that prayer for pardon only with the tongue is also a good deed inasmuch as such movement of the tongue, even heedlessly, is better than wagging of the tongue, at the same time, in slander against a fellow Muslim or useless chatter. Nay, it is better than to remain silent (without uttering the prayer for pardon). Its merit is manifest in comparison to silence while, on the other hand, it is a shortcoming in comparison to the action of the heart. That is why one disciple said to his master, Abu 'Uthman Al-Maghribi: "My tongue, at times, flows with the supplication of Allah and the recitation of the Qur'an, even though my heart is heedless." The master said: "Give thanks to Allah, since He engaged one of your limbs in the good cause, accustomed it to supplication, and used it not in evil nor accustom it to wasteful chatter."

What he mentioned is true. If the limbs become conditioned to good, to the point that this becomes part of their nature, this will repel much sins. If one who accustomed his tongue to prayer for pardon hears another person lie, his tongue reverts spontaneously to its conditioning and utters: "I ask for Allah's forgiveness!" If one has been conditioned to chatter, his tongue proceeds to say: "How stupid you are!, or, how ugly is your lie!" If he who has been conditioned to utter "I seek refuge with God" happens to be present at the very beginning of an evildoer's evil, he says, by reflex: "We seek refuge with Allah." But if the tongue is conditioned to chatter, he hastens to say: "May Allah curse him!" Man then sins in one of those two expressions, and is safe with the other. His safety is a consequence of the good habituation of his tongue. Such is one of the meanings of the Allah's statement: "Allah suffers not to be lost the wage of the good-doers" (At-Tawbah 120)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

And: "And if it be a good deed, He will double it, and give from Himself a mighty wage." (An-Nisa' 40)

﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾

Consider how it is doubled when he makes the heedless prayer for forgiveness a habit of the tongue until, with that habit, he repels the evil of disobedience involved in slander, malediction and officiousness. This is the doubling, in this world, of minor acts of obedience; the doubling in the hereafter is greater, did they but know. Beware lest you discern, in acts of obedience, only hardships, with the result that your longing for worship wanes. Indeed, this is an intrigue spread out by Satan, in his accursedness, for the deluded. He made them believe that they are insightful and understanding about hidden things and mysteries. (They say:) "So what is the benefit of our supplication with the tongue while the heart is heedless?" By this those people are divided into three kinds: one who wrongs himself; one who adopts a middle course; and one who proceeds in doing good.

As for him who proceeds in doing good, he says: "You are right, cursed one, but it is a right saying with which you seek a wrong intent. Certainly, then, I should doubly chastise you. I shall defy you in two respects, by adding the movement of the heart to that of the tongue." He is like one who treats Satan's wound by sprinkling salt on it.

As for the deluded wrongdoer, he feels, in himself, the conceit of sagacity for this minor intricacy. Then, he is incapable of sincerity in the heart, abandoning at the same time the habituation of the tongue in the supplication of Allah. In this way, he aids Satan, and is hung by the rope of his own delusion, so that there is complete collaboration and harmony between the two. This case is like the statement: "The water skin fits its (skin) cover, it fits it and adjusts to it."

As for the one who follows a middle course, he is unable to defy Satan by associating the heart in (his) practice. But at the same time, he understands the deficiency of the movement of the tongue as compared with that of the heart, and its completion in comparison to silence and chatter. The result is that he follows the right course persistently, and asks Allah to involve the heart, with the tongue, in habituation of the good.

The one who proceeds (to do good) is like the weaver whose weaving was faulted, so he abandoned it, and became a scribe. The failing wrongdoer is like the one who abandoned weaving totally and became a street cleaner. The one following the middle course is like a man who fails to become a scribe but says: "I do not deny that weaving is unpleasant, but, the weaver can be faulted (only) when compared to the scribe and not when compared to the street cleaner. If I am incapable of being a scribe,- I will not abandon the weaving."

That is why Rabi'ah Al-'Adawiyyah said: "Our prayer for pardon needs much apology." Do not think that she faults the movement of the tongue as supplication of Allah. Rather, she faults the heedlessness of the heart. Man must apologize for the negligence of the heart, not for the action of his tongue. If he also refrains from asking for pardon verbally, he needs two entreaties to pardon,

not one. That is how you should understand the fault of what is faulted and the praise of what is praised. Else you will remain ignorant of the meaning of the statement of the righteous: "The good deeds of the pious are the misdeeds of the Near-Stationed."

These matters are established relatively, and should not be taken absolutely. Nay, the smallest measures of obedience or rebellion should not be regarded with slightness. That is why Ja'far As-Sadiq said: "Allah Almighty has concealed three in three: His pleasure in an act of obedience: so that you should not disdain any such act, as perhaps that one solely pleases Him. He concealed His anger in an act of transgression: so do not belittle any such act, as perhaps this one solely arouses His wrath. He concealed His allies among His worshipers: so, do not disdain any one of them, for perhaps it is he who is Allah's ally." He added: "and he has concealed His response to supplication: so, do not cease to supplicate Him, perhaps the response will follow it."

FOURTH PILLAR

ON REMEDY OF REPENTANCE; AND THE WAY OF TREATMENT FOR THE DISSOLUTION OF KNOT OF PERSISTENCE

It should be known to you that men are of two types. Firstly, there is the young man who has no sensual desire, having grown up in (the pursuit of) good and the avoidance of evil. He is the one about whom the Prophet said: 'Your Lord is delighted by a youth who has no sensual desire.'° This, however, is extremely rare. Secondly, there is the man who is not without sin. Further, this second group is divided into the persistent and the repentant. It is our aim to explain how the knot of persistence is to be treated, and to indicate the remedy therefore.

Know, then, that the cure which is repentance is attained only by the remedy. One cannot, however, prescribe the remedy without diagnosing the malady, for remedy means to counteract the causes of the malady. For every disease results *from* a cause, and the remedy for it consists of dissolving the cause, removing it and cancelling it. A thing is cancelled only by its opposite. The cause of persistence is only heedlessness and appetite. Heedlessness is only opposed by knowledge and appetite - by forbearance in eliminating the factors leading to appetite. Heedlessness is the beginning of error. Allah has said: and those - they are the heedless ones; without a doubt, in the world to come they will be the losers . There is, therefore, no medication (conducive) to repentance except a compound' of the sweetness of knowledge and the bitterness of endurance. Just as oxymel combines the sweetness of sugar and the acidity of vinegar, aiming, with each, at a different end in their combined impact, in order that the causes that provoke the bile be curbed, so you must understand the treatment of the heart against the measure of the malady of persistence present in it. Now, this remedy has two roots: Knowledge and endurance. These must be explained.

You might ask: Does every knowledge avail in breaking down persistence or is some specific knowledge necessary?

Know, then, that all kinds of knowledge are remedies for the heart's maladies. Yet, for each malady there is a specific knowledge. Just as the science of medicine

is effective in the treatment of disease in general, yet each malady requires specific (specialized) knowledge, so also (is the case of) the treatment of persistence. Let us, then, discuss the specificity of that knowledge by comparison with the diseases of the body so that it be more readily understandable. We say, therefore, that the patient must believe certain propositions.

Firstly, he must believe, in general, that sickness and health have causes which he arrives at by the (exercise of) selection in accord with what Allah has determined. This belief is at the very root of medicine. For, one who has no faith in it will not engage in therapy, and is sure to perish. What corresponds to this, in our context, is the belief in the root of revelation, namely, that felicity in the hereafter has a cause, obedience, while wretchedness (also) has a cause, transgression. This is the faith in the root of the revelations. This must be secured either by inquiry or conformism - both varieties of faith.

Secondly, the patient must trust a certain physician, i.e., that he is learned in medicine, skilled, and trustworthy in his judgement, not deceiving or lying. Faith on the basis of medicine will not avail the patient, in itself, without this belief. In our context, the corresponding element is the knowledge of the Apostle's veracity, and the belief that all of what he said is true and right, with no falsehood or discrepancy.

Thirdly, the patient must heed the doctor's warning as regards the consumption of fruit and harmful substances in general, so that the fear of deficient protection overcomes him. The intensity of the fear, then, will motivate him to seek protection. In religion the corresponding element is - a) attentiveness to the Qur'an verses and the traditions which include the call to piety and warning against the commission of sins and the pursuit of cravings, and b) the belief in everything he hears on the subject, without doubt or distrust, so that the fear is aroused in him which reinforces for endurance, that other pillar of treatment.

Fourthly, he must listen to the physician concerning the malady and what to beware of, so that (the physician) might inform him in detail, in the first instance, which of his actions, conditions, food and drinks, may harm him. Not every patient need avoid everything, nor will just any medication avail him. Rather, for each specific malady there is specific information and specific treatment. The corresponding element in religion is that not every person suffers from every craving or sin. Rather, every believer (has a propensity towards) a certain sin or certain sins. But then, he is an immediate and pressing need to recognize that these are sins, that they are injurious, what the measure of their harm is, how to arrive at desisting from them, and, finally, how to atone for such of them as have occurred.

Such knowledge is dealt with by the doctors of religion, the learned, who are the heirs of the prophets. The sinner, then, if he is aware of his transgression, must seek treatment from the doctor, that is, from the '-slim. If the sinner does not know that what he is doing is a sin, the learned should inform him thereof. Each learned should be responsible for his area, town, quarter, mosque or shrine. He should instruct his folk in their religion, and distinguish that which

may harm them from that which may benefit them, that which will make them miserable from that which will make them happy. The 'slim must not wait to be asked about this. Rather, he must devote himself to rallying the people, as the learned are the heirs of the prophets. The prophets did not abandon the people to their ignorance but, instead, the prophets called upon the people in their assemblies and, originally would go from door to door, seeking the people one by one in order to give them guidance. The sick of heart "Are not aware of their illness, just as he, upon whose face leprosy has broken out and who has no mirror, does not know of his leprosy as long as another person does not inform him thereof. Such is the personal duty of all the learned.

All rulers must appoint, in each village and quarter, a devout jurisprudent to instruct the people in their religion. People are born ignorant and bringing the call (of Islam) to them, in both root and branch, is imperative. This world is the abode of the ill inasmuch as only the dead are in the bowels of the earth and only the sick on its face. The ailing in heart are more numerous than the ailing of body. The learned are the physicians, and the rulers are the custodians of the abode of the ill. Just as the physician surrenders the patient who does not take care of himself or who has been overcome by insanity to a custodian, to confine the patient in fetters, forestalling his damaging himself or others, so every patient that does not respond to the scholar's treatment is surrendered to the ruler, in order that the ruler restrict possible evil to and from the ailing.

The sickness of the hearts became more widespread than that of the body for three reasons. Firstly, the one who suffers from such is not aware of his being ill. Secondly, its consequence is not visible in this world. This differs from the disease of the body whose end is death (which is) visible and which people naturally shun, while. what follows death is not visible. The consequence of sins is the death of the heart, which is not witnessed in this world. The shunning of sins, therefore, is rare, even though the perpetrator is aware of them. For this reason you will see him, in case of the disease of the heart, relying on Allah's generosity while striving diligently in the treatment of bodily ailment without reliance on Allah Thirdly, and this is the calamitous affliction, there is the loss of the physician. For, it is the learned who are the physicians, yet in these times they have been stricken by a sore affliction, the treatment of which is beyond their capabilities. They have found solace in the wide spread of the disease, so that their deficiency is not apparent. They have been forced to mislead the people instructing them in a manner bound to compound their illness. For the destructive affliction is the love for this world. This disease has overcome the doctors. They are, therefore, incapable of cautioning the people against it, for they fear they would be told: "How do you prescribe treatment (to others), while forgetting yourselves? For this reason the affliction spread throughout the people, the plague grew, remedy has run out, and, because of the loss of the physicians, the people have perished. Nay, the physicians have engaged in various kinds of misleading. Would that they did not cure, at least they would not aggravate the malady. Would they only remain silent, for when they speak, they care in their sermons only about what may please the masses or win their hearts. They

succeed in that only through demoting fear and promoting hope, and speaking of the signs of (divine) mercy, because that is more pleasant to the ear and easier on the tempers. The people, then, leave the exhortatory sessions further emboldened to sin and with greater trust in divine generosity.

Whenever the physician is ignorant or perfidious he destroys with the remedy as he applies it in the wrong place. Hope and fear are two remedies, but for two persons of opposing symptoms. One who was overcome with fear, to the point that he completely renounced the world and charged himself beyond endurance, made his life totally miserable, the severity of his intemperance in fear is broken by talking about the reasons for hope, so that he might return to a proper balance. Likewise, one who persists in sin, yet though desirous of repentance, is held back because of despondency and despair, thinking his previous sins too great, is also treated by the reasons for hope, so that he may aspire to the acceptance of repentance, and finally repent.

On the other hand, treating the deluded, who is devoted to sin, by speaking about the reasons of hope, resembles treating with honey the patient who developed a higher fever. That is the practice of the ignorant and the fools. It is the corruption of the physicians, therefore, that is the real problem, totally beyond cure.

You might say: Speak of the way which the preacher should follow in admonishing the people.

Know, that this is an involved and protracted matter. Yet certainly, we will indicate the types beneficial in breaking down persistence in sin, and inducing people to renounce sin. These are of four types.

The first is that men should mention those verses of the Qur'an which strike fear in sinners and rebels, as also (similar passages) from the traditions going back to the Prophet and sayings of the Companions . Such, for example, as this statement of the Prophet: "Dawn does not rise on any day nor does twilight disappear any night but that two angels echo in four voices. One says: "Would only that these creatures had not been created." The other ways: "Since they were created would they know what they were created for." The first says: "Would that, since they learned not why they were created, they acted as they were taught."° (In some versions: "Would that they sit together and discuss what they learned). Finally, the last voice says: "Since they do not act as they were taught, would that they repent their deeds."

One of the old masters said: "When a man sins the Master of the Right orders the Master of the Left, who is in charge of that man, to hold back the pen (about the man) for six hours. If the man repents and seeks forgiveness, the sin is not recorded against him. If, however, he does not seek forgiveness, it is recorded."

Another of the old masters said: "Whenever a man transgresses, his place upon earth seeks permission to swallow him, and his roof seeks leave, from the heavens, to fall onto him in fragments But Allah says to the heaven and earth: "Desist from my servant and grant him respite. You did not create him, and if you did you would be compassionate towards him; perhaps he will turn to Me

and I will forgive him; perhaps he will change to righteousness, and I will change his sin for him into pious deeds." That is the meaning of the verse: Allah holds the heavens and the earth, lest they remove: did they remove, none would hold them after him."

The tradition of Umar Ibn Al-Khattab: "The seal is attached to the foot of the Throne. When the sacred is violated, and the forbidden permitted, Allah sends the seal and it is impressed upon the hearts and their contents." In the tradition of Mujahid: "The heart is like the open palm. Whenever man sins, a finger contracts until all the fingers contract and the heart is obstructed. That is the sealing.' Hassan said: "Between man and Allah stands a certain boundary of sin. When man reaches it, Allah seals his heart, and afterward no longer promotes him towards good fate."

The traditions of the Prophet and the sayings of the Companions on the censure of transgression and the praise of the repentant are innumerable. The preacher should draw from them constantly if he is the heart to Allah's Apostle. The Prophet bequeathed no dinars or Dirhams but knowledge and wisdom which the scholar inherits according to the measure of his attainment.

The second type is the stories of the prophets and the righteous forebears and what misfortunes befell them because of their sins. Such have a strong impact, and are of manifest benefit to the hearts of men. For example, the story of Adam in his rebellion and banishment from Paradise. It is related that when he ate of the tree, the garments vanished from his body and he was left naked. The crown and the diadem were so embarrassed that they sought to disappear from him. Gabriel then came to him, took the crown from his head and loosened the diadem from his forehead. It was announced from above the throne: "Descend (Adam and Eve) from My Presence! One who has transgressed against Me cannot be close to Me!' Adam turned to Eve weeping, and said: "This is the first misfortune of the transgression, we have been removed from the presence of the Beloved."

It is related that when Solomon was punished for his error, because of the idol which was worshipped in his home (for) forty days, - (It is said: because a woman asked him to give judgement in favour of her father and he said yes but did not do so; or, that because of his attitude toward her he wished in his heart that the judgement be for her father against his opponent.) - his kingdom was taken away for forty days. He fled, forlorn. He would beg, with palm out, but would not be fed. If he said: "Feed me, for I am Solomon, son of David', he was taken up, driven off and beaten. It is told that he asked for food from a woman's household. She, however, chased him away and spat in his face. Another version says: An old woman brought out a jar containing urine and emptied it on his head. (All this happened) until, after the end of the fortieth day of chastisement, Allah dislodged the seal ring from the belly of the whale, and Solomon put it on The birds then came and perched on his head. The jinn, devils and beasts also came and assembled round him. Some of those who had offended him apologized. Solomon said: 'I do not blame you for what you have done before, nor do I praise you for your excuse now. Indeed, this affair was (ordained) in the

heavens and was inevitable It is related in the Israelites that a man married a woman from another town, then sent his servant to bring her to him. She sought to tempt and seduce him. He, however, fought her and resisted the temptation. Allah made him a prophet. for the blessing of his piety, and he became a prophet among the children of Israel. In the stories of Moses (it is reported) that he said to Al-.Khadir: "For what deed has Allah revealed to you knowledge of the Hidden?' It is related that the wind was carrying Solomon, and he glanced at his gown, and it was new. He seemed to like it. The wind put him down. He said (to the wind): "Why did you do this though I did not order you?' It said: "But we obey you only when you obey Allah."

It is also related that Allah communicated to Jacob: "Do you know why I have separated you from your child Joseph? He said no.Allah said : because you told his brothers: I fear the wolf may eat him, while you are heedless of him. Why did you fear the wolf and not appeal to Me? Why did you consider his brothers' heedlessness, and not consider My guarding him? Do you know why I returned him to you?" Jacob replied: "No!" Allah said: "Because you appealed to Me and said: haply Allah will bring them all to me and because you also said: depart, my sons, and search out tidings of Joseph and his brother. Do not despair (of Allah's comfort)." Thus, also, when Joseph said to the king's attendant: "mention me in thy lord's presence,' Allah said: Satan caused him to forget to mention him to his master, so that he continued in the prison for certain years Such stories are innumerable. The Qur'an and traditions have not adduced these just for evening entertainment. Rather, their object is contemptation and pondering so that you may learn that even the prophets are not forgiven their minor sins. How, then, can others be forgiven major sins? Certainly, they were fortunate that they were swiftly overcome with punishment in this. world, so that it was not put off to the hereafter. The wretched, however, are those given time to increase their misdeeds, for the chastisement of the hereafter is graver and greater. These kinds of stories should also be told, frequently, to those persisting in sin; for it is effective in stimulating the urge for repentance.

The third type is that the preacher should make them realize that one may expect that chastisement for sins is to be expedited in this world, and that the afflictions of man come as a result of his offenses. Many a man, however, is indulgent in the matter of the hereafter, and, because of his ignorance, fears more Allah's punishment in this world. It is necessary, therefore, to frighten him therewith. In most cases, the chastisement for all the sins (of a person) is expedited in this world, as is related in the story of David and Solomon. Because of his sins a man may become poor, his rank among people may decline, and he may fall into the hands of his enemies. The Prophet said: "Indeed, a man is deprived of sustenance on account of a sin he commits.' Ibn Mas'ud, "Allah be pleased with him" said: "I reckon that a man forgets knowledge through a sin he commits, and this is the meaning of the Prophet's word: "One who perpetrates a sin, intelligence withdraws from him, *and* never returns." An old master said: "The curse is not the black face or loss of wealth; nay, the curse is that you disengage yourself from a sin only to fall into another which is like it or. worse.' It

is as he said, for the curse is expulsion and alienation. Unless he is assisted toward the good, evil comes easily to him, and he is removed (from the divine grace). To be without divine assistance toward success (in acting righteously) is the greatest deprivation. Each sin invites another and it is compounded. Man is then deprived thereby of the beneficial nourishment of social intercourse with the learned who rebuke sin, and with the righteous; nay, he is detested by Allah so that the righteous may detest him.

It is related about one of the Gnostics that he was walking in mud, holding his clothes, wary of his foot slipping, but he slipped and fell. He got up and was walking in the middle of the mire, crying and saying: "This is the image of man. Continuously he is wary of sins and avoids them until he tumbles into one and, then, two, after which he plunges into sinning.' This is an allusion that the punishment of sin is expedited by the drift into another sin. That is why Fudail said: 'That which you have blamed on the vicissitude of time and the brutishness of brethren, is the result of your sins.' Somebody said: "I certainly recognize the punishment for my sin in the ill nature of my ass.' Another said: "I recognize the punishment even in a mouse in my house.' One of the Syrian Sufis said: 'I noticed a Christian lad of handsome countenance. I stopped and stared at him. Then, Ibn Al-Jalla' ad-Dimashqi passed me. He seized hold of my hand, and I felt embarrassed before him. I said: " O Abu Abdullah! By Almighty Allah, I was amazed by this beautiful form and this masterful piece of workmanship and (by) how it was created for hellfire!" He squeezed my hand and said: "You shall encounter the punishment (for this staring) after awhile." ' The Syrian said: "I was punished for it thirty years later.' Abu Sulaiman ad-Darani said: "Sexual maturation is a punishment,' and `no one misses the communal prayer except through the commission of sin.' In a tradition (it is said): "What you blame on your time is really due to your deeds which are corrupt." A tradition: "Allah says: "The least that I shall do to a man, if he prefers his craving to obedience to Me, is that I shall deprive him of the delight of My discourse."" It is told of Abu 'Amr Ibn Al-Ala', in a story that would take too long, that he said: "One day, as I was standing in prayer, my heart was seized by desire. It continued in my mind until a craving of men was born from it. I fell to the ground, and my entire body turned black. I hid myself at home, and did not emerge for three days. I was purging my body with soap, in the bath. The blackness, however, was only compounded, until, after three nights, it was undone. I then encountered Al-Junaid who had sent for me, summoning me from Ar-Riqa. When I came to him he said to me: "Were you not ashamed before Allah? I stood before Him but then your soul concealed a craving until it tenderly overpowered you and removed you from before Allah. Had I not prayed to Allah for you and turned to Him in repentance on your behalf, surely you would have met Allah with that colour." I wondered how he knew of that, for he was in Baghdad while I was in Ar-Riqa."

Know, that whenever man sins be blackens the face of his heart. If he is happy, the blackness becomes apparent upon his exterior so as to rebuke him. If he is wretched, it is concealed from him, until be becomes engrossed in sin and

liable to hellfire. There are numerous traditions concerning the injurious (consequences) of sin in this world, such as poverty, sickness, et cetera. But the calamity of sin; in this world, in general, is that man acquires following it another sin. If he is tempted by a thing, it becomes a punishment, and he is deprived of sustenance to compound his wretchedness. Even if bounty comes his way to win him over, he is denied the feeling of gratitude, so that he is punished for his ingratitude. But in the case of the obedient, it is part of the blessing of his obedience that any bounty, for him, is a reward for his obedience and he is divinely assisted toward gratitude for it; while each tribulation becomes an atonement for his sins, and adds, thereby, to his stature.

The fourth type is (for the preacher) to talk of the punishments that befell individual sins such as wine imbibing, fornication, theft, murder, slander, arrogance and envy. These sins are innumerable. To talk of them to the wrong people, is like applying the remedy to the wrong spot. The learned should be like the skilled physician, diagnosing first, by the pulse, the external appearance and the reflexes, the internal maladies and, then, engaging in their treatment. By concatenation of circumstances he infers the hidden qualities. In facing what he has learned let him emulate Allah's Apostle. When someone said to the Prophet "peace be upon him": " O Apostle of Allah, counsel me but do not overburden me!', the Prophet said: 'Do not be angry." Another man asked the Prophet: " Apostle of Allah, counsel me." The Prophet said: "You must renounce (the aspiration) for other people's wealth. Indeed, such is (true) wealth. Beware of greed, it is the ever-present poverty. Pray a final prayer." Beware of what one has to apologize for." A man said to Muhammad Ibn Wasi': "Counsel me!' He said: "I advise you to be an angel in this world and the next!' The man asked: "How do I (achieve) that?' He said: "Practice asceticism."

It seems that the Prophet discerned, in the first questioner, the signs of anger, and restrained him therefrom. In the second questioner he discerned the signs of greed and perseverance in this expectation of the wealth of others. Muhammad Ibn Wasi' discerned in his petitioner, the signs of preoccupation with this world.

A man said to Mu'adh: "Counsel me!' He said: "Be merciful, and I will guarantee you Paradise.' Apparently he detected in the man traces of coarseness and harshness.

A man said to Ibrahim Ibn 'Adham: "Counsel me!' He said: 'Be careful about people! You need people, and must be with others. Men are human. But not all men are human. Gone are the human beings *(rids)* what remains is the monkey. I do not consider them as people, nay, they have plunged into the water of despair." It seems, then, as if Ibn Adham discerned in him the damage of (excessive) association, and pointed to what was prevailing in his situation, at the time. That was his injury (of or by) others. It is more proper that a statement should fit the state of the questioner, rather than that of the speaker.

Mu'awiyah wrote to 'A'ishah: "Write me a letter, giving me therein counsel but make it brief.' She wrote to him: 'From 'A'ishah to Mu'awiyah, peace be upon

you! I heard the Apostle of Allah say: "One who seeks Allah's pleasure through men's displeasure, Allah protects him from the trouble of men, and one who seeks Allah's displeasure through men's pleasure, Allah puts him in charge of men." Farewell!" Consider her cleverness in how she ventured upon the bane that confronts rulers, namely, the control over men versus the desire to please them. She wrote him on another occasion: 'Fear God! If you fear Allah, He will protect you from men. If, however, you fear men, they will not avail you against Allah. Farewell!"

Therefore, it should be the concern of every counselor to detect the hidden qualities and discern the appropriate conditions, so that he might deal with the significant. To narrate all the spiritual exhortations in the individual cases is impossible, and, to engage in preaching on what does not call for preaching is a waste of time.

You might say: If the preacher is speaking to an assembly, or is asked for counsel by someone with whose inner state he is unfamiliar, how is he to act?

The path for him, in such a case, is to preach that which is of universal application, generally or mostly. For in the religious studies there are nutriments and remedies. The nutriments are for all, and the remedies are for the sick.

A case in point is what is related of a man who said to Abu Sa'id Al-Khudri: "Counsel me!' He replied: "You must fear Allah, it is the beginning of all good. You must exert yourself in *jihad,* it is the monasticism of Islam. You must read the Qur'an, it is an illumination for you among the earthly host and a remembrance for you among the heavenly host. You must be silent, except for the good. Thus you will triumph over Satan."

Also, a man said to Hassan: "Counsel me!' He said: "Honour Allah's command and He will honour you."

Luqman said to his son: "My son, join the throng around the scholars, but do not dispute with them lest they hate you. Take from this world your subsistence, and spend the rest of your acquisitions for your hereafter. Do not reject this world totally lest you be a burden to and dependent upon others. Fast, so as to curb your craving but not so as to damage your prayer. For prayer is superior to fasting. Do not keep the company of the foolish, and do not associate with the two-faced.' He also said: 'My son, do not laugh without amazement; do not proceed without aim; do not ask of what is of no concern to you; do not squander your wealth to promote the property of another. For your stock is that which you prepared (of good deeds) ahead of time, and the stock of others is that which you leave (to others). My son, one who is compassionate is treated with compassion; one who is silent is safe; he whose word is good gains, he whose word is evil sins, and he who does not master his tongue regrets."

A man said to Abu Hazim: "Counsel me!' He said: "Adhere to that which you would consider precious when facing death; avoid that which you would consider a misfortune when facing death."

Moses said to Al-Khadir: "Counsel me!' Al-Khadir said: "Be benign and be

not angry; be useful, not harmful; eschew obstinacy; go not without need; and do not laugh without wonderment. Son of 'Imran, do not scold sinners for their errors, cry over your own."

A man said to Muhammad Ibn Karram: "Counsel me!' Ibn Karram said: "Strive to please thy Creator in the same measure as you seek your own satisfaction."

A man said to Hamid Al-Laffaf: "Counsel me!' He said: "Make for your religion a cover like the cover on the Qur'an, lest it should get soiled by troubles.' The man asked: "What is the cover of religion?' He said: "Renouncing worldly pursuit except for the minimum; abstention from talking much unless it is necessary; reducing social intercourse to a minimum.

Hassan (al-Basri) wrote to 'Umar Ibn 'Abd Al-'Aziz saying: "Fear that which Allah has alarmed you about, be cautious of that which Allah has cautioned you about, and take from what is in your hands to what is ahead of you. At the time of death the ultimate message shall reach you. Farewell!"

'Umar Ibn 'Abd Al-'Aziz wrote to Hassan asking for his admonition. Hassan replied: "The greatest terror and the horrors are ahead of you, and you cannot escape from witnessing them, be either in salvation or perdition. Know, that he who takes his soul to account gains, and he who is negligent of his soul loses. He who contemplates the consequences is saved, but he who follows his mood errs. He who is meek gains; he who fears is safe; he who is safe learns by example; he who learns by example gains insight; he who has insight understands, and he who understands knows. If you have slipped, return. If you have regret, uproot (the evil). If you are ignorant, ask. And, if you are angered, forbear."

Mutarrif Ibn 'Abdullah wrote to 'Umar Ibn 'Abd-Al-Aziz: "This world is an abode of punishment. For it the senseless are gathering (goods) and, by it one who has no knowledge is deluded. Commander of the Faithful! Be in it like one whose injury is treated, enduring the severity of the remedy for fear of the consequences of the disease."

'Umar also wrote to 'Adi Ibn Arta'ah saying: "This world is an enemy of Allah's friends and of Allah's enemies. It distresses His friends, and deludes His enemies.' He also wrote to one of his governors: "You have the power to oppress people. If you intend to wrong one, remember Allah's power over you. Know that if you cause any trouble to the people, the responsibility remains yours. Know, also, that Allah takes to account the oppressors on account of the oppressed. Farewell!"

This is how the admonition should be - for the masses or when the preacher does not know the specifics of the case. These exhortations are like the nutriments by which all the people can benefit. But, because of the lack of such as these preachers, the gate of learning from admonition is barred, sins predominate, and decay proceeds apace. The people are afflicted with preachers who parade rhymed prose and recite verses, take upon themselves to talk of that which is beyond the range of their knowledge, and imitate others. The masses lost their respect for the preacher. The preacher's words do not emanate from the

heart so as to reach the heart. Rather, the speaker is arrogant, the listener burdened, and each of them is slipping and failing.

Seeking a physician, therefore, is the start of the treatment for the sick, and seeking the learned, is the beginning of treatment for sinners. This is one of the pillars and principles of treatment.

The second principle is forbearance *(Sabr)*. The point of the need for forbearance is that the patient's illness is prolonged because he takes what is harmful to him. He consumes that, either because he is unaware that it is harmful, or because of the intensity of his craving. Such action has two causes. What we have mentioned is the treatment for the unawareness. There remains, then, the treatment of craving, but we have already discussed the method of its treatment in the Book of the Discipline of the Soul The gist of it is that, when his voracity for a harmful food becomes intense, the patient will perceive the magnitude of its harm. Then he should remove that from his scope of vision and not keep it. Then he will seek to distract himself from it with something which approximates it in form but not in virulence. Then, by virtue of fear, he should overcome the pain caused by abstention. Under all conditions, the bitterness of forbearance is inevitable, and thus he will treat the craving for transgression.

A young man, for example, when desire overcomes him, becomes incapable of controlling his eye, heart or limbs in the pursuit of his desire. .He must realize the harm of his sin by examining the relevant fearful passages in the Qur'an and in the Tradition. When his dread is intensified, he keeps his distance from the factors inciting his drive.

The external stimulant of desire is the presence of the object of desire and gazing at it. The treatment is flight and isolation. The internal stimulant is the consumption of delicious foods. Its treatment lies in hunger and prolonged fasting. All this can be achieved only through forbearance. One shows forbearance, however, only from fear, but one fears only from knowledge, and, one gains knowledge only from insight and reflection or from listening and emulation. The first order of business, then, is attendance at invocation assemblies *(Dhikr);* then, listening, with a heart devoid of other engagements, devoted to attention; then reflection on it unto perfect understanding. Thereupon fear will certainly be aroused. With fear rising, forbearance will be facilitated, and the requisites of seeking treatment will develop. Behind that lie divine assistance toward success and divine facilitation.

One who gives, of his heart, proper attention, perceives the dread (of sin) and fear of Allah, expects recompense and confirms the reward most fair , Allah eases him to easing but as for him who is a miser and self-sufficient and cries lies to the reward most fair, Allah will ease him to the hardship only the clarification of the paths of guidance falls upon the prophets. Yet, To Allah belongs the first and the last , You might assert: The entire matter reverts then to (a question of) faith, because renunciation of sin is impossible without forbearance; forbearance is possible only through the experience of fear; fear sets in only through knowledge; knowledge is attained solely through confirming (the belief in) the magnitude of

injury caused by sins, and confirmation of the magnitude of sins' harm is confirmation of the belief in Allah and His Apostle, which is faith. It appears, then, that one who persists in sin does so only because he is not a believer.

Know, that this persistence is not due to the loss of faith but rather to its weakness, inasmuch as every believer believes firmly that transgression is a cause of alienation from Allah, and is the cause of punishment in the hereafter. The reason, however, for his falling into sin is manifold.

Firstly, the promised punishment is concealed and not in (immediate) attendance. The soul is predisposed to being influenced by what is at hand. The effect upon the soul of the promised chastisement is weak compared to the impact of that which is present.

Secondly, the gratification of the cravings leading to sin are consummate and they immediately grab the throat. Because of habituation and custom, - habit serving as the fifth element - (this pressure) is vigorous and overpowers the soul. The soul finds it hard to shift from the immediate to the fear of the future. That is why it says: no indeed; but you love the hasty world and leave be the hereafter, and, nay, but you prefer the present life The Prophet expressed how difficult this is in his sayings: "Paradise is encircled by adversities, and hellfire by cravings'; a `God created hellfire. Then He said to Gabriel: Go and look at it. He looked at it, then said: By Your Glory! No one who hears of it shall enter it. Allah then encircled it with the desires, then said again: Go look at it. He looked at it and said: By Your Glory! I am afraid that none shall remain who will not enter it. Allah created Paradise. He said to Gabriel: Go and look at it. He did, and said: By Your might! Everyone who hears will (seek) to enter it. Allah then surrounded it with adversities and said: Go and look at it. He did, and said: By Your might! I am afraid that none shall enter." Thus the immediate oppressiveness of the desires, and the relegation of punishment into the future are two obvious causes in the self abandon despite the presence of the basic faith. Nobody who, while sick and because of his thirst, drinks ice water denies, thereby, the basis of medicine. Nor does he deny the fact that ice water is harmful for him. But the craving overcomes him, and the pain of desisting is supreme, so that the anticipated pain seems minimized.

Thirdly, every believing sinner is, generally, determined to repent and to atone the evil through pious deeds. Further, it has been promised that such will restore him. Continued hope, however, prevails over the natural dispositions, and man keeps postponing repentance and atonement. Yet, since his hope is for divine help towards success in repentance, he may often proceed despite faith toward sin.

Fourthly, every convinced believer maintains that sins do not necessitate chastisement to the extent of precluding forgiveness. He sins, therefore, and anticipates forgiveness trusting in Allah's generosity.

These are four causes that lead to persistence in sin, despite the survival of the basic faith.

Certainly, the sinner might come up with a fifth reason, that impairs that basic faith. Namely, he may doubt the authenticity of the prophets. This is unbelief. He

is like the one whom the physician cautioned about consuming what would, in his ill state, harm him. If the man cautioned does not consider the warner a medical authority, the patient may deny or doubt the physician. He will, therefore, pay no attention to the doctor. But such is unbelief.

You might say: What, then, is the treatment for the five causes? I say that it is reflection (Fikr).

That is that man persuade himself in the first instance, i.e., the relegation of punishment, that everything that is to come, is (truly). coming; that, for those who watch, the morrow is nigh, and that death is closer to everyone than his shoe lace; what shall make him know, perhaps the Hour is nigh, and when that which has been put off takes place it is merely the consummation of the prophetic message. He should remind himself that, in this world, he is weary forever for fear of something in the future. Thus, a man travels overseas and undergoes hardship of journeys for the sake of gain which he thinks he might need at another time. Yet if he falls ill, and a Christian physician tells him that drinking cold water will harm him and lead to his death, and cold water is, to his mind, the most delicious of things, he abandons drinking it, despite the fact that the pain of death is only of an instant, if he did not fear what follows it, and departure from this world is (anyhow) inescapable.

Yet what is the proportion between his existence in this world to his absence for ever and ever! Let him consider how quickly he is going to abandon his pleasures at the instruction of a non-Muslim with no miracle to support his medicine. Then he will say: "How does it befit my intelligence that the word of the prophets, supported by miracles, should be inferior in my eyes to that of a Christian who claims (the knowledge of) medicine without any (supporting) miracle and without any confirmation except by the common folk? How can the torment of hellfire be less, to me, than the torment of disease, when each day in the hereafter is like fifty thousand years of this world?"

Through this same contemplation he treats the delight which is overcoming him. He will force himself to abandon it by saying: "If I am unable to renounce my delights during the days of my life which are few, how, then, shall I ever be able to do so? If I am not able to endure the pain of forbearance, how, then, could I withstand the pain of hellfire? If I am unable to renounce the vanities of this world despite its vexations, disturbances, and the blend of its delight and grief, how can I forgo the bliss of the hereafter?

As for postponement of repentance, he can treat it by reflection on (the fact) that most of the anguish of the people of hellfire stems from procrastination, as the procrastinator builds on what is not his, namely immortality. Yet perhaps he will not survive, and, if he survives, he may be unable to desist tomorrow, just as he is unable to abstain today. I wish I knew; did he not fail, in the present, only because of the triumph of craving, which craving is not going to leave him on the morrow, but rather is compounded since it is reinforced through habituation. Now, the craving which a man reinforced by habit is not like the one which he did not reinforce. Because of this the procrastinators perish, for they suppose there is a difference between things identical. They do not realize that all days are

similar in that forgoing cravings is always painful, on any day.

A fitting analogy is: one who needs to uproot a tree but sees that it is strong and will not be extirpated except with great difficulty. He says: "I will put it off for a year and then come back to it.' But he knows that the longer the tree survives, the more its deep-rootedness increases, while the older he gets the more he becomes weak. There is, then, no stupidity grosser than his in the world: when he, in his prime, fails to stand up to the weak, and begins to anticipate triumph over the rival while he himself is getting weak and the weak one is getting strong.

As for the fourth idea, i.e., the expectation of Allah's forgiveness, its treatment is as above. The man is like one who dissipates all his property, leaving himself and his family paupers, expecting that Allah, in His generosity, will provide for him the discovery of a treasure amidst ruins. The possibility of forgiveness of sins (in such a manner) is like this possibility. He is like one who fears spoliation at the hand of oppressors in his country, and (yet), he leaves his treasures in the courtyard of his home. He was able to bury and hide them but did not do so. He said: "I look to Allah's generosity, it may bring either inadvertence or distress upon the pillaging tyrant so that he will miss my home, or, when he turns to my home he will be struck down at the gate! Both death and inadvertence are possible. Such things occur in fictional stories, and I anticipate the like from divine kindness.' One who anticipates this, anticipates the possible. Yet he is extremely silly and ignorant. For it may not happen and not be so.

As for the fifth cause, i.e., doubt, this is unbelief. It is to be treated with those elements which would make him learn the veracity of the prophets. But this would take long. It is possible, however, to treat it with simple knowledge which would befit the bounds of his intelligence. He should be asked: "Is the truth of what the prophets said, supported as they are by miracles, possible? Or, do you maintain that you know that it is impossible, in the same manner as you know the impossibility of one person being in two places at the same time?' If he says: "I know that it is as impossible as the latter,' then he is stupid and idiotic. It would seem that such creatures do not exist among sensible people. But if he said: "I am in doubt about it,' then let him be asked: "If some unknown person were to tell you, as you were leaving your meal at home for an instant, that a viper had licked it, and put its poison in it, and you could admit his truthfulness, would you then eat the meal or, even be it the most delicious of foods, would you forgo it?' He would answer: "I would most certainly leave it. I would say: if he has lied, I shall merely miss this food. To forgo it may be hard but sensible. If, on the other hand, he was right, I might lose my life. Compared to the discomfort of abstention from food and its waste, death is harsher.' Say to him then: 'By Almighty Allah, how can you defer the truth of all the prophets, despite all their miracles, and the veracity of all the saints, scholars and sages, nay, of all categories of sensible people - I do not mean thereby the ignorant of the masses but rather those possessed of intellect - in favour of the truth of one unknown man who may have some purpose of his

own?"

All reasonable men believe in the Last Day and acknowledge reward and punishment, even if they differ as to particulars. If they are right, you are on the brink of a chastisement which is to continue forever. If, on the other hand, they are wrong, you miss nothing save some cravings of this passing and vexatious world. There can remain no hesitation for him, if he is intelligent, following this reflection, for there is no comparison between a lifetime and eternity Nay, were we to presume that the world is filled with a speck, and that a bird gathers, every million years, one granule of it, still surely the speck would come to an end, and eternity would not be diminished at all. How could a sensible man's mind waver about forgoing desires for say, a hundred years, for the sake of bliss eternal? That is why Abu -'Ala' Ahmad Ibn Sulaiman at-Tanukhi Al-Ma'arri said: The astrologer and physician both of them Deny the resurrection of the body. I said: "Oh, get you gone. If this is your belief, upon you perdition falls, not upon me Therefore." 'Ali said to one whose intelligence fell short of true understanding and was a doubter: "If what I said is correct, we will all be saved; if not, I am saved and you perish.' That is to say, the sensible man follows the path of safety in all situations.

You might ask: These matters are evident but they are attained only through reflection. But what about the hearts? They give up reflection about these matters, and consider (them) too burdensome. What is the treatment for the hearts by which to return them to reflection, especially in the case of a man who believes in the basis and ramification of religion?

Know, then, that the impediment to reflection is twofold. Firstly, functional reflection is the reflection of the punishment of the hereafter, its terrors and afflictions, the grief of sinners over their exclusion from the everlasting bliss. This reflection is stinging and painful to the heart. The heart, therefore, shuns it, and takes delight in reflecting on worldly matters for comfort and relaxation. Secondly, reflection is an immediate impediment distracting from the worldly delights and the gratification of cravings. Every man, in every state and with every breath, has a craving which overtakes him and enslaves him. His intellect then becomes subservient to his craving. Therefore, man is busy to set his ruse (to gratify it), and it becomes his delight to pursue the ruse, or to start the gratification of his craving. But reflection holds him back from that.

To treat these two obstructions, he should say to his heart: "How great is your foolishness in being wary of reflecting on death and what follows it, because of the pain caused by the mention of death, despite the disdain for the pain of struggling with death. How will you endure sustaining it, whenever it happens, seeing that (at the same tune), you are unable to endure the very admission of death and what follows it, and are pained thereby? To treat the second impediment, i.e., that reflection makes you miss worldly pleasures that are graver and more decisive. For, pleasures of the hereafter are infinite and unmarred, while the worldly pleasure are quickly obliterated and are mixed with vexations. In this life there is no pleasure free of worry. (The more so) as in repenting of transgressions and in concern for obedience lies delight in

conferring with Allah, repose in perceiving and obeying Him and constant closeness to Him. If the obedient had no other recompense for his deeds than what he feels of the sweetness of obedience and the spirit of intimacy in converse with Allah, that would surely be sufficient. The more so, when to this is added the bliss of the hereafter. Certainly, this pleasure does not occur at the initial stage of repentance, but after man endures (in repentance) for a long time, the good having become habit as before the evil was. The soul is receptive - as you train it, so it becomes habituated. Good is habit, and evil is (sheer) obstinacy.

These reflections, therefore, induce fear which in turn induces the ability to forgo pleasures. The stimulant of these reflections is exhortation of the preachers, and admonitions which penetrate into the heart through innumerable appropriate motifs. Reflection then becomes consonant with temper, and the heart tends toward it. The cause which projects harmony between the temper and the reflection, which (itself) is the cause of goodness, is termed succor *(tw*ain*)*, inasmuch as succor is the fusion of will and the faculty which is obedience useful unto the hereafter.

It is related in a long Hadith that Ammar Ibn Yasir "Allah be pleased with him" arose and said to Ali Ibn Abu Talib "Allah be pleased with him": "O Commander of Believers! Tell us about disbelief. Upon what is it built?" Ali "Allah be pleased with him" answered: "It is built upon four props: rudeness, blindness, heedlessness and doubt. The one who is rude scorns the truth, proclaims the false and hates the learned; and the One who is blind forgets the invocation (of Allah's name); and the one who is heedless swerves from good sense; and the one who doubts, the desires mislead him, then, only to be seized by sighing and regret, and what he was not considering (possible) concerning Allah appears to him now."

What we have mentioned explains some of the damages wrought by neglect of reflection. So much for (the discussion of) repentance.

If forbearance is one of the pillars of continued repentance, it is imperative to explain it. We will, therefore, discuss it, Allah willing, in a separate treatise.

Book two: Patience and gratitude

It is the second book of the quarter of saviors

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

Praise be to Allah, Who is fitting for praise and thanks, Whose Alone is the garment of Grandeur, and the attributes of Glory and Supremacy, Who supports his selected friends and allies with the power of patience at the times of ease and adversity, and gratitude for distress and blessing.

Allah's permanent and ceaseless blessing and peace be upon Muhammad, the chief of all the Prophets and Messengers, his companions, the chiefs of the selected allies and friends of Allah, and his family, the leaders of the pious and righteous.

Coming to the point: faith consists of two halves: patience and gratitude, in accordance with the Prophetic narrations and sayings of the righteous predecessors. Both are among the attributes and Most Beautiful Names of Allah Almighty, Who names Himself the Patient, and the Thankful. The ignorance of the real nature of both is indeed ignorance of both halves of faith, and heedlessness of two of the attributes of (Allah) Most Gracious. To be sure, there is no way to be close to Allah Almighty without faith. How could it be imagined to follow the path of faith without knowing the components and object of faith? However, to fail to know both patience and gratitude is to fail to know the components and object of faith. This is why there is dire need to clarify the real nature of both halves. We are going to clarify both halves in one book, Allah willing, for they are interconnected.

Part one: Patience

It consists of seven chapters, which go as follows:

Explication Of Merit Of Patience

Explication Of Its Definition And Real Nature

Explication Of The Fact That It Constitutes Half The Faith

Explication Of The Fact That Its Names Differ By The Difference Of Its Appurtenances

Explication Of Its categories In Regard To Strength And Weakness

Explication Of The Dire Need For Patience

Explication Of Medicine Of Patience; And That Whose Aid Is Sought To Support It

CHAPTER ONE

EXPLICATION OF MERIT OF PATIENCE

Allah Almighty described the patient with many good characteristics, and referred to patience more than seventy two times in the Qur'an, and assigned the greater portion of degrees (of felicity) and good to the patience, as being its fruit.

He Almighty said: " And We appointed, from among them, Leaders, giving guidance under Our Command, so long as they persevered with patience and continued to have faith in Our Signs." (As-Sajdah 24)

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

And: " The fair promise of your Lord was fulfilled for the Children of Israel, because they had patience and constancy." (Al-A'raf 137)

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴿١٣٧﴾ ﴾

And: "And We will certainly bestow, on those who patiently persevere, their reward according to the best of their actions." (An-Nahl 96)

﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

And: " Twice will they be given their reward, for that they have persevered." (Al-Qasas 54)

﴿ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴿٥٤﴾ ﴾

And: " those who patiently persevere will truly receive a reward without measure!" (Az-Zumar 10)

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾

There is no act of worship but that its reward is measured barring patience, whose reward is immeasurable. Since fasting implies patience, and constitutes its half, Allah Almighty says about it (as narrated by His Prophet): "Fasting is for Me for which I give reward." From among all acts of worship, He ascribed fasting to Himself. He promised the patient that He would be with them, saying: " and be patient and persevering: for Allah is with those who patiently persevere." (Al-Anfal 46)

﴿ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

He Almighty suspended victory on patience, saying (addressing the faithful believers): "Yea, if you remain firm, and act aright, even if the enemy should rush here on you in hot haste, your Lord would help you with five thousand angels making a terrific onslaught." (Al Imran 125)

﴿ بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم
بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾

He combined for the patient many good things which have never been combined for anyone else, as shown from His statement: " They are those on whom (descend) blessings from their Lord, and Mercy, and they are the ones that receive guidance." (Al-Baqarah 157)

﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

Consider how right guidance, blessing and mercy (of Allah) have been combined only for the patient! However, it will be too lengthy to relate all the Holy Verses regarding patience.

There are many Prophetic narrations as regards patience, of which a mention

may be made of the following:

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Patience constitutes half the faith" as we will explain its meaning in detail later. (Abu Na'im and Al-Khatib on the authority fo Ibn Mas'ud). He "peace be upon him" further said: "You have been given the least portion of certainty (of faith) and determination of patience. Whoever is given his fortune of them (in full), should not care about what he has missed of standing at night (for supererogatory prayers) and fasting by day. It is dearer to me to keep patient on your state on which you are, than to come to me, with each of you having (as much) work as the work of all of you. But I fear most that this world would be opened to you, with the result that you would deny each other, and at that point, you would be denied by the hosts of heaven. Whoever keeps patient and expects his reward for that (from Allah), would receive his reward in full." Then, he "peace be upon him" recited: " What is with you must vanish: what is with Allah will endure. And We will certainly bestow, on those who patiently persevere, their reward according to the best of their actions." (An-Nahl 96)

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

It is narrated on the authority of Jabir "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked about faith, thereupon he said: "It consists of patience and tolerance." (Ibn Hibban and At-Tabarani). He "peace be upon him" further said: "Patience is a treasure from the treasures of Paradise." He "peace be upon him" was asked once again: "What is faith?" he said: "Patience." (Abu Mansur Ad-Dailami on the authority fo Anas). It resembles his statement: "Hajj is (to stand at) Arafah." (the composers of sunan on the authority fo Abd-Ar-Rahman Ibn Ya'mur). It means that the greatest part of Hajj is fulfilled by standing at Arafah. He "peace be upon him" further said: "The best of deeds is that which souls are forced to do under compulsion (for it requires great patience)." It is said that it was revealed to David "peace be upon him": "Behave in accordance with My good manners, and one of My good manners is that I am the Patient."

It is narrated on the authority of Ibn Abbas "Allah be pleased with them" (through Ata') that when the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" entered upon the Ansar he asked them: "Are you really believers?" they kept silent. Umar "Allah be pleased with him" said: "Yes O Messenger of Allah." He asked: "Then, what is the sign of your faith?" they said: "We thank (Allah) for comfort, keep patient on adversity, and accept (with good pleasure) the fate (decreed by Allah)." On that he said: "You are really believers, by the Lord of the Ka'bah." (At-Tabarani). He "peace be upon him" further said: "Much good lies in your keeping patient on what you dislike." (At-Tirmidhi on the authority of Ibn Abbas). The Christ "peace be upon him" said: "You would not attain what you like unless you keep patient on what you dislike." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Were patience to be a man, he would have been generous; and Allah likes the patient." (At-Tabarani on the authority of A'ishah). However, the Prophetic narrations in this connection are beyond calculation.

There are many sayings belonging to the righteous predecessors, and a mention may be made of the following:

Umar "Allah be pleased with him" wrote in his message to Abu Musa "Allah be pleased with him": "Adhere to patience, and know that patience is of two kinds, one of which is better than the other. To keep patient on adversities is good, but what is better is to keep patient on what has been forbidden by Allah Almighty. Know also that patience is the substance of faith, for the piety, which is the best deed of righteousness, is achieved by patience." Ali "Allah be pleased with him" said: "Faith has been established on four sides: certainty, patience, Jihad and justice." He said on another occasion: "Patience in relation to faith is like the head in relation to the body; and as well as there is no body without a head, there is no faith without patience." Umar "Allah be pleased with him" used to say: "How good are both sides (of the camel), and how good is the extra load for the patient." By both sides, he meant prayer and mercy, and by the extra load the right guidance. By this , he referred to the statement of Allah Almighty: " They are those on whom (descend) blessings from their Lord, and Mercy, and they are the ones that receive guidance." (Al-Baqarah 157)

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

Habib Ibn Abu Habib used to weep whenever he recited the followingHoly Verse: "Truly We found him (Job) full of patience and constancy, how excellent in Our service! ever did he turn (to Us)!" (Sad 44)

﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾

He used to say in comment on that: "How astonishing! He gave and praised (whom He gave)." i.e. He gives for patience, for which He praises." According to Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him": "The peak of faith is patience on the judgement, and contentment with the Divine Decree."

That is an exposition of the merit of patience from the transmitted texts. As for its rational side, it would not be understood clearly unless you know well the meaning and real nature of patience. Indeed, the merit and grade are attributes which could be known only after the knowledge of the real nature of the described thing. So, let's make a mention of its real nature and meaning, and success be with Allah Almighty.

CHAPTER TWO
EXPLICATION OF REAL NATURE AND MEANING OF PATIENCE

It should be known that patience is one of the stations of religion and mystic travellers; and all stations of religion consist of three components: knowledge, states and acts. Knowledge is the origin which produces states, and the acts are the fruits of states. Knowledge is like the trees, states the branches, and acts the fruits. This is true of all the stations of the mystic travellers on the path to Allah Almighty. The term faith sometimes is given only to knowledge, and at other times to all the three elements as we have already referred to the different meanings of both faith and Islam in the book of the rules of creed.

Patience could be accomplished only on the basis of a previous knowledge and a present state. The act then is produced from that previous knowledge and present state. This could be known only if we know the order in which angels, men and animals exist. Patience is unique to men and it is unimaginable in both angels and animals, due to the deficiency of animals and perfection of angels. That is, the animals are seized by appetites, to which they are subject, and nothing stimulates or quietens them other than the appetites. They have no power to resist the appetite and repel it, so that the constancy of this power vis-à-vis the requirement of appetite might be called patience. As for angels "peace be upon them" they are devoted to longing for the presence of Lordship, and delight in the degree of nearness to it; and no power of appetite is directed on them in order to need to resist what keeps away from the presence of Lordship with other soldiers to overcome it.

As regards man, he is created as being incomplete during childhood, like animals. He has nothing but the appetite for food which he needs, then there appears in him the appetite for play and adornment, followed by the appetite for marriage. He does not have the power of patience to resist those, for patience in its real nature is to have soldiers stand steadfast in opposition to other fighting soldiers. But the child has but the soldiers of desire with nothing to oppose them, like animals. But Allah Almighty, with His mercy and generosity, honoured the sons of Adam and raised their class over that of animals. When man becomes at the threshold of attaining the age of puberty, he is entrusted to two angels: one to guide him aright, and the other to strengthen him. In this way, he is distinguished by the aid of angels from the animals. He further is given two distinctive characteristics: one is the knowledge of Allah Almighty and His Messenger, and the knowledge of the consequences resulting from acts. This is by virtue of the angel in charge of guiding and teaching. Indeed, the animal has none to guide it to know the consequences resulting from acts like man. For this reason, it requires but what is pleasant and delicious, but it is beyond its capacity to demand the beneficial, though presently bitter medicine.

Man thus, by the light of guidance, came to know that following the desires has harmful consequences. But this guidance alone is insufficient so long as he is not provided with the power to leave those harmful things. How many harmful things which man knows to be harmful, like ailment, and man has no power to avert them. Since then he has no power to avert from himself the soldiers of desire, Allah Almighty entrusted him to another angel to strengthen him and provide him with soldiers invisible to him to help him overcome the soldiers of desires. He Almighty ordered him to fight the soldiers of desire. But sometimes, this (angelic) soldier becomes weak, and at other times strong, according to the support provided by Allah for His servant, the same as the light of guidance which is different among men.

Let's give that characteristic by which man is distinguished from animals as far as curbing and overpowering desires is concerned, the name of religious motive, and give the desires' demanding to be fulfilled the name of motive of inclination. There is then fighting and war between the motive of religion and the

motive of inclination. The (matter of victory and loss in the) war between them is determined by turns. The heart is the place where the battle between them occurs. The religious motive gets its supplies from the angels who support the party of Allah Almighty; and the motive of inclination gets its supplies from Satans who support the enemies of Allah Almighty.

Patience is the constancy of the religious motive vis-à-vis the motive of inclination. If the religious motive stands steadfast until it overpowers the motive of inclination, the party of Allah then will have achieved victory, and man will have joined the patient; and if it weakens and is overpowered by desire, and has no power to keep patient until he averts it, he will have joined the followers of devils. Leaving the desired things is caused by an act resulting from a state called patience. It is the constancy of the religious motive vis-à-vis the motive of desire. The constancy of the religious motive is a state resulting from the knowledge of the enmity of desire, and its opposition to the causes of happiness in the world and hereafter.

The more one's certainty of faith is strengthened, i.e. the certainty that the desire is to cut off on him the way to Allah Almighty, the more the religious motive becomes constant; and once it becomes more constant, the acts will be done in opposition to the requirements of desires.

The desire then could be left only by the power of the religious motive which opposes the motive of desire. To be sure, the power of knowledge and faith uncovers the harm and evil consequences of desire, those two angels are in charge of those powers, by permission of Allah Almighty. They are subjugated by Him. They are among the generous scribes. They are entrusted to be in charge of all human beings.

If you know that the class of the guiding angel is higher than that of the strengthening angel, it then will not be hidden from you that the right side is nobler than the other. This angel is the companion of the right side, and the other the companion of the left side. A servant has two states of heedlessness and thinking on the one hand, and unrestraint and mortification on the other hand. By heedlessness, he turns away from and does evil to the companion of the right side, who, in turn, writes his conduct as an evil deed against him. But by thinking, he turns towards him to get benefit from his guidance, thus doing good to him, and he, in turn, writes his devotion to him as a good deed. Likewise, by unrestraint, he turns away from the companion of the left side, and does not take heed to get supplies from him, thus doing evil to him, with the result that he writes his conduct as an evil deed against him. But by mortification, he gets supplies from him, and he, in turn, writes this as a good deed for him.

For their writing good and evil deeds, these angels are called generous scribes. They are generous for the servant gets benefit from their generosity, and all angels are righteous generous. They are scribes for they record good and evil deeds. They record them in scrolls folded within the heart, in order not to be uncovered in this world. Those scrolls, their scribes, handwriting, description and all things related to them belong to the dominion of invisibles. Everything

belonging to the dominion of invisibles is beyond the reach of sights. Those folded scrolls are to be spread out twice: the first on the minor resurrection, and the other on the major resurrection. By minor resurrection, I mean the state of death, in compliance with the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Whoever dies, his judgement has been established." (Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Anas).In this minor resurrection, the servant is alone, and at that point, it is said: "And behold! you come to Us bare and alone as We created you for the first time: you have left behind you all (the favours) which We bestowed on you." (Al-An'am 94)

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ﴿٩٤﴾ ﴾

And: "Read your (own) record; sufficient is your soul this day to make out an account against you." (Al-Isra' 14)

﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾

But on the major resurrection which gathers all creatures, he will not be alone: on the contrary, perhaps he will be reckoned in front of the assembly of people, where the pious will be driven to the Garden, and the disbelievers and criminals to the fire (of Hell) in crowds.

The first terror comes from the minor resurrection. All terrors of the major resurrection have matches in the minor resurrection, like the earthquake. At the time of your death, the earth that belongs to you quakes. It is known that the earthquake might befall any part of the land without the surrounding parts. What affects man by the earthquake is the tremble of his own residence and not that of others. You should know that you are created from dust, and your portion from the dust is only your own body and not the bodies of others. The piece of land on which you sit is but an envelop, and you feel afraid of its quake lest your own body would quake consequently, otherwise, the air is always in quake, and you fear it not, for it does not lead to the quake of your own body. Your portion from the whole earthquake is the quake of your own body only.

That is because it is your own earth and dust, your bones the mountains of your earth, your head the sky of your earth, your heart the sun of your earth, your hearing, seeing, and all the other senses the stars of your sky, the blood that runs in your veins the ocean of your earth, your hair the plants of your earth, your limbs the trees of your earth, and so forth to all parts of your body. If the pillars of your body collapse by death, your earth will have then quaked with great quake; and if the bones separate from the flesh, both earth and mountains will have been carried and pounded to powder; and if the bones are thrown, the mountains will have vanished; and if your heart darkens at death, the sun (with its spacious light) will have then been folded up; and if your hearing, seeing, and all your senses become idle, then the stars will have fallen, losing their luster; and if your head split open, the sky will have been cleft asunder; and if your forehead sweat out of the severe terror of death, the oceans of your body will have boiled over with a swell; and if one of your legs is turned on the other, and both are your riding mount, then, the ten-month pregnant she-camels will have been left

untended; and if the soul departs from the body, the earth then will have been flattened out, And cast forth what is within it and become (clean) empty, and so forth.

The point is not to make comparison of all states, but it is to say that by death, the terrors of this minor resurrection will be established on you, without losing anything from the major resurrection. Which benefit do you get from the survival of the stars as regards others so long as your own senses have become idle by death? To be sure, it is the same to the blind both day and night, the eclipse and brightness of the sun, etc, for it eclipses only in regard with him, and not in regard with others; and this is his own portion from it, and the brightness afterwards is the portion of the others. Similarly, when one's head is split open, his sky will have been cleft asunder, for the sky is what is above the head, and whoever has no head, no sky will be good for him: which benefit does he have from the survival of the sky for the others? This is the minor resurrection with its terrors and fears. But there are more severe terrors and deferred fears to come with the major resurrection.

It should be known to you that however long we are in describing this minor resurrection, we would not encompass more than one-tenth its reality; and this minor resurrection is but like the minor birth in comparison with the major birth. Man has two births: the first is to come out from loins to the womb, where he resides in a well-firm place to a specific period of time. In order to reach perfection of creation, he should come upon various stages beginning from being a sperm-drop, then a leech-like clot (of blood), then a piece of flesh like a morsel, etc until he gets out of the narrowness of the womb to the spaciousness of the world. The particularity of the minor resurrection compared to the generality of the major resurrection is like the narrowness of the womb in comparison with the spaciousness of the world. The spaciousness of this world compared to the spaciousness of the world to which one goes by death is like the measure of the womb in comparison with the spaciousness of this world. It is on this measure that you should compare the hereafter with the world. You were not created, nor would you be resurrected but like a single soul. The second creation would be only on the measure of the first creation. We could say that the number of creations is not limited only to two, as referred to by the statement of Allah Almighty: " From changing your Forms and creating you (again) in (Forms) that you know not." (Al-Waqi'ah 61)

﴿ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

Whoever indeed believes in both resurrections is certain of the world of visibles and the dominion of invisibles; and whoever believes only in the minor resurrection and not in the major one sees only with one eye one of both worlds. This is the evident ignorance and error in which one imitates the one-eyed Dajjal. How heedless you are O poor man, given that in front of you are all of those terrors! Indeed, we all are poor. If you do not believe in the major resurrection out of ignorance and error, is it not sufficient for indication to it the minor resurrection? Have you not heard the statement of the master of Prophets "peace

be upon him": "It suffices death to be a preacher"? (Al-Baihaqi on the authority of A'ishah). have you not heard about his distress at death to the extent that he "peace be upon him" said: "O Allah! Make easy the agonies of death upon Muhammad"? (At-Tirmidhi, An-Nasa'i and Ibn Majah on the authority of A'ishah). Do you not feel shy of regarding death too slow to attack you, in imitation of the heedless lowly who " will not (have to) wait for aught but a single Blast: it will seize them while they are yet disputing among themselves! No (chance) will they then have, by will, to dispose (of their affairs), nor to return to their own people!" (Ya Sin 49-50)

﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

If ailment attacks them as a warner of death, they would receive no admonition; and when hoariness befalls them as a messenger from death, they would take no consideration. " Ah! alas for (My) servants! there comes not a Messenger to them but they mock him! See they not how many generations before them We destroyed? Not to them will they return: But each one of them all, will be brought before Us (for judgment)." (Ya Sin 30-32)

﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

"Not a Sign come to them from among the Signs of their Lord, but they turn away therefrom." (Ya Sin 46)

﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

That is because " We have put a bar in front of them and a bar behind them, and further, We have covered them up; so that they cannot see. The same is it to them whether you admonish them or you do not admonish them: they will not believe." (Ya Sin 9-10)

﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

Let's now return to our main purpose: it is clear then that patience is the constancy of the religious motive in resisting the motive of inclination. That resistance is characteristic of mankind, due to the generous scribes entrusted to him. They record nothing from the children under age, or from the mad. We have already mentioned that the good deed lies in turning to get benefit from them, and the evil deed lies in turning away from them, and since there is no way for the child or mad to get benefit, then, no devotion nor turning away is imagined from him. They record the devotion and abstention only from him who has the capability of devotion and abstention. By my life, the commencements of the light of guidance might rise at the age of discernment and grow gradually until the age of puberty, just in the same way as the light of dawn starts to rise and grow gradually until the emergence of sun disk.

But it is still an imperfect guidance that does not guide to the consequences

that result from the evil in the hereafter, if not to the consequences that result from the evil in this world. For this reason, a child is beaten for his leaving prayer in this world, although he will not be punished for that in the hereafter. Furthermore, no scrolls are written down against him to be spread out. It is the duty of the righteous dutiful pious guardians and trustees who imitate the righteous generous scribes from the angels to record both good and evil deeds of the child on the page of his heart, spread that out to him to let him know (the difference between good and evil), and then chastise him for it by beating. Every guardian as such has indeed inherited the good manners of the generous scribes of angels, and used that in favor of the child (under his guardianship), would attain thereby the degree of closeness to the Lord of worlds, just as it is attained by the angels. In this way, he would be in the company of the Prophets, sincere affirmers and lovers of truth, and those brought near to Allah. To this fact the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" referred in his statement: "I and he who takes care of the orphan will be (as close to each other) as those (fingers) in the Garden." He "peace be upon him" pointed out his index and middle fingers. (Al-Bukhari on the authority of Sahl Ibn Sa'd).

CHAPTER THREE

EXPLICATION OF THE FACT THAT PATIENCE CONSTITUTES HALF THE FAITH

It should be known to you that faith might sometimes be meant to refer to giving trust to the foundations of religion, and sometimes refer to the works that result from the former, and at other times refer to both. Knowledge and works likewise are of different categories. As faith includes all of them all, it consists of over seventy-two branches. We have already referred to the different concepts of faith as such in the book of the Rules of the Creed.

But here, we can say that patience constitutes half the faith on the basis of two considerations, and in accordance with two concepts given to faith:

The first consideration is that faith is meant to refer to giving trust to foundations of religion as well as to works that result from it, and in this way, faith has two fundaments: certainty and patience. Certainty is meant to refer to the incisive knowledge learnt by the guidance therewith Allah guides His servant to the foundations of religion. Patience is meant to refer to work in accordance with this certainty. Certainty lets man know that disobedience is harmful and obedience is beneficial; and it is impossible to leave disobedience totally and persist in obedience totally except by patience, which is to use the religious motive to overpower the motive of inclination. By that consideration, patience constitutes half the faith. For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" combined them in his statement: "You have been given the least portion of certainty (of faith) and determination of patience."

The second consideration is that faith is meant to refer to the states that produce works, and not to the knowledge itself. In this way, all what man encounters is divided into what benefits him and what harms him in this world and the hereafter. In relation to what harms him, he has the state of patience; and

in relation to what benefits him, the state of thankfulness. By that consideration, thankfulness constitutes half the faith, just as certainty half the faith by the former consideration. From this viewpoint, Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" said, and it might be raised up to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Faith is of two halves: one half is patience, and the other half is thankfulness."

Since patience is to abstain from the motive of inclination by virtue of the constancy of the religious motive, and that the motive of inclination is of two divisions: a motive of appetite and a motive of anger, i.e. the appetite in pursuit of the pleasure, and the anger in flight from the harm, and that fasting is to keep patient on the requirement of appetite only, i.e. the appetite of stomach and sex, and not on anger, it is said, by that consideration, that fasting constitutes half the patience. That is because the perfect patience is to abstain from the requirements of both appetite and anger altogether. By that consideration also, fasting constitutes the quarter of faith. It is on that measure that you should understand how the limits of works and states are determined by religious law, and compared to faith. The basic rule therein is to know the different categories which faith includes.

CHAPTER FOUR

EXPLICATION OF THE FACT THAT ITS NAMES DIFFER BY THE DIFFERENCE OF ITS APPURTENANCES

It should be known to you that patience is of two kinds: physical, i.e. to constantly endure the corporal difficulties. This might be either by act, through doing the difficult works, in regard with worship or anything else, or by tolerance, like patience on the severe beating, painful injuries and ailments, etc. This is praiseworthy once it agrees with the religious law. But the other kind is perfectly praiseworthy, i.e. the psychological patience on deprivation of the natural desires and inclinational requirements. If this is to be patience on the desire of the stomach and sex, it is called chastity; and if it is to endure a particular harm, then, its names change by the change of the harm endured.

If it is to endure a calamity, it is called patience, in opposition to a state called fear and scare, which is to let the motive of inclination go on raising voice, slapping cheeks, tearing clothes, etc. If it is to endure the loss of richness, it is called self-control, in opposition to a state called rejection (of reality). If it is to endure fighting and war, it is called courage, in opposition to cowardice. If it is to control one's anger, it is called forbearance, in opposition to exasperation. If it is to endure one of time's harmful disasters, it is called chest expansion, in opposition to disturbance, disgust and breast constriction. If it is to conceal a secret of another, it is called concealment of secret, and its perpetrator a Concealer. If it is to endure the loss of surplus living, it is called abstinence, in opposition to greed. If it is to endure a little fortune of living, it is called contentment, in opposition to greed.

Most works of faith then are included in patience. For this reason, when the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was once asked about faith, he said: "It is patience." That is because it is the most important deed

which includes the greatest portion of works of faith. Allah Almighty combined all of those elements in His statement: " and to be firm and patient, in pain (or suffering) and adversity, and throughout all periods of panic. Such are the people of truth, the God-fearing." (Al-Baqarah 177)

﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾

Those are the different categories of patience according to its different appurtenances. Whoever takes the meanings only from names thinks that those states are different in their reality and nature, just depending on their different names. But he who follows the straight path and looks with the light of Allah Almighty, sees the meanings first and gets acquainted with their realities and then takes heed of the names which are put only to designate them. The meanings are the origins and the names are but subsequents. Whoever seeks for the origins through their subsequents should inevitably slip. To both parties, Allah Almighty refers in His statement: " Is then one who walks headlong, with his face grovelling, better guided, or one who walks evenly on a Straight Way?" (Al-Mulk 22)

﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

The disbelievers did not fall into mistake but for their reversal movement: We ask Allah for good success, with His mercy and generosity.

CHAPTER FIVE

EXPLICATION OF CATEGORIES OF PATIENCE IN RELATION TO STRENGTH AND WEAKNESS

It should be known to you that the religious motive, in relation to the motive of inclination, has three states:

The first is to overcome it at all, with the result that it will have no power to dispute with it. This is accomplished by constant patience. At that point, it is said: "Whoever keeps patient has indeed achieved success." But unfortunately, it is only a very few who could attain that level. Undoubtedly, they are the truthful who will be brought near (to Allah Almighty), who said: "Our Lord is Allah" and then they became upright. Those have stuck to the straight way, walked on the even path, and felt assured on the religious motive. It is those who would be called by the caller (on the Day of Judgement): "O (you) soul, in (complete) rest and satisfaction! Come back you to your Lord, well pleased (yourself), and well-pleasing unto Him! Enter you, then, among My Devotees! Yea, enter you My Heaven!" (Al-Fajr 27-30)

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾

The second state is that the motive of inclination overpowers the religious motive completely, with the result that one surrenders to the soldiers of devils, and mortifies himself not because of losing all hope of the effect of mortification. Those are the heedless. They represent the majority of people. It is those who have become slaves of their desires and lusts, and their

wretchedness has seized them. They then put their hearts, which are one of the mysteries of Allah Almighty, under the control of the enemies of Allah Almighty. To them Allah Almighty refers in His statement: " If We had so willed, We could certainly have brought every soul its true guidance: but the Word from Me will come true, "I will fill Hell with Jinns and men all together."" (As-Sajdah 13)

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

It is those who have sold the hereafter for this world, thereupon the loss was their portion. To him who wanted to guide them, it was said: " Therefore shun those who turn away from Our Message and desire nothing but the life of this world. That is as far as knowledge will reach them. Verily your Lord knows best those who stray from His Path, and He knows best those who receive guidance." (An-Najm 29-30)

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ ﴾

This state is characterized by despair, loss of hope, and deception by desires and wishes. This is, to be sure, the utmost degree of foolishness. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The intelligent is he who mortifies himself and works for the life to come after death; and the foolish is he who follows his own desires, and hopes from Allah (to reward him)." The one in such a state, being admonished, says: "I have longing for repentance, but, at the same time, I have no covet of it, for it has become difficult on me." He indeed has no longing for repentance. But he said: "Verily, Allah is Oft Forgiving, Most Merciful, Most Generous, and He is not in need of my repentance." This poor has subjugated his mind to be in service of his desire. He uses it only to deduce the subtleties and tricks thereby to fulfill his desires. His mind has become in service of his desires like a Muslim in the hands of disbelievers, who use him only to look after pigs, keep and carry wine, and so on. His place in the Sight of Allah is the same place of him who subjugates a Muslim and hands him over to the disbelievers, and makes him a captive in their hands. That is because, with his odious crime, he has subjugated that which should not be subjugated, and gave power to such as has no right to take power.

The Muslim has the right to take power due to his knowledge about Allah Almighty and the religious motive he has; whereas the disbeliever should be subjugated due to his ignorance of Allah Almighty, and lack of the religious motive in return for the devilish motive. The Muslim's right on himself is more binding than the right of anyone on him. So, when he subjugates the noble faculty that belongs to the party of Allah Almighty and the soldiers of angels to be under the control of the despicable soldiers that belong to the party of Satan, he seems as if he has enslaved a Muslim to a disbeliever. Nay! He seems as if he aimed at a benefactor king and took his dearest child and

handed him over to his most hateful enemy. Consider then how ungrateful he is to the favors of Allah Almighty, and how responsive he is to His wrath. Indeed, the inclination is the most hateful object of worship on earth in the Sight of Allah Almighty, whereas the mind is the dearest being to be created on the surface of the earth.

The third case is that (the matter of victory and loss in) war between both parties is by turns. This one is among the diligent and not among the successful. The people in this case are those who mixed a good deed with an evil deed, and perchance Allah Almighty would turn to them in repentance.

Those are the states of patience regarding strength and weakness. But further three states spring from the number of the things on which one might keep patient:

One might overpower all desires and lusts, is overpowered by all desires and lusts, or overpower some and is overpowered by some. To the third class the following statement of Allah Almighty refers: "Others (there are who) have acknowledged their wrong doings: they have mixed an act that was good with another that was evil. Perhaps Allah will turn unto them (in mercy): for Allah is Oft-Forgiving, Most Merciful." (At-Tawbah 102)

﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾

As for those who abandon mortification and rather surrender to their desires and lusts, they are like beasts, nay more straying in way. That is because the beast is not given the knowledge and faculty with which it could resist desires and lusts, unlike such a man who is given the knowledge and faculty with which he could resist desires and lusts, but those are idle in him. This is why he is defective. That is the significance of the poetic verse: "I have never seen a defect in the people like the lack of the capable in perfection."

By the consideration of difficulty and ease, patience also is divided into that which man could hardly persist in it without great effort and suffering, and this is called ostentatious perseverance; and that which is done with ease and the least amount of effort, and it is called patience. If one persists in piety and gives trust in the good end he will receive, the patience becomes very easy on him. That is the significance of the statement of Allah Almighty: " So he who gives (in charity) and fears (Allah), And (in all sincerity) testifies to the Best, We will indeed make smooth for him the path to Bliss." (Al-Lail 5-7)

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ ﴾

The example of such is like a fighter: to be sure, the strong man is able to overpower the weak with much ease, the least measure of effort, and from the first attack, receiving no suffering nor fatigue. But he could not overpower the strong like him without much effort and great suffering. Such is fighting between the motive of religion and the motive of inclination. It is, indeed, fighting between the soldiers of angels and the soldiers of devils. When the desires and lusts submit and are curbed, the motive of religion takes power, and patience

becomes easy on man by virtue of long persistence, he will be raised up to the station of good pleasure, as will be explained later. To be sure, the good pleasure is higher in station than patience. This is why the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Worship Allah with good pleasure; and if you could not, then, much good lies in keeping patience on what you dislike."

One of the Gnostics said: "Patience has three stations: the first is to abandon appetite, and this is the degree of repentants. The second is to be well-pleased with what is decreed, and this is the degree of the abstinent ascetics. The third is to love what one's master does with him, and this is the degree of the sincere affirmers of faith." Allah willing, we shall show in the Book of Loving that loving is higher in station than the good pleasure, just as the good pleasure is higher in station than patience. That division applies to a particular kind of patience, i.e. the patience on calamities and disasters.

On the other hand, it should be known to you that patience, by consideration of its ruling, is divided into obligatory, supererogatory, undesirable and unlawful. To keep patient on what is forbidden is obligatory. To keep patient on what is undesirable is supererogatory. To keep patient on the forbidden harm you receive is forbidden. Its example is like him whose hand or the hand of whose son is cut off and he keeps patient and remains silent on it; or like him who shows a sexual desire for an unlawful woman, which arouses one's jealousy, but he keeps patient and remains silent. Indeed, this patience is unlawful particularly if such a woman belongs to his family. The undesirable patience is to keep patient on harm one receives from an undesirable source under Sharia.

Sharia then should be made the touchstone of patience. That patience constitutes half the faith should not give you the false impression that all kinds of patience are praiseworthy under Sharia. What is intended is to keep patient on certain and not all things.

CHAPTER SIX

EXPLICATION OF THE DIRE NEED FOR PATIENCE; AND THAT ONE COULD NOT DISPENSE WITH IT

It should be known that all a servant encounters in this world are included under two main categories: what agrees with his disposition, and what disagrees with his inclination and he dislikes. In each, he is in need of patience. Since there is no way but to encounter either both altogether, or at least one of them, he could hardly dispense with patience.

The first category, i.e. what agrees with his nature, like health, safety, wealth, majesty, big clan, large means of living, great number of adherents and followers, and in general, all pleasures of this world. Indeed, man is in dire need of patience on those things. That is because unless he restrains himself from uncontrollable reliance on and involvement and engagement in what is permissible of them, this might lead him to rejection (of reality) and transgression, as confirmed by the statement of Allah Almighty: " Nay, but man does transgress all bounds, In that he looks upon himself as self-sufficient." (Al-'Alaq 6-7)

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝ ﴾

This led one of the Gnostics to say: "The believer could keep patient on the disaster, but none other than a sincere affirmer of faith could keep patient on wellbeing." According to Sahl: "To keep patient on wellbeing is more severe than to keep patient on disaster." When the gates of this world with its pleasures and delights were opened to the companions "Allah be pleased with them" they said: "We were afflicted with the temptation of adversity and we kept patient; and when we were afflicted with the temptation of prosperity, we were unable to keep patient."

That is why Allah Almighty warned His servants of the temptation of wealth, wives and children when He said: " O you who believe! Let not your riches or your children divert you from the remembrance of Allah. If any act thus, the loss is their own." (Al-Munafiqun 9)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝ ﴾

And: "O you who believe! Truly, among your wives and your children are (some that are) enemies to yourselves: so beware of them!" (At-Taghabun 14)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No doubt, the children are to develop in one miserliness, cowardice and grief." (Abu Ya'li Al-Mawsili on the authority of Abu Sa'id). When the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saw his grand son Al-Hassan "Allah be pleased with him" stumbling in his shirt, he dismounted from the pulpit and embraced him and said: "Allah has told the truth when He said: " And know you that your possessions and your progeny are but a trial; and that it is Allah with whom lies your highest reward." (Al-Anfal 28)

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ ﴾

Indeed, when I saw my grandson stumbling, I could not help carrying him." (the composers of Sunan on the authority of Buraidah).

In that is a lesson to be learnt by such as has insight. So, the perfect patience is to persevere wellbeing. To keep patient on wellbeing is not to rely on it but rather to know that it is but a deposit with one, and it might likely be restored at any time. This means that he should not rely on it, nor let himself freely enjoy of it, nor engage or involve himself in it. He should observe the rights of Allah due on his property, by spending, on his body by aiding others, on his tongue by telling the truth; and the same is true of all favors bestowed by Allah on him. This kind of patience is connected with gratitude in the sense that it could not be accomplished without thankfulness, as will be shown later.

Furthermore, to keep patient on prosperity is more severe for it is connected

with the capability, and it is out of protection to have no power (to be an argument against you). To keep patient on your getting cupped by another is easier than to keep patient on cupping or bloodletting yourself. The hungry, in absence of food, is more capable of patience than he is in the presence of pleasant and delicious kinds of food. This is why the temptation caused by prosperity is more severe.

The second category, i.e. what disagrees with one's inclinations and nature. It might be optional, like the acts of obedience and disobedience; or compulsory like calamities and adversities; or not optional, but one has the choice to remove, like taking revenge on him who does harm to him. The total is three divisions.

The first division is that which is optional, i.e. all of his acts of obedience and disobedience. They are divided into two:

First: the acts of obedience, and a servant is in need of keeping patient on obedience. Indeed, to keep patient on it is very difficult. That is because one, by nature, refrains from slavery and rather desires for supremacy. For this reason, one of the Gnostics said: "There is no soul but that it conceals what Pharaoh disclosed when he said: 'I am your supreme Lord.'" But Pharaoh found the opportunity to disclose his supremacy for he ridiculed his people and they obeyed him in his claim. However, there is none but that he has the same claim with his servant, followers, and all who are under his guardianship, even though he does not disclose it. He is not infuriated when they fall short of serving him but because of such a feeling of arrogance and enslavement, in which he shares the Lord the garment of supremacy. In other words, slavery in itself is difficult on the soul at all. Some acts of worship are disliked because of laziness like prayer, others because of miserliness like giving in charity, and others because of both like Hajj and Jihad. Patience on the acts of obedience then is to persevere difficult things. One needs to be patient in three states:

The first is before the act of obedience, in order to make sincere and true his intention, refrain from the stains of showing off and causes of evils, and be resolute on sincerity and loyalty. This is difficult patience particularly in the sight of him who knows well the real nature of intention and sincerity, the evils of showing off and self-plots. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" drew the attention to that when he said: "The (rewards of) deeds depend on intentions, and everyone shall have (the reward) according to his intention." (both sheikhs on the authority of Umar). In confirmation of that, Allah Almighty said: " And they have been commanded no more than this: to worship Allah, offering Him sincere devotion, being True (in faith)." (Al-Bayyinah 5)

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ۝ ﴾

That is why Allah Almighty gave precedence to patience over work as shown from His statement: "Not so do those who show patience and constancy, and work righteousness; for them is forgiveness (of sins) and a great reward." (Hud 11)

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ۝ ﴾

The second is during the work itself. One should not become heedless of Allah during the work, nor weary to achieve its etiquettes and manners. It should rather persist in its requisite manners to the end of work. This requires him to keep patient on the causes of weakness until he finishes from the work; and this is also very difficult. To it Allah Almighty refers in His statement: " an excellent reward for those who do (good)! Those who persevere in patience, and put their trust in their Lord and Cherisher." (Al-Ankabut 58-59)

﴿ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ۝ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ﴾

He means those who kept patient until they finished from the work.

The third state is after finishing from the work. In this state, one needs to keep patient on disclosing it and showing it to others in avoidance of being heard and seen of men. He also should keep patient on regarding it with the eye of conceit or pride lest it would become invalid and fruitless, as shown in the statement of Allah Almighty: "O you who believe! obey Allah, and obey the Messenger, and make not vain your deeds!" (Muhammad 33)

﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ ۝ ﴾

Allah Almighty also said: " O you who believe! Cancel not your charity by reminders of your generosity or by injury, like those who spend their substance to be seen of men, but believe neither in Allah nor in the Last Day." (Al-Baqarah 264)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۝ ﴾

Whoever does not keep patient on making reminder of his generosity after giving his charity out has indeed invalidated it.

The acts of obedience are divided into obligatory and supererogatory, and man needs to keep patient on them all. Allah Almighty combined them all in His statement: " Allah commands justice, the doing of good, and liberality to kith and kin." (An-Nahl 90)

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ۝ ﴾

Justice is obligatory, doing good supererogatory, and liberality to kith and kin is to keep good relations with them. All of this needs patience.

Second: the acts of disobedience. A servant is in dire need of keeping patient on all kinds of sins and acts of disobedience, which Allah Almighty combined in His statement: " and He forbids all shameful deeds, and injustice and rebellion." (An-Nahl 90)

﴿ ۞ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۝ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The Muhajir is he who absconds evil; and the Mujahid is he who resists his inclination." (Ibn Majah and An-Nasa'i on the authority of Fadalah Ibn Ubaid). Sins are required by inclination, and the most severe perseverance is to keep patient on sins to which one has got accustomed by practice. To be sure,

habituation is regarded a fifth nature; and if it is joined to desire, then, two soldiers of Satan would back each other against the soldier of Allah Almighty, with the result that the religious motive would have no power to suppress them.

If this act (of disobedience) is made easy to man to do, patience on it becomes heavier, like, for instance, the patience on the sins of tongue of backbiting, talebearing, wrangling, self-praising directly or indirectly, the harmful jokes, words of scorn and contempt, dispraising and slandering the dead, etc. all of this is outwardly backbiting and inwardly praising oneself. That is because the soul has two desires in that: the first is to deny the other, and the second is to affirm oneself. By both desires, one's supremacy is achieved, in opposition to slavery (to Allah) which he is commanded to observe. If both desires are combined together and become easy on the tongue to practice, patience on them becomes more difficult.

Although they are the greatest destructives, there has been despair of disapproving them in the heart, because of people's familiarity and intimacy with them. One might put on silk and his conduct be disapproved severely, although if he lets loose his tongue to talk with evil and immorality about people during day and night, his conduct would not be disapproved, given that the Prophet "peace be upon him" affirmed that backbiting is more severe (in effect) than fornication. Whoever does not have the power to control his tongue during conversation, let him resort to seclusion, for nothing other than seclusion would save him. Indeed, to keep patient on seclusion is easier than to keep patient on silence with socialization.

On the other hand, patience on a particular sin differs in accordance with the strength or weakness of its cause. Easier than the movement of tongue is the movement of the passing thoughts with doubts. The thought remains lurking within the mind and one could hardly keep patient on it unless the mind is occupied by another religious concern, which is apt to remove it. That case applies to the one whose interests are concentrated on one concern. Unless he uses his thought in any particular field, the doubts are unlikely to fade away.

The second division pertains to such of incidents as occur to him against his will, and it is within the power of his free choice to avert them. Its example is like him who is harmed by word or deed, or his property is usurped, etc. To keep patient on that sometimes might be obligatory, and sometimes supererogatory. One of the companions said: "We did not regard man having true faith until he kept patient on harm." In confirmation of that, Allah Almighty said: " We shall certainly bear with patience all the hurt you may cause us. For those who put their trust should put their trust on Allah." (Ibrahim 12)

﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" once distributed property among Muslims and one of the Bedouins said: "The Countenance of Allah has not been intended by that distribution." When the news of that reached the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be

upon him", the color of his cheeks turned red (out of anger) and he said: "Allah's mercy be upon my brother Moses. He received harm more than that, but he kept patient." (both sheikhs on the authority of Ibn Mas'ud).

Allah Almighty further said in this connection: " And obey not (the behests) of the Unbelievers and the Hypocrites, and heed not their annoyances, but put your trust in Allah. For enough is Allah as a Disposer of affairs." (Al-Ahzab 48)

﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾

And: "And have patience with what they say, and leave them with noble (dignity)." (Al-Muzzammil 10)

﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ ﴾

And: "We do indeed know how your heart is distressed at what they say. But celebrate the praises of your Lord, and be of those who prostrate themselves in adoration." (Al-Hijr 97-98)

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾

And: "You shall certainly be tried and tested in your possessions and in your personal selves; and you shall certainly hear much that will grieve you, from those who received the Book before you and from those who worship many gods. But if you persevere patiently, and guard against evil, then that will be a determining factor in all affairs." (Al Imran 186)

﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾

For this reason, Allah Almighty praises those who remit their rights of legal retribution saying: " And if you do catch them out, catch them out no worse than they catch you out: but if you show patience, that is indeed the best (course) for those who are patient." (An-Nahl 126)

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Keep good relation with him who even severs relation with you; give him who even withholds from you; and forgive him who even wrongs you." In the Gospel, Jesus, son of Mary "peace be upon him" said: "It has been said to you that the tooth for tooth, nose for nose, etc, and I say to you: do not avert evil with evil: nay! He, who slaps you on the right cheek, turn to him your left, and he who takes your upper garment, give him your lower garment, and he who subjugates you to walk with him for a mile, walk with him for two miles." All of this belongs to the command to keep patience on harm. To be sure, patience on harm is the highest level of patience, for it is a product of the co-operation between the religious motive, the motive of desire and the motive of anger.

The third division pertains to the incidents that occur against one's will and one has no power to avert, like calamities and disasters, caused, for instance, by

the death of the dear persons, the loss of property and wealth, the destruction of crops and fruits, the evaporation of health by ailment, blindness and impairment of the parts of body, etc. To be sure, to persevere such events is the highest station of patience. According to Ibn Abbas "Allah be pleased with them": "Patience in the Qur'an has three levels: patience on performing the obligatory deeds enjoined by Allah Almighty, and it has three hundred degrees; patience on what is forbidden by Allah Almighty, and it has six hundred degrees; and patience on the calamity just at the first stroke, and it has alone nine hundred degrees." This third level, although it belongs to the supererogatory deeds, is given superiority to the first two, although they belong to the obligatory deeds, for every believer has the power to keep patient on what is forbidden. But the patience on the disaster doomed to one by Allah Almighty could not be endured but by the Prophets, for it is the goods of the sincere affirmers of truth. That is why it is difficult on people. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to say (by way of supplication): "I ask You (O Allah) to provide me with certainty (of faith) thereby to make easy upon me the calamities of this world." (At-Tirmidhi, An-Nasa'i and Al-Hakim on the authority of Ibn Umar). This kind of patience is supported by the good certainty (of faith).

According to Abu Sulaiman: "By Allah, since we could hardly keep patient on what we like: how could we keep patient on what we dislike?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: Allah Almighty says: "If I decreed for anyone of My servants a calamity in his body, property or children, which he received with good patience, I would feel shy of him on the Day of Judgement to set up a balance or spread out a scroll for him (to be reckoned)." (Ibn Adi on the authority of Anas). He "peace be upon him" further said: "To wait the release with patience is an act of worship." (Al-Quda'i on the authority of Ibn Umar and Ibn Abbas). He "peace be upon him" said: "No believing servant is afflicted with a calamity and says just what Allah Almighty ordered him to say, i.e. 'We all to Allah, and to Him we shall return. O Allah! Give me reward for my (patience on my) calamity, and recompense me with something better than it', but that Allah Almighty does so to him." (Muslim on the authority of Umm Salamah).

It is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: Allah said to Gabriel: "O Gabriel! What is the reward of him who has been deprived of (the light of his) two eyes?" he said: "Glory be to You! We know not but what You have taught us." Allah Almighty said: "His reward is to abide forever in my Abode (Paradise), and look at My Countenance." (At-Tabarani; and Al-Bukhari with a slight variation of wording). He "peace be upon him" further said: Allah Almighty says: "If I afflict anyone of My servants and he receives that with patience, and does not complain Me to his visitors, I would give him flesh better than his, and blood better than his; and if I cause him to recover, he would recover without sins upon him; and if I cause him to die, I would take him unto My mercy." (Malik in his Muwatta' on the authority of Ata' Ibn Yasar from Abu Sa'id).

David "peace be upon him" said: "O Lord! What is the reward of the aggrieved who keeps patient on the affliction seeking Your good pleasure?" he said: "His reward is that I would dress him in the dress of faith, and never deprive him of it." Umar Ibn Abd-Al-Aziz said in one of his sermons: "Allah never gives a servant a favor and then deprives him of it in recompense for patience but that the recompense is better than what he deprives him of." Then, he recited the statement of Allah Almighty: "those who patiently persevere will truly receive a reward without measure!" (Az-Zumar 10)

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

Fudail was asked about patience and he said: "It is to be pleased with the fate of Allah Almighty." It was said: "How is that?" he said: "The contented never hopes anything above his station (of satisfaction)."

It was said that once Ash-Shibli was confined in a hospital and a group of people came to visit him and he asked them: "Who are you?" they said: "Your lovers who have come to visit you." He started to throw them with stones, and they ran away. On that he said: "Were you really my lovers, you would keep patience on my trial." It is reported that a Gnostic had a parchment in his pocket which he used to take out and look at every hour and it had the following statement: "Now await in patience the Command of your Lord: for verily you are in Our eyes." (At-Tur 48)

﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾

It was said that once the wife of Fath Al-Mawsili stumbled and the nail of her toe got broken. On that she laughed. It was said to her: "Do you not feel the pain?" she said: "Indeed, the pleasure of its reward has removed from my heart the bitterness of its pain."

David said to Solomon "peace be upon them": "The piety of a faithful believer is attested by three things: Good reliance (on Allah Almighty) in what he has not got, the good pleasure with what he has got, and the good patience on what he has missed." Our Prophet "peace be upon him" said: "It is out of veneration and right you should have to Allah Almighty not to complain of your pain, nor make a mention of your calamity." (Ibn Abu Ad-Dunya, but from one of the religious jurists and not from the Prophet himself). It is narrated from one of the righteous that he came out one day having a parcel in his sleeve and behold! He lost it and it seemed to have been taken from his sleeve. On that he said: "May Allah bless him in it for perhaps he might be in need of it more than me." It is further narrated on the authority of a righteous man that he said: I came upon Salim, the freed slave of Abu Hudhaifah "Allah be pleased with them" and he was at his last breaths among the killed. I asked him: "Do you like to get a sip of water?" he said: "Bring me closer to the enemies and make the water in the shield: indeed, I am fasting, and if I am to live until sunset, I may drink of it." That is the way the mystic travelers on the path to hereafter used to keep patient on the trial of Allah Almighty.

You may say: "How does one attain the degree of patience on calamities given that it is beyond his free choice for he is forced by necessity willingly or

unwillingly? If it is intended that he should have no aversion to the calamity itself, it is not up to him to do so." In reply to that, it should be known to you that one is far from the station of the patient by fright, tearing clothes, slapping cheeks, complaining so much, showing gloominess, and changing the habit of clothes, food, drink, and so on. All of those are under his choice, and he should avoid them, and rather be satisfied with the decree and fate of Allah Almighty. He should continue on his habits and entertain in himself the belief that what he has lost was but a deposit with him which was taken back by its real owner.

In this respect, it is narrated on the authority of Anas from Umm Sulaim "Allah be pleased with her" that she said: "My child died while Abu Talhah (her husband) was absent. I stood and covered him and placed him in one corner of the house. Then, Abu Talhah came back and I prepared his meal to break his fasting. He started to eat and asked about the child and I said: "Fine, praise be to Allah. Since he fell ill, he has never been still and quiet more than he is tonight." Then, I beautified myself to him more than I have ever done until he fulfilled his desire from me. Then, I said to him: "Do you not wonder at our neighbours?" he said: "What is the matter with them?" I said: "They were given something by way of borrowing and when it was demanded and taken back from them, they were scared." He said: "How bad are they!" I said: "Then, this is your son: he was a deposit from Allah Almighty, and now, Allah has taken him unto His Presence." He praised Allah and said: "We all belong to Allah and to Him we shall return." In the morning he went to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and related the story to him. On that he said: "O Allah! Bless them in (what they have done) in their last night." The narrator said: "Afterwards, I saw seven from among their children in the mosque, and all of them had kept the Qur'an by heart." (Abu Na'im and both sheikhs in their Sahihs on the authority of Anas). It is further narrated on the authority of Jabir "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I saw myself (in a dream) having entered the Garden and behold! I saw Ar-Rumaisa', the wife of Abu Talhah."

It is said that "The good patience is that with which the afflicted could hardly be recognized from anyone else." Neither the heartache nor the flowing of tears turn one from the station of the patient, since it is expected from almost all the attendants for death. Flowing of tears is an aspect of heartache for the loss of the dead, and it is a part of human nature. For this reason, when Ibrahim, the son of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" died, his eyes overflowed with tears. It was said to him: "Have you not forbidden us to do so?" he said: "That is out of mercy, and indeed, Allah Almighty bestows mercy upon the merciful among His slaves." This also does not turn one from the station of contentment. to be sure, he who gets himself cupped or phlebotomized does so with satisfaction, though because of which he feels pain, and his tears might flow if the pain is severe. This will be explained in more detail in the Book of Contentment, Allah willing.

Ibn Abu Najih wrote a message to condole one of the caliphs in which he

said: "the one who should observe the right of Allah Almighty upon him in what is taken from him is he, who regards with greatness the right of Allah Almighty in what remains for him. Moreover, it should be known to you that (the effect of) whoever passed before you remains with you, and whoever remains after you would be rewarded for you. It should be also known that the reward of the patient for what they are afflicted with is greater than the favor upon them concerning it." Thus, whoever drives away the aversion of the affliction by thinking about the reward he would receive for it, would inevitably attain the degree of the patient. It is true that the perfect patience requires one to conceal ailment, poverty and calamities. In this context, it is said that "One of the treasures of righteousness is to conceal ailment, calamities and charity."

This explains to you that patience is binding in general in all cases and under all circumstances. Whoever even abstains from all desires and appetites, and remains in seclusion, aloof from the people, is also in need of patience, without which he could hardly endure solitude outwardly, and the doubts and whispers aroused by Satan inwardly. To be sure, the movement of passing thoughts never ceases. Those thoughts always roam about what has been lost and could not be caught, or what would inevitably come to pass in the future; and in both cases, he spends time uselessly. The heart is the servant's instrument, and his lifetime his goods and commodities. If one's heart is heedless even as short as a breath of the celebration of Allah Almighty with which he attains the company of Allah, or of thought about Allah Almighty with which he becomes more acquainted with Allah, and more lovable to Him, he would be a loser.

This is in case his thoughts and doubts are oriented on what is permissible; and that occurs in rare cases. People, for the most part, think about the different tricks to enable them to fulfill their desires and appetites, each according to his prevailing one. Satan always disputes with him in every movement in opposition to his purpose and willpower. One might have the false impression that he disputes with him and disagrees with his command, or even that the most sincere of his lovers disagree with him, and disobey his orders, and then thinks of the way to scold them and oppress them and how they justify their disagreement with him. In this way, he is incessantly engaged. Indeed, Satan has two soldiers: the flying one and the walking one. The obsessive doubts are the result of the movement of his flying soldier, and the desire is the movement of his walking soldier.

Satan was created from fire, whereas man from sounding clay like pottery. Pottery is always made from clay burnt with fire. The clay is still by nature, and fire is in permanent movement. The flaming fire could not be imagined without movement. That cursed was obligated to become still (for a while) and fall in prostration to the human being which Allah Almighty created from clay, but he rejected with obstinacy and arrogance. He expressed his disobedience by saying: "I am better than he: You did create me from fire, and him from clay." (Al-A'raf 12)

﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾

Since that cursed did not fall in prostration to our father Adam "peace be

upon him" there should be no covet of his prostration to anyone of his offspring. Once he abstains from his whispers, hostilities and evils, he will have showed his compliance and submission, and his submission symbolizes his prostration. Indeed, submission is the essence of prostration, and placing the forehead on the ground only its physical aspect and sign.

So, let not the outward shell divert you from the pearl, the body divert you from the soul, and the husk divert you from the core, lest you would be of those detained by the world of visibles from the dominion of invisibles. You should be sure of the fact that Satan is one of those given respite (to destroy mankind), and by no means would he humble himself before you by abstention from whispers until the Day of Judgement, unless your concerns turn to be only one, and you occupy your heart only with Allah Almighty. Thus, he would find no way to prevail over you. Hence, you would become one of the selected servants of Allah, who are exempted from the authority of that cursed.

Furthermore, think not that any empty heart could be void of him for it is like the blood which runs and reaches everywhere in the body of mankind. It is like the air in the vessel. If you like to have the vessel void of air without replacing it with water or with anything else, you would covet of that which is impossible. On the contrary: air enters into it in proportion to the quantity of water that is taken out of it. Similarly, the one whose heart is engaged in religion could hardly be far from the movement of Satan. If he is heedless of Allah Almighty even as short as a while, he would have no companion at that very moment other than Satan. For this reason, Allah Almighty said: "If anyone withdraws himself from remembrance of (Allah) Most Gracious, We appoint for him an evil one, to be an intimate companion to him." (Az-Zukhruf 36)

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Indeed, Allah Almighty dislikes the youth whose (heart is) empty."

That is because if the youth does not have a deed to engage him with what is permissible to seek its aid to achieve the duties of his religion, his outward remains empty, but not his heart in which Satan nests, lays his eggs and pullulates, and the young ones, in turn, lay their eggs and pullulate and so forth. To be sure, the offspring of Satan proliferate faster than the offspring of all animals on earth, for his nature is from fire. That proliferation increases whenever he finds his helpful factors. The desire in the self of a youth in relation to Satan is like the dry factor in relation to fire. As well as the fire goes out once the fire wood is consumed, Satan also vanishes from the heart in the absence of desire. Thus, your desire is your most avowed enemy. When asked about Sufism during his crucifixion, Al-Hussain Ibn Mansur Al-Hallaj said: "It is yourself: if you do not engage it, it would inevitably engage you."

The real nature of perfect patience is to keep patient on every blameworthy movement. The movement of the inside is more fitting for one to keep patient on it. That is permanent patience which nothing interrupts but death. We ask

Allah Almighty to provide us with good success by His favor and generosity.

CHAPTER SEVEN

EXPLICATION OF MEDICINE OF PATIENCE; AND THAT WHOSE AID IS SOUGHT TO SUPPORT IT

It should be known that He Who has brought the ailment to existence has also brought its medicine and promised recovery. Patience, though being difficult or unlikely to be achieved, is possible by the mixture of knowledge and work. Both knowledge and work are the mixture from which the medicines of all the ailments are composed for the heart-diseased. But each ailment needs a particular kind of knowledge and work. As well as the patience is of different kinds, the causes that impede it are also of different kinds. As well as the causes are different, the kinds of medicine also should consequently be different. That is because the medicine is to counteract and curb the cause with its opposite. To explain all of that in detail is too lengthy. But at least, we know the way in many examples.

Let's say that if one lacks patience on the sexual desire, and is possessed by such desire in a way that he could not have control over his pudendum, or over his eye in case he has the power to control his pudendum, or over his heart and soul in case he has power to control both his pudendum and eye, and that his heart suggests to him the requirements of desire, and thus diverts him from the regular celebration of Allah, thought and righteous deeds, the solution is to say that the patience is the fighting between the religious motive and the motive of inclination. If we like that one of both fighters should win over the other, there is no way for us but to strengthen it, and weaken the other. In this case, we have to strengthen the religious motive, and weaken the motive of inclination. There are three things to use in order to weaken the motive of desire.

One of those is to consider the substance of power that strengthen the desire, like the good delicious and pleasant food that moves the desire by virtue of its kind and quantity, and belittle it by regular fasting, and limiting the meals of breaking fast to the little quantity of food whose effect is weak on sex. Meat, for instance, and all kinds of food that stimulate sexual desire should be avoided.

The second is to cut off its irritating causes at the moment. Indeed, the sexual desire is irritated by looking at the things that prompt it. Looking always moves the heart, and the heart stirs up the desire. This is achieved by keeping retired and avoiding places where one might look at the pictures that move sexual desire, from which one should flee away. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The gaze is one of the arrows of Iblis." It is an arrow shot by the cursed, and no shield could avert it but shutting the eyelids, or fleeing away from the range of its harm. He indeed shoots that arrow through the pictures that move desire, and once you turn away from them, his arrow would not affect you.

The third is to console the self with the permissible sex, i.e. through marriage. In all desires, there is among the permissible things what makes one dispense

with the impermissible. That is, to be sure, the most beneficial remedy for the majority of people. Indeed, to belittle the quantity of food, and limit its kinds might have a negative effect on the other works, although it might not curb the sexual desire of a great portion of men. For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I advise you to marry, and whoever could not (for lacking the wherewithal's), let him observe fasting, for indeed fasting is a protective shield for him."

Those are three means. The first remedy, i.e. to prevent food, resembles to prevent fodder from a recalcitrant beast or a voracious dog, in order that it would weaken and lose its power. The second resembles to keep a dog from flesh, or the animal from parley, in order not to move its appetite for seeing it. The third resembles to console it with something of what it likes, in order for it to reserve some power that enables it to endure discipline.

On the other hand, there are two ways to strengthen the religious motive:

The first is to engage himself in the many benefits and fruits of self-mortification in religion and world, by considering the narrations we have related about the excellence and good consequence of patience in the world and the hereafter. According to a tradition: "The reward of patience on a calamity is more than what one might have lost. That is why he is envied because of such a calamity (on which he keeps patient), for what he has lost is limited only to the duration of his lifetime, and what he has obtained (of reward by patience) would survive even after death; and whoever abandons a despicable for a valuable should not grieve for the loss of the despicable at present." That belongs to the category of knowledge which is a part of faith. It sometimes weakens and sometimes becomes strong. The more it becomes strong, the more it strengthens the religious motive, and the more it weakens, the more it weakens it. The strength of faith is referred to as certainty, which moves the determination of patience. But unfortunately, people rarely are given both the determination of patience and the certainty of faith altogether.

The other is to habituate that religious motive to gradually fight with the motive of inclination step by step until it tastes the pleasure of victory over it, with the result that it would have the courage to challenge it, and become stronger in fighting. To be sure, exercise and practice of difficult works always add more to the powers that produce those works. This is why the porters, farmers and fighters are stronger than the normal people. In general, these who practice difficult works are stronger than those who do normal jobs like tailors, religious jurists, makers and sellers of perfume, etc, whose power is not strengthened by practice.

The first resembles to induce the fighter with a present when he wins and promise him of many things of honour, in the same way as Pharaoh promised his magicians , when he tempted them to win over Moses "peace be upon him" saying as Allah Almighty tells about him: " you shall in that case be (raised to posts) nearest (to my person)." (Al-A'raf 114)

﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾

The second is to habituate the child who is expected to be a fighter, to

practice fighting from his early childhood, in order to obtain the required courage, and become stronger. That is because whoever abandons entirely the mortification for patience, the religious motive weakens in him, and fails to resist the motive of inclination; and whoever habituates himself to oppose his inclination, inevitably overpowers it however and whenever he likes.

That is the method of remedy applicable to all kinds of patience. All could not be included in discussion. The most difficult is to hold back the soul from self talk which is intensified particularly for him who has curbed the outward and external appetites, and devoted himself to seclusion, by living in solitude and spending the time in celebration, thoughtfulness and observation, in which case, the evil whispers attract him from all sides. There is no remedy for that state except to cut off all relations, outwardly and inwardly, by fleeing away from one's family, children, property, friends and companions, and resorting to a little corner, satisfying oneself with the least requirements of sustenance. But even, all of this would not be sufficient unless all concerns are reduced to one, i.e. to be concerned only with Allah Almighty.

If this even possesses the heart, it would not be sufficient, unless it has a place in thinking, and swimming inwardly in the dominion of the heaven and earth, and the wonders of the making of Allah Almighty, in addition to all categories of the knowledge of Allah Almighty, until when all of this prevails over his heart, it would have the power to avert the evil whispers of Satan. If he could not swim inwardly in the dominion of the heavens and earth, nothing would save him but the continuous devotional recitals or prayers and celebrations which he should persist in at every moment. Besides, he needs to entertain the presence of heart, for indeed, it is the inward thought which engages the heart other than the outward and external devotional recitals.

However, after all of that, he could not persist in this but for some and not all the time, for he could not be free, at many times, from incidents to occupy him from devotional recitals and celebration, like ailment, fear, harm or transgression he might receive from those with whom he mixes, for he could hardly dispense with such as with whom he mixes to aid him in the means of living. That is one of the things that might occupy him.

Another is necessary, if not more necessary than the previous, i.e. his engagement in getting his food, drink, clothes, residence, or in general, the means of sustenance and living. If he undertakes that by himself, he would engage in it; and if it is undertaken by another one else, he could hardly be free from having his heart engaged by the one who undertakes it.

But after cutting off all relations with the world, a greater portion of time would be available to him, provided that no calamity nor affliction would befall him. During those times, the heart becomes pure, thinking and contemplation available, and it is revealed to him of the mysteries and wonders of Allah Almighty in the dominion of the heavens and earth hundreds of times what might be revealed to him during a very long time in which his heart is engaged by the connections with this world. That is the highest station to be attained by acquisition and effort. As to how much what

is revealed of the mysteries of Allah Almighty as regards states and deeds, it is like fortune to be doomed to each one. In many cases, effort might be much, and the outcome little, and vice versa.

One should rely in his effort on the attraction of (Allah) Most Gracious, which are equal to the deed of all men and jinn. This is beyond the free choice of the servant. One has the choice to expose himself to that attraction as long as he cuts off his heart all attractions of this world, for indeed, whoever is attracted to the low could by no means be attracted to the high. Everyone who is concerned with the world is, to be sure, attracted to it. To cut off all attracting relations is intended by the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Your Lord gives gifts, in some of your days. Behold! Expose yourselves to those gifts." Those gifts and attractions are due to heavenly causes as shown by Allah in His statement: "And in heaven is your Sustenance, as (also) that which you are promised." (Adh-Dhariyat 22)

﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

That is the highest kind of sustenance. The heavenly lights are veiled from us, so we do not know when Allah makes available to us the means of sustenance. All we have to do is to disengage the place and await the mercy of Allah Almighty to descend. The example is like him who reclaims the land, cleans it off grass, sows the seeds along its different parts, and do all possible means fitting for cultivation: all of this is of no avail to him unless it rains and he does not know when Allah Almighty will doom it to rain. But at the same time, he is confident of the mercy and bounty of Allah Almighty, and that He never passes a year without rain. Similarly, no year, month, or day is void of a gift or attraction from the gifts and attractions of Allah Almighty. So, the servant should have purified the heart from the grass of desires and appetites, sowed in it the seeds of willpower and sincerity, and exposed it to the wind of mercy and bounty.

As well as the chance for rain to fall is more likely in spring and when clouds emerge, the chance for those gifts and attractions is more likely during the noble times, and at the congregation of people and hearts like the case on the day of Arafah, on Friday, and on the days of Ramadan. Such congregations are means to call for the mercy of Allah Almighty, to the extent that rain is called for by them at the time of invoking for water. But to call for the drops of the revelations of Allah Almighty from the treasures of the dominion is more likely than to call for the drops of rainfall and clouds from over mountains and the depths of oceans. To be sure, revelations are present with you in your heart, and as you are occupied from them by your worldly relations and desires, they are veiled from you. All you need is to break and curb desires in order for the veil to be lifted and removed, so that the lights of gnosis would rise from the depths of the heart. To dig channels in the ground to get the water therefrom is easier than to go to a far and low place to have it.

For it is always present in the heart, though forgotten by occupation from it, Allah Almighty calls the gnosis of faith remembrance as He states: " We have,

without doubt, sent down the reminder; and We will assuredly guard it (from corruption)." (Al-Hijr 9)

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾

And: "(Here is) a Book which We have sent down unto you, full of blessings, that they may meditate on its Signs, and that men of understanding may receive admonition." (Sad 29)

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

And: "And We have indeed made the Qur'an easy to understand and remember: then is there any that will receive admonition?" (Al-Qamar 17)

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾

That is the remedy of patience on evil whispers and occupants; and it is the last degree of patience. Patience on all relations is prior to patience on the passing thoughts. According to Al-Junaid "may Allah have mercy upon him": "To travel from the world to the hereafter is easy on the faithful believer, to desert the people for the sake of loving the truth is difficult, to travel from the self to Allah Almighty is more difficult, and to keep patient with Allah is the most difficult." He refers to the difficulty of patience on the occupants of the hearts, followed by the difficulty of desertion of people, and the most difficult thing on the self is to cut off relations from the people, and abandon majesty and authority. That is because the pleasure of majesty, loftiness, authority and arrogance over the people is the sweetest in this world for the rational men. How could it not be so, given that it requires one of the attributes of Allah Almighty, i.e. supremacy? Supremacy is lovable to the heart, for it befits all high and noble matters, as referred to by Allah in His statement: " Say: "The Spirit (comes) by command of my Lord: of knowledge it is only a little that is communicated to you, (O men!)"" (Al-Isra 85)

﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

The heart is not criticized for that love: nay, it is criticized for the mistake it has fallen in because of the deception of the cursed Satan, who is alienated from the world of command, thereupon he envied him of his being of the world of command, with the result that he misled him. How could the heart be criticized for it since it seeks for the happiness of the hereafter? It indeed seeks permanence after which there is no annihilation, honour after which there is no humiliation, safety after which there is no fear, richness after which there is no poverty, perfection after which there is no shortage. All of those belong to the attributes of Lordship. The heart is not blamed for seeking after that. Every one has the right to aspire for a great kingdom which has no ends. The seeker after kingship aspires for honour, highness and perfection. But there are two kinds of kingship: a kingship that is stained by pain whose loss is fast; and the other is permanent in which there is neither impurity nor pain, and none would interrupt. But the former is hasty and the latter is deferred.

Man was created as hasty, desirous for the transitory and Satan came to

him and induced him through his hasty nature and allured to him the present. He also tempted him through his foolishness, and promised him, by way of deception, of the kingdom of the hereafter besides the kingdom of this world, as confirmed by the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "The foolish is he who followed his own inclinations, and hoped that Allah (would fulfill his) wishes." The result is that he was deceived and engaged by seeking after the kingdom of the world from the kingdom of the hereafter. But the successful among people has not hung himself by the rope of Satan's deception, since he knew the ways of his plotting, thereupon he abandoned the transitory world. To this fact Allah Almighty refers in His statement: " Nay, (you men!) But you love the fleeting life, And leave alone the Hereafter." (Al-Qiyamah 20-21)

﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ ﴾

And: " As to these, they love the fleeting life, and put away behind them a Day (that will be) hard." (Al-Insan 27)

﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾

And: " Therefore shun those who turn away from Our Message and desire nothing but the life of this world. That is as far as knowledge will reach them. Verily your Lord knows best those who stray from His Path, and He knows best those who receive guidance." (An-Najm 29-30)

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ ﴾

When the plotting of Satan became spread among the people, Allah Almighty sent His angels to the Messengers whom He chose from among them, and revealed to them how the enemy ruin and induce people. Then, they engaged in calling the people to the real kingdom of the hereafter other than the perishable baseless kingdom of this world. They addressed them saying: "O you who believe! What is the matter with you, that, when you are asked to go forth in the Cause of Allah, you cling heavily to the earth? Do you prefer the life of this world to the Hereafter? But little is the comfort of this life, as compared with the Hereafter." (At-Tawbah 38)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾

The Torah, Gospel, Psalms, Qur'an, the books of Abraham and Moses "peace be upon them" and in general, all Scriptures were sent down only to invite people to the permanent never-ending kingdom. They are required to be kings in this world, as well as kings in the hereafter. To be a king in this world is to abstain in it and be satisfied with the little from it. To be a king in the hereafter is to come close to Allah Almighty, thereby one attains eternal stay and ceaseless honour, besides a delight of the eye that is kept in this world which no soul knows.

Satan, on the other hand, invites the people to the kingdom of this world, other than that of the hereafter, for his knowledge that the latter would skip him. The kingdoms of the world and hereafter are harmful to him (in case the world is unblemished) but it is his good fortune that the kingdom of the world is blemished and were it to be unblemished, of a surety, he would have envied man for it. But the kingdom of this world could hardly be void of disputes and embitterment's, and the long concerns and interests in thinking and planning. And even in case it is unblemished and all means are fulfilled in it, the lifetime of man would inevitably come to an end " till the earth is clad with its golden ornaments and is decked out (in beauty): the people to whom it belongs think they have all powers of disposal over it: there reaches it Our command by night or by day, and We make it like a harvest clean-mown, as if it had not flourished only the day before! thus do We explain the Signs in detail for those who reflect." (Yunus 24)

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ
حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا
فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

Allah Almighty set forth a parable for this world when He said: "Set forth to them the similitude of the life of this world: it is like the rain which We send down from the skies: the earth's vegetation absorbs it. But soon it becomes dry stubble, which the winds do scatter: it is (only) Allah Who prevails over all things." (Al-Kahf 45)

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ
هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾

When abstinence from this world is a present kingdom, Satan envies man for it. The meaning of abstinence is that a man has control over his desire and anger which submit to the religious motive and indication of faith. That is a meritorious kingdom, for its owner thereby becomes free, and by being possessed by his desire, he becomes a slave of his belly and pudendum, as well as of all his desires and lusts. In this way, he becomes like an owned animal that is led by the nose string of desire to wherever it likes and wishes. How deceived is man! He thinks he will attain kingdom but he has become possessed by others, and he will attain supremacy, but he has become a slave. Such is only adverse in this world, and downturned in the hereafter. For this reason, when one of the kings asked one of the ascetics: "Do you have a need?" he said: "How should I have a need from you given that my kingdom is greater than yours?" he asked him: "How is that?" he said: "You are a servant of that which is, in turn, my servant." He said: "How is that?" he said: "You are a slave of your desire, anger, belly and pudendum, and I have control over them all, and they have become slaves of me."

That is the kingdom in this world which leads to the real kingdom in the hereafter. Those deceived by Satan have lost both the world and the hereafter. But those who succeeded to walk straight on the even path have won both.

If you come to know now the meaning of kingdom and supremacy, slavery and subjection, and the way of error in that, and how Satan dissembles and puts man to confusion concerning this, it would become easy on you to turn away from kingdom and majesty and keep patient on losing that, for by that loss, you would become a king at present, and expect for a kingdom in the hereafter. But if those lights are revealed to him who has been accustomed to majesty and authority for a long time, only knowledge and disclosure are not sufficient for remedy. He should add work to that. His work should include three things:

The first is to flee away from the place of majesty in order not to see its means and thus it becomes difficult on man to keep patient on leaving it, like him who is possessed by desire, when he flees away from the pictures that move his sex appeal. Whoever does not do so has indeed been ungrateful to the favor of Allah in regard with the spaciousness of the earth. He Almighty said in this respect: "Was not the earth of Allah spacious enough for you to move yourselves away (from evil)?" (An-Nisa' 97)

﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ﴾

The second is to force himself to do things in opposition to what he used to do. He could, for instance, exchange ostentation for simplicity, expensive clothes of splendor for cheap clothes of humbleness, and so forth. The same is true of all his states, habits and settings as regards his food, drink, clothes, residence, etc. in short, he should exchange everything required by majesty he used to do for its opposite. There is no significance for remedy unless one does the opposite of what he used to do.

The third is to adopt a gradual approach in one's movement from an extreme to its opposite. This means that he should not move at once to the farthest extreme, for disposition, by nature, is always repulsive, and it could not be shifted from its habits except gradually. Let him first curb some and leave others of those blameworthy things and once he is satisfied with them, let him curb more and so on until he finds himself having curbed all blameworthy characteristics with good satisfaction. To this fact, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" referred in his statement: "This religion is strong. So, delve into it nicely and step by step, and cause not the worship of Allah to be hateful to you, for the uprooted has not cut sufficient distance (to keep himself safe), nor left a riding mount (to carry him if he likes to return)." (Ahmad on the authority of Anas; and Al-Baihaqi on the authority of Jabir). He "peace be upon him" further said in this issue: "Impose not hard terms upon yourselves regarding that religion, for none imposes hard terms upon himself concerning that religion but that it overpowers him."

The remedy of patience concerning evil whispers, desire and anger returns to the laws of self-mortification we have already mentioned in the Book of Self-Discipline in the Quarter of Destructives. So, take it your constitution, in order to know the remedy of patience in all categories we have already shown in detail. But patience, according to gradation, upgrades with one to a state in which it becomes difficult on him as it was at first, and the matter is reversed for him in a

way that what he used to like becomes hateful, and what he used to dislike intimacy with him and so on. The recognition of that depends on experience and taste, and it has a resemblance in the reality. When the child is forced to learn under compulsion in the beginning, patience on leaving playing for learning becomes difficult on him. But when his insight opens, and knowledge becomes intimate with him, the matter is reversed, and it becomes difficult on him to keep patient on leaving learning for playing.

In this respect, it is narrated that a Gnostic asked Ash-Shibli about patience, thereupon he said: "Patience is in (the religion of) Allah." He said: "No, it is not so." He said: "Then, patience is for the sake of Allah Almighty." He said: "No, it is not so." He said: "Then, patience is with Allah Almighty." He said: "No, it is not so." He said: "Then, what is it?" he said: "Patience is to be on Allah." Ash-Shibli cried so loudly that he was about to die. In comment on the following statement of Allah Almighty: " O u who believe! persevere in patience and constancy; vie in such perseverance; strengthen each other; and fear Allah; that you may prosper" (Al Imran 200)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾

It is said: "Persevere in patience and constancy in (the religion of) Allah Almighty, vie in such patience by Allah Almighty, and strengthen each other with Allah Almighty."

It is said that patience for the Sake of Allah is satisfaction; patience by Allah is survival; patience with Allah is loyalty; and patience on (alienation from) Allah is desertion. It is also said about that in the form of a poetic verse: "Patience on (leaving) you is of blameworthy consequences, whereas patience in anything else is praiseworthy." In the same meaning, it is also said: "Patience is good in anything, but patience on (abandoning) you is not good."

That is what we liked to explicate regarding the sciences and mysteries of patience.

Part two: Gratitude

This part consists of three pillars:

The first pillar discusses the excellence, real nature, divisions and rulings of gratitude

The second pillar talks about the real nature, general and particular divisions of favor

The third pillar deals with the best of gratitude and patience

FIRST PILLAR

EXCELLENCE, REAL NATURE, DIVISIONS AND RULINGS OF GRATITUDE

Excellence Of Gratitude

It should be known that Allah Almighty joined gratitude with remembrance of Him in His Holy Book, although He said: " and remembrance of Allah is the greatest (thing in life) without doubt." (Al-Ankabut 45)

﴿ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ ﴿٤٥﴾ ﴾

In this respect, Allah Almighty said: "Then do you remember Me; I will remember you. Be grateful to Me and reject not Faith." (Al-Baqarah 152)

﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾

And: " What can Allah gain by your punishment, if you are grateful and you believe? Nay it is Allah that recognizes (all good) and knows all things." (An-Nisa 147)

﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾

And: "And swiftly shall We reward those that (serve us with) gratitude." (Al Imran 145)

﴿ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾

In comment on the statement of Allah Almighty relating about Iblis: "Because You have thrown me out of the Way, lo! I will lie in wait for them on Your Straight Way" (Al-A'raf 16)

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾

It is said that it refers to the way of gratitude. In view of the high rank of gratitude, the cursed Satan slandered mankind saying: " nor will You find, in most of them, gratitude (for Your mercies)." (Al-A'raf 17)

﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

Allah Almighty said about mankind: " but few of My servants are grateful!" (Saba' 13)

﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾

Allah Almighty promised to give for gratitude without exception as shown from His statement: "If you are grateful, I will add more (favours) unto you; but if you show ingratitude, truly My punishment is terrible indeed." (Ibrahim 7)

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾

But He Almighty made exceptions in five things: enrichment, giving sustenance, response to supplication, forgiveness and repentance. He Almighty said: " soon will Allah enrich you, if He wills, out of His bounty, for Allah is All-Knowing, All-Wise." (At-Tawbah 28)

﴿ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

He also said: "Nay, On Him would you call, and if it be His Will, He would remove (the distress) which occasioned your call upon Him." (Al-An'am 41)

﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ ﴿٤١﴾ ﴾

And: " for Allah does provide for those whom He will, without measure." (An-Nur 38)

﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾

And: "but He forgives anything else, to whom He pleases." (An-Nisa' 48) and:

"For Allah will turn (in mercy) to whom He will; and Allah is All-Knowing, All Wise." (At-Tawbah 15)

﴿ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾

Gratitude is one of the good manners of Lordship as stated by Him: "for Allah is Most Ready to appreciate (service), Most Forbearing." (At-Taghabun 17)

﴿ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾

Furthermore, Allah Almighty made gratitude and praise the commencement of the speech of the inhabitants of Paradise as shown from His statement: "They will say: "Praise be to Allah, Who has truly fulfilled His promise to us." (Az-Zumar 74)

﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ ﴾

He Almighty further said: "and the close of their cry will be: "Praise be to Allah, the Cherisher and Sustainer of the Worlds!"" (Yunus 10)

﴿ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

As regards the Prophetic narrations, a mention may be made of the following:

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The thankful who eats (even without fasting) has the same rank of the patient fasting." (Ibn Majah, At-Tirmidhi and Ibn Hibban on the authority of Abu Hurairah). It is narrated on the authority of Ata' that he said: I entered upon A'ishah "Allah be pleased with her" and said: "Tell us about the most amazing thing you saw from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"." She wept and said: "And which of his actions were not amazing? One night he came to me (and it was my turn) and entered into the covering (or the quilt) with me until when our bodies became in touch, he said to me: "O daughter of Abu Bakr! Let me worship my Lord." I said: "Indeed I like your nearness, but at the same time, I give preference to letting you do what you wish." I gave him permission. He stood to a water-skin and performed ablution, but without pouring much water. He then stood in prayer and went on weeping until his tears flowed on his breast. When he bowed, he wept; and when he fell in prostration, he also wept; and when he raised his head, he wept; and so on until Bilal came and informed him with the Adhan of the due time of Fajr prayer. I said to him: "O Messenger of Allah! What causes you to weep given that Allah has forgiven for you your previous and later sins?" on that he said: "Then, should I not be a thankful slave? And why do I not do since Allah Almighty revealed to me the following statement: " Behold! in the creation of the heavens and the earth, and the alternation of Night and Day, there are indeed Signs for men of understanding." (Al Imran 190)

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

(Ibn Hibban in his Sahih). This signifies that one should not cease to weep at any rate.

That is confirmed by the narration about one of the Prophets who came

upon a small stone with a great quantity of water springing from it. He was astonished at that. Allah Almighty made it utter the following: "I have been weeping since I heard the statement of Allah Almighty: " then fear the Fire whose fuel is men and stones which is prepared for those who reject Faith." (Al-Baqarah 24)

﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾

So, I am weeping out of fear of Him." It asked him to save it from the fire, and He did accordingly. Some time later he saw it in the same state of weeping, thereupon he asked it: "Why are you weeping now?" it said: "The first weeping was the weeping of fear, and that weeping is the weeping of gratitude and pleasure. However, the servant's heart is like a stone if not harder, and its hardness would be removed only by weeping in both states of fear and gratitude."

It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "On the Day of Judgement, a caller would make a public call: "Let the praisers stand up." They would stand, and a flag would be fixed for them, and they would enter the Garden." It was said to him: "Who are the praisers O Messenger of Allah?" he said: "Those who thank Allah Almighty in all states (or who thank Allah Almighty at the time of ease and adversity, according to another version)." (At-Tabarani, Abu Na'im and Al-Baihaqi on the authority of Ibn Abbas). He "peace be upon him" said: "Praise is the upper garment of (Allah) Most Gracious." Allah Almighty revealed to David "peace be upon him": "As for the patient, their abode will be the abode of peace, and when they are admitted to it, I would confer upon them the favor of thankfulness, and it is the best speech; and when they thank, I would give them more; and when they look at Me, I would give them more and more."

When it was revealed in the treasures what was revealed, Umar "Allah be pleased with him" said: "Then, which wealth should we take?" The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Let anyone of you take a tongue which celebrates (Allah), or a heart which thanks (Allah)." He thus ordered them to preserve a thankful heart instead of wealth and property. According to Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him": "Gratitude constitutes half the faith."

Explication Of Definition And Real Nature Of Gratitude

It should be known to you that gratitude is one of the stations of the mystic travelers (on the path of Allah); and it consists of knowledge, state and work. Knowledge is the origin which develops the state, and the state, in turn, develops work. The knowledge is to know the favor from the benefactor. The state is the pleasure one entertains as a result of the favors. The work is what one does to achieve the purposes of the benefactor. This work pertains to the heart, the organs and the tongue. All of this should be explicated in order to encompass the real nature of gratitude. What is said, indeed, in the definition of gratitude falls short of fathoming its real meaning and essence entirely.

Knowledge is **the first foundation**, as we have mentioned, and it is to know

three things: the favor itself; the fact that it is for him; and the benefactor with His attributes and acts by which the favor is done. There should be then a favor, a benefactor, and a beneficiary to whom the favor is given by intent and will. Those should be known with anyone else other than Allah Almighty. In relation with Allah Almighty, it should be known that all favors are from Him, and all intermediaries and means are but under His control, subjugated by His Will. This knowledge is after monotheism and sanctification. The first gnosis of faith is sanctification and once he knows the Sanctified, he should subsequently know that none is sanctified but One and no more, and that is the monotheism. Once he knows that, he comes to know that all things in this universe spring only from that One, as a favor from Him. This is why it ranks third to sanctification and monotheism. Besides monotheism and sanctification, it implies the perfect power and uniqueness of doing.

To this fact, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" referred in his statement: "Whoever says 'Glory be to Allah' receives ten good deeds; and whoever says 'There is none worthy of worship except for Allah' receives twenty good deeds; and whoever says 'Praise be to Allah' receives thirty good deeds." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The best remembrance is to say 'There is none worthy of worship except for Allah'; and the best of supplication is to say 'Praise be to Allah'." (At-Tirmidhi, Ibn Majah, An-Nasa'i and Ibn Hibban on the authority of Jabir). He "peace be upon him" said too: "Nothing of those words of remembrance yields manifolds (of reward) as does 'Praise be to Allah." (Ibn Abu Ad-Dunya but ending up with Ibrahim An-Nakh'i).

But think not that those good deeds are given only for tongue movement with those words without their meaning present in the heart. 'Glory be to Allah' is a statement which indicates to sanctification; and 'There is none worthy of worship except for Allah' indicates to monotheism; and 'Praise be to Allah' indicates to the acknowledgement that the favor is from Allah, the One and Only. The good deeds then are given in accordance with those items of gnosis which are among the categories of faith and certainty.

It should be known to you that the perfection of this knowledge is achieved by negation of polytheism not only through words, but also through acts and deeds. When one receives a favor from a king and he sees that one of his ministers or assistants has a role in bringing that favor to him, he indeed has ascribed partners to that real benefactor. That is because he does not see the favor from the king from all sides: but from him in part and from others in part. The result is that his pleasure with that would be divided between them, although it should be unique to the king, who is the real benefactor. It is true that when he sees the signature of the king on the paper which carries the command of favor, his monotheism and gratitude to the king are not affected, for he thinks that those are but subjugated by the king, under his control. Similarly, he should know that the king's assistant or minister or storekeeper who brings the favor to him is but subject to the will of the king in doing so, and were the matter to be referred to anyone of them, and there is no fear of the king, he might not have conveyed the favor to him.

Having known this, one should be sure that the role of the storekeeper is no

more than that of the pen and the paper, which develops no ascription of partners to the king in terms of being the only benefactor. Similarly the animals endued with free choice are also directed in that free choice by the willpower of Allah Almighty, to do what they are doomed to do, willingly or unwillingly. They are like the storekeeper who is forced to give you in compliance with the order of the king, and had the matter been up to him, he would have given you nothing at all. In short, all you receive at the hands of anyone is a favor from Allah Almighty, who directs upon him the causes that force him to give, by stimulating in him the belief that his good in this world and the hereafter lies in giving you. In the face of that belief created in him by Allah Almighty, he finds no way but to give you. He then gives you to serve himself and not for your sake, and had it been only for your sake, he would have given you nothing at all; and had it not been for the fact that he knows that your benefit leads to his benefit, surely, he would not have benefitted you at all. In this way, he is not a benefactor in relation to you: on the contrary, he takes you as a means to attain another favor which he expects. But the real benefactor is He, Who subjugated him to give you, willingly or unwillingly.

If you know that, you have known Allah Almighty as is fitting for Him, and known also His acts and deeds, and if you know His acts and deeds, you will be a monotheist, able to give thanks to Him as He deserves. Nay! You will become thankful only by that knowledge. For this reason, Moses "peace be upon him" said in his conversation with the Lord: "O Lord! You created Adam with Your Own Hand and did such and such things to him: how had he thanked You?" Allah Almighty said: "He knew that all of this is from Me." His knowledge in itself was thankfulness. Then, one could not give thanks unless he knows that all favors are from Him Alone. If doubts arises to you as to that fact, you would have no real knowledge of the favor nor of the benefactor. That is because your pleasure would be divided between the real benefactor and others who have no role in the favor. The more your pleasure with the benefactor is short, the more your deed would be short.

The second foundation is the state that stems from the knowledge, and it is the pleasure with the benefactor, with submission and humbleness, which is, in itself, thankfulness, just as the knowledge is considered thankfulness. But, the pleasure might be thankfulness only if it achieves its necessary prerequisite. Its necessary prerequisite is that your pleasure should be with the benefactor not with the favor nor with the act of giving it. This might be difficult on you to understand. So, let's set forth an example for you.

When a king intends to set out on journey, and he grants a horse to a man, he, in turn, is imagined to be pleased from three points of view: the first is to be pleased with it as a horse to be ridden, a preserved property to be utilized when there is necessity, and so on. That is the pleasure of him who has no fortune in the king himself: but his purpose is to get the horse itself. Were he to find it in a desert and take it, he would have the same pleasure. The second is to be pleased not with it as a horse, but as an indication of the king's care and sympathy for him. In this case, were he to find the horse in a desert, or be given it but from

anyone else other than the king, he would not have the same pleasure. That is because he is not in need of the horse itself or because he regards it with slightness in relation with the good position he expects to attain in the heart of the king. The third is to be pleased with it for he will enable him to set out in service of the king, and bear the difficulty and trouble of journey in his service in order to attain closeness to him, thinking that, by so doing, he might promote to the degree of ministry as he is not satisfied with the position of being cared for or given a horse by the king. He indeed does not aspire for the ministry for its own sake in so much as for the fact that it spares for him the opportunity to see and be near the king regularly; and were he to be given the choice between the nearness without the ministry or the ministry without the nearness, surely, he would choose the nearness without the ministry.

Those are three levels: the first is void of the meaning of thankfulness for the beneficiary restricts his view to the gift itself, and his pleasure is with the horse itself and not with the giver. That is the state of everyone who is pleased with a gift in terms of being a delicious and pleasant gift that agrees with the fulfillment of his desires and purposes, thereby he is far from the concept of gratitude. The second implies the meaning of gratitude but in as much as the pleasure is not with the benefactor himself but with his care and sympathy which stimulate him to give gifts to the beneficiary in the future. That is the state of the righteous who worship Allah for fear of His punishment and in expectation for His reward. But the perfect gratitude is implied in the third level, where the servant is pleased with the favor of Allah Almighty in its being a means to enable him to attain the nearness of Allah, be in His neighbourhood, and enjoy the permanent look at His Bounteous Countenance.

That is the highest level. Its sign is that he rejoices with the world but inasmuch as it is a farm for the hereafter, and enables him to fulfill the duties of his religion, and grieves with any gift that might divert him from the remembrance of Allah Almighty, and keep him off His way. That is because he does not want the gift for its being a pleasant delicious, but just for it enables him to be near Allah, just as the man of the horse which wants it only to carry him in the company of the king in order to see him and become near him perpetually. For this reason, Ash-Shibli "may Allah have mercy upon him" said: "The gratitude is to see the benefactor and not the gift itself." According to Al-Khawas: "The laymen give thanks for the food, drink, clothes and residence, whereas the private give thanks for the inputs of the hearts."

That level is unattainable by him in whose sight the pleasures and delights are restricted only to stomach, sex, and such perceptibles as colours and sounds, apart from the pleasures of the heart. To be sure, in the state of health, the hart is pleased with the remembrance of Allah Almighty, gnosis of and meeting with Him. But it is pleased with anything else if it is befallen by the disease of the evil habits, just as some abnormal people are pleased with eating clay, and some ill persons loathe the sweet and edible things, and are delighted with the bitter things. To that meaning, the following poetic verse refers: "And whoever has an ill bitter mouth would feel sore even the sweet fresh water."

That is the prerequisite of the pleasure with the favors and gifts of Allah Almighty. If the highest level is unattainable, let it be the second level. But the first level is inconsiderable. How many a difference between him who wants the horse for the sake of the king, and he who wants the king for the sake of the horse; and how many a difference between him who wants Allah to give him favors and gifts, and he who wants the gifts and favors of Allah to reach Allah thereby.

The third foundation pertains to work according to the pleasure that ensues from the knowledge of the benefactor. This work relates to the heart, the tongue and the organs. In relation to heart, it is to intend good inwardly and outwardly for the people. Concerning the tongue, it is to show gratitude to Allah Almighty with the praises indicative of that. Regarding the organs, it is to use the favors and gifts of Allah Almighty in obedience of Him, and avoid using them in disobedience of Him. In this way, the gratitude of eyes, for example, is to screen all defects seen in any Muslim; and the gratitude of ears is to screen all defects heard about him, and so on. This belongs to the gratitude for the favors of Allah Almighty with the organs.

The gratitude of the tongue is to show, through words, one's good pleasure with Allah Almighty, and he is commanded to do so. It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to a man: "How are you?" he said: "Fine." He "peace be upon him" repeated the same question, and the man gave the same reply until when it was the third time he said: "Fine, praise be to Allah and a lot of thanks be to Him." On that he "peace be upon him" said: "This is just what I wanted from you to say." (At-Tabarani on the authority of Al-Fudail Ibn Amr and Abdullah Ibn Amr; and Malik in his Muwatta' but ending it up with Umar). It was the habit of the righteous predecessors to ask each other about their states with the intention to bring out the gratitude for Allah on the tongue of each other, perchance the thankful would be obedient and the one who caused it to be uttered obedient too. By no means they intended showing off.

However, anyone who is asked about his state falls between two choices: either to give thanks to Allah or make a complaint against his state: thanksgiving is obedience and complaint is disobedience. And how should it not be considered disobedience the complaint against the King of all kings in Whose Hand all things are, to an owned slave who has no power to do anything? It is more fitting for a servant, if he does not endure patience on the fate and trial of Allah Almighty, and his weakness leads him to complain, to make his complaint to Allah Almighty and not to anyone else. It is He Alone Who puts to trial, and He Alone has the power to remove it. To be sure, the servant's humiliation to his master is honour, whereas his complaint to anyone else like him is a humiliation, and to show humiliation to a servant alike is most odious ignominy. Allah Almighty says: " The things that you worship besides Allah have no power to give you sustenance: then seek you sustenance from Allah, serve Him, and be grateful to Him: to Him will be your return." (Al-Ankabut 17)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

And: " Verily those whom you call upon besides Allah are servants like unto you: call upon them, and let them listen to your prayer, if you are (indeed) truthful!" (Al-A'raf 194)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾

Thanksgiving with tongue then is a part of gratitude. It is narrated that a delegate came to Umar Ibn Abd-Al-Aziz "may Allah have mercy upon him" and a young man stood to speak on their behalf thereupon Umar said: "Let the oldest of you speak." On that he said: "O Commander of Believers! Were the matter to depend on the age, surely, from among the Muslims, there are such as older than you." He said: "Then, speak." He said: "We are not a delegate who have come for a desire, nor are we moved by fear. As for the desire, your bounty has fulfilled it. As for fear, your justice has made us safe from it. But we are the delegate of gratitude, and we have come to give thanks to you with the tongue and then leave."

Those are the foundations of gratitude that encompass its meaning comprehensively. But as for the statement of him who says that 'gratitude is to acknowledge the gift of the benefactor with submission', it is the consideration of only the act of the tongue with some states of the heart. In relation with the statement of him who says that 'gratitude is to praise the charitable person', it is the consideration of only the act of tongue. But the statement of the one who says that 'gratitude is to devote oneself to seclusion on the carpet of contemplation with permanent sanctity' is the consideration of most aspects of thanksgiving, with nothing skipping therefrom but the act of the tongue. The statement of Hamdun Al-Qassar that 'gratitude is to see yourself in the position of a parasite as regards thanksgiving' means that the gnosis is one of the meanings of gratitude. The statement of Al-Junaid that 'gratitude is to see yourself unfitting for the gift' describes one of the states of the heart in particular.

Those are their phrases which express their states, and this is why they differ according to their difference. Therefore, anyone of them might give different answers in accordance with his different states, for they do not speak but in expression of their current prevailing state as they engaged in what concerns them, and abandon what concerns them not, or in proportion to the state of the asker from their viewpoint, as they limit their phrases to the extent which he needs and refrain from what he needs not. So, think not that what we have already mentioned means that we slander them, or that were all of those meanings to be offered to them they would deny them: this is unimaginable on the part of any rational except as far as the dispute that occurs to the mind as to whether the term 'gratitude' includes all or some of the meanings is concerned. But it is not our purpose in that book to explain in detail those deep linguistic issues; and it is Allah Who grant success with His mercy.

Explication Of The Way Of Gratitude To Allah Almighty

It might occur to your mind that we thank a benefactor for he has, to some extent, of fortune which makes him fitting for gratitude. We might give thanks to kings by praising them in order to become dearer to the people, and their generosity seem to the people, with the result that they gain better reputation and majesty in their sight; or by serving them which is to help them achieve some of their purposes; or by bowing in front of them as servants in order to increase their followers and authority. Those kings then are not thanked except for any of those reasons. But this is not unfitting as regards Allah Almighty, from two points of view:

The first is that Allah Almighty is deemed far beyond fortunes and purposes, exalted from being in need of service or assistance, or of more majesty and authority by praising and lauding, or more followers by bowing and prostrating as servants in front of Him. We thank Him in the same way as we thank a king who is benefactor with no expected fortune, i.e. we thank him by sleeping at home, in which the king has no fortune, and he is absent, and has no knowledge of what we do. To be sure, Allah Almighty has no fortune in all of our acts.

The other point of view is that all we do by our choice is a gift given to us by Allah Almighty. To be sure, our organs, power, will and determination, and in total the causes of our movement, if not our movement itself, are created as a favor by Allah Almighty. How then could we thank a favor with the help of another favor? If we are given by a king a vehicle to ride and we take another or are given another also by him, the other would, by no means, be a way of thanksgiving for the first on our own part: on the contrary, the other would be in need of thanksgiving as would be the first. The thanksgiving thus could not be thanked except by way of another favor, and so forth.

This means that thanking Allah Almighty is impossible due to those points of view, in which there is no doubt given that they are confirmed by Sharia. What is then the way to combine both?

In reply to that, it should be known to you that this thought occurred to the mind of David and Moses "peace be upon them" who said: "O Lord! How should I thank You given that I could not thank You except with the help of another favor from You?" or in another version: "Given that my gratitude to you is but another favor from You which makes binding upon me to thank You once again for it?" on that Allah Almighty revealed to him that "Once you know that, you will have thanked Me", or in another version: "If you acknowledge that the favor is from Me, I would accept that (acknowledgement) as thanksgiving from you."

But you may argue: "Although I have understood the question, I could not understand the significance of what was revealed to them. I indeed, know how it is impossible to thank Allah Almighty. But at the same time, how should the acknowledgement of such impossibility be reckoned as thanksgiving? That is because such acknowledgement is in itself a favor from Him, how has it become thanksgiving? I could not understand that. It seems as if whoever does not thank

has indeed given thanks, for the acceptance of the second gift is considered thanksgiving for the first one. The mystery that lies behind that is abstruse. Would you please make it clear by an example?"

In reply to that, it should be known to you that by so doing, you will knock one of the gates of gnosis, which transcends the science of practical religion. But at any rate, let's refer to some of its features. Here, there are two views:

One is that which makes you look with the eye of mere monotheism and lets you know that He is the grateful and the appreciated, the lover and the beloved. That is the view of him who knows that in the whole existence, there is none but Him, and that everything will perish barring His Countenance. That is perpetually true for the other is he who is never imagined to exist independently, and that other is nonexistent, and its existence is impossible for the real existent is he who exists by Himself, and whoever does not exist by itself is indeed nonexistent, for its existence depends on another. The real existent then is he who survives by himself in such a way that if anyone else is doomed to nonexistence, he would ever survive independently. If, besides its independent existence, he sustains others, he is then a sustainer. There is no sustainer but one, and otherwise is unimaginable. Thus, in the existence, there exists none but the Ever-Living, Sustainer (of all existence), the Only one, the Eternal. If you adopt that view, you would know that all things come from Him Almighty, and to Him all things shall return, and that He is the grateful and the appreciated, the lover and the beloved.

From that point of view, Habib Ibn Abu Habib understood the following statement: " Truly We found him (Job) full of patience and constancy, how excellent in Our service! ever did he turn (to Us)!" (Sad 44)

﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾

He said in comment on that: "How astonishing! He gave and praised (whom He gave)." i.e. He gives for patience, for which He praises. This means that if He praised for giving, He indeed has praised Himself: He is the praiser and the praised, as well as He is the lover and the beloved. That is a high level which you could not understand but through an example to befit the limit of your mind. It is obvious that if a composer likes his composition, he has indeed loved himself, and that if a maker likes his making, he has indeed loved himself, and that if a parent likes his child as being his own child, he has indeed loved himself, etc. all things in the existence are the making and creation of Allah Almighty, and if He liked them, He has indeed loved Himself.

That is the view of him who looks with the eye of monotheism, a state referred to by Sufis as self-annihilation i.e. that one is detached from himself as well as from anything else other than Allah in a way that he sees nothing but Allah Almighty. Whoever does not understand that says: "How has he been detached (from himself), given that he has a mass, size and dimension and occupies a space and eats, drinks and breathes?" The ignorant scoff at them due to their ignorance of the significance of their speech. To this Allah Almighty refers in His statement: " Those in sin used to laugh at those who believed, And whenever they passed by them, used to wink at each other (in mockery); And when they returned to their own people, they would return

jesting; And whenever they saw them, they would say, "Behold! These are the people truly astray!" But they had not been sent as Keepers over them!" (Al-Mutaffiffin 29-33)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾

But He Almighty showed afterwards that the laughter of the Gnostics at them in the morrow (i.e. in the hereafter) is more significant as shown from His statement: " But on this Day the Believers will laugh at the Unbelievers: On Thrones (of Dignity) they will command (a sight) (of all things)." (Al-Mutaffiffin 34-35)

﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

Similarly, the people of Noah "peace be upon him" mocked at him when they saw him engaged in the making of the ark, thereupon he said to them as stated by Allah Almighty: "If you ridicule us now, we (in our turn) can look down on you with ridicule likewise!" (Hud 38)

﴿ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

That is the first view.

The other view is that of such of men as have not attained the station of self-annihilation. They are of two divisions:

The first are those who do not acknowledge but their own existence, and deny that there is a Lord to be worshipped. Those are the blind in both eyes for they deny what is really proved to be true, i.e. Allah, the Sustainer of whole existence, Who sustains all things in the universe, and all things depend in existence on Him. Furthermore, they affirm survival to their own selves. But even, were they to know the reality, they would learn that they would neither survive nor cause themselves to exist. They, in fact, are caused to, and do not cause themselves to exist. There is a big difference between the real existent and the one caused to exist. In the universe, there is only One Existent and one caused to exist. The Real existent is a fact, and the one caused to exist is false. The Real Existent is independently surviving and sustainer of all in existence, whereas the one caused to exist is perishable and ending. If all things on the earth shall perish, then, none will abide barring the Countenance of your Lord, Full of Majesty, Bounty and Honour.

The other division are of those who are not fully blind, but just one-eyed. That is because they see with one eye the Real Existent Whom they do not deny. But the other eye is blind, for it does not see the annihilation of the one caused to Exist. In this way, they affirm another existent with Allah Almighty, thereby they are polytheists, just as the former are atheists. If such is only blear-eyed, he would make sense of disparity between both existents, thereby he affirms one as the Lord and the other as a slave. It is only by that extent of disparity between both and shortage in the other (perishable) existent he affirms that he joins the sphere of monotheism.

Between both, there are countless levels on the basis of which the monotheists differ. The Books of Allah revealed on His Messengers are like the kohl therewith the sights shine, and the Prophets are like those who put kohl in the eyes of people. They came to invite people to pure monotheism, i.e. 'There is none worthy of worship except Allah'. Its meaning is to see none other than Allah, the One and Only. Only a few are those who attain the perfect monotheism, and on the opposite extreme stand the rejecters and atheists, and they also are few. The idolaters said: "We only serve them in order that they may bring us nearer to Allah." (Az-Zumar 3)

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ ۝ ﴾

By that statement, they were on the first threshold of monotheism, even reluctantly. The middling represent the majority. From among them, there are such as whose insights open and facts of monotheism seem to them but like the fleeting short-lived lightning, and others with whom they last for some time after which they vanish. They survive in rare cases, each according to his level of faith.

When Allah Almighty commanded His Prophet "peace be upon him" to come closer, it was said to him: " bow down in adoration, and bring yourself the closer (to Allah)!" (Al-'Alaq 19)

﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝ ﴾

He said during his prostration: "I seek refuge with Your pardon from Your punishment, from Your good pleasure from Your displeasure, and I seek refuge with You from You: I could not reckon praises on You, for You are just as You have described Yourself." (Muslim on the authority of A'ishah). His saying "I seek refuge with Your pardon from Your punishment" refers to seeing only the acts of Allah Almighty, i.e. he seemed as if he did not see but Allah and His acts, thereupon he sought refuge with some of His acts from some of His acts. Then, he raised up to the point of detachment from seeing the acts to seeing the source of acts, i.e. the attributes thereupon he said: "And I seek refuge with Your good pleasure from Your displeasure", and both are among the attributes (of Allah Almighty).

Then, he observed that this is insufficient for monotheism, thereupon he raised up from the point of seeing the attributes to the point of seeing the Divine Essence, and said: "And I seek refuge with You from You." That is a flight from Him to Him without seeing any act or attribute. But he saw himself having fled from Him to Him, sought refuge and praised. Thus, he was detached from seeing himself regarding that as shortage, and came closer by saying: "I could not reckon praises on You, for You are just as You have described Yourself." His saying "I could not reckon" is a statement about his self-annihilation; and his saying "You are just as You have described Yourself" refers to His being the Praiser and Praised simultaneously, and that all things come at first from Him, and to him all things will return in the last, since " Everything (that exists) will perish except His own Face. To Him belongs the Command, and to Him will you (all) be brought back." (Al-Qasas 88)

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

Thus, his first station is the last one of monotheists, i.e. to see none but Allah Almighty and His acts. He sought refuge with one act from another. Consider how he ended to the Real one and Only, and all things other than Him were removed from his sight. He "peace be upon him" never rose from a station to a higher one but that he saw the former far from the latter. He used then to ask Allah for forgiveness from the former and see it deficiency in his conduct and shortage in his rank. to this he "peace be upon him" referred with his statement: "The (stain of evil) is accumulated on my heart that I ask Allah for forgiveness seventy times per day and night." He thus raised up seventy stations above each other. Although he had, by the first of those, transcended the utmost degree a human being could ever reach, he saw it shortage in comparison with the last of them; and that is the cause of his prayer for forgiveness. When A'ishah "Allah be pleased with her" said to him: "Has Allah not forgiven for you your previous and later sins? Then, what is the cause of that weeping in your prostration? And what is the reason for that severe trouble you are suffering?" he "peace be upon him" said: "Then, should I not be a thankful slave?" (Ibn Abu Ash-Shaykh). i.e. should I not ask for more and higher stations? Gratitude causes one to get more as stated by Allah Almighty: "If you are grateful, I will add more (favours) unto you." (Ibrahim 7)

لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴿٧﴾ ﴾

Now, let's return to the science of practical religion. Let's say that the Prophets "peace be upon them" were sent with the true invitation to call the people to the perfect monotheism, as we have already described it. But between people and that perfect level of monotheism, there is a great distance and there are difficult obstacles in the way. The entire religious law is to show to the people how to cut the great distance and cross those obstacles. At that point, there is another witness and another station, in which there appears, in relation with that witness, the thanksgiving, thankful and thanked. But this could not be clear except through an illustrative example.

Suppose that a king sent to one of his servants who is far from him a vehicle to ride, clothes to wear and provisions to help him cut the distance in order to come close to his presence. In this respect, he has two states: either he wants to bring that servant to his presence in order to serve him; or he has no fortune in him, nor is he in need of his closeness, nor is he affected by his remoteness. But he wants to bring him to his presence in order that the servant would enjoy the happiness of being near him, and benefit with that, and no advantage will return to the king himself. The position of Allah Almighty from all the servants applies to the second state. That is because the first is impossible upon Allah, whereas the second is possible.

On the other hand, the servant would not be regarded thankful to the king in the first state only by riding and arrival at his presence unless he serves him as required. But in the second state, the service is not needed. But at the same time, he is imagined to be thankful or ungrateful. He is thankful in case he

uses what is given to him by his master in what he likes for the benefit of the servant and not for the benefit of the master. He is ungrateful in case he uses that not, or uses it in what alienates him more from the king. If the servant puts on the clothes and rides the horse, and consumes the provisions on the way, his master would appreciate his conduct for he will have used his gifts in his love, i.e. in what he loves for his servant and not for his own self. If he neither puts on the clothes, nor rides the horse to come closer or farther, he will have been ungrateful to his master's favor, for he has neglected it and made it idle.

Similarly, Allah Almighty created the creation and in the beginning of their life, they use appetites in order to complete therewith the building of their bodies. But once they do so, they come farther from His presence, given that their real happiness and felicity lie in their closeness to Him. For this reason, He gave them of favors what they could use to attain the rank of closeness. In reference to their closeness and remoteness, Allah Almighty said: " We have indeed created man in the best of moulds, Then do We abase him (to be) the low of the low, Except such as believe and do righteous deeds: for they shall have a reward unfailing." (At-Tin 4-6)

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝ ﴾

The favors of Allah then are instruments therewith the servant raises up from the level of the lowest of the low. Allah created those favors for the servant to attain therewith the happiness of closeness to Him, given that Allah Almighty is not in need of the servant's closeness. The servant might use those favors in obedience thereby he is thankful to his master, for he complies with what his master loves; or might use them in disobedience, thereby he is ungrateful for he plunges into what his master dislikes and disapproves for him. Indeed, Allah Almighty never approves disbelief and disobedience for His servants. If he makes them idle and uses them not either in obedience or in disobedience, he is also ungrateful for he has wasted these favors.

All that is created in this world is but an instrument in order for the servant to attain therewith the happiness and felicity of the hereafter, and the rank of closeness to Allah Almighty. Every obedient is grateful to the favors of Allah Almighty in so far as he uses the instruments given to him in obedience; and every disobedient is ungrateful and deprived of the love of Allah Almighty in so far as he uses those improperly, or in a way that alienates him farther. Although obedience and disobedience are subject to will, by no means are they determined by love and hate. But nay! How many a desired thing which might be either loved or disliked! The mystery that lies behind all of that is the Divine decree which could not be disclosed to anyone whatsoever. It is by this that the first problem is solved, i.e. if the thanked has no portion, how should thankfulness be given?

The second is also solved thereby: if we do not mean by thanksgiving but that the favor of Allah Almighty is directed in what Allah Almighty loves. If

the favor is directed to the love of Allah by virtue of Allah Almighty, then, the desired goal has been achieved, for your act has been a gift from Allah Almighty, and as you are the place where it lies, He has praised you, and His praise has been a further gift from Him upon you. It is He who has given, and He Who has praised, and one of both His acts has been a cause of doing the other towards the direction of His love, and in both states, a lot of thanks should be given to Him. You are thankful in the sense that you are the place where gratitude lies and not in the sense that you are the cause of gratitude, just as you are described as knowledgeable and Gnostic in the sense that you are the place where knowledge and gnosis lie and not in the sense that you are the cause of both. It has been placed in you by the Divine eternal power which made you deserve to be described as thankful. That is an affirmation of a thing to you and you are a thing. The Creator of things has made you a thing where you had been nothing at all. In consideration of Him Who has made things, you are a thing (made by Him). But without that consideration, you are nothing. To this fact he "peace be upon him" referred in his statement: "Do deeds for everyone finds it easy on him to do what is created for him." He indeed said so in reply to the question: "O Messenger of Allah! What is the significance of work since Allah had finished from creating and ordaining things?"

From this it seems that the creatures are beings on whom the will of Allah Almighty is executed, and places where His acts lie, although they themselves are among His acts. But some of His acts are places of others. His statement "Do deeds", being on the tongue of the Messenger "peace be upon him", is also one of His acts. It is the cause that led the people to know that their deed is beneficial; and their knowledge is one of the acts of Allah. Knowledge is a cause by which movement towards obedience arises; and arising is also one of the acts of Allah Almighty. It is a cause of the movement of the organs, which is, in turn, one of the acts of Allah Almighty. Some of acts of Allah then are causes of others, i.e. they are conditions for each other to happen, just as the creation of the body is a cause of the creation of the accident, the creation of life is a cause of the creation of knowledge, and the creation of knowledge is a cause of the creation of will, and so forth. All are the acts of Allah Almighty, and they are causes and conditions of each other. They are so in the sense that none is ready to accept life but a body, and none is ready to accept knowledge but a living, and none is ready to accept will but one of knowledge, and so on. In that sense some of His acts are causes of others and not in the sense that they cause each other to exist. Once this is realized as it should be, it raises one up to the level of monotheism as we have already described.

But you may argue: "Why has Allah Almighty commanded us to work otherwise we would be punished and blamed for disobedience, given that the matter is not up to us? How should be blamed and criticized when all things return in the end to Allah Almighty?" in reply to that, it should be known to you that this command of Allah Almighty is a cause of our belief, and our belief is a cause which arouses fear; and fear is a cause that prompts us to abandon desires

and lusts, which, in turn, is a cause of our coming close to Allah Almighty. Allah Almighty is the causer of causes in such order as we see them. So, he, to whom happiness is doomed, finds those causes easy on him until he is led by their chain to the Garden. That is the significance of the statement of the Prophet "peace be upon him": "Everyone finds it easy on him to do what he is created to do." But he, to whom no good is doomed from Allah Almighty, keeps himself far from the speech of Allah Almighty and of His Messenger "peace be upon him" and of the learned scholars; and if he does not hear, he will not know anything, and if he does not learn anything, he will entertain no fear, and if he entertains no fear, he will not abandon desires, and rather will rely on this world, and if he relies on this world, he will remain in the party of Satan; and the fire of Hell is the promise of them all.

Having known this, you would be amazed by a people being led to the Garden by chains. There is none but that he will be led to the Garden by the chain of causes, by virtue of directing knowledge and fear on him. Likewise, there is no disappointed one but that he will be led to the fire of Hell by the chain of causes, by virtue of directing heedlessness, deception and feeling of safety on him. The pious will be driven to the Garden by oppression, and the criminals to the fire of Hell also by oppression; and there is no oppressor but Allah, the One and Only, the Irresistible, and none has the power over all things but the King. When the veils are lifted from the eyes of the heedless, and they will see the matter as such, at that point they will hear the caller calling: " Whose will be the Dominion that Day? That of Allah, the One, the Irresistible!" (Ghafir 16)

﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾

Of a surety, the dominion belongs to Allah perpetually, but the heedless will not hear that except on that day. So, it is a statement of the disclosure of the new states of the heedless, on a day it will be of no profit to them to be disclosed. So, we seek refuge with Allah Most Generous, Most Forbearing from the causes of ignorance and blindness, for they are the causes of destruction.

Explication Of The Difference Between What Allah Likes And What He Dislikes.

It should be known to you that gratitude on the one hand, and ungratefulness on the other hand could not be achieved unless one knows what Allah likes and distinguishes it from what He dislikes. The meaning of gratitude is to use his favors in what He likes; and the meaning of ungratefulness is to use them in what He dislikes. There are two senses by which what is liked by Allah could be distinguished from what is disliked by Him: Hearing which is supported by the Holy Verses and Prophetic narrations and traditions; and the insight of the heart, i.e. the vision with the eye of consideration. The latter is very difficult and this is why it is rare. For this reason, Allah Almighty sent the Messengers and Prophets, through whom He made the path easy on the people. The knowledge of that is based on learning all rulings and judgements of Sharia

pertinent to all acts of people. Whoever does not get acquainted with all rulings of Sharia in all of his acts could not be able to do the required gratitude.

The other is to see with the eye of consideration. It is to perceive the wisdom of Allah that lies behind every existent created by Him. To be sure, He has created nothing in this world but that there is a wisdom lying behind creating it; and that wisdom refers to a certain purpose. That purpose is the beloved. The wisdom is divided into evident and hidden.

The example of the evident is the knowledge that the wisdom which lies behind creating the sun, for instance, is to make day different from night, in order for the day to be as a means of subsistence and night as covering, and the movement to be easy by day and stillness easy at night. This is one and not all of the wisdoms that lie behind creating the sun, for there are countless wisdoms lying behind creating it. The same is true of learning the wisdom that lies behind cloud and rainfall, i.e. in order for the land to split and produce various kinds of vegetation and plants, to provide food for people and fodder for cattle. However, the Qur'an implies a set of glorious wisdoms that befit the understanding of people, apart from the subtle and abstruse ones that are beyond the reach of their minds. Allah Almighty said: " For that We pour forth water in abundance, And We split the earth in fragments, And produce therein Corn, And Grapes and nutritious Plants, And Olives and Dates, And enclosed Gardens, dense with lofty trees, And Fruits and Fodder, For use and convenience to you and your cattle." (Abasa 25-32)

﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾

As for the wisdom that lies behind the creation of the planets and stars, it is hidden for the most part to the majority of people. What they could understand is that they adorn the sky, so that the eye would be pleased with looking at them, as referred to by His statement: " We have indeed decked the lower heaven with beauty (in) the stars." (As-Saffat 6)

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ ﴾

In brief, there are countless wisdoms lying behind every atom created in the universe, with its skies, earths, stars, planets, winds, mountains, metals, oceans, seas, plants, trees, animals, etc. The wisdom in all of this is divided into what is evident and what is hidden. The same is true of the wisdom that lies behind the organs of animals: an example of the evident wisdom is to learn that the eye is created for seeing not for grasping, ear for hearing not for seeing, hand for grasping not for hearing, foot for walking not for touching, and so forth. But as for the internal organs like intestines, stomach, liver, kidney, veins, nerves, muscles, etc, with their cavities and folds, not all the people know the wisdom that lies behind all of them; and even those who know it know only a little thereof in comparison with what is within the knowledge of Allah Almighty as confirmed by His statement: "of knowledge it is only a little that is communicated to you, (O men!)" (Al-Isra' 85)

﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

Thus, whoever uses any favor improperly or in that for which it is not created is indeed ungrateful to the favor of Allah Almighty on him. Whoever, for instance, beats another with his hand is indeed ungrateful to the favor of the hand for the hand is created only to avert from oneself what harms him and get what benefits him, and not to harm others. Whoever looks at the face of him who is unlawful for him to look at is indeed ungrateful to the favors of both the eye and the sun with which seeing is realized, for both are created in order for one to look at what benefits him in his religion and world, and ward off what harms him in them. Once he does so, he has used them improperly or in that for which they are not created.

That is because the creation of the creatures and the creation of this world with its means and causes is intended for man to seek their aid to reach the presence of Allah Almighty; and he could not reach without His love and intimacy with him in this world, and desertion from the deception and conceit of this world; and there is no intimacy but with the permanent and regular supplication; and there is no love but with the permanent knowledge that is obtained from the regular meditation; and one could not persist in supplication and meditation without the survival of the body; and the body could not survive but with food; and the food is not produced but from the earth, water and air; and all of this could not be realized but with the creation of the heavens and the earth and all things in existence.

All of this is for the sake of the body which is, in turn, the riding mount of the soul. What will return to Allah Almighty in the end is the satisfied soul that is pleased with the long worship and gnosis. For this reason, Allah Almighty said: " I have only created Jinns and men, that they may serve Me. No Sustenance do I require of them, nor do I require that they should feed Me. For Allah is He Who gives (all) Sustenance, - Lord of Power - steadfast (forever)." (Adh-Dhariyat 56-58)

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝ ﴾

Whoever uses a favor in disobedience of Allah Almighty is ungrateful to the favors of Allah in all the means which are necessary for man to commit that disobedience.

Now, let's mention one of the hidden wisdoms which is not, anyway, among the most hidden ones, to consider and learn thereby the way of gratitude and ingratitude to favors. Among the favors of Allah Almighty is His creation of Dirhams and Dinars, which are stones, and there is no benefit in themselves as concrete bodies. But the people are forced to get them in terms of the need of everyone to have more things to gain his food, clothes, residence, etc. one might not have what he needs and possess what he needs not, like him who possesses saffron and needs a camel to ride, or him who possesses a camel and needs saffron, and so on. Thus, compensation is required between them, and the extent

of compensation needs evaluation, for the owner of the camel could not give his camel entirely for the whole quantity of saffron, and there is no resemblance between the camel and saffron in order that he would be given the like of it in form and weight.

Similarly, he who purchases a house for a dress, a servant for a footwear, baking powder for a donkey, etc: there is no resemblance nor relevance between those things. One could hardly know how much saffron a camel is. In this way, the dealings would become very difficult. So, those disparate unequal concrete bodies are in need of a mediator to judge between them with justice and distinguish each according to its characteristic status and position until when they are put in order according to their different positions, the equal would be known and distinguished from the unequal.

Both Dirhams and Dinars then are created by Allah Almighty as mediators between the different commodities, in order for these goods to be estimated and evaluated by them, like saying: this camel is equal to one hundred Dinars, and that amount of saffron is equal to one hundred Dinars, and as they get the same evaluation, they then are equal in value. This is possible only through currency, and that is the purpose from creating it, and there is no other purpose in those coins in terms of their being concrete bodies. They are created by Allah Almighty in order to be in circulation among the people as mediators to judge between goods and commodities with justice.

There is another wisdom from creating them, i.e. to have access, through them, to all things in the world. They are not so much, and since they have the same relation with all things, whoever possesses them seems as if he possesses all things, unlike him who possesses a garment: he does not possess but that garment and no more, and if he needs food, it may be that the owner of food will have no desire for the garment. Thus, there is a need for a thing, i.e. the currency, which is, in its form, nothing at all, but in meaning, it represents all things. The relation of a thing to the different things is the same if it does not get its meaning from its particular form, like the mirror which has no color, but, at the same time, it shows all colours in it. Similarly, the currency has no purpose in its own form, but at the same time, through it all purposes are achieved, and also the letter has no meaning in its form, but with it the meanings appear. That is the other wisdom.

There are other wisdoms and it will be too lengthy to mention them all. Anyway, whoever does with them anything in opposition to the wisdom and purpose for which they are created, is ungrateful to the favor of Allah concerning them. Whoever hoards them, for instance, is unjust to them, since he makes idle the wisdom of Allah regarding them, and becomes like him who detains the judge of Muslims in a prison in which he fails to judge between Muslims. That is because if money is hoarded up, its judgement will be lost, and thus the purpose intended by creating it will not be achieved. The Dirhams and Dinars are not created for a particular person apart from others: but they are created to be in circulation among men, as judges on the basis of which the value of things is known and things accordingly distinguished.

Allah Almighty told those who fail to read the Divine lines, that are

written in the pages of the existents with a Divine script with neither a letter nor a voice, and thus is beyond the reach of the ordinary eye since it is perceived only by the insight: He told those incapable with a speech they heard from His Messenger "peace be upon him" until it reached them through letter and voice, the meaning which they already failed to perceive, saying: " And there are those who bury gold and silver and spend it not in the Way of Allah: announce unto them a most grievous penalty. On the Day when heat will be produced out of that (wealth) in the fire of Hell, and with it will be branded their foreheads, their flanks, and their backs, "This is the (treasure) which you buried for yourselves: taste you, then, the (treasures) you buried!"" (At-Tawbah 34-35)

﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

Similarly, whoever takes utensils from gold or silver is indeed ungrateful to the favor of Allah concerning them, and his state is worse than him who bury them, for his example is like him who uses the judge in such works as sewing, collecting taxes, and the jobs done by the lowest of people; and imprisonment is better for him than that. That is because iron, copper, lead, and pottery do the same job of keeping the liquid even better than gold and silver. Whoever does not get this fact revealed to him, it would be disclosed to him with the Divine interpretation with the statement: "He, who drinks in a utensil made of gold or silver seems as if he drags the fire of Hell in his belly." (both sheikhs on the authority of Umm Salamah).

Likewise, whoever deals with Dirhams and Dinars on usurious basis is indeed ungrateful to the favor of Allah concerning them for they are created not for their own selves but for other things to be obtained through them. So, if trade is practiced on them, they will be taken as ends in themselves, in opposition to the wisdom of creating them. It is out of injustice to use currency improperly or in anything different from that for which it is created to use. Whoever has a garment, for example, and has no money might not be able to buy food or a riding mount by it, for food and the riding mount might not be sold by garment. In this way, he is excusable to sell the garment for money in order to get through that money the food or the riding mount. They are then a means to others, and not ends in themselves.

Their position in relation to goods and commodities is like the position of a letter in relation to speech, described by the grammarians as that which comes to give meaning for anything other than it, or like the position of a mirror in relation to the colours. But he who has currency and it is available to him to sell it for currency alike, limiting thereby the end of dealing to money only, with the result that the currency remains detained with him, it will be unjust, like putting the judge or the ruler in prison and hindering him from judging between the people. Indeed, it is of no significance to sell currency for currency unless it is taken to be saved; and it is out of injustice.

But you may ask: "Why it is possible to sell one currency, say a Dirham, with another, say a Dinar, and not to sell it with the same kind, i.e. a Dirham with a Dirham?" in reply to that, it should be known to you that both differ in the

purpose of getting things, in the sense that it might be easy to obtain with a great quantity of Dirhams many scattered things, which is difficult to be obtained by a little quantity of Dinars, regardless of their possible equality in value. Thus, if Dirhams are prevented, the purpose intended by them might be negatively affected, i.e. the availability to obtain through them many things scattered about. But to sell a Dirham with a Dirham is impermissible in the sense that no intelligent might have the desire to do so particularly if both are equal, and no trader is imagined to do it for it is insignificant. It is like putting the Dirham on the ground and then taking it once again. Indeed, we fear not for the intelligent to spend their time in putting the Dirhams on the ground and taking them once again, unless one of them is better than the other. But this case also is unimaginable for the owner of a good Dirham is not expected to leave his for a bad one, and if he demands more of the bad Dirhams in order to equalize his good one, it should be prevented, and rather judged that the good and bad are equal, for good and badness should be regarded in case the things are intended for themselves, and what is not intended for itself should be regarded only in relation with others. But it is out of injustice to exchange Dirhams for Dirhams that differ in quality until such quality becomes the purpose intended, though it should not be considered so. But in case a Dirham is exchanged for another Dirham like it in quality and value, but on credit, it should be impermissible, for none does so except a tolerant generous one who likes to do good in the loan, and it is a good deed from him for which he should receive praise and reward. But such praise and reward vanish with compensation and this is why it is injustice for it wastes the particular quality of tolerance and deals with it improperly.

Similarly, the different kinds of food are created only as nourishment and provision or as medicine for the creatures. So, they should not be turned from their sphere. But dealings on them constrains them in a limited number of hands, and impedes them from their vital role of being eaten. Indeed, Allah did not create food but to be eaten. The need for food is very dire. So, it should be taken from the hands of those who are not in need of it, and given to those who need it. To be sure, none makes dealings on food but he who is not in need of it. Whoever has food, why does he not eat it if he needs it? Why does he make it one of the commodities to be traded with? And in case he makes it one of the commodities to be traded with, let him sell it for compensation he needs other than food. But he who sells it for the same kind of food seems as if he has not in need of it. For this reason, the Sharia, through many Prophetic narrations, sends curses upon the monopolizer of food, as we have already mentioned in the Book of the Etiquettes of Earning. It is true that he who sells dates for wheat is excusable for each has its purpose which is different from the other, but he who sells a Sa' of wheat for another and equal Sa' of wheat is inexcusable for he is jesting and playing, and this is why there is no need to be prevented. It is not imagined unless there is disparity between both in the quality, and to be sure, the owner of the good does not approve to sell his with an equal quantity of the bad one. But the good might be sold for its twice of the bad. But since

food is essential, and the good is equal to the bad in the origin of the benefit, and differs from it in the points of blessedness, Sharia cancelled out the purpose of blessedness in what sustains the life of beings. That is the wisdom of Sharia that lies behind the prohibition of usury. It belongs to jurisprudence.

That is only one example for the hidden wisdom that lies behind the creation of currency. So, let the gratitude and ingratitude of the favor be considered according to it. Anything that is created for a certain wisdom should not be turned from it; and none does so but he who knows the wisdom, and whoever is given wisdom has indeed been given much good. But even, the gems of wisdom could by no means occur to hearts which are trashes of desires and lusts, and playgrounds of devils. That is because none remembers but those endued with sound minds. That is the significance of the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Had it been for the fact that devils hover round the hearts of mankind, they would have been able to see the dominion of the heaven."

Having known that example, you should measure on its basis your movement and stillness, speech and silence, and in short, all of your deeds and words: they might be either gratitude or ingratitude and nothing else. Some of those, according to religious jurisprudence, belong to what is undesirable in part, and some to what is dangerous in part. But all is dangerous in the sight of the masters of hearts.

Let me say, for example, that if you clean your private parts with your right hand after responding to the call of nature, you will have been ungrateful to the favor of both hands. Allah Almighty created to you both hands, and made one of them stronger than the other. The stronger (i.e. the right) then deserves to be more honored and preferred to the weaker. But to prefer the weaker is injustice; and Allah Almighty enjoins but justice. Then, He Who gave you both hands, made you in need of doing many works, some of which are noble, like taking the Mushaf, and some ignoble like removing the filth after responding to the call of nature. If you take the Mushaf with the left hand, and remove the filth with the right, you will have then assigned the ignoble to the noble, and the noble to the ignoble. By so doing, you will deviate from justice.

Similarly, if you spit on your right side or on the direction of Qiblah, or if you face the Qiblah while responding to the call of nature, you will have been ungrateful to the favor of Allah concerning the creation of directions and dimensions of the world. He Almighty created the directions to be the dimensions of your movement. Then, He divided the directions into what is not honoured, and what is honoured by His House (the Ka'bah), which He placed in order to attract your heart towards it, and set firm your body to it as being your Qiblah during worship. Similarly, your deeds are divided into the noble like the acts of worship, and the ignoble like responding to the call of nature and spitting. Thus, if you spit on the direction of Qiblah, you will have been unjust to it, and ungrateful to the favor of Allah Almighty concerning the Qiblah, with which your worship is perfect. Likewise, if you put on your footwears, starting with the left, you will have been unjust. That is because the footwear protects man and thus

man has a fortune in it, and in fortunes, one should begin with what is more honoured, for that is the justice and fulfillment of wisdom, and the opposite is injustice and ingratitude to the favor of the footwear and the foot itself.

This is regarded a major sin in the sight of Gnostics, although no more than an undesirable act according to religious jurisprudents. One of those Gnostics once collected a great quantity of wheat and started to give it in charity. When he was asked about that he said: "Once I put on my sandals, and forgetfully started with the left one. So, I liked to atone it with charity." It is true that the religious jurisprudent could hardly aggravate the matter in such affairs, for he is poor, and it is difficult on him to reform the laymen who are close in their degree to cattle, and dipped in layers of darkness, too deep to describe as offenses in comparison with those affairs. It is ugly, to say, for example, that he, who drank wine and took the vessel with his left hand, has committed two transgressions: one is drinking alcoholic drink, and the other is the taking with the left hand. It is also ugly to say that he, who sold wine at the time of Adhan on Friday, has indeed committed two treacheries: one is selling wine and the other is selling at the time of Adhan on Friday. Likewise, if one responded to the call of nature in the praying place of the mosque, making the Qiblah on his back, it will be ugly to be described as having abandoned the etiquettes of responding to the call of nature, by not making the Qiblah on his right side (in comparison with his doing so in the praying place of the mosque).

However, all sins are but layers of darkness over each other, in such a way that some (i.e. the trivial) are hidden by others (i.e. the more significant). The master, for instance, might punish his slave if the latter used his knife without his permission. But if he killed by that knife the dearest of his sons, his using it without permission would not become effective (or significant in comparison with the killing). In short, all of etiquettes and proprieties observed by the Prophets and saints in which we have indulged in religious jurisprudence as regards the laymen is due to that necessity, otherwise, all those undesirable acts are injustice and ingratitude to the favors of Allah Almighty, and deficiency in the degrees of closeness of the servant (to Allah Almighty). Some of them negatively affect the servant as reflected in the reduction of the degree of closeness and degradation of rank, others turn him entirely from the sphere of closeness, down to the world of remoteness which is the residence of devils.

In addition, if a man broke a branch from a tree with no dire necessity, he would be ungrateful to the favors of creating the tree as well as the hand. As for the hand, it is not created for useless playing in so much as for obedience (of Allah), and doing all works and acts that help achieve that obedience. As for trees, Allah Almighty created them, and created for them stalks and branches, and drove the water to sustain them, and created in them the power of growth until when they attain maturity, they become of benefit for the servants. To break a tree then before attaining its maturity with no benefit is to oppose the purpose of wisdom and deviate from justice. But if there is a correct purpose from breaking the branch, it will be right, since trees and animals are made to serve the purposes of men. Both are perishable, and to

consume the lower for the sake of the survival of the higher even for some time is closer to justice than to lose them all. To this fact Allah Almighty refers in His statement: " And He has subjected to you, as from Him, all that is in the heavens and on earth: behold, in that are Signs indeed for those who reflect." (Al-Jathiyah 13)

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

It is true that if he breaks that branch from a tree owned by another, he will be wrongful, even if there is a dire necessity for that. That is because each tree could, by no means, satisfy the needs of all servants of Allah Almighty. But each satisfies the need of certain individual or group. If one takes it up without preponderance or without its being assigned to him, it will be injustice. The one to whom it is assigned is he who planted it, by bringing and then sowing the seed in the ground, driving the water to it, and kept looking after it until it grew. So, he is more entitled to own it. But if a tree grows in a dead land with no human help or interference, then, another kind of assignment should be sought, i.e. the one who preceded to get it, in which case, the precedent shall have the privilege of precedence. Justice then requires that he should be more entitled to get it.

That preponderance is what the religious jurisprudents call ownership. But ownership is a figurative expression, for the real ownership belongs to the King of all kings, to Whom do belong all that is in the heavens and that is on earth. How should a servant be an owner given that he does not have real ownership over himself? That is because he is owned by another (i.e. Allah). It is true that all people are but servants of Allah Almighty, and the earth is the repast of Allah; and He has given them permission to eat of His repast as much as they need. It is like the king who sets up a repast for his servants to eat thereof. If one takes a morsel with his right hand and catches hold of it with his fingers, and then another servant comes and wants to take it, it will not be possible for him, not because the morsel has become in his ownership by his taking it with his hand, for he and his hand are owned by Allah Almighty, but because each morsel could, by no means, satisfy the need of all servants, and this is why justice requires assignment by way of preponderance and specification, and taking is a kind of specification which prevents anyone from taking what is not specified to him.

It is in this context that you should understand the command of Allah Almighty concerning His servants. For this reason, we say that whoever takes from the property and wealth of this world what is beyond his need and then hoards it up, while there are other servants of Allah who are in need of it, he is indeed wrongful and is one of those who bury gold and silver, and spend them not in the Way of Allah Almighty. The Way of Allah is to obey Him, and the usage of property in this world to provide for the sustenance of the people is an aspect of His obedience, for with wealth, their needs are satisfied. But this is beyond the limit of juristic fatwas, for the needs are too abstruse to measure, and the people differ in their feelings of poverty and ways of reception, and the ends of lifetimes are unknown.

To oblige the laymen to do so is like to oblige the children to adhere to

solemnity, reverence and silence from useless speech. But, as immature, they could not endure it. So, we did not object to their play and amusement, but that we make it permissible for them does not mean that play and amusement are right. Similarly, that we make permissible for the laymen to preserve property, and spend thereof as much as enables them to fulfill the obligatory charity, and this is due to the stinginess to which they are predisposed by nature, does not mean that it is right. To this fact the Holy Qur'an refers as shown from the statement of Allah Almighty: " If He were to ask you for all of them, and press you, you would covetously withhold, and He would bring out all your ill-feeling." (Muhammad 37)

﴿ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ ﴾

But the perfect right and justice require that none among the servants of Allah Almighty should take from the property of Allah Almighty more than the rider's provision. All of Allah's servants are riders and their riding mounts are their bodies on their journey to the presence of Allah (in the hereafter). Whoever takes what is beyond his need and then withholds it from another rider who is in need of it is, indeed, wrongful and unjust, and nonobservant of the purpose of the wisdom for which the property is created, and ungrateful to the favor of Allah Almighty on him through the Qur'an and the Messenger "peace be upon him", reason and all means by which he knew that what is beyond the rider's provision is harmful to him in the world and the hereafter.

Whoever understands the wisdom of Allah Almighty that lies behind all the existents is able to undertake the duty of gratitude. But to survey that needs huge volumes which, therefore, could do but little. However, we have mentioned that amount in order to prove the truthfulness of the statement of Allah Almighty: "but few of My servants are grateful!" (Saba' 13)

﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾

And the happiness of Iblis the cursed about His statement: " nor will You find, in most of them, gratitude (for Your mercies)." (Al-A'raf 17)

﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

None understands the meaning of the Holy Verse without knowing all of this, in addition to so many others, whose survey is beyond the limit of the entire lifetime. Of course I do not mean the linguistic explanation of the Holy Verse which is familiar to anyone who is skilled in language.

You may argue: "All that you have mentioned means that Allah Almighty has wisdom that lies behind all things He created; and that He caused some acts of servants to perfect that wisdom until it achieves its purpose, and others to hinder it. That is, every act that agrees with the wisdom and helps it achieve its purpose is gratitude, and every act that disagrees with it and impedes the causes to reach their ends is ingratitude. This is understandable. But there is still a problem, i.e. that the act of servants which is divided into what perfects the wisdom and what impedes it, is, in itself, produced by Allah Almighty. Then, how should a servant be grateful once and ungrateful once?"

In reply to that, it should be known to you that the answer of that stems from

a huge current of the science of Disclosure (Mukashafah); and we have referred to some features thereof. Now, let's express that in brief which is understood by him who learns the language of birds and rejected by him who knows it not. Allah Almighty, in His Glory and Supremacy, has an attribute from which all the creation spring, I mean an attribute which is beyond the limit of linguistic expression. In view of its glory and uniqueness, no linguistic expression in this world has ever been found to describe it. For this reason, these of language, failing to refer to it with any linguistic term, fell short of seeing it in the same way as the sights of bats fail to see sunlight, not because it is cloudy but because of the weakness of the sights of bats. But those whose sights are opened to perceive that attribute were forced to borrow from the world of language a term to designate, even weakly, something of its facts. This term is the 'power'. We thus dared to use that borrowed term saying:

Allah Almighty has an attribute, i.e. the power from which creation and invention spring. The creation in existence is divided into many divisions. As regards their division, another term, for the same necessity we have referred to above, has been borrowed to designate another attribute, i.e. the 'will'. However, as well as the term 'power' is short of fathoming the real nature and fact of the attribute which it designates, the same is true of the term 'will'. Then, the acts that spring from the power are divided into what succeeds to achieve the required purpose, i.e. the wisdom, and what is hindered from achieving the desired purpose. Each of those is related to the attribute of 'will', in view of the distinctive characteristics it has on the basis of which the division is made. Thus, for such of acts as succeeds to achieve its purpose, the term 'love' is borrowed, and for what fails to achieve its purpose, the term 'dislike' is borrowed. Both are included in description of the will. But each has another characteristic which is beyond the description of the terms 'love' and 'dislike'.

Similarly, the servants of Allah, who are among His creation and invention, are divided into such as doomed, by the eternal will, to be used to hinder the wisdom of Allah from achieving its purpose, by way of oppression, and directing causes and means over them, and such as doomed, by eternal will, to be used to drive His wisdom to achieve its desired goal. Each of both parties then is related to the will in a particular way. For those used for the wisdom of Allah to be perfect through them, the term 'pleasure' is borrowed, and for those used to hinder the wisdom of Allah from achieving its purpose the term 'anger' is borrowed. On those with whom He grew angry in eternity, an act appears with which the wisdom of Allah is hindered; and for such the term 'ingratitude' is borrowed, followed by curse and wrath out of punishment; and on those with whom He was pleased in eternity, an act with which the wisdom is driven to achieve its desired goal, and for such the term 'gratitude' is borrowed, followed by praise and commendation, out of pleasure and approval. The result is that He Almighty gave beauty and praised for it, and gave punishment and then defaced and ruined for it.

Its example is that a king cleans his dirty servant and removes the dirt

from him and then dresses him in a beauty and smart dress, and once he completes his adornment he says to him: "O pretty man! How pretty are you, and how smart is your dress, and how clean is your face!" the king in reality is the maker of beauty and the praiser of it at the same time. He is the praiser in all states in a way as if he praises none but himself, and the servant is only the apparent object of praise.

As such things were in eternity, and as such goes the sequence of causes and causers by determination and decree of the Lord of all things, the Causer and Founder of all causes. All of this is subject to His will, wisdom, true judgement and decisive command, for which the term 'fate' is borrowed. It is said that it is but a single (Act), like the twinkling of an eye, if not shorter, from which the oceans of decreed things have flowed with what was doomed to be; and for the sequence of those decreed things, as resulting from each other, the term 'Divine decree' is borrowed. Thus, the term 'fate' describes the single comprehensive command, and the term 'Divine decree' describes the details of things to happen perpetually.

It is said that nothing is outside the fate and Divine decree. For this reason, some servants wondered why the division required those details, and how justice was observed with such disparity and giving superiority to some over others. As some failed to fathom the mystery that lies behind this issue, they could not help abstain from delving into it, and they were told to keep silent, for " He cannot be questioned for His acts, but they will be questioned (for theirs)." (Al-Anbiya 23)

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾

The niche of some of them was filled with light, springing from the light of Allah in the heavens and the earth. Their Oil was first pure, well-nigh luminous, though fire scarce touched it. But when fire touched it, it flamed in Light upon Light. The result is that the sides of the dominion of the invisibles shone in front of them by the light of their Lord therewith they perceived the matters as they really are.

But they were told to discipline themselves with the etiquettes of Allah Almighty, and keep silent; and "whenever the Divine decree is mentioned, abstain from speaking in that, for you are surrounded by people who are weak in sight. So, go on and uncover not the sunlight to the sights of bats lest you would contribute in their destruction. So, behave in accordance with the good manners of Allah Almighty, and descend from the dominion of the invisibles to the world of visibles, so that the weak would be intimate with you, and get from the remaining of your light that is rising from behind your veil, in the same way as bats get from the remaining of the light of sun and the other stars at night, therewith they live in a way that befits them, and not a complete life of him who moves in the light of sun."

As such was the beginning and end of that matter. You could not understand it unless you are fitting for it. If you are fitting for it, your eye would be opened to see it, and once your eye is opened, you would need not a leader to lead you. It is true that the blind might be led by another, but when the road becomes so

much narrow, sharper than the sword and thinner than the hair, the bird becomes just able to fly over it, but not to drag a blind behind him. If it is a water path, only the skilled swimmer would be able to cross it, but without drawing anyone behind him. Those are matters proceeding on which in relation to the audience and majority of laymen is like to proceed on water in comparison with proceeding on the ground. Although swimming could be learnt, by no means would walking on water be learnt: but it is acquired by the power of certainty of faith. For this reason, it was said to the Prophet "peace be upon him": "It is said that Jesus "peace be upon him" walked on the water." On that he said: "If he advanced in certainty (of faith) more, he would have been able to walk on the air."

Those are but references and hints to what is intended by love and dislike, pleasure and displeasure, gratitude and ingratitude. Nothing more thereof is fitting for the science of practical religion. Allah Almighty set for an example to illustrate the matter to the minds of people, when He said that He did not create men and jinn but to worship Him. Thus, their worship of Him was the final wisdom from creating them. Then, He told that He has two servants: He loves one of them called Gabriel, the Holy Spirit, the Honest. He is loved, obeyed, trustworthy and strong. He dislikes the other called Iblis, i.e. the cursed who is given respite to the Day of Judgement. Then, He turned the matter of guiding to Gabriel as shown from His statement: " Say, the Holy Spirit has brought the revelation from your Lord in Truth, in order to strengthen those who believe, and as a Guide and Glad Tidings to Muslims." (An-Nahl 102)

﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

And: "by His Command does He send the spirit (of inspiration) to any of His servants He pleases, that it may warn (men) of the Day of Mutual Meeting." (Ghafir 15)

﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ ﴾

He turned the temptation and misleading to Iblis as shown from His statement: "Thus misleading others from Allah's Path." (Az-Zumar 8)

﴿ ۞ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴿٨﴾ ﴾

The temptation is to hinder the servants from attaining the end of wisdom. Consider then how temptation is attributed to the servant with whom He grew angry, and guidance, which is the way to attain the end, to the servant whom He loved.

There is an example for that from the ordinary life. If a king needs somebody to give him drink and another to cup him, clean the house and remove the dirt from it; and at the same time he has only two servants: the more ugly of them would be given the assignment of cupping and cleaning the house, whereas the better and dearer of them to himself would be given the assignment of providing him with drink. You should not attribute any of acts to yourself, for it is He Who causes you to assign the hateful act to the hateful person, and the lovable act to

the lovable person, in order to perfect justice. His justice sometimes is done by things in which you have no share, and sometimes through yourself, for you are but one of His acts. Your causes, power, knowledge, work, and all things you do are His act which He arranged in you justly in a way that from which proportionate acts and works spring. But since you see but yourself, you think, though falsely, that what appears on you in the world of visibles has no reason from the dominion of invisibles; and this is why you attribute the act to yourself.

Your example is like the child who watches at night the play of a sorcerer, who brings out pictures from behind a screen, dancing, crying and moving. They are composed of lifeless and motionless pieces of cloth, that are moved by thin and fine threads which are not visible in the darkness of night, whose heads are in the hand of the sorcerer, who is hidden from the sights of children. The children rejoice and wonder, thinking those pieces of cloth dance and move by themselves, unlike the rational mature who know that they are moved and do not move by themselves. But perhaps they do not know the details and even those who know some of its details does not know it completely as the sorcerer himself who manages and does it knows it.

The same is true of the children among the inhabitants of this world. All the people are children in comparison with the learned. They look at those persons and think that they move by themselves, thereupon they turn the movement to them, unlike the learned who know that they are moved and do not move by themselves. But they might not know how they are moved. This is the case of the majority of learned. But the Gnostics and those well-established in knowledge perceived with their sharp insights those spider threads, if not finer, hanging down from the sky with their ends clinging to the persons on earth, and in view of their minuteness, they are not perceived by the apparent sights. Then, in a later stage, they perceived the heads of those threads having their handles in the hands of angels who move the heavens. They also watched the angels of heaven directing themselves to the carriers of the Throne (of Authority), in expectation of such of commands as descend on them from the Presence of the Lord, in order not to disobey the command of Allah, and do what they are commanded to do. Those contemplations are referred to in the Qur'an by His saying: " And in heaven is your Sustenance, as (also) that which you are promised." (Adh-Dhariyat 22)

﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

As for the angels' expectation of the command of Allah Almighty, it is referred to in the following statement: "Allah is He Who created seven Firmaments and of the earth a similar number. Through the midst of them (all) descends His Command: that you may know that Allah has power over all things, and that Allah comprehends all things in (His) Knowledge." (At-Talaq 12)

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾

The interpretation of those matters is known only by Allah Almighty, and

those well-established in knowledge (are caused by Allah to know that). Ibn Abbas "Allah be pleased with them" referred to the specialty of these well-established in knowledge in sciences that are beyond the reach of the minds of the ordinary people. He recited the statement of Allah Almighty: " Through the midst of them (all) descends His Command..." and then commented: "Were I to mention to you all I know about the meaning of this statement, you would surely stone me to death (or "you would ascribe me to disbelief", according to another version)." At that point, let's be satisfied with what we have mentioned, by which we have transcended the real nature of the science of practical religion to the science of Disclosure.

Let's return to the purposes of gratitude. If the real nature of gratitude in the end is to use a servant to perfect the wisdom of Allah Almighty, the most thankful among the servants is the dearest to Allah Almighty, and the nearest to Him; and the nearest to Allah are the angels, who are classified according to different ranks, and everyone of them has a specific station. the nearest among them is Israfil "peace be upon him". Their high rank and nearness are due to their honor and piety. With them, Allah Almighty communicated the Prophets "peace be upon them", the noblest of creatures on the surface of the earth. The Prophets are good in themselves. With them, Allah Almighty guided the people, and perfected His wisdom. The one of the highest rank among them is our Prophet Muhammad "peace be upon him", with whom Allah completed the religion, and concluded the Prophets.

Following them are the religious and learned scholars, the heirs of Prophets (in knowledge). They are righteous in themselves. With them Allah Almighty reformed the people. The degree of each of them is determined by the extent of reforming himself and the people round him. Following them are the just rulers for they reformed the world of people with their justice in the same way as religious scholars reformed their religion. Because religion, kingship and ruling were combined to our Prophet Muhammad "peace be upon him", he was the best of all the Prophets. with him, Allah completed the rightness of their religion and world; and sword and kingship were given to none other than him from among the Prophets. following learned scholars and just rulers are the righteous among the people who made right their religion as well as their own selves only, thereupon the wisdom of Allah Almighty was not perfect through inasmuch as in them. Apart from those mentioned above, all are rabble laymen.

It should be known to you that with the ruler, the religion is established. So, he should not be scorned, even if he is a wrongful wicked. According to Amr Ibn Al-As: "An oppressive ruler is better than a ceaseless affliction." It is narrated on the authority of Umm Salamah "Allah be pleased with her", the wife of The Prophet that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "In the near future some commanders will be appointed as rulers over you, and you will approve their good deeds and disapprove of their bad deeds. They would do mischief, but what Allah makes right at their hands would be more. If they do good, they would receive reward, and gratitude would be due on you; and if they do evil, they would incur sin upon themselves, and patience would

become due on you." (Muslim, with a slight variation of wording).

According to Sahl: "Whoever denies his imam, i.e. the ruler, is an atheist; and whomever the imam invites and does not respond to his invitation is a religious innovator; and whoever comes to the ruler without invitation is an ignorant." Once he was asked: "Who among the people is the best?" he said: "The ruler." It was said: "We think that the ruler is the worst of people." On that he said: "Be quiet! Indeed, Allah Almighty looks at him twice per day: one to the safety of the property of Muslims and the other to the safety of their persons. Once (he achieves both) He Almighty considers his scroll and then forgives for him his sins." He used to say: "The pieces of black wood hung at the gates of their houses are better than seventy storytellers relating narrations."

SECOND PILLAR
THE OBJECT OF GRATITUDE

It discusses the real nature, and the general and particular divisions of favor, given that all favors of Allah upon His servants are beyond calculation, as confirmed by Allah Almighty: " But if you count the favours of Allah, never will you be able to number them. Verily, man is given up to injustice and ingratitude." (Ibrahim 34)

﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

So, we are going to present universal issues as laws in learning the favors, and follow them with some details; and it is Allah who grants success.

Explication Of Real Nature And Divisions Of Favor

It should be known to you that every good, pleasure and happiness, if not every desired thing is called favor. But the real favor is the hereafter happiness. Given anything else the name of happiness is either wrong or figurative, like giving the name of favor to the worldly happiness which assists not for the hereafter: that is evident error. That a particular thing is given the name of favor might be true, but to give the name of favor to the hereafter happiness is more truthful. Every means that helps or causes one to attain the hereafter happiness, either through one or more ways, might be truly named a favor, for it leads to the real favor. Let us then divide the helpful means and pleasures called favor into many kinds of division and explain them as follows:

The first division is that all things in relation with us are divided into what is beneficial in both the world and the hereafter, like knowledge and good manners; what is harmful in both the world and the hereafter like ignorance and bad manners; what is beneficial at the moment, i.e. in this world, and harmful in the hereafter, like taking the pleasure from following the desires and appetites; and what is harmful and painful at the moment and beneficial in the hereafter, like curbing desires and opposing the self. What is beneficial at the moment and in the future is the real favor, with verification, like knowledge and good manners; and what is harmful in both is the real disfavor with verification, like ignorance and bad manners.

What is beneficial at the moment and harmful in the future is an evident

disfavor in the sight of those endued with deep insight and intelligence, although a favor in the sight of the ignorant foolish. Its example is like a hungry person who finds poisoned honey: if he is ignorant of its reality, he would think it a favor; and if he learns its reality, he would know that it is a disfavor driven to him. What is harmful at the moment and beneficial in the future is a favor in the sight of the intelligent, though a disfavor in the sight of the ignorant. Its example is like the medicine of presently bitter sore taste, which is to cure from the ailment in the future. If the ignorant child is obliged to drink it, he would think it a disfavor; whereas the intelligent regards it a favor, and becomes under obligation to him who gives it to him.

That is why the mother, for instance, prevents her child from getting cupped, unlike the father who invites him to it. That is because the father, due to his perfect mind, looks over the good consequence, whereas the mother, due to her excessive emotion and deficiency in mind, sees only the harm at the moment, and the child, due to his ignorance, inclines to appreciate his mother and not his father, and further gets comforted with her pity and considers the father his enemy. But were he to be discerning, he would surely know that his mother is an enemy to him disguised in the form of a friend, for preventing him from cupping would lead him to more painful ailments . However, the ignorant friend is dearer to oneself than the intelligent enemy. Every one is the friend of himself, but an ignorant friend. For this reason, it controls him more than an enemy might do with him.

A second division: It should be known to you that all means and ways in this world are mixed in a way that their good could hardly be distinguishable from their evil. Good could hardly exist in pureness separated from evil. Consider the property, family, children, kinship, majesty, and all means and ways in general. But they could be divided into things whose benefit is more than harm, like the sufficient amount of money and majesty, and all the other means; and things whose harm is more than benefit in relation with the majority of people like much property and large majesty; and things in which benefit and harm are equal, and those differ by the difference of persons: it may be that a righteous man gets benefit from the lawful property and if it is too much, he would spend it in the Way of Allah and on the sides of good, in which case such property is a favor for him; and another man might harm himself even with the little, by making many complaints to his Lord about his displeasure, asking Him for more, in which case, it is a disfavor for him.

A third division: It should be known to you that the good things are divided, by another consideration, into what is preferred for itself only, what is preferred for another only, and what is preferred for itself as well as for another thing.

An example for what is preferred for itself only is the pleasure of looking at the Countenance of Allah Most Generous, and the happiness of meeting Him, or in general, the never-ending happiness of the hereafter: it is not sought in order to have access therewith to another end beyond it. Nay! It is sought only for itself.

An example of the second, which is intended for another thing only, and it is

not intended in itself, is like the Dirhams and Dinars: if the need could be fulfilled without them, surely, they would have become in the same position of the gravel on the ground. But since they are a means to get the pleasures, they have become dear to the ignorant in themselves, to the extent that they came to collect and hoard them, and exchange both on usury basis, thinking currency to be intended in its own self. The example of those ignorant is like him who loves a person, and because of him, he loves his messenger who connects between them, and in the midst of loving the messenger, he forgets gradually his love for the original beloved, with the result that he turns away from him along his lifetime, and rather engages in taking care of the messenger; and that is, to be sure, the utmost ignorance and error.

The third is that which is intended for itself as well as for another thing. Its example is like the health and safety. They are intended for one to be able therewith to remember (Allah) and meditate (His signs), which leads in the end to the meeting with Allah Almighty in the hereafter. But at the same time, they also are intended for their own selves. Man, even if he could dispense with the thing for which the safety is sought, seeks safety in its being safety.

In short, what is preferred for itself only is the real good and favor with verification. What is preferred for itself and for another thing is also a favor, but less in rank than the former. But as for what is preferred only for another thing, like Dinars and Dirhams, they are not described as a favor as being concrete bodies, although, as being a means to get things and fulfill needs, a favor but for him who wants a thing which could not be achieved without them. If his purpose is knowledge and worship, and he has the amount of money which, by a hair's breadth, suffices the necessities of his life, then, gold and stones become equal in his sight, that it is the same to him to possess or lose them. But even, their existence might divert him from worship and meditation, in which case they become a disfavor and not a favor for him.

A fourth division: It should be known to you that the good things, by another consideration, are divided into the beneficial, pleasant and beautiful. The pleasant is that with which one gets comforted at once. The beneficial is that which benefits in the future. The beautiful is that which is regarded good in all states. Likewise, evils are divided into the harmful, ugly and painful. Each of both divisions are of two categories: either absolute or restricted. The absolute is that which combines the three characteristics like, in the case of the good things, knowledge and wisdom: it is beneficial, pleasant and beautiful in the sight of those endued with knowledge and wisdom; or like, in the case of evil things, ignorance, which is harmful, ugly and painful.

That is because the ignorant feels the pain of ignorance once he knows that he is ignorant, by seeing the other as knowledgeable, and himself as ignorant, thereby he perceives the pain of shortage, which arouses in him the pleasant desire for knowledge. But it may be that his envy, arrogance and physical desires impede him from learning, leaving him strained between two opposites, thereby his pain worsens grievously: If he leaves learning, he would be pained by ignorance and perception of shortage; and if he engages in learning, he would be

pained by leaving his physical desires or by leaving arrogance for the humiliation of learning. Such man continues to suffer unrelenting punishment.

The other kind is that which implies some and not all the characteristics, like the painful beneficial. Its example is like cutting off the impaired finger from the sound body. Another is the ugly beneficial like foolishness, which is, though being ugly, beneficial in many cases. It is said: "Relieved has he been who has no mind." That is because he thinks not about the consequence, thereupon he gets comforted at the moment until it is time for his death. Something might be beneficial in part and harmful in part, like throwing the money into the sea when there is fear of sinking: it is harmful in relation with the money, and beneficial for the person himself who might be saved. The beneficial is of two kinds: One is the necessary like faith and good manners as means to drive one to the hereafter happiness. By both I refer to knowledge and work, without which faith is impossible. The other is unnecessary, like the usage of oxymel as a medicine for bile, which might be treated by anything instead.

A fifth division: It should be known to you that the favor refers to every pleasant thing. The pleasures in relation with man as being characterized by them or shares the other creatures in them, are of three kinds: Mental, physical in which he shares some animals, and physical in which he shares all animals.

The first is the mental, like the pleasure of knowledge and wisdom, which are not pleasant to seeing, hearing, smelling, touching and tasting, nor are they to belly and sex. They are pleasant only to the heart for it is characterized by a particular quality referred to as mind. This pleasure, though being the noblest, is the scarcest. Its scarcity is due to the fact that knowledge is not pleasant but to a learned scholar, as well as wisdom but to a wise; and how scarce are the men endued with knowledge and wisdom, and how many are those who claim their qualities and imitate their attributes! Its honor is due to the fact that it is inherent and never vanishes in the world and the hereafter, and permanent of which one never gets bored. Food, once satiates the hungry, becomes boring, and the same is true of the sexual desire. But both knowledge and wisdom are unimaginable to be tedious or wearisome.

If one has the ability to do the noble thing which is permanent and never-ending and then is pleased with the despicable which is perishable, has, to be sure, a mental disorder, and is, due to his wretchedness, deprived of all good. The least thing to be said about it is that knowledge needs not any assistants or guardians, unlike wealth: knowledge safeguards you while you safeguard wealth. Knowledge increases by spending, while wealth decreases by spending. The wealth is apt to be stolen, as well as the office to be taken, unlike knowledge, to which the hands of thieves never stretch, nor could it be taken. The result is that the possessor of knowledge is always in safety and security, unlike the owner of wealth or authority who always lives in unrest and fear. Furthermore, knowledge is always beneficial, pleasant and beautiful in all states, unlike wealth which sometimes leads to destruction and sometimes to salvation. For this reason, Allah Almighty dispraised the wealth many times, and described it as good many times

in the Qur'an.

That most people are short of perceiving the pleasure of knowledge is due to their lack of taste, for whoever does not taste a thing is ignorant of it, and has no longing for getting it, for longing always ensues from taste; or due to their corrupt mood and heart disease as a result of following their desires and lusts, like the ill person who does not perceive the sweetness of honey and feels it bitter in his mouth; or due to the shortage of intelligence, as the quality with which they could get pleasure from knowledge has not yet been created in them, like the infant who could not perceive the pleasure of honey or the flesh of birds, for he still takes pleasure in milk only, given that he relishes not both does not mean that honey and flesh of birds are not pleasant, or that he finds agreeable the milk means that it is the most pleasant of edible things.

Thus, those who are short of perceiving the pleasure of knowledge and wisdom are three kinds: he whose heart never lives like the child; he whose heart dies after life by following desires and lusts; and he who falls ill because of following appetites. Thus, when Allah Almighty says: "In their hearts is a disease; and Allah has increased their disease" (Al-Baqarah 10)

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾

He refers to the disease of mind. His statement " That it may give admonition to any (who are) alive" (Ya Sin 70)

﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا ﴾

Refers to those whose hearts never live. To be sure, every living in person and dead in heart is regarded among the dead in the Sight of Allah Almighty, though living in the sight of the ignorant. This is why the martyrs are living with their Lord, given their sustenance regularly, regardless of their being dead in person.

The second pleasure is that in which man shares some and not all animals, like the pleasure of authority, supremacy and primacy. The lion, tiger and some other animals share man in that pleasure.

The third is the pleasure in which man shares all animals, i.e. the pleasure of belly and sex. It is the most existing although the most despicable. This is why it is common to all animals, including even the smallest larva. If one rises up a degree, the pleasure of authority and supremacy clings to him in general, and to the heedless and ignorant among men in particular, and a higher degree, he could taste the pleasure of knowledge and wisdom, particularly the knowledge of Allah Almighty, and the knowledge of His attributes and acts; and that is the grade of the sincere affirmers of truth. It is not attained unless the love of authority comes out of the heart. Indeed, the love of authority is the last to come out of the heads after which one turns to be of the sincere affirmers of truth. As for the desires of belly and sex it is easy upon the righteous to curb. But only the sincere affirmers of truth are able to suppress the greed for authority. But to remove the desire of authority entirely is likely beyond the capacity of human beings. It is true that the gnosis of Allah and His attributes and acts might prevail in many states, but not in all states, and it does not remain forever. Some periods of weakness befall the

heart during which the self returns to the normal human characteristics, including such desire, but it is not too strong to entice the heart to leave moderation.

At that point, hearts are divided into four categories: A first heart loves none but Allah Almighty, and gets comforted only with advance in gnosis of and meditation in Him. A second heart does not know the significance of the pleasure of the gnosis of, and intimacy with Allah Almighty: But it gets its pleasure in majesty, authority, wealth and all physical desires. A third heart is that which, for the most part of its states, takes pleasure in gnosis of, intimacy with and meditation in Allah Almighty. But in some states, the normal human desires might befall it. Finally, a fourth heart is that which, for the most part of its states, takes pleasure in normal human desires, and in some states, the pleasure of knowledge might befall him.

As for the first, if it is possible, it is very unlikely. The second is prevailing in the world. As for the third and the fourth, they exist rarely but not seldom. They vary in muchness and littleness by the difference of ages and times. The closer we are in time to the ages of Prophets, the greater in number they are; and the farther we are from the time of Prophets, the less in number they turn to be and so forth until the establishment of the Day of Judgement, where Allah would accomplish a matter already enacted. Its rareness at that time is suitable for it will be the commencement of the dominion of the hereafter, and as the dominion in general is rare, the kings should subsequently be rare too. As well as the excellent in beauty and dominion are very rare, while the normal who are below them represent the majority, the same is true of the dominion of the hereafter, for the world is but a mirror of the hereafter as being the world of visibles, and the hereafter the dominion of invisibles, and the world of visibles always follows the dominion of invisibles just as the image in the mirror follows the picture of the beholder. Although the image in the mirror ranks second in existence, it is the first you see, for you do not see yourself unless you see first your image in the mirror, therewith you recognize yourself.

In other words, the heart that is the second to exist is the first to recognize, and the latter to exist is the earlier to recognize and so on. This is a reversion. But to be sure, both reversion and overturn are necessity in this world (of visibles). The world of visibles imitates the dominion of invisibles. Some people, upon whom it is made easy to look at that world by consideration, do not see a thing in the world of visibles but that they cross therewith to the dominion of the invisibles. This is commanded by Allah in His statement: "Take warning, then, O you with eyes (to see)!" (Al-Hashr 2)

﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ۝ ﴾

Others have their insight blind thereupon they do not receive admonition nor warning, and rather are constrained in this narrow world of visibles, and their prison would be opened but to the gates of the fire of Hell. Although this prison is full of fire which mounts right to the hearts, but there is a veil between such men and perception of its pain; and once this veil is removed by death, its pain soon becomes perceptible.

In reference to that, Allah Almighty revealed the truth on the tongue of some

people who said: "Both Paradise and Hell are created. But Hell is once perceived by a perception called ' certainty of mind', and once by a perception called ' certainty of sight'." But the certainty of sight would happen only in the hereafter. The certainty of mind might be in this world but for those who have fulfilled their fortune of the light of certainty. For this reason, Allah Almighty says: " Nay, were you to know with certainty of mind, (you would beware!) You shall certainly see Hell-fire!" i.e. in the world "Again, you shall see it with certainty of sight!" i.e. in the hereafter. (At-Takathur 5-7)

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝ ﴾

Thus it is clear that the heart to be fitting for the dominion of the hereafter is very rare, like the person to be fitting for the kingdom of this world.

A sixth division: It combines all kinds of favor. It should be known to you that a favor might be sought as being an end in itself, or as being a means to achieve another end. What is an end in itself is the permanent happiness of the hereafter. It has four characteristics: never-ending permanence; pleasure in which there is no grief; knowledge with which there is no ignorance; and richness after which there is no poverty. That is the real favor about which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There is no real living but that of the hereafter." He said so during the time of hardship to console himself and the people, i.e. during digging the trench. (both sheikhs on the authority of Anas). But he said the same once again at the time of prosperity, to forbid the soul to rely on the pleasure of this world, i.e. when the people surrounded him during the farewell Hajj. (Ash-Shafi'i and Al-Hakim). A man said (by way of supplication): "O Allah! I ask you the perfection of favor." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" asked him: "Do you know the perfection of favor?" the man answered in the negative, thereupon he said: "The perfection of favor is to enter Paradise." (At-Tirmidhi on the authority of Mu'adh).

As for the means, they are divided into the nearest, like the merits of the self, and then the next of nearness like the merits of body, and then the next which transcends the body to other things, like means and ways attached to the body such as property, family and clan, and those which combines the means outside and inside the self, like guidance and success. Those then are four categories:

The first pertains to the spiritual merits, which return in the end to faith and good manners. Faith is divided into the science of disclosure (Mukashafah), i.e. the gnosis of Allah Almighty, His attributes and acts, His angels, Messengers and Books; and the sciences of practical religion (Mu'amalah). As for the good manners, they are also divided into two: the abandonment of desires and anger, and this is called chastity. One should observe justice in refraining from and fulfillment of desires, in a way that makes him follow a middle course between absolute abstention and absolute fulfillment. Thus his abstention and fulfillment become subject to the just balance revealed by Allah Almighty on the tongue of His Messenger "peace be upon him", as shown from His statement: " In order that you may not transgress (due) balance. So establish weight with justice and fall

not short in the balance." (Ar-Rahman 8-9)

﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝ ﴾

So, whoever gets himself castrated in order to abstain from the sexual desire, or abandons marriage given his financial and physical capability, or whoever refrains from eating until he weakens even to practice his acts of worship, has, indeed, fallen short in the balance. Similarly, whoever is involved in fulfillment of the desires of belly and sex has indeed transgressed the due balance. Justice requires to make his balance due, neither transgressing nor falling short; and it is only with this that both scales of balance become just. The merits of the self which draw one near to Allah are then four: the science of Disclosure, the science of practical religion, chastity and justice.

But more often, this is not achieved without the second category, i.e. the physical merits, and they are four: health, power, beauty and long life. But those four could hardly be made easy without the third category, i.e. the favors that are external but surrounding the body, and they are also four: property, family, majesty and clan. But neither the physical merits nor the outside merits could avail without the fourth category, i.e. that which matches them and what befits them of the spiritual merits, and they are four: Allah's guidance, direction, success and support.

Those then are sixteen favors divided into four categories, and each consisting of four. They always need each other, and that need might be essential or beneficial. An example of the essential need is the need of the hereafter happiness for faith and good manners. There is no way to have access to the hereafter happiness without both. None has more than the fruits of his endeavor, as well as none shall have of the hereafter but the provisions he takes from this world. Similarly, the need of the self-favors which helps man acquire those sciences and improve manners for such physical favors as health is essential. An example of the beneficial need is the need of the self-favors and the physical favors for such outside favors as wealth, honor and family. If those are absent, perhaps it might lead to disorder in some inside favors.

You may ask: "What is the need of the way to the hereafter for the external favors like wealth, family majesty and clan?" in reply to that, it should be known to you that those external favors are like the wing or the instrument which facilitates the achievement of the purpose. As for wealth, the poor who seeks to obtain knowledge and perfection, without having sufficient money to help him do so is like him who goes to the war without a missile, or like a falcon which chases without a wing. For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "How good wealth is that for the good man!" (Ahmad, Abu Ya'li and At-Tabarani on the authority of Amr Ibn Al-As). the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "What a good wealth is to assist one fear Allah (and safeguard himself from His punishment)!" (Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Jabir).

Why not since he who is deprived of wealth consumes the most part of his time in gaining sustenance, and securing clothes and residence, in addition to the other necessities of living? Furthermore, he is exposed to such of harmful things

as divert him from celebration (of Allah) and meditation (of His signs), which could hardly be averted without the missile of wealth. Additionally, the shortage of wealth deprives one of performing Hajj, giving in charity, and spending in what is good. One of the sages was asked about the blessing, thereupon he said: "Richness. Indeed, I have seen that the poor could not have a real living." He was asked to give more thereupon he said: "Security. Indeed, I have seen that the fearful could not have a real living." He was asked to give more and he said: "Health. Indeed, I have seen that the weak and sick could have no real living." He was asked to give more and he said: "Youth. Indeed, I have seen that the old aged could have no real living." What he referred to belongs to the blessing of the world, but inasmuch as it helps one for the hereafter, it is a favor. For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, upon whom morning comes and he is health, secure in himself, and has the sustenance of his day, seems as if the entire world has been owned by him." (At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Ubaidullah Ibn Mihsan Al-Ansari).

As for the family and good offspring, the need for them is not hidden. For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "How good person is the righteous wife to help (her husband) in religion." Concerning the offspring, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If mankind dies, his deed would cease except in regard with three things: ...and a good son/daughter to invoke good upon him." (Muslim on the authority of Abu Hurairah). We have made a mention of the merits of the wife and children in the Book of Marriage.

As for kinship, the more a man has children and relatives, the more they become like his eyes and hands to facilitate for him a lot of things in the world which help him in his religion, and were he to be alone, he would spend long time to facilitate them. All what disengages your heart from the worldly necessities helps you in the religion, and becomes a favor for you.

As for honor and majesty, with them man averts humiliation and injustice from himself. Almost no Muslim could dispense with any of both, for he is surrounded from all sides by an enemy to harm him, and a wrongdoer to distract his knowledge, work and free time, and engage his heart, which is his main capital. But by honor and majesty, those occupants are averted. For this reason, it is said: "Religion and power of authority are twins." In confirmation of that, Allah Almighty said: " And did not Allah check one set of people by means of another, the earth would indeed be full of mischief: but Allah is full of bounty to all the worlds." (Al-Baqarah 251)

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾

There is no meaning for majesty but to have possession of hearts, as well as there is no meaning for richness but to have possession of Dirhams and Dinars, and by virtue of possessing money, masters of hearts are subjugated to defend him. As well as one needs a roof to protect him against rain, a cloak to protect him against cold, a dog to protect his cattle and sheep against the wolf, one also needs somebody therewith to avert evil from himself.

It is with that purpose that the Prophets "peace be upon them" who had no

power of authority sought the support of those endued with authority among the people, and so do the religious scholars, not with the intention to get from their treasures, and increase their number in this world by following them. Think not that the favor of Allah Almighty on the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" as He supported him, perfected for him his religion, made him victorious over all his enemies, and planted his love in the hearts of people, until his honor and majesty became far-reaching, was less than His favor on him "peace be upon him" when he was exposed to harm until he was forced to emigrate.

You may ask: "Are the honor of the clan and the good ancestry of the family among the favors?" I answer in the affirmative. For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The imams (rulers) should be from Quraish." (An-Nasa'i and Al-Hakim on the authority of Anas). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was the most honored in ancestry among all sons of Adam "peace be upon him". The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Select for your (children to be produced from your) sperm-drops the equivalent (to you in religion)." (Ibn Majah on the authority of A'ishah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Beware of the green plant that grows amidst the dunghill." They asked: "What is the green plant which grows amidst the dunghill O Messenger of Allah?" He "peace be upon him" said: "The pretty woman who grows up in a bad family." That is also one of the favors. But I do not mean by it the belonging to the wrongdoers, or the lovers and masters of this world, but I mean the belonging to the family tree of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" as well as to the righteous religious scholars and pious men whose work and knowledge are good.

You may ask: "What is intended by the physical merits?" Let me say that it is not hidden that there is a dire need for health, power and long life, without which both knowledge and work could hardly be obtained. For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The best of happiness is the long life to be spent in obedience of Allah Almighty." (At-Tirmidhi on the authority of Abu Bakrah, but with variation in wording). But only the fourth among them, i.e. the beauty is regarded with slightness. It is said that suffices for one to have his body sound and flawless of the ailments which divert one from doing good.

By my life, beauty, though of little benefit, is one of the good things. Its benefit in this world is self-evident. As for the hereafter, its benefit is due to two points of view:

The first is that the ugly is dispraised and loathsome, whereas the beautiful is nearer to the hearts, and his needs are closer to be responded to by others. From this perspective, it is a wing, like wealth and majesty, that conveys to the purpose. That is because it is a kind of power therewith the good-looking person could achieve things that is beyond the power of the bad-looking. To be sure, what helps one achieve the needs of this world is considered useful in accomplishing the hereafter needs.

The other point is that beauty, more often, indicates to the merit of the soul,

for the light of the soul, once it rises perfectly, is reflected on the face. Both appearance and essence are frequently inherent. For this reason, the physiognomists often rely on the physical appearance as indicator to the good manners. They say: "Both face and eye are a mirror of the inner self." The traces of anger, grief and pleasure always appear on the face. It is also said: "The cheerfulness of the face is the title of what is lurking in the self." It is further said: "Nothing ugly exists in the earth but that its face is the prettiest of it." Once, Al-Ma'mun spectated the army and behold! An ugly man was shown to him and when he asked him about himself, he found out that he was mute, thereupon he cancelled his military enrollment. In his justification of that he said: "When the soul rises with its light on the appearance, it makes it bright, and if it does in the soul, it seems in the form of eloquence; and this man has neither a good appearance, nor a good soul."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Seek good with those of bright faces." (Ibn Hibban and Al-Baihaqi on the authority of Ibn Umar). Umar "Allah be pleased with him" said: "If you send a messenger, seek a person of lovely face and good name." according to many religious jurisprudents: "If the praying men are equal in rank, then, the most good-looking among them are preferable to lead the prayer." In confirmation of the importance of beauty, Allah Almighty said (about Talut): "Allah has chosen him above you, and has gifted him abundantly with knowledge and bodily prowess: Allah grants His authority to whom He pleases." (Al-Baqarah 247)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ﴿٢٤٧﴾ ﴾

Of course we do not mean by beauty what arouses sexual desire, for this belongs to femininity. But we mean the high straight stature with moderation of flesh and proportion of organs and facial features so that people would not detest looking at him.

But you may argue: "You have included wealth, good ancestry, majesty, family and offspring among the favors, although wealth and majesty in particular are dispraised by Allah Almighty, as well as by the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and the religious scholars. Allah Almighty said in this respect: " O you who believe! Truly, among your wives and your children are (some that are) enemies to yourselves: so beware of them!" (At-Taghabun 14)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴿١٤﴾ ﴾

And: "And know you that your possessions and your progeny are but a trial; and that it is Allah with whom lies your highest reward." (Al-Anfal 28)

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

Ali "Allah be pleased with him" said in dispraising the ancestry: "No doubt, the people are the sons of (their work)that they do well, and the value of every man is (determined by the work) that he does well." It is said: "The man is (valuable) by himself and not by virtue of his father." Then, how should those be considered favors given that they are dispraised under Sharia?"

In reply to that, it should be known to you that whoever depends in obtaining sciences only on the transmitted words that are interpreted (according to inclinations) and the generalizations which he particularizes should inevitably go astray, as long as he is not guided by the light of Allah Almighty to perceive sciences as they are in reality, and then construe the transmitted texts according to what seems to him from them, once by interpretation and once by particularization. Those favors help one accomplish the affairs of the hereafter, and there is no way to deny that. But at the same time, they might be a source of temptations and risks. The example of the wealth is like a female-snake which has harmful poison and beneficial medicine. If it is taken by the snake charmer who knows well how to avoid its harmful poison and the way to extract its beneficial medicine, it will be a favor for him, and if the heedless gets it, it will be a disfavor on him. It is also like the sea that is full of variety of gems and pearls underneath its water. If the one who sails in the sea is skilled in swimming, diving and avoiding its destructives, he will be able to attain its favors and pleasures. But if the one who plunges into it is an ignorant and heedless of that, he will be destroyed.

This is why Allah Almighty praised wealth and named it 'good', and the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" praised it when he said: "What a good wealth is to aid one to fear Allah Almighty (and safeguard himself from His punishment)!" similarly, Allah Almighty praised majesty and honor when He conferred His favor upon His Messenger "peace be upon him" and made his religion prevail over all religions, and endeared him to the people, and made him loveable to their hearts. All this was by virtue of majesty. But the texts transmitted in praising it are little in comparison with those transmitted in dispraising majesty and wealth.

Furthermore, wherever showing off is dispraised, majesty is dispraised with it, for the purpose of showing off is to attract the hearts, and the significance of majesty is to have possession of hearts. Both majesty and wealth are dispraised more often and praised less for the majority of people are ignorant of the way to deal with the female-snake of wealth and dive in the ocean of majesty. So, it has become incumbent to warn them, for they would be ruined by the poison of wealth before being able to extract its medicine, and would be eaten by the crocodile of the sea of majesty before obtaining its pearls and gems. Had they been dispraised in all states and for all the people, kingship then would not have been ascribed to Prophethood, as it was to our Messenger "peace be upon him", nor would richness been ascribed to it as was ascribed to Solomon "peace be upon him".

However, all the people in this world are but children, and wealth is like female-snakes, and Prophets and Gnostics are female-snake charmers. Thus what harms the child might not harm the snake charmer. Ti is true that if the snake charmer has a child whom he likes to save, and he finds a female-snake, and takes it with the intention to get its medicine, and there is fear that his child, seeing him and desirous to imitate him, might play with a similar female-snake once he finds it, in which case, it becomes incumbent upon the snake

charmer to make a comparison between his purpose of getting the medicine and his purpose of saving the life of his child: if he could dispense with the medicine with no harm, and at the same time his child might probably take the female-snake to play with it, which exposes him to destruction, then, it would be binding upon him to run away from it, and ask the child to do so, and deface it in his sight, and show to him that it has fatal poison, from which none could be saved, and abstain from telling him anything about its beneficial medicine, for this might harm him if he does it without sufficient knowledge. Similarly, if a diver knows that his child, who is not skilled in diving, might probably follow him and expose himself to destruction in case he dives, which it becomes incumbent upon him to refrain from diving and further warn his child of the risk of the sea and river. If the child is not deterred by only warning, seeing his father hover round the seacoast, it becomes binding upon his father to move far from the seacoast, and come not close to him at the sight of his child.

Likewise, the people in comparison with the Prophets are like stupid children. For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Indeed, I am to you like the parent in relation to his child." (Muslim on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "You would fall into the fire (of Hell on the Day of Judgement), like moths and I would keep you away (as much as I could)." (both sheikhs on the authority of Abu Hurairah). Their greatest portion is to keep their children from destructives, for which only they were sent as Prophets. But their portion in wealth was only in proportion to sustain themselves. For this reason, they limited themselves to the amount of sustenance, and did not withhold, but rather spent what remained beyond their essential needs.

However, medicine lies in spending, whereas poison lies in withholding. If the gate of earning is opened to the people and they are exhorted to do so, they would surely be inclined to the poison of withholding, and turn from the medicine of spending. This is why wealth was defaced, in reference to the fact that what should be defaced is to withhold it, and be stingy on it, by proliferating it and increasing its delight in a way that causes one to rely on the world with its pleasures. But to take from it only what suffices to sustain oneself and spend what is beyond the need in good things is not blameworthy.

It is incumbent upon every traveler but to carry only such of provision as suffices him on journey, if he is determined to sustain only himself. But if he is pleased to have his journey companions share food with him, there will be no harm to increase his provision. It is within that meaning that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Let the vehicle of conveyance of anyone of you (to the hereafter) from this world is no more than the rider's provision." (Ibn Majah and Al-Hakim on the authority of Salman). This is in case he spends only on himself, otherwise, some narrators of this Hadith used to take as much as one hundred Dirhams and spend it all at once on the needy and keep no single one thereof with them. When the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" told that the wealthy would, by a

hair's breadth, enter Paradise, Abd-Ar-Rahman Ibn Awf "Allah be pleased with him" sought his permission to abandon his wealth entirely, and he gave him permission. But Gabriel "peace be upon him" descended and said to him: "Tell him to feed the indigent, dress the naked, and deal with the guest generously." (Al-Hakim on the authority of Abd-Ar-Rahman Ibn Awf).

The worldly favors then are not entirely pure, for their medicine is contaminated with poison, good expectations with risks, and benefit with harm. So, whoever is confident of his good insight and gnosis, he could approach the world if he so likes, provided that he should ward off its poison and extract its medicine carefully; and whoever is not confident of that, let him run away in flight from its probable risks. Indeed, safety is unequalled for such, who represent almost all the people save such of them as Allah Almighty protected and guided to the right path.

You may ask: "What is the concept of the accommodational favors to which Allah accommodates the servant by virtue of guidance, rectitude of conduct, support and grant of success?" in reply to that, it should be known to you that the Divine accommodation is indispensable. It is to accommodate the will of a servant to coincide with the Divine decree and fate of Allah Almighty. It includes both good and evil, and both happiness and wretchedness. But the custom requires to specify the term 'Divine accommodation' to the fate and Divine decrees of Allah Almighty which coincide with happiness only. Similarly, as atheism is to deviate, it is specified to him who inclines from the truth to falsehood. The need of Divine accommodation is then self-evident. For this reason it is said: "If a man is not helped by Allah Almighty (do good), his effort more often leads him to evil consequences."

As for guidance, there is no way for a servant to seek happiness without it. That is because the will of man might incline to what serves for his benefit in the hereafter. But if he fails to know what benefits him in the hereafter, thinking corruption to be benefit, then, which profit could his will only avail him? Indeed, there is no benefit in the will, power and causes except after the guidance (of Allah). That is the significance of the statement of Allah Almighty: "Our Lord is He Who gave to each (created) thing its form and nature, and further, gave (it) guidance." (Ta Ha 50)

﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾

And: " and were it not for the grace and mercy of Allah on you, not one of you would ever have been pure: but Allah does purify whom He pleases: and Allah is One Who hears and knows (all things)." (An-Nur 21)

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا

وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "None shall enter Paradise without the mercy, i.e. guidance of Allah Almighty." It was said to him: "And even not you O Messenger of Allah?" he said: "And not even I." (both sheikhs on the authority of Abu Hurairah).

Guidance has three stations: the first is to know the way to good and evil referred to by the statement of Allah Almighty: " And shown him the two highways?" (Al-Balad 10)

﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾

Allah Almighty conferred that favor upon all of His servants, some by virtue of mind, and others on the tongue of His Messengers "peace be upon them". That is the meaning of His statement: " As to the Thamud, We gave them guidance, but they preferred blindness (of heart) to Guidance: so the stunning Punishment of humiliation seized them, because of what they had earned." (Fussilat 17)

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

The causes of guidance then are the Books, the Messengers, and the sights of mind. All of those are available, and nothing hinders from them other than envy, arrogance and love for this world, in addition to the causes that blind the hearts but not the sights, as confirmed by Allah Almighty in His statement: " Truly it is not their eyes that are blind, but their hearts which are in their breasts." (Al-Hajj 46)

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾

Among the causes that blind the insights, a mention may be made of the long habit and tradition as referred to by Allah Almighty in His statement: "Nay! they say: "We found our fathers following a certain religion, and we do guide ourselves by their footsteps."" (Az-Zukhruf 22)

﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

To arrogance and envy as among the causes of blindness, Allah refers in His statement: "Also, they say: "Why is not this Qur'an sent down to some leading man in either of the two (chief) cities?"" (Az-Zukhruf 31)

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾

And: "For they said: "What! a man! a solitary one from among ourselves! shall we follow such a one? Truly should we then be straying in mind, and mad!" (Al-Qamar 24)

﴿ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ ﴾

It is those causes of blindness that hindered people from receiving guidance.

The second guidance is that which follows the first one, with which Allah Almighty provides the servant from time to time as a fruit of self-mortification, as confirmed by His statement: " And those who strive in Our (Cause), We will certainly guide them to Our Paths: for verily Allah is with those who do right." (Al-Ankabut 69)

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾

And: "But to those who receive guidance, He increases the (light of) Guidance, and bestows on them their Piety and Restraint (from evil)." (Muhammad 17)

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾

The third guidance which follows the second one is the light that rises in the world of Prophethood and alliance (of Allah Almighty) after the perfection of self-mortification, with which one receives guidance more than he would do by virtue of the normal mind with which obligation and learning sciences are due. It is that which Allah Almighty honored when He ascribed it to himself, given that all things comes from Allah Almighty, as shown in His statement: "Say: "Allah's guidance is the (only) guidance, and we have been directed to submit ourselves to the Lord of the Worlds." (Al-An'am 71)

﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

It is called life in the statement of Allah Almighty: " Can he who was dead, to whom We gave life, and a Light whereby he can walk amongst men, be like him who is in the depths of darkness, from which he can never come out? Thus to those without Faith their own deeds seem pleasing." (Al-An'am 122)

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

It is intended by the statement of Allah: "Is one whose heart Allah has opened to Islam, so that he has received enlightenment from Allah, (no better than one hard-hearted)?" (Az-Zumar 22)

﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم ﴾

By rectitude of conduct, we mean the Divine care that helps man achieve his purposes, and strengthens him to do what benefits him and refrain from what harms him. It always comes from within as stated by Allah Almighty in His saying: "We bestowed aforetime on Abraham his rectitude of conduct, and well were We acquainted with him." (Al-Anbiya 51)

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾

The rectitude of conduct is guidance which moves one to the direction of happiness. If a young man, for instance, becomes well-experienced in storing wealth and the different ways of trade which increases wealth, but, at the same time, he spends with profligacy, he will not be called rightly-directed, not because of his lacking guidance but because of the failure of his guidance to provoke his will to increase wealth. How many a man who does what he knows to harm him, although he is given guidance with which he is distinguished from the ignorant who does not know that this harms him, but he is not given rectitude of conduct. By that consideration, rectitude of conduct is more perfect than the mere guidance to the ways of good. To be sure, it is a great favor.

As for grant of success, it is to direct one straight to the right purpose, and make it easy on him in order to endeavor more to do the right as fast as he could.

However, the mere guidance alone is insufficient, but it should be a guidance that has the power to move the will, i.e. the rectitude of conduct. Rectitude of conduct alone is insufficient, but the movements should be made easy with the help of organs and instruments for the goal for which the will is stimulated to be achieved. Thus, guidance is to let one know, rectitude of conduct is to stimulate the will to wake up and move, and the grant of success is to assist and help by moving the organs towards success.

Support combines all of those. It is to strengthen one by insight from within, and strengthen his doing and empower causes from without. It is intended by the statement of Allah Almighty: " We gave Jesus, the son of Mary, Clear (Signs) and strengthened him with the Holy Spirit." (Al-Baqarah 87)

﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾

Close to that is protection. It is a kind of Divine existence swimming within man, therewith he is strengthened to do good and refrain from evil. It is invisible, to which Allah refers in His statement: " And (with passion) did she desire him, and he would have desired her, but that he saw the evidence of his Lord: thus (did We order) that We might turn away from him (all) evil and shameful deeds." (Yusuf 24)

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾

Those are the main favors which could not stand firm in the absence of the pure and sharp understanding, aware hearing, insightful and humble heart, advice-giving tutor, wealth that is sufficient for one to do his required tasks, which, if short, would make him indulge in that, and if beyond the needs, would not divert him from the religious affairs, and honor that protects him from the foolishness of the foolish, and the wrongness of the enemies. Each one of those sixteen favors requires many causes, and each one of those causes requires many further causes, and so forth until it leads in the end to the guide of the wanderers and the refuge of the needy, i.e. the Lord of all lords, and the Causer of all causes.

Given that the chain of those causes is endless, and too countless to enumerate in that book, let's mention an example for them in order to know therewith the significance of Allah Almighty: " But if you count the favours of Allah, never will you be able to number them. Verily, man is given up to injustice and ingratitude." (Ibrahim 34)

﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾

Explication Of An Example That Is Typical Of The Fact That The Favors Of Allah Almighty Are Countless

It should be known to you that we have included the favors of Allah Almighty under sixteen elements, and made the favor of body health one of them in the last category. If we like to survey all causes and means that lead to it, of a surety, we could not be able to do so. But eating, for instance, is one of the

causes of health. Let us make a mention of a set of causes with which the favor of eating is achieved.

Eating is an act, and its being an act means that it is a movement, and every movement should have a moving body which is its instrument, and a power to move, a will to cause it to move, and knowledge and perception of the desired purpose of movement. Eating requires an eaten, i.e. an edible thing, and this requires an origin from which it is produced, and a maker to prepare it. Let's now mention the causes of perception, then the causes of will, then the causes of power, and then the causes of the edible thing, all by way of reference and not by way of survey.

The First Side Of Allah's Favors: The Creation Of The Causes Of Perception

It should be known to you that Allah Almighty created the plant as more perfect in existence than stone, iron, copper, and all lifeless non-living beings which never grow nor are given nutrition. The plant is endowed with a power to attract nutrition to it, through its root and trunk that extend in the earth, working thereby as instruments for it. They begin from the fine and minute strands on the leaf whose roots are gradually thick and then they ramify into capillaries spreading throughout the parts of the leaf until they disappear from the sight. But in spite of that, the plant is imperfect, for unless the nutrition is driven to it and be in contact with its root, it would wither and die. By no means could it seek for nutrition in any way other than that, for the petition is based on the knowledge of what is petitioned and then movement to it. But the plant is unable to do so.

Thus, among the favors of Allah Almighty He bestowed upon you is that He created for you the instruments of sense and movement therewith to seek for nutrition. Consider, for example, the wisdom that lies behind the order in which Allah Almighty created in you the five senses, i.e. the instruments of perception. The first is the sense of touching in order that whenever a burning fire or a wounding sword touches you, you would soon flee away. That is the first sense to be created for animals, and no animal is imagined without it. Without that sense, by no means would it be possible for it to live as an animal. The least degree of sense is to sense only what touches it for to sense what is far from the body is more perfect. That sense is available to every animal, including even such small and little ones as the worm in the mud: if it is pierced with a thorn, it would soon shrink to run away, unlike the plant which, even if cut off, would not shrink for it does not feel the pain of cutting.

But if you have only that sense, you would be imperfect, unable to seek for nutrition, like the worm, as long as it is far from you, for you would not sense but what touches your skin, which you thus would attract to yourself. That is because you would lack a sense to perceive therewith what is far from the contact of your skin. For this reason, the sense of smelling has been created for you. But with it, you detect only the smell, without knowing from which direction it comes upon you. You then need to go round different sides perhaps you would or would not find the food whose smell you have detected. Were you to have only those senses, you would be evidently imperfect. Thus, the sense of seeing has been

created for you to perceive therewith what is far from you and identify its exact direction, in order to go towards it.

But were you to have only those, you would also remain imperfect, for you would be unable to perceive what is beyond the walls and screens. You would see only that between you and which there is no screen, be it food, enemy, etc, but not that between you and which there is a screen. Such screen might not be removed before the enemy comes close to you and you thus are unable to run away. Thus, the sense of hearing has been created for you to perceive therewith the sounds from behind the walls and screens. That is because you perceive with the sight only what is present in front of you and you could not perceive what is absent from you except with the help of sounds and words to be recognized by the sense of hearing. That is the significance of your dire need for it. You also have been distinguished from all animals by the capability of understanding speech. But even, all of this would avail you not unless the sense of taste has been created for you, for once the food reaches you, without it you would not be able to perceive whether or not it agrees with your disposition; and in case it disagrees with you and you eat it, you would be ruined, like the tree which is apt to receive every kind of liquid, without tasting it, although it might cause it to wither.

But even, all of this is insufficient unless something has been created in front of your brain called the common sense, to which all perceptibles to be perceived through the five senses are brought together. If you eat something yellow which you detest as being bitter, and then leave it, you will not recognize it if you find it without tasting it once again in the absence of that common sense. The eye sees the yellowness but perceives not the bitterness, whereas the taste tastes the bitterness but perceives not the yellowness, how should both then abstain from getting the harmful thing once again? So, there should be a judge with whom both yellowness and bitterness meet, in order to judge, depending on both, that this particular thing is harmful from which you should abstain.

In all of those senses, the animals share you; and were you to have only those, you would remain still imperfect. Any animal might be taken by a trick, and does not know how to avert harm from itself, and get rid of the trick. If it is tied, how should it release itself? It might throw itself into a well, knowing not that this might destroy it. It might eat what tastes pleasant immediately but is harmful in the future, with the result that it falls ill and dies. That is because it senses only what is occurring at the moment, and not the consequences in the future. That is the favor with which Allah has distinguished you.

Consider then how Allah Almighty favored and honoured you over all things by that favor, which is the noblest of all, i.e. the mind. It is with mind that you perceive the harm and benefit of the food at present and in the future, the way of cooking and preparing different kinds of food in order to taste pleasant and become beneficial. In this way, you get benefit from the mind in the food which is among the important causes of your health. That is the best benefit of mind, and the smallest wisdom, for the greatest wisdom that lies behind the creation of mind is the gnosis of Allah Almighty and His acts and attributes. At that point

the benefit of the five senses turns in your favour, as they would become like spies entrusted to collect news from different sides of the kingdom, each to a specific field: one to the news of colours, another to the news of sounds, a third to the news of scents, a fourth to the news of tastes, and a fifth to the news of the cold and heat, coarseness and softness, dryness and fluidity, etc. the spies then collect news from the different sides of the kingdom and give them to the common sense, which lies in the front of the brain, like the man standing at the door of the king to gather stories and books that come to him from all parts of the world. He takes and preserves them as sealed and closed, for his duty is only to take and preserve them but not to know what they contain. Once he meets the king, i.e. the mind, he hands them over to him, who, in turn, inspects them, and gets acquainted with the secrets and mysteries of the kingdom and judge with their help on the different cases in the kingdom. It is according to what seems to him therefrom that he moves the soldiers and members of the kingdom, once in pursuit of something, once in flight from something, and so on.

That is the sequence of the favors of Allah on you concerning the perceptions. Think not that we have mentioned them in full. The outward senses are a part of perceptions, and sight is one of them, and one of its instruments is the eye, which is composed of ten layers over each other, and each has its specific characteristics and attributes, form and appearance. If there is disorder in anyone of those ten, the sight would be affected, and it would become beyond the capability of physicians to recover. This is in relation to one sense, on the basis of which you should measure all senses like hearing, touching, tasting and smelling. The favors of Allah Almighty in one sense, or to be more specific, in one part of a sense, could not be mentioned in full in many volumes, although it might be as small as an eyeball. How then do you think of all members and parts of the body?

Those are only exemplary references to the favors of Allah Almighty as regards the creation of perceptions.

The Second Side Of Allah's Favors As Regards The Creation Of Will

It should be known to you that even if the sight is created for you to perceive therewith the food from afar, but at the same time, no inclination nor longing nor appetite are created for you to urge you to move to get it, such sight would remain idle. How many a patient who sees with his eye the food which is beneficial to him, but in the absence of appetite for it, he abstains from getting it, with the result that both sight and perception become idle. Thus, you are forced to have inclination to what pleases you, called appetite, and disinclination from what displeases you, called aversion, in order that you then would pursue a thing with the help of appetite and flee away from another with the help of aversion. Thus, Allah Almighty created in you the appetite for food, and invested it with authority over you, and entrusted you to it, in order to force you to get food, and by eating you would survive. All animals, but not the plants share you in that favor.

Furthermore, unless that appetite calms down once it takes what is sufficient for it, it would cause you to eat lavishly until you destroy yourself. For this reason, Allah Almighty created for you the aversion which appears at satiety

therewith to abstain from getting more. In this way, you are unlike the plant which continues to attract water to it as much as it is available until it is spoiled. This requires it to be in need for a man to determine the provision for it, i.e. to water it once and withhold water from it once, and so on. As well as this appetite for food has been created for you to eat and sustain your body, the sexual desire has been created for you to have sexual intercourse (with such as lawful for you) and sustain your human race.

If we relate to you the wonders of the making of Allah in creation of the womb, blood of menstruation, the formation of the fetus from the mixture of the sperm and the female discharge, the creation of the testicles and the veins that connect them with the backbone which is the source of seamen, the way the female discharge flows from between the ribs through the related veins, the way the womb is divided into places to determine the kind of male and female once the sperm falls in a particular one, the way the fetus turns through different phases of creation beginning from being a sperm-drop, then a leech-like clot of congealed blood, then a morsel of flesh, then a piece of flesh covered with bone and filled with blood, and the way it is divided to form the body with its different parts like the head, hands, legs, belly, back, etc: if we relate all of those to you, surely, you would be extremely amazed by those favors bestowed by Allah upon you just in the matter of your creation in its first phases. But we want to limit ourselves to the favors of Allah Almighty in the matter of eating, in order not to be so much lengthy.

The appetite for food is one of the elements of will. But it alone is not sufficient for you, for you are surrounded by the destructives from all sides, and unless the power of anger is created in you, you would fail to avert harm from yourself, and rather be exposed to all kinds of evil which might deprive you of all provision you have got. Everyone other than you desires for what is in your hand, and you need a drive to avert and fight that, i.e. the drive of anger, therewith you avert all that harms you. But even both alone are insufficient for you, for they call only to what benefits and harms at the moment. But as regards the future, they are useless. Here, Allah Almighty created another will for you, to be subjugated to the command of mind which knows the future consequences, just as He created both anger and desire to be subjugated under the sensible perception of the present state. That is the way you benefit from the mind. Your knowledge alone that this desire harms you would not avail you to avoid it unless you have inclination to act in accordance with that knowledge. It is with this will that you have been preferred to the animals out of honoring mankind, just as you have been favored with the knowledge of the future consequences. We called that will a religious motive, and explained it in more detail in the Book of Patience.

The Third Side Of Allah's Favors Of Creating Well And Instruments Of Movement

It should be known to you that sense avails not but the perception, and the will has no value without inclination to pursuit or flight. This alone is insufficient if you lack the instrument of pursuit and flight. How many a patient who has longing for something afar from him which he perceives well, but he could not

move towards it for he loses his leg, or could not grasp it for he loses his hand, or because he is paralyzed. For this reason, the instruments of movement should be available and they should be provided with power to enable them to move in pursuit according to desire, or in flight according to aversion. For this reason, Allah Almighty created for you the organs and parts of body which you see their outward, but do not know well their inward mysteries. Some of them are made to pursuit and flight such as legs for man, wings for bird and sides for animals, and some to avert harm like the weapons for man and horns for animals. In this respect, animals are extremely different. Some have their enemies more and provision far, thereupon they need quick movement, for which wings were created for them therewith to fly fast. Some have four sides and some two legs created for them, and others are creeping. But it will be too long to mention them all

Let's limit our mention to the organs that are necessary for eating and measure all on them. It is insufficient to see the food from afar unless you are able to get it. In this way, you lack a grasping instrument, thereupon Allah Almighty bestowed on you the favor of both hands. They are too long to stretch towards things and have joints to enable them move easily in various directions. The hand's end is made broad by creating the palm, which is divided from the end into five parts representing the five fingers, that are made in two sides: the thumb in one side, and the remaining four in the other side. Were all to be gathered or accumulated in one side, the purpose from the hand would not be fully achieved. They are made in a way that if you spread the hand, it will become a sweeper, and if you withdraw it to you, it will become a spade, and if you gather it, it will turn into a striking instrument, and if you spread and then draw it, it will become a grasping tool. Then, nails were created for it, and made to be over the ends of fingers in order not to go to pieces, so that therewith you could pick up the fine things which could not be picked by fingers.

Then, suppose you are able to pick up food with your hands, how should it be sufficient for you unless it reaches the stomach which is inside your belly? That requires a path through which food could enter into it. Thus mouth was made an outlet to the stomach, besides its great number of benefits and advantages. But even, if you insert the food into the mouth and it is one piece, it will not be easy to swallow unless it is ground. This necessitates you to need a grinding teeth therewith to grind food. Thus, tooth-bearing bones were created for you, and the upper molars were made to close on the lower ones in order to be able therewith to grind food.

Food sometimes needs to be crushed, and sometimes to be cut off, after which it needs to be ground. This is why teeth were divided into broad molars, sharp cutters like canine teeth, and pointed teeth like incisors. The joints of both jaws were made limply movable so that the lower jaw would move forward and back of the upper one. Without that, both would strike each other like the clapping of hands, and food would not be ground well. But the lower jaw was made movable, and the upper firm. Consider then the wonderful making of Allah Almighty. Every kind of human-made millstone has its lower stone firm and its

upper stone movable, in contradiction to that Divine-made millstone. Glory be to Allah! How great is His state, how powerful is His authority, how perfect is His proof, and how extensive is His favor.

Then, suppose that you inserted the food into the cavity of the mouth, how do you imagine it to move in between the teeth? How should teeth draw it to themselves? In this issue, consider how Allah Almighty bestowed upon you the favor of the tongue which moves in the different sides of the mouth wherever it likes, pulling food towards teeth in accordance with the required need, like the sweeper which pulls grains inside the millstone. It also has many other benefits like taste, the wonders of the faculty of speech, and many besides which we are not going to mention now.

Suppose that you cut and ground the food which is dry, you would not be able to swallow it unless it skates into the pharynx with the help of moisture. In this respect, consider how Allah Almighty created underneath the tongue a channel therefrom saliva flows as much as is required with which the food is kneaded. Consider how He Almighty subjugated it to serve in this matter: you see food from afar, thereupon the jawbones are stimulated to serve in chewing, and the saliva flows to help in this process, while food still is far from you.

Then, suppose that the food is really ground inside the mouth with the help of teeth and molars, and kneaded with the saliva, how should it reach the stomach? By no means you could be able to stretch your hand into the mouth to drive it in towards the stomach, nor does the stomach have something to pull it towards itself. Thus, consider how Allah Almighty prepared the esophagus to expand and open for the food to enter, and once it enters, it soon contracts so that with the help of pressure, food is turned and driven into until it reaches the stomach easily.

But even, if the food that reaches the stomach is composed of bread, fruits, meat, etc, in such a state it does not avail to make flesh, blood and bones in the body. But it should be cooked in a particular way in order to be fitting for the body to get benefit from. In this connection, Allah Almighty created the stomach in the form of a sack in which food falls, thereupon it closes tightly, and it remains in it until it is fully digested with the help of the hot liquid. This heat is caused by the organs that surround the stomach from all sides: the liver on the right side, spleen on its left side, outer flesh of the belly in the front of it and the flesh of the loin on its back. By virtue of such heating, the food is cooked until it turns into a liquid fitting for passing through veins. But at that point, it is still like the water of parley, unfitting yet for nourishment.

At that level, Allah Almighty created veins to connect the stomach with the liver, having many openings through which liquid of food is poured until it reaches the liver. The liver is made from the same blood of the body. It has many capillaries spreading through its different parts with which the liquid of food is mixed and resides for a period of time until it turns into blood, fitting for the nourishment of the body. But as this cooking is caused by the heat of liver, two kinds of waste matters are produced from the blood: the black and yellow bile, and were they not to be separated from the blood, the body would be damaged.

For this purpose, Allah Almighty created both gallbladder and spleen, and provided each with a narrow part extending inside the cavity of the liver in order for the gallbladder to draw to itself the bile, and the spleen the black, leaving the blood pure to a great extent.

But, the blood at that level still has some extra liquid, and but for such liquid, it would be hard to spread through those capillaries and come therefrom up towards the different organs. For this purpose, Allah Almighty created both kidneys, and provided each with a narrow part extending towards the liver. It is one of the wonders of the wisdom of Allah Almighty that they do not enter into the cavity of the liver, but rather are connected with it through the veins that emerge from outside the liver, in order for them to draw food after passing through the capillaries of the liver, for were they to draw it before passing through the capillaries of the liver, it would be still thick, to hard to come out of the veins. Once water is separated from it, the blood then becomes extremely pure and clean from those three waste matters.

On the other hand, Allah Almighty created so many veins extending from outside the liver into all parts of the body from the toes to the head, externally and internally. In those various veins, the pure blood circulates and reaches everywhere in the body. Those veins gradually become fine until they turn in the end to capillaries like those on the leafs of the plant, too minute to see with the mere eye. It is through those capillaries that food reaches all parts of the body. If some disorder befalls the gallbladder, and it fails to draw to it the bile, the blood would get spoiled causing such diseases as icterus (yellows), pustule, etc; and if any disorder befalls the spleen and it fails to draw the black bile, many diseases would occur like vitiligo, leprosy and melancholia; and if both kidneys fail to draw the water from the blood, this would cause many diseases like dropsy and others.

Then, consider how the Wise Creator based the benefits on those despicable waste matters. The gallbladder draws the yellow bile and ejects it into the large intestines, whereas the spleen turns the black bile into acidity to stimulate the desire for hunger with the help of a part thereof, and eject the remaining into the large intestines: and both constitute excretion. As for both kidneys, they take provision from the blood that is in the liquid and send the remaining water to the bladder (to come out in the form of urine).

Let's be satisfied with that amount of explication of the favors of Allah Almighty concerning the causes and means of eating. Were we to mention how the liver needs the brain and heart, and how the heart needs both, or how those main organs need each other, and how the veins and arteries ramify from the heart and liver into all parts of the body, through which sense and nutrition reach everywhere in the body, and how all organs and parts of the body are composed: were we to mention all of this, and all is necessary for eating, the speech would be too lengthy. Man, for example, has thousands of muscles and nerves and millions of blood cells, different in size, shape and intensity. There is nothing thereof without one, two to ten wisdoms to lie behind it. All of those are among the favors bestowed by Allah upon you. If a still vein moves, or a moving vein

becomes still improperly, you would be given to destruction.

Consider then the favors of Allah upon you: would you not have afterwards power to give thanks to Him? You do not know of the favors of Allah in this respect but eating, which is the most trivial among them all. You do not know but that whenever you grow hungry, you would eat, in which the donkey shares you. That is because the donkey knows that whenever it grows hungry, it would eat; whenever it gets tired, it would sleep; and whenever it is moved by sexual desire, it would have sexual intercourse. If you do not know about yourself more than the donkey knows about itself, how then would you offer gratitude for the favor of Allah Almighty upon you?

All what we have mentioned is but a single drop of a huge ocean of the favors of Allah Almighty. So, measure what we have not mentioned on that we have mentioned. Indeed, all what the people know in comparison with what they know not of the favors of Allah Almighty is less than a single drop of a huge ocean. But whoever knows anything of that would perceive a part of the significance of the statement of Allah Almighty: " But if you count the favours of Allah, never will you be able to number them. Verily, man is given up to injustice and ingratitude." (Ibrahim 34)

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

Furthermore, consider how Allah Almighty connected the subsistence, forces, benefits and perceptions of those organs and parts of the body through a fine vapor that erupts from the mixture of the four humors. Its residence is the heart therefrom it circulates everywhere in the body through the extending veins. It never reaches a part of the body but that it provides it with what it needs of sense, perception and power of movement. It is like the lamp that is turned throughout the different parts of the house, and it does not reach a part but that it lights it up, and its illumination is reflected on the remaining parts. This light is the creation of Allah Almighty, but He made the lamp a cause of it, by His wisdom. This fine vapor is what the physician call spirit.

Its residence is the heart. Its example is like the fire of the lamp, the heart like the cresset, the black blood that is inside the heart like the fuse, provision like the oil, and the apparent life in the different organs and parts of the body because of it like the light of the lamp. As well as if the oil of the lamp is consumed the lamp would be extinguished, the lamp of the spirit would fade away once the provision is withheld from it; and as well as the fuse might burn and turn into ashes which accepts not the oil to be kindled once again, with the result that the lamp would be extinguished although the oil is available, similarly, the blood might burn because of the scorching heat of the heart, and be used up although the provision is available. As well as the lamp might be extinguished due to an internal or external cause like a stormy wind, the light of the spirit might be extinguished due to an internal or external cause like killing. As well as the lamp is extinguished, whatever the cause might be, according to a Divine decree ordained by Allah, similarly the spirit also is extinguished, whatever the cause might be, once its owner comes to its appointed term ordained by Allah Almighty. As well as if the light of the lamp is extinguished the entire house would darken, similarly, if the

spirit vanishes, the whole body would darken, and lose all lights it used to get from the spirit, i.e. the lights of sense, power and will.

You may argue: "You have talked about spirit and described it, although when the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked about it he said no more than: "The spirit is by the command of my Lord." (Al-Isra' 85)

﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾

Thus he did not describe it to them in the same way you have done." In reply to that, let me say: It should be known to you that this argument is based on heedlessness of the different meanings given to the term spirit. Regardless of all its meanings, we intend by it that subtle tenuous substance of an ethereal sort, which the physicians call spirit. They recognize its qualities and characteristics, how it circulates in the different organs and parts of the body, bringing about sense and faculties, to the extent that if a part of the body is anesthetized, they would learn that this is due to occlusion of a part of the channel in which the spirit circulates, thereupon they would not remedy that very part, but rather treat the place of occlusion where the nerve of that particular part originates. This tenuous substance, with its subtleties, penetrates into the network of nerves, by which the heart is connected with all parts of the body.

But as to the soul which gives life to the body in the sense that if it leaves the body, it will be ruined by death, of a surety, it is one of the greatest mysteries of Allah Almighty. It is indescribable, and it is not fitting for us to describe it. All to say about it is to describe it as a Divine affair as confirmed by the statement of Allah Almighty: " Say, "The soul is of the affair of my Lord. And mankind have not been given of knowledge except a little."" (Al-Isra' 85)

﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾

Of a surety, the Divine affairs are beyond the capacity of human minds to describe, for the minds of most people are put to confusion about it. That is because it is not for the mind to perceive such supreme things which are perceived by another light, more honorable and higher than the mind. It rises in the world of Prophethood and alliance (with Allah Almighty). Its relation to the mind is like the relation of the mind to illusion and fancies.

Allah Almighty created the people and made them pass through many phases: as well as the child perceives only the concrete things apart from the abstract for he has not attained the phase of perceiving such high things, the adult perceives the abstract but not the metaphysical things for he has not attained yet the phase of perceiving such things. Indeed, it is a noble station, a sweet drink, and a high rank in which the Gardens of truth is seen with the light of faith and certainty. That drink is too honorable to be available to every comer. It is said that whoever does not recognize himself does not recognize his Lord. How should such be made available to the science of medicine? Since the minds with which obligations are made are short of perceiving such high things, Allah Almighty gave no permission to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be

upon him" to talk to the people about it: but rather He commanded him to address them according to their limited minds. Allah Almighty did not mention in His Holy Book anything about the real nature of this matter. He rather mentioned its ascription to Him as one of His affairs, and its act in His statement: "(To the righteous soul will be said:) "O (you) soul, in (complete) rest and satisfaction! Come back you to your Lord, well pleased (yourself), and well-pleasing unto Him! Enter you, then, among My Devotees! Yea, enter you My Heaven!"" (Al-Fajr 27-30)

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾

Thus He Almighty did not describe its very essence.

The Fourth Side: The Favors Of Allah Almighty As Regards The Sources Of Food

It should be known to you that there are numerous kinds of food, and there are many wonders as for creating them by Allah Almighty. But to mention that in all kinds of food is so much lengthy. However, the food might be medicine, fruits or nutrition. Let's satisfy ourselves with the nutrition, for it represents the most important fundament. Let's also limit ourselves to a single grain of wheat and leave the others.

If you find one or more grains of wheat which you eat, they would inevitably be consumed and you would also remain hungry. For this reason, you need to have them grow and produce more grains in order to satisfy your need and the need of others. Allah Almighty created in the grain of power what nourishes it until it grows up, just as He created in your body. Plant differs from you in regard with sense and movement, but not in nourishment, for it is nourished by water which it draws to itself by way of roots, just as you are nourished. As well as both wood and dust avail not in nourishing you and you need a particular food to be nourished therewith, the grain is not nourished by all things, but it needs a particular thing. In confirmation of that, if you leave the grain in the house, it would not grow for nothing surrounds it but the air, and only the air avails not to nourish it. Similarly, if you leave it in the water, it would not grow, and if you leave it in a ground where there is no water, it would also not grow. In order to grow, it requires an earth where there is water. To this fact Allah Almighty refers in His statement: " Then let man look at his Food, (and how We provide it): For that We pour forth water in abundance, And We split the earth in fragments, And produce therein Corn, And Grapes and nutritious Plants, And Olives and Dates, And enclosed Gardens, dense with lofty trees, And Fruits and Fodder, For use and convenience to you and your cattle." (Abasa 24-32)

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾

But even, only earth and water are insufficient, for were it to be left in a wet or salty land, it would die because of lacking air. This means that it needs an earth

open to air, where there is water in sufficient quantity. Therefore, the air does not move towards it by itself, but it needs wind to move it. To this fact Allah Almighty refers in His statement: "And We send the fecundating winds." (Al-Hijr 22)

﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾

Its duty is to accommodate between water, air and earth. However, all of this would avail not if you are in severe cold, for you need the moderate atmosphere of spring, and the heat of summer. Those then are the four elements required for the growth of the plant.

Consider what should each need: Water is needed to be drawn to the cultivated land from rivers, springs and wells. See how Allah Almighty created rivers, caused the land to gush forth springs and wells. Furthermore, the land might be elevated to the extent that water could not reach it easily. But Allah Almighty created the clouds and made it under the control of wind to drive it to that elevated cultivated land in order for water to reach it through raindrops along the year according to the required need. Consider also how He created mountains to preserve water, therefrom springs and wells gush forth gradually for were it to come out all at once, surely, the land would drown, and the farms and life stalk would ruin entirely. To be sure, the favors of Allah concerning the mountains, clouds, rivers and springs are beyond calculation.

As for heat, although both land and water are cold, the atmosphere is hot. Consider here how He created sun and subjugated it to serve as heater for the land, although it is very remote from it. This heating differs from time to time and from place to place, according to the required need. That is among the wisdoms that lie behind the creation of sun, given that its wisdoms are countless.

Therefore, if the plant of fruits is elevated from the earth, it would be dry and hard, and become in need of humidity to ripen it. Consider here how He Almighty created moon which, by screening the sun from the land at night, serves as cooler, ripening thereby the fruits and dying them, each according to its specific characteristics, by the decree of Allah, the Full if wisdom. For this reason, were trees to be in a place where sun does not rise and moon does not appear, they surely would be spoiled. Do you not see that the small tree is spoiled if it is shaded forever by a huge tree?

As well as sun is subjugated to heat the land, and the moon to dampen it, the same is true of all the stars in the sky: each of them is created to serve a certain benefit. The wisdom that lie behind the creation of each of them are beyond the capacity of any human mind to describe or enumerate. Had it not been for that, they would have been created in vain, in opposition to the statement of Allah Almighty: "Our Lord! not for naught have you created (all) this!" (Al Imran 191)

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا ﴾

And: " Not for (idle) sport did We create the heavens and the earth and all that is between!" (Al-Anbiya 16)

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾

As well as there is in your body no organ without a benefit, there is no member in the celestial body without a benefit. The entire world is like one body, and its components like the members and organs of the body which co-operate together in the same way as yours co-operate inside your body. To explain this issue would take us a very long time and place.

Think not that to believe that the sun, the moon and all the stars are subjugated by Allah to serve particular benefits and advantages for man contradicts Sharia, due to the forbiddance to trust the astrologers. Only two things are forbidden in astrology: One is to trust that they are independent in doing and achieving their outcomes and traces by themselves, and that they are not subjugated to be under the control of the power and will of the Creator Who created and overpowered them. That is evidently disbelief. The other is to give trust to the astrologers about the detailed news they bring which not all people perceive. That is because they say what they say out of ignorance. Astronomy and its rules and principles represented a miracle of one of the Prophets "peace be upon them". But later on, it was obliterated, and nothing but confusing mixed traces remained in which the right could hardly be distinguishable from the wrong.

To believe that the stars are means, in a way or another, of many effects to occur on earth, in the plants and the animals, but by the will and decree of Allah Almighty, does not contradict the religion for it is true. But to claim the knowledge of the rules and principles that determine it decisively disagrees with religion. If you have a garment which you have washed and liked to dry, and somebody told you to bring it out and spread it for the sun has risen and it has become very hot, you are required neither to give trust nor to give lie to him. Similarly, if the colour of somebody's face has changed and he told you, in justification, that sun touched his complexion on the way, blackening his face, you are not required to deny his speech. Measure all things on that parable. But all the facts are known in part and unknown in part, in which to claim knowledge is impermissible; and even the known among them is not learnt by all the people. Some are known to all like the fact that heat ensues from sun, and others are not known to all the people like saying that the cold results from exposing one's head to the emerging moon. The point here is that the stars have not been created in vain: on the contrary, countless number of wisdoms lie behind creating them.

For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" looked at the sky and then recited the statement of Allah Almighty: "Our Lord! not for naught have you created (all) this! Glory to You! Give us salvation from the Penalty of the Fire." (Al Imran 191)

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

Then, he said: "Woe to him who recited that Holy Verse and then did not take heed of it." (Ath-Tha'alibi on the authority of Ibn Abbas). It is to recite the Qur'an without considering it, i.e. to be satisfied with knowing from the dominion of the heaven only its colour and light of the stars, in which even the

animals share you. Indeed, Allah Almighty has countless wonders in the dominion of the heaven and the earth in the horizons and in the beings, and the lover of Allah Almighty should endeavor to know of them as much as is possible for him to know. It is known that whoever loves a religious scholars seeks to get his compositions in order to increase in love for him with the help of his knowledge. The same is true of the wonders of the making of Allah Almighty. all the entire world is the making and creation of Allah Almighty. nay! All human compositions and makings are out of His creation and composition. If you wonder at a particular composition, do not wonder at the composer in so much as at the One Who subjugated him to compose it in such a way as you see.

The point is that the nourishment of the plant is obtained only with the help of the water, air, earth, sun, moon, stars: all of those could not run but in their orbs, and with the help of heavenly angels who move them perpetually. There are so many farther reasons which we have left for they are irrelevant to our issue. But now, let's be satisfied with what we have mentioned.

The Fifth Side: The Favors Of Allah Almighty Concerning The Means By Which Food Reaches You

It should be known to you that not all kinds of food exist everywhere in the world, for the existence of any kind of food is determined by particular conditions for it to be available in a certain place. The people are spread on the surface of the earth, and in many cases, food is far from them, and there are rivers, oceans, seas or any separating hindrances between them and it. Consider here how Allah Almighty subjugated traders and merchants to transfer goods and commodities from one place to another, and invested with authority over them the love and greed for wealth and profit, for which they undergo trouble and suffering in order to bring food to you as well as to others in any place throughout the earth.

Consider also how Allah Almighty taught them the profession of making ships and sailing aboard them. Consider also how Allah Almighty created animals and subjugated them as vehicles and means of transportation. Consider how the camel is created, how the horse is provided with the quick movement, how the donkey is made patient to endure trouble and hardship, how the camel is able to cut the long distance amidst the desert for many consecutive days without food or drink. Consider also how Allah Almighty made it easy for those merchants to proceed through the land from one place to another by way of ships, vehicles and riding mounts, carrying food and all needs to you. Allah Almighty created all of this not only to meet the need, but also as much as beyond the required needs. To enumerate all is impossible and will take us far from our issue. So, let's satisfied with what we have mentioned.

The Sixth Side: Preparation Of Food

It should be known to you that what grows in the land or among the animals (i.e. what is fitting to eat) could not be eaten in the very state in which it really exists. But each should be prepared in a particular way until it becomes fit for eating. To enumerate all things implied in that matter is beyond the capacity of

the context. Let's limit our consideration to a single loaf and see what is needed for it to be ready for eating.

The first step is to sow the seed in the ground and take care of it by watering, tilting, and cleaning up the land from the grass until it grows and becomes wheat, parley, etc. such crop needs to be harvested and rubbed (to be removed from its ears) until it turns into grains, to be ground as baking powder and then made into dough and baked in the oven to turn into bread in the form of a loaf. Consider the number of those processes and the equivalent number of the persons who undertake them as we have mentioned, and the number of the equipment and instruments required for them to be achieved perfectly, and the number of those we have not mentioned. Consider also the number of the persons involved in the making of bread with its related industries: the making of instruments, grinding, baking, manufacturing ovens and places of baking, etc. Consider the need of each of those makers, carpenters and ironsmiths to iron, wood, copper, lead, etc. consider also how Allah Almighty created mountains, stones and minerals in the ground, and made the earth like adjacent pieces, different in size, shape and the things they contain.

If you inspect the matter, you would know, O poor man, that a single loaf would not become in the very shape you eat it without more than one thousand makers to share in making it, beginning from the King Who drives the clouds and sends rain for the plant to grow in the earth passing through the angels and ending with the work of man. Consider the great deal of work of man in those instruments to the extent that the small and little needle therewith you sew the dress to protect you against the cold and heat could not become like this without more than twenty-five makers to share in making it. Had Allah Almighty not gathered the countries and subjugated the people to work in them, and had you been in need of any of them, you would have lost almost your lifetime without getting a single loaf in the very state you find it. Do you not see how Allah Almighty guided man whom He created from a despicable sperm-drop to do those wonderful and amazing works?

The Seventh Side: Preparation Of Makers

It should be known to you that if the makers and workers involved in the manufacture of bread disagree with and oppose each other in opinion and thought, and dispute with each other over what they do, they would avail anyone in naught. Consider here how Allah Almighty joined their hearts in love and made them sociable to, and intimate with each other: " And (moreover) He has put affection between their hearts: not if you had spent all that is in the earth, could you have produced that affection, but Allah has done it: for He is Exalted in might, Wise." (Al-Anfal 63)

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾

It is by virtue of that affection and love, and due to their being sociable beings, that they gather together, build and inhabit cities and towns, make houses near to each other and to the market places, and so forth.

But this love might disappear because of their competition over the limited number of things, due to the envy, anger and competition on which man is predisposed by nature, which lead, in most cases, to fighting and disliking each other. Consider then how Allah Almighty invested rulers and governors with authority over the people and provided them with power and cast terror of them in the hearts of people, and how He Almighty guided the rulers and governors to reform the countries and arrange their affairs and make their parts like the parts of a single body, co-operating with each other for the mutual benefits. They made the chiefs, judges, prison and market places to serve for the benefits of people. They obliged the people to abide by the law of justice and equality, and forced them to help each other and co-operate with each other, each according to his power and profession, in order that they would get benefit from each other, by virtue of their arrangement, gathering and discipline under the authority of the ruler and governor, just in the same way as the different parts of the one body co-operate and get benefit from each other.

Then, consider how Allah Almighty sent the Prophets "peace be upon them" to guide the rulers and governors who take care of the affairs of the people, and show to them the laws of Sharia and religion to maintain justice among the people, and the laws of politics to discipline and rule them. They revealed to them of the judgements of jurisprudence and ruling what is helpful for them to reform their world and religion. Consider how He Almighty repaired the Prophets "peace be upon them" with the angels, and the angels with each other, and so forth until it ends up to the angel that is brought near to Allah Almighty, who acts as an intermediary between them and Allah Almighty.

To return to the point, the baker bakes the dough; The grinder grinds the grains; the farmer farms the plant by taking care of it until it turns into grains to be harvested; the ironsmith makes the equipment of farming; the carpenter makes the equipment of the ironsmith; and the same is true of all makers and manufacturers of food. The ruler reforms the makers; and the Prophets "peace be upon them" reform the learned scholars who are their heirs; and the learned scholars reform rulers; and angels "peace be upon them" reform Prophets; and so forth until the matter ends up to the Presence of the Lordship, which is the spring of each system, the source of beauty, the fountainhead of all arrangements and harmony. All of this is out of the favors of Allah Almighty, the Lord of all lords, and the Causer of all causes.

Had it not been for His bounty and grace, we would have not been guided to that small deal of His favors in confirmation of His saying: " And those who strive in Our (Cause), We will certainly guide them to Our Paths: for verily Allah is with those who do right." (Al-Ankabut 69)

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾

Had He not impeded us from aspiration, with the eye of ambition, to encompass in knowledge all of His favors, we would have been longing for that. But He Almighty kept us from that when He said: " But if you count the favours

of Allah, never will you be able to number them. Verily, man is given up to injustice and ingratitude." (Ibrahim 34)

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

If we speak, it is by His will that we talk in detail; and if we keep silent, it is by His oppression, for none gives what He withholds, and none withholds what He gives. At every moment during lifetime, we hear, with the hearing of the hearts, the call of the Irresistible King: " Whose will be the Dominion that Day? That of Allah, the One, the Irresistible!" (Ghafir 16)

﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾

Praise be to Allah Who distinguished us from the disbelievers, and made us able to hear that call before the termination of life.

The eighth side: exposition of the favors of Allah concerning the creation of angels "peace be upon them"

The favor of Allah concerning the creation of angels "peace be upon them" in terms of reforming the Prophets, guiding them and reporting to them the Divine revelation is not hidden from you. But think not that their role is limited to that. They are of three classes: The earthly angels, the heavenly angels and the carriers of the Throne (of majesty). Consider then how Allah Almighty entrusted you to them concerning your food and nourishment as we have already mentioned, apart from their role of guidance and direction.

It should be known to you that each part of your body, if not of the plant could not be nourished without seven to ten to one hundred to more and more angels to whom it is entrusted. To explain that, it is well-known that nourishment means that a damaged part is replaced by another which turns in the end into blood, flesh and bone; and once it becomes flesh and bone you will have been nourished. But blood and flesh are powerless bodies which have neither knowledge nor freedom of choice. They neither move nor change by themselves. Their nature alone is not sufficient to cause them to move or change. Just as the wheat does not turn by nature into baking powder then dough, and then baked bread in the form of a circled loaf without makers to do so, the blood does not turn into flesh, bone and nerves without makers to do so. The makers inside the body are the angels, as well as the makers outside the body are the real men of one's city or village. Allah Almighty has bestowed His favors on you outwardly and inwardly. So, do not be heedless of His internal favors.

Let me say that an angel is required to draw food towards the flesh and bone, since food does not move by itself; and another angel is required to hold it; and a third one to give it the form of blood; and a fourth to cover it with flesh and veins or bone; and a fifth to push away the waste matter; and a sixth to join the new with the old bone and flesh; and a seventh to observe the proportion and match each with what befits it in shape, size and colour, lest the body would lose its harmony. To be sure, this internal geometry is vital and it is entrusted to one of the angels. Think not that the blood has the power to form itself in such a way

as you see by itself, for this is beyond its nature on which it is created; and ignorant is he who thinks so.

Those are the earthly angels who engage themselves with you, while you are asleep in comfort and heedlessness. They maintain nourishment inside your body, and you know not. This applies to all of your inseparable parts of body. Some parts, like the eye and the heart, need more than one hundred angels to maintain them. But we have left the detail of that matter in order not to be lengthy. The earthly angels are provided with the heavenly angels according to a specific order fathomed only by Allah Almighty. The heavenly angels, in turn, are provided with the carriers of the Throne (of Majesty). Their benefactor Who provides them with support, guidance and success is Allah, the Preserver of safety, the Holy one, Whose Alone is the kingship and dominion, power and honour. The narrations about the angels to whom it is entrusted the matter of the heavens and the earth, each part of the plants and animals, each single drop of rainfall and piece of cloud, and so forth are countless. So, we have turned away from quoting them.

You may argue: "Why do you not entrust all of those works to only one angel, and what is the need of seven angels? Wheat, for instance, needs somebody to grind it, another to refine it from the husk, a third to pour water over it, a fourth to make dough, a fifth to cut the dough to ball-shaped pieces, a sixth to make them fine broad loafs, and a seventh to get them into the oven to bake them. But only one could undertake all of those works. Why do the works of the angels inside the body not look like those of the people outside?"

In reply to that, it should be known to you that the creation of angels differs from that of men. Each angel has only one characteristic and no more; and this means that each of them could but do only one act. To this fact He Almighty refers in His statement: "Not one of us but has a place appointed." (As-Saffat 164)

﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ ﴾

This is why there is no competition nor fighting between them: On the contrary, their example in their ranks and works is like the five senses. The sight does not compete hearing in perceiving sounds, nor does smelling compete sight in perceiving forms, and so on. But they differ from both hands and feet, for you might strike with the toes competing thereby the fingers, and you might beat another with your head, competing thereby the hand, which is the instrument of striking, and so forth.

Thus, they are not like the one man who could undertake by himself all works of grinding, making dough and baking. This is, to be sure, a kind of crookedness and deviation from justice, caused by the variance of man's characteristics and desires. He is not unilateral in attribute and act, unlike the angels. This is why man sometimes obeys Allah and sometimes disobeys Him due to the variance of his desires and attributes. But this is impossible for the nature of angels, who are predisposed to obedience of Allah Almighty. Undoubtedly, they " flinch not (from executing) the Commands they receive from Allah, but do (precisely) what they are commanded." (At-Tahrim 6)

﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾

They celebrate His glory night and day and never weaken to do so. Such as bowing among them is bowing forever, such as prostrating among them is prostrating forever, and such as standing among them is standing forever and so on. There is no disparity nor weariness in their acts and each of them has a place appointed beyond which he never goes.

Their submission to Allah Almighty in which there is no point of disobedience is like the submission of your organs to you in the sense that if you want to open your eyelid, it could but submit to you unless it is not sound. That is because it is under your disposal. This is the point in which it resembles the angels. But it differs from them in another point, i.e. your eyelid does so without knowledge of what it does, unlike the angels who are living and knowing of what they do.

This is the favor of Allah Almighty upon you concerning the earthly and heavenly angels and your need of them as far as food is concerned, apart from the other needs. To be sure, the classes of favors are beyond calculation. Allah Almighty has conferred his favors upon you outwardly and inwardly. Then He said: " Eschew all sin, open or secret: those who earn sin will get due recompense for their earnings." (Al-An'am 120)

﴿ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ ﴾

To leave the secret sins which are unknown by most people, like envy, evil assumption, religious innovation and concealment of evil against people, and the like of those hidden and secret sins of the heart, is to give thanks for the inward favor, and to leave the apparent sins committed by the organs and parts of body is to give thanks for the outward favor.

Let me say that whoever disobeys Allah Almighty even through a single minor sin, such as to open his eyelid where he should lower his gaze, has indeed proved ungrateful to the favors of Allah on him in the heavens, on earth and what is between them. However, all that is created by Allah in the heavens and on earth, including the angels, the plants, the animals, etc, is a favor He bestowed upon man from which each individual gets benefit. In each eye twinkle, there is a pair of favors bestowed by Allah Almighty: He Almighty created underneath each eyelid muscles and strings to connect it with the brain nerves with the help of which the eyelid opens and shuts. On each eyelid, there are black eyelashes, whose duty is to focus the light which is dispersed by whiteness. They are arrayed in one line in order to protect the eye from the small larva and insects, and also from the air molecules. In each single hair, there are two favors as regards its smooth root and thin figure. The interlacement of eyelashes has a greater favor. The air dust might hinder the eye from opening,, whereas the interlacement of eyelashes in such a way enables the eye to see through that net of hair, without closing completely. In this way, the net of hair prevents dust from harming the eye from without, but do not prevent the eye from seeing. Furthermore, if the eyeball is harmed by dust, the ends of eyelashes were created to serve, by closing, as polishers of a mirror.

Let's return to our issue and say that whoever looks at what is unlawful for him to look at has indeed proved ungrateful to the favors of Allah upon him concerning the eyelids. The eye could not do without the eyelids; and the eyelids could not do without the head; and the head could not do without the whole body; and the body could not do without the nourishment, i.e. the food; and the food could not be available without water, air, earth, sun, moon, and all the other things required for plants to grow; and nothing of that could do without the heavens; and the heavens could not function without the angels; and so on. All are like one thing whose members are connected with each other, in the same way as the parts of the body are connected with each other. Thus, by looking at what is unlawful for you to look at, you have been ungrateful to all favors on you, and there remains neither an orb, nor an angel, nor a plant, nor an animal nor a non-living being but that it curses you.

For this reason, it is related that the spot wherein people gather either curses them or invokes forgiveness upon them when they leave. It is also related that everything, including even the fish in the ocean, prays for forgiveness for the religious scholar; and that the angels send their curses upon the disobedient. All of this refers to the fact that the perpetrator of a sin done by an unlawful eye twinkle commits in fact a crime against all beings in the universe and dominion, which leads to his destruction unless he follows the evil deed with a good deed to erase it, and the curse is replaced with prayer for forgiveness, perchance Allah would turn to him in repentance.

Allah Almighty revealed to Job "peace be upon him": "O Job! There is no servant of mine from among mankind but that he has two angels with him: if he gives thanks to me for My favors on him, they would say: "O Allah! Increase him in favor, for You are fitting to be praised and thanked." So, be among the thankful and it is sufficient for a high rank to be near the thankful. I appreciate their gratitude and My angels invoke good upon them, places love them and foot traces weep for them when they leave."

As well as in each eye twinkle there are dozens of favors on man, you should know that in every breath taken in and out there are a pair of favors. By taking out a breath, the vapor, i.e. Carbone dioxide, comes out of the breast, and should it not come out, the heart would be ruined; and by taking in a breath, the essence of air, i.e. oxygen enters the breast, and should it not enter, the heart would be burnt due to its lack of oxygen. Every day and night consists of twenty-four hours, and every hour man takes in and out more than one thousand breaths, and every breath lasts about ten moments. Thus, you are under obligation to thousands of thousands of favors concerning each part of your body, if not each part of the components of this world. Consider then whether a thorough survey of that is imaginable.

When the significance of the statement of Allah Almighty: " But if you count the favours of Allah, never will you be able to number them " (Ibrahim 34)

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾

Was revealed to Moses "peace be upon him" he said: "O my God! How

should I give thanks to You and You have a pair of favors in each single hair of my body? You have made smooth its root and concealed its head." It is related in a particular narration that "Whoever does not know the favors of Allah on him in his food and drink, his knowledge is little and his punishment is due." All of what we have mentioned returns to the favor of food and drink on which you should consider all favors. The insightful never sees or thinks about anything in this world but that he verifies that Allah has a favor on him concerning it. So, let's leave the thorough detail for it is longing for what is beyond the reach.

Exposition Of Why People Are Diverted From Gratitude

It should be known to you that the people fall short of gratitude only because of their ignorance and heedlessness. They have been prevented by both ignorance and heedlessness from knowing the favors of Allah Almighty upon them; and it is unimaginable to give thanks for a favor before knowing it. Furthermore, if one knew such a favor, he imagined that it is sufficient for gratitude to say only with his tongue: "Praise be to Allah; thanks be due to Allah...", giving no attention to the fact that the real gratitude for a favor is to use it to fulfill the wisdom for which it has been intended, i.e. to obey Allah Almighty. But even, apart from both, nothing prevents man from gratitude except his overpowering desire on the one hand, and his submission to the control of Satan on the other hand.

There are many reasons for heedlessness of favors. Among them is that, at least the ignorant among the people, and how many are they, do not regard as favor such as common to the people in general in all their states; and this is why they do not give thanks for all we have above mentioned, for they are common to all the people in all of their states. Everyone of them does not see those favors unique to him in particular. They do not thank Allah for the oxygen they breathe, given that should it be kept away from them for a moment, they would be exposed to death; and should they be detained in a bathroom or a well full of moisture, they would get suffocated. If anyone of them was tested by it, and he then was saved, he might regard it a favor from Allah Almighty for which he would give thanks to Him.

It is the utmost ignorance to make one's gratitude for a favor conditional on its being taken away from him even for a moment, and then given back to him, in some cases. The favor is more entitled to be appreciated in all states. But you do not see the sighted, for instance, give thanks for his sound sight before he becomes blind. At that time, if his sight is restored to him, he would regard it a favor for which he would give thanks to Allah Almighty. Since the mercy of Allah Almighty is all-encompassing over all the people in general, the ignorant among them do not regard it a favor. The people do not give thanks but for the wealth which they own in particular, and forget all favors bestowed by Allah Almighty upon them.

One of those ignorant complained of his poverty to one endued with deep insight, who said to him: "Would you be pleased to be blind and have ten thousand Dirhams?" he answered in the negative. He further asked him: "Would you be pleased to be mute and have ten thousand Dirhams?" he answered in the

negative. He further asked him: "Would you be pleased to have your hands and legs cut off and have twenty thousand Dirhams?" he answered in the negative. He further asked him: "Would you be pleased to be mad and have ten thousand Dirhams?" he answered in the negative. He said to him: "Then, do you not feel shy of complaining your Lord Who has given you things equal to fifty thousand Dirhams?"

It is related that one of the reciters was given to severe poverty by which he was disturbed so much. He saw in a dream somebody asking him: "Do you like that we cause you to forget the Surah of Al-An'am and you have one thousand Dinars?" he answered in the negative. He asked: "Then, the Surah of Hud?" he answered in the negative. He asked: "Then, the Surah of Yusuf?" He answered in the negative. He counted many Surahs for him and the man gave the same answer each time. On that he said to him: "Then, do you complain of poverty although you have as much as one hundred thousand Dinars?" In the morning, his state of anxiety was over.

Once Ibn As-Sammak entered upon one of the caliphs who had a mug of water from which he was drinking. He asked him to give him admonition. He said: "Had you not been given that sip of water but for your whole property, otherwise you would have remained thirsty: Would you have given your property?" the caliph answered in the affirmative. He further asked him: "Had you not been given it but for your entire kingdom: would you have conceded it?" he answered in the affirmative. On that he said to him: "Then, rejoice not of a kingdom which is not equal to a sip of water." It seems then that the favor of Allah Almighty on a man concerning only a sip of water when he is thirsty is greater than the dominion of the entire earth.

If the people are predisposed, by nature, to consider only the particular favors apart from the public and general, let's mention briefly a set of the special favors. Let's say that no servant investigates his state but that he sees one or more favors unique to him in which only a limited number of people, and in some cases none shares him. This is acknowledged by man in three things: mind, character and knowledge.

As far as mind is concerned, there is no servant of Allah Almighty is displeased with Him as regards his mind: Each of them thinks he is the most intelligent among the people. One rarely asks Allah to provide him with mind. It is out of the honour of mind that the one lacking it rejoices with it in the same way as the one possessing it does. Hence, if one thinks himself the most intelligent of people, it is a favor for which he should give thanks to Allah Almighty. That is because if it is really so, thanksgiving is due upon him; and if it is not so, then, it is also a favor in his sight for which he should give thanks. If one buries a treasure, he rejoices with it and thanks Allah for it. If the treasure is taken without his knowledge, he continues to rejoice and be thankful as long as he thinks the treasure is still buried in its very place.

As regards moral character, there is no servant does not criticize the others for what seems to him from their deficiencies and shortcomings. He criticizes them as he sees himself free from these evils. Indeed, if he does not engage in

criticizing others, at least he should engage in giving thanks to Allah Almighty Who has made good his moral character and put the others to trial because of their bad character.

In relation to knowledge, there is no servant but that he knows well his internal thoughts and hidden ideas, and that which is unique to him alone. Were the veil to be removed and were his matter to be revealed to anyone else, he would be put to shame. How then do you think of him if all the people, and not only one, know his matter? Then, every servant knows about himself something in which none save Allah shares him. Why does he not then thank Allah Almighty for the favor of screening his evils and faults from the sight of people and disclosing only the good to them?

Those are three among the special favors of Allah Almighty with which all servants acknowledge. Now, let's move from this very special rank to one which is more general, saying that there is no servant from among the servants of Allah Almighty but that He endowed him, either in his person, physique, manners, attributes, residence, family, kinship, honour, or majesty, whether in some or in all of these he likes, with something so much important to him that if it is taken away from him, and given to anyone else, he would be displeased. It is like making him a believer instead of a disbeliever, a living being instead of a non-living being, a man instead of an animal, a male instead of a female, a sound instead of a sick, a perfect instead of a defective, etc. although those characteristics are almost general and common to a lot of people, if all or at least any of them is replaced with its opposite, he would be displeased with it.

In many cases, he would not accept that his state be replaced with the state of anyone else; and this means that his state, at least in his sight, is better than that of anyone else. Being so, he is then under obligation to Allah Almighty for His favors, unique to him alone and not to anyone else among His servants. If there is some whose state he accepts to replace his own state with, let him consider them, and he will soon know that these who seem better and higher than him in rank are lesser in number than those who seem inferior and lower than him. But, why does he look at such as higher than him in order to scorn the favors of Allah upon him? Why does he not look at such as inferior and lower than him in order to make much of the favors of Allah upon him? Why does he not make his world equal to his religion? Is it not that if his soul blames him for a sin he has committed, he apologizes justifying that there are a lot of sinners and dissolute men?

In religion, he considers such as inferior and lower than him, unlike the world in which he always considers such as higher and above him in rank. If most people are better than him in religion, and he is better than most people in the world, why should not he give thanks for that? This is why the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who looks at such as higher and above him in religion, and at such as inferior and lower than him in the world, Allah writes him among the patient and thankful; and whoever looks at such as higher and above him in the world, and at such as inferior and lower than him in religion, Allah does not write him among the patient and thankful." (At-Tirmidhi on the authority of Abdullah Ibn Amr).

Thus, whoever inspects his own state and considers what he is favored with apart from others, should affirm the Oneness of Allah Almighty for His favors He bestowed upon him uniquely, particularly he who is favored with following the sunnah, faith (in Allah and His Messengers and Books), knowledge and Qur'an. Ranking second to this is disengagement from concerns, health and security, and so on. For this reason, it is said (in the form of poetic verses): "Whoever likes to have abundant life and good religion, let him look at such as higher and better than him in piety, and at such as inferior and lower than him in wealth." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever does not become free of want with the Signs of Allah Almighty, may Allah not make him independent." This is a reference to the favor of knowledge. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Verily, the Qur'an is the richness beside which there is neither richness nor poverty." (Abu Ya'li and At-Tabarani on the authority of Anas). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said too: "He, whom Allah Almighty endowed with the favor of the Qur'an and thinks that there is anyone else richer and more wealthier than him, has indeed ridiculed the Signs of Allah Almighty." (Al-Bukhari in his Tarikh on the authority of Raja' Al-Fanawi). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Not among us is he who does not get rich by the Qur'an." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Sufficient is certainty (of faith) for richness." (At-Tabarani on the authority of Uqbah Ibn Amir).

One of the righteous predecessors said: Allah Almighty says in one of the Scriptures He revealed: "Indeed, I have made My servant independent from three things: I have perfected my favor on him and made him not in need of an authority to seize him, of a physician to remedy him, and of covet of what is in the hand of his brother." Of that meaning, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" expressed. It is narrated on the authority of Salamah Ibn Ubaidullah Ibn Mihsan Al-Ansari from his father that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, upon whom morning comes while being healthy and rest assured, having the sustenance of his day, seems as if (all of the) world has been combined for him." (Ibn Majah).

If you consider the people, you would find almost all of them complaining and growing of things beyond those three, given that their consequence is evil upon them. They do not thank the favor of Allah upon him in those three. They do not thank Allah for the favor of faith with which they attain the abiding bliss and great dominion. The insightful is he who should rejoice only with the certainty of faith and knowledge. We know that there are from among the religious learned scholars such as if all the world is offered to him in return for his knowledge, he would reject the deal, thinking the favor of knowledge excels any favor else, since it leads him to come close to Allah Almighty in the hereafter. If he is promised to get what he expects in the hereafter, and rather is offered the pleasures of this world in return for the pleasure of knowledge, he would reject the deal for he knows well that the pleasure of knowledge is never-ending, unlike

the pleasures of the world.

We should not say that whoever turns away from the world suffers from patience on it, for whoever devotes himself to it also suffers from patience on preserving and obtaining it, and averting thieves and robbers from it. But there is difference between both: The pain of the one who turns away from the world leads him to the pleasure in the hereafter, whereas the pain of him who devotes himself to it brings about pain for him also in the hereafter. Let those who turn away from the world recite the following statement of Allah Almighty: " And slacken not in following up the enemy: if you are suffering hardships, they are suffering similar hardships; but you have hope from Allah, while they have none. And Allah is full of Knowledge and Wisdom." (An-Nisa' 104)

﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

The way of gratitude has been closed in the face of people due to their ignorance of the apparent and hidden, private and public favors bestowed upon them by Allah Almighty.

You may ask: "What is the remedy of those heedless hearts in order to feel the favors of Allah upon them, perchance they would be grateful?" in reply to that, let me say that it is sufficient for the hearts of those endued with deep insight to consider the different kinds of the general favors of Allah Almighty we have already mentioned. But the hearts of the callous, who does not regard the favor as favor unless it is unique to him, or unless he is put to trial because of it, his way is to consider such as inferior to him in rank, and do what some Sufis did, who used to go everyday to the graves, hospitals and the places where the legal punishments were established. As for hospitals, he used to go to see the trial to which Allah put the sick and then regard his health, thereupon he would feel the favor of health upon him in comparison with the ordeal of ailment upon them, and then thank Allah Almighty for His favor.

He used to see the criminals who were to be killed, those whose organs cut off, or these who had to receive many types of punishment as a penalty for their crimes, thereupon he would give thanks to Allah Almighty for protecting him from such crimes and punishments, and thank Him for the favor of security and safety. He used to go to the graves and know that the dearest thing to the dead is to return to life even for as short as one day, in order for the sinner to reform himself, and the doer of good to do more good. The Day of Judgement is the day of mutual loss: the obedient will be given to loss for when he would see the recompense for his obedience, he would say: "I had power to do more acts of worship! How great is my loss for I have wasted long times in what is permissible." But the loss received by the sinner is self-evident. So, when one sees the graves, and knows that the dearest thing to the dead is to have in their lives as much as remains in his own life, he might devote the remaining of his life to do the things for which the dead desire to return to life. Having done so, he would know the value of the favors of Allah upon him

during the remaining portion of his life. If one knows that, he would give thanks, by devoting the remaining of his life to that for which life has been created, i.e. to take from the world provisions for the hereafter. This is the remedy of those hearts which are heedless of the favors of Allah, perchance they would be grateful.

Ar-Rabie Ibn Khaithamah, in spite of his deep insight, used to seek the aid of that way in confirmation of knowledge. He dug a grave in his house. He used to put a yoke in his neck and lie in it reciting: "O my Lord! send me back (to life), In order that I may work righteousness in the things I neglected." (Al-Mu'minun 99-100)

﴿ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۝ ﴾

Then, he would stand and say: "O Rabie! You have been given what you asked for. Then, do righteous works before you ask for return and are given no answer."

Another thing to remedy the hearts which abstain to give thanks for favors is to know that if the favor is not appreciated, it would vanish. For this reason, Al-Fudail Ibn Iyad used to say: "I advise you to persist in gratitude for all favors, for almost no favor has been removed from the people and then returned to them once again." According to one of the righteous predecessors: "The favors are like wild animals. So, tie them with gratitude." According to a particular narration: "The more the favor of Allah upon a man is great, the more the people become in need of him. So, whoever deals with them slightly would expose such favor to disappear." (Ibn Adi and Ibn Hibban on the authority of Mu'adh Ibn Jabal). Allah Almighty said: " Verily never will Allah change the condition of a people until they change it themselves (with their own souls). But when (once) Allah wills a people's punishment, there can be no turning it back, nor will they find, besides Him, any to protect." (Ar-Ra'd 11)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ۝ ﴾

THIRD PILLAR

THAT IN WHICH PATIENCE AND GRATITUDE SHARE AND ARE RELATED TO EACH OTHER

Exposition Of The Way In Which Patience And Gratitude Gather On One Thing

You may argue that what you have mentioned means that Allah Almighty has a favor in all that exists. But this requires that the ordeal is absent. Then, what is the significance of patience? If the ordeal is present, then, what is the significance of gratitude for ordeal? Some claim that we give thanks for ordeal just as we do for favor. Then, how is it imagined to give thanks for ordeal? How is it imagine to give thanks for that on which we should keep patient? It is well-known that patience on ordeal summons pain, whereas gratitude for favor

summons pleasure; and both pain and pleasure are opposing. What is the significance of the statement that Allah Almighty has a favor in all that He has brought to existence?

In reply to that, it should be known to you that both favor and ordeal exist, and the affirmation of favor requires the affirmation of ordeal, for both are opposing. The loss of ordeal is a favor, whereas the loss of favor is a ordeal. But we have already mentioned that the favor is divided into absolute favor, like, in the hereafter, the servant's permanent happiness to be in the neighbourhood of Allah Almighty, and, in the world, like faith and good manners and what helps one achieve them; and restricted favor, like wealth which reforms religion from one point and corrupts it from another point. Similarly, ordeal is divided into absolute and restricted. The example of the absolute ordeal is, in the hereafter, like the remoteness from the neighbourhood and presence of Allah Almighty, whether forever or for some time; and, in this world, like disbelief, disobedience and bad manners, and those lead to the absolute favor. The example of the restricted ordeal is, like poverty, ailment, fear, and all kinds of ordeals which belong to the world more than to the religion.

Thus, absolute gratitude should be for the absolute favor. But no patience is due in case of the absolute ordeal in this world. Disbelief is a ordeal, and patience on it is pointless, and the same is true of disobedience. It is incumbent upon the disbeliever and sinner to leave his disbelief and sin (rather than to keep patient on them). Every kind of ordeal which man is able to avert from himself, he should not keep patient on it. If one, for instance, leaves water until he is given to painful thirst, his patience on that is pointless; and it becomes incumbent upon him rather to remove the pain (by drinking) than to keep patient on it (as long as water is available). The real patience is that on a pain which a servant has no way to remove from himself.

Thus, patience in this world is on a ordeal which is not absolute. And as long as the favor is not absolute, it may probably be a ordeal from one point and a favor from another point. In this way, both duties of patience and gratitude are imagined to gather on it. Richness, for example, might be a cause of destruction of the rich, by being killed with his family because of his wealth; and the same is true of health, as well as of all the worldly favors. Similarly, the restricted ordeal might possibly turn into a favor. For a particular servant, poverty and ailment might be better for him, and were he to be healthy or rich, he would become transgressing arrogant. Allah Almighty said: " If Allah were to enlarge the provision for His Servants, they would indeed transgress beyond all bounds through the earth; but He sends (it) down in due measure as He pleases. For He is with His Servants Well-acquainted, Watchful." (Ash-Shura 27)

﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾

He further said: " Nay, but man does transgress all bounds, In that he looks upon himself as self-sufficient." (Al-Alaq 6-7)

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Indeed, Allah Almighty protects His servant whom He loves in this world, just as anyone of you protects his patient." (At-Tirmidhi and Al-Hakim).

The same is true of one's family, children and all things included under the sixteen kinds of favor: all save faith and good manners are imagined to be a ordeal on some people, and thus their opposites a favor on them. We have already mentioned that knowledge is perfection and favor for it is one of the attributes of Allah Almighty. But in some cases, it might turn into a ordeal and its loss a favor. A typical example is man's ignorance of his term appointed: It is a favor on him. Were he to know it, this would embitter his life. So is his ignorance of what men hide from him concerning his kinship and relatives: it is a favor on him; and were this to be revealed to him, he might probably become envious and resentful. So is his ignorance of the blameworthy characteristics of others: Were he to know them, he would dislike and harm them, which would be of evil consequence on him in the world and the hereafter. The same is true of Allah's concealment of the Day of Judgement, the Night of Power, the hour in which supplication receives answer on Friday, etc: All of this is a favor for it prompts one to endeavor more and more. This is the favor of Allah Almighty concerning ignorance.

It is true that there is a favor for Allah Almighty in all that exists. This applies to all things, and even the pain, in some cases, might also be a favor on him in whom it is created. The pain received by the disbelievers in the fire of Hell is a favor, if not on them, on the faithful believers, for the calamities of a people might avail others. Had Allah Almighty not created punishment therewith to punish some people, those blessed in joy would have not recognized the significance of their comfort in comparison with them. The joy of the inhabitants of Paradise is multiplied by thinking about the pains of the denizens of fire. Do you not see that the inhabitants of the earth does not rejoice with the sunlight given their dire need for it, just for it is common almost to all the people, nor do they rejoice with the adornment of the sky given that it excels their ornamentations on earth, just because it is generally common to all of them? It is true then that Allah Almighty has not created a thing without a wisdom lying behind it, nor has He created a thing without a favor in it, whether on all or at least on some of His servants. There is also, in the creation of ordeal a favor whether on the tried or on anyone else. What is then not an absolute favor nor an absolute ordeal is fitting for both duties of patience and gratitude to gather on it.

But you may argue: "But both are opposing: there is no patience but on anxiety, nor is there any gratitude but for joy. How then should they gather?" In reply, it should be known to you that a thing might be a cause of grief in some cases, which summons patience, and a cause of joy in other cases, which summons gratitude. In poverty, ailment, fear and ordeal in this world, there are five things for which the heedless should give thanks.

The first is that there is no ailment nor poverty which afflicts a man but that there is what is greater than it which might afflict him, for Allah's decrees are

infinite. Had one's ailment or poverty been multiplied by Allah Almighty, who would have averted it from himself? So, he should give thanks for receiving no greater than it in this world.

The second is that his calamity might have possibly been in his religion. A man asked Sahl: "A thief entered my house and stole my luggage. What should I do?" On that he said: "Thank Allah for had Satan entered your heart and corrupted your faith in the Oneness of Allah, what would you have done with it?" this is why Jesus "peace be upon him" sought with Allah in his supplication: "O Allah! Make not my calamity in my religion." Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" said: "I have not been tried with a ordeal without being under obligation to Allah concerning four favors in it: that it has not been in my religion; that it has not been more grievous than it; that I have not been deprived of pleasure because of it; and that I expect reward for it."

One of the masters of hearts had a friend, whom the ruler put in prison, and when he sent to him to inform him and complain to him, he told him to thank Allah. Then, the ruler punished him by beating, and when he sent to his friend to inform him and complain to him, he told him to thank Allah. Then, a Magian was brought and put in custody with him, and tied with the same fetter, and there was a link in his foot and another link in the foot of the Magian. Whenever anyone of them wanted to stand to answer the call of nature, the other would stand and go with him and wait until he would finish. He sent to his friend to inform him and complain to him, and he told him to thank Allah Almighty. He sent to him asking: "Until which time should I continue to thank Allah? Is there any ordeal more grievous than that?" his friend, the master of heart, said to him: "Had the same belt been put round your and his waists, what should you have to do?"

Whoever then is afflicted with a ordeal which he reflects well inwardly or outwardly, he would realize that he would have deserved what is more grievous than it sooner or later. If one hundred lashes are due on you, and you have been lashed only ten, then, you should give thanks to him who reduced the punishment from you. Similarly, whoever deserves that both his hands be cut off and only one has been cut off, he should give thanks to him who reduced the punishment from you. For this reason, an old respectable man was walking in the street when a bowl of ashes was poured on his head. On that he fell in prostration out of thankfulness to Allah Almighty. When he was asked about that he said: "I expected a bowl of fire to be poured on my head. And now since it was only ashes, it should be a favor."

You may argue: "But even, how should I rejoice given that I see that a group of people, though more disobedient and sinful than I am, and even the disbelievers, have not been afflicted with the same calamities and distresses as I have been?" in reply, it should be known to you that such of punishment and affliction as kept for the disbeliever is more and more, and he is given respite until he increases in sin and crime, as confirmed by Allah Almighty: " We grant them respite that they may grow in their iniquity: but they will have a shameful punishment." (Al Imran 178)

﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾

As for sins, how should you know that one is more sinful than another? It may be that only an evil passing thought occurs to the mind about Allah's attributes and acts is more sinful than drinking alcoholic drinks and committing fornication, and all sins to be committed with organs. That is the significance of the statement of Allah Almighty: " and you thought it to be a light matter, while it was most serious in the sight of Allah." (An-Nur 15)

﴿ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾

How then should you come to know that anyone else is more sinful than you? It may be that his punishment has been deferred to the hereafter, whereas yours has been hastened on for you in this world, for which you should give thanks to Allah Almighty.

That is the third point of thankfulness, i.e. there is no punishment but that it is imagined that it should be deferred to the hereafter. To be sure, the calamities of this world might be alleviated and reduced by other means, unlike those of the hereafter which are constantly permanent, and would never be reduced by anything whatsoever. Whoever has his punishment hastened on for him in this world would not be punished for the same sin once again in the hereafter as stated by the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "If a servant commits a sin and then is afflicted with a calamity or distress in this world, Allah Almighty is too generous to punish him for it once again in the hereafter." (At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Ali).

The fourth is that this affliction or calamity has been doomed to him in the Mother of the Book, and he should inevitably receive it sooner or later. But since he received it in this world, it was over for it was removed from him. Which comfort one might get better than this? To be sure, this is a favor in its own right.

The fifth is that the reward he would get for it is more. However, the calamities of this world are ways to the hereafter from two perspectives:

The first perspective is in the same way as the hateful medicine is a favor on the patient, and the prevention of a child from playing is a favor on him, for were he to be left to play as much as he liked, this would have impeded him from acquisition of knowledge and etiquettes, losing thereby his entire lifetime. Similarly, the wealth, family, relatives, organs and parts of body, including even the eye, the dearest to man, might be a cause of his destruction in many cases; and also the mind, the greatest and the most valuable, might lead to destruction. The atheists would hope, in the hereafter, that had they been mad or lost their mind in this world before they behaved in the religion of Allah with their minds in the very manner that led to their destruction.

There is nothing but that man should imagine that he has a religious good therein. Thus, he should have good assumption about Allah Almighty, and estimate that it is good for him for which he should give thanks to Allah. The wisdom of Allah is all-embracing and He is more acquainted with the benefits and interests of His servants. In the morrow, the servants would thank Allah for the ordeals when they see the reward they would receive for them from Allah Almighty, just as the child, after maturity and attainment of the age of puberty, thanks his mister and father for beating and disciplining him until he was able to

acquire knowledge. To be sure, the ordeal from Allah Almighty is out of discipline, and He takes care of His servants more perfectly and completely than fathers do of their children.

In this connection, it is narrated that a man said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Advise me." He said: "Do not abuse Allah in anything He has decreed on you." (Ahmad and At-Tabarani on the authority of Ubadah). In another context, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" looked at the sky and then laughed. When he was asked about that he said: "I wonder at the Divine Decree of Allah for the faithful believer: if He decrees prosperity for him, he would be pleased, and it is good for him; and if He decrees adversity for him, he would be pleased, and it is good for him." (Muslim on the authority of Suhaib).

The other perspective is that the source of destructive sins is the love for this world, and the source of means of salvation is to desert with heart from the abode of deception. to receive favors as much as one likes without being mixed with ordeals and distresses summons self-assurance and intimacy to this world until it comes to be like Paradise for him. This is why he feels much pain at death because of his would-be departure from it. But if he suffers much trials and ordeals, he would be disturbed and annoyed by it, with the result that it would turn to be a prison for him, and his salvation from it would be the greatest pleasure he could ever have, for it would be like salvation from the prison. That is the significance of the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "This world is the believer's prison and disbeliever's Paradise." (Muslim on the authority of Abu Hurairah). The disbeliever stands for such as turns away from Allah Almighty, and intends nothing but the life of this world with which he is reassured and pleased. The faithful believer stands for such as wholeheartedly absconds from this world and has much longing for departure from it. Disbelief is apparent in part and hidden in part. As much as one loves the world, the hidden polytheism circulates in his body. The absolute Unitarian is he who loves only (Allah) the One, the Real.

That is the perspective from which the trial has favors with which man should rejoice. The feeling of pain here is necessary. It is like your pleasure, when you are in dire need to get yourself cupped, with a cupper who volunteers to cup you, or, when you are in need of medicine, with the physician who volunteers to give you medicine, no matter painful or bitter the cupping or medicine might be. You feel pain and pleasure at the same time. You keep patient on pain, and give thanks for the cause of pleasure. Any worldly trial is like the medicine which seems painful at the moment and beneficial in the future. If a man entered the house of a king in which he saw a beautiful woman, he would dislike to come out of it no matter how evil it might be to him for he would be affable with a house in which he could not stay any longer. Should his stay in it put him to the risk of causing the king to see and thus punish him for that, and at the same time, should something hateful happen to him which forced him to come out (before the king's arrival), it would be a favor on him.

The world then is an abode, which people enter from the gate of the

womb and come out of it from the gate of the grave. What makes them affable with the abode is an ordeal; and what disturbs their hearts from it and interrupts their intimacy to it is a favor on them. Whoever knows that well is imagined to give thanks for trials as well as for favors; and whoever does not know that is unimagined to give thanks for them, for gratitude follows the knowledge of the favor. Whoever does not believe that the reward he would receive for the calamity is greater than the calamity itself is unimagined to give thanks for the calamity.

It is related that a Bedouin consoled Ibn Abbas "Allah be pleased with both" for the death of his father, saying: "Be patient, so that we would be patient with you, for the patience of the wards always follows that of their head. The reward you would receive after Al-Abbas is better than him; and Allah is better than you to Al-Abbas." On that Ibn Abbas commented: "None has ever consoled me better than him." However, there are so many narrations about keeping patient on calamities. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whomever Allah intends good for, He afflicts him (with calamities in this world to purify him)." (Al-Bukhari on the authority of Abu Hurairah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: Allah Almighty says: "If I afflict anyone of My servants with a calamity in this world which he receives with good patience, I would feel shy, on the Day of Judgement, to set up a balance or spread a scroll for him (to reckon him)." the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "No servant is afflicted with a calamity for which he says as he is commanded by Allah Almighty to say, i.e. "We all are to Allah, and to Him we all shall return. O Allah! Reward me for my calamity, and give me a better recompense", but that Allah Almighty does that for him." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said too: Allah Almighty says: "He, from whom I have taken away his two cherished organs (i.e. his eyes), his reward would be the eternal stay in My House (Paradise), and the (honour of) looking at My Countenance."

It is related that a man said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Messenger of Allah! I have lost my property, and my body has become faint." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No good lies in him who does not lose his property and whose body does not become faint. Verily, if Allah loves a servant, He would put him to trial, and if He puts him to trial, He would cause him to be patient." (Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A man might have a rank with Allah Almighty which he does not attain with a deed until he is afflicted by Allah in his body; and it is by this that he then attains it." (Abu Dawud on the authority of Muhammad Ibn Khalid As-Sulami from his father from his grandfather).

It is narrated on the authority of Khabbab Ibn Al-Aratt "Allah be pleased with him" that he said: We complained to The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" (of the persecution inflicted on us by the

infidels) while he was sitting in the shade of the Ka'bah, leaning over his Burdah (i.e. covering sheet). We said to him, "Would you seek help for us? Would you pray to Allah for us?" the colour of his face changed into red and he said: "Among the nations before you a (believing) man would be put in a ditch that was dug for him, and a saw would be put over his head and he would be cut into two pieces; yet that (torture) would not make him give up his religion. His body would be combed with iron combs that would remove his flesh from the bones and nerves, yet that would not make him abandon his religion. By Allah, this religion (i.e. Islam) will prevail till a traveler from Sana (in Yemen) to Hadramaut will fear none but Allah, or a wolf as regards his sheep, but you (people) are hasty." (Al-Bukhari).

It is related on the authority of Ali "Allah be pleased with him" that he said: "Whoever is put in prison by the ruler wrongfully and he dies, is a martyr; and if he is beaten until he dies, he would be a martyr." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It is out of honouring and respecting Allah Almighty not to complain of your pain nor make a mention of your calamity." According to Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him": "You give birth (children) to die, inhabit (the earth) to be destroyed later, covet of what is perishable and leave what remains. Behold! How good are the three hateful things: ailment, poverty and death." It is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If Allah intends good for a servant and wants to purify him, He would pour trials and afflictions on him. If he invokes Him, the angels would say: "This voice is known to us." If he invokes Him once again saying: "O Lord!" He would say: "I am responding to your call O My servant, and all happiness be in your hand. You would ask Me for nothing but that I would give it to you or avert from you and keep with Me for you what is better." When it is the Day of Judgement, the people of good deeds would be brought and given their reward in full according to the balance of deeds: prayer, fasting, almsgiving and Hajj; and when the people of trials and afflictions are brought, no balance nor scroll would be made to them: the reward would be poured on them in the same way as trials and afflictions were poured on them in the world. At that time, the people who were healthy in this world would like that were their bodies to be filed with files, for the reward they would see the tried people would get apart from them. This is the significance of the statement of Allah Almighty: "Those who patiently persevere will truly receive a reward without measure!" (Az-Zumar 10)

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾

It is narrated on the authority of Ibn Abbas "Allah be pleased with them" that one of the Prophets made a complaint to his Lord saying: "O Lord! The believer obeys You and avoids sins, but you keep away the world pleasures from him and bring trials before him, whereas the disbeliever disobeys You and dares to commit sins, but You keep away trials from him and bring the world pleasures before him." On that Allah Almighty revealed to him: "All trials and servants belong to Me, and all celebrate My praises. It may be that a believer has

committed sins, thereupon I keep away the world pleasures from him and bring trials before him instead to make expiation for his sins until he meets Me to be rewarded according to his good deeds. Therefore, the disbeliever might have good deeds, thereupon I enlarge sustenance for him and keep away trials from him, in order to be rewarded according to his good deeds in this world until he meets Me to be requited according to his evil deeds."

It is narrated that when Allah Almighty revealed: " whoever works evil, will be requited accordingly. Nor will he find, besides Allah, any protector or helper." (An-Nisa' 123)

﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾

Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" said: "How should one rejoice after that Verse?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "May Allah forgive for you O Abu Bakr! Do you not fall ill? do you not receive harm? Do you not grieve? It is with this that you are requited (for your evil works)." (At-Tirmidhi and others). It is narrated on the authority of Uqbah Ibn Amir "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If you see that a man is given what he likes although he persists in sin, you should know that he is seized by degrees." Then, he recited the following statement of Allah Almighty: " But when they forgot the warning they had received, We opened to them the gates of all (good) things, until, in the midst of their enjoyment of Our gifts, on a sudden, We called them to account, when lo! they were plunged in despair!" (Al-An'am 44)

﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

(Ahmad, At-Tabarani and Al-Baihaqi).

It is narrated on the authority of Al-Hassan that one of the companions of the Prophet saw a woman which he knew from the Pre-Islamic days of ignorance. He talked with her and then left her and went away. But he turned his face towards her while walking until a wall struck him and injured his head. He came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and told him. The Prophet "peace be upon him" said: "If Allah Almighty intends good for a servant, He would hasten on his punishment for his sin in this world." (Ahmad and At-Tabarani on the authority of Al-Hassan from Abdullah Ibn Ma'qil). Ali "Allah be pleased with him" said: "Should I not tell you about the Holy Verse in the Qur'an which gives the greatest hope?" they answered in the affirmative, thereupon he recited to them: " Whatever misfortune happens to you, is because of the things your hands have wrought, and for many (of them) He grants forgiveness." (Ash-Shura 30)

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾

The misfortunes in this world ensue from committing sins. If Allah punishes the sinner in this world, He is too generous to punish him for it once again in the hereafter. If He excuses him in this world, He is too generous to

punish him for it on the Day of Judgement. It is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that the Prophet "peace be upon him" said: "No servant takes two sips dearer to Allah than a sip of anger which he curbs with forbearance (for the Sake of Allah), and a sip of misfortune for which he keeps patient. No drop is shed dearer to Allah Almighty than a drop of blood to be shed in the Cause of Allah, or a drop of tear to be shed amidst the darkness of night while one is prostrating, and none is seeing him but Allah Almighty. No servant takes two steps dearer to Allah than a step to be taken to perform the obligatory prayer, and a step to keep good relation with his kith and kin." (Abu Bakr Ibn Lala, Abu Mansur Ad-Dailami and Ibn Majah).

It is narrated on the authority of Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" that he said: A child belonging to Solomon, son of David, "peace be upon them" died and he grieved for him so much. Two angels came to him in the form of two foes and knelt before him. One of them said: "I have sowed seed and when it yielded, this man came upon it and damaged it." Solomon asked the other about his opinion and he said: "It was on the main road." Solomon "peace be upon him" asked him: "Why have you then sowed the seed on the main road? Do you not know that this road is necessary for people?" he replied: "Then, why do you grieve for your child? Do you not know that death is the way to the hereafter?" On that Solomon repented to his Lord and grieved not for any child afterwards.

Once Umar Ibn Abd-Al-Aziz entered upon one of his children and he was fatally ill. He said to him: "O my son! To be in my balance is dearer to me than I be in yours." He said: "O my father! What you like is dearer to me than what I like." It is narrated that once, the death news was announced to Ibn Abbas "Allah be pleased with them" of one of his sons thereupon he said: "We all belong to Allah, and to Him we all shall return. It is a defect screened by Allah, a burden sufficed by Allah, and a reward given by Allah Almighty." Then he descended and offered a two-rak'ah prayer and said: "We have done what Allah commanded us to do. Allah Almighty said: " Nay, seek (Allah's) help with patient perseverance and prayer: it is indeed hard, except to those who bring a lowly spirit." (Al-Baqarah 45)

﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

In another context, the death news was announced to Ibn Al-Mubarak of one of his children. A Magian whom he recognized came to console him and said to him: "The rational should do today what an ignorant might do five days later." Ibn Al-Mubarak said: "Write this phrase from him." A religious scholar said: "Indeed, Allah Almighty puts a servant to trial from time to time until he walks on the earth as sinless." According to Al-Fudail: "Allah Almighty fosters His believing servant with trials in the same way as anyone of you fosters his family with good." According to Hatim Al-Asamm: "On the Day of Judgement, Allah Almighty will support His argument on four classes of men with four persons: on the rich with Solomon "peace be upon him", on the poor with the Christ "peace be upon him", on the slaves with Joseph "peace be upon him", and on the patient with Job "peace be upon him"."

It is narrated that when Zechariah "peace be upon him" escaped from the disbelievers among the children of Israel and hid himself in the tree and they learnt his place of escape, they brought a saw and started to saw the tree until the saw touched his head thereupon he moaned. Allah Almighty revealed to him: "O Zechariah! Should you moan once again, I would erase your name from the list of Prophethood." On that Zechariah "peace be upon him" kept silent biting his finger until his body was cut into two halves. According to Abu Mas'ud Al-Balkhi: "Whoever is afflicted with a calamity and he tears his clothes or slaps his front, seems as if he takes a lance to fight his Lord Almighty." Luqman "peace be upon him" said: "O my son! The gold is tested with fire, and the righteous servant is tested with trial. If Allah likes a people, He puts them to trial: whoever is pleased attains the good pleasure (of Allah); and whoever is displeased incurs displeasure (of Allah upon himself)."

Al-Ahnaf Ibn Qais said: One night I had a tooth ache and in the morning I complained to my paternal uncle: "I have not slept because of the severe pain in my molar tooth until I removed it." He said to me: "You have talked much about the ache of your molar tooth only on one night. I lost my eye thirty years ago, and none among the people learnt about it." Allah Almighty revealed to Uzair "peace be upon him": "If you are afflicted with a trial, do not complain Me to anyone of My creatures, just as I do not complain you to anyone of My angels if your evil deeds and indignities are raised to Me." We ask Allah Almighty to screen us out of His great kindness and generosity.

Exposition Of Superiority Of Favor To Ordeal

You may say that these narrations give the impression that the trial is better in this world than the favor. So, should we ask Allah to endow us with trial instead of favor? In reply to that, let me say that there is no point to do so, for it is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to seek refuge with Allah in his supplication from the trial of the world and the trial of the hereafter. (Ahmad on the authority of Bishr Ibn Abu Arta'ah). He and the other Prophets "peace be upon them" used to say: "O Lord! Give us a good deed in this world and a good deed in the hereafter." (Al-Bukhari and Muslim on the authority of Anas). They also used to seek refuge with Allah from the enemy's schadenfreude. When Ali "Allah be pleased with him" said in his supplication: "O Allah! I ask You for patience." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "You have asked for trial. But rather ask for wellbeing." (At-Tirmidhi on the authority of Mu'adh).

It is narrated on the authority of Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Ask Allah (to endow you with) wellbeing, for none is given better than wellbeing save certainty (of faith)." (Ibn Majah and An-Nasa'i). By certainty, he referred to the wellbeing of heart from the disease of ignorance and doubt. However, the wellbeing of the heart is higher than the wellbeing of the body. According to Al-Hassan: "The good in which there is no evil is the wellbeing that is mixed with gratitude. Indeed, many are the unthankful beneficiaries." According to Mutarrif Ibn Abdullah: "To be healthy and give gratitude is dearer to me than to be put to

trial and keep patient." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said in his supplication: "Your wellbeing is dearer to me." (Ibn Ishaq in his Sirah, and it is a part of his supplication therewith he supplicated Allah on the day he set out to Ta'if).

This is self-evident. Therefore, the trial is regarded a favor by two considerations: the first is that it is so in comparison with what is more severe and grievous than it whether in the world or in religion. The other pertains to the expected reward for it. So, we should ask Allah Almighty to perfect favor in the world, and avert the trial and hardship, and ask Him the reward in the hereafter for gratitude for His favor, for He is to give for gratitude what He gives not for patience.

You may argue that one of the righteous said: "Would that I be a bridge to be held over the fire on which all the people cross and are saved, and I remain in the fire." Is it not that such ask Allah for trial (other than favor)? In reply to that, it should be known to you that it is related that Samnun, who asked for trial, was tried with sexual impotence, after which he used to go round the elementary schools and say to the children: "Supplicate Allah to a good effect for your false uncle." Furthermore, it is impossible for a man to like to be in the fire of Hell sacrificing himself for all the people. But love might prevail over the heart until one thinks himself fitting for the like of that. Whoever drinks the cup of love would be intoxicated, and whoever is under the influence might extend in his speech. But once the state of intoxication is over from him, he would perceive that what he said was not real. Thus, these words belong to the speech of lovers which is pleasant to hear, but unreliable in fact.

It is narrated that the husband of Fakhitah used to induce her (to have sexual relation with her), and she used to prevent him. He said to her: "Why do you refrain from me given that if you like me to turn the entire universe including even the dominion of Solomon upside down, I would do for your sake?" when Solomon "peace be upon him" heard him, he invited him and blamed him for that. On that he said: "O Prophet of Allah! The lover's speech is unreliable." He indeed has told the truth. Some lovers have come to take pleasure in the trial so long as they feel they please Allah Almighty more than they do in wellbeing so long as they do not feel they please Allah Almighty. If His pleasure with them is in the trial, the trial would become dearer to them than wellbeing. This state is not unlikely once love prevails over the heart. But it is not constantly durable; and even if it is constantly durable, is it a healthy state? The verification of this matter is unfitting for this topic in issue. The point is that it seems from what we have mentioned that wellbeing is better than trial. So, we ask Allah to endow us with forgiveness and wellbeing in religion, world and hereafter.

Explication Of Which Is Better: Patience Or Gratitude

It should be known to you that this matter is debatable between people some of whom favor patience, and some gratitude, and others make them equal, and others differentiate between both according to the different states and conditions. Each group support their argument with words which are troubled and irrelevant.

So, to transmit their words is of no significance. It is rather better to initiate to show the truth saying:

In order to show this, there are two stations:

The first is the station of simplicity. It is to consider the outward side of the matter without delving into its truth. It is that with which the laymen should be addressed, for they fall short of perceiving the abstruse facts. It is this kind of speech that the preachers should adopt in their preachings, for the purpose of their speech is to reform the laymen. The suckling woman, for instance, should not foster the babe with the fat and fleshy birds or the edible kinds of sweet, but she should nourish him with no more than the good and fresh milk, and forbid the sweet food from him until he grows up enough and becomes able to eat and digest it well. This station requires to consider the apparent concept of the texts of Sharia, and it gives preference to patience over gratitude.

Although there are many narrations in favor of the excellence of gratitude, if they are to be compared with the narrations in favor of the excellence of patience, it seems that patience is more excellent. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The best things you have been given are certainty (of faith) and the determination of patience." According to another narration: "The most thankful among the inhabitants of the earth would be brought and rewarded by Allah Almighty with the reward of the thankful; and the most patient among the inhabitants of the earth would be brought and it would be said to him: "Would you be pleased to be rewarded like the reward We have given to that thankful?" he would say: "Yes O Lord!" Allah would say: "Nay! I have bestowed favor on him (the thankful) for which he gave thanks, whereas I tried you and you kept patient. I would multiply your reward for it." Then, he would be given many times the reward of the thankful." In confirmation of that, Allah Almighty said: "those who patiently persevere will truly receive a reward without measure!" (Az-Zumar 10)

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ ﴾

As for the Prophet's statement: "The thankful eating is in the same position of the patient fasting" (At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Abu Hurairah) indicates to the excellence of patience. Gratitude here is mentioned by way of exaggeration in order to be raised up to the position of patience. Had it not been understood from Sharia that patience is higher in rank, raising up the gratitude to its rank would have not been an exaggeration to overestimate gratitude. It is like his statement: "The (performance of prayer on) Friday is the pilgrimage of the indigent, and the woman's' Jihad is her good companionship with her husband." (The first half of Al-Harith Ibn Usamah on the authority of Ibn Abbas; and the second half is narrated on the authority of At-Tabarani on the same authority). Or like his statement: "The drunk is like the idolater." To be sure, in simile, the compared with should be higher in rank than the compared. The statement that "Patience constitutes half the faith" does not indicate that gratitude is like it.

It is narrated that the Prophet "peace be upon him" said: "The last to enter Paradise among the Prophets would be Solomon, son of David "peace be upon

them" due to his great dominion (he had in the world); and the last to enter Paradise among my companions would be Abd-Ar-Rahman Ibn Awf due to his great richness (he enjoyed in this world)." (At-Tabarani on the authority of Mu'adh Ibn Jabal). According to another narration, "Solomon would enter Paradise forty years after all the Prophets." According to another narration, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "All gates of Paradise have two posts, except that of patience, which has only one post; and the first to enter through it would be the men of trial, led by Job "peace be upon him"."

All the narrations that support the good merits of poverty indicate to the excellence of patience, for patience is the state of the poor, whereas gratitude is the state of the rich. That is the station with which the laymen are satisfied. It is sufficient for them to receive the suitable preaching and definitions which contribute in the righteousness of their religion.

The other station is to let the men of knowledge and deep perception of facts and real nature of things know by way of revelation and disclosure. If there are two abstruse matters, the comparison between them is impossible unless the real nature of each is revealed. Each revealed thing is divided into many divisions and to compare between them in total is impossible unless each division is separated to be compared with its counterpart. It is only in this way that preponderance of anyone of them over the other seems evident. Patience and gratitude are of many divisions and branches. So, the preponderance or shortage of anyone of them in total is impossible to seem well.

We have already mentioned that the components of those stations are three: sciences, states and works. The same is true of gratitude and patience. When they are compared, from the first sight, it seems to the beholders of the outward sides, that sciences are intended for states, and states for works, and thus works are the best. But in the view of the masters of insights, the matter is different. According to them, works are intended for states, and states for sciences, which seem the best, followed by states and then by works.

As for each of those three individually, they are different and superior to each other. The best of knowledge, for example, are the sciences of Disclosure (Mukashafah), and they are superior to the sciences of practical religion (Mu'amalah). The sciences of practical religion themselves are inferior to practice itself, for those sciences are intended for practice, and their benefit is to set right the work. The scholar of the practical religion is superior to the worshipper in so much as the benefit of his knowledge is general and public. This differs from the knowledge which has no practical benefit. Let's say that the benefit of reforming practice is to reform the state of the heart; and the benefit of reforming the state of the heart is to have the Glory and Majesty of Allah Almighty in His essence, acts and attribute revealed to him.

The highest of the sciences of Mukashafah is to know Allah Almighty; and it is an end which is sought for itself, because therewith happiness is attained. Nay! It is the happiness itself. But the heart might not feel in this world but in the hereafter that it is the happiness itself. It is the unrestricted free knowledge, and

all the other kinds of knowledge are but restricted by, and servants to it, for they all are intended for it; and they co-operate in so much as they benefit in leading to that high knowledge. To be sure, the kinds of knowledge lead to each other directly or indirectly through intermediaries. The more the intermediaries between one and the knowledge of Allah Almighty is less, the better and higher it is.

As for the states, we intend the states of the heart in purification and disengagement from the stains and occupations of this world with its creatures. Once it is purified, the true nature of the Real becomes clear to it. The merits of states are determined by its effect on reforming and purifying the heart, and preparing it to be fit for receiving the sciences of Mukashafah. As well as the mirror needs, in order to be polished, many conditions some of which bring it nearer to polishing than others, the same is true of the heart in its accompanying states, some of which bring it nearer to purification and refinement than others. Of course, the more a state draws the heart to purification, the better and higher it is than others. Similarly, the order of acts is subject to the same rule in bringing different states on the heart. Each act either brings on it a state which hinders it from Mukashafah, darkens it and brings it to the adornment of this world; or brings on it a state which makes it fit for Mukashafah, purifies it and disconnects it from the ties of this world and its occupations.

Disobedience is the name of the former; and obedience of the latter. Sins are different in their traces on the darkness and harshness of the heart; as well as the acts of obedience are different in their impact on the illumination and purification of the heart. The difference indeed is determined by the difference of states. In illustration, let's say that the supererogatory prayer is better than any other supererogatory deed; Hajj is better than charity; and the standing at night (for supererogatory prayers) is better than many things other than it, and so forth. But with deeper verification, we could say that the rich who has wealth, and is possessed by miserliness and longing for property, to give in charity is better for him than to stand at night (for supererogatory prayer), and to observe many voluntary fasts, for fasting is better for him who is seized by the appetite of stomach, which he likes to break, or him who is hindered by satiety from pure meditation on sciences of Mukashafah, and he likes to purify his heart by way of hunger. Of a surety, the miserliness that is obeyed by the miser is among the destructives which could hardly be removed even by fasts of one hundred years, or standing for one thousand nights (for supererogatory prayers). Nothing removes it but to give out money. So, such has to give what he has in charity. The details of that are explained in the quarter of destructives. So, you should return to it.

It is by this consideration that the states are different; and at that point, the absolute answer is not possible. If one asks you about which is better, bread or water. No absolute answer would be possible for bread is better for the hungry, and water is better for the thirsty. If both hunger and thirst are combined, then, let one consider which of them is more prevalent. If thirst prevails hunger, then,

water would be better, and if hunger prevails thirst, then, bread would be better, and if they are equal, then, both would be equal. Similarly, if it is asked whether oxymel or lemonade is better, no answer would be possible. It is true that if it is said to us whether oxymel or absence of piles is better, we could answer that the absence of piles is much better, for oxymel is intended for it; and so on.

The point then is that to give in charity is to spend money, which leads to a particular state, i.e. the removal of niggardliness, and the disappearance of the love for this world from the heart. With the disappearance of the love for this world, the heart becomes fit for the knowledge of and love for Allah Almighty. This means that knowledge is the best, followed by state and then by work.

But you may argue that Sharia exhorted people to do deed which it overemphasized to the extent that He Almighty said in request for charity to be given (to the poor): "Who is he that will loan to Allah a beautiful loan, which Allah will double unto his credit and multiply many times? It is Allah that gives (you) Want or Plenty, and to Him shall be your return." (Al-Baqarah 245)

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾

And: "Know they not that Allah does accept repentance from His votaries and receives their gifts of charity, and that Allah is verily He, the Oft-Returning, Most Merciful?" (At-Tawbah 104)

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾

By that consideration, why should deed represented in giving in charity not be the best?

In reply to that, it should be known to you that if a physician rates a medicine, it would not be an indication that it is intended for itself, or that it is better than health and cure that result from it. But deed is the remedy of the heart disease, which one rarely feels. It is like leprosy on the face of him who has no mirror to see his face in it. The only way to cause him to sense it is to acclaim exaggeratingly the wash of the face with pure and fresh hailstone if hailstone is to remove leprosy, which exhorts him to wash his face regularly with hailstone until his ailment is removed. Were he to be asked to do so with the intention to remove his ailment, he might abandon it under pretext that his face is faultless.

Let's give another illustrative example. If one teaches his child knowledge and Qur'an and likes to have this constantly permanent in his memory, and he knows that were he to command him to repeat what he learns so much in order to keep it in memory, the child would not do it under pretext that it is kept in his memory and there is no need for repetition, thinking that what he keeps in memory at the moment remains unchangeable across the time. At the same time, if this father has slaves, and he commands his child to teach them from what he has learnt, with the promise to be rewarded for that, and of course, whilst teaching them, he would repeat what he has learnt so many times, in which case, the poor child would think that the purpose is to teach Qur'an to the slaves, for which he is

used. Perhaps this might lead him to say to himself: "What is the matter with me that I have been used to teach the slaves given that I am higher in rank and dearer than them in the sight of my father?" he also might think that teaching those slaves might not avail the father himself, which leads him to indulge in teaching them. The result is that he would forget knowledge and become deprived of its benefit, by way of a false deception and imagination.

Some of the straying people have been deceived by that method, under pretext that Allah is not in need of their worship or to ask them for loan, wondering about the significance of His statement: "Who is he that will loan to Allah a beautiful loan, which Allah will double unto his credit and multiply many times?" (Al-Baqarah 245)

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾

They said: "had Allah willed to feed the indigent, He would have provided them with food. Thus, there is no need for us to spend our wealth on them." Allah says about some of them: " And when they are told, "Spend you of (the bounties) with which Allah has provided you," The Unbelievers say to those who believe: "Shall we then feed those whom, if Allah had so willed, He would have fed, (Himself)? You are in nothing but manifest error." (Ya Sin 47)

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾

They also said (as told by Allah): " Those who give partners (to Allah) will say: "If Allah had wished, we should not have given partners to Him, nor would our fathers: nor should we have had any taboos."" (Al-An'am 148)

﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ﴾

Consider then how they had told the truth, and how they had been given to destruction because of their truthfulness.

Glory be to Allah Who destroys with truthfulness if He so likes, and makes happy with ignorance if He so likes. He guides many and leaves many to stray. When they thought they had been served for the benefit of the poor and indigent, they rejected it and said: "We have no portion in the indigent, and Allah has no portion in us nor in our property, and it is the same whether we spend or withhold." In this way they were given to destruction as was the child when he thought that his father's purpose was the service of the slaves, and did not sense that his real purpose was to make firm knowledge in his heart in order to be a cause of his happiness in the world and the hereafter. This example shows to you how those who were destroyed had been ruined through that way. The one who takes your wealth indeed extracts the impurity of destructive niggardliness and love for this world from inside your body, like the cupper who takes out the corrupt blood and with it the destructive ailment from inside your body. The cupper then is a servant of you and not you of him; and he has nothing to do with the blood he takes out of your body. Since the charity was to purify the inside of bodies from the malicious and wicked attributes, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" abstained from taking it. He also forbade his kinship to take it and likened it to

the impurities of people.

The point is that deeds affect the heart and according to their effect, the heart is apt to receive guidance and light of knowledge. That is the universal rule to be known about the merits of deeds, states and knowledge. Now, let's return to our main topic about patience and gratitude. Each of them has a knowledge, a state and a deed. The knowledge, for example of any of them could not be met with the deed or state of the other. Each should be met with its counterpart in order for the relevance to seem clear; and after relevance, the superiority might be distinguished. It may be that if the knowledge of the thankful is met with the knowledge of the patient, both would refer to the same source. The knowledge of the thankful is to see the favor of his sight from Allah Almighty; and the patient's knowledge is to see his blindness from Allah Almighty; and both are equal.

We have already shown that patience might be on doing the act of worship as well as on abstention from sin. In them, both patience and gratitude are combined. The patience on doing an act of worship is to be thankful for it. That is because gratitude refers to using the favor of Allah Almighty in that for which it is created with wisdom; and patience refers to the firmness of religious motive versus the motive of inclination and desire. Both patience and gratitude are two names for the same thing by two different considerations. Firmness of religious motive versus the motive of inclination and desire is called patience in relation with the motive of inclination and gratitude in relation with the religious motive. The religious motive is created for that wisdom, i.e. to overpower the motive of inclination; and having done so, it will have been used for the wisdom for which it is created. Both then denote the same thing. How then should a thing be regarded superior to itself?

Patience then works in three things: obedience, disobedience and affliction. Its wisdom concerning obedience and disobedience has been shown clearly. As far as affliction is concerned, it is to lose a favor. The favor might be necessary like eyes, or unnecessary like the extra wealth that is beyond the need.

As regards what is necessary like eyes, the blind's patience on them is not to complain, and rather to be satisfied with the fate and ordainment of Allah Almighty, and not to indulge, because of them, in sins. The gratitude of the sighted for them is to do two things: the first is not to use them in disobedience of Allah Almighty, and the other is to use them in obedience of Allah Almighty. Each of both could hardly be free from patience. The blind is sufficed patience on the beautiful (unlawful) scenes for he does not see them. If the eye of the sighted falls on a beautiful scene on which he keeps patient, he would be thankful for the favor of both eyes; and if he follows his sight, he would be ungrateful of the favor of both eyes. In this way, patience becomes a part of his gratitude. Likewise, if he utilizes his eyes in obedience, he would be patient on obedience.

But even, he might appreciate (the favor of his eyes) by utilizing them in looking at the wonders of the making of Allah Almighty to reach therewith the knowledge of Allah Almighty; and in this case, gratitude is better than patience. Had it not been for that, Shu'aib "peace be upon him" who was blind from

among the Prophets would have been higher in rank than Moses "peace be upon him". That is because he kept patient on the loss of sight versus Moses who did not keep patient. Had it not been for that too, it would have been out of perfection for man to lose the favor of all of his limbs and organs and be left as only bones covered with flesh. But this is debatable for every organ and part of body is an instrument for religion, and by losing it, one corner of religion is missed. To Appreciate it is to utilize it for the very thing of religion for which it is created. This is achieved only by patience.

As for what is unnecessary, like what is beyond the need of wealth, if he is given only what suffices for the minimum requirements of living and he needs more, to keep patient on it is out of mortification, i.e. the mortification of poverty. Of a surety, the additional wealth is a favor, but to appreciate it is not to use it in disobedience of Allah, or to utilize it only in what is good. If patience is compared with gratitude which is to utilize it in obedience, gratitude becomes better, for it implies patience, pleasure with the favor of Allah Almighty, the probable pain of utilizing it on the poor instead of using it in permissible enjoyment. But if appreciating it is not to use it in disobedience, and rather to utilize it in permissible enjoyment, in this case, patience becomes better.

However, the patient poor is better than the rich who withholds his wealth and spends it on the permissible enjoyment and pleasures, and not the rich who spends his wealth on what is good. That is because the poor strives himself and breaks its desires, and is well-pleased with the trial to which he is put by Allah Almighty; and this state summons power. But the rich follows his desires and appetence, but is restricted to what is permissible. The permissible is better than the unlawful. Although power here is necessary to enable him to be patient on what is unlawful, the power therewith the poor keeps patient is higher and stronger than that therewith the rich keeps patient on limiting himself to what is permissible apart from what is unlawful.

All narrations and Holy Verses in which the reward of patience is preferred to the reward of gratitude are intended for that rank in particular. That is because what occurs to the mind from the first sight concerning the favor is wealth; and what occurs to the mind concerning gratitude for richness from the first sight is only to say 'Praise be to Allah', and not to spend his money in disobedience. But it does not occur to mind to spend it in obedience. In this meaning, patience which is understood by the laymen is better than gratitude that is understood by the laymen. To that meaning Al-Junaid referred when he was asked about patience and gratitude: which of them is better. On that he said: "The rich is not praised for he has, nor is the poor for he has not. Both are praised when they undertake the conditions required each for his state. The condition of the rich requires many things to befit his attribute, in terms of enjoyment and delights; and the condition of the poor requires many things to befit his attribute in terms of grief and disturbance. If both have the conditions required each for his state, and do not disobey Allah Almighty, no doubt, the one whose attribute is pained and disturbed is more perfect than him who enjoys and pleases his attribute."

Indeed, what he said is true as regards the third division of both patience and gratitude. It is said that Abu Al-Abbas Ibn Ata' disagreed with him when he claimed that the thankful rich is better than the patient poor, thereupon Al-Junaid invoked evil upon him and he was afflicted with the murder of his children, damage of his wealth and loss of his mind for fourteen years during which he used to say: "The invocation of Al-Junaid has affected me." He then detracted from his opinion and came to favor the patient poor over the thankful rich.

If you observe what we have said, you would know that each of both opinions has its acceptance in many cases. It may be that a patient poor is better than a thankful rich as we have already mentioned; and in some cases, it may be that a thankful rich is better than a patient poor. I mean the rich who sees himself like the poor in so far as he withholds nothing of his wealth for himself more than what suffices his necessary needs and spends all his wealth on the good things, or keeps it in service of the needy and indigent. And even if he spends his wealth, he does not do so to seek majesty or authority, but rather to fulfill the right of Allah Almighty in His servants. This thankful rich is better than the patient poor.

You may argue: "The rich does not feel it difficult on himself, whereas the poor feels poverty difficult on himself, for the former feels the pleasure of capacity and power, whereas the latter feels the pain of patience. But if the rich feels pain because of losing money, it is removed by the pleasure of the ability to spend." In reply to that, it should be known to you that whoever spends his wealth with good pleasure and gladness is higher and more perfect in rank than the niggard who spends his wealth with oppression and against his will. The pain is not required for itself in so much as to discipline oneself. If pain and mortification are needed in the beginning (of following the path), they are not needed in the end for in the end what was painful turns to be pleasant.

Absolutely speaking, patience is better than gratitude. But patience is of many degrees, the lowest of which is not to complain, followed by the good pleasure, followed by thankfulness for affliction. Similarly, gratitude is of several degrees and we have mentioned the highest of them. To feel shy of Allah's consecutive favors on a servant is gratitude. One's knowledge of his falling short of thankfulness is gratitude. To apologize for one's lack of thankfulness is gratitude. His knowledge of the great forbearance and screening of Allah is gratitude. The acknowledgement that favors are given by Allah Almighty to servants regardless of their being not worthy of them is gratitude. The knowledge that thankful itself is one of the favors of Allah Almighty is gratitude. One's good humbleness before favors is also gratitude. To thank the means (of favors) is gratitude, since the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever does not thank the people has not thanked Allah." Abstention from objection and adherence to good politeness before the benefactor are gratitude. To receive the favor of Allah with good acceptance is gratitude.

The point is that both patience and gratitude are of infinite states and deeds with which we could not favor each over the other in general.

Book three: Fear and Hope

It is the third book of the quarter of saviors

In the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

Praise be to Allah whose loving kindness and reward are hoped for, whose stratagems and punishment are feared; who keeps alive the hearts of His allies with the breath of hope in Him, so that He may urge them on with the kindnesses of His benefits to alight in His courtyard and to swerve from His house of tribulation which is the abode of His enemies. And with the lashes of threatening and His harsh upbraiding He has driven the faces of those who shun His presence towards the house of His reward and preferment; and he has blocked them from thwarting His leaders and becoming the butt of His wrath and vengeance by leading the different types of His creatures with chains of violence and coercion, and reins of compassion and graciousness, to His Garden. And the blessing be on Muhammad, Master of His prophets and the most elect of his vicegerents, and on his family and Companions and relations.

To proceed. Hope and fear are two wings by means of which those who are brought near fly to every commendable station, and two mounts on which every steep ascent of the paths of the next world is traversed. And nothing but the reins of hope will lead to the vicinity of the Merciful and the joy of the Gardens the man who is distant from hoping and heavy with burdens, who is encompassed with what the heart abhors and with toils of members and limbs. And nothing shall avert from the fire of Hell and the painful punishment the man who is encompassed with the blandishments of lusts and the marvels of pleasures except the scourges of threatening and the assaults of violence. Consequently there is nothing for it but an exposition of the essence and merits of them both, as well as the way of arriving at a junction between the two of them, in spite of their polarity and mutual antipathy.

We join the mention of them in a single book which is comprised of two parts, the first part concerning hope and the second part fear.

PART ONE: HOPE

As for the first part, it includes three chapters:

Exposition of essence of hope

Exposition of merit of hope

Exposition of remedy of hope and way in which hope is obtained by it

Let us ask Allah for good success.

CHAPTER ONE: EXPOSITION OF ESSENCE OF HOPE

It should be known that hope is among the sum of the stations of the pilgrims and the states of the seekers. And the description *station* is given only when it is permanent and endures, and *state* only when transitoriness is hinted at. Just as yellow is divided into *permanent* such as the yellow of gold; *transitory* such as the yellow of fear; and what comes between these two like the yellow of a sick

person. Similarly the attributes of the heart follow these divisions and whatever is not permanent is called a state, because it soon changes, and this is continually happening in any description of the heart.

We are dealing at present with the essence of hope. Hope also comprises state, knowledge and deed. Knowledge is the cause which produces the state and the state decrees the deed. Hope is the comprehensive name of the three. Its exposition is that everything that confronts you is either what is abhorred or what is desired, and is divided into what is existent at the moment, what has existed in the past, and what is expected in the future. When what has existed in the past occurs to your mind, it is called remembering and recollecting; if what occurs to your mind is existent at the moment, it is called finding and tasting and perceiving. It is called finding because it is a state which you find for yourself. And, if the existence of something in the future occurs to your mind and prevails over your heart, it is called expectation and anticipation. If the thing expected is abhorred, with pain in the heart resulting from it, it is called fear and distress. If it is something desired, with pleasure and relief of heart resulting from the expectation of it and the attachment of the heart to it and the occurrence of its existence to your mind, that relief is hope.

Hence hope is the relief of the heart, because of the expectation of what it esteems desirable. But the desirable thing which is anticipated must have a cause, so, if the expectation of it is on account of the obtaining of the majority of the means to it, the name of hope in relation to it is justified. If that expectation is in spite of the defectiveness of the means to it and their disorder, the name of self-deceit and stupidity is more justified in relation to the expectation than that of hope. If the means are not specified either as existent or in mutual contradiction, the name of wishful thinking is more justified in relation to the expectation of it, because it is an expectation which is devoid of a cause. And, in any circumstance, the name of hope and fear does not apply to what is determined. For one does not say: I hope for the rising of the sun at the time of sunrise and I fear its setting at the time of sunset, because that is determined. But one does say: I hope that the rain will fall and I fear lest it should be cut off.

And the Spiritual Directors teach that this present world is the field of the next world, and the heart is as the earth, and faith is as the seed in it, and obedience is conducive to the turning over of the earth and the cleansing of it and the digging of channels and the leading of waters to them; and the heart which is infatuated with this present world and submerged in it is like swampy ground in which the seed does not fructify. And the Day of Resurrection is the day of reaping, and no one reaps except what he has sown, and only he who has sown the seed of faith grows crops. Rarely is faith profitable in company with a vicious heart whose moral traits are tainted just as seed does not fructify in swampy soil. And it is fitting that the hope of the creature for pardon should equal the hope of the owner of the crops.

For everyone who seeks good ground and casts into it seed of first quality which is neither moldy nor worm-eaten, who thereafter furnishes it with what is necessary to it, that is, the conducting of water to it at appropriate times; who

then clears the ground of thorns and weeds and everything that obstructs the growth of the seed or makes it rot; who then sits down and expects from the bounty of Allah the warding off of thunderbolts and blights, until his crop is mature and he arrives at his goal-his expectation is called hope. And, if he scatters his seed in ground which is baked hard or swampy, which is so elevated that the water does not flow into it, and does not labour one whit in the preparation of the seed-if he then expects a harvest from it, his expectation is called stupidity and self-deceit, not hope. And, if he scatters seed in ground which is good but without water, and proceeds to wait for the waters of the rains where they neither prevail nor are cut off, his expectation is called wishful thinking and not hope. Therefore the name of hope is legitimate only in relation to the expectation of a thing desired, all of whose means, which come within the choice of the creature, have been facilitated, and only what does not come within his choice remains, and this is the bounty of Allah in repelling birds and blights.

So when the creature sows the seed of faith and irrigates it with the water of obedience and cleanses the heart from the thorns of vicious moral traits and expects from the bounty of Allah his being established in that course until death and the virtue of the Seal that gives access to pardon, such expectation as his is hope in its essence, commendable in itself, and giving him an incentive for perseverance and endurance, in accordance with the means of faith, in perfecting the means of pardon until death. If its preparation with the water of obedience is cut off from the seed of faith, or, if the heart is remiss, filled with moral delinquencies, and obstinately persists in seeking the pleasures of this world, and then expects pardon, its expectation is stupidity and self-deceit. He (Muhammad) said: The fool is he whose soul follows its passions and who desires of Allah the Garden. And He (Allah) said: " But after them there followed a posterity who missed prayers and followed after lusts: soon, then will they face Destruction." (Maryam 59)

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾

And He said: " After them succeeded an (evil) generation: they inherited the Book, but they chose (for themselves) the vanities of this world, saying (for excuse): "(Everything) will be forgiven us."" (Al-A'raf 169)

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا ﴿١٦٩﴾ ﴾

And Allah condemned the owner of the garden, when he entered his garden and said: "I deem not that this will ever perish, "Nor do I deem that the Hour (of Judgment) will (ever) come: even if I am brought back to my Lord, I shall surely find (there) something better in exchange." (Al-Kahf 35-36)

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴿٣٦﴾ ﴾

Therefore, " To those who believe and do deeds of righteousness has Allah promised forgiveness and a great reward." (Al-Ma'idah 9)

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾

And blessing achieves completion only by the entering into the Garden. As for the disobedient person, when he has repented and repaired all that was remiss through shortcoming, it is proper that he should hope to receive repentance. With regard to the reception of repentance, when he has come to abhor disobedience, when sin grieves him and virtue delights him, when he blames himself and reproves it (evil) and desires repentance and yearns after it, it is proper that he should hope from Allah the advancement towards repentance because of his repugnance for disobedience; and his zeal for repentance is conducive to the cause which may give access to repentance.

And hope is only present after the consolidating of the means and for that reason He said: " Those who believed and those who suffered exile and fought (and strove and struggled) in the path of Allah, they have the hope of the Mercy of Allah: and Allah is Oft-Forgiving, Most Merciful." (Al-Baqarah 218)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾

The meaning is that these have a right to hope for the mercy of Allah. He did not intend by it that the existence of hope is exclusive to them, since others also may hope, but he has made exclusive to them the right to hope. As for him who obstinately perseveres in what Allah abhors, and does not upbraid himself because of it, and does not resolve on repentance and return, his hope of pardon is stupidity, like the hope of the person who has sown seed in swampy ground and made up his mind not to cultivate it by leading water to it and cleansing it of weeds.

Yahya Ibn Mu'adh said: The person who magnifies self-deceit is, in my opinion, the one who prolongs his sins, while he hopes for pardon without repentance and expects to draw near to Allah without obedience, and expects the crops of the Garden with the seed of the Fire, and seeks after the dwelling-place of obedience with the deeds of disobedience, and expects the reward without the deed, and has wishful thoughts of Allah in company with remissness.

You hope for salvation and you have not trodden its paths,
But the ship does not progress on dry land.

Since you are acquainted with the essence of hope and its marks, you know that it is a state which knowledge has produced through the setting in motion of the majority of the means, and this state produces zeal to persevere in the remainder of the means in accordance with what is possible. For the man whose seed is fine and whose land is good and who has abundance of water is entitled to his hope, and his legitimate hope will continually urge him towards the oversight of the ground and the cultivation of it and the clearing of all the weeds which grow on it. Thus he will not be remiss in any detail of its cultivation until the time of harvest. This is because hope sets him at the opposite pole from despair, and despair inhibits cultivation. For whoever 'knows' that the ground is swampy and

that the water will not flow and the seed will not grow, will, doubtless, as a consequence, neglect the oversight of the land and toil in its cultivation.

Hope is a commendable thing, because it is a source of incentive, and despair is reprehensible and is the antithesis of hope, because it distracts from work. Fear is not the antithesis of hope, rather it is a companion to it, as its exposition will bring out. More, it is another source of incentive, impelling along the path of awe just as hope impels along the path of inclination. Hence the state of hope produces sustained spiritual combat through actions, and perseverance in obedience, however fickle circumstances may be. Among its effects are finding pleasure in unbroken acceptance with Allah, contentment in private prayer with Him and fondness for deferring to Him. For these states must be manifest to everyone who hopes, whether king or commoner, and so how will that not be manifest to Allah? If it is not manifest, that will be a pointer to preclusion from the station of hope and descent into the pit of self-delusion and wishful thinking.

This then is the exposition of the state of hope and how knowledge produces it and how action is produced from it. And a tradition of Zaid Al-Khair is a pointer to its producing these actions; when he said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": I have come to enquire of you about Allah's way of identifying the person who aspires and the person who does not aspire. So he (Muhammad) said: How do you go about it? He said: I have made a practice of loving virtue and its people, and, whenever I have the capacity for anything belonging to it, I make haste towards it and I believe firmly in its reward. And, when anything belonging to it eludes me, I am grieved thereby and yearn after it. So he said: This is Allah's identification mark in respect of the one who aspires, and, if He had desired you for other things, He would have prepared you for them; then He would not be concerned in which of their wishes you perished. So he (Muhammad) has mentioned an identification mark of the person by whom virtue is sought, and, consequently, whoever hopes that there may be the intention of virtue without this mark is self-deluded.

CHAPTER TWO

EXPOSITION OF MERIT OF HOPE AND INCLINATION TOWARDS IT

It should be known that action on account of hope is of a higher order than action on account of fear, because the creatures who are nearest to Allah are those who love Him most, and love dominates hope. This is expressed by two kings, one of whom is served through fear of his punishment and the other through hope of his reward. For this reason what is desiderated, especially at the time of death, has to do with hope and optimism. He (Allah) said: " Say: "O my Servants who have transgressed against their souls! Despair not of the Mercy of Allah: For Allah forgives all sins: for He is Oft-Forgiving, Most Merciful." (Az-Zumar 53)

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾

Thus He proscribed the root of despair. And (it is recorded) in the traditions about Jacob that Allah revealed to him saying: Do you know why I parted Joseph from you ? It was because you said: I am afraid that the wolf will eat him, while

you are neglectful of him. Why did you fear the wolf and not hope in me ? And why did you have regard to the negligence of his brothers and did not have regard to my preserving him ?

And he (Muhammad) said: Truly, not one of you will die, except he has good expectations of Allah. And he said: Allah says: I am in accord with what my creature supposes of me, so let him suppose of me what he will. And he came into the presence of a man who was at the point of death and said: How do you find yourself ? So he said: I find that I am fearing my sins and hoping for the mercy of my Lord. So he (Muhammad) said: These two were not united in the heart of a creature in this homeland, but Allah granted him what he hoped and made him secure from what he feared. And `Ali said to a man whom fear had brought to despair because of his sins: O you, your despairing of the mercy of Allah is a greater fault than your sins.

Sufyan said: Whoever commits a sin and knows that Allah has assigned it against him, and (yet) hopes for His pardon, Allah will pardon him his sin. He continued: For Allah upbraided a group of people saying: "But this thought of yours which you did entertain concerning your Lord, has brought you to destruction, and (now) have you become of those utterly lost!" (Fussilat 23)

﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾

And He said: "this seemed pleasing in your hearts, and you conceived an evil thought, for you are a people lost (in wickedness)." (Al-Fath 12)

﴿ وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ ﴾

And he (Muhammad) said: Truly Allah will say to His creature on the Day of Resurrection: What obstructed you from loathing the hated thing, when you saw it ? So, if Allah has given him a grasp of his defence, he will say: O Lord, I hoped in You and I feared the people. He (Muhammad) said: So, Allah will say: I have forgiven you it.

1- According to a sound tradition there was a man who was lending money to the people, and he was magnanimous to the rich and overlooked the debts of the destitute, and he met Allah and had not wrought a single good deed. Allah said: Who has a better right to that than we have? So He pardoned him because of his optimism and his hope that He would pardon him despite his being destitute of obedience. And He said: " Those who rehearse the Book of Allah, establish regular Prayer, and spend (in Charity) out of what We have provided for them, secretly and openly, hope for a Commerce that will never fail:

For He will pay them their meed, nay, He will give them (even) more out of His Bounty; for He is Oft-Forgiving, Most Ready to appreciate (service)." (Fatir 29-30)

﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾

And, when he (Muhammad) said: If you knew what I know, then you would laugh but little and would weep much, and would go out to the hills beating your breasts and making entreaty to your Lord. Gabriel swooped down and said: Truly

your Lord says to you: Why do you induce despair in My creatures, so that their hope and longing rebel against them?

And according to the tradition Allah revealed to David: Love Me and love whoever loves Me and commends Me to My creatures. So he said: O Lord, how do I commend You to Your creatures? So He said: Mention Me for My gracious goodness and commemorate My bounties and well-doing and their recollection of that, for they know Me only as One who is gracious.

And Aban Ibn Abu Ayyash had a vision in his sleep (he was in the habit of recollecting again and again the categories of hope) and he said: Allah halted me in front of Him and said: What is it that has spurred you on to this habit ? So I said: I desired to commend You to Your creatures. So He said: I have pardoned you. And Yahya Ibn Aktham was seen in a vision after his death and it was said to him: How did Allah deal with you? So he said: He halted me in front of Him and said: O Shaykh, you have repeatedly committed evil. He continued: Then trembling took hold of me with respect to what Allah might know. Then I said: O Lord, this is not the report I had of You. So He said: And what was reported to you about Me? So I said: `Abd Ar-Razzaq related to me from Ma'mar, from Az-Zuhri , from Anas, from Your Prophet, from Gabriel, that You said: I am in accord with what my creature supposes about Me, so let him suppose about Me what he will. So I supposed of You that You would not punish me. Allah said: Gabriel has spoken the truth, likewise My Prophet and Anas and Az-Zuhri and Ma'mar and `Abd Ar-Razzaq and yourself. He continued: And I was fitted out with clothes and the two attendants walked before me to the Garden and I exclaimed: What joy!

And in the tradition: There was a man of the children of Israel who was inducing despair in men and was being hard on them. So Allah said to him: The Day of Resurrection will be a day on which I will make you despair of My mercy as you have made My creatures despair of it. And he (Muhammad) said: Truly a man enters the Fire and remains in it one thousand years, calling out: O Gracious One, O Bounteous One. Then Allah will say to Gabriel: Go and bring my creature to me. He continued: So he brings him and halts him beside his Lord, and Allah says: How did you find your place? So he says: An evil place. So He says: Take him back to his place. So he walks off and turns round and Allah says: Why are you turning round? So he says: I had certainly hoped that You would not return me to it, after You had brought me out from it. So Allah says: Take him to the Garden. And this pointed to his hope being the cause of his salvation. Let us ask for the boon of success through His kindness and favour.

CHAPTER 3

EXPOSITION OF REMEDY OF HOPE AND THE WAY IN WHICH THE STATE OF HOPE IS OBTAINED FROM IT AND BECOMES DOMINANT

It should be known that two types of men have need of this therapy; either the man over whom despair has become dominant, so that he has neglected worship; or the man over whom fear has become dominant, and who has been extravagant in his perseverance in worship, so that he has done injury to himself

and his family. And these two examples of men incline away from the equilibrium towards the two extremes of neglect and excess, and so they have need of the treatment which will restore them to the equilibrium.

For the person who is disobedient and self-deceived, who has wishful thoughts of Allah in company with his evasion of worship and his blind plunging into deeds of disobedience-the therapeutic properties of hope are, in his case, turned into lethal poisons, just as is the case with honey which is a cure for the person who is overcome by cold and a lethal poison to the person who is overcome by heat. More, in the case of the self-deluded person, only the therapeutic properties of fear can be employed and the means which excite it, and, for that reason, it is necessary that there should be one to preach to the people; one benevolently disposed who observes the incidence of diseases and treats every disease with its antidote and not with what it has excess of. For what is sought after is the equilibrium, and the goal with respect to all attributes and moral traits, and the optimum state of affairs, is their mean. And, when the mean transgresses upon one of the two extremes, it is treated with what returns it to the mean, not with what would increase its tendency away from the mean.

And the present time is one in which it is not expedient that the means of hope should be employed with the most of men. Yet an exaggerated employment of threatening, no less, will hardly return them to the highway of truth and the beaten tracks of rectitude. As for the mention of the means of hope it would cause them to perish and would destroy them totally. But when they (i.e. the means of hope) are less burdensome to the heart and more pleasurable to the appetites, the goal of preaching is no more than to sway hearts (sc. to hope) and make people speak in eulogies, whatever be the reason for their inclining to hope, so that the corrupt increase in corruption and the stubborn in their rebellion through procrastination.

Ali said: The knowledgeable person is simply he who does not make people despair of the mercy of Allah and does not make them feel secure from the stratagems of Allah.

And we make mention of the means of hope in order that they may be employed in the case of the despairing man or the one who has been overcome by fear, according to the pattern of the Book of Allah and the Practice of His Messenger. For both embrace hope and fear in union, since these two unite the means of healing with respect to different kinds of sick people, in order that the Knowledgeable , who are the heirs of the prophets, may employ one or other of them according to need, just as the discriminating physician would employ them and not the quack who supposes that everything that has therapeutic value will be salutary to every sick person, whatever may be his condition.

The state of hope becomes dominant by means of two things; the one is reflection, and the other the reciting of the verses (i.e. of the Qur'an) and traditions and reports With respect to reflection man reflects on all that we have mentioned concerning the different kinds of benefits in *The Book of Gratitude* , until he knows the kindnesses of the blessings of Allah to His creatures in this

world, and the marvels of His wisdom which He has disposed in the constitution of man, so that He has furnished for him in this world all that is necessary to him for the maintenance of existence. For example, the means of sustenance and what is needful to him, such as fingers and nails, and what is adornment to him, such as the arching of the eye-brows and the variegation of the colours of the eyes, and the redness of the lips, and other such things by the loss of which the goal aimed at would not be impaired. Only he would miss thereby the attainment of beauty. Since the Divine Providence has not left His creatures deficient in the instances of these minutiae, so that He was not content for His creatures that accessories and refinements in respect of adornment and necessity should pass them by, how will He take pleasure in driving them to everlasting destruction?

Moreover, when He ran over mankind with the eye of a physician, He knew that the most of men have at their disposal the means of happiness in this world, so that they dislike the translation from this world through death. Even if it were reported that there was never a single instance of a person being chastised after death or that there was no gathering (for Judgement), their distaste would not be non-existent, unless, doubtless, because the means of grace were predominant. The person who wishes for death is simply a rarity, and then he does not wish for it except in a rare circumstance, and an unexpected and unfamiliar contingency. Since the condition of the most of people in this world is one in which well-being and security prevail, the Practice of Allah does not find a substitute for them. The probability is that the affair of the next world is likewise, for the Framer of this world and the next is One, and He is forgiving, merciful and kind to His creatures, having compassion on them. So, when due reflection is given to this, the means of hope are strengthened thereby.

And also included in reflection is the scrutiny of the wisdom of the Law and its Practice in respect of this-worldly benefits, and the aspect of mercy to the creatures which is in it, so that one of the Gnostics used to consider the verse on incurring a debt in the Surah of Al-Baqarah as among the most powerful of the means of hope. So it was said to him (i.e. to the Gnostic). And what is there of hope in it ? So he said: This present world in its entirety is small, and the provision for mankind from it is small, and religion is small separated from His provision. And perceive how Allah revealed concerning it the longest verse, that He might guide His creature in the way of being encompassed in the keeping of his religion. And how will his religion not keep him who will not give anything in exchange for it ?

The second kind is the reciting of the verses and the traditions, and the material which has to do with hope is beyond definition. With regard to the verses, He said: " Say: "O my Servants who have transgressed against their souls! despair not of the Mercy of Allah: for Allah forgives all sins: for He is Oft-Forgiving, Most Merciful." (Az-Zumar 53).

﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾

And according to the recitation of the Messenger of Allah: "Then do not fret,

surely He is the Forgiving, the Compassionate." And He said: "And the angels celebrate the praise of their Lord, and ask pardon for those upon the earth." (As-Shura 5)

﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴿٥﴾ ﴾

And He has recorded that He has prepared the Fire for His enemies and has simply frightened His friends with it. So He said to them: "Above them are overshadowings from the Fire and below them are overshadowings"; by means of that Allah threatens His servants. (Az-Zumar 16)

﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ ﴿١٦﴾ ﴾

And He said: "And fear the Fire prepared for the unbelievers." (Al Imran 131)

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾

And He said: "Therefore do I warn you of a Fire blazing fiercely; None shall reach it but those most unfortunate ones Who give the lie to Truth and turn their backs." (Al-Lail 14-16)

﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ ﴾

He said: "Surely your Lord is forgiving to the people in spite of their wrongdoing." (Ar-Ra'd 6)

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴿٦﴾ ﴾

Someone said: Truly the Prophet was making petition without ceasing for his people, so that it was said to him: Are you not satisfied, although this verse has been revealed to you: Surely your Lord is forgiving to the people in spite of their wrongdoing? And in comment on His saying: "Surely your Lord will bestow upon you and you will be satisfied", (Ad-Duha 5)

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ ﴾

He (the narrator) said: Muhammad will not rest content, while one of his people is in the Fire.

Abu Ja'far Muhammad Ibn Ali used to say: You people of Iraq are saying: I hope in the verse in the Book of Allah, namely His saying: Say: O my creatures who have been profligate against yourselves, do not despair of the mercy of Allah to the end of the verse. And we, the people of the house say: I hope in the verse in the Book of Allah, namely His saying: Surely your Lord will bestow upon you and you will be satisfied.

Coming to the traditions, Abu Musa has related on the authority of the prophet "peace be upon him" that he said: My people are a people to whom mercy has been shown; they will not suffer chastisement in the next world; Allah has brought forward their chastisement to this world, earthquakes and factions. And, when the resurrection comes round, He will toss to every man of my people a man of the People of the Book and it will be said: This is your ransom from the Fire. And, in another version: Every man of this people will bring to Hell a Jew

or Christian, and he (the Muslim) will say: This is my ransom from the Fire, and he (the ransom) will be cast into it. And he (Muhammad) said: Heat is from the expanse of Hell and it is an amenity to the believer from the Fire. And it is reported in comment on His saying: "On the day when Allah will not degrade the prophet and those who believe with him", (At-Tahrim 8)

﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾

That Allah revealed to His Prophet: Truly, I am assigning the adjudication of your people to you. He said: No, my Lord, you will deal with them more mercifully than I. So He said: Then I will not degrade you among them. And it is reported on the authority of Anas that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" enquired at his Lord concerning the sins of his people and said: O Lord, assign their adjudication to me, so that no one but myself may scrutinize their evil doings. So Allah revealed to him: They are your people and they are my creatures, and I am more merciful with them than you. I shall not assign their adjudication to other than myself, so that neither you nor anyone else may scrutinize their evil deeds. And he Muhammad said: My life is good for you and my death is good for you. My life, because I lay down for you the practice and frame the Law for you; and my death, because your deeds have been open to me, and whatever I have seen of them that was good, I have praised Allah for it, and I have asked Allah to pardon you whatever I have seen of evil.

And he (Muhammad) said on a certain day: O generous Pardoner. So Gabriel said: Do you know what the interpretation of *generous Pardoner is?* It is as follows: Surely He has pardoned evil deeds in mercy; in His generosity He has substituted good deeds for them. And the Prophet heard a man saying: O Lord I ask You for the completion of blessing. So he said: Do you know what the completion of blessing is? He said: No. He said: The entrance into the Garden. The Scholars said: Allah has completed His blessing for us in His approving Islam for us, when He said: "I have completed My blessing for you and have approved Islam as your religion." (Al-Ma'idah 3)

﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾

And according to the tradition: When the creature commits a sin and asks Allah for pardon, Allah says to His angels: Observe my creature, he has committed a sin and he knows that he has a Lord who will pardon and take away his sin; I testify to you that I have pardoned him. And according to the tradition: If a creature were to sin so that his sins reached the clouds of the heavens, I would pardon him them in so far as he asked pardon of Me and hoped in Me. And according to the tradition: If My creature were to meet Me with sins the equal of the earth, I would meet him with pardon the equal of the earth. And according to the tradition: Surely the Angel holds the reed-pen aloft for six hours so as not to make a mark against the creature, when he sins; and, if he repents and asks for pardon, he will not record it against him; and, if not, he will record it as an evil deed. And according to another version: If he performs a good deed after he has recorded it against him, the Angel of the right hand says to the Angel of the left (for the former has command over the

latter): Cast away the evil deed (so that one multiple of ten is cast away from his good deed) and credit to him nine good deeds. So the evil deed is cast away from him.

And Anas reported in a tradition that the Prophet said: When the creature commits a sin, it is recorded against him. So a nomadic Arab said: And, if he repents of it ? He said: It is erased from him. He said: If he returns to sin? The Prophet said: It is recorded against him. The nomad said: And, if he repents? He said: It is blotted out from his page. He said: For how long? He said: For as long as he begs for pardon and repents towards Allah. Surely Allah does not grow weary in pardoning until the creature grows weary of begging for pardon. And, when the creature purposes a good deed, the Master of the right hand writes it down as a good deed before he performs it; and, if he performs it, he records ten good deeds. Then Allah multiplies it to seven hundred multiples. And, when he meditates a sin, it is not recorded against him; and, when he performs it, one sin is recorded, and beyond it is the goodness of Allah's act of pardon.

And a man came to the Prophet and said: O Messenger of Allah, I do not keep any fast except the month of Ramadan without supererogation, and I pray only the five prayers without supererogation, and I give no voluntary alms in respect of my wealth, and there is neither pilgrimage nor obedience beyond what is obligatory to my credit. Where am I when I die? So the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" smiled and said: Yes, you are with me; because you have kept your heart from two things, rancour and envy, and your tongue from two things, slander and falsehood, and your eyes from two things, looking at what Allah has forbidden and contemning a Muslim with them, you will enter the Garden with me, because of my rejoicing at these two things.

And in a lengthy tradition ascribed to Anas (it is reported) that the (above-mentioned) nomad said: O Messenger of Allah, who will preside over the adjudication of the people? So he said: Allah. He said: In Person? He said: Yes. So the nomad smiled and he (Muhammad) said: Why did you laugh? So he said: Surely, when the Magnanimous One decrees (punishment) He pardons, and, when He fixes the reckoning, He forgives. So the Prophet said: The nomad has spoken the truth, Assuredly there is no one more magnanimous than Allah; He is without peer among those who are magnanimous. Then he (Anas) said: The nomad grasped it. And again in it (the Prophet said): Truly Allah has ennobled the Ka'bah and made it great, and, if a creature should demolish it stone upon stone, then should set it ablaze, he has not reached the sin of the person who makes sport of one of the friends of Allah. The nomad said: Who are the friends of Allah? He said: The believers are all friends of Allah. Have you not heard the saying of Allah: "Allah is a friend of those who believe, bringing them out of the darkness into light"? (Al-Baqarah 257)

﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾.

And according to certain traditions: The believer is preferred more than the Ka'bah. Also: The believer is good and pure. Also: The believer is preferred more than the angels in the sight of Allah. And according to the

tradition: Allah created Hell out of the excess of His mercy as a whip. With it Allah drives His creatures to the Garden. And in another tradition: Allah says: I have created men solely that they might exploit me and I have not created them to exploit them. And according to a tradition of Abu Sa'id Al-Khudri on the authority of the Messenger of Allah: Allah has not created anything but He has matched it with what dominates it, and He has made His mercy to dominate His wrath. And according to the celebrated tradition: Truly Allah inscribed mercy on His Self before He created men; truly, My mercy dominates My anger.

And on the authority of Mu'adh Ibn Jabal and Anas Ibn Malik it is reported that he (Muhammad) said: Whoever says: There is no Allah but Allah will enter the Garden, and the Fire will not touch him whose last words are: There is no Allah but Allah. And, if a man encounters Allah not having associated anything with Him, the Fire is denied access to him. And the person in whose heart is the weight of an atom of faith will not enter it (the Fire). And according to another tradition: If the unbeliever knew the spaciousness of the mercy of Allah, not a single one would despair of His Garden. And, when the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" recited His saying: "Surely the earthquake of the Hour is a mighty thing." (Al-Hajj 1)

﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ ﴾

He said: Do you know which day this is? This is the day on which it will be said to Adam: Arise and dispatch the detachment destined for the Fire from among your seed. So he will say: How many? And it will be said: Out of every thousand nine hundred and ninety nine are for the Fire and one for the Garden. He (the narrator) went on: So he made the people despair and they began to weep and while away their days in idleness and inactivity, and so the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" attacked them and said: What is the matter with you that you will not work ? They said: And who would occupy themselves with work after what you have related to us on that point? And he said: How many are you among the nations? Where are Tāwīl and Thārīth and Mansak and Gog and Magog , nations whom only Allah can count? Among the rest of the nations you are but as the white hair in the coat of the black bull or the white mark in the fore-leg of the riding-beast.

So observe how he was driving the people with the whip of fear and leading them with the reins of hope to Allah. He drove them with the whip of fear at first, and, when that brought them beyond the point of equilibrium to the extreme of despair, he cured them with the therapy of hope and returned them to the equilibrium and the goal. And the latter did not contradict the former, but he made mention in the former of what he considered to be a cause of healing and confined himself to that. And, when they were in need of treatment with hope, he mentioned what completed the matter. And it is the responsibility of the preacher to imitate the Master of Preachers and to be humane in his employment of the traditions of fear and hope in accordance with need, after taking note of the inward defects. And, if he does not take care with that, his preaching will promote more disease than it will health.

And according to the tradition: If you had not sinned, Allah would have created a people who would and would have pardoned them. And in another version: He would have dismissed you and produced another creation of sinners, and have pardoned them. Surely, He is the Forgiving, the Compassionate. And according to the tradition: If you had not sinned, I would have feared of you what is more evil than sins. It was said: And what is that? He (Muhammad) said: Pride. And he (Muhammad) said: By the One in whose hand my soul is, Allah is more merciful with His creature, the believer, than the tender mother with her offspring. And according to the tradition: Assuredly Allah will pardon on the Day of Resurrection with a pardon that has not occurred to a single heart, so that even the Devil will strain towards it in the hope that it may impinge on him.

And according to the tradition: Truly Allah possesses a hundred mercies; of these He has stored up ninety nine beside Himself and has revealed one mercy in this present world. By virtue of it men show compassion to each other and the mother is compassionate to her child, and the beast is humane with its offspring. And, when the Day of Resurrection comes, He will join this mercy to the ninety nine; then He will spread them out upon all His creation and every single mercy is the match of the heavens and the earth, and only the child of perdition will perish at the hand of Allah at that time. And according to the tradition: There is not a single person among you whose work will give him entrance to the Garden or will save him from the Fire. They said: Not you either, O Messenger of Allah? He said: Not me either except that Allah should cover me with His mercy. And he said: Labour and be of good courage, and know that no man's works will save him.

And he (Muhammad) said: I have reserved my intercession for the great sinners among my people. Do you think it is for the submissive and the pious? No, it is for the warped and the dissolute. And he said: I am sent with the true religion which is both accommodating and conciliatory. And he said: I desire that the People of the two Books should know that in our religion there is accommodation. And a pointer to the meaning of this is the reply which Allah gave to the believers when they said: "And lay not upon us a burden." (Al-Baqarah 286)

﴿ وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾

And He said: "And He relieves them of their burdens and shackles which were upon them." (Al-A'raf 157)

﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾

And Muhammad Ibn Al-Hanafiyyah related on the authority of `Ali that he said: When He sent down His saying: "Be magnanimous on a handsome scale", (Al-Hijr 85)

﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾

He (Muhammad) said: O Gabriel, and what is a handsome magnanimity? He (Gabriel) said: When you have pardoned whoever has wronged you and do not upbraid him. So he (Muhammad) said: O Gabriel, Allah is too

magnanimous to upbraid the one whom He has forgiven. So Gabriel wept and the Prophet wept, and Allah sent Michael to them both and he said: Truly, your Lord sends both of you His compliments and says: How would I upbraid the one whom I have pardoned? This would not be like My magnanimity. And the traditions which have to do with the means of hope are more than can be numbered.

Coming now to the reports?: Ali said: If a man commits a sin and Allah puts a covering over it in this world, He is too magnanimous to withdraw His covering in the next world. If a man commits a sin and is punished for it in this world, Allah is too equitable to repeat His punishment on His creature in the next world. And Ath-Thawri said: I do not desire that He should assign my adjudication to my parents, because I know that Allah will deal more mercifully with me than they. And one of the Fathers said: When the believer is disobedient, Allah covers him from the sight of the angels, that they should not see him and testify against him. And Muhammad Ibn Mus'ab wrote to Al-Aswad Ibn Salim in his own hand: Surely, when the creature is profligate and lifts up his hands praying and saying: O Lord, the angels will screen his voice. And thus the second and the third time, until, when he says the fourth time: O my Lord, Allah says: How long will you screen from Me the voice of My creature? My creature knows that he has no Lord who will pardon sins but Me. I testify to you that I have pardoned him.

And Ibrahim Ibn Adham said: I was performing the circumambulation in solitude on a certain night, and it was a dark rainy night, and I halted at the obligatory place beside the gate and said: O my Lord keep me from sin so that I am never disobedient to You. And the voice of One unseen called out to me from the House : O Ibrahim, you are asking Me to keep you from sin, and all My believing creatures seek that from Me. But, if I should keep them from sin, upon whom should I bestow My bounty and to whom should I grant pardon?

And Al-Hassan used to say: If the believer had not sinned, he would have been flying in the Kingdoms of the Heavens , but Allah has held him down by his sins. And Al-Junaid said: If a speck of nobility should be visible, it will annex the evildoers to the well-doers. And Malik Ibn Dinar met Aban and said to him: For how much longer will you tell the people about the indulgences of Allah? So he said: O Abu Yahya, truly, I hope that what you see of Allah's pardon on the Day of Resurrection will make you rend these your clothes for joy.

And in an account of Rib'i Ibn Hirash concerning his brother who was among the most elect of the Followers, and was one of those who conversed after death. He (Rib'i) said: When my brother died, he was wrapped in his shroud and we laid him in his bier. Then he threw back the shroud from his face and sat upright and said: Truly, I encountered my Lord and He greeted me with intimacy and delight and was anything but angry, and truly, I experienced the affair as something easier than you suppose, so do not flag. And now Muhammad and his Companions are expecting me, so I shall return to them. He (Rib'i) went on: Then he prostrated himself, and it was as if a pebble had fallen into a dish, and so we bore him off and buried him.

And in the account of two men of the children of Israel who were brothers in Allah, and one of them was profligate and the other a devotee. And the latter used to warn the former and chide him, and so the other would say: Leave me alone. By my Lord, are you delegated to me as a watchman? This went on until he saw him on a certain day in the act of committing a great sin and was angry and said: Allah will not pardon you. So Allah will say (to the profligate) on the Day of Resurrection: Is anyone able to debar My mercy from My creatures? Go your way, for I have pardoned you. Then He will say to the devotee: As for you-the Fire is decreed for you. He (the narrator) said: By the One in whose hand my soul is, He has spoken a word which has destroyed his present world and his next world.

And it is also reported that a certain robber was pillaging the highway among the children of Israel for forty years, and Jesus passed by him, and, in his wake, one of the devotees of the children of Israel, numbered among the disciples. So the robber said to himself: The prophet of Allah is passing and his disciple is accompanying him; if I were to go down, I would be a third with the two of them. So he went down and was moved with the desire to draw near to the disciple, and he demeaned himself and magnified the disciple, saying to himself: One like myself may not walk at the side of this devotee. And the disciple sensed his presence and said to himself: This man is walking at my side. So he braced himself and made up to Jesus and walked at his side, while the robber remained behind him. So Allah revealed to Jesus: Say to them both: Assuredly the works of both of you are under review, and I have annulled whatever proceeded from your respective works. I have annulled the good works of the disciple because of his pride in himself, and I have annulled the evil works of the other, according to the measure of his disparagement of himself. So tell these tidings to both of them. And the robber joined himself to him (i.e. Jesus) in his itinerary and he made him one of his disciples.

And it is related on the authority of Masruq that one of the prophets was prostrating himself and an apostate trod on his neck, so that the pebbles adhered to his forehead. So the prophet raised his head in rage and said: Be off with you and Allah will certainly not pardon you. So Allah revealed to him: You are taking My name in vain in respect of My creatures. Surely I have pardoned him. And what is related on the authority of Ibn `Abbas approximates to this. That the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was inducing despair in the polytheists and was cursing them in his prayer, and His saying was revealed to him: " Not for you, (but for Allah), is the decision: whether He turn in Mercy to them, or punish them; for they are indeed wrong-doers." (Al Imran 128).

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾

So he desisted from the prayer in which he was imprecating them, and Allah guided the body of those people to Islam.

And it is related in the report that there were two devotees equal in devotion. When they entered the Garden, one of them was elevated to the Highest Degrees over his companion. So he said: O Lord in what way did this man exceed me in

devotion on the earth? Yet, You have elevated him over me in the Highest Heaven. So Allah says: Truly, while he was on the earth, he was continually asking for the Highest Degrees, while you were asking for salvation from the Fire. So I have given every creature his request. And this is a pointer to the fact that worship which is on account of hope is the more meritorious, because love dominates the person who hopes more than it does the one who fears. And what a distinction is made by kings between the person who serves through fear of their punishment, and the one who serves out of the hope of their favours and magnanimity! On that account Allah has enjoined optimism, and for that reason he (Muhammad) said: Ask Allah for the Highest Degrees, for you are asking One who is magnanimous. And he said: When you ask Allah set the target high and ask for the Highest Paradise, for Allah will not think anything too great for him who asks.

And Bakr Ibn Salim As-Sawwaf said: We came into the presence of Malik Ibn Anas on the evening on which he was taken away by death, and we said: O Abu Abdullah, how are you? He said: I do not know what to say to you, except that you will find help from the pardon of Allah in what was not yours by desert. Then we did not stir until we had closed his eyes. (i.e. in death). And Yahya Ibn Mu'adh said in his supplication: My hoping in You along with my sins all but overcomes my hoping in You along with my good works, because, with respect to works, I rely on single-mindedness, and how shall I preserve it, since I am known to be with blemish? And I find myself with respect to my sins relying on Your pardon, and how will You not pardon them, since magnanimity is Your attribute?

And it is said: A Zoroastrian asked hospitality from Abraham, the Friend (sc. of Allah); so he said: If you become a Muslim, I will give you hospitality. So the Zoroastrian passed on, and Allah revealed to him (Abraham): You would not give him food except with his religion changed, and We have fed him for seventy years, notwithstanding his unbelief. If you had given him hospitality for a night, what responsibility would have fallen on you? So Abraham set off running after the Zoroastrian and brought him back and gave him hospitality. So the Zoroastrian said to him: By what means did it become plain to you? So he mentioned it to him. And the Zoroastrian said to him: Does He deal with me thus? Exhibit Islam to me that I may become a Muslim.

And the Spiritual Director Abu Sahl As-Suluki saw Abu Sahl Az-Zajjaji in a dream and he was speaking about the threat of everlasting punishment. So he (As-Suluki) said to him: How do you feel? He said: I find the affair easier than I had contemplated. And a certain individual saw Abu Sahl As-Suluki in a dream, indescribably fair in appearance. So he said to him: O Spiritual Director, by what means did you obtain this? So he said: Through supposing the best of my Lord. And it is related that Abu Al-Abbas Ibn Sarij saw in a dream in his mortal illness as if the Resurrection were actualized and behold! the Almighty was saying: Where are the Scholars? So they came. Then He said: What have you accomplished with what you knew? He (Abu Al-Abbas Ibn Sarij) went on: So

we said: O Lord we have come short and we have done evil. So He repeated the interrogation as if He were not satisfied with the answer and He desired another answer. So I said: As for me, there is no polytheism on my page, and You have promised that You will pardon whatever does not partake of it. And He said: Take him away, for I have pardoned you (all). And he died three nights later.

And it is said: There was a certain tippler who gathered together a party of his cronies and tossed to his boy four Dirhams and bade him buy some fruit for his party. And the boy passed by the door of the sitting-room of Mansur Ibn Ammar, while he was begging something for a poor man and saying: Whoever tosses him four Dirhams, I shall offer four petitions for him. So the boy tossed the Dirhams to him and Mansur said: What is it you desire that I should ask for you? So he said: I have a master from whom I desire to be released. So Mansur prayed. Then he said: Next request. That Allah would replace my Dirhams. So he prayed and then said: Next. He said: That Allah would bring my master to repentance. So he prayed; then he said: Next. He said: That Allah would pardon me and my master and you and the multitude. So Mansur prayed and the boy returned and his master said to him: What detained you? So he told the tale to him. He said: And what did he pray about? So he said: I asked freedom for myself. So he said to him: Go your way, for you are a free man. He said: And what was the second prayer? He said: That Allah would replace the Dirhams. He Said: You possess four thousand Dirhams. And what was the third prayer? He said: That Allah would bring you to repentance. He said: I have repented towards Allah. He said: And what was the fourth prayer? He said: That Allah would pardon me and you and the multitude, and him who spoke the prayer. He said: This one is not in my power. So, while he was passing that night, he had a vision in sleep, as if someone were speaking to him: You have done what was in your power, do you then think that I shall not do what is in My power? I have pardoned you and the boy and Man Ibn 'Ammar and the crowd which was present, all of them.

And it is related on the authority of `Abd Al-Wahhab Ibn `Abd Al-Hamid Ath-Thaqafi who said: I saw three men and a woman bearing a bier. So I took the place of the woman and we went off to the cemetery, and we prayed over the corpse and buried it. So I said to the woman: What was the relationship of the deceased man to you? She said: My son. I said: And did you not have any neighbours? She said: Yes, but they despised his condition. I said: And what was it? She Said: He was an effeminate. So I had compassion on her and brought her to my house and gave her money and corn and clothes. That night I had a vision. It was as if someone came to me like to the moon on the night when it is full, wearing white robes. And he began to thank me and I said: Who are you? So he said: The effeminate whom you buried to-day. My Lord had compassion on me for that the people contemned me.

And Ibrahim Al-Utrūsh said: We were sitting in Baghdad with Ma'ruf Al-Karkhi by the Tigris, when youths passed by in skiffs, beating with the oars and drinking and jesting. So they said to Ma'ruf: Do you not see them disobeying Allah

with obscene jests? Pray to Allah against them. So he lifted up his hands and said: O Allah, as you have given them joy in this world, give them joy in the next world. So the group said: All we asked of you was to pray against them. So he said: If He brings them joy in the next world, He will have forgiven them. And one of the Fathers used to say in his petitions: O Lord, what people was there ever that did not disobey You? Yet Your favour was bounteous upon them and Your provision lavish. Praise be to You, how clement You are! By Your Might! if disobedience is shown to You, You bestow favour in plenty and are lavish with provision, so that it is as if, O our Lord; You were not angry.

These are the means by which the relief of hope is induced in the hearts of the fearful and despairing. And, as for the foolish and self-deluded, it is not expedient that they should hear anything of that; no, they are to hear what we shall cite of the means of fear. For the most of people are not made healthy except through fear, just as the bad servant and the naughty boy are not reformed except through the whip and the stick and speech with an explicit threat. But the opposite of that would block up against them the door of health with respect to religion and this world.

PART TWO: FEAR

Part 2 includes eight chapters:
Exposition of essence of fear
Exposition of degrees of fear
Exposition of divisions of objects of fear
Exposition of merit of fear, and whether fear or hope is the optimum
Exposition of remedy of fear
Exposition of meaning of evil of Seal
Exposition of states of those among the prophets in respect to fear
Exposition of the states of those endued with faith who feared

CHAPTER ONE
EXPOSITION OF ESSENCE OF FEAR

It should be known that fear is an expression for the suffering of the heart and its conflagration by means of the anticipation of what is abhorred as a future contingency. And this has been made clear in the exposition of the essence of hope. And whoever is intimate with Allah, whose heart is ruled by truth and who lives in the present through his seeing the majesty of truth perpetually, no longer turns to the future and is possessed of neither fear nor hope. More, his state has become higher than fear or hope, for both of these are reins which preclude the soul from its excursions into laxness. Al-Wasiti has pointed to this in saying: Fear is a veil between Allah and the creature. Again he said: When the truth makes plain the things which are secret, there remains in them no residue for hope and fear.

And, in general, if the heart of the lover is distracted by fear of separation, while he is viewing his beloved, that would indicate a deficiency of vision, and the goal of the stations is simply constancy of vision. But, for the present, we are to discuss only the initial stations and so we shall say: The state of fear can also be

classified in terms of knowledge, state and action. With regard to knowledge, it is knowledge of the cause which leads to the thing which is abhorred. So that it is as if someone committed a crime against a king, then fell into his hands and feared that he would be put to death as an example, while pardon and escape were possibilities. But the suffering of his heart through fear is in proportion to the strength of his knowledge of the means which would lead to his being put to death, such as the enormity of his crime and the fact that the king in himself is rancorous, wrathful and revengeful, that he is surrounded by such as incite him to take vengeance and is isolated from such as would intercede with him in his case. And this than in his fear was destitute of any merit or virtue that might wipe out the trace of his crime with the king. Hence the knowledge that these means are manifest is a cause of the strength of the fear and the rigor of the suffering of the heart.

And fear is faint in proportion to the weakness of those means. And it may be that fear does not derive from the crime which the person who fears has committed, but is because of the nature of the object feared. As, for example, the person who falls into the claws of the lion, for he fears the lion because of the nature of the lion itself, namely, that, for the most part, it is avid and violent in pouncing on its prey. Even if its pouncing on its prey were within the province of choice, it might seem to the person threatened by it to be due to inborn disposition. Similarly the person who falls into the path of a torrent or into a blazing pit, for he fears the water because it is endowed by nature with the power of flowing and drowning, and likewise fire is endowed with burning. And the knowledge of the means of the thing which is abhorred is the cause which initiates and fans the conflagration and suffering of the heart, and that conflagration is fear. And, similarly, fear of Allah may sometimes be due to 'knowledge' of Allah and His attributes, that, if He destroyed the worlds, He would not care and no person would obstruct Him. And sometimes it may be due to the multitude of the sins of the creature through his committing deeds of disobedience; and sometimes it may be due to both of them together. And the strength of his fear will be in proportion to his 'knowledge' of his own defects and his 'knowledge' of the majesty of Allah and His self-subsistence, and that "He will not be asked about what He does, while they will be asked." (Al-Anbiya' 23)

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

And the person most filled with fear in respect of His Lord is the man who has most 'knowledge' of himself and his Lord. For that reason he (Muhammad) said: I am the one who fears Allah most among you. And likewise Allah said: "Only the knowledgeable among his creatures fear Allah." (Fatir 28)

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ﴿٢٨﴾ ﴾

Then, when 'knowledge' is perfected, the majesty of fear and the conflagration of the heart are produced. Then the trace of the conflagration flows from the heart into the body and the members and the attributes. In the body by

means of emaciation and paleness and fainting and shrieking and weeping, and it may be that in this way bitterness is inhaled and it leads to death; or it goes up to the brain and rots the intelligence; or it intensifies in strength and produces despair and hopelessness. In the members by restraining them from disobedience and binding them to deeds of obedience; by repairing what is defective and making ready for the future. And for that reason it is said: The man who fears is not he who weeps and wipes his eyes; no, it is he who forsakes that on whose account he fears punishment. And Abu 'l-Qasim Al-Hakim said: Whoever fears anything flees from it, and whoever fears Allah flees to Him. And it was said to Dhun-Nun : When is the creature a person who fears? He said: When he has brought himself down to the level of the sick man who is abstemious for fear that his sickness may be prolonged. In the attributes by stifling the lusts and blackening the pleasures, so that the disobediences beloved by him become abhorrent, just as honey becomes abhorrent to the man who desires it, when he 'knows' that there is poison in it. So the lusts are burned up by fear and the members are trained, and self-abasement and humility and submissiveness and lowliness obtain in the heart, and pride, rancour and envy abandon it.

Moreover he is absorbed with concern through his fear and his observing the peril of its sequel, and has no leisure for other than it. And he has no preoccupation but vigilance and self-examination and spiritual combat and conserving breaths and glances and reprehending the soul for the suggestions and footsteps and words (sc. of Satan). And his condition is that of the man who falls into the claws of a harmful lion, and he does not know whether it will ignore him and he will escape, or it will pounce on him and he will perish. So he will be engrossed outwardly and inwardly with what he fears and there will be no room in him for anything else. This is the state of the person over whom fear has prevailed and gained the mastery. The state of the company of the Companions and Followers was thus. And the strength of vigilance and self-examination and spiritual combat is in proportion to the strength of fear which is the suffering of the heart and its conflagration. And the strength of fear is in proportion to the strength of 'knowledge' of the majesty of Allah and His attributes and His actions, and in proportion to the defects of the soul and the perils and terrors which confront it.

And the least of the degrees of fear whose trace is visible in actions is the blocking of access to the forbidden; and the restraint which excludes the forbidden is called abstinence. If its strength increases, it restrains from what directs at it the possibility of the forbidden, and hence also from that whose forbiddance is not a matter of certainty, and that is called piety, since piety is the forsaking of that which one suspects so as to arrive at what one does not suspect. And it may urge a man on to forsake what has no evil in it for fear of what has evil in it, and this is sincere piety. When fully consecrated worship is joined to it, the consequence is that one does not build what he does not inhabit nor gather what he does not eat, nor turn to this world, since he knows that it will abandon him, nor expend a single breath except towards Allah.

This is sincerity and its owner is worthy to be named *Sincere*. And piety

enters into sincerity and abstinence into piety and chastity into abstinence, for it (chastity) is a specialized expression for being cut off from the determinism of lusts. Therefore fear is effective in the members through restraint and perseverance, and it is in virtue of restraint that it is given the new name of chastity which is refraining from the determinism of lusts. And abstinence is higher than it, since it is more universal, because it is refraining from everything forbidden. And higher than it is piety, since it is the name for refraining from the sum of things forbidden and dubious. And beyond it is the name *Sincere* and *He who is brought near.* And the course of the most ultimate rank in relation to what precedes it is from the most general to the most particular, for, when you have mentioned the most particular, you have mentioned the whole. As if you were saying: Mankind, whether Arab or non-Arab, and Arab, whether Quraish or non-Quraish, and Quraish, whether Hashimi or non-Hashimi, and Hashimi, whether Alid or non-Alid, and Alid, whether Hassani or Hussaini; and, when you have mentioned, for example, that a man is Hassani, you have described him totally, and, if you describe him as Alid, you describe him by what is above him-what is more general than he. Similarly when I have said *sincere,* I have said that a man is pious, is abstemious and is chaste. And there is no need for you to suppose that these numerous names point to numerous dissimilar meanings, for that would reduce you to confusion, just as confusion reigns over whoever seeks (different) meanings from linguistic variants, where the meanings have not followed the variants. So this is a pointer to the concert of the meanings of fear, and what surrounds it on the higher side, such as the 'knowledge' which determines it, and on the lower side, such as the actions which derive from it through restraint and perseverance.

CHAPTER 2

EXPOSITION OF DEGREES OF FEAR AND ITS DIFFERENTIATION INTO POWER AND WEAKNESS

It should be known that fear is commendable. Often it is supposed that all fear is commendable, and that the more powerful and frequent it is the more it is commendable. This is a fallacy. No, fear is the whip of Allah by which He drives His creatures towards perseverance in knowledge and action, so that by means of both of these they may obtain the rank of nearness to Allah. And what is most salutary for the beast is that it should not escape the whip, and thus with the boy, but that does not point to the conclusion that excessive beating is commendable. And likewise with fear; it has deficiency and equilibrium, and what is commendable is the equilibrium and the mean.

The person who is deficient in it is he who tends towards effeminate softness which alights on his mind, whenever he hears a verse from the Qur'an, and produces weeping, and the tears overflow; and similarly when he sees a cause of terror. And, when that cause is absent from his attention, his heart returns to negligence. So this is a fear which is deficient, of little profit and feeble in utility; just like the slight stick with which the powerful riding-beast is beaten, which gives it no serious pain and does not urge it on to the destination, nor is it salutary for its correction. Such is the fear of all men except the Gnostics and the

Knowledgeable. And I do not mean by Knowledgeable (learned) those who are stamped with the marks of Scholars or are called by their names, for they, of all men, are the most distant from fear. No, I mean those who are knowledgeable concerning Allah and His Days and His actions, and that is a thing whose existence is rare at the present time. And, for that reason, Al-Fudail Ibn 'Iyad said: When it is said to you: Do you fear Allah?, keep silence. For, if you say: No, you are an unbeliever; and, if you say: Yes, you are a liar. And he indicated by this that it is fear that restrains the members from deeds of disobedience and binds them to deeds of obedience, and whatever does not take effect in the members is no more than an impulse and a fleeting motion which does not deserve the name of fear.

The extremist is he whose fear is strong and transgresses the limit of the equilibrium, so that it goes out towards hopelessness and despair, and it again is reprehensible, because it stultifies action. Fear may also issue in sickness and weakness and depression and bewilderment and intellectual atrophy. The aim of fear is the same as the aim of the whip which is to incite to action. If it is otherwise, fear is imperfect, because it is deficient in its essence, since its product is ignorance and impotence. Ignorance, because one does not know the sequel of his affair; and, if he 'knew' he would not be afraid, since the thing which is feared is that about which there is doubt. Impotence, because he is exposed to a forbidden thing which he is unable to repel. Therefore it (fear) is commendable in connection with human deficiencies, and only knowledge is commendable in itself and its essence, together with power and everything by which it is possible to describe Allah. And that by which it is not possible to describe Allah is not perfect in its essence and only becomes commendable in connection with a deficiency which is greater than it; just as the enduring of therapeutic pain is commendable, because it is milder than the pain of disease and death. And whatever issues in despair is reprehensible, and fear also may issue in disease, weakness, depression and bewilderment and intellectual atrophy; it may even issue in death. All that is reprehensible and is to be likened to the beating which kills the boy and the whip which slays the riding-beast or makes it ill or breaks one of its limbs.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" mentioned the means of hope and multiplied them simply in order that he might thereby treat the shock of excessive fear which leads to despair or one of these conditions, and all that is implied with respect to a condition. The commendable part of it is whatever leads to the goal which is intended by it, and whatever comes short of it or goes beyond it is reprehensible. The profit of fear is caution and abstinence and piety and spiritual combat and worship and reflection and recollection, and all the means that bring about union with Allah. And all of that requires life along with health of body and wholeness of intellect, and whatever impairs these means is reprehensible.

If you say: Whoever fears and dies because of his fear is a martyr, and how can his state be reprehensible? Know that the meaning of his being a martyr is that he possesses a rank in virtue of his death through fear which he would not

have attained had he died at that time through a cause other than fear. So that in connection with him it is meritorious, but in connection with the ordering of his survival and the prolongation of his life in obedience to Allah and the treading of His paths it is not meritorious. No, the person who is making a pilgrimage to Allah by the path of reflection and spiritual combat and the ascent of the degrees of `knowledge' possesses at every instant the rank of martyr and martyrs. Were it otherwise the rank of a lad who is killed or the madman whom a lion mauls would be higher than the rank of a prophet or saint who dies a natural death, and this would be absurd. Nor is it proper that this should be supposed. No, the most valued of blessings is prolongation of life in obedience to Allah, and everything which annuls life or mind or health (for life is impaired when it is impaired) is a loss and deprivation in relation to some conditions, even if some parts of it should have merit in relation to other conditions. Just as martyrdom has merit in relation to what is below it, not in relation to the degree of the *Pious* and the *Sincere.*

So, if fear does not effect action, its existence and non-existence are alike, just as the whip which does not accelerate the movement of the riding-beast. And, if it is effective, it has degrees according as its effects are visible. For, if it is an incentive only to chastity, it is the refraining from the determinism of lusts, so that it possesses a degree. And, if it produces abstinence, it is higher (in degree). And the most ultimate of its degrees is that it should produce the degrees of the *Sincere,* which is that it should tear one away outwardly and inwardly from what is other than Allah, so that there remains in him no room for other than Allah, and this is the most ultimate of its commendable characteristics, and it is accompanied with preservation of health and mind. If it goes beyond this towards the atrophy of mind and health, it is sickness which must be treated, if there is an effectual treatment. And, if it were commendable, its treatment by hope and other means until it passes away would not be necessary. For this reason Sahl used to say to novices who persisted with fasting over a long period: Keep your wits. Allah has never had a saint who was mentally deficient.

CHAPTER 3

EXPOSITION OF DIVISIONS OF FEAR IN RELATION TO THE OBJECT WHICH IS FEARED

It should be known that fear does not deserve the name except it concerns the expectation of what is abhorred, whether it is abhorred in its essence, such as fire, or because it leads to what is abhorred, as deeds of disobedience are abhorred, because they lead to what is abhorred in the next world; just as the invalid abhors the fruits which do him injury, because they lead to death. So everyone who fears is bound to picture to himself an abhorred thing from one of the two divisions, and the expectation of it grows powerful in his heart, so that his heart is burnt up through his terror of the abhorred thing.

And the station of those who fear is differentiated in accordance with the kind of abhorred things whose dread dominates their hearts. So there are those whose hearts are dominated by what is not essentially abhorred, but abhorred because of what is outside itself, such as those who are dominated by the fear

of death before repentance or a fear of a deficiency of repentance and a breaking of the covenant ; or the fear of a diminishing of strength so as not to fulfill the complete demands of Allah. Or the fear that the tenderness of the heart will pass away and that it will be replaced by hardness; or the fear of inclining away from uprightness; or the fear of the mastery of custom in the following of the familiar lusts; or the fear that Allah will entrust a man to his good works in which he has put his trust, and which he has boasted about among Allah's creatures. Or the fear of taking Allah for granted by reason of the multitude of Allah's favours towards him; or the fear of being distracted from Allah by other than Allah; or the fear of being deceived by the regular succession of favours. Or the fear that the defections of his obedience will be uncovered, where there is revealed to him from Allah what he did not take into the reckoning. Or the fear that people will persecute him with back-biting, perfidy, dissimulation and premeditated thoughts of evil. Or the fear of his lack of knowledge of what may happen in the remainder of his life; or the fear of punishment being brought forward to this world and his being disgraced before death. Or the fear of being deceived by the blandishments of this world; or the fear that Allah will scrutinize his secret heart at a moment when he is heedless of Him. Or the fear of being sealed at death with the Seal of evil; or the fear of the predestination which has been predestined to him from all eternity.

And all these are things which the Gnostics fear and there is that which is particularly advantageous to everyone, which is the treading of the path of caution so as to exclude what leads to the thing feared. And so whoever fears the mastery of custom over him will persevere in weaning himself from custom. And whoever fears that Allah will scrutinize his secret heart occupies himself with the purifying of his heart from the whisperings (of Satan). And thus with the remainder of the divisions; and among those fears the one which most overcomes assurance is the fear of the Seal, for its affair is full of danger. The highest of all the divisions and the one which gives best access to perfection of 'knowledge' is the fear of predestination, because the Seal follows from what has been predestined, and is a branch which springs from it in accordance with the interaction of many causes. So the Seal makes manifest what the (eternal) decree has predestined in the essence of the Book.

The relation of him who fears the Seal to him who fears predestination is like that of two men in judgement of whom the king has signed a decree, the import of which might be their beheading or the assigning to them of a Ministry. And the decree was not yet delivered to them and the heart of one was tied up with the circumstance of the delivery of the decree and its publication and what it would disclose; and the heart of the other was tied up with the circumstance of the decree of the king, its nature, and what it was that had passed through his mind at the moment of the decree, of mercy or of anger. And this was to turn towards the cause which is a higher activity than to turn towards what is a corollary. And likewise to turn towards the eternal decree in promulgating which the reed-pen flowed is a higher activity than turning towards what is made manifest at the End.

The Prophet pointed to this when he was in the pulpit and clenched his right hand and said: This is the Book of Allah in which He has written the people of the Garden with their names and the names of their fathers of which there shall be no increase and no diminution. Then he clenched his left hand and said: This is the Book of Allah in which He has written the people of the Fire with their names and the names of their fathers of which there shall be no increase and no diminution. And let the people of bliss do the works of the people of woe, so that it is said: It is as if they were numbered with them; more, they are identical with them. Then Allah will save them before death, even if it is in the time between two milkings of she-camel. And let the people of woe do the works of the people of bliss, so that it is said: It is as if they were numbered with them; more, they are identical with them. Then Allah will extract them before death, even if it is in the time between two milkings of a she-camel. He who is numbered among the blessed is so by the decree of Allah, as is the reprobate by the decree of Allah, and works are in the nature of Seals.

And this accords with the division of those who fear into the person who fears his disobedience and sin, and the one who fears Allah in Person, because of His attributes and majesty and characteristics which, without a doubt, compel awe. So this (fear) is the highest in rank, and, for that reason, his fear endures, even if he enters into the obedience of the *Sincere.* As for the other it is in the target area of self-deception, and the safest part of it is if one perseveres in obedience. So fear of disobedience is the fear of the Sound in Faith, and the fear of Allah is that of the Unitarians and the *Sincere.* It is the fruit of 'knowledge' concerning Allah, and whoever 'knows' Him and 'knows' His attributes, knows from His attributes how He is worthy to be feared apart altogether from sin. More, if the disobedient person 'knew' Allah as he ought to 'know' Him, he would fear Allah and would not fear his disobedience. And were it not that He is to be feared in His Person, He would not constrain him to disobedience and smooth its path for him and prepare its means, for the facilitating of the means of disobedience is alienation. And he has not committed disobedience prior to his (present) disobedience in virtue of which he deserves to be constrained to disobedience and to have access to its means. Nor is obedience preceded by merit in virtue of which favour is shown to him for whom obedience is made easy and the path of communion smoothed for him. For the disobedient person has had disobedience decreed to him whether he wills it or not ; and thus with the obedient person. And He who exalts Muhammad to the Highest Heaven irrespective of merit which he had acquired prior to its taking place, and abases Abu Jahl in the Lowest Hell irrespective of sin which he had committed prior to its taking place, is worthy to be feared for His attribute of majesty.

For whoever obeys Allah, obeys because the will to obedience has dominion over him and power comes to him, and, after the creation of the irrevocable will and the complete power, the action comes into being of necessity. And he who is disobedient is so because a powerful and irrevocable will has dominion over him, and the means and power come to him, and the action, in the wake of the will

and the power, is of necessity. Would that I knew what it is that determines the preferment of this man and his being singled out through the dominion over him of the will to obedience, and what determines the abasement of that man and his alienation through the dominion over him of the impulses of disobedience, and how this is transferred to the creature! But, since the transfer goes back to the eternal decree, irrespective of sin or merit, fear of One who decrees as He wills and legislates as He desires is a resolution with every intelligent person. And beyond this meaning is the secret of predestination whose dissemination is not permissible.

And the understanding of the fear of Him in respect of His attributes is not possible except by parable. Were it not for the permission of the Law, the man of insight would not have dared to mention it. So it has come down in the tradition: Surely Allah revealed to David: Fear Me as you fear the harmful lion. And this is the parable which lets you understand what is the effect of the meaning, even if it does not acquaint you with its cause. For to be acquainted with its cause is to be acquainted with the secret of predestination, and He does not disclose that except to His 'People'. And the conclusion to be drawn is that the lion is to be feared not because of the sin which you have previously committed against it, but because of its characteristics, its violence and rapaciousness and arrogance and awfulness, and because it does what it will and does not care. For, if it killed you, its heart would be untouched by compunction, and it would feel no pain at killing you. And, if it left you alone, it would not leave you out of pity for you or to preserve your breath. No, you are in its sight too insignificant for it to notice you, whether dead or alive. More, the killing of a thousand like you and the killing of a gnat are on one plane with it, since that does not impugn the animal kingdom or the power and rapaciousness attributed to it. And the parable has its highest application to Allah. Whoever 'knows' Him 'knows' with inward sight which is more powerful and trustworthy and transparent than outward sight. He speaks the truth in His saying: These to the Garden and I do not care; and these to the Fire and I do not care. And of the things which compel awe and fear 'knowledge' that He is self-subsistent and that He does not care will suffice you.

As for the second class of those who fear, the thing abhorred is pictured within them, such as the image of the pangs of death and its rigors, or the interrogation of Munkar and Nakir , or the punishment of the grave, or the terror of the resurrection , or the awfulness of the halting-place before Allah and shame because of the drawing back of the veil, and the interrogation about the smallest details or the fear of the Bridge and its edge and the manner of crossing over it; or the fear of the Fire and its shackles and terrors, or the fear of being banned from the Garden, the House of Bliss and the enduring Kingdom, and from a diminution of degrees ; or the fear of being veiled from Allah.

And all these means are abhorred in themselves and are, indubitably, to be feared. And the states of those who fear are differentiated according to them; and the highest of them in rank is the fear of alienation and of being veiled from Allah and this is the fear of the Gnostics. And what comes before this is the fear

of the Practitioners and the Sound in Faith and the Ascetics and the body of the people. He whose 'knowledge' is not perfect and whose inner sight is not opened up does not feel the pleasure of union nor the pain of alienation and separation. When it is mentioned to him that the Gnostic does not fear the Fire but fears only the veil, he finds that inwardly repugnant, and marvels at it in his soul. And it may be that he would find repugnant the pleasure of looking at the face of Allah, the Magnanimous One, were it not that the Law precludes him from being repugnant to it. And his confessing it with the tongue derives from the compulsion of authority, and, were it otherwise, it would not be inwardly vouched for, because he 'knows' only the pleasure of the stomach, of sexual intercourse and of the eye (when he looks at colours and fair faces), and, in general, every pleasure in which the beasts are his associates. As for the pleasure of the Gnostics they only attain to it, and its classification and exposition are forbidden to whoever is not a party to it. And whoever is a party to it himself possesses the insight, and so has no need that someone else should expound it to him. The fear of those who fear can be traced to these divisions. Let us ask Allah for good success through His magnanimity.

CHAPTER 4

EXPOSITION OF MERIT OF FEAR AND INCLINATION TO IT

It should be known that the merit of fear is sometimes 'known' by consideration and reflection and sometimes by the verses and the traditions . With regard to reflection its procedure is that the merit of anything is in proportion to its adequacy to conduct to the bliss of an encounter with Allah in the next world, since there is no goal except bliss and there is no bliss for the creature except in meeting His Master and being near to Him. And everything which assists him possesses merit, and its merit is in proportion to its goal. For it has been made plain that there is no passage to the bliss of encountering Allah in the next world except through the attaining of His love and through intimacy with Him in this world. And love is not obtained except by 'knowledge', and 'knowledge' is not obtained except by constant reflection; and intimacy is not obtained except by love and constant recollection. And perseverance in recollection and reflection are facilitated only when the seed of this present world is cut off from the heart, and it will not be cut off except by the forsaking of the pleasures and the lusts of this world. And the forsaking of things desired is not possible except by the strangling of lusts, and a lust is not strangled by anything as it is by the fire of fear. So fear is the fire which burns up lusts, for its merit is in proportion to the extent to which it burns up lusts and restrains from actions of disobedience and incites to actions of obedience. And that is differentiated according to the different degrees of fear (see above) and how can such fear be other than meritorious, since by it chastity and abstinence and piety and spiritual combat are obtained, and these are actions both meritorious and commendable which promote nearness to Allah.

As for the procedure of quoting the verses and the traditions what concerns the merit of fear is beyond the range of definition. It will suffice you as a pointer to its merit that Allah has united in those who fear guidance and mercy and knowledge and satisfaction and these are the concert of the stations of the

people of the Gardens. Allah said: "And guidance and mercy to those who fear their Lord." (Al-A'raf 154)

﴿ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾

And He said: "Only the knowledgeable among Allah's creatures fear Him." (Fatir 28)

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾

He attributed to them knowledge in respect of their fear and said: "Allah was well-pleased with them and they with Him." (Al-Bayyinah 8)

﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾

This refers to whoever fears his Lord. And everything which points to the merit of knowledge points to the merit of fear, because fear is the fruit of knowledge. For that reason it has come down in a tradition of Moses: As for those who fear they possess the Highest Companion . So observe how he has singled them out for the fellowship of the Highest Companion, and that is because they are knowledgeable and the knowledgeable possess the rank of the fellowship of the prophets, because they are the heirs of the prophets, and the fellowship of the Highest Companion belongs to the prophets and whoever overtakes them. And for this reason, when the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was given the option during his mortal sickness of remaining in the world or going to Allah, he said: I ask of You the Highest Companion.

Therefore, if one looks to what produces fear, it is knowledge, and if one looks to its product, it is abstinence and piety, and there is no secret about what constitutes their respective merits, so that the sequel is stamped with piety as its special attribute just as praise is the exclusive attribute of Allah and blessing of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", so that it is said: Praise to Allah, Lord of the Worlds, and the sequel to the pious · and blessing upon our master Muhammad and all his family. For Allah has connected piety particularly with Himself, for He said: " It is not their meat nor their blood, that reaches Allah: it is your piety that reaches Him: He has thus made them subject to you, that you may glorify Allah for His guidance to you: and proclaim the Good News to all who do right. (Al-Hajj 37)

﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

Piety is simply an expression for the restraint which is regulated by fear and so He said: "The most preferred of you with Allah are those who are most god-fearing among you." (Al-Hujurat 13)

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾

For that reason Allah enjoined piety on those who are first and those who are last, and said: "We have charged those who were given the Book before you, and you too show piety to Allah." (An-Nisa' 131)

﴿ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾

And He said: "But fear me, if you are really believers." (Al Imran 175)

﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

So He commanded fear and made it compulsory and a condition of faith. For that reason it cannot be envisaged that a believer will be disjoined from fear, and, if it is weak, the weakness of his fear will be in proportion to the weakness of his 'knowledge' and his faith. And the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said concerning the merit of piety: When Allah musters the first and the last for the appointment of a Day which is fixed, behold! a voice, which those furthest away will hear equally with those nearest, will say: O you people, I have answered your shouts since your creation to this day, so you answer my call to-day. It is nothing but your deeds which will rebound to you, O you people. Surely, I have made a standard and you have made a standard, and you have depreciated my standard and appreciated your standard. I said: "The most preferred of you with Allah are those who are most god-fearing among you", (Al-Hujurat 13)

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾

And you disdained it except that you say: So and so, son of so and so and so and so, is richer than so and so. Hence to-day I shall depreciate your standard and appreciate my standard. Where are the pious? So He will raise a banner for the people and they will follow their banner to their lodgings and they will enter the Garden irrespective of what is due to them.

And Muhammad said: The head of wisdom is the fear of Allah . And he said to Ibn Mas'ud: If you are desirous of meeting me then multiply fear after me. And Al-Fudail said: If a man fears Allah, fear points him to every good. And ash-Shibli said: There is no day that I have feared Allah, but that I have seen in respect of Him a category of wisdom and admonition which I had never (previously) seen. And Yahya Ibn Mu'adh said: No believer performs an evil deed but two good deeds overtake it, namely, the fear of punishment and the hope of pardon, just like a fox between two lions. And in a tradition of Moses: As for the abstemious, there remains no one except the abstemious but that I make the closest examination of him and scrutinize what is in his hands, for I feel embarrassment on their account (i.e. on account of the abstemious) and have (too much) respect for them that I should halt them for the reckoning.

And abstinence and piety are names derived from meanings which are conditional on fear. If they are divorced from fear, they do not bear those names. And likewise what constitutes the merits of recollection is no secret, and Allah has made it the special attribute of those who fear. So He said: " The admonition will be received by those who fear (Allah)." (Al-A'la 10)

﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾

And He said: "He who fears the station of his Lord will have two Gardens." (Ar-Rahman 46)

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾

And he (Muhammad) said: Allah said: By My might, I shall not unite in my creature two fears and two securities, for, if he feels secure in Me in this world, I shall terrify him on the Day of Resurrection. And, if he fears Me in this world, I shall make him secure on the Day of Resurrection. And he also said: If a man fears Allah, everything fears him; and, if a man fears other than Allah, Allah threatens him with everything. And he said: The most consummate of you in intelligence are those whose fear of Allah is most rigorous, and who are best at perceiving what Allah has commanded and forbidden.

Yahya Ibn Mu'adh said: If Miskin Ibn Adam had feared the Fire as he feared poverty, he would have entered the Garden. Dhu 'l-Nun said: Whoever fears Allah with his whole heart, his love to Allah is intense and his most inward part is right with Him. Dhu 'l-Nun said again: It is fitting that fear should be more dominant than hope, for, when hope is dominant, the heart is disordered. And Abu Al-Hussain Ad-Darir used to say: The mark of bliss is fear of being a reprobate, because fear is a rein between Allah and His creature, and, when his rein is severed, he perishes with those who perish. And it was said to Yahya Ibn Mu'adh: Who of Allah's creatures is most secure for the morrow? He said: Those of them whose fear of to-day is most intense. And Sahl said: You will not experience fear, until you eat what is permitted. And it was said to Al-Hassan: O Abu Sa'id, how can we set about sitting down with parties who threaten us, so that our hearts almost fly away with terror? So he said: By Allah! if you mix with parties who threaten you until security overtakes you, it is better for you than that you should fraternize with parties who make you feel safe until fear overtakes you.

Abu Sulaiman Ad-Darani said: Fear has never abandoned any heart but a ruin. And `A'ishah said: I said: O Messenger of Allah: "Those who give what they give and their hearts are fearful" (Al-Mu'minun 60)

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴿٦٠﴾ ﴾

Does this refer to the man who steals and commits adultery? He said: No, but to the man who fasts and prays (the statutory prayers) and gives supererogatory alms and fears that it may not be accepted of him.

And the extreme dangers which are involved in feeling secure from the stratagems of Allah and His punishment cannot be defined and all that is a eulogy of fear, because the guiltiness of a thing is a eulogy of its contradiction which negates it. And the contradiction of fear is security, just as the contradiction of hope is despair. And just as the guiltiness of despair is a pointer to the merit of hope, so the guiltiness of fancied security is a pointer to the merit of fear which is contradictory to it. More, we shall say: All that is involved in the merit of hope is a pointer to the merit of fear, because the two are interdependent. For everyone who hopes for a desired object cannot but fear that he should miss it, for, if he did not fear that he should miss it, he would not be hoping in expectation of it, since he would not be desirous of it. So fear and hope are interdependent and it would be absurd that one should be

severed from the other. Certainly it is possible that one should dominate the other, while the two are united, and it is possible for the heart to be occupied with one and to have no regard to the other for the moment, because of its being negligent of it. This is so, because, from the conditional character of hope and fear, their interdependence is with an object of doubt, since whatever is specified is not hoped for nor feared. Therefore the object of desire whose existence is possible its non-existence is also possible-indubitably. Hence the assumption that it exists refreshes the heart and that is hope, and the assumption that it does not exist pains the heart and that is fear. And the two assumptions indubitably conflict with each other, since the affair which is expected is in doubt.

Certainly one of the two aspects of doubt may preponderate over the other in proportion with the presence of certain of the means and the name of that is supposition, and that would be a cause of the dominance of one of the two over the other. And, when the existence of the object of desire dominates the supposition, hope is strengthened and fear is concealed in relation to it, and *vice versa.* And in every circumstance the two of them are interdependent, and, for that reason, He said: "And they invoke Us through yearning and awe." (Al-Anbiya 90)

﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾

And He also said: "They invoke their Lord through fear and yearning." (As-Sajdah 16)

﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾

And, for that reason, Arabic has defined fear in terms of hope, for He said: "What is the matter with you? You do not hope in Allah with reverence." (Nuh 13).

﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾

That is, you do not fear. And there are the many passages in the Qur'an where hope has the meaning of fear and that is because of their interdependence, since the practice of Arabic is to express a thing in terms of what is complementary to it.

More, I say that everything which constitutes the merit of weeping through fear of Allah is a demonstration of the merit of fear, for weeping is the fruit of fear. And He said: "Then let them laugh little and weep much." (At-Tawbah 82)

﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾

And He said: "They weep and it increases their humility." (Al-Isra' 109)

﴿ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾

And He said: "Do you marvel at this discourse, and do you laugh and do you not weep, while you make merry?" (An-Najm 59-61)

﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴾

And he (Muhammad) said: There is no believing creature whose eye drops a tear-even if it were like the head of a fly through fear of Allah, and then it drops on some part of his cheek, but that Allah has precluded him from the Fire. And he said: When the heart of a believer trembles because of the fear of Allah, his sins are stripped from him, just as a tree is stripped of its leaves. The Fire will not penetrate to anyone who weeps for fear of Allah, until the milk returns to the udder.

And 'Uqbah Ibn 'Amir said: What is salvation O Messenger of Allah? He said: Keep a rein on your tongue, keep to your house and weep for your sins. And `A'ishah said: I said: O Messenger of Allah, will anyone of your community enter the Garden irrespective of desert ? He said: Yes, he who recollects his sins and weeps. He said: There is no drop more beloved of Allah than a tear-drop which is for fear of Allah, or a drop of blood which is shed in the `path' of Allah. He said: O Allah furnish me with moist eyes which cure through the shedding of tears, before the tears become blood and the stones live coals. And he said: Allah will give them shade seven times on a Day when there will be no shade but His shade, and will remember among them the man who has remembered Allah in private and whose eyes have overflowed with tears.

Abu Bakr , the *Sincere,* said: Whoever is able to weep let him weep and whoever is not able to weep let him pretend to weep. It was customary with Muhammad Ibn Al-Munkadir when he wept to wipe his face and beard with his tears and to say: I have heard that the Fire will not consume a place which tears have wiped. And Abdullah Ibn Amr Ibn Al-Āş said: Weep and, if you cannot weep, pretend to weep, for by Him in whose hand my soul is, if one of you possessed knowledge, he would cry out until his voice was cut off and would pray until his back was broken. Abu Sulaiman Ad-Darani said: No eye fills up with its water but that neither dearth nor abasement will overtake the face of its master on the Day of Resurrection. For, if his tears flow, Allah will extinguish with their first drop oceans of fire. And should one man in a community weep, that community would not be punished. And Abu Sulaiman said: Weeping is on account of fear and hope, and delight on account of yearning. And Ka'b Al-Ahbar said: By Him in whose hand my soul is, because I weep for fear of Allah until the tears overflow my cheeks, I commend myself more than if I were to give supererogatory alms of a mountain of gold. And 'Abd Allah Ibn 'Amr said: Because I weep a tear for fear of Allah, I commend myself more than if I should give supererogatory alms with a thousand dinars.

And it is related concerning Hanzalah that he said: We were with the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and he preached us a sermon by which our hearts were made tender and our eyes moist and we 'knew' ourselves. Then I returned to my family and my wife drew near to me and mundane conversation flowed between us, and I forgot what had occupied our minds in the presence of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and we were taken up with this present world. Then I recollected what it was that had occupied our thoughts and I said within myself: I have

played the hypocrite in that the fear and impressionableness that possessed me have passed away. So I went out and began to shout : Hanzalah is a hypocrite. And Abu Bakr, the *Sincere,* met me and said: No, Hanzalah has not played the hypocrite. Then I entered the presence of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", while I was saying: Hanzalah is a hypocrite. So the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: No, Hanzalah has not played the hypocrite. So I said: O Messenger of Allah we were with you and you preached us a sermon by which our hearts were made fearful and our eyes tearful and we 'knew' ourselves. Then I returned to my family and we were engaged in mundane conversation, and I forgot what engaged our minds when we were with you. So he said: O Hanzalah, would that you were always in that state, then the angels would take you by the hand on your journeyings and where you lie down, but, O Hanzalah, everything has its appointed time.

Therefore everything which constitutes the merit of hope and weeping and piety and abstinence and knowledge, and the guiltiness of fancied security, is a pointer to the merit of fear, because all of these are related to it either by way of cause or effect.

Exposition That The Optimum Is The Dominance Of Fear Or The Dominance Of Hope Or The Two In Equilibrium

Know that the traditions concerning the merit of fear and hope are legion, and often the observer will inspect the two of them and doubt will overwhelm him as to which of the two is the higher good. The person who says: Is fear or hope the higher good?, asks a spurious question which resembles the question: Is bread or water the higher good? The answer to it is to say that bread is the higher good for the person who is hungry and water for the person who is thirsty. And, if both are present in union, one has regard to which is the more dominant, and, if it is hunger, bread is the higher good and, if it is thirst, water is the higher good. If they are in balance, bread and water are on par. This is so because everything which is willed in reference to a goal has its merit disclosed in relation to its goal, not to itself. And fear and hope are therapies by means of which hearts are cured and their respective merits are in proportion to the extant disease. For, if what has dominion over the heart is the disease of fancied security from the stratagems of Allah and being self-deceived thereby, fear is the higher good. And, if the most dominant factors are hopelessness and a despairing of the mercy of Allah, hope is the higher good. Similarly, if disobedience has mastery over the creature, fear is the higher good.

And it is allowable to say absolutely that fear is the higher good, in the sense that it is said: Bread is a higher good than oxymel, since the sickness of hunger is treated with bread and that of jaundice with oxymel, and the disease of hunger is more dominant and frequent, so that the need of bread is the more frequent, and so it is the higher good. And, in this sense, the dominance of fear is the higher good, because disobedience and self-deceit are the more dominant over the creature. And, if one looks at the source of fear and hope, hope is the higher good, because it is an outlet from the sea of mercy, and the outlet of fear is from the sea of wrath. And whoever is attentive to those

attributes of Allah which decree kindness and mercy, love will dominate him and there is no station beyond love. With regard to fear its prop is a turning towards those attributes which decree severity and love does not mingle with it as it does with hope.

In sum, it is proper to employ in reference to whatever is willed for other than itself the expression *more salutary* and not the expression *more meritorious.* So we say: For the most of people fear is more salutary than hope, and that, because of the dominance of disobedience. As for the pious person who has forsaken sin, outward and inward, concealed and open, what is most salutary is that his hope and fear should be in equilibrium. For that reason it was said: If the fear and hope of the believer were weighed, they would balance each other. And it is reported that `Ali said to one of his children: Fear Allah with such a fear as will make you see that, if you brought Him the good deeds of (all) the people of the earth, He would not accept them from you; and hope in Allah with such a hope as to make you see that, if you brought Him the evil deeds of (all) the people of the earth, He would pardon you for them. Hence `Umar said: If it were proclaimed: Let everybody except one man enter the Fire, I should hope that I was that man. And, if it were proclaimed: Let everyone enter the Garden except one man, I should fear that I was that man. And this is an explanation of the object of fear and hope and their being in equilibrium, notwithstanding dominance and mastery, by means of counterpoise and equalization.

And so with a person like `Umar it is fitting that his fear and hope should be on par. As for the disobedient man, when he supposes that he is the person who is excepted from those who are commanded to enter the Fire, that is a pointer to his self-delusion. And, if you say: It is not fitting with a person like `Umar that his fear and hope should be on par. No, it is fitting that his hope should be dominant (as above, in the first part of the *Book of Hope)* and that its strength should be in proportion to the strength of the means to it, as was illustrated by the sowing and the seed. And it is known that whoever sows healthy seed in clean ground and perseveres in cultivating it, and fulfils all the conditions of agriculture, the hope of attainment dominates his heart, so that his fear is not on par with his hope, and it is proper that the states of the pious should be such.

Know therefore that whoever picks up 'knowledge' from verbal expressions and parables multiplies his error, and that is so, even if we have cited a parable to him. So what we were dealing with is not comparable in every respect, since the cause of the dominance of hope was the knowledge which is the result of experience. For he knew by experience the health of the soil and its cleanness and the health of the seed and the salubriousness of the atmosphere and the paucity of lethal thunderbolts in that area and so on. For the parable of our proposition would be a seed whose species has not been tried, which has been scattered on unfamiliar soil, which the sower has not prepared nor tested, in a country where he does not know whether thunderbolts are frequent or not. And with such a sower as this, even if he exerts himself to the utmost and fulfils all that is in his

power, his hope will not be dominant over his fear.

And the seed in our proposition is faith and the conditions of its health are minute. And the soil is the heart whose hidden and open vices derive from concealed polytheism and hypocrisy and apostasy, and its hidden properties are beneath the surface. And the blights are lusts and blandishments of this world and the turning of the heart towards them in the future. And, even if he is safe at the moment, that is on account of what he can not verify and does not 'know' by experience, since it may chance from causes whose succession he cannot comprehend and whose like he has not experienced.

And the thunderbolts are the terrors of the pangs of death, and the disturbance of belief in its presence, and that belongs to those things whose like he has not experienced. Then the Reaping and the Result at the moment of the departure from the Resurrection to the Garden, and that he has not experienced. So whoever 'knows' the essentials of these matters, if he were faint-hearted and cowardly in himself, his fear would indubitably dominate his hope, as it will be related concerning the states of those who feared among the Companions and the Followers. And, if he were stouthearted and of a steadfast nature and complete in 'knowledge', his fear would be on par with his hope. As for the suggestion that his hope would be dominant, this should not be entertained.

And `Umar was in the habit of going over the score in the examination of his heart. So he used to ask Hudhaifah whether he knew of any traces of hypocrisy in him, since the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" had made him (Hudhaifah) a specialist in the science of hypocrites. For who is the person who is able to purify his heart from the hidden things of hypocrisy and latent polytheism, and, if he has secured the cleansing of his heart to the exclusion of that, how will he be secure from the stratagems of Allah in confusing him as to his state and hiding his defects from him? And, if he is confident about this, whence can he be confident about his being preserved in that condition, until the completion of the goodness of the Seal ?

And he (Muhammad) said: Let a man do the works of the People of the Garden for fifty years, so that only a span remains between him and the Garden (and, in a variant, only the time between two milkings of a she-camel), then the Book will predestinate and seal him with the work of the People of the Fire. And the interval between two milkings of a she-camel does not allow the possibility of an action with the members, It is no more than the duration of a fleeting impulse which penetrates the heart at death and decrees the Seal of evil, and how can one be secure from that ?

So the most ultimate objective of the believer is that his hope and fear should be in equilibrium, and the dominance of hope with the most of people would be a leaning on self-deceit and a dearth of 'knowledge'. For this reason Allah has united both of them in the description of the persons whom He has eulogized. For He said: "They invoke their Lord through fear and yearning." (As-Sajdah 16)

﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾

And He said: "They invoke Us through yearning and awe." (Al-Anbiya' 90)

﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾

And where is the like of `Umar? So what is most salutary for the people who are alive at this time, all of them, is the dominance of fear, with the proviso that it does not bring them to hopelessness and abandonment of action, and severing of the yearning for pardon, for that would be a cause of shirking work and a summons to obstinate persistence in disobedience. For that is despair and not fear, since fear is that which provides an incentive for action and blackens all the lusts, and snatches the heart away from reliance on this world, and summons it to withdraw from the home of self-deceit. This is commendable fear; it is not a passing impulse of the soul which does not take effect in restraint and incentive. Nor is it hopelessness which decrees despair.

So Yahya Ibn Mu'adh said: Whoever serves Allah with undiluted fear is drowned in a sea of reflection. And whoever serves Him with undiluted hope goes astray in a desert of self-deceit. And whoever serves Him with fear and hope is established in a highway of recollection. And Makhul of Damascus said: Whoever serves Allah with fear is a Kharijite , and whoever serves Him with hope is a Murjite, and whoever serves Him with love is a free-thinker , and whoever serves Him with fear and hope and love is a Unitarian. Therefore these three conditions cannot but be united, and the dominance of fear is most salutary, except at the point of death. At death the dominance of hope and optimism are the most salutary, because fear has the effect of the whip which urges to action, and the time of action has passed away, and so the person who is at the point of death has no power over action. Then the means of fear do not avail, for they cut the sinews of his heart and assist the hastening of his death.

But the breath of hope strengthens his heart and commends to him his Lord towards whom is his hope; and it is not expedient that anyone should leave this world except out of love for Allah, in order that he may be desirous of meeting with Allah. For whoever desires to meet with Allah, Allah desires to meet with him, and hope joins him to love. So whoever hopes for this magnanimity is beloved, and the goal of all sciences and actions is 'knowledge' of Allah, so that 'knowledge' produces love. For the trend is towards Him and the advance at death is towards Him, and the joy of him who advances towards his Beloved is great in proportion to his love, and whoever abandons his Beloved has his tribulations and punishment intensified.

Wherever the heart is dominated at death by love of family and children and wealth and dwelling and estates and friends and companions, all the things which this man desires are in this world and so this world is his Garden, since the Garden is an expression for the territory which unites all that is desired. Hence his death is an exit from the Garden and the placing of an obstacle between him and what he desires, and there is no concealing the state of the man who has had an obstacle placed between him and what he desires. And, if he had no object of desire but Allah and the recollection of Him and 'knowledge' of Him and reflection on Him, this world and its ties would be a distraction to him to the

exclusion of the Beloved. So this world is a prison, because a prison is an expression for the place which obstructs the imprisoned from being refreshed by the things desired, and so his death is an advance towards his Beloved and is salvation from the prison; and there is no concealing the state of the man who has escaped from the prison and is closeted with his Beloved without obstruction or alloy.

This is the first reward and punishment which everyone who leaves this world consequent on death will meet, exclusive of what Allah has prepared for His creatures who are sound in faith, of those things which the eye does not see nor the ear hear, nor has it occurred to the heart of man; and exclusive of what Allah has prepared for those who love the life of this present world in preference to the next world, and are satisfied with it and feel secure in it from bonds and chains and manacles and blows of disgrace and chastisement. So let us ask Allah to bring us to die as Muslims and to annex us to the sound in faith. And there is no hope of an answer to this petition except by the acquisition of the love of Allah, and there is no path to it except by the expulsion of other than Allah from the heart and the severing of ties from all that is other than Allah from rank and wealth and country.

What is most fitting is that you should make petition as the Prophet did, when he said: O Lord furnish me with Your love and the love of whoever loves You, and the love of whatever brings me near to Your love and makes Your love more beloved to me than cold water. And the conclusion to be drawn is that the dominance of hope is more salutary at death, because it is most conducive to love; and the dominance of fear is more salutary before death, because it best kindles the fire which burns up lusts, and best chokes the love of this world out of the heart. And, for that reason, he (Muhammad) said: Let not one of you die except he supposes the best of his Lord. And He said: I identify Myself with what My creature supposes of Me, so let him suppose of Me what he will. And, when death was present with Sulaiman at-Taimi, he said to his son: O my son, tell me about the indulgences of Allah and remind me about hope, so that I may meet Allah supposing the best of Him. Similarly when death was present with Ath-Thawri and his pangs were intensified, the Scholars gathered around him lending him hope. And Ahmad Ibn Hanbal said to his son at death: Remind me of the traditions which have hope and optimism in them. And the goal of all that was that he should commend Allah to himself.

And thus Allah revealed to David: Commend Me to My creatures. And he said: In what way ? He said: By your recollecting to them My benefits and bounties. Therefore ultimate bliss is that one should die loving Allah and love is attained only through 'knowledge' and through the expulsion of the love of this world from the heart, so that the whole world is like a prison which denies access to the Beloved. Hence one of the sound in faith saw Abu Sulaiman ad-Darani in a vision and he was air-borne. So he questioned him and he (Abu Sulaiman) said: Now I am escaping. And, when he (one of the sound in faith) awoke in the morning, he asked after him, and it was said to him: Truly he died yesterday.

CHAPTER 5

EXPOSITION OF REMEDY BY WHICH STATE OF FEAR IS OBTAINED

It should be known that what we have mentioned concerning the therapy of patience and have expounded in *The Book of Patience and Gratitude* will suffice for this purpose, because patience is only possible after the attaining of fear and hope, since the first of the stations of religion is assurance which is an expression for strength of faith in Allah and the Last Day and the Garden and the Fire. And this assurance necessarily excites fear of the Fire and hope of the Garden, and hope and fear fortify patience. For the Garden has been enclosed with abhorrent things, and no one has patience to endure them except through the strength of hope. And the Fire has been surrounded with lusts and no one has patience to quench them except through the strength of fear. And, for this reason, `Ali said: Whoever longs for the Garden is diverted from lusts, and whoever guards against the Fire recoils from things forbidden,

Then the station of patience, which is derived from fear and hope, gives access to the station of spiritual combat and exclusive devotion to the recollection of Allah and constant reflection on Him. And constant recollection gives access to intimacy and constant reflection to the perfection of 'knowledge'. And perfection of 'knowledge' and intimacy give access to love and the station of satisfaction and trustfulness, and the remainder of the stations follow it. And this is the order of ascent of the stages of religion; and no station can succeed the root of assurance except fear and hope, and only patience can succeed these two, and accompanying it is spiritual combat and utter devotion to Allah outwardly and inwardly. And for the person to whom the way has been opened up there can be no station after spiritual combat except guidance and 'knowledge'. And only the station of love and intimacy can succeed 'knowledge', and following necessarily on love is satisfaction with the action of the Beloved and confidence in His care which is trustfulness.

Therefore what we have mentioned concerning the regimen of patience is sufficient, but we shall single out fear particularly in a summing-up and shall say: Fear gives access to two diverse ways, one higher than the other. And its parable is that, if a youth were in a house and a lion or snake came into him, he would probably not be afraid and would stretch out his hand towards the snake that he might take hold of it and play with it. But, if his father were with him, since he is knowledgeable, he would be afraid of the snake and would flee from it. And, if the lad should look at his father while he was trembling and was making to flee because of it, he would be identified with him and fear would conquer him and he would accompany him in flight. So the fear of the father is on account of insight and 'knowledge' of the attributes of the snake and its poison and its particular characteristics; and the might of the lion and its violence and lack of concern. And the fear of the son and his faith are entirely attributable to authority, because he thinks well of his father and knows that he is not afraid except on account of what excites fear in itself; and so he knows that the lion is a threat, but he does not 'know' the cause of it. And, if you 'know' this parable,

note that the fear of Allah is on two planes. One is fear of His punishment and the second is fear of Him.

With respect to fear of Him it is the fear of the Knowledgeable and the Spiritual Directors; of those who know such of His attributes as decree awe and fear and caution; of those who scrutinize the inner secret of His saying: Allah warns you (to remember) Himself. (Al Imran 28)

﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾

And His saying: "Fear Allah with the fear which is His due." (Al Imran 102)

﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾

With respect to the first it is the fear of the rank and file of the people, and is a product of the root of faith in the Garden and the Fire, and that they are respectively the rewards of obedience and disobedience. And its weakness is due to negligence and weakness of faith. And negligence can only be erased by recollection and preaching and tenacious reflection on the terrors of the Day of Resurrection and the classes of punishment in the next world. And it is erased also by observing those who fear and sharing their company and through the vision of their states. And, if sight should fail, hearing will not be sealed off from receiving impressions. With regard to the second it is higher, because it is Allah Himself who inspires fear. I mean that the creature both fears being veiled from Him and hopes for nearness to Him. Dhu 'l-Nun said: The fear of the Fire in comparison with the fear of alienation is like a drop which is shed in a fathomless sea. And this is the fear of the Knowledgeable according as He said: "Only the knowledgeable among His creatures fear Allah." (Fatir 28)

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾

But the rank and file of the believers also have a portion of this fear, but it rests exclusively on authority. It is also the fear which the lad had of the snake on the authority of his father which does not rest on insight and is indubitably weak and soon fades away. So that the lad may chance to see the snake-charmer approach and take hold of the snake, and may observe him and be deceived by him and venture to take hold of it in imitation of him, just as he recoiled from taking hold of it in imitation of his father. And tenets which rest on authority are, for the most part, weak, except when they are strengthened by the sight of the means to them which constantly reinforce them, and by perseverance in what they decree so as to multiply acts of obedience and avoid acts of disobedience unremittingly over a long period.

Therefore whoever ascends to the apex of 'knowledge' and 'knows' Allah, fears Him of necessity, and has no need of the regimen which induces fear; just as whoever 'knows' the lion and sees himself falling into its claws has no need of the regimen which will induce fear in his heart. No, he fears it of necessity, whether he wills it or not. Hence Allah revealed to David: Fear Me as you fear the harmful lion. And there is no device for inducing fear of the harmful lion except 'knowledge' of the lion and 'knowledge' of falling into its claws, and there is no need of any device besides it. So whoever 'knows' Allah 'knows' that He

does what He wills and does not care, and legislates as He desires and is not afraid. He brought the angels near without prior merit, and He banished the Devil irrespective of the question of previous sin. More, His character is as His saying has explained it: These are in the Garden and I do not care, and these are in the Fire and I do not care. And, if it occurs to your mind that He does not punish except on account of disobedience, nor reward except on account of obedience, consider that He has not furnished the obedient man with the means of obedience, so that he is obedient whether he wills it or not; and He has not furnished the disobedient man with the motives of disobedience, so that he is disobedient whether he wills it or not. And, whenever he creates negligence and lust and power to fulfill the lust, the action follows on them of necessity. For, if He alienated a person because he was disobedient to Him, and did not incite him to disobedience, was this because of a prior disobedience? In which case there is an infinite regress; or else it comes to a halt, doubtless, at a first principle which is uncaused from the point of view of the creature. No; it was decreed for him from all eternity.

And he (Muhammad) explained the meaning of this when he said: Adam and Moses had an argument concerning their Lord, and Adam had the better of the argument. Moses said: You are Adam whom Allah created with His hand and into whom He breathed of His breath. And He made the angels do obeisance to you and he made you a resident of His Garden. Then you caused the people to fall to the earth through your sin. And Adam said: You are Moses whom Allah chose for His Apostolate and His Word and gave you the Tablets on which were an exposition of everything. And He brought you near as one noble-born. By how many years did you find that Allah wrote down the Law before I was created? Moses said: By forty years. Adam said: And did you find in it: "And Adam disobeyed his Lord and was led astray ?" (Ta Ha 121)

﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾

He said: Yes. He said: Do you then blame me because I performed an action which Allah had inscribed against me before I did it and forty years before He created me ? Thus Adam out-argued Moses.

And whoever 'knows' the cause in this matter with a 'knowledge' which stems from the light of guidance belongs to the *elite* of the Gnostics; to those who scrutinize the secret of predestination. And whoever hears this and believes in it and affirms its truth solely on the strength of what he has heard, belongs to the rank and file of the believers. And everyone in both of these groups is affected by fear. For every creature is as one falling into the clutch of predestination, just as the weakly youth who falls into the claws of the lion. And the lion may chance to be heedless and leave him alone; and it may pounce on him and maul him and that is regulated by what is contingent. Connected with this contingency are causes which are graduated in proportion with how much is known. But, when it (the contingency) is related to one who does not know it, (the cause) it is called contingency. And, if it is related to the knowledge of Allah, it is not permissible that it should be called contingency. As for the person who falls into the claws of the lion, if his 'knowledge' were perfect, he would not be afraid of the lion, since the lion is

coerced. If hunger dominates it, it will maul, and, if heedlessness dominates it, it will ignore and leave alone. So he would be afraid only of the Creator of the lion and His attributes. And I am not going to say that fear of the lion is a parable of fear of Allah. No; when the cover is withdrawn, it will be known that fear of the lion is the very fear of Allah, because the One who kills by means of the lion is Allah.

And know that the lions of the next world are like the lions of this world, and that Allah has created the means of punishment and reward, and has created for everyone a complement. The predestination which is a branch of the irrevocable and eternal decree drives him towards what is created for him. So He created the Garden and created for it a complement who are coerced by the means to it, whether they will it or not. And He created the Fire and created for it a complement who are coerced by the means to it, whether they will it or not. And no person sees himself in the buffeting of the waves of predestination but that fear of necessity dominates him. And these are the things concerning the secret of predestination which the Gnostics fear. And, if a persona is a party to a deficiency which precludes the ascent to the station of insight, his procedure is to treat himself with the hearing of the traditions and the reports, and to search out the states and sayings of the Gnostics who feared, and compare their intellect and rank with the rank of those who were self-deceived in their hoping. And there is no doubt that the imitating of them is most fitting, because they are the Prophets and Saints and Knowledgeable.

As for those who think themselves secure, they are the arrogant and ignorant and remiss. As for our Messenger, he is the Master of the first and the last, and he was of all men subject to the most intense fear. So that it is related that he was praying over an infant and that (according to one version) he was heard to say in his petition: O Allah, preserve him from the punishment of the grave and the punishment of the Fire. And (in a second version) that he heard someone saying: Congratulations to you, one of the sparrows of the Garden. And he was angry and said: How did you get to know that it is so ordered ? By Allah! I am the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and I have not ascertained what He will do with me. Truly Allah has created the Garden and has created for it a complement which may not be increased nor diminished. And it is related that he (Muhammad) said that also over the bier of `Uthman Ibn Maz'un, who was among the first of the Emigrants, when Umm Salamah said: May you enjoy the Garden! And Umm Salamah used to say thereafter: By Allah! I do not eulogize anyone after `Uthman. And Muhammad Ibn Khawlah Al-Hanafiyyah said: I do not ascribe merit to anyone except the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", not even to my father who begat me. And the Shiites' were roused against him and he began to mention the merits and attainments of `Ali.

And it is related in another account concerning a man belonging to the People of the Bench who died a martyr's death; whose mother said: Congratulations to you, one of the sparrows of the Garden. You emigrated to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and you were killed in the path of Allah. And he (Muhammad) said: And how did you get to know? Perhaps he conversed in what will not benefit him and proscribed what will not

injure him. And it is related that he (Muhammad) came into the presence of one of his Companions who was ill and he heard a woman saying: May you have the joy of the Garden! And he said: Who is this swearing by Allah? So the sick man said: She is my mother, O Messenger of Allah. So he said: And how did you get to know? Perhaps so and so conversed in what will not benefit him and was thrifty in what will not enrich him.

And how will every believer not be afraid when he (Muhammad) says: Hud and her sisters have made me gray-haired , i.e. Al-Waqi'ah, At-Takwir and An-Naba'. The Scholars said: Perhaps that refers to what is in the Surah of Hud according to His saying: "Lo! away with Āad, the people of Hud." (Hud 60)

﴿ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾

And "Lo! away with Thamud ." (Hud 68)

﴿ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾

And "Lo! away with Madyan as Thamud is far away." (Hud 95)

﴿ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾

This, although he (Muhammad) knew that, if Allah had willed it, they would not have been polytheists, since, if it were His will, He would bring every soul its guidance. And in the Surah of Al-Waqi'ah: "None denies its taking place, abasing, exalting." (Al-Waqi'ah 2-3)

﴿ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾

That is, the reed-pen is dry with things as they are fixed, and what is foreordained has come to completion, so that the event comes down, whether it be the abasing of a people who were exalted in this world, or the exalting of a people who were abased in this world. And in the Surah of At-Takwir are the terrors of the Day of Resurrection and the disclosing of the Seal, namely His saying: "When Hell will be set blazing, when the Garden will be brought near, a soul will know what it has brought forward." (At-Takwir 12-14)

﴿ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾

And in the Surah of An-Naba': "The Day when man will see (the Deeds) which his hands have sent forth, and the Unbeliever will say, "Woe unto me! Would that I were (mere) dust!"" (An-Naba' 40)

﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴾

And His saying: "They will not speak except for him to whom the Merciful may give permission and who speaks aright." (An-Naba' 38)

﴿ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾

And the Qur'an from first to last is a source of dread to whoever reads it thoughtfully, and, if there was nothing in it except His saying: "But I am forgiving to whoever repents and believes and does what is righteous and at last is guided." (Ta Ha 82)

﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾

That would be sufficient, since He has made pardon dependent on four conditions to fulfill any one of which the creature is impotent. And more rigorous than it is His saying: But as for him "who repents and believes and does what is righteous, perchance he may be among those who prosper." (Al-Qasas 67)

﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾

And His saying: "That He might question the truthful as to their truthfulness." (Al-Ahzab 8)

﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ﴾

And His saying: "We shall attend to you at leisure, you prominent beings!" (Ar-Rahman 31)

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾

And His saying: " Did they then feel secure against the Plan of Allah? But no one can feel secure from the Plan of Allah, except those (doomed) to ruin!" (Al-A'raf 99)

﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾

And His saying: "Such is the grip of your Lord, when He takes hold of a town in its wrongdoing; surely His grip is painful, terrible." (Hud 102)

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾

And His saying: "The day We shall gather the righteous to (Allah) Most Gracious, like a band presented before a king for honours." (Maryam 85)

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾

And His saying: "Not one of you but will pass over it: this is, with your Lord, a Decree which must be accomplished." (Maryam 71)

﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾

And His saying: " Do what you will: verily He sees (clearly) all that you do." (Fussilat 40)

﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

And His saying: " To any that desires the tilth of the Hereafter, We give increase in his tilth; and to any that desires the tilth of this world, We grant somewhat thereof, but he has no share or lot in the Hereafter." (Ash-Shura 20)

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾

And His saying: "Whoever does an atom's weight of good will see it; and Whoever does an atom's weight of evil will see it." (Az-Zalzalah 7-8)

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾

And His saying: "And We shall turn to whatever deeds they did (in this life),

and We shall make such deeds as floating dust scattered about." (Al-Furqan 23)

﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾

And His saying: " By (the Token of) Time (through the Ages), Verily Man is in loss, Except such as have Faith, and do righteous deeds, and (join together) in the mutual teaching of Truth, and of Patience and Constancy." (Al-Asr 1-3)

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝ ﴾

So these are the four conditions of salvation from loss . And the fear of the prophets was (possible) only in association with the grace which overflowed to them, since they did not think themselves secure from the stratagems of Allah;" and only the people of perdition think themselves secure from the stratagems of Allah ." (Al-A'raf 99)

﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝ ﴾

So that it is related that the Prophet and Gabriel were weeping for fear of Allah, and Allah revealed to both of them: Why do you weep, since I have made both of you secure? So they said: And who is secure from Your stratagems ? And it was as if both of them, since they knew that Allah Himself is the Knower of hidden things, and that He does not acquaint them with the ultimate goal of affairs, did not think themselves secured against His saying "I have made both of you secure" being a way of trying and testing them and plotting against them, so that, if their fear had been quietened, it would have been clear that they thought themselves secure from the stratagems and had not fulfilled their saying.

Similarly with Abraham who, when he was deposited in the missile, said: Bear me in mind, O Allah. And this was one of the great petitions. So he was tested and was joined by Gabriel in the air, so that he (Gabriel) said: Are you in need ? He said: Not of you. And that was a fulfillment of the significance of His saying: Bear me in mind, O Allah. And so Allah related of him saying: "And Abraham who fulfilled ." (An-Najm 37)

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝ ﴾

That is, what was entailed by his saying: Bear me in mind, O Allah.

And, as a parable of this, it is reported concerning Moses that, when he said: "Truly we are afraid that He may neglect us or be remiss, he said: Do not be afraid, surely I shall be with both of you, hearing and seeing." (Ta Ha 45-46)

﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝ ﴾

And, in spite of this, when the magicians cast their spells, Moses quaked with fear within himself, because he did not feel secure from the stratagems of Allah, and he was confused over the affair until security was renewed to him, and it was said to him: "Fear not, surely you are the uppermost." (Ta Ha 68)

﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ ﴾

And, when the power of the Muslims was weak on the day of Badr , he (Muhammad) said: O Allah, if you kill this band, no one will remain on the face of the earth to serve You. And Abu Bakr said: Leave off badgering your Lord. Surely He will fulfill for you according as He has promised you. For he was at the station of the *Sincere,* the station of reliance on the promise of Allah. And the station of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was that of fearing the stratagems of Allah and it is the more complete, because it can derive only from perfection of 'knowledge' concerning the secrets of Allah and the concealed aspects of His actions and the meanings of His attributes which He expresses by such actions as derive from them by way of plotting.

And it is given to no human being to get to the bottom of the attributes of Allah. And, if a man 'knows' the essence of 'knowledge', and that his 'knowledge' comes short of getting to the bottom of affairs, his fear will indubitably be great. For that reason the Messiah said, when it was said to him (by Allah) : "Did you say to the people: 'Take me and my mother as gods apart from Allah'?: "Glory to You, what reason have I for saying what does not belong to me by right? If I did say it, You know it. You know what is in me but I do not know what is in You ." (Al-Ma'idah 116)

﴿ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ ﴿١١٦﴾ ﴾

And he said: "If You punish them they are Your servants: if You do forgive them, You are the Exalted in power, the Wise."" (Al-Ma'idah 118)

﴿ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾

He (the Messiah) transferred the affair to the will and disassociated himself entirely from pronouncing as to his knowledge of it; because he had nothing to do with the affair, and because affairs are tied to the will with a connection which issues beyond the boundary of things intelligible and familiar, so that it is not possible to give a ruling on them by use of analogy or conjecture or opinion, *a fortiori* by verification and proof, and this is what the hearts of the Gnostics have grasped.

For the greatest catastrophe is the tie-up of your affair with the Will of One who has no concern for you, if He kills you. For He has killed the like of you, an innumerable company, and He is continually punishing them in this world with different kinds of torments and diseases, and, in addition, He makes their hearts diseased with unbelief and hypocrisy. Then He perpetuates their punishment to all eternity. So it is reported concerning Him that He says: "If We had so willed, We could have given every soul its guidance, but now is My saying realized: "Surely I shall fill Hell with jinn and men together ." (As-Sajdah 13)

﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

And He said: "And the word of your Lord has been fulfilled: "I will fill Hell with jinns and men all together."" (Hud 119)

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾

And how can one fail to be afraid at that part of the saying which has been realized from all eternity, so that one may not yearn to attain to it? If the affair were undetermined, yearning would be of use in respect of it. But there is no alternative except to be resigned to it and to discriminate between the hidden things of predestination and the clear causes which are visible to the heart and members. And whoever has easy access to the means of evil has an obstacle between himself and the means of good, and his relationships are regulated from the side of this world; and so it is as if a disclosure were made to him by way of verifying the secret of predestination which predestined him as a reprobate. For, whenever easy access (to virtue) is created for him, (even if all the virtues are easily accessible and the heart is entirely cut off from this world and outwardly and inwardly set upon Allah) this decrees the lightening of fear, if the permanency of these circumstances is confidently assumed by him. But the peril of the Seal and the difficulty of safety fans into a blaze the fires of fear and it is not possible to extinguish them.

And how can the vicissitudes of circumstances offer security, while the heart of the believer is between two of the fingers of the Merciful, and the heart is violently overturned by the ferments of fate? And the Reverser of hearts has said: "Surely from their Lord's punishment none feels secure." (Al-Ma'arij 28)

﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾

And the most ignorant member of the populace is he who thinks himself secure, while He is crying out a warning against fancied security. And were it not that Allah is gracious with His creatures the Gnostics, when He refreshes their hearts with the breath of hope, their hearts would be consumed with the fire of fear. So the means of hope are a mercy to the *elite* of Allah, and the means of negligence are, from one point of view, a mercy to the rank and file of the creatures. Since, if the cover were withdrawn, souls would perish and hearts would be cut off because of fear of the Reverser of hearts. And one of the Gnostics said: If a pillar were interposed between me and one whom I knew to be a Unitarian for fifty years and then he died, I would not conclude that he was a Unitarian, because I would not be cognizant with what had been made clear to him in respect of reversal. And one of them said: If the choice were between martyrdom at the door of the house, and death in Islam at the door of the room, I would choose death in Islam, because I do not know what may chance to my heart between the door of the room and the door of the house.

And Abu Ad-Darda' was in the habit of swearing by Allah: There is no one who thought himself secure because of his faith from being plundered by Allah at death, but He plundered him. And Sahl used to say: The fear of the *Sincere* at the evil of the Seal is present at every impulse and motion, and they are those whom Allah has described when He said: "And their hearts are quaking." (Al-Mu'minun 60)

﴿ وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾

And, when Sufyan was at the point of death, he began to weep and be grief-stricken, and so it was said to him: O Abu `Abd Allah, keep hoping, for the

pardon of Allah is greater than your sins. So he said: Is it then because of my sins that I weep? If I knew that I should die a Unitarian, I would not be concerned should I meet Allah with sins the like of mountains.

And it is related concerning one of those who fear that he charged one of his brethren and said: When death is present with me, squat by my head. And, if you see me dying as a Unitarian, take hold of all that I possess and buy with it almonds and wine, and distribute it to the youths who inhabit the district, and say: This is the wedding-breakfast of one who has made good his escape. And, if I die in a state other than that of a Unitarian, acquaint the people to that effect, so that they be not deceived by the sight of my bier, so that whoever has most desire after insight may accompany my bier, to the end that dissimulation may not overtake me after death. He said: And by what token shall I know this? So he mentioned a mark to him. And he saw the mark of Unitarianism at his death, and so he bought wine and almonds and distributed them. And Sahl used to say: The novice fears lest he may be tried by disobedience, and the Gnostic fears lest he may be tried by unbelief. And Abu Yazid used to say: Whenever I repair to the mosque, it is as if a girdle were around my middle and I am afraid that it may lead me to the Church and the House of Fire, until I enter the mosque and the girdle is severed from me. And this happens to me five times every day .

And it is related concerning the Messiah that he said: O band of disciples, you are afraid of deeds of disobedience, and we of the band of the prophets are afraid of unbelief. And it is related in the traditions of the prophets that a prophet complained to Allah of hunger and lice and nakedness over a period of years, and his habit was that of a Ṣūfī. And Allah revealed to him: O my creature, are you not content that I have defended your heart from unbelief in Me, so that you ask Me for this world? So he took up dust, laid it on his head, and said: Yes, I am content, O Lord, defend me from unbelief. And, since the fear of the Gnostics, in spite of the imprints of their feet and the power of their faith, was on account of the evil of the Seal, how will the weaklings not fear it?

And the evil of the Seal has causes which come to the forefront as death approaches, such as modernism, hypocrisy and pride, and a host of reprehensible characteristics. Hence the fear which the Companions had of hypocrisy was intense so that Al-Hassan said: If I knew that I was innocent of hypocrisy, it would be more desirable to me than the place on which the sun rises. And what is meant in this connection is not the hypocrisy which is the contradiction of the root of faith. No, what is intended by it is the hypocrisy which unites with the root of faith, so that a Muslim is (at the same time) a hypocrite. And it possesses many marks. He (Muhammad) said: There are four ways in which a man may dissimulate and in each case he is a pure hypocrite, even if he prays and fasts and claims that he is a Muslim. And, if there is in him an offshoot of these practices, there is in him also a branch of hypocrisy, so that he abandons them. The man who, when he relates, falsifies; when he promises, is fickle; when he is relied on, is false; when he litigates, commits perjury. And (in another version): When he covenants is faithless. And the Companions and Followers have offered such an exegesis of hypocrisy that only the person who is *Sincere* is isolated from every detail of it. For Al-Hassan said: Surely hypocrisy is differentiated into secrecy and openness and tongue and heart and what goes in (to the heart) and what comes out. And who is the man who is isolated from these meanings?

More, these matters have become commonplace with men through custom, and it is forgotten that they are entirely abhorrent. More, that almost had the status of a covenant in the epoch of the Prophethood, and how is the supposition (otherwise) in our time? So that Hudhaifah said: Let a man but speak a word concerning the covenant of Allah and he will become thereby a hypocrite. Truly I hear it from each of you ten times a day. And the Companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to say: Should you but do works that are more minute in your eyes than a hair, we would count them among the major deeds for the sake of the covenant of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". And one of them said: A mark of hypocrisy is that you dislike in other people that whose like you produce; and that you hanker after anything that is wrong; and that you loathe anything that is right. And it was said concerning hypocrisy: When he is praised for anything he does not have, that makes him pleased.

And a man said to Ibn `Umar: Truly we go in to these chiefs and we swear that they are truthful in what they are saying, and when we come out, we talk about them among ourselves. So he (Ibn 'Umar) said: We counted this hypocrisy in relation to the covenant of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". And it is related that he (Ibn `Umar) heard a man blaming Al-Hajjaj and tackled him and said: Is it the case that, if Al-Hajjaj were present, you would speak as you have spoken about him? He said: No. He said: We counted this hypocrisy in relation to the covenant of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". And more extreme than this is what is related how a certain party of men squatted at the gate of Hudhaifah, awaiting him, and they were conversing about some item of his business. And, when he came out to them, they were silent out of respect for him. So he said: Carry on with your conversation; and they kept silent. He said: We counted this hypocrisy in relation to the covenant of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him".

And the Hudhaifah in question had been specially endowed with the knowledge of hypocrites and the causes of hypocrisy. And he used to say: Surely there comes upon the heart an hour when it is filled with faith, so that there is not a needle's head of room for hypocrisy in it; and there comes upon it an hour when it is filled with hypocrisy, so that there is not a needle's head of room for faith in it. And you know by this that the fear of the Gnostics is on account of the evil of the Seal, and that its causes are the affairs which precede it. Among them are modernism and disobedience and hypocrisy. And when is the creature isolated from every detail of the sum of this? And, if he supposes that he is isolated from it, he is a hypocrite. For it is said: Whoever feels secure from hypocrisy is a hypocrite. And one Gnostic said to another: Truly, I fear for myself with respect to hypocrisy. And he said: If you were a hypocrite, you would not be afraid of hypocrisy. And the attention of the Gnostic constantly alternates between predestination and the Seal, for fear of both of them, and, for this reason, he (Muhammad) said: The believing creature is between two threats; the term which has run its course in respect of which he does not know what Allah is doing about it; and the term which is still in being in respect of which he does not know what Allah is decreeing for it. And by the One in whose hand is my soul, there is no one to crave boons from after death, and, after this world, there is no

dwelling-place but the Garden and the Fire. And Allah is the One of whom to ask help.

CHAPTER 6
EXPOSITION OF MEANING OF EVIL OF SEAL

And if you say: Surely the fear of many of the people goes back to the evil of Seal, so what is the meaning of the evil of seal?

It should be known that the evil of Seal has two degrees, one greater than the other. As for the major degree which most inspires dread, it consists in the fact that at the throes of death and the appearance of its terrors, the heart is dominated either by doubt or apostasy, and the spirit is snatched away when apostasy or doubt is the dominant state. And so what has gained ascendancy over the heart on account of the binding of apostasy is a veil between it and Allah forever. And that decrees alienation in perpetuity and everlasting punishment.

And the second and lesser degree is constituted by a man's heart being dominated at death by the love of some worldly affair and lust, and this is imaged in his heart which is swamped by it, so that, in that state, there is room for nothing else. Then the snatching away of his spirit chances to fall while he is in that state. For the swamping of his heart by it is the bending of his head towards this world and the inclining of his face to it. And whenever the face is averted from Allah, the veil is obtained, and whenever the veil is obtained, punishment is reached, since the blazing fire of Allah will only take hold of those who are veiled from Him. And as for the believer whose heart is secured from the love of the world and whose attention is directed towards Allah, the fire will say to him: Pass O believer, for your light has extinguished my flame. Whenever the snatching away of the spirit happens in a state when the love of the world is dominant, the affair is full of danger, because a man dies according as he lives. And it is not possible for the heart to acquire another characteristic after death which would contradict the characteristic which was dominant over it, since you cannot effect changes on the heart except by the actions of members, and the members have been made null by death, and so actions have also been nullified. So there is no hope of action and no hope of return to this world in order to make amends. In these circumstances the loss would be great were it not that the root of faith and the love of Allah, when they have been imprinted in the heart over a long period and have been reinforced by sound actions, erase from the heart this state which befell it at death. So, if the strength of a man's faith were up to a Mithqal, it would bring him out of the Fire in a short time; and, if it were less than this, his sojourn in the Fire would be lengthy; and, if it were no more than the weight of a seed, it would inevitably bring him out of the Fire, even if it were after thousands of years.

And if you say: What you have mentioned decrees that the Fire should speed to a person consequent on his death. What then is His purpose in delaying until the Day of Resurrection and procrastinating for the duration of this period? Know that whoever dislikes the punishment of the grave is a modernist who is veiled from the light of Allah and the light of the Qur'an and the light of faith.

More, what is sound in the opinion of men of insight is what the traditions correctly state, namely, the grave is either one of the pits of the Fire or the meadows of the Garden, and there may open on to the grave of one who is to be chastised seventy gates of Hell. According as the traditions have adduced his spirit will not leave him except emaciation has settled on him, if he has been made a reprobate with the evil of the Seal. And the kinds of punishment vary with the times, and so the interrogation of Munkar and Nakir takes place at the moment of being deposited in the grave and chastisement is after it. Then the exhaustive scrutiny in making up the account, and shame because of the company of those who testify to the Day of Resurrection. Then after that the peril of the Bridge and it consists in the fact that the Warders of Hell-to the end of what the traditions adduce in this connection.

And the reprobate will be incessantly revolving in all his states between the different classes of punishment, and in the sum of his states he will be chastised, unless Allah covers him with His mercy. And you should not suppose that the dust will consume the *locus* of faith. No; the dust will consume all the members and will scatter them until the Book reaches its term. Then the dismembered pieces will be collected and the spirit which is the *locus* of faith will be brought back to them. From the time of death until its return it has been either in the, crops of green birds which are suspended beneath the Throne, if it were blessed, or in a state which contradicts this if it were (may Allah defend us) reprobate.

And if you say: What then is the cause which leads to the evil of the Seal? Know that the enumeration in detail of the causes of these matters is not possible, but it is possible to indicate what they are in sum. With respect to the Seal which is on account of doubt and apostasy its cause is confined to two things. One of them can be envisaged along with complete abstinence and asceticism and perfect soundness of action, as, for example, the modernist who is an ascetic, for his latter end is perilous in the extreme, even if his actions should be sound. And I do not mean practice and so I say *modernism* (for an exposition of that would require a lengthy statement). No, I mean the modernism which a man believes in respect of the essence of Allah and His attributes and actions, contrary to reality. And so he believes Him to be the contrary of what He actually is, either through his opinion and intellect and observation by means of which he conducts disputation and on which he relies and by which he is self-deceived; or through his appropriation on authority from whoever possesses the state in question.

And when death draws near and the forelock of the Angel of Death is visible to him and his heart is confused by reason of what is in it, often the groundlessness of what he had believed through ignorance may be disclosed to him in the condition of the throes of death, since the state of death is that of the withdrawing of the cover and his throes have their origin in it. So a certain matter may thereby be disclosed to him, and, whenever he sees to be groundless what he had believed and concluded, of whose certainty he had been convinced within himself, he will not suppose within himself that he has erred in this tenet in particular, because of his having recourse in it to his pernicious opinion and deficient intellect. No, he will suppose that all he has believed is without root,

since he does not draw any distinction between his faith in Allah and His Messenger and the remainder of his sound tenets, and his pernicious tenets. Hence the disclosure that certain of his tenets derive from ignorance is a cause of making null and void the remainder of his tenets or of awakening his doubt in them. So, if the departure of his spirit chances to take place at that instant before he regains his steadfastness and returns to the root of faith, he is sealed with evil, and his spirit has gone out in a state of polytheistic belief (and Allah is our defence from that). And it is these things that are intended in His saying: "But there would appear to them from Allah what they had not been reckoning on." (Az-Zumar 47)

﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

And in His saying: "Say: 'Shall We inform you who will be the greatest losers in their works, whose effort goes astray in this present life, though they think they are doing well'?" (Al-Kahf 103-104)

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

And just as there may be disclosed in sleep what will be in the future and that is because of the lightening of the cares of the world from the heart, similarly certain matters are disclosed in the throes of death, since the distractions of the world and the lusts of the body are the things which obstruct the heart from observing the Kingdom and scrutinizing what is in the Preserved Tablet, so that things as they are might be disclosed to it. And so the like of this state is a cause of disclosure, and disclosure is a cause of doubt concerning the remainder of the tenets. And anyone who believes anything in respect of Allah and His attributes and actions the contrary of what actually is, whether on authority or by observing opinion and intellect, is in this danger, and asceticism and soundness of action will not suffice to repel this danger. No, only belief in what is real will afford safety from it.

And the simple folk are far from this danger. I mean those who believe in Allah and His Messenger and the Last Day with a comprehensive and firmly-rooted faith, such as the Bedouin and the negroes, and the rest of those common folk who have not waded into research and enquiry nor wallowed in systematic theology as if it were an absolute standard of reference. Nor have they inclined to the different kinds of systematic theologians, accepting on authority their divergent sayings; and, for that reason, he (Muhammad) said: The majority of the people of the Garden are simple folk. And, for that reason, the Fathers proscribed research and enquiry and the wading into systematic theology and the examination of these matters. And they commanded the people that they should restrict themselves to believing in what Allah has revealed in its totality and to what has come from meanings that are plain, along with its affirmation that analogy should be disowned. And they forbade them to wade into allegorical exegesis, because the danger involved in research into the attributes of Allah is great, and its ascents are steep and its paths are rugged, and the intellect comes

short of attaining to the majesty of Allah. And the guidance of Allah with the light of assurance is veiled from human hearts according as they bear the inborn impress of the love of the world.

And what the researchers have mentioned by means of the display of the wares of their intellects is a source of confusion and contradiction, for hearts are familiar with what has been inculcated into them at the beginning of their development and are attached to it. And the feud-promoting factions which occasion bloodshed among the people are nails which reinforce tenets inherited and appropriated with good hopes from teachers at the beginning of the affair. Then there are men of such a stamp that they are infatuated with the love of the world and turn to it, appropriating the lusts of the world and their strangleholds and swerving from completeness of reflection. Thus when the door of systematic theology is opened up in respect of Allah and His attributes by means of opinion and intellect, in spite of incompatibilities of temperament in people and differences in their make-up, and so every ignorant person among them is eager to claim perfection, or that he has encompassed the furthest reach of reality, their tongues go off with whatever chances to each of them. And that is attached to the hearts of those who incline to them and is consolidated through long familiarity with them, and the way of salvation is entirely blocked against them.

For the safety of the populace consists in their occupying themselves with sound actions and not becoming entangled with what is out with the limit of their capacity. But at the moment the rein is loose and rubbish is being disseminated and every *ignoramus* comes down on the side of what suits his nature, armed with supposition and conjecture, and believes it is science and proof and unadulterated faith; and supposes that whatever he alights on by the use of hypothesis and appraisal is established science and certainty itself. "And you shall surely know the truth of it after a time." (Sad 88)

﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾ ﴾

And it is fitting that it should be declaimed concerning these people when the cover is withdrawn:

You were optimistic about the days when it was well with you,
And you did not fear the evil which fate brings;
And the nights made you feel safe and you were deceived by them,
For with clear nights comes the onset of murkiness.

Know for a certainty that everyone who forsakes the pure faith in Allah and His Messenger and His Book and wades into research has become entangled in this danger, and his parable is that of one whose ship is broken up, while he is in the buffetings of the waves, wave tossing him to wave; and it may happen that he will be cast on to the shore, but that is a remote possibility, and the probability is that he will perish. And everyone who alights on a tenet which he has caught from the researchers through the display of the wares of their intellects-whether along with the proofs which they have composed in their partisan squabbles or without the proofs-if he doubts it, he is corrupt in his religion, and, if he trusts in it, he is thinking himself secure from the stratagems of Allah, being self-deceived by his deficient intellect.

No person who wades into research can be disjoined from these two conditions, except when he has gone beyond the limits of the intellect to the light of disclosure which is the sunrise in the domain of Sainthood and Prophethood, and it is the purest gold in whatever way it may be facilitated. Only the simple folk among the commonalty are safe from this peril or those whose preoccupation is the fear of the Fire along with obedience to Allah, and so they have not waded into these superfluities, for this is one of the means which promotes the peril of the evil of the Seal.

As for the second cause, it is weakness of faith in the root; then the mastery of the love of the world over the heart. And whenever there is weakness of faith, the love of Allah is weak and the love of the world is powerful. So it comes to pass that in the proportion that there remains in the heart no place for the love of Allah, except in respect of a fleeting impulse, no trace of it is visible in the counteracting of appetite or in the avoidance of the way of Satan. And that produces an obstinate persistence in the following of lusts, so that the heart is darkened and hardened, and darkness of appetites is heaped up upon the heart and constantly extinguishes what it contains of the light of faith, because of its faintness, so that it (the heart) becomes rusty and corroded.

And, when the throes of death come, the weakness of that love is intensified in impotence, I mean the love of Allah, with reference to the terror of separation from this world which appears, since it is the object of desire which is dominant over the heart. So the heart is afflicted with the terror of being separated from the world, and sees that it is from Allah, and so its most inward occupation is the dislike of the power of death over it-and loathing of it in so much as it is from Allah. So he is afraid that it may arouse in his inner self a loathing of Allah in the place of love. Just as the person who loves his son with a weak love, when his son has seized his possessions which are dearer to him than his son and has consumed them, this weak love is turned into loathing. And, if the departure of his spirit should happen to fall at that instant in which he is affected by this impulse, then he has been sealed with evil and has perished with an everlasting death. And the cause which leads to a Seal like this is the dominance of the love of the world and reliance on it, and joy in the means to it, together with weakness of faith which determines the weakness of the love of Allah.

Hence whoever finds the love of Allah in his heart more dominant than the love of the world (even if he should be in love with the world also) is more remote from this danger. And the love of the world is the head of every sin and is the incurable disease, and includes in its scope different classes of people. And all of that is due to paucity of the 'knowledge' of Allah, since only he who 'knows' Him can love Him. And, in reference to this He said: " Say: If it be that your fathers, your sons, your brothers, your mates, or your kindred; the wealth that you have gained; the commerce in which you fear a decline; or the dwellings in which you delight - are dearer to you than Allah, Or His Messenger, or the striving in His cause - then wait until Allah brings about His decision: and Allah guides not the rebellious." (At-Tawbah 24)

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

Therefore everyone whose spirit is severed from him in a state when the impulse of distaste towards Allah was in his mind and the hatred of the action of Allah was visible in his heart in respect of its effecting a separation between him and his family and his wealth and the remainder of his objects of desire, his death will be an advance upon what he loathes and a separation from what he loves, and so he will advance upon Allah as would a runaway slave who is odious, when he is brought forward to his master by force. And there is no concealing what he deserves of chastisement and punishment.

As for him who dies in a state of loving Allah, he will advance upon Allah as would the well-doing servant who longs after his master; who has endured the difficulties of actions and the toils of journeyings out of a yearning to meet him. And there is no concealing the joys and delights which he will encounter simply from his reunion, apart from what he will merit in the way of kindnesses of preferment and new benefits.

As for the second Seal which is inferior to the first and does not decree eternal punishment in the Fire, it also has two causes. One of them is the multitude of acts of disobedience, even if faith should be strong. And the other is weakness of faith, even if acts of disobedience should be few. And this is so, since the cause of the committing of acts of disobedience is the dominance of lusts and their being rooted in the heart through much usage and custom. And the recollection of everything with which a man has familiarized himself during his life returns to his heart at death. And, if his inclination, for the most part, was to acts of obedience, what is present with him will, for the most part, be the recollection of obedience to Allah. And, if his inclination, for the most part, was to acts of disobedience, the recollection of these will dominate his heart at death. And his spirit may be snatched away when some worldly lust or act of disobedience is dominant, and his heart will be shackled by it, and so it will be veiled from Allah. So the person who commits sin only occasionally is more remote from this peril, and the person who does not commit sin at all is very remote from this peril. As for the person whom acts of disobedience dominate and are more numerous than his acts of obedience; whose heart is more rejoiced with them than it is with his acts of obedience-in his case this peril is very great.

We can 'know' this by means of a parable. It consists in the fact that it is no secret to you that a man sees in his sleep the sum of the states with which he has made himself familiar during the length of his life, so that he sees only what images the objects which he has seen in waking life. So that the adolescent who has a dream will not see the picture of sexual intercourse, since he has never had intercourse in his waking life. And, if he were to remain permanently in this condition, he would not see in his dream the picture of sexual intercourse. Then it is transparent that he who has spent his life in jurisprudence will see more of

the states that are related to the science and its practitioners than the merchant who has spent his life in trade. And the merchant will see more of the states which are related to trade and its means than the physician and the jurist, because what is manifest in the state of sleep is simply that to which there has obtained a relationship with the heart through length of familiarity or some other cause. And death resembles sleep but is beyond it. Nevertheless the throes of death and the swooning which precedes it are akin to sleep, and that decrees the recollecting of what is familiar and its return to the heart.

And one of the causes which is preponderant in effecting its recollection in the heart is length of familiarity, and so length of familiarity with acts of disobedience or obedience is also a preponderant factor. And, in the same way, the dreams of those who are sound in faith are the contrary of those of rakes, and so the dominance of what is familiar is the cause, because a vicious image is pictured in a person's heart and his appetite inclines towards it, and his spirit may be snatched away in this state, and that will be a cause of the evil of his Seal, even if the root of faith remains to the extent that it gives out hope of salvation from it (the Seal). And just as what occurs in waking life only does so because of a particular cause which Allah knows, in the same way every dream has a cause in Allah. Some of them we 'know', and others we do not 'know'. Just as we know that the sensation is connected from the object sensed to its correlative, whether in respect of resemblance or contrariety or contiguity, in the sense that it (the correlative) has impinged on the attention as a consequence of it (the object sensed). With regard to resemblance in that one looks at a beautiful thing and recollects another beautiful thing. With regard to contrariety in that one looks at a beautiful thing and recollects something foul and reflects on the extreme incongruity between the two of them. With regard to contiguity in that one looks at a horse which he has seen previously with a man and recalls that man. And the sensation may perhaps be connected from one thing to another without one knowing the *rationale* of its relationship, and that can be constituted only by one middle term and two middle terms.

As, for example, when there is a connection from one thing to a second thing and from it to a third thing. Then the second thing is forgotten and there is no relationship between the third and the first, but there is a relationship between the third and the second and the second and the first. In the same way the relationships of sensations which occur in dreams have causes of this kind, and similarly in the presence of the throes of death. And bearing on this and the knowledge which is with Allah is the person whose main occupation is tailoring, for you see him inclining his head as if he would take up his needle to sew with it, and moistening his finger which is practised with the thimble, and taking the garment from above him and appraising and measuring it as if he would address himself to the cutting of it, and then reaching his hand to the scissors. And whoever is desirous of curbing what is impressed on him so as to exclude any connection with acts of disobedience and lusts-there is no way open to him except lifelong combat to wean himself from them and to throttle lusts out of the heart. And this is the power which comes under choice, and long perseverance in virtue and isolation of reflection from evil are equipment and provisions against the state of the throes of death.

For a man dies as he has lived and is gathered to judgement as he has died, and, for that reason, it is related concerning a greengrocer that he was concentrating at death on the Two Words while he was saying five, six, four, and was preoccupied with counting with which he had long familiarity before death. One of the Gnostics among the Fathers said: The Throne is a jewel blazing with light, and the creature has no state but its image is impressed on the Throne according to the form which it possesses. And, when he is in the throes of death, the form of it is revealed to him from the Throne, and it may be that he will see himself in the form of disobedience. And, in the same way, it is disclosed to him at the Day of Resurrection, and he sees the states of his soul and shame and fear surpassing description take hold of him. And what he recollects accurately and is a cause of veracious dreams is akin to that.

For the sleeper attains to what is in the future from the scrutiny of the Preserved Tablet which is one of the departments of Prophethood. And thus the evil of the Seal has been traced back to the states of the heart and the transactions of impressions, and it is Allah who is the Reverser of hearts. And the contingencies which decree the evil of impressions do not entirely come under choice, even if length of familiarity should leave its mark on them. And, in this respect, the Gnostics have a massive fear of the evil of the Seal, because, if a man desires to see in his sleep nothing but the states of those who are sound in faith, and the states of acts of obedience and worship, that is hard for him, even if he possesses a great deal of soundness and perseverance by which he may effect it. But the confusions of fantasy are not wholly amenable to control, even if, for the most part, what appears in sleep has a relationship to what is dominant in waking life.

Thus I heard Shaykh Abu Ali Al-Farmadhi describing to me that good conduct towards his Shaykh was obligatory on a novice, and that there was not to be in his heart dissent from anything that he should say, nor, in his tongue, any disputation with him. So he said: I related to my Shaykh, Abu 'l-Qasim Al-Karmani, a vision which I had and I said: I saw you saying to me: Such and such. And I said: Not so. He continued: So he (the Shaykh) cut me off for a month and did not converse with me and said: Were it not that an excess of curiosity were within you and a dissent from what I am saying to you that would not have run upon your tongue in sleep.

And it is as he said, since a man rarely sees in his sleep the contrary of what dominates his heart in his waking life, and so this is the predestination of which we make large mention in the science of the operation of the secrets of the affair of the Seal. And what is beyond that comes under the science of disclosure. And it has been made clear to you by this that security from the evil of the Seal would consist in your seeing all things as they are in themselves without ignorance, and your being successful all your life in obeying Allah without disobedience. Consequently, if you know that that is absurd or difficult, the fear which prevailed over the Gnostics will inevitably prevail over you, so that your weeping and wailing will be prolonged on this account, and your grief and anxiety will be permanent because of it, just as we shall relate concerning the states of the prophets and the Fathers who were sound in faith, that it may be one of the

causes which will excite the fire of fear in your heart.

And you 'know' for certain by this that the actions of a lifetime are all perishable, if the best of which it partook is not secured within the soul at the exit of the spirit, and that its safety in company with the commotion of the waves of impressions is very dubious. And, for that reason, Mutarrif Ibn `Abd Allah used to say: Truly I do not wonder at the man who perishes how he perishes, but I wonder at the man who is saved how he is saved. And, for that reason, Hamid Al-Laffaf said: Whenever the angels bring up the spirit of a creature who is a believer and has died in (a state of) virtue and Islam, the angels wonder at him and say: How was this man saved from a world in which the best of us were corrupted? And Ath-Thawri was weeping on a certain day and it was said to him: What are you weeping about ? So he said: I have wept for my sins for some time and now I am weeping for Islam.

And, in sum, he whose ship chances on a fathomless sea with tempestuous winds assailing him and the waves in commotion is more remote from salvation than from perishing; and the heart of the believer is in a more intense commotion than the ship, and the waves of impressions have a greater impact than the waves of the sea. And the thing dreaded at death is simply the impression of an evil whose occurrence is unique and this is the thing of which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" spoke: Truly let a man do the work of the People of the Garden for fifty years, so that between him and the Garden there remains but the time between two milkings of a she-camel, then he will receive the Seal according as the Book has predestined. And the time between two milkings of a she-camel does not leave room for actions which determine his reprobation. No; it is the impressions which produce commotion and which are impressed with the speed of forked lightning. And Sahl said: I beheld as if I were ushered into the Garden and I saw three hundred prophets and so I asked them: What was the thing that caused you most fear in this world? They said: The evil of the Seal.

And, because of this great peril, martyrdom was coveted and sudden death detested. Sudden death, because it may happen along with the dominance of an evil impression and its mastery over the heart; and the heart is not isolated from the like of it, except it repels (it) through repugnance or the light of 'knowledge'. Martyrdom, because it is an expression for the snatching away of the spirit in a state when there remains in the heart nothing but the love of Allah, with the exit from the heart of the love of the world and family and wealth and children and every lust, since a man does not leap into the front-line disposing himself for death, except out of love to Allah and in the quest after the satisfaction which is from Him, exchanging his present world for his after-life and being satisfied with the bargain which Allah has made with him. For He said: "Allah has purchased from the believers their souls and goods at the price of their possession of the Garden." (At-Tawbah 111)

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴿١١١﴾ ﴾

And the seller has, no doubt, taken a dislike to the object sold, and the love of it is expelled from the heart and the exclusive love of the exchange

sought is in his heart. And the like of this circumstance may prevail over the heart in certain states, but the expiry of the spirit does not occur during them. And the front-line is a cause of the expiry of the spirit in a circumstance which resembles this. This is so in respect of whoever is not aiming at dominion and booty and renown for bravery. For whoever is in this state, even if he were killed on the battle-field, is remote from the like of this rank, as the traditions have indicated.

And, since the meaning of the evil of the Seal and its fearful character have been expounded to you, occupy yourselves in making ready for it and persevere in the recollection of Allah, and expel from your heart the love of the world, and guard your members against the doing of disobedience, and your heart from reflecting on it. And be vigilant against witnessing acts of disobedience and witnessing those who practise them with all your might, for that also will leave its trace in your heart and thoughts, and impressions will veer off towards it. And beware lest you procrastinate and say: I shall prepare for it, when the Seal comes, for every single breath is your Seal, since it is possible that your spirit may be snatched away in the course of it. So watch over your heart in every twinkling of the eye, and beware lest you neglect it for an instant and so that instant may be your Seal, since it is possible that your spirit may be snatched away in the course of it. This, as long as you are awake, and with regard to when you are asleep, take care not to go to sleep except in a state of outward and inward purity and that sleep overcomes you only after the dominance of the recollection of Allah over your heart. I am not saying over your tongue, for the movement of the tongue by itself is weak in its effect.

Know as conclusive that what dominates your heart at the moment of sleep is only what was dominant over it before sleep, and that nothing is dominant in the course of sleep which was not dominant before sleep, and that nothing is awakened from your sleep except what was dominant over your heart during your sleep. And death and resurrection resemble sleep and awakening. And as the creature does not go to sleep in a state other than that which was dominant over him in his waking life and is not awakened in a state other than that in which he was during his sleep, similarly a man dies as he has lived and is gathered (to judgement) as he has died. And it is conclusively verifiable and indubitable that death and resurrection are two of your states just as sleep and waking are two of your states. So believe in this, affirming its truth with the assent of the heart, if you are not a party to the seeing of it with the eye of certainty and the light of insight. And conserve your breaths and glances and see to it that you are not neglectful of Allah for the twinkling of an eye. For, if you do all that, you are, in spite of it, in great peril, and how, if you do not do it ? And all men are perishable except the theorists, and the theorists are all perishable except they are practitioners, and the practitioners except they are elect, and the elect are in great peril.

And know that this will not expedite for you what you have not satisfied from this world according to your necessity. And your necessity is food and clothing and dwelling, and the remainder, all of it, is superfluous. And the food which is necessary is what will straighten your back and support your

subsistence, and you must obtain it as a distasteful necessity, and your liking for it is not to be more than your liking for what your need decrees, since there is no distinction between inserting food into the stomach and its expulsion, and both are constitutional necessities. And just as what your need decrees is not something which occupies your concern and with which your heart is engaged, so the obtaining of food must not be part of your concern. And know that, if your concern is with what enters your stomach, your standard of value is what is expelled from your stomach. And, if your purpose in eating is nothing but piety in the worship of Allah, as is your purpose in what your need decrees, the mark of that appears in three matters. From what you eat, in respect of frequency, quantity and quality. With regard to frequency the least is that one should make do with a single meal during a day and night and should persevere in fasting. With regard to quantity that one should not exceed one third of the stomach's capacity; and with regard to quality that one should not seek after culinary pleasures. No; one should be satisfied with whatever chances (to be available). So, if you have power over these three items and the burden of lusts and pleasures falls off from you, you will have power thereafter to forsake equivocal items and it will be easy for you not to eat anything except what He has made permissible; for what is permitted is rare and does not fulfill all that is desired.

With regard to your clothing let your aim in respect of it be the repelling of heat and cold and the covering of nakedness, and everything that repels cold from your head, even if it be a cap worth a farthing. Your seeking other than this is superfluous to you and your time is wasted in it. It will entail for you constant labour and unremitting care in obtaining it, in acquiring on one occasion and yearning after on another what is forbidden and dubious. So take as your measurement in this matter that by which heat and cold are repelled from your body, and so everything which attains to the purpose of clothing. If you are not satisfied with it in the meagerness of its quantity and quality, you will have no halting-place nor point of return thereafter. No; you will be numbered with the man whose stomach nothing but dust will fill.

And similarly for a dwelling, if you are content with its purpose heaven will suffice you as a roof and the earth as a couch. For, if heat or cold overtakes you, there are mosques for you to shelter in. For, if you seek after a specific dwelling, it will be a long business for you, and the most of your life will be spent in it, and your life is your merchandize. Then, if you are prosperous, you will purpose that the wall should do more than afford you privacy and that the roof should do more than repel the rains, and so you will begin raising the walls and adorning the ceilings, and you will have been hurled into a chasm which it will take you a long time to climb out of.

And thus with all the necessary aspects of your affairs, if you confine yourself to them, you will have time to devote to Allah and will be able to lay in provisions for your after-life and to prepare for your Seal. And, if you go beyond the limit of what is necessary to the wadies of things desired, your concentration will be distracted and Allah will not be concerned in which wady He destroys you. So offer this advice to whoever is more in need of it than yourself.

And know that the space for estimating and provisioning and taking precautionary measures is this short life, so, if you defer it day after day in your procrastination or neglect, sudden death will snatch at a time other than you would wish, and your regret and repentance will never leave you. So, if you were not able to maintain contact with that towards which you were pointed through the weakness of your fear (since in what we have described of the affair of the Seal there was not sufficient to make you afraid), we shall cite for you concerning the states of those who fear what, we hope, will remove some of the hardness from your heart. For you will admit as true that the intellect of the prophets and saints and scholars, together with their actions and their status with Allah, were not inferior to your intellect and actions and status. So reflect on their states, in spite of your impaired insight and the defectiveness of the eye of your heart, why fear was intense within them and grief and weeping protracted in them, so that some of them would swoon, some be beside themselves, some collapse in a faint, and some fall to the ground dead. And it is nothing to wonder at, if that were to make no impression on your heart, for the hearts of the negligent are like stones or even harder, "for there are some stones from which rivers come gushing, and some have been split, so that water emerges from them, and some which crash down out of fear of Allah. Allah is not heedless of what you do." (Al-Baqarah 74)

﴿ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾

CHAPTER 7

EXPOSITION OF STATES OF PROPHETS AND ANGELS IN RESPECT TO FEAR

A'ishah related that whenever the air was stirred and a tempestuous wind blew, the countenance of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" would alter and he would rise up and pace up and down the room and would go in and out. All that because of the fear of the chastisement of Allah. And he (Muhammad) Allah s blessing and peace be upon him recited a verse from the Surah of Al-Waqi'ah and then he swooned. And Allah said: "And Moses fell in a swoon." (Al-A'raf 143)

﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴿١٤٣﴾ ﴾

And the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saw the form of Gabriel at Abtah , and fell in a swoon. And it is related that when he (Gabriel) engaged in prayer, there was heard in his breast a bubbling like that of a cauldron. And he (Muhammad) Allah s blessing and peace be upon him said: Gabriel never came to me but he was trembling because of his separation from the Almighty.

And it was said: When the news about the Devil was made public, Gabriel and Michael began to weep and Allah spoke in revelation to them both: What is the matter with the two of you that you are indulging in all this weeping? So they said: O Lord, we are not secure from Your stratagems. So Allah said: Thus it is,

you are not secure from My stratagems. And according to Muhammad Ibn Al-Munkadir who said: When the Fire was created, a troop of angels flew up from their places, and, when the sons of Adam were created, they returned. And according to Anas he (Muhammad) asked Gabriel: Why is it that I do not see Michael laughing? So Gabriel said: Michael has not laughed since the Fire was created. And it is said: Truly in Allah's service are angels none of whom has laughed since the Fire was created for fear that Allah would be enraged against them and would punish them for it.

And Ibn `Umar said: I went out with the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" until he entered one of the enclosures of the Helpers and began to pluck fruit from a palm tree and eat. So he said: O Ibn `Umar, why are you not eating? So I said: O Messenger of Allah, I do not desire it. So he said: But I desire it, and this is the fourth morning I have not tasted food nor found it; and, if I were to ask my Lord, He would give me the Kingdom of the Caesars and Khosraus. So how is it with you, O Ibn `Umar, since you have remained among a crowd who lay in their stocks for the year, while assurance is weak in their hearts? He (Ibn `Umar) said: And, by Allah, we did not stir nor rise up until it was revealed: "How many a beast bears not its own provision, but Allah provides for it and you! He is the One who hears and knows." (Al-Ankabut 60)

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾

He said: So the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: Truly Allah has not commanded you to hoard up wealth nor to follow lusts. Whoever hoards dinars desires thereby the life that passes away, for life is in the hand of Allah. I most certainly will not hoard either dinars or Dirhams or lay up stocks for the morrow.

And Abu Ad-Darda' said that the bubbling of the heart of Abraham, the Friend of the Merciful, through fear of his Lord, was heard at the distance of a mile, when he engaged in prayer. And Mujahid said: David wept for forty days prostrate in worship, without lifting his head, so that the pastures sprouted because of his tears and his head was covered over. So he was addressed: O David, are you hungry? If so, you may eat. Are you thirsty? If so, you may drink. Are you naked? If so, you may be clothed. Then he wept so bitterly that he energized the lute, and he was burnt up with the heat of his fear. Then Allah revealed to him repentance and pardon and he said: O Lord, set my sin in my palm. So his sin was inscribed on his palm, and he did not extend his palm for food and drink or for any other purpose without seeing it, and it made him weep. He (the narrator) continued: And he was brought a bowl two thirds full, and, when he took it, he saw his sin, and would not put it to his lip until it overflowed with his tears. And it is told of him that he had not raised his head to heaven up till the time of his death out of reverence for Allah. And he used to say in his supplication: O Allah, when I recollect my sin, the earth, for all its breadth, hems me in, and, when I recollect Your mercy, my spirit is restored. Praise be to You O Allah, the physicians among Your creatures have come that they may nurse to health my sin, and they all point me to You. So may reprobation overtake them

who despair of Your mercy.

And Al-Fudail said: I have heard that David recollected his sin on a certain day and bounded away shrieking, with his hand laid on his head, until he reached the mountains. And the wild beasts gathered to him and he said: Return, I do not desire you. My only desire is for the person weeping because of his sin. So let no one confront me except weeping, and whoever is not a sinner let him not contrive sin for David. And he was chided for his prolific weeping and so he said: Leave me alone. I am weeping before the exit of the day of weeping, before the tearing apart of the bones and the burning of the intestines, and before the angels ordain severe penalties for me. They do not disobey Allah in respect of what He commands and they perform what they are commanded. And Abd-Al-Aziz Ibn Umar said: Whenever David committed a sin, his voice was diminished and he said: O Lord, my voice is hoarse among the pure voices of the *Sincere.* And it is reported that, whenever he wept for a long time and it did not benefit him, his power was straitened and his perplexity intensified and he would say: O Lord, will You not pity my weeping? And Allah revealed to him: O David, you have forgotten your sin and remembered your weeping. So he said: My Allah and my Master, in what way do I forget my sin ? And yet, when I recited the psalms, the running water desisted from its flow, and the blowing of the wind was stilled, and the birds furnished shade to my head, and the wild beasts were intimates at my palace. O my God and my Master, what then is this alienation which is between me and You? And Allah revealed to him: That was the intimacy of obedience and this is the alienation of disobedience. O David, Adam was one of My creatures. I created him with My hand and I breathed into him of My spirit and I made My angels do obeisance to him; and I clothed him in the robe of My preferment, and I crowned him with the unique crown of My dignity and image, and I gave him to wife Eve, My handmaid, and settled him in My Garden. He disobeyed Me, and so I expelled him from My precincts naked and abased. O David, listen to Me and I shall speak the truth. You obeyed Us and We obeyed you; you asked Us and We gave to you; and you disobeyed Us and We showed forbearance to you. And, if you return to Us in your former state, We shall receive you.

And Yahya Ibn Abu Kathir said: I have heard that it was David's custom when he desired to engage in weeping to pass the time for seven days beforehand neither eating food nor taking drink, nor approaching women. And, when it was a day beforehand, the pulpit was brought out to him to the desert, and he commanded Solomon to cry out with a voice that would cross the countryside and its environs of thickets and hills and mountains and deserts and monastic cells and churches And in it he proclaimed: Are there not those who desire to hear David's wailing for himself ? Let them then come along. He went on: And the wild beasts come from the deserts and the hills and the lions from the thickets and the reptiles from the mountains and the birds from the nests and the virgins from their bowers. And the people assemble for that day and David comes to ascend the pulpit, and the children of Israel surround him, and every kind according to its class surrounds him, and Solomon stands by his side.

So David launches into an encomium of his Lord and breaks into weeping and shrieking. Then he launches into the recollection of the Garden and the Fire, and the reptiles die together with a group of the wild beasts and the lions and the people. Then he launches into the terrors of the Day of Resurrection and into wailing over himself and a group of every class dies. And, when Solomon saw the large numbers of the dead, he said: O father, you have decimated your audience. They are all decimated and sections of the children of Israel and of the beasts and reptiles have died. So he launches into petition, and, while he is in this posture, one of the devotees of the children of Israel calls out to him: O David, you are over-hasty in seeking your reward from your Lord. He went on: And David falls in a swoon, and, when Solomon noted what had overtaken him, he brought a mattress and carried him on it. Then he commanded someone to call out: Is there not someone who had a friend or relative with David? Let him then bring a mattress and carry him off, for the recollection of the Garden and the Fire has killed those who were with him. So a woman would bring a mattress and would bear away her relative saying: O you whom the recollection of the Fire has killed. O you whom the fear of Allah has killed. Then, when David revived, he stood up and placed his hand on his head and entered his chapel and locked its door, saying: O Allah of David, are You angry with David? And he communed ceaselessly with his Lord. So Solomon arrives and squats at the door and asks for permission to come in. Then he enters and has with him a barley bannock and he says: O father, build up your strength with this according as you desire. So he eats of that cake what Allah wills and then he goes out to the children of Israel and is in their midst.

And Yazid Ar-Raqishi said: David went out among the people on a certain day to preach to them and inspire fear in them. And about forty thousand went out and thirty thousand of them died and only about ten thousand returned. He went on: And he had two slave girls whom he had appointed, so that, when fear came to him and he collapsed and was agitated, they squatted on his breast and legs for fear that his limbs and joints would be dismembered and he would die.

And Ibn `Umar said: John, the son of Zachariah , went into the Jerusalem temple (he was a lad of eight years) and looked at their devotees who were clad in shirts of hair and wool; and he observed their zealots who had bored through their clavicles and inserted chains in them, and fastened themselves to the extremities of the temple. And that filled him with awe. So he made to return to his parents and passed by two lads at play and they said to him: O John, come and play with us. So he said: Truly I was not created for play. He went on: So he came to his parents and asked them to clothe him in hair and they did so, and he returned to the temple, and served in it by day and kept the lamps trimmed by night, until he attained his fifteenth birthday.

Then he went out and haunted the lofty mountains and subterranean paths of the earth. So his parents went out in search of him and they overtook him by the river Jordan, and he had soaked his feet in the water until the thirst was almost killing him, saying the while: By Your Might and Majesty, I will not taste a cool

drink, until I know where I stand with You. So his parents asked him to breakfast on a barley bannock which they had with them and to drink some of that water. So he did it and made expiation for the breaking of his oath and commended filial piety.

Thus his parents brought him back to the temple, and, when he stood praying, he used to weep so that the trees and clods would weep with him, (and Zachariah would weep because of his weeping) until he (John) would go into a faint. And he would weep without remission so that the tears pierced the flesh of his cheeks and his molars were visible to the onlookers. So his mother said to him: O my son would that you would permit me to fetch for you something to cover up your molars from those who look on! So he gave her permission and she procured two pieces of felt and stuck them to his cheeks. So it came about that, whenever he got up to pray, he wept, and, when his tears saturated the two pads, his mother came to him and wrung them out ; and, when he saw his tears flowing over his mother's forearms, he said: O Allah, these are my tears and this is my mother and I am Your creature, and of those who are merciful You are the most merciful. So Zachariah said to him one day: My son, I have asked my Lord to bestow you on me, that my eyes might be refreshed with you. So John said: O my father, Truly Gabriel has reported to me that between the Garden and the Fire there is a desert which only those who weep will cross. So Zachariah said: O my son in that case weep on.

And the Messiah said: O band of disciples, the fear of Allah and the love of Paradise produce patience in the face of difficulty and keep you at a distance from the world. In truth I say to you: Surely the eating of barley and sleeping on middens with the dogs is a small price in the quest for Paradise. And it was said: Whenever the Friend recollected his sin, he went into a faint and the commotion of his heart would be heard for miles. Then Gabriel would come and say to him: Your Lord greets you with peace and says: Do I see a friend who fears his Friend? So he would say: O Gabriel, truly, when I recollect my sin, I forget my friendship.

So these are the states of the prophets and see to it that you reflect on them, for they are the most 'knowledgeable' of Allah's creatures concerning Allah and His attributes. May Allah's blessing be on them all and on all the creatures of Allah who are brought near. And our sufficiency is Allah and the grace of the Trustee.

CHAPTER EIGHT

EXPOSITION OF STATES OF COMPANIONS, THEIR FOLLOWERS AND THE RIGHTEOUS PREDECESSORS AND THOSE ENDUED WITH FAITH IN THE GRIP OF FEAR

It is related that Abu Bakr, the *Sincere,* said to a bird: Would that I were like you, O bird, and had not been created as human flesh. And Abu Dharr said: Would that I were a tree which is pruned. And Talhah said a similar thing. And `Uthman said: Would that, when I died, I were not raised. And `A'ishah said:

Would that I became a thing forgotten. And it is related that `Umar used to collapse in a faint through fear, whenever he heard a verse from the Qur'an and was restored after some days. And one day he took up a straw from the ground and said: Would that I were this straw; would that I did not remember anything; would that I were a thing forgotten; would that my mother had not borne me. And on 'Umar's face were two black furrows made by tears and he said: Whoever fears Allah, will not heal his distress, and whoever has reverence for Allah, will not do what he desires, and were it not for the Day of Resurrection, it would be other than what you see. And, whenever `Umar recited: " When the sun (with its spacious light) is folded up; When the stars fall, losing their luster; When the mountains vanish (like a mirage); When the she-camels, ten months with young, are left untended; When the wild beasts are herded together (in human habitations); When the oceans boil over with a swell; When the souls are sorted out, (being joined, like with like); When the female (infant), buried alive, is questioned, For what crime she was killed; When the Scrolls are laid open", (At-Takwir 1-10)

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝
وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ
۝ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝ ﴾

He fell in a faint. And he passed by the home of a man one day and he was praying and reciting the Surah At-Tur, and he stopped to listen, and, when he reached His saying: "Surely your Lord's chastisement is about to fall; there is none to avert it" (At-Tur 7-8)

﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝ ﴾

He came down from his ass and leaned against a wall and stayed for some time, and returned to his lodging and was ill for a month, with the people visiting him and not knowing what had made him ill.

And Ali said (he had said the salutation at the close of the dawn prayer and sorrow came on him while he was upturning his hand): Truly I have seen the Companions of Muhammad Allah s blessing and peace be upon him and I have not seen anything to-day resembling them. Truly they got up in the morning dishevelled, pallid, with dust between their eyes like a funeral cortege. They had devoted the night to Allah, prostrate and erect, reciting the Book of Allah, alternating between their foreheads and their feet. And, when they got up, they recollected Allah and swayed like trees in a day of gale, and their eyes were swamped with tears, so that their garments were damp. And by Allah! it is as if I were among a crowd who pass the night in heedlessness. Then he stood up and after that he was not seen laughing, until Ibn Miljam struck him.

And `Imran Ibn Hussain said: Would that I were ashes, then the wind would scatter me in a day of gale. And Abu 'Ubaidah Ibn Al-Jarrah said: Would that I were a ram and my family slaughtered me and ate my flesh and sipped my gravy. And it used to be the case with `Ali Ibn Al-Hussain that, whenever he performed his ablutions, his colour became pallid and his family would say to him: What is

this that has become habitual with you, whenever you perform your ablutions? So he would say: Do you know before Whom I am minded to stand? (in prayer) And Musa Ibn Mas'ud said: Whenever we granted an audience to Ath-Thawri, we were as if the Fire had surrounded us in respect of what we saw of his fear and grief. And Mudar, the Reader, recited on a certain day: "This Our Record speaks about you with truth: for We were wont to put on record all that you did." (Al-Jathiyah 29)

﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

And `Abd Al-Wahid Ibn Zaid wept until he swooned; and, when he revived, he said: By Your Might, I have never disobeyed You so far as in me lies, so assist me with Your furtherance that I may obey You.

And Al-Miswar Ibn Makhramah used to be unable to hear anything of the Qur'an on account of the intensity of his fear. And there had been recited in his presence a word and a verse and he gave a shriek and was not mentally composed for days afterwards, until a man from Khath'am came upon him and recited to him: " The day We shall gather the righteous to (Allah) Most Gracious, like a band presented before a king for honours. And We shall drive the sinners to hell, like thirsty cattle driven down to water." (Maryam 85-86)

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾

So he said: I am among the sinners and not among those who show piety. Repeat the saying to me, O Reader. So he repeated it to him and he gave his last gasp and reached the next world. And there was recited in the presence of Yahya Al-Bakka': "Were you to see when they are halted by their Lord." (Al-An'am 30)

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ ﴿٣٠﴾ ﴾

And he gave a shriek and remained ill because of it for the space of four months, being visited from every corner of Basra.

And Malik Ibn Dinar said: I was circumambulating the House, when I came upon a little slave girl performing her devotions and clinging to the curtains of the Ka'bah, while she said: O Lord, how many a lust there is whose pleasure has departed, and whose consequences have remained! O Lord, do You not possess any other correction and punishment save the Fire? And she was weeping and maintained her posture until dawn broke. Malik said: So, when I saw that, I placed my hand on my head, shrieking: I am saying may his mother be bereft of Malik! And it is related that Al-Fudail was seen on the day of 'Arafat, and the people were praying and he was weeping the burning hot tears of a woman bereaved, until, when the sun had almost set, he seized hold of his beard; then he raised his head to heaven and said: O woe is me with You , even if You are forgiving. Then he joined himself to the people. And Ibn 'Abbas was asked about those who fear, so he said: Their hearts are ulcerated by fear and their eyes are tearful. They say: How can we rejoice while death is behind us and the grave before us and the resurrection our rendezvous and our route is by Hell and in front of Allah our Lord is our halting place ?

And Al-Hassan passed by a youth who was engulfed in his laughter, and he was sitting in the company of a crowd. So Al-Hassan said to him: Have you crossed over the Bridge? He said: No. He said: Do you know whether your trend is towards the Garden or the Fire? He said: No. He said: What then does this laughter mean ? He (the narrator) said: And that youth was not seen laughing thereafter. And it was the custom of Hammad Ibn Abd Rabbih when he sat down to sit on his haunches. And it was said to him: I wish you would relax. So he would say: That is the posture of security and I am anything but secure, since I have disobeyed Allah. And `Umar Ibn Abd Al-Aziz said: It was for nothing but considerations of mercy that Allah set this negligence, in the hearts of the creatures, in order that they might not die for fear of Allah. And Malik Ibn Dinar said: Certainly I have been concerned lest, when I die, He will command them to shackle and manacle me; then they will bear me off to my Lord just as the runaway slave is borne off to his master.

And Hatim Al-Asamm said: Do not be deceived by a salubrious place, for there is no place more salubrious than the Garden and Adam met his deserts in it. And do not be deceived by the multiplication of worship, for the Devil met his deserts after the length of his worship. And do not be deceived by much knowledge, for Balaam (cf. Nu. xxii f.) used to adorn the Greatest Name of Allah and see what he encountered. And do not be deceived by the vision of the sound in faith, for there is no person of greater standing with Allah than the Elect 1 (Muhammad) and neither relations nor enemies were benefited by his encounter (with Allah).

And as-Sari said: Truly I look at my nose several times every day for fear that my face may have been blackened. And Abu Hafs said: For forty years my belief concerning myself has been that Allah will direct to me a look of severe displeasure and my deeds point towards that. And Ibn Al-Mubarak went out among his companions on a certain day and said: Truly I took a liberty yesterday with Allah. I asked Him for the Garden. And Umm Muhammad Ibn Ka'b Al-Qarzi said to her son: O my boy, truly I know you as a good child and a virtuous adult, but what you do with your nights and days makes it look as if you had inaugurated a pernicious heresy. So he said: O Mother, what will make me secure from Allah having come suddenly on me while I was engaged in one of my sins, so that He has taken a loathing to me and said: By My Might and Majesty! I will not pardon you. And Al-Fudail said: Truly I do not covet the prophet who is sent or the king who is preferred or the creature who is sound in faith. Will not these encounter the resurrection ? The only person whom I covet is he who was not created. And it is recorded that the fear of the Fire entered a stripling among the Helpers, and he was weeping to such an extent that it detained him in the house. So the Prophet came and went in to him and embraced him and he fell dead. So he said: Prepare your companion for burial, for separation from the Fire has crushed his liver.

And it is recorded concerning Ibn Abu Maisarah that whenever he retired to his bed he would say: O that my mother had not borne me! So his mother said to him: O Maisarah, truly Allah has made a good job of your guidance towards

Islam. He said: Granted, but Allah has made clear to us that we are those who go down to the Fire, and He has not made clear to us that we shall come up from it. And it was said to Al-Farqad as-Sabakhi: Tell us the most wonderful thing you have heard concerning the children of Israel. So he said: I have heard that five hundred virgins entered the Jerusalem temple, their attire being wool and hair-cloth; and they were recollecting Allah's reward and punishment, and all of them died in a single day.

And Ata' As-Sulami was one of those who fear and he would never ask Allah for the Garden; all he would ask for was forgiveness. And it was said to him during his illness: Do you not desire anything? So he said: Surely, fear of Hell has not left a place in my heart for desire. And it was said: Truly he did not lift his head to heaven nor laugh for forty years, and he raised his head one day and was stricken with fear and collapsed, and a slit was made in his stomach. And he would feel his body on certain nights for fear that he had been metamorphosed. And whenever a gale or lightning struck them or dearness of food, he would say: This is striking them on my account, would that Ata' were dead for the relief of the people. And Ata said: We went out with 'Utbah, Al-Ghulam, and in our company were adults and adolescents, to pray the dawn prayer with the sunset purification. Their legs had become swollen through their long stand, their eyes were sunken in their heads, their skin stuck to their bones, and their veins stood out as if they were whipcords. They became as if their skins were the rinds of water melons and as if they had come out from the grave to report how Allah preferred the obedient and deposed the disobedient. So, while they were going along, one of them passed by a certain place and he fell in a faint and his companions sat round him weeping on a day when the cold was intense. And his forehead was dripping sweat, so they brought water and wiped his face and he recovered. And they asked him about his experience, so he said: Truly I remembered that I had disobeyed Allah in that place.

And Salih Al-Murri said: I recited to a man who was one of the devotees: "On the Day when their faces will be turned about in the Fire, they will say: 'Lo! Would that we had obeyed Allah and the Messenger." (Al-Ahzab 33)

﴿ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾

So he fell in a swoon. Then he revived and said: Give me more of it, O Salih, for I find it perplexing. So I recited: "Whenever they wish to come out of it, they will be sent back into it." (As-Sajdah 20)

﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا ﴾

So he fell dead. And it is reported that Zurarah Ibn Abu Awfa led the people in the morning prayer, and, when he recited: "When the Trumpet is sounded" (Al-Muddaththir 8)

﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴾

He fell in a faint and was carried away a corpse. And Yazid Ar-Raqishi came into the presence of `Umar Ibn `Abd Al-`Aziz and he (`Umar) said: Preach to me, O Yazid. So he said: O Commander of the Faithful, know that you are not

the first Caliph to die. So he wept. Then he said: Give me more. He said: O Commander of the Faithful, there is no ancestor between you and Adam who is not a corpse. So he wept. Then he said: Give me more, O Yazid. So he said: O Commander of the Faithful, there is no lodging between you, and the Garden and the Fire. So he collapsed in a faint.

And Maimun Ibn Mahran said: When this verse was revealed: "Surely the Hell will be the promised land for them all", (Al-Hijr 43)

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

Salman, the Persian, gave a shriek and placed his hand on his head and went out as a fugitive for three days during which they could not contain him. And Dawud Aţ-Ta'i saw a woman weeping over the head of her son's grave, while she said: O my son, would that I knew whether or not the worm has bitten you with its industrious nibble. And Dawud went into a swoon and fell on the spot.

And it was said: Sufyan Ath-Thawri was ill and his symptoms were disclosed to a Dhimmi physician (non-Muslim living under Muslims' safety) and he said: Fear has severed the liver of this man. And he came and felt his arteries and said: I did not know there was his like in the Muslim community. And Ahmad Ibn Hanbal said: I asked Allah that He would give access to a gate of fear, so He opened up and I was afraid for my reason and said: O Lord, according as I can bear it. So my heart was quietened. And `Abd Allah Ibn `Amr. Ibn Al-As said: Weep and, if you cannot weep make pretence of weeping. By the One in whose hand my soul is, if any of you knew (what was in store) he would scream until his voice was cut off and would pray until his back was broken. And it is as if he pointed to the meaning of his (Muhammad's) saying: If you knew what I know, you would laugh little and weep much.

And Al-`Anbari said: The Masters of Tradition were assembled at the gate of Al-Fudail Ibn 'Iyad and he came suddenly into their view at a window. He was weeping and his beard was quivering and he said: Get down to your Qur'an and to prayer. Woe unto you, this is not a time for traditions. This is a time for nothing but weeping and entreaty and humility and prayer like that of a drowning man. Guard your tongue and preserve your mobility and discipline your heart and hold on to what you 'know' and let go what you abhor. And Al-Fudail was seen walking on a certain day and it was said to him: Whither bound? He said: I do not know. And he was walking about dejected with fear.

And Dharr Ibn 'Amr said to his father 'Amr Ibn Dharr : Why is it that the theologians discourse and no one weeps, whereas, when you discourse, I hear weeping on every side? So he said: O my son, the weeping of the bereaved mother is not like the weeping of the woman who is hired. And it is related that a crowd of people halted by a devotee who was weeping and they said: What is it that makes you weep? May Allah have compassion on you. He said: An ulcer which those who fear find in their heart. They said: And what is it ? He said: The fear of the summons for presentation to Allah. And Al-Khawas used to weep and say in his supplication: I am lifted up in pride and my flesh is too weak to serve You, so embrace me.

And Salih Al-Murri said: Ibn as-Sammak came up to us once and said: Show me something of the marvels of your devotees. So I brought him to a man who was in his hut in a certain quarter of the town, and we asked permission to enter, and behold! a man who was working with palm fronds and I recited to him: " When the yokes (shall be) round their necks, and the chains; they shall be dragged along; In the Boiling fetid fluid; then in the Fire shall they be burned." (Ghafir 71-72)

﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

The man gave a gasp and fell in a faint and we went out from his presence and left him in this state. And we went off to another man, and we entered in to him and I recited this verse and he gave a gasp and fell in a faint. So we went off and asked permission to go in to a third man and he said: Enter, if you will not distract me from my Lord. So I recited: "That is for him who fears My judgement-seat and fears a threat." (Ibrahim 14)

﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾

And he gave a gasp and blood appeared from his nostrils and he wallowed in his blood until it was dried up. So we left him in this state and went out, and I took him on a tour of six persons, from the presence of each we went out, leaving him in a faint. Then I brought him to the seventh and we asked permission to enter and behold! a woman from within the hut saying: Enter. So we entered and behold! a Shaykh in a trance, sitting in his oratory. So we greeted him, but he did not notice our salutation, and so I said to him in a raised voice: Is there not a morrow appointed for the creature? So the Shaykh said: In whose Presence? Alas! for you. Then he remained stupefied, opening his mouth and, with a fixed stare, crying out with his weak voice: Alas! Alas! until the voice was cut off. So his wife said: Make your way out, for you will not benefit from him for the moment. And, when that was over, I enquired of the people, and behold! three had revived and three had attained to Allah. And as for the Shaykh he remained in his condition, dazed and bewildered, for three days, without performing a religious obligation, and, when the three days had passed, he came to his senses.

And Yazid Ibn Al-Aswad used to be of the opinion that he was one of the Foundation Members, and he had sworn that he would never laugh nor sleep in a recumbent position, nor eat butter. So he was never seen laughing nor lying down nor eating butter until he died. And Al-Hajjaj said to Sa'd Ibn Jubair: I have heard that you have never laughed. So he said: How could I laugh with Hell ablaze and the manacles installed and the Warders of Hell given their assignment? And a man said to Al-Hassan : O Abu Sa'd: How do you fare? He said: Well. He said: How is your state? So Al-Hassan smiled and said: You ask me about my state. What do you suppose concerning people who have travelled in a ship until they were in mid-ocean, and then their ship is broken up and every man of them takes hold of a spar. In what state is he? The man said: In a state of great extremity. Al-Hassan said: My state is one of greater extremity than theirs.

A woman client went in to `Umar Ibn `Abd Al-'Aziz and greeted him. Then she took up her stance towards the oratory in his room and she prayed in it with two bows and her eyes conquered her and she was lulled to sleep and was induced to weep in her sleep. Then she was roused and said: O Commander of the Faithful, by Allah! I have seen a miracle. He said: And what was it ? She said: I saw the Fire and its flames were licking its people. Then a bridge was brought and was placed over the centre of it. So he said: Go on. She said: And `Abd Al-Malik Ibn Marwan was brought and was borne on it, and he had gone only a little way when the bridge capsized him and he was flung into Hell. So `Umar said: Go on. She said: Then Al-Walid Ibn `Abd Al-Malik was brought and he was borne on it, and he had gone only a little way when the bridge capsized him and he was flung into Hell. So `Umar said: Go on. She said: Then Sulaiman Ibn `Abd Al-Malik was brought and he had progressed only a little way over it when the bridge capsized him and he was thrown in the same way. So `Umar said: Go on. She said: Then you were brought and by Allah! O Commander of the Faithful-then `Umar gave a shriek and fell in a faint. So she came up to his side and began shouting in his ear: O Commander of the Faithful, truly I saw you and by Allah! you were saved, truly I saw you and by Allah! you were saved. He (the narrator) went on: And she was calling out and he was shouting and scraping the ground with his feet.

And it is related that Uwais Al-Qarni used to be present with the story-teller and would be weeping because of his word, and when he recollected the Fire, Uwais would give a scream; then he would rise up and make off. So the people would follow him saying: Mad! mad! And Mu'adh Ibn Jabal said: Truly the fear of the believer is not quietened until he leaves behind him the Bridge of Hell. And Tawus used to roll out his mattress and lie down and toss about like a seed in the frying-pan. Then he would leap up and fold it up and would face the Qiblah until morning and would say: The recollection of Hell has dispersed the sleep of those who fear. And Al-Hassan Al-Basri said: A man emerges from the Fire after a thousand years. O that I were that man. And he said that solely on account of his fear of eternal punishment and the evil of the Seal. And it is related that he did not laugh for forty years. He (the narrator) went on: And when you saw him squatting, your impression was as if a prisoner had come forward in order that you might strike off his neck. And when he spoke, it was as if he were confronting the next world and were reporting on its sights. And when he was silent, it was as if the Fire were kindled between his eyes. And he was chided for the extremity of his grief and fear, so he said: What makes me secure from Allah having come suddenly on me, while I was engaged in something which He abhors, and His having taken a loathing to me and said: Be off, for I will not pardon you, since I am dealing with a person who will not co-operate ?

And on the authority of Ibn as-Sammak who said: I preached on a certain day in a meeting and a youth in the crowd stood up and said: O Abu `Abbas, truly you have preached to-day such a word that I should not care were I never to hear another. I said: And what is it? He said: Your saying: The hearts of those who fear have grasped the duration of the two eternities, whether in the Garden or the Fire. Then he disappeared from my view and so I lost him in the meeting. Or, in

another version: I did not see him, so I enquired about him, and I was told that he was sick and was being visited. So I went to visit him and said: O my brother, what condition is this I see you in? So he said: O Abu `Abbas, it is the consequence of your saying: The hearts of those who fear have grasped the duration of the two eternities, whether in the Garden or the Fire. He went on: Then he died and I saw him in sleep and I said: O my brother, how did Allah deal with you? He said: He has pardoned me and shown me compassion and given me entrance to the Garden. I said: By what means? He said: By means of the word.

And these are the things which terrify the prophets and saints and scholars and sound in faith, and fear is more appropriate to us than to them. But fear does not go along with a multitude of sins; no, it goes along with purity of heart and perfection of 'knowledge'. And, if not, then He has not given us a feeling of security because of the paucity of our sins and the multitude of our acts of obedience. No; our lusts have driven us and reprobation has prevailed over us and our heedlessness and hardness have obstructed us from inspecting our states. So that neither the nearness of the journey will rouse us, nor the multitude of sins move us, nor the witnessing of the states of those who fear terrify us, nor the danger of the Seal disquiet us. So let us ask Allah to overtake our states with his bounty and generosity and so make us whole, if the movement of the tongue in asking, totally unsupported by self-help, will benefit us.

And among the things to be wondered at is that, when we desire wealth in this world, we sow and plant and trade and cross over seas and deserts and incur risks. And, if we seek after the status of knowledge, we study and become fatigued in retaining it, and repeating it, and pass sleepless nights. And we are energetic in the search for our provisions and do not rely on the pledge of Allah to us, and do not sit in our houses and say: O Allah provide for us. Then, when our eyes are lifted towards the Kingdom which is enduring and does not pass away, we are content to say with our tongues: O Allah pardon us and show us compassion. And by the One to Whom we return, and by the One in Whom is our boast! He will call out and say: "A man gets exactly the fruit of his endeavor." (An-Najm 39)

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾

"And with regard to Allah, let not the deceiver deceive you." (Fatir 5)

﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾

And: "O man, what has deceived you as to your generous Lord ?" (Al-Infitar 6)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾

Then all that does not rouse us nor bring us out from the wadies of our delusions and wishful thoughts, and what is this if not a fearful trial were it not that Allah bestows sincere repentance on us by grace, overtaking us with it and protecting us. So let us ask Allah to bestow penitence on us. More; let us ask Him to drive towards repentance the secret things of our hearts and not to make the movement of the tongue in asking for repentance the limit of our portion. For, in

that case, we should be among those who say and do not act who hear and are not receptive. When we hear the sermon, we weep, and when the time for action comes in connection with what we have heard, we are disobedient. And there is no mark of alienation greater than this. So let us ask Allah to bestow on us success and direction through His grace and bounty.

And we shall cut short our recital of the states of those who fear to what we have cited. For a little of this will confront the receptive heart and will suffice, whereas much of it, even if it overflows the negligent heart, will not be adequate.

Truly the monk spoke the truth of whom `Isa Ibn Malik, Al-Khawlani, (he was one of the most elect of the devotees) related that he saw him halted at the gate of the Jerusalem temple with the appearance of one grief-stricken through extreme dejection, his tears hardly ever dry, because of the profusion of his weeping. And `Isa said: When I saw him, his aspect terrified me and I said: O monk, lay an obligation on me to keep on your authority. So he said: O my brother, with what would I command you if you are able to occupy the place of a man whom wild beasts and reptiles have surrounded, and who is fearful and watchful, fearing lest he may be negligent and so the beasts will maul him, or distracted and the reptiles sting him. So his heart is filled with fear and terror, and he passes his nights in fear, even if those who delude themselves feel secure, and his days in grief, even if the empty-headed make merry. Then he turned his back on me and left me. So I said: Will you not tell me something more, perhaps it would benefit me? So he said: The smallest quantity of water satisfies the thirsty man. And he certainly spoke the truth, for fear will move soonest the heart which is pure, but every warning glances off the heart which is hardened.

And what he mentioned in his hypothesis is that wild beasts and reptiles had surrounded him. And so one ought not to suppose that it is (merely) hypothetical. No, it is reality, for, if you were to view your inner man with the light of insight, you would see it filled with different kinds of wild beasts and species of reptiles, like anger, lust, rancour, envy, pride, self-esteem, self-righteousness and the rest. And it is these which are constantly mauling you and stinging you, if you neglect them for an instant, except that your eye is veiled from the sight of them. So, when the cover is withdrawn and you are placed in your grave, you will encounter them and they will be imaged to you according to the forms and shapes which suit their respective meanings. So you will see with your eye scorpions and snakes and they will surround you in your grave. And these are nothing but the attributes present to you now whose forms have been disclosed to you. So, if you desire to slay and subdue them, you are able for it before death. So do it. But, if you do not, you will become habituated to stings and bites in the kernel of your heart, how much more in your outer flesh.

Book four: poverty and asceticism

It is the fourth book of the quarter of saviors of the revival of religious sciences

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

Praise be to Allah with whose praises the sands glorify, to Whom the shades fall in prostration, and for fear of Whose power, the mountains collapse. He has created man from sticky clay, and then adorned his form according to the best of molds and the most perfect proportion, and protected his heart with the light of guidance from being involved in the muddles of error, and gave him permission to serve Him every morning and evening. Then He lighted up the insight of the sincere in his worship with the light of consideration, until he observed therewith the presence of glory. There seemed to him from the joy, brightness and perfection what made him regard as ugly all beauty and prettiness else, and render heavy on himself all that diverted him from continuous watch of it. The apparent world seemed to him in the form of a beautiful woman strutting and bending as walking, while its inside as a defective old woman kneaded from the clay of disappointment and molded in the mold of frustration and regret, and wrapped in her garment in order to screen her ugly secrets and mysteries with the niceties of magic and deception. When there has been revealed to the Gnostics its ugly secrets and evil mysteries, they abstained in it, out of aversion they showed towards it, and left boasting and mutual rivalry for piling up (the good things of this world) with offspring and wealth, and rather devoted themselves wholeheartedly to the presence of glory, and joined themselves with it with an unbreakable rope, in which they witnessed abiding eternal things.

Allah's blessing and peace be upon the Prophet Muhammad, the chief of all the Prophets and Messengers, and upon his family, the best of families on the surface of the earth.

Coming to the point: the world is an enemy to Allah Almighty: with its deception, those who strayed have strayed, and with its cunning, those who slipped have slipped. To love it is the greatest mistake and sin, and to hate it is the best act of worship. We have described it in detail, and dispraised its evils more enough in the Book of Condemnation of World, but now, we are going to talk about the excellence of aversion for, and abstinence in it, since it is the most important savior. There is no hope of salvation but to abandon and desert the world entirely. But to abandon it is a result of either its remoteness from the servant, and this is called poverty, or the servant's remoteness from it, and this is called asceticism. Each has several degrees to attain happiness and a portion of helping one obtain felicity and success.

Now, let's discuss the real nature of poverty and asceticism, and their degrees, divisions, conditions and rulings. This will be in two parts: the first will be assigned to poverty, and the other to asceticism.

part One: poverty

In this part, the following topics will be dealt with:
Exposition of real nature of poverty
Exposition of excellence of poverty in general
Exposition of merit of some particular poor
Exposition of superiority of poverty over richness
Exposition of the etiquettes of the poor in his poverty
Exposition of his etiquettes in accepting gifts
Exposition of prohibition of begging with no necessity
Exposition of the extent to which self-sufficiency makes begging unlawful
Exposition of states of beggars
Allah may guide us to the right

CHAPTER ONE

EXPOSITION OF REAL NATURE OF POVERTY; AND DIFFERENT STATES AND NAMES OF THE POOR

It should be known to you that poverty or neediness is to lose what one is in need of. But to lose what is not needed is not called poverty. If what is needed is available, one does not become poor. Having understood that, you would know that everything save Allah Almighty is needy, for all things are in need of permanent existence which depends upon the bounty and generosity of Allah Almighty. If there is in the universe an existent whose existence does not depend on anything else, it would be the absolute self-sufficient; and that is unimaginable but to be one and only, that is absolute self-sufficient. In existence, there is only one self-sufficient, and all things save Him are needy of Him, in order to obtain their permanent existence. To that meaning Allah Almighty refers in His statement: " But Allah is free of all wants, and it is you that are needy." (Muhammad 38)

﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾

That is the meaning of the absolute neediness

But we intend not to explain the significance of the absolute neediness. We rather mean to clarify the meaning of the poverty, i.e. the neediness of wealth, otherwise, the servant's neediness to his things is infinite, for his needs are unlimited. One of those needs is the wealth; and that is why we want to explain in more detail.

Let's say that such as loses property is called a poor in relation to that which he loses, if what is lost is needed by him who loses it. The poor in that meaning has five states:

The first state is the highest, according to which if wealth comes to one, he would reject it, dislike it, be harmed by it, thereupon he would escape from taking it out of aversion towards it, and in flight from its evil and harm. That is called asceticism, and he is ascetic.

The second is that according to which he does not desire for it in such a way as to make him rejoice at it, nor dislike it in such a way that it would cause harm

to him if it comes, or that he would abstain in it if it is available to him. That is called contentment, and he is contented.

The third is that the presence of property is dearer than its absence, out of desire for it, but not strong enough to stimulate him to endeavor to obtain it: but if it comes to him easily without effort, he would take it and rejoice at it; and if he is to trouble himself to obtain it, he should not do so. That is called satisfaction, and he is satisfied, for he satisfies himself with what is available, and does not work to get more, given his weak desire for it.

The fourth is that he leaves seeking because of inability, although he has desire for property. If there is a way for him to get it, surely, he would follow it. That is desire, and he is desirous.

The fifth is that one loses what he is compelled to lose, like the hungry who loses bread, and the naked who loses clothes. That is called necessity, and he is compelled by necessity, no matter how strong or weak his desire for money might be. This state is hardly free from desire for obtaining money.

Those are the five states of poverty, the highest of which is asceticism. If necessity is joined to asceticism, it would result in the utmost degree of asceticism, as will be shown later. Behind those five, there is a further state, which is higher than asceticism, i.e. that both existence and loss of money are equally the same. If it is available, one would not rejoice at nor is harmed by it, and if it is lost, it would be the same. His state then is like the state of A'ishah "Allah be pleased with her" who received one hundred thousand Dirhams as a part of her fixed income, and she distributed all the sum at once. Her servant maid said to her: "Were you not able to save, from what you have distributed, even a single Dirham to buy meat to break our fast therewith?" she said: "Had you reminded me, surely, I would have done accordingly." If the whole world with all that it contains is given to such a man, it would be the same to him, for he sees the wealth in the treasury of Allah Almighty, and not with himself, making no distinction between being in his hand or in the hand of anyone else. The man of such a state is called the dispenser, for he dispenses with both presence and loss of money.

We should differentiate between such and the wealthy who has property among the servants. Whoever has property of which he rejoices is regarded needy of having the property remain in his hand. He is self-sufficient of obtaining money, and not of having it remain in his hand. But that dispenser is self-sufficient of obtaining the money, and of having it remain in his hand. He is not harmed by it in order to be in need of giving it out, nor he rejoices at it in order to be in need of having it remain with him. In this way, he is closer to the absolute self-sufficiency, therewith Allah Almighty is described. The servant becomes close to Allah Almighty through the attributes and not in the place.

But we do not give the man of such a state the name self-sufficient, in order for the absolute self-sufficiency to remain unique to Allah Almighty. But we give him the name of dispenser. That is because if this man dispenses with money in general, in no way could he be able to dispense with all things in existence. At the

least, he could not dispense with the help of Allah to enable him continue to dispense with property, as adorned in his heart by Allah Almighty. The heart that is bound by the love for wealth is like a slave, and that which dispenses with it is free, and it is Allah Almighty Who emancipates it from that slavery. Thus, one is in need of having this emancipation remain forever. Hearts always turn from slavery to freedom, and vice versa, for they are in between two of Allah's fingers.

It should be known to you that asceticism is the degree of the pious, and the ascetic is among those made close (to Allah Almighty). There is no wonder then that the asceticism might be a shortcoming in relation to such a man, for the good deeds of the pious are equal to the evil deeds of these made close to Allah. That is because both he who dislikes and he who likes the world are engaged in it. Anything diverts from Allah Almighty is a screen from Allah Almighty. There is no distance between you and Allah Almighty in order to be considered as a screen, for He Almighty is nearer to you than your jugular vein. There is no place where He Almighty exists in order for the heavens and the earth to be a screen between you and Him. There is no screen between you and Him but your engagement in anything other than Him. Your engagement in your own self, desires and lusts is engagement in something other than Him. Since you continue to be engaged in your own self and desires, you then would remain screened from Him. Whoever is engaged in loving himself is indeed diverted from Allah Almighty; and whoever is engaged in disliking himself is also diverted from Allah Almighty.

As well as two loves could never gather together in one heart simultaneously, no love and aversion could gather together simultaneously. He who is engaged in disliking the world is heedless of Allah Almighty, like him who is engaged in loving it. But he who is engaged in loving it is heedless, and amidst his heedlessness, he follows the way of remoteness, whereas he who is engaged in disliking it is heedless, following the way of nearness, and it is hoped that his state of heedlessness terminates and is replaced with contemplation. Perfection then is expected from him for disliking the world is a riding mount that conveys to Allah Almighty.

Think not then that disliking the world is intended in itself. The world impedes from Allah Almighty, and there is no way to reach Him without removing that impediment. That is the significance of the statement of Abu Sulaiman Ad-Darani: "Whoever abstains in this world and devotes himself to that has indeed hastened to find comfort. That is because one should also, besides his abstinence from this world, engage in the hereafter." He thus showed that following the way to the hereafter is beyond asceticism.

It seems from that then that if abstinence from this world means to have no desire for its presence or absence, it would be the utmost degree of perfection. If it is to have no desire for its absence, it would be perfection in relation to the degree of the satisfied, contented and desirous, and imperfection in relation to the degree of the dispenser. The perfection in relation to money, for example, is that money becomes, in your sight, equal to water; and both the abundance and scarcity of water do not harm you unless in so much as is necessary. Although

both money and water are needed, your heart is not engaged in flight from the abundant water, nor does it dislike it. But you say: "I drink thereof as much as is needed, and provide therewith the servants of Allah as much as is needed, and never withhold it from anyone." As such your view of money should be. To be sure, both bread and water are needed, with the difference that one of them is much and the other is little.

If you know well Allah Almighty as He should be known, and are confident of the ordinance therewith He ordains the world, you would learn that your need of bread would inevitably come to you so long as you are living, just in the same way as your need of water comes to you as will be explained in detail, Allah willing in the Book of Reliance. Ahmad Ibn Abu Al-Hawari said: I said to Abu Sulaiman Ad-Darani: Malik Ibn Dinar said to Al-Mughirah: "Go to the house and take the parcel you have given as a gift to me, for the enemy (Satan) whispers to me that the thief has taken it." Sulaiman said: "That is due to the weak hearts of Sufis." He showed that his aversion that the parcel be in his house is an attention caused by weakness and shortage.

You may argue: "What is the matter with the Prophets and allies (of Allah) that they ran away from property and disgusted it so much?" in reply to that, let me say that they ran away from water in the sense that they did not take from it but what satisfied their needs, and left what is beyond it. They did not accumulate it in their water-skins and pots: on the contrary, they left it in the rivers and springs for the needy and thirsty to drink thereof what they need. That means that their hearts then were not engaged in love or aversion for wealth. The treasures of the earth were brought to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" then Abu Bakr and Umar "Allah be pleased with them", and all took and spent them properly and reasonably on all sides of good. They did not run away from it in the sense that wealth and water, gold and stone are equal in their sight. What is reported of the abstention of some pertains to those who were afraid this might deceive them and tie their hearts with desires and lusts.

That is the status of the weak. It is out of their perfection to flee away and refrain from money. That is true of all people for all the creatures are weak save the Prophets and allies of Allah Almighty. But if refraining is reported of a strong, it may be that he refrained for he liked to descend to the degree of the weak in order for them to imitate him in leaving, for were they to imitate him in taking, they might have been ruined. However, to descend to the level of the weak to raise them up is the conduct of the Prophets "peace be upon them", allies and religious scholars.

You have known then that the levels are six, the highest of which is that of the dispenser, followed by the abstinent, then the contented, then the satisfied and then the desirous. Such as forced by necessity is imagined to be abstinent, contented and satisfied. His degree differs by the difference of his states. The name 'needy' applies to any of those five. But in that sense, the dispenser could not be named 'needy'. If he is to be named 'needy', it should be in the sense of his knowledge that he is in need of Allah Almighty in all of his affairs in general, and

his continuous dispensing with money in particular. The name 'needy' in relation to him is like the name 'servant' in relation to him who knows that he is a servant of Allah Almighty, given that the name of 'servant' is common to all the people for all the people are servants of Allah Almighty. Similarly, the name 'needy' is common to all the people in that sense. Whoever knows that he is in need of Allah Almighty has more right to have the name of 'needy'. In this sense, the needy then is common to both.

Having understood that, you would understand well that the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Allah! I seek refuge with You from neediness", and his statement: "Neediness is about to turn to disbelief", do not contradict his statement: "O Allah! Cause me to die as a needy and live as a needy." (At-Tirmidhi on the authority of Anas; and Ibn Majah and Al-Hakim on the authority of Abu Sa'id). That is because the neediness of such as forced by necessity is that from which he "peace be upon him" took refuge, whereas it is the neediness to confess of his humiliation and submission to Allah Almighty is that which he "peace be upon him" asked in his supplication.

CHAPTER TWO

EXPOSITION OF EXCELLENCE OF POVERTY IN GENERAL

From the Qur'an, the following Holy Verses are indicative: "(Some part is due) to the needy Muhajirs, those who were expelled from their homes and their property, while seeking Grace from Allah and (His) Good Pleasure, and aiding Allah and His Messenger: such are indeed the sincere ones." (Al-Hashr 8)

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾

Do you not notice here how He Almighty has praises neediness, and gives it preference over emigration?

As for Prophetic narrations in praising neediness, they are countless. It is narrated on the authority of Ibn Umar "Allah be pleased with them" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to his companions: "Which of people is the best?" they said: "A wealthy who gives Allah's right due on himself and his property." He said: "How good is that. But that is not whom I intend." They asked: "Then, who is the best of people O Messenger of Allah?" he "peace be upon him" said: "A needy who gives his effort (in charity)." (Abu Mansur Ad-Dailami). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said to Bilal "Allah be pleased with him": "Meet Allah while you are needy, and do not meet him while you are wealthy." (Al-Hakim on the authority of Bilal; and At-Tabarani on the authority of Abu Sa'id).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, Allah Almighty loves the refraining needy who has dependents (for whom he is responsible)." (Ibn Majah on the authority of Imran Ibn Hussain). He "peace be upon him" said in a famous Hadith: "The needy among my Ummah would enter Paradise five hundred years before its wealthy." (At-

Tirmidhi on the authority of Abu Hurairah). According to another version, "They would enter the Garden forty autumns, i.e. years before the wealthy." (Muslim on the authority of Abdullah Ibn Amr; and At-Tirmidhi on the authority of Jabir and Anas). What is intended is that the desirous needy would enter the Garden forty years before the desirous wealthy; and the abstinent needy five hundred years before the desirous wealthy. To be sure, the needy are of different levels and degrees, according to their different states as we have already mentioned. The desirous needy, for example, is twenty-five degrees far from the abstinent needy.

Think not that the estimation of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" is random or by chance. It is not so for he "peace be upon him" does not speak (aught) of (his own) Desire. It is no less than inspiration sent down to him. That is like his statement "peace be upon him": "The good vision is one of forty-six parts of Prophethood." (Al-Bukhari on the authority of Abu Sa'id; and Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Hurairah and Ubadah Ibn As-Samit). His estimation here is based on verification. But it is not within the capacity of any human being to find the reason for it. That is because Prophethood is an attribute that gives the Prophet many characteristics therewith he is distinguished from anyone else among the people.

The first is that he knows the real nature of what pertains to Allah, His attributes, and His angels, and the hereafter in a way different from anyone else by virtue of strong certainty, verification and revelation.

The second is that he has a characteristic therewith he is able to do the miraculous and supernatural signs. We also have an attribute that enables us to do what we like and will, i.e. the power, given that the power and will all are among the acts of Allah Almighty.

The third is that he has a characteristic therewith he sees the angels in the same way as the sighted has a characteristic therewith he is distinguished from the blind.

The fourth is that he has a characteristic therewith he perceives what would be in the future, whether during wakefulness or sleep. By virtue of that characteristic, he is able to go through the Preserved Blanket and see the unseen.

Those characteristics are affirmed to Prophets apart from others, and each of those could be divided into, say, forty, fifty, sixty, or even forty-six subdivisions and parts, of which the good vision is a part. But our estimation is not based on verification in so much as on guess and speculation, and we do not know for certain whether it is that intended by the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him".

The same is true of the degrees and levels of the needy. But why the desirous needy is almost one-twelfth the degree of the abstinent needy that he would not enter the Garden but only forty years before the wealthy, and why the abstinent needy would enter the Garden five hundred years before the wealthy, it is not within the capacity of anyone other than the Prophets to verify of it with certainty. The point is to relegate the belief that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" says such things randomly or by chance; and

the office of Prophethood is deemed far beyond that.

Now, let's return to the Prophetic narrations. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The best of this Ummah are the poor, and the quickest to lie in the Garden (on the Day of Judgement) are the weak." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "I have two concerns, and whoever likes them likes me and whoever dislikes them dislikes me: neediness and Jihad." It is narrated that Gabriel "peace be upon him" descended on the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "O Muhammad! Allah is greeting you with peace. He asks you: 'Do you like that I would turn those mountains into gold to be with you wherever you are?' the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" lowered his head for a moment after which he said: "O Gabriel! The world is the home of him who is homeless, and the property of him who has no property, and for the sake of it only the foolish gathers wealth." On that Gabriel said to him: "O Muhammad! May Allah make you firm with the well-established word." (This is reported from two Hadiths, the first by At-Tirmidhi on the authority of Abu Umamah, and the other by Ahmad on the authority of A'ishah).

It is narrated that once the Christ "peace be upon him" came during his tour upon a sleeping man and he was wrapped in a garment. He awakened him and said to him: "O sleeping man! Get up and remember Allah Almighty." He said to him: "What do you want from me? I have left the world for its people." He said: "Then, sleep my beloved." In another context, Moses "peace be upon him" came upon a man lying on dust, and there was a brick underneath his head, and both his face and beard were covered with dust, and he was wrapped in a garment. He said: "O Lord! This slave of You is lost in this world." Allah Almighty revealed to Moses "peace be upon him": "O Moses! Do you not know that if I turn My Face to cast a glance of a slave, the whole world would be drawn away from him?"

It is narrated on the authority of Abu Rafi' "Allah be pleased with him" that he said: A guest came upon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and he found nothing to serve him with. He sent me to a Jew from Khaibar with the following message: "Muhammad asks you to lend or sell to me on credit baking powder to the new moon of Rajab." I came to him and reported the message to him but he rejected unless it was by mortgage. I returned to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and told him, thereupon he said: "By Allah, I am trustworthy among the inhabitants of the heavens as well as among the inhabitants of the earth; and should he sell or lend to me, I would pay to him. Take this armor of mine and give it to him as a mortgage." When I came out the following Holy Verse was revealed: " Nor strain your eyes in longing for the things We have given for enjoyment to parties of them, the splendour of the life of this world, through which We test them: but the provision of your Lord is better and more enduring." (Ta Ha 131)

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾

That Holy Verse was revealed to console the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" for the world. (At-Tabarani).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Indeed, poverty is to adorn the faithful believer more than the good sideburns do on the cheeks of the horse." (At-Tabarani on the authority of Shaddad Ibn Aws). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Whoever among you becomes in the morning healthy in his body, safe among his group, and has the sustenance of his day, seems as if the entire world has been given to him." (At-Tirmidhi). According to Ka'b Al-Ahbar, Allah Almighty said to Moses "peace be upon him": "O Moses! If you see poverty coming, say: 'Welcome to the motto of the righteous!'"

According to Ata' Al-Khurasani: One of the Prophets came upon the coast and behold! There was a fisher catching fish, and when he threw his net in the Name of Allah, and took it out, it was empty. He came upon another one who threw the net in the name of Satan and took it out, and it had a great quantity of fish. The Prophet "peace be upon him" said: "O Lord! What is that given that all of this is with Your Hand?" Allah Almighty said to His angels: "Uncover to My servant (the Prophet) the positions of both." When he saw the dignity prepared for the former and humiliation prepared for the latter, he said: "I have been pleased, O Lord."

Our Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I caught a glimpse of Paradise, and found that the majority of its inhabitants are from among the poor; and I caught a glimpse of the fire (of Hell), and found that the majority of its denizens are from among the rich and women." According to another version, I asked: "Where are the rich?" It was said: "Their fortune has detained them (from the Garden."According to a third version: "I found that the majority of the denizens of the fire (of Hell) are from among women, thereupon I asked: 'What is their matter?' it was said: 'They have been engaged in gold and saffron."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The believer's most valuable thing in this world is poverty." (Ash-Shirazi and Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Mu'adh Ibn Jabal). According to a particular tradition: "The last of Prophets to enter Paradise is Sulaiman "peace be upon him" due to his great dominion in this World; and the last of my companions to enter Paradise is Abd-Ar-Rahman Ibn Awf "Allah be pleased with him" due to his great wealth and richness in this World." According to another narration: "I have seen him enter Paradise crawling." (At-Tabarani).

According to the Christ "peace be upon him": "The rich would hardly enter Paradise." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "If Allah Almighty loves one of His servants, He puts him to trial; and if He loves him so much, He extracts him." It was said: "How does He extract him?" he said: "He causes neither property nor children to remain for him." (At-Tabarani on the authority of Abu Utbah Al-Khawlani). According to a certain tradition: "If you see poverty coming, say 'Welcome to the motto of the righteous'; and if you see richness coming, say 'That is a sin whose punishment has been hastened on.'" (Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Makhul from Abu Ad-Darda'). Moses "peace be upon him" said: "O Lord! Who are Your

beloved from among Your creatures so that I would love them?" He said: "Every poor from among the people." The Christ "peace be upon him" said: "I indeed like indigence and dislike luxury." The dearest of names by which he "peace be upon him" liked to be called by is "O indigent".

It is further narrated that the rich and wealthy among people like Al-Aqra' Ibn Habis At-Tamimi, Uyainah Ibn Hisn Al-Fazari, Abbas Ibn Mirdas As-Sulami and others came and found the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" sitting with Suhaib, Bilal, Ammar, Khabbab, and others from the weak (and poor) among the faithful believers. It was said that due to their poverty, they used to put on coarse wool, in which they sweated and the smell of their sweat would exude and cause harm to the rich and wealthy among the people. When they saw them sitting around the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", they looked down upon them and then they came and sat alone with him and said: "We would like that you should fix a private gathering for us, with which the Arabs come to know our superiority. Indeed, the Arab delegates always come to you, and we feel shy of the fact that the Arabs might see us sitting in the company of those (freed) slaves. So, when we come to you, drive them away from you, and when we finish (and turn away), you could sit with them if you like." He answered in the affirmative, thereupon they said to him: "Write a document for us in confirmation of that." He called for a blank document, and he called upon Ali to write that, and we were sitting in one side (of the gathering). Such being the case Gabriel "Peace be upon him" came to him and revealed to him (Allah's saying): "Send not away those who call on their Lord morning and evening, seeking His Face. In naught are you accountable for them, and in naught are they accountable for you, that you should turn them away, and thus be (one) of the unjust." (Al-An'am 52)

﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

In connection with Al-Aqra' Ibn Habis and Uyainah Ibn Hisn, He (Almighty) said: "Thus did We try some of them by comparison with others that they should say: "Is it these then that Allah has favoured from amongst us?" Does not Allah know best those who are grateful?" then He further said: "When those come to you who believe in Our Signs, say: "Peace be on you; your Lord has inscribed for Himself (the rule of) Mercy", thereupon we came so much nearer to him that we placed our knees on his. Henceforth, whenever the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" sat with us and then he wanted to go, he would get up and leave us, thereupon Allah Almighty revealed: "And keep your soul content with those who call on their Lord morning and evening, seeking His Face; and let not your eyes pass beyond them, (nor devote yourself to the nobles among them) seeking the pomp and glitter of this Life; nor obey any whose heart We have permitted to neglect the remembrance of Us, (i.e. Uyainah and Al-Aqra') one who follows his own desires, whose case has gone beyond all bounds." (Al-Kahf 28)

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾

Then, He set forth for them the parable of two men and the parable of the life of this world. Khabbab further said: From this day forward, whenever we sat with the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and then it was time for his departure, we would get up and leave him, in order to enable him to get up (and go as he liked). (Ibn Majah on the authority of Khabbab and Salman).

It is further narrated that once Ibn Umm Maktum "Allah be pleased with him" and he was blind and poor, sought the permission to be admitted by the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and he had one of the nobles of Quraish, thereupon he "peace be upon him" felt it. On that occasion Allah Almighty revealed: "(The Prophet) frowned and turned away, Because there came to him the blind man (interrupting). But what could tell you but that perchance he might grow (in spiritual understanding)? Or that he might receive admonition, and the teaching might profit him?" (i.e. Ibn Umm Maktum, the blind) "As to one who regards himself as self-sufficient,

To him do you attend" (i.e. that noble from Quraish). (Abasa 1-6)

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ ﴾

(At-Tirmidhi on the authority of A'ishah).

It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "On the Day of Judgement, the (poor) servant will be brought before Allah Almighty Who will excuse to him in the same way as people excuse to each other in this world, saying: "By My Honor and Glory! I have not taken the worldly pleasures away from you for your being slight or humiliated in My Sight. But I have done so for the dignity and superiority I have prepared for you (in the hereafter). Come out, O My servant, to those rows (of people), and whoever provided for your sustenance or clothes for My Sake, seeking thereby My Countenance, is for you: take him by the hand." On that Day, the people will be in their sweat to the ears. He would break in rows and look at such as did that with him and take him by the hand and admit him to Paradise." (Abu Ash-Shaykh on the authority of Anas).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Multiply your acquaintances from among the poor, and do favor to them as much as you can for they will have a turn (of power to come)." They asked: "O Messenger of Allah! What is their turn (of power)?" he "peace be upon him" said: "When it is the Day of Judgement, it will be said to them: "Seek for whoever fed you even with a fragment (of food), gave you even a sip of water, or clothed you even with a garment, and take him by the hand and go with him to admit him to Paradise." (Abu Na'im on the authority of Al-Hussain Ibn Ali).

It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I entered the Garden and heard a movement nearby and looked and

behold! There was Bilal. I caught a glimpse of its upper part, and behold! There were the poor of my nation along with their offspring. I then caught a glimpse of its lower part, and behold! There were a few number of rich and women. I asked: "O my Lord! What is the matter with them?" He said: "As for women, they were harmed by both gold and silk. As for the rich, they were engaged in accounting (their property and wealth) very long." I inspected my companions and did not see Abd-Ar-Rahman Ibn Awf among them. Later on, he came to me weeping. I asked him: "What has delayed you from me?" he said: "O Messenger of Allah! I did not reach you until I encountered calamitous things and thought I would never see you." I asked him: "Why?" he said: "I was being reckoned for my wealth." (At-Tabarani on the authority of Abu Umamah).

Consider that, given that Abd-Ar-Rahman "Allah be pleased with him" was the one of the great precedence (in Islam) along with the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and among the ten who were given the glad tidings of Paradise, and among the rich whom the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" pointed out when he said: "Except him who said (i.e. spent) with his property such and such." But even, he was so harmed by richness.

It is reported that once the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" entered upon a poor man and found that he had nothing at all, thereupon he said: "Were the light of this man to be distributed among all the inhabitants of the earth, it would extend to cover them all." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Should I not tell you about the kings of the people of Paradise?" they said: "Yes O Messenger of Allah." He "peace be upon him" said: "Every weak who is looked down upon by others, of disheveled hair and (it does not matter to him whether his clothes are tidy or) covered with dust (out of his humbleness), even though, if he takes an oath by Allah, He (Almighty) will fulfill his oath." (Ibn Majah on the authority of Harithah Ibn Wahb).

It is narrated on the authority of Imran Ibn Hussain "Allah be pleased with him" that he said: I had a good position and rank with the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". One day I came to him and he said to me: "O Imran! You have a good position and rank with us: do you like to accompany me to visit Fatimah, the daughter of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and inquire about her health?" I said: "Yes, let my father and mother sacrifice their lives for you O Messenger of Allah." He stood and I stood with him (and we proceeded on) until he came at the gate of the house of Fatimah "Allah be pleased with her". He knocked the door and said: "Peace be upon you! could I enter?" she said: "Yes O Messenger of Allah." He asked: "I and the man that is with me?" she said: "Yes you and the man that is with you O Messenger of Allah." Then she said: "By Him Who has sent you as a Prophet, I have nothing over me but a garment." He said: "Do with it such and such." He beckoned with his hand to her (to cover her body with it). She said: "I have then screened my body: what about my head?" he threw to her a worn out sheet he was having over himself and said: "Put it over your head." Then, she

admitted them. he entered and said: "Peace be upon you O my daughter! What are you now?" she said: "By Allah, I have become suffering, and what increased my pain is that I have no food to sustain myself, and hunger has troubled me." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" went on weeping, and said: "Do not be scared O my daughter. By Allah, I have never had food for three days; and I am dearer than you to Allah Almighty, and were I to ask my Lord, surely He would provide me with food. But I have preferred the hereafter to this world." Then, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" patted on her shoulder and said to her: "Receive the glad tidings! By Allah, you will be the chief of women of Paradise." She said: "Then, what about Asia, the wife of Pharaoh, and Maryam, daughter of Imran?" on that he said: "Asia is the chief of the women of her own world; Maryam is the chief of the women of her own world; Khadijah is the chief of the women of her own world; and you are the chief of the women of your own world: you will have your homes of pipes in which you will receive no harm nor noise." Then, he said to her: "Be satisfied with (Ali) your paternal cousin, for by Allah, I have given you in marriage to a chief in this world, and a chief in the hereafter." (Ahmad and At-Tabarani on the authority of Ma'qil Ibn Yasar).

It is narrated on the authority of Ali "Allah be pleased with him" that he said: "If the people come to dislike the poor among them, give preference to the construction of this world, and compete each other to collect money, then they would be afflicted by Allah with four disfavors: draught along the time, injustice of rulers, disloyalty to leaders, and the harm from enemies." (Abu Mansur Ad-Dailami).

From among the traditions, a mention may be made of the following:

Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" said: "The one who has two Dirhams is more stingy (or will be reckoned more) than the one who has only one Dirham (and so on)." Once, Umar "Allah be pleased with him" sent to Sa'id Ibn Amir "Allah be pleased with him" one thousand Dinars and he returned home in sadness and grief. His wife asked him: "What has happened?" he said: "Nothing more severe than that (i.e. this money)." Then he said to her: "Give me your worn out breast garment." He split it into pieces, and made the money into parcels which he divided among the people. Then, he stood in prayer and went on weeping until the morning of the coming day. Then he said: I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" having said: "The poor among my nation would enter Paradise five hundred years before their rich to the extent that the rich would try to enter into their middle and he would be taken by the hand and brought out from among them." (At-Tirmidhi but on the authority of Abu Hurairah).

Abu Hurairah "Allah be pleased with him" said: "Three will enter Paradise without reckoning: a man who (is so much poor that when he) wants to wash his (sole) garment he will have nothing to put on his body (until his garment gets clean); a man who (is very poor that he) never puts two cooking vessels simultaneously on the oven; and a man who asks for (something to) drink, and (as he has nothing other than water to drink) it is not said to him: 'Which drink

do you want?'." It is said that a poor man entered the gathering of Ath-Thawri who ordered him to pass over the rows and come close to him. In his comment on that he said: "Had you been rich, I would not have brought you close to me." The rich among his companions hoped to be poor for he used to bring the poor so much close to him, and turn away from the rich. According to Al-Mu'ammar: "I have never seen more humiliating than the rich nor more honored than the poor in the gathering of Ath-Thawri,."

According to a wise man: "How poor is mankind! If he fears fire in the same way as he fears poverty, he would be saved from both; and if he desires for Paradise in the same way as he desires for self-sufficiency, he would win both; and if he fears Allah in secret in the same way as he fears His creatures in public, he would become happy in both abodes (of this world and the hereafter)." According to Ibn Abbas "Allah be pleased with them": "Cursed is him who honors people for their richness and humiliates them for their poverty." According to Yahya Ibn Mu'adh: "Your loving the poor is a part of the moral character of the Messengers, and giving preference to sit with them is one of the signs of the righteous, and running away from their company is one of the signs of the hypocrites."

According to the previous Scriptures, Allah revealed to one of His Prophets "peace be upon them": "Beware lest I might hate you, thereupon you would fall from My Sight, with the result that I would pour the worldly pleasures over you (as punishment)." A'ishah "Allah be pleased with her" was in the habit of dividing among the poor and needy as much as even one hundred thousand Dirhams on one day sent to her by Mu'awiyah, Ibn Amir and others, given that her breast garment was full of patches. Her slave-girl said to her: "why have you not given me a Dirham to buy meat for you to break your fast?" she "Allah be pleased with her" said: "Had you reminded me, I would have done accordingly." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" had recommended her saying: "If you like to join me, stick to the living of the poor, and beware of sitting with the rich; and do not give up your breast garment until it is extremely worn out of patches." (At-Tirmidhi and Al-Hakim).

A man brought ten thousand Dirhams to Ibrahim Ibn Adham who rejected to accept it. When the man insisted he said to him: "Do you like me to erase my name from the record of the poor by ten thousand Dirhams? I would never do so."

CHAPTER THREE

EXPOSITION OF MERIT OF SOME PARTICULAR POOR FROM AMONG THE CONTENTED, SATISFIED AND TRUTHFUL

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Blessed be he who has been guided to Islam and lives only on the minimum requirements of subsistence therewith he is satisfied." (Muslim). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "O assembly of poor! Be contented, from the depth of your hearts, with (what is given to you by) Allah, perchance you would attain the reward of your poverty, otherwise, you would attain nothing." (Abu Mansur Ad-Dailami on

the authority of Abu Hurairah). The first Hadith points out the satisfied, and the other the contented. This might give the impression that the thrifty poor shall have no reward for his poverty. But the general narrations about the superiority of poverty indicate that he shall have a reward as will be shown later. What is intended by being discontented here is to dislike that Allah Almighty holds back from him the worldly pleasures. How many a desirous for wealth to whose mind there never occurs the idea of disapproving or disliking such act of Allah Almighty. It is that aversion which makes fruitless the reward of poverty.

It is narrated on the authority of Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Every thing has a key, and the key of Paradise is to love the indigent and needy for their patience: they will be the sitters of Allah Almighty on the Day of Judgement." (Ad-Daraqatni, Ibn Adi and Ibn Hibban). It is further narrated on the authority of Ali "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The dearest to Allah Almighty is the poor who is satisfied with his sustenance, and well-pleased with Allah Almighty." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "O Allah! Make the sustenance of the family of Muhammad no more than the minimum requirements of subsistence." (Muslim on the authority of Abu Hurairah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There is no one, be he rich or poor, but that he will be reported on the Day of Judgement to have been given sustenance in this world." (Ibn Majah on the authority of Anas). Allah Almighty revealed to Ishmael "peace be upon him": "Seek me with those heartbroken." He asked: "Who are those?" He said: "The truthful poor and indigent." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "None will be superior to the poor if he is contented." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "On the Day of Judgement, Allah Almighty will say: "Where are My chosen from among My creatures?" the angels will ask: "Who are those O our Lord?" He will say: "The Muslim poor who are satisfied with My (little) gift to them, and contented with My decree (concerning them): admit them to Paradise." They then will enter, eat and drink thereof, while the other people will be still in reckoning." (Abu Mansur Ad-Dailami).

Those narrations point out the satisfied and contented from among the poor. As for the abstinent poor, we shall make a mention of his superiority in the second part of this book, Allah willing.

As for the traditions about content and satisfaction, there are so many, and a mention may be made of the following:

It is not hidden that covet is the opposite of satisfaction. Umar "Allah be pleased with him" said: "No doubt, covet leads to poverty; and carelessness (of wealth) is self-sufficiency; and whoever is careless about what is in the hands of the people, and is satisfied (with what is given to him no matter how little it might be), will inevitably dispense with them." Abu Mas'ud "Allah be pleased

with him" said: "No day comes upon you without an angel calling from underneath the Throne (of Majesty): 'O mankind! The little that suffices you is much better than the much that makes you fall in transgression." Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" said: "There is none of the people but that he has deficiency in his mind: if he is given increase (in wealth), he will remain cheerful and pleased, although his lifetime decreases by degrees along day and night, for which he is not sad. Woe to mankind! How should he get benefit from increasing wealth and decreasing lifetime?"

One of the wise men was asked: "What is the real self-sufficiency?" he said: "To have no desire (for wealth), and be contented with what suffices you." It is said that Ibrahim Ibn Adham was one of those endowed with wealth and property in Khurasan. One day he was looking from the window of his palace when he saw a man in the courtyard of the palace having a loaf from which he was eating, and when he finished he slept. He said to one of his servants: "When he gets up, bring him to me." When he got up he was brought to him, and Ibrahim said to him: "O man! Have you been hungry when you ate the loaf?" he answered in the affirmative. He further asked him: "Then, have you been satiated?" he answered in the affirmative. Ibrahim further asked him: "Then, have you slept well?" he answered in the affirmative. On that Ibrahim said to himself: "Then, what should I make with those worldly pleasures given that the soul is satisfied only with that little?"

A man came upon Amir Ibn Abd-Al-Qais and he was eating salt and grains. He said to him: "O slave of Allah! Have you been contented only with that from the entire world?" he replied: "Should I not guide you to him who has been contented with what is worse than that?" he said: "Yes." He said: "It is he who has been contented with the world in substitution for the hereafter." Muhammad Ibn Wasi was in the habit of bringing dry bread and wetting it with water and then eating it with salt, saying: "Whoever is contented from all the world only with that would never be in need of anyone."

Al-Hassan said: "Allah Almighty cursed a people whom He gave (large sustenance), and they were not true to Him." Then, he recited the following statement of Allah: " And in heaven is your Sustenance, as (also) that which you are promised. Then, by the Lord of heaven and earth, this is the very Truth, as much as the fact that you can speak intelligently to each other." (Adh-Dhariyat 22-23) one day Abu Dharr "Allah be pleased with him" was sitting with some people when his wife came to him and said: "Are you sitting among those people? By Allah, the house has nothing at all (to eat)." He said to her: "O woman! Ahead of us is a difficult obstacle (i.e. this world) from which none will be saved but him who has nothing with him of the burdens (of wealth and property)." On that she returned home well-pleased. According to Dhu-Nun: "The closest of people to disbelief is the impatient poor."

One of the wise men was asked about his wealth, thereupon he said: "To beautify (with patience) outwardly, stick to moderation inwardly, and be careless of what is in the hands of the people." It is reported that Allah Almighty said in one of the previous Scriptures: "O mankind! If the entire world is for you, you will not

have but the sustenance (that is doomed to you). So, if I give to you the sustenance (that is doomed to you), and loaded the reckoning for the entire world on others than you, I then will have done good to you."

CHAPTER FOUR

EXPOSITION OF SUPERIORITY OF POVERTY OVER RICHNESS

It should be known to you that the people differ about that matter. Al-Junaid, Al-Khawas and the majority (of Sufis) give preference to poverty over richness. But Ibn Ata' says that the thankful rich who fulfills what is due upon him to the best is better than the patient poor. It is said that Al-Junaid invoked evil upon Ibn Ata' for his disagreement with him over that matter, thereupon he was given to affliction. We have previously shown the degrees of difference between patience and gratitude, and paved the way for seeking excellence in deeds and states, and that it is impossible to give any of them preference over the other without detail and explanation.

The same is true of the difference between poverty and richness, in which none could be given preference over the other in general. Let us say that suspicion lies in two opposing situations: One with a patient poor in one extreme, who is not greedy and thus not eager to seek property: but he is satisfied and contented; and, in the opposing extreme, a rich who spends his property on all aspects of good, and is not greedy and thus not eager to withhold property. The other situation has a greedy poor versus a greedy rich. It is not hidden that the satisfied and contented poor is superior to the greedy rich, and that the rich who spends his wealth on what is good is superior to the greedy poor.

The first situation implies a patient poor who is not greedy for property. In this situation, one might have the impression that the rich is better than the poor, for they are equal in the lack of greediness for property, and the rich excels the poor in the objects of charity that bring him closer to Allah Almighty, and the poor fails to do so. This is what Ibn Ata' thought, as we believe. But even, it is unimaginable that the rich who enjoys his wealth, even in what is permissible, is superior to the poor who is satisfied and contented. In support of that, it is narrated that the poor complained to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" of the fact that the rich had preceded them to the good deeds by their objects of charity, Hajj, Umrah and Jihad, thereupon he instructed them to say many words of glorification and magnification of Allah Almighty which would make them attain beyond the reward of the rich if they said them. But the rich learnt them and went on saying them. The poor returned once again to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and made a mention of that to him, thereupon he said: "That is the bounty of Allah Almighty which He gives to whomever He pleases." (both Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Hurairah).

When Ibn Ata' was asked about why he gave preference to the self-sufficient, he said: "The self-sufficient is better for self-sufficiency is the attribute of the Real (i.e. Allah)."

As for his first evidence, it is questionable. Indeed, the context in which the

narration is reported gives a different impression according to which the reward a poor receives from glorification and magnification is more abundant than that of the rich, whose attainment of this reward is out of the bounty of Allah Almighty which He gives to whomever He pleases.

It is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: The poor sent me as a messenger to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and when I entered upon him I said to him: "I'm the messenger of the poor to you." He said: "Welcome to you and to those from whom you have come: they are a people whom I like." He (Anas) said: "They say to you: 'O Messenger of Allah, the rich have taken the entire good for themselves: they perform Hajj and we could not do, perform Umrah and we could not do, and when they fall ill, they give the surplus of their wealth as charity, to be ammunition for them (in the hereafter and we could not do so).'" The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Report the poor from me the message that 'Whoever of you keeps patient and expects the reward from Allah Almighty will have three merits, which will not be given to the rich: the first is that in Paradise, there are mansions to which the inhabitants of Paradise will look forward in the same way as the inhabitants of the earth look forward to the stars in the sky, which none shall enter but a poor Prophet, a poor martyr, or a poor believer. The second is that the poor will enter Paradise half a day, i.e. five hundred years, before the rich. The third is: "Glory be to Allah; praise be to Allah; there is no god to be worshipped but Allah; and Allah is Greater", which, if the poor says, in no way would the rich join him even if he spends for it as much as ten thousand Dirhams. The same is true of all acts of righteousness.'" He returned and told them about what the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" had said, thereupon they said: "We have been pleased, we have been pleased."

That indicates to the fact that his statement "That is the bounty of Allah Almighty which He gives to whomever He pleases" means the extra reward given to the poor for their celebration and supplication.

As for the second evidence, i.e. that self-sufficiency is the attribute of the Real, some scholars replied to him saying: "Do you see that Allah Almighty is self-sufficient with the help of means and causes?" he failed to answer. Others replied: "No doubt, superiority is the attribute of the Real, which requires that superiority should be better than humbleness." Then, they confirmed saying: "This indicates that poverty is better than richness, for poverty is characteristic of slavery which is good for the servant, like hope and fear, unlike the attributes of Lordship over which none should dispute Him. In support of that, Allah Almighty said about Himself as narrated from Him by our Prophet "peace be upon him": "Grandeur is My upper garment and magnificence is My lower garment; and whoever disputes with Me over anyone of both, I would break him." According to Sahl: "To love honor and eternity is to share Allah in Lordship, for they are characteristic of the Lord Almighty."

In sum, it is impossible to give preference to any over the other in general. What is not intended for itself in so much as for anything else should be

viewed in relation with that thing. The world is not banned for itself in so much as for the fact that it hinders one from reaching the presence of Allah Almighty, nor is poverty required for itself in so much as for removing the obstacle that hinders from reaching the presence of Allah Almighty. Many are the rich who were not occupied by their richness from Allah Almighty like Solomon "peace be upon him", Uthman Ibn Affan and Abd-Ar-Rahman Ibn Awf "Allah be pleased with them"; and many are the poor whose poverty engaged and diverted them from the real purpose in this world, i.e. the love for Allah Almighty.

Love for Allah could not be attained before gnosis, which is impossible in the presence of the worldly occupations; and poverty, like richness, might possibly be one of the worldly engagements. That is because the real engagement is the love for this world, and the love of this world and the love for Allah Almighty could hardly gather together in the heart. The lover of a thing is engaged in it, whether in connection with or desertion from it. Moreover, his desertion from it might engage him more than his connection with it, and vice versa. To be sure, the world is the beloved of the heedless, and the one deprived of it is engaged in pursuit of it, and the one possessing it is engaged in maintaining and enjoying it.

Thus, if two are supposed to have no love for wealth in the sense that both wealth and water are equal in their sight, both the possessor and deprived would be equal. That is because each of both does not get benefit but from what satisfies his need, and to have what satisfies one's need is better than to be deprived of it. By another consideration, the poor is farther from the risk, since the affliction of prosperity is more severe than that of adversity, and it is out of protection given to one that he becomes financially unable. For this reason, the companions "Allah be pleased with them" said: "We have been tried by the affliction of adversity, and we kept patient; and we have been tried by the affliction of prosperity, but we failed to keep patient." That is the character of almost all mankind except those who rarely exist across time.

But since the religious law addresses all the people and not only these who rarely exist, and consequently, since adversity, according to that concept, is of more benefit for them all, then, richness has been scolded and condemned on the account of poverty which has been given preference and praised. The Christ "peace be upon him" said: "Look not at the property of the inhabitants of this world for the glitter of their wealth extinguishes the light of your faith." According to a good religious scholar: "Turning (the coins of) money so much affects the sweetness of faith." According to a certain narration: "Every nation has a calf (which they worship), and the calf of this (Muslim) nation is the Dirham and Dinar (i.e. the wealth)." (Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Hudhaifah). Certainly you know that the material from which the calf of the people of Moses "peace be upon him" was made is gold and silver.

It is only the Prophets "peace be upon them" followed by the allies and devotees of Allah Almighty that in whose sight both wealth and water, both gold and stone are equal. They attain that degree of carelessness by virtue of Allah Almighty, and after long mortification and striving. The Messenger of

Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to say to this world: "Keep away from me." (Al-Hakim). It used to appear before him in her adornment. Ali "Allah be pleased with him" used to address gold and silver saying: "O yellow (gold)! Deceive anyone else other than me! O white (silver)! Deceive anyone else other than me!" he seemed to have felt the commencement of deception by those had he not seen the proof of his Lord.

This is the absolute self-sufficiency. In this context, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Richness is not to have much property; but richness is to be self-sufficient." But if this is too difficult for most of people to do, then, it is of more benefit for most of them to lose wealth, even if they are to give it in charity and spend it on what is good. That is because, having the financial capability, they would hardly be free from enjoyment of this worldly pleasures, and feeling comfort of spending money in it. All of this summons the intimacy to this world; and as much as the servant gets affable with this world, he feels aloof from the hereafter; and as much as he gets affable with anyone of his attributes, other than the attribute of gnosis of Allah Almighty, he feels aloof from Allah Almighty and from love for Him.

But on the other hand, whenever the means of intimacy to this world are cut off, the heart deserts from this world and its splendor. To be sure, if the heart deserts from everything other than Allah Almighty, and rather believes in Allah Almighty, it would be entirely devoted to Allah, for an empty heart is unimaginable. In existence, there is nothing but Allah Almighty and the other things; and whoever devotes himself to the things other than Allah, has deserted from Allah, and whoever devoted himself to Allah has deserted these things other than Him. As much as he devotes himself to anyone of both, he deserts from the other and as much as he comes close to anyone of both, he moves far from the other. Their example is like both the East and West: both are directions, and as much as one comes close to one, he becomes far from the other. Following that concept, to love this world means to dislike Allah Almighty, and vice versa.

In this way, the superiority of the richness and poverty is determined by the extent to which the hearts of the rich and poor are attached to wealth and property. If both are equal in it, they will be on the same degree. But richness is a place where one is more apt to slip and be deceived. The rich might have the false impression that his heart is detached from wealth and property, although the love for it is lurking within himself, and he feels it not unless he loses it. So, let him try himself by spending in charity all of his property: if he finds his heart inclined to it, let him know that he has been deceived by that false impression. How many a man who sold his beloved slave-girl thinking that his heart had been detached from her, and after delivering her to the purchaser, the flame of love and affection for her that was lurking in his heart was kindled in it, and he came to know that he had been deceived, and that love was lurking in his heart in the same way as fire is lurking underneath ashes.

This is the state of all the rich and wealthy except for the Prophets "peace be upon them" and the allies of Allah Almighty. Being so, let's say that poverty is

more suitable and beneficial for the people than richness, for the poor's relation and intimacy with the world is weaker. The more his relation with the world is weak, the greater the reward he receives from his glorifications and acts of worship is. The tongue movements are not intended for their own sake, but they are intended to confirm one's intimacy with the celebrated. They are more effective to raise intimacy in the heart that is empty from anything other than the celebrated more than in the engaged heart. For this reason, one of the righteous predecessors said: "The example of your worship while you are engaged in pursuit of this world is like him who extinguishes fire with grass, or him who washes his hands from the traces of fish with fish." According to Abu Sulaiman Ad-Darani: "The breath taken by a poor in avoidance of a desire he could not fulfill is better than the worship of a rich for as long as one thousand years." According to Ad-Dahhak: "If one enters the market and finds a thing for which he has desire (and could not buy it) on which he keeps patient and expects the reward from Allah Almighty, it would be better for him than one thousand Dinars to be spent entirely in the Cause of Allah."

A man said to Bishr Ibn Al-Harith: "Invoke good upon me for my dependents have harmed me." He said to him: "If your dependents complain to you that they have no baking powder nor bread, then, invoke Allah at that very moment, for your invocation would be better than mine." He used to say: "The example of the worshipping rich is like a garden on a trash, and the example of the worshipping poor is like a necklace of diamond in the neck of a beautiful woman."

They disliked to listen to knowledge from the rich people. Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" said: "O Allah! I ask You to put me to humiliation when the right is taken back from my own self, and make me abstinent from what is beyond the minimum requirements of living." If one like As-Siddiq "Allah be pleased with him" in his perfection was cautious of this world, then, how should one doubt that losing the money is more beneficial than having it, given that the rich in his best case takes what is lawful and spends on what is good? But even, he will suffer from a long reckoning on the Day of Judgement, and whoever is called to account would inevitably be punished. This is why Abd-Ar-Rahman Ibn Awf "Allah be pleased with him" delayed from Paradise for he was engaged in reckoning as seen by the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him".

For the same reason, Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" said: "I do not like to have a shop near the gate of the mosque from which I gain a daily profit of fifty Dinars which I spend entirely in charity in the Cause of Allah provided that no single prayer or supplication would escape me." He was asked: "Then, what do you dislike in it?" he said: "The long reckoning because of it." According to Sufyan: "The poor chose three things, and the rich chose another three things. The poor chose self-comfort, heart disengagement (from the worldly benefits), and light reckoning; whereas the rich chose self-trouble, heart engagement (in the worldly benefits and enjoyments), and severe reckoning."

As for Ibn Ata's opinion that the self-sufficiency is better for it is one of the attributes of the Real (Allah), it is true, provided that the servant, in that concept, is self-sufficient from both the existence and absence of money equally. But should he be self-sufficient with its existence, and insufficient with its absence, then, by no means would his self-sufficiency be equal to that of Allah Almighty, for Allah Almighty is self-sufficient by Himself and not by anything else perishable like money. Furthermore, that Allah is self-sufficient but not with means and incidents is true in condemnation of a rich who is self-sufficient only with the existence of money. That the attributes of the Real (Allah) are unfitting for the servant is not true, for knowledge is one of His attributes, and it is the best characteristic for the servant, and the utmost perfection of a servant is to endeavor to acquire the morals of Allah Almighty.

I heard one of the Sheikhs saying: "If anyone asks you the way to Allah Almighty, then, before cutting the way, the ninety-nine names of Allah Almighty become attributes for him, i.e. he would have a share from each one." But the superiority is unfitting for the servant, for to show grandeur to him who deserves it not is not among the attributes of Allah Almighty. But to show superiority to him who deserves it, like the believer's superiority over the disbeliever, the learned over the ignorant, and the obedient over the disobedient, it is fitting for him. It is true that superiority might lead to arrogance, haughtiness and vanity, but in this case, it becomes not one of the attributes of Allah Almighty. Superiority of Allah means that He is the Greatest of all things, a fact which He knows well.

The servant is ordered to pursue the highest rank (among all living beings), as long as he has the power to get it, but with truth and not falsehood and confusion. The servant has to know that the believer is more grand than the disbeliever, the obedient than the disobedient, the learned than the ignorant, and the man than the animals, plants and non-living organisms, and closer to Allah Almighty. It is in this concept only that the attribute of grandeur becomes fitting for him. But unfortunately, this is of the things unknown to the man for it is determined by the conclusion of his deed which none knows but Allah Almighty. Being so, it is not fitting for him to think himself in a rank higher than that of the disbeliever, for the deeds of the disbeliever might possibly be concluded with faith, and his deeds with disbelief. Thus, this thought is unfitting for him due to the shortage of his knowledge of the consequences and ends.

In sum, if both the existence and absence of wealth is equal to the man, that is a kind of independence, that matches, in some point, the self-sufficiency with which Allah Almighty is described. In this case, it is a virtue. But the self-sufficiency only with the existence of money has no virtue. That is an explication of the state of the satisfied and contented poor compared with that of the thankful rich.

The second situation: the comparison between the state of the thrifty poor and that of a thrifty rich. Suppose there is one person who petitions and seeks for wealth, but at the same time, he does not have it. But then he finds it. He

will have two states: the state of absence (of money) and the state of existence (of money). Which of both his states then is better? In answering that question, we should consider: if what he petitions is necessary for his living as to provide for his sustenance and enable him to undertake his religious duties, then, the state of existence would be better. That is because the poverty engages him in seeking for sustenance, and the sustenance petitioner could neither think nor celebrate (Allah) but to the extent to which he becomes disengaged from petition; and the one who has what suffices him has the power to do both (meditation and celebration). This is why the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "O Allah! Make the sustenance of the family of Muhammad "Allah's blessing and peace be upon him"no more than the minimum requirements of living." He "peace be upon him" further said: "Poverty is about to lead to disbelief)." He means of course that kind of poverty with which one does not have what is even necessary for his living.

But if what is brought is beyond the need, or what is sought or petitioned is in proportion to the need but will not be used to enable one to undertake his religious duties, then, the state of poverty will be better and more beneficial. That is because both the rich and poor have become equal in thriftiness and love for money, and in the fact that each of them does not intend to seek its aid to undertake his religious duties, and that each of them is not vulnerable to sin because of richness or poverty. But they differ in the fact that the rich has become affable with what he has, whose love is confirmed in his heart, with the result that he rests assured to the world; whereas the lacking who does not have even the necessities deserts from the world which becomes in his sight like the prison that he wishes to get rid of.

If two men, equal in all worldly things, come out of the world, with one of them more reliant on this world, his state then would be more detrimental, for his heart will turn to the world and feel aloof from the hereafter as much as he is affable with the world. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The Holy Spirit inspired to me that 'It is the same for you to love whomever you love, for you are going to leave him (by death sooner or later).'" This indicates to what extent the departure from the beloved is extremely detrimental. For this reason, you should love Him Who never leaves you, i.e. Allah Almighty, and love not that which will inevitably leave you, i.e. this world. If you love this world, you would necessarily dislike (to die and) meet Allah Almighty.

It has become clear that poverty is more noble, more beneficial and more suitable to all the people, except in two cases: the first is richness like that of A'ishah "Allah be pleased with her" according to which both the existence and absence of money are equally the same, with its existence being more advantageous for it benefits the poor, indigent and needy among men. The second is the poverty with which one does not have what is necessary for his living for it is about to lead to disbelief, in which no good lies under all circumstances, except if its existence will sustain him and enable him to seek the aid of his power and life to commit sins and misdeeds, and were he to die out of

hunger, his sins would be fewer. So, it is more suitable to him to die out of hunger and do not find what helps him commit sins.

There remains the comparison between a greedy poor who is extremely eager to seek property and he has no other concern, and a rich who is less eager to preserve and maintain his property, whose grief for losing it is less than the poor's for his poverty. It seems more apparent that they are far from Allah Almighty to the extent to which their grief for losing money and poverty is strong; and they are close to Allah Almighty to the extent to which their grief for it is weak. The full knowledge of that is with Allah Almighty.

CHAPTER FIVE

EXPOSITION OF ETIQUETTES OF THE POOR IN HIS POVERTY

It should be known to you that there are many etiquettes to be observed by the poor in himself, in his mixing with people and in his behaviors.

As far as his internal etiquettes are concerned, he should not dislike the poverty in terms of being an act of Allah with which He has tried him, i.e. he should not hate the act of Allah itself even though he dislikes poverty. His example is like the one who gets himself cupped: although he dislikes cupping for it aches him, but he does dislike neither the act of the cupper, nor the cupper himself, to whom he is under obligation (for he remedies him). That is the least degree, and it is obligatory; and its opposite is unlawful, and makes fruitless the reward of poverty. That is the significance of the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O assembly of poor! Be contented, from the depth of your hearts, with (what is given to you by) Allah, perchance you would attain the reward of your poverty, otherwise, you would attain nothing." (Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Abu Hurairah).

Higher than that is not to dislike poverty in so much as to be contented with it. Much higher is to petition poverty and be pleased with it, due to one's knowledge of the evils of richness, and, at the same time, to rely within himself on Allah Almighty, and be confident of Him that what is necessary for his living would inevitably come to him, and to dislike what is beyond the minimum requirements of living. Ali "Allah be pleased with him" said: "Poverty might be a punishment or a reward from Allah Almighty. Among the signs of its being a reward is that the poor makes good his manners on it, obeys his Lord with it, not to complain of it, and to thank Allah Almighty for his state, whatever it might be. Among the signs of its being a punishment is to make evil his manners, disobey his Lord with it, complain of it more often, and be displeased with the fate of Allah concerning it."

This means that not all poor are praiseworthy, but the praiseworthy among them is him who is not displeased with poverty, but rather pleased and contented with poverty, due to his knowledge of its fruits. It is said that "No servant is given anything of this world but that it will be said to him: 'Take it on three thirds: occupation, concern and long reckoning.'"

As for his outward etiquettes, it is to show abstaining and patience, and hide complaint and annoyance of poverty, for he is indeed required to conceal his poverty, and screen that he conceals it. The Messenger of Allah "Allah's

blessing and peace be upon him" said: "Indeed, Allah Almighty likes the abstaining poor who has dependents (for whom he is responsible)." In confirmation of that, Allah Almighty said: " the ignorant man thinks, because of their restraint, that they are free from want. You shall know them by their (unfailing) mark: they beg not importunately from all and sundry." (Al-Baqarah 273)

﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴿٢٧٣﴾﴾

According to Sufyan: "The best of deeds is to beautify oneself with patience when afflicted with disaster." According to another scholar: "To screen poverty is one of the treasures of righteousness."

As for his etiquettes in behaviors, it is not to humble himself before a rich just because of his self-sufficiency: on the contrary, he should give him the impression of superiority over him. Ali "Allah be pleased with him" said: "How good is the rich's humbleness before the poor in expectation for the reward of Allah Almighty; and better than it is the poor's superiority over him out of confidence of Allah Almighty." More less in rank is not to mix or sit with the rich, for this is the first commencement of covet. According to Sufyan Ath-Thawri: "When the poor mixes with the rich, then, you should know that he is a hypocrite; and if he mixes with the ruler, you should know that he is a thief." According to a Gnostic: "If the poor mixes with the rich, his handhold would be untied; and when he covets of them, his infallibility would vanish; and when he finds tranquility with them, he would go astray." Therefore, the poor should not refrain from making public the truth, out of adulation of the rich and covet of their gifts.

As for his etiquettes in his deeds, he should not weaken or stop from his acts of worship because of poverty, nor desist from giving in charity what is beyond his need, no matter how little it might be. This is indeed the effort of him who has but little, which is better than a lot of money to be spent by the rich. In this respect, it is narrated on the authority of Zaid Ibn Aslam that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A single Dirham to be given in charity might be better in the Sight of Allah Almighty than one hundred thousand Dirhams." It was said to him: "How is that O Messenger of Allah?" he "peace be upon him" said: "A rich brought out of his property one hundred thousand Dirhams and gave it in charity; and a poor brought a single Dirham with good pleasure out of two Dirhams more than which he possessed nothing, and gave it in charity. In this way, the giver of the single Dirham became better than the giver of the one hundred thousand Dirhams." (An-Nasa'i on the authority of Abu Hurairah).

He further should not save money: But rather take what satisfies his need and give the remaining in charity. There are three degrees about saving: one is to save only for his day and night; and this is the rank of the sincere lovers of truth. The second is to save for as long as forty days, and what is more is included in the long hope. This was understood by the religious scholars from the appointment given by Allah Almighty to Moses "peace be upon him". This is the rank of the pious. The third is to save for as long as one year, and this is the maximum

period allowed for saving; and this is the rank of the righteous. Whoever saves for a period longer than that belongs to the laymen and not the private among men. The self-sufficiency of the righteous whose reassurance is weak is as much as the sustenance of his year; and the self-sufficiency of the private is as much as the sustenance of forty days; and the self-sufficiency of the private of the private is only the sustenance of a day and a night.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" divided his women according to those three ranks: He gave some of them the sustenance of a complete year, and others the sustenance of forty days and nights, i.e. the division of A'ishah and Hafsah "Allah be pleased with them"

CHAPTER SIX

EXPOSITION OF ETIQUETTES OF THE POOR IN ACCEPTING GIFTS WHEN GIVEN TO HIM WITHOUT BEGGING

The poor should observe three things when a gift is given to him: The property itself from which the gift is given, the purpose of the giver, and his rationale for accepting it.

As for the property, it should be lawful, completely free from all suspicions. If it is suspicious, he should avoid taking it. We have mentioned in the Book of the Lawful and Unlawful the degrees of suspicion, and what should be avoided, and what is desirable to be left thereof.

As far as the purpose of the giver is concerned, it might be to please his heart and seek his love through the gift, or seek reward through the object of charity or Zakat, or seek reputation and to be heard and seen of men, wither alone or in combination with other purposes.

As for the first purpose, i.e. the gift, there is no harm in accepting it, in imitation of the sunnah of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", provided that the taker should not become under obligation to the giver, in which case, it should be rejected. If it is learnt that he would be under obligation for a part and not all of it, let him accept that part and return the other. It is related that once cooking butter, yogurt and a ram were given as a gift to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" thereupon he accepted the cooking butter and yogurt, and returned the ram. (Ahmad on the authority of Ya'li Ibn Murrah). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further used to accept the gift from some and return it from others. (Abu Dawud and At-Tirmidhi on the authority of Abu Hurairah). In this respect he "peace be upon him" said: "I intended not to accept a gift but from a Qurashi, a Thaqafi, an Ansari, or a Dawsi." (At-Tirmidhi on the authority of Abu Hurairah). A group of Followers did the same in imitation of him.

Once, a parcel of fifty Dirhams was brought as a gift to Fath Al-Mawsili, thereupon he said: Ata' reported to us from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that he said: "Whoever received sustenance without begging and he returned it, has indeed returned it to Allah Almighty." Then, he opened the parcel and took a Dirham from it and returned the remaining of it. Al-Hassan used to relate this narration when a case of money and a package of fine clothing of Khurasan were brought to him by a man thereupon

he returned them and said: "Whoever sits in this position of mine, and accepts from the people the like of that would meet Allah Almighty on the Day of Judgement having no share (in the hereafter)." This means that the religious scholar and preacher should be more cautious of accepting gifts. But Al-Hassan, at the same time, used to accept gifts from his companions.

Ibrahim At-Taimi used to ask some of his companions for one or two Dirhams, given that others offered to him hundreds of Dirhams, and he rejected it. It was the habit of one that if he was given something by his friend, he would say to him: "Keep it with you and consider whether I have become better in your sight after accepting it than I was before accepting it, tell me, otherwise, I would not accept it." The sign of that is one feels it difficult upon himself if his gift is returned to him, and rather becomes pleased if it is accepted, seeing himself under obligation to his friend who accepts his gift. But if the giver feels that the taker should be under obligation to him because of his gift, then, taking it is permissible, but unfavorable in the sight of the poor who are sincere lovers of truth.

Bishr said: "I have never asked anyone for anything except Sari As-Saqati, for in my sight he is really abstinent from this world: he always is pleased with what he gives out, and disturbed by what remains in his hand; and when I ask him for something, I help him do what he loves." On another occasion, a man from Khurasan brought some money to Al-Junaid and asked him to devour it. He said: "Let me distribute it among the needy and indigent." The man said: "No, I do not like this." Al-Junaid said: "Then, to which time should I live to be able to devour all of this money?" the man said: "I do not like you to consume it on vinegar and grains, but on sweet and delicious kinds of food." He accepted it from him. The man from Khurasan said to him: "I do not find anyone in Baghdad more trustworthy than you." He replied: "Such should not be accepted but from the like of you."

The second purpose is the mere reward, through the objects of charity or Zakat. In this way, he has to consider himself whether he deserves Zakat, and if it seems suspicious to him, then, accepting it would be suspicious. We have mentioned the details of that in the Book of the Mysteries of Zakat. If he is given by way of charity for the sake of his religion, then, he should consider his religion from within: if he commits a sin in secret and should the giver know it he would not give him, then, accepting it would be unlawful, like the case in which he is given for the giver thinks he is a religious scholar, and he is not so, then, taking it would be rendered unlawful.

The third purpose is to seek reputation and intend to be seen and heard of men. Being so, the poor should disappoint his purpose and reject to take from him in order not to help him achieve his corrupt purpose. Sufyan Ath-Thawri was in the habit of returning what he was given saying: "Were I to know that they do not mention it out of pride, I would accept it." One was blamed for returning what he was given and he said: "I indeed return their gifts out of pity and sympathy for them, and sincerity to them, for they mention it out of pride of it, and like it to be known among the public, with the result that their wealth would vanish with no reward."

As regards his rationale for taking, he should consider whether or not he is in need of it. If he is in need of it, and at the same time, it is free from all suspicions and evils we have previously mentioned, then, it would be better for him to take it. In confirmation of that, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The reward received by the giver out of his abundant wealth is no greater than that received by the taker if he is in need of it." (At-Tabarani on the authority of Ibn Umar). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Whoever is given anything of that property, with neither begging nor greed, then, it is a sustenance brought by Allah to him." So, "Let not him return it" according to another version.

According to a religious scholar: "Whoever is given and does not take is like him who begs and is not given." Sari As-Saqati used to give gifts to Ahmad Ibn Hanbal. Once, Ahmad returned it, thereupon Sari said to him: "O Ahmad! Beware of the evil of returning, for it is more grievous than the evil of taking." Ahmad asked him to repeat his statement to him once again, and he did accordingly, thereupon Ahmad said to him: "I have not returned your gift to you but because I have the sustenance of a month. So, keep it for me with you, and after a month, give it to me."

According to a certain religious scholar: "It is feared that returning with need might lead to the punishment of testing with covet, or any other allegation." But if what is brought to him is beyond his need, he is either responsible for himself only, or in charge of spending on the poor and needy due to his natural kindness and generosity. If he is responsible only for himself, then, there is no need for taking it, particularly if he is following the way to the hereafter, otherwise he would be among those who follow their own inclinations. To be sure, whoever hovers round the protected zone is about to fall in it.

As regards taking, one has two positions: the first is to take in public and return in secret, or to take in public and spend on the poor in secret. That is the position of the sincere lovers of truth, and it is indeed difficult on the soul, and none endures it but he who is self-reassured by discipline.

The second is not to take, and rather let the giver direct it to him who is more needy than him, or to take and convey it to him who is more needy than him, doing both either in secret or in public. We have previously mentioned whether it is better to show or disclose taking in the Book of the Mysteries of Zakat and some rules of poverty.

That Ahmad Ibn Hanbal abstained from accepting the gift of Sari As-Saqati, was because he was not in need of it, for he had his sustenance for a month. So, he rejected to engage himself in taking it, and storing more sustenance, and rather preferred that it be given to him who might be more needy than him. He thereby intended to avoid whatever evils and risks that might arise.

In this respect, it is related that one living in Mecca said: "I prepared many Dirhams to spend in the Cause of Allah Almighty when I heard a poor saying in a very low tone after finishing from circumambulation: "I am hungry as You see; I am naked as You see: so, what do You see O He Who sees and is

not seen?" I looked and behold! He had two pieces of cloth which hardly covered his body. I said to myself: "There is no place for my Dirhams better than this." I carried them to him and he looked at them and took only five Dirhams and said: "Four for both upper and lower garments, and one to spend (on food) for three days, and I have no need for the rest." So, he returned it. On the coming night, I saw him having new upper and lower garments, and something suspicious arose in myself about him. He turned to me and took hold of my hand, and made me circumambulate with him for a week, each round on a kind of diamond from among the land's minerals clattering underneath our feet up to the ankles, including gold, silver and pearl, and all of this was not visible to the people. He said: "I have been given all of this, but I abstained in it, and I preferred to take from the hands of the people, for the former is but burdens and source of temptation, and the latter brings about mercy and blessing to the people."

The point is that what is beyond your need comes to you by way of affliction and trial so that Allah Almighty looks at you to see what you would do with it. At the same time, what satisfies your need only comes to you out of pity and sympathy for you. So, do not be heedless of the difference between sympathy and trial. Allah Almighty said: " That which is on earth We have made but as a glittering show for the earth, in order that We may test them, as to which of them are best in conduct." (Al-Kahf 7)

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Mankind has no right but in three: food to sustain him, a garment to cover his private parts, and a house to shelter him; and what is beyond those would draw reckoning upon him." (At-Tirmidhi on the authority of Uthman Ibn Affan). Then, in taking only your needs from those three, you would be rewarded, and in taking what is beyond your need you would be vulnerable to reckoning, if you do not disobey Allah, and to punishment if you disobey Allah.

It is out of testing to have the determination to leave a lawful pleasure, in order thereby to come close to Allah Almighty, and break the appetites of your self. But then, this pleasure might come to you effortlessly without endeavor to get it as an examination of the resolute power of your determination. But it is preferable for you to abstain from it, for if the soul is allowed to repeal determination, it would gradually get accustomed to repeal the covenant and pledge, and return to its nature and become too difficult to overpower once again. So, to leave it is important, and it is asceticism. But if you take it and spend it on the needy and indigent, it would be the utmost degree of asceticism, which none is able to achieve but the sincere lovers of truth.

But if you are in the habit of generosity, openhandedness and taking care of the poor and needy, then, there is no harm to take what is beyond your needs, for it indeed would not be beyond the need of the poor, and hasten to spend it on them, and save it not, for to withhold it even for as short as a single night brings about temptation and seduction, as it might appeal to your heart, and seem to you to keep it for yourself. A group of people betook themselves to serve the poor as

a means of increasing their property and enjoying food and drink; and this is, to be sure, the evident destruction.

Whoever aims to show sympathy for the poor, thereby seeking the reward, there is no harm to loan, depending on the good assumption of Allah Almighty, and not depending upon the wrongful rulers. If Allah Almighty bestows anything lawful upon him, he would fulfill his debt, and if he dies before fulfilling it, Allah Almighty would fulfill it on his behalf, provided that he should disclose his financial status to the loaner: He should neither deceive him nor give him false promises about the time of fulfillment. The debt of such a man should be fulfilled from the treasury, and from Zakat. Allah Almighty said: " Let the man of means spend according to his means: And the man whose resources are restricted, let him spend according to what Allah has given him. Allah puts no burden on any person beyond what He has given him. After a difficulty, Allah will soon grant relief." (At-Talaq 7)

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾

It is said that it means to sell one of his two garments, or to loan depending upon his majesty, and this is of what Allah Almighty has given him.

One of the scholars said: "There are from Allah's servants such as spend according to their means, and such as spend according to their good assumption of Allah Almighty." One of the wealthy died and bequeathed that his wealth should be divided among three kinds of persons: the strong, the generous and the self-sufficient." It was asked: "Who are those?" it was said in reply to that: "The strong are those who rely on Allah Almighty. The generous are those who have good assumption of Allah Almighty. The self-sufficient are those who devote themselves wholeheartedly to Allah Almighty."

In sum, once those conditions concerning himself, the wealth, and the giver, are available, let him take what is given to him, seeing that what he takes is from Allah Almighty and not from the giver, for the giver is but an intermediary subjugated by Allah to give, in which he is forced to do, due to the motives, beliefs and wills that are invested with authority over him.

It is related that a man invited Shaqiq among fifty of his companions to a banquet and when the food was served before them Shaqiq said to his companions: "This man tells you that whoever of you does not see that it is I who have made and served this food to you, then, my food would be forbidden to him." All of them left except for a young man less than them in rank. The house lord said to Shaqiq: "What have you intended by that which you said?" he said: "I have liked to test the degree of monotheism of my companions."

It is further related that Moses "peace be upon him" said: "O Lord! You have made my sustenance in the hands of the children of Israel: one of them gives me the early meal one day, and another the evening meal one night and so on!" Allah Almighty revealed to him: "As such I do with My allies: I make their sustenance in the hands of the idle among My servants in order that they would be rewarded for them."

So the giver should be seen only as somebody subjugated and hired by Allah Almighty to give (what is doomed to be given by Allah). We ask Allah to guide us to what pleases Him.

CHAPTER SEVEN

EXPOSITION OF PROHIBITION OF BEGGING WITH NO NECESSITY; AND ETIQUETTES THEREIN IF ONE IS FORCED TO DO

It should be known to you that begging was forbidden by many narrations although concession might be given in some cases. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The beggar has a right (to take) even if he is coming on horse." (Abu Dawud on the authority of Al-Hussain Ibn Ali). He "peace be upon him" further said: "Return the beggar with anything even (as trifling as) a burnt hoof." (Abu Dawud, At-Tirmidhi and An-Nasa'i on the authority of Umm Majid). Had begging been absolutely prohibited, it would not have been permissible to aid him as a transgressor in his transgression by giving him.

But even, the reality is that begging is, in principle, prohibited unless if there is a dire necessity, or a need close to necessity, in the absence of which, it becomes prohibited. We say that it is prohibited in principle for it could hardly be free from three prohibited things:

The first is to complain of Allah Almighty. To be sure, begging is to show poverty, and the shortage of the favor of Allah Almighty on the beggar. As well as if the slave begs, he disgraces his master, when people begs from each other, they indeed disgrace Allah Almighty. This should be prohibited unless there is a dire necessity, in the same way as the dead becomes lawful when one is forced by necessity.

The second is that the beggar humiliates himself to others than Allah Almighty. It is not fitting for a faithful believer to humiliate himself to anyone other than Allah Almighty. But he has to humiliate himself to Allah, his Creator and Protector, for to humiliate oneself to Allah is to honor oneself, unlike to humiliate himself to anyone else, for all the people are but servants like him. So, he should not put himself to humiliation before them unless there is a dire necessity. To be sure, begging puts the beggar to humiliation before the begged.

The third is that he often harms the begged who might not be pleased to give him. If he gives out of feeling shy of the beggar, or by way of showing off, it would be unlawful for the taker to take it; and if he withholds it, he might possibly feel shy and be harmed by prevention, as he would think himself among the niggards. Giving would decrease his property, whereas withholding would decrease his majesty, and both are harmful; and it is the beggar who causes such harm, which is unlawful in itself unless there is a dire necessity.

Having understood those three forbidden things, you would surely comprehend the significance of the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Begging the people is among the immoralities, and no immorality other than it has been made lawful by Allah." Consider how he "peace be upon him" called it immorality. It is not hidden that immorality

could not be made permissible unless there is a dire necessity, like drinking wine which is permissible only when food chokes one and he finds nothing other than it.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever begs although he is free of want, has indeed gained much of the pieces of the fire of Hell." (Abu Dawud and Ibn Hibban on the authority of Sahl Ibn Al-Hanzali). He "peace be upon him" further said: "Whoever begs the people and he has what makes him free of want, would come on the Day of Judgement having his face of bones smashing with no flesh to cover it" or (according to another version), "with his begging in the form of scratches and slashes in his face." (Abu Dawud, At-Tirmidhi, Ibn Majah and An-Nasa'i on the authority of Ibn Mas'ud). Those are clear statements about the severe prohibition of begging.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" accepted the pledge of allegiance from some people on Islam, provided that they should hearken and obey, and then he said to them a hidden word, and then resumed: "And beg nothing from the people." (Muslim on the authority of Awf Ibn Malik Al-Ashja'i). the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" more often commanded the people to refrain from begging and said: "Whoever begs us, we would give him, and whoever seeks self-sufficiency, Allah Almighty would make him self-sufficient; and whoever does not beg us is indeed dearer to us." (Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Make yourselves self-sufficient from the people; and whoever reduces his begging is good." They said: "And even from you O Messenger of Allah?" he answered in the affirmative. (Al-Bazzar and At-Tabarani on the authority of Ibn Abbas). Once, Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" heard a man begging after evening, thereupon he asked one of his people to serve him with supper. When he did he heard him begging once again, thereupon he said to the man from his people: "Have I not told you to serve the man with supper?" He said: "I have done." Umar "Allah be pleased with him" looked and behold! There was a bag full of bread underneath his hand. On that he said: "You are not a beggar, but a trader." He then took the bag and distributed the bread among the camels assigned to charity and beat him with the stick and asked him not to do so once again. Had his begging not been unlawful, he would not have beaten him, nor taken the bag from him.

A narrow-minded jurist might estrange that behaviour of Umar saying: "To beat him with the stick is to discipline him and it is permissible under Sharia. But it was not fitting for Umar "Allah be pleased with him" to take the property of the man for it is confiscation. Then, how did Umar render it permissible?" this argument, to be sure, indicates to shortage of religious knowledge and understanding. Where are all the religious jurists from the religious knowledge and understanding of Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" and well-awareness of the mysteries of the religion of Allah Almighty and the interests and benefits of His servants? do you see that he did not learn that confiscation is impermissible in the religion of Allah? Or do you see that he learnt

it and rendered it permissible out of anger, thereby he disobeyed Allah Almighty? Allah forbid that he might do so! Do you see that he wanted to scold the man in a way that was not prescribed by the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"? How far he was from that!

What seemed to him was that the man was self-sufficient of begging, and whoever gave him would do so, thinking he was in need. But since the man was false, this property did not become his own, for he took it by way of dissimilation. Then, it was to be given back to its real owners; and since it was difficult to be distinguished, as well as to know the owners, it became property with no owner, and thus it was incumbent to spend it on the public interests of Muslims; and the camels assigned to charity and their fodder are among the public interests. The point is that the beggar who takes anything from the people by deception, i.e. after giving them the false impression of being needy and he is not so, then, what he takes does not belong to him and it rather should be taken back from him. This behavior of Umar confirmed that meaning of which a lot of religious jurists are heedless.

Having known that begging would be made permissible only when there is a dire necessity, then, you should know that one might be forced by necessity, have a dire need or a light need, or be self-sufficient of a thing. Those are four cases:

The first case in which one is forced by necessity, is like the begging of the hungry when he fears death or ailment for himself, the begging of the naked when he is exposed and has nothing to screen his body. It is permissible as long as the other conditions are available, i.e. the thing to be begged is permissible, the one from whom it is begged is well-pleased inwardly, and the beggar is unable to earn his living. To be sure, begging is forbidden to him who is able to earn his living, except in the case of the student, when the study takes up all his time. But in general, whoever could write and read is able to earn living through writing.

As for the self-sufficient, it applies to him who asks for a thing and he has the like or many likes of it. To be sure, his begging is prohibited. This and the previous case are clear.

As for him who has a dire need, it is like the patient who needs medicine, and although no death is feared for him if he does not use it immediately, at least he is probably vulnerable to risk. The same applies to him who has a cloak without a shirt underneath it in the winter and chill harms him but not to the point that forces him by necessity. Similarly, the one who begs to hire a vehicle given that he could hardly walk: Although begging might be permissible for him for he is in dire need, it is preferable to leave begging, and by begging, he leaves what is preferable. Anyway, his begging is not unfavorable as long as he is true to it, saying, for example: "I have no shirt underneath my cloak, and chill harms me in such a way as I could endure even though with trouble." If he is true, then, his truthfulness would be expiation for his begging, Allah willing.

As for the case of the light need, it is like one's begging for a shirt to put on to screen the holes of his garment from the eyes of the people when he comes

out of the house, or him who begs condiment and he has the bread, or begs to hire a horse on the way and he has as much as enables him to hire a donkey, etc. If such begs by way of dissimilation, i.e. he tries to show to the people whom he begs a need different from his real one, his begging then would be unlawful. If he does not and rather there is anything of the three forbidden things, i.e. the complaint (of poverty), self-humiliation, and harming him whom he begs, then, his begging would be also unlawful, since such a light need is alone not sufficient to make permissible those forbidden things. If there is nothing of those, it would be permissible, though unfavorable.

You may ask: "Then, how could you free begging from all those forbidden things?" in reply to that, it should be known to you that complaint (of poverty) might be averted by giving thanks to Allah Almighty, and being self-sufficient of anyone other than Him. One should not beg like the begging of the needy, but rather he might say: "I am free of want with what I have. But my reckless soul requires me to have a garment to put on over mine, and it is extra beyond the need." In this way, he would not be a maker of complaint (of poverty).

In order to avoid humiliation, let him ask his father, relative, or friend he knows he would not contempt him, nor would his position decrease in his eyes because of begging. Let him also ask the generous man who has prepared his wealth for those things and is pleased with the like of this beggar and becomes under obligation to him because of taking from him. In this way, humiliation would be removed from him, for humiliation is correlated with favor.

In order to avoid harming, he should not designate a particular person by begging: But rather, let him make his speech indirectly, so that none would take the initiative to give but he who has a true desire for doing so willingly and with good pleasure. If there is among the present people a respected person who would be blamed in case he does not give, this would be a kind of harming. He might give only for fear of blame, and were he not to be blamed, he would not give. In case he begs a particular person, he should speak indirectly and with reference, giving a way for him to claim to take no heed if he likes to do so. But if he does not claim to take no heed, and he is able to do it, it would be out of his true desire and good pleasure. Furthermore, one should beg only him who never feels shy of him once he returns him empty or claims to take no heed of his speech. As well as feeling shy of the beggar is harmful, showing off with anyone other than the beggar is also harmful.

You may ask: "If he takes it, knowing that what caused the giver to give is only the feeling of shyness either of him or of the present people, and but for this feeling he would not have given him anything, then, should what he takes be rendered lawful or suspicious?" in reply to that, let me say that it is evidently unlawful, and there is no difference among the religious scholars about it. It is subject to the same ruling of taking the money of another by force or confiscation. There is indeed no difference between beating the surface of a person's skin with the lash or beating his heart with the feeling of shyness. Beating the heart is more harmful and detrimental than beating the surface of the skin.

It is impermissible to claim that he has been pleased with giving it outwardly, depending upon the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "I only judge depending upon your outward behaviors and Allah is responsible for the inner secrets." This is the necessity of judgement to decide the cases, for the foes could hardly be brought back to their inner secrets and thoughts. For this reason, they were forced to judge depending upon the apparent speech of the tongue although it more often tells lies; and it is the necessity of judgement that forced to it. But this is different from the case in issue, in which the only judge is Allah the Judge of all judges on what is between the servant and his Lord Almighty, and the hearts to Him are like the tongues to all the other judges.

So, you do not consider but your heart in such cases, even if the people give you their opinions differently. The religious Mufti instructs the ruler and judge to judge in the world of the visibles, whereas the Mufti of the hearts is only the learned of the hereafter, and with the help of his fatwa is the salvation from the punishment of the hereafter, as well as with the fatwa of the religious jurist is the salvation from the punishment of this world. If, after all of this, he takes it under compulsion (of the giver), by no means he would be its owner in what is between him and Allah Almighty, and it becomes incumbent upon him to return it to its owner. If its owner feels shy of taking it back, the taker should give him as a gift something in compensation for it. If he does not accept his gift, he should return it to his heirs. If it is damaged in his hand, its warranty remains due upon him in what is between him and Allah Almighty, whereas he is disobedient by disposing of it, as well as by begging that caused this harm from the beginning.

You may ask: "That is an inward thing too difficult to learn. So, what is the way of salvation from it? A beggar might think that the giver is pleased, although he is not so inwardly." In reply to it, let me say that it is for this reason that the pious left begging entirely. They never took anything from anyone at all. Bishr never took a thing from anyone at all except for As-Saqati. In justification, he said: "I take from him for I learn that he is pleased with giving out the money and (by taking from him) I help him do what he likes to do." For this reason also, begging was disapproved by them, and abstention from it was confirmed. The beggar's necessity might cause harm to him who he begs. The beggar might be on the threshold of death, and he has no way of deliverance but to beg, and he finds none to give him but under compulsion. In this way, it is made permissible for him just as eating the flesh of swine and the dead is made permissible for him who is forced by necessity.

But even, abstention was always the way of the pious among men. There were also some masters of hearts whose insight enabled them to perceive the states of men, thereupon they accepted to take from some and not from others. Some of them did not take but from their friends, and others took some and returned some of what was given to them, as the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did with the ram, cooking butter and yogurt, given that it was brought to them without begging, for what is given without begging indicates

to the true desire and good pleasure of the giver.

They indeed abstained from begging at all except in two cases:

The first is the dire necessity. Three from among the Prophets begged when they were forced by dire necessity, i.e. Solomon, Moses and Al-Khadir "peace be upon them". Undoubtedly, they begged only him whom they knew to have wished to give them.

The other is that they begged their friends and brothers , from whom they used to take what they needed without permission, for the masters of hearts knew, for certain, that what is intended is the pleasure of the heart and not the utterance of the tongue. They confided that their friends and brothers rejoiced at taking it easy with them. They asked them only when they doubted whether or not they had what they wanted from them, otherwise, they took what they needed without asking.

However, what makes begging permissible is to know that he whom you beg is in such a state as were he to learn your need, he would hasten to fulfill your need before you beg him, and the impact of your begging on him is that it just lets him know your need. But it is impermissible to move his emotion by means of shyness and trickery. The beggar is encountered by two cases: the first is that in which there is no doubt about the internal pleasure of the giver; and the other is that in which there is no doubt about his aversion. As for the first case, taking is lawful, whereas it is illegal in the other. But in between those two cases, there are many states in which there is doubt. So, let him seek the advice of his heart, and leave what arouses suspicion in his heart, for it is sinful, to that in which he has no doubt.

It is easy to know that through the presumptions and states, but easy only on him who has a good and deep insight versus a weak desire and appetite. But if his insight is weak, and his desire and greed strong, then, he would see only what befits his purpose, and make no heed of the presumption indicative of aversion. It is only with the like of those subtleties that one comes to understand well the significance of the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "The best (and most lawful) thing to eat is what one gets from his own earnings." He "peace be upon him" was given the gift of the shortest expressions that carry the widest and most comprehensive meanings.

To be sure, whoever has no earnings, nor wealth he has inherited from the property of his father or anyone of his relatives, let him eat from what is in the hands of the people. If he is given without begging, he then will be given depending on his religion. But if he is in such a state as were his inside to be disclosed, he would not be given depending on his religion (as he would prove wicked), then, what he takes would be rendered unlawful. Furthermore, were he to be given with begging, where is such as pleases him with giving once he is begged? Where is he who restricts his begging only to the limit of his dire necessity? If you inspect the states of those who eat from what is in the hands of the people, you would find the greatest portion of it illegal, since the good (and lawful) is that which you eat from your own earnings, or from what you have inherited.

It is almost impossible to combine abstention and eating from what is in the hands of the people. We ask Allah Almighty to remove our covet of anyone else other than Him, and make us self-sufficient with the lawful from the unlawful in His Sight, and with His bounty from anything else, by His favor and extensive generosity: He has power over what He pleases.

CHAPTER EIGHT

EXPOSITION OF THE EXTENT TO WHICH SELF-SUFFICIENCY MAKES BEGGING UNLAWFUL

It should be known to you that the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Whoever begs and he is self-sufficient has indeed begged pieces of fire: so, let him beg much (if he so likes) or little (if he so likes) thereof" is a clear proclamation for prohibition. But the extent to which one is self-sufficient is difficult to determine, and it is not up to us to fix the amounts, since it is learnt from the sunnah. It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Be self-sufficient with the self-sufficiency of Allah Almighty of anything else." They asked: "What is that?" he said: "The early and evening meals of a day and a night." (Ahmad on the authority of Ali; And the author of Al-Firdaws on the authority of Abu Hurairah). According to another Hadith the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever begs the people and he has fifty (or forty according to another version) Dirhams or its like of gold has indeed begged them importunately (with no just cause)."

However, regardless of the difference of amounts, as long as the narrations are authentic, it should be believed that they were mentioned in reference to different states. That is because the truth is only one, in which estimation is impossible. All to do is to resort to approximation, depending upon an encompassing division of the states of the needy. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Mankind has no right but in three: food to sustain him, a garment to cover his private parts, and a house to shelter him; and what is beyond those would draw reckoning upon him." (At-Tirmidhi on the authority of Uthman Ibn Affan). Let us make those three the foundations of needs from which we could know their kinds, and then move to consider those kinds, and their amounts in relation to the different times and states.

As for their kinds, they are those three. Attached to them are their likes such as the charge of hiring a vehicle for the traveler if he could not walk on foot; and the same applies to the similar tasks and missions. This also includes his dependents and all things under his guardianship.

As for the amounts, the clothes, for example, should be fitting for him, as a man of religion, who wears it, i.e. it should consist of a single garment, a shirt underneath it, a handkerchief, a trousers, an underwear, and a pair of sandals. That is the necessary, and the second of any kind is always dispensable, whether in clothes or in anything else. It is on this that you should measure all things like the furniture, and their like. Furthermore, one should not seek the finest among the clothes, the most expensive among the furniture, and so on if the cheaper

could fulfill the purpose, provided that he should not be extremely far from the usage of his people.

As for food, it should be as much as a Mudd per day, as decreed by the religious law, of any kind of sustenance, even parley. The availability of condiment perpetually is surplus, whereas deprivation of it entirely is detrimental. It is required but sometimes, in which there is concession.

As for the residence, the minimum is that which is sufficient to give shelter, without adornment. To beg for adornment and enlargement is to beg while you are self-sufficient.

As for time, there is no doubt that what one needs immediately of sustenance for a day and a night, residence and clothes, is necessary. But to beg for what he would need in the future, it is of three degrees: The first is what he needs in the coming day. The second is what he needs for forty or fifty days. The third is what he needs for a full year. Let us put it decisively that whoever has what suffices him and his dependents, if he has dependents, for a full year, his begging is unlawful. What he has is the highest degree of self-sufficiency. To this applies the estimation of fifty Dirhams in the statement of the Prophet "peace be upon him".

To be sure, five Dinars could suffice a single man for a full year if he is thrifty. But if he is to help and aid others with money, perhaps this sum would not be sufficient for him. He may be in need of that before the end of the year. In this case, if the opportunity of begging is available to him, his begging for it is unlawful, for he is self-sufficient immediately, and he might not live until the next day, and in this way, he begs for what he needs not. It suffices him the early and evening meals of a day and a night. To him applies the narration about that estimation (we have related earlier).

But if the opportunity of begging would escape him and he would find none to beg him later, then, it would be permissible for him to beg, for a year stay expectation is not considered a long hope; and were he to delay begging, he fears he would fail to aid whomever he used to aid. But if his fear of begging in the future is weak, and what he begs for is unnecessary, then, his begging would be unfavorable, and the degrees of unfavorableness differ according to the weakness of necessity, fear to skip begging, laxity of time, and so on: and all of this could not be adjusted and rather should be subject to the striving and estimation of the servant himself in what is between him and Allah Almighty, in which he should seek the advice of his heart and act upon it, if he is to follow the way to the hereafter.

The more one is strong in certainty, more confident of the coming of the sustenance from Allah in the future, and more satisfied with the immediate sustenance, the higher the degree he will have with Allah Almighty is. If Allah Almighty bestows upon you the sustenance of you and your dependents for a day and a night, and you also feel afraid of the future, it would be only due to your weak certainty and rather paying attention to the intimidation of Satan to you. Allah Almighty said: " It is only Satan that suggests to you the fear of his votaries: Be you not afraid of them, but fear Me, if you have Faith." (Al Imran 175)

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

And: "Satan threatens you with poverty and bids you to commit immorality. Allah promises you His forgiveness and bounties. And Allah cares for all and He knows all things." (Al-Baqarah 268)

﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

Begging is one of the immoralities that was made permissible only for him who is forced by necessity. The one who begs for a thing he needs along the year, but not immediately, is worse than him who has wealth in his possession which he inherited and saved for something to fulfill after a year. Although both are permissible, under the fatwa of the religious jurists, to beg, they do so because of their love for this world, long hope in it, and mistrust of the bounty of Allah Almighty. This is one of the greatest destructives. We ask Allah Almighty to help us with His bounty and favor.

CHAPTER NINE
EXPOSITION OF STATES OF BEGGARS

Bishr used to say: "The poor are of three kinds: A poor never begs and even if he is given, he never takes; and this would be with the angels in the highest place of Paradise. A poor never begs but if he is given, he takes; and this would be in the company of those close to Allah Almighty, in the Gardens of Paradise. A poor begs when he is in need; and this would be in the company of the sincere lovers of truth, from among the companions of the right hand."

There is consensus then on condemnation of begging, which, even with deprivation and poverty, degrades one's rank and position. Shaqiq Al-Balkhi said to Ibrahim Ibn Adham when he came to him from Khurasan: "How have you left the poor from among your companions?" he said: "I have left them in such a state as if they were given, they would be thankful, and if they were deprived, they would be patient." He thought that, by leaving begging, they deserve appreciation. Shaqiq said: "As such I have left the dogs of Balkh." Then, Ibrahim asked him: "How have you left the poor in your town O Abu Ishaq?" He said: "The poor in our town are in such a state as if they were deprived, they would give thanks; and if they were given, they would favor, with what they were given, the others over themselves." He kissed his head and said: "You have told the truth, O mister!"

The degrees of these of different states among people concerning contentment, patience, gratitude and begging are numerous; and the one who follows the way to the hereafter should be well-acquainted with them, and how they are divided and differ in rank, for should he not know them, he could not know how to upgrade from the lowest to the highest of them. However, man was created in the highest of moulds, and then abased (to be) the lowest of the low, and was required to upgrade to the highest of the high once again. Whoever is not able to distinguish the lowest from the highest would not be able to upgrade with certainty. But there is doubt about him who learns it and might not be able to upgrade.

Those of different states might come under a state in which begging increases them in degree. But those deeds depend upon the intentions. It is narrated that somebody saw Abu Ishaq An-Nuri stretching his hand and begging the people. The man felt it and regarded this behavior of him odious. He came to Al-Junaid and related the story to him thereupon he said: "Do not feel it or regard it odious in your sight, for An-Nuri did not beg the people but to give them. In other words, he begged them in order that they would be given reward for that in the hereafter, whereas he would not be harmed."

He seemed to have referred to the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "It is the hand of the one who is given that is the higher." They said in comment on that: "The hand of him who is given is higher for it is he for whom the giver receives reward; and it is the reward, and not the money that should be appreciated." Then, Al-Junaid said: "Bring the balance." He weighed one hundred Dirhams and then took a handful of money and threw it on the one hundred Dirhams and then said to me: "Bring that to him." I said to myself: "A thing is weighed in order to determine its amount. Then, how has he mixed with that an unknown quantity and he is a wise man?" I carried the parcel and went to An-Nuri and he asked for the balance and weighed only one hundred Dirhams and said to me: "Give him back that (one hundred Dirhams) and say to him: 'I do not accept anything from you." He took what was beyond the one hundred Dirhams. I indeed grew more astonished. I asked him and he said: "Al-Junaid is a wise man. He likes to take hold of the rope by both ends. He weighed the one hundred Dirhams for himself seeking thereby the reward of the hereafter, and then threw on it a handful of Dirhams of unknown amount for Allah Almighty. I took what he specified to Allah Almighty and gave him back what he assigned to himself." I took it and gave it back to Al-Junaid who went on weeping and said: "He took his money and left for us ours. It is Allah Almighty Whose aid is sought."

Consider then how their hearts and states were purified and their deeds done sincerely to Allah Almighty. Each one of them saw the heart of his companion without saying a word. That is because they used to contemplate the hearts of each other, and their mysteries used to engage in private talks with each other, as a result of eating only the lawful, getting their hearts disengage from the love for this world, and wholeheartedly devoting themselves to Allah Almighty.

Whoever disapproves of that without experiment is indeed ignorant, and whoever disapproves of it after a long experiment in which he did not experience what they experience, is indeed under the influence of a severe ailment. To be sure, the insightful is one of two men: one followed the path and experienced what they experienced; and this is endued with good taste and gnosis, and has reached the certainty of sight. The other did not follow the path, or at least followed it but did not reach the same degree they had reached. But at the same time, he believed in and gave trust to it. Thus, he has the certainty of mind, but he has not attained the certainty of sight. The certainty of mind ranks second to the certainty of sight.

Whoever does not have the certainty of mind does not belong to the

community of the faithful believers, and on the Day of Judgement, he would be mustered in the company of the arrogant disbelieving ungrateful, killed by the weak hearts, and devotees of Satan.

We ask Allah Almighty to make us of those firmly grounded in knowledge, who say: "We believe in the Book; the whole of it is from our Lord."(Al Imran 7)

﴿ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾

Part two: asceticism

It has the following chapters:
Exposition of the real nature of asceticism
Exposition of the superiority of asceticism
Exposition of asceticism in detail in food, clothes, residence, furniture, and all living affairs
Exposition of the sign of asceticism

CHAPTER ONE
EXPOSITION OF THE REAL NATURE OF ASCETICISM

It should be known to you that abstinence from this world is one of the noble stations attained by the followers of the path (to the hereafter), and it consists, like all stations, of knowledge, state and deed. That is because all categories of faith, as put by the righteous predecessors, go back to intention, word and deed. Since the word is apparent, it is held in the place of the state, for with it the internal state seems evident. The word then is not intended for itself. If the word is not produced from an internal state, it is called Islam, and not faith. Knowledge then in relation to the state stands for the producer of fruit, whereas the deed for the fruit itself. So, let's mention the state with each of both its ends, i.e. the knowledge and the deed.

The state is the asceticism, i.e. to turn away from a particular thing and rather incline to another which is better. Whoever turns away from a certain thing, whether by way of selling, compensation, or anything else, has indeed done so because he has no desire for it, and whoever inclines to a particular thing, has indeed done so because he has desire for it. His state in relation to the thing from which he turned away is called asceticism, and in relation to the thing to which he inclined called desire and love. The state of asceticism then summons two things: A turned away from, and a desired for, and the latter is better than the former.

In order for the asceticism to be valid, it is requisite for the turned away from to be desired for in some point, for whoever turns away from a thing which is not wanted in itself is not called ascetic. To be sure, the one who leaves stones, dust, and the like of them is not called ascetic. The ascetic is he who leaves Dinars and Dirhams, i.e. money, for stones and dust are not desired for in themselves.

It is also requisite for the desired for to be better in his sight than the turned away from, in order for his desire to dominate. The seller does not sell a thing but

because buying in his sight is better than selling. In this way, his state in relation to the sold thing is called abstinence in it, and in relation to the compensation a desire and love for it. That is the significance of the statement of Allah Almighty about the Prophet Yusuf "peace be upon him": " The (Brethren) sold him for a miserable price, for a few Dirhams counted out: In such low estimation did they hold him!" (Yusuf 20)

﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾

Here, He Almighty described Yusuf's brothers as abstinent from him in covet of getting the favor of their father given to them alone, which was dearer, in their sight, than Yusuf himself, whom they sold in covet of compensation.

Whoever then sells the world for the hereafter is indeed abstinent from the world; and whoever sells the hereafter for the world is abstinent but from the hereafter. But the term asceticism is usually given to him who abstains in the world (and not the hereafter), in the same way as the term atheism is given to him who inclines to falsehood. Since asceticism is to turn away from a thing which is loved in general, it is unimaginable but to leave it for a thing dearer than it. But to leave a dear thing for nothing is questionable. Whoever turns away from all things, even Paradise itself, and loves none but Allah Almighty, is the absolute ascetic. Whoever turns away from all things in this world, but does not abstain from the good fortunes of the hereafter, but rather desires for its palaces, houris, gardens, rivers and fruits, is also ascetic, but lesser in rank than the former.

But even, whoever leaves some and not all the worldly fortunes, like him who leaves property but not majesty, or leaves enlargement in food and not beautification in adornment, does not deserve the term ascetic at all, and his position, among the ascetics, is like him who repents from some and not all the sins of this world. His asceticism in fact is valid, just as the repentance from some sins is also valid. To repent is to leave the forbidden things, whereas to abstain is to leave the permissible things. It may be that one has the power to leave some and not all the forbidden things, and the same applies to leaving the permissible things. But whoever leaves only the forbidden things is not called ascetic, although he abstains and turns away from the forbidden. This term, therefore, is usually given to him who leaves the permissible things.

asceticism then is to turn away from the world to the hereafter, or from all things to Allah Almighty, and this is the highest degree of asceticism. As well as it is requisite for the desired for to be good in one's sight, it is also requisite for the turned away from to be available. To leave what is not available is questionable, for the disappearance of the desire is confirmed by leaving an available thing. For this reason, it was said to Ibn Al-Mubarak: "O abstinent man!" on that he said: "No, the real ascetic is Umar Ibn Abd-Al-Aziz, because although the world with its pleasures and delights was brought to him in willing submission, he left it entirely. But as for me, from which thing have I abstained?"

As for the knowledge which produces this state, it is to know that what is left is despicable in comparison with what is taken, like the merchant's knowledge

that the compensation is better than the sold thing, thereupon he desires for it. In the absence of such knowledge, it is unimaginable that he would lose his desire for the sold thing. Similarly, the same is true of him who knows that what is with Allah Almighty is abiding, and the hereafter is better and more enduring, just as the diamond is better and more enduring than ice, for example, and it is not difficult on the owner of ice to sell it for diamond.

This is the similitude of the world in comparison with the hereafter. The world is like the ice which is placed under the sun ray, and continues to dissolve until it vanishes entirely, in comparison with the hereafter which looks like the diamond that is inexhaustible. The more one's certainty and knowledge of the great difference between the world and the hereafter is strong, the more he becomes desirous for selling the former for the latter, to the extent that when one becomes strong in certainty, he sells his own soul and property as confirmed by Allah Almighty: " Allah has purchased of the Believers their persons and their goods; for theirs (in return) is the Garden (of Paradise)." (At-Tawbah 111)

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴿١١١﴾ ﴾

Then, He showed how profitable their deal is saying: " Then rejoice in the bargain which you have concluded: That is the achievement supreme." (At-Tawbah 111)

This amount of knowledge in asceticism is sufficient, i.e. that the hereafter is better and more abiding than the world. This might be known to him who has no power to leave the world, because his knowledge and certainty are weak, or he is possessed by the desire and appetite immediately, and seized by Satan, or deceived by Satan's false promises in procrastination day after day, until he is snatched away by death, and nothing remains with him except grief and regret after skipping the opportunity. To the baseness of this world Allah Almighty refers in His statement: " Say: "Short is the enjoyment of this world: the Hereafter is the best for those who do right." (An-Nisa 77)

﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴿٧٧﴾ ﴾

And to the preciousness of the hereafter He refers in His statement: " But those who had been granted (true) knowledge said: "Alas for you! The reward of Allah (in the Hereafter) is best for those who believe and work righteousness." (Al-Qasas 80)

﴿ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴿٨٠﴾ ﴾

He brought to the attention that the knowledge of the preciousness of the diamond causes one to turn away from its compensation.

Since asceticism is unimaginable but with opposition and turning away from what is dear to what is dearer, a man said in his supplication: "O Allah! Show to me the world just as You see it." On that, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "Do not say so. But rather say: 'Show me the world just as You have shown it to the righteous among Your servants." That is because Allah Almighty sees it despicable just

as it really is. Every creature is despicable in comparison with His Glory. The servant sees it despicable in his sight in comparison with what is better for him. It is unimaginable, for example, that the horse seller sees his horse, even though he turns away from it, just as he sees the larva of the earth, for he is not in need of the larva, unlike the horse. Allah Almighty is self-sufficient with Himself and not in need of anything else. Thus, all things are the same in comparison with His Glory, and different in comparison with anything else. It is the ascetic who sees it different in comparison with himself and not with anyone else.

As for the deed that results from the state of asceticism, it is to leave a thing by way of selling or dealing or exchanging it for what is better. As well as the deed that results from the contract of selling is to leave the sold thing and rather take the compensation, the asceticism requires to leave the abstained thing entirely, i.e. the world with its pleasures and delights (for the hereafter). The ascetic thus extracts his love for it out of the heart and rather gets into it the love for the acts of worship, and extracts from the eye, hand and foot, and all parts of the body what he has extracted out of the heart, and uses them in implementation of the acts of worship, otherwise, he will become like the seller who delivered the sold thing and did not take the price. If he meets, the conditions required in taking and leaving, let him rejoice in the bargain which he has concluded. That is because the One who took part with him in that bargain should inevitably fulfill his pledge.

But, on the other hand, whoever sticks to that world, his asceticism is invalid, in principle. For this reason, Allah Almighty did not describe the brothers of Yusuf "peace be upon him" as abstinent from Benjamin when they said about him: "Truly Joseph and his brother are loved more by our father than we: but we are a goodly body!" (Yusuf 8)

﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ﴾

And intended to get rid of him like Yusuf, but some of them interceded for him. He Almighty also did not describe them as abstinent from Yusuf "peace be upon him" when they intended to get rid of him. But they were described as such when they intended to sell him. This means that the sign of desire is to stick to the thing, and the sign of asceticism is to abandon it.

If you leave some and not all pleasures of this world, you have become abstinent only in what you have left, i.e. a partially and not absolutely abstinent. If you have no property, and are not helped by this world, no asceticism could be imaginable from you. That is because what is not available is not imagined to be left. Perhaps Satan allures to you with his deception, and gives you the false impression that as long as the world with its pleasures and delights has not been brought to you, you then are abstinent from it. So, you should not hang down by the rope of his deception without confirmation. If you do not experiment the state in which a particular thing is available, you would not be sure of your power to leave it when it is really available.

How many a person who thought he disliked sins when it was difficult upon him to commit them. But when their means became available to him, and there

was no fear from the people, he fell in them. If this is how the soul is deceived concerning the forbidden things, do not be confident of it concerning the permissible things, but you should experiment it from time to time in the state of availability. If it fulfills its promise of leaving regularly, in the absence of engagements and legal excuses outwardly and inwardly, then, there is no harm to be confident of it to some extent, provided that you should, at the same time, be cautious of its change.

Once, Ibn Abu Laila said to Ibn Shubrumah: "Do you not see this Abu Hanifah? We do not give a fatwa about something but that he refutes it with one better than it." He replied to him: "You should know that the world has come to him with its pleasures and delights, and he ran away from it, unlike us, for it has escaped from us and we ran in its pursuit." Similarly, all the Muslims during the lifetime of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "We love our Lord, and if we know in which thing lies His love, we should do it immediately." On that He Almighty revealed: " If We had ordered them to sacrifice their lives or to leave their homes, very few of them would have done it: but if they had done what they were (actually) told, it would have been best for them, and would have gone farthest to strengthen their (faith)." (An-Nisa 66)

﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ ﴾

Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to me: "You are among those (few)." He resumed: I did not know that from among us there was such as loved this world until Allah Almighty revealed: " Among you are some that hanker after this world and some that desire the Hereafter." (Al Imran 152)

﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿١٥٢﴾ ﴾

It should be known to you that asceticism is not to abandon wealth in the sense that you spend it by way of generosity, attracting hearts, or covet. This is one of the good habits, but far from the acts of worship. But asceticism is to abandon this world entirely, because you know well its despicability in comparison with the preciousness of the hereafter. That is because the real ascetic is he, to whom the world has been brought in willing submission effortlessly and with no suffering, and he has the power to enjoy of it, not on the exclusion of reducing his majesty or putting himself to humiliation; but even he leaves it for fear he would get affable with it, and thus he becomes affable with something other than Allah Almighty, loves anything other than Allah Almighty, and joins anything in love with Allah Almighty; or leaves it in covet of the reward of Allah Almighty in the hereafter: he leaves the enjoyment of the worldly drinks in desire for enjoyment of the drinks of the Garden, enjoyment of the women and girls in desire for enjoyment of the houris in the Garden, the worldly adornment in desire for the adornment of the Garden, and the delicious kinds of food in desire for the pleasant fruits of the Garden, or lest it might be said to him: "You received your good things in the life of the world, and you took your pleasure out of them." (Al-Ahqaf 20)

﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾

Thus, he gives preference to what is promised over what was made easy for him in this world effortlessly and with no suffering, for his knowledge that what is in the hereafter is better and more abiding, and anything else is but worldly dealings which have no benefit in the hereafter.

CHAPTER TWO
EXPOSITION OF SUPERIORITY OF ASCETICISM

Allah Almighty said: "So he went forth among his people in the (pride of his worldly) glitter. Said those whose aim is the Life of this World: "Oh! that we had the like of what Qarun has got! For he is truly a lord of mighty good fortune!" But those who had been granted (true) knowledge said: "Alas for you! The reward of Allah (in the Hereafter) is best for those who believe and work righteousness: but this none shall attain, save those who steadfastly persevere (in good)."" (Al-Qasas 79-80)

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

Here, He Almighty attributed asceticism to the religious scholars and those endued with knowledge.

He further said in the same Surah: " Twice will they be given their reward, for that they have persevered." (Al-Qasas 54)

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴿٥٤﴾ ﴾

In comment on it, it was said that it refers to the abstinence from this world.

He also said: "That which is on earth We have made but as a glittering show for the earth, in order that We may test them, as to which of them are best in conduct." (Al-Kahf 7)

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾

In interpretation of it, it is said that He means which of them is the most abstinent from it. He Almighty described abstinence in it as one of the best deeds.

He Almighty said: " To any that desires the tilth of the Hereafter, We give increase in his tilth; and to any that desires the tilth of this world, We grant somewhat thereof, but he has no share or lot in the Hereafter." (Ash-Shura 20)

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾

He also said: " Nor strain your eyes in longing for the things We have given for enjoyment to parties of them, the splendour of the life of this world, through which We test them: but the provision of your Lord is better and more enduring." (Ta Ha 131)

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾

He Almighty said too: "Those who love the life of this world more than the Hereafter." (Ibrahim 3)

﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ ﴿٣﴾ ﴾

He described here the disbelievers, which means that the faithful believers stand on the opposite extreme, i.e. they love the hereafter more than the world.

As for the Prophetic narrations about condemnation of this world and abstinence in it, they are numerous; and we have related some of them in the Book of Condemnation of the World in the quarter of the destructives. To be sure, the love for this world is among the destructives, whereas aversion for it is among the saviors. So, let us limit ourselves to the superiority of aversion for this world, and it is intended by asceticism.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, upon whom morning has come while his main concern is with the (material benefits of the) world, Allah will disperse his concerns, make his poverty in front of him, and he will receive nothing from the world more than what has been decreed for him; and he, upon whom morning has come while his main concern is with the hereafter, Allah will make one his main concern, remove poverty from him, place satisfaction (and feeling of self-sufficiency) in his heart, and further the (pleasures and delights of this) world will come to him in willing submission." (Ibn Majah on the authority of Zaid Ibn Thabit).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "If you see a servant endued with silence and abstinence from this world, you then should approach him for he gives wisdom." (Ibn Majah on the authority of Abu Khallad).

Allah Almighty said: "He grants wisdom to whom He pleases; and he to whom wisdom is granted receives indeed a benefit overflowing." (Al-Baqarah 269)

﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿٢٦٩﴾ ﴾

For this reason, it is said that "If one abstains in this world for forty days, Allah makes the springs of wisdom flow in his heart, and run on his tongue."

It is narrated on the authority of one of the companions that he said: We said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Messenger of Allah! Who among the people is the best (in conduct)?" he said: "Every faithful believer endowed with clean heart and truthful tongue." We asked: "O Messenger of Allah! What is meant by the clean heart?" he "peace be upon him" said: "The pious, clean righteous, which entertains neither rancor nor cunning, neither transgression nor envy." We further asked: "O Messenger of Allah! Who is next to him (in good)?" he said: "He, who hates the world and loves the hereafter." (Ibn Majah and Al-Khara'iti on the authority of Abdullah Ibn Amr). The point here is that the worst of people is he who loves this world on the exclusion of the hereafter.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If you like that Allah Almighty should love you, then, abstain from this world." (Ibn

Majah on the authority of Sahl Ibn Sa'd). he "peace be upon him" thus made the abstinence from this world a cause of gaining the love of Allah Almighty. Whomever Allah loves is in the highest degree. So, abstinence from this world should occupy the best and highest stations. It also implies that whoever loves this world incurs the aversion of Allah for him.

It is narrated in a Hadith on the authority of one from the family of the Prophet that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Both asceticism and abstention make a nightly tour on the hearts: if they meet a heart full of faith and modesty, they would reside in it, otherwise, they would leave it."

When Harithah "Allah be pleased with him" said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "I am really a believer" He asked him: "Then, what is the reality of your faith?" He said: "I have abstained from this world, to the extent that its gold and stone have become the same in my sight; and it seems to me as if I do not see but Paradise and Hell, and the Throne of my Lord prominent before my eyes." On that, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "You have known the truth. So, abide by it, O servant whose heart Allah has illuminated with faith." (Al-Bazzar on the authority of Anas; and At-Tabarani on the authority of Al-Harith Ibn Malik). Consider how he began to show the reality of his belief by abstinence from this world, and joined it with the certainty of faith, and how the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" claimed purity to him when he said about him: "A servant whose heart Allah has illuminated with faith."

When the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked about the meaning of opening the breast in the statement of Allah Almighty: " Those whom Allah (in His plan) wills to guide, He opens their breast to Islam" (Al-An'am 125)

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾

He "peace be upon him" said: "When the light (of faith) enters into the heart, the breast immediately opens to it, and goes on expansion." It was said: "O Messenger of Allah! Is there any sign characteristic of that?" he "peace be upon him" said: "Yes. (Its sign is) to desert from the abode of deception (i.e. this world), to incline to the abode of eternity (i.e. the hereafter), and get ready for death before its descent." (Al-Hakim). Consider here how he made asceticism a prerequisite for Islam, i.e. to desert from the abode of deception.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Feel shy of Allah Almighty as it is fitting for His Majesty." They said: "We really feel shy of Him Almighty." He "peace be upon him" said: "It is not so. But you build what you do not live in, and gather what you do not consume." (At-Tabarani on the authority of Umm Al-Walid Bint Umar Ibn Al-Khattab). He showed clearly that this conduct contradicts shyness from Allah Almighty.

When a particular delegation came upon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", they said to him: "We are really believers." He asked them: "Then, what is the sign of your faith?" They made a mention of patience at the time of adversity, gratitude at the time of prosperity, satisfaction

with the fate (be it good or evil), and abstention from gloating at the misfortunes of their enemies. On that, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If you are really so, then, (in order to complete your faith) collect not what you do not consume, build not what you do not live in, and compete not over that which you would inevitably leave." (Al-Khatib and Ibn Asakir on the authority of Jabir). In this way, he made asceticism a completion of their faith.

It is narrated on the authority of Jabir "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" addressed us with a good sermon in which he said: "Whoever comes (on the Day of Judgement) with (the testification that) 'There is no god to be worshipped but Allah', mixing nothing with it, Paradise would be assured to him." Ali "Allah be pleased with him" stood towards him and said: "Let my father and mother sacrifice their lives for you O Messenger of Allah! What is that which should not be mixed with it? Describe and explain it to us." He "peace be upon him" said: "It is the love for this world in pursuit of it, and following its pleasures, (as shown from) a people who say the saying of the Prophets and do the doing of the tyrants. Whoever comes (on the Day of Judgement) with 'There is no god to be worshipped but Allah' having nothing of that, Paradise would be assured to him." (At-Tirmidhi in his Nawadir on the authority of Zaid Ibn Arqam).

According to a particular narration: "Munificence results from certainty (of faith), and no certain would enter the fire (of Hell); and niggardliness results from suspicion, and no suspicious would enter Paradise." (This is reported by Sahib Al-Firdaws on the authority of Abu Ad-Darda').

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The munificent is close to Allah, close to the people, and close to Paradise; and the niggard is far from Allah, far from the people, and close to the fire (of Hell)." (At-Tirmidhi on the authority of Abu Hurairah). To be sure, the niggardliness is the fruit of the desire for this world, whereas munificence is the fruit of asceticism; and what is appreciated is the producer of the fruit.

It is narrated on the authority of Ibn Al-Musayyab from Abu Dharr "Allah be pleased with him" from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that he said: "Whoever abstains from this world, Allah Almighty places wisdom into his heart, and runs it on his tongue, and lets him know the disease and medicine of this world, and takes him out of it safe to the abode of peace." (Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Safwan Ibn Sulaim).

It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was in his companions when he came upon milch ten-month pregnant she-camels, and they were the dearest of their property to them, and the most expensive in their sight, for they combined the back (as riding mounts), meat, milk and wool, and for their high position in their hearts, Allah Almighty made a mention of them in His statement: " When the she-camels, ten months with young, are left untended" (At-Takwir 4)

﴿ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" turned away from them, and reduced his vision from looking at them. It was said to him: "O Messenger of Allah! Those are the most expensive of our property: why do you not catch a glimpse of them?" He "peace be upon him" said: "Allah Almighty has forbidden me to do so." Then, he recited: " Nor strain your eyes in longing for the things We have given for enjoyment to parties of them, the splendour of the life of this world, through which We test them: but the provision of your Lord is better and more enduring." (Ta Ha 131)

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾

It is narrated on the authority of Masruq from A'ishah "Allah be pleased with her" that she said: I said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Messenger of Allah! Do you not ask your Lord for sustenance so that he would bestow sustenance on you?" I went on weeping out of pity for his severe hunger. He "peace be upon him" said: "O A'ishah! By Him in Whose Hand is my soul, were I to ask my Lord to turn the mountains of this world into gold and become with me, surely, He would do wherever I like. But I have preferred the worldly hunger over satiation, its poverty over richness and its grief over joy. O A'ishah! This world is not fitting for Muhammad"Allah's blessing and peace be upon him"nor for the family of Muhammad"Allah's blessing and peace be upon him". O A'ishah! Allah Almighty did not approve for these of determination among Messengers but to keep patient on the adversities of this world, and endure (abstinence) from its dear things; and He did not approve but to obligate me with the same He had obligated them with, saying: " Therefore patiently persevere, as did (all) Messengers of determination." (Al-Ahqaf 35)

﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴿٣٥﴾ ﴾

By Allah, I have no way but to obey Him. By Allah, I would keep patient as they did, as much as is within my capacity; and there is no power but with Allah Almighty." (Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of A'ishah).

It is narrated from Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" that when the countries of the different parts of the world were opened (with their good things) to him, his daughter Hafsah "Allah be pleased with her" said to him: "Put on the lenient clothes in order to meet the delegations with whenever they come to you from the different parts; and order the cookers to make pleasant food in order to eat and feed those who come to visit you." On that, Umar "Allah be pleased with him" said: "O Hafsah! Do you not know that one's wife knows best from among all the people his affairs?" She answered in the affirmative. He said: "I beseech you by Allah to tell me: Do you know that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" never put on during his Prophethood such and such (lenient clothes), and that he and his family never ate their fill in the morning but that they were hungry in the same evening, nor ate their fill in the evening but that they were hungry in the coming morning? I beseech you by Allah to tell me: Do you know that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" never put on during his Prophethood such and such (lenient clothes), and that neither he nor his family

ate their fill from the dates until Allah Almighty helped him conquer Khaibar? I beseech you by Allah to tell me: Do you know that one day the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was served with food on a table high a bit, thereupon he felt it until the colour of his face changed (out of anger), and ordered that the table be lifted, and the food be placed on something lower or even on the ground? I beseech you by Allah to tell me: do you know that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did not sleep on a folded garment and one night it was made into four folds for him and he slept on it, and when he got up he said: "You have hindered me from standing at night (for supererogatory prayers) because of (my comfortable sleep on) this four-folded garment. Make it two folds as you used to do"? I beseech you by Allah to tell me: Do you know that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" happened to wash his garment, and when Bilal came to inform him of the time of prayer, he did not find a garment to put on to come out to the prayer and waited until his garment dried, in order to put on and come out to prayer? I beseech you by Allah to tell me: Do you know that a women from the tribe of Banu Zufar made a pair of garments to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and sent to him one of them before the other, thereupon he came out to the prayer while wrapping himself in it, and, having nothing else over his body, tying its ends to his neck, and then offered prayer in such a state?" Umar "Allah be pleased with him" continued to remind her of such things until he caused her to weep and he himself wept, so much that we thought his soul would leave him (and he would die).

According to another version, the following addition is mentioned in which Umar "Allah be pleased with him" resumed: "I had two companions (the Prophet and Abu Bakr), and they followed a certain path. Were I to follow a path different from theirs, my destiny would be different from theirs. By Allah, I would patiently persevere on their austere living perchance I would attain with them their abundant living (in the hereafter)."

It is narrated on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It was the habit of the Prophets before me that one of them would be tried with poverty so extremely that he had no more than a single garment to put on, and one of them would be troubled by lice so much that lice would kill him; but even, such things were dearer to them than the gift to you." It is narrated on the authority of Ibn Abbas "Allah be pleased with them" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "When Moses "peace be upon him" reached the (spring of) water of Madyan, the greenness of herbs was visible from his abdomen out of his severe starvation." This was what the Prophets and Messengers of Allah "peace be upon them" chose for themselves, given that they knew best, from among all the people, Allah Almighty, and the right way of attainment in the hereafter.

It is narrated on the authority of Umar "Allah be pleased with him" that he said: When Allah Almighty revealed the following statement: " And there are those who bury gold and silver and spend it not in the Way of Allah: announce

unto them a most grievous penalty. On the Day when heat will be produced out of that (wealth) in the fire of Hell, and with it will be branded their foreheads, their flanks, and their backs, "This is the (treasure) which you buried for yourselves: taste you, then, the (treasures) you buried!" (At-Tawbah 34-35)

﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Perished be the world! Perished be the Dinar and Dirham!" we said: "O Messenger of Allah! Allah Almighty forbade us to hoard gold and silver. Then, which kind of money should we save?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Let anyone of you take (instead) a celebrating tongue (that remembers Allah more often), a thankful heart (to show gratitude to Allah), or a good righteous wife to help him fulfill the requirements of his hereafter." (Ibn Majah).

It is narrated on the authority of Hudhaifah "Allah be pleased with him" from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that he said: "Whoever gives preference to the world over the hereafter, Allah afflicts him with three things: an anxiety that never leaves his heart, a destitution with which he never gets self-sufficient, and a greed with which he never gets satisfied." (At-Tabarani on the authority of Ibn Mas'ud).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "No servant of you will have his faith complete until he becomes in such a state in which to be anonymous is dearer to him than to be recognized, and to have little dearer to him than to have much." (the author of Al-Firdaws on the authority of Ali Ibn Talhah).

The Christ "peace be upon him" said: "The world is but a bridge (to the hereafter): so, cross it and do not inhabit it." It was said to him: "O Prophet of Allah! Would that you order us to build a house to worship Allah in it." He said: "Go and build a house on the water." They said to him: "How should a building stand straight on the water?" he said: "Then, how should the worship of Allah stand straight with the love for this world?"

Our Prophet "peace be upon him" said: "Allah Almighty offered to me to turn the large valley of Mecca into gold for my sake, and I rejected and said: 'No, O Lord! But let me become hungry one day and satiated one day. On the day I am hungry, I would supplicate and implore to You; and on the day I am satiated, I would praise You and give thanks to You."

It is narrated on the authority of Ibn Abbas "Allah be pleased with them" that he said: One day, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" came out walking and Gabriel "peace be upon him" was with him. He ascended the Safa (mountain). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Gabriel: "O Gabriel! By Him, Who has sent me with the truth, the evening has come upon the family of Muhammad "Allah's blessing

and peace be upon him"and they have even neither a handful of Sawiq nor a mouthful of baking powder." No sooner had he said so than he heard a loud thud coming from the sky that scared him, thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" asked Gabriel: "Has Allah Almighty commanded that the day of Judgement be established?" he said: "No, but this is Israfil "peace be upon him" and he has descended to you when he heard your speech." Israfil came to him and said: "Allah Almighty has heard your speech and sent me to you with the keys of the earth and ordered me to offer to you, if you so liked, to turn the mountains of Tihamah into aquamarine, pearl, gold and silver for your sake; and if you like, you would be a king Prophet, and if you like, a servant Prophet." Gabriel "peace be upon him" hinted to him to humble himself before Allah Almighty, thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said thrice: "No, I choose to be a servant Prophet."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If Allah Almighty intends good for a servant, He causes him to abstain from this world, desire for the hereafter, and let him know the defects of his own self." (Abu Mansur Ad-Dailami in his Firdaws).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to a man: "Abstain from this world so that Allah would love you, and abstain from what is in the hands of the people, so that the people would love you."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "If one likes that Allah Almighty should give him knowledge without learning and guidance without instruction, let him abstain from this world."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Whoever has longing for Paradise hastens to do good; and whoever fears of the fire (of Hell) entertains himself from desires and appetites; and whoever expects death leaves pleasures; and whoever abstains from this world regards slightly all calamities." (Ibn Hibban on the authority of Ali Ibn Abu Talib).

It is narrated that our Prophet and the Christ also "peace be upon them" said: "Four things are not attained without toiling: silence, which is the first commencement of worship, humbleness, celebration (of Allah) more often, and (the love for having) little (instead of much) of things." (At-Tabarani and Al-Hakim on the authority of Anas).

However, it is impossible to bring all narrations and Prophetic Hadiths about appreciation of the aversion for this world and condemnation of love for it. All the Prophets and Messengers "peace be upon them" were sent only to instruct the people and divert them from the world to the hereafter. Most of their speech with the people goes back to this fact. What we have brought is sufficient, and it is the aid of Allah that should be sought.

As for the traditions, a mention may be made of the following:

"(The testification that) 'There is no god to be worship but Allah' still averts harm from the people as long as they do not ask to be given what they are short of in this world (or according to another version, as long as they do not give preference to the deal of their world over their religion): Once they do so, and, at

the same time, say: 'There is no god to be worshipped but Allah', Allah Almighty says to them: "You have told a lie, for you are not true to it.'"

One of the companions "may Allah be pleased with them" said: "We have pursued all deeds, and did not see, more suitable to the hereafter, better than the abstinence from this world." One of the companions said to a group of the first generation of the Tabi'is: "You do more deeds and strive more than the companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" although they were better than you." It was said: "What is the reason for that?" He said: "Because they were more abstinent than you in this world."

Umar "Allah be pleased with him" said: "To abstain from this world is to comfort your heart and body." Bilal Ibn Sa'd said: "It is sufficient for sin that Allah Almighty encourages us to abstain from this world, and we reject but to have longing for it." A man said to Sufyan: "I like to meet an abstinent scholar." He said to him: "Woe to you! That is something too impossible to exist." Wahb Ibn Munabbih said: "Paradise has eight gates: When the inhabitants of Paradise come to it the gate keepers start saying: "By the Honor of our Lord, none shall enter it before these who were abstinent from this world, and had longing for Paradise."

Yusuf Ibn Asbat said: "I like that my Lord give me three things: When I die, I have not even a single Dirham in my possession, no debt upon me, and no flesh on my bone." He was given them all. It is narrated that one of the caliphs sent gifts to the jurists and they accepted them. He sent ten thousand Dirhams to Al-Fudail and he did not accept it. His sons blamed him saying: "All the religious jurists have accepted their gifts, then, do you reject yours given such state of destitution as in which you are?" He wept and said to them: "Do you know my and your similitude? It is like a people who had a cow which they used in tilting, until when it grew old, they slaughtered it to get benefit from its flesh and hide. As such, you like to slay me in this late age of mine. It is better to me to die out of hunger, O my family, than to slay Al-Fudail."

Ubaid Ibn Umair said: "The Christ, son of Mary "peace be upon him" used to put on hair and eat of the trees, and he had neither a child to die (out of hunger), nor a family to collapse, nor did he save anything for his coming days. But he would sleep wherever he was once evening came upon him."

It is related that the wife of Abu Hazim said to him: "Winter has come upon us, and we are in need of food, clothes and fire wood." He replied: "Well, all of this is necessary. But at the same time, we also should die, be resurrected, and then stand in front of Allah Almighty, in order to go at last either to Paradise or to the fire (of Hell)."

Al-Hassan was asked: "Why do you not wash your garment?" He said: "The matter (of the hereafter) is more hasty (to come) than that." According to Ibrahim Ibn Adham: "Our hearts have been veiled with three covers, and the certainty (of faith) would not be disclosed to the servant unless those are removed: to rejoice of what is present, to grieve for what is lost, and to exult of praise. If you rejoice of what is in existence, then you would be greedy; and if you grieve for what is lost, then, you would be displeased, and to be sure, the

displeased would be punished; and if you exult of praise you would be conceited, and conceit always makes deed fruitless."

According to Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him": "A two-rak'ah prayer to be offered by an abstinent from this world is much better for him and dearer to Allah Almighty than the worship of the striving worshippers who worship Allah perpetually to the end of time."

According to one of the righteous predecessors: "The favor of Allah upon us in what He has taken from us is greater than His favor in what He has given us." He seems to have paid attention to the significance of the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Indeed, Allah Almighty protects His believing servant from this world for He loves him in the same way as you protect the sick among you from (the harmful) food and drink, out of fear for him." Having understood this, it should be learnt that the favor of prevention which leads to health is greater than the favor of giving that leads to harm.

According to Ath-Thawri: "The world is an abode of crookedness and not an abode of straightness; an abode of grief and not an abode of joy. Whoever knows it well never rejoices of prosperity nor grieve for adversity."

According to Sahl: "The deed would not be done by a worshipper with perfect sincerity until he is free from four things: hunger, nakedness, destitution and humiliation."

According to Al-Hassan Al-Basri: "I have caught a people, and accompanied various groups of persons, and they never rejoiced of anything they received in this world, nor grieved for anything they lost in it. The world was in their sight more trivial than the dust. One of them lived fifty or sixty years, during which he never changed his garment nor set up a cooking vessel, nor placed a thing between his body and the ground (when he slept), nor ordered his family to prepare fine food for him. When it was night, they would stand on their feet (to perform the supererogatory prayers), with their tears flowing on their cheeks. They supplicated their Lord privately to release them (from the fire). Whenever they did a good deed, they would go on giving thanks to Allah Almighty, and ask Him to accept it from them; and whenever they committed an evil deed, they would grieve and ask Allah Almighty to forgive it for them. They remained as such (until they died). By Allah, they were not free from sins, nor saved but by virtue of the forgiveness of Allah Almighty. May Allah bestow mercy upon them, and be pleased with them."

CHAPTER THREE

EXPOSITION OF DEGREES AND DIVISIONS OF ASCETICISM IN RELATION TO ITSELF, THE THING ABSTAINED FROM, AND THE THING DESIRED FOR

It should be known to you that asceticism is divided into three degrees according to its strength.

The first is the lowest, according to which one abstains from this world, although he has longing for it, his heart inclines to it, and his soul turns to it. But

at the same time, he strives, as much as he could, to refrain from it. This man is called the abstinent-seeming. That is the first step towards asceticism. The difference between him and the real ascetic is that he strives his utmost to force himself to abandon the world, whereas the latter devotes himself wholeheartedly to do the acts of worship in obedience of Allah Almighty. But the abstinent-seeming is at risk of being overpowered by his soul, and attracted by his desire to return to the world once again, and get comforted with it in more or less.

The second degree applies to him who leaves this world willingly for he regards it with slightness in comparison with what he covets for (in the hereafter). He is like him who leaves a single Dirham in covet of two. Although the matter might not seem difficult on him, he needs to wait a little. But this ascetic sees his asceticism and cares about it, like the seller who sees what he sells and is fond of it. In this way, he is about to be proud of himself and of his asceticism, thinking that he has left something significant for another more significant. This, therefore, is a kind of deficiency.

The third degree is the highest, according to which one abstains (from this world), and further abstains from his asceticism, and sees not his asceticism, for he does not think that he has left anything of significance. That goes back to his belief that the world is nothing at all. His example is like him who leaves a piece of pottery and takes a piece of diamond instead. This is not seen by him as compensation. However, the world with all it contains in comparison with the eternal bliss of the hereafter that is with Allah Almighty is less than a piece of pottery in comparison with a piece of diamond. That is, to be sure, the perfection in asceticism, caused by the perfect knowledge. Such ascetic is safe from the risk of caring about the world, just as the one who leaves the piece of pottery for the piece of diamond is safe from the danger of cancelling the deal once again.

Abu Yazid said to Abu Musa: Abd-Ar-Rahim: "In which subject do you speak?" he said: "In asceticism." He further asked: " asceticism from which thing?" he said: "From this world." He shook off his hands and said: "I thought he speaks in anything of significance; and the world is of no significance: from which thing do he abstain in it?"

The example of him who leaves this world for the hereafter, in the sight of those of gnosis and masters of hearts filled with contemplations and revelations, is like one who liked to enter the palace of the king, and was prevented by a dog standing at the gate, thereupon he threw to it a morsel of food to engage it and he thus was able to enter the palace, and attain the closeness to the king until he achieved his commands concerning the entire kingdom. Do you see that this man thinks the king is under obligation to him just because of a morsel of food he threw to the dog in return for what he received? However, Satan is a dog standing at the gate of Allah Almighty, preventing the people from entering, given that the gate is opened and the veil is lifted.

The world is but a morsel of food: if you eat it you would take pleasure in it just at the time of chewing, and this pleasure vanishes once it is swallowed up. It

is only its waste matter that remains in the stomach, and in the end, it becomes putrefied filth, which should be extracted. Being so, if one leaves it in order to receive the honor of the king, then, how should he care about it once again? The entire world, in case all things is free from evil and harm in it, compared with the eternal bliss of the hereafter, is less than the morsel of food compared with the kingdom of this world. By no means could the limited be compared with the infinite. The world, no matter how long it would last, is limited, given that the lifetime of any person who lives the longest in it is very short, and its pleasures are not pure and life in it is not free from evils, whereas the hereafter is never-ending. Which comparison then could be made between the world and the hereafter, which has the eternal bliss?

The ascetic then does not care about his asceticism unless he cares about what he abstains from, and he does not care about what he abstains from unless he sees it something of importance, and he does not see it something of importance unless he is short of gnosis.

Those are the different degrees of asceticism, and each of them has various levels. The ascetics are different in their patience and endurance by the difference of suffering and difficulty; and these who admire their asceticism differ by their difference in caring about their asceticism, and so on.

Asceticism also in relation with the desired for is divided into three degrees: the lowest, according to which the desired for is only salvation from the fire and from all pains and torments, like the grave punishment, calling to account, the risk of the bridge that is over the Hell, and all terrors one is going to encounter (in the hereafter), according to the different narrations about them. It is narrated, for example, that the Prophet "peace be upon him" said: "The man would be made to stand for accounting (in abundant sweat) so that if a hundred thirsty camels come upon him, they would quench their thirst out of his sweat." (Ahmad on the authority of Ibn Abbas). That is the asceticism of the fearful who would accept to die and become nonexistent, for salvation from pain and suffering ends by death.

The second degree is to abstain from this world out of desire for the reward of Allah Almighty and His great bliss, and the promised pleasures in the Gardens of Eden, as regards the houris, palaces, etc. that is the asceticism of the hopeful, who do not leave the world out of satisfaction with nonexistence, and salvation from pain and suffering, but they do in covet of permanent existence and eternal never-ending bliss.

The third degree is the highest, and it applies to those who abstain with no desire but for Allah and for meeting with Him. One's heart does not care about pain in order to seek salvation from it, nor does it think about the pleasures and delights in order to attain and achieve them. On the contrary: he is wholeheartedly devoted to Allah Almighty. It is he that upon whom morning comes while all his concerns turn into only one. He is the real monotheist who seeks none but Allah Almighty, for whoever seeks anything other than Allah Almighty has indeed worshipped it, and every sought is worshipped, and every seeker a servant of it. Indeed, to seek anything other than Allah Almighty is a part of the hidden polytheism.

That is the asceticism of the lovers and Gnostics, for none loves Allah Almighty but he who knows Him well. As well as he who knows both the Dinar and Dirham and is well-aware of the impossibility of combining them together, loves the Dinar only, similarly, he who knows well Allah Almighty, and the pleasure of looking at His Holy Countenance, and is well-aware of the impossibility of combining that pleasure and the pleasure of enjoying the beautiful houris and graceful palaces in the Garden, loves and gives preference to the pleasure of looking at the Countenance of Allah Almighty. Think not that when the inhabitants of the Garden attain the pleasure of looking at the Holy Countenance of Allah Almighty, their hearts would extend to the pleasure of houris and palaces.

As for its division as regards the abstained from, there are as many as more than one hundred sayings and statements about that. So, we would not engage in transmitting those different statements. But let us refer to these of them that comprehend the details most, for indeed most of those statements are short of encompassing the whole matter.

Let us say that the abstained from has many general principles and detailed issues, some of which explain its divisions. As for the first general principle, it includes all things other than Allah Almighty: all things other than Allah should be abstained from even in themselves. The second general principle is to abstain from all enjoyments, and this includes the desire, anger, arrogance, authority, majesty, property, etc. the third general principle is to abstain from the property and majesty and all their means and causes, to which all fortunes of the soul, go back. The fourth general principle is to abstain from knowledge, power, Dinar and Dirham. By knowledge and power, I mean that which is intended to possess hearts.

The details, which might be more explanatory, might probably, make the things from which one is to abstain beyond calculation. Seven of them are mentioned by Allah Almighty in one Holy Verse in which He says: " Fair in the eyes of men is the love of things they covet: women and sons; heaped-up hoards of gold and silver; horses branded (for blood and excellence); and (wealth of) cattle and well-tilled land. Such are the possessions of this world's life; but in nearness to Allah is the best of the goals (to return to)." (Al Imran 14)

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾

They are reduced to five in another Holy Verse in which He Almighty says: "Know you (all), that the life of this world is but play and amusement, pomp and mutual boasting and multiplying, (in rivalry) among yourselves, riches and children." (Al-Hadid 20)

﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ ﴿٢٠﴾ ﴾

Those are reduced once again to two in another place where Allah says: "The life of this world is but play and amusement." (Muhammad 36)

﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾

However, all are reduced to one in His statement: "And for such as had entertained the fear of standing before their Lord's (tribunal) and had restrained (their) soul from lower Desires, Their Abode will be the Garden." (An-Nazi'at 40-41)

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾

The asceticism then is to turn from all fortunes of the self, and once a man turns from the fortunes of the self, he turns from abidance in this world, and further shortens his hope in it. What causes him to like to abide is to enjoy of this world, and of course, one seeks the eternal abidance and enjoyment. But if one turns away from it, he surely does not like it. For this reason, "When (at length) the order for fighting was issued to them, behold! a section of them feared men as - or even more than -, they should have feared Allah; they said: "Our Lord! why have You ordered us to fight? Would You not grant us respite to our (natural) term, near (enough)?" Say: "Short is the enjoyment of this world: the Hereafter is the best for those who do right; never will you be dealt with unjustly in the very least!" (An-Nisa 77)

﴿ لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾

At that time, the ascetics appeared distinct from the hypocrites.

As for the ascetics and lovers of Allah Almighty, they fought in the Cause of Allah in one row, as if they were a solid cemented structure, in expectation of either of both good things; and whenever they were invited to fighting, they would smell the smell of Paradise, and hasten to it just like a thirsty hastens to the cold water, out of eagerness to support the religion of Allah or attain the rank of martyrdom. Whoever among them died on his bed grieved for his loss of such rank of martyrdom. Khalid Ibn Al-Walid "Allah be pleased with him" said while breathing his last: "How many times I regarded with slightness my soul and attacked the rows of enemies in covet of martyrdom, and now, I am dying on my bed like the old women." When he died, about eight hundred injuries were counted on his body. As such was the state of these who were true to their faith "Allah be pleased with them".

But the hypocrites fled away from the battlefield for fear of death, thereupon it was said to them: "The Death from which you flee will truly overtake you: then will you be sent back to the Knower of things secret and open: and He will tell you (the truth of) the things that you did!" (Al-Jumu'ah 8)

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

By giving reference to abidance over martyrdom, they have exchanged better for worse: " These are they who have bartered guidance for error: but their traffic is profitless, and they have lost true direction." (Al-Baqarah 16)

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾

As for the sincere in faith, Allah Almighty bought from them their own souls on condition that they would have Paradise in return. When they knew that they had left, say, twenty or thirty years of enjoyment (in this world for eternal enjoyment), they rejoiced of the bargain they have concluded.

Being so, you would learn that the definitions given by the righteous to asceticism do not comprehend it entirely in so much as they refer only to some of its parts. Each one talked about asceticism from his own point of view, and in consideration to those whom he addressed:

Bishr, for example, said: "Abstinence from this world is to refrain from the people." That is a reference to abstinence in majesty in particular. According to Qasim Al-Jaw'i: "Abstinence from this world is to refrain from (eating and filling) your inside. The more you have control over your belly, the more you become abstinent." That is a reference to abstinence in one desire, which, by my life, prevails over, if not provokes almost all the other desires. According to Al-Fudail: "Abstinence from this world lies in satisfaction." That is a reference to property in particular. According to Ath-Thawri: "Abstinence from this world is to shorten the hope." It indeed comprehends all desires. Whoever wishes to abide have a long hope (in this world), and whoever shortens his hope seems as if he has turned away from all desires.

According to Uwais: "If the ascetic comes out seeking (property), asceticism leaves him." This means that he made reliance (on Allah Almighty) one of the conditions of asceticism. According to him once again: " asceticism is not to seek what is guaranteed." By saying so, he refers to sustenance. According to the traditionalists and scholars of Hadith: "To love this world is to act upon the opinion and mind, and to abstain in it is to follow the knowledge and abide by sunnah." If this is intended to refer to the corrupt opinion and mind with which the majesty in this world is pursued, it would be valid. But it indeed refers to some unnecessary desires. To be sure, some sciences are pointless for the hereafter, and one of them is so long that man might spend his whole lifetime in engagement in it. The condition of the valid ascetic is that any unnecessary thing should be the first to turn away from.

According to Al-Hassan: "The real ascetic is him who would say, if he sees anyone: 'This is better than me.'" He means that asceticism lies in humbleness, in reference to the denial of majesty and conceit; and those are but parts of asceticism. Another one said: " asceticism is to pursue the lawful." But where is this from him who says that " asceticism is not to seek (property)" as Uwais put it? Undoubtedly, he intended by it not to pursue even the unlawful. According to Yusuf Ibn Asbat: "Whoever perseveres harm, leaves the desires and eats bread (sustenance) from unlawful (earnings) has indeed acted upon asceticism in principle."

There are other statements about asceticism, and all of them, as we have seen, include only some and not all parts and aspects of it. They are not defective in themselves, since they might express the current state of the sayer, or of the people whom he addresses. However, the most

comprehensive statement about asceticism, regardless of being brief, is that of Abu Sulaiman Ad-Darani in which he said: "WE have heard many statements about asceticism. However, asceticism, in our sight, is to leave everything that engages you from Allah Almighty." He said the same in more detail: "Whoever gets married or sets out on journey in pursuit of living or even Hadith has indeed relied on this world." He made all things in this world in opposition to asceticism. Abu Sulaiman recited the following statement of Allah Almighty: "But only he (will prosper) that brings to Allah a sound heart."

Then he commented on it saying: "It is the heart that has nothing other than Allah Almighty." He further said: "They abstain from this world for they have disengaged their hearts from all concerns of this world and rather devoted themselves wholeheartedly to the hereafter."

As for the division of asceticism on the basis of its rulings, it is divided into obligatory, supererogatory and safe, as Ibrahim Ibn Adham put it. The obligatory asceticism is to abstain from the unlawful. The supererogatory asceticism is to abstain from the lawful. The safe is to abstain from the suspicious things. We have mentioned the details of abstention in our talk about the degrees of abstention in the Book of the Lawful and Unlawful. Abstention is a part of asceticism. It was said to Malik Ibn Anas: "What is asceticism?" he said: " asceticism is the piety."

As for the traces left by asceticism on the soul, they are endless. That is because the passing thoughts, states and movements of which the soul enjoys are infinite and never-ending. The same applies to the apparent states in which the degrees of asceticism are endless. The utmost of asceticism in this respect is that of Jesus "peace be upon him" when he took a stone as a cushion on which he put his head during his sleep. Satan said to him: "Have you not left this world entirely? Then, what has seemed alluring to you from it?" he asked him: "What is that which seemed alluring to me from it?" He said: "You have taken the stone as a cushion." He meant that he blessed himself in elevating his head a bit from the ground. On that he threw the stone and said to him: "Take it along with what I have left for you."

It is narrated from John, son of Zechariah "peace be upon them" that he kept wearing the coarse and rough cloth until it holed his skin in order to leave enjoyment of lenient clothes and comforting the sense of touching. His mother asked him to replace it with a woolen cloak, and he did accordingly. Allah Almighty revealed to him: "O John! You have given preference to this world over Me!" on that he wept and removed the wool cloak, and returned to his first state.

The degrees of asceticism then outwardly and inwardly are endless and beyond calculation. The least degree of it is to abstain from all suspicious and forbidden things. But some people said: "The real asceticism is to abstain from the lawful, but to abstain from the suspicious and forbidden things does not belong to asceticism at all." But later on, they saw that nothing lawful has remained in the wealth and property of this world, and thus no asceticism could be imaginable now.

You may argue: "It is true that the real asceticism is to leave all things and not to engage in anything other than Allah Almighty. But how could this be imagined with eating, drinking, clothing, mixing with the people, and talking to them, in which one engages in things other than Allah Almighty?"

In reply to that, it should be known to you that to turn away from all things in this world and come to Allah Almighty is to wholeheartedly devote oneself to Him in thought and celebration, and this could hardly be imagined without abidance, and one could not abide without the necessities of living. Thus, if you restrict yourself in this world only to what maintains your body from destruction, and your purpose is to seek the aid of your body in your acts of worship, you would not be considered to engage in things other than Allah Almighty. The one who is providing the she-camel with fodder and watering it on the way to Hajj does not engage from Hajj in anything else. But your body should be on the way to Allah Almighty like the she-camel on the way to Hajj. Your purpose should not be to have your riding mount enjoy of pleasures and delights, but only to maintain it from the means and causes of destruction until it conveys you to your destination. Similarly, you should maintain your body from destructive hunger and thirst by eating and drinking, from the destructive cold and heat by clothes and residence. You should, in so doing, restrict yourself only to the necessities, and not aim at enjoyment of pleasures, but rather stick to piety in obedience of Allah Almighty. This, indeed, is not opposite, but rather requisite to asceticism.

But you may say: "But even, I should inevitably take pleasure in food while eating." In reply to that, it should be known to you that no harm befalls you in that, as long as your purpose is not the pleasure in itself. The one who drinks cold water might take pleasure in it, simply because it has quenched his thirsty. Similarly, whoever urinates or defecates is relieved by answering the call of nature. But at the same time, this relief is not intended in itself. The one who stands at night (for supererogatory prayers) might get comforted with the breezes of dawn and the sound of birds. But as long as this is not intended in itself, it does not harm him. From among the fearful, there was such as sought a place where he could not receive the breezes of dawn for fear he would get comforted with it, and his heart become familiar with it, which means the intimacy with this world on the account of the intimacy with Allah Almighty. For similar reasons, Dawud At-Ta'i had a basin of water exposed to the heat of sun, and he used to drink the hot water saying: "Whoever senses the pleasure of the cold water finds it difficult on himself to leave this world."

Such are the concerns of the cautious and careful among the righteous. To be sure, precaution in all of this is more decisive, regardless of being difficult, since this difficulty, no matter how severe it might be, is short-lived, and not heavy on those who know well the opposition of the world to the religion.

CHAPTER FOUR

EXPOSITION OF PREFERENCE OF ASCETICISM IN LIFE NECESSITIES

It should be known to you that the things in which the people engage are divided into essential and superfluous. The superfluous is like the horses branded (for blood and excellence) and the like of them. Most people keep them as an

aspect of luxury and comfort through riding them, given that they are able to walk on foot. What is essential is like eating and drinking, and all that is necessary for life. Anyway, to enumerate all kinds of the superfluous is impossible for they are beyond calculation. But this is possible concerning the essential and necessary. Since the necessary itself might turn into superfluous, in some cases, as regards the amount, kind and time, it is then important to explicate the way of abstinence in it. Let's say that six things comprise the necessities and essentials: food, drink, clothes, furniture, marriage, and property; and majesty for many purposes, including those six. We have previously mentioned majesty, and why people love it and how they could avoid it in the book of Showing Off in the quarter of destructives. Now, we are going to explain those six essentials.

First necessity: food. Man should have lawful food to sustain himself. But at the same time, it should not go beyond a certain extent in terms of length and breadth in order for man to be able to observe abstinence in it. As for length, it is limited by the duration of one's lifetime. To be sure, whoever has only the food of his day is not satisfied with it. The breadth of food pertains to its amount, kind and time of having it. The length could not be shortened unless one's hope becomes short. The minimum extent of it which gives the highest degree of asceticism is only to avert hunger from oneself once it is severe and there is fear of disease because of it. Such one does not save from his early meal for his evening meal. That is the highest degree of asceticism. The second degree is to save as much as is sufficient for a month or forty days. The third degree is to save as much as is sufficient for a whole year. That is the rank of the weak among ascetics. Whoever saves more than that is not called ascetic, for whoever has a hope to stay more than a year is of very long hope. He would nod be considered ascetic unless he has no earnings, and does not accept to take from the people, like Dawud At-Ta'i who inherited twenty Dinars which he kept and spent along twenty years. This does not contradict asceticism in principle except in the sight of him who makes reliance a necessary condition for it.

As for its breadth in relation to the amount, half a pound is the minimum per day, a complete pound the middle, and a single Mudd the highest, and it is that which Allah Almighty decreed to feed the indigent and needy as expiation. But what is above that is out of asceticism. Whoever could not satisfy himself with a single Mudd at maximum per day has no share in the asceticism of the stomach for he engages himself in food.

As for its breadth in relation to kind, the least amount is that which sustains the body, even bread made of dregs; and the middle amount is the parley and corn bread; and the highest is the bread made of unsifted wheat. But if it is sifted, then, one would enter the area of luxury, and leave that of asceticism. As for condiment, the minimum is salt or herb and vinegar, the middle is oil or any kind of similar fat, and the highest is meat of any kind, once or twice a week, and more than that turns one from the area of asceticism.

As for its breadth in relation to time, the minimum is only once per night and day in case he is fasting. The middle is to observe fast and drink only and do not eat one night, and eat and do not drink on the coming night and so on. The

highest is to remain hungry at least three days up to week, and more. We have previously mentioned the way to reduce food, and curb its appetite in the quarter of destructives. Let such one reflect the state of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and the companions "Allah be pleased with them", as to how they abstained from most kinds of food and dispensed with condiment.

It is narrated on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that she said: "It happened that as long as forty days came upon us without a lamp or a fire (for cooking) to be kindled in our house." She was asked: "Then, with which sustenance had you sustained yourselves?" she said: "With both brown things, dates and water." (Ibn Majah). Consider how they abstained from meat, soup and even any kind of condiment.

Al-Hassan said: "the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to ride the donkey, wear wool, put on sandals which might be sewed, lick his fingers (after finishing from food), and eat on the ground. On that he used to say: "I am only a servant (of Allah), and I eat as the servants eat, and sit as servants sit."

The Christ "peace be upon him" said: "Let me tell you the truth: whoever seeks Paradise should eat more often from the parley bread and sleep near dunghills besides dogs." Al-Fudail said: "the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" has never eaten his fill from the wheat bread for three consecutive days since he arrived in Medina." The Christ "peace be upon him" used to say: "O children of Israel! I advise you to stick to water, wild herbs and parley bread; and beware of the wheat bread for you would not be able to give due thanks for it."

We have previously mentioned the biography of the Prophets and Messengers "peace be upon them" and the righteous predecessors and their abstinence in food and drink. So, there is no need to repeat it once again here.

when the inhabitants of Quba' brought to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" who came to visit them a drink of milk mixed with honey, he placed the utensil and said: "I indeed do not forbid it; but I rather leave it out of humbleness before Allah Almighty."

Once, a drink of milk mixed with honey was brought to Umar "Allah be pleased with him" and it was a very hot day, thereupon he said: "Provided that you should take away the reckoning for it from me." Yahya Ibn Mu'adh said: "The truthful ascetic is he, whose sustenance is just what he finds, dress what screens his body, and residence wherever he is. The world is his prison, the grave his lying place, the space his sitting place, meditation his thought, the Qur'an his talk, the Lord his companion, the celebration his friend, asceticism his acquaintance, grief his state, modesty his motto, hungry his condiment, wisdom his speech, earth his bed, piety his provision, silence his booty, patience his support, reliance his sufficiency, mind his guide, worship his profession, and Paradise his destination Allah willing."

Second necessity: Clothes. The minimum thereof is just what averts cold and heat and screens the private parts, or in other words, a covering to cover his

body therewith. The middle thereof consists of a shirt, a hat and a pair of sandals. The highest is to have handkerchiefs and trousers besides. What is more than that goes beyond the limit of asceticism. It is requisite for a real ascetic to have no other garment at the time his garment is being washed. But rather he should abide in the house at that time. If he possesses a pair of shirts, a pair of handkerchiefs and a pair of trousers, he would not become an ascetic in terms of amount.

As regards the kind, the minimum is the rough cloth, the middle the coarse wool, and the highest the heavy cotton.

Concerning the time, the maximum is what screens for a whole year, and the minimum is to remain only for a day, to the extent that one of them patched up his garment with the tree leaves although dryness would damage it soon. The middle is that which endures for a month or so. But to seek for what is more than a year is to go beyond the limit of asceticism, for it is out of the long hope. Whoever has more than that should give it in charity, otherwise, he would not become an ascetic, but rather a lover of this world. Let one consider the states of the Prophets and Messengers "peace be upon them" and the companions "Allah be pleased with them" in this respect, and how they abandoned the lenient and expensive clothes.

Abu Burdah said: A'ishah "Allah be pleased with her" brought out to us a matted clothing and a heavy loin garment and said: "the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" died while he was putting on those two garments." (Al-Bukhari and Muslim).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Indeed, Allah Almighty loves him who puts on the cheap of clothes and does not care about its kind."

Amr Ibn Al-Aswad Al-Ansi said: "I never put on the expensive clothes for which I am recognized (among the people), nor do I sleep at night on a covering, nor do I ride on a comfortable mount, nor do I fill my belly with food." On that Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" said: "Whoever is pleased to see the guidance of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" let him look at Amr Ibn Al-Aswad." (Ahmad).

In another narration the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No servant puts on an expensive garment for which he likes to gain fame, but that Allah Almighty turns away from him until he takes it off, no matter how dear he is in His sight." (Ibn Majah on the authority of Abu Dharr).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" bought a garment for four Dirhams, and both his upper and lower garments were no more than ten Dirhams, and four and a half cubits in length. He "peace be upon him" bought trousers for three Dirhams. He "peace be upon him" used to put on two white woolen garments called a suite for they were of the same kind. Sometimes he put on two Yemenite heavy Burdahs.

Once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" put on a two hundred-Dirham silk garment only for one day, and his companions went on touching it and saying with exclamation: "O Messenger of Allah! Has it

been sent down upon you from the Garden?" indeed, he was a gift from Al-Muqawqis, the chief of Egyptian Copts, and he liked to honor it by wearing it. Then, he "peace be upon him" took it off and sent it as a gift to a man from the polytheists. Afterwards, he forbade putting on silk and heavy brocade. He seemed to have put it on at first in order to confirm the prohibition, the same as he did with the gold ring, which he wore one day and then took it off and forbade men to wear gold rings.

He "peace be upon him" did the same with Barirah when he said to A'ishah "Allah be pleased with her": "Buy her and put the condition of allegiance on her family." Then, he came up the pulpit and forbade that the slave's allegiance should continue to be to the owners after they sell him. (both sheikhs on the authority of Wahb).

He "peace be upon him" also made permissible the Mut'ah marriage for three days after which he prohibited it by way of confirming the sanctity of marriage. (Muslim on the authority of Salamah Ibn Al-Akwa').

One day, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" prayed in a square garment with marks, and when he finished and concluded the prayer with Taslim, he said: "I have been engaged in this (square garment of marks). Take it and give it to Abu Jahm and bring me his coarse mantle instead." he thus favored the coarse mantle to his soft square garment.

On another occasion, the strap of his sandal was torn thereupon he replaced it with a new one, in which he offered prayer. But when he ended it with Taslim he said: "Take away that new strap, and bring me back the torn one, for it drew my attention during the prayer." Once, he "peace be upon him" put on a gold ring and caught a glimpse of it while he was on the pulpit, thereupon he threw it away and said: "This (gold ring) has diverted my attention from you: I took a glance of it and a glance of you."

One day he "peace be upon him" put on a new pair of sandals, whose smartness appealed him, thereupon he fell in prostration and said: "Their smartness has appealed me thereupon I humbled myself before my Lord lest He would be displeased with me." Then, he came out with them and gave them to the first indigent person he met.

It is narrated on the authority of Sinan Ibn Sa'd "Allah be pleased with him" that he said: A cloak of fine wool was woven for the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" with a black fringe. When he put it on he said: "Look how smart it is! How soft it is!" a Bedouin stood up and said to him: "O Messenger of Allah! Grant it to me." However, whenever the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked for anything, he would never withhold it. He "peace be upon him" gave it to him and commanded that another one be woven for him, and he "peace be upon him" died before it was finished. (Abu Dawud and At-Tabarani on the authority of Sahl Ibn Sa'd).

It is narrated on the authority of Jabir "Allah be pleased with him" that he said: One day, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" entered upon Fatimah "Allah be pleased with her" while she was grinding with the millstone, and she was having a clothing of camel hair. When he caught a

glimpse of her he wept and said: "O Fatimah! Taste the bitterness of this world for the bliss of the hereafter." On that occasion Allah Almighty revealed to him: " And soon will your Guardian-Lord give you (that wherewith) you shall be well-pleased." (Ad-Duha 5)

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝ ﴾

(Abu Bakr Ibn Lala).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The best of my people, as I was told by the highest company (in the heaven), are those who laugh publicly because of the extensive mercy of Allah Almighty, and weep in secret out of fear of His punishment. Their burden is light on the people and heavy on themselves. They wear the old torn pieces of clothing and follow the holy men (of religion). Their bodies are on earth and their hearts are near the Throne (of Authority)." (both Al-Hakim and Al-Baihaqi).

That was the biography of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in the clothes, and he recommended all of his people to follow him saying: "Whoever loves me should act upon my sunnah." He "peace be upon him" further said: "I advise you to stick to my sunnah and the way of the rightly-guided caliphs (my successors) after me: abide by it strictly." (Abu Dawud, At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Al-Irbad Ibn Sariyah). In confirmation of that Allah Almighty said: " Say: "If you do love Allah, follow me: Allah will love you and forgive you your sins; for Allah is Oft-Forgiving, Most Merciful."" (Al Imran 31)

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" advised A'ishah "Allah be pleased with her" saying: "If you like to join me, then, avoid sitting with the rich and wealth among the people, and do not abandon a garment until you patch it (and it becomes useless because of patches)." (At-Tirmidhi and Al-Hakim).

The shirt of Umar "Allah be pleased with him" had as many as twelve patches, with some of which of leather. Once, Ali Ibn Abu Talib "Allah be pleased with him" bought a garment for three Dirhams and put it on while he was the caliph, and cut its sleeves from the wrists and said: "Praise be to Allah Who has dressed me in that good dress."

According to Ath-Thawri and others: "Put on of clothes what makes you neither famous in the sight of the learned, nor contemptible in the sight of the ignorant." He said: "Whenever a poor came upon me during my prayer, I would let him pass, and whenever anyone of the world seekers having an expensive suite came upon me, I would be displeased with him, and not let him pass." One of the learned said: "I evaluated the garment and pair of sandals of Sufyan for a Dirham and four Daniqs."

Ibn Shubrumah said: "The best of my clothes is that which serves me; and the evil of my clothes is that to which I am a servant." One of the wise said: "Put on of clothes what helps you mix with the laymen, and do not put on of them what makes you famous for it and causes the people to look at you because of it." Abu

Sulaiman Ad-Darani said: "Clothes are of three kinds: a dress for Allah Almighty, and it is that which screens the private parts; a dress for oneself, whose softness is required; and a dress for the people, whose essence and smartness are required." According to another one: "He whose dress becomes soft, his religion turns weak accordingly."

The dress of anyone of the majority of religious scholars from among the Tabi'is was as cheap as 20-30 Dirhams. The dress of Al-Khawas, for instance was of two pieces: a shirt and a lower garment underneath it, and perhaps he put the tail of his shirt over his head. It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever leaves a dress of beauty and smartness, just out of humbleness to Allah and seeking His Countenance, although he has the power to have it, it becomes incumbent upon Allah Almighty to save for him from the most beautiful women of Paradise in tents of pearl."

Allah Almighty revealed the following to one of His Prophets: "Tell My devotees not to dress themselves in the dresses of My enemies, nor enter the gateways of My enemies, lest they would become of My enemies." Rafi' Ibn Khadij "Allah be pleased with him" looked at Bishr Ibn Marwan while he was teaching religion in the mosque of Kufah, thereupon he said to the people: "Consider how your commander teaches you religion and he has over his body the dress of the dissolute." Indeed, he had very soft clothes. On another occasion, Abdullah Ibn Amir Ibn Rabie'ah came to Abu Dharr "Allah be pleased with him" and he had an expensive suite, and he started talking about asceticism, thereupon Abu Dharr "Allah be pleased with him" put his palm on his mouth and gave no care to Abdullah, who grew angry. He made a complaint against him to Umar "Allah be pleased with him" who said: "It is you that have done so with yourself. You talked about asceticism in front of him while having this expensive suite."

Ali Ibn Abu Talib "Allah be pleased with him" said: "Allah Almighty took the pledge from the imams of guidance to be in the state of the lowest among the people in order for the rich to imitate them, and the poor not to be contemptible for his poverty. When he "Allah be pleased with him" was blamed for his rough and coarse clothes he said: "It is closer to humbleness, and more convenient to cause the Muslim to follow it." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" forbade luxury and said: "Allah Almighty has servants who do not lead a luxurious life."

Fadalah Ibn Ubaid who was the governor of Egypt was seen disheveled and barefooted thereupon it was said to him: "Do you behave like this although you are the governor?" On that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" commanded us to be barefooted sometimes." (This is reported by Abu Dawud). Ali Ibn Abu Talib said to Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with them": "If you like to join your two companions (The Prophet and Abu Bakr), then, raise the shirt, lower the loin cloth, sew your sandals, and do not eat your fill." Umar "Allah be pleased with him" said: "Be austere in your life, and do not imitate the non-Arabs in their uniform, those of Caesar and Khosrau." Ali "Allah be pleased with him" said: "Whoever gets dressed in the dress of a people belongs to them."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Among the worst of my people are some who are fed with all kinds of pleasure: they seek the delicious kinds of food and expensive clothes, and speak ostentatiously." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The lower garment of a faithful believer should reach half his legs, and there is no harm on him in what is below it down to the ankles, and what is below that would be in the fire (of Hell); and on the Day of Judgement, Allah Almighty would never look at him who used to drag his garment (on the ground) out of arrogance." (Malik, Abu Dawud, An-Nasa'i and Ibn Hibban on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri and Abu Hurairah).

Abu Sulaiman Ad-Darani told that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "None among my people puts on hair (clothes) except for a hypocrite or a foolish." According to Al-Awza'i: "Putting on wool is out of sunnah on journey, and a religious innovation in residence." Once Muhammad Ibn Wasi' entered upon Qutaibah Ibn Muslim, and the former had a cloak of wool. Qutaibah asked him: "What has forced you to put on that woolen clothing?" He kept silent, thereupon Qutaibah said once again: "Do I talk to you and you do not answer me?" He replied: "Indeed, I dislike to say that I have done so by way of asceticism, thereby claiming purity to myself, or out of poverty, thereby making a complaint against my Lord."

Abu Sulaiman said: "When Allah Almighty took Abraham "peace be upon him" as a bosom friend, it was revealed to him to screen his private parts from the earth. He used to take a single one from everything except that he had a pair of trousers so that whenever one was being washed, he would put on the other in order for his private parts to be always screened." It was said to Salman Al-Farisi "Allah be pleased with him": "Why do you not put on the fine of clothes?" He said: "What could a servant do with the fine dress? If he is set free (from life by death), he would have, by Allah, a dress that is never torn out." It is narrated from Umar Ibn Abd-Al-Aziz that he had a cloak and mantle of hair which he used to put on at night whenever he stood for prayer. Al-Hassan said to Farqad As-Sabakhi: "Do you think you are superior to the people by virtue of your mantle? I have been reported that most of those who put on mantles are hypocrites."

Third necessity: Residence. The abstinence in it also has three degrees: the highest is not to demand a particular place for oneself, but he is rather satisfied with a corner in any mosque, like the people of Suffah (the poor among emigrants). The middle is not to demand a particular place for himself, more than a shed or a hut of leaf stalks. The lowest is to demand a built chamber for himself by way of buying or hiring. If the residence is as large as to satisfy his need and no more, and has no decoration or adornment, this would not turn him out of the last degree of asceticism. In general, what is intended for necessity should by no means go beyond the limit of necessity. Thus, one should take from this world only what is necessary, i.e. to regard it no more than the equipment and means of religion, and what is beyond that opposes religion. The purpose of residence is to avert cold and rain, and to protect oneself from sights and harm.

It was said that the first aspect of the long hope after the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" appeared in embroidery of clothes and construction of buildings. During his lifetime, most people used to build with leaf stalks, and later on, they came to build with stones, gypsum and bricks. It is related in a particular narration: "A time will come upon the people in which they would embroider their dresses in the same way as the Yemenite Burdahs are embroidered." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" commanded his paternal uncle Al-Abbas "Allah be pleased with him" to destroy a dome he had built to make high his residence.

It is narrated on the authority of Anas Ibn Malik "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" came out one day and found a high dome, thereupon he asked: "What is this?" his companions told him: "It belongs to so and so, a man from amongst the Ansar." He remained silent, and kept it in himself, until when that very man came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and saluted him among the people, he turned back from him. He did the same many times, until the man came to know that he was angry with him, and that he had estrangement towards him. He complained of that to his companions and said: "By Allah, I disapprove of the conduct of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" towards me." They said: "He came out and saw your dome." He then went to his dome and put it down, and leveled it with the ground. One day, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" came out and did not see the dome. He asked: "What has happened to the dome?" they said: "Its owner complained to us your estrangement towards him, and we told him, thereupon he put it down." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No doubt, every building might be (a cause of) destruction to its builder unless it is inevitably necessary." (Abu Dawud).

According to Al-Hassan: "the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" died and he did not even place a stone over a stone, nor a pipe over a pipe (i.e. he did not build anything." (Ibn Hibban, Abu Na'im and At-Tabarani). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If Allah intends evil for a servant, He causes him to consume his wealth in water and clay (i.e. in the bricks of building)." (Abu Dawud on the authority of A'ishah). It is narrated on the authority of Abdullah Ibn Amr "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" came upon us and we were setting right a bower belonging to us, thereupon he asked: "What is that (which you are doing)?" we said: "It is a bower belonging to us, and it was about to collapse; and we are mending it." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I do not think but that the matter (of death) will be sooner than that." (Abu Dawud, At-Tirmidhi and Ibn Majah).

Noah "peace be upon him" took a house of pipes and it was said to him: "Would that you build a house (from stones)!" On that he said: "This is very much for him who is going to die." Al-Hassan said: "We entered upon Safwan

Ibn Muhairiz "Allah be pleased with him" and he had a house of pipes which inclined on him. We said to him: "Would that you repair it!" He said: "How many a man died while this remained standing." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Whoever built beyond what suffices him would be required to carry it on the Day of Judgement." (At-Tabarani on the authority of Ibn Mas'ud). According to a certain narration: "One should receive reward for everything he spends on earth, except what he spends on water and clay (i.e. on building)." (This is reported by Ibn Majah on the authority of Khabbab Ibn Al-Aratt).

In comment on the following statement of Allah Almighty: " That House of the Hereafter We shall give to those who intend not high-handedness or mischief on earth: and the End is (best) for the righteous" (Al-Qasas 83)

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

It is said that it refers to authority and competition in constructing high buildings. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Every building would be a means of evil on its builder on the Day of Judgement except for what is intended only to protect from heat and cold." (Abu Dawud on the authority of Anas). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to the man who complained to him of his narrow house: "It would be spacious in the heaven" i.e. in Paradise. (Abu Dawud and At-Tabarani on the authority of Khalid Ibn Al-Walid, and he is the man who made the complaint).

Once, Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" saw on his way to Sham a building of bricks, stone and gypsum, thereupon he said: "I have never thought that from among this Muslim nation, there is such as builds like the building of Haman to Pharaoh." He meant the statement of Pharaoh to Haman: " O Haman! light me a (kiln to bake bricks) out of clay, and build me a lofty palace, that I may mount up to the god of Moses. (Al-Qasas 38)

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ۖ فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾

It is said that Pharaoh was the first to use bricks and gypsum in building, which Haman made for him, and then they were followed by the tyrants. That is the adornment in this life.

Al-Hassan said: "Whenever I entered anyone of the dwelling places of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" I would touch the roof with my hand (for it was very short)." According to Amr Ibn Dinar: "If a servant makes his building as high as more than six cubits, an angel would call him: "Where are you going O most wicked of those who are wicked?"" Sufyan forbade people to look at the high constructed buildings and said: "Had it not been for the looking of people to such buildings, they would not have constructed them." Looking at such buildings then helps make them high and well-constructed. According to Al-Fudail: "I do not wonder at him who built and then left his building when he died. But I wonder at him who sees and does not

take consideration." According to Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him": "A people will come, and they will raise clay (in buildings), and degrade religion. They will pray to your Qiblah, and die not on your religion."

Fourth necessity: The house furniture. Abstinence in it also has three degrees: the highest is the state of Jesus "peace be upon him". He did not have but a comb and a mug (for water). Once, he saw a man combing his head with his fingers, thereupon he threw away the comb. On another occasion, he saw a man drinking from the river with his hand, thereupon he threw away the mug. That is the ruling of all furniture, i.e. it should be intended to fulfill the purpose, and no more, and what is beyond that, i.e. what is dispensable would be a source of evil on its owner in the world and hereafter. As for what is indispensable, one should restrict himself to the minimum, i.e. pottery in all that for which pottery is sufficient.

The middle is to have furniture, as much as only satisfies his need. But here, he uses the same item on a multi-purpose basis, like using the same bowl in eating, drinking, and saving things. The righteous predecessors liked to use the same element in many things for the purpose of lightening the burden.

The lowest is to have for each purpose a certain item, but not from the highest kind. But if those increase in number or in the quality, one would turn out of the class of the ascetics. Let such reflect the biography of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and the companions "Allah be pleased with them".

A'ishah "Allah be pleased with her" said: "The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to lie on a cushion of leather stuffed with fibre palm leaf." (Abu Dawud, At-Tirmidhi and Ibn Majah). According to Al-Fudail: "The bed of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was no more than a folded garment and a cushion of leather stuffed with fiber palm leafs." (At-Tirmidhi in Ash-Shama'il on the authority of Hafsah). It is further narrated that Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" entered upon The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and he was lying on a mat made of fibre palm leafs whose marks left their traces on his side, as there was nothing between him and the mat. Underneath his head there was a leather pillow stuffed with palm fibres, and leaves of a saut tree were piled at his feet, and above his head hung a few water skins. On seeing the marks of the mat imprinted on his side, I wept. He said: "Why are you weeping?" I replied: "O Allah's Apostle! Caesar and Khosrau are leading the life (i.e. Luxurious life) while you, The Messenger of Allah, though you are, is living in destitution." The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" then replied: "Won't you be satisfied that they enjoy this world and we the Hereafter?" He answered in the affirmative, thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Then, it would be so." (both Al-Bukhari and Muslim).

A man entered the house of Abu Dharr "Allah be pleased with him" and started to turn his eyes inside it thereupon he said: "O Abu Dharr! I do not see any luggage or furniture in your house." On that he said: "We have a house to which we direct the benefits of our luggage." He said: "But you should have

luggage as long as you are living here." He said: "Then, the owner of the house would not let us in it." When Umair Ibn Sa'id came from Hims and entered upon Umar "Allah be pleased with them" the latter asked him: "What do you have from this world?" he said: "I have a stick to recline on and kill a serpent once I encounter it, a leather container to save my provision in, a bowl to eat in, and a pot to carry water in to drink and perform ablution for prayer; and what is beyond that from this world is dispensable." Umar "Allah be pleased with him" said: "You have told the truth, may Allah bestow mercy upon you."

It is further narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" returned from journey and came to visit Fatimah "Allah be pleased with her" but he found at the gate of her house a curtain and two heart-shaped bracelets of silver, thereupon he returned and did not enter upon her. Abu Rafi' "Allah be pleased with him" entered upon her and found her weeping. He asked her about the reason and she told him the story. Abu Rafi "Allah be pleased with him" asked him and he said to him: "I have returned for the sake of the curtain and the two silver bracelets." She "Allah be pleased with her" sent them with Bilal "Allah be pleased with him" to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" with the following message: "I have given them in charity. So, put them wherever you see it fitting." He said to Bilal: "Go and sell them and distribute the price among the people of Suffah." He sold the two heart-shaped bracelets for two Dirhams and a half and then gave them in charity. Then, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" entered upon her. He greeted her and said: "Let my father sacrifice his life for you! You have done well!" (This narration is collected from Abu Dawud and Ibn Majah on the authority of Safinah; and An-Nasa'i on the authority of Thawban).

Once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saw a curtain hung at the gate of the chamber of A'ishah "Allah be pleased with her" thereupon he removed it and said: "The more I see it, the more I remember the world. Send it to the family of so and so." (At-Tirmidhi and An-Nasa'i).

One day, A'ishah "Allah be pleased with her" spread for him a new mattress, and the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to lie on a folded garment. He continued to turn on it during the night and when it was morning he said to her: "Return the old folded garment, and take away this new mattress from me, for it made me sleepless this night." (Ibn Hibban on the authority of A'ishah).

On another occasion, five or six Dinars were sent to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" at night, thereupon he kept them in the house until morning. But during the night he remained sleepless, and did not get comforted until he distributed them all towards the end of the night, after which he slept. A'ishah "Allah be pleased with her" said: "At that time, he slept so deep that I heard his snoring. In the morning he said: "What should Muhammad think his Lord (would do with him) should he meet Allah with those Dinars still in his house?" (Ahmad on the authority of A'ishah and Umm Salamah with a slight variation of wording).

Al-Hassan said: "I have caught seventy good men, and none of them had

anything more than his garment, and none of them put anything between him and the ground; and whenever he slept, he would place his body direct on the ground, and cover himself with his garment."

Fifth necessity: Marriage. Many say that there is no significance of abstinence in marriage in principle, nor in getting married so much. This opinion was adopted by Sahl Ibn Abdullah who said: "Women were made lovable to the chief of ascetics (i.e. the Prophet), so, how should you abstain from them?" Ibn Uyainah concurred saying: "The most abstinent among the companions was Ali Ibn Abu Talib "Allah be pleased with him", although he had four wives and over ten slave-girls." The right is what Abu Sulaiman Ad-Darani said: "Every thing that diverts you from Allah Almighty, be it a wife, a wealth, or a child, is a cause of bad omen upon you." One's woman might divert him from Allah Almighty.

The right is that sometimes spinsterhood might be better than marriage, as has previously been shown in the Book of Marriage; and in this way, to leave marriage becomes out of asceticism. But whereas marriage is better to avert the overwhelming sexual desire, then, it becomes obligatory. Then, how should leaving it become out of asceticism? It is true that there is no sin in marriage or spinsterhood, leaving marriage might be better if one knows that it would engage in women from the celebration of Allah Almighty. But if it is learnt that one's wife would not divert him from Allah Almighty, and at the same time, he leaves it in avoidance of the pleasure of looking at her beauty, having sexual relation with her, and so on, then, leaving marriage would not be asceticism. To be sure, children are intended for his lineage to continue, and proliferation of people from among the nation of Muhammad "peace be upon him" is one of the acts of worship. The pleasure that befalls one in what is necessary does not harm him, as long as it is not intended in itself.

It is like him who leaves food and drink in avoidance of the pleasure of eating and drinking: it is not asceticism for by so doing, he would lose his life entirely. Similarly, to leave marriage is to cut off his lineage. So, it is impermissible to leave marriage in abstinence from its pleasure, for another evil would ensue from that. It is for this reason that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" got married.

Whoever finds himself in the same state of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in the sense that his heart would not engage in women and spending on them from the celebration of Allah Almighty, then, his abstinence in them would be of no significance. But this state is unimaginable to anyone other than the Prophets and devotees of Allah Almighty. Most people engage in their wives and women from anything else. If one fears more than one of them, or the beautiful among them would engage him, let him marry only one whose share of beauty is little. Abu Sulaiman Ad-Darani said: "The abstinence in women is to prefer the unattractive and orphan to the beautiful and noble." According to Al-Junaid: "It is better for the novice beginner not to engage his heart in three things, otherwise, his state would change: earning, pursuing Hadith and getting married."

Sixth necessity: The wealth and majesty. They are means to achieve the

previous five. As for majesty, it is to have possession of and influence on hearts in order to be able to do things through others in case he is not able to do them by himself. Whoever is not able to do a certain thing, and is lacking anyone to serve him in it, he then is lacking majesty in the heart of his servant, for should he have no influence on him, he would not serve him. One needs to have influence on the hearts of others either to bring about benefit, avert harm, or get rid of injustice. The benefit might be brought about by money. One might serve another for charge, regardless of his influence on him. Influence is needed for him who serves for no charge.

As for averting harm or injustice, majesty is needed where there is no justice, or where he lives among wrongful neighbours whose evil he could not avert unless he has influence on them or majesty in the sight of the ruler. The extent to which this is needed could not be adjusted, given the fear and bad assumption of the consequences. But even, whoever goes on in pursuit of majesty is indeed in the way of destruction. It is not fitting for an ascetic to seek majesty in principle, for his engagement in religion and worship paves the way for him to have influence on the hearts which averts harm from him even if he lives among the disbelievers, let alone the Muslims. In sum, there is no concession, in principle, to seek majesty and influence on the hearts, and the little thereof inevitably leads to causing harm to others. So, let one avoid it entirely.

As for wealth, it is necessary for living, and I mean of course the little thereof. If the ascetic works to get his daily earnings, he should leave earning what is beyond that. One of them used to stop from working once he earned what is equal to two fruits or grains. That is the condition of asceticism. If one goes beyond that to what suffices him for a year and above, he would turn out from the class of the ascetics, their weak and strong, i.e. would be deprived of the promised reward in the hereafter, even though the term of ascetic does not leave him. But if he has an estate from which he withholds the income of a year, due to his weak certainty of reliance on Allah, there would be no harm, provided that he should give in charity what is beyond that. But in this way, he becomes a weak abstinent, for the perfect reliance on Allah is requisite for asceticism to be valid.

To be sure, the burden of a single in all of that is lighter than that of the guardian of a family. Abu Sulaiman said: "One should not trouble his family by forcing them to asceticism. But he might rather invite them to it: If they respond to him, that is good, otherwise he should leave them and do what he likes with himself." But this requires, on the other hand, that he himself should not respond to them in what is beyond the limit of moderateness. Let him learn from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" when he left the house of Fatimah "Allah be pleased with her" for the curtain and two heart-shaped bracelets, for this belong to adornment and not the necessary things for living.

It seems clear then that seeking majesty and property is not forbidden in itself as long as it serves the need, and what is forbidden is that which goes beyond the need. What goes beyond the need is a deadly poison and what

serves the need is beneficial medicine. Between both extremes, there are many degrees. It is forbidden to drink poison, where as it is obligatory to get medicine; and what is between them is suspicious. Whoever takes precautions does so for himself, and whoever indulges in it does so with himself. But whoever clears himself for the sake of his religion, and leaves what arouses suspicion to what does not arouse suspicion, and restricts himself only to the necessary, belongs to the saved sect. whoever limits himself to only what is necessary should not be attributed to the world in so much as to the hereafter. That is because this necessary is the core of religion, for it is its perquisite and an integral part of it.

This is attested by the narration that Abraham "peace be upon him", the bosom friend of Allah Almighty, became once in need, and he went to ask one of his companions for a loan, and his companion gave him nothing. He returned in a state of grief. Allah revealed to him: "Had you asked your bosom friend (Allah), surely, He would have given you." He replied: "O Lord! I know your aversion for (the splendor of) this world, and so I felt afraid to ask You for anything of it." Allah Almighty revealed to him: "No doubt, the need does not belong to (the splendor of) this world."

What is equal to the need then belongs to religion, and what is beyond that to this world. Woe to him who dies while his heart is attached to this world, for on the Day of Judgement, he would be veiled from (the light and glory of) Allah Almighty, and it is those veiled from Allah whom the fire would touch, and none else. That is the significance of the statement of Allah Almighty: "Verily, from (the Light of) their Lord, that Day, will they be veiled. Further, they will enter the Fire of Hell." (Al-Mutaffifin 15-16)

﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ﴾

The ranks of punishment with fire follow the pain of that veil, although the pain of the veil itself is sufficient for torment and punishment. We ask Allah Almighty to inculcate in our hearings what He inspired to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" when it was said to him: "Love whomever you love (it is of no avail) for you would leave him (by death)."

When it was revealed to the devotees of Allah Almighty that the servant helps destroy himself by virtue of his deeds and following his inclinations, they left the world entirely. Al-Hassan said: "I saw seventy from Badr warriors, all of whom were abstinent from what was made lawful for them by Allah in the same way as you are in what was made by Allah unlawful for you. Had you seen them, you would have ascribed them to madness, and had they seen the best among you, they would have say that they would have no share (in the hereafter); and had they seen the evil among you they would have said that those never believe in the Day of Reckoning. Whenever the lawful property was offered to anyone of them, he would reject it saying: "I feel afraid it would corrupt my heart on me."" Of a surety, whoever has a sound heart like them should feel afraid of becoming corrupt on him. As for those whose hearts died because of the love for this world, Allah Almighty told about them saying: "Those who rest not their hope on their meeting with Us, but are pleased and satisfied with the life of the Present,

and those who heed not Our Signs, Their abode is the Fire, because of the (evil) they earned." (Yunus 7-8)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨ ﴾

He Almighty further said: " nor obey any whose heart We have permitted to neglect the remembrance of Us, one who follows his own desires, whose case has gone beyond all bounds." (Al-Kahf 28)

﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ۝٢٨ ﴾

He also said: " Therefore shun those who turn away from Our Message and desire nothing but the life of this world. That is as far as knowledge will reach them. Verily your Lord knows best those who stray from His Path, and He knows best those who receive guidance." (An-Najm 29-30)

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٢٩ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ۝٣٠ ﴾

For this reason, a man said to Jesus "peace be upon him": "Take me with you in your tour." He said to him: "Then, give out your property and then follow me." He said: "I could not do so." On that Jesus "peace be upon him" said: "The Wealthy could hardly enter Paradise." A wise man said: "There is no day on which the sun rises but that four angels from the four directions of the land call, two from the East and other two from the West. One of those in the East says: "O seeker of good! Come to do good! O seeker of evil! Hold back yourself!" The other says: "O Allah! Recompense the one who spends (in charity), and damage the property of him who withholds (it from spending in the Cause of Allah)." As for those in the West, one of them says: "Keep away from death and rather build for destruction." The other says: "Eat and enjoy for the long reckoning."

CHAPTER FIVE
EXPOSITION OF SIGNS OF ASCETICISM

It should be known that one might think, though falsely, that whoever leaves property is an ascetic; and it is not so, for to leave property and claim austerity is easy on him who likes to be praised for asceticism. How many a monk who reduces himself to a very little quantity of food daily, and lives in a hermitage without a gate, but just for the sake of showing his state to the people, perchance they would appreciate and praise him. But even, this does not indicate to asceticism incisively. Asceticism should include both property and majesty in order to be complete. Some people might claim asceticism, although they put on expensive wool and fine clothes.

Consider the account given by Al-Khawas in description of the asceticism claimants: "A people claim asceticism and at the same time put on the expensive clothes, in order to deceive the people perchance they would give them as gifts the like of their expensive clothes, and not see them with the

same eye with which they see the poor with contempt, and thus give them the same as they give the poor and indigent. They claim knowledge and that they belong to sunnah, and that things are given to them although they keep away from them, and that they take just for the sake of those other than them. It is those who eat the world with religion. They are not concerned with purifying their intention, nor with edifying their morals. They indeed are inclined to this world, and following their passions and desires." However, to know the ascetic is problematic, for the state of the ascetic himself is problematic in relation to him too.

Any way, there are three signs on which the ascetic should depend within himself: the first is that he should neither exult for a present thing, nor grieve for a lost thing, in compliance with the statement of Allah Almighty: " In order that you may not despair over matters that pass you by, nor exult over favours bestowed upon you. For Allah loves not any vainglorious boaster." (Al-Hadid 23)

﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾

He should rather be in opposition to that: he should grieve for the existence of wealth, and exult for losing it.

The second sign is that both his praiser and dispraiser should be equal in his sight. The first is the sign of abstinence in property, and the second is the sign of majesty.

The third sign is that his intimacy and sociability with Allah Almighty prevail over his heart. That is indeed the sweetness of obedience, and the heart could hardly be free from the sweetness of love. Love is either for this world or for Allah Almighty. But both never gather in one heart. It is indeed, the love for Allah Almighty, which should occupy the heart entirely, with nothing to share with it. For this reason, one of them was asked: "To what thing did asceticism lead them?" He said: "To being affable and sociable with Allah."

Some Gnostics said: "If faith is attached to the outward of the heart, it would love both the world and hereafter and work for them together; and if faith is attached to the inward of the heart, it would hate this world, and not work for it at all." According to Abu Sulaiman: "Whoever engages in himself is indeed occupied from the people – and this is the station of the workers; and whoever engages in his Lord is indeed occupied from himself – and this is the station of the Gnostics." The ascetic should be in one of both stations. In his first station, he engages himself with himself, and at that point, both existence and nonexistence, praise and dispraise become equal to him.

But he does not become really ascetic just because he has little property. Ibn Abu Al-Hawari asked Abu Sulaiman: "Was Dawud At-Ta'i an ascetic?" he answered in the affirmative. He further exclaimed: "But I have learnt that he inherited twenty Dinars from his father which he withheld and spent along twenty years. Then, how should he be considered an ascetic?" On that he said: "You mean that he should fulfill the reality of asceticism, whereas if you intend the finale, you should know that there is no finale for asceticism for the attributes of the soul are very numerous. The asceticism would not be perfect unless one

abstains from all of them. But whoever leaves anything in this world, given that he is able to get it, simply for fear of his heart and religion, should have a share in asceticism as much as is equal to what he leaves. The highest degree is to leave all things other than Allah Almighty, and even taking a cushion from a stone, as did Jesus "peace be upon him".

The sign of asceticism, in sum, is to have all things equal to you, be it richness or poverty, praise or dispraise, and so on. Of course, there are many subsequent signs, like, for instance, to leave the world careless of to whom it is given. It is said that its sign is to leave the world as it is, without seeking to do anything in it. According to Yahya Ibn Mu'adh, the sign of asceticism is to be openhanded with what is available. According to Ibn Khafif, its sign is to get comforted with leaving kingdom. It is also, according to him, that the self abstains from this world with no difficulty. According to Abu Sulaiman: "Wool is one of the characteristics of asceticism. So, none should put on wool for three Dirhams while he has a desire for five." According to Ahmad Ibn Hanbal and Sufyan: "The sign of asceticism is the short hope." According to Sari: "The living of the ascetic does not become pleasant if he engages from himself, and the living of the Gnostic does not become pleasant if he engages in himself." According to An-Nasrabadhi: "The ascetic is strange in this world, whereas the Gnostic is strange in the hereafter." According to Yahya Ibn Mu'adh: "The signs of asceticism is three: deed without relation, saying without covet, and honour without authority." A man asked him: "When should I enter the shop of reliance, put on the dress of asceticism and sit in the company of the ascetic?" he said to him: "When you discipline yourself in secrecy to the extent that if Allah withholds form you sustenance for three days, you would not weary. But without attaining that degree, to sit on the carpet of the ascetic is out of ignorance, and I do not feel safe that you would be scandalized." According to As-Sari: "I have practiced asceticism and had power over what I intended from it except the abstinence in the people, which I could not do." According to Al-Fudail: "Allah has made all evil in my house, with its key being the love for this world, and He has made all good in my house, with its key being the abstinence from this world."

That is the reality and rulings of asceticism; and if asceticism is not complete without reliance, let us go to explain it, Allah willing.

Book five: Monotheism and reliance on Allah

This is the fifth book of the quarter of Saviors of the Revival of Religion's Sciences

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

Praise be to Allah, the regulator of kingdom (of this world) and dominion (of the hereafter), Whose Alone is honor and supremacy, Who elevated the firmaments of heaven without pillars, and decreed therein the sustenance of servants. It is He Who diverted the eyes of those endued with sound hearts and minds from observing the intermediaries and causes to observe only the causer of causes, and removed their concern with anything other than Him, and dependence on any disposer other than Him. They worship none but He, putting in mind that he is Allah the One and Only, the Absolute, Eternal, and that all the creatures are but servants like them, with whom no sustenance is sought, and that there is no atom but that its creation is due to Allah Almighty, and there is no creeping creature but that its sustenance is incumbent upon Allah Almighty. When they were certain that He ensures and guarantees the sustenance of His servants, they put their trust in Him saying: "Allah suffices us for the best disposer of affairs."

May the blessing and peace of Allah, as much as is fitting for him, be upon Muhammad, the suppresser of falsehood, and the guide to the straight path, as well as upon his family and companions.

Coming to the point: reliance (on Allah) is one of the stations of religion, and one of the positions of the certain (believers). It is among the high degrees of those near to Allah Almighty. But at the same time, it is abstruse and difficult as far as knowledge of and work on it is concerned. The point of abstruseness is that to observe and depend only on the causes and means contradicts monotheism and rather leads to polytheism. But to leave them all is to have doubt in the sunnah and criticize Sharia. To depend on causes and means without seeing them is to change the validity of mind and rather plunge into ignorance. It is too difficult and abstruse to verify of the significance of reliance in a way that achieves harmony between monotheism, Sharia and transmitted texts. None has the power to disclose that issue but the great learned whom Allah has endowed from His favor and bounty with the light of facts, thereupon they saw and verified, and then talked about what they witnessed, once they were asked to talk.

Now, we are going, Allah willing, to adopt the following methodology in this book:

We shall begin with exposition of the virtue of reliance (on Allah Almighty) as introductory to the book

Then, we shall follow up with the first part, which will be about monotheism (Tawhid)

Then, we shall talk about the state and work of reliance on Allah Almighty in the second part.

INTRODUCTION

EXPOSITION OF VIRTUE OF RELIANCE ON ALLAH

From among the Qur'anic Holy Verses, a mention may be made of the following:

Allah Almighty said: " But on Allah put your trust if you have faith." (Al-Ma'idah 23)

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾

He further said: "and let all that trust put their trust on Him." (Yusuf 67)

﴿ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾

He said too: " And if anyone puts his trust in Allah, sufficient is (Allah) for him." (At-Talaq 3)

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾

He also said: " put your trust in Allah. For Allah loves those who put their trust (in Him)." (Al Imran 159)

﴿ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾

How excellent is a position in which one attains the love and sufficiency of Allah Almighty. Whomever Allah Almighty suffices, cares, and loves has indeed achieved a great felicity. By no means would the beloved be punished, removed or even veiled (from his lover).

Allah Almighty further said: " Is not Allah enough for His servant?" (Az-Zumar 36)

﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ ﴾

Indeed, whoever demands sufficiency from, and relies on anyone other than Allah Almighty denies and belies this Holy statement. The interrogation here is intended to decide the truth with certainty, like the statement of Allah Almighty: " Has there not been over Man a long period of Time, when he was nothing, (not even) mentioned?" (Al-Insan 1)

﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾

Allah said too: "But if any trust in Allah, behold! Allah is Exalted in might, Wise." (Al-Anfal 49)

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾

He is exalted in might in the sense that whoever takes shelter to Him is never humiliated, and whoever resorts to Him never loses protection. Furthermore, He is Wise in the sense that He never falls short of regulating the affairs of him who relies on His manipulation.

Allah Almighty says too: "Verily those whom you call upon besides Allah are servants like unto you: call upon them, and let them listen to your prayer, if you are (indeed) truthful!" (Al-A'raf 194)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾

He showed that anyone other than Him is but a subjugated servant, whose need is like yours: then, who could dare to rely on him? He also said: " The things that you worship besides Allah have no power to give you sustenance: then seek you sustenance from Allah, serve Him, and be grateful to Him: to Him will be your return." (Al-Ankabut 17)

﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

He also said: " But to Allah belong the treasures of the heavens and the earth; but the Hypocrites understand not." (Al-Munafiqun 7)

﴿ ۞ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ ﴾

He said: "regulating and governing all things. No intercessor (can plead with Him) except after His leave (has been obtained). This is Allah your Lord; Him therefore serve you: will yet not receive admonition?" (Yunus 3)

﴿ ۞ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾

Concerning the Prophet Hadiths, a mention may be made of the following:

It is narrated that Allah's Apostle "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Nations were displayed before me; I saw a Prophet passing by with a few followers; a Prophet passing by with a man or two (of his followers); and a Prophet passing by with nobody. Then a big crowd of people passed in front of me whom I thought to be my followers. It was said: "No. It is Moses "Peace be upon him" and his followers. but, look at the horizon." Behold! There was a multitude of people (filling the horizon). Then it was said to me: "Look there and there about the stretching sky!" Behold! There was a multitude of people (filling the horizon). It was said to me: "This is your nation out of whom seventy thousand shall enter Paradise with neither reckoning nor torture" ." Then The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" entered his house without telling his companions who they (the 70,000) were. So the people started talking about the issue. Some of them said: "They might be those, who (believed in and) accompanied The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"." Others said: "They might be those, who have been born in the Islamic era, and have not associated anything with Allah (in worship)." They mentioned other things. Then, The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" came out and asked them: "What is that about which you are talking?" they told him. Upon this he said: "They are those who do not treat themselves by practising charm, or asking others to practice it, nor do they believe in bad or good omen (from birds etc.). But they put their trust (only) in their Lord." On that, Ukashah Ibn Muhsin got up and said: "Invoke Allah for me to be one of them." The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "You would be one of them." Then another person got up and said: "Invoke Allah for me to be one of them". The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Ukashah has anticipated you." (Al-Bukhari and Muslim on the authority of Ibn Abbas).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further

said: "Were you to rely on Allah Almighty as it is fitting for him, He would sustain you in the same way as He sustains birds: they go hungry early every morning and return satiated in the evening." (At-Tirmidhi and Al-Hakim on the authority of Ibn Umar).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Whoever devotes himself wholeheartedly to Allah Almighty, He Almighty suffices him all subsistence, and sustains him from wherever he expects not; and whoever dedicates himself to this world, Allah Almighty entrusts him to it." (At-Tabarani, Ibn Abu Ad-Dunya and Al-Baihaqi on the authority of Imran Ibn Hussain).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever is pleased to be the richest of the people, let him be sure of what is with Allah Almighty more than of what is in his hand." (Al-Hakim and Al-Baihaqi on the authority of Ibn Abbas).

It is narrated from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that whenever his family were given to hunger he would say to them: "Stand up to perform prayer." He used to say in this context: "With that my Lord Almighty commanded me." He recited: " Enjoin prayer on your people, and be constant therein. We ask you not to provide sustenance: We provide it for you. But the (fruit of) the Hereafter is for righteousness." (Ta Ha 132)

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾

(At-Tabarani on the authority of Abdullah Ibn Salam).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "Whoever seeks charm or gets himself cauterized has indeed not relied on Allah Almighty." (At-Tabarani, At-Tirmidhi and An-Nasa'i on the authority of Al-Mughirah Ibn Shu'bah).

It is narrated that when Gabriel "peace be upon him" said to Abraham "peace be upon him" as he was thrown away into the fire with the catapult: "Do you have a need?" he "peace be upon him" said to him: "As for a need from you, it is not." He said so in fulfillment of His engagements as stated by Allah: "Allah suffices me for the best disposer of affairs." He said it when he was being thrown away, thereupon Allah Almighty revealed: " And of Abraham who fulfilled his engagements." (An-Najm 37)

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾

Allah Almighty revealed to David "peace be upon him": "O David! No servant holds fast to Me from any of My creatures, and even the earth and heaven make a plan against him, but that I would make a way out for him."

As for the traditions and sayings, a mention may be made of the following:

Once Al-Khawas recited the following statement of Allah: " And put your trust in Him Who lives and dies not; and celebrate His praise; and enough is He to be acquainted with the faults of His servants." (Al-Furqan 58)

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾

Then, he said commenting: "It is not fitting for a servant, after this Holy Verse, to refuge to anyone else other than Allah Almighty."

It was said to one of the religious scholars during his sleep: "Whoever is confident of Allah Almighty has indeed got his sustenance."

Another religious scholar said: "Let not the guaranteed sustenance divert you from the work that is enjoined upon you, with the result that you would waste your hereafter and get from this world no more than what has been doomed by Allah Almighty to you."

According to Yahya Ibn Mu'adh: "In the presence of a servant, getting sustenance without seeking for it indicates that sustenance is commanded to seek the servant." Ibrahim Ibn Adham said: "I asked a monk from where he eats, and he said to me: "The knowledge of that is not with me. But ask my Lord from where he feeds me." Haram Ibn Hayyan asked Uwais Al-Qarni: "Where do you command me to go and live?" He beckoned to Sham. He asked: "Then, how is living there?" He said: "Woe to those hearts with which doubt has mixed thereupon no admonition could avail them." Another one said: "Once I accept Allah as the best disposer of my affairs, I find a way to every kind of good." We ask Allah Almighty to provide us with the good etiquettes.

PART ONE: MONOTHEISM

CHAPTER ON EXPOSITION OF THE REAL NATURE OF MONOTHEISM, WHICH IS THE FOUNDATION OF RELIANCE

It should be known to you that reliance (on Allah) belongs to faith; and all items of faith consist of knowledge, state and work. The same is true of reliance, which consists of knowledge, which is the foundation, work, which is the fruit, and state which is intended by the name reliance.

Let's begin with the knowledge which is the foundation. It is called faith in language, for faith in general is to believe in something with the heart, and every kind of trust with the heart is knowledge, and once it is strong, it is called certainty (of faith). There are numerous branches under certainty of faith. We need of them only that on which we could establish reliance, i.e. monotheism, translated by your statement: "There is none worthy of worship except for Allah alone, Who has no partner", faith in the power which is translated by your statement: "Whose is the dominion", and faith in munificence and wise which is indicated by your statement: "To Him be all perfect praise". Whoever then says: "There is none worthy of worship except for Allah Alone Who has no partner, Whose is the dominion and to Whom be all perfect praise, and He has power over all things", his faith would become perfect, I mean the faith which is the foundation of reliance, or in other words, this statement would become an attribute inherent to his heart.

As for monotheism, it is the foundation. It is too long to discuss in detail. It indeed belongs to the sciences of revelation (Mukashafah). But many of Mukashafah sciences are relevant to works through the states in such a way that the science of practical religion (Mu'amalah) could not be achieved without them. So, we should not explain but only what is relevant to the science of practical religion, otherwise, monotheism becomes like an infinite ocean. Let's say that

monotheism is of four ranks: the core, the core of the core, the husk, and the husk of the husk. It is like a nut which has two external husks, and a core and fat inside it called the core of the core.

The first rank is that man says with his tongue: "There is none worthy of worship except for Allah", while his heart is heedless of or denying it; and this is like the monotheism of the hypocrites.

The second is that his heart gives trust to the meaning of the statement just as the common Muslims believe in general; and this is the faith of the laymen among Muslims.

The third is to view that by way of revelation, i.e. through the lights of the truth; and that is the station of these close to Allah Almighty. It is to see many things, but see all coming from the One and Irresistible, i.e. Allah Almighty.

The fourth is to see in the whole existence only One, i.e. Allah Almighty. That is the contemplation of the sincere affirmers and lovers of truth. It is what the Sufis call self-consumption for the sake of monotheism, for as a Sufi sees only One, he does not see himself, and as he does not see himself as being engrossed in monotheism, he thus consumes himself for the sake of monotheism, i.e. he fails to see himself or anyone else in existence.

The one of the first rank is a monotheist only by his tongue, which protects him in this world from being killed. The second is a monotheist with his heart, i.e. he believes with his heart in what he testifies with his tongue. It becomes then a knot on his heart, with no expansion of the breast for more. It indeed keeps one from the punishment in the hereafter if he dies on it, and its knot does not weaken by sins. There are many tricks to be done (by Satan) to weaken and dissolve that knot called religious innovations, and others to avert them intended to straighten and tighten that knot on the heart, called scholastic theology, and the knowledgeable of it is called scholastic theologian. He stands on the other extreme opposite to the religious innovator, for his work is to avert the religious innovator from dissolving or weakening this knot in the hearts of men. The scholastic theologian might be called a monotheist in the sense that he protects, with his speech, the concept of monotheism in order for its knot not to get loosened in the hearts of the laymen. The third also is a monotheist as he does not contemplate but one doer and maker, since the truth is revealed to him as it is, and does not see in reality but one doer and maker, since the truth is disclosed to him as it is. The fourth is a monotheist as nothing is present in his contemplation but the One and Only: he does not see all things as many but as One. That is the highest finale of monotheism.

The first is like the nut's outer husk, the second like the internal husk, the third like the core, and the fourth like the fat that is extracted from the core. To be sure, there is no good in the nut's outer husk, and if it is eaten, it would taste bitter, and if it is seen from within, it would seem odious, and if it is taken as fire wood, it would extinguish the fire and intensify smoke, and if it is left in the house, it would make narrow the place: in other words, it has no benefit other than to be left for a time on the nut to maintain it after which it should be removed from it and thrown away. Similarly, monotheism only with the tongue,

regardless of the trust of the heart is of no use, but rather it has much harm and is outwardly and inwardly blameworthy. But it benefits for some time to keep the internal husk until the time of death; and the internal husk stands for the heart and body. The monotheism of the hypocrite saves his body from the sword of the fighters, for they were not commanded to split open the hearts (to know what is lurking in them). The sword affects only the body, which stands for the husk, and the soul leaves the body after death, and in this way, no significance remains for his monotheism.

It is true that the internal husk is beneficial in comparison with the outer husk, as it protects the core and keep it from damage, and if it is removed from the nut, it could be used as fire wood. But it is less significant than the core. Similarly, only belief without uncovering (the reality of faith) has much benefit in comparison with only the utterance, though is less significant in comparison with faith that is accompanied by uncovering and contemplation, which occurs by the breast expansion in order for the light of faith to enter and shine in it. It is this expansion which is intended by the statement of Allah Almighty: "Those whom Allah (in His plan) wills to guide, He opens their breast to Islam; those whom He wills to leave straying, He makes their breast close and constricted." (Al-An'am 125)

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا ﴿١٢٥﴾ ﴾

And: "Is one whose heart Allah has opened to Islam, so that he has received enlightenment from Allah, (no better than one hard-hearted)?" (Az-Zumar 22)

﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴿٢٢﴾ ﴾

Furthermore, although the core is precious in itself, as it is that which is intended from the nut, at the same time, it is not completely free from the admixtures that result from juice in comparison with the fat that is extracted from it. Similarly, the monotheism by acts and deeds is the high purpose of the followers of the path. But it is not completely free from the admixtures of paying attention to others, and turning to the things in comparison with him who does not see but Allah the One and Real.

You may argue: "How could it be imaginable that one does not see but One, given that he sees the heaven and the earth, and all the physical bodies, and they are numerous? How should the numerous be only one?" in reply to that, it should be known to you that this is the highest finale of the sciences of Revelation (Mukashafah), whose mysteries are impermissible to be lined in a book. According to the Gnostics: "To divulge the mystery of lordship is disbelief." It also does not pertain to the science of practical religion (Mu'amalah). It is true that the same thing might be seen as one by a particular kind of vision and according to a certain consideration, and numerous by another kind of vision and according to another consideration. Take, for example, the man who might look at himself and seem to himself numerous if he views himself as a composite of a soul, a body, organs, limbs, veins, nerves, bones, flesh. but according to another vision, and by another consideration, he seems only one as being only one man (i.e. one entity). He is one in relation to humankind. How many a man who sees

another and it does not occur to his mind the numerous things of which he consists.

Similarly, all that is in existence, the Creator and the creatures, have many considerations and perspectives from which they could be seen. By one consideration, all might seem only one, and by another consideration, they might seem numerous. It is only in this way that you should abandon your rejection of that high station in which you might not have attained the degree of giving trust to it; and with this faith of yours in such monotheism, you would have a share from it, just as if you believe in Prophethood although you yourself are not a Prophet, you would have a share from it, as much as is equal to the power of your faith.

This contemplation in which only the One and Real appears, sometimes remains long and sometimes sparks and flashes like the swift lightning, and this is more prevailing than the first, which happens only in rare cases. To this Al-Hussain Ibn Mansur referred when he saw Al-Khawas going here and there on journeys, thereupon he asked him: "What are those journeys of yours?" he said: "I am on the way to rectify my status of reliance." Indeed, he was one of the reliant (on Allah Almighty). On that Al-Hussain said to him: "No doubt, you have consumed your lifetime in the construction of your inside, then, where is the similar self-consumption in monotheism?" Al-Khawas seemed to have intended to rectify the third station of monotheism, thereupon Al-Hussain demanded him to move up to the fourth station. Those are the different stations of the monotheists in brief.

You may argue: "But, an explanation is needed in order to know and understand how reliance is based on it." In reply, let me say that as for the fourth station, none could dare to speak about it. Furthermore, reliance is not built on it. The reliance might happen depending on the third station. As for the first station, i.e. the monotheism of the hypocrite, it is clear hypocrisy, and it is self-evident. As for the second, i.e. the belief, it is common to the laymen of Muslims, and the ways to affirm it by theology, and avert the tricks of religious innovators are included in the sciences of scholastic theology. It is the third station that on which the reliance is built. So, let's make a mention of it to the extent to which reliance is relevant, without the details that are beyond the power of such a book.

It means that it is revealed to you that there is no actor or maker but Allah Almighty the Creator, and everything in existence, sustenance, withholding and giving, death, poverty, richness, etc: all is invented and created by Allah Almighty, with Whom there is no partner. Once this is revealed to you, you would not see anything else: but your fear would be from Him, your hope would be in Him, your confidence would be of Him, and your reliance would be on Him, for He is the sole Actor and maker, and anything other than Him are subjugated and could not alone move even a single gnat in the dominion of the heavens and the earth. If the gate of revelation is opened to you, this fact seems clearer to you than when you see it with the eyes.

It is Satan who keeps you off that monotheism, in a station in which he seeks to place the stain of polytheism in your hearts through two means: the

first is to turn to the choice of living beings; and the second is to turn to the non-living beings. An example of turning to non-living beings is your dependence on rain in producing plants, on the cloud in the rainfall, on the air in gathering the clouds, and on the wind in balancing the ship, and so on. All of this is out of polytheism and ignorance of the real nature of monotheism. That is the significance of the statement of Allah Almighty:

" And when they board a ship, they supplicate Allah , sincere to Him in religion. But when He delivers them to the land, at once they associate others with Him." (Al-Ankabut 65)

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

It is said in its interpretation that they say that had it been for the wind, they would not have been saved.

If the real nature of the world is revealed to anyone, he comes to know that the wind is no more than the air which could not move by itself in the absence of a mover, and so he goes on associations until he reaches the first Mover for Whom there is none to move, nor is He movable, i.e. Allah Almighty. It is He Almighty Who moves and acts and not the servant, although it seems to himself that he acts and makes. This meaning is clear in the statement of Allah: "when you threw (a handful of dust), it was not your act, but Allah's." (Al-Anfal 17)

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾

Once it is revealed to you that all things in the heavens and on earth are but subjugated creatures, Satan turns away from you disappointed, in despair of mixing your monotheism with the stain of polytheism.

But at this stage, he comes to you through the other means, i.e. to make you turn to the choice of living beings in the voluntary acts. He says to you: "How could you see all things from Allah although you see that this man gives you your sustenance willingly, and he could give you if he so likes, or withhold from you if he so likes? It is this man who could chop off your head with his sword, and he has power over you, in the sense that he could behead you if he so likes, or give you life if he so likes. So, how should you not fear him? How should you not put your hope in him? Your affair is in his hand: A fact which you see clearly with your eyes."

At that point, most people slipped, save the sincere and truthful servants of Allah Almighty, over whom Satan has no authority. But he whose heart and breast are not expanded for the light of Allah, falls short of observing the real nature of the Compeller of the heavens and the earth, and seeing that He is irresistible from behind all things in existence; and that is, to be sure, evident ignorance. Indeed, the masters of hearts are on the opposite extreme, to whom Allah Almighty made every gnat and atom in the heavens and on earth speak, announcing His power, with which everything spoke, and they heard their glorifications and magnifications of Allah Almighty, and witness of their failure without that power. This is not heard by those who depend only on their apparent hearing which does not go beyond sounds, and of course it is not this

which I mean, for both man and animals share in it. But I really mean hearing that perceives words with neither sound nor letters, neither in Arabic nor in any other language.

But you may argue: "That is a far-fetched miracle, which is beyond the reach of the mind. Anyway, describe to me how it speaks, and with which it speaks, and how it glorifies and magnifies Allah, and how it witnesses to itself of failure." In reply to that, it should be known to you that every gnat and atom has a private conversation in secret in the sight of the masters of hearts. This secret private conversation is infinite for it stems from the endless oceans of words of Allah Almighty: "Say: "If the ocean were ink (wherewith to write out) the words of my Lord. Sooner would the ocean be exhausted than would the words of my Lord, even if we added another ocean like it, for its aid."" (Al-Kahf 109)

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾

On the other hand, it speaks in private with the mysteries of the dominion of the heavens and the earth, and it is out of wickedness to divulge the mysteries. That is because the breasts of the free men act as the graves of mysteries. Have you ever seen that a keeper of a king's mysteries divulged the mysteries of his king in public? If it is permissible to divulge every secret, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" would not have said: "Were you to know what I know, you would laugh little and weep much." He rather mentioned that to them in order to weep much and laugh but little. He would not also have been forbidden to divulge the mystery of the Divine Decree, saying: "If stars are mentioned, then, you should abstain from talk; and when the Divine decree is mentioned, you should also abstain from talk; and when my companions are mentioned (with evil), you should abstain from talk." (At-Tabarani and Ibn Hibban). He would not also have favored Hudhaifah "Allah be pleased with him" with some secrets.

There are two impediments from divulging the private talk of the gnats and atoms of the heavens and earth with the masters of hearts: the first is the impossibility to divulge the mystery. The other is that their words are infinite and incalculable.

In sum, the mover, maker and actor of all things is only One, i.e. Allah Almighty, other than Whom there is no deity. All things other than him in existence are but subjugated creatures, under His disposal and command, and within His power: He is the First and the Last, the Evident and the Hidden. One might ask: "How should He have two opposing attributes? The first could not be the last, and the evident could not be the hidden." In reply to that, let me say: He is the First in relation to all existing things that emanate from Him Only, one after the other; and He is the Last in relation to the path the followers follow to Him: they indeed continue to move from one station to another until they reach His presence, which is the end of journey. In this way, He is the last in contemplation, and the First in existence. On the other hand, He is the Hidden in relation to those who devote themselves in the world of visibles in pursuit of perceiving Him with their five senses; but He is evident for him who seeks to see

Him on the light of the illumination of the heart with the deep insight that penetrates into the dominion of the invisibles. That is the way of monotheism of the followers of the path of monotheism in acting, i.e. those to whom it has been revealed that the actor and maker is only One.

You may argue: "Then, the conclusion is that this monotheism is built on the faith in the dominion of the invisibles. But whoever does not understand it, or even rejects it, what would his treatment be?" In reply to that, let me say that as for him who rejects the dominion of the invisibles, there is no remedy for him or at least his treatment is very difficult.

As for him who does not reject in so much as he does not understand, the followers of the path should first consider his eye with which he sees the dominion of the invisibles: if it is sound, but stained with blackness which is anyway remediable, let them engage in removing that blackness and cleaning it, and once it is repaired, he should be instructed to the path to follow it. This is just what the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did with his private companions. But in case it is not remediable, then, he would have no power to follow the path we have previously mentioned in monotheism, nor to hear the private conversation of the gnats and atoms of the kingdom of the visibles and the dominion of the invisibles only depending upon the testimony of monotheism. In this way, they talk to him with sounds and letters, for in the world of the visibles, there is also a kind of monotheism. Every one endued with mind knows that the house which has two lords would be vulnerable to corruption, and the same is true of the country when it has two rulers. He thus is addressed according to the capacity of his mind, and told that the Lord of all the worlds is only One, and the ordainer is only one, for indeed " If there were, in the heavens and the earth, other gods besides Allah, there would have been confusion in both! But glory to Allah, the Lord of the Throne: (High is He) above what they attribute to Him!" (Al-Anbiya 22)

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

Thus, on the basis of his experiences and observations in the world of visibles, the belief of monotheism is planted in his heart in a way that befits his mind. Allah Almighty obligated the Prophets "peace be upon them" to address the people according to their limited minds, and this is why the Holy Qur'an was revealed in the Arabic language in accordance with the Arabic style of discourse.

You may argue: "Is this monotheism based on belief fitting to be a foundation and principle of reliance?" In reply to that, let me answer in the affirmative. However, if the belief becomes strong, it gives the same effect of revelation in arousing the states. But unfortunately it often weakens and is soon exposed to trouble and shake. For this reason, the one as such needs a scholastic theologian to protect him with his theology, or to learn theology by himself in order to guard his belief and faith. But whoever sees the path and follows it by himself, there is no fear on him. The example of those of only belief in comparison with those of revelation is but like the example of the Pharaoh's sorcerers in comparison with the companions of Samiri. Since the sorcerers of

Pharaoh knew, through their long experience and practice, the furthest point to which the effect of magic might reach, and when they saw from Moses "peace be upon him" what went beyond the limit of magic, and the real nature of the matter was revealed to them, they gave no care at all to the Pharaoh's threat to them: "Be sure I will cut off your hands and your feet on opposite sides, and I will cause you all to die on the cross..." They said: "Never shall we regard you as more than the Clear Signs that have come to us or than Him Who created us! So decree whatever you desire to decree: for you can only decree (touching) the life of this world." (Ta Ha 71-72)

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ ﴾

That is because revelation and clarification always prevent change. Those are unlike the companions of Samiri, who, because their belief was based only on what appeared to them from the snake, so, when they saw the calf made to them by Samiri and heard a sound coming out of it, they soon changed and hearkened to his saying: "This is your god, and the god of Moses."

But even, "Could they not see that it could not return them a word (for answer), and that it had not power either to harm them or to do them good?" (Ta Ha 89)

﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾

Whoever bases his belief only on the outward show of a snake is more likely apt to disbelieve when he sees a calf for both belong to the world of visibles, and things in the world of visibles are contradictory. This defect is missing in the dominion of invisibles for it belongs to Allah Almighty.

You may argue: "All you have mentioned concerning monotheism is evident, even in the matter of the intermediaries: all things are subjugated, except in the human movements: it is learnt that man moves whenever he wills and stops whenever he wills. So, how could he be subjugated?" in reply to that, it should be known to you, that even if man wills to do whenever he likes to will, or does not will to do whenever he does not like to will, it would remain also in this point that one could slip and err. But it is learnt that he does what he wills to do, willingly or unwillingly, for the will, in principle, is not up to him, as had it been up to him, it would have been lacking another will, and so on in an endless series of associations. But, since the will is not up to him, then, once the will that manipulates the power is available, then, the power would be manipulated in willing submission, and would have no way of opposition. To be sure, the movement necessarily results from the power, and the power necessarily moves whenever the will is determined. Those necessities are caused by, and result from each other. The man could, by no means, avert the present will or the manipulating power in subjugating the things decreed. In all, he is forced by necessity.

You may further argue: "This is merely necessitarianism, and necessitarianism

contradicts the freedom of choice, and you do not reject the freedom of choice: Then, how could one have the freedom of choice and also be forced by necessity simultaneously?" In reply to that, let me say that if the cover is lifted, you would learn that one is also forced by necessity even in his choice. That is, he is forced to choose. But how such as does not understand the significance of the freedom of choice learn that? Let's explain the significance of the freedom of choice in brief from the theological perspective but without making it lengthy for this book is intended only to concentrate on the sciences of practical religion.

The verb to act is ascribed to man in three things: it is said that man writes with his fingers, breathes with the help of his lungs and throat, and holes the water once he stands upon its surface with his body. In this way, holing (of the water), breathing and writing are ascribed to him. All three stand on the same footing in relation to necessitarianism, but they have many differences between themselves. Let me express it for you in three phrases: one's holing the water when he is on the surface of the water is a natural act, his breathing is a willful act, and his writing is an optional act. Necessitarianism is clear in the natural act for if one stands on the surface of the water, or jumps up to the air, either the water or the air would inevitably be holed. This holing might occur necessarily after jumping. The same is true of breathing: the movement of the lungs and throat in relation to the will of breathing is like the holing of the water in relation to the weight of the hands. As there is a weight, it should lead to holing after it. But as well as the weight does not go back to him, similarly, the will is not up to him. For this reason, if one's eye is aimed at by a needle, his eyelids would necessarily be folded, and if he likes to leave it open, he would not be able to do so, given that closing the eyes necessarily is a willful act. This then has joined the natural act in so far as it occurs necessarily.

As for the third act, i.e. that which belongs to the freedom of choice, it is the cause of confusion and suspicion, like writing with the fingers, speaking with the tongue and so on. In other words, it is that in which it could be said: "He could do if he so likes, and he could not do if he so likes." Thus, he thinks that the freedom of choice is up to him. But indeed, this is out of ignorance. So, let's reveal it. The will always follows the knowledge whether or not a particular thing agrees with your disposition. Things are divided into those which your external or internal observation judges to agree with you without confusion or hesitation, and those in which the mind might hesitate. What we admit without hesitation is that if anyone aims at your eye with a needle, or at your body with a sword, your knowledge would soon judge, without reluctance or doubt, that averting this from yourself is better to and thus agrees with you. No doubt, in this case, the will is aroused by knowledge, and the power by the will, which leads to the movement of the eyelids to avert the needle, and the movement of the hand to avert the sword. But this happens without reflection or thinking, although it is willful.

The other kind of things in which the mind is confused and hesitates whether or not they agree with one's disposition. It thus needs some reflection and meditation in order to be able to distinguish whether good lies

in doing or leaving that thing. If, by virtue of reflection and meditation, there is knowledge that any of both (doing or leaving) is better, this thing then would join the first kind which needs not reflection nor meditation. In this case too, the will would be stimulated as it is to avert the sword and needle. If the will is stimulated to do an act whose good appears to the mind, it is called the freedom of choice (Ikhtiyar), derived from good (Khayr), i.e. to be stimulated to do what seems to the mind to be good. The freedom of choice then is a particular will to be stimulated by what seems to the mind to be good after reflection and meditation.

It is this reflection and meditation which the mind needs to distinguish between the better of both good things and the worse of both evil things. The will is unimaginable to be stimulated in the absence of sense and imagination or the firm determination of the mind itself. For this reason, if one wants to cut off his neck, he could not do so, not because he has no power to do so, nor because there is no weapon to use, but because he lacks the will that gives rise to the power to do so. This will is lost because it is stimulated by the mind's judgement that this act agrees with the disposition. However, to kill himself does not agree with his disposition. One could, by no means, then kill himself although he has the power to do so unless there is an extremely painful unbearable punishment awaiting him, in which case the mind hesitate to judge which is the worse of both evils. If it becomes preponderant to it, after reflection and meditation, that killing himself is less harmful, and its judgement is decisive in which there is no hesitation, he could kill himself, and if it judges that killing is more harmful, then, he could not kill himself.

In sum, the will is motivated by the judgement of the mind and senses, and the power is motivated by the will, and the movement is motivated by the power, and all are decreed in man even though he does not know. Man is no more than a place where all those things happen in him. But to say that they are up to him is false. That he is forced by necessity means that all what happens in him is subjugated by another one and not by him; and that he has the freedom of choice means that he is a place of will to happen in him by force after the judgement of the mind that this act is good and agrees with his disposition, and in this judgement also he is forced by necessity. In this way, he is forced by necessity to choose. The fire's act of burning is mere necessitarianism, while Allah in His act has full freedom of choice. Man in his act stands in a position between both extremes, for he is forced to choose.

You may argue: "If you adopt the opinion that knowledge gives rise to will, will to power, and power to movement, in such a way that the latter results from the former, this means that at some point, things do not result from the power of Allah Almighty. But at the same time, if you reject this argument, then, what is the significance that some of those are caused by others?" in reply, it should be known to you that to argue that some of those are caused by others in an endless series of associations is evident ignorance. All of this is due to what is called the eternal power, the foundation which all the people are unable to fathom, except those well-established in knowledge, who were able to be acquainted with its

meaning. But anyway, some of those things are caused by others in occurrence in the same way as a conditioned thing occurs after the condition. No will springs from the eternal power except after knowledge, and no knowledge springs except after one's coming into life. As well as it is impossible to say that life does not occur only from the body which is the condition for life, the same applies to all things that seem to be caused by each other. However, some causes might appear to the laymen, and others only to the private to whom the light of the Real is revealed.

Had it not been so, i.e. nothing precedes or delays but with necessary justice and truth, all acts would have occurred in jest: Exalted and Hallowed be Allah from that. That is the significance of the statement of Allah Almighty: " I have only created Jinns and men, that they may serve Me." (Adh-Dhariyat 56)

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾

And: "We created not the heavens, the earth, and all between them, merely in (idle) sport; We created them not except for just ends: but most of them do not understand." (Ad-Dukhan 38-39)

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

All that is between the heaven and the earth occurs according to an obligatory order and necessary truth, and it is not imagined to be different from what is really is, and in accordance with the very order in which it exists. On the basis of that, nothing precedes or delays but in expectation of its prerequisite. anything conditioned is impossible to precede its condition. The knowledge does not join the dropped sperm but for the loss of the condition of life, nor does will after knowledge but for the loss of the condition of knowledge, and so on. All of this is subject to an obligatory method and necessary manipulation made by the Real, which does not occur by chance or in idle sport.

You may argue: "Then, how could monotheism in that sense be combined with Sharia? The purpose of monotheism is to affirm all acts to Allah Almighty, since He is the sole doer and maker, whereas the purpose of Sharia is to affirm all acts to servants. Then, if the servant is the doer, how could Allah Almighty be the doer? If Allah is the sole doer, then, how could a servant be a doer?" in reply, let me say that this is really too hard to understand if the doer has only one meaning. But if it has two meanings, it might be understandable. It is said, for example: "The ruler has killed so and so" and "The executer has killed so and so." But the ruler is a killer in one sense, and the executer is a killer in another sense. Similarly, the servant is a doer in one sense, and Allah Almighty is the doer in another sense. The act of Allah Almighty is that He is the inventor, creator and originator and causer of existence, and the act of the servant is that he is the place in which the power is created after will was created in it, after the knowledge had been created in it too. In this way, power is related to will, and movement to power just as the conditioned is related to the condition, whereas all is related to the

power of Allah Almighty in the same way as the caused is related to the cause, and the invented to the inventor. Anything related to a certain power, the holder of the power is called an actor. In this sense, both the ruler and the executer are called killers, for killing is related to their power but from two different perspectives.

For this reason, Allah Almighty attributes acts in the Qur'an sometimes to the angels, sometimes to the servants and sometimes to Himself. Consider the following Holy statements:

" Say: "The Angel of Death, put in charge of you, will (duly) take your souls then shall you be brought back to your Lord."" (As-Sajdah 11)

﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾

"It is Allah that takes the souls (of men) at death." (Az-Zumar 42)

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾

"See you the seed that you sow in the ground?" (Al-Waqi'ah 63)

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴾

In this Holy Verse, He Almighty attributed the act to us, His servants. Then, He said in another Holy Verse: " For that We pour forth water in abundance, And We split the earth in fragments, And produce therein Corn, And Grapes and nutritious Plants, And Olives and Dates, And enclosed Gardens, dense with lofty trees, And Fruits and Fodder, For use and convenience to you and your cattle." (Abasa 25-32)

﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَآئِقَ غُلْبًا وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾

Then, He Almighty said: "then We sent to her Our angel, and he appeared before her as a man in all respects." (Maryam 17)

﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾

Then He said: " We breathed into her of Our Spirit, and We made her and her son a Sign for all peoples." (Al-Anbiya 91)

﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾

But it was Gabriel "peace be upon him" who undertook the process of breathing into her. It is like His statement: " But when We have promulgated it, follow you its recital (as promulgated)." (Al-Qiyamah 18)

﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾

In interpretation of it, it is said that it means when Gabriel "peace be upon him" recites it to you. Allah also said: " Fight them, and Allah will punish them by your hands." (At-Tawbah 14)

﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾

In this Holy Verse, He Almighty ascribed killing to them, i.e. the servants, and punishment to Himself. To be sure, punishment is the same killing as

shown in this clear statement: " It is not you who slew them; it was Allah: when you threw (a handful of dust), it was not your act, but Allah's." (Al-(Anfal 17

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾

He also said: " He Who taught (the use of) the Pen, Taught man that which he knew not." (Al-Alaq 4-5)

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾

Then He said on another occasion: "(Allah) Most Gracious! It is He Who has taught the Qur'an... He has taught him speech (and Intelligence)." (Ar-Rahman 1-4)

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝﴾

Then, He said: " Nay more, it is for Us to explain it (and make it clear)." (Al-Qiyamah 19)

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝﴾

He said too: " Do you then see? The (human Seed) that you throw out, Is it you who create it, or are We the Creators?" (Al-Waqi'ah 58-59)

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝﴾

In his description of the angel of womb, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Then, he enters into the womb and takes hold of the dropped sperm and forms it into a human body and then says: "O Lord! Would it be a male or a female? Would it be straight or crooked?" Allah Almighty then says what He likes to say, and the angel creates (in compliance with Allah's order)." According to another version: "Then the angels forms it and breathes into it of the spirit with either happiness or wretchedness." (Al-Bazzar and Ibn Adi on the authority of A'ishah).

Allah Almighty further said in the Holy Qur'an: " Soon will We show them Our Signs in the (furthest) regions (of the earth), and in their own souls, until it becomes manifest to them that this is the Truth. Is it not enough that your Lord does witness all things?" (Fussilat 53)

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝﴾

In confirmation of that, He said: " There is no god but He: that is the witness of Allah." (Al Imran 18)

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۝﴾

Allah Almighty described Himself as the giver of life as well as the causer of death, then He authorized two angels to undertake both, one to each. It is narrated that both angels of death and life argued each other. The angel of death said: "It is I who sends the living to death." The angel of life said: "It is I who brings life to the dead." Then, Allah Almighty revealed: "Let each of you engage

in his job and work I have subjugated him to do, and it is I who give life and cause death, and none causes to die or brings to life other than Me."

Overall, the act might be used in different ways, and all are not contradictory once they are understood and comprehended well. For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him whom he gave the date: "Take it: Had you not come to take it, it would have come to you." (Ibn Hibban and At-Tabarani on the authority of Ibn Umar). He thus ascribed the act of coming to him as well as to the date, and it is well-known that the date never comes in the very way man comes. Similarly, when the repentant said: "I turn in repentance to Allah Almighty and not to Muhammad "peace be upon him", the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No doubt, he has attributed the right to Him Who is more liable to it."

Whoever then ascribes all things to Allah Almighty has indeed known and told the truth, and whoever attributes anything to someone else other than Allah Almighty does so by way of allegory and metaphor. When some of the Arabs expressed this fact, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" confirmed it. It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The truest poetic verse said by a poet is the statement of Labid: "Behold! Everything except for Allah is false; and every kind of blessing is inevitably perishable."

You may argue: "Then, it has seemed clear that man, in his will, power and act, is forced by necessity. Then, what is the significance of reward and punishment, of pleasure and displeasure? And moreover, how could He be displeased with the act He does?" In reply, it should be known to you that we have previously referred to the answer of that question in the Book of Gratitude. So, we need not repeat it now.

That is the extent to which the monotheism summons the state of reliance (on Allah Almighty). This could be achieved only with faith in the mercy and wisdom. Monotheism summons the consideration of the causer of causes, whereas faith in the mercy and its extension summons the confidence of the causer of causes; and anyone could rely but on him of whom he is confident, and his heart is reassured. That is indeed one of the greatest doors of faith.

It is that one should give to trust in which there is neither suspicion nor weakness to the fact that were Allah Almighty to create all the creatures with the mind of the most intelligent among them, and give them of knowledge as much as is given to the most knowledgeable among them, and create for them of knowledge what lies within their capacity to endure, and pours over them of indescribable wisdom, and then increase all of them in knowledge, reason and wisdom as much as the like of what they have, and then reveal to them the consequences of matters, and inform them of the mysteries of the dominion of the invisibles, until they come to know good and evil, benefit and harm, and then He commands them to regulate the affairs of the kingdom of visibles and dominion of invisibles with the help of what He has given them of knowledge, reason and wisdom, by no means would their manipulation, given their co-operation and combination, add, even in the least, to the Allah's manipulation

of the affairs of the world and the hereafter, nor reduce anything from, nor raise nor lower an atom thereof, nor bring a benefit nor avert harm, defect, ailment, poverty, or shortage from him whom Allah has doomed to receive any of those.

On the contrary, they would find neither a flaw nor a shortage of proportion in all of what Allah has created , of the heavens and the earth, if they turn their vision again and again to them; and the same applies to all that is doomed by Allah to His servant concerning sustenance, term appointed, happiness and grief, failure and power, belief and disbelief, obedience and disobedience, etc: all are made with justice and truth in which there is neither injustice nor wrongness. On the contrary: It is made according to the required order and in proportion to what should be, in such a way as there is nothing possible to be better, more perfect, and more complete than what is available. Had there been anything better which He has the power to do but He did not do out of His bounty, it would have been niggardliness that contradicts generosity, and injustice which opposes justice; and had he had no power to do it, it would have been failure that contradicts lordship. That is because every kind of poverty and harm in this world is but a shortage in this world which would be compensated in the hereafter, and every kind of shortage one has in the hereafter is a kind of blessing for another, for had it not been for the night, the value of the day would not have been learnt, and had it not been for the ailment, the healthy would not have enjoyed of their health, and had it not been for the fire (of Hell), the inhabitants of Paradise would not have learnt the value of the favor conferred upon them.

As well as redeeming the souls of mankind with the souls of animals and giving them the authority to slay and slaughter them is not injustice, for it is out of perfect justice to give priority to the complete over the incomplete, similarly, it is out of perfect justice to make much the favor on the inhabitants of the Gardens through the severe punishment of the denizens of the fire of Hell and redeem these of belief with those of disbelief. Had the incomplete not been created, surely, the value of the complete would not have been learnt. Had the animals not been created, of a surety, the honor of mankind would not have appeared. Both completeness and incompleteness appear when compared with each other. Wisdom and generosity require to create both the complete and incomplete. As well as cutting off the hand when eroded to save the soul in the remaining body is out of justice, for it is to redeem a complete with an incomplete, the same applies to the disparity between the people concerning what is doomed to them in this world and the hereafter: All of this is justice in which there is no wrongness, and truth in which there is no sport.

In sum, both good and evil are decreed, and what is decreed should inevitably come after having been preordained by the will. So, there is none to cancel out His judgement, and there is none to change His decision and command. On the contrary, everything, be it significant or insignificant is doomed to happen, and what affected you was not to miss you, and what missed you was not to affect you.

Let us then satisfy ourselves with those hints from the sciences of revelation,

which form the foundations of the station of reliance (on Allah), and rather return to the science of practical religion, Allah willing: sufficient for us is Allah as the best disposer of affairs.

part Two: States and deeds of reliance on allah

It contains the following chapters:
Exposition of state of reliance
Exposition of statements of sheikhs about definition of reliance
Exposition of reliance as to earning for the single and the responsible for his family
Exposition of reliance as to the amount to be saved and the reasons for saving
Exposition of reliance as to averting harm
Exposition of reliance as to removing harm by medical treatment and other things
Allah helps us with His mercy

CHAPTER ONE
EXPOSITION OF STATE OF RELIANCE

We have previously mentioned that the station of reliance consists of knowledge, state and work, and talked about knowledge.

The state is that which describes reliance, whose foundation is knowledge, and fruit is work. The people talked so much in definition of reliance, and their phrases and expressions are different, each according to his own state and experience, as is the custom of the Sufis. So, there is no benefit to make a mention of them here. Let's uncover it directly saying:

Reliance is that the heart deputizes, and depends upon him whom he considers reliable. Suppose a false suitcase is raised against you in the court, you would, of course, deputize one (the lawyer) to uncover the truth and show the falsehood of the claim before the judge. Of a surety, you would not deputize that person and rely on him to undertake the task unless he meets four conditions: the furthest degree of guidance, the furthest degree of power, the furthest degree of eloquence, and the furthest degree of sympathy.

By guidance, he would know the points of falsehood and dissembling, in order that the abstruse tricks would not be hidden from him. By power, he could dare to declare the truth with no hesitation nor flattery nor adulation. It may be that although he knows the points of dissembling in the claim of the foe, his fear or weakness prevents him from declaring it. As for eloquence, it is the verbal power that enables one to express in words all which the heart likes to declare. To be sure, it is not that all who know the points of dissembling are fluently expressive enough to show them in the court. By the furthest degree of sympathy, he would do his best to uncover the truth, for the power alone does not avail without his having care for the mandator.

If he has doubt in all or one of those four, or has the feeling that his foe is more perfect in them, then, he would not be completely reassured to his legal representative. His state of reassurance and reliance then differs according to the

power of his conviction and belief in those four conditions. As the beliefs and convictions differ in power and weakness whose degrees are infinite, similarly, the states of the reliant differ in the power of reassurance and confidence whose degrees are infinite, until he attains the certainty (of faith) in which there is neither weakness nor suspicion. It is like the case in which the legal representative is the father of the mandator who seeks to gather both the lawful and the unlawful to defend his son: in this case, he has certainty only in one condition, i.e. the furthest degree of sympathy and care, and not in all the conditions. The same then applies to any of those four, in which one might attain the certainty of confidence and this is known by long experience and practice, which tell, for example, that so and so is famous for his great eloquence, so and so for his great power and bravery in saying the truth, so and so for his great skill in uncovering the tricks and points of dissembling, etc.

Having known the significance of reliance in this example, you then might measure on it the reliance on Allah Almighty. If it is proven to you, through revelation or decisive belief, that there is no doer or maker but Allah Almighty, as you have previously had complete faith in His knowledge and power to sustain all of His servants, His perfect care, mercy and sympathy for all of His servants, and that there is no further power, nor further knowledge, nor further care, nor further mercy beyond His, then, your heart would rely on Him alone, and would not turn to anyone or anything else, for indeed, there is neither might nor power but with Allah Almighty as has previously been shown in monotheism.

But if you do not have this state in yourself, it might be due to one of two reasons: Either the lack of certainty in one of those four conditions, or the weakness and disease of the heart because of being possessed by illusions and false impressions. However, the heart might be disturbed by illusions without even being short of certainty. If one, for example, is to eat honey, which is likened in front of him to dung, he would surely have aversion for it, and if a rational person is required to spend the night beside a dead in the grave or on the bed, he would disdain the idea, even though he is certain of his being dead and motionless. This is due to the weakness of the heart, from which any man could hardly be free. But it might become strong until it turns into a disease causing one to panic to spend the night alone in the house, given that the door might be tightly closed.

Thus, reliance is suspended on the strength of heart and certainty for by both, the heart becomes calm and reassured. However, there is difference between tranquility and reliance. How many a reliance is, but with no reassurance. Allah Almighty addressed Abraham "peace be upon him" saying: "Do you not then believe?" He said: "Yea! but to reassure my own heart." (Al-Baqarah 260)

﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ ﴾

He sought to see with his eyes how life is given to the dead, in order to establish it in his imagination, for the soul always follows and is reassured by imagination, but not by certainty in the beginning until it ultimately attains the degree of the reassured soul. How many a reassured person who has no certainty,

like those of all religions and doctrines other than Islam. The Jew, for instance, is reassured by his Judaism, and the same is true of the Christian, given that both have no certainty, but they follow their assumption and what they souls desire. Although they received the guidance, which is the cause of certainty, from their Lord, they turn away from it.

Cowardice and boldness are among the instincts, with which the certainty alone is of no benefit. They are among the causes which oppose reliance, just as the weakness of certainty of one of all four conditions is another cause. But if there is strong certainty along with control over the instincts, the confidence of Allah Almighty would be attained. It is said that in the Torah, the following phrase is written: "Curse is he whose confidence is in another man like him (more than in Allah)." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever seeks honor and power through servants, Allah Almighty puts him to humiliation." (Al-Aqili and Abu Na'im on the authority of Umar).

Once the significance of reliance is revealed to you, and you come to learn the state which is called reliance, then, you should learn that this state is of three degrees in terms of power and weakness:

The first is what we have previously mentioned, i.e. to be confident of Allah Almighty, and of His care and concern over him as he is his legal representative and disposer of affairs.

The second, which is stronger, is that his state with Allah should be like the child's state with his mother: the child knows none other than his mother, and takes refuge to none other than her when anything terrorizes him, and depends upon none other than her. Once he sees her, he gets attached to the tail of her garment, and if anything disturbs or befalls him, the first word he cries with is: "O mother!" that is because he is fully confident of her mercy, sympathy, care and sufficiency for him. Whoever then devotes himself as such to Allah Almighty, depends as such on Allah Almighty, is confident as such of Allah Almighty, and gets attached as such to Allah Almighty, he then is reliant on Allah Almighty, just as the child is reliant on his mother.

The difference between this and the former is that this is entirely reliant to the extent that he consumes himself in reliance from even the perception of the real nature of his reliance. There is no place in his heart for anything other than Him on Whom he is reliant. But the former relies ostentatiously, without consuming himself from reliance for he turns to it, and perceives it well, with which he is diverted from observation of Him upon Whom he is reliant. To this Sahl referred when he was asked about reliance: "What is its minimum?" he said: "To abandon wishes." It was said to him: "Then, what is its middle?" he said: "To leave the choice", in reference to the second degree. But when he was asked about its maximum, he gave no answer and rather said: "None knows it but he who attains at least its middle."

The third, which is the highest, is to be in the Hands of Allah Almighty in all of his movements and stillness like a dead in the hands of the washer of his body, with no difference except that he sees himself dead moved only by the eternal power in the same way as the dead body is moved by the hand of the washer. It is

he whose certainty is strong of the fact that it is Allah Who causes movement, power, will, knowledge, and all things and attributes, and of the fact that all happen by necessity and force (of Allah), which means that he does not wait what to occur to him. Unlike the child, in the previous degree, who takes refuge to his mother, cries and gets attached to the tail of her garment, he, in this third degree, is like a child who knows, for certain, that even if he does not cry for his mother, she always demands him, even if he does not get attached to the tail of his mother's garment, she always carries him, and even if he does not ask her for milk, she hastens to provide for him. The fruit of this station is to leave supplication and demand out of confidence of Allah's generosity and care, and of the fact that even if he does not ask, he would be given better than what he asks for. But the second station does not require him to leave supplication and demand from him, but it requires him to leave demand from anyone else.

You may argue: "Are those states imaginable?" In reply, let me say that they are not impossible, but they exist in very rare cases. The first station is closer to possibility, whereas both the second and third are more rare and exceptional; and even in case either the second or the third exists, it is unlikely to remain or become regular. We could say that the third station does not come but like the flash which vanishes very soon. But the period of time for which the second station could last is somewhat longer.

you may further ask: "With those states, could the servant have the power to regulate his affairs or get attached to the means and causes?" In reply, it should be known to you that the third state nullifies manipulation entirely as long as it remains. The second station also nullifies manipulation except when one takes refuge to Allah Almighty with supplication and invocation, like the child's manipulation when he gets attached to his mother. The first station does not nullify the origin of manipulation and choice. But it nullifies some manipulations, like one's reliance on his agent or legal representative: he leaves manipulation on the part of anyone else other than the agent, but not that recommended by his agent, or known from the practice and custom to be so. An agent might advise his mandator to be present in the court, since he would not speak but in his presence. In this case, he regulates his affairs to attend, which, anyway, does not contradict his reliance on him, for it is out of his perfect reliance on him to do just what he has planned for him to do, and had he not relied on him and depended on his advice, surely, he would not have attended in response to his counsel.

An example of what is known by practice and custom, is that one knows that he could not argue the foe except from the record. Then, it is out of his perfect reliance is to take the record with him when he goes to argue his foe in the court. In this way, he could not dispense with manipulation either in attendance or in bringing the record with him. Were he to leave any of those, it would be shortage and deficiency in his reliance.

Then, after he attends in response to the advice of his agent, and brings the record with him in compliance with what is known from custom and practice, he sits in the court watching his agent's defense and advocacy, with which he might

rise up to the second and even the third station. He indeed has done everything required from him by his agent, and there remains only his self-reassurance and confidence of the agent, and expectation for what is to come.

Having understood that, all problems and difficulties concerning reliance (on Allah) would be averted from you, and you come to know that it is not requisite for reliance to abandon all manipulations as long as it is not in opposition to reliance as will be shown later in the deeds. If the reliant takes refuge to his strength and power in attendance and bringing the records with him (in the court), it would not contradict reliance, for he knows that had it not been for the presence of the agent, neither his attendance nor his bringing the records in the court would have been useful. He then does not depend on his strength or power because they are his strength or power, in so much as because it is the agent who shows to him that it is of great benefit to depend on them to be able to argue his foe. In this way, there is neither strength nor power but with the agent.

But this last statement is not fitting for the agent (as a human being), for he is not the creator of his strength and power. But he just functions them for the benefit of his mandator. This statement is perfectly true to the real disposer of affairs, i.e. Allah Almighty, for He is the Creator of the strength and power as we have previously clarified in monotheism, and made them effective as being requisite for what He is going to create after them. Then, there is neither strength nor power but with Allah Almighty, in truth and verification. Whoever testifies to this would receive the great reward referred to in the many narrations and traditions, which assure much reward to him who says "There is neither strength nor power but with Allah Almighty." But one may wonder: "How should one be given that much reward only for this statement which is easy on the tongue, and easy on the heart to believe in its concept?"

There is, to be sure, much reward for this statement, even though incomparable to the testimony of monotheism "There is none worthy of worship except for Allah." That is because the testimony of monotheism affirms all things to Allah Almighty, whereas this affirms to Him only two things. On the other hand, we have already mentioned that everything has two husks and two cores, and this applies also to that statement. Most people restricted themselves to the two husks and abandoned the two cores. To this the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" referred in his saying: "Whoever says "There is none worthy of worship except for Allah" out of truth and faith in them from the depth of his heart, Paradise is assured to him." (At-Tabarani on the authority of Zaid Ibn Arqam; and Abu Ya'li on the authority of Abu Hurairah).

In sum, whoever does not say either of both statements out of sincerity and faith in them, which is based on contemplation and certainty, then, no state of reliance is expected from him.

You may argue: "You have said that whoever says that "There is neither strength nor power but with Allah Almighty" attributes only two things to Allah Almighty. Then, if one says that both the heavens and the earth are created by Allah Almighty, would he receive the same reward he receives when he says "There is neither strength nor power but with Allah Almighty"?.

In reply, let me answer in the negative, for the reward is determined by the amount and value of that for which it is given. There is no equality between both phrases. There is no comparison between the hugeness and immensity of the heavens and the earth on the one hand, and the amount of the strength and power on the other hand. That is because it is not only by hugeness or immensity that things are estimated. Anyone among the laymen knows, for certain, that the heavens and the earth are not created by a human being, but by Allah Almighty. But the matter of the strength and power has been abstruse and problematic on Mu'tazilah, philosophers and many sects of those who claim they reflect opinions and doctrines minutely until they turned into hair-splitters. So, it is a great danger in which the heedless have fallen, affirming to themselves things out of polytheism.

Whoever goes beyond that obstacle by help and aid of Allah Almighty will have a high and great degree. We have previously mentioned that in monotheism, there are only two obstacles: The first is to look at the heavens and the earth, the sun and the moon and stars, clouds and rain, and all non-living beings; and the other is to look at the choice of animals, and this obstacle is greater and more dangerous than the former. But in general, to go beyond those obstacles is to attain the perfect mystery of monotheism. This is why there is much reward for this statement, i.e. for the contemplation of which this statement is a translation.

The state of reliance then is to abandon one's strength and power, and rather rely on the One and Real. This point would be clarified in more detail when we talk about the deeds of reliance, Allah willing.

CHAPTER TWO

EXPOSITION OF THE STATEMENTS OF MANY SHEIKHS ABOUT THE DIFFERENT STATES OF RELIANT

It would be clear to you, from those statements, that nothing thereof is beyond what we have mentioned. But each has indeed expressed his own experience and state.

Abu Musa Ad-Daili said: I asked Abu Yazid about his understanding of reliance, thereupon he asked me: "And what do you say about it?" I said: "Our companions say that even if wild animals exist on your right and left sides, your internal thought would not change even a bit (out of fear of them)." On that he said: "Yes, that is close to its meaning. But if the inhabitants of Paradise are enjoying in their pleasures and the denizens of Hell are punished and burnt in the fire, and you make a distinction between them, then, you would come out of the sphere of the reliant."

What Abu Musa said is a report of one of the most glorious states of reliance, i.e. the third station; whereas what Abu Yazid mentioned is a report of the dearest knowledge of reliance, which is among the foundations of reliance: it is the knowledge of the wisdom of Allah Almighty in the sense that whatever He does should necessarily be done, with no distinction between the inhabitants of Paradise and the denizens of the fire of Hell in relation to the origin of injustice and wisdom. That is indeed the most abstruse kind of knowledge, and beyond it lies directly the mystery of Fate and Divine Decree. Abu Yazid rarely talks but

about the highest stations and the furthest degrees.

Furthermore, it is not requisite in the first station of reliance to take precautions of the female snakes, for Abu Bakr "Allah be pleased with him" himself took precautions in the cave (of Thawr) when he was along with the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" by closing all its holes for fear of their danger. But it might be said that he did so only with his foot, but his internal thought did not change because of them; or that he did so out of sympathy and pity for the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and not himself. But the reliance removes once his internal thought changes for the sake of himself. But it would be shown later that the like of this and even more does not contradict reliance. What stimulates the internal thought to move in flight from the female snakes is fear, and the reliant has the right to fear from the mover and creator of the female snakes, for the female snakes have neither strength nor power but with Allah Almighty. So, if he takes precautions, he should not rely on himself or on his power and manipulation, but on the Creator of the strength, power and planning.

In another context, Dhun-Nun Al-Misri was asked about the concept of reliance thereupon he said: "It is to abandon all lords (other than Allah Almighty), and eliminate all means." The first phrase refers to monotheism, and the last to the works and deeds in this world, but not to the state explicitly in so much as implicitly. It was said to him once again: "Then, give us more." He said: "It is to devote the soul to worship and set it free from lordship" in reference to dissociation only from the strength and power.

Hamdun Al-Qassar was asked about reliance thereupon he said: "If you have ten thousand Dirhams and at the same time you owe a Daniq, you do not feel safe to die and your debt remains due on you; and if you owe ten thousand Dirhams and you do not have what fulfills it, you do not despair that Allah Almighty would fulfill it on your behalf." That is a reference to the great power of Allah Almighty.

Abdullah Al-Qurashi was asked about reliance and he said: "It is to get attached to Allah Almighty in whichever state you are." The asker said to him: "Give me more." He said: "It is to leave each means that leads to another until you reach the Real Who is the guardian of all things." The first is general to all three stations, and the other is particular to the third station only. It is like the reliance of Abraham "peace be upon him" when Gabriel "peace be upon him" asked him: "Do you have a need?" He said: "As for you, it is not." His question was a means leading to another, i.e. Gabriel's guarding him, which Abraham "peace be upon him" left out of confidence of the fact that if Allah likes, He would subjugate Gabriel to do so. That is a state of one who is absent from himself with the presence of Allah Almighty. It occurs very rarely, and even if it exists, it is more unlikely to remain for a long time.

According to Abu Sa'id Al-Kharraz: "Reliance is a quake without tranquility, and a tranquility without quake." Perhaps he refers to the second station. His tranquility without quake refers to the heart's tranquility and reassurance of the disposer of affairs; and his quake without tranquility refers to one's panic to Allah

and supplication and imploring to Him in which he quakes like the child when he quakes in the hands of his mother, with his heart calm and reassured of her complete and perfect pity for him.

According to Abu Ali Ad-Daqqaq: "Reliance is of three degrees: dependence, submission and then authorization. The reliant gets reassured of His promise, and the one who submits satisfies himself with His knowledge, and the one who gives authorization accepts His judgement." This refers to the disparity of degrees of his sight in relation with the one whom he views. Knowledge is the foundation, followed by promise and then by judgement. It is not unlikely that the reliant observes something of that.

Many Sheikhs have a lot of statements other than those we have mentioned concerning reliance. But let us not be lengthy by mentioning all of them, for to uncover the truth of it is more beneficial than to relate the different statements about it. That is due to the state of reliance; and Allah Almighty helps us, with His mercy and kindness, achieve success.

CHAPTER THREE
EXPOSITION OF DEEDS OF RELIANT

It should be known that knowledge develops the state, and the deed is the fruit of the state. It might be thought that reliance is to leave earning with the body, and manipulation with the mind, and rather to lie on the ground like a thrown cloth, or a piece of flesh on bone. But this is, to be sure, the belief of the ignorant among the people, since it is unlawful under Sharia, which praises the reliance. Then, how should a religious station be attained through something forbidden in religion? Let's uncover the truth and say that the effect of reliance appears in the servant's movement and seeking with his knowledge to achieve his purposes. The servant seeks voluntarily either to get something beneficial which he lacks, such as earning, or to save something beneficial which he has, like saving, or to avert harm from him before it afflicts him, like defending himself against a thief, an attacker or a wild animal, or to remove harm that afflicted him, like remedy from diseases and their like. The purposes of the servant's movement do not go beyond those main four: to get a benefit, keep a benefit, avert harm, or prevent harm. Now, let us in the following pages make a mention of the conditions and degrees of reliance in each of those, with evidences from Sharia.

THE FIRST PURPOSE: TO GET A BENEFIT

The means by which a benefit is sought is of three degrees: what is fully certain, what is almost certain, and what is illusive.

The first set of means: what is fully certain, like the association between the cause and effect according to the Divine Decree, in which there is no difference or dispute. Suppose, for instance, that food is served before you and you are very hungry, but you do not stretch your hand to it under pretext that you are reliant, and it is requisite for reliance not to seek, and to stretch the hand is a kind of seeking, and the same applies also to chewing and swallowing the food: this is, to be sure, a mere madness, and does not belong to reliance. If you expect that Allah Almighty would create in you a state of satiation, or create in the food a

power of movement to enable it to come and enter your mouth, or subjugate an angel to chew and swallow it and convey it to your stomach on your behalf, you then are ignorant of the established norm of Allah on earth. Similarly, if you do not cultivate the land, in covet of a plant to be created by Allah without sowing the seed of it, or do not have sexual relation with your wife in covet of her giving birth without it such as Mary gave birth to Jesus "peace be upon him", it is madness, quite far from reliance. Those states and their likes are beyond calculation. In this station, reliance is not only by deed, but by both state and deed.

As far as knowledge is concerned, it is to know, for certain, that it is Allah Almighty Who created for you the food, the hand, the teeth and the power of movement, and that it is He Who feeds and waters you. As for the state, it is that your heart's tranquility and reassurance go back to your depending on Allah Almighty, and not on your hand or food. How should you depend on the health and soundness of your hand which might soon stop from function and be afflicted with paralysis? How should you depend on your power and you might soon lose your consciousness and mind leaving you motionless? How should you depend only on the presence of food, and perhaps Allah might direct somebody to overpower you on it, or cause a female snake to come and disturb you and divert you from it? Since all of those are possible, and there is no way to get rid of them but by virtue of Allah Almighty, you then should rejoice of Him, depend on Him, and put your trust in Him.

The second degree is the means which are almost certain, but the effects more likely result from them, as well as it is unlikely that they would not result from them. A typical case is of him who leaves the homeland and town of residence, and sets out on journey alone having no provision with him, not in the company of the caravans or groups of riders, and follows the lonely deserts and ways which people very rarely walk through. This is not requisite for reliance, for taking provision on journey in the desert is the right way of the early people and righteous successors, and it does not nullify reliance particularly when it comes after depending on the virtue of Allah Almighty. But it is possible, as being one of the highest stations of reliance, and this is why Al-Khawas used to do it.

But you may argue: "This is to seek to put oneself to destruction, which is forbidden under Sharia." In reply, let me say that it does not become unlawful with two conditions: the first is that a man should have disciplined, mortified and habituated his own self to keep patient on hunger for a week or two, without causing breast disturbance or mind distraction, or difficulty to celebrate the praises of Allah Almighty. The other is that he should have the power to sustain himself with such things as grass and its like. After those conditions, it is not unlikely that it would not become unlawful, for he might probably meet, by chance, every week or every two weeks, somebody to provide for him, or come upon a village or a town to get sustenance for himself, and so on. Mortification is the foundation of reliance.

This was the conduct of Al-Khawas and his fellows from among the reliant. Al-Khawas did not leave the needle, rope, file and jug, saying: "This does not

oppose reliance." The reason is that he learnt that in the desert, there is no water on the surface of the earth, and it is not out of the established norm of Allah that water rises up automatically from the bottom to the top without a jug or a rope, and it is unlikely that one could find a rope or a jug in the desert, and one needs water to perform ablution many times thereof everyday, and to quench his thirst at least once every two days, for the traveler could not, with movement in the scorching heat, keep patient on the loss of water in the same way as he could on the loss of food. Similarly, he might have only one garment which is apt to be torn leaving his private parts exposed, and in the desert, he could unlikely find a needle or a file, and this is why he takes them with him. Thus, anything like those four join the second degree, for it is thought but not with full certainty, that his garment might probably be torn, and that one might probably give him another garment, or that he could probably find on the top of the will a man to give him water, and so on.

For this reason, we say that if one inclines to a mountain pass in which there is neither water, nor grass, nor anyone to come to it at all, and sits there reliant (on Allah), he would be sinful, seeking to destroy himself. it is narrated that an ascetic left his residence and betook himself to the bottom of a mountain and stayed there seven days saying: "I would never ask anyone about anything until my Lord brings me my sustenance." He spent seven days there until he was about to die, and no sustenance was brought to him. On that he said: "O my Lord! If you have decreed that I should live, then, bring me my sustenance You have doomed to me, otherwise, take my soul unto You." Allah Almighty revealed to him: "By My Honor, I would not sustain you until you enter your residence and live among the people." He entered his residence and sat thereupon much food and drink was brought to him by the people. He ate and drank, and had doubt within himself about that. On that Allah Almighty revealed to him: "You liked to remove My wisdom with your abstinence from this world. Do you not learn that to sustain My servant at the hands of My other servants is dearer to Me than to sustain him with the hand of My power?"

Then, to leave all means whatsoever is an opposition to the wisdom of Allah, and an ignorance of the established way of Allah Almighty. But to act upon the established way of Allah Almighty, and depend on Him Alone and not on the means does not contradict reliance in the least. But means are divided into apparent and hidden; and the significance of reliance is to be satisfied with the hidden on the exclusion of the apparent means, with the soul's tranquility and reassurance of the causer of the cause, and not of the cause itself.

You may ask: "What is your opinion about sitting in residence without earning? Is it forbidden, permissible or recommended?" in reply, it should be known to you that it is not forbidden for it is like the act of him who tours in the desert which does not lead to his destruction. The resident does not destroy himself whatsoever in order for his act to be regarded unlawful. It is not unlikely that sustenance might come to him from sources he expects not, but, at the same time, it might delay, and patience here is possible. But if he closes the gate of his

door on himself and there is no way for anyone to reach him, then, his act would be unlawful. If he opens the door of his home, and he is not engaged in worship or celebration of Allah, then, work to get his earnings would be better for him. But anyway his act is not unlawful unless he is about to die, at which time it becomes incumbent upon him to come out and earn his living or beg the people for sustenance. But if his heart is entirely devoted to Allah Almighty, and not ambitious for anyone to enter from the door and bring sustenance to him, in so much as it is ambitious for the bounty of Allah Almighty, then, this would be much better and preferable, as being one of the stations of reliance. It is to engage in Allah Almighty and give no care to his sustenance. That is because sustenance should inevitably come to him.

At that point, it is of great significance the statement of a religious scholar: "If a servant even flees away from his sustenance, it would run after him in pursuit of him, just as if he flees away from death, it would run after him in pursuit of him; and if he asks Allah Almighty not to sustain him, He would not respond to him, and by such asking, he would be regarded sinful, and Allah would say to him in reply to his demand: "O ignorant! How should I create you and not sustain you?" for this reason, Ibn Abbas "Allah be pleased with them" said: "The people dispute about all things except for sustenance and death, for they assume the consensus that there is neither sustainer nor causer of death but Allah Almighty." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If you rely on Allah Almighty as it should be, surely, He would sustain you in the same way as He sustains the birds: they come out hungry early in the morning, and return satiated in the evening, and rather the mountains would disappear with your supplication."

Jesus "peace be upon him" said: "Look at birds which neither cultivate, nor harvest, nor save anything, but at the same time, Allah Almighty sustains them day by day. But if you say that your bellies are bigger, then, look at the cattle and sheep, and how Allah Almighty assigned to them those meadows for sustenance." According to Abu Ya'qub As-Susi: "The reliant have their sustenance at the hands of the servants with no effort nor suffering, and those other than them are engaged in work and toiling." Another one said: "All servants are sustained by Allah Almighty. But some of them eat with humiliation like the beggars, some with trouble and expectation like the traders, some with their profession like the craftsmen, and some with honor like the Sufis, who witness the One Exalted in honor and get their sustenance from His Hand, and see no intermediary.

The third degree pertains to the illusive means, falsely thought to lead to the effects, but with no apparent confidence or certainty. A typical case is of him who surveys the minute and detailed manipulations as regards the matter of earning, by which he turns entirely from the sphere of reliance. That is the case of almost all the people, i.e. those who use the minute tricks to earn permissible property. But to earn what is suspicious, or to use suspicious tricks in earning is to be concerned over this world, and rely on the causes. It is not hidden that this nullifies reliance entirely. It is like the causes to be attributed to bringing about what is beneficial, and removing what is harmful. The Messenger of Allah

"Allah's blessing and peace be upon him" described the reliant as those who do not depend on those causes, and did not describe them as those who do neither earn, nor live in the cities and towns, nor take anything from anyone. Sahl said about reliance: "It is to leave manipulation at all." In justification of that he said: "Indeed, Allah Almighty created the creatures and did not veil them from Himself, but their veil is their own planning." Perhaps he meant the extraction of the far reasons through the thought, which need manipulation, other than the near reasons.

In sum, it has become clear that the reasons are divided into those the attachment to which turns one from the sphere of reliance entirely, and those which do not do; and those the attachment to which turns one from the sphere of reliance are divided into what is decisively certain and what is only assumed; and those decisively certain do not turn one from the sphere of reliance when the state and knowledge of reliance are available, i.e. to rely on the causer of all causes, in which case, reliance is by state and knowledge, and not by deed, unlike the assumed causes, in which reliance is by state, knowledge and deed.

Furthermore, the reliant are of three stations: The first is that of Al-Khawas and his fellows: it applies to him who tours in the desert with no provision out of confidence of the bounty and favor of Allah Almighty, to help him keep patient for one or two weeks, to facilitate grass or sustenance to him whatsoever, or to keep him firm on satisfaction with death on that state if nothing of those is available. Whoever carries provision could lose it, and whoever has a camel, his camel might be lost, leaving him die out of hunger.

The second station is about him who sits in his house or in the mosque, but within the borders of villages and populous cities. Although it is weaker than the first, one is also reliant, for he leaves earning and all apparent means, and rather relies on the bounty of Allah Almighty in manipulation of his affairs concerning the hidden means. But at the same time, by his residence in the cities and villages, he is exposed to the means of sustenance. But anyway, this does not nullify his reliance if he keeps his eye on Him Who subjugates to him the inhabitants of the town to give him sustenance, and not on the inhabitants of the town themselves, who are imagined to be heedless of him and waste him, and forget him had it not been for the bounty of Allah Almighty.

The third station is about him who comes out and seeks to get his earnings in the same way we have previously mentioned in the third and fourth chapters of the Book of the Etiquettes of earning. This seeking does not turn him from the sphere of reliance so long as his self-reassurance is not of his sufficiency, power, majesty and goods which might be removed by Allah Almighty in a moment: on the contrary, he is reassured only of the sole guarantor and surety to guard all of this for him, and facilitate its reasons and causes to him. On the other hand, if he seeks to earn to spend on his dependents or on the needy and indigent, then, he seeks with his body, while devoting his heart wholeheartedly to Allah Almighty. In this case, his state is more noble than the state of him who sits at home or in the mosque.

The evidence for the fact that seeking to get earnings does not turn one from

the sphere of reliance if its conditions and requirements are fulfilled, and both its state and knowledge are put in consideration, is taken from the conduct of Abu Bakr "Allah be pleased with him" that in the morning next to his being given the pledge of allegiance as the caliph, he took garments and entered the market and started to practice traffic. The Muslims did not like that and said to him: "How do you do so given that you have been made as the successor of the Prophet?" on that he said: "Engage me not from my dependents, for were I to waste them, I would waste those other than them." They then assigned to him the sustenance of a Muslim family from the Muslim treasury. When they were pleased with that, he saw it better to engage in looking after their affairs, helping them, disposing of their interests and serving their benefits and purposes.

It is impossible to say that Abu Bakr "Allah be pleased with him", in this state, was not in the station of reliance, for which of people is more worthy of that station than him? He indeed was reliant not from the perspective of leaving earning and seeking in so much as from the perspective of giving no care to his power and sufficiency, and the knowledge that Allah Almighty is the facilitator of earning and the disposer of affairs, and observation of many conditions in earning, i.e. to earn only what he needed, without saving or being pompous, or giving preference to his own Dirham over the Dirham of the others, and so on, for whoever enters the market with his Dirham dearer to him than the Dirham of others, he would be concerned over this world and not abstinent from it; and reliance is not valid in the absence of abstinence from this world, given that asceticism alone is valid, for the station of reliance is beyond that of asceticism.

According to Abu Ja'far Al-Haddad, the mister of Al-Junaid: "I have hidden reliance for twenty years, during which I used to enter the market, and everyday I earned a Dinar, from which I did not save or let a single Daniq until the night with me, for before the night, I would have given it out entirely." Al-Junaid used not to talk about reliance in his presence, saying: "I feel shy of talking about his station while he is attendant with me."

You may ask: "Which is better: to sit at home or come out to get his earnings?" in reply, it should be known to you that if one sits at home in order to devote himself entirely to worship, celebration of Allah Almighty, and meditation of the signs and creation of Allah Almighty, etc, and his coming out to work would distract his devotion and divert him from his celebration, then, it would be better for him to sit at home, provided that he should not look forward to the people in expectation for him who might enter into him bringing to him sustenance: on the contrary, he should be of strong heart, reliant on Allah Alone. But if he is of troubled heart, and desires for the people, then, coming out to get earnings would be better for him, because desire for the people is begging with the heart, and to leave it is more important and more significant than to leave earning.

It was the habit of the reliant among the people not to take what their souls desired for. In this context, it is narrated that Ahmad Ibn Hanbal told Abu Bakr Al-Marwazi to give a poor something extra than his charge for which he had hired him, but he rejected to accept it. When he turned away, Ahmad told Abu

Bakr to catch him and give him, for at that time he would accept it. He caught him and gave it to him, and he took it. When Abu Bakr asked Ahmad about that he said: "His soul desired for it at first, and when he turned away, he despaired and had no covet, thereupon he accepted it."

It was the habit of Al-Khawas that whenever he looked at a gift to be given to him, or feared he might get accustomed to the like of that, he would not accept it. When he was asked about the most wonderful thing he saw in his journeys, Al-Khawas said: "I saw Al-Khadir and he accepted my company, and, fearing my soul would be accustomed to and get comforted with that, which might be a shortage of my reliance, I left him."

Overall, if the seeker to earn his living observes the conditions and etiquettes of earning as we have previously clarified them, i.e. not to intend to gather much money, nor depend on his commodities and sufficiency, he would be reliant.

You may ask: "What is the sign indicative of his non-reliance on his commodities and sufficiency?" in reply, let me say that if his goods are stolen or lost, or if he is exposed to any obstacle in his traffic, he would be well-pleased with it, for the reliance of his heart would remain the same before and after that event.

You may argue: "Then, how should it be imagined that one has commodities on which he does not rely, given that he knows for certain that there is no earning without commodities?" in reply, let me say that he should know that those whom Allah Almighty provides with sustenance are numerous, and those whose goods and commodities were lost or stolen are also numerous, and further habituate himself to the fact that Allah Almighty does with him only what serves his benefit and interest. If He ruined his commodities, it would be rendered good for him, for perhaps were He to leave him, it might have led to the corruption of his religion. And even if the result is that he would die out of hunger, he should know, for certain, that to die out of hunger is better for him in the hereafter, so long as it is the fate and decree of Allah Almighty, with no shortage nor indulgence on his part.

If he believes in the truthfulness of all of that, the presence or absence of the commodities would be the same to him. According to a certain narration: "A servant might intend by night to do a thing concerning his traffic, and were he to do it, it would lead him to destruction, but Allah Almighty looks at him from above His Throne (of Majesty), and diverts him from it, leaving him in a state of grief and sorrow, although it is not but a mercy with which Allah Almighty delivers him."

It is within this context that Umar "Allah be pleased with him" said: "I do not mind whether I become rich or poor, for I do not know which is better for me." Whoever is not fully certain of those things, no reliance is expected from him. Abu Sulaiman Ad-Darani said to Ahmad Ibn Abu Al-Hawari: "I have a share from every station except that of blessed reliance, whose smell I have never smelt." This was his speech given his high esteem and piety. He did not reject that it is among the possible stations, but he reported that he did not attain it.

Furthermore, unless one has a full belief in the fact that there is no doer, no maker, no sustainer and no creator other than Allah Almighty, and that everything doomed by Him to the servant, in terms of poverty and richness, health and sickness, death and life, etc, is, to be sure, for the benefit of that servant than it is hoped by him, then, his state of reliance would not be complete; and the same applies to all stations of religion, all of which are built on the basis of the origin of faith.

In sum, reliance is an understandable station, but it summons the power of the heart and the power of faith and certainty. For this reason, Sahl said: "Whoever criticizes the seeking to get earnings has indeed criticized the sunnah; and whoever criticizes leaving it has indeed criticized monotheism."

You may ask: "Is there any beneficial medicine to treat the heart's being diverted from reliance on the apparent means, in order to have a good assumption of Allah Almighty to facilitate the hidden means?" In reply, let me answer in the affirmative. It is to know, for certain, that the bad assumption is inspired from Satan, and the good assumption is inspired from Allah Almighty. In confirmation of that, Allah Almighty said: " Satan threatens you with poverty and bids you to conduct unseemly. Allah promises you His forgiveness and bounties. And Allah cares for all and He knows all things." (Al-Baqarah 268)

﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾

Man, by nature, is concerned with the Satan's threats. If you add to that the weakness of the heart and cowardice, and seeing the reliant dependent on the apparent means, the evil assumption is intensified, which nullifies reliance.

However, seeing sustenance among the hidden means also nullifies reliance. It is related that a worshipper stayed in the mosque in seclusion, and he had no earnings. The imam said to him: "If you seek to get your earnings, it would be better for you." He gave no answer and the imam repeated the same thrice, and in the fourth time, he answered: "A Jew living near the mosque promises to give me two loafs everyday." He said: "If he is true to his promise, then, your stay in seclusion in the mosque would be better for you." He said: "O man! How are you an imam standing in front of Allah given that shortage of monotheism? How do you give preference to the promise of a Jew over Allah's guarantee of sustenance?" A mosque imam asked one of the praying persons: "From where do you eat?" he said: "O sheikh! Wait until I repeat the prayer I have offered behind you and then I would give you the answer."

It is beneficial for the good assumption of Allah's providing with sustenance out of His bounty through the hidden means to listen to the narrations which imply the wonders of Allah's making in having the sustenance reach him to whom it is doomed. They also contain Allah's power of destroying the wealth of the traders and rich and killing them out of hunger.

It is narrated on the authority of Hudhaifah Al-Mar'ashi, who served Ibrahim Ibn Adham for a long time, thereupon he was asked: "What is the most amazing thing you have seen from him?" he said: "We spent many days on the way to Mecca, with no food we had. Then, we entered Kufah and came into a waste

mosque, thereupon Ibrahim looked at me and said: "O Hudhaifah! I feel you are hungry." I said: "It is as the sheikh feels." He asked me to bring to him an ink and a parchment, and I brought them to him and he wrote the following: "In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful. You are the One aimed at in any state, and referred to with all meanings." He also wrote many poetic verses. Then he gave me the parchment and said: "Come out and let not your heart attached to anyone other than Allah Almighty, and give the parchment to the first of people you meet." I came out and gave the parchment to the first man I met, and he was a man riding a mule, and when he took and read it, he wept and said: "What is the matter with the writer of this parchment?" I said to him: "He is in such and such mosque." He gave me a parcel containing six hundred Dinars. Then, I met another one whom I asked about the rider of the mule, thereupon he told me that he was a Christian. I then returned to Ibrahim and related to him the story, thereupon he said to me: "Do not touch the money, for the man would come an hour later." When an hour elapsed, the Christian came in and turned over the head of Ibrahim and went on kissing it and then embraced Islam."

In another context, Abu Ya'qub Al-Aqta Al-Basri said: "I spent ten days in the sanctuary, and I felt weakness out of hunger, thereupon I talked to myself to come out. I came out to the valley perchance I could find anything to pacify my hunger. I saw a taro thrown on the ground and when I took it, I felt I disgusted it, as if somebody saying to me: "You have kept hungry for ten days after which you would break your hunger with that putrefied taro?" I then threw it away, and entered the mosque and sat there. Behold! A non-Arab man came and sat in front of me and put before me a huge container of food and said to me: "This is for you." I asked him: "Then, how have you specified it to me?" He said: "It should be known to you that ten days ago we were aboard the sea and the ship was about to drown, thereupon I vowed that if Allah delivered me from this affliction, I would give this in charity to the first man my eye would fall upon from among those living near the mosque; and you are the first one I have met." I asked him to open it and he did accordingly, and behold! It had semolina, almond and sugar. I took a handful of each, and then said to him: "Give the remaining to your companions as a gift from me to you, and I have accepted it." Then, I said to myself: "Your sustenance is proceeding to you ten days ago and you came out to pursue it from the valley!"

Mimshad Ad-Dainuri said: "I was owing some money, because of which my heart was engaged. Then, I saw in my dream as if somebody saying to me: "O niggard! You blamed Us for that little amount of debt. Take what you like. It is your duty to take, and Our duty to give." After that, I have never accounted a grocer, a butcher, or anyone else."

It is related from Bannan Al-Hammal that he said: "I was on the way to Mecca, coming from Egypt, and I had my provision when a woman came to me and said: "O Bannan! You are carrying provision on your back, and having the false impression that you are not given sustenance." On that I threw away my provision and three days came upon me without eating anything. Then, I found a bangle on the road, and I said to myself: "Let me keep it for perhaps its owner

might come to ask about it, and give me something for returning it to him." Then, the same woman came to me and said: "You are a trader, saying: 'Perhaps its owner might come and I take something from him for returning it to him.'" Then, she threw some Dirhams to me and told me to spend it, and I was satisfied with it along the way to Mecca."

It is related also from him that he needed a slave-girl to serve him. He complained to his companions who collected her price from themselves and sat in expectation for the caravan to buy her. When the caravan came, they chose one to buy and said: "She befits him." They asked its owner about her price and he said: "She is not for sale." When they insisted he said: "She is for Bannan Al-Hammal, presented to him by a woman from Samarqand." She then was brought to Bannan, and the story was related to him.

It is narrated from a man in the early age that he was on journey having a loaf with him. He said to himself: "If I eat it, I would die." On that Allah Almighty entrusted him to an angel who said: "O Lord! if he eats it, then, provide him with sustenance, and if he does not eat it, do not provide him with sustenance." The loaf remained with him until he died, and nothing was given to him other than it.

Abu Sa'id Al-Kharraz said: "I entered the desert without provision and I was exposed to a severe starvation. When I saw the coming town from afar, I rejoiced thinking I had arrived. But later, I thought that I relied on something other than Allah Almighty, thereupon I insisted not to enter the village but as carried to it. I made a hole for myself in the sand and interred my body to the breast, and by night I heard a loud voice saying: "O people of the village! There is an ally of Allah Almighty, detaining himself in a hole in the sand. So, deliver him." A group of people came and took me out, and carried me to the village."

It is further narrated that a man stuck to the gate of the house of Umar "Allah be pleased with him" and behold, he heard somebody saying to him: "O man! Have you emigrated to Umar or to Allah Almighty? Go and learn the Qur'an, for it would make you independent from the gate of the house of Umar." The man went and remained absent until Umar "Allah be pleased with him" missed him. Behold! He got isolated and devoted himself to worship. Umar went to him and asked him: "I have longing for you. What has engaged you from me?" the man said: "I indeed recited and learnt the Qur'an, which made me independent from Umar and the family of Umar." On that Umar "Allah be pleased with him" said: "May Allah bestow mercy upon you! What have you found in it?" He said: "I have found in it the statement of Allah Almighty: " And in heaven is your Sustenance, as (also) that which you are promised." (Adh-Dhariyat 22)

﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

I then said to myself: "How should my sustenance be in the heaven and I seek for it on earth?" Umar "Allah be pleased with him" wept and said to him: "You have told the truth." After that, Umar "Allah be pleased with him" used to come and sit with him.

Abu Hamzah Al-Khurasani said: "I performed Hajj one year, and while I was on the way, I fell down into a well. My self disputed me to seek relief of the

people, but I said to myself: "No, by Allah, I would never seek the people's relief." No sooner had I finished from that idea than two men came upon the head of the well. One of them said to the other: "Come to close the head of that well, in order for none to fall in it." They then closed it and I intended to cry, but I said to myself: "But to whom should I cry? He is nearer to me than them." I then relied on Him. An hour later, somebody came and uncovered the head of the well, and dangled his foot as if he was murmuring: "Hang yourself to me." I then hung to his foot and he took me out. Behold! It was a wild animal. It then left, and later on, I heard a voice saying to me: "O Abu Hamzah! Is it better? We have delivered you from damage with damage.""

Such stories are very numerous. If there is a strong faith in it, in addition to the power to keep patient on hunger for a week, with belief that if one's sustenance is not brought to him for a week, then, death would be better to him in the sight of Allah Almighty, and this is why He detained it from him, the reliance would be attained, otherwise, there would be no reliance.

Exposition Of Reliance As To Earning For The Single And The Responsible For His Family

It should be known to you that the responsible for a family differs in the ruling of reliance from him who is single. That is because the reliance of the latter is valid only with two conditions: the first is to have power to keep patient on hunger for a week, without being disturbed or covetous; and the other is some items of faith we have previously mentioned in their suitable places, including his being pleased with death if he receives no sustenance, putting in mind that his sustenance that is doomed to him is death and hunger, on the basis of the belief that if it is shortage in the world, it would be recompensed in the form of increase in the hereafter. In this way, he sees that the best of both kinds of sustenance is driven to him, i.e. the sustenance of the hereafter. Thus, the reliance of a single could be attained.

Furthermore, it is impermissible to oblige the children or dependents in general to keep patient on or endure hunger. They could not be convinced to have faith in monotheism on the basis of the fact that death out of hunger is their sustenance that is doomed to them, with which they should be pleased; and the same applies to the remaining items of faith. For this reason, the responsible for a family could not adhere but to the reliance of the earning, i.e. the third station, which is similar to the reliance of Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" when he came out to get his earnings. But to go to desert and leave the children with no sustenance out of reliance, or to sit at home and fail to take care of their affairs out of reliance, is unlawful, which might lead to their destruction, for which he would be reckoned.

In verification, there is no difference between himself and his dependents. If his dependents help them keep patient on hunger for some time, and regard death out of hunger a kind of sustenance and gain in the hereafter, he then has the right to rely concerning them, with good pleasure and satisfaction. But he has no right to waste them by reliance unless they help him keep on hunger for some time. If he could not endure it, and his heart would be troubled, and his worship

distracted, then, it would be impermissible to do it.

In this context, it is narrated from Abu Turab An-Nakhshi that once he saw a Sufi stretching his hand towards a watermelon's husk to eat after three days (of patience), thereupon he said to him: "Sufism is unfitting for you. Stick to the market." He means that there is no Sufism in the absence of reliance; and reliance is valid only for him who could patient on the loss of food for more than three days.

According to Abu Ali Ar-Ruthbari: "If a poor says after five days (of patience on hunger) that he is hungry, then, make him stick to the market, and enjoin upon him to work and get his earnings."

One's body then is like his dependents, and his reliance concerning it and what might harm it is like his reliance concerning them and what might befall them. But he differs from them in one thing, i.e. he has the right to oblige his own self to keep patient on hunger, a right which he does not have concerning his children.

It then has become clear to you that reliance is not to cut off all means in so much as to depend on keeping patient on hunger, and good pleasure with death if sustenance delays to come. Besides, it is to stick to cities and villages, or deserts which contain grass. All of those form the means of survival, but with a kind of harm, for it could not be tolerable without patience. Moreover, reliance in cities and villages is closer to means than in the desert. Although all of those are means, the people incline to means more apparent, due to their weak faith, severe adherence to this world, lacking patience on the harm in this world for the sake of the hereafter, and cowardice that is based on their bad assumption and long hope.

Whoever catches a glimpse of the dominion of the heavens and the earth, it would be revealed to him, in verification, that Allah Almighty has regulated the kingdom of visibles and dominion of invisibles, in such a way that by no means would a servant's sustenance escape him, even if he leaves movement. The one failing to move, his sustenance would never skip him. Do you not see how the fetus in his mother's womb, being failing to move, has his umbilicus connected to his mother's belly in order for nourishment to reach him without his movement to it? Then, when it is disconnected, He invests love and sympathy with authority over the heart of the mother in order to take care of him, and look after his affairs, willingly or unwillingly, as she is compelled by Allah Almighty to do so, by virtue of the fire of love and pity He kindles in her heart. Then, as he has no teeth to chew food, his sustenance is made of milk which needs not to be chewed. Do all of this occur by the effort of the children or of the mother? When he grows up and becomes mature, means of learning and education are made easy for him, in order for him to follow the path to the hereafter.

His cowardice then after maturity is evident ignorance, for his means of living do not decrease by his maturity: On the contrary, they increase. When he was a child, he was unable to earn; and now, he is able to work and get his earnings. Furthermore, when he was a child, only one, his mother, or two, his parents, had

sympathy and pity for him, and their sympathy was excessive as they used to feed him twice or more a day, by virtue of the love and pity placed in their hearts by Allah Almighty; and now when he is mature, pity, mercy and sympathy for him is placed by Allah Almighty in the hearts of all Muslims to the extent that if anyone of them feels somebody is in need, he would sympathize for him, and be stimulated to remove his need. Those who had pity for him in the beginning were one or two, and now they increase up to one thousand or more. They did not sympathize for him at first for they saw him in the care of his parents or guardians, and had they seen him as an orphan, surely, they would have sympathized for him and taken him in their care.

In sum, Allah Almighty is the caretaker of him, as well as of all the people, by means of the pity and mercy He creates in the hearts of His servants. So, why should he engage his heart in the sources of his sustenance after maturity, given that he did not do before it? Paradoxically, during childhood, those who showed mercy to him were only one or two at maximum, and now after attaining maturity, he came to have many. Although the mother's pity is strong, the pity of one thousand or more could serve the purpose. How many an orphan whose state Allah Almighty made better than numerous who have fathers and mothers!

But even, you may argue: "But the people take care of the orphan because they see him unable and incapable because of his orphanhood, whereas they do not turn to the normal person for they see he is able to work and get his earnings, saying: 'He is one like us, so, let him work and endeavor by himself.'" in reply, let me say that if such a capable mature person is an idle, then, they have told the truth, for earning is due on him, and there is no significance for reliance on his part, for reliance is one of the religious stations whose aid one seeks to devote himself to the worship and celebration of Allah Almighty, and what is the matter of the idle with reliance? But if he is devoted to Allah Almighty, sticking to a mosque or a place of worship, in the course of acquiring knowledge and worship, by no means would the people blame him for leaving work for the sake of getting earnings, nor oblige him to do so. On the contrary, his devotion to Allah Almighty instills his love in their hearts and moves them to give him even what is beyond his sufficiency. All he has to do is not to close his door in their face, nor to flee away from them to a mountain pass or desert. Until now, neither a worshipper nor a religious scholar living in a town or a village who devoted himself entirely to Allah Almighty was reported to have died out of hunger. That is because whoever devotes himself to Allah Almighty, Allah never leaves him; and whoever engages in the celebration of Allah Almighty, Allah instills his love in the people's hearts, and subjugates hearts to serve him in the same way as He subjugates the mother's heart to her child.

Indeed, Allah Almighty has regulated the kingdom of visibles and dominion of invisibles in such a way as is sufficient and fitting for their inhabitants. If anyone witnesses His manipulation, surely, he would have full confidence of, engage and believe in the regulator, and further consider the regulator of means and not the means themselves. He has made the means in such a way as everyone

should receive not only as much as is equal to his needs, but also as much as what is beyond his needs. So, there is no point for leaving reliance except the people's desire for permanent pleasure and constant delight. But this is not the path to the hereafter. That is not available for anyone either without or with movement more often. It occurs very rarely. So, none should be reassured of his movement in so much as of the regulator of the kingdom of visibles and dominion of invisibles, in such a way as no sustenance doomed to a servant should escape him even in the least.

If this reality is revealed with certainty to you, along with a strength in the heart and bravery in the soul, then, the fruit would be the same as stated by Al-Hassan Al-Basri: "Would that the inhabitants of Basra entirely are among my dependents, and that a single fruit is as much as a Dinar." According to Wuhaib Ibn Al-Wurd: "Were the heavens to be of copper, and the earth of lead, and were I to be concerned over my sustenance, surely, I would think I have ascribed partners to Allah Almighty."

Having understood all those things, you would learn that reliance is an understandable and attainable station, but only to him who oppresses himself, and that whoever rejects the origin of reliance has done so out of ignorance. So, beware of combining both kinds of bankruptcy: Denial of reliance in taste and sense, and rejection of reliance in faith and belief. You also have to be satisfied with the little provision and pleased with the sustenance whatsoever for it would inevitably come to you, even if you run away from it. At that point, it is incumbent upon Allah Almighty to send your sustenance to you at the hands of him whom you expect not. If you engage in piety and righteousness, you would necessarily witness with experience the confirmation of His statement: " And for those who fear Allah, He (ever) prepares a way out, And He provides for him from (sources) he never could imagine. And if anyone puts his trust in Allah, sufficient is (Allah) for him. For Allah will surely accomplish His purpose: verily, for all things has Allah appointed a due proportion." (At-Talaq 2-3)

﴿ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝ ﴾

But He does not ensure to sustain him with the flesh of birds and all delicious kinds of food all the time: He does not ensure to provide him but with the sustenance that is sufficient for his survival. This ensured sustenance is given to him who engages in the ensurer and is reassured to His guarantee. The hidden means with which the manipulation of Allah Almighty encompassed sustenance are much greater than what seems to the people. Moreover, the sustenance's gateways and channels are beyond calculation and measure. That is because it emerges on earth, while its means are in the heaven. In confirmation of that, Allah Almighty said: " And in heaven is your Sustenance, as (also) that which you are promised." (Adh-Dhariyat 22)

﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝ ﴾

To be sure, the mysteries of the heavens are beyond the reach of anyone.

For this reason, a group of people entered upon Al-Junaid and he asked them: "What do you want?" they said: "We want sustenance." On that he said: "Then, if you know where it lies, then demand it from wherever it is." They said: "Then, let's ask Allah Almighty." He said: "If you know that He forgets you, then, remind Him of you." They said: "Then, let's enter the house and rely on Him and wait what it would come to be." He said: "But reliance on the basis of experiment (and not on the basis of certainty) is suspicion." They said: "Then, what should we do?" he said: "Do nothing."

Ahmad Ibn Isa Al-Kharraz said: "I was in the desert when severe hunger afflicted me and my self overpowered me to ask Allah Almighty for food, but I said to myself: "But this is not one of the acts of the reliant." Then, it required me to ask Allah Almighty for the power of endurance, but I heard somebody inspiring to me not to do.

You then have come to understand that he, of submissive soul, strong heart, and powerful faith in the manipulation of Allah Almighty, would be always self-reassured of Allah Almighty, fully confident of Him. The worst of his states is to die out of hunger, and of a surety, death should inevitably approach him as it approaches him who is not self-reassured. The perfect reliance then is achieved by full satisfaction on the part of one side, and fulfillment of the ensured sustenance on the part of the other side. The One Who ensures the sustenance of the servants who are satisfied with the means He manipulated is true to His promise. So, all you have to do is to be satisfied and put yourself to experiment, perchance you would witness with certainty and verification the truthfulness of the promise in the form of the wonderful and amazing sustenance you would receive from sources you expect not. Furthermore, expect not, in your reliance, the means but rather the causer and bringer of those means. That is the necessary condition of reliance of him who tours the desert with no provision, or sits at home as idle.

As for him who is famous for his celebration and worship of Allah Almighty, if he is satisfied with food and drink once per day and night, and a coarse garment which befits the men of religion, this would come to him not only from sources he does or does not expect, but also he would receive many times the like of it. This is why his leaving reliance and rather engagement in sustenance indicate to the utmost degree of weakness and shortage. The concern with sustenance is ugly, and it is more ugly on the part of the religious scholars, for it is requisite for a religious scholar to be satisfied and well pleased. To be sure, the satisfied scholar receives his sustenance and the sustenance of his group, unless he dislikes to take from the hands of people and prefers to eat of his own labour: that is fitting for the working scholar, who acts upon work and knowledge outwardly and not inwardly, for work and earning prevent one from inward meditation and contemplation. But the one who engages in worship and knowledge, outwardly and inwardly, and takes from the hand of him who comes close to Allah Almighty with what he gives him is preferable, for by so doing, he devotes himself to Allah on the one hand, and helps another to receive reward for what he gives on the other hand.

Furthermore, whoever contemplates the established norms of Allah Almighty, would know that sustenance is not in proportion to the means. For this reason, one of the Khosraus asked a wise man about the foolish who is given sustenance, and the rational who is deprived of it, thereupon he said: "The Maker likes to indicate to Himself: were He to provide with sustenance every rational, and deprive of sustenance every foolish, it would be thought that it is the mind which provides with sustenance its owner. But when they saw the opposite of that, they believed, with certainty, that the sole sustainer is someone else, and thus lost confidence of the apparent means."

Exposition Of States Of Reliant In Attachment To Sustenance Through A Similitude

It should be known to you that the similitude of the people in relation with Allah Almighty is like the similitude of a group of beggars standing in a field at the gate of the king's palace, in need of food. He brought out to them some of His servants with loafs of bread, and told them to give some two each, and some one each, and so on, and do their best not to forget anyone of them. He ordered a caller to announce to them: "Be quiet, and attach not to anyone of my servants once they come out to you. But anyone of you should be reassured while being firm in his place, for the servants are subjugated and commanded to convey sustenance to all of you. Whoever of you attaches to anyone of my servants and harms him and takes two loafs by force, then, when the gate of the field is opened and he comes out, I would send one of my servants to whom I would entrust him until I punish him in a term appointed by Me, unknown to anyone of you; and whoever does not harm the servants, and is satisfied with only one loaf he receives from the hand of the servant while being quiet and calm, then, I would favor him with a valuable gift in the appointed term at which I would punish the former; and whoever keeps firm in his place and receives two loafs, then, he would receive neither a punishment nor a gift; and whomever my servants miss and give him nothing with the result that he spends the night hungry, without being displeased with the servants, then, in the morrow, I would make him a minister and authorize the affairs of my kingdom to him."

Thus, the beggars were divided into four divisions: a group were overpowered by their appetite, thereupon they gave no care to the promised punishment, and said: "From today to tomorrow, there would be a release from that difficulty, and now we are very hungry." So, they rushed towards the servants and harmed them and took the two loafs each. In this way, the promised punishment went before to them in the appointed term, thereupon they regretted, but it was of no profit to them to regret. The second group did not attach to the servants for fear of punishment. But at the same time, they took two loafs each for they were possessed by severe hunger. In this way, they became safe from the punishment, but won not the valuable gift. The third group said: "Let's sit at the sight of the servants in order not to miss us. But if they give us, let's take only one loaf with which we would be satisfied, perchance we would win the valuable gift." Actually, they won the valuable gift.

The fourth group hid themselves in the corners of the field and kept away

from the sight of the servants, and said: "If they follow us and give us we would be satisfied with one loaf for each, and if they miss us, then, let's undergo the severity of hunger tonight, perchance we would have the power to abandon displeasure, and thus attain the rank of ministry and closeness to the presence of the king." But this was of no profit to them for the servants pursued them in every corner and gave each a loaf. That state remained for many days until, by chance, three hid in one corner and the sights of the servants did not fall on them, who were engaged by something from long inspection. The result is that those three spent the night in severe hunger. Two of them said: "Would that we faced the servants and took our food, for we could not endure patience on hunger." But the third kept silent until morning, thereupon he alone attained the rank of ministry and closeness to the king.

That is the similitude of the people. The field symbolizes life of this world; the gate of the field death; the unknown appointed term the Day of Judgement; the promise of ministry the guarantee of martyrdom for the reliant if he dies as hungry, pleased and satisfied, without delaying his reward to the Day of Judgement, for martyrs are living in the presence of their Lord, and given their sustenance regularly; the one who attaches to the servants the aggressor who depends on means only; the subjugated servants the means; the one sitting in the apparent places of the field at the sight of the servants the dwellers of cities and villages, in the mosques and places of worship in the state of quietness; and those hidden in the corners the wanderers in the desert in the state of reliant, and means follow them, and sustenance comes to them except in vary rare cases: and if one of them dies as hungry, well pleased and satisfied, he would have the rank of martyrdom and closeness to Allah Almighty.

The people really are divided into those four divisions: from each hundred, about ninety attach themselves to the means, seven sit at cities and villages, in mosques and places of worship, exposing themselves to the means once they come to them, and the remaining three wander in tours in desert and mountain passes, two of whom were displeased, while it is the remaining one only who won the rank of closeness. That was the state during the previous times. But now, these who abandon the means are no more than one per ten thousand.

THE SECOND PURPOSE: TO KEEP A BENEFIT

EXPOSITION OF RELIANCE AS REGARDS THE CAUSES OF SAVING AND THE AMOUNT TO BE SAVED

Whoever has property, whether by means of inheritance, earning or any other means, has three states, and no more:

The first is to take only what satisfies his need at the time. That is, to eat if he is hungry, put on clothes if he is naked, and purchase a humble dwelling place if he needs residence, and distribute what is beyond his need immediately, without saving anything of it except for what he knows he would distribute in such a way. By so doing, he would fulfill the requirements of reliance; and that is the highest degree of reliance.

The second state is on the opposite side of that, therewith one turns out from the sphere of reliance. That is to save as much as is sufficient for a

whole year and more. This one does not belong to the reliant in principle. It is said that from among animals, only three save foodstuff: the mouse, the ant and the son of Adam.

The third case is to save as much as is sufficient only for forty days and less. However, by so doing, would he be deprived of the station of praise promised for the reliant in the hereafter? The matter is debatable. According to Sahl, by so doing, one turns out from the limit of reliance. But Al-Khawas is of the opinion that saving for forty days is not sufficient to turn one out from the limit of reliance, but to save more turns him out from the limit of reliance. Abu Talib Al-Makki says that even by saving as much as is sufficient for over forty days does not turn him out from the limit of reliance. Anyway, this dispute is meaningless since saving in principle is permissible.

It might be thought that saving in principle contradicts reliance. Hence, the difference of estimation is pointless. Every kind of reward promised for a special rank is given in proportion to its degrees; and each rank has a beginning and an end. Those of end are called the precedents, and those of the beginning the companions of the right side. Moreover, the companions of the right side also are of different degrees, and the same is true of the precedents. The highest degree of the companions of the right side is adjacent to the lowest degree of the precedents. For this reason, the difference of estimation is meaningless.

In verification, reliance by abandonment of saving is not achieved except by shortening the hope. People are different as to the length and shortness of their hope. The shortest hope is for a day and a night and less, whereas the longest takes up the man's entire lifetime; and in between both extremes, there are countless degrees. Whoever, for example, has hope as short as a month is closer to the purpose than him whose hopes is as long as a whole year, and so on. To bind it by forty days according to the appointment of Moses "peace be upon him" with Allah Almighty is unlikely, for this incident was not intended to show the duration of concession given to hope, but Moses "peace be upon him" was not to deserve what he was promised except after the passage of forty days, for a Divine mystery which none knows but Allah Almighty, like the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Allah Almighty covered with His Hand the clay from which Adam was created for forty mornings." (Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Ibn Mas'ud and Salman Al-Farisi, and it is false).

Therefore, whoever saves as much as is sufficient for more than a year is of weak heart and faith, and relies only on the apparent means, therewith he turns out from the station of reliance (on Allah Almighty), since he is uncertain of the power of the Real Disposer of affairs to manipulate the hidden means. In sum, the degree of everyone is determined by the shortness or length of his hope. It is only the shortness of hope that prevents one from saving. So, it is preferable for one not to save at all, even though his heart is weak, for the less he saves, the more excellent reward he would receive.

It is narrated that a poor one died, thereupon the Messenger of Allah

"Allah's blessing and peace be upon him" commanded Ali or Usamah Ibn Zaid "Allah be pleased with them" to wash his dead body and they washed and shrouded him in his garment. When he was buried, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to his companions: "He would be raised on the Day of Judgement with his face as bright as is the moon on the night when it is full; and had it not been for a characteristic he had, surely, he would have been raised with his face as shining as is the sun." We asked: "What is that O Messenger of Allah?" He "peace be upon him" said: "He used to observe much fasts, stand (at night for supererogatory prayers), and remember Allah Almighty more often. But, at the same time, whenever winter came upon him, he would save the summer suite for his next summer, and whenever summer came upon him, he would save the winter suite for his next winter." Then, He, "peace be upon him" said: "Indeed, you have been given the least portion of certainty and determination of patience."

However, the mug, the blade (or razor), the pot, and the like of those which man needs regularly do not belong to things like money and clothes. Indeed, saving those does not decrease the degree of reliance. But one does not need the garment of winter in summer, and the same is true of the garment of summer, which one does not need in winter. But this applies only to him who is not disturbed by abstention from saving, nor does his soul covet of what is in the hand of the people, nor does his heart turn but to the Real Disposer of affairs. If his abstention from saving causes trouble to him and distracts him from worship, celebration of Allah Almighty and meditation of His signs, to be sure, saving becomes preferable for him. Moreover, if he keeps an estate whose income satisfies his need therewith he would not be diverted from worship, it would be preferable for him, for the purpose is to mend the heart to be devoted entirely to the celebration and remembrance of Allah Almighty.

How many a person who is engaged by the presence of money, and how many a person who is engaged by the loss of money. What is forbidden is that which distracts and diverts from Allah Almighty, otherwise, the world itself is not forbidden, neither in its presence nor in its absence. For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was sent as a Messenger to all kinds of people, including traders, craftsmen, farmers, businessmen, etc. He neither ordered the traders to leave their trade, nor the craftsmen to leave their crafts, nor those who did not work in them to engage in them: He "peace be upon him" invited all the people to Allah Almighty, and guided them to the fact that their felicity and salvation lie in turning their hearts from this world, and devoting them entirely to Allah Almighty. The fundament of engagement in Allah Almighty is the heart. The remedy of the weak-hearted is to save only what satisfies his needs, as well as the remedy of the strong is to abstain from saving.

That ruling is specific to the single. But as for the one responsible for a family, to save for his dependents as much as is sufficient to sustain them for a whole year does not turn him out of the sphere of reliance. But to save more

invalidates reliance, for the means reoccur by the reoccurrence of years. So, to save what is sufficient for more than a year goes back to the weakness of his heart, which contradicts the power of reliance. The reliant is a monotheist who has a strong heart, and is reassured and certain of the bounty and favor of Allah Almighty, confident of His manipulation, giving no care to the apparent means.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saved for his dependents as much as is sufficient to sustain them for a whole year. At the same time, he forbade Umm Ayman and others to save anything even for the morrow. He also forbade Bilal "Allah be pleased with him" to save even a fragment of bread to break fast on it, and said to him: "Spend, O Bilal, and fear not that (Allah) the Lord of the Throne (of Majesty) would withhold from you." He "peace be upon him" said: "If you are asked to give anything, do not withhold it, and if you give, do not save anything." (At-Tabarani and Al-Hakim on the authority of Abu Sa'id). He "peace be upon him" shortened his hope to the extent that whenever he urinated, he would practice Tayammum, even though water was close to him. In justification, he said: "What does make me know? Perhaps I may (die and) not be able to reach it." (Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Ibn Abbas).

Were the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" to save, this would have decreased nothing from his reliance, for he was not to be confident of his saving. But he left saving in order to instruct the strong among his nation, who were weak in comparison with him. He "peace be upon him" saved as much as is sufficient to sustain his dependents for a whole year, not because of his weakness or the weakness of his dependents. He "peace be upon him" said: "Indeed, Allah loves that His concessions should be acted upon in the same way as He loves for his determinations." (Ahmad and At-Tabarani on the authority of Ibn Umar). This means that he did so to please the hearts of the weak among his nation, lest their weakness would lead them to despair and hopelessness, and cause them to leave the good that is available to them because of their failure to attain the highest degree. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was not sent but as a mercy for all the worlds, with their different kinds and degrees.

Having understood this, you come to know that saving might cause harm to some people, and no harm to others. In this respect, it is narrated on the authority of Abu Umamah Al-Bahili "Allah be pleased with him" that one of the companions of Suffah, i.e. the poor persons among the Emigrants, died, and they found no shroud to shroud his dead body in it, thereupon he "peace be upon him" said: "Inspect his garment." They did and found two Dinars. On that He "peace be upon him" said: "Those are two (causes of) cauterization (he would receive in the fire of Hell)." (Ahmad on the authority of Shahr Ibn Hawshab from Abu Umamah). Many other Muslims died and left a lot of money, but even, he did not say the same about them.

His saying is open to two interpretations: one is that he intended the real

cauterization of the fire of Hell, as shown in the statement of Allah Almighty: " On the Day when heat will be produced out of that (wealth) in the fire of Hell, and with it will be branded their foreheads, their flanks, and their backs, "This is the (treasure) which you buried for yourselves: taste you, then, the (treasures) you buried!" (At-Tawbah 35)

﴿ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾

This state applies to one who intends to show to the people his asceticism and poverty, although he is lacking it, as a kind of dissembling. The second interpretation is that he saved those not by way of dissembling, but saving them decreased his degree of perfection, in the same way as the traces of two cauterizations reduce the beauty of face. However, everything one saves decreases his degree in the hereafter accordingly. None is given anything in this world but that it would decrease his degree in the hereafter.

That saving with the heart being disengaged from what is saved does not necessarily invalidate reliance is confirmed by the following narration from Bishr on the authority of Al-Hussain Al-Maghazili, one of his companions: I was in the house of Bishr one day at forenoon when an old man of lean cheeks came to visit him and Bishr stood in respect for him, and it was his habit not to stand for anyone. He gave me a handful of Dirhams and said to me: "Buy for us of the most delicious kinds of food as much as you could." He never said to me the like of that before. I brought the food and served it, and he shared food with him, given that I have never seen him sharing food with anyone else. We ate until we satisfied our need and a great quantity of food remained. The man took it and carried it within his garment and went away. I wondered at that and disliked it from him. Bishr said to me: "Perhaps you have disapproved his behavior." I said: "Yes. He took the remaining food without permission." He said: "This is our brother Fath Al-Mawsili. He came from Mawsil to visit us. He intended to instruct us that if reliance is valid, there is no harm in saving."

THE THIRD PURPOSE: TO AVERT HARM EXPOSITION OF SEEKING MEANS THAT AVERT HARM WHICH LEADS TO FEAR

It should be known to you that harm might expose one to fear on himself or on his property; and it is not requisite for reliance to leave the means of averting it. An example of the harm that leads to fear on oneself is to sleep in a land densely inhabited with wild animals, or under an inclining wall, about to collapse, etc: This is forbidden, and the one who does so exposes himself to destruction without benefit. But the means here are divided into those which are certain, those which are probable, and those which are thought to be. To leave the third category, i.e. those thought to be is requisite for reliance. They are like the charm and cauterization in relation to averting harm. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" described the reliant as those who do not practice charm nor get themselves cauterized. But he did not described them as those who, whenever came out to a cold place, would not put on a cloak to protect themselves from the expected cold.

But it is possible to leave the means that are certain to avert harm. If one receives harm from another, and he has the power to avert his harm and exact retribution, or to endure and keep patient, then, it is requisite for reliance to choose to endure and keep patient. In confirmation of that, Allah said: "(He is) Lord of the East and the West: there is no god but He: take Him therefore for (your) Disposer of Affairs. And have patience with what they say, and leave them with noble (dignity)." (Al-Muzzammil 9-10)

﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝ ﴾

He further said: " We shall certainly bear with patience all the hurt you may cause us. For those who put their trust should put their trust on Allah." (Ibrahim 12)

﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۝ ﴾

And: "and heed not their annoyances, but put your trust in Allah. For enough is Allah as a Disposer of affairs." (Al-Ahzab 48)

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝ ﴾

And: "Therefore patiently persevere, as did (all) Messengers of inflexible purpose." (Al-Ahqaf 35)

﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ۝ ﴾

And: "an excellent reward for those who do (good)! Those who persevere in patience, and put their trust in their Lord and Cherisher." (Al-Ankabut 58-59)

﴿ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۝ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ﴾

That is specific to the harm of the people. But to keep patient on the harm of wild animals, scorpions and female-snakes, not to avert them is not requisite for reliance, since it has no benefit at all. Similarly, the work is not intended for itself in so much as to help one do the religious affairs.

The same is true of the harm that leads to fear on one's property. By no means would reliance be defective by closing the door of the house when one comes out of the house, or by fastening the camel, and the like of that, for those means have been learnt to be among the established ways of Allah Almighty. For this reason, when the Bedouin indulged in fastening the camel under the pretext that he had relied on Allah Almighty, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "Tie it and then put your trust in Allah."

In a similar context, Allah Almighty said: " take your precautions." (An-Nisa 71)

﴿ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ﴾

In description of the fear prayer, He Almighty said: " taking their arms with them." (An-Nisa 102)

﴿ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ حِذْرَهُمْ ﴾

He Almighty further said: "Against them make ready your strength to the

utmost of your power, including steeds of war, to strike terror into (the hearts of) the enemies, of Allah and your enemies." (Al-Anfal 60)

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾

He Almighty said to Moses "peace be upon him": "March forth with My servants by night: for you are sure to be pursued." (Ad-Dukhan 23)

﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

To be sure, by night one gets fortified from the eyes of the enemies. When the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" hid in the cave (of Thawr) from the eyes of the enemy, it was to avert harm.

You may argue: "It is related from many people that the lion placed its hand on the shoulder of some of them, and they kept motionless." In reply to that, let me say that some people used to ride the lion, and subjugate it under their control. So, let not this station deceive you. Although it might be true in itself, it is not fitting for the people to imitate and follow. That is a high station of miracles, and it is not requisite for reliance, and it has some mysteries which none knows but a very few.

You may further ask: "Is there any sign therewith to know that I have reached that station?" in reply, let me say that the one who reaches does not need any sign. But anyway, among the signs is that something like a dog inside yourself is subjugated to you, called the anger, which continues to bite you as well as others than you. If such is subjugated to you in such a way that if it is irritated and provoked, it would not move but with your hint, you might then raise up to a degree in which a lion, which is the king of wild animals, is subjugated under your control. The dog of your house is more entitled to be subjugated to you than the dog of the desert, and the internal dog within you more entitled than that of your house, and so on. If the internal dog is not subjugated to you, covet not of getting the external dog subjugated to you.

You may argue: "Then, if the reliant takes his arms for fear of the enemy, closes his door for fear of the thief, and ties his camel for fear of losing it, by which consideration should he be regarded a reliant?" in reply to that, let me say that in this case, he is reliant by knowledge and state. As for knowledge, it is that the thief, for example, would not rush by himself towards opening the door unless he is doomed by Allah to do so. How many a door is close but in vain, and how many a camel is tied, but it dies or runs away, and how many a person takes his arms and is killed or overpowered. So, rely not on those means in so much as on the causer of those causes and means, as we have previously set forth the example for the legal representative in the dispute. If the mandatory even attends and brings the record with him, he does not rely on himself and his record in so much as on the sufficiency and power of his legal representative.

As for the state, it is to be satisfied with the fate of Allah Almighty in his house and in himself, saying: "O Allah! If You invest with authority such as takes what is in the house in Your Cause and I am well pleased with Your decree. I do not know what You have given me in order to take it back, or

deposited with and lent me in order to take it back once again; and I do not know whether what You have given me was preordained to be the sustenance of another one than me. Anyway, however You decree, I am satisfied with it. I have not closed the door for I dislike or fear of Your decree. But I did so according to Your established way of organizing means. I have no confidence but of You, O Causer of causes and means."

Such being his state and knowledge, he would not turn out of the limit of reliance by fastening the camel, taking up arms and closing the door. If he returns and finds his luggage in the house being stolen, let him consider his heart: if he finds himself happy and pleased with that, putting in mind that Allah Almighty has taken that from him only to increase his sustenance in the hereafter, then, his station of reliance is valid, and he has proved true to it, otherwise, he then is not true to his claim of reliance, for the station of reliance is beyond that of asceticism, and asceticism is valid only from him who does not feel regret for what he has missed in this world.

You may argue: "Then, how should the reliant have property in order to be taken?" in reply, let me say that the house of the reliant could hardly be empty from any kind of property, like a bowl to eat therein, a mug to drink therein, a pot to perform ablution therein, a container to keep his provision therein, a stick to avert evil from himself therewith, to the end of those necessities of living. Furthermore, he might have money in his hand in expectation of a needy or indigent to give it to him. His saving with that intention does not invalidate his reliance. It is not requisite for reliance to get rid of the mug in which he drinks, the container in which he preserves his provision, etc. this is true only of what is beyond the need and necessity, for the established way of Allah Almighty requires that good should reach the reliant poor, and this does not apply to mugs, food containers, and the like of them. To behave in opposition to the established way of Allah Almighty is not requisite for reliance. For this reason, Al-Khawas used to take in journey the rope, the pot, the file, the needle, but not provision.

You may argue: "Then, how should one imagine he could not feel sorry for losing the luggage of which he is in need? Had he not desired it, surely, he would not have kept it and closed the door of the house on it; and since he kept it for he was in need of it, then, how should he not be afflicted for losing it?" in reply, let me say that he kept it in order to seek its aid to do the obligations of his religion, thinking that it was better for him to have this luggage, and had it not been for his benefit, surely, Allah Almighty would not have given it to him. But it may be that his benefit lies in being put to trial of losing it, in order to toil more in achieving his purpose, and get much reward in that toiling and fatigue.

But when it was taken from him, his assumption changed, for in all states, he has full confidence of Allah Almighty. In justification, he says to himself: "Had it not been for the fact that Allah Almighty knows that my benefit lies in having this thing with me up till now, and that my benefit lies in losing it immediately, He would not have taken it from me." It is only by this

assumption that sadness is imagined to leave him. That is because he does not rejoice of the means as being means, but of being facilitated to him by the Causer of causes and means, out of His bounty and care. In this he is like a patient in front of a merciful physician who accepts all what he does with him: if he gives food to him, he would rejoice saying: "Had it not been for the fact that he knows that food benefits me, he would not have given it to me." If he, after that, takes food away from him, he also would rejoice saying: "Had it not been for the fact that he knows that food harms me, he would not have taken it away from me."

Whoever does not think about the favor and bounty of Allah in the same way as a patient thinks about his merciful physician, who is well-experienced in the science of medicine, no reliance is valid from him. Whoever knows Allah Almighty, and gets acquainted with His deeds and acts, and His established way of mending His servants, he would not rejoice of means at all for he does not know which of means is good for him, as Umar "Allah be pleased with him" said: "I do not care whether I have become rich or poor, for I do not know which of both is better for me."

As such, the reliant should not care whether or not his luggage has been stolen from him, for he does not know which of both is better for him in the world and the hereafter. How many a luggage in this world which is a cause of man's destruction in the hereafter! How many a rich who is tried by an incident because of his richness, for the sake of which he says: "Would that I am a poor!"

Exposition Of Etiquettes Of Reliant When Their Luggage Is Stolen

The reliant should have many etiquettes as for the luggage of his house once he leaves it: The first is to close the door, without exceeding the due limits of keeping it, such as putting more than a lock on the door. Indeed, Malik Ibn Dinar used not to put a lock on the door: but he rather used to straighten it with a rope saying: "Had it not been for dogs, I would not have even straightened it."

The second is not to leave in the house such luggage as instigates the thieves to come to steal it. Thus, leaving such an expensive luggage could lead thieves to commit disobedience, as well as exceeding the due limits of preserving it could provoke in them the motive for committing theft. For this reason, when Al-Mughirah presented a pot (of water) to Malik Ibn Dinar, he said to him: "Take it back, for I have no need of it." He asked him: "Why?" he said: "My enemy (Satan) whispers to me that a thief might steal it." He seemed to have avoided causing the thief to commit disobedience on the one hand, and engagement with the Satan's whisper that it might be stolen on the other hand. In description of that, Abu Sulaiman said: "That portends the weakness of the hearts of Sufis. He abstained in this world: Then, what harm should he receive from leaving it?"

The third: as for what he is forced to leave in the house, he should, when coming out and leaving it, be pleased with the decree of Allah Almighty concerning it, saying to himself: "Whatever a thief takes, he is free of

obligation from it, or it is in the Cause of Allah; and if he is a poor, then, that is an object of charity to him; and even if he is not poor, at least he is more eligible to get it." In this way, he should have two intentions applicable to the poor and the rich: The first is that his property is to hold back disobedience, for one might become free of need because of it, and dispense with theft, and as he has made him free of obligation after taking it, then, his sin of devouring the unlawful would be removed from him. Het other is not to wrong another Muslim by stealing his property, making his property a ransom for his property.

When he intends to maintain the property of somebody other than him by making his own property a ransom for it, or to avert or at least alleviate the sin from the thief, he proves sincere to Muslims, and complies with the statement of the Prophet "Peace be upon him": "Help your brother, no matter wrongful or wronged he might be." (Al-Bukhari and Muslim on the authority of Anas). To help the wrongful is to prevent him from committing injustice; and to forgive him is to cancel out and hold back injustice. He should put in mind that such intention never harms him even in the least, for it neither gives the thief an authority over anyone, nor does it change the Divine decree. But by asceticism, this intention is achieved. If his property is taken, he would have, by each Dirham, seven hundred and more good deeds, depending on that intention; and even if it is not taken, he would receive a reward too. In confirmation of that, it is narrated from the Prophet "Peace be upon him" that he told about him who left coitus interruptus that he would receive the reward of a babe to be potentially born for him from that sexual relation and live until he fights in the Cause of Allah, even if he is not actually born at all. That is because one's portion from begetting children is only the sexual intercourse, but the matter of creation, life, sustenance and survival, is not up to him. If he is created, he would get a reward for his act; and the same is true of theft.

The fourth is that if he finds his property being stolen, he should not grieve, but rather rejoice if he could, and say to himself: "Had there been no good for that, surely, it would not have been taken from me by Allah Almighty." Furthermore, if he does not have the intention to make it in the Cause of Allah, at least he should not be excessive in pursuing it and having bad assumptions of Muslims. But if he has the intention to make it in the Cause of Allah, he should not pursue it, for he has sent it forward as ammunition for him to the hereafter. If it is returned back to him, he should not accept it particularly when he has made it in the Cause of Allah. But should he accept it, it is his own, for ownership does not lapse only by that intention, even this is unfavorable in the sight of the reliant.

It is narrated from Ibn Umar "Allah be pleased with him" that his she-camel was stolen, and he went in pursuit of it until he was troubled. Then he said: "Let it in the Cause of Allah Almighty." Then, he entered the mosque and offered a two-rak'ah prayer. Then a man came to him and said: "O Abu Abd-Ar-Rahman! Your she-camel is in such and such a place." He put on his sandals and stood up to go with him, but later he said: "I pray for forgiveness

of Allah." He sat down. It was said to him: "Would you not go to bring it?" he said: "But I have made it in the Cause of Allah."

One of the sheikhs said: "I saw in a dream one of my brothers and asked him: "What has Allah Almighty done with you?" He said: "He has forgiven for me and admitted me to Paradise, and showed to me my abodes in it, and I saw them with my own eyes." But at the same time, he seemed sad and gloomy. I asked him: "How has He forgiven for you and admitted you to Paradise and at the same time you seem sad and gloomy?" he took breath and said: "Yes. I would remain sad to the Day of Judgement." I asked him about the reason and he said: "When I saw my abodes in Paradise, some stations in the highest part of Paradise were shown to me the like of which I have never seen, of which I rejoiced. But when I intended to enter them, a caller from above called: "Turn him away from them, for they are not his, but they are for him who decided the way." I asked: "Then, what is to decide the way?" it was said: "You used to say about a thing that it is in the Cause of Allah, and later retract from that. Had you decided your way, we would have decided those for you."

It is related from one of the worshippers that he was sleeping in Mecca besides a man who had a treasure with him, when the latter got up and made sense that he had lost his treasure, and accused the worshipper of stealing it. He asked him: "How much was it?" he told him and he went to the house and weighed for him the like of it from his own property and gave it to him. Later on his companions told him that it was they who had taken the treasure out of joking. He went in their company to the worshipper and apologized to him, and returned to him the gold, but he rejected and said: "Take it as good and lawful. I am not to take back a thing I have given out in the Cause of Allah." He did not accept it. But in the face of their insistence, he invited his son and went on dividing it in parcels and distributing them among the poor, until nothing thereof remained.

Those were the etiquettes of the righteous predecessors. Whoever took a loaf to give it to a poor, by way of charity, and he did not find him, he disliked to take it back after giving it out of his property, and rather favored to give it to another poor; and he did the same with Dirhams, Dinars, and all items of charity.

The fifth, which is the least in degree, is not to invoke evil upon the thief. If the reliant does, his reliance would become invalid, for his doing so indicates his aversion and grief for what he has lost, and his asceticism would become unsound too. Moreover, if he is excessive in his invocation of evil upon him, his reward for losing his things would vanish too. According to a particular narration: "Whoever invokes evil upon his wrongdoer has indeed taken back his right."

It is related that a horse belonging to Ar-Rabie Ibn Khuthaim, as much as twenty thousand Dirhams, was stolen while he was standing in prayer. But he neither interrupted his prayer, nor was he moved to pursue it. Some people came to console him and he said to them: "Indeed, I have seen the thief

untying it." They said to him: "Then, what has prevented you from deterring him?" he said: "I was occupied by something dearer to me than that." He meant prayer. They went on invoking evil upon him, thereupon he said to them: "Do not invoke evil upon him, but rather speak good, for I have made it an object of charity for him."

In a similar context, it was said to somebody about something that had been stolen from him: "Do you not invoke evil upon your wrongdoer?" he said: "I do not like to be helpful of Satan against him." It was said to him: "Then, what do you see if he returned it to you?" He said: "I neither take nor look at it for I have made it lawful for him."

It was said to another one: "Invoke evil upon your wrongdoer." He said: "None has wronged me." He further said: "He indeed has wronged himself and not me. Is it not sufficient for this poor that he has wronged himself in order for me to add evil to his evil?"

A person insulted Al-Hajjaj so much for his wrongness and injustice in the presence of a righteous predecessor, thereupon he said: "Do not insult him so much, for Allah Almighty takes back the right of Al-Hajjaj from him who violates his honor, in the same way as He takes back the right from Al-Hajjaj when he devours the property or takes the life of anyone else."

It is narrated in a particular Hadith: "A servant might be wronged thereupon he continues to insult and abuse his wrongdoer until it becomes as much as is equal to and even more than the injustice committed against him, with the result that the wrongdoer turns to have right to demand from him with what he insulted him more than his injustice, thereupon retribution would be exacted from him (on the Day of Judgement)."

The sixth is to grieve for the sake of the thief and his disobedience and the sin he has committed which exposes himself to the punishment of Allah Almighty, and give thanks to Allah Almighty for He made him wronged and not wrongful, and made it shortage in his world and not in his religion. In this context, one made a complaint to a religious scholar that a robber cut the way on him and stole his property, thereupon he said to him: "If you do not grieve for the fact that among the Muslims there is such as makes lawful that property for himself more than you grieve for the loss of your own property, then, you are not sincere (in advice and counsel) to Muslims." On another occasion, some Dinars were stolen from Ali Ibn Al-Fudail while he was performing Tawaf round the House, and his father saw him later weeping in sigh. he asked him: "Do you weep for the loss of those Dinars?" he said: "No, by Allah, but I grieve for that poor man lest he would be questioned on the Day of Judgement, without argument to have to defend himself."

Those were the etiquettes of the righteous predecessors, may Allah have mercy upon them all.

THE FOURTH PURPOSE: TO PREVENT HARM

EXPOSITION OF SEEKING TO PREVENT HARM LIKE TREATING AILMENT AND THE LIKE OF IT

It should be known to you that the means by which an ailment is removed

are divided into what is fully certain, like water that removes the harm of thirst, and bread that removes the harm of hunger; And almost certain, like cupping and bloodletting and medicine; and what is thought to be like cauterization and charming.

As for the fully certain means, it is not out of reliance to leave it, and even it is unlawful to leave it, if there is fear of death. As for the illusive, it is requisite for reliance to leave it, for the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" described the reliant as those who leave such illusive means. The strongest of them is cauterization followed by charming, and the weakest is the evil or bad omen.

As for the middle degree pertaining to the almost certain means, such as medication with the apparent causes offered by physicians, doing them does not contradict reliance, unlike the illusive ones, whereas leaving them is not forbidden unlike the fully certain means. Sometimes, avoiding might be better than doing them, whereas in other times and in relation to particular persons, doing might be better than avoiding them. It is in the middle way between both extremes.

That medication does not contradict reliance is attested by the deeds, acts and words of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". As for his words, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There is no disease but that it has a medicine, that is known by such as knows it, and unknown by such as is ignorant of it, except for death." (Ahmad and At-Tabarani on the authority of Ibn Mas'ud; Al-Bukhari abridged on the authority of Abu Hurairah; and Muslim abridged on the authority of Jabir).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Treat yourselves with medicine, O servants of Allah, for Allah has created ailment and medicine (for it)." (Ibn Majah and At-Tirmidhi on the authority of Usamah Ibn Sharik).

Once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked about medicine and charming whether they aught repel the Divine decree of Allah, thereupon he said: "Those are doomed by Allah Almighty." (At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Abu Khizamah from his father).

It is further narrated in a particular Hadith that he "peace be upon him" said: "I have never passed by a company of angels but that they said to me: "Tell your Ummah to use cupping." (At-Tirmidhi on the authority of Ibn Mas'ud; and Ibn Majah on the authority of Anas).

It is narrated in another Hadith that he "peace be upon him" commanded people to treat themselves with cupping saying: "Get yourselves cupped particularly on the seventeenth, nineteenth, or twenty first night, lest blood would erupt in your bodies and cause you to die." (Al-Bazzar on the authority of Ibn Abbas, with whom it is stopped).

Here he "peace be upon him" mentioned that the eruption of the blood causes death by permission of Allah Almighty, and that taking out blood (by

cupping) is salvation form it. There is no difference between taking out the destructive blood from underneath the skin, and taking out the scorpion from underneath the garment or the serpent from the house. It is not requisite for reliance to leave that. It is like the pouring of water on the fire to extinguish it and avert its harm once it flames in the house.

It is narrated in a particular Hadith of broken chain of transmission: "Whoever gets cupped on Tuesday that coincides with the seventeenth day of the month, it would be a medicine for him for the ailments along a year to come." (At-Tabarani on the authority of Ma'qil Ibn Yasar; and Ibn Hayyan on the authority of Anas).

As for his command "peace be upon him" he commanded more than one of his companions to get cupped, and he "peace be upon him" cut off a vein of Sa'd Ibn Mu'adh "Allah be pleased with him" by bloodletting. (This is narrated by Muslim on the authority of Jabir). He also cauterized (the injury of) As'ad Ibn Zurarah "Allah be pleased with him". (At-Tabarani on the authority of Sahl Ibn Hunaif). He "peace be upon him" said to Ali "Allah be pleased with him" who had an eye trouble: "Do not eat of that kind of food (i.e. fresh dates), and rather eat of that kind (i.e. vegetables cooked with powdered parley) since it is more fitting for you." (Abu Dawud, Ibn Majah and At-Tirmidhi on the authority of Umm Al-Mundhir). Once, he "peace be upon him" said to Suhaib "Allah be pleased with him" and he saw him eating dates while he had an eye trouble: "Do you eat dates while you have an eye trouble?" he said: "I eat in the other side (of the mouth)." On that he "peace be upon him" smiled.

As for his act "peace be upon him" it is narrated in a Hadith on the authority of one of the members of the Prophet's household that he "peace be upon him" used to apply kohl every night, get cupped once every month, and drink medicine every year; and more than once he got medicine from the scorpion and others like it.

It is narrated that whenever revelation was sent down on him "peace be upon him" he would have a headache, and to get rid of it, he would cover his head with henna. According to another narration, whenever he had a sore, he would treat it with henna, and sometimes with dust. The narrations about his medical treatment and command that the people should do so are beyond calculation. A book has been composed about that called the Prophetic Medicine.

It is narrated in an Israeli tale that Moses "peace be upon him" fell ill and the children of Israel came to visit him and recognized his ailment and asked him to get medicine for it, but he rejected and said: "I shall never get medicine until He cures me without medicine." But his ailment got aggravated and lasted for a long time. They said to him: "The medicine of that ailment is famous and experimented, and we always treat ourselves with it." But he insisted on his rejection. Allah Almighty revealed to him: "By My Honor and Glory, I would never cure you until you treat yourself with what they mentioned to you." He said to them: "Then, treat me with the medicine you have mentioned to me." They did and he recovered. But he had doubt about

that, thereupon Allah revealed to him: "You like to invalidate My wisdom with your reliance on Me: Who made medicine for the benefit of people other than Me?"

According to another tradition, one of the Prophets "peace be upon them" suffered from an ailment, thereupon Allah Almighty revealed to him to eat eggs. Another Prophet complained of weakness, thereupon Allah Almighty revealed to him to eat meat and milk, for it has the water of power. It is said that the weakness intended is the sexual impotence.

It is further narrated that a people made a complaint to their Prophet about the ugliness of their children, thereupon Allah Almighty revealed to him to tell them to feed their pregnant women with quince, for it beautifies the babe in the womb, and it is better to be eaten in the third and fourth months of pregnancy, during which Allah Almighty gives form to the fetus. They used to serve the pregnant woman with quince, and the confined because of post-partum bleeding with fresh dates.

Thus, it seems clear that the causer of causes has made His established way to associate causes with effects out of wisdom. No doubt, medicines are causes subjugated by the ruling of Allah Almighty, like the other causes. As well as the bread is the treatment of hunger, and the water the treatment of thirst, all medicines are made to treat the different ailments and diseases with only two differences: one is that to treat hunger and thirst with food and water is evidently clear, and well-known by all the people, while to treat any disease with its related medicine is known only by some private people. The other is that in order for the medicine to be effective, there should be many conditions and circumstances the absence of all or some of which might cause the medicine to fail in treatment, whereas to treat hunger or thirst does not require but food and water, not counting such conditions and circumstances. All of this goes back to the manipulation of the Causer of causes, out of His perfect power and wisdom. So, there is no harm on the reliant to use them while keeping his eye on the Causer of causes apart from the physician and medicine.

It is narrated from Moses "peace be upon him" that he said: "O Lord! From Whom do ailment and medicine come?" He said: "From Me." He asked: "Then, what is the benefit of physicians?" He said: "They only earn their sustenance and please My servants, until My cure or death comes." Thus, reliance with medical treatment is to rely with knowledge and state as has previously been shown in the different works that avert harm and bring about benefit. But to leave medicine at all is not requisite for reliance.

You may argue: "Cauterization also is among the means whose benefit is apparent." In reply, let me answer in the negative. It is one of the illusive means, like charming, with the difference that it is to burn the affected place at once, given that it is dispensable. There is no ailment to be treated with cauterization but that it has a medicine instead of it. To burn with fire is destructive, although it is and dispensable at the same time, unlike cupping and bloodletting, which are not replaceable. That is why the Messenger of

Allah "Allah's blessing and peace be upon him" forbade cauterization and not charming (Al-Bukhari on the authority of Ibn Abbas).

In this respect, it is narrated that Imran Ibn Al-Hussain "Allah be pleased with him" fell ill and they suggested to him to get cauterized, but he rejected. In the face of their persistence, he accepted and got cauterized. After that he used to say: "I used to see light and heard voice, and angels used to greet me, and when I got cauterized, all of this disappeared from me." He further said: "We got cauterized, and by Allah, there was no success nor prosperity." Then, he repented from that, and turned to Allah Almighty, thereupon Allah restored to him what he used to find concerning the angels. In his comment on that he said to Mutarrif Ibn Abdullah: "Do you not see the angels therewith Allah Almighty honored me, and how He restored them to me?" earlier, he told him that he had lost them (after he got cauterized).

Exposition of the fact that leaving medicine might be praiseworthy in some cases, and that it indicates to the power of reliance, and that it does not contradict the act of the messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"

It should be known to you that the number of the righteous predecessors who got medical treatment from ailments are beyond calculation. But at the same time, some among the elite left it. Being so, it might be thought to be shortage of reliance. But had leaving it been out of perfection of reliance, surely, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" would have left it, for none else could be expected to be more reliant on Allah than him "peace be upon him".

It is narrated from Abu Bakr "Allah be pleased with him" that when he fell ill it was said to him: "Would that we invite a physician to see you." He said: "The (Real) physician caught a glimpse of me and said: "I do what I like to do."" In another context, it was said to Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" during his fatal illness: "What do you complain?" He said: "My sins." It was further said to him: "Then, what do you desire?" He said: "The forgiveness of my Lord." They asked him: "Should we not invite a physician to see you?" he said: "No doubt, the physician has made me ill." It was said to Abu Dharr "Allah be pleased with him" when he got eye trouble: "Would that you treat them!" he said: "Indeed, I am engaged from them." It was said to him: "Then, would that you ask Allah Almighty to cure them." He said: "I ask Him only for what is more significant in my sight than them."

It is further narrated that Ar-Rabie Ibn Khuthaim was paralyzed, thereupon it was said to him: "Would that you get medicine!" he said: "I intended to do so, but I soon remembered Aad and Thamud people, and the others like them: although they had so many physicians among them, both the physician and the ill were destroyed, and the medicine availed them naught."

Ahmad Ibn Hanbal used to say: "It is better for such as follows the way of reliance on Allah Almighty to leave medicine, and if he has ailments, he should not tell the physician about them whenever he asks him."

It was said to Sahl: "When would the servant's reliance become valid?" he said: "When harm befalls him in his body, shortage afflicts him in his property, and he gives no care for that, and rather cares for being maintained and sustained by Allah Almighty."

Some of them then discarded medicine at all, and others disliked it. How to accommodate the act of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" with theirs could be evident only with enumerating the impediments of medicine. Let us say that there are many reasons for leaving medicine, and they go as follows:

The first reason is that the patient is among these to whom some of the unseen is revealed to whom it is revealed that it is time for his death, and this means that the medicine avails him naught. That is known to him once by a true vision, once by anticipation, once by certain revelation, etc. Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" seemed to have left medicine for that reason, for he was among these to whom some unseen matters were revealed. It is narrated that he said to A'ishah "Allah be pleased with her" concerning the inheritance: "You have two sisters." At that time, she had only one sister, but his wife was pregnant, and gave birth to a female child. Thus, it was learnt that it was revealed to him that his wife was pregnant and that she would give birth to a female child. So it is not unlikely that the extermination of his time was revealed to him, otherwise, he was not to reject medicine, given that he saw the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" having got medicine, and ordered the Muslims to do so.

The second reason is that the patient is occupied by his own state and destination in the hereafter, which causes him to forget the pain of disease. The result is that his heart is engaged from thinking about medicine. To this fact the speech of Abu Dharr "Allah be pleased with him" refers when he said: "I am occupied from them" and the statement of Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him": "I complain of my sins." The pain of his heart for fear of his sins was more grievous than the pain of his body because of his physical ailment.

As such Sahl was occupied: it was said to him: "What is sustenance?" He said: "To remember Allah, the Ever-Living, the Self-subsisting, Eternal." It was said to him: "We asked you about what sustains life." He said: "What sustains life is knowledge." It was said: "We asked you about food." He said: "Food is the remembrance (of Allah)." It was said: "We asked you about the nourishment of the body." He said: "What do you have to do with the body? Let Him Who took care of it in the first take care of it in the last. Whenever an ailment befalls it, return it to its maker. Do you not see that if there is a defect in anything, you return it to its maker to repair it?"

The third reason is that the ailment is chronic and the medicine prescribed for it is of no benefit, like cauterization and charming, and that is why the reliant leaves it. To this fact the statement of Ar-Rabie Ibn Khuthaim refers: "I intended to do so, but I soon remembered Aad and Thamud people, and the others like them: although they had so many physicians among them, both

the physician and the ill were destroyed, and the medicine availed them naught." This might be so in reality, or only in the sight of the patient in view of his little practice and experience of medicine. This is why it is close to his certainty that it is of no profit to take it. No doubt, the experienced physician has belief in the benefit of medicine more than anyone else. That is because confidence and assumption are based on belief, and belief depends on experience and practice.

That is the argument of almost all the worshippers and ascetics who left medicine, for medicine in their sight remains groundless and illusive. That is true of some medicines in the sight of those who are well acquainted with the science of therapy, and not true of others. But the non-physician might see all kinds of medicine with one eye, thinking that all are in the same position of cauterization and charming, which causes him to leave medical treatment.

The fourth reason is that the servant intends, by leaving medical treatment, to have the disease continue to exist in order to get reward for his patience on the trial of Allah Almighty, or to put himself to experiment of his power to keep patient. There are many narrations concerning the reward for ailment and disease.

In this respect, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "We, the company of Prophets, are the most tolerable of trials among the people, followed by those who are next (to us in degree), and those who are next (to them). The servant is put to trial in proportion to the strength of his faith. The more his faith is strong, the more his trial is severe, and the weaker his faith is, the less his trial is." (Ahmad, Abu Ya'li and Al-Hakim on the authority of Sa'd Ibn Abu Waqqas).

According to another narration: "Indeed, Allah Almighty tries His servant with ordeals in the same way as anyone of you tries his gold with fire: some come out as pure gold with no blemish, others less than that and others as black and burnt." (At-Tabarani on the authority of Abu Umamah).

It is narrated on the authority of one from the household of the Prophet "peace be upon him": "Verily, if Allah Almighty loves a servant, He would try him; and if he keeps patient, He would select him; and if he is contented, He would choose him." (Sahib Al-Firdaws on the authority of Ali).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Do you like to be like the straying red camels, neither fall ill nor become weak?" (Ibn Abu Asim, Abu Na'im and Ibn Abd-Al-Barr on the authority of Abu Fatimah).

Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" said: "You find that the believer has the healthiest heart and the most diseased body, unlike the hypocrite who has the healthiest body and the most diseased heart."

When ailment and trial were praised in such a great way, some people liked ailment and seized the opportunity of being ill to get the reward for patience on it. Some of them had an ailment which he hid and did not mention to the physician who came to treat him. He favored to tolerate the suffering of the ailment and accept the judgement of Allah Almighty, knowing that the truth

that prevails over his heart is greater than the ailment which possesses his organs could occupy him from it. They also learnt that their prayer while sitting and keeping patient on the fate of Allah Almighty is better than their prayer while standing with health and power.

In confirmation of that, it is narrated that Allah Almighty says to His angels: "Write for My servant the best of what he used to do (when he was healthy), for he is in My fetters, and if I release him, I would substitute him with flesh better than his, and blood better than his; and if I send him to death, I would send him to My mercy." (At-Tabarani on the authority of Abdullah Ibn Umar).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The best deed (in reward) is that which people force themselves to do." In interpretation of it, it said that it refers to the diseases and disasters that afflict people, to which the following statement of Allah refers: "But it is possible that you dislike a thing which is good for you, and that you love a thing which is bad for you." (Al-Baqarah 216)

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡ ﴿٢١٦﴾ ﴾

Sahl used to say: "To leave medicine even if it leads to weakness of acts of worship and shortage of obligatory duties is better than to get medicine for the sake of acts of worship." He was suffering from a chronic disease from which he never got medicine, although he medicated the people from it. Whenever he saw a servant offering prayer while sitting and could not do righteous deeds because of ailment from which he got medicine in order to be able to offer prayer while standing and do the righteous deeds, he would be astonished and say: "No doubt, his prayer while sitting, along with satisfaction and pleasure with his state is better for him than getting medicine to become too powerful to pray while standing." He, like these of Basrah, used to weaken the soul with hunger and break desires, for their knowledge that as little as an atom of deeds of hearts like good pleasure, patience and reliance is much better than as much as mountains of the deeds of organs, and by no means could sickness hinder from the deed of hearts, unless its pain is intolerable. Sahl said once again: "The ailment of body is a mercy from Allah Almighty, whereas ailment of hearts is a punishment from Him."

The fifth reason is that a servant has previously committed sins of which he feels afraid, and for which he is too powerless to make expiation. He then sees that if his ailment lasts long, it might be an expiation for those sins, thereupon he abstains from getting medicine for it, for fear the traces of ailment would go soon.

In confirmation of that, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Fever still befalls a servant (so long) until he comes to walk on earth as pure of sins and mistakes." (Abu Ya'li and Ibn Adi on the authority of Abu Hurairah; and At-Tabarani on the authority of Abu Ad-Darda').

According to another narration: "The fever of a single day is expiation for the sins to be committed along a whole year." (Al-Quda'i on the authority of

Ibn Mas'ud). In interpretation of it, it is said that it does so because it ruins the power of a whole year. It is also said that man has three hundred and sixty joints, and fever afflicts and pains all of them, and thus the pain of each is expiation for one day.

When the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" mentioned that the fever of one day is expiation for a sins to be committed in a whole year, Zaid Ibn Thabit "Allah be pleased with him" asked his Lord to remain fevered, thereupon fever did not leave him at all until he died. The same was asked by a group of Ansari people whom fever did not leave until their death. (Ahmad and Abu Ya'li on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri).

Furthermore, when the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, whom Allah Almighty takes away the sight of his eyes, He accepts for him no reward less than Paradise", a lot of Ansari people hoped to be blind.

Jesus "peace be upon him" said: "He is not a learned who does not rejoice of being stricken with ailments in his body and calamities in his property, for the expiation for sins expected from that."

It is narrated that Moses "peace be upon him" saw a servant suffering from great ordeals and trials, thereupon he said: "O Lord! Bestow mercy upon him!" on that Allah said to him: "How should I bestow mercy upon him in that with which I have mercy upon him, i.e. therewith I expiate his sins, and increase him in degrees?"

The sixth reason is that a servant feels the commencements of arrogance and haughtiness because of the long period of being healthy, thereupon whenever he is afflicted with a disease, he leaves medicine for fear that when he recovers, he would soon return to his arrogance and tyranny. However, health is the power of attributes therewith the desires and inclinations are stimulated, and summon one to sins and mistakes, the least of which is to call for enjoyment of what is permissible, which means to waste time and neglect the great profit of opposition of the soul and adherence to the acts of worship. If Allah Almighty intends good for a man, He always alerts him with diseases and calamities. For this reason, it is said: "No believer is free from a disease, a destitution or a slip."

It is narrated that Allah Almighty says: "Poverty is My prison, and disease is My bond therewith I detain whomever I like of My creatures." if it is a disease, it would detain from tyranny and committing sins; and which good is better than it? But even, the good health is to abstain from sins and mistakes. A Gnostic said to a man: "How have you been?" he said: "I have been in good health." He said: "If you have not disobeyed Allah Almighty, you then are in good health; and if you have disobeyed Him, then, which disease is more destructive than disobedience? Not healthy is he who disobeys Allah Almighty."

Ali "Allah be pleased with him" said when he saw the adornment made by those of Nabath in Iraq on the day of Id: "What is that which they did?" they said to him: "O Commander of Believers! That is a day of Id belonging to

them." On that he said: "Everyday on which we do not disobey Allah Almighty is an Id for us."

Allah Almighty said: "and disobeyed it after He brought you in sight (of the Booty) which you covet." (Al Imran 152)

﴿ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم ﴾

It is said that it refers to the health and wellbeing. He further said: "Nay, but man does transgress all bounds, In that he looks upon himself as self-sufficient." (Al-'Alaq 6-7)

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝ ﴾

I.e. if he is self-sufficient with health.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Remember more often (death which is) the destroyer of pleasures." (At-Tirmidhi, An-Nasa'i and Ibn Majah on the authority of Abu Hurairah).

Allah Almighty said: "See they not that they are tried every year once or twice? Yet they turn not in repentance, and they take no heed." (At-Tawbah 126)

﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝ ﴾

It is said that they are tried with ailments and diseases,

It is said that if a man falls ill twice and does not turn to Allah in repentance, the angel of death says to him: "O heedless man! A messenger after a messenger from me has come to you, and you gave no response."

For this reason, the righteous predecessors disliked that a year should elapse without their suffering from ailment in their body or shortage in their property. They said that a believer could hardly be free from being befallen by a terror or a disaster at least every forty days. In this respect, it is narrated that Ammar Ibn Yasir "Allah be pleased with him" married a woman who never fell ill, thereupon he divorced her. It is further narrated that a woman was offered to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and he intended to marry her because of her good qualities described to him, and when it was said to him: "And she has never fallen ill", he "peace be upon him" said: "Then, I have no need for her." (This is reported by Ahmad on the authority of Anas).

Once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" made a mention of ailments and pains like headache, etc, thereupon a man asked: "What is the headache? Indeed, I have never experienced it." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Keep away from me! Whoever likes to have a glance of one from among the denizens of the fire, let him look at so and so." (Abu Dawud). That is because it is narrated that "Fever is the portion of every believer from the fire (of Hell)." (Al-Bazzar and Ahmad on the authority of A'ishah; Ahmad on the authority of Abu Umamah; At-Tabarani on the authority of Anas; and Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Ibn Mas'ud).

It is narrated on the authority of Anas and A'ishah "Allah be pleased with them" that it was said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace

be upon him": "O Messenger of Allah! Would there be anyone else in the same position of martyrs?" he said: "Yes, whoever remembers death twenty times a day" or according to another version: "He who remembers his sins and grieves for them." No doubt, the patient remembers death more often than the ordinary man. Thus, when the benefits of ailment are numerous, a set of people saw it better not to seek to remove it. They saw abstention from medicine a means of superiority, whereas taking medicine a shortage. But how should it be regarded shortage given that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did it?

Refutation Of The Claim That Leaving Medicine Is Better In All States

It might be argued that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did it only in order to be enacted for others than him, otherwise, it is the state of the weak, and the degree of the powerful requires them to be reliant by leaving medicine at all. In reply to that, let me say that this means that it is requisite for a reliant to abstain from cupping and bloodletting when blood erupts and boils in the body, as well as to leave the scorpion and female-snake bite the body without even attacking or averting it from him. But this should apply to hunger, thirst and cold/heat, for which the reliant should not take food, drink or clothes to satisfy it. Therefore, none adopts that argument. There is no difference between those, for all of those causes are organized and manipulated by Allah Almighty, the Causer of causes.

What confirms the fact that this is not requisite for reliance is the narration from Umar and companions "Allah be pleased with them" concerning the story of the plague. When they aimed at Sham and arrived at Jabiyah, the news of the plague reached them. The people were divided into two divisions: Some said: "We never enter upon the plague and contribute in the destruction of ourselves." Others said: "No, let's enter and rely on Allah Almighty, and do not flee away from the fate of Allah Almighty, nor escape from death, thereby we become like those in connection with whom Allah Almighty said: "Did you not turn your vision to those who abandoned their homes, though they were thousands (in number), for fear of death?" (Al-Baqarah 243)

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴿٢٤٣﴾ ﴾

They returned to Umar "Allah be pleased with him" and asked him about his opinion, thereupon he said: "Let's return and enter not upon the plague." Those who had a different opinion said: "Should we flee away from the fate of Allah Almighty?" Umar "Allah be pleased with him" said: "Yes, we should flee away from the fate of Allah to the fate of Allah." Then, he set forth an example for them: "Tell me: if anyone of you has cattle and sheep and descends a valley of two sides: one fertile and the other infertile. Tell me: if he pastures them in the fertile one, would he not do so by the fate of Allah Almighty? If he pastures them in the infertile one, would he not do so by the

fate of Allah Almighty?" they answered in the affirmative. Then, he asked for Abd-Ar-Rahman Ibn Awf "Allah be pleased with him" to seek his verdict, and he was absent at that time. In the morning Abd-Ar-Rahman "Allah be pleased with him" came to him and he asked him about his opinion, thereupon he said: "O Commander of Believers! I have something I heard from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"." Umar "Allah be pleased with him" said: "Allah is Greater." Abd-Ar-Rahman "Allah be pleased with him" resumed: "I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying: "If you hear about the plague in a land, do not enter it; and if it emerges in a land in which you are, do not come out in flight from it." Umar "Allah be pleased with him" rejoiced and praised Allah that this agreed with his opinion. Thus, he returned with the people from Jabiyah. (Al-Bukhari)

Then, if that is requisite for reliance, how did all the companions "Allah be pleased with them" leave reliance unanimously, given that it is one of the highest stations in religion?

You may argue: "Then, why was it forbidden to leave the land in which the plague emerges in flight from it, given that the medical cause of infection is the air, and the best way to get medicine is to leave the unclean air? Here, it is permissible to leave reliance." In reply to that, let me say, and Allah Almighty knows best, that the harm does not lie in the air's direct touching the body in so much as in inhaling it regularly for a long time. The putrefied air enters into the lungs and starts to damage them, and the apparent trace of the plague does not emerge unless the inside is damaged. So, leaving the land in which the plague emerges does not save the body from its traces, which would appear some time later. Salvation here is illusive, like cauterization and charming.

Nevertheless, if this is abstracted, it might seem to contradict reliance. But it is not forbidden in itself in so much as for the fact that if all the healthy are given permission to come out, there remains in the land none but the patient, who are afflicted with the plague: Who then should take care of them and look after their affairs? However, if the healthy remain in the land, their stay does not mean decisive death; and if they come out, their departure does not mean decisive salvation from death, given that their departure accelerates the death and destruction of the infected ones, in opposition to the principle that Muslims are like the building whose parts straighten each other; And the believers are like one body: If a member of it falls ill, all the remaining members call each other to share it.

That is the reason given to the forbiddance. It applies to him who has not entered the town in which the plague emerged, whom the air has not yet affected, nor are the inhabitants of the town in need of him. But even, if remains only the plagued in the town, who come to be in need of such as takes care of them, in this case, it might be favorable for those outside to enter upon them, simply for the sake of care and aid. It should not be forbidden for it is an exposure to a harm in the hope of averting a further

harm from the Muslims. For this reason, the flight from plague is likened to the flight from the battlefield in many narrations, for it breaks the hearts of Muslims and hastens on to destroy them. (Ahmad on the authority of A'ishah and Jabir).

Those are subtle matters, and whoever observes them not and rather takes heed of the apparent side of the narrations and traditions, what seems contradictory to him would be more than what he hears. The mistakes of worshippers and ascetics in this issue are numerous. But it is for the sake of this that the honor and excellence of knowledge are.

You may argue: "Since there is excellence in leaving medicine, then, why did the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" not leave medicine for the sake of its excellence on the one hand, and to get the reward for that on the other hand?" in reply to that, let me say that it really is excellent but for him who has so many sins and he needs expiation for them; or him who fears on himself the tyranny of health and prevalence of desires; or him who needs what always reminds him of death as he is possessed by heedlessness; or him who needs to get the reward of the patient for his shortage of attaining the stations of the contented and reliant; or him who falls short of perceiving the benefits and advantages placed by Allah in the medicine, so that it becomes illusive in his sight like charming and bad omen; or him whose engagement in his own state prevents him from getting medicine, since medicine occupies him from his state in view of his inability to combine both, to the end of that series.

Those are the causes that impede from getting medicine. Those might be a source of perfection for many, and of shortage for others in the degree of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", whose station is higher than all of those stations. His state required him to be on the same mode concerning the presence or absence of means. That is because in all of his states, he regarded only the Causer of causes and not the causes and means themselves; and whoever is in such a state is not harmed by the means and causes. The desire is shortage, and turning away from wealth is to have aversion for it; and even if it is perfection, it is shortage in the sight of him to whom it is the same to have or lose wealth. To regard both stone and gold with the same eye is more perfect than to flee away from gold. The state of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was like him to whom both gold and stone are equal. He did not keep gold just to instruct the people the station of asceticism, not for fear on himself of keeping it, for he is too high for the world to harm him, given that the entire world with its treasures was offered to him, and he did not accept it.

But at the same time, he did not leave medicine in order to follow the established way of Allah in this respect on the one hand, and to make it permissible for his Ummah to use it when they are in dire need of it on the other hand, given that it is harmless in the end, unlike wealth, which is extremely harmful. It is true that getting medicine does not cause harm except in terms of seeing medicine alone beneficial apart from its creator, and from

this point of view, it is forbidden; and in terms of intending health thereby to seek its aid in committing sins, and this is also forbidden. But fortunately, no believer intends that. None of the believers sees medicine beneficial in itself in so much as being made by Allah Almighty a means of advantage and benefit, just in the same way as he does not see food or drink to quench hunger and thirst in themselves in so much as being made a means to do so by their Creator.

Getting medicine is subject to the same ruling of earning. If one earns to seek its aid to do good or evil, it has its particular ruling; and if he earns to be blessed in what is permissible, it has its particular ruling; and so on.

From what we have mentioned, it has become clear that leaving medicine might be better in some cases, and getting medicine might be better in some cases; and this differs by the difference of persons, states and intentions; and neither doing nor leaving it is requisite for reliance, except for leaving such illusive things as cauterization, charming, omen, etc, which is unfitting for the reliant.

Exposition Of States Of Reliant In Disclosing And Concealing Illness

It should be known to you that concealing illness, and hiding poverty and all kinds of distress and trials are among the treasures of righteousness, and among the highest stations, for the contentment with the judgement and decree of Allah Almighty, and patience on His trials are included in the good treatment with Allah Almighty. To conceal that is safer from evils.

Nevertheless, to disclose that brings about no harm if the intention and purpose therein are true and good. There are three purposes of disclosure:

The first is to want to get medicine, thereupon one needs to make a mention of his ailment to the physician. In this case, he mentions it not by way of making a complaint but by way of describing the power of Allah Almighty on him that is shown in this ailment. Bishr used to describe his pains to Abd-Ar-Rahman the physician. Ahmad Ibn Hanbal used to tell about the ailments he experienced, saying: "I indeed describe the power of Allah on me."

The second is to describe to anyone other than the physician, provided that he is of those followed by others and well-versed in knowledge. By description, he likes that he would learn from him not only the good patience on disease, but also the good gratitude, by disclosing that the ailment is a favor that deserves gratitude, telling about it in the same way as he tells about a favor. According to Al-Hassan Al-Basri: "If the patient praises Allah Almighty and gives thanks to him and then makes a mention of his pains, it would not be a complaint."

The third is to disclose his powerlessness and neediness for Allah Almighty; and that is good from him who is brave and powerful (in relation to the people) and helplessness is unlikely to be expected from him. In this issue, it is narrated that when Ali "Allah be pleased with him" fell ill, he was asked about his state, thereupon he said: "Evil." The attendants looked at each other as if they felt it and thought it to be a complaint, thereupon he said: "I just announce my neediness for Allah Almighty." In this way, he liked to disclose

his powerlessness and neediness for Allah Almighty with the etiquettes with which he was disciplined by the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" when he heard him saying while being ill: "O Allah! Make me patient on the trial!" on that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "You have asked Allah for trial, then, ask Him for health."

With those intentions, it is permissible to make a mention of disease. But in the absence of that, it turns to be a complaint, and to make a complaint against Allah Almighty is unlawful as I have already mentioned in the prohibition of begging for the poor unless there is a dire necessity. The disclosure turns into a complaint by the presumption of displeasure and showing aversion for the deed of Allah Almighty. If it is void of displeasure, and the intentions we have already mentioned, it would not be unlawful, although it is preferable to leave it, for it might give the false impression of complaint, or ostentatious description of the illness. Anyway, whoever leaves medicine out of reliance, has no right to disclose his disease, for to take rest with medicine is better than to take rest with disclosure.

In interpretation of the statement of Allah Almighty: "So patience is most fitting (for me)" (Yusuf 83)

﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾

It is said that it is a patience in which there is no complaint. It was said to Jacob "peace be upon him": "What has taken away your sight?" He said: "The bitterness of time and long sadness." On that Allah Almighty revealed to him: "He has devoted himself to complain of Me to My servants." He said: "O Lord! I turn to You in repentance."

It is narrated on the authority of Tawus and Mujahid that they said: "Even the moaning of the patient in his illness is written against him." They disliked moaning during illness, for it gives the impression of complaint. It was said in this context: "Iblis, may Allah curse him, got nothing from Job "peace be upon him" except for his moaning during his illness." In this way, the moaning was Iblis's portion from him.

It is narrated: "If a servant falls ill, Allah Almighty reveals to both angels the following: "Consider what he says to his visitors." If he praises Allah and talks with good, they would invoke good upon him; and if he makes a complaint and talks with evil, they would say: "Let it be against you."

For this reason, some worshippers disliked to be visited when they fell ill for fear of complaint. Whenever anyone of them fell ill, he would close his door against the people, and none would come to visit him until he would recover and come out to them. Among those who used to do so, a mention may be made of Fudail, Wuhaib and Bishr.

Fudail used to say: "I desire to remain ill without visitors to come to inquire about my health." He further said: "I dislike ailment only for the sake of visitors." "Allah be pleased with them".

End of Book of Monotheism and Reliance, by aid and good help of Allah Almighty, followed, Allah willing by the Book of Love, Longing, Intimacy and Contentment.

Book six: Love, longing, intimacy and contentment

It is the sixth book of the quarter of saviors of the revival of religion sciences

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

All perfect praise to Allah Almighty Who diverted the hearts of His allies from devotion to the adornment and splendor of this world, and purified their sights form observing none but His presence. Then, He Almighty appeared with Glory to them, with His Names and Attributes until their minds rose with the lights of His gnosis, and revealed to them the lights of His Countenance until their hearts burnt with the fire of love for Him, and then He veiled Himself from them with His Glory until minds wandered in the vast land of His Supremacy and Grandeur.

All blessing and peace of Allah be upon Muhammad, the seal of all the Prophets, and upon his family and companions, the chiefs of all the people, and imams and leaders and guides to the truth.

Coming to the point: the love for Allah Almighty is the farthest degree and the highest station after which there is no station but that it is a fruit and product of it, like longing, intimacy and contentment; as well as there is no station before it but that it is an introductory to it, like repentance, patience, asceticism, etc. Although there is, concerning all stations other than the love for Allah Almighty, in case of their absence, a belief in their availability. But as for the love for Allah Almighty, belief in it is very rare, to the extent that many religious scholars go as far as to deny it, saying: "It has no significance other than the regular obedience of and compliance with the command of Allah Almighty. This is what caused us to reveal the real nature of this matter.

This book will be divided into two parts

Part one: Love, longing and intimacy

In this part, we are going to discuss the following:

The Sharia-based quotations in support of love

Exposition of its real nature and causes

Exposition of the fact that none deserves love other than Allah Almighty

Exposition of the fact that the greatest pleasure is to catch glimpse of His Bounteous Countenance

Exposition of the further pleasure achieved by the vision in the hereafter than the gnosis in this world

Exposition of the causes that strengthen the love for Allah Almighty

Exposition of the people's disparity of their love

Exposition of the cause why understanding falls short of gnosis of Allah Almighty as it should be

Exposition of the significance and meaning of longing

Exposition of the love of Allah for His servant
Exposition of signs of the servant's love for Allah Almighty
Exposition of significance of contentment with Allah Almighty
Exposition of elation produced from contentment with Allah Almighty

CHAPTER ONE

EXPOSITION OF THE SHARIA-BASED QUOTATIONS IN LOVE OF THE SERVANT FOR ALLAH ALMIGHTY

It should be known to you that there is a consensus among the Ummah that the love for Allah Almighty and His Messenger "peace be upon him" is an obligatory duty. But even, how should what exists be imposed an obligation? How should love be construed as obedience given that obedience is a product and fruit of love? The love should be the first and after that the lover would give obedience. That love is affirmed to Allah Almighty is attested from His statement: "whom He will love as they will love Him." (Al-Ma'idah 54)

﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾

And: " but those of Faith are more overflowing in their love for Allah." (Al-Baqarah 165)

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾

That is an indication to affirm love on the one hand, and prove disparity in it on the other hand.

There are many narrations in which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" made the love for Allah Almighty requisite for faith. It is narrated that Abu Razin Al-Uqaili asked him "peace be upon him" saying: "O Messenger of Allah! What is faith?" He "peace be upon him" said: "It is that Allah and His Messenger become dearer to you than anyone else." (Ahmad).

He "peace be upon him" said in another Hadith: "None of you shall have faith (complete) until Allah and His Messenger become dearer to him than anyone else." (Al-Bukhari and Muslim on the authority of Anas).

He "peace be upon him" said in another Hadith: "No servant shall have faith (perfect) until I become dearer to him than his family, property and children." (Al-Bukhari and Muslim on the authority of Anas).

why not since Allah Almighty said in His Holy Book: "Say: If it be that your fathers, your sons, your brothers, your mates, or your kindred; the wealth that you have gained; the commerce in which you fear a decline; or the dwellings in which you delight - are dearer to you than Allah, Or His Messenger, or the striving in His cause - then wait until Allah brings about His decision: and Allah guides not the rebellious." (At-Tawbah 24)

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ
كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ

بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" ordered people to love Allah saying: "Love Allah for His favors He provides you with, and love me for the love of Allah for me." (At-Tirmidhi on the authority of Ibn Abbas).

It is narrated that a man said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Messenger of Allah! I love you." He "peace be upon him" said: "Then, get ready for poverty." He further said: "I love Allah Almighty." On that he "peace be upon him" said: "Then, get ready for trial." (At-Tirmidhi on the authority of Abdullah Ibn Mughaffal).

It is narrated on the authority of Umar "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" looked at Mus'ab Ibn Umair coming and he had a hide of ram with which he wrapped his waist, thereupon he "peace be upon him" said: "Look at that man whose heart Allah has illuminated. I saw him with his parents seducing him with the most pleasant food, but the love for Allah and His Messenger "peace be upon him" invited him to such (a state) as you see." (Abu Na'im in his Hilyah).

It is narrated in a famous Hadith that Abraham "peace be upon him", said to the angel of death when he came to take his soul: "Have you seen a bosom friend sending his bosom friend to death?" Allah Almighty revealed to him: "Have you seen a lover disliking to meet his beloved?" on that Abraham "peace be upon him" said: "O angel of death! Now then take my soul." None but a servant who loves Allah from the depth of his heart could do so. If he learns that death is the cause of his meeting with his beloved, he would hasten to it. In confirmation of that our Prophet "peace be upon him" said in his supplication: "O Allah! Endow me with Your Love, and the Love for such as brings me close to You, and make Your love dearer to me than the cold water."

It is further narrated that a Bedouin came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "O Messenger of Allah! When will the Hour (of Judgement) be?" The Prophet "peace be upon him" said: "What have you prepared for it?" he said: "Indeed, I have not prepared for it much prayers or fasts, except that I love Allah and His Messenger." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "The man would be in the company of whomever he loves." Anas "Allah be pleased with him" said: "I have never seen the Muslims happy with anything after embracing Islam more than they were with that (statement of the Prophet)." (Al-Bukhari and Muslim on the authority of Anas).

Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" said: "Whoever tastes the love of Allah Almighty, it occupies him from the pursuit of this world, and lets him keep aloof from all the people." According to Al-Hassan "may Allah have mercy upon him": "Whoever knows his Lord loves him, and whoever knows this world abstains from it; and the faithful believer is not amused until he becomes heedless, and once he meditates, he grieves." According to Abu

Sulaiman Ad-Darani "may Allah have mercy upon him": "From among the creation of Allah Almighty, there are such as whom even Paradise with the pleasures and delights it contains never diverts from Him: then, how should they be occupied from Him by this world?"

It is narrated that Jesus "peace be upon him" came upon three persons whose bodies grew lean and the color of their faces turned pale, thereupon he asked them: "What has caused you to reach such a state as I see?" They said: "The fear of the fire (of Hell)." He said: "It is incumbent upon Allah to secure the fearful." Then, he left them and came upon other three whose body were more lean and the color of their faces more pale, whom he asked: "What has caused you to reach such a state as I see?" they said: "The longing for Paradise." He said: "It is incumbent upon Allah to give you what you hope for." Then he left them and came upon other three whose bodies were more lean and the color of their faces changed as if they were mirrors because of light, thereupon he asked them: "What has caused you to reach such a state as I see?" they said: "We love Allah Almighty." On that he said to them: "You are these brought close to Allah! You are these brought close to Allah! You are these brought close to Allah!"

Abd-Al-Wahid Ibn Zaid said: I came upon a man standing in the ice thereupon I asked him: "Do you not sense cold?" He said: "Whomever the love of Allah occupies never senses cold." It is narrated that Sari As-Saqati said: "On the Day of Judgement, the different nations would be called by their Prophets "peace be upon them" saying: "O nation of Moses! O nation of Jesus! O nation of Muhammad", except for the lovers of Allah Almighty, who would be called as "O allies of Allah! Come to Allah Almighty." At that time, their hearts would almost burst out of joy." According to Haram Ibn Hayyan: "If the faithful believer knows his Lord Almighty, he loves Him; and once he loves Him, he turns to Him wholeheartedly; and once he tastes the sweetness of turning to Him, he would not look at the world with the eye of desire, nor to the hereafter with the eye of regret."

According to Yahya Ibn Mu'adh: "His (Allah's) forgiveness absorbs sins, what do you think about His good pleasure? And His good pleasure absorbs all hopes, what do you think about His love? And His love astonishes minds, then, what do you think about His affection? And His affection causes one to forget anything else, then, what do you think about His kindness?" According to a Scripture: "O My servant! By your right, I love you. So, by My right on you, love Me." According to Yahya Ibn Mu'adh once again: "As little as a mustard seed of love is dearer to me than worship for as long as seventy years without love." he further said: "O my God! I am standing at your courtyard, engaged in Your praise. You have taken me to Your presence since I was still young, dressed me in the dress of Your gnosis, made me well-established in Your kindness, and moved and turned me between different deeds: Screening and repentance, asceticism and longing, love and contentment, letting me drink from the springs of Your fountains, and graze in Your gardens, and I am adherent to Your command and concerned with Your statement."

However, the narrations about the love for Allah Almighty are beyond calculation, and this is apparent. What is abstruse in this issue is to clarify its meaning. So, let's engage in it.

CHAPTER TWO

EXPOSITION OF REAL NATURE AND CAUSES OF LOVE FOR ALLAH; AND VERIFICATION OF THE SERVANT'S LOVE FOR ALLAH ALMIGHTY

It should be known to you that the purpose of that chapter is achieved only by exposition of the real nature of love in itself, and then of its conditions and causes, and then consideration of its significance as regards Allah Almighty.

The first principle: the point to clarify here is that no love is imagined before knowledge and perception. Man could love only what he knows. For this reason, love is characteristic of the living perceptive organism, apart from the non-living being. On the other hand, the perceptibles are divided into what agrees with, befits and pleases the perceiver, what disagrees with, opposes and pains the perceiver, and what is neutral in effect on him. The perceiver loves all that is pleasing and comfortable in perception, and hates all that is painful in perception, and what is neutral is neither loved nor hated. This means that what is pleasant is lovable in the sight of him who is delighted and pleased with it. That it is lovable means that there is inclination to it by disposition, whereas that it is hateful means that there is disinclination from it by disposition. Love is an inclination by disposition to a pleasant thing, and if that inclination is confirmed and strengthened, it is called attachment. On the other extreme, dislike is a disinclination by disposition from a troublesome painful thing, and if it is strengthened it is called abomination. That is the first principle of the meaning of love.

The second principle: as love follows perception and knowledge, it is divided in accordance with the division of the perceptibles and senses themselves. Each sense perceives a kind of perceptibles, and each has its certain pleasure, because of which the nature inclines to, and henceforth loves it. The pleasure of the eye lies in seeing and perceiving the beautiful things and good pleasant and nice-to-see pictures and images; the pleasure of the ear lies in the good harmonious tunes; the pleasure of smelling lies in the good pleasant smells; the pleasure of taste lies in the delicious flavors; and the pleasure of touching lies in smoothness and softness.

Since those perceptibles are pleasant, they are loved. That is, the sound nature inclines to them. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Three things of your world have been made lovable to me: Perfume and women, and the comfort of my eye has been made in prayer." (An-Nasa'i on the authority of Anas). Perfume was included among the lovable things, although neither the eye nor the ear has a portion in it. Similarly, women were enlisted among the lovable things although only the eye and touching, apart from smelling, hearing and tasting, have a portion in them. The prayer was called the comfort of the eye and made the best among the lovable things, although none of the five senses has a portion in it. But there is a sixth sense whose source is the heart, and none perceives it but him

who has a sound heart.

Animals share man in the five senses. But if love is restricted to the five senses, to the extent that it is said that since Allah Almighty is not perceived by anyone of the five senses, nor is He imaged in imagination, He then is not loved, then, the characteristic of man and the sixth sense that distinguishes him from all living beings would become invalid. That sixth sense is expressed by mind, heart, light, or by any such thing. To be sure, the internal insight is stronger than the apparent sight, and the heart is more perceptive than the eye, and the beauty of the meaning perceived by the mind is greater than the beauty of the apparent images visible to the sights. Thus, the pleasure of the heart it receives from perception of the Divine noble matters which the five senses fail to perceive, is more perfect and impressive, and it causes the sound nature and mind to incline to them more. There is no significance for love but to incline to that whose perception brings about pleasure, as will be shown later. None then denies the love for Allah Almighty except him whose shortage keeps him in the rank of animals, and does not go beyond the perception of the five senses.

The third principle: It is not hidden that man loves himself, and it is not hidden too that he might love others for his own sake. It is not imagined that he could love anyone else for his sake apart from the lover's own sake. That is abstruse on the weak persons who think that it is not imagined that man could love anyone else for his sake unless there is a certain benefit to return to the lover himself more than his self-perception. In fact, this is possible. So, let's explicate the reasons and divisions of love.

The first beloved in the sight of every living being is his own self. That he loves himself means that he inclines, by disposition, to his survival, and disinclines from his annihilation and destruction. That is because the beloved is that which befits the lover, and which thing is more fitting than his own self and his own survival? And which thing is more unfitting and disgusting than his annihilation and destruction? For this reason, man loves to survive, and dislikes to die or be killed, not for fear of what he might receive after death, nor for fear of death agonies, for were he to be snatched by death without pain nor punishment nor reward, he would not accept it. None loves death, nonexistence and annihilation but for the suffering and pain he receives in his life. If he is put to trial, what he loves is to remove that trial. So, he loves death, he indeed does not love it because it is nonexistence in so much as because it removes the trial from him. Thus, destruction and nonexistence are hateful, whereas survival and existence are lovable. That is instinctive in human nature, according to the established way of Allah Almighty, and "no change will you find in the established way (approved) of Allah." (Al-Ahzab 62)

﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٦٢﴾ ﴾

Thus, **the first** thing man loves is his own self, then the soundness of his organs and parts of his body, then his children, property, relatives, kith and kin, clan, friends, etc. the organs and parts of body are lovable, and their soundness is required, for the perfection of survival and permanent existence

depend on them. Property is lovable for it is an instrument of the permanent and perfect existence, and the same is true of all causes and means. Man then loves those things not for their sake in so much as for the fact that his perfect and permanent existence is suspended on them.

He loves his child, even if no portion from him returns to him, and tolerates the difficulties for him, simply because he is to succeed him in existence after his destruction and turning into nonexistence. His offspring are a continuation of his existence. Because he loves to survive, he loves the survival of him who would exist on his behalf as if he were a part of him when he fails to survive any longer. It is true that if he is given the freedom to choose the killing of him or the killing of his child, he would give preference to his own survival over the survival of his child, for the survival of his child resembles his own survival in one point, but it is not really his own survival. The same is true of his love for his clan and kith and kin, which goes back to his love for the perfection of himself. He sees himself powerful and perfect with their great number. To be sure, the clan, kith and kin, property, and all the other external causes are like the wing that completes man, and the perfection and permanence of existence are inevitably and necessarily lovable.

Thus, the first beloved to any living being is his own self, the perfection and permanent existence of his own self; and what he dislikes is the opposite of all that. That is the first cause.

The second cause: Doing good. Man is a servant of the doing of good, and the hearts have been predisposed to love these who do good to them and dislike these who do evil to them. In confirmation of that, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "O Allah! Cause not me to be under obligation to a wicked or a disbeliever lest my heart would love him." (Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Mu'adh). He indeed refers to the fact that one loves the person who does favor to him, and he loves him by force in such a way as he could not but do so. It is an inclination by predisposition which one has no power to change. By that cause, man might love him who is foreign to him, although there is no relationship between them.

However, this goes back to the first cause, since the doer of good is he who provides another with wealth, aid and all means that help in the survival, permanence and perfection of existence. But there is a difference here: The organs and parts of body are loved because with them his existence and survival are realized, whereas the doer of good is but one of the means to that perfect existence, just like the physician which might be a means to the health and soundness of the organs and parts of body. There is difference between the love for the health and the love for the physician who is the cause of that health, for the health is required for itself, whereas the physician is loved for he is the means to that health. The same is true of knowledge and teacher: Knowledge is loved for itself, whereas the teacher is loved for he is the means to that loved knowledge. Food and drink are loved, and Dinars also are loved. But food and drink are loved for themselves, whereas Dinars are loved for

they are a means to them.

The third cause: To love a thing for itself and not for a portion or a fortune to get from it. That is the real and extensive love whose permanence is reliable. It is like the love for beauty and prettiness. Every beautiful and pretty is loved for itself by the perceiver of beauty and prettiness, for pleasure lies in the perception of beauty and prettiness, and the pleasure is loved for itself and not for anything else. Think not that the love for the beautiful pictures is imagined only to fulfill the desire, for fulfilling the desire is another pleasure for which the beautiful pictures might be loved, and the perception of the beauty itself is pleasant and thus it might be loved for that.

Why not since greenery and current water are loved not to eat the greenery nor to drink the water? No portion but vision one has in them. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to admire greenery and current water. It is characteristic of the sound natures and healthy dispositions to get pleasure in looking at lights, flowers, and birds of good colours and harmonious forms. In so many cases, one finds release from his distresses by looking at such sceneries and landscapes.

Those causes are pleasant, and every pleasure is loved. Furthermore, the perception of every beauty and prettiness brings about pleasure. No one denies that the beauty is loved by disposition. Since it is proved that Allah Almighty is beautiful, He should be loved by him to whom His beauty and Glory are revealed. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah is beautiful and He loves beauty." (Muslim on the authority of Ibn Mas'ud).

The fourth principle: Exposition of the meaning of beauty and prettiness. It should be known to you that the one who is detained in the limited sphere of fancies and sensible things might think that the beauty has no significance other than the harmony of character and form, and the good and pleasant colour. The beauty, for the most part, is judged by sight, and people more often care for the form of the man. They think that what is not visible or imagined is not beautiful. Since its beauty is not imagined, then, there is no pleasure in perceiving it, which means that it is not loved.

But even, that is a clear mistake. Beauty is not restricted to the visibles, nor to the harmony of forms and colours. We say, for instance, that is a good handwriting, that is a good voice, and that is a good horse. We also say, that is a good dress, and that is a good utensil. Which meaning then lies in the beauty of the handwriting, voice, and all the other things, if we limit beauty only to the picture and form? It is a well-known fact that the eye gets pleasure in looking at the handwriting, the ear in listening to the good and sweet tones. All the perceptibles are divided into what is good and what is ugly. What is the meaning of beauty in which all those things share?

We should look for it. But it would take too long to do that search which is, anyway, unfitting for the science of practical religion. So, let us say, with frankness, that the beauty of everything lies in its being fittingly and possibly perfect. If it is entirely perfect, it would be in the highest degree of beauty. If

only some of its parts are perfect, its portion of beauty is determined by the extent of the perfect parts in it. The good horse is that which combines all that is fitting for a horse in terms of good appearance, stature, colour, good running, ease of attacking and escaping on it; and the good handwriting is that which combines all that is fitting for the handwriting, in terms of the harmony, arrangement and good order of letters; and so on. Everything has its perfection that is fitting for it. Thus, the beauty of anything lies in its perfection that is fitting for it. Of course, the elements of beauty and prettiness of the man differ from those of the beauty and prettiness of the horse; and the elements of beauty and prettiness of the handwriting differ from those of the beauty and prettiness of the voice; and the elements of the beauty and prettiness of the utensil differ from those of the beauty and prettiness of the clothes; and so on.

But even, you may argue: "It is true that those things are not perceived by the sight, they, therefore, could not be perceived but by anyone of the five senses. They, by that consideration, are among the sensibles, and the beauty of sensibles is not deniable, nor is the pleasure by perceiving their beauty and prettiness, for this is denied only in the insensible things."

In reply, it should be known to you that beauty and prettiness lie also in the insensible. It is said, for example, that is a good moral character, that is a good knowledge, that is a good conduct, those are good and beautiful manners, etc. The good and beautiful manners are intended to combine knowledge, mind, piety, chastity, bravery, generosity, to the end of those good attributes. None of those attributes is perceived by the five senses, in so much as by the light of the internal insight. Therefore, all those good attributes are loved, and the one who has them is also loved accordingly by him who knows well his characteristics and qualities.

The sign of that is that natures are predisposed to love the Prophets "peace be upon them", the Companions "Allah be pleased with them", although they did not see them. Furthermore, they are inclined to love the men of four juristic schools like Ash-Shafi'i, Malik, Abu Hanifah and Ahmad "may Allah have mercy upon them" to the extent that one might go in his love as far as to spend his entire wealth in support of the school of jurisprudence whose leader he loves, and exposes himself to danger in fighting such as criticizes or tries to find fault with that leader or imam whom he follows.

Anyone of those who love Ash-Shafi'i "may Allah have mercy upon him", for example, did not see him, and even if they saw him, he might not seem good-looking to them. However, what causes them to love him is his internal and not external image, for his external image turned into dust in the earth. They love him then for his internal attributes of religiousness, piety, abundance of knowledge, chastity, and his eagerness and endeavor to benefit the science of Sharia and jurisprudence, and publicize those good things in the world. Those are beautiful matters whose beauty and prettiness could be perceived only by the light of the internal insight, of which the five senses are short.

The same is true of him who loves Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" and gives him preference over anyone else among the people; or of him who loves Ali "Allah be pleased with him" and gives him preference, and shows fanaticism for him: he loves them only for he regards as good their internal images of knowledge, religiousness, piety, chastity, bravery, generosity, to the end of this series of the good attributes and qualities. It is well known that whoever loves As-Siddiq "Allah be pleased with him" does not love his flesh, bones, skin, limbs and form in general, since all of this perished by his death. But he loves him for the very thing that remained therewith As-Siddiq gained the quality of being truthful, i.e. the praiseworthy attributes which are the sources of the good conduct. Thus, love survives with the survival of those attributes, although all external forms and images disappear.

All those attributes go back to both knowledge and power. That is, one knows the real nature of things and then has power to force himself to them by oppressing his desires. All good characteristics depend on those two attributes, which are beyond the perception of senses, although they are inseparable part of the body, and it is that part which is the real beloved. That inseparable part has no form, nor features, nor a colour to seem to the sight in order to be loved for that. Beauty lies in the conduct, and in the absence of knowledge and insight, that good conduct would not be loved. What is really loved is the source of that good conduct, i.e. the praiseworthy good manners and noble virtues, which go back, in total, to the perfect knowledge and power, which are loved by nature, although they are not perceived by senses.

If we like to endear an absent or a dead to a child, for example, our sole way to do so is to exaggerate in praising him and ascribing all good qualities and attributes to him, and once the child believes that, he could not help love him. The Companions "Allah be pleased with them" were loved whereas people like Abu Jahl were hated only by means of exaggeration in describing the good and bad attributes, which are not perceived by senses. When the people described Hatim At-Ta'i with generosity, and Khalid Ibn Al-Walid "Allah be pleased with him" with bravery, the people loved them because of those good attributes, although they did not see them with their own eyes, nor did they covet of any fortune to get from them. If it is related from a particular king anywhere in the land that he is just and kind to his subjects, the people would love him, although they do not covet of getting any portion of his good or kindness.

This means that man does not love only him who does good or favor to him. The doer of good in himself is loved although his good might not reach the lover. That is because every beauty and prettiness is loved in itself. Beauty and prettiness combine both the external and internal images. The external images are perceived by the external sight, whereas the internal images by the internal insight. Whoever is deprived of the internal insight could not perceive by it, nor get pleasure in it, nor love nor incline to it. Whoever is possessed by the internal insight more than the external sight, he inclines more to love the

internal meanings than the external meanings. How great the difference is between him who loves a picture inscribed on the wall, whose beauty lies in its external form, and him who loves one of the Prophets "peace be upon them" for the beauty of his internal image.

The fifth cause: the hidden relevance between the beloved and the lover. It may be that two persons love each other not because of beauty or prettiness, nor because of any fortune or the like of it, but just because there is a kind of harmony between their souls. In confirmation of that, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Souls are mobilized soldiers: Those from amongst them who are familiar to each other (in the heaven) would have affinity with one another (in the world) and those from amongst them who opposed each other (in the Heaven) would also be at odds (in the world)." [Muslim] we have previously explained that in the Book of the Etiquettes of Companionship.

In sum, there are five causes of love: the man's love for his perfect and permanent existence; His love for him who does good or favor to him, that helps him survive and avert harm from himself; His love for him who does good in general, even though his good does not reach him; his love for what is beautiful and pretty in itself, whether its beauty lies in its external or internal image; and his love for the one due to a hidden relevance between them. If all those causes gather in a man, the love for him increases in degree and strength, like a son who combines beautiful features, good moral character, perfect knowledge, good manipulation, who always does good to others, and is kind to his parents: He would be extremely loved. No doubt, the strength and degree of love are determined by the strength, perfection and presence of all or some of those attributes.

On the other hand, it is not imagined that all those causes gather in perfection but in Allah Almighty. For this reason, none deserves the real love but Allah Almighty.

CHAPTER THREE

EXPOSITION OF THE FACT THAT NONE DESERVES LOVE OTHER THAN ALLAH ALMIGHTY ALONE

It should be known to you that Whoever loves anyone else other than Allah Almighty not for the sake of Allah does so because of his ignorance or shortage; and that the love for the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" is praiseworthy for it is a part of the love for Allah Almighty; and the same is true of the religious scholars and pious for the beloved of the beloved should be loved, the messenger of the beloved should be loved, and the lover of the beloved should be loved. All of this goes back to the love for the primal One and does not go beyond Him. There is no beloved, in the sight of those endued with deep insights, other than Allah Almighty, and none deserves love other than Him.

To clarify this, we should go back to the five causes we have previously mentioned, and show that they never gather together with perfection in anyone other than Him Almighty, and anyone else has only one or two of them.

Furthermore, they are real for Allah Almighty, and allegorically imagined for anyone else, for which there is no reality. Once that is revealed, what would seem evident is the opposite of what is imagined by the weak-minded, that it is impossible to love Allah Almighty in reality, and that verification requires to love in reality none other than Allah Almighty.

As for the first cause, i.e. the man's love for himself, his perfect and permanent survival and existence, and aversion for what destroys or threatens to exterminate his existence and perfection, that is the predisposition of every living being, and none is imagined to do the opposite of that. But even, that requires the utmost degree of love for Allah Almighty. Whoever knows himself well, and knows Allah Almighty becomes certain that he could never bring himself into existence by himself: but his existence, i.e. permanent and perfect survival is dependent upon, from, to and by Allah Almighty. He is the Inventor of him, Who brings him into existence, and causes him to survive, and his existence to be perfect, by creating for him the attributes of perfection, and the means to attain them.

In total, nothing in the existence could survive by itself other than Allah, the Self-Subsisting, the Eternal, Who survives by Himself, and anything else survives by Him. If one loves himself, and his existence is caused by another than him, of a surety, he necessarily loves the causer of his existence. If he does not love Him, that is due to his ignorance of himself and of his Lord. Love is the fruit of knowledge: it exists by its existence, disappears by its disappearance, becomes strong and weak by its strength and weakness. That is the significance of the statement of Al-Hassan Al-Basri "may Allah have mercy upon him": "Whoever knows his Lord should necessarily love Him; and whoever knows this world should necessarily abstain in it."

How should it be imaginable that a man would love himself and not his Lord, upon Whom his own survival depends? It is well-known that the one tried with the scorching heat of sun loves the shade, and along with it loves the trees with which it is made. All that is in existence, in comparison with the power of Allah Almighty, is like the shade in comparison with the trees, and the light in comparison with the sun. All things result from His power, and their existence follows His existence, in the same way as the existence of the light follows the existence of the sun, and the existence of the shade follows the existence of the trees.

If one should necessarily love himself, he should, more inevitably, love Him Who sustains his existence and perfect survival. Whoever lacks that love does so because he engages in himself and his own desires from his Lord and Creator, and does not know Him as He should be known, and rather restricts his vision to his desires and sensibles, i.e. the world of the visibles in which animals share him, apart from the dominion of invisibles, which none tramples but he who is closer to the angels: He sees from it as much as he is close in his attributes and qualities to the angels, and falls short of it as much as he is far from them, and rather close to the world of the animals.

As for the second cause, i.e. that one loves such as does good to him, is

kind to him, consoles him with his wealth and good words, provides for his aid, hastens to support and help him, averts evil and harm from him, gives him a means to attain of fortunes what is beneficial and advantageous to him, his children and relatives, he should inevitably be loved. This very fact requires that one should love none but Allah Almighty. If he knows Him as He should be known, he would learn that the real doer of good to him is only Allah Almighty. His favors He does to all of His servants are too numerous to measure or calculate, as confirmed by Allah Almighty in His statement: "And He gives you of all that you ask for. But if you count the favours of Allah, never will you be able to number them." (Ibrahim 34)

﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴿٣٤﴾ ﴾

We have already referred to something of that in the Book of Gratitude. But now, let's limit ourselves to explicate that the doing of good on the part of the people is unimaginable except with allegory, for the real and sole doer of good is Allah Almighty.

Suppose that somebody confers a favor upon you by making available to you all of his treasures and putting them under your disposal: Of a surety, you think that this doing of good is from his own. That is wrong. The good he has done to you has been achieved by His (Allah's) power, with the help of His wealth and property, and as a result of the motive He created in him to give you that wealth. Who has given the favor of creating him, creating his property and wealth for him, and creating his power and will to do so? Who has endeared you to him, caused him to turn in love to you, and made him believe that the rectitude of his religion and world lies in his doing good to you? Had it not been for all of that, surely, he would have given you nothing of his wealth.

But when Allah Almighty causes him to give you, and makes him believe that the rectitude of his religion and world lies in giving you out of his wealth, he then is forced to surrender to the will of Allah Almighty, and not to oppose it even in the least. The real doer of good then is He Who forces him and subjugates him to you, and causes him to give you. His hand is but a medium through which the good of Allah Almighty reaches you. The man of the hand is forced to do so in the same way as the watercourse is forced to be ready for the water to run in it. If you think he is a doer of good, or give thanks to him for his doing good to you in terms of his being a real doer of good and not merely a medium, you then are ignorant of the truth of the matter.

Doing good on the part of the man is unimaginable but to himself. But to do good to another is impossible from a creature to a creature like him, for one does not give his wealth but for a certain purpose that is to serve his own benefit. That benefit might be later like the reward in the hereafter, or sooner like to make reminder of generosity, subjugate others in his service, gain praise and gratitude from others, get fame for generosity and spending, or attract the hearts of people to obey and have love for him. As well as man does not throw his wealth into the ocean, since he has no benefit to get from that, he also does not throw it into the hand of another unless there is a certain benefit to get from that. That benefit is

his purpose he seeks for and pursues.

As for you, you are not his purpose and your hand is no more than an instrument of receiving until he gets his purpose of praise, gratitude, or reward because of your receiving the money. Thus, he subjugates you to receive the money in order for him to achieve his purpose. He then is a doer of good to himself, and is recompensed for what he gives of wealth, and that recompense, in his sight, overweighs the money he gives, and had it not been preponderant, he would not have given up his wealth to you.

Thus, he deserves neither gratitude nor love from two points of view:

One is that he is forced, by Allah's investing motives with authority over him to do so, and has no power to oppose that will. He is in the position of the king's treasurer: He does not render himself a doer of good by giving the king's gift to him to whom it is assigned, for he is forced to obey and comply with the commands of the king, and has no power to oppose his order. However, if the king lets him be to himself, he would not give anything of that to anyone. Similarly, the same is true of every doer of good: if Allah Almighty lets him be to himself, he would give nothing of his property to anyone, until Allah invests motives with authority over him, and causes him to believe that his good fortune from religion and world lies in giving his wealth, and it is only for this that he gives.

The other is that the recompense he gets in substitution for what he gives is better and dearer in his sight than what he really gives. As well as the seller is not regarded a doer of good because of what he gives for a compensation which is dearer to him than what he gives, similarly, the grantor is recompensed with the reward, praise or gratitude, or any such compensation. It is not requisite for the compensation to be in the form of money or priced thing. No doubt, all fortunes are regarded as compensations, in comparison with which all items of wealth and commodities are insignificant.

Doing good lies in generosity, and generosity is to give wealth with no compensation nor fortune to return to the giver; and that is impossible except in relation to Allah Almighty. It is He Who confers favors upon the worlds out of doing good to them, and for their sake, with no fortune nor compensation to return to Him. In this way, the pleasure of generosity and doing good in relation to anyone else other than Him is false, or at least allegoric. It is, in relation to anyone else other than Him, as impossible as to combine both whiteness and blackness. Generosity and doing good are unique to Him Alone. If one should, by nature, love the doer of good, then, the Gnostic should not love but Allah Almighty, since doing of good from anyone else other than Him is impossible. It is He Alone Who deserves that love. Anyone else deserves love for doing of good provided that one is ignorant of the meaning and real nature of doing good.

As for the third cause, i.e. to love the doer of good in himself even if his good does not reach you, that is natural. If the news of a just worshipping good king who is kind to his subjects reaches you, and his kingdom is far from you, and the news of another wrongful wicked, arrogant and harsh king

reaches you, whose kingdom is far from you, of a surety, you would, by disposition, incline to the former in love, and disincline from the latter in aversion, given that you have no hope of the good of the former, and are safe from the evil of the latter. That is the love for the doer of good in himself as being a doer of good in general, and not as being a doer of good to you in particular.

This requires, therefore, to love none but Allah Almighty. That is because it is Allah Alone Who does good to all the worlds, and confers upon them out of His bounty and favor, first, by bringing them into existence, second, by perfecting them with the organs and means necessary for their survival, third, by getting them blessed in the means and things He has created to fulfill their unnecessary needs, and fourth by beautifying them with the additional traits and accessories to serve their adornment, although they are not necessary for them, nor are they in dire need of them.

The necessary organs are like the head, the heart, and the liver. These which one needs are like the eye, the hand and the leg. Those that serve the adornment are like the bowedness of the eyebrows, the redness of the lips, and the colorfulness of the eyes, to the end of those things missing which does not affect the life.

The necessary favors outside the parts of the body are like water and food. Those which man needs are like medicine, flesh and fruits. The additional traits and accessories are like greenery, the good forms of lights and flowers, and the pleasant delicious kinds of food and fruits, missing which does not affect the life.

Those three divisions are available not only to man, but also to animals, plants and all living beings. This means that it is He Alone Who is the doer of good. How should anyone else be a doer of good? Anyone doing good is but a single good of His power. He is the Creator of the good, of the doer of good, of the doing of good, and of the causes of doing good. To love anyone else because of that is also out of ignorance. Whoever knows this fact would not love but Allah Almighty.

As for the fourth cause, i.e. to love everything that is beautiful just for the sake of beauty and not for a certain fortune or benefit to return to the lover, this is natural to all dispositions. Beauty is divided into the beauty of the apparent form that is visible to the eye, and the beauty of the internal form perceived by the eye of the heart and the light of the insight. The first is shared by people and animals, whereas the latter is unique to the masters of hearts and none shares them in it, I mean of those who do not know but the apparent side of this life of world.

Every beauty is loved by him who perceives beauty. If it is perceived by the heart, then, it is loved by the heart. Its example in reality is the love for the Prophets "peace be upon them" and the religious scholars and learned and those of high manners and noble qualities among men. Their love is imaginable given the distortion in the mind or even the absence of the features and appearance. That is what is intended by the beauty of the internal

image, which is beyond the reach of the five senses. But it might be perceived by the apparent traces indicative of it until when the heart is guided to it, it inclines to and loves it. Whoever loves the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" or Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" or Ash-Shafi'i "may Allah have mercy upon him" loves them only because of their good traces and effects they left after them, and not because of their good image or even their apparent acts. However, their good acts signify their good qualities and high manners which are the source of those acts.

However, the internal qualities of acts go back, with verification, to both the knowledge and power. The more the learnt is noble and perfect, the more the knowledge of it is noble and beautiful; and similarly the more the thing under power is more noble and high, the more the power over it is noble and high. To be sure, the noblest of all things to be learnt is Allah Almighty. No doubt, the best and the noblest of knowledge is the gnosis of Allah Almighty; and the more the thing to be learnt is close and attached to Him, the more it is noble and high.

Thus, the beauty of the qualities of the sincere lovers of truth whom the hearts love by nature goes back to three things: The first is their knowledge of Allah Almighty, His angels, Books, Prophets, and the laws and religions of His Prophets. The second is their power to amend their own selves and the servants of Allah by guiding and leading them to the straight path. The third is their abstention from vices, abominable things and prevailing desires, which divert from the established ways of good and rather draw to the ways of evil.

It is with the like of those things that the Prophets "peace be upon them", religious scholars, caliphs, just and generous rulers and kings are loved by hearts. Compare then those qualities with the attributes of Allah Almighty.

As for knowledge, where is the knowledge of the earlier and later generations from the knowledge of Allah Almighty that encompasses all things, to the extent that even no atom's weight escapes from Him in the heavens and on earth. He Almighty addressed all the people saying: "of knowledge it is only a little that is communicated to you, (O men!)" (Al-Isra' 85)

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾

Moreover, if all the inhabitants of the heavens and the earth gather together to comprehend His knowledge and wisdom about the details of creating such a little thing as an ant or a mosquito, by no means would they be able to learn even one-hundredth of it: "Nor shall they compass aught of His knowledge except as He wills. His Throne does extend over the heavens and the earth." (Al-Baqarah 255)

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴿٢٥٥﴾ ﴾

As for that little amount of knowledge which the people learn, it is by virtue of His instructing them that they learnt it. He Almighty said: "He has created man: He has taught him speech (and Intelligence)." (Ar-Rahman 3-4)

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝ ﴾

Thus, if the beauty and nobility of the knowledgeable should be loved, and at the same time, the one endued with knowledge is perfect, by that consideration, none deserves to be loved other than Allah Almighty. The sciences of all the scholars and learnt among men are ignorance in comparison with His knowledge. Whoever knows the most knowledgeable and the most ignorant of his time, in no way would he love but the most knowledgeable, given that the most ignorant learns of knowledge what is required for him in his living.

On the other hand, the disparity between the knowledge of Allah and the knowledge of the creatures is greater than the disparity between the knowledge of the most knowledgeable and the knowledge of the most ignorant among the people. That is because the most knowledgeable excels the most ignorant only with a limited number of sciences, which the ignorant is possibly imaginable to attain by acquisition and effort. But the excellence of the knowledge of Allah Almighty over the sciences of all the people is infinite, and beyond measure. His knowledge is infinite unlike the knowledge of the people which is limited.

As for the attribute of power, it is perfection, whereas powerlessness is imperfection. Every kind of perfection, grandeur, glory and Excellency should be necessarily loved by the hearts, since their perception is pleasant. One might hear in the stories about the bravery of Ali and Khalid "Allah be pleased with them" and the other courageous men, and their power with which they excelled their fellows, thereupon his heart is moved, rejoices and gets comforted only by the pleasure of hearing, let alone the vision, which develops love in the hearts. Compare then the power of all the people with that of Allah Almighty.

The most powerful who has the greatest and the most extensive kingdom, the ablest to overpower his desires and curb the vices of the self, and the most capable of leading himself and the people: What is the limit of his power? He might excel many among the people in many things. But at the same time, he has no power to give himself life or death or resurrection, nor to cause harm or benefit to himself whenever and however he likes. He even has no power to keep his eye from blindness, his tongue from muteness, his ear from deafness, and his body from ailment. The things over which he has no power in himself and in the people are beyond reckoning, let alone what is beyond the reach of his power, like the dominion of the heavens with its horizons and celestial bodies, and the earth with its mountains, oceans, rivers, plants, animals, etc, over which he has no power.

And even his power of that which is under his power does not come from his own self. It is Allah Who created him and created his power, and created the means to attain that power. If a mosquito is invested with authority over the strongest who has the greatest and the most extensive kingdom among the people, surely, it would destroy him. The servant has no power unless he is established in power by his Master and Lord. In confirmation of that, He

Almighty said about the greatest king on the earth, i.e. Dhul-quatrain: "Verily We established his power on earth, and We gave him the ways and the means to all ends." (Al-Kahf 84)

﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ ﴾

He did not gain all of his kingdom and ruling without being established in power by Allah Almighty in a part of the land. However, the whole earth is but a gnat in comparison with the celestial bodies of the galaxy; and all parts which the people govern on it are but a few molecules of that earth. That few molecules are out of the favor and bounty of Allah Almighty.

Thus, it is impossible to love anyone of the servants of Allah Almighty for his power, and does not love Allah Almighty for the same reason, given that there is neither strength nor power but with Allah Almighty. He is the Irresistible, the Powerful, the Exalted in wise and knowledge, in Whose Right Hand the heavens are rolled up, and in Whose grasp the earth with all of its kings and what it contains is, and under Whose power the forelocks of all the people are: Were He to destroy all of them, this would decrease nothing of his sovereignty, and were He to create thousands times the like of them, no fatigue nor trouble would befall Him. In this way, there is no power nor a powerful but that they are a trace of the traces of His power. Whose is the beauty, brightness, brilliance, power, grandeur, and supremacy. If it is imaginable to love a powerful for his perfect power, then, none other than Him Almighty deserves such love by that consideration.

As for the attribute of being deemed far above all shortcomings and defects, and exalted from vices and wickedness, it is one of the things that makes love binding and is required for beauty in the internal images. It is true that the Prophets "peace be upon them" and sincere lovers of truth, are deemed far above vices and wickedness, but the absolute perfection is not imagined except for Allah, the One and Only, the Real, the Sovereign and the Holy One, the Lord of Glory and Honor. But every creature should have a kind of defect. His being created and subjugated is the utmost degree of deficiency and helplessness. The absolute perfection belongs to Allah Alone, and none other than Him has that absolute perfection except in proportion to what is given to him by Allah Almighty. It is beyond one's capacity to have the utmost perfection, for the utmost perfection, in its least degree, is not to be a servant subjugated to and sustained by another. That imperfection is impossible to the other (i.e. Allah), it is He Alone Who has the absolute perfection, is deemed far above imperfection, and exalted from shortcomings and defects.

By that consideration, the real nature of beauty and perfection to be loved is not attained but by Him Alone. The perfection of anyone else is not absolute, but it is so in comparison with what is inferior to it in perfection. It is like the horse which has perfection in comparison with the donkey, the man in comparison with the horse, and so on. Imperfection includes all creatures, but they vary in the degree of imperfection.

The beautiful is loved, and the absolute beautiful is the One and Only, to Whom there is no equal, the Unique Whom none disputes, the Independent

Who is free of want, the Omnipotent Who does what He wills and decrees what He likes, and none could cancel out His decree, or change His fate, from Whose knowledge even an atom's weight in the heavens and on earth never escapes, the Irresistible in Whose grasp are the forelocks and necks of all the tyrants, the Eternal Whose existence has no beginning, the Never-Ending, Whose survival has no end, the Self-Subsisting, who is sustainable by Himself, and every existing is sustained by Him, the Compeller of the heavens and the earth, the Creator of the non-living and living beings, Who Alone is the Exalted in honor and supremacy, kingdom (of the visibles) and dominion (of the invisibles), the Lord of bounty, beauty, glory, brilliance, power and perfection. In the knowledge of His glory the minds are put to confusion, and His description is beyond the capacity of the tongues. The perfection of the gnosis of the Gnostics is to acknowledge their inability to fathom Him, and the utmost degree of the Prophethood of the Prophets "peace be upon them" is to admit their shortage of describing Him, as stated by the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "I could not calculate praises on You, You are as You praised Yourself."

Love by that consideration is stronger and more confirmed than the love for doing good, for doing good increases and decreases. For this reason, Allah Almighty revealed to David "peace be upon him": "The closest in love to Me is a servant who loves Me without expecting any gift to receive from Me, but rather gives the Lord His due estimate." According to the Psalms: "And Who is more wrongful than a servant who worships Me for Paradise or Hell? Had I not created Paradise or Hell, would I not have been worthy of worship?"

Once, Jesus "peace be upon him" came upon a set of worshippers whose bodies were lean, and when he asked them about the reason they said: "We fear the fire (of Hell) and expect for Paradise." On that he said to them: "Do you fear a creature and expect for a creature?" He then came upon another group of worshippers whose bodies were lean, and they said to him: "We worship Allah out of love for Him and Honoring His Glory." He said to them: "You are really the allies of Allah Almighty, and with you I have been commanded to stay."

According to Abu Hazim: "I feel shy of worshipping Allah Almighty just because of reward and punishment, thereupon I would be like the evil servant, who would not work unless he feels afraid of his master, or like the wicked hireling who would not work unless he is given." It is reported in a certain narration: "None of you should be like the evil hireling: If he is not given a charge, he would not work; nor like the evil servant: If he does not feel afraid of his master, he would not work."

As for the fifth cause of love, it is the relevance and resemblance, for the match of a thing is attracted to it. For this reason, the boy gets affable with the boy like him, the old man with the old man, the bird with a bird of its kind, and drives away from that which is different from it. Similarly, the scholar gets affable with a scholar like him more than he does with a craftsman, and the carpenter gets affable with a carpenter like him more than

he does with a farmer, and so on. This is confirmed by experience and different narrations and traditions, as we have previously clarified in the chapter of Brotherhood in (the religion of) Allah Almighty in the Book of the Etiquettes of Companionship.

If relevance is a cause of love, it might be apparent like the boy's resemblance to the boy in the boyhood, or hidden in such a way as none knows, like the accord between two persons without observing beauty, or covet of wealth. To this the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" referred in his statement: "Souls are mobilized soldiers: those from amongst them who are familiar to each other (in the heaven) would have affinity with one another (in the world) and those from amongst them who opposed each other (in the Heaven) would also be at odds (in the world)." [Muslim] recognition here stands for resemblance, whereas opposition for disagreement.

This cause also requires to love Allah Almighty, for an internal relevance which does not go to the resemblance in the form and image in so much as to internal meanings, a part of which might possibly be mentioned, and the other part is impossible to be mentioned in the books, but rather left under the cover of molecules until the sojourners find it once they fulfills the condition of following the path.

What might be possibly mentioned here is the servant's closeness to his Lord in the attributes in accordance with which he is commanded to behave. It is said: "Let your morals similar to the morals of Allah Almighty." It is to acquire the praiseworthy qualities which are the attributes of the Lord, like knowledge, dutifulness, doing of good, kindness, overflowing with good and mercy upon the people, sincerity in advice to them, guiding them to the truth and preventing them from the falsehood, to the end of the noble manners and good conduct approved by Sharia. All of this brings one close to Allah Almighty, not in the place in so much as with the attributes and qualities.

What is impossible to be written in books is that which is referred to by Allah Almighty in His statement: "They ask you concerning the Spirit (of inspiration). Say: "The Spirit (cometh) by command of my Lord: of knowledge it is only a little that is communicated to you, (O men!)"" (Al-Isra' 85)

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾

He showed here that it is a Divine matter beyond the reach of the human mind. More evident is His statement: "When I have fashioned him (in due proportion) and breathed into him of My spirit, fall you down in obeisance unto him." (Sad 72)

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾

This is why He caused His angels to fall in prostration to him. To this the statement of Allah Almighty refers: "I will create a vicegerent on earth." (Al-Baqarah 30)

﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٣٠﴾ ﴾

Adam "peace be upon him" did not deserve the vicegerency of Allah

Almighty on earth but for this relevance, to which refers the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Allah Almighty created Adam on His Image." But the short-minded think that there is no image but the external one that is perceived by senses, for which they went on making manifestations and embodiments, Exalted be Allah, the Lord of the worlds from all the ignorant ascribe to Him. To this He Almighty refers in His saying to Moses "peace be upon him": "I fell ill and you did not visit me." He asked: "O Lord! How could I visit You?" He Almighty said: "My servant so and so fell ill and you did not visit him; and had you visited him, you would have found Me with him."

This relevance does not appear evident unless one is regular on the supererogatory deeds after completing the obligatory duties. In confirmation of that, Allah Almighty says as told by the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "My servant continues to come close to Me with the supererogatory deeds until I love him, and once I love him I become his ear therewith he hears, his eye therewith he sees, and hi tongue therewith he speaks." (Al-Bukhari on the authority of Abu Hurairah).

Here, we should withhold the rein of the pen, for the people have divided into parties: the short-minded inclined to making manifestations and embodiments, and extremists went beyond the limits of relevance to immanentism and pantheism, to the extent that one of them said: "I am the real." The Christians went astray concerning Jesus "peace be upon him" saying: "He is the god." Little are those to whom it has been revealed the impossibility of manifestations and embodiments, as well as the impossibility of immanentism and pantheism. But at the same time, the real nature of the mystery have become clear to them.

That is the greatest and the strongest cause of love.

In sum, those are the five causes of love, and they are perfect and complete, really and not allegorically, in their highest and not in their lowest degree, in Allah Almighty, and not in anyone else. For this, it is reasonable and acceptable to those endued with deep insights to love none but Allah Almighty, as well as it is reasonable and acceptable to the blind to love anyone other than Allah Almighty. On the other hand, whoever loves anyone for one or two of those causes, is imagined to love another for he shares him in that one or two causes, and partnership in itself is shortage in love. None from among the creatures is loved but that he has a partner in one or two causes for which he is loved, unlike Allah Almighty Who has no partner at all. Thus, there is no partnership in His love, which means that no shortage lies in His love, just as no partnership lies in His attributes. He Alone deserves the principal and perfect love, in which none shares Him.

CHAPTER FOUR

EXPOSITION OF THE FACT THAT THE NOBLEST AND HIGHEST PLEASURE LIES IN THE GNOSIS OF ALLAH ALMIGHTY AND LOOKING AT HIS BOUNTEOUS FACE; AND NO PLEASURE HAS THE SAME EFFECT UNLESS ONE IS DEPRIVED OF IT

It should be known to you that the pleasures follow perceptions, and the

man has many powers and instincts, each of which has its unique pleasure, which is to get what agrees with its nature for which it is created. Those instincts and powers have not been placed in man jestingly, but each serves a certain purpose that befits its very nature. The instinct of anger, for example, was created for retribution and revenge, and thus, its pleasure lies in the retribution and revenge that agree with its very nature. The instinct of the appetite for food was created to obtain nutrition that sustains the body, and its pleasure lies in obtaining that nutrition which agrees with its very nature. The same is true of the instincts of hearing, seeing and smelling. Overall, there is no instinct but that it should have pain and pleasure in relation to its perceptibles.

Similarly, in the heart, there is an instinct called the Divine light, as elicited from the statement of Allah Almighty: "Is one whose heart Allah has opened to Islam, so that he has received enlightenment from Allah, (no better than one hard-hearted)?" (Az-Zumar 22)

﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم ﴿٢٢﴾ ﴾

This instinct might also be called the mind, the internal insight, the light of faith and certainty. Regardless of its different names and terms, the meaning is the same. The heart differs from all parts of the body with a quality therewith it perceives the meanings that are beyond imagination and sense, like the perception of the creation of the world, and its lack of an eternal powerful omnipotent wise creator, who has Divine qualities and attributes.

You may call that instinct the mind provided that it should not be construed as the means to the different ways of debate and disputation. It is the quality therewith man excels the animals, and perceives the gnosis of Allah Almighty, which makes it the noblest of all qualities. This instinct was created in order for man to know, with it, the realities of all things. Its nature agrees with knowledge and science, in which its pleasure lies. It is not hidden that there is a pleasure in the knowledge and science, to the extent that one rejoices when he is attributed to knowledge even of a little thing, and grieves whenever he is attributed to ignorance even of a little thing. Man always persists in acquiring knowledge and science in the particular field in which he is specialized. All of this goes back to the pleasure of knowledge, for knowledge is one of the attributes most unique to the Lord, which is the utmost degree of perfection.

On the other hand, the pleasure of knowledge of sowing and sewing is not like the pleasure of knowledge of ruling and politics, nor is the knowledge of grammar and poetry like the knowledge of Allah Almighty, His attributes, angels and the dominion of the heavens and the earth. However, the pleasure of knowledge is determined by the nobility of the knowledge, and the nobility of knowledge is determined by the nobility of that which is to be known, to the extent that whoever learns the innermost selves of the people finds a pleasure within himself because of that, and if he fails to know it, his disposition requires him to do his best to learn it. Of a surety, his knowledge of the internal self and states of the president or ruler, for example, is more pleasant in his sight than his

knowledge of the internal self of the farmer or a sewer, and the higher the one whose internal self he learns, the more pleasant and delightful it becomes to him.

It seems clear then that the most pleasant of sciences is the noblest among them, and its nobility is determined by the nobility of that to be known. If that to be known is the most perfect, the noblest, the most glorious and the greatest, of a surety, the knowledge of it should be the most pleasant, the most delightful and the noblest of all sciences. By my life, is there anything in the existence, more noble, more grand, more glorious and more perfect than the Creator of all things, Who gives them their perfection and adornment, Who begins the creation and would repeat it once again (in the hereafter), and Who manipulates and organizes all things? Is it imaginable that the presence of any king, no matter how excellent, bright, brilliant and graceful it might be, greater than the presence of the Lord whose glory and excellence are beyond the description of describers?

If you have no doubt about that, then, you should not have doubt as to the fact that the knowledge of the mysteries of the Lord is the highest, the most pleasant, the most delightful, and the noblest kind of knowledge, and it is more fitting for souls to feel perfection, beauty, glory, excellence, and souls are more entitled to rejoice, grow happy and get comforted with that. In this way, it seems evident that knowledge is pleasant, and that the most pleasant knowledge is the knowledge of Allah Almighty, His attributes, acts, angels, manipulation of His dominion, from the utmost height of His Throne (of Majesty) to the lowest bottom of the earth.

Thus, it should be learnt that the pleasure of knowledge is stronger than all other pleasures, i.e. the pleasures of desires and anger, and the pleasures of all five senses. Pleasures differ from each other, first in kind, like the difference of the pleasure of sexual intercourse from that of hearing, the pleasure of knowledge from that of authority; and second in weakness and strength, like the difference of the pleasure of orgasm of him whose sexual desire is strong from that of him who has only a weak sexual desire, and the pleasure of looking at a beautiful and pretty face from the pleasure of looking at a face of inferior beauty.

The strongest of pleasures is known by its effect and influence on the other pleasures. If one is given the freedom to choose to look at a beautiful picture, or smell good odors, and he chooses the former, it would be learnt that the pleasure of looking is stronger in his sight than that of smelling good odors, and so on. That is a true standard therewith it is known how a certain pleasure is preponderant over another.

Let's say that the pleasures are divided into the apparent like the pleasures of the five senses, and the internal like the pleasures of authority, supremacy, dignity, knowledge, and the like of that, which are beyond the five senses. The internal meanings prevail more than the apparent pleasures over the hearts of those endued with perfection. If a man is given the freedom to choose the pleasure of the fat chicken or the pleasure of authority and supremacy: the man of despicable ambitions would choose the flesh and sweet; and the man of high ambitions and perfect mind would choose authority and supremacy on the

exclusion of hunger.

As well as the pleasures of dignity and knowledge prevail over the hearts of those who transcend the age of boyhood and the state of madness, the pleasure of the gnosis of Allah Almighty, the beauty of the presence of the Lord, and looking at the mysteries of Divine things prevails more than the pleasure of supremacy, which is the highest of pleasure that prevail over the hearts of most people. The best expression of that is the statement of Allah Almighty: "Now no person knows what delights of the eye are kept hidden (in reserve) for them, as a reward for their (good) Deeds." (As-Sajdah 17)

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

He Almighty prepared for them that which no eye has ever seen, no ear has ever heard about, and which has never occurred to the mind of anyone.

But none knows that except him who tastes both pleasures together. Of a surety, he comes to know that the pleasure of authority and supremacy is perishable and limited for it is practiced over creatures who are perishable, unlike the other pleasure which is permanent, never-ending and eternal even after death which does not interrupt it in so much as disengages the self from anything that diverts one from it. Such pleasure is void of competition, contest and impurity, and extends to include all the creatures to come to it, for its width is like the breadth of both the heavens and the earth. The fruits of this Garden is eternal and heavenly, and death never exterminates them, since death never destroys the place of the gnosis of Allah Almighty, which is the spirit, and the spirit is a Divine heavenly matter: "Think not of those who are slain in Allah's Way as dead. Nay, they live, finding their sustenance in the Presence of their Lord; They rejoice in the Bounty provided by Allah:. And with regard to those left behind, who have not yet joined them (in their bliss), the (Martyrs) glory in the fact that on them is no fear, nor have they (cause to) grieve." (Al Imran 169-170)

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾

Think not that this is particular to the one who is killed in the battlefield, for the Gnostic has, for each breath he takes, as much reward as is equal to that given to one thousand martyrs. According to a certain narration: "The martyr hopes in the hereafter to be returned to the world in order to be slain once again due to the great reward and honor he receives for martyrdom; and the martyrs hope they were Gnostics, due to the high degree of the Gnostics they see." (the first half of both Al-Bukhari and Muslim on the authority of Anas).

Thus, all sides of the dominion of the heavens and the earth form the field of the gnosis of the Gnostic from which he gets what he likes, with no need to move to it with his body and person. He sees the beauty of the dominion in a Garden whose width is equal to the breadth of the heavens and the earth. Each Gnostic has the same without reducing the portion of each other. But they vary in the width of their fields in proportion to their variation in the width of their vision and extension of their gnosis. They are of different degrees in the Sight of

Allah Almighty; and their degrees are beyond calculation.

It seems clear then that the pleasure of authority and supremacy, which is an internal pleasure, is, in the sight of those endued with perfection, stronger than the pleasures of all five senses. That internal pleasure is not the portion of a boy, a mad, or an animal. At the same time, those endued with perfection combine both the pleasures of the five senses along with the internal pleasure of authority, but they give priority to the pleasure of authority and supremacy.

That the pleasure of the gnosis of Allah Almighty, His attributes, acts, and mysteries of His dominion of the heavens and the earth, is stronger than the pleasure of authority and supremacy is unique only to him who attains the rank of knowledge, and tastes its pleasure. It is impossible to prove that fact to him who has no heart, for the heart is the fountainhead of that power, just as it is impossible to prove that the pleasure of the sexual intercourse is more preponderant than the pleasure of play to the boys or that it is more preponderant than the pleasure of smelling good odors to him who is sexually impotent, for he lacks the attribute therewith such pleasure is attained. But whoever is free from the sexual impotence, and his sense of smelling is good would know, for certain, the disparity between both pleasures. At that point, it might be said: "Whoever tastes should inevitably know (the pleasure of what he tasted)."

As for him who meditates in the gnosis of Allah Almighty, and even a little of the mysteries of the dominion of Allah Almighty has been revealed to him, his heart, at the moment of revelation, would rejoice so much, and wonder at himself, how he is firm and able to tolerate his strong joy and cheerfulness of what has been revealed to him. This is attained only by taste, and any speech in it longer than that is of no use.

This amount is sufficient to bring to your mind that the gnosis of Allah Almighty is the most pleasant thing, over which there is no pleasure.

For this reason, Abu Sulaiman Ad-Darani "may Allah have mercy upon him" said: "Allah Almighty has servants whom neither the fear of the fire nor the hope for Paradise occupies from Him, then, how should the world occupy them from Allah Almighty?" One of the brothers of Ma'ruf Al-Karkhi said to him: "O Abu Mahfudh! Tell us: which thing has caused you to devote yourself to worship and get isolated from the people?" He kept silent, thereupon he asked him: "Is it the mention of death?" He said: "Which thing is death?" He said: "Is it the mention of the grave and the hereafter life?" He said: "Which thing is the grave or the hereafter life?" he further asked: "Is it the fear of the fire and the hope for Paradise?" he said: "Which thing is all of that? No doubt, a king in Whose Hand all of this is, should cause you to forget all things once you love Him; and if there is knowledge between you and Him, this would be sufficient for you."

According to Jesus "peace be upon him": "If you see the man devoted to seek the Lord Almighty, you should know that this has diverted him from anything else." An old man saw Bishr Ibn Al-Harith in a dream and asked him: "What is the news of Abu Nasr At-Tamar and Abd-Al-Wahhab Al-Warraq?" he said: "I

have left them at that moment in front of Allah Almighty, eating and drinking." He further asked him: "Then, what about you?" he said: "Allah Almighty learnt my little desire for eating and drinking, thereupon he gave me the pleasure of looking at His Glory."

It is narrated on the authority of Ali Ibn Al-Muwaffaq that he said: I saw in a dream as if I were made to enter the Garden and behold! There was a man sitting on a repast with an angel on his right side and an angel on his left side giving him from all the delicious kinds of food, and he was eating. I also saw a man standing at the gate of the Garden looking at the faces of people, allowing some to enter and returning others with failure. Then, I left them to the garden of Holiness and I saw a man nearby the Throne (of Majesty), having stretched his sight to look at the Countenance of Allah Almighty. I asked Ridwan (the keeper of the Garden): "Who is that?" He said: "Ma'ruf Al-Karkhi, who worshipped Allah Almighty, not for fear of His fire, nor in longing for His Garden, but just in love for Him, thereupon He allowed for him to look at His Countenance on the Day of Judgement." He mentioned that the other two are Bishr Ibn Al-Harith and Ahmad Ibn Hanbal.

That is the significance of the statement of Abu Sulaiman Ad-Darani "may Allah have mercy upon him": "Whoever today is engaged in himself, would remain engaged in himself in the morrow; and whoever today is engaged in his Lord would be engaged in his Lord in the morrow."

Ath-Thawri asked Rabi'ah: "What is the real nature of your faith?" she said: "I have never worshipped Him for fear of His fire, nor in the hope of His Paradise, thereby I would be like the evil hireling. But I have worshipped Him out of love and longing for Him." In that meaning, she composed the following poetic verses: "I love You two loves: I love You out of passion, and I love You for You are fitting for love. As for the love out of passion, it is my engagement in Your celebration and remembrance from anything else. As for the love for which You are fitting, it is Your revealing to me the veils so that I would be able to see Your Glory. In both I am not praised, for all perfect praise be to You in both."

She intended by the love out of passion that she loved Allah for His kindness and favors upon her, through the transitory fortunes; and by the love for which He is fitting, she intended that she loved Him for His Beauty, Glory and Excellence, that was revealed to her, and that is the higher and stronger of both kinds of love. It is the pleasure of seeing the beauty of the Lord which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" referred to in his statement relating from his Lord: "I have prepared for My good righteous servants that which no eye has ever seen, no ear has ever heard about, and which has never occurred to the mind of anyone." (Al-Bukhari on the authority of Abu Hurairah).

Some of those pleasures are hastened on in this world but for those whose hearts attain the utmost degree of purity; and this is the significance of the statement of one of them: "I say 'O Lord, O Allah', thereupon I find that on my heart heavier than the mountains, for the call is from behind a veil. Have you seen a sitter calling his sitter?" The purpose of all the Gnostics is to be in touch

with and meet Him Almighty. That is the comfort and pleasure of the eye, which no soul knows what is kept thereof for it. Once it is attained, all anxieties and desires vanish, and the heart is engrossed in its pleasure, to the extent that were he to be thrown in the fire, he would not sense its pain, and were the pleasures and delights of Paradise to be offered to him, he would pay no attention to it, due to the perfection of his pleasure, and attaining the utmost finale beyond which there is no further finale.

By my life, how one who does not understand but the love for the sensibles taste the pleasure of looking at the Countenance of Allah Almighty? What is the significance of Allah's promise of that to His servants in the hereafter, as it is the greatest of all pleasures at all? Furthermore, whoever knows Allah Almighty would come to learn that all desires and pleasures, whatever they might be, are included under that great pleasure. The pleasure of the gnosis of Allah Almighty prevails over all pleasures of eating, drinking, and even sexual intercourse. Paradise is to please the senses, whereas the pleasure of the heart is only to meet Allah Almighty.

Following is an example for the development of the pleasure among the people: the boy, with the commencements of his movement and discernment, an instinct appears in him, therewith he gets pleasure in play and amusement and it is in his sight the most pleasant of all things. After that, he experiences the instinct of adornment and putting on the smart clothes, and riding mounts, with which he regards with slightness the pleasure of play and amusement. After that, the pleasure of sexual intercourse and desire for women appears in him, with which he leaves all the other pleasures and does his best to attain it. Then, the pleasure of loftiness, authority, supremacy and multiplying (in rivalry) appears in him, and this is the last and the highest and the strongest of all the worldly pleasures, as confirmed by Allah Almighty in His statement: "Know you (all), that the life of this world is but play and amusement, pomp and mutual boasting and multiplying, (in rivalry) among yourselves, riches and children. Here is a similitude; how rain and the growth which it brings forth, delight (the hearts of) the tillers; soon it withers; you wilt see it grow yellow; then it becomes dry and crumbles away. But in the Hereafter is a Penalty severe (for the devotees of wrong). And Forgiveness from Allah and (His) Good Pleasure (for the devotees of Allah). And what is the life of this world, but goods and chattels of deception?" (Al-Hadid 20)

﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾

After that another instinct appears in him, therewith he attains the pleasure of the gnosis of Allah Almighty and His acts and attributes, with which he regards with slightness all the previous pleasures. Thus, the more a pleasure appears later, the stronger it is than what is prior to it.

That is the natural gradation of pleasures: The love for play appears in the age

of childhood, the love for women and adornment in the age of adulthood, the love for authority and supremacy over twenty, and the love for knowledge towards the age of forty; and that is the supreme finale. As well as the boy laughs at him who leaves play and engages in adoration of women and pursuit of authority, the rulers laugh at those who leave authority and ruling and rather engage in the gnosis of Allah Almighty.

CHAPTER FIVE

EXPOSITION OF WHY THE PLEASURE OF LOOKING IN THE HEREAFTER EXCELS THE PLEASURE OF THE GNOSIS IN THE WORLD

It should be known to you that the perceptibles are divided into what is subject to imagination like the imagery and colourful and manifested forms of animals, persons and plants; and what is not subject to imagination like the Essence of Allah Almighty and all that is not a body such as knowledge, power, will, and the like of them. Whoever sees a man and then lowers his sight, he would find his picture present in his imagination as if he is looking at him. But once he opens his eye and looks at his person, he would detect differences between both (the imaged and the real pictures). Of a surety, the differences do not go back to the difference between both pictures, for the seen picture agrees with the imaged one. But those differences go back to the increasing clarity and brightness. The seen picture is clearer and more bright. Its example is like a person who sees a thing a short time before the daybreak, and then sees it once again when it is clear daylight. The difference between both pertains only to the increasing clarity and brightness.

Thus, imagination is the first commencement of perception, and vision completes that perception. It is the utmost degree of exposure. It is called vision for it is the utmost degree of exposure and not because it pertains to the eye. Were Allah Almighty to create the perfect perception in the forehead or in the breast, it would also deserve to have the name of vision.

Having understood this in the imaged things, it should be known to you that there are two degrees to perceive the information that are not formed in imagination: the first is essential and the second is complementary; and between both degrees, there are nuances of difference concerning clarity and exposure just like what is between the imaged and the real. The second is called, in comparison with the first, vision, contemplation, and meeting. It is called vision for it represents the utmost degree of exposure. As well as it is the established way of Allah Almighty that closing the eyelids prevents from perfect exposure through vision, as being a veil between the sight and what is seen, which should be removed in order for the vision to occur, it is also the established way of Allah Almighty that so long as the soul is veiled by the incidents of body and requirements of desires and prevailing human characteristics, it fails to achieve contemplation and meeting as regards the information outside the imagination. This life veils it as the eyelids veils the eye from vision. Why it is a veil takes too long to explain here, and it is not fitting for the knowledge of practical religion.

That is the significance of the statement of Allah Almighty to Moses "peace be upon him" when he asked to see Him: "By no means can you see Me (direct)." (Al-A'raf 143)

﴿ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾

He further said: "No vision can grasp Him. But His grasp is over all vision: He is above all comprehension, yet is acquainted with all things." (Al-An'am 103)

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾

Of course He refers here to this world. It is true that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did not see Allah Almighty on the Night Journey to the Heaven. If the veil is removed by death, the soul remains contaminated with the impurities of this world, in which they are different: some of them have impurities and rust accumulated on them, thereupon they corrupted, and those are veiled from the vision of their Lord. Others do not reach the degree of rust, and are susceptible to be polished, and those would be offered to the fire for some time, until the impurities would be removed from them. The duration of that ranges from a short while to seven thousand years, according to the different narrations in this respect. No soul would leave this world without being stained with something of impurities of this world, no matter how little it might be. That is confirmed by the statement of Allah Almighty: "Not one of you but will pass over it: this is, with your Lord, a Decree which must be accomplished. But We shall save those who guarded against evil, and We shall leave the wrong-doers therein, (humbled) to their knees." (Maryam 71-72)

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾

Each souls is certain to pass over the fire, and uncertain of leaving it. If Allah Almighty purifies and justifies it to the best, and the decree is accomplished, and the reckoning promised by Sharia is finished, and the Garden becomes due, whose time is unspecific which none knows, at that time, every soul is engaged in its purity and cleanness, where neither dust nor dirt troubles the face, for in it the Real rises with His Glory, thereupon He rises to him in such a way that His emergence to him in comparison with what he learnt is like the emergence of the real in comparison with what he imagined. That contemplation and emergence are called vision.

Vision then is a fact, provided that it should not be construed as reference to an imagined thing in a particular place: Exalted be Allah from all of this. On the contrary, as you know Him perfectly in this world, with no imagination of a particular image or definite form, you would se Him as such in the hereafter. Let me say, therefore, that the same gnosis that is attained in the world would be completed and perfected in the hereafter by contemplation and vision, with no difference between what is known in the world and what would be seen in the hereafter other than the increasing clarity and brightness, just as the imagination is perfected and completed by vision.

If the gnosis in this world does not imply any definite form of His Countenance, when this gnosis is completed and perfected in the hereafter, it also would not imply any definite form of His Countenance, for the difference, as we

have already mentioned, does not go beyond the increasing clarity and brightness. To this He Almighty refers in His statement: "Their Light will run forward before them and by their right hands, while they say, "Our Lord! Perfect our Light for us, and grant us Forgiveness: for You have power over all things."" (At-Tahrim 8)

﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

To be sure, the perfection of light does not effect but in the increase of clarity.

That is why it is only the Gnostics in this world who would attain the degree of vision in the hereafter, for the gnosis in this world is the seed which turns into a tree of vision in the hereafter, just as the kernel turns into a date-palm; and whoever has no kernels in his land, how should he get date-palms in the end? Whoever does not sow the seeds in the land, how should he harvest the cultivation? Similarly, whoever does not know Allah Almighty in this world, how should he see Him in the hereafter? As well as the gnosis is of different degrees in this world, the vision in the hereafter accordingly would be of different degrees. The difference of vision according to the difference of gnosis is like the difference of plants according to the difference of seeds. From this perspective, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah Almighty would rise (with His Glory) to the people in general, and to Abu Bakr from among them in particular." (Ibn Adi on the authority of Jabir).

Think not that those who are less in rank than Abu Bakr "Allah be pleased with him" would taste the same pleasure of vision and contemplation as he would taste. If one's gnosis in this world is one-tenth that of Abu Bakr "Allah be pleased with him" he should taste only one-tenth Abu Bakr's pleasure of vision, and so on. As well as you see in this world such as gives priority to the pleasure of authority and supremacy over food and marriage, and such as gives preference to the pleasure of knowledge and exposure of the mysteries of the dominion of the heavens and the earth, and all Divine matters over the pleasure of authority and supremacy, food, marriage, and all corporal pleasures, similarly, in the hereafter, there would be such as give priority to the pleasure of looking at the Countenance of Allah Almighty over the bliss of Paradise, whose pleasure goes back only to food and marriage. It is those who give preference in this world to the pleasure of knowledge, gnosis and acquaintance with the mysteries of the Lord Almighty over the pleasure of marriage, food and drink, with which almost all the people are concerned.

For this reason, when Rabi'ah was asked about her opinion in the Garden, she said: "The neighbour should be first and then the abode." She showed that she had no concern with the Garden but with the Lord of the Garden. Whoever does not know Allah in this world would not see Him in the hereafter, and whoever does not taste the pleasure of gnosis in this world would not detect the pleasure of vision in the hereafter, for none harvests but the produce of what he cultivates, nor would he be mustered in the hereafter but on the very thing on which he dies in this world, nor does he die but on the very state in which he

lives. It is the gnosis that accompanies him in this world which would be the provision with which he would be blessed in the hereafter, with the difference that it turns into vision and contemplation, by removing the lid, thereupon the pleasure is multiplied in the same way as the pleasure of the lover is multiplied if the imagined picture of his beloved is replaced with seeing his/her person; and this is the utmost degree of pleasure.

On the other hand, the Garden is good and has for each one what he desires for. Whoever desires only for the meeting of Allah Almighty would taste no pleasure other than that, and even any other pleasure might harm him. Thus, the bliss of the Garden is in proportion to the love for Allah Almighty. The principle of happiness is the gnosis which Sharia describes as the faith.

You may argue: "If the pleasure of vision is to be measured on the pleasure of gnosis, it should be weak, for the latter is weak, and even if it is multiplied, it would not become too strong to cause one to regard with slightness all other pleasures of Paradise." In reply to that, it should be known to you that this slightness with which the pleasure of gnosis is regarded goes back to the absence of gnosis: whoever lacks gnosis, how should he be able to taste its pleasure? Even, if he has only weak gnosis and his heart is attached to the things and benefits of this world, how should he be able to perceive its pleasure? The Gnostics in their gnosis, meditation, and private talk with Allah Almighty, have of indescribable pleasures that if the Garden with all its pleasures is offered to them in this world, by no means would they replace them with it. On the other hand, the pleasure of meeting and contemplation is incomparable to this pleasure of gnosis, given its perfection and completion, just as the pleasure of seeing the real person of the beloved is incomparable to the pleasure of the picture imagined of him/her, and the pleasure of smelling the good smell of delicious food is incomparable to the pleasure of tasting it, and the pleasure of touching with the hand is incomparable to the pleasure of sexual intercourse.

In order to show how great the difference between both is, let's give an example: The pleasure of looking at the face of the beloved in this world varies due to many causes: First is the perfection and imperfection of the beauty of the beloved: The more the beloved is perfect in beauty, the more looking at his/her face is pleasant. The second is the perfection of the power of love, desire and attachment: the more one is attached to and desirous for the beloved, the more his looking at his/her face is pleasant. the third is the perfection and imperfection of perception: the more one sees his/her beloved direct and close, and not from behind a partition or a screen, the more his looking at his/her face is pleasant; and of a surety, the pleasure of sleeping with one's beloved as naked with no garment between both is incomparable to the pleasure of sleeping with him/her with a garment to separate between their bodies. The fourth is to eliminate the distracting impediments and pains that divert the heart: no doubt, the pleasure of the sound healthy one who is devoted to looking at his/her beloved is different from the pleasure of the unhealthy or scared one, or him whose heart is engaged in something else.

On that basis, you should compare looking in the hereafter with gnosis in this world: the screen represents the body, scorpions and bees represent the desires and lusts, the weakness of desire and love represents the self-shortage in this world and lack of love for the highest company (of angels), and rather devotion to the lowest of the low things, just like the boy's shortage of observing the pleasure of authority and supremacy and rather devotion to the pleasure of the play with the bird.

No matter how strong the gnosis of the Gnostic in this world, it could hardly be free form distracting impediments, which might be weak in some cases. No doubt, what seems from the beauty of gnosis might astound the mind, and bring about pleasure so much that the heart is about to rent asunder because of its enormity, but it is only like the flash of lightning which lasts only for a very short time. This is characteristic of this perishable life, unlike the permanent good life after death, in which there would be no trouble, nor suffering, nor fatigue, as confirmed by the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "The real life is that of the hereafter." Allah Almighty also said: "What is the life of this world but amusement and play? But verily the Home in the Hereafter, that is life indeed, if they but knew." (Al-Ankabut 64)

﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

Whoever attains that rank loves, indeed, to meet Allah Almighty, and loves death accordingly, which he does not dislike except as much as he expects to increase his gnosis in life before death. The gnosis is like a deep vast ocean which has no limit. It is impossible to fathom the glory and majesty of Allah Almighty. The more the gnosis of Allah Almighty, His attributes, acts, and mysteries of His dominion of the heavens and the earth, increases and is intensified, the bliss and pleasure in the hereafter increase and become strong, just in the same way as the more one's sowing is good, the more the cultivation and harvest increase and become good. That sowing is possible only in this world, and it could not be cultivated in a place other than the heart, and the harvest would be gathered only in the hereafter.

For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The best happiness is the long lifetime to be spent in obedience of Allah Almighty." That is because the gnosis of Allah Almighty becomes more complete, perfect and vast the more one's lifetime is long. Whoever loves death then loves it because he thinks he has reached the utmost and farthest extreme of gnosis after which there is no gnosis available to him; and whoever dislikes death does so because he hopes for more gnosis to attain through his long lifetime. That is why death is liked and disliked in the sight of Gnostics.

But all the other people are limited in their vision of death to their worldly desires and lusts: If they are extensive, they would like to survive in this world, and if they are limited, they would hope to die and leave this world. All of this is out of deprivation and loss whose source is ignorance and heedlessness. Both ignorance and heedlessness are the fountainhead of every kind of misery and wretchedness, whereas gnosis and science are the cause of every kind of happiness and pleasure.

With what we have previously mentioned, you have known the significance of love and attachment, the significance of the pleasure of gnosis, the significance of vision, the pleasure of vision, and why it is the most pleasant of all the other pleasures in the sight of those endued with minds and perfection, and not so in the sight of those of shortage, just as the pleasure of authority and supremacy is not the most pleasant in the sight of children.

You may ask: "What is the place of this vision in the hereafter: the heart or the eye?" In reply, it should be known to you that the people are different in this issue. But these endued with deep insights do not care about that difference. However, the mindful eats the herbage without asking about the ground in which it is planted, and whoever desires to see his/her beloved, his attachment engages him from asking whether his vision would be with his/her heart or eye. That is because his/her intention is the vision and its pleasure, whether with the eye or with anything else.

As for what would be in the hereafter, we could not give any judgement but depending on what is heard from traditions and narrations. According to the people of established way and community, it seems to them depending upon the quotations and evidences of Sharia and traditions, that this vision would be attained with the eye, taking the verbs of vision and looking on their apparent meaning, which should not be removed unless there is a compelling necessity for it; and Allah Almighty knows best.

CHAPTER SIX
EXPOSITION OF CAUSES THAT STRENGTHEN LOVE FOR ALLAH ALMIGHTY

It should be known to you that the happiest of people in the hereafter are those who have the strongest love for Allah Almighty in this world. That is because the hereafter is that one comes to Allah Almighty and attains the happiness of meeting Him; and how great the bliss of the lover is when he comes to his beloved after an extensive longing, and is able to see him with his own eyes forever, with neither embitterment nor disturbance, neither watcher nor competitor, neither fear nor worry of interruption. But this bliss is always estimated in proportion to the strength of love: The more one's love increases, the more the pleasure increases accordingly.

The servant obtains that love for Allah Almighty in this world, and almost all the faithful believers experience the fundament of that love, for they have the fundament of knowledge and gnosis. What most of them have not is the strong and high degree of love that possesses the self and reaches up to the level of attachment.

However, there are two causes why that love for Allah Almighty increases in this world and becomes strong as such:

One is to cut off all relations with this world, and disengage the heart from love for anyone else other than Allah Almighty. The heart is like a utensil which could not contain vinegar unless water comes out of it first. In confirmation of that, Allah Almighty said: " Allah has not made for any man two hearts in his (one) body." (Al-Ahzab 4)

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴿٤﴾ ﴾

The perfection of love is to love Allah Almighty wholeheartedly. As long as he turns to anyone else, then, a corner of his heart is engaged in another than Allah. As much as one is engaged in another than Allah Almighty, his love for Allah Almighty decreases, just in the same way as in proportion to what remains of water in the utensil, the quantity of poured the vinegar decreases. To this fact Allah Almighty referred in His statement: " Say: "Allah (sent it down)": then leave them to plunge in vain discourse and trifling." (Al-An'am 91)

﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾

And: "In the case of those who say, "Our Lord is Allah," and, further, stand straight and steadfast, the angels descend on them (from time to time): "Fear you not!" (they suggest), "Nor grieve! but receive the Glad Tidings of the Garden (of Bliss), that which you were promised!" (Fussilat 30)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

Nay! It is the significance of your testification: "There is no god but Allah", i.e. there is none worthy of worship and love except for Allah Almighty. One worship only whomever he loves. That is the significance of the statement of Allah Almighty: "Then see you such a one as takes as his god his own vain desire?" (Al-Jathiyah 23)

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾

For this reason, he "peace be upon him" said: "The most hateful god to be worshipped on earth is one's inclination and desire." He "peace be upon him" further said: "Whoever said with sincere faith 'There is none worthy of worship except for Allah' shall enter Paradise." Sincere faith here is to devote oneself to Allah Almighty in such a way as there remains in his heart no partner with Allah Almighty. In this way, Allah Almighty becomes his sole beloved, purpose and desired goal and objective. Whoever is in such a state, then, the world is his prison, for it impedes him from seeing his beloved, whereas death is his salvation from that prison, and coming to his beloved.

No doubt, one of the causes of the weakness of love for Allah Almighty is the strength of love for this world, including the love for property, family, offspring, kith and kin, estates, riding mounts, gardens, etc, to the extent that he who rejoices at the sweet voice of birds and the soft touch of dawn breezes is devoted to the bliss of this world, which exposes him to the reduction of the love for Allah from his heart. As much as he is affable with this world, his intimacy with Allah Almighty decreases. None is given anything in this world but that he would be deprived of the like of it in the hereafter, just as much as one comes close to the East, he moves away from the West, and as much as he pleases the heart of one of his wives, he disturbs the heart of her fellow-wife. Both the world and the hereafter are fellow-wives, and they are like the East and the West. This fact has

been revealed to the masters of hearts and insights clearer and more evident than the vision with the eyes.

The way to remove the love for this world from the heart is to abstain in it, stick to patience and perseverance, and be led to Allah Almighty by the rein of fear and hope. What we have already mentioned of the stations of asceticism, patience, gratitude, repentance, fear and hope, are commencements towards one of both corners of love, i.e. to disengage the heart from anything other than Allah Almighty. The first step in it is to have faith in Allah Almighty, the Day of Judgement, the Paradise and fire, therefrom spring fear and hope, therefrom spring repentance and patience on them. All of this leads to abstinence from this world, property, majesty, and all worldly fortunes, until the heart gets purified from all things other than Allah Almighty, and expanded to the gnosis and love for Allah Almighty. All of this is but commencements of purifying the heart. That is one of both corners of love, to which refers the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Purity constitutes half the faith." (Muslim on the authority of Abu Malik Al-Ash'ari).

The second cause of the strength of love for Allah Almighty is the strength and extension of the gnosis of Allah Almighty, and the extent to which it possesses the heart. After purifying the heart from all worldly benefits and engagements, it becomes ready for the seed of love to be sowed in it, like the good soil after being cleaned from grass and its like. There springs from that sowing the tree of love and gnosis. It is the goodly word which Allah Almighty set forth as an example when He said: " See you not how Allah sets forth a parable? A goodly Word like a goodly tree, whose root is firmly fixed, and its branches (reach) to the heavens, It brings forth its fruit at all times, by the leave of its Lord. So Allah sets forth parables for men, in order that they may receive admonition." (Ibrahim 24-25)

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

He also said: " To Him mount up (all) words of Purity: It is He Who exalts each Deed of Righteousness." (Fatir 10)

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴿١٠﴾ ﴾

Those words of purity stand for gnosis, and the good and righteous deed is like the riding mounts that raise this gnosis, or like the servant. The purpose of the righteous deed is to purify the heart from all the worldly benefits. It is intended only for that gnosis. As for the knowledge of how to work, it is intended only for work. Knowledge, in this sense, is the first and the last. But the first is the science of practical religion (Mu'amalah), whose purpose is work, and the purpose of practical religion is to purify the heart in order for the real to seem evident in it, and it get adorned for the science of gnosis, which is the science of revelation (Mukashafah).

Once this gnosis occurs, love necessarily follows it. It is like the case in which if the one of good temper perceives and sees the beautiful thing with his eyes, he

would soon incline to and love it, and once he loves it, he receives pleasure from that love, for pleasure necessarily follows love, and love necessarily follows gnosis. This gnosis is attained after disengaging the heart from all worldly relations and benefits only through permanent celebration (of the Praises of Allah), pure meditation, earnest seriousness in pursuit of it, and continuous reflection of Allah Almighty, His attributes, acts, the dominion of His heavens and earth, and all of His creatures.

The obtainers of this rank are divided into: The strong, who know Allah Almighty first, with Whom they come to know anything else; and the weak, who know the acts first, from which they promote to know the actor. To the former refers the statement of Allah Almighty: "Is it not enough that your Lord does witness all things?" (Fussilat 53)

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

And: "There is no god but He: that is the witness of Allah, His angels, and those endued with knowledge, standing firm on justice. There is no god but He the Exalted in Power, the Wise." (Al Imran 18)

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

From this perspective, somebody was asked: "With which thing have you known your Lord?" he said: "I have known my Lord first, and had it not been for my Lord, I would not have known my Lord at all." To the latter refers the statement of Allah Almighty: "Soon will We show them Our Signs in the (furthest) regions (of the earth), and in their own souls, until it becomes manifest to them that this is the Truth." (Fussilat 53)

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾

And: "Do they see nothing in the government of the heavens and the earth and all that Allah has created?" (Al-A'raf 185)

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ ﴾

And: " Say: "Behold all that is in the heavens and on earth"; but neither Signs nor Warners profit those who believe not." (Yunus 101)

﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾

And: "He Who created the seven heavens one above another: No want of proportion will you see in the Creation of (Allah) Most Gracious. So turn your vision again: see you any flaw? Again turn your vision a second time: (your) vision will come back to you dull and discomfited, in a state worn out." (Al-Mulk 3-4)

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ
ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾

This way is easier on the majority, and larger for the sojourners. To it the Qur'an invites people most when it calls them to consideration, meditation and reflection on the signs of Allah Almighty.

You may argue: "But even, both ways are difficult. So, clarify to us with which of them could aid be sought to acquire gnosis and attain love therewith." In reply to that, it should be known to you that the higher way is to attest, with the Real Almighty, the existence of all the creatures. But it is abstruse, and to talk about it is beyond the reach of understanding of most people. So, there is no benefit to talk about it in the books whatever they might be. As for the easier and lower way, the greatest part of it lies within the limits of the understanding of most people. But minds fall short of understanding it for they turn away from meditation and reflection, and rather engage in the worldly benefits and desires. But the signs with which the gnosis of Allah is attained are beyond calculation, for there is no atom in the heavens or on earth or in what is between them but that it signifies to the perfect power, wisdom, glory and beauty of the Real Almighty. In confirmation of that, Allah Almighty said: " Say: "If the ocean were ink (wherewith to write out) the words of my Lord. Sooner would the ocean be exhausted than would the words of my Lord, even if we added another ocean like it, for its aid."" (Al-Kahf 109)

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾

To delve into that is to plunge into the sciences of revelation. Moreover, by no means could we make it intrude the sciences of practical religion.

It is by the easier and lower of both ways that the gnosis of Allah Almighty increases, and by the increase of the gnosis of Allah Almighty, the love for Him increases.

So, if you pursue the happiness of meeting Allah Almighty (in the hereafter), you should leave the world with all that it contains behind your back, and dedicate your entire lifetime to the permanent remembrance of Allah Almighty and continuous meditation and reflection of His signs, perchance you would get a little amount of this gnosis, but with that little amount, you would attain a great endless dominion.

CHAPTER SEVEN
EXPOSITION OF WHY PEOPLE VARY IN LOVE

It should be known to you that the faithful believers are equal in the principle of love, for they are equal in love itself. But, at the same time, they vary according to their variance in their portion of gnosis and love for this world. However, things differ in accordance with the disparity of their means and causes, and most people do not know from Allah Almighty other than His names and attributes which they heard and which hit their ears, thereupon they kept and memorized, and perhaps imagined for them meanings from which Allah Almighty, the Lord of all lords, is exalted and hallowed; and perhaps they did not understand their real nature, nor imagined any meanings for them, and rather believed in them by way of submission and trust, and engaged in work and left search. Those are the safe among the companions of the right hand, versus these of imaginations, who belong to the straying ones. The third class are the Gnostics who are knowledgeable of the realities and facts, and those are the nearest to Allah Almighty.

Allah Almighty mentioned those three classes in His statement: "And you shall be sorted out into three classes. Then (there will be) the Companions of the

Right Hand; what will be the Companions of the Right Hand? And the Companions of the Left Hand; what will be the Companions of the Left Hand? And those Foremost (in Faith) will be foremost (in the Hereafter). These will be those Nearest to Allah." (Al-Waqi'ah 7-11)

﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝ ﴾

He Almighty mentioned their states in detail, and then said: " Thus, then, if he be of those Nearest to Allah, (There is for him) Rest and Satisfaction, and a Garden of Delights. And if he be of the Companions of the Right Hand, (For him is the salutation), "Peace be unto you," from the Companions of the Right Hand. And if he be of those who treat (Truth) as Falsehood, who go wrong, For him is Entertainment with Boiling Water, And burning in Hell-Fire." (Al-Waqi'ah91:94)

﴿ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ۝ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝ ﴾

Both the layman and the insightful share in the love for Allah Almighty, as being the Creator and Lord of all the worlds. But the insightful contemplates the wonders of the making of Allah Almighty, which astounds his mind and puts him to astonishment, and increases the greatness, glory, majesty and perfection of attributes of Allah Almighty in his heart, thereupon he increases in love for Him. The more one knows and perceives of the wonders and marvels of the making of Allah Almighty, the more he attests the glory, majesty and perfection of Allah Almighty, and the more he increases in gnosis and love for Him. To be sure, the ocean of this kind of gnosis, i.e. the knowledge of the wonders of the making of Allah Almighty, is endless, which means that the disparity of Gnostics in their love also is endless.

The disparity of love also might go back to the difference of the five causes we have mentioned for love: whoever loves Allah, for example, for He does good to, and confers favors upon him, and not for the sake of Him only, his love is weak for it changes by the change of the good that he receives. Of a surety, his love in the state of trial and distress differs from his love in the state of pleasure and satisfaction. But whoever loves Him for the sake of Him only, as He deserves love because of His perfection, glory, beauty and grandeur, his love remains unchangeable, for it is not subject to the different states of good he receives. This is why people are different in their love. Of a surety, the disparity in love leads to disparity in happiness of the hereafter. That is the significance of the statement of Allah Almighty: " but verily the Hereafter is more in rank and gradation and more in excellence." (Al-Isra' 21)

﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۝ ﴾

CHAPTER EIGHT

EXPOSITION OF WHY PEOPLE'S MINDS FALL SHORT OF GNOSIS OF ALLAH ALMIGHTY

It should be known to you that the most evident and the most apparent in existence is Allah Almighty, and this requires that gnosis of Him should be the first to occur to minds, and be easier upon understanding. But it is the opposite of that which is observable. So, it is necessary to explicate the cause that lies behind it.

To be sure, the existence of Allah Almighty, His power, knowledge, perfection, glory, majesty, and all of His attributes are attested by all that is visible and perceptible by the external and internal senses, like the heavens, the earth, the trees, the mountains, the plants, the stones, the oceans, the planets, the stars, etc. Moreover, the first testimony to it comes from our own selves and bodies with their attributes and characteristics, our changing states and turning hearts, and our movement from stage to another, and so on. The most evident things to our knowledge is our selves, and then the external perceptibles that under our five senses, and those under our mind and insight. Each of those perceptibles have only one sense, one indication and one testimony. But all that is in the universe are indications and testimonies to the existence of their Creator, Manipulator, Mover, and Disposer, and to His power, knowledge, perfection and wisdom. The perceptible existents are beyond calculation and measure. Each atom in existence confirms that it does not exist nor move by itself, but it needs to such as brings it to existence and then moves it.

That is attested first by the composition of our bodies from bone, flesh, blood and nerves, in a marvelous and miraculous way that is beyond the reach of the power of any human being to imitate or even understand entirely. Of a surety, we know, for certain, that this is not composed by itself, in so much as it needs to a composer. Since there is nothing in universe, be it abstract or concrete, present or absent, but that it is a testimony and evidence for Allah's grandeur and perfection, minds have been dazzled and confounded from perceiving that.

What our minds fall short of perceiving goes back to two causes: the first is its being extremely hidden and abstruse, and this matter is self-evident. The other is its being extremely clear and apparent. Its example is like the pat which sees at night and fails to see during the day, due to the extreme clarity and appearance of the daylight, for the pat's sight is very weak and thus is affected and dazzled by the sunlight when sunrises, for the strength of clarity with the weakness of its sight causes it to fail to see. We do not see a thing unless light is mixed with darkness in a way that makes weak its emergence. Similarly, our minds are weak, and the beauty and glory of Divine presence are in the utmost degree of brightness and clarity, illumination and rising, comprehension and perfection, to the extent that no atom in the dominion of the heavens and the earth escapes from His emergence. In this way, His emergence is a cause of His concealment. Glorified be Allah Who has been veiled by the rising of His light, and been hidden from sights by the emergence of His glory and majesty.

One should not wonder at anything's being hidden because of its being

apparent, for things seem clear on the light of their opposites. Such as whose existence is too comprehensive and perfect to have an opposite, its perception is very difficult. If things are different, their difference would indicate to each other, unlike the case of similarity, in which perception becomes difficult. The example of that is the light of the sun that rises on earth. We know that it is an accident that occurs in the earth and then vanishes when sun disappears. Were sun to rise forever and never sets, we would have thought that bodies have no definite forms other than their colours, i.e. whiteness and blackness, and what is between them. We do not see in the black but the blackness, and in the white but the whiteness. But as for light itself, we do not perceive it alone. But when sun disappears and it becomes dark, we come to know the difference between both states. We learn that bodies are illuminated by the sunlight, which gives them a characteristic different from that they acquire when sun sets. Thus, we know the existence of light from its absence, and but for its absence, it would have been very difficult for us to know that. That is because we see things similar to and not different from each other during darkness and light, given that light makes visible all perceptibles since with it all things are perceived.

Sun then is self-evident, and it makes visible all things. Consider then how it becomes abstruse because of its emergence, unless its opposite occurs upon it. Allah Almighty, therefore, is the most evident and the most apparent, and with Him all things are made apparent and visible. Were He to become absent or disappear or change (for a moment like such creatures as sun), Exalted be Allah from that, the dominion of the heavens and the earth, and all things in existence would have ceased to function, and people then would have come to know the difference between both cases. Similarly, were some things to exist by Him and some by another one else, you also would have come to know the difference between both things. But since all things exist by Him Alone, and thus indicate to the existence of Him alone, and His existence is eternally permanent and it is impossible to otherwise imagine, such utmost degree of emergence led to concealment. That is why minds fall short of understanding.

But whoever has his insight strong does not see, in case he is in his normal state, nothing in existence but Allah Almighty. His acts are but traces of His power and will. They do not exist in reality, for the real existence is for the One and Only, with Whom all acts exist. Whoever is in such a state does not look at an act but that he sees the Actor and Maker, and do not regard the act itself as being the heavens, earth, animals and trees, in so much as being the making of the One and Real. In this way, his sight does not go beyond Him. All the world is but the composition of Allah Almighty. Whoever regards it from this perspective, i.e. as being the making and composition of Allah Almighty, and knows that it is the act of Allah Almighty, and loves it simply because it is the act of Allah Almighty, he indeed does neither see nor know nor love but Allah Almighty. That is the real monotheist who does not see but Allah Almighty. He does not look at himself but as being one of the servants of Allah Almighty. It is that who consumes himself in monotheism.

Those matters are known to those endued with deep and strong insights. But

they are abstruse only for minds fall short of understanding and perceiving them, and the religious scholars fail to clarify and explicate to be understandable enough to the people, or because they engage in themselves and think that it does not matter them to explicate those issues. This is why minds fall short of having gnosis of Allah Almighty.

Additionally, all the perceptibles that attest the existence of Allah Almighty are perceived by man from the early childhood, i.e. before the age of discernment. Then, the instinct of reasoning grows in him step by step, while he is involved in his desires and lusts, and affable with his perceptibles, whose impact thus vanishes from his heart. For this reason, if he sees, all of a sudden, a strange animal, plant or a supernatural act of Allah Almighty, his tongue would soon speak with gnosis saying: "Exalted be Allah!" but even, although he sees, during night and day, the parts of his body, animals, plants, and all things familiar to him, which all attest the existence of Allah Almighty, he does not sense their testimony due to his long intimacy with them.

Suppose that there is a blind mature rational man, and suddenly the covering of darkness is removed from his sight, and his sight stretches towards the sky, the earth, the trees and the animals and their like, all at once, his mind might likely be confounded by his great astonishment of the numerous testimonies of these wonders of the existence of their Creator.

This, and its like of causes, in addition to man's involvement in desires and lusts have impeded people from seeking light with the light of gnosis. People, in their pursuit of the gnosis of Allah Almighty, are like the astounded man who searches for his donkey, though he is riding it. If a very evident thing is pursued, it would turn abstruse. That is the mystery which lies behind this matter. So, it should be investigated with verification.

CHAPTER NINE

EXPOSITION OF MEANING OF LONGING FOR ALLAH ALMIGHTY

It should be known to you that whoever denies the reality of love for Allah Almighty, should, necessarily, deny the reality of longing for Him, since longing could not be imagined but for a beloved, and we affirm the existence of longing for Allah Almighty, to which the Gnostic is forced, by way of consideration and vision through the lights of insights, and by way of transmission through the narrations and traditions about it.

As for the way of consideration and vision, what has previously been mentioned to affirm love is sufficient to affirm longing here. Of a surety, every lover has longing for his beloved in his absence. If he is present, no doubt, he would have no longing for him. Longing is only for that which is absent. To explicate it, longing is imagined to be for a thing that is perceived in part and not perceived in another part. But as for what is not perceived at all, there is no longing for it. If one does neither see nor hear about somebody, he would not have longing for him at all. Similarly, there is no longing for a thing that is perceived entirely, given that the perfect perception is achieved by vision. Whoever sees his beloved regularly is not imagined to have longing for him. That is because, as we have mentioned, longing pertains to that which is perceived in

part and not perceived in part. This could not be made clear, from two perspectives, but through an example from the reality:

Let's say that if one has his beloved absent from him, and only his image remains in his mind, he needs to perfect this image with vision. If his image, remembrance and knowledge are removed from his mind, to the extent that he comes to forget him, he is imagined to have no longing for him at all. Were he to see him regularly, he is not imagined to have longing for him at the moment of vision. Longing then means that he desires to perfect and complete his image with vision. Similarly, he might seen him in darkness in a way that does not allow him to seem clear to him, thereupon he needs to complete that defective vision in the rising light.

The second is that he might see only the face of his beloved, and does not see his hair or any aspect of his beauty, and thus he has longing for seeing them, even if he has not already seen them at all, nor formed a true image within himself resulting from his vision. But he knows that his beloved has beautiful parts of his body, and since he does not perceive the details of their beauty with vision, he has longing for uncovering what he has not seen.

Both perspectives are imaginable for Allah Almighty, and necessarily inherent in the sight of the Gnostics. What appears to the Gnostics from the Divine matters, regardless of being extremely clear and evident, seems as if it were from behind a thin screen. This means that it does not seem extremely clear in their sight in so much as stained with the effects of their imaginations, for imaginations in this world never weary to imitate and represent the data given to them. They indeed, by so doing, embitter and contaminate gnosis. Add to that the engagements of this world. To be sure, the perfect clarity is achieved by contemplation and complete rising emergence, which would be possible only in the hereafter. This requires necessary longing, for it is the highest beloved of the Gnostics. This is one of two kinds of longing, i.e. to perfect clarity in what seems clear to some extent.

The other is that the Divine matters are infinite, and what is revealed to every servant is only some of them, and there remains abstruse infinite matters which the Gnostics know that they exist and are known to Allah Almighty, as well as the Gnostic knows, for certain, that what is absent from his mind of information is much more than what is available to him. Thus, he remains in longing for getting knowledge of what he has not acquired of the remaining information that he has never known, whether in abstruseness or in clarity.

The first longing ends in the hereafter with what is called meeting, vision and contemplation. It is not imagined to be appeased in this world. In this issue, it is reported that Ibrahim Ibn Adham was one of those who had longing. He related: One day, I said: "O Lord! Should you give one of Your lovers what appeases his heart before meeting You, then, give it to me, for worry has harmed me so much." He resumed: I saw in a dream as if He made me stand in front of Him and He said to me: "O Ibrahim! Have you not felt shy of asking Me to give you what appeases your heart before you meet Me? Should the longing of the lover be appeased before meeting his beloved?" I said: "O Lord! I have wandered in

Your love and have not known what to say. So, please, forgive for me, and teach me what to say." He said: "Say: 'O Allah! Make me satisfied with Your fate, persevere on Your trial, and give thanks for Your favor', for this longing would be appeased only in the hereafter."

As for the second longing, it seems to be endless either in the world or in the hereafter. That is because its end is to be revealed to the servant in the hereafter of Allah's glory, majesty, wisdom, acts and attributes what is known to Allah Almighty; and this is impossible, for it is infinite and endless. The servant continues to know that there remains of glory, beauty and majesty what has not been made clear to him. This means that his longing is never appeased, particularly if he is of those who sees many degrees over his own. But it is a longing for the perfection of connection, given that the connection itself is present, for which he has pleasant longing in which he experiences neither pain nor trouble. It is not unlikely that the subtleties of revelation are endlessly consecutive, and this means that bliss and pleasure continue to increase forever. The pleasure of the new subtleties of bliss engages one from the sense of longing for what he has not got, provided that revelation of what he has not got in this world is possible, otherwise, the bliss would continue forever, but with no increase.

To this refers the statement of Allah Almighty: " Their Light will run forward before them and by their right hands, while they say, "Our Lord! Perfect our Light for us, and grant us Forgiveness: for You have power over all things."" (At-Tahrim 8)

﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾

It means that one would have his light perfected so long as he gets the light itself from this world. In confirmation of that, He Almighty said: " One Day will the Hypocrites - men and women - say to the Believers: "Wait for us! let us borrow (a light) from your Light!" it will be said: "Turn you back to your rear! then seek a light (where you can)!"" (Al-Hadid 13)

﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴿١٣﴾ ﴾

However, any judgement in this matter is based on probabilities and assumptions, and no reliable judgement is possible. So, we ask Allah Almighty to increase us in knowledge and guidance, and show us the truth as truth, and help us follow it. This amount of the lights of insights is sufficient for disclosing the realities and meanings of longing.

As for the quotations from Prophetic narrations and traditions, they are beyond calculation. The following famous supplication is reported from The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Allah! I ask You to endow me with contentment after fate, abundance of living after death, pleasure of looking at Your Bounteous Countenance, and longing for Your meeting." (Ahmad and Al-Hakim).

It is also reported that Abu Ad-Darda' said to Ka'b "Allah be pleased with

them",: "Tell me about the most unique Verse" i.e. in the Torah. He said: Allah Almighty says: 'The longing of the dutiful for meeting Me has increased so much, and My longing for meeting them is stronger.' Besides it, the following is written: 'Whoever demands Me would find Me, and whoever demands anyone else would not find Me.'" On that Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him", said; "I testify that I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying so."

It is narrated that Allah Almighty revealed to David "peace be upon him": "O David! Tell the inhabitants of the earth that I am a lover of him who loves Me, a sitter of him who sits with Me, a remover of loneliness of him who is affable with My remembrance, a companion of him who seeks my company, a chooser of him who chooses Me, and an obedient of him who obeys Me. No servant loves Me, with certainty from the depth of his heart but that I choose him for Myself, and love him more than anyone of My creatures. Whoever demands Me in truth finds Me, and whoever demands anyone else other than Me finds Me not. So, O inhabitants of the earth! Give up the arrogance and deception of the world you live in, and rather stick to My company and sitting with Me, and become affable with Me, so that I would hasten to remove your loneliness, and love you. I created My lovers from the same clay from which I created Abraham, My bosom friend, Moses to whom I spoke direct, and Muhammad, My chosen and selected. I also created the hearts of those who have longing for Me from My light, and blessed them in My glory."

It is reported from one of the righteous predecessors that Allah Almighty revealed to a sincere master and affirmer of truth the following: "I have servants who love Me as well as I love them, have longing for Me as well as I have longing for them, remember me as well as I remember them, and look at Me as well as I look at them. If you imitate them, I would love you; and if you deviate from them, I would hate you." He asked: "O Lord! What is their distinctive sign?" He said: "They care about shades during the day in the same way as the merciful shepherd takes care of his sheep, and incline to sunset in the same way as a bird inclines to its nest when sun sets. When night falls, darkness prevails, beds are prepared, and each lover becomes in private with his beloved, they would soon hold their feet in standing before Me, and spread their faces (on the ground in prayer) for Me, talk with Me in private with My speech, and praise Me for My favors on them, with some of them weeping, some crying, some complaining, some moaning, some standing, some sitting, some bowing and some prostrating. I see with My eyes what they suffer for My Sake, and hear what they complain of My love. My first gift I would give them would be three things: I would cast of My light into their hearts, thereupon they would tell about Me as well as I would tell about them; second, if the heavens and the earth, with what they contain, are to be placed in their balances of deeds, I would regard them not sufficient for them; the third, I would turn to them with My Face, and none would know what I like to give anyone of them to whom I turn with My Face."

It is reported from David "peace be upon him" that Allah Almighty revealed to him: "O David! To which time would you remember Paradise and do not ask

longing for Me?" He said: "O Lord! Who are those who have longing for You?" He said: "Those who have longing for Me are those whom I have purified from every kind of impurity, alerted with caution, and made their hearts exposed directly to Me, through which they look at Me. I carry their hearts and place them on My heaven, and then call the intelligent among My angels and when they assemble, they fall in prostration to Me, thereupon I say to them: "I have not called you to fall in prostration to Me, but rather I have called you to show you the hearts of those who have longing for Me, and commend you to these who have longing for Me. Their hearts indeed illuminate in My heaven to My angels, just as sun rises to the inhabitants of the earth. O David! I created the hearts of those who have longing for Me from My good pleasure, blessed them in the light of My Countenance, and took them for Myself to talk to, made their bodies the places where to look at the earth, and carved from their hearts a way to look through it at My Face, and thus their longing for Me increases everyday."

David "peace be upon him" said: "O Lord! Show me your lovers." He said: "O David! Come to the mount of Lebanon where you would find fourteen persons from different ages. When you come to them, greet them on My behalf and say to them: "Your Lord salutes you, and says to you: 'Do you have any need from Me? You are My lovers, chosen and allies. I rejoice for your joy and hasten to love you.' Then, David "peace be upon him" went to them and found them sitting on a spring, in meditation and reflection of the greatness and grandeur of Allah Almighty. When they saw David "peace be upon him" they got up to disperse from him, thereupon he said to them: "I am the Messenger of Allah to you. I have come to you to convey to you a message from your Lord." When they heard that, they came to him, paid attention to his speech, and lowered their sights down to the ground. David "peace be upon him" said to them: "I am the Messenger of Allah to you. I have come to convey His greeting to you and inform you that He says to you: 'Do you not have any need from Me? Do you not call Me so that I answer your call? You indeed are My lovers, chosen and allies. I rejoice for your joy and hasten to love you, and look at your faces every moment in the same way as a merciful mother looks at her babes.'" Then, tears flowed over their faces, and they started to speak one after the other:

Their old man said: "Exalted be You (O Allah)! Exalted be You (O Allah)! We are Your servants, and the sons of Your servants. Please, forgive for us our not celebrating You in the past."

Another one said: "Exalted be You (O Allah)! Exalted be You (O Allah)! We are Your servants, and the sons of Your servants. Confer upon us with the good vision in what is between You and us."

The third said: "Exalted be You (O Allah)! Exalted be You (O Allah)! We are Your servants, and the sons of Your servants. Could we dare to invoke You given that we have no need for the sake of ourselves. So please, make us permanently stick to the way to You, and perfect for us Your favor on us."

The fourth said: "We fall short of seeking Your good pleasure. So, please, help us on ourselves with Your generosity and bounty."

The fifth said: "You created us from a dropped sperm and conferred upon us

the favor of meditation in Your greatness and grandeur. So, could anyone engaged in meditation of Your greatness and glory dare to speak in anything else? We just ask to bring us close to Your light."

The sixth said: "Our tongues have wearied to invoke You due to Your grandeur and majesty, Your closeness to Your allies, and Your great favors on those who love You."

The seventh said: "You guided our hearts to celebrate Your praises, and devoted us to engage in You. So please, forgive for us our indulgence in giving thanks to You for all of this."

The eighth said: "You have known our need. It is just to look at Your Bounteous Countenance."

The ninth said: "How could a servant dare to exceed his limits before his Master? You commanded us to supplicate You with Your generosity and bounty. So please, grant us light to be guided in the darkness from the firmaments of the heavens."

The tenth said: "We invoke You to turn with Your face to us, and be with us forever."

The eleventh said: "We ask You to perfect Your favor upon us in what You granted to us out of Your bounty."

The twelfth said: "We have no need for anyone of Your creatures. So please, grant us with the favor of looking at the beauty of Your Countenance."

The thirteenth said: "I, from among them, ask You to make me blind from seeing the world with its inhabitants, and my heart from engagement in the hereafter."

The fourteenth said: "I have known that You, Exalted and Blessed be You, love Your allies. So please, grant us with the favor of engagement in You from all things."

Allah Almighty revealed to David "peace be upon him": "Tell them that 'I heard your speech and responded to what you like. So, leave each other, and let each one of you take for himself a tunnel: I am going to remove the veil that is between Me and you until you would be able to look at My light and glory.'" David "peace be upon him" said: "O Lord! By which thing have they attained that honor from You?" He said: "By their good assumption, abstention from this world with its people, wholehearted devotion to Me and talking to me in private. To be sure, this rank is attained only by him who rejects this world and its people, devotes his heart to me Alone, and gives me preference over all of My creatures. At this point, I sympathize for him, purify himself, and remove the veil that is between Me and him, until he is able to look at Me in the same way as a beholder looks at a visible thing. I also show him My honor every moment, and bring him close to the light of My Countenance. If he falls ill, I nurse him in the same way as a merciful mother nurses her babe; and if he is thirsty, I would water him and make him taste the flavor of My remembrance. Once I do this with him, O David, I make his soul blind from this world with its people, and his heart from loving it, so that he never wearies to engage in remembering Me. He asks me to hasten his death to come to Me, whereas I dislike to send him to death for he is,

from among My creatures, the place of my vision: I see none but him, and he sees none but Me. Would that you see him, O David, while his soul has been melted, his body lean, his organs crashed, and his heart removed once he hears about Me. I commend him to My angels and the inhabitants of My heavens, while he increases in fear and worship. By My Honor and Glory, I would make him abide in the highest part of Paradise, and quench his thirst of looking at My Countenance until he is satisfied."

It is also reported from David "peace be upon him" that Allah Almighty revealed to him: "Tell My servants who devote themselves wholeheartedly to Me in love the following message: 'What harm would you receive if I veil Myself from My creatures, and remove the veil that is between Me and you, until you see Me with the eyes of your hearts? What harm would you receive from such of world as I keep away from you so long as I spread My religion for you? What harm would you receive from the displeasure of the people with you if you seek My good pleasure with you?'

It is further reported from David "peace be upon him" that Allah Almighty revealed to him: "You claim you love Me. So, if you really love Me, then, take the love for this world out of your heart, for the love for Me and for it never gather together in one heart. O David! Be sincere in love for Me, and mix with the inhabitants of this world. Stick to what seems to you to agree with My love. I would give you before you ask Me, and aid you against the difficulties. I have taken oath on Myself not to reward but a servant whom I know to love and have longing for Me, and that nothing avails him from Me. If you are so, I would remove humiliation and loneliness from You and place satisfaction in your heart. The gnosis of Me is infinite and endless, and once you ask Me for increase, I soon increase you with no limit.

It should be known to you, O child of Israel, that there is no relationship between Me and anyone of My servants. So, let them strengthen their desire and wish for Me, I soon give them that which no eye has ever seen, no ear has ever heard about, and which has never occurred to the mind of any human being. Put Me in front of you and see Me with the sight of your heart and not with your eye that is in your head. I have taken oath on Myself not to give My reward to a servant who entered into My obedience just by way of experiment and procrastination. Behave humbly towards those whom you know, and do not be arrogant over the beginners on the path to Me. If those who love Me know the position of the beginners on the path to Me in My sight, they would make themselves the ground on which they walk.

O David! It is better for you to deliver a beginner on the path to Me from a difficulty, so that I would write you a Mujahid, and whomever I enlist as a Mujahid, he suffers no loneliness nor want of anyone of the creatures. O David! Stick to My speech, and take from yourself to yourself, and do not make it a point for others to come to you through it, lest I would veil from you My love. Do not make My servants despair of My mercy. Devote your desire to Me Alone. I indeed made desires permissible just for the weakness of mankind. What is the matter with the strong that they get their desires in this world, given

that it decreases the sweetness of their private talk with Me? The least punishment I have prepared for the strong for their worldly desires is that I veil their minds from Me. I do not approve the world for My beloved, whom I deem far beyond it. O David! Make not between Me and you a world to veil you from My love. Those cut the way on My servants who seek Me. Seek the aid of permanent fasting on giving up desires. O David! Be lovable to Me by being enemy to yourself. Withhold desires from it perchance I would look at you (with the eye of mercy and love), and the veils between Me and you would be removed."

It is also narrated that the following was revealed to David "peace be upon him": "O David! Were these who turn back from me to know how I am waiting in expectation for them, kind and merciful to them, and have longing for them to leave sins and misdeeds, they would die out of longing for Me, and their joints would be cut off out of love for Me.

O David! This is my will concerning those who turn back from Me. What do you think My will to be concerning those who devote themselves to Me? O David! The servant is in the direst need for Me when he dispenses with Me; and I am the most merciful to My servant when he turns back from Me; and he is the most glorious and the most dignified in My sight when he turns to Me (in repentance)."

Those traditions and their like, which are beyond calculation, affirm love, longing for, and intimacy with Allah Almighty. But the verification of its meaning is uncovered only by what has already been mentioned.

CHAPTER TEN

EXPOSITION OF ALLAH'S LOVE FOR SERVANT, AND ITS MEANING

It should be known to you that the evidences from the Holy Qur'an confirm Allah's love for His servants. So, it is necessary for us to explain its meaning. But let's first present the quotations from the Holy Quran. Allah Almighty said: " O you who believe! if any from among you turn back from his Faith, soon will Allah produce a people whom He will love as they will love Him." (Al-Ma'idah 54)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴿٥٤﴾ ﴾

And: "Truly Allah loves those who fight in His Cause in battle array, as if they were a solid cemented structure." (As-Saff 4)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾

And: "Allah loves those who turn to Him constantly and He loves those who keep themselves pure and clean." (Al-Baqarah 222)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾

When Both the Jews and the Christians say: "We are sons of Allah, and His beloved." He Almighty said in reply to them: "Why then does He punish you for your sins?" (Al-Ma'idah 18)

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴿١٨﴾ ﴾

It is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" from the

Prophet "peace be upon him" that he said: "Indeed, if Allah Almighty loves a servant, no sin he commits shall harm him; and the one who repents from a sin is like him who has never committed a sin." Then, he recited the following statement of Allah: " Allah loves those who turn to Him constantly and He loves those who keep themselves pure and clean." (Al-Baqarah 222)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾

(Sahib Al-Firdaws and Ibn Majah on the authority of Ibn Mas'ud). it means that if Allah Almighty loves a servant, he accepts his repentance before death and this requires that the sins he has committed in the past shall not harm him, no matter how much they might be, just as the past disbelief never harms one when he reverts to Islam. Allah Almighty made it requisite for love to forgive sins as confirmed by His statement: " Say: "If you do love Allah, follow me: Allah will love you and forgive you your sins; for Allah is Oft-Forgiving, Most Merciful." (Al Imran 31)

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾

It is further reported that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Indeed, Allah Almighty gives this world to whomever He loves and whomever He loves not, but He never gives faith except to whomever He loves." (Al-Hakim and Al-Baihaqi on the authority of Ibn Mas'ud.(

It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever humbles himself before Allah Almighty, Allah raises him (in degree); and whoever is arrogant to Allah Almighty, Allah lowers him (in rank); and whoever celebrates and remembers Allah more often, Allah loves him." (Ibn Majah on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri).

It is also narrated that The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah says: 'My servant keeps on coming closer to Me through supererogatory deeds till I love him, so I become his sense of hearing with which he hears, his sense of sight with which he sees, his hand with which he grips, and his leg with which he walks; and if he asks Me, I will give him, and if he asks My protection (Refuge), I will protect him; (i.e. give him My Refuge) and I do not hesitate to do anything as I hesitate to take the soul of the believer, for he hates death, and I hate to disappoint him.'" (Al-Bukhari on the authority of Abu Hurairah).

It is reported on the authority of Zaid Ibn Aslam that he said: "Allah Almighty loves the servant to the extent that He says to him: 'Do what you like, for I have forgiven for you.'"

The narrations and traditions about the love of Allah for His servants are beyond calculation.

We have already mentioned that the servant's love for Allah Almighty is real and not allegoric. Love, in language, is that a soul inclines to such of things as agrees with its disposition and nature, unlike attachment which is the excessive overwhelming inclination to a thing. We have also showed that doing good agrees with the nature and disposition, and so is beauty; and both beauty and doing of good might sometimes be perceived by the sight and sometimes by the insight,

and love follows each, for it is not unique to the sight on the exclusion of the insight.

But Allah's love for the servant is not like this in principle. More even, if all names are attributed to Allah Almighty as well as to the creatures, they would not give the same meaning. Take, for example, the term 'existence', which is the most common name: it does not give the same meaning when it is attributed to the Creator and the creature. The existence of all things other than Allah Almighty is taken from the existence of Allah Almighty, and by no means could the resulting existence be equal to the followed existence. It is unlike the case in which both the tree and the horse share in the term 'body'. Their being bodies is common to both without the body of any of them being taken from the other. This quite difference in names appears more evident in such names as power, will, and knowledge, in which the Creator is not similar to the creature at all.

Love, in language, as we have mentioned, is that a soul inclines to what agrees with its nature and disposition. This notion is imagined to apply to an imperfect soul, which inclines to what agrees with it, therewith it perfects itself and gets pleasure in attaining it. This is impossible in relation with Allah Almighty, for all perfection, beauty, glory, excellence, majesty, brilliance, etc, is imagined to be permanent and everlasting only for the Lord Almighty, in the sense that it is not imagined to be renewed or removed. For this reason, He has no care about anything or anyone else as being another than Him, in so much as about His essence and acts only. There is nothing in existence other than His essence and acts.

For this reason, when it was recited: "Whom He will love as they will love Him" (Al-Ma'idah 54)

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴿٥٤﴾﴾

To Abu Sa'id Al-Maihani "may Allah have mercy upon him", he said: "Do He really love them? He does not love but Himself." He refers to the fact that He is the whole, and there is nothing in existence other than Himself. Whoever loves himself, his acts, essence and composition, his love never goes beyond himself and its appurtenances.

He Almighty then loves none but Himself, and all narrations about His love for His servants should be construed as allegoric and not literal. Its meaning is to remove the veil from his heart in order for him to be able to see Him well with his heart, and bring him close to His presence, and this is decreed for whomever He likes in eternity. Thus, His love for whomever He loves is eternal if it is attributed to the eternal will which enables that servant to follow the right way to come close to Him. But if it is attributed to the act therewith He removes the veil from the heart of His servant, it is then occurrent, in the sense that it occurs by the occurrence of the cause that requires it, as confirmed by Allah in His statement as related by the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "My servant keeps on coming closer to Me through supererogatory deeds till I love him." Thus, his closeness with the help of supererogatory deeds is a cause of the purity of his inside, the removal of the veil from his heart, and

coming close to the presence of his Lord Almighty. All of this is out of Allah's act and kindness for His servant; and this is the significance of His love for him.

If Allah Almighty loves a servant, He does not love him for he agrees with His disposition, Exalted and Hallowed be Allah from all of that, nor to get benefit from him. But He loves him for he has of pleasing manners and praiseworthy qualities what makes him entitled to come close to the presence of Allah Almighty. The beloved of Allah Almighty then is he who is close to Him. The closer a servant is to the presence of Allah Almighty, the farther he is from the beastly, devilish and brutal qualities, as much as he is I close to the Divine manners and qualities. In this way, it is closeness by attributes and not by place. Whoever was not close and then came to be close, has changed. By the occurrence of closeness, it might be thought that this change applies to the servant and the Lord equally; and of course, it is impossible in relation with the Lord Almighty. This change is possible only for the servant and not for the Lord, Who remains in perfection and glory as He is in eternity.

For example, if two persons like to be close to each other, there are two ways to do so: Either both of them move to each other, or one of them moves towards the other who, in turn, remains stationary. This means that closeness has occurred by a change in the one who moved, and not in the other. The same applies also to the closeness in attributes. The pupil seeks to be close to his mister in degree of perfection and beauty of knowledge, while the mister remains in his degree of perfection and beauty of his knowledge, and does not move down to the degree of his pupil, while the pupil remains in movement and promotion from the bottom of ignorance to the summit of knowledge until he becomes close to his mister in the degree of knowledge. In this way the promotion of the servant in the degrees of closeness should be understood. The more one becomes perfect in attributes, encompassing of the knowledge of the truth of matters, stronger in oppressing Satan and curbing desires, and abstaining from vices, the closer he becomes to the degree of perfection; and the utmost degree of perfection is unique to Allah Alone, and each one becomes close to Allah Almighty in proportion to the degree of perfection he attains.

It is true that the pupil might be very close to his mister, equal to and even excel him in many cases, but this is quite impossible in relation with Allah Almighty. That is because the perfection of Allah Almighty is infinite, whereas the degrees of perfection available to the servant are limited. For this reason, he should have no hope of attaining equality in it. Moreover, the degrees of closeness vary endlessly , for the perfection is infinite and endless.

In sum, Allah's love for His servant is to bring him close to His presence, by averting all worldly engagements and sins from him, and purifying his soul from the impurities and stains of this world, and removing the veil from his heart until he contemplates Him as if he sees Him with his heart,.

The servant's love for Allah Almighty is to incline to attain that degree of perfection of which he has short and lacking. This means that he has longing for getting what he lacks, and if he attains anything thereof, he takes pleasure

in it. Both love and longing, in this meaning, are impossible in relation with Allah Almighty.

You may argue: "But in this meaning, Allah's love for the servant is puzzling. Then, how should a servant know that he is the beloved of Allah Almighty?" in reply to this, let me say that he should know this by the signs that indicate to it. Here, I quote the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "If Allah Almighty loves a servant, He puts him to trial, and if He loves him with the utmost degree of love, He chooses him (for Himself)." It was said: "What is to choose him (for Himself)?" He "peace be upon him" said: "He leaves for him neither family nor property." (Sahib Al-Firdaws on the authority of Ali Ibn Abu Talib).

The sign of Allah's love for His servant then is to make him in solitude, and impede him from anything else other than Him Almighty.

It was said to Jesus "peace be upon him": "Why do you not buy a donkey to ride?" he said: "I am too dear to Allah Almighty to make me engage from Him with a donkey."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If Allah Almighty loves a servant, He puts him to trial, and if he perseveres, He chooses him, and if he is pleased, He selects him (for Himself)."

According to a religious scholar: "If you love Him, and He puts you to trial, you should know then that He purifies you to select you (for Himself)." One of the beginners on the path to Allah said to his mister: "I have experienced a portion of love (from Allah Almighty)." He asked him: "O my son! Have He tried you with a beloved over which you gave Him Almighty preference?" He answered in the negative, thereupon he said: "Then, have no hope of love, for He never gives it to anyone until He puts him to trial."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If Allah Almighty loves a servant, he assigns to him a preacher and deterrent from himself to enjoin good upon him, and forbid him to do evil." (This is reported by Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Umm Salamah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "If Allah Almighty intends good for a servant, He lets him know his own defects and shortcomings." (Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Anas). One of the most characteristic signs is one's love for Allah Almighty, which indicates to the love of Allah for him.

As for the act indicative of his being loved, it is that Allah Almighty undertakes all of his affairs, outwardly and inwardly, secretly and openly, in such a way as He becomes his counselor, disposer, improver of his morals, mover of his organs and parts of body, grantor of success to him externally and internally, gatherer of all his concerns into only one concern, causer of this world and its things to be hateful in his sight, and of anyone else to be unfamiliar to him, eliminator of his loneliness by virtue of the pleasure of the private talk with Him in his solitudes, and remover of veils that are between him and the gnosis of Allah Almighty.

These and their like are the signs of Allah's love for the servant. Let's us now

mention the signs of the servant's love for Allah Almighty, since they are a part of Allah's love for him.

CHAPTER ELEVEN
EXPOSITION OF SIGNS OF SERVANT'S LOVE FOR ALLAH ALMIGHTY

It should be known to you that love is claimed by anyone, and how easy it is to claim, and how difficult it is to realize. So, man should not be deceived by Satan's dissembling and self trickery when it claims love for Allah Almighty, unless it is tried with signs and demanded to affirm that love with proofs and evidences. Love is a good tree whose root is well-established in the ground, branches are in the sky, and fruits appear in both the heart, tongue and organs. Its overflowing traces on the heart, tongue and organs indicate to love in the same way as smoke to fire and fruits to trees. They are numerous.

Among them is the love to meet the beloved by way of revelation and vision in the abode of peace. It is not imagined that heart loves a beloved and does not like to see and meet him. If he knows that there is no access to him unless he leaves this world by death, he should like death and not flee from it. It is not heavy nor difficult on the lover to leave his homeland for wherever his beloved resides in order to be blessed in seeing him. Death is the key to meet one's beloved and the doorway to enter into the world of vision.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever likes to meet Allah Almighty, Allah likes to meet him." (both Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Hurairah and A'ishah).

When death approached Hudhaifah "Allah be pleased with him" he said: "(An appointment with) a beloved has come at a time one is in dire need for him: not prosperous is he who shows regrets (for death)."

One of the righteous predecessors said: "There is no characteristic Allah Almighty likes to be in a servant, after the love for meeting Allah, more than to fall in prostration (to Allah in prayer) more often." Thus, the love for meeting Allah Almighty has been given priority over prostration.

Allah Almighty made it requisite for the truthfulness and sincerity in love for Him to fight and be killed in the Way of Allah. People claimed that they love Allah, thereupon He Almighty made fighting and being killed in His Way and pursue of martyrdom a sign for His love. In confirmation of that, He Almighty said: " Truly Allah loves those who fight in His Cause in battle array, as if they were a solid cemented structure." (As-Saff 4)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾

He further said: " they fight in His Cause, and slay and are slain." (At-Tawbah 111)

﴿ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

In his bequest to Umar "Allah be pleased with him" Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" said: "Although truth is heavy, it is, regardless of its heaviness, blissful; and although falsehood is light, it is, regardless of its lightness, detrimental. If you observe my bequest, then, nothing will become dearer to you than death which would inevitably approach you; and if you waste my bequest,

nothing will become more hateful to you than death, which you would never overpower."

It is narrated on the authority of Ishaq Ibn Sa'd Ibn Abu Waqqas that his father Sa'd "Allah be pleased with him" told him from Abdullah Ibn Jahsh "Allah be pleased with him" that on the day of the holy battle of Uhud, he said to him: "Should we not invoke Allah?" they moved aside and Abdullah Ibn Jahsh invoked Allah saying: "O Lord! I swear that if I meet the enemy tomorrow You should make me face a strong and hardy man, whom I fight in Your Cause, and he fights me, and then kills me and cuts off my nose and ear, and splits open my belly, until when I meet You, You would ask me: "O Abdullah! Who has cut off your nose and ear?" I then would say: "They were cut off in Your Cause, O Allah, and for the sake of Your Messenger "peace be upon him"." You then would say: "You have told the truth." Sa'd commented: "I saw him towards the end of the day, with his nose and ear hung in a thread." Sa'id Ibn Al-Musayyab said: "I hope that Allah should fulfill the last portion of his oath as He fulfilled the first portion of it." (At-Tabarani and Abu Na'im in his Hilyah).

Ath-Thawri and Bishr Al-Hafi used to say: "None but a doubtful (in faith) dislikes death, for the lover does not like to meet his beloved in whichever state he is."

Al-Buwaiti said to an ascetic: "Do you like death?" He seemed as if he stopped for a while, thereupon he said to him: "Had you been truthful, surely, you should have liked it." Then, he recited the statement of Allah Almighty: "then seek you for death, if you are sincere." (Al-Baqarah 94)

﴿ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾

The man said: "But the Prophet "peace be upon him" said: "None of you should hope for death."" (both Al-Bukhari and Muslim on the authority of Anas). He said: "He said that none should hope for death because of harm that has befallen him, for to be pleased with the fate of Allah Almighty is better than to seek to flee from it."

You may argue: "Then, whoever does not like death: Is he imagined to be a lover of Allah Almighty?" In reply, let me say that the aversion for death might go back to the love for this world, and grief for leaving the family, property and offspring; And this contradicts the perfect love for Allah Almighty, for the perfect love is that which possesses the heart entirely. But it is not unlikely that one has, along with his love for his family, property and children, a little portion of love for Allah Almighty, for people indeed vary in love.

This disparity is attested from the narration in which Abu Hudhaifah Ibn Utbah Ibn Rabie'ah Ibn Abd-Shams "Allah be pleased with him" gave his sister Fatimah "Allah be pleased with her" in marriage to Salim "Allah be pleased with him" , his freed slave, thereupon the Quraish people blamed him for that and said: "You gave one of the noble ladies of Quraish to your freed slave!" on that he said: "By Allah, I gave her to him in marriage although I know well that he is better than her." His statement was more difficult on them than his behaviour. They asked him: "How given that she is your sister and he is your freed slave?" on that he said: "No doubt, I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing

and peace be upon him" saying: "Whoever likes to see a man who loves Allah from the depth of his heart (i.e. wholeheartedly), let him look at Salim."" (A similar narration is reported by Abu Na'im on the authority of Umar). This Hadith indicates to the fact that from among the people, there is such as loves Allah Almighty, but not from the depth of his heart, as he loves other things along with Him Almighty. However, his bliss with meeting Him on coming to Him (by death) is as much as is equal to his love for Him, and his pain by departure from this world by death is as much as is equal to his love for it.

The second cause of aversion for death is that the servant is still in the first commencements of the station of love and he does not dislike death itself in so much as he dislikes its being hastened on for him before he gets ready for meeting Allah Almighty. This does not attest the weak love. His example is like him whom the news of the arrival of his beloved has reached, thereupon he likes for his arrival to delay for some time in order to be able to prepare the house for him, and get himself ready for meeting him as he likes, wholeheartedly devoted to him. Aversion by that consideration does not contradict the perfection of love.

Its sign is to work for that relentlessly and engage in getting ready for it. Another sign is to give preference to what Allah loves over what he himself likes, outwardly and inwardly, thereupon he works hard and avoids following his inclinations, and continues to obey Allah Almighty regularly, come close to Him through the supererogatory deeds, and seek to attain with Him the highest degrees, just as the lover seeks more closeness to the heart of his beloved. Allah Almighty described the lovers as those who give others preference over themselves in His statement: " But those who, before them, had homes (in Medina) and had adopted the Faith, show their affection to such as came to them for refuge, and entertain no desire in their hearts for things given to the (latter), but give them preference over themselves, even though poverty was their (own lot). And those saved from the covetousness of their own souls; they are the ones that achieve prosperity." (Al-Hashr 9)

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟
وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾

When love possesses the soul, it curbs inclination so much that the lover is not blessed with anything other than his beloved. His example is like that of Zulaikhah, the previous wife of Al-Aziz of Egypt: When she believed in Islam and got married to Yusuf "peace be upon him", she left him and devoted herself to the worship of Allah Almighty. Whenever he invited her to his bed by day, she would postpone him to the night, and whenever he invited her at night, she would postpone him to the day, and so on. She said to him: "O Yusuf! I loved you before I knew Him, and since I knew Him, my love for Him has left no place for anyone else in my heart to love, and I do not like to have a substitute for Him." He said to her: "Allah Almighty ordered me to have sexual relation with you, and told me that He would cause me to beget two children from you and make them Prophets." She said: "As Allah Almighty ordered you to do so, and made me a means to it, then, let it be in obedience of the

command of Allah Almighty." At that time, she found tranquility with him.

Whoever loves Allah does not disobey Him in the least. According to Sahl: "The sign of love for Allah is to give Him preference over yourself, and it is not that everyone acting upon the obedience of Allah becomes a beloved, but the real beloved is he who avoids what is forbidden." It is so as he said, for one's love for Allah Almighty is a cause of Allah's love for him, as He Almighty said: "whom He will love as they will love Him." (Al-Ma'idah 54)

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾

When Allah loves a servant, He undertakes all of his affairs, and supports and helps him emerge victorious over his enemies, and his principal enemy is his own self and desires: Allah then never disappoints him, nor entrusts him to his desires and inclinations. This is the significance of the statement of Allah Almighty: " But Allah has full knowledge of your enemies: Allah is enough for a Protector, and Allah is enough for a Helper." (An-Nisa' 45)

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴾

You may argue: "Does disobedience contradict love in principle?" in reply, let me say that it contradicts its perfection, and not it in principle. How many a man who loves himself and he is sick, and likes to be healthy, even though he eats what harms him, although he knows that it is harmful to him. This does not mean that he does not like himself. But gnosis might weaken, and desire, in return, prevail, with which he fails to do what is due to his love.

This is attested from the narration in which An-Nu'aiman used to be brought to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" for sins he committed and required corporal punishment to be executed on him, until when he was brought to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" one day, and the corporal punishment prescribed for crimes was implemented on him, a man cursed him. On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "Curse him not for he loves Allah and His Messenger." (Al-Bukhari). Thus, his sins did not remove from him love in principle in as much as they removed the perfection of that love. According to a Gnostic: "If faith does not go beyond the surface of the heart, one loves Allah moderately, and when it goes beyond it and reaches the core of the heart, one loves Allah extremely, with which he leaves all sins."

In sum, the claim of love is very dangerous. For this reason, Al-Fudail said: "If you were asked whether you love Allah Almighty, keep silent, for if you answered in the negative, you would disbelieve, and if you answered in the affirmative, of a surety, you are not like the real lovers. So, beware of displeasure." According to a religious scholar: "There is in Paradise no bliss higher than the bliss of the real Gnostics and lovers; and there is in Hell no punishment more painful than that of the claimants of gnosis and love, which they have never realized."

Another sign is to persist in the celebration and remembrance of Allah Almighty, from which one's tongue never weakens nor his heart is void. Whoever loves a thing remembers it and remembers anything in connection with it more

often. The sign of love for Allah is to love to remember Him, love the Qur'an which is His speech, love His Messenger "peace be upon him" and love all that is attributed to Him Almighty, for whoever loves a man loves all that is related to him. If love becomes strong, its trace goes beyond the beloved himself to all that is surrounding him and related to him. This is not to join anything in love with him. Whoever loves the messenger of the beloved just for he is his messenger, and his speech just for it is his speech, his love for him does not exceed him to those things in so much as it signifies to the perfection of his love for him. Whoever, over whose heart the love for Allah prevails, loves all the creatures of Allah Almighty, just for they are His creation. How should he not love the Qur'an, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and the righteous servants of Allah Almighty?

For this reason, Allah Almighty said: " Say: "If you do love Allah, follow me: Allah will love you and forgive you your sins; for Allah is Oft-Forgiving, Most Merciful."" (Al Imran 31)

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Love Allah for His favors He confers upon you, and love me for the love of Allah Almighty for me." (At-Tirmidhi on the authority of Ibn Abbas).

According to Sufyan: "He who loves whomever Allah loves has indeed loved Allah; and he who honors whomever Allah honors has indeed honored Allah Almighty."

It is related from one of the beginners on the path to Allah that he said: "I detected in myself the sweetness of private talk with Allah, thereupon I was addicted to recitation of the Qur'an by day and night. Then, I intermitted for a while during which I stopped from recitation. Then, during my sleep I heard a caller calling me: "If you claim to love Me, then, why have you abandoned My Book? Have you considered my kind blame in it?" I then awoke with the love for the Qur'an being inculcated in my heart, thereupon I returned to my first state."

According to Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him": "None of you should ask about himself but the Holy Qur'an: If he likes the Holy Qur'an, then, he likes Allah Almighty, and if he does not like the Holy Qur'an, he then does not like Allah Almighty."

According to Sahl: "The sign of love for Allah Almighty is to love the Holy Qur'an, and the sign of love for the Qur'an is to love the Prophet "peace be upon him", and the sign of love for the Prophet "peace be upon him" is to love the sunnah, and the sign of love for sunnah is to love the hereafter, and the sign of love for the hereafter is to hate this world, and the sign of aversion for this world is not to take from it but a provision and a riding mount to convey him to the hereafter."

Another sign is to be affable with solitude, private talk with Allah Almighty, and recitation of His Holy Book. Thus, he performs Tahajjud prayer regularly, and seize the opportunity of quietness and pureness of night to be alone with Allah Almighty. Love at its least degree is to take pleasure in being with the beloved alone, and blessed in talking to him privately. Whoever has sleep and

engagement in talk with the people more pleasant to him than the private talk with Allah Almighty, then, how should his love for Allah be held valid?

It was said to Ibrahim Ibn Adham and he had descended from the mountain: "From where have you come?" he said: "From where I was in the company of Allah Almighty."

It is related that it was revealed to David "peace be upon him": "Do not be sociable with anyone of My creatures (on the exclusion of Me), for I cut two men from Me: A man who regarded My reward to have delayed to come to him, thereupon he abandoned Me; and a man who forgot Me and was satisfied with his state. The sign of that is that I entrust him to himself, and leave him confused in this world." As much as one is affable with anything else other than Allah Almighty, he feels estrangement from Allah Almighty, and far from His love.

It is related in the story of Barkh, the black slave with whom Moses "peace be upon him" invoked Allah for water, Allah Almighty said to Moses: "How excellent slave Barkh is in My sight, except that it has a defect." Moses "peace be upon him" said: "O Lord! What is his defect?" he said: "The breeze of dawn appeals to Barkh, with which he finds tranquility; and whoever loves Me should not find tranquility with anything other than Me."

It is narrated that a worshipper kept worshipping Allah Almighty in a garden for a long time. One day, he looked at a bird singing in a nest he took in a tree, thereupon he said: "Would that I turn my place of worship to that tree, in order to get sociable with the voice of that bird!" He did accordingly, thereupon Allah Almighty revealed to the Prophet of his time: "Tell so and so, the worshipper, the following: 'You have become affable with a creature. I would degrade you in rank which you would never attain with your deed.'"

The sign of love then is to be perfectly affable with talking privately to the beloved, to be perfectly blessed with becoming in seclusion with him, and to be perfectly estranged from such as hinders that seclusion and interrupts the pleasure of private talk with him. The sign of intimacy is to have the mind engaged in the pleasure of private talk with one's beloved. Such pleasure led one of those, while being in prayer, not to sense the burning of his house. The leg of another one was cut off, as a medical treatment because of ailment that afflicted it, during his prayer, and he felt not. When love and intimacy with the beloved prevail over the soul, seclusion and private talk then become the comfort of the eye, therewith he averts all concerns and anxieties. Moreover, the love and intimacy engage his heart entirely to the extent to which he could not understand the affairs of this world unless they are repeated to his hearing again and again. That is because the lover rests assured only with his beloved.

In his comment on the following statement of Allah Almighty: "Those who believe, and whose hearts find satisfaction in the remembrance of Allah: For without doubt in the remembrance of Allah do hearts find satisfaction" (Ar-Ra'd 28)

﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾

Qatadah said: "I.e. rejoice to Him and become affable with Him."

As-Siddiq "Allah be pleased with him" said: "Whoever tastes the pleasure of

the pure love of Allah Almighty, it engages him from the pursuit of this world, and makes him feel estrangement from all its inhabitants."

According to Mutarrif Ibn Abu Bakr: "The lover never wearies from the talk of his beloved."

Allah Almighty revealed to David "peace be upon him": "False is he who claims he loves me if night comes upon him and he sleeps from Me. Does any lover like to meet his beloved? Here I am for such as wants Me."

According to Yahya Ibn Mu'adh: "Whoever loves Allah Almighty should necessarily hate himself." He said once again: "Whoever has not the following three characteristics, he then does not love Allah Almighty: to give preference to the speech of Allah Almighty over the speech of the people, the meeting with Allah Almighty over the meeting with the people, and the worship of Allah Almighty over the service of the people."

Another sign is not to grieve for what he misses other than Allah Almighty, and to grieve so much for any moment to elapse in which he does not remember and obey Allah Almighty. This requires him to pray for forgiveness, repent and ask for mercy of Allah so much once he finds himself heedless.

A Gnostic said: "Allah has many servants who loved Him so much and found reassurance and satisfaction with Him till they no longer grieved for anything that escaped them. They did not engage in their own fortunes, for their dominion was perfect: What was doomed to them reached them, and what escaped them did not aggrieve them, in reliance on His good manipulation of their affairs."

It is due upon the lover, once he returns from his heedlessness, to devote himself wholeheartedly to the beloved, and engage in blame, asking: "O Lord! By which sin have You cut off Your kindness from me, and deprived me of Your presence, and occupied me by myself and struggle of Satan?" , of a surety, this brings about purity and kindness in his heart, which expiates for his previous heedlessness and his slip becomes a means to renew his remembrance of Allah Almighty, and the purity of his heart. Once the lover sees none other than the beloved, and sees nothing coming but from him, he neither grieves nor complains, but rather receives all things with good pleasure and contentment, knowing that the beloved decrees for him only what is good for him, remembering His statement: " But it is possible that you dislike a thing which is good for you, and that you love a thing which is bad for you." (Al-Baqarah 216)

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ ﴿٢١٦﴾ ﴾

Another sign is to be blessed with obedience and acts of worship, of which one never wearies. In confirmation of that, one of them said: "I underwent with difficulty standing at night (for supererogatory prayer) for twenty years, and then enjoyed of it for further twenty years."

According to Al-Junaid: "The sign of a lover is to be regularly active and enthusiastically devote himself to worship with which his body might weary, but his heart never wearies."

According to another one: "The work in love for Allah Almighty never intermits." According to a religious scholar: "By Allah, no lover of Allah Almighty has ever quenched his thirst by His obedience even through the

greatest means possible to him."

All of this is observable in reality. The lover never gets tired of seeking to please his beloved, and take pleasure in his service with his heart, no matter how troublesome it might be on his body. Whenever his body becomes powerless, the dearest hope to him is to restore his health and power in order to be able to engage in service of his beloved. As such the love for Allah Almighty should be. If love prevails over the soul, it overpowers what is inferior to it. If one's beloved is dearer to him than laziness, of a surety, he leaves laziness and becomes active in his service; and if he is dearer to him than property, he leaves property in love for him; and so on.

It was said to a lover and he had consumed his own self and property (in love of Allah): "What has caused you to reach such a state of love?" he said: "One day, I heard a lover while being in seclusion with his beloved, saying to him: "I, by Allah, love you from the depth of my heart, whereas you turn back your face from me." The beloved said to him: "If you really love me, which thing are you ready to spend on me?" he said: "O master! I give you all that is in my possession, and then strive with my soul for you until I die." I said (to myself): "This is from a creature to a creature, and from a servant to a servant: then, how should it be if it is from servants to the worshipped?"

Another sign is to have pity and mercy for all the worshippers of Allah Almighty, and be strong and strict on the enemies of Allah Almighty, as well as on such as commits what is forbidden by Allah Almighty, as confirmed by Him in His statement: " and those who are with him are strong against Unbelievers, (but) compassionate amongst each other." (Al-Fath 29)

﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾

It is also he who does not care about the blamer's blame, and nothing diverts him from being angry for the Sake of Allah Almighty. As such Allah Almighty described His allies when He said: "Such as are attached to Me in love in the same way as a child is attached to a particular thing in love of it, take shelter to celebration and remembrance of Me in the same way as an eagle takes shelter to its resting place, and grow angry for (violating) My sanctities in the same way as a tiger grows angry when it is provoked, careless whether people are more or less." Those are the signs of love. Whoever has these in perfection, his love for Allah then is perfect and sincere, and in the hereafter his drink would be pure, fresh and sweet. But he, whose love for Allah Almighty is mixed with the love for anything else, he would be blessed in the hereafter as much as is equal to his love for Allah, for his drink would be mixed with that of these nearest to Allah, as confirmed by the statement of Allah: " Truly the Righteous will be in Bliss... Their thirst will be slaked with Pure Wine sealed: The seal thereof will be musk: And for this let those aspire, who have aspirations: With it will be (given) a mixture of Tasnim: A spring, from (the waters) whereof drink those Nearest to Allah." (Al-Mutaffiffin 22, 25-28)

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ

مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

What then makes the drink of the righteous pure is its being mixed with the drink of those nearest to Allah. Drink here symbolizes the whole bliss of the Garden, just as the record indicates to all deeds, as confirmed by His statement: "Nay, verily the Record of the Righteous is (preserved) in Illiyyin. And what will explain to you what Illiyyin is? (There is) a Register (fully) inscribed, To which bear witness those Nearest (to Allah)." (Al-Mutaffiffin 18-21)

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

What then makes high the record of the righteous is that these nearest to Allah bear witness to it. As well as the righteous find more and more in their state and gnosis by their closeness to and seeing those nearest to Allah Almighty, as such their state would be in the hereafter as confirmed by His statement: "And your creation or your resurrection is in no wise but as an individual soul: For Allah is He Who hears and sees (all things)." (Luqman 28)

﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

And: "even as We produced the first Creation, so shall We produce a new one: a promise We have undertaken: truly shall We fulfill it." (Al-Anbiya 104)

﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾

And: "A fitting recompense (for them)." (An-Naba 26)

﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ ﴾

I.e. a reward to fit their deed: Pure drink for pure love, and mixed drink for mixed love, and so on. He Almighty said: " Then shall anyone who has done an atom's weight of good, see it! And anyone who has done an atom's weight of evil, shall see it." (Az-Zalzalah 7-8)

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾

And: " Verily never will Allah change the condition of a people until they change it themselves (with their own souls)." (Ar-Ra'd 11)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴿١١﴾ ﴾

And: "Allah is never unjust in the least degree: if there is any good (done) He doubles it, and gives from His own presence a great reward." (An-Nisa' 40)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾

And: "We shall set up scales of justice for the Day of Judgment, so that not a soul will be dealt with unjustly in the least. And if there be (no more than) the weight of a mustard seed, We will bring it (to account): and enough are We to take account." (Al-Anbiya 47)

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

Whoever has his love in this world in the hope of Paradise and what it contains of bliss, houris, and palaces, he would be made to abide in Paradise, and enjoy thereof whatever he likes, play with children and bless himself with women; and this is the utmost degree of his pleasure in the hereafter, for every one is given in love only what he desires for. Whoever has his purpose is the Lord of the abode and the Sovereign of the dominion and the King of the kingdom, Whose love prevails over his heart with sincerity and truthfulness, of a surety he would be " In an Assembly of Truth, in the Presence of a Sovereign Omnipotent." (Al-Qamar 55)

﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾

The righteous would enjoy themselves in the gardens and bless themselves with the houris and children, while these nearest to Allah Almighty would abide by the Presence of Allah to which they restrict their vision, and regard with slightness all pleasures of Paradise in comparison with the Presence of Allah Almighty. The former party would be engaged in fulfilling the desires of their abdomen and genitals, and the latter party would be engaged in sitting in the presence of Allah.

Another sign is to be in his love fearful and frightened by veneration and exaltation, thinking fear to contradict love, although it is not so. Perception of greatness and grandeur enjoins veneration and exaltation, whereas perception of beauty enjoins love. But lovers in particular have fears in the stations of love which are unique to them, some of which are more severe than others. The first is to feel afraid of turning away, and more severe is to feel afraid of veiling, and more severe is to feel afraid of remoteness. It is that significance which frightened the master of all lovers "peace be upon him" when he heard the statement of Allah Almighty in the Surah of Hud: " Ah! Behold! removed (from sight) were 'Ad, the People of Hud!" (Hud 60)

﴿ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍۭ ﴿٦٠﴾ ﴾

And: "ah! behold! removed (from sight) were the Thamud!" (Hud 68)

﴿ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَا۟ ﴿٦٨﴾ ﴾

And: " Ah! Behold! How the Madyan were removed (from sight) as were removed the Thamud!" (Hud 95)

﴿ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾

The veneration and fear of remoteness is aggravated in the heart of such as tasted the pleasure of closeness. The degrees of closeness are unlimited, and it is due upon the servant to strive his utmost in order to increase in closeness as much as he could. That is the significance of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" when eh said: "He who has two days equal (in deed and reward) is a loser, and he who has his day worse than his yesterday is cursed." (This is narrated by Al-Baihaqi on the authority of Abd Al-Aziz Ibn

Abu Rawad, who said that he saw the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in a dream and asked him and he gave him this answer).

It is further reported that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "(Sometimes) shades heap up on my heart every day and night to the extent that I ask Allah for forgiveness seventy times." (Al-Bukhari and Muslim on the authority of Al-Agharr).

It is reported that Allah Almighty says: "The minimum punishment I inflict upon the religious scholar, if he gives preference to the worldly desires over the acts of worship, is to deprive him of the pleasure of private talk with Me." The laymen are deprived of more as a punishment because of desires, whereas the private are deprived of more because of only their claim, conceit and reliance on the apparent commencements of kindness. That is the hidden plan which none is able to avoid but him who is well-established in knowledge.

Furthermore, there is the fear of missing what has become unattainable after missing it. There is also the fear of abandonment. The lover persists in love and longing, and pursuit of more and more, and he does not abandon his beloved except with a new kindness, which might be a cause of his pause or even retraction. Abandonment afflicts him from wherever he feels not just as love strikes him from where he feels not. Those turning states have concealed heavenly causes which it is beyond the capacity of mankind to know. If Allah Almighty likes to do a plan against him, He conceals from him the would-be abandonment, thereupon he remains in his hope and is deceived by the good vision, prevailing heedlessness, inclination, or forgetfulness. All of those are among the soldiers of Satan that counteract oppose the soldiers of angels such as knowledge, mind, and remembrance of Allah. As well as there are, of Allah's attributes what stimulates love in the heart, such as kindness, mercy, and wisdom, there are other attributes which arouse abandonment such as compelling, exaltation in might and power, and freedom of want. Those are the commencements of plan, wretchedness and deprivation.

There is also a fear of replacement, i.e. that the heart should move from his love to the love of another. That is the aversion, whose commencements is abandonment; and turning away and veiling are commencements of abandonment; and breast constriction to do good and withdrawal of persistence in remembrance of Allah Almighty, and tiresomeness of the daily devotional recitals are causes and commencements of all of those.

The appearance of those causes indicates to the turning of the station of love into the station of aversion, we seek refuge with Allah from that. Persistence in fear of those matters and caution of them by permanent vigilance indicate to the truthfulness of love. Whoever loves a thing should necessarily feel afraid he might lose it; and this is why the lover remains in fear particularly if the beloved could be lost.

According to a Gnostic: "Whoever worships Allah Almighty by way of love without fear, he would be destroyed because of indulgence and pampering; and whoever worships Him by way of fear without love, he would be cut off from Him because of remoteness and estrangement; and whoever worships Him by

way of both love and fear, Allah Almighty loves him, brings him close to His presence, and enables and instructs him." The lover then should necessarily entertain fear, and the fearful should necessarily entertain love. But whoever has love possess his heart with only a little portion remaining thereof for fear, he is said to be in the station of love, and regarded among the lovers. If love alone is to prevail entirely, it would be beyond the power of humankind to tolerate. Fear counterbalances it and alleviates its trace on the heart.

It is related that one of the Abdal asked a sincere affirmer and lover of truth to ask Allah Almighty to bestow upon him only an atom of His gnosis. He did accordingly and Allah Almighty responded to him, thereupon the man wandered in mountains and his mind was confounded, and he remained for seven days unable to benefit from anything or be of any avail to anything at all. The sincere affirmer of truth asked Allah Almighty to reduce the atom of gnosis He had given to him, thereupon Allah Almighty revealed to him: "We have given him only a part of one hundred thousand of an atom of gnosis. Indeed, one hundred thousand servants asked Me to bestow upon them a portion of love at the same time this man has asked Me, and I postponed their answer until you interceded for this, and when I responded to your question, I also gave them the same as I gave him. Thus, I divided an atom of gnosis into one hundred thousand portions between them. What he is suffering is the trace of that." He said: "Exalted be You, the Wisest of all wise! Reduce from what You have given him." Allah then took away from him most of that portion, and there remained with him only a portion of ten thousand portions of an atom of gnosis. Thus, his love, fear and hope were counterbalanced, and he became quiet like the other Gnostics.

It is impossible for the people to share in such kinds of gnosis, and it is forbidden for anyone to disclose what is revealed to him thereof. Were all the people to share in it, the whole world would be destroyed. Wisdom of Allah requires that most of them should be heedless of it in order for the world to be well constructed. Were all the people to eat only the unlawful for forty days, surely, the whole world would be ruined, for they all would abstain in it, all markets would become idle. Moreover, if all the religious scholars and learned among the people to eat only the unlawful, they would engage in themselves, and tongues and pens would stop from writing knowledge. But there are mysteries and wisdoms in evil as well as there are mysteries and wisdoms in good; and His wisdom is infinite as well as His power is unlimited.

Another sign is to conceal love and avoid claim of it, and beware of disclosing affection and longing in exaltation and veneration of the beloved, and jealousy on his secret. Love indeed is one of the secrets of the beloved. Moreover, in the claim, one might exceed the due limits of the meaning to the point of defamation, for which there is a severe punishment, and disaster because of which might be hastened on in this world. It is true that the lover might come under intoxication of love, which befogs his mind and causes trouble to him, with the result that his love might appear on him. If this occurs to him unintentionally, he should be excused, for he is oppressed by the influence of love. In other cases, the fire of love might kindle so much that one

would not be able to tolerate its authority, and the heart might overflow with it ceaselessly.

One of the Gnostics said: "The more one refers to Allah Almighty, the farther he is from Him." Of a surety, he means such of people as remembers Him ostentatiously every moment and in the presence of anyone: this is hateful in the sight of lovers and Gnostics.

One day, Dhun-Nun Al-Misri visited one of his brothers who claimed love (for Allah Almighty), and found him suffering from a distress, thereupon he said to him: "He loves Him not who senses the pain of His harm." The man said: "But as for me, I say that he loves him not who is not blessed with the pain of His harm." Dhun-Nun said: "But I say that he loves him not who makes himself famous for His love." On that the man said: "I ask for forgiveness of Allah, and turn to him in repentance."

You may argue: "Since love is the highest station, to disclose it is to disclose good, then, why should it be disapproved?" In reply to that, it should be known to you that love is praiseworthy, and disclosing it also is praiseworthy. But what is blameworthy is to pretend it ostentatiously, for this develops claim and arrogance; and it is due upon the lover to have his states and deeds not his statements and words reveal his love. Were his love or act indicative of love to appear necessarily, he should do it without intention, for the lover's intention is to reveal his love only to the beloved. But to disclose the love to anyone else is to join him in that love, and this affects love. To disclose the love through deed and word then is blameworthy unless one is under the intoxication of love, with which the tongue speaks freely and organs and parts of body are shaken with trouble, in which case, one should not be held responsible.

What is hateful here is to pretend to love, for when the Gnostic knows about the states of the angels in their permanent love and inherent longing with which they glorify and exalt Allah Almighty relentlessly day and night, and that they neither weary nor disobey any command given to them by Allah Almighty, and always do what they are commanded to do, he despises his state, and disdains to disclose his love, for he comes to know that from among the lovers for Allah in the dominion of the Lord Almighty, he is the most despicable, and his love the shortest of all who love Allah.

In this respect, it is related from one who was revealed that he said: "I kept worshipping Allah Almighty for thirty years with the works of hearts and organs and parts of body, striving my utmost power, until I thought I have done a thing of significance to Allah Almighty." Then, he made a mention of things and signs of the heavens and the earth that were revealed to him by Allah Almighty in a long story at the end of which he said: "Then, I saw a row of angels as much as is equal to the number of all what Allah has created. I asked them: "Who are you?" they said: "We are the lovers for Allah Almighty, Whom we have been worshipping for three hundred thousand years, during which nothing else has ever occurred to our minds, nor have we remembered any other than Him." I then felt shy of (the insignificance of) my deeds (in comparison with theirs), and granted them to such of people as on whom punishment is due perchance his

torment would be alleviated in the Hell."

Then, whoever knows himself would necessarily know his Lord Almighty, of Whom he would feel shy, and disdain to claim any love ostentatiously. It is true that his movements and silence, daring and abstention, hesitation and reluctance, might bear witness to his love. In this respect, it is related by Al-Junaid that he said: "Our mister As-Sari fell ill and we knew no reason for his ailment. An experienced physician was described for us and we brought him. He took hold of a bottle full of his urine and checked it and then said: "This is the urine of a lover (for Allah)." I swooned and fell unconscious and the bottle of urine fell from my hand. When I recovered and returned to As-Sari and told him, he smiled and said: "May Allah fight him! How insightful he is!" I asked: "O mister! Is (the trace of) love shown in urine?" he answered in the affirmative."

As-Sari said once again: "If I like to say, nothing made my skin stick to my bone, and made lean my body other than my love for Him." Then, he felt unconscious. Those are some of the signs and fruits of love.

Among those signs is the intimacy and contentment as will be shown later.

In sum, all good things of religion and noble manners are among the fruits of love. What love does not produce is the following of inclinations and fancies, and it is among the evil manners. It is true that one might love Allah Almighty for His doing good to him, and one might love Him for His glory and beauty, even though He does not do good to him. All lovers are but one of both divisions. For this reason, Al-Junaid said: "People in their love for Allah Almighty are divided into laymen and private. The laymen acquired that love by their knowledge of Him in His continuous doing of good and bestowal of favors, thereupon they could not help please him, but their love varies in littleness and muchness in accordance with the favors and doing of good. As for the private, they acquired love by their perception of the grandeur of His will, power, knowledge, wisdom, and uniqueness of dominion and kingdom. When they knew His perfect attributes and complete beautiful names, they could not help love Him, for He deserved love in their sight for He is worthy of it, even though were He to take away from them all the favors."

It is true that from among the people, there is such as loves his own inclinations and Iblis, the enemy of Allah Almighty. But even, he is dissembled by means of arrogance and ignorance, thinking that he is a lover of Allah Almighty, and this is he who lacks those signs; or by way of showing off, in order to be seen and heard of men, and his purpose is only the transitory things of this world, although what seems from his outwardly contradicts what he conceals inwardly, and those are the evil religious scholars and reciters: Those are hateful to Allah Almighty on earth.

CHAPTER TWELVE
EXPOSITION OF MEANING OF INTIMACY WITH ALLAH

We have already mentioned that intimacy, fear and longing are among the fruits and traces of love. But those traces differ in relation with the lover according to his vision and what prevails over him in a particular time or state. If

it prevails over himself to look forward from behind the partition of the unseen to the utmost degree of beauty, feeling he is too short to fathom glory, the heart would be immediately moved and provoked to pursue that. This state is called longing, and it pertains to what is absent. If it prevails over him to rejoice of his closeness and vision of what is presently revealed to him, and his vision is restricted only to see the present revealed beauty, giving no care to what he has not attained yet, the heart then would cheer up with what it perceives, and this state of cheerfulness is called intimacy. If he is interested with the attribute of exaltation in might and power and freedom of want, carelessness and risk of removal and remoteness, the heart would feel pain, and this state of pain is called fear.

Those states follow observations, and observations are required by unlimited reasons and means. Intimacy, for example, is that the heart rejoices of the vision of beauty, to the extent that if it prevails in it over the observation of what is absent from it, and the risk of vanishing and disappearance, its pleasure and bliss would grow strong. This is the significance of the reply of one when he was asked: "Do you have longing?" he said: "No, because longing should be for what is absent." If the absent is present, then for which would he have longing? He, over whom the state of intimacy prevails, finds his pleasure only in seclusion and solitude.

It was said to Ibrahim Ibn Adham when he had descended from the mountain: "From where have you come?" He said: "From where I was in the company of Allah Almighty." That is because intimacy with Allah requires one to feel estranged from anything else other than Allah Almighty. Moreover, all that hinders that seclusion becomes the heaviest on the heart. In this respect, it is narrated that whenever Moses "peace be upon him" was communicated directly by his Lord, he would spend a long time during which he never heard the speech of anyone of the people but that he would be afflicted with nausea. That is because love requires the sweetness of the speech and remembrance of the beloved, which drives away from the heart any other sweetness.

For this reason, a wise man said in his supplication: "O Lord, Who made me affable with His remembrance, and estranged from His creatures." Allah Almighty said to David "peace be upon him": "Have longing for Me and be affable with Me, and estranged from anything else."

It was said to Rabi'ah: "By which thing have you attained that rank?" she said: "By leaving what concerns me not, and engagement and intimacy with Him Who is never-ending."

Abd-Al-Wahid said: "I came upon a monk to whom I said: "O monk! Has solitude appealed to you?" he said: "O man! Were you to taste the sweetness of solitude, you would feel estranged from everything else. Solitude is the leading act of worship." I asked him once again: "O monk! What is the least thing you find in solitude?" He said: "To be relieved of adulating the people and safety from their evil." I further asked: "O monk! When would the servant taste the sweetness of intimacy with Allah Almighty?" he said: "When affection becomes pure, and treatment sincere (to Him Alone)." I said: "Then, when would affection become

pure?" he said: "When all concerns turn into one concern in obedience (to Allah Almighty)."

According to a wise man: "Wonder at the creatures, how they seek a substitute for You! Wonder at the hearts, how they get affable with anything else other than You!"

You may argue: "Then, what is the sign of intimacy with Allah Almighty?" in reply to that, it should be known to you that its distinctive sign is to have one's breast constricted by mixing with the people, and annoyed by them, and, in return, enjoy of the sweetness of remembrance of Allah. Were he to be in a gathering, he is in solitude while being in assembly, and in assembly (with Allah Almighty) while being in solitude, a sojourner in residence, and a resident in journey, an attendant in absence and an absent in attendance, mixing the people only with his body, while he is in solitude with his heart, wholeheartedly involved in the sweetness of remembrance. That is the meaning of intimacy with Allah, and those are its indications and signs.

Some scholastic theologians went as far as to deny longing, intimacy and love for Allah Almighty, thinking that this gives false impression of likening (Allah to His creatures), and of course, this is not so, since it indicates to their ignorance of the fact that the beauty of perceiving what is invisible with insights excels in perfection the beauty of perceiving visibles with sights, and the gnosis of the invisibles is more pleasant to the masters of hearts. Among those scholastic theologians, a mention may be made of Ahmad Ibn Ghalib who denied the talk of love, longing and intimacy of Al-Junaid and his companions, and denied also the station of contentment, saying: "Nothing is possible but patience. As for contentment, it is unimaginable." But even, this speech is defective and imperfect, of a narrow-minded man who did not know of stations of religion but its external husks. All of what is visible in religion belongs to the external husks, whereas what is invisible to the internal core of religion. Whoever does not know from the nut but its external crust thinks, though falsely, that it has no oil at all; and he is excusable, although by no means would his excuse be accepted.

CHAPTER THIRTEEN

EXPOSITION OF MEANING OF ELATION AND PAMPERING PRODUCED BY OVERWHELMING INTIMACY

It should be known to you that if intimacy is permanent, strong and prevailing, and neither the pain of longing nor the fear of change embitters it, it indeed produces a kind of elation in deeds and words, and private talk with Allah Almighty. It might seem disapproving due to what it has of audacity and lack of veneration, but at the same time, it might be tolerable from him who is in the station of intimacy, and whoever is not in that station, and rather imitates them in word and deed, would be destroyed by it, and become on the threshold of disbelief.

The typical example of it is the private talk of Barkh the Black with whom Allah Almighty commanded Moses "peace be upon him" to invoke Him for rain after the children of Israel had suffered from famine for seven years, thereupon Moses "peace be upon him" set out in the company of seventy

thousand of his people to invoke Allah Almighty for rain. Allah Almighty revealed to him: "How should I respond to their invocation and their sins had overwhelmed them, and their innermost secrets were malicious? They invoke Me with no certainty nor fear of My plan. Return to one of My servants called Barkh and tell him to set out with you perchance I would respond to his invocation." Moses "peace be upon him" inquired about him, and failed to find him. One day, while Moses "peace be upon him" was on the way, a black slave received him, and there was dust in between his eyes because of the trace of prostration, and he had wrapped himself in a wrapper whose ends he had tied on his neck. Moses "peace be upon him" was led by his gnosis by virtue of the light of Allah Almighty, to salute him. He asked him about his name and the slave said: "Barkh." Moses said: "You have been sought by us. Come out to invoke Allah for rain for us."

He came out and invoked for rain and said during his invocation: "This is not fitting for Your deeds, nor for Your forbearance, nor for what seems to You. Do you suffer from shortage of springs or the winds proves disobedient of Your command or what you have was consumed, or you grew angry with the sinners? Had you not been forgiver of sins before You created the doers of mistakes? You created mercy and enjoined sympathy and kindness. Do You like to show us that You withhold from us? Or do you fear not to hasten on punishment?" He did not leave before the children of Israel were provided with rainfall in abundance, and Allah Almighty caused greenery to grow in half a day. When Barkh returned and Moses "peace be upon him" received him, he said: "Have you not seen that when I pleaded Him He immediately was just and fair to me?" When Moses "peace be upon him" intended to attack him, Allah Almighty revealed to him: "Barkh indeed makes Me laugh thrice a day."

It is further narrated on the authority of Al-Hassan that he said: "Many huts were burnt in Basrah, and one in the middle was not burnt; and at that time Abu Musa "Allah be pleased with him" was the governor of Basrah. When he was informed about that, he sent for the owner of the hut and he was brought to him. He was an old man, to whom he said: "O old man! What is the matter with you that your hut was not burnt?" He said: "I took oath that my Lord Almighty should not burn it." On that Abu Musa "Allah be pleased with him" said: I heard the Messenger of Allah "peace be upon him" having said: "There would be in my people men of disheveled hair and untidy clothes, and if they take oath that Allah should do a thing, He Almighty would fulfill their oath." (Ibn Abu Ad-Dunya).

It is further narrated that a burning broke up in Basrah and Abu Ubaidah Al-Khawas came and started to step over the fire, and the Basrah governor said to him: "Beware lest fire would burn you." He said: "I took oath that my Lord Almighty should not burn me with the fire." He said to him: "Then, swear that fire should be extinguished (by permission of Allah Almighty)." He swore that fire should be put out (by permission of Allah Almighty) , and it was put out.

It is related that one day Abu Hafs was walking when a confounded rural man received him and he asked him: "What is wrong with you?" he said: "I have lost my donkey and I have none other than it." Abu Hafs stopped and said: "By Your Honor, I would not take a step unless You restore to him his donkey." Then, the

donkey appeared immediately, and Abu Hafs left.

Those and others like them occur to those of intimacy with Allah Almighty, and it is not fitting for anyone else to imitate them in that.

According to Al-Junaid: "The men of intimacy say during their speech and private talks in their solitude and seclusion things that seem disbelief in the sight of the laymen...and were the laymen to hear them, surely, they would render them disbelievers." This is tolerable from and fitting for them but not for others. It is not unlikely that He Almighty is pleased with such a servant because of a thing for which He grows angry with another, so long as their stations are different. In the Qur'an there are alerts to those concepts if you make sense to them. All Qur'anic stories are but alerts to those endued with insights and understanding perchance they would consider them with reflection and meditation.

The first narration pertains to the story of Adam "peace be upon him" and Iblis: Do you not see how both shared in sin and transgression, and then differed in selection and infallibility? As for Iblis, he was removed far from His mercy. As for Adam "peace be upon him" He Almighty said about him: " Thus did Adam disobey his Lord, and allow himself to be seduced. But his Lord chose him (for His Grace): He turned to him (in repentance), and gave him guidance." (Ta Ha 121-122)

﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجْتَبَهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝ ﴾

Furthermore, in another narration, Allah Almighty blamed His Prophet "peace be upon him" for his turning away from a servant, and turning his face to another servant, given that both were equal in servitude and different in state. He Almighty said making a comparison between both: "As to one who regards himself as self-sufficient, To him do you attend; Though it is no blame on you if he grow not (in spiritual understanding). But as to him who came to you striving earnestly, And with fear (in his heart), Of him was you unmindful." (Abasa 5-10)

﴿ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝ ﴾

On another occasion, Allah Almighty commanded him "peace be upon him" to sit with a group of people saying: "When those come to you who believe in Our Signs, say: "Peace be on you; your Lord has inscribed for Himself (the rule of) Mercy: verily, if any of you did evil in ignorance, and thereafter repented, and amended (his conduct), lo! He is Oft-Forgiving, Most Merciful." (Al-An'am 54)

﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾

Then, He ordered him not to sit with another group of disbelievers saying: " When you see men engaged in vain discourse about Our Signs, turn away from them unless they turn to a different theme. If Satan ever makes you forget, then after recollection, sit not you in the company of those who do wrong." (Al-An'am 68)

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

In confirmation of that, He said to him once again: " And keep your soul content with those who call on their Lord morning and evening, seeking His Face; and let not your eyes pass beyond them, seeking the pomp and glitter of this Life; nor obey any whose heart We have permitted to neglect the remembrance of Us, one who follows his own desires, whose case has gone beyond all bounds." (Al-Kahf 28)

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾

Similarly, elation and pampering are tolerable from some servants and not form others. For example, Moses "peace be upon him" said out of elation of his intimacy: " This is no more than Your trial: By it You cause whom You will to stray, and You lead whom You will into the right path. You are our Protector: So forgive us and give us Your mercy; for You are the Best of those who forgive." (Al-A'raf 155)

﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾

A mention also may be made of his statement in reply to the Lord when He said to him: "Go you to Pharaoh, for he has indeed transgressed all bounds" (Ta Ha 24)

﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾

"O my Lord! I do fear that they will charge me with falsehood: My breast will be straitened. And my speech may not go (smoothly): so send unto Aaron. And (further), they have a charge of crime against me; and I fear they may slay me." (Ash-Shu'ara 12-14)

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ ﴾

He further said: "Our Lord! we fear lest he hasten with insolence against us, or lest he transgress all bounds." (Ta Ha 45)

﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾

If this is from anyone other than Moses "peace be upon him" it would be impolite, for the one who is made to stand in the station of intimacy, should be dealt with gently and the like of this might be tolerable from him. What is less than this was not tolerable from Jonah "peace be upon him" when he was made to stand in the station of fear and veneration. He was put to punishment of prison in the belly of the fish for three days, in three darknesses, and " Had not Grace from His Lord reached him, he would indeed have been cast off on the

naked shore, in disgrace." (Al-Qalam 49)

﴿ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ ﴾

Our Prophet "peace be upon him" was forbidden to imitate him and Allah Almighty said to him: " So wait with patience for the Command of your Lord, and be not like the Companion of the Fish, when he cried out in agony." (Al-Qalam 48)

﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ ﴾

Those differences go back in part to the difference of states and stations, and in part to the preordained superiority given by Allah to some over others. In confirmation of that, Allah Almighty said: " We did bestow on some Prophets more (and other) gifts than on others." (Al-Isra' 55)

﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴿٥٥﴾ ﴾

And: "Those Messengers We endowed with gifts, some above others: to one of them Allah spoke; others He raised to degrees (of honour)." (Al-Baqarah 253)

﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴿٢٥٣﴾ ﴾

Jesus "peace be upon him" was among those given superiority, and due to his being pampered, he greeted himself saying: "So Peace is on me the day I was born, the day that I die, and the day that I shall be raised up to life (again)!" (Maryam 33)

﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾

This from him was out of elation for what he contemplated while being in the station of intimacy.

As for John, son of Zechariah "peace be upon him", he was made to stand in the position of fear and shyness, and thus he did not speak until his Lord Almighty praised him saying: " So Peace on him the day he was born, the day that he dies, and the day that he will be raised up to life (again)!" (Maryam 15)

﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾

Consider also how He Almighty tolerated from the brothers of Yusuf "peace be upon him". According to a religious scholar: I have counted about forty two sins committed by them, some more severe and mortal than others, beginning from their statement as related by Allah Almighty: "Truly Joseph and his brother are loved more by our father than we: but we are a goodly body! really our father is obviously wandering (in his mind)! (Yusuf 8)

﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ﴾

But He Almighty excused them, and forgave for them, unlike the case of Uzair in which He did not tolerate from him only one question he asked about the Divine decree, and he was said to have been omitted from the register of Prophets. Similarly, Bal'am Ibn Ba'ura' was from among the leading learned religious scholars and when he devoured this world for the religion, this was not tolerable from him.

Asif was among the transgressors against himself, and his sins were corporal, and Allah Almighty forgave him. In this respect, it is reported that Allah Almighty revealed to Solomon "peace be upon him": "O chief of worshippers, and the son of the main ascetic! To which time would your maternal cousin Asif continue to disobey Me and I forbear him? By My Honor, if I seize him, I would make him a lesson to be considered by those to come after him." When Asif entered upon Solomon "peace be upon him" he told him of what had been revealed to him by Allah Almighty. He came out until he ascended a sandhill and raised his head and hands towards the sky and said: "O my God and Master! You are what You are, and I am what I am. How should I repent unless You accept my repentance, and how should I become infallible? Unless you protect me, surely, I would return to sin." Allah Almighty then revealed to him: "You have told the truth O Asif! You are only what you are, and I am what I am. I accept repentance, and I have turned to you in repentance; and I am Oft-Turning, Most Merciful."

That is the established way of Allah Almighty in His creatures: He gives some superiority and priority over others. Those stories are mentioned in the Qur'an in order to know the eternal established way of Allah in His servants who passed away. The Qur'an has nothing but that it is a light and guidance, in which Allah Almighty shows Himself to His creatures: sometimes by exaltation like His statement: " Say: He is Allah, the One and Only; Allah, the Eternal, Absolute; He begets not, nor is He begotten; And there is none like unto Him." (Al-Ikhlas 1-4)

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝ ﴾

And sometimes by the attributes of His Glory like His statement: " Allah is He, than Whom there is no other god; the Sovereign, the Holy One, the Source of Peace (and Perfection), the Guardian of Faith, the Preserver of Safety, the Exalted in Might, the Irresistible, the Supreme: Glory to Allah! (High is He) above the partners they attribute to Him. He is Allah, the Creator, the Evolver, the Bestower of Forms (or Colours). To Him belong the Most Beautiful Names: whatever is in the heavens and on earth, does declare His Praises and Glory; and He is the Exalted in Might, the Wise." (Al-Hashr 23-24)

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ ﴾

And sometimes by showing to them His threatening and hopeful acts and reciting to them His established way in His enemies and allies like His statement: "" See you not how your Lord dealt with the 'Ad (people) Of the (city of) Iram, with lofty pillars, The like of which were not produced in (all) the land?" (Al-Fajr 6-8)

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝ ﴾

And: " See you not how your Lord dealt with the Companions of the Elephant? Did He not make their treacherous plan go astray? And He sent

against them flights of Birds, Striking them with stones of baked clay. Then did He make them like an empty field of stalks and straw, (of which the corn) has been eaten up." (Al-Fil 1-5)

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝ ﴾

part two: contentment

Explication of contentment with the fate of Allah Almighty: Its meaning and real nature, and what is narrated about its excellence

It should be known to you that contentment is among the fruits of love, and one of the highest stations of the nearest to Allah Almighty. But at the same time, its meaning and real nature are abstruse on the majority of people, and none perceives it but those endued with the talent of interpretation and religious understanding. Indeed, some denied contentment with what opposes inclination, under pretext that were one to be contented with all things as being acts of Allah Almighty, this requires that he should necessarily be contented with disbelief and sins. By this illusion, some were deceived, and claimed that contentment with disobedience and wickedness, and leaving objection and disapproval is to admit the fate of Allah Almighty. Were those mysteries to be disclosed to such as restricts his vision only to the hearsay of the apparent matters of Sharia, surely, the Prophet "peace be upon him" would not have invoked for Ibn Abbas "Allah be pleased with them" saying: "O Allah! Endow him with the faculty of religious comprehension and teach him the (talent of) interpretation." (Al-Bukhari).

Let us then begin with discussing the following:

Explication of excellence of contentment

Relating the tales of the contented

Explication of real nature of notion of contentment with what opposes inclination, and what is thought to belong to contentment and it is not of it, like leaving invocation and silence from sins and disobedience.

CHAPTER ONE
EXPLICATION OF VIRTUE OF CONTENTMENT

From the Holy Quran, a mention may be made of the statement of Allah Almighty: " Allah well-pleased with them, and they with Allah: that is the great salvation, (The fulfillment of all desires)." (Al-Ma'idah 119)

﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ ﴾

In confirmation of that, He Almighty said: "Is there any Reward for Good other than Good?" (Ar-Rahman 60)

﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝ ﴾

The utmost degree of good is the Allah's good pleasure with His servant,

which is the fruit of the servant's contentment with his Lord Almighty.

He Almighty further said: "Allah has promised to Believers - men and women - Gardens under which rivers flow, to dwell therein, and beautiful mansions in Gardens of everlasting bliss. But the greatest bliss is the Good Pleasure of Allah: that is the supreme felicity." (At-Tawbah 72)

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾

Here, Allah Almighty made the good pleasure superior to the Gardens of Eden, just as He raised His remembrance over prayer in His statement: " establish regular Prayer: for Prayer restrains from shameful and unjust deeds; and remembrance of Allah is the greatest (thing in life) without doubt. And Allah knows the (deeds) that you do." (Al-Ankabut 45)

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

As well as the contemplation of the remembered in prayer is greater than the prayer itself, of a surety, the good pleasure of the Lord of Paradise is greater than Paradise itself, for it is the utmost finale of the inhabitants of Paradise.

It is narrated in a particular Hadith that the Prophet "peace be upon him" told that Allah Almighty rises (with His Glory) to the faithful believers and says to them: "Ask Me for whatever you like." They say: "We ask for Your good pleasure." (Al-Bazzar and At-Tabarani on the authority of Anas). Their request for good pleasure after vision is the greatest preference.

As for the servant's contentment, we are going to explain its real nature. Concerning the good pleasure of Allah with the servant, it is different, though close in meaning to His love for him. But it is impermissible to be uncovered here, for the people's understanding falls short of perceiving it, and anyone of them has the power to perceive it keeps it within himself.

In sum, there is no rank superior to the vision of Him Almighty, and those who ask Him for His good pleasure, would do so in order to ensure their permanent vision of Him Almighty. The bliss of vision then is the highest finale and the greatest ambition, and when they are commanded to ask for more, they would not ask but to ensure the permanent vision of Him, for they know that the good pleasure is the cause of permanent removal of the veil.

Allah Almighty said too: " There will be for them therein all that they wish, and more besides in Our Presence." (Qaf 35)

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾

According to a commentator: "At the time of this more besides, the inhabitants of Paradise would receive three wonderful things from the Lord of the worlds: the first is a gift from Allah Almighty, the like of which they do not have in the Garden, as confirmed by the statement of Allah Almighty: " Now no person knows what delights of the eye are kept hidden (in reserve) for them, as a reward for their (good) Deeds." (As-Sajdah 17)

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

The second is their being saluted with peace by their Lord Almighty, and this is more excellent than the gift they would receive. In confirmation of that, Allah Almighty said: ""Peace!" a Word (of salutation) from a Lord Most Merciful!" (Ya Sin 58)

﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾

The third is the statement of their Lord to them: "I am well-pleased with you." This would be, of a surety, greater than both the gift and salutation, as confirmed by His saying: But the greatest bliss is the Good Pleasure of Allah: that is the supreme felicity." (At-Tawbah 72)

﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾

I.e. greater than the bliss of Garden in which they are.

That is the excellence of the good pleasure of Allah with the servant, and it is a fruit of his contentment with Allah Almighty.

As for the narrations, a mention may be made of the following:

It is narrated that the Prophet "peace be upon him" asked a group of his companions: "Who are you (in faith)?" they said: "We are believers." He asked them: "What is the sign of your faith?" they said: "We persevere at the time of adversity, give thanks at the time of prosperity, and are contented with the fate of Allah Almighty (no matter how good or evil it might be)." On that the Prophet "peace be upon him" said to them: "You are really believers, by the Lord of the Ka'bah."

According to another version, he "peace be upon him" said: "Those are wise learned scholars who are about to (attain the rank of) Prophets because of their religious comprehension."

It is further narrated that the Prophet "peace be upon him" said: "Blessed be he who is guided to Islam and his sustenance barely suffices for his minimum requirements of living, with which he is contented." (At-Tirmidhi on the authority of Fadalah Ibn Ubaid).

It is also narrated that the Prophet "peace be upon him" said: "Whoever is contented with the little sustenance from Allah Almighty, Allah then would be contented with the little deed from him." (Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Ali Ibn Abu Talib).

It is narrated on the authority of one from the household of the Prophet "peace be upon him": "Verily, if Allah Almighty loves a servant, He would try him; and if he keeps patient, He would select him; and if he is contented, He would choose him." (Sahib Al-Firdaws on the authority of Ali).

It is further narrated that the Prophet "peace be upon him" said: "When it is the Day of Judgement, Allah Almighty would create wings for a group of my people to fly therewith from their graves to the Garden of Paradise to graze and enjoy in them as they like. The angels would ask them: "Have you seen the reckoning?" they would say: "We have not seen any reckoning." They would further ask them: "Have you crossed the bridge (that is over the Hell)?"

they would answer: "We have not seen any such bridge." They would ask them once again: "Have you seen the Hell?" they would answer: "We have seen anything like that." The angels would then ask them: "To which people do you belong?" they would say: "To the people of Muhammad "peace be upon him"." They would say to them: "We beseech you by Allah to tell us about your deeds in the world." They would say: "We had two characteristics because of which we have attained that rank by virtue of Allah's mercy." They would ask them: "What are those?" they would say: "Whenever we were in seclusion, we felt shy of disobeying Him, and we were contented with the little that was doomed to us." On that the angels would say to them: "Then, this rank is due to you." (Ibn Hibban on the authority of Anas; but it is rejected since it contradicts the statement of Allah Almighty in the Qur'an: " Not one of you but will pass over it: This is, with your Lord, a Decree which must be accomplished." (Maryam 71)

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾

The Prophet "peace be upon him" further said in another narration: "O assembly of poor! Be contented with Allah Almighty from the depth of your hearts, perchance you would obtain the reward of your poverty, otherwise, you would obtain nothing."

It is narrated from the children of Israel that they said to Moses "peace be upon him": "Ask your Lord for a thing which, if we do, He would be well-pleased with us because of it." Moses "peace be upon him" said: "O my God! You have heard what they said." On that he said: "O Moses! Tell them to be contented with Me." This is attested by the statement of our Prophet Muhammad "peace be upon him": "Whoever likes to know what he has with Allah Almighty, let him first consider what Allah Almighty has with him, for the position of a servant in the Sight of Allah Almighty is determined by the position of Allah Almighty in the heart of the servant." (Al-Hakim on the authority of Jabir).

It is narrated from the news of David "peace be upon him" that Allah Almighty said to him: "What do My allies have to do with their concern in this world? Indeed, concern removes from their hearts the sweetness of the private talk with Me. O David! My love for My allies should make them spiritual, not distressed (with anything evil in this world)."

It is narrated that Moses "peace be upon him" said: "O Lord! Guide me to a thing in order to do and obtain Your good pleasure because of it." Allah Almighty revealed to him: "My good pleasure lies in what you dislike, and in no way could you persevere for what you dislike." Moses "peace be upon him" said: "O my Lord! Guide me to it." He said: "My good pleasure lies in your contentment with My fate."

Moses "peace be upon him" said in his private talk with Allah Almighty: "O Lord! Which of Your creatures is the dearest to You?" He said: "He, who, if I even take away his beloved from him, would remain in agreement with Me." He further asked him: "Then, which of Your creatures is that with whom You are displeased?" He Almighty said: "He who seeks My guidance of him to anything, and when I doom anything to him, he would be displeased with My fate."

What is more severe than that is narrated, as Allah Almighty says: "I am Allah and there is no god other than Me. Whoever does not persevere on My trial, does not give thanks for My favor, and is not contented with My fate, then, let him take a lord other than Me." (At-Tabarani and Ibn Hibban on the authority of Abu Hind Ad-Dari).

More severe is the narration in which our Prophet "peace be upon him" related from Allah Almighty that He says: "I have decreed the matters, manipulated the affairs, and perfectly made all things: Whoever is contented, would obtain My good pleasure with him until he meets Me; and whoever is displeased would incur upon himself My displeasure with him until he meets Me." (This narration is reported but with different wording by At-Tabarani on the authority of Abu Umamah).

According to a famous narration: Allah Almighty says: "I created both good and evil: Blessed be he whom I created for good and made good run on his hand; and woe to him whom I created for evil and made evil run on his hand; and woe to him who says disapprovingly: 'Why and how'." (Ibn Shahin on the authority of Abu Umamah).

It is narrated that one of the previous Prophets kept complaining to Allah of poverty, hunger and lice for ten years, and he received no answer. Then, Allah Almighty revealed to him: "How many your complaints are! As such your beginning was with Me before I created the heavens and the earth; and as such it went forward for you from Me; and as such I decreed upon you before I created this world: do you like Me to repeat the creation of this world for your sake, or do you like Me to replace the decree for your sake in order for what you like to prevail over what I like? By My Honor and Glory! If such complaints lurk in your breast once again, I would erase you from the register of Prophets."

It is further narrated that one of the young children of Adam "peace be upon him" used to ascend and descend on his back playfully, while he was lowering his head to the ground motionless and silent. One of his sons said to him: "O my father! Do you not see what this child is doing with you? Would that you forbid him to do so!" he said: "O my son! I have seen what you have never seen, and learnt what you have never learnt. I did a single movement, therewith I was caused to descend from the abode of dignity to the abode of humiliation, and from the abode of bliss to the abode of wretchedness; and I fear if I moved, I would be afflicted with what I know not."

It is further narrated on the authority of Anas Ibn Malik "Allah be pleased with him" that he said: "I served the Messenger of Allah "peace be upon him" for ten years, during which he never said to me of anything I did not do why I did not do it, or of anything I did why I did it, nor did he say of anything which was, would that it was not, or of anything which was not, would that it was; and if anyone of his family disputed with me, he would say to him: "Let him, if anything was decreed, it would have been." (both Al-Bukhari and Muslim).

It is narrated that Allah Almighty revealed to David "peace be upon him": "O David! You will and I will, and of course what I will should be. So, if you admit

what I will, I would suffice you what you will, and if you do not admit what I will, surely, I would trouble you in what you will, and nothing would be other than I will."

As for traditions, a mention may be made of the following:

Ibn Abbas "Allah be pleased with them" said: "The first of people to be invited to Paradise would be those who praise Allah Almighty in whichever state they are."

Umar Ibn Abd-Al-Aziz "may Allah have mercy upon him" said: "I do not rejoice but at what is decreed (by Allah Almighty)." He was asked: "What you desire for?" he said: "What Allah Almighty decrees."

According to Maimun Ibn Muhran "may Allah have mercy upon him": "Whoever is not contented with the fate (and doom of Allah Almighty), there is no medicine for his foolishness."

According to Al-Fudail "may Allah have mercy upon him": "If you do not persevere on the ordainment of Allah Almighty, you would not be able to keep patient on what is doomed to yourself."

According to Abd-Al-Aziz Ibn Rawad "may Allah have mercy upon him": "It is not necessary to eat parley bread with vinegar, nor to put on wool and hair, but what counts is to be satisfied and pleased with Allah Almighty."

According to Abdullah Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him": "To lick up a piece of fire which might burn what it burns and destroy what it destroys is dearer to me than to say of a thing which was, would that it was not, or of a thing which was not, would that it was."

It is further related that a man saw a sore in the leg of Muhammad Ibn Wasi' "may Allah have mercy upon him" thereupon he said to him: "I have pity for you because of this sore." On that Muhammad said: "I have been grateful to this sore since it appeared, for it did not appear in my eye."

It is related in one of Israeli tales that a man worshipped Allah Almighty for a long time and once he was shown in a dream that 'so and so, the female shepherd is your companion in Paradise.' He inquired about her, until he found her. He hosted her for three days in order to check up her deed, during which he spent the night standing (in prayer), whereas she spent the night sleeping, and he spent the day fasting, whereas she did not fast. In the end he said to her: "Do you not have any deed other than what I have seen from you?" She said: "By Allah, I do nothing more than what you have seen, other than which I do not know." He kept urging her to remember until she said: "I have only one simple characteristic, i.e. I have never been in adversity and hoped to be in prosperity, and I have never been sick and I hoped to be healthy, and I have never been in sun and I hoped to be in the shade." The worshipper put his hand over his head and said: "Is this only a simple characteristic? It is, by Allah, a great characteristic which servants fail to attain."

According to one of the righteous predecessors: "Allah Almighty likes that if He decrees a thing in the heaven, the inhabitants of the earth should be contented with His decree."

According to Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him": "The peak of faith

is to persevere on the judgment and be contented with the fate."

According to Umar "Allah be pleased with him": "I do not care in whichever state of adversity or prosperity I become."

One day, Ath-Thawri "may Allah have mercy upon him" said and he was in the house of Rabi'ah "may Allah have mercy upon her: "O Allah! Be well-pleased with me." She said to him: "Do you not feel shy of Allah that you ask Him for His good pleasure while you yourself are not contented?" he said: "I pray to Allah for forgiveness." Ja'far Ibn Sulaiman said: "Then, when should the servant be contented with Allah Almighty?" she said: "When his joy of calamity is equal to his joy of favor."

According to Al-Fudail "may Allah have mercy upon him": "When both giving and withholding become equal in one's sight, then, he has become contented with Allah Almighty."

Ahmad Ibn Al-Hawari said: Abu Sulaiman Ad-Darani said: "It is out of Allah's bounty that He accepts from His servants the same as the servants accept from their masters." I asked: "How is that?" he said: "Is it not that the servant's purpose from the people is that his master should be pleased with him?" I answered in the affirmative, thereupon he said: "Similarly, Allah's love for His servants is that they should be contented with Him."

According to Sahl "may Allah have mercy upon him": "The fortunes of servants from certainty (of faith) is in proportion to their fortune of contentment; and their fortune of contentment is in proportion to the extent of their living with Allah Almighty."

The Prophet "peace be upon him" said: ""It is out of Allah's wisdom and glory that He made both satisfaction and joy in contentment and certainty (of faith), and grief and anxiety in suspicion and discontentment." (At-Tabarani on the authority of Ibn Mas'ud).

CHAPTER TWO

EXPLICATION OF REAL NATURE OF CONTENTMENT AND ITS NOTION WITH WHAT OPPOSES INCLINATION

It should be known to you that the one who argues that nothing opposes inclination except the patience, and that contentment is impossible, has indeed, denied love. If love for Allah Almighty is assured, as it engages the whole attention, no doubt, love develops contentment with the acts of the beloved, from two perspectives:

The first is that his sense of pain becomes ceaseless, to the extent that no matter how painful and aching his injury or wound might be, he feels not. The typical example is the fighter who might receive injury and, in the thick of his anger and fear, does not sense its pain, no matter how severe it might be, for his heart is entirely engaged. Moreover, if one gets an operation of cupping on his head while his heart is engaged, no doubt, he would feel no pain until the cupper finishes from the operation. That is because if the heart is engaged in anything to which it is wholly devoted, it perceives nothing other than it. The same is true of the lover, whose attention is wholeheartedly devoted to the vision or love of his beloved to the extent that anything to whose pain and grief

he is responsive while being in his normal state, might befall him, but he feels no pain, no matter how painful or gloomy it might be, due to his engagement in his love and attachment. This is in case he receives that from anyone else other than his beloved: Then, what do you think if he receives it from his beloved?

Indeed, the engagement in love and attachment is one of the greatest occupations that divert the heart from anything else. If it is imaginable in a little pain caused by a simple love, it also could be imaginable in a severe pain caused by a great love. Love, like pain, could be multiplied and intensified, and as well as the love for the beautiful external pictures perceived by the sense of sight might become strong, similarly, the love for the beautiful internal images perceived by the light of insight might also become strong. To be sure, the beauty and glory of the Divine presence are incomparable, to the extent that if something of it is revealed to anyone, he might be astounded and become unconscious so much that he might not sense anything occurring to him.

In this respect, it is narrated that the wife of Fath Al-Mawsili stumbled and the nail of her toe got broken, thereupon she smiled. It was said to her: "Do you not detect pain?" She said: "The pleasure of its reward has removed from my heart the bitterness of its pain."

It is also related that Sahl had an ailment from which he used to treat others but not himself, and when he was asked about that he said: "No doubt, the beating of the beloved does not ache."

The other perspective is that he perceives and feels the pain, but at the same time, he is contented with and desirous for it by his mind, even though it is unfavorable to him by disposition. The typical example is the one who seeks cupping and bloodletting: of course he feels the pain of both, but he is contented with and desirous for it, and would further be under obligation to him who does that for him. The same is true of the traveller in pursuit of profit: of course he perceives the trouble and difficulty he might suffer from the journey, but at the same time, his love for the fruit of the journey makes its difficulty and trouble seem pleasant to him.

If one is afflicted with a trial by Allah Almighty, and he is certain that its reward that is kept for him is more excellent that what he misses, he would be contented with and desirous for it. Moreover, he would love it, and be grateful to Allah for it. But it is possible that the love might be overwhelming so much to the extent that the lover's fortune from the beloved is only to seek his good pleasure, and nothing else. All of this is common among the people in their love to each other. It gains its significance only by observing the beauty of the external picture that is perceived only by sight, although this beauty is, in its reality, no more than skin stuffed with bone, flesh and blood, and it contains impurities and dirty things, and its beginning is from a dropped sperm, and its end to a putrefied corpse. As for the instrument that perceives that external beauty, it is the despicable eye which errs in what it sees in such a way that it magnifies the small and minimizes the big, brings close what is far, and far what is close, beautifies the ugly and defaces the beautiful.

If all of this is possible for the people in their relation with each other, then,

how should it be impossible in the love for the eternal beauty whose perfection is unlimited, and which is perceived by the light of the insight which never errs nor perishes by death in so much as it survives after death living in the Presence of Allah, and joyful of the sustenance that is given to it by Allah Almighty? This is clear if taken by consideration. It is also attested from the tales and statements of lovers.

According to Shaqiq Al-Balkhi "may Allah have mercy upon him": "Whoever sees the reward for adversity would never desire to have a way out of it."

According to Al-Junaid "may Allah have mercy upon him": I asked Sari As-Saqati: "Should the lover detect the pain of trial?" He answered in the negative, thereupon I asked: "And even if he is struck with the sword?" He said: "Yes, even if he is struck with the sword seventy strikes, one after another."

Another one said: "I love everything that He loves, and even if He loves fire, I love to enter fire (because He loves it)."

According to Bishr Ibn Al-Harith "may Allah have mercy upon him": "I came upon a man who received one thousand lashes in the East of Baghdad and he remained motionless and silent. Then he was carried to the prison. I followed him and asked him: "Why have you received those lashes?" he said: "Because I am a lover." I further asked him: "Then, why have you remained silent?" he said: "Because my beloved was beside me looking at me." I said to him: "Then, what do you think if you catch a glimpse of the Greater Beloved?" he made a cry so loud that he fell dead out of it.

According to Yahya Ibn Mu'adh Ar-Razi "may Allah have mercy upon him": "If the inhabitants of Paradise look at (the glory and beauty of) Allah Almighty, their eyes would go into their hearts, out of the pleasure they receive from their vision of Allah Almighty for three hundred years and would never return to them. Then, what do you think of hearts that fall in between His beauty and glory? If they observe His glory, they would be taken by awe, and if they observe His beauty, they would be lost."

According to Bishr "may Allah have mercy upon him" once again: At first, I went to Abdan, and behold! There was a blind leper mad man who fell on the ground out of epilepsy, and ants gathered to eat his flesh. I raised his head and put it in my lap. When he restored his consciousness he asked: "Who is that parasite who interferes between me and my Lord? Were He to cut me to pieces, I would but increase in love for Him." Bishr commented: "Afterwards, I have never disapproved any displeasure between a servant and his Lord."

According to Abu Amr Muhammad Ibn Al-Ash'ath: "The people of Egypt remained four months during which they had no provision but their looking at the face of Yusuf As-Siddiq "peace be upon him": Whenever they became hungry, they would look at his face and be diverted by its beauty from the feeling of the pain of hunger. Moreover, in the Holy Qur'an there is what is more impressive than that, i.e. the women's cutting off their hands when they saw him for their engagement in observing his beauty to the extent that they felt no pain at all."

It is related that Jonah "peace be upon him" said to Gabriel: "Guide me to the one who worships Allah most among the inhabitants of the earth." He guided him to a man whom leprosy had torn his hand and feet and removed his sight. Then, he heard him saying: "O God! You have caused me to enjoy of them as much as You willed, and then deprived me of them as much as You willed, and kept for me the hope in You, O Most Kind, Beneficent."

It is narrated from Abdullah Ibn Umar "Allah be pleased with them" that one of his children fell ill and he grieved for him so much that the people said about him: "We fear this old man would be stricken if this child died." Then, the child died and Ibn Umar "Allah be pleased with them" set out leading his funeral procession, and none was cheerful than him. When Ibn Umar "Allah be pleased with them" was asked about that he said: "I grieved just out of pity and mercy for him, and when he died, we were contented with it."

It is narrated on the authority of Masruq "may Allah have mercy upon him" that he said: A man in the desert had a dog, a donkey and a cock. The cock used to awaken them for Fajr prayer, and the donkey was used to transport water and carry their tent for them, and the dog used to guard them. One day, a fox came and took the cock, thereupon they grieved for it so much. The man was righteous. He said: "May be it is good." Then, a wolf came and split open the belly of the donkey and killed it, for which they grieved so much. But the man said: "May be it is good." Then, the dog was afflicted and died, and he said: "May be it is good." In the morning of one day, they looked and behold! All people surrounding them were taken as captives and they were left. Those who were taken as captives were taken for what they had of the voices of dogs, donkeys and cocks. In this way, the destruction of those animals was for their benefit as decreed by Allah Almighty. Then, whoever knows what is hidden of the acts of Allah should necessarily be contented with them.

It is further related that Jesus "peace be upon him" came upon a blind leper paralyzed man whose flesh scattered about out of leprosy. He heard him saying: "All perfect praise be to Allah Who saved me from many diseases with which He tried a lot of His creatures." Jesus "peace be upon him" said to him: "O man! Which of trials I see that you do not have?" he said: "O Spirit of Allah! I am better than him in whose heart Allah did not place what He placed in my heart of His gnosis." He said to him: "Indeed, you have told the truth. Give me your hand." He gave it to him and behold! He turned to be the best and the most beautiful of people in features and appearance, after Allah Almighty had removed from him all that he had. He then accompanied Jesus "peace be upon him" and worshipped Allah while being in his company.

Once, the leg of Urwah Ibn Az-Zubair "may Allah have mercy upon him" was cut off because of a severe disease that afflicted it, thereupon he said: "All perfect praise be to Allah Who has taken only one from me. By Allah, if You have taken one from me, You have left one for me, and if You have afflicted one, You have cured the other." Moreover, that night, he did not leave his devotional recital.

Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" used to say: "Both poverty and

richness are two riding mounts, and I do not care whichever of them I ride. If it is poverty, patience lies in it; and if it is richness, generosity lies in it."

It was said to a Gnostic: "Have you attained the finale of contentment with Allah Almighty?" he said: "As for the finale, it is not, but I have attained the station of contentment, to the extent that were He to make me a bridge over Hell for the creatures to cross to Paradise and then were He to fill Hell with me in fulfillment of His oath, and to be sacrificed for all the people, I would love that as it is His decision, and be contented with it as it is doomed to me."

It is narrated that Imran Ibn Al-Hussain "Allah be pleased with him" spent the last thirty years lying on his back for he had ailment in his abdomen, and an opening was made in his bed in order to be able to answer the call of nature while lying. One day Mutarrif and his brother Al-Ala' came to visit him and Mutarrif went on weeping. He asked him: "Why are you weeping?" He said: "For this difficult state in which you are." He said to him: "Weep not, for as Allah Almighty likes it to me, I should necessary like it for myself." Then he said to him: "Let me tell you something may Allah benefit you with it, but do not announce it until I die. The angels come to visit me and I become affable with them, and they greet me and I hear their salutation, therewith I know that this trial is not punishment in so much as a cause of that great bliss. Whoever witnesses this in his trial, how should he not be contented with it?"

When Sa'd Ibn Abu Waqqas "Allah be pleased with him" came to Mecca, and he had lost his sight, the people hurried to him and ask him to invoke good upon them, and his invocation used to receive answer from Allah Almighty. He invoked for whomever asked him. Abdullah Ibn As-Sa'ib "Allah be pleased with him" said: I went to him and he recognized me and said: "Are you the reciter of the inhabitants of Mecca?" I answered in the affirmative. (He related a story which ends with the following): I said to him: "O uncle! You invoke good upon the people! Would that you invoke Allah for yourself that He should restore your sight to you!" he smiled and said: "O my son! The fate of Allah Almighty is dearer to me than my sight."

On another occasion, a Sufi man lost his child and it was said to him: "Would that you ask Allah Almighty to restore him to you!" on that he said: "To make objection to His fate is more difficult on me than to lose my child."

One of the worshippers said: "I committed a great sin because of which I have been weeping for sixty years." He strove his utmost in worship to repent from that sin. It was said to him: "What is that sin?" he said: "I said once of a thing which was, 'would that it was not!'"

In sum, the internal insight is more truthful than the external sight, and the beauty of the Divine Presence is greater and better than all kinds of beauty. Every kind of beauty in the world is but a part of that primal beauty. It is true that whoever loses his sight denies the beauty of pictures, and whoever loses his hearing denies the pleasure of harmonious melodies and tones. Similarly, whoever loses heart should necessarily deny these pleasures which lie only in the heart.

CHAPTER THREE
EXPLICATION OF THE FACT THAT INVOCATION NEVER CONTRADICTS CONTENTMENT

It should be known to you that invocation is used in our worship and remembrance of Allah Almighty; and this is attested by the many supplications and invocations handed down from the Messenger of Allah "peace be upon him" therewith he used to supplicate on different occasions, and so did the Prophets and Messengers before him, as we have already clarified in the Book of Supplications. Moreover, Allah Almighty praised some of His servants who invoke Him saying: " they used to call on Us with love and reverence, and humble themselves before Us." (Al-Anbiya 90)

﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾

As for disapproval, unfavorableness of and displeasure with sins and transgressions, Allah Almighty praised it, and further dispraised the people for their satisfaction and contentment with that saying: " Those who rest not their hope on their meeting with Us, but are pleased and satisfied with the life of the Present, and those who heed not Our Signs." (Yunus 7)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴾

He further said: " They prefer to be with (the women), who remain behind (at home): their hearts are sealed and so they understand not." (At-Tawbah 87)

﴿ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾

According to a famous tradition: "Whoever sees an evildoing which he accepts seems as if he has done it."

According to another Hadith the Prophet "peace be upon him" said: "The one who guides to evil is like him who does it." (Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Anas).

According to Abdullah Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him": "Although a servant might not do an evildoing, his sin is equal to its perpetrator." It was said to him: "How is that?" he said: "That is because he accepts it."

According to another tradition: "If a servant is killed in the East (with no just cause), and a man in the West accepts his killing, he would be a partner in killing him."

As for good deeds and avoiding evil, Allah Almighty commanded the people to compete each other saying: " and for this let those aspire, who have aspirations." (Al-Mutaffiffin 26)

﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾

It is narrated that the Messenger of Allah "peace be upon him" said: "Envy is forbidden except in two things: a man whom Allah Almighty has given wisdom which he circulates among the people, and teaches to them; and a man whom Allah Almighty has given property and directed to consume it in its right places." According to another version: "...and a man whom Allah Almighty has given (the faculty of memorizing and reciting the) Qur'an with which he stands at night

and day (in prayer), thereupon the other says: "Were Allah Almighty to give me the like of this, I would do the same as he does." (Al-Bukhari on the authority of Abu Hurairah; and Muslim on the authority of Ibn Mas'ud).

As for aversion for the disbeliever, disapproval of their disbelief and displeasure with their evil deeds, what is mentioned in the Holy Qur'an and Hadith is beyond calculation. In confirmation of that, Allah Almighty said: " Let not the Believers take for friends or helpers Unbelievers rather than Believers: if any do that, in nothing will there be help from Allah: except by way of precaution, that you may guard yourselves from them." (Al Imran 28)

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ ﴿٢٨﴾ ﴾

And: " O you who believe! take not the Jews and the Christians for your friends and protectors; they are but friends and protectors to each other. And he amongst you that turns to them (for friendship) is of them. Verily Allah guides not a people unjust." (Al-Ma'idah 51)

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾

And: " Thus do We make the wrong-doers turn to each other, because of what they earn." (Al-An'am 129)

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾

According to a certain tradition: "Indeed, Allah Almighty has taken the covenant from every faithful believer to dislike all the hypocrites, and from every hypocrite to dislike all believers."

The Prophet "peace be upon him" said: "The man would be gathered in the company of whomever he loves."

The Messenger of Allah "peace be upon him" further said: "Whoever loves a people and takes them as friends and allies, would be gathered in their company on the Day of Judgement." (At-Tabarani on the authority of Abu Qarsafah; and Ibn Adi on the authority of Jabir "Allah be pleased with him").

The Prophet "peace be upon him" said: "The most trustworthy handhold of faith is the love in (the religion of) Allah Almighty, and the aversion in (the religion of) Allah Almighty." (Ahmad).

However, the evidences of that have already been mentioned in the love and aversion in the religion of Allah Almighty in the Book of Etiquettes of Companionship and the Book of Enjoining right and Forbidding evil.

But even, you may argue: "There are many Qur'anic Verses and Prophetic narrations that command people to be contented with the fate of Allah Almighty. Then, if sins are committed not by fate and decree of Allah Almighty, this would be quite impossible, if not to affect monotheism; and if they are committed by fate and decree of Allah Almighty, then, to dislike them is to dislike the fate of Allah Almighty. Then, what is the way to accommodate both contradictory notions? How could we accommodate both

contentment and aversion together?".

In reply to that, it should be known to you that this matter is abstruse on the weak-minded whose understanding falls short of perceiving the mysteries of knowledge. Some people were put to confusion because of it to the extent that they saw that silence from evildoing is a station of contentment which they called "good conduct", and of a surety, this is quite ignorance. Let us say that both contentment and aversion contradict each other when they are on one thing from one perspective. It is not contradictory to accept a thing from one perspective, and dislike it from another perspective. For example, the enemy of you and of your enemy might die: in this way, you dislike his death from the perspective of his being the enemy of your enemy, and, at the same time, like his death from the perspective of his being your enemy. Similarly, sin has two perspectives: one pertains to Allah Almighty, as being an outcome of the act, preference, power and will of Allah Almighty, and from this perspective, it should be accepted, in submission to the Sovereign of the dominion, and satisfaction with what He does. The other perspective pertains to the servant, as being a fruit of his earning, described as evil, and given the sign that make it hateful to Allah Almighty and to him; and from this perspective, it should be disapproved.

It is due on every servant who loves Allah Almighty to dislike such as Allah dislikes, be displeased with such as Allah Almighty is displeased with, and become enemy to such as Allah Almighty drives away from His presence. To be sure, such as driven far from the degrees of closeness to Allah should be hateful and loathsome to all lovers of Allah Almighty, in agreement with the beloved, by showing aversion and anger with such as with whom the beloved is angry, through driving him away from His presence.

In this framework we should understand all narrations and traditions about love and aversion for the Sake of Allah Almighty, strictness and severity on the disbelievers, and at the same time, contentment and satisfaction with the fate and decree of Allah as being the fate of Allah Almighty. All of this stems from the mystery of preordainment which we have no concession to disclose, i.e. both good and evil are done by the will and power of Allah Almighty, but evil is hateful and good is accepted. Whoever claims that evil is not from Allah is quite ignorant; and the same is true of him who claims that both are from Him, without differentiation between contentment (with good) and aversion (for evil): this is out of deficiency of understanding.

It is impermissible to disclose this mystery, and it is rather preferable to keep silent from it, and get disciplined with the etiquette of Sharia. In this issue, the Prophet "peace be upon him" said: "Preordainment is the mystery of Allah Almighty, so disclose it not." (Abu Na'im in his Hilyah on the authority of Ibn Umar; and Ibn Adi on the authority of A'ishah, and both are weak). This pertains to the science of Mukashafah (Revelation). But our purpose now is to explicate the possibility to accommodate both contentment with the fate of Allah Almighty on the one hand, and aversion for sins and transgressions on the other hand, given that they are doomed by Allah Almighty. This purpose has become clear with no need to disclose the mystery of preordainment.

With this, it is also clear that supplication for forgiveness, and invocation for protection from committing sins and transgressions and acquisition of all means that help one fulfill his acts of religion do not contradict contentment with the fate of Allah Almighty. Allah Almighty enjoined upon the servants to seek His aid with supplication in order that invocation would extract from them the purity of remembrance, submissiveness of heart, and compassion of imploration, so that it would polish the heart, open the door of revelation, and bring about the means of kindness of Allah Almighty. Similarly, carrying the mug and drinking water do not contradict the contentment with the fate of Allah Almighty as regards thirst. As well as drinking water to quench thirst is a cause manipulated by the causer of causes, the same is true of invocation, which is a cause manipulated and enjoined by Allah Almighty, the Causer of causes. We have already mentioned that adherence to causes according to the established way of Allah on earth does not contradict reliance. Thus, it also does not contradict contentment for both contentment and reliance are adjacent. It is true that to disclose trial by way of making a complaint, and disapproving it within the heart to be done by Allah Almighty contradict contentment; whereas to disclose trial by way of giving thanks for it, and showing the power of Allah Almighty does not contradict contentment.

In this respect, one of the righteous predecessors said: "It is out of good contentment with the fate of Allah Almighty not to say 'It is hot by way of complaining." Of course, this applies to summer, and if it is in winter, it would be by way of giving thanks. To be sure, complaint contradicts contentment with the fate of Allah in whichever state one might be, and the same is true of criticizing food which contradicts the contentment with the fate of Allah Almighty, for to criticize the making is to criticize the maker, and all things are the making of Allah Almighty. Similarly, the statement: "Poverty is a trial and an ordeal, dependents a cause of trouble and anxiety, and work a source of toiling and difficulty", criticizes the contentment with the fate of Allah. Nay! One should submit manipulation to the manipulator, and the dominion to its sovereign, and rather say the same as Umar "Allah be pleased with him" said: "I do not care whether I have become rich or poor, for I do not know which of them is good for me."

CHAPTER FOUR

EXPLICATION OF THE FACT THAT FLIGHT FROM OR CRITICISM OF PLACES OF SINS AND DISOBEDIENCE DOES NOT DISAPPROVE OF CONTENTMENT

It should be known to you that the weak-minded might think, though falsely, that the forbiddance given by the Messenger of Allah "peace be upon him" to leave the town in which the plague breaks out extends to imply forbiddance to leave places where sins are committed, under pretext that each of both is to flee from the fate of Allah Almighty; and this is quite impossible. The reason which lies behind this forbiddance is that were the people to leave the town after the breakout of plague in it, all the healthy would then go and

leave the sick neglected with none to take care of them, which would hasten on their destruction. For this reason, the Messenger of Allah "peace be upon him" likened it, on many occasions, to flight from the battlefield. Were it to be flight from the fate of Allah, he would not have given permission to those who are close to such affected town to turn away and not enter it. We have already mentioned the ruling on that in the Book of Reliance. Being so, it is clear then that to flee from places where sins are committed is not to flee from the fate of Allah Almighty. Nay! It is out of fate to flee from that from which one should inevitably flee.

Similarly, to criticize the places where sins are committed, and the means and causes that stimulate them for the purpose of defacing sins is not blameworthy. The righteous predecessors used to do so to the extent that a group of people agreed on criticizing Baghdad publicly, and calling for flight from it. According to Ibn Al-Mubarak: "I have been to the East and West, and have never seen a town more evil than Baghdad." It was said to him: "How is that?" he said: "It is a town in which the favor of Allah Almighty is despised, and disobedience of Allah Almighty is regarded with slightness." When he went to Khurasan it was said to him: "How have you seen Baghdad?" He said: "I have never seen in it but an angry policeman, a covetous trader, or a perplexed reciter." Think not that this is backbiting, for he did not refer to a particular person, but he simply intended to warn the people. He used to set out on journey to Mecca, and his stay in Baghdad in expectation for the caravan was sixteen days, and he used to give in charity sixteen Dinars, one for each day he spent there.

Furthermore, a group of people such as Umar Ibn Abd-Al-Aziz and Ka'b Al-Ahbar criticized Iraq. It is related that Ibn Umar "Allah be pleased with them" asked his freed slave: "Where do you live?" he said: "I live in Iraq." He said: "What do you do in it? I heard that none lives in it but that Allah Almighty assigns to him a companion of trial."

One day Ka'b Al-Ahbar "Allah be pleased with him" mentioned Iraq and said: "There lies in it nine-tenths the evil and the chronic disease." It was said that good was divided into ten parts, nine of which are in Sham and the remaining tenth in Iraq, and that evil was divided into ten parts, nine of which are in Iraq and the remaining tenth in Sham.

According to a traditionalist: We were sitting with Al-Fudail when a Sufi wrapped in his garment came, and he was made to sit near him. He turned his face to him and asked him: "From where are you?" he said: "From Baghdad." He then turned away from him and said: "One of them comes to us in the uniform of monks and when you ask him where he lives, he tells you that he lives in the nest of wrongdoers."

According to Ahmad Ibn Hanbal "may Allah have mercy upon him": "Had it not been for those disciples who are attached to us, we would have preferred to come out of this town." It was said to him: "Then, where do you like to live?" he said: "In the bordering openings."

This indicates to the fact that whoever is tried with a town in which sins Aare

committed, and good is little, he has no excuse to continue to stay in it: on the contrary, he should abscond it. In confirmation of that, Allah Almighty said: " When angels take the souls of those who die in sin against their souls, they say: "In what (plight) were you?" They reply: "Weak and oppressed were we in the earth." They say: "Was not the earth of Allah spacious enough for you to move yourselves away (from evil)?" Such men will find their abode in Hell, what an evil refuge!" (An-Nisa' 97)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾

But if he is prevented because of dependents or relation with anything whatever it might be, he should not be contented with his state in it, nor self-reassured of it: But he should be always scared, with the following supplication running on his tongue: "Our Lord! rescue us from this town, whose people are oppressors; and raise for us from you one who will protect; and raise for us from you one who will help!" (An-Nisa' 75)

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾

That is because if wrongness becomes widespread, distress would descend and destroy all the people including even the obedient among them, in realization of the statement of Allah Almighty: "And fear tumult or oppression, which affects not in particular (only) those of you who do wrong: and know that Allah is strict in punishment." (Al-Anfal 25)

﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾

However, there is difference among the religious scholars over which of the three stations is the best: a man hopes to die out of longing for meeting Allah Almighty, and a man prefers to live in order to serve his Lord Almighty, and a man says: "I never prefer anything, but rather I would be contented with what Allah Almighty wills." When this difference was raised to a Gnostic he said: "No doubt, the contented one is the best, for he has the least aspiration."

One day, Wuhaib Ibn Al-Wurd, Sufyan Ath-Thawri and Yusuf Ibn Asbat gathered together, and Ath-Thawri said: "Before today, I disliked the sudden death, and today I hope to be die suddenly." Yusuf asked him: "What is the reason for that?" he said: "For I fear affliction." Yusuf further said: "But as for me, I do not like to survive longer." Sufyan asked him about the reason and he said: "It may be that I would coincide with a day on which I would repent to Allah Almighty and work righteous deeds." When Wuhaib was asked about his opinion he said: "I never prefer anything. I like better what is dearer to Allah." On that Ath-Thawri kissed him in between his eyes and said to him: "You are a spiritual, by the Lord of the Ka'bah."

CHAPTER FIVE

EXPLICATION OF MANY STATEMENTS OF LOVERS

Allah Almighty said about His lovers (as related from Him): "My allies are

under My domes, and none knows them other than Me."

In confirmation of that, the Messenger of Allah "peace be upon him" said: "How many a dishcveled one, covered with dust, having two coarse woolen garments, of whom the people are careless, and if he takes oath that Allah should do a thing, Allah Almighty would fulfill his oath." (Muslim on the authority of Abu Hurairah).

The Messenger of Allah "peace be upon him" further said: "The servant would not complete his faith until the little becomes dearer to him than the much, and to be anonymous dearer to him than to be famous." (Sahib Al-Firdaws on the authority of Ali Ibn Abu Talhah).

The Prophet "peace be upon him" said too: "If anyone has the following three characteristics, he shall have his faith complete: Not to fear, for the Sake of Allah, the blame of a blamer, not to show off with anything of his deed, and if two things are offered to him, one for the world and the other for the hereafter, he would prefer the thing of the hereafter." (Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Abu Hurairah).

The Messenger of Allah "peace be upon him" also said: "No servant will have his faith complete until he obtains the following three characteristics: If he grows angry, his anger would not cause him to deviate from the truth, and if he is contented, his contentment would not cause him to do falsehood, and if he has power over anything, he would not get what is not due to him." (At-Tabarani).

According to another narration, the Prophet "peace be upon him" said: "Whoever is given the following three characteristics has been given the like of what was given to the family of David "peace be upon him": Justice in both states of contentment and anger, moderation in both states of richness and poverty, and fear of Allah in secret and public."

Those are the conditions mentioned by the Messenger of Allah "peace be upon him" for those endued with faith. Wonder at him who claims the knowledge of religion and has in his heart even no atom of any of those conditions. According to a certain tradition, Allah Almighty revealed to one of His Prophets: "I only take for My bosom friend such as never wearies to remember Me, is not engaged with anything other than Me, nor gives preference to anything over Me, and even were he to be burnt with fire, he would not feel the pain of the fire, and were he to be cut off by saws, he would not feel the pain of iron."

Whoever does not attain this degree of overwhelming love, then, how should he know what is beyond love of revelations and marvels? All of this is beyond love, and love is beyond the perfection of faith; and the stations of faith and its degrees of increase and decrease are beyond calculation. That is the significance of the statement of the Messenger of Allah "peace be upon him" to Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him": "No doubt, Allah Almighty has given you faith as much as is equal to the faith of all who believed in Him among my nation, and He has given me faith as much as is equal to the faith of all who believed in Him among mankind." (Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Al-Harith Al-A'war from Ali Ibn Abu Talib).

According to another narration, the Prophet "peace be upon him" said: "Verily, Allah Almighty has three hundred characteristics, and whoever meets Him while having any of them, along with monotheism, would enter Paradise." Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" said: "O Messenger of Allah! Do I have any of them?" the Messenger of Allah "peace be upon him" said: "You have all of them O Abu Bakr; and the dearest of them to Allah Almighty is munificence." (This is reported by At-Tabarani on the authority of Anas).

The Prophet "peace be upon him" further said: "I saw a balance hanging from the sky and I was placed in a pan and my nation in the other pan, and I overweighed them; and then Abu Bakr was placed in a pan, and the people of my nation were brought and placed in the other pan, and I also overweighed them." (This is reported by Ahmad on the authority of Abu Umamah).

However, the Messenger of Allah "peace be upon him" was wholeheartedly devoted in love to Allah Almighty to the extent that his heart did not expand to the intimate friendship of anyone else. In confirmation of that he "peace be upon him" said: "Were I to take a bosom friend from the people, I would have taken Abu Bakr as my bosom friend, but your companion (referring to himself) is the bosom friend of Allah Almighty." (both Al-Bukhari and Muslim).

Now, it is of great benefit to conclude the book with many statements about the love for Allah Almighty:

According to Sufyan: "Love (for Allah) is to follow the Messenger of Allah "peace be upon him"" or to persist in remembrance of Allah according to another one, or to give preference to the beloved according to a third, or to dislike to survive in this world. All of those statements are but fruits of love. As for love itself, we would not discuss it now.

One of the lovers said: "Love is a kind of attachment to the beloved, that is beyond the power of hearts to perceive, and the faculty of tongues to express."

According to Al-Junaid: "Allah Almighty forbade love to anyone who is attached to anything (other than Him)." He said once again: "Every love should be for compensation and once the compensation disappears, it should necessarily disappear."

According to Dhun-Nun: "Tell such as loves Allah Almighty to beware of humiliating himself to anyone else other than Allah Almighty."

It was said to Ash-Shibli: "Describe to us the Gnostic and the lover (for Allah)." He said: "As for the Gnostic, if he speaks (with what he knows), he would be ruined; and as for the lover, if he keeps silent, he would be ruined."

One day, Rabi'ah Al-Adawiyyah said: "Who is that who could guide us to our beloved?" one of her servant-maids said: "Our beloved is with us, but the world has severed us from Him."

According to Ibn Al-Jalla': "Allah Almighty revealed to Jesus "peace be upon him" the following: 'If I know the innermost secret of My servant and do not detect in it the love for this world and the hereafter, I then would fill it with My love, and safeguard it with My safeguard.'"

According to Ibrahim Ibn Adham: "O my God! You know for certain that Paradise does not counterbalance in my sight a mosquito's wing, in comparison

with what you honored me of Your love, and removed my loneliness with Your remembrance, and devoted me wholeheartedly to meditate Your magnificence and grandeur."

According to As-Sari: "Whoever loves Allah Almighty lives; and whoever inclines to this world deviates (from the right direction); and the foolish goes and returns in vain; and the mindful is he who inspects his defects."

It was said to Rabi'ah: "How do you love the Messenger "peace be upon him"?" she said: "By Allah, I love him so much, but my love for the Creator has engaged me from the love for the creatures."

He "peace be upon him" was asked about the best of deeds, thereupon he said: "To be contented with Allah Almighty, and love him."

According to Abu Yazid: "The lover loves neither the world nor the hereafter, but loves only his Master and Lord Almighty."

It is said: "Love is to be close to the beloved joyfully and cheerfully."

It is further said: "The lover is dealt with according to four ranks: love, reverence, modesty and exaltation, and the best of them all are exaltation and love for both are brought with the inhabitants of Paradise in Paradise, and the others are taken away from them."

According to Haram Ibn Hayyan: "If the faithful believer knows Allah Almighty, he loves Him, and once he loves Him, he devotes himself in love to Him, and once he detects the sweetness of devotion to Him, he does not look at this world lustfully nor at the hereafter desirously, since this sweetness detains him in this world, and relieves him in the hereafter."

According to Abdullah Ibn Muhammad: I heard a worshipping woman saying while shedding tears: "By Allah, I have detested this life, so much that were death to be a commodity, I would buy it out of longing for Allah Almighty and in love for meeting Him." I asked her: "Are you confident of your work?" she said: "No, but because I love Him and have good assumption of Him, do you think He would punish me and I love Him?"

It is related that Allah Almighty revealed to David "peace be upon him": "Were those who turn back from me to know how I expect them, how I am kind to them, and how I have longing for them to leave sins, surely, they would have died out of longing for me, and their joints would have been cut off because of My love. O David! This is My will concerning those who turn back from Me, then, what do you think about My will concerning those who turn to Me (in love)? O David! The servant needs Me most when he dispenses with Me, and I am the Most Merciful for My servant when he turns back from Me, and My servant becomes the most excellent when he returns to Me."

According to Abu Khalid As-Saffar: One of the Prophets met a worshipper and said to him: "O assembly of worshippers! You act upon a thing upon which we, company of Prophets, never act. You act upon fear and hope, whereas we act upon love and longing (for Allah Almighty)."

According to Ash-Shibli: Allah Almighty revealed to David "peace be upon him" the following: "O David! My remembrance is available only to those who remember Me, My Paradise to these who obey Me, My visit to those who have

longing for Me, and I am for the lovers in particular."

Allah Almighty revealed to Adam "peace be upon him": "O Adam! Whoever loves a beloved should necessarily give trust to his words, and whoever is affable with a beloved should necessarily be contented with his deeds, and whoever has longing for his beloved should necessarily be serious in his movement towards him."

Al-Khawas used to strike his breast with his hand saying: "How longing I am for Him Who sees me and I see Him not!"

According to Al-Junaid: "The Prophet Jonah "peace be upon him" kept on weeping until he became blind, on standing (the night in prayer) until his body got curved, and on praying until he got paralyzed, and then said: 'By Your Honor and Glory! Had there been an ocean of fire between You and me, I would have plunged it and crossed it to You out of longing for You.'"

It is narrated on the authority of Ali Ibn Abu Talib "Allah be pleased with him" that he said: I asked the Messenger of Allah "peace be upon him" about his sunnah and he said: "Gnosis is my capital, reasoning the foundation of my religion, love (for Allah) my basis, longing (for meeting Him) my vehicle, remembrance of Allah my companion, confidence my treasure, grief my friend, knowledge my weapon, patience my garment, contentment my booty, destitution (a source of) my pride, asceticism my craft, certainty (of faith) my power, truthfulness my intercessor, obedience my love, Jihad my conduct, and the comfort of my eyes is in prayer."

That is the end of the Book of Love, Longing, Intimacy and Contentment, and it would be followed by the Book of Intention, Sincerity and Truthfulness, Allah willing.

Book seven: Intention, sincerity and truth

It is the seventh book of the quarter of saviors of the revival of religion's sciences

In the Name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful

We praise Allah Almighty with gratitude, believe in him with certainty of faith, and admit His Oneness with truth. We testify that there is none worthy of worship except for Allah, the Lord of the worlds, the Creator of the heavens and the earth, Who obligates men, jinn and angels to worship Him Alone with sincerity as confirmed by His statement: "And they have been commanded no more than this: To worship Allah, offering Him sincere devotion, being True (in faith)." (Al-Bayyinah 5)

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴿٥﴾ ﴾

So, Allah Almighty does not want but the sincere religion, for He is not in need of the partnership of all partners.

Allah's blessing and peace as much as it could be upon His Prophet Muhammad, the chief of the Messengers, and upon all the Prophets and Messengers, and upon his pure and good family and companions.

Coming to the point: It has been revealed to the masters of heart, by the insight of faith and the light of the Qur'an that happiness could be obtained only by knowledge and worship. All the people are given to destruction except for the learned, and all the learned are given to destruction except for the workers among them, and all workers are given to destruction except for the sincere (in faith) among them, and the sincere are on the verge of a great risk: work without intention is a great suffering, and intention without sincerity is showing off, that is closer to hypocrisy and disobedience, and sincerity without truthfulness and certainty is useless. In confirmation of that, Allah Almighty said about every deed with which Allah Almighty is not intended: "And We shall turn to whatever deeds they did (in this life), and We shall make such deeds as floating dust scattered about." (Al-Furqan 23)

﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾

By my life, how should one make good his intention who does not know the real nature of intention? How should one whose intention is good be sincere unless he knows the real nature of sincerity? Moreover, how should a sincere one be demanded to be true to his sincerity unless he knows the real nature of truthfulness? So, the first duty of every servant who wants to obey Allah Almighty is to learn intention in order to obtain knowledge, and then make it good by work, after understanding the real nature of sincerity and truthfulness, which are the servant's means to salvation. We are going to explicate those meanings in three chapters:

Chapter one: On the real nature and meaning of intention

Chapter two: On sincerity: Its real nature and meaning
Chapter three: On the real nature and meaning of truthfulness

CHAPTER ONE: INTENTION

It has the following topics:
Explication of virtue of intention
Explication of the real nature of intention
Explication of the fact that intention is better than deed
Explication of deeds that are related to the intention
Explication of the fact that intention is beyond choice

Explication Of Virtue Of Intention

It is narrated that the Messenger of Allah "peace be upon him" said: "Deeds (their correctness and rewards) depend upon intentions, and every person gets but what he has intended. So whoever emigrated for worldly benefits, or for a woman to marry, his emigration is for what he emigrated for."" (Al-Bukhari on the authority of Umar Ibn Al-Khattab).

It is further narrated that the Messenger of Allah "peace be upon him" said: "The majority of the martyrs from among my people are those who die on their beds, and how many a man who is killed while fighting between both rows and Allah Almighty knows best his real intention." (Ahmad on the authority of Ibn Mas'ud).

Allah Almighty further said: "if they wish for peace, Allah will cause their reconciliation: for Allah has full knowledge, and is acquainted with all things." (An-Nisa' 35)

﴿ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾

Thus He Almighty made intention a cause of reconciliation.

The Messenger of Allah "peace be upon him" said: "Indeed, Allah Almighty never regards your faces and property, but He rather considers your hearts and deeds." (Muslim on the authority of Abu Hurairah). He Almighty considers hearts for they are the places of intention.

The Messenger of Allah "peace be upon him" further said: "Verily, a servant might do good deeds with which the angels ascend in sealed books, and are put in front of Allah Almighty, thereupon He says: "Throw away this book for he did not intend My Countenance with what it contains." Then He calls the angels: "Write for him such and such deeds! Write for him such and such deeds!" the angels say: "O Lord! He did nothing of that." He Almighty then says: "But he intended to do it."" (Ad-Daraqatni on the authority of Anas).

It is narrated on the authority of Abu Kabshah Al-Anmari that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The example of (the people of) this nation is like the example of four persons: A man whom Allah gives both property and knowledge, upon which he acts in his property, which he spends on what is right; and a man whom Allah gives knowledge but He gives him no property, thereupon he says: 'Had I been given the like of what so and so had been given, surely, I would have done in it (the property) the same

as he does.' Both are equal in the reward; and a man whom Allah gives property, but no knowledge, and he misuses his property, which he spends on what is wrong; and a man whom Allah gives neither knowledge nor property, thereupon he says: 'Had I been given the like of what so and so had been given, surely, I would have done in it (the property) the same as he does.' Both are equal in sin." (Ibn Majah). Do you not see how the one who has not shared him who has just with the intention in the good deeds as well as in sins?

It is further narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "peace be upon him" said when he set out for the holy battle of Tabuk: "In Medina, there are people who, we neither cut a valley nor trample a place that fills the disbelievers with rage, nor spend a spending, nor are stricken by hunger, but that they would share us in (the reward of) that while they are in Medina." They asked: "How is that O Messenger of Allah and they are not with us?" he "peace be upon him" said: "They have been detained by a legal excuse, thereupon they have shared us with their good intention." (Al-Bukhari and Abu Dawud).

It is narrated on the authority of Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "peace be upon him" said: "Whoever emigrates and he intends anything with his migration, (the reward of) that (intention) would be for him." A man emigrated and married a woman from us, for which he was called the Emigrant of Umm Qais. (This is reported by At-Tabarani).

According to a certain tradition, a man was killed in the Cause of Allah, and he was called the Killed of the donkey for he fought a man to take his belongings and donkey, and he was killed, and attributed to his intention.

It is narrated on the authority of Ubadah Ibn As-Samit "Allah be pleased with him" from the Prophet "peace be upon him" that he said: "Whoever fights with the intention of getting only a she-kid's rope, he would have only (the reward of) what he intended." (An-Nasa'i).

It is narrated on the authority of Ya'li Ibn Umayyah that he said: My father said: I sought the aid of a man to fight besides me, and he said to me: "No, unless you fix a charge to me for that." I fixed a charge for that to him. I made a mention of that to the Messenger of Allah "peace be upon him" who said: "He has from his world and hereafter only the charge you have fixed to him." (At-Tabarani and Abu Dawud).

According to an Israeli tale, a man came upon a heap of sandhills and it was a time of starvation, thereupon he said (to himself): "Had they been foodstuff, I would have distributed it among the people." On that Allah Almighty revealed to the Prophet of their time: "Tell him that Allah Almighty has accepted your charity, appreciated your good intention, and given you reward for your hope of being foodstuff and you would have given it in charity."

According to a famous tradition: "Whoever intends to do a good deed and he does not do it, it would be written as a good deed for him."

It is narrated on the authority of Abdullah Ibn Amr "Allah be pleased with him" that the Prophet "peace be upon him" said: "Whoever intends only this world, Allah Almighty makes poverty in front of him, and causes him to leave the

world while being the most covetous of it; and whoever intends only the hereafter, Allah Almighty makes his independence within his heart, recompenses him with what he loses in the world, and causes him to leave it while being the most abstinent from it." (Ibn Majah on the authority of Zaid Ibn Thabit).

It is narrated on the authority of Umm Salamah "Allah be pleased with her" that the Messenger of Allah "peace be upon him" made a mention of an army which the earth would be caused to swallow up at Al-Baida', thereupon she said: "O Messenger of Allah! It would have such as forced and such as hired (to fight)." On that he "peace be upon him" said: "They would be mustered according to their intentions." (This is reported by Muslim and Abu Dawud).

It is further narrated on the authority of Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" that he said: I heard the Messenger of Allah "peace be upon him" having said: "Verily, those who fight each other would be raised according to their intentions." (This is reported by Ibn Abu Ad-Dunya).

It is also narrated that the Messenger of Allah "peace be upon him" said: "When both rows of fighters face each other, the angels descend and enlist the people according to their ranks: so and so fights for the sake of this world, so and so fights out of zeal, so and so fights out of fanaticism. Behold! Do not say then that so and so was killed in the Cause of Allah. Indeed, whoever fights only in order for the word of Allah Almighty to be superior really fights in the Cause of Allah." (Ibn Al-Mubarak ending it with Ibn Mas'ud; and Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Musa but with a different wording).

It is narrated on the authority of Jabir "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "peace be upon him" said: "Every servant would be raised on the same intention on which he dies." (This is reported by Muslim).

It is further narrated on the authority of Abu Bakrah "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "peace be upon him" said: "If two Muslims face each other with their swords, both the killer and the killed would be in the fire (of Hell)." It was said: "O Messenger of Allah! That is the (destiny of the) killer. Then, what is wrong with the killed?" he "peace be upon him" said: "He also has the intention to kill his foe." (both Al-Bukhari and Muslim).

It is also narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "peace be upon him" said: "Whoever marries a woman on a certain dower which he has no intention to pay, then, is regarded an adulterer (in his relation with her); and whoever takes a loan which he has no intention to pay back is considered a thief." (Ibn Majah; and Ahmad on the authority of Suhaib).

It is narrated that the Messenger of Allah "peace be upon him" said: "Whoever gets himself perfumed for the sake of Allah Almighty would come on the Day of Judgement with his smell more pleasant than the smell of musk; and whoever gets himself perfumed for the sake of anyone else other than Allah Almighty would come on the Day of Judgement with his odor more stinking than the odor of the carcass." (Abu Al-Walid As-Saffar on the authority of Ishaq Ibn Abu Talhah).

As for the traditions, a mention may be made of the following:

Umar "Allah be pleased with him" said: "The best of deeds is to do what is enjoined by Allah Almighty, to abstain from what is forbidden by Allah Almighty, and make true one's intention in what is with Allah Almighty."

Salim Ibn Abdullah wrote to Umar Ibn Abd-Al-Aziz the following message: "It should be known to you that Allah Almighty is in the aid of a servant as much as is in proportion to his intention: if one has his intention perfectly good, the aid of Allah to him would be perfect, and as much as it decreases, the aid of Allah to him decreases accordingly."

According to a righteous predecessor: "How many a little deed that becomes great by the good intention; and how many a great deed that becomes little by the evil intention."

According to Dawud At-Ta'i: "piety is the ambition of the dutiful: If he is attached to this world even by all of his organs, his good intention should necessarily return him one day to good; and the reverse is true of the ignorant."

According to Ath-Thawri: "They used to learn how to be sincere in their intention to work in the same way as you learn work."

According to a religious scholar: "Seek the intention for work before you seek work, and as long as you intend good, you are good."

One of the beginners on the path visited the religious scholars and said to them: "Who could guide me to a work to do relentlessly for the Sake of Allah Almighty, for I would not like that an hour of night and day comes upon me without being one of the workers of Allah Almighty." it was said to him: "I have found your need: do good for the Sake of Allah Almighty as much as is within your capacity, and if you weary or intermit, then, intend to do it, for the intention to do a thing is like doing it."

A righteous predecessor said: "No doubt, the favors of Allah He bestows upon you is beyond your calculation, and your sins are too hidden from you to know. But at least, be repentant in the morning and evening, perchance (the sins you commit in the intervals) between both ends of the day would be forgiven for you."

According to Jesus "peace be upon him": "Blessed be an eye which sleeps with no intention to do evil, and gets up on no sin."

According to Abu Hurairah "Allah be pleased with him": "The people would be raised on the Day of Judgement according to their intentions."

It was the habit of Al-Fudail Ibn Iyad that whenever he recited the statement of Allah Almighty: "And We shall try you until We test those among you who strive their utmost and persevere in patience; and We shall try your reported (mettle)" (Muhammad 31)

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾

He would repeat it while weeping and say: "O our Lord! If You try us, You would expose our defects and tear the screens (therewith we conceal our shortcomings)."

According to Al-Hassan: "It is the intentions that cause the inhabitants of Paradise to abide in Paradise and the denizens of the fire to abide in the fire."

According to Abu Hurairah "Allah be pleased with him": "The little of deeds

therewith My Countenance is intended is regarded abundant, and the abundance of deeds therewith anything else other than My Countenance is intended is considered little."

According to Bilal Ibn Sa'd: "A servant might say a statement of a faithful believer, thereupon Allah Almighty would leave neither him nor his statement until He regards his deed; and if he does a deed, Allah Almighty would not leave him until He regards his abstention (from evil); and if he abstains (from evil), Allah Almighty would not leave him until He regards his intention: if his intention is good, then, it is more fitting that anything else would be good accordingly."

In sum, intention is the fundament of work. Work lacks intention in order to become good thereby as long as the intention itself is good, even if work is impeded by an impediment.

Explication Of Real Nature Of Intention

It should be known to you that intention is a state in the heart which has two sides: knowledge and work. The knowledge is primary since it is its basis and condition, and work follows it for it is its fruit and offshoot. However, any work, i.e. any optional motion or quietness could be achieved only by three things: knowledge, will and power. Of a surety, man does not will what he knows not, for he should necessarily know what he wills, nor does he work what he wills not, for he should necessarily will what he works. Will is that the heart is moved to do what seems to agree with the purpose immediately or lately. Man is created in a way that allows for some things to agree with him and his purposes, and others to disagree from him and his purposes. Thus, he needs to draw what benefits him and agrees with his purposes, and avert from himself what harms and opposes him. Thus, he lacks to know and perceive the beneficial and harmful things in order to be able to bring the former and flee from the latter.

To be sure, whoever does not see food nor know it could not have it, and whoever does not see fire could not flee from it. Allah Almighty then created guidance and knowledge, and made for them means which are the external and internal senses. Furthermore, if he sees food and knows that it agrees with him, it does not suffice him to have it unless he inclines to, and desires for it. The patient, for example, sees food and knows well that it agrees with his disposition, but he could not get it in view of his lack of inclination to, desire and motive for it.

In sum, Allah Almighty created in man the desire, inclination and will. But even, this also does not suffice him. How many a man who sees food, has desire and motive for it, but fails to get it, in view of his being powerless. Thus, Allah created for him power and moving organs and parts of body in order to be able to get it. An organ does not move but by the power, and the power lies in wait of the stimulating motive, and the motive lies in wait of the knowledge and perception, or assumption and belief, i.e. to think, almost with certainty, that a particular thing agrees with one's disposition. If one thus believes, almost with certainty, that such a thing which agrees with his disposition should be done, the

will is raised which develops inclination; and once the will is raised, the power soon starts to move organs, for power serves will, and will follows the belief and knowledge.

Intention in this meaning is that quality which stands in the middle, i.e. the will which causes one, due to desire and inclination, to do what agrees with the purpose immediately or lately. The first motive is the required purpose, which is the stimulating rationale and the intended desire, and the intent is to be stimulated to do, and the work is the power's being motivated in service of will to move organs. But the power might be motivated by one motive, or by two motives which gather together on one work, and in case it is motivated by two motives, each one of both might be independent and sufficient alone to motivate the power; or both might be inseparable of each other; or one of both might be sufficient and the other only a supporting assistant. From this four divisions spring. Let's give an example for each of them.

The first is to have only a sole motive, such as the case in which a wild animal attacks a man: thus, every time he sees it, he flees from the place where it is. Nothing then disturbs him but to flee from the wild animal. That is because he has seen the wild animal and learnt that it is harmful, which motivated him to flee and have desire for that flight, thereupon the power was raised to do it. In this way, it is said that his intention to leave the place is caused only by the flight from the wild animal. This intention is called the sincere, and work upon it is called sincerity to the motivating purpose. In other words, this purpose is free from partnership of anything else.

The second is to have two motives, each of which is independent and sufficient alone to raise the will. Its example from the sensible observation is that two men co-operate to carry a thing, and each of them has of power as much as is sufficient to enable him alone to carry the same thing were he to carry it alone. Another example relating to our purpose is that one's poor relative begs something from him and he gives it to him because of his poverty and relationship together, knowing that he would have given it to him had it been only for his poverty, regardless of relationship, or had it been only for his relationship, regardless of his poverty. Its sign is that a non-relative poor comes to beg something from him, and a rich relative comes to beg something from him, and he desires to give it to both equally. A third example is of him whom the physician advises to leave food, and then the day of Arafah comes upon him which he fasts knowing that had it not been even the day of Arafah, he would also have left food in compliance with the diet; and had it not been even a diet, he would also have left food in order to observe fast of Arafah. But both motives here gathered together and caused him to do the act, in a way in which the second motive is to accompany the first. Let's call this the accompanying motive.

The third is that both motives are inseparable in the sense that each one alone is not sufficient to raise the will. An example for it from the visible observation is that two weak persons co-operate to carry something which each of them alone could not carry. An example for it to serve our purpose is that

one's rich relative begs a Dirham from him and he does not give it to him, and a poor non-relative begs the same from him and he also does not give it to him. But if his poor relative begs the same from him, he would give it to him. In this way what raises his will here is both motives together, i.e. both relationship and poverty. Another example is of a man who gives in charity publicly in pursuit of reward and people's appreciation in a way that were it only for reward, it would not be sufficient to raise his will to give in charity, and were the beggar a wicked and there is no reward for giving him in charity, only showing off would not be sufficient to raise his will to do it. But were both motives to gather together, they would join in moving the heart to give in charity. Let's call this kind the joining motives.

The fourth is that one of both motives is independent and sufficient to raise the will, whereas the other is not so, but since it is added to the first, it has a supporting and assisting effect. An example for it from the visible observation is that a weak person helps a strong one carry a thing, given that were the strong to be alone, he would be able to carry it, whereas were the weak to be alone, his power would not be sufficient to enable him to do it. An example for it to serve our purpose is that a man has a devotional recital in prayer and a custom in charity, and it happens that at their due time, some people attend, thereupon his act is reduced because of their seeing him, given that he knows that were he to be alone in privacy, he would not weary to do his deed, and that were his deed not to be an act of worship, only showing off would not be sufficient to motivate him to do it. This is something of suspicion with which the intention is stained. Let's call this kind the assistance.

In sum, the second motive might be accompanying, sharing or assisting. We shall explain the ruling pertinent to each of them in our talk about sincerity. Our purpose now is to make a mention of the divisions of intentions, since the deed follows its motive, and is subject to the same ruling. For this reason, it is said that '(the rewards of) deeds depend on intentions' because they are subject to their ruling, and have no ruling in themselves.

Explication Of The Mystery Lying Behind The Statement Of The Messenger Of Allah "Peace Be Upon Him": "The Believer's Intention Is Better Than His Deed"

It should be known to you that it might be thought that the mystery that lies behind such preponderance is the fact that the intention is hidden which none knows but Allah Almighty, and the deed is apparent, and to be sure, what is done in secret is superior to what is done in public. That is true. But that is not intended here, for if one intends to remember Allah Almighty within his heart, or thinks about the public interests of Muslims, then, the general implication of the Hadith requires that the intention of thinking is better than thinking itself. Furthermore, it might be thought that the reason for preponderance is that the intention survives to the end of deed, whereas the deeds do not survive. But this reasoning is weak since this would mean ultimately that the much deed is better than the little deed, and that is not true. To be sure, the intention of the acts of prayer might not survive except for a few moments, whereas the deeds survive;

and the general implication here requires that one's intention should necessarily be better than his deed. In a third interpretation, it might be said that it means that the intention in itself is better than the deed in itself without the intention. That is true, but it is unlikely to be intended here, since deed without intention or what is done heedlessly has no good at all, and intention in itself is good, and the preponderance here implies such as share in good.

The meaning is that every act of worship consists of an intention and a deed. If the intention is good, and the deed is also good, in this way, the intention is more effective and superior in such act of worship to the deed in it. Thus, the Hadith means that the believer's intention in his act of worship is better and more effective than his deed in it. The purpose is that a servant has the freedom of choice in his intention and deed, in which intention is better. That is the significance.

But why intention is preponderant is a thing which none understands but he, who learns the religion's purpose and way and the impacts of the different ways, and then compares the different traditions with each other in order to seem to him in the end what is preponderant in relation to the purpose. For example, whoever says that bread is better than fruits means that it is better in relation to the purpose of sustenance and nourishment, a thing which none knows but he who understands that nourishment has a certain purpose, which is health and survival, in which the various kinds of food have different effects, and learns the effect of each kind and compares effects with each other.

The acts of worship are nourishment of hearts, whose purpose is their cure, survival, safety in the hereafter, and happiness and enjoyment of meeting Allah Almighty. The real purpose then is the pleasure of happiness of meeting Allah Almighty. None would enjoy the meeting of Allah Almighty but he who dies as a lover for, and a Gnostic of Allah Almighty. However, none loves Him but he who has gnosis of Him, and none is affable with his Lord but he who remembers Him more often for a long time. Intimacy is obtained by the continuous remembrance, and gnosis by the permanent meditation, and love necessarily follows gnosis; and the heart would not be devoted to the permanent remembrance and meditation unless it is disengaged from the occupations of this world, and it would not be disengaged from its occupations unless one is cut off its desires, until he turns to be inclined to and desirous for good, disinclined from and disliking for evil.

One inclines to good deeds and acts of worship because he knows well that his happiness in the hereafter is suspended on them. This inclination which depends on knowledge is strengthened by regular work. Thus, by good deeds and acts of worship, the hereafter is intended, and by evils, the world is intended. The inclination of the soul to the hereafter good things and disinclination from the worldly evils disengage it to remembrance and meditation. This is confirmed only by doing the acts of worship regularly and leaving sins by organs for there is an interactive relation between the organs and the heart. The heart is the intended, and the organs are but means to it.

That is the significance of the statement of the Prophet "peace be upon him":

"Verily, in the body there is a piece of flesh (i.e. the heart), and if it is good, all parts of the body would be good accordingly." (This is reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of An-Nu'man Ibn Bashir).

The Prophet "peace be upon him" further said: "O Allah! Make right both the guardian and the subjects." By the guardian he meant the heart. In confirmation of that Allah Almighty said: "It is not their meat nor their blood, that reaches Allah: it is your piety that reaches Him." (Al-Hajj 37)

﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴿٣٧﴾ ﴾

Piety is the inherent quality of the heart.

From this perspective, the deeds of hearts should be better than the movements of organs. Henceforth, intention should necessarily be better, for it is the heart's inclination to and desire for good. Our purpose of doing deeds with organs is to habituate the heart to will and incline to good and be disengaged from the worldly desires and occupations, and devoted to remembrance and meditation. This then should be necessarily good for it achieves the intended purpose. That is the effect of all acts of worship, whose purpose is to change hearts and alter their qualities apart from organs. Think not, for example, that putting the forehead on the ground in prayer has no purpose other than the confirmation of the quality of humility in the heart. Whoever finds humility in his heart and then is submissive with his organs in imitation of it, would surely confirm it within himself; and similarly, whoever finds smoothness in his heart on an orphan, and then passes his hand over his forehead and kisses him, this smoothness would be confirmed within himself.

That is why deed without intention is useless, for whoever passes his hand over the head of an orphan while he is heedless with his heart, no effect would spring from his organs to his heart in confirmation of smoothness, and similarly, whoever puts his forehead on the ground in prayer while he is engaged in the worldly concerns, no effect would spring from his forehead to his heart in confirmation of humility. Thus, worship without intention is useless and invalid. But if it is intended by means of showing off or honoring anyone else other than Allah Almighty, it would be more evil, for it does not confirm but the opposing quality, i.e. showing off, whose suppression is required, on the exclusion of the very quality whose confirmation is required.

That is the significance of the fact that intention is better than deed. It is within this context that you should understand the statement of the Messenger of Allah "peace be upon him": "Whoever intends to do a good deed which he does not do, it is written as a good deed for him." That is because the intention of the heart is its inclination to do good, and disinclination from the world and love for desires, and that is the highest good deed, and work only confirms it. What is intended by slaughtering the sacrifice is not the flesh and the blood in so much as the heart's disinclination from the love for this world, as shown in offering it for the Sake of the Countenance of Allah Almighty. This quality occurs when intention is made, even if the work itself is impeded by an impediment: "It is not their meat nor their blood, that reaches Allah: it is your piety that reaches Him." (Al-Hajj 37)

﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾

Piety is the inherent quality of the heart.

That is the significance of the statement of the Messenger of Allah "peace be upon him" in the holy battle of Tabuk: "Some people in Medina shared us in (the reward of) our Jihad." That is because their hearts were, in their true intention of good, offering property and soul, and desire for martyrdom in order for the word of Allah to be superior, like the hearts of those who set out for Jihad. But they differed from them in bodies for impediments unique to the causes that are external to the heart, which is required only to confirm the qualities of the heart.

It is with those meanings that you should understand all Hadiths and narrations we have mentioned in the virtue of intention. So, compare them with those, in order for their mysteries to be uncovered to you.

Explication Of Deeds That Are Related To Intention

It should be known to you that deeds, be they act, saying, movement, quietness, bringing what is beneficial, averting what is harmful, meditation, remembrance, or so, are ultimately divided into three categories: sins, acts of worship, and permissible deeds.

The first division: sins

They never change by intention, and the ignorant should not understand that, though falsely, from the statement of the Messenger of Allah "peace be upon him": "Verily, the (rewards of) deeds depend upon intentions", thinking that sin might turn into an act of worship by intention, like him who backbites a man in order to please the heart of another, or feeds an indigent from the property of another, or builds a school, a mosque or any such public building with an unlawful property, putting in mind that his purpose is good. That is out of ignorance, and intention does not change his act from being injustice, transgression and sin. His purpose of good via evil in opposition to Sharia is another evil. If he knows it, then he is an obstinate to the requirements of Sharia, and if he is ignorant of it, he then is disobedient with his ignorance, since the pursuit of knowledge is an obligatory duty binding on every Muslim, and the good deeds should be known for Sharia: then, how should evil be good?

How far! What causes the heart to do so is the hidden desire and internal inclination. If the heart, for example, is inclined to the pursuit of majesty and attraction of the hearts of people, Satan then takes it as a means of dissembling. That is the significance of the statement of Sahl "may Allah have mercy upon him": "No sin therewith Allah Almighty has ever been disobeyed more severe than ignorance." It was said: "O Abu Muhammad! Do you know anything more severe than ignorance?" he said: "Yes, ignorance of ignorance." It is true for ignorance of ignorance closes entirely the door of learning. Whoever thinks that he is a learned, then, how should he learn anything? This then requires that the best deed therewith Allah Almighty has ever been obeyed is knowledge; and the head of knowledge is the knowledge of knowledge, as well as the head of ignorance is the ignorance of ignorance.

Whoever does not know and distinguish the beneficial from the harmful sciences, surely, he would engage in those flowery sciences in which the people are involved, for they are their means to this world. That is the substance of ignorance and the fountainhead of corruption. The point is that whoever intends to do good with a sin out of ignorance, is not excused unless he is still a new convert to Islam, and has no opportunity to learn. Allah Almighty said: " if you realize this not, ask of those who possess the Message." (An-Nahl 43)

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

The Messenger of Allah "peace be upon him" said: "No ignorant should be excused for his ignorance, and it is unlawful for an ignorant not to seek to remove his ignorance, nor for a learnt to conceal his knowledge." (At-Tabarani and Abu Na'im on the authority of Jabir).

The ruler's building schools and places of worship with the unlawful property is similar to the evil scholar's teaching knowledge to the wicked and foolish among people, who are involved in dissoluteness and debauchery, and limit their concern only to disputation with scholars and contest with the weak-minded, attraction of the hearts of people and collection of the ruins and chattels of this world, and unlawful usurpation of the property of rulers, orphans and indigent. If those learn, they would be the travellers on Allah's way. This mischief might spread on earth, and the evil consequence of it returns in the end to the teacher who teaches knowledge to a particular one and he knows well his evil intention. The result is that this teacher dies, and the traces of his evil remain among the people for a long time after him. Blessed be he who, when he dies, all of his sins die with him.

Wonder at the ignorance of such as says: "The (rewards of) deeds depend on intentions, and by so doing, I intended only to spread the religious knowledge: So, if the learner uses it in mischief, then, the sin is due on him and not on me, for I intended only that he should seek its aid to do good." But it is the love for authority and majesty, and pride of knowledge that allure it in his heart, and Satan, by means of his love for authority and majesty, dissembles him. By my life! What does he says to him who gives a sword and a horse to a highway man and then says: "I wanted to give in charity out of generosity and munificence, with the intention that he should fight in the Cause of Allah with the sword and horse, given that to provide fighters with horses and steeds of war is among the greatest acts of worship therewith one comes close to Allah Almighty, and since he used those in cutting the highway on the people, it is he and not I who is sinful."

There is consensus among the juristic scholars that this is unlawful, although generosity is among the characters that is the dearest to Allah Almighty, so much that the Messenger of Allah "peace be upon him" said: "Allah Almighty has three hundred moral characters, and if one comes close to Him by any of them, he would enter Paradise, and from among them, generosity is the dearest to Him Almighty." By my life! Why has this generosity then been made unlawful? Why is it incumbent upon him to consider the presumption of the state of this wrongdoer? If it seems to him, from his behaviors, that he uses good in evil, it

becomes binding upon him to seek to deprive him of his weapon and not to provide him with another one. Knowledge is a weapon, therewith Satan and the enemies of Allah Almighty should be fought. But at the same time, the enemies of Allah Almighty might be aided with it, I mean here inclination. Whoever continues to give preference to his inclination over his religion, to his world over his hereafter, and he fails to change it due to his lack of virtue, then, how should he be provided with knowledge to give him access to his desires?

The righteous predecessors continued to inspect the state of such as frequented them to take knowledge from them. If he seemed to indulge in any of the supererogatory deeds, they would disapprove him and not deal with him generously; and if he seemed to be wicked and dissolute, they would discard him and abstain from teaching him, for their knowledge that whoever learns a question upon which he does not act and then skips to another one, seeks nothing but an instrument of evil. All righteous predecessors sought refuge with Allah Almighty from the wicked knowledgeable of the sunnah, and not from the wicked ignorant.

In this context, it is related that one of the companions of Ahmad Ibn Hanbal "may Allah have mercy upon him" used to frequent him for long years and then Ahmad happened to turn away from him, and abstained from talking to him. He continued to ask him about the reason for his changing attitude towards him and he told him not. But in the end he said to him: "I was informed that you had covered with clay the external side of the wall of your house and by so doing, you had taken as little as a finger's breadth, which is the thickness of the clay, from the street of the Muslims. Thus, you are unfitting to transmit knowledge."

In sum, the statement of the Messenger of Allah "peace be upon him": "The (rewards of) deeds depend upon intentions" is unique to the acts of worship and permissible deeds, apart from sins. Both acts of worship might turn into sins by the intention, and permissible deeds might turn into an act of worship or a sin also by intention, unlike the sin which never turns into an act of worship by intention.

The second division: acts of worship

They are related to intentions in terms of their validity and multiplying virtue. In order to be valid In principle, one should intend thereby only to worship Allah Almighty. If his intention is showing off, it turns into a sin. As for multiplication of virtue, the more there are good intentions, the more the virtue of the act of worship is multiplied, for by a single act of worship one might intend to do many good things, and thus have a reward for each one of them. Each has a good deed, and each good deed is multiplied ten times and more according to the tradition. A typical example is to sit in the mosque: It is an act of worship by which one might intend many good things, until it becomes one of the virtuous deeds of the pious, therewith he attains the ranks of the nearest (to Allah Almighty).

The first is to believe that it is the house of Allah Almighty and such as enters it is a visitor of Allah Almighty, and thus by sitting in it, he intends to visit

his Lord Almighty, in the hope of getting what is promised by the Messenger of Allah "peace be upon him" when he said: "Whoever sits in the mosque has indeed visited Allah Almighty, and it is incumbent upon the host to deal with his guest generously." (This is reported by Ibn Hibban on the authority of Salman; and Al-Baihaqi on the authority of some companions).

The second is to sit in wait of prayer after prayer, and whoever sits in wait of prayer seems as if he is in prayer. That is the significance of the statement of Allah Almighty: "and remain stationed." (Al Imran 200)

﴿ وَرَابِطُوا ﴾

The third is monasticism, by being in seclusion, i.e. to hold back seeing, hearing and organs from motion and vibration, for sitting in seclusion in the mosque is similar to fasting, and it is a kind of monasticism. For this reason, the Messenger of Allah "peace be upon him" said: "The monasticism of my people is to sit in seclusion in mosques."

The fourth is to give one's attention to Allah Almighty, stick to remembrance and meditation in the hereafter, and avert what diverts from that by sitting in seclusion in the mosque.

The fifth is to devote oneself to the remembrance or at least hearing to the remembrance of Allah Almighty, or reminding others of Him. In confirmation of that, it is related in a tradition: "Whoever goes early in the morning to the mosque in order to remember Allah or remind others of Him, is like the fighter in the Cause of Allah Almighty." (At-Tabarani on the authority of Abu Umamah; and both Sahihs on the authority of Abu Hurairah, but both with a change in wording).

The sixth is to intend to benefit others with his knowledge, by enjoining what is right and forbidding what is evil. To be sure, the mosque could hardly be free from such as errs in his prayer, or does what is unlawful for him, thereupon one might order him to do good and guide him to the teachings of religion, thereby he becomes his partner in the knowledge which he teaches, and his good things are multiplied.

The seventh is to gain a brother in the religion of Allah Almighty, which is an ammunition for him in the hereafter; and the mosque is the nest of the people of religion and lovers for, and in the religion of Allah.

The eighth is to leave sins out of shyness from Allah Almighty, and from doing what violates the sanctity in the house of Allah Almighty. In this respect, Al-Hassan Ibn Ali "Allah be pleased with them" said: "Whoever frequents the mosque regularly, is provided by Allah Almighty with one of the following seven characteristics: a brother to be gained in the religion of Allah Almighty, a mercy descended (from Allah), beneficial knowledge, a word of guidance, disinclination from evil, leaving sins out of fear or shyness (from Allah)."

The third division: permissible deeds

There is no permissible deed but that it might turn, by intention, to one of the best acts of worship therewith one attains the highest ranks. How great is the loss of him who takes no heed of that, and deals with it like an animal. Furthermore, a servant should not regard with slightness any of the passing thoughts or steps or

moments, for he would be questioned about all of this on the Day of Judgement: why has he done this, and what has he intended thereby? This applies to the permissible deed in which no unfavorableness lies.

That is the significance of the statement of the Messenger of Allah "peace be upon him" who said: "Its lawful brings about reckoning, and its unlawful brings about punishment."

It is further narrated on the authority of Mu'adh Ibn Jabal "Allah be pleased with him" from the Prophet "peace be upon him" that he said: "A servant would be asked, on the Day of Judgement, about all things, and even about applying kohl to his eyes, crumbling clay with his fingers and touching the garment of his brother."

It is narrated that the Messenger of Allah "peace be upon him" said: "Whoever gets himself perfumed for the sake of Allah Almighty would come on the Day of Judgement with his smell more pleasant than the smell of musk; and whoever gets himself perfumed for the sake of anyone else other than Allah Almighty would come on the Day of Judgement with his odor more stinking than the odor of the carcass." (Abu Al-Walid As-Saffar on the authority of Ishaq Ibn Abu Talhah). Using perfume in itself is permissible, but there should be intention in it.

But you may argue: "What could one intend by perfume and it is one of the fortunes of the self in this world? And how should he get himself perfumed for the Sake of Allah Almighty?" in reply to that, it should be known to you that whoever gets perfumed on Friday or at any time else, is imagined to intend to enjoy the pleasures of this world, or to show pride of the great wealth he has so that his fellows might envy him, or to be seen of men in order to attain majesty and have possession of their hearts and is famed among them for his pleasant perfume, or to gain affection therewith in the hearts of women who are foreign to him in case he regards it lawful to look at them lustfully: All of this makes it sinful to get perfumed, for which one's odor would be more stinking than the carcass on the Day of Judgement.

But an exception is made for the first intent, i.e. to enjoy the pleasures of this world, which is not sinful in itself. But he would be questioned about it on the Day of Judgement, and to be sure, whoever is called to account would inevitably be punished. Furthermore, whoever gets a permissible thing in this world would not be punished for it in the hereafter, but at the same time, his bliss in the hereafter would decrease as much as is in proportion to what he gets in this world. What a loss it is to hurry to get what is perishable on the expense of what is never-ending.

As for the good intention, it is that he should intend thereby to follow the sunnah of the Messenger of Allah "peace be upon him" on Friday, to intend to honor the mosque and respect the house of Allah, which he should not enter as a visitor of Allah Almighty unless he is pleasant-smelling, to exude good odor among his brothers when they sit beside him in the mosque, to avert the hateful odor from himself which causes harm to the sitters by his side, to close the door of backbiting against the backbiters when they like to backbite him because of

bad smell, thereby disobey Allah Almighty. However, whoever is exposed to backbiting and he is able to avoid it, let him do it, otherwise, he would be a partner in that sin. In confirmation of that, Allah Almighty said: " Revile not you those whom they call upon besides Allah, lest they out of spite revile Allah in their ignorance." (Al-An'am 108)

﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾

He also should intend thereby to treat his brain so that he would become more prudent and intelligent, and it would become easier upon himself to perceive the tasks of his religion by meditation. In this respect, Ash-Shafi'i "may Allah have mercy upon him" said: "He, whose smell is pleasant, becomes more mindful."

All of those good intentions are present when good prevails over the heart. But if it is only the pleasures of this world which prevail over his heart, nothing of those good intentions would be present in his mind, and even if they are mentioned to him, his heart would not be moved for them. However, the permissible deeds are numerous and intentions in them could not be calculated. So, measure on that anything else.

For this reason, one of the righteous predecessors said: "I like to have intention in anything I do, even whenever I eat, drink, sleep and enter the privy." All of this is intended to bring one closer to Allah Almighty, for all that is intended to sustain the body and disengage the heart from the burdens of the body helps one do the religious assignments enjoined upon him. Whoever intends by eating to devote himself to worship, by having sexual relation with his wife to safeguard his religion, please his wife and beget righteous offspring to worship Allah Almighty after him therewith the nation of Muhammad "peace be upon him" increases in number, he then is obedient in his eating and sexual intercourse, which constitute the greater part of the self fortunes in this world; and it is not possible to intend good thereby particularly for him who is mainly concerned with the hereafter.

For this reason, one should make good his intention even if he loses property, and say: "Let it be in the Cause of Allah." If he receives the news of being backbitten by others, he should soothe his heart with the argument that his sins and evil deeds would be born by the backbiter, whereas the backbiter's good deeds would be transferred to his account. Let him have such intention by keeping silent from response to backbiting.

In confirmation of that, it is related in a particular tradition: "Indeed, a servant would be called to account thereupon his deeds would be fruitless for their being stained with evil until fire becomes assured to him. Then, righteous deeds would be added to his account so much that Paradise becomes assured to him. On that he wonders and says: "O Lord! I have never done those righteous deeds." It would be said to him: "Those are the deeds of such as backbit, harmed and wronged you."" (Abu Mansur Ad-Dailami in his Firdaws on the authority of Shith Ibn Sa'd).

It is narrated in another tradition: "A servant would come to the Day of Judgement with good deeds as much as mountains, and were they to be pure for

him, surely, he would enter Paradise. But even, he would come and he had wronged so and so, insulted so and so, and beat so and so, thereupon each of them would take his right from his good deeds until no single good deed remains with him. The angels would say: "His good deeds have been consumed, and there are still claimants of rights." Allah Almighty would say: "Then, draw upon him of their sins, and prepare a deed for him to the fire.""

In sum, beware and beware of looking down upon any of your movements, without avoiding its deceptive and evil nature, which you would not be able to refute on the Day of questioning and reckoning, for Allah Almighty watches over you, and sees all that you do: " Not a word does he utter but there is a sentinel by him, ready (to note it)." (Qaf 18)

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾

According to a righteous predecessor: "I wrote a message and liked to cover it with dust from the wall of the house of my neighbour, but I felt it. Later on I said to myself: "But it is no more than dust. What is its significance?" Then I covered it with dust. Then, a visitant said to me: "The one who regarded with slightness the dust of the wall of the house of his neighbour would know the evil reckoning he would receive in the morrow."

On another occasion, a man prayed in the company of Ath-Thawri and he saw his garment turned upside down, thereupon he wanted to set it right for him, but he withdrew it and did not set it right. When he asked him about the reason he said to him: "I put it on for the Sake of Allah Almighty, and dislike to set it right for anything other than Allah Almighty."

According to Al-Hassan: "A man might hang to another on the Day of Judgement and say to him: "Allah is in between me and you." He would say to him: ""By Allah, I do not recognize you." He would say: "Nay! You took a brick from the wall of my house, a thread from my garment, etc."

So, if you are one of those of determination and intelligence, and not of the deceived, then, consider yourself, and account it tightly, before it would be tightened on you, and watch your states minutely, and neither move nor keep quiet unless you know well what you intend by your motion or quietness, and what you get thereby from this world, and what you would lose from the hereafter, and by which thing the world becomes preponderant to the hereafter. If you know well that there is no motive other than religion, then, put your determination and what has occurred to your mind to practice, by permission of Allah Almighty, otherwise, abstain from doing it. On the other hand, watch your heart in your abstention, for not to do a thing is regarded an act in itself, which also needs a true intention. The motive should not be a hidden inclination which none knows. Furthermore, do not be deceived by the apparent matters and famous good things, and make sense to deep mysteries and secrets, that you would come out of the sphere of those who are deceived.

In this respect, it is narrated that Zakariyya "peace be upon him" was building a wall for charge in favor of some people who gave him a loaf since he did not eat but from the earnings of his labor. Then, some people came to visit him and he did not invite them to the meal until he finished from it. They wondered

because he was recognized for his generosity and asceticism , and they thought that good lies in one's asking others to share food with him. In justification, he said to them: "I am working for a people for charge, and they have given me this loaf in order to sustain my body and become able to persist in their work. If you eat with me, it would suffice neither you nor me, and I would further weary to complete their work." As such the insightful should look at the internal matters with the light of Allah Almighty. To weary to complete their work is shortage in an obligatory duty, whereas not to invite them to share the meal with him is shortage in a supererogatory deed, and of a surety, obligatory deeds should be given priority to supererogatory deeds.

On another occasion, a man said: I entered upon Sufyan and he was eating, and he did not talk to me until he finished and licked his fingers. Then he said to me: "Had I not taken it by loan, I would have liked you to eat of it."

Sufyan said once again: "Whoever invites another to share food with him and he has no desire for eating, then, in case he answers his invitation and eats, he would bear two sins, and in case he abstains, he would bear only one sin." One of the two sins is hypocrisy, and the other is to expose his brother to what he dislikes were he to know it.

As such one should inspect his intention in all of his deeds, and neither do nor abstain but with intention. But if the intention is not present, he should stop, for intention is beyond choice.

Explication Of The Fact That Intention Is Beyond Choice

It should be known to you that the ignorant might hear what we have mentioned as regards making good or multiplying one's intention, along with the statement of the Messenger of Allah "peace be upon him": "The (rewards of) deeds depend on intentions", thereupon he says in himself whenever he teaches, eats, or even trades: "I intend to eat, teach or trade for the Sake of Allah", thinking it to be a real intention. How far! That is no more than a self-talk and movement from one passing thought to another, and the real intention is far from all of that.

The real intention is the self being raised, devotion and inclination to what seems to it to agree with its purpose immediately or lately. If there is no inclination in principle, it could not be invented or acquired only by will. Nay! It is just like the statement of the satiated: "I intend to have appetite for and inclination to food", or the statement of the disengaged: "I intend to love, honor and be attached to in love so and so with my heart". That is quite impossible. There is no way to acquire the heart's devotion and inclination to a particular thing, unless its means and causes are acquired first, which one might or might not be able to do. The self is raised to do an act in response to the motivating purpose which agrees with and befits it. Unless man thinks that his purpose is a cause of a particular act, he would not turn to it by intention. But one might not be able to have such a belief every moment. If he thinks so, the heart would turn to it in case it is disengaged, and not diverted from it by another purpose of stronger effect, and this is not possible at any time.

Motives and diverters have many causes, which differ by the difference of

persons, states and deeds. If the desire for marriage is prevailing, and one does not believe in a right purpose from children in world and religion, by no means would he have sexual relation with the intention to beget children, and his intention would not go beyond the fulfillment of desire, since intention is to respond to the motive, and here there is no motive other than the sexual desire. Similarly, if it does not prevail over his heart to establish the sunnah of marriage in imitation of the Messenger of Allah "peace be upon him" whose virtue is great, in no way would he intend, by marriage, to follow the Prophetic sunnah, other than his saying so only with his tongue and heart, and that is a self-talk and not intention at all.

For this reason, a group of righteous predecessors abstained from a set of acts of worship under pretext that intentions concerning them were not present in their mind. They said: "No intention in that is present in our minds in order for us to do it."

It is said that Ibn Sirin did not offer funeral prayer on Al-Hassan Al-Basri "may Allah have mercy upon him" and said: "No intention is present in my mind to do so."

On another occasion, a man who was combing his head called his wife and asked her to bring the comb, and she said: "Should I also bring the mirror?" he kept silent for a while after which he answered in the affirmative. When he was asked about that he said: "I had intention to get the comb, and not the mirror and so I stopped for a while until intention was prepared by Allah Almighty."

It is narrated that Hammad Ibn Sulaiman died and he was one of the learned scholars of Kufah, and it was said to Ath-Thawri: "Would you not attend his funeral procession?" he said: "Had I had the intention to do so, surely, I would have done it."

Whenever anyone of those was asked to do any righteous deed he would say: "If Allah Almighty bestows upon me intention, I would do it."

Tawus "may Allah have mercy upon him" did not relate anything to others without intention, and it happened that he was asked to relate, and he did not do, and it happened that he related without being asked to do so. When he was asked about the reason for that he said: "Do you like me to relate to you without intention? If the intention is present in my mind to do, I would do it."

It is related that when Dawud Ibn Al-Muhabbar composed the book of Al-'Aql, Ahmad Ibn Hanbal "may Allah have mercy upon him" came to him and asked him for it, and he gave it to him. When he caught a glimpse of some pages from it he returned it to him. He asked him: "What is wrong with it?" he said: "It has many weak chains of transmission." Dawud said to him: "I have not directed it depending on the chains of transmission, but rather look at it with the eye of news, for I looked at it with the eye of work, thereupon I have benefitted with it." Ahmad said to him: "Then, return it to me in order to look at it with the same eye with which you had looked at it." He took it and it remained with him for a long time after which he said to him: "May Allah reward you, for I have really benefitted with it."

It was said to Tawus "may Allah have mercy upon him": "Invoke good upon

us." he said: "No, until I find intention within my self to do it."

A man said: "I am in pursuit of an intention to visit a patient to inquire about his health for a month, and it has not been present yet."

According to Isa Ibn Kathir: I was walking in the company of Maimun Ibn Muhran when he reached the door of his house, thereupon I turned away. His son said to him: "Would you not invite him to have dinner with us?" he said: "I have no intention to do so."

That is because intention always follows vision, and once vision changes, intention changes accordingly. In their sight, they should not do a deed without intention, due to their awareness of the fact that intention constitutes the spirit of the deed, and the deed without true intention is but showing off and ostentation, which is a cause of displeasure and not of nearness (to Allah). They also learnt that the intention is not to say with one's tongue 'I intend to do such and such', but it is that the heart is raised to do a thing, by virtue of Allah Almighty. It sometimes might be available and sometimes not available.

It is true that if one, over whose heart religion prevails, the intention to do good things more often would be present in his mind, for his heart is entirely inclined to good in principle, and thus is raised to do the deeds and acts relating to it. But if one over whose heart the worldly things prevail, and he inclines to it, such intention would not be available to him. Furthermore, the intention to do the obligatory duties would hardly be available to him, and it is sufficient for him in this issue to remember the fire, and beware of its torment, or the bliss of Paradise and develop within himself the desire for it, perhaps a weak motive might raise him to do and his reward would be in proportion to his desire and intention. As for the intention of worship of Allah Almighty out of honoring and glorifying Him for He is worthy of worship and exaltation, it is not available to the one who desires for the world, although it is the dearest and highest kind of intention, and a very few on the surface of the earth are those who could understand, and even to have it.

However, the people's intentions concerning the acts of worship are of different divisions: one of them does his deed in response to the motive of fear, therewith he safeguards himself from the fire; and one of them does his deed in response to the motive of hope, as he desires for Paradise. This, though being less in rank than the act of worship in exaltation and glorification of Allah Almighty for the Sake and Glory of Himself, and not for anything else, belongs to the true intentions, for it is an inclination to what is promised in the hereafter, and similar to what is familiar in this world. The desires of the abdomen and genitals constitute the greater part of motives, and Paradise is the place to fulfill them. So, whoever works for the sake of Paradise works indeed for his abdomen and genitals, like the evil hireling, and his degree is that of a mindless, and he would attain it by virtue of his deed, for the majority of the inhabitants of Paradise belong to the mindless.

But the worship given by the mindful does not go beyond the remembrance of Allah Almighty and meditation of His beauty and glory in a way that all deeds are but affirmatives and accessories to that. The rank of those are too high to

allow them to turn to food and sexual relation in Paradise, which they did not intend at all: but it is those who invoke their Lord every morning and evening, seeking only His Countenance. Since the people's reward is in proportion to their intentions, no doubt, those would be blessed with looking at His Bounteous Countenance, and mock at such as turn to the faces of the houris of lustrious eyes, just as those who are blessed with looking at the faces of the houris of lustrious eyes ridicule those who enjoy of looking at the faces of the women who are created from clay, although the discrepancy between the Divine beauty and glory on the one hand, and the beauty of the houris of lustrious eyes is greater than the discrepancy between the beauty of the houris of lustrious eyes and the beauty of women who are created from clay.

It is narrated that Ahmad Ibn Khadrawaih saw his Lord in a dream and He Almighty said to him: "All the people ask Me for Paradise except for Abu Yazid, who demands Me Alone." Abu Yazid saw his Lord in a dream and he asked him: "O Lord! What is the way to You?" He said: "Abscond yourself and come to Me." Ash-Shibli was seen in a dream after his death and he was asked: "What has Allah Almighty done with you?" he said: "He did not ask me for a proof for any claim other than one thing I have said. One day I said: "Which loss is greater than the loss of Paradise?" on that He Almighty said to me: "Which loss is greater than the loss of meeting Me?"

The point is that those intentions are of different degrees, and he, over whose heart any of them prevails, might not find it easy upon himself to move to another. The knowledge of those brings about acts and deeds which are not rejected by the juristic scholars. Let us say that he who have the intention to do a permissible thing, and have no intention to do a superior deed, then, to do the permissible is preferable, and to do the superior deed becomes shortage in him, for the (rewards of) deeds depend on intentions. It is like forgiveness, which is better than retribution for injustice. But even, one might have intention to exact retribution and have no intention to forgive: in which case, the former is better. Another example is to have intention to eat, drink and sleep, in order to comfort himself and become able to do the acts of worship in the future. But at the same time, he has no intention to observe fast or offer supererogatory prayer: in which case, eating, drinking and sleeping are better. Moreover, if one gets exhausted and tired of worship for he has been regular on it for a long time, and knows that were he to entertain himself for an hour he would refresh himself and become able to resume worship, then, entertainment is better for him. According to Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him': "I comfort myself with something of entertainment in order that it would be an aid for me on worship." According to Ali "Allah be pleased with him": "Soothe the hearts (with something of entertainment), for if they are forced (on worship), they would become blind."

Such subtleties are perceived only by the intelligent among the scholars. Do you not see how the experienced physician treats with the flesh the one who suffers from a high temperature, which the novice in medicine might relegate? Similarly, the experienced in fighting might flee from his enemy by way of trickery simply to draw him to a narrow place where he could attack and kill him

easily. Likewise, following the path to Allah Almighty is a journey of fighting with Satan and treatment of the heart, during which the insightful stops on subtleties of tricks which the weak relegates.

CHAPTER TWO

SINCERITY ITS VIRTUE, REAL NATURE AND DEGREES

Virtue Of Sincerity

From among the Holy Qur'anic Verses, a mention may be made of the statement of Allah Almighty: " And they have been commanded no more than to worship Allah, offering Him sincere devotion, being True (in faith)." (Al-Bayyinah 5) and: " Surely, to Allah sincere devotion is due." (Az-Zumar 3)

﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾

And: "Except for those who repent, mend (their life), hold fast to Allah, and purify their religion as in Allah's sight; if so they will be (numbered) with the Believers." (An-Nisa 146)

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

And: "Whoever expects to meet his Lord, let him work righteousness, and, in the worship of his Lord, admit no one as partner." (Al-Kahf 110)

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾

It was revealed in connection with those who do righteous deeds for the Sake of Allah, and like to be praised for it.

From among the Prophetic narrations, a mention may be made of the statement of the Messenger of Allah "peace be upon him": "There are three qualities which bring about no envy in the heart of a Muslim man: one of them is to be sincere in deed to Allah Almighty." (At-Tirmidhi on the authority of An-Nu'man Ibn Bashir).

It is narrated on the authority of Mus'ab Ibn Sa'd from his father (Sa'd Ibn Abu Waqqas) "Allah be pleased with him" that he said: My father thought he had superiority over those who were of a lower social class, from among the companions of the Messenger of Allah "peace be upon him" thereupon the Prophet "peace be upon him" said to him: "Verily, Allah Almighty helps this nation by virtue of the weak among its members and their invocations and sincerity (in their religion to Allah)." (An-Nasa'i; and Al-Bukhari but with a different wording).

It is further narrated on the authority of Al-Hassan from the Prophet "peace be upon him" that he said: Allah Almighty says: "Sincerity is one of My mysteries which I place in the heart of whomever I love from among My servants."

It is narrated on the authority of Ali Ibn Abu Talib "Allah be pleased with him" that he said: It should not concern you that your deed is little, but what should concern you is to be accepted (by Allah Almighty), for the Prophet "peace be upon him" said to Mu'adh: "Be sincere in your deed, perchance the little thereof would be sufficient for you." (Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Mu'adh).

It is further narrated that the Messenger of Allah "peace be upon him" said: "No servant is sincere in his deed to Allah Almighty for forty days but that the fountainheads of wisdom spring from his heart on his tongue." (Ibn Adi on the authority of Abu Musa).

It is narrated that the Prophet "peace be upon him" said: "Three persons would be the first to be questioned on the Day of Judgement: the first is a man whom Allah has given knowledge, thereupon Allah Almighty would ask him: "What have you done with what you had of knowledge?" He would say: "O Lord! I used to stand (in prayer and remembrance) for part of the hours of the night and the sides of the day." Allah then would say: "You have told a lie." The angels also would say: "You have told a lie. But you liked that people should say about you: 'So and so is a learned', and it was said." The second is a man whom Allah has given property, thereupon He would say to him: "I have bestowed favors on you: what have you done with that?" he would say: "O Lord! I used to give it in charity for part of the hours of the night and the sides of the day." Allah Almighty would say: "You have told a lie." The angels also would say: "You have told a lie. But you liked that people should say about you: 'So and so is generous', and it was said." The third is a man who was killed in the Cause of Allah, to whom Allah Almighty would say: "What have you done?" he would say: "O Lord! I was commanded to fight in Your Cause, and I fought until I was killed." On that Allah would say: "You have told a lie." The angels also would say: "You have told a lie. But you liked that people should say about you: 'So and so is brave', and it was said."

Then, Abu Hurairah "Allah be pleased with him" said: Then, the Messenger of Allah "peace be upon him" struck his thigh and said: "O Abu Hurairah! Those would be the first persons with whom the fire of Hell would be kindled to fierce heat on the Day of Judgement." Then, the narrator of that Hadith entered upon Mu'awiyah and narrated it to him, thereupon he went on weeping until he was about to die. Then, he commented: Allah has told the truth when He said: " Those who desire the life of the Present and its glitter, to them We shall pay (the price of) their deeds therein, without diminution. They are those for whom there is nothing in the Hereafter but the Fire: vain are the designs they frame therein, and of no effect are the deeds that they do!" (Hud 15:16)

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

It is narrated in an Israeli tale that a worshipper worshipped Allah Almighty for a long time when some people came to him and said: "There are some who worship a tree other than Allah Almighty." He grew angry for that matter and carried his mattock on his shoulder and went with the intention to cut off the tree. But on the way, Iblis received him in the form of an old man and said to him: "What do you want to do, may Allah have mercy upon you?" he said: "I want to cut off this tree." He said to him: "What do you have to do with it? Have you left your worship and engagement in your own affairs and devoted yourself to something else?" he said: "This is a part of my worship." He said to him:

"Then, I would not let you cut it." He fought him and the worshipper took hold of him and threw him on the ground and sat on his breast.

Iblis said to him: "Release me in order to talk to you." He stood from over him, and Iblis said to him: "O so and so! Allah has cancelled out that duty from you and has not enjoined it upon you. Since you yourself do not worship it, then, what do you have to do with the others? Allah Almighty has Prophets along the different sides of the earth, and had He willed, He would have sent anyone of them to its people and ordered them to cut it." But the worshipper persisted in his intention and Iblis fought him and the worshipper overpowered him, and threw him on the ground and sat on his breast. When Iblis failed to prevent him he said to him: "Do you desire for something to decide between you and me? It is indeed better for, and more beneficial to you." He asked him: "What is that?" He said: "Release me to tell you about it."

He released him and he said: "You are a poor man who has nothing: But you are dependent on the people who maintain you, and perhaps you prefer to confer favors on your brothers, console your neighbours and be satiated and independent from the people." He answered in the affirmative. He said to him: "Then, retract from that and I promise to deposit by the side of your head two Dinars every night and in the morning you take them and spend them on yourself and your dependents, and give in charity to your brothers: This would be more beneficial to you and to the Muslims than to cut off that tree in place of which another one might be planted, and in naught would cutting it harm them, nor would it benefit your believing brothers."

The worshipper thought about what he had said and said: "The old man has told the truth. I am not a Prophet upon whom it is binding to cut off that tree, nor have I been commanded by Allah to cut it so that I would be disobedient by leaving it. What he has mentioned to me is more beneficial." He promised to fulfill to him what he had vowed, and the worshipper returned to his worshipping place and spent the night there. In the morning, he found two Dinars by the side of his head, which he took. The same occurred on the next and third days. But on the fourth day when it was morning, he found nothing. He grew angry and carried his mattock on his shoulder and on the way Iblis received him in the form of an old man and asked him: "Where are you going?" he said: "To cut off that tree." He said to him: "You have told a lie. You are not capable of doing that, and you have no way to do so."

When the worshipper took hold of him in order to do with him the same he did in the first time, he said to him: "How far!" Iblis then caught hold of him and knocked him down and behold! He became like the bird between his legs. Iblis then sat on his breast and said to him: "You should desist from that otherwise I would slay you." The worshipper found that he had no power to resist him, thereupon he asked him: "O so and so! You have overpowered me. So, release me and tell me how I had overpowered you at first and now you have overpowered me." He said to him: "In the first time, you grew angry for the Sake of Allah, and your intention was for the hereafter, and for this reason, Allah Almighty subjugated me to you. But this time, you grew angry for your sake and

for the sake of this world, thereupon I overpowered you."

Those tales are related in confirmation of the statement of Allah Almighty: "Except Your servants among them, sincere and purified (by Your grace)." (Al-Hijr 40)

﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾

A servant could get rid of Satan only by being sincere in his worship to Allah Almighty.

For this reason, it is related that Ma'ruf Al-Karkhi "may Allah have mercy upon him" used to beat himself and say: "O my self! Be sincere (in your worship to Allah), perchance you would get rid (of Satan)."

According to Ya'qub the Blind: "The sincere one is he who conceals his good deeds in the same way as he conceals his misdeeds."

According to Sulaiman: "Blessed be he who takes even a single step that is held valid thereby he intends nothing other than Allah Almighty."

Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" wrote the following message to Abu Musa "Allah be pleased with him": "Whoever makes sincere his intention, Allah suffices him what is between him and the people."

One of the allies of Allah wrote to one of his brothers: "Be sincere in your deeds, the little thereof would be sufficient for you."

According to Ayyub As-Sikhtiyani: "To make sincere one's work is more difficult upon the workers than all deeds they do."

According to Mutarrif: "Whoever purifies (his intention to Allah), (the reward) would be purified for him; and whoever mixes (his intention to Allah with anything else), (the reward) would be mixed (with punishment) for him."

According to Yahya Ibn Mu'adh: "Sincerity purifies the deed from defects in the same way as the milk is purified from excrement and blood."

It is narrated that there was a man who used to set out in the uniform of women and attend everywhere women assembled. One day, he happened to attend a gathering of women. Then, a pearl was stolen and they cried to close the door in order to inspect for it. They inspected one by one until it was the turn of the man and there was a woman with him. He invoked Allah sincerely: "If I was saved from this scandal, I would never return to do the like of that once again." Then, the pearl was found with that woman. They cried: "Then, release the remaining free woman (i.e. the man who was putting on the uniform of women), for we have found the pearl."

According to Sari As-Saqati "may Allah have mercy upon him" : "To offer a two-rak'ah prayer in seclusion with sincerity is better than to write seventy or even seven hundred Hadiths in order to be high."

According to another man: "In sincerity for even as little as an hour lies salvation (from punishment) forever, but sincerity could rarely be observed."

It is said: "Knowledge is seeds, and deed is to sow such seeds, whose water is sincerity."

According to a wise man: "If Allah Almighty is displeased with a man, He gives him three, and withholds from him three: He gives him the company of the righteous people, and withholds from him to be accepted by them; gives him the

righteous deeds, and withholds from him to be sincere in them; and gives him wisdom and withholds from him to be truthful in it."

According to As-Susi: "What Allah requires from the deeds of the people is to be sincere in them."

According to Al-Junaid: "Allah Almighty has servants who were endued with reason: when they were endued with reason, they did deeds, and when they did deeds, they were sincere in them, and then sincerity invited them to all doors of righteousness."

According to Muhammad Ibn Sa'id Al-Marwazi: "The whole matter goes back to two principles: An act from Him with you , and an act from you to Him. You then should accept what He does with you, and be sincere in what you do for Him, thereupon you would be happy by both and attain felicity in both abodes."

Explication Of Real Nature Of Sincerity

It should be known to you that everything is imagined to be mixed with another. If it is purified from all things, it is called pure. In this sense, to do a deed that is pure and not stained with anything else is called sincerity. Allah Almighty said: " From what is within their bodies, between excretions and blood, We produce, for your drink, milk, pure and agreeable to those who drink it." (An-Nahl 66)

﴿ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾

In order for milk to be pure, it should not be contaminated with blood or excretion or anything else.

Sincerity or purity (of faith) then is opposed to ascription of partners. Whoever is not sincere (or pure in his faith) is an associator of partners. But ascription of partners is of several degrees: sincerity in observing the oneness of Allah, i.e. monotheism is opposed to ascription of partners to Allah Almighty (in worship), i.e. polytheism. On the other hand, polytheism might be hidden and apparent. The same is true of sincerity. Both sincerity and its opposite occur upon the heart, which is their place. That lies principally in intentions and purposes.

We have already mentioned the real nature of intention which goes back to response to motives. If the motive is one, the deed resulting from it is called sincerity to what is intended. Whoever gives in charity with the intention of showing off is sincere to his intention of showing off; and whoever does so with the intention to come close to Allah Almighty also is sincere to his intention of closeness to Allah. But it is customary to dedicate the name of sincerity to the sole intention of coming close to Allah Almighty, as being purified from all stains. It is like atheism, which means inclination: But it is dedicated only to deviation from the truth.

Let's now talk about such as is motivated by the intention to come close to Allah Almighty, but this motive is mixed with another one, whether it is showing off or anything else of the worldly fortunes. A typical example is to observe fast in order to benefit with the diet that he gains by fasting, along with the intention

to come close to Allah Almighty; or to emancipate a slave in order to get rid of his sustenance and relieve himself of his bad manners; or to perform Hajj in order to make good his mood, or flee away from an evil or enemy to which he is exposed in his country; or to offer night prayer with the intention to avert slumber from himself, and become able to watch his family; or to learn knowledge in order to become easy on him to get what suffices him of wealth, or to be honored among his clan, or to guard his house and property with the honor and power of knowledge; or to engage in teaching and preaching in order to relieve himself of the distress of silence and enjoy of the pleasure of discourse; or to perform Hajj while walking in order to relieve himself of the charge of hiring a riding mount; or to perform ablution in order to get clean or cold; or to take bath in order to make pleasant his smell; or to relate Hadith in order to be recognized for his high knowledge of Isnad; or to sit in seclusion in the mosque in order to alleviate from himself the rental fee of residence; or to observe fast in order to lighten from himself the burden of cooking food and rather devote himself to his engagements; or to visit a patient to inquire about his health in order to be visited when he falls ill; or to attend a funeral procession in order that the funeral processions of his family would be attended by the people; or to do good in order to be recognized for it, and regarded with the eye of rectitude and reverence: if his intention in all of those deeds is to come close to Allah Almighty, but something of those passing thoughts is mixed with that intention, which makes the deed easier on him, then, his deed would not be pure, and he would not be sincere in it to the Countenance of Allah Almighty, in so much as he would ascribe partners to Him in it. Allah Almighty said: "I am the most independent from all partners."

In sum, if the deed to be done for the Sake of Allah is intended also for any of the worldly fortunes with which the soul is comforted and to which the heart inclines, no matter how little or much it might be, its purity then would be contaminated, and the heart's sincerity in doing it stained. Man is more often involved in his fortunes and dipped in his desires, and anyone of his deeds and acts of worship could hardly be free from any of such transitory fortunes. For this reason, it is said: "Whoever has even a single moment in all his lifetime pure in which he is sincere (in his deed) to the Countenance of Allah Almighty has indeed been saved." That is because sincerity rarely occurs, and it is very difficult for the heart to be purified from all those stains.

The pure deed which one does with sincerity to Allah is that which is motivated only by seeking to obtain closeness to Allah Almighty. If the motives are only those worldly fortunes, then, it would be very difficult upon the person, and this is self-evident. But our subject is such of deeds intended, in principle, to obtain closeness to Allah Almighty, but this intention is stained with any of those worldly fortunes. Those stains might be compatible, sharing, or assisting, as we have already mentioned in intention. Overall, the psychological motive might be equal to, stronger or weaker than the religious motive. Each has its specific ruling as we shall see later.

Sincerity then is to purify the deed from all those stains, be they little or

much, in order to be intended only to get closeness to Allah, in such a way that there is no motive other than it. This is imagined only from him who loves, and is wholeheartedly devoted to Allah Almighty, and mainly concerned with the hereafter, which leaves in his heart no place for the love for this world, to the extent that he even does not like eating or drinking: but he desires it only in the same way as he desires to answer the call of nature, as being necessary by predisposition. In other words, he has no desire for food because it is food in so much as because it makes him strong enough to worship Allah Almighty, hoping to be sufficed the evil of hunger in order not to need eating at all. In this way, there remains in His heart no place for the unnecessary fortunes of this world, and what is necessary is required by him just because it is essential to maintain his religion. He is concerned only with Allah Almighty.

If such a person does any deed like eating, drinking or answering the call of nature, he would be sincere in his deed and his intention true in his movement and stillness. For example, if he sleeps in order to become strong enough to resume his worship, his sleep would be regarded an act of worship, and he would attain the degree of the sincere in it. But whoever is not so, then, the door of sincerity in worship is closed against him. As well as he, over whose heart the love for Allah Almighty and the hereafter prevails, would be sincere in his deeds, similarly, he, over whose heart the love for the world, majesty and supremacy, i.e. the love for anything other than Allah Almighty prevails, would lose that sincerity in his acts of worship. Thus, the treatment of sincerity is to break the self fortunes and severe from worldly covets and rather dedicate oneself to the hereafter until it prevails over the heart. In this way, sincerity becomes easy.

Many are the deeds in which one is troubled, thinking he does them with sincerity to the Countenance of Allah Almighty, and he is deceived in that assumption, simply because he does not see the evil that stains them. In this respect, it is narrated from a man that he said: "I compensated the prayers of thirty years which I had offered in the mosque in the first row. That is because one day I delayed for a legal excuse, and offered the prayer in the second row. But I felt shy of people for they saw me praying in the second, and they used to see me praying in the first row. Then, I came to know that people's vision of me in the first row was the cause of my pleasure and the comfort of my heart, whereas I felt not."

This is an abstruse subtlety from which the deeds could hardly be safe, and few are those who make sense to it, except such as helped and guided by Allah Almighty. But the heedless see all their good deeds in this world misdeeds in the hereafter, and it is those who are intended by the statement of Allah Almighty: " But something will confront them from Allah, which they could never have counted upon! For the evils of their Deeds will confront them, and they will be (completely) encircled by that which they used to mock at!" (Az-Zumar 47:48)

﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

And: "Say: "Shall we tell you of those who lose most in respect of their deeds? "Those whose efforts have been wasted in this life. While they thought that they were acquiring good by their works?" (Al-Kahf 103-104)

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ ﴾

From among the people, the scholars and learned are exposed most to this affliction, because what motivates the majority of them to spread knowledge, for the most part, is the pleasure of possessing the hearts of people, and having a great number of followers, and cheerfulness of praise and gratitude they receive, and Satan always dissembles them by saying to them: "Your purpose is to spread the religion of Allah Almighty and defend the Sharia enjoined by the Messenger of Allah "peace be upon him"." Thus, the preacher more often reminds the people of the favor of advising them and admonishing the rulers, and rejoices of the people's accepting his speech, and turning to him, while he claims that he rejoices of his supporting the religion that is made easy for him, given that were anyone of his fellows better than him to appear, and were the people to turn to him and leave that preacher, this would aggrieve him so much. Had his motive been only the religion, he would have thanked Allah Almighty for He has sufficed him this task by anyone other than him.

But even, Satan does not leave him, and rather says to him, by way of dissembling: "Your grief is not because of the people's turning from you in so much as because of the reward's being cut from you, for had they been admonished by your speech and advice, surely, you would have received reward for that." Therefore, the poor man does not know that his submission to the truth and relieving himself of the matter is better, more rewardable and more beneficial for him in the hereafter.

By my life, were Umar "Allah be pleased with him" to be aggrieved for Abu Bakr "Allah be pleased with him" undertook the imamate of prayer, would his grief be praiseworthy or blameworthy? However, no religious man has doubt that had he been aggrieved, his grief would have been blameworthy. But his submission to the truth, and giving the matter to him who was more fitting for it than him was more beneficial for him in religion than to take care of the affairs of people, given its great reward. Moreover, Umar "Allah be pleased with him" rejoiced for somebody more fitting than him undertook the matter. What is the matter with the learned and scholars that they do not rejoice of the like of this?

The knowledge of real nature of sincerity is a deep ocean in which all the people sink, barring the extraordinarily preeminent and distinguished, who is excepted in the statement of Allah Almighty: "Except Your servants among them, sincere and purified (by Your grace)." (Al-Hijr 40)

﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝ ﴾

So, let the servant be vigilant in watching those subtleties, otherwise, he would join the devotees of Satan while he feels not.

Explication Of Statements Of Righteous In Sincerity

According to As-Susi: "Sincerity is not to see sincerity (from yourself), for whoever sees sincerity from himself, then, his sincerity needs sincerity." His

statement refers to the necessity to purify the deed from conceit because of it, for to turn to and regard sincerity with importance is a kind of conceit, and conceit itself is one of evils. The pure deed which one does with sincerity is that which is purified from all evils. But even, that is only one evil.

According to Sahl "may Allah have mercy upon him": "Sincerity is that the servant's movement and stillness are only for Allah Almighty and not for anything or anyone else." However, this statement is comprehensive. Similar to it is the statement of Ibrahim Ibn Adham: "Sincerity is that the intention should be true with Allah Almighty." On another occasion, it was said to Sahl: "Which thing is more difficult on the soul?" he said: "Sincerity, for it has no portion from it."

According to Ruwaim: "Sincerity in deed is that its doer does not want recompense for it in both abodes (i.e. the world and the hereafter)." This statement refers to the fact that the fortunes of the soul are but transitory and deferred evils. The worshipper whose purpose is to be blessed in the pleasures and delights of Paradise is also defective, for the deed should not be intended but for the Countenance of Allah Almighty, in reference to the sincerity of the sincere affirmers of truth. That is indeed the absolute sincerity. Nevertheless, whoever does deeds in the hope of Paradise and for fear of the fire is also sincere but simply in relation with the transitory fortunes, since he pursues only the fortunes of both abdomen and genitals. Therefore, what should be really pursued is the Countenance of Allah Almighty. He further said: "None moves but for a certain fortune, and freedom from fortunes is a Divine quality, and whoever claims it is a disbeliever."

Abu Bakr Al-Baqillani judged as disbeliever the one who claims freedom from the fortunes, under pretext that such freedom is characteristic only of the God. What he has mentioned is indeed true. But the people intended by such freedom is purification from what they call fortunes, which stand for the desires that are described in Paradise. But to take pleasure in gnosis, private talk and looking at the Countenance of Allah Almighty is the sole portion of those, and they do not regard it a fortune. Were all pleasures and delights of Paradise to be offered to those in recompense for the pleasure of obedience, private talk and prostration to Allah Almighty, of a surety they would regard them with slightness, and rather look down upon them all. Their movement then is for a certain fortune, and their obedience for a certain fortune, but this fortune is their worshipped god alone and not anything else.

According to Abu Uthman: "Sincerity is to forget the vision of all the creation with the permanent looking at the Creator." This is, however, a reference to the evil of showing off only. For this reason, one of them said: "Sincerity in the deed is that no Satan should see it lest he would corrupt it, nor an angel lest he would write it." That is a reference to the concealment only. In confirmation of that, it is said: "The sincere among deeds is that which is hidden from the people, and purified from all engagements and relations." That comprehends all intended purposes. According to Al-Muhasibi: "Sincerity is to banish the people in treatment with the Lord."" This refers only to the negation

of showing off. It is similar to the statement of Al-Khawas: "Whoever drinks from the cup of authority has indeed deviated from the sincerity of worship."

The disciples asked Jesus "peace be upon him": "What is the pure among the deeds?" he said: "It is that which one does with sincerity to Allah Almighty and dislikes that none else should praise him for it." This also encourages to leave showing off. According to Al-Junaid: "Sincerity is to purify the deed from all stains of impurities." According to Al-Fudail: "To leave the deed for the sake of people is showing off, and to do deeds for the sake of people is polytheism; and sincerity is that Allah delivers you from both."

It is also said: "Sincerity is to forget all fortunes and persist in watching (over yourself)." That is, indeed, the comprehensive account.

However, the statements in this issue are too numerous for this context to permit to mention, and there is no benefit to relate many transmitted texts after the reality is uncovered. The satisfactory account is that of the master of the foremost and the last of people "peace be upon him" when he was asked about sincerity thereupon he said: "It is to say: 'My Lord is Allah', and then to stand straight as you have been commanded." (Ibn Majah and Muslim on the authority of Sufyan Ibn Abdullah Ath-Thaqafi but with change of wording). i.e. not to worship your inclination nor yourself, and not to worship but your Lord Alone, and stand straight in His worship as you have been commanded. That is a reference to cutting off everything other than Allah Almighty from the field of vision; and this is indeed the sincerity.

Explication Of Degrees Of Impurities And Evils That Stain Sincerity

It should be known to you that the evils and impurities that stains sincerity are hidden in part, apparent in part, weak and clear in part, and strong and hidden in part. But their different degrees concerning appearance and concealment could hardly be understood without an example. The most apparent impurity that distracts sincerity in this respect is showing off. So, let's set forth an example for it.

The first degree: Satan gets the evil into the praying person in his prayer no matter sincere he might be. If some people look at or enter upon him, he tells him to improve his prayer in order for that attendant to look at him with the eye of reverence and rectitude. The result is that his organs become submissive, his limbs calm and his prayer improved; and that is the apparent showing off, which is not hidden even from the novice.

The second degree: according to which the novice understands that evil, and bewares of it, thereupon he does not obey Satan, and rather continues in his prayer as he is with no change. But Satan comes to him while he is doing good and says to him: "You are followed and imitated by others in all of your deeds, and all you do influence the people, and of course, you would receive the reward of their good deeds in which they follow you if you do good, and their sin would be due on you if you do evil. So, make good your deed in front of them, perchance they would follow you in submission and improvement of worship." That kind is more abstruse than the first, which might deceive him who is not deceived by the first. But it is showing off which invalidates sincerity. If he sees

submissiveness and perfect worship good he approves for the person who follows him, why should he not approve the same while being in seclusion? Of course no one could be dearer to him than his own self. That is, indeed, dissembling. Whoever follows him would receive reward for his good worship. But as for him, he would be punished for disclosing from himself what is not his reality.

The third degree is more subtle than this: according to which the servant tests himself and takes heed of the Satan's scheme, putting in mind that his difference in worship in the presence of an assembly from his being in seclusion is indeed showing off, and that sincerity is that his prayer in seclusion should be the same as his prayer in the presence of the assembly. He should feel shy of his Lord Almighty and of himself to be submissive only in the presence of the people more than he is usually when he is in privacy, thereupon he devotes himself to worship in privacy and improves his prayer as much as he approves for himself in the presence of an assembly, for this is also an abstruse and subtle degree of showing off,, for the intention to improve his prayer in privacy is just to make it the same in the presence of an assembly, with no difference then between them. Thus, his devotion in both privacy and assembly is to the creatures and not to the Creator. But sincerity is that it is the same for him to be seen in his prayer by men or animals.

The fourth degree is more abstruse and subtle: according to which it is true that the people look at him in his prayer, but at the same time, Satan fails to tell him to be more submissive in prayer for their sake, for he knows well that he has made sense of that. Therefore, he says to him: "Think about the glory and grandeur of Allah Almighty, before Whom you are standing now, and feel shy that Allah Almighty should look at your heart while it is heedless of Him." The result then is that his heart would be present, and his organs submissive, thinking it to be sincerity, although it is plotting and cunning. Were his submissiveness to be for the Sake of Allah's Glory and Grandeur, surely, this passing thought would occur to his mind while being in privacy, and not in the presence of the assembly.

The sign of safety from this evil is that this passing thought should be familiar to him in privacy as well as in the presence of anyone else, and that the presence of anyone else is not the cause of that passing thought, just as the presence of the animal is not so. As there is still difference within himself between the man's seeing him and the animal's seeing him, he has not become purely sincere, and his internal secret is still contaminated with the hidden polytheism manifested in showing off. That concealed polytheism is more hidden within the heart of mankind than the creeping of the black ant in the dark night on the soft rock.

None is saved from Satan but he whose sight is delicate and he is happy with the protection and guidance of Allah Almighty, otherwise, Satan always sticks to those who devote themselves to the worship of Allah Almighty, and never is heedless of them for a single moment in persistence to turn them to showing off in all they do, even when they apply kohl to their eyes, trim their mustaches, get

perfumed and put on fine clothes on Friday. Those are customs to be done on particular occasions, and one has a hidden fortune in them, for they are visible by others, and with them disposition is affable. Satan then invites him to those and urges him not to leave them at all. In this way, the heart's being stimulated to do them is caused by response to that hidden desire, which turns him from the sphere of sincerity.

Whoever is not safe from all of those evils is not sincere in his worship. For this reason, it is said that a two-rak'ah prayer to be offered by a learned scholar is better than a year of worship from an ignorant. What is intended here is the learned scholar who is insightful of the subtleties of the evils of deeds, in order to be able to purify himself from them. But the ignorant's vision is restricted to the apparent worship, by which he is deceived. In this way the acts of worship are different among the people, and the ways of evils to them is beyond calculation. So, let this amount, no matter little it might be, benefit the reader, and of course, the prudent is satisfied with the little and the foolish is not influenced even by the much. So, it is of no avail to give him more.

Explication Of The Ruling Of The Deed In Connection With Which Sincerity Is Stained; And To What Extent It Is Rewardable

It should be known to you that if the deed is not pure to Allah Almighty, and rather stained with anything of the worldly fortunes, its state is debatable among the scholars, who differ whether it deserves reward, punishment or nothing at all. As for that thereby nothing other than showing off is intended, of a surety, it deserves punishment and displeasure. As for that which is pure thereby the Countenance of Allah Almighty alone is intended, no doubt, it is a cause of reward. But our talk now is about that which is stained .

What seems from the different narrations is that there is no reward for it. But even, there are some traditions that contradict the majority . What we see, and all knowledge is with Allah, is to look at the strength of the motive: If the religious motive is equal in strength to the self motive, then, the deed would neither get reward nor bear punishment. If the motive of showing off is stronger, then, the deed is fruitless and harmful, and leads to punishment. It is true that the punishment for it is less in degree than that of the deed thereby only showing off is intended. If the intention of coming close to Allah is stronger than the other motive, then, it deserves reward as much as is equal to the extent of strength by which the religious motive excels the other.

That is confirmed by the statement of Allah Almighty: " Then shall anyone who has done an atom's weight of good, see it! And anyone who has done an atom's weight of evil, shall see it." (Az-Zalzalah 7-8)

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝ ﴾

And: " Allah is never unjust in the least degree: if there is any good (done) He doubles it, and gives from His own presence a great reward." (An-Nisa' 40)

﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ ﴾

Thus the intention of good should not be caused to suffer along with that of evil.

Let us say, in explanation of this, that deeds effect the heart by confirming their qualities. The motive of showing off is among the destructives, and it is nourished and sustained by doing according to it; Whereas the motive of good is among the saviors, and it is nourished and sustained by doing according to it. If both qualities gather together in the heart, they are opposing. Thus, if one does according to the requirement of showing off, he would strengthen the quality of showing off, and if he does according to the requirement of coming close (to Allah), he would confirm the quality of coming close, and so on. One of them is destructive, and the other is a savior. If both are strengthened equally, they would counterbalance each other. Of course the more one of them is prevailing, the more it is effective on the heart; and in no way could this effect be lost.

If one does what brings him a span closer to Allah and then does what moves him a span farther from Him, then, he would return to his original state, with neither reward nor punishment. If he does what brings him two spans closer to Allah and does what moves him a span farther from Him, then, he would remain only a span close to Allah. In confirmation of that, the Prophet "peace be upon him" said: "And do the good deed simply following the misdeed, so that it would erase it." If sheer showing off is erased by sheer sincerity, then, when both gather together in the heart, they would necessarily counterbalance each other. That is attested by the consensus of the nation on the fact that whoever sets out for Hajj and he has goods to traffic therewith, his Hajj would be held valid for which he would receive reward, given that the intention pertaining to it is stained with a worldly fortune.

Regardless of what might be said in this respect, the right is to say that as long as the intention of Hajj is the main motive for setting out on journey, and the traffic no more than an assisting motive, he would get reward for the journey no matter how little or much it might be. In my sight, there is no differentiation, in relation to the fighters in the Cause of Allah, between fighting disbelievers in a place where there is a plenty of war spoils and fighting disbelievers in a place where there is a little or no spoils at all. It is unlikely to say that putting in mind that differentiation makes fruitless the entire reward of their Jihad. It is fair to say that if the main and principal motive is to make superior the word of Allah Almighty, while the desire for booty is secondary, the reward then would not become fruitless. It is true that his reward is not equal to him whose heart does not turn to the booty in principle, for this turning is shortage.

You may argue that the Holy Verses and traditions indicate that the stain of showing off thwarts the reward, and the same is true of the stain of pursuit of booty, traffic and all worldly fortunes. It is narrated on the authority of Tawus and others that a man asked the Prophet "peace be upon him" about him who does favor or gives in charity and likes to be praised for his deed: would he get reward for his deed? He "peace be upon him" did not know what to say to him until the following Holy Verse was revealed: " Whoever expects to meet his Lord, let him work righteousness, and, in the worship of his Lord, admit no one as partner." (Al-Kahf 110)

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾

(Ibn Abu Ad-Dunya and Al-Hakim). Of course, he intended to gather both reward and praise together.

It is narrated on the authority of Mu'adh "Allah be pleased with him" that the Prophet "peace be upon him" said: "The least degree of showing off is a kind of polytheism." (This is reported by At-Tabarani and Al-Hakim).

It is further narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" from the Prophet "peace be upon him" that he said: "It would be said to him who joined partners with Allah in the deed he did: "Take your reward from him for whom you did it."

It is narrated on the authority of Ubadah "Allah be pleased with him" that Allah Almighty says: "I am the most independent among those who are independent from any partner: whoever does a deed for Me in which he joins a partner with Me, I then give My portion to that partner." (Malik in his Muwatta').

It is also narrated on the authority of Abu Musa "Allah be pleased with him" that a Bedouin came to the Messenger of Allah "peace be upon him" and said: "O Messenger of Allah! A man fights out of bravery, and a man out of fanaticism, and a man fights in order for his high position to be known: Which of those fights in the Cause of Allah?" on that the Prophet "peace be upon him" said: "Whoever fights in order for the word of Allah to be superior fights in the Cause of Allah."

Umar "Allah be pleased with him" said: "You say that so and so is a martyr, and perhaps he (before he is killed) has filled in between his riding mount with silver coins."

It is narrated on the authority of Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" that he said: The Prophet "peace be upon him" said: "Whoever emigrates seeking anything of those worldly fortunes, then, it would be for him."

In reply to that, let me say that those Hadiths do not contradict what we have mentioned. They address such as does not intend by his deed but the worldly fortunes. We have mentioned that this is obedience and aggression, not because pursuing the worldly fortunes is unlawful. What is unlawful is to pursue it by the religious deeds, for that implies showing off and perverting the worship from its right place. We seek refuge with Allah Almighty from that. Man could hardly be free from those secondary stains except rarely, and of course they reduce the reward, but do not thwart it entirely.

But this does not mean that man, by so doing, is not on the verge of a great risk, for he might think that the stronger motive is the intention to come close to Allah, while the self fortunes prevail over his innermost secret. That is extremely hidden. Reward does not come but by the sheer sincerity, and a servant could hardly be certain of his sincerity, no matter how cautious he might be. For this reason, even after perfect industriousness, he still continues to be wavering between acceptability and rejection, lest his worship might have an evil whose unfavorable consequence is more than the reward expected from it. As such were the fearful from among these endued with deep insights, and as such everyone endued with insight should be.

That is the significance of the statement of Sufyan "may Allah have mercy upon him": "I do not mind about what seems from my deed."

According to Abd-Al-Aziz Ibn Abu Rawad "may Allah have mercy upon him": "I have lived neighboring that house for sixty years, and performed Hajj sixty times, and I have never done any of the deeds of Allah Almighty but that I counted myself and found that Satan's share in it is greater than Allah's. would that I neither have a reward nor bear a sin."

Nevertheless, the deed should not be left when there is fear from the evil of showing off, for that is the final purpose of Satan. The point here is that sincerity should not be lost. When one leaves the deed, he has indeed wasted both the deed and the sincerity together. According to Al-Fudail: "To leave the deed for the sake of people is showing off, and to do deeds for the sake of people is polytheism; and sincerity is that Allah delivers you from both."

CHAPTER THREE: TRUTH
ITS VIRTUE AND REAL NATURE

Explication Of Virtue Of Truth

Allah Almighty said: " Among the Believers are men who have been true to their Covenant with Allah." (Al-Ahzab 23)

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴿٢٣﴾ ﴾

The Messenger of Allah "peace be upon him" said: "No doubt, truthfulness leads to righteousness, and righteousness leads to Paradise, and one continues to tell the truth until he is written with Allah as a sincere affirmer of truth; and lie leads to wickedness, and wickedness leads to fire (of Hell), and one continues to tell lies until he is written with Allah as a liar." (Al-Bukhari and Muslim on the authority of Ibn Mas'ud).

It suffices for the virtue of truthfulness that Allah Almighty describes the Prophets "peace be upon them" as sincere affirmers of truth in His statement: "(Also) mention in the Book (the story of) Abraham: He was a man of truth: A prophet." (Maryam 41)

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾

And: "Also mention in the Book (the story of) Isma'il: he was (strictly) true to (what he promised, and he was a Messenger (and) a Prophet." (Maryam 54

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾

And: "Also mention in the Book the case of Idris: he was a man of truth (and sincerity), (and) a prophet." (Maryam 56)

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ ﴾

According to Ibn Abbas "Allah be pleased with them": "There are four characteristics, and whoever gets them has indeed profited: Truthfulness, modesty, good manners and gratitude."

According to Bishr Ibn Al-Harith "may Allah have mercy upon him":

"Whoever treats Allah with truthfulness gets estranged from the people."

According to Abu Sulaiman Ad-Darani "may Allah have mercy upon him": "Make truthfulness your riding mount, truth your sword, and Allah Almighty your finale."

A man said to a wise: "I have never seen a truthful person." On that he said to him: "Had you been truthful, you would have recognized the truthful."

It is narrated on the authority of Muhammad Ibn Ali Al-Kinani "may Allah have mercy upon him": "We have found that the religion of Allah Almighty is based on three principles: Truth, truthfulness and justice. Truth pertains to organs and parts of body, justice to hearts, and truthfulness to minds."

In his comment on the following statement of Allah Almighty: " On the Day of Judgment will you see those who told lies against Allah; their faces will be turned black; is there not in Hell an abode for the Haughty?" (Az-Zumar 60)

﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾

Ath-Thawri "may Allah have mercy upon him" said: "It is those who claimed the love for Allah Almighty to which they were not true."

Allah Almighty revealed to David "peace be upon him": "O David! Whoever is true to Me in his secret, I would confirm his truthfulness among the creatures in public."

According to a learned man: "There is a consensus among the religious scholars and jurists on three characteristics, and if they are held valid, salvation lies in them, and none of them could be achieved without the others: Faith in Islam that is pure from religious innovations and inclinations, truthfulness to Allah Almighty in deeds, and the lawfulness of sustenance."

According to Wahb Ibn Munabbih "may Allah have mercy upon him": "I have found on the margin of the Torah twenty-two pieces of wisdom which the righteous among the children of Israel used to gather on and study: "There is no treasure more beneficial than knowledge, nor is there wealth more profitable than forbearance, nor is there a status lower than anger, nor is there a companion more pleasing than the good deed, nor is there a friend more disgraceful than ignorance, nor is there honor more cherished than piety, nor is there is generosity more fulfilling than leaving inclination, nor is there a deed better than meditation, nor is there a good deed higher in rank than patience, nor is there a misdeed more shameful than arrogance, nor is there a medicine more lenient than kindness, nor is there an ailment more painful than foolishness, nor is there a messenger more just than the truth, nor is there an evidence more sincere in advice than truthfulness, nor is there poverty more humiliating than covet, nor is there richness more wretched than collecting wealth, nor is there a life more pleasing than health, nor is there a living more satisfying than chastity, nor is there a worship better than submission (of heart to Allah), nor is there asceticism better than satisfaction, nor is there a guard more keeping than silence, nor is there an absent closer than death."

According to Muhammad Ibn Sa'id Al-Marwazi "may Allah have mercy upon him": "If you seek Allah with truthfulness, He endows you with a mirror therewith to see everything of wonders of this world and the hereafter."

According to Abu Bakr Al-Warraq "may Allah have mercy upon him": "Observe truthfulness in what is between you and Allah, and kindness in what is between you and the people."

It was said to Sahl "may Allah have mercy upon him": "What is the foundation of that matter (of religion) on which we are?" He said: "Truthfulness, generosity and bravery." It was said to him: "Give us more." He said: "Piety, modesty and lawful sustenance."

It is narrated on the authority of Ibn Abbas "Allah be pleased with them" that he said: The Prophet "peace be upon him" was asked about perfection, thereupon he said: "To tell the truth, and act upon truthfulness."

In his comment on the following statement of Allah Almighty: " That (Allah) may question the (Custodians) of Truth concerning the Truth they (were charged with)" (Al-Ahzab 8)

﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ ﴿٨﴾ ﴾

Al-Junaid "may Allah have mercy upon him" said: "Those who are true to themselves would be questioned about the extent to which they are true to their Lord Almighty. That is, indeed, a very dangerous matter.

Explication Of Real Nature, Meaning And Ranks Of Truth

It should be known to you that truthfulness applies to six things: truthfulness in speech, truthfulness in intention and will, truthfulness in determination, truthfulness in fulfillment of determination, truthfulness in the deed, and truthfulness in achieving all stations of religion. Whoever is characterized by truthfulness in all of those six is a sincere affirmer of truth.

On the other hand, the truthful are of different ranks according to the fields to which they are true. Whoever has a fortune of truthfulness in anything of those six, he is regarded truthful but in relation with that very thing.

The first type: Truthfulness in speech. Its field is news and narrations. The news might pertain to the past or to the future, including the fulfillment of the promise. In this respect, it is incumbent upon every servant to keep his/her tongue, and not to tell but the truth. That is the most famous and prominent type of truthfulness. Whoever keeps his tongue from telling about things differently from what they really are is indeed truthful.

Therefore, this truthfulness has two supplementary conditions: the first is to avoid allusion and indirect reference to things. It is said that allusion acts on behalf of telling lies. What is forbidden concerning telling lies is to tell about a thing differently from what it really is. But in some cases, the allusion is needed and required to serve a particular benefit, like, for instance, disciplining children and women, caution from wrongdoers, fighting enemies, and avoiding their learning anything about the secrets of the king, and so on. Whoever is forced to do anything of that, his truthfulness in it is that his speech should be for the Sake of Allah Almighty, in so far as is commanded by truth and required by religion: if he observes that condition, then, he would be truthful in his speech even if he tells about the thing differently from what it really is, for truthfulness is not intended for itself in so much as to indicate and invite to the truth. So, let him regard not its external form but its internal significance.

It is true that in such cases, one should incline to allusion as much as is possible for him to do. Whenever the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" intended to set out for a holy battle, he would allude to another one, in order to conceal from the enemies the news of the originally intended battle. (This is reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of Ka'b Ibn Malik). That does not belong to telling lies at all.

In confirmation of that, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Not a liar is he who makes peace between two, by saying or conveying good words between them (on behalf of each other)." (Al-Bukhari and Muslim on the authority of Umm Kulthum Bint Uqbah Ibn Abu Mu'ait).

He "peace be upon him" gave concession to speak (be it true or false) according to what serves the benefit in three cases: Making peace between two persons, having two wives, and fighting in the Cause of Allah. Truthfulness in those cases turns to intention, according to which nothing is observed but the truthfulness of intention and will of good. If his purpose is valid, his intention is true, and his will is good, he would be truthful regardless of his speech, in which case, allusion is preferable.

The second condition is to observe the meaning of truthfulness in his words therewith he talks privately to his Lord Almighty. It is like his statement: "For me, I have set my face, firmly and truly, towards Him Who created the heavens and the earth, and never shall I give partners to Allah." (Al-An'am 79)

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾

If, while saying so, his heart is diverted from Allah Almighty, and rather devoted to worldly hopes and his own desires, then, he is a liar. The same applies to his statement: "You do we worship" and: "I am the servant of Allah": if he is not characterized by the real servitude and has another purpose than Allah Almighty, he would not be truthful in his speech, and on the Day of Judgement, if he is asked to prove his servitude to Allah Almighty, he would fail to confirm it. That is because if he is a servant of himself, a servant of his world, or a servant of his desires, of a surety, he would not be true to his statement that he is a servant of Allah Almighty. That is the meaning of truthfulness in speech.

The second type: Truthfulness in intention and will. That kind goes back to sincerity. That is, there is no motive for his movement and stillness other than Allah Almighty. If it is stained with any of the worldly fortunes, then the truthfulness of intention would become invalid, and by that consideration, it is possible to call him a liar. A righteous said: "Truthfulness is to observe the oneness of Allah in your purpose." In confirmation of that, Allah Almighty said: " When the Hypocrites come to you, they say, "We bear witness that you are indeed the Messenger of Allah." Yea, Allah knows that you are indeed His Messenger, and Allah bears witness that the Hypocrites are indeed liars." (Al-Munafiqun 1)

﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾

Although they told the truth when they said that he is the Messenger of Allah,

Allah Almighty described them as liars, not in terms of their speech, but in terms of their intention and mysteries of hearts. Thus, one meaning of truthfulness goes back to the true intention, which is sincerity. Every truthful should be sincere in his intention.

The third type is truthfulness in determination. A man might have determination first before deed, saying: "If Allah bestows money upon me, I would give in charity", and "If I meet an enemy, I would fight in the Cause of Allah Almighty", and "If Allah Almighty endows me with an office of ruling, I would do justice and not disobey Allah Almighty", etc. That determination might coincide with truthful and perfect power in himself, or hesitation, reluctance or inclination in it, that contradicts truthfulness. Here, the truthful or sincere affirmer of truth is he whose determination coincides with perfect power in all good things, with neither reluctance, nor hesitation, nor inclination from it. It is the same as stated by Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him": "To move forward with my head being chopped off is better for me than to be a ruler over a people including Abu Bakr "Allah be pleased with him"." He found in himself the decisive determination and truthful love not to be a ruler in presence of Abu Bakr "Allah be pleased with him".

Of a surety, the sincere affirmers of truth in determination are of different ranks: One might have determination, but not strong enough to lead him to accept killing. Moreover, among the truthful believers, there was such as if he was given the freedom to choose whether he or Abu Bakr should be killed, his life would be dearer to him than that of Abu Bakr "Allah be pleased with him"

The fourth type: Truthfulness in fulfillment of determination. The soul might have an immediate determination to do a particular deed, since there is no trouble nor difficulty in giving a promise. But when one comes to do the promised deed, his determination would weaken before the prevailing desires, and thus he would not be able to fulfill his determination. That contradicts truthfulness in it. This is the significance of the statement of Allah Almighty: " Among the Believers are men who have been true to their Covenant with Allah." (Al-Ahzab 23)

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾

It is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" from his paternal uncle Anas Ibn An-Nadr "Allah be pleased with him" that he did not attend the holy battle of Badr with the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". He felt it difficult on himself and said: "I was absent from the first holy battle fought by the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". By Allah, if Allah gives me the opportunity to attend another holy battle with the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" I would show to Allah what I am going to do in fighting." In the coming year, he attended the holy battle of Uhud. Sa'd Ibn Mu'adh "Allah be pleased with him" received him and asked him: "Where are you going O Abu Amr?" He said: "How pleasant the smell of Paradise is! Indeed, I detect its smell behind Uhud." He fought until he was killed, and over eighty sword strikes and arrow shots were found in his body. His sister (Ar-Rubai) Bint An-Nadr said: "I have never recognized the body of my brother except from the dress he was wearing." On

that occasion, the following Holy Verse was revealed: " Among the Believers are men who have been true to their Covenant with Allah." (Al-Ahzab 23)

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴿٢٣﴾ ﴾

(This is reported by At-Tirmidhi).

It is further narrated that on the day of the holy battle of Uhud, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" stood at the body of Mus'ab Ibn Umair "Allah be pleased with him" while he was lying on his face as a martyr, and he was the carrier of the flag of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" on that day. On that he said: "Among the Believers are men who have been true to their Covenant with Allah: Of them some have completed their vow (to the extreme), and some (still) wait: But they have never changed (their determination) in the least." (Al-Ahzab 23)

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾

(Abu Na'im in his Hilyah on the authority of Ubaid Ibn Umair)

It is narrated on the authority of Fadalah Ibn Ubaid that he said: I heard Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" saying: I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying: "The martyrs are four types: (The first is) a believing man of good faith who met the enemy and was true to Allah in fighting until he was killed: It is that to which the people would raise their eyes on the Day of Judgement as such" and he raised his head until his hat fell down from him. The sub-narrator said: "I do not know whether it was the hat of Umar "Allah be pleased with him" or the hat of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" which fell down." "(the second is) a man of good faith, and when he met the enemy, he seemed as if his face was beaten with thorns, and while being so, he received an arrow and was killed: He would be in the second rank. (The third is) a believing man who mixed a righteous deed with a bad deed, and when he met the enemy, he was true to Allah in fighting until he was killed: such would be in the third rank. (The fourth) is a man who transgressed against his soul, and when he met the enemy, he was true to Allah in fighting until he was killed: that would be in the fourth rank." (At-Tirmidhi).

Mujahid "may Allah have mercy upon him" said: Two men came out before an audience and said: "If Allah Almighty bestows upon us wealth we would give in charity." But when Allah gave them wealth, they withheld it. On that occasion, Allah Almighty revealed: " Amongst them are men who made a Covenant with Allah, that if He bestowed on them of His bounty, they would give (largely) in charity, and be truly amongst those who are righteous. But when He did bestow of His bounty, they became covetous, and turned back (from their Covenant), averse (from its fulfillment). So He has put as a consequence Hypocrisy into their hearts, (to last) till the Day whereon they shall meet Him: Because they broke their Covenant with Allah, and because they lied (again and again)." (At-Tawbah 75-76)

﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن

فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾

That type of truthfulness is more severe on the people than the previous one. One might have determination to do a thing, and when it comes to implementation, he fails to fulfill his promise to do it, in view of his prevailing desire and inclination. For this reason, Umar "Allah be pleased with him" made exception in his statement when he said: "To move forward with my head being chopped off is better for me than to be a ruler over a people including Abu Bakr, unless myself makes alluring to me something at the time of killing which I do not detect now, for I do not feel safe that killing would be severe on it for which it might change and swerve from its determination."

The fifth type: Truthfulness in deeds. It is that one endeavors in order that his external deeds would not give false impression in opposition to what is really lurking within himself. It is not to leave the deeds in so much as to strive his utmost to make his inward confirm his outward behaviors. That is quite different from showing off, for the dissembler is he who does so intentionally, i.e. to make his apparent deed give false impression of his internal secret. One might seem to stand submissive in his prayer, but not with the intention that people should see him, and his heart is heedless of prayer. Whoever looks at him sees him standing in front of Allah Almighty, while his heart is engaged in his worldly desires and inclinations.

This kind of deeds gives false impression of the internal secret, in which one is liar and not truthful, although he does not do so with the intention to be seen of men. One could be saved from that only by being in secret just like being in public, i.e. to make his inside similar to, if not better than, his outside. In sum, if the outward appearance is different intentionally from the inward thoughts, then, it is called showing off, therewith sincerity is lost, and if it is different unintentionally, then, truthfulness is lost.

That is the significance of the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in his supplication: "O Allah! Make my secret better than my public, and make righteous my public."

According to Yazid Ibn Al-Harith: "If one's secret is similar to his public, then, that is justice; and if his secret is better than his public, then, that is excellent; and if his public is better than his secret, then, that is injustice."

According to Atiyyah Ibn Abd-Al-Ghafir: "If the believer's secret agrees with his public, Allah Almighty then commends him before angels, saying: 'That is really My servant.'"

According to Abd-Al-Wahid Ibn Zaid: "Whenever Al-Hassan ordered the people to do anything, he would act upon it most among them, and whenever he forbade them to do anything, he would leave it most among them. I have never seen a man whose secret is similar to his public than him "may Allah have mercy upon him"."

Overall, to have one's secret similar to (if not better than) his public, is a kind of truthfulness that is required from all the servants.

The sixth type: Truthfulness in the stations of religion. It is the highest degree and the dearest kind of truthfulness. It is like truthfulness in the stations

of fear, hope, honoring, asceticism, contentment, reliance (on Allah), love (for Him), and all such stations. Those stations have starting points, ending points, and final facts, and the truthful is he who attains their final facts.

In confirmation of that, Allah Almighty said: " Only those are Believers who have believed in Allah and His Messenger, and have never since doubted, but have striven with their belongings and their persons in the Cause of Allah: such are the sincere ones." (Al-Hujurat 15)

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾

And: "But it is righteousness to believe in Allah and the Last Day...Such are the people of truth, the God-fearing." (Al-Baqarah 177)

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ﴾

It is narrated that Abu Dharr "Allah be pleased with him" was asked about faith thereupon he recited that Holy Verse. It was said to him: "We asked you about faith!" he said: "I asked the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" about faith, thereupon he recited to me that Holy Verse."

Therefore, to attain the final facts of those stations is very difficult, for they are infinite. But every servant has a certain fortune from them in accordance with his state of weakness and strength. The stronger his fortune is, the closer he is to truthfulness, and vice versa. The gnosis of Allah Almighty, honoring Him and fear of Him are never-ending.

For this reason, the Prophet "peace be upon him" said to Gabriel "peace be upon him": "I like to see you in your real form on which you are created." He said: "You could not endure that." He said: "No, let me see you." He gave him an appointment in Baqi' on a night in which the moon was full, and when he came to him, the Prophet "peace be upon him" looked at him and behold! He filled the horizons, i.e. the sides of the sky. On that the Prophet "peace be upon him" fell unconscious. When he restored his consciousness, Gabriel "peace be upon him" had returned to his form in which he used to appear to him. The Prophet "peace be upon him" said: "I have never think that there is such one among the creatures of Allah." Gabriel "peace be upon him" said to him: "Then, what do you think if you see Israfil? Indeed, the Throne (of Majesty) is on his shoulder, and his feet are penetrating underneath the farthest end of the lowest earth. But even, he shrinks, out of the grandeur of Allah Almighty, until he becomes like a swallow." Consider then how grandeur and majesty overwhelm him so much that he is reduced to such a state. All the angels are not like this, due to their disparity in gnosis. That is the truthfulness in honoring.

It is further narrated on the authority of Jabir "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "On the night I was made to set out on a night journey to the heaven, I came upon the highest company (of angels and Prophets), and Gabriel was as quiet as a worn-out covering (that is thrown on the camel's back), out of fear and honoring of Allah Almighty." (Al-Baihaqi on the authority of Anas).

Although the Companions were fearful, they never attained the degree of the

fear of the Prophet "peace be upon him". The Prophet "peace be upon him" said: "None shall attain the real nature of faith until he sees all the people like the dung in comparison with Allah, and when he returns to himself, he sees it the most despicable of them all."

On the other hand, the degrees of truthfulness are never-ending. If one is truthful in all those stations, he then is the sincere affirmer and lover of truth. But the people are different in their truthfulness according to their fortunes from them. According to Sa'd Ibn Mu'adh "Allah be pleased with him": "There are only three things in which I am strong, and in all things other than them, I am weak: I have never offered a prayer during which I engaged in a self talk until I finished from it; nor have I attended a funeral procession during which I engaged in anything other than it until its burial was finished; nor have I heard anything from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" but that I thought it to be true." In his comment on that, Sa'id Ibn Al-Musayyab "may Allah have mercy upon him" said: "I have never thought that those characteristics could gather but in the Prophet "peace be upon him"." Many are the companions who offered prayers and attended funeral processions, and did not attain such a high degree of truthfulness.

According to Abu Bakr Al-Warraq: "Truthfulness are of three kinds: the truthfulness of monotheism, the truthfulness of obedience, and the truthfulness of gnosis. The truthfulness of monotheism implies the laymen of believers. Allah Almighty said: " And those who believe in Allah and His Messengers, they are the Sincere Lovers and affirmers of Truth." (Al-Hadid 19)

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ﴾

The truthfulness of obedience includes those of knowledge and abstention. The truthfulness of gnosis implies those alliance of Allah Almighty, which are like the mountains on the earth."

According to Ja'far As-Sadiq: "Truthfulness is self-mortification and not to give preference to anyone over Allah Almighty in the same way as He does not give preference to anyone over you, as shown in His statement: "He has chosen you." (Al-Hajj 78)

﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾

It was revealed to Moses "peace be upon him": "If I love a servant, I would try him with distresses so heavy and severe that even the mountains could not withstand in order to see his truthfulness: If I found him truthful, I would take him as an ally and beloved, otherwise, if I find him complaining Me to My creatures, I would disappoint him and care not." Among the signs of truthfulness is to conceal both adversities and acts of worship, and dislike to show them to anyone of the people.

That is the end of the book of truthfulness and sincerity, and it would be followed by the book of watching and reckoning, and praise be to Allah.

Book eight: Watching and reckoning

It is the eighth book of the quarter of saviors of the revival of religion sciences

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

Praise be to Allah, Who stands over every soul (and knows) all that it does, watches over every organ and knows what it commits, learns the secrets of the hearts when they have an inner thought, and accounts the passing thoughts of His servants when they are disturbed, from Whose knowledge nothing even as little as an atom's weight in the heavens and on earth escapes, Who would reckon His servant for all of their deeds, be they significant or insignificant, Who accepts the acts of worship from His servants, no matter how little they might be, and forgives for them their sins no matter how great they might be: Exalted be He Whose favor extends over all servants, and Whose mercy encompasses all the creatures in the world and hereafter. By virtue of His gifts, the hearts expand to faith, by virtue of His success and help, the organs and parts of body are devoted to and disciplined by the acts of worship, by virtue of His guidance, the darkness of ignorance is removed from the hearts, by virtue of His support, the plots of Satan become futile, and by virtue of His care, the scale of good deeds overweighs (that of misdeeds in the hereafter).

Allah's blessing and peace be upon Muhammad, the chief of all the Prophets and Messengers, and upon his family, the chiefs of the people, and his companions, the leaders of the pious and righteous. Coming to the point:

Allah Almighty said: " We shall set up scales of justice for the Day of Judgment, so that not a soul will be dealt with unjustly in the least. And if there be (no more than) the weight of a mustard seed, We will bring it (to account): and enough are We to take account." (Al-Anbiya' 47)

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

And: " And the Book (of Deeds) will be placed (before you); and you wilt see the sinful in great terror because of what is (recorded) therein; they will say, "Ah! woe to us! what a Book is this! it leaves out nothing small or great, but takes account thereof!" they will find all that they did, placed before them: and not one will your Lord treat with injustice." (Al-Kahf 49)

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾

And: "On the Day that Allah will raise them all up (again) and show them the truth (and meaning) of their conduct. Allah has reckoned its (value), though they may have forgotten it, for Allah is Witness to all things." (Al-Mujadilah 6)

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

And: " On that Day will men proceed in companies sorted out, to be shown the Deeds that they (had done). Then shall anyone who has done an atom's weight of good, see it! And anyone who has done an atom's weight of evil, shall see it." (Az-Zalzalah 6-8)

﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾

And: "And fear the Day when you shall be brought back to Allah. Then shall every soul be paid what it earned, and none shall be dealt with unjustly." (Al-Baqarah 281)

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

And: "On the Day when every soul will be confronted with all the good it has done, and all the evil it has done, it will wish there were a great distance between it and its evil. But Allah cautions you (to remember) Himself. And Allah is full of kindness to those that serve Him." (Al Imran 30)

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾

And: " And know that Allah knows what is in your hearts, and take heed of Him; and know that Allah is Oft-Forgiving, Most Forbearing." (Al-Baqarah 235)

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾

Thus, those endued with insights came to know that their Lord is (as a Guardian) on a watch-tower over them, and that on the Day of Judgement, they would be called to account, and questioned about even the atom's weights of passing thoughts and glances. Moreover, they have become certain that nothing would save them from that except their accounting and watching over themselves at every moment in this world. That is because whoever accounts himself in this world before he would be called to account, no doubt, his reckoning on the Day of Judgement would be lightened from him, but whoever does not account himself in this world, would persist in grief and regret, and his standing on the Day of Judgement would be very long, and his sins would lead him to humiliation and disgrace.

When this fact was exposed to them, they came to know that nothing would save them from that unfavorable consequence other than their obedience to Allah, Who commanded them to adhere to patience as he stated: " O you who believe! persevere in patience and constancy; vie in such perseverance; remain positioned permanently to guard yourselves; and fear Allah; that you may prosper." (Al Imran 200)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

They first remained positioned in guard of themselves by putting conditions, then by watching, then by reckoning, then by punishing themselves, then by

mortifying themselves, and finally by admonishing themselves. In this way, they have six stations concerning their being positioned in guard of themselves. Each of those should be explained in detail to explicate its virtue and real nature. The origin of them all is reckoning. But every kind of reckoning follows putting conditions and then watching, and in the event of loss, it leads to admonishment and punishment. So, let us go on explicating those stations, and success is with Allah Almighty.

CHAPTER ONE
FIRST STATION: PUTTING CONDITIONS

It should be known to you that the final demand of those involved in traffic who share in commodities and goods at the time of accounting is the sound profit. As well as the trader gives his property to his partner to invest it in traffic, and in the end he accounts him, the mind in this issue stands for the trader on the way to the hereafter. The profit he demands is the purification of the soul, therewith it prospers. In confirmation of that, Allah Almighty says: " Truly he succeeds that purifies it, And he fails that corrupts it!" (Ash-Shams 9-10)

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝ ﴾

To be sure, its prosperity results from the righteous deeds. The mind seeks the aid of the soul in this trade, by using and subjugating it in what justifies and purifies it, in the same way as a trader seeks the aid of his partner to invest his wealth for him.

As well as the partner might turn into a foe to dispute with him over the profit, and this is why he needs first to put conditions on him, second to watch over him, third to account him, and fourth to punish or admonish him, similarly, the mind needs first to put conditions on the soul, by offering to it the duties and stipulating the necessary conditions, and guiding it to the way of prosperity, and asking it with firmness to follow the ways that are shown to it. Then, it does not neglect to watch over it even for a single moment, for were it to indulge in watching over it, it would prove treacherous and waste the capital.

After finishing from that, it should account it, and ask it to fulfill the conditions put on it. That is a traffic whose profit is the supreme Paradise, and attainment of the Lote Tree with the Prophets and martyrs. So, to account the self minutely is more important than to account anyone else in the profits of this world, given that they are despicable in comparison with the never-ending bliss of the hereafter. Whatever the worldly profits might be, they are perishable, and no good lies in a good that is perishable:On the contrary, perishable evil is better than perishable good, for when evil perishes, the pleasure with its disappearance becomes permanent, whereas the sorrow for the loss of the perishable good survives forever.

For this reason, it is incumbent on everyone who has faith in Allah and the Last Day not to indulge in accounting himself and making it tight upon it in its motion and stillness, passing thoughts and steps. Every breath one takes during his lifetime is a precious gem that could never be substituted, for by which a

treasure could be purchased, whose bliss is inexhaustible.

When one gets up in the morning and offers Fajr prayer, he should dedicate his heart for an hour to put conditions on himself, saying to it: "I have no good to traffic with other than the lifetime, and once it is over, the capital is consumed. That new day is a respite given to me by Allah Almighty, and were He to send me to death, I would hope that He should return me to the world even for one day to work righteousness. So, work as if you died and then returned once again to this world. Beware and beware of wasting any moment of that day, for any breath I take is a precious gem that could not be valued.

Furthermore, it should be known to you, O soul, that every day and night consists of twenty-four hours. It is narrated that "per a day and a night, twenty-four stores set in rows are spread before the servant. One of them is opened to him which he sees filled with lights, representing the good deeds he has done at that certain hour, for which he becomes joyful and cheerful because of seeing those lights, which are his means with Allah the Sovereign, so much that were it to be distributed among the denizens of the fire, that joy would dazzle them from feeling the pain of the fire. At the same time, another black dark store is opened to him, exuding stink whose darkness overwhelms him, representing the hour in which he has committed sins, for which he receives of terror and horror so much that were it to be distributed among the inhabitants of Paradise, it would distract their pleasure and delight in it. A third empty store is opened to him, having nothing to please or aggrieve him."

Thus, he should ask himself to strive its utmost to fill its store with good things on that very day, and not to rely on laziness and idleness, lest it would lose the high degrees of Illiyyun that others might attain, which brings about never-ending grief and regret, even were such to be forgiven and admitted to the Garden. A wise man said in this connection: "Suppose that the evildoer is forgiven, is it not that he would lose the reward of the doers of good?" by that, he refers to the loss and grief such would receive. In confirmation of that, Allah Almighty said: " The Day that He assembles you (all) for a Day of Assembly, - that will be a day of mutual loss and gain (among you)." (At-Taghabun 9)

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴾

As such his advice to his soul during his different times should be.

After that, he should resume advising it concerning its seven organs: the eye, the ear, the tongue, the abdomen, the genitals, the hand and the foot. These are servants to his soul in that traffic. For the Hell, there are seven gates, to each of which a portion is allotted. Those gates are assigned to the sinners according to the organ with which they disobey Allah. Thus, one should advise them to safeguard themselves from committing sins as follows:

The eye should be kept from looking at the unlawful, or looking at a Muslim with the eye of contempt, and in sum from looking at what is dispensable, for Allah Almighty would question the servant about his dispensable glances, in the same way as He would ask him about the useless speech. Once he diverts it from that, he should immediately engage it in what is profitable for it, i.e. to do only

that for which it is created. He should look at the wonders of the making of Allah Almighty with the eye of consideration to take lessons to learn, to look at the good deeds to take them as example to follow, to look at the Book of Allah and the sunnah of His Messenger "peace be upon him", and to go through the books of wisdom and knowledge to receive admonition and get benefit.

He should do the same concerning all organs, particularly the tongue and the abdomen. As far as the tongue is concerned, it is free in talking, and there is no restriction on it. Its crime is severe concerning backbiting, talebearing, telling lies, giving prestige to oneself, criticizing and condemning others, invoking evil on enemies and disputation in speech, etc. But it is created only to persist in remembrance and reminding others of Allah Almighty, learning and teaching, guiding the servants to the way of Allah Almighty, making peace and reconciliation between people, and the like of such good things. So, one should put condition on himself not to move his tongue during the day but in remembrance of Allah Almighty. One's speech should be remembrance, his look consideration, and his silence meditation: " Not a word does he utter but there is a sentinel by him, ready (to note it)." (Qaf 18)

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾

As for abdomen, one should force himself to leave greed and not eat but from the lawful, avoid what is suspicious, withdraw from appetence, and restrict himself only to what is necessary to sustain him. In this issue, he should put condition on himself that in case she does anything in opposition to that, he would punish it by withholding all abdominal appetites from it, so that it would lose more than what it gains.

As such he should put conditions on himself concerning all organs and parts of body. Then, he should resume his advice to it concerning the regular acts of worship which he does daily, and then the supererogatory deeds which he has power to do. Those conditions are lacking everyday. But if one gets accustomed to do so for many days and his soul complies with him in fulfillment of them, then there is need for him to repeat putting such conditions everyday. If it complies with him in part and not in all, he still needs to put conditions at least in the remaining part. But even, everyday, there is a new event that requires a new ruling and prescription, in which Allah Almighty has a right on him. That applies most to him who is engaged in anything of the worldly occupations, for no day could pass without a new incident in which he needs to observe the right of Allah. He then should put condition on himself to adhere to uprightness and honesty, comply with the truth concerning its course, and beware of the evil consequence of negligence.

That is the beginning stage of being positioned in guard of oneself. It is to reckon the self before the deed. However, reckoning might be after or before the deed by means of warning of what would be in the future, as confirmed by the statement of Allah: " And know that Allah knows what is in your hearts, and take heed of Him; and know that Allah is Oft-Forgiving, Most Forbearing." (Al-Baqarah 235)

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾

In confirmation of such reckoning, Allah Almighty says: "O you who believe! when you go abroad in the cause of Allah, investigate carefully." (An-Nisa' 94)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ ﴿٦﴾ ﴾

And: "O you who believe! if a wicked person comes to you with any news, ascertain the truth, lest you harm people unwittingly, and afterwards become full of repentance for what you have done." (Al-Hujurat 6)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ
فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾

And: "It was We Who created man, and We know what dark suggestions his soul makes to him: for We are nearer to him than (his) jugular vein." (Qaf 16)

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾

He said so by means of warning of what would be in the future.

In this respect, it is narrated on the authority of Ubadah Ibn As-Samit that the Prophet "peace be upon him" said to a man by way of instruction: "If you intend to do a thing, then, think first about its consequence: if it is right, then, do it, otherwise, desist from it."

According to a wise man: "If you like your mind to prevail over your inclination, then, do not behave in response to the desire immediately, until you think about the consequence: indeed, regret resides in the heart longer than does the relief of desire."

According to Luqman: "If a faithful believer sees the consequence (before he does anything), he would be safe from regret."

It is further narrated on the authority of Shaddad Ibn Aws "Allah be pleased with him" from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that he said: "The intelligent among the people is he who accounts himself (during his lifetime), and works for what is to come after his death; and the foolish is he who subjugates his soul to its inclination and then expects from Allah (to forgive for him)."

According to Umar "Allah be pleased with him": "Reckon yourselves before you would be called to account (on the Day of Judgement), and weigh them before you would be weighed and be ready for the greater display."

He wrote the following phrase to Abu Musa Al-Ash'ari "Allah be pleased with him": "Account yourself at the time of ease even before you do at the time of adversity." He asked Ka'b "Allah be pleased with him": "How do you find it in the Scripture?" he said: "Woe to the accountant of the earth from the Accountant of the heaven." He struck him with the stick and said: "Except for such as reckons himself." On that Ka'b said to him: "O Commander of Believers! That (which you have said) is besides (what I have said) in the Torah, with nothing between them."

CHAPTER TWO
SECOND STATION: WATCHING

Once a man put such conditions on himself, there still remains his role of watching and observing it with the watching eye. That is because were it to be left freely, it would transgress the due bound and become corrupt. So, let us here mention first the virtue of watching, and then its different degrees.

Explication Of Virtue Of Watching

It is narrated on the authority of Abu Hurairah (Al-Bukhari) and Umar (Muslim) "may Allah be pleased with them" that Gabriel "peace be upon him" appeared in the form of a good-looking man and asked the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" about Ihsan (faithfulness), thereupon he said: "It is to worship Allah as if you see Him, and it is true that you really do not see Him, you should put in mind that He sees you."

Allah Almighty said, in confirmation of that: " Is then He Who stands over every soul (and knows) all that it does, (like any others)?" (Ar-Ra'd 33)

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾

And: "Knows he not that Allah does see?" (Al-'Alaq 14)

﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾

And: "for Allah ever watches over you." (An-Nisa' 1)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

And: "Those who faithfully observe their trusts and their covenants." (Al-Mu'minun 8)

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾

Ibn Al-Mubarak "may Allah have mercy upon him" said to a man: "Watch (the commandments of) Allah Almighty." He asked him about its interpretation, thereupon he said to him: "Be as if you ever see Allah."

According to Abd-Al-Wahid Ibn Zaid "may Allah have mercy upon him": "If my master watches over me, then, I do not care about anyone else."

According to Abu Uthman Al-Maghribi: "The best thing to which one should adhere in this way is accounting and watching of himself, and driving his work with the help of knowledge."

According to Ibn Ata': "The best act of worship is to watch over the Real (the commandments of Allah) all the time."

According to Al-Jariri: "This matter (of religion) of ours is based on two principles: to adhere to watching over (the commandments of) Allah Almighty, and make knowledge stand to lead your outward behaviour."

According to Abu Uthman: Abu Hafs said to me: "When you sit to instruct the people, instruct first yourself, and do not be deceived by their gathering round you, for they indeed watch over your outward conduct, whereas Allah Almighty watches over your inward secret."

It is related that a Shaykh had a student whom he honored and highly

esteemed. His colleagues, who were older than him, complained to the Shaykh how he made that young man more eminent than them. To prove his worth of that estimation, he invited all of them and gave each a bird and a knife and asked each of them to slay his bird in a place where none could see him. All of them returned some time later with their birds slain, except for that young man who returned with his bird still living. He asked him why he had not slain it, thereupon he said to him: "I have not found a place where none could see me, for Allah Almighty watches over me wherever I am." They appreciated from him that watching (of the commandments of Allah) and said: "You are worthy of honoring more than us."

It is further narrated that when Zulaikhah intended to have sexual relation with Yusuf "peace be upon him" she stood and covered the face of an idol which she worshipped. On that he said to her: "What is wrong with you? Do you feel shy of watching a non-living being and I do not feel shy of watching (Allah) the Irresistible Sovereign?"

It is further related that a young man seduced a girl to have sexual relation with her and she said to him: "Do you not feel shy?" he said: "Of whom should I feel shy given that none sees us other than the stars?" she said: "Then, where is the Creator of those stars?"

According to Malik Ibn Dinar "may Allah have mercy upon him": "There are Gardens of Eden, from those of Paradise, in which there are houris created from the roses of Paradise." He was asked: "Then, who would live in them?" he said: Allah Almighty says: "Such as live in the Gardens of Eden are those who, when they intend to do sins, remember My grandeur and then watch Me, whose backs bow out of fear of Me. By My Honor and Glory, I intend to send punishment on the inhabitants of the earth, and once I look at those who are hungry and thirsty for fear of Me, I divert punishment from them."

When Al-Muhasibi "may Allah have mercy upon him" was asked about watching (of Allah) he said: "The first step of it is the heart's knowledge of the nearness of Allah Almighty."

It is narrated that Allah Almighty said to the angels: "You are entrusted to watch the outward conduct, and I am watcher over the inward secrets."

According to Sahl "may Allah have mercy upon him": "The heart does not get adorned with anything better and more honorable than the servant's knowledge that Allah is witness and watcher over him wherever he is ."

When a wise man was asked about the following statement of Allah Almighty: " Allah well pleased with them, and they with Him: all this for such as fear their Lord and Cherisher" (Al-Bayyinah 7)

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾

He said: "It is he who watches (the commandments of) his Lord, reckons ".himself and gets provision for his place of return

Dhun-Nun was asked: "By which should one attain Paradise?" He said: "By five things: uprightness in which there is no crookedness, vigilance in which there is no forgetfulness, watching (the commandments of) Allah Almighty in secret

and public, expecting death by getting ready for it, and reckoning yourself before you would be reckoned."

Humaid At-Tawil said to Sulaiman Ibn Ali: "Instruct me." He said: "If you disobey Allah while you are in privacy thinking that He sees you, then, you have dared to commit a grievous thing; and if you think that He sees you not, then, you have disbelieved in Allah."

According to Sufyan Ath-Thawri "may Allah have mercy upon him": "You have to watch (the commandments of) Him from Whom nothing is hidden, hope in the One Who has the power to fulfill the promise, and beware of Him Who has the power to punish."

It is narrated on the authority of Abdullah Ibn Dinar that he said: I set out in the company of Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" to Mecca and on the way we halted to spend the night for rest. Then, a shepherd came down towards him from the mountain and Umar said to him: "O shepherd! Sell me a goat." He said: "I am a slave (and those goats belong to my master)." He said: "Tell him that the wolf has eaten it." He said: "Then, where is Allah?" on that Umar wept and in the morning he went and bought that slave from his master and emancipated him. He said to him: "This word emancipated you in this world, and I expect it would emancipate you (from the fire) in the hereafter."

Explication of real nature and degrees of watching

It should be known to you that watching, in its real nature, is to observe the watcher, and devote the whole attention to him. Whoever avoids doing anything for the sake of somebody, it is said that he watches him, and observes his sake. Watching then is a state of the heart produced from knowledge. This state is reflected on the works of organs and the heart. As for the state, it is that the heart observes the watcher, is devoted and concerned with him. As for the knowledge which produces that state, it is the awareness of the fact that Allah Almighty knows all things concerning the innermost secrets and intentions, watches over the works and deeds of the servants, and stands over every soul and knows all that it does, and that the secret of the heart is exposed to Him in the same way as the outward conduct is exposed to the people.

Once this knowledge becomes certain, i.e. has no doubt at all, it then possesses and prevails over the heart. Such as have that certain knowledge are the closest to Allah Almighty. They are divided into the sincere affirmers of truth, and the companions of the right hand. Their watching is of two degrees:

The first degree is the watching of the nearest (to Allah) among the sincere affirmers of truth. It is the watching of honoring and veneration. That is, the heart is entirely engaged in observation of that glory and majesty, to the extent that it has no place to care about anything else. But we do not want to talk much about the works of that watching in detail, for it is restricted to the heart, whereas the organs abstain from turning to the permissible, let alone the forbidden. It is that man whose concerns turn into only one for Allah Almighty suffices him all concerns and anxieties. Whoever attains that degree becomes heedless of all the people, so much that he never sees who is with him given

that his eyes are open, nor hears what is said to him, given that his ears are sound. That is not impossible. One might be wholeheartedly concerned even with anything or anyone in this world, which is despicable in comparison with the Sovereign of the world, to the extent that he does not sense anything else.

It was said to Abd-Al-Wahid Ibn Zaid: "Do you know that anyone in this time of yours is entirely engaged in his own state from anything else in this world?" he said: "I do not know but a man who would enter upon you this hour." A short while later, Utbah Al-Ghulam came in, to whom Abd-Al-Wahid said: "From where have you come O Utbah?" he said: "From such and such a place" on the way of the market. He asked him: "Whom have you met on the way?" he said: "I have met none."

It is related that Yahya Ibn Zakariyya "peace be upon him" passed by a woman whom he pushed and she fell down on the ground. He was asked: "Why have you done so?" he said: "I did not think her to be but a wall."

It is further related on the authority of a man who said: "I came upon a group of people fighting each other, and there was one sitting apart from them. I moved forward towards him to talk to him and he said: "The remembrance of Allah Almighty is more pleasant." I asked him: "Are you alone?" he said: "I have my Lord and two angels." I asked: "Who among those started first?" he said: "He, for whom Allah has forgiven." I further said to him: "Where is the right way?" he beckoned to the sky and then stood and went away, saying: "Most of Your creatures are occupied from You.""

That is a speech of one who is wholeheartedly engaged in contemplation of Allah Almighty: he never speaks but from Him, nor hears but in Him. Such does not need to watch his organs and tongue, for they never move but within the limit of the state in which he is.

The second degree is the watching of the pious among the companions of the right hand. They have certainty of faith in Allah's knowledge of their outward and inward conduct and hearts. But their observation of glory and majesty does not confound their hearts: they rather remain in the moderate state, having a place to turn to different states and works, along with their watching and observation (of majesty and glory). It is true that their shyness from Allah Almighty prevails over them to the extent that they neither do nor abstain from doing anything before verifying of its validity. They also refrain from anything that might expose them to shame on the Day of Judgement. Since they see that Allah Almighty learns all things about them in this world, they do not need to wait the Day of Judgement.

Whoever is in that degree needs to watch all of his movements and stillness, passing thoughts and glances, and in sum, all his preferences. He should regard them twice: once before the deed and the other during the deed.

As for the consideration before the deed, he should check whether what seems to him and motivates him to do a thing is just for the Sake of Allah Alone or in compliance with the inclination of the soul and fulfillment of Satan's desires. He should stop at it until it is revealed to him by the light of the truth: if it is for the sake of Allah Almighty, let him implement it; and if it is for the sake of

anything else, let him feel shy of Allah, and desist from it, and blame himself for thinking about doing it. That pause in the beginning of matters until their reality are revealed is inevitable and there is no way to discard it. In confirmation of that, it is narrated that "Concerning every movement made by a servant, no matter how trivial it might be, three records are spread out: the first pertains to the reason, the second to the way it is done, and the third to the purpose of doing it."

Once a servant knows that he would be given to such demands and rebuke in case his work is done for anything or anyone other than Allah Almighty, of a surety, he would demand himself before it would be demanded (in the hereafter), and prepare an answer to the question. Let his answer be right. Let not him do anything before verification of its validity, nor move his eyelid nor his finger before meditation.

In confirmation of that, it is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Mu'adh Ibn Jabal "Allah be pleased with him": "The man would be questioned even about applying kohl to his eyes, rubbing clay and touching the garment of his brother with his fingers."

According to Al-Hassan "may Allah have mercy upon him": "It was the habit of the righteous predecessors that whenever anyone of them wanted to give in charity, he would think and verify first: If it would be for the sake of Allah Almighty Alone, he would implement it, otherwise, he would not do it."

That is the first (pre-work) consideration in that watching, from which none is delivered except by strong knowledge and real gnosis of the mysteries of deeds, innermost secrets of the soul and intrigues and plots of Satan. Unless one knows well himself and his Lord, his enemy Iblis, knows what agrees with his inclinations and desires, and differentiates in his intention between it and what Allah likes and approves, no doubt, he would not be delivered in that watching. Most people do things out of ignorance of what Allah Almighty dislikes, thinking that they do good. Think not that the ignorant who has the power to learn is excused for his ignorance. How far! Seeking knowledge is an obligation due upon every Muslim.

That is why a two-rak'ah prayer to be offered by a learnt is better than one thousand rak'ahs to be offered by a layman, for the learned knows well the evils of souls, intrigues and plots of Satan, and places of deception and conceit, from which he safeguards himself, unlike the ignorant who does not know that: then, how should he avoid it? The ignorant continues to trouble himself and Satan continues to be in joy and schadenfreude at him. We seek refuge with Allah from heedlessness and ignorance, for ignorance is the fountainhead of wretchedness and the basis of loss.

It is then the ruling of Allah that one should watch himself whenever he intends to do anything, and seeks to implement it with the organs, and pause until it is revealed to him, by the light of knowledge, that it is for the sake of Allah Almighty, thereupon he should implement it, or for the inclination of the soul thereupon he should desist from it. Unless the first step towards falsehood is driven away, it surely would develop desire, and desire would develop concern, and concern would develop decisive intention, and decisive intention would

develop the act, and the act would develop perdition and destruction. For this reason, the substance of evil should be cut off from its beginning and primal source, i.e. the passing thought, which leads to all things.

If the reality of the event is abstruse and darkens on anyone, he should discover it with the light of knowledge, and seek refuge with Allah Almighty from the cunning of Satan by means of inclination. If he fails to do so depending on his own knowledge, let him then seek guidance by the light of the knowledge of the religious scholars, and flee from the misleading scholars who devote themselves to this world in the same way as, if not more than, he flees from Satan. It is related that Allah Almighty revealed to David "peace be upon him": "Ask not about Me such of scholars as intoxicated by his love for this world, lest he would cut you of My love, for such scholars are those who cut the way upon My servants."

It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Indeed, Allah likes the judicious sight when there is a suspicious matter, and the perfect mind when there is an attacking desire." (Abu Na'im in his Hilyah on the authority of Imran Ibn Hussain). In this Hadith, he "peace be upon him" combined both things, i.e. sight and mind, which are concomitant. Whoever does not have a perfect mind to discern evil from good does not necessarily have a judicious sight to see such difference.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "You are now in a time, in which the best of you is he who hastens (to do good), and there would come upon you a time during which the best of people would be he who verifies (first before doing anything)."

That is why a set of companions, including Sa'd Ibn Abu Waqqas, Abdullah Ibn Umar, Usamah Ibn Zaid and Muhammad Ibn Maslamah "Allah be pleased with them" refrained from taking part in the conflict between those of Iraq and those of Sham when the matter was abstruse on them. Whoever does not refrain from doing a thing in which suspicion lies, indeed follows his own inclination and admires his own opinion, and deserves the description given by the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in his statement: "You should keep enjoining what is good upon one another, and forbidding one another to do evil until when you see niggardliness being prevalent, the own desires and inclinations being followed, the world being given preference (over the hereafter), and everyone having an opinion will come to admire his own opinion, then, you just have to protect your own soul, and let the common people, for there will be days to come upon you, on which whoever patiently perseveres (on sticking to his faith) will be like the one grasping a piece of fire (in his hand), and whoever works (righteousness) will have a reward like the reward of fifty workers who work as your work." (Abu Dawud on the authority of Abu Tha'labah Al-Khushani).

Furthermore, whoever delves into a suspicious matter without verification opposes the following statement of Allah Almighty: " And pursue not that of which you have no knowledge; for every act of hearing, or of seeing, or of (feeling in) the heart will be enquired into (on the Day of Reckoning)." (Al-Isra' 36)

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾

He also, by so doing, disagrees with the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Beware of assumption (with no evidence), for (groundless) assumption is the falsest of speech."

Due to the difficulty of that matter, Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" used to supplicate with the following supplication: "O Allah! Show me the truth as truth, and bestow upon me (the favor of) following it, and show me falsehood as falsehood and bestow upon me (the favor of) avoiding it, and make it not suspicious for me lest I would follow my inclination."

It is related that Jesus "peace be upon him" said: "The matters are of three kinds: one which seems clear, and it is that which you should follow. Another which seems false, and it is that which you should avoid. The third is suspicious: it is that which you should entrust to the one who is knowledgeable of it." (At-Tabarani on the authority of Ibn Abbas).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to supplicate with the following supplication: "O Allah! I seek refuge with You from saying anything in religion without knowledge."

Knowledge then is the greatest favor Allah bestows upon the servants. Faith and revelation of truth also are kinds of knowledge. For this reason, Allah Almighty says, by way of reminding His servants of His favors: : " and great is the Grace of Allah unto you." (An-Nisa' 113)

﴿ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾

Here, He Almighty refers to knowledge. He further says: " if you realize this not, ask of those who possess the Message." (An-Nahl 43)

﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

And: "Verily We take upon Ourselves to guide." (Al-Lail 12)

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾

And: "Nay more, it is for Us to explain it (and make it clear)." (Al-Qiyamah 19)

﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾

And: " And unto Allah leads straight the Way." (An-Nahl 9)

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ﴿٩﴾ ﴾

According to Ali "Allah be pleased with him": "Inclination is a partner of blindness; and success lies in abstention from anything when you are put to confusion: how excellent certainty (of faith) is which drives away anxiety! Regret is always the consequence of falsehood; and in telling the truth lies safety. Perhaps a far thing is closer than another which seems close. The stranger is he who has no beloved; and the sincere affirmer and lover of truth is he whose truth in his absence is acknowledge. The evil assumption never produces a beloved. Generosity is the best character, and modesty is a means to every kind of beauty. The most trustworthy handhold is piety; and the strongest means you utilize is

that which is between you and Allah Almighty. You have from your world only what you mend therewith your resting place. Sustenance is of two kinds: that which you pursue, and that which pursues you, which, if you do not come to get, it would come to you. If you grieve for what is lost which is in your hand, then, do not grieve for what is lost which is not n your hand. Take evidence from what really was for what has not been yet. Indeed, all matters almost resemble each other, and man rejoices when he gets what he was not to lose, and grieves when he loses what he was not to get. So, do not rejoice so much at what you have from your world, nor should you grieve so much for what you lose from it: on the contrary, let your happiness be with (the good deeds) you have sent forward, and your grief be for (the good deeds) that you have failed to do, your engagement be in your hereafter, and your concern be with what is to come after your death."

In sum, the first consideration a watcher should have is to see whether his intention and deed are for the sake of Allah Almighty or for the sake of anything else. On that occasion, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If one has the following three characteristics, he shall have completed faith: not to fear, in (the religion of) Allah the blame of a blamer; not to make show of anything of his deed; and if two things are offered to him, one for this world and the other for the hereafter, he would give preference to the hereafter over the world." (Abu Mansur Ad-Dailami in his Firdaws on the authority of Abu Hurairah).

What is revealed to him, for the most part, is that the deed is permissible, but does not concern him, thereupon he leaves it, out of faith in the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "It is out of man's good faith in Islam to leave what does not concern him."

The second consideration of the watcher is when he starts to do the deed. It is to inspect the way it should be done in order to fulfill the right of Allah in it, make good his intention concerning it, complete its form and then do it in the best and most perfect way possible. He should do the same in all his states. If he watches Allah Almighty in all of this, he would be able to worship Him with good intention and deed, and observation of related etiquette.

If he is to sit, for instance, he should sit facing the Qiblah, out of faith in the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "The best posture of sitting is that in which one faces the Qiblah." (Al-Hakim on the authority of Ibn Abbas). He also should not sit on buttocks crossing his legs, for one does not sit with kings like this, and it is the Sovereign of kings Who sees him. According to Ibrahim Ibn Adham "may Allah have mercy upon him": "Once, I sat on my buttocks crossing my legs, thereupon I heard a caller saying to me: "It is as such that one sits with kings?" afterwards, I have never sat in that posture."

If he is to sleep, he should sleep on his right side, facing the Qiblah, and so on. In all of this, he should act upon all etiquettes we have already mentioned in this book. In all that one does, he is either in obedience, or in disobedience, or doing the permissible. His watching concerning obedience is to be sincere and

perfect in worship, observe the etiquettes, and safeguard himself from evil. His watching concerning disobedience is to turn to Allah in repentance and show regrets, give up the sin, feel shy and modest, and engage in meditation. His watching concerning the permissible is to observe the etiquettes, witness the benefactor in the favor, and give thanks for it. A servant, in all his states, has: either a distress on which he should patiently persevere, or a favor for which he should give thanks; and all of this is out of watching. Moreover, a servant, in all of his states, has an act which he should do, a forbidden thing which he should avoid, or a recommended deed which he is encouraged to do, to hasten to get forgiveness from Allah Almighty. Everyone of those has certain limits which should be observed by permanent watching, and whoever transgresses the limits set by Allah Almighty has indeed wronged himself.

One then should inspect himself continuously in those three divisions. If he finishes from the obligatory duties, and finds power in himself to do the supererogatory deeds, let him then seek the best of deeds to engage in, for whoever has the opportunity to get more profit and he wastes it, he indeed is in great loss. Profits are attained by the excellent deeds, and it is with this that the servant takes provision from his world for his hereafter as confirmed by Allah Almighty: "But seek, with the (wealth) which Allah has bestowed on you, the Home of the Hereafter, nor forget your portion in this World: but do you good, as Allah has been good to you." (Al-Qasas 77)

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴿٧٧﴾ ﴾

All of this might be obtained with patience for only an hour, for there are three types of hours: a gone hour, which the servant has spent in trouble or in pleasure; a coming one, which the servant does not know whether or not he would live until he catches; and a present hour in which he should strive his utmost and watches (the commandments of) his Lord Almighty. Thus, one should not have his hope in this world as long as, say, fifty years: on the contrary, he should live is present time as if he is in his last breaths, for it may be so and he does not know. If it is to be really his last breath, he should spend it in a way he does not dislike that death should approach him on it.

Let all his states be the same as narrated on the authority of Abu Dharr "Allah be pleased with him" that the Prophet "peace be upon him" said: "A faithful believer should not be on journey except in three cases: to get provision for a place of return, to sustain his living, or to take pleasure in what is not unlawful." (Ahmad, Ibn Hibban and Al-Hakim). It is further narrated that he "peace be upon him" said in the same Hadith: "A rational one should have only four hours: an hour in which he talks privately to his Lord, an hour in which he reckons himself, an hour in which he meditates on the making of Allah Almighty, and an hour in which he devotes himself to get food and drink." This hour helps him spend the other hours.

Moreover, even in the hour in which one devotes himself to food and drink, he should persist in doing the best of deeds, i.e. the remembrance of Allah

Almighty, and meditation on His wonders. Every kind of food has of wonders and marvels that which, if one thinks about, it would be much better than a lot of deeds to be done by organs. In this respect, the people are of many divisions:

some of them meditate that with the eye of consideration and contemplation; and that is the station of those endued with sound minds. Others look at that with the eye of displeasure and aversion, and observe how they are forced to it, and hope to dispense with it, but they find themselves oppressed by necessity to be in need of it, and subjugated to their desires in it. That is the station of the ascetic. Some try to see the Maker in the making, from which they upgrade to the attributes of the Creator, and the contemplation of that is a means to remember gates of thoughts and revelations to be opened for them; and that is the highest station. It is one of the stations of the Gnostics and signs of lovers (for Allah Almighty). A fourth division of people look at that with the eye of desire and greediness, thereupon they grieve for what they have lost of it, and rejoice at what they get of it, criticize what disagrees with their inclination and disposition of it, and consequently, criticize its maker, without knowing that the maker of all things is Allah Almighty, and by criticizing the making, they indeed criticize Him.

That is the significance of the statement of the Messenger of Allah "peace be upon him" when he said: "Abuse not the time, for Allah is the (creator and disposer of) time." (Muslim on the authority of Abu Hurairah).

That is the second station of keeping positioned, by permanent watching of deeds.

CHAPTER THREE

THIRD STATION: RECKONING SELF AFTER DOING THE DEED

Virtue Of Reckoning Self

Here, a mention may be made of the statement of Allah Almighty: " O you who believe! Fear Allah, and let every soul look to what (provision) he has sent forth for the morrow. Yea, fear Allah: For Allah is well-acquainted with (all) that you do." (Al-Hashr 18)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

That is a reference to reckoning on the previous deeds. Similar to that is the statement of Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him": "Reckon yourselves (in this world) before you would be reckoned (in the hereafter), and weigh them before you would be weighed."

It is narrated that a man came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "O Messenger of Allah! Advise me." He "peace be upon him" said: "Are you getting to act upon that advice?" he answered in the affirmative, thereupon he said to him: "If you intend to do a thing, then, consider first its resulting consequence: if it is right, then, implement it, otherwise, if it is error, desist from it."

In confirmation of that, Allah Almighty said: " And O you Believers! turn you all together towards Allah, that you may attain Bliss." (An-Nur 31)

﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

Repentance is to consider the act after finishing from it and then show regrets for it. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I pray for forgiveness of Allah Almighty, and turn to Him in repentance one hundred times per day."

Allah Almighty further said: " Those who fear Allah, when a thought of evil from Satan assaults them, bring Allah to remembrance, when lo! they see (aright)!" (Al-A'raf 201)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾

According to Maimun Ibn Muhran: "A man does not become one of the pious until he reckons himself stricter than he reckons his partner." Of a surety, both partners account each other after finishing from the deed.

It is narrated on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" said to her when he was at his last breaths: "None among the people is more beloved to me than Umar." Then he said to her: "What have I said?" She repeated to him what he had said, and then he resumed: "None among the people is dearer to me than Umar." Look how he considered his word after saying it and when he reflected it, he replaced it with another one.

Consider also the narration of Abu Talhah "Allah be pleased with him" when the bird distracted his mind in prayer thereupon he reflected the matter and made his garden an object of charity for the Sake of Allah Almighty in regret for his sin and expectation of the recompense for the good he had lost.

It is further related that Abdullah Ibn Salam "Allah be pleased with him" carried a bundle of fire wood, and when the people saw him they said to him: "O Abu Yusuf! Your slaves and sons might suffice you that burden!" on that he said: "I liked to try myself whether or not it would have aversion for that."

According to Al-Hassan "may Allah have mercy upon him": "The faithful believer always stands over himself to reckon him strictly; and the reckoning (in the hereafter) would be light on a people who reckon themselves in this world; and reckoning would be heavy on the Day of Judgement on a people who take this matter without reckoning."

It is narrated on the authority of Anas Ibn Malik "Allah be pleased with him" that he said: One day I set out in the company of Umar Ibn Al-Khattab until he entered a fenced garden and I heard him saying, and there was a wall between him and me: "Umar Ibn Al-Khattab, the Commander of Believers! Bravo! Bravo! By Allah, you should fear Allah, otherwise, He will punish you."

In his comment on the following statement of Allah Almighty: " And I do call to witness the self-reproaching spirit; (eschew Evil)" (Al-Qiyamah 2)

﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾

Al-Hassan "may Allah have mercy upon him" said: "The faithful believer ever blames himself: What I have intended by my word? What have I intended by my food? What have I intended by my drink? But the wicked always goes on without blaming himself."

According to Malik Ibn Dinar "may Allah have mercy upon him": "May Allah

have mercy on a servant who says to himself: 'Am I not the owner of such and such a thing?' Then, he criticizes and then reins himself and forces it to abide by the Book of Allah Almighty which becomes his guide."

According to Ibrahim At-Taimi "may Allah have mercy upon him": "I imagined myself in Paradise eating of its fruits, drinking of its rivers and embracing its virgin houris. Then, I imagined myself in the fire (of Hell) eating of its Zaqqum tree, drinking of its pus, and being bound in its chains and fetters. On that I said to myself: 'O soul! Which of both you like?' it said: 'I like to be sent back to the world in order to work righteousness.' I said to it: 'Then, now you are still in your wish: so, work righteousness.'"

According to Malik Ibn Dinar "may Allah have mercy upon him": I heard Al-Hajjaj saying in his sermon: "May Allah have mercy upon a man who reckons his own self by himself before its reckoning would be entrusted to another one than him. May Allah have mercy upon a man who takes lead of his deed in order to consider what he intend by it. May Allah have mercy upon a man who considers his measure. May Allah have mercy upon a man who regards his weight..." he went on saying as such until he caused me to weep.

Explication Of Real Nature Of Reckoning After Doing The Deed

It should be known to you that as well as there is a time in the beginning of the day in which a servant puts conditions on himself by way of advising it, there should also be a time in the end of the day in which he demands the soul and reckons it for every movement and act it has done during the day, just like the traders, along the entire world, do with their partners in the end of every year, month, week or day. If they do so in the perishable worldly matters for fear they would lose anything of it, then, how should one not do so concerning his destiny which leads him to the permanent never-ending happiness or wretchedness? His indulgence in doing so results from heedlessness and lack of success and felicity: We seek refuge with Allah from heedlessness.

Reckoning with one's partner is to review the capital and the resulting increase or decrease, in order to know and distinguish profit from loss. If there is a profit, he would take it and give thanks to him; and if there is loss, he would demand him for surety and obligate him to amend it in the future. Similarly, the servant's capital in his religion is the obligatory duties, his profit results from supererogatory and excellent deeds, and his loss results from sins. The season of this trade is the whole duration of the day, and his partner is his soul which orders him to do evil:

First of all, he should reckon it on the obligatory duties: if he has fulfilled them perfectly, he would thank Allah Almighty for it, and exhort it to do the like of them; and if he has missed all or some of them, he would demand it to compensate the missed ones; and if he has fulfilled them imperfectly, he would obligate it to complete them with the supererogatory deeds; and if he has committed a sin, he would engage in punishing and mortifying it in order to take from it what he makes up therewith the things in which he has indulged. The same applies to every movement and act he does like his vision, passing thoughts, sitting, standing, eating, drinking, sleeping and even his silence.

Furthermore, one should reckon his own self for the entire lifetime day by day and hour by hour, concerning all of his external and internal organs, and even his breaths. Were one to put a stone in his house for every sin he commits daily, surely, his house would be filled with stones so much along a short time of his life. But unfortunately, one indulges in making a record of sins, nothing of which, anyway, is missed by the angels who record everything on him and keep it in the account of his deeds.

It is narrated that Tawbah Ibn As-Summah, who lived in Raqqah, used to reckon himself severely day by day. He accounted one day and behold! He found out that he was sixty years old. By accounting their days, he found out that they were twenty-one thousand and five hundred days. On that he cried saying: "Woe to me! Should I meet the Sovereign with nearly twenty-one thousand sins? How should it be then given that everyday there are more than ten thousand sins?" he fell unconscious, and behold! He died. Immediately, they heard a voice saying: "How good lying it is that leads directly to the highest Paradise!"

As such one should reckon his own soul relentlessly.

CHAPTER FOUR
FOURTH STATION: PUNISHING SELF

Whatever one reckons himself, it could hardly be free from committing sins and mistakes. For this reason, one should not neglect it. If he neglects it, it would be too easy on him to commit sins. He then should punish it. For example, if he eats a morsel of food whose source is suspicious with greed, he should then punish his abdomen by giving it to hunger; and if he looks at the unlawful, he should punish the eye by preventing it from looking at anything entirely. The same applies to punishing any organ and part of his body, in case it commits indulgence, by preventing it from its own desire and appetence. That was the habit of the travelers on the path to the hereafter.

It is narrated on the authority of Ibrahim Ibn Mansur that a worshipper talked to a woman (who was unlawful for him) and he continued to talk to her until he put his hand over her thigh. But he regretted and (to punish himself for that) he placed his hand into the fire until it got stiff.

It is further narrated that from among the children of Israel, there was a man who worshipped Allah in his hermitage for a long time. Once, he looked from the window of his hermitage and behold! There was a fascinating woman who attracted him. He intended to come out to her (to have sexual relation with her), and once he got out his foot to descend to her, Allah rescued him by reminding him of his previous good deeds. He said to himself: "What is that which I intend to do?" He restored his right direction and Allah Almighty protected him from that sin. When he intended to return his foot to the hermitage he said to himself: "How far! How far! How could a leg that has come out with the intention to disobey Allah return to my hermitage once again? That would never be." He left it hung outside the hermitage, exposed to sun, rain, frost and wind until it tore to pieces and then fell down. Allah Almighty appreciated for him that conduct, and revealed his mention in one of His Scriptures.

It is related that both Ghazwan and Abu Musa "Allah be pleased with them" were in a holy battle when a girl was exposed and Ghazwan looked at her (lustfully). Showing regret for his doing, he raised his hand therewith he slapped his eye until he gouged it out. He said to it: "You peep into what causes harm to you."

It is narrated from one of those righteous that he looked only once at a woman (lustfully), thereupon he made it binding upon himself, (by way of punishment) not to drink the cold water along his lifetime, and rather he kept drinking the hot water in order to embitter his life on himself.

It is narrated from Hassan Ibn Abu Sinan that he passed by a chamber and then asked himself: "When has this been built?" then he turned to himself and said to it: "How do you ask about what concerns you not? By Allah, I would punish you by observing fasts for a whole year." He then observed fasts for a whole year consecutively."

It is further related from Tamim Ad-Dari "Allah be pleased with him" that he slept one night and failed to stand for Tahajjud prayer. In order to punish himself for his indulgence, he kept standing in prayer for the whole night everyday for a complete year.

It is narrated on the authority of Talhah "Allah be pleased with him" that he said: One day, a man rushed in the street and put off his garment and rolled himself in the scorching sand, saying to himself: "Taste (the scorching heat), given that the fire of Hell is more sweltering." Such being the case, he saw the Prophet "peace be upon him" under the shade of a tree, thereupon he came to him and said: "My self has overpowered me." The Prophet "peace be upon him" said to him: "Was it necessary for you to do what you had done? Behold! The gates of the heaven were opened to you, and Allah Almighty showed pride to the angels because of you." Then he said to his companions: "Take provision from your brother." They went on saying to him, one after the other: "O so and so! Invoke good upon me." The Prophet "peace be upon him" asked him to comprehend them all in invocation, thereupon he said: "O Allah! Make piety their provision, and unite their decision on guidance." The Prophet "peace be upon him" said: "O Allah! Grant him success." The man said: "O Allah! Make Paradise their returning place." (Ibn Abu Ad-Dunya)

Hudhaifah Ibn Qatadah "may Allah have mercy upon him" said: It was said to a man: "How do you do with yourself concerning its desires?" he said: "Nothing on the surface of the earth is more hateful to me than it. Then, how should I fulfill for it its desires?"

Ibn As-Sammak entered upon Dawud At-Ta'i "may Allah have mercy upon him" when he died, and his dead body was lying on the ground. On that he said to him: "O Dawud! You have imprisoned yourself (in this world) before you would be put to prison and punished yourself before you would be punished (on the Day of Judgement); and today you would get the reward of Him for Whom you worked."

Wahb Ibn Munabbih said: There was a man who worshipped Allah for a long time, and then he seemed to have a need from Allah Almighty. He stood

(in prayer) for seventy Saturdays, on each of which he ate only eleven dates and then asked Allah Almighty for his need, but it was not given to him. Then, he returned to himself and said to it: "It is from you that I was put to affliction. Had there been good in you, surely, you would have been given your need." Then, an angel descended to him and said: "O man! This hour of yours is much better than your whole previous worship; and Allah Almighty has fulfilled your need."

Abdullah Ibn Qais said: "We were in a holy battle when the enemy faced us, and a cry was made to the people who, in turn, stood to the fighting on a very windy day. Behold! There was a man in front of me, and he was saying to himself: "O my soul! Have I attended such and such a battle and you said to me 'Guard yourself for the sake of your family and children', and I obeyed you and returned? Has the same not occurred in another battle? By Allah, on that day I would oppose you, and it is incumbent upon Allah to take away or leave you." I (the narrator) said to myself): "Let me peep at him to day in order to see what he would do." When the people attacked their enemy, he was among the first of them. When the enemy launched an opposing attack against us, and we were exposed, he was steadfast and remained firm in his place and persisted in fighting until he was killed in the end of the day. I counted over sixty wounds in his body and his riding mount."

There are a lot of examples for such punishment as therewith those of resolute power used to punish themselves whenever they committed sins or fell in mistakes. Wonder at you when you punish your slave, slave-girl, child, and their like when they err or sin for fear that if you indulge in punishing them, they might transgress against you. But at the same time, you neglect to punish your own self when you err or sin, given that it is the greatest enemy to and the most transgressing against you, and the harm you receive from its transgression against you is more than that you receive from the transgression of anyone of your children or slaves against you. Their final end is to distract the living of this world upon you, and were you to know, you would learn, with certainty, that the real good, and never-ending permanent bliss lie in the living of the hereafter; and it is your own self which embitters on you the living of the hereafter. That is why it is worthier of punishment than anyone else.

CHAPTER FIVE

FIFTH STATION: SELF-MORTIFICATION

When one reckons his own self and finds that it has sinned or erred, he should punish it with the previous punishments. But if he sees that it slows down, out of laziness, to do anyone of the excellent deeds or devotional recitals, he should discipline it, by giving it heavy religious assignments, and force it to adhere to a lot of religious duties and tasks, perchance he would compensate what he has missed. That was the custom of the righteous workers of Allah Almighty.

As such Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" punished himself when he missed the Asr prayer in congregation: He gave in charity a piece of land belonging to him priced at two hundred thousand Dirhams. It was the habit of

Ibn Umar "Allah be pleased with them" that whenever he missed an obligatory prayer in congregation, he would stand in prayer during the whole of that night. One night, he delayed offering Maghrib prayer until two stars appeared, thereupon he emancipated two slaves. On another occasion, Ibn Abu Rabie'ah missed the two-rak'ah prayer (to be offered before) Fajr, thereupon he emancipated a slave.

Some of them used to make it binding upon himself, by way of punishment, to observe fasts for a whole year consecutively or to set out on journey for Hajj on foot, or to give in charity the whole of his property. All of this was in order to keep the soul steadfastly stationed, and punish it with what saves it.

You may say: "My soul does not agree with me to be involved in that mortification and those devotional recitals regularly: then, what is the way to deal with it?" in reply to that, let me tell you that the way to do so is to listen to what is reported in the traditions about the excellence of self-mortification:

It is narrated on the authority of Abdullah Ibn Amr Ibn Al-As "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "He, who stands for prayer by night with even ten Holy Verses, will not be enrolled among the heedless; and he who stands for prayer by night with one hundred Holy Verses will be enrolled among the devout; and he who stands for prayer by night with one thousand Holy Verses will be enrolled among the highest (assembly of) worshippers." (Abu Dawud)

It is further narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah's Mercy be upon a man who gets up at night, offers (supererogatory) prayer, and awakens his wife and she offers prayer, and if she refuses, he sprinkles water over her face; and Allah's Mercy be upon a woman who gets up at night, offers (supererogatory) prayer, and awakens her husband and he offers prayer, and if he refuses, she sprinkles water over his face." (Abu Dawud and Ibn Majah).

It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Stick to standing at night (to offer supererogatory prayers), since it was the practice of the previous righteous before you." (At-Tirmidhi).

Among the best ways besides to treat it is to get the company of one of the servants of Allah Almighty who strives his utmost in worship, and take him as an example to follow. But this way of treatment now has become difficult for you could hardly find such as strives his utmost in worship in the same way as the previous ones did. So, one should turn from seeing to hearing, for nothing nowadays benefits more than hearing their news and knowing their states and traditions. Although their trouble was over (as they died) their reward and bliss remain perpetually and ceaselessly. How great is their dominion, and how sorry are those who do not imitate them!

Let us here relate of the attributes and good merits of those who strive their utmost in worship, in order for the novice on the path to Allah might be moved by desire to strive his utmost in imitation of them.

The Messenger of Allah "peace be upon him" said: "Allah's mercy be upon a people who seem sick (because of worship), although they are not sick." (Ahmad). According to Al-Hassan: "It is worship which fatigues them."

Allah Almighty said: " And those who dispense their charity with their hearts full of fear, because they will return to their Lord." (Al-Mu'minun 60)

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

According to Al-Hassan: "They do what they do of the deeds of righteousness, and at the same time fear that this might not deliver them from the punishment of Allah Almighty."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Blessed be he who lives long and his deed is good." (At-Tabarani on the authority of Abdullah Ibn Bishr).

It is narrated that Allah Almighty says to His angels: "What is the matter with My servants that they strive their utmost (in worship)?" they say: "O our God! You fairly frightened them of something which they came to fear, and attracted them to something for which they came to have longing." On that Allah, the Exalted and the Blessed says: "Then, how would they be if My servants see Me? Of a surety, they would strive their utmost more and more."

Al-Hassan Al-Basri "may Allah have mercy upon him" said: "I have caught a people and accompanied many of them, and they neither rejoiced at anything of this world they received, nor grieved for anything of it they lost, for it was, in their sight, more trivial than this earth which you trample. Anyone of them happened to have no more than a single garment along his entire life, nor did he ever order his wife to cook food for him, nor did he ever make anything between his body and the earth. At the same time, I caught them and they acted upon the (principles and teachings of the) Book of their Lord and the sunnah of their Prophet "peace be upon him": whenever night fell upon them, they would stand on their toes (in prayer) and spread their faces on the ground (in prostration), with their tears flowing over their cheeks, talking privately to their Lord Almighty in the hope of being released (from His punishment). If they did a good deed, they would rejoice at it, give thanks to Allah for it, and ask Him to accept it from them; and if they committed a misdeed, it would aggrieve them, and they would ask Allah Almighty to forgive it for them. By Allah, they remained as such and on the same state; and by Allah, they were neither completely free from sins, nor saved but by forgiveness."

The wife of Masruq said about him: "He was not seen but with his legs swollen because of the long times he used to spend in prayer. By Allah, I many times sat behind him, weeping out of pity for him."

According to Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him": "Had it not been for three things, I would not have liked to live in this world even for a single moment: To be thirsty for the Sake of Allah at the very noon when it is very hot; to fall in prostration to Allah in the middle of the night; and to sit with people who pick up the most pleasant of words, in the same way as the most pleasant of fruits are picked up."

It is related that Al-Aswad Ibn Yazid used to strive his utmost in worship: he

observed fasts during the scorching heat until his body would turn green and pale. Alqamah Ibn Qais said to him: "Why do you punish yourself as such?" he replied to him: "It is its dignity which I intend thereby." He used to observe fasts so much until his body would turn pale and to offer prayer for a long time until he would fall down out of tiredness. Both Anas Ibn Malik "Allah be pleased with him" and Al-Hassan "may Allah have mercy upon him" entered to visit him and inquire about his health and said to him: "Indeed, Allah Almighty did not order you to do all of this." He said to them: "I am but a slave owned (by Allah), and so I never leave anything leading to submissiveness but that I do it."

It is narrated from one of those righteous that he used to pray one thousand rak'ahs everyday until he became paralyzed. But he continued to pray the same one thousand rak'ahs everyday as sitting. Whenever he offered Asr prayer he would move crawling, and then say: "I wonder at the creatures: how do they like a substitute for You? I wonder at the creatures: how do they become affable with anything else other than You? I wonder at the creatures: how do their hearts seek light with remembrance of anyone other than You?"

It is said about Thabit Al-Bunani "may Allah have mercy upon him" that prayer was endeared to him, thereupon he said: "O Allah! If You are to permit anyone to pray in his grave, then, permit me to pray in my grave."

According to Al-Junaid: "I have never seen one more devoted to worship than As-Sari "may Allah have mercy upon him": Ninety-eight years came upon him, during which he was never seen lying except in his fatal illness."

According to Al-Harith Ibn Sa'd: Some people came upon a monk and saw how he strove his utmost extremely in worship. They talked to him about that and he said: "What is that to do when people are doomed to face terrors while they are heedless? They indeed dedicated themselves to their own fortunes from this world, and forgot their greater fortune from their Lord." On that all the people who were present went on weeping.

Abu Muhammad Al-Maghazili said: Abu Muhammad Al-Jariri spent a year in the neighbourhood of the Ka'bah in Mecca during which he never slept, nor spoke, nor even reclined his back against a pillar, nor stretched his legs. Such being the case, Abu Bakr Al-Kittani passed by him and saluted him. he asked him: "O Abu Muhammad! By which thing have you the power to spend that period in seclusion?" He said: "He (Allah) learnt my true secret, thereupon He helped me against my outward conduct." Al-Kittani lowered his head and turned away and was given to deep reflection.

According to Thabit Al-Bunani: "I caught a people anyone of whom used to offer (supererogatory) prayer so long that after prayer he would not be able to go to bed except as crawling."

It was said that Abu Bakr Ibn Ayyash spent forty years during which he never lay his side on the ground; and one of his eyes got troubled and his family did not know about it for twenty years.

It also was said that the devotional recital of Samnun was the prayer of five hundred rak'ahs everyday.

It was said to Abdullah Ibn Amir: "How could you persevere on the

sleeplessness at night and thirst at the scorching noon?" He said: "It is nothing except that I have turned the food of the day to the night, and the sleep of the night to the day; and that is of no significance."

It is narrated on the authority of one of the companions of Ali "Allah be pleased with him" that he said: I offered Fajr prayer behind Ali Ibn Abu Talib and when he concluded the prayer with the end salutation (Taslim), he turned away towards his right side and the signs of gloominess were visible on his face. He stayed as such until sun rose thereupon he turned his hand and said: "I saw the companions of Muhammad "peace be upon him", and by Allah I do not see today anyone like them. Whenever morning came upon them, they would be unkempt and pale, and covered with dust for they had spent the night in prostration and standing in prayer for the Sake of Allah, reciting the Book of Allah, and changing between their feet and foreheads; and whenever they remembered Allah, they would bend in the same way as the trees bend on a windy day, and their eyes would overflow with tears so much until their garments would be wetted. But it seems that those people (who were present with him when he said so) spent the night heedless."

It is further related that Abu Muslim Al-Khawlani hung a whip in the mosque of his house to frighten himself therewith. He used to say to himself: "Stand up, and by Allah, I would proceed on with you (in worship) until you and not I would get tired." But whenever he wearied, he would take hold of his whip and lash his leg with it saying: "You are worthier of beating than my riding mount." He used to say: "Do the companions of Muhammad "peace be upon him" think that they would take him for themselves on the exclusion of us? No, by Allah, we would contest them over him until they know that they left good successors after them."

It is further narrated that Safwan Ibn Sulaim had his legs twisted in view of his standing in prayer for a long time. He died while he was prostrating. He used to say: "O Allah! I like meeting You, so, like meeting me."

It is narrated on the authority of Al-Qasim Ibn Muhammad that he said: "Whenever I came out early in the morning everyday, I would go first to A'ishah "Allah be pleased with her" to pay her salutation. One day I went to her and found her offering Duha prayer and reading while weeping: "But Allah has been good to us, and has delivered us from the Penalty of the Scorching Wind." (At-Tur 27)

﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾

She also went on supplicating, repeating and imploring and I kept standing for a long time and she remained in the same state. Saw that, I suggested to myself to go to the market and finish from my needs and then return to her. When I finished from my needs and returned to her, she was still in the same state of repeating the Holy Verse and supplicating and weeping."

According to a righteous predecessor: "I do not feel afraid of death except that it would impede me from standing at night (in prayer and remembrance)."

According to Ali Ibn Abu Talib "Allah be pleased with him": "The sign of the righteous is the paleness because of spending the night wakeful, bleary-eyedness

because of weeping so much, and dryness of lips because of observing fasts, and they also have the dust color of the submissive."

It was said to Al-Hassan "may Allah have mercy upon him": "What is the matter with those who offer Tahajjud prayer at night that they are the most good-looking among the people?" he said: "That is because they stay in seclusion with (Allah) the Most Gracious, thereupon He dresses them in the dress of His light."

According to Ja'far Ibn Muhammad: "Utbah Al-Ghulam used to interrupt the night with three cries: whenever he offered Isha' prayer, he would place his head in between his knees and go in meditation. When one-third the night elapsed, he would make a cry, and then place his head in between his knees and go on meditation. When two-thirds the night elapsed, he would make another cry, and then place his head in between his knees and go on meditation until when it was a short while before dawn, he would make a third cry. I related that to one of the inhabitants of Basrah who said: "Do not care about his cry, but rather about the state in which he is in the interval between the cries until he cries."

According to a wise man: "Allah Almighty has servants upon whom He confers favors thereupon they know Him, and expands their breasts thereupon they obey him and rely on Him in all of their affairs. Their hearts thus have become metals of pure certainty (of faith), containers of good wisdom, chests of grandeur, and stores of power. Although they seem to go and return among the people, their hearts tour in the dominion of the invisibles and take shelter in the unseen, and return with indescribable subtleties of benefits. Inwardly they are like good brocade, and outwardly like torn-out handkerchiefs. This rank could hardly be attained by ostentation, but it is the bounty of Allah Almighty which He gives to such as He pleases."

It is related by one of the righteous that he said: "While I was walking in between the mountains of Jerusalem, I descended to a valley and behold! There was a high voice that is responded to by those mountains. I followed the voice and behold! I became in the middle of a garden with clusters of trees, and there was a man standing, reciting repeatedly the following statement of Allah: " On the Day when every soul will be confronted with all the good it has done, and all the evil it has done, it will wish there were a great distance between it and its evil. But Allah cautions you (to remember) Himself. And Allah is full of kindness to those that serve Him." (Al Imran 30)

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾

I sat behind him listening to him while he was repeating that Holy Verse after which he cried so high that he fell unconscious. An hour later he restored his consciousness and then I heard him saying: "I seek refuge with You O Allah from the rank of the liars. I seek refuge with You O Allah form the deeds of the false. I seek refuge with You O Allah from the deviation of the heedless (from the truth). To You the hearts of the fearful are submissive, the hopes of the indulgent aspire, and to Your grandeur the hearts of the Gnostics are humiliated."

Then, he shook off his hands and said: "What do I have to do with this world, and what does this world have to do with me?" I called him: "O servant of Allah! I have been sitting behind you, in expectation for your leisure." On that he said: "How could one have leisure who races the time for fear death might hasten to overtake him? how could one have a leisure whose days have gone by and only his sins remain?" then he resumed: "You are fitting for it and for every adversity I expect." Then, he was engaged from me for an hour after which he recited: "Even if the wrong-doers had all that there is on earth, and as much more, (in vain) would they offer it for ransom from the pain of the Penalty on the Day of Judgment: but something will confront them from Allah, which they could never have counted upon!" (Az-Zumar 47)

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

Then, he made a loud cry after which he fell unconscious and I thought he died. But when I came close to him and checked his body, I found him still breathing. When he recovered he said: "Who am I? Grant me pardon for my misdeed out of Your bounty and cover me with Your covering, forgive for my sin with Your Bounteous Countenance when I stand in front of You." I said to him: "I beseech you by Him Whom you expect for yourself and confide, to talk to me." He said to me: "I advise you to stick to the speech of Him Who benefits you, and leave the speech of him whom sins have destroyed. I have been in that place since Allah Almighty willed, struggling Iblis, who have not found an aid to divert me from what I have been in except for you. So, leave me, O deceived man: You have made idle my tongue and caused a part of my heart to incline to your speech. I seek refuge with Allah form your evil, and I expect to grant me refuge from His displeasure and confer from His mercy upon me." I then said to myself: "That might be an ally of Allah Almighty and I fear to engage him and incur punishment upon myself in this very place." I turned away and left him."

It is related that Karz Ibn Wabarah used to recite the Holy Qur'an in full thrice everyday and mortify himself in the acts of worship. It was said to him: "You have troubled yourself so much." He said: "What is the term of this world?" It was said: "Seven thousand years." He further asked: "What is the term of the Day of Judgement?" it was said: "Fifty thousand years." On that he said: "Then, how should anyone of you fail to do even one-seventh that Day and, at the same time, like to feel safe (from its punishment)?".

As such was the conduct of the righteous predecessors in keeping stationed and watching their own souls. So, whenever your own self rebels against you and fails to be regular on the acts of worship, at least consider the states of those righteous, for the like of them now are very rare. If you could see such of people as imitate them, it would be more effective on the heart, and more ready to stimulate you to follow them. Of a surety, the story, no matter impressive it might be, is not like the vision with the eye. If you fail to see such of people as imitate them, do not indulge in listening to the narrations about the states of the righteous predecessors. Then, give yourself the freedom to choose to imitate

them and they are the best rational and religious, or to follow the ignorant heedless among the people of your own time. If you think within yourself that those are too strong for anyone to imitate, then, consider the states of the striving women and encourage your own self to disdain to be less in rank than those righteous women:

It is narrated from Habibah Al-Adawiyyah that whenever she offered Isha' prayer, she would go up to the surface of her house after straightening her veil and headcover over her body and say: "O my God! The stars now have got sunken, eyes shut down because people have slept, and gates of houses closed, and every lover has become in seclusion with his/her beloved; and that is my standing in front of You." Then she would devote herself to prayer until when dawn rose she would say: "O my God! That night has gone away, and the morning has become bright: by my life: Have You accepted from me my (standing in prayer and supplication for You at that) night so that I would be pleased and get comforted, or rejected it from me so that I would grieve? By Your Honor: That would be my practice as long as You leave me in this world. By Your Honor: even if You drive me away from Your gate, I would not leave, for Your generosity and Bounty I am certain of."

It is further narrated that Ajzah, and she was blind, used to spend the whole night every night in prayer and remembrance. Whenever it was a short while before dawn, she would call with a sad voice: "O my God! To You worshippers have cut the darkness of nights, in a race among each other to Your mercy and the bounty of Your forgiveness. With You O my God, and not with anyone else, I ask You to make me in the first group of the forerunners (to the Garden), elevate me up to Your presence in Illiyyin, place me in the rank of these close to You, and join me with Your righteous servants: You are the Most Merciful of those who show mercy, the Grandest of those who are grand, and the Most Generous of those who are generous: O Most Generous!" then, she would fall in prostration and keep supplicating and weeping until dawn.

According to Muhammad Ibn Mu'adh: A worshipping woman told me: I saw in a dream as if I was admitted to Paradise, and behold! The inhabitants of Paradise were standing at their gates. I asked: "What is the matter with the inhabitants of Paradise that they are standing at their gates?" It was said to me: "They have come out to look at a woman who adorned the gardens of Paradise with her arrival." When I asked about her it was said to me: "She is a black slave-girl from the women of the Tree called Sha'wanah." I said: "That is my sister (in religion of Allah)." Such being the case, she was brought on a flying female horse. When I saw her I called her: "O my sister! Do you not see my position from you? Would you not invoke Allah for me to join me with you?" She smiled and said: "It is not time for your arrival here. But anyway, learn (and abide by) two things from me: Make grief abide in your heart, and give priority to the love for Allah over your inclination; and once you do so, death will harm you not whenever you die."

According to Abdullah Ibn Al-Hassan: "I had a Roman slave-girl of whom I

was very fond. She was sleeping beside me one night and when I got up I did not find her sleeping in the bed. I searched for her and behold! She was falling in prostration and saying: "O my God! I swear by Your love for me to forgive for me my sins." I said to her: "Do not say 'by Your love for me' but rather say 'By my love for You'." She said: "O master! By His love for me, he Has turned me out from polytheism to Islam, and by His love for me he made me get up (to remember Him) at night while a lot of people are sleeping."

It was the habit of Mu'adhah Al-Adawiyyah that whenever day came upon her, she would say: "That is the very day on which I would die." Then, she would not have food until night; and when night came upon her she would say: "That is the very night on which I would die." Then, she would remain in prayer and remembrance until morning.

According to Ad-Darani: I spent one night in the house of Rabi'ah Al-Adawiyyah, and then she stood (to offer prayer) in a Mihrab she had and I also stood (to offer prayer) in one corner of the house. She kept standing (in prayer and remembrance) until a short while before dawn. I asked: "What is the reward of he who has given us power to stand (in prayer) that night?" She said: "To observe fast for Him tomorrow."

Sha'wanah used to say in her supplication: "O my God! How longing I am to Your meeting, and how great is my hope in Your reward. You are the Most Generous with Whom the hope of the hopeful never fails, nor does cease the longing of those who have longing. O my God! If my appointed term has become near and nothing of my deeds have brought me close to You, I then have made the confession of my sins the means to justification. If You forgive for me, then, who is worthier than You to do so? And if you punish me, then, who is worthier than You of justice in this respect? O my God! I have wronged myself in looking at it and it remains only Your looking at it (with mercy): so, woe to it if You do not make it happy. O my God! You have been still munificent to me along all days of my lifetime, so, do not withhold Your munificence from me after my death. I hope that He Who has taken care of me during my life with His goodness to relieve me after my death with His forgiveness. O my God! How should I despair of Your good vision after my death given that You have conferred upon me but good favors during my life? O my God! If my sins have frightened me, then, my love for You has given me shelter. O my God! Had You wanted to put me to humiliation, You would not have guided me aright; and had You wanted to put me to shame, You would not have screened me: so, let me enjoy of that to which You have guided me, and make permanent for me that with which You have screened me. O my God! I do not think You would reject my need in which I have consumed my lifetime. O my God! But for the sins I have committed, I would never fear Your punishment; and but for Your generosity I know well, I would never hope in Your reward."

CHAPTER SIX

SIXTH STATION: SELF REPROACHING AND BLAMING

It should be known to you that your greatest enemy is your own self. It was

predisposed to enjoin evil and flee from good; and you have been commanded to justify and straighten it and bind it with the chains of oppression to abide by the worship of its Lord, and prevent it from its desires and wean it from its pleasures. If you neglect it, it would deviate and rebel against you and you would not be able to have control over it once again. But if you keep constant blaming and reproaching of it, your own self then would be the self-reproaching by which Allah Almighty took oath, and is expected to be the reassured self, that is invited to become one of the righteous well-pleased and pleasing servants of Allah Almighty.

It is said in this respect: "Be not heedless of reminding your own self (of Allah) and blaming it (for its evil) even for a single hour, and engage not in instructing others unless you engage first in instructing your own self."

It is related that Allah Almighty revealed to Jesus "peace be upon him": "O son of Mary! Instruct your own self first before you instruct the people! Behold! Feel shy of Me."

In confirmation of that, Allah Almighty said: "But teach (your Message): for teaching benefits the Believers." (Adh-Dhariyat 55)

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

Your way to do so is to turn to it, and show to it its ignorance and foolishness. It disdains so much whenever it is attributed to foolishness. You should also remind it of the state of heedlessness in which it is, of Paradise and Hell to either of which it would inevitably be destined to go, and of the fact that death always comes unexpectedly, for which it should get ready at any moment, asking it to consider the following statement of Allah Almighty: "Closer and closer to mankind comes their Reckoning: yet they heed not and they turn away. Never comes (aught) to them of a renewed Message from their Lord, but they listen to it as in jest." (Al-Anbiya 1-2)

﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ ﴾

Send woes upon it saying:

"Woe to you O self! If you do evil thinking that your Lord never sees you, then, how disbelieving are you! But if you do evil in spite of your awareness of the fact that He sees you, then, how daring and rude are you! Woe to you! If anyone of the servants does with you what you dislike, how angry would you be with him: then, how do you dare to expose yourself to the anger, wrath, displeasure and punishment of Allah Almighty? How could you endure His punishment? do you deceive yourself with your reliance on the generosity and bounty of Allah Almighty, and His needlessness of your worship and obedience? Why do you not rely on the generosity and bounty of Allah Almighty in your worldly affairs? If you are troubled by a worldly desire which you need to fulfill with money, why do you strive your utmost to obtain it, without reliance on the generosity of Allah? Do you think that Allah Almighty is generous in the hereafter and not in the world? Of course you know that the

established way of Allah Almighty never changes, and that the Lord of the world and hereafter is the same One Lord, and man would not earn but the fruit of his work.

Woe to you O self! What a great hypocrite you are! You claim faith, although the trace of hypocrisy is visible on you. Allah Almighty said: "There is no moving creature on earth but its sustenance depends on Allah: He knows the time and place of its definite abode and its temporary deposit: All is in a clear Record." (Hud 6)

﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾

That is in connection with this world. As for the hereafter, He Almighty said: " That man can have nothing but what he strives for." (An-Najm 39)

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾

In this way, He ensured to you your worldly affairs, and satisfied you from striving in it. But you have belied Him by your deeds, and come to compete for it. On the other hand, He entrusted the hereafter affairs to your striving, but you turned from it as deceived and conceited. That is not characteristic of faith. If faith depends only on the tongue, then, why would the hypocrites be in the lowest bottom of the fire?

Woe to you O soul! What is the matter with you that you do not believe in the Day of Reckoning? If that is your faith, then how disbelieving and ignorant are you! Do you give lie to the statement of Allah Almighty: " From a sperm-drop: He has created him, and then moulds him in due proportions; Then does He make his path smooth for him; Then He causes him to die, and putts him in his Grave; Then, when it is His Will, He will raise him up (again)." (Abasa 19-22)

﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾

If you do not give lie to that, then, why do you not take your precaution? If you O self knows all of this, then, why do you postpone your work in this world given that death awaits to snatch you away at any time and without respite? By what consideration do you feel safe from death to be hastened on to you?

I do not think you slacken to take consideration but for one of two things: hidden disbelief or apparent foolishness. As for the hidden disbelief, it is your weak faith in the Day of Reckoning, and lacking knowledge of the great significance of reward and punishment. as for your apparent foolishness, it is your reliance on Allah's generosity and forgiveness, without turning to His plan and scheme, and needlessness of your worship, although you do not rely on His generosity in a morsel of food or a grain of money, or a single word you hear from the people. Nay! You fulfill your purpose in those worldly affairs using all tricks and ways available to you.

Do you not know, O self, that this world is the abode of the Sovereign of all kings, and what you have in it is not really yours? Do you not know that whatever you have in this world, you would inevitably leave by death? In confirmation of that, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be

upon him", the chief of all Messengers and Prophets, said: "(Gabriel) the Holy Spirit inspired to me that it is the same for you to love whomever you love, for you are going to leave him; and it is the same for you to do what you like, for you would be rewarded for it; and it is the same for you to live as you will, for you would necessarily die."

Woe to you! Do you not know that whoever takes much pleasures in this world indeed increases his grief and detrimental poison at death where he feels not? Do you not consider those who were before you, how they built and raised their constructions and then went away and left what they had done, and how Allah Almighty make their enemies inherit their land and property? Do you not see how they gather what they eat not, build what they live not, and hope what they realize not? Anyone of them inhabits his world although he should inevitably leave it, and at the same time destroys his hereafter to which he should necessarily go. Do you not feel shy, O self, to help those in their foolishness? Suppose you are not insightful, and rather inclined, by disposition and nature, to imitation and emulation, then, at least, choose whomever you should imitate: Make comparison between the minds of the Prophets, scholars and wise men and the minds of those who turn over this world.

O self! It may be that the love for majesty and authority has intoxicated you from perceiving the real nature of those facts. But even, do you not know that majesty itself disappears by the disappearance of you as well as of those who obey you? How then should you sell the perishable for the never-ending? If you do not leave this world out of desire for the hereafter, due to your ignorance and blindness, at least, leave it out of refraining from your despicable partners in it. Why do you not abstain in its little given that its much discards you? Why do you rejoice at a world in which Jews and Christians might precede you to its pleasures and ornaments? Woe to a world in which those despicable people precede you! How ignorant and foolish are you, since you reject to be one of these close to Allah, from among the Prophets, martyrs, and sincere affirmers and lovers of truth, in the neighbourhood of Allah the Lord of the world, in order to be among the foolish and ignorant. What sorrow if you lose both the world and religion, then, you should hasten.

Woe to you O self! You now have become on the threshold of death: Who is it that would pray, fast or even give in charity on behalf of you after death? Woe to you! You have only a limited number of days in this world, which are your goods, and you have wasted the most part of it: If you keep weeping for the rest of your lifetime for what you have wasted of it, you would still run short of fulfillment. It should be known to you that death is your appointed term, grave is your abode, dust is your bed, worms are your companions in it, the great terror is ahead of you, and the soldiers of death are awaiting your soul to come out and leave your body. Do you not know that anyone after death hopes to return to this world even for a single day in order to compensate what he wasted in it? If you are to sell to anyone of them a single day of your lifetime for his entire world, he would buy it with good pleasure.

Woe to you! You always adorn your outward to the people and challenge

Allah Almighty in your secret. Do you feel shy of the creatures and not of the Creator? Do you enjoin good upon the people while you are stained with vices? Do you invite to Allah and you flee away from Him, and remind others of Him and you forget Him? do you not know that the sinful is more stinking than the dung, and the dung never purifies anything else? So, why do you covet of purifying others and you are not pure in yourself?

Woe to you! You have made yourself a donkey of Iblis to lead you wherever and however he likes. But even, you are fond of your deed which is full of mistakes and errors. Allah Almighty cursed Iblis for a single mistake after he had worshipped Him for two hundred thousand years; and drove Adam out of the Garden only for a single mistake although he is His Prophet.

Woe to you O self! You devote yourself to a world that is leaving you, and turning away from the hereafter which is coming to you. How many a man receives his day and does not complete it, and how many a man hopes in the morrow which he does not realize! Remember a day when Allah Almighty would not leave a servant, whom He ordered to do good and forbade to do evil, without questioning him about his deed, its significant and insignificant, its secret and public. Consider then with what you would stand in front of Allah and with which tongue you would answer Him, and prepare answer for every question, and make right your answer, and do deeds along the remaining short days of your lifetime for the sake of long days to live after death, in a perishable abode for the sake of a permanent abode, in an abode of grief and trouble for the sake of an abode of bliss and eternity. Work before you would not be able to work.

It should be known to you that religion has no substitute, faith has no replacement, body has no successor; and whoever has his riding mount the day and night, he would be conveyed to the end of his journey. So, get admonished, O self, with that admonition, and accept that advice, for whoever turns away from admonition seems to be pleased with the fire, and I do not think you are pleased with it. If it is harshness of the heart which prevents you from accepting admonition, seek the aid of Tahajjud and standing for prayer and remembrance of Allah by night. If it remains, then, be regular on fasting. If it still remains, abstain from mixing and talking to others. If it still remains, adhere to maintaining kinship ties and kindness to the orphans. If, after all of this, it does not vanish, then, you should know that Allah Almighty has set a seal on your heart which locked it and that the darkness of sins heaped up on its external and internal surface. In this way, habituate yourself to the fire, for Allah Almighty created Paradise and created men for it, and created fire and created men for it.

It is related by Wahb Ibn Munabbih that when Allah Almighty caused Adam "peace be upon him" to descend from the Garden to the earth, he kept shedding tears, and on the seventh day of his descent, Allah Almighty looked at him and he was grieved and sad. He revealed to him: "O Adam! What is that trouble I see in you?" he said: "O Lord! My calamity has got aggravated, and my sin encircled me. I have been driven out of the dominion of my Lord into the abode of humiliation

after dignity, in the abode of wretchedness after happiness, in the abode of suffering after comfort, in the abode of affliction after wellbeing, in the abode of loss after stability, in the abode of death and annihilation after survival and eternity. Then, how should I not weep for my mistake?" On that Allah Almighty revealed to him: "O Adam! Have I not chosen you for Myself, and made you live in My abode, and favored you with My dignity, and warned you of My displeasure? Have I not created you with My Own Hand, breathed in you of My Spirit, and made My angels fall in prostration to you? But you disobeyed My command and forgot My covenant and thus exposed yourself to My displeasure. By My Honor and Glory, were I to fill the earth with men like you all worshipping and exalting Me, and then they disobeyed Me, I would enlist them among the disobedient." On that Adam "peace be upon him" kept weeping ceaselessly for three hundred years.

Ubaidullah Al-Bajli used to weep so much. He used to say in his weeping along the night: "O my God! The more I live long, the more my sins increase. Every time I intend to leave a mistake, another desire appears to me."

According to Mansur Ibn Ammar: I heard one night a worshipper in Kufah talking privately to Allah with the following: "O Lord! By Your Honor, I have not intended by my sin to oppose You, and when I disobeyed You, I was not ignorant of Your position, nor regarding with slightness Your vision of me: But it is my soul which made it alluring to me, and my wretchedness helped me, and Your screening me deceived me. The result is that I disobeyed You with my ignorance, and opposed You with my act. Who is it now to deliver me from Your punishment, and by the rope of whom should I hold fast if You cut off Your rope from me? How sorry I would be when I stand in front of You in the hereafter, when those of light burdens would be permitted to cross the path and those of the heavy burdens would be ordered to place their burdens. In the company of each of both would I be?"

Those are the ways of people in their private talk to their Lord, and blaming and reproaching themselves, and their purpose of their private talk is to please Allah Almighty, and their purpose of blaming themselves is to alert and take care of their own selves. Whoever then neglects private talk to Allah and blaming himself is about not to please Allah, nor to look after his own self.

End of book of Reckoning and Watching, followed, Allah willing, by the Book of Meditation.

All perfect praise be to Allah Alone, and Allah's blessing and peace be upon our master Muhammad, his family and companions.

Book nine: Meditation

It is the nineth book of the quarter of Saviors in the revival of religion's sciences

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

All perfect praise be to Allah Who did not make an ending limit to His Power and Honor, nor gave understandings and minds an access to His grandeur and majesty: On the contrary, He left the hearts and minds of the petitioner in the field of His supremacy confused and wandering, and every time they move thinking they would attain what they seek for, they would be repelled by the lights of glory, and every time they intend to turn away in despair, they would be called, from pavilions of beauty, to wait in patience, and asked to go on meditation in the glory of the Lord. But even, if they reflect the glory of the Lord, they would not be able to give it its due estimate; and if they seek further in their attributes, then, they should consider the favors of Allah He bestowed upon them in succession, and give Him thanks for every favor and grace, and reflect how the oceans of fate overflow upon the people in the worlds in good and evil, benefit and harm, ease and difficulty, felicity and loss, amendment and destruction, belief and disbelief, approval and disapproval. But if they go beyond considering the acts to the Divine essence, it would be extremely grievous.

May Allah send blessing and peace upon Muhammad, the chief of mankind, and upon his family and companions, each of whom has become a full moon in the heaven of religion. Coming to the point:

It is related in the Prophetic sunnah that "meditation (in the signs and favors of Allah) for an hour is better (in value) than worship for a year." (Ibn Hibban on the authority of Abu Hurairah; and Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Anas). Allah Almighty urges, more often, the people to meditate, reflect and consider. It is not hidden that thought is the key to lights and the beginning step towards insight, the network of sciences and the grid of knowledge. Although most people know its favor and grace, they, therefore, are ignorant of its real nature, fruit and source.

For this reason, it is important to reveal the reality of that, and this is the topic of this book:

We shall begin, Allah willing, by explication of the virtue of meditation; real nature and fruit of meditation; and then fields and areas of thought.

CHAPTER ONE

EXPLICATION OF VIRTUE OF MEDITATION

Allah Almighty enjoined meditation and consideration in many locations of His Book. He praised those who give thought as shown in His statement: "Men who celebrate the praises of Allah, standing, sitting, and lying down on their sides, and meditate the (wonders of) creation in the heavens and the earth, (with

the thought): "Our Lord! not for naught have you created (all) this! Glory to You! Give us salvation from the Penalty of the Fire." (Al Imran 191)

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾

It is narrated on the authority of Ibn Abbas "Allah be pleased with them" that he said: A people meditated in (the essence of) Allah Almighty, thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to them: "Meditate about the creatures of Allah and not in (the essence of) Allah, for you would never be able to give Him His due estimate." (Abu Na'im).

It is further narrated that once the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" came out to a people and they were sitting in meditation. He asked them: "Why are you silent?" They said: "We are silent because we are meditating in the creatures of Allah Almighty." On that he said to them: "As such you should do. Meditate about the creatures of Allah Almighty, and do not meditate about (the essence of) Allah Himself. However, in that West, there is a white land, whose light is its whiteness, and whiteness is its light, and it is as long as is the course of the sun (from East to West) along forty years. There are creatures from among the creatures of Allah Almighty, who have never disobeyed Him in the least." They asked: "O Messenger of Allah! Where is Satan from them?" he said: "They do not know whether or not Satan was created." They further asked: "Do they belong to the offspring of Adam?" he said: "They even do not know whether or not Adam was created." (this is narrated on the authority of Abdullah Ibn Salam).

It is narrated on the authority of Ata' that he said: I went in the company of Ubaid Ibn Umair to A'ishah "Allah be pleased with her" and she talked to us from behind a partition. She said: "O Ubaid! What prevents you from visiting us?" he said: "I follow the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Postpone your visit, perchance you would become dearer." He further said to her: "Tell us about the most wonderful thing you saw from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"." She wept and said: "All his deeds were wonderful. Once, he came to me when it was my night-and-day turn, and when his skin touched mine he said to me: "Let me worship my Lord Almighty." He stood and went to the water-skin to perform ablution, and then offered prayer in which he wept so much that his tears wetted his beard. Then he fell in prostration so long until his tears wetted the ground. Then, he lay on his side until Bilal came to inform him of the due time of Morning prayer. He asked him: "O Messenger of Allah! What causes you to weep, given that Allah has forgiven for you your previous and later sins?" He said: "May Allah have mercy upon you O Bilal! Why should I not weep and Allah Almighty revealed to me that night: "Behold! in the creation of the heavens and the earth, and the alternation of Night and Day, there are indeed Signs for men of understanding." (Al Imran 190)

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾

Woe to him who recited it and then did not meditate because of it." (Ibn Hibban). It was said to Al-Awza'i: "How should one meditate about them?" he

said: "To recite and then understand them well."

It is narrated on the authority of Muhammad Ibn Wasi' that a man went to Umm Dharr after the death of Abu Dharr "Allah be pleased with him", to ask her about his worship, thereupon she said to him: "He used to spend his day in meditation in one corner of the house."

It is narrated that Al-Hassan said: "Meditation (in the signs of Allah) for an hour is better than standing for a night (in prayer)."

According to Al-Fudail: "Reflection is a mirror that lets you see your good and bad deeds."

It was said to Ibrahim: "You always have long reflection." On that he said: "Reflection is the marrow of mind."

According to Tawus, the disciples said to Jesus "peace be upon him": "O Spirit of Allah! Is there on the surface of the earth anybody like you?" he said: "Yes, he, whose speech is remembrance (of Allah), whose silence meditation (in the signs of Allah), and whose vision consideration, is like me."

According to Al-Hassan: "He, whose speech is not wisdom, it is falsehood; and he, whose silence is not meditation (in the signs of Allah), it is forgetfulness; and he, whose vision is not consideration, it is amusement."

It is said, in comment on the following statement of Allah Almighty: "Those who behave arrogantly on the earth in defiance of right, them will I turn away from My Signs: even if they see all the Signs, they will not believe in them" (Al-A'raf 146)

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ﴿١٤٦﴾ ﴾

"It means I would prevent their hearts and minds from meditation and contemplation (of My signs)."

It is narrated on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Give your eyes their fortune of worship." They said: "O Messenger of Allah! What is their fortune of worship?" He said: "To look at the Mushaf (the Qur'an), meditate its signs and Verses, and take consideration at its wonders." (Ibn Abu Ad-Dunya and Ibn Hibban).

It is related from a woman who lived in the desert near Mecca that she said: "Were the hearts of the pious to know, by virtue of meditation and contemplation, what is kept for them in the unseen, of the good of the hereafter, no living would be pleasing to them in this world, nor would they be satisfied with anything they have."

It is further related that Luqman used to sit in privacy for long times, and whenever his freed slave passed by him, he would say to him: "O Luqman! You sit in seclusion for long times. Would that you sit with the people!" he said: "Indeed, the long privacy is more convenient to stimulate meditation; and the deep meditation is an indication of the way to Paradise."

According to Wahb Ibn Munabbih: "The long meditation leads to knowledge, and knowledge leads to work."

According to Umar Ibn Abd-Al-Aziz: "The meditation of the favors of Allah Almighty is among the best acts of worship."

Abdullah Ibn Al-Mubarak said one day to Sahl Ibn Ali and he was silent, swimming in his meditation: "Where have you reached in your thought?" he said: "The bridge (that is held over Hell)."

According to Bishr: "Were the people to meditate about the grandeur of Allah Almighty, surely, they would never disobey Him."

According to Ibn Abbas "Allah be pleased with them": "A two-rak'ah prayer to be offered moderately with meditation is better than the standing for a whole night (in prayer) without meditation."

According to Abu Sulaiman Ad-Darani: "Habituate your eyes to weep so much, and your minds to meditate (about Allah's signs)." He said once again: "Meditation about this world veils one from the hereafter and leads to his punishment; whereas meditation about the hereafter develops wisdom and brings hearts to life."

According to Ibn Abbas "Allah be pleased with them": "Meditation about good invites one to act upon it; and regret for evil invites one to leave it."

It is related that Allah Almighty said in one of His Scriptures: "I do not accept the words of every wise man: but rather I consider his concern and inclination. If he is concerned with, and inclined to Me, I make his silence meditation and speech praise even if he speaks not."

According to Al-Junaid: "The noblest and highest assembly is to sit with meditation in the field of monotheism, to breathe from the breezes of wisdom and knowledge, to drink, with the cup of love, from the ocean of affection, and to regard Allah Almighty with good assumption."

According to Ash-Shafi'i: "Seek the aid of silence for talking, and of meditation for understanding." He said once again: "The correct vision of matters is the best salvation from the evil of conceit; and decisiveness in opinion is safety from indulgence; and regret, deliberation and meditation reveal firmness and good sense; and consultation of wise men makes firm the soul and strengthens the insight. So, think before you decide to do anything, be cautious before you take the initiative to do it, and consult (the wise men) before you proceed on." He further said: "Virtues are four: One is wisdom, and its substance is meditation. The second is chastity, and its substance lies in the desire. The third is power and its substance lies in anger. The fourth is justice, and its substance lies in the balance of the forces of the self."

CHAPTER TWO

EXPLICATION OF REAL NATURE AND FRUIT OF MEDITATION

It should be known to you that the meaning of meditation is to bring two items of knowledge into the heart in order to deduce therefrom a third item. A typical example is that if one inclines to the transitory things (of this life), and gives preference to the life of world, and at the same time, wants to know that the hereafter is more fitting to be given preference than the world, he has two ways to know this:

The first is to hear this fact from another one, i.e. that the hereafter is better and more fitting for preference than this world, thereupon he imitates him, and gives trust to his statement without having insight of the reality of the matter. He

then inclines, with his work, to the hereafter, simply depending on the statement of the other one. That is called imitation, and not knowledge.

The other way is to know that the more enduring should be more fitting for preference, and then learn that the hereafter is more enduring, and deduce, from both items of knowledge, a third item, i.e. that the hereafter is more fitting for preference. This third item is indeed based on the previous two, thus, to bring two item of knowledge into the heart in order to deduce therefrom a third item of knowledge is called meditation, consideration, contemplation, remembrance, reflection and deliberation: All are almost synonyms of the same meaning, with slight variation according to which each focuses on a certain point of the meaning. Remembrance, for example, is given to bringing the first two items of knowledge, without going beyond them to the third one. Thus, meditation/contemplation/reflection is more comprehensive than remembrance. The benefit of remembrance is to repeat knowledge in order to confirm them, whereas the benefit of meditation is to increase the different categories of knowledge and bring new kinds into the heart. That is the difference between remembrance and meditation.

If different items of knowledge gather in the hart in pairs according to a particular order, they would produce a further knowledge. Knowledge then is a fruit of knowledge, which turns into a cause of another knowledge to be produced therefrom, and so on. In this way, knowledge, sciences and meditation continue to develop and grow in the mind endlessly. To know the way to utilize and invest knowledge to be productive as such occurs once through a Divine light to be inspired to the heart, as was the state of the Prophets "peace be upon them"; and this is very rare. It once occurs by learning and practice; and this is more often.

On the other hand, the reflector might have those items of knowledge with their fruit, while he does not know the way it occurs, and fails to express it in words. How many a person knows, for certain, that the hereafter is better and more fitting for preference than this world. But were he to be asked about why he knows that, he would not be able to give answer, although his knowledge of that is produced from the two previous items of knowledge, i.e. that the more enduring should be more fitting for preference, and since the hereafter is more enduring, the hereafter then should be more fitting for preference.

That is the real nature of meditation, i.e. to bring two items of knowledge in order to deduce therefrom a result. As for the fruit of meditation, it lies in sciences, states and deeds. But its special fruit here is knowledge. It is true that when knowledge occurs in the heart and mind, their state necessarily changes, and the change of the heart's state leads to the change of the deeds of organs. Meditation, in this sense, is the key and fountainhead of all good things. It is that which reveals to you the excellence of meditation, as being better than remembrance and memorization. Since the meditation of the heart is more than remembrance, and to be sure, the remembrance of the heart is better than the deed of the organs. That is why meditation is more excellent than all deeds.

That is the significance of the statement: "Meditation for an hour is better

than the worship for a whole year." It is said that it refers to the movement from what is disliked to what is liked, and from desire and prudence to asceticism and satisfaction. It is also said, in its interpretation, that refers to that which results in contemplation and piety in the hearts. For this reason, Allah Almighty said: "in order that they may fear Allah, or that it may cause their remembrance (of Him)." (Ta Ha 113)

﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾

There are then five degrees: First is remembrance, which is to bring two items of knowledge into the heart. The second is meditation, which is to pursue the knowledge that is intended by them, i.e. the result. The third is to obtain the desired knowledge which enlightens the heart. The fourth is to change the heart's state because of getting the new knowledge. The fifth is the organs' service of the heart according to the occurring state. This new knowledge which enlightens the heart enables it to see what it did not see before that, which, in turn, is reflected on changing its state. The result is that the organs do, on the light of the new knowledge, deeds which were not available before because of darkness in the absence of that light.

The fruit of meditation then is sciences and states, and sciences are limitless, and the states in which the heart is imagined to turn to are also beyond calculation. This means, of course, that the fields of meditation are innumerable.

It is true that we do our best to enumerate its fields according to the tasks of religious sciences and stations of the followers of the path (to the hereafter). But this, if done, would be general and not detailed, for the details require to give explanation to all sciences and branches of knowledge, and this is quite impossible. However, all contents of that book with its four volumes give explanation to some of them. But even, it is important to refer, though briefly, to the general fields of meditation; and this will be, Allah willing, the topic of the next chapter.

CHAPTER THREE
EXPLICATION OF FIELDS OF MEDITATION

It should be known to you that the fields of meditation might be religious or worldly. Our topic here is limited to the religious fields. By religion we mean the relation that is between the servant and his Lord. All thoughts of anyone are related either with the servant, his attributes and states, or with the worshipped Lord, His attributes and acts. What is related with the servant includes meditation in what is liked or what is disliked by Allah Almighty. What is related with the Lord Almighty includes meditation in His essence, attributes, most beautiful names, or in His acts, dominion and kingdom, i.e. all that is in the heavens and earth and what is in between them.

The fields of meditation are limited to those four things. The lover of Allah Almighty should not go, with his meditation, beyond his beloved. Since his meditation is limited to those four divisions, he then does not deviate from love in principle.

Let's begin with the first division, i.e. to meditate in one's attributes and acts,

in order to distinguish what is liked thereof from what is disliked. That division of meditation addresses the science of practical religion (Mu'amalah), which is intended from that book, whereas the other division addresses the science of revelation (Mukashafah). Therefore, what is liked and disliked, in the sight of Allah Almighty, is divided into the apparent, like the acts of worship and sins, and the hidden like the saving and destructive attributes, which lie in the heart; and we have mentioned them in detail in the quarter of Destructives and the quarter of Saviors.

Sins are divided into what is related only with the seven organs, and what is related with the whole parts of the body, like the flight from the battlefield, undutifulness to parents and living in an unlawful residence, etc. as far as what is disliked is concerned, meditation should include three things: first: to meditate whether or not it is disliked in the Sight of Allah Almighty. Second: To meditate that in case it is really disliked, then, what is the way to avoid it? Third: To consider: Does he have this disliked thing presently, which means that he should leave it immediately, or would he be exposed to it in the future, which means that he should do his best to avoid it, or did he commit it in the past, which means that he should make amend for it? The same also applies to what is liked.

If those divisions gather together, the fields of meditation then would be over one hundred. The servant is forced to meditate in some or most of them. It would be too lengthy to explain each one of those in detail. But anyway, all are included in four general divisions: acts of worship, sins, saviors and destructives. Let us refer to each briefly.

First, sins: In the morning of everyday, one should inspect his seven organs and then all parts of his body in general about a present sin which he is committing to avoid, a past sin which he did to make amend for, or a probable sin to which he might possibly be exposed in the future to keep himself far from. Let him first inspect his tongue which is apt to backbiting, talebearing, telling lies, insulting and abusing others, etc. he should state first, within himself, that those are disliked in the Sight of Allah, and then consider the evidences from the Qur'an and sunnah for the severe punishment resulting from them. Then, let him meditate in his state, and how he is exposed to any of those while he feels not, and how he should avoid them, putting in mind that he could not do so except by being in seclusion, or sitting only with the righteous among men, to disapprove of him whenever he speaks with what is disliked by Allah. As such he should meditate concerning all his organs and parts of body. Once he knows, by virtue of that meditation, the reality of his states, he would then engage in watching over himself along the day, in order to safeguard the organs from committing any such sins.

Second, the acts of worship: He should first consider the obligatory duties binding on him, how he should perform them, and guard them from any deficiency or indulgence, or amend the shortage therein by supererogatory deeds. Then, let him inspect organs one by one, and meditate in the acts unique to each, of what is liked by Allah Almighty. Let him say, for instance,

that "the eye has been created to look at the dominion of the heavens and the earth, by way of consideration, to be used in obedience of Allah Almighty, and look at the Book of Allah and the sunnah of His Prophet "peace be upon him": Then, since I am able to do so, why should I not do it?" The same is true of his remaining organs.

Third, the destructive attributes which lie in the heart. They include such evil attributes as desire, anger, niggardliness, envy, bad assumption, arrogance, haughtiness, showing off, heedlessness, etc. let him consider those attributes and whether or not his heart is free from them. If he thinks that his heart is free from them, let him think how to test it, by way of confirmation. Man always considers himself good although when putting himself to trial, he might not prove so. Each of those has a distinctive sign by which it might be recognized as we have mentioned in the quarter of Destructives. If the sign indicates that he has one of such attributes, he should then think how to deface it in his sight, in order to be able to avoid it. Once he knows the evil of each attribute, he should think about the way of remedy to remove that attribute from his heart. We have mentioned that one of the ways of remedy is to do the opposite of the evil attribute until it is removed from himself.

Fourth, the saving characteristics: It is to repent from sins, show regrets for disobedience, give thanks for favors and persevere with patience on the trials and ordeals, fear (from punishment), have hope (in the Garden), abstain in this world, be sincere and true in the acts of worship, love and honor Allah Almighty, be contented with His acts and decrees, be attached in love to meeting Him, be submissive and humble to Him, and so on. We have already mentioned all of this, along with the causes and signs, in this quarter of Saviors. So, let the servant meditate, everyday, about what he lacks of those characteristics which bring him close to Allah Almighty. If he detects that he lacks some of them, he should know that those are states which in themselves are fruits of sciences, and sciences are fruits of thoughts and reflections.

If he, for instance, likes to motivate within himself the state of repentance and regret, let him first inspect his sins and bring them to his mind, and regard them with seriousness in his heart and then consider the severe threat and promised punishment for them as mentioned in the Book of Allah and the sunnah of the Prophet "peace be upon him", putting in mind that by committing them, he exposes himself to the displeasure and wrath of Allah Almighty, which stimulates within himself the state of regret.

On the other hand, if he likes to motivate within himself the state of gratitude, let him first inspect the favors and grace of Allah He bestowed upon him. If he likes the state of love and attachment, let him reflect the glory, majesty, beauty and grandeur of Allah Almighty, by looking at the wonders of his wisdom and making as we shall show later in the second division of meditation. The same applies then to all the other states he likes to obtain.

That is the way of meditation to obtain sciences which produce the inclination to liked states and disinclination from disliked states. We have assigned to each one of those state a particular section in this book. Nothing

combines them more beneficial than recitation of the Holy Qur'an with meditation, for it contains all stations and states, and healing for the worlds from all heart diseases, develops in the soul both fear and hope, patience and gratitude, love and attachment, etc, and averts from all blameworthy attributes. So, the servant should recite it with reflection, and repeat each Verse he needs to meditate in again and again even if he is to recite it over one hundred times. Indeed, to recite a single Qur'anic Verse with meditation is better than to recite the entire Qur'an from the beginning to the end on one night without deliberation. Let him pause at each Holy Verse for reflection as long as it needs, for underneath every word lie countless mysteries, which could be understood only with deep reflection and pure heart and mind.

The same also is true of learning the news of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" for he was given the faculty of expression with the shortest words that bear the widest and most comprehensive meanings. Each word of his is an ocean of wisdom. Consider, for instance, his statement: "The Holy Spirit (Gabriel) inspired to me that 'it is the same to you to love whomever you love, since you would inevitably leave him (by death), to live as long as it might seem to you, since you would necessarily die, and to do deeds as you like since you would be rewarded for them." This statement comprehends the wisdom of all the foremost and last generations, and is sufficient for those who reflect on it along their lifetime. Were to know its meaning, and have certain faith in it, surely, it would overtake them entirely so much that they would no longer turn to that world with all its pleasures and delights.

That is the way of meditation in the sciences of practical religion, and the attributes of the servant, and whether they are liked or disliked in the Sight of Allah Almighty. The beginner should spend his time in those thoughts in order to fill his heart with the praiseworthy manners and noble stations, and keep his inward and outward away from what is disliked. But even, one should put in mind that this, though being superior to the other acts of worship, is not the ultimate finale in itself: Indeed, whoever is engaged in it is veiled from the ultimate finale of the sincere lovers and affirmers of truth, i.e. to be blessed in meditation in the majesty and beauty of Allah Almighty, which involves the heart so much that it is consumed from itself, or in other words, is diverted from itself and its states, stations and attributes. That is because his concern is wholeheartedly devoted to his beloved. It is the utmost pleasure of lovers.

But what we have mentioned is to meditate in the way to fill the inward, to be fitting for closeness and connection. If one spends his entire lifetime in mending himself, then, when would he be blessed in the closeness to Allah? The self-consumption in the One and Real is the purpose of the petitioners, and the utmost bliss of the sincere affirmers and lovers of truth.

As such you should understand the way of religion if you are among the men of closeness. But if you are like an evil slave who never moves but for fear of punishment and in the hope of reward, then, sufficient for you are the physical movements with the apparent deeds, for in this case, there would be a very thick

veil between you and the heart. If you do the deeds to the best, it is true that you would be from among the inhabitants of Paradise, but still not one of these of closeness (to Allah).

If you know the fields of meditation in the sciences of practical religion between the servant and his Lord, you should take heed of them every morning and evening. Do not neglect yourself: neither your attributes that keep you away from Allah Almighty, nor your states that bring you close to Him. Every novice (on the path) should have a notepad to record in it both the destructive and saving attributes, both sins and acts of worship, and measure himself on it everyday. Ten suffice him for the destructives; and if he is saved from them, he would be safe from the others: niggardliness, arrogance, haughtiness, showing off, envy, extreme anger, greed for food, greed for sex, love for property, and love for majesty. For the saviors, ten also suffice him: Regret for sins, patience on trials and ordeals, contentment with the fate, gratitude for favors, moderate fear (from punishment) and hope (in the reward), abstinence from this world, sincerity in deeds, good manners and love for and submission to Allah Almighty. The total is twenty.

Let him first turn to the destructive ones and strive his utmost to remove them from himself one by one, and every time he purifies himself from one of them, let him tag it and move to the next one, and give thanks to Allah for helping him do so, putting in mind that if he succeeds to remove any of them, it goes back to the power and will of Allah Almighty; and were it to be entrusted to himself, he would not be able to remove even the least vice. On the other hand, let him turn to the saving attributes, one by one and do his best to acquire them and make them a part of his character, following the same method adopted in removing the destructive ones. That is the way to be followed by the serious novice.

As for the righteous, they should record in their notepads all apparent sins and crimes, for whatever righteous one might seem, he could hardly be free from some of those sins in his organs. Unless one engages in purifying his organs, by no means would he be able to engage in purifying his heart. Everyone should be concerned with the sins which he himself does more than in the sins committed by others. To be sure, religion is not in need of anyone, but none could dispense with religion. Among the most destructive attributes to be avoided particularly by scholars is showing off, according to which one seeks majesty and celebrity, thinking he serves the religion. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Love for majesty and property causes showing off to grow in the heart in the same way as water causes seeds to grow in the earth." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "No rabid wolves have been sent to a fold of sheep, more destructive than those two of love for property, honour and majesty in the religion of a Muslim person." (At-Tirmidhi and An-Nasa'i on the authority of Ka'b Ibn Malik).

If one detects in himself that characteristic, he should remove it, and it could not be removed unless one lives in seclusion and privacy from the people, and abstains from mixing with them. That is indeed the duty of the pious scholars. As

for the like of us, we should meditate in what strengthens our faith in the Day of Reckoning. Our deeds are not the deeds of such as has faith in Paradise and Hell. Whoever fears a thing should inevitably flee from it, and whoever has hope in a thing should necessarily pursue it. In order to flee from the fire, we should leave sins and crimes and keep away from what is suspicious. But we do not do so. In order to pursue Paradise, we should increase our supererogatory deeds, after fulfilling the obligatory duties. But even, we fall short of doing our obligatory duties, let alone the supererogatory deeds. Thus, we have obtained from the fruit of knowledge nothing other than our being imitated by the laymen in the greediness for the world, under pretext that had this been blameworthy, surely, the scholars would have been more entitled to leave it. Would that we were among the laymen and not scholars, and when we die, our sins die with us.

That is the field of meditation available to the scholars and righteous in the science of practical religion. Once they finish from that, let them promote therefrom to the meditation in the glory and beauty of Allah Almighty, and bless themselves with contemplating Him with the eye of the heart. But this could be achieved only after getting rid of all destructive attributes, and acquiring all saving characteristics. If something of that contemplation emerges to anyone before finishing from both tasks entirely, it would soon disappear like the flash of lightning.

The second division is the meditation in the glory, majesty and grandeur of Allah Almighty. It has two stations: the supreme station, which is to meditate in His essence, attributes, and the meanings of His names. But it is that from which we have been prevented. It is said: "Meditate in the creation of Allah Almighty, and not in the essence of Allah." That is because the minds are too limited to endure to comprehend Him Almighty in perception. The example of all the creatures, in their sights to Allah Almighty is like bats in their sights to the light of the sun: they never endure looking at it. The example of the sincere affirmers and lovers of truth, from among all the creatures, is like mankind in their sights to the sun: Although they could look at it, they could not persist in looking at it more than a few moments, after which the sight would be damaged and lost. The right then is not to expose oneself to meditation in the essence and attributes of Allah, for most minds could hardly endure that.

For this reason, Allah Almighty revealed to one of His Prophets: "Tell not My servant about My attributes lest they would deny Me, but rather tell them about Me with what they could understand of Me." Since the meditation in the essence and attributes of Allah Almighty leads to a great risk from that perspective, the discipline of Sharia and rectitude of the creatures require not to expose ourselves to meditation in that field.

Let's us then move to the second station, which is to meditate in His acts, areas of His power, and wonders of His making: This indicates to His glory and majesty, holiness and exaltation, perfect knowledge and wisdom, comprehensive overall power and will. In this way, we look at His attributes from the traces of His attributes, for we could not endure looking at His attributes in the same way as we could not endure looking at the light of the sun, but rather look at the

ground while illuminated with the light of the sun. we indeed attest how great the light of the sun is from the light of the moon and the other planets, for those are but traces of the light of the sun. All things in existence are among the traces of the power and will of Allah Almighty. We then see the attributes of the Maker from meditation in His making, which stands for intermediary between us and His acts and attributes. That is the significance of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Meditate in the creation of Allah, and not in the essence of Allah."

CHAPTER FOUR
EXPLICATION OF THE WAY OF MEDITATION IN THE CREATION OF ALLAH ALMIGHTY

It should be known to you that all things in existence, other than Allah Almighty, are the creation and making of Him Almighty, and in each atom and molecule lie wonders and marvels indicative of His power, will, wisdom and glory. It is impossible to calculate all of this for "If the ocean were ink (wherewith to write out) the words of my Lord. Sooner would the ocean be exhausted than would the words of my Lord, even if we added another ocean like it, for its aid." (Al-Kahf 109)

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾

However, let's refer to an example as representative of all.

We say that the created existents are divided into what is unknown to us, and thus it is impossible for us to meditate in them. How many existents which we do not know as confirmed by Allah Almighty: "and He has created (other) things of which you have no knowledge." (An-Nahl 8)

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾

And: "Glory to Allah, Who created in pairs all things that the earth produces, as well as their own (human) kind and (other) things of which they have no knowledge." (Ya Sin 36)

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

And: "From changing your Forms and creating you (again) in (Forms) that you know not." (Al-Waqi'ah 61)

﴿ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

The second division of the existents are things which are known to us in general, but not in their details. It is those details then in which we could meditate. Those are divided into what we have perceived by the sense of sight, and what we have perceived but not with the sense of sight, like angels, jinn, devils, Throne (of Majesty), Kursi, etc. the area of meditation in those things is narrow and even abstruse. So, let us leave them for the visibles that are under the reach of understanding, like the seven heavens, the earth and what is between them. The heavens are visible with their planets, stars, orbs and their movements. The earth also is visible with its mountains, minerals, rivers, oceans, trees, plants, animals, etc. what is between the heavens and the earth,

i.e. the atmosphere, is also visible with its clouds, rains, snow, tempests, winds, thunders, lightning, etc.

Those are the visible things in the heavens, the earth and what is between them. Each of those things is divided into different kinds, and each into a variety of branches, diverse in character, form and external and internal attributes, and so on in an endless series. All of this represents the area and field of meditation. No atom, nor a mountain, nor a tree, nor a star, nor a planet, nor anything in the heavens, the earth and what is between them, moves but that it is Allah Almighty Who moves it for one, ten or even countless wisdoms lying underneath it. All of these are witnesses to the oneness, grandeur, supremacy and majesty of Allah Almighty. They are the signs that indicate to Him Almighty.

The Holy Qur'an invites us again and again to reflect those signs, saying: "Behold! in the creation of the heavens and the earth, and the alternation of Night and Day, there are indeed Signs for men of understanding." (Al Imran 190)

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾

Do you not see that Allah Almighty says, from the beginning to the end of the Qur'an: "And among His signs" is such and such? Let's mention here the way of meditation in those signs.

Among His signs is the man himself, who is created from a sperm-drop and ahs of and wonders marvels which one could spend his lifetime without being able to comprehend and encompass all of them. O heedless of his own self: how could you be ignorant of yourself and at the same time covetous of knowing others than you? Allah Almighty commanded you in His Holy Book to deliberate yourself saying: "As also in your own selves: Will you not then see?" (Adh-Dhariyat 21)

﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

He Almighty reminded you that He created you from a despicable sperm-drop saying: " Woe to man! What has made him reject Allah? From what stuff has He created him? From a sperm-drop: He has created him, and then moulds him in due proportions; Then does He make his path smooth for him; Then He causes him to die, and putts him in his Grave; Then, when it is His Will, He will raise him up (again)." (Abasa 17-22)

﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾

In confirmation of that, He Almighty said too: "Among His Signs is this, that He created you from dust; and then, behold, you are men scattered (far and wide)!" (Ar-Rum 20)

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

And: "Was he not a drop of sperm emitted (in lowly form)? Then did he become a clinging clot; then did (Allah) make and fashion (him) in due proportion." (Al-Qiyamah 37-38)

﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

And: "Have We not created you from a fluid (held) despicable? The which We placed in a place of rest, firmly fixed, For a period (of gestation), determined (according to need)?" (Al-Mursalat 20-22)

﴿ أَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ ﴾

And: "Does not man see that it is We Who created him from sperm? Yet behold! he (stands forth) as an open adversary!" (Ya Sin 77)

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ ﴾

And: "Verily We created Man from a drop of mingled sperm, in order to try him: so We gave him (the gifts), of Hearing and Sight." (Al-Insan 2)

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾

Then, He Almighty clarified how He turned the sperm-drop into a clinging like-leech clot of congealed blood, then into a morsel of flesh, and the morsel of flesh into bones covering it in His saying: "Man We did create from a quintessence (of clay); Then We placed him as (a drop of) sperm in a place of rest, firmly fixed; Then We made the sperm into a clot of congealed blood; then of that clot We made a (fetus) lump; then We made out of that lump bones and clothed the bones with flesh; then We developed out of it another creature. So blessed be Allah, the Best to create!" (Al-Mu'minun 12-14)

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

The repetition of the word sperm-drop across the Holy Book is not intended to be heard without reflection. Consider the sperm which is no more than a despicable drop, and were it to be left in the air for an hour, it would putrefy. Consider then how Allah Almighty brings it out from between backbone and ribs; and how He gathers between the male and the female, and draws affection and love in their hearts; and how He leads them, by virtue of love and desire, to have sexual intercourse; and how He brings the sperm-drop from the male as a result of ejaculation of semen into the female's womb; and how He causes it to penetrate the ovum and fertilizes it to produce the first cell of the fetus; and how He develops the sperm-drop in the womb to turn into a clinging leech-like clot of congealed blood; and how He turns this clot of blood into a morsel of flesh; and how He extracts therefrom bones, nerves, strings, and veins; and how He forms from that the different organs and parts of body, beginning from the head, the eye, the ear, the nose, the mouth, and all the other outlets, and then creates hands and feet, ending with fingers which He divides by joints; and how He forms the internal organs like the heart, the stomach, the liver, the kidney, both lungs, the intestines, the uterus in the woman, the bladder, and so on, each having a particular form, to do a specific duty; and how He composes each of those

organs from different parts, each in proportion to its place and function; and so on. Were one to consider the wonders that lie in only one of those, surely, he would spend his entire lifetime even without being able to fathom it as it should be.

The point here is not to know the detailed anatomy of the body for this science is unique to the physicians which are more acquainted with it. But the purpose is to meditate, therefrom, in their Creator and Manipulator: how He creates them and gives them their due proportions, in the most fitting way that were they to change in form, increase or decrease even by one, they would cease to function. The purpose of the physician from regarding them is to know the way to remedy them, whereas the purpose of those endued with insight is to attest the glory of their Creator Who gives them form. How different those views are from each other!

The field of meditation is to consider those parts of body one by one, and then as a whole. Each has countless wonders and marvels, given that the wonders of the attributes and characteristics which are not perceived by senses, are greater. If all of this is the making of Allah which He produces from a drop of despicable semen, then, what do you think about the wonders of His making in the dominion of the heavens and the earth and what is between them? Think not that even a single atom in the dominion of the heavens and the earth is free form one or more wisdoms. They are more perfect and more elaborate than the human body. Moreover, all wonders on earth are insignificant in comparison with the wonders of the heavens. That is the meaning of His statement: "What! Are you the more difficult to create or the heaven (above)? (Allah) has constructed it: On high has He raised its canopy, and He has given it order and perfection. Its night does He endow with darkness, and its splendour does He bring out (with light)." (An-Nazi'at 27-29)

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ ﴾

Consider then the original state of the sperm-drop and the new state to which it turns to be, and think if both men and jinn gather together to create in it any of the five senses or any part of the body, or to breathe spirit into it, could they be able to do? Wonder at you when you look at a well-drawn picture on a wall and appreciate its making, given that the maker does not create it in so much as gathers together the different constituents which are originally created by another, i.e. the Real Creator, and composes it therefrom. Is there any comparison between that and the creation of man from a despicable sperm-drop? Were the cover to be removed from the womb, surely, one might be able to see how it acquires the form and shape step by step, without seeing the maker and giver of form himself: have you ever seen a thing being made with no direct relation or contact between it and its maker? Moreover, were the foremost and the last, from among jinn and men, to gather together in attempt to modify the figure of a man from the very form and shape in which it is created by Allah Almighty, of a surety, they would fail to find a form better than that in which it is created. Exalted be Allah: How excellent is He, and how evident is His proof!

Consider also how the womb of the mother is expanded in proportion to the growth of the fetus inside it, and how the fetus itself moves and bends within it in order to befit the size of the womb surrounding it; and when it is delivered as a babe, how he is guided to pick up the breast of his mother for milk; and how that milk is produced from between blood and excretion as nourishment palatable and suitable to the babe; and how this milk comes out from small holes made on the surface of the teat, and how they are narrow so much in order for milk not to come out without being sucked by the child; and how the child is guided to the process of sucking; and how, when he grows and milk becomes not suitable to his body, teeth are created for him gradually, in order to move from nourishment of milk to the nourishment of food. Consider also how his parents are guided to have affection and love for him which enables them to be in his service when he was powerless and helpless during his early childhood, until he becomes an adult, then a man, then old-aged, whether an obedient believer or a disobedient disbeliever, as confirmed by the statement of Allah Almighty: "Has there not been over Man a long period of time, when he was nothing, (not even) mentioned? Verily We created Man from a drop of mingled sperm, in order to try him: so We gave him (the gifts), of Hearing and Sight. We showed him the Way: whether he be grateful or ungrateful (rests on his will)." (Al-Insan 1-3)

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ
نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝ ﴾

That is a synopsis of the wonders of the making of your body which could not be surveyed at all. But anyway, your body is the nearest field to your meditation, and the clearest evidence indicative of the greatness and grandeur of your Creator. Therefore, you are heedless of that, for you are engaged in fulfilling the appetites of your abdomen and the sexual desires of your genitals. You know nothing about yourself except that whenever you become hungry, you eat, whenever you get tired, you sleep, whenever you grow angry, you fight, and whenever your sexual desire is provoked, you have sexual relation, and so on. Animals share you in all of this.

But the characteristic that is unique to human beings, from which the animals are veiled, is your gnosis of Allah Almighty through reflecting the dominion of the heavens and the earth, and the wonders in the horizons and within selves. It is with that reflection that a servant becomes a member in the company of the angels made near to Allah, and would be mustered in the company of the Prophets and sincere affirmers and lovers of truth made close to the presence of the Lord of the worlds. Of course, this rank is not fitting for animals, nor for a man who is contented from this world only with the same desires of animals. That man is worse than the animal, for the animal, in the end, has no power to do more than that, unlike him, for whom Allah Almighty created the power, but he himself makes it idle, and stops it from function. In this way, he is ungrateful to the favor of Allah in it: Such are like animals, and even more straying from the path.

If you then know the field of meditation in your body, move therefrom to

meditation in the earth on which you live, with its mountains, rivers, oceans, plants, animals and minerals, and then up to the dominion of the heavens. Reflect His statement: "With power and skill did We construct the Firmament: for it is We Who create the vastness of Space. And We have spread out the (spacious) earth: how excellently We do spread out!" (Adh-Dhariyat 47-48)

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

And: "It is He Who has made the earth manageable for you, so traverse you through its tracts and enjoy of the Sustenance which He furnishes: but unto Him is the Resurrection." (Al-Mulk 15)

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾

And: "Who has made the earth your couch, and the heavens your canopy." (Al-Baqarah 22)

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ ﴿٢٢﴾ ﴾

Allah Almighty, more often, remembers the earth in the Qur'an, due to its numerous wonders: Its surface is made a residence for the living, and its inside as a grave for the dead, as confirmed by His statement: "Have We not made the earth (as a place) to draw together The living and the dead, And made therein mountains standing firm, lofty (in stature); and provided for you water sweet (and wholesome)?" (Al-Mursalat 25-27)

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ ﴾

He further said, confirming the wonders of the earth and the heavens, and that He did not create them in vain: "We created not the heavens, the earth, and all between them, merely in (idle) sport; We created them not except for just ends: but most of them do not understand." (Ad-Dukhan 38-39)

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

In short, the wonders of the earth are countless, and everything on the earth, be it mountains, air, trees and plants, minerals, oceans, seas, rivers, birds, animals, etc, deserves to be an object of meditation and reflection. Were one to spend his entire lifetime in an attempt to extract the numerous pieces of wisdom lying behind a single one of those things, surely, his lifetime would be consumed without being able even to perceive a few number of them. Of course, all of those wonders we see indicate to the grandeur and majesty of the Creator Almighty.

Among His signs also is the dominion of the heavens and the earth and what is in between them of celestial bodies. Whoever perceives all things and fails to perceive the wonders of the dominion of the heavens has, indeed, perceived nothing at all. The earth, all with its oceans, mountains, rivers, plants and animals, in comparison with the heavens, are like but a single drop in a great ocean. Consider how Allah Almighty honored the heavens in His Book. There is almost no Surah but that the heavens are mentioned in it. Moreover, Allah Almighty

often swears by them in more than one Surah.

Allah Almighty did not swear by the sperm-drop which all the foremost and the last generations failed to perceive the mysteries lying behind it. Then, what do you think about that by which He Almighty swore, and made a place of sustenance saying: "And in heaven is your Sustenance, as (also) that which you are promised." (Adh-Dhariyat 22)

﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

He also praised those of men who reflect on the creation of the heavens and the earth, saying: "and contemplate the (wonders of) creation in the heavens and the earth, (with the thought): "Our Lord! not for naught have you created (all) this! Glory to You!" (Al Imran 191)

﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾

On the other hand, He criticized those who are heedless of that, saying: "And We have made the heavens as a canopy well guarded: yet do they turn away from the Signs which these things (point to)!" (Al-Anbiya' 32)

﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

He further said: "And (have We not) built over you the seven Firmaments, And placed (therein) a Light of Splendour?" (An-Naba' 12-13)

﴿ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ﴿١٢﴾ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ﴿١٣﴾ ﴾

And: "What! Are you the more difficult to create or the heaven (above)? (Allah) has constructed it: On high has He raised its canopy, and He has given it order and perfection." (An-Nazi'at 27-28)

﴿ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ ﴾

Think not that to be invited to see the dominion of the heavens means to stretch up your sight and look at the blueness of the sky and the light of the stars! Indeed, all animals share you in that vision. If that is what is intended, then, why did Allah Almighty praise Abraham "peace be upon him" saying: "So also did We show Abraham the power and the laws of the heavens and the earth, that he might (with understanding) have certitude." (Al-An'am 75)

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

In general, all that is perceived by the sense of sight is referred to in the Qur'an as kingdom of visibles, and all that is beyond the perception of sight is referred to as the dominion of the invisibles and unseen. Allah Almighty is the knower of the kingdom of the visibles, and the subduer of the dominion of the invisibles; and none encompasses anything of His knowledge except for what He wills, and He also never discloses His unseen to anyone except such of Messengers as He likes.

So, O rational man, hasten to contemplate the dominion of the invisibles, perchance the gates of the heavens might be opened to you and you tour with

your heart in their different sides until your heart becomes in front of the Throne (of Majesty) of Allah, Most Gracious. At that point, it may be that you are expected to attain the rank of Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" who said: "My heart has seen my Lord." That is because to attain the farthest, you should first exceed the nearest; and the nearest thing to yourself is your own self, then the earth which is your residence, then the atmosphere surrounding you, then the animals and plants and all that is on the surface of the earth, then the wonders of the area that is in between the heavens and the earth, then the seven firmaments of the heaven with their stars and celestial bodies, then the Kursi, then the Throne (of Majesty), then the angels, who are the carriers of the Throne (of Majesty) and the keepers of the heavens, and therefrom you raise up to contemplation of the Lord of the worlds: that is a rank between you and which there are long distances and great obstacles, given that you still has not finished from the nearest obstacle to you, i.e. the knowledge of your own self at least outwardly.

But instead of that, you give the free rein to your tongue to claim rudely that you know your Lord, and the creation of your Lord, then, in which thing further do you need to reflect? Nay! Raise your vision towards the sky and look at their perfect constitution and complete system in which there is no flaw. Among its great wonders is that there is nothing on earth but that it has a picture of its like in the heavens. Reflect also the course of the sun in its orb for a year round the galaxy, and how it rises and sets everyday, and how it is subjugated by its Creator to man, and but for its rising and setting, there would be no difference between both day and night, and it would rather be either perpetual night or perpetual day. The change of the position of the sun concerning the sky produces different seasons along the year, ranging from summer whose heat is scorching, autumn and spring, whose temperature is moderate, and winter, whose cold is severe.

Overall, there is no covet of calculating all wonders of the dominion of the heavens. That is only a guide to the way of meditation in it. There is nothing created by Allah Almighty in the heavens, on earth and in between them but that Allah has, in creating it, countless pieces of wisdom lying behind it. Measure on that the parts of your body, the wisdom of creating each of which is infinite. But even, there is no comparison between the wonders of the world of the earth and the wonders of the dominion of the heavens. Sufficient for example is to know that the men of knowledge have agreed that the sun is one hundred and sixty two times the earth. The same is true of the other stars. According to a certain narration, the distance between each two firmaments of the heaven is as long as a five hundred-year journey. (At-Tirmidhi on the authority of Abu Hurairah).

Consider also that the stars which are bigger than the earth are thousands of thousands. Consider also their movement so rapidly that you take no heed of it. Consider how Gabriel "peace be upon him" expressed that speed of movement in the narration in which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" asked him: "Has the sun declined?" he said: "No, yes." He asked him: "How do you say no, yes?" he said: "From the moment I said no until I said yes,

the sun has moved as long as a five hundred-year journey." Consider also the power of Allah, Exalted in wise, how He fixed its image, given its great immensity and remoteness of its ends from each other, in the eyeball, given its very smallness.

But at the same time, you should not look at the sky with its hugeness and great stars and celestial bodies in so much as you should look at its Creator: how He created it and raised the heavens without any pillars that you can see, so that all the world seems to be like a single house, and the sky its ceiling. Wonder at you that you enter the house of a rich man and admire its good building, wonderful colouring, beautiful engravings, and the like of that, and, meanwhile, live in and see that big house with its earth, wonderful plants, animals, mountains, rivers, oceans, atmosphere and ceiling, and do not talk about it even with a single word of appreciation, given that the latter is incomparable to the former. There is no reason for this except that the latter is the creation of your Lord Almighty, and you have indeed forgotten yourself, your Lord and the house of your Lord Almighty, and rather engaged in the desires of your belly and genitals. You have no concern but to fill your stomach with food, although whatever you eat, you would not be able to eat one-tenth a lot of animals eat. In this way, they excel you in that appetence. The same is true of your sexual desire. You also have no concern but to gather wealth to be as rich as you could, and collect acquaintances to obtain majesty over others, although there might be in your city of Jews and Christians some who are richer and wealthier than you, and have of majesty and authority what is greater than you have. But you are deceived by that and heedless of reflection on the dominion of the heavens and the earth, and of the bliss of looking at the beauty and glory of the Lord of the dominion.

Your example is like an ant which made a hole for itself in the palace of a very rich king and when it comes out of that hole, it has been concerned only with its hole, which diverts it from having any care for the palace with its wonders and inhabitants. As well as the ant is heedless of the palace with its wonders and inhabitants, you are heedless of the house of Allah with its marvels and angels who form its inhabitants. You do not know from the sky no more than the ant knows from the ceiling of your palace, nor do you know from the angels of the heavens who are the inhabitants of the house of Allah no more than the ant knows about you and the inhabitants of your house. But there is a great difference between you and the ant: although the ant has no way to know more about you, the wonders and marvels of your palace and its inhabitants, you have the power to tour in the dominion and know of wonders what a lot of people are heedless of.

Now, let's withdraw the rein of talk in that matter, for it is a field which has no end. Were we to spend long lifetimes, by no means would we be able to explain what Allah Almighty conferred upon us of knowledge. All what we know is but a despicable little amount in comparison with what is known by the learned scholars; and all that is known by the learned scholars is but a despicable little amount in comparison with what was known by the Prophets "peace be upon them"; and all what was known by the Prophets is but a very little amount in

comparison with what was known by our Prophet Muhammad "peace be upon him"; and all what was known by all the Prophets is but a very little amount in comparison with what is known by the angels who are near to Allah Almighty, like Gabriel, Israfil, and others, "peace be upon them"; and all the knowledge given to all the creatures, including angels, jinn, men, is, in comparison with the knowledge of Allah Almighty, not worthy of the term of knowledge. It is more apt to be called confusion, bewilderment, amazement, shortage and failure than to be called knowledge. Exalted be He Who made His servants know what they are doomed to know, and then addressed all of them saying: "of knowledge it is only a little that is communicated to you, (O men!)" (Al-Isra' 85)

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾

That is an explication of the general fields and areas in which the thought of those who give thought tours in the creation of Allah Almighty. It has no thought in the essence of Allah Almighty. But meditation in the creation inevitably leads to the gnosis of the Creator Almighty: His greatness, majesty, grandeur, glory and power. The more you know about the wonders of His creation, the more your gnosis of His glory and majesty is perfect.

The reflection on the wonders and splendor of the creation of Allah Almighty with the intention to know Him is limitless. But each servant gets from it only as much as is equal to what is doomed to him. Any normal person reflects that is inevitably led to his error and wretchedness, whereas only the one helped by Allah, who reflects on that, is led to his happiness and guidance. There is no atom in the heavens or on earth, or in between them but therewith Allah Almighty lets astray whomever He likes, and guides whomever He likes. Whoever reflects on those things only as being the act and making of Allah Almighty would profit the gnosis of the glory and majesty of Allah Almighty, and be guided aright; and whoever reflects on them as being acts and things effecting each other more than being related with the Causer of the causes, would be wretched and go astray.

We seek refuge with Allah Almighty from error and from falling in the slips of the ignorant, by virtue of His grace, favor, generosity, bounty and mercy.

That is the end of the ninth book of the Revival, all perfect praise be to Allah Alone; and Allah's blessing and peace be upon Muhammad, his family and companions. Next, Allah willing, is the book of death and hereafter with which the whole series is concluded.

It is the tenth book of the quarter of saviors in the revival of religion sciences

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

All perfect praise be to Allah, Who smashed, by death, the necks of the tyrants, and broke the backs of the Khosraus and Caesars, whose hearts remained heedless of the remembrance of death until the true promise came to them and threw them into the holes, thereby they were moved from palaces to tombs, from the light of the cradles to the darkness of the graves, from playing with girls and boys to suffering from insects and larva, from enjoyment of food and drink to rolling in the earth and dust, from company to loneliness, and from the soft beds and thrones to the harmful lying places. Consider then: Have they been able to protect and safeguard themselves from death? Consider also, do you sense the existence of anyone of them or hear his voice?

Exalted be He Who possesses the power over all things, and is Alone worthy of eternal survival thereby He humiliated all the others by what He doomed to them of death and nonexistence, and made death salvation for the pious and a promise for them to meet Him Almighty, and made the grave a narrow prison for the wretched up to the Day of Recompense and Judgement. His is the bestowal of apparent and hidden favors, and He has the right to exact retribution (from whomever He likes) with oppressive vengeance, and to Him be all thanks in the heavens and the earth, and all perfect praise be to Him in the world and the hereafter.

Allah's blessing and peace, as much as is fitting, be upon Muhammad, the master of apparent and evident marvels, and brilliant and outstanding signs, and upon his family and companions. Coming to the point:

It is fitting for him who is doomed to death, not to meditate, nor to remember, nor to get ready, nor to expect but for death, and he is more entitled to regard himself among the dead, and see it among the inhabitants of the graves. Everything to come is very near, and what is far never comes. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The intelligent is he who mortifies himself and works for the life to come after death; and the foolish is he who follows his own desires, and hopes from Allah (to reward him)." One could not find it easy to get ready for a thing unless its remembrance is renewed in his heart, and the remembrance is renewed only when one pays attention to the reminder when it is mentioned. In this respect, we are going to mention what a servant should know, by way of remembrance continually, the matter of death, its preceding and succeeding events, the states of the hereafter and resurrection, Paradise and Hell, in order to help him get ready for death. Indeed, departure from this world has become near, and only a little in the lifetime that remains, although the people are heedless of that: "Closer and closer to mankind comes their Reckoning: yet they heed not and they turn away." (Al-Anbiya' 1)

﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝ ﴾

Let us mention the issues related to death in two parts.

Part one: what precedes and succeeds death to the sounding of the trumpet

It contains eight chapters:

Chapter one: Excellence of remembrance of death and exhortation to remember it.

Chapter two: Remembrance of long and short hope.

Chapter three: Remembrance of death agonies and difficulties.

Chapter four: The death of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and his rightly-guided successors after him.

Chapter five: The speech of such as on the threshold of death, from among the rulers and righteous.

Chapter six: Opinions of the learned about funerals and graves, and ruling on visiting graves.

Chapter seven: The real nature of death, and what the dead receives in the grave until the trumpet is sounded.

Chapter eight: Concerning what is known about the states of the dead by revelation in the dreams (of the living).

CHAPTER ONE

EXCELLENCE OF REMEMBRANCE OF DEATH AND EXHORTATION TO REMEMBER IT

It should be known to you that such as involved in this world, and engaged in its deceiving desires and delights are heedless of the death, and whenever it is mentioned to them, they would have aversion for it. It is those in connection with whom Allah Almighty said: "Say: "The Death from which you flee will truly overtake you: then will you be sent back to the Knower of things secret and open: and He will tell you (the truth of) the things that you did!" (Al-Jumu'ah 8)

﴿ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ ﴾

In this respect, the people are either involved (in the world), a beginning repentant, or an advanced Gnostic.

As for him who is wholeheartedly involved in this world, he rarely remembers death, and even were he to remember it, he does so in sigh for what he missed of his world, and he always mentions it simply in order to blame it. The mention of death does but increases such one in remoteness from Allah Almighty.

As for the repentant, he more often remembers death in order for fear to be stimulated in his heart, which helps him fulfill the requirements of repentance to the best. If he dislikes death, he does so for fear it would snatch him before completing his repentance and mending his provision. He indeed is excused for

that aversion he might have for death. Such is not included under the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Whoever dislikes to meet Allah, Allah dislikes to meet him." (Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Hurairah). He does not dislike death for he dislikes to meet Allah Almighty in so much as he dislikes death for fear he might lose the meeting with Allah because of his shortage and indulgence. The distinctive sign for that is to be relentlessly engaged in getting ready for that meeting, otherwise, he would be joined with the one who is involved in the pleasures and delights of this world.

As for the Gnostic, he always remembers death for it is his appointment with his Beloved, and the lover never forgets his appointment with his beloved. Such a person, more often, feels death is too slow to come to him, for he likes it to come soon, in order to get rid of the abode of the disobedient and move to the neighbourhood of the Lord of the worlds. In this connection, it is narrated that when death approach Hudhaifah "Allah be pleased with him" he said: "A beloved has come while being in a state of destitution: never prospers such as regrets. O Allah! If You know that poverty is dearer to me than richness, sickness than health, and death than living, then, make death easy on me until I meet You."

The repentant then is excused for his aversion for death, and the Gnostic is excused for his love and hope for death. Higher than both in rank is he who entrusts his affair to Allah Almighty, and prefers for himself neither death nor living: on the contrary, the dearer to him is that which is the dearer to his Lord Almighty. That person, by his excessive love and alliance, attains the station of submission and contentment, which is the farthest finale. Anyway, the remembrance of death is rewardable and meritorious, even for the one who is involved in the pleasures of this world, for it helps him desert the life, since it embitters upon him the delights of this world; and anything which embitters upon one his desires and pleasures is among the means of salvation.

Explication Of Excellence Of Remembrance Of Death

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Remember, more often, (death) the destroyer of pleasures." (At-Tirmidhi, An-Nasa'i and Ibn Majah on the authority of Abu Hurairah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Were animals to know about death what mankind know, you would never have eaten anything thereof." (Al-Baihaqi on the authority of Umm Habibah Al-Juhaniyyah).

It is narrated on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that she said: "O Messenger of Allah! Would there be anyone to be mustered in the company of the martyrs?" He said: "Yes, whoever remembers death twenty times per night and day." That superiority goes back to the fact that remembrance of death causes desertion from this world, and imposes readiness for the abode of the hereafter, whereas heedlessness of death invites to involvement in the desires and pleasures of the world.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Death is the gift of the faithful believer." (Ibn Abu Ad-Dunya, At-Tabarani

and Al-Hakim on the authority of Abdullah Ibn Umar). That is because the world is the believer's prison, in which he persists in suffering and difficulty of resisting his desires and appetencies, and averting his Satan; and death releases him from that torment.

The Prophet "peace be upon him" said too: "Death is expiation for every Muslim." (Abu Na'im, Al-Baihaqi and Al-Khatib on the authority of Anas). The Muslim intended here is the true believer, from the evil of whose tongue and the harm of whose hand the Muslims are safe, and who has the good manners of the faithful believers, and is not contaminated from disobedience but with the minor sins. Death purifies him from them, and plots them out so long as he avoids the major sins and establishes the obligatory duties.

It is further narrated on the authority of Ata' Al-Khurasani that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" came upon a gathering of people who were laughing so much loudly, thereupon he said to them: "Mix your gathering with the remembrance of the disturber of pleasures." They asked: "What is the disturber of pleasures O Messenger of Allah?" He said: "Death." (Ibn Abu Ad-Dunya).

It is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Remember death , more often, for it purifies from sins and causes abstinence from this world." (Ibn Abu Ad-Dunya).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Sufficient is death for a separator (of people from each other)." (Al-Harith Ibn Abu Usamah on the authority of Anas).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Sufficient is death for a preacher." (Al-Baihaqi and At-Tabarani on the authority of Ammar Ibn Yasir).

It is also narrated that once the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" came out to the mosque and found some people sitting there, and they were engaged in talk and laughter, thereupon he said to them: "Remember death! Behold! By Him in Whose Hand is my soul, were you to know what I know, you would laugh little and weep much." (Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Ibn Umar).

On another occasion, a mention was made of a man to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and they appreciated him so much. He asked them: "How does your companion remember death?" they said: "We have almost never heard him remembering death." On that he said: "Then, your companion is not fitting (for your appreciation)." (Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Anas; and Ibn Al-Mubarak).

It is narrated on the authority of Ibn Umar "Allah be pleased with them" that he said: I went to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in the company of nine and I was the tenth of them. A man from the Ansar asked him: "Who is the most intelligent among the people O Messenger of Allah?" He said: "Who remembers death most among them, and gets ready for it most among them: those are the most intelligent among men for they have

combined both the honor of this world, and the dignity of the hereafter." (Ibn Majah and Ibn Abu Ad-Dunya).

From among the traditions, a mention may be made of the statement of Al-Hassan: "Death has scandalized the world and left no joy for such of men as endued with sound minds."

According to Ar-Rabie Ibn Khuthaim: "There is no absent which a faithful believer waits better for him than death." He said once again: "Let none sense of my death, and rather hand me over to my Lord stealthily."

A wise man wrote the following to one of his brothers: "O my brother! Be careful of death in this abode before you go to an abode in which you would hope for death, but you could not find it."

It was the habit of Ibn Sirin that whenever a mention of death was made in his presence, every part of his body would become motionless as if it died.

It was also the habit of Umar Ibn Abd-Al-Aziz to gather the juristic scholars and learned every night in order to remember death, resurrection and the hereafter until they would weep so much as if they were attending a funeral procession.

According to Ibrahim At-Taimi: "Two things have interrupted upon me the pleasures of this world: Remembrance of death, and standing in front of Allah."

According to Ka'b: "Whoever knows death (as it should be known), all calamities and anxieties of this world become insignificant in his sight."

It is narrated on the authority of Safiyyah "Allah be pleased with her" that a woman came to complain to A'ishah "Allah be pleased with her" about the harshness of her heart, thereupon she said to her: "Remember death more often, perchance your heart would become soft." She did accordingly, and her heart turned soft. She returned to thank A'ishah "Allah be pleased with her."

It was the habit of Jesus "peace be upon him" that whenever a mention of death was made in his presence, his skin would dribble blood.

It was the habit of David "peace be upon him" that whenever death and resurrection were mentioned in his presence, he would go on weeping so much that his joints would be about to dislocate; and whenever mercy was mentioned to him, he would restore his original state.

Umar Ibn Abd-Al-Aziz asked a religious scholar to admonish him thereupon he said to him: "You would not be the first caliph to die." He said: "Give me more." He said: "There were none of your fathers up to Adam "peace be upon him" but that he tasted death; and now it is your turn." Umar then wept so much for that.

Ar-Rabie Ibn Khuthaim was reported to have dug a grave in his house in which he slept many times every night in order to persist in remembrance of death. He said in this respect: "If the remembrance of death leaves my heart even for a single hour, it would corrupt."

According to Mutarrif Ibn Abdullah Ibn Ash-Shakhir: "Death indeed has embittered upon the people of bliss their bliss. Seek then bliss, if you could, in which there is no embitterment."

Umar Ibn Abd-Al-Aziz said to Anbasah: "Remember death more often: if your living is abundant, it would constrict it upon you; and if your living is constricted, it would enlarge it upon you."

Abu Sulaiman Ad-Darani said: I asked Umm Harun: "Do you like death?" she answered in the negative. I asked her why and she said: "If I disobey anyone of mankind, I would have no longing for meeting him. Then, how should I like to meet Him (Allah) since I disobey Him?"

Explication Of The Way To Remember Death

It should be known to you that death is of great risk and danger, and those who are heedless of death are so because they neither meditate in nor remember it; and even such as remembers it does not remember it with his heart disengaged from worldly desires. For this reason, the remembrance of death has no impression upon his heart.

The way to remember death with verification is first to disengage one's heart from anything except for remembrance of death that is ahead of him. Once he persists in remembering death, it would influence on his heart, and consequently his joy and pleasure with this world would decrease and his heart would get broken. The most effective way to that is to remember, more often, his fellows who preceded him to death, and how they turned into corpses under the earth, exposed to insects and larva, leaving behind them all their property they gathered, and children and families they had, and how they were heedless of death when it attacked them suddenly and they expected it not. At this point, let him consider his own self, and how he is heedless like them, and his consequence would be like theirs.

According to Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him": "When you remember the dead, regard yourself as one of them."

According to Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him": "The happy is he who is admonished by the state of the other."

According to Umar Ibn Abd-Al-Aziz: "Do you not see that you prepare, every morning and evening, somebody to go to Allah Almighty, whom you place in a hole under the earth, taking dust as a cushion, leaving behind him his beloved, and cutting all means and relations with this world?".

To persist in those thoughts, along with entering the graves and seeing the patients renews remembrance of death in the heart until it prevails over one and becomes always before his eyes. At that point, one is about to dedicate himself to it, and desert the abode of deception, otherwise, to remember death only with tongue is of no significance and very little impact on the heart. If he is pleased with anything in this world, let him remember, at once, that he is going to leave it.

Once Ibn Muti' looked at his house and admired it so much. But a short while later, he wept so much and said: "By Allah, had it not been for death, I would have been pleased with you; and had it not been for the fact that we are going to be buried in the narrow graves, we would have got comforted with this world." Then, he wept more until his voice raised high.

CHAPTER TWO

CONCERNING LONG HOPE; AND EXCELLENCE OF SHORT HOPE; AND WHY IT IS LONG; AND HOW IT IS REMEDIED

Excellence Of Short Hope

It is narrated on the authority of Abdullah Ibn Umar "Allah be pleased with

them" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to him: "When you are in the morning, think not about the evening, and when you are in the evening, think not about the morning (of the next day); and take from your life provision that benefits you in your death, and from your health what benefits you during your sickness, for you do not know, O Abdullah, what you would be in the morrow." (Ibn Hibban and Al-Bukhari).

It is further narrated on the authority of Ali "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "What I fear for you most is two things: Following inclination and the long hope. As for following inclination, it keeps off the truth; and as for the long hope, it is the love for this world." Then he "peace be upon him" resumed: "Behold! Allah Almighty gives the world to whomever He likes as well as to whomever He dislikes, and if He likes a servant, He gives him only faith. Behold! Religion has its men and the world has its men. So, be among the men of the religion, and be not among the men of the world. Behold! This world is about to leave, turning its back to you. Behold! The hereafter is about to come, turning its face towards you. Behold! You (in this world) are on a day of work on which there is no reckoning. Behold! You are about to go to a day of reckoning on which there would be no work." (Ibn Abu Ad-Dunya).

It is further narrated on the authority of Umm Al-Mundhir "Allah be pleased with her" that she said: One evening, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" looked at the people and said: "Do you not feel shy of Allah?" they asked: "What is the matter O Messenger of Allah?" he said: "You gather (wealth) which you devour not, hope (for things) which you realize not, and build (houses in) which you live not." (Ibn Abu Ad-Dunya).

It is narrated on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him" that he said: Usamah Ibn Zaid bought from Zaid Ibn Thabit a slave-girl by one hundred Dinar on credit for a month, thereupon I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying: "Do you not wonder at Usamah that he has bought on credit for a month? Verily, Usamah is of a long hope! By Him in Whose Hand is my life, my eyes have never twinkled but that I thought both eyelids would not close together before Allah takes my soul (by death), nor have I raised my limb but that I thought I would not put it down once again before I die, nor have I taken a morsel of food but that I thought I would not swallow it before I get choked out of death." Then he "peace be upon him" said: "O mankind! If you have sound minds, then, regard yourselves among the dead. By Him in Whose Hand is my soul, what you are promised would inevitably come, and you never frustrate (the power and will of Allah)." (Ibn Abu Ad-Dunya).

It is narrated on the authority of Ibn Abbas "Allah be pleased with them" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to come out to urinate and then clean himself with dust. I said to him: "O Messenger of Allah! Water is close to you." On that he said: "What makes me know that I would (have respite to) reach it?" (Ibn Al-Mubarak, Ibn Abu Ad-Dunya and Al-Bazzar).

It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" picked up three sticks and fixed one of them in front of him, another beside it and the third far from them. He said: "Do you know which thing this represents?" they said: "Allah and His Messenger know best." On that he said: "The first represents man, the second his appointed term (death), and the third the hope, and while the son of Adam lives in his hope, death attacks him before he realizes his hope." (Ahmad and Ibn Abu Ad-Dunya).

It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The son of Adam has ninety-nine deaths awaiting him: if all of them miss him, of a surety, the old age would befall him." (At-Tirmidhi on the authority of Abdullah Ibn Ash-Shakhir).

It is narrated on the authority of Abdullah Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" drew a square and then drew a line in the middle of it and let it extend outside the square and then drew several small lines attached to that central line, and said: "This is the human being, and this (the square) in his lease of life, encircles him from all sides (or has encircled him), and this (line), which is outside (the square), is his hope, and these small lines are the calamities and troubles (which may befall him), and if one misses him, another will snap him, and if the other misses him, a third will snap him." (Al-Bukhari).

It is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The son of Adam grows old and two characteristics remain with him: greediness (for wealth) and hope (for long life)." (Muslim).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The first generation of this (Muslim) Ummah was saved by certainty (of faith) and abstinence (in this world), and the last generation of it would be given to destruction because of niggardliness and hope." (Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Amr Ibn Shu'aib from his father from his grandfather).

It is narrated that while Jesus "peace be upon him" was sitting, there was an old man working with his spade therewith he was raising dust. Jesus "peace be upon him" said (by way of supplication): "O Allah! Remove hope from his heart." On that the old man threw the spade and lay on his back for an hour. Then Jesus "peace be upon him" said once again: "O Allah! Restore hope to his heart." On that the old man stood and started working with the spade once again. Jesus "peace be upon him" asked him about the reason for that, thereupon he said: "While I was working with the spade, my self said to me: 'To which time are you going to work given that you are an old man?' I then threw the spade and lay on my back. But some time later my self said to me once again: 'By Allah, you should continue to earn your living so long as you survive.' On that I stood up and took the spade and started working."

It is narrated on the authority of Al-Hassan: "Does all of you like to enter Paradise?" they said: "Yes O Messenger of Allah." On that he said: "Then, make short your hopes, put your appointed terms ahead of you, and feel shy of Allah Almighty." (Ibn Abu Ad-Dunya).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to say in his supplication: "O Allah! I seek refuge with You from world that prevents the good of the hereafter; and I seek refuge with You from life that prevents the good of the death; and I seek refuge with You from hope that prevents the good of the deed." (Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Hawshab direct from the Prophet "peace be upon him").

From among the traditions, a mention may be made of the statement of Mutarrif Ibn Abdullah: "Were I to know when my appointed term (of death) would be, I would fear for myself the loss of my mind. But Allah Almighty conferred upon His servants the favor of heedlessness of death; and had it not been for such heedlessness, they would not have been blessed in living, nor would markets have been established between them."

According to Al-Hassan: "Forgetfulness and hope are great favors Allah bestowed upon mankind, otherwise, by Allah, Muslims would not have been able to walk in the streets."

According to Ath-Thawri: "I was informed that man was created as foolish, and had it not been for this fact, he would not have been blessed in living."

According to Abu Sa'id Ibn Abd-Ar-Rahman: "The world has been inhabited only by virtue of the lack of mind of its inhabitants."

According to Salman Al-Farisi "Allah be pleased with him": "Three things raised my attention and caused me to laugh: the hopeful for this world whom death invites, a heedless, of whom death is not heedless, and a laughing one who does not know whether Allah, the Lord of the worlds is displeased or pleased with him. furthermore, other three things aggrieved me and caused me to weep: Departure of the beloved, Muhammad "peace be upon him" and his party, the terror of the standing in front of Allah Almighty, and I do not know whether to Paradise or to Hell I would be admitted."

A righteous one said: I saw Zurarah Ibn Abu Awfa "Allah be pleased with him" in a dream after his death and I asked him: "Which deed is the most effective among you?" He said: "Reliance (on Allah) and short hope."

According to Ath-Thawri: "Abstinence from this world is to have short hope. It is not to eat the rough of food nor to put on the coarse of garments."

It is reported that Al-Mufaddal Ibn Fadalah asked his Lord Almighty to remove hope from him thereupon the appetite for food and drink vanished from him. Then, he invoked his Lord once again to restore hope to him, thereupon the appetite for food and drink returned to him once again.

It was said to Al-Hassan: "Do you not wash your shirt O Abu Sa'id?" he said: "The matter (of death) comes sooner than (to have a respite for) this." According to Al-Hassan: "Death lies in your forelocks, and the world is folded behind you."

According to a wise man: "I am like a man stretching his neck and the sword (of death) is awaiting him, when to chop off his head."

According to Dawud At-Ta'i: "Were I to hope to live for a month, surely, I would bring great things. But even, how should I have such a hope and I see distresses striking the people at any moment during night and day?"

A person wrote the following to his brother (in the religion of Allah):

"Coming to the point: The world is but a dream, and the hereafter wakefulness, and death is in the midway between them; and we are now living in A confused medley of dreams. And peace be upon you."

According to Al-Hassan: "Before Adam "peace be upon him" erred, his hope (for life) was behind his back and his appointed term (of death) in front of him. But when he erred, he turned to the opposite, and made his hope (for life) in front of him, and his appointed term (of death) behind his back."

It is reported on the authority of Abu Zakariyya At-Taimi that while Sulaiman Ibn Abd-Al-Malik was in the mosque, a stone with inscription was brought to him and Wahb Ibn Munabbih was invited to read it for him and it went as follows: "O son of Adam! Were you to see how close you are to your appointed term, surely, you would abstain in your long hope (you have for this life), desire for increase in your deed, and shorten your greediness and trickery. If your foot slips, it is your regret which would inevitably receive you in the morrow: You would neither be able to return to your world, nor to add anything to your good deeds. So, doo deeds (as much as you could) for the Day of Judgement before the coming of regret and grief." On that Sulaiman wept so much excessively.

Umar Ibn Abd-Al-Aziz addressed the people with a sermon in which he praised Allah and lauded Him and then said: "O people! You have not been created in idle sport, but you have a place of return where Allah Almighty would gather you to decide among you, and you would be superior to each other (by virtue of your deeds): Failing and wretched in the morrow would be a servant whom Allah drives away from His mercy which extends over all things, and from His Paradise whose breadth is equal to the breadth of the heavens and the earth. Safety in the morrow would be for him who fears Allah, and sells the little for the much, the perishable for the never-ending, and the wretchedness for the happiness. do you not see that you are going to join the ruined, and others would succeed you in this world? Do you not see that every morning and evening you send off a dead whose hope for and relation with life have been cut off and you place him underneath the earth, leaving him alone to face reckoning? By Allah, I say this statement of mine and know with certainty that there is none among you more sinful than I. But it is out of the established way of Allah to enjoin upon you to obey Him and forbid you to disobey Him." Then, he prayed for forgiveness of Allah and placed the sleeve of his garment over his face and went on weeping so much until his tears wetted his beard. After that sermon, he did not return to his gathering once again until he died.

According to Al-Qa'qa' Ibn Hakim: "I have got ready for death since thirty years, and should it come to me now, I would not like to change anything to make it after another."

According to Ath-Thawri: I saw an old man in the mosque of Kufah saying: "I have been sitting here in this mosque for thirty years, in expectation for death to attack me, and should it come to me now, I would neither command myself to do anything, nor forbid it from anything, nor do I have a right upon anyone, nor does anyone have a right upon me."

Abu Muhammad Ibn Ali Az-Zahid said: We set out to follow a funeral procession in Basrah, and Dawud At-Ta'i was among us. Then, he withdrew and sat on one side while the dead body was being buried. I came and sat near him. He addressed me saying: "Whoever fears the threat, the far would become close to him; and the more one's hope is long, the more his deed is weak; and everything to come is very close. It should be known to you, O brother, that everything which occupies you from your Lord Almighty is a cause of pessimism upon you. It should be known also that all the inhabitants of this world are going to be among the inhabitants of the graves. But the inhabitants of the graves regret for what they leave behind, and rejoice at what they send forward. What the inhabitants of the graves regret for is the same for which the inhabitants of the world fight each other, over which they compete each other, and on which they dispute with each other in the courts."

It is reported that Ma'ruf Al-Karkhi pronounced Iqamah for prayer and asked Muhammad Ibn Abu Tawbah to proceed on to lead the prayer, thereupon he said to him: "If I lead you in this prayer, I would not lead you in any prayer afterwards." He said: "Do you talk to yourself that you would (live until you) offer another prayer? We seek refuge with Allah from the long hope, for it prevents the good of the deed."

Umar Ibn Abd-Al-Aziz said to the people in his sermon: "This world is not the abode of your stability. But it is an abode which Allah Almighty doomed to perish, and doomed its inhabitants to leave it. How many a strong building which is going to be ruined a few moments later, and how many a joyful resident who is going to leave a short time later. So, make good your journey on it, may Allah have mercy upon you, and take provision, for the best provision is piety. The world is like a shade which has shrunk and gradually vanished. While mankind was competing in this world, Allah Almighty invited him, according to what is doomed to him, and threw him by death, therewith his traces and good things he has made and gained in his world were taken away from him, and given to others than him. The world never pleases in so much as harms: it pleases little and aggrieves much."

Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" used to say in his sermon: "Where are the good-looking people who were fond of their youth? Where are the kings who built the cities and fortified them with strong walls and fences? Where are those who used to emerge victorious in the battlefields? All of them went away and became in the darkness of the graves. We ask for salvation."

Explication Of Why Hope Is Long, And Its Remedy

It should be known to you that there are two reasons for the long hope: one is ignorance, and the other is the love for this world.

As far as the love for this world is concerned, it is that if he is affable with it, its desires, delights, pleasures, and occupations, it becomes too heavy on him to leave it. Thus, his heart refrains from meditation in death, which is the means to leave it. However, whoever dislikes a thing averts it from himself. Man always has nostalgia for the false wishes: He wishes only for what agrees with his ambition, and it is only his survival in this world that agrees with his

ambition. He continues to imagine it and estimate it within himself, along with the subsequents of his survival therein, and needs of property, family, children, and all means of sustenance in it. He devotes himself to meditation in that only, which diverts him from the remembrance of death, and consideration of its closeness in time to him.

If, by chance, the idea of death occurs to his mind, and his need to get ready for it, he would soon procrastinate it and gives to himself false promises saying to it: "There are still many days ahead of you until you grow old and then you could repent." When he grows up, he would say: "Postpone repentance until you become an old man." But when he becomes an old man, he would say: "Take respite until you finish from building this house and inhabiting that estate, or until you return from that journey or from preparation of your child (for marriage), or from defeating that enemy which teases you..."and so on he delays it day after day, and each occupation leads him to another, until death snatches him at a time he thinks it not, causing his grief to be very long.

The cry of the majority of the denizens of the fire of Hell results from that procrastination. Such person is ignorant of the fact that what invites him to procrastination at present would be with him in the future. He thinks, though falsely, that one day he would be able to disengage himself from it. But nonsense! None has the power to disengage himself from it but he who is careless of it. these false wishes go back to the love for this world, and heedlessness of the significance of the statement of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Love whomever you love, for you would inevitably leave him."

As for ignorance, it is that man might rely on his youth, because of which he regards death too far to come to him. But this little man does not think that death could easily attack anyone in his very youth. He also might regard death too far to come because of his good health, given that it is not unlikely that death might overtake him suddenly. If that poor person thinks that death has no specific time to come, of course, he might feel it and engage in getting ready for it. but it is ignorance of those facts on the one hand, and his love for the world on the other hand that invite him to make long his hope, and be heedless of considering the closeness of death to him. Such a man thinks that although death is surrounding him, as it befalls others, he never imagines it to befall him. The way to remedy that is to compare himself with others and know that death would inevitably befall him as it befalls others. His procrastination, from this perspective then, is quite ignorance.

If you know that all of this goes back to those two causes, i.e. ignorance and love for this world, you should then learn that The way of remedy is to remove these causes that lead to it. as for ignorance, it might be averted by pure meditation with the full presence of the heart, and hearing the instructive wisdom from the pure hearts.

As for the love for this world, to remove it from the heart is very difficult since it is the chronic disease, whose remedy wearied the first and last generations. There is no remedy for it except to have faith in the Last Day and its

formidable punishment and abundant reward. Once he is certain of that, the love for this world leaves his heart, because the love for what is serious always removes from the heart the love for what is despicable. If he sees how the world is despicable in comparison with the hereafter which is valuable, surely, he would disdain from turning to the world, even if the kingdom of the whole earth from the East to the West was given to him. How then if he has from the world only the little? We ask Allah Almighty to show to us the world as He showed it to the righteous among His servants.

There is no remedy to consider death in the heart but to think about the dead among one's fellows and kinship, and how death attacked them at a time they thought it not. Whoever got ready for it has indeed attained a great felicity; and whoever was deceived by the long hope has indeed received an evident loss.

Let one then think about his parts of body, and how they would be exposed, after death, to the insects and larva, and nothing in himself would remain except for beneficial knowledge and righteous deed which he did only with sincerity to the Countenance of Allah Almighty. Let him also think about the punishment of the grave, as we will show later, resurrection and terrors of the Day of Judgement, etc. It is the like of those ideas which renew the remembrance of death in his heart, and invite him to get ready for it.

Explication Of The Different Ranks Of People Concerning Long And Short Hopes

It should be known to you that people are different in this issue. Let us sum up them as follows:

Some of them hope for long survival, which they desire forever. In confirmation of that, Allah Almighty said: "You will indeed find them, of all people, most greedy of life, even more than the idolaters: each one of them wishes he could be given a life of a thousand years." (Al-Baqarah 96)

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾

Some others wish to survive as long as to reach the old age, and that is the farthest point of lifetime one sees; and that person loves the world so much excessively. In confirmation of that, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The old man's heart is that of a youth in love for two things: the long life and greediness for property." (Both Sahihs on the authority of Abu Hurairah).

Others wish to life only for a year, and do not engage in preparing their livelihood for what is beyond it: In the summer, one prepares his things until the next winter, and in the winter, he does the same until the next summer and so on. Once he gathers what sustains him for a year, he engages in worship.

Some of them hope to life only for a season, and no more: one of them neither saves in the summer the garment of the winter, nor does he save in the winter the garment of the summer.

Some of them reduce their hope only to a day and a night: such prepares only what sustains him during his day and not until tomorrow. Jesus "peace be upon

him" said: "Do not care about the morrow: If it is added to your lifetime, then, you would receive your sustenance on it, otherwise, care not about the lifetime of anyone other than you."

Some of them have their hope as short as no more than an hour, as confirmed by our Prophet "peace be upon him" when he said to Abdullah Ibn Umar: "When you are in the morning, think not about the evening, and when you are in the evening, think not about the morning (of the next day)."

Some of them do not estimate to live even for an hour. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" sometimes practiced Tayammum, although he might find water within less than an hour saying: "It may be that I would (die before I) reach it."

Some of them make death ahead of them, as if it awaits to befall anyone of them at any moment. It is that man who offers the prayer of such as bids farewell to this world. It is in connection with him that Mu'adh Ibn Jabal "Allah be pleased with him" replied to the question of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" when he asked him about the real nature of his faith, thereupon he said: "I never take a step but that I think I would not be able to follow it with another (because of death)." (Abu Na'im in his Hilyah on the authority of Anas). It is further reported from Al-Aswad, and he was an Abyssinian, that he was offering prayer at night, during which he was looking sideways. It was said to him: "What is the matter with you?" He said: "I look at the angel of death from which direction he would come to me."

Those are the different ranks of the people concerning their hope; and each has his specific degree with Allah Almighty. Of course, such as whose hope is reduced to less than a month is not like him whose hope is as long as a month and a day: There is difference between them in degree with Allah Almighty, for never does Allah deal unjustly with anyone even in the least, and whoever does an atom's weight of good would inevitably see it.

Therefore, the trace of the short hope appears more evident in the way one hastens to work. Everyone claims his hope is short and he is a liar, his falsehood appears clear in his deeds. He might take care of means which he does not need along a year, and this signifies that his hope is not short as he claims. The sign of success is to make death ahead of him, of which he is not heedless even for a single moment. So, let him get ready for the death which awaits him at present time: If he lives to the evening, let him thank Allah Almighty for his obedience to Him and wasting not his day, and then do the same in the evening until morning, and so on. That is easy but only on him who disengages his heart from the morrow and what would be on it. if such a person dies, he would be happy and gainful, and if he lives, he would be pleased with his good readiness and the pleasure of his private talk (with Allah). Death is happiness for him, and life is addition of good to his account.

Explication Of The Necessity To Hasten To Work And Caution Of The Evil Of Delay

It should be known to you that if one has two absent brothers, one of whom is expected to come in the next morning, and the other within a month, surely, he

would not get ready to receive the one whose expected arrival is far before the one whose expected arrival is near. Whoever expects death to come after a year, would engage in the term itself and forget what is beyond it, which prevents him from hastening to work, as he sees respite for him to delay the work as he likes. In this connection, it is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that the Prophet "peace be upon him" said: "Hasten to do (good deeds) before (the coming of) seven (things): Do you expect but poverty that causes one to forget (any other engagement), richness that causes one to transgress all due bounds, sickness that corrupts (body or religion), old age that brings about senility (by which one might deviate from right), swift destructive death, (the affliction of) Ad-Dajjal, and it is absent, though expected evil, or the Hour (of Judgment), and the Hour is more disastrous and more bitter?" (At-Tirmidhi).

It is narrated on the authority of Ibn Abbas "may Allah be pleased with them" that the Messenger of Allah "peace be upon him" said to a man while instructing him: "Avail yourself of five (good benefits you have) before (the coming of) five (evils you would suffer from): (avail yourself of) your youth before (the coming of) your old age, your health before (the coming of) your illness, your richness before (the coming of) your poverty, your disengagement before (the coming of) your occupation, and your life before (the coming of) your death." (Al-Hakim).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "A lot of people are given to loss in two favors: Health and vacation." (Al-Bukhari on the authority of Ibn Abbas). It means they never avail themselves of those things until when they pass, they feel of their great value.

It is narrated on the authority of Ibn Abbas "Allah be pleased with them" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever fears (to be exposed to the assault of Satan) let him proceed on the way (to the hereafter straightly to be safe from him), and whoever proceeds on the way (to the hereafter directly) would necessarily attain the position he seeks for. Behold! The commodity of Allah is very expensive! Behold! The (price of the) commodity of Allah is Paradise!" (At-Tirmidhi).

It was the habit of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that whenever he sensed any portion of heedlessness or conceit from his companions, he would called them with a high voice: "Death would necessarily and inevitably come to you, either with wretchedness or with happiness." (Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Zaid As-Sulaimi).

It is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I am a warner (of evil), death is a raider, and the Hour (of Judgement) is your appointment." (Ibn Abu Ad-Dunya).

It is narrated on the authority of Ibn Umar "Allah be pleased with them" that he said: One day the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" came out when the sun was almost setting thereupon he said: "Nothing of this world remains except as little as is equal to the remaining portion of that day

compared with what passed thereof." (Ibn Abu Ad-Dunya).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The example of this world is like a garment that has been divided from its first to its last except for a thin thread at its end by which it is still connected, and this thread is about to be cut." (Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Anas).

It is further narrated on the authority of Jabir "Allah be pleased with him" that he said: Whenever the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" delivered his speech in which he made a mention of the Hour (of Judgement), he would raise his voice and his cheeks turn red, as if he were a warner of an army, saying: "I have warned you in the morning and evening. Behold! I have been sent (as a Messenger) and the Hour (of Judgement) as close to each other as are those", and he would join his fingers. (Muslim and Ibn Abu Ad-Dunya).

It is further narrated on the authority of Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" recited the following Qur'anic Verse: "Those whom Allah (in His plan) wills to guide, He opens their breast to Islam; those whom He wills to leave straying, He makes their breast close and constricted." (Al-An'am 125)

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴿١٢٥﴾ ﴾

Then he commented: "Once the light (of faith) enters the breast, it would be made spacious for it to come in." it was said: "O Messenger of Allah! Is there any sign indicative of that?" he "peace be upon him" said: "Yes, it is to desert the abode of deception (the world), turn to the abode of eternity (hereafter), and get ready for death before it comes."

In his comment on the following Qur'anic statement: "He Who created Death and Life, that He may try which of you is best in deed; and He is the Exalted in Might, Oft-Forgiving" (Al-Mulk 2)

﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾

As-Suddi said: "It means to try you as to which among you remembers death most, gets ready for it best, and fears and bewares of it most."

According to Hudhaifah "Allah be pleased with him": Every morning and evening, a caller calls: "O people! Remember the departure! Remember the departure!" in confirmation of that, Allah Almighty said: "This is but one of the mighty (Portents), A warning to mankind, To any of you that chooses to press forward, or to follow behind." (Al-Muddaththir 35-37)

﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ ﴾

According to Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him": "Deliberation is good in all things except in the deeds of righteousness to the hereafter (which one should hasten to do)."

Al-Hassan used to say in his admonition: "Hasten (to good)! Hasten (to good)! (What relates you with this world) is only the breaths and once they stop, you would die and your deeds therewith you come close to Allah Almighty would cease from you. May Allah have mercy upon such as looks at himself and weeps

for the number of his sins." Then he recited the following Holy Verse: "So make no haste against them, for We but count out to them a (limited) number (of days)." (Maryam 84)

﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ ﴾

"It refers to the limited number of breaths: the last breath is the coming out of your soul. The last number is your departure from your family, and entering your grave."

It is reported that Abu Musa Al-Ash'ari "Allah be pleased with him" tired himself so much in worship towards the end of his life, and it was said to him: "Would that you are kind and gentle to yourself!" on that he said: "If horses are launched in race and they come close to the end, they would exert as much effort as is within their capacity; and what remains of my lifetime is lesser than what has passed thereof." He remained in such a state until he died.

In his comment on the following statement of Allah Almighty: "but you led yourselves into temptation; you looked forward (to our ruin); you doubted (Allah's Promise); and (your false) desires deceived you; until there issued the Command of Allah. And the Deceiver deceived you in respect of Allah" (Al-Hadid 14)

﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ
حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ ﴾

A commentator said: "It means you have tempted yourselves with desires and pleasures of this world, and then you looked forward to the repentance (of Allah upon you), and became in doubt until death came to you. That is because the deceiver, i.e. Satan, deceived you."

Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" said: "None of you gets up in the morning but that he is a guest (on this world), and what he has is but borrowed to him: The guest would necessary leave, and the borrowed thing should be given back to its real owner."

According to Al-Hassan: "Patiently persevere and be steadfast, for there remains only a few days and you are standing travelers, and death is about to invite anyone of you and he is going to respond quickly. So, move (from this world to the hereafter) with the good of what is present with you."

It is reported that Abu Ubaidah Al-Baji said: We visited Al-Hassan during his fatal illness in which he died thereupon he said to us: "Welcome to you. May Allah greet you with peace, and admit you and us to the abode of residence. That is a good assembly: If you patiently persevere and are true (to yourselves), and fear Allah Almighty, then, let not your fortune, may Allah have mercy upon you, from that only to hear the news with one ear and let it come out from the other. Whoever saw Muhammad "peace be upon him" saw him in the morning and evening having never placed a brick over another nor a pipe over another (for the purpose of building). But knowledge was raised to him and he endeavored to obtain it. we ask Allah for salvation. On which thing do you ascend? By the Lord of the Ka'bah, you have come, as if the matter were along

with the mercy of Allah Almighty, to a servant who has made his living only one, whose food is only a fragment (of bread), and garment only a piece of cloth, and he stuck to the ground and devoted himself wholeheartedly to worship, wept for his mistakes and sins, fled away from punishment, and sought the mercy of Allah, until his death would approach him while being in such a state."

Asim Al-Ahwal said: Fudail Ar-Raqashi said to me and I was begging him: "O man! Let not the great number of people divert you from yourself, for the matter (of death) approaches you alone from among them. Do not say 'Let me go here and there', thereupon wasting the day in vain. The matter is accounted and kept upon you, and you do not see anything much better and more beneficial than a new good deed to plot out therewith an old sin."

CHAPTER THREE

DEATH AGONIES AND DIFFICULTIES; AND WHAT IS FAVORABLE OF STATES WHENEVER IT COMES

It should be known to you that if a servant is to receive no calamities, nor distresses, nor disasters other than the death agonies and terrors, it would be more worthy to embitter his living upon him, and remove all joy and delight he might have in this world, and further cause him to make long his reflection on it, and become more ready and well-prepared for it, given that it is apt to receive death at every breath he takes. Luqman said to his son, for instance: "O my son! Since it (death) is a matter which you do not know when to meet it, then, get ready for it before it takes you aback." Wonder at one in the most pleasant delight in his life, remains in the thick of pain and anxiety just because he expects for the coming of a soldier into him simply to lash him a few number of lashes. Then, what about the expectation for the death angel at any moment of life, of which one might be heedless? Is it not an indication of his ignorance, arrogance and haughtiness?

Furthermore, it should be known to you that the pain of death agonies is not known in its reality but to him who experiences it, and anyone else knows it only by comparing it to what he experiences during his life. It is well known that the organ which has no spirit does not sense the pain. Then, it is the spirit that senses the pain. If any part of the body is injured, the spirit senses pain as much as is in proportion to that injury. Then, what about its pain if the injury is to affect the spirit directly? Death agony is severe pain that affects the whole spirit in entirety. That is why the pain of burning with the fire is more severe than the pain of injury. The death agony then is measured on that of burning. The one struck with a sword or a knife cries because there still remains some power in his heart and tongue, whereas the dead could not even cry for the death agony ruins the power of his body entirely, to the extent that in spite of his severe pain, he has no power to cry in expression of it.

If there still remains some power when his spirit is taken away from his body, a voice of lowing and gargling would be heard from him, and his colour would be changed and turn into that of dust, from which he was originally created. That is because the severe pain circulates in his body from the top to the bottom, from

the inside to the outside until his eyeballs raise, his lips and tongue shrink, his testicles raised up, and his fingers turn green. Then, each part of his body dies gradually, one after the other, beginning from his feet, then his legs, then his thighs, up to the end. Each part falls in demise one after another, until the soul comes up to the throat: At that time, his sight is cut off the world and its inhabitants, the gate of repentance is closed in his face, and he is encircled by all grief and regret.

In this respect, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The repentance of a servant continues to be accepted (by Allah) so long as he has not gargled yet." (At-Tirmidhi and rendered Hassan by Ibn Majah on the authority of Ibn Umar).

In his comment on the following statement of Allah Almighty: "Of no effect is the repentance of those who continue to do evil, until death faces one of them, and he says, "Now have I repented indeed"" (An-Nisa' 18)

﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ ﴿١٨﴾ ﴾

Mujahid said: "When he sees with his own eyes the messengers (of death), then, the countenance of the angel of death seems visible to him. Then, ask not about the bitterness and soreness of death, particularly when its agonies start to come upon one in succession.

For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to say (by way of supplication): "O Allah! Make easy on Muhammad the agonies of death." But even, people do not seek refuge with Allah from it, nor do they regard it seriously, due to their ignorance of it. to be sure, things, before they occur, are perceived by the lights of Prophethood and alliance (with Allah). That is why the Prophets and allies (of Allah Almighty) feared so much of death, to the extent that Jesus "peace be upon him" said: "O assembly of disciples! Invoke Allah to make easy upon me that agony, i.e. of death."

It is reported that a group of the children of Israel came upon a graveyard and said to each other: "Would that you invoke Allah to bring out to you from that graveyard a deceased man to ask him about death agonies." They invoked Allah, and behold! There was a man standing in front of them, and the traces of prostration were visible in between his eyes, and he has just come out of one of those graves. He asked them: "O people! What do you want from me? I tasted death fifty years ago, and until now, the bitterness of death never has vanished from my heart."

A'ishah "Allah be pleased with her" said: "I never envy anyone when the death agonies are easy on him after what I had seen from the severe agonies of death of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"."

It is reported that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to say: "O Allah! You take the soul from between the nerves, bones and fingers. O Allah! Help me on death, and make it easy on me." (Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Sa'mah Ibn Ghailan Al-Ja'fi).

It is further reported on the authority of Al-Hassan from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that once he made a mention of death and its bitterness, soreness and pain, and said about it: "It is as strong as is

equal to three hundred sword strikes." (Ibn Abu Ad-Dunya).

It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked about death and its severity, thereupon he said: "The least degree of death is like a caltrop in a piece of wool: Should a caltrop come out of wool but that it has some thereof sticking to it?" (Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Shahr Ibn Hawshab).

It is narrated that once the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" entered upon a patient during his last moments, and he said: "Indeed, I know well what he receives. There is no vein he has but that it feels the pain of death, with its severity." (Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Salman and Ubaid Ibn Umair).

It is reported that Ali "Allah be pleased with him" used to encourage his companions to fight their enemies saying: "If you are not killed (in fighting in the Cause of Allah), you would inevitably die anyway. By Him in Whose Hand is my soul, one thousand sword strikes is easier on me than to die on bed."

According to Al-Awza'i: "We were reported that the deceased continues to sense the pain of death so long as he is still not resurrected from his grave."

According to Shaddad Ibn Aws "Allah be pleased with him": "Death is the greatest terror on the believer in the world and the hereafter; and it is more severe than sawing, filing and boiling. Were a deceased to be raised from his grave and tell the inhabitants of this world about death, they would have benefitted no living nor enjoyed any sleeping."

According to Zaid Ibn Aslam from his father: "If there still remains anything due on a believer to attain his degree in Paradise, which he has not attained by his deed, the agonies of death would be aggravated on him, in order to get therewith his degree in Paradise. If, contrastingly, there is a favor done by a disbeliever for which he has not been rewarded in this world, death agonies would be made easy on him in order to get the reward of his favor, and thus be led to the fire of Hell."

It is related from somebody that he used to ask a lot of patients about what pain they received from death agonies. When he himself fell fatally ill, he was asked about what he detected, thereupon he said: "It is as if heavens were folded on the earth, and my breath comes out of a needle's hole."

It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The sudden death is a relief for a faithful believer and a grief for a wicked." (Ahmad on the authority of A'ishah).

It is narrated on the authority of Makhul from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that he said: "Were (the pain of) a single hair to be taken from a deceased and directed on the inhabitants of both the heavens and the earth, they would have died entirely, by permission of Allah Almighty, for death lies in each hair of the deceased; and never does death come upon anything but that it dies accordingly." (Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Abu Maisarah).

It is further reported that "were a single drop of death pain to be placed on all the mountains of the earth, all of them would have dissolved immediately."

It is reported that when Abraham "peace be upon him" died, Allah Almighty asked him: "How have you found death, O My intimate friend?" he said: "It is like a thorny skewer to be placed in a piece of wet wool, and then pulled therefrom." On that He Almighty said to him: "No doubt, in spite of that, WE have made it easy on you."

It is reported that when Moses "peace be upon him" died and his soul rose up to Allah Almighty, his Lord asked him: "How have you found death, O Moses?" he "peace be upon him" said: "I have found myself like a bird when it is being roasted on a roaster: it neither dies in order to get comforted, nor is saved to fly once again."

It is reported from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that during his last breaths, he had a vessel of cold water, in which he dipped his hand and passed over his face, saying: "O Allah! Make easy on me the death agonies!" (both Al-Bukhari and Muslim on the authority of A'ishah), and Fatimah "Allah be pleased with her" said: "How distressed am I for your distress O my father!" on that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There would be no distress upon your father after today." (Al-Bukhari on the authority of Anas).

It is reported that Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" said to Ka'b Al-Ahbar: "Relate to us about death O Ka'b." he "Allah be pleased with him" said: "Well O Commander of Believers. Death is like a thorny branch to be placed into the inside of the body of a man, with each thorn sticking to a vein, and then it is pulled therefrom severely and violently, thereupon it takes what it takes and leaves what it leaves (from veins)."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "While a servant is in the thick of distress and agonies of death, his joints bid farewell to each other saying: "Peace be upon you! I am going to leave you, and you are going to leave me to the Day of Judgement." (Al-Iraqi on the authority of Abu Hadbah from Anas)

If those are the agonies of death in relation with the allies and devotees of Allah Almighty, then, what about us, given that we are involved in sins and mistakes? We receive the remaining calamities along with death agonies, for death calamities are three: the first is the difficulty and hardship of demise, as we have mentioned it.

The second calamity is to witness the image of the death angel, from which terror and fear enter the heart. If the greatest and the strongest of men sees his image while taking up the soul of a sinful servant, by no means would he endure it. it is reported that Abraham, the intimate friend "peace be upon him" said to the death angel: "Could you show me your image while taking up the soul of a wicked servant?" he said: "But you would not endure it." he said: "Nay (I would do)." He said to him: "Then, turn your face away from me." He did accordingly, , and when he turned to him once again, behold! He saw a dark hairy black-complexioned stinking man, putting on black clothing, and from whose mouth and nostrils the flame of fire and smoke coming out, thereupon Abraham "peace be upon him" fell unconscious. When he got up, the death angel has returned to

his first image. He said to the death angel: "If the wicked does not face, at his death, nothing but the image of your face, it would be very sufficient for him."

It is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that (The Prophet) David "peace be upon him" was a jealous man, and whenever he came out, he would shut the gates of his house (in order that none would enter in his absence). One day he came out and shut the gates and, by chance, while his wife was looking (from the window), she saw a man in the middle of the house. She said: "Who has admitted that man? If David should come and see him, he would punish him severely." When David "peace be upon him" returned and saw him, he asked him: "Who are you?" he said: "I am the one who never fears kings, nor is prevented by veils." David "peace be upon him" said to him: "You are then, by Allah, , the death angel." David "peace be upon him" then became motionless in his place. (Ahmad and Ibn Abu Ad-Dunya).

It is reported that Jesus "peace be upon him" came upon a skull and struck it with his foot and said: "Speak, by permission of Allah." It said: "O Spirit of Allah! I am the king of such and such a town in such and such a time. While I was sitting on my throne with my crown over my head, and my soldiers and retinue surrounding me, the death angel seemed to me and removed from me each organ solely and then my soul came out unto him."

It is only the disobedient men who suffer from that terror (of death agonies), and the Prophets and allies (of Allah) are relieved of it. It is related from the Prophets "peace be upon them" only the pain of demise, without the terror or fright to be perceived by him who witnesses the image of the death angel as such. If one sees it in a dream on one night, it would embitter on him his remaining life. then, what about seeing it in that very state (of death)?

As for the obedient, he sees him in the best and prettiest form. It is narrated on the authority of Ikrimah from Ibn Abbas "Allah be pleased with them" that Abraham "peace be upon him" was a jealous man, and he had a house of worship, and whenever he came out, he would shut the door behind him (in order for none to intrude it in his absence). One day he returned and found a man in the middle of the house. He asked him: "Who has admitted you to my house?" he said: "Its (real) Lord has admitted me to it." He said: "I am its lord." He said: "It is the One who has more claim over it than you and me that has admitted me to it." He asked him: "Then, who are you from among the angels?" he said: "I am the angel of death." He said: "Could you show me your image in which you take up the soul of the believer?" he said: "Well, turn your face away from me." He did accordingly, and when he turned to him once again, behold! He saw a young man...and he mentioned of his prettiness, smartness, and good scent (what Allah willed him to mention), and then said to him: "O death angel! If the believer does not face, at his death, but such image of you, it would be very sufficient for him."

This includes also to witness the two keeping angels. Wuhaib said: "We were informed that no one dies until his two keeping angels who write down his deeds seem to him: If he is an obedient, they would say to him: "May Allah reward you

on behalf of us. How many a true gathering in which you made us sit, and how many a righteous deed into which you brought us ." If he is a wicked, they would say to him: "May Allah reward you not on behalf of us! How many an evil gathering in which you made us sit, how many an immoral deed into which you brought us, and how many a foul word which you caused us to hear. May Allah reward you not on our behalf."

The third calamity is the disobedient men's vision of their places in the fire of Hell, and fear before witnessing them. At their death agonies, while they become very weak, with their souls submitting to come out and leave their bodies, they would not die until they are given one of two tidings by the death angel: "Receive tidings of the fire, O enemy of Allah", or "Receive the glad tidings of Paradise, O ally of Allah." That is the cause lying behind the fear experienced by those endued with sound minds.

In this respect, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "None of you would come out of this world (by death) until he knows first where his destiny would lead him, and see his place in Paradise or in the fire (of Hell)." (Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Ali).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever likes to meet Allah, Allah likes to meet him; and whoever dislikes to meet Allah, Allah dislikes to meet him." They said: "But all of us dislike death." On that he "peace be upon him" said: "It is not that which is intended. If a faithful believer is given access to see the place and destiny upon which he would come, he should subsequently like to meet Allah, and Allah would like to meet him." (Al-Bukhari and Muslim on the authority of Ubadah Ibn As-Samit "Allah be pleased with him").

It is reported that Hudhaifah Ibn Al-Yaman said to Ibn Mas'ud "Allah be pleased with them" towards the end of the night: "Get up and check in which hour we are." Ibn Mas'ud got up and went and then returned to him saying: "The red (light of dawn) has appeared." On that Hudhaifah said: "I seek refuge with Allah from a morning that leads to the fire (of Hell)."

It is further reported that Marwan entered upon Abu Hurairah "Allah be pleased with him" to visit him (and he was in his fatal illness), and said (by way of supplication): "O Allah! Alleviate that difficulty on him." But Abu Hurairah said: "No, O Allah, aggravate it more on me." Then Abu Hurairah went on weeping and said: "By Allah, I neither weep out of grief for this world, nor because I am going to leave you. But I am expecting one of both tidings from my Lord, either of Paradise or of the fire (of Hell)."

It is narrated in a particular Hadith that the Prophet "peace be upon him" said: "Indeed, if Allah Almighty is pleased with a servant, He would say to the death angel: "O death angel! Go to so and so and bring his soul to me to relieve him. The deeds he has done are sufficient for Me. I indeed have tried him and found him just as I like from him." Then, the angel of death descends in the company of five hundred angels, having with them sticks of basil and roots of saffron, and each of them give him a glad tidings (of Paradise) similar to what the others give him. The angels stand in two rows, in expectation for his soul to

come out, having the basil with them. When Iblis looks at them, he places his hand over his head (out of grief), and his soldiers say to him: "What is the matter with you O our chief?" he says: "Do you not see the honor given to that servant? Where have you been from him?" they say: "We did our best with him, but he was infallible."" (Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Tamim Ad-Dari "Allah be pleased with him").

According to Al-Hassan Al-Basri: "The believer's comfort lies in his meeting with Allah; and if one's comfort lies in the meeting with Allah Almighty, the day of his death then would be the day of his pleasure, delight, safety, honor and exaltation."

It was said to Jabir Ibn Zaid at his death: "What do you wish?" He said: "Only a glimpse I catch of Al-Hassan." When Al-Hassan came to visit him, it was said to him: "That is Al-Hassan." He raised his head and looked at him, and then said: "O my brothers! It is only at this hour that I am going to leave you, either to Paradise or to the fire (of Hell)."

Explication Of Such Of States As Favorable For The Would-Be Dead At Death

It should be known to you that the dearest state in which a would-be deceased should be is quietness and tranquility, and from his tongue to utter the testimony of faith, and from his heart to have good assumption of Allah.

As for the state, it is reported that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Watch the dead with three things: when his forehead sweats, his eyes shed tears, and his lips get stiff, then, it is the mercy of Allah that has descended upon him. But if eh snores like the stifled, his color turns red, and his lips shrink, then, it is the punishment of Allah that has afflicted him." (At-Tirmidhi on the authority of Salman: unauthentic).

That his tongue utters the testimony of faith, is a sign of good. It is reported on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Dictate to the would-be deceased among you (the testimony of faith, i.e.) 'There is none worthy of worship except for Allah', (according to the narration of Hudhaifah) for it effaces such of mistakes as committed before it."

It is further reported on the authority of Uthman "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever dies and he knows that there is none worthy of worship except for Allah, would enter Paradise."

Uthman "Allah be pleased with him" said: "When a would-be deceased comes to his last breaths, dictate to him 'There is none worthy of worship except for Allah', for there is no servant whose deeds are concluded with it but that it would be his provision to Paradise."

Umar "Allah be pleased with him" said: "Be present with the would-be deceased among you (during their last breaths), and remind them (of Allah), for they see what you see not, and dictate to them 'There is none worthy of worship except for Allah'."

It is reported on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him"

that he said: I heard the Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" saying: "The death angel attended to take up the soul of a man and looked at his heart and found nothing of faith therein. But when he loosened his jawbones, he found his tongue sticking to his palate while saying 'There is none worthy of worship except for Allah', thereupon his sins were forgiven for him because of this word of pure faith." (Ibn Abu Ad-Dunya and At-Tabarani).

On the other hand, the dictator should not be pressing in his dictation. But he should rather be gentle and kind, for the tongue of the patient might not be able to utter, which makes him feel it difficulty on himself, as he regards the testimony heavy on himself, and refrains from saying it, which might be a cause of his evil conclusion. The point here is that man should die with nothing in his heart other than his beloved, i.e. Allah the One and Only. In this way, his death and coming to his beloved become the highest pleasure. But if the heart is engaged in this world with its delights and pleasures, and the word of testimony runs only on the tongue, and the heart does not conform to it, then, he would fall into the risk of the Divine will. To be sure, only the movement of the tongue is pointless, unless Allah is bountiful with acceptance.

As for the good assumption of Allah Almighty, it is favorable at that time. We have mentioned that in the Book of Hope. There are many narrations in favor of the superiority of that good assumption of Allah:

It is reported that Wathilah Ibn Al-Asqa' "Allah be pleased with him" entered upon a patient (during his last breaths) and asked him: "Tell me: What is your assumption of Allah?" He said: "Although my sins have overwhelmed me, and I am on the verge of destruction, I hope for the mercy of my Lord." On that Wathilah glorified Allah and so did the family of the deceased accordingly. He glorified Allah and said: I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying: Allah Almighty says: "I am just as My servant assumes of Me. So, let him assume of Me what he likes." (Ibn Hibban, Al-Baihaqi and Ahmad).

It is further reported that the Prophet "peace be upon him" entered upon a man to visit him during his last breaths, and asked him: "How do you find yourself?" he said: "I hope for (the mercy of) Allah and fear of my sins." On that he "peace be upon him" said: "Never do both gather together in the heart of a servant at the like of that state but that He Almighty gives him what he hopes for, and secures him from what he fears."

It is reported on the authority of Thabit Al-Bunani that he said: There was a young man of bad temper, and his mother used to admonish him more often saying: "O my son! You shall have a day (when you die). So, remember your day." When death approaches him, she turned over him and said: "O my son! I used to warn you of this death time of yours." He said: "O mother! I have a Lord who does favor so much; and I hope He will not deprive me today of some of His favor." Thabit commented: "Then, his Lord bestowed mercy upon him by virtue of his good assumption of his Lord Almighty."

It is further reported on the authority of Jabir Ibn Wada'ah that he said: There was a rebellious youth and when death approached him his mother asked

him: "O my son! Do you have any bequest?" he said: "Yes, do not deprive me of my ring for it has the Name of Allah Almighty, by virtue of which Allah may bestow mercy upon me." When he was buried, he was seen in a dream (by somebody) in which he said: "Tell my mother that the word (the Name of Allah) has benefitted me, and Allah has forgiven for me."

A Bedouin fell fatally sick and it was said to him: "You are on the threshold of death." He said: "Where I would be taken?" it was said: "To Allah Almighty." He said: "Then, why should I dislike to go to Him from Whom nothing but good is seen?"

According to Abu Al-Mu'tamir Ibn Sulaiman: When death approached my father he said to me: "O Mu'tamir! Tell me about concessions, perchance I would meet Allah Almighty while having good assumption of Him." Indeed, it was favorable in their sight to make a mention to anyone his good deeds at his death, in order to strengthen his good assumption of Allah Almighty.

Explication Of Grief At Meeting The Angel Of Death Through Many Tales

According to Ash'ath Ibn Aslam: Abraham "peace be upon him" asked the angel of death, and he has two eyes, one in the front and the other in the back: "O angel of death! What do you do if you are to take up many souls simultaneously, one in the East and another in the West, and the epidemic broke out in a land, and two armies faced each other in another place?" he said: "I call the spirits, by permission of Allah, and they soon become in between those two fingers of mine." He further said: "The whole earth was spread out to him, and became like a wash tube in front of him to take therefrom what he likes." He gave him the glad tidings of being the intimate friend of Allah Almighty.

Solomon, son of David "peace be upon them" said to the angel of death: "What is the matter with you that you do not do justice among the people? You take up the spirit of so and so, and leave so and so." He said: "I have, in this issue, no better knowledge than you. It is but books being thrown to me, containing the names (of those to be taken by death)."

It is reported on the authority of Wahb Ibn Munabbih that one of the kings asked for a dress to set out on journey, and one was brought to him, but it did not appeal him. After many were brought to him, he chose one. The same happened in the horses and riding mounts he asked for. Then, he set out in his procession, in the company of his slaves and horses, and Satan had blown in him the air of arrogance and haughtiness. On the way, he met a man of shabby clothes who greeted him with peace, but the king gave no reply. He then caught hold of the rein of his riding mount, and when the king scolded him to leave it, he said to him: "But I have a need for you." He said: "Then, wait until I dismount." He said: "No, but now. Give me your ear to tell you about it in secret." He gave ear to him and he said: "I am the angel of death." The king said: "Then, give me respite until I return to my family, fulfill my need, and give my bequest." He said: "No, but let it be now." He took up his soul, and the king fell down as if he were a piece of wood.

On the way the angel of death met a faithful believer whom he greeted with

peace, and the man returned the greeting. He told him that he had a need for him, and when the man gave ear to him, he told him that he was the angel of death. He said: "Welcome to the one whose absence from me has been very long. There is no absent on the surface on the earth dearer to me than you." The angel of death said to him: "Then, fulfill your need for which you have come out." The man said: "I have no need dearer to me than to meet Allah Almighty." He said to him: "Then, choose in whichever state you like me to take up your soul." He said: "Do you have power to do so?" he answered in the affirmative and said: "I have been commanded to do so." He said: "Then, give me respite until I offer ablution and pray and then take up my soul while I am falling in prostration." He took up his soul while he was in prostration.

According to Abu Bakr Ibn Abdullah Al-Muzni: "A man from the children of Israel gathered much wealth and when he became on the threshold of death, he told his sons to bring him the different kinds of his property, and much horses, camels, slaves, etc, were brought to him, and when he caught a glimpse of that, he went on weeping in sigh for leaving it. When the angel of death saw him weeping he said to him: "What causes you to weep? By Him Who gave you all of this, I would not leave you until I separate your soul from your body by death." He said to him: "Then, give me respite until I distribute my property." He said: "No respite is available now. Why have you not done so before the coming of your appointed term?" then, he took up his soul.

According to Ata' Ibn Yasar: "When it is the night of the middle of Sha'ban, a book is given to the angel of death and it is said to him: "This year, take up the souls of the names that are in this book." Then, a servant cultivates his land, marries women and builds houses and palaces and does not know that his name is in that book.

According to Al-Hassan: "There is no day but that on which the angel of death checks each house three times: whomever of them he finds has fulfilled his sustenance and consumed his time, he would take up his soul. Once he takes up his soul, his family cry and weep for him, thereupon the angel of death catches hold of the gateposts and says: "By Allah, I have neither devoured anything of his sustenance, nor have I consumed his lifetime, nor have I decreased of his appointed term. I shall return to you again and again until no one of you remains alive." Al-Hassan commented: "By Allah, were they to see his standing and hear his words, they would be astonished from their deceased, and rather weep for themselves."

It is narrated on the authority of Al-A'mash from Khaithamah that he said: Once, the angel of death visited Solomon, son of David "peace be upon them" and had a long gaze at a man from among his sitters. When he came out the man asked him: "Who is that man?" he said: "The angel of death." He said: "I have seen him gazing at me as if he has wanted me." Solomon asked him: "Then, what do you want?" he said: "I like you to deliver me from him, and command the wind to carry me and convey me to the farthest end of India." He did accordingly, and the wind carried him. Then, the angel of death visited Solomon once again and he said to him: "I have seen you gazing for a long time at one

from among my sitters." He said: "Yes, I wondered at him for I was commanded to take up his soul in the farthest end of India at a very near hour, and he was with you. So I wondered (how should he go to India in order for me to take up his soul there)."

CHAPTER FOUR

CONCERNING THE DEATH OF THE MESSENGER OF ALLAH "ALLAH'S BLESSING AND PEACE BE UPON HIM" AND THE RIGHTLY-GUIDED CALIPHS AFTER HIM

The Death Of The Messenger Of Allah "Allah's Blessing And Peace Be Upon Him"

It should be known to you that you have a good pattern in the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" as living and dead, in all of his deeds, acts and words. All his states are but a source of instruction and giving lessons to such as likes to take consideration. No one was more honored in the Sight of Allah than him. He was His intimate friend, beloved, chosen, private converser, Prophet and Messenger. But even, did He Almighty give him a respite beyond his appointed term? Did He delay the time of his death even for a single moment when it was due upon him? No! He sent to him the honorable angels entrusted to take up souls, who, in turn, took up his pure soul and carried it to a mercy and good satisfaction and good things, and a good sitting place of truth in the presence of Allah the Most Gracious.

Moreover, he received the severe agonies of death, and his moaning was audible, his anxiety was apparent, his suffering was visible, his colour changed, his forehead sweated, and so on to the extent that those who attended his death time wept for his severe trouble. Has then the office of Prophethood averted the decree from him? Has it lightened from him the suffering and torture of death he was doomed to receive? Of course not, although he is, in the Sight of Allah, the lord of the station of praise, and the fountain lake which the people would come upon to drink, the first upon whom the earth would split open, and the lord of intercession on the day of presentation.

Why then should we not imitate the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in all of his deeds and acts? Why should we not be among the pious, given that all of us would inevitably come upon the fire of Hell? That is confirmed by the statement of Allah Almighty: "Not one of you but will pass over it: This is, with your Lord, a Decree which must be accomplished. But We shall save those who guarded against evil, and We shall leave the wrong-doers therein, (humbled) to their knees." (Maryam 71-72)

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾

So, let every servant consider as to whether he is nearer to the wrongdoers or to the pious. Consider yourself after you consider first the conduct of the righteous predecessors, who were, in spite of their high position, from among the

fearful. Then, consider the conduct of the chief of the Messengers "peace be upon him" who was certain of the matter, and consider how he was distressed when it was his time to leave this world, and how he was when he turned to the Garden of shelter.

In this respect, it is narrated on the authority of Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" that he said: We entered upon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in the dwelling place of our mother A'ishah "Allah be pleased with her" and it was a short time before his death. He cast a glance of us and his eyes shed tears "peace be upon him". Then he said: "Welcome to you! May Allah greet you, give you shelter, support and help you. I advise you to fear Allah Almighty, and I entrust you to Allah Almighty: I am, to you, from Him an evident warner. Do not be arrogant over Allah Almighty on His earth and in His servants. Now, it is time of death, turning to Allah Almighty, to the Farthest Lote-Tree, to the Garden of shelter, and to the fully satisfying cup . Greet yourselves and those who enter your religion after me with peace on behalf on me." (Al-Bazzar).

It is further reported that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Gabriel "peace be upon him" at the time of his death: "Who would take care of my people after me?" Allah Almighty revealed to Gabriel that 'Give my beloved the glad tidings that I would never disappoint him concerning his people; and give him the happy news that he would be the first of people to come out of the earth when they would be resurrected, and their chief and master when they would be gathered together; and that Paradise would be forbidden to all nations until his people would enter first." On that he said: "Now, I have got comforted." (At-Tabarani on the authority of Jabir and Ibn Abbas "Allah be pleased with them").

It is reported on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that she said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" commanded us to wash his body with seven water-skins drawn out from seven springs. We did accordingly and he felt some comfort. He came out and led the prayer, prayed forgiveness for, and invoked good upon the martyrs of Uhud, and advised people to be kind and good to the Ansar. He said: "Coming to the point: O assembly of Muhajirs! You would increase in number, and the Ansar would remain with no increase. The Ansar are my shelter to which I have taken refuge. So, deal generously with the doer of good among them, and forgive the doer of evil among them." Then he said: "A servant has been given the freedom to choose this world, or what is with Allah Almighty, and he chose what is with Allah Almighty." On that Abu Bakr "Allah be pleased with him" went on weeping, thinking that he "peace be upon him" intended himself (by death). The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Be quiet O Abu Bakr! Close all doors of the mosque except for the door that is opposite to the house of Abu Bakr, for I do not know there is anyone better to me in company than Abu Bakr." (Ad-Darimi in his Musnad).

It is reported on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that she said: "The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" died in my house,

on the day of my turn, while he was leaning on my chest closer to my neck, and Allah made my saliva mix with his Saliva at his death. Abd-Ar-Rahman entered upon me with a Siwak in his hand and I was supporting (the back of) The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" (against my chest). I saw The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" looking at that (Siwak) and I knew that he loved the Siwak, so I said (to him): "Shall I take it for you ? " He nodded in agreement. So I took it and it was too stiff for him to use, so I said: "Shall I soften it for you ?" He nodded his approval. So I softened it and he cleaned his teeth with it. In front of him there was a jug or a tin containing water. He started dipping his hand in the water and rubbing his face with it, he said: "None has the right to be worshipped except Allah. Death has its agonies." He then lifted his hands (towards the sky) and started saying: "With the highest companion," till he expired and his hand dropped down. Thus, I came to know that he "peace be upon him" would not choose us." (Al-Bukhari).

It is narrated on the authority of Sa'id Ibn Abdullah from his father that he said: When the Ansar saw that the ailment of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" became increasingly aggravated, they went round the mosque, and Al-Abbas "Allah be pleased with him" was the first to enter upon him, and he informed him about their position and fear (of death for him). Then, Al-Fadl entered upon him and informed him about the same, and so did Ali "Allah be pleased with him". He "peace be upon him" stretched his hand towards them to take it and they did accordingly. He said: "What do you say?" They said: "We fear you would die." Their women cried for their men's gathering near the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". On that the Prophet "peace be upon him" was excited and came out reclining against both Ali and Al-Fadl, and Al-Abbas was walking ahead of him. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was bandaging his head, and dragging his feet on the ground, until he sat on the stepladder just below the pulpit. The people turned their faces to him and he then praised Allah and lauded Him, and said: "O people! I was reported that you fear death for me as if you disapprove death. What do you reject of the death of your Prophet? Have the news of my death not been announced by me to you? Have the news of your death not been announced to you? Has any Prophet to be sent before me survived forever so that I would survive forever like him? Behold! I am going to join (the presence of) my Lord, and you are going to joined His presence too. I enjoin upon you to be good to the early Muhajirs, for Allah Almighty says: "By (the Token of) Time (through the Ages), Verily Man is in loss, Except such as have Faith, and do righteous deeds, and (join together) in the mutual teaching of Truth, and of Patience and Constancy." (Al-Asr 1-3)

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝ ﴾

He "peace be upon him" also enjoined upon the Muhajirs to be kind and good to the Ansar who preceded them in faith and residence, and divided their things equally with them. He also enjoined upon the people to follow the Quraish in the matter of ruling. Then, he said: "O people! No doubt sins change favors: If

the people are righteous, their rulers would be righteous with them, and if they are wicked, their rulers would be wicked with them. In confirmation of that, Allah Almighty said: "Thus do We make the wrongdoers turn to each other, because of what they earn." (Al-An'am 129)

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾

It is narrated on the authority of Abdullah Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Abu Bakr: "Ask what you like to ask O Abu Bakr." He said: "Is the appointed term about to come?" He "peace be upon him" said: "Yes, the appointed term is about to come." He said: "Blessed be you, O Prophet of Allah, in what is with Allah Almighty! What about our turning?" He said: "To Allah and to the Farthest Lote-Tree, and then to the Garden of shelter, the highest Paradise, the fully satisfying cup, the highest companion, the best fortune and blissful living." He asked: "O Prophet of Allah! Who should undertake washing your dead body?" He said: "Men from among my household, beginning from the closest to me in kinship and then the next of kin." He asked: "O Prophet of Allah! In which thing should we shroud you?" He said: "In this garment of mine, along with a Yemenite suite and white Egyptian-made cotton dress." He asked: "O Prophet of Allah! How should we offer prayer on you?" then he went on weeping and so we did. He "peace be upon him" said: "Keep quiet, may Allah forgive for you and reward you on behalf of your Prophet. Once you washed and shrouded my dead body, place me on this bed of mine, on the verge of my grave, and leave me for an hour. The first to invoke prayer on me is Allah Almighty: it is He Who invokes prayer on you, and so do His angels. Then, He gives permission to the angels to offer prayer on me, and the first of them to enter and offer prayer upon me is Gabriel, then Michael, then Israfil, and then the angel of death in the company of a lot of angels, followed by all the angels "peace be upon them". Then, enter O you and offer prayer upon me in groups. Let my household be the first to offer prayer on me, beginning from the closest to me and then the next of kin. Then the groups of women and then the groups of children." He further asked him: "Then, who should get you into the grave?" he said: "Men from among my household, beginning from the closest to me and then the next of kin, along with a lot of angels whom you do not see, although they see you well. Get up and convey the message, on my behalf, to those to come after me." (Ibn Sa'd in his Tabaqat on the authority of Al-Waqidi from Ibn Mas'ud).

It is narrated on the authority of Abdullah Ibn Zam'ah that he said: Bilal came in the beginning of the month of Rabie the First and pronounced Adhan for prayer, thereupon the Prophet "peace be upon him" (being fatally ill) said: "Order Abu Bakr to lead the prayer." I came out and found none at the gate of the mosque other than Umar "Allah be pleased with him" with some men but Abu Bakr was not among them. I said to him: "Get up O Umar and lead the prayer." He did accordingly, and as he was a loud-voiced man, his voice reached the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" who said angrily: "Where is Abu Bakr? Allah rejects, and so do the Muslims (that Abu Bakr is not the imam)." He said it thrice, adding: "Order Abu Bakr to lead the

prayer." A'ishah "Allah be pleased with her" said: "O Messenger of Allah! Abu Bakr is a softhearted man, and once he stands in your place, he could not help weeping." On that he said: "You (women) are but like the female companions of Joseph. Order Abu Bakr to lead the prayer." Then, Abu Bakr "Allah be pleased with him" led the prayer beginning from that which followed the prayer which Umar led. Afterwards, Umar used to say to Abdullah Ibn Zam'ah: "Woe to you! What have you done with me? By Allah, had I not thought that it was the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" who ordered you to do so, I would not have done it." Abdullah replied to him: "But I did not see anyone (at that time) worthier of that than you." (Abu Dawud and both Sahihs).

It is narrated on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that she said: When it was the day on which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" died, the people felt he recovered a bit in the beginning of the day, thereupon the men dispersed to their houses and needs cheerfully, and left him with the women. Such being the case, as we became more hopeful and joyful than we had ever been before, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" ordered us to come out and leave him for the angel (of death) asked his permission to be admitted. All who were present in the house came out except for me, and his head was in my lap. He sat and I moved away to one side of the house. He had a private long conversation with the angel after which he invited me and placed his head in my lap once again. He ordered the other women to enter. I said to him: "That is not the voice of Gabriel." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Yes, O A'ishah. That is the angel of death. He came to me and said: "Indeed, Allah sent me and ordered me not to enter upon you except by your permission: if you give me permission, that is good, and if you do not give me permission, I would return. He also ordered me not to take up your soul until you order me." I said to him: "Then, leave me until Gabriel comes to me, for it is time for Gabriel to come.""

A'ishah "Allah be pleased with her" resumed: We received a matter for which we had no response. We became gloomy as if a calamity afflicted us. Then, Gabriel "peace be upon him" came in his due time and greeted with peace, and I knew his voice. The women left the house. He entered and said to him: "Allah Almighty greets you with peace and asks you about your suffering, although He knows well to what extent you are suffering. But indeed, He liked to advance you in honor and raise you in dignity, and make you an example and a pattern for your people." He said: "I am severely ached." He said: "Receive then the glad tidings for Allah Almighty wanted to let you attain what He has prepared for you." He related to him the news of the angel of death, thereupon Gabriel said to him: "O Muhammad! Your Lord has a great longing for you. Has he not informed you about what he intended for you? By Allah, the angel of death has never sought the permission of anyone, nor would he do so once again. The point is that your Lord is to perfect your honor, and He has a great longing for you." He said to him: "Then, do not leave until he comes."

Women were admitted, and he said to Fatimah "Allah be pleased with her": "Bring your head close to me." She turned over him and he talked to her secretly, thereupon she raised her head with her eyes shedding tears and unable to speak. Then, he asked her to bring her head close to him once again, and she turned over him, and he talked to her privately, thereupon she raised her head cheerfully, but unable to speak. What we saw from her was really amazing to us. Afterwards I asked her about it and she said: "At first, he told me that he was going to die on that day, thereupon I wept. Then he said to me: "I invoked Allah to join you with me among the first group of my household, and make you in my company." On that I smiled." She then brought her two sons close to him and he smelled them.

A'ishah "Allah be pleased with her" resumed: The angel of death came and sought permission, and he was admitted. He said: "What do you command us O Muhammad?" he said: "Join me with my Lord now." He said: "Nay! Your Lord has a great longing for you. He has never hesitated to cause anyone to die as He has done with you, neither has He forbidden me to enter upon anyone but with his permission except for you. But anyway, your hour is ahead of you." Then, Gabriel came and said: "Peace be upon you O Messenger of Allah. That is the last time for me to descend on earth. The Divine revelation was concluded, and the world was folded up, and on the earth, I had no need other than you, nor has anything concerned me but to attend to you."

She added: Then, I stood to the Prophet "peace be upon him" to place his head in between my breasts, and took hold of his chest, and then he became unconscious until he fell down, and his forehead sweated so much as I have never seen anyone like him. I wiped that sweat off him and I have never seen more pleasant-smelling than it. I said to him whenever he recovered: "Let my father and mother, and all of my family and myself be sacrificed for you! What is that sweat coming out of your forehead?" he "peace be upon him" said: "O A'ishah! The soul of the believer comes out (when he dies) with sweat, while that of the disbeliever comes out from between both corners of his mouth like that of a donkey."

At that moment, we were scared and sent for our families. The first man to come to us was my brother, who did not attend his death, and he was sent to invite my father. But the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" died before anyone came. It is Allah who withheld them from him for he was in the company of Gabriel and Michael "peace be upon them". Whenever he recovered from unconsciousness, he would say: "No, let it be with the highest companion" as if he were given the freedom of choice. But whenever he had the power to speak, he would say: "Adhere to prayer! Adhere to prayer! You would continue to be constantly firm so long as you offer prayer." He died while saying: "prayer! Prayer!" (At-Tabarani on the authority of Jabir and Ibn Abbas, with a slight variation of wording).

It is further reported on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that she said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" died just in the glorious forenoon of Monday. (Ibn Abd-Al-Barr).

It is narrated on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that she

said: When the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" died, the people fell in clutter, and the angels covered his dead body with his garment. But the people disputed over his death: Some belied the news, others kept silent, others were given to confusion, others kept their minds, and others kept motionless. Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" was among those who belied the news of his death. Ali "Allah be pleased with him" was among those who kept silent, and Uthman "Allah be pleased with him" was among those who kept motionless.

Umar "Allah be pleased with him" came out to the people and said: "Indeed, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" did not die, and Allah would return him once again in order to cut off the hands and feet of men from among the hypocrites who hoped for his death. The point is that Allah Almighty had an appointment with him like that of Moses "peace be upon him", and he is going to come to you."

According to another version, Umar "Allah be pleased with him" said: "O people! Hold back your tongues from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" for he did not die. By Allah, I do not like to hear anyone talking that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" died, otherwise, I would strike him with this sword of mine." As for Ali "Allah be pleased with him" he kept silent and did not leave the house. As for Uthman "Allah be pleased with him" he became motionless, unable to move. But none among the Muslims were in a better state than both Abu Bakr and Al-Abbas "Allah be pleased with them" whom Allah Almighty supported with help and success. The people did not become quiet except by the statement of Abu Bakr "Allah be pleased with him". Al-Abbas "Allah be pleased with him" came and said: "By Allah, other than Whom there is no god, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" tasted death. He recited to you while he was living among you: "Truly you will die (one day), and truly they (too) will die (one day). In the End will you (all), on the Day of Judgment, settle your disputes in the presence of your Lord." (Az-Zumar 30-31)

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝ ﴾

It is further reported on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that she said: The news of his death reached Abu Bakr "Allah be pleased with him" while he was in the dwelling places of Banu Al-Harith Ibn Al-Khazraj, thereupon he came and entered upon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", looked at his dead body, turned over him and kissed him and said: "Let my father and mother sacrifice their lives for you O Messenger of Allah! Allah was not to make you taste death twice. By Allah, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" died." Then, he came out to the people and addressed them saying: "O people! Whoever worships Muhammad "peace be upon him" then, let him know that Muhammad "peace be upon him" died; and whoever worships the lord of Muhammad, then, it should be known to him that He Almighty is Ever-Living and never dies." Then, he recited the following statement of Allah: "Muhammad is no more than a Messenger: many were the Messengers that passed away before him. If he died

or were slain, will you then turn back on your heels? If any did turn back on his heels, not the least harm will he do to Allah; but Allah (on the other hand) will swiftly reward those who (serve him) with gratitude." (Al Imran 144) (Al-Bukhari and Muslim).

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾

It is narrated on the authority of Ibn Umar "Allah be pleased with them" that when Abu Bakr entered the house, and then invoked prayer upon the Prophet and praised him, the household made a high noise, so loud that the people in the praying place heard it, and the more he remembered anything, the more they raised their noise. Their noise stopped only when a man greeted them with peace at the gate of the house and addressed them saying: "Peace be upon you, O household! (He recited) "Every soul shall have a taste of death: and only on the Day of Judgment shall you be paid your full recompense. Only he who is saved far from the Fire and admitted to the Garden will have attained the object (of Life): for the life of this world is but goods and chattels of deception." (Al Imran 185)

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾

In Allah Almighty, there is a successor of everyone, an attainment of every desire, and a salvation from every terror. It is Allah whom you should hope, and on him you should rely." They paid attention to him and stopped weeping. But when they stopped weeping, his voice was lost, and one of them looked to know who he was, but he saw none. Then, they returned to weeping once again, thereupon another caller whose voice they did not recognize called them saying: "O household! Remember Allah Almighty, and praise Him on whichever state you are in, perchance you would be among the sincere chosen devotees of Allah. Indeed, in Allah there is condolence for every calamity, and recompense for every loss. So, it is Allah Whom you should obey, and upon His command you should act." Abu Bakr "Allah be pleased with him" said: "Those are but Al-Khadir and Elisha "peace be upon them": they have attended the funeral of the Prophet "peace be upon him"." (Al-Hakim and Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Anas).

According to Al-Qa'qa', when the Prophet "peace be upon him" died, Abu Bakr "Allah be pleased with him" stood and addressed the people saying, after he had invoked prayer and peace upon the Prophet and praised Allah Almighty on whichever state they were in: "I testify that there is no god to be worshipped but Allah Alone, Who was true to His promise, supported His servant, and Alone defeated the confederates (of disbelievers). All perfect praise be to Allah Alone. I testify that Muhammad "peace be upon him" is His servant, Messenger and the last of all the Prophets and Messengers. I also testify that the Book is just as He revealed, the religion as He prescribed, the speech and saying as true as he talked and said, and that Allah Almighty is indeed the Evident Truth.

O Allah! Send upon Muhammad, Your servant, Messenger, Prophet, beloved, trustworthy, and chosen, the best blessing and peace as You have ever sent upon anyone of Your creatures. O Allah! Confer Your prayer, wellbeing and mercy upon the chief of Messengers and the last of the Prophets, and the imam of the pious, Muhammad, the leader of good and the Messenger of mercy. O Allah! Make him closer to Your presence, strengthen his proof, honor his station, and raise him to a position of praise, the like of which all the foremost and the last aspire for, and benefit us with his position of praise on the Day of Judgement, and make him attain the access (to intercession) and the high degree in Paradise. O Allah! Confer prayer and blessing upon Muhammad and upon the family of Muhammad, just as You conferred prayer and blessing upon Abraham: You are praiseworthy, glorious.

O people! Whoever worships Muhammad "peace be upon him" then, let him know that Muhammad "peace be upon him" died; and whoever worships the lord of Muhammad, then, it should be known to him that He Almighty is Ever-Living and never dies. However, Allah has announced to you in advance the news of his death. So, do not be scared, for Allah Almighty has preferred for His Prophet "peace be upon him" what is with Him to what is with you. He then took him unto His reward and left among you His Book and the sunnah of His Prophet "peace be upon him". Whoever acts upon them has indeed approved the truth, and whoever separated between them has indeed rejected the truth. O you who believe! Stand with justice, and let not Satan divert you by the death of your Prophet "peace be upon him" nor tempt you from your religion. But rather overpower Satan with good perchance you would debilitate him entirely, and do not give him respite lest he would catch you and tempt you from the truth."

It is further reported on the authority of Ibn Abbas "Allah be pleased with them" that he said: When Abu Bakr "Allah be pleased with him" finished from his sermon, he said to Umar: "O Umar! Is it you of whom I was reported that he said that the Prophet of Allah "peace be upon him" did not die? Do you not see that the Prophet of Allah "peace be upon him" said such and such words on such and such a day? Indeed, Allah Almighty said in His Holy Book: "Truly you will die (one day), and truly they (too) will die (one day). In the End will you (all), on the Day of Judgment, settle your disputes in the presence of your Lord." (Az-Zumar 30-31)

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

On that Umar "Allah be pleased with him" said: "By Allah, it seems as if I have never heard that Holy Verse in the Book before now due to the severe calamity that as afflicted us. I testify that the Book is as true as it was revealed, the speech as he said it, and that Allah Almighty is Ever-Living and never dies. We all are to Allah, and to Him we shall return. Allah's blessing and peace be upon His Messenger and Prophet. We expect the reward for (our patience on losing) His Messenger "peace be upon him" with Allah Almighty." Then, he sat beside Abu Bakr "Allah be pleased with them".

It is reported on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that she said: When the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"

died, they were confused about how they should wash his dead body, and whether or not they should deprive him of his clothes. However, Allah Almighty caused them to be overtaken by slumber, and then one of them called, and none knew who he was: "Wash the dead body of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" with his clothes on." They awoke and did accordingly. In this way, the dead body of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was washed in his shirt, until when they finished from washing him, he was shrouded.

It is reported on the authority of Ali "Allah be pleased with him" that he said: We liked to take off his shirt thereupon we were called "Do not take off the shirt of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"." We did accordingly. We then washed his dead body while being in his shirt in the same way as we wash the dead among us. We were called to be gentle to the dead body of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in washing, for we would be sufficed that.

That was the death of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". His belongings were buried with him. According to Abu Ja'far: "His wrapper and amaranth were spread out in his grave, over which the clothes he used to put on were then spread, and then his dead body in the shroud was placed over that. After his death, he left no property, nor has he ever built a brick over a brick or a pipe over a pipe during his lifetime. His death is a lesson for the Muslims to learn, and a good pattern to follow.

The Death Of Abu Bakr As-Siddiq "Allah Be Pleased With Him"

When death approached Abu Bakr "Allah be pleased with him" A'ishah "Allah be pleased with her" came to him and said the following poetic verse: "By your life, in no way could wealth avail a young man when it is time for his soul to be disturbed and the breast constricted with it." hearing that, he uncovered his face and said to her: "No, but you'd rather say: "And the stupor of death will bring Truth (before his eyes): "This was the thing which you was trying to escape!" (Qaf 19)

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾

Consider those garments of mine and wash them to shroud me in them, for the living is more needy to the new than the dead."

During his last breaths, they visited him and said: "Should we invite a physician to see you?" he said: "My physician (i.e. Allah Almighty) has seen me and said: 'I do what I like to do.'"

Salman Al-Farisi "Allah be pleased with him" came to visit him to inquire about his health and said to him: "O Abu Bakr! Give us your advice." He said: "Allah is going to open the world to you. So, take from it only what conveys you (to the end of your journey to the hereafter), and put in your mind that whoever offers Morning prayer becomes under the protection of Allah Almighty. So, do not betray Allah Almighty in His protection, lest He would throw you into the fire prone on your face."

When the ailment of Abu Bakr "Allah be pleased with him" became more

aggravated, and the people liked him to choose a successor for him, he chose Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him". The people said to him: "You have chosen your successor over us one who is severe and harsh-hearted. Then, what would you say to your Lord when He asks you about that?" he said: "I would say: 'I have chosen as my successor over your people the best of your people.'"

Then, he sent somebody to invite Umar "Allah be pleased with him" and he came, to whom Abu Bakr said: "I am going to give you an advice. It should be known to you that Allah Almighty has a right to be fulfilled during the day, which He never accepts if it is postponed to the night; and He has a right to be fulfilled at night, which He never accepts if it is delayed to the coming morning; and that He never accepts the supererogatory deed until the obligatory deed is offered. The balance (of good deeds) of anyone becomes heavy on the Day of Judgement due to his following the truth in this world, no matter how heavy on him it might be, and it is incumbent upon a balance (of good deeds) in which nothing but truth is placed to become heavy. Contrastingly, the balance (of good deeds) of another becomes light on the Day of Judgement due to his following falsehood in this world, which seems light on him; and it is incumbent upon a balance (of good deeds) in which nothing but falsehood is placed to become light.

It is true that Allah Almighty remembered the inhabitants of Paradise with the best of their deeds, and forgave for them their misdeeds. Nevertheless, (the people are divided into two): One says: "I am less in rank than those, and in no way could I attain the degree of their righteous deeds." The other says: "I am better than those in rank." No doubt, Allah mentioned the sign of mercy and that of punishment, in order for the faithful believer to be desirous (for the mercy) and fearful (of the punishment), and do not contribute in his destruction, nor wish from Allah but the truth. If you keep in mind this advice of mine, no absent would become dearer to you than death, which should inevitably afflict you; and if you waste it, then, no absent would become more hateful to you than death, which should inevitably strike you, and in no way could you escape it."

Sa'id Ibn Al-Musayyab said: When death approached Abu Bakr "Allah be pleased with him" the companions came to visit him and said to him: "O successor of the Messenger of Allah! Provide us (from your knowledge), for we see you are going to leave us." Abu Bakr "Allah be pleased with him" said: "Whoever says the following words and then dies, Allah Almighty raises his soul up to the evident horizon." They asked: "What is the evident horizon?" he said: "A hall in front of the Throne (of Majesty), in which there are the gardens of Allah, along with rivers and trees, and everyday one hundred parts of mercy frequent it. I mean: 'You created the people without any need for them, and divided them into two parties: one for bliss and another for the blazing fire. So, please, make me among the inhabitants of the bliss, and not among the denizens of the blazing fire. O Allah! You created the creation and made them divisions and parties, and before You created them, You singled out, from among them, some for happiness and others for wretchedness. O Allah! Make not me

wretched because of my disobedience. O Allah! You learnt what every soul would earn (of deeds) before You created it, and there is no flee for it from Your knowledge. So, please, make me among those whom You subjugated to Your obedience. O Allah! None could will until Your will should come first. So, please, make Your will that I should will only what brings me close to You. O Allah! You decreed the movements of Your servants and none could move but by Your permission. So, please, make my movement be only in service of my fear of You. O Allah! You created both good and evil, and doomed to each one what to do therefrom. So, please, make me in the better section. O Allah! You created both Paradise and fire and specified for each its inhabitants. So, please, make me from among the dwellers of Your Paradise. O Allah! You intended error for a people, and constricted their breasts with it. So, please, expand my breast to faith and make it alluring in my heart. O Allah! You manipulated all things and made their destiny to You. So, please, send me, after death, to a good life, and bring me close to You. O Allah! You are my assurance and hope, and there is neither might nor power but with Allah." Abu Bakr "Allah be pleased with him" commented: "All of this is in the Book of Allah Almighty."

The Death Of Umar Ibn Al-Khattab "Allah Be Pleased With Him"

It is narrated on the authority of Amr Ibn Maimun "Allah be pleased with him" that he said: I saw Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" a few days before he was stabbed in Medina. He was standing with Hudhaifah Ibn Al-Yaman and Uthman Ibn Hunaif to whom he said: "What have you done? Do you think that you have imposed more taxation on the land (of Iraq) than it can bear?" They replied: "We have imposed on it what it can bear because of its great yield." Umar again said: "Check whether you have imposed on the land what it can not bear." They said: "No, (we haven't done)."

Umar "Allah be pleased with him" added: "If Allah keeps me alive I will let the widows of Iraq need no men to support them after me." But only four days had elapsed when he was stabbed (to death). On the day he was stabbed, I was standing and there was nobody between me and him (Umar) except Abdullah Ibn Abbas. Whenever Umar passed between the two rows, he would say: "Stand in straight lines." Whenever he saw no defect (in the rows), he would go forward and start the prayer with Takbir. He would recite The Surah of Yusuf or The Surah of An-Nahl or so in the first rak'ah so that the people may have the time to Join the prayer. As soon as he had said Takbir, I heard him saying: "The dog has killed or eaten me" at the time he (the murderer) stabbed him. A non-Arab infidel proceeded on carrying a double-edged knife and stabbing all the persons he passed by on the right and left (till) he stabbed thirteen persons out of whom nine or seven died. When one of the Muslims saw that, he threw a cloak on him. Realizing that he had been captured, the non-Arab infidel killed himself. Umar held the hand of Abd-Ar-Rahman Ibn Awf to lead the prayer.

Those who were standing by the side of Umar saw what I saw, but the people who were in the other parts of the Mosque did not see anything, except that they lost the voice of Umar. They were saying: " Glorified be Allah! Glorified be Allah!" Abd-Ar-Rahman Ibn Awf led the people in a short prayer. When they

finished the prayer, Umar said: "O Ibn Abbas! Find out who attacked me." Ibn Abbas kept on looking here and there for a short time and came to say: "The slave of Al-Mughirah." On that Umar said: "The craftsman?" Ibn Abbas said: "Yes." Umar said: "May Allah curse him. I did not treat him unjustly. All the Praises be to Allah Who has not caused me to die at the hand of a man who claims himself to be a Muslim. No doubt, you and your father (Abbas) loved to have more non-Arab infidels in Medina." Al-Abbas had the greatest number of slaves. Ibn Abbas said to Umar: "If you wish, we will do." He meant: "If you wish we will kill them." Umar said: "You are mistaken (for you can't kill them) after they have spoken your language, prayed towards your Qiblah, and performed Hajj like yours."

Then Umar "Allah be pleased with him" was carried to his house, and we went along with him. The people were as if they had never suffered a calamity before. Some said: "Do not worry (he will be Alright soon)." Some said: "We are afraid (that he will die)." Then an infusion of dates was brought to him, which he drank but it came out (of the wound) of his belly. Then milk was brought to him, which he drank, and it also came out of his belly. The people realized that he would die. We went to him, and the people came, praising him. A young man came saying: "O Commander of The Believers! Receive the glad tidings from Allah in view of your company with The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and your superiority in Islam, which you know. Then you became the ruler (Caliph) and you ruled with justice; and finally you have been martyred." Umar said: "I wish that all these privileges will counterbalance (my shortcomings) so that I will neither lose nor gain anything."

When the young man turned back to leave, his clothes seemed to be touching the ground. Umar said: "Call the young man back to me." (When he came back) Umar said: "O son of my brother! Lift your clothes, for this will keep your clothes clean and save you from the Punishment of your Lord." Umar further said: "O Abdullah Ibn Umar! See how much I owe others." When the debt was checked, it amounted to approximately eighty-six thousand. Umar said: "If the property of Umar's family covers the debt, then pay the debt thereof; otherwise request it from Banu Adi Ibn Ka'b. But if that too is not sufficient, ask for it from Quraish tribe, and not from anyone else, and pay this debt on my behalf."

Umar "Allah be pleased with him" then said (to Abdullah): "Go to A'ishah and say: "Umar is greeting you. But don't say "The Commander of The Believers" because today I am not the Commander of The Believers. Say: "Umar Ibn Al-Khattab asks the permission to be buried with his two companions (The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" and Abu Bakr)." Abdullah greeted A'ishah and asked for the permission to enter; and then he entered where he found her sitting as weeping. He said to her: "Umar Ibn Al-Khattab is greeting you, and asking The permission to be buried with his two companions." She said: "I had the idea of having this place for me, but today I prefer Umar to me." When he returned it was said (to Umar): "Abdullah Ibn Umar has come." Umar said: "Make me sit up." Somebody supported him against his body and Umar

asked (Abdullah): "What news do you have?" He said: "O Commander of The Believers! It is as you wish. She has given the permission." Umar said: "Praise be to Allah, there was nothing more important to me than this. So when I die, take me, greet A'ishah and say: "Umar Ibn Al-Khattab asks the permission (to be buried with his two companions, The Prophet and Abu Bakr); and if she gives the permission, bury me there, and if she refuses, then take me to the graveyard of Muslims."

Then Hafsah came with many other women walking with her. When we saw her, we went away. She went in (to Omar) and wept there for sometime. When the men asked for permission to enter, she went into another place, and we heard her weeping inside. The people said (to Umar): "O Commander of The Believers! Appoint a successor." Umar said: "I do not find anyone more suitable for the job than the following persons or group with whom The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" had been pleased before he died." Then Umar mentioned Ali, Uthman, Az-Zubair, Talhah, Sa'd and Abd-Ar-Rahman. He said: "Abdullah Ibn Umar will be a witness to you, but he will have no share in the rule. His being a witness will compensate him for not sharing the right of ruling. If Sa'd becomes the ruler, it will be alright: otherwise, whoever becomes the ruler should seek his help, as I have not dismissed him because of disability or dishonesty."

Umar "Allah be pleased with him" added: "I recommend that my successor has to take care of the early emigrants, to know their rights and protect their honour and sacred things. I also recommend that he should be kind to the Ansar who had lived in Medina before the emigrants and Belief had entered their hearts before them. I recommend that the (ruler) should accept the good of the righteous among them and excuse their wrongdoers, and I recommend that he should do good to all the people of the towns (or regions), since they are the protectors of Islam and the source of wealth as well as the source of annoyance to the enemy. I also recommend that nothing should be taken from them except from their surplus with their consent. I also recommend that he (the successor) should do good to the Arab Bedouins, as they are the origin of the Arabs and the material of Islam. He should take from what is inferior amongst their properties and distribute that amongst the poor from them. I also recommend him concerning those under protection of Allah and His Apostle: i.e. to fulfill their contracts, to fight for them, and not to overburden them with what is beyond their ability." So when Umar "Allah be pleased with him" expired, we carried him out and set out walking. Abdullah Ibn Umar greeted (A'ishah) and said: "Umar Ibn Al-Khattab asks for the permission." A'ishah said: "Bring him in." He was brought in and buried beside his two companions. (Al-Bukhari).

It is further narrated on the authority of Ibn Abbas "Allah be pleased with them" that he said: When (the dead body of) Umar was put on his deathbed, the people gathered around him to invoke (Allah) and pray for him before the body was taken away, and I was amongst them. Suddenly I felt somebody taking hold of my shoulder. I found out that he was Ali Ibn Abu Talib. Ali invoked Allah's

Mercy for Umar and said: "O Umar! You have not left behind you a person whose deeds he likes to imitate and meet Allah therewith more than your deeds. By Allah! I always thought that Allah would keep you with your two companions, for very often I used to hear The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" saying: "I, Abu Bakr and Umar went (somewhere); I, Abu Bakr and Umar entered (somewhere); and I, Abu Bakr and Umar set out."" (Al-Bukhari and Muslim).

The Death Of Uthman Ibn Affan "Allah Be Pleased With Him"

Abdullah Ibn Salam "Allah be pleased with him" said: I visited my brother Uthman when he was besieged to pay him salutation. He said to me: "Welcome to my brother. Welcome to my brother. Would I tell you what I saw today in my dream?" I answered: "yes, if you so like." He said: "The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" came to me from this wicket in the home and said: "did they besiege you?" I answered: "Yes." He asked: "Did they cause you to be thirsty?" I answered: "Yes." He hang to me a bucket full of water from which I drank until I quenched my thirst to the extent that I still detect its coldness in between my breasts and shoulders. Then he asked: "would you like to emerge victorious over them or to break your fast with us?" I said: "I would like to break my fast with you.""" However, Uthman "Allah be pleased with him" was killed on that very day.

Abdullah Ibn Salam "Allah be pleased with him" asked those who were present when Uthman was agitated in his blood after he had been wounded: "What has Uthman said when he was agitated in his blood?" They said: We heard him saying: "O Allah! Gather the Ummah of Muhammad "peace be upon him"." He said: "By Him in Whose Hand is my soul, had he invoked Allah not to gather, they would have never gathered until the Day of Judgement."

It is narrated on the authority of Thumamah Ibn Hazn Al-Qushairi that he said: I was present when Uthman looked at the people from the window of his house and said: "I beseech you by Allah and Islam: do you know that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" came to Medina and there was no sweet water (fitting for drink) barring that of the well of Rumah, thereupon he said: 'He, who purchases the well of Rumah, and makes his (portion of it no more than a) bucket in it with the buckets of the Muslims, will have what is better than it in the Garden'? I then purchased it from my own wealth, and made my (portion in it no more than a) bucket in it with the buckets of the Muslims; and now, you prevent me from drinking from it, to the extent that I drink from the water of the (well that is in the house, and it is as salty as the water of the) sea." They said: "Yes, by Allah (we bear witness to that)." He further said: "I beseech you by Allah and Islam: do you know that I've prepared the army of Difficulty from my own wealth?" they said: "Yes, by Allah (we know that)." He said: "I beseech you by Allah and Islam: do you know that the mosque became too narrow to imply its visitors, thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: 'He, who purchases the piece of land of so and so, therewith to increase the area of the mosque, will have what is better than it in the Garden'? I then purchased it from my own wealth, therewith

I increased the area of the mosque; even though you now prevent me from offering even a two-rak'ah prayer in it." They said: "Yes, by Allah (we know that)." He said: "I beseech you by Allah and Islam: do you know that once, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was on Thabir mountain of Mecca, in the company of Abu Bakr, Umar and I, and then the mountain trembled thereupon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" kicked it and said: 'Be at rest O Thabir! There is none on you other than a Prophet, a sincere affirmer and lover of truth and two martyrs'?" They said: "Yes, by Allah (we testify to that)." On that he said: "Allah is Greater! They testified to me, by the Lord of the Ka'bah, that I will be a martyr." (At-Tirmidhi and An-Nasa'i).

The Death Of Ali "Allah Be Pleased With Him"

According to Al-Usbugh Al-Hanbali: When it was the night on which Ali "Allah be pleased with him" was fatally wounded, Ibn At-Tayyah came when dawn rose to proclaim Adhan for him, and he was lying in a state of heaviness. He proclaimed it once again, and he also did not get up. When he proclaimed it for the third time, he stood up and walked while saying: "Hasten to death for it is to afflict you, sooner or later, and do not be scared by death when it attacks you." When he reached the small gate, Ibn Miljam attacked and struck him. Umm Kulthum "Allah be pleased with her" came out and said: "What is the matter with me concerning the Morning prayer? In the Morning prayer, my husband (Umar) the Commander of Believers was killed, and in the Morning prayer also my father Ali was killed."

It is reported on the authority of an old man from Quraish that when Ali "Allah be pleased with him" was struck by Ibn Miljam, he said: "I have attained felicity, by the Lord of the Ka'bah."

It is reported on the authority of Muhammad Ibn Ali that when Ali "Allah be pleased with him" was struck, he advised his children, and then persisted in saying "There is none worthy of worship except for Allah" until he died.

When Al-Hassan Ibn Ali "Allah be pleased with them" became fatally ill, Al-Hussain "Allah be pleased with him" visited him and said: "O my brother! By which are you scared? You would go to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and Ali Ibn Abu Talib "Allah be pleased with him", your fathers, Khadijah Bint Khuwailid and Fatimah "Allah be pleased with them", your mothers, and Hamzah and Ja'far "Allah be pleased with them", your paternal uncles." He said: "O my brother! The point is that I should come to something the like of which I have never come before."

CHAPTER FIVE

THE WORDS OF THE WOULD-BE DEAD FROM AMONG RULERS AND RIGHTEOUS

When death approached Mu'awiyah Ibn Abu Sufyan, he asked his companions to make him sit and they did. Then he glorified Allah and remembered him so much, after which he went on weeping and said: "Do you remember your Lord, O Mu'awiyah after you have grown very old and weak?

Why have you not done so during your youth and strength?" he persisted in weeping loudly, and said: "O Lord! Bestow mercy upon the disobedient harsh-hearted old man! O Allah! Remove the difficulty, forgive the slip, and be bountiful with Your forbearance on him who does not hope but in You."

It is reported that the last sermon delivered by Mu'awiyah before his death is his saying: "O people! Whoever cultivates should necessarily harvest the produce of his cultivation. I have been the ruler over you, and none would be ruler over you after me but that he would be worse than me, just as those rulers before me were better than me. O Yazid (his son)! When it is time for my appointed term, let one endued with sound mind wash my dead body, for such as endued with sound mind has a good position in the Sight of Allah Almighty. Let him wash me perfectly, and raise his voice with Takbir. Then, bring from the store a garment belonging to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and a remnant of his hair and nails: place that remnant on my mouth, nose, ears and eyes, and let the garment over my skin before the shrouds. O Yazid! Keep the bequest of Allah Almighty in your parents. Once you place me in my shrouds and then inter me into my hole, let Mu'awiyah be alone with Allah, the Most Merciful of those who are merciful."

It is reported that when death approached Abd-Al-Malik Ibn Marwan, he saw a washer in the precincts of Damascus twisting a dress he was washing, and striking the washing machine with it. on seeing him Abd-Al-Malik said: "Would that I am like this washer earning my living from the labour of my hand day by day, and was not in charge of anything in this world." When the news of that reached Abu Hazim, he said: "All perfect praise be to Allah that when death approaches the like of them, they hope to be in the very state in which we are, unlike us, for when death approaches anyone of us, he does not hope to be in their state."

It was said to Abd-Al-Malik Ibn Marwan when he grew fatally ill: "How do you feel O Commander of Believers?" he said: "I feel I am the same as described by Allah Almighty in His statement: "And behold! you come to Us bare and alone as We created you for the first time: you have left behind you all (the favours) which We bestowed on you: We see not with you your intercessors whom you thought to be partners in your affairs: so now all relations between you have been cut off, and your (pet) fancies have left you in the lurch!" (Al-An'am 94)

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾

Then, he died immediately.

Fatimah Bint Abd-Al-Malik, the wife of Umar Ibn Abd-Al-Aziz said: I used to hear Umar saying during the very illness in which he died: "O Allah! Hide my death from them for even as short as an hour of the day." When it was the day on which he died, I came out from his chamber and sat in another dwelling, and there was a door between me and him. Then I heard him reciting: "That House of the Hereafter We shall give to those who intend not high-handedness or

mischief on earth: and the End is (best) for the righteous." (Al-Qasas 83)

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

Then, there was silence, and I no longer heard any voice or movement. I said to a servant belonging to him: "See whether he is sleeping." When he entered he cried and I jumped and behold! He died.

It is reported that when he grew fatally ill, a physician was invited to see him and he said to him: "I see that the man was given poison, and I do not feel safe from death on him." On that Umar raised his sight and said to him: "And you also could not feel safe from death on such as is not given poison." The physician asked him: "Then, have you felt it O Commander of Believers?" he said: "Yes, I knew that when it fell into my abdomen." He said: "Then, treat yourself O Commander of Believers." He said: "No, how best is that to Whom I would go. By Allah! Were I to know that my remedy would be at my earlobe, I would not raise my hand to my ear to take it. O Allah! Choose the best for Umar concerning Your meeting." It was only a few days after which he died.

It is said that a short time before his death, he ordered his men to make him sit and they did. Then he said: "O Allah! I am the one whom You commanded, and he disobeyed Your command, whom You forbade and he did not desist." He said it thrice after which he said: "But there is none worthy of worship except for Allah." Then, he raised his sight and kept staring. When he was asked about that he said: "I see green beings who are neither jinn nor men." Then he died immediately, may Allah bestow mercy upon him.

It is related that when death approached Harun Ar-Rashid, he chose his shrouds by himself and recited: "Of no profit to me has been my wealth! My power has perished from me!" (Al-Haqqah 28-29)

﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ ﴾

Al-Ma'mun spread out ashes and lay on it and said: "O He Whose dominion never perishes! Bestow mercy upon him whose kingdom perishes."

Al-Mu'tasim said during his fatal illness: "Had I known how short my lifetime is, I would not have such and such things."

Al-Hajjaj said at his last breaths: "O Allah! Forgive for me, for the people say that You would never forgive for me." However, Umar Ibn Abd-Al-Aziz admired this statement from him, the like of which he aspired for himself. When Al-Hassan was told about that, he said: "Has he really said it?" the answer was in the affirmative, thereupon he said: "It may be."

Explication Of Statements Of A Set Of Righteous From Among The Companions And Their Followers

When death approached Mu'adh Ibn Jabal "Allah be pleased with him" he said: "O Allah! Before that, I feared You. But now I have hope in You. O Allah! You know well that I have not liked survival in this world for its flowing rivers and trees, but for going to prayer in the mosque when it was very hot, spending the long hours in worship of You, and sitting in the company of the learned scholars in the gatherings of remembrance of You."

When death approached Salman "Allah be pleased with him" he went on weeping. Being asked about that, he said: "I do not weep because of being scared by losing this world. But the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" advised us that anyone of us should take from this world only the like of a rider's provision." (Ahmad and Al-Hakim). When Salman "Allah be pleased with him" died, all that he left was over ten Dirhams.

When death approached Bilal "Allah be pleased with him" his wife said: "How sad am I!" on that he said: "But rather, how elated am I! tomorrow we would meet the beloved, Muhammad and his companions."

When death approached Abdullah Ibn Al-Mubarak, he opened his eyes and said: "It is for the like of this that the workers should work!"

When death approached Ibrahim An-Nakh'i, he wept. Having been asked about the reason, he said: "I expect a messenger from Allah to give me either the glad tidings of Paradise or the news of the fire of Hell."

When death approached Ibn Al-Munkadir he wept. Being asked about that he said: "By Allah, I do not weep for a sin I knew I had committed (intentionally), but I weep for fear I might have committed a thing which I regarded insignificant, even though it is grievous in the Sight of Allah."

When death approached Amir Ibn Abd-Al-Qais, he wept. Being asked about that he said: "I do not weep for I am scared by death, nor because I am greedy for this world. But I weep for what would escape me of going to prayer in the mosque whenever it is very hot by day, and standing at night for prayer whenever it is very cold in winter."

When death approached Ibn Al-Mubarak, he asked Nasr, his freed slave, to place his head over dust. He wept and Ibn Al-Mubarak asked him about the reason for his weeping, thereupon he said: "I remembered the blissful life which you had led, and the state of poverty and destitution in which you die now." He said to him: "Keep silent! I asked Allah Almighty to make me live the living of the rich and wealthy, and cause me to die the death of the poor and destitute." Then, he said to him: "Dictate the testimony of faith to me, and do not repeat it to me so long as I do not utter anything else."

It is related that one of the righteous wept at his death, and when he was asked about the reason he told that he did so because of the following Qur'anic Verse: "Surely," said the former, "Allah does accept of the sacrifice of those who are righteous." (Al-Ma'idah 27)

﴿ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

It was said to Al-Junaid at his last breaths: "Say 'There is none worthy of worship except for Allah'." He said: "I have never forgotten Him in order to remember Him."

It is further reported that Ja'far Ibn Nusair asked the servant of Ash-Shibli about what he had seen from him when death approached him, thereupon he said: "He said: "I owe somebody a Dirham from whom I took unjustly, and although I have given thousands of Dirhams in charity on behalf of its owner, nothing concerns me more than it." then, he told me to help him perform ablution for prayer. I did accordingly, and forgot to make the water enter in

between the hair of his beard, thereupon, being unable to speak, he caught hold of my hand and got it into his beard. Then he died." On that Ja'far wept and said: "What do you say about a man whom nothing of the etiquettes of Sharia has ever escaped him even during his last breaths?"

It was said to Bishr Ibn Al-Harith when death approached him, and it was heavy on him: "It seems as if you like life." On that eh said: "The coming to the presence of Allah Almighty is very difficult."

It was said to Salih Ibn Mismar: "Would you not entrust your children to anyone to look after their affairs?" on that eh said: "I feel shy of Allah Almighty to entrust them to anyone other than Him."

When death approached Abu Sulaiman Ad-Darani, his companions came to visit him and said to him: "Receive the glad tidings for you are going to the Lord, Who is Most Merciful, Oft-Forgiving." On that he said: "And why do you not tell me to be careful since I am going to the Lord Who accounts one for the trivial misdeed, and punishes him for the major misdeed?"

When death approached Abu Bakr Al-Wasiti, his companions asked him to advise them, thereupon he said: "Preserve what is intended from you by (Allah) the Truth."

One of the righteous came to his last breaths thereupon his wife wept for him. He asked her: "What causes you to weep?" She said: "I weep for (the loss of) you." On that he said: "If you are to weep, then, weep for yourself, because I have been weeping in expectation for that day for forty years."

It was said to Al-Kinani when death approached him: "What was your deed in this life?" he said: "Had it not been for the fact that it is time for my appointed term, I would not have told you. However, I have been standing at the gate of my heart for forty years, to prevent anything other than Allah Almighty from entering into it."

It is reported that Al-Muzni entered upon Ash-Shafi'i to visit him during his fatal illness in which he died and asked him: "How have you been O Abu Abdullah?" he said: "I have been on the way of departure from that world, leaving my companions, facing the evil of my deed, drinking the cup of death, and coming to Allah Almighty, and I do not know whether my soul would go to Paradise so that I would congratulate it, or to the fire of Hell so that I would console it."

Those are samples of their statements. They differed by their different states: Some were possessed by fear, others by hope, and others by longing and love; and each of them spoke in accordance with his particular state. Each of them is true and valid in comparison with his own state.

CHAPTER SIX

OPINIONS OF THE LEARNED ABOUT FUNERALS AND GRAVES; AND RULING ON VISITING GRAVES

It should be known to you that funeral processions are a lesson for the insightful to consider, and a notification and remembrance for the heedless to take. But unfortunately, in those days, seeing them does but increases the heedless in harshness and severity, for they think that they would never come to

the day on which their dead bodies would be carried like others, or even if they think so, they could hardly imagine it to occur within a short time. For this reason, no servant sees a funeral procession but that he imagines he would be laid as such on a similar bier; And it would be very close in time, say tomorrow, within a week, a month, a year, or so, although he might know not.

It is narrated that whenever Abu Hurairah "Allah be pleased with him" saw a funeral procession, he would say: "Proceed on, for we are going to join you (O deceased) sooner."

It is reported that whenever Makhul Ad-Dimashqi saw a funeral procession, he would say: "Go on, for we are going to join you (O deceased) later: it is but an instructive admonition, and a quick heedlessness. The first goes, while the last remains mindless."

According to Usaid Ibn Hudair "Allah be pleased with him": "I have never witnessed a funeral procession but that my self talked to me about the destiny the deceased was going to, and what would happen to him."

When the brother of Malik Ibn Dinar died, Malik attended his funeral procession and went on weeping and saying: "By Allah, I would not get comforted until I know to which destiny you are going, and of course, I would never know that so long as I am living."

According to Al-A'mash: "We attended the funeral procession and did not know whom we should console for the state of grief that overwhelmed all."

As such the righteous predecessors feared of death. But nowadays, most of those who attend the funeral processions are involved in laughter and chat with each other, and do not talk but about the legacy of the deceased. But none of them thinks about his own funeral and the day on which he would be laid on a bier. There is no reason for such heedlessness other than the harshness of hearts because of the numerous sins committed by the majority of people, to the extent that we forgot Allah Almighty and the Last day.

We ask Allah Almighty to rescue us from that heedlessness. The attendants of funeral processions, in those days, at their best state, weep for the deceased, and were they to consider the matter more accurately, they should then weep for themselves more than for the dead. Once Ibrahim Az-Zayyat looked at a people invoking mercy upon a deceased, thereupon he said to them: "Were you to invoke mercy upon themselves, it would be better for you. As for him, he has been saved from three terrors: The face of the angel of death, and he has indeed seen it, the bitterness of death, and he has really tasted it, and the fear of the conclusion, and he has become secure from it."

Among the etiquettes of attending funeral processions is to engage in reflection and meditation, to take heed (of the matter of death), to get ready for death, to walk ahead of it with humbleness, to the end of this series of its related etiquettes and ways we have already mentioned in the science of jurisprudence. One of its etiquettes too is to have good assumption of the deceased even if he seems wicked, and have bad assumption of yourself even if you seem righteous. That is because the conclusion is very risky, and its reality is unpredictable.

It is related that a neighbour of Umar Ibn Dharr died, and he used to

transgress against himself, thereupon most people disdained to attend his funeral procession. But Umar attended it and offered funeral prayer on him and when he was interred in the grave he stood at its gate and said: "May Allah bestow mercy upon you O so and so. You have occupied your lifetime in monotheism (affirming the oneness of Allah), and engaged yourself in prostration (i.e. offered much prayers); and if they describe you as a sinful, then, who among us does not err or commit sins?"

It is reported that a man who was involved in wickedness in Basra died and his wife found none to help her prepare his funeral, for none among his neighbours knew about it due to his extreme dissoluteness. She then hired porters to carry his dead body laid on a bier to the praying place in order for funeral prayer to be offered on him, but none offered funeral prayer on him. She then carried his dead body on the bier to the desert in order to be buried there. On a near mountain, there was a great famous ascetic, whom she saw as if he were expecting for the dead body on the bier. He descended from the mountain to offer prayer on the dead. Soon, the news became in circulation in the city that so and so, the famous ascetic descended to offer prayer on so and so of men. Consequently, the inhabitants of the town came out and offered funeral prayer on the man along with the ascetic. The people then wondered about how the ascetic should offer prayer on such a wicked man. On that he said to them: "It was said to me in a dream: 'Descend to such and such a place, where you would find a dead body on a bier and none with it other than a woman, and then offer funeral prayer on him, for his sins would be forgiven for him.'" The people became more astonished. The ascetic invited the wife and asked her about the state and conduct of her husband. She said: "He was as it was known of him: Spending the whole day in the brothel drinking wine." He asked her: "Well. Do you know anything good he used to do?" She said: "He used to do three good things: In the morning of everyday, he used to awake from his intoxication, change his garment, perform ablution and offer Morning prayer in congregation in the mosque, after which he would return to the brothel to resume drinking. The second is that his house always had one or two orphans to whom he was more kind than he was to his children. The third is that he used to awake from his intoxication during the darkness of night and weep and say: "O Lord! Which corner of the corners of Hell do You like to fill with such a wicked?" He meant himself. Thus, the ascetic went away after he had found a solution for that problematic dilemma.

Explication Of The State Of The Dead In The Grave, And Their Statements At The Graves

It is reported on the authority of Ad-Dahhak that a man asked the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Messenger of Allah! Who is the most abstinent among the people?" he said: "He, who never forgets the grave and disaster, leaves the surplus adornment and ornament of this world, prefers what is enduring to what is perishable, does not regard the next day one of his days, and rather considers himself from among the dwellers of the graves."

It was said to Ali "Allah be pleased with him": "What is the matter with you

that you live in the neighbourhood of the graves?" He said: "I find the dead good neighbours, and they are neighbours of truth: They always hold back their tongues (from evil talk),and remember the hereafter."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I have never seen a terrible scene but that the grave is more horrible than it."

It is reported on the authority of Umar "Allah be pleased with him" that he said: "One day, we set out in the company of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" until we came to a grave and he sat and I was the nearest of men to him. He wept and I and they wept subsequently. He asked them: "What causes you to weep?" We said: "We wept for your weeping." On that he said: "That is the grave of my mother Aminah Bint Wahb, and I sought the permission of my Lord to visit it, and He gave me permission, and when I sought His permission to invoke forgiveness for her, he rejected, thereupon I was overpowered by sympathy like a child for his mother." (Ibn Abu Ad-Dunya and Ibn Majah).

It was the habit of Uthman "Allah be pleased with him" that whenever he stood at a grave, he would weep so much until his beard would be wetted. He was asked about the reason and it was said to him: "Whenever a mention is made of Paradise and fire, you would not weep, and whenever you stand at a grave, you would weep." On that he said: No doubt, I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying: "The grave is the first station of the hereafter: If man is saved from it, then, what is beyond it would be easier; and if he is not saved from it, then, what is beyond it would be more difficult." (At-Tirmidhi, Ibn Majah and Al-Hakim).

It is reported that when Amr Ibn Al-As saw a grave, he dismounted and offered a two-rak'ah prayer. It was said to him: "You did a thing which you have never done before." On that he said: "I remembered the dwellers of the graves, and the barrier that is between him and them, thereupon I liked to come closer to Allah Almighty through them."

Abu Dharr "Allah be pleased with him" said: "Should I not tell you about the day of my poverty? It is the day on which I would be in the grave."

It was the habit of Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" to sit near the graves. When he was asked about that he said: "I sit with a people who always remind me of my place of return (in the hereafter), and whenever I stand and leave them, they never backbite me."

According to Hatim Al-Assamm: "Whoever comes upon the graves, and does not contemplate his state, nor invoke good for the inhabitants of the graves, he indeed has betrayed both them and his own self."

Yahya Ibn Mu'adh used to say: "O son of Adam! Your Lord has invited you to the abode of peace. So, consider from where you would answer His invitation: If you answer His invitation from your world, and engage in your journey to Him, you surely would enter that abode; and if you answer His invitation starting only from your being in the grave, of a surety, you would be prevented from it."

Whenever Al-Hassan Ibn Salih saw a graveyard he would say: "How good is your outside, and how grievous is your inside."

According to Sufyan: "Whoever remembers the grave more often, would find it one of the gardens of Paradise; and whoever is heedless of remembering it would find it one of the holes of the fire of Hell."

Ar-Rabie Ibn Khaithamah dug a grave in his house. Whenever eh felt a bit harsh-hearted, he would go and lie in it as long as Allah willed him to lie, and then recite: "O my Lord! send me back (to life), In order that I may work righteousness in the things I neglected." (Al-Mu'minun 99-100)

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴿١٠٠﴾ ﴾

Then, he would stand and say: "O Rabie! You have been given what you asked for. Then, do righteous works before you ask for return and are given no answer."

Maimun Ibn Muhran said: I set out in the company of Umar Ibn Abd-Al-Aziz to the graveyard and when he looked at the graves he wept so much. Then he said to me: "O Maimun! Those are the graves of my forefathers from the Umayyads. They seem now as if they did not share the inhabitants of this world its delights and pleasures. Do you not see them lying, with their bodies mutilated and devoured by insects?" Then he wept and said: "By Allah, I do not know that anyone of those who went to the graves and were safe from the punishment of Allah Almighty has ever been blessed."

According to Thabit Al-Bunani: "I entered the graveyards and when I intended to come out a voice said to me: "O Thabit! Do not be deceived by the silence of those, for how many a soul that is distressed here."

It is reported that when Fatimah Bint Al-Hussain saw the dead body of her husband Al-Hassan Ibn Al-Hassan, she covered her face and said: "They were hopeful (in this life), and now they have been stricken with disaster. How great and heinous are those disasters." It is said that she pitched a tent near his grave in which she stayed in seclusion for a year, and when the year elapsed, they put off the tent and she returned to Medina. Once she entered Medina, they heard a voice coming from one side of Al-Baqi' saying: "Have they found what they had lost?" They heard a response from the other side saying: "Nay! They have despaired and thus returned."

It is then the insightful who looks at his place among the inhabitants of the graves, and gets ready for the day on which he is going to join them, putting in mind that if a single day of his lifetime which he is wasting in vain is offered to them, it would be dearer to them than the whole world with what it contains, for they knew the value of the lifetime, and the real nature of things were revealed to them. They grieve for a single day of the lifetime in order for the negligent among them to mend his negligence, and thus get rid of punishment; and for the successful among them to elevate his rank high and high, and thus multiply his reward. But unfortunately, they knew the value of the lifetime after its termination. That is why they grieve for even a single hour of it. But although this hour and many times the like of it besides is available to you so long as you are living, you waste it in vain. So, habituate yourself to grieve for wasting it before the matter comes out of the sphere of your choice, if you do not hasten to take your share from your hour.

One of the righteous said: I saw in a dream one of my deceased brothers and I said: "All perfect praise be to Allah, the Lord of the worlds." He said: "To be able to say it now is dearer to me than the entire world and all that it contains." Then he said to me: "Do you not see where they buried me? There, so and so stood and offered a two-rak'ah prayer. Indeed, to be able to do the same now is dearer to me than the entire world and all that it contains."

Explication of their statements at the death of one's child

It is incumbent upon such as whose child or relative dies to regard him ahead of him in a journey and sooner or later, he is going to join him there. So, he should not grieve for him, for he knows well that he is going to join him, and that there is nothing between them other than the time. If one has such a belief, his fright and grief would decrees, given that there is a lot of narrations confirming a great reward for the death of one's child so much that it consoles everyone for his calamity.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "To lose a little babe because of miscarriage is dearer to me than to leave behind me one hundred horsemen all of whom fighting in the Cause of Allah." (Ibn Majah on the authority of Abu Hurairah with a slight variation of wording). Miscarriage is intended here to show, with the lesser, the value of the greater, otherwise, the reward is determined by the position of the child from the heart.

Zaid Ibn Aslam said: A child belonging to David "peace be upon him" died for whom he grieved so much. It was said to him: "What is his value in your sight?" he said: "As much gold as to fill the whole earth." It was said to him: "Then, you would get in the hereafter a reward like that."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "None among the Muslims loses three of his children by death, and he expects the reward for their death from Allah Almighty but that they would be a protective shield to veil him from the fire (of Hell)." A woman who was present in the house of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Or even two?" He said: "Or even two."

On the other hand, a parent should be sincere in his invocation for his child at his death, because it is the most rewardable invocation, for which answer is expected most. On that occasion, Muhammad Ibn Sulaiman stood at the grave of his child and said: "O Allah! I now come to have hope in You for him, and fear You on him. So, please, realize my hope and secure my fear."

Abu Sinan stood at the grave of his child and said: "O Allah! I have excused him for what is due on him to me. So, please, O Allah, forgive for him what is due on him to You, for You are most Generous and Most Bounteous."

A Bedouin stood at the grave of his child and said: "O Allah! I have granted to him my share of the dutifulness of which he ran short towards me. So, please, O Allah, grant to him Your share of obedience of which he ran short towards You."

When Dharr Ibn Umar Ibn Dharr died, his father Umar Ibn Dharr said after he had placed him in the grave: "O Dharr! Our grief for your sake has diverted us from our grief on you. What have you said, and what has been said to you in the

grave?" then he said by way of supplication: "O Allah! That is Dharr, of whom You have enjoyed me as much as You willed, and fulfilled for him his appointed term and sustenance with justice. O Allah! You have enjoined upon him to obey You and me. O Allah! I grant to him The reward You have promised me for my calamity concerning his death: so, please, grant to me his punishment and punish him not." He thus caused the attendants to weep. When he turned away he said: "We have nothing to do now O Dharr, and we have no need from anyone other than Allah. So, we are going to leave you, and were we to stay any longer, we would not avail you in the least."

A man saw a woman in Basrah and said: "I have never seen the like of that cheerful woman." He referred to the absence of grief from her face. But she said: "O so and so! I have of grief and sorrow what none else shares me in." He said to her: "How is that?" She said: "My husband slaughtered a sheep in the feast, and I had two young good-looking boys. While they were playing the eldest said to the youngest: "Do you like me to show you how our father slaughtered that sheep?" He said: "Yes, show me." He took hold of the knife and slaughtered him, and none knew about that until he was seen being agitated in his blood. When the cries were loud, his brother fled away to a near mountain, where a wolf snatched and ate him. His father came out in search for him and he died out of thirsty because of the scorching heat. Do you see then how the time has ruined me?".

At the death of children, the like of those calamities should be remembered in order to console the parents for their severe anxiety. There is no calamity but that a greater one could be imagined, and the majority are averted by Allah Almighty in whichever state one might be.

Explication Of Visiting The Graves And Supplication For The Deceased

Visiting the graves in general is favorable in order for people to remember and take consideration therefrom; and visiting the graves of the righteous in particular is favorable to seek blessing therewith, along with admonition. It is known that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" had first forbidden visiting the graves. But afterwards, he gave permission for visiting them that cancelled his forbiddance.

In this respect, it is narrated on the authority of Ali "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I had already forbidden you to visit graves. But now you may visit them (if you so like), for it reminds you of the hereafter, provided that you should avoid obscenity in word." (Ahmad).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" himself visited the grave of his mother Aminah in the company of one thousand of his companions, and on that day, none was seen more weeping than him. (Ibn Abu Ad-Dunya). On that day he said: "I was given permission to visit (her grave), but not to pray forgiveness (for her)."

Ibn Abu Mulaikah said: One day, A'ishah "Allah be pleased with her" returned from the graveyard, and I said to her: "O Mother of Believers! From

where have you returned now?" She said: "From the grave of my brother Abd-Ar-Rahman." I asked her: "Is it not that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" forbade visiting the graves?" She said: "Yes, but later on, he commanded us to visit them." (Ibn Abu Ad-Dunya).

But we should not depend on that Hadith in giving permission to women to visit the graves, for they more often utter obscenity there. So, no good lies in their visiting them, let alone the probability of the unlawful display of their adornment and beauty on the way. To visit a grave is an act of sunnah, but if it is to lead to the woman's unlawful display of her adornment and beauty on the way, it should be prevented. However, there is no harm on the woman to come out wearing untidy clothes that avert the eyes of men from her, provided that she should limit herself to supplication and avoid obscenity.

It is reported on the authority of Abu Dharr "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Visit the graves perchance you would remember therewith the hereafter, and wash the dead bodies, for seeing an empty body is an instructive admonition, and offer funeral prayer on the dead, perchance that would aggrieve you, for the sad remains in the shade of Allah Almighty."

It is reported on the authority of Ibn Abu Mulaikah that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Visit your dead (in their graves) and greet them with peace, for in them you have a lesson to learn." (Ibn Abu Ad-Dunya).

It is reported on the authority of Nafi' that never Ibn Umar "Allah be pleased with them" passed by a grave, but that he would stand at it and greet with peace its dwellers.

It is further narrated on the authority of Ja'far Ibn Muhammad from his father that Fatimah, the daughter of the Prophet "peace be upon him" used to visit the grave of her paternal uncle Hamzah and pray and weep at it.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Whoever visits the grave of his parents or at least one of them once every Friday, his sins are forgiven for him, and he is written as dutiful." (At-Tabarani on the authority of Abu Hurairah; and Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Muhammad Ibn An-Nu'man).

It is reported on the authority of Ibn Sirin that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "One's parents might die and he is disobedient to them in this world, but when he supplicates Allah to good for them after their death, he is written by Allah among the dutiful." (Ibn Abu Ad-Dunya; and Ibn Adi on the authority of Anas).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Whoever visits a grave, then, my intercession is assured to him."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever visits me in Medina, expecting the reward of that from Allah, I would be an intercessor and a witness to him on the Day of Judgement."

According to Ka'b Al-Ahbar "Allah be pleased with him": "No dawn rises but that seventy thousand angels descend and surround the grave (of the

Prophet),and flirt with their wings, and invoke blessing and peace upon the Prophet "peace be upon him" until when it is evening they ascend and others like them descend and do the same, until when the earth would split open (on the Day of Judgment), he "peace be upon him" would come out surrounded by seventy thousand angels out of veneration and reverence for him."

It is favorable, in visiting the grave, to turn one's back to the Qiblah and face the dead, and greet him with peace, but neither pass his hand over the grave, nor touch nor kiss it. Nafi' said: I saw Ibn Umar "Allah be pleased with them" more than one hundred times, having come to the grave (of the Prophet) and said: "Peace be upon the Prophet! Peace be upon Abu Bakr! Peace be upon my father!" then, he would turn away immediately.

It is reported on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that she said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No man visits the grave of his brother and sits at his grave for some time but that he becomes affable with him and responds to him until he leaves." (Ibn Abu Ad-Dunya; and Ibn Abd-Al-Barr on the authority of Ibn Abbas).

Sulaiman Ibn Suhaim said: I saw the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in a dream and asked him: "O Messenger of Allah! As for those who come to visit your grave and pay you salutation: Do you learn their greeting?" He "peace be upon him" said: "Yes, and I also return the greeting to them."

According to Abu Hurairah "Allah be pleased with him": "If a man comes upon the grave of another man whom he knows and pays him salutation, he (the deceased) would return the greeting to him; and if he comes upon the grave of a man whom he does not know, and pays him salutation, he would also return the greeting to him."

It is reported that Muhammad Ibn Wasi' used to visit the graves every Friday. It was said to him: "Would that you delay it to Monday!" On that he said: "I was informed that the inhabitants of the graves know about their visitors on Friday, and a day before and a day after it."

According to Ad-Dahhak: "Whoever visits a grave before sunrise on Saturday, the deceased would know about his visit." It was said to him: "How is that?" He said: "That is due to the high position of Friday."

According to Bishr Ibn Mansur: When it was the time of plague, there was a man who used to frequent the graveyard and offer funeral prayer on the dead there, and when it was evening, he would stand at the gate of the graveyard saying (by way of invocation): "May Allah remove your loneliness, eliminate your alienation, excuse your misdeeds and accept your good deeds." He used to say no more than those words. The man himself said: One night I returned home and did not go to the graveyard and supplicate as I used to do. While I was sleeping, I saw in a dream as if a lot of people came to me. I asked them: "Who are you and what is your need from me?" They said: "We are the dwellers of the graves." I asked them: "Then, why have you come?" they said: "You have accustomed us to a gift from you whenever you return home in the evening." I said: "What is that?" They said: "The supplication therewith you

used to supplicate for us." I said: "Then, I would return to do so." I then have never left it from that night."

Bashshar Ibn Ghalib An-Najrani said: I saw in my dream Rabi'ah Al-Adawiyyah and I used to supplicate Allah for her more often. She said to me: "O Bashshar Ibn Ghalib! Your gifts come to us on plates of light covered with handkerchiefs of silk." I asked her: "How is that?" She said: "As such is the supplication of the living believers when they invoke good upon the dead: if their supplications receive answer, they would be placed on plates of light covered with silk handkerchiefs, and then brought to the dead and said to him: "That is the gift of so and so to you."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The dead in his grave is but like a drowned seeking relief, in expectation for a supplication to attach himself to, from his father, brother, friend, or so. Once he gets attached to it, it becomes dearer to him than the entire world and all that it contains. Furthermore, the gifts of the living to the dead are supplication and prayer of forgiveness for them." (Abu Mansur Ad-Dailami on the authority of Ibn Abbas).

It is favorable to dictate good words to the deceased after his burial. It is narrated on the authority of Sa'id Ibn Abdullah Al-Azdi that he said: I was present when Abu Umamah Al-Bahili "Allah be pleased with him" came to his last breaths. He said to me: "O Sa'id! If I die, then, do with me the same as the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" commanded us to do. He "peace be upon him" said: "If anyone of you dies and you finish from his burial and level the earth over his dead body, then, let anyone of you stand at the head of his grave and say: "O so and so, son of such and such a woman!" he indeed does not answer. Then let him say for the second time: "O so and so, son of such and such a woman!" by that he stands up straightly. Then, let him say for the third time: "O so and so, son of such and such a woman!" the deceased then says: "Guide us may Allah bestow mercy upon you." But you hear him not. Then, let him say: "Remember the very state on which you have come out of this world, i.e. the testimony that there is none worthy of worship except for Allah, and that Muhammad "peace be upon him" is the Messenger of Allah; and that you have approved Allah as your Lord, Islam as your religion, Muhammad "peace be upon him" as your Prophet, and the Holy Qur'an as your leading guide." By saying so, both Munkar and Nakir move backward and say to each other: "Let's go. What makes us sit with one who is dictated his proof?" Thus, Allah Almighty becomes his defender against them." A man asked: "O Messenger of Allah! If he does not know the name of his mother (what should he do?)" on that he said: "He then should attribute him to Eve." (At-Tabarani).

There is no harm to recite the Holy Qur'an on the graves. In this issue, it is reported on the authority of Ali Ibn Musa Al-Hada' that he said: I was with Ahmad Ibn Hanbal in a funeral procession, and Muhammad Ibn Qudamah was with us. When the dead was buried, a blind man came and recited Qur'an on the grave. Ahmad Ibn Hanbal said to him: "O man! Recitation of the Qur'an at the grave is a religious innovation." But when we came out of the graveyard,

Muhammad Ibn Qudamah said to Ahmad Ibn Hanbal: "O Abu Abdullah! What do you say about Mubashshir Ibn Isma'il Al-Halabi?" He said: "A reliable." He asked him once again: "Have you transmitted anything from him?" Ahmad answered in the affirmative. On that Muhammad said: "Mubashshir Ibn Isma'il told me from Abd-Ar-Rahman Ibn Al-Ala' that his father bequeathed the opening and concluding Verses of Al-Baqarah to be recited at the head of his grave if he was buried, reporting that he heard Ibn Umar "Allah be pleased with them" giving the same bequest." Ahmad said to him: "Then, return to the blind man and tell him to recite (if he so likes)."

According to Muhammad Ibn Ahmad Al-Marwazi: I heard Ahmad Ibn Hanbal recommending that "If you enter the graveyard, recite Al-Fatihah (1) and Al-Mu'awwidhatain (113-114) along with "Say, He is Allah, the One and Only" (112), and grant the reward of that to the inhabitants of the graves, for it indeed reaches them."

Visiting the graves then is intended, for the visitor to take consideration thereby, and for the dead to benefit from his supplication. This is why the visitor should not be heedless of invocation of good for himself and for the dead, nor of taking consideration and learning lessons thereby. He takes consideration when he imagines how the dead has turned into bones decomposed, exposed to insects and larva, and how those scattered parts of his body would be gathered together in order for the dead to be raised once again in the hereafter, and how he would join him sooner or later.

In this respect, it is reported on the authority of Mutarrif Ibn Abu Bakr Al-Hudhali that he said: There was a good worshipping old lady: whenever it was night, she would straighten her garments over her body and go to her praying place to perform prayer for the whole night; and whenever it was day, she would go to the graves. She was blamed for her frequenting the graves so much. In her reply to that she said: "It should be known that when the harsh heart becomes hard, nothing softens it other than the image of decomposed bones in the graves. I come to the graves and imagine as if the dead have come from the layers of the graves and I look at those faces covered with dust, and at these changing bodies."

Furthermore, it is favorable to praise the dead and mention him only with good words. It is reported on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that she said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "When anyone of you dies, then, leave his (evil deeds), and do not abuse him." (Abu Dawud).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Abuse not the dead, for (when they die), they come to what they have sent forward (of their deeds, be they good or evil)." (Al-Bukhari on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her").

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said too: "Mention your dead only with good words: if they are from among the inhabitants of Paradise, you then would be sinful (if you abuse them), and if they are from among the denizens of the fire (of Hell), then, it would be sufficient for them the very state in which they are." (Ibn Abu Ad-Dunya and An-Nasa'i on the authority of A'ishah).

It is narrated on the authority of Anas Ibn Malik "Allah be pleased with him"

that he said: A funeral procession passed and the people praised the deceased. The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It has been affirmed to him." Then another funeral procession passed and the people spoke badly of the deceased. The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It has been affirmed to him." Umar Ibn Al-Khattab asked him: "What has been affirmed?" He replied: "You praised this, so Paradise has been affirmed to him; and you spoke badly of this, so Hell has been affirmed to him. You people are Allah's witnesses on earth." (Al-Bukhari and Muslim)

It is further narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A servant dies and the people praise him with good praise, and although otherwise Allah Almighty knows about him, He says to His angels: "I make you witnesses that I have accepted the testimony given by My (living) servant in favor of My (dead) servant, and closed My eyes to what I know about My servant." (Ahmad).

CHAPTER SEVEN

REAL NATURE OF DEATH; AND WHAT A DEAD RECEIVES IN THE GRAVE UNTIL THE SOUNDING OF THE TRUMPET

Explication Of Real Nature Of Death

It should be known to you that the people have different false assumptions about the real nature of death: some think it is nonexistence after which there would be no resurrection nor mustering, nor would there be consequences for good or evil, under pretext that the death of man is like that of animals and plants. That is indeed the opinion of the atheists and those who have no faith in Allah and the Last day. Others are of the opinion that one becomes nonexistent by death in a way that he receives neither harm nor reward so long as he is in the grave, until he is raised at the time of resurrection. A third group adopt the argument that souls never become nonexistent by death, for it is the souls which receive reward and punishment, and bodies would not be raised.

All of those are but false and invalid assumptions, that deviate from the truth. What is confirmed by the different signs, narrations and minds is that death is only a change in the state, and that the soul survives after its departure from the body, either in punishment or in bliss. That a soul leaves the body is to separate from it, and have no control or power of disposal of it. The organs and parts of the body are but instruments used by the soul: It strikes with the hand, hears with the ear, sees with the eye, and knows the real nature of things with the heart; and the heart is the place of the soul, and the soul learns things by itself, with no need of the assistance of any instrument. The soul then preserves its built-in attributes it has by itself after it departs from the body, and all that it gains by means of the organs and parts of body cease to function by the death of the body until it is restored to the body. However, it is unlikely that the soul might be restored to the body in the grave, and it is also not unlikely that it would be restored to it on the Day of Resurrection. Allah Almighty knows best what He dooms for each of His servants.

By soul, I mean that part in the man that perceives knowledge, senses pain, anxieties, pleasures and delights. If it loses its disposal and control over the organs of the body, its power of perception and sense does not cease to function. Man, in general, is that being that perceives knowledge, and senses pleasures and pains, and that meaning never dies, i.e. never becomes nonexistent by death. Death then is the cessation of his disposal and control over the organs and parts of his body. The reality of man is his own self and soul, which survives forever. But even, it is true that his state changes from two perspectives:

One is that he is deprived of his eye, ear, tongue, hand, foot, and all his organs and parts of body; of his family, relatives and acquaintances; and of his property, wealth and worldly benefits. The meaning of death then is that man is deprived of all his belongings and things in this world, and leaves for another world, that is quite difference from this world in which he lives. If he has in this world what he gets affable, comforted and concerned with, of course, he would grieve so much for leaving it after death, which he feels difficult on himself. But if he does not rejoice nor get affable but with the remembrance of Allah Almighty, of course, he would grow happier and more pleased once he is let alone with his beloved by death, and all obstacles and occupations are cut off from him, since all worldly means divert one from the remembrance of Allah Almighty. That is the first perspective of difference between the state of death and the state of life.

The other perspective is that in death, things are revealed to him which have never been disclosed to him during his life, in the same way as things might be revealed to the wakeful which are not disclosed to him during his sleep. All people are asleep, and once they die, they awake. The first to be revealed to the dead is what benefits or harms him of his good deeds and misdeeds, which are recorded in the depth of his heart, from which he is diverted by the worldly occupations, and if those occupations are cut off, all his deeds are revealed to him. He does not look at his misdeeds but that he grieves for them so much that he prefers to plunge into the fire if it is to deliver him from it. To such a servant, it would be said: "Read your (own) record; sufficient is your soul this day to make out an account against you." (Al-Isra' 14)

﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾

All of this is revealed to him once his breaths cease and before he is buried. In this period, the yearning of departure from what he has left in this perishable world, from which he has not got provision for the end of the journey, is kindled within himself, unlike him, who has got from this world provision to convey hymn to the end of the journey: Once he arrives at the end of the journey, he would grow happy, and leave, with gladness and pleasure, the remaining provision, no matter much or less it might be. That is the state of him who takes from this world only the necessary requirements that are hardly enough to convey him to the hereafter. He suffers all those passions and pains in the period between the extermination of life and burial. At burial, his soul might probably be restored to his body, for another kind of punishment; and he might be pardoned, as Allah Almighty wills.

That is but a quick reference to the states of the dead after death, which have been revealed to the men endued with deep insights with internal contemplation, which is more powerful than the vision of the eye, and confirmed also by evidences from the Book and the sunnah. Nevertheless, the real nature of death could not be uncovered entirely, for none knows death who does not know life, and to know the real nature of life requires one to know the real nature of the soul in itself. But no permission was given to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" to talk about it, nor to say more than "The soul is of the affair of my Lord." (Al-Isra' 85)

﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ ﴾

(Al-Bukhari and Muslim on the authority of Ibn Mas'ud). So, it is not fitting for anyone of the religious scholars to disclose the mystery of the soul even if he knows it. what is permitted is only to talk about the state of the soul after death.

There are a lot of Holy Qur'anic Verses and Prophet narrations that give evidence for the fact that death is not nonexistence of soul, nor of its perception. From among the Holy Verses, a mention may be made of the statement of Allah Almighty: "Think not of those who are slain in Allah's Way as dead. Nay, they live, finding their sustenance in the Presence of their Lord; They rejoice in the Bounty provided by Allah:. And with regard to those left behind, who have not yet joined them (in their bliss), the (Martyrs) glory in the fact that on them is no fear, nor have they (cause to) grieve." (Al Imran 169-170)

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾

From among the Prophetic narrations, it is reported that on the day of Badr, The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" ordered that the corpses of twenty four leaders of Quraish should be thrown into one of the dirty dry wells of Badr. He ordered that his she-camel be saddled, then he set out, and his companions followed him. When he halted at the edge of the well, he addressed the corpses of the Quraish infidels by their names and their fathers' names, "O so-and-so, son of so-and-so and O so-and-so, son of so-and-so! We have found true what our Lord promised us. Have you too found true what your Lord promised you?" Umar said: "O Allah's Apostle! You are speaking to bodies that have no souls!" The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "By Him in Whose Hand Mohammad's soul is, you do not hear, what I say better than they do, except that they could not answer." (Muslim on the authority of Umar Ibn Al-Khattab).

The Prophetic narration confirms that the soul of a wicked survives in the state of wretchedness which it suffers extremely, whereas the Holy Qur'anic Verse proves that the soul of a martyr, who is a faithful believer, continues to be in the state of happiness and bliss, which it enjoys so much after death. Man could not but be in one of both states of happiness and wretchedness.

In confirmation of that, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The grave is either one of the holes of the fire (of Hell), or one of the gardens of Paradise." (At-Tirmidhi on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri). This is a clear statement that death is only a change in state, and the would-be happiness and wretchedness of the deceased are hastened on to him at his death with no delay, and what is postponed is only some kinds of punishment and reward, and not punishment and reward in principle.

It is reported on the authority of Anas "Allah be pleased with him" from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that he said: "Death is resurrection: so, whoever dies, his resurrection has been established." (Ibn Abu Ad-Dunya).

The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If anyone of you dies, then, his sitting place is shown to him every morning and evening, in Paradise if he is from among the inhabitants of Paradise, or in the fire (of Hell) if he is from among the denizens of the fire (of Hell), and it is said to him: 'That is your sitting place (and it awaits you) until you are raised on the Day of Judgement.'" (Al-Bukhari and Muslim on the authority of Ibn Umar).

It is reported on the authority of Abu Qais that he said: We were in the company of Alqamah in a funeral procession when he said: "As for that (deceased), his resurrection has been established."

Ali "Allah be pleased with him" said: "It is forbidden to a soul to come out of this world until it knows whether from among the inhabitants of Paradise or from among the denizens of the fire (of Hell) it would be."

It is reported on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever dies as alien (from his homeland) would die as a martyr, according to which he would be safeguarded from the afflictions of the grave, and his sustenance from Paradise would be brought to him every morning and evening." (Ibn Majah and Ibn Abu Ad-Dunya).

It is reported on the authority of Abu Ya'li Ibn Al-Walid that he said: I was walking one day in the company of Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" when I asked him: "Which thing do you like for whomever you love?" He said: "Death." I further asked: "Then, if he does not die (what is next)?" He said: "The reduction of his property and children."

Indeed, he liked death for him because none likes death but a faithful believer, and death is to release one from his prison (in this world). Furthermore, he liked reduction of property and children for they are a source of temptation and a means to get affable with this world; and to get affable with such as you should inevitably leave is the farthest wretchedness. One should necessarily leave at death all other than Allah and His remembrance.

That is the significance of the statement of Abdullah Ibn Amr "Allah be pleased with him": "The state of a faithful believer, when his soul comes out from his body by death, is like the state of him who is released from prison after a long period of imprisonment, thereupon he tours and turns in the land wherever and however he likes."

That is the state of him who has desertion from this world, and is not affable but with the remembrance of Allah Almighty, and since the worldly occupations detain him from his beloved, and the suffering of desires and pleasures harms him, his salvation from all harmful evils lies in death, which enables him to be alone with his beloved. That is, indeed, the utmost of bliss. That the martyrs are given their pleasures and delights while being in the presence of their Lord Almighty goes back to the fact that when they set out in fighting, they cut off all their worldly pleasures and delights, out of longing for the meeting with Allah Almighty, and good pleasure with being killed in His Cause. If one in such a state looks at this world, he would sell it voluntarily for the hereafter, and the price does not concern him at all; and if he looks at the hereafter, he purchases it out of longing for it. how joyful is he of what he purchases once he sees it, and how careless is he of what he sells once he leaves it.

The meaning of bliss is that man obtains what he likes and desires for; and that is the significance of the statement of Allah Almighty: "And they have therein what they desire for." (An-Nahl 57)

﴿ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾

That is the most comprehensive statement indicative of the pleasures and delights of Paradise. Contrastingly, the greatest punishment is that a man is prevented from that which he wishes for, as confirmed by Allah Almighty in his statement: "And between them and their desires, is placed a barrier." (Saba' 54)

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾

That is the most comprehensive expression pinpointing to the punishment received by the denizens of the fire of Hell. That is perceived by those endued with deep insights, by virtue of the light of certainty of faith. If you like an evidence for it from the transmitted narrations, below is a set of those:

It is narrated on the authority of Talhah Ibn Khirash: I heard Jabir Ibn Abdullah "Allah be pleased with them" having said: When Abdullah Ibn Amr Ibn Haram (Jabir's father) was killed on the day of (the holy battle of) Uhud, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" met me and said: "O Jabir! Would I not tell you with what Allah met your father?" I said: "Yes, O Messenger of Allah (tell me): May Allah give you glad tidings (of Paradise)!" He said: "Never has Allah spoken to anyone (in the world) but from behind a screen; and He spoke direct to your father. He brought him to life once again, made him sit in front of Him and said: "O my servant! Ask for (whatever you like) so that I would give it to you." He said: "O Lord! By the right of my worship of You during my lifetime, send me back to life so that I would fight and be killed in Your Cause once again." The Lord Almighty said: "It has been decreed earlier by Me that to it (the life of world) those (who die) never return." (Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of A'ishah; At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Jabir).

Ka'b "Allah be pleased with him" said: "In Paradise, there is a man who is weeping, to whom it was said: "Why are you weeping and you are in Paradise?"

he said: "I am weeping for I was killed in the Cause of Allah only once, and I desire to be sent back to life in order to be killed in His Cause many times."

Furthermore, it should be known to you that after death, it is revealed to the faithful believer of the immensity and extensiveness of the glory and majesty of Allah that which, if the entire world is compared with it, it would seem as narrow as a dark prison. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" set forth an example for that when he said about a man who died: "This man has departed from this world, and left it for its people. If he is pleased, then, he would not rejoice to return to this world once again, just as anyone of you never rejoices to return to his mother's womb once again." (Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Amr Ibn Dinar).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Verily, the example of a faithful believer in this world is like a fetus in its mother's womb: Whenever it comes out of her womb as a newborn child , it weeps for its exit until when it sees the light and is placed on the bed, it never likes to return to its first place once again." (Ibn Abu Ad-Dunya on the authority of Sulaim Ibn Amir Al-Jana'izi). Similarly, the faithful believer is scared by death until when he comes to his Lord Almighty, he never likes to return to this world once again, just as a child never likes to return to its mother's womb once again.

It is reported that it was said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "So and so died." On that he said: "He has been relieved (of this world if he is good), otherwise (people have been) relieved of him (i.e. of his evil)." (Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Qatadah). By the relieved one he referred to the faithful believer, and by such as of whom people are relieved to the wicked.

It is reported on the authority of Abu Umar, the lord of Suqya that he said: Once, Ibn Umar "Allah be pleased with them" came upon us while we were still boys and looked at a grave and behold! He saw a protuberant skull thereupon he ordered a man to cover it with dust. Then he said: "No doubt, those dead bodies are not harmed by dust: it is the souls which receive punishment and reward until the Day of Judgement."

It is reported on the authority of Amr Ibn Dinar that he said: "No dead dies but that eh knows what happens among his family after his death, and while they are washing and shrouding him, he looks at them."

According to Malik Ibn Anas: "I was reported that the souls of the faithful believers are free, and they go wherever they like."

It is reported on the authority of An-Nu'man Ibn Bashir "Allah be pleased with him" that he said: I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" having said while being on the pulpit: "No doubt, nothing remains of this world but as little as is equal to flies hovering in its air. So, please, (observe the commandments of) Allah! (Observe the commandments of) Allah concerning your brothers from among the inhabitants of the graves, for your deeds are shown to them." (Ibn Abu Ad-Dunya).

It is reported on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"

said: "Put not your dead to shame by your misdeeds, for your deeds are shown to your allies from among the inhabitants of the graves." (Ibn Abu Ad-Dunya; and Ahmad on the authority of Anas with a slight change of wording).

For this reason, Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" said (by way of supplication): "O Allah! I seek refuge with You from doing a deed therewith to put myself to shame with Abdullah Ibn Rawahah." Abdullah Ibn Rawahah "Allah be pleased with him", his maternal uncle, had died when he said so.

Abdullah Ibn Amr Ibn Al-As "Allah be pleased with him" was asked about the souls of the faithful believers: where they are after death, thereupon he said: "Inside white birds under the shade of the Throne (of Majesty), whereas the souls of the disbelievers in the seventh earth."

It is reported on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him" that he said: I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" having said: "Indeed, the dead knows who washes (and shrouds) his body, who carries him (on the bier), and who places him in his grave." (Ahmad).

According to Salih Al-Murri: "I was reported that the souls meet together at death and say to that which comes out to them: "What was your residence? In which of both bodies were you? Were you in a good or in a wicked body?"

According to Ubaid Ibn Umair: "The inhabitants of the graves expect for the news from this world. When the soul of a new deceased comes to them, they ask: "What has so and so done?" He says: "Has he not come to you?" they say: "Then, we all are to Allah and to Him we shall return. Of a surety, he has been taken to a way different from ours."

According to Ja'far Ibn Sa'id: "If one dies, his deceased child receives him in the same way as an absent is received."

According to Mujahid: "A man in his grave is given the glad tidings of his child's righteousness ."

It is narrated on the authority of Abu Ayyub Al-Ansari "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "When the believer's soul is taken up, these of mercy receive it from Allah just as a giver of glad tidings is received in this world. They say: "Give respite to your brother until he takes rest, for he was indeed in severe distress." Then they ask him: "What has so and so of men done? What has so and so of women done? Has she got married?" If they ask him about a man who died before him, and he told them that he had died before him, they say to him: "We all are to Allah and to Him we shall return. He has been taken to his home in a (bottomless) Pit." (Ibn Abu Ad-Dunya and At-Tabarani).

Explication Of The Grave's Speech To The Dead, And The Dead's Speech, Either In Word Or In State, Which Is More Expressive To Reach The Dead Than The Word To The Living

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The grave says to the dead once his body is placed in it: 'Woe to you son of Adam! What has deceived you about me? Do you not know that I am the house of darkness, affliction, loneliness and insects and larva? What has deceived you about me when you passed by me hesitantly?' if he is a righteous man the

answerer of the grave then would say on his behalf: 'Tell me what to do if he used to enjoin right and forbid evil?' the grave then says: "In this case, I turn into greenery on him.' Then, his body turns into light, and his soul ascends to Allah Almighty." (Ibn Abu Ad-Dunya, At-Tabarani and Al-Hakim on the authority of Abu Al-Hajjaj At-Tamali).

According to Ubaid Ibn Umair Al-Laithi: "No dead dies but that the hole in which he is buried calls him: "I am the house of insects, darkness and loneliness. If you were obedient to Allah in your life, now, I would be a source of mercy for you; and if you were disobedient to Him, now, I would be a means of punishment against you. Whoever enters me as obedient, would come out as happy and pleased, and whoever enters me as disobedient would come out as displeased and ruined."

According to Ka'b "Allah be pleased with him": "If the dead is placed in the grave, he is surrounded by his righteous deeds of prayer, fasting, , Hajj, Jihad and charity. When the angels of punishment come to him from his feet, the prayer says to them: "Leave him, for you have no way over him. He indeed used to offer long standing on them in prayer for Allah Almighty." Then, they come to him from his head, thereupon fasting says: "You have no way over him. He used to spend his day in long thirsty as fasting for Allah Almighty in this world. So, you have no way over him." When they come to him from his body, both Hajj and Jihad say: "Leave him for he troubled himself and consumed his power in Hajj and Jihad in the Way of Allah Almighty. So, you have no way over him." When they come to him from his hands, the charity says: "Leave my lord! How many an object of charity that came out through those hands until it fell into the Hand of Allah Almighty, seeking His Countenance. So, you have no way over him." Then, it is said to him: "Blessed be you! Let you be good as living and good as dead." Then, the angels of mercy come and spread his grave with a bed and a wrapper from Paradise, and his grave extends on him as far as his sight could reach, and a chandelier from Paradise is brought to him which illuminates his grave until he is raised by Allah Almighty from his grave."

Abdullah Ibn Ubaid Ibn Umair said while he was in a funeral procession: I was reported that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The deceased sits while hearing the footsteps of those who escort him to his final place, and nothing talks to him but his grave saying: "Woe to you son of Adam! Have you not been warned of me and of my narrowness, stink, terrors and worms? Then, what have you prepared for me?" (Ibn Abu Ad-Dunya and Ibn Al-Mubarak).

Explication Of Punishment Of Grave; And Interrogation Of Munkar And Nakir.

It is narrated on the authority of Al-Bara' Ibn Azib "Allah be pleased with him" that he said: Once, we set out in the company of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" to attend the funeral procession of a man from amongst the Ansar, and when we arrived at the grave, the ditch had not been dug yet. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon

him" sat down and we sat around him (as motionless and silent) as if there were birds above our heads. In his hand, there was a stick, with which he was scratching the ground. Then he raised his head (towards the sky) and said: "Seek refuge with Allah from the punishment of the grave!" he said it twice or thrice. Then he said: "When a believing servant dies (and is buried), Allah Almighty would send angels whose faces are as bright as the sun, having his shroud and perfume. They sit as far from him as his sight could reach, and when his soul comes out, all the angels in the heavens and the earth invoke blessing on him, and the gates of the heavens would be opened to him, and all of them like to receive him. If his soul is carried to ascend, it would be said: "O Lord! That is Your servant so and so." He would say: "Return him and show to him the honor that I have prepared for him. I have indeed promised him: From it (the earth) We created you, and to it We shall return you, and from it We shall raise you once again." He indeed hears their footsteps when they turn away from him. Then, two angels will come to him, and make him sit down and ask him: "Who is your Lord?" he will say: "My Lord is Allah." They will ask: "What is your religion?" He will say: "My religion is Islam." They will say: "What about this man who was sent unto you (as a Messenger)?" He will say: "He is the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"." They will ask him: "How have you come to know that?" He will say: "I recited Allah's Book (of Qur'an), in which I believed and trusted." This is the confirmation of Allah's statement: "Allah will establish in strength those who believe, with the Word that stands firm, in this world and in the Hereafter." (Abraham 27)

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴿٢٧﴾ ﴾

Then, a Caller from the heaven will call: "My servant has told the truth. Make his bed from the (beds of the) Garden, dress him from the (dresses of the) Garden, and open to him a gate leading to the Garden." Then, there will come to him from its good odor and sweetness (as much as he pleases), and his grave will grow spacious for him (as far) as his sight could reach.

On the other hand, if the unbelieving servant dies and is buried, stern hardy angels would descend to him having dresses of fire and trousers from tar. When his soul comes out, he would be cursed by all the inhabitants of the heavens and the earth, and all the gates of the heavens would be closed against him. When his soul is carried to ascend, it would be discarded, and it would be said: "O Lord! Your servant so and so is rejected by all the heavens and the earth." Allah Almighty would say: "Return him and show to him the evil that I have prepared for him. I have indeed promised him: From it (the earth) We created you, and to it We shall return you, and from it We shall raise you once again." He indeed hears their footsteps when they turn away from him. Then, his soul will be returned to his body (in the grave), where two angels will come and make him sit and ask him: "Who is your Lord?" He will say: "Ha! Ha!! Ha! I do not know." They will ask him: "What is your religion?" He will say: "Ha! Ha! I do not know." They will ask him: "What about the man who was sent unto you (as a Messenger)?" he will say: "Ha! Ha! I do not know." Then, a caller from the

heaven will call: "He has told a lie! Make his bed from (the beds of) the fire (of Hell), and open for him a gate leading to the fire (of Hell)." He will suffer its scorching heat and his grave will be tightened unto him so much that his ribs will be displaced. "Then, a blind, deaf, dumb person will be assigned to him (the unbeliever), having a sledgehammer in his hand, and (it is so much heavy that) if a mountain is struck with it, it will turn into dust. He will strike him (the unbeliever) with it and he will turn into dust. But Allah Almighty will bring him to life once again, and (such a blind) man will give him a further strike as a result of which he will cry (so much loudly) that all barring men and jinn will hear it." (Abu Dawud and Al-Hakim).

According to Muhammad Ibn Ali: "No dead dies but that at death his good deeds and misdeeds are embodied to him, thereupon he devotes himself to his good deeds and turns his back to the misdeeds."

It is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "When the believer comes to his last breaths, angels come to him with a piece of silk having musk and bouquets of basil, and his soul is taken smoothly as a hair is taken stealthily from the dough. Then, it is said to it: "O (you) soul, in (complete) rest and satisfaction! Come back you to your Lord, well pleased (yourself), and well-pleasing unto Him: Come out to the rest and satisfaction of Allah Almighty, and the honor that is prepared and kept by Him for you." Once his soul is taken out, it is placed on that musk and basil and folded up in the piece of silk, and then sent up to Illiyyin. But when death approaches a disbeliever, angels come to him with a rough cloth of coarse wool having a piece of fire. His soul then is pulled out forcefully and it said to it: "O wicked soul! Come out as displeased (yourself) and displeasing (to your Lord): come out to the humiliation and punishment prepared for you by Allah Almighty." Once his soul is taken out, it is placed on that piece of fire, and folded up with the rough cloth of coarse wool, and then sent to Sijjin." (Ibn Abu Ad-Dunya and Ibn Hibban).

It is reported on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The believer in his grave is in a green garden: his grave is made spacious upon him as much as seventy cubits, and it illuminates for him like the moon on the night when it is full. Do you know in which context the following statement of Allah was revealed? "But whosoever turns away from My Message, verily for him is a life narrowed down, and We shall raise him up blind on the Day of Judgment." (Ta Ha 124)

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾

They said: "Allah and His Messenger know best." On that he said: "It was revealed in connection with the disbeliever's punishment in his grave: Ninety nine female dragons are vested with authority over him. Do you know what a female dragon here is? It is a nine-head serpent: they continue to lacerate, lick and blow poison into his body until the day they would be raised." (Ibn Hibban).

The number of those serpents is in proportion to the number of bad manners and blameworthy attributes, and of course, they differ in strength and weakness by the difference of those characteristics. Those serpents, in this concept, are themselves the destructive attributes (referred to in the third quarter of that book), which turn into such serpents and scorpions one finds in the grave. The masters of hearts witness, by the light of insight, those destructives. Those narrations have mysteries and secrets, although, in the sight of the masters of hearts and insights, are evident and clear. But as for him to whom their realities are not revealed, he should not deny them entirely. Faith, at the least, is to give trust and submit to that fact.

You may say: "we see the disbeliever in his grave for a long time and do not see along with him such serpents and scorpions: then, how should we give trust to that which contradicts our vision?".

In reply to that, it should be known to you that you have three degrees of trust in this issue:

One of them, which is the most evident and the most authentic, is to believe that there are really serpents and scorpions that bite the wicked dead in the grave, but you do not see them. That is because this eye is not qualified to see what belongs to the dominion of the invisibles; and all that pertains to the hereafter belongs to the dominion of the invisibles. Do you not see how the companions "Allah be pleased with them" believed in the descent of Gabriel (with the Divine revelation) and although they never saw him, they believed that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saw him? Anyway, the serpents and scorpions that bite the dead in the grave do not belong to our world of visibles, which means that they are imperceptible by the same senses of perception unique to our world. They are perceived by another sense (which we do not have in this world of ours).

The second is to remember the sleeping person who might see in his dreams a serpent biting him, for which he feels pain, to the extent that he might be disturbed and his forehead sweat during his sleep. But even, as for you, you see him motionless and still, and do not see any serpents or scorpions to bite him. Although he sees the serpent and suffers the pain of biting, you neither see nor suffer anything.

The third is to know that it is not the serpent itself that pains you, but what pains you is only the poison you receive from it. pain also does not lie in the poison, but your torture results from its trace on your body. If that trace afflicts you without the perception of poison, it would realize although too difficult to recognize unless it is attributed to the cause that leads to it. If the pleasure of sexual relation is created within a man who has not experienced nor perceived its image, then, it would be too difficult to recognize unless it is ascribed to the cause that leads to it in practice. In this way, the effect of the cause realizes without the perception of the cause itself, which is intended for its effect and not for itself. Those destructive attributes turn into harmful and painful things at death, and their pains become like those of serpents and scorpions although there are no serpents nor scorpions.

That the bad attribute turns into a harmful thing is like the state in which the love turns into pain when the beloved dies. In this way, the pleasure of love becomes painful, to the extent that one wishes he has never tasted that pleasure at all. That, namely, is a kind of punishment which a dead receives in the grave. When he is in the world, he is possessed by the love for worldly benefits. If all of this is taken from him even in his life and it becomes impossible for him to restore it once again, what do you think his state of destructive grief and sorrow might be? Would he not be more wretched, distressed and anxious? Would he not wish he has never had anything of what was taken from him?

Similarly, death is to leave the worldly benefits all at once, what do you think his sadness and misery might be? Besides that misery, he regrets for the bliss of the hereafter which he has lost due to his greediness for the world, and his being veiled from the light of Allah Almighty. That is the very punishment therewith he is punished, for nothing follows the fire of departure other than the fire of Hell as confirmed by the statement of Allah Almighty: "Verily, from (the Light of) their Lord, that Day, will they be veiled. Further, they will enter the Fire of Hell." (Al-Mutaffiffin 15-16)

﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝ ﴾

On the contrary is the one who is not affable with this world, nor loves but Allah Almighty, and has a great longing for meeting Him: By death, he has indeed got rid of the prison of this world and suffering of desires and pleasures therein, and devoted himself wholeheartedly to his beloved, after all worldly obstacles and hindrances had been removed from his way, and only the bliss has become ahead of him, which is guaranteed to be never-ending: It is for the like of this that the workers should work.

The point is that a man loves his female horse to the extent that if he is given the freedom to choose to be deprived of it or bitten by a scorpion, of course, he would prefer to be bitten. Thus, the pain he receives from the loss of his female horse is more severe on him than that he receives from the bite of the scorpion; and it is his love for the female horse that indeed bites him: if it is taken from him, let him then get ready for those bites. That is because death takes from him all his things he possesses and loves in this world: if he loves them only, and they have been taken from him by death, then, his pain for losing them would be more severe on him than the bite of scorpions and serpents he might receive.

As well as if those things are taken from him while he is still living, his pain for that would be so much great, the same is true when he is dead. We have already shown that the essence which perceives and senses pains and pleasures never dies by the death of the body: On the contrary, his punishment after death is more severe, because during life, he amuses himself with things that occupy his senses, consoles himself with the hope of restoring his lost things, or the hope of compensation for it, whereas after death, there is no amusement nor consolation. Henceforth, everything, say a shirt or a handkerchief, or any such like, he loves in this world so much that it would be difficult on him to lose it, he remains regretful for it and is punished because of it. If he leaves this world and he is free from its things, he would be safe, unlike him who leaves it while fastened by its

things. As well as the grief of the one from whom only a Dinar is stolen is less than him from whom ten Dinars are stolen, similarly, the owner of a single Dirham is better in state than the owner of two Dirhams. To that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" referred by his statement: "The owner of a single Dirham would receive reckoning easier than the owner of two Dirhams."

There is nothing in this world that you leave behind at death but that it becomes a source of grief upon you after death. So, get more thereof if you so like, or little thereof if you so like. If you get more, you indeed increase your grief, and if you get little, you indeed reduce your grief. That is why the serpents and scorpions are numerous in the graves of the rich and wealthy, who love the life of this world and prefer it to the hereafter.

Those are the three degrees of faith concerning the serpents and scorpions, and all kinds of punishment of the grave.

Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him" saw in his dream a son of him who died and he said to him: "O my son! Admonish me." he said: "Do not oppose Allah Almighty in what He wills." He said: "O my son! Give me more." He said: "O my father! You would not endure it." he said: "No, say." He said: "Do not make a shirt between you and Allah Almighty." Henceforth, he never put on a shirt for thirty years.

If you ask me about the most valid of those three degrees of faith, let me tell you that the people are different in their inclination to and disinclination from any of them; and the truth in which there is no doubt is that all of them are possible to realize; and to reject any of them goes back to ignorance of the extensive power and will of Allah Almighty. As those three ways of punishment in the grave are possible, then, to give trust to them all is obligatory. A servant might be punished by only one and another by all the three together: we seek refuge with Allah from the punishment of Allah.

On the other hand, one should give trust to that by way of imitation, since verification here is impossible. What I advise you to do in this respect is not to engage yourself so much about the details of that, nor in the knowledge of it: But you'd rather engage in how to avert from yourself the punishment in general, whatever it might be. It is learnt that after death, a servant should be either in painful punishment or in enduring bliss; and it is for the like of this that he should get ready. But to search for the details of punishment and reward is indeed to waste time in what is useless.

Explication Of Interrogation Of Munkar And Nakir And Their Image; And Embracing Of The Grave

It is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If a servant dies, two black and blue-complexioned angels would come to him, one called Munkar and the other Nakir, and ask him: "What did you say about the Prophet?" if he is a faithful believer, he would say: "He is the servant and Messenger of Allah. I testify that there is none worthy of worship except for Allah, and that Muhammad "peace be upon him" is the Messenger of Allah."

They then would say to him: "We have indeed learnt that you said (and believed in) that." Then, his grave would be extended for him as much as seventy in seventy cubits, and illuminated and he would be asked to sleep. But he would say: "Let me return to my family to tell them (about my bliss)." But he would be asked to sleep and he really sleeps like a bridegroom whom nothing awakens but the dearest of his family to him, until Allah Almighty raises him from his lying place.

But if he, on the other hand, is a hypocrite, he would say in reply to them: "I do not know. I heard the people saying something and I repeated it after them." They would say to him: "We have indeed learnt that you said (and believed in) that." Then, the earth would be asked to be welded on him, and it would do accordingly so violently that his ribs would dislocate; and he would remain in punishment until Allah Almighty raises him from his lying place." (At-Tirmidhi and Ibn Hibban).

It is further reported on the authority of Ata' Ibn Yasar that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said to Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him": "O Umar! What do you do if you die and your people go and dig a hole three cubits long and a cubit and a span wide, and then return to wash your body, shroud and embalm you and then carry your dead body on the bier until they place you in the grave, and then fill it with dust over you and bury you; and once they turn away from you, the two grave tempters come to you, i.e. Munkar and Nakir, whose voice is like loud thunder, and sight like swift lightning, dragging their hair and digging the grave with their canine teeth, and then shake and move you violently? What do you do in that very state O Umar?" Umar said: "Would I have the same mind as I have now?" He said: "Yes." Umar said: "Then, I would suffice you against them." (Ibn Abu Ad-Dunya and Al-Baihaqi).

That is a clear statement that mind never changes by death. What changes is only the body and the organs and parts of body. This means that the dead continues to preserve his perception, sense of pains and pleasures. By the perceiving mind, I do not mean that very physical organ, but I mean that internal essence that has no definite place nor form in the body. It is that which is indivisible in itself. If all the parts of the body scatter about on earth, and nothing remains but the perceiving indivisible part, the rational man then remains standing. He continues to be as such after death.

According to Muhammad Ibn Al-Munkadir: "I was reported that concerning the disbeliever, a blind deaf animal is invested with authority over him in his grave, having a headed lash of iron in its hand, therewith it persists in striking him until the Day of Judgement: It neither sees him in order to avoid him, nor hears his voice in order to be merciful towards him."

It is reported on the authority of Hudhaifah "Allah be pleased with him" that he said: We were in the company of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in a funeral procession when he sat at the head of the grave, looked at it and then said: "The believer is pressed violently in that (grave) so much violently that his sides dislocate from him." (Ahmad).

It is reported on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her" that she said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No doubt, the grave has a violent embracing (of the dead body), and were anyone to be saved from it, surely, Sa'd Ibn Mu'adh would have been saved from it." (Ahmad).

It is further narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: Zainab "Allah be pleased with her" the daughter of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" died, and she was sick. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" attended her funeral procession, and his state of anxiety aggrieved us. When we reached the grave and he entered it, the colour of his face turned yellow. But when he came out of it, he was cheerful. We said: "O Messenger of Allah! We have seen your state (that aggrieved us): What is the reason for that?" he said: "I remembered the earth's violent embracing of my daughter, and the severe punishment of the grave, thereupon I was told that Allah Almighty alleviated the severity from her, and that she received an embracing so violent that its voice was audible to all that is living in between the heavens and the earth." (Ibn Abu Ad-Dunya).

CHAPTER EIGHT

WHAT IS KNOWN FROM THE STATES OF THE DEAD BY MEANS OF REVELATION IN DREAMS

It should be known to you that we know, by the lights of insight obtained from the Book of Allah Almighty, and the sunnah of His Messenger "peace be upon him", along with the different methods and ways of consideration show to us the states of the dead in general, and their division into happy and wretched. But as for the state of a particular person, it could not be revealed in principle. If we rely on the apparent faith and rectitude of a particular person, it should be known then that piety lies in the heart, and we do not know in which state does anyone whom we know really dies. That is because it is abstruse and hidden even from the man himself, then, how would it be for anyone else? There is no judgement to be built only on the apparent righteousness without the internal piety. Allah Almighty says: "Allah does accept only from those who are righteous." (Al-Ma'idah 27)

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

Once the dead moves from the world of the visibles into the dominion of the invisibles, his state then could not be seen by the human ordinary eye, but by another eye that is created in the heart of everyone, but covered with a thick veil of his desires and lusts, along with his worldly occupations, to the extent that he no longer sees or is imagined to see by it anything of the dominion of the invisibles unless that veil is removed from the eye of his heart.

But since that veil was removed from the hearts of the Prophets "peace be upon them" they were able to see the dominion of the invisibles and witnessed its wonders, and the dead in it. When they witnessed that, they told about it.

For this reason, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saw the grave embracing of his daughter Zainab "Allah be pleased with her"

and of Sa'd Ibn Mu'adh, and saw the state of the father of Jabir "Allah be pleased with them" when he was martyred on the battle of Uhud, and told him (Jabir) that Allah Almighty made him sit in front of Him with no partition between them, and so on. But such witnesses are not available to anyone other than the Prophets and Messengers "peace be upon them", and the allies and friends of Allah whose degree is close to theirs. What is available to the like of us is another weak witness, though Prophetic, i.e. the vision, since the true vision is a part of many parts of Prophethood.

In confirmation of that, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The good vision (one sees in a dream) is one of forty-six parts of Prophethood."

But that revelation also requires the removal of the veil from the eye of the heart. For this reason, it is only the righteous faithful man whose vision is reliable. That is why the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" commanded to get purified and perform ablution on going to bed, in order for one to sleep as pure and clean. (Al-Bukhari and Muslim on the authority of Al-Bara'). It is a reference to the purification of the inside, which is the origin, whereas the purification of the appearance supplementary.

Once the inside of a man becomes pure and clean, it is revealed, in the eye of the heart, what would come to be in the future, just as the conquest of Mecca was revealed to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in his dream, as confirmed by the following statement which was later revealed by Allah Almighty: "Truly did Allah fulfill the vision for His Messenger: You shall enter the Sacred Mosque, if Allah wills, with minds secure, heads shaved, hair cut short, and without fear. For He knew what you knew not, and He granted, besides this, a speedy victory." (Al-Fath 27)

﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾

(Ibn Abu Hatim in his Tafsir on the authority of Mujahid).

The vision and knowledge of the unseen in dreams are among the wonders and mysteries of the making of Allah Almighty, and the clearest evidences for the existence of the dominion of the invisibles. But even, the mysteries of visions and dreams are more relevant to the science of Revelation (Mukashafah) apart from the science of practical religion (Mu'amalah). It is unfitting for us to talk about it here. What is allowed by the context is to give you an example to make it understandable to you.

The heart is like a mirror on which images and pictures are reflected. All that has been preordained and decreed by Allah from the beginning until the end of creation is recorded in something created by Allah Almighty, referred to once as the Preserved Tablet, once as the Evident Book, and once as the Clear Guide. Although all of this is inscribed on that thing, it is beyond the capacity of the eye to see it. Think not that this Tablet is made of wood, iron, bone, or so, or that the Book of papers or so: On the contrary, you should understand that the Tablet of Allah does not resemble any tablet, and the Book of Allah is not similar to any

book of the creatures, in the same way as His Essence and attributes are not like the essence and attributes of His creatures.

If you like an illustrative example, you should learn that the inscription of the decrees and fates on the Tablet is like the inscription of the words of the Holy Qur'an on the minds of those who memorize it by heart: they are lined in the mind in such a way as whenever he recites it, it seems to him as if he sees it with his eye, although if you inspect his mind, you would find no letter thereof.

The Tablet is like a mirror on which the realities of all things created are reflected. If another mirror is placed opposite to it, the images of those realities might be reflected on it too, unless there is a partition between both. Thus, the heart is a mirror on which the image of knowledge is reflected, whereas the Tablet is a mirror on which the realities of the whole knowledge are reflected. The engagement of the heart with its sensual desires and lusts stands as a partition between it and the Tablet that belongs to the dominion of the invisibles. If some wind blows and removes a part of that partition from the heart, something of the dominion of the invisibles might appear in its mirror, like the swift lightning, which is apt either to continue for some time or to vanish quickly, and that is more frequent.

During wakefulness, it is always engaged in what it receives from the senses of the occupations that belong to the world of visibles, which stands, to be sure, as a partition that veils it from the dominion of the invisibles. In sleep, the senses close on that world, and cease to bring anything to the heart; and once the heart gets rid of it along with imagination, , and is pure in its essence, the partition that is between it and the Preserved Tablet is raised, allowing for something of what it contains to be reflected on it, just as the image is reflected from a certain mirror on another mirror opposite to it so long as there is no partition between them.

But sleep prevents only the five senses to work, and not the imagination. For this reason, what is reflected on the heart from the other mirror becomes subject to the imagination which imitates it with a similar picture. Such being the case, the imagined pictures made by imagination is more enduring in the memory than the real images. So, when one awakes, he remembers nothing other than the fancies. The interpreter of dreams then needs to see to which of the real images such and such a fancy goes back, depending on the relevance that is between both. This work is evident and well known to those involved in interpretation of dreams.

It suffices you for example that a man said to Ibn Sirin: "I saw in a dream as if I had a seal in my hand therewith I seal the mouths of men and the genitals of women." In his interpretation of it, he said to him: "You are a Mu'adhdhin who proclaim Adhan before Morning prayer in the month of Ramadan." The man said to him: "You have told the truth." Consider here that the essence of sealing is prevention for which it is intended. The state of a certain person is revealed to the heart from the Preserved Tablet, as it is, i.e. that he prevents the people from food and drink. But imagination related the prevention in sealing with the seal, and represented it with the imagined picture that implies the essence of the meaning; and it is only that imagined picture that endures in the memory after

getting up from sleep.

That is a brief synopsis of the vision. But even, what do you think it to be compared with death itself therewith the veils are penetrated and the world of the unseen revealed? The sleep is a simple example of death, and at death, the realities of things are uncovered to the sight after veils are removed as confirmed by Allah Almighty in His statement: "You was heedless of this, now have We removed your veil, and sharp is your sight this Day!" (Qaf 22)

﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

And: "Is this then a fake, or is it you that do not see? Burn you therein: The same is it to you whether you bear it with patience, or not: You but receive the recompense of your (own) deeds." (At-Tur 15-16)

﴿ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

To those Allah Almighty refers in His statement: "but something will confront them from Allah, which they could never have counted upon!" (Az-Zumar 47)

﴿ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

Wonder at us and we are fronted with all those wonders and marvels from Allah Almighty, of which we are heedless, and rather engaged in our worldly benefits, pleasures and delights, although we are going to inevitably leave it entirely. But where is he from among us to whom the Holy Spirit might say the same as he said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "Love whomever you like for you would inevitably leave him, and live as you like, for you would necessarily die, and work as you please, for you would be rewarded for it." No doubt, when this fact was revealed to him by the certainty of faith, he was like a wayfarer in this world: He neither placed a rick over another, nor a pipe over another (in building), nor left a Dinar nor a Dirham after him, nor took a beloved, nor an intimate friend. It is true that he "peace be upon him" said: "Were I to take an intimate friend, I would have taken Abu Bakr as my intimate friend, but your companion (i.e. himself) is the intimate of (Allah) the Most Gracious." He thus showed that the intimate friendship with Allah, the Most Gracious filled his heart and left in it no place for any other relation.

He further said to his Ummah (as commanded by Allah to tell them): "If you do love Allah, follow me: Allah will love you and forgive you your sins; for Allah is Oft-Forgiving, Most Merciful." (Al Imran 31)

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾

His Ummah consists of those who follow him, and none follows him but such as turns away from this world with its benefits and delights, and rather devotes himself wholeheartedly to the hereafter. He never called but to Allah and the Last Day, nor diverted but from the world and its transitory fortunes. As much as you turn away from this world and devote yourself to the hereafter, you then follow his way; and as much as you follow his way, you imitate him; and as

much as you imitate him, you then become a member of his Ummah, and vice versa: as much as you devote yourself to this world and turn away from the hereafter, you deviate from his way, and does not imitate him, and rather join those in whom Allah Almighty said: "Then, for such as had transgressed all bounds, And had preferred the life of this world, the Abode will be Hell-Fire." (An-Nazi'at 37-39)

﴿ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾

And: "Shall We then treat the People of Faith like the People of Sin? What is the matter with you? How judge you?" (Al-Qalam 35-36)

﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾

Now let's return to our topic, i.e. the role of vision in revealing the states of the dead in their graves. Indeed, Prophethood was over, and nothing remained thereof but the news givers, i.e. the visions. Now, we are going to make a mention of some visions that reveal the states of the dead.

Explication Of Visions That Uncover The States Of The Dead And The Deeds That Benefit In The Hereafter

A mention may be made here of the vision of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" who said: "Whoever sees me in his dream has really seen me, for Satan could not seem in my form." (Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Hurairah).

Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" said: I saw the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in a dream and he did not look at me. I asked him: "O Messenger of Allah! What is wrong with me?" He "peace be upon him" turned to me and said: "Are you not the one who kissed (your wife) while you were fasting?" He then said: "By Him in Whose Hand is my soul, I would never kiss any woman while I am fasting."

Al-Abbas "Allah be pleased with him" said: I wished to see Umar Ibn Al-Khattab in my dream (after his death), and I saw him just at the end of the year. I saw him wiping sweat off his forehead and saying: "It is time for my finishing (from reckoning). My throne was about to be ruined had I not found Him (Allah) Most Kind, Oft-Merciful."

Al-Hassan Ibn Ali "Allah be pleased with them" said: Ali said to me: Tonight, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" appeared to me in a dream and I said to him: "O Messenger of Allah! I have received from your Ummah such and such (trouble)." He said to me: "Then, invoke evil upon them." I said: "O Allah! Recompense me with people better for me than they, and recompense them with one worse for them than I." He then came out in the morning following that night and Ibn Miljam struck him.

An old man said: I saw the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in a dream and said to him: "O Messenger of Allah! Pray forgiveness for me." But he turned away from me. I said to him: "O Messenger of Allah! It is reported to us from Sufyan Ibn Uyainah from Muhammad Ibn Al-Munkadir from Jabir Ibn Abdullah "Allah be pleased with them" that you never said no

about anything you were asked." On that he turned his face to me and said: "May Allah forgive for you." (Muslim).

It is reported on the authority of Al-Abbas Ibn Abd-Al-Muttalib "Allah be pleased with him" that he said: Abu Lahab is my brother. When he died and Allah Almighty told about him what He had told, I grieved for him, and his matter concerned me so much. I kept asking Allah Almighty for a year to let me see him in a dream. Then, I saw him in flames. I asked him about his state and he told me: "I was led to punishment in the fire, which is not alleviated from me except on the night of every Monday." I asked him about the reason for that and he said: "On that night, Muhammad "peace be upon him" was born, and Umaimah came and gave me the glad tidings of his birth, thereupon, out of my joyfulness and cheerfulness of him, I emancipated a slave-girl belonging to me. Allah then rewarded me for that by alleviating from me the punishment on the night of every Monday."

Abd-Al-Wahid Ibn Zaid said: I set out as a pilgrim in the company of an old man who used not to do anything but that he would invoke prayer upon the Prophet "peace be upon him". I asked him about that and he said: "Let me tell you about the reason for that. I set out to Mecca in the company of my father and when we went to spend the night in a certain place, I fell asleep. While I was sleeping, somebody came to me (in a dream) and said to me: "Get up: Allah has caused your father to die and blackened his face." I got up as scared and removed the dress from the face of my father and behold! He was dead with his face black. I was frightened because of that. Being in such anxiety, slumber overtook me and while I was sleeping I saw (in a dream) by the head of my father four black men having pillars of iron. Then, a good-looking man putting on two green garments came and asked them to move away, and then wiped his face with his hand. Then he came to me and said: "Get up, for Allah has whitened the face of your father." I asked him: "Who are you, let my father and mother be sacrificed for you?" he said: "I am Muhammad." Then, I got up and removed the dress from the face of my father and behold! It was white. From that time on, I have never left invoking prayer upon the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him"."

Umar Ibn Abd-Al-Aziz said: I saw the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and Abu Bakr and Umar "Allah be pleased with them" were sitting with him. I greeted them with peace and sat with them. Then, while I was sitting, both Ali and Mu'awiyah were brought and admitted to a house and the door was closed on them. Very soon, Ali "Allah be pleased with him" came out saying: "He gave his judgement in my favor, by the Lord of the Ka'bah." A short while later, Mu'awiyah came out saying: "He has pardoned me, by the Lord of the Ka'bah.""

One day, Ibn Abbas "Allah be pleased with them" got up from his sleep and said: "We all belong to Allah, and to Him we shall return. Al-Hussain has been killed." That was before his killing. But his companions disapproved that statement from him. On that he said: "I saw (in a dream) the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" having a bottle of blood and said to me: "Do you not know what those of my Ummah have done after me?

They killed my son Al-Hussain, and that is his blood and the blood of his companions (who were killed with him), and I raise it to Allah Almighty." Twenty-four days later, the news reached that Al-Hussain was killed on the very day he (Ibn Abbas) saw him.

Abu Ja'far As-Saidalani said: I saw the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in a dream surrounded by a group of poor persons. While we were as such, the sky split open and two angels descended, one having a tube and the other a jug. The tube was placed in front of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and he washed his hand from it. then, he ordered that his companions should wash theirs. Then, the tube was placed in front of me and one of them (the angels) said to the other: "Do not pour water over his hand, for he does not belong to them." I said: "O Messenger of Allah! Is it not reported from you that you said: 'The man would be gathered in the company of whomever he loves'?" He answered in the affirmative, thereupon I said: "O Messenger of Allah! I then love you and love those poor persons." On that he "peace be upon him" said (to the angel): "Pour water over his hand, for he belongs to them."

Once Mujammi was seen in a dream and asked: "How have you seen the matter?" He said: "I have seen that the abstinent from this world have taken away (apart from the rich and wealthy) the good of the world and the hereafter."

According to Muhammad Ibn Wasi': "The vision pleases and deceives not the faithful believer."

Zurarah Ibn Abu Awfa was asked in a dream: "Which deed is the best with you?" he said: "Both contentment and short hope."

According to Sufyan Ibn Uyainah: I saw my brother in a dream and asked him: "What has Allah Almighty done with you?" He said: "He forgave for me every sin I asked Him to forgive it for me, and did not forgive for me any sin I did not ask Him to forgive it for me."

According to Ali At-Talhi: I saw in a dream a woman that does not resemble the women of this world. I asked her: "Who are you?" She said: "A houri." I said to her: "I like to marry you." She said: "Demand my hand first from my master, and then give my dower." I asked her: "What is your dower?" she said: "To prevent the self from its evils."

According to Al-Kittani: I saw Al-Junaid in a dream and asked him: "What has Allah Almighty done with you?" He said: "All those euphoric words and short phrases vanished, and we got only the reward of two rak'ahs we used to pray at night."

Zubaidah (the wife of Haron Ar-Rashid) was seen in a dream and asked: "What has Allah done with you?" She said: "He has forgiven for me by virtue of those four expressions: 'There is none worthy of worship except for Allah, therewith I consume my lifetime; There is none worthy of worship except for Allah, therewith I enter my grave; There is none worthy of worship except for Allah, therewith I become in seclusion; There is none worthy of worship except for Allah, therewith I meet my Lord Almighty.'"

Part two:

STATES OF THE DEAD FROM THE SOUNDING OF THE TRUMPET TO THE ABIDANCE EITHER IN PARADISE OR IN HELL; AND ITS RELATED TERRORS AND RISKS

It contains the following chapters:

Explication of the sounding of the trumpet
Account of the mustering land and its inhabitants
Account of the duration of the Day of Resurrection
Account of the Day of Judgement, its terrors and names
Account of interrogation about sins
Account of the balance of deeds
Account of foes and opponents
Account of Sirat (bridge held over Hell)
Account of intercession
Account of the Fountain
Account of Hell, its denizens, terrors, chains, and serpents
Account of Paradise, its bliss, number of its gardens, gates, mansions, walls, rivers, trees, clothes and thrones of its inhabitants
Account of houris and youth
Account of looking at the Countenance of Allah Almighty
A chapter on the extensive mercy of Allah Almighty, therewith the book is concluded, Allah willing

CHAPTER ONE

EXPLICATION OF THE SOUNDING OF THE TRUMPET

You have already learnt the great terrors and risks a dead receives after death. But the greatest and the most severe of them all is the sounding of the trumpet, resurrection on the Day of Judgement, presentation before the Lord Almighty for reckoning, questioning about deeds, be they significant or insignificant, the establishment of the balance of deeds, crossing the path that is held over the Hell, and expectation for the call when cases are decided, either for happiness or for wretchedness. You have to know all of those states, and have faith in them entirely, and engage in long meditation in them in order to stimulate within your heart the necessary motives to get ready for them.

But unfortunately, most people do not have faith in the Last Day from the depth of their hearts. That is confirmed evidently by their seriousness in getting ready for the hot summer and cold winter, and negligence of the scorching heat of Hell, along with the related difficulties and terrors. More amazing, if they are asked about the Last Day, they would talk about it only with their tongue, while their hearts remain heedless of it. However, to belie a thing with the deed is more effective than to belie it with the tongue.

In confirmation of that, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: Allah Almighty says: "The son of Adam abuses Me, and it is not fitting for him to abuse Me; and he further belies Me, and it is not fitting for

him to belie Me at all. As for his abuse, it is his statement that I have a child. As for his belying, it is his statement that I would not recreate him once again as I created him at first." (Al-Bukhari on the authority of Abu Hurairah).

However, man's weak faith and absence of certainty in the Last day and resurrection goes back to his lack of understanding of those things that are beyond the reach of his mind on the one hand, and inability to imagine that such a thing would come on the other hand. If man does not witness with his own eye how animals are born from each other in a reproductive operation and, at the same time, it is said to him that from a sperm-drop a human rational speaking discerning being is produced, of a surety, he would not be able to give trust, and even imagine that. For this reason, Allah Almighty says: "Does not man see that it is We Who created him from sperm? Yet behold! he (stands forth) as an open adversary!" (Ya Sin 77)

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ ﴾

And: "Does Man think that he will be left uncontrolled, (without purpose)? Was he not a drop of sperm emitted (in lowly form)? Then did he become a clinging clot; then did (Allah) make and fashion (him) in due proportion. And of him He made two sexes, male and female. Has not He, (the same), the power to give life to the dead?" (Al-Qiyamah 36-40)

﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾
فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾

The wonders of creation for the first time are more excellent than those in the recreation once again. Then, how does one deny that resurrection? If your faith in this fact is weak, then, strengthen your faith by considering the wonders of the first creation, for the other creation is like, if not easier than it. If your faith, therefore, is strong enough, then, engage in meditation of the terrors and risks related to that other creation, in order to deprive of your heart comfort and calmness, and stimulate you to get ready for the presentation before the Lord Almighty.

The first thing to meditate in is that which is to hit the ears of the inhabitants of the graves, i.e. the strong sounding of the trumpet, for it is only a single blast, by which the graves split open for the dead to come forth in crowds, all at once, covered with the dust of the earth from the top to the bottom, overwhelmed by anxiety, worry and terror, in expectation for what would come to be. In this respect, Allah Almighty says: "The Trumpet will (just) be sounded, when all that are in the heavens and on earth will swoon, except such as it will please Allah (to exempt). Then will a second one be sounded, when, behold, they will be standing and looking on!" (Az-Zumar 68)

﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا
هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

And: "Finally, when the Trumpet is sounded, That will be - that Day - a Day of Distress, Far from easy for those without Faith." (Al-Muddaththir 8-10)

﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝ ﴾

And: Further, they say, "When will this promise (come to pass), if what you say is true?" They will not (have to) wait for aught but a single Blast: it will seize them while they are yet disputing among themselves! No (chance) will they then have, by will, to dispose (of their affairs), nor to return to their own people! The trumpet shall be sounded, when behold! from the sepulchres (men) will rush forth to their Lord! They will say: "Ah! woe unto us! who has raised us up from our beds of repose?" (a voice will say:) "This is what (Allah) Most Gracious had promised, and true was the word of the Messengers!" It will be no more than a single Blast, when lo! they will all be brought up before Us!" (Ya Sin 48-53)

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۝ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝ ﴾

If there is nothing ahead of the dead but the great terror of that sounding of the trumpet, it should be sufficient for them to safeguard themselves from its terrors. It is a sounding and a blast, so strong that because of which all the inhabitants of the heavens and the earth and what is in between them would swoon, i.e. die, except for such as Allah Almighty wills, i.e. some angels.

In confirmation of that, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "How should I be blessed and the one to whom the trumpet is entrusted has picked up the trumpet in his mouth, inclined his forehead, and paid his attention in expectation for the moment he is commanded to sound it?" (At-Tirmidhi on the authority of Abu Sa'id).

According to Muqatil, Israfil "peace be upon him" is placing his mouth on the trumpet, whose circle-shaped opening is as wide as is the heavens and the earth, and fixing his sight towards the Throne (of Majesty), in expectation for the very moment he would be ordered to blow the first blow. Once he blows it, all in the heavens and the earth and what in between them would swoon immediately, out of the great terror and horror, except such of angels as Allah Almighty wills, and I mean here Gabriel, Michael, Israfil and the angel of death "peace be upon them". Then, He Almighty would command the angel of death to take up the souls of Gabriel, then Michael, then Israfil, and then order the angel of death to die.

The creatures would spend forty years in the Barzakh following the first blow, after which Allah Almighty would bring Israfil "peace be upon him" to life, and command him to blow the trumpet the second blow, and that is the significance of His statement: "Then will a second one be sounded, when, behold, they will be standing and looking on!" (Az-Zumar 68)

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝ ﴾

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "From the time the one to whom the trumpet is entrusted was created, he has been placing it before his mouth while moving forward a foot and backward another, in expectation for the very moment he would be commanded to blow it. behold! Safeguard yourselves from (the terror of) that blow."

So, meditate in the creatures and how they would be put to humiliation, submission and meekness at the time they would be raised, for fear of that swoon and in expectation for what would be decreed upon them of happiness and wretchedness. If you are in this world from among the rich and wealthy, you should know that the kings of the earth on that day would be the most humiliated, the most submissive, and the most despicable from among all the people. At that time, the wild animals would come forth in crowds from every direction and mix with the people, in humiliation out of terror of the Day of Resurrection, with no sin they have committed, except that they would be gathered out of the severity of the swoon and the terror of the blow. That is the significance of His statement: "When the wild beasts are herded together (in human habitations)." (At-Takwir 5)

﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝ ﴾

Then, the devils who were rebellious would come in humiliation and submission, out of the terror of the presentation before Allah Almighty, in confirmation of the statement of Allah Almighty: "So, by your Lord, without doubt, We shall gather them together, and (also) the Evil Ones (with them); then shall We bring them forth on their knees round about Hell." (Maryam 68)

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝ ﴾

CHAPTER TWO

ACCOUNT OF THE MUSTERING LAND AND ITS INHABITANTS

Consider then how, after resurrection, they would be driven, naked and barefooted, to the land of mustering, which is plain, soft white, in which there would be no crookedness nor curving, nor a hill behind which anyone might hide himself, nor a lowness in which anyone might disappear from the sights of others: on the contrary, it is a very plain land to which they would be driven in crowds. Exalted be He Who would gather all the creatures, in their difference, from all directions and sides of the earth, by both the first and the second blow. It is then fitting for such hearts, on that day, to be fearful and for those sights to be submissive.

In this respect, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "On the Day of Judgement, all the people would be mustered together on a white plain soft land like a pure loaf, in which there would be no building for anyone to hide himself therein." (Al-Bukhari and Muslim on the authority of Sahl Ibn Sa'd).

Think not that this land would be like that of the world: they only share in the name. in confirmation of that, Allah Almighty says: "One day the Earth will be changed to a different Earth, and so will be the Heavens, and (men) will be

marshalled forth, before Allah, the One, the Irresistible." (Ibrahim 48)

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾

According to Ibn Abbas "Allah be pleased with them" in his comment on it: "It would change in size and shape, and have no trees nor mountains, nor valleys nor rivers, and be extended and made spacious: A white soft land like silver on which no blood has ever been shed, nor a mistake ever been committed. As for the sky, its sun, stars moon, and all celestial bodies would disappear.

Consider, O poor, the terror of that day. If all the people gather together on that plain land, the stars over them would scatter about, the sun would disappear, leading to deep darkness. Such being the case, the sky would turn from over their heads and rent asunder, given its strength and thickness, as much as is equal to a five-hundred journey, and the angels standing on its edges and sides: How terrible would the sound of its splitting be on your ear, and how awful is the day on which the sky would rent asunder, and crumble and go to pieces like melted silver. On that day, the sky would be like melted brass, people like moths scattered about, and mountains like carded wool, naked and barefooted. In confirmation of that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The people will be gathered barefooted, naked, and uncircumcised, sunk in their sweat up to their earlobes." Sawdah "Allah be pleased with her" the narrator of the Hadith said: I said: "O Allah's Apostle! Will the men and the women look at each other?" He said: "The situation will be too hard for them to pay attention to that." (Ath-Tha'alibi and Al-Baghawi; and Al-Bukhari and Muslim on the authority of A'ishah "Allah be pleased with her"). How great is a day on which people would be raised as naked and barefooted! But even, none of them would have the power to look at the other.

Furthermore, some of them would be raised walking on their faces, without being able to turn their faces. In confirmation of that, it is reported on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "On the Day of Judgement, the people would be raised and be of three divisions: Some would be riding, others walking on foot, and others prone on their faces." A man said: "O Messenger of Allah! How should they be able to walk prone on their faces?" he "peace be upon him" said: "He, Who enabled them to walk on foot has the power to make them walk prone on their faces." (At-Tirmidhi; and Al-Bukhari and Muslim on the authority of Anas).

But mankind, by nature, denies what he sees and imagines not. Had he not seen the serpent walking on its abdomen, he would not have been able to imagine there are beings walking on other organs than the feet, and so on. So, beware of denying anything of the wonders of the Day of Judgement just depending on its difference and unfamiliarity in comparison with the things of this world. Indeed, had you not seen the wonders in this world, and they had been offered to you before you saw them, you would hasten to deny them.

Concerning The Sweat

Remember in this respect the extremely big crowd in the mustering land of

the creatures from the seven heavens and the earths, and what between them, from the first to the last generations of creation. Then, the sun would rise upon them with its scorching heat multiplied many times, and be brought at a distance of but two bow-lengths or (even) nearer to the heads of the people. There would be then no shade on the land other than the shade of the Lord of the worlds, therewith none would shade himself but those made near to Him. Then, the creatures would thrust each other, forced by throng and scorching heat, and shyness of being put to scandal and shame, at the time of presentation before the Compeller of the heavens and the earth. From the combination of the blaze of sun, the scorching heat of breaths, and the hearts burning with the fire of shyness and fear, sweat would flood from the root of each hair until it would flow on the plain ground of resurrection and rise up to their bodies, each according to his/her position and status with Allah Almighty: Some up to their knees, others to their waists, others to their breasts, and others to their earlobes, and so on.

In confirmation of that, it is reported on the authority of Ibn Umar "Allah be pleased with them" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It is the Day on which the people would stand to the Lord of the worlds, until anyone of them would sink in his sweat up to the half of his earlobes." (Al-Bukhari and Muslim).

It is further reported on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "On the Day of Judgement, the people would sweat so much that their perspiration would flow on the ground as much as seventy cubits, in which they would sink up to their chins." (Al-Bukhari and Muslim).

According to another narration, the Prophet "peace be upon him" said: "They would keep standing, with their eyes fixedly staring up to the sky as long as forty years, until they would sink in their sweat out of their severe distress." (Ibn Adi on the authority of Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him").

It is reported on the authority of Uqbah Ibn Amir "Allah be pleased with him" that he said: The Prophet "peace be upon him", said: "On the Day of Judgement, the sun would come close to the earth so much that the people would sweat (each according to his status): Some up to their heels, others up to the half of their legs, others up to their knees, others up to their thighs, others up to their waists, others up to their mouths where (beckoning with his hand) it would rein them, and others would be entirely covered by sweat." He struck with his hand over his head as such. (Ahmad).

Think, O poor, about that severe sweat and hard suffering of the people of resurrection to the extent that one might invoke: "O Lord! Relieve me of that distress and waiting even if it is to lead me to the fire of Hell!" so far, the reckoning has not started yet. You would be one of those and you do not know to which extent you would sink in sweat. You should know that every sweat you have not sweated because of your trouble in the Cause of Allah Almighty, through Hajj, Jihad, prayer, fasting, standing (at night for supererogatory prayer), fulfilling the needs of Muslims, enduring the difficulty of enjoining what is right and forbidding what is evil, you would sweat it

because of shyness and fear on the Day of Judgement. Were mankind to be safe from ignorance and haughtiness, he would know that the sweat of trouble he receives in the acts of worship in this world is very easier and shorter than the sweat of distress and suffering from the long waiting he would receive in the hereafter.

CHAPTER THREE

ACCOUNT OF THE DURATION OF THE DAY OF RESURRECTION

Allah Almighty says: "A Day when (all) mankind will stand before the Lord of the Worlds." (Al-Mutaffiffin 6)

﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾

In their comment on that, Ka'b and Qatadah said: "They would keep standing for three hundred years."

It is reported on the authority of Abdullah Ibn Umar "Allah be pleased with them" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" recited: "A Day when (all) mankind will stand before the Lord of the Worlds" and then said: "What do you think if you are gathered by Allah Almighty in the same way as arrows are gathered in a quiver for fifty thousand years, during which He would not look at you?" [At-Tabarani).

According to Al-Hassan: "What do you think of a day on which people would keep standing on their feet for fifty thousand years, during which they would neither eat nor drink, until when they would be given to severe hunger and thirst , they would be taken to the fire of Hell to drink from its boiling hot spring?"

They will suffer such distress and trouble to the extent that they will not be able to bear or stand. Then the people will say: "Don't you see what state you have reached? Won't you look for someone who can intercede for you with your Lord?" Some people will say to others: "Go to Adam." So they will go to Adam and say to him: "You are the father of mankind; Allah created you with His Own Hand, and breathed into you from His Spirit; and ordered the angels to prostrate before you; so (please) intercede for us with your Lord. Don't you see in what state we are? Don't you see what condition we have reached?" Adam will say: "Today my Lord has become angry as He has never become before, nor will ever become thereafter. He forbade me (to eat of the fruit of) the tree, but I disobeyed Him. Myself! Myself! Myself! Go to someone else; go to Noah." So they will go to Noah and say (to him): "O Noah! You are the first Messenger sent by Allah to the people of the earth, and Allah has named you a thankful slave; (please) intercede for us with your Lord. Don't you see in what state we are? Don't you see what condition we have reached?" He will say: "Today my Lord has become angry as He has never become before, nor will ever become thereafter. I had (in the world) the right to make one definitely accepted invocation, and I made it against my nation. Myself! Myself! Myself! Go to someone else; go to Abraham." They will go to Abraham and say: "O Abraham! You are Allah's Apostle and His bosom friend from among the people of the earth; so (please) intercede for us with your Lord. Don't you see in what state we are? don't you see what condition

we have reached?" He will say to them: "My Lord has today become angry as He has never become before, nor will ever become thereafter. I had told three lies (in the world). Myself! Myself! Myself! Go to someone else; go to Moses." The people will then go to Moses and say: "O Moses! You are Allah's Apostle and Allah gave you superiority above the others with this message and with His direct Talk to you; (please) intercede for us with your Lord. Don't you see in what state we are? Don't you see what condition we have reached?" Moses will say: "My Lord has today become angry as He has never become before, nor will ever become thereafter. I killed a person whom I had not been ordered to kill. Myself! Myself! Myself! Go to someone else; go to Jesus." So they will go to Jesus and say: "O Jesus! You are Allah's Apostle and His Word, which He sent to Mary, and a superior soul created by Him, and you talked to the people while still young in the cradle. (Please) intercede for us with your Lord. Don't you see in what state we are? don't you see what condition we have reached?" Jesus will say: "My Lord has today become angry as He has never become before nor will ever become thereafter." Jesus will not mention any sin, but will say: "Myself! Myself! Myself! Go to someone else; go to Muhammad." So they will come to me and say: "O Muhammad! You are Allah's Apostle and the last of The Prophets, and Allah forgave your earlier and later sins. (Please) intercede for us with your Lord. Don't you see in what state we are? Don't you see what condition we have reached?"" The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" added: "Then I will go beneath Allah's Throne and fall in prostration before my Lord. Then Allah will guide me to such praises and glorifications to Him as He has never guided anybody else before me. Then it will be said: "O Muhammad! Raise your head. Ask, and you will be granted. Intercede and it (your intercession) will be accepted.'"" (Muslim on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him").

It should be known to you that the more one's wait in this world for death out of patience on leaving pleasures and delights, the short his waiting would be on that day in particular.

In confirmation of that, when the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked about the duration of that day, he said: "By Him in Whose Hand is my soul, it would be alleviated on the faithful believer (no matter how long it might be) until it would seem to him easier than the obligatory written prayer he performs in this world." (Abu Ya'li and Al-Baihaqi on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri).

So, strive your utmost to be of those faithful believers on whom its difficulties would be alleviated. As long as you still are living, it is up to you to get ready for that. Work in short days for long ones, if you keep patient for the whole of your lifetime, say one hundred years on average, in order to rescue yourself from the trouble of suffering of a day whose duration would be as long as fifty thousand years, of a surety, you would be a great winner.

CHAPTER FOUR

ACCOUNT OF THE DAY OF JUDGEMENT, ITS TERRORS AND NAMES

Get ready, O poor, with the utmost of your power and capacity, for that Day

of Resurrection, that would be very long, and its time has become very close, although people feel not. It is the day When the Sky is cleft asunder, the Stars are scattered, the Oceans are suffered to burst forth, the Graves are turned upside down: (Then) shall each soul know what it has sent forward and (what it has) kept back. It is the day When the Sky is rent asunder, And hearkens to (the Command of) its Lord, and it must needs (do so), and the Earth is flattened out, And casts forth what is within it and becomes (clean) empty, And hearkens to (the Command of) its Lord, and it must (needs do so): (then will come home the full Reality). It is a day When the sun (with its spacious light) is folded up, the stars fall, losing their luster, the mountains vanish (like a mirage), the she-camels, ten months with young, are left untended, the wild beasts are herded together (in human habitations), the oceans boil over with a swell, the souls are sorted out, (being joined, like with like), the female (infant), buried alive, is questioned, For what crime she was killed, the Scrolls are laid open, the World on High is unveiled, the Blazing Fire is kindled to fierce heat, And the Garden is brought near: (Then) shall each soul know what it has put forward.

It is the day When the Earth is shaken to its (utmost) convulsion, And the Earth throws up her burdens (from within), On that Day will it declare its tidings: For that your Lord will have given her inspiration. On that Day will men proceed in companies sorted out, to be shown the Deeds that they (had done). Then shall anyone who has done an atom's weight of good, see it! And anyone who has done an atom's weight of evil, shall see it. It is the day when the earth is moved, and its mountains, and they are crushed to powder at one stroke, On that Day shall the (Great) Event come to pass, And the sky will be rent asunder, for it will that Day be flimsy, And the angels will be on its sides, and eight will, that Day, bear the Throne of your Lord above them. That Day shall you be brought to Judgment: not an act of yours that you hide will be hidden. On that day, the mountains would be removed, and you will see the earth as a level stretch, and all of them shall be gathered , all together, and none of them will be left.

It is the day when the earth shall be shaken to its depths, And the mountains shall be crumbled to atoms, Becoming dust scattered abroad. It is a day when men will be like moths scattered about, And the mountains will be like carded wool. On that day, every mother giving suck shall forget her suckling babe, and every pregnant female shall drop her load (unformed): you shall see mankind as in a drunken riot, yet not drunk: But dreadful will be the Wrath of Allah Almighty. On that day the Earth will be changed to a different Earth, and so will be the Heavens, and (men) will be marshalled forth, before Allah, the One, the Irresistible.

On that day the Mountains will be uprooted and scatter as dust, and be left as plains smooth and level. Nothing crooked or curved will you see in their place. On that Day will they follow the Caller (straight): No crookedness (can they show) him: All sounds shall humble themselves in the Presence of (Allah) Most Gracious: Nothing shall you hear but the tramp of their feet (as they march). On that Day shall no intercession avail except for those for whom permission has

been granted by (Allah) Most Gracious and whose word is acceptable to Him. On that day, you see the mountains and think them firmly fixed: but they shall pass away as the clouds pass away. On that day, the sky is rent asunder, and it becomes red like ointment, whereas no question will be asked of man or Jinn as to his sin. On that day, every soul will be confronted with all the good it has done, and all the evil it has done, it will wish there were a great distance between it and its evil.

It is the day whose mention made hoary the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" when Abu Bakr As-Siddiq "Allah be pleased with him" asked him: "I see that you have grown hoary O Messenger of Allah (what is the matter)?" He said: "The (Surah of) Hud and its sisters (in which the Day of Judgement is mentioned with its terrors) have made me hoary." (At-Tirmidhi and Al-Hakim and rendered Hassan and Sahih).

The Day of Judgement is mentioned in the Quran with different names. But the lots of names should not divert us from their meanings, since the purpose of this chapter is just to open the minds to the mysteries and secrets of each one of them. So, you should be eager to know well their meanings.

It is the Day of judgement, the Day of grief, the Day of regret, the Day of reckoning, the Day of questioning, the Day of race (to good), the Day of calling to account, the Day of competition, the Day of earthquake, the Day of obliteration, the Day of swoon, the Day of reality, the Day of calamity, the Day of violent commotion, the Day of Overwhelming (Event), the day of resurrection to come very near, the day of the great event, the day of the devastating (event), the day of the Deafening Noise, the day of meeting together, the day of departure, the day of being brought together (to Allah), the day of exacting retribution, the day of calling each other, the day of punishment, the day of return (to Allah), the day of deciding the cases, the day of recompense, the day of flight, the day of abidance, the day of trial, the day of weeping, the day of mustering, the day of threat, the day of presentation (before the Lord Almighty), the day of balance, the day of truth, the day of gathering, the day of raising (the dead), the day of conquest, the day of disgrace. It is also a great day, a difficult day, a terrible day. It is the day of retribution, the day of certainty, the day of resurrection, the day of destiny, the day of sounding the trumpet, the day of the blast, the day of tremble, the day of deterrence, the day of intoxication, the day of terror, the day of the end of the journey, the day of the fright, the day of shelter, the day of appointment, the day of the place of return, the day of watching, the day of anxiety, the day of perspiration, the day of neediness (to Allah), the day of denial (of each other), the day of splitting, the day of standing, the day of coming out, the day of eternity, the day of mutual gain and loss...to the end of this series of names.

Woe to all the people in general, and to us, Muslims, from among them in particular: it is to us, apart from the people, that the chief of Messengers and Prophets "peace be upon him" was sent, and on him the Holy Book was revealed, in which Allah Almighty tells us about all those attributes of the Day of Recompense, and then informs us about our heedlessness saying: "Closer and

closer to mankind comes their Reckoning: yet they heed not and they turn away. Never comes (aught) to them of a renewed Message from their Lord, but they listen to it as in jest." (Al-Anbiya 1-2)

﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ ﴾

Then, He informs us about the nearness of the Day of Judgement saying: "The Hour (of Judgment) is nigh, and the moon is cleft asunder. But if they see a Sign, they turn away, and say, "This is (but) transient magic."" (Al-Qamar 1-2)

﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝ ﴾

The best thing we do is to recite that Qur'an which does not go beyond our throats, without considering its meanings and warnings. We seek refuge with Allah form that heedlessness, and ask him to deliver us with His extensive mercy.

CHAPTER FIVE
ACCOUNT OF INTERROGATION

Think, O poor, after those terrors and frights, about the moment you would be questioned directly by Allah Almighty with no interpreter between you and Him, about all of your deeds, their significant and insignificant, much and little, major and minor. While you are in the thick of the distresses and calamities of the resurrection, behold! Angels of formidable bodies and huge persons would descend from the openings of the sky, with the command to take hold the sinners and criminals by their forelocks and drive them to be presented before Allah the Compeller to question them about their sins.

In this respect, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah Almighty has an angel (whose body is so much huge that) the distance in between his eyelids is as long as a one hundred-year journey."

What do you think then about yourself, if you see those angels coming to take you by your forelock to the standing of presentation? But in spite of their hugeness, they would be submissive to the terror of that day, feeling the wrath and anger of Allah Almighty on (the sinners and criminals among) His servants. When they descend, there would be no Prophet, nor a sincere lover and affirmer of truth, nor a righteous but that he would fall in prostration to his chin, for fear he might be intended. That would be the state of the closest among the creatures to Allah Almighty. Then, what to you think about the disobedient sinners? At that time, out of the severe terror, some people would hasten to ask those angels: "Is our Lord among you?" but the angels would be scared by their question, out of deeming their Creator Almighty far beyond being among them. They would call: "Exalted be our Lord! It is not consonant with His Majesty to be among us. But He is going to come after us."

Then, the angels would stand in a row surrounding the creatures from all sides, and all of them would have the mark of submission, fear and humiliation. At that time, Allah Almighty fulfills His statement: "Then shall We question those to whom Our Message was sent and those by whom We sent it. And verily

We shall recount their whole story with knowledge, for We were never absent (at any time or place)." (Al-A'raf 6-7)

﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝ ﴾

And: "Therefore, by your Lord, We will, of a surety, call them to account, For all their deeds." (Al-Hijr 92-93)

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ ﴾

Then, He Almighty would start with the Messengers and Prophets "peace be upon them" in confirmation of His statement: "One day will Allah gather the Messengers together, and ask: "What was the response you received (from men to your teaching)?" They will say: "We have no knowledge: it is You who know in full all that is hidden." (Al-Ma'idah 109)

﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝ ﴾

Then, Noah "peace be upon him" would be invited and asked: "Have you reported the message?" He would answered in the affirmative. His people would be invited and asked:"Has he conveyed to you the message?" they would say: "No warner has ever come to us."

Then, Jesus "peace be upon him" would be brought and asked: "O Jesus the son of Mary! did you say unto men, 'Worship me and my mother as gods in derogation of Allah'?" He will say: "Glory to You! never could I say what I had no right (to say). Had I said such a thing, You wouldst indeed have known it. You know what is in my heart, though I know not what is in Your. For You know in full all that is hidden. Never said I to them aught except what You did command me to say, to wit, 'Worship Allah, my Lord and your Lord'; and I was a witness over them whilst I dwelt amongst them; when you did take me up you was the Watcher over them, and You are a witness to all things. If You do punish them, they are Your servants: if You do forgive them, You are the Exalted in power, the Wise." (Al-Ma'idah 116-118)

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ ﴾

After long years of waiting and suffering, the angels would come and call the people one by one to come to be presented before their Lord Almighty. All of them would tremble in awe of the moment, and some people would wish to be taken to the fire in order for their evils deeds not to be presented before the Compeller, and their shame not exposed in front of all the people. Before questioning, the Light of the Throne (of Majesty) would rise and the whole earth would then shine by the Light of the Lord Almighty, and every servant would become certain of the coming of the Compeller to question him, and everyone

would think that it is he alone who would be taken by question.

Then, Allah Almighty would say to Gabriel "peace be upon him": "O Gabriel! Bring the fire of Hell." He would go to Hell and say to it: "O Hell! Answer the invitation of your Lord and Creator Almighty." Then, its keepers would jump and rush out of anger on the sinners who disobeyed Allah Almighty. That would be after it has blown out for the first time. When it blows out for the second time, the people would grow more fearful and scared, thinking they would be seized and taken to it. Then, when it blows out for the third time, they would fall down prone on their faces, with their eyes fixedly staring, in expectation for what would occur to them.

Then, Allah Almighty would turn to the Messengers "peace be upon them" and ask them: "What answer have you received (from your nations)?" At that moment, the people in general, and the disobedient among them in particular, would be given to a great terror, to the extent that the parent would flee away from his child, the brother from his brother, the husband from his wife, and so on. Then, one by one would be taken and questioned by Allah Almighty about his deeds, and about what he has done in public and secret.

In this respect, it is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that they (the Companions) said: "O Messenger of Allah, will we be able to see our Lord on the Day of Judgment?" He said: "Do you feel any difficulty in seeing the sun at noon when there is no cloud over it?" They said: "No." He said: "Do you feel any difficulty in seeing the moon on the fourteenth night when there is no cloud over it?" They said: "No." Thereupon he said: "By Allah Who is One in Whose Hand is my life. you will not face any difficulty in seeing your Lord but only as much as you feel in seeing one of them. Then Allah would sit in judgment upon the servant and would say: 'O, so and so, did I not honour you and make you the chief and provide you the spouse and subdue for you horses, camels, and afforded you an opportunity to rule over your subjects?' He would say: 'Yes.' It would be said: 'Did you not think that you would meet Us?' He would say: 'No.' He (Allah) would say: 'Well, We forget you as you forgot Us.'" (Al-Bukhari and Muslim, and the addition is reported by Muslim only).

Think, O poor, about yourself when you would be questioned as such, and if you deny, your organs would bear witness against you:

It is narrated on the authority of Anas Ibn Malik "Allah be pleased with him" that he said: We were in the company of The Messenger of Allah "peace be upon him" when he smiled and said: "Do you know why I have laughed?" We said: "Allah and His Messenger know best." Thereupon he said: "It is because of the (fact that I remembered the) talk which the servant would have with his Lord (on the Day of judgment). He would say: 'O My Lord, have you not guaranteed me protection against injustice?' He would say: 'Yes.' Then the servant would say: 'I do not deem valid any witness against me but my own self.' He would say: 'Well, enough would be the witness of your self against you and that of the two angels who had been appointed to record your deeds.' Then the seal would be set upon his mouth and it would be said to his hands and feet to speak and they would speak of his deeds. Then the mouth would be made free to talk, and he would say (to the hands and feet): 'Be away, let there be

curse of Allah upon you. It was for your safety that I have contended.'" (Muslim).

We seek refuge with Allah Almighty from being given to disgrace in front of the people by the witness of our organs against us. But, on the other hand, Allah Almighty promised to conceal the misdeeds of the faithful believers and safeguard him from being put to that shame in front of anyone.

In this respect, it is narrated on the authority of Safwan Ibn Muhriz that a person said to Ibn Umar "Allah be pleased with both": How did you hear The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" as saying something about the private conversation (to be between a servant and his Lord)?" He said: I heard him say: A believer will be brought to his Lord "Exalted and Glorified be He" on the Day of Resurrection and He would place upon him His veil (of Light) and make him confess his faults and say: 'Do you recognize (your faults)?' He would say: 'O my Lord, I do recognize (them).' He (the Lord) would say: 'I concealed them for you in the world, and today I forgive them for you.' He would then be given the Book containing (the account of his) good deeds. As far as the non-believers and hypocrites are concerned, there would be general announcement about them before all creation telling them that these (people, i.e. non-believers and hypocrites) told a lie about Allah Almighty." (Muslim).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Whoever conceals a defect of a believer on him (in this world), Allah Almighty would conceal his defect on the Day of Judgement."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "There is no servant of you but that he would be questioned by Allah Almighty with no interpreter nor a veil between them." (Ibn Adi).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "When anyone of you would meet Allah, he will meet Him without an interpreter between him and Allah to interpret for him, and Allah will say to him: "Didn't I send a messenger to teach you?" He will say: "Yes." Allah will say: "Didn't I give you wealth and do you favors?" He will say: "Yes." Then he will look to his right and see nothing but Hell, and look to his left and see nothing but Hell. So, Save yourself from the (Hell) Fire even with half a date (to be given in charity) and if you do not find half a date, then with a good pleasant word." (Al-Bukhari on the authority of Adi Ibn Hatim).

Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" said: "There would be none of you but that Allah Almighty would meet him alone, in the same way as anyone of you becomes alone with the moon on the night when it is full. Then He would say to him: "O mankind! What has deceived you about me? O son of Adam! What have you done in what you have learnt? O mankind! What answer have you given to the Messengers? O mankind! Have I not been a watcher over your eyes while looking therewith at what was unlawful for you? Have I not been a watcher over your ears..." and so on until he counted all his organs.

According to Mujahid: "No foot of a servant would ever move from the presence of Allah Almighty until he is questioned about four things: His lifetime: In which thing he has consumed it; his knowledge: what he has done with it; his property: from which sources he has earned it, and in which things he has spent

it; and his body: In which he has utilized it"; (and according to another version "and about his youth: in which he has exhausted it").

CHAPTER SIX
ACCOUNT OF THE BALANCE (OF DEEDS)

While you are in meditation, do not be heedless of the balance of deeds and acts, and how the records would scatter about in order for the people to receive, some in their right hands and others in their left hands. That is because after reckoning, the people would be divided into three: Some would have no good deeds at all: Then, a black neck would come out of the fire and pick them up in the same way as a bird picks up grains and then throw them into the fire, which would swallow them, and they would be addressed: "Let you be in wretchedness after which you would receive no happiness."

The second division are those who would have no misdeeds, thereupon they would be addressed: "Let those who praise Allah in whichever state they are stand!" they would stand and be driven to Paradise; and the same would be done to those who stand at night (for supererogatory prayers), and then with those whom neither trade nor transaction in this world divert from the remembrance of Allah Almighty. They would be addressed: "Let you be in happiness after which you would experience no wretchedness."

The third division, which constitutes the majority of people, stands for those who mix a good deed with a misdeed. Although it is perfectly known to Allah Almighty which of their good deeds or misdeeds prevail over the other, but He Almighty would like to let them know that, in order that they would learn His great favor upon them should He forgive for them, and His justice should He punish them. At that time, the records would scatter about, containing both good deeds and misdeeds, and the balance would be set up. The sights would remain fixedly staring at the records, as to whom of them would receive his own record with his right hand, and who with his left hand, and then to the balance beam, as to the side of the misdeeds or to that of the good deeds it would incline. That is a state in which people would become reckless and lose their minds.

It is narrated on the authority of Al-Hassan from A'ishah "Allah be pleased with her" that once the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" placed his head in her lap and then fell asleep. Then, she remembered the hereafter thereupon she went on weeping so much that her tears flowed and dropped on his cheek. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" got up and asked her: "What does cause you to weep O A'ishah?" She said: "I remembered the hereafter thereupon I went on weeping: will you remember your families on the Day of Judgement?" The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There are three positions, at which no one of the people will remember but himself: when the weighing scale of deeds are set up until he knows whether his balance of good deeds will be light or heavy; on receiving the record (of deeds), when one will say: "Ah here! Read ye my Record!" until he knows the place of his record, and whether he will receive it with his right or left hand, or from his back; and on Sirat (placing the bridge over Hell)." (Abu Dawud).

It is reported on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: "On the Day of Judgement, the son of Adam would be brought and made to stand between both weighing scales, and an angel would be entrusted to him. If the scale of his good deeds is too heavy to overweigh, the angel would call so loudly that all the people would hear him: "So and so, son of Adam has become happy, after which he would receive no wretchedness." But if it is too light to overweigh, he would call so loudly that all the people would hear him: "So and so, son of Adam has become wretched, after which he would receive no happiness." when scales of good deeds are light, the angels of punishment would come having rods of iron and wearing dresses of fire, and take the portion doomed to the fire into the fire of Hell."

It is further narrated on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him" that he said: The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah will say (on the Day of Judgement): "O Adam!" Adam will reply: "Yes, I am responding to your call, and all goodness be in Your Hand." Allah will say: "Bring out the people of the fire." Adam will say: "O Allah! How many are the people of the Fire?" Allah will reply: "From every one thousand, take out nine-hundred-and ninety-nine." At that time children will become hoary-headed, every pregnant female will have a miscarriage, and one will see mankind as drunken, yet they will not be drunken, but dreadful will be the Wrath of Allah." The companions of The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" asked: "O Allah's Apostle! Who is that (excluded) one?" He said: "Rejoice with glad tidings; one person will be (selected to enter Paradise) from you and one-thousand will be (selected to enter the Hell fire) from Gog and Magog."

The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "By Him, in Whose Hands my life is, I hope that you will be one-fourth of the people of Paradise." We praised and magnified Allah. He added: "By Him, in Whose hand my life is! I hope that you will be one-third of the people of Paradise." We praised and magnified Allah. He said: "By Him, in Whose hand my life is! I hope that you will be half the people of Paradise." We praised and magnified Allah. He further said: "The example of you (Muslims compared in number) with the other nations (of non-Muslims) is like a white hair in the skin of a black ox, or like a round hairless spot on the foreleg of a donkey." (Al-Bukhari and Muslim).

CHAPTER SEVEN

ACCOUNT OF FOES AND REMOVAL OF INJUSTICES

Now, you have come to know the terror and danger of the balance, and how the eyes would keep fixedly staring to the balance beam in order to see to which direction it would incline: Then, he whose balance (of good deeds) will be (found) heavy, Will be in a Life of good pleasure and satisfaction, But he whose balance (of good deeds) will be (found) light, Will have his home in a bottomless Pit, which is a Fire blazing fiercely.

It should be known to you that none would be saved from the balance of deeds but he who accounted himself in this world, and weighed his acts and deeds on the measure of Sharia. Umar "Allah be pleased with him" said: "Reckon

yourself (in this world) before you would be reckoned (in the hereafter), and weigh your deeds before they would be weighed."

To reckon oneself is to turn to Allah in sincere repentance before death and give up all sins and crimes he did, to complete what he indulged in concerning the obligatory deeds, to give back all injustices he committed, and seek clearance from everyone whom he harmed or abused, until when he dies, there would remain no injustice nor an obligatory duty due on him: such would enter Paradise without reckoning, unlike him who dies before giving back the injustices: in which case he would be encircled by his foes who would demand their rights from him. Such being the case, and you are unable to avert them from yourself, as you used to do in this world, behold! Allah the Compeller would call publicly: "Today, every soul would be recompensed with that which it earned, and there would be no injustice." At that time, you would get so much frightened, and recall what Allah Almighty said to you on the tongue of His Messenger "peace be upon him": "Think not that Allah does not heed the deeds of those who do wrong. He but gives them respite against a Day when the eyes will fixedly stare in horror. They are running forward with necks outstretched, their heads uplifted, their gaze returning not towards them, and their hearts a (gaping) void! So warn mankind of the Day when the Wrath will reach them: then will the wrong-doers say: "Our Lord! respite us (if only) for a short Term: We will answer Your Call, and follow the Messengers!" "What! were you not wont to swear aforetime that you should suffer no decline?"" (Ibrahim 42-44)

﴿ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ﴿٤٤﴾ ﴾

Then, your deeds which you troubled yourself and strove your utmost to do along your lifetime would be taken from you and given to your foes in recompense for their rights they have on you.

It is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "peace be upon him" said: "Do you know who is the bankrupt?" They said: "The bankrupt among us is one who has neither money with him nor any property." He said: "The real bankrupt of my Ummah would be he who would come on the Day of Resurrection with prayer, fasting and charity, (but he will find himself bankrupt on that day as he will have exhausted the good deeds) because he reviled others, brought calumny against others, unlawfully devoured the wealth of others, shed the blood of others and beat others; so his good deeds would be credited to the account of those (who suffered at his hand). If his good deeds fall short to clear the account, their sins would be entered in his account and he would be thrown in the (Hell) Fire." ("(Muslim).

Consider then your situation on that day. You could hardly find a good deed to remain pure for you from the evil of showing off, and even if you could find it, your foes would hasten to take it in fulfillment of their rights on you. How should you hope for salvation from all injustices you have committed during your entire life only on one day on which even the hornless would exact retribution

from the horned of sheep?

It is narrated on the authority of Abu Dharr "Allah be pleased with him" that once the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saw two sheep goring each other, thereupon he said: "O Abu Dharr! Do you know for which reason those are goring each other?" I said: "No." on that he said: "But Allah Almighty knows well and He will judge between them on the Day of Judgement." (Ahmad).

In his comment on the following statement of Allah Almighty: "There is not an animal (that lives) on the earth, nor a being that flies on its wings, but (forms part of) communities like you. Nothing have We omitted from the Book, and they (all) shall be gathered to their Lord in the end" (Al-An'am 38)

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

Abu Hurairah "Allah be pleased with him" said: "All creatures would be mustered, all together on the Day of Judgement, and it would be out of perfect justice of Allah Almighty that the hornless would be enabled to exact retribution from the horned one, after which He would command all to turn into dust. That would be at the very moment the disbeliever would say: "Would that I become dust!"

So, beware, O poor, of the day on which you would find your good deeds omitted from your record, and when you ask about that, you would be told that they have gone to your foes whom you wronged in this world. You would also find in your record misdeeds which you have never committed, and others which you strove your utmost to avoid and avert from yourself, and when you ask about them, you would be told that those belong to your foes whom you oppressed in the world, and since your good deeds fall short of recompense, their misdeeds have been transferred to your account.

It is narrated on the authority of Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Indeed, Satan has despaired that idols be worshipped in the Arab Peninsula. But meanwhile, he has been satisfied from you with what is less than that, i.e. only the trivial sins, which are destructives. So, safeguard yourselves from injustice as much as you could. Indeed, the servant might come on the Day of Judgement with acts of worship as much as mountains, thinking they would deliver him (from punishment). But the servants continue to come upon him in succession: One saying: 'O Lord! So and so has committed an injustice against me', thereupon Allah would say: "Omit from his good deeds', and so on until nothing of his good deeds would remain for him. The example of such is like a group of travelers who descended in a desert, and they had no fire wood with them. They scattered about and collected fire wood and then kindled a great fire, and did what they liked to do." (Ahmad and Al-Baihaqi for the last portion; and Muslim on the authority of Jabir for the first portion).

It is further reported that when the following was revealed: "Truly you will die (one day), and truly they (too) will die (one day). In the End will you (all), on

the Day of Judgment, settle your disputes in the presence of your Lord." (Az-Zumar 30-31)

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝ ﴾

Az-Zubair "Allah be pleased with him" said: "O Messenger of Allah! Would our disputes in this world be repeated on us once again in the hereafter?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Yes, your disputes would be repeated on you until everyone would take his right that is due to him." (Ahmad and At-Tirmidhi).

It is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" having said: "On the Day of Judgement, the servants would be mustered by Allah Almighty as naked and covered with dust, and they would have such and such." We asked: "What is such and such?" he "peace be upon him" said: "They would have nothing. Then, their Lord Almighty would call them with a voice audible to all of them, be they far or near, saying: "I am the Sovereign! I am the One to Whom all the creatures owe favor! It is not fitting for anyone among the inhabitants of Paradise to enter Paradise, nor for anyone among the denizens of the fire upon whom an injustice is due until I take the legal retribution from him; and it is not fitting for anyone among the denizens of the fire to enter the fire (of Hell) nor for anyone among the inhabitants of Paradise, on whom an injustice is due until I take legal retribution from him."" We said: "How is that given that we would come to Allah Almighty as naked and covered with dust?" he "peace be upon him" said: "You would have good deeds and misdeeds." (Ahmad on the authority of Ubaidullah Ibn Unais).

So, fear Allah, O servants of Allah, and safeguard yourselves from committing injustices against the people, by usurpation of their property with no just cause, dishonoring them, harming them, or ill-treating them. If one has committed a lot of injustices against others from which he liked to repent, and it is difficult on him to take clearance from those whom he wronged, let him increase his good deeds for the day of legal retribution, and do some good deeds in secret, i.e. between him and Allah Almighty, perchance he would come close to Allah Almighty, and obtain His kindness and favor which He keeps for such as forgive others.

It is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that while the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was sitting he smiled so much that his front teeth were visible. Umar asked him: "What causes you to weep O Messenger of Allah? Let my father and mother be sacrificed for you." He "peace be upon him" said: "Two men of my Ummah knelt in front of Allah, the Lord of Honor, and one of them said to Him: "O my Lord! Take back my injustice from my brother." Allah Almighty said: "Give back your brother his injustice." He said: "O Lord! Nothing of his good deeds has remained with him." Allah Almighty said to the petitioner: "Then, what do you do and nothing of his good deeds has remained with him?" he said: "O Lord! Then, let him take some of my sins." On that the eyes of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" shed tears and said: "That would be a great day, on which

the people would need that others should take from their sins." Then, he resumed: Allah Almighty said to the petitioner: "Raise your head and look at those gardens." He raised his head and said: "O Lord! I see lofty towers of silver and palaces of gold decked with pearl. For any of the Prophets, affirmers and lovers of truth or martyrs have those been kept?" Allah said: "For him who would give Me the price." The man said: "O Lord! Who could afford for that?" Allah said: "You have the price of that." he said: "What is that?" He said: "Your forgiveness of your brother." He said: "O Lord! I have forgiven him." Allah said: "Then, take hold of the hand of your brother and admit him to Paradise." Then the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Fear Allah and mend what is between you, for Allah mends what is between the believers." (Ibn Abu Ad-Dunya and Al-Hakim).

CHAPTER EIGHT: ACCOUNT OF SIRAT

Having meditated in all of those terrors and risks, move with your reflection to the Sirat (the bridge to be held over Hell), in connection with which Allah Almighty said: "The day We shall gather the righteous to (Allah) Most Gracious, like a band presented before a king for honours. And We shall drive the sinners to hell, like thirsty cattle driven down to water, None shall have the power of intercession, but such a one as has received permission (or promise) from (Allah) Most Gracious." (Maryam 85-87)

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾

And: "Bring you up," it shall be said, "The wrong-doers and their wives, and the things they worshipped, Besides Allah, and lead them to the Way to the (Fierce) Fire! But stop them, for they must be asked." (As-Saffat 22-24)

﴿ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

Following those terrors, the people would be driven to the bridge that would be held over Hell. It is a path, sharper than a sword and thinner than a hair. Thus, whoever stands upright on the straight path in this world, would move easily and lightly on the bridge that is over Hell in the hereafter; and whoever swerves from the truth in this world, and overburdens himself with sins and crimes, would surely stumble with the first step he would take on the bridge of the hereafter.

Consider then your state while being over that bridge, seeing how many people would fall before and after you down to Hell. What would you do if your foot slips and your regret profits you not? Of a surety, you would wish you were not born in this world at all. If you do not believe in that, then, receive the news of your long stay in the company of the disbelievers in the deepest bottoms of Hell. If you believe in it, but are heedless of and indulgent in it, and do not get ready enough for it, then, what a great loss you would have. How should your faith avail you unless it stimulates you to seek the good pleasure of Allah Almighty by obeying Him and refraining from disobeying Him? Should you have

ahead of you no risk but that of the Sirat, then, it would suffice you for terror and horror.

It is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The Sirat (a bridge) will be laid across Hell and I (Muhammad) shall be the first amongst the Apostles to cross it with my followers. Nobody except the Apostles will then be able to speak and their speech then would be: "O Allah! Save us. O Allah Save us." There will be hooks like the thorns of Sa'dan in Hell. Have you seen the thorns of Sa'dan?" The people said: "Yes." He said: "These hooks will be like the thorns of Sa'dan, but nobody except Allah knows their greatness in size and these will entangle the people according to their deeds." (Al-Bukhari and Muslim).

It is further narrated on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The bridge will be laid across Hell. It is a slippery on which there are clamps and (Hooks like) a thorny seed that is wide at one side and narrow at the other and has thorns with bent ends. Such a thorny seed is found in Najd and is called As-Sa'dan. Some of the believers will cross the bridge as quickly as the wink of an eye, some others as quick as lightning, a strong wind, fast horses or she-camels; and some will pass walking, others crawling. So some will be safe without any harm; some will be safe after receiving some scratches, and some will fall down into Hell (Fire). The last person will cross by being dragged (over the bridge). As for the inhabitants of the fire who are doomed to abide therein forever: They would neither die nor live. Others (from among the Muslims) would be punished by their sins and mistakes, and burn until they would turn into coal before permission is given for intercession." (Al-Bukhari and Muslim).

It is narrated on the authority of Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah would gather the foremost and the last generations of people for the appointment on a well-known day. They would keep standing for forty years, during which their sights would remain fixedly staring towards the sky, in expectation for the decision of cases..." and he mentioned the Hadith up to the time the believers would fall in prostration and then said: "Then, He would say to the believers: 'Raise your heads.' They would do accordingly, thereupon He would give them their light each according to his deeds: One of them would be given his light as much as a mountain running ahead of him, one would be given his light less than that, one would be given his light like a date-palm, and one would be given his light less than that, until the last of them would be given his light as little as is in proportion to his big toe, which illuminates once and vanishes once, and whenever it illuminates, he would walk, and whenever it darkens, he would stop from walking.

They would pass on the bridge according to their light: Some as quickly as the wink of an eye, some others as quick as lightning, a strong wind, fast horses or she-camels; and some will pass walking, until the one whose light is as little as in

proportion to his big toe would pass crawling on his face, legs and hands, dragging them hardly and with great difficulty, and during his walk, fire would affect his sides. He would continue as such until he is delivered and once he is delivered he would stand and say: 'All perfect praise be to Allah, Who has given me what He has given none other than me, as He has saved me from it after He had let me see it.' Then, he would be taken to a stream at the gate of Paradise in order to take bath." (Ibn Adi and Al-Hakim).

It is further narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: I heard the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying: "The Sirat is as sharp as a sword or a hair. Verily, the angels would rescue believing men and women; and Gabriel "peace be upon him" would keep taking hold of me while I would be saying: "O Lord! Save us! Save us!" on that day, these who would slip, from among men and women, would be a lot." (Al-Baihaqi and Ahmad).

The longer and deeper one meditates in the terrors of that Sirat in this world, the closer he would be to salvation in the hereafter. To be sure, Allah never combines two fears over a servant: whoever fears those terrors in this world would be safe from them in the hereafter. By fear, I do not mean to weep once you hear about it and soon forget it. But whoever fears a thing should necessarily flee away from it, and whoever wishes for a thing should petition it. so, nothing saves you but the fear that prevents you from disobedience of Allah Almighty, and stimulates you to obey Him as much as is within your capacity.

If you fail to be sincere in your fear, then, at least, be sincere in your love for the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", eagerness to honor his Sunan, longing for observing the hearts of the righteous among his Ummah, and seeking blessing with their invocations, perchance you would get a share of his or their intercession and be saved by its virtue.

CHAPTER NINE: ACCOUNT OF INTERCESSION

It should be known to you that if fire has become due on some people, from among Muslims, Allah Almighty might accept intercession for them from the Prophets and sincere lovers and affirmers of truth, and even the intercession of the righteous and religious scholars among their people. Whoever has a fortune of good with Allah Almighty in this world shall have a due share of intercession with Him in the hereafter for his family, friends, companions and acquaintances. So, be eager to obtain for yourself the rank of their intercession. This requires you not to look down upon anyone of mankind, whatever he might be, for Allah Almighty has hidden His alliance among His servants, and it may be that whomever you despise is an ally and friend of Allah Almighty, nor regard with slightness any sin, no matter how trivial it might be, for Allah Almighty has hidden His wrath and anger in those sins, and it may be that the wrath of Allah lies in the sin you render insignificant, nor underestimate any act of worship, for Allah Almighty has hidden His good pleasure in the acts of worship, and it may be that His good pleasure lies in the act of worship which you take too lightly.

There are many Qur'anic Holy Verses and Prophetic narrations in support of intercession. Allah Almighty said: "And soon will your Guardian-Lord give you

(that wherewith) you shall be well-pleased." (Ad-Duha 5)

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝ ﴾

It is narrated on the authority of Amr Ibn Al-As "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" recited the statement of Allah on the tongue of Abraham "peace be upon him": "O my Lord! they have indeed led astray many among mankind; he then who follows my (ways) is of me, and he that disobeys me, but You are indeed Oft-Forgiving, Most Merciful." (Ibrahim 36)

﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾

And the statement of Allah on the tongue of Jesus "peace be upon him": "If You do punish them, they are Your servants: if You do forgive them, You are the Exalted in power, the Wise." (Al-Ma'idah 118)

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ ﴾

Then, he raised his hands towards the sky and said: "My Ummah! My Ummah!" Then, he went on weeping." Allah Almighty said to Gabriel "peace be upon him": "O Gabriel! Go and ask Muhammad what causes him to weep." Gabriel asked him and he told him, and Allah has better knowledge of him, thereupon He Almighty said to Gabriel: "O Gabriel! Go to Muhammad and tell him that 'We would please you concerning your Ummah, and never would we aggrieve you concerning them.' (Muslim on the authority of Abdullah Ibn Amr Ibn Al-As, and not Amr Ibn Al-As himself).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I have been given five (things) which were not given to anyone before me: Every Prophet was sent to his own people in particular, and I have been sent to all people, red and black; the war booty has been made lawful for me, and it was never made lawful for anyone before me; the earth has been made sacred, pure and place of prayer for me, so whenever the time of the Prayer comes upon anyone of you, he should pray wherever he is; I have been given victory by terror, (cast in the hearts of the enemy) from a distance (as long as covered in) a month; and I have been given intercession (in the hereafter)." (Al-Bukhari and Muslim on the authority of Jabir "Allah be pleased with him").

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "When it is the Day of Judgement, I would be the imam and spokesman of Prophets, and the master of their intercession, and I do not (say that in order to) boast." (At-Tirmidhi on the authority of Abu Hurairah; and Ibn Majah on the authority of Ubai Ibn Ka'b).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I would be the chief of mankind, of which I never boast; and I would be the first for whom the earth would split open to come out. I also would be the first intercessor and the first one whose intercession would be accepted. I would have the flag of praise in my hand, beneath which Adam and those behind him would be." (At-Tirmidhi and Ibn Majah on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him").

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Every Prophet has an invocation that should receive answer (from Allah Almighty) and (all the Prophets barring me utilized theirs, and) I like to keep my invocation in the form of intercession for my Ummah on the Day of Judgement." (Al-Bukhari and Muslim on the authority of Anas; and Muslim alone on the authority of Abu Hurairah).

It is narrated on the authority of Ibn Abbas "Allah be pleased with them" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Pulpits of gold would be set up for the Prophets (on the Day of Judgement) to sit on, and mine would remain empty and I would not sit on it for I would keep standing erect in front of my Lord, for fear I would be sent to Paradise and my Ummah would remain behind after me. Then, I would say: "O Lord! My Ummah!" Allah Almighty would say: "O Muhammad! What do you like Me to do with your Ummah?" I would say: "O Lord! Hasten on their reckoning." I would then keep interceding for them until I would be given written deeds to take out men who have already been sent to the fire (of Hell), (and they would be so much numerous) that Malik, the fire keeper would say to me: "O Muhammad! You have left none of your Ummah for the fire that is kindled out of wrath of your Lord." (At-Tabarani).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "ON the Day of Judgement, I would intercede for people more numerous than the stones and pebbles on the surface of the earth." (Ahmad and At-Tabarani on the authority of Buraidah).

It is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: Some (cooked) meat was brought to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and the meat of a forearm was presented to him as he used to like it. He took a morsel of it and said: "I will be the chief of all the people on the Day of Resurrection. Do you know the reason for it? Allah will gather all the human beings of early generations as well as late generations on one plain so that the announcer will be able to make them all hear his voice and the watcher will be able to see all of them. The sun will come so close to the people that they will suffer such distress and trouble as they will not be able to bear or stand.

Then the people will say: "Don't you see to what state you have reached? Won't you look for someone who can intercede for you with your Lord?" They will say to each other: "Go to Adam "peace be upon him"." So they will go to Adam and say to him: "You are the father of mankind; Allah created you with His Own Hand, and breathed into you of His Spirit (meaning the spirit which he created for you); and ordered the angels to prostrate before you; so (please) intercede for us with your Lord. Don't you see in what state we are? Don't you see what condition we have reached?" Adam will say: "Today my Lord has become angry as He has never become before, nor will ever become thereafter. He forbade me (to eat of the fruit of) the tree, but I disobeyed Him. Myself! Myself! Myself! (I am mainly concerned with my own problems). Go to someone else; go to Noah "peace be upon him"."

So they will go to Noah and say (to him): "O Noah! You are the first (of Allah's Messengers) to the people of the earth, and Allah has named you a thankful slave; please intercede for us with your Lord. Don't you see in what state we are?" He will say: "Today my Lord has become angry as He has never become nor will ever become thereafter. I had (in the world) the right to make one definitely accepted invocation, and I made it against my nation. Myself! Myself! Myself! Go to someone else; go to Abraham "peace be upon him"."

They will go to Abraham and say: "O Abraham! You are The Messenger of Allah and His intimate friend from among the people of the earth; so please intercede for us with your Lord. Don't you see in what state we are?" He will say to them: "My Lord has today become angry as He has never become before, nor will ever become thereafter. I had told three lies (Abu Hayyan (the sub-narrator) mentioned them in the Hadith) Myself! Myself! Myself! Go to someone else; go to Moses "peace be upon him"."

The people will then go to Moses and say: "O Moses! You are The Messenger of Allah and Allah gave you superiority above the others with this message and with His direct Talk to you; (please) intercede for us with your Lord. Don't you see in what state we are?" Moses will say: "My Lord has today become angry as He has never become before, nor will become thereafter. I killed a person whom I had not been ordered to kill. Myself! Myself! Myself! Go to someone else; go to Jesus "peace be upon him"."

So they will go to Jesus and say: "O Jesus! You are The Messenger of Allah and His Word which He sent to Mary, and a superior soul created by Him, and you talked to the people while still young in the cradle. Please intercede for us with your Lord. Don't you see in what state we are?" Jesus will say: "My Lord has today become angry as He has never become before nor will ever become thereafter." Jesus will not mention any sin, but will say: "Myself! Myself! Myself! Go to someone else; go to Muhammad "peace be upon him"."

So they will come to me and say: "O Muhammad ! You are The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and the last of The Prophets, and Allah forgave your earlier and later sins. (Please) intercede for us with your Lord. Don't you see in what state we are?"

The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" added: "Then I will go beneath Allah's Throne and fall in prostration before my Lord. And then Allah will guide me to such praises and glorifications to Him as He has never guided anybody else before me. Then it will be said: "O Muhammad! Raise your head. Ask, and you will be granted (what you ask for). Intercede and It (your intercession) will be accepted." So I will raise my head and Say: "My Ummah, O my Lord! My Ummah, O my Lord." It will be said: "O Muhammad! Let those of your Ummah, who have no reckoning, enter through such a gate of the gates of Paradise as lies on the right; and they will share the other gates with the people." The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "By Him in Whose Hand my soul is, the distance between every two gate-posts of Paradise is like the distance between Mecca and Himyar (in Yemen) or Mecca and Busra (in Sham)." (Al-Bukhari and Muslim).

That is the intercession of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". The righteous and religious scholars among his Ummah also will have their portion of intercession, of which the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The intercession of a man from among my Ummah would admit people to Paradise more numerous than (the tribes of) Rabie'ah and Mudar." (Al-Iraqi on the authority of Abu Umamah, and the people thought the man intended is Uthman Ibn Affan "Allah be pleased with him"; and Ibn Majah and Al-Hakim on the authority of Abdullah Ibn Abu Al-Jud'a, in which both tribes are replaced with Tamim).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "(On the Day of Judgement) it would be said to a man (from among my Ummah): "O so and so! Stand and intercede (for your people)." He would stand and intercede: (one for as much as) his tribe, (another for) his household, (another for) only one or two men, and so on, each according to his deed." (At-Tirmidhi on the authority of Abu Sa'id "Allah be pleased with him").

It is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "On the Day of Judgement, a man from among the inhabitants of Paradise would look at the denizens of fire, and a man from among the denizens of fire would call him: "O so and so! Do you recognize me?" He would say: "No, by Allah, I do not recognize you. Who are you?" He would say: "I am the one upon whom you came one day, when you were in the world, and asked for a sip of water, and I watered you." He would say: "Ah! I have recognized you." He would say: "Then, intercede, by it, for me with your Lord Almighty." He then would say to Allah Almighty: "I have indeed looked at the denizens of fire, and a man from among the denizens of fire called me: "O so and so! Do you recognize me?" I said: "No, by Allah, I do not recognize you. Who are you?" He said: "I am the one whom you asked for a sip of water in the world one day, and I watered you." I said: "Ah! I have recognized you." He said: "Then, intercede, by it, for me with your Lord Almighty." So, please, accept my intercession for him." Allah would accept his intercession for him, and he would be ordered to come out of the fire." (Abu Mansur Ad-Dailami).

It is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I would be the first of people to come out (of the grave) when they are raised; their spokesman when they come (to their Lord); who would give them glad tidings when they despair. On that day, the flag of praise would be in my hand; and I would be the most honored, from among the offspring of Adam, in the Sight of my Lord and I do not (say so in order to) boast." (At-Tirmidhi)

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I would stand in front of my Lord Almighty (on the Day of Judgement), thereupon I would be dressed in one of the dresses of Paradise. Then, I would stand on the right side of the Throne (of Majesty), and none of the creatures would ever be in that standing other than me." (At-Tirmidhi on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him").

It is narrated on the authority of Ibn Abbas "Allah be pleased with them" that he said: Some people from among the companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" sat in expectation for him. Then, he came out and when he was close to them he heard them speaking. He heard their talk. One of them said: "Wonder! Allah Almighty has taken one of His creatures as an intimate friend. He Almighty has taken Abraham "peace be upon him" as an intimate friend." Another said: "More amazing is His direct talk to Moses "peace be upon him"." A third said: "Jesus "peace be upon him" is the Word and Spirit of Allah Almighty." A fourth said: "Adam "peace be upon him" was also chosen by Allah." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" came out to them and greeted them with peace and said: "I have heard your speech. You admire the fact that Abraham is the intimate friend of Allah, and that is true; that Moses is the one to whom Allah spoke directly, and that is true; that Jesus is the Spirit and Word of Allah Almighty, and that is true; and that Adam was chosen by Allah Almighty, and that is true. Behold! I am the beloved of Allah Almighty, because of which I never boast; and I would be the carrier of the flag of praise on the Day of Judgement, because of which I never boast; and I would be the first intercessor and the first one whose intercession would be accepted on the Day of Judgement, because of which I never boast; and I would be the first to move the ring of the gate of Paradise, and it would be opened to me by Allah to enter along with the poor from among the believers, because of which I never boast; and I am the most honored of the foremost and last generations, because of which I never boast." (At-Tirmidhi).

CHAPTER TEN

ACCOUNT OF THE FOUNTAIN

It should be known to you that the Fountain (Hawd) is a great privilege therewith the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" is favored from among all the Prophets and Messengers. There are a lot of narrations in its description. We hope that Allah should endow us with its knowledge in this world, and taste in the hereafter. Characteristic of it is that whoever drinks of it would never become thirsty.

It is narrated on the authority of Anas Ibn Malik "Allah be pleased with him" that he said: One day The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was sitting among us when he slumbered (for a while) after which he then raised his head while smiling. We asked: "What does cause you to smile, O Messenger of Allah?" He said: "A Surah has just been revealed to me." He then recited: "In the name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful. Verily We have given you the Fount of Abundance. Therefore turn to your Lord for the Prayer and offer sacrifice, and surely your enemy is cut off (from goodness)." (Al-Kawthar 1-3)

﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣ ﴾

Then he (the Prophet) asked: "Do you know what the Fount of Abundance is?" We said: "Allah and His Messenger know best." The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It is a river, my Lord "Exalted and

Glorified be He" has promised me, in which there is an abundance of goodness. It is a fount, to which my followers would come on the Day of Judgement. Its utensils would be as numerous as the stars. A certain slave (of my followers) would be turned away from it, and I would say: "O My Lord! He is one of my followers!" He (Allah) would reply: "You don't know what he innovated (of bad things in religion) after you.'"" (Muslim).

It is further narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "While I was walking in Paradise behold! I saw a river whose edges are of hollow pearl domes. I said: "What is that O Gabriel?" he said: "That is (the river of) Kawthar which your Lord has given you." The angel then struck with his hand and behold! Its mud was of yellow musk." (At-Tirmidhi).

It is further narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to say: "(The distance) between both banks of my Fountain is (as long as) what is between Medina and San'a, (or what is between Medina and Amman)." (Muslim).

It is narrated on the authority of Ibn Umar "Allah be pleased with them" that he said: When it was revealed: "Verily We have given you the Fount of Abundance", the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "It is a river in Paradise, whose edges are of gold, and drink whiter than milk, sweeter than honey and more pleasant than musk, flowing on rocks of pearl and coral." (At-Tirmidhi and Ad-Darimi).

It is narrated on the authority of Thawban "Allah be pleased with him", the freed slave of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "(The width of) my Fountain will be (as long as the distance) between Aden and Ailah, (whose water is) whiter than milk and sweeter than honey, and whose cups are (as numerous) as the number of the stars. Whoever has even a sip of it will never become thirsty. The first to come upon me will be the poor Emigrants." Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" said: "Who are those O Messenger of Allah?" He said: "Those are of untidy garments and unkempt hair, who never marry the blissful women, nor the closed gates (of rulers and chiefs) are opened to them." On that Umar Ibn Abd-Al-Aziz went on weeping until his beard was wetted, and then he said: "But, I've married the blissful women (i.e. Fatimah Bint Abd-Al-Malik), and the closed gates (of the rulers and chiefs) are opened to me. Anyway, I do not wash my garment which is on my body until it becomes dirty, nor do I oil (and comb) my hair until it becomes unkempt." (At-Tirmidhi and Ibn Majah).

It is narrated on the authority of Abu Dharr "Allah be pleased with him" that he said: I said: "O Messenger of Allah! What about the utensils of the Fountain?" He said: "By Him in Whose Hand is the life of Muhammad! Its utensils would be more numerous than the stars in the sky, with its planets shining on a dark cloudless night. They would be the utensils of Paradise. Whoever drinks from this (Fount) would never feel thirsty. Two spouts from

Paradise would flow in it and whoever drinks from it would never feel thirsty. Moreover, its breadth is equal to its length (and it is as large as) the distance between Amman and Ailah. Its water is whiter than milk and sweeter than honey." (Muslim).

It is narrated on the authority of Samurah "Allah be pleased with him" that he said: The Prophet "peace be upon him" said: "Each Prophet will have a fount (in the hereafter), and they will vie in glory with each other, as to which of them will have the greatest number of followers come to drink from his fountain, and I hope to have the greatest number of followers come to drink from mine." (At-Tirmidhi).

That is the expectation of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him". So, let every servant hope to be among these who will come upon his Fountain, and beware of being deceived by his hope without doing the necessary work that helps him realize it. Of a surety, to hope for the harvest, you should first do the cultivation and strive your best to look after it. but unfortunately, most people, out of haughtiness and conceit, hope for the harvest even without doing the necessary measures they should do for their plants to grow in the land. We seek refuge with Allah Almighty from haughtiness and conceit. Allah Almighty said: "O men! certainly the promise of Allah is true. Let not then this present life deceive you, nor let the Chief Deceiver deceive you about Allah." (Fatir 5)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾

CHAPTER ELEVEN

ACCOUNT OF HELL, ITS TERRORS AND CHAINS

O one who is heedless of his own self, and deceived by the worldly benefits which are going to vanish, no matter how long they endure! Refrain from engagement in that which you are going to leave, and rather meditate in that which you should imperatively come to, i.e. the fire of Hell, upon which all the creatures would inevitably come in realization of the statement of Allah Almighty: "Not one of you there is, but he shall go down to it: That for your lord is a thing decreed, determined. Then we shall deliver those that were god-fearing: and the evil doers we shall leave there, hobbling on their knees." (Maryam 71:72)

﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾ ﴾

You are certain of coming upon Hell, and uncertain of salvation from it. so, bring in your heart the terror of that coming, perchance you would get ready for salvation from it.

Furthermore, meditate your state in the hereafter, while standing in expectation of your destiny after being reckoned and questioned, then, the sinners would be encircled by Hell, with its darkness of many layers, and overwhelmed by fire of fierce blaze, and overtaken by its heaving of sighs and sobs, out of extreme fury and rage. At that time, the sinners would come to know that their portion is destruction and perdition. Then the angel would

come to call them one by one, and drive him to be thrown, while chained in fetters and bonds, into the fire, saying to him: "Taste you (this)! truly was you mighty, full of honour! Truly this is what you used to doubt!" (Ad-Dukhan 49-50)

﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

Their abode therein would be narrow and dark, their drink boiling fetid water. Such being the case, they would call from its different sides and parts: "O Malik! would that your Lord put an end to us!" He will say, "Nay, but you shall abide!" (Az-Zukhruf 77)

﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾

At that point, they would despair and lose all hope to come out of the fire of Hell, or to receive a portion of the mercy of Allah Almighty. They would regret for what they wasted in this world concerning the rights of Allah Almighty. But of no profit would it be to them to regret. In no way could regret save or even avail them in the least: on the contrary, they would be turned over their faces with fire above them, fire beneath them, fire on their right and fire on their left. They indeed would be sunk in fire: Their food would be fire, their drink fire, their clothing fire, and their beds also fire. Add to all of that their being bound in fetters and chains of heavy and strong iron: In addition there will be maces of iron (to punish) them. Every time they wish to get away therefrom, from anguish, they will be forced back therein, and (it will be said), "Taste you the Penalty of Burning!" every time their skin would be roasted through, it would be replaced with fresh skin in order for the torment of burning to start once gain. furthermore, the tree of Zaqqum will be the food of the Sinful, Like molten brass; it will boil in their insides, Like the boiling of scalding water. They would hope for death, but they would taste no death in order for their punishment to continue everlastingly

That is a brief illustration of the state of the disbelievers who would abide in the fire of Hell forever. Consider now the Hell and its immense valleys and bottomless defiles. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "In Hell, there are seventy thousand valleys, each of which contains seventy thousand defiles, each of which has seventy thousand snakes and scorpions, and there would be neither a disbeliever nor a hypocrite but that he would be confronted with all of those."

It is narrated on the authority of Ali "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Seek refuge with Allah from the spring or valley of grief." They asked: "O Messenger of Allah! What is the valley of grief?" he said: "It is a valley in Hell from which the Hell itself seeks refuge with Allah Almighty seventy times everyday: it is prepared by Allah Almighty for the showy reciters (who recite Qur'an only in order to be seen of men)." (Ibn Adi, Abu Na'im, At-Tirmidhi; and Ibn Majah on the authority of Abu Hurairah).

The valleys and defiles of Hell are as much as is equal to the number of worldly desires, and its seven gates are equal to the seven organs therewith the

servant disobeys Allah and commits sins. The highest of them is Hell, and the lowest is the bottomless pit. It is as bottomless as are the desires and delights of this world. As well as no desire in this world ends but to another one that is stronger, similarly, no pit in Hell ends but to another which is more bottomless.

It is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: We were in the company of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" when we heard a terrible sound. Thereupon The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Do you know what (sound) is this?" We said: "Allah and His Messenger know best." He "peace be upon him" said: "That is a stone, which was thrown in Hell seventy years ago and it has been constantly slipping down and now it has reached its base." (Muslim).

Then, reflect on its different grades: As well as the people differ in their devotion to this world, each according to his portion thereof, the punishment they would receive in the fire of Hell also would be different accordingly. That is because Allah Almighty never deals unjustly with anyone even in the least. The fire would not affect all of them equally: each would have his punishment according to his disobedience. But the one who would receive the least punishment would be so much suffering that were the world with all what it contains to be offered to him, he would ransom himself for it.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The one who would receive the least punishment from among the people on the Day of Judgement would put on a pair of sandals of fire, from whose heat his brain would be boiling." (Al-Bukhari and Muslim on the authority of An-Nu'man Ibn Bashir "Allah be pleased with him").

On the other hand, compare not the fire of this world with that of the hereafter. It is reported that the fire of this world ahs been diluted with the water of mercy seventy times in order for the inhabitants of this world to endure. (Ibn Abd-Al-Barr on the authority of Ibn Abbas).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Allah Almighty ordered that fire be kindled for one thousand years until it turned red. Then, He commanded that it be kindled for further one thousand years until it turned white. Then, He commanded that it be kindled for one thousand years until it turned black. It is then black and dark."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The fire of Hell complained to its Lord saying: "O Lord! My parts are eating (destroying) one another." So Allah allowed it to take two breaths, one in the winter and the other in the summer. The breath in the summer is at the time when you feel the severest heat and the breath in the winter is at the time when you feel the severest cold." (Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him").

It is reported on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: "(On the Day of Judgement) the most comforted among the disbelievers in this world would be brought and ordered that he be dipped only once in the fire.

Then it would be said to him: "Have you ever experienced any bliss?" He would answered in the negative. Similarly, the one who received the severest hardship in this world would be brought and ordered that he be dipped only once in Paradise. Then he would be asked: "Have you ever experienced any hardship?" he would answer in the negative."

Abu Hurairah "Allah be pleased with him" said: "if there are as many as one hundred thousand people in the mosque, an then, one from among the denizens of the fire takes only one breath, all of them would die immediately."

After that, consider the stench of the pus that would flow from their bodies until they would sink in it. That is the dark, murky, intensely cold fluid. In this respect, it is narrated on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Were only a single bucket of the dark, murky, intensely cold fluid of Hell to be poured over this world, it would make stinking all the inhabitants of the earth." (At-Tirmidhi).

That would be their drink whenever the thirsty among them asks for drink: "for the wrong-doers We have prepared a Fire whose (smoke and flames), like the wall and roof of a tent, will hem them in: If they implore relief they will be granted water like melted brass, that will scald their faces: How dreadful the drink! how uncomfortable a couch to recline on!" (Al-Kahf 29)

﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾

Then, think about their food, which would be of Zaqqum tree as confirmed by the statement of Allah Almighty: "You will surely taste of the Tree of Zaqqum. Then will you fill your insides therewith, And drink Boiling Water on top of it: Indeed you shall drink like diseased camels raging with thirst!" (Al-Waqi'ah 52-55)

﴿ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾
فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ ﴾

And: "Is that the better entertainment or the Tree of Zaqqum? For We have truly made it (as) a trial for the wrong-doers. For it is a tree that springs out of the bottom of Hell-fire: The shoots of its fruit-stalks are like the heads of devils: Truly they will eat thereof and fill their bellies therewith. Then on top of that they will be given a mixture made of boiling water. Then shall their return be to the (Blazing) Fire." (As-Saffat 62-68)

﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ
الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ
لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ ﴾

And: "The while they enter the Blazing Fire, The while they are given to drink, of a boiling hot spring, No food will there be for them but a bitter Dari Which will neither nourish nor satisfy hunger." (Al-Ghashiyah 4-7)

﴿ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا
يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ ﴾

And: "With Us are Fetters (to bind them), and a Fire (to burn them), And a Food that chokes, and a Penalty Grievous." (Al-Muzzammil 12-13)

﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ ﴾

It is reported on the authority of Ibn Abbas "Allah be pleased with them" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Were only a single drop of Zaqqum tree to fall on the oceans of the earth, it would putrefy the living of all the inhabitants of the earth." (At-Tirmidhi and Ibn Majah). That is the effect of only a single drop: then, what do you think of him whose entire food consists of that tree, and drink of the stinking pus and dark murky rotten fluid?

It is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Have longing for that to which Allah Almighty exhorted you (i.e. Paradise), and beware and fear of that of which He Almighty frightened you, i.e. of His torment and punishment and of Hell: For indeed, were only a single drop of Paradise to be with you in this world in which you are, it would have made it pleasant for you; and were only a single drop of the fire (of Hell) to be with you in this world in which you are, it would have putrefied it for you."

It is narrated on the authority of Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The denizens of fire (of Hell) would be given to severe hunger equal to the torment which they would suffer from fire, thereupon they would ask for food, thereupon they would be served with food from Dari which neither nourishes nor satisfies their hunger. They would then ask for another kind of food and they would be served with food that chokes. They would remember how they used to remove the choke in the world with drink over it. they would then ask for drink, thereupon they would be served with drink of fetid boiling water raised to them on hooks of iron: Whenever it becomes close to their faces, it would roast them, and whenever it enters into their bellies, it would cut their bowels. They would say: "Invite the keepers of Hell." Those in the Fire will say to the Keepers of Hell: "Pray to your Lord to lighten us the Penalty for a Day (at least)!" They will say: "Did there not come to you your Messengers with Clear Signs?" They will say: "Yes." They will reply, "Then pray (as you like)! but the Prayer of those without Faith is nothing but (futile wandering) in (mazes of) error!" (Ghafir 49-50)

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ
رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ ﴾

Then, they would talk to each other to invite Malik to whom they would say: "O Malik! would that your Lord put an end to us!" he will say, "Nay, but you shall abide!" (Az-Zukhruf 77)

﴿ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾

(At-Tirmidhi and Ad-Darimi).

It is said that the period between their calling of Malik and his response to

them would be one thousand years. They then would say: "Invoke your Lord Almighty. There is none better for you than your Lord." They will say: "Our Lord! our misfortune overwhelmed us, and we became a people astray! Our Lord! bring us out of this: If ever we return (to evil), then shall we be wrong-doers indeed!" He will say: "Be you driven into it (with ignominy)! and speak you not to Me!" (Al-Mu'minun 106-108)

﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾

At that time, they would despair and lose hope for every kind of good.

It is reported on the authority of Abu Umamah "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said in comment on the following statement of Allah Almighty: "and he is given for drink, boiling fetid water, In gulps will he sip it, but never will he be near swallowing it down his throat" (Ibrahim 15-16)

﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ ﴾

"Such would be brought near him, but he would detest it. once it is brought near him, it roasts his face, and his scalp falls down,. If he drinks it, it would cut his bowels and come out of his anus. In confirmation of that, Allah Almighty says: "They would be given, to drink, boiling water, so that it cuts up their bowels (to pieces)" (Muhammad 15)

﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾

He Almighty further says: "if they implore relief they will be granted water like melted brass, that will scald their faces: How dreadful the drink!" (Al-Kahf 29)

﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾

That would be their food and drink whenever they would grow hungry and thirsty." (At-Tirmidhi).

Then, consider the Hell's female-snakes, serpents, scorpions, and their like, which would not cease to bite even for a single moment:

It is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever is made wealthy by Allah and does not pay the Zakat that is due on his wealth, then on the Day of Resurrection his wealth will be made like a baldheaded poisonous male snake with two black spots over the eyes. The snake will encircle his neck and bite his cheeks and say: "I am your wealth, I am your treasure." "Then The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" recited: "And let not those who covetously withhold of the gifts which Allah has given them of His Grace, think that it is good for them: nay, it will be the worse for them; soon shall the things which they covetously withheld be tied to their necks like a twisted collar, on the Day of Judgment." (Al Imran 180)

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾

(Al-Bukhari; and Muslim on the authority of Jabir).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "In the fire (of Hell) there would be female-snakes as huge as the necks of Bukht camels: if they bite anyone, he would continue to feel its harmful effect for as long as forty years. There would be also scorpions as huge as mules: if they bite anyone, he would continue to feel its harmful effect for as long as forty years. Those serpents and scorpions would be directed over such as possessed in this world by niggardliness, bad manners and harming people. Whoever is saved from those evils, would be saved from those serpents and scorpions." (Ahmad on the authority of Abdullah Ibn Al-Harith).

Then, consider after that how Allah Almighty would increase the size of the bodies of the denizens of fire, in length and breadth, in order for their punishment to multiply for them, and the pain they receive from the taste of fire and the bites of serpents and scorpions to become more severe.

It is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The molar tooth of the disbeliever in the fire (of Hell) would be as huge as (the mountain of) Uhud, and the thickness of his skin as long as is equal to a three-day journey." (Muslim).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "His (the disbeliever's) lower lip would be falling, (as huge as to coat) on his breast, and his upper lip raised (as huge as to) cover his face." (At-Tirmidhi on the authority of Abu Sa'id).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Indeed, on the Day of Judgement, the disbeliever would be dragging his tongue (which would be so long) that the people would trample it (with their feet)." (At-Tirmidhi on the authority of Ibn Umar).

In his comment on the following statement of Allah Almighty: "as often as their skins are roasted through, We shall change them for fresh skins, that they may taste the Penalty" (An-Nisa' 56)

﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ ﴾

Al-Hassan said: "They would be devoured by the fire seventy thousand times everyday, and every time it eats them, it would be said to them: "Return", and they would return to their original state in which they were."

Then, consider the state of weeping, wailing, sighs and sobs of the denizens of Hell once they would be throne into the fire, and their invocation of woes and perdition on themselves:

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "(On the Day of Judgement) Hell would be brought, having seventy thousand reins, each of which would be held by seventy thousand angels." (Muslim on the authority of Abdullah Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him").

It is narrated on the authority of Anas Ibn Malik "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The weeping for the denizens of the fire (of Hell) will be set, thereupon they will go on weeping until tears cease; and then they will go on weeping blood until it becomes like furrows on their faces that if ships are made to run in them, it would run. As long as they are permitted to weep in sighs and sobs, and invoke woes and perdition upon themselves, they would find relief in it. but even this would be forbidden to them." (Ibn Majah).

According to Muhammad Ibn Ka'b: "The denizens of fire will have five invocations, four of which would receive answer from Allah Almighty , and when it is the fifth, they would be prevented from speech. They will say: "Our Lord! twice have You made us without life, and twice have You given us Life! now have we recognized our sins: is there any way out (of this)?" (The answer will be:) "This is because, when Allah was invoked as the Only (object of worship), you did reject Faith, but when partners were joined to Him, you believed! the Command is with Allah, Most High, Most Great!" (Ghafir 11-12)

﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا
دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾

They will say: "Our Lord! respite us (if only) for a short Term: We will answer Your Call, and follow the Messengers!" "What! were you not wont to swear aforetime that you should suffer no decline?" (Ibrahim 44)

﴿ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ
أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ ﴾

They will say: "Our Lord! bring us out: we shall work righteousness, not the (deeds) we used to do!", (The answer will be) "Did we not give you long enough life so that he that would should receive admonition? And (moreover) the warner came to you. So taste you (the fruits of your deeds): for the Wrong-doers there is no helper." (Fatir 37)

﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

They will say: "Our Lord! our misfortune overwhelmed us, and we became a people astray! Our Lord! bring us out of this: if ever we return (to evil), then shall we be wrong-doers indeed!" He will say: "Be you driven into it (with ignominy)! and speak you not to Me!" (Al-Mu'minun 106-108)

﴿ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾

After that, they will never speak.

In comment on the following statement of Allah Almighty: "to us it makes no difference (now) whether we rage, or bear (these torments) with patience: for ourselves there is no way of escape" (Ibrahim 21)

﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ ﴾

Zaid Ibn Aslam said: "They would keep patient for one hundred years, after

which they would remain in rage for one hundred years. Then, they would keep patient for one hundred years. Then, they would say: "To us it makes no difference (now) whether we rage, or bear (these torments) with patience."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "On the Day of Resurrection, Death will be brought forward in the shape of a black and white ram. Then a call maker will call: 'O people of Paradise!' Thereupon they will stretch their necks and look carefully. The caller will say: 'Do you know this?' They will say: 'Yes, this is Death.' By then all of them will have seen it. Then it will be announced again: 'O people of Hell !' They will stretch their necks and look carefully. The caller will say: 'Do you know this?' They will say: 'Yes, this is Death.' And by then all of them will have seen it. Then it (that ram) will be slaughtered and the caller will say: "O people of Paradise! Let it be eternity for you and no death! O people of Hell! Let it be eternity for you and no death!'" (Al-Bukhari on the authority of Abu Sa'id).

According to Al-Hassan: "A man will come out of the fire after one thousand years, and would that I be this man!" on another occasion, he was seen weeping, and when he was asked about the reason for that he said: "I fear I would be thrown into the fire and left with no care."

Those are the terrors and horrors of the fire of Hell. The most severe thing its denizens would receive, along with their punishment and torment, is their great regret in sigh for what they have wasted of the bliss of Paradise, and of the meeting with Allah Almighty, and His good pleasure, given that they have sold all of this for a little price, no more than worldly despicable and perishable short-lived desires, which were, anyway, not pure for them in so much as contaminated with evil and harm. Their regret would increase when they witness Paradise with its pleasures and bliss: Were they not to see it, surely, their grief in sigh for losing it would not be much more as it would really be for it would be shown to them.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "On the Day of Judgement, a people from among the denizens of fire would be brought to Paradise until when they come near it, detect its smell, and see its palaces and the bliss prepared by Allah Almighty for its inhabitants, it would be called: "Turn them away from it, for they have no portion in it." They would return with sigh the like of which neither the foremost nor the last generations have ever experienced. They would say: "O our Lord! Had You admitted us to the fire (of Hell) before You have shown to us Your reward and the good things You have prepared for Your allies, surely, it would have been easier on us." He Almighty would say to them: "But it is that which I have intended for you. (When you were in the world) whenever you were alone, you would contend Me, and whenever you met people, you would seem devoutly pious, in order to be seen of men, while your hearts had enmity towards Me. You feared the people and feared Me not, venerated the people and venerated Me not, left evil for the sake of people, and left nothing for My Sake. Today, I would let you taste the painful punishment, along with the enduring reward I have forbidden to you." (Al-Iraqi on the authority of Anas).

According to Ahmad Ibn Harb: "Should anyone of us prefer shade to sun (in this world) and would not prefer Paradise to the fire (in the hereafter)?"

It should be known to you that Allah Almighty created the fire with its

terrors and horrors, and created men for it who would neither increase nor decrease: that has been decreed and decided by Allah as confirmed in His statement: "But warn them of the Day of Distress, when the matter will be determined: for (behold,) they are negligent and they do not believe!" (Maryam 39)

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

In order to know that you are on the right, given the preordained fate, you should know that there is a sign indicative of that, which represents in the deeds you do in the world, on the basis of the fact that everyone is made to find it easy that for which he is created.

It is narrated on the authority of Ali Ibn Abu Talib "Allah be pleased with him" that he said: We were accompanying a funeral procession in Baqi Gharqad. The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" came to us and sat and we sat around him. He had a small stick in his hand. Then he bent his head and started scraping the ground with it. He then said: "There is none among you, and not a created soul, but has a place either in Paradise or in Hell assigned for him. It is also determined for him whether he will be among the blessed or wretched." A man said: "O Allah's Apostle! Should we not depend on what has been written for us and leave the deeds as whoever amongst us is blessed will do the deeds of a blessed person and whoever amongst us will be wretched, will do the deeds of a wretched person?" The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The blessed is to be directed to the good deeds, and the wretched is to be guided to the bad deeds." Then he recited the Verses: "So he who gives (in Charity) and fears (Allah), And (in all sincerity) testifies to the Best, We will indeed make smooth for him the path to Bliss. But he who is a greedy miser and thinks himself Self-Sufficient, And gives the lie to the Best, We will indeed make smooth for him the Path to Misery." (Al-Lail 5:10) (Al-Bukhari)

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝ ﴾

If the way to good has been made easy for you, receive then the glad tidings that you would be far from the fire of Hell. But if you do not intend good but that obstacles stand in the way to avert you from it, and you do not intend evil but that it is made easy on you to do, then, you should know then that you are given to destruction. The signification of that to the consequence is like the signification of the rain to the plants. Allah Almighty said: "As for the Righteous, they will be in Bliss; And the Wicked; they will be in the Fire." (Al-Infitar 13-14)

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝ ﴾

So, measure your states and deeds on those Two Holy Verses, perchance you would know your residence in either of both abodes; and Allah knows best.

CHAPTER TWELVE

ACCOUNT OF PARADISE AND ITS BLISS

It should be known to you that in opposition to the abode whose terrors,

horrors, distresses and anxieties you have learnt, i.e. the fire of Hell, there is another one, full of bliss, pleasures and delights, i.e. Paradise. Of a surety, if one is kept far from one of them, he should, necessarily and inevitably, reside in the other. So, stimulate fear in your heart by long meditation in the terrors and horrors of fire, and stimulate the hope in your heart by long meditation in the pleasures and delights of Paradise. Drive yourself with the lash of fear, and, at the same time, lead it with the rein of hope to the straight path, perchance you would attain the great felicity and be saved from the painful torment.

Think about the inhabitants of Paradise, in whose faces there would be the beaming brightness of bliss, and they would be given their drink from sealed nectar, while sitting on pulpits of rubies in pavilions of tender white pearl, having carpets of green rich brocade. They would be reclining on green Cushions on banks of rivers filled with wine and honey, surrounded by beautiful youth and decked with pretty houris of big lustrious eyes, as beautiful as if they were rubies and coral, whom neither a man nor a jinn has ever approached, walking across the different sides of the gardens of Paradise: if anyone of them struts in her walk, the sides of her dress would be carried by seventy thousand of beautiful youth. They would have of kinds of good rich white silk what amazes eyes and astounds sights. They would be adorned with crowns, decked with pearl and coral. They would be far from old age and trouble, restrained in pavilions, in palaces of rubies, built in the middle of the gardens of Paradise. They would also be restraining their glances (to their men), And round about them will (serve) youths of perpetual (freshness): If you see them, you would think them scattered Pearls; And when you look, it is there you will see a Bliss and a Realm Magnificent. They would serve them With goblets, (shining) beakers, and cups (filled) out of Clear-flowing fountains: a source of pleasure for those who drink. That would be in reward for what they used to do. They would be in well-guarded standing, in gardens and springs of inexhaustible drink, in gardens and rivers, an Assembly of Truth, in the Presence of a Sovereign Omnipotent. In them, they would look at the Countenance of the Bounteous Sovereign, with their faces rising and shining by virtue of the beaming brightness of bliss: Neither suffering nor humiliation would then fatigue them, for they would be honored servants. They would be given all kinds of gifts from their Lord Almighty. They would abide forever in that which their souls desire, in which they would neither fear nor grieve, safe from the evils of death. They would be blessed in it, eating of its food and fruits, drinking of its rivers and springs, wine, honey and milk. Its rivers would have their floor of silver, gravel of coral, and dust of yellow musk; and its plant would be of saffron. And amongst them will be passed round vessels of silver and goblets of crystal, Crystal-clear, made of silver: They will determine the measure thereof (according to their wishes). And they will be given to drink there of a Cup (of Wine) mixed with Zanjabil, A fountain there, called Salsabil. They would be also served And with fruits, any that they may select; And the flesh of fowls, any that they may desire. And (there will be) Companions with beautiful, big, and lustrous eyes, Like unto Pearls well-guarded. A Reward for the Deeds of their past (Life). No frivolity will they hear therein, nor any taint of ill, Only the saying, "Peace! Peace."

Wonder at him who believes in an abode of such characteristics, in which

there would ever be no death, nor change to befall its inhabitants, and then gets affable with a perishable abode in which he is exposed to evil, harm, vicissitudes of fate and in the end death would snatch him! By Allah, if there would be in that abode of eternity nothing more than the soundness of bodies along with the safety from death, hunger and drink, it would be worthy to make one leave the world with all its benefits for it. Why not, given that its inhabitants would be safe kings, enjoy of all kinds of pleasures and delights, and have all they desire for, attending everyday to the courtyard of the Throne of Majesty, in order to look at the Countenance of Allah, the Most Bounteous?

It is narrated on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri and Abu Hurairah "Allah be pleased with both" that they said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "There would be an announcer (in Paradise) who would make this announcement: 'Verily, there is in store for you to be in (everlasting) health after which you should never fall ill, to live (forever) after which you should not die, to remain youth after which you should never grow old, And to live in affluent circumstances after which you would never become destitute." That is the significance of the statement of Allah Almighty: "Behold! the Garden before you! you have been made its inheritors, for your deeds (of righteousness)." (Al-A'raf 43) (Muslim).

﴿ تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

If you like to know the description of Paradise, you should then recite the Qur'an, for there is no speech more eloquent, more expressive than it. recite both Surahs of Ar-Rahman and Al-Waqi'ah, and the other Surahs which tell about that. But if you like to know its characteristics and attributes in detail from the narrations and traditions, below is a set of them:

It is narrated on the authority of Abdullah Ibn Qais that eh said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Two gardens, the utensils and the contents of which are of silver, and two other gardens, the utensils and contents of which are of gold. Nothing will prevent the people who will be in the Garden of Eden from seeing their Lord except the curtain of Majesty over His Face." (Al-Bukhari and Muslim).

Consider then the gates of Paradise: They are as numerous as the acts of worship, just as the gates of Hell are so in proportion to the number of sins.

It is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: Allah's Apostle "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever gives a pair (of things or property) in charity for Allah's Cause, will be called from the gates of Paradise, and Paradise has eight gates. He will be addressed: "O servant of Allah! That (gate) is better (for you, so come and enter through it)." So, whoever was amongst the people who used to offer their prayers, will be called from the gate of the prayer; whoever was amongst the people who used to participate in Jihad, will be called from the gate of Jihad; whoever was amongst those who used to give in charity, will be called from the gate of charity; and whoever was amongst those who used to observe fasts, will be called from the gate of Ar-Rayyan." Abu Bakr said: "Let my parents be sacrificed for you, O Allah's Apostle! No distress or need will befall him who will be called from those gates. Will there be any one who will

be called from all these gates?" The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" replied: "Yes, and I hope you will be one of them." (Al-Bukhari and Muslim).

It is narrated on the authority of Asim Ibn Damrah from Ali "Allah be pleased with him" that he made a mention of the fire (of Hell), and aggravated its matter but I do not remember what he said. Then he said: "And those who feared their Lord will be led to the Garden in crowds: until behold, they arrive at one of its gates, they would find a tree with two springs flowing from underneath its base. They would go to one of them, as they would be commanded, and drink thereof, thereupon it would remove the harm and trouble they have in their bellies. Then, they would go to the other and get purified from it, thereupon the beaming brightness of bliss would be visible on their bodies, after which their complexion would never change, nor would their heads ever get unkempt as if they oiled them with the best oil.

Then, they would arrive at Paradise, and its keepers would greet them with peace saying: "Peace be upon you! well have you done! enter you here, to dwell therein." Then, they would be received by the youth, going round them just as the youth of this world go round their masters with milk after return from a long absence, saying to each of them: "Receive the glad tidings of the honor and dignity prepared for you by Allah Almighty."

Then one of those youth would whisper into the ear of one of his (the newcomer's) wives (from the houris): "So and so has come." He would mention him by his name he used to be called by in the world. She would ask him: "Have you really seen him with your eyes?" He would answer in the affirmative. She would rejoice so much that she would stand up and run towards the gate of her pavilion. Once he arrives at his house, he would look at the base of its structure made of rocks of pearl different in kind and colour. When he raises his head and looks at its ceiling, behold! It would be as shining as lightning. Had Allah Almighty not doomed it to him, his sight would have been taken away due to its severe glitter.

Then, he would turn his face and behold! He would find his wives from among the houris on thrones (of dignity), raised on high, Goblets placed (ready), And Cushions set in rows, And rich carpets (all) spread out. Then, he would recline on the cushion and say: "Praise be to Allah, Who has truly fulfilled His promise to us, and has given us (this) land in heritage: we can dwell in the Garden as we will: how excellent a reward for those who work (righteousness)!" (Az-Zumar 74)

﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾

Then, a caller would make a public announcement: "You would live forever after which you would never die, abide forever after which you would never leave, and remain healthy after which you would never fall ill."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "I would come to the gate of Paradise on the Day of Judgement, and ask that it be opened, and the keeper would ask: "Who are you?" I would say: "Muhammad."

He then would say: "I have been commanded not to open it to anyone before you.'"" (Muslim on the authority of Anas).

As well as there is disparity between the people in this world in the acts of worship and obedience, they would be different in the hereafter in ranks and degrees of loftiness. If you seek the highest degree, strive your utmost not to let anyone precede you. Allah Almighty indeed commanded you to take part in that race and competition saying: "Race towards forgiveness from your Lord, and a Garden (of Bliss), the width whereof is as the width of heaven and earth, prepared for those who believe in Allah and His Messengers." (Al-Hadid 21)

﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ﴿٢١﴾ ﴾

And: "and for this let those aspire, who have aspirations." (Al-Mutaffiffin 26)

Wonder at you that if anyone in this world excels you in property or position, you would be filled with rage out of envy of him: Then, why should you not have the same interest and care concerning the hereafter, given that the place wherein you abide forever would not be free from others higher than you in rank and standing?

It is narrated on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The inmates of Paradise would see the inmates of the apartments over them just as you see the shining planets which remain in the eastern and the western horizon because of the superiority some would have over others." They said: "O Messenger of Allah, these would be the abodes of Prophets which none besides them would attain." He "peace be upon him" said: "By Him, in Whose hand is my life, those who believe in Allah and acknowledge the Truth, would attain them." (Muslim).

It is narrated on the authority of Abu Sa'id: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, the men of the highest degrees (in the Garden) will be seen by such as below them in the same way as a shining star in one of the horizons of the sky is seen (by the inhabitants of the earth); and indeed, Abu Bakr and Umar belong to those (of the highest degrees); and they are more fitting for that!" (At-Tirmidhi and Ibn Majah).

It is narrated on the authority of Jabir "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Should I not tell you about the mansions of Paradise?" I said: "Yes, O Messenger of Allah "peace be upon you": let our fathers and mothers be sacrificed for you." He "peace be upon him" said: "In Paradise, there are mansions of all kinds of diamonds, (so much pure and transparent that) whose inside is seen from outside, and outside from inside. They have of pleasures and delights that which no eye has ever seen, no ear has ever heard of, and no human mind has ever thought of." I asked: "O Messenger of Allah! Whose would be those mansions?" he "peace be upon him" said: "They would be for such as spreads peace, serves others with food, fasts perpetually, and prays at night while people are asleep." He said: we said: "O Messenger of Allah! Who could endure

that?" He "peace be upon him" said: "My Ummah could endure that. Let me tell you about that: Whoever meets his brother and greets him with peace or returns his greeting to him has indeed spread peace; and whoever feeds his family and dependents until he satisfies them from food has indeed served others with food; and whoever fasts the month of Ramadan along with three fasts monthly has indeed fasted perpetually; and whoever offers Isha' and Fajr in congregation has prayed at night while people are asleep." (Abu Na'im).

Account Of Walls, Floors, Trees And Rivers Of Paradise

It is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The wall of Paradise is made from bricks, one of gold and one of silver, its dust of saffron, and its mud of musk." (At-Tirmidhi).

It is narrated that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" was asked about the earth of Paradise thereupon he said: "It is of good white pure musk." (Muslim on the authority of Abu Sa'id).

It is further narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever is pleased that Allah Almighty should provide him with wine in the hereafter, let him leave it in this world; and whoever is pleased that Allah Almighty should dress him in silk in the hereafter, let him leave it in this world." (At-Tabarani and An-Nasa'i).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The rivers of Paradise would gush forth from underneath hills or mountains of musk." (Al-Aqili on the authority of Abu Hurairah).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" also said: "If the least ornament given to anyone from among the inhabitants of Paradise is equaled with all ornaments of this world, then, the ornament given by Allah Almighty in the hereafter would be better than all ornaments on earth." (At-Tabarani on the authority of Abu Hurairah).

It is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, in Paradise, there is a tree (so much huge) that the rider would proceed as long as one hundred years in its shade without being able to come to its end. If you so like, recite (in confirmation of that), the statement of Allah: "In shade long-extended." (Al-Waqi'ah) (Al-Bukhari and Muslim).

It is narrated on the authority of Abu Umamah "Allah be pleased with him" that he said: The companions of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to say: "Allah Almighty benefits us with the Bedouins and their questions (about religious matters)." Then, a Bedouin came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "O Messenger of Allah! Allah Almighty mentioned a harmful tree in the Qur'an, and I have never thought that Paradise has a tree that harms its owner." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" asked him: "What is that?" He said: "The lote-tree, for it has thorns." On that he "peace be upon him" said: "No doubt, Allah Almighty says: "(They will be) among Lote-trees without thorns." (Al-Waqi'ah 28)

﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾

Its thorns would be removed by Allah and each one would be replaced by a big fruit, which would break open to seventy-two kinds of food, different from each other (in form and colour)." (Ibn Al-Mubarak).

Account Of The Clothes, Thrones And Cushions Of The Inhabitants Of Paradise

Allah Almighty said: "For them will be Gardens of Eternity; beneath them rivers will flow; they will be adorned therein with bracelets of gold, and they will wear green garments of fine silk and heavy brocade; they will recline therein on raised thrones. How good the recompense! How beautiful a couch to recline on!" (Al-Kahf 31)

﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ ﴾

There are a lot of Qur'anic Holy Verses about that. But the details are mentioned more in the Prophetic narrations.

It is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Whoever enters Paradise would be blessed forever, after which he would never suffer: Neither his dress would ever be worn out, nor would his youth ever get exhausted. In Paradise, there would be (of pleasures and delights) that which no eye has ever seen, no ear has ever heard of, and no human mind has ever thought of." (Muslim).

It is further narrated on the authority of Abdullah Ibn Amr "Allah be pleased with him" that a man said to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him": "O Messenger of Allah! Tell us about the clothing of the inhabitants of Paradise: Would it be something created or woven (from fabric)?" He "peace be upon him" kept silent for a short while during which some of the people present there laughed. On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Why are you laughing? Do you laugh from somebody who asked about an item of knowledge of which he was ignorant?" then the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Nay! The fruits of Paradise would split open for it to come out twice." (An-Nasa'i).

It is narrated on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The first group (of people) who will enter Paradise will be (glittering) like the moon when it is full. They will not spit nor blow their noses nor relieve nature. Their utensils will be of gold and their combs of gold and silver; in their censers the aloe wood will be used, and their sweat will smell like musk. Everyone of them will have two wives; the marrow of the bones of the wives' legs will be seen through the flesh out of excessive beauty. They (the people of Paradise) will neither have differences nor hatred amongst themselves; their hearts will be as if one heart and they will be glorifying Allah in the morning and in the evening." (Al-Bukhari and Muslim).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said, in comment on the statement of Allah Almighty: "as to those who believe and work righteousness verily we shall not suffer to perish the reward of any who do a single righteous deed " (Al-Kahf 30)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾

"They will have crowns decked with pearl, the least of which will shine the whole space between the East and the West." (At-Tirmidhi on the authority of Abu Sa'id "Allah be pleased with him").

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The pavilion in Paradise will be of hollow pearl, as high in the sky as sixty miles, in each one of whose corner there will be a wife for the faithful believer unseen by others." (Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Musa Al-Ash'ari "Allah be pleased with him").

According to Ibn Abbas "Allah be pleased with them": "The pavilion (in Paradise) will be of hollow pearl, of a square area of Farsakh in Farsakh, having four thousand gateposts of gold."

It is narrated on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said in comment on the following statement of Allah Almighty: "And on Thrones (of Dignity), raised high" (Al-Waqi'ah 34)

﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾

"The distance between each pair of thrones is like the distance between the heaven and the earth." (At-Tirmidhi).

Account Of The Food Of The Inhabitants Of Paradise

The food of the inhabitants of Paradise is mentioned in the Holy Qur'an, like fruits, flesh of fat birds, milk, honey, quails, manna, etc. in confirmation of that, Allah Almighty said: "But if ye cannot and of surety ye cannot then fear the fire whose fuel is men and stones which is prepared for those who reject faith ." (Al-Baqarah 24)

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾

As for the drink of Paradise, it is mentioned many times in the Holy Qur'an.

It is narrated on the authority of Thawban, the freed slave of The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" narrated: I was standing beside the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" when a Jewish rabbi came and said: "Peace be upon you O Muhammad." I pushed him so violently that I was about to knock him down. He asked me: "Why did you push me?" I said to him: "Wouldn't you call (The Prophet): O Messenger of Allah?" He said: "I call him with the name his family named him." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "My name is Muhammad, which is the name my family named me with." The Jew said: "I came to ask you (about something) ." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If I talked to you (with what you wanted) would it benefit you?" He said: "Let me (first) hear with my ear (so as to decide whether it

would benefit me)." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" scraped a stick he had (in the land) and said: "Ask about whatever you liked." The Jew asked: "Where would the people be on the day when the earth would be changed with another earth and so would be the heavens?" He (The Prophet) said: "They would be in the darkness, before the bridge." He asked: "Who of the people would cross first?" He (The Prophet) said: "The poor people of the Emigrants." The Jew asked: "What would they be gifted (to eat) just after they enter into Paradise?" He (The Prophet) replied: "The extra lope of a fish's liver." He asked: "Then, what would their food (or lunch) be following that?" He said: "An ox of Paradise, which used to eat from its quarters, would be slaughtered for them." He (the Jew) asked: "What would their drink on it be?" He (The Prophet) said: "They would drink from a well in it (Paradise) called Salsabil." He (the Jew) commented: "You have told the truth." (Muslim).

It is narrated on the authority of Zaid Ibn Arqam "Allah be pleased with him" that he said: A Jew came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "O Abu Al-Qasim! Do you not pretend that the inhabitants of Paradise will eat and drink?" He had previously said to his companions: "If he (the Prophet) answered in the affirmative, I would argue with him." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Yes, by Him in Whose Hand is my soul, anyone of them would be given the power of one hundred men in eating, drinking and sexual intercourse." The Jew said: "Then, who eats and drinks necessarily needs to relieve himself." On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Their need would be fulfilled in the form of sweat like musk flowing from their skin and behold! Their bellies would then become lean (empty from food and drink)." (An-Nasa'i).

It is reported on the authority of Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Once you look at a bird in Paradise and have desire for it, it would fall down as roasted in front of you." (Al-Bazzar).

It is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, the birds of Paradise are like the Bukht (camels), eating from the trees of Paradise." Abu Bakr "Allah be pleased with him" said: "O Messenger of Allah! How blessed are those!" On that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "More blessed is the one who would eat thereof (he said it thrice); and I hope you would eat thereof." (Ahmad).

It is narrated on the authority of Ibn Umar "Allah be pleased with them" that he said in comment on the statement of Allah Almighty: "To them will be passed round, dishes and goblets of gold: there will be there all that the souls could desire, all that the eyes could delight in: and you shall abide therein (for aye)." (Az-Zukhruf 71)

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ
وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

"They would be served with seventy goblets of gold, each having a kind of

food that is not in the others."

It is further reported on the authority of Abdullah Ibn Mas'ud "Allah be pleased with him" that he said in comment on the statement of Allah Almighty: "With it will be (given) a mixture of Tasnim" (Al-Mutaffiffin 27)

﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ ﴾

"It will be mixed for the companions of the right hand while the nearest to Allah would drink thereof as pure. Were a man from the inhabitants of this world to dip his hand therein and then take it out, the pleasant smell would overwhelm all living beings on earth.

CHAPTER THIRTEEN
ACCOUNT OF HOURIS OF BIG LUSTROUS EYES

It should be known to you that the Qur'an made a mention of the houris (heavenly beautiful women of big lustrous eyes) many times, and the Prophetic narrations talked about them in more detail.

It is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A single endeavor (of fighting) in Allah's Cause in the afternoon or in the forenoon is better than all the world and whatever is in it. A place in Paradise as small as the bow or lash of one of you is better than all the world and whatever is in it. And if a houri from Paradise appeared to the people of the earth, she would fill the space between Heaven and the Earth with light and pleasant scent and her head cover is better than the world and whatever is in it." (Al-Bukhari).

It is further narrated on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said in comment on the statement of Allah Almighty: "In them will be (Maidens), chaste, restraining their glances, whom no man or Jinn before them has touched... Like unto rubies and coral" (Ar-Rahman 58)

﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾

"If you look at her cheek in her tent you would find it purer than a mirror; and the smallest pearl on her is (as shining as) to illuminate what is between the East and the West. She will have seventy dresses, so transparent that the marrow of her leg would be seen from behind them." (Abu Ya'li and Ahmad).

It is narrated on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "On the night I was made to set out on a night journey to the heaven, I entered a place in Paradise called Baydakh, in which there were tents of pearl, green aquamarine and rubies. Women said: "Peace be upon you O Messenger of Allah." I asked: "O Gabriel! What is that call?" He said: "Those are the (houris) restrained (to their glances) in pavilions. They have sought the permission of their Lord to salute you, and He gave them permission." Then they said: "We are the ever-contented, who never become displeased; and we are the eternal ones, who never leave." Then, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" recited the statement of Allah: "Companions restrained (as to their glances), in (goodly) pavilions." (Ar-Rahman 72)

﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾

It is narrated that a man said: "O Messenger of Allah! Should the inhabitants of Paradise have sexual intercourse (with women)?" the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "A man of them would be given on one day the power of seventy from among you." (At-Tirmidhi and Ibn Hibban on the authority of Anas "Allah be pleased with him").

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The man from among the inhabitants of Paradise will marry five hundred houris, four thousand virgins, and eight thousand previously married women, and will embrace each of them as long as is equal to the whole of his lifetime in this world." (Abu Ash-Shaykh on the authority of Ibn Abu Awfa).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "In Paradise, there will be a market in which no transaction is practiced. But it will have only faces of men and women: if a man has a desire for the face of any woman, he will enter into it. It will have the gathering of the houris of big lustrous eyes, raising their voices, the like of which the creatures have never heard : "We are ever eternal who never leave. We are ever blissful who never suffer. We are ever contented who never become displeased. Blessed be he who will be for us and we for him." (At-Tirmidhi on the authority of Ali).

It is reported on the authority of Anas "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, the houris of big lustrious eyes are singing in Paradise: 'We are the good beautiful houris kept for honored husbands.' (At-Tabarani).

It is narrated on the authority of Abu Umamah Al-Bahili "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No man enters Paradise but that two houris of big lustrous eyes sit by his head and feet, singing to him with the best voice men and jinn have ever heard, not like the musical instruments of devil, but praising and exalting Allah Almighty." (At-Tabarani).

A Set Of Various Attributes Of The Inhabitants Of Paradise

It is narrated on the authority of Usamah Ibn Zaid that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said one day to his companions: "Let's us seek earnestly for the Garden! Verily, the Garden has no rival: it is, by the Lord of the Ka'bah, a shining light, a moving basil, a well-established palace, a flowing river, ripe fruits in abundance, a beautiful good looking wife, a lot of ornaments in a permanent station in affluence and brightness, in high wonderful faultless houses." They said: "We are seeking earnestly for it O Messenger of Allah." He said: "You should say (by way of restriction): "Allah Willing." Then, he made a mention of Jihad and exhorted them to do it. (Ibn Majah and Ibn Hibban).

It is narrated on the authority of Abu Hurairah: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The first group of people, who will enter Paradise, will be glittering like the full moon; and those who will follow them, will glitter like the most brilliant star in the sky. They will neither urinate, nor relieve nature, nor spit, nor have any nasal secretions. Their combs will be of gold, and their sweat will smell like musk. The aloe wood will be used in their

censers. Their wives will be so much beautiful with big and lustrous eyes. All of them will look alike and will resemble their father Adam (in stature), as tall as sixty cubits." (Ibn Majah).

It is narrated that a man came to the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" and said: "O Messenger of Allah! Would there be horses in Paradise? Indeed I like them very much." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "If you so like, you will have a ruby-made horse to fly with you wherever you want in Paradise." Another man asked him: "Would there be camels in Paradise?" He said: "O servant of Allah! If you are admitted to Paradise, you would have therein what your soul desires and pleases your eye." (At-Tirmidhi on the authority of Buraidah).

It is narrated on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him" that he said: the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Verily, a man from the inhabitants of Paradise will beget the child just as he likes, with his pregnancy, birth, weaning and growth being only in one hour." (Ibn Majah and At-Tirmidhi).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The inhabitants of Paradise would be hairless, beardless, soft and white-complexioned, of thirty-three years of age, in the form of Adam, sixty cubits high and seven cubits broad." (At-Tirmidhi on the authority of Mu'adh).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "The one who will have the least position in Paradise will have eighty thousand servants and seventy-two wives, to whom a dome of pearl, aquamarine and rubies will be set up, as wide as is the distance from Al-Jabiyah to San'a. they will have crowns over their heads, the smallest pearl of which will (be as shining as to) illuminate what is between the East and the West." (At-Tirmidhi on the authority of Abu Sa'id "Allah be pleased with him").

It is reported on the authority of Abu Hurairah that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: Allah Almighty says: "I have prepared for My servants (in Paradise) that which no eye has ever seen, no ear has ever heard of, and no human mind has ever thought of." (Al-Bukhari and Muslim).

Al-Hassan Al-Basri mentioned the attributes of Paradise in brief saying: "Its pomegranates are as huge as buckets; and its rivers are incorruptible; rivers of milk of which the taste never changes; rivers of wine, which neither befogs the minds, nor troubles thinking: But a joy to those who drink; and rivers of honey pure and clear. In it there are for them all kinds of fruits; and Grace from their Lord. in it, there is neither fatigue, nor trouble, nor pain at all. It has what no eye has ever seen, no ear has ever heard of, and no human mind has ever thought of. Its inhabitants will be blissful kings of thirty-three years of age, sixty cubits long, and seven cubits broad, hairless, beardless, white-complexioned. They will be safe from punishment, reassured and free from anxiety. Its rivers flow over rocks of rubies and aquamarines. Its trees, palms and vine are of pearls, and its fruits are unknown to anyone other than Allah Almighty. Its pleasant smell is detectable from as far as a five hundred-year journey. They will have horses and camels therein, whose saddles and bridals are of rubies.

They will visit each other therein. Their wives will be from the houris of big lustrous eyes, as pure as well-guarded pearls. Any woman of them would put on seventy dresses over her body, and even, out of her beauty, the marrow of her legs would be visible from behind all of them. In it, Allah Almighty will purify characters from evil and bodies from death. In it they will neither spit, nor expectorate, nor urinate, nor defecate: But it will be just sweat as pleasant as musk. Their sustenance will be brought to them every morning and evening. The last of people to enter Paradise will be made to stretch his sight to see his kingdom across one hundred years of palaces, houses and tents of gold, silver and pearl, and it will be too spacious for him to enable him to see his kingdom from one end to the other. It will be passed round them with seventy thousand goblets of gold every morning and evening, each having a definite kind of food that is not in the others. In Paradise, there is a ruby, having seventy thousand houses, each of which has seventy thousand dwellings, in which there is neither flaw nor a hole."

According to Mujahid: "The one who will have the least position from among the inhabitants of Paradise will walk one thousand years along his kingdom, seeing it from one end to the other. But the one who will have the highest rank is he who will look at the Countenance of his Lord every morning and evening."

According to Sa'id Ibn Al-Musayyab: "There is none from among the inhabitants of Paradise but that he will have three bracelets: One of gold, another of silver and a third of pearl."

According to Abu Hurairah "Allah be pleased with him": "In Paradise, there is a houri called Al-Ayna' (lady of large beautiful attractive eye): Whenever she walks, seventy thousand chambermaids walk on her right and left. She will be saying: "Where are those who used to enjoin right and forbid evil?"

According to Yahya Ibn Mu'adh: "It is difficult to leave this world; and more difficult is to miss Paradise. But even, to leave this world is the dower of Paradise." He said on another occasion: "Humiliation lies in the pursuit of this world, whereas honor lies in pursuit of the hereafter. Wonder at him who prefers humiliation in pursuit of what is perishable to the honor in pursuit of what is enduring."

CHAPTER FOURTEEN

ACCOUNT OF VISION AND LOOKING AT THE COUNTENANCE OF ALLAH

Allah Almighty said: "To those who do right is a goodly (reward) yea, more (than in measure)!" (Yunus 26)

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾

This more is the vision and looking at the Countenance of Allah Almighty. It is the greatest pleasure, which causes the beholder to forget all delights of Paradise. There are witnesses to it from the Book and sunnah, unlike what some religious innovators might falsely think.

It is narrated on the authority of Jarir Ibn Abdullah Al-Bajali "Allah be pleased with him" that he said: We were with The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" and he looked at the moon, and it was full, and then

said: "Certainly you will see your Lord as you see this moon and you will have no trouble in seeing Him. So if you can avoid missing (through sleep or business, etc.) a prayer before the sunrise (Fajr) and a prayer before sunset (Asr), you must do so." He then recited Allah's Statement: "And celebrate the praises Of your Lord before the rising of the sun and before (its) setting." (Qaf 39)

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ ﴾

(Al-Bukhari and Muslim).

It is narrated on the authority of Suhaib "Allah be pleased with him" that The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "When the people of Paradise enter into Paradise, Allah would address them saying: "Do you want me to give you anything more?" They would reply: "Did you (O Lord) not make heavy our balances (of good deeds)? Did You not make our faces bright? Did you not admit us in Paradise and save us from the (Hell) fire?" Then, he (Allah) would remove the veil (of light), and they would look at the Countenance of Allah Almighty. In this way, they would not be given anything dearer to them than their seeing their Lord the Exalted." (Muslim).

Indeed, it is with that pleasure that all other delights of Paradise are forgotten and regarded with slightness. The happiness of the people of Paradise in that vision is infinite. The pleasure of meeting Allah Almighty is incomparable to any pleasure else. The servant should not be concerned with anything from Paradise other than the meeting of Allah Almighty, for the remaining pleasures of Paradise are shared between him and the animals.

CHAPTER FIFTEEN
EXTENSIVE MERCY OF ALLAH ALMIGHTY

Let's conclude our book with a brief talk about the extensive mercy of Allah Almighty, by way of optimism, since the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" used to love the good omen and the good pleasant word. We have but to imitate the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" in all that he loved.

Allah Almighty said: "Allah forgives not that partners should be set up with Him; but He forgives anything else, to whom He pleases; to set up partners with Allah is to devise a sin most heinous indeed." (An-Nisa' 48)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾

And: "Say: "O my Servants who have transgressed against their souls! despair not of the Mercy of Allah: for Allah forgives all sins: for He is Oft-Forgiving, Most Merciful." (Az-Zumar 53)

﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾

And: "If anyone does evil or wrongs his own soul but afterwards seeks Allah's forgiveness, he will find Allah Oft-Forgiving, Most Merciful." (An-Nisa' 110)

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾

First of all, we seek forgiveness of Allah for any foot slip or pen transgression in this book; we seek His forgiveness for our statements that might contradict our deeds; we seek His forgiveness for the knowledge we have shown in the religion of Allah Almighty, and then indulged in or fallen short of it; and we seek His forgiveness for every deed or act thereby we intended His Countenance, and then it was mixed with anything else; and we seek His forgiveness for every promise we made and failed to fulfill; and we seek His forgiveness for every favor He conferred upon us and we utilized in disobedience of Him; and we seek His forgiveness for every kind of shortage deficiency or indulgence; and we seek His forgiveness for every idea that invited us to ostentation that seemed in what we said or wrote to people.

Then, we hope, after that seeking for forgiveness, for everyone who has read or heard of this book of ours, to be granted forgiveness, mercy and excuse of all sins, be they apparent or hidden: Indeed, Allah's generosity is encompassing, and His mercy all-embracing.

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "The mercy of Allah Almighty consists of one hundred parts, and He sent only one on earth and distributed among men, jinn, animals and insects, therewith they show mercy towards each other, and have affection for each other; and kept with Him ninety-nine parts of mercy to bestow upon His servants on the Day of Judgement." (Muslim on the authority of Abu Hurairah and Salman).

It is further reported that when it is the Day of Judgement, Allah Almighty would bring out a book from underneath the Throne (of Majesty), having the following phrase: "My mercy has preceded (and overpowered) My anger." It is with this phrase that as much as is the number of the inhabitants of Paradise would be taken out of the fire (of Hell)." (Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Hurairah "Allah be pleased with him").

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "On the Day of Judgement, Allah Almighty would rise with His Glory to us and say cheerfully: "Receive the glad tidings O Muslims! There is none of you but that I have put in his place in fire a Jew or a Christian." (Muslim on the authority of Abu Musa Al-Ash'ari "Allah be pleased with him").

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "On the Day of Judgement, Allah Almighty would accept the intercession of Adam for one hundred and ten thousand thousand from among all his offspring." (At-Tabarani on the authority of Anas "Allah be pleased with him").

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Indeed, on the Day of Judgement, Allah would say to the faithful believers: "Have you liked to meet Me?" they would answer in the affirmative, and He would ask them: "Why?" They would say: "We have hoped for Your pardon and forgiveness." On that He would say: "Then, I have assured My forgiveness to you." (Ahmad and At-Tabarani on the authority of Mu'adh).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: Allah Almighty says on the Day of Judgement: "Take out of fire such as remembered me even on a single day or feared me even on a single standing."

(At-Tirmidhi on the authority of Anas "Allah be pleased with him").

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "When the denizens of fire gather in the fire, along with such as Allah wills from among the people of Qiblah (i.e. Muslims), the disbelievers would say to the Muslims: "Have you not been Muslims?" They would answer in the affirmative. They would say to them: "Then, your faith in Islam has availed you not as you now are with us in the fire of Hell." They would say: "Indeed, we committed sins for which we received punishment." Allah Almighty would hear their speech, and command to take out the Muslims from the fire, and when they are taken out, the disbelievers would say: "Would that we were Muslims to be taken out just as they have been taken out!" Then, the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" recited: "Again and again will those who disbelieve, wish that they had bowed (to Allah's Will) in Islam." (Al-Hijr 2)

﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝ ﴾

(An-Nasa'i on the authority of Jabir "Allah be pleased with him").

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "No doubt, Allah is more merciful towards His believing servant than a mother towards her newborn child." (Al-Bukhari and Muslim on the authority of Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him").

According to Jabir Ibn Abdullah "Allah be pleased with them": "Whoever comes on the Day of Judgement with his good deeds more than his misdeeds, would enter Paradise without reckoning; and whoever has his good deeds equal to his misdeeds, would be reckoned with easy reckoning and then enter Paradise; and the intercession of the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" would be due to such as destroys himself and overburdens his back (with sins and misdeeds)."

It is reported that Allah Almighty said to Moses "peace be upon him": "O Moses! Qarun sought relief of you and you did not relieve him. By My Honor and Glory! Had he sought relief of Me, I would have relieved him."

According to Sa'd Ibn Bilal: "On the Day of Judgement, it would be commanded that two men be taken out of the fire, and Allah Almighty would say: "This is because of the (unrighteous deeds) which your hands sent on before you: for Allah never harms those who serve Him." (Al Imran 182)

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝ ﴾

Then, He would command that they be brought back to the fire. One of them would rush in his chains until he enters it, and the other would slow down. Allah would command that they be brought to Him and ask them about their deed. The one who would rush towards the fire would say: "I was warned of the evil consequence of disobedience, and I was not to expose myself to Your wrath once again." The other who would slow down would say: "My good assumption of You gave me the impression that You would not bring me back to it once again after You have taken me out of it." Then, He Almighty would command that they enter Paradise."

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "On

the Day of Judgement, a caller would call publicly from underneath the Throne of Majesty: "O Ummah of Muhammad! I have forgiven for you what I have on you, and there remains on you only the rights you have on each other: then, excuse each other for them and enter Paradise by virtue of My mercy."

It is narrated on the authority of As-Sunabihi that he went to visit Ubadah Ibn As-Samit who was at his last breaths. (the narrator said): I burst into tears. He said to me: "(Be quiet and) give me some time (so that I may tell you something). Why do you weep? By Allah, if I am made to be a witness, I would surely testify for you (that you are a faithful believer). If I am asked to intercede, I would surely intercede for you. Moreover, if I have the power, I would surely do good to you. By Allah, I have never heard anything from The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" which could have been of benefit to you, but that I reported to you except this narration, which I'm going to narrate to you now, since I am about to die. I heard The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" saying: "He who testifies that there is no god but Allah and that Muhammad is The Messenger of Allah, Allah would forbid the (Hell) fire from him." (Muslim).

It is narrated on the authority of Abdullah Ibn Amr "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "On the Day of Judgement, a man from my Ummah will be called loudly in the presence of all the creatures, and ninety-nine scrolls (of his evil deeds) will be spread for him, each as long as the sight could reach, and Allah Almighty will say to him: "Do you deny anything of those (misdeeds the scrolls contain)?" he will say: "No O my Lord!" he (Allah) will say: "Have My keeping scribes wronged you?" He will answer in the negative. he (Allah) will say: "Do you have any good deed (to suffice you) against that?" He will feel afraid and then say: "No." He (Allah) will say: "Nay! You have a good deed with Us; and today, you should receive no injustice." Then, a card having (the testimony that) "I bear witness that there is No god (to be worshipped) but Allah, and that Muhammad is Allah's Messenger and servant" will be brought out for him, thereupon he will say: "O my Lord! What could this card do with those long scrolls?" he (Allah) will say: "You will not be wronged (even in the least)." The scrolls will be placed in one pan, and the card in the other, and then the scrolls will fly away, and the card will overweigh." (Ibn Majah).

It is narrated on the authority of Abu Sa'id Al-Khudri "Allah be pleased with him" that eh said: During the lifetime of The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" some people said: "O Allah's Apostle! Shall we see our Lord on the Day of Judgement?" The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Yes. Do you have any difficulty in seeing the sun at midday when it is bright and there is no cloud in the sky? Do you have any difficulty in seeing the moon at a full moon night when it is bright and there is no cloud in the sky?" They replied: "No." The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "(Then) you will have no difficulty in seeing Allah on the Day of Judgement as you have no difficulty in seeing both of them. On the Day of Judgement, a call-maker will announce: "Let every nation follow that which they used to worship people will come out (of the River of Life) like pearls, wearing necklaces. Then they will enter into Paradise whereupon the people of Paradise will say: "Those are the

people set free by The Most Gracious. He has admitted them into Paradise though they did no good deeds nor did they sent forth any good (for themselves)". Then it will be said to them: "All of what you have seen is For you, in addition to an amount equal to it as well." They will say: "O our Lord! You have given us what you have not given anyone of the worlds". Allah will reply: "There remains better than that with me to give you". They will ask: "O our Lord! Which thing is better than that?" He will say: "My pleasure (with you), after which, I would never be angry with you." Every nation, which used to worship anything other than Allah such idles, will fall into the (Hell) fire. There will remain none but those who used to worship Allah, whether they were obedient (Good) or disobedient (evil) and the remaining party of the people of the Scripture. Then the Jews will be called upon and it will be said to them: "Whom did you use to worship?" They will say: "We used to worship Ezra, the son of Allah." It will be said to them: "You are liars, for Allah has never taken anyone as a wife or a son. What do you want now?" They will say: "O our Lord! We are thirsty, and we want to drink." They will be directed and addressed thus: "Wouldn't you drink?" whereupon they will be mustered into The Hell, which will be like a mirage, with each part destroying the other. Then, they will fall into the (Hell) fire. Afterwards the Christians will be called upon and it will be said to them: "Whom did you use to worship?" They will say: "We used to worship Jesus, the son of Allah." It will be said to them: "You are liars, for Allah has never taken anyone as a wife or a son." Then it will be said to them: "What do you want?" They will say: "O Lord! We are thirsty, and We want to drink." They will be directed and addressed: "Wouldn't you drink?" They will be gathered into the Hell, which will be like a mirage, with each part destroying the other. Then they will fall into The (Hell) fire. Then, when there remain (in the gathering) none but those who used to worship Allah whether they were obedient or disobedient, The Lord of all the worlds "Exalted be He" will come to them in a shape, different from that they saw (at first), and he will say to them: "What are you waiting for? Every nation has followed what they used to worship." They will reply: "We left the people in the world when we were in great need of them and we did not take them as friends. Now we are waiting for our Lord Whom we used to worship." He will say: "I am your Lord." They will say: "We seek refuge from you! We never associate anything with Allah." (They will say so twice or thrice), to the extent that some of them will be about to revert. Then it will be said to them: "Do you know any sign by which you can recognize Him?" They will say: "Yes (It is The Shin) ." Allah will then uncover the Shin whereupon every believer, who used to prostrate to Allah out of faith will be allowed to prostrate before Him, but there is no one, who used to prostrate before Him just for showing off and getting good reputation but that Allah will make his back as a vertebra. The more he will try to prostrate the more (his back will be as rigid as a piece of wood so that) he will fall on his back. When they will raise up their heads (after the prostration), There, he will change into the shape they saw at the first time. He will say (to them): "I'm your Lord." They will confirm: "Indeed, You are our Lord" Then the bridge will be laid across Hell; and the intercession will be permitted, and they will say: "O Allah, save us! O Allah, save us!" The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" was asked: "O Allah's Apostle! What is

the bridge?" He said: "It is a slippery (bridge) on which there are clamps and (Hooks like) thorny seeds, which are wide at one side and narrow at the other, having thorns with bent ends. Such thorny seeds are found in Najd and are called Sa'dan. Some of the believers will cross the bridge as quick as the wink of an eye, some others as quick as lightning, (others as fast as) a strong wind, (others as quick as) birds, fast horses or she-camels. Moreover, some will be safe without any harm; some will be safe after receiving some scratches, and some will fall down into Hell (Fire). By Him, in Whose hand my soul is! There will be no one of you (Muslims) more pressing in claiming a right that has been clearly proved to be yours than the believers in intercession with Allah for their (Muslim) brothers on The Day of Judgement, when they see themselves safe. They will say: "O Allah! (Save) our brothers (for they) used to pray with us, fast with us and also perform pilgrimage with us." Allah will say (to them): "Go and take out whomever you recognize." The fire will be forbidden to burn their (the sinners') faces. They will go and take out from the fire a lot of creatures, some of whom, the fire will burn up to the half of their legs, some up to their knees. Then, they will say (to Allah): "O our Lord! There remains no one of those whom You ordered to take out." Allah will say: "Go back and take out (of Hell) anyone in whose heart you find goodness equal to the weight of a Dinar." They will go and take out a lot of creatures. They will say (to Allah): "O our Lord! We no longer recognize anyone remaining of those whom You ordered us to take out (of the fire) ." Allah will say: "Go and take out (of Hell) anyone in whose heart you find goodness equal to the weight of half a Dinar." They will take out a lot of creatures. Then they will say (to Allah): "O our Lord! We no longer find anyone remaining of those whom You ordered us to take out." Allah will say: "Go and take out (of Hell) anyone in whose heart you find goodness equal to the weight of an atom (or a smallest ant) ." They will take out a lot of creatures. Then, they will say (to Allah): "O our Lord! We no longer find any (creature having) goodness." Abu Sa'id "Allah be pleased with him" said: If you do not believe me then you can recite: "Allah is never unjust in the least degree: if there is any good (done), he doubles it, and gives from his own presence a great reward." (An-Nisa' 40)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾

The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "Allah Almighty will say: "The Prophets, the Angels, and the believers interceded, and there remains only (the Intercession of) The Most Merciful." He will hold a handful of the Fire from which He will take out some people who did never do good (in this world), whose bodies have been burnt. They will be thrown into a river at the entrance of Paradise, called the water of life. They will grow on its banks, as a seed carried by the torrent grows. Perhaps you observed how it grows beside a rock or beside a tree, and how the side facing the sun is usually green, while the side facing the shade is white." The companions of The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "O Messenger of Allah! It seemed as if you used to shepherd the cattle and sheep in the desert." (Then The Prophet resumed): "Those people will come out (of the River of Life) like pearls, wearing necklaces. Then they will enter into Paradise whereupon the people of Paradise

will say: "Those are the people set free by The Most Gracious. He has admitted them into Paradise though they did no good deeds nor did they sent forth any good (for themselves) ." Then it will be said to them: "All of what you have seen is For you, in addition to an amount equal to it as well." They will say: "O our Lord! You have given us what you have not given anyone of the worlds." Allah will reply: "There remains better than that with me to give you." They will ask: "O our Lord! Which thing is better than that?" he will say: "My pleasure (with you), after which, I would never be angry with you." (Al-Bukhari and Muslim).

It is further narrated on the authority of Ibn Abbas: "The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" came out to us and said: "The people were displayed in front of me and I saw one prophet passing by with a large group of his followers, and another prophet passing by with only a small group of people, and another prophet passing by with only ten (persons), and another prophet passing by with only five (persons), and another prophet passed by alone. And then I looked and saw a large multitude of people, so I asked Gabriel, "Are these people my followers?" He said: "No, but look towards the horizon." I looked and saw a very large multitude of people. Gabriel said. Those are your followers, and those are seventy thousand (persons) in front of them who will neither have any reckoning of their accounts nor will receive any punishment." I asked: "Why?" He said: "For they used not to treat themselves with branding (cauterization) nor with Ruqyah (get oneself treated by the recitation of some Verses of the Qur'an) and not to see evil omen in things, and they used to put their trust (only) in their Lord." On hearing that, Ukashah Ibn Mihsan got up and said (to The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him"), "Invoke Allah to make me one of them." The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "O Allah, make him one of them." Then another man got up and said (to The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him"), "Invoke Allah to make me one of them." The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Ukashah has preceded you." (Al-Bukhari).

It is narrated on the authority of Amr Ibn Hazm Al-Ansari that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" withdrew from us for three days, during which he came out only for an obligatory written prayer and then he would return home. When it was the fourth day he came out to us and we said: "O Messenger of Allah! You have withdrawn from us to the extent that we thought something serious has happened." He "peace be upon him" said: "Nothing but good has happened. Allah Almighty promised me to admit to Paradise seventy thousand of my Ummah without reckoning, and during those three days (I was absent from you), I kept asking my Lord for more, and found my Lord Most Generous, Most Glorious, Most Beneficent. He granted to me with each one of the seventy thousand another seventy thousand (to enter Paradise without reckoning). I said: "O my Lord! would my Ummah reach that number?" He said: "I would complete it from the Bedouins." (Al-Baihaqi, Ahmad and Abu Ya'li).

It is narrated on the authority of Abu Dharr "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Gabriel came to me to the side of this Harrah (of Medina) as a messenger from my Lord and gave me the news (or good tidings) that if any of my followers dies

worshipping none (in any way) along with Allah, he will enter Paradise." I asked: "Even if he committed adultery and theft?" He replied: "Even if he committed adultery and theft." I asked again: "Even if he committed adultery and theft?" He replied: "Even if he committed adultery and theft." I asked (for the third time): "Even if he committed adultery and theft?" He replied: "Even if he committed adultery and theft." (Al-Bukhari).

It is narrated on the authority of Abu Ad-Darda' "Allah be pleased with him" that he said: The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" recited: "But for such as fear the time when they will stand before (the Judgment Seat of) their Lord, there will be two Gardens." (Ar-Rahman 46)

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾

I asked: "Even if he committed adultery and theft O Messenger of Allah?" He recited: "But for such as fear the time when they will stand before (the Judgment Seat of) their Lord, there will be two Gardens." I asked (for the third time): "Even if he committed adultery and theft O Messenger of Allah?" He said: "Yes, against the will of Abu Ad-Darda'." (Ahmad).

The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" further said: "When it is the day of Judgement, everyone of the believers will be given one from amongst the non-Muslims , and it will be said to him: "That is your ransom from the fire (of Hell)." (Muslim on the authority of Abu Musa).

It is narrated on the authority of Abu Burdah that he related to Umar Ibn Abd-Al-Aziz from his father Abu Musa "Allah be pleased with him" that the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "No Muslim person dies but that Allah admits to the fire in his place a Jew or a Christian." Umar Ibn Abd-Al-Aziz beseeched him to take oath by Allah other than Whom there is no god thrice to confirm to him whether his father related that to him from the Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him", and he took oath to that. (Muslim).

It is narrated on the authority of Umar Ibn Al-Khattab "Allah be pleased with him" that some prisoners were brought to The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" amongst whom there was a woman, who was searching (for someone) and when she found a child amongst the prisoners, she took hold of it, pressed it against her chest and provided it suck. The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Do you think this woman would ever afford to throw her child in the Fire?" We said: "By Allah, so far as it lies in her power, she would never throw the child in Fire." The Messenger of Allah "Allah's blessing and peace be upon him" said: "Allah is more merciful towards His servants than this woman towards her child." (Muslim).

Those Hadiths give us the glad tidings of the extensive mercy of Allah Almighty. So, we hope that Allah Almighty should not deal with us according to what we deserve, and rather endow us with what is fitting for Him, out of His great bounty, all-embracing generosity and extensive mercy.

CONTENTS

REVIVAL OF RELIGIOUS SCIENCES 3
QUARTER OF SAVIORS: THE FOURTH QUARTER OF REVIVAL OF RELIGIOUS SCIENCES 3
BOOK ONE: REPENTANCE 3
FIRST PILLAR: ON NATURE OF REPENTANCE: EXPLICATION OF REPENTANCE AND ITS DEFINITION 4
EXPLICATION OF OBLIGATION AND EXCELLENCE OF REPENTANCE 6
EXPLICATION THAT PROMPTNESS IS (ESSENTIAL IN FULFILLING) OBLIGATION OF REPENTANCE 11
EXPLICATION OF UNIVERSALITY OF OBLIGATION OF REPENTANCE FROM WHICH NONE IS FREE 13
EXPLICATION OF THE FACT THAT REPENTANCE IS SURELY ACCEPTED ONCE ITS REQUISITES ARE AVAILABLE 20
SECOND PILLAR: ON CONTEXT OF REPENTANCE, SINS: TRIVIAL AND MORTAL 24
EXPOSITION OF DIVISIONS OF SIN IN RELATION TO QUALITIES OF MAN 24
EXPLICATION OF HOW HIGHER AND LOWER STATES, IN THE HEREAFTER ARE DISTRIBUTED ACCORDING TO GOOD AND EVIL DEEDS IN THIS LIFE 33
EXPLICATION OF HOW MINOR SINS ARE INCREASED 47
THIRD PILLAR: ON PERFECTION, REQUISITES AND PERMANENCE OF REPENTANCE 50
EXPOSITION OF HOW PEOPLE DIFFER IN THE PERSEVERANCE OF REPENTANCE 65
EXPOSITION OF WHAT MUST THE REPENTANT HASTEN TO DO IF HE SINS EITHER WITH INTENTION AND DOMINANT DESIRE OR BY CHANCE 70
FOURTH PILLAR: ON REMEDY OF REPENTANCE; AND THE WAY OF TREATMENT FOR THE DISSOLUTION OF KNOT OF PERSISTENCE 75
BOOK TWO: PATIENCE AND GRATITUDE 91
PART ONE: PATIENCE 91
CHAPTER ONE: EXPLICATION OF MERIT OF PATIENCE 91
CHAPTER TWO: EXPLICATION OF REAL NATURE AND MEANING OF PATIENCE 94
CHAPTER THREE: EXPLICATION OF THE FACT THAT PATIENCE CONSTITUTES HALF THE FAITH 100
CHAPTER FOUR: EXPLICATION OF THE FACT THAT ITS NAMES DIFFER BY THE DIFFERENCE OF ITS APPURTENANCES 101
CHAPTER FIVE: EXPLICATION OF CATEGORIES OF PATIENCE IN RELATION TO STRENGTH AND WEAKNESS 102
CHAPTER SIX: EXPLICATION OF THE DIRE NEED FOR PATIENCE; AND THAT ONE COULD NOT DISPENSE WITH IT 105
CHAPTER SEVEN: EXPLICATION OF MEDICINE OF PATIENCE; AND THAT WHOSE AID IS SOUGHT TO SUPPORT IT 116
PART TWO: GRATITUDE 124
FIRST PILLAR: EXCELLENCE, REAL NATURE, DIVISIONS AND RULINGS OF GRATITUDE 124
EXCELLENCE OF GRATITUDE 124
EXPLICATION OF DEFINITION AND REAL NATURE OF GRATITUDE 127
EXPLICATION OF THE WAY OF GRATITUDE TO ALLAH ALMIGHTY 133
EXPLICATION OF THE DIFFERENCE BETWEEN WHAT ALLAH LIKES AND WHAT HE DISLIKES 140
SECOND PILLAR: THE OBJECT OF GRATITUDE 155
EXPLICATION OF REAL NATURE AND DIVISIONS OF FAVOR 155
EXPLICATION OF AN EXAMPLE THAT IS TYPICAL OF THE FACT THAT THE FAVORS OF ALLAH ALMIGHTY ARE COUNTLESS 171
THE FIRST SIDE OF ALLAH'S FAVORS: THE CREATION OF THE CAUSES OF PERCEPTION 172
THE SECOND SIDE OF ALLAH'S FAVORS AS REGARDS THE CREATION OF WILL 174
THE THIRD SIDE OF ALLAH'S FAVORS OF CREATING WELL AND INSTRUMENTS OF MOVEMENT 175
THE FOURTH SIDE: THE FAVORS OF ALLAH ALMIGHTY AS REGARDS THE SOURCES OF FOOD 181
THE FIFTH SIDE. THE FAVORS OF ALLAH ALMIGHTY CONCERNING THE MEANS BY WHICH FOOD REACHES YOU 184
THE SIXTH SIDE: PREPARATION OF FOOD 184
THE SEVENTH SIDE: PREPARATION OF MAKERS 185
THE EIGHTH SIDE: EXPOSITION OF THE FAVORS OF ALLAH CONCERNING THE CREATION OF ANGELS "PEACE BE UPON THEM" 187
EXPOSITION OF WHY PEOPLE ARE DIVERTED FROM GRATITUDE 191
THIRD PILLAR: THAT IN WHICH PATIENCE AND GRATITUDE SHARE AND ARE RELATED TO EACH OTHER 196
EXPOSITION OF THE WAY IN WHICH PATIENCE AND GRATITUDE GATHER ON ONE THING 196
BOOK THREE: FEAR AND HOPE 216
PART ONE: HOPE 216
CHAPTER ONE: EXPOSITION OF ESSENCE OF HOPE 216
CHAPTER TWO: EXPOSITION OF MERIT OF HOPE AND INCLINATION TOWARDS IT 220
CHAPTER 3: EXPOSITION OF REMEDY OF HOPE AND THE WAY IN WHICH THE STATE OF HOPE IS OBTAINED FROM IT AND BECOMES DOMINANT 222
PART TWO: FEAR 234
CHAPTER ONE: EXPOSITION OF ESSENCE OF FEAR 234
CHAPTER 2: EXPOSITION OF DEGREES OF FEAR AND ITS DIFFERENTIATION INTO POWER AND WEAKNESS 237
CHAPTER 3: EXPOSITION OF DIVISIONS OF FEAR IN RELATION TO THE OBJECT WHICH IS FEARED 239
CHAPTER 4: EXPOSITION OF MERIT OF FEAR AND INCLINATION TO IT 243
EXPOSITION THAT THE OPTIMUM IS THE DOMINANCE OF FEAR OR THE DOMINANCE OF HOPE OR THE TWO IN EQUILIBRIUM 249
CHAPTER 5: EXPOSITION OF REMEDY BY WHICH STATE OF FEAR IS OBTAINED 254
CHAPTER 6: EXPOSITION OF MEANING OF EVIL OF SEAL 265
CHAPTER 7: EXPOSITION OF STATES OF PROPHETS AND ANGELS IN RESPECT TO FEAR 276
CHAPTER EIGHT: EXPOSITION OF STATES OF COMPANIONS, THEIR FOLLOWERS AND THE RIGHTEOUS PREDECESSORS AND THOSE ENDUED WITH FAITH IN THE GRIP OF FEAR 280
BOOK FOUR: POVERTY AND ASCETICISM 290
PART ONE: POVERTY 291
CHAPTER ONE: EXPOSITION OF REAL NATURE OF POVERTY; AND DIFFERENT STATES AND NAMES OF THE POOR 291
CHAPTER TWO: EXPOSITION OF EXCELLENCE OF POVERTY IN GENERAL 295

CHAPTER THREE: EXPOSITION OF MERIT OF SOME PARTICULAR POOR FROM AMONG THE CONTENTED, SATISFIED AND TRUTHFUL 303
CHAPTER FOUR: EXPOSITION OF SUPERIORITY OF POVERTY OVER RICHNESS 306
CHAPTER FIVE: EXPOSITION OF ETIQUETTES OF THE POOR IN HIS POVERTY 313
CHAPTER SIX: EXPOSITION OF ETIQUETTES OF THE POOR IN ACCEPTING GIFTS WHEN GIVEN TO HIM WITHOUT BEGGING 315
CHAPTER SEVEN: EXPOSITION OF PROHIBITION OF BEGGING WITH NO NECESSITY; AND ETIQUETTES THEREIN IF ONE IS FORCED TO DO 320
CHAPTER EIGHT: EXPOSITION OF THE EXTENT TO WHICH SELF-SUFFICIENCY MAKES BEGGING UNLAWFUL 326
CHAPTER NINE: EXPOSITION OF STATES OF BEGGARS 328
PART TWO: ASCETICISM 330
CHAPTER ONE. EXPOSITION OF THE REAL NATURE OF ASCETICISM 330
CHAPTER TWO: EXPOSITION OF SUPERIORITY OF ASCETICISM 335
CHAPTER THREE: EXPOSITION OF DEGREES AND DIVISIONS OF ASCETICISM IN RELATION TO ITSELF, THE THING ABSTAINED FROM, AND THE THING DESIRED FOR 344
CHAPTER FOUR. EXPOSITION OF PREFERENCE OF ASCETICISM IN LIFE NECESSITIES 351
CHAPTER FIVE: EXPOSITION OF SIGNS OF ASCETICISM 366
BOOK FIVE: MONOTHEISM AND RELIANCE ON ALLAH ... 369
INTRODUCTION: EXPOSITION OF VIRTUE OF RELIANCE ON ALLAH 370
PART ONE: MONOTHEISM 373
CHAPTER ON EXPOSITION OF THE REAL NATURE OF MONOTHEISM, WHICH IS THE FOUNDATION OF RELIANCE 373
PART TWO: STATES AND DEEDS OF RELIANCE ON ALLAH 388
CHAPTER ONE: EXPOSITION OF STATE OF RELIANCE .. 388
CHAPTER TWO: EXPOSITION OF THE STATEMENTS OF MANY SHEIKHS ABOUT THE DIFFERENT STATES OF RELIANT 393
CHAPTER THREE: EXPOSITION OF DEEDS OF RELIANT 395
THE FIRST PURPOSE: TO GET A BENEFIT 395
EXPOSITION OF RELIANCE AS TO EARNING FOR THE SINGLE AND THE RESPONSIBLE FOR HIS FAMILY 405
EXPOSITION OF STATES OF RELIANT IN ATTACHMENT TO SUSTENANCE THROUGH A SIMILITUDE 410
THE SECOND PURPOSE: TO KEEP A BENEFIT 411
EXPOSITION OF RELIANCE AS REGARDS THE CAUSES OF SAVING AND THE AMOUNT TO BE SAVED 411
THE THIRD PURPOSE: TO AVERT HARM EXPOSITION OF SEEKING MEANS THAT AVERT HARM WHICH LEADS TO FEAR 415
EXPOSITION OF ETIQUETTES OF RELIANT WHEN THEIR LUGGAGE IS STOLEN 419
THE FOURTH PURPOSE: TO PREVENT HARM 422
EXPOSITION OF SEEKING TO PREVENT HARM LIKE TREATING AILMENT AND THE LIKE OF IT 422
REFUTATION OF THE CLAIM THAT LEAVING MEDICINE IS BETTER IN ALL STATES 432
EXPOSITION OF STATES OF RELIANT IN DISCLOSING AND CONCEALING ILLNESS 435
BOOK SIX: LOVE, LONGING, INTIMACY AND CONTENTMENT 437
PART ONE: LOVE, LONGING AND INTIMACY 437
CHAPTER ONE: EXPOSITION OF THE SHARIA-BASED QUOTATIONS IN LOVE OF THE SERVANT FOR ALLAH ALMIGHTY 438
CHAPTER TWO. EXPOSITION OF REAL NATURE AND CAUSES OF LOVE FOR ALLAH; AND VERIFICATION OF THE SERVANT'S LOVE FOR ALLAH ALMIGHTY 441
CHAPTER THREE: EXPOSITION OF THE FACT THAT NONE DESERVES LOVE OTHER THAN ALLAH ALMIGHTY ALONE 447
CHAPTER FOUR: EXPOSITION OF THE FACT THAT THE NOBLEST AND HIGHEST PLEASURE LIES IN THE GNOSIS OF ALLAH ALMIGHTY AND LOOKING AT HIS BOUNTEOUS FACE; AND NO PLEASURE HAS THE SAME EFFECT UNLESS ONE IS DEPRIVED OF IT 457
CHAPTER FIVE: EXPOSITION OF WHY THE PLEASURE OF LOOKING IN THE HEREAFTER EXCELS THE PLEASURE OF THE GNOSIS IN THE WORLD 464
CHAPTER SIX: EXPOSITION OF CAUSES THAT STRENGTHEN LOVE FOR ALLAH ALMIGHTY 469
CHAPTER SEVEN: EXPOSITION OF WHY PEOPLE VARY IN LOVE 473
CHAPTER EIGHT: EXPOSITION OF WHY PEOPLE'S MINDS FALL SHORT OF GNOSIS OF ALLAH ALMIGHTY 475
CHAPTER NINE: EXPOSITION OF MEANING OF LONGING FOR ALLAH ALMIGHTY 477
CHAPTER TEN. EXPOSITION OF ALLAH'S LOVE FOR SERVANT, AND ITS MEANING 484
CHAPTER ELEVEN: EXPOSITION OF SIGNS OF SERVANT'S LOVE FOR ALLAH ALMIGHTY 489
CHAPTER TWELVE: EXPOSITION OF MEANING OF INTIMACY WITH ALLAH 502
CHAPTER THIRTEEN: EXPOSITION OF MEANING OF ELATION AND PAMPERING PRODUCED BY OVERWHELMING INTIMACY 504
PART TWO. CONTENTMENT 510
CHAPTER ONE: EXPLICATION OF VIRTUE OF CONTENTMENT 510
CHAPTER TWO: EXPLICATION OF REAL NATURE OF CONTENTMENT AND ITS NOTION WITH WHAT OPPOSES INCLINATION 516
CHAPTER THREE: EXPLICATION OF THE FACT THAT INVOCATION NEVER CONTRADICTS CONTENTMENT 521
CHAPTER FOUR: EXPLICATION OF THE FACT THAT FLIGHT FROM OR CRITICISM OF PLACES OF SINS AND DISOBEDIENCE DOES NOT DISAPPROVE OF CONTENTMENT 524
CHAPTER FIVE: EXPLICATION OF MANY STATEMENTS OF LOVERS 526
BOOK SEVEN: INTENTION, SINCERITY AND TRUTH 531
CHAPTER ONE: INTENTION 532
EXPLICATION OF VIRTUE OF INTENTION 532
EXPLICATION OF REAL NATURE OF INTENTION 536
EXPLICATION OF DEEDS THAT ARE RELATED TO INTENTION 541
EXPLICATION OF THE FACT THAT INTENTION IS BEYOND CHOICE 548
CHAPTER TWO: SINCERITY ITS VIRTUE, REAL NATURE AND DEGREES 552
VIRTUE OF SINCERITY 552
EXPLICATION OF REAL NATURE OF SINCERITY 556
EXPLICATION OF STATEMENTS OF RIGHTEOUS IN SINCERITY 559
EXPLICATION OF DEGREES OF IMPURITIES AND EVILS THAT STAIN SINCERITY 561
EXPLICATION OF THE RULING OF THE DEED IN CONNECTION WITH WHICH SINCERITY IS STAINED; AND TO WHAT EXTENT IT IS REWARDABLE 563
CHAPTER THREE: TRUTH 566
ITS VIRTUE AND REAL NATURE 566
EXPLICATION OF VIRTUE OF TRUTH 568
EXPLICATION OF REAL NATURE, MEANING AND RANKS OF TRUTH 568
BOOK EIGHT. WATCHING AND RECKONING 575
CHAPTER ONE: FIRST STATION: PUTTING CONDITIONS 577
CHAPTER TWO: SECOND STATION: WATCHING 581

EXPLICATION OF VIRTUE OF WATCHING 581
CHAPTER THREE: THIRD STATION: RECKONING SELF AFTER DOING THE DEED 590
VIRTUE OF RECKONING SELF 590
EXPLICATION OF REAL NATURE OF RECKONING AFTER DOING THE DEED 592
CHAPTER FOUR: FOURTH STATION: PUNISHING SELF .. 593
CHAPTER FIVE: FIFTH STATION: SELF-MORTIFICATION 595
CHAPTER SIX: SIXTH STATION: SELF REPROACHING AND BLAMING 603
BOOK NINE: MEDITATION 609
CHAPTER ONE: EXPLICATION OF VIRTUE OF MEDITATION 609
CHAPTER TWO: EXPLICATION OF REAL NATURE AND FRUIT OF MEDITATION 612
CHAPTER THREE: EXPLICATION OF FIELDS OF MEDITATION 614
CHAPTER FOUR: EXPLICATION OF THE WAY OF MEDITATION IN THE CREATION OF ALLAH ALMIGHTY 620
BOOK TEN:REMEMBRANCE OF DEATH AND HEREAFTER LIFE 630
PART ONE: WHAT PRECEDES AND SUCCEEDS DEATH TO THE SOUNDING OF THE TRUMPET 631
CHAPTER ONE: EXCELLENCE OF REMEMBRANCE OF DEATH AND EXHORTATION TO REMEMBER IT 631
EXPLICATION OF EXCELLENCE OF REMEMBRANCE OF DEATH 632
EXPLICATION OF THE WAY TO REMEMBER DEATH 635
CHAPTER TWO: CONCERNING LONG HOPE; AND EXCELLENCE OF SHORT HOPE; AND WHY IT IS LONG; AND HOW IT IS REMEDIED 635
EXCELLENCE OF SHORT HOPE 635
EXPLICATION OF WHY HOPE IS LONG, AND ITS REMEDY ... 640
EXPLICATION OF THE DIFFERENT RANKS OF PEOPLE CONCERNING LONG AND SHORT HOPES 642
EXPLICATION OF THE NECESSITY TO HASTEN TO WORK AND CAUTION OF THE EVIL OF DELAY 643
CHAPTER THREE: DEATH AGONIES AND DIFFICULTIES; AND WHAT IS FAVORABLE OF STATES WHENEVER IT COMES 647
EXPLICATION OF SUCH OF STATES AS FAVORABLE FOR THE WOULD-BE DEAD AT DEATH 653
EXPLICATION OF GRIEF AT MEETING THE ANGEL OF DEATH THROUGH MANY TALES 655
CHAPTER FOUR: CONCERNING THE DEATH OF THE MESSENGER OF ALLAH "ALLAH'S BLESSING AND PEACE BE UPON HIM" AND THE RIGHTLY-GUIDED CALIPHS AFTER HIM 657
THE DEATH OF THE MESSENGER OF ALLAH "ALLAH'S BLESSING AND PEACE BE UPON HIM" 657
THE DEATH OF ABU BAKR AS-SIDDIQ "ALLAH BE PLEASED WITH HIM" 666
THE DEATH OF UMAR IBN AL-KHATTAB "ALLAH BE PLEASED WITH HIM" 668
THE DEATH OF UTHMAN IBN AFFAN "ALLAH BE PLEASED WITH HIM" 671
THE DEATH OF ALI "ALLAH BE PLEASED WITH HIM" 672
CHAPTER FIVE: THE WORDS OF THE WOULD-BE DEAD FROM AMONG RULERS AND RIGHTEOUS 672
EXPLICATION OF STATEMENTS OF A SET OF RIGHTEOUS FROM AMONG THE COMPANIONS AND THEIR FOLLOWERS 674
CHAPTER SIX: OPINIONS OF THE LEARNED ABOUT FUNERALS AND GRAVES; AND RULING ON VISITING GRAVES 676
EXPLICATION OF THE STATE OF THE DEAD IN THE GRAVE, AND THEIR STATEMENTS AT THE GRAVES .. 678
EXPLICATION OF VISITING THE GRAVES AND SUPPLICATION FOR THE DECEASED 682
CHAPTER SEVEN: REAL NATURE OF DEATH; AND WHAT A DEAD RECEIVES IN THE GRAVE UNTIL THE SOUNDING OF THE TRUMPET 687
EXPLICATION OF REAL NATURE OF DEATH 687
EXPLICATION OF THE GRAVE'S SPEECH TO THE DEAD , AND THE DEAD'S SPEECH, EITHER IN WORD OR IN STATE, WHICH IS MORE EXPRESSIVE TO REACH THE DEAD THAN THE WORD TO THE LIVING 693
EXPLICATION OF PUNISHMENT OF GRAVE; AND INTERROGATION OF MUNKAR AND NAKIR 694
CHAPTER EIGHT: WHAT IS KNOWN FROM THE STATES OF THE DEAD BY MEANS OF REVELATION IN DREAMS 701
EXPLICATION OF VISIONS THAT UNCOVER THE STATES OF THE DEAD AND THE DEEDS THAT BENEFIT IN THE HEREAFTER 705
PART TWO: STATES OF THE DEAD FROM THE SOUNDING OF THE TRUMPET TO THE ABIDANCE EITHER IN PARADISE OR IN HELL, AND ITS RELATED TERRORS AND RISKS 708
CHAPTER ONE: EXPLICATION OF THE SOUNDING OF THE TRUMPET 708
CHAPTER TWO: ACCOUNT OF THE MUSTERING LAND AND ITS INHABITANTS 711
CONCERNING THE SWEAT 712
CHAPTER THREE: ACCOUNT OF THE DURATION OF THE DAY OF RESURRECTION 714
CHAPTER FOUR: ACCOUNT OF THE DAY OF JUDGEMENT, ITS TERRORS AND NAMES 715
CHAPTER FIVE: ACCOUNT OF INTERROGATION 718
CHAPTER SIX: ACCOUNT OF THE BALANCE (OF DEEDS) 722
CHAPTER SEVEN: ACCOUNT OF FOES AND REMOVAL OF INJUSTICES 723
CHAPTER EIGHT: ACCOUNT OF SIRAT 727
CHAPTER NINE: ACCOUNT OF INTERCESSION 729
CHAPTER TEN: ACCOUNT OF THE FOUNTAIN 734
CHAPTER ELEVEN: ACCOUNT OF HELL, ITS TERRORS AND CHAINS 736
CHAPTER TWELVE: ACCOUNT OF PARADISE AND ITS BLISS 745
ACCOUNT OF WALLS, FLOORS, TREES AND RIVERS OF PARADISE 750
ACCOUNT OF THE CLOTHES, THRONES AND CUSHIONS OF THE INHABITANTS OF PARADISE 751
ACCOUNT OF THE FOOD OF THE INHABITANTS OF PARADISE 752
CHAPTER THIRTEEN: ACCOUNT OF HOURIS OF BIG LUSTROUS EYES 754
A SET OF VARIOUS ATTRIBUTES OF THE INHABITANTS OF PARADISE 755
CHAPTER FOURTEEN: ACCOUNT OF VISION AND LOOKING AT THE COUNTENANCE OF ALLAH 757
CHAPTER FIFTEEN: EXTENSIVE MERCY OF ALLAH ALMIGHTY 758
CONTENTS 766

THE MYSTERIES OF WORSHIP IN ISLAM

Translation with Commentary and Introduction

Of

AL-GHAZZALI'S BOOK OF THE IHYA' ON THE WORSHIP

Book IV

EDWIN ELLIOT CALVERLEY

HALALCO BOOKS
108 E. Fairfax Street
Falls Church, VA 22046 (USA)
Phone: (703) 532-3202
Fax : (703) 241-0035

KITAB BHAVAN
New Delhi-110002

KITAB BHAVAN
Exporters & Importers
1784, Kalan Mahal, Daryaganj
New Delhi-110002 [India]

Phones : 3274686, 3263383
Telex : 31-63106 ALI IN
Fax : 91-11-3263383

ISBN 81-7151-62-7

First Indian Edition 1992

Published by:
Nusrat Ali Nasri for Kitab Bhavan
1784, Kalan Mahal, Daryaganj
New Delhi-110002 [India]

Printed in India at:
Nazia Printers
Rodgran, Lal Kuan
Delhi-110006

From the Translator's Introduction

The Muslims use the term *'ibadah* to express the relationship and attitude of a creature as slave to Allah, his Lord, Who formed him and therefore owns him. This relationship finds outward expression in acts of obedience, worship and devotion. Some of these acts are commanded; others are recommended; while still others are voluntary.

Chief among those that are commanded are fasting, pilgrimage to Mecca, payment of the quarter-tithe and the *salah*. *Salah* here means a specific ceremony of *ibadah*, opened with the expression "Allah is greater," and closed with the Salutation. To designate this special ceremony the term "Worship" will be used, rather than "prayer," simply because it is a ceremonial service.

It is chiefly by means of the *salah*, Worship, that the prayer and devotional life is expressed in Islam, both in public and private Worship. Other expressions of Worship and devotion consists in *al-tilawah*, the Recital of the Qur'an; *al-du'd'*, the offering of Supplication; *al-dhikr*, the Invocation of the Names of Allah and the mentioning of His Qualities; *al-wird*, the Recital of a section of the Qur'an or other religious work; *al-hizb*, a Portion of the Qur'an or other devotional writing used as a petition, together with other forms of communion with Allah to be mentioned later....

The Performance of the Worship

The performance of the Worship is preceded by certain necessary acts. These include the cleansing of the body, clothing and place of Worship. Book Three of the First Quarter of the *Ihya'* describes the proper performance of these operations. After them follows the covering of the person from the navel to the knees, when the worshipper is a man. These acts are the prerequisites of the Worship.

When they are finished the man is ready for the Worship. He assumes (1) (the same numbering of the parts of the Worship will be repeated in the Analytical Table, pp. xiii-xv) the Standing Position, facing the *qiblah* with his feet apart, his head preferably inclined, and his gaze upon his place of Worship.

Then he says (2) the *Basmalah*: "In the name of Allah, the Merciful and Compassionate One," He says immediately after it (3) the *Ta'awwudh*, Seeking for Refuge: "Say: I seek refuge in the Lord of mankind, the Possessor of mankind, the God of mankind, from the evil of the Whisperer, the one who goes back, who whispers in the breasts of mankind, of the jinn and mankind" (Qur'an, cxiv.).

Then, if he expects anyone to Worship behind him, he says (4) the Call to Worship: "Allah is greater! Allah is greater! I witness. There is no god but Allah! I witness, Muhammad is the Messenger of Allah! Come to the Worship! Come to Prosperity; Allah is greater!"

Instead of the two phrases, "Come to the Worship! Come to Prosperity," called the *Hai'alatain*, the follower says: "There is no might and no strength but in Allah!"

In the Morning Worship the *mu'adhdhin* adds, after the *Hai'alatain*, the *Tathwib*: "The Worship is better than sleep!"

The follower thereupon responds: "You have spoken truly! You have acted rightly! You have given good advice!"

After the Call to the Worship, the *mu'adhdhin*, or the worshipper himself if he is alone, says (5) the Institution: "The Worship is instituted!"

The follower responds: "May Allah institute it and continue it as long as the heavens and the earth continue!"

He also adds: "O Allah! by the right of this complete Call and Worship instituted, grant Muhammad mediation and excellence, and elevate him to the praiseworthy station which Thou didst promise him: Thou dost not violate a promise!"

These items, except the Standing Position, constitute the Introduction to the Worship, and are not considered to be parts of the Worship itself. The Worship proper begins with (6) the

Intention: "I perform at its proper time the Prescribed Noon Worship to Allah."

The statement of Intention must be appropriate to the Worship presented; cf. pp. 21-22 of Translation. The Intention is made in the heart, according to al-Ghazzali. As soon as it is present in his heart, the worshipper (7) Raises the Hands, until the tips of the fingers are opposite the tops of the ears, with the palms toward the *qiblah*. Resting them there a moment, he begins (8) the *Takbir*, and then lowers his hands, placing the left just above the navel, and the right on the left, with the index and next finger along the left forearm, and the others grasping the wrist. This *Takbir* is called the *taharrum*, and also the *takbirat al-ihram*, because it forbids to the worshipper what was previously allowable, that is, he enters upon a time sacred to Allah, when only certain words and acts are allowable, and all others, at other times permissible, are now forbidden. The *Takbir* consists of the words: "Allah is greater!"

It is said by the follower only audibly enough for himself to hear, and it is said after the *imam* finishes saying it. It is immediately followed by (9) the Opening Supplication, which is so called because it is the supplication with which the Worship is begun after the *Takbir*. It is as follows: "Allah is greater indeed! Much praise belongs to Allah! O the praise of Allah, early and late! I have turned my face to Him Who divided the heavens and the earth, as a Hanif, and I am not one of the associators; my Worship and my devotion, my time of living and of dying belong to Allah, the Lord of the worlds, Who has no associate; and that I am commanded, and I am one of the Muslims."

More may be added to this. In the same position he says (10) the *Ta'awwudh*, the Seeking for Refuge: "I seek refuge in Allah from the Pelted Satan!"

Then he recites (11) the Fatihah, beginning with the *Basmalah:* "In the name of Allah, the Merciful and Compassionate One. Praise belongs to Allah, the Lord of the worlds, the Merciful Compassionator, Possessor of the Judgment Day! Thee do we Worship and of Thee do we ask aid! Guide us into the Straight Way, the Way of those on whom Thou hast bestowed favour, not of those against whom there is anger, nor of those going astray!"

It is recited audibly when alone, in the Morning, Sunset and Evening Worships. This is followed by the audible utterance of (12) the *Ta'min*: "Amin!"

Then he recites (13) the *Surah*, consisting of three or more verses of the Qur'an. At the Noon Worship the eighty-fifth *Surah* may be used, as follows: "By the sky having towers! By the Day promised! By a Seeing One, and one seen!" etc.

That finishes the Recital. The Bowing comes next. This he does by (14) Raising the Hands, and simultaneously saying (15) the *Takbir*: "Allah is greater!"

At the same time he performs (16) the Bowing, placing his palms on his knees, which are kept straight, and making his back, neck and head to be in line, level. In this position he recites, three times or, if alone, seven or ten times, (17) the *Tasbih*, or Praise: "O the praise of my great Lord!"

Then (18) he Rises to the Standing Position; (19) Raising his Hands; and says (20) the *Tasmi'*: "Allah hearkens to anyone who says His praise!"

He remains quiet a moment in this standing position.

The remaining quiet or composed is called the *tuma'innah*. While in this position he adds to the *Tasmi'*. "O our Lord! Thine is the praise to the fullness of the heavens and the earth, and to the fullness of whatever else Thou wilt!"

This may be lengthened still more in the Worships of the *Tasbih*, the Praise (see pp. 156 of the Translation) and of the *Kusuf*, Eclipse (See pp. 146 ff. of the Translation) and of the Prescribed Morning Worship. Then he lowers himself to the ground, saying (21) the *Takbir*: "Allah is greater!" until he completes (22) the Prostration, by placing his knees, hands and face on the ground. In this position he says, three or more times (23) the *Tasbih*: "O the praise of my Lord, the Most High!"

Then he (24) Raises his Head, saying (25) the *Takbir*: "Allah is greater!"

He then sits on his left foot, with his hands on his thighs, and makes (26) Seven Supplications: "O my Lord! Forgive me! Have mercy on me! Apportion provision for me! Guide me! Help me! Preserve me in health and pardon me!"

Then he lowers himself again saying (27) the *Takbir*: "Allah is greater!" and completes (28) a Second Prostration like the first, and three times (29) the *Tasbih*: "O the praise of Allah, the Most High!"

Then he raises his head, saying (30) the *Takbir*: "Allah is greater!" until he comes to the Sitting Position, sitting briefly in each *Rak'ah*, Cycle, not followed by the Witnessing, and then rises, prolonging his *Takbir* to the middle of his standing.

This is the end of the First *Rak'ah*, or cycle of acts and utterances in the Worship, and he follows it with a second, precisely like it, beginning with the Seeking Refuge.

At the end of the Second Prostration of the Second *Rak'ah*, instead of rising, the worshipper continues in (31) the Sitting Position, sitting on his left foot, with his hands on his thighs, with the index finger of the right hand extended and the others folded. Then he says (32) the First Witnessing: "The greetings belong to Allah! Peace be upon thee, O Prophet, and the mercy and blessing of Allah! Peace be upon us, and upon the righteous creatures of Allah! I witness: There is no god but Allah! I witness: Muhammad is the Messenger of Allah!"

In the same position he says (33) the Blessing upon the Messenger of Allah and upon his family: "O Allah! Bless the Messenger of Allah! and the family of Muhammad!"

Then he changes his position, and (34) sits on his left thigh, and says (35) the Last Witnessing: "I witness: There is no god but Allah! I witness: Muhammad is the Messenger of Allah!"

This is followed by (36) the Blessing upon the Prophet: "O Allah! Bless the Messenger of Allah!"

After this (37) the Traditional Supplication is said.

The worshipper may make any supplication he will for anything of this life or the next. Sayyid Murtada says the best supplication is: "O Allah! I seek refuge in Thee from the punishment of the grave! I seek refuge in Thee from the testing of the Antichrist! I seek refuge in Thee from the testing of the time of life and of death! O Allah! I seek refuge in Thee from

sin and obligation!"

Then the worshipper turns his head to the right for (38) the First Salutation: "Peace be upon you, and the mercy of Allah!"

He then turns to the left for (39) the Second Salutation: "Peace be upon you, and the mercy of Allah!"

At the same time he has (40) the Intention of withdrawing from the Worship with the Salutation.

The Parts of the Worship

In the preceding description of the performance of the Worship it has been noticed that the Worship consists of acts and utterances of varying importance and prominence.

There are two preparatory operations. The first is the *wudu'*, "ablution", or *ghusl*, "bathing". This includes the cleaning of the body, clothing and place of Worship. Precise directions are given for the kind of water that may be used for the cleansing and for the *tayammum*, the use of *turab*, "clean earth," when water is not available. The other is the clothing of the person. The minimum is covering the body from the navel to the knees, for man and slave women, but the putting on of the turban is also included. The free woman covers herself as completely as she does when she is to be seen by any other people than those of her own family.

There are three other prerequisites of the Worship, which really indicate those upon whom the Worship is obligatory. These are *al-islam*, that is, acceptance of the faith, the attainment of puberty, and the possession of intelligence.[1]

When these preliminaries are completed the Worship may be begun. There are four introductory parts: the *basmalah*, i.e. saying, "In the name of Allah"; the *ta'awwudh*, the Seeking for Refuge; the *adhan* the Call; and the *iqamah*, the Institution. These are called the *shurut*, "stipulations," of the Worship. This term *shart* is also applied to the inner qualities or states of the heart, such as humbleness, magnifying, fear, awe, hope and shamefacedness, which, it is stipulated, with varying degrees of emphasis, are to accompany the outward acts and utterances of the Worship.

1. Al-Bajuri, *Commentary or Ibn Shujd'*, I, 157 f.

These *shurut*, Stipulations, of the Introduction are all performed by the worshipper in the Standing Position, which is the first of the *fara'id*, Prescribed, parts of the Worship. Another term also used by al-Ghazzali interchangeably with *faza'id* for the Prescribed Element is *arkan*, which is the term used most by his commentator. The word *fara'id* includes both the *arkan* and the *shurut*, but it is the outward acts and utterances which are the *arkan* that determine the validity of the Worship, rather than the *shurut*, the inner Stipulations. In this work al-Ghazzali includes the Intention among the Prescribed Elements, although in his *Wajiz* he places the Intention among the Stipulations.

The Prescribed Elements are those upon which the validity of the Worship normally depends. Modifications are allowed or required in certain performances of the Worship. For instance, the Standing Position is not an absolute requirement in the *nafl*, Supererogatory, Worship, nor the *fard*, Prescribed, Worship in the case of inability.

In addition to the Prescribed Elements there are *sunan*, Usage, acts the utterances in the Worship. They are of hardly less importance than the Prescribed Elements, for, while the Worship is valid, it is not complete without them. Some of these Usages are indeed so important that if they are omitted through forgetfulness they should have an extra prostration called *sajdat al-sahw*, Prostration of Forgetfulness or Oversight, to be performed before the Salutation, to make up for them. The four Usage Parts that should have the Prostration of Forgetfulness are called *ab'ad*, Parts.

Both the Prescribed Elements and the Usages include both *af'al*, Acts, and *adhkar*. Utterances, which are enumerated in the Text. Each one of these acts and utterances, of both the Elements and Usages, is done in certain recommended manners, which are called *adab*, Proprieties, and *hai'at*, Forms. The Standing is done with the head, hands and feet in specified positions. The *Takbir* is recited in a specified manner, with special care given to the vowelling of the consonants and with the utterance of the letters done while in certain positions.

The enumeration of the parts of the Worship is not fixed in Islam. The authors differ in the parts they consider to be separate

elements, and consequently in the enumeration of the parts. Al-Ghazzali, for instance, considers the Bending down from the Standing Position until the worshipper comes to rest, with his palms on his knees and his back and head level, all as the Bowing, and counts it as one single Element. Others consider the Bending down to be the Bowing, and the *mutma'innah*, the Coming to Rest, in the bowing position to be a separate Element. Al-Ghazzali considers the Coming to Rest to be a Form of the Bowing, and only to that extent admits it to be a distinct part of the Worship. The situation is the same in the case of the Prostration.

Because of this variance in the differentiation of the parts of the Worship, some authors give the number of the Elements to be eleven, twelve, thirteen, up to eighteen and the case is similar with the *sunan*, Usages, of the Worship.

Another difficulty of enumeration arises through the fact that some authors count a part of the Worship only once in their list of the Elements or the Usages, although that same part will be repeated two or more times in the Worship. For instance, each *Rak'ah* of the Worship contains two Prostrations, but in the enumeration of the Elements they are counted as one, and similarly the Rising from the position of Prostration is counted as one Element.

A further development of this enumeration is that the parts are counted as if the Worship consisted of a single *Rak'ah*, Cycle, that is, as if it were a *Witr*, Odd, Worship of only one *Rak'ah*, although the five prescribed performances of the Worship have two, three or four *Rak'ahs*, with a consequently varying number of times of occurrence of each Element and with also a varying total number of Parts.

In the following table the Worship is analysed into the component parts, although not all the *ha'idt*, Forms, that al-Ghazzali mentions in connection with each Element or Usage are given.

Analytical Table of the Arkan, Elements, Sunan, Usages, and Hai'at, Forms, of the Worship

ARKAN					*SUNAN*		
af'al Acts	*hai'at*	*adhkar* Utterances	*hai'at*	*af'al*	*hai'at*	*adhkar*	*hai'at*
1. Standing	Facing *qiblah* Feet paired Knees straight Head lowered					2 Basmalah 3 Seeking Refuge 4 Call 5 Institution	
		6 Intention 8 *Takbir*		7 Raising hands	Palms out Lowers hands Puts right on left Two fingers extended Others grasp writs		
			Begins *alif* Ends *ra'*			9 Opening Supplication 10 Seeking Refuge	
		11 Recites *al-Fatihah*	Perfects the letters			12 Says "*amin*"	Audibly Prolongs it Separates it from *al-Fatihah*
						13 Recites the *Surah*	

Analytical Table of the Arkan, Elements, Sunan, Usages, and Hai'at, Forms, of the Worship

ARKAN				SUNAN			
af'al Acts	*hai'at*	*adhkar* Utterances	*hai'at*	*af'al*	*hai'at*	*adhkar*	*hai'at*
							Three verses Long in morning Short in evening
				14 Raises hands			15 *Takbir*
16 Bowing						17 *Tasbih*	
	Head and back level Hands on knees						Three, seven or ten times
18 Straightening				19 Raises hands			
	Stands briefly Stands long in morning					20 *Tasmi'* 21 *Takbir*	
22 Prostration							
	Knees on ground Hands on ground Forehead on ground Hands opposite shoulders					23 *Tasbih*	
24 Straightening							
	To sitting position As he raises head Sits on left foot Right foot is straight Hands on thighs Fingers extended					25 Says *Takbir* 26 Seven Supplications 27 *Takbir*	

28 Second Prostration						29 *Tasbih*	
	Like 22					Like 23 30 *Takbir* Like 25	
Straightening (a component part of 1 *b* or 31)							
	Sitting briefly at close of each *rak'ah* not followed by Witnessing						
						Or, instead of	
1b Straightening						31 Sitting for First witnessing	
	Standing, for Second *rak'ah*, with			1b Raising hands, etc.			
						Sits on left foot Folds right fingers Extends index fingers	
						32 First Witnessing 33 Greeting and Blessing on Prophet	
34 Sitting for Last Witnessing							
	Left foot on ground						
		35 Last Witnessing 36 Blessing on Prophet 38 First Salutation				37 Supplication	
			Turns to right Cheeks seen from behind Salutes angels and Muslims				
						39 Second Salutation	
						Turns to left	
						40 States Intention to stop.	

The Kinds of the Worship

Passing from the consideration of the content of the Worship to the description of the kinds of the Worship, it is found that there are two divisions, the *fara'id*, Prescribed, and *nawafil*, Additional Supererogatory. It is noticed that the same word *fard* is used in connection with both the parts of a single performance of a Worship and with the Worship as a whole. Similarly, the word *sunnah*, Usage, is applied to some of the acts and utterances of the Worship, and to one of the kinds of the *nafl*, Supererogatory, Worship. The word *fard* is in common use among Muslim authors to mean the same performances that al-Ghazzali includes under that name. These are the five daily performances, consisting of the morning, noon, mid-afternoon, sunset and evening Worships. These are prescribed, required or obligatory. If they are abandoned intentionally, the penalty is death, or, among Hanafites, imprisonment until compliance.

The number of the *Rak'ahs*, Cycles, in the five daily performances of the Worship is fixed. The Morning Worship has two, Sunset has three, Noon, Mid-afternoon and Evening have four each. On Friday, the Congregational Worship takes the place of the Noon Worship, but if it is missed, the Noon Worship must be performed. The three performances of Noon, Afternoon and Evening may have two *Rak'ahs* each, instead of four, during a journey.

Al-Ghazzali calls all the performances of the Worship that are not Prescribed *nawafil*, Supererogatory, meaning "extra, additional". Other authors use other classifications, using the words *tatawwu'*. "voluntary", *wajib*, "behoving," *muwakkadah*, "confirmed," *mustahabb*, "liked," *mandub*, "recommended," *marghub fihi*, "desired," *sunnah*, "usage," *hasan*, "beautiful," *adab*, "proper," *fadilah*, "excellent," *hai'ah*, "form," and *nafl*, "additional". Al-Ghazzali has simply chosen certain of these words to label his classifications of the Worship, and states that there is no objection to the use of a different nomenclature on the parts of others. The important thing is to understand his use of the terms.

The *nafl*, Supererogatory, performances of the Worship then include all those that are not Prescribed. The religious law pronounces the doing of all these performances to be preferable

to the omitting of them, and says that they secure reward, although the omitting of them is allowable, and not punished.

There are two concurrent classifications of them. The first classification relates to their excellence, and the second to the time of their occurrence.

Classified according to their excellence, the Supererogatory Worships are of three kinds, depending respectively upon the more or less consistent and constant performance of them by Muhammad, and upon the general excellence of performing Worship even when there is no definite example or special command of the Prophet to be followed.

The first of these classes is the *sunnah*, Usage or Customary, performances of the Worship. They are those that the Prophet usually performed and did not omit except for some cause. His consistent performance of them is known through traditions. Traditions of course vary in reliability, and that fact has bearing upon the question of the Prophet's continual performance of any specified Worship. For that reason the term *muwakkadah*, Strengthened, Confirmed, is also used by al-Ghazzali and others for these *sunnah* performances, sometimes instead of, and sometimes in addition to, the term *sunnah*. As in the case of the word *fard* the term *sunnah* is thus used to designate certain parts of each individual Worship and also a certain class of whole performances of the Worship.

The second class of the *nafl* Worship is the *mustahabb*, Liked. These are those that the Prophet performed sometimes and omitted sometimes, and which therefore it would be wrong to abandon entirely. To this class belong chiefly, although not entirely, the performance of the Worship by the individual alone, while the congregational performances are for the most part of the *muwakkadah*, Confirmed, class.

The third class is the *tatawwu'*, Voluntary, Worship. Concerning these there is no specific command or example of the Prophet except in traditions that are of weak authority. Their basis is rather the general principle that Worship is a good thing, and therefore, it is good to do as much of it as possible, and, further, one may show true zeal by performing voluntary Worship that he is not required or even definitely recommended to do.

The second classification is according to the time and the occasion of the performances of the *nafl* Worship. These are in four sub-divisions: the Daily, Weekly, Yearly and Occasional Performances, varying, as has been said, in their authority and excellence.

The first sub-division is the Daily performances. These, considered as to their time, are eight in number. Five of them consist of Worships of a varying number of *rak'ahs* Cycles, performed before or after, or both before and after, the regular Prescribed Worship. Al-Ghazzali uses the term *ratibah*, Fixed, Established in naming them, in connection with each of the five Prescribed performances. The object of an extra Worship immediately before or after the required Worship is, in the first case, to prepare one by preliminary practice to be in the right state of mind and body for the more important Worship to come; and in the second case, to make up, by the additional performance, for any possible defect or deficiency in the preceding Prescribed Worship.

The number of *rak'ahs* to be performed in these *ratibah* Worships is not certain, nor is it certain in the case of some of them, as, for instance, the Sunset *ratibah*, whether the particular Worship is to be performed before or after the Sunset Prescribed Worship. The uncertainty, in both instances, is, of course, due to conflicting traditions mentioning different numbers of *rak'ahs* and different times of performance for the same Worship.

In the case of the Noon *ratibah* six *rak'ahs* are recommended, four of them to be performed in a Worship before, and two in another Worship after the Prescribed performance. Furthermore, in this case, because there is a separate tradition mentioning two *rak'ahs* to be performed before the Prescribed Worship, it is said that two of the four *rak'ahs* in the *ratibah* Worship, before the *fard*, Prescribed, Noon Worship, are of the *muwakkadah*, Confirmed class, while the other two *rak'ahs* of the same performance remain simply *mustahabb*, Liked.

In addition to these five *ratibah*, Fixed, performances, connected with the five Prescribed performances, there are three other daily *nafl* Worships. There are the *witr*, Odd, Worship, the *duha*, Forenoon, Worship, and the *ihya'*, Enlivening, Worship.

The *witr*, Odd, Worship is a Worship of one, three, five or other odd number of *rak'ahs*, up to thirteen or even seventeen. It may be performed any time after the Sunset Worship up to the time for the morning Worship. It is preferably performed in connection with, or after, the *tahajjud*, Night, Worship, because there is a tradition that the *witr* is the last Worship of the night. Indeed, Al-Ghazzali says that it is this night Worship that is, Worship performed in the night after one has been asleep.

The *duha* Worship is a Confirmed Worship of four, six or eight *rak'ahs*, and, according to al-Bajuri, of from two to twelve *rak'ahs*, performed in the early, mid or late forenoon, according to different understanding of the word.

The third is the *ihya'*, Enlivening, the cultivation or bringing into use, of the time between the two evening performances of the Worship, i.e. between the Sunset and the Evening Worships. Six is the number of *rak'ahs* al-Ghazzali quotes for it, and he classes it as Confirmed in excellence.

The second class after the Daily *nafl* Worship is the Weekly *nafl* Worship, i.e. Worship that is performed once each week. It is in two sub-divisions, the first containing Worship to be done in the daytime, and the second Worship to be done at night.

Al-Gazzali's treatment of this class is simply to repeat a tradition mentioning Worship on each day and night of the week. The traditions usually state the number of *rak'ahs* to be performed, the time they are to be done, and the particular reward attached to the Worship.

The third or Yearly class of *nafl* Worship includes four different performances, although the number of occasions exceeds that amount. The four are the two Feasts of *al-fitr*, the Breaking of the Fast of Ramadan, on the first day of Shawwal, the tenth month of the Muslim year, and of *al-adha*, the Sacrifice on the 10th of the month of Dhu al-Hijjah, the last of the Muslim year, at the conclusion of the Pilgrimage Ceremonies; the *tarawih*, Rest-giving, Worship of Ramadan; the Worship of Rajab, and the Worship of Sha'ban.

The Feast Worships are both of the Confirmed class in degree of excellence and have two *rak'ahs*, and are similarly performed,

except as to time, for the first is delayed towards noon to allow for the distribution of alms, and the second is hastened so that the sacrifice may be slaughtered early. Both these performances are additional to the Daily Prescribed Worship and they differ from the ususal Worship in a number of particulars. For instance, except at Mecca, it is more excellent to perform this Worship outside the city, although on rainy days the usual congregational mosque is the preferred place. Further, the Worship of the Feasts differs from the regular Worships in that the usual *adhan*, Call, and *iqamah*, Institution, are not given. Al-Ghazzali prefers the phrase "The Worship is gathering!" as the Feast Call to Worship, while other authors add other phrases.

The *tarawih*, Rest-giving, Worship is so called because a brief rest is taken after every four *rak'ahs* which constitute a *tarwihah*. Each *tarwihah* consists of two complete Worships of two *rak'ahs* each, and five *tarwihahs* constitute the complete *tarawih* Worship. It is a Confirmed Worship, performed every night of Ramadan after the Evening Prescribed Worship. It is recommended to perform a complete recital of the Qur'an by reciting ten or more verses in each of the 580 or 600 *tarawih rak'ahs* performed in the twenty-nine or thirty days of that month.

Al-Ghazzali adds here a note to the effect that in the last half of the month it is liked that *witr*, Odd, Worship, performed, after the *tarawih*, Worship, should include the *qunut*, Supplication, a special petition recited in the Standing Position.

The Worship of Rajab occurs on the first Thursday of that month, the seventh of the Muslim year. It is a Worship of twelve *rak'ahs*, with special invocations. A fast is to be observed the whole day. The reward specified is forgiveness for all sins and the right of intercession for 700 relatives, for which reason it is also called *salat al-ragha'ib*, "Worship for which a large recompense is desired". The Worship is of the *mustahabb* class, and al-Ghazzali only adds it because the people of Jerusalem seemed to favour it. His commentator gives what purports to be an account of its origin, showing that it is a late addition to the performances of the Worship, and one that met much opposition.[2]

2. Sayyid Murtada, III, 422 f.

The Worship of Sha'ban occurs on the eve of the 15th of that month, the eighth of the Muslim year. It consists of fifty separate Worships of two *rak'ahs* each, or, as it is usually expressed, a hundred *rak'ahs* with fifty Salutations. It is of the *mustahabb* class, and sometimes was performed as a Congregational Worship. Because of the reward attached to its recital, consisting of the fulfilling of seventy needs with each of seventy glances of Allah at the Worshipper, the Worship is also called *salat al-khair*, the Good Worship.

In his fourth class of the *nafl*, Supererogatory, Worship, al-Ghazzali enumerates nine particulars, although in the rest of the *Ihya'* he mentions others belonging to this class. They are called Occasional Worships, because they are connected, not with specified times, but with particular occasions. Those that he enumerates are as follows.

The Worship of al-kusuf, *Eclipse of the Sun.* This is a Congregational Worship of two *rak'ahs*, differing from the usual *rak'ahs*, in that each contains two *ruku's*, Bowings, instead of one, as a special Shafi'ite feature. The Worship begins with the beginning of the eclipse and ends with its conclusion, and the first four long *surahs* are recommended to be recited.

The Worship of al-khusuf, *or Eclipse of the Moon.* This, among Shafi'ites, is similar to the former, except that the recital is to be done audibly instead of inaudibly. Both *kusuf* and *khusuf* are used of each luminary, although the more approved usage, and that of the astronomers, is that used by al-Ghazzali here.

These Worships are among those that may be performed in the Disliked times, although they are what al-Ghazzali calls less *muwakkadah* than the Feast Worships. Al-Bajuri calls them *masnun*.

The second is the Worship of the Request for Rain. It is a Congregational Worship, like that of the Feast, in that it is held outside the city, and has a similar Call to Worship, without the Institution formula. But it is unlike the Feast Worships in that poor clothes are to be worn, old people, children, women, and cattle are taken along. Jews and Christians subject to Muslim rule may also attend, according to al-Ghazzali, although al-Shafi'i considers that to be Disliked. The Worship is to be observed after a three-day fast has been proclaimed. Two *rak'ahs* are performed

similar to those of the Feast Worship, except that, according to two texts, there are no *takbirs*, while the commentator emends and says that there is no difference. The underlying traditions differ. Another difference is that in this Worship the outer cloaks are to be worn upside down, the addresses have requests for forgiveness, in place of the *takbirs*, and in the second address the *imam* turns his back on the people. In turning the cloaks upside down, the right side is to be on the left, and the cloak is not to be inside out, although al-Ghazzali mentions that in the *Wajiz*,[3] forgetting that the right side cannot then be on the left.

The Funeral Worship, more properly, the Worship connected with the death of a person, differs from all the other performances of Worship in that it does not contain any *rak'ah*. It is for that reason the *salat al-janazah*, or *jinazah*, is used in grammars to illustrate the *idafat al-naqisah*, "the incomplete connection" because its subject-matter is not complete. The word *janazah* is applied to both the dead person and the bier on which he is placed. The Worship is performed for all Muslims, except the *shahid*, "martyr," killed in the course of battle with unbelievers. When Muslims and unbelievers are indistinguishable among the dead in battle all are to be buried, and the Muslims are to be singled out in the Worship.

The Funeral Worship is of the *fard kifayah* class, i.e. the requirement for its performance is satisfied when one or more of the Muslims take it upon themselves to fulfil it as a duty.[4] It has, according to al-Ghazzali, seven essential Elements, consisting of (1) statement of Intention; (2) the Standing Posture; (3) four *takbirs*, or possibly five. After the first comes (4) the Fatihah; (5) the Blessing upon the Prophet after the second *takbir;* (6) the Supplication for the dead after the third *takbir*, and (7) the Salutation.

Besides this Worship there is a Greeting bestowed upon the dead people of the cemetery when the company arrives there, and another Supplication offered when the body is lowered into the grave.

The fourth is the Worship of the Greeting of the Mosque.

3. I, 44.
4. Ibid., I, 47 A.

It is a Confirmed Usage and is performed upon entering the mosque even if that happens to be when the *imam* is lecturing, although it should not then be a separate, distinct Worship of its own, but may be Prescribed or Substitution Worship due from him. Its object is to occupy with Worship the beginning of the time one enters the mosque. It may, therefore, be performed in the five Disliked times for Worship.

The fifth is the Worship after the Ablution. It consists of two *rak'ahs and is of the mustahabb*, Liked, class. Al-Ghazzali states that the Intention is to be omitted from this Worship while al-Nawawi says that it may be made.

The sixth is the Worship of two *rak'ahs* to be performed upon Entering or Leaving the House. Under this head come all the performances of Worship that are recommended to be performed upon the beginning of each occurrence of importance, such as the wearing of the *ihram* when nearing Mecca for the Pilgrimage, and the beginning to the *tawaf*, or Encircling, of the Ka'bah while on Pilgrimage, and upon starting and returning from a journey. The invocation of "In the name of Allah", uttered upon eating and drinking, comes under this sub-division, for it may be extended to become a full performance of the Worship. Likewise the marriage contract, and the giving of advice, may be prefaced with the *basmalah*, and Invocations of Praise and Blessing upon the Prophet. The most important events, such as journeys, are recommended to have two full *rak'ahs*.

Under this sub-division may be mentioned also the modifications of the *nafl*, Supererogatory, Worship allowed to one on a long journey, for these may be performed walking and riding upon an animal or a ship. The traveller faces the *qiblah* only when stating the Intention, and he nods his head for the Bowing and the Prostration. Al-Murtada says that unless it is easy even the facing of the *qiblah* is not obligatory.[5]

The seventh is the Worship of the Request for Prospering. It is a Worship of two *rak'ahs*. When it is finished the matter of anxiety is named and then the Supplication, which is the request for the blessing, prospering and favour of Allah, is presented with

5. VI, 435 f.

uplifted hands in the traditional words as given in the Text. When this has been done the man goes away to that for which his bosom becomes dilated, i.e. to that which is made to seem acceptable to him.[6] The Request for Prospering is to be offered for any matter of concern. Sayyid Murtada records that he made the request for prospering in the matter of giving his commentary on the *Ihya'* the name of the "Gift of the God fearing Masters".[7] Corruptions of this Worship and Supplication, consisting of the casting of lots and chance opening of the Qur'an and other books and magic, are strongly condemned in Sunni Islam.

The eighth is the Worship of Need. It is a Worship of twelve *rak'ahs* with specified Recitals and is followed by the Supplication of Need, offered in the attitude of Prostration. The need may be any pressing necessity, religious or worldly. The text of the request includes the phrase "I ask Thee by Thy greatest Name" which has found so large a place in magic in Islam. It is recommended that this Supplication should not be taught to the foolish, lest they encourage one another in antinomianism.

The ninth is the Worship of Praise. This is a special Worship unconnected with any set time or circumstance. It has four *rak'ahs* with specified Recitals in them, and specified Invocations during each of the four attitudes in each *rak'ah*, so that the same Invocation is repeated three hundred times during the Worship.

This is the last of the performances of the Worship mentioned by al-Ghazzali in the Book of the Mysteries of the Worship. In addition to them three modifications of the Prescribed Worship are recommended, and three special Prostrations are prescribed or recommended.

The first of the modifications of the Prescribed Worship is that allowed to the traveller, for he may perform two instead of four *rak'ahs* in the Noon. Afternoon and Evening Worships, performing the Morning and Sunset Worships as usual.

The second modification is that the uniting of the Noon with the Afternoon, and the Sunset with the Evening Worship is

6. Cf. Qur'an, xcv. 8.
7. Sayyid Murtada I, 3, I, 11.

allowable, for the traveller and for the one accustomed to Worship with the congregation, when it is raining. The Noon Worship would be performed before the Afternoon, and separated from it only by the length of time it takes for the *iqamah*, Institution, of the Worship.

The third is the Worship of Fear, that is, of the one who is in fear. The Qur'anic basis is iv. 103. It is, according to al-Bajuri,[8] of sixteen varieties, of which al-Ghazzali mentions four in his *Wajiz*,[9] and in his *Ihya'*.

The variations are according to the stress of danger and the number and position of the enemy. In the circumstances of utmost fear, it is impossible to leave the battle when the time for the Prescribed Worship comes, the Worship may be performed on foot on riding, with or without facing the *qiblah*, with nodding of the head in the place of the Bowing and the Prostration, with the guarding against crying out and giving unnecessary blows.

This Worship may also be performed by one fleeing from fire, drowning and ferocious beast, just as it is permissible to wear silk, or the skin of a dog or pig, in case of sudden fear.

The special Prostrations, which may be considered as partial Worships, are the *sajdat* or *sujud al-sahw*, the Prostration of Forgetfulness, and the *sajdat al-tilawah*, Prostration of the Recital of the Qur'an, and the *sajdat al-shukr*, the Prostration of Thanksgiving.

The Prostration of Recital is required to be performed when, in the course of the reading, i.e. reciting of the Qur'an, the Muslims reaches one of the fourteen Verses of Prostration. These verses are given in a note to the Text.[10] This Prostration has the same preliminary requirements as the usual Worship. The least Prostration is simply placing the forehead on the ground, while the most complete includes the Standing Posture and a *takbir* with the Raising of the hands; then a *takbir* while going down for the Prostration, and then a Supplication appropriate to the portion

8. I, 288.
9. I, 40 f.
10. Note 34, p. 12.

just read, followed by a *takbir* on rising. and then the Salutation. Sayyid Murtada says *al-tali*, "the reciter," is a *musalli*, "worshipper," that is a *munaji*, "one who is communing" with Allah.[11]

In the *Wajiz*, al-Ghazzali states that this Prostration is incumbent upon both the *imam* who is reciting and the hearer of the verse.[12]

The Prostration of Forgetfulness or Oversight is a *sunnah*, Usage, that may or may not be performed whenever any of the four *ab'ad*, Parts, of the *sunnah*, Usage, items of the Worship are unintentionally omitted. These are the First Witnessing, the *qunut*, the Blessing upon the Messenger of Allah in the First Witnessing and the Blessing on his family in the Last Witnessing. It is performed at any of six places before the Salutation.

Any of the other *sunan*, Usages, of the Worship, according to al-Ghazzali, may be made up by a Prostration,[13] although al-Bajuri, calling these other *sunan*, Usages, by the name of *hai'at*, Forms, says they are not.[14]

If the *arkan*, Prescribed Elements, of the Worship are unintentionally omitted they are repeated. This is called *tadaruk*, "supplying," what was omitted through inadvertence.[15]

Any *rukn*, Element, if omitted, is to be performed before engaging in the next Element; otherwise, either the Worship is invalid, or he supplies the omission and performs the rest of the Worship over again, together with an Oversight Prostration.[16]

The Prostration of Thanksgiving is a *sunnah*, Usage, performed on the occasion of the receipt of some unusual favour, or the warding off of some misfortune. It is liked to be performed also before an evil person out of thankfulness for the warding off of disobedience and as a warning to him[17]. The Second Book

11. IV, 485 D.
12. I, 32.
13. *Al-Wajiz*, I, 30.
14. op, cit., I, 200.
15. *Al-Wajiz*, I, 30.
16. Al-Bajuri, op. cit., I, 224 f.
17. *Al-Wajiz*, I, 32.

of the Fourth Quarter of the *Ihya'* deals with the subjects of Patience and Thanksgiving.

Other Expressions of the Devotional Life

Except for the Prostration of the Recital of the Qur'an and of Thanksgiving, all the preceding forms of devotion consisted of the particular ceremony called the Worship, comprising special elements and known utterances, accompanied by certain stipulations, restricted within specified times,[18] or else of modifications of that ceremony. The two exceptions above mentioned consist in parts of that ceremony and are included by al-Ghazzali in his treatment of the Worship in his book on *Fiqh*, called *al-Wajiz*.

Of the recommended and voluntary methods of *ibadah*, "religious service," paid by the tongue, to use al-Ghazzali's phrase, the first in importance is *al-tildwah*, the Recital of the Qur'an. It is the subject of Book viii of the First Quarter of the *Ihya'*.

He presents first the excellence of the Qur'an and the recital of it. Then he describes the proper method of its outward recital, which includes ten items, some of which are as follows: (1) The reader should be ceremonially clean and should stand or sit sedately, although the last two points are not absolutely required. (2) The amount recited may vary. Some have finished the Qur'an twice in a day and night, and others once a month. (3) The Qur'an is usually divided into seven sections, although divisions into five, ten, thirty, and other numbers of parts, are mentioned or allowed. (4) The recital should be prefaced by the Seeking Refuge formula. (5) The rites of the Verses of Prostration should be observed. (6) The recital should be at least loud enough for the reciter himself to hear.

There are ten inward acts of the heart and understanding that accompany the recital, such as causing the heart to be present, and the understanding to appreciate what is read, and for the reciter to attend as if he were hearing speech from Allah and not from himself.

Next in importance to the Recital of the Qur'an, according to al-Ghazzali, is the *dhikr*, Invocation. He devotes Book ix of the

18. Jurjani, *Ta'rifat*, p. 139.

First Quarter of the *Ihya'* to the consideration of *al-adhkar* and *al-da'awat*, Invocations and Supplications. He presents first the evidence of the excellence of the Invocations and the gathering for reciting them from the Qur'an Traditions and Records, Then he shows the excellence of the various invocations, such as *al-tahlil*, "There is no god but Allah," with several additional phrases; *al-tasbih*, "O the Praise of Allah"; *al-tahmid*, "The praise or thanksgiving belongs to Allah". The names of Allah are also used. The number of repetitions of these and other phrases and the amount of reward the repetitions bring are both recorded.

The reason for the superiority of the *dhikr* over the forms of religious service involving hardship can be revealed only by the "unveiled knowledge," he says but this much may be mentioned that the beneficial effect is the constant remembrance of Allah, along with the presence of the heart.

The *du'a'*, Supplication, is another of the methods of communion with Allah. It includes the asking for forgiveness and the blessing upon the Prophet as well as request for needs. Al-Ghazzali mentions ten proprieties that are to be observed in offering supplications, among which are the observance of the Day of 'Arafah in the Pilgrimage ceremonies, the month of Ramadan and Friday of every week: the offering of Supplications after the Prescribed Worship, when fasting, when facing the *qiblah*, repeating the request at three times, meanwhile being hopeful of an affirmative reply and repentant towards Allah.

Al-Ghazzali gives three chapters of Traditional Supplications the prayers of the Muslim saints--for all times and occasions. Then he discusses the value of Supplications in view of the immutability of predestination. His answer is that the Supplication for the Warding Off of Evil and the Bringing of Mercy is among the things predestined. He Who decreed the good decreed it by a cause, and He Who decreed the evil decreed its being warded off by a cause. Further, supplication is the marrow of religious service, and it requires the presence of the heart with Allah.

The Tenth Book of the First Quarter of the *Ihya'* is the *Kitab Tartib al-Awrad*. Al-Ghazzali uses the word *wird* as a "portion" of the day and night. He divides the day into seven *wirds*: one between dawn and sunrise; two each between sunrise and noon,

noon, and *'asr*, "mid-afternoon," *'asr*, and sunset. The night has, including the period of sleep, five *wirds*, two before and two after the sleep *wird*. These times are to be occupied by the four devotional exercises: Invocation, Supplication, Recital of the Qur'an and Meditation. The last he discusses in Book ix of the Fourth Quarter of the *Ihya'*. His object in the *Book of Wirds*, Portions, is simply to set forth the manner of the previously mentioned Supplications and the method of spending the day and night in pious occupation. *Wird* then means the portion of time used in devotional recitation, or the devotional recitations themselves, including portions of the Qur'an, devotional phrases, and, nowadays, also commentaries on the Qur'an.

A word of similar meaning to *wird* is *hizb*. It is that recital of the Qur'an or performance of the Worship which a man imposes on himself. So, in the *Taj al-'Arus*, I, 208. This is a development of the original meaning of the word, which is "party," "division". It was early applied to divisions of the Qur'an. The darwish fraternities applied the term of their special services. Then special supplications, prepared by individuals, were used as *hizbs*, so that now *ahzab* for the days of the week are in common use.

The *hirz*, "protection," is a petition for protection and refuge and is simply a *du'a'*, "supplication," of a special character. Similarly, the *istignathah*, "cry for help," is a petition for aid and succour. The term *waza'if*, "offices," "duties," is also used to cover the directions and recitals for spending set times at Worship.

There are still other forms of expression of devotion that need only brief mention. These are the Poems of Petition, which are a kind of hymns of Allah's praise, and also the declarations of the praise of Allah, and descriptions of His qualities, usually in *saj'*, "rhymed prose," at the beginning of books.

Additional to these methods of expressing devotion, it is necessary to note several other general customs. The first is the *mawlid*, "birthday anniversary". There is a large and increasing *mawlid* literature of petitions and poems of praise for the celebration of the birthday anniversaries of Muhammad and noted saints of Islam.

The second is the *i'tikaf* "retreat" within a mosque, for a day, preferably Friday, or longer, in order to spend the time between

the Prescribed Worships in quiet performances of the *nafl* Worship and the four other devotional exercises. The last third of Ramadan is a favourite time for the Retreat.

Another is the *ziyarah*, "visit," to some special place usually the tomb of a saint, for the offering of the Worship, supplications and invocations, in the name of the saint.

This concludes the survey of the devotional exercises of the Muslims and indicates the paramount importance of the ceremony of the Worship in all private and public religious service.

Contents

Introduction by the Translator iii

The Performance of the Worship iii
The Parts of the Worship viii
The Kinds of the Worship xiv
Other Expressions of the Devotional Life xxv

Introduction 1

Chapter 1: The Excellences of the Worship 3
Chapter 2: The Manner of Performing the Outward Acts of the Worship 20
Chapter 3: Inward Stipulations for the Acts of the Heart 37
Chapter 4: Leadership and Example 75
Chapter 5: The excellence of the Friday Observance 86
Chapter 6: Various Problems which cause General Distress 111
Chapter 7: Supererogatory Performances of the Worship 121

Appendix : Table of the Number of *Rak'ahs* in the Different Worship 156

Bibliography 157

Introduction

In the Name of Allah, the Merciful and Compassionate One

Praise belongs to Allah, Who overwhelms His creatures with His favours, and fills their hearts with the lights and duties of religion, whose descent[1] from the throne of majesty to the nearest heaven[2] is, of the degrees of mercy, one of His kindnesses.[3] He differs from kings, for all His unique majesty and grandeur, in inspiring His creation to ask and supplicate, for He says:[4] "Is there any who supplicates? I will answer him!" and, "Is there any who asks forgiveness? I will forgive him!" He differs from sultans in opening the door and lifting the veil, and permitting His creatures confidential communion, by the performances of Worship, however their circumstances may change, whether in congregations or solitary places. Moreover, He does not limit Himself to permission, but rather shows favour and kindness by inspiring desire and by calling. Any other than He is of the weak kings, who do not freely grant private audience, except after the presentation of a gift or a bribe. So-O His praise! How great is His state, and strong His authority and complete His kindness and general His beneficence!

---

1. The descent of Allah from the highest heaven to that nearest earth takes place in the last third of the night. The tradition in part of the one immediately following. It is an encouragement to the *tahajjud*, Night Worship, one of the most excellent of the acts of religious service, The descent is not to be understood literally.
2. The allusion here is probably to Qur'an, lxv. 12.
3. The allusion may be to the following tradition of Abu Hurairah's, wherein the same word is used for "kindness": Allan has one hundred mercies; of them He has sent down one among mankind and jinn, cattle and serpents, in which and by which they are kind to one another and by which the wild beast is kind to its offspring. He reserved ninety-nine mercies by which He will be merciful to His creatures on Resurrection Day" (*Mishkat al-Masabih*, Cairo, 1309, Vol. III, Bk. X, Chap. IV, Division 1).
4. This tradition has Qur'anic basis in xl, 62.

May blessing and peace indeed be upon Muhammad, His elected Prophet and His chosen intimate, and upon his family and his Companions, keys of guidance and lamps in darkness!

"Worship is the support of the religion" and the handle[5] of certainty, the chief of good works, and the most conspicuous of the acts of obedience. In the department of canon law, we have investigated,[6] in *Basit al-Madhhab*,[7] "The Wide Way", *Al-Wasit*, "The Medium", and *Al-Wajiz*, "The Brief", the Worship's trunks and branches, expending abundance of care upon its rare ramifications and exceptional occurrences, that they may be a treasure-store for the *mufti*, canon lawyer, from which he may seek help, and may be something reliable for him, to which he may flee for aid and refer.

We now, in this book, limit ourself to what the devotee must needs have of canon law, consisting of the Worship's external acts and its inner mysteries, while revealing refinements of the inner qualities hidden in the qualities of humbleness, singleness of devotion and intention which it has not been customary to mention in the department of canon law.

We are arranging the book in seven chapters: 1. The Excellences of the Performances[8] of the Worship; 2. The Particulars of the External Acts of the Worship; 3. The Particulars[9] of the Inward Acts Thereof; 4. The Leadership by the *Imam* and the Iimitation (by the Worshipper); 5. The Friday Worship and Its *Adab*, Proprieties; 6. The Various Problems from which Trouble Commonly Arises, and which the Devotee Needs to Know; 7. The Voluntary Performances of the Worship, etc.

5. The "handle" is the strap by which the water-skin is carried about, and the "certainty" is vision face to face by the power of faith, not by argument and proof; so comments Sayyid Murtada, *Ithaf al-Sadat al-Mutlaqin*.
6. These works are mentioned in Sayyid Murtada, op. cit., I, 41-43, giving a list of al-Ghazzali's books.
7. Al-Ghazzali was a Shafi'i.
8. This translation is from the text in Sayyid Murtada (op. cit.) Other texts have *salah*, singular instead of plural.
9. *Tafdil* in the text of the *Ihya'* published by Dar al-Kutub al'Arbiyat al-Kubra, Cairo, 1334, instead of *tafsil*, as here.

1

The Excellences of the Worship, Prostration, Congregation, Call to Worship, Etc.

The Excellence of the Call to Worship

He (may Allah bless him and give him peace[10]) said, "Three there will be on Resurrection Day upon a hill of black musk whom no accounting will frighten and whom no fear will reach, until there is surcease from what is (happening) among men: (1) a man who recited the Qur'an, out of desire for the Face[11] of Allah (Who is almighty and exalted), and led (in Worship) a people well-pleased with him; (2) a man who gave the Call[12] to Worship in a mosque and summoned to Allah, out of desire for the Face of Allah; and (3) a man who was tested by slavery[13] in this life,[14]

10. The eulogia will be translated once upon their first occurrence.
11. For al-Ghazzali's explanation of the word "face," as applied to man, and meaning "the self," or, more closely, "the consciousness," see below, Chapter 3: "Inward Stipulations" (Murtada, op. cit., I, 142), Sayyid Murtada says, "face" means "the essence of the man" and "the whole of his body" (p. 104A). The meaning of "the Face of Allah" belongs to "the unveiled knowledge" (ibid., I, 164).
12. Sayyid Murtada (op. cit.) adds that the noun *adhan* is from adhana, "to inform," and then was applied to a particular giving of information at a particular time, His treatment of it is at p. 132. He says it is a *sunnah kifayah* for the congregation, i.e. a Usage fulfilled if some perform it, and a *sunnah* 'ain for the individual worshipping alone, i.e. he may do it himself, or omit it.
13. Sayyid Murtada reads *riqq*, "slavery," instead of *rizq*, "apportioned provision," which the other texts have, to make the tradition accord with the other versions of it which he quotes.
14. *Al-dunya* is used in the Qur'an alone or with *al-haia*, as "the nearer life," and consequently "this world" and is contrasted with *al-akhirah*,

but that did not make him too busy for the work of the next life."

Muhammad said, "No *jinni*, or man, or thing hears the Call of the *mu'adhdhin* but he will bear witness for him on Resurrection Day." Muhammad said, "The hand of the Compassionate One is upon the head of the *mu'adhdhin until* he finishes his Call." It is said in exposition of the saying of Allah, "And who speaks better words than he who summons to Allah and does what is right?" (Qur'an xli. 33) that it was sent down concerning the *mu'adhdhins*. Muhammad said, "Whenever you hear the Call, say the like of that which the *mu'adhdhin* says"; and that is desirable[15] except when he gives the *hai'alatain* (i.e., "Come for Worship! Come for prosperity") for in their case he says, "There is no power or strength but in Allah!" And when he says, "The time for Worship has come!" he says, "May Allah institute it and may He continue it as long as the heavens and the earth continue!" At the *tathwib*,[16] what he says is, "You have spoken the truth, you have acted rightly, you have given good advice!" And at the finish he says, "O Allah, Lord of this complete Call and instituted Worship, give Muhammad mediation and excellence and raise him up to the praise-worthy station which Thou didst promise him: 'Thou dost not break a promise!" (Qur'an, iii. 192). Sa'id b. al-Musayyab[17] said, "Whoever worships in a desert place has an angel worship

used alone or with *al-dar*, as "the other, or last, abode," hence, "the next world".

15. *Mahbub* is used in a technical sense, and is Sayyid Murtada's synonym for *mustahabb*, found in the other texts. It is applied to something for the doing of which there is reward, without any blame for the occasional omission of it.
16. Lane, *Lexicon*, gives (p. 361) five uses of *tathwib;* calling to worship and other things; repeated call; a special phrase in the call of the *mu'adhdhin* (a) "Prayer! May Allah have mercy on you! Prayer!" (b) "Prayer is better than sleep!" the chanting of the *iqdmah* by those who arrive on time; supererogatory prayer. Al-Ghazzali uses it here as the special phrase "The Worship is better than sleep" in the morning Call to the Worship.
17. Abu al-Qasim Sa'id b. al-Musayyab (he himself preferred Musayyib), the chief of the first series of Successors, and son-in-law of Abu Hurairah; 15 or 16-91 or 95 A.H. [Sayyid Murtada says 94 (I, 116 D)].

on his right and an angel worship on his left, but, if he gives the Call and the *iqamah*, Institution, there worship behind him the likenessess of mountains consisting of angels."

The Excellence of the Prescribed Worship

Allah (Who is exalted in and of Himself) said, "The Worship was prescribed and timed for the believers (Qur'an, iv. 104).

Muhammad has said, "Five performances of the Worship has Allah prescribed upon His creatures. So, whoever brings them, and does not miss anything of them by slighting their right, has a compact with Allah that He will make him enter the Garden. And whoever does not bring them does not have a compact with Allah: if He will, He will punish him, or if He will, He will make him enter the Garden."

Muhammad said, "The five performances of the Worship are like a river, fresh and deep, beside the door of any of you, into which he plunges five times every day, and what do you think that leaves of his uncleanness?" They replied, "Not anything!" He said, "So the five performances of the Worship remove offences as water removes dirt."

Muhammad said, "The performances of the Worship are an atonement for whatever small sins occur between them, so long as you have avoided the great."[18]

Muhammad said, "Between us and the hypocrites[19] there is the attendance of the Night and of the Morning (Worships), which they are not able to do."

Muhammad said, "Whoever meets Allah as a misser of the Worship (will find that) Allah will not pay attention to any part of his good works."

Muhammad said, "The Worship is the support of the religion,

18. A "great" sin is something clearly prohibited, for which punishment, in this life and the next, is clearly laid down in the religious law.
19. One who testifies and works but does not believe is a hypocrite, *munafiq;* one who testifies and does not work, but believes, is a transgressor, *fasiq;* one who stops short with testifying is an unbeliever, *kafir*. For the historical Hypocrites or disaffected of Medina, see the lives of Muhammad and commentaries on the Qur'an, lxiii.

so whoever abandons it has thrown over the religion."

Muhammad was asked, "Which of the works is most excellent?" He replied, "The Worship at its appointed times."

Muhammad said, "Whoever perseveres in the fire (Worships) along with complete observance of their purification and their times, will have light, and, on Resurrection Day, proof. Whoever misses them will be assembled with Pharaoh and Haman."

Muhammad said, "The key of the Garden is the Worship."

He said, "Allah has not prescribed upon His creatures, after the confession of the unity, anything more beloved to Him than the Worship. If there were anything more beloved to Him than it, His angels would devote themselves by means of it, but some of them bow, some of them prostrate, and some stand and sit."

The Prophet said, "Whoever abandons the Worship intentionally has become a *kafir*, unbeliever," that, is one near to being removed from the faith by the loosening of its handle and the falling of its support, as it is said of one who draws near to a village,[20] "he has reached it and entered it".

He also said, "Whoever abandons the Worship intentionally has become free of the protection of Muhammad."

Abu Hurairah[21] (Allah be pleased with him) said, "Whoever performs the ablution, but does his ablution well, and then goes out, making for the Worship, is in worship as long as he is making for the Worship, and there is written for him with one of his footsteps one good work, and there is erased for him with the other one evil deed. So, whenever one of you hears the *iqamah*, Institution, it is not fitting for him to hang back, for the one of you who gets the greatest reward is the one whose house is the

20. This is a favourite illustration, used in opposite senses, to avoid as undesirable situation. It is quoted in the *Lisan al-'Arab*, IV, 472, to show the *al-wurud*, "coming to" or "into" is not *al-dukhul*, "entrance," in explanation of Qur'an, xix, 72, "There is not any of you but is coming to it." i.e. the Fire.
21. Abu Hurairah, "the father of Little Cat," was a Companion and the most prolific traditionist, as well as sometime governor of al-Bahrain. He died in 75 or 58 A.H.

most distant." They asked, "Why, O Abu Hurairah?" He replied "On account of the large number of the footstep."

It is related that the first of the works of the creature that is looked into Resurrection Day is the Worship. Then, if it is found to be complete, it is accepted from him, along with the rest of his work. If it is found to be deficient, it is returned to him, along with the rest of his work.

Muhammad said, "O Abu Hurairah! enjoin the Worship upon your family, for Allah will bring you provision[22] from a place you do not reckon upon."

One of the learned said, "One who worships is like a merchant to whom no profit results until his capital is secure, and likewise no *nafilah*,[23] Supererogatory, Worship is accepted for the one who worships until he makes a proper payment[24] of the Prescribed Worship."

22. *Rizq* is the apportioned provision or allowance which Allah creates and supplies to all His creatures, for their bodies and minds (*Lisan al-'Arab*, XI, 405).
23. Al-Ghazzali divides all the performances of the Worship into two classes: *fard*, Prescribed, and *nafl*, Additional, Supererogatory. The latter class has three sub-divisions: *sunnah*, Usage, or *mu'akkadah*, Confirmed, *mustahabb*, Liked, and *tatawwu'*, Voluntary.
24. *Al-ada'* is the payment of an obligation itself at its divinely enjoined time. The term may be applied to both Prescribed and Supererogatory acts which have times appointed by the Divine law, when those acts are performed within, but not before or after, their time limits. It is of three classes: (1) The "perfect," *kamil*, Payment, such as is performed by the *imam* and one who is on hand in the mosque for all the Worship. (2) A "defective," *naqis*, payment is, for instance, a Worship performed by one who worships alone, or who arrives at the mosque somewhat late. (3) Payment "resembling the substitution performance," *shibh al-qada'*, is performed by one who arrives after the *imam* finishes, because, in respect of the time, it is an *ada'*, but in respect of the fact that he was under obligation to perform the worship along with the *imam*, it is *qada'*. Further, it is distinguished from *al-i'adah*, "the repetition" of the performance within the appointed time, by being called the "first" performance. The i'adah is required, when, for some reason, the first performance is defective (Jurjani, *Ta'rifat*, p. 14).

Abu Bakr[25] used to say, "Whenever the Worship time comes, stand up to the fire which you have ignited, and put it out!"

The Excellence of Performing Completely the Essential Elements[26]

Muhammad said, "The Prescribed Worship is like a balance: whoever pays is repaid in full."

Yazid al-Raqashi[27] said, "The Worship of the Messenger of Allah was symmetrical, as though it were measured in a balance."

Muhammad said, "Two men of my people will perform the Worship and their bowing and their prostration will be one (the same), but between their two Worships there will be what there is between heaven and earth." He referred to humbleness (towards Allah).

He said, "On Resurrection Day, Allah will not look at the creature who does not straighten up his backbone between his bowing and his prostration."

He also said, "Does he, who turns his face round in the Worship, not fear that Allah will turn his face into the face of a donkey?"

He said, "Whoever performs the Worship for its appointed time and does its ablution and performs completely its bowing, its prostration and its humbleness (for him) it ascends, white and shining, saying 'May Allah keep you as you have kept me!' And whoever performs the Worship for its unappointed time, and does not do its ablution, and does not perform completely its bowing, its prostration and its humbleness, (for him) it ascends, black and dark, saying, 'May Allah neglect you as you have neglected me!" until, when it is in the place where Allah wills it to be, it is folded up as a shabby garment is folded up, and his face is

25. Abu Bakr al-Siddiq, the first khalifah (d. 13 A.H.). He received the surname of "the Very Veracious" on account of his asserting the truth of the Prophet's miraculous night-journey. *Al-Sidaiq* is used of a man who is truthful in his speech and belief, and who has verified his truthfulness by his act (Raghib, *Mufradat al-Qur'an*, p. 278).
26. Al-Ghazzali divides the component parts of the Worship into *fard'id*, Prescribed Elements, *sunan*, Usage, Customary, Parts, *adab*, proprieties, and *hai'dt*, Forms (Sayyid Murtada, op. cit., I, 99).
27. Yazid b. Abau al-Raqashi, pious traditionist.

struck with it."

He also said, "The most evil of mankind, as regards stealing, is the one who steals from his Worship."

Ibn Mas'ud[28] and Salman[29] said. "The Worship is a measure: so, whoever gives full measure is fully repaid, and whoever gives light measure--well, he knows what Allah said about those giving light measure!" (Qur'an, lxxxiii. 1).

The Excellence of the Congregational Worship

Muhammad said, "Worship in the congregation is more excellent than Worship alone by twenty-seven degrees."

Abu Hurairah relates that Muhammad missed some men at the Worship. So he said, "I surely was anxious to order a man to conduct the Worship with the people, and then (myself) to turn away after men who remain away from it, and burn up their houses for them!"

In another narrative (it is said), "Then I would go after the men who remain away from it and give orders about them, so that their houses should be burnt for them by means of a bundle or firewood. If any of them knew that he would find a fat bone, or two trotters,[30] he would be present at it," meaning the evening Worship.

'Uthman[31] has reported a *marfu'*[32] statement of the Prophet's: "Whoever is present at the evening Worship, it is indeed (for him)

28. 'Abdallah b. Mas'ud b. Ghafil, a Companion of the Prophet (d. 32 or 33 A.H.).
29. 'Abu 'Abdallah Salman al-Farisi al-Khair, *mawla*, manumitted slave," of the Messenger of Allah (d. 34, 35, or 36 A.H..).
30. The treatment of *mirmah*, sometimes, *marmah*, is fuller in the Lisdn *al-'Arab*, XIX, 53 f, than in al-Murtada's *Taj al-'Arus*, X, 156. About ten meanings are listed, centred around "arrows," "hoofs, "and "trotters," of which the last seems to fit the context best. The tradition is in al-Bukhari, *Sahih*, *Kitab al-Ahkam*, ed. with commentary of al-Qastallani, II, 25. The word is used in the plural in the sense of "thunderbolts" in Baidawi on the Qur'an, xvii, 38.
31. Abu 'Amr 'Uthman, b. 'Affan, the third khalifah (d. 35 A.H.).
32. A *marfu'* tradition is a statement from the Messenger of Allah, reported by a Companion (Jurjani, op. cit., p. 224).

as if he stood half a night (in Worship); and whoever is present at the morning Worship, (for him) it is as if he indeed stood a night."

Muhammad said, "Whoever performs a Worship in congregation has filled his chest with Divine service."

Sa'id b. al-Musayyab said, "The *mu'adhdhin* has not given the Call of Worship for twenty years except while I was in the mosque."

Muhammad b. Wasi'[33] said, "I desire only three things from this life: a brother who, if I become crooked, will straighten me; some sustenance from the apportioned provision that is lawful and needs no claim, and Worship in congregation, in which forgetfulness is removed from me, and the reward of which is recorded for me" (cf. Qur'an, lxxxii. 10-12).

It is related that Abu 'Ubaidah b. al-Jarrah[34] was *imam* (leader in Worship) for a people on one occasion, and when he departed he said, "Satan kept at me just now until I thought I had superiority over anyone else: I will never act as *imam* again!"

Al-Hasan[35] said, "Do not worship behind a man who does not follow the learned!"

Al-Nakha'i[36] said, "The one who acts as *imam* for men, without knowledge, is like the one who measures the water in the sea--he does not know its increase from its decrease."

Hatim and Deaf[37] said, "The Worship in the congregation escaped me, and Abu Ishaq al-Bukhari[38] alone condoled with me.

33. Muhammad b. Wasi'al-Azdi al-Basri (d. 120 A.H. Sayyid Murtada here says 127 A.H.).
34. Abu 'Ubaidah b. al-Jarrah (d. 18 A.H.).
35. Abu Sa'id al-Hasan b. Abi al-Hasan Yasar al-Basri, prominent and learned traditionist (d. 110 A.H.).
36. When the *nisbah* "al-Nakha'i," is used alone, says Sayyid Murtada here, it usually refers to Abu 'Imran and 'Ammar Ibrahim b. Yazid b. al-Aswad b. 'Amr b. Rabi' b. Harithah b. Sa'd b. Malik b. al-Nakha'i, jurisprudent (d 95-96 A.H.), or the reference may be to Ibrahim's maternal uncle, al-Aswad b. Yazid, also a jurisconsult (d. 75A.H.).
37. Abu "Abd al-Rahman Hatim b. 'Alwan (or 'Anwan) the Deaf, ascetic.
38. Abu Ishaq Ibrahim b. Isma'il al-Saffar al-Bukhari (not the author of the *Sahih*) (d. 534 A.H.).

But, had a child of mine died, more than ten thousand would have condoled with me, for religious misfortune is lighter with men than this life's misfortune."

Ibn 'Abbas[39] (may Allah be pleased with both 'Abbas and his son!) said, "Whoever hears the Call and does not respond does not mean good and good is not meant for him."

Abu Hurairah said, "Truly, that the ear of a son of Adam should be filled with molten lead would be better than that he should hear the Call and then not respond!"

It is related that Maimun b. Mihran[40] came to the mosque, and then it was said to him, "The men have left!" So he said, "We are Allah's, and to Him are we returning ones! (Qur'an, ii. 151). Truly, the favour of this Worship is more dear to me than the governorship of al-'Iraq!"

Muhammad said, "Whoever does the performances of the Worship forty days in the congregation, with no *takbirat al- ihram*[41] (saying of "Allah is greater" at the beginning of the Worship), escaping him, has Allah ascribed to him two immunities, one from hypocrisy and one from the Fire."

It is said, "On Resurrection Day there will be assembled a people whose faces are like the bright star, so the angels will say to them, 'What were your works?' and then they will answer, 'We were (people who) whenever we heard the Call to Worship, rose for the purification, nothing else preoccupying us'. Then there will be assembled also a group whose faces will be like moons, and they will say, after inquiry, 'We used to perform the ablution before the time (of the Worship).' Then there will be assembled a group whose faces are like the sun, and they will say, 'We used to hear the Call to Worship in the mosque.'"

It is related that the Fathers[42] used to condole themselves

39. 'Abdallah b. al-'Abbas, cousin of the Prophet (d. 68, 69 or 70 A.H.).
40. Abu Ayyub Maimun b. Mihran al-Jazari (d. 116 or 117 A.H.).
41. The takbir *al-ihrdm* is so called because its utterance marks the prohibition to the worshipper of what was before permitted to him.
42. *Salaf*, Fathers, in the Divine law is applied to everyone whose tenets, *illadhkab*, are transmitted and whose way, *athar*, is followed, such

three days whenever the first *takbir* ("Allah is greater") escaped them, and they condoled seven days whenever the Congregational Worship escaped them.

The Excellence of the Prostration

The Messenger of Allah said," A creature does not draw near to Allah by anything more excellent than by hidden prostration."

The Messenger of Allah said, "There is no Muslim who prostrates before Allah but Allah raises him a degree by it, and by it puts away from him an evil deed."

It is related that a man said to the Messenger of Allah, "Supplicate Allah that He may make me one of the people of your intercession, and that He may apportion to me fellowship with you in the Garden." He replied, "Help me with numerous prostrations."

It is said, "The nearest a creature is to Allah is when he is prostrating, and that is the meaning of the saying of Allah: 'And prostrate thyself and come near!'" (Qur'an, xcvi. 19).

Allah said, "Their mark is on their faces from the imprint of their prostration" (Qur'an, xlviii. 29). It is said," It is the light of humbleness, for it shines from within on the surface," and that is the soundest meaning. It is also said "It is the brightness that will be in their faces on Resurrection Day from the trace of the ablution."

It is said, "It is that which clings to their faces from the earth when they prostrate."

Muhammad said, "Whenever a son of Adam recites a verse of prostration[43] and then prostrates, Satan moves away, weeping

as Abu Hanifah and his companions and their *salaf*, who were the *Sahabah*, Companions of the Prophet, and the Successors, *Tabi'un*. Muhammad is the *muqaddam*, Head of the *Salaf*.

43. Al-Ghazzali gives a brief treatment of the Prostration of the Recital in the seventh section of the second chapter of *Kitab Adab Tilawat al-Qur'an*, "The Book of the Proprieties of the Recital of the Qur'an," Book viii. of the first quarter of the *Ihya'*. He says the "verses of prostration" are fourteen in number, with two in Surat al-Hajj (xxii.), and none in Surah Sad (xxxviii). Sayyid Murtada gives them as follows: vii. 205; xiii. 16; xvi. 52; xvii. 108; xix. 59; xxii. 18, 76;

and saying, "Woe is me! This man was commanded to prostrate and he did so, so he has the Garden; while I was commanded to prostrate[44] (to Adam) but I disobeyed, and so I have the Fire.'"

It is related from 'Ali b. 'Abdallah b. 'Abbas[45] that he used to perform a thousand prostrations every day, and they used to call him "the Prostrator."

It is related that 'Umar b. 'Abd al-'Aziz[46] was wont not to prostrate except on bare earth.

Yusuf b. Asbat[47] used to say, "O company of young men, make use of your health before illness comes, for there does not remain anyone whom I envy except a man who performs completely his bowing and his prostration, since some hindrance has come between me and that."

Sa'id b. Jubair[48] said, "I do not mourn over anything of this life except the prostration."

'Uqbah b. Muslim[49] said, "There is no quality of a creature more beloved with Allah than (that of) a man who loves meeting with Allah, and there is no hour when a man is nearer to Allah than when he kneels in prostration."

xxv. 61; xxvii. 25; xxxii, 15; xli. 38 (or 37 or 3); liii. 62; lxxxiv. 21; xcvi. 18. Murtada substitutes xxxviii. 23 for xxii. 76, and objects to liii. 62 and xcvi. 18, because they are commands, as he accepts the rule that the prostration is to be made only when the verses are statements.

44. The story of Iblis's refusal to prostrate before Adam occurs first in the Qur'an at ii. 32, where Baidawi explains the strict theological aspect of it as a prostration to Allah with Adam as *qiblah*.
45. Abu Muhammad and 'Abdallah 'Ali b. 'Abdallah b. 'Abbas b. 'Abd al-Muttalib b. Hashim al-Qarashi al-Hatimi, the ancestor of the Abbasids (d. 117 or 118 A.H.)
46. 'Umar b. 'Abd al-'Aziz al-Umawi, eighth Umayyad khalifah (d. 101 A.H.).
47. Abu Muhammad Yusuf b. Asbat (d. after 190 A.H.).
48. Abu 'Abdallah Sa'id b. Jubair b. Hisham al-Asadi, a Successor (d. 95 or 94 A.H.).
49. 'Uqbah b. Muslim al-Tujibi, *imam* of the congregational mosque of Cairo (d. 243 A.H.). Sometime governor of Egypt.

Abu Hurairah said, "The nearest a creature is to Allah is when he prostrates: so, do much supplication then."

The Excellence of Humbleness

Allah said, "And perform the Worship for remembrance of Me" (Qur'an, xvii. 80; xx. 14; cf. xi 116).

Allah said, "And do not be (one) of the unmindful!" (Qur'an, vii. 204).

He also said, "Do not offer the Worship while you are intoxicated, so that you may know what you are saying!" (Qur'an, iv. 46). It is said' "Intoxicated from the great amount of care," and it is said, "from love of this life." Wahb[50] said, "The thing meant by it is its literal meaning." Anyway, there is a warning in it against being intoxicated with this life, since He shows the defect in it for He said, "so that you may know what you say," and how many a worshipper there is who has not drunk wine, and yet does not know what he says in his Worship!

The Prophet said, "Whoever performs (a Worship of) two *rak'ahs*, without having polluted himself in them with anything of this life, has his previous sinning forgiven him."

The Prophet said, "The Worship is verily humbling and abasing yourself, intercession, crying out and repenting, while you put down your hands and say, 'O Allah, O Allah,' for the worship of one who does not do so is a thing defective."

It is related about Allah (Oh, His praise!), in the former books that He said, "Not from every worshipper do I accept the Worship. I accept the Worship only of him who humbles himself before My greatness and does not exalt himself over Me, and feeds the hungry, needy for the sake of My face."

Muhammad said, "The Worship was prescribed and the Pilgrimage and the Circumambulation (of the Ka'bah) commanded and the pilgrimage ceremonies were enacted as law only to institute remembrance of Allah, so, whenever you do not have any exaltation or awe in your heart for the One Remembered,

50. Wahb b. Munabbih, Successor (d. 110 A.H., Sayyid Murtada says here 116.)

Who is the One to be sought and desired, of what value is your remembrance?"

He said to the one to whom he gave an admonition, "And whenever you perform the Worship, make it the Worship of one bidding farewell, i.e. of one bidding farewell to his passions, bidding farewell to his life, and journeying to his Lord, as Allah said, 'O man, you are toiling on toward your Lord indeed, for you are one who shall encounter Him!" (Qur'an lxxxiv. 6).

Allah said: "And fear Allah, and Allah will give you knowledge" (Qur'an, ii. 282). He also said, "And fear Allah, and know that you shall encounter Him!" (Qur'an, ii. 223).

Muhammad said, "Whosoever Worship does not prohibit him from the excessive and the disapproved, has no increase from Allah except of distance."

"The Worship is confidential communion," so how does it exist along with unmindfulness?

Bakr b. 'Abdallah[51] said, "O son of Adam! whenever you will to enter the presence of your Lord without leave and address Him without an interpreter, you enter." He was asked, "And how it is that?" He replied, "You complete your ablution and enter your worship-niche, and behold! you have come before your Lord without leave, and then you address Him without an interpreter."

From 'A'ishah[52] (is this tradition); she said, "The Messenger of Allah used to talk to us and we to him, and when Worship-time came, it was as if he did not know us and we did not know him, so engrossed were we in the greatness of Allah."

Muhammad said, "Allah does not look at the Worship in which a man does not present his heart along with his body."

Whenever Ibrahim the Friend rose for the Worship, the palpitation of his heart used to be heard two miles away.

It happened whenever Sa'id al-Tanukhi[53] worshipped, tears

51. Bakr b. 'Abdallah b. 'Amir b. Hilal al-Muzani al-Basri (d. 108 A.H.).
52. 'A'ishah bint Abu Bakr, the favourite wife of Muhammad (d. 58 A.H.).
53. Sa'id b. Abu Muhammad Sa'id b. 'Abd al-'Aziz b. Yahya al-Tanukhi al-Dimashqi, jurisconsult (d. 168 or 167 A.H.)

did not cease to drop from his cheeks to his beard.

The Messenger of Allah saw a man who was playing with his beard in the Worship, so he said, "If this one's heart were humble, his members would be."

It is related that al-Hasan looked at a man who was playing with pebbles and saying, "O Allah, marry me to the *hur*!"[54] so he said, "A fine suitor you are! Asking in marriage the *hur* while you are playing with stones.!"

Khalaf b. Ayyub[55] was asked, "Do not flies annoy you in your Worship, so that you chase them away?" He replied, "I do not accustom myself to anything that corrupts my Worship." He was asked, "How do you have patience for that?" He replied, "I have heard that criminals exercise patience under the lashings of the sultan, so that it may be said, "Such a one is patient!' and they boast about that. Now, I stand before my Lord: shall I, then, move for a fly?"

It is related about Muslim b. Yasar[56] that he, whenever he wanted to perform the Worship, said to his family, "Go on talking, for I do not hear you."

It is related about him that he was worshipping in the mosque at al-Basrah one day and a side of the mosque fell. Thereupon the people gathered together, but he was not cognizant of it until he withdrew from the Worship.

'Ali b. Abu Talib[57] (may Allah honour his face!), whenever Worship-time came, used to shake, and his face used to change colour. So he was asked, "What is the matter with you, O Commander of the believers?" And he would say, "There has come the time of 'trust' which Allah 'offered to the heavens and the

54. The *Ihya'* contains the usual descriptions of the *hur*, the maidens of Paradise, and the Garden (Chapters *Sifat al-Hur, Sifat al-Jannah*).
55. Al-Khalaf b Ayyub al-'Amiri al-Balkhi, *mufti* (d. 209 A.H., according to Sayyid Murtada ; others say 205, 215 or 220 A.H.).
56. Abu 'Abdallah Muslim b. Yasar al-Basri, a Successor, and canon-lawyer (d. 100 A.H.).
57. Abu al-Hasan 'Ali b. Abu Talib 'Abd Manaf b. 'Abd al-Muttalib b. Hashim, cousin and son-in-law of Muhammad and fourth khalifah (d. 40 A.H.).

earth and the mountains, but they refused to bear it and shrank from it' (Qur'an, xxxiii. 72) and I have borne it."

It is related about 'Ali b. al-Husain[58] that it was the case that, whenever he performed the ablution, he became yellow in colour. So his family would say to him, "What is this which befalls you during the ablution?" and so he would reply, "Do you know before whom I wish to stand?"

It is related from Ibn 'Abbas that he said, "Dawud said (in his devotional communion), 'O my God! who will dwell in Thy house, and from whom wilt Thou accept Worship?' And Allah revealed to him, 'O Dawud! only he shall dwell in My house and have his Worship accepted who is humble before My greatness, cuts up his day with remembrance of Me and withdraws himself from fleshly appetities for My sake, giving food to the hungry, sheltering the stranger and showing mercy to the unfortunate. For he it is whose light shall shine in the heavens as the sun. If he call upon Me, I will respond; if he ask of Me, I will give; I will give him, in ignorance, intelligence; in heedlessness, remembrance; and, in darkness, light; and truly he shall be among men like Paradise in the Gardens,[59] whose rivers do not run dry and whose fruit does not change.'"

It is related about Hatim the Deaf that he was asked about his Worship, so he said, "Whenever Worship-time comes I complete the ablution and I go to the place I wish to Worship in, and sit there until my members are composed. Then I rise for the Worship, and place the Ka'bah between my eyebrows and the Bridgeway[60] under my feet with the Garden on my right and the Fire on my left and the Angel of Death behind me and I think it to be my last Worship. Then I stand, between hope and fear, and repeat a *takbir* with precision and recite a recitation that is distinct and bow a bow with humility and make a prostration with self-abasement, and sit on the left thigh and spread on the

58. 'Ali b. Husain Zain al-'Abidin, one of the twelve Shi'ite *imams* (d. 94 A.H.).
59. The other texts, i.e. that on the margin and the Cairo edition of 1334 read "in the highest of the Gardens".
60. In the Qur'an, *Sirat* in most cases refers to "The Straight Road," meaning Islam.

ground the top of its foot and set the right foot on its great toe; then I follow it up with singleness of devotion, and then--I do not know whether it has been accepted or not!"

Ibn 'Abbas said, "A Worship of two *rak'ahs* that are purposed in thought are better than standing a night with the heart heedless."

The Excellence of the Mosque and the Place of Worship.

Allah said, "Only he repairs to the mosques of Allah who believes in Allah and the Last Day" (Qur'an, ix. 18).

Muhammad said, "Whoever builds Allah a mosque, even though it be as the nest of a partridge, will have Allah build a palace for him in the Garden."

He said, "Whoever becomes familiar with a mosque will have Allah become familiar with him."

He also said, "Whenever any of you enters a mosque, let him perform two *rak'ahs* before he sits down."

Muhammad said, "There is no Worship for the neighbour of a mosque except in the mosque."

He said, "The angels intercede for any one of you as long as he is in the place of worship in which he is worshipping, saying, 'O Allah! have mercy[61] on him! O Allah be merciful to him! O Allah! forgive him as long as he does not do anything polluting or go out from the mosque!'"

He also said, "There shall come, in the last time, men of my people who will come to the mosques and sit in them in circles with their thought being of this life and of the love of this life: do not sit with them, for Allah has no need of them!"

Muhammad said, "Allah said in one of the Books, My houses on the earth are the mosques, and My visitors in them are those who repair to them, so, blessed is the creature who purifies himself in his house and then visits Me in My house, for there is a duty upon a host to honour his guest" (cf. Baidawi on Qur'an, ix. 18).

Muhammad said, "Whenever you see a man accustomed to the mosque, testify to his faith."

61. The other texts read "What is his right?"

Sa'id b. Musayyab said, "Whoever sits in a mosque truly has fellowship with his Lord, so, how right it is for him not to say anything but good!"

It is related in the Records[62] or the Traditions, "Talking in the mosque devours good works as cattle devour grass."

Al-Nakha'i said, "They used to think that walking to the mosque on a dark night was something that makes the Garden obligatory (as a reward)."

Anas b. Malik[63] said, "Whoever lights a lamp in a mosque has the angels and the bearers of the Throne ceasing not to ask forgiveness for him as long as its light remains in that mosque."

'Ali said, "Whenever a creature dies, the place of his Worship on the earth and the pace of heaven where his work ascends weep over him"; thereupon he recited, "Then the heaven and the earth wept not for them and they were not granted respite" (Qur'an, xliv. 28).

Ibn 'Abbas said, "The earth weeps for him forty mornings."

'Ata' al-Khurasani[64] said, "There is no creature who makes a single prostration to Allah in any one of the places of the earth but will have it testify for him on Resurrection Day and weep for him the day he dies."

Anas b. Malik said, "There is no place in which Allah is mentioned in Worship or Invocation but it boasts over the places around it, and they rejoice in the mention of Allah to their uttermost limit, consisting of seven lands, and there is no creature who stands up for the Worship but has the earth embellished for him."

It is said, "There is no place in which people alight but that place begins to intercede for them or curse them."

62. Sayyid Murtada's distinction between *khabar* and *athar* is given in his Introduction to the *Ithaf*, I, 48. The *akhbar* are traditions from the Prophet, while the *athar* are from the Companions and from the Successors and their Successors and the early Fathers after them.
63. Abu Hamzah Anas b. Malik, prolific traditionist (d. 91-93 A.H.).
64. Abu Ayyub (et al, 'Ata' b. Abu Muslim 'Abdallah al-Azdi al-Khurasani al-Balkhi (d. 133 A.H.; Murtada says 135 A.H.).

2

The Manner of Performing the Outward Acts of the Worship

Beginning with the Takbir and What Precedes It

It is fitting that the one performing the Worship, when he finishes the ablution and the cleansing from the uncleanness of body, place and clothing, and the covering of his nakedness from the navel to the knee, should rise, standing facing the *qiblah* outwardly (and the Divine Presence inwardly[65]), and pair[66] his feet together without joining them, for that is one of the things by which they (the Fathers[67]) used to infer a man's legal knowledge.

Muhammad prohibited *safn*,[68] "the raising of the foot," and *safd*, "fettering," in the Worship. "Fettering" is the uniting of the two feet, and this is the meaning of the saying of Allah, "Bound together in fetters" (Qur'an, xiv. 50). *Safn* is the lifting of one of the feet, and this is the meaning of the saying of Allah, "Raising the foot, fleet" (Qur'an, xxxviii. 30). This is what he is to be mindful of as regards his feet when he stands.

He is to be mindful of straightness in his knees and waist, the place of tying his girdle. As for his head, if he will he may

65. This is an addition in Sayyid Murtada's text.
66. In this instance the other texts have been translated. Sayyid Murtada reads *yurawiha*, "to stand alternately upon" the feet. But the Cairo 1334 text, and still another Cairo text (of the Matba'ah 'Amirah, 1326) both read *yuzawija*, "to pair," which reads much better.
67. This is supplied by Sayyid Murtada's explanation.
68. The action referred to in the *hadith al-safn* (the noun of action is *sufun*) has two interpretations: (1) joining the feet together, and (2) turning up one foot behind the other as a horse does when it stands upon three feet (*Lisan al-'Arab*, XVII, 116).

keep it erect, and if he will, he may incline it: to incline it appears more humble and more abasing. So let his gaze be fixed on the mat he worships on. If he has no worshipping-mat let him draw near to the encircling wall, or let him draw a line, for that cuts off the extent of his gaze and prevents the scattering of the thought. Let him restrain his gaze from exceeding the edges of his worshipping-mat or the bounds of the line. Let him continue so standing until the Bowing is to be done, without turning. This is the *adab*, Proper Manner, of the *qiyam*, Standing Posture.

Then, whenever his standing and his direction and his extremities are made symmetrical after this fashion, let him recite,[69] "Say, I take refuge with the Lord of mankind" (Qur'an, cxiv.), fortifying himself by it against Satan. Then let him proceed with the Institution of the Worship. If he should hope for the presence of those who would follow his leadership, let him give the Call to Worship first. Next, let him cause the Intention to be present. This means to state an intention, at noon, for instance and say in his heart, "I perform at its proper time the Prescribed Noon Worship to Allah," in order to distinguish it from the *qada'*,[70] "substitute performance," by his saying, "I perform at its proper time," *ada'*; and from the *nafl*, "supererogatory Worship," by saying, "the prescribed," and from the Afternoon or any other Worship, by saying, "noon". Let the meanings of these utterances be present in his heart, for that is the Intention, while the utterances themselves are reminders and causes of its presence.

He strives that that should continue until the end of the *takbir*, so that it may not go away. Then, when that is present in his heart,

69. The last two *surahs* are called *al-mu'awwishatan*, because the word *a'udh*, "I take refuge," occurs at the beginning of them. It is a Qur'anic injunction (xvi 100) to begin its recital with such a formula, of which other examples are ii. 63; xi 49; xix. 18; xxiii. 99. 100.
70. *Al-qada'* is setting up one thing in place of another. It is the payment, for cause, of something similar to what was obligatory (Jurjani, *Ta'rifat*, p. 185). Among Shafi'ites, *ada'* and *qada'*, apply especially to the services of worship which have appointed times, and *qada'* is not applied to any performance which may not have a qada', e.g., the Worship of the Feasts and the Friday Congregation. See also note 15 of Chapter 1.

let him raise his hands opposite his shoulders in such a way that his palms will be opposite his shoulders and his thumbs opposite the lobes of his ears (and the tips of his fingers opposite the tops of his ears), so that he may combine the traditions which have come down concerning it. He turns his palms and thumbs towards the *qiblah*, and opens up his fingers, not folding them and not taking pains to separate them or to keep them together, but he lets them be as they naturally are, since there is handed down in tradition both the spreading and the closing (of the fingers), and this is between the two, and so is preferable.

When the hands have come to rest in their position he begins the *takbir* at the same time letting them descend and causing the Intention to be present. Next he places his hands on what is above the naval and below the chest and places the right hand on the left, out of honour for the right hand in that it is the one to be borne. He extends the index and middle fingers of the right hand on the length of the forearm, and takes hold, by the thumb and the little and ring fingers, of the wrist of the left arm.

It has been related that the *takbir* comes along with the raising of the hands, and with their remaining[71] (at the ears) and with their descent. There is nothing wrong with any of these, but I think that it is more suitable that it should be combined with the descent of the hands, for it is the word of binding, since the placing of one of the hands on the other is a form of binding, its beginning being the lowering, and its ending being the placing of them in position. The *takbir*, "Allahu akbar," begins with the "A" and ends with the "r", so it is suitable that there should be regard for the correspondence between the action and the binding. The raising of the hand is, as it were, preliminary to this beginning. Further, it is not fitting that he should raise his hands pushing them forward, nor move them back behind his shoulders, nor shake them to the right or left when he finishes the *takbir*. He lowers them quickly and easily, and commences to place the right one on the left after the lowering.

In one of the narratives it is related that whenever Muhammad said the *takbir*, he would lower his hands, and whenever he wished

71. Sayyid Murtada adds the explanation "they are raised".

to recite, would place the right on the left. If that is sound,[72] it is preferable to what we have mentioned.

As for the *takbir*, it is fitting that he should vocalise the "h" of "Allah" with a light *dhammah* (the vowel "u"), without emphasis, and not insert between the "h" and the "a" any resemblance to a *waw* (the consonant "w"), that being the tendency of emphasising, nor insert between the "b" and the "r" of the "Akbar" an "a", saying "Akbar". He leaves unvowelled the "r" of the "Akbar", not vowelling it with *dhammah*. This is the Form of the *takbir* and what accompanies it.

The Recital

Thereupon he begins the Introductory Supplication. It is well that he should say, after saying, "Allah is greater", "Allah is much greater! Praise belongs to Allah many times over! Oh, the praise of Allah, early and late! I have turned my face to His word, and I am one of the Muslims!" Then he says, "Praise is Thine, O Allah!" and "By Thy Praise! Blessed of itself is Thy name, and exalted is Thy majesty, and sublime is Thy praise, and there is no god but Thee!" that he may combine the variations that have come down in the traditions. If he is behind an *imam*, he is brief, if the *imam* does not have a long pause, in which he recites (the Fatihah).[73]

Then he says: "I seek refuge in Allah from Satan the Stoned."

Next he recites the Fatihah, beginning it with, "In the name of Allah, the Merciful and Compassionate One," giving full value to its doubled and other letters, and striving to differentiate between the dad and the *za*,[74] and he says "*amin*" at the end of the Fatihah. He prolongs it considerably and does not at all join

72. Among traditions, *sahih*, "sound", means that the tradition is traced all the way back to Muhammad, is handed down by an unbroken line of honest people, is accurate in imposing or discharging (a duty), and is not exceptional.
73. This is added by Sayyid Murtada as merely a measure of the length of the recital.
74. These are two letters of the Arabic alphabet whose pronunciations among the Arabs or Arabia proper are very similar, but are nevertheless distinguishable.

the "*amin*" to the words, "and not of those going astray". He makes the Recital audible in the morning, at sunset and in the evening, unless he is a follower.[75] He says the "*amin*" audibly.

Next he recites the *surah*, or as much as three verses of the Qur'an, or more, not joining the last of the *surah* with the *takbir* of the bending, but keeping them apart as long as he takes to say, "Oh, the praise of Allah!" He recites in the morning one of the long *surahs of the mufassal*,[76] and at sunset one of the short ones; also at noon and in the afternoon and evening, such as, "By the sky, possessor of the towers!" (lxxxv.) and those near it; and in the morning on a journey, "Say "O unbelievers!'" (cix.), and, "Say, "He is Allah, One!'" (cxii.); and likewise in the two *rak'ahs* of the Dawn,[77] and of the Circumambulation of the Ka'bah, and of the Greeting--with him, during all that, continuing to stand and placing his two hands as we have described at the first of the Worship.

75. That is, he is worshipping behind an *imam*.
76. One of the divisions of the Qur'an is into four parts, as follows: (1) *al-tiwal*, "the long," consisting of seven *surahs*, ii. to ix. (which includes viii, because there is no *basmalah* between them), or, others say, ii. to vii, to which are added either x. or xviii. (2) Next to them are *al-mi'um*, "the hundreds," having nearly 100 verses, or more. (3) Next are *al-mathani*, "the duplications," having less than 100 verses. (4) Then come *al-mufassal* (a term derived from Qur'an, xlii. 2), "the divided," because it has numerous section, or "the manifest" (and therefore, also called al-muhkam), because it has few or no abrogated verses in it. This is said to be "the seventh seven" (Sayyid Murtada, III, 51C), "the last seven" (Raghib, Al-Mufradat, p. 388), and "the seven of the finals" (Sayyid Murtada, IV, 480). Here the word "seven" refers to the seven-fold division of the Qur'an into portions to be recited; the word is used as a verb in that sense (*Taj al-'Arus*, V, 375A). The *mufassal* is said by most to begin with *surah* xlix., but nine others are mentioned, from xiv to xciii.

The *mufassal* itself has three sub-divisions, also variously enumerated: (a) *al-tiwal*, "long," xlix-lxxviii., or xlvii-lxxxv., or xlix-lxxx., etc.; (b) *al-awsat*," "medium," to xc. or xciii, or xcvii., etc.; (c) *al-qisar*, "short," to the end.
77. This is the morning *sunnah* Worship, not the prescribed one, which has long *surahs*.

The Bowing and Its Accompaniments

Next he bows, and in the Bowing he observes certain things. These are that he says a *takbir* for the Bowing; and that he raises his hands with the *takbir* of the Bowing and that he prolongs the *takbir* considerably (up to the end of the bow); and that he places the palms of his hands on his knees in the Bowing, with his fingers spread out towards the *qiblah*, on the length of the forelegs; and that he straightens his knees (not doubling them); and that he stretches out his back evenly; and that his neck and head are in line with his back, as one surface, his head not being lower or higher; and that he turns away his elbows from his sides (but a woman keeps her elbows at her sides); and that he says, "Oh the praise of my Mighty Lord!" three times or more, up to seven (or to ten is good, if he is not an *imam*). Next he rises from the Bowing to the Standing Posture, and raises his hands and says, "Allah hears whoever says His praise." He remains at rest in the erect position and says, "Our Lord, Thine is the praise to the fullness of the heavens and the earth and of whatever Thou willest of anything more!" He does not prolong this Standing Posture except in the Worship of the Praise,[78] and of the Eclipse of the Sun,[79] and of the Morning. He recites the *qunut*,[80] in the morning in the second *rak'ah* with the traditional words, before the Prostration.

The Prostration

Next he goes down for the Prostration, saying the *takbir*, and then places his knees on the ground and places his forehead, nose and palms (on the ground), uncovered. He says the *takbir* while lowering himself, but he does not raise his hands in anything but

78. This is the ninth of the Occasional *nafl*, Supererogatory, Worships described by al-Ghazzali.
79. The Worship of Eclipse of the Sun is the first of the Occasional nafl. Worships described by al-Ghazzali.
80. As used by al-Ghazzali, *qunut* is a special supplication, in traditional phrases, added while standing, after the Bowing, in the Prescribed Worship of the Morning and in the *tarawih* Worship of the latter half of Ramadan. Others, however, say there is not *qunut* Supplication except in the morning (al-Bajuri, *Commentary on Abu Shujd*, I, 128D). Sayyid Murtada's discussion is at III, 61 ff.

the Bowing. It is fitting that his knees should be the first to be placed on the ground, and after them his hands, and after them his face; and that he should place his forehead and his nose on the ground; and that he should turn his elbows away from his sides (but a woman should not do that); and that he should keep his feet apart (but a woman should not do that); and that in his Prostration he should leave an open space on the ground (but a woman should not leave a space); "leaving a space" means raising the stomach from the thighs and separating the knees;-- and that he should place his hands on the ground opposite the shoulders, without separating the fingers but rather joining them and joining the thumb to them (but, if he were not to join his thumb, it would not matter); and without extending his arms on the ground, as a dog does, since that is forbidden; and that he should say, "O the praise of my Most High Lord!" three times (but if he increases the number, it is well, unless he is acting as *imam*).

Next he rises from the Prostration, and rests himself a moment in a straight sitting position. So he raises his head, saying the *takbir*, and sits on his left leg and sets up his right foot, and places his hands on his thighs, with the fingers extended, not taking care to close or to separate them. He says, "O Lord, forgive me! Have mercy on me! Provide for me! Guide me! Restore me! Preserve me in health and pardon me." He does not prolong this Sitting[81] except in the Prostration of (the Worship of) the Praise. He makes the second Prostration similarly, and straightens up after it, sitting briefly for the rest in each *rak'ah* not followed by the Witnessing.

Next he stands up: to do so he places his hand on the ground but he does not put either of his legs forward while getting up. He prolongs the *takbir* so that it takes up all the time between the middle of his rising from the Sitting Position to the middle of his rising to the Standing Posture, in such a manner that the "h" of the word "Allah" will come while he is sitting straight, and the "k" of the "akbar" will occur while he is leaning on his hand for the rising, and the "r" of the "akbar" will occur in the middle of his rising for the Standing Posture, so that the *takbir* may fall in the middle of his transition, and only the two extremities

81. See further on this Sitting, Section "The Distinction between the Prescribed Elements and the Usage Portions," below.

(beginning and end of the transition) be free from it (the takbir). This is the most inclusive (application of the varying traditions).

He performs the second *rak'ah* just like the first, and repeats the words "I seek refuge" as at the beginning.

The Witnessing

Next he gives the First Witnessing in the second *rak'ah*. Then he says the Blessing for the Messenger of Allah and for his family. He places his right hand on the right thigh, folding his right fingers, except the index finger, there being no harm in letting loose the thumb also. He points with only the finger of his right hand as he says, "but Allah," not as he says, "There is no god". He sits during this Witnessing on his left foot, as he does between the two Prostrations. In the Last Witnessing he perfects the Supplication mentioned in Tradition for the Prophet. Its *sunan*, Usages, are like the Usages of the First Witnessing, but he sits, in the Last, on his left hip, because he is not ready for the Standing, but rather is to continue there. He places the left foot out from under him (from behind), and sets up the right one. He places the tip of the great toe in the direction of the *qiblah*, if it should not be difficult for him.

Then he says, "The peace is upon you, and the mercy of Allah," and he turns to the right so that his right cheek may be seen from behind on the right side. He turns to the left similarly and gives the Salutation a second time. He has the Intention to leave off the Worship with the Salutation. He has in mind in his Salutation those angels and Muslims who are of his right in the First Salutation, and he has a similar intent in the Second. He makes the Salutation short, and does not prolong it to any extent, as that is the *sunnah*, Usage. This is the Form of the individual Worship.

He raises his voice in the *takbirs*, but he does not raise his voice louder than for himself to hear.

He (the *imam*) states the Intention to do the leading, in order to receive reward. But if he does not state the Intention, the Worship of the people is valid when they state the Intention of imitating him and they will receive the reward of Worship in a congregation.

He says, inaudibly, the Introductory Supplication and the Seeking Refuge, as in the individual Worship, and says, audibly, the Fatihah and the *surah* in each of the Morning, and the first two of the Evening and Sunset *rak'ahs*, and also in the individual Worship. He says the *amin* audibly at the end of the audible[82] Worship, and so does the follower. The follower also says "*amin*" simultaneously with the *imam's amin*, not after him.

The *imam* remains silent after the Fatihah in order that his breath may return to him. The follower recites the Fatihah in the audible Worship during this silence, so that he may be enabled to listen when the *imam* recites. The follower does not recite the *surah* in the audible (Worship), except when he does not hear the voice of the *imam*.

The *imam* says, "Allah hears whoever declares His praise," as he raises his head from the Bowing, and so does the follower. The *imam* does not make more than three repetitions of the Praises of the Bowing and the Prostration, and adds nothing more in the First Witnessing after his saying, "O Lord, have mercy on Muhammad and on the family of Muhammad."

He confines himself in the last two *rak'ahs* to the Fatihah, and is not lengthy for the people. He does not make his Supplication in the Last Witnessing exceed the extent of the Witnessing itself and the Supplication for the Messenger of Allah.

He has in mind, in the Salutation, salutation upon the people and the angels. The people have in mind, in their Salutation, a reply to him.

The *imam* remains still a while, until the people finish the Salutation, and he turns his face towards the people. It is preferable that he remain still, if there are women behind the men, so that the women may depart before him. Not one of the people stands up until the *imam* stands up and departs whither he will to the right or left. I prefer the right.

The *imam* does not particularise himself in the Supplication in the *qunut* of the Morning Worship, but says, "O Allah, guide us!" He says it audibly, and the people say, "*Amin*," raising their

82. The audible Worships are those of the morning, sunset and evening.

hands opposite their chests. He wipes his face at the close of the Supplications, according to a tradition related about it. Otherwise, analogy would indicate that the hand should not be raised, as at the end of the Witnessing.

Prohibited Things

The Messenger of Allah has forbidden: (a) the raising of the foot in the Worship; (b) the fettering (these we have already mentioned[83]); (c) sitting on the shanks; (d) enveloping; (e) turning up; (f) placing the hands on the sides; (g) placing the hands akimbo; (h) merging; (i) the Worship of one suffering with retention; (j) of the costive; (k) of the pinched; (l) of the hungry; (m) of the angry; and (n) of the muffler, which means one who cover his face.

(c) Sitting, among lexicographers, means sitting on the shanks, lifting the knees and placing the hands on the ground like a dog. Among traditionist it is sitting on the shanks, kneeling, with no part of his on the ground but the tips of the toes and the knees.

(d) Enveloping. The belief of the traditionists about it is that it means that he wraps himself in his garment and puts his hands inside and so bows and prostrates. This was the practice of the Jews in their Worship, and the Muslims were forbidden to imitate them. The shirt is also meant, for it is not fitting that he should bow and prostrate with his hands in the body of his tunic. But it is said to mean placing the middle of the cloak on the head and letting its two sides fall on his right and left, without placing them on his shoulders. The first is nearer right.

(e) Turning up. This is raising his garment before him or behind him when he wishes to prostrate. Sometimes *kaff*, "turning up," is used of the hair of the head, so let no one perform the Worship with his hair twisted. This prohibition applies to men.

In Tradition we read, "I was commanded to prostrate on seven numbers, and not to twist up the hair or the garment."

Ahmad b. Hanbal[84] disliked to put on the *izar*, "inner cloth,"

83. See above, beginning of this Chapter.
84. Ahmad b. Muhammad b. Hanbal, celebrated theologian, for whom one of the four schools of canon law is named (d. 241 A.H.).

over the shirt in the Worship, considering it was a case of turning up.

(f) *Al-ikhtisar* is the placing of the hands on the sides.

(g) *Al-salb*[85] is placing the hands on the sides during the Standing Posture and leaving a space between the upper arms and the sides (i.e., standing akimbo).

(h) Merging is of five kinds, two applying to the *imam*, not to merge his Recital with the Opening *takbir*, not his Bowing with his Recital; two applying to the follower, not to merge his Opening *takbir* with the *imam's takbir*, nor his Salutation with the latter's Salutation; one applying to both of them, not to merge the prescribed Salutation with the Second Salutation, but to separate them.

(i) Retention applies to urination.

(j) The costive means the constipated.

(k) A pinched person is one with a tight boot. All of these things hinder humbleness. The same applies to the hungry and the perplexed.

(l) The prohibition of (the Worship of) the hungry is inferred from the words of Muhammad, "Whenever your supper is ready and the Worship has begun, have supper first, unless time presses or you are quite of heart," i.e. can wait until the Worship is finished.

(m) In Tradition we read, "Let not any one of you enter upon the Worship while he is frowning, and let not any one of you enter upon the Worship while he is angry."

Al-Hasan said, "Every Worship in which the heart is not present is swifter to punishment (than to reward[86])."

In Tradition we read, "Seven things in the Worship are due to Satan: nose-bleed, drowsiness, evil suggestions, yawning,

85. *Salb* is forbidden because it resembles the position of a man when he is curcified (Lane, *Lexicon*, p. 1711C, quoting *Taj al-'Arus*, I, 338D).
86. This tradition is repeated in the next Chapter (Sayyid Murtada, I, 115) and there Sayyid Murtada adds this additional phrase from the *Qut al-Qulub* of Abu Talib al-Makki. See note 5 to next Chapter.

scratching, turning round, and playing with anything." Some add "unmindfulness and uncertainty."

One of the Fathers said, "Four things in the Worship are coarse: turning round, wiping the face, clearing away pebbles, and worshipping in the path of one who will pass in front of you."

(n) It is also prohibited to interlace the fingers, or to crack the fingers, or to cover the face, or to place one palm against the other and push them between the thighs during the Bowing. Some of the Companions said, "We used to do that and were forbidden it." It is also disliked to blow on the earth during the Prostration, to clean it, and to level the pebbles with the hand, for these are actions that may be dispensed with. He does not raise one of his feet and put it on his thigh, and does not lean in the Standing Posture against a wall, for, if he leans so that he would fall if that wall were drawn away, the most obvious result would be the invalidating of his Worship, and Allah knows better!

The Distinction Between the Prescribed Elements and the Usage Portions

All that we have mentioned applies equally to the *fard*, Prescribed Elements, the *sunnah*, Usage Portions, the *adab*, Properties, and the *hai'at*, Forms, of all the things that it is fitting for the devotee of the way of the next abode to observe.

The Prescribed Elements are twelve in number: (1) The statement of the Intention; (2) the *takbir*; (3) The Standing Posture; (4) the Fatihah; (5) bending down in the Bowing until the palms reach the knees, with coming to rest in it; (6) Straightening from this position, standing; (7) the Prostration, with coming to rest in it, but the placing of the hands (on the ground[87]) is not obligatory; (8) straightening from this, sitting; (9) the Sitting for the Last Witnessing; (10) the Last Witnessing, (11) the Blessing upon the Prophet; (12) the First Salutation.

The statement of the Intention to withdraw from the Worship is not obligatory. Whatever is additional to this is not obligatory, but rather is *sunnah*, Usage, and *hai'at*, Forms, connected with the actions in them, i.e., the *sunnah* and the *fard*.

87. This is added in Sayyid Murtada.

The Usages connected with the actions are four (in number): (1) raising the Hands in the Opening *takbir*, and (2) when bending for the Bowing, and (3) when rising for the Standing Posture, and (4) the Sitting for the First Witnessing.

What we have mentioned about the manner of spreading the fingers and the limit of raising them is part of the Forms following this Usage. The sitting on one foot and the laying down of the foot are Forms connected with the Sitting. The lowering of the head and the refraining from turning are Forms connected with the Standing Posture. The beautifying of the external manner of the Standing Posture and the Sitting for Rest,[88] we do not reckon among the fundamental Usages connected with the actions, as they are like the beautifying of the Form of the rising from the Prostration to the Standing Posture. Since they are not purposed in themselves they were not singled out for mention.

The Usages connected with the Invocations are: (1) the Introductory Supplication; (2) the Seeking Refuge;[89] (3) saying "*amin*,"[90] for it is indeed a Confirmed Usage; (4) the Recital of the *surah*; (5) the *takbirs* of the transitions;[91] (6) the Invocation in the Bowing and (7) in the Prostration; (8) the Straightening from them; (9) the First Witnessing, and (10) the Blessing in it upon the Prophet; (11) the Supplication at the end of the Last Witnessing, and (12) the Second Salutation.

These, although we have gathered them all together under the name of *sunnah*, Usage, yet have degrees of gradation, since four of them are made up for by the Oversight Prostration. Of the actions there is one such: it is the First Sitting for the First Witnessing, for it produces an effect, in the carrying out of the order of the Worship, in the eyes of beholders to the extent that there is known by it whether it is a fourfold Worship or not, as opposed to the raising of the hands, for it (the raising of the hands)

88. After the Second Prostration in each *rak'ah*, adds Sayyid Murtada.
89. Before the Recital in each *rak'ah*.
90. After the Fatihah.
91. The word adopted to translate *intiqalat* is "transitions," to indicate the changes of position between the Standing, Bowing, Prostration and Sitting postures.

does not produce an effect in changing the order. So it is termed a *ba'd*. Part, of the Worship, and it is said, "The Parts are made good by the Oversight Prostration."

As for the Invocations, only three of them require the Oversight Prostration: (1) the *qunut;* (2) the First Witnessing, and (3) the Blessing upon the Prophet in it, whereas it is just the contrary with the *takbirs* of the transitions and the Invocations in the Bowing and the Prostration and the Straightening from them, because the Bowing and the Prostration, in their external manner, are different from ordinary habit, so the sense of an act of a service of worship is conveyed by them even though there should be omission of the saying of the Invocations, and the *takbirs* of the transitions. The absence of these Invocations does not change the external manner of a service of Worship.

The Sitting for the First Witnessing is a customary action, and was added only for the sake of the Witnessing, so the omitting of it produces a distinct effect.

As for the Opening Supplication and the *surah*, omitting them does not produce an effect, although the Standing Posture has become occupied by the Fatihah and is distinguished from ordinary habit by it.

Likewise the Supplication in the Last Witnessing and in the *qunut* is farthest from what is made good by the Oversight Prostration. But the prolongation of the Straightening in the Morning Worship was enjoined on (the *qunut's*) account, so it is like the prolongation of the Sitting for Rest, since that Sitting became, by the prolongation, along with the Witnessing, the Sitting for the First Witnessing. So this remains a Standing Posture, prolonged, customary, in which there is no obligatory Invocation. And in this description of this Standing Posture as "prolonged", there is a guarding against any other Worship but the Morning, and in its description as "free from any obligatory invocation," there is a guarding against the fundamental character of the Standing Posture in the Worship.

If you say that the distinction between the *sunnah*, Usage, and the *fard*, Prescribed Element, is intelligible, since validity departs with the departure of the Prescribed and not of the Usages, and

punishment is faced on account of them, but not on account of the Usages, but, as for the distinction between one *sunnah*, Usage, and another, seeing that all are commanded as being liked, and there is no punishment for omitting all of them, and merit pertains to all of them, what is the meaning of that latter distinction:-- then know that their participation in reward and punishment and desirability does not do away with their gradation. Let us reveal that to you by a similitude. This is that a man is not an existent, perfect man except by means of an inner reality, *ma'na*, together with external members. The inner reality is the life and the spirit. The external are his material members. Further, some of these members are those through whose non-existence the man becomes non-existent, such as the heart, liver and brain, and every other member with the departure of which life departs. Life does not depart on account of some other members, but the purposes of life depart, such as the eye, the hand, the leg, and the tongue. Some of them do not entail departure of life or of the purposes of life, but on their account beauty departs such as the eyebrows, the beard, the eyelashes and a good complexion. Some of them do not entail the departure of the elements of beauty but its perfection, such as the arching of the eyebrows, the blackness of the hair of the beard and the eyelashes, the symmetry of the shape of the members and the commingling of red and white in the complexion. These are degrees of gradation.

So, similarly, worship is a form that the law has made and our devotion is given reality by acquiring it. Its spirit and inner life are humbleness, intention, presence of the heart and singleness of devotion,[92] as shall appear, seeing we are now considering the external parts. So the Bowing, Prostration, Standing Posture and the rest of the Elements act like the heart, head and liver, since the existence of the Worship departs with their departure.

The *sunan*, Usages, we have mentioned, such as the Raising of the hands, the Opening Supplication and the First Witnessing,

92. *Al-ikhlas*, "singleness of devotion," with the *salik*, "wayfarer," is the exclusion of *al-khalaq*, "the world," from his dealing with Allah, i.e. he does not act at all except for Allah. It is that all his movements, works and words are for Allah. Its opposite is *shirk*, "associating" something with Allah.

act like the hands, eyes and legs. The validity of the Worship does not depart with their departure, as life does not depart with the departure of these members, but the person becomes, on account of their departure, deformed in shape, blamed and undesirable. Just so, whoever contents himself with the least of what suffices of the Worship is like one who gives to some king a slave that is alive but with his extremities cut off.

The Forms, being those that come after the Usages, act like the causes of beauty, such as the eyebrows, beard, eyelashes and a good complexion.

As for the duties of the Invocations in those Usages, they are the perfectors of beauty, such as the arching of the eyebrows, the roundness of the beard, and so on.

The Worship, for you, is an offering and a valuable present with which you draw near to the presence of the King of kings, such as a young slave-girl, that one seeking proximity to a sultan[93] presents to him. This present is offered to Allah, and then is returned to you on the greatest Presentation Day. So yours is the choice either to make its form beautiful or to make it ugly. If you do well it is for yourself. If you do wrong you wrong your self.

It is not fitting that your pleasure, O lawyer,[94] in the practice of canon law, should be that "Usage is differentiated from Prescribed Element," and then none of the qualities of the Usages are fixed in your understanding but this, that "Abandoning them is allowable and there is no punishment in that," and then you abandon them. For that resembles the saying of the physician, "Putting out the eye does not nullify the existence of a man, but it excludes him (from being a factor) in the realisation of the hope of one seeking to make himself acceptable to the sultan, whenever he brings the one-eyed man as a gift."

Similarly, it is fitting that you should understand the grades of the Usages, Forms and Proprieties, for every Worship whose Bowings and Prostrations a man does not complete will be the

93. The other texts have the plural.
94. This is added by Sayyid Murtadā in his commentary.

first adversary against its owner, saying, "May Allah neglect you as you have neglected me!" So, study the traditions[95] which we have set forth on perfecting the elements of the Worship, in order that their important position may be apparent to you.

95. For these Traditions, see above, Chapter 1, under Section "The Excellences of Performing Completely the Essential Elements".

3

Inward Stipulations For the Acts of the Heart

Let us mention, in this chapter, the close connection of the Worship with humbleness[96] and the presence of the heart.[97] Next let us mention the inner realities, their bounds, causes and treatment. Next let us mention in detail what it is fitting should be present in the heart in every one of the elements of the Worship, that the Worship may be beneficial as provision for the next abode.

Elucidation of the Stipulation[98] for Humbleness and the Presence of the Heart

Know that there are many proofs for this requirement. Among

96. Sayyid Murtada remarks here: "Most of the learned, e.g. al-Rafi'i and al-Nawawi, make *khushu'* a *sunnah*, Usage, part of the Worship, while Abu Talib al-Makki and others *make* it a shart, Stipulation, in the Worship, the author, al-Ghazaali, agreeing with them. Some of the Fathers said it was quietness in the Worship, while al-Baghawi said it is submissiveness. Others say it is guidance to the truth, and others say it is the fear that persists in the heart. Abu al-Baqa' said it is humility and demeaning oneself and humbleness toward Allah in the heart and the members. There is difference of opinion as to whether it is one of the works of the heart, or a work of the members, as quietness, or an expression for both. Al-Razi preferred the third alternative."
97. The "heart" is not the seat of the emotions with al-Ghazzali, but rather the seat of his experiential apprehension of the world. It is a transcendant spiritual refinement or subtlety. Its connection with the physical heart has been the despair of the minds of men. For al-Ghazzali's use of the word, see Sayyid Murtada, I, 331; VII, 201 ff.
98. The *shart*, "Stipulation," of a thing is something upon which the soundness of the thing depends, but which is not a *juz'*, "part," of

them is the saying of Allah, "Institute the Worship for remembrance of Me" (Qur'an, xvli. 80). The evident meaning of a command is its obligation. Now, unmindfulness is the opposite of remembering, and so, how can who is unmindful in all his Worship be an institutor of the Worship for remembrance of Him?

Likewise, the saying of Allah, "And do not be of the unmindful!" (Qur'an, vii. 204), is a prohibition, and the evident meaning of it is to make unlawful.

The saying of Allah, "So that you may know what you are saying" (Qur'an, iv. 46), is an assignment of a motive for the prohibition of inebriety, and it is also of general application to the unmindful, anxiously engrossed in evil suggestions and thoughts of this life.

The saying of Muhammad, "The Worship is verily humbling and abasing oneself," is restrictive on account of the definite article. The word "verily" is for confirmation and emphasis. The canon lawyers have understood the saying of Muhammad, "The right of pre-emption verily applies to what has not been divided," as meaning restriction, affirmation and negation.

The saying of Muhammad, "Whosoever Worship does not prohibit him from the excessive and the disapproved has no increase from Allah except of distance," applies, seeing that the Worship of the unmindful does not prohibit from the excessive and the disapproved.

Muhammad said, "How many standing up will have as their portion from their Worship only fatigue and misfortune!" and he meant by that none other than the unmindful.

He said, "A creature gets from his Worship only what he comprehends of it." The verification of this is in the fact that the worshipper is in communion with his Lord, as the tradition about it has declared, and speech with inattention is not communion at all. The demonstration of that is in the fact that the quarter-tithe, if a man is unmindful of it, for instance, is still, in itself, opposed

the thing. By this definition of the *rukn*, "essential element," is excluded from the term *shart*, for it is a *juz'*, "part", of the Worship (al-Bajuri, *Commentary on Ibn Shuja't*, I, 142B).

to his natural craving and oppressive to the lower self. Likewise fasting overcomes the physical powers, breaking the dominion of the fleshly inclination, which is an instrument of Satan's, the enemy of Allah. So it is not strange that which is intended should be secured from them (the quarter-tithe and fasting), in spite of unmindfulness. Likewise the activities of the Pilgrimage are a great hardship, and entail from the exertion something from which suffering results, whether the heart is present with its activities or not.

Now, the Worship comprises only Invocation and Recital, Bowing and Prostration, Standing and Sitting The Invocation is conversation and communion with Allah. Then, either the object of it is its being an address and a conversation, or the object of it is the letters and the sounds for the sake of testing the tongue by the exercise, just as the stomach is tested by restraint in the fast, and as the body is tested by the hardships of giving out the quarter-tithe and parting with property that is exceedingly dear. There is no doubt that this character of the Worship is invalid, for the moving of the tongue in nonsense is easy for the unmindful! For there is no testing in it in so far as it is an exercise. The object is not utterance by means of the letters because it is simply utterance, but because it is beneficial utterance, and it becomes beneficial utterance only whenever it expresses what is in the mind, and it becomes such an expression only by the presence of the heart. Thus, what request is there in the saying, "Guide us into the Straight Road!" (Qur'an, i. 5), when the heart is unmindful and when one does not intend that it should be an intercession and a supplication? For what hardship is there in moving the tongue with it, along with unmindfulness, especially after it has become customary?

This is the rule for the Invocations. Nay more, I say, were a man to take an oath, saying, "I will indeed thank such a one, and praise him, and ask him for some need," and then have the expressions indicating these meanings pass over his tongue in his sleep, he would not have fulfilled his oath. Were they to pass over his tongue in the darkness, with that man present, but without the first knowing of his presence or seeing him, he would not have fulfilled his oath, since his speech would not be an address, and talking with him, as long as he (the second) was not present

in his (the first's) heart. Even were these words to pass over his tongue while he is present, with himself, though it is daylight, nevertheless unmindful of him because he is submerged in some anxious thought or other, having no purpose of presenting the address to him as he spoke he would not have fulfilled his oath.

Now there is no doubt that the object of the Recital and the Invocations is praise and lauding, intercession and supplication, and the One addressed is Allah, even though the heart, by the veil of unmindfulness, is hidden from Him. He does not see Allah or observe Him, so is unmindful of the One addressed, but his tongue moves in accordance with habit. How far this is from the object of the Worship, which was enjoined in order to give lustre to the heart, and to renew the remembrance of Allah, and in order that the bond of faith in Him may be established!

This is the rule of the Recital and the Invocation. In brief, there is no way to deny this property (of unmindfulness in the Worship) to the speech part of it, or to differentiate it from the act.

As for the Bowing and Prostration, their object is to magnify, absolutely. If it were possible for one to be a magnifier of Allah by his action, while he is unmindful of Him, then it would be possible for him to be a magnifier of an idol placed in front of him, while he is unmindful of it, or for him to be a magnifier of a wall in front of him, while he is unmindful of it.

Whenever the act ceases to be magnifying, nothing remains but the movement of the back and head. There is no hardship in that, the purpose of which could be testing, and which would make it "the support of the religion," so that it decides between unbelief and Islam, and takes precedence over the Pilgrimage and other religious services, and is something on whose account killing is obligatory when it is abandoned intentionally. I do not think that all this importance belongs to the Worship because of its external acts, unless there is connected with them the object of communion, for that takes precedence over fasting, quarter-tithes, Pilgrimage and anything else, nay, even sacrifices and offerings, which are a warring against the flesh because they decrease wealth. Allah said, "Assuredly their flesh and their blood will not reach Allah, but wary fear on your part reaches Him" (Qur'an, xxii.

38), that is, the quality that rules over the heart to the extent that it induces the heart to obey the commands, is what is desired. For of what sort is a command to perform the Worship if there is no need to perform its component actions? So then, as regards the inner reality of the Worship, this is what points to the requirement of the presence of the heart.

Were you to say, "If you pronounce the Worship to be invalid, seeing that you make the presence of the heart a stipulation for its validity, then you go against the agreement of the canon lawyers, since they have stipulated for the presence of the heart only at the *takbir*," then know that I have already said in the Book of Knowledge (Book I of the *Ihya'*), that canon lawyers do not concern themselves with what is within, and are not troubled about hearts or the way of the next abode. Rather, they build up the external side of the laws of the religion upon the external side of the acts of the members, since the external side of the acts is a sufficient guard against being killed or chastised by the *sultan*.

As to whether the external side of these acts benefits in the next abode, this is not within the bounds of canon law, because it is not possible to claim agreement on this point.

It has been handed down from Bishr b. al-Harith,[99] in what Abu Talib[100] related from him by oral tradition from Sufyan al-Thawri,[101] that he said, "The Worship of anyone who is not humble is invalid."

It is related from al-Hasan that he said, "Every Worship in which the heart is not present is swifter to punishment (than to reward)."

From Ma'adh b. Jabal[102] it is related, "Whoever acquaints himself with the one who is on his right or his left, purposely,

99. Abu Nasar Bishr al-Hafi b. al-Harith al-Marwazi (d. 226-27 A.H.).
100. Abu Talib Muhammad b. 'Al b. 'Atiyah al-Harithi al-Wa'iz al-Makki (d. 386 A.H.), author of the *Qut al-Qulub*, Sufi reference book, upon which al-Ghazzali based the Ihya' (sayyid Murtada, I, 134; Nicholson, *A Literary History of the Arabs*, p. 338).
101. Abu 'Abdallah Sufyan b. Sa'id al-Thawri (d. 161 A.H.).
102. Ma'adh b. Jabal, al-Khazraji. Helper, foremost *imam* in the knowledge of allowed and prohibited things (d. 17 A.H.).

while he is at Worship, has no Worship."

There is related also this tradition with a complete *isnad*,[103] or chain of authorities, "Truly, a creature may offer Worship of which not a sixth or a tenth is written down for his credit," and "There is written down for a creature's credit only what he comprehends of his Worship." This, were it related from anyone else, would have been made a tenet, so why is it not held to?

'Abd al-Wahid b. Zaid,[104] said, "The learned agree that there is nothing of the Worship reckoned to a creature except what he comprehends." So he made it a matter of Agreement.[105] What is related along these lines from the scrupulous canon lawyers and from the learned of the next world is more than can be reckoned.

The right thing is to return to the legal proofs, seeing that the Traditions and the Records,[106] are clear as to this Stipulation, with this proviso, that the standing of a *fatwa*, "legal opinion," in regard to an external duty is restricted by the measure of the deficiency of mankind. For it is not possible to place Stipulations upon men for the presence of the heart in the entire Worship, for only the fewest of mankind are capable of doing that. Since the Stipulation of total comprehension is, of necessity, not possible, it is unavoidable for him that he should require as little of it as the name would apply to, were it only of the duration of a glance, the most preferable moment for it (the presence) being the moment of the *takbir*.

So we limited ourselves to laying down that as a duty, hoping, along with that, that the state of the unmindful in all his Worship may not be like the state of one abandoning it altogether, for he, on the whole, is more eager to perform the Worship outwardly,

103. Sayyid Murtada adds: "He means that it is traced back to the Prophet".
104. 'Abd al-Wahid b. Zaid al-Basri (Abu 'Ubaidah) (d. 128 a.h.), (Ibn Nadim, *Al-Fihrist*, p. 183).
105. *Al-ijma'* is the agreement of the *mujtahids*,"those who by reason of religious learning have the right to pronounce an opinion, of the people of Muhammad in any age upon any religious matter (Jurjani, *Ta'rifat*, p. 9).
106. Sayyid Murtada reads here "verses" but he mentions the other reading in his comment.

and has his heart present more than the other for a moment. And why should it not be so, seeing that the Worship of one who worships while ceremonially unclean, through forgetfulness, is invalid with Allah, nevertheless he gets a certain amount of reward, according to his act and the measure of his deficiency and his excuse?

But, in spite of this hope, we[107] fear that his state may be worse than the state of one abandoning it altogether; and why not, since the one who presents service, but treats the Divine Majesty with contempt, and speaks the speech of the unmindful and the disdainful, is in a worse state than the one who turns away from the service? Whenever the causes of fear and hope oppose each other, and the matter becomes dangerous in itself, then you must make your choice afterwards between taking it seriously and taking it lightly.

For all that, it is not desired to oppose the canon lawyers in their rulings concerning the validity of the Worship along with unmindfulness, for that is the necessary character of the *fatwa*, "judicial opinion," as has been noted. Whoever knows the inner reality of the Worship knows that unmindfulness contradicts it. But we have mentioned in the chapter on "The Difference between Superficial and Mystic Knowledge,"[108] in the "Book of the Foundations of the Articles of the Faith," that the deficiency of mankind is one of the causes hindering the clear exposition of all that may be revealed of the mysteries of the law. So let us content ourselves with this measure of discussion, for in it is sufficient for the devotee seeking the way of the next abode, but the factious disputer we do not intend to argue with now.

The result of the discussion is that the presence of the heart is the spirit of the Worship, and that the least of that by which the last gasp of the spirit remains is the presence at the *takbir*, and less than it is ruin. According to the measure of the increase over it, the spirit extends into the other parts of the Worship.

107. The other texts have "he".
108. There are three knowledges: *zahir*, "surface, superficial," for the populace; *batin*, "inner, mystic," reserved for those who are worthy, and private, which is between Allah and himself and which he discloses to on one.

How many loving there are, without movement, really dead! For the Worship of the unmindful in all except the *takbir* is like one alive, but without movement. We ask Allah for His excellent help!

Exposition of the Inner Realities by which the Life of the Worship is Distinguished[109]

Know that for these inner realities there are many modes of expression, but six phrases will comprehend them. These are: (a) the presence of the heart; (b) apprehension; (c) magnifying; (d) awe; (e) hope, and (f) shamefacedness. So let us give detailed statements of them; next of their causes, and then of the treatment for acquiring them.

Now for the details. (a) First, the presence of the heart. By this we mean that the heart is free from everything but what the worshipper is engaged in and what he utters, so that the work[110] may be associated with both the acts and the words, and that the thought may not be wandering to other things. Whenever the thought turns away from what it is not engaged in, and there is in one's heart remembrance of what he is about, and he is not unmindful of anything, the presence of the heart results.

(b) But the apprehension of the significance of the word is a matter that comes after the presence of the heart. For it may be that the heart is present with the utterance, but not present with the significance of the utterance. So the heart's comprehension of the significance of the utterance is what we meant by "apprehension". This is a place where men differ, since men do not share in the apprehension of the significations of the Recital and Praisings. How many subtle significations the worshipper understands during the Worship which did not occur to his heart before! From this point of view the Worship becomes a "restrainer from the excessive and the disapproved,"[111] for it gives understanding of matters, and these matters forbid the excessive and the disapproved inevitably.

(c) The magnifying is a matter which comes after the presence of the heart and the understanding, since a man addresses to his

109. The other texts have "perfected".
110. The other texts have "the knowledge".
111. This is an allusion to Qur'an, xxix. 44.

slave words in which his heart is present and of which he apprehends the meaning, but he does not magnify him. So magnifying is additional to them.

(d) The awe is something additional to magnifying; rather, it is an expression for fear whose source is magnifying, for whoever does not fear is not called full of awe, seeing that fear of the scorpion, and of the evil nature of mankind, and of similar low causes of fear, is not called awe, but fear of a magnified sultan is called awe, for awe is fear whose source is majesty.

(e) As for hope, there is no doubt that it is additional. How many there are who magnify some king, are in awe of him, and fear his might, but they do not hope to be rewarded by him! So it is fitting that the creature should be hopeful, on account of his Worship, of the reward of Allah, as he is fearful, on account of his deficiency, of the punishment of Allah.

(f) Shamefacedness is additional to the whole, for its basis is the feeling of deficiency and the supposition of guilt. Exaltation, magnifying, fear and hope may be conceived of, without shame, where there is no supposition of deficiency and committing of sin.

Now for the causes of these six inner realities. Know that the cause of the presence of the heart is your solicitude about it, for your heart follows your solicitude. For your heart is present only in what you are solicitous about. Whenever a matter is one of solicitude to you, your heart is there present, willingly or unwillingly, for it is constituted that way, and is under compulsion in it. The heart, whenever it is not present in the Worship, is not without employment, but rather is roaming about in whatever matters of this life one's solicitude is turned to. So there is no expedient and no treatment for the presence of the heart except through turning one's solicitude to the Worship, for solicitude is not directed to the Worship, as long as it is not clear that the object desired depends on the Worship. That includes faith and assurance that the next abode is better and more lasting, and that the Worship is a means of reaching it. So, whenever this faith is joined to real knowledge of the insignificance of this life and its chief concerns, there results from their association the presence of the heart in the Worship. By means similar to this your heart is present whenever you come before some great people who are

not able to harm or benefit you. So, whenever it happens that it is not present during communion with the King of kings, in Whose hands are the Seen and the Unseen Worlds,[112] and benefit and bane, do not suppose that there is any other reason than weakness of faith. So be zealous now to strengthen faith. The way to it will be gone into elsewhere.

As for the apprehension, the cause of it, after the presence of the heart, is persevering in thinking and turning the mind to the comprehension of the significance (of the purpose[113]). The treatment for it is whatever is a treatment for the presence of the heart, together with turning towards thinking and exerting oneself in repelling idle fancies. The treatment for repelling engrossing fancies is to cut off the materials out of which they spring. I mean, abstaining from those causes to which one's thoughts are attracted. As long as those materials are not cut off, idle fancies will not turn away from them. For, whoever loves a thing increases his remembrance of it, and remembrance of what is beloved rushes upon the heart inevitably, and therefore you see that whoever loves another than Allah does not have a single act of Worship free from idle fancies.

The magnifying is a state of the heart born of two cognitions, one of which is the knowledge of the majesty and greatness of Allah. This is one of the fundamentals of the faith, for whoever does not believe in His greatness has a self which does not submit to magnifying Him. The second is the knowledge of the insignificance of the self, and of its vileness, of its being a creature, under compulsion, lorded over, to the point that there is born of these two knowledges submission, brokenness and humbleness towards Allah, and that is what is meant by magnifying. As long as knowledge of the insignificance of the self is not commingled with knowledge of the majesty of Allah, the state of magnifying

112. The *'alam al-malakut* is the World of the Unseen, applying especially to the spirits of the selves (Sayyid Murtada, I, 63D). In *Al-Insan al-Kamil* every existing thing is divided among three classes, the outward class, which is termed *al-mulk*, the inner class, which is called al-malakut and the third class, which is exclusive of the first two, and it is *al-jabarut al-Ilahi*. See also Sayyid Murtada, I, 173.
113. This is added by Sayyid Murtada.

and humbleness is not attained. For, the one who needs no other, and trusts to himself, may recognise qualities of majesty in someone else, without his state being one of humbleness and magnifying, because the other counterpart, which is the knowledge of the insignificance of the self and its need, was not joined to it.

As for awe and fear, that is a state of the self born of one's knowledge of the power and might of Allah, and of the execution of His will in him, with small regard for him, and of the knowledge that, were He to destroy the first and the last,[114] He would not diminish His dominion a particle. This holds along with observation of the misfortunes and various trails that happen to prophets and saints, in spite of the power (of Allah) to repel them, as opposed to what is seen among earthly kings. In brief, whenever the knowledge of Allah increases, fear and awe increase. The causes of that will follow in the Book of Fear, of the Quarter of the *Ihya* on Saving Matters.

As for hope, its cause is knowledge of the graciousness of Allah, His generosity, the universality. His bestowing of kindnesses, of the favours of His work, and also the knowledge of His truthfulness in His promise of the Garden in exchange for Worship. So, whenever certain assurance of His promise and knowledge of His graciousness result, hope issues from their association, inevitably.

As for shamefacedness, its cause is in one's sense of deficiency in religious service, and one's knowledge of one's inability to perform the great right of Allah. It grows strong through knowledge of the blemishes and faults of the self, the littleness of its sincere devotion, the vileness of its inner nature, and its inclination to what is fleeting in all its actions, in spite of the knowledge of the great things that the majesty of Allah requires, along with the knowledge that He is an observer of the secret thoughts and the idle fancies of the heart, although they are subtle and hidden. Whenever these cognitions assuredly result, there is sent forth from them a state called shamefacedness.

So these are causes of these qualities. If the securing of anything is desired, the treatment is to make its cause to be present, for the knowledge of its cause is the knowledge of the treatment

114. The reference is to Qur'an lxxvii. 16-17.

for securing it. The bond of connection in all these causes is faith and assurance; by faith, I mean those cognitions which we have mentioned, and the meaning of their being assured is the denial of doubt, and their taking complete rule over the heart, as has preceded in the exposition of Assurance in the Book of Knowledge. According to the measure of assurance the heart is humble.

For that reason 'A'ishah said, "The Messenger of Allah used to talk to us and we to him, and when Worship time came, it was as if he did not recognise us and we did not recognise him."

It is related that Allah revealed to Moses, "O Moses, whenever you make mention of Me, mention Me while you are shaking in your members, and while mentioning Me, be humble and composed, and whenever you mention Me, keep your tongue behind your heart, and whenever you stand before Me, stand as humble slave, and commune with Me with a timorous heart and a truthful tongue."

It is related that Allah revealed to him, "Say to the rebellious of thy people, 'They shall not mention Me, for I have taken an oath upon Myself, that I will mention whoever mentions Me, so whenever they mention Me, I will mention them with a curse.'" This applies to one disobedient but not unmindful in his mentioning, and who will it be when unmindfulness and disobedience are joined together?

In accordance with the diversities of the inner realities in the hearts which we have mentioned, men are divided into the unmindful who completes his Worship, but whose heart is not present in a single moment of it, and the one who completes it with his heart not absent a single moment, nay, rather, he may perhaps be so completely solicitous about it that he does not perceive what happens in front of him. On that account Muslim b. Yasar did not perceive the falling of a column in the mosque about which men gathered. One of them used to attend the Congregational Worship for a long time and never recognised at all who was on his right and on his left. The palpitation of the heart of Ibrahim (the mercies and peace of Allah be upon him) used to be heard two miles. A company used to turn yellow of face and to tremble in their shoulder muscles. All that is not improbable, for double of it is seen in the concern of the people

of the world and in fear of the kings of the earth, for all their impotence their weakness and the vileness of the bits of fortune that may be secured from them, so that one may come before a king or a minister and address him concerning his matter of importance and then go out, and, were he asked about those around him, or about the king's raiment, he customarily would not be able to give information about it, because of the preoccupation of his concern with the king himself, rather than his raiment, or those present around him.

So for all degrees of what men do, the portion of everyone from his Worship is according to the measure of his fear, his humbleness and his magnifying. For, the place where the gaze of Allah falls is the hearts, not the outward movements. For that reason one of the Companions said, "On Resurrection Day mankind will be assembled in accordance with the pattern of their forms in the Worship, consisting of composure, quietness and the existence of delight and pleasure in it." He surely spoke the truth, for everyone will be assembled according as he died, and die according as he lived, and in that the state of his heart will be considered, not the state of his person. So, form the qualities of the heart will the forms be fashioned in the next abode. No one will escape except him who brings to Allah a sound heart.

We ask! Allah for His excellent success, by His kindness and generosity.

Exposition of the Remedy Beneficial for the Presence of the Heart

Know that the believer must be a magnifier of Allah, be in fear of Him, hopeful towards Him and ashamed of his shortcoming: one must consequently not become free of these states after becoming a believer in Islam. And if the strength (of the states[115]) is in proportion to the strength of his assurance, his departure from them in the Worship can have no cause except (a) scattering of thought, (b) division of interest, (c) the absence of the heart from the communion, or (d) unmindfulness towards the Worship. Nothing disturbs from the Worship except invading, engrossing fancies.

115. This is by added Sayyid Murtada.

The remedies for the presence of the heart is the repelling of those fancies. The thing itself is not repelled except by the repelling of its cause, so, learn its cause. The cause for the coming together of engrossing fancies is either some external matter, or a matter that is itself inward.

The external thing may be what strikes the hearing or appears to the sight, for that sometimes snatches away the attention, so that if follows the thing and busies itself with it. Then the thought is drawn away to something else and it goes linking on. Likewise the sight of things becomes a cause of thought about them, and then some of those thoughts give rise to others. But for him whose intention is strong and whose solicitude is lofty, what occurs to his senses does not occupy him. Bur for one who is weak it is a matter of course that his thought branches off on it. The remedy for that is cutting off these causes, by lowering the gaze, or worshipping in a dark house, or by not leaving before one what will engage his sense, or by drawing near to a wall in his Worship, so that the range of his vision may not be extended, and guarding against Worship in the streets and in places decorated and worked, and on dyed carpet. For that reason the devotees[116] used to worship in a small, dark house, just large enough for prostration, that their attention might be more concentrated. The strongest ones among them used to be present in the mosques and to lower their gaze and not to let it pass the place of prostration, and to consider that the perfection of Worship consisted in not recognising those who were on their right or left. Ibn 'Umar[117] would not leave in the place of Worship either a book or a sword without removing them, nor any writing without erasing it.

The inward causes are more difficult, for he whose concerns carry him off into the vales of the earth is one whose thinking is not confined in one department--rather he does not cease to fly from one side to another. The lowering of the gaze is of no use to him, for what took place in the heart previously is sufficient for the preoccupation. So this is the way for him: let him restore the self forcibly to an understanding of what he is reciting in the

116. These are the *sufi* masters, says Sayyid Murtada.
117. 'Abdallah b. 'Umar b. al-Khattab, Companion, son of the second Khalifah (d. 73 A.H.; Sayyid Murtada says 75 A.H.).

Worship, and employ himself in this rather than anything else. It will help him to do that if he prepares for it before the Opening *takbir* by renewing to himself the remembrance of the next abode, the place of communion where he is, and the peril of his position before Allah, which is a place of perception (of things of the next abode[118]). He empties his heart, before entering upon the Worship, of whatever he is solicitous about, and does not leave to his lower self any business to which his interest may turn.

The Messenger of Allah said to 'Uthman b. Abu Shaibah,[119] "I forgot to tell you to cover the two horns[120] which are in the House of Allah, for it is not fitting that there should be in the House of anything that disturbs men from their Worship."

This is the way to quite the thoughts. Then, if the thing that excites one's thoughts does not quiet down by this quieting remedy, nothing will save him except the purge that drains the matter of the disease from the deepest veins. This is to look into the matters turning him away and preoccupying him from the presenting of the heart. There is no doubt that they have reference to his chief concerns, and they have become the things of importance only on account of his desires. So he chastises his lower self by breaking away from those desires and cutting off those bonds. For, whatever preoccupies him from his Worship is an opponent of his religion, and is of the army of Satan, his enemy. Holding on to it is more harmful for him than casting it out, for he saves himself from it by casting it out, just as it is related that Muhammad put on the black robe which Abu Jahm[121] brought him, and which had a border on it, and worshipped in it and then took it off after his Worship and said, "Take it to Abu Jahm, for it distracted me a while ago from my Worship, and bring me Abu Jahm's coarse

118. This is added by Sayyid Murtada.
119. Sayyid Murtada omits the Abu before Shaibah. Al-'Iraqi (d. 806 A.H.), the author who worked on the sources of al-Ghazzali's traditions, says this tradition is not from 'Uthman b. Shaibah, but from 'Uthman b. Talhah al-Hajabi, the keeper of the Ka'bah, who is reported in Ibn Hajar's *Biographical Dictionary*, II, 1097 f. (d. 42 A.H.).
120. The other texts read "cooking pot".
121. Abu Jahm 'Amir b. Hudhaifah al-'Adari al-Qarashi al Madani (d. 60 A.H.).

woollen garment."

The Messenger of Allah ordered a renewal of the strap of his sandal, and then looked at it during his Worship, since it was new, and then ordered it to be taken off of it and the worn-out strap to be restored.

He had put on some sandals and their excellence pleased him. So he performed a Prostration. Then he said, "I humbled myself before my Lord, that He might not detest me." Then he went out with them and delivered them to the first beggar he met. Then he ordered 'Ali to buy him two smooth raw-hide sandals, and he wore them.

He had a gold ring on his hand before it was made unlawful while he was in the pulpit, and he threw it away, saying, "This occupied me with one look at it and one look at you."

It is related that Abu Talhah[122] worshipped in an enclosure he had, in which were trees. Then a wood-pigeon flew among the trees, looking for an exit, and his sight followed it awhile. Then he did not know how many *rak'ahs* he had performed. So he mentioned to the Messenger of Allah what had occurred to him and then said, "It is an alms, so put it wherever you wish."

It is related of another man that he worshipped in an enclosure belonging to him, while the date-palms were encircled by their fruit, and he looked at them and they pleased him. So he mentioned that to 'Uthman and said, "It is alms, so make use of it in the path of Allah." So 'Uthman sold it for fifty thousand. They were accustomed to do that, cutting off the matter they thought about, and it was an atonement for whatever deficiency of the worship had occurred.

This is the remedy that overcomes the disease, when nothing else suffices. For, what we have mentioned concerning what is favourable for giving quietness and causing a return to an understanding of the remembrance, is beneficial with weak desires and cares which do not occupy more than the margin of the heart. But quieting does not benefit the strong, overcoming desires.

122. Abu Talhah Zaid b. Sahl b. Aswad b. Kharam al-Madani, Helper (d. 51 A.H.).

Rather, they continue to attract you, and all your worship comes to an end in the occupation of pulling this way and that. It is like a man under a tree who wants to do some clear thinking for himself. Then the voices of the sparrows disturb him, and he continually drives them away with a stick in his hand and returns to his thinking. Then the sparrows return and he repeats striking at them with his stick. Then it is said to him, "This is the proceeding of a water wheel, and does not end. If you wish salvation, cut down the tree." So likewise the tree of the desires, whenever it spreads out and its branches extend themselves, has thoughts attracted to it as sparrows are attracted to trees and as flies are attracted to filth, and the business of getting rid of them is a long one. For, a fly, as often as it is repelled, returns, and for that reason it is called *dhubab*,[123] something that is repelled and returns.

So likewise the stray thoughts and desires are numerous, and rarely is a creature free from them. There is one root that includes them all, and that is love of this life. "That is the head of all sin," the foundation of all deficiency and the source of all wickedness. Let not the man, whose heart harbours love of this life so that he inclines to it for its own sake, and not in order to provide for his journey, nor to seek aid, by means of it, for the next abode, hope that the pleasure of communion in the Worship will be clear to him. For, whoever rejoices in this life will not rejoice in Allah and in communion with Him. The solicitude of a man is for that by which his eye is refreshed. If that by which his eye is refreshed in this life, inevitably his concern goes out to it. Yet, for all that, it is not fitting that he should leave off the struggle to turn the heart to the Worship to reduce the disturbing causes, for this is the bitter remedy. On account of its bitterness the natural disposition abhors it. The illness remains chronic, and the disease becomes difficult to cure, so that the elders were zealous to Worship two *rak'ahs* without letting anything worldly occur to themselves in them, but were unable to do that. So it is not for people like us to have desire for that,

123. Dhabb means "he repelled" and *ab* means "he returned," but Sayyid Murtada refuses to accept this bit of etymology, and refers to his dictionary, the *Taj al-'Arus*.

but, would that half or a third of the Worship were preserved for us from distractions, that we may be of those who mingle a good work with another thing that is bad! In brief, the solicitude of this life and solicitude for the next abode are in the heart like water which is poured into a vessel full of sesame oil.[124] According to the amount of water that enters into it the oil goes out, inevitably, for they do not mix.

Detailed Exposition of What it is Fitting Should be Present in the Heart at Every Element and Stipulation of the Acts of the Worship

We say, it is your duty, if you are among the seekers of the next abode, not to be unmindful, first, of the admonitions which are in the Stipulations and the Elements of the Worship.

The Preliminary Stipulations[125] are: the Call to Worship, the Purification, the Covering of the person, Facing the *qiblah*, Standing erect and the Intention. So, whenever you hear the Call of the *mu'adhdhin*, present to your heart the dread of the Call on Resurrection Day, and prepare yourself outwardly and inwardly for replying and hastening, for, those who hasten to this Call are those who are called in favour on the greatest Presentation Day. So, apply your heart to this Call, and, if you find it full of joy and rejoicing, laden with desire to hasten, know that the Call brings you glad tidings and deliverance on the Day of Judgment. For that reason Muhammad said, "Rest us, O Bilal!"[126] that it, "Rest us by it, and by the Call to it," since the refreshing[127] of his eye was in it.

As for the Purification, whenever you purify your place, which is your outermost container, and then your clothing, which is your nearest covering, and then your skin, which is your closest shell, do not be unmindful of your kernel, which is your essence, and that is your heart. So, exert yourself on its behalf, cleansing it

124. The other texts read *khall*, "vinegar," instead of *hall*.
125. These Preliminary Stipulations, says Sayyid Murtada, are *sunnah*, thus excluding them from the *fard'id* class of the parts of the Worship.
126. Bilal b. Rabah al-Habashi (Abyssinian), the first mu'adhdhin (d. 20 A.H.).
127. This is a Qur'anic expression, xxviii, 8; also xxv. 74, xxxii. 17.

by repentance and remorse for previous acts, renewing the resolve to abandon such things, in the future. So cleanse by repentance your inward parts, for that is the place the One you worship observes.

As for the Covering of the person, know that it meant to cover the shameful things of the body from the gaze of people, for the outward part of your body is the place people observe. And what is your opinion about the disgraceful things of your inner self, and the dishonourable things of your secret thoughts, which no one gazes upon but your Lord? So present these disgraceful things to your mind, and ask yourself to cover them, but be assured that no covering covers them from the eye of Allah, and only remorse, shamefacedness and fear cover them. For you acquire, by their presence in your heart, the sending forth of the armies of fear and shame from there places of hiding, and your self is humbled by them, and your heart becomes lowly under the same, and you stand before Allah in the posture of a creature who is guilty and wicked, and a fugitive who has repented and returned to his Lord, bowing his head from shame and fear.

The Turning towards the *qiblah* is a turning of the outward face from other directions to the direction of the House of Allah. Do you suppose that turning the heart from there things to the matter of Allah is not desired of you? Away with you! for there is nothing else desired but it! These external activities are only settings in motion of the inward activities, a restraining of the members, and a quieting of them by the holding on to one direction, so that they may not wrong the heart. For, whenever they do wrong, and act oppressively in their movements and their turnings to their directions they desire the heart to follow, and they turn away with it from the Face of Allah. So, let the face of your heart be with the face of your body, and know that as a face does not turn toward the direction of the House except by turning away from everything else, so the heart does not turn towards Allah except by being free of all else besides. Muhammad has said, "Whenever a creature stands up for the Worship, with his inclination, his face and his heart towards Allah, he departs (from his sins[128]) innocent as he was the day his mother bore him."

128. This is an addition of Sayyid Murtada's from other versions of the tradition.

The Standing erect is only standing in person and heart before Allah. So let your head, which is your highest member, be bent, lowered and inclined, and let the placing of your head out of its erect position be an indication of the heart's grasp of humility, abasement and freedom from headship and pride. Let there be on your mind at this point the peril of standing before Allah, in dread of the place of observation, upon the presentation of your request. Know at once that you are standing before Allah, He being your Examiner. So, stand before Him as you stand before some earthly king, if you are unable to perceive the extent of His majesty. Nay more, consider, during the continuance of your standing in your Worship, that you are regarded and watched by the watchful eye of a righteous man of your family, one whom you desire to recognise you as righteous. For, upon that, your members calm down and become subdued, and all parts of you quiet down, fearful lest that miserable weak king will ascribe to you but little humility. So, whenever you feel in yourself the restraint there is under the observation of some miserable creature, chide yourself, and say to it, "You claim knowledge and love of Allah! Then are you not ashamed of your boldness toward Him, you esteem one of His creatures and fear men, without fearing Him. Who has more right that you should fear Him?" For that reason when Abu Hurairah asked, "Of what sort is shamefacedness toward Allah?" Muhammad said, "Be ashamed before Him as you are ashamed before a righteous man of your family."[129]

As for the Intention, resolve to respond to Allah by obeying His command to perform the Worship, completing it and abstaining from what[130] it prohibits and what corrupts it, and by sincerely doing all that for the Face of Allah, hoping for His reward, fearing His punishment, seeking nearness to Him, taking upon yourself His favour in His permitting you to have communion, in spite of your evil manners and your numerous disobediences. Magnify to yourself the dignity of communion with Him, and how you are communing, and with what you are communing. At that it is fitting that your brow should perspire

129. The other texts read "of your people".
130. The other texts read "defects in it".

from shame and your muscles should quiver from awe, and your face turn yellow from fear.

As for the *takbir*, the exclamation, "Allah is greater!" whenever your tongue pronounces it, it is fitting that your heart should not give it the lie. For, if there is in your heart anything greater than Allah, Allah testifies that you are a liar, even though the words be truthful, as was testified against the Hypocrites, in their saying, "Muhammad is the Messenger of Allah." For, if your inclination is more powerful than the command of Allah, you are more obedient to it than you are to Allah. Then you have adopted it as your God, and have magnified it, for it is about to happen that your saying, "Allah is greater!" is speech on your tongue alone, while your heart hangs back from assisting it. How great would be the peril in that, were it not for repentance and asking forgiveness, and thinking well of the kindness and pardon of Allah!

As for the Opening Supplication, its first words are, "I have turned my face to Him Who divided the heavens and the earth." The meaning of "face" is not the external face, for you turned it only to the direction of the *qiblah*, while Allah is far removed from the circumstance that directions should limit Him, so that you might turn towards Him by the face of your body. The face of the heart is the only thing by which you may turn to the Divider[131] of the heavens and the earth. So look to it, as to whether it is turned to its wishes, and its concerns in the house

131. Sayyid Murtada's note adds that the one who has knowledge of Allah says: "I turn my face (and the face of a thing is its essence and its real existence), that is, I set myself standing, as Thou hast commanded me, before the One Who divided the heavens and the earth. The thought is directed to the saying of Allah. 'Then We severed them both' (Qur'an, xx. 31); that is, the One Who differentiated my outward and my inward (being) and my unseen and my seen, and set limits between the spiritual powers in my essence, as He differentiated the heavens one from another."

Baidawi explains the Qur'an reference by saying that the heavens were one, and were divided by the different movements into the firmaments and the earths were one, and were made, by the variation of their modes of entity and their circumstances, into layers of sections.

and the bazar, following its desires, or whether it is turned the Divider of the heavens: look out for yourself, lest the first broaching of the communion be by a lie and a fabrication. The face will surely not turn toward Allah except by its turning away from all else. So strive at once to turn it to Him, and if you are unable to do it continually, let your speech, at the time, be truthful.

When you say, "Hanif,[132] Muslim,"[133] it is fitting that there should occur to your mind that the Muslim is one from whose tongue and hand Muslims are secure. If it is not so, then you are a liar. So strive to resolve upon it in the future and have repentance for previous conditions.

When you say, "I am not one of the associators," let there occur to your mind the hidden association. For, the saying of Allah, "So, let him who hopes to meet his Lord, do good and not associate anyone else in the religious service of his Lord!" (Qur'an, xviii. 110), came down concerning anyone who seeks, by his religious service, both the Face of Allah and the praise of men. So beware, guarding against this association, and have the feeling of shame in your heart, since you have described yourself as not being among the associators without being innocent of this kind of association, for the name of "association" applies to little or much of it.

When you say, "My Worship and my devotion, my living and my dying belong to Allah," know that this is the state of one lost to himself, found to his Lord, and that if it proceed from one whose pleasure and anger, whose rising and sitting, whose desire in life and dread of death are on account of things of this life, such a one is not adapted to the state.

When you say, "I take refuge in Allah from Satan the Stoned," know that he is your enemy and is lying in wait to turn your heart away from Allah, envious of you and account of your communion with Allah, and your prostration before Him, although he was accursed on account of one prostration (to Adam[134]) which he

132. Sayyid Murtada's definition of the term is "one inclining from the false faith to the real,."
133. The Muslim is "one who keeps Muslims safe from his tongue and hand." The tradition referred to is "The Muslim is a brother of the Muslim, who does not oppress him and does not culminate him."
134. This is added by Sayyid Murtada.

abandoned and was not disposed to by Allah. And know that your seeking refuge in Allah from him is by abandoning whatever he loves and exchanging it for what Allah loves, and is not only by your saying, "I take refuge in Allah," for, when a wild beast or an enemy purposes to tear to pieces or to kill anyone, and the latter says, "I take refuge from you in this strong fortress," while remaining in his place, that does not benefit him. Rather, nothing rescues him but the changing of place. Likewise, the words only will not do any good to him who follows the desires, which are the things liked of Satan, and disliked of the Compassionate One. So let him unite the words with the resolve of taking refuge in the fortress of Allah from the evil of Satan. His fortress is, "There is no god but Allah!" since Allah[135] said, in something which our Prophet related, "There is not god but Allah' is My fortress, and whoever enters My fortress is safe from My punishment." The one guarded in it is the one who has no object of worship but Allah. But the one who adopts his inclination as his god is in the open field of Satan, not in the fortress of Allah.

Know that his device is to engage you in your Worship with thinking of the next abode and the method of carrying out benevolences, in order to prevent you from understanding what you are reciting. So, know that all that diverts you from understanding the meaning of your Recital is evil suggestion (from Satan[136]), for the movement of your tongue is not what is intended, but rather, what is intended is the meaning.

As regards the Recital, there are three kinds of people: (a) the man who moves his tongue while his heart is unmindful; (b) the man who moves his tongue with his heart following his tongue, so that he hears and understands from it, as if he heard it from someone else, this being the degree of those who will be on the right hand; and (c) the man whose heart goes ahead to the meanings first, and then the tongue serves the heart and interprets it, for there is a difference between having the tongue as the interpreter of the heart and the teacher of it, while "those who are drawn near"[137] are those whose tongues interpret their hearts,

135. Sayyid Murtada supplies this subject.
136. This is added from Sayyid Murtada.
137. The allusion is to Qur'an, lvi. 11-12.

and whose hearts are not followers of their tongues.

Further, the detailed interpretation of the inner realities is that, when you say, "In the name of Allah the Merciful and Compassionate," you intend by it the seeking of the blessing for the beginning of the Recital of the speech of Allah; Understand that its meaning is that all matters are by (the act of) Allah, and that what is meant by "the name" here is "the One named," and, if the affairs are by Allah, assuredly the praise is Allah's. The meaning of "the praise" is that thanks belong to Allah, since favours are all from Allah. Whoever thinks any favour is from any other than Allah, or has in mind, by his thinking, someone else besides Allah, not realising that any other is a benefactor because he is made subservient by Allah, is defective in his saying the *basmalah* and the Praise according to the measure of his turning to anyone besides Allah.

So, when you say, "the Merciful and Compassionate," let there be present in your heart the kinds of His favours, that His mercy may be evident to you, and your hope may be raised by it. Next, stir up from your heart, magnifying and fear, by saying, "Possessor of the Day of Judgment"--magnifying, because there is no right of possession that is not His, and fear, because of the dread of the Day of Recompense and Accounting, of which He is Possessor. Then renew the singleness of your devotion by saying, "To Thee do we render the service of slaves," and renew the sense of inability, of need and of being devoid of power and strength, by saying, "Of Thee we ask aid." Be assured that your obedience was made easy only by His aid, that His was the gift, since He helped you to obey Him, and employed you for His religious service, and made you worthy for communion with Him, for, if He had forbidden you His assistance, you would be one of the outcasts, along with Satan the Cursed.

Next, when you finish the Seeking Refuge and saying the *basmalah* and the Praise, and (expressing[138]) that you need help absolutely, specify your request, but do not request anything but your most important needs, and say, "Guide us into the Straight Road, which leads to Thy vicinity, and brings us to Thy pleasure!"

138. This is in the other texts.

Add to this explanation and detail, with emphasis, calling to witness those of the prophets, saints, martyrs and righteous, upon whom He poured out the favour of guidance, rather than of the unbelievers and those of the Jews and Christians and Sabeans who turned aside, with whom He was angry.

Next, beg for an affirmative answer, and say, "*Amin!*" for, when you recite the Fatihah so, you are like one of those of whom Allah said, in that about which the Prophet told us, "The Worship is divided between Me and My creature into two halves, one half to Me and one half to My creature. (My creature has what he asked.[139]). The creature says, 'Praise belongs to Allah, the Lord of the worlds', and Allah says, "Allah hears whoever says His praise. My creature has said My praise and My eulogy.'" That is the meaning of His saying, 'Allah hears whoever says His praise," and so on.

Did you not have from your Worship any good fortune except Allah's remembrance of you, in His majesty and greatness, that would suffice you as a prize. Do you ask, "How so?" Because of what you may hope for of reward and kindness from Him.

Likewise it is fitting that you should understand what you recite from the *surahs*, as shall appear in the Book of the Recital of the Qur'an, so that you may not be unmindful of His command, of His prohibition, promise, threat, or warning, and of the stories of His prophets in the Qur'an, and mention of His gifts and His goodness. To everyone there is a right, Hope is the right of a promise. Fear is the right of a threat. Determination is the right of a command and a prohibition. Taking warning is the right of admonition. Thankfulness is the right of the mention of a favour. Taking a lesson is the right of the stores of the prophets.

It is related that when Zurarah b. Ufi[140] reached the saying of Allah, "So, when the trumpet is blown" (Qur'an, lxxiv. 8) he fell down dead.

139. Sayyid Murtada omits this from his text, but it quotes it in his comment.

140. Zurarah b. Ufi al-'Amiri al-Harathi al-Basri (Abu Hajib) Successor Judge in al-Basrah (d. 93 A.H.).

Whenever Ibrahim al-Nakha'i[141] heard the words of Allah, "When the heavens split asunder" (Qur'an, lxxxiv. 81), he was so troubled that his limbs knocked together.

'Abdallah b. Waqid[142] said, "I saw Ibn 'Umar worship with the appearance of one fried."[143] He had a right to have his heart burn at the promise and threatening of his Lord, since he was a guilty and humble creature before an overpowering Tyrant.[144]

These inner realities exist according to the degrees of understanding. The understanding is according to the greatness of the knowledge and the purity of the heart, and the degrees of that are not limited. The Worship is the key of the hearts, in which the secrets of the words are revealed.

So this is the right belonging to the Recital, and it is the right of the Invocations and of the Praises also.

Next he observes awe in his Recital, for he recites with distinctness, without haste, for that makes meditation easier. He also makes a distinction between the tones in verses of mercy and of punishment, of primise and threat, of praise, magnifying and glorifying. Al-Nakha'i,[145] whenever he passed over anything like the saying of Allah, "Allah has not adopted any son" (Qur'an, xxiii 93), and "There is no deity along with Him" (cf. Qur'an, xxvii. 61-65), used to lower the voice, as one ashamed to make mention of Him by means of anything (not befitting Him[146]). It is related that it used to be said to a reciter of the Qur'an, "Recite, pronounce elegantly and read distinctly, as you were accustomed to recite distinctly in the world."

141. Sayyid Murtada says that others say it was not Ibrahim al-Nakha'i (see above, Chapter 1, note 27) but Ibrahim b. Adham b. Mansur b. Yazid b. Jabir (Abu Ishaq) al-Tamimi al-'Ijli, famous ascetic of Balkh (d. 160-68 A.H.).
142. 'Abdallah b. Waqidi b. 'Abdallah b. 'Umar b. al-Khattab, al-Qarashi al-'Adwai al-Madani (d. 119 A.H.).
143. The 1334 text has "overcome".
144. This is one of the names of Allah, Qur'an lix. 23.
145. Sayyid Murtada says this is probably Ibrahim al-Nakha'i, but may be his maternal uncle (Chapter 1, note 27).
146. This is omitted from Sayyid Murtada's text.

The continuance of the Standing Posture is a reminder of the setting up of the heart with Allah, according to one description of presence. Muhammad said, "Allah receives the worshipper kindly as long as he does not turn away." As it is obligatory to guard the head and the eye from turning to different directions, so likewise it is obligatory to guard the heart from turning to anything else than the Worship. So, whenever it turns to anything else than Him, remind it of the gazing of Allah upon you, and of the unseemliness of treating lightly the One Who is communed with, when the one who is communing is unmindful, so that it should return to it (the Worship[147]). Impose humbleness upon the heart, for freedom from turning away, inwardly and outwardly, is the fruit of humbleness. Whenever the inward is humble, the outward is humble. Muhammad, seeing a man at Worship playing with his beard, said, "As for this one, were his heart humble, his members would be." For the flock is under the rule of the shepherd, and for this reason it is set forth in supplication, "O Allah, restore the shepherd and the flock!" that is, the heart and the other members.

Abu Bakr al-Siddiq, in his Worship, used to be as if he were a tent-stake, and Ibn al-Zubair[148] used to be as if he were wood. A certain one of them used to be quiet in his prostration to such an extent that sparrows alighted on him as if he were inanimate. All that is what the natural disposition requires before one of the sons of the earth who is to be magnified, so how shall it not demand it before the King of kings in the case of anyone who has experiential knowledge of the King of kings? Everyone who is composed submissively before any other than Allah, while, as a trifler, his extremities are restless before Allah, does that because of deficiency of knowledge of the majesty of Allah, and of His gazing upon his heart and his conscience.

'Ikrimah[149] said about the saying of Allah, "Who sees you when you stand up, and your turning over among those prostrating"

147. This is Sayyid Murtada's interpretation. Some texts read hu, which would refer to Allah.
148. 'Abdallah b. al-Zubair, Quraishite general, cousin of the Prophet d. 72 A.H.).
149. Abu 'Abdallah 'Ikrimah, manumitted slave of Ibn 'Abbas, Successor (d. 105 A.H.; and it is said, 106 and 107 A.H.).

(Qur'an, xxvi. 18, 19), that this meant his (i.e., Muhammad's[150]) standing up, his bowing, prostrating and sitting.

At the Bowing and Prostration it is fitting that you renew the remembrance of the mightiness of Allah, and that you raise your hands, seeking protection in the pardon of Allah from His punishment, by the renewal of intention, following the usage of His Prophet. Next, make a fresh beginning for Him, as to lowliness and humbleness, in your Bowing, and strive to move your heart, and renew your humbleness, and you should feel that, as well as the might of your Lord, together with your own lowliness and the highness of Your Lord. You seek aid in establishing that in your heart by means of your tongue. Then you say the praise of your Lord and bear witness to Him of His greatness, and say, "O the praise of my great Lord!" and, "He is greater than every great one!" Reiterate that in your heart, that you may confirm it by your reiteration.

Next, you rise from your Bowing, hoping that He may be a Merciful One to you, and confirming the hope in your self by saying, "Allah hears whoever says His praise," that is, answers whoever thanks Him.

Next, you follow that with thanksgiving which is demanded as additional, and you say, "O our Lord, Thine is the praise," and you increase the praise by saying, "To the fulness of heavens and the fulness of the earth."

Next you bend down for the Prostration, which is the highest degree of submission, for the dearest of your members, which is your face, gets hold of the humblest thing, which is the dust. If it is possible for you not to put any obstruction between them, so that your prostrate on the ground, do so, for it produces greater humbleness and is more conducive to lowliness. Whenever you place yourself in the place of lowliness, know that you have placed it in its proper place, and have returned the branch to the trunk, for of the dust were you formed and to it you return.[151]

So, at this, renew to your heart the remembrance of the greatness of Allah, and say, "O the praise of my Lord, Most High!"

150. This is Sayyid Murtada's addition.
151. The reference is to Qur'an, xx. 57.

and confirm it by many repetitions, for one repetition is of weak effect. Then, when your heart is moved, and that is evident, let your hope find assurance in the mercy of Allah, for His mercy makes haste towards weakness and lowliness, and not towards pride and conceit.

Then raise your head, say the *takbir* and request what you need, saying, "O Lord, forgive and have mercy, and pass over what Thou knowest," or whatever supplication you wish. Then strengthen your humility by repetition and then return to the Prostration a second time.

As for the Witnessing, when you sit down for it, sit down in a proper manner, and state that all the performances of the Worship and good things, i.e. pure dispositions by which you seek access, are Allah's and likewise the dominion is Allah's, this being the meaning of the *tahiyat*, Greetings. Then cause the Prophet to be present to your heart, and also his noble personality and say, "Peace be upon you, O Prophet, and the mercy and blessing of Allah!" Let your expectation be firm that it will reach him, and that will return to you one more perfect than it.

Next, salute yourself and the righteous creatures of Allah. Then consider that Allah will return to you a perfect Salutation, according to the number of His righteous creatures.

Next, bear witness to Allah of His oneness, and to Muhammad, His Prophet, of his mission, renewing the covenant of Allah, by repeating the two words of the witness,[152] beginning anew to seek protection in it.

Then make your Supplication at the end of your Worship in the words of the traditional supplication, with humbleness, submissiveness, imploration and true hope of an answer. Associate in your supplication your parents and the rest of the Muslims.

In the Salutation have in mind a salutation upon the angels and those present, and have the Intention of closing the Worship by it. Then have the sense of thankfulness to Allah for His assistance in the completion of this obedience, and imagine to yourself that you are taking leave of this Worship of yours, and that you perhaps may not live for another like it.

152. These are the two parts of the Muslim testimony.

Muhammad said to the one he commanded, "Make your Worship a leave-taking Worship."

Then make your heart feel caution and shame on account of your deficiency in the Worship. Fear that your Worship may not be accepted and that you are hated on account of some guilt, outward and inward, and your Worship will be returned to your face. Yet, for all that, hope that He will accept it, through His generosity and favour. Yahya b. Waththab,[153] whenever he worshipped, used to wait as long a while as it pleased Allah, with the pain of the Worship evident upon him. Ibrahim al-Nakah'i used to remain after the Worship for a while, as if he were ill.

This is the detailed description of the Worship of the humble, "Those who in their Worship are humble" (Qur'an, vi. 92; lxx. 34) and "Those who in their Worship are persistent" (Qur'an, lxx. 23), and who commune with Allah as much as they are able in their relationship as slaves.[154]

So, let a man apply himself to these performances of the Worship. It is fitting for him to rejoice in proportion to the amount of them which was made easy for him by Allah, and, in proportion to the amount that escapes him, it is fitting for him to grieve. In his attending to this he should be energetic.

As for the Worship of the unmindful, it is perilous, unless Allah cover the failing with His mercy, but His mercy is wide and His generosity overflowing. So we ask Allah to cover us over with His mercy, and submerge us in His forgiveness, since we have no means of gaining access except confession of inability to perform obedience to Him. Know that keeping the Worship free from faults, and devoting it solely to the Face of Allah, and the payment of it in accordance with the inward Stipulations which we have mentioned of humbleness, magnifying and shame, are the cause of securing illuminations in the heart. These illuminations become keys of the unveiled knowledges. The intimates of Allah are those to whom is revealed the unseen world of the heavens and the earth. The Divine secrets are unveiled only

153. Yahya b. Waththab al-Asadi, Kufi, a most excellent reciter (d. 103 A.H.).
154. The term here is *'ubudiyah*.

in the Worship, and particularly in the Prostration. For that reason Allah said, "And prostrate yourselves and draw near" (Qur'an xcvi. 19).

The unveiling every worshipper receives is only according to the measure of his freedom from the troublings of this life. That varies in strength and weakness, in littleness and greatness, in clearness and obscurity, so that there is disclosed to some the thing itself, and the thing is disclosed to others in a likeness of it, just as this life[155] is disclosed to some as a carcass with Satan, in the form of a dog, crouched upon it, calling upon it [and calling men to it[156]].

There is difference also as to what the unveiling consists in, for to some are revealed certain of the qualities and majesty of Allah, and to another, some of His deeds, and to another, particulars of the sciences[157] of practical religion. There are, to distinguish these inner realities, at all times, hidden means, without number. Of these the strongest is suitable solicitude, for, whenever it is turned to some specified thing, that is the first to be unveiled. Since these are not reflected except in a polished mirror, when the mirror is altogether rust coloured, guidance is veiled from it, not on account of stinginess on the part of the One Who bestows guidance, but rather on account of the evil of the rust accumulated upon the place where the guidance is given.

Tongues are hasty in denying anything like that, since the natural disposition is so constituted that it denies what is not present. Had the unborn child intelligence, it would deny the

155. "Life here is one of the metaphysical qualities," explains Sayyid Murtada.
156. This clause is an addition of Sayyid Murtada's.
157. Knowledge pertaining to the next abode is of two kinds, *'ilm al-mu'dmalah* and *'ilm al-mukashafah*. The former is the science of practical religion, including questions of faith, ethics and canon law, including such duties as are incumbent on him on recurring occasions, such as the duties of the Worship, Fasting, etc. The knowledge of the Unveiled is an expression for the light that appears in the heart after its purification and reveals the inner and spiritual meanings and realities. The definitions of them are in the Book of Knowledge, the first of the *Ihya'* (Sayyid Murtada, I, 162 ff.).

possibility of the existence of man in the expanse of the air. Had a child any power of differentiation at all, it would perhaps deny what the intelligent claim to apprehend of the unseen world of the heavens and the earth. In like manner, man in every state is on the point of denying what is beyond him. Whoever denies saintship must necessarily deny prophetship. Mankind was formed to be of all sorts, so no one should deny what is beyond his degree. Yea, some, since they sought this state on account of a disputatious and confusing discussion, and did not seek it on account of a clearing of the heart of all things other than Allah, missed it, and so they denied its existence. Now, whoever does not belong to the people of unveiling must at least believe in the Unseen, and acknowledge belief in it until he sees by experience. For, in Tradition it is said, "Whenever a creature stands up for the Worship, Allah raises the veil between Himself and His creature, and meets him face to face, and angels from before his shoulders to the firmament stand worshipping with his Worship and say, *'Amin'* to his supplication, while righteousness from the clouds of the sky is rained upon the worshipper into the parting of his hair, and a crier calls out, 'Did this communing one know the One he is communing with, he would not turn, and the doors of heaven are open to those who worship--and Allah makes His creature who worships Him excel His angels in beauty."

Now, the opening of the door of heaven and the meeting of Allah with him face to face are a metaphor for the unveiling which were have mentioned. In the *Tawrah* it is written, "O son of Adam, do not lack strength for standing before Me as a worshipper, weeping, for I am Allah, Who drew near to you, and in the unseen world you saw My light!" Someone said, "We used to think that weakness and weeping and the unexpected attainment of unveiling which the worshipper finds in his heart are from the nearness of the Lord to his heart." If this nearness is not nearness in location, it has no other meaning than nearness of guidance and mercy and uncovering of the veil.

It is said, "When the worshipper performs two *rak'ahs*, ten rows of angels marvel at him, each row having ten thousand, and Allah makes him excel a hundred thousand angels. That is because the creature has brought together in the Worship the Standing Posture, the Sitting, Bowing and Prostration, while Allah has distributed

that upon forty thousand angels, for, those who stand do not bow until Resurrection Day, and those who prostrate do not stand until Resurrection Day, and likewise those who bow and those who sit." For, whatever nearness and rank Allah has apportioned to the angels is inseparably connected with them, continuing in one state which does not increase or decrease. For that reason Allah has stated about them, that they said, "And there is no one of us but has a certain position" (Qur'an, xxxvii. 164).

A Man is distinguished from the angels in his ascent from one degree to another for "He does not cease to draw near to Allah." He has the advantage of nearness and increase of it, since the door of increase is closed to the angels. Each one has only the rank which is his endowment, and the religious service in which he is engaged. He does not change over to anything else and is not remiss in it. So they do not esteem themselves too great for His Worship, and do not tire uttering praises: by night and by day they are not remiss.[158]

The key of increase of the degrees is the performances of the Worship. Allah said, "Those believers have prospered who in their Worship are humble!" (Qur'an, xxiii. 1-2). So He praised them, after referring to their faith by mentioning Worship which is united with humbleness. Then He sealed the qualities of those who prosper by the Worship, also saying, "And those who in their Worship are persevering" (Qur'an, xxiii. 9). Then He said, regarding the fruit of these qualities, "Those are the inheritors, who inherit paradise, in which they remain eternally" (Qur'an, xxiii. 10-11). So He ascribed to them, prosperity at first, and then the inheritance of Paradise at the last.

I do not hold that the gabbling of the tongue, together with unmindfulness of the heart, end at this goal. For that reason Allah said, about those in the opposite condition, "What caused you to enter into the Saqar [Plane of Hell]?"[159] They said, "We were not of those who worship" (Qur'an, lxxiv. 43-44). So the worshipers are the inheritors of Paradise. They are those who see the light of Allah, and who have enjoyment in His nearness and His approach to their hearts.

158. The allusions are to Qur'an, xxi. 19-20.
159. This is Sayyid Murtada's explanation.

We ask Allah to make us to be of them, and to rescue us from the punishment of him whose words seem good and whose deeds are evil. He is the Gracious Giver, and the Ancient Doer of good.

Stories and Traditions About the Worship of the Humble

Know that humbleness is a fruit of faith and a result of the certainly consequent upon [observing] the majesty of Allah. Whoever is apportioned that, is humble in the Worship and at other time even in solitude of any kind. For the cause of humbleness is the knowledge of the gaze of Allah upon His creature, and the knowledge of His majesty and the knowledge of the creature's shortcoming. So, from the recognition of these things humbleness is born, and it is not confined to the Worship. On that account it is related about a certain one that he did not raise his head to the sky for forty years, out of shamefacedness towards Allah, and lowliness before Him.

Al-Rabi' b. Khuthaim,[160] because of his strictness in lowering his gaze and bending down his head, was thought by some to be blind. He used to go frequently to the residence of Ibn Mas'ud during twenty years, and whenever his maid-servant would see him she would say to Ibn Mas'ud, "Your blind friend has come," and Ibn Mas'ud used to laugh at her remark, And whenever he would knock on the door, the slave-girl would go out to him and then see him bending down and lowering his gaze, and Ibn Mas'ud, whenever he would look at him, used to say, " 'And bear glad tidings to those! who humble themselves!' " (Qur'an, xxii. 35). Is it not so, by Allah, that were Muhammad to see you, he would rejoice in you!" and in another variation[161] it says, "He would glorify you," and in another variation it says, "He would love you!" He walked one day with Ibn Mas'ud among the blacksmiths, and when he looked upon the forge blowing and the fires blazing he fainted and fell unconscious. Ibn Mas'ud say at his head until Worship time and he did not revive, so he carried him on his back to his residence. Thus he remained, unconscious, until the same hour [next day] in which he fainted, so that five Worship times escaped him, with Ibn Mas'ud at his head, saying, "This,

160. Al-habi' b. Khuthaim (d. 60-64 A.H.).
161. This is added by the other texts.

by Allah, is fear!"

Rabi' used to say, "I have never entered upon the Worship at all, except what concerned me in it was only what I was saying and what was being said to me."

'Amir b. 'Abdallah[162] was one of the most lowly of worshippers. and when he would worship his daughter would perhaps beat the tambourine and the women would speak of whatever they would want in the house, and he would hear that but would not understand it.

He was asked one day, "Does your self speak to you in the Worship about anything?" He replied, "Yes, about my standing before Allah, and my departure to one of the two places of abode." He was asked, "Then do you experience anything of what we experience of matters of this life?" He replied, "Indeed, that lanceheads should repeatedly pierce me is more desirable to me than that I should experience in my Worship what you experience." He used to say, "Were the veil removed I would not become more certain."

Muslim b. Yasar was also one of that kind, and we have already reported that he did not become aware of the falling of a column in the mosque while he was at the Worship.

One of the extremities of one of them was consumed by a wasting disease and required amputation, but it was not possible. So it was said, "In the Worship he does not feel anything happening," and so it was cut off while he was at the Worship.

A certain one said, "The Worship belongs to the next abode, so when you enter upon it you pass out of this life."

It was said to another, "Does your self speak about anything of this life in the Worship? He replied, "Neither in the Worship nor at other times."

A certain one was asked, "Do you recall anything in the Worship?" Then he replied, "And is anything more dear to me than the Worship, so that I should recall it in it?"

Abu al-Darda'[163] used to say, "It is an indication of a man's

162. 'Amir b. 'Abdallah b. al-Zubair (see supra, note 53).
163. Abu al-Darda' al-Khazraji al 'Ansari (d. 31 A.H.).

understanding of canon law that he attends to his need first, before his entering upon the Worship, that he may enter upon the Worship with his heart empty of care."

One of them used to do the Worship quickly, out of ear of evil suggestions.

It is related that 'Ammar b. Yasir[164] performed a Worship and did it quickly. So it was said to him, "You did it quickly, O Abu al-Yaqzan!" So he asked. "Did you see me diminish its limits any?" They replied, "No." He said, "I strove to outstrip the oversight caused by Satan."

The Messenger of Allah said, "A creature performs the Worship with not half of it, or a third or a fourth or a fifth or a sixth or a tenth, of it credited to him.

He (i.e., 'Ammar[165]) used to say, "There is credited to a creature only what he comprehends of his Worship."

It is said, "Talhah[166] and Zubair[167] and a group of the Companions with them were the quickest of men at the Worship, and they said, 'We outstrip by it the suggestion of Satan.' "

It is related that 'Umar b. al-Khattab[168] declared from the pulpit, "A man may grow white of the two sides of his beard, in Islam, without having performed for Allah a single Worship." He was asked, "And how is that?" So he replied, "He does not complete its humbleness and its lowliness and his approach to Allah in it."

Abu al-'Aliyah[169] was asked about the saying of Allah, "Those who were forgetful of their Worship" (Qur'an, cvii. 5). He replied, "It is he who is forgetful of his Worship, for he does not know how many *rakah's* he goes out from, whether an even number of

164. 'Ammar b. Yasir b. 'Amir b. 'Malik (Abu al-Yaqzan), partisan of 'Ali (d. 37 A.H.).
165. Sayyid Murtada adds this.
166. Talhah b. 'Ubaidallah, Companion (d. 36 A.H.).
167. Abu 'Abdallah al-Zubair b. al'Awwam al-Qarashi al-Asadi al-Madani (see supra, note 53).
168. 'Umar b. al-Khattab, the second Khalifah (d. 23 A.H.).
169. Abu al-'Aliyah, Rafi' b. Mihran al-Basri (d. 90 A.H.)

an odd." Al-Hasan said, "It is he who forgets the time of the Worship until it departs." One of them said, "It is he, who, if he performs the Worship early in its time, does not rejoice, and, if he delays it after its early time, does not grieve, for he does not consider hastening it as a benefit, or deferring it as a sin."

Know about the Worship that a part of it is reckoned and part of it is recorded without the rest, as the traditions have shown, although canon lawyers used to say, "The Worship, as regards its validity, is not divided into parts." But that has another meaning which we have mentioned.[170] This meaning the traditions have indicated, since it is related, "The deficiency of the Prescribed Worship is made up by the Supererogatory ones." In Tradition, it is said "'Is a said, 'Allah says, "By the Prescribed Worship, My creature is saved from Me, and by the Supererogatory ones My creature draws nigh to Me." '"

The Prophet said, "Allah said, 'My creature is not saved from Me except by the payment of what I prescribed upon him.' "

It is related that the Prophet performed a Worship, and omitted a verse from its recital. So, when he turned away he said, "What have I recited?" The people kept quiet, so he asked Ubayy b. Ka'b,[171] and he replied, "You recited such a *surha*, and omitted such a verse, and we do not know whether you exchanged or removed." Upon which he remarked, "You are the man, O Ubayy!" Then he advanced to the others and said, "What can people be thinking of who are present at their Worship and who complete their ranks with their Prophet before them, and do not know what he recites to them from the Book of their Lord! Did not Bani Isra'il do so, so that Allah revealed to their Prophet, 'Say to your people, "You present Me your bodies and you give Me your tongues, but you are absent from Me your hearts! Vain is what you proceed upon!" This proves that hearing and understanding what the *imam* recites is a substitute for the recital of the *surah* by oneself.

One of them said, "There is a man who performs a Prostration: according to his own thought, he has come near to

170. See Chapter 3.
171. Ubayy b. Ka'b, Helper (d. 22, or 30 A.H.).

Allah by means of it, but, were his sins in his Prostration distributed upon the inhabitants of a city, they would perish." He was asked, "And how is that?" He replied, "He is prostrating before Allah while his heart is attentive to some desire or observing some vanity that has taken possession of him."

This, then, is the description of the humble, and so these narratives and traditions, together with what has preceded, prove that the root of the Worship is humbleness and the presence of the heart, and that the movement alone, with unmindfulness, are of little profit in the Place of Return. And Allah knows better. We ask of Allah the beauty of His assistance.

4

Leadership and Example

Upon the *imam* there are duties before the Worship, during the Recital, in the Elements of the Worship and after the Salutation.

The duties which precede the Worship are six in number.

The first of them is that one should not go forward to the leadership for a people who dislike him. If they disagree, regard is to be shown to the majority. Yet, if the minority are people of benevolence and piety, regard to them is preferable. In Tradition it says, "Three there are whose Worship does not pass beyond their heads: the runaway slave, a woman whose husband is displeased with her, and an *imam* who leads a people who dislike him."

As he is prohibited from going forward by their dislike, so likewise he is prohibited from going forward if there should be behind him one who is more learned than he [or a better reciter[171]], except whenever he who would be preferable to him declines. But, if it is not his duty to refrain for reasons like these, let him go forward whenever he is first and knows that the conditions of the leadership, exist in him. In that case any refusal is disliked, for it is said, "A people one after the other refused the leadership after the Worship had begun, and the ground swallowed them up."

As for what is related of the refusal of the leadership on the part of the Companions, the reason for that was their choosing one whom they thought to be preferable for that, or, their fear, for themselves, of forgetfulness and the peril of the responsibility of their Worship, for, "The *imams* are the guarantors." It might

171. This phrase is additional in Sayyid Murtada's text.

be that the heart of one who was not accustomed to that position would perhaps feel anxious and that would disturb the singleness of heart desired in his Worship, because of his diffidence towards those imitating him, especially in the audible part of the Recital. So, the cautiousness of some who guarded themselves against that was on account of reasons of this sort.

The second is that, whenever a man is given the choice between giving the Call to the Worship, and the leadership, he should choose the leadership. For, each one of them has some excellence, but uniting them is disliked. Nay, rather, it is fitting that the *imam* should be other than the one who gives the Call, and, if the joining of the two offices is objectionable, the leadership is preferable. Those who say, "The Call to Worship is preferable," say so on account of what we have reported concerning the excellence of the Call to Worship, and on account of the saying of Muhammad, "The *imam* is a guarantor and the *mu'adhdhin* is a trustee." So they said, "In the leadership there is the guarantor's risk."

Muhammad said, "The *imam* is *amir*,[172] so whenever he bows, bow, and whenever he prostrates, prostrate."

In Tradition it is said, "If he completes the Worship it is credited to him and to them, and if he comes short, it is against him and not against them."

A further reason for their opinion is because Muhammad said, "O Allah, guide the *imams* and forgive the *mu'adhdhins*," for forgiveness is preferable in an intercession, for, a request for forgiveness includes guidance.

In the Record it is said, "Whoever acts as *imam*[173] in a mosque seven years has the Garden due him without any reckoning, and one who has been a *mu'adhdhin* for forty years will enter the Garden without a reckoning". For that reason it is reported about the Companions that they used to decline the leadership, one after another, for the truth is that the leadership is more excellent, since

172. The other texts have *amin*, "trustworthy".
173. Sayyid Murtada reads "acts as *mu'adhddin*" here and in the second part of the record. The first is then evidently a misprint, as the other texts have, "acts as *imam*."

the Messenger of Allah continued at it, as well as Abu Bakr, 'Umar and the *imams* after them. True, there is in it the peril of the responsibility, but, excellence goes with peril, just as the rank of the amirate and the khalifate is more honourable, on account of the saying of Muhammad, "A day of a just sultan is more honourable than the religious service of seventy years." Nevertheless, in it there is peril, and for that reason it is obligatory to put forward the most honourable and most learned. Muhammad has said, "Your *imams* are your intercessors," or he said, "Your envoy to Allah," so, if you wish your Worship to thrive, put forward the most excellent among you.

Someone of the Fathers said, "After the prophets there are none more honourable than the learned and after the learned there are none more honourable than the *imams*, performing the Worship. For, all these stand before Allah and His creation, one with prophesy, and another with learning, and the other with the support of the religion, which is the Worship'." This argument the Companions adduced in putting forward Abu Bakr al-Siddiq for the khalifate, since they said, "We considered, and lo! 'the Worship is the support of the religion,' and so we chose for this life of ours the one whom the Messenger of Allah preferred for our religious affairs." They did not put forward Bilal, arguing that Muhammad had preferred him for the office of *mu'adhdhin*!"

As for the matter that is related, that a man said to him, "Messenger of Allah! lead me to a work by which I may enter the Garden," he said, "Become a *mu'adhdhin!*" He replied, "I am not able." He said, "Become an *imam*!" He replied, "I am not able." Then he said, "Worship beside the *imam*!" perhaps he thought that he would not be acceptable in his leadership, since the calling to Worship was his own affair, while the leadership and their putting him forward was the affair of the congregation. Then afterwards he supposed that he had ability to achieve the leadership.

The third is that the *imam* shows regard for the times of the worshipping, for he performs the Worship at the beginnings of them--in order to please Allah. For, "The superiority of the beginning of the time over the end of it is like the superiority of the next abode over this life." Thus it is related from the Messenger of Allah. In Tradition it is said, "A creature may

perform the Worship [at the end of its time[174]], and so it does not escape him, but truly, that of the beginning[175] of its time which escaped him had more benefit for him than this life and what is in it."

It is not fitting that he should delay the Worship out of expectation of a large congregation. Nay, rather, it is for him to lose no time to obtain he excellence of the first of its time, for that is more excellent than the large size of the congregation and than the lengthening of the *surah*.

It has been said. "They were accustomed, whenever two were present in the congregational Worship, not to wait for the third, and whenever four were present at a funeral, they would not await a fifth."

The Messenger of Allah had been delayed from the Dawn Worship, while they were on a journey (he was delayed only for the sake of the purification), and he was not waited for, and 'Abd al-Rahman[176] came forward and conducted the Worship with them, so that one *rak'ah* escaped the Messenger of Allah. Then Muhammad stood up and performed the *qada'*, Substitution, Worship. Then we were anxious about that, so Muhammad said, "You did well in doing that and keep on doing so."

He had been delayed at the Noon Worship, so they put forward Abu Bakr until the Messenger of Allah came, while they were still at Worship, so he stood at his side.

It is not for the *imam* to wait for the *mu'adhdhin*, and it is necessary for the *mu'adhdhin* to wait only for the *imam*, for the Institution of the Worship. So, when he comes, he should not await anyone else.

The fourth requirement is that he should act as *imam* as one sincerely seeking Allah's Face [and that which He has to give[177]], and as one paying back the "trust" of Allah, in respect of his purification and all the stipulations of his Worship.

174. Sayyid Murtada's text omits this clause.
175. See note 37 to next chapter.
176. 'Abd al-Rahman b. 'Awf, Quraishite (d.31 A.H.).
177. This is according to Sayyid Murtada's interpretation.

As for singleness of devotion, it means that he does not accept any reward for the Worship, for the Messenger of Allah gave an order to 'Uthman b. Abu al-'As al-Thaqafi[178] and said to him, "Select as *mu'adhdhin* one who does not take any reward for giving the Call to Worship!" For the Call to the Worship is a way to the Worship, and the Worship is better when a reward is not accepted for it. But, if he takes some sustenance from a mosque which has been entailed upon the one who has the position of *imam* of it, or from the sultan, or from individuals of the people, there should be no ruling to make it unlawful, but it is disliked, and dislike with regard to prescribed things is stronger than it is with regard to supererogatory acts. He may have a reward for persevering attendance upon the place, and for his watchfulness over the interests of the mosque, in establishing the Congregational Worship in that place, but not for the Worship itself.

As for the "trust," it is cleanness within from transgression and the great sins, and from persistence in minor sins. For, it is fitting that he who would be prepared for the office of *imam* should guard against that with his best energy, for he is as the envoy and intercessor for the people, so it is fitting that he should be the best of the people. Similarly as to cleanness outwardly, he should guard himself from uncleanness and impurity, for no one perceives that, so far as he is concerned, except himself. So, if he should recall, during the Worship, any uncleanness...he should not be ashamed, but, rather, let him take the hand of the one who is near to him and appoint him to succeed him. For the Messenger of Allah recalled a *janabah*, "greater uncleanness," during the Worship, so he appointed a successor, and bathed. Then he returned and entered into the Worship.

Sufyan[179] said, "Worship behind everyone, just and unjust, except one addicted to wine, one notorious for transgression, one disobedient to parents, one with an innovation or a runaway slave."

The fifth duty is that he should not recite the *takbir* until the

178. Abu 'Abdallah 'Uthman b. Abu al-'As al-Thaqafi at-Ta'ifi (d. 51 A.H.).
179. This is either Sufyan al-Thawri (note 6, previous chapter) or Abu Muhammad Sufyan b. 'Uyainah b. Abu Imran Maimun al-Hilali (d. 198 A.H.)

rows are arranged. So, let him turn to the right and the left, and, if he sees any defect, he should order it to be arranged. It is said, "They were accustomed to place themselves beside one another, shoulder to shoulder, and to place their ankles together." He does not recite the *takbir* until the *mu'adhdhin* finishes the Institution. The *mu'adhdhin* delays instituting the Worship after the Call by as long as it takes for the men to get ready for the Worship. In the Record it says, "Let the *mu'adhdhin* grant between the Call to Worship and the Institution a respite as long as an eater takes to finish his food...The reason for that is that....it is commanded that the evening meal should precede the Evening Worship, out of desire that the heart should be disengaged.

The sixth is that he should raise his voice in the single *takbirat al-ihram* and the rest of the *takbirs*, and the follower should not raise his voice except enough for himself to hear. He states the Intention to lead, in order to obtain reward. But if he should not state the Intention, his Worship would be valid, as well as the Worship of the people, if they stated the Intention of the imitation, and they obtain the reward of the imitation, while he does not obtain the reward of the leadership. Let them delay their *takbir* after the *takbir* of the *imam*, and begin after he has finished. And Allah knows better.

The duties of the Recital are three in number.

The first of them is that he should recite the Opening Supplication inaudibly, and likewise the Seeking Refuge, as does one worshipping alone. He utters audibly the Fatihah and the *surah* after it in both *rak'ahs* of the Morning Worship, and in the first two *rak'ahs* of both the Evening and the Sunset Worships. So also the one who worship alone. He utters audibly the *amin* in the audible Worship, as does the follower. The follower says his *amin* is unison with the *amin*, of the *imam*, not afterwards. He utters audibly the words, "In the name of Allah the Merciful and Compassionate One." The Records about it are contradictory, and the preference of al-Shafi'i[180] is for saying it audibly.

The second is that the *imam* should make three pauses in the Standing Posture, and so Samurah b. Jundub[181] and 'Imran b.

180. Muhammad b. Idris al-Shafi'i al-Hijazi.
181. Abu Sa'id Samurah b. Jundub, Companion (d. 58 A.H.)

al-Hasin[182] record, from the Messenger of Allah. The first of them is when he says the *takbir*, and it is the longest of them, long enough for one who is behind him to recite the Fatihah of the Book. That is the time for his reciting the Opening supplication of the Worship. For, if he should not pause, they would not be able to hear his recital and then whatever is short in their Worship would be recorded against him. But if he should pause and they should not recite the Fatihah during his pause, or should be occupied with something else, that would be against them and not against him. The second pause is when he finishes the Fatihah, in order that the one who did not recite the Fatihah in the first pause may finish his Fatihah. This is half the time of the first pause. The third pause is when he finishes the *surah*, before he bows. It is the briefest of them, and that is as long a time as separates the Recital from the *takbir*, for there is a prohibition against bringing them together.

The follower does not recite after the *imam* anything but the Fatihah. But if the *imam* does not pause, he recites the Fatihah of the Book with him, and the one who is remiss is the *imam*. If the follower should not hear the Recital of the *imam* in the audible Worship on account of his distance, or if he should be engaged in the inaudible Worship, there is no objection to the recital of the *surah* along with the Fatihah.

The third duty is that he should recite in the Morning Worship two *surahs* from the *mathani* which are less than a hundred verses. For, to be lengthy in the Recital of the Dawn Worship and to perform it before daybreak are *sunan*, Usages, but to finish it in the clear dawn does not harm one.

There is no objection if he recite in the second of the two *rak'ahs* of the Morning the latter parts of the *surahs* from the thirtieth or the twentieth verses until he finish them, for they are not repeated upon the hearing often, and so are more effective in admonition, and summon better to meditation. Some of the *'ulama'*, "learned," have expressed dislike for the recital of only some of the first part of the *surah* and then breaking it off. But

182. 'Imran b. Hasin b. 'Ubaid b. Khalaf, Companion, Qadi in al-Basrah (d. 52 A.H.)

it has been related that Muhammad recited part of the *surah* of Yunus (x) and after he had completed it to the mention of Moses and Pharaoh (verses 76 to 84), he broke off and did the Bowing.

It is related that Muhammad recited in the Dawn Worship a verse from "The Cow" (ii) which was His saying, "say, We believe in Allah and what He sent down to us" (verse 130), and in the second *rak'ah*, "O our Lord! we have believed in what Thou didst send down" (iii. 46).

He heard Bilal recite from here and there. So he asked him about that, and he replied, "I mingle the pleasant with the pleasant." So he remarked, 'You have done well."

The *imam* recites at the Noon Worship the long *surahs* of the *mufassal*, up to thirty verses, and in the Afternoon Worship half of that, and in the Sunset Worship the latter parts of the *mufassal*. The last Worship of the Messenger of Allah was the Sunset Worship. In it he recited the *surah*,. "The Sent Ones" (lxxvii,). He did not perform a Worship after that before he was taken.

On the whole, to do it quickly is preferable, especially when the congregation is large. Muhammad said concerning this concession, "When one of you leads the Worship with the people, let him do it quickly, for among them are the weak and the aged and those who have a need. When he worships by himself, let him be as long as he likes." It happened that Mu'adh b. Jabal was worshipping with some people at the evening time, and he recited "The Cow" (ii), and a man went out from the Worship and finished by himself. So they said, "The man has become a hypocrite." Then they both brought counter charges before the Messenger of Allah. So the Messenger of Allah chided Mu'adh and said, "Are you a disturber, Mu'adh? Recite the *surah* of 'Praise' (lxxxvii.), and 'The Skies and the Night-traveller' (lxxxvi.), and "The Sun and Its Morning Brightness' (xci.)."

The duties respecting the Prescribed Elements are three in number.

The first is that he does the Bowing quickly and also the Prostration, and does not increase the number of the Praises over three. For it is related from Anas that he said, "I have not seen anyone more quick as regards the Worship than the Messenger

of Allah, and, at the same time, complete." It is true that it is related also that Anas b. Malik, when he worshipped behind 'Umar b. 'Abd al-'Aziz, when he was Amir in Medina, said, "Indeed, I have not worshipped behind anyone whose Worship is more like the Worship of the Messenger of Allah than that of this young man." He said, "We used to say the Praise behind him by tens." It is related inclusively that they said, "We used to recite the Praise behind the Messenger of Allah in the Bowing and the Prostration by tens." And that is excellent. But three, when the congregation is large, is better. But when there are none present but those devoted to religion there is no harm in the ten repetitions. This is the way to combine the narratives. It is fitting that the *imam* should say, at the raising of his head from the Prostration, "Allah hears whoever says He is praise."

The second duty concerns the follower. It is fitting that he should not bow and prostrate along with the *imam*. Rather, he should delay. So he does not bend for the Prostration until the forehead of the *imam* reaches the place of prostration. Such was the practice of the Companions with the Messenger of Allah. He does not bend for the Bowing until the *imam* completes his Bowing. It is said, "Men leave the Worship in three divisions: One party have twenty-five Worships, and they are those who say the *takbir* and bow after the *imam*. Another party has one Worship, and they are those who keep up with him. Another party has no Worship and they are those who go ahead of the *imam*.

There is disagreement as to whether the *imam*, in the Bowing, should wait until one coming in joins in and overtakes that *rak'ah*, in order that he may obtain the reward of worshipping with the congregation. Perhaps the preferable opinion is that that is without harm, if singleness of devotion is preserved, whenever no noticeable interval becomes apparent to those present, for their rights is to be regarded, in desisting from the lengthening of the service for them.

The third duty is that he does not increase in the Supplication of the Witnessing beyond the amount given to the Witnessing itself, guarding against being too long, and he does not include only himself in the Supplication, but rather uses the form of the plural, and says, "O Allah, forgive us!" and does not say, "Forgive

me". For it is disliked in an *imam* to include only himself. There is no harm in his use of the Invocation of the protection of Allah in the Witnessing, using the five phrases transmitted from the Messenger of Allah. So he says, "We take refuge in Thee from the punishment of Hell and the punishment of the grave, and we take refuge in Thee from the testing[183] of life and death, and from the testing of the Antichrist and, whenever Thou willest testing a people, take us to Thyself without our being tested." It is said, "He is called *masih*, 'rubber,' because he rubs upon the earth in all its length," and it is said. "He is called *masih*, 'one-eyed,' because he is smooth of one eye, i.e. blind in it."

The duties of the finishing of the Worship are three in number.

The first is that he have the Intention, in the two Salutations,[184] of salutation upon the people and the angels.

The second ins that he remain stationary after the Salutation. So did the Messenger of Allah, Abu Bakr and 'Umar. He performs the *nafl*, Supererogatory, Worship in another place. But if there are women behind him he does not rise until they depart.

In the *mashhur*,[185] "well known," record it is stated that Muhammad was not accustomed to remain sitting more than long enough for him to say, "O Allah! thou art the Peace,[186] and from Thee comes peace! Thou art blessed in and of Thyself, O Possessor of majesty and honour!"

The third is that when he springs up it is fitting that he should turn his face toward the people. It is disliked for the follower to get up before the turning of the *imam*. For it is related about Talhah and Zubair that they worshipped behind an *imam*, and, after they had said the Salutation, they said to the *imam*, "How excellent was your performance of the Worship, and how complete it was, except for one thing!--after you said the Salutation you

183. On the word *fitnah*, cf. Baidawi, on Qur'an ii.96.
184. That is, upon the right and the left, says Sayyid Murtada.
185. Sayyid Murtada says, the word *mashhur*," "well known" is not used here in its technical sense.
186. Al-Salam, "Peace". This is one of the most beautiful names of Allah and occurs in the Qur'an only at lix. 23.

did not turn your face to the congregation." Then they said to the people, "How excellent was your Worship, only you withdrew from it before your *imam* turned."

Then the *imam* departs, whither he will, to his right or left, the right being more liked.

This is the duty of the performances of the Worship.

With regard to the Morning Worship, the *imam* adds to it the *qunut*, Supplication, and says, "O Allah, guide us!" and does not say, "Guide me." The follower says, "*Amin*!" When he reaches the words, "Thou dost judge, and art not judged!" the saying of the *amin*! is not fitting, since it is praise, so he recites it with him. He says what the *imam* says, or he *says*, "Yes indeed! and to that I am one of the witnesses," or, "You have spoken truly and done right," or some similar expression.

There is related a tradition for the raising of the two hands in the *qunut*, Supplication, and, if the tradition is valid, that is preferable, although it is different from the Supplications at the end of the Witnessing, since the hands[187] are not raised on account of them on that occasion, but reliance is to be placed on explicit statement.[188] Between the two there is also a great difference, that being that the hands have a duty in the Witnessing, and have to be placed on the things in a special form. They have no duty here, so it is not strange that the raising of the hands should be a duty in the *qunut*, Supplications, for it is fitting in supplication. And Allah knows better.

This is the whole duty of the proper manner of performing the example and the leadership. And Allah is the Helper!.

187. The other texts read "he does not raise his hand."
188. The use of the technical term *al-tawqifiyah* is explained in *Tuhfat al-Murid 'ala Jawharat al-Tawhid*, by al-Bajuri (Cairo, 1324 A.H.), where he says: "*Al-tawqifiyah*, that is, the possibility of the application of names to Allah depends upon their appearance in a book, or in a 'sound' or 'beautiful' *sunnah*, 'tradition,' or in an 'agreement'." In the *Qamus* (III. 199) *twaqif* in Traditon means "explanation," and in law means "a definite statement" (*nass*).

5

The Excellence of the Friday Observance: Its Properties Usages and Stipulation

Know that this is a great day, by which Allah has magnified Islam and by which He has given distinction to the Muslims. Allah said, "When there is a call to Worship on Friday, hasten to the remembrance of Allah, and cease selling" (Qur'an, lxii. 9). So, being busy in affairs of this life and in all that hinders from hastening to the Friday Observation was made unlawful.

Muhammad said, "Allah prescribed the Friday Observance upon you in this my day and in this my position." He said, "Whoever abandons the Friday Observance thrice without excuse has Allah put a seal upon his hear,"[189] and, in another version, "has thrown Islam behind his back".

A man kept returning to Ibn 'Abbas, asking him about a man who died without being accustomed to being present at the Friday Observance or a Congregational Worship. So he said, "He is in the Fire." But he did not cease returning to him monthly about that, and he would say, "He is in the Fire."

In Tradition it is said, "The People of the Two Books[190] were given Friday, and they disagreed about it and departed from it, and Allah guided us to it, and kept it back for this people and made it a feast-day for them, they being the people worthiest of

189. Sayyid Murtada explains: "Puts a veil upon it, so that he does not understand, and prevents him from obedience." The allusion is to the Qur'an, iv. 154, and similar passages.
190. They are the Jews and Christians.

it, in the matter of precedence, while the People of the Two Books follow after them."

In the tradition of Anas from the Prophet it is related that he said, "Gabriel[191] brought me in his palm a white mirror and said, 'This is the Friday Observance: your Lord prescribes it upon you to be a feast-day to you and to your people after you.' I said, 'And what is there for us in it?' He said. 'There is for you "the best hour," in which, whoever makes a supplication for a good that has been apportioned to him, has it given to him by Allah, or, if it be not apportioned to him, has stored up for him something greater than it; or else, he escapes from an evil decreed upon him, unless Allah protects him from a greater evil. It is the "lord of the days" among us, and we call it, in the next abode, "the day of increase". I asked, 'Why?' He said, 'Your Lord chose in the Garden a valley more odourous than white musk, so, when Friday comes, He descends from the highest heaven upon His throne, and reveals Himself to them so that they look upon His Generous Face.'"

Muhammad said. "The best day the sun shines upon is Friday. On it Adam was formed; on it he was introduced into the Garden and on it he was cast down to the earth; on it he was forgiven and on it he died; on it the Resurrection Hour will come, and it is with Allah, the 'day of increase', So the angels name it in heaven, and it is the day for seeing Allah, in the Garden."

It is said in Tradition, "Allah has on every Friday six hundred thousand freed from the Fire."

In the tradition of Anas it is recorded that Muhammad said, "Whenever Friday is safe,[192] all the days are safe."

Muhammad said, "Hell-fire is kindled every day before the passing of the meridian, at the sun's standing balanced in the heart of the sky, so do not perform the Worship at that hour, except on Friday, for it is a Worship itself, all of it, and Hell is not kindled on that day."

191. For the eight different spellings of this name, see Baidawi, on Qur'an ii. 191.
192. Sayyid Murtada adds: "From the occurrence of sins in it."

Ka'b[193] said, "Allah gave preference, among cities, to Mecca, and, among the months, to Ramadan, and, among the days, to Friday, and, among the nights, to the Night of Decree."

It is said, "The birds and the serpents meet each other on Friday and say, 'Peace, peace, a goodly day!'"

Muhammad said, "Whoever dies on Friday, or on the eve of Friday, has Allah decreed for him the reward of a martyr and preservation from the testing of the grave."

Exposition of the Stipulations of the Friday Observance

Know that it shares the Stipulations of all the performances of the Worship, and is differentiated from them by six additional Stipulations.

The first is the time. If the Salutation of the *imam* occurs within the time of *'asr*, "mid-afternoon," the Friday Observance has escaped, and it is incumbent upon him to complete it as an ordinary Noon Worship of four *rak'ahs*. There is disagreement about the man who is late, when his last *rak'ah* falls after the time.

The second is the locality. It is not valid to celebrate the Friday Observance in the deserts, or on the plains, or among the tents, but it must be in a space containing buildings that are not moveable and that can contain forty of those upon whom the Friday Observance is incumbent. In this matter a village is like a town. The presence of the sultan at it is not stipulated, but it is preferable to ask his permission.

The third is the number. It is not confirmed as a valid Friday Observance with less than forty males, responsible, free, and domiciled, i.e. who do not move away from it winter or summer. Then, if they disperse, so that the number comes short, either in the time of the address or the Worship, that Friday Observance is not valid. Rather there is need of them from the first of the last.

The fourth is the congregation. Were forty in a village or a town to worship in different parties, their Friday Observance would not be valid. But a late-comer, whenever he is in time for

193. Abu Ishaq Ka'b b. Mani, al-Himyari al-Ahbar (al-Habr), (d. 32 A.H.).

the second *rak'ah* [with the *imam*[194]] overtakes the Friday Observance, and it is allowable for him to perform the second *rak'ah* by himself. But, if he does not overtake the Bowing of the *imam* in the second *rak'ah*, he does not overtake the Friday Observance, so he follows the *imam*, but he states the Intention to perform the Noon Worship and when the *imam* says the Salutation, he stands and completes it as a Noon Worship.

The fifth is that the Friday Observance should not be preceded by any other in that town. If their meeting together in one congregational mosque should be impossible, it is allowable to meet in two or three or four, according to the need. If there should be no need, the valid one is the Friday Observance in which the Opening *takbir* occurred first. When the need is a proved one, the more excellent is the Worship behind the more excellent of the two *imams*. If they are on a parity, then in the older mosque, and if they are on a parity, then in the nearer one. The largeness of the number of the men has an excellence that should be considered.

The sixth is the two addresses, which are both Prescribed, Standing up during the address is a Prescribed act, and sitting down between them is a Prescribed act. In the first there are four Prescribed parts: the Praising, the minimum of it being "Praise belongs to Allah". The second is the Blessing upon the Prophet. The third is the Command of fear towards Allah. The fourth is the Recital of a verse from the Qur'an. Likewise, the Prescribed parts of the second address are four in number except that in it the Supplication is obligatory instead of the Recital. The hearing of the two addresses is obligatory upon the forty.

The Usages

When the sun passes the meridian and the *mu'adhdhin* gives the Call and the *imam* sits on the pulpit, the individual Worship stops, except for the Worship of Greeting upon entering the mosque. Talking need not stop until the opening of the address. The speaker, *khatib*, salutes the people when he turns his face toward them and they return the Salutation. Then when the *mu'adhdhin* finishes the Call, he rises, facing the people. He does

194. This is added by Sayyid Murtada.

not turn to the right or left, but occupies his hands with the hilt of the sword or staff, and with the pulpit, in order that he may not play with his hands, or place one of them on the other. He delivers two addresses, with a brief sitting between them. He does not use strange language, and does not dfawl, and is not indistinct.[195] The address should be brief, elegant, and comprehensive. It is liked that he recite a verse in the second also. Whoever enters while the speaker is making the address should not give the salutation. But if he gives a salutation, he has no right to have it returned, but a gesture in return is excellent. Also, he does not say, "Allah bless you," to those who sneeze.

These are the Stipulations for validity.

As for the Stipulations regarding the obligation to perform this Worship, it may be said, "The Friday Observance is not obligatory except upon the male who is mature, sane, Muslim, free, resident in a village that includes forty possession these qualities or in a village which is a suburb which is reached by the Call from the town on the side near it when the sounds have ceased and the *mu'adhdhin* has a high voice in accordance with the saying of Allah, When there is a call to the Worship on Friday hasten to the remembrance of Allah, and cease selling" (Qur'an, lxxii. 9). It is permitted to those to omit the Friday Observance on the excuse of rain, mud, fright, illness and attending to the sick when the sick one has no other attendant. Then it is desirable for them, I mean those who have excuses, to delay the Noon Worship until the people finish the Friday Observance. If there should be present at the Friday Observance one who is ill, or one on a journey, or a slave, or a woman, their Friday Observance is valid, and it serves as a substitute for the Noon Worship. And Allah knows better.

Exposition of the Proprieties of the Friday Observance, in Accordance with the Usual Order, including Ten Particulars

The first is that he prepares for the Friday Observance on Thursday, resolving upon performing it and anticipating its excellence. So he engages in Supplication and Seeking Forgiveness and in saying the Praise after *'asr*, mid-afternoon, on Thursday,

195. The other texts have "does not chant".

for the time of it, i.e. the hour after *'asr*, is equivalent[196] in excellence to "the hour" of Friday-Some one of the Fathers said, "Allah has a favour apart from the apportioned sustenance of mankind: none is given of that favour except one who asks for it on Thursday afternoon and on Friday."

He washes his clothes on that day and whitens them, prepares perfumes, if he has none, and empties his heart of the preoccupations which hinder it from early attendance at the Friday Observance. He states the intention, on this night, of fasting on Friday, for that has excellence. Let the fasting be connected with Thursday or Saturday, not be by itself, is for that is disliked. He engages in enlivening[197] this night by the performance of Worship and the complete recital of the Qur'an, for it has great excellence, and the excellence of Friday is drawn to it....Some relate the saying of Muhammad, "Allah is merciful to one who hastens and goes to the mosque early and causes his family to bathe and bathes himself." It is said, "Its meaning is, 'He washed his clothes,' for the word is handed down as *ghasala*, washed, [the other form was *ghassala*, caused to wash].

With this the proprieties of the anticipation of Friday are made complete, and he separates himself from the party of the unmindful, who, when they get up, say, "What is this day?" One of the Fathers said, "The man with the most perfect portion of the Friday Observance is the one who awaits it and observes it from the previous day. The one with the least portion is the one who says, when he gets up on Friday morning, 'What's to-day?'" One of them used to spend the night before Friday in the mosque on its account.

Second. When he rises be begins with bathing after the appearance of dawn. If he does not go out in the early morning,

196. The other texts read: "It is an hour that is compared to the 'undefined' hour."

197. "To cause the night to live" is to perform in it acts of devotion, such as "the Worship, supplication and intercession" (Sayyid Murtada, I, 209, 210, 1, 3), or, "the Worship, invocations, praises, the formulae for requesting forgiveness, blessing upon the Prophet and the completion of the recital of the Qur'an" (Sayyid Murtada, III, 241 A).

the nearer his bathing is to his going out to the mosque, the more liked it is, in order that it may be more close in time to the cleanness necessary for the Observance, for bathing is one of the assuredly liked acts. Some of the learned have held it to be an obligation. Muhammad said, "The bathing of the Friday Observance is obligatory upon everyone who has attained puberty." There is the *mashhur*, "well-known," tradition, handed down by Nafi'[198] from Ibn 'Umar, "Let whoever comes to the Friday Observance bathe!"

Muhammad said, "Let whoever is present at the Friday Observance, whether man or woman, bathe!"

When two of the people of Medina reviled one another, they used to say, one to the other, "Indeed you are worse than the one who does not bathe on Friday!"

'Umar said to 'Uthman, when he entered while he [i.e. 'Umar] was delivering the Friday address, "Is this the hour?" so expressing disapproval of him for omitting to come early. He replied, "I did nothing more, after I heard the Call to Worship, than perform the ablution and come out." So he said, "And the ablution too, when you know that the Messenger of Allah used to command us to bathe!" The allowability of omitting the complete bathing is known by the ablution of 'Uthman, and by what is related to the effect that Muhammad said, "If anyone performs the ablution on Friday, good and well, and whoever bathes--bathing is more excellent!"

Let whoever bathes for the legal impurity pour water over his body a second time with the Intention of its being for the bathing of the Friday Observance. If he must be content with one bathing it will suffice him and he will secure the excellence if he states the Intention of them both, for the bathing of the Friday Observance will enter into and become part of the bathing of the legal impurity. One of the Companions came upon his son who had just bathed, so he asked him, "Is it for the Friday Observance?" He replied, "Rather for legal impurity." So he said, "Do a second bathing," and he related the tradition of the washing

198. Abu 'Abdallah Nafi' b. Hurmuz al-Madani, *mawld* of Ibn 'Umar, a most reliable traditionist (d. 116 or 120 A.H.).

of the Friday Observance as obligatory upon every person who has attained puberty. He gave him the command only because he had not stated the Intention of doing it as a Friday bathing. It was not strange that it should be said, "The purpose is uncleanness," seeing that it is attained without the statement of the Intention. However, this position is impugnable in the case of the ablution also seeing it was made in the law a means of access, and its excellence must be sought. Whoever bathes and then becomes ceremonially unclean, does the ablution without invalidating his bathing, but it is more liked to guard against that.

The third is adornment. This is liked on this day. It is in three respects: clothing, cleanliness, and perfuming with scent.

(*a*) The cleanliness is attained by the use of the tooth stick, shaving the hair, paring the nails, cutting the moustache, and the rest of what has preceded in the Book of he Purification.[199] Ibn Mas'ud has said, "Whoever pares his nails on Friday has Allah expel from him disease and introduce into him healing." If he has entered the bathing place on Thursday or Wednesday he has attained the object.

(*b*) Let him perfume himself on this day with the best scent he has, to overcome disagreeable odours by it, and extend by it the essence and the scent to the noses of his neighbours who are present. The most liked perfume for man is the kind whose odour is apparent and whose colour is indistinguishable, and the perfume for women, whose colour is apparent and whose odour is indistinguishable. That is related in the Records of the Fathers. Al-Shafi' said, "Whoever cleans his garment decreases his anxiety, and whoever chooses a good scent increases his sense."

(*c*) As for the clothing, the best liked is white garments, since the best liked to Allah are white ones. One should not wear that which has something striking in it, and the wearing of black is not *sunnah*, Usage, and does not have excellence. Rather a company disliked to look at it, for it is an innovation that has taken place after the Messenger of Allah. The *'imamah*, "turban," is liked on this day.

199. This is Book III of the First Quarter of the *Ihya'* (Sayyid Murtada V, 302 ff).

Wathilah b. al-Asqa'[200] related that the Messenger of Allah said, "Allah and His angels bless the wearers of the turban on Friday." However, if the heat distresses one, there is no harm in his removing it before the Worship and after it, but he should not remove it during the time of his hastening from his residence to the Friday Observance, nor at the time of the Worship, nor when the *imam* ascends the pulpit nor during the address.

The fourth is going early to the congregational mosque. It is liked that he set out for the mosque from a distance of two or three parasangs [of three miles]. Let him go early. The time of going early begins with the appearance of the dawn. The excellence of going early is great. It is fitting that during his hastening to the Friday Observance he should be humble, lowly, stating the Intention of the *i'tikaf*, "the Retreat into the mosque for religious occupation" until [the end of[201]] the Worship, purposing to lose no time in answering the call of Allah to him to the Friday Observance and to hasten to obtain His forgiveness and the pleasing of Him.

Muhammad said, "Whoever goes to the Friday Observance in the first hour, it is as if he offered a camel. Whoever goes in the second hour, it is as if he offered a head of cattle. Whoever goes in the third hour, it is as if he offered a ram. Whoever goes in the fourth hour, it is as if he offered a chicken. Whoever goes in the fifth hour, it is as if he gave an egg. Then when the *imam* comes out, the leaves are rolled up, and the pens are raised, and the angels meet at the pulpit to hear the Invocation. so, whoever comes after that comes only for the duty of the Worship, and has nothing at all of the excellence." The first hour is until the appearance of the sun. The second is until its rising above the horizon. The third is to its broadening out, when the feet are burned,[202] and the fourth and fifth are after the middle of the morning until it passes the meridian. The excellence of these two is small--and the time of the passing of the meridian is the Worship's right and has no excellence attached to it.

200. Wathilah b. al-Asqa' al-Laithi, Companion (d. 83 or 85 or 86 A.H.).
201. This is added by Sayyid Murtada.
202. By the heat of the sun.

Muhammad said, "Three things there are, that men, if they knew what was in them, would ride their camels[203]] for. They are the Call, the first row, and the very early arrival at the Friday Observance." Ahmad b. Hanbal said, "The most excellent of them is the early arrival at the Friday Observance."

In Tradition it is said, "When it is Friday the angels sit on the doors of the mosques with leaves in their hands and pens of gold, writing the first as the first, according to their orders." It appears in the Records that "The angels miss a creature when he delays after his time on Friday, and they ask one another about him, 'What has such a one done, and what is it that delays him after his usual time?' So they say, 'O Allah! If poverty delays him, make him rich! If illness delays him, make him well! If work engages him, free him for Thy Divine service! If amusement delays him, turn toward him, that he may turn with his heart to Thine obedience!'"

In the first century, early at dawn and after the dawn, on Friday, the roads were seen full of men walking with lanterns, pressing together in the roads to the congregational mosques as in the Feast days, until that practice disappeared. It is said that the first innovation that occurred in Islam was the abandonment of going early to the mosque. And how should the Muslims not be ashamed before the Jews and Christians, seeing that they go early to the synagogues and churches on Saturday and Sunday, and the pursuers of this life go early to the open spaces around the congregational mosque, sell and seek profits, and why do those seeking the next abode not get ahead of them?

It is said, "Men will be near, when they look upon the Face of Allah, in proportion to the earliness of their going to the Friday Observance."

Ibn Mas'ud entered the mosque early and saw three persons who had preceded him in earliness, and was grieved at that and began to say to himself, blaming himself, "The fourth of four!" And yet the fourth of four is early.

The fifth is the manner of entry. One should not pass over the necks of the people, nor pass before them, earliness making

203. The other text has "they would run like camels."

that easy for him, for a very great threat has been issued regarding stepping over the necks, which is that he is made a bridge on Resurrection Day that men will step over. Ibn Juraij[204] has related a *mursal*[205] tradition, "lacking the authority of a Companion," that the Messenger of Allah, while he was giving the Friday address, saw a man stepping over the necks of the people until he got in front, and then he sat down. So after the Prophet had finished his Worship he went towards the man until he caught up with him and said, "O such a one! what hindered you from celebrating the Friday Observance with us to-day?" He said, "Prophet of Allah! I have celebrated the Friday Observance with you." So the Prophet said, "Did I not see you stepping over the necks of the people?" He indicated by it that he had rendered his work useless.

In a *musnad*, "supported," tradition it is related that he said, "What hindered you from worshipping with us?" He replied, "And did you not see me?" So Muhammad said, "I saw you; you procrastinated, and you did harm!" That is, "you were late from the early attendance, and you harmed the attendance."

Whenever the first row is left empty one may step over the necks of the people, for they have lost their right and have left the place of excellence. Al-Hasan said, "Step over the necks of the people who sit upon the doorways of the mosques on Friday, for they do not deserve any respect."[206]

When there are not in the mosque any but those who are at the Worship, it is fitting that he should not give the greeting, for it imposes the responsibility of an answer that would be out of place.

The sixth is that one does not pass before the people. He sits by himself, near a column or a wall, so that they may not pass before him, I mean, before the worshipper, for, although that does not stop the Worship, it is something prohibited. Muhammad said, "Indeed, that he should stand forty years were better for him than

204. 'Abd al-Malik b. 'Abd al-'Aziz b. Juraij al-Makki, *mawla* Bani Umayyah (d. 149-51, 155 A.H.).
205. Sayyid Murtada states that it lacks also the Successor's authority, and therefore is what is technically called *mu'dal*.
206. Strictly, "they have no individuality".

to pass before a worshipper."

Muhammad said, "Indeed, that a man should be ashes, fine and copious, which the winds blow away, were better for him than that he should pass before one who is worshipping."

It has been related in another tradition, regarding the passer and the worshipper, when the latter worships in the road and comes short in repelling the passer, that Muhammad said, "If the one passing in front of a worshipper and the worshipper himself could know their responsibility in that regard they would know that to stand forty years would be better for him than to pass before him."

The column and the wall and the worship-mat as spread out are a bound for the worshipper, so he should repel whoever passes by it.

Muhammad said, "Let him repel him, and, if he objects [still let him repel him, and, if he objects[207]] let him contend with him, for he is a devil."

Abu Sa'id al-Khudri[208] used to repel whoever passed before him to the extent that he threw him down, for perhaps the men hung on to him. Then the man implored the protection of Mirwan[209] against him, and then he would inform him that the Prophet ordered him to do that.

If any should not find a column let him set up before him something about a cubit long, in order that that may be an indication of his boundary.

The seventh is that he seeks the first row, for its excellence is great, as we have related in the tradition. In Tradition it is related, "Whoever causes his family to bath and bathes himself and hastens and arrives early at the mosque and gets near the *imam* and hearkens, has that as an atonement for what he committed between the two Friday Observances, along with three days extra." And in another version, it says, "Allah forgives him

207. Sayyid Murtada omits this repetition.
208. Abu Sa'id Sa'd b. Malik al-Khudri al-Ansari (d. 74 A.H.).
209. Mirwan b. al-Hakim b. Abu al-'As al-Umawi (d. 65 A.H.), fourth Umayyad khalifah.

until the next Friday Observance." It is stipulated in one of the versions that he should not step over the necks of the people.

In seeking the first row, one should not be unmindful of three things: (a) The first of them is that, when he is used to seeing, near the one giving the address, a thing disapproved by Allah, which he is unable to change, such as the wearing of silk on the part of the *imam* or someone else, or worship with a heavy weapon, which engages the attention, or a golden weapon, or something else which ought to be disapproved, then to be in back is more safe, and more concentrating for careful thought. So did a company of the learned, seeking safety.

It was said to Bishr b. al-Harith,[210] "We notice that you go early but worship in the last of the rows." So he said, "Nearness of hearts only is desired, not nearness of bodies." He indicated by it that the rear gave him greater safety of heart. Sufyan al-Thawri looked at Shu'aib b. Harb[211] near the pulpit, listening to an address from Abu Ja'far al-Mansur.[212] So after he finished the Worship he said, "Your nearness to this man disturbed my heart. Were you safe in hearing a speech, the disapproval of which is incumbent upon you, and you do not do so?" Then Sufyan mentioned what the tradition said about wearing black. So he replied, "O Abu 'Abdallah! is it not related in Tradition, 'Draw near and hear?' Then he answered, 'Woe to you! That refers to the khalifahs,[213] the orthodox, the rightly-guided, but as for these, the more you keep your distance from them and do not consider them, the nearer you are to Allah!"

Sa'id b. 'Amir[214] said, "I performed a Worship at the side of Abu al-Darda', and then he began to go back in the rows until

210. Abu Muhammad Bishr b. Mansur al-Sulami (d. 209 A.H.).
211. Shu'aib b. Harb (Abu Salih) al-Mada'ini (d. 197 A.H.).
212. Abu Ja'far al-Mansur (d. 158), second Abbasid khalifah.
213. Sayyid Murtada says these are the first four and also 'Umar b. 'Abd al'Aziz.
214. Sa'id b. 'Amir, Successor, unknown; Ibn Khalfun was sure he was Sa'id b. 'Amir b. Khudhaim (Judhaim in Sayyid Murtada is a misprint), but Ibn Hajar objected that the latter died in the khalifate of 'Umar I. Bin Khudhaim, according to the *Tajrid Asma' al-Sahabah*, governed Hims for 'Umar I (p. 240).

we were in the last row. So after we had done the Worship I said to him, 'Is it not said, "The best of the rows is the first of them?"' He replied, 'Yes, only, this people is one that has obtained mercy, and is given regard from among the peoples, and Allah, when He gives regard to a people in the Worship, forgives him and whoever of mankind is behind him. So I went back only hoping that He would forgive me on account of one whom Allah regards.' "

One of the traditionists relates that he said, "I heard the Messenger of Allah say that." So, whoever stays back for this purpose, preferring and manifesting excellence of disposition, does no harm, and of this it is said, "Works are to be judged by intentions."

(b) The second is that, if there is no enclosure[215] near the one giving the address, separated from the mosque for the use of the sultans, then the first row is liked. (Otherwise the enclosure is to be preferred.[216]) But some of the learned have expressed dislike of entering the enclosure. Al-Hasan and Bakr al-Muzani were wont not to worship in the enclosure, considering that it was restricted to the use of the sultans, as it is an innovation in the mosques that occurred after the time of the Messenger of Allah. A mosque is free for all men, and that enclosure was cut off in contradiction to this principle.

Anas b. Malik and 'Imran b. Hasin worshipped in the enclosure, and did not express dislike of that, out of desire for nearness. Perhaps the dislike is especially for its exclusiveness and the prohibition (against others worshipping in it[217]), but as for the single matter of the enclosure, if there is no prohibition, dislike of it is not obligatory.

(c) The third is that the pulpit cuts some of the rows. The first row is only the one continuous row which is in the space in the front of the pulpit, and what is on its two sides is cut off. Al-Thawri used to say, "The first row is the outside one in front

215. Sayyid Murtada adds that these were first built in the times of al-Umayyah out of fear of enemies.
216. This is omitted by Sayyid Murtada.
217. This is added by Sayyid Murtada.

of the pulpit," and it is reasonable, because it is continuous and because the one sitting in it faces the one giving the address and hears him. It might be said, "The one nearest to the *qiblah* is the first row, and no regard is paid here to (the pulpit)."[218]

Worship in the bazars and the open spaces outside the mosque is disliked. Some of the Companions used to beat the men and make them get up from the open spaces.

The eighth is that one cuts off one's preliminary Worship when the *imam* comes out (to ascend the pulpit[219]), and he stops talking also. Rather, he occupies himself with the reply to the *mu'adhdhin*, and then with hearing the address. It was the custom of some of the common people to make a Prostration at the standing up of the *mu'adhdhins* (for the Call to Worship), but there is no basis established for it in any record or tradition. But if it fits in with a Prostration of Recital there is no harm in it, for it is an excellent time to make a supplication, and there is no judgment of unlawfulness against this Prostration, for there is no cause to make it unlawful. It is related from 'Ali and 'Uthman that they said, "Whoever listens and is silent has two rewards; whoever does not listen and is silent has one rewards; whoever hears and lets a word[220] slip has two sins against him, and whoever does not bear and lets a word slip has one."

Muhammad said, "Whoever says to his companion, while the *imam* is making the address, 'Be silent,' or 'Hush', has himself let a word slip, and whoever lets a word slip while the *imam* is making the address has no Friday Observance to his credit." This indicates that causing others to be silent should be by gesture, or by throwing a pebble, not by utterance.

In the tradition of Abu Dharr[221] it is stated, "When he questioned Ubayy while the Prophet was making an address and said, 'When was this *surah* sent down?' Ubayy gestured to him to keep silent. So when the Messenger of Allah came down from the pulpit Ubayy said to him, 'Go, and you have no Friday

218. The other texts read "to this meaning".
219. This is Sayyid Murtada's explanation.
220. This is Sayyid Murtad'a's definition.
221. Abu Dharr al-Ghifari, Companion (d. 32 or 33 A.H.).

Observance.' So Abu Dharr complained to the Prophet, and he relied, 'Ubayy spoke the truth.'"

If anyone is far from the *imam* it is not fitting that he should talk, about learning or anything else, but rather keep silent, since all that has its chain of consequences, and results in murmuring, so that it reaches the listeners. He does not sit in a circle with anyone who is speaking. So, let whoever is unable to listen on account of his distance keep quiet, for that is liked. Since the Worship is disliked in the time of the address of the *imam*, much more is talking disliked. 'Ali said, "The Worship is disliked at four times: after *'asr*, 'mid-afternoon', at mid-day and while the *imam* is making the address."

The ninth is that he observe, in following out the *imam's* pattern in the Friday Observance, that which we have mentioned in regard to the other Worships. So, when he hears the Recital of the *imam*, he does not recite anything but the Fatihah, When he finishes the Friday Observance he recites the *surah* of "The Praise[222] belongs to Allah" (i), and, "Say, It (the fact) is, Allah is One!" (cxii), and the two *surahs* of Seeking Refuge (cxiii., cxiv.), each seven times. One of the Fathers related that whoever does that is preserved from sin from one Friday Observance to the next Friday Observance, for it is a guard for him against Satan.

It is liked that he say, after the Friday Observance, "O Allah! O Rich One! O One of Praise! O Beginner! O Returner! O Merciful! O Loving One! make me, by Thy lawful things, do without Thine unlawful things, and, by Thy favour, any other besides Thyself!" It is said, "Whoever perseveres in this supplication has Allah make him do without His creatures, 'and apportions him a sustenance from a source he does not expect'" (Qur'an, lxv. 2).

Then, after the Friday Observance, he performs a Worship of six *rak'ahs*. Ibn 'Umar has related that Muhammad used, after the Friday Observance, to perform a Worship of two *rak'ahs*, and Abu Hurairah states four, and 'Ali and 'Abdallah b. 'Abbas six and all are valid, in different circumstances, and the most complete is the Friday most excellent.

222. This is one of the names of the Fatihah; the list of them is given in Sayyid Murtada, V, 132 C.

The tenth is that he remains at the congregational mosque until he performs the *'asr* Worship, and if he should remain until the Sunset one, that would be most excellent. It is said, "Whoever performs the *'asr*, 'mid-afternoon,' Worship in the mosque has the reward of a Pilgrimage, and whoever performs the Sunset one has the reward of a Pilgrimage and a minor visit to the Ka'bah."

If he is not safe against merely affecting a goodly way and against the coming of evil (e.g., pride) upon him from men's looking upon him in his Worship in retreat, or, if he fears wading into something that does not concern him, it is more excellent that he should return to his house, invoking the remembrance of Allah, considering His benefits, thanking Allah for His giving of help, fearful of his coming short, watching over his heart and his tongue until the setting of the sun, so that the "hour of honour" may not escape him. He does not engage, in the congregational mosque or the other mosques, in talk of this life. Muhammad said, "There will come upon men a time when their talk in the mosques will be of this life's concern. Allah is not in need of them, so do not sit with them."

Exposition of the Proprieties and Usages Not Included in the Preceding Arrangements

This applies to the whole day and is in seven particulars.

The first is that he is present at the assemblies of learning in the early morning and after mid-afternoon, and does not attend the gatherings of the story-tellers, for there is no benefit in their talk. It is fitting that the devotee should not be unoccupied during the whole of Friday with good deeds and supplications, so that the "hour of honour" may meet him while he is at some good. It is not fitting that he should be present at the circles of men before the Worship. 'Abdallah b. 'Umar related that the Prophet forbade sitting in a circle on Friday before the Worship, unless there is one knowing about Allah, who reminds of the days of Allah, and gives understanding in the religion of Allah, speaking in the congregational mosque in the early morning. Then he may sit before him and so will be uniting early attendance and hearing. The hearing of learning beneficial in the next abode is more excellent than his occupying himself with supererogatory performances of the Worship. For Abu Dharr has related that

presence at an assembly of learning is more excellent than a Worship of a thousand *rak'ahs*.

Anas b. Malik said, about the saying of Allah, "And when the Worship is finished, scatter abroad in the earth, and desire some of the favours of Allah" (Qur'an, lxii. 10), "Is it not that it is not seeking this life, but visiting some sick one, and being present at a funeral, and acquiring learning and calling on a brother in Allah?" Allah has called learning excellent in a number of places. He said, "And He taught you what you did not know, and the favour of Allah to you was great" (Qur'an, iv. 113). He said, "And We indeed brought David favour" (Qur'an, xxxiv. 10), meaning learning. So acquire learning on this day. Teaching is one of the most excellent of good works. Worship is more excellent than sitting with the story-tellers, since they were used to consider it an innovation, and to exclude story-tellers from the congregational mosque.

Ibn 'Umar was present[223] at his place of sitting in the congregational mosque, and behold, a story-teller was telling a story in his place. So he said, "Get up from my sitting place!" Then he replied, "I'll not get up, for I have sat down and got to it before you!" So Ibn 'Umar went to the master of the guard and he got him up. But if that (i.e., story-telling) were a part of the *sunnah*, Usage, to get him up would not have been lawful, for, indeed, Muhammad has said, "Do not, by any means, any of you, get his brother up from his sitting-place and then sit there, but make room and be comfortable." Ibn 'Umar, whenever a man got up for him from his sitting-place, used not to sit in it until the man should return to it. It is related that a story-teller sat in the space before the room of 'A'ishah, so she sent to Ibn 'Umar, "This one has harmed me by his stories, and distracted me from my Supererogatory Worship." So Ibn 'Umar beat him until he broke his stick over him, and then cast him out.

The second is that he watch well for the "hour of honour", for, in the *mashhur*, "well-known," tradition, it is related that on Friday there is an hour that no Muslim creature meets while asking something of Allah without His giving it to him. In another

223. The other texts read "went early to".

tradition it is said, "Does not come upon it while worshipping." There is disagreement for it is said, "It is the hour of the appearing of the sun," and it is said, "It is the passing of the meridian," and it is said, "with the Call to Worship," and it is said, "When the *imam* mounts the pulpit and begins the address," and it is said, "When the people stand up for the Worship," and it is said, "The last part of the time of *'asr*, 'mid-afternoon,' I mean, in the 'hour of preference,' "[224] and it is said, "Before the setting of the sun."[225] Fatimah[226] used to observe that time, and order her servant to look at the sun, and inform her of its going down. Then she would begin with Supplication and Seeking Forgiveness, until the sun set, and she used to relate that hour was the one waited for, and that she handed it on from her father. Some of the learned said, "It is undefined during the whole day, like the Night of Decree, so that those who supplicate may do much watching for it." It is said, "It moves about among the hours of Friday, like the moving about of the Night of Decree." And this is the more likely. It has a mystery which it is not fitting to mention in the Science of Practical Religion. Notwithstanding, it is fitting that he should believe that Muhammad said, "Your Lord has in the days of your age gifts. Is it not so? Therefore, address yourselves to them."

Friday is one of that whole number of days, so it is fitting that the creature should be, during the whole day, attentive to

224. The 'asr is divided by al-Bajuri into five periods, as regards the acceptability of the Worship, termed the times of (1) excellence; (2) preference; (3) allowability; (4) allowable but disliked; and (5) prohibition. Others add (6) the time of necessity, which is the last when it may be done; (7) excusable, at noon; (8) the time of overtaking; and finally (9) the time when the Substitution payment is made.

The sunset has one period; the evening has two, of preference and of allowability; the morning has five, and noon has one extended period. Al-Bajuri, *Commentary on Abu Shuja'*, I, 128f.; *Kitab al-Salah, fasl* i.

225. Sayyid Murtada says there are more than twenty statements about it, and al-Ghazzali mentions only as many as Abu Talib has in the *Qut al-Qulub*.

226. Fatimah, the daughter of Muhammad (d. 11 A.H.).

it, by presenting his heart and continuing in the remembering, and discarding the evil suggestions of this life. Then perhaps he will have the good fortune to obtain some of those gifts. Ka'b al-Ahbar has said, "It is in the last hour of Friday, and that is at the setting of the sun." Then Abu Hurairah said, "And how is it the last hour, when I heard the Messenger of Allah say, 'No creature who is worshipping meets it,' but the setting of the sun is not a time for Worship?" Then Ka'b replied, "Did not the Messenger of Allah say, "Whoever sits down waiting for the Worship is himself at Worship'?" He replied, "Yes, indeed!" He rejoined, "So then, that is Worship!" And Abu Hurairah kept silent. Ka'b was inclined to the idea that it was a mercy of Allah to those who performed the rightful duties of this day, and the time of sending it was at the finishing of the work.

In short, this time is honourable, along with the time of the *imam*'s mounting of the pulpit, so let him increase supplication at those two times.

The third is that it is liked to increase the intercession for the Messenger of Allah on this day. For Muhammad said, "Whoever performs the intercession, *salah*, for me on Friday eighty times, has Allah forgive him the sins of eighty years."

It was said, "Messenger of Allah, what is the manner of the intercession for you?" He replied, "You say, 'O Allah, bless (*salli'ala*), Muhammad, Thy creature, Thy Prophet, Thy Messenger, the unlettered[227] Prophet,' and count one. It is also well if you should say, 'O Allah, bless Muhammad and the family of Muhammad with a blessing, *salah* that to Thee is pleasing and of his right is a fulfilment, and give him access and send him to the station of glory that Thou didst promise him, and reward him on our behalf what he is worth, and reward him on our behalf the most excellent of that with which Thou hast rewarded any prophet on behalf of his people, and bless him and all his brethren among the prophets and among the righteous, O Thou most merciful of those showing Mercy.'" You say this seven times, for

227. *Al-ummi*, says Sayyid Murtada, may mean "unlettered," or "Meccan," or "the one with the Fatihah, the Mother of the Book" (Sayyid Murtada, II, 34 D).

it has been said "Whoever says it on seven Fridays seven times each Friday has obligatory for him the intercession of Muhammad."

If one wishes to do more, let him bring the traditional intercession (*salah*) and say, "O Allah, cause the excellence of Thy blessing, Thy growing benefactions and the honour of Thy benevolences, mercy and felicitation to come upon Muhammad, who is the chief of those sent by Thee, the leader of those fearing Thee, the Seal of the Prophets, the Messenger of the Lord of the worlds, the Captain of Good and the Conqueror of Righteousness, the Prophet of Mercy and the Chief of the People. O Allah, send him to a station of glory through which his nearness increases and by which his eye is refreshed and on account of which the first and the last emulate him without envy. O Allah, give him favour, excellence, honour, access, the exalted degree and the lofty, overtopping position. O Allah, give Muhammad his request, extend him his hope, make him the first intercessor, and the first successful intercessor. O Allah, establish his argument, weigh down his balance, make effective his cause, and exalt his degree among the highest of those with Thee. O Allah, assemble us in the party and make us to be of the people of his intercession! Make us live according to his Usage, and cause us to die according to his religious party, and bring us to his watering place, and give us drink in his cup, unashamed, not regretting, not doubting, not changing, not trying others, and not tried! *Amin*! O Lord of the Worlds!"

In short, whatever expression of the blessing one uses, even though it should be the well-known expression of the Witnessing, he is one that is saying the Blessing upon the Prophet. It is fitting that he should join to it the Seeking Forgiveness, for that also is liked on this day.

The fourth is the Recital of the Qur'an. So let him recite much of it. Let him recite the Surat al-Khaf, Cave (xviii.), especially, for it has been related from Ibn 'Abbas and Abu Hurairah in a tradition traced back to the Prophet that whoever recites the Surat al-Kahf on the eve of Friday or on Friday is given a light from where he recites it to Mecca, and he is forgiven until the next Friday, along with three days extra, and 70,000 angels intercede for him until he enters upon the morning and he is preserved from illness, disease of the stomach, pleurisy, leprosy, elephantiasis and the testing of the Antichrist.

It is liked that he finish a recital of the Qur'an on Friday and the eve of Friday, if he can, and let his finishing be in the two *rak'ahs* of the Dawn Worship if he has been reciting in the night, or in the two *rak'ahs* of the Sunset Worship, or between the Call to Worship and the Institution of the Friday Observance, for it has great excellence. The pious, *'abidun*, used to like to recite on Friday, "Say, He is Allah, One!" (cxii.) a thousand times. It is said, "Whoever recites it in ten *rak'ahs*, or twenty, does what is more excellent than an entire recital of the Qur'an."

They used to make intercession for the Prophet a thousand times. They used to say, "O the Praise of Allah," and "The Praise is Allah's" and "There is no god but Allah," and "Allah is greater," a thousand times. If he recites the six Praises on Friday or the eve of Friday it is well. It is not recorded from the Prophet that he used to recite the *surahs* in their total substance except on Friday, and on the eve of Friday.

He used to recite at the Sunset Worship of the eve of Friday, "Say, O ye unbelievers!" (cix.) and "Say, He is Allah, One!" (cxii.). He used to recite in the last of the evening Worships on the eve of Friday, Surat al-Jumu'ah (lxii.) and al-Munafiqun (lxiii.). It is related that he used to recite them both in the two *rak'ahs* of the Friday Observance. He used to recite in the Morning Worship of Friday Surah Sajdat Luqman (xxxi.), and Surat al-Dahr (lxxvi.), "Has there come upon men?"

The fifth is the performances of the Worship. It is liked, when one enters the congregational mosque, not to sit down until he performs four *rak'ahs* in which he recites, "Say, He is Allah, One" (cxii.) two hundred times, in each *rak'ah* fifty times. For it is handed down from the Messenger of Allah that whoever does so will not die until he sees his place of sitting in the Garden, or it is seen for him.

He should not omit the two *rak'ahs* of the Greeting, even if the *imam* should be making the address, but he should be brief. The Messenger of Allah ordered that. In a *gharib*,[228] "strange,"

228. *Gharib*, "strange" "rare"; if a tradition is transmitted by only one definite person of later generations, it is called *gharib* in reference to that person.

tradition, it is related that Muhammad kept silent for one entering the mosque until he performed the two *rak'ahs*. The Kufis said, "If the *imam* pauses for him, he performs them."

It is liked on this day that he should perform a Worship of four *rak'ahs* with the four *surahs* of al-An'am (vi.), al-Kahf (xviii.), Ta-Ha (xx.), and Ya-Sin (xxxvi.). If he cannot recite them well he recites Surah Ya-Sin, Surah Sajdah Luqman (xxxi.), Surat al-Dukhan (xliv.) and Surat al-Mulk (lxvii.). He should not omit reciting the four *surahs* on the eve of Friday, for there is great excellence in them. Whoever cannot recite them well should then recite what he can do well, and it is equal to the complete recital of the Qur'an for him. He should do much of the recital of the Surat al-Ikhlas (cxii).

It is liked that he should perform the Worship of the Praise, according to the manner that shall be mentioned in the Chapter on the Voluntary Worship, for Muhammad said to his uncle, 'Abbas,[229] "Use it in the Worship on every Friday." Ibn 'Abbas was wont not to omit performing this act of Worship on Friday after the passing of the meridian, and used to tell of the grandeur of its excellence. The best is that he should devote his time up to the passing of the meridian to the Worship itself, and after the Friday Observance until mid-afternoon, to the hearing of learning, and after that until sunset, to the Praise, and the Asking of Forgiveness.

The sixth is almsgiving. It is liked on this day and excels in excellence on this day especially, for it is multiplied, except for one who asks while the *imam* is making the address, and talks during the address of the *imam*, for this is disliked. Salih b. Muhammad[230] said, "A poor man begged on Friday at the side of my father. So a man gave a bit to hand it to him, but my father did not take it from him." Ibn Mas'ud said, "Whenever a man begs in the mosque he is worthy not to receive. Whenever he begs on the Qur'an, do not give to him." Of the learned there

229. Abu al-Fadl 'Abbas b. 'Abd al-Muttalib, uncle of Muhammad (d. 32 A.H.).

230. Salih b. Ahmad b. Muhammad b. Hanbal al-Shaibani (d. 265, 266 A.H.).

are some who dislike giving alms to beggars in the congregational mosques, who step over the necks of the people, unless he beg standing or sitting in his place without stepping over.

Ka'b al-Ahbar said, "Whoever is present at the Friday Observance and then goes out and gives two different things of the things that are given as alms, and then returns and performs two *rak'ahs*, completing their Bowing, their Prostration and their humbleness, and then says, 'O Allah, I ask Thee by Thy name, in the name of Allah, the Merciful and Compassionate, in the name of Him besides Whom there is no God, the Living, the Self-Existent, whom neither slumber takes nor sleep,' does not ask Allah anything but He gives it."

Some one of the Fathers said, "Whoever feeds a poor man on Friday and then goes early and is early at the congregational mosque, and does not harm anyone, and then, when the *imam* gives the Salutation at the close of the Worship, says, 'In the name of Allah, the Merciful and Compassionate, the Living, the Self-Existent One, I ask Thee that Thou forgive me and have mercy on me, and preserve me from the Fire,' and then makes supplication for what seems good to him, is answered."

The seventh is that he should spend Friday for the next abode. So he withdraws in its from all the works of this life, and does many *wirds*,[231] "devotional recitals," in it. He should not begin a journey in it, for it is related that whoever makes a journey on the eve and early part of Friday has his two angels invoke curses upon him, for it is forbidden after the appearance of dawn, except when the company of fellow travellers will pass on. Some of the Fathers disliked buying water in the mosque from the water-carrier, for drinking or donating it, in order that it might not be bought in the mosque, for selling and buying in the mosque are disliked. But they said, "There is no harm, were he to give the bit of money outside the mosque, and then drink it or donate it to others as a religious service in the mosque."

In short, he should, on Friday, do more of his *wirds*, Recitals, and of his various good works, for whenever Allah loves a creature, He occupies him in the excellent times in excellent works.

231. This is Book X of the first Quarter of the *Ihya'*.

Whenever He hates him, He occupies him in the excellent times in evil deeds, that may be more productive of pain in his punishment and more intensifying of the hate of him, because of his refusal of the blessing of the time and his violation of the sacredness of the time.

On Friday, certain *du'a's*, Supplications, are liked, and mention of them will be made in the Book of *Da'awat*,[232] Supplications, if Allah will, and may Allah bless every elect creature!

232. This is Book IX of the first Quarter of the *Ihya'*.

6

Various Problems Which Cause General Distress and Which the Devotee Needs to Know

The problems which are of rare occurrence we have investigated in the Books of *Fiqh*, Canon Law.

The Problem of the Slight Act. Although it does not invalidate the Worship, it is disliked, unless there is need for it. That kind of act is the repelling of a passers-by and the killing of a scorpion that one fears and can kill with one or two blows, but whenever they become three, they are too many, and invalidate the Worship. Similarly, one may get rid of a louse and a flea, whenever one suffers from them. Similarly, his need of scratching, which disturbs him from humbleness. Ma'adh used to catch a louse and a flea, during the Worship, and Ibn 'Umar used to kill a louse and a flea during the Worship, so that the blood would appear on his hand. Al-Nakha'i said, "You catch it and disable it and there is nothing against one if one kill it." Ibn Musayyab said, "He takes it and benumbs it and then throws it down." Mujahid[233] said, "The most liked thing, in my opinion, is to let it alone, unless it causes one suffering, and so distracts one from one's Worship, and then one should disable it enough so that it will not cause one suffering and then throw it away."

This is a permission only, and otherwise the perfect thing is to guard against the action, even if it be slight. On that account one of them was accustomed not to brush away a fly, for he said, "I will not accustom myself to it, so that it may corrupt my Worship

233. He is not further defined, but is probably Abu Hajjah Muhahid b. Jahr (Jubair, in Ibn Khallikan), Successor (d. 101-103 or 111 A.H.

for me, seeing that I have heard that criminals before kings are patient under great suffering, and do not move."

Whenever a person yawns, there is no harm in putting his hand over his mouth, which is preferable. If he sneezes he says, "O the Praise of Allah!" to himself, and does not move his tongue. If he belches, he should not raise his head to the sky. If his cloak falls, he should not rearrange it, and so with the ends of his turban, for that is disliked, unless it is necessary.

The Problem of Worship in Sandals. It is permissible, *ja'iz*, even though removing the sandals is easy. The permission with regard to the leather socks is not on account of the difficulty of removing them, but, rather, this uncleanness is pardonable. Footwear in general comes under the meaning of leather socks. The Messenger of Allah performed worship in his sandals. Then he removed them, so the people removed their sandals. Then he said, "Why did you remove your sandals?" They replied, "We saw you remove yours, so we removed ours." He said, "Gabriel came to me to tell me that they had some dirt on them, so whenever any one of you sets out for the mosque, let him turn up his sandals, and let him look at them, and if he sees any dirt, let him scrape them on the ground, and let him worship in them."

One of them said, "Worship in sandals is more excellent because Muhammad said, 'Why did you remove your sandals?'" This is going too far, for he questioned them to show them the reason for his removing his sandals, since he knew that they removed theirs to be in accord with him.

'Abdallah b. al-Sa'ib[234] has related that the Prophet removed his sandals. So then, he did both things. But it is not fitting that one who removes his should put them on his right or his left, for that restricts the space, and cuts off the row. Rather he puts them in front of him, and does not leave them behind him, for his heart would be turning to them. Perhaps the one who thinks that Worship in them is more excellent has this idea, that is, the turning of the heart of them.

Abu Hurairah related that the Prophet said, "Whenever one of you performs a Worship, let him put his sandals between his

234. 'Abdallah b. Sa'ib, Companion, Meccan reciter of the Qur'an.

feet." Abu Hurairah said to someone else, "Place them between your feet and do not trouble any Muslim by them." The Messenger of Allah placed them at his left, while he was acting as *imam*. So the *imam* may do that, since no one stands at his left. It is preferable that he should not put them between his feet, for they would engage his attention, but before his feet. Perhaps that is the meaning of the tradition. Jubair b. Mut'im[235] said, "A man's placing his sandals between his feet is an innovation."

A Problem. Whenever he expectorates in his Worship, his Worship is not invalidated, because it is a minor act. Whatever sound does not result from is not reckoned as speech, and is not of the form of the letters of speech, only it is disliked. So, one must guard against it, except that the Messenger of Allah gave permission about it, since one of the Companions related that the Messenger of Allah saw in the *qiblah* direction an expectoration mark, and then became very angry. "Then he scrapped it with a palm-branch that was in his hand, and said, 'Bring me some mixed perfume.' So he smeared over the mark with saffron. Then he turned to us and said, 'What one of you likes to be spit on in the face?' We said, 'Not one of us.' He replied, 'Then any one of you, whenever he enters upon the Worship, has Allah between himself and the *qiblah*,' and, in another version, 'has Allah facing him'. So let not any one of you expectorate in front of his face, nor on his right, but to his left, or beneath his left foot, but if it should unexpectedly proceed from him, let him spit into his garment, and let him make it slight, and rub one part with another."

Another Problem. The standing of the imitator of the *imam* has *sunnah*, Usage, and *fard*, Prescribed, aspects. The Usage is that he stands at the right of the *imam*, drawn back from him a little. A woman alone should stand behind the *imam*, although if she should stand beside the *imam*, that would not be harmful, but she would contravert the Usage. If there should be a man with her, the man should stand at the right of the *imam*, and she behind the man. He should not stand behind the row by himself, but rather enter into the row himself, or draw to himself one from

235. Jubair b. Mut'im Companion (d. 57-59 A.H.).

the row. But if he should stand by himself, his Worship would be valid, along with dislike.

The *fard*, Prescribed, part is the continuity of the row, i.e., that there should be between the imitator and the *imam* a connecting bond, since they are in a company. So if they are in a mosque, that is sufficient as a connection, for it was built for that, and there is no need for continuity of row, but rather for this that he be cognizant of the actions of the *imam*.

Abu Hurairah performed a Worship of an *imam* on the roof of a mosque. Whenever the follower is in the front of the mosque, in the roadway, or the open space adjoining, and there is no obstacle of masonry separating them, the nearness of the measure of the distance of the bowshot of an arrow is sufficient. There is sufficient bond in the Worship when the action of one of them reaches the other. But continuation is stipulated only when one stands in the courtyard of a house at the right of the mosque, or the left, with its door cleaving to the mosque, and the Stipulation is that the row of the mosque extend in the courtyard's passageway, without a break, to the court. Then the Worship of whoever is in that row and behind is valid, but not the Worship of the one who is in front of it. This is the rule of the separated buildings, but a single building and a single court are like an open space.

Another Problem. (a) Whenever the late-comer arrives in time for the last of the Worship of the *imam*, that is the first of his Worship. So let him come into accord with the *imam*, and let him build upon that, and let him recite the *qunut*, Supplication, in the morning at the last of his own Worship, even though he has recited the *qunut*, Supplication, in the morning at the last of his own Worship, even though he has recited the *qunut*, Supplication, along with the *imam*.

(b) If he is in time for part of the Standing Posture along with the *imam*, he should not engage in the Supplications, but let him begin with the Fatihah, and let him do it quickly. Then, if the *imam* does the Bowing before he finishes the Fatihah, and he is able to catch up with him on his rising from the Bowing, let him finish it. But if he is unable, he gets into accord with the *imam* and bows when he does. A part of the Fatihah has the authority of the whole of it, so the Fatihah falls away from him

because of their going ahead of him. If the *imam* bows while he is in the midst of reciting the *surah*, let him break it off.

(c) If he overtakes the *imam* in the Sitting or the Witnessing portions of the Worship, he says the *takbirat al-ihram*, and then he sits. He does not say the *takbir* of the transitions when he overtakes the *imam* in the Bowing, for he says the *takbir*, a second time in the bending over, for that is a transition reckoned to belong to it, and the *takbirs* are for the original transitions in the Worship, not for incidents on account of the imitation of the *imam* on the part of the follower who is late. But he does not overtake the *rak'ah* so long as he does not come to rest in bowing while the *imam* is still within the time limit of those bowing with him. For, if his coming to rest at the Bowing is not complete until after the *imam* has passed out of the time limit of those bowing, that *rak'ah* escapes him.

A Problem. (a) Let anyone whom the Noon Worship escapes up to the time of mid-afternoon perform the Noon Worship first, and then the Afternoon one. But if he begins with the Afternoon Worship, that may do, but he has left what is preferable, and heedlessly risked the appearance of heterodoxy. However, if he finds an *imam* to follow, let him perform the Afternoon Worship and then let him perform the Noon Worship after it. The Congregational Worship has first claim to performance.

(b) But if he performs a Worship by himself in the early part of the period, and then overtakes the Congregational Worship, he should perform the Worship in the congregation, and state the Intention of the Worship of the time, and Allah will take account of whichever one He wills.

(c) But if he states the Intention of a Worship that escaped, or a *tatawwu*, Voluntary, Worship, it is permitted.

(d) If he has just performed a Worship in the congregation, and then overtakes another congregation, let him state the Intention of an escaped Worship, or a *nafl*, Supererogatory, Worship, for the repetition of the payment of the Worship in the congregation another time has no reason, and is admissible only for the sake of securing the excellence of the Congregational Worship.

Another Problem. When one has performed a Worship, and then sees on one's garment of some uncleanness, the most liked thing is to perform a Substitute Worship, but it is not incumbent upon one and if one should see the uncleanness is the midst of the Worship, one casts off the garment and finishes the Worship. The most liked is beginning again. The basis for this is the story of the Prophet's taking off his sandals when Gabriel informed the Messenger of Allah that there was some uncleanness upon them, for he did not begin the Worship anew.

Another Problem. Anyone who leaves out the First Witnessing or the *qunut*, Supplication, or leaves out the Blessing for the Messenger of Allah, in the First Witnessing, or commits a heedless Act, so that the Worship becomes invalid through something determinated, or who is in doubt and does not know whether he performed a Worship of three *rak'ahs* or four, in these cases begins with what he is sure about, and performs two Prostrations of Forgetfulness before the Salutation. And if he forgets then he performs them after the Salutation whenever he remembers after a short time. For if he performs a Prostration after the Salutation and after he has done something that invalidates his state of ceremonial cleanness, his Worship is invalid. For, after he enters upon the Prostration, it is as if he makes his Salutation out of place through forgetfulness, so validation does not result because of it and he may return to the Worship. So, for that reason, he makes a new Salutation after the Prostration. But if he remembers about the Prostration of Forgetfulness after leaving the mosque, or after a long period, it has escaped.

Another Problem. Evil Suggestion during the Intention to Perform the Worship. Its causes is unsoundness in the mind, or ignorance of the religious law. For, obedience to the command of Allah is like obedience to the command of anyone else, and magnifying His is like magnifying anyone else, so far as purpose is concerned. Anyone who has a learned man come to him rises for him. Then were he to say, "I have the intention to rise and stand, magnifying the entrance of the honourable Zaid, on account of his excellence, synchronising my action with his entrance, turning to him with my face," he would be weak-minded. Nay, but as he sees him, and becomes aware of his excellence, the impulse to magnify rises in him of itself, and makes him stand up, and he becomes a

magnifier, except when he rises for some other occupation, or rises in a state of unmindfulness.

The Stipulation for the Worship to be "noon," "a regular payment," and "prescribed," so that the obedience may be complete, is like the stipulation for the standing of the host to be united with the entrance of the learned man, along with facing the one coming in, and along with the non-existence of any other motive but that, and united with the purpose of magnifying him by means of the standing up, in order that the standing up may be a magnifying. For, if he were to stand up, turning his back, or wait and then stand up after a while, he would not be a magnifier.

Next, these qualities must needs be known and intended by the worshipper. Next, there presence in the self does not occupy so long as a single moment, but only the setting in order of the expressions which indicate them is long, whether it be the utterance of them by the tongue or the thinking of them in the heart. So, whoever does not understand the Intention of the Worship after this sort, does not understand what intention is. For there is nothing more in it but that you were summoned to perform the Worship at a certain time, and you responded favourably and stood up to perform it. So, distraction through evil suggestions from Satan is sheer ignorance, for these purposes and these knowledges are united in the self in one state, and are not separated out into individual elements in the mind in such a way that the self may graze upon and consider them, for there is a difference between the presence of a thing in the self and differentiating it in the thought. Presence is the opposite of absence and unmindfulness, even though it is not differentiated. For, anyone who has knowledge of an originated thing, for instance, knows it in one knowledge and one state, but this knowledge includes knowledges which are present even though they are not differentiated. For, anyone who has knowledge of an originated thing has knowledge of the existent and the non-existent, and of coming before and coming after, and time, and knows that the coming before belongs to non-existence and coming after to existence. These knowledges are comprised under the knowledge of the originated thing, by the proof that anyone who has knowledge of an originated thing and has no further knowledge about it, and were he asked, "Did you know the coming before only, or the coming after, or non-

existence, or the preceding of the non-existence, or the coming after of the existence, or time, which is divided into past and future?" should reply, "I have never known it," would be a liar, and his speech would be contradictory to his saying, "I know the originated thing."

From ignorance of this point distraction is aroused. Then indeed the distracted man imposes on himself the task of making present in his heart that it is a noontime act, and that it is a performance of a duty at its appointed time, and that it is prescribed, all in one state, differentiated into its various expressions while he observes them, which is absurd. Were he to impose that task on himself in standing up for a learned man, it would be impossible for him. So, by this knowledge, distraction is warded off, and it is simply that he knows that obedience to the command of Allah in the Intention is like obedience to the command of someone else.

Furthermore, I add to it, by way of facilitation and permission, and say, Were the one who is distracted not to understand what the Intention is without the presence of these things separately, and were he not to picture within himself the obedience of a single act, and were he to present the whole of that during the *takbir*, from its beginning to its end, so that he would not finish the *takbir* without having secured the Intention, he should let that suffice him. We would not burden him with the task of joining the whole to the beginning of the *takbir* or to the end of it, for that would be an excessive burden. Had that been commanded, a question about it would have occurred to the first believers, and one of the Companions would have been distracted in the Intention. So, the absence of the occurrence of that is a proof that the command is on an easy basis. Therefore, it is fitting that the one who is distracted should be content with whatever way is made easy for him, so that it may become habitual for him, and distraction may leave him. He should not demand of himself meticulous precision in that, for the effort to be precise increases distraction. We have mentioned in the *'Fatwas*,[236] aspects of the precise requirements in the analysis of the cognitions and purposes connected with the

236. 'This is a collection of 190 *fatwas*, and is mentioned in Sayyid Murtada, I, 42.

Intention. These the learned need to know. But as for the generality of men, perhaps it would hurt them to hear them, and arouse distractions. So, for that reason, we have left them out of the present discussion.

Another Problem. It is fitting that the follower should not precede the *imam* in the Bowing and the Prostration and the rising up from them, or in the rest of the acts, and should not do them at the same time with him, but follow him, and follow his pattern, for this is the meaning of *al-iqtida'*, "the imitation". If he should do them at the same time with him intentionally, his Worship would not be invalid, just as if he were to stand by his side without being back of him. But if he were to precede him in any Element, then, as regards the invalidation of his Worship, there is disagreement. It would not be far out to judge it invalid, comparing it with the case when he is in advance of the *imam* in position. Nay, rather, this is preferable, for the Congregational Worship is an imitation in act, but not in position, and following the *imam* in act is more important. The Stipulation to leave the position in advance of the *imam* is only to facilitate following in act and to secure the appearance of following, since that which is suitable for the one imitated is to be in advance. So, to be in advance of him in act has no justification; unless it is some forgetfulness. Therefore, the Messenger of Allah expressed strong disapprobation of it, for he said, "Is not he who raises his head before the *imam* does afraid that Allah will turn his head into the head of a donkey?"

As for being behind one Element, that does not invalidate the Worship. That is that the *imam* should take the erect position after his Bowing, while the follower has not yet bowed. But being behind to this extent is disliked. If the *imam* places his forehead upon the ground while he has not finished up to the time-limit of those bowing, his Worship would be invalid. Likewise, if the *imam* places his forehead for the second Prostration while he has not performed the first Prostration.

Another Problem. It is incumbent upon one who is present at the Worship, whenever he sees a mistake of someone else in his Worship, to charge him and express disapprobation of him. If it issued from an ignorant one, he should accompany the ignorant

one and instruct him. Examples of this are the command to rectify the rows and to prevent standing alone outside the row, and the disapprobation of one who raises his head before the *imam*, and so on. Muhammad has said, "Woe be to the one who knows, proceeding from him who does not know, when he does not instruct him!" Ibn Mas'ud said, "Whoever sees one making a mistake in his Worship and does not forbid him is a sharer in his sin." It is related from Bilal b. Sa'd[237] that he said, "A mistake, when it is unapparent, does not harm any but its maker, but whenever it is made apparent and is not changed, it harms the people." It occurs in Tradition that Bilal used to rectify the rows and strike men's tendons of Achilles with a whip. It is related from 'Umar that he said, "Find out about your brethren in your Worship, and whenever you have found out about them, if they are ill, visit them, and if they are well, remonstrate with them, by expressing disapprobation of one who has left the Congregational Worship."

It is fitting that he should not act gently about it. The first believers used to go far in this, in so much that one would carry to bier to some who turned their backs on the Congregational Worship, pointing to the fact that the dead are the ones who may remain away from the Congregational Worship, and not the living.

Whoever enters the mosque should make for the right side of the row. For that reason the men pressed together for it in the time of the Messenger of Allah, in so much that it was said to him. "The left side is unused." So he said, "The one who builds up the left side of the mosque has two portions of reward." Whenever anyone finds a lad in a row, and does not find a place for himself, he should oust him and occupy it, I mean, whenever he has not attained to the age of puberty.

So this is what we have wished to mention of the problems that are a common cause of distress. There will follow the rules for the separate performances of the Worship in the Book of *Wirds*, "Devotional Recitals,," if Allah will.

237. Bilal b. Sa'd, Story-teller, Successor (d. 120 a.h.).

7

Supererogatory Performances of the Worship

Know that the performances of the Worship that are not *fard*, Prescribed, are divided into three parts: the *sunnah*, Usage, the *mustahabb*, Liked, and the *tatawwu'*, Voluntary.

We mean by the *sunnah*, Usage, those of which it is handed down from the Messenger of Allah that he consistently performed them, such as the *ratibah*, Fixed, performances following the *fard*, Prescribed, performances of the Worship; the *duha*, Forenoon, Worship; the *witr*, Odd, Worship, the *tahajjud*, Night, Worship and others, for the word *sunnah*, "usage", is an expression, of "the way that has been walked in".

We mean by the *mustahabb*, Liked, those whose excellence Tradition has reported, but the consistent performance of which has not been handed down, as we shall repeat in the Worship of the Days and Nights of the Week, and such as the Worship on going out of a dwelling, and entering it, and such like.

We mean by the *tatawwu'*, Voluntary, Worship those that come after that, which no tradition reports in particular, but which a creature does voluntarily, inasmuch as he is desirous of communion with Allah through a Worship whose excellence the religious law reports in a general way, and by which he shows himself to be free giver, since he was not urged to that Worship in particular, although he is urged to Worship in general, and *tatawwu'*, "Voluntary," is an expression for a gift freely given.

I have named the three divisions *nafl*, "Supererogatory," because "supererogatory" is "additional," and the whole of them are additional to the *fard*, Prescribed, performances of the Worship.

The expressions *nafilah*, "Supererogatory," *sunnah*, "Usage," *mustahabb*, "Liked," and *tatawwu'*, "Voluntary," we desired to use in a technical sense, to define these meanings, and it is no sin for anyone to change this technical use, and there is no strictness about the terms that may be used after their meanings are understood.

Each one of these three classes has degrees of excellence that differ from one another, in accordance with whatever any traditions and records say about them and their excellence, and in accordance with the duration of the continuance of the Messenger of Allah; and in accordance with the trustworthiness and repute of the traditions which have come down about them. For that reason it is said, "The Usages of the Congregational Worship are more excellent than the Usages of the individual Worship. The most excellent of the congregational Usages is the Worship of the Two Feasts; then the Eclipse of the Sun; then the Request for Rain. The most excellent of the individual Usages is the Odd Worship; then the two *rak'ahs* of the Dawn; then the Fixed Worship which comes after these two, according to their differences."

Know that the Supererogatory Worships, with regard to their connection with the circumstances on which they depend, are divided into: (a) those dependent upon causes, such as the Eclipse of the Sun, and the Request for Rain; (b) those dependent upon seasons. Those dependent upon seasons are divided into (1) what is repeated with the recurrence of day and night, or (2) with the recurrence of the week, or (3) with the recurrence of the year. In all, there are four classes.

Class One. Those that are Repeated with the Recurrence of the Days and Nights

These are eight in number. Five are the Fixed performances of the five Prescribed performances of the Worship, and three more after them are the Forenoon Worship, the Enlivening of what comes between the two Evening Worships and the Night Worship.

The first is the *ratibah*, Fixed, performance of the morning, which is of two *rak'ahs*. The Messenger of Allah said, "The two *rak'ahs* of the dawn are better than this life and what is in it." Its time begins with the appearance of the true dawn, which is that whereof the light spreads in the horizon, rather than the first

or false dawn. The apprehension of that by the physical sight is difficult at the beginning of it, unless one learns the mansions of the moon or knows the conjuction of its appearance with the stars visible to the sight, and so deduces it from the stars. He may know it from the moon on two nights of the month, for the moon rises at dawn on the night of the twenty-sixth, and the morning appears at the setting of the moon on the night of the twelfth of the month. This is what is usual, but an irregularity enters it in some of the signs of the zodiac, and the explanation of that is lengthy. The learning of the mansions of the moon is one of the important duties of the devotee, so that he may observe by it the measurements of the times at night and in the morning.

The time of the two *rak'ahs* of the dawn elapses with the passing of the time of the Prescribed Worship of the morning, which is at the appearance of the sun. But the Usage is the payment of them before the Prescribed Worship. So, if one enters the mosque while the Worship has been instituted, let him engage in the Prescribed Worship, for Muhammad said, "Whenever the Worship is instituted, there is no Worship except the Prescribed." Then whenever he finishes the Prescribed, he stands up for those two *rak'ahs*, and performs them. The true view is that they are a payment so long as they occur before the appearance of the sun, for they follow upon the Prescribed Worship according to its time, and the order between them is a Usage in making one precede and the other follow only whenever he does not come upon a congregation. Whenever he does come upon a congregation, the order is reversed, but they remain a payment.

The liked thing is that he perform them at home, and be quick in them. Then he enters the mosque and performs the Worship of the two *rak'ahs* of the Greeting of the Mosque, and then sits down and does not perform a Worship until he performs the Prescribed Worship, During the time between the Morning Worship and the appearance of the sun the most liked thing is the *dhikr*, "invocation," and *fikr*, "meditation," and confining oneself to the two *rak'ahs* of the dawn and the Prescribed Worship.

The second is the Fixed Worship of noon, which consists of six *rak'ahs*; two come after the Noon Prescribed Worship, which is also a *sunnah muwakkadah*, "Confirmed Usage," and four come

before it, which are also a Usage, although they are inferior to the two that come last. Abu Hurairah related from the Prophet that he said, "Whoever performs a Worship of four *rak'ahs* after the sun's passing the meridian, reciting well in them, and doing their Bowing and their Prostration well, has worshipping with him 70,000 angels, asking forgiveness for him until the night." Muhammad was wont not to miss four *rak'ahs* after the sun's passing the meridian, prolonging them, and said, "The doors of heaven are open at this hour, so I like some work to rise for me then." Abu Ayyub the Helper[238] related it, and was alone in handing it down. What Umm Habibah, the wife[239] of the Prophet, related, proved this also: "He said, 'Whoever performs every day a Worship of twelve *rak'ahs*, exclusive of the Prescribed, has built for him a house in the Garden; two *rak'ahs* before the Dawn Worship; four before the Noon; two *rak'ahs* after it; two *rak'ahs* before the Afternoon, and two after the Sunset Worships.' "

Ibn 'Umar said, "I have preserved from the Messenger of Allah 'on every day ten *rak'ahs*,'" and he mentioned what Umm Habibah mentioned, except the two *rak'ahs* of Dawn, for he said, "That was an hour in which the Messenger of Allah was wont not to be visited, but my sister, Hafsah,[240] has told me that he used to perform a Worship of two *rak'ahs* in her house and then go out." He said in his tradition, "Two *rak'ahs* before the Noon, and two *rak'ahs* after the Evening Worships." So two *rak'ahs* before the Noon have become better confirmed than the whole four.

The time of that begins with the passing of the meridian. The passing is known by the lengthening of the shadow of people standing erect, inclining to the direction of the east, since the shadow of a man falls to the side of the west at the appearing of the sun, being long. So the sun continues to rise, while the shadow grows less, and swerves from the direction of the west until the sun reaches the utmost degree of its elevation, this being the measure of midday, and that is the utmost degree of the

238. Abu Ayyub Khalid b. Zaid al-Ansari (d. 52 A.H.).
239. Umm Habibah, daughter of Abu Sufyan, and one of Muhammad's wives (d. 44 A.H.).
240. Hafsah, daughter of the Khalifah 'Umar, wife of Muhammad (d. 45 A.H.).

shortness of the shade. Then, when the sun passes from the utmost degree of elevation, the shadow begins to lengthen. Then whenever the increase becomes appreciable to the sense, the time of noon begins. One knows of a surety that the passing of the meridian according to the knowledge of Allah occurred before it, but duties are not connected with anything except what comes under the observation of the sense. The amount of the shade remaining, which is cast from a man, goes on increasing, being long in winter and short in summer. The utmost degree of its length is when the sun reaches the first of Capricorn, and the utmost degree of its shortness is at its reaching the first of Cancer. One may know that by means of perserverance and measurements. Of the methods at hand for making sure, for him who is excellent at taking observations of the stars, one is that he should note the axis of the north at night, and place upon the earth a square board in a symmetrical position, so that the one of its sides towards the polar-axis is in a position, so that if you were to suppose a stone fell from the axis to the earth, and then suppose a line were extended from the place where the stone fell to the side of the board which is near it, then the line would form upon the board two right angles, that is the line would not be inclining to either one of the two sides. Then you erect a post upon the board, vertically and symmetrically, in the place of the mark (o), which is opposite the polar-axis. Its shade falls upon the board at the first part of the day, inclining towards the direction of the west on the side of line (a). Then it continues to incline until it superimposes itself on line (b), so that, as it moves, could its end be extended, it would reach in a straight line to the place of the falling of the stone, and it would be parallel to the east and the west sides of the board, inclining to neither one of them. Then, when its inclination to the west side ceases, the sun reaches the utmost degree of its elevation, and then, when the shadow swerves from the line which is upon the board to the east side, the sun has passed the meridian. This is apprehended by the sense, giving

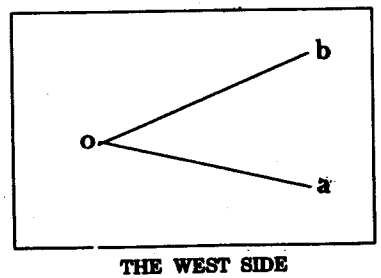

assurance of the time which is near to the beginning of the passing of the meridian as it is in the knowledge of Allah. Then you make a mark at the end of the shade when it swerves, and so, when the shadow from the mark becomes like the post itself in length, the time of *'asr*, mid-afternoon, begins. There is no harm in having this amount of knowledge of the passing of the meridian. As in drawing above.

The third is the Fixed Worship of mid-afternoon. It is four *rak'ahs* before the Mid-afternoon Worship. Abu Hurairah related from the Prophet that he said, "Allah has mercy upon any creature who performs a Worship of four *rak'ahs* before the Mid-afternoon Worship." So, doing that in the hope of participating in the request[241] of the Messenger of Allah is liked with a confirmed liking, for his request is certainly answered affirmatively. But his consistent performance of the Usage Worship before mid-afternoon was not like his consistent performance of the two *rak'ahs* before the Noon Worship.

The fourth is the *ratibah*, Fixed, Worship of sunset. It is two *rak'ahs* after the Prescribed Worship. The narratives do not agree about them. But as regards two *rak'ahs* before it, between the *mu'adhdhin's* Call to the Worship and the *mu'adhdhin's* Institution of the Worship, by way of losing no time, this has been handed' down from a company of the Companions, such as Ubayy b. Ka'b 'Abadah b. Samit,[242] Abu Dahrr and Zaid b. Thabit[243] and others. 'Abadah, or someone else, said, "Whenever the *mu'adhdhin* gave the Call to Worship at sunset the Companions of the Messenger of Allah vied together in hastening to the columns to perform the Worship of two *rak'ahs*." One of them said, "We used to perform the Worship of two *rak'ahs* before sunset so that someone would come in and would suppose that we had performed the Worship and would ask, 'Have you performed the Worship of the sunset?'" That is included in the general application of the statement

241. In the *Durrah*, Ghazzali relates a tradition that on Resurrection Day Muhammad's supplication will be: "My people! O my Lord! Give them peace!"
242. 'Abadah b. Samit (d. 34 A.H.).
243. Abu Sa'd Zaid b. Thabit b. al-Dahhak al-Ansari, Compiler of the Qur'an.

of Muhammad, "Between every two calls[244] to Worship there is a time of Worship, for whoever is willing." Ahmad b. Hanbal used to perform them and then the people remonstrated with him, so he abandoned them. Then he was asked about that, so he said, "I did not see the people performing them so I abandoned them." And he said, "If a man performs them in his house, or a place where the people would not see him, that would be well."

The time of the setting of the sun begins at the disappearance of the sun from the sight in level countries which are not encompassed by mountains. If they are encompassed by mountains in the direction of the west, one pauses until one sees the approach of darkness on the side of the east. Muhammad said, "Whenever night approaches from there and day departs from their, the one fasting enters upon the time of the breaking of the fast."

The most liked thing is to lose no time in performing the Worship of sunset especially. If you delay and perform the Worship before the disappearance of the red after-glow, it would be a payment of the Worship in the prescribed time, but it is disliked. 'Umar delayed the Worship of sunset one night until stars appeared, so he freed a slave. Ibn 'Umar delayed it until two stars appeared, so he freed two slaves.

The Fixed performance of the last Evening Worship is four *rak'ahs* after the Prescribed. Evening Worship. 'A'ishah said, "The Messenger of Allah used to perform a Worship of four *rak'ahs* after the last Evening Worship. We would then sleep."

Some of the learned chose from the whole body of the traditions to hold that the number of the *ratibah*, Fixed, Worships was seventeen, like the number of the Prescribed Worships: two before the Morning, four before the Noon, and two after it, four before the Afternoon, and two after the Sunset, and three after the last Evening Worship, this being the Odd Worship. When the traditions which have come down about this are known, there is no sense in conjecturing about it. For Muhammad has said, "The Worship is the best task, so whoever will does much, and whoever will does little."

244. The *adhan* Call, and *iqamah*, Institution, explains Sayyid Murtada.

So then the choice of every devotee from these Voluntary Worships is in the measure of his desire for good. So it has appeared in what we have mentioned that some of them are better confirmed than others, and to abandon the better confirmed ones is certainly less desirable. The Prescribed Worships are completed by the Supererogatory ones, and so to the one who does not seek much of them for himself it will soon happen that his Prescribed Worship will not be sound without a restorer.

The sixth is the *witr*, Odd, Worship. Anas b. Malik said, "The Messenger of Allah used to perform a *witr* Worship after the Evening Worship with three *rak'ahs*, reciting in the first, 'Say the Praise of the name of thy Lord Most High!' (Qur'an, ixxxvii.), and in the second, "Say, O ye Unbelievers' (cix.), and in the third, 'Say, He is Allah, One' (cxii.)."

It occurs in Tradition that Muhammad used to perform, after the *witr* Worship, a Worship of two *rak'ahs* in a sitting position, and in some of them it is said, "sitting cross-legged". In some traditions it is said, "When he wished to get into his bed, he dragged himself to it, and performed a Worship of two *rak'ahs* before he lay down, reciting in them, 'When the earth quakes' (xcix.), and Surat al-Takathur' (cii.), and in another account 'Say, O ye Unbelievers!' (cix.)."

The *witr* Worship is permissible unconnected and connected with one and two Salutations. The Messenger of Allah performed an Odd Worship with one and three and five, and so on, with odd numbers up to eleven *rak'ahs* (the narrative about thirteen is uncertain), and in an exceptional tradition, seventeen *rak'ahs*. These *rak'ahs*, I mean what we have called as a whole the *witr*, Odd, Worship, were Muhammad's Worship at night, and are the *tahajjud*, Night, Worship. The Night Worship is a confirmed *sunnah*, Usage, and its excellence will appear in the *Book of Wirds*, "Devotional Recitals".

With regard to the most excellent there is disagreement, for it is said, "To perform a single *rak'ahs* is more excellent. since, it is validated that Muhammad used to perform consistently the Odd Worship with a single *rak'ah*."

It is said, "The connected *witr* Worship is more excellent to avoid the appearance of contradiction" (of the views of others).

Especially the *imam*, since one who does not consider that a single *rak'ah* is a Worship may sometimes be led by him, if he performs a connected Worship, should state the Intention of performing a *witr* Worship by means of the whole. If he confines himself to one *rak'ah* after the two *rak'ahs* of the *sunnah*. Evening Worship, or after the Prescribed Evening Worship, he states the Intention of performing the *witr* Worship, and it is valid, because the Stipulation of the *witr* Worship is that it should be in itself odd in number, and that it would make whatever else that went before it odd, and so, it would make the Prescribed Worship a *witr* Worship. Were he to perform the *witr* Worship before the Evening Worship it would not be valid, that is, would not secure the excellence of the *witr* Worship, which is better for him than the choice parts of the flock, as the tradition about it says. And if not, the single *rak'ah* is valid at whatever time it may be performed. It is not valid before the Evening Worship only because it violates the Agreement of the people concerning the act, and because what becomes a *witr* Worship by means of it does not precede it.

But whenever one wishes to perform a *witr* Worship of three *rak'ahs* unconnected with a *fard* or *sunnah* Worship,[245] consideration is in place in regard to the statement of his Intention about the two *rak'ahs*. For, if he states the Intention of performing, by means of them, *tahajjud* Night, Worship or the *sunnah*, Usage, Evening Worship, it would not be of the *witr* class. But, if he should state the Intention to perform the *witr* Worship, it would not in itself be a *witr* Worship for the *witr* Worship would be only what comes after it. But the most obvious thing is that he should state the Intention of the *witr* Worship in the three unconnected ones. But the *witr* Worship has two meanings: one of them is that it should in itself be odd in number, and the other is that it should begin to be made a *witr* Worship by what comes after it. So the total of the three would be a *witr* Worship, and the two *rak'ahs* would be part of the total of the three, except that its quality of being a *witr* Worship would depend upon the third *rak'ah*. If he resolves to make a *witr* Worship of the two of them, by means of a third, it is for him to state the Intention of Performing a *witr* Worship by means of them, for the third *rak'ah* is a *witr* in

245. Sayyid Murtada adds "and therefore with two Salutations."

itself, and is one that renders other than itself *witr*, while the two *rak'ahs* do not make others a *witr* and they are not in themselves *witr*, but they are made *witr* by others.

It is fitting that the *witr* Worship should be the last Worship of the night, so it occurs after the *tahajjud*, Night, Worship. The excellences of the *witr*, Odd, Worship and the *tahajjud*, Night, Worship and the manner of the order between the two of them will come in the *Book of the Order of the Wirds*, "Devotional Recitals."

The seventh is the *duha*, Forenoon, Worship. Now, consistent performance of this is one of the most dutiful and excellent of acts. As for the number of its *rak'ahs*, the most, in what is handed down about it, is eight *rak'ahs*. Umm Hani,[246] the sister of 'Ali b. Abu Talib, related that Muhammad performed a Forenoon Worship of eight *rak'ahs*, prolonging them and doing them well, but no one else has handed down this amount. But 'A'ishah has mentioned that Muhammad used to perform the Forenoon Worship with four *rak'ahs* and add whatever Allah willed that he should add. So, she did not prevent additional, that is, he used consistently to do four, and not less than that, and perhaps additional. It is related in a *mufrad* tradition, "with a single authority," that the Prophet used to perform the Forenoon Worship with six *rak'ahs*.

As for its time, 'Ali related that Muhammad used to perform the Forenoon Worship with six *rak'ahs* at two times: one, when the sun appears and advances he would get up and perform two *rak'ahs*, which is the first part of the second of the *wirds*. Portions, of the Day, as shall appear later.[247] When the sun brightens up and is in a fourth of the sky on the side of the east, he would perform four. But the first is whenever the sun mounts only the measure of half a lance, and the second is whenever a fourth of the day goes, in correspondence with the Afternoon Worship, for its time is when a fourth of the day remains. Noon is at the middle of the day, and the Forenoon Worship is at the middle point between the appearance of the sun and its passing the meridian, just as mid-afternoon is at the middle point between the passing

246. Umm Hani, sister of 'Ali b. Abu Talib, wife of Muhammad.
247. This is at Sayyid Murtada. V., 140 ff.

of the meridian and the setting of the sun. This is the most excellent of the times. From the time of the ascent of the sun until what comes before its passing of the meridian, is, in brief, a time for the Forenoon Worship.

The eighth is the Enlivening of what comes between the two Evening Worships, and this is a *sunnah muwakkadah*, Confirmed Usage. From what is on record concerning the practice of the Messenger of Allah between the two Evening Worships, its number is six *rak'ahs*. The Worship has great excellence. It is said, "It is what is referred to in the saying of Allah, 'Their sides withdraw from the couches' (xxxii. 16)." It has been related from Muhammad that he said, "Whoever performs Worship between the Sunset and the Evening performs one that is a Worship of 'those who return to Allah."[248] Muhammad said, "For him who secludes himself during the time between the Sunset and the Evening Worships in a congregational mosque, not speaking except in worship,[249] or in recital of the Qur'an, there is obligation on Allah to build in the Garden two palaces, the extent of each one of them being a hundred years' journey, and set out for him between them a plantation which would contain the people of this life walking about in it." The rest of its excellences will appear in the *Book of the Wirds*, "Devotional Portions," if Allah will.

Class Two. Those That are Repeated with the Recurrence of the Weeks

These are the performances of the Worship of the days and nights of the weeks, for every day and every night.

(a) As for the days, we will begin in them with Sunday.

(1) *Sunday*. Abu Hurairah related from the Prophet that he said, "Whoever performs a Worship of four *rak'ahs* on Sunday, reciting in each *rak'ah* the Fatihat al-Kitab (i.) and the verses beginning 'The Messenger believed' (ii. 285) once, has Allah write for him good deeds according to the number of all the Christians, men and women, and Allah gives him the reward of a Prophet,

248. The reference is to Qur'an, xvii. 26-27.
249. Sayyid Murtada defines *al-salah* here as simply *al-du'a'*, "Supplication".

and records for him a Pilgrimage and minor visit to the Ka'bah, and records for him in every *rak'ah* a thousand Worships, and Allah gives him in the Garden for every consonant a city of excellent musk."

It is related from 'Ali b. Abu Talib from the Prophet that he said, "Assert belief in the unity of Allah with much Worship on the One Day,[250] for Allah is One, and has no associate, for whoever performs a Worship on Sunday, after the Noon Worship, of four *rak'ahs* after the Prescribed and the Usage *rak'ahs*, reciting in the first, the Fatihat al-Kitab (i.), and 'The Sending[251] Down of the Book of the Surat al-Sajdah' (xxxii.), and 'He is blessed in whose hand is the Dominion' (lxvii.), and then gives the Witness and the Salutation, and then stands up and performs the Worship of the other two *rak'ahs*, reciting in them the Fatihat al-Kitab (i.), and Surat al-Jumu'ah (lxii), and makes a request of Allah for what he needs has a right upon Allah to satisfy his need."

(2) *Monday*. Jabir[252] related from the Messenger of Allah that he said, "Whoever performs a Worship on Monday at the advance of the day, of two *rak'ahs*, reciting in each *rak'ah* the Fatihat al-Kitab (i.) once and the Throne Verse (ii. 256) once, and 'Say, He is Allah, One' (cxii.), and the two Seekings for Refuge (cxiii., cxiv.) once each, and then, when he says the Salutation, says the Seeking of Forgiveness ten times, and says the Blessing upon the Prophet ten times, has Allah forgive him his sins, all of them."

Anas b. Malik related from the Prophet that he said, "Whoever performs a Worship on Monday of twelve *rak'ahs*, reciting in every *rak'ah* the Fatihat al-Kitab (i.) and the Verse of the Throne (ii. 256) once, and then, when he finishes, recites, 'Say, He is Allah, One' (cxii.) twelve times, and says the Seeking of Forgiveness twelve times, will be called on Resurrection Day: "Where is Such a one, son of Such a one? Let him stand! and let him take his reward from Allah." Then the first reward given will be a thousand robes, and he will be crowned and it will be said to him,

250. This is the name of Sunday in Arabic.
251. There are five other *surahs*, that begin with *tanzil*, "sending down," viz. xxxix. xl., xli., xlv. and xlvi.
252. Jabir b. 'Abdallah the Helper (d. 74 A.H.).

'Enter the Garden!' Then there will meet him a hundred thousand angels, each angel with a gift, escorting him so that he visits in turn a thousand palaces of light, shining brightly."

(3) *Tuesday*. Yazid al-Raqashi related from Anas b. Malik that he said, "Muhammad said, 'Whoever performs on Tuesday a Worship of ten *rak'ahs*, at the middle of the day,' and in another tradition, 'at the advance of the day, reciting in each *rak'ah* the Fatihat al-Kitab (i.) and the Verse of the Throne (ii. 256) once, and, 'Say, He is Allah, One' (cxii.) three times, does not have a sin recorded against him for seventy days, and if he dies up to seventy days, he dies a martyr, and is forgiven the sins of seventy years."

(4) *Wednesday*. Abu Idris al-Khawlani[253] related from Ma'adh b. Jabal that he said, "The Messenger of Allah said, 'Whoever performs a Worship on Wednesday of twelve *rak'ahs* at the advance of the day, reciting in each *rak'ah* the Fatihat al-Kitab (i.) and the Verse of the Throne (ii. 256) once, and "Say, He is Allah, One" (cxii.) three times, and the two Seekings for Refuge (cxiii., cxiv.) three times, has an angel call him at the Throne, "O 'Abdallah! begin the work anew, for Allah has forgiven you whatever sins have gone before, and Allah has removed from you the punishment of the grave as well as its straitness and its darkness, and has removed from you the hardships of the Resurrection," and there is sent up for him for that day the work of a Prophet.'"

(5) *Thursday*. From 'Ikrimah from Ibn 'Abbas it is related that he said, "The Messenger of Allah said, 'Whoever performs a Worship of two *rak'ahs* on Thursday, between the Noon and the Afternoon Worships, reciting in the first the Fatihat al Kitab (i.) once, and the Verse of the Throne (ii. 256) a hundred times, and in the second the Fatihat al-Kitab once, and, "Say, He is Allah, One" (cxii.) a hundred times, and recites the Blessing upon Muhammad a hundred times, has Allah give him the reward of one who fasts the three months of Rajab, Sha'ban and Ramadan, and he has the reward like that of a pilgrim to the House, and has written for him good deeds according to the number of everyone who believes in Allah and trusts Him.'"

253. Abu Idris al-Khawlani (d. 80 A.H.).

(6) *Friday.* It is related from 'Ali b. Abu Talib from the Prophet that he said, "Friday is a Worship in its totality. There is no believing creature who gets up when the sun rises and advances the measure of a lance or more than that and then performs the ablution well, and then performs the Worship of Praise of the forenoon with two *rak'ahs*, with faith and belief, but has Allah record for him two hundred good deeds, and erase from him two hundred evil deeds, and whoever performs a Worship of four *rak'ahs* has Allah exalt him four hundred degrees in the Garden, and whoever performs eight *rak'ahs* has Allah exalt him in the Garden eight hundred degrees and forgive him his sins, all of them, and whoever performs twelve *rak'ahs* has Allah record for him two thousand and two hundred good deeds and erase from him two thousand and two hundred evil deeds, and has Allah exalt him in the Garden two thousand and two hundred degrees."

From Nafi' from Ibn 'Umar from the Prophet it is related that he said, "Whoever enters the congregational mosque on Friday and then performs a Worship of four *rak'ahs* before the Worship of the Friday Observance, reciting in every *rak'ah* the Praise (i.), and, 'Say, He is Allah, One' (cxii.) fifty times, will not die until he sees his place of sitting of the Garden or it is seen for him."

(7) *Saturday.* Abu Hurairah related that the Prophet said, "Whoever performs a Worship on Saturday of four *rak'ahs*, reciting in each *rak'ah* the Fatihat al-Kitab once and, 'Say, He is Allah, One,' three times, and, when he finishes, recites the Verse of the Throne (ii. 256), has Allah record for him, for every consonant, a Pilgrimage, and minor visit to the Ka'bah and raise up for him the reward of a year of fasting during its days, and of standing for Worship during its nights and has Allah give him for every consonant the reward of a martyr, and he is under the shade of the Throne of Allah with the Prophets and martyrs."

(b) As for the nights.

(1) *The Eve of Sunday.* Anas b. Malik related concerning the eve of Sunday that Muhammad said, "Whoever performs a Worship on the eve of Sunday of twenty *rak'ahs* reciting in every *rak'ah* the Fatihat al-Kitab (i.) and, 'Say, He is Allah, One' (cxii.) fifty times, and the two Seekings for Refuge (cxiii. cxiv.) each once,

and says the Seeking of Forgiveness of Allah a hundred times, and says the Seeking of Forgiveness for himself and for his parents a hundred times, and says the Blessing upon the Prophet a hundred times, and renounces[254] his claiming of any power and strength, and seeks the protection of Allah, and then says, 'I bear witness that there is no god but Allah, and I bear witness that Adam is the sincere friend of Allah and His original formation, and Ibrahim is the cordial friend of Allah, and Moses is the interlocutor of Allah, and 'Isa is the Spirit of Allah, and Muhammad is the beloved of Allah,', has reward in accordance with the number of those who assert Allah has a son, and those who do not assert that Allah has a son, and Allah raises him along with the faithful on Resurrection Day, and he has a right upon Allah to admit him into the Garden with the Prophets."

(2) *The Eve of Monday.* Al-A'mash[255] related from Anas b. Malik that he said, "The Messenger of Allah said, 'Whoever performs a Worship on the eve of Monday, with four *rak'ahs*, reciting in the first the "Praise belongs to Allah" (i.) and, "Say, He is Allah, One" (cxii.) ten times, and in the second, the "Praise belongs to Allah," and "Say, He is Allah One" twenty times, and in the third the "Praise belongs to Allah," and, "Say, He is Allah, One" thirty times, and in the fourth, the Praise belongs to Allah," and, "Say, He is Allah, One" forty times, and then says the Salutation, and recites, "Say, He is Allah, One" seventy-five times, and says the Seeking of Forgiveness of Allah for himself and his parents seventy-five times, and then makes his request of Allah, has a right upon Allah to give him his request that he asked.'" This is called "the Worship of Need"

(3) *The Eve of Tuesday.* "Whoever performs a Worship of two *rak'ahs*, reciting in each *rak'ah* the Fatihat al-Kitab and 'Say, He is Allah, One,' and the two Seekings for Refuge (cxiii., cxiv.)., fifteen times, and recites, after the saying of the Salutation, fifteen times, the Verse of the Throne (ii. 256) and says the Seeking of Forgiveness of Allah fifteen times, has great reward, and substantial recompense."

It is related from 'Umar from the Prophet, that he said,

254. That is, by saying, "There is no power and no strength but in Allah."
255. Abu Muhammad Sulaiman b. Mihran al-A'mash (d. 148 A.H.).

"Whoever performs a Worship on the eve of Tuesday, with two *rak'ahs*, reciting in each *rak'ah* the Fatihat al-Kitab once, and 'Verily, We sent it down' (xcvii), and, 'Say, He is Allah, One,' seven times, has Allah free his neck from the Fire, and on Resurrection Day, be his leader and guide into the Garden."

(4) *The Eve of Wednesday.* Fatimah related from the Prophet, that he said, "For everyone who, on the eve of Wednesday, performs a Worship of two *rak'ahs*, reciting in the first the Fatihat al-Kitab once, and, 'Say, I seek refuge in the Lord of the dawn' (cxiii.) ten times, and in the second, the Fatihat al-Kitab once, and, 'Say, I seek refuge in the Lord of mankind' (cxiv.) ten times, then, after the Salutation, says the Seeking of Forgiveness of Allah ten times, and says the Blessing upon Muhammad ten times, there will descend from every heaven seventy thousand angels, recording his reward until the Day of Resurrection."

In another tradition, "Sixteen *rak'ahs*, reciting after the Fatihah whatever Allah may will, and reciting in the last two *rak'ahs* the Verse of the Throne thirty times, and in the first two thirty times, Say, He is Allah, One,' he intercedes for ten of the people of his household, all of whom deserve the Fire."

Fatimah is related to have said, "Muhammad said, 'Whoever, on the eve of Wednesday, performs a Worship of six *rak'ahs*, reciting in every *rak'ah* after the Fatihah, "Say, O Allah, Possessor of the Dominion" (iii. 25) to the end of the verse, and when he finishes his Worship, says, "May Allah requite Muhammad his desert in our behalf," has forgive him the sins of seventy years, and has recorded for him freedom from the Fire.' "

(5) *The Eve of Thursday.* Abu Hurairah said, "The Messenger of Allah said, "Whoever, on the eve of Thursday, between the Sunset and the Evening Worships, performs a Worship of two *rak'ahs*, reciting in each *rak'ah* the Fatihat al-Kitab and the Verse of the Throne five times, and "Say, He is Allah, One" five times, and then, when he finishes his Worship, says the Seeking of Forgiveness of Allah fifteen times, and puts his reward to the credit of his parents, repays the right of his parents upon him, even though he was undutiful to them, and Allah gives him what is given the righteous and the martyrs.' "

(6) *The Eve of Friday.* Jabir said, "The Messenger of Allah said, 'Whoever, on the eve of Friday, between the Sunset and the Evening Worships, performs, a Worship of twelve *rak'ahs*, reciting in every *rak'ah* the Fatihat al-Kitab once and, "Say, It is! Allah is One!" eleven times, is regarded as if he had performed a creature's service to Allah for twelve years, fasting all its days and standing for Worship all its nights.' "

Anas said, "The Prophet said,'Whoever performs, on the eve of Friday, the last Evening Worship in the congregation, and performs the Worship of the two *rak'ahs* of the *sunnah*, Usage, and then performs after them a Worship of ten *rak'ahs*, reciting in every *rak'ah* the Praise (i.) and "Say, He is Allah, One" (cxii,) and the two Seekings for Refuge (cxiii, cxiv.) each once, and then performs a *witr*, Odd, Worship of three *rak'ahs*, and then sleeps on his right side with his face toward the *qiblah*, will have it as if he had enlivened the Night of Decree.'"

Muhammad said, "Do much of the Asking of Blessing on me on the Night of Eager Desire and the Day of Brightness, that is, on the eve of Friday and on Friday."

(7) *The eve of Saturday.* Anas said, "The Messenger of Allah said, 'Whoever, on the eve of Saturday, between the Sunset and the Evening Worships, performs a Worship of twelve *rak'ahs*, has built for him a palace in the Garden, and it is as if he has given alms to every believer, man and woman, and is innocent of Judaism, and has a right[256] upon Allah to forgive him.' "

Class Three. Those Performances of Worship that are Repeated with the Recurrence of Years

There are four of this class: the Worship of the Two Feasts, the *tarawih*, "rest-giving," Worship of Ramadan, the Worship of Rajab and the Worship of the middle of Sha'ban.

(a) The first is the Worship of the Two Feasts. It is a *sunnah muwakkadah*, Confirmed Usage, and one of the distinctive rites of al-Islam. It is fitting that seven things should be observed in it.

The first is that the *takbir* is in series of three, so he say, "Allah

256. Sayyid Murtada explains this as "by way of the favour and grace of Allah."

is greater! Allah is greater! Allah is greater indeed!" and "Much praise belongs to Allah," and "Praise belongs to Allah morning and evening! There is no god but Allah only! He has no associate! we devote to Him our religion sincerely; even though the unbelievers disapprove!"

One begins with the *takbir* on the eve of the Feast of the Breaking of the Fast of the Ramadan until the beginning upon the Worship of the Feast. In the second Feast he begins the *takbir* after the morning of the Day of 'Arafah until the end of the day of the thirteenth, and this is the most perfect of the statements. He repeats the *takbir* after the Prescribed Worship and after the Supererogatory Worship, the one after the Prescribed being better confirmed.

The second is that when he gets up on the morning of the day of the Feasts, he bathes and adorns and perfumes himself, as we have mentioned regarding the Friday Observance. The cloak and the turban are most excellent for men, and let boys avoid silk, and the aged adornment, on going out.

The third is that he leaves one way and returns another. So did the Messenger of Allah. Muhammad used to command the unmarried girls and those who wore veils to be sent out.

The fourth is that it is liked to go out to the desert, except in Mecca and Jerusalem. But if it should be a rainy day, there is no objection to Worship in the mosque. It is permissible on a clear day for the *imam* to command a man to perform the Worship with those who are unable to go out in the mosque and himself go out with the able, saying the *takbir* on the way.

The fifth is that he observes the time. For the time of the Worship of the Feasts is between the rising of the sun and its passing the meridian, and the time of slaughtering for the sacrifices is after the rising of the sun and the length of time it takes for two addresses and two *rak'ahs* until the close of the thirteenth day. It is liked to hasten the Worship of the *adha*, Sacrifices, on account of slaughtering, and to delay the Worship of the Breaking of the Fast, for the sake of distributing the alms of the *fitr*, Breaking of the Fast, before the Worship, This is a Usage of the Messenger of Allah.

The sixth is about the manner of the Worship. Let the people go out saying the *takbir* on the way, and when the *imam* reaches the place of Worship, he should not sit down and should not perform any *nafilah* Worship. The people have the right to perform *nafilah* Worship.[257] Then the crier should cry, "The Worship is gathering!" The *imam* leads them with a Worship of two *rak'ahs*, saying the *takbir* in the first, except the *takbirat al-ihram* and of the Bowing, seven times, saying between every two *takbirs*, "O the Praise of Allah," and "The Praise belongs to Allah!" and "Allah is greater!" and says, "I have turned my face toward Him Who originally divided the heavens and the earth!" after the *takbir* of the Opening of the Worship. He should postpone the Seeking of Refuge until after the eighth *takbir* and recite Surah Qaf (i.) in the first *rak'ah* after the Fatihah and recite "The Hour drew near!" (liv.) in the second *rak'ah*. The extra *takbirs* in the second are five in number, apart from the *takbir* of the Standing Posture and the Bowing, and between every two *takbirs* are what we have mentioned. Then he gives the two addresses, sitting down between them. He whom the Worship of the Feast escapes performs a Substitute for it.

The seventh is that he sacrifices a sheep. The Messenger of Allah sacrificed two fine sheep, and slaughtered them with his own hand, and said, "In the name of Allah,"[258] and "Allah is greater! This is for me and any of my people who does not sacrifice!" Muhammad said, "Whoever sees the crescent of the moon of the month of Dhu al-Hijjah, and desires to sacrifice, should not take off any of his hair or finger nails." Abu Ayyub the Helper said, "A man used to sacrifice, in the time of the Messenger of Allah, a ewe, for the sake of his household and they used themselves to eat and to feed others." One has the right to eat from the sacrifice after three days and more. The permission for it came after the prohibition of it.

Sufyan al-Thawri said, "It is liked for one to perform a Worship, after the Feast of the Breaking of the Fast, of twelve

257. The other texts read "the people should stop performing the *nafilah* Worship."
258. Note that "the Merciful and Compassionate" is omitted on this occasion.

rak'ahs, and after the Feast of the Sacrifice, of six *rak'ahs*," and he said. "It is one of the Usages."

(b) The second is the *tarawih*, Rest-giving, Worship of Ramadan. It consists of twenty *rak'ahs*. The manner of performing it is well known. It is a Confirmed Usage, although it is inferior to the Worship of the Two Feasts. There is disagreement as to whether congregational or individual Worship is more excellent in this Worship. The Messenger of Allah went to it two or three nights in the congregation. Then he did not go out, and said, "I fear that it may be made obligatory upon you." 'Umar gathered the people to it in congregation, inasmuch as it was safe from becoming obligatory through the cessation of the revelation. So it was said, "The congregational observance of it is more excellent because of the action of 'Umar, and because congregating together is a blessing and has excellence, as is evidenced by the Prescribed Observances, and because one, perhaps, would be lazy alone, and be zealous under the observation of a congregation."

It is also said, "The performances of it alone is more excellent because this is a *sunnah*, Usage that is, not one of the Rites of the Religion, like the Two Feasts." So its affiliation with the Worship of the Forenoon and the Greeting of the mosque is preferable, seeking that (a) congregational observance has not been made a law in them, and (b) that the custom has come to be that a group enters a mosque together and yet they do not perform the Worship of the Greeting of the Mosque in congregation, and (c) on account of the saying of Muhammad, "The superiority of the Voluntary Worship over the Worship in the mosque is like the superiority of the performance of the *maktub*, Prescribed, Worship in the mosque over the performance of the Worship in the house."

It is related that Muhammad said, "Worship in this my mosque (in Medina) is more excellent than a thousand performances of Worship in any other mosque, and Worship in the inviolate mosque (in Mecca) is more excellent than a thousand performances of the Worship in my mosque, and, more excellent than all of that, is the Worship of a man who performs in the corner of his house a Worship of two *rak'ahs* that no one knows about except Allah." This is because hypocrisy and affectation perhaps draw

near to one in a congregation, and one is in safety against it alone. So this is what is said about it, and the preferred conclusion is that the congregational observance is more excellent as 'Umar considered. In some of the *nafilah* Worships congregational observance was made the law, and this Worship is worthy to be among the rites of the religion that are apparent.

As for taking account of hypocrisy in a congregation, and laziness when alone, this is turning aside from the consideration purposed in the excellence of the congregation, in so far as it is a congregational Worship. It is as though he who holds that position were saying, "The Worship is better for one than abandoning it, out of laziness," and "Singleness of devotion is better than hypocrisy." So, let us consider the question in the case of him who has confidence in himself, that he will not be lazy, even though he is by himself, and will not be hypocritical, even though he is present with a congregation, and, then, which of them is more excellent? In that case the opinion will turn between the blessing in a congregation, and the increase of the strength of one's singleness of devotion and presence of the heart when by oneself. So it is permissible that there should be some hesitancy with regard to the superiority of one of them over the other.

Among the acts that are liked there is *qunut*, Supplication, in the *witr* Worship in the latter half of Ramadan.

(c) As for the Worship of Rajab, it has been related *isnadan*, with a "traced" chain of witnesses, from the Messenger of Allah, that he said, "There is no one who fasts the first Thursday in Rajab and then performs a Worship between the first Evening Worship and the nightfall, of twelve *rak'ahs*, separating every two *rak'ahs* with a Salutation, reciting in each *rah'ah* the Fatihat al-Kitab once, and, 'Truly, We sent it down on the Night of Decree' (xcvii.) three times, and, 'Say, He is Allah, One" (cxii.) twelve times, and then, when he finishes his Worship, asks the Blessing for me seventy times, saying, 'O Allah, bless Muhammad, the unlettered Prophet, and his family!' and then performs a Prostration, and, while in prostration say, 'Praiseworthy, Holy, Lord of the angels and the spirit!' and then raises his head and says, seventy times, 'O Lord,! forgive and have mercy and pass over what Thou knowest! Verily Thus art the Most Mighty and the Most Wise and Kind!' and then

performs another Prostration and says in it what is similar to that which he said in the first Prostration, and then makes request for what he needs, in his Prostration, but will have it performed."

Muhammad said, "There is no one who performs this Worship without having Allah forgive all his sins, even though they are like the froth of the sea, and the number of the sand, and the weight of the mountains, and the leaves of the trees, and there shall be intercession on behalf of seven hundred of his household of those who have deserved the Fire."

So, this Worship is liked, and we have set it forth in this section only because it is repeated with the recurrence of the years, although its degree does not approximate the degree of the Rest-giving Worship and the Worship of the Two Feasts, because a single line of authority (*ahad*) has handed this Worship down. But I saw the people of Jerusalem, all of them, consistently perform it, and not allow it to be abandoned, so I desired to set it forth.

(d) As for the Worship of Sha'ban. On the eve of the fifteenth of this month one performs a Worship of a hundred *rak'ahs*, every two *rak'ahs* with a Salutation reciting in every *rak'ah* after the Fatihah, "Say, He is Allah, One," eleven times, and, if he will, he performs ten *rak'ahs*, reciting in each *rak'ah* after the *Fatihah* one hundred times, "Say He is Allah, One," for this also is related in the totality of the performance of the Worship. The Fathers used to perform this Worship, and call it the "Good Worship," and gather together for it, and perhaps they performed it in congregation. It is related from al-Hasan that he said, "Thirty of the Companions of the Prophet reported to me that whoever performs this Worship on this night has Allah look upon him seventy times, and performs for him with each look seventy needs, the least of which is forgiveness."

Class Four. The Nafilah, Supererogatory, Worships that Depend upon Occasional Clauses, and Do not Depend upon Appointed Times

These are nine in number: the Worship of the Eclipse[259] of the

259. Sayyid Murtada (III, 427C) lists five different interpretations of *kusuf* and *khusuf: kusuf* is the change to blackness, while *khusuf* is the decrease of blackness; (2) both apply to the departure of light from the sun and moon, with *kusuf* at its beginning and with *khusuf* at its end; (3) *kusuf* applies to the deparutre of all the light, with *kusuf* for departure of part of the light; (4) *khusuf* for the departure of all the colour, with *kusuf* for the change of all the colour; (5) is the application of *kusuf* to the sun and *khusuf* to the moon.

Moon, and of the Eclipse of the Sun, of the Request for Rain, of the Greeting of the Mosque, the Two Rak'ahs between the Call to Worship and the Institution of the Worship, the Two *Rak'ahs* upon leaving the house and entering it, and the like. So we will mention those of them that occur to us now.

The first is the Worship of the Eclipse. The Messenger of Allah said, "The sun and the moon are two of the signs of Allah; they do not come into eclipse on account of the death or of the life of anyone, so whoever you see that, seek refuge in fear to the remembrance of Allah and to Worship." He said that when his boy Ibrahim died while the sun was in eclipse, and the people thereupon said, "It was in eclipse only on account of his death."

Consideration will now be given to its manner and its time. As for the manner, whenever the sun is in eclipse, in a time when the Worship is disliked or not disliked, there should be a Call to Congregational Worship, and the *imam* should lead the people in a Worship of two *rak'ahs* and bow in each *rak'ah* two times, with the former of both of them longer than the latter, of them, but he should not speak audibly. He recites in the first *rak'ah*, from the Standing Posture of the first *rak'ah*, the Fatihah and "The Cow" (ii.), and in the second, the Fatihah and "The Family of 'Imran' (iii.), and in the third, the Fatihah and "The Women" (iv.), and in the fourth, the Fatihah and "The Table" (v.), or that amount of the Qur'an, from whatever place he wishes. Were he to confine himself to the Fatihah in each *rak'ah*, that would suffice him. Were he to confine himself to the short *surahs*, there would be no harm, because the purpose of the prolongation is the continuance of the Worship until the clearance of the sun or moon after the eclipse. He says, "The Praise" in the first to the amount of a hundred verses, and in the second to the amount of eighty verses, and in the third to the amount of seventy verses, and in the fourth in the amount of fifty verses.

Let the Prostration be equal to the length of the Bowing in each *rak'ah*. Then he delivers two addresses after the Worship, with a period of sitting between them. He commands the people to give alms, to free slaves, and to repent.

He does likewise in the eclipse of the moon, only in it he speaks audibly since it is at night.

As for the time, it is at the beginning of the eclipse until the completion of the clearance. The time for it also ends when the sun sets while in eclipse. The Worship of the Eclipse of the Moon passes when the dish of the sun appears, since it cancels the dominion of the night, but it does not pass with the setting of the moon. But if it clears in the midst of the Worship, one completes it quickly. Whoever overtakes the second Bowing with the *imam* has that *rak'ah* escape him, for the fundamental thing is the first Bowing.

The second is the Worship of the Petition for Rain. So, when the streams are lost in the earth, and the rains are cut off, or a canal collapses, it is liked for the *imam* to command the people first to fast three days, and do what they are able in giving alms, and to cease from unjustices, and to repent from disobedience, and then go out with them on the fourth day, along with the aged and the youths, all having cleansed themselves, in shabby and humble clothes, humbling themselves, in contrast to the feast days. It is said, "It is liked to take out the animals, because of their sharing the need, and because of the saying of Muhamamd, 'Were it not for the young nursing, and the elders bowing and the cattle feeding, there would surely be poured upon you punishment.' "

Were the non-Muslim people[260] under Muslim authority also to go out, distinguished by their marks, they should not be prohibited. Then, when they have all gathered together at the spacious place of Worship in the plain, the Call to Congregational Worship is given. When the *imam* performs a Worship of two *rak'ahs* with them, like the Worship of the two Feasts, without the

260. The *ahl al-dhimmah* are the people of a conquered country who do not embrace Islam are not enslaved, but are guaranteed life, liberty and modified property rights, with certain duties towards Muslims.

takbir. Then he delivers two addresses, with a brief sitting between them, and lets the Seeking for Refuge be the main part of the two addresses. It is fitting that, in the middle of the second address he should turn his back to the people and face the *qiblah*, and turn his cloak upside down at this time, drawing a good omen from the changing of the state. So did the Messenger of Allah. So he makes its upper part become the lower part, and what was on the right side appear on the left side, and what was on the lift side appear on the right side. So shall the people do.

Then they make a Supplication at this time inaudibly. Then the *imam* faces them and makes the address. They leave their cloaks turned as they were until they take them off when they take off their clothes. He says, in the supplication, "O Allah, Thou hast commanded us to make Supplication to Thee, and hast promised Thine answer: so we have Supplicated Thee, as Thou hast commanded us, and now answer us as Thou hast commanded us! O Allah, bestow upon us forgiveness of what we have committed, and Thine answer in providing us water, and in abundance of our apportioned sustenance." There is no harm in making supplication at the various performances of Worship during the three days preceding the going out. This Supplication has Proprieties and inward Stipulations, consisting of repentance and the restitution of wrongs, and of other things, and that will follow in the Book of *Da'awat*, Supplications.

The third is the Worship at Funerals. Its manner is well known. The most comprehensive Supplication handed down is what is related in the *Sahih* of al-Bukhari from 'Awf b. Malik.[261] He said, "I saw the Messenger of Allah perform a Worship at a funeral and I preserved this much of his supplication, 'O Allah, forgive him, have mercy on him, preserve him, pardon him, make his descent honourable, enlarge his entrance, wash him in water and snow and hail, cleanse him from sins, as one cleans a white garment of defilement, and change him to an abode better than his present abode, to a family better than his present family, and a mate better than his present make. Place him in the Garden and rescue him from the punishment of the Grave, and from the

261. 'Awf b. Malik al-Ashja' i (d. 73 A.H.).

punishment of the Fire!' so that," said 'Awf, "I desired that I were myself that dead man."

It is fitting that one who overtakes the second *takbir* should observe the Order of the Worship by himself, and say the *takbirs*, with the *takbirs* of the *imam*, and when the *imam* says the Salutation, he should perform a substitute for the *takbir* which escaped him, as is done by one late, for, were he to get ahead in saying the *takbirs* there would not remain any meaning to the imitation of the *imam* on the part of the worshipper in this Worship, since the *takbirs* are the apparent Elements, and worthy to have the standing of the *rak'ahs* in the rest of the Worships. This is to me the best regarded view, although some other than this is possible. The traditions that have appeared regarding the excellence of the Worship at funerals and the escorting of them are well known, so we will not be long by setting them forth. How should its excellence not be great, since it is one of the *fard kifayah* Worships, i.e. of general obligation, and since it becomes supererogatory only to him for whom it does not become *fard 'ain*, i.e. a personal obligation, through the presence of someone else. So then, one obtains by it the excellence of a *fard kifayah* Worship, although it is not a *fard 'ain* only because they altogether have undertaken to perform what is of general obligation, and thereby have removed the guilt of neglect from others. So that is not like a Supererogatory Worship which does not remove a Prescribed duty from anyone.

The desire for a great congregation is liked, seeking blessing by means of a great number of solicitudes and supplications, and because of its possible inclusion of someone whose supplication is answered, in accordance with what *Kuraib*[262] related from Ibn 'Abbas, to the effect that a son of his died, so he said, "O Kuraib, see how many men have gathered together for him." He said, "So I went out and, behold, many men had gathered together for him, so I told him. So he said, 'Would you say they are forty?' I said, 'Yes.' He said, 'Take him out then, for I heard the Messenger of Allah say, "No Muslim dies with forty men, who do not make anything to be an associate with Allah, performing

262. Abu Rishdin Kuraib b. Abu Muslim al-Hijazi (d. 98 A.H.).

the Worship of his funeral, but Allah welcomes their intercession for him." "

When he escorts the funeral and reaches the cemetery or enters it, at first he says, "The Peace is upon you O people of these abodes, of the believers and Muslims, and may Allah have mercy upon those who are coming later, for we, if Allah will, are to meet you!"

It is preferable that he should not depart until the dead man is buried. Then, when the grave is made over the dead man, he stands near it and says, "O Allah, Thy creature has returned to Thee, so have mercy upon him, and show mercy to him! O Allah, remove the earth from his two sides, and open the gates of heaven to his spirit, and receive him unto Thyself with a beautiful welcome, and, if he is a well-doer, double for him his good deeds; and, if he is an evil-doer, pass by his evil deeds."

The fourth: the Greeting of the Mosque is a Worship of two *rak'ahs* and more. It is a Confirmed Usage, so that it does not fall away, even though the *imam* is making the address on Friday, and the obligation of listening to the speaker is itself Confirmed. If he occupies himself with a Prescribed Worship, or performs a Substitution Worship that is due from him, the Worship of Greeting is thereby performed, and he gets the reward, since the purpose is that the beginning of his entrance should not be without the religious service especially belonging to the mosque, so performing the right of the mosque.

For this reason it is disliked for him to enter a mosque without having performed the ablution. So, if he enters to cross over or sit down, let him say, "Oh, the Praise of Allah!" and "Praise belongs to Allah!" and "There is not god but Allah!" and "Allah is greater!" saying them four times. It is said that they equal two *rak'ahs* in excellence.

The school of al-Shafi'i holds that the Greeting is not disliked in the times when the Worship ordinarily is disliked, which are (1) after mid-afternoon, (2) after the morning, (3) at the passing of the meridian, (4) at the rising, and (5) at the setting of the sun, in accordance with the tradition that is related, that Muhammad performed a Worship of two *rak'ahs* after mid-afternoon, and he was asked, "Did you not forbid us to do that?" So he said, "They are two *rak'ahs* that I was wont to perform after-

noon, and the deputation preoccupied me from them."

This tradition provides two lessons. One of them is that dislike is limited to Worship that has no cause. The weakest of causes is performing Substitutions of *nafilah* Worships, since the *'ulama'*, learned, have disagreed about the questions, whether (a) *nafilah* Worships may have Substitution performances, and (b) whenever one performs a Worship similar to a *nafilah* that has escaped him, that is a Substitution performance of a Payment. So, when dislike is negated by the weakest of causes, much more is it true that it is negated by entering a mosque, which is a strong cause. For that reason the Worship at funeral is not disliked whenever it comes, and neither is the Worship of the Eclipse and of the Request for Rain, at these times, since they have causes.

The second lesson is the Substitution of the *nafilah* Worship, since the Messenger of Allah performed that. We have, in regard to it, a fine example. 'A'ishah said, "The Messenger of Allah, whenever sleep or illness overcame him, so that he did not rise that night, used to perform a Worship of twelve *rak'ahs* at the first part of the day."

The learned have said, "Whoever is at *nafilah* Worship, and has the response to the *mu'adhdhin* escape him, should perform the Substitute of it, and give the response when he says the Salutation, even though the *mu'adhdhin* has stopped. There is now no meaning to the objection of anyone who says, "That is like the first case, and he does not give a Substitute response;" since, were this objection true, the Messenger of Allah would not have performed them as a Worship in a disliked time. Yes, indeed, whoever has a *wird*, Devotional Recital, to perform and has some excusable thing hinder him from it, should not permit himself to omit it, but should make it up at some other time, so that he may not incline himself to ease and comfort, for some goodwill overtake him in the way of the warfare of the soul and also because Muhammad said, "The deed most liked before Allah is the most constant one, even though it be small." So he should purpose by that method not to be remiss in persevering in his deed.

'A'ishah related from the Prophet that he said, "Allah hates, whoever serves and worships Allah and then abandons his religious service." So then, let him beware of entering under the threat.

The thing confirmed by this tradition is that Allah hated him, and he abandoned it out of weariness, for were it not for the hatred of Allah and his separation (from the mercy of Allah[263]), weariness would not have overcome him.

The fifth is the two *Rak'ahs* after the *wudu*, Ablution. They are liked because the ablution is a means of access, the purpose of which is the Worship, while the defilements are hindrance, for many a time the defilements happens to occur before the Worship, so the state of ablution is broken, and the endeavour is lost. Hastening to the Two *Rak'ahs* is a paying of the purpose of the ablution before it passes away.

That it is liked is known from the tradition of Bilal, since Muhammad said, "I entered the Garden and then saw Bilal in it, so I said to Bilal, 'By what means did you precede me to the Garden?' So Bilal answered, 'I do not know of anything except that I do not perform a new ablution without performing a Worship after it of two *rak'ahs*.'"

The sixth is the Worship of two *rak'ahs* upon Entering the House and upon Leaving it. Abu Salmah[264] related from Abu Hurairah: "He said, 'The Messenger of Allah said, "When you leave your house perform a Worship of two *rak'ahs* which will protect you from the exit of evil, and when you enter the House, perform a Worship of two *rak'ahs* which will protect you from the entrance of evil."'" This means that every event of importance should begin with it. For this reason, there have come down two *rak'ahs* at the time of the *ihram* (in the Pilgrimage, or minor pilgrimage) and two *rak'ahs* at the beginning of a journey, and two *rak'ahs* upon returning from a journey, in the mosque before entering the house, since all that is handed down as the practice of the Messenger of Allah.

Some of the righteous, whenever they ate anything, used to perform a Worship of two *rak'ahs*, and when they drank anything, to perform a Worship of two *rak'ahs*, and so in everything that happened to them. It is fitting that one should seek the blessing

263. This is added by Sayyid Murtada.
264. Abu Salamah b. 'Abd al-Rahman b. 'Awf, *faqih* and imam (d. 94 A.H.).

of Allah at the beginning of things by the mention of Allah. They, the beginnings of things, are of three orders: one of them is repeated frequently, as eating and drinking, so he beings it with "In the name of Allah." Muhammad said, "Every matter of importance that is not begun with 'In the name of Allah the Merciful and Compassionate,' is maimed." The second order is that which is not of frequent occurrence, but which has importance, such as the contracting of marriage, and the beginning of advice and counsel, and then the liked thing in that is that it should be preceded by "The Praise of Allah". Then the one who does the marrying says, "Praise belongs to Allah," and "I invoke a blessing upon the Messenger of Allah. I have married you to my daughter." The one who receives her says, "The praise belongs to Allah," and "I invoke a blessing upon the Messenger of Allah. I have accepted this marriage." It was the custom of the Companions in the beginning of the execution of a message, and the giving of advice and counsel to say the Praise first. The third is that order which does not occur frequently but, when it does occur, has permanence and has importance, such as a journey, and the purchase of a new house, and the act of *ihram*, "separation," and similar things. Then it is liked to do two *rak'ahs* on account of it first. The least important of them is the leaving of the house and entering it, for they are a kind of short journey and return.

The seventh is the Worship for Prospering. Whoever is anxious about a matter, and does not know how it will end, and does not know whether it is better to leave it or to proceed upon it, has been commanded by the Messenger of Allah to perform a Worship of two *rak'ahs* apart from the Prescribed, reciting in the first the Fatihat al-Kitab, and "Say, O ye unbelievers" (cix.), and in the second the Fatihah" and "Say, He is Allah, One" (cxii.), and then, when he finishes, to make his supplication, and say, "O Allah, I ask of Thee prospering by Thy knowledge, and ask Thee to give me power by Thy power, and I ask Thee of Thy great favour, for verily, Thou hast power and I do not have power, and Thou dost know, and I do not know, and Thou art the Knower of the unseen. O Allah, if Thou dost know that this matter is the best for me, in my religion and this life of mine, and the end of this matter of mine, both soon and late, bring it to pass for me, and bless me in it, and then make it easy for me. If Thou

dost know that this affair will be bad for me in my religion and this life of mine, and likewise its end, both soon and late, turn me away from it and turn it away from me, and bring to pass for me the best, wherever it may be. Verily Thou art powerful over everything!" Jabir b. 'Abdallah related it. He said, "The Messenger of Allah used to reach us the Worship of Prospering in all affairs, as he used to teach us the *surah*.

Muhammad said, "Whenever any one of you is anxious about an affair, let him perform a Worship of two *rak'ahs*, Then let him mention the affair, and offer a supplication according to what we have mentioned."

The eight is the Worship of Need. Whenever a man's breast oppresses him and necessity in what is beneficial in his religion and this life constrains him to a matter hard for him, let him perform this Worship, for it was related from Wuhaib b. al-Ward[265] that he said, "Among the supplications which are not refused is this, that a creature should perform twelve *rak'ahs*, reciting in each *rak'ah* the Mother of the Book (i.), and the Verse of the Throne (ii. 256), and 'Say, He is Allah, One' (cxii.), and when he finishes, bows down in prostration and then says, "O the Praise of Him Who wears might as a garment," and says in it, "O the Praise of Him Who wraps Himself in glory, and is bountiful in it! O the Praise of Him Who numbers everything by His knowledge! O the Praise of Him to Whom alone Praise belongs! O the Praise of the Possessors of boon and favour! O the Praise of the Possessor of Power! I ask Thee, by the mighty articulations of Thy Throne, and the utmost degree of mercy of Thy Book and by Thy greatest name, and Thy highest greatness, and Thy universal, perfect Words, which no righteous one or sinner passes beyond, to bless Muhammad and the family of Muhammad,' and then asks his need which has no disobedience in it, and he will be answered, if Allah will."

Wuhaib said, "It has reached us that it used to be said, 'Do not teach it to your unintelligent people, for they will assist one another by means of it in disobedience to Allah.' "

One of the wise has said, "Whoever gives four *rak'ahs* is not

265. Abu Umayyah Wuhaib b. al-Ward (d. 153 A.H.).

denied four; whoever gives thanks is not denied increase; and whoever gives repentance is not denied acceptance; and whoever gives the Worship of Prospering is not denied good; and whoever gives counsel is not denied correctness."

The ninth is the Worship of the Praise. This Worship is transmitted by Tradition to be done at random, and does not belong to any particular time or any particular occasion. It is liked that the week should not be free from it one time, or the month once, for 'Ikrimah has related from Ibn 'Abbas that Muhamamd said to 'Abbas b. 'Abd al-Muttalib, "Do I not present you, do I not grant you, do I not give you something for which Allah forgives you your sin when you do it, first and last, old and new, mistaken and intentional, secret and open? You perform a Worship of four *rak'ahs*, reciting in every *rak'ah* the Fatihat al-Kitab and another *surah*, and when you finish the Recital in the first *rak'ah* while you are standing, you say, 'O the Praise of Allah!' and 'The Praise belongs to Allah!' and There is no god but Allah!' and 'Allah is greater!' fifteen times. Then you bow and then say them ten times while bowing. Then you raise your head and say them ten times. Then you prostrate and say them ten times. Then you raise your head and say them ten times sitting. Then you prostrate and say them ten times. Then you raise your head and say them ten times, and that makes seventy-five times in every *rak'ah*. You should do that in the four *rak'ahs*. If you are able to perform it every day, do so. But if you do not do it everyday, then on every Friday once. But if you do not do so, then in every year once."

In another tradition it states that one should say in the first *rak'ah* of the Worship, "Thine is the Praise. O Allah!" and "By Thy Praise!" and "Thy name is blessed!" and "Thy greatness is exalted!" "and "Thy names are Hallowed! and "There is no God but Thee!" Then he says the Praise (i.) fifteen times before the Recital and ten times after the Recital, and the rest as has preceded, ten each, and does not say the Praise (i.) after the Prostration while sitting down. This the most beautiful, and it is the choice of Ibn Mubarak.[266] The sum of the two narratives is three hundred

266. Abu 'Abd al-Rahman 'Abdallah b. Mubarak b. Wadih al-Hanzali (cd. 181 A.H) celebrated jurisconsult and ascetic.

Praises. If he performs them in the daytime he does it with one Salutation. If he does it at night, then to do it with two Salutation is better, since it appears that the Worship at night should be by twos. If he adds after the Praise, His saying, "There is no power and no strength but in Allah the High, the Great," that is well, for that has come down in some of the narratives.

Now these are the Worships that have been handed down. None of these *nafilah*, Supererogatory, Worships is liked in the disliked times, except the Worship of the Greeting of the Mosque. As for what we have set forth after the Greeting of the Mosque about the Two *Rak'ahs* of the Ablution, and the Worship of the Journey and the Leaving of the House and the Prospering, they are not allowable, for the prohibition against them is confirmed, and these causes are weak and do not reach the degree of importance of the Eclipse, and the Request for Rain, and the Greeting of the Mosque.

I have seen someone of this Sufis performing the Two *Rak'ahs* of the Ablution in the disliked time, and it is utterly absurd, for the ablution is not the cause for the Worship, but, rather, the Worship is the cause for the ablution. So it is fitting that he should perform the ablution for the Worship, not that he should perform the Worship because he does the ablution, for it would then be the case that everyone who has defiled himself who wishes to perform a Worship in a disliked time, would only have to do the ablution, and perform the Worship, and then there would remain no meaning to dislike.

It is not fitting that he should state the Intention to perform the Two *Rak'ahs* of the Ablution as he states the Intention to perform the Two *Rak'ahs* of the Greeting of the Mosque. Rather when he does the ablution, he performs *tatawwu*,' Voluntary, *rak'ahs* in order that his ablution may not be unemployed, as Bilal used to do, for it is indeed purely voluntary, occurring after the ablution.

The tradition of Bilal does not indicate that the ablution is a cause for the Worship, like the Eclipse and the Greeting of the Mosque, so that he should state the Intention to perform the Two *Rak'ahs* or the Ablution. So it is absurd that he should state the intention to perform the Worship of the Ablution. Rather he states

the Intention by the ablution, and what kind of an arrangement is it for him to say in his ablution, "I do the ablution for the sake of my Worship," and then also in his Worship say, "I perform the Worship for the sake of my ablution"? Rather, let him who desires to guard his ablution from becoming unused in a disliked time state the Intention of a Substitution performance, if, by any possibility, there should be incumbent upon him some Worship to which some defect has found its way from some cause or other, for the Substitution performance of the Worship in the disliked times is not disliked.

But as for the stating of the Intention of a *tatawwu'*, Voluntary, Worship: this has no consideration, for in the prohibition against the Worship in the disliked times, there are three important points. One of them is guarding against the resemblance of the worshippers of the sun. The second is guarding against the satan's dispersal, since the Messenger of Allah said, "Verily the sun rises and the horn of Satan is with it, for whenever the sun rises, he is in conjunction with it, and then, when it is high, he leaves it, and then when it is at meridian, he is in conjunction with it, and then, when it passes the meridian, he leaves it, and then when it is near its setting, he is in conjunction with it, and then when it sets, he leaves it." So there is prohibition against the Worship in those times, and attention is drawn by the prohibition to the underlying cause. The third is that those walking the way of the next abode do not cease to continue in the Worship at all times. Continuance in one sort of religious service is what brings on weariness. Whenever one is kept away from it for a time, alacrity increases and incitements spring up, seeing that "man is covetous of what is forbidden."

So in not using these times for the Worship there is increase of incitement and of instigation to await the end of the time. For these times are especially appointed for Praise and Seeking Forgiveness, guarding against weariness that comes through perseverance in one kind of Worship, and seeking relief by changing from one kind of religious service to another, for, in finding a thing to be new and in seeking a new thing there is pleasure and alacrity, while in continuance upon one thing there is heaviness and weariness. For that reason the Worship is not Prostration solely and not Bowing solely, and not Standing solely, but the

religious services are organised from a variety of acts and dissimilar forms of Invocations, for the heart secures from each of them a new pleasure upon changing to it. But were it to continue upon one thing, weariness would quickly come upon it. Now if these are matters important in the prohibition against the disliked times, and there are other mysteries, which it is not in the power of man to gaze into, although Allah and His Messenger know better about them, these important things are not to be abandoned except for causes important in the religious law, such as the Substitute performance of the Worship and the Worship of the Request for Rain and of the Eclipse and of the Greeting of the Mosque. As for what is weaker than these, it is not fitting that one should thwart the purpose of the prohibition by them. This is the more regarded opinion, and Allah knows better than anyone else what is correct.

APPENDIX

TABLE OF THE NUMBER OF *RAK'AHS* IN THE DIFFERENT WORSHIPS

I. DAILY:

(a) The *fard* Prescribed Worships and the *ratibah* Fixed Worships connected with them

	rawatib before the Prescribed; *mu'wakkadah*, Confirmed;	*mustahabb*, Liked;	Prescribed; *rawatib* after the Prescribed; Confirmed;	Liked,
Morning		2 (or after	2	
Noon	2		4	2
Afternoon	4		4	
Sunset		2 (or after)	2	4
Evening		4		

(b) Other Daily *nafl*, Supererogatory, Worships, all Confirmed:

Witr, Odd	1 to 13
Forenoon	4, 6 or 8
Between the Two Evening Worships	6

II. Weekly:

	Friday	Saturday	Sunday	Monday	Tuesday	Wednesday	Thursday
(a) Daytime	2,4,8 or 12	4	4	2 or 12	10	12	2
(b) Night	12 or 10	12	20	4	2	2,13 or 6	2

III. Yearly:

	Feasts of *al-Fitr* and *al-Adha*		Ramadan	Rajab	Sha'ban
Confirmed	2	2	20		
Liked				12	100

IV. Occasional:

Eclipse	Request for Rain	Funeral	Greeting of Mosque	Ablution	Entering Mouse, etc.	Prospering	Need	Praise
2	2		2	2	2	2	12	4

Select Bibliography

1. *Encyclopaedias*

Brockelmann, von Karl, *Geschichte der Arabischen Litteratur*, Weimar, 1898, 1902

Encyclopaedia of Islam, Leyden, 1913

Hughes, T.P., *Dictionary of Islam*, London, 1885

Nicholson, R.A., *A Literary History of the Arabs*, London, 1907

2. *Lexicons*

Dozy, R., *Supplement aux Dictionnaires Arabes*, Leyde, 1881 al-Fairuzabadi, Muhammad b. Ya'qub, *Qamus al-Muhit*, Cairo, 1301

Jayakar, A.S.G., *Ad-Damiri's Hayat al-Hayawan*, London, 1908 Jurjani, *Definitions Viri meritissimi Sejjid Scherif Ali ben Mohammad Dschordschani*, edidit Gustavus Flugel, Lipsiae, 1845.

Lane, E.W., *An Arabic-English Lexicon*, 1863

Lisan al'Arab

Murtada, Saiyid Muhammad, *Sharh al-Qamus al-musamma Taj al-'Arus*, Misr, 1306

Smith, R. Payne, *Thesaurus Syriacus*, Oxford, 1901

Sprenger, A., R.W. Nassau Lees, *Dictionary of the Technical Terms*, Calcutta, 1862

al-Zamakhshari, Abu Qasim Mahmud b. 'Umar, *Kitab al-Fa'iq*, Cairo, 1324

3. *Grammars*

De Sacy, M. le Baron Silvestre, *Anthologie Grammaticale Arabe*, Paris, 1829

Mehren, von A.F., *Die Rhetorik der Araber*, Kopenhagen, 1853

Al-Mufassal, Opus de re Grammatico Arabicum, auctore Abu'l Kasim Mahmud bin 'Omar Zamahsario, edidit J.P. Broch, editio altera, Christianiae, 1940

Rechendrof, von H, *Arabische Syntax*, Heidelberg, 1921

4. *Theology*

Commentary of Ibrahim al-Bajuri, on the Text of Abu Shuja', Cairo, 1303

Macdonald D.B., *Development of Muslim Theology, Jurisprudence and Constitutional Theroy*, New York, 1903

Macdonald, D.B., *The Religious Attitude and Life in Islam*, Chicago, 1909

Sell, E., *The Faith of Islam*, London, 1896

5. *Commentaries on Qur'an and Traditions*

'Abduh, Muhammad, *Tafsir al-Fatihah*, Cairo, 1330

Abu Sa'id Abdallah b. 'Umar al-Baidawi, *Anwar al-Tanzil wa Asrar al-Ta'wil*, edidit H.O. Fleischer, 2 vols., Lipsiae, 1846-48

Chrestomathia Baidawiana, the commentary of El-Baidawi on Sura III, by D.S. Margoliouth, London 1894

al-Khatib al-Tabrizi, Muhammad b.. 'Abdallah, *Mishkat al-Masabih*, Cairo, 1309

Kitab al-Misbah al-Munir fi Gharib al-Sharh al-Kabir, iii-Rafi'i, ta'lif Ahmad b. Muhammad al-Faiumi, 2 vols., 1315, 1316

al-Qastallani, Ahmad b Muhammad, *Irshad al-Sari ila Sharh Sahih al-Bukhari*, Cairo, 1304-1305

6. *History*

Annales Quos Scripsit Abu Djafar Mohammad Ibn Djarir at-Tabari, cum aliis edidit K.J. De Goeje, Ludg., Bat., 1879-1901

Muir, Sir William, *The Caliphate, Its Rise, Decline and Fall*, rev. edn. by T.H. Weir, Edinburgh, 1915

Noldeke, Theodor, *Sketches from Eastern History*. Trans. J.S. Black, London 1892

7. *Biographies*

Abu al-Hasan Ali b. al-Athir, *Tajrid Asma' al-Sahabah*, Hyderabad Deccan, 1315

De Slane, Bn Mac Guckin, *Ibn Khallikan's Biographical Dictionary*, 4 vols., Paris, 1842, 1871

Ibn Hajar, *A Biographical Dictionary of Persons who knew Mohammad*, Calcutta, 1856, 4 vols.

Ibn Nadim, *Kitab al-Fihrist*, herausgegeben von Gustav Flugel, Leipzig, 1871-72

al-Jabarti, 'Abd al-Rahman b. al-Shaikh Hasan, *'Aja'ib al-Athar fi'l-Taradjim wa'l-Akhbar*, Bulaq, 1297, 4 vols.

Margoliouth, D.S., Ed., *Irshad al-Arib ila Ma'rifat al-Adib* (or *Dictionary of Learned Men of Yaqut*), Leyden, 1907-13

Sprenger, A., and Mawlawi 'Abd al-Haqq, *Tusy's Index (Fihris Tusi) of Shi'ah Books*, Calcutta, 1853

8. *General*

Burton, Sir R.H., *Personal Narrative of a Pilgrimage to al Madinah and Mecca*, London, 1893

Lane, E.W., *The Manners and Customs of the modern Egyptians*, London

9. *Al-Ghazzali*

Gardner, W.R.W., *Al-Ghazali*, Madras, 1919

Gautier, L, *Ad-Do'ufra al-Fakhira la Perle Precieuse de Ghazzali*, Geneve, 1878

Macdonald, D.B., "The Life of Ghazzali," *Journal of the American Oriental Society*, Vol. XX, 1899

Zwemer, Samuel M., *A Moslem Seeker after God*, New York, 1920

Oxford University Press, Amen House, London E.C.4
GLASGOW NEW YORK TORONTO MELBOURNE WELLINGTON
BOMBAY CALCUTTA MADRAS KARACHI CAPE TOWN IBADAN
Geoffrey Cumberlege, Publisher to the University

ZURVAN

A ZOROASTRIAN DILEMMA

BY

R. C. ZAEHNER
SPALDING PROFESSOR OF EASTERN RELIGIONS AND ETHICS
IN THE UNIVERSITY OF OXFORD
FELLOW OF ALL SOULS COLLEGE

OXFORD
AT THE CLARENDON PRESS
1955

R 1525.15

HARVARD
UNIVERSITY
LIBRARY
MAR 22 1955

PRINTED IN GREAT BRITAIN

To

JEAN SEZNEC

PREFACE

ALTHOUGH it would be untrue to say that in the past twenty years little of importance has been written on Zoroaster and Zoroastrianism, it is nevertheless true that both Professor Nyberg's *Die Religionen des alten Iran* and Herzfeld's *Zoroaster*, the principal quantitative contributions to the subject in recent times, are concerned mainly with the origins of Zoroastrianism and kindred religions, not with the system as it later developed in Sassanian times. The Sassanian period, during which Zoroastrianism emerges as a fully fledged member of the 'higher' religions with a complex theology of its own, has received less attention than the inherent interest of the subject merits. There is one very solid reason for this—Pahlavī.

Students of Zoroastrianism, unless they belong to that rare and distinguished class of persons who do not know, know that they do not know, and rejoice in their invincible ignorance, are usually discouraged by the apparently insoluble problems presented by their principal sources: for the *Gāθās* which contain Zoroaster's own thoughts, and the *Dēnkart* which expounds the fully developed theology of the Zoroastrian 'golden age', are perhaps the most difficult texts in any language. But whereas, in the case of the *Gāθās*, the philological difficulties are such that we must, for the moment at least, despair of finding a certain solution, the difficulties of the *Dēnkart*, if only because of its greater bulk, are in many cases not insuperable. Comparison with parallel passages will often throw a flood of light on what seemed to be—and indeed are—hopelessly corrupt texts, and patience in this severe discipline is not infrequently rewarded. Professor Henning, in his Ratanbai Katrak lectures of 1949, has issued a solemn warning against 'those rash spirits who engage in Zoroastrian studies without equipping themselves properly, without reading the Pahlavī literature, without learning to handle the intricate Manichaean fragments in Middle Persian, Parthian, and Sogdian, without studying the Sogdian and Khotanese books'. The warning was, no doubt, timely; yet I must confess to insufficient equipment in this respect, for my knowledge of Soghdian is rudimentary, and of Khotanese nil. However, while admitting that a knowledge of these two languages may be *useful* to the student of Zoroastrianism, I cannot see that it is necessary.

In addition to a sound knowledge of Pahlavī, the Avesta, and the Manichaean texts, however, an indispensable qualification for the interpretation of the Middle Persian Zoroastrian texts is some acquaintance at least with

Hellenistic philosophy and a familiarity with the Aristotelian jargon; for it is becoming increasingly plain that the *Dēnkart* and the *Šikand* at least are as thoroughly permeated with Aristotelian thought as is the Arabic of the *mutakallimūn*. Fr. P. J. de Menasce has already made this sufficiently clear.

During the time that this book has been in the press my attention has been largely diverted from things Zoroastrian by my election as Spalding Professor of Eastern Religions and Ethics at my old University. Though it will no longer be possible to devote the greater part of my time to the elucidation of Zoroastrian problems which I still find fascinating, I hope at least to be able to make some contribution in this little-surveyed field; for Zoroastrian theology is interesting, and a study of the Pahlavī texts leaves one with a respect for the seriousness of the Zoroastrian approach to the major religious problems which could not be easily deduced from much that has lately been written on the subject.

I cannot claim that the present study on Zurvān fully brings out the theological issues with which Mazdean and Zervanite were alike preoccupied. Perhaps too much space has been devoted to the sometimes puerile myths attached to the person of Zurvān; but I hope that the later chapters of the book will show that both Mazdeans and Zervanites were concerned with more serious matters than bisexuality and incest—a point that never emerges from the writings of their Christian opponents. Both parties are vitally concerned with the problem of evil, the unity of the godhead, and their apparent incompatibility. It has been my aim to elicit from the texts the solutions they propounded, but I should be the last to claim that this book is more than a preliminary study.

Much of the philological work on which my translations are based has already appeared elsewhere ('Zurvanica I–III' in BSOS. ix, pp. 303–20, 573–85, 871–901, and 'A Zervanite Apocalypse', ibid. x, pp. 377–98, 606–31), but further study has made it necessary to alter the translation in places. This is particularly true of the text Z 20, one of the most crucial for our subject.

It is now nearly two years since the manuscript of this book was delivered to the Press. I have not found it necessary to alter much in the proof stage—only what seemed to me to be positive mistakes. There is, however, one point on which I have definitely changed my mind. This is the question of the Mithraic lion-headed deity. My unbounded admiration for Cumont had led me to accept his identification with Zurvān-Kronos without question. I can no longer do so. *A priori* it would seem certain that this monstrous and manifestly evil being must be the *deus Areimanius* to whom

votive tablets are dedicated; and this is borne out not only by the Manichaean evidence which Professor Duchesne-Guillemin has already cited (*Ormazd et Ahriman*, p. 128), but by the fact that both lion and snake figure prominently in the Pahlavī books as creatures of Ahriman, the first being the principal representative of the 'wolf species' and the second of the *χrafstars*. Ahriman, as master of this world (text F 4, § 1), would inevitably become adorned with the Signs of the Zodiac and the Planets: he would, in fact, be assimilated to Zurvān of the long Dominion just as Ohrmazd is assimilated to the Infinite Zurvān in many of the texts in this book. A preface is not, however, the place to marshal the evidence in support of this theory.

Since this book went to press I have had occasion to refer to the *Tabṣiratu'l-'awāmm* of Murtaẓā Rāzī. This preserves an account of the Zervanite myth which I had not previously seen, and which I append as an addendum.

In transliterating the Pahlavī texts I have followed the 'archaic' transcription used by Nyberg in his *Hilfsbuch*. There are minor divergences, and these will be quickly noticed but are of little importance. The presence of ideograms is noted by a *spiritus lenis* (') preceding the word ideographically written. Where manuscript variants are noted (as in texts Z 1 and 2), these may appear unvocalized in capital letters. Here W at the end of a word represents a *wāw quiescens*: underlining of other letters indicates that in the original these letters are provided with diacritical points (G = ǧ, D = ẓ, &c.). In noting variants I have not been consistent in indicating the presence or absence of a *wāw quiescens* or of the *iẓāfat*. My excuse is that this would have further lengthened a book which is already long enough, and that this was not justifiable in the circumstances; for the more Pahlavī one reads, the stronger does one's conviction grow that both are inserted or omitted at the copyist's good pleasure. When the presence or absence of an *iẓāfat* makes a difference to the sense I have, of course, indicated it. A notable example of this occurs on p. 338, where it makes a considerable difference whether one reads *Zurvān zēn* or *Zurvān i zēn*.

In the transcription of proper names in Part I, I must plead guilty to wild inconsistency. I realize that if we call the founder of the Sassanian dynasty Ardašīr we should call Āδurbāδ Āzurbād, and Pērōz Fīrūz. So far as I have been guided by any principle at all, it has been to give the New Persian form of names which are still current today and the (Manichaean) Middle Persian form to less well-known characters: but even this 'principle' has not infrequently been violated, as the case of Pērōz clearly shows.

There remains only the grateful task of apportioning thanks where thanks are due. First I would express my very great gratitude to the Delegates of the Clarendon Press for undertaking the onerous task of printing and publishing this bulky and unremunerative work. I could have wished that the object of their altruism were more worthy. Secondly, I would like to thank all those who have assisted in seeing the book through the Press; for I can well realize that if the sufferings endured by authors in the checking of proofs of this sort may be considerable, they can be as nothing compared to the agonies which both compositors and proof-readers must go through when confronted with page upon page of 'high-piping' Pahlavī. At all stages of the printing their accuracy and efficiency have been beyond praise; and if, despite all the patient and unrewarding work they have put into the production of this book, errors still remain, then I alone am responsible.

Mrs. Helen Allison, Mr. G. Morrison, and Mr. David Bivar have rendered me invaluable assistance in checking the accuracy of transcription and translation. Without their aid this task would have been infinitely more irksome. To them my thanks are very sincerely offered.

I am further indebted to the Editorial Board of the Bulletin of the School of Oriental and African Studies for allowing me to incorporate in this book material which has already appeared in the *Bulletin*. I greatly appreciate their generosity.

It gives me pleasure, too, to acknowledge my great debt to Professor Bailey, who, by teaching me Pahlavī, supplied me with the one tool that was really indispensable for my task; and to Professor Nyberg whose *Questions de cosmogonie et de cosmologie mazdéennes* first stimulated my interest in the father of Ohrmazd and Ahriman. Thus it would not be untrue to say that the 'matter' of this book derives from Bailey, the 'form' from Nyberg: for the combination only can I claim any credit. Finally, I would thank Professor Henning for coming to my assistance on many occasions when I had been unable to solve a philological point.

In conclusion I would express the hope that the publication of this work may do something to stimulate further interest in the Zoroastrian religion.

R. C. Z.

ALL SOULS COLLEGE
OXFORD

CONTENTS

ABBREVIATIONS xv

PART I. THE ARGUMENT

INTRODUCTION 3

I. THE ZOROASTRIAN SECTS 7

II. ZERVANISM AND MAZDEANISM IN THE SASSANIAN PERIOD 35

III. THE FATHER OF GOOD AND EVIL 54

IV. COSMOLOGY, I
(*a*) The God Vāy. 80
(*b*) The Mazdean Cosmology 91

V. COSMOLOGY, II
I. The Zervanite Fragments from the first Chapter of the *Greater Bundahišn* 105
(*a*) Zurvān of the long Dominion 106
(*b*) Spihr, the Body of Zurvān 111
(*c*) The Weapon of Concupiscence 113
(*d*) The Investiture of the Gods 118
(*e*) Vāy again 125
(*f*) The Endless Form 127
(*g*) The Manifestation of Creation 133
II. The Material Creation 134

VI. THE LUMINARIES 147

VII. I. THE DEMON ĀZ 166
II. WOMAN THE SEDUCTRESS OF MAN 183

VIII. THE THREE CREATORS 196

IX. THE GOD ZURVĀN
(*a*) The Fourfold God 219
(*b*) The Infinite Zurvān 231
(*c*) The Finite Zurvān 232

(*d*) The God of Death 239
(*e*) The Testimony of Firdausī 242

X. THE LAW AND FATE
(*a*) The Treaty and the Mean 248
(*b*) Fate 254

RETROSPECT 265

PART II. TEXTS

I. PASSAGES FROM THE AVESTA IN WHICH ZURVĀN APPEARS AS A GOD
A 1. *Vidēvdāt* 19. 29 275
A 2. Passages mentioning Zurvān as a deity (Ys. 72. 10: Vd. 19. 13: 19. 16: *Nyāyišn* 1. 8) 275

II. TEXTS RELATIVE TO ZURVĀN FROM ZOROASTRIAN SOURCES OTHER THAN THE AVESTA
Z 1. *Greater Bundahišn*, Chapter I 276
Text 278
Notes 285
Translation 312
Z 2. *Greater Bundahišn*, Chapter III 321
Text 321
Notes 324
Translation 333
Z 3. From the 26th chapter of the *Greater Bundahišn* (Anklesaria, 166. 4–167. 9) 336
Z 4. *Selections of Zātspram*, Chapter I 339
Z 5 (*a*). *Selections of Zātspram*, Chapter XXXIV 343
(*b*). From the *Pahlavī Rivāyats*, 48, §§ 90–96 354
Z 6. From the 4th chapter of the *Greater Bundahišn* (Anklesaria, 39. 11–41. 10) 355
Z 7. From the *Pahlavī Rivāyats*, pp. 127–37 360
Z 8. *Mēnōk i Xrat*, Chapter VIII 367
Z 9. From the *Dēnkart* (Madan, 347. 1–22) 369
Z 10. From the *Dēnkart* (Madan, 349. 1–350. 10) 371
Z 11. From the *Dēnkart* (Madan, 203. 16–206. 23) 374

Z 12. From the *Dēnkart* (Madan, 21. 15–24. 5) 378
Z 13. From the *Aβyātkār i Žāmāspīk* (Messina 2. 2) 381
Z 14. From the *Dēnkart* (Madan, 128. 16–129. 3) 382
Z 15. From the *Dēnkart* (Madan, 132. 21–133. 9) 383
Z 16. From the *Dēnkart* (Madan, 207. 1–7) 383
Z 17. From the *Dēnkart* (Madan, 198. 18–199. 6) 384
Z 18 (*a*). From the *Dēnkart* (Madan, 221. 11–224. 8) 384
(*b*). From the *Dēnkart* (Madan, 567. 10–14) 388
Z 19. From the *Dēnkart* (Madan 228. 1–22) 388
Z 20. From the *Dēnkart* (Madan 282. 7–283. 17) 389
Z 21. From the *Dēnkart* (Madan, 290. 8–12) 391
Z 22. From the *Dēnkart* (Madan, 293. 15–294. 3) 391
Z 23. From the *Šikand Gumānī Vazār*, Chapter XVI, §§ 53–111 392
Z 24 (*a*). *Mēnōk i Xrat*, Chapter XXVIII 396
(*b*). *Aβyātkār i Vazurg-Miθr*, §§ 129–36 397
Z 25 (*a*). From *Yavišt i Friyān*, Chapter II, §§ 37–40 397
(*b*). From *Pahlavī Texts*, p. 40, l. 13 397
Z 26 (*a*). From the *Aβyātkar i Žāmāspīk* (Messina 14. 16–17) 398
(*b*). From *Pahlavī Texts*, p. 76, §§ 23–24 398
Z 27. *Mēnōk i Xrat*, Chapter XXVII 399
Z 28 (*a*). *Mēnōk i Xrat*, Chapter XII 399
(*b*). *Mēnōk i Xrat*, Chapter XXXVIII 401
Z 29. *Mēnōk i Xrat*, Chapter XLVII 401
Z 30. *Mēnōk i Xrat*, Chapter XXII 402
Z 31 (*a*). *Mēnōk i Xrat*, Chapter XXIII 402
(*b*). *Mēnōk i Xrat*, Chapter LI 403
Z 32. *Mēnōk i Xrat*, Chapter XXIV 404
Z 33 (*a*). *Aβyātkār i Vazurg-Miθr*, §§ 105–9 404
(*b*). *Epistle of Tansar* (Minovi, p. 45) 405
Z 34 (*a*). Gloss to Pahlavī *Vidēvdāt* 5. 9 405
(*b*). From the *Dēnkart* (Madan, 284. 13–20) 406
Z 35 (*a*). From the *Dēnkart* (Madan, 568. 3–12) 407
(*b*). From *Pahlavī Texts*, p. 82, ll. 9–16 407
(*c*). From Ghazālī, *Nasīḥatu'l-Mulūk* (Humā'ī, pp. 123–4) 408
Z 36. From the *Persian Rivāyats* (Hormazyār), vol. ii, p. 53 408
Z 37. The second *'Ulemā i Islām*, Hormazyār, vol. ii, pp. 80–86 409
Z 38. From the *Persian Rivāyats*, Dhabhar's Translation, p. 438 418

III. POLEMICS AGAINST THE ZOROASTRIAN RELIGION AND NOTICES THEREOF FROM CHRISTIAN, MANICHAEAN, AND MUHAMMADAN SOURCES WRITTEN IN ORIENTAL LANGUAGES

F 1. The Zervanite Myth preserved by Eznik of Kołb, Ełišē Vardapet, Theodore bar Kônai, and Yohannân bar Penkayê 419
F 2. From Theodore Abū Qurra, *On the True Religion* (Cheikho, pp. 12–13) 428
F 3 (*a*). From the *Dēnkart* (Madan, 829. 1–5) 429
(*b*). Manichaean Fragment (Salemann, *Manich. Stud.* p. 10) 431
(*c*). From the Manichaean *Xᵛastuānift* (von le Coq, JRAS. 1911, p. 282) 431
(*d*). From the Syriac *Acts of the Persian Martyrs* (Bedjan, vol. ii, p. 221) 432
F 4. From Šahristānī, *Kitābu'l-milal wa'n-niḥal* (Cureton, pp. 183–5) 433
F 5. From the Syriac *Acts of the Persian Martyrs* (op. cit. pp. 576 ff.) 434
F 6. From the *Interpretation of the Laws concerning Sexual Intercourse and Marriage* (Sachau, *Syrische Rechtsbücher*, iii, p. 265) 437
F 7 (*a*). From Eznik of Kołb, *Against the Sects*, Book II, Chapter 8 438
(*b*). From a Persian Manichaean Fragment (Henning, *Zoroaster*, p. 50) 439
F 8. From the treatise on *The Cause of the Foundation of the Schools*, by Mâr Barhad Bešabbâ (Addai Scher, *Patrologia Orientalis*, iv, pp. 365–7) 439
F 9. Anonymous Syriac Text (Nyberg, JA. ccxiv, 1929, pp. 238–41) 440
F 10. From Theodore bar Kônai, *Book of Scholia* (Pognon, *Inscriptions mandaïtes des coupes de Khouabir*, pp. 111 ff. and 161 ff.) 441
F 11. From Eznik of Kołb, *Against the Sects*, Book II, Chapter 9 442
F 12. From Mas'ūdī, *Kitābu't-tanbīh wa'l-išrāf* (de Goeje, p. 93) 443
F 13. From Firdausī, *Šāhnāmeh* (Vullers, i, pp. 208–11) 444

IV. GREEK TEXTS

G 1. From Damascius, *Dubitationes et Solutiones*, 125 bis 447
G 2. From Theodore of Mopsuestia *apud* Photius, bibl. 81 447
G 3. From Hippolytus, *Refutatio omnium haeresium*, i. 2. 12–13 447
G 4. From Plutarch, *De Iside et Osiride*, 45–47 448
G 5. From Basilius, *Epistula 258 ad Epiphanium*, 4 449
G 6. Inscription of Antiochus I of Commagene 449
G 7. From Psellus, *De Operatione Daemonum* (Boissonade, 3) 450

ADDENDUM TO F 4 451

BIBLIOGRAPHY 453

INDEXES 459

ABBREVIATIONS

N.B. Abbreviated titles of books or articles are only noted here in cases where the abbreviated title is not obvious.

AASOR. *Annual of the American Schools of Oriental Research.*
AbPAW. *Abhandlungen der preussischen Akademie der Wissenschaften.*
AIW. Bartholomae, *Altiranisches Wörterbuch.*
AJSLL. *American Journal of Semitic Languages and Literature.*
Andreas–Barr, *Psalter: Bruchstücke einer Pehlevi-Übersetzung der Psalmen.*
Andreas–Henning, MirMan.: *Mitteliranische Manichaica aus Chinesisch-Turkestan.*
AO. *Acta Orientalia.*
Aog. *Aogəmadaēčā.*
Arm. Armenian.
Av. Avesta, Avestan.
AVM. *Aβyātkār i Vazurg-Miθr*, in *Pahlavī Texts.*
AVN. *Artāy Virāβ Nāmak.*
Bd. *Bundahišn.*
BkPhl. Book Pahlavī.
BSO(A)S. *Bulletin of the School of Oriental (and African) Studies*, London.
CCM. Nyberg, *Questions de cosmogonie et de cosmologie mazdéennes.*
Clemen, *Fontes. Fontes historiae religionis persicae.*
Cumont, MMM. *Textes et monuments figurés relatifs aux mystères de Mithra.*
Darmesteter, ZA. *Le Zend Avesta.*
Dd. *Dātastān i dēnīk.*
Dk. *Dēnkart.* M. Madan; S. Sanjana.
ERE. *Encyclopaedia of Religion and Ethics.*
FrPhl. *Frahang i Pahlavīk.*
FrŌīm. *Frahang i Ōīm.*
GGA. *Göttingische gelehrte Anzeigen.*
GrBd. *Greater Bundahišn.*
Herzfeld, AMI. *Archäologische Mitteilungen aus Irān.*
Ind. Bd. *Indian Bundahišn.*
JA. *Journal Asiatique.*
JAOS. *Journal of the American Oriental Society.*
JNES. *Journal of Near Eastern Studies*, Chicago.
JRAS. *Journal of the Royal Asiatic Society.*
Kn. *Kārnāmak i Artaχšaθr i Pāpakān.*
Langlois. *Collection des historiens anciens et modernes de l'Arménie.*
MhD. *Mātiyān i hazār dātastān.*
MMM. v. Cumont.
MO. *Monde Oriental.*
MParthT. Middle Parthian, Turfān.
MPT. Middle Persian, Turfān.
Mχ. *Mēnōk i Χrat.*
NGGW. *Nachrichten von der Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen.*
Nöldeke, *Ṭabarī. Geschichte der Perser, &c.*
NP. New (Muhammadan) Persian.
Ny. *Nyāyišn.*
Nyberg, CCM. v. CCM.
Nyberg, Glossar: *Hilfsbuch des Pehlevi*, II, *Glossar.*

OLZ. *Orientalische Literatur-Zeitung.*
OP. Old Persian.
Pāz. Pāzand.
PersRiv. *Persian Rivāyats.*
P.G. Migne, *Patrologia Graeca.*
Phl. Pahlavī.
PhlRiv. Pahlavī Rivāyats.
Pn. *Pandnāmak i Zartuχšt,* in *Pahlavī texts.*
Psalter. v. Andreas–Barr, *Psalter.*
Purs. *Pursišnīhā,* in Darmesteter, ZA. III, pp. 53–77.
Rev. Et. Arm. *Revue des études arméniennes.*
RHR. *Revue de l'histoire des religions.*
RSO. *Rivista degli studi orientali.*
RV. *Rig-Veda.*
SBE. *Sacred books of the East.*
SbPAW. *Sitzungsberichte der preußischen Akademie der Wissenschaften.*
ŠGV. *Shikand-gûmânîk vijār.*
Skt. Sanskrit.
ŠnŠ. *Šāyast nē šāyast.*
ŠnV. *Šāhnāmeh,* ed. Vullers.
Vd. *Vidēvdāt.*
WZKM. *Wiener Zeitschrift für Kunde des Morgenlandes.*
YF. *Yavišt i Friyān.*
Ys. *Yasna.*
Yt. *Yašt.*
ZA. v. Darmesteter, ZA.
ZDMG. *Zeitschrift der deutschen morgenländischen Gesellschaft.*
Zeitschr. f. Kircheng. *Zeitschrift für Kirchengeschichte.*
ZII. *Zeitschrift für Indologie und Iranistik.*
Zn. (*Žāmāsp-nāmak*) *Aβyātkār i Žāmāspīk,* ed. Messina.
Zs. Zātspram.
ZumAIW. Bartholomae, *Zum altiranischen Wörterbuch.*
ZXA. *Zand i χᵛartak apastāk.*

PART I
THE ARGUMENT

CORRIGENDA

p. 93 n. 5, l. 3: *For* text 12 *read* text Z 12

p. 121, n. 3, l. 6: *For* Z 2, l. 2 [one] note *read* Z 2, l. 15 note

p. 211, l. 8 from foot: For *wa'ṯ-tamyīzu* read *wa-'t-tamyīzu*

p. 308, l. 13: For *balād* read *bālāδ*

p. 357, l. 2 from foot: For (*DMM*) read (*MDM*)

p. 431, l. 9: *For* according *read* attributed

p. 464, col. 1: For *aβsiēn-* read *aβsiδēn-*
For *aβsiīhišn* read *aβsiδīhišn*

p. 486, col. 1, last line: For *isvan* read *misvan*

INTRODUCTION

ĪRĀN is, in the strictest sense, the Middle East. It is the bridge that connects, or the chasm that separates, the two great cultures of the ancient world—our own Mediterranean culture on the one hand, founded as it is on the contrasted civilizations of Greece and Israel, and that of farther Asia on the other, having India and China as its twin corner-stones. For this reason Īrān has naturally attracted the attention of Orientalists as being the obvious link between these two distinct and widely differing civilizations. Given its geographical position and troubled history, Īrān should have been the fertile meeting-ground of East and West. Here, if anywhere, we should expect to find a fruitful synthesis of the speculative and mystical systems of India and the positive theism of the Semites. This has, however, only to a small extent been the case: or so, at least, we are left to surmise; for, compared with the vast and highly developed literatures of India and the Hellenistic world, Iranian literature of the 'Middle' period (*c.* 300 B.C. to A.D. 900) is, both in quality and quantity, disappointing; and speculation as to how much may have been lost is largely futile.

Further, until the Muhammadan conquest wiped out the earlier religions of the Middle East, the religion of Zoroaster was supreme in Īrān. Revived at the beginning of the third century A.D., Zoroastrianism proceeded not only to put its own house in order but to deal ruthlessly with such foreign religions as had succeeded in taking root on its soil. Indeed the Sassanian period, with which this book is primarily concerned, shows a distinct family resemblance to that of the later Safavīs when, after some eight hundred years of political eclipse, the Persian Empire was again restored under an indigenous dynasty. In both cases the rulers of an empire which was united in neither race nor language sought to impose a State religion on their subjects, which would at least give them a semblance of religious unity, if of no other. Both the Zoroastrians in Sassanian times and the Shī'ah Muslims in the Safavī period proved to be exceptionally intolerant of other religions—largely, one suspects, to emphasize their difference from the neighbouring states. This atmosphere of religious nationalism, then, would not *a priori* seem propitious for any merging of foreign ideas on Iranian soil. A further stumbling-block to such a development was the nature of the Zoroastrian religion itself: for Zoroastrianism was uncompromisingly dualist. Nor was its dualism the classic dualism between spirit and matter which would have provided a common meeting-ground with the Indian Jains and the Sāṁkhyā to the East, with the Gnostics to the

West, and with the Manichaeans in Īrān itself. It was a dualism of spirit postulating two principles at the origin of the Universe—the Spirit of Good or Ohrmazd, and the Spirit of Evil or Ahriman. This extremely original idea dates back to Zoroaster himself, and it is his basic contribution to the philosophy of religion. As far as we can determine from the evidence available, Zoroaster was personally responsible for this radical solution of the problem of evil; and this is all the more remarkable in that this essential problem does not seem to have made any serious impact on the Aryan consciousness until his day. Yet the doctrine of the two Spirits could scarcely be more categorically stated than in *Yasna* 30. 3–4, where Zoroaster himself says:

> In the beginning the two Spirits who are the well-endowed(?) twins were known as the one good, the other evil, in thought, word, and deed. Between them the wise chose the good, not so the fools. And when these Spirits met, they established in the beginning life and the absence of life that in the end the evil should meet with the worst existence, but the just with the Best Mind.

Though it was no doubt Zoroaster himself who sowed the seed of spiritual dualism, it was left to his epigones in later times to systematize it. A Zoroastrian confession of faith is found in the *Pand-nāmak i Zartuχšt* §§ 2 ff. (PhlTexts, p. 42) which expounds the dualist creed with all desirable clarity.

> This must I know without venturing to doubt: I came from the spirit, nor was I (always) from the world. I was created, and have not (always) been. I belong to Ohrmazd, not to Ahriman; to the gods, not to the demons; to the good, not to the evil. I am a man, not a demon. I am a creature of Ohrmazd, not of Ahriman . . . (§ 12) I must firmly believe that there are two principles, one the Creator, and the other the Destroyer. It is the Creator, Ohrmazd, who is all goodness and all light, and the accursed Destroyer, Ahriman, who is all evil, full of death, a liar and a deceiver.

Zoroastrianism, then, separated itself on the fundamental issue of the unity of the godhead from all other systems whether monist or monotheistic: and among dualist systems it is unique in that its dualism is not the classic dichotomy of spirit and matter, found in different forms and degrees of virulence in both India and the West and reaching its clearest statement in the religion of the Manichees; but it is a dualism of two rival spiritual and moral forces—good and evil, light and darkness, order and disorder, Ohrmazd and Ahriman. Matter does not essentially enter into the question at all. Indeed, when it is formed or created, it is formed by Ohrmazd and is therefore good. Later, it is true, it is corrupted by Ahriman, but basically it belongs to Ohrmazd and is anything but the source of evil.

It can be readily understood that so fundamental a dualism might well produce a reaction, since the history of religion proves that the nature of man seems to demand a unified godhead. This reaction duly appeared: it is what we call Zervanism. As might be expected in a heterodox sect, in Zervanism we do appear to find traces of alien ideas which were so rigorously excluded from the Zoroastrian orthodoxy: and it is the tenets of this sect and its possible connexions with non-Iranian religions that we propose to examine in these pages.

It will have been noticed in the passage quoted above from *Yasna* 30 that the two primeval spirits are referred to as twins. If they are twins, then it is only logical to assume that they had a common father. If they had such a father, it would be reasonable to suppose that that father is the Infinite, since the twins, limiting each other as they do, can neither of them be infinite. The Infinite appeared most frequently in the Zoroastrian writings as Infinite Time (*zrvān- akarana-* or, in Pahlavī, *zurvān i akanārak*). Hence Ohrmazd and Ahriman came to be regarded as the twin sons of Infinite Time.

Here, plainly, was a major heresy. The Zervanites tried to re-establish the unity of the godhead by positing a principle prior and superior to Ohrmazd and Ahriman, thereby doing away with that essential dualism which is the hub of the Zoroastrian position. The orthodox appear to have reacted against this heresy with vigour; and the sharpness of their reaction has made the reconstruction of the Zervanite system doubly formidable. For the Pahlavī texts, as they survive today, are orthodox texts in which every effort has been made to expunge all trace of the Zervanite heresy. Zervanism, therefore, shares the fate of all sects that have not been able to survive: it is never (or hardly ever) allowed to speak for itself. Of all our sources only one, the so-called *'Ulemā i Islām* (text Z 37), is written from the Zervanite point of view; and this text is very late. The non-Zoroastrian sources are mainly Christian and Manichaean, and their approach is understandably unsympathetic and hostile; while the orthodox Zoroastrians, whose work the present corpus of Pahlavī literature represents, have done all they could to eradicate older ideas which could no longer be tolerated in the official dualism. Fortunately the censors of the Sassanian and post-Sassanian periods were less expert at the rewriting of history than their Stalinist successors; and Zurvān has fared better at their hands than has Trotsky among the forgers of the Kremlin. Despite their vigilance passages remain in the Pahlavī books themselves which enable us to uncover fragments of Zervanite belief from their orthodox overlay. This has been a delicate task, but it has, we hope, enabled us to form

a somewhat clearer picture of this half-forgotten and highly obscure religion.

Our Pahlavī sources, it must be confessed, are irritatingly obscure. They are written in an ambiguous and rebarbative script which has tried the patience of Orientalists for more than a century. In addition, the *Dēnkart*, that great corpus of Zoroastrian theology and potentially by far the most important of our extant sources, is undoubtedly the most corrupt text in any Iranian language of any period. Added to this, it is written in an abbreviated 'note' style compared with which the *Metaphysics* of Aristotle is plain sailing. There is no punctuation: and if there is, it is all too frequently misplaced. The existing translations seem to bear little relation to the maddening original, and we are left therefore to cope with the thing as best we can, alone.

True, the study of Pahlavī has been considerably facilitated by the discovery of the Manichaean Middle Persian texts from Turfān: yet the difficulties that still remain are so considerable that I have found it necessary to publish the more important Pahlavī sources in transliteration (with translation and commentary) in article form before incorporating them into this book. To these articles (published in the BSO(A)S., vols. ix and x) the reader is referred for the philological justification of my translations.

This book, then, has two objects: first, to collect the relevant texts from all sources in one volume, and secondly to fit together this jigsaw puzzle into some sort of unity into which the individual pieces could, without violence, fit. Although singularly little has been written about Zurvān and Zervanism, and despite the fact that what little has appeared is now largely out of date, the subject appears to have fascinated scholars working in such disparate fields as Buddhism and the heresy of the Bogomils, not to mention the various forms of Gnosticism, Mithraism, and the religion of the Mandaeans. Since scholars working in so great a variety of fields have seemed to attach such great importance to the god Zurvān and the religion over which he presides, it has seemed worth while to marshal the evidence and rebuild the edifice as best we can. This is the object and the justification of the present work.

CHAPTER I

THE ZOROASTRIAN SECTS

THE year A.D. 226 marks the foundation of the second Persian Empire. Persia for the second time appears on the scene of history as a great power and as the eastern rival of the Roman Empire. The Parthian confederation which had for so long dominated the Middle Eastern scene was swept aside, defeated by a Persian of the province of Fārs, Ardašīr, the son of Pāpak. This man was to lay the foundations of what is known in history as the Sassanian Empire. The empire he founded differed greatly from its predecessor in that it was highly centralized under the supreme headship of the King of Kings, an absolute monarch who enjoyed almost divine honours.

Corresponding with the political change was another: the religion of the Magians, worshippers of Ahura Mazdāh (Ohrmazd), or Zoroastrians as they may now be indifferently called, was elevated to the position of official religion of the Iranian autocracy. Under the Parthian overlords this religion would appear to have sunk very low, and information concerning its fortunes is exceedingly scant. There would appear to have been no one belief which could lay claim to orthodoxy among the many shades of Iranian religion that must then have been current. There can, however, be little doubt that during the Seleucid and Parthian epochs Hellenistic influences made themselves felt which may even then have penetrated into the Zoroastrian religion itself.

For the Sassanian period we are less completely in the dark; for we are fortunate in possessing an account by the Zoroastrian priests themselves of the rehabilitation of their religion. This account is of such importance to our investigation that it must be quoted in full. It is to be found in the fourth book of the *Dēnkart*,[1] a great corpus of religious learning dating, in matter, from the late Sassanian period. The text of this formidable work is notoriously corrupt, and its style cramped, arid, and obscure. With regard to the last epithet at least our present passage is no exception to the depressing rule, and we therefore offer our translation with some misgiving, but hope that it nevertheless comes near to rendering the thoughts of the original. It runs as follows:[2]

Dārāy, son of Dārāy,[3] commanded that two copies of all the Avesta and Zand

[1] DkM. 412. 3–415. 3. The text will be found in the appendix to this chapter.

[2] Cf. Darmesteter, ZA. iii, p. xxxi.

[3] Meaning Darius Codomannus, whom writers of the Sassanian period supposed to be the son of Darius the Great. Of all the Achaemenids two Dariuses alone were known to them.

should be written, even as Zoroaster had received them from Ohrmazd, and that one should be preserved in the Royal Treasury and one in the National Archives.

Valaχš (Vologeses),[1] the Arsacid, commanded that a memorandum be sent to the provinces (instructing them) to preserve, in the state in which they had been found in (each) province, whatever of the Avesta and Zand had come to light and was genuine, and also any teaching deriving from it which, although now scattered owing to the chaos and disruption which Alexander had brought in his wake and the pillage and looting of the Macedonians in the kingdom of Īrān, either survived in writing or was preserved in an authoritative oral tradition.

His Majesty, the King of Kings, Artaχšaθr (Ardašīr I), son of Pāpak, following Tansar as his religious authority, commanded all those scattered teachings to be brought to the court. Tansar set about his business and selected one (? tradition) and left the rest out of the canon: and he issued this decree: 'The interpretation of all the teachings from the Mazdayasnian religion is our responsibility: for now there is no lack of certain knowledge concerning them.'

The King of Kings, Šāpuhr (Šāpūr, Sapor I), son of Artaχšaθr, further collected those writings from the Religion which were dispersed throughout India, the Byzantine Empire, and other lands and which treated of medicine, astronomy, movement, time, space, substance, creation, becoming, passing away, change in quality, growth (?), and other processes and organs. These he added to the Avesta and commanded that a fair copy of all of them be deposited at the Royal Treasury: and he examined (the possibility) of bringing all systems(?) into line with the Mazdayasnian Religion.

The King of Kings, Šāpuhr, son of Ohrmazd (Šāpūr II), summoned men from all lands to an unprejudiced(?) disputation to examine and investigate all creeds. After Āδurbāδ had been vindicated by the consistency of his argument, he issued a declaration before all those representatives of the different sects, doctrines, and schools in this wise: 'Now that we have seen the Religion upon earth, we shall not tolerate false religions and we shall be exceeding zealous.' And thus did he do.

His present Majesty, the King of Kings, Xusrau (Chosroes I), son of Kavāδ (Cabades, Qubād), after he had put down irreligion and heresy with the greatest vindictiveness according to the revelation of the Religion in the matter of all heresy, greatly strengthened the system of the four castes and encouraged precise argumentation, and in a diet (?) of the provinces he issued the following declaration: 'The truth of the Mazdayasnian religion has been recognized. Intelligent men can with confidence establish it in the world by discussion. But effective and progressive propaganda should be based not so much on discussion as on pure thoughts, words, and deeds, the inspiration of the Good Spirit, and the worship of the gods paid in absolute conformity to the word. What the chief Magians of Ohrmazd have proclaimed, do we proclaim; for among us they have been shown to possess spiritual insight. And we have asked and ask of them the fullest exposition of doctrine both of that which concerns spiritual insight and of that which deals with conduct on earth, and for this we give thanks to the gods. Fortunately for the good governance of the country the realm of Īrān has

[1] It cannot be determined which of the four Vologeses is here meant.

gone forward relying on the doctrine of the Mazdayasnian religion, that is the synthesis of the accumulated knowledge of those who have gone before us throughout the whole of X^vanīras.[1] We have no dispute with those who have other convictions, for we (ourselves) possess so much both in the Avestan language through pure oral tradition or reduced to writing in books and memoranda and in the vulgar idiom through oral transmission—in short the whole original wisdom of the Mazdayasnian religion. Whereas we have recognized that, in so far as all dubious doctrines, foreign to the Mazdayasnian religion, reach this place from all over the world, further examination and investigation prove that to absorb and publish abroad knowledge foreign to the Mazdayasnian religion does not contribute to the welfare and prosperity of our subjects as much as one religious leader (*rat*) who has examined much and pondered much in his recital (of the ritual); with high intent and in concert with the perspicacious, most noble, most honourable, most good Magian men, we do hereby decree that the Avesta and Zand be studied zealously and ever afresh so that what is acquired therefrom may worthily increase and fertilize the knowledge of our subjects. Those who tell our subjects either that it is not possible to acquire, or that it is possible to acquire in its entirety, knowledge of the Creator, the mystery of spiritual beings, and the nature of the Creator's creation, are to be deemed men of insufficient intellect and free-thinkers. Those who say that it is possible to understand Being through the revelation of the Religion and also by analogy, are to be deemed researchers (after truth). Those who expound (this doctrine) clearly, are to be deemed wise and versed in the Religion. And since the root of all knowledge is the doctrine of the Religion concerning both ideal potentiality and material manifestation, a man (who speaks in this cause) speaks wisely even though he derives the doctrine from no Avestan revelation. So he should be esteemed as (speaking) in accordance with the revelation of the Religion, the function of which is to give instruction to the sons of men.'

It will have been observed from the above that at the time of the accession of Ardašīr I the Zoroastrian 'Church' was in a state of the extremest disorganization. What writings it may have possessed—and it has been maintained that it possessed none[2]—are alleged to have been scattered throughout the provinces. That Tansar, the *hērbaδān-hērbaδ*[3] of Ardašīr, collected what material he could find and reduced it to some sort of canon we have no good reason to disbelieve. The discovery at Ka'beh i Zartušt of the great inscription of the high priest Kartīr whose career starts during

[1] The central of the seven mythical climes.

[2] v. F. Nau in RHR. xcv, pp. 149–99, and JA. 1927, pp. 150 ff. Nyberg, *Die Religionen des alten Iran*, pp. 13–14, suggests that the Avesta was preserved in only two or three copies and that it played little part in the religious life of the average Mazdean: cf. Christensen, *L'Iran sous les Sassanides*, pp. 509–12. Bailey (*Zoroastrian Problems*, p. 172) assigns the first writing down of the Avesta to the middle of the sixth century A.D.

[3] For a discussion of the titles *hērbaδ* and *mōbaδ* v. Wikander, *Feuerpriester in Kleinasien und Iran*, pp. 23 ff.

the reign of Ardašīr's successor, Šāpūr I, is scarcely sufficient, as Sprengling would have us believe,[1] to relegate Tansar entirely to the realm of romance. It is, of course, possible that Tansar was in fact identical with Kartīr, as Sprengling maintains, and the record preserved in the *Dēnkart* attributes to Tansar the exploits of Kartīr; for it is true that the accounts of Ardašīr's reign in the Pahlavī books are very much more legendary than historical. Legend, however, weaves itself round a core of historical fact; and were Tansar not remembered as a pioneer of the Zoroastrian revival in Sassanian times, it is difficult to see any reason why the pseudo-Tansar whose epistle appears to date from the reign of Xusrau I (A.D. 531–78)[2] should have thought it worth while to borrow his name. The personality of Tansar is indeed almost entirely lost to us, but his importance as the reviver of Zoroastrianism is remembered. The *Dēnkart* says of him: 'Neither shall unrighteous turmoil, nor unrighteous devil-worship, nor unrighteous calumny be eradicated from the provinces until men offer to accept him, the priest, the spiritual leader, the eloquent, truthful, blessed Tansar.'[3] The later evidence is all somewhat suspect. The author of the epistle represents him as a sage who retired from the world, while Mas'ūdī[4] attributes Platonist ideas to him. All this, however, should be taken with a large pinch of salt, for the evidence is late and the source on which it is based, i.e. the Sassanian *χᵛatāynāmak* or 'Book of Kings', does not seem to have drawn on authentic records for the earlier Sassanian period.

The *Dēnkart* references to the reign and religious activities of Šāpūr I are of considerable interest; for he is said to have incorporated a variety of Greek and Indian works into the Avesta. The Persians, in this respect as in many others so very different from the Greeks, were never over-anxious to admit their indebtedness to foreign influences, though these have throughout their history been of overwhelming importance. It is, then, of great significance that we should find them here freely admitting the infiltration of scientific-religious matter both from West and East into their religious system. It is the more significant in that Šāpūr I is known to have dabbled in heterodoxy and more particularly in the newly founded religion of Mānī,[5] which was to prove so vicious a thorn in the side of Christianity and Zoroastrianism, and later of Islām itself. The overwhelming probability,

[1] AJSLL. lvii, 1940, pp. 214–15.

[2] v. Markwart, *Ērānšahr*, i, pp. 30 and 48; Christensen, *L'Empire des Sassanides*, pp. 111–12.

[3] DkM. 652. 10: *'nē-ič 'hač 'ān 'dēh 'ān i apārōn anāštīh frāč aβsiδīhēt 'ut 'nē 'ān i apārōn *dēvāsn 'ut 'nē 'ān i apārōn spazgīh 'tāk 'kaδ ō 'avē *'dahēnd patīrišn āsrōn i mēnōk sardār i purr-guftār rāst-guftār i ahrov Tansar.*

[4] *Murūj*, Barbier de Meynard, ii, p. 161.

[5] H. C. Puech, *Le Manichéisme*, p. 47 and notes 188 and 189 (p. 134), where the references to the original sources are given.

then, is that the *Dēnkart* account of the influx of foreign influences during this period is substantially true.

This seems now to be proved by the evidence of the great inscription of Kartīr recently discovered at Ka'beh i Zartušt. Most unfortunately the only edition of this vitally important source gives neither text nor transliteration, but only a dead-literal translation interspersed with odd words in the original.[1] From this, however, it emerges clearly that Kartīr, who describes himself as *ēhrpat* (*hērbaδ*) under Šāpūr I and *magupat* (*mōbaδ*) under his successors, persecuted Brahmans and Buddhists as well as Manichaeans. Thus the penetration of Indian as well as Greek ideas into Īrān at this time seems to be established beyond reasonable doubt: and the correctness of the information transmitted in our *Dēnkart* passage receives unexpected and welcome confirmation. The activities of this amazing man can conveniently be dealt with later in the chapter: for the present we must confine ourselves to the *Dēnkart* text.

According to this the 'orthodox' reaction set in under Šāpūr II. The protagonist of the reaction was one Āδurbāδ, son of Mahraspand, who looms large throughout the Pahlavī books. We do not know what the different 'sects, doctrines, and schools' mentioned in the text were, nor is it clear whether they refer to Zoroastrian sects only or to non-Iranian religions as well. In view of the second Šāpūr's savage persecution of the Christians which, in the light of Kartīr's inscription, can now be regarded as a prolongation and intensification of an already existing state of affairs, it may be concluded that the views of the non-Zoroastrians were not sought. Certain it is that the question was decided by ordeal,[2] that Āδurbāδ emerged victorious, that his doctrine was then accepted as orthodox, and that divergence from this new rule of faith was not tolerated.

For the years between Šāpūr II and Xusrau I the Pahlavī books give no information whatsoever. Their silence suggests that these years were distasteful to the post-Sassanian theologians to whose hand we owe the Pahlavī books in their present form. Xusrau's predecessor and father, Kavāδ, was certainly not dear to them. Like Šāpūr I he toyed with the newest religion then current, in this case that of the communist Mazdak. Under the circumstances the necessity for Xusrau's decree will be readily understood. It seems probable that the version preserved in the *Dēnkart* is, if not Xusrau's *ipsissima verba*,[3] at any rate very close to the actual

[1] M. Sprengling, 'Kartīr, Founder of Sasanian Zoroastrianism', AJSLL. lvii, 1940, pp. 197–228.

[2] The story of the ordeal of Āδurbāδ is told in DkM. 454. 3; 644. 19; ŠGV. 10. 70.

[3] But see Bartholomae, *Zur Kenntnis der mitteliranischen Mundarten*, iii, p. 10, who maintains that the use of the word *'im* 'this' proves that the author of the *Dēnkart* was transcribing an official document.

decree. The style has a breadth and dignity wholly unlike the jejune and pinched manner of the bulk of that book, and for the events of the reign of Xusrau the author must have had ample material at his disposal; for the historians dependent on the *χᵛatāynāmak* give very full accounts of this reign.

But, it may well be asked, in what way does the *Dēnkart* passage throw light on the so-called Zervanite religion? To this we must lamely reply that its value is largely negative. It gives no positive data concerning the prevalence of Zervanite ideas, but it does indicate with all desirable clarity those periods when 'pure' Mazdeanism was supreme. The *Dēnkart*—in essence much less tainted with Zervanism than the *Bundahišn* or Zātspram—regards the reigns of Šāpūr II and Xusrau I as the peak periods of the particular Mazdean brand of Zoroastrianism it represents. Both are characterized by an onslaught on heresy. For the post-Sassanian Pahlavī authors Āδurbāδ and Xusrau are the heroes of their faith; and it is no accident that both are fathered with collections of *handarzes* or wise sayings,[1] an honour accorded to few other figures under the Sassanian dominion. By submitting to the ordeal and emerging from it victorious, Āδurbāδ obtained the acceptance of his doctrine by Šāpūr II:[2] and that that doctrine was that adopted after the fall of the Sassanian Empire can scarcely be doubted. It is the dualist doctrine, the doctrine of the two primeval spirits, Ohrmazd and Ahriman, both without beginning, separate from and opposed to each other, the principles of good and evil, light and darkness—the 'pure' Mazdean doctrine as it will be convenient to call it. Zurvān, known to us as the father of Ohrmazd and Ahriman from a variety of sources, is either unknown to it or regarded as an hypostasis of Ohrmazd. It is basically the doctrine of the *Dēnkart*, which claims to have been handed down for five or six generations in the family of Āδurbāδ himself.[3] After a period of religious unrest and the probable resurgence of Zervanism,[4] Xusrau I

[1] Cf. PhlTexts, pp. 55–57 (Xusrau); ibid. 144–53 (Āδurbāδ); DkM. pp. 215–18 (Āδurbāδ); ibid. 218–19 (Xusrau); also ibid. 572. 17 ff.

[2] DkM. 454. 3: *'pat ⟨vi⟩tāχtak rōδ passāχtan i hufravart Āturpāt i Mahraspandān 'ut bōχtan 'i-š 'pat patkār handāčišn i hām Xᵛanīras patkārdārān 'andar χᵛatāyīh i 'avē bay Šāpuhr 'šāhān 'šāh ⟨i⟩ Ōhrmazdān.*—'Through the submission of Āδurbāδ, son of Mahraspand, of goodly Fravahr to the ordeal of molten brass and through his victory in argument the disputing parties of all Xᵛanīras were confounded during the reign of His Majesty, Šāpūr, King of Kings, son of Ohrmazd.'

[3] The author claims to have transcribed his text from a copy (DkM. 946. 12): *'kē 'andar dēnān dēn 'hast čēγōn hufravahrān hudēnān pēšōpāδān [i] 'hač dūtak i hufravart Āturpāt i Mahraspandān [i] 'hač 5 'ut 6 hanbātak 'apāč . . . dāšt.*—'Which is the religion of religions, even as the leaders of goodly Fravahr and good religion received it from the family of Hufravart Āδurbāδ, son of Mahraspand, for five or six generations.'

[4] *Infra*, pp. 39–48.

re-established this true Mazdean doctrine. In a collection of sayings attributed to him he advises the faithful to teach the religious word and worship of the gods 'in accordance with the teachings and practice of the disciples of Āδurbāδ, son of Mahraspand from the province of Makrān(?)'.[1] This, then, is the doctrine preserved for us in the *Dēnkart* and kindred Pahlavī books.

Now it may be supposed that the Zoroastrian Church, elevated as it was to the rank of State religion at the beginning of the Sassanian period, possessed a unified doctrine and a fixed dogma. This is, however, not the case. We do not know how many sects were admitted within the Church, nor how many existed outside it. We are, however, mainly concerned with one only, the Zervanite, that is the sect which believed Time to be the source of all things and to be the father of the principles of good and evil, of Ohrmazd and Ahriman.

The *Dēnkart*[2] distinguishes three forms of Iranian religion. The first is *yātūkīh* or 'sorcery', a sect which conceives of the Creator as purely maleficent; the second is *dušāmōč-*dēnīh*,[3] 'the religion of false doctrine', and this sect conceives of the Creator as both beneficent and maleficent; the third is the *dēn i māzdēsn*, 'the religion of the worshippers of Mazdāh or Ohrmazd', and regards the Creator as purely beneficent and exempt from all evil, inclining men to goodness and wisdom.

It is a remarkable fact that the doctrine of the 'sorcerers' of the Avesta and Pahlavī books agrees in many respects with that ascribed to the Magians by many Greek and Latin writers. Plutarch, in a famous passage from the *de Iside*,[4] writes that Zoroaster, the Magus, taught men to sacrifice to Oramazes (Ohrmazd) offerings of vows and thanksgiving, and to Areimanios (Ahriman) offerings of gloom to avert evil (*ἀποτρόπαια καὶ σκυθρωπά*). 'Pounding in a mortar a herb called *omomi*,[5] they invoke Hades[6] and the darkness; then mixing it with the blood of a slaughtered wolf, they carry it off to a sunless place and cast it away.' As Professor Benveniste justly remarks, 'the very idea of an offering to Ahriman is, in the eyes of a Mazdean, rank heresy'.[7] But does it follow that because the rite is not Mazdean, it must therefore be Zervanite, as Benveniste argues? Is it not surprising that Plutarch, if he is describing the Zervanite faith, should omit to mention Zurvān, and should give not the slightest hint that there

[1] Chapter II, p. 52, n. c.

[2] DkM., p. 153.

[3] The text reads *dušāmōč-sūtīh* (ibid. 153. 16).

[4] 369D–370D (text G 4).

[5] The nature of this herb is discussed by Benveniste, *The Persian Religion*, p. 74 and in JA. 1929, p. 290, where he seeks to prove it to be the *amomis*.

[6] The Greek translation of Ahriman. Cf. Hesychius, s.v. *Ἀρειμάνιος, ὁ Ἅιδης παρὰ Πέρσαις*; Diogenes Laertius, *Proem* 8, *Ἅιδης καὶ Ἀρειμάνιος*.

[7] *The Persian Religion*, p. 73.

was a deity superior to Ohrmazd and Ahriman? Both Christensen[1] and Nyberg[2] have rejected this hypothesis, and they have been followed by MM. Bidez and Cumont in their authoritative work on the hellenized Magians.[3] Since these sacrifices then do not seem to be Zervanite and can obviously not be Mazdean, we must seek a solution elsewhere.

In the Pahlavī books we are frequently confronted with certain people hostile to the Mazdean community called *dēvāsn* (MPT. *dyw'sn*, Henning, BSOS. ix, p. 82; Av. *daēvō-yasna-*) or 'devil-worshippers'. That such a class of persons existed outside the imagination of the Mazdean theologians is proved by the corroborative evidence of the Manichaean *X^{v}astuānift*, where we read, 'The second (sc. person who leads to the gates of hell) is he who thinks the devil is God and worships him', and again, 'If, thinking devils and spirits to be gods, we have sacrificed living creatures to them . . . my sin forgive'.[4] These devil-worshippers are identical with the 'sorcerers' of the *Dēnkart* who did not believe in rewards and punishments[5] and worshipped the demons.[6]

Just as the European sorcerers celebrated a black Mass, a blasphemous travesty of the central act of Catholic worship, so did the Iranian sorcerers have their own occult ceremonies which they performed in honour of Ahriman: in their case they based their perverted rite on the *Var-nīrang* or 'ceremony of the ordeal'. The *Dēnkart* describes the fundamental difference between the two.

> The perverted, devilish, unrighteous rite of the 'mystery of the sorcerers'[7] consists in praising Ahriman, the destroyer, in prowling around in great secrecy, in keeping home, body, and clothes in a state of filthiness and stench, in smearing the body with dead matter and excrement, in causing discomfort to the gods and joy to the demons, in chanting services to the demons and calling on them by name as befits their activity, in the worship of the demons and false religion, in thinking in accordance with the Evil Mind, in false speech and unrighteous action—the disreputable sorcerers and villains—and in all else that befits the devilish and is far from the godly.[8]

Not only did they have their own characteristically revolting form of worship, but they also seem to have claimed some sort of revelation; for in a

[1] MO. xxv, pp. 29–34.
[2] CCM. 1931, p. 234.
[3] *Mages*, i, p. 65.
[4] von le Coq, JRAS. 1911, p. 290; Bang, *Muséon*, xxxvi, p. 155.
[5] DkM. 211. 21: *dušdānāk druvand Axt 'pat afrahaχtīh i kirpak mizd 'ut abōžišnīh 'hač bazak puhr adāšt-srōšīh 'ut zat-dastaβarīh [i] drāyast.*—'Axt, the accursed of evil knowledge, proclaimed disobedience and disregard of authority by not teaching that virtue is rewarded and that there is no escape from the punishment of sin.' Axt is the arch-sorcerer: see note A, p. 30..
[6] See note A, p. 30.
[7] Probably the name of the ceremony in question.
[8] See note B, p. 30.

list of the demonic counterparts to the various divine beings we meet with the 'word of sorcery' whose adversary is the 'pure Word' or λόγος.[1] This latter is elsewhere explained as the 'word of Ohrmazd, that is the Avesta which, being interpreted, is the pure praise of God'.[2] It would therefore seem reasonably safe to conclude that the proscribed sect, too, had its traditional literature. The prime object of their worship was naturally Ahriman; for 'by the religion of the sorcerers (Ahriman) so inclines men to love him and to hate Ohrmazd that they abandon the religion of Ohrmazd and practise that of Ahriman'.[3] To the Mazdeans the essence of the religion of the sorcerers was 'evil knowledge' and its 'garment' (by which we may understand its outward manifestation) heresy, while the essence of their own was wisdom and its 'garment' goodness.[4]

By his knowledge of evil the sorcerer seeks, if he is a qualified magician, to subdue the Evil One to his will and to force him into his service, or if he is less competent, to appease him with sacrifice. The sorcerers of Īrān certainly did the latter, as we learn from the pleasing text entitled *Yavišt i Friyān*.[5] This opusculum may indeed be regarded as a little propaganda piece put out by Zoroastrian orthodoxy to demonstrate the dangers inherent in the worship of demons who rarely prove tractable in the long run. Their worship and that of their prince, Ahriman, is indeed so frequently alluded to and condemned in the Pahlavī books[6] that we must conclude that the practice was fairly widespread in Īrān during the Sassanian period. So far from propitiating the evil power, the Mazdeans pointed out, this cult rendered it the more virulent.[7]

That the cult was conducted at night and in great secrecy may be inferred from the epithet *nihānīktom duvārišnīh*, 'prowling around in great secrecy'.[8] The adepts of the forbidden rite would, then, seem not to have dared to profess their religion openly, but concealed their heresy by conforming to Mazdean orthodoxy, a stratagem that the Isma'īlīs were to repeat in Islamic days. Thus we read in the *Dēnkart*: 'Their power to propagate the religion

[1] GrBd. 47. 12: *srov i yātūkīh 'ō mānsar i apēčak.*
[2] Ibid. 177. 7: *mahraspand gōβišn i Ōhrmazd i 'hast i apastāk 'kē-š vičārišn apēčak stāyišn ⟨i⟩ yazat.*
[3] Ibid. 182. 2: *'pat yātūk-dēnīh 'martōm 'ō dōstīh ⟨i⟩ 'χ^{v}ēš 'ut adōst ⟨īh⟩ i Ōhrmazd and *hāčēt 'ku dēn i Ōhrmazd 'hilēnd 'ut 'ān i Ahriman varzēnd.*
[4] DkM. 355. 6: *'ēt dēn i Ōhrmazd χ^{v}atīh dānākīh 'ut-aš patmōčan 'vēhīh . . . dēn i Ahriman χ^{v}atīh dušākāsīh 'ut-aš patmōčan ahramōyīh.*—'This that the essence of the religion of Ohrmazd is wisdom and its garment goodness . . . and the essence of the religion of Ahriman is evil knowledge and its garment false religion.'
[5] v. p. 30, note A.
[6] Besides the passages cited above cf. ibid. 776. 21; 792. 18; 831. 15; 836. 18.
[7] Ibid. 831. 16: *Ahriman 'kaδ-aš yazēnd, 'vattar 'ut stahmaktar anākīh-kartārtar 'bavēt.*—'When they worship Ahriman, he becomes more wicked, violent, and maleficent.'
[8] v. p. 30, note B.

of Ahriman in the name of Ohrmazd is restricted, and they keep their heresy hidden.'[1] This brief remark is for us particularly instructive: it amounts to an admission that the sorcerers did not worship the powers of darkness exclusively, but also paid tribute to Ohrmazd. Their practices were in fact closely akin to those described by Plutarch, who was himself aware of two distinct views about Ahriman among the Magians.[2] Once in the Pahlavī books the sorcerers are allowed to speak for themselves. In the legendary life of Zoroaster they will not be converted to the new religion because, they say, 'there did we take counsel with the demons. When we crave of them lordship and leadership, they grant it us: when we crave richness in flocks and wealth, they grant it us.'[3] This, then, is the answer to the Mazdean propaganda. It is not true, the sorcerers maintain, that the demons let them down: on the contrary they provide them with affluence and power, and these are commodities which magic has always claimed to be able to provide.

Before leaving our Pahlavī sources reference may be made to one point of interest. It will be observed that the religion of the sorcerers is referred to not with the word *kēš* as in the case of the Jews, or *čāštak* as in the case of the Manichees, but with the word *dēn*, the term normally used only of the Zoroastrian Church itself. It is perhaps not too bold to see in this usage a survival of a once legitimate religion suppressed long ago, possibly by Xerxes,[4] but still in the Sassanian period carrying on a vigorous if underground activity. Even after the fall of the House of Sāsān we find a reminiscence of it in the name *Devdat*,[5] a son of Afšīn, the Arab governor of Āzarbaijān.

Before passing to the core of our problem we may perhaps be allowed to trace the destiny of the sorcerers or devil-worshippers in history. The earliest reference we have to this cult in the West of Īrān is in an inscription of Xerxes first published by Herzfeld in 1936[6] in which that monarch appears to boast of having destroyed a *daiva* temple (if this is really the meaning of *daivadāna-*) and proclaims: 'Thou shalt not worship the *daivas*.

[1] DkM. 893. 10: *'ut-šān tavān i 'apar Ahriman dēn 'pat Ōhrmazd-'nāmīh ravāk kartan 'bandīhēt, 'ut ahramōγīh nihān 'dārēnd.*

[2] *De latenter vivendo*, 1130A (Bidez–Cumont, *Mages*, ii, p. 73, n. 3): *τὸν δὲ τῆς ἐναντίας κύριον μοίρας, εἴτε θεός, εἴτε δαίμων ἐστίν, Ἄδην ὀνομάζουσιν.*

[3] DkM. 634. 14: *'ōδ 'ō 'dēvān ham-pursīt 'hēm: 'kaδ sāstārīh pēšōpāδīh 'hač 'avēšān žahēm, 'ān 'ō 'amāh 'dahēnd: 'kaδ pasōmandīh 'ut tavāngarīh 'hač 'avēšān žahēm, 'ān ō 'amāh 'dahēnd.*

[4] *Infra*, pp. 17, 20.

[5] Hübschmann, *Armenische Grammatik*, p. 37; cf. Nöldeke, ZII. ii, p. 318, *dēvdāδ*, son of *dēvdast*; Justi, *Iranisches Namenbuch*, s.v. *Dīwdāδ*.

[6] Herzfeld, *Archäologische Mitteilungen aus Iran*, Bd. viii, pp. 56–77. For bibliography see Kent, *Old Persian*, p. 112.

Where before the *daivas* were worshipped, there did I worship Ahura Mazdāh in accordance with the law (*arta-*) with the proper rite.'[1] Herzfeld and others have held that the inscription proves Xerxes to have been a Zoroastrian. Without wishing to revive this controversy, we will merely express a personal view that the evidence to date seems overwhelmingly in favour of Herzfeld's view if by Zoroastrian we understand one who combats the worship of the *daivas* as Zoroaster did and who exalts the 'law' (*arta-*) and condemns the 'lie' (*drauga-*)—an attitude which, one would have thought, was of the essence of the *Gāθās* and incidental only to the *Rig-Veda* with which we are so often invited to compare them. This view, we are happy to note, is that adopted by Professor Duchesne-Guillemin in his excellent monograph on Zoroaster (pp. 109–10).

Gladly leaving this controversial question we must now say a few words about the *daivas* themselves. *Daiva-* (Av. *daēva-*, Skt. *deva-*) is the Indo-Iranian designation for a certain class of deity: distinguished from them are the *ahuras* (Skt. *asuras*). The two classes of deity developed on very different lines in the sister civilizations of India and Īrān. In India the *devas* increased in importance and gradually ousted the *asuras*: in Īrān it was the *ahuras* who gained the day while the *daivas* were gradually reduced to the rank of demons. This being so, it would be surprising if *daiva-* in the Xerxes inscription referred to anything other than the dethroned deities. Herzfeld would include among these Mithra, Anāhitā, and all the gods who were excluded from the Gāθic pantheon: but in view of the fact that Mithra is himself constantly called *ahura* in the Avesta, this view can scarcely command acceptance.

Nyberg adopts a point of view diametrically opposed. For him the *daivadāna* is the temple of Marduk in Babylon. True, Xerxes' religious policy, unlike that of his predecessors, is known to have been intolerant. He sacked the temple of Marduk in Babylon, carried off its golden statue, and slew the high priest.[2] But this is not enough in itself to justify the use of *daiva-* for a foreign deity: neither Avestan nor Pahlavī usage justifies such an assumption. It seems much more probable that the *daivas* of the Xerxes inscription are what they always had been and continued to be, a group of (Indo-) Iranian deities which at some period were reduced to the rank of demons—Ahriman himself, though his original identity is still unclear,[3] Indra, Sarva, and the rest. This view is confirmed by the *Dēnkart*, where the worship of Indra (Indar) and Sarva (Sāvul) is forbidden along

[1] So following Henning (*Transac. Phil. Soc.* 1944, pp. 108 f.). Other views listed by Kent, op. cit., p. 201.

[2] Herodotus i. 183.

[3] Wikander (*Vayu I*, p. 207) argues with great plausibility that Vayu was the original of Ahriman.

with that of Ahriman.[1] It would, therefore, seem probable that Xerxes, in spite of the heterodox behaviour attributed to him by Herodotus,[2] was the first to suppress the cult of the *daivas*. But whether his successors were not strenuous enough in following the example he had set, or for some other reason unknown to us, the proscribed religion continued to thrive and was a cause of constant concern to the priesthood of Sassanian Īrān.

The fundamental difference between the *Μάγοι* and *Μαγουσαῖοι* known to the Greeks, on the one hand, and the Zoroastrian Magians in Persia, on the other, has continued to puzzle scholars for more than a century. About the origin of the Magians there is no agreement. For Moulton[3] they were an aboriginal tribe, neither Aryan nor Semitic, diviners, necromancers, and quacks: they were responsible for the *Vidēvdāt*, its superstitions and absurdities; they were solely responsible for the degeneration of the religion of Zoroaster; they introduced the exposure of corpses, next-of-kin marriage, and they worked out the mechanical and over-systematized dualism with which we are all too familiar in later Zoroastrianism. So Moulton.

For Messina the case was very different.[4] He regards the Magians as being the original disciples of Zoroaster. They were his missionaries and were the first to bring his doctrine to the West: they formed a colony in Media and propagated the Good Religion there. Messina further proves the falsehood of Moulton's contention that the Magians were from the earliest times known to the Greeks only as sorcerers. Among those who were in a position to know, they were respected and admired: for Plato *μαγεία* means the service of the gods;[5] and in this he is followed by Apuleius and Dio Chrysostom.[6] They are said by Strabo to lead a holy life.[7] Diogenes Laertius, on the authority of Sotion, says that they worship the gods with sacrifice and prayer and are alone heard; they reveal the nature, essence, and genesis of the gods, discourse concerning justice, and condemn graven images: he enumerates further many other beliefs which are elsewhere attested both in Iranian and Greek sources.[8] For further eulogistic accounts of the Magians the reader is referred to Messina[9] and to MM

[1] DkM. 792. 18.

[2] It is, however, significant that the Greek writers on the Magians are said to have condemned Herodotus and to have denied that Xerxes shot arrows at the Sun or put the sea in bonds. v. Diogenes Laertius, *Proem* 9 (Bidez–Cumont, *Mages*, ii, p. 68). Duchesne (*Zoroastre*, p. 114) following Messina (*Ursprung der Magier*) impugns the reliability of Herodotus.

[3] *Early Zoroastrianism*, pp. 182 ff.

[4] *Ursprung der Magier*, passim.

[5] *1 Alcibiades* 122A; v. Bidez–Cumont, op. laud. ii, p. 22; Clemen, *Fontes*, p. 22.

[6] v. Bidez–Cumont, op. laud. ii, pp. 2 28.

[7] Strabo xv. 3. 1; Clemen, *Fontes*, p. 3

[8] Diogenes Laertius, *Proem* 6–9; Bidez Cumont, op. laud. ii, pp. 67 ff.; Clemen *Fontes*, p. 74.

[9] Op. cit., pp. 41 ff.

Bidez and Cumont's great work, *Les Mages Hellénisés*, ii, pp. 18 ff., where the distinction between *μαγεία* and *γοητεία* is emphasized. This does not, however, alter the fact that the average Greek, who had no specialized knowledge of Oriental religions, regarded the Magians as sorcerers and nothing more.[1]

Now we know that during the reign of Xerxes the Magians had already begun to emigrate from Īrān to the West. At the time of Xanthus the Lydian they had already established themselves in Lydia; temples of Anāhitā existed at Hypapa and Hierocaesarea, the foundation of the latter being attributed to Cyrus,[2] and Iranian colonists had named the Lydian plain the Hyrcanian plain.[3] They rapidly spread to Phrygia and Galatia, and a bas-relief discovered at Dascylium shows two Magians offering sacrifices according to the Mazdean rite.[4] By the time of Strabo they were firmly established in Cappadocia and Pontus.[5] Since they came principally from Mesopotamia, it is scarcely surprising that they should have been profoundly influenced by Babylonian thought.[6] In Babylon they came into contact with the Chaldean priests, from whom they learnt much, notably the science of astrology and a certain tendency to regard Time as the first principle. These ideas they carried with them in their western migrations. They rapidly became naturalized, and their idiom appears to have been Aramaic.[7] Whether they still preserved relations with their co-religionists in Īrān is not certain, though there is reason to believe that some, at any rate, of the Magian colonies abroad did so during the Sassanian period.

Now Cumont, whose knowledge of these matters was unique, maintained that 'it was the Zervanite system that the Mazdeans of Asia Minor taught the occidental followers of the Iranian religion':[8] but in many cases it was more than Zervanism; it was *yātūkīh*, 'sorcery', and *dēvāsnīh*, 'devil-worship'. The mysteries of Mithra with which we are now fairly well acquainted, thanks to the untiring researches of the above-mentioned scholar, are Zervanite in so far as they place Kronos-Zurvān at the head of the pantheon, but they are 'devil-worshipping' too in that they allow offerings to be made to Ahriman, the prince of devils.[9] That the latter could exist without the former is, we venture to think, proved by the account of Plutarch cited above. The practice of worshipping the demons

[1] Cf. Sophocles, *Oedipus Tyrannus* 387: *μάγον τοιόνδε μηχανορράφον | δόλιον ἀγύρτην.*

[2] Tacitus, *Annales* iii. 62, quoted by Cumont, MMM. i, p. 10, n. 6.

[3] v. Bidez–Cumont, op. laud. i, p. 5; Cumont, MMM. i, pp. 9–10.

[4] Reproduced in Cumont, *Les Religions orientales*, 4th ed., p. 135, Fig. 10.

[5] Cumont, MMM. i, p. 9, nn. 6, 7.

[6] Id. *Religions orientales*, 3rd ed., p. 229.

[7] Ibid., p. 228; *Mages*, i, p. 35.

[8] MMM. i, p. 78.

[9] For the inscriptions *deo Areimanio*, v. ibid. ii, pp. 98, 141.

is also referred to by Clement of Alexandria: 'the Magians', he says, 'worship angels and demons'.[1] This, as we have seen, is the practice not of the Mazdeans or Zervanites but of the 'devil-worshippers', the third Iranian sect mentioned in the *Dēnkart*. With these facts in mind it will, perhaps, be safe to conclude that Xerxes, in suppressing the *daiva* cult, caused a large-scale emigration of dissident Magians. These, after absorbing much of Babylonian speculation, transported their beliefs to Asia Minor; and from them arose the Graeco-Roman religion of Mithra.

We have seen that the Magians or 'Magusaei' of Asia Minor developed a religion which derived on the one hand from heretical Zoroastrianism and on the other from Babylon. From Babylon, in all probability, they derived the idea of Time, represented by the firmament, as the supreme god. This is the cardinal tenet of the belief we call Zervanism. Before the Sassanian period the evidence for the existence of Zervanism is scanty in the extreme. True, the name Zurvān may be deduced from tablets dating back to the twelfth century B.C.[2] in which the name *Za-ar-wa-an* bears a most striking resemblance to our deity; but this by no means entitles us to conclude that Zervanism, as we know it, existed at that time, though we must, I think, be prepared to admit the existence of a god Zurvān in very remote antiquity.

After this we have no further reference to Zurvān in a datable source until the fourth century B.C. The passage in question, the first account of Zervanite doctrine to be supplied by a non-Iranian source, is given by Eudemus of Rhodes, a pupil of Aristotle. The account, however, is only given at second hand by Damascius,[3] who, writing at the time of Xusrau I, may conceivably have been attributing to Eudemus beliefs which must still have been current in his time. Two other references are preserved before the Sassanian period, the inscription of Antiochus I of Commagene[4] and the 'Song of the Magians' retailed by Dio Chrysostom:[5] but both would appear to belong to the tradition of the Western Magusaei rather than to Īrān. Moreover, it is by no means certain that the inscription is Zervanite. It is only with the foundation of the Sassanian Empire that the doctrine connected with the name of Zurvān comes into its own.

[1] *Stromata* iii. 6. 48 *apud* Bidez–Cumont, *Mages*, i, p. 60, n. 6.

[2] In the Nuzi documents the following forms are found: *Za-ar-wa-an*, *It-ḫi-Za-ar-wa*, *Ar-Za-ar-wa*, and *Du-uk-ki-Za-ar-wa*. v. Widengren, *Hochgottglaube im alten Iran*, p. 310. Duchesne (op. laud., p. 96) does not consider that these forms necessarily refer to the Iranian deity.

[3] *Dubitationes et Solutiones*, 125 bis; Clemen, *Fontes*, p. 95 (text G 1). The authenticity of this passage has been disputed by Scheftelowitz, followed by von Wesendonk, *Das Wesen der Lehre des Zarathuštrōs*, p. 14.

[4] See note C, p. 31.

[5] Text and copious notes in Bidez–Cumont, *Mages*, ii, pp. 142 ff.

It is indeed an astonishing fact that only when the 'Mazda-worshipping religion'[1] became the religion of State do we come into contact with Zervanite doctrines. All our foreign sources for the latter, with the dubious exception of Eudemus, refer to the Zoroastrianism of the Sassanian Empire. The Armenian, Eznik of Kołb, in particular gives us details of the Zervanite mythology which are so utterly at variance with the true Mazdeanism of the Pahlavī books that we would be prepared to doubt his evidence were it not for the confirmation we receive from Manichaean sources.[2] When the Christian polemists attack the Magian religion, they attack not Mazdean dualism, but Zervanite polytheism. If it were only the Christian attacks that had to be considered, we might content ourselves with the inadequate theory that, since their accounts mostly derive from a common source, this source might well be pre-Sassanian and that they were attacking a religion which had long been obsolescent, just as St. Augustine, when he attacks Paganism, devotes his attention to the ancient gods and pays no heed to the living religions of Isis, Mithra, Cybele, and the rest.[3] But here we stumble upon further obstacles. The Manichaeans, adapting their system to the religious terminology of Īrān, selected not Ohrmazd as the representative of their supreme god but Zurvān. This is all the more astonishing in that the Manichaean Zurvān is essentially the god of light, the very Father of Light:[4] he is not the father of Ahriman as in the Zervanite myth, but stands in the same relation to him as does Ohrmazd in the orthodox Mazdean account: they are eternal enemies, of separate substance, good and evil, light and darkness, irreconcilably opposed. The parallel between the Manichaean Zurvān and Ahriman on the one hand and the Mazdean Ohrmazd and Ahriman on the other is exact. Yet the Manichaeans did not regard Ohrmazd as a suitable representative of their own 'Father of Greatness': they chose Zurvān although, from all we can deduce from the Zoroastrian and external sources alike, the Zoroastrian Zurvān was in no sense a god of light,[5] and Ohrmazd would seem ideally fitted for the role of Father of Light. Yet when he appears in the Manichaean system, it is not as the supreme god but as the πρῶτος ἄνθρωπος, the God-man, to use Reitzenstein's phrase, who, though wholly divine and consubstantial with the Father of Greatness, is nevertheless inferior to him, being sent to do battle with the powers of darkness and ignominiously defeated. In selecting Zurvān to represent the Father of Greatness the Manichaeans were evidently

[1] See note D, p. 31.

[2] *Infra*, pp. 148 ff.

[3] v. Cumont, *Les Religions orientales*, p. 315.

[4] Cf. Schaeder, *Studien zum antiken Synkretismus*, p. 277; Waldschmidt–Lentz, *Die Stellung Jesu im Manichäismus*, p. 48; id. *Manichäische Dogmatik*, p. 17.

[5] *Infra*, pp. 55 ff.

struck by that inaccessibility and aloofness from the cosmic conflict which was characteristic of their own supreme deity. This is, in fact, about the only point they have in common. The conclusion is, therefore, ineluctable: at the time of Mānī, who began his mission in A.D. 242 in the reign of Šāpūr I, Ohrmazd was not regarded as the supreme god: there was another higher than he, and that was Zurvān: Zervanism was the current form of Zoroastrianism at that time.

Now it may be argued that, since the theatre of Mānī's activities was Mesopotamia, Zervanite doctrines may be assumed to have been confined to that non-Iranian country. Again there is evidence to invalidate such an hypothesis. In the far north-eastern corner of the Iranian lands, in Soghdiana, large Buddhist colonies had come into being, and translations of Buddhist works had been made into Soghdian. These too do not use the word *Ōhrmazd* to translate Brahmā who is the highest of the gods, but *Azrua*, the Soghdian form of Zurvān: the word *Ōhrmazd* is used to translate Indra. Moreover, the Manichaean *X^{v}astuānift*[1] as well as a Manichaean Persian fragment[2] contain passages unmistakably directed against the Zervanite doctrine that Zurvān was the father of Ohrmazd and Ahriman. 'If', the *X^{v}astuānift* says, 'we should have said, the good and the bad, all has been created by God'; 'if we should have said, Ohrmazd and Ahriman are brothers . . . I repent.' If the Zervanites were an insignificant minority, there would have been no need for including this clause in the *X^{v}astuānift*. In this connexion it is of some interest to note that in Khotanese *Urmaysde* (= Ohrmazd) means 'the sun', thereby preserving what may have been an original naturalistic trait of his character, only occasionally to be met with in the Avesta.

From what has gone before we see that the evidence supplied by our sources contemporary with the Sassanian power overwhelmingly supports the theory that the predominant religion of the empire was Zervanite. This view was taken up by Professor Christensen,[3] who claimed that Zervanism was the normal form of Sassanian Zoroastrianism.

When we turn to the native Iranian sources, however, the picture is bewilderingly different. The inscriptions, even including the great Kartīr inscription from Ka'beh i Zartušt, do not enlighten us greatly. The kings and potentates whose exploits they celebrate are called 'worshippers of Mazdāh' (*māzdēsn*),[4] but it would not be legitimate to conclude from this that they regarded themselves for this reason as being specifically Mazdean

[1] von le Coq, JRAS. 1911, p. 282; Bang, *Muséon*, xxxvi, p. 147.
[2] v. our text F 3 (*b*).
[3] *L'Iran sous les Sassanides*, p. 144.
[4] v. Herzfeld, *Paikuli*, passim.

as opposed to Zervanite. The term is the conventional designation of Zoroastrians of all sects.[1] Both Kartīr and Narsē mention Ahriman and the demons[2] and the latter mentions 'the time of the *fraškart*',[3] that is the final renovation and rehabilitation of the world at the end of time.

Of greater importance is the inscription of Kartīr at Naqš i Rajab. This inscription is fairly complete, but there remain unsolved problems. The crucial passage for our purposes, however, is that in which the high priest exhorts the reader to remember 'that heaven exists and hell exists, and that whoso is virtuous will go to heaven, and whoso is vicious will be cast into hell: whoso is virtuous and walks according to . . . (?) . . . of virtue, will achieve a fair name and prosperity for his material body and blessedness for his material soul.'

This is important; for two doctrines are here specifically upheld: (i) the existence of heaven and hell, and (ii) the rewarding of virtue and the punishment of vice. The inference is, of course, that these truths needed emphasizing because they were questioned: and it is precisely on these questions that there seems to have existed a deep divergence of view between Mazdean and Zervanite. The *Šikand Gumānī Vazār* mentions a sect which it calls the Daharīs, well known in the Islamic period as being a materialist sect which held precisely the views attributed to them by the *Šikand*.[4] *Dahr* is, of course, simply the Arabic for 'time', but it is too early yet to say whether or not these *daharīs* are identical with the Zervanites.[5] Their views are, however, worth quoting since we shall return to them when we have accomplished our major task of piecing together the elements of Zervanism from the evidence of the Pahlavī books. 'They consider', says the *Šikand*, 'that this world with its manifold changes and dispositions of its members and organs, and the opposition of one to another, and the intermixture of the one with the other is derived from the principle of Infinite Time; and that, further, virtue remains unrewarded and sin unpunished, that heaven and hell do not exist, and there is no one who attends to virtue and sin; and further that phenomena are only material and that the spiritual does not exist.' If it is not this particular sect that Kartīr has in mind, it is plainly one so similar as to make no difference.

Again, the affirmation of the existence of rewards and punishments seems to be directed against a doctrine attributed to the Zervanites themselves by a Syriac writer,[6] according to whom those who are honoured on

[1] v. p. 31, note D.
[2] Herzfeld, op. cit., p. 95; Sprengling, AJSLL. lvii, p. 207.
[3] Herzfeld, op. cit., p. 117.
[4] ŠGV., Chapter VI; cf. BSOS. ix, pp. 878, 888.
[5] But cf. *infra*, p. 267.
[6] v. our text F 5 and pp. 257 ff.

earth will be honoured in heaven, and those who are wretched on earth will also be wretched in heaven.

That Kartīr's intention was indeed to uphold doctrines against a sect resembling the Daharīs of the *Šikand* who denied them is fully borne out by his great inscription at Ka'beh i Zartušt. This reveals him as a religious zealot of quite uncommon ardour who is not likely to have graven the true doctrine on stone in a spirit of pious platitude. What he had inscribed at Naqš i Rajab was inscribed as a clear warning to heretics of the Daharī school, and who but the Zervanites could these possibly have been?

The great inscription shows that Kartīr flourished under Šāpūr I, Hormizd I, Bahrām I, II, and III. He tells us how he unleashed a religious persecution of great severity throughout the Persian Empire and how, in his proselytizing zeal, he carried the Magian religion to the non-Iranian provinces. The valiant deeds he proudly boasts of may be listed as follows:

(i) the affairs of Ohrmazd and the gods prospered; and the Mazdayasnian religion and the Magian hierarchy received great honour;
(ii) the gods, water, fire, and cattle were duly propitiated;
(iii) Ahriman and the demons were struck down(?) and their teaching was expelled from the empire;
(iv) Jews, Buddhists, Brahmans, two sorts of Christians,[1] Manichees(?),[2] and *Zandīks* were chastised;
(v) idols were destroyed and the dwellings of the demons undone(?);[3]
(vi) fires were established throughout the realm and the Magians prospered.

These events appear to belong to the reign of Bahrām III since Kartīr winds up the account of his exploits with a repetition of the title conferred on him by that king (viz. *bōχt-ruvān-varhrān*).

He next proceeds to tell how he established fires and Magian settlements in the non-Iranian lands. This represents a proselytizing campaign of great magnitude extending throughout Asia Minor and the Caucasus.

Turning from the missionary field this redoubtable old zealot brings us

[1] *N'ČL'Y* = *nāsərā* (Syr. *nasorāyē*, Gk. *Ναζωραῖος*) and *KLSTYD'N* (*kristiyān* = *χριστιανός*). The distinction between the two sects is not clear. For views involving Mandaeans, Marcionites, and orthodox Christians cf. Menasce, ŠGV., pp. 206 ff.

[2] The text has *MKTK-y*, tentatively emended by Sprengling to *MNYNK* 'Manichees'. Menasce transliterates as *mukta*, op. laud., p. 243. In conjunction with *Zandīk* he comments, 'C'est à dire, certainement, indiens et manichéens'. Without being able to offer any constructive suggestion of my own, I would suggest that *mukta* would be likely to appear as *MWKTK*. For *zandīk* which normally means 'Manichaean' *v. infra*, p. 267.

[3] Sprengling's translation is most obscure here. Deprived as we are of the original text, we can offer neither comment, criticism, nor suggestion.

back to the religious situation at home. This fascinating passage appears from Sprengling's curious literal translation to run approximately as follows:

> Heretics and apostates(?)[1] who (were) within the Magian community (*MGWN*) were spared[2] for the Mazdayasnian religion and the Magian community but not for propaganda: I chastised and upbraided them and improved them.

After further reference to his untiring efforts at setting up fire shrines he goes on to say that many consanguineous marriages[3] were arranged, that many who had lapsed from the faith had been reconciled, and that he himself had converted many who had subscribed to the teaching of the demons and brought them over to the worship of the gods. The inscription ends with the same formula as that of Naqš i Rajab, to wit that the reader may enjoy a good name and prosperity in his body and blessedness for his soul.

The inscription, then, tells us a great deal, but leaves us again with many problems. It is abundantly clear that Kartīr unleashed a major persecution of Christian and Indian sects as well as of the Manichees. It is equally clear that he put down the 'devil-worshippers' and reconverted the amenable to Zoroastrian orthodoxy, though not permitting them to take part in propaganda for the faith: clear again that he followed up the conquest by the sword of non-Iranian lands by the propagation of the Zoroastrian faith in those lands: equally clear, too, that he destroyed idols.

What, however, do we learn of the Zoroastrian orthodoxy which Kartīr defended and propagated with such uncommon zeal? First it is plain that the Magians became all-powerful. The cult of fire, water, and cattle was strengthened and incestuous marriages were encouraged—and this is about all. Kartīr, in fact, is interested in reviving the characteristic aspects of Zoroastrian religious practice which were almost certainly common to Mazdeans and Zervanites: he does not appear to be interested in the formulation of doctrine. He depicts himself as an enthusiastic religious imperialist—putting down alien religions at home and seeking to establish the national cult in alien sections of the empire, yet bringing the Iranian 'devil-worshippers' and heretics back into his fold and expelling the obdurate.

[1] *'LSWMWK* and *GWMLČ'K*: the first word is the Phl. *ahramōy*. This gratifying equivalence I owe to Professor Henning, who compares inscr. *PLSWBY* = Phl. *Pahlav* and *P'LSWMY* = *pahlom* (for inscr. *LS* = *hl*). *GWMLČ'K* can scarcely be connected with *gumārtan* as Sprengling suggests. We may either derive it from the root *marz-* 'wipe' or read *gum-aržāk* 'one whose worth is lost'. Although NP. *gum* does not appear to be attested in MP., the latter reading gives the better sense.

[2] *PḤLSTY* = *pahrist*. v. Henning, BSOAS. 1943, p. 62, n. 2.

[3] Chapter VI, pp. 151–2.

The evidence, then, supplied by the Ka'beh i Zartušt inscription does not tell us much about Kartīr's own religion: it only tells us what sort of man he was. This is enough; for it shows that what he wrote at Naqš i Rajab he wrote as a warning to any who should dare to deny the existence of heaven and hell, or rewards and punishments. The fact that Kartīr speaks of Ohrmazd and the gods and is silent as far as Zurvān is concerned is not important; for if the interpretation of Zervanism which we are to unfold in the following chapters is correct, Zurvān would scarcely figure prominently in an official inscription.

One matter, however, raised by the inscription remains exceedingly puzzling. Why do we know so little of Kartīr except what he tells us himself? In its account of doctrinal development during the Sassanian period the *Dēnkart* says absolutely nothing about this fiery pillar of the faith; nor do we hear of him from Christian or Moslem sources. Apart from himself only the unfortunate Manichees preserve his memory, and that as the inquisitor who did their master to death.[1] The Zoroastrians are mute.

Leaving this problem till our next chapter we may now turn our attention to the Pahlavī books. These, it is true, only date from the ninth century:[2] but their matter may be considered to go back to the reign of Xusrau I. Here again we are confronted with a religion that knows nothing of Zurvān either as a supreme god or as the father of Ohrmazd and Ahriman. Some passages in Zātspram and to a lesser extent in the *Bundahišn* indeed seem to presuppose such a doctrine, whereas parts of the *Mēnōk i χrat* and the *Dēnkart* reveal a state of religion which we may perhaps be permitted to call semi-Zervanite, an attempt to fuse the conflicting doctrines of the two schools. In a passage from the *Dēnkart* to which Darmesteter first drew attention,[3] the Zervanite doctrine of the brotherhood of Ohrmazd and Ahriman is attacked in terms recalling the Manichaean attack in the *Xᵛastuānift*.[4] The passage in question purports to be a translation of *Yasna* 30. 3[5] which does in fact speak of two primeval twins. The Mazdean translators—assuming that they understood the passage at all, which is doubtful—would naturally be distressed by the presence in so high an authority of their rivals' view. They accordingly supplied an ingenious mistranslation: taking the Avestan *ərəš* 'rightly' as the name of a demon *Ariš(k)* 'Envy', they proceeded to put the offending statement into the mouth of

[1] Polotsky, *Manichäische Homilien*, pp. 45 ff. Cf. also the *Psalm-Book* references quoted by Puech, *Le Manichéisme*, p. 137, n. 203.

[2] v. West, SBE. v, p. xlii.

[3] DkM. 829. 1 ff. (text F 3 (*a*)). Cf. Darmesteter, ZA. i, p. 221, n. 10; Blochet, RHR. xxxvii, p. 28; Schaeder, *Iranische Beiträge*, i, pp. 288 ff.

[4] v. text F 3 (*c*).

[5] For a treatment of this passage v. Nyberg, CCM. 1931, p. 113.

that demon.[1] The text is unfortunately a little obscure, but there can be no doubt that it is an attack on Zervanite doctrine. This brief passage is the only evidence we have that there was active hostility between Mazdeans and Zervanites, but that either should have consistently persecuted the other seems unlikely. They were probably represented in different schools; and both may have found a place within the Sassanian Church, one party dominating at one time and the other at another. The *Dēnkart*, however, takes cognizance of heresy and deplores it. Like the Zervanite *'Ulemā i Islām* it admits the existence of different trends within the Church. Relating the tradition that Žāmāsp wrote the Avesta following the words and writings of Zoroaster himself, it adds that the provincial governors (*dahyupatān*) and religious authorities (*dastaβarān*) made many copies of it, and some of them reached not only the instructed but also unscrupulous persons who vitiated (*vināsītārān*) and contaminated it with heresy and heterodoxy (*yut-vēnišnīh*).[2] Another passage in the same book seems to indicate that heresy had not been stamped out even at the time of the writer, though the exact translation is here again uncertain.[3]

The figure of Zurvān, however, does indeed seem to have been the principal subject of difference in the Zoroastrian Church: even in trivial matters connected with that doctrine there seems to have been a difference of opinion. For we learn from the *Bundahišn* and from Zātspram that Zurvān or Zamān (Time), as the *Bundahišn* calls him, decreed at the time of the original creation that Gayōmart, the first man, should live for thirty years after the onslaught of Ahriman:[4] but in the *Dēnkart* a heretic asks: 'There are two authentic traditions concerning Gayōmart, one that he lived thirty years during the Aggressor's attack, and one that the Aggressor came and that he died on the spot. That the two (accounts) are self-contradictory is obvious. Why do you accept and teach both?'[5] The sense of the answer

[1] See note E, p. 31.

[2] DkM. 437. 20: *dahyupatān 'ut dastaβarān hač-iš 'būt i vēš paččēn kart: 'ut 'pas-ič 'ō-ič ākāsān 'ut vināsītārān-ič hač-iš 'hast i mat. 'būt i yut-dātastānīh yut-vēnišnīh 'apar 'burt.*—'There were certain provincial governors and religious authorities who made more copies of it: some of these reached the instructed (sc. orthodox) but some (fell into the hands of) people who corrupted it. Some again added wrong principles and heterodoxy.'

[3] Ibid. 454. 11: *'nūn 'ān aδvēnak nihēžišn rāδ patkārtārān gumānīkīh i pat-iš guftan rās; 'aδak-ič apastāk frahist an-hambatīk ov-iš gōβišn nipēkān 'pat *dēnīk vičīrkarīh ⟨i⟩ χrat 'i-š pat-iš yut-dātastān⟨īh⟩ 'nē 'bavišn.*—'Now controversialists have the means of expressing their doubts concerning that kind of doctrine; but the Avesta for the most part does not contradict its words and writings thanks to the religious discernment of Wisdom in which there can be no heresy.'

[4] *Infra*, p. 238.

[5] DkM. 20. 2: *gōβišn i 2 dastaβar 'apar Gayō(k)mart, ēvak 'ku 'andar aβigatīh 30 'sāl zīvast, 'ut ēvak 'ku mat aβigat, 'pat gyāk 'murt, 'ān i ēvak 'ō 'dit hanbasān paytāk; 'har 2 patiyraftan čāštan čim?*

supplied by the Mazdean apologist is not clear to us, and we therefore refrain from providing a translation. What does seem clear, however, is that he does not consider the two traditions to be either contradictory or mutually exclusive.

This lack of doctrinal unity among the Zoroastrians did not escape the notice of non-Iranians whether friendly or hostile.[1] Strabo remarks on it in the case of the Chaldaeans,[2] and the Christians were naturally not slow to make use of it. The account of Paulus Persa first quoted by Casartelli[3] is of importance if we can accept that scholar's view that the doctrines there mentioned refer only to Zoroastrian beliefs. Paulus wrote under Xusrau I, for whom he composed a digest of the Aristotelian dialectic in Syriac.[4] He was a Christian and, according to Christensen, probably identical with Paul, metropolitan of Nisibis under the Catholicos Joseph. He says:

> There are some who believe in only one God; others claim that he is not the only God: some teach that he possesses contrary qualities; others say that he does not possess them: some admit that he is omnipotent; others deny that he has power over everything. Some believe that the world and everything contained therein have been created; others think that all things are not created. And there are some who maintain that the world was created *ex nihilo*; according to others God drew it out from a ὕλη.[5]

The work in which the passage occurs was written for the King of Kings, and Casartelli concludes from that circumstance that Paul is faithfully enumerating the characteristic doctrines of the Iranian sects of the Sassanian period. This attractive hypothesis is not absolutely convincing since Xusrau, for all his interest in Greek philosophy, seems to have laid down the law in no uncertain manner where the doctrine of the State religion was concerned.[6]

However, whatever our view on the evidence of Paulus Persa, we have two other testimonies which can leave us in little doubt as to the fluidity of Zoroastrian dogma in Sassanian times. These are supplied by the Armenians Eznik of Kołb and Ełišē Vardapet. Eznik, like the nameless heretic of the *Dēnkart*, was struck by their inconsistency. 'Their foolishness', he says, 'is enough to refute them from their own words which are mutually exclusive and self-contradictory';[7] and again, repeating the oft-made charge that they had no books, he says: 'Since their laws are not in books, sometimes they say one thing with which they deceive, and sometimes another with which they seduce, the ignorant.'[1] But he is not content merely to draw attention to their inconsistency; he tells us that they were divided into sects, that some admitted three principles—the good, the just, and the evil—some two, and some seven.[2] The followers of the three principles are clearly the Zervanites: the good is Ohrmazd, the evil Ahriman, and the just Zurvān. Equally obviously the followers of the two principles are the Mazdeans. The seven principles might be anything; for it is not possible to say whether the author is thinking of the seven Amahraspands, the seven planets, or something else. According to a Persian *Rivāyat* Zurvān himself is said to have seven faces and seven names,[3] but this is an isolated account and of late date.

[1] Cf. Bidez–Cumont, op. laud. i, p. 58.
[2] xvi. 1. 6.
[3] *The Philosophy of the Mazdayasnian Religion under the Sassanids*, p. 1.
[4] v. Christensen, *L'Iran sous les Sassanides*, p. 422.
[5] Casartelli, l.c.; Christensen, l.c.
[6] *Infra*, p. 48.
[7] Ed. Venice, 1926, bk. ii, § 2, p. 128; Langlois, ii, p. 375; Schmid, p. 94.

Ełišē Vardapet, writing on the religious war that resulted from Yezdigird II's aggressive policy, has occasion to mention a certain high Magian priest who was put in charge of the captured Christians. As he was subsequently converted to Christianity and Ełišē claims to have witnessed certain of the events he describes,[4] it seems safe to assume that the account given by the historian is on the whole accurate. We shall have occasion to discuss Ełišē's value as an authority later. This priest 'was more familiar with the Zoroastrian laws than many learned men. In fact he was called *hamakden* (one who possesses all the religion) which was considered a great glory according to their erroneous doctrine. He knew the *ampartkʿaš* and had learnt the *bozpayit*: he was also a master of the *palhavik* and the *parskaden*: for these are the five schools (*keštkʿ*) which comprise all the laws of Magianism. Besides there is another sixth one called *petmog*.'[5] The significance of *ampartkʿaš*, *bozpayit*, and *petmog* is not certain, though both Benveniste and Christensen have put forward suggestions.[6] *Hamāk-dēn* is known also in the Pahlavī *Dātastān i dēnīk*.[7] *Palhavik* and *parskaden* are also clear: they are the Parthian and Persian religions. The inference seems fairly obvious: there must have been regional schools, a northern Parthian and a southern Persian;

[1] Venice, 1926, ii. 9, p. 156; Langlois, ii, p. 381; Schmid, pp. 111–12.
[2] Venice, i. 28, p. 122; Schmid, p. 87.
[3] v. text Z 36.
[4] Ed. Yohannisean, p. 20; Langlois, ii, p. 187. He claims to have been present at, seen, and heard one of Yezdigird's pronouncements.
[5] Yohannisean, p. 131; Langlois, ii, p. 230.
[6] For *ampartkʿaš* Benveniste (*Handes Amsorya*, 1927, p. 763) suggested 'traité de pénalités' <**hamparta-(t)kaiša-*. Christensen, *L'Iran sous les Sassanides*, p. 117, suggested 'collection complète de doctrines relatives à la foi'. For *bozpayit* he suggested Phl. **bazpatit* 'confession des péchés commis'. For *petmog* he followed Langlois and translated 'doctrine (spéciale) des mōbadhs'; for this one would expect *mogpet*.
[7] Copenhagen facsimile, fol. 192 verso, l. 4: *mayōk-'mart hamāk-dēn*. The word is frequent in the latter half of the Dd. Cf. MPT. *h'm'gdyn* and Turkish *qamaγ nom* (von le Coq, *Türkische Manichäica aus Chotscho*, iii, p. 15).

and their doctrines must presumably have differed. For lack of evidence we cannot say whether either of them was Zervanite, but the following fact seems significant.

The Turfān Manichaean texts are written in two distinct dialects, Persian and Parthian. In the Persian texts the supreme deity is called Zurvān, but in the Parthian he is *baγ* 'God'. It would, therefore, seem fair to conclude that Zervanism was dominant in south-western Īrān at any rate at the time of Mānī, but that this was not so in the north. The proximity of Persis to Babylon makes this supposition the more likely, though in the present state of our data we will refrain from pressing this point.

NOTES TO CHAPTER I

A. DkM. 212. 5: *tam-aχᵛ yātūk druvand Aχt 'pat yazdān dušmanīh 'dēvān dōšāramīh yazdān yazišn 'aβgandan 'vas aδvēnak 'dēv-yāzakīh kartan drāyast.*—'Aχt, the accursed sorcerer of dark nature, by setting himself against the gods and by currying favour with the demons, bade (men) abandon the worship of the gods and in divers ways to perform worship to the demons.' This Aχt figures here as the antagonist of Zoroaster. For each precept of the latter he proclaims another diametrically opposed. In the Avesta he appears as *Aχtya-* (Yt. 5. 82), where he asks ninety-nine riddles of Yōišta of the Fryānas. Yōišta prays to the goddess Anāhitā that he may answer them, and his request is granted. The story is fully told in the little Pahlavī text *Yavišt i Friyān*. Aχt comes with an army of seven myriads to the city of the Solvers of Riddles and threatens to destroy it unless his riddles are answered. Yavišt (Yōišta) is chosen for the task and is successful. He then asks Aχt three riddles: at a loss Aχt rushes off into hell and craves the assistance of Ahriman, who denies him. He then returns and is slain by Yavišt. The Mazdeans were probably as arbitrary in representing Aχt as the founder of the *yātūkān* as they were in ascribing the origin of the Jews to another of their legendary figures, Dahāk. Cf. DkM. 253. 15 ff. and 257. 6 ff., where Dahāk is said to have composed the Pentateuch (*'wlyt'* = Syriac *Urāithā*) and to have built the city of Jerusalem. v. also ibid. 298. 12 and 299. 15.

B. DkM. 182. 6 ff.: *apāč-vaštak 'dēvīk apārōn nīrang yātūkīh *vitīmāsīh*[1] *⟨'pat⟩ stāyastārīh ⟨i⟩ marnjēnītār Ahriman, nihānīktom duvārišnīh 'ut rīmanīh 'ut gandakīh i gyāk 'ut tan 'ut vistarag 'ut 'pat tan 'burtan i nasāy 'ut hiχr, hangēnītan*[2] *i yazdān bēš, 'dēvān *rāmišn, 'dēv-yazakīk drāyastan 'ut 'χᵛāndan i 'dēvān 'pat 'nām i 'andar kārīh ⟨i⟩ 'avēšān [i] 'pat dēvāsnīh 'ut aγ-dēnīh 'ut akōman-mēnišnīh, 'drōγ-drāyastārīh 'ut apārōn-varzītārīh, duš-srov yātūk mar [nasāy], ⟨'ut⟩ apārīk i passačak 'ō 'dēvīk 'ut 'dūr 'hač *yazdīk.*

[1] *vitīmāsīh*: cf. Phl. Psalter *wtym'skyh* translating Syriac *tdmrt'* 'wonder'. Used in BkPhl. as 'wonderful' in a bad sense. Thus DkM. 181. 21 the demoniac *vitīmās* is opposed to the godly *aβdīh*: but ibid. 425. 21 the words are used in conjunction with no moral distinction. Ibid. 436. 2, *vitīmāsīk varč-kārīh i frāč 'hač Yamšēt . . . paytākīhast*, here in a good sense. Cf. also ibid. 459. 10 and ZXA. 252. 8 where Pāz. (Pāz-Texts, p. 266) has *dīmaspə*. See further Bailey, *Zoroastrian Problems*, p. 214.

[2] *hangēnītan*: reading uncertain. Found also DkM. 391. 7. Denominative to *hang?*

C. Text G 6. The accompanying figures of Zeus–Oromasdes, Apollon–Mithras–Helios–Hermes, Artagnes–Heracles–Ares plus the figure of 'my country Commagene which nourishes all' are thought by Schaeder to represent four facets of the infinite Zurvān (*Urform und Fortbildungen des manichäischen Systems*, p. 138). So also Nyberg, CCM. 1931, p. 126. It should, however, be emphasized that apart from the mention of χρόνος ἄπειρος in the inscription itself there is no justification for finding the four-fold Zurvān here. The representation of the four deities on the rock together with the lack of it in the case of Zurvān argues rather against such an interpretation.

D. The two terms *mazdezn* (mazda-worshipping) and *mog* (Magian) are used indifferently by the Armenian historians; cf. P'awstos of Byzantium, ed. Venice, 1914, p. 183, where the terms are equated. The Zervanite decree, attributed to Mihr-Narsē but almost certainly compiled by Ełišē from other sources, starts with the words, 'Know that whoso dwells beneath heaven and does not keep the laws of the Mazdean religion (*deni mazdezn*) is deaf and blind and deceived by the demons of Ahriman.' Ełišē, ed. Yohannisean, p. 27; Langlois, ii, p. 190.

E. Ariš plays no very important part in Zoroastrian demonology. He is, however, referred to as the most lying of the demons (*družtom*). He promised Zoroaster that if he worshipped him he would be king among men, exercising his will over the two worlds, and that he would be immortal. DkM. 832. 12–17: *pursīt-aš 'hač 'avē Zartuχšt 'ku Ariš-am družtom, 'čē 'man 'pat 'ān pātdahišn 'hast 'hakar 'šmāk 'pat gōβišn yazam? 'ut-aš 'ō 'avē guft Ariš, 'dēvān družtom, 'ku 'tō pātuχšāy 'bavēh 'andar martōmān 'pat kāmak-dahišnīh 'andar aχᵛān; čēγōn-at 'χᵛat apāyēt, ahōš 'bavēh.*—'Zoroaster asked him (saying), "O Ariš, worst Lie to me, what reward shall I obtain if I worship thee in speech?" And Ariš, the worst Lie among the demons, said to him, "Thou shalt be king among men, exercising thy will in the worlds, and thou shalt be immortal even as is thy desire." '

APPENDIX TO CHAPTER I

From the *Dēnkart*, Madan, pp. 412. 3–415. 3. The translation appears in the body of the chapter, pp. 7–9. A transliteration of part of this passage (DkM. 411. 15–413. 13) has appeared in Bailey, *Zoroastrian Problems*, pp. 218–19.

*Dārāy i Dārāyān hamāk apastāk 'ut zand čēγōn Zartuχšt 'hač Ōhrmazd patiγraft, *nipištan 2 paččēn, ēvak 'pat ganj i ša⟨sa⟩pīkān,*[a] *ēvak 'pat diž i nipišt dāštan framūt.*

Valaχš i Ašakānān apastāk 'ut zand čēγōn apēčakīhā 'andar 'āmat 'ēstāt, hamōk-ič i hač-iš 'har 'čē 'hač vizand 'ut āšuft-kārīh i Alaksandar 'ut ēvār 'ut rōp[b] *i Hrōmāyān 'andar Ērān šaθr pargandakīhā 'apar nipištak *'ut 'čē uzvān-aβspārišnīk 'pat dastaβar 'mānd 'ēstāt 'andar šaθr čēγōn frāč mat 'ēstāt, nikās dāštan, 'ō šaθrīhā [i] aβyātkār kartan framūt.*

[a, b] *For notes see p. 33.*

'avē bay Artaχšaθr 'šāhān 'šāh i Pāpakān 'pat rāst-dastaβarīh ⟨i⟩ Tansar 'ān-iš hamōk i pargandak hamāk 'ō 'dar 'χᵛāst. Tansar 'apar mat, 'ān i ēvak frāč patiyraft 'ut apārīk 'hač dastaβar 'hišt: 'ut 'ēn-ič framān 'dāt 'ku frāč 'ō 'amāh 'har nikēžišn 'ān-ē 'bavēt 'hač dēn māzdēsn, 'čē 'nūn-ič ākāsīh 'ut dānišn hač-iš frōt 'nēst.

Šāpuhr i 'šāhān 'šāh i Artaχšaθrān nipēkīhā-ič i 'hač dēn 'bē 'apar bižiškīh 'ut star-gōβišnīh 'ut čandišn 'ut zamān 'ut gyāk 'ut gōhr, dahišn, 'bavišn, vināsišn 'ut yatak-vihērīh[c] 'ut gavākīh[d] 'ut apārīk kērōkīh 'ut aβzār 'andar Hindōkān 'ut Hrōm apārīk-ič zamīkīhā pargandak 'būt, 'apāč 'ō ham 'āβurt 'ut 'apāk apastāk 'apāč handāχt 'ut 'har 'ān i druvist paččēn'ō ['ō] ganǰ i ša⟨sa⟩pīkān 'dātan framūt, 'ut ēstēnītan i hamāk argastān[e] 'apar dēn māzdēsn 'ō uskār 'kart.

*Šāpuhr 'šāhān 'šāh i Ōhrmazdān hamāk kišvarīkān 'pat patkārišn apē-vihānak kartan, hamāk gōβišn 'ō uskār 'ut vičōδišn 'āβurt. 'pas 'hač bōχtan i Āturpāt 'pat gōβišn i passāχt, 'apāk hamāk 'avēšān yut-sarəδakān 'ut nivēk(?)ᵍ-ōšmurtān-ič 'ut [i] yut-ristakān, 'ēn-ič guft 'ku 'nūn 'kaδ-mān dēn 'pat gētēh 'bē 'dīt, 'kas-ič ay-dēnīh 'bē 'nē *'hilēm, vēš 'apar tuχšāk tuχšēm, 'ut ham-gōnak kart.*

*'im bay Xusrau 'šāhān 'šāh ⟨i⟩ Kavātān čēγōn-aš ahramōγīh 'ut sāstārīh spurr-hamēstārīhā vānīt, 'pat paytākīh 'hač dēn 'andar 'har ahramōγīh, 4 pēšak ākāsīh 'ut uskārišn i dōkānīk 'vasīhā 'bē aβzūt, 'ēn-ič 'pat dēhān-'hanǰamanīh[h] guft 'ku rāstīh i dēn māzdēsn 'bē 'dānast: ōšyārān 'pat uskārišn ōstīkīhā tavān *'bē 'pat gētēh ēst-⟨ēnī⟩t; 'ut apartar aβzōnīk 'ut pēš-rat 'būtan mātiyān 'nē 'pat uskār, 'bē 'pat apēčakīh ⟨i⟩ mēnišn 'ut gōβišn 'ut kunišn 'ut 'vēh-mēnōk vāzišnīh, mānsrīk apēčakīhā ēzišnīh i yazdān šāyēt. 'ut-mān Ōhrmazd mayupat 'ān ['ān] ⟨i⟩ 'χᵛānd, 'χᵛānēm, 'kē ⟨'pat⟩ mēnōk-vēnišnīh 'andar 'amāh paytākīhast. 'ut-mān frāχᵛ-⟨vi⟩čārīh mēnōk-vēnišnīh⟨ā⟩ gētēh-handāčak-nimāyišnīhā-ič 'har 2 aδvēnak spurrīk hač-išān 'χᵛāst 'ut 'χᵛāδēm 'apāk-ič 'ān i [āpīh] āzātīh-kartārīh[i] i yazdān. vāspuhrakānīh[ā] 'apar Ērān rāδ, Ērān šaθr 'pat hamōk i 'hač dēn māzdēsn frāč 'raft i pēšēnīkān hangat-dānākīh āmēčišnīh i 'ō-ič hām χᵛanīras. 'ān i ākāsān 'pat yuttarīh patkār 'nēst. ōγōn 'vasīhā apastāk-aδvāčīk 'pat apēčak gōβišnīh, nipēk-pērāδišnīk 'hač mātiyān-aβyāt-kārīh, 'ut pātram-ič aδvēnak āvāčīk 'andar gōβišn-ākāsēnišn dāšt 'ēstēt, 'pas-ič hamāk χānīk (χq) dānākīh i dēn māzdēsn. 'ēt-ič rāδ 'i-mān šnāχt 'ēstēt 'ku 'kaδ hamāk *varōmand[j] uskārišnīh i bēkānak 'hač dēn māzdēsn ⟨'hač⟩ gēhān 'ō 'ēt gyāk 'rasēnd, 'pat nōk ā'vēčišnīh(?) 'ut uskārišnīh bēkānak 'hač dēn māzdēsn and dānišn ayāftan 'ut paytākēnītan 'ō sūt 'ut nihātkārīh i gētēhān 'āβurtan 'nē šāyēnd čand 'andar ōšmurišn [i] rat-ē 'pat vēš vičōδišnīh 'ut vēš *uskārišn ⟨ba⟩vāt. apartom χᵛāδišnīhā framāyēm 'hamist mayōk-*'martān i vēnāk ⟨'ut⟩ ērtar 'ut huχēmtar 'ut 'vēh nōk nōk asūtakīhā[k] apastāk 'ut zand uskārtan 'ut ayāpišn i hač-iš 'ō dānākīh ⟨i⟩ gēhānīkān aržānīkīhā aβzūtan. 'avēšān 'kē *'ō gētēhān* šnāχtan i dātār 'ut aβdīh⟨i⟩mēnōkān 'ut čēγōnīh i dahišn 'hač dātār fratom ayāftan 'nē šāyastan ayāp hamāk ayāftan šāyastan guft, 'pat ['pat] kam-dānišn varanīk; 'avēšān 'kē ⟨'pat⟩ paytākīh i 'hač dēn *'hastīh 'ut 'pat-ič hangōšītak *'hastīh šnāχtan šāyastan guft, 'pat uskārkar; 'ut 'ān 'kē rōšn nimūt 'pat dānāk[īh] dēnākās[īh] dāšt. 'ut 'hač 'ān čēγōn 'har dānākīh bun dēn hamō⟨k⟩ 'pat nērōk i mēnōkīk 'ut ham 'pat paytāk[īh]ēnītārīh ⟨i⟩ gētēhīk, 'ān [i] 'kas dānākīhā guft 'kaδ-ič-aš 'hač katām apastāk paytākīh hamist 'nē dāšt, 'aδak-ič 'pat paytākīh i 'hač dēn hangārt 'kē χᵛēškārīh 'pat hamōk frāč 'ō *gēhān-zātakān 'burt.*

[c–k] *For notes see pp. 33–34.*

NOTES TO APPENDIX

[a] So following Bailey, *Zoroastrian Problems*, p. 230.

[b] *ēvār*: <*abi*+*par-*: cf. *appurtan*, *appār*, Arm. *awar*. For *rōp* cf. NP. *ruftan*, &c. *ēvār* also occurs Zn. (Messina) 16. 30. This interpretation was suggested by Professor Bailey.

[c] The meaning of *vihēr-* is certainly 'move' as is proved by DkM. 136. 21, *anōst 'ut vihērišnīk* 'unstable and moving'. So *rasišn i vihērišn* (ibid. 256. 4) seems to correspond to *'rasišn ⟨i⟩ hām gēhān ravākīh* (ibid. 257. 4) with the consequent equation of *vihērišn* = *ravākīh*. Connected therefore are MPT. *'whyr-* 'aufsteigen' (Henning, *Ein manichäisches Bet- und Beichtbuch*, s.v.), Soghd. *γr-* (Manichaean *χr-*), Av. *har-*, Skt. *sṛ-*, &c.

The first member of our compound, however, presents a more difficult problem. The word, written *YTK*, should be the equivalent of MPT. *ǰdg* 'Ruhm' (Henning, ibid. s.v.), but 'Ruhm' is clearly unsuitable here. In our passage we are obviously dealing with theories ultimately deriving from Aristotle. Thus if *bavišn* corresponds to *γένεσις* and *vināsišn* to *φθορά*, we would expect *yatak-vihērīh* to correspond to *ἀλλοίωσις* 'alteration', defined by Aristotle as 'qualitative change' (*κίνησις κατὰ τὸ ποιόν*, *De caelo* 270ᵃ27; cf. *De generatione* 319ᵇ10, where it is described as change 'in the affections or properties', *ἐν τοῖς ἑαυτοῦ πάθεσιν*; cf. *Met.* 1022ᵇ15), particularly if Bailey is right in interpreting *gavākīh* as 'growth' (v. next note), that is quantitive change. Our word is, however, clearly defined in DkM. 352.5, where we have: *yatak-vihērīh 'hast *patvandišn i gētēh 'ō ham, vihērišn i 'hač dēs aδvēnak 'ō aδvēnak ⟨i⟩ karp.*—'*yatak-vihērīh* is the joining together of matter, change from the mode of form to the mode of shape (or body).' Various illustrations of the process are then given, e.g. (i) the formation of the minerals from earth, (ii) the growth of plants from earth and water, and (iii) of fruit from the root of the plant. In the case of artefacts (iv), the production of a bracelet, ear-ring, or ring from gold by the goldsmith is cited; and finally (v) the production of milk, blood, flesh, tendons, and hair from food and drink is instanced.

Now this passage seems to be of Aristotelian provenance; and in *Physics* i. 7 the problem of change is treated very much along these lines. The most relevant passage runs as follows (190ᵇ5): *γίγνεται δὲ τὰ γιγνόμενα ἁπλῶς, τὰ μὲν μετασχηματίσει, οἷον ἀνδριάς, τὰ δὲ προσθέσει, οἷον τὰ αὐξανόμενα, τὰ δ' ἀφαιρέσει, οἷον ἐκ τοῦ λίθου ὁ Ἑρμῆς, τὰ δὲ συνθέσει, οἷον οἰκία, τὰ δ' ἀλλοιώσει, οἷον τὰ τρεπόμενα κατὰ τὴν ὕλην.*

Here five varieties of change are distinguished: (*a*) change of shape or form, (*b*) by addition = growth, (*c*) by subtraction, (*d*) by composition, and (*e*) qualitative change. In the examples cited in our Pahlavī text (i) and (iv) are clearly a change of shape, (ii) and (iii) are by addition, viz. growth, and (v) might either be classed as change in form or as *ἀλλοίωσις* at least as defined in the passage from the *Physics* quoted above (cf. Ross's note ad loc.). In addition we have the definition of *yatak-vihērīh* as *patvandišn 'ō ham* which clearly corresponds to *σύνθεσις*. We cannot simply identify *yatak-vihērīh* with *μετασχημάτισις* as Bailey did, for it includes all the varieties of change except *γένεσις* and *φθορά* (which are not strictly *κίνησις* at all) and locomotion. It must then include not only *μετασχημάτισις* but also growth and diminution and qualitative change. It is, therefore, change in what is properly predicated of a substance, for in all the examples cited the substrate remains the same. Further, the second part of the Pahlavī definition states that *yatak-vihērīh* means the passage from one *aδvēnak* to another, a change of *εἶδος*, it would seem. *yatak*, therefore, includes *εἶδος*, *σχῆμα*, *ποιότης*, and *ποσότης*: it is therefore

probably a translation of Greek πάθος, in which case the whole phrase is probably a translation of ἀλλοίωσις used in a very loose sense.

If, as Bailey proposes (*Zoroastrian Problems*, p. 82), the word is connected with Old Iranian *yam-*, the basic meaning of *yatak* would be 'a thing retained, property'. The development 'property'>'fame' would then be parallel to the semantic development of *χ"arr* 'good things'>'glory'.

[d] *gavākīh*: 'growth', so following Bailey, op. cit., p. 83.

[e] *argastān*: to *arg* 'trouble', 'righteous effort'. I cannot, however, cite any other occurrence of the word. For a similar use of the suffix *-stān* one may cite *dātastān*, *nīrangastān*, &c.

[f] *patkārišn apē-vihānak*: *patkārišn-vāzān āhōk*, Bailey. I do not understand what this means. Wikander, *Feuerpriester in Kleinasien und Iran*, p. 114, apparently reads *apē-vihānak* as *āpān-χānak* and takes this to mean that Šāpūr II erected a temple to Anāhitā. This seems to be yet another case in which a Pahlavī word has been transliterated and translated arbitrarily and without regard to context in order to lend support to a subjective historical theory. Wikander's 'house of waters', then, would seem to have no basis in fact.

[g] *nivēk*: *nask* Bailey.

[h] *'hanǰamanīh*: v. FrPhl., ch. xii. Bailey reads *yazdān-χratīh* for *dēhān-'hanǰamanīh* without indicating that he is emending the second word. Our reading seems to give a slightly better sense.

[i] For *āzātīh kartan* in the sense of 'to thank' v. Henning, GGA. 1935, p. 10.

[j] **varōmand*: text has *vīrōmand*, but the emendation is necessary if a satisfactory sense is to be obtained. The meaning is certainly 'doubtful'; cf. PhlVd. 5. 32; 3. 14; DkM. 704. 20; 723. 17; 861. 20. In all these passages it is opposed to *ēvar* 'certain'.

[k] *asūtak*: *a*+*sūtak* (NP. *sūdeh*). With and without the privative the word is very common in Dk.

CHAPTER II

ZERVANISM AND MAZDEANISM IN THE SASSANIAN PERIOD

It should be abundantly clear from our investigations in the last chapter that different trends of thought were active within the Zoroastrian Church under the Sassanians. Of these we have been able to distinguish the Mazdean proper, the theory of the two principles mentioned by Eznik; the Zervanite or the theory of three principles; and the *yātūkān*, sorcerers or devil-worshippers, a sect that rendered homage to Ahriman as well as Ohrmazd and which had affinities with the Magusaeans of Asia Minor and the Mithraists of the Roman Empire. These last are so violently attacked in the Pahlavī literature and the great Kartīr inscription that it is reasonable to suppose that they were excluded from communion with the Iranian Church.

The question now arises, Was Zervanism or Mazdeanism the dominant doctrine during the Sassanian period? Did the two views alternately predominate and, if so, to what periods is the ascendancy of each to be assigned? Christensen cut the Gordian knot by declaring that Zervanism was the normal form of Sassanian Zoroastrianism,[1] but Bidez and Cumont rightly regarded this theory as too bold.[2] The lines along which an investigation of this question should be conducted have, however, already been traced by O. G. von Wesendonk, who has tried to show that the two forms of Zoroastrianism alternated and has attempted to sketch the stages through which each passed.[3] The present author is convinced that his method is right, and he will therefore follow in the path he has already traced.

Of the founder of the dynasty, Ardašīr I, we know that he made serious efforts to establish the religion of Zoroaster as the religion of State. He appears to have entrusted the formation of a religious canon to the high priest (*hērbaδān-hērbaδ*),[4] Tansar. Our accounts of Ardašīr, both Pahlavī

[1] *L'Iran sous les Sassanides*, p. 144.

[2] *Mages*, i, p. 63, n. 3.

[3] *Das Wesen der Lehre Zarthuštrōs*, pp. 19–20.

[4] In the Zoroastrian Church this office was inferior only to that of *mōbaδān-mōbaδ*. v. Christensen, op. laud., pp. 114, 131, 513 ff., and id., *L'Empire des Sassanides*, pp. 35–36; Wikander, *Feuerpriester in Kleinasien und Iran*, chap. ii. W. advances the thesis that the *hērbaδs* originated in the north-west and were the priests of Vayu and Anāhitā. Not having had time thoroughly to analyse W.'s data, the present author can only reserve his judgement.

and Arabic, are more legendary than historical. As the founder of the second Persian Empire he became the model of princely wisdom: he is the reputed author of many 'wise sayings', one of which condemns the solitary life.[1] This is flatly contradicted by a tradition that he himself retired from the world at the end of his life, taking refuge in the profoundest pessimism.[2] The Erastian doctrine of the inseparability of religion and kingship, Church and State, is also said to have originated with him[3]—a doctrine which later was to become a commonplace of Sassanian theology. Tansar himself is reputed to have been an ascetic and connected with the Platonist sect.[4] What Maǰūdī's authority for this curious statement is we do not know; but it is probably a late invention of Muhammadan times. Ṭabarī knows nothing of it.

The little Pahlavī text, the *Kārnāmak i Artaχsaθr i Pāpakān*, is also quite legendary in character. Ardašīr is naturally represented as a good Mazdean, as offering sacrifice to Ohrmazd and the Amahraspands,[5] and as a founder of fire-temples.[6] However, from the point of view of religion all that can be said of his reign is that during it the first serious attempt seems to have been made to revive the religion of Zoroaster. Any definition of theological dogma would at this stage have been premature.

About Ardašīr's son and successor, Šāpūr I, we are better informed. To the West he is best known as the monarch who captured and humiliated the Emperor Valerian. In the East he is better remembered for his interest in the current religions of the empire. According to a tradition preserved in the *Fihrist*[7] the great heresiarch Mānī was present at his coronation in A.D. 242 and delivered his first sermon on that occasion; but according to the Manichaean *Kephalaia* he returned from India at the news of the death of Ardašīr and had an interview with Šāpūr in Susiana.[8] The result was a complete success: the Manichaeans were given full liberty to preach their doctrines wherever they wished, and Mānī himself spent a long time in the royal suite. In view of the statements of the *Dēnkart* concerning Šāpūr's additions to the Avesta,[9] it is improbable that he was actually converted to Manichaeism, at any rate openly; but there can be no doubt that the

[1] Mas'ūdī, *Murūǰ*, ed. Barbier de Meynard, ii, p. 163.

[2] Ibid., pp. 159–60.

[3] Ibid., p. 162: 'O my son, know that religion and kingship are two brothers, and neither can dispense with the other. Religion is the foundation of kingship, and kingship protects religion. For whatever lacks a foundation must perish, and whatever lacks a protector disappears.'

[4] Ibid., p. 161.

[5] Kn. (Ântiâ) 12. 17, p. 35.

[6] Ibid. 13. 18, p. 40; 15. 21, p. 51.

[7] Flügel, *Mani*, pp. 51, 84.

[8] v. Schmidt–Polotsky, *Ein Mani-Fund in Ägypten*, SbPAW. 1933, p. 47; Polotsky, *Kephalaia*, p. 15; Puech, *Le Manichéisme*, pp. 44–49.

[9] *Supra*, pp. 8 and 10–11.

Manichees enjoyed high favour during his reign,[1] and even converted two of the royal brothers, Mihršāh and Pērōz.[2]

Nor does Šāpūr seem to have confined his interest to Manichaeanism. Ṭabarī[3] tells us that when he was besieging the fortress of Daizān the latter's daughter appeared on the walls; and the pair promptly fell in love. She asked what he would give her if she showed him how to destroy the walls of the fortress and put her father to death. He replied that he would make her his queen. This satisfied her, and she accordingly gave him this secret. 'Take a green dove', she said, 'with a ring round its neck, and write something on its foot with the menstruous discharge of a blue-eyed maiden. Then let it go, and it will settle on the ramparts of the city, and they will fall in ruins.' And so it was. A clearer case of black magic it would be hard to find; and Nöldeke comments: 'the concept is probably this: the utterly unclean from the clean on the clean brings nature into a state of unrest and produces destruction'. If the episode bears any relation to historical fact, Šāpūr must obviously have been influenced by the 'sorcerers' or 'devil-worshippers' who were later to be the object of his minister Kartīr's particular displeasure. This, however, in no way excluded him from the Zoroastrian communion: on the contrary he seems to have wished to broaden its basis by enlarging its sacred literature by the introduction of foreign material from Greek and Indian sources.[4] These included works on astronomy, time, and space, the process of becoming, decay, and 'alteration'. All these are reminiscent first of Aristotle and secondly of Zervanism.

Now the *Dēnkart* states that all these writings were writings of the Religion,[5] that is of Iranian origin, which had been scattered throughout the Byzantine Empire and India. This may, of course, be nothing more than acquisitive nationalism on the part of the author of the *Dēnkart*; but that does not preclude the possibility that the works collected by Šāpūr may have been drawn from the mass of material which went under the name of Zoroaster in the Greek-speaking world. This material was largely Zervanite in tendency, and the mention of works on time and space makes it probable that Šāpūr himself had an inclination towards Zervanism, and that by including these works he sought to give scriptural authority to what was in fact a largely alien religion. The resemblance between Zervanism and Manichaeism has often been noticed, but the latter is now

[1] According to Ya'qūbī (Houtsma, i, p. 181) Šāpūr, after adhering to the Manichaean religion for ten years, turned against Mānī, who was forced to flee: v. Kessler, *Mani*, pp. 329–30. The Coptic texts, however, prove this statement to be erroneous: v. Schmidt–Polotsky, op. cit., p. 51.

[2] Schmidt–Polotsky, op. cit., p. 49; Puech, op. cit., p. 131.

[3] Nöldeke, *Ṭabarī*, p. 38.

[4] *Supra*, p. 10.

[5] Ibid.

widely admitted to be of Christian heretical and Gnostic origin rather than Iranian.[1] It may also be surmised that much in Zervanism also came from the West and that this infiltration took place in the reign of the first Šāpūr. It is not suggested that Zervanism first came into existence during his reign, for Mānī's use of the name Zurvān is against that; but it does seem likely that Šāpūr strengthened and supported that belief by the introduction of foreign matter akin to already current Zervanite ideas.

Hormizd I, Šāpūr's successor, also seems to have favoured the Manichees, though the tattered condition of the relevant passage in the *Homilies*[2] allows of no certain conclusion. But under Bahrām I a reaction set in. According to Ḥamza[3] a conference was called at which Mānī was to vindicate his views. He was refuted by the Zoroastrian doctors under the redoubtable Kartīr and put to death. His martyrdom was followed by the persecution of his followers; and this persecution was liberally extended to other heretics, as Kartīr himself proudly boasts.

Among those singled out for persecution by Kartīr were the Zandīks. These, in later times, came to mean the Manichaeans; but Mas'ūdī points out that at the time of Bahrām I this term referred to those who interpreted the *Zand* or commentary on the Avesta in an unorthodox way and more particularly to those who believed in the eternity of matter and denied the creation of the world.[4] This again brings us back to the Daharīs mentioned by the *Šikand* whose views were precisely these. H. H. Schaeder (l.c.) has already shown that the Zandīks might at least have included the Zervanites and has quoted a case from the *Dēnkart* where such an 'interpretation' is attacked.[5] It is then probable from the external evidence that Kartīr persecuted the Zervanites and proscribed their doctrines. His inscription at Naqš i Rajab is a restatement of Mazdean doctrine after a period of anarchy following the encouragement of heretical views by Šāpūr I. The period of Kartīr's power, extending through the reigns of the first three Bahrāms (A.D. 273–93), can then be regarded as the period of the first victory of Mazdean orthodoxy, during which Zervanism, if not actually persecuted, was very much out of favour. If later in this work it can be shown that unmixed Zervanism was in fact indistinguishable from

[1] Cf. Schaeder, *Zeitschrift für Kirchengeschichte*, 1932, p. 21 ff.; Burkitt, *The Religion of the Manichees*, p. 14; von Wesendonk, AO. x, pp. 336–63; Puech, *Le Manichéisme*, p. 150, n. 268. Against this view v. Widengren, *Mesopotamian Elements in Manichaeism*, pp. 10 ff.

[2] Polotsky, *Manichäische Homilien*, pp. 42, 48.

[3] ed. Gottwaldt, p. 50: translation by U. M. Daudpota in the *Journal of the K. R. Cama Oriental Institute*, No. 22, p. 96.

[4] Mas'ūdī, *Murūj*, Barbier de Meynard, ii, pp. 167–8; v. further Schaeder, *Iranische Beiträge*, i, pp. 278 ff.

[5] DkM. 829. 1–5 (text F 3 (*a*)).

the doctrine of the Daharīs, then actual persecution by Kartīr will scarcely be open to reasonable doubt.

We know too little of the two short reigns that intervene between the death of Bahrām III (A.D. 293) and the accession of Šāpūr II (A.D. 309) to be able to form any idea of religious developments during that period. The work of the second Šāpūr, however, can now be seen as the culmination of the process of intolerance initiated and zestfully developed by Kartīr. That there may have been backsliding in the intervening reigns is indicated by the fact that under this Šāpūr another council had to be convened and the redoubtable Āδurbaδ, son of Mahraspand, was required to vindicate his views by submitting to the ordeal. This he did with triumphant success, and a royal edict ensured that his views and no others should in future be esteemed as the true faith of Zoroastrian orthodoxy.[1] The reign of Šāpūr II may thus be regarded as the high-water mark of orthodox Mazdeanism. The achievement of Āδurbāδ was built on the foundation laid by Kartīr; and it is perhaps part of that notable achievement that the very name of Kartīr has been expunged from the Zoroastrian tradition. Had the latter's great inscription never been found, posterity would still be ignorant of the signal part he played in the long, sad history of religious bigotry. In the books of his co-religionists he is not remembered: for them Āδurbāδ is the great figure of the Mazdean renaissance which must rank higher than the 'second spring' which came in under Xusrau I; for in that reign, it appears, non-Iranians were allowed to go about their lawful occasions in peace.[2] In the reign of Šāpūr the Great uniformity was enforced within the Church and other religions were heavily and savagely chastised.

It would seem that this state of affairs, so gratifying to the Mazdeans, lasted until the reign of Yezdigird I, branded by the Zoroastrian tradition as 'the Sinner'. To judge from foreign sources his sin would appear to have consisted in a spirit of tolerance ill suited to the times. The Christians had every reason to be thankful to him and even the Pagan Procopius praises his magnanimity.[3] His forbearance was, however, tried by the action of a priest in the city of Hormizd-Ardašīr in Susiana who, with the connivance of his bishop, abused his freedom by destroying the fire-temple in that city.[4] Yezdigird was forced to take counter-measures; and the spirit of tolerance thus received a renewed set-back.

Towards the end of this reign, according to Christensen,[5] a figure arose who will occupy our close attention in the following pages. This was

[1] *Supra*, p. 11.

[2] *Infra*, p. 49.

[3] Procopius, i. 2. 8.

[4] v. Labourt, *Le Christianisme dans l'empire perse sous la dynastie sassanide*, pp. 105 ff.; Christensen, *L'Iran sous les Sassanides*, p. 267.

[5] Op. laud., p. 268.

Mihr-Narsē, who became *Vazurg-framāδār* or Prime Minister at this time. Mihr-Narsē is a personage of great importance for our subject, and we must therefore devote some considerable space to him. Had Ełišē not preserved a remarkable document purporting to be from his hand, he would never have attracted the attention of modern scholars as anything but the exceptionally able and upright minister of the Kings Yezdigird I, Bahrām V, and Yezdigird II. Ełišē tells us that, in his efforts to convert the Armenian Christians to the Good Religion, Mihr-Narsē ordered the Magians to draw up an edict in which they were to expound the cardinal tenets of their religion; and it is this edict which Ełišē professes to reproduce.[1] The edict is frankly Zervanite and differs in only small detail from the accounts transmitted by Eznik, Theodore bar Kônai, and Yohannân bar Penkayê. On the strength of this earlier scholars concluded that the Zervanite form of Zoroastrianism was predominant or even official at least during the reign of Yezdigird II.[2] This somewhat naïve assumption was rejected by Cumont, who succinctly remarks, 'La fausseté de ce document saute aux yeux.'[3] He further points out that the answer of the Armenian clergy bears no relation to the edict—a fact scarcely surprising in itself if, as Łazar of P'arpi asserts,[4] that venerable body of men did not take the trouble to open it—and that the edict is borrowed from Eznik. Cumont's thesis was later vigorously supported by H. H. Schaeder,[5] who, while maintaining that the edict of Ełišē derived not from his actual experience of the Magian religion but from literary sources, went further and described Eznik himself as a 'literary pirate of a calibre rare even in Armenian literature'. Since M. L. Mariès,[6] following Meillet, published his researches on the sources of Eznik, Schaeder's harsh judgement on that Armenian classic will not be lightly disputed.

The earlier view that the edict was authentic was then taken up by O. G. von Wesendonk.[7] His theory was that the edict consisted of two parts: the one, religious, drawn up by the Magian priests for the benefit of the uninstructed Armenians, the other, an edict addressed by the King Yezdigird to the Armenian nobility. The first, he maintained, is preserved in Ełišē, the second by Łazar.[8] The striking and for him awkward resemblance

[1] Ełišē, ed. Yohannisean, p. 27; Langlois, ii, p. 190. v. our text F 1.

[2] Spiegel, *Erânische Alterthumskunde*, ii, p. 183; Casartelli, op. cit., p. 3: Darmesteter, ZA. i, p. 221, n. 10; Justi, *Geschichte des alten Persien*, p. 197: Blochet, RHR. xxxvii, p. 27; Ed. Meyer, *Ursprünge und Anfänge des Christentums*, ii, p. 84.

[3] Cumont, MMM. i, p. 17.

[4] Langlois, ii, p. 282.

[5] *Studien zum antiken Synkretismus*, p. 239; cf. the same scholar's *Der Iranische Zeitgott und sein Mythos*, ZDMG. 1941, p. 291.

[6] *Le 'De Deo' d'Eznik de Kołb*, esp. pp. 39–54.

[7] l.c.

[8] Langlois, ii, p. 281.

between the three accounts of Eznik, Ełišē, and Theodore bar Kônai was explained away rather than explained. In support of his theory that Mihr-Narsē and Yezdigird II were Zervanites, von Wesendonk adduced the fact that the former's son, and the eldest at that, bore the name of Zurvāndāδ. Beyond that and the spurious edict he had little evidence to show.

Now, as Mariès has demonstrated, it seems certain that, though there is no reason to suppose Ełišē to be directly dependent on Eznik, the three or, with bar Penkayê, four Zervanite accounts cited derive from a common source, and that the so-called edict of Mihr-Narsē is valueless as evidence for the prevalence of Zervanism during the reign of Yezdigird II. If we are to substantiate von Wesendonk's thesis that Mihr-Narsē was a Zervanite, our time will be better occupied (*a*) in seeking to find out whether Ełišē has otherwise any knowledge of the religion of the Persians and, if he has such knowledge, whether he would be likely to insert into his history an account of that religion which could be refuted by any Magian priest as being either long out of date or a travesty of the facts, and (*b*) in ascertaining whether the Zoroastrian books throw any light on Mihr-Narsē himself, his son Zurvāndāδ, or Yezdigird II. To the clarification of these two points we shall now proceed.

It would appear from the accounts of Ełišē[1] and Łazar[2] that Yezdigird II, swayed by his Prime Minister Mihr-Narsē, pursued an extraordinarily vigorous policy of proselytism. From the fourth to the eleventh year of his reign he sought to convert the Armenian nobility by peaceful methods and rewarded those who acquiesced with gifts of money and land.[3] These methods were only partially successful, for the bulk of the Armenian nation remained loyal to the Christian religion: so Mihr-Narsē, with the support of a converted Armenian called Varazvałan, then issued his famous 'edict' demanding that the Armenians should adhere to the Good Religion.[4] Both Ełišē and Łazar produce a version of this edict, but the former attributes it to Mihr-Narsē and the latter to the King. Von Wesendonk (l.c.) is doubtless right in explaining the total lack of correspondence between the two versions by identifying Ełišē's with the digest of the Persian religion mentioned by Łazar,[5] not with the royal edict. According to Łazar[6] the edict remained unopened, and its recipients proceeded to draw up a reply couched in language of extreme violence. This proved too much even for

[1] Yohannisean, pp. 19 ff.; Langlois, ii, pp. 187 f.

[2] Langlois, ii, pp. 278 f.

[3] Ełišē, Yohannisean, p. 21; Langlois, ii, p. 188.

[4] Łazar, Langlois, ii, pp. 278–81.

[5] Langlois, ii, p. 281: 'Aussitôt le roi convoqua les mages, leur fit écrire les lois du magisme et les envoya en Arménie. Il rédigea aussi un édit adressé à toute la nation arménienne.'

[6] Ibid., p. 282.

Yezdigird surnamed 'the Clement',[1] who retorted by dispatching a punitive expedition to the rebellious province. What is more interesting to us is that a great number of Magian priests were sent in its wake.[2] *A priori* it would therefore seem improbable that Ełišē should insert into his history a false account of the Magian religion purporting to be the work of Mihr-Narsē and therefore orthodox, at a moment when there were on Armenian territory large numbers of Magians any of whom could prove his statement false and convict him of ignorance. Wilful misrepresentation of his adversary's doctrine would scarcely be the best means of serving his own Church or of preventing those whose faith was lukewarm from going over to the other side. These could only be alienated by such a procedure, and convinced Christians would, anyway, not be susceptible to argument. Mas'ūdī[3] in an interesting passage defends the Zoroastrians from the charge levelled against them by Muhammadan theologians, namely, that the Devil sprang from a thought of the deity, by suggesting that such opinions were held by the common people but were consistently denied by the Magians themselves. Ełišē can plead no such excuse, for the official representatives of the Zoroastrian Church were there, and their doctrine would be known to the Armenians. We are therefore justified in believing that the so-called edict of Mihr-Narsē, though derived from other sources, nevertheless represents approximately the official doctrine of the time of Yezdigird II.

If Ełišē showed himself otherwise entirely ignorant of the Persian religion of his time, we should be justified in dismissing the 'edict' as a mere repetition from Eznik or some other Christian propagandist. But in fact he does not. In the edict itself he makes Mihr-Narsē refer to the Christians as 'deaf and blind and deceived by the demons of Ahriman',[4] thereby reproducing exactly the Pahlavī interpretation of the Avestan terms *kavi-* and *karapan-*.[5] He knew that it was forbidden to slaughter cattle without first stunning the victim,[6] that excrement was not to be put on the fire,[7] that one should wash one's hands with *gōmēz* (cow's urine)—and he is familiar with the technical term—that it was unlawful to kill beavers, foxes, and hares,[8] but that it was meritorious to destroy snakes, lizards, frogs, ants,

[1] *al-laiyin*, Ḥamza, Gottwaldt, p. 55.

[2] Ełišē, Yohannisean, p. 49; Langlois, ii, p. 199; Łazar, Langlois, ii, p. 291.

[3] *Kitābu't-tanbīh*, de Goeje, p. 93; trans. Carra de Vaux, p. 136; text F 12.

[4] Yohannisean, p. 27; Langlois, ii, p. 191; cf. Meillet, *Rev. Ét. Arm.* vi, pp. 1 ff.

[5] e.g. Yt. 1. 10 = ZXA., p. 90. Cf. Darmesteter's note in *The Zend-Avesta*, ii, p. 26 (SBE. xxiii).

[6] See note A, p. 52.

[7] Cf. esp. Vd. 7. 25–27.

[8] Why Ełišē selects the beaver, fox, and hare from the creatures of Mazdāh is not quite clear. We should have expected some mention of the otter or dog; but perhaps, as a Christian polemist, he merely wishes to draw attention to the absurdity of a religion which forbade the destruction of harmful creatures.

and all sorts of vermin.[1] In common with most other authors who deal with the Mazdean religion he knows of their consanguineous marriages, their worship of the elements and the Sun and Moon, and he is familiar with the name of the Bahrām fire.[2] Further he gives us information concerning the Magian 'schools' mentioned above,[3] information which we get in no other source. It should, then, be clear that our author had a knowledge of the religion of the Persians altogether outstanding in an Armenian historian, vastly superior to that of Łazar, for instance, who describes the same events. Though yielding nothing to the latter in bigotry, he does yet seem to have taken the trouble to find out something of the opinions of his opponents: and it would be doing him an injustice to assume that whereas whatever else he reports about the Magian religion is true and supported by other sources—and the authenticity of the *petmog* passage is vouched for by his correct use of the word *hamakden*—he should have been so foolish as to insert into what is supposed to be an edict of Mihr-Narsē a doctrine that was either proscribed by the latter's Church or had long fallen into disrepute. Instructed in the details of this religion he is scarcely likely to have committed a blunder in so important a matter as that of the origin of the universe. Himself a witness of the events he describes,[4] he would at any rate have been refuted by the Magians operating in Armenia. Believing for the moment in his veracity, we now turn to other sources.

The most important of these is Ṭabarī. According to him Mihr-Narsē occupied the highest office of state, that of *vazurg-framāδār*, during the reigns of Yezdigird I, Bahrām V, and Yezdigird II:[5] but it would appear that it was only in the reign of Bahrām that he began to exercise a preponderant influence. Yezdigird I, we are told, rejected his advice,[6] which we can well believe; for the King was as notable for his tolerance as his minister was for his religious zeal. Under Bahrām, however, he seems to have enjoyed unlimited power: he was entrusted with the management of the State during the monarch's absence in India[7] and was looked up to like a king.[8] During the reign of Bahrām as in that of Yezdigird II he distinguished himself in the field against the Byzantines. About his character Ṭabarī is enthusiastic, describing him as the wise man of his time, a man of perfect culture, distinguished in his behaviour, and outstanding among

[1] Cf. Vd. 14. 5, where snakes, frogs, and ants are mentioned. Herodotus i. 140 mentions particularly ants and snakes as being the victims of the Magi. GrBd., p. 142, heads its list of noxious creatures with the snake, scorpion, lizard, ant, fly, and locust.

[2] *vṛamakan krak*, Yohannisean, p. 66; Langlois, ii, p. 206.

[3] p. 29.

[4] He professes to have seen Yezdigird II and heard his voice: Yohannisean, p. 20; Langlois, ii, p. 187.

[5] Ṭabarī, Nöldeke, pp. 75, 106, 113.

[6] Bel'amī, Zotenberg, ii, p. 104.

[7] Ṭabarī, Nöldeke, p. 106.

[8] Bel'amī, Zotenberg, ii, p. 122.

his contemporaries.[1] Because of his intelligence and the confidence he inspired in the people he was greatly esteemed by his royal masters. Mas'ūdī, though he does not mention him by name, records that Yezdigird II summoned to his court one of the wise men of his time, and that he modelled his conduct on him and governed according to his advice.[3] Thus the accounts deriving from the *Xᵛatāynāmak* or Sassanian Book of Kings accord with the Armenians in regarding Mihr-Narsē as the dominant influence during the reign of Yezdigird II. He was cordially hated by the Armenians as being primarily responsible for the Christian persecutions, while the Book of Kings, reflecting the opinion of the nobility, cannot find praise high enough for his character and knightly exploits.

Now among the sons of Mihr-Narsē there was one of the name of Zurvāndāδ. Being the eldest he was destined for the Church and the law, and was elevated to the rank of *hērbaδān-hērbaδ* (high priest) during the reign of Bahrām V.[4] This office, though inferior to that of *mōbaδān-mōbaδ*, seems to have been extremely important.[5] Among other functions it would seem that the *hērbaδān-hērbaδ* exercised a decisive influence in doctrinal matters, for the great Tansar, who is said to have drawn up the Sassanian Avesta, is alleged to have held that office, not that of *mōbaδān-mōbaδ*.[6] The name of Zurvāndāδ does not necessarily prove its owner to have been a Zervanite, as von Wesendonk seems to imply, any more than the name Zurvānduχt borne by a daughter of Šāpūr II[7] proves Zervanite tendencies in that monarch who, by accepting the doctrine of Āδurbāδ, son of Mahraspand, would seem to have associated himself with the categorical dualism which finds its expression in the Pahlavī books. The name does, however, indicate that Zurvān was an object of reverence in the family concerned, and is of obvious significance when borne by an eldest son and one of the highest officials of the Magian clergy. Even so, Zurvāndāδ is important to us not so much because of his name as because he is the object of a disparaging reference in a Pahlavī book.

For if we turn to the Pahlavī *Vidēvdāt* 4. 49, we find that whereas the notorious Mazdak is cited as the typical *ahramōγ* or heretic, Zurvāndāδ[8]

[1] Ṭabarī, Nöldeke, pp. 75–76.
[2] Ibid., p. 109.
[3] *Murūj*, Barbier de Meynard, ii, p. 193.
[4] Ṭabarī, Nöldeke, p. 110.
[5] For the functions of the *hērbaδān-hērbaδ* v. p. 35, n. 4.
[6] DkM. 406. 6. Full references in Minovi, *Tansar's Epistle*, p. 9.
[7] Arm. *zruanduχt* in P'awstos of Byzantium vi. 1. v. Hübschmann, *Armenische Grammatik*, p. 42.
[8] There can be no doubt that the reading *Zurvāndāt* preserved in one MS. (IM) is correct. The reading *ZLHWND'T* kept by Hôshang Jâmâsp in his text was read by Darmesteter as *Zarhûndât* (ZA. ii, p. 62, n. 38), on which that able translator remarks, 'le nom est malheureusement trop corrompu pour permettre une identification historique'.

appears as the typical *sāstār*. The latter term, besides meaning simply 'tyrant', is also used in a religious sense. In DkM. 204. 18 and 22. 4[1] it is used in opposition to *āsrōn* or priest, and in the latter passage it is qualified as *aγ-dēnīh* or 'wrong religion'. The difference between the last term and *ahramōγ* is explained in the *Dēnkart*: 'Apostasy (from the Good Religion) includes two categories, that of the *ahramōγ* who considers it non-existent and that of the *aγ-dēn* who considers the Good Religion not good.'[2] This passage clearly shows that the orthodox Mazdean made a distinction between *ahramōγ* and *aγ-dēn*. The former, who ignores the Good Religion, would seem to be a member of an external cult, a non-Zoroastrian; the latter acknowledges the Good Religion, but considers it to be 'not good', or in other words is not in agreement with the orthodox doctrine: and for the author of the *Dēnkart* the orthodox doctrine is that of 'the two Principles', the pure teaching of the school of Āδurbāδ. The Pahlavī *Vidēvdāt*, then, in referring to Mazdak as the typical *ahramōγ* and to Zurvāndāδ as the typical *sāstār*, is making a distinction. The former is the founder of a new religion not in communion with the Zoroastrian Church; the latter is a priest holding heretical views within it.

It may, of course, be argued that there is no proof that the Zurvāndāδ of the *Vidēvdāt* is identical with the son of Mihr-Narsē. True, but the probabilities seem overwhelmingly in favour of this assumption. First we have no knowledge of any Zurvāndāδ other than the son of Mihr-Narsē who could conceivably be regarded as a typical *sāstār*.[3] Secondly, the mention of Mazdak indicates the period to which we should assign the Zurvāndāδ in question, namely the period of religious unrest prior to the reform of Xusrau I. Thirdly, we have good reason to suppose that Zervanism was in the ascendant during the reign of Yezdigird II and that Mihr-Narsē and his son were supporters of that religion. All this seems to be borne out by a passage in the *Mātiyān i hazār Dātastān* where Mihr-Narsē and Yezdigird are referred to in uncomplimentary terms:

...as when His Majesty, the King of Kings, Bahrām, son of Yezdigird, appointed Mihr-Narsē, the Prime Minister, to serve the fire of Artvahišt and the fire 'Increase the land (?), O Lord'. For several years he was kept at that task, to the tending of fires. Then at the command of His Majesty, the King of Kings, Yezdi-

[1] v. our texts Z 11 and Z 12.
[2] DkM. 201. 8–10: *'apāč stāyastan [i] hangartīk 2 aδvēnak, ahramō⟨γ⟩īk čēγōn an'hast mēnītan, aγ-dēnīk čēγōn a'vēh mēnītan i vēh-dēn.*
[3] The other known Zurvāndāδs are: (*a*) A jurist frequently quoted in the MhD., the son of Yuvān-Yam, sometimes occurring without the patronymic. (*b*) Cited by Justi (*Namenbuch*, s.v. *Zarwāndāδ*) are two persons among the twelve Magi who were said to have paid homage to Jesus, a Zrovandat, Bishop of Golthn, and a Zīrwandāt (!) appearing on a Sassanian seal. (*c*) A pupil of Mānī who operated in Khorasan (Schaeder, ZDMG. 1941, p. 274).

gird, son of Bahrām, he was received back into a position of trust because of his reputation as a sinner and was kept for several years in a position of trust. Then His Majesty, the King of Kings, Pērōz, consulted with the chief Mōbaδ, Mardbūδ, and other authorities who had come, and appointed him to serve not the same fire but the fire of Ōhrmazd-Pērōz.[1]

Though the passage is not absolutely clear, the salient fact cannot be evaded. Mihr-Narsē had the reputation of a 'sinner', and apparently for this reason was put in a position of trust by Yezdigird II. Bahrām V and Pērōz, on the other hand, put him in charge of fire-temples. What precisely this means is not immediately obvious: but the service of fire-temples must have meant a retirement from public life, for Mas'ūdī says that when Ardašīr I abandoned the world he frequented fire-temples and served God there.[2] The meaning of the passage can, therefore, only be that, in the eyes of both Bahrām V and Pērōz, Mihr-Narsē was *persona non grata*. It is also significant that on his second banishment to a fire-temple the decision was reached at the instance of the chief Mōbaδ and other ecclesiastical authorities: he must, therefore, also have been unpopular with the Church. Yezdigird II, however, brought him back to a position of trust, and that because he was a sinner! In other words, he was a heretic.

It need hardly be said that the accounts of Ṭabarī and the *Mātiyān* are in complete disagreement. But this is scarcely surprising, for the account of the former is based on the *X^vatāynāmak* and reflects the views of the nobles: the latter is a purely priestly work and reflects the views of Zoroastrian orthodoxy. That Mihr-Narsē was actually disgraced by Bahrām V is improbable: on this point the evidence of Ṭabarī is on the whole to be preferred, for he has no obvious axe to grind. The priests, on the other hand, had every interest in whitewashing Bahrām V, who was an extremely popular monarch. It is therefore not unlikely that they invented the story of Mihr-Narsē's disgrace, if such indeed it was. About Yezdigird II they presumably cared less, for he never captured the popular imagination as Bahrām did, and they were, therefore, quite content to allow him to be implicated in the heresies of his distinguished minister. His degradation under Pērōz may well be historical, for Ṭabarī, who admires Mihr-Narsē, does not mention his being the minister of Pērōz at all. This passage from the *Mātiyān* then proves that both Yezdigird and Mihr-Narsē were obnoxious to the later Sassanian Church. Nor can we explain this antagonism, as we can in the case of Yezdigird I, as a reaction of a bigoted clergy against religious toleration; for as we know from the Armenians and Ṭabarī alike, Mihr-Narsē was a zealot and as indefatigable a founder of fire-temples as

[1] See note B, p. 52.

[2] *Murūj*, Barbier de Meynard, ii, p. 160.

the great Kartīr himself. The conclusion is inescapable: Mihr-Narsē's form of Zoroastrianism differed from that of the Pahlavī books: he must have been a Zervanite. We can therefore say with tolerable certainty that Zervanism was the predominant religion during the reign of Yezdigird II.

Of the religion of Yezdigird II himself we can gather little apart from what we have just said. Like all the other Persian kings he swears by the Sun,[1] and bids his subjects worship it and minister to the fire,[2] and he 'multiplied the sacrifice of white bulls and shaggy he-goats to the fire'.[3] He accused the Christians of sorcery[4] and considered it a sin to receive tribute from them and to accept their services so long as they persisted in their error.[5] Like Šāpūr I, his predecessor in error, he appears to have been genuinely interested in finding a religion that would satisfy him. 'He studied all doctrines and examined the religion of the Magians and Chaldees and all the teachings of his country.'[6] He is even said to have had the Christian scriptures read to him, but like his Muhammadan successors was scandalized by the Crucifixion, and laughed the idea of a bodily Resurrection to scorn.[7] If then he was a Zervanite, he would seem to have been one by conviction.

For the reigns of Pērōz and Balāš we have no information; but the events of the reign of Kavāδ seem to indicate that the policy of permitting religious speculation within the State Church had run riot. It is not within the scope of this book to give an account of the Mazdakite heresy and its hold on Kavāδ: for this the reader is referred to Christensen's excellent monograph.[8] The success of that movement and the chaos it caused testify to the weakness of the Zoroastrian Church at that period and the urgent need for the drastic reforms afterwards put into effect by Xusrau I.

At the time of the accession of this monarch the empire was torn with faction: the social order had been dislocated by the communist theories and practices of the Mazdakites, and the Church itself had absorbed many extraneous ideas. The so-called 'Epistle of Tansar' which was written in the reign of Xusrau I[9] reflects the chaotic conditions prevalent before his reign. 'Because of the decadence of the men of those times and the decline of the monarchy and men's thirst after heresy and false interpretations and their desire for glory, those writings and traditions had so passed from

[1] Ełišē, Yohannisean, p. 43; Langlois, ii, p. 198.

[2] Id. Yoh., pp. 22, 43; L., pp. 188, 197.

[3] Id. Yoh., p. 17; L., p. 187.

[4] Id. Yoh., p. 41; L., p. 196 (translation inaccurate).

[5] Id. Yoh., p. 45; L., p. 197.

[6] Id. Yoh., p. 20; L., p. 187.

[7] Id. Yoh., p. 18; L., p. 187.

[8] 'Le Règne du roi Kawādh I et le communisme mazdakite' in *Det Kongelige Danske Videnskabernes Selskab. historisk-filologiske Meddelelser*, ix. 6.

[9] v. p. 10, n. 2.

the memory of the people that not an iota of the truth remained.'[1] Even before his accession but after he had been recognized as heir apparent, Xusrau had dealt the Mazdakites a mortal blow. A conference was summoned to which Mazdak and his supporters were invited. Defeated in controversy, they were ruthlessly massacred.[2] With the Mazdakites thus liquidated the new king was free to put the house of the Zoroastrian Church in order. The decree preserved in the *Dēnkart*[3] bears witness to this act. The words 'after he had put down irreligion and heresy' must refer to his drastic suppression of the Mazdakites, and 'the truth of the Mazdayasnian religion has been recognized' must refer to the conference in which the Magian priests defeated Mazdak. Xusrau agreed to accept the decision of the chief Mōbaδ as binding, but demanded of the Magians a precise definition of doctrine, though at the same time pointing out that a good life and ritual accuracy are of more importance than questions of dogma. He then deplores the fact that foreign doctrines had found their way into the Mazdayasnian religion, and urges his subjects to study the Avesta and *Zand*. He attacks those who deny that God can be known and those who assert that He can be known in His entirety. The first of these parties may refer to one school of Zervanites.[4] Finally he says: 'Those who say that it is possible to understand Being through the revelation of the Religion and also by analogy, are to be deemed researchers (after truth).' Here Xusrau would appear to be authorizing the marriage of the Good Religion and Greek philosophy which is so noticeable a feature of the *Dēnkart*. He is seeking a *via media* both between religion on the one hand and philosophy or science on the other, and between the rival schools of Mazdeanism and Zervanism. The attempted fusion, however, was not complete; and it is thanks to his failure that we can reconstruct the Zervanite system at all.

Further light is thrown on the activities of Xusrau by another passage in the *Dēnkart*.[5] Here he advocates the complete destruction of the doctrines of heretics, the enforcement of the views advocated by Āδurbāδ, son of Mahraspand, and the popularization of religious knowledge among the orthodox: this knowledge, however, was to be jealously kept from heretics. He further recommends that his subjects increase their sacrifices to the

[1] Minovi, p. 11, l. 12; Darmesteter, JA. 1894, pp. 212, 516.

[2] Malalas and Theophanes give a full account of the defeat and death of Mazdak. v. Christensen, op. laud, p. 124, and id., *L'Iran sous les Sassanides*, pp. 354–5.

[3] *Supra*, pp. 8–9.

[4] Cf. the discussion of the infinite in the ŠGV. 16. 104 ff. (text Z 23): 'In so far as it is infinite it cannot be understood.' For similar views on the incomprehensibility of the supreme deity in the Hellenistic religions v. Reitzenstein, *Das iranische Erlösungsmysterium*, Beigabe i, § 2.

[5] See note C, p. 52.

gods and destroy the idol-temples of the demons, that they should use their strength to help one another, but deny it to foreigners.

Mas'ūdī,[1] too, tells us of his intolerance towards heretics. 'He united the people of his realm in the religion of the Magians, and forbade them discussion, divergence of opinion, and controversy.' We learn from the 'Epistle of Tansar'[2] that the King—probably referring to Xusrau in fact—gave orders for heretics to be imprisoned and to receive instruction from the Magians for the space of one year. If the victim recanted, he was released; but if he persisted in his error, he was to be made aware of the consequences and finally liquidated. This shows a relative leniency that contrasts favourably with the savage tone of the *Dēnkart* passage. That work, indeed, gives a picture of Xusrau very different from that which we obtain from other sources. Agathias[3] tells us that he studied Greek philosophy and that he was much given to Plato and Aristotle. He also states that a Syrian called Uranius taught him philosophy and that he discussed matters of theology with the Magians. In spite of this interest in learning Agathias formed the lowest opinion of his intellectual qualifications.

Owing to persecution in the Byzantine Empire and the closing of the schools of philosophy in Athens, seven philosophers took refuge at the court of Ctesiphon.[4] One of them was Damascius, to whom we owe a short account of the Persian religion which he claims to have derived from Eudemus of Rhodes. The account is Zervanite, for it places Space and Time at the origin of all created things. Scheftelowitz and von Wesendonk have doubted the authenticity of the attribution to Eudemus, and think that Damascius is describing a religion he knew first-hand at Ctesiphon.[5] But this fails to explain why he should wish to attribute what he had himself observed to another or why he should have selected Eudemus in particular. Moreover, the tone of the decree of Xusrau preserved in the *Dēnkart* and his encouragement of the followers of Āδurbāδ make it probable that the Zervanites were a proscribed sect at least during the early part of his reign. It would surely be attributing an excess of tact to Damascius to suppose he described the Zervanite doctrine under the name of Eudemus in order to shield the offending sect from the royal displeasure.

It is well known that Xusrau's policy towards other religions was tolerant in the extreme. By the peace of 562 the Christians were granted full liberty to practise their cult, but were forbidden to proselytize.[6] However, during the war they suffered persecution at the hands of the chief Mōbaδ, Dāδ-

[1] *Murūj*, Barbier de Meynard, ii, p. 196.

[2] Minovi, p. 17; Darmesteter, JA. 1894, pp. 219, 524.

[3] ii. 28.

[4] v. Christensen, *L'Iran sous les Sassanides*, p. 423.

[5] v. p. 20, n. 3.

[6] v. Christensen, op. cit., p. 368.

Hormizd, probably with the full approval of the King.[1] In return for his concessions to the Christians he obtained similar rights for the Magians within the Byzantine Empire.[2] This is interesting, for it shows that the Iranian Church recognized its connexion with the Magians abroad though, according to our Greek sources, these had little in common with it.

It was during the reign of Xusrau I, too, that Indian ideas re-emerge in Īrān; and a small Pahlavī 'Book of Chess'[3] tells us how that game was brought to Īrān from India during his reign.[4] Translations of Indian works also took place, notably of the *Pancatantra*, that charming book of fables that was later to find its appropriate place in the heritage of the West. Reference will be made later to possible borrowing from India in the Pahlavī literature.

How then are we to reconcile the harsh, xenophobe Xusrau of the *Dēnkart* with the protector of Greek philosophers, associate of Christians, and amateur of Indian literature? The solution would appear to be that the *Dēnkart* decree is to be assigned to the beginning of his reign[5] when harsh measures were necessary to preserve both Church and State from disintegration. After he had strengthened the Zoroastrian Church and put a stop to doctrinal wrangling within it, he could afford to adopt a generous policy towards the Christians who, maintaining the errors of Nestorius against the orthodoxy of Byzantium, could no longer be regarded as enemies within the gates. The presence of a few Greek philosophers at his court might well cause offence to the more conservative among the Magians but was no doubt pleasing to the vanity of the King of Kings. We can then conclude that the reign of Xusrau I combined the re-establishment of Mazdeanism with a policy of toleration towards other religions. For he himself says in his decree, 'We have no dispute with those who have other convictions.'

With the passing of Xusrau 'of Immortal Soul' the Sassanian Empire entered on the period of its decline. For the sake of completeness we must, I suppose, say a few words about that flashy and deplorable monarch Xusrau II, styled 'the Victorious'. He was thoroughly disliked by the Zoroastrian clergy; for according to the Persian *Žāmāspī* he practised tyranny and injustice: evil customs became prevalent, and the religion and the realm of Īrān declined. It uses the words *āyīn i bad*, a term later to be

[1] Christensen, op. cit., p. 421; Labourt, *Le Christianisme dans l'empire perse sous la dynastie sassanide*, pp. 176ff.
[2] Ṭabarī, Nöldeke, p. 288.
[3] PhlTexts, pp. 115–20: cf. Salemann in *Mélanges asiatiques tirés du bulletin de l'académie impériale de St. Pétersbourg*, ix, pp. 222–42.
[4] Herzfeld, *Archäologische Mitteilungen aus Iran*, iii, p. 28, favours an earlier date.
[5] *Supra*, p. 47.

applied to the Arabs;[1] and it would therefore seem probable that the statement of Eutychius that he embraced Christianity was true.[2] At any rate he married the daughter of the Emperor Maurice by whose aid he succeeded in defeating the formidable pretender, Bahrām Čōβēn.[3] His favourite wife, Šīrēn, too, was a Christian from Byzantium;[4] and he himself prayed to the martyr Sergius and returned a golden cross, decorated with pearls and precious stones,[5] which Xusrau I had carried off. But if he was a Christian, he was no ornament to that Church, for he was addicted to every sort of superstition. He wore an amulet to keep him from death[6] and surrounded himself with astrologers and sorcerers,[7] and even dabbled in astrology himself.[8] Christensen is right in saying that 'superstition was the real basis of his religion'.[9] To superstition again must be attributed both the homage he paid to the Christian martyr Sergius and the erection of 353 fire-temples to which he appointed no less than 12,000 *hērbaδs*.[10] The whole procedure exhibits that intellectual vulgarity which vainly seeks to propitiate the higher powers by utilizing mutually exclusive religions and caring not at all whether either be true. With the demise of this futile monarch dynastic chaos set in and the rotten apple of autocratic corruption was ripe to fall into the hands of the desert barbarian.

In this chapter we have attempted, by a close examination of the scant material at our disposal, to trace the vicissitudes of the Zoroastrian religion during the Sassanian period. Let us now summarize our conclusions. The religion was resuscitated by Ardašīr I with the assistance of Tansar. Šāpūr I introduced certain foreign elements and during his reign the Zervanites seem to have been dominant. Under Bahrām I the Mazdean reaction sets in. Certain basic doctrines are reaffirmed by Kartīr: uniformity on Mazdean lines becomes the order of the day and wholesale persecution begins. The same trend is further developed under Šāpūr II, who summoned a council to settle the doctrinal question. At this council the Mazdean dualists, headed by Āδurbāδ, son of Mahraspand, were victorious and their views were accepted as orthodox. Under Yezdigird II the Zervanites again prevailed, and their cause was espoused by the Prime Minister, Mihr-Narsē. By the reign of Kavāδ doctrinal imprecision had produced chaotic conditions, and Xusrau found himself compelled to reaffirm the doctrines of Āδurbāδ, albeit judiciously combined with gobbets of Greek philosophy. After this a general laxity seems to have invaded the body politic: the

[1] Modi, ii. 3.
[2] Cf. Ṭabarī, Nöldeke, p. 287, n. 2.
[3] Theophylact, *Historiae*, iv. 14.
[4] Id. v. 13. 7.
[5] Id. v. 1. 8; 13. 1.
[6] Ṭabarī, Nöldeke, p. 382.
[7] Ibid., p. 304.
[8] Theophylact v. 15. 3.
[9] *L'Iran sous les Sassanides*, p. 482.
[10] Ṭabarī, Nöldeke, p. 353.

Zoroastrian religion was no longer in a state to stand up to the Muslim onslaught, and within a few centuries it was wholly to fade out of the Middle Eastern scene, leaving few traces behind and proving too weak permanently to influence Iranian thought. Zervanism, though defeated, lived on in that inveterate fatalism which has ever since been so marked a characteristic of the Persian mind.

NOTES TO CHAPTER II

A. Yohannisean, p. 50; Langlois, ii, pp. 199–200. Cf. the account of Strabo, xv. 3. 15 (*apud* Clemen, *Fontes*, p. 35, and Benveniste, *The Persian Religion*, p. 52), Mâr Barhad Bešabbâ (text F 8), and the reply to the Christian Bōχt-Mārā's question as to why the Zoroastrians struck the victim with a log before applying the knife (DkM. 456. 4) found in DkM. 466. 12. 'The reason for striking cattle with a log before (applying) the knife, together with the other things which are to be done in that matter, apart from the ritual efficacy of cleansing the body from a number of demons, especially the portions of excrement and bad taste, and (apart from) preventing the unjust and ill-considered slaughter of cattle, is first pity for the beast and on this account the lessening of its fear and pain when the knife is applied to it, and the prevention of the slaughter of cattle in an ill-considered manner, impulsively and at any time when one's desire is urgent.' The text is as follows: *gōspand čōp pēš 'hač kārt frāč burtan 'hamist apārīk i 'andar 'ān 'dar kunišn čim, 'ān yut 'hač nīrangīk sūtārīh i čand druž 'hač tan 'pāk kartan, nāmčištīk bahr i *hiχrīh(?) 'ut dušmičakīh, adātīhā 'ut halakīhā ['ut] kam-kušišnīh-ič i gōspand, ēvak apaχšišn i 'apar gōspand, 'pat-ič 'ān rās kam-bīmīh 'ut kam-dartīh 'i-š 'hač frāč-'barišnīh ⟨i⟩ 'kārt 'ut 'nē halakīhā zūt zūt 'pat 'har zamān āržōk-tēžīhā 'ōžatan i gōspand.*

B. MhD. ii (1913), p. 39, 11–17; Bulsara, *The Laws of the Ancient Persians*, p. 551: *'apāk 'ān 'kaδ 'avē baγ Vahrām 'šāhān 'šāh Yazdkartān Miθr-Narsē i vazurg-framātār 'pat bandakīh ⟨i⟩ ātaχš i Artvahišt 'ut ātaχš i aβzōn-χᵛatāy-šaθr(?) 'dāt. čand 'sāl 'pat 'ān 'dāt 'pat āturān dāštan. 'pas 'pat framān i 'avē 'bē (BR' for baγ>bē) Yazdkart 'šāhān 'šāh i Vahrāmān ⟨'pat⟩ 'nām i vināskārīh 'apāč 'ō ōstān 'graft, čand 'sāl 'pat ōstān dāšt; 'ut 'pas 'avē baγ Pērōž 'šāhān 'šāh 'pat ham-pursakīh i Mart-būt mayupatān-mayupat 'būt ⟨'ut⟩ apārīk dastaβarān i mat 'ēstāt 'hēnd, 'pat bandakīh 'nē 'ō ham ātaχš [i] 'bē 'ō ātaχš i Ōhrmazd-pērōž 'dāt.* Another reference to Mihr-Narsē occurs in MhD. ii. 35. 17; Bulsara, p. 537.

C. DkM. 219. 7–22: *ēvak ahramōyān čāštak 'ut ka⟨r⟩tak 'hač ērān-šaθr bavandak-vānītārīhā aβsihēnītan. ēvak čāšišn i dēn mānsar 'ut ēzišn 'ut kartakān i yazdān 'hamist dāt aδvēn 'pat čāštak 'ut kartak i hāvištān i Āturpāt i Mahraspandān i ⟨'hač⟩ mukurān*[1] *'dēh 'būt, kartan. ēvak patīrišn i 'martān i ahrovān, hubarišnīh i ātaχš i*

[1] The Pahlavī has *MWKWL'N* which may most easily be read as *'hač kūrān*. A village called *kurān* is mentioned by Yāqūt, Wüstenfeld, iv, p. 247, as being in Fārs. But our present place is a *dēh* 'province' and is therefore best identified with Makrān or Mukrān, the province east of Kirmān. v. Markwart, *Ērānšahr*, p. 31, where the forms *mukkurān* and *mākurān* are quoted. GrBd. 86. 9 has *makurastān* (*MKWLST'N*) and Kn. 7. 3 (Ântiâ, p. 22) *makrastān* (*MKLST'NW̲*).

aβzōnīk, yōšdāsrīh ⟨i⟩ āpān i 'vēhān 'hač ērān 'dēhān 'nē 'vēχtan. ēvak dēn 'ut dānākīh, aχᵛ[1] *mēnišn ov-iš dahišnīh⟨ā⟩, 'pat bavandak tuχšākīh vaχšēnītan, 'ut 'ō ōstaβār-χēmān frāχᵛīhā rātēnītan, 'ut 'hač vatak ahramōyān drupušt 'pāt. ēvak yazišn kartakān i yazdān purr-patmānīhā 'andar ērān 'dēhān aβzāyēnītan, 'ut-aš hambitīk 'dēvīk [ōžīhā] uzdēs asrušt zatan, škastan, 'aβgandan. ēvak 'ō 'ān i 'amāh dāt 'pat ravākīh 'ut frāχᵛ-vistarišnīh mēnišn, nērōk, tan-ič 'ut ǰān aβspārtan. ēvak zōr 'ut attān 'ō χᵛēšīk χᵛatān aδyārīh patvastan 'ut 'hač anōtak-*[2]** dūtakān 'ut hamēmāl brītan.*—'One (of his counsels) was to eradicate the teachings and practices of heretics from the realm of Īrān by defeating them utterly: one, to put into practice the teachings of the word of the Religion and the worship and rites of the gods together with the law and customs in accordance with the teachings and practice of the disciples of 'Āδurbāδ, son of Mahraspand, who came from the province of Makrān: one, not to neglect in the provinces of Īrān hospitality to holy men, the good care of the beneficent fire, and the purification of the good waters: one, to cause religion and learning to prosper by being exceedingly zealous and by applying one's energy and thought to it, to propagate it widely among the sound of heart (i.e. the orthodox) and jealously to withhold it from evil heretics: one, to increase in full measure the service and rites of the gods within the provinces of Īrān and to smite, smash, and overthrow the idol-temples and disobedience (i.e. unorthodoxy) that comes from the Adversary and the demons: one, to dedicate thought, strength, and body and life to the propagation and wide dissemination of our law: one, to offer one's force and possessions to one's own kin and to withhold them from strangers and enemies.'

[1] *aχᵛ*: translates Av. *aŋhvā-* 'energy' as well as the commoner *aŋhav-* 'existence'. It is sometimes difficult to distinguish the two in Pahlavī, but when used with *mēnišn* 'thought' we may be certain that the former is intended; cf. Yt. 10. 9: *fraχšni avi manō zarazdātōiṯ aŋuhyāṯ hača*—'with a well-pleasing mind, from energy given in devotion'; v. further ib. 1. 2; Ys. 11. 18; Vd. 5. 21. *aχᵛ* is equivalent to *kām*: so DkM. 262. 3, *aχᵛ kām-mēnišnīh*; ibid. 819. 17, *aχᵛ kāmak*. The series *manaŋhā . . . vačaŋhā . . . šyaoθanā . . . aŋhuyā* of Ys. 11. 18 appears in Phl. (DkM. 265. 16) as *mēnišn . . . guftan . . . . . kartan . . . kāmak*. *aχᵛ* is only used in a good sense. It is both spiritual (*mēnōkīk*) and material (*gētēhīk*). On the spiritual plane it derives health and ease of movement from the desire of the will of the gods (*yazdān*) and the power of the constellations (*bayān*). It becomes ill and straitened through the violence of the demons and the vengeance of the planets (robber-demons, v. BSOS. ix, p. 316). On the earthly plane it derives health from sober living (*hupahrēčišnīh*), ease of movement from effort: it becomes ill through careless living (*apahrēčišnīh*) and is straitened by laziness (v. DkM. 82. 7 ff.). The way from desire (*aχᵛ*) to thought is spoken of ibid. 48. 17 and 51. 10: 'When the way from desire to thought is perfect and pure, spiritual insight (contemplation —*mēnōk-vēnišnīh*) ensues.' Though the meaning of the word was clear to the Pahlavī theologians, they were yet unable to distinguish it from *aχᵛ* = *aŋhav-* 'existence'. They knew it meant 'free will', yet they say that the Avestan name of *āzātkām* 'free will' is *aχᵛ i astōmand* (Av. *aŋhav-astvant-* 'corporal life'!). Thus it will be seen that they could preserve an older doctrine even when they had ceased to understand the Avestan language. This misuse of the word *aχᵛ* was not recognized by Tavadia in his treatment of the passage (ZII. viii, p. 122).

[2] *anōtak*: v. BSOS. ix, p. 312.

CHAPTER III

THE FATHER OF GOOD AND EVIL[1]

In the last chapter we endeavoured to trace the fortunes of Zervanism throughout the Sassanian period. We showed that, during the reign of Šāpūr I, Mānī adopted the name Zurvān to represent his own supreme deity which the Byzantine anathemas call *ὁ τετραπρόσωπος πατὴρ τοῦ μεγέθους*[2] and the *Fihrist*, *maliku ǰanāni'n-nūr* 'the King of the Paradise of Light', or *maliku 'ālami'n-nūr*[3] 'the King of the Cosmos of Light'. After a temporary eclipse Zervanite doctrines re-emerged in the reigns of Bahrām V and Yezdigird II only to be crushed under Xusrau I. Having indicated the periods during which Zervanism may be considered to have been the predominant form of Zoroastrianism in Īrān, we must now proceed to analyse its beliefs.

Unfortunately, in the present state of our knowledge, we cannot speak of a Zervanite system as we can, for instance, of a Manichaean system, or a Marcionite or Valentinian system: we can point to Zervanite myths or beliefs, we may attempt to explain them, we can reconstruct and put forward hypotheses, but only on rare occasions can we be certain that we have arrived at the truth. For Zervanism we have no zealous Christian, no Irenaeus or Epiphanius who, in his onslaught on heresy, will reveal the basic beliefs of those he assails: we must content ourselves with Eznik, whose information is selective, and Theodore bar Kônai, who gives us tantalizingly few samples of the religion he attacks. We possess only one Zervanite treatise, the *'Ulemā i Islām*, and that of very late date. From these scattered remains and from the rare survivals of older Zervanite beliefs which we occasionally meet in the Mazdean books we must endeavour to reconstruct whatever we can of the Zervanite religion. In this chapter we will consider the Zervanite mythology, and will therefore turn at once to the well-known Zervanite myth transmitted principally by Eznik of Kołb, the Armenian apologist.

This myth, the story of the genesis of Ohrmazd and Ahriman, is preserved in closely similar form in four sources—the Armenians Eznik and Łišē and the Syriac writers Theodore bar Kônai and Yohannân bar Penkayê. Translations of the texts in parallel columns will be found in our

[1] The whole of this chapter is based on the four parallel accounts of the Zervanite myth which will be found reproduced as our text F 1.

[2] Migne, P.G. i, col. 1461; Kessler, *Mani*, p. 403.

[3] Flügel, *Mani*, pp. 52, 56.

text F 1. Short notices of the same myth are also found in Theodore of Mopsuestia *apud* Photius and in Eudemus *apud* Damascius (texts G 2 and 1). Slightly differing versions are given in the *'Ulemā* and Šahristānī (texts Z 37 and F 4). So much for the sources. Let us now proceed to the story they have to tell.

In the very opening sentence of the myth there is a discrepancy in our accounts. On the one hand Eznik says: 'When nothing at all existed, neither heaven nor earth nor any other creature which is in heaven or on earth . . .'; on the other, Theodore bar Kônai has: 'When nothing existed *except darkness* . . .'. All accounts then proceed to relate that Zurvān offered sacrifice for a thousand years.[1]

Theodore's addition 'except darkness' is disconcerting, for it stands in flat contradiction to what Šahristānī tells us and is a severe embarrassment to those would see in Zurvān a god of light. According to the great Arab collector of heresies the Light emanated 'persons' of light all of whom were endowed with spirit, light, and sovereignty: the greatest of these persons was Zurvān. Thus for one of our main sources Zurvān reigns over the darkness, for another he forms part of the realm of light. Which version is to be trusted? Reitzenstein, with characteristic dogmatism, laid down that Zurvān was associated exclusively with the light, 'da Zarvan immer Lichtgott bleibt, darf man vielleicht hinzufügen: des Lichts'.[2] Pallis is even more emphatic: 'the first hypostasis of Zervan', he declares, 'is light which is in fact identical with time'.[3] Such statements, however, not only make light of the evidence of Theodore who is unquestionably a reliable source, but take no account of the clear statement of Zātspram that Ohrmazd, dismayed at the threats of Ahriman, begged Time (*zamān* which is identical with Zurvān[4]) to aid him, 'for he saw that through no intermediary *belonging to the light* would Ahriman desist'.[5] Any thesis then that would identify Zurvān with light is untenable. Moreover, how can the supporters of such an hypothesis account for the 'ash-coloured garment' which, in Zātspram's account, Zurvān hands to Ahriman, and how account for the description

[1] For 'a thousand years' Šahristānī (text F 4, § 1) has the figure nine thousand nine hundred and ninety-nine. The figure is best explained as a mistake on Šahristānī's part. In all probability he misread his original in which nine hundred and ninety-nine must have stood. The latter figure would be equivalent to the thousand of the other sources. For the use of large numbers composed of nines one may compare the 99,999 remedies of Airyaman in Vd. xxii.

[2] *Iranisches Erlösungsmysterium*, p. 177, n. 2. This identification of Zurvān with light was long ago rejected by Darmesteter, *Ohrmazd et Ahriman*, p. 333.

[3] *Mandaean Studies*, p. 69.

[4] On the identity of Zurvān and Zamān (resp. NP. *rūzgār* = Time) cf. Widengren, *Hochgottglaube*, p. 276.

[5] Zs. 1. 9; text Z 4. That these scholars should have neglected Zātspram is very understandable since the text still remains unpublished.

of this garment as being 'from the very substance of darkness' and '*mingled with the power of Zurvān*'?[1]

Since, then, it is clear that Zurvān cannot be the god of light, is there any ground for associating him exclusively with the darkness? The answer is equally plain: No. For this evasive deity is at once the god of light and of darkness; for he is the father of Ohrmazd and Ahriman who respectively dwell in the Endless Light and the Endless Darkness:[2] or again he transcends the distinction between light and darkness, for these are only made manifest after the genesis of Ohrmazd and Ahriman whose attributes and places they are. So, in the folk-lore of Armenia which, as far as we can tell, still survives today, and which in this case is traceable back to ancient Īrān, Žuk (Zurvān) or Žamanak (*zamān*, Time) is represented as sitting on a high mountain and as rolling alternately a white and a black ball of thread down the mountain-side.[3] Here it is apparent that we have to do with a simple nature divinity, the god of the day and the night which mark the course of time. As Nyberg has so aptly remarked, 'Si Zurvān est le firmament, il est probable que les jumeaux (i.e. Ohrmazd and Ahriman) sont simplement le jour et la nuit, le ciel lumineux et le ciel obscur.'[4] This primitive conception of the god is again preserved by another late source, the Persian poet Firdausī (text F 13). The Zoroastrian clergy are questioning Zāl, the father of Rustam, on religious matters: one of the *mōbaδs* says, 'O exalted one, two horses, precious and fleet of foot, move forth, the one like unto a lake of pitch and the other lustrous as white crystal: they move and they both hurry on, but never do they catch each other up.' To which Zāl replies:

> Now for what thou hast said concerning the two horses, blazing like unto lightning. Both the white and the black are Time; they both pursue each other swiftly, they are night and day which pass by, they reckon each moment of the firmament above us. They do not catch each other up as they gallop on, running like the quarry before the hounds.

Since then Time is regarded as comprising both light and darkness, how is it that Šahristānī[5] speaks of it not only as a 'person' of light but as only one of many such persons, though the greatest? It would appear that he has confused in his account the conception of the pure 'Zurvāniyya' with that of the 'Semi-Zervanites', as we may conveniently call them, or those who made Time a principle equal with Ohrmazd and Ahriman, but strenuously denied that the Devil arose from a doubt of the supreme deity.[6]

[1] Text Z 4, § 29.
[2] Text Z 1, §§ 2 and 3; Z 4, § 2.
[3] Abeghian, *Armenische Volksglaube*, p. 53. Cf. Junker, *Aionvorstellung*, p. 178, n. 103.
[4] CCM. 1931, p. 112: cf. *infra*, p. 245.
[5] Text F 4, § 1.
[6] v. Chapter VIII, *passim*.

The truer conception which still survives in Zātspram is blurred in the *Bundahišn*,[1] where we find Infinite Time associated with Ohrmazd, the Endless Light and Wisdom: this tetrad, which we shall fully discuss below,[2] is a favourite in the Pahlavī books.

Now when Šahristānī speaks of the greatest of the persons of light, we are not entitled to conclude that he knew nothing whatever of a Zurvān-religion proper, as Schaeder would have us believe;[3] for he doubtless had in mind a doctrine which knew of other 'persons' beside Zurvān, in all probability his well-attested hypostases, Ašōqar, Frašōqar, and Zarōqar,[4] the importance of which Schaeder was himself the first to recognize.[5] That these were in fact 'persons' rather than attributes is proved by the fact that Frašōqar is said personally to have 'engendered' Ohrmazd.[6] Alternatively we are at liberty to think of the *baχt* and *p'arḳ'* of Eznik or any of the tetrads which Nyberg has brought to light.[7] Šahristānī's evidence is not to be cavalierly waved aside on the grounds that he was ignorant of a Zurvān-religion in which Zurvān appears as the highest principle: it is all the more interesting and important in that it depicts a stage in the development of Zervanism intermediate between that represented by Eznik and the texts allied to him and the later compromise between Zervanism proper and ultra-Mazdeanism found in the Pahlavī books. But let us return to the myth.

Before anything existed, 'there existed one, Zurvān by name, which being interpreted is Fate (*baχt*) or Fortune (*p'arḳ'*)'.[8]

With the entrance of Zurvān on to the scene let us pause for a moment to consider his nature. The Avesta distinguishes two Zurvāns, *zrvan-akarana-* and *zrvan- darəγō-χᵛaδāta-*, that is 'boundless Time' and 'Time whose autonomous sway lasts for a long time'. Whether the two were actually considered as distinct beings in the Avesta itself must remain uncertain; but in the Pahlavī books the difference is clearly marked. The two Zurvāns appear as *Zurvān* (resp. *zamān*) *i akanārak* 'boundless' or 'infinite Time' and *zamān i kanārakōmand* or *brīnōmand*, that is 'bounded' or 'finite Time'. The first represents infinity—in the Mazdean texts specifically the infinity of Ohrmazd—and the second temporality, finite Time, or more exactly the twelve thousand years' period during which the great struggle between Ohrmazd and Ahriman takes place. The Zurvān of the

[1] Text Z 1, § 2.
[2] Chapter VIII.
[3] *Studien zum antiken Synkretismus*, p. 238.
[4] *v. infra*, pp. 219–25.
[5] *Ursprung und Fortbildungen des manichäischen Systems*, pp. 141 ff.
[6] Text F 9, end.
[7] v. CCM. 1931, pp. 47 ff., and *infra* pp. 221–3.
[8] The identification of Zurvān with Fate is also found in Theodore Abū Qurra (text F 2) and Theodore of Mopsuestia (text G 2).

myth must, of course, be the infinite Zurvān since he is antecedent to Ohrmazd and Ahriman and therefore to the 'forming' of finite Time. Eznik's qualification of the name Zurvān as 'fate' or 'fortune' is, therefore, a little inconsequent, for logically the operations of these are only possible in finite time. To expect strict logic from so simple a myth would, however, be singularly inept.

Leaving aside Fate and Fortune for the moment then, let us turn to another passage from our Armenian source.[1] Here we are told that the Persians were divided into sects: some believed in three principles, the good, the just (*ardar*), and the evil; some in two, the good and the evil only, and some in seven. Whatever the last sect may have been,[2] the other two are clearly the Zervanites and Mazdeans proper. Eznik mentions the sect of the three principles first because it is their doctrine he subsequently discusses. The good and the evil are unmistakably Ohrmazd and Ahriman: the just must then as unmistakably be Zurvān. So Mâr Abhâ, a convert from Zoroastrianism, says:[3] 'Of Zurvān, the father of their gods, the Magians relate that he practised the Magian rite for a thousand years in order to get him a son, and he was heard on account of his righteousness (justice).'

In the Pahlavī books this is felicitously confirmed: 'Who is the most just?' the catechist asks. 'Finite Time',[4] the catechumen replies. That justice is here attributed to finite rather than infinite Time need not detain us, for the latter is the source of the former, the 'root', as Eznik says (l.c.), of justice. So generally accepted does this concept of Zurvān appear to have been that the author of the *Bundahišn* sees fit to supply a pleasing popular etymology of his name: he is Zurvān because he 'conquers deceit' (*zūrvān*).[5] Similarly the god Vāy, who, as we shall later see, is in the semi-Zervanite texts practically identified with Zurvān, is described as the most just: 'He pities none and takes no bribe and deals justly with master and servant alike.'[6] Before very long we shall find that Zurvān, the Just, is, as might be expected, closely bound up with *dātastān* 'order', 'justice' or 'the law' and with *patmān* 'the treaty' or 'the mean'.[7]

The justice of Zurvān appears to be very much of the letter, not of the spirit. As we shall see, he promised the kingdom to whichever of the two

[1] Eznik, Venice edition, 1926, p. 122; translation of Schmid, p. 87: 'Some propose three principles, (those) of the good, the just, and the evil; others two, of good and evil; yet others seven.'

[2] Cf. *supra*, p. 29.

[3] Text F 6.

[4] *Aβyātkār i Vazurg-miθr*, §§ 131–2 (Phl-Texts, p. 95) = text Z 24 (*b*).

[5] Text Z 3, § 3 = GrBd. 167. 6.

[6] *Yavišt i Friyān*, 3. 34 *apud* West, AVN., p. 228: *'hač rāstān Vāy i 'vēh rāsttar 'kē hēč-aš 'kas āzarm 'nē, 'ut pārak 'nē 'stanēt, 'ut χᵛatāy 'ut bandak rāδ 'apāk ēvak ditīkar rāstīh 'dārēt.*

[7] *Infra*, Chapter X.

spirits, Ohrmazd and Ahriman, should first be born: but when Ahriman appeared first, he did indeed give him the kingship, but he made Ohrmazd Lord above him.[1] Similarly he presents him with a garment steeped in the essence of Āz,[2] the demon of greed who was eventually to devour the whole Ahrimanian creation and, but for the intervention of the powers of light, would have devoured Ahriman himself.[3]

The justice of Zurvān is in this respect curiously like the justice of the 'God of the Law' whom that ingenious heresiarch Marcion evoked from the Old-Testament Jehovah. This god is exhibited as being circumscribed by his own weakness and imperfection: he is tainted with *iniquitas*, *pusillitas*, and *malitia*.[4] Yet, for Marcion, if not for his disciples, the God of the Law is the God of Justice by definition. What distinguishes the system of Marcion radically from that of the Zervanites is that the God of the Law is an inferior deity, subject to the Good God who is supreme, and apparently unaware of his existence. Zurvān, on the contrary, is the First Principle, but fully as imperfect as Marcion's phantasm and as capable of *pusillitates*. The imperfection of God is indeed the hall-mark of the Zervanite system.

No useful purpose, however, can be served in attempting to postulate an influence of one system on the other, a diverting if unprofitable exercise once dear to Reitzenstein and Bousset. Harnack's refutation of such pointless speculation seems absolutely convincing,[5] particularly in the case of Marcion who, of all the Gnostics, is the most firmly rooted in the Judaeo-Christian tradition and the most alien to Iranian ideas.

As God of this specialized form of Justice, Zurvān is then naturally defined as Fate and Fortune.[6] This definition is amply attested in the Pahlavī books,[7] and appears to be known to Ełišē too. Thus in the text purporting to be the decree of Mihr-Narsē which we had occasion to discuss in the last chapter, the Christians are roundly censured on the grounds that 'they mock at the name of Fate (*baχt*) and greatly insult Fortune (*p'aṛawoṛut'iwn*)'.[8] In view of the close similarity of the accounts given by the two Armenians, it seems certain that Ełišē, whose veracity has been so needlessly impugned, was familiar with this well-attested equation of Zurvān with Fate or Fortune.

The same historian has one more small contribution to make to our knowledge of Zurvān. Where Eznik reads 'Zurvān, which being interpreted

[1] But cf. our remarks on p. 66–70.

[2] Text Z 4, § 29.

[3] Text Z 5 (*a*), §§ 42–45.

[4] v. von Harnack, *Marcion*, pp. 97–118, esp. p. 101.

[5] Ibid., pp. 436* ff.

[6] v. p. 57, n. 8.

[7] Chapter X (*a*).

[8] Ełišē, Yohannisean, p. 29; tr. Langlois, ii, p. 191.

is Fate or Fortune', Ełišē has 'Zurvān, the Great God'. Since Ełišē's evidence in this passage at least is heavily and with reason assailed,[1] we should perhaps refrain from accepting his word in even so small a matter as that a standing epithet of Zurvān was 'great'. His evidence, however, is once again corroborated; for the *'Ulemā i Islām*, our only surviving original Zervanite text, dealing with precisely this stage of the Zervanite cosmogony, says: 'In spite of all the *grandeur* (*buzurgvārī*) that surrounded it (Time), there was no one to call it creator.'[2] Similarly Šahristānī calls Zurvān the greatest of the persons of light or simply *zurvānu'l-kabīr* 'the Great Zurvān'.[3] Again, in the Manichaean texts Zurvān is the Iranian equivalent of the 'Father of Greatness' of Theodore bar Kônai and the Byzantine anathemas. We may then conclude that 'great' (*vazurg*, *vazurgvār*)[4] was a standing epithet of the infinite Zurvān who as such is the source and origin of all things good and evil. Essentially he is the 'Great and Just God'.

We may now proceed to the Zervanite myth proper. The Great God Zurvān sacrifices for a thousand years 'that perchance he might have a son whose name should be Ohrmazd, who should create heaven and earth and all that in them is: and after offering sacrifice for a thousand years[5] he began to ponder, saying, "Are these sacrifices which I offer of any use, and shall I have a son Ohrmazd, or do I strive in vain?" And while he considered thus, Ohrmazd and Ahriman were conceived[6] in their mother's womb.' So writes Eznik, and our other three sources are in substantial agreement.

One small point is perhaps worth mentioning: Eznik and Yohannân bar Penkayê speak of 'pondering' or 'reflecting', while Theodore bar Kônai says more explicitly that he 'doubted'.[7] The difference, though small, does seem to be of some importance. The use of the terms 'pondering' and 'reflecting' at least draws a veil over the essential imperfection of Zurvān, and does not allow the basic inconsistency in the divine nature to come to light. The

[1] Chapter II, p. 40.

[2] Text Z 37, § 8.

[3] Text F 4, § 1.

[4] So also the Manichaean Zurvān is (in Parthian) *piδar vazargēft* (Andreas–Henning, MirMan. iii, p. 65) from the Syriac original *abhā derabbūthā*.

[5] Theodore Abū Qurra gives a more detailed account of Zurvān's thousand-year sacrifice. After his wife (*v. infra*) had been pregnant with Ohrmazd for seven hundred years, Zurvān doubted whether he had been conceived. From his doubt Ahriman was conceived and apparently born after a very short interval. Ohrmazd was only born after the completion of the thousand years. v. text F 2.

[6] The idea of pregnancy ensuing on a thought or doubt seems to have been borrowed into Mandaeanism. *Right Ginzā*, p. 295 (p. 292 in the translation of Lidzbarski) reads: 'Dann sann (sc. Jōšamīn) nach, sein Gedanke wurde schwanger, und der Gedanke war nahe daran, im Zweiten geboren zu werden.' In Mandaeanism, as in Manichaeanism, the normal means of producing deities is by 'evocation'. It is therefore probable that the idea of the pregnancy of the thought of Jōšamīn derives from Zervanism.

[7] Cf. also text F 4, § 1.

term 'doubt',[1] however, advertises this imperfection and elevates this unsureness in the godhead into the distinctive mark of the system. Eznik was quick to realize this and made much of it in his refutation.[2] We may assume that the Zervanites themselves were fully conscious of the distinction too: Zurvān 'ponders' or 'doubts' depending on whether his devotee wishes to minimize or to proclaim his imperfection, which, in controversy with other religions, might be a source of embarrassment. The 'doubt' is the manifestation of an essential defect in the godhead and it is exteriorized in the birth of Ahriman: from the untainted divine nature Ohrmazd, the good god, is born. Zurvān is the father of good and evil alike; as physically he is light and darkness, so is he morally good and evil. His 'Marcionite' justice has room for both.

The evil in the godhead is, however, minimized: it is, so to speak, an ontological mistake. Šahristānī again admirably describes the just proportion of good and evil in this ambiguous god. He says: 'Ahriman arose from this *single* reflection; and Ohrmazd arose from that wisdom.'[3] Though by nature just and wise, there is a basic imperfection in the godhead which manifests itself as 'doubt'. From its nature and its imperfection good and evil are born. The clash between the two is inevitable, and the battle must take place in finite time and space so that the balance may once again be restored. Truly 'there was always something evil with God, either an evil thought or an evil corruption, and that is the origin of Satan.'[4]

In attacking this particular phase of the Zervanite myth Eznik has some pertinent things to say. Was Zurvān perfect or imperfect?[5] If perfect, he could have created the heavens and earth and would not have needed a son to do so. If imperfect, there must have been some being superior to him. Here Eznik, like so many Christian apologists, shows himself quite unable to put himself in his antagonist's position. For him the perfection of God is axiomatic; therefore if the Zervanites admit that Zurvān is imperfect, it follows that there must be a perfect being higher than he. Moreover, does not Zurvān's performance of sacrifice argue the existence of such a higher being to whom the sacrifice is directed? To whom did he offer sacrifice? he asks. Again Eznik does not understand that for the Magian sacrifice

[1] In one passage (p. 129, ed. Venice, 1926; Schmid, pp. 94–95; Langlois, ii, p. 376) Eznik attributes the conception and birth of Ohrmazd and Ahriman to 'desire' (*tenčank'*) on the part of Zurvān. Little importance could be attached to this isolated instance if we did not know that Āz, who is the demon of lust and greed, played a most important part in Zervanite beliefs. We shall have occasion to refer to this statement of Eznik's again when we discuss the activities of that demon (Chapter VII).

[2] See note A, p. 78.

[3] Text F 4, § 1.

[4] Ibid., § 3.

[5] Ven., p. 130; Schmid, p. 96; Langlois ii, p. 376.

has virtue in itself, irrespective of its object, for Ohrmazd too performs a sacrifice at the end of time. Moreover, Eznik uses the word *yašt*, a word borrowed from Iranian and meaning a 'hymn of praise', in which sense it is probably used here.[1] Zurvān, then, is performing the Magian liturgy, the interminable mumblings of which so struck the Greek[2] and Syriac writers.[3] Once again Šahristānī confirms the nature of this 'sacrifice': Zurvān 'stood and mumbled (*zamzama*) . . . that he might have a son'; and according to Mas'ūdī *zamzamat* 'mumbling' was the disrespectful term applied by the Arabs to the Avesta.[4] This, then, is the Magian liturgy transported into eternity. Its performance results in the birth of Ohrmazd just as elsewhere[5] all creation is said to have been created by sacrifice.

To the question, 'To whom did he offer sacrifice?' the Magians are alleged to reply that he sacrificed to Fortune (*p'arkʿ*).[6] Eznik retorts that Fortune is not an independent substance but derives from 'prosperity'. The sense, however, is fairly plain. Zurvān offers sacrifice to Fortune as an hypostasis of himself. He is at the same time priest and God, and the result of his sacrifice is to be Ohrmazd, the demiurge. The latter in turn will create creation by sacrifice and renew it in the last days by the same means.

The reader will probably have noticed that Eznik spoke of Ohrmazd and Ahriman being conceived 'in their mother's womb'. This is surprising, for Eznik told us at the beginning of his narrative that when nothing at all existed Zurvān offered up sacrifices. If nothing else existed, whence is this mother? This question has already been treated fully by Nyberg and others, but we must go over the same ground, since the 'mother' is of importance in the system we are endeavouring to elucidate.

Of the four parallel sources Ełišē alone is wholly ignorant of the 'mother': he not only omits to mention her in his account, but puts the following words into the mouth of Joseph, Bishop of Ararat, in his reply to the 'decree' of Mihr-Narsē: 'Lo! Ahriman and Ohrmazd were born from a father, not from a mother: if you consider this well, even you will not accept it.'[7] Eznik, however, with his usual controversial acumen, noticed the sudden appearance of the 'mother' in the myth and pointed out the difficulties that this unexpected introduction of a female element entailed. He uses two arguments, the second of which is merely insulting, but the

[1] Cf. Eznik's use of *p'arkʿ* = Pers. *χᵛarr* 'fortune': when dealing with the Zoroastrians he plainly does not use the word in its ordinary significance δόξα.

[2] Cf. Strabo xv. 3. 14 (Clemen, *Fontes*, p. 35; Benveniste, *The Persian Religion*, p. 52; Bidez–Cumont, *Mages*, ii, p. 112, n. (i).

[3] Cf. Text F 4, and Bidez–Cumont, l.c.

[4] *Murūj*, Barbier de Meynard, ii, p. 124.

[5] Text Z 2, § 20.

[6] Ven., p. 131; Schmid, p. 96; Langlois, ii, p. 376. Āδur-Hormizd suggests that the sacrifice was offered to the elements rather than to Fortune. v. text F 5.

[7] ed. Yohannisean, p. 33; Langlois, ii, p. 193.

first of which shows some insight into the nature of the belief he is attacking. The second—*ad hominem*—is that a female element was introduced as a concession to alleged Persian lasciviousness.[1] The first puts the problem clearly: 'But', he says, 'from what is it clear that there was (any) mother (at all)? especially as they say, "When nothing at all existed, neither heaven nor earth, Zurvān alone existed". Now this is really highly ridiculous that he himself should be both father and mother, and that the same person should have emitted the seed and received it.'[2] Eznik, then, clearly interpreted the myth as meaning that Zurvān was hermaphroditic: and his interpretation is now generally and rightly accepted. Both Theodore bar Kônai and Yohannân bar Penkayê speak of a mother, and both introduce her into the myth as casually as Eznik himself.[3] Her existence is, however, put beyond all doubt by a fable preserved by Eznik[4] and two other sources,[5] the gist of which is as follows.

Ohrmazd, after creating heaven and earth, saw that they were still in darkness, yet could think of no means of giving them light. Ahriman, however, knew that if Ohrmazd were to have intercourse with his mother, the Sun would come to be, and that if he were to have intercourse with his sister, the Moon would be born. This information he imparted to the other demons; whereupon one of them, Mahmi by name, conveyed the intelligence to Ohrmazd who, acting on his advice, produced the Sun and Moon in the manner indicated. As we shall have occasion to return to this improbable myth, we must be content with remarking here that it is certainly genuine, as this demon Mahmi—the etymology of whose name is still perplexing[6]—occurs in a fragment of a Manichaean polemic against the Zervanites.[7] Theodore Abū Qurra,[8] to whose account of the Zervanite myth de Menasce has drawn our attention, is most explicit on this subject. For him Zurvān has ceased to be hermaphroditic: he states quite plainly that he has a wife, and incidentally gives details of the exact time when Zurvān began to doubt and Ahriman was conceived. This is what Abū Qurra says:

> Before he (Zurvān) created the earth, he sacrificed for a thousand years that a son might be born to him: and his wife conceived a son whose name was Ohrmazd. When he had been conceived for seven hundred years, his father, Zurvān, doubted if he had been conceived; and this doubt of his brought into being another child in his wife's womb, who was Satan.

[1] Ven., p. 155; Schmid, p. 111; Langlois, ii, p. 381.

[2] Ven., p. 149; Schmid, p. 107; Langlois, ii, p. 379.

[3] Text F 1, § 39.

[4] v. text F 7 (*a*).

[5] v. text F 7 (*b*), Manichaean fragment. Less fully in Āδur-Hormizd (F 5) and others; v. Chapter VI.

[6] *Infra*, pp. 148–9.

[7] *Supra*, p. 21, and *infra*, p. 148.

[8] v. text F 2.

Again he speaks of Ahriman piercing his mother's womb and of the self same mother bearing Ohrmazd after a period of a thousand years. The latter remark is interesting in that it is unique, and we shall return to it later.

Thus we see that a female element must certainly have existed beside Zurvān. Eznik was unable to decide whether the female figure was distinct from or implicit in Zurvān. The solution seems to be that it was both. This emerges very clearly from the now well-known Acts of Anāhīδ. Speaking of the fire and the stars which the Magians held to be children of Ohrmazd, he says: 'If Ohrmazd conceived them within himself, that is simply in his body, and bore them, then he is like his father Zurvān, hermaphroditic as the Manichaeans say.'[1] But a few lines later he says (I will leave the proper name blank as it must be discussed later), 'But that Ohrmazd is like us, dependent on beginning, end, and passing away, is attested by his father Zurvān and his mother . . ..'

The name of the mother is of obvious importance if we could find a satisfactory explanation for it. Nöldeke read *Ch*^{v}*ašīzag*[2] (*χ*^{v}*ašīzag* in our transcription): Nyberg followed him and translated 'la petite belle',[3] and Benveniste considered the matter settled in Nyberg's favour since the word occurred fairly commonly as a Mandaean proper name.[4] This, however, proves nothing: for though it may be natural and proper that a Mandaean lady should be called 'la petite belle', so to describe the consort of the supreme deity seems little short of farcical.

Nyberg (l.c.) very plausibly compared our deity to the Manichaean Mother of Life,[5] second only to the Father of Greatness (Zurvān) in the Manichaean pantheon. Can such a deity really be called 'la petite belle'? We leave judgement to the reader's common sense.

Let us now examine the other readings and see if a more satisfactory solution cannot be found. On the manuscripts' reading Nöldeke (l.c.) has the following: 'X*WŠWRYG* (Var. X*WŠYRG* und, wenn ich den Herausgeber richtig verstehe, am Rand der einen Handschrift X*WŠYZG*). Die letztere Form empfiehlt sich dadurch etwas, daß sie (geschrieben X*W'ŠYZ'G*) als Weibername auf einer mandäischen Zauberschale vorkommt.' The best attested readings are then X*WŠWRYG* and X*WŠYRG*, the other X*WŠYZG* (for which *χ*^{v}*ašīzag* was read) not even being certain. Now the first can most naturally be read as *χ*^{v}*ašvarīγ*; and that would be the natural reduction of Middle Persian **χ*^{v}*aš-χ*^{v}*arrīγ*, 'whose *χ*^{v}*arr* is fair', that is

[1] Text F 5 ii.
[2] *Festgruß an Rudolf von Roth*, Stuttgart, 1893, p. 37.
[3] CCM. 1931, p. 83. Andreas *apud* Lidzbarski, *Ephemeris für Semit. Epigr.* i, p. 100, suggested *χ*^{v}*aš-zāk* 'of fair offspring'.
[4] MO. xxvi, p. 183.
[5] See note B, p. 78.

'whose fortune is fair'. We see exactly the same process occurring in Armenian where Persian *dušχ*^{v}*arr* becomes Armenian *t'šuaṛ*. It might, of course, be objected that the Armenian word is to be connected with MP.NP. *dušvār*, the opposite of *χ*^{v}*ār* 'easy': but this is not possible in the passage from Eznik already quoted. The passage runs as follows: 'It is not as if *p'aṛk'* (fortune) were anything existing of itself, but according to someone's success it is called *p'aṛk'*, just as according to someone's lack of success it is called *t'šuaṛut'iwn* (misfortune).'[1]

We know already that Zurvān was qualified by Eznik as Fate or Fortune and that he was represented as sacrificing to that Fortune. We know further that he is represented as having a female element in his composition, and that that female element may be represented as apart from him and is called by a later Arabic writer his wife.[2] Thus when we find that this female element is called by the Acts of Anāhīδ *χ*^{v}*aš-χ*^{v}*arrīγ* 'she whose fortune is fair', the pieces of the puzzle begin to fit into a pattern. Zurvān was originally hermaphrodite: as he transcends light and darkness, good and evil, or comprises them within his personality, so is he at once beyond the two sexes and a sharer in both. His hermaphroditic nature is confirmed by the evidence of Mithraism; for in all the statues of Zurvān-Kronos that have come to light, his body is encircled by a snake, and in all but one the snake conceals the god's genitals.[3] As Cumont has emphasized, the Mithraists thereby sought to represent their supreme god as sexless, or at least to leave the sex indeterminate.[4] Similarly we find that the Manichaeans speak of their Zurvān, the Father of Greatness, as an elder brother or elder sister.[5] So in the Zervanite myth we have a mother 'whose fortune is fair' who, at first only an aspect of Zurvān, later becomes an independent entity. Since no account mentions her as existing in the beginning—and Eznik is very emphatic on this point[6]—we must assume that she was emanated by Zurvān from his Fortune at the earliest stage in the cosmic drama. Taking into account the difference in the role of Ahriman in the two religions, the initial stages in the cosmic process are exactly the same in Zervanism and Manichaeanism; for in the latter system the Father of Greatness (Zurvān) first emanates or 'evokes'—to use the Manichaean term—the Mother of Life, and she in turn evokes the Primal Man (Ohrmazd). The Zervanite system differs only in so far as it makes Ahriman too a son of Zurvān.

[1] Ven., p. 131; Schmid, p. 97; Langlois, ii, p. 376.
[2] Theodore Abū Qurra, text F 2.
[3] v. Cumont, MMM. i, p. 82.
[4] Ibid.
[5] von le Coq, *Türkische Manichäica aus Chotscho*, i (AbPAW. 1911), p. 22: 'der Gott Äzrua (= Zurvān), der selbst ist aller Götter des Götterhimmels älterer Bruder und ältere Schwester, die lautere Majestät, der lichte Verstand(?) (Mutter ?).'
[6] Ven., p. 149; Schmid, p. 107; Langlois, ii, p. 379.

Now Zurvān, after doubting, perceived that there were two sons in the mother's womb, and he made a vow that whichever should come into his presence first should receive the kingdom from him. Ohrmazd, who, as we have seen, was conceived from the wisdom of his father,[1] divined his thought and somewhat guilelessly divulged it to Ahriman. The latter was not slow to take advantage of his newly acquired knowledge; but unfortunately for him Ohrmazd, the elder twin, lay nearer to the egress of his mother's womb.[2] Ahriman, rising superior to the physical obstacle, ripped the womb open at the navel, sprang out, and presented his detestable person to his father Zurvān.

It has already been noticed that in this passage Zurvān promises to make his first-born king, but that later (§§ 60–62) it is the *barsom* or bundle of sacred twigs that he hands over to Ohrmazd. The *barsom* is then the symbol of royalty according to Nyberg,[3] Benveniste,[4] and de Menasce[5], who thereby deprive Zurvān of his essential nature which is justice; but as Menasce himself notes, Zurvān bids Ohrmazd offer sacrifices for him, just as he himself had previously sacrificed for Ohrmazd. This, we are unconvincingly told, is due to Mazdean influence 'qui revendique l'usage religieux, sacrificiel des barsūm'. Yohannân bar Penkayê has the fullest account of this episode: he says, 'I will give him these sticks—they call them *būrsemē*—and I will give him power to create heaven and earth.'[6] Are we not rather to understand, then, that Zurvān promises to give his first-born the kingship and his second-born the office of high priest?

It will be noticed that in the Sassanian rock reliefs in which Ohrmazd is represented as conferring royalty on the new King he gives him not the *barsom* but a diadem.[7] In one only does the *barsom* appear, and then it is not Ohrmazd who presents it—for he is there and presents the diadem as usual—but Mithra.[8] The relief would therefore seem to indicate that the symbols of the diadem and the *barsom* are distinct, the first representing royalty and the second priesthood. Moreover, we shall see later on that though Zurvān

[1] So Šahristānī, text F 4, § 1.

[2] According to Šahristānī. The other sources do not mention the fact. They imply it, however, when they tell us that Ahriman rent his mother's womb, hardly necessary unless Ohrmazd were blocking the natural egress. The passages dealing with the brotherhood of Ohrmazd and Ahriman are collected in our text F 3.

[3] CCM. 1931, p. 76.

[4] MO. xxvi, p. 181.

[5] BSOS. ix, p. 590.

[6] Text F 1, § 29.

[7] Sarre, *Die Kunst des alten Persiens*, p. 44.

[8] Herzfeld, *Am Tor von Asien*, plate 29. Naturally no conclusion can be drawn from the fact that Ohrmazd presents the royalty to the Sassanian kings. Though he must have been regarded as the patron of the royal house and as divine king by the Sassanians themselves, this was not the opinion of the priests who naturally made Ohrmazd, the greatest god, the divine High Priest (cf. our text Z 2, § 4 and Chapter V).

gives the *barsom* to Ohrmazd, it is Ahriman whom he makes king.[1] As Šahristānī says, Ahriman 'went forth and mastered the world'.[2]

The episode has survived in Mithraism and is best illustrated on a monument at Neuenheim (Cumont, MMM. ii, No. 245, illustration facing p. 346) where Saturn (Zurvān), his head veiled and carrying a sickle in his left hand, hands a thunderbolt[3] to Jupiter (Ohrmazd), who supports himself on his sceptre. The scene is a modification of our myth; but little importance can be attached to the fact that a thunderbolt has replaced the *barsom*. The thunderbolt, being the weapon of Zeus-Jupiter *par excellence*, would naturally succeed the Persian *barsom* which would not have been understood in the West. Such restatements of Iranian myths in occidental terms are a commonplace of the Mithraic religion—in the episode following the one under discussion, for instance, we find the struggle of Ohrmazd and Ahriman disguised as a gigantomachy—and the evidence of Mithraism can only come to our aid when no obvious Hellenic interpretation is plausible.

A further indication that the *barsom* represents priesthood rather than sovereignty is supplied by the *Bundahišn*[4] together with the parallel from the *Dēnkart*;[5] for we learn there that Ohrmazd puts on the garment of priesthood, and, as we shall see later, there is every reason to believe that it was from the hands of Zurvān himself that he received his priestly investiture.

On the generation and birth of Ohrmazd and Ahriman our only Iranian source which is explicitly Zervanite, the *'Ulemā i Islām*, differs very considerably both from the myth of Eznik and from Šahristānī. It speaks of the creation of fire and water as being antecedent to that of Ohrmazd and Ahriman;[6] and at the beginning of its account it would appear that Ahriman is an independent entity, but later this impression is corrected, for it goes on to say, 'We said in the beginning, Ohrmazd and Ahriman both came into existence from Time.'[7] The divergence is important, and we shall return to it at the end of the chapter.

When Ahriman came into the presence of Zurvān, he said, 'I am thy son', or according to Yohannân bar Penkayê and Ełišē, 'I am thy son, Ohrmazd'.[8] The latter version certainly reposes on an authentic tradition:

[1] v. pp. 69 ff.

[2] Text F 4, § 1.

[3] The photograph is unfortunately not entirely satisfactory, and the object handed over might be anything. Cumont, however, expressly states that it is a thunderbolt and we have no reason for doubting his word.

[4] Chapter V, pp. 113 ff., and text Z 2, § 4.

[5] Text Z 11.

[6] Text Z 37, § 9.

[7] Ibid., § 23.

[8] Text F 1, § 45.

for from the time of Zoroaster the principle of evil had become identified with the Lie.[1] It is therefore only natural that Ahriman's first action should be to lie to his father. Zurvān, however, denies him because he is of the darkness and stinking and loves to do harm. He wept: and even as he talked to Ahriman, Ohrmazd was born, bright and sweet-scented; and Zurvān knew that it was his son Ohrmazd.

It was at this stage that Zurvān handed the *barsom* to Ohrmazd, saying, 'Up till now have I offered sacrifice for thee, henceforth shalt thou offer sacrifice for me.'[2] Ełišē and Theodore Abū Qurra here differ from the other accounts: they state that Zurvān gave the kingdom to Ahriman, but took it away from him when Ohrmazd was born—that being a thousand years later according to Abū Qurra.[3] Here we almost certainly have an attempt at compromise between the ultra-Zervanite position which grants a period of nine thousand years' kingship to Ahriman and that of the Mazdeans which only allowed Ahriman three thousand years of strife.[4] Even in that period they would not have it that he was supreme, and for the two remaining tri-millennia they allowed Ohrmazd to do as he pleased.

With the delivery of the *barsom* to Ohrmazd we have seen that Zurvān invested him with the office of priest. Hitherto Zurvān had sacrificed that he might have a son; and from his sacrifice Ohrmazd was in fact born: but he doubted, and with disastrous results. Ahriman, the Aggressor and Destroyer, had been born from that doubt and was, as it were, its personification. If we are to believe Eznik, it was in order to be rid of the doubt that Zurvān handed the *barsom* to Ohrmazd.[5] In attacking the Zervanite thesis he nevertheless succeeds in presenting a clear picture of how this episode was understood by his opponents. 'And thus it is plain', he says, 'that the father was without intelligence and power and placed his reliance in another, and that the son was likewise without intelligence and power. For the one could not give birth to his son without performing sacrifice, and the son could not release him from his doubts without taking the rods into his hand.'[6] There is every reason to believe that such was indeed the Zervanite belief. By doubting, Zurvān had become unworthy of priesthood and power. Because of the vow he had made he was obliged to give kingship to Ahriman: but to Ohrmazd he gave the *barsom*, the emblem of

[1] This is one of the very rare occasions on which Herodotus, the Behistūn inscription, and the *Gāθās* agree. Benveniste's contention (*Persian Religion*, p. 36) that the use of *druǰ-* in the *Gāθās* is totally dissimilar from that of the inscription, and that therefore the two are independent, is unconvincing.

[2] Text F 1, §§ 63–64.

[3] Text F 2. The meaning may, however, be that Ohrmazd was born 1,000 years after Zurvān began to sacrifice.

[4] Text Z 1, § 14.

[5] v. p. 78, n. A.

[6] Ibid.

priesthood, so that he could by virtue of sacrifice bring the power of Ahriman to naught. Thus in the Pahlavī books we find that at the end of the period of twelve thousand years Ohrmazd and Srōš hold a great sacrifice[1] and that thereby the power of Ahriman is broken: finally *no doubt remains*.[2]

We now come to the concluding episode of the Zurvān myth. Ahriman approaches Zurvān and reminds him of his vow, addressing him thus (Theodore bar Kônai): 'Take care, didst thou not make that vow, "To the first to come I shall give kingship."' And Zurvān replies: 'Begone, Satan; I have made thee King for nine thousand years, and I have made Ohrmazd to rule above thee, and after the allotted time Ohrmazd shall reign and order all things according to his will.'[3]

Two points deserve notice here. What is meant by 'I have made Ohrmazd to rule above (*resp.* over) thee'? Eznik too has the same phrase (*i veray k'o ark'ay kac'uc'eal*).[4] Nyberg, in his treatment of the myth, saw in the use of the Armenian words *ark'ay* and *t'agawor* a distinction which he would trace back to the Pahlavī original. According to him *ark'ay* would represent *šāh* and *t'agawor pātiχšāh*. 'Quoiqu' Ormuzd reste maître suprême, Ahriman possède donc, selon notre mythe, une sorte de pouvoir légitime dans la durée présente: si Ormuzd est le *pātiχšāh*, Ahriman est du moins le *Šāh* de notre monde.'[5] But it is doubtful whether this distinction can be maintained, for the two words are used indifferently by the Armenian historians to denote kings in general and the King of Persia, the 'King of Kings', in particular. If anything *t'agawor* would appear to be more generally used of the King of Kings and *ark'ay* of vassal kings. Thus P'awstos of Byzantium (e.g. iv. 54) speaks of Šāpūr II of Persia as *t'agawor* and of his Armenian vassal Aršak as *ark'ay*. We should therefore seek a solution to our difficulty elsewhere. Let us turn to Šahristānī.

According to him Zurvān cursed Ahriman and drove him away, and Ahriman went forth and mastered the world (*dunyā*) and Ohrmazd was without power over him;[6] and the period of Ahriman's domination lasts, according to Abū Qurra, for seven thousand years. How, then, can Ohrmazd be said to have been king over him? The answer would seem to be

[1] v. esp. GrBd. 227. 7 ff.: *'pas 2 druž frāč 'mānēnd, Ahriman 'ut Āz. Ōhrmazd 'ō gētēh 'āyēt, 'χ^v^at zōt, Srōš-ālāy rāspīk, 'ut aiβyāhan 'pat 'dast 'dārēt. Ganāk Mēnōk 'ut Āz 'pat 'ān i gāsānīk nīrang zat-aβzārīhā akārīhast.*—'Then two lies remain, Ahriman and Āz. Ohrmazd comes down to earth and is himself the *zōt* priest and Srōš, the Blessed, the *rāspīk*. He holds the girdle in his hand. The Destructive Spirit and Āz, their weapons smashed, are made powerless by that Gāθic ritual.'

[2] Zs. 34. 54. v. text Z 5 (*a*).

[3] Text F 1, §§ 66–85.

[4] Venice, p. 127.

[5] CCM. 1931, p. 76.

[6] Text F 4.

given by the use of the Arabic word *dunyā*, meaning the corporal world in distinction to the spiritual; what, in fact, the Mazdeans understood by *gētēh*. The use of this particular word cannot be accidental, for, a little before, Šahristānī speaking of the Cosmos calls it, as we would expect, *'ālam*. Ahriman was, then, given the dominion of the earth, and Ohrmazd was set as lord above him. 'Above', then, must be understood literally. Ahriman is indeed the prince of this world, but Ohrmazd rules the world of spirit above.[1]

This theory that among the Zervanites as well as among the Gnostics the Devil was regarded as the ruler of the earth receives striking confirmation from a passage in Psellus (text G 7) where exactly these views are described. The sect in question is described as Euchite, but that they, whoever they were,[2] were dependent on Zervanism seems likely since they acknowledged three principles,[3] a father and two sons, the younger of whom controlled the heavens and who must therefore correspond to the good god of Mānī mentioned in Psellus' previous paragraph. The father who would represent Zurvān controls only those things which are above the Cosmos; the younger son—and it will be remembered that Ohrmazd is the younger in Eznik's myth too—controls the heavens; but the sway of the elder son who must be Ahriman, the Evil Spirit, extends over all that is within the Cosmos. Thus though Zurvān may still control things transcendental, it is Ahriman who holds undisputed sway in this world, while Ohrmazd rules above in heaven. In this respect the Zervanites are at one with the more pessimistic of the Gnostic sects who regard the Evil Spirit as the ruler of the earth.

That Ohrmazd in fact rules a kingdom above that of Ahriman seems all the more likely in that the Mazdean cosmologies represent Ohrmazd as dwelling in the Endless Light which is situated above the Void. In this the *Bundahišn* and Zātspram agree, both of which give us a cosmology which has been strongly influenced by Zervanism.[4] With the delivery of the sovereignty of the earth to Ahriman in the myth and the establishment of Ohrmazd above him in heaven we have substantially the same situation as we meet with at the beginning of the Mazdean cosmology. The one is below in darkness and the other on high in the light. In point of fact the Cosmos has not yet come into being; but that the material world was constructed from an element of darkness or rather some neutral substance, in

[1] See note C, p. 79.

[2] These Euchites would appear to be connected with the Manichees and can scarcely be identical with the sect of the same name discussed in ERE.

[3] Eznik too speaks of a Magian sect which acknowledged three principles: we have seen that this sect must be the Zervanites; v. p. 58.

[4] Texts Z 1 *init.*, Z 4 *init.*

Zervanism as well as Manichaeanism, Mandaeanism, and the majority of Gnostic sects, cannot be doubted: for how else can the singular statement of Eznik be accounted for according to which Ohrmazd was unable to create the luminaries to illuminate his creation which was in darkness?[1] We have no longer any excuse for doubting Eznik's word, for the episode is now confirmed by a Manichaean fragment attacking this very doctrine.[2] Thus according to the Zervanites Ohrmazd, though the creator of heaven and earth, must have used the darkness or some neutral substance as the raw material for his creation. In this they approach the Manichaean position.[3] The myths are different, but the fundamental conception is the same: the world is fashioned by the God or gods of light out of the substance of darkness: in the Zervanite cosmogony the Spirit of Darkness forms a counter-creation from the same material.

The Manichaeans, according particularly to Alexander of Lycopolis and St. Augustine, regarded the principle of darkness as matter,[4] and this is borne out by the Coptic Manichaean texts.[5] We cannot be quite sure that this was also the Zervanite point of view: it is not confirmed by the 'semi-Zervanite' texts in the *Bundahišn* and Zātspram,[6] but we will come upon the idea again and again. We shall see in the next chapter that creation was regarded as a limitation of Space (*gās* or *Vāy*) and Time (*zamān*) which cannot properly be regarded as either light or dark. Such a creation would also require the luminaries to lighten it. We do, however, find references in the Pahlavī books which indicate that water was the element from which creation was made,[7] and water, according to one school of thought, was intimately connected with darkness.[8] We can safely conclude that for one sect of Zervanites at least darkness-water was the raw material of both the creation of Ohrmazd and that of Ahriman.

Of the figure nine thousand years which the myth assigns to the reign of Ahriman we shall have occasion to speak in the next chapter.

What, then, have we gathered of the nature of Zurvān from this myth? He was the sole existing person, and he wished for a son who might create

[1] Text F 7 (*a*).

[2] Text F 7 (*b*).

[3] A clear account of the Manichaean creation myth will be found in Burkitt, *The Religion of the Manichees*, pp. 27 ff.: cf. also Polotsky in Pauly–Wissowa, s.v. 'Manichäismus'; Cumont, *Recherches sur le manichéisme*, i, pp. 25 ff.; Jackson, *Researches in Manichaeism*, pp. 233 ff.; Puech, *Le Manichéisme*, pp. 79 ff.

[4] Baur, *Das manichäische Religionssystem*, p. 20; Reitzenstein, *Die Göttin Psyche*, p. 6.

[5] v. Allberry, *A Manichaean Psalm-book*, 54. 17; 108. 24; 221. 5.

[6] The concept of *hylè* seems conspicuously absent from our Iranian texts.

[7] v. esp. Zs. 34. 50 (text Z 5 (*a*)): 'For Ohrmazd created with water and will bring about the end with fire.' So GrBd. 17. 4 = text Z 1, § 41: 'The first creation of all was a drop of water, for all things arise from water except the seed of man and cattle: for that seed has the seed of fire.'

[8] pp. 72 ff.

heaven and earth. Like the Indian Prajāpati he may have been lonely and desired to manifest his power. While offering sacrifice in order to obtain a son, he doubted, and through this doubt Ahriman was conceived. At the birth of his two sons he gave the *barsom* with which he had been sacrificing to Ohrmazd as a sign of divine priesthood; and Ahriman he made king of the world for nine thousand years. By so doing he divested himself of all effective power and charged Ohrmazd to offer sacrifice for him to counteract the evil consequences of his doubt. He is regarded as the Great God and the Just God, but not as omnipotent or omniscient. Though not himself evil he contains the germ of evil, and though not dark he has the seed of darkness within him. Through a single mistake Ahriman, the Devil, is born, and Zurvān thereby forfeits his right to the divine priesthood and hands it on to his son Ohrmazd, who is the principle of goodness and light. After his fall and by his doubt he becomes inferior to Ohrmazd.

We noticed earlier in this chapter that in one important respect the *'Ulemā i Islām* differs from our other sources.[1] According to this little treatise Ohrmazd and Ahriman were not the immediate offspring of Zurvān or Time, but were formed by the latter from fire and water which had been previously created. The *'Ulemā*, however, leaves the question of the genesis of Ahriman in doubt. We are merely told that Ohrmazd looked down and beheld Ahriman ninety-six thousand parasangs away. Later, however, the same treatise tells us that both Ohrmazd and Ahriman came into existence through Time: but no mention is made here of their genesis from fire and water. This account of the *'Ulemā* which gives priority over Ohrmazd and Ahriman to fire and water is so singular that it deserves extensive discussion. Bousset in his *Hauptprobleme der Gnosis*[2] has already drawn attention to the passage in his discussion of the Pseudo-Clementinae and the Elkesaite Gnosis. With reference to the *'Ulemā* he has very properly drawn attention to a passage from Hippolytus[3] which is of the highest interest for our problem. According to this authority the Magians admitted two principles, a father and a mother. The father is light, the mother darkness: the parts of the light are hot, dry, light, and swift; those of the darkness cold, moist, slow, and heavy. From these principles, the male and the female, all the Cosmos proceeds. Later Hippolytus quotes a doctrine attributed to Zaratas (Zoroaster) according to which there are two *daemons*, the one celestial and the other terrestrial. The latter is water and has its being from the earth; the former is fire mixed with air.[4]

[1] v. p. 67.

[2] p. 153; cf. Reitzenstein, *Studien zum antiken Synkretismus*, pp. 116 ff.; Bidez–Cumont, *Mages*, ii, pp. 63–66.

[3] Our text G 3.

[4] Cf. Vitruvius, *De archit.* viii, praef. 1.

Bousset (l.c.), while admitting the importance of this passage, does not think that it represents a genuine form of Magianism: according to him it is strongly tinged with Pythagorean ideas;[1] and this may, in fact, be the case. If so, we should be constrained to admit Pythagorean influence on Magian thought—a not impossible hypothesis—for we have parallels to Hippolytus not only in the *'Ulemā* but also in the Pahlavī books.

That the Persians worshipped fire and water consistently from the time of Herodotus till the Muhammadan conquest is a commonplace of religious history and does not need to be emphasized. Corresponding to their prominence in the cult is their cosmological importance. According to the *Dēnkart* they are the source of everything: fire and water are father and mother and all material things are born from them. Fire is male, water female; and they are brother and sister.[2] Since they are brother and sister, it would only be natural that they should have a parent. The Pahlavī books are silent on this point, and for an obvious reason. For they were the son and daughter of Time, that is Zurvān, as the *'Ulemā* expressly states. In the myth we saw that Zurvān comprises both good and evil, light and darkness, sweet scent and stench: we saw that there was reason to suppose that he was hermaphroditic, though later a 'mother' seems to have been introduced at his side. But in the *'Ulemā* account we find the distinction of sex appearing before that of good and evil, light and darkness, Ohrmazd and Ahriman. The first creatures are fire, the male, and water, the female. From them Ohrmazd arose.

And what of Ahriman? As we have seen, the *'Ulemā*'s account of the myth leaves his existence unexplained, though it later admits that he came into being through Time and therefore presumably through fire and water. Nor is this a mere hypothesis; for we find in the *Bundahišn* that the substance of Ohrmazd is described as warm and moist, and that of Ahriman as cold and dry.[3] This singular composition of the opposing deities can only be explained if we suppose them to be produced from the elements whose properties they have borrowed. Fire is the hot and dry, water the cold and moist.[4] With the former is associated air, with the latter earth.[5] But these

(Clemen, *Fontes*, p. 37), 'de septem sapientibus Thales Milesius omnium rerum principium aquam est professus, Heraclitus ignem, Magorum sacerdotes aquam et ignem'.

[1] v. the remarks of MM. Bidez and Cumont, op. laud., ii, p. 64, n. 3, who distinguish the Magian and Pythagorean elements in Hippolytus' account.

[2] See note D, p. 79.

[3] GrBd. 181. 6: *gōhr i Ōhrmazdīk garm 'ut χ^v^ēt, rōšn 'ut hubōδ i saṗuk.*—'The substance of Ohrmazd is warm and moist, bright and sweet-smelling and light.' Ibid. 188. 11: *gōhr i Ahriman sart χušk *sangēn tārīk 'ut gandak.*—'The substance of Ahriman is cold and dry, heavy, dark, and stinking.'

[4] See note E, p. 79.

[5] According to the opinion of the Magians cited by Hippolytus, l.c. So *Poimandres* iv; cf. Reitzenstein, *Die Göttin Psyche*, p. 33.

would seem to be secondary,[1] for they are not mentioned in this connexion in the *'Ulemā* and played a subordinate role in the cult.

Thus it is possible to distinguish two forms of Zervanism. According to the first, Zurvān, either through the evocation of a mother goddess or from himself, generates the two gods, Ohrmazd and Ahriman, light and darkness, good and evil. According to the second he generates two elements, the one male and the other female, the one light and the other dark, fire and water. The female principle is then water and darkness: being darkness it would also be evil.

Now when we turn from the Zoroastrian writings to the *Acts of Āδur-Hormizd* (text F 5) we find further very remarkable evidence for our hypothesis. 'When the water had come to Ahriman,' we read, 'the latter spake to Ohrmazd: "Thy beasts shall not drink of my water." ' The water is subsequently swallowed by the frog created by Ahriman; and the frog in its turn is attacked by a fly so that it brings up the water, and the latter returns to its proper place. One circumstance only can detain us here, that is the flight of water to Ahriman. The flight of the water is comparable to the secession of woman to Ahriman in the notice of Theodore bar Kônai. The latter has been fully dealt with by Benveniste, who has endeavoured to show that this secession is a concession to Mazdean doctrine and that in the original Zervanite myth woman was a creature of evil.[2] The same is evidently the case in Āδur-Hormizd. Water is female and therefore liable to share in the perversity of woman: and water shows a similar capriciousness in deserting the creation of Ohrmazd for that of Ahriman. It is therefore legitimate to conclude what Benveniste concluded in the case of woman: water, in the original Zervanite myth, belonged not to the powers of good but to evil. As against fire, the bright, male, beneficent deity, then, we have water, the dark, female, and maleficent.

Is there any trace of such an evil female element in the Pahlavī literature? There is. Unfortunately the references to her are so exasperatingly few that it is no longer possible to distinguish her original character. She is J̌ēh, the Primal Whore. As a mythological figure we know her only in the *Bundahišn* and Zātspram.[3] After Ahriman's defeat at the hands of Ohrmazd it is she and only she who is able to arouse the prince of darkness from his torpor and to spur him on to his furious onslaught on the creation of Ohrmazd;[4] and it is she who defiles the whole human race.[5] The role of

[1] One should not forget, however, that Zurvān, Ašōqar, Frašōqar, and Zarōqar are regarded as antecedent to Ohrmazd and Ahriman and are *like the elements*: cf. pp. 219.

[2] v. p. 228 ff.

[3] Texts Z 5 (*a*) and Z 6.

[4] Text Z 6.

[5] Text Z 5 (*a*), § 31.

this creature seems to have been important in the Zervanite system, and we shall have occasion to discuss it in detail below.[1] For her original character we can only resort to conjecture, but it does not seem too bold to suggest that she is the survival of an old chthonian goddess representing earth and water who, with the spread of Mazdean dualism, was reduced to the status of a demon. She may well have been the female principle of the Universe, the moist and fertile earth, like a thousand other earth goddesses in other religions.

The existence of such a deity associated with water seems to be strikingly corroborated by a passage in the *Bundahišn*. This passage concerns the first human couple, Mašyē and Mašyānē, and the steps by which they were brought to sin. The relevant portion runs as follows:

> The first words they spoke were these: 'Ohrmazd created the water, earth, plants, cattle, the stars, Moon, and Sun, and all the prosperity which, according to the revelation of righteousness, is called root and fruit.' Then the Aggressor assailed their thoughts and troubled them; and they cried out: 'The Destructive Spirit (Ahriman) created water and earth and plants and other things.'[2]

This may not at first seem particularly significant: but on closer examination it will appear that the list of things which Ahriman was said to have created is defective. No claim for an Ahrimanian origin of fire or the sky is advanced: his domain is only that of the water, earth, and plants. This can surely be no accident, for ten pages farther on the *Bundahišn* asserts that the former were all considered male and the latter female. 'It is said that four things are male and four female. The sky, metals, wind, and fire are male and never alter. Water, the earth, plants, and fish are female and never alter.'[3]

Now the statement that water, earth, and plants were created by Ahriman is said by the *Bundahišn* to have been the first lie of Mašyē and Mašyānē; and 'lying' is the technical term for adhering to a false or proscribed doctrine. We can therefore be certain that the doctrine alluded to is that described by Hippolytus. No claim is made that Ahriman is creator of all things: he is the creator of water, earth, and plants. These are all female. By corollary we must assume that the sect attacked held Ohrmazd to have

[1] p. 183 ff.

[2] GrBd. 102. 6–11: *'ut-šān nazdist gōβišn 'ēn guft 'ku Ōhrmazd dāt 'āp 'ut zamīk 'ut urvar 'ut gōspand, star 'ut māh 'ut χ^v^aršēt 'ut harvisp āpātīh 'kē 'hač ahrāyīh paytākīh 'gōβēt bun 'ut bar. 'ut-šān 'pas pityārak 'pat mēnišn 'apar duvārast, 'ut-aš mēnišn 'bē āhōkēnīt 'hēnd; 'ut-šān drāyast 'ku ganāk mēnōk 'dāt 'āp 'ut zamīk 'ut urvar 'ut apārīk 'čiš.*

[3] Ibid. 112. 14: **4 'čiš 'narān, 4 'mātak 'goβēt; āsmān ayō(k)χšust, vāt 'ut ātaχš 'nar, 'ut hakarč yuttar 'nē 'bavēt: 'āp 'ut zamīk 'ut urvar 'ut māhīk mātak 'ut hakarč yuttar 'nē 'bavēt.*

been the creator of the male series, the sky, metals, wind, and fire. All this accords admirably with Hippolytus.[1]

Whether this dissident Zervanite belief in the priority of fire and water and the assimilation of the first to the light and the second to darkness is originally Iranian, we have no means of telling. Parallels are, however, to be found in sects that may well have been strongly influenced by Iranian ideas. The beliefs of the Kainawiyya, as recorded by Šahristānī, deserve notice.[2] For them fire, water, and earth were the original principles: fire was by nature good and light, and water was its natural opponent. Whatever was good came from the fire; evil from the water. The parallel with our Zervanite doctrine is close and, if influence is to be assumed, our conjecture that in this particular form of Zervanism water was essentially the evil element receives additional confirmation. The assimilation of water to the darkness in Hippolytus made this probable: the evidence of the Kainawiyya makes it comparatively certain. In all Iranian religion darkness and evil are practically synonymous.

The Elkesaite parallel which Bousset particularly emphasized[3] is less satisfactory. Here the situation is exactly reversed: water is the holy element, fire the evil. The same demonization of fire is to be found in the Pseudo-Clementinae and certain Gnostic systems.[4] Again in the Elkesaite system the sexes are reversed: water is the male and fire the female. Here Bousset discerns direct Iranian influence: the Elkesaites have borrowed the Zervanite doctrine and turned it upside down. This theory he substantiates by the statement of Hippolytus that Elxai received a secret book from the Parthians and transmitted it to the *Σοβιαί*, probably a baptist sect in Mesopotamia. Bousset comments:

> Wenn es also hier heißt, daß Elxai sein Buch von Parthien empfangen und seinerseits dem *Σοβιαί* übergeben habe, so übersetzen wir das religionsgeschichtlich und schließen, daß auf die zwischen Euphrat und Tigris auf der einen Seite und dem Jordan auf der anderen Seite wohnenden Täufersekten zu einer bestimmten Zeit ein Einfluß von Seiten der persischen Religion ausgegangen ist.[5]

This seems reasonably convincing. Minor religions are apt to borrow ideas from major ones and to turn them upside down in the process. We have only to recall the Mandaean treatment of Christ whom they turn into a

[1] Cf. the anonymous Syriac text F 9: 'De tout cela on peut inférer clairement qu'il (sc. Zoroastre) suppose des séries de divinités mâles et femelles.' v. further the remarks of Professor Benveniste in MO. xxvi, pp. 185 ff., and Chapter VII, p. 187.

[2] ed. Cureton, p. 196; tr. Haarbrücker, i, p. 297. Cf. Reitzenstein, *Die Göttin Psyche*, p. 35.

[3] *Hauptprobleme*, p. 156, where the relevant passages are cited.

[4] Ibid., pp. 151 ff.

[5] Ibid., p. 158.

maleficent being who wreaks havoc in the city of Jerusalem while the work of redemption is carried out by the Mandaean deity Anōš.[1] Even more striking is their treatment of Rūhā d'Qudšā, the Holy Ghost, whom they quite simply transform into the principle of evil!

As Brandt[2] and others after him have shown, this sect has also borrowed from Īrān. Certain of its deities, such as Rašn, Bahrām, and Sām, are recognizably Iranian; and once the Mandaean triad Hibil, Šitil, and Anōš is identified with the Iranian triad Mihr, Srōš, and Rašn (Mand. *mwhwr*, *⟨s⟩rwš*, and *r'st*, the latter representing the stock epithet of Rašn—*rāst* 'the Just').[3] When, therefore, we find in the third book of the *Ginzā*[4] that the demiurge Ptahil descends into the dark waters, clad in a garment of fire, and that the fire mingles with the water and the material creation comes into being therefrom,[5] we cannot fail to be reminded of the Zervanite myth preserved in the *'Ulemā*. Again it would appear to be a case of the male element, fire, fertilizing the female, water, in order to produce the Cosmos. We are probably justified in regarding this Mandaean episode as deriving from the same source as the Zervanite myth, since the Mandaean religion usually distinguishes two series of elements—the good fire, water, air, and earth, and their evil counterparts. In this they agree with the Manichaeans.

Though Gnostic parallels are more often diverting than instructive, it should be mentioned in passing that in the system of Bardesanes (if we may still speak of him as a Gnostic) light and darkness were regarded as being of different sexes,[6] and that in other systems, notably the so-called Simonian, a male and a female were placed at the fount of the Cosmos.[7]

From the above evidence we may conclude that there was a school of dissident Zervanism according to which Time produced fire and water, the one light and good, the male element, the other dark and evil, the female.

[1] On the Mandaean polemics against the Christians in general and the Messiah in particular v. Brandt, *Mandäische Religion*, pp. 141 ff. The appearance of the 'lying Christ' is found in the second book of the *Ginzā* (tr. Lidzbarski, pp. 49 ff.).

[2] Op. laud., p. 194.

[3] Lidzbarski, op. laud., p. 284, n. 4. The Mandaean text has *rwš* instead of *srwš* (Srōš) and the editor has made the necessary correction. Pallis (*Mandaean Studies*, p. 87) reads *ruš* and identifies with Av. *raōčā-*: this is certainly wrong, as Mihr, Srōš, and Rašn form the triad whose function it is to judge the dead.

[4] p. 103. 11 in Lidzbarski's translation (cf. also pp. 91. 25); 266. 7 has: 'Da nahm er etwas vom lebenden Feuer . . . warf es in das schwarze Wasser, und die Erde Tibil dichtete sich.'

[5] Cf. also *Book of John* (Lidzbarski's translation, p. 56): 'Aus Feuer und Wasser wurde der eine Himmel ausgespannt. Aus Feuer und Wasser haben sie die Erde auf dem Amboß gedichtet. Aus Feuer und Wasser sind Früchte, Trauben und Bäume entstanden. Aus Feuer und Wasser wurde der körperliche Adam gebildet.'

[6] Flügel, *Mani*, pp. 161–2; Bousset, op. laud., p. 97.

[7] Bousset, op. laud., p. 128.

These were mingled and from them arose Ohrmazd and Ahriman, the one derived predominantly from the fire and the other from water. Only in their physical composition were the natural properties of their 'parents' mixed. Ohrmazd inherited the heat of fire and the moisture of water, Ahriman the coldness of water and the dryness of fire. It seems probable that this form of Zervanism was not Iranian in origin, for nowhere in the Zoroastrian books do we find any reference to water as being evil. This can only be inferred from Hippolytus and from comparison with cognate religions. It is more likely that Zervanism derived such thoroughly un-Zoroastrian ideas from non-Iranian sources than vice versa.

NOTES TO CHAPTER III

A. Eznik is quick to point out that, by doubting, Zurvān is the origin of evil rather than Ahriman. 'Thus it is clear', he concludes, 'that Zurvān was without power and imperfect, without knowledge, and himself the cause of evil, not Ahriman. For had he not doubted, as they say, Ahriman would not have come into existence, whom they say is the creator of evil: but he himself doubted, who is without faith and full of incompetence' (Venice, 1926, pp. 132–3; Schmid, p. 97; Langlois, ii, p. 376). Again (Venice, 1926, p. 151; Schmid, p. 108; Langlois, ii, p. 380) he ridicules the myth of the transference of the *barsom* from Zurvān to Ohrmazd: 'If he (Ohrmazd) were God and had power to create heaven and earth, why should he need to have the *barsom* and to perform sacrifice, that he might free his father from doubt? Why was he, who could create heaven and earth without the *barsom*, unable to rid his father of care without the rods? Thus it is plain that the father was without intelligence and power and placed his reliance in another, and that the son was likewise without intelligence and power. For the one could not give birth to his son without performing sacrifice, and the son could not release him from his doubts without taking the rods into his hand.' Interesting also is Ven., p. 139 (Schmid, p. 101; Langlois, ii, pp. 377–8), where Eznik demonstrates that Zurvān cannot be king and creator.

B. This figure is not peculiar to Manichaeanism: it occurs in many of the Gnostic sects (E. de Faye, *Gnostiques et Gnosticisme*, pp. 379–412) and is, according to Bousset (*Hauptprobleme der Gnosis*, p. 26) to be derived from such mother-goddesses as the Babylonian Ištar, the Syrian Attargatis, the Phrygian Cybele, and the Aramaean Astarte. In Manichaeanism she is the first evocation of the Father of Greatness, and therefore wholly on the side of light. The other extreme is represented by Mandaeanism where the Mother, Rūhā (*resp.* Namrūs or Hewath), is the queen of darkness. For the confusion of sexes which we have in the Zervanite myth we may compare the figure of Barbelo in the Barbelo-Gnosis: besides being the Mother, she is the *πρωτάνθρωπος* or primal man (Bousset, op. cit., p. 60, to which the reader is referred for further details). The Zervanite Mother is far more vague than that of any of the Gnostic systems and may therefore have been borrowed from them or their source.

C. The idea that the evil deity has control of this world and that the good deity rules on high and far removed from the world is pure Gnosticism. Marcionism, though strictly speaking not a Gnostic sect, knows it too, though for the evil deity it substitutes the 'Just' God of the Old Testament. Cf. *supra*, p. 59. Both Marcion and the Mandaeans speak of the Saviour—in the one case Jesus, in the other Mandā d'Hayyē, Hibil-Zīwā, or Anōš—as the 'stranger' god. How far this idea was present in Zervanism it is not possible to say, though Šahristānī's account makes it probable that their more pessimistic wing regarded the world as the legitimate province of Ahriman. The idea is un-Iranian and would, therefore, be borrowed from a Western source.

D. DkM. 79. 21: *'ut 'har-ič gētēhīk 'bavišn, pazzāmišn, vīnārišn 'hač hamīh 'pat patmān ⟨i⟩ 'āp i māt⟨ak⟩ 'ut ātur i 'nar, 'pat ham-dahišnīh 'χᵛāh 'ut 'brāt hangārīhēnd.*—'All material becoming, ripening, and order is from the coming together in due proportion of water, the female, and fire, the male: since they were created together, they are considered sister and brother.' Cf. ibid. 468. 10: *'ōh-ič 'āp 'hač ātaχš 'hamist gōhr 'ut čand aδvēnak 'pit 'ut 'māt 'hēnd.*—'Thus water together with fire is a substance: they are the father and mother of several species.' Ibid. 417. 15: *passāčišn i ǰānvarān 'pat hamīh i ātaχš 'ut 'āp.*—'The composition of animals is through the union of fire and water.' In Mithraism fire and water are brother and sister: v. Cumont, *Mystères de Mithra*, p. 115.

E. Cf. Aristotle, *De generatione* 330ᵃ30 (p. 41 in the edition of Joachim): *ἐπεὶ δὲ τέτταρα τὰ στοιχεῖα, τῶν δὲ τεττάρων ἓξ αἱ συζεύξεις, τὰ δ' ἐναντία οὐ πέφυκε συνδυάζεσθαι (θερμὸν γὰρ καὶ ψυχρὸν εἶναι τὸ αὐτὸ καὶ πάλιν ὑγρὸν καὶ ξηρὸν ἀδύνατον), φανερὸν ὅτι τέτταρες ἔσονται αἱ τῶν στοιχείων συζεύξεις, θερμοῦ καὶ ξηροῦ, καὶ ὑγροῦ καὶ θερμοῦ, καὶ πάλιν ψυχροῦ καὶ ξηροῦ, καὶ ψυχροῦ καὶ ὑγροῦ. καὶ ἠκολούθηκε κατὰ λόγον τοῖς ἁπλοῖς φαινομένοις σώμασι, πυρὶ καὶ ἀέρι καὶ ὕδατι καὶ γῇ. τὸ μὲν γὰρ πῦρ θερμὸν καὶ ξηρόν, ὁ δ' ἀὴρ θερμὸν καὶ ὑγρόν . . . τὸ δ' ὕδωρ ψυχρὸν καὶ ὑγρόν, ἡ δὲ γῆ ψυχρὸν καὶ ξηρόν.* Cf. ŠGV. 2. 17: *sardī i brādarōdī ō χᵛīdī i āw gumēχt əstəṯ, hamēstār i garmī i ātaš. u χᵛaškī i brādarōdī ō garmī i ātaš gumēχt əstəṯ hamēstārihā ō χᵛīdī i āw vazūdār.*—'The rival cold, which is mixed with the moist of water, is the opponent of the hot in fire: and the rival dry, which is mixed with the hot in fire, opposes and injures the moist in water.'

CHAPTER IV

COSMOLOGY, I

(*a*) *The God Vāy*

IN turning from the non-Iranian sources to the Avesta and Pahlavī books one cannot fail to be struck by their dissimilarity. In the last chapter we saw that according to Eznik and a number of other authorities Zurvān was regarded as the father of Ohrmazd and Ahriman. One might have thought that some trace of such a belief could be discerned in the Avestan and Pahlavī sources themselves. In that we shall be much disappointed. In all the Pahlavī books there is only one reference to the myth we have latterly discussed. The reference occurs in the ninth book of the *Dēnkart*,[1] which purports to be a translation of and a commentary on the *Gāθās*. The passage in question deals with Ys. 30. 3, where the Avestan text clearly states that the Good and Evil Spirits are twins (*yāmā*). Such a text cannot have failed to strengthen the Zervanite position immensely; and one might even be tempted to believe that the myths and speculations about Zurvān prevalent during the Sassanian period owe their existence to it alone.[2] The compilers of the *Dēnkart* at any rate were thoroughly aware of the interpretation put upon this text by their opponents. Though their knowledge of the Gāθic language was doubtless rudimentary, they nevertheless seem to have known that *yāmā* meant 'twins', and accordingly translate 'two brothers'. But for them the admission that Ohrmazd and Ahriman were brothers was fatal. Some other way out of their difficulty had to be found. Fortunately for them the word *ərəš* occurred in the third line of the stanza. Disingenuously ignoring the fact that *ərəš* meant 'rightly' and relying on the ignorance of others,[3] they proceeded to turn the Avestan *ərəš* into the demon Ariš(k) (Envy)! The whole passage then was merely a lie spread abroad by the demon of Envy, and the doctrine therein proclaimed was therefore false. This wilfully stupid mistranslation is the only reference to the doctrine of the brotherhood of Ohrmazd and Ahriman in the whole of Pahlavī literature; and even here the name of Zurvān is not mentioned. That the passage is hostile to Zervanism cannot be denied: but on the ground of this single passage it would not be permissible to conclude that a state of active hostility existed between the two opposing schools.[4] The

[1] Text F 3 (*a*).

[2] Cf. Darmesteter, *Zend-Avesta I*, p. 221, n. 10.

[3] For the Sassanian theologians' ignorance of the Avestan language see Text F 3 (*a*), note.

[4] According to Nyberg (CCM. 1931, pp. 60, 197) GrBd. 11. 4–5 (text Z 1, § 26) is a polemic against the Zervanites. This theory, however, is based on a very forced translation of the text, and is therefore unacceptable: v. Text Z 1, l. 114, note.

evidence collected in Chapters I and II, however, indicates that such hostility did exist, though among the Zervanites themselves great latitude seems to have been permitted to the faithful in their conceptions of the supreme deity.[1]

However, though the Pahlavī literature contains only one reference to the prime Zervanite doctrine as it has been preserved for us by Eznik and other Christian writers, it is nevertheless invaluable in supplying us with material which enables us better to understand the character of Zurvān, and from which, in conjunction with other sources, we may piece together fragments of other Zervanite myths. Without its assistance such attempts would have been foredoomed to failure.

Between the Pahlavī books on the one hand and the Christian accounts on the other stand the *'Ulemā i Islām* (text Z 37) and Šahristānī (text F 4). The former is particularly important as being the only extant account of Zervanism written by Zervanites: its value is, perhaps, slightly diminished by its undoubtedly late date. It does, however, present a cosmology which is recognizably connected both with the myth of Eznik and with the cosmologies of the *Greater Bundahišn* and Zātspram. In our analysis of the latter both the *'Ulemā* and Šahristānī have continually been at the back of our minds.

By far the fullest account of the Zoroastrian cosmology that has come down to us is that of the *Bundahišn*. That work has been preserved in two recensions, known respectively as the *Indian* and the *Greater* or *Iranian Bundahišn*. As its name implies, the latter is the more complete and contains much matter that is unknown to the Indian recension. In the first chapter (text Z 1) which is our immediate concern this difference is marked. The Indian gives us a more or less straight Mazdean cosmology in which Zurvān or Zamān (Time), as he is generally called in the Pahlavī books,[2] plays a suitably modest part. The 'Indian' account is consistent and may reasonably be supposed to derive from a single source. However, into the middle of this account the 'Iranian' version thrusts a long passage throughout which Zamān (Zurvān) is certainly the principal character. This passage will occupy our close attention for the greater part of our fifth chapter.

Parallel with the *Greater Bundahišn* and dependent on its source is the

[1] See note A, p. 103.

[2] 'Zurvān' is usually used when the deity is envisaged as a person, 'Zamān' when he represents the concept 'Time'. The comparatively rare occurrence of the word 'Zurvān' is to be attributed to the fact that the Mazdeans wished to divest the god of Time of his personal attributes, many of which were obnoxious to them. Zātspram, characteristically, is an exception.

cosmology of Zātspram, who gives further mythological details which serve to throw light on the otherwise obscure account of the *Greater Bundahišn*.

Before we pass on to the cosmology of the *Bundahišn* a few words must be said about a deity who, in the Sassanian period, played an important part in Zervanite mythology—Vāy. Unlike Zurvān of whom the Avesta tells us practically nothing, Vāy, or (to give him his Avestan name) Vayu, is the object of an entire *Yašt*[1] and appears frequently in other parts of the Avesta. Of the Avestan Vayu little need here be said since the subject has been exhaustively treated by Wikander,[2] who here follows Nyberg's more recent and hotly contested ideas.[3] A short account of his characteristics will, however, be necessary.

Originally Vayu appears to have been the supreme deity of a people unconnected with the original Zoroastrian community.[4] Like Zurvān and Mithra he is not a moral deity; but unlike Mithra the evil side of his character was so marked that the Mazdāh-worshipping Zoroastrians who adopted him were forced to split his personality into two. The all-powerful god in their hands became two, the beneficent Vayu who works on the side of Ahura Mazdāh (Ohrmazd), and the maleficent who is little better than a demon of death. Even in the *Yašt* dedicated to him (parts of which are certainly old) this process is perceptible; for the author offers worship only to 'that Vayu which belongs to the Bounteous Spirit' (§§ 5, 57).

As Nyberg has pointed out,[5] the most significant part of the *Yašt* is that in which the names of Vayu are catalogued. But before passing to these we should notice that in §§ 2–4 Ahura Mazdāh himself prays to him that he may vanquish the creatures of Ahriman, thereby acknowledging his own inferiority. Nyberg[6] is certainly right in emphasizing that this episode can only indicate the adoption of the deity of another cult into the Mazdean community. The *Yašt* goes on to enumerate the various mythical heroes who sacrificed to Vayu, and whose requests were granted. The prayers of the evil Dahāka and the otherwise unknown Aurvasāra were, however, left

[1] Yt. 15. Though generally known as the *Rām Yašt*, it is devoted entirely to Vayu. The change of name is probably a Mazdean attempt to minimize the importance of Vayu in the Avesta.

[2] *Vayu I, passim.*

[3] CCM. 1941, pp. 197 ff.; *Die Religionen des alten Iran*, pp. 300 ff.; cf. Geo. Widengren, *Hochgottglaube im alten Iran*, pp. 189 ff. The traditional view will be found in Lommel, *Die Yašts des Avesta*, pp. 143 ff.; Gray, *The Foundations of Iranian Religions*, p. 169.

[4] According to Nyberg (*Religionen*, pp. 300, 317) the worshippers of Vayu were originally situated on the upper or middle reaches of the Jaxartes; and the country called *vaēkərəta* in the Avesta is really **Vayu-kərəta* 'made by Vayu'. Cf. Skt. *vaikṛtika-*, a Yakṣa of Gandhāra mentioned in the *Mahāmāyurī* (Lévi, JA. 1915, p. 49).

[5] CCM. 1931, p. 198.

[6] *Religionen*, p. 292.

unanswered. With the termination of these prayers we come to the names of Vayu (§§ 43–48). This passage, though in prose, late, and in places corrupt, is of the greatest interest to the religious historian.

His name is Vayu because he pursues (*vayemi*) both the creation of Ohrmazd and that of Ahriman: he is the 'catcher' (*apayate*), for he catches both the creation of Ohrmazd and that of Ahriman. He is the all-conqueror because he conquers both creations. Among other epithets we may cite *zinakə* 'the harmful', *vindiχᵛarənə* 'he who finds the *χᵛarənah* (fortune)', the swift and the most swift (*aurvō, aurvōtəmō*), the strong and the most strong (*taχmō, taχmōtəma*), the firm and the most firm (*dərəzrō, darəǰištō*), the mighty and the most mighty (*aoǰi, aoǰiš*). He conquers at one blow (*haθravana*), opposes the demons and subdues the enemy (*viδaēvō-karə, ṯbaēšō-tarō*); he is a sharp spear and the owner of a sharp spear (*tižyarštə, tižyarštiš*), a broad spear and the owner of a broad spear (*pərəθvarəštə, pərəθvarəštiš*).[1] When a man is bound, he stands still and lets him advance and then carries him away.[2] He must be invoked in battle or by a prince when he runs or rides out to battle (§ 50). He is pictured as wearing a golden helmet and a golden crown; he has a golden chariot and golden wheels, golden arms and golden garments, golden shoes and girdle.[3] Further he is worshipped by unmarried women who pray for a husband (§ 40).

From this brief outline of the *Yašt* it will be seen that Vayu is above all a god of war and warriors,[4] and this trait remains with him down to the Sassanian period, when he is expressly referred to as the god of the *Artēštārān*, the second or warrior caste.[5] His antiquity is undisputed since he appears in the *Rig-Veda* where one whole hymn is devoted to him.[6] Both in the Avesta and the Veda he is associated with Vāta, the Wind: in the Veda also he appears frequently with Indra and once with the Maruts, and is therefore regarded as a wind god.[7]

That he was in some part of Īrān elevated to the rank of supreme deity appears clearly in the fifteenth *Yašt*. Ahura Mazdāh prays to him, and he pursues both creations, that of Ahura Mazdāh as well as that of Ahriman: further, he conquers them both. He is in fact superior to good and evil, and like the warrior caste of which he is the patron, he manifests himself

[1] The epithets of Vayu will be found conveniently transliterated and translated in Wikander, *Vayu I*, pp. 7–9, also in Widengren, op. cit., pp. 189–90.

[2] Wikander, op. laud., p. 10: Widengren, p. 191.

[3] Wikander, pp. 12, 33; Widengren, pp. 193–4.

[4] Nyberg, CCM. 1931, p. 219.

[5] Text Z 3, § 1: 'Vāy of the long Dominion who, among spiritual beings, has the office of chieftainship of the warriors.'

[6] RV. iv. 46: for the Vedic Vāyu cf. Keith, *The Religion and Philosophy of the Veda and Upanishads*, i, p. 139.

[7] His name means simply 'he who blows'. In Sanskrit Vāyu comes to mean simply 'the wind'.

through force. Obviously the dualistic Zoroastrians during their syncretistic period, when confronted by so amoral a deity, must have been gravely embarrassed. Their solution was ingenious: the personality of Vayu was divided into two. The Good Vayu became, like the other deities, assimilated into the system, a beneficent power subordinate to Ohrmazd. The Bad Vayu, on the other hand, became a demon of death. We have noticed that in the *Yašt* Vayu is described as carrying off those who are bound. In the *Vidēvdāt*,[1] where the dichotomy of his person has already taken place, we find the incident repeated but characteristically changed. Zoroaster asks Ohrmazd if fire or water kill a man: Ohrmazd replies that neither fire nor water kill a man,[2] but that Astōvīδōtu (the demon of death proper) binds him and that Vayu carries him off bound.

In the *Aogəmadaēčā*[3] or Mazdean liturgy for the dead the transition from the simple to the dual view of Vayu has not yet taken place. He is indeed the bringer of death, but apparently not a demon; for he is spoken of in terms of awe suitable only to a powerful god. Though this passage has been repeatedly quoted in recent times,[4] it has a certain impressiveness, and we willingly avail ourselves of the excuse that no account of Vayu can be complete without it in order to quote it. It runs as follows:

> The path can be avoided which a running river guards: only the path of the pitiless Vayu can never be avoided.
>
> The path can be avoided which is guarded by a dragon of the size of a bull, that devours horses and men, that slays men and is pitiless: only the path of the pitiless Vayu can never be avoided.
>
> The path can be avoided which a dusky bear guards: only the path of the pitiless Vayu can never be avoided.
>
> The path can be avoided which is guarded by a robber who slays at one blow and is pitiless: only the path of the pitiless Vayu can never be avoided.
>
> The path can be avoided which (is commanded) by an army equipped with chariots and (lurking) in ambush: only the path of the pitiless Vayu can never be avoided.[5]

In the Pahlavī texts the division of the personality of Vayu into two distinct entities is complete. One is called *Vāy i vēh* 'the good Vāy' (as we shall now call him), the other *Vāy i vattar* 'the evil Vāy'. But a trace of his

[1] 5. 8–9.

[2] Fire and water, being pure elements and, as such, holy, could not be regarded as being responsible for the death of anyone: in cases of drowning and burning, then, the responsibility was shifted on to the two death demons.

[3] v. the edition of Duchesne, JA. 1936, pp. 241–55. The passage here quoted forms §§ 77–81 of his edition: v. also Wikander, op. laud., pp. 96–101 and his most exhaustive and original commentary.

[4] v. especially Nyberg, CCM. 1931, pp. 205 ff.; Widengren, op. cit., pp. 192–3.

[5] See note B, p. 103.

original ambiguous nature is allowed to remain: for beside the personal god and the personal demon, a third variant of this Protean deity is to be met with; for Vāy, once the god of the wind that blows between heaven and earth, has now become the intervening space between the Kingdom of Light above and the Kingdom of Darkness below.[1] Within this impersonal element the struggle between the principles of Light and Darkness takes place. As is only fitting, Vāy, who once stood above good and evil, has become a place of mixture between the powers of good and the powers of evil. After the creation, Vāy is conceived of as the atmosphere between the earth and sky: it is used in contra-distinction to the earth (*būm*). 'The original source of fire is the atmospheric fire (*vāyīk ātaχš*): the original source of water is the terrestrial sea. Fire naturally rises to the atmosphere (*Vāy*), and water inclines down towards the earth.'[2] In the macrocosm Vāy is the life-giving power and corresponds to the 'fiery wind' in the body of man 'which is the breath-soul (*ǰān*)'.[3] Here the distinction between the two Vāys is again apparent: just as the evil Vāy is the demon of death, so is the good Vāy the spirit of life. After the universal rehabilitation (*fraškart*) which takes place at the end of the cosmic period, Vāy becomes the dwelling-place of the purified souls: 'the soul, full of bliss, (remains) in the pure Vāy who ever controls the Adversary in the world.'[4] At that period, then, Vāy would seem to be identical with Space. We shall have occasion to discuss this when we come to speak of the cosmology of the *Bundahišn*.

As personal deities the two Vāys are naturally opposed. In the Pahlavī texts the Evil Vāy is simply the demon of death. He is no longer the awful and inexorable god depicted in the *Aogəmadaēčā*, but has become the ignoble henchman of the Devil and is identified with Astōviδāt (Av. Astōvīδōtu). 'Astōviδāt is the Evil Vāy who carries the breath-soul away: as it is said, "When he touches a man with his hand, it is sleep: when he casts his shadow on him, it is fever: and when he sees him with his eye, he smites the breath-soul." '[5] The function of the Good Vāy is to save the

[1] v. text Z 1, § 4.

[2] DkM. 199. 18: *ātaχš bun χān vāyīk ātaχš: 'āp bun χān būmīk zrēh, 'hast čihrīk 'ul-uzišnīh ⟨i⟩ ātaχš'ō vāy; 'ut frōt grāyišnīh i 'āp 'ō būm.*

[3] DkM. 278. 13: *gēhān zīvēnāk ǰān⟨va⟩r ǰān aparkār Vāy i 'pat aδvāč i gēhān 'χᵛānēnd-ič Vāy, 'ut ⟨pat⟩ dēn mēnōk i Vāy-ič ⟨i⟩ rāδēnītār 'gōβēt, čēyōn martōm tan zīvēnāk ātaχšōmand vāt i 'hast ǰān.*—'He who quickens the world and is the life (the breath-soul) of living things is Vāy whose works are high. In the language of the world they call him Vāy: in Religion he is called the Spirit Vāy who orders aright. Similarly what quickens the body of man is the fiery wind which is life (the breath-soul).'

[4] DkM. 44. 6: *ruvān purr-urvāhm 'andar apēčak Vāy ⟨i⟩ pityārak ⟨i⟩ gēhān hamēvīnārišnīk 'bavēt.*

[5] GrBd. 186. 12 (cf. Widengren, op. cit., p. 198): *Astēvihāt Vāy i 'vattar 'kē ǰān 'stanēt; čēyōn 'gōβēt 'ku 'kaδ 'dast 'apar*

soul (*ruvān*) of the righteous from the attacks of his evil counterpart: he takes the soul by the hand and leads it to its appointed place.[1] Nor is he neglectful of the breath-soul (*ǰān*, here as always almost 'life'), for he welcomes it and comforts it after the ordeal it has suffered through its severance from the body.[2] He may, then, be regarded as a ψυχοπομπός to the soul of the righteous dead, while that of the unrighteous is dragged down to hell.

Of his connexion with Vāt, the Wind, little need be said here. One passage, however, deserves to be noted; for it shows that even in the Pahlavī books the personal Vāy might still retain its original indifference to good and evil. Indeed on this occasion he seems to show partiality to the hosts of Ahriman and to cause discomfiture to the Wind. The text speaks for itself: 'The Destructive Spirit cried out to the demons, "Come, destroy the swift and valiant wind created by Ohrmazd: for if ye destroy the wind, then all creation will be destroyed by you." And in that battle, because Vāy of the long Dominion did not come to its aid in time, the wind was laid low.'[3] Because of Vāy's failure to help on this occasion, the wind now blows either too violently or too softly. Here the personal Vāy may be seen to adopt that non-belligerency in the cosmic struggle which characterizes him in his impersonal form.

From this short review of the character and attributes of this important god it may be safely concluded that cosmologically Vāy is conceived of as the intermediate space between the kingdoms of light and darkness or as its presiding genius: in this position—except in so far as the struggle takes place within him—questions of good and evil are not sufficiently involved for the Sassanian theologians to consider the splitting of his person necessary. He was, however, also the god of death; and with the exception of the destruction of the soul,[4] death is the greatest evil that can overtake a

*martōm mālēt, Būšāsp; 'kaδ asāyak 'aβganēt, *tap; 'kaδ-aš 'pat čašm 'vēnēt, 'ǰān 'bē zēnēt.* Cf. GrBd. 47. 15: *Astōvihāt 'kē Vāy i 'vattar 'χᵛānīhēt.*—'Astōvihāt who is called the evil Vāy.'

[1] v. text Z 3, § 1.

[2] Dd. 29. 4: *čēyōn Vāy i 'vattar appurtār 'ut zatār, ētōn-ič Vāy i vēh kōχšītār ['ut] ham patīrak i Vāy i 'vattar, 'ut-aš vizūtār 'hač 'ǰān-appurišnīh 'ut patiγraftār 'ut pānak i 'ǰān.*—'Just as the evil Vāy carries away (the breath-soul) and strikes it down, so does the good Vāy too strive against the evil Vāy, and prevents him from carrying off the breath-soul, and receives and protects the breath-soul.'

[3] GrBd. 132. 8: *drāyast Ganāk Mēnōk 'ō 'dēvān 'ku āy, vāt marnǰēnēt, čēr i takīk i Ōhrmazd-dāt; 'čē 'kaδ-tān vāt marnǰēnīt, atān harvisp dām marnǰēnīt 'bavēt. 'ut 'pat 'ān kōχšišn 'pat Vāy ⟨i⟩ dērang-χᵛatāy rāδ, 'ku-š 'pat gās [i] 'ō aδyārīh 'nē mat, vāt start 'būt.*

[4] MX 46. 2: *Ahriman 'kaδ 'hač martōmān zīvandakīh 'ut 'zan 'ut frazand 'ut hāmōyēn nēvakīh i gētēhīk 'bē 'appurēt, 'nē 'pat 'ēt 'dārēt 'ku-š 'čiš-ič ziyān 'pat 'avē 'kas kart; 'bē 'kaδ-aš 'ān i ēvtāk ruvān 'bē 'appurēt 'ut tapāh 'bē 'kunēt, 'aδak 'pat 'ēt 'dārēt 'ku-m ziyān-ē i bavandak pat-iš kart.*—'When Ahriman robs men of life and wife and child and all the good things of this world, he does not consider that he has done any harm to that person; but when he robs him of his soul alone and destroys it, then he considers that he has done him a perfect injury.'

pious Mazdean. In these circumstances the death god had to be demonized, and, presumably to conciliate those people whose supreme deity they had absorbed and were in the process of distorting, they created a Good Vāy whose function it was to welcome such souls as had succeeded in eluding his evil counterpart.

Before leaving Vāy for the broader question of the *Bundahišn* cosmology, we should mention in passing—no more is necessary, for the question has been adequately discussed by Widengren[1]—a curious myth preserved in the *Dēnkart* and *Dātastān i dēnīk*.[2] Shortly before the time of the final rehabilitation Kay Xusrau, one of the mythical Iranian heroes, resuscitated to facilitate the final destruction of the demons, charges Vāy of the long Dominion with the smiting of the breath-soul of men. Vāy agrees that he is guilty, and in revenge Xusrau turns him into a camel and rides him round Īrān. Finally, though the translation is here uncertain, Vāy seems to cause Xusrau's death too.[3] The myth may be regarded as the final victory of death before the rehabilitation when all creatures partake of eternal life.

Such, in brief outline, is the nature of the god Vāy. Let us now consider him in relation to Zurvān. The two deities seem at first to have been entirely distinct. In the Avesta Vayu plays an independent part, while Zurvān still appears as an exceedingly minor deity. One fact only do we learn about him: he is the god who controls the path which the souls of the dead must traverse before they come to the Činvat bridge: this path is called *zrvō-dāta-* 'created by Zurvān'.[4] He is, then, even at this early date the god of death, and in that respect his function closely resembles that of Vāy. In the later *Yasna* and *Vidēvdāt* the two are connected in invocations: 'We worship the day of Rāman of goodly flocks, of Vayu who works highly . . . of Θwāša who follows his own law (*χᵛaδāta-*), of the infinite Zurvān and Zurvān who for a long time follows his own law (*darəγō-χᵛaδāta-*).'[5] Again we find the stock epithet of Zurvān, *darəγō-χᵛaδāta-*, once applied to Vayu,[6] and may therefore assume that at the time of the composition of the latest parts of the Avesta a definite relationship existed between the two gods.

In the Pahlavī texts the relationship has become closer. Vāy, after

[1] See note C, p. 104.

[2] 35. 3. Cf. also PhlRiv. 48. 39.

[3] Dd. l.c. has: *Kay-Xusrau 'kē 'hač Vāy i dērang-χᵛatāy vitārēnīt.* The last word means literally 'to cause to pass', and I should therefore translate, 'KayXusrau whom Vāy of the long Dominion caused to pass away'.

[4] Text A 1 = Vd. 19. 29.

[5] Text A 2 (Ys. 72. 10; *Sīhrōčak* i. 21 and ii. 21).

[6] Ny. 1. 1. Vayu here appears in the form *vayąm* (acc. fem.!).

becoming identified with the Void or intermediate space between the realms of light and darkness, is further identified with Space: after the creation all created things exist within it.[1] Zurvān is Time through which alone the act of creation is possible.[2] The two deities are thus intimately connected, and we have the evidence of Damascius on the authority of Eudemus of Rhodes that the Magians regarded Space and Time as the prime principle from which the good god and the evil demon arise.[3] Eznik and the sources allied to him know only of Zurvān as the supreme deity and make no mention of Space; but too much importance cannot be attached to this, for the Zurvān of Eznik is a figure of mythology while that of the Pahlavī texts is more an intellectual concept. Further, the connexion between Time and Space is so intimate that they may be regarded as identical: for, according to the *Greater Bundahišn*, good 'things bestowed reach (men) through Time (*zamān*) *who is Vāy of the long Dominion*, whether it be the instrument of Zurvān or of Ohrmazd.'[4]

The whole *Bundahišn* cosmology is somewhat complicated by the fact that the concept Space is referred to in three ways: sometimes it is Vāy; sometimes *gās* or *gyāk*, the ordinary Persian words for space or place (the former also having the meaning of time); and sometimes it is Spihr which, meaning strictly the firmament, later came to include all space within it. The confusion is due to the syncretistic nature of the religion with which we have to deal. As we have seen, Vāy or Vayu was the supreme deity of a people living in all probability in eastern Īrān. Zurvān and Spihr belong to western Īrān, the former appearing to be extremely ancient, as proper names from the Nuzi documents show. These date apparently from the twelfth or thirteenth century B.C. and give us the forms *Za-ar-wa-an*, *It-ḫi-Za-ar-wa*, *Ar-Za-ar-wa*, and *Du-uk-ki-Zar-ar-wa*.[5] The early existence of Spihr in the west is also attested by the proper names Σπιθριδάτης and Σπιθροβάτης.[6] Spihr is strictly the firmament[7] rather than Space: it is the seat of the stars and therefore controls the fate of man.[8] As we shall soon see, Time and Space, which at first were infinite, had to be limited in order to make the act of creation possible. After the limitation Spihr is strictly

[1] v. esp. text Z 16: 'Its (Time's) limitation consists in the movement of matter in Vāy by means of the firmament (*spāš*).'

[2] Texts Z 14, 15, 16.

[3] Text G 1.

[4] Text Z 3, § 3.

[5] Collected by Widengren, op. cit., p. 310. The forms quoted will be found in AASOR. xvi, Nos. 46–50.

[6] References in Justi, *Namenbuch*, p. 310, and Nöldeke, *Persische Studien*, Sb (Kaiserlichen)AW. 1888, pp. 421–2. Henning (JRAS. 1942, p. 239) is unconvinced that these forms prove the existence of an Old Iranian **spiθra-* whence Phl. *spihr*. His equation of *spihr* with Gk. σφαῖρα is not entirely convincing.

[7] Or so the text DkM. 207 implies: v. n. 1, and p. 89, n. 1.

[8] *v. infra*, pp. 158 ff.

the starry firmament and Vāy the space within it. Matter moves in Vāy but is controlled by Spihr.[1]

Spihr is the Pahlavī translation of the Avestan *Θwāša-*:[2] its epithet *χᵛatāy* 'lord', therefore, corresponds to the standing epithet of Θwāša, *χᵛaδāta-* 'who follows his own law', just as *dērang-χᵛatāy*, the standing epithet of Zurvān, corresponds to Av. *darəγō-χᵛaδāta-*. The god Θwāša has hitherto generally been identified with Space and has been fully discussed by both Nyberg[3] and Widengren.[4] This identification, however, is not quite exact. *Θwāša* would represent OI. **θwarta-* (cf. Skt. *tvar-* 'hurry')[5] and must mean 'he who hurries': hence we have MP. *spahr* (*θwahr*), just as we have *ahrov* from *ašavan-*.[6] *Spahr* is identical with *spihr*, who in turn is identical with *spāš* (=*Θwāša*). Spihr is primarily the firmament, only secondarily Space; and *a priori* the same may therefore be assumed of Θwāša. Of the latter it must be confessed that extremely little is known. Besides being mentioned three times with Zurvān[7] it appears once along with other deities, in the entourage of Mithra, a position obviously better suited to the firmament than to so vague a concept as Space.[8] Moreover, one would naturally think of the firmament as 'him who hurries'—a phrase which would not immediately occur to one in connexion with Space. As anyone even moderately familiar with Persian poetry knows, the firmament continues to be described as *tīz-rau* 'swiftly moving' far down into the Muhammadan period. The identification of Θwāša with Space must, however, be inferred from the *gās i χᵛaδāt* of the Pahlavī *Sīh-rōcak*:[9] thus Θwāša appears in the company of Zurvān (Time), and Eudemus of Rhodes speaks of Space and Time as the original principle.[10] Θwāša is equivalent to Spihr, the firmament, and therefore to the space contained within the firmament.

But to return to Vāy. In the Pahlavī literature the assimilation of this deity to Zurvān has gone far. As we saw in our third chapter, one of the prime attributes of Zurvān was justice. 'Who is the most just? Finite Time', we read in one of the texts.[11] Justice, too, is one of the attributes of Vāy, for he 'is more just than the just and has respect for none, nor does he accept

[1] Text Z 16 = DkM. 207: '. . . the movement of matter in Vāy by means of the firmament (*spāš*, i.e. *Spihr*), as, for example, the course of the luminaries, the blowing of the wind, the running of water, the growth of plants'.

[2] v. text Z 11, § 5 = DkM. 205. 19. The same identification occurs ibid. 278. 17. Darmesteter (ZA. ii, p. 310, no. 45) had already observed this identification.

[3] CCM. 1931, p. 103.

[4] Op. cit., p. 231.

[5] So rightly Bartholomae, AIW., s.v.

[6] This seems to be the obvious interpretation of the word discussed in BSOS. ix, p. 313. The suggestion put forward there now seems to me most improbable.

[7] v. text A 2.

[8] Yt. 10. 66.

[9] *Infra*, pp. 199, 217.

[10] Text G 1.

[11] Text Z 24 (*b*).

bribes: and he observes justice with both master and servant, with the one as with the other.'[1] As gods of death both are said to possess a 'path'; for we hear of the path 'created by Zurvān' along which the soul of the dead proceeds to the Činvat bridge:[2] similarly we learn in the *Aogəmadaēčā* that all paths may be avoided, though beset with frightful dangers; only the path of Vayu can never be avoided. Both gods are terrible and cannot be escaped. Of Vāy it is said: 'Wisdom it is which is better than all the riches on the world; and fate it is which is lord over all persons and things; and the Evil Vāy it is from whom no one can escape.'[3] Similarly Zurvān can never be hidden[4] and there is no remedy against him.[5] When Time comes upon a man, he can do nothing against it;[6] and Time sews up the eye of man.[7]

Both gods seem originally to have been foreign to the dualistic system of the Mazdeans; but both were absorbed into it, losing much of their original character in the process and causing grave embarrassment to the Mazdeans, who never entirely succeeded in making them a homogeneous part of their system. Both gods had originally been superior to good and evil. In the case of Vāy the Mazdeans reacted by neatly bisecting him into a good and a bad half. The case of Zurvān was more difficult; for that deity had, at the beginning of the Sassanian period or earlier, been elevated to the rank of father of gods and demons. The Mazdeans were, then, faced with three alternatives: either they could split his personality in two as they had already done to Vāy; or they could eliminate him altogether from the pantheon; or they could assimilate him as much as possible to Ohrmazd, one of whose hypostases he would then be. To anyone acquainted with the Pahlavī literature it is obvious that no general agreement could be reached among the Mazdeans on this subject; for in different texts we find all three views represented. Thus in the *Dēnkart* we find that Time belongs both to the creation of Ohrmazd and to that of Ahriman,[8] though elsewhere in the same book it is referred to as the 'eternity of Ohrmazd'.[9] Mānuščihr alone has eliminated Zurvān entirely from the pantheon, and even seems to take care never to mention him. In the *Šikand Gumānī Vazār*, too, he plays no important part: he is regarded solely as the Infinite and as such incomprehensible.[10] In the *Bundahišn* and more particularly in Zātspram his character has been less distorted, and it is from them that we learn most. Let us then now turn to the cosmology that they present.

[1] YF. 3. 34: *'hač rāstān Vāy i 'vēh rāstar 'kē hēč-aš 'kas āzarm 'nē, 'ut pārak 'nē 'stanēt, 'ut χᵛatāy 'ut bandak rāδ 'apāk ēvak ditīkar rāstīh 'dārēt.*

[2] v. p. 240.

[3] Text Z 29.

[4] Text Z 25 (*a*).

[5] Text Z 25 (*b*).

[6] Text Z 26 (*a*).

[7] Text Z 26 (*b*).

[8] Text Z 18 (*a*), (*b*); cf. DkM., p. 92, where *zamānak 'ān i yazdān* (1. 11) 'the time of the gods' is contrasted with *zamānak 'ān i 'dēvān* (1. 20) 'the time of the demons'.

[9] v. esp. texts Z 15, 20, 22.

[10] Text Z 23, § 53 ff.

(*b*) *The Mazdean Cosmology*

In the accounts of the creation that have come down to us it is not always easy or possible to draw a clear distinction between what may be called Mazdean and what may be called Zervanite. The *Indian Bundahišn*, however, pays little attention to Time (Zurvān) and, with a few modifications, may therefore be taken as our basic text for the Mazdean cosmology. To this we must now address our attention.

In the beginning Ohrmazd was on high and dwelt in the Endless Light: he was characterized by omniscience and wisdom which some call Religion (*dēn*). Ahriman was in the depths and dwelt in the Endless Darkness: he was slow in knowledge and his will was to do harm. Between the kingdoms of light and darkness was the Void which some call Vāy.[1] This, briefly, would seem to be the Mazdean view of the universe before Ahriman's attack on the kingdom of light and the creation consequent on it.

The *Indian Bundahišn* has, however, borrowed some Zervanite motifs and combined them with the orthodox Mazdean version. It was faced with the task of reconciling two religions which were irreconcilable. One had elevated Time above Ohrmazd and Ahriman and made it the supreme deity and first cause: this God was tetramorphous, comprising time, space, wisdom, and power:[2] standing above good and evil, he was indifferent to both. As Infinite Time he was eternal and eternity.[3]

The Mazdeans, on the other hand, acknowledge two principles, Ohrmazd and Ahriman. With the first was associated all that was good and beautiful; with the second all that was evil and foul. Neither could claim to be infinite since both ruled in their respective kingdoms and between them was the Void. How were these points of view to be reconciled? and what part was to be assigned to Time and Space in the new syncretism? The author of the *Šikand Gumānī Vazār* may, in this respect, be regarded as the most 'orthodox' interpreter of the Mazdean view, for he strips Time of all the attributes and functions with which the Zervanites had enriched it. Time and Space—or the Void as he calls it, though he obviously does not use the word in the sense of the 'open space' between the kingdoms of light and darkness—are, according to him, alone infinite:[4] the infinite is not susceptible of division[5] but is an essence pervading everything.[6] The two

[1] Z 1 (GrBd., chap. i), §§ 2–4.

[2] v. Chapter VIII.

[3] Text Z 20, para. 2, 'Infinite Time the essence of which is eternity'.

[4] Z 23 (= ŠGV. 16), § 53.

[5] Ibid., §86.

[6] Ibid., §102.

opposing powers are not infinite;[1] nor is the wisdom of Ohrmazd infinite, for it is confined to the possible: he can have no knowledge of the impossible. He cannot be infinite, for, if he were, he would not be aware of his infinity. The infinite can by definition not be comprehended; therefore it is incomprehensible to the intellect of the deity too.[2] All that can be predicated of it is that nothing can exist without it and that it can never be understood.[3]

In his treatment of the Infinite Mardān-Farruχ, the author of the *Šikand*, is at variance with all the other Mazdean writers; for he does not admit the possibility of the limitation of Time—Time and Space being infinite. In so doing he would seem to deny the doctrine, found in all the other sources, that Time was created finite from infinite Time and that after twelve thousand years it would merge again into the infinite. In so doing he effectively rid the Mazdean system of Zurvān, the god of Time; for according to him the latter, being infinite, was consequently incomprehensible and uncomprehending: it had no sort of control over human affairs, was without power, pervading the universe but not affecting it. For him, a Mazdean dualist and a rationalist, the question of infinite Time was of less than academic interest. Discussion of so intricate and vague a subject seemed to him only to confuse the minds of the intellectually immature.[4] As Zervanite doctrines can only have brought confusion into the Zoroastrian Church, he was prepared to eliminate the offending deity altogether, especially since he lived at a time when his Church was gradually being destroyed by the proselytizing zeal of an aggressive monotheistic creed. At such a time, he must have thought, the luxury of doctrinal fluidity could ill be afforded.

Mardān-Farruχ was a dualist and a rationalist, and his solution of the question of Zurvān-Time was reached in accordance with his philosophy. The author of the *Bundahišn* was a dualist and a traditionalist. In the latter capacity he had inherited doctrines which were incompatible. On the one hand he had been taught that the Cosmos as we know it had arisen out of the mixture of two eternally hostile principles and that these principles were of different substance and in origin entirely distinct: on the other he had learnt that Zurvān-Time stood above both these, that he manifested himself as fate and thereby controlled human destinies.[5] Though at his time the doctrine that Zurvān was the father of the two opposing spirits had, in all probability, been proscribed,[6] the Zervanite party within the

[1] Text Z 23, § 96.
[2] Ibid., § 66 ff.
[3] Ibid., § 103 ff.
[4] Ibid., § 105.
[5] *v. infra*, Chapter X.
[6] Probably under Xusrau I; cf. *supra*, p. 48.

Church would still seem to have been strong enough to be worth conciliating. A compromise had therefore to be sought. Let us see how the author of the Mazdean account of the creation found in the *Bundahišn* effected this.

From the Zervanites he probably learnt that their supreme god, Zurvān, comprised Time, Space, Wisdom, and Power.[1] In the Mazdean system Ohrmazd was the supreme deity, good, wise, and powerful. The later Mazdeans, then, tried to fuse the two deities into one and to make Time whom they now call simply *zamān* (the ordinary Middle Persian word for 'time') rather than the archaic *Zurvān*,[2] an hypostasis of Ohrmazd. Thus in the opening words of the *Bundahišn* we find that Time is exclusively connected with Ohrmazd and elsewhere it is described as the eternity of Ohrmazd:[3] 'Ohrmazd and the Space, Religion, and Time of Ohrmazd were and are and ever shall be.'[4] On this point the *Dēnkart* is not consistent, for it refers to Time as the eternity of Ohrmazd, but also speaks of it as being common to Ohrmazd and Ahriman.[5] The latter view is obviously Zervanite in origin.

The same tendency is perceptible in the case of Space, for it tends to be identified with the Endless Light which is the place of Ohrmazd.[6] Such an identification is, of course, logically untenable since Space must also comprise the Endless Darkness and the Void between the light and the darkness. As we shall have occasion to discuss the fusion of the personalities of Zurvān and Ohrmazd in a later chapter, no more need be said here.

After describing the original condition of the Cosmos, the *Bundahišn* interposes a digression on the infinite and the finite,[7] the object of which seems to be to associate Ohrmazd with the first and Ahriman with the second. In space the Endless Light is infinite in an upward direction but bounded on the nether side by the Void: similarly the Endless Darkness is infinite in a downward direction but finite on the upper side. The two Spirits themselves are both finite and the omniscience of Ohrmazd is also finite, being confined only to what is made possible by the terms of the treaty which is subsequently made between the two Spirits.[8] By this it is probably meant that the prescience of Ohrmazd is bounded by natural law

[1] *v. infra*, Chapter VIII.
[2] v. p. 81, n. 2.
[3] Texts Z 15, 22.
[4] Z 1, § 2.
[5] v. p. 90, nn. 8, 9. Worthy of attention because of its oddity is the attempt of DkM. 23. 12 (text 12, § 5) to reconcile the two points of view. Two facts had to be faced, first that Ohrmazd was the supreme deity and good, and second that Time comprised both good and evil. Thus the author of the *Dēnkart* invents the ingenious myth according to which Ohrmazd is said to have dyed Time with colour—with good and evil!
[6] Cf. *infra*, p. 201.
[7] Z 1, § 5.
[8] The terms of the treaty are inviolable—'and till it is completed no one can change it or make it different' (text Z 8, § 9).

which can be transgressed by neither side in the cosmic battle. The question of the treaty will receive our attention later.

In Time the creation of Ohrmazd is regarded as infinite in futurity since it will rule supreme in the end for ever and ever; but the creation of Ahriman is finite since a time will come when it will be destroyed. Thus the Mazdeans were able to conceive of infinity in one direction only; in space infinite height starting from a given lower line; in time infinite futurity starting from a fixed moment. In this they were followed by the Muhammadans, who distinguish between *azal* 'eternity without beginning' and *abad* 'eternity without end'.

Though separated by the Void from the kingdom of Ahriman, Ohrmazd, being omniscient, knew of it and was aware that once Ahriman had seen his kingdom he would attack. Ahriman meanwhile was prowling about in the darkness, ignorant of the existence of Ohrmazd and the light.[1] When he reached the border, however, he saw a point of light; and having seen it, he desired it and envied it: and being envious he sought to destroy it. Realizing in time that Ohrmazd was more powerful than he, he plunged back into the darkness to fashion weapons with which to attack his rival. Ohrmazd meanwhile created the 'ideas' or unseen prototypes (*mēnōk*) of the sky, water, earth, plants, cattle, man, and fire: for three thousand years these remained motionless.

In his account of these events Zātspram differs slightly from the *Bundahišn*. According to the latter the mere sight of Ohrmazd and his 'ideal' creation was enough to convince Ahriman that an attack on them would be foolish in the extreme: but in Zātspram's account Ohrmazd, perceiving that Ahriman had reached the border and that an attack was imminent, forestalled his adversary and himself joined battle: 'by the pure word of the Law he laid him low and hurled him back into the darkness.'[2] The episode, recorded by Zātspram alone, is likely to be of Zervanite origin. We shall discuss it later when we come to deal with the cosmic period of twelve thousand years.

As the spirits were fashioning their respective creations, they observed each other at work: but whereas the creation of Ahriman seemed frightful and evil to Ohrmazd, Ahriman, against his will, was forced to revere the creation of Ohrmazd, for it was 'profound, victorious', and 'informed of all'.[3] At this point Ohrmazd offered peace to Ahriman and invited him to co-operate with him in the work of creation: in return for his co-operation Ahriman would be 'deathless and unageing, uncorrupting and undecaying'.

[1] See note D, p. 104.
[2] Z 4, § 4.
[3] Z 1, § 8.

But by his very nature Ahriman could not accept, for his desire is to hurt. Thus he refused to help, and threatened to destroy the creation of Ohrmazd, to bring his creatures to hate him and to seduce them to his own allegiance. This he did because he was convinced that Ohrmazd's offer was merely a sign of weakness and that he was therefore imperfectly armed for the battle.[1]

With the rejection of his offer, Ohrmazd realized that there was only one expedient: he must fashion forth Time, that is to say, he must create a period of nine thousand years in which the great cosmic battle should be fought: otherwise the struggle would be everlasting. By fixing a definite period he would thus force the powers of darkness to show their hand: the issue would become acute,[2] and a decisive struggle in which he was sure of victory would remove the danger of further attack on himself and his creation for ever. He therefore proposed a period of nine thousand years to Ahriman and the latter accepted the challenge. Ohrmazd, however, knew that of the 9,000 years 3,000 would pass entirely according to his own will, 3,000 would be filled with struggle, while in the last 3,000 Ahriman would finally be made powerless.[3]

Simultaneously with the creation of the period of nine thousand years he chanted the *Ahunvar* prayer by which he revealed to Ahriman his own final victory, the defeat of Ahriman and destruction of the demons, and the eventual immunity of all creatures from the attacks of the powers of darkness. This revelation was a crushing blow to Ahriman: he swooned and fell back into the darkness and lay there unconscious for three thousand years.[4]

In his account of the creation of the world-period Zātspram again differs; and on this occasion there can be no doubt that he draws on a Zervanite source. 'Ohrmazd, in his spiritual wisdom,' he says, 'saw that what Ahriman had threatened, he could do unless the time of the conflict were limited. He begged Time (*zamān*) to aid him, for he saw that through no intermediary belonging to the light would (Ahriman) desist. Time is a good helper and right orderer of both: there is need of it. (Ohrmazd) made it in three periods, each period three thousand years. Ahriman desisted.'[5] Up to this point not a word has been said about the existence of Time; yet we are here suddenly confronted with an almost personified conception of that deity. Moreover, he appears to be more powerful than either Ohrmazd or Ahriman, for Ohrmazd approaches him as a suppliant. He is thoroughly

[1] Z 1, §§ 9–12; cf. Z 4, §§ 5–7.
[2] Admirably expressed by Nyberg, CCM. 1931, p. 39: 'Le plan d'Ormuzd vise à tirer l'ennemi de son état caché, à rendre aigu, pour ainsi dire, le mal.'
[3] Z 1, §§ 12–14.
[4] Ibid., §§ 15–16; cf. Z 4, §§ 12, 24.
[5] Z 4, §§ 8–9.

alarmed by Ahriman's threats and realizes that they can indeed be put into practice unless Time comes to his aid. Thus, though Zātspram has hitherto followed the orthodox Mazdean version of the cosmogony, he now speaks as a Zervanite, for he tacitly assumes the pre-existence of Zurvān-Time and envisages him as a deity whom both Ohrmazd and Ahriman need[1] and whose assistance they must solicit.[2] What is even more curious, he does not conceive of him as being intimately connected with Ohrmazd, much less as his hypostasis as the *Bundahišn* does; for he implies that he is not a deity of light[3] and is therefore essentially different from Ohrmazd whose place is the Endless Light. We can then scarcely avoid the conclusion that Zātspram, whose heterodoxy in other matters caused grave concern to his brother, Mānuščihr,[4] was a Zervanite at heart; for though he nowhere states that Zurvān is the father of the two Spirits, he seems to write on this and other occasions as if that myth were already known. How else can we explain the sudden appearance of the god Time who controls the activities of both Spirits and is not a god of light, but apparently more powerful than the principles of light and darkness?

We now come to the problem of the cosmic period. The difficulty is that our sources do not agree about its length: some mention the figure 9,000 and others 12,000 years. On the grounds that the figure of Eznik, Plutarch, and the *Mēnōk i χrat* was 9,000, Benveniste concluded that this was the properly Zervanite figure:[5] he did not, however, attempt to explain why this figure should have been selected. Nyberg, on the other hand, maintained that 12,000 must be the Zervanite figure,[6] that is the figure given by the *Bundahišn*—9,000 years conflict preceded by 3,000 years creation of the 'ideal' world. As Nyberg rightly points out, it is impossible not to find here an allusion to the number of the Signs of the Zodiac. This supposition, as he justly remarks, is confirmed by the evidence of the *'Ulemā i Islām* where each millennium is placed under one of the constellations.[7]

[1] On the need that everything has of Time cf. text Z 14: 'The existence of all has need of Time. Without Time one can do nothing that is or was or shall be. Time has need of none of these for anything.'

[2] According to the *'Ulemā* (Z 37, § 14) Time helps Ahriman as well as Ohrmazd.

[3] Cf. our remarks, pp. 55 ff.

[4] In the *Epistles of Mānuščihr* Zātspram is accused of trying to abolish the *Bareśnūm* ceremony: it would appear also that he had had intercourse with a Turkish tribe called Tuγazγaz (Mān. 2. 1. 12) who, according to Mas'ūdī, were Manichaeans (v. further Minorsky, *Ḥudūd al 'Ālam*, pp. 263–77). v. Dhabhar's introduction to the *Epistles*, esp. pp. 10 ff.: it is unfortunate that the letters are so obscure as to yield very little sense.

[5] *The Persian Religion*, pp. 107 ff.

[6] CCM. 1931, p. 57. Junker, *Aionvorstellung*, p. 172, takes 12,000 years to be the length of *zamān i dērang-χᵛatāy* and suggests that the first three thousand years may, in the Zervanite account, have been favourable to Ahriman; cf. our remarks below.

[7] *'Ulemā* (Z 37), § 13 ff.

One may add with equal truth that the great cycle of 12,000 years corresponds to the year with its twelve months; for Bērūnī mentions in connexion with the religion of the Magians a cycle of '12,000 years, corresponding to the number of the Signs of the Zodiac and of the months'.[1] In view of the close connexion of Zurvān with the firmament[2] which is disputed by none, it would seem that Nyberg's view is certainly right.

Let us now examine the evidence. The figure 12,000 is given by the *'Ulemā* and the Zervanite fragments of the *Greater Bundahišn*, and by Bērūnī. The figure of the *Bundahišn* cosmology and of Zātspram is 9,000 years of strife in addition to 3,000 years of 'ideal' creation; an aggregate, therefore, of 12,000 years.

The figure 9,000 is given by Eznik, Theodore bar Kônai, and Šahristānī[3] among the non-Zoroastrian sources, and by the *Mēnōk i χrat*[4] and the *Dātastān i dēnīk* (36.9), while the account of Plutarch speaks of the two deities as ruling in turn for 3,000 years each plus a further 3,000 years in which the two become disentangled.[5]

Besides these Theodore Abū Qurra[6] gives the figure 7,000 years, in this case therefore corresponding to the planets rather than the Signs of the Zodiac.[7] Šahristānī also gives this figure in his account of the Gayōmarθiyya[8] and in this the *Bahman Yašt* seems to agree with him.[9]

That 12,000 is the Zervanite figure seems proved by its occurrence in the *'Ulemā* and the Zervanite part of the *Greater Bundahišn* and by Bērūnī's statement that the number twelve corresponds both to the Signs of the

[1] *Chronology*, Sachau, p. 14: translation, p. 17.

[2] The firmament itself is compared to the year: cf. GrBd. 27. 8: *sitīkar 'ēn spihr 'pat humānākīh ⟨i⟩ 'sāl-ē 'nihāt, 12 aχtar čēyōn 12 'māhīkān, 'har aχtarīk 30 sus(?) čēyōn 'har 'māh-ē 30 'rōč-šapān.*—'Third he made the firmament like the year, the twelve constellations like the twelve months, and the thirty degrees of each constellation like the thirty days and nights in each month.'

sus: on the reading of this word v. Henning, JRAS. 1942, p. 238.

[3] Texts F 1, §§ 78–79; F 4, § 5.

[4] Texts Z 8, § 9; Z 24 (*a*).

[5] Text G 4. Such seems the obvious interpretation of the Greek. Junker, however, (*Aionvorstellung*, p. 145) against Söderblom (*Hoshang Memorial Volume*, Bombay, 1918, p. 228), supposes it to mean that one god rules for 3,000 years while the other is ruled, and that 3,000 years of battle follow. This view does not correspond to any of our other sources and has not been followed.

[6] Text F 2.

[7] Cf. Cumont, 'La Fin du monde selon les mages occidentaux', RHR. ciii, pp. 56 ff.; Bidez–Cumont, *Mages*, ii, p. 78, n. 22: Reitzenstein, *Studien zum antiken Synkretismus*, pp. 45–47.

[8] Cureton, p. 182; Haarbrücker, p. 276. The existence of a separate sect called 'Gayōmartians' is rightly disputed by Schaeder, *Studien*, p. 238.

[9] *Bahman Yašt*, ch. iii. So Reitzenstein, op. cit., p. 45, who thinks rightly that the tree seen in a dream by Zoroaster which has seven boughs made of different metals (gold, silver, and so on in descending order) refers to cosmic periods of a thousand years each, and that each millennium is ruled by a planet. According to the *Bahman Yašt* these branches are 'periods' (*ōβām*), and the tree is the material world (*gētēh*).

Zodiac and the months of the year: it will be noticed later that the 'Spirit of the Year' plays a part in Zervanite cosmology. The wording of the *'Ulemā* leaves no doubt on this point whatsoever: 'and Ohrmazd made Time of the long Dominion manifest which has the measure of 12,000 years, and within it he attached the firmament, the artificer.'[1] On the other hand, there is no reason whatever to attach any importance to the figure 9,000 of the *Mēnōk*, as this refers to the term covered by the treaty (*patmān*) made between Ohrmazd and Ahriman, not to the complete period covered by the 'manifestation' of Time of the long Dominion (*zamān i dērang-χ^{v}atāy*). In the Mazdean cosmology of the *Bundahišn*, a digest of which we have just presented, the same figure occurs, while the preceding 3,000 years are devoted to the 'ideal' creation.

The account of Eznik and Theodore bar Kônai, however, presents serious difficulties, for here Zurvān gives sovereignty to Ahriman for 9,000 years: yet Eznik's myth is beyond all doubt Zervanite. But this is equally true of the *'Ulemā*; and Benveniste in his treatment of the problem seems to overlook this fact. We must therefore admit that both figures appear in Zervanite accounts and try to find an explanation on this basis.

In Eznik's myth sovereignty is given to Ahriman for 9,000 years with the proviso that after the lapse of this period Ohrmazd will do everything according to his will. The Mazdean cosmology of the *Bundahišn*, however, says: 'this too did Ohrmazd know in his omniscience, that within these 9,000 years 3,000 would pass entirely according to the will of Ohrmazd, 3,000 years in mixture would pass according to the will of both Ohrmazd and Ahriman, and that in the last battle the Destructive Spirit would be made powerless and that he himself would save creation from aggression.'[2] With this account Plutarch substantially agrees.

Though granting the essentially Mazdean nature of the *Bundahišn* account, may one not conclude that the last three millennia in which the powers of darkness are finally routed corresponds to the period in Eznik's myth in which Ohrmazd does everything according to his will? The first 3,000 years in which, according to the *Bundahišn*, Ohrmazd does as he pleases, may well have been less comfortable for him in the more pessimistic Zervanite doctrine. Indeed this seems to be implied in a passage in the *Mēnōk* in which it is said that Ohrmazd sees Ahriman afflict his creatures with misery but only retaliates in accordance with the law and patiently.[3] In other words, Ahriman has the best of the battle for 3,000 full years

[1] Z 37, § 12.
[2] Z 1, § 14.
[3] Mχ. 28 (Z 24 (*a*)): 'Ohrmazd, the Lord, is the most patient; for for nine thousand years he sees Ahriman (inflict) misery on his own creatures, yet he does not smite him except with justice and patiently.'

before the treaty is made (assigned to the creation of the 'ideal' world in the Mazdean system) and for 6,000 years after.[1]

At this point we must again return to the *Bundahišn* and Zātspram. We have already seen that the latter speaks of a first battle between the two Spirits before the 'ideal' creation, that is at the very beginning of the 12,000 years' period. In this it is said that Ahriman was repulsed 'by the pure word of the law'.[2] Now the 'pure word of the law' is simply another way of speaking of the *Ahunvar*, the most holy and potent of the Zoroastrian prayers, by means of which Ohrmazd hurls Ahriman back into the darkness after his second assault. It is then probable that Zātspram has substituted the repulse of Ahriman by the pure word of the law for some other myth less agreeable to Ohrmazd. The *Bundahišn* seems to bear this out.

There we read that after the first three thousand years Ohrmazd offered peace to Ahriman and that the latter haughtily refused thinking that Ohrmazd was defenceless and weak.[3] Yet if Ohrmazd had already inflicted one crushing defeat on his adversary and was himself fully equipped for further battle, and if all the time he knew in his omniscience that Ahriman would in any case be defeated, it is difficult to see what reason he could have had for offering a peace which would not particularly benefit himself and which he knew would be rejected. Do these inconsistencies, then, conceal a Zervanite myth in which Ahriman, not Ohrmazd, was the victor during the first three millennia?

Such an hypothesis is strongly supported by the evidence of Šahristānī. This author mentions an attack of Ahriman's in which Ohrmazd is routed: 'and the Light fled with its angels, and Satan pursued it till he hemmed it in in its garden (paradise) and did battle with it for three thousand years, though Satan did not attain to the Lord Most High.'[4] This attack, it should be noted, takes place before the treaty between the two Spirits is made, for Šahristānī goes on to say: 'Then the angels mediated and made peace (between them) so that the Devil and his hosts should dwell in the light for nine thousand years including the three thousand years in which he did battle with him.' It is true that the attack is represented as being directed primarily against the sky and earth, and is therefore certainly to be identified with Ahriman's successful onslaught on the material creation vividly recorded in the fourth chapter of the *Greater Bundahišn*: but this is probably a confusion on Šahristāni's part. What is really valuable, however, is that he tells us of an earlier and successful attack by the powers of darkness preceding the treaty drawn up between the two Spirits. Thus, in

[1] For the ultra-Zervanite doctrine of Ahriman's sovereignty over this world *v. supra*, pp. 69 ff.
[2] Cf. p. 94.
[3] Z 1, § 10.
[4] F 4, § 4.

the light of what he says, Ohrmazd's anxiety to come to terms with his adversary is very understandable: he had suffered a heavy defeat at the hands of Ahriman and was therefore only too pleased to offer a truce.

With these facts in mind we are now in a position to reconstruct the sequence of events during the 12,000 years' period according to the Zervanite interpretation. Broadly speaking it may be said that according to the most pessimistic view Ahriman reigns for a full 9,000 years and that only in the last three millennia is Ohrmazd finally victorious. According to the less pessimistic view Ahriman scores an initial victory in the first tri-millennium after carrying out a successful attack on the 'ideal' creation of Ohrmazd: in the second tri-millennium Ohrmazd offers a truce which is finally accepted: a treaty is made by which the struggle is limited to 9,000 years: Ohrmazd chants the *Ahunvar*, thereby revealing the final defeat of Ahriman: Ahriman loses consciousness and is defeated for the time being. In the third tri-millennium Ahriman again attacks, but this time he concentrates on the material creation which he defiles and torments: in the last Ahriman is finally subdued.

Knowing the Zoroastrian tendency to manufacture exact contrasts between the activities of the two Spirits, I would suggest that Ahriman's attack on the 'ideal' creation took the form of uttering a lie, the demoniac counterpart of the *Ahunvar* prayer which is the utterance of truth. This seems to be corroborated by the curious fact that in the Zervanite fragments of the *Greater Bundahišn* the creation of 'Lying Speech' is mentioned *before* that of 'True Speech' from which the *Ahunvar* proceeds.[1] In every other case the creations of Ohrmazd precede those of Ahriman. If Ahriman made use of Lying Speech at an earlier date with the same effect as that produced by Ohrmazd's subsequent use of the *Ahunvar*, this singular transposition becomes significant. It will, moreover, be recalled that in Eznik's myth Ahriman's first action was to lie to his father, Zurvān, by asserting that he was Ohrmazd.

With regard to the thousand years' sacrifice performed by Zurvān in its relation to the 12,000 years' period, it seems probable that this is not included: for the '*Ulemā*, the only source which contains both traditions, speaks of the creation of Time of the long Dominion, that is the 12,000 years' period, as being subsequent to the genesis of Ohrmazd and Ahriman. This point is emphasized by Eznik, who argues that it would be impossible to sacrifice for a thousand years before the creation of the Sun and Moon through which time proper is manifested.[2]

[1] Z 1, §§ 28–29.

[2] Eznik, ii. 3 (Venice, 1926, p. 131; Schmidt, p. 97; Langlois, ii, p. 376): 'And again, if the sun and moon, by which the hours, days, months and years are reckoned, had not even come into existence, whence did the thousand years appear? for the luminaries did not exist which control the number of the days and months and years.'

The actual treaty between Ohrmazd and Ahriman is again probably Zervanite in origin, for according to Zātspram it is Zurvān who brings it about.[1] Though we shall discuss the whole matter when we come to deal with the Zervanite fragments of the *Greater Bundahišn*, one point deserves to be mentioned here. Šahristānī, in his account of this episode, tells us that 'the angels mediated and made peace (between them)'.[2] Who were these angels? Now Benveniste, in his treatment of Plutarch's account of the religion of the Magians, has drawn attention to the fact that Mithra is there described as μεσίτης.[3] Following this up he rightly adduced the testimony of Eznik, who describes a Magian myth in which the Sun (*χᵛaršēt*) acts as mediator between Ohrmazd and Ahriman (text F 11). The myth tells us that Ahriman invited Ohrmazd to a feast, but that Ohrmazd would not partake of it unless their sons should first have struggled together. In the ensuing battle Ahriman's son is triumphant. Seeking a judge they could not find one; so they created the Sun to be a judge over them. This battle must be identical with that described by Šahristānī, that is the battle which took place before the treaty was concluded, the onslaught of Ahriman on the 'ideal' creation of Ohrmazd. We can therefore conclude that Eznik's account is a popular version of the original battle between the two Spirits. Eznik is not slow to point out that this myth is inconsistent with another according to which the Sun was produced by the incestuous intercourse of Ohrmazd with his mother.[4] The inconsistency, however, disappears if for the Sun we substitute Mithra (Mihr), as Benveniste rightly did.

During the Sassanian period Mithra had become a purely solar deity and might therefore be confused with the Sun. He is a god of contracts and therefore eminently suited to the work of arbitration. Further, Eznik uses the Iranian word *datawor* for 'judge', and this very word is used in the Pahlavī texts in connexion with Mithra. Thus we read: 'We praise and invoke the creator, Ohrmazd, . . . in that he fashioned thee forth, O right-dealing Mihr (Mithra) of wide pastures, for thou art a just judge (*dātaβar*) and wakeful, for thou dost work justice (*dātaβarīh*) and just *mediation* (*miyānčīkīh*) among spiritual and material creatures.'[5] That Mihr, who is

[1] Z 4, § 29; Z 5 (*a*), § 35.

[2] F 4, § 5.

[3] *The Persian Religion*, pp. 89 ff.

[4] Cf. texts F 5, 6, 7 (*a*); further *infra*, pp. 147 ff.

[5] ZXA., p. 241: *stāyēm 'ut āzbāyēm dātār Ōhrmazd . . . 'kaδ-aš frāč brēhēnīt 'tō, kirp⟨ak⟩-gar Mihr i frāχᵛ-gōyōt 'kaδ rāst dātaβar 'ut *ōšōmand* (so Pāz.) *'hēh 'ku 'pat mēnokān 'ut gētēhān dātaβarīh 'ut miyānčīkīh rāst 'kunēh.*

here called 'mediator' as in Plutarch, is indeed identical with the 'Sun' of Eznik's account can therefore scarcely be doubted. A passage in the *Bahman Yašt* is conclusive. Here we see Mihr exercising his office as judge between the two Spirits, for Ahriman has broken the treaty: 'The accursed Destructive Spirit cries out to Mihr of wide pastures (saying), "Rise up in righteousness, O Mihr of wide pastures." Then Mihr of wide pastures cries out (saying), "Of those nine thousand years which were agreed upon, up till now Dahāk of evil religion and Frāsyāβ, the Turanian and Alexander the Macedonian and the demons with leather belts and dishevelled hair have ruled for a thousand years more than the treaty (allowed for)." The accursed Destructive Spirit is laid low when he hears these words.'[1] It will be seen that according to this account Ahriman breaks the treaty and rules for a thousand years more than is his due: he extends his sway into the first millennium when Ohrmazd should finally triumph. Mihr, however, in his capacity of mediator, holds him back and sees that the terms of the treaty are not infringed. As god of treaties Mihr is called *harvisp-patmān* 'he who deals with all treaties'.[2]

Šahristānī, however, speaks not of one mediating angel but of several. The *Bundahišn* mentions three 'judges' (*rat*) who are needed for the material world and will carry all evil away from it in the last days.[3] These judges must surely correspond to the mediating 'angels' of Šahristānī and the *datawor* of Eznik. One we know to be Mihr whose eschatological function is to smite Ēšm, the demon of wrath.[4] Since the number is three, we may be sure that the other two judges are Srōš and Rašn: as gods of justice the three are very closely connected.[5] Srōš is even more intimately connected with the *patmān* or treaty (mean or norm) than Mihr; for he is the genius of *patmān* and as such will smite Āz at the end of the world—Āz being the demon of concupiscence, of excess and deficiency.[6] Even in the

[1] 7. 31–33 (Anklesaria): *vāng 'kunēt Ganāk Mēnōk i druvand 'ō Miθr i frāχᵛ-gōyōt 'ku 'pat rāstīh 'ul 'ēst, 'tō Miθr i frāχᵛ-gōyōt. 'pas Miθr i frāχᵛ-gōyōt 'vāng 'kunēt 'ku 'ēn 9000 'sāl pašt 'i-š kart, 'tāk 'nūn Dahāk i dušdēn 'ut Frāsyāβ i Tūr 'ut Alaksandar i Hrōmāyīk 'ut 'avēšān duvāl-kūstīkān 'dēvān i vičārt-vars 1000 'sālān ōβām vēš 'hač patmān χᵛatāyīh kart. sturt 'bavēt 'ān druvand Ganāk Mēnōk 'kaδ ētōn ašnūt.*

[2] *Miθr Ny.* § 14 (ZXA., p. 25).

[3] Z 1, § 31.

[4] According to the *Bahman Yašt*, immediately following the passage quoted in n. 1, *Miθr i frāχᵛ-gōyōt 'bē 'zanēt Ēšm i χrudrafš.*—'Mihr of wide pastures smites Ēšm of the bloody banner.' This function is elsewhere ascribed to Srōš, who is the adversary of Ēšm *par excellence*. The intimate connexion between Mihr and Srōš, both in the Avesta and the later texts, has long been recognized.

[5] The connexion is first to be seen in *Mihr Yašt* 100, where Srōš is described as riding on the right and Rašn on the left of Mihr. v. further text Z 7, § 5.

[6] Z 5 (*a*), § 44. The destruction of Āz by Srōš seems to be a wholly Zervanite episode, for it is not found in the *Dātastān i dēnīk*: usually his adversary is Ēšm, and him he destroys at the end of the cosmic period: v. further Chapter VII.

Avesta he is described as 'watching over the treaties and compacts between the Lie and the Most Bounteous',[1] that is Ohrmazd and Ahriman. If Mihr and Srōš are the first two judges, there can be no doubt that Rašn is the third, since he is the judge *par excellence*, and it is his function to weigh up the good and bad deeds of the dead. As judge he appears with both Mihr and Srōš.[2] Mihr, Srōš, and Rašn are therefore the three just ones whose duty it is to see that the treaty between Ohrmazd and Ahriman is not infringed. Though the *Bundahišn* says that the three judges were created by Ohrmazd and Eznik represents the Sun (which takes their place) as being a joint creation of Ohrmazd and Ahriman, it is not too bold to suggest that the original creator of the three judges was Zurvān himself, for he is the principle of justice[3] and as such would naturally create the deities whose duty it is to uphold the treaty for which he was himself responsible.

We must now return to the cosmology of the *Indian Bundahišn* which is here quite free from Zervanite ideas. After making Ahriman powerless for three thousand years, Ohrmazd fashions forth the six Amahraspands, Vahuman, Artvahišt, Šaθrēvar, Spandarmat, Hurdāt, and Amurdāt. Ahriman then creates six counter-Amahraspands. Corresponding to the six Amahraspands Ohrmazd creates the material world, first the sky, second water, third the earth, fourth plants, fifth cattle, and sixth man. This is the standard Mazdean account of the material creation and so, briefly and clearly, is it told by the *Indian Bundahišn*.[4]

NOTES TO CHAPTER IV

A. On the difference of opinion among Zervanites on the subject of the origin of Ahriman v. '*Ulemā i Islām* (text Z 37, § 24): 'One party says that it (Time) created Ahriman so that Ohrmazd should know that Time has power over (all) things: another says that there was no need to create him, and that Time said to Ohrmazd, "I have power to do this without bringing pain upon Ohrmazd and ourselves": another says, "What pain or pleasure has Time from the evil of Ahriman or the goodness of Ohrmazd?" Another says that it created Ohrmazd and Ahriman so that it might mingle good and evil, and that things of different kinds and colours might come into existence: another says that Ahriman was an honoured angel, and that because of disobedience of which he had been guilty, he became the target of malediction.' The last theory has plainly been influenced by the Jewish idea of the disobedience of Lucifer.

B. The text is as follows: (77) *pairiθwō bavaiti paϊtā̊ | yim dānuš pāiti [frā bunāṯ] tačiϊtiš: | hā̊ diṯ aēvō apairiθwō | yō vayaoš anamarəždikahe.* (78) *pairiθwō* &c. . . .

[1] Yt. 11. 14: *sraošəm ašīm . . . yazamaide | yō āχštišča urvaitišča | drujō spasyō spəništahe.* Cf. Benveniste, op. cit., p. 92. He was the first to emphasize the importance of this passage.

[2] PhlTexts, 156. 7; Dd. 13. 3, where Srōš and Rašn judge those who have sinned against Mihr.

[3] *v. supra*, p. 58.

[4] The much fuller account of the *Greater Bundahišn* will be discussed in the next chapter.

yim ažiš pāiti gāu-stavâ | aspaŋhāδō vīraŋhāδō, | vīraǰa anamarəždikō. | hâ diṯ &c. . . . (79) *pairiθwō* &c. . . . *yim arəšō pāiti aχšaēnō | anamarəždikō. | hâ diṯ* &c. . . . (80) *pairiθwō* &c. . . . *yim mašyō gaδō pāiti | aēvōǰanō (aivaǰā* Duchesne) *anamarəždikō. | hâ diṯ* &c. . . . (81) *pairiθwō* &c. . . . *yō haēnayâ čaχravaiθyâ | vyāzdayâ. | hâ diṯ* &c.

dānuš: for a detailed discussion of this term v. Wikander, op. laud., pp. 171–6. Wikander concludes that the meaning of *dānuš* is 'dragon's mother'.

C. Widengren, op. cit., p. 204, where a transliterated text and translation of the relative text (DkM. 817. 12 ff.) will be found. It would not, perhaps, be out of place if some suggestions were made relative to the transliteration and translation of that text, for the author has left many queries which it would now seem possible to eliminate. The word he reads as *ōspēnītan* must be read either as *hangēžēnītan* or **ōstēnitan*: it is the technical term for raising the dead at the final resurrection. The GrBd., for instance (p. 223), varies between *hangēž-*, *hangēžēn-* (with the diacritical marks), and *ōstēn-*: both mean 'raise up'; but the former is to be preferred since the Pārsī texts, including the *'Ulemā* have *angīzīdan*.

For the ideogram *ŠKBHWN-* I suggest that *sāy-* should be read, not *šat-* or *hil-* as Widengren (v. text Z 6, l. 2, note): the meaning is, of course, 'lie down'. For *rāvēnītār* I should prefer to read *rānēnītār*; cf. NP. *rāndan*. As a translation of DkM. 817. 17–818. 1 the following may be of service: 'And (concerning) his going along with the men of Īrān skilled in the assembly to that place where the immortal Haŋišti Gəurvąn lay in a cave, and his raising him up; and his going with him to that place where Tōs who drives the battle on, lay in a cave, and his raising him up; and his going with him to that place where Kay Apivah lay, and his raising him up.' Cf. also Wikander, *Vayu I*, pp. 38 ff.

D. Z 1, §§ 6–7. For Ahriman's ignorance of the existence of Ohrmazd it is interesting to compare the Mandaean account of the King of Darkness, *Ginzā*, p. 278 (277. 19 in Lidzbarski's translation which I quote): 'Die Finsternis existiert in ihrer eigenen bösen Natur, heulende Finsternis, öde Dunkelheit, sie kennt weder Erstes noch Letztes.' The last remark is explained by the account of the omniscience of the King of Light; unlike the King of Darkness, he knew the first things and the last, the past and the future. 'Er wußte und erkannte, daß der Böse da ist' (line 22). Again the ignorance of the King of Darkness is illustrated in *Ginzā*, pp. 280–1 (translation, p. 279. 7 ff.): 'Er nahm Stolz an, erhob sich über alle und sprach: "Gibt es jemand, der größer ist als ich? Gibt es jemand, der mir gewachsen ist? Gibt es jemand, der größer ist als ich, ausgedehnter und trefflicher als alle Welten? Gibt es jemand, dessen Speise Berge sind, in dessen Bauch sich kein Blut findet? Sollte es jemand geben, der kraftvoller ist als ich, so will ich mich zum Kampfe mit ihm erheben, will mich erheben zum Kampfe mit ihm und sehen, woher seine Kraft kam."' Cf. ibid. 81. 27 ff.

CHAPTER V

COSMOLOGY, II

I. THE ZERVANITE FRAGMENTS FROM THE FIRST CHAPTER OF THE *GREATER BUNDAHIŠN*

BETWEEN its account of the conclusion of the treaty between Ohrmazd and Ahriman and that of the material creation, the *Greater Bundahišn* inserts a long passage which is decidedly Zervanite in character. This passage may be divided into five sections: the first (§§ 20–21) is of little immediate interest in that it merely repeats the story of the fashioning forth of finite Time with which we are already familiar. The second (§§ 22–25) gives a detailed account of the creation and powers of *Zamān i dērang-χᵛatāy* 'Time of the long Dominion', itself identical with finite Time: the third (§§ 26–27) is a fragment of Zervanite cosmogony: the fourth (§§ 28–30) is also cosmological, but is in a state of appalling confusion. The fifth (§§ 31–32) deals with the creation of the Amahraspands and the 'Judges'.

Immediately preceding these fragments there is a passage which contains a very remarkable statement. It says that before the act of creation Ohrmazd was not *χᵛatāy* (Lord, or more literally 'having power of his own'), and that only after that act did he become *χᵛatāy*. This is slightly reminiscent of a passage in the *'Ulemā* where it is said that 'in spite of all the grandeur that surrounded it (*zamān*—Time), there was no one to call it creator: for it had not brought forth creation'.[1] Only after the initial act of creation did Time become creator 'and lord with regard to the creation it had brought forth'.

In the case of Ohrmazd there is a slight difference: it is not said that he was not creator before the act of creation—which should be sufficiently obvious: he was not *χᵛatāy*, that is he was not Lord by his own power: he did not in fact possess the quality distinctive of absolute deity (for *χudā*, the New Persian form of *χᵛatāy*, is the ordinary word for God). If, then, he was not *χᵛatāy*, it is legitimate to infer that there was some other deity superior to him who was *χᵛatāy*. This other deity would plainly be Zurvān; and it would therefore appear that the *Greater Bundahišn*, in these 'Zervanite' passages at least, tacitly assumes the priority of Zurvān over Ohrmazd.

In § 20 the author repeats his account of the fashioning of finite Time, but stresses the fact that only through Time could the creation of Ahriman be set in motion. The creation of finite Time would, so to speak, force

[1] Text Z 37, § 8.

Ahriman into the open: the attack of the powers of evil would therefore be more intense, but their final defeat would be the more rapidly assured, and the struggle would not be everlasting. According to Zātspram, 'Zurvān had power to set the creation of Ohrmazd in motion without giving motion to the creation of Ahriman.'[1] This he declined to do, though Zātspram does not state the reason. We are at liberty to surmise, of course, that Zurvān too, by setting the creation of Ahriman in motion, sought to shorten the struggle by making it more acute. But this is not a satisfactory explanation; for if Zurvān had given the creation of Ohrmazd the capacity of movement and denied it to that of Ahriman, Ohrmazd would obviously have obtained an enormous and immediate advantage. Why, then, did he not do so? If, as we have suggested, Zātspram is writing against a Zervanite background, the question is readily answered. He could not do so, because he had promised the sovereignty of the world for nine thousand years to Ahriman;[2] and if he were to enable Ohrmazd to wrest that sovereignty from him without fair battle, he would be guilty of breaking his promise and would thus violate his own nature which is Justice.[3] Or, again, he may have wished to reassert his power and thereby convince Ohrmazd that he had not abdicated all authority. The latter view is expressly mentioned by the *'Ulemā*, which states that he created Ahriman in order to manifest his power.[4]

(*a*) *Zurvān of the long Dominion*

We now come to the creation of *Zurvān* (*zamān*) *i dērang-χᵛatāy* or 'Time of the long Dominion' which is also called finite Time (*zamān i kanārakō-mand* or *zamān i brīn*).[5] This is the cosmic period of twelve thousand years.[6] It was fashioned forth from Infinite Time (*Zurvān* or *zamān i akanārak*): at the end of the cosmic period it mingles again with Infinite Time which is eternity.[7] Finite Time is conceived as revolving in a circle and returning to its own point of departure.[8] It would, however, be wrong to suppose that this circular movement of time is eternal: there seems to be absolutely no evidence for this in any Zoroastrian text. The Iranian theory of Time, therefore, is seen to have little or no affinity with the αἰών speculations of

[1] Text Z 4, § 28.

[2] *v. supra*, pp. 69 ff.

[3] For justice as the distinctive attribute of Zurvān v. pp. 58 ff.

[4] Text Z 37, § 24: 'One party says that (Time) created Ahriman so that Ohrmazd should know that Time has power over (all) things.'

[5] Text Z 1, § 22 and Z 20.

[6] This is clearly stated in text Z 1, § 24: 'From the Infinite it was fashioned finite; for from the original creation when creation was created until the consummation when the Destructive Spirit is made powerless there is a term of twelve thousand years which is finite.'

[7] See note A, p. 143.

[8] Text Z 20, § 2: 'This . . . concerns that which, revolving, returns to its beginning, Time.'

the Hellenistic world or with the ever-recurring *Kalpas* of the Hindus. At a given moment, finite Time comes into existence out of Infinite Time, moves in a circle until it returns to its beginning, and then merges into Infinite Time, that is Timelessness. The process is never renewed.

The whole process is philosophically dubious, and Mardān-Farruχ, who alone among Zoroastrian writers of the Pahlavī period can lay any claim to being considered a philosopher, takes violent exception to the idea that the Infinite can under any circumstances become finite.[1] In so doing he is theoretically attacking the Manichees, but his words apply equally to the theory of Time held by his own co-religionists, Mazdeans as well as Zervanites; for there is no reason to suppose that the idea of one cosmic period was specifically Zervanite. The Mazdeans accept the cosmic period as necessary for the conflict between the Spirits of Good and Evil, but eliminate any suggestion that Ohrmazd is not predominantly triumphant. For them finite Time is simply a creation of Ohrmazd from his own eternity and therefore in close alliance with him.[2]

With the limitation of Time, being becomes 'manifest' (*paytāk*).[3] Qualities which were potential only, become actual. From Infinite Time finite Time becomes manifest, and from the state of eternal rest action comes into existence. Finite Time and action are inseparable and complementary. Time proceeds from its first term to its last and returns to its source which is the Infinite while action returns to its original state of rest. Time limits action, and action limits Time.[4] Through the manifestation of both the principle of Evil is vanquished, and at the end of Time a state of eternal rest and bliss sets in. Through Time the will of Ohrmazd becomes manifest; and his will is immutable.[5] Ohrmazd himself is manifested through the act of creation, and his wisdom through the *Dēn* (Religion) and the *Ahunvar* prayer which is its quintessence.[6]

But finite Time is also at the service of Ahriman: it favours both Spirits;[7]

[1] Text Z 23, §§ 79 ff., esp. § 93: 'Since it is to be perceived in the result that it is made and finite, it may without doubt be deduced that the source from which the result derives is also finite.'

[2] Cf. *supra*, pp. 91 ff.

[3] On 'being' (*hastīh*) and 'manifestation' (*paytākīh*) v. text Z 15.

[4] The interrelation of Time and action is best described in DkM. 282. 11 ff. (text Z 20, § 2): 'From action *in potentia* . . . (arose) first, through the Creator's creation, the performance of action with which coincided the entry of Time into action: from the performance of action (arose) the completion of action with which coincided the limit of finite Time.'

[5] v. text Z 19.

[6] Text Z 15 (DkM. 133. 3): 'That (i.e. the manifestation) of the creator Ohrmazd is from the act of creation; that of the Wisdom of Religion from the word, wise in will, and from action.' The 'word' must be the *Ahunvar*; cf. Z 1, § 29, where it is identified with *dēn* (religion).

[7] According to the *'Ulemā* (Z 37, §§ 14, 17) Time helps both Spirits, for 'Time brought it about that Ahriman bored a hole in the sky . . .', &c.

for through Time both good and evil actions are performed.[1] The fact that Ahriman is finally defeated in the cosmic battle reflects no credit on Time: it is due rather to the very nature of Ahriman himself, whose 'powerlessness, self-will, imperfection, and slowness in knowledge'[2] become manifest as soon as finite Time comes into operation. Without finite Time these would merely have been potential, and the wickedness of Ahriman could never have been destroyed. Once the perfection and wisdom of Ohrmazd can come into operation through Time, the destruction of Ahriman, whose nature is chaotically destructive, is assured.

Such, briefly, is what the Zoroastrians, both Mazdean and Zervanite, taught concerning finite Time. Such a doctrine could be readily accepted by the Mazdeans since there is no suggestion that Time is in any way superior to Ohrmazd, far less that it is his father: for it was created from Infinite Time by Ohrmazd and, on the whole, operates according to his will. The characteristic of Zervanism is that it makes a mythical figure of Time who is superior to Ohrmazd and Ahriman, and who controls an inexorable Fate against which Ohrmazd is powerless.[3]

The Zervanite fragment of the *Greater Bundahišn* now goes on to elaborate a further series of concepts deriving from finite Time, a close study of which will not be without interest.[4]

From Time of the long Dominion, the first created entity, arose *asačišnīh*, literally 'not-passing-away-ness', that is 'permanence', 'that the works of Ohrmazd might not pass away. From permanence discomfort was made manifest, that comfort (or bliss) might not touch the demons. From discomfort the course of Fate, the "idea" (*mēnōk*) of changelessness, was made manifest, that those things which Ohrmazd created at the original creation might not change. From the idea of changelessness a perfect will to create material creation was made manifest, the concord of the righteous creation.'

It will be noticed that after the cataloguing of each successive emanation —and they must be regarded as emanations and not creations, since they 'were made manifest' or more literally 'became manifest'—a gloss on the function of each is appended; and in all cases the gloss has a distinctly Mazdean flavour. They may then be regarded as Mazdean accretions 'explaining' a Zervanite text.

As Nyberg has pointed out,[5] these emanations proceed dialectically. Thus the 'permanence' of the works of Ohrmazd proceeds from Time of the long Dominion; and from this Ohrmazdean 'permanence' the 'discomfort' of the demons. Thence comes 'the course of Fate' and the 'perfect

[1] v. Chapter IV, p. 90, n. 8.
[2] Text Z 1, § 23.
[3] *v. infra*, pp. 236 ff.
[4] v. text Z 1, § 22.
[5] CCM. 1931, p. 40.

will to create material creation'.[1] Here, it will be noticed, the dialectical scheme breaks down: the 'course of Fate' cannot properly be assigned either to the Ohrmazdean or to the Ahrimanian scheme of things: for Fate, as we shall see, like Zurvān (Time) of the long Dominion, cannot, properly speaking, be attributed to either side. As the genius of immutability its laws are fixed, and it can never be changed.[2] Again, how does the 'perfect will to create material creation' emerge from Fate?—or, to put it more clearly, how does Ohrmazd's holy will to create a good creation derive from the immutable course of Fate which stands beyond good and evil?

These questions lead us to examine the text more closely. Let us list the emanations in order. The picture will then be as follows:

Zamān i akanārak	Infinite Time
Zamān i dērang-χᵛatāy	Time of the long Dominion
asačišnīh	Permanence (not-passing-away-ness)
aχᵛārīh	Discomfort (or misery)
brēh-ravišnīh = a-bē-vartišnīh	The course of Fate = immutability
bavandak kāmak i dām	Perfect desire to create

With the emanations so listed, one discrepancy is immediately apparent, namely the semantic identity of 'immutability' and 'permanence' (*a-bē-vartišnīh* and *asačišnīh*). Again we cannot fail to be struck by the oddity of the contrast between the *asačišnīh* ('permanence') of the works of Ohrmazd and the 'discomfort' or 'misery' of the demons. As a contrast to this we would have expected the 'comfort' or 'bliss' of Ohrmazd; and I am strongly inclined to think that so originally it must have been. The *asačišnīh* would appear to have been transposed from the *brēh-ravišnīh—a-bē-vartišnīh* complex, with the second term of which it is practically synonymous. That such a transposition in fact took place can be inferred by comparison with GrBd. 1 (text Z 1), § 30, where the 'bliss' (*χᵛārakīh*) of Ohrmazd's creation is contrasted with the 'misery' (*dušvārīh*) of that of Ahriman. In any case, whether we accept Ohrmazd's 'bliss' in place of his 'permanence', we are still left with a threefold 'dialectical' emanation consisting of one Zurvanic, one Ohrmazdean, and one Ahrimanian element—Time of the long Dominion, the bliss (or permanence) of Ohrmazd, and the misery of Ahriman.

The next term in the series of emanations is again Zurvanic (the course of Fate); and this is duly followed by an Ohrmazdean item, 'the perfect will to create'. What of the Ahrimanian component? This appears to have dropped out completely.

[1] For the Will of Ohrmazd cf. text Z 19: 'His wisdom, will, action, and Time are immutable. From the first projection of his will till the last they are effective and in motion.'
[2] v. especially texts Z 30, 31, and *infra*, pp. 257 ff.

A closer examination of the text, however, will reveal that this is not so. We read 'a perfect will (to create) material creation was made manifest, the concord of the righteous creation'. In the very next sentence we find, 'In his unrighteous creation Ahriman was without knowledge, without method' (*Ahriman 'pat apārōn dām-dahišnīh adān a'dātastān*). Now here we have one of the familiar and almost mechanical contrasts between the Ohrmazdean and Ahrimanian schemes of things. The Ohrmazdean emanation is the 'concord of the righteous creation' (*frārōn dām 'ut dahišn ham-'dātastānōmandīh*): to this is opposed the 'unrighteous' (*apārōn*) creation of Ahriman which is *a'dātastān* 'without order', that is in exact contrast to the *ham-'dātastānōmandīh* of Ohrmazd's creation. Here, then, is the Ahrimanian term of the threefold emanation. Opposed to the 'perfect will (to create) material creation, the concord of the righteous creation' we can discern the 'disorderliness of the unrighteous creation'; and in opposition to the 'perfect will' itself we have the 'lack of knowledge' (*adānīh*) of Ahriman.[1] The dialectical scheme is thus restored.

Thus we see that in this fragment two series of emanations are proposed, all deriving ultimately from Infinite Time. They are strictly emanations and not creations, and this would tend to confirm the Zervanite origin of the passage, since Ohrmazd is creator *par excellence*. These emanations are in each case threefold—Zurvanic, Ohrmazdean, and Ahrimanian—in that order.

Here we are surely justified in seeing a link with the Zervanism known to us from the Christian sources and from the *'Ulemā*, where we have seen the first of these triads, namely Zurvān, Ohrmazd, and Ahriman themselves. The scheme of emanations would therefore look something like this:

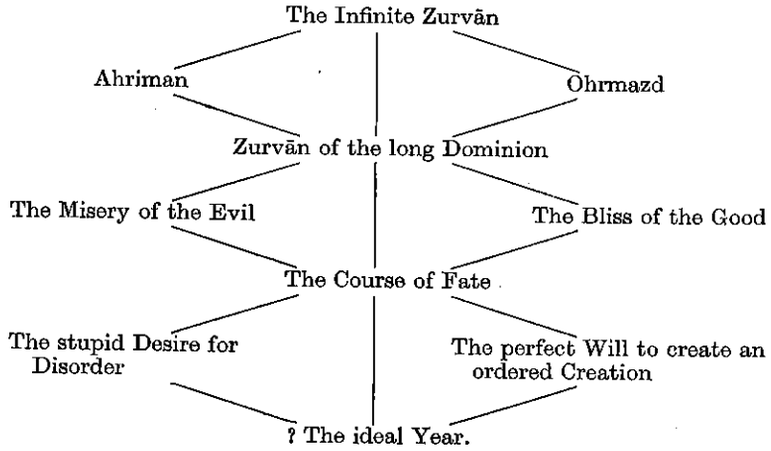

[1] In text Z 1, § 30, cited above, the *dātastānōmandīh* of Ohrmazd's creation is contrasted with the *vināskārīh* (sinfulness) of Ahriman's.

Our investigations later on in this chapter will show that 'the ideal Year' (*mēnōk i sāl*) probably appeared as the concluding term in the series.[1] If so, we would then have yet another manifestation of the tetramorphous god to whom Schaeder first introduced us and with whom Nyberg has made us familiar.[2]

Such a theory is favoured by a comparison with § 30 of our text Z 1. Here the 'ideal' year, which in fact represents the terrestrial year of 365 days and nights and is a division of Time of the long Dominion, proceeds from the *Ahunvar* prayer which is identified with *Dēn*, the Religion, itself the manifestation of the divine Wisdom. Moreover, the *Dēn* appears simultaneously with the act of creation and can therefore be identified with Ohrmazd's 'perfect will to create an ordered creation'. Hence we are perhaps justified in finding a tetrad of Time with the following members:

Zamān i akanārak	Infinite Time
Zamān i dērang-χᵛatāy	Finite Time
brēh-ravišnīh = a-bē-vartišnīh	The course of Fate
mēnok i sāl	The 'ideal' year

We must, however, now return to Time of the long Dominion proper. Coincident with the creation or 'fashioning forth' of Zurvān-Time of the long Dominion is the appearance of Spihr, the Firmament. Just as Time was limited and fashioned into the form of a cycle, so is Space limited and formed into the circle of the firmament. Finite Time is the first creation, and within it, according to the *'Ulemā*, the firmament is attached.[3] The firmament is the 'first body', and ultimately it is fashioned from the Endless Light: for so the *Dēnkart* says.[4] But Spihr, the firmament, like Zurvān of the long Dominion, has a dual nature; it distributes both good and bad fortune, and is therefore called either 'the good Spihr' or 'the evil Spihr'.[5] Must we not, then, conclude that the derivation of Spihr from the Endless Light, which, being the place of Ohrmazd, is necessarily associated only with the Good, is a purely Mazdean conception, and that in the Zervanite cosmology to which it properly belongs Spihr was simply regarded as the finite form of Space, just as Time of the long Dominion is the finite form of Time?

(*b*) *Spihr, the Body of Zurvān*

Now in our text Z 9 we find that Time enters a body within the *tōhmak*, that is the 'seed' of creation or original unformed matter. Spihr, or *ras* 'the

[1] *Infra*, p. 134.

[2] CCM. 1931, pp. 47 ff.: see further Chapter VIII, *passim*, and Chapter IX, pp. 219–31.

[3] Text Z 37, § 12.

[4] v. text Z 10.

[5] Text Z 3, § 3: 'Spihr bestows them (sc. good things) on the material world. He who gives them in abundance is called the goodly Spihr; and he who gives them sparingly is called the evil Spihr.'

Wheel' as it is sometimes called, is elsewhere spoken of as the source of *tōhmak*.[1] Spihr, however, is also 'the first body', as we have seen, that is, according to our text Z 10, the fully formed creation there likened to a new-born child appearing after the various phases of gestation in the womb. How then can it, the effect, be the source of the 'seed' (*tōhmak*), the cause?

The only reasonable explanation appears to be that we are here in the presence of Space dually conceived, first as infinite and secondly as finite, corresponding exactly to infinite and finite Time (Zurvān). As infinite it would naturally be the source of the 'seed': as finite, that is as the fully formed 'body' of creation, it is the result of that 'seed'. In both aspects it is most intimately associated if not identical with Zurvān-Time.

We must now devote a little more space to the concept of Spihr as 'the first body'. Zātspram, in comparing the macrocosm to the microcosm, compares the body of man to Spihr.[2] Spihr, then, thus conceived, is not merely the starry firmament, but finite Space, in other words the material Cosmos. Thus the entrance of Time into a body can only mean its entrance into Spihr, the Cosmos. This, I think, must be the interpretation of a passage in the third chapter of the *Greater Bundahišn* differently translated by Nyberg (Z 2, l. 21 of our text, § 6 of the translation) where we must translate, 'Spihr, the body of Zurvān of the long Dominion'. Nyberg's interpretation of *tan* as 'le corps universel', though in fact giving the right sense, is unattested elsewhere. *Tan* standing by itself can scarcely be made to mean 'universal body'.[3]

Spihr, then, as infinite, is the source of the 'seed' from which all forms arise.[4] Time becoming finite enters the seed, which develops through all the stages of the embryo, finally becoming the fully fledged body, the finite Spihr, that is the material Cosmos. Zurvān, then, can accurately be said to become incarnate in the universe and as such can be regarded as the origin of all material things. As the god whose body is the firmament he is the macrocosm corresponding to man, the microcosm. As such he becomes anthropomorphized, and once we find him appearing in the form of a youth of fifteen years of age.[5]

[1] DkM. 207. 17: *'bavišn 'χᵛat 'hast tōhmakān tōhmak i gētēh bun, 'būtak i 'hač ras.*—'Becoming is in fact the seed of seeds, the origin of the material world, and derived from the firmament.'

[2] Zs. 30. 1: *'ku-š humānākīh ōγōn 'martīhā ⟨čēγōn⟩ āsmānīk spihr i gartišnīk.*—'For the likeness of man is as the revolving firmament of the sky.'

[3] v. text Z 2, l. 21 (text and note).

[4] DkM. 207. 18: *'hač ras 'bē 'bavišn frāč 'būt: 'ut 'bavišn-ravišnīh vīmandīk dēsak i 'andar tōhmak fravastak.*—'From the firmament becoming arose; and the movement of becoming is defined as form contained within the seed.'

[5] Text Z 2, § 3.

To sum up, then, as Infinite Time, Zurvān corresponds to the *Urgott* in other systems: as Time of the long Dominion, manifested through finite Space, he is the macrocosm, and has a distinct affinity with the so-called Primal Man (πρῶτος ἄνθρωπος) of the Manichees and Gnostics.

Thus when we read in Šahristānī that the first origin of Man (*al-ašχāṣ*) was Gayōmart, or sometimes again 'the Great Zurvān',[1] we may not unreasonably conclude that the author is quoting two separate and equally authentic traditions. Gayōmart as the first human being is, of course, in all the Zoroastrian tradition the first father of the human race. Zurvān, as the macrocosm, could equally be regarded as the ultimate origin of man, the microcosm; and there is reason to believe that according to one tradition the latter springs from his seed.[2]

Šahristānī does not indeed make any distinction between Gayōmart, the 'first man', and Zurvān as 'Primal Man' (πρῶτος ἄνθρωπος, macrocosm), as an-Nadīm does in his account of the Manichaean system.[3] The idea that Zurvān is the origin of the human race is, however, found in St. Basil[4] and Moses of Chorene.[5] The tradition is therefore likely to be authentic.

We must now again return to our basic text, the first chapter of the *Greater Bundahišn*. Sections 24 and 25 repeat again the account of the formation of Time of the long Dominion, and this time the figure of twelve thousand years is clearly specified. Section 25 gives details about the powers and character of Time, discussion of which must be postponed until Chapter IX.

With the following section we come to what is perhaps the knottiest problem in the whole field of Zervanite research. The difficulties, in this case, are not due to lack of evidence, but rather to the contradictions that exist between our various sources. It would therefore seem best to examine all the sources separately. They are five in number: (i) our present passage GrBd. 1 (Z 1), §§ 26–27; (ii) GrBd. 3 (Z 2), §§ 4–6; (iii) DkM. 203. 16–206. 23 (Z 11); (iv) ibid. 21. 15–24. 5 (Z 12); (v) ibid. 349. 1–350. 10 (Z 10), though the latter is in places so obscure as to be untranslatable. Besides these PhlRiv. 46 (Z 7) and Zs. 1 (Z 4) must be borne in mind.

(c) *The Weapon of Concupiscence*

Let us now first examine the account given by the first chapter of the *Greater Bundahišn*. First Ohrmazd fashioned the 'form' of his creatures—a 'form' of fire—from his own essence which is 'material' (*gētēh*) light: this

[1] Cureton, p. 182; Haarbrücker, i, p. 276.

[2] Text Z 7, § 36, and below, p. 137.

[3] v. Flügel, *Mani*, pp. 54, 58. 'Primal Man' is expressed by the Arabic *insānu'l-qadīmu*, 'the first man' by *insānu'l-awwalu*.

[4] Text G 5.

[5] See note B, p. 144.

'form' was bright, white, and manifest afar. Next, from 'the material (form) of that spirit which dispels aggression in the two worlds—be it Power or be it Time', he fashioned forth the form of the Good Vāy, also called Vāy of the long Dominion. With the aid of the latter he fashioned forth creation, 'for when he created creation, Vāy was the instrument he needed for the deed'. Next he created the essence of the gods, 'that genius (*mēnōk*) by which he made his own body better'.

The creative activity of Ahriman, meanwhile, proceeded on exactly parallel lines. From his essence which is material darkness he fashioned the 'body' (*tan*) of his creation, 'in the form of coal(?), black and ashen, worthy of the darkness, damned as the most sinful noxious beast'. From 'material' self-will he fashioned the form of Varan (heresy), 'for Varan was needed'. Next he created the essence of the demons by which he makes his body more evil.

Had we the evidence of the *Bundahišn* only, we might suppose that the whole of this episode was Mazdean: Ohrmazd sets about making the material creation, and Ahriman replies with a counter-creation. Zātspram, however, by recounting one incident in detail, shows that the whole must be tinged with Zervanism. The incident in question concerns the first of the creations of Ahriman detailed above; and in Zātspram's account Zurvān plays a decisive part. As we have already seen, Zurvān was able to give movement to the creation of Ohrmazd without doing the same for that of Ahriman. He did not, however, do so; and Zātspram goes on to tell us in what way Zurvān gave movement to the diabolic creation:

> Pondering on the end, he (Zurvān) delivered to Ahriman an implement (fashioned) from the very substance of darkness, mingled with the power of Zurvān, as it were a treaty, resembling coal (?), black and ashen. And as he handed it to him, he said, 'By means of these weapons Āz (concupiscence) will devour that which is thine, and she herself shall starve, if at the end of nine thousand years thou hast not accomplished that which thou didst threaten, to finish off the treaty, to finish off Time.'[1]

The similarity of the two texts is striking; even the wording, in some cases, is identical. Thus in the *Bundahišn* Ahriman's creation is said to have been fashioned 'from the material darkness' (*'hač gētēh tārīkīh*); and in Zātspram the 'weapon' or 'implement' which Zurvān gives to Ahriman is 'from the very substance of darkness' (*'hač 'χᵛat gōhr i tārīkīh*): in both cases the object is 'black' (*siyāh*) and 'ashen' (*āturastar-gōn*): in Zātspram it is *zayīk* (resembling coal?); and in the *Bundahišn*, *'pat zaγ karp* (in the form of coal?). Even the most sceptical could scarcely doubt that the

[1] Text Z 4, §§ 29–30; cf. Z 5 (*a*), § 35.

'implement' delivered to Ahriman by Zurvān in Zātspram's account is identical with the 'body of the creation' of Ahriman in the *Bundahišn*. The *Bundahišn* has, then, preserved a Zervanite episode, but has suppressed the decisive role played by Zurvān in it. Fortunately, with the aid of Zātspram, we are in a position to reconstruct the scene.

It will have been noticed that the 'weapon' is handed to Ahriman in the form of a 'treaty'; or again, 'When first creation began to move and Zurvān for the sake of movement brought that form (here *karp* as in the *Bundahišn*), the black and ashen garment to Ahriman, (he made) a treaty',[1] &c. The treaty is already familiar to us. It must be that made between Ohrmazd and Ahriman; but in this passage it is obvious that the actual maker of the treaty, the judge between the two parties, is Zurvān himself. Though we have shown that the function of upholding the terms of the treaty was delegated to subordinate deities, in all probability Mihr, Srōš, and Rašn,[2] the actual terms are dictated by Zurvān. He it is who supplies Ahriman with the 'instrument' or 'weapon' with which to wage war on Ohrmazd: if he should make good his threat that he would bring all creation to hate Ohrmazd and love himself, then he would be the victor; but if he should not—and this would in fact be the case—then his own instrument would turn against him and devour him; for this instrument was a two-edged weapon, devastating so long as Ahriman is on the offensive, but disastrous to him once the tables are turned and final defeat becomes inevitable. For it is a weapon 'like unto fire, blazing, harassing all creatures, that hath the very substance of Āz'.[3] Āz is the personification of concupiscence—acquisitiveness, gluttony, and lust, and perhaps much more besides. When in Chapter VII we come to discuss this formidable being, we shall see that it is she who finally turns against Ahriman, swallows up the demons, and then turns upon Ahriman himself.

Yet this redoubtable instrument is the gift of Zurvān, and the 'power of Zurvān' (*nērōk i zurvānīk*) is mingled with it. Thus if Zurvān is able to hand to Ahriman an instrument which contains the 'very substance of concupiscence', it follows that his own nature is not as yet purged of evil. As Šahristānī aptly puts it, 'there was always something evil with God'.[4] Eznik too points to this core of wickedness in the Zervanite God. Contrasting the Zervanites with the Manichees, he observes that their doctrines do not in reality diverge. Mānī admits 'two principles, of good and of evil, though not through conception and birth, but independent'. The Zervanites, on the other hand, 'say the same, (but they arise) through the desire

[1] Text Z 5 (*a*), § 35.
[2] *Supra*, pp. 101–3.
[3] Text Z 5 (*a*), § 35.
[4] Text F 4, § 3.

(*tenč'anawk'*) of Zurvān, through conception and birth'.[1] Desire, then, was from the beginning present in the godhead, and it was through desire that both Ohrmazd and Ahriman came into existence. As we shall see later, the concept of Āz covers every form of desire, and this appears to have been regarded by the Zervanites as evil in itself. Thus when Zurvān hands over this instrument mingled with 'the very substance of Āz' he is, so to speak, divesting his own personality of an inherent defect which originally resulted in the genesis of Ahriman.

Before proceeding to the very intricate problem of the 'garments', 'implements', or 'forms' which are attributed not only to Ohrmazd and Ahriman but to other deities as well, we must try to interpret more fully the problem presented by Zātspram's account of Zurvān's intervention in the cosmic drama.

For greater clarity we will here juxtapose the three texts referring to the 'garment', 'implement', 'form', or 'body' of Ahriman:

(1) Text Z 4 = Zs. 1, § 29. '(Zurvān) delivered to Ahriman an *implement* (*aβzār*) (fashioned) from the very substance of darkness, mingled with the power of Zurvān, as it were a treaty, resembling coal(?), black and ashen.'

(2) Text Z 5 (*a*) = Zs. 34, § 35. 'When . . . Zurvān . . . brought that *form*, the black and ashen *garment* to Ahriman, (he made) a treaty in this wise: "This is that *implement*, like unto fire, blazing, harassing all creatures, that hath the very substance of Āz." '

(3) Text Z 1 = GrBd. 1, § 27. 'From the material darkness which is his own essence the Destructive Spirit fashioned forth the *body* of his creation in the *form* of coal(?), black and ashen, worthy of the darkness, damned as the most sinful noxious beast.'

Corresponding to the last passage quoted is the account from the same source of the 'form' of the Ohrmazdean creation (Z 1 = GrBd. 1, § 26):

> 'From his own essence which is material light Ohrmazd fashioned forth the *form* of his (own) creatures—a form of fire—bright, white, round, and manifest afar.'

In the Ahrimanian series it is obvious that the object in (1) referred to as an 'implement' and in (2) as a 'form', 'garment', or 'implement' must be identical with the 'body' of Ahriman's creation in (3). According to Zātspram the 'form' is given to Ahriman by Zurvān. The *Bundahišn*, however, knows nothing of this.

This source, on the contrary, says that Ahriman created the 'form' (*karp*) or 'body' (*tan*) from the material darkness which is his own essence (lit.

[1] Venice edition, 1926, pp. 128–9; Schmid, p. 94–5; Langlois, ii, p. 376.

'selfhood'). Similarly Ohrmazd created the 'form' of his creatures from his own essence which is material light. No intervention of any kind by Zurvān is mentioned.

The *Mēnōk i χrat*,[1] however, does mention Zurvān in connexion with Ohrmazd's creative activity. 'The Creator Ohrmazd', it says, 'fashioned this creation and the Amahraspands and the Spirit of Wisdom from his own light with the blessing of the Infinite Zurvān.' Zurvān, therefore, was indirectly involved in the Ohrmazdean creation according to the *Mēnōk*, which may be regarded as semi-Zervanite in tendency.

With this much evidence in our hands it is neither difficult nor, I think, unreasonable to deduce that the whole account goes back to a Zervanite origin.

In the original myth both 'forms' must have been the gifts of Zurvān to his two sons, Ohrmazd and Ahriman. To the first he gives 'the form of his creation', that is the raw material of creation, in the form of fire: to the second the 'body' or 'form' of the evil creation described by Zātspram again as 'like unto fire'—'blazing, harassing all creatures, that hath the very substance of concupiscence'. It is interesting that both 'forms' are conceived of as being like fire—the first a pure, white fire, the other continually in need of fuel (coal?), black and ashen, and worthy of the darkness—a fine, apt, and graphic description enough of an object imbued with 'the very substance of concupiscence'.

To carry the argument a stage farther. In Zātspram's account the 'implement', as we have seen, appears to be identical with the treaty between Ohrmazd and Ahriman which we have already discussed (pp. 101 ff.). It represents, then, the inauguration of the nine thousand years of struggle in time, and as such must be as much the concern of Ohrmazd as of Ahriman. It is therefore possible that there was originally only one fiery form—namely the raw material of all creation which would in fact be identical with Spihr (finite Space later to develop into the Cosmos) which we have seen is the body of Zurvān. Within this 'form' the struggle would develop between the pure fire (of wisdom) and the murky fire of concupiscence till the latter is finally destroyed. This point, however, cannot be laboured here since we can as yet offer no convincing proof.[2]

Leaving speculation for the moment, we must now return to our texts, since we have so far only touched on the fringe of the problems involved. We have by no means seen the last of these curious 'forms' and 'garments', and the *Dēnkart* has much in store to interest and confuse.

[1] Text Z 8, § 6.

[2] See further, however, pp. 127–8. For the opposition of wisdom and concupiscence v. p. 124, n. 1.

(*d*) *The Investiture of the Gods*

We have already seen that Zātspram speaks of the object handed to Ahriman by Zurvān either as an 'implement' or 'weapon' (*aβzār, zāy*) or as a 'garment' (*patmōk, patmōčan*). The Manichaean system offers an exact parallel to this usage. In this system the 'Primal Man', whom the Iranian Manichees identified with Ohrmazd, arms himself with the five pure elements in order to do battle with the powers of darkness. These five elements are referred to either as his armour or as his garment.[1] The indifferent use of the two terms is best illustrated by the following passage from St. Augustine:

> Factum de substantia Dei, id ipsum existentem quod Deus est, membra sua vel vestimenta sua, vel arma sua, id est quinque elementa, cum et ipsa nihil aliud essent quam substantia Dei, in tenebrarum gente mersisse.[2]

The garment, then, not only confers superior power on the wearer and thereby becomes a weapon, but also in some way represents his very substance. Similarly the *Spiritus Vivens* or Demiurge in the same system puts on the god Water 'like armour or like a garment'.[3]

In the Mandaean literature too both gods and demons array themselves in garments with a view to attaining greater potency or to warding off evil. Thus a minor Mandaean deity called Rahziēl wraps himself in two garments to protect himself from his enemies.[4] The garment of the great god Mandā d'Hayyē has such intrinsic power that the demons form a secret conspiracy against it;[5] and the arch-demoness Rūhā complains that her robe is of no effect.[6] Instances of the donning and doffing of garments could be indefinitely multiplied from the Mandaean books; but this is scarcely necessary since the power of the garment as a defensive weapon and as representing the personality of the wearer is already sufficiently attested.

After this brief digression it is time to return to the 'garment' or 'instrument' mentioned by Zātspram. This garment, curiously enough, turns up twice also in the *Dēnkart*,[7] though on a rather different ideological plane. There can be no doubt that this is the same garment of Ahriman, for it is said to be 'bestowed on him through Time from its decisive dispensation that orders aright' (*'kē ov-iš 'baχt 'pat zamān 'hač brīnkar rāδēnāk *bažišn*).[8]

[1] Full references *apud* H. J. Puech, *Le Manichéisme*, p. 167, n. 307; cf. p. 77 of the same work.

[2] *Contra Faustum*, xi. 3; cf. Baur, *Das manichäische Religionssystem*, p. 54.

[3] von le Coq, *Türkische Manichäica aus Chotscho*, iii, p. 9; cf. F. W. K. Müller, *Handschriften-reste in Estrangelo-Schrift aus Turfan*, ii, p. 39, fr. 98*b* (AbPAW. 1904).

[4] *Right Ginzā*, p. 250: p. 252. 3 in Lidzbarski's translation.

[5] Ibid., p. 259. 1 (translation).

[6] Ibid., p. 102. 37.

[7] Text Z 11, where the word used is *brahm* not *patmōk* as in Zs. 34. 35 (Z 5 (*a*)): cf. text Z 12.

[8] Text Z 11, § 4.

Nor is this the only garment mentioned, for others are bestowed on Ohrmazd himself, the god Vāy, and the demon Varan (heresy or lust).[1] The garments bestowed on Vāy and Varan are again 'bestowed through Time from its decisive dispensation that orders aright', exactly as in the case of Ahriman. Ohrmazd's garment, however, is 'bestowed upon him *by his own dispensation* through finite ⟨Time⟩' (the word 'Time' is omitted in the text).

The appearance of Time in the role of dispenser of garments must surely indicate that we are again in the presence of Zervanite ideas. The curious variation in the wording as between the investiture of Ohrmazd and that of the other beings is in all probability to be attributed to wilful distortion of an originally Zervanite text. In the case of Ahriman, Vāy, and Varan, Zurvān is the sole agent. Ohrmazd, on the other hand, bestows his own garment *by his own dispensation* on himself: Zurvān-Time is merely the medium employed. This reads exceedingly like a Mazdean variation on an essentially Zervanite theme.

Much the same has happened in DkM. 290. 10 (text Z 21), though here in the form of simple suppression rather than ideological variation. Here both sense and context demand the insertion of *akanārak zamān* (Infinite Time); but it is wanting in the text. The passage in translation reads: 'That which was before creation was ⟨Infinite Time⟩; that which coincided with the very act of the Creator's creation was finite Time; that which was after creation was action (continuing) till the rehabilitation (*fraškart*).' Without the grammatically and semantically essential 'Infinite Time' the sentence is left without a subject. The omission in this case and the apparent alteration in the other were most probably perpetrated on purpose by a Mazdean scribe who was trying to reconcile Zervanite ideas with the primacy of Ohrmazd over Zurvān-Time. It is therefore not at all fanciful to suggest that the original myth read in the case of Ohrmazd too: 'the robe of priesthood . . . was . . . bestowed upon him through Time from its own decisive dispensation that orders aright.'

Though the *Dēnkart* passage belongs to a more speculative sphere than the *Bundahišn* and Zātspram, the 'garments' of Ohrmazd and Ahriman are in fact the same as the 'bright, white form, round and manifest afar' on the one hand and the 'black and ashen garment' on the other with which we are already familiar. For the *Dēnkart* too describes the first as a 'shining white garment' and the second as 'ash-coloured'. The purpose of the investiture is again the same. In the case of Ohrmazd the garment ensures

[1] For the theological association of heresy with lust one may compare the Old-Testament conception of 'fornicating' after strange gods.

'his final victory over the Aggressor, the utter defeat of this last and the erasing of him from his own creation': in the case of Ahriman it was bestowed on him 'for the destruction and final annihilation of the Destructive Spirit, the chooser of that very weapon'.

Here it is worth noting that each of the twin Spirits *chooses* his own garment: they are not simply handed out to them by Zurvān. Once chosen the garments become the essence or 'selfhood' of each. This concept is foreign to the general trend of Sassanian Zoroastrianism which regards Ohrmazd as the *principle* of good and Ahriman as the *principle* of evil. Here, however, they appear to be good and evil *by choice*. It is impossible not to see an allusion here to the original doctrine of Zoroaster formulated in the *Gāθās* (*Yasna* 30. 5), however little the text may have been understood in Sassanian times. The Gāθic text runs as follows:

> Of these two Spirits the Evil One chose to do what is worst, but the Most Bounteous Spirit who is clad in the stone-hard sky (chose) order (*aša*), as did all who seek to please the Wise Lord (Ahura Mazdāh, i.e. Ohrmazd) by virtuous deeds.[1]

The choice of the garments in our own myth, however, decides the issue of the cosmic conflict. Both Ohrmazd's choice of the good and Ahriman's choice of the evil, but particularly the latter—since Āz (concupiscence) introduces an element of self-destruction into the evil camp—make the destruction of Ahriman certain.

The nature of this momentous choice is made clear by the *Dēnkart's* description of the garments which, as we have seen, are the essence and selfhood of the two Spirits.

The garment of Ohrmazd is the robe of priesthood—and it is significant that the final ejection of evil from the universe is accomplished by a sacrifice conducted by Ohrmazd as officiating priest with Srōš as his assistant.[2] This robe has such power that it alone ensures the utter defeat of Ahriman and his ejection from Ohrmazd's creation. In the heavens it is associated with

[1] It is interesting that this passage occurs in the same *Gāθā* as the famous passage where the Bounteous and Destructive Spirits (*spənta* and *aŋra mainyu*) are described as 'twins'. In the Pahlavī books *Spənta Mainyu* is identified with Ohrmazd, though this was not explicit in the *Gāθās*. For the Mazdean 'explanation' of this passage see p. 80. For Ahriman's being evil *by choice* and yet capable of good cf. the myth recorded by Eznik (text F 7 (*a*)) according to which he created the peacock to show that he could create a beautiful thing.

[2] GrBd. 227. 8: *Ōhrmazd 'ō gētēh 'āyēt 'χ^vat zōt Srōš-ālāy rāspīk 'ut aiβyāhan 'pat 'dast 'dārēt. Ganāk Mēnōk 'ut Āz 'pat 'ān i gāsānīk nīrang zat-aβzārīhā akārīhast* (so Ind.).—'Ohrmazd comes down to earth himself as *zōt* priest and Srōš, the Blessed, as *rāspīk*—and he holds a girdle in his hand. The Destructive Spirit and Āz, their weapons smashed, are made powerless by the Gāθic ritual.'

the Signs of the Zodiac, and on earth with the priest. The virtue it represents is wisdom.

The robe of Ahriman is thus characterized. First it is the robe of *sāstārīh*, here as always in purely theological passages 'heretical priesthood'.[1] In the heavens it is associated with the Planets and among them more especially with Saturn, the planet of death; on earth with the heretical priest. The vice it represents is *dušākāsīh* ('evil knowledge' or 'wrong-headedness'), the opposite of wisdom.

It is perhaps significant that Āz figures nowhere in this description of the robe of Ahriman. It does, however, seem legitimate to conclude that the *Dēnkart* passage has been heavily edited by a Mazdean scribe, since Akōman (Evil Mind, the Ahrimanian opponent of the Amahraspand Vahuman in the Mazdean system) figures as the demon through whom the robe operates. Vahuman too appears in the section devoted to the robe of Ohrmazd.

The purpose of the investiture, however, is abundantly clear: it is the ultimate overthrow of Evil.

We must now turn our attention to a series of investitures which may or may not belong to this particular myth.

In the text we have been discussing (Z 11) four garments are mentioned: they are the garments of Ohrmazd and Vāy in the good camp, and those of Ahriman and Varan in the evil. The garments of Ohrmazd and Vāy are again found in the third chapter of the *Greater Bundahišn*;[2] and in addition a garment is donned by 'Spihr, the body of Zurvān of the long Dominion, the good destiny of the gods'.[3] This chapter, however, makes no reference to the garments of Ahriman and Varan.

A yet fuller list is found in another *Dēnkart* text (Z 12). It does not, indeed, speak of 'garments' or 'instruments', but of 'categories' (*ōšmurišnān*). The exact correspondence between the three texts, however, proves that we are again in the presence of the same idea. The 'categories' are *spēnākīk*, *ganākīk*, *vāyīk*, *varanīk*, *baγānīk*, *gaδōkīk*, *hunihātīk*, and *dušnihātīk*; that is the categories of *Spēnāk Mēnōk*, the Bounteous Spirit who is Ohrmazd himself; of *Ganāk Mēnōk*, the Destructive Spirit who is Ahriman; of Vāy; of Varan; of *baγān*, the gods, here used in the sense of the Signs of

[1] According to Wikander the *sāstārs* were originally worshippers of Vayu (Vāy): v. *Vayu I*, pp. 90 and 71.

[2] Text Z 2, §§ 4–6.

[3] We cannot accept the translation of Nyberg which Widengren (*Hochgottglaube*, p. 247) follows: according to this Ohrmazd dons all three garments, Vāy and Spihr being themselves the second and third. v. text Z 2, l. ~~2 [etc.]~~ 5 note. Wikander, *Vayu I*, p. 27, has energetically protested against this very forced interpretation of the text.

the Zodiac; and of *gaδōkān*, the robbers, who are the Planets. The last two categories, *hunihātīk* and *dušnihātīk*, mean simply 'of good nature' and 'of evil nature'.

Combining the three texts from the *Dēnkart* (Z 11 and 12) and the *Bundahišn* (Z 2) we obtain the following data:

(i) *The Gods of Light*

(*a*) Ohrmazd
- (i) dons the white garment of priesthood characterized by wisdom (Z 2).
- (ii) dons the white robe (*brahm*) of priesthood associated with the virtue of wisdom (Z 11).
- (iii) implicit in the *spēnākīk* category which includes priesthood, religion (*dēn*), wisdom, &c. (Z 12).

(*b*) Vāy
- (i) dons the many-coloured and jewel-bedecked garment of warriorhood: dispels aggression in both creations (Z 2).
- (ii) dons the red, wine-coloured and jewel-bedecked robe of warriorhood: associated with the virtue of valour (Z 11).
- (iii) implicit in the *vāyīk* category which includes warriorhood, speed, valour, lordship, and law (Z 12).

(*c*) Spihr
- (i) dons the dark blue garment of the husbandmen:[1] rules the destinies of the world aright (Z 2).
- (ii) implicit in the *baγānīk* category which includes husbandry and generosity (Z 12).

(ii) *The Demons of Darkness*

(*a*) Ahriman
- (i) dons the ash-coloured garment characterized by concupiscence (Āz) (Zātspram's two texts only).
- (ii) dons the ash-coloured garment of *sāstārīh* (heretical priesthood) associated with the sin of evil knowledge (wrong-headedness, *dušākāsīh*) (Z 11).
- (iii) implicit in the *ganākīk* category which includes *sāstārīh* the adversary of priesthood, irreligion, falsehood, and ingratitude (Z 12).

[1] Cf. text Z 3, § 2. 'Spihr it is who bestows good things; and his lordship and kingship are as when the husbandmen till the earth, and (the earth) makes good return.' Elsewhere the 'Spirit of the Sky' (*mēnōk i āsmān*) is compared to a husbandman (*varzvar*) (text Z 1, § 43).

(*b*) Varan
- (i) dons the garment of self-will associated with the sin of self-will (Z 11).
- (ii) implicit in the Varanīk category which includes self-will, heresy 'the rival of priesthood and helpmate of *sāstārīh*', evil knowledge, and irreligion (Z 12).

(*c*) Gaδōkān (the Planets)
- (i) implicit in the *gaδōkīk* category which includes theft and violence, enmity to the tillers of the soil, avarice, and the suppression of prosperity (Z 12).

In addition Z 12 has the categories of *hunihātīk* which includes 'good effort' and *dušnihātīk* which includes 'evil effort'.

It is almost superfluous to point out that these three categories represent the three Zoroastrian castes—the priests (*āsrōnān*), the warriors (*artēštārān*), and the husbandmen (*vāstryōšān*). The artisan class which was only added at a much later date receives an honourable mention in the text Z 12, but is not placed under the aegis of any patron deity.

By donning the robe of priesthood Ohrmazd associates himself with the Zoroastrian priesthood on earth. Similarly Vāy takes over the patronage of the warriors,[1] and Spihr, the firmament, that of the husbandmen. This much is, for once, indisputably clear.

On the Ahrimanian side, however, matters are very much more complicated.

Ahriman's ash-coloured garment has been met before and exhaustively discussed. It belongs to a genuine Zervanite tradition preserved for us by Zātspram only. The case of the Planets is less clear, that of Varan not clear at all.

In the Zoroastrian tradition the Planets, because of their apparently irregular course, are regarded as Ahrimanian—destructive and disruptive creatures: they are the evil counterpart of the Signs of the Zodiac. Nevertheless they form part of the firmament (Spihr), and for this reason we find the firmament divided into a good and evil half.[2] The categories of *baγānīk* and *gaδōkīk*, therefore, are merely the two aspects of the firmament considered as the god of fate. The dark blue garment of Spihr is therefore unmistakably the night sky,[3] though dark blue may well have been the national costume of the Iranian peasant in Sassanian times as it still is today. Like Vāy, Spihr has suffered a Mazdean dichotomy, and the category of the Planets can scarcely have had an independent existence in the original investiture myth.

[1] v. p. 83 and n. 5 there.
[2] Text Z 3, § 3. v. p. 111, n. 5.
[3] Cf. Wikander, *Vayu I*, p. 28.

The case of Varan is far more complex. Why, of all creatures, is Varan singled out to be the evil counterpart of Vāy, the warrior-god? In the *Dēnkart* Varan is predominantly the adversary of Wisdom (*χrat*),[1] and it is therefore associated with *χᵛat-dōšakīh* (self-will or heresy) and *dušākāsīh* (wrong knowledge or error). For Zātspram, however, Varan is specifically lust,[2] and as such merely an aspect of that mother of all wickedness, Āz. Elsewhere it is described as 'the most grievous of all evil' and the 'principle of wrong-knowledge',[3] and all sins are its weapon.[4]

There seems no reason at all why Varan, a preponderantly theological demon (heresy), should be selected as the adversary of Vāy, the warrior-god.[5] If we examine the passage more closely, we will find that the account of Varan's robe differs in one important respect from that of Ohrmazd, Ahriman, Vāy, and Spihr. Ohrmazd's robe is white, Ahriman's ash-coloured, Vāy's red or many-coloured, Spihr's dark blue. The garment of Varan, however, is merely described as the garment of 'self-will'. It seems probable that Varan had no share in the original investiture myth; and this is not surprising, since the myth is plainly based on the caste system and the investiture is that of the patron gods of the three castes —Ohrmazd the priest, Vāy the warrior, and Spihr the husbandman. This is most clearly attested by the text Z 2 (*Greater Bundahišn*, chapter iii), where there is no reference at all to the Ahrimanian counterparts.

Let us assume then that *Bundahišn* iii presents the myth in its original form—a myth the purpose of which is the sanctification of the three castes. The Ahrimanian counterparts will then be subsidiary, and the two *Dēnkart* accounts (texts Z 11 and 12) will represent a not very successful attempt to fuse three separate myths into one. These myths will be:

(i) the investiture myth of the castes,
(ii) the investiture of Ohrmazd and Ahriman by Zurvān with the garments of their 'selfhood' or 'essence', and

[1] The opposition of *χrat* and *Varan* is so frequent that we must content ourselves with giving a selection only of the references where it occurs. These are: DkM. 68. 15 ff.; 302. 2, 15; 295. 14; 440. 20; 142. 13; 244. 13; 292. 21–293. 3; 312. 11; 321. 8; 123. 14; 247. 10; &c. As a translation of Av. *varənya-* the NP. has *varan nām i dīv ki dūzaχī u gumānī ast.*—'Varan is the name of the demon of hell and doubt' (Bartholomae, AIW., col. 1373).

[2] Text Z 5 (*a*), § 36: 'That (part of Āz) pertaining to the natural functions directed outward is the desire to mingle (copulate) which is called Varan.'

[3] DkM. 302. 21: *Varan garān-tom i hamāk anākīh*, and on the same page l. 4 *dušākāsīh bun Varan*—'Varan is the principle of wrong knowledge'.

[4] Ibid. 67. 14: *hamāk āhōk i 'hēnd varan aβzār.*

[5] It is, of course, possible to see, with Wikander, in this opposition the partial demonization of Vāy, the cult of Vāy having been in an earlier age the most serious rival of orthodox Mazdeanism. If so, it is interesting that this opposition should survive right up to the Sassanian period.

(iii) a myth of Vāy, formerly a supreme deity in his own right, and now half-absorbed into a Mazdean–Zervanite system.

Varan, otherwise unexplained, will then belong to (ii) and owe its presence here to its close association with Āz from whom it proceeds.[1] As the stock adversary of Wisdom, it can hardly be the original adversary of Vāy, who of all gods has the smallest part in that excellence.

The myth of the investiture of the patrons of the castes would also seem to be of Zervanite origin. In text Z 11 the garments are bestowed 'through *Time* from its decisive dispensation that orders aright' (the exception in the case of Ohrmazd has already been noted), whereas the heading of our text Z 12 is: 'Of the colour of *Time* and the nature of that colour and him who dyed it with colour.'

This latter text seems to me to be of indisputably Zervanite origin, though clumsily—very clumsily—rehashed by a Mazdean hand. According to the Mazdean reconstruction Ohrmazd 'dyed Time with colour—with good because in substance the benefit accruing to creatures is from the good . . . and with evil because the evil of the Aggressor comes upon creation from without to confound it'. That Ohrmazd should 'dye' Time with evil is surely unthinkable from a Mazdean point of view. It is tantamount to admitting that Ohrmazd is himself the author of evil; and the whole *raison d'être* of dualism is to preserve the good principle from any possibility of tracing back the origin of evil to it.

It is then safe to conclude that in the original myth it was Zurvān himself who vested Ohrmazd, Vāy, and Spihr (described in *Bundahišn* iii as 'his own body') in the robes of priesthood, warriorhood, and husbandry.

Before leaving the myth of the castes it is not irrelevant to mention here that according to Ṭabarī it was Mihr-Narsē, whose Zervanite sympathies we tried to demonstrate in Chapter II, who appears to have revived the never very strict Iranian caste system by making his three sons the leaders of the three castes as Zoroaster is said to have done before him.[2]

(*e*) *Vāy again*

We have seen that as patron god of the warriors Vāy fits naturally into the myth of the castes. He is, however, a source of quite maddening confusion once he is introduced on to the cosmological plane. Nyberg and

[1] Cf. text Z 12, § 4: 'These categories proceed severally from their origin through the higher to the lower.' The *varanīk* category proceeds from the *ganākīk*. True, the *Dēnkart* does not mention Āz in the *ganākīk* category, but Zātspram probably has preserved the original Zervanite theme. Cf. also the foregoing note.

[2] Nöldeke, p. 110; cf. Schaeder, 'Der iranische Zeitgott', ZDMG. 1941, p. 275.

Wikander have demonstrated that he was originally a supreme god in his own right, and as such he still appears in the *Yašt* of the Avesta dedicated to him (Yt. 15). The *Bundahišn* and the *Dēnkart* have endeavoured to find a place for him in the half-Mazdean, half-Zervanite cosmology on which their accounts are based. These two sources both bring him into the cosmological drama. Zātspram refers to him only once.[1]

Cosmologically Vāy is the Void between the Endless Light and the Endless Darkness.[2] In this sense it may be conceived as extending indefinitely to right and left in a horizontal direction. Before creation and the mixture of the two Spirits it must have been as eternal as they.

§ 26 of the first chapter of the *Greater Bundahišn*, however, refers to the 'fashioning forth' or creation of Vāy:

> From the material (form) of that Spirit which dispels aggression in the two worlds—be it Power or be it Time—he (Ohrmazd) fashioned forth the form of Vāy, the Good, for Vāy was needed: some call it Vāy of the long Dominion. With the aid of Vāy of the long Dominion he fashioned forth creation; for when he created creation, Vāy was the instrument he needed for the deed.

Similarly in § 35:

> And he fashioned forth creation with the aid of Vāy of the long Dominion: for when he fashioned forth Vāy of the long Dominion, it too was as an instrument and needful for the act of creation.

Vāy then appears to be an indispensable element in the drama of creation, partaking of both good and evil. GrBd. i, §§ 24–26 (text Z 1) gives the following sequence of creations:

(i) the fashioning of finite Time from Infinite Time,
(ii) the fashioning forth of the form of Ohrmazd's creatures from the Endless Light,
(iii) the fashioning forth of Vāy of the long Dominion from either Power or Time.

The obvious interpretation of (iii) would appear to be that Vāy of the long Dominion is, so to speak, carved out of the Void, just as Time of the long Dominion is carved out of Infinite Time. The first represents the limitation of Space, the second the limitation of Time. Zurvān, infinite Time-Space, is the source from which both are drawn. Vāy of the long Dominion is then finite Space.[3] This is expressly stated in DkM. 205. 18

[1] Text Z 4, § 15: 'There are things which are not according to the will of Ohrmazd—and these can only be whatever has its root in Vāy who is of a different substance.'

[2] Text Z 1, §§ 1–4: cf. Z 4, § 1.

[3] Cf. text Z 16: 'Its (Time's) limitation consists in the movement of matter in Vāy (Space) by means of the firmament.'

(text Z 11), which speaks of 'the Spirit Vāy whose name is the Wheel, that is the firmament (Spihr), and it is also called *spahr* (= Av. *θwāša-*)'.

For the cosmological texts we therefore have the equation: Vāy of the long Dominion = Spihr. Both are Space; though the latter is conceived of specifically as the firmament and the former as the atmosphere. The text Z 3, § 3, adequately illustrates the relationship or rather identity of Zurvān, Spihr, and Vāy:

> Spihr bestows (good things) on the material world. He who gives in abundance is called the goodly Spihr; and he who gives them sparingly is called the evil Spihr. The things bestowed reach (men) through *Time who is Vāy of the long Dominion, whether it be the instrument of Zurvān or of Ohrmazd.*

In the cosmological texts, therefore, there is no real distinction between the finite Zurvān-Time, Vāy of the long Dominion, and Spihr. They are all finite Time-Space.

The confusion starts when our authors seek to combine the cosmological Vāy with the personal warrior-god of the same name. Thus the *Dēnkart* identifies Vāy and Spihr (text Z 11), yet in the parallel text (Z 12) the 'categories' proceed from their origin from the higher to the lower, from the category of Ohrmazd (*spēnākīk*) through that of Vāy to that of Spihr (*bayānīk*). This must surely be an attempt to weld together two totally dissimilar myths—the myth of the castes and the cosmological myth in which Vāy appears as an hypostasis of Zurvān-Spihr.

(*f*) *The Endless Form*

The last major problem presented to us by the first chapter of the *Greater Bundahišn* is what is called the *asar(ōk) karp(ak)* or 'Endless Form'. This is how it is spoken of in that thorny chapter (text Z 1, § 29):

> He (Ohrmazd) fashioned forth the Endless Form from the Endless Light, and he created all creation within the Endless Form. The Endless Form is exempt from the passage of Time.

The Endless Form, then, is plainly identical with the 'form of the creatures of Ohrmazd' described earlier in the chapter (§ 26). There we read:

> From his own essence which is material light Ohrmazd fashioned forth the Form of his own creatures—a form of fire—bright, white, round, and manifest afar.

The Endless Form then is the raw material of the Ohrmazdean creation. It is described in more detail in a somewhat obscure passage of the *Dēnkart* (text Z 10). We learn in that passage that the 'Form' contained both the 'ideal' (spiritual—*mēnōk*) creation and the material. The *Bundahišn* passage

appears to deal with the material aspect only. We will therefore turn to this first.

The material creation as opposed to the 'ideal' is the domain of 'nature' (*čihr*) and it contains the Spirit of the Power of Nature (*mēnōk i čihr nērōk*). 'Nature' is used in contradistinction to 'will' (*kām* or *aχᵛ* representing Avestan *aŋhvā-*) in several *Dēnkart* passages[1] and is wholly removed from the moral sphere (cf. 'natural life' contrasted with 'voluntary knowledge' in the last note). The material side of the Endless Form is therefore the prototype of the world of nature.

The material 'Endless Form' is here (both in Z 1, § 38, and in Z 10) conceived of as an embryo proceeding from conception to birth. When born this Endless Form becomes Spihr, the firmament, here very plainly conceived of as the macrocosm, the formed creation and the prototype of man. Thus following up a different line of evidence we arrive at the conclusion we have already reached once before. In the Zervanite system Spihr, the body of Zurvān, is the macrocosm or the equivalent of the πρῶτος ἄνθρωπος of the Gnostics. From it proceed the elements.[2]

Now we have seen that the firmament is conceived even by the Mazdeans proper as being compounded of both good and evil or rather as being indifferent to both. It is therefore surprising that the *Bundahišn* (Z 1, § 39) speaks of Ohrmazd as being the father and mother of creation. Without in any way seeking to labour a point which of its nature cannot be formally proved, I would suggest that this is another Mazdean attempt to monopolize a myth which springs from a Zervanite source. It is on a par with the far more obvious case of Ohrmazd 'dyeing' Time with good and evil.[3]

Much the same has happened in a Pahlavī *Rivāyat* (Z 7) dealing with this subject. Here the Endless Form is referred to as an instrument (*aβzār*) 'like a flame of fire, pure in light'. This account has been fully adapted to the Mazdean system, for instead of the four elements proceeding from the infant Spihr, we find the seven Mazdean first creations. The sky was fashioned from its head, water from its tears, the earth from its feet, the plants from its hair, the Bull from its right hand, Man from its seed, and fire from its mind. Finally Ohrmazd himself settles in the 'form'.

We must now turn to another rather obscure *Dēnkart* text (Z 9). Here we come upon the conception of the 'seed' (*tōhmak*) of the Cosmos. From this seed Fortune (*χᵛarr*) derives: the elements (fire, water, and earth) pre-

[1] See note C, p. 144.

[2] v. text Z 10: 'From the Wheel proceeded becóming, the hot and the moist of which the wind (air) is composed: these are connected with the spiritual Word and share in its power: (and from it also proceeded) the elements which are the seed of seeds of material creations . . .'. Cf. *infra*, pp. 141–3.

[3] *v. supra*, p. 125.

serve it and Time is embodied within it. The conjunction of Time and Fortune is strangely reminiscent of Eznik's myth which mentions Fortune along with Zurvān. Further, the conception and birth of the firmament recalls the conception and birth of Ohrmazd and Ahriman in that myth. Conception and birth usually imply the existence of a father and mother. Is it too bold to discern in these texts the dim survival of a myth in which Spihr, the body of Zurvān of the long Dominion, that is the Cosmos, is begotten by the Infinite Zurvān and born of his Fortune?

Some support is lent to this view again by that most knotty of verses in the first chapter of the *Greater Bundahišn*, § 26 of our text Z 1. Here we have two distinct 'forms': the 'form' of the creatures of Ohrmazd which we have already seen corresponded to the Endless Form in other contexts, and the 'form' of Vāy fashioned from 'that Spirit which dispels aggression in the two worlds—*be it Power or be it Time*'—'for Vāy was needed'. Vāy here is obviously identical with Zurvān-Spihr of the long Dominion, or more plainly the material universe; and it thus appears to duplicate the Endless Form of Ohrmazd's creation. This, combined with the evidence we have reviewed hitherto, would seem to indicate that the author of the *Bundahišn* is seeking to combine a purely Zervanite account of the creation in which the material Cosmos is born of Infinite Time with Mazdean dualism. The original Zervanite scheme appears to have remained firmly on the physical plane, busying itself with neither good nor evil. Mythologically the birth of the Cosmos from Zurvān probably antedates the genesis of Ohrmazd and Ahriman.

It will be noticed that in the whole of the semi-Zervanite section of the first chapter of the *Greater Bundahišn* there are curious inconsistencies. In § 29, for instance, Ohrmazd creates True Speech from *material* light, and again the *Ahunvar* prayer proceeds from the Endless Form which itself proceeds from the same *material* light. Why should these wholly spiritual conceptions be represented as proceeding from a *material* origin?

If we return to the *Dēnkart* text Z 10, we will find a fuller account and the *Bundahišn* text will become less obscure. The relevant passage runs as follows:

> On the one hand it (the Endless Form) contains the spiritual (ideal) creation; on the other the material creation. In the spiritual creation the Spirit of the Power of the Word was contained; and in the material creation the Spirit of the Power of Nature was contained, and it settled (in it).[1] The instrument which contains the spiritual creation was made perfect . . .; and within the instrument which

[1] This would seem to be nearer to the original account. For the 'Spirit of the Power of the Word' the Pahlavī *Rivāyat* just discussed substitutes Ohrmazd.

contains the material creation the marvellous Spirit of the Power of Nature was united to the kingdom of the Spirit of the Power of the Word through the will of the Creator.

In fact we really have two 'forms' or 'instruments', not one. One is the prototype of matter from which Spihr, the firmament, is later to proceed; the other is the prototype of the spiritual and moral world: but the two are united at conception. Thus when the *Bundahišn* derives True Speech from material light, it must be confusing the material aspect of the Endless Form with the spiritual. True Speech can only logically derive from the Spirit of the Power of the Word which can scarcely be anything else than the eternal Wisdom (called by the *Bundahišn* Z 1, § 2, 'omniscience and goodness' or 'religion' (*dēn*)) which is the 'will' of Ohrmazd.

A similar logical confusion may be observed in a passage from Šahristānī. 'The Most High God at a certain time . . . of his reign created a spiritual (*rūḥānī*) creation; and when three thousand years had elapsed, he emanated (*anfadha*) his *will* in the form of resplendent light, fashioned in the form of a man: and he surrounded it with seventy of his blessed angels.'[1] Here again we have the incarnation of a divine hypostasis in the shape of a man. The 'spiritual creation' can only be the 'Endless Form'; the 'will' of God (Ohrmazd) is infused into it; and the result is the Cosmos.

In the text of the *Greater Bundahišn* as it now stands (Z 1, § 26) we can only conclude that the 'form' of the creatures of Ohrmazd should refer to the ideal or spiritual prototype only, and the 'form' of Vāy to the material. This must hold true for the Ahrimanian creation too. The 'body' of Ahriman's creation is ideal, and the 'form' of Varan is simply a repetition of the 'form' of Vāy on the Ohrmazdean side.[2] In fact we have three 'prototypes':

(i) the prototype of spiritual good,
(ii) the prototype of spiritual evil, and
(iii) the prototype of matter.

This last is a neutral substance, neither good nor evil, but the battle-ground of the struggle between the two. This battle-ground is Spihr, the body of Zurvān of the long Dominion.

In text Z 10 Spihr, the Cosmos, is born: it is 'the First Body united with the Spirit of the Power of the Word'. In other words, divine Wisdom is infused into the Cosmos at the time of its conception. This represents the fusion of spirit (Ohrmazd) and matter (Zurvān).

It remains only to be noted in this connexion that the period of gestation

[1] Cureton, p. 185; Haarbrücker, i, p. 281. The passage occurs in the account of the *Zarāduštiyya*, not of the *Zarvāniyya*.

[2] v. pp. 124 ff.

of the cosmic embryo is conceived in our texts as taking place during the first 3,000 years of the 12,000-year period.[1]

Having duly considered the 'Endless Form' we must now return to the dark side of the picture.

While the Endless Form, both spiritual and material, was being fashioned, Ahriman 'from the material darkness which is his own essence fashioned forth the body (*tan*) of his creation in the form of coal(?), black and ashen, worthy of the darkness, damned as the most sinful noxious beast. From material self-will he fashioned forth the form of Varan whose religion is the worse; for Varan was needed.'[2]

We have tried to demonstrate that the 'form' of Varan in the Ahrimanian creation superseded the 'form' of Vāy conceived in his maleficent aspect;[3] and we have further suggested that the *material* form of good and evil was originally one, not two.[4] The presence of Varan in this context was attributed to its close association with Āz.[5] Unlike Vāy in the Ohrmazdean creation, then, Varan is the true spiritual manifestation of Ahriman, just as the Spirit of the Power of the Word (True Speech in Z 1, equivalent to the will of Ohrmazd which is Wisdom) is Ohrmazd's *spiritual* manifestation. In this case Varan would be equivalent to the Lying Speech mentioned in Z 1, § 28.

Varan, which is to all intents and purposes identical with Āz or at least derives from the latter, here takes its place. The Varan of the *Bundahišn* account must be a reflection of the original Zervanite tradition preserved by Zātspram according to which Zurvān arms Ahriman with Āz-concupiscence for his own destruction.

Let us now recapitulate the results of our investigation so far. In the beginning Zurvān, the Infinite, alone existed. He desired a son who should be creator, but doubted whether this could come to pass. From this doubt Ahriman was conceived and born, while from his wisdom Ohrmazd arose.[6]

[1] Text Z 1, § 6, describing the first act of creation before Ahriman's first assault: 'For 3,000 years creation stayed in this ideal state, for it was without thought, without movement, without touch.' So ibid., § 38, the process of the material Cosmos is thus described: 'The creation of Ohrmazd was fostered spiritually in such wise that it remained without thought, without touch, without movement, in a moist state like semen.'

[2] Text Z 1, § 27. There is no real distinction between *karp* 'form' and *tan* 'body'. In the *Bundahišn* it will be found that where the MS. TD2 has *tan* the Paris MS. frequently has *karp*. So also the 'Endless Form' of Ohrmazd is called *karp*, but that of Ahriman is *tan*. Later this too is referred to as *karp*.

[3] v. pp. 124–5.

[4] v. p. 129.

[5] v. p. 124.

[6] Šahristānī, text F 4, § 1.

The conception and birth of the material Cosmos was then devised by Zurvān, who himself entered finite form and became embodied in the material Cosmos which is Spihr, the body of the finite Zurvān (Time-Space). This material creation is governed by cosmic order (*dātastān*),[1] which we might call the natural law.

It is to this stage of the cosmic drama that the Āz episode recorded by Zātspram belongs, and here too the investiture myth, *so far as it concerns Ohrmazd and Ahriman*, must be taken into consideration. The first three thousand years of finite Time have passed; the limitation of Zurvān as Space and Time has come to pass, and 'Spihr, the body of Zurvān' is born. The battlefield is ready and the powers of good and evil await the signal for the fray. It is here that Zurvān as the supreme god intervenes.

Though Ahriman, born of Zurvān's doubt, is by nature evil, and Ohrmazd, born of his Wisdom, is by nature good, it still remains for Zurvān to set the seal on their characters.

When first creation began to move and Zurvān for the sake of movement brought that form, the black and ashen garment, to Ahriman, (he made) a treaty in this wise—'This is that implement, like unto fire, blazing, harassing all creatures, that hath the very substance of Āz. When the period of nine thousand years comes to an end, if thou hast not perfectly fulfilled that which thou didst threaten in the beginning, that thou wouldst bring all material existence to hate Ohrmazd and to love thee . . ., then by means of these weapons Āz will devour that which is thine, thy creation; and she herself will starve; for she will no longer obtain food from the creatures of Ohrmazd—like unto a frog that liveth in the water; so long as it defileth the water, it liveth by it, but when the water is withdrawn from it, it dieth parched.'[2]

On the other side Ohrmazd 'himself donned a white garment, and it had the stamp of priesthood; for wisdom is ever with the priests who are guides to men, and all men are their pupils. And the office of Ohrmazd was the act of creation, and it was through wisdom that creation must be created. Therefor did he don the robe of the wise which is the robe of priesthood.'[3]

Within the limits of their nature the two Spirits were free to choose. Ohrmazd chose the robe of priesthood as his essence, and Ahriman the robe of heretical priesthood.[4] The first chose the weapon of wisdom, and the second the weapon of concupiscence. The choice of both was equally effective in the overthrow of the Evil One.

Wisdom in the shape of the Spirit of the Power of the Word was infused into the embryonic Cosmos (Endless Form) at its conception. There is no

[1] Cf. text Z 11, § 5, and Chapter IX, pp. 249–53.

[2] Text Z 5 (*a*), § 35.

[3] Text Z 2, § 4 (GrBd., ch. iii).

[4] v. text Z 11, §§ 3–4.

evidence that in this myth concupiscence made its irruption until Ahriman's successful assault on the fully developed material creation, that is 6,000 years after the limitation of Time. The first 3,000 years were apparently spent by the two Spirits in perfecting their own spiritual armament while the Cosmos was conceived and ultimately born.[1] Of the remaining 9,000 years, 'three thousand would pass entirely according to the will of Ohrmazd, three thousand years in mixture would pass according to the will of both Ohrmazd and Ahriman, and . . . in the last battle the Destructive Spirit would be made powerless'.[2]

In the end Ahriman and his hordes are either expelled from the material Cosmos or annihilated. The 'Final Body' (*tan i pasēn*) is then inaugurated. Seen in this context the 'Final Body' represents exactly what it says—the final shape that the original body or 'form' takes on, the shape it assumes after the expulsion of evil when finite Time again merges into the Infinite. The Final Body is therefore the same body of Zurvān finally delivered from evil, concupiscence, and doubt. 'In the end, manifest and plain, there will be seen by night and in the atmosphere a *form of fire* in the shape of a man, conceived by the spiritual gods, riding, as it were, a fiery horse, and fearful (to behold): and they shall be freed from doubt.'[3]

(*g*) *The Manifestation of Creation*

We have seen that in the *Dēnkart* the 'Endless Form' was conceived of as (*a*) a spiritual entity ruled by the 'Spirit of the Power of the Word' and (*b*) as the source of matter ruled by the 'Spirit of the Power of Nature'. The latter is 'made manifest', to use the Zoroastrian term, in Spihr, the material Cosmos. The former is made manifest in the *Ahunvar*, the basic prayer of the Zoroastrians and essentially identical with the *Dēn* (Religion) which in turn is identical with wisdom.[4] The effect of Ohrmazd's initial recital of this prayer was to precipitate Ahriman back into the darkness, where he lay in a state of torpor for three thousand years.

In the Mazdean version the manifestation of finite Time and of the *Ahunvar* take place simultaneously. So great does the confusion caused by the intermingling of Zervanite and Mazdean ideas appear to have been

[1] That during the first 3,000 years Ahriman may have scored a signal victory over the spiritual creation of Ohrmazd necessitating the formulation of a treaty has already been suggested (p. 99).

[2] Text Z 1, § 14. This, however, is probably a Mazdean rather than a Zervanite account.

[3] Text Z 5 (*a*), § 54. It is tempting to see in this a personification of the *tan i pasēn* (Final Body). As the original creation was in the form of fire (text Z 7, § 2, &c.), so is the Final Body in the form of fire. Significant is the last sentence, 'and they shall be freed from doubt'.

[4] See note D, p. 144.

that, in a late Persian *Rivāyat*, we find Zurvān identified with the *Ahunvar*.[1] In this passage the *Ahunvar* is conceived of as uncreate wisdom, Zurvān as Infinite Time. The author has fused the two together.

Yet another case of confusion between the spiritual and the material appears in the *Bundahišn* passage (Z 1, § 30) immediately following the recital of the *Ahunvar*. The passage runs: 'From the *Ahunvar* the Spirit of the Year came forth which is now in a mixed state, half light and half dark, . . . and is a division of Time of the long Dominion.'

It seems sufficiently clear in this case that the author of the *Bundahišn* has totally misunderstood his sources. As a division of Time of the long Dominion, the Spirit of the Year must proceed from that deity, not from the *Ahunvar* which is the manifestation of Ohrmazd's wisdom. The Spirit of the Year or, better, the Ideal Year in the abstract is, as the text itself says, simply a division of Time, and fits in with the Zurvān-Spihr complex, not with the Ohrmazdean.

If the reader will turn to p. 111, he will find that we had there suggested that the Ideal Year appeared as the last member of a tetrad, Infinite Zurvān —Zurvān of the long Dominion—the Course of Fate—the Ideal Year. Following the reasoning outlined in this chapter we obtain a similar tetrad, Infinite Zurvān—Zurvān of the long Dominion—Spihr, the Cosmos—the Ideal Year. The Ideal Year will, then, be the 'manifestation' of Zurvān of the long Dominion, just as the material creation is the 'manifestation' of finite Space.[2]

The author of the *Bundahišn* (Z 1, § 30) fortunately makes clear his own conception of this manifestation. The Ideal Year is 'now in a mixed state, half light and half dark, three hundred and sixty-five days and nights'. We seem here to be right back at the most simple and primitive form of Zervanism—Time represented as an endless succession of days and nights. Transported into mythology it was all too easy to create a great god Time who, by an analogy with terrestrial experience, must comprise both light and darkness.

> For what thou hast said concerning the two horses, blazing like unto lightning. Both the white and the black are Time: . . . they are night and day which pass by, they reckon each moment of the firmament above us.[3]

The popular tradition has in this case preserved the origin of the myth.

II. THE MATERIAL CREATION

Unlike the cosmological myths which precede it and which have kept us occupied so long, the actual creation of the material world presents few

[1] Text Z 38. [2] See note E, p. 144. [3] v. text F 13, § 9.

difficulties. No non-Zoroastrian source gives a satisfactory account of it, and we are therefore confined to the Iranian versions; and these are, for once, perfectly straightforward. The purely Mazdean account of the material creation is again best preserved in the first chapter of the *Greater Bundahišn* (§§ 32–60), and the Zervanite '*Ulemā* agrees with it.[1] The *Bundahišn* tells its story clearly and well. We shall therefore confine ourselves to a brief summary and refer the reader to our text Z 1.

After the conclusion of the treaty with Ahriman Ohrmazd proceeds with the work of creation. First he created the six Amahraspands—Vahuman, Artvahišt, Šaθrēvar, Spandarmat, Hurdāt, and Amurdāt. After the creation of the material world Vahuman was to adopt cattle as his especial care, Artvahišt fire, Šaθrēvar the metals, Spandarmat the earth, Hurdāt water, and Amurdāt the plants. Having created the Amahraspands Ohrmazd added himself to their number, thus forming a heptad.

Corresponding to the six Amahraspands the sky was fashioned in six stations: first the station of the clouds; second the firmament (Spihr) of the stars;[2] third the stars exempt from contamination; fourth heaven (*vahišt*), the place of the Moon; fifth *Garōδmān* or Endless (*anaγr*) Light, the place of the Sun; sixth the place of the Amahraspands: and to these is added the Endless Light (*asar rōšnīh*), the place of Ohrmazd.[3] The sky itself is the first of a series of six creations: the second is water, the third the earth, the fourth the plants, the fifth cattle, and the sixth Man; and to these fire is added as a seventh, fire 'whose brilliance is from the Endless Light, the place of Ohrmazd'.

In opposition to the Amahraspands Ahriman created six arch-demons—Akōman, Indar, Sāvul, Nāŋhaiθ, Tarič, and Zērič, again adding himself as the seventh. Nothing, however, is said of his creating a material creation.[4] This is surely remarkable: for as we have already observed, in *Bundahišn* i, § 27, Ahriman fashions forth the 'body of his creation' from the *material* darkness, and this 'body' is parallel to the 'form' of the creatures of Ohrmazd, itself identified with the 'Endless Form'. This lends further confirmation to our theory that the material creation in this tradition proceeds from Zurvān and is independent of the Spirits of good and evil.

Ohrmazd created the sky in the form of an egg: its top reaches to the Endless Light, and all creation was created within it. It was the first material creation which Ahriman attacked, and it acted as a bulwark

[1] Text Z 37, § 16.

[2] It will be noticed that in the Mazdean account Spihr takes a very subordinate position. The same is true of Zurvān who in the third chapter of the *Bundahišn* is merely the assistant of Vahuman (Z 2, § 12).

[3] See note F, p. 144.

[4] Dd. 18. 2: *Ahriman rāδ guft 'ēstēt 'ku-š gētēh 'nēst*.—'It is said of Ahriman that he has no material thing.'

against him. The substance of the sky was crystal, and from this the second material creation, water, was made. From water the earth was made, round, but with an even surface; and it was made in three parts, one hard, one of the consistence of sandstone, and one soft as clay.[1] Then the mountains were made to grow out of the earth, and the minerals inserted into it. Fourth plants were created: first one plant only grew in the middle of the earth 'without branches, bark, or thorn, moist and sweet'; and from this all vegetable life proceeded. Fifth the Primal Bull was created on the banks of the river Daitē; and it 'was white and shining like the Moon'.[2] Sixth Gayōmart, the First Man, was created 'shining like the Sun'[3] on the left bank of the river Daitē; for the Bull was on the right. To aid him he gave him sleep which he fashioned in the form of a man 'tall and bright, fifteen years of age'. This sleep was given him in order to deaden the pain that he would feel when the onslaught of Ahriman came.[4] From the light and freshness of the sky the seed of the Man and the Bull was fashioned.

Each of these creations he made at one of the *gāsānbār* seasons; and the whole of the material creation was completed in a year.

This is the story as told by the *Bundahišn*. A very different version is given by one of the Pahlavī *Rivāyats* accompanying the *Dātastān i Dēnīk* (Z 7). True, the six Mazdean creations are to be found there too, and again fire is added as the seventh; but in this case they emerge from a fiery 'instrument' which is conceived of as a man and which can only be Spihr who, as we saw, emerged from the 'Endless Form' and is the prototype of Man. The 'instrument' is described as being like a flame of fire and was fashioned from the Endless Light, 'and from it all creation was made: and after it had been made, it was put into a body; and for three thousand years it was kept within the body, and it grew continually, and it was made better. Then it fashioned (things) one by one from its body.' The sky was created from its head, and it was ruled by Dahmān Āfrīn, 'the Praise of the Wise'. From its feet the earth was fashioned, and Mihr, Rašn, and Srōš were set over it.[5] Water was fashioned from its tears, and the plants from its hair; the Bull from its right hand, and fire from its mind.

In the case of Man (Gayōmart) there is some confusion in the text, for the author seems to have mixed up two traditions: he says (§ 36): 'From

[1] The translation is a little uncertain.

[2] The Avestan epithet of the Moon is *gao-čiθra-*, 'having the seed of the Bull': when the Primal Bull dies, his body and 'prototype' (*aδvēnak*) are delivered to the Moon (GrBd. 72. 11).

[3] Just as the body and 'prototype' of the Bull go to the Moon, so was the body of Gayōmart delivered to the Sun (GrBd. 73. 1).

[4] *Infra*, p. 190.

[5] v. text Z 7, § 5 note. Mihr, Srōš, and Rašn who with Zurvān form a tetrad of Justice are presumably identical with the Three Judges (*3 rat*); v. p. 102.

the clay from which Gayōmart was made (he made) man, emitting him in the form of seed into Spandarmat (the Earth): and Gayōmart was fashioned from Spandarmat and was born.' This is strongly reminiscent of the story of the genesis of Mašyē and Mašyānē, the first human *couple* who sprang from Gayōmart's seed: for when Gayōmart died his seed is said to have fallen into the earth. In the course of time a rhubarb plant grew out of the earth, and from this the first human couple emerged.[1] Thus it would appear that in the present text the phrase 'from the clay from which Gayōmart was made', which seems to make nonsense of the passage, has crept in from another source. The meaning of the passage must then be that the seed of Spihr fell into earth which in due course gave birth to Gayōmart.

The whole myth brings to mind the famous *Puruṣa* hymn in the *Rig-Veda* (x. 90). As there seems to be every reason to believe that this is a case of Indian influence on Iranian thought, we feel that we are justified in reproducing the relevant sections of that hymn here:[2]

(6) When the gods performed sacrifice with Puruṣa as an oblation, the spring was its melted butter, the summer its fuel, the autumn its oblation.
(7) That Puruṣa, born in the beginning, they besprinkled as a sacrifice on the strew; with him the gods, the Sādhyas, and the seers sacrificed.
(8) From that sacrifice completely offered was collected the clotted butter: he made that the beasts of the air, of the forest, and those of the village.
(9) From that sacrifice completely offered were born the hymns and the chants; the metres were born from it; the sacrificial formula was born from it.
(10) From that arose horses and all such as have two rows of teeth. Cattle were born from that; from that were born goats and sheep.
(11) When they divided Puruṣa, into how many parts did they dispose him? What (did) his mouth (become)? What are his two arms, his two thighs, his two feet called?
(12) His mouth was the Brāhman, his two arms were made the warrior, his two thighs the Vaiśya; from his two feet the Śūdra was born.
(13) The moon was born from his mind; from his eye the sun was born; from his mouth Indra and Agni, from his breath Vāyu was born.
(14) From his navel was (produced) the air; from his head the sky was evolved; from his two feet the earth; from his ear the quarters: thus they fashioned the worlds.

The resemblance between the Vedic hymn and our *Rivāyat* passage is obvious. Two episodes are identical; for in both cases the sky is said to

[1] The fullest account of this curious myth will be found in GrBd. 100. 14 ff: cf. Justi's translation, p. 19.

[2] The relevance of this Vedic hymn to Zurvān's sacrifice in Eznik's myth had been previously noticed by Darmesteter, *Ohrmazd et Ahriman*, p. 329; cf. also Menasce, *Škand-Gumānīk Vičār*, p. 31; E. Lamotte, *Notes sur la Bhagavad-Gītā*, Louvain, 1924, p. 94.

have evolved from the head, and the earth from the feet of the Primal Man, as we may justifiably call him in both traditions, for Puruṣa means simply 'man'.

It will have been noticed that in the *Rivāyat* the usual order of the Mazdean creation has been altered: the creation of the earth is described before that of water, whereas in the *Bundahišn* the earth is created *from* water[1] and the short account in Zātspram agrees (Z 4). There would seem to be no reason for this transposition unless the author of the *Rivāyat* were following a different tradition in which the creation of the earth followed immediately on the creation of the sky. This is plainly attested in the Puruṣa hymn; and so much the author would seem to have borrowed, whether directly or indirectly it is impossible to say. In utilizing the myth, however, he must have been handicapped by the fact that he was bound to adhere to the Mazdean sevenfold creation. In borrowing the idea of the sacrificial dismemberment of the cosmic giant he was faced with the problem of suitably fitting the seven Mazdean creations into the latter's anatomy. The sky and the earth were already there: they corresponded to the head and the feet. How were water, the plants, the Bull, and Man to be accounted for? Here the author would seem to have proceeded according to the most obvious analogies. Thus he equates water with the tears, and plants with the hair. The latter analogy is also found in the Zoroastrian comparisons of the mácrocosm with the microcosm,[2] but this is the only point of resemblance and it is therefore unlikely that our author is consciously borrowing from that source. Again the fact that the Primal Bull was created on the right bank of the river Daitē[3] and fell on his right side when he died[4] probably suggested the idea that he proceeded from the right hand of the Giant. The derivation of Gayōmart from the seed, however, may well go back to a genuine Zervanite theme which would derive Man, the microcosm, from Zurvān-Spihr, the macrocosm.[5]

It may, of course, be objected that the resemblances between the *Rivāyat* and the Puruṣa hymn are purely fortuitous, and that it is absurd to trace any connexion between a late Pahlavī text and a Vedic hymn composed probably in the eighth century B.C. There is, however, further evidence which deserves to be examined. First, we now know from Kartīr's great inscription of Ka'ba i Zartušt that during the reigns of Šāpūr I and his

[1] Text Z 1, § 46.
[2] See note G, p. 145.
[3] Text Z 1, § 50.
[4] GrBd. 72. 9: *'pas Ganāk Mēnōk 'ō 'gāv mat. 'gāv 'ō nēmrōč ālak 'pat dašn 'dast ōpast.*—'Then the Destructive Spirit came upon the Bull. The Bull fell towards the southern quarter on his right side.'
[5] *v. supra*, pp. 111–13 and note B, p. 144.

successors Indian religious sects had deeply penetrated into Īrān and that they represented an ideological force considerable enough to be deemed worthy of persecution.[1] Secondly, we saw in our first chapter[2] that Greek and Indian books were said to have been incorporated into the Sassanian Avesta at the time of Šāpūr I. Further details about these books are given in the fourth book of the *Dēnkart* where the names of books are mentioned, notably the *Μεγίστη* (*Al-maǰistī*) of Ptolemy.[3] When we find that one of these books describes the origin of the castes in exactly the same way as the Puruṣa hymn, the strong probability, already suggested by Kartīr's inscription, that the Persians were fully conversant with Indian religious ideas during the Sassanian period, becomes practically a certainty. The passage is so important that it must be quoted *in extenso*. The translation is as follows:

> The -----*kośa* of the Indians and the *Megistē* of the Greeks and other (writings) of that sort were combined with the original literature (the Avesta?) in the Royal Treasury because they offered a reasonable corrective to students of this particular science. Their writings have recently been arranged by scholars, for they were brought from foreign countries: they have been considered and studied, nor have they been neglected or slightingly received on account of their inferiority and foreign name. It happened indeed that with the growth of knowledge they became more highly esteemed, and they did not suffer on account of the outlandish names attached to the books. No single book or volume was discovered which contained in its entirety all the science and learning (contained) in (other) books and volumes: but each (school) carried out research on the basis of its own original book or volume. They call the book in the Royal Treasury which deals with all topics the Compendium(?). Among them the body of man is, as it were, divided between the four castes on earth; Priesthood (corresponds) to the head, Warriorhood to the hands, Husbandry to the belly, and Artisanship to the feet.[4]

Here there is an exact correspondence with what the Puruṣa hymn has to say about the origin of the castes—'His mouth (*mukham*, also 'head') was the Brāhman; his two arms were made the warrior; his two thighs the Vaiśya; from his two feet the Śūdra was born.' In the *Dēnkart* the Iranian castes are substituted for the Indian: for the Brāhmans (priests) we have the *āsrōnān* (also priests), for the *rājanyaḥ* (warriors) the *artēštārān* (also warriors), for the *vaiśyāḥ* (the husbandmen or traders) the *vāstryōšān* (husbandmen), and for the *śūdrāḥ* (the servile class) the *hutuχšān* (artisans). The correspondence is, then, exact except that the belly is substituted for the thighs of the Indian version. Moreover, the passage reappears in the

[1] *v. supra*, p. 11.
[2] p. 10.
[3] So Bailey, *Zoroastrian Problems*, p. 86, who is undoubtedly right.
[4] See note H, p. 145.

Šikand,[1] though it is there obviously based on the *Dēnkart*. Thus it would seem highly probable that the Zoroastrians have here borrowed an Indian myth and modified it in order to suit the Mazdean cosmogony. If that is so we may well consider whether further details have not also been borrowed.

The main difference between the two myths is that on the one hand Puruṣa, as Primal Man, is offered in sacrifice by the gods, and that in the other the Primal 'Instrument' which is Spihr, the body of Zurvān, emits creation from its various limbs, so far as we know of its own accord. The importance of sacrifice in the genesis of Ohrmazd and Ahriman, however, is well known from Eznik and the sources allied to him, and has received detailed treatment earlier in this study. By sacrifice Zurvān gave birth to Ohrmazd, and later in handing over the *barsom* to Ohrmazd he said: 'Hitherto have I offered sacrifice for thee; henceforward shalt thou offer sacrifice for me.'[2] What did Zurvān mean by bidding Ohrmazd offer sacrifice for him? The answer is, I think, indicated by a sentence at the end of the third chapter of the *Greater Bundahišn*, where it is said: 'At the *Rapiθwin* time Ohrmazd and the Amahraspands fashioned the Spirit (genius, idea, *mēnōk*) of Sacrifice. By the performance of sacrifice all creation was created.'[3] One may then legitimately ask how creation came into existence through sacrifice, and who was the victim? Could it not have been Zurvān himself, incarnate in the Cosmos, Spihr; and is that not perhaps the significance of the sacrifice that Ohrmazd was to offer for Zurvān? The idea is attractive and the evidence fits; but there is not enough of it to transmute the pleasing hypothesis into objective fact. The hypothesis, indeed, gives point to Zurvān's injunction to his son to offer sacrifice for him; for in offering himself as victim he would draw up the curtain on a cosmic drama in which his own desire (Āz) and his own doubt (Ahriman), firm allies at first, finally destroy each other in his own body. Or again we may let our fancy play with the myth of the investiture of Ohrmazd, Vāy, and Spihr with the garments of the different castes and speculate as to whether this too was suggested by an Indian source deriving from the Puruṣa myth. All this, however, belongs to the realm of fantasy and there it must be allowed to remain. All that we can say with certainty is that the Indian myth which derived the four castes from various parts of the body of a primal giant was known in Īrān during the Sassanian period and was borrowed by the Zoroastrians.

1. 20: *vaš añdar gāhą kardaa i hast mardum pādāinīṯ pa humānāī i īñ čihār pāšagą i gāhą, čuñ awar sar āsrūī, awar dast aratištārī, awar iškam vāstryōšī, awar pāe hūtuχšī.*

[2] Text F 1, §§ 63–65.

[3] Text Z 2, § 20.

Yet another version of the material creation is hinted at in the *Bundahišn*[1] and fully elaborated in the *Dēnkart*.[2] The *Bundahišn* fragment, which differs radically from the account of the material creation which immediately follows it and which we have already summarized, briefly says: 'From the Endless Light he fashioned fire in material form, from fire wind, from wind water, from water the all-solid earth.' Here we have the four Empedoclean elements arbitrarily introduced into a Mazdean cosmological text where they are exceedingly ill at ease. The full story is told in our text Z 10, and the whole process, which seems physiological rather than mythological in character, starts with the firmament, Spihr, 'the First Body'. This, then, is the true continuation of the myth of the birth of Spihr, the body of Zurvān.

In the firmament were the Sun, Moon, and stars 'like embryos' (whence they had appeared is not stated). They control all existence under them and are themselves the highest natural phenomena. From the firmament the hot and moist proceeded 'of which the wind (air) is composed' and the elements which are the 'seed of seeds of material creations' and the 'movement of becoming' (*bavišn-ravišnīh*). From the 'movement of becoming' proceeds the 'settling of becoming' which is organic life. Now it seems clear enough that all this is based on Greek physics, and we would therefore expect that the four elements would be compounded from the four natural properties (hot, cold, moist, and dry). The *Dēnkart*, however, derives the whole of material existence from the air ('hot-moist' according to Aristotle and the *Dēnkart*), and nothing at all is said of the 'cold' and the 'dry'.

The explanation of this is that the Zoroastrians had assimilated the hot and the moist to Ohrmazd and the cold and the dry to Ahriman.[3] Ohrmazd then would become assimilated to the air and Ahriman to the earth if we care to follow up the Aristotelian parallel! What the source of these identifications is, however, I am at a loss to say. Whatever the reason, the results were embarrassing. Thus the Zoroastrian divines, deriving the elements from the natural properties, would have been logically forced to admit that one—the earth—was wholly evil, and two—fire and water—partly so. This they could scarcely do, since for all but a fraction of them the four elements were holy—more particularly, of course, fire and water.[4]

[1] Text Z 1, § 41.

[2] Text Z 10.

[3] GrBd. 181. 6: *gōhr i Ōhrmazdīk garm 'ut χᵛēt, rōšn 'ut hubōδ *'ut *sapuk.*—'The substance of Ohrmazd is warm and moist, bright and fragrant and light.' Ibid. 188. 11: *gōhr i Ahriman sart 'ut χušk 'ut *sangēn, tārīk 'ut gandak.*—'The substance of Ahriman is cold and dry, heavy, dark and stinking.' Cf. *supra*, pp. 73–78.

[4] That certain extreme Zervanites regarded water as evil has been suggested in Chapter III (p. 74).

They were therefore forced into the uncomfortable position of deriving all four elements, including the earth, from the 'hot' and the 'moist'. The fullest account of this singular development is given in DkM. 120. 22 ff.:

The seed of the material world arose from the fashioning and creative activity of the Creator using the power of the firmament as his raw material (*'pat ras-ōǧ-aβzārīh*); its name in Religion is 'becoming'. This is specifically the 'hot-moist', the origin of material creations. It is also called 'matter' (*mātaγ*). Through the Creator's moderating action the 'first form' arose from becoming: its name in Religion is 'the movement of becoming'. This is specifically the four elements—air, fire, water, and earth—the origin of the nature of material things. Through the Creator's wise action the 'second form' arose from the 'movement of becoming': its name is the 'settling of becoming'. This is specifically the mixture of the four living natural properties. Through the Creator's marvellous action the 'third form' arose, the material form of *fravahr* and soul which unites those same natural properties. This is specifically Man, cattle, and other good living things.[1]

This will then give us the following scheme of the evolution of organic life:

1. Spihr, the firmament: i.e. becoming, hot-moist, matter.
2. The first form: i.e. movement of becoming, the four elements.
3. The second form: i.e. settling of becoming, mixture of the four living natural properties.
4. The third form: i.e. the material form of *fravahr* and soul which unites the natural properties, Man and animals.

That the author of the *Dēnkart* himself found it impossible to reconcile the Hellenistic natural properties with the presumably indigenous tradition which identified Ohrmazd with the 'hot' and the 'moist' can be seen from the fact that he describes the 'second form' as 'the mixture of the *four* living natural properties'.

It will have been noticed that the two latter accounts of the material creation—the formation of the universe from the limbs of a primal giant and the 'physiological' development of organic life from the elements and natural properties—almost certainly derive from a foreign source. The first could be traced back to India; the second points unmistakably to Greece, for the four natural properties are a commonplace of Greek medicine and the four elements go back to Empedocles. Further study of the *Dēnkart* and allied texts might, moreover, bring to light broad strata of Greek thought embedded in the dry theological texts. Professor Bailey has already taken the first steps in this direction.[2]

[1] See note I, p. 145.

[2] An excellent beginning has been made by Professor Bailey in his *Zoroastrian Problems*, pp. 82 ff.

Both these imported creation myths fit more naturally into a Zervanite scheme than into a Mazdean; for in each it is Spihr (whether mentioned by name or not) who is the 'instrument' or 'body' from which the material universe proceeds. Moreover, in the *Dēnkart* passages there is no trace of the sevenfold creation which is the hall-mark of Mazdean cosmology. It is rather the four elements which have taken their place. This is at once reminiscent of Theodore bar Kônai's digest of Zervanite doctrine,[1] where the four elements appear as the terrestrial counterpart of Zurvān and his three celestial hypostases, Ašōqar, Frašōqar, and Zarōqar.

Thus on the one side we see a Zervanism strongly tinged with Indian ideas, and on the other we find it in close alliance with Greek physical theory. It seems, then, that Zervanism owed much to foreign influences which must have made themselves felt at the time of Šāpūr I and which, if we are to believe the *Dēnkart*, were finally expunged from the Zoroastrian religion by the action of Xusrau I.[2]

Zervanism, then, though no doubt originally Iranian in provenance, is a classic example of religious syncretism. Borrowing from East and West it must have collected a mass of heterogeneous doctrine under which the original Iranian religions are barely distinguishable. That Xusrau I should have attempted to introduce doctrinal order into this corpus of heterogeneous belief is readily understood. That Zervanite theories, on the other hand, should have seriously influenced Western thought seems unlikely. Mithraism is no doubt an exception, but even here the Iranian core is barely discernible under the later accretions. That the Pahlavī books borrow extensively from Greek philosophy seems now indisputable: the reverse has yet to be proved. That there was an interaction of ideas between Zoroastrianism and the Gnostic sects is certainly true, but that the main stream of Hellenistic thought was to any extent influenced by Īrān is most unlikely. The Sassanian Empire is no exception to the general rule that the inferior civilization is prone to borrow from the superior. That the heirs of Hellenism were still intellectually far in advance of their Oriental neighbours barely admits of discussion.

NOTES TO CHAPTER V

A. Ibid. Cf. text Z 20: 'Time was originally infinite; then it became subject to limitation: at the end it returns to the Infinite. The law of Time is (to proceed) from original infinity through limitation involving action, motion, and passage, and to return back to ultimate infinity.' Again, text Z 3, § 3: 'This is the operation of Time, that it was infinite but was made finite for the act of creation (and so it

[1] Text F 10.

[2] v. Chapter II, pp. 48 ff.

remains) until the consummation, that is, when the Destructive Spirit is made powerless: then it mingles with that same infinity for ever and ever.'

B. Moses, i. 9 (pp. 42–43 in the edition of le Vaillant de Florival). He speaks of Zurvān, Titan, and Iapetos as being the fathers of three lines of men. He is, therefore, confusing three distinct myths: (i) the Greek myth of the Titans, (ii) the Semitic myth of Shem, Ham, and Japheth, and (iii) the myth recorded by St. Basil according to which Zurvān was the ancestor of the Aryans. The latter myth is certainly responsible for the identification of Zurvān with Abraham in the *Farhang-i-Jahāngīrī*; cf. I. F. Blue, *Indo-Iranian Studies in Honour of Sanjana*, p. 66).

N.B. Zurvān (*zruan*) is the normal Armenian translation of the Greek *Kronos*.

C. v. DkM. 359. 5 ff.: the sense seems to be that the Amahraspands are *kāmīk*, but the firmament (*ras*) and the elements *čihrīk*. Cf. DkM. 379. 1: *'ōh-ič čihrīk zīvandakīh 'ut aχᵛīk dānākīh* [*i*] *'andar martōm martōmīh.*—'Thus humanity in man consists of natural life and intellect which is of the will.' The contrast between *čihr* and *kām* (*aχᵛ*) is practically equivalent to that between *baχt* (fate) and *kōχšišn* (effort, free will). See further DkM. 358. 22: *dahišnān i dātār Ōhrmazd 'hast vīnārišn 'ut yumbišn čihrīk, 'ut 'hast i kāmīk.*—'The behaviour and movement of the creatures of the Creator, Ohrmazd, are partly according to nature and partly according to will.' Cf. also ibid. 149. 14; 352. 7; 379. 1.

D. Cf. DkM. 915. 19: *vičīr i dēn χrat i Ōhrmazd 'hast.*—'The decision of the Religion is the Wisdom of Ohrmazd.' Ibid. 314. 12: *dēn* ⟨*i*⟩ *māzdēsn 'χᵛat 'hast āsn-χrat.*—'The Mazdayasnian Religion is itself innate wisdom (reason).' For the connexion of the Religion and the *will* of Ohrmazd cf. DkM. 31. 10: *'vēh dēn i 'ān i Ōhrmazd kām.*—'The good Religion which is the will of Ohrmazd.' Identical ibid. 45. 4: cf. ŠGV. 10. 20: *kām i dādār bā əš dīn i dādār nā šnāsihəṭ.*—'The will of the Creator cannot be known except through the Religion of the Creator.'

E. Cf. Z 1, § 52: 'These six creations he made in the six *gāsānbār* seasons. In a complete year there are three hundred and sixty-five days or twelve months.' GrBd. 27. 8: *sitīkar 'ēn spihr 'pat humānākīh* ⟨*i*⟩ *'sāl-ē 'nihāt 12 aχtar čēγōn 12 'māhīkān, 'har aχtar-*ē 30 sus(?) čēγōn 'har 'māh-ē 30 'rōč-šapān.*—'Third, this firmament (Spihr) was laid out in the likeness of a year—twelve constellations resembling the twelve months, each constellation having thirty degrees just as each month has thirty days and nights.' The year and the firmament are therefore considered to correspond exactly.

F. Text Z 2, § 7. The division of the sky into seven layers is not originally Mazdean. The seven stations obviously correspond to the seven planets and derive from Babylon. With the exception of the Sun and Moon these had been 'demonized' by the Mazdeans: thus though the 'place of the Sun' and 'the place of the Moon' were allowed to remain, Mazdean names were found for the other five stations. The duplication of the Endless Light (*anayr rōšnīh* as well as *asar rōšnīh*) is interesting as showing that suitable names were not easily found. Moreover, the names do not seem to have been fixed. Thus in GrBd., pp. 28–29, we find the following (from bottom to top): (i) the contaminated firmament, (ii) the non-contaminated firmament, (iii) the Moon, (iv) the Sun, (v) the place of the Amahraspands, (vi) the

Endless Light, the place of Ohrmazd. To these we should probably add (at the bottom) *āsmān* (the sky) as a seventh to correspond with the scheme of GrBd. 194. 12.

This has the following scheme (from top to bottom): (i) the Endless Light, (ii) the place of the Amahraspands, (iii) Garōδmān, (iv) Vahišt (heaven), (v) the non-contaminated firmament, (vi) the contaminated firmament, and (vii) the sky.

Again the first *'Ulemā* (PersRiv. ii, p. 74; Dhabhar, p. 441) differs. It has: (i) the station of the wind, (ii) the firmament, (iii) the station of the stars, (iv) of the Moon, (v) of the Sun, (vi) the Endless Light, and (vii) Garōδmān.

G. GrBd. 189. 8 ff. lists the following correspondences:

pōst čēγōn āsmān	skin like the sky.
gōšt čēγōn zamīk	flesh like the earth.
astak čēγōn kōf	bones like the mountains.
rayān čēγōn rōtīhā	veins like the rivers.
χōn čēγōn 'āp	blood like water.
aškomb čēγōn drayāh	stomach like the sea.
mōδ čēγōn urvar	hair like the plants.
gōhr i tan čēγōn ayō(k)χšust	the substance of the body like the metals.
āsn-χrat čēγōn martōm	innate reason like man.
gōšō(k)srūt χrat čēγōn gōspand	acquired knowledge like cattle.

Cf. DkM. 278. 7: *gēhān tan ātaχš, 'āp, zamīk, ayō(k)šust, urvar 'ut gōspand 'ut martōm, čēγōn 'martōm tan mazg 'ut χōn 'ut ray 'ut paδ 'ut ast 'ut pit 'ut mōδ.*—'The body of the world is fire, water, earth, metals, plants, cattle, and man, just as the body of man is marrow, blood, veins, sinews, bone, flesh, and hair.'

H. DkM. 428. 15–429. 8: *D'L-kōšāk i hindōk, megistīk i hrōmāy 'ut apārīk i 'hač 'ān šōn 'apāk bun-nipēk i 'pat ganǰ i ša*⟨*sa*⟩*pīkān 'ōh handāχt, 'čē 'andar-šān vīrāδišn 'apāk čim 'ō χᵛāstārān i ham-ākāsīh 'ōh nimūt. nipēk-šān* [*i*] *vīrōmandān nōk ārāst, ē 'čē 'hač 'bē-kišvar 'āβurt, ē nikīrīt 'ut ē vičust, frāč 'nē 'hišt nikōnīh 'ut bēkān*[*ān*]*ak-'nāmīh rāδ, 'nē kam patiyraft. 'ut 'būt 'kaδ vaχšišn i dānākīh rāδ vēš-ič stāyast, 'ut 'pat-ič 'nām i 'bē-kišvarīk* ⟨*i*⟩ *nipēkīhā 'nihāt, 'nē vizūt. ēvak-šān nipēk 'ut mātiyān 'pat bavandak-karīh i 'har ākāsīh 'ut dānišn i 'andar nipēkīhā 'ut mātiyānīhā, paytāk 'nē 'kart; 'bē-šān yut yut 'hač bun-nipēk 'ut mātiyān i 'χᵛēš 'χᵛāst. 'ut *hangartīk 'χᵛānēnd nipēk-ē i 'pat ganǰ i ša*⟨*sa*⟩*pīkān 'apar hamāk 'saχᵛan. 'ut 'andar-šān tan i martōmān 4 pēšak i gēhān 'pat baχšišn 'apar 'sar āsrōnīh, 'ut 'apar 'dast artēštārīh, 'ut 'apar aškam vāstryōšīh, 'ut 'apar 'pāδ hutuχšīh.*

kōšāk = Skt. *kośa*: v. Menasce (JA. 1949, p. 2). *D'L* is not clear.

I. DkM. 120. 22 ff.: *tōhmak i gētēh 'būtak i 'hač dātār āβurišn 'ut dahišn 'pat ras-ōž-aβzārīh 'ut-aš dēnīk* 'nām 'bavišn, 'ut nāmčist garm-χᵛēt bun* ⟨*i*⟩ *gētēh dahišnān, mātay-ič 'χᵛānīhēt. 'ut-aš dēsak i fratom 'būtak i 'pat dātār* ['*ut*] *patmān-kārīh 'hač 'bavišn, 'ut-aš dēnīk 'nām 'bavišn-ravišnīh, 'ut-aš nāmčist 'čahār zahakān i 'hēnd vāt, ātaχš, 'āp, 'gil, bun* ⟨*i*⟩ *gētēhān čihr. 'ut dēsak i ditīkar 'būtak* [*i*] *'pat dātār fražānak-kārīh*[*ā*] *'hač 'bavišn-ravišnīh, 'ut-aš 'nām 'bavišn-ēstišnīh, 'ut-aš nāmčist 'čahār ristakān āmēčišn i zīndakān. dēsak i sitīkar 'hač dātār aβd-karīh fravahr 'ut ruvān ham-ristakān hamēnītār gētēh, 'ut-aš nāmčist martōm, gōspand 'ut apārīk zīndakān i vēh.* Cf. DkM. 124. 18 ff.: *'hač ras 'pat dātār āβurišn 'rasītak 'ō 'bavišn garm-χᵛēt, gētēh dahišnān fratom bun. 'hač 'bavišn garm-χᵛēt 'bavišn-ravišnīh, zahakān 'čahār i*

'hast vāt, ātaχš, 'āp, 'gil. 'hač 'bavišn-ravišnīh 'bavišn-ēstišnīh, aδvēnakān i āmēχtak. 'hač zahakān aδvēnakān baχtak 'ō karpān.—'From the Wheel (the firmament), through the Creator's fashioning, is derived becoming, the hot and the moist, the first origin of material creatures. From becoming, the hot and the moist, (comes) the movement of becoming, the four elements which are wind (air), fire, water, and earth. From the movement of becoming (comes) the settling of becoming, mixed forms. From the forms of the elements bodies are derived.' Cf. further DkM. 202. 16 ff. and ibid. 207. 8 ff.

CHAPTER VI

THE LUMINARIES

When (Ahriman) saw . . . that Ohrmazd had created beautiful creatures, yet knew not how to create light, he took counsel with the demons, and said: 'What benefit hath Ohrmazd? for he has created such beautiful creatures, yet they remain in darkness, and he knew not how to create the light? But if he were wise, he would go in unto his mother, and the Sun would be born as his son; and he would have intercourse with his sister, and the Moon would be born.' And he charged (them) that not one (of them) should betray his thought. A demon, Mahmi, having heard this, came before Ohrmazd with all speed, and betrayed that thought to him.[1]

SUCH is Eznik's account of the creation of the Sun and Moon; and this is repeated by no less than six other sources, including a Manichaean fragment.

The fable is certainly Zervanite for three very good reasons: (i) it is reproduced by the sources that are concerned with refuting the Zervanite version of Zoroastrianism and, in the case of Abū Qurra and the Manichaean fragment, it follows on the myth of the birth of the Twins; (ii) there is no trace of it in the Pahlavī books; and (iii) it is unthinkable that Ohrmazd, in a Mazdean account, should be at a loss how to make the world light.

The fullest account of the creation of the luminaries according to the Mazdeans is to be found in the second chapter of the *Bundahišn*.[2] It is simple and straightforward and knows nothing of the dubious complexities retailed by Eznik.

After the creation of the firmament the twelve Signs of the Zodiac were attached to it,[3] and to assist these 6,480,000 minor stars were created.[4] One star was appointed over each of the four heavenly quarters—Tištar (Syrius) over the East, Satvēs (Scorpio according to Henning)[5] over the South,

[1] Eznik, ii, § 8 (text F 7 (*a*)) together with the Manichaean fragment (text F 7 (*b*)); cf. Theodore Abū Qurra (F 2); and from the *Acta Martyrum* our texts F 3 (*d*), F 5 i and ii, and F 6 (Mâr Abhâ).

[2] For an annotated translation v. Henning in JRAS. 1942, pp. 229–48.

[3] *'Ulemā* (text 37), § 13: 'And each of the twelve Signs of the Zodiac which are bound to the firmament he appointed for a thousand years.' Cf. GrBd. 25. 6: *Ōhrmazd andaragi āsmān 'ut zamīk rōšnān frāč brēhēnīt.*—'Ohrmazd fashioned forth the luminaries between the sky and the earth.'

[4] GrBd. 26. 8: *'har aχtar-ē 'hač 'avēšān 6,480,000 χ^v^artak stār⟨ak⟩ 'pat aδyārīh frāč brēhēnīt.*—'To assist each of these constellations he fashioned forth 6,480,000 small stars.'

[5] JRAS. 1942, p. 246; Jackson identified Satvēs with Fomalhaut (ERE. xii, p. 86).

Vanand (Vega) over the West, and Haptōring (the Great Bear) over the North. The supreme commander of them all was the 'Nail in the middle of the sky', that is the Pole Star.[1] Above the Zodiac were set the stars 'exempt from contamination'; and when Ahriman launched his attack on the material creation, he was unable to attain to these.[2] Above these the Moon was installed, and above her the Sun.[3] The firmament itself was created in the form of a wheel;[4] but before Ahriman attacked, it remained stationary and it was always noon.[5] All this is straightforward enough, and there is nothing at all to suggest that the luminaries could only be produced by what can only be described as an act of heavenly incest.

This latter myth is puzzling indeed, and were it not confirmed by the independent evidence of a Manichaean fragment, its very strangeness and the crassness of its imagery might lead us to doubt its authenticity. The Manichaean fragment, however, speaks as plainly as Eznik himself: 'They say', it tells us, 'that Ohrmazd and Ahriman are brothers: in consequence of this doctrine they will meet with their destruction. They lie against Ohrmazd and slander him, (saying) that the demon Māhmī taught him to make the world light.'[6]

The demon Mahmi makes this one meteoric appearance only in the whole corpus of our sources, and that is all we know about him. Only the Acts of Āδur-Hormizd, though ignorant of his name, add that the Magians offer propitiatory sacrifices (*šnūman*) for him annually.[7]

Because of the very insufficiency of the data, no doubt, scholars have put forward various interesting, plausible, and unprovable theories on the subject of this elusive demon. For Junker[8] he was a demon of sexual intercourse; and his name was to be derived from an Avestan *maēθmana-* (from *maēθ-* 'to unite'). Such a form, however, should produce a *mēhman* or

[1] See note A, p. 163.

[2] GrBd. 28. 1: *'an ḥačapar 'avēšān starān agumēčišnīh vīnārt 'ku 'kaδ aβigat 'rasēt, 'pat kōχšišn spōžēnd, 'ō apartar gumēχtan 'nē 'hilēnd.*—'Again above these stars the uncontaminated zone was established so that when the Aggressor came, they should repel him in battle and not suffer him to contaminate the higher regions.'

[3] Ibid. 28. 10: *hačapar 'hač 'ān brēhēnīt māh i gōspand-tōhmak. hačapar i 'ān brēhēnīt χᵛaršēt ⟨i⟩ arvand-asp.*—'Above this (i.e. the stars exempt from contamination) the Moon which has the seed of cattle, was fashioned; and above that the Sun whose steeds are swift, was fashioned.'

[4] Ibid. 27. 15: *'ut-aš spihr ⟨'ut⟩ 'avēšān aχtarān čaχrak aδvēnak 'nihāt 'kē 'andar gumēčišn 'ō ravišn 'ēstēnd.*—'And he made the firmament and the stars in the form of a wheel which, during the time of contamination, is set in motion.'

[5] Ibid. 29. 12: *'tāk matan i aβigat, māh 'ut χᵛaršēt 'ut 'avēšān stārakān 'ēstāt, 'nē 'raft 'hēnd, 'ut apēčakīhā zamān hamē vitārt, 'ut hamvār nēmrōč 'būt.*—'Till the Aggressor came the Moon and Sun and stars stood still and did not move, and time ever passed in purity and it was always midday.'

[6] Text F 7 (*b*).

[7] Text, F 5. i.

[8] *Aionvorstellung*, p. 171, n. 81; *Wörter und Sachen*, xii, 1929, p. 135, n. 2.

mēhm in Middle Persian. The suffix is, in any case, particularly puzzling. Nyberg[1] preferred to derive the name from an Old Iranian **maδmiya-* ('mediator') and equated Mahmi with Mithra (Mihr) in his capacity of μεσίτης. Schaeder,[2] however, rejected this interpretation on the grounds that (*a*) Mithra was unlikely to figure in any tradition as a demon, and (*b*) that in Armenian **maδmiya-* would give *marmi* rather than *mahmi*. It might also be added that Mahmi's action is that of a traitor, renegade, or enthusiastic convert: it is not the action of a 'mediator' in any accepted sense of that word.

Schaeder himself produced a far more subtle theory, maintaining that the whole episode was based on a misunderstanding of the Gāθic text Ys. 32. 1. In that text (second line) the word *mahmī* occurs, and it is the locative singular of the possessive adjective of the first person singular. The word was misunderstood by a translator, lifted bodily out of the text, and transformed into a fully fledged demon. This sounds preposterous. It must, however, be borne in mind that in the Sassanian period the *Gāθās* were scarcely understood at all and that commentators could and did make them mean more or less what they liked. The case of a demon *Ariš* being happily conjured up from an innocent adverb (*ərəš*) has already been noticed.[3] This can only have been done by a Mazdean commentator who understood the gist of the passage very well—viz. that the Bounteous and Destructive Spirits were represented as twins, and could only get out of the dilemma by attributing the doctrine not to Zoroaster but to a demon, Ariš, whom he had himself invented from the text. The disingenuousness of the whole proceeding is patent from the fact that in other less controversial passages the commentators translate *ərəš* correctly as *rāst* 'rightly'.[4] Why then, Schaeder could well have argued, should not the Zervanites do the same with the adjectival *mahmī*?

In fact neither the Pahlavī translation nor the *Dēnkart* paraphrase[5] take *mahmī* as a proper name. The translation has correctly *'pat 'man mēnisnīh*, 'according to my thought'. This does not, of course, in any way prove that a Zervanite commentary *might* not have existed which translated the words *daēvā mahmī* as 'the demon Mahmi'. This—for a Pahlavī translation of a Gāθic passage—would be far from extraordinary and would be exactly paralleled by the *ərəš–Ariš* confusion. The difference is that *ərəš* could (and did) easily suggest Av. *ərəšay-* = Phl. *arišk* (NP. *rišk*) 'envy', whereas *mahmī* corresponds to no known Avestan, Pahlavī, or New Persian

[1] *Religionen*, p. 385.

[2] 'Der iranische Zeitgott', ZDMG. 1941, pp. 294–5; cf. Henning, *Zoroaster*, p. 51.

[3] Ys. 30. 3: v. p. 80.

[4] v. Bartholomae, AIW., col. 355.

[5] DkM. 835. 19–836. 7.

word, as the divergence of scholars' views on his etymology conclusively proves.

Moreover, even if it were proved up to the hilt that Mahmi is nothing but a misunderstood pronominal adjective in the locative case suddenly and magically promoted to demonhood, is it not a little odd that an elaborate myth, which has nothing to do with the Gāθic text from which he allegedly arose, should be invented in his honour? Both Eznik and the Manichaean fragment agree that Mahmi's action consisted in showing Ohrmazd how to illumine the world. This, according to Eznik and other Christian sources, was to be achieved by an incestuous act on the part of Ohrmazd. Where is all this in the Gāθic text?

It is true that a not too scrupulous or not too literate translator might evoke the word *χᵛētōdat* (Av. *χᵛaētu-vadaθa-*) from the *χᵛaētuš* occurring in the first line of the verse under discussion. I cannot, however, see how he could have extracted the idea of the creation of light from the Avestan text. To maintain then that both the demon and the fable of which he is the hero have been extracted from a misunderstood grammatical form seems merely fanciful.

It would, however, be reasonable to suppose that the Gāθic text was interpreted by a Zervanite commentator in the sense of the incest myth, *if such a myth already existed*, and if its hero's name was indeed Mahmi or something approaching those sounds. The name then would have been staring him in the face from the Avestan text, and the incest myth he could have easily elicited from the word *χᵛaētuš*: this would be neither more nor less extraordinary than the parallel case of the adverbial Ariš.

It is, moreover, interesting to refer to the *Dēnkart* paraphrase in this connexion. Both this and the glosses on the Pahlavī translation interpret the text as meaning that certain demons (three, according to the *Dēnkart*) sought to come to an understanding with Ohrmazd, but that the latter summarily rejected their overtures. It is possible that in a Zervanite version these may have been accepted, and that the whole passage was then connected up with the already existing incest myth, in which the demon Mahmi may or may not already have played a part. The name 'Mahmi' may indeed have been introduced from the Gāθic text; and I do not think this unlikely since no satisfactory etymology has so far been proposed.[1] The myth, however, must have been in existence *before* some commentator read so extraordinary a meaning into the Gāθic text. To dismiss the

[1] *māh-mī* could be interpreted as a truncated form of *māh-mihr* > *māh-mī(r)*: cf. Henning, JRAS 1942, p. 239 (*mihr*, widely pronounced *mīr*). For a form *mī* one may compare Zēbakī *mī* 'day'. For the development cf. *hiχr* > *hīr* > *hī* (Horn, *Grundriss der neupersischen Etymologie*, p. 281).

myth—which we now know is attested in a Manichaean source as well as in several Christian—as an invention from the *Gāθās* begs the question. The myth, baffling as it is, must be accepted as genuine both because it is now confirmed by the Manichaean fragment and because even if some amiable idiot were to invent the whole story from a pronominal adjective, it would scarcely receive sufficient currency in Zoroastrian circles to become the target of both Christian and Manichaean polemics.

Further, the defection of Mahmi fits nicely into what we have already seen seems to be fairly typical of Zervanite Zoroastrianism, namely, the freedom of choice which is apparently enjoyed both by Ohrmazd and Ahriman themselves and by their first creatures. The myth, however, does present a genuine problem. How is it possible that Ohrmazd, whose 'place'[1] is the Endless Light and who fashioned his creation from the same Endless Light, should be unable to illumine his creation which was now, for no known reason, *in the darkness*?

Here again we must refer to the theory we have already propounded, that according to the Zervanites the material Cosmos proceeded *not* from the Endless Light but from Zurvān himself;[2] and since Zurvān is in no sense a god of light, the illumination of the Cosmos would thus be necessary. What the precise significance of Mahmi's defection would then be I cannot say.

Regretfully leaving Mahmi for the moment, we must return to the sordid business of the generation of the luminaries, the method of which he revealed to Ohrmazd. We have seen that Ohrmazd was finally able to illumine the Cosmos by producing first the Sun by intercourse with his 'mother' and secondly the Moon by intercourse with his 'sister'. The Acts of Pûsai[3] tell us that he produced the stars as well by similar means, one assumes by a similar relationship with his 'daughter'. The assumption is substantiated by the Acts of Anâhîδ, where we read: 'And if he begot them (i.e. the fire and the luminaries) through his mother, *daughter*, and sister, . . . why should he not resemble us in all things.'[4]

The fact that no original Zoroastrian text with which I am acquainted makes any mention at all of this, to us scandalous, myth cannot be attributed to any shy reserve on the part of the Zoroastrian priesthood, whose advocacy of this practice was notorious. Until comparatively recent times they showed no diffidence whatever in championing a union which is strongly condemned by most religions and which is, one would have thought, repugnant to the natural man. Quite the contrary: in all stages of their ancient literature they extol the practice, quoting it often as being *the*

[1] Cf. text Z 1, § 2.
[2] v. pp. 111, 128, 141.
[3] Text F 3 (*d*).
[4] Text F 5, ii.

most meritorious action it is possible for man to perform,[1] and even seek to sanctify it by attributing the practice to Ohrmazd himself:

> It is revealed that Ohrmazd practised *χᵛētōdatīh* (consanguineous marriage). When Zoroaster sat before Ohrmazd, and Vahuman, Artvahišt, Šaθrēvar, Hurdāt, Amurdāt and Spandarmat were sitting around Ohrmazd, Spandarmat sat in his lap and her arm rested upon his neck. Zoroaster asked Ohrmazd (saying), 'Who is this that reclineth in thy lap, and who loves thee so much and is so dear to thee? Thou who art Ohrmazd dost not avert thy gaze from her, nor doth she avert her gaze from thee; and thou who art Ohrmazd dost not let her out of thy arms, nor does she let thee out of her arms.' Ohrmazd said, 'This is Spandarmat, my daughter, my Queen of Heaven and Mother of Creation.'[2]

This myth may well be a late invention designed to give divine sanction to the 'holy' practice of incest, just as the investiture myth was probably designed to sanctify the three earthly castes. Had the author of the *Rivāyat* from which the quotation is extracted known of a tradition according to which Ohrmazd produced the luminaries by intercourse with Spandarmat, he would surely have introduced it in this context—unless, of course, the myth had fallen into disrepute as being Zervanite. As it is, the story is left very much in the air and leaves us with a series of unanswered questions. First, if Spandarmat is the daughter of Ohrmazd, who is her mother? Second, if she had intercourse with Ohrmazd, what was the fruit of the union? Third—and more important—why is Spandarmat, otherwise so closely associated with the earth as to be identical with it, described here as the 'Queen of Heaven and Mother of Creation'?

Before attempting to answer these questions we must cite a close parallel from a Mandaean text dealing with precisely this subject. Like the Zoroastrians, this extraordinary sect became familiar with astrology and astrolatry through their contact with Babylon. The planets presented the Zoroastrians, both Mazdean and Zervanite, with an interesting dilemma. The stars proper followed their regular courses and so reflected the divine order: the planets, however, followed eccentric courses and for this reason could not be fitted into that order: hence they must be diabolical. This deduction was probably arrived at at a comparatively late date since the planets were in ordinary speech named after Zoroastrian deities corresponding as nearly as possible to their Babylonian archetypes.[3] Astrological

[1] On this see Christensen, *L'Iran sous les Sassanides*, 2nd ed., pp. 324 ff. Chapter viii of the Pahlavī *Rivāyat* accompanying the *Dātastān i Dēnīk* is entirely devoted to this subject.

[2] See note B, p. 163.

[3] Thus Ohrmazd = Marduk = Jupiter; Varhrān (Bahrām) = Nergal = Mars, &c. It is curious that Saturn was not termed 'Zurvān' as might have been expected, but retained his Babylonian name (*Kēvān*), particularly as both the planet Saturn and Zurvān are associated with death.

theory, however, attributed beneficent influences to certain of the planets, maleficent to others. We shall see shortly what mental acrobatics the Zoroastrians had to perform in trying to reconcile the two traditions.

The Mandaean reaction to the foreign cult was typical. Just as in another context the second-century heresiarch, Marcion, took over the Old Testament Jehovah and turned him into a quasi-maleficent deity independent of, yet inferior to, the God of Love, so did the Mandaeans accept the Babylonian stars and planets: these retained their function of architects and controllers of the world associated with the Demiurge, Ptahil; but the world itself was evil and its creation was a mistake. The planets were therefore basically evil.[1] The stars and planets had simply become the taskmasters of an enslaved humanity. Above them and above the Demiurge was the kingdom of Light and the countless pure spirits associated with it whose function was to redeem the soul from its slavery to the luminaries.

On the origin of these, however, the Mandaean *Ginzā* is not consistent. According to one account they were simply created by Ptahil.[2] The second version, however, resembles the Zervanite so closely that it is impossible to escape the conclusion that both go back to a common origin. Since consanguineous marriages were notoriously Magian, it seems fair to suppose that the myth too is of Magian origin.

The Mandaean myth is told in *Right Ginzā*, p. 94 (Lidzbarski's translation, pp. 99 f.). Rūhā, who is the mother of all evil, perceiving that Ptahil is in difficulties, calls to her son, Ur, and solicits his intimacy: 'Auf, schlafe bei deiner Mutter, damit du von der Fessel befreit werdest, mit der du gefesselt, die stärker als alle Welt ist.' After seven days she bore the seven planets.[3] Then she again approached her son and said, 'Ich bin deine Schwester. Wenn du bei mir liegest, wird deine Kraft sich verdoppeln.' After twelve more days she bore the twelve Signs of the Zodiac.[4] It will have been noticed that Rūhā calls herself first the mother of Ur and secondly his sister, just as in the Zervanite myth Ohrmazd approaches first his mother and then his sister in order to generate the Sun and Moon. Then a third time Rūhā approaches Ur and says, 'Steh auf, *mein Vater*, siehe, ich bin deine Tochter. Kose und küsse mich und liege bei mir.'[5] Then she conceives five monsters; and on the first day the heaven was rent and it lightened; on the second day it thundered; on the third the heavens were surrounded by flames of fire; on the fourth there were earthquakes at the gates of the darkness; and on the fifth the pangs of childbirth came

[1] Brandt, *Die Mandäische Religion*, p. 61.

[2] Cf. *Ginzā* (Lidzbarski's translation), p. 294. 7; 446. 41.

[3] Ibid., p. 99. 12 ff.

[4] Ibid., p. 100. 24 ff.

[5] Ibid., p. 101. 25 ff.

upon Rūhā, and she bore the Five. The Five are the five planets proper, less the Sun and Moon. Thus the birth of the planets is represented as having taken place twice over, as Brandt has already shown.[1]

Now the incest motif makes a Magian origin of our myth almost certain, and we must therefore assume that the Zervanite version, or what is preserved of it, is nearer the original than the Mandaean which, if a common origin is to be assumed, has distorted it. In the Zervanite account the result of Ohrmazd's intercourse with his mother and sister is the Sun and the Moon respectively. Why have the Mandaeans substituted the Seven and the Twelve for these? It is possible that in transferring the myth from the realm of light to that of darkness they were not anxious to bring into relief the demonization of the Sun and Moon which are occasionally spoken of as beneficent beings.[2] The planets and to a lesser extent the Signs of the Zodiac were, however, considered devilish powers[3] the former being responsible, with Ptahil, for the creation of the world which this improbable sect, more than any other, regarded as basically and irretrievably evil. The substitution of the Seven and the Twelve for the Sun and Moon of the Magian myth is not unnatural; for the protagonists are no longer the powers of light but Ur, the king of darkness, and his mother, who is the very substance of evil.

Since the planets appear to have been born twice in the Mandaean myth, we might be tempted to conjecture that the third parturition brought about by Ohrmazd's third incest produced the five planets in the Zervanite myth too (for both Mâr Abhâ and the Acts of Anâhîδ[4] clearly show that a third incest of father and daughter was committed). Against this, however, we have the statement of the Acts of Pûsai that the Sun, Moon, and *stars* were the children of Ohrmazd; there is no mention of the planets. Further, our Iranian sources are unanimous in assigning the planets to the creation of Ahriman.

If the reader can bear with me a little longer in investigating this 'senselessness and disgusting imbecility',[5] we will find that the Mandaean myth throws a little light on to the Zervanite episode. Ur and Rūhā commit incest three times in order to generate the luminaries: in the Zervanite myth Ohrmazd does the same. Ohrmazd is alleged to have done so with his mother, his sister, and his daughter: Ur's partner (and mother) when inciting him to action calls herself first his mother, then his sister, and

[1] Op. cit., p. 61.

[2] Brandt, op. cit., p. 62. Cf. *Book of John* (Lidzbarski's translation), pp. 84, 117, and 118.

[3] The Seven and the Twelve are often mentioned together as maleficent powers; cf. *Ginzā* 311. 20; 319. 35; 323. 25, &c.

[4] *Supra*, p. 151: texts F 5, ii and F 6.

[5] Text F 7 (*a*), para. 2.

finally his daughter. Now, among the Zoroastrians these three consanguineous unions were considered to be the most holy of all.[1] It is natural that this triple incest should have been fathered on Ohrmazd. That with Spandarmat, his daughter, is attested, though the offspring of the union is not mentioned: there is, however, no trace of the other two in Pahlavī literature—which, since that literature is practically speaking wholly Mazdean, is not surprising. It is possible, of course, that the triple incest was in fact only of one kind—that between mother and son as in the Mandaean account—and the extreme paucity of goddesses of any sort in later Zoroastrianism, whether Mazdean or Zervanite, would make this probable. Thus we can only conclude that (i) such a myth existed, (ii) that it was invented to sanctify incest, and (iii) that it somehow or other became associated with the creation of the luminaries.

Apart from other considerations the contexts in which it occurs (i.e. Syrian and Armenian Christian polemics) prove that it belongs to the Zervanite rather than the Mazdean tradition. As a justification of incest, however, it must have belonged to both, since Spandarmat, being one of the Amahraspands, falls rather into the Mazdean orbit.

That the incest is secondary in the myth of the production of the luminaries seems to be indicated by the Acts of Anâhîδ; for Anâhîδ seems to suggest that the Magian whom he was addressing was not himself clear whether fire and the luminaries were born of a female or of Ohrmazd himself as a hermaphrodite. It is incidentally he who supplies the name of Ohrmazd's mother (Xᵛašχᵛarrīk, p. 64).

A parallel to this myth[2] from an Aramaic inscription from Arabissus describing *dēn mazdaianiš* (the Zoroastrian Religion *par excellence*) as the wife and sister of Bel (here presumably representing Ohrmazd) is not particularly helpful. True, the *χᵛarr i dēn i mazdēsnān* (the Fortune of the Mazdayasnian Religion) appears repeatedly in the Pahlavī texts as a star-studded girdle around the sky,[3] and is the general of those stars in the highest heaven which are exempt from contamination by Ahriman.[4] This, however, is not enough to prove that the 'Fortune of the Religion' was the agent by which Orhmazd created the luminaries.

It is, however, significant that Zātspram, who, as we have seen, often preserves traces of Zervanism which have disappeared elsewhere, speaks of Spandarmat as being girt with the *Dēn* (Religion) as with a girdle.[5] This, he says, constitutes Spandarmat's motherhood of the *Dēn*.[6]

[1] Cf. PhlRiv., l.c.; DkM. 72. 20 ff., and Christensen, l.c.

[2] Chabot, *Rép. épigr. sémit.* iii. 1785 *apud* Bidez–Cumont, *Mages*, i, p. 95, n. 2.

[3] GrBd. 71. 6; 193. 11; Dd. 36. 35; 38. 14.

[4] Cf. p. 148, n. 2.

[5] See note C, p. 163.

[6] Zs. 4. 8: *'ēn-ič būt 'mātarīh i 'pat *dēn*

From the shreds of evidence we have been able to glean from the Pahlavī texts we can now reconstruct a parallel to the Zervanite incest myth found in the Christian sources. Spandarmat, described in the *Rivāyat* passage as the 'Queen of Heaven', appears in Zātspram as 'mother of the *Dēn*'. The 'Fortune of the *Dēn*' is depicted as the star-studded girdle of the firmament (Spihr),[1] the barrier beyond which the powers of evil cannot pass.[2] Being the general of, and thus representing, the luminaries, the 'Fortune of the Religion' may thus have been represented in a Zervanite tradition as the offspring of Ohrmazd and his daughter, Spandarmat, who as 'Queen of Heaven' may represent some deity in the Zervanite pantheon unknown to us.

The incestuous procreation of the stars by Ohrmazd, then, is reflected in the Zoroastrian texts themselves. Similar corroboration for the incestuous genesis of the Sun and Moon, however, is not so far forthcoming. Whether or not the dubious Xᵛašχᵛarrīk was in the fable the mother of the Sun; who is understood by Ohrmazd's sister; and whether all three—the mother, sister, and daughter—are not really one as in the Mandaean myth, are points that must for the present remain unresolved. The question of the engaging demon, Mahmi, moreover, still remains shrouded in impenetrable obscurity.

The myth is, however, instructive in another way; for it illustrates a basic difference between the Mazdean and Zervanite conceptions of both Orhmazd and Ahrimaṅ. The Mazdean conceives Ohrmazd as omniscient and omnipotent, his wisdom and power being, logically enough, limited to the possible: his essence is goodness. What the Mazdean understood by divine omnipotence is clearly set out by Mardān-farruχ in the third chapter of the *Šikand Gumānī Vazār*, and we cannot do better than quote him:

When one says that a thing is impossible and further says that God has power to do it, that thing is then removed outside the bounds of the impossible, for

MSS. *DTW*) *i 'pat Spandarmat 'bē 'dahīhast.*—'This was the motherhood of the Religion which was given to Spandarmat.' This is the significant sentence: it appears to have little or nothing to do with the passage recorded in note C, p. 163. Wearing the *Dēn* as a girdle scarcely constitutes motherhood. Zātspram, then, must have known of another myth in which Spandarmat figured as the mother of the *Dēn*; this is actually found in §§ 1–3 of the same chapter.

[1] GrBd. 193. 11: *'χᵛarr i dēn i māzdēsnān kūstīk humānāk i star-pēsītak mēnōkān-tāšīt 'ān spihr *dāšt 'ēstēt.*—'The firmament stands arrayed in the Fortune of the Mazdayasnian Religion, as in a girdle studded with stars and fashioned by the spiritual powers.'

[2] Dd. 36. 35: *'ōδ aiβyāhan 'ēstēt mēnōk vaχšīk 'ān i band-drupuštīh 'kē-š harvisp bandān nikās ov-iš i 'χᵛat 'hast 'vazurg 'χᵛarr . . . ⟨i⟩ dēn: apēčak gumān-vičār brāzīhēt.*—'There stands the girdle, a blazing spirit, the fortress for the bonds to which the guarding of all the bonds (i.e. the invisible bonds connecting the stars) is entrusted, that is the great Fortune of the Religion: pure it shines, dispelling doubt.'

then it ceases to be impossible, and becomes possible. Just as his power is confined, so is his will. For he is wise; and the will of one who is wise is (concentrated) entirely on the possible; and his will does not encroach on what is impossible, for he only wills that which can and ought to come to pass.[1]

Thus, the author goes on to say, it would be inaccurate to say that Ohrmazd is able to hold Ahriman back from evil; for evil is his eternal essence and cannot be changed. Devilry can never be changed into godliness any more than darkness can be turned into light, or light into darkness. No substance can change in its nature, and only those who do not know what a substance is could say that it can.[2]

Contrast this with the conception of the same deity as exhibited by Eznik[3] and the Syriac writers. For them Ohrmazd is indeed good, but his goodness seems to be divorced from common sense, let alone wisdom; for he could not even think of a method of creating the light and had to be instructed by the accommodating Mahmi, a renegade from Ahriman's camp. Ahriman, on the other hand, whom the Mazdeans represented as being essentially both evil and stupid, shows himself to be both clever and to some extent beneficent, for he knew how the light could be created and was in a certain way instrumental in its creation. So, as Āδur-Hormizd pertinently asks, 'Should we try to please Ahriman who, according to your words, appears wise, knowing, and mighty from his works, just as Ohrmazd appears weak and stupid, for he could create nothing till he had learnt from the disciples of Ahriman?'[4]

Again on the Ahrimanian side we find Mahmi breaking loose from his master's tutelage to join forces with Ohrmazd, just as in another myth derived from a similar source Woman (and again water) seems to have deserted Ohrmazd for Ahriman[5]—each thus exercising a choice that was at variance with its nature.

We have now seen that the Sun, Moon, and stars were produced by 'heavenly incest' in the Zervanite story. The genesis of the planets is equally scabrous; and this again tends to confirm the genuineness of the Mahmi myth, so hastily impugned by Schaeder. These Ahriman conceived and bore (*vīšūt*)[6] by committing sodomy on his own person.[7] This particular vice was regarded by the Zoroastrians as the most damnable of all offences—the Ahrimanian counterpart of incest which was regarded, as

[1] ŠGV. 3. 9: *ka guft ku nə šāyaṭ būdan, diṭ gōeṭ ku yazaṭ padaš tvąnī, ąš əž vīmañd i nə šāyaṭ būdan burd. či pas nə nə šāyaṭ bə šāyaṭ būdan. čuñš tvą sāmąnmañd awąniča ažaš kām; či faržąnaa, u kām i faržąnaa har ō ą i šāyaṭ būdan; vaš kām ō ą i nə šāyaṭ nə vadīraṭ; či har ą kāməṭ i šāyaṭ sažəṭ būdan.* Cf. also text Z 22 and Z 17: 'He who is both origin and God of all, is omnipotent in (the sphere of) the possible.'

[2] See note D, p. 164.

[3] Text F 7 (*a*).

[4] Text F 5, i.

[5] Text F 10 and p. 74.

[6] Text Z 28 (*a*), § 4.

[7] Text Z 8, § 8.

we know, as the most sublime virtue.[1] This unedifying detail was probably invented to balance the Ohrmazdean 'virtue' in the usual Zoroastrian way; and by associating this vice with Ahriman the priests no doubt sought to 'diabolize' it. This squalid mythology would almost certainly follow, rather than precede, the practices extolled and condemned.

We can now leave the sordid tale of the genesis of the luminaries and proceed to study the effects they were supposed to produce on earth. Since Zurvān of the long Dominion is embodied in the Cosmos (Spihr) and Spihr is specifically identified with the firmament, it is not surprising that the luminaries play an important part in Zervanite doctrine.

All welfare and adversity that come to man and other creatures, come through the Seven and the Twelve. The twelve Signs of the Zodiac, as the Religion says, are the twelve commanders on the side of Ohrmazd; and the seven planets are said to be the seven commanders on the side of Ahriman. And the seven planets oppress all creation and deliver it over to death and all manner of evil; for the twelve Signs of the Zodiac and the seven planets rule the fate of the world and direct it.[2]

At the time of the original creation, we are told, the material creation was as good as the spiritual, and the Sun and Moon and the Signs of the Zodiac were put in charge of it: they received good things from Ohrmazd and distributed them justly on earth. The planets, however, upset this benevolent dispensation; for whatever the constellations bestow is intercepted by the planets and diverted to the use of the demons. When Ahriman made his successful attack on the material creation, he was accompanied by the planets.[3] The measures taken by the forces of light to counteract their baleful influence are fully told in the fifth chapter of the *Greater Bundahišn* and the fourth of the *Šikand Gumānī Vazār*, the gist of which is given in the following paragraphs.

The demonization of the planets had embarrassing consequences for the Zoroastrians. They had adopted the number seven from Babylon, and that number naturally included the Sun and Moon, both of which had been the object of the highest veneration among the Iranians from the earliest times. How could this be reconciled with the evil nature of the planets? In order to obviate the difficulty they invented a 'dark' Sun and Moon[4] which were supposed to be responsible for the eclipse of the Sun and Moon proper. When the planets invaded the firmament each chose its appropriate

[1] For sodomy as the characteristic act of Ahriman and the demons cf. PhlRiv. 8 *d* 2 (p. 13): *paytāk 'ku Ahriman i gijistak 'kaδ-aš 'apāk 'χᵛēš-tan kūnmarz kart, aš garāntar 'būt čēγōn 'kaδ-aš 'apāk 'dēvān kart.* It is the worst of all sins; so Mχ. 36. 2: *'hač vinās i 'martōmān 'kunēnd kūnmarz garāntar.*

[2] Text Z 8, §§ 12–14.

[3] Text Z 28 (*a*).

[4] *Miθr i tamīk* and *māh i tamīk*, GrBd. 57. 7 ff. ŠGV. 4. 46: *mihir u māh i awāχtarī.*

antagonist. The planet Jupiter (Ohrmazd) attacked the Great Bear (Haptōring) in the north; Venus (Anāhīt) attacked Scorpio (Satvēs) in the south; Mars (Varhrān) Vega (Vanand) in the west; Mercury (Tīr) Sirius (Tištar) in the east; and Saturn (Kēvān), the supreme commander of the planets, attacked the Pole Star, who is the commander-in-chief of all the Signs of the Zodiac.[1] Besides the planets two other maleficent beings are mentioned, Gōčihr and Mūšparīk by name.[2] These are perhaps identical with the ἀναβιβάζοντες mentioned in the Manichaean *Kephalaia*, lxix[3], on which the planets are said to depend. These were bound to the chariot, or, according to the *Šikand*, the brilliance of the Sun, to prevent them from doing excessive harm. The same treatment was meted out to the planets, who were bound with two ropes to the Sun and Moon[4] and clothed in the light of Ohrmazd so that men, on seeing them, should not be terrified.[5] Their being bound in this way was held to explain their irregular motion, for when they reach the bottom of the rope they are pulled back and are not allowed to pursue their own course.[6]

According to the astrologers, however, the planets Jupiter and Venus were propitious. This the Zoroastrians would attribute to the garments of light with which Ohrmazd had clothed them or again to some influence emanating from their celestial opponents.[7] The latter, however, seem to have had remarkably little success in restraining their bondsmen: for whatever benefits they bestowed on the world were intercepted by the planets whom they were supposed to control, and distributed in a manner that was anything but advantageous to the good creation.[8] It is a peculiarity which the Zoroastrians share with the similar dualistic systems of the Mandaeans and Manichaeans that, though they represent the powers of good as rapidly gaining control of their evil counterparts, these nevertheless, even when subdued, exercise a quite disproportionate influence over the events of the world. The Mandaeans, who have a similar myth concerning

[1] GrBd. 52. 3 ff.; ŠGV. 4. 32 ff.

[2] See note E, p. 164.

[3] p. 169. 13–16: cf. Menasce, ŠGV., p. 47 and note (3) there; also Puech, *Le Manichéisme*, p. 171, n. 321.

[4] See note F, p. 164.

[5] See note G, p. 164.

[6] ŠGV. 4. 43: *har ka ō awadim i jīk šawañd, pa pas awāž āhañžəñd, vašą χᵛōš-kāmaihā raftan nā hələñd, ku dąm nā vanāsəñd.*—'Whenever they go to the end of the rope, they draw them back and do not let them rove at will; and thus they cannot harm creation.'

[7] Ibid. 4. 37: *nākī i əž āšą gadūgą gōeñd əž ą pañja stāraa i hōrməzdī, čuñ vāš-nīrōī kamvazūdārī pārōžī ayāwəñd.*—'The good which they say comes from those "robbers", comes from those five stars of Ohrmazd, for (the latter) obtain victory since their power is great and the damage (they suffer) small.' Cf. p. 164, n. G.

[8] Texts Z 28 (*a*) and (*b*); ŠGV. 4. 9: *haftą star-karfą faryą i ažār āšą dvārəñd apurdārą i jaṭ baχtārą.*—'The seven star-forms, the Perīs which roam about beneath them (viz. the Signs of the Zodiac) are robbers who distribute amiss.'

the binding of the planets[1] nevertheless habitually refer to them as the 'Rulers of the World'.[2] Thus, too, the *Mēnōk i χrat* distinctly says that the planets in conjunction with the constellations control the fate of the world,[3] and the *Bundahišn* frankly admits that the two planets, Saturn and Mars, regarded by the astrologers as inauspicious, proved more powerful than their adversaries.

In the beginning when the Aggressor rushed in, it so happened that the dark Sun and Moon were bound(?) to the chariot of the Sun and Moon: therefore they can do no harm. The Great Bear and Scorpio showed themselves more powerful than Jupiter and Venus; and they prevented Jupiter and Venus from doing harm. Therefore do the astrologers call them beneficent. Mars proved to be more powerful than Vega, and Saturn than the Pole Star; and the harm they do is plain to see. Therefore the astrologers account them evil-doers. Mercury who is the demon Apaōš, attacked Sirius. These two proved to be of equal strength and power. Therefore the astrologers say that Mercury does good to those who do good and evil to those who do evil. . . . For the same reason they say that Jupiter is the planet of life and Saturn the planet of death. For Jupiter, being powerless against his adversary, bestows whatever his adversary wills, and gives life, greatness, and riches. Saturn, being victorious over his adversary, does what is hurtful to him,—death, misery, poverty, torture(?), and adversity.[4]

Thus the planets, even when bound, seem on balance to have the better of the astral battle since it is their commander-in-chief who is victorious. The terrestrial world, therefore, is predominantly controlled by evil powers. The similarity of this doctrine to that of the Gnostics is too obvious to need emphasis.

In a curious Persian *Rivāyat*[5] which is closely connected with the *'Ulemā* and even more Zervanite in tendency we find a different account of the planets. Here the demonization has gone less far, and the approximation of religious myth to astrological theory is more complete. According to the astrologers only Saturn and Mars had an evil influence: Jupiter and Venus were auspicious, and Mercury occupied a neutral position. The way in which this *Rivāyat* seeks to reconcile the binding of the planets with astrological ideas is ingenious and diverting. In the writings of the Religion the author learnt that all the seven planets were bound; moreover, these planets were demons, and very powerful demons at that. How was this to

[1] *Ginzā* (Lidzbarski), p. 104. 19: 'Die Unholde stellten sich hin und wurden in ihren Banden gefesselt'; cf. ibid., p. 319. 16; 492. 16.

[2] Ibid. 296. 16; 512. 35, &c.

[3] Text Z 8, § 12.

[4] See note H, p. 165.

[5] For the text and translation v. Spiegel, *Die traditionelle Literatur der Parsen*, pp. 162 ff.; cf. our text Z 37, note *m*. The passage has been discussed by the same author in *Eranische Alterthumskunde*, ii, pp. 180 ff.

be reconciled with the astrological opinion that Jupiter and Venus exercised a propitious influence?

The problem was solved in this way. Of the 'seven worst demons' who were naturally the planets in the original myth, four—whose names are unspecified—were seized and bound in the eighth heaven—the heaven of the fixed stars in this account. The three left over were the inauspicious planets—Saturn, Mars, and the equivocal Mercury. Thus Saturn was put in the seventh heaven, Mars in the fifth, and Mercury in the second. The Sun and Moon, Jupiter and Venus could therefore be regarded as belonging to the good creation, since four of the planet-demons had been spirited away into the eighth heaven and only seven planets in all had been bound. *Ergo*, the Sun and Moon, Jupiter and Venus were not planets at all!

This account is merely an example of later Zervanism trying to reconcile the two opposing theories: it in no way proves that Zervanism was more influenced by Babylonian astrology than was Mazdean orthodoxy. It is not a genuine myth based on astrological data, but an obviously late patchwork of the old myth, according to which the planets were evil, and the ordinary astrological view with which we are now familiar. This is proved by the curious invention of four nameless demons who are carried out of harm's way into the heaven of the fixed stars and who are merely substitutes for the Sun and Moon, Jupiter and Venus which had somehow to be fitted into the good creation. The four demons are only introduced in order to make up the required number of seven evil planets.

We have already seen that Zurvān was a god of destiny, and it is Spihr, the firmament, through which this destiny is apportioned on earth.[1] The Signs of the Zodiac are an integral part of the firmament and are the active agents through which fate operates: their dispensations are, however, perverted and diverted by the planets who roam about under the firmament and are bound to the Sun. The *Bundahišn*, however, speaks of the firmament as being both good and evil;[2] that is, it must contain the planets as well as the Signs of the Zodiac. This is plainly the Zervanite view; for, as we have seen, Zurvān is indifferent to good and evil. Through the firmament, the Twelve and the Seven, he manifests himself as fate: he is the apportioner of fortune, whether good or bad, and the luminaries are his agents. The binding of the planets is probably common to the Zervanites and Mazdeans since it is also found in Manichaeanism[3] and Mandaeanism:[4]

[1] pp. 111 ff. and p. 127.

[2] Text Z 3, § 3.

[3] Cf. the Turfān fragment M 98 (F. W. K. Müller, *Handschriften-Reste in Estrangelo-Schrift aus Turfan*, ii, p. 37 ff.); Salemann, *Manichäische Studien*, i, p. 16; Jackson, *Researches in Manichaeism*, pp. 30, 31, and 38; *hpt 'b'χtr przyd.*—'The seven planets were bound.'

[4] v. p. 160, n. 1.

but their position below the firmament rather than in it would appear to be a Mazdean variation aimed at absolving Ohrmazd, who, for them, was the creator of the firmament, from all participation in the activities of the planets.

Before closing this chapter we must refer to yet another version of the role of the planets in the Cosmos: and since Zātspram is the author of it, it may be taken that this too was current among Zervanites. It occurs in his treatment of the macrocosm and microcosm and differs substantially from the account given in the *Bundahišn*.[1] There seems to be no suggestion that the planets are evil, but rather that they are an integral and harmonious part of the Universe. They are compared to the different components of the human body—the Moon to the marrow, Mercury to the bones, Venus to the flesh, the Sun to the sinews, Mars to the veins, Jupiter to the skin, and Saturn to the hair.[2] Obviously, then, the planets are regarded as ruling or representing the seven grades of the heavenly sphere or firmament, the uppermost being ruled by Saturn which corresponds to hair in man, the second by Jupiter corresponding to the skin, and so on down to the Moon which corresponds to the marrow. Similarly, the *Bundahišn*[3] compares the hands and feet of man to the Seven and the Twelve, forgetting apparently the diabolic role it had assigned to the planets in an earlier chapter. This 'naturalistic' view of the planets as ruling the seven heavens is, of course, that of the astrologers.

Thus we have three separate accounts of the origin of the luminaries:

(i) The Sun, Moon, and the Signs of the Zodiac are produced by the incestuous intercourse of Ohrmazd with his mother, sister, and daughter: the planets are produced by the sodomy of Ahriman.

(ii) The Sun, Moon, and stars are simply created by Ohrmazd, and the planets by Ahriman. According to both these views the planets can only be maleficent powers.

(iii) The astrological view which derives good fortune as well as bad from the planets. All the luminaries are simply part of the revolving sphere.

The first view must be regarded as Zervanite and the second as Mazdean for reasons which we have already advanced. Both agree in the demonization of the planets, and both are faced by the same difficulties when confronted with the astrological theory. It is, however, a mistake to regard the astrological interpretation of the Universe as specifically Zervanite on the grounds that that sect laid overwhelming emphasis on fate. So long as the heavenly sphere is regarded as the source of fate indifferently apportioning good and evil to mankind, it matters little what role the subsidiary agents —that is the stars and the planets—play. The essential difference between Zervanism and Mazdeanism in this respect is not in the method of operation of fate as manifested particularly in the planets, but in the scope of fate, that is whether man has any power against it or whether it is so overwhelmingly strong as to be irresistible. This fundamental question will be discussed in Chapter X.

[1] GrBd. 189. 7 ff.

[2] Zs. 30. 5–11: *niyāβīhast mazg 'ō māh . . . 'ut hačapar māh Tīr, 'ut-aš mēhmānīh 'apar ast. 'ut hačapar Tīr Anāhīt, 'ut-aš mēhmānīh 'apar 'gōšt. hačapar Anāhīt Miθr, 'ut-aš mēhmānīh 'apar paδ. 'ut hačapar Miθr Varhrān, 'ut-aš mēhmānīh 'apar χōnīk ray. hačapar Vahrān Ōhrmazd, 'ut-aš mēhmānīh 'apar pōst, hučihr-gar i tanān. hačapar Ōhrmazd Kēvān, 'ut-aš mēhmānīh 'apar mōδ.*

[3] GrBd. 189. 13: *'dast 'ut 'pāδ aβzār čēγōn 7-ān 12-ān.*

NOTES TO CHAPTER VI

A. GrBd. 26. 11: *'pat 'avēšān aχtarān 4 spāhpat *'pat 4 kust gumārt, spāhpat-ē 'apar 'avēšān spāhpatān gumārt . . . čēγōn 'gōβēt 'ku Tištar χᵛarāsān spāhpat, Satvēs nēmrōč spāhpat, Vanand *χᵛarāβarān spāhpat, *Haptōring apāχtar spāhpat. mēχ ⟨i⟩ gās 'kē mēχ i miyān i āsmān 'gōβēt, spāhpatān spāhpat.*—'He appointed four commanders over those stars in the four points of the compass, and he appointed a commander over those commanders. . . . For it is said that Tištar is the commander of the East, Satvēs commander of the South, Vanand commander of the West, and Haptōring commander of the North. The Pole Star, which is called the "Nail in the middle of the sky", is the commander of the commanders.'

mēχ ⟨i⟩ gās is the Pole Star; *mēχu'l-ǰāh* appears in Arabic in this sense: for discussion and references v. Taqizadeh, *Gāh-šumārī dar Irān i qadīm*, pp. 331–2.

B. PhlRiv. 8. 2–4 (p. 9): *'ut Ōhrmazd 'pat χᵛēt⟨ō⟩datīh kartan paytāk 'ku 'kaδ Zartuχšt 'pēš i Ōhrmazd 'nišast, 'ut Vahuman 'ut Artvahišt 'ut Šaθrēvar 'ut Hurdāt 'ut Amurdāt 'ut Spandarmat pērāmōn i Ōhrmazd 'nišēnēnd, *aš Spandarmat 'pat kanār 'nišēnēt, 'ut-aš dast 'pat grīv 'āβurt ēstāt. Zartuχšt *'bē 'ō Ōhrmazd pursīt 'ku 'ēt 'kē 'pat kanār i 'tō 'nišēnēt, 'ut-aš ētōn dōst 'hēh, 'ut 'ān-ič 'ō 'tō ētōn dōst 'hēh. 'nē 'tō 'kē Ōhrmazd 'hēh, *'hač 'avē 'čašm 'bē vartēh, 'ut 'nē 'avē 'hač 'tō 'bē vartēt. *'tō 'kē Ōhrmazd 'hēh, 'avē 'hač dast 'bē 'nē 'hilēh, 'ut 'nē 'avē 'tō 'hač 'dast 'bē 'hilēt. 'ut Ōhrmazd guft, 'ēn Spandarmat i 'man 'duχt, 'ut-am katak-bānūk i vahišt 'ut 'māt i dāmān.*

C. Zs. 4. 4–6: *paytākīh i dēn 'pat Spa⟨n⟩darmat 'pat 'ān gās būt 'kaδ Frāsyāβ 'āp 'hač ērān-šaθr 'apāč dāšt 'ut 'āp 'apāč 'āβurt. kanīk-karpīhā 'pat χānak i Mānuščihr i ērān-šaθr dahyupat anērān pāsaχᵛ-guftār 'būt: *'ōh paytākīhast. 'ut-aš patmōχt dāšt rōšnīk patmōčan 'kē 'bē frōkīhast 'ō vispān kustakān hāsr-ē drahnāδ i 'hast *frasang* (text *PLDDMN*) *2 humānāk. 'ut-aš 'pat miyān bast dāšt zarrēn kūstīk i 'χᵛat būt dēn i māzdēsnān.*—'The Religion was manifested in Spandarmat at the time when Frāsyāβ withheld the waters from Īrān and (Spandarmat) brought them back. In the form of a maiden she made answer to the non-Iranians in the house of Mānuščihr, the lord of Īrān: thus did she appear. She was arrayed in a bright robe which shone forth in all directions for a *hāsr's* length, that is about two parasangs. And she was girt with a golden girdle which was the Religion of the Mazdayasnians.'

D. ŠGV. 3. 16 ff.: *agar gōem ku dādār Hōrməzd Āharman əž vatarī yaš hamāšaa gōharī awāž dāštan tvą, ą gōhar i dāwī ō yazadī u ą i yazadī ō dāwī vardinīdan šāyaṭ, u tār rōšan u rōšan tār kardan šāyaṭ. gōhar pa χᵛadī vaštan, gōhar nə-šnāsą gōeñd.*—'If I say that the creator, Ohrmazd, can restrain Ahriman from the evil which is his eternal substance, that involves changing the demonic substance into the divine and the divine into the demonic, and making darkness light and light darkness. (Only) those who do not know (the meaning of) substance speak of substance changing of its own accord.' Cf. Mχ. 10. 4: *'har 'čiš vartēnītan šāyēt 'bē gōhr i nēvak 'ut 'vat. 'ut gōhr i nēvak 'pat 'čiš-ič čārak ō 'vattarīh, 'ut gōhr i 'vat 'pat hēč aδvēnak 'ō 'vēhīh vartēnītan 'nē šāyēt. 'ut Ōhrmazd nēvak-gōhrīh rāδ, 'hēč 'vattarīh 'ut drōžanīh 'nē passandēt: 'ut Ahriman vat-gōhrīh rāδ, hēč 'vēhīh 'ut rāstīh 'nē 'patīrēt.*—'All things can be changed except the substance of good and evil. By no means can the substance of good be changed to evil, and in no way can the substance of evil be changed to good. Because the substance of Ohrmazd is good, he can countenance no evil or falsehood; and because the substance of Ahriman is evil, he can admit no goodness or righteousness.'

E. GrBd. 52. 12: *gōčihr miyān ⟨i⟩ āsmān 'bē 'ēstāt, mār humānāk, 'sar 'pat dōpatkar 'ut dumb 'pat nēmasp čēyōn 'pat miyān i sar 'ut dumb 'har gās 6 aχtar 'būt.*—'Gōčihr was in the middle of the sky, like a serpent; its head was in Gemini and its tail in Centaurus so that between its head and tail there were six constellations in all directions.' Of Mūšparīk GrBd. 53. 1 says: *mūšparīk ⟨i⟩ dumbōmand parr-var jast, χᵛaršēt 'ō ray i 'χᵛēš bast 'ku 'tāk-aš vinās kartan 'nē tavān 'bavāt.*—'Mūšparīk who has a tail and wings leapt forth; the Sun bound him to his chariot so that he should not be able to do harm.'

Gōčihr is simply the Pahlavī derivative of Av. *gao-čiθra-*, 'having the seed of cattle', the stock epithet of the Moon.

F. GrBd. 53. 8: *apārīk ditīkar 'ō ham ray i χᵛaršēt [tan] 'pat dērangīh 'ut kastakīh bast 'ēstēt.*—'The others too were bound to the same chariot of the Sun, some at a long distance and some at a short.' ŠGV. 4. 39 ff.: *u īñ pañja awāχtar dādār Hōrməzd χᵛāš-kāmaihā nə hištan rā har yak pa du jīk ō mihir u māh bast əstəñd; vašą frāžrawəšnī u awāž-rawəšnī əž ham čim; hast kəš drānāe i jīk drāžtar čuñ Kaevąn u Avarmazd, u hast i kəhtar čuñ Tīr u Anāhīṭ.*—'And to prevent these five planets from roving at will, the creator Ohrmazd bound each of them to the Sun and Moon with two ropes: hence their forward and backward motion (progression and regression). The rope of some is longer, such as Saturn (Kēvān) and Jupiter (Ohrmazd), that of others is shorter, such as Mercury (Tīr) and Venus (Anāhīt).' The word *ray* used by the GrBd. is probably correct since the Manichaeans too speak of a *rah*, 'ship' resp. 'chariot' of the Sun and Moon, and the Mandaeans also speak of the planets as riding chariots (Brandt, op. cit., p. 62). The ŠGV. has *brih* = *brēh*, an astrological term. According to the *'Ulemā* (text Z 37, § 25) the planets were bound to the firmament.

G. GrBd. 54. 8: *'ut-šān 'ēn rōšnīh ⟨i⟩ hač-iš paytāk ham rōšnīh i ōhrmazdīk, handāčak 'vattarān 'kē patmōčan i gētēh *patmōχt 'hēnd . . . patmōχtan i 'ān rōšnīh rāδ vinās kartan kam tavān. ēvak 'ēn 'ku martōm 'vēnēnd, hač-iš 'nē tarsēnd.*—'The light which emanates from them is the same light of Ohrmazd, like evil persons who are clad in a material garment. . . . Because they are clad in that light they can do less harm. Again, when men see them, they are not afraid of them.' ŠGV. 4. 21: *awąñiča əšą awāχtarą rōšanī padmōχt dārəñd.*—'Thus those planets are clad with light.'

H. GrBd. 57. 7 ff.: *'pat bun 'kaδ aβigat 'andar duvārast ōγōn jast 'ku miθr *'ut māh i tamīk patmānak *dārēnd 'hač ray ⟨i⟩ χᵛaršēt 'ut māh. ⟨'ēt⟩ rāδ vinās-kārīh 'nē tavān kartan. 'ut Haptōring 'ut Satvēs 'hač Ōhrmazd 'ut Anāhīt frēh-nērōk-tar jast 'hēnd, 'ut-šān Ōhrmazd 'ut Anāhīt 'hač vinās kartan pātērānēnīt. ham-čim rāδ aχtar-āmārān 'avēšān rāδ 'pat kirpak-gar 'χᵛānēnd. Varhrān 'hač *Vanand 'ut Kēvān 'hač mēχ i gās frēh-nērōk-tar jast 'hēnd; 'ut-šān vināskārīh paytāk. 'ēt rāδ aχtar-āmārān 'avēšān 'pat bazak-gar ōšmarēnd. 'ut Tīr, 'hast Apaōš 'dēv, 'ō Tištar mat; 'har 2 hāvand-zōr 'ut hāvand-nērōk jast 'hēnd. 'ēt rāδ aχtar-āmārān 'goβēnd 'ku Tīr 'apāk kirpak-garān kirpak-gar, 'ut 'apāk bazak-garān bazak-gar . . . ham-čim rāδ 'gōβēnd 'ku Ōhrmazd stārak ⟨i⟩ zīvandakīh 'ut Kēvān stārak i margīh 'čē Ōhrmazd apātyāvandakīh 'andar hamēstārīh rāδ 'ān 'baχšēt i hamēstār kāmak, zīvandakīh 'ut *'vazurgīh χᵛāstak 'dahēt. Kēvān čērīh 'hač hamēstār rāδ, 'ān 'kunēt 'ō 'ēn pityār, margīh vatakīh 'ut driyōšīh, pēč(?) ham pityārak.*

CHAPTER VII

I. THE DEMON ĀZ

In the preceding chapters we have attempted to give some account of Zervanite conceptions of cosmology and cosmogony. In the course of our investigations we found that Zurvān handed to Ahriman an 'implement like unto fire, blazing, harassing all creatures, that hath the very substance of Āz'.[1] We shall now have to pay more attention to the demon Āz and the part it plays in the Zervanite scheme of things.[2]

That Āz belongs to the Zervanite rather than the Mazdean demonology may be inferred from the following facts. First, it was adopted into the system of the eastern Manichees whose terminology derives from Zervanism, not Mazdeanism; and it plays a decisive part in the cosmological fragments found in Turfān. Secondly, it is the leader of the demonic hosts in Zātspram's account of the last things. On the other hand, it occurs only four times in the Avesta, where it is as unimportant as Zurvān himself;[3] and the *Dātastān i Dēnīk*, the most 'orthodox' Mazdean book we possess, assigns an insignificant rôle to it in its account of the *Fraškart* (the final 'rehabilitation' of the Cosmos). For whereas in Zātspram this demon plays a leading part throughout, and finally turns on Ahriman in his hour of defeat and devours his entire demonic host, in the *Dātastān* this latter feat is merely mentioned as if in passing,[4] and there is no suggestion that this demon is the leader of the demons or that it is in any way in a category by itself.

Before proceeding any farther it may be as well to try to determine the gender of this demon since even this is uncertain. We know that in the Avesta Āz was considered to be of the male sex, for his qualifying adjective *daēvō-dāta-*[5] is used in the masculine gender. On the other hand, the Manichaean demon is certainly female, for she is described as 'the mother of all demons' (*m'd 'y wysp'n dyw'n*).[6] The question therefore arises

[1] *Supra*, pp. 114 ff., 117; text Z 5 (*a*), 35.

[2] Some discussion of this demon will be found in Scheftelowitz, ZII. iv, pp. 317–44. A short article entitled 'The Zoroastrian Demon Āz in the Manichaean Fragments from Turfan', by G. C. O. Haas has also appeared in *Indo-Iranian Studies in Honour of . . . Sanjana*, pp. 193–5: this is, however, mainly devoted to the Manichaean texts available at the time (1925).

[3] References in Gray, *Foundations of the Iranian Religions*, p. 202; cf. Bartholomae, AIW. *āzay-* s.v.

[4] Dd. 36. 90: *ētōn-ič Āz 'dēv 'kaδ 'nē ayāpēt 'pat žūtārīh 'ō 'ān i 'vēh, 'andar ⟨ni⟩δvārēt 'pat 'χᵛēš čihrīk 'ō 'ān i 'dēvān žūtārīh.*—'Thus too when the demon Āz cannot reach the good (creation) to swallow it, she rushes off to those of her own nature to swallow the demons.'

[5] Ys. 16. 8; Vd. 18. 19.

[6] So in the fragment S 9; v. Henning, NGGW. 1932, p. 215.

whether the Avestan or the Manichaean demon is nearer to the Āz of the Pahlavī books.

A priori the evidence of the Avesta should be preferred since it is *the* Zoroastrian text *par excellence*, and we are still dealing with a form of Zoroastrianism, however corrupt. Moreover, the Manichaean religion is still believed by many to have its roots in the gnosticism of the Syro-Hellenistic world and to derive largely from the systems of Bardesanes and Marcion.[1] On the other hand, it seems certain that the eastern type of Manichaeanism differed in many respects from the western; and this difference is due largely to the attempt of the Persian Manichees to assimilate their religion to Zoroastrianism in its Zervanite manifestation, for that form of Zoroastrianism must have been dominant at the time of Šāpūr I when Mānī started to proclaim his religion, as the Manichaean evidence itself proves.

Such assimilation was attempted in the case of Āz. In two cosmological texts known respectively as S 9[2] and T III. 260[3] Āz appears as the leader of the entire demonic host. In Persian (Middle and New) her name is most adequately translated by the Latin *concupiscentia*, a concept that includes acquisitiveness, gluttony, and lust. She should then correspond exactly to the ἐπιθυμία, ἡδονή[4] or *concupiscentia* of the western Manichaean tradition. The Āz of the eastern tradition is, however, far more than this: she is the mother of all the demons and the greatest of them. In the diabolical hierarchy she is always mentioned first, taking precedence over Ahriman. Her relationship to the latter is exactly parallel to the relationship of the female Rūhā to the male Ur in the Mandaean scriptures. Ur is the king of darkness; Rūhā is his mother and stands for the totality of evil.[5] Similarly with the eastern Manichees it is Āz who is the principle of evil. Her counterpart in the western tradition is ὕλη,[6] not indeed the ὕλη of Greek philosophy, but ἡ ἐν ἑκάστῳ τῶν ὄντων ἄτακτος κίνησις[7] 'the disorderly motion that is in each thing that is'. This brilliant definition of evil

[1] v. p. 38, no. 1.

[2] *Editio princeps* by Salemann, *Bull. Acad. Pétersb.* 1912, pp. 7–14. Re-edited by Jackson, *Researches in Manichaeism*, pp. 75–126. The best edition is that of Henning, NGGW. 1932, pp. 214–28.

[3] Andreas–Henning, *Mitteliranische Manichaica aus Chinesisch-Turkestan*, i (SbPAW. 1932).

[4] Alexander of Lycopolis, p. 22 (Brinkmann). Cf. Schaeder's excellent treatment of the relationship between these and ὕλη, *Urform*, pp. 113 ff.

[5] Cf. Brandt, *Die mandäische Religion*, p. 34.

[6] Cf. Schaeder, l.c.; Henning, NGGW. 1932, p. 220; id. *Ein manichäisches Bet- und Beichtbuch*, p. 91 *mrcync šm'r' ''z* 'die Hyle, die ἐνθύμησις des Todes'. Cf. the description of ὕλη in *Kephalaia*, p. 26: ὕλη is the creator of evil, including ἡδονή and causes the King of Darkness to attack the Kingdom of Light.

[7] Alexander of Lycopolis, p. 5, ll. 7–8 (Brinkmann); Baur, *Das manichäische Religionssystem*, p. 20.

preserved for us by Alexander of Lycopolis, would apply equally to the Āz of the Zervanites, as we shall very soon see.[1]

In the Avesta there is nothing at all to suggest that *Āzi* (Āz) occupies a position so supremely exalted in the diabolic scheme of things, any more than there is anything to suggest the transcendent destiny that later heretical development was to prepare for Zurvān. So humble is her (or rather his) position that we are unable to discover anything about him except that he consumes the fire and wishes to extinguish it.[2] His gender is masculine and his epithet *daēvō-dāta-* 'created by the demons' or 'following the law of the demons', clear proof that he was very far from being considered as the very principle of evil.

The Pahlavī language has no means of distinguishing gender, nor do the texts help us in this respect. Zātspram tells us that Āz was appointed 'captain of the commanders' (*spāhpatān sardār*) of the demons;[3] and this would tell slightly in favour of his masculinity. The Manichaean evidence, however, seems conclusive. When adapting their system to Iranian religious conditions, the Manichees chose Āz to represent their ὕλη. Were the current form of Zoroastrianism in the third century A.D. that which is now preserved in the extant Avesta and the Pahlavī books, they must inevitably have chosen Ahriman, the principle of evil in the Mazdean system. That they did not do so seems to prove first that Āz corresponded more nearly to their own conception of the basic nature of evil (disorder), and, secondly, that it already occupied a position in the diabolic hierarchy comparable or superior to that of Ahriman. The Zoroastrian demon Āz was primarily a demon of greed, and even a Turkish *Manichaean* text expressly calls it 'the shameless demon of greed'.[4] This, however, is not the primary quality in the Manichaean ὕλη, and it is difficult to see why they should have selected Āz to represent this latter in preference to Ahriman, a disorderly character enough in all conscience, unless they required a specifically female entity. Once adopted, Āz assumed duties as both ὕλη and *concupiscentia*, the latter being in any case implicit in the former. For convenience, then, we will refer to the Zervanite demon as 'she'.[5]

Before proceeding to an analysis of the latter we must pause to glance at the antics of her Manichaean namesake. Fortunately the two relevant cosmological texts have been edited by Professor Henning, who has long

[1] For the latest description and a full list of references to sources as well as the relevant literature see H. C. Puech's most useful monograph (*Le Manichéisme*), p. 76 with notes.

[2] Vd. 18. 19.

[3] Text Z 5 (*a*), § 42.

[4] von le Coq, *Türkische Manichaica aus Chotscho*, iii (AbPAW. 1922), p. 29.

[5] It is possible, of course, that Āz too, like Zurvān, was regarded as hermaphroditic.

made this particular study his own.[1] To his work the interested reader is referred for further detail. The fragment S 9 tells the following story:

> Angered was Āz, the evil mother of all demons, and a grievous uproar did she stir up to aid her 'self'. And from the foulness of the he-devils and the filth of the she-devils she formed this carrion (the body) and entered it herself. Then from the five elements of light, the armour of Ohrmazd, the Lord, did she bring forth (?) the good soul and imprisoned it in the carrion. As blind and deaf she made it, unconscious and distraught, so that it no longer knew its origin or lineage. She made the carrion and the prison: she bound the senseless soul: 'Cruel to me imprisoned are the demons male and female and all the witches.' Right well did she bind the soul in the accursed(?) body, and hideous did she make it, wicked, angry, vengeful. Then did Ohrmazd, the Lord, have mercy on the souls (*sic*), and in human form did he come down to the earth. He put to shame the wicked Āz and he made (the soul) aware[2] and showed it plainly all that had been and was to be. Swiftly did he reveal to it that Ohrmazd, the Lord, had not made this fleshly carrion, nor had he imprisoned the soul itself therein. The wise soul of the blest was granted resurrection and believed in the wisdom of Ohrmazd, the good Lord. All counsels, commands and seals of goodly peace did it right willingly accept like a valiant hero. It laid aside the carrion of death and was made free for ever and lifted up to heaven, to the kingdom of the blest.

In this fragment Āz fulfils two functions: first, she forms the human body from all manner of filthiness and as concupiscence makes her home in it. Secondly, she imprisons the soul which belongs by birthright to the kingdom of light and blinds it to its true origin: she makes it 'hideous, wicked, angry, and vengeful', assimilating it to her own 'disorderly motion'. It is the function of Ohrmazd (who corresponds to the πρῶτος ἄνθρωπος and in this context to Jesus in the Manichaean system of the West) to restore the soul to an understanding of the (Manichaean) reality.

The story of the creation of the human body is told with greater, more graphic, and more sickening detail in the long cosmological fragment T III. 260.[3] There is no need to retail more than the salient features of this repellent text here. Āz is again the leader of the demonic hosts, greater than Ahriman. She and her confederates are bound by the powers of light; but this does not appear to prevent her from entering and defiling the vegetable world. She then falls from the heavens where she had been bound, and a furious orgy of abortion and fornication ensues. The female demons produce a monstrous offspring that creeps over the earth and devours the fruit of the trees. This fruit, being already defiled by Āz, when consumed, fills the demons with lust, and they lie together. The demon world then begins to proliferate with tropical profusion, and some of the abortions are devoured by Āz, 'that she might form two creatures from

[1] *Supra*, p. 167, nn. 2, 3.

[2] See note A, p. 193.

[3] *Supra*, p. 167, n. 3.

them, a man and a woman'—how is not absolutely clear. The upshot of the whole disgusting process, however, is the creation of the first man (*Gēhmurd* = the Zoroastrian Gayōmart). He inherits a whole catalogue of sins from the demons, but a small particle of light is still imprisoned within his body; and this is the soul. Similarly the first woman was created, more debased, corrupt, and sinful than her consort.[1]

In this most vivid of the Manichaean lucubrations preserved in Middle Persian Āz appears clearly in the role of concupiscence on a cosmic scale. Throughout the whole revolting scene she figures as the insatiable driving-force of lust. The attendant vice of gluttony, however, is not neglected; for she devours some of the new-born demons in order to create man and woman! Briefly, then, in the Manichaean fragments Āz appears as the principle of evil: she manifests herself in three forms—as the deceiver who blinds man to his supernatural destiny, as lust, and as greed. She is the ὕλη manifesting itself as *concupiscentia*.

As is known the Manichees carried their condemnation of concupiscence to its logical conclusion, condemned the reproduction of the species as a sure means of perpetuating the imprisonment of the light in matter, and forbade their *electi* to marry. Diametrically opposed to this was the Mazdean view which strongly advocated such propagation as a pious duty. Somewhere between the two was the Zervanite position, as we shall have occasion to see.

On examining the evidence of the Pahlavī books it will be found that the demon Āz very closely resembles her Manichaean namesake: all three aspects are apparent, the turning of man away from his supernatural destiny, lust, and greed. This last vice is understood as acquisitiveness as well as gluttony, and plays a much greater part in the Zoroastrian texts than in the Manichaean. Lust, however, in the sense of sexual profligacy is very much less in evidence.

Our principal sources for the activities of this interesting demon are the *Dēnkart* and Zātspram. The former gives us a glimpse of the philosophical approach to the demon, the latter presents what appears to be a highly personal interpretation which, however, may be the true Zervanite view; for if the fragments of Zervanite mythology retailed by Christian authors are at all to be believed, Zervanism must, like Manichaeanism, have been stronger in the invention of myths, pleasing and unpleasing, than in philosophical analysis or theological speculation.

[1] For the account of Theodore bar Kônai v. Cumont, *Recherches sur le Manichéisme*, i, pp. 40–43; Jackson, *Researches in Manichaeism*, pp. 248–54. For the account of an-Nadīm (*Fihrist*), v. Flügel, *Mani*, pp. 58 and 90–91; Kessler, *Mani*, pp. 393–4.

The Zoroastrian Āz, too, is concupiscence, manifested primarily as gluttony. In the purely ethical sphere she is the vice opposed to contentment (*χᵛarsandīh*).[1] She is the most discontented and the most rapacious.[2] She is insatiate,[3] and want is born of her.[4] Her desire is to swallow the whole world at one gulp;[5] yet even if the goods of the whole world were given to her, she would not be satisfied and would want more. If she is deprived of sustenance, she pines away.[6] She is the most contumacious of the demons.[7]

In the physical world Āz appears as the adversary of *čihr* 'nature'. *Čihr* represents the purely physical side of man, that part of his being by which his body lives and which is unaffected by his will: thus we find it frequently contrasted with *kām* 'the will'.[8] The human body is, for instance, by nature sweet-smelling, but when abused by gluttony becomes a source of stench.

By nature the inside of the body is characterized by a sweet smell: stench (comes) to it from Āz. The sweet scent which reaches the inside of the body by the consumption of food from outside (the body), arises (only) from moderation exercised in the eating of bread and meat and from drinking wine in due measure. Stench arises from the devouring of carrion and excrement.[9]

Āz, then, is the abuse of a natural and legitimate activity.

In another passage the *Dēnkart* elaborates this theme in more general terms.[10]

In the mixed state life (the breath-soul, *ǰān*) is generally kept in the body by the continued working of the natural functions (*čihr*) in the body. The continued working of the natural functions in the body confronts the 'natural' Āz: and Āz being pitted against the natural functions seeks to destroy them. Āz it is who withholds Hurdāt and Amurdāt; (that is) food and drink are cut off from the natural functions. Nature (*čihr*) is the ally (of the body), Āz the enemy. When Hurdāt and Amurdāt, (that is) food and drink, are cut off from the natural functions, the latter, deprived of any ally and being in the grip of Āz, are destroyed:

[1] Pn. 38 (PhlTexts, p. 46): *Āz 'pat χᵛarsandīh . . . 'bē zanēt.*—'One smites Āz with contentment'.

[2] AVM. 32. (PhlTexts, p. 89): *Āz aχᵛarsandtar appāraktar.*

[3] DkM. 836. 11: *Āz-ič i anhanbār.*

[4] Ibid. 359. 19: *niyāz i Āz hunušak.*—'Want, the offspring of Āz'.

[5] Ibid. 50. 18: *Āz 'kaδ-aš gēhān 'pat ēvak 'SWMBŠN 'andar ōpārtan [i] āhang.* The reading of the word which I have written in capitals is uncertain; the context shows, however, that the meaning must be 'gulp' or some similar word. A connexion with NP. *suftan* and kindred words seems unlikely.

[6] See note B, p. 193.

[7] DkM. 569. 14: *druž-ē Āz stahmaktar.*

[8] e.g. DkM. 379. 1; 352. 7; 149 *passim*; 359. 1.

[9] DkM. 260. 12: *tan andarōn 'χᵛatīk bōδ 'hač čihr, 'ut-aš gand 'hač Āz. 'ut 'hač 'ān i* (better *'ān i 'hač*) *bērōn 'ō andarōntom tan 'hač χᵛarišn 'rasāt bōδ 'hač patmān⟨īk⟩ 'nān 'ut gōšt χᵛarišn 'ut 'maδ dātīk χᵛārišn; 'ut gand 'hač nasāy 'ut hiχr žōyišn.* This last phrase cannot surely be taken literally: it would appear to be a 'dysphemism' for over-indulgence in food and drink.

[10] See note C, p. 193.

and life can no longer be maintained in the body. Since life can no longer be maintained in the body it is ripe for death.

Here the role of the demon of gluttony is reversed: she no longer appears as a vice, but as the personification of that vice which attacks man by devouring his food and thereby causing his death. She deprives his physical nature of the means by which it can live: she is the enemy of the living body and the demon of death.

This conception of Āz is uncommon, but in another passage of the *Dēnkart* it is explicit. 'Mortal men are all carried off by Astōvihāt by means of Āz, the fearful, who is manifest afar: they cannot escape.'[1] Astōvihāt is the demon of death *par excellence*, 'he who dissolves the bones'. He is death itself, Āz the agent who brings it about.

The conception of Āz as a death demon seems to have survived into the Muhammadan era, for we read in the *Šāhnāmeh*:[2]

hameh tā dar ī Āz rafteh farāz
ba-kas vā na-šud īn dar ī Āz bāz.

All have gone as far as the door of Āz: the door of Āz has never opened again to anyone.

I can quote no other example of Āz used in this sense in Muhammadan Persian literature where *āz* normally means 'greed', as one would expect. In this case, however, the 'door of Āz' can only mean death.

The function of Āz in the material world (*gētēh*) is now fairly plain. We must now consider her role in the world of spirit (*mēnōk*). Man, for the Zoroastrians as for the Christians, is composed of spirit and matter: nature presides over the material world, the will over the spiritual. Thus 'in man by the Creator's dispensation nature operates in the material sphere, the will controls the spiritual: thus natural life and knowledge in the will constitute the humanity of man'.[3] Āz is pitted both against nature and the will: she upsets and disrupts both.[4] She is, in fact, the force that attacks man in his very humanity.

This theory is more fully developed in another passage where *χrat* and Āz are represented as fighting for the *χᵛarr* of man. In the theological passages of the *Dēnkart*, *χrat* is best translated as 'reason' rather than 'wisdom'; it is (or should be) the directing faculty in man.[1] In this context we may keep the translation 'concupiscence' for Āz. To find an exact English equivalent for *χᵛarr* is, however, not nearly so easy.

Professor Bailey has devoted the first seventy-seven pages of his *Zoroastrian Problems in the Ninth-Century Books* to the semantic development of *χᵛarr* (*χᵛarənah*). His conclusion is that the original meaning was 'welfare' or 'good things'. No one who has carefully read those formidable seventy-seven pages, packed as they are with sound deductions from a representative collection of texts, will be disposed to quarrel with his thesis. In Pahlavī *χᵛarr* is identified with *χᵛēškārīh*,[2] that is, literally, 'own-work': it is then the distinctive behaviour of any given entity. In the passage quoted above (p. 172) we were told what constituted the humanity (*martōmīh*) of man (*martōm*). His humanity, being what differentiates him as man, would be his *χᵛēsīh* 'own-ness' rather than his *χᵛēškārīh* 'own-work' or *χᵛarr*. His 'own-work' is rather the correct use of his humanity, that is virtue: the incorrect use of it (= *dušfarragīh*) constitutes vice.[3] This *χᵛarr* or 'own-work' of man consists in the quest after God.[4] Since he is a creature of God and only later fell victim to the Aggressor, this seems consistent enough: misuse of his humanity is something that does not belong to him; it is Āz, concupiscence, which attacks him from outside. I can find no single English word to translate *χᵛarr* in this sense. 'Personality' approximates to it quite closely, but this again does not convey the sense of *action* implicit in *χᵛēškārīh*. Without wishing to debase the notion of *χᵛarr* any further, I would suggest that *χᵛarr* can be almost exactly rendered by the colloquial English 'job', which means both an occupation and what a man is intended to do and ought to do. This is not to suggest that *χᵛarr* has not other meanings in other contexts, which, of course, it has.

Having propounded, then, what we understand by *χᵛarr* as applied to man, we may now look at the *Dēnkart* passage where reason and concupiscence dispute its possession:

Man who is the object of (diabolic) aggression, is tainted with aggressive concupiscence which is intent on destroying his *χᵛarr*. Reason was created by the Creator to protect the *χᵛarr* from concupiscence. Concupiscence is first cousin to desire. There is a limit set to desire. So long as desire for wealth and power is fulfilled, concupiscence is greatly strengthened and reason is gravely impaired in

[1] Ibid. 803. 17: *ōšōmandān hamāk Ast⟨ō⟩-vihāt 'pat 'ān i škift 'ut frāč paytāk Āz* [*i*] *'burt, 'ut 'nē bōχtēnd.*

[2] ŠnV. 433. 7.

[3] DkM. 378. 22: *'andar 'martōm dātār-āβurišnīk gētēh-varzītārīh čihr: mēnōk-ārāstārīh aχᵛ* [*aχᵛ*]. *'ōh-ič čihrīk zīvandakīh 'ut aχᵛīk dānākīh i 'andar martōm martōmīh.*

aχᵛ is the equivalent of the Av. *aŋhvā-*.

[4] Ibid. 379. 5: *aβigat-kirrēnišnīk višuftārīh ⟨čihr⟩ 'ut aχᵛ i 'har 2 'pat martōm Āz.*—'By the counter-dispensation of the Aggressor it is Āz who disrupts both nature and will in man.'

[1] Cf. Bailey, *Zoroastrian Problems*, p. 85.

[2] Id., op. laud., p. 35. In addition DkM. 394. 4 equates *χᵛarr* with *χᵛēškārīh* and *rāy* with *tuχšākīh* 'effort, energy': cf. also DkM. 341. 10 ff.

[3] DkM. 232. 22: *hunar 'χᵛarr 'ut āhōk dušfarragīh patvand.*—'Virtue is associated with *χᵛarr*, vice with *dušfarragīh*.'

[4] Ibid. 513. 8: *martōm 'hač 'pas i 'nān 'hēnd, 'ut yazdān 'hač 'pas ⟨i⟩ martōm 'hēnd 'ut 'χᵛarr 'hač 'pas ⟨i⟩ yazat.*—'Man is in search of bread, the gods in search of man and the *χᵛarr* in search of God.'

(its function of) protecting the *χᵛarr* from concupiscence. When a man fulfils his desire for power and wealth in subjection to that moderation which is dictated by reason, that man's reason becomes firmly established in (its function of) protecting his *χᵛarr* from the onslaught of concupiscence. Such power and wealth are beneficial to such a man. But when a man fulfils his desire by overriding that moderation which is dictated by his reason, concupiscence is greatly strengthened and reason weakened within him. Because of this weakening of the reason his *χᵛarr* is made unstable since its protector has become imperfect: the man becomes intoxicated with his excessive power and wealth: he is overwhelmed by concupiscence which destroys his *χᵛarr*, and he is harmed by that power and wealth.[1]

In the spiritual sphere, then, concupiscence (Āz) appears as the enemy of reason, and in its attacks on 'nature' it is vanquished by reason.[2] This conception of Āz is, however, rare. In most of the other passages in the *Dēnkart* dealing with this question it is not Āz but Varan that appears in this role. Varan, according to Zātspram, is merely one of the aspects of Āz. This aspect is called *bē čihrīk*, meaning something like 'nature directed outwards': it is defined as that 'through which, by a glance outward, the inwards are excited and the natural functions of the body thrown into turmoil'.[3] It is further described as the desire to 'mingle'. It is obvious, then, that Varan is here conceived of simply as the demon of lust.

The *Dēnkart* has quite a different conception of Varan. It is mentioned again and again as the opposite of reason (*χrat*).[4] In one passage this demon appears together with Āz against 'reason which dwells in the *χᵛarr*'.[5] Varan as much as Āz is fatal to the *χᵛarr*: 'the life of the *χᵛarr* is from the wisdom of reason, its death is from the self-will of Varan'.[6] Varan is associated with *χᵛat-dōšakīh* ('self-will' or 'choosing for oneself') and *duš-ākāsīh* ('wrong knowledge, wrong-headedness')[7] with *aγdēnīh* ('bad religion, error')[8] and *ahrąmōγīh* ('heresy').[9] It is described as the origin of wrong knowledge,[10] 'the essence of the demons and the λόγος (*vāχš*) of evil':[11] it is the abortion

[1] See note D, p. 193.

[2] DkM. 39. 17: *'ān i 'pat čihr duvārišnīk Āz 'ut arišk 'ut apārīk i čihr [i] 'ut hunar [i] pat-iš pityār. 'ut-šān vānītārīh 'hač āsn-χrat.*—'Those who attack (man's) nature are concupiscence (Āz), envy, etc., the adversaries of the natural and the virtuous. They are conquered by innate reason.'

[3] Text Z 5 (*a*), § 36.

[4] For references v. Chapter V, p. 124, n. 1.

[5] DkM. 292. 20: *'ān i χᵛatāyān 'pat χᵛatāyīh pahlom 'χᵛarr mēhn āsn-χrat . . . 'ut 'ān 'i-šān 'pat χᵛatāyīh vattom fratom dušfarragīh-āyōš Āz 'ut viškōβ arās Varan.*—'That which is the most perfect for rulers in the exercise of power is innate reason which dwells in the *χᵛarr* . . ., and that which is the worst for rulers in the exercise of their power is first Āz which embraces the misuse of the *χᵛarr* and Varan, the disturber who has no path.'

[6] Ibid. 350. 13: *'χᵛarr zīndakīh 'hač χrat fražānakīh, 'ut-aš margīh 'hač varan χᵛat-dōšakīh.*

[7] Cf. the last two footnotes and text Z 11, § 6.

[8] See note E, p. 194.

[9] Text Z 11, § 6.

[10] See note F, p. 194.

[11] DKM 123. 13: *dēn paytākīh 'apar yazdān 'hastīh, 'vēh vāχš, 'hast χrat-ič; 'apar 'dēvān 'hastīh, 'vattarīh vāχš [i] 'hast varan-ič.*—'The revelation of the Religion concerning the essence of the gods,—the Word of the good, that is wisdom (reason, *χrat*); concerning the essence of the demons, the Word of evil, that is Varan.'

of the Evil Mind and the Destructive Spirit.[1] It is, in fact, heresy and unbelief; it leads astray (*arās*), unsettles (*viškōβ*), and deceives (*frēβišn*).[2] In short it is the misuse of the intellect, the *mēnōk* or spiritual facet of Āz.

To sum up: Āz, who includes Varan, attacks both man's physical nature and his reason. She is essentially the abuse of legitimate activities. Thus she is gluttony and lust on the material plane, the misuse of the intellect on the spiritual. She personifies disorder, and is therefore the enemy of *dātastān* or cosmic order. Zātspram analyses her as 'excess and deficiency':[3] she is the enemy of the 'mean' which represents order. She is also desire and doubt, and so conceived she fits nicely into the Zervanite myth. Zurvān, it will be remembered, first *desired* to have a son, Ohrmazd, and then *doubted* whether this could come to pass. Āz, then, is that 'something evil' which 'was always with God' to which Šahristānī refers. By investing Ahriman with the garment that contained 'the very substance of Āz', Zurvān divests himself of the evil that was always with him, and allows it to destroy itself.

Thus our analysis of the *Dēnkart* texts in which Āz and Varan appear has enabled us to establish that Āz is on the one hand concupiscence comprising greed and lust, and on the other the sin of the intellect, called by the Zoroastrians 'self-will' or 'wrong-mindedness'. Translated into Christian terms it would be called intellectual pride. The resemblance to the Manichaean Āz is striking, and the ἄτακτος κίνησις of Alexander of Lycopolis would seem to be an equally apt description of both.

Our knowledge of this demon is supplemented by Zātspram (l.c.). Here, in the final battle in the last days, Āz figures as the adversary of Srōš, defined as *patmān*, 'the Mean': she herself is 'excess and deficiency'. The Mean, in other contexts called 'Order' (*dātastān* and *rāδēnītārīh*) represents the divine scheme of things as it should be. Zurvān himself is the genius of Order[4] and the god of justice.[5] Āz is the genius of disorder. It is therefore fitting that the final overthrow of Āz should be attributed by the *Mēnōk* to Zurvān, Mihr, the genius of Order (*mēnōk i dātastān*), and Fate;[6]

[1] Ibid. 117. 11: *āsn-χrat 'ut-aš karpān hunarān Vahuman Spēnāk Mēnōk zahak . . . 'ut mūtak varan ⟨'ut⟩ karpān āhōkān i mūtak varan Akōman Ganāk Mēnōk hunušak.*—'Innate reason and its forms and virtues are the offspring of Vahuman and the Bounteous Spirit. . . . Varan, the ruinous, and its forms and vices are the abortions of Akōman and the Destructive Spirit.'

[2] See note G, p. 194.

[3] Text Z 5 (*a*), § 44.

[4] Text Z 13: 'Time which is the eternity of Ohrmazd, for it is the genius of order (right ordering).'

[5] *Supra*, pp. 58 ff.

[6] Text Z 8, § 10.

for hers is an onslaught on the order of the Universe, and it is the tetrad of cosmic order that is her natural enemy. We shall have more to say on this subject when we come to deal with the concepts of 'the Mean' and cosmic order (*dātastān*).

Zātspram's account of the last things differs so sharply from the other accounts found in the Pahlavī books in the enormous importance he attaches to Āz that we are, I think, justified in claiming it as an almost purely Zervanite account.

When first creation began to move, Zurvān gave Ahriman that baleful garment which had 'the very substance of Āz'. Ahriman then, with little foresight, made Āz the captain of the commanders of his hosts. Meanwhile the power of Āz manifested itself in three ways:[1]

(i) First it showed itself in man's need to eat food 'on which life depends': this need was subdivided into hunger and thirst.

(ii) Secondly in man's desire for sexual union, Varan, that 'through which, by a glance outwards, the inwards are excited and the natural functions of the body thrown into turmoil': this again was subdivided into the desire to emit and the desire to receive, referring obviously to the male and female sexual instincts.

(iii) Thirdly in man's 'yearning for whatever good thing he sees or hears': this last was subdivided into robbery and avarice.

These three categories are called in Pahlavī *čihrīk*, *bē čihrīk*, and *bērōn hač čihr*. All three are therefore concerned with *čihr*, nature, the material world, and not with the spiritual or intellectual. This is not surprising, since Zurvān himself had become embodied in the material cosmos, and Āz, one may deduce, directed her energies principally against him. Zātspram knows nothing of the conflict between reason and Varan which may be both Mazdean and Zervanite. He is concerned with the material universe and its deliverance from the demon of concupiscence, simply conceived and unembellished by theology.

The whole passage, figuring, as it does, in a Zoroastrian text, is quite astonishing. Of all religions Zoroastrianism was probably the most averse to asceticism, nor had it any Manichaean notions about matter being evil. Moreover, Zātspram himself describes Āz as the demon of excess and deficiency: yet he defines the functions of Āz as (i) eating and drinking, (ii) sexual relations, and (iii) the desire to own good things. Seemingly, then, it is not the vices of excess and deficiency inherent in these three activities that make up concupiscence, namely gluttony, lust, and avarice,

[1] Text Z 5 (*a*), § 36 ff.

but the activities themselves. It could, of course, be argued that since Āz is already by definition excess and deficiency, excess and deficiency in these three activities are implied and condemned. But the sequel is against such a supposition, and Zātspram is best left to speak for himself.

At the end Artvahišt will come to earth with the powerful help of Airyaman, the Messenger, to find a means of overcoming Āz, and he will show to creatures that the slaughter of the divers kinds of cattle is a grievous sin and that the profit therefrom is small: and this will he command, 'Ye are men; slaughter not the cattle even as hitherto ye have slaughtered them.' When the time of the rehabilitation shall draw nigh, those who hearken to the command of Artvahišt will turn from the slaughter of cattle and the eating of flesh, and one quarter of the power of Āz will dwindle, and the strength that is in her body will be destroyed, and the darkness and gloom will be smitten in part: nature will be clad in spirit, and intelligences will be more clearly grasped. . . . Instructed by the gods they will turn away from the drinking of milk; half the power of Āz will dwindle. And those who are born to them will be sweet-smelling, lacking darkness, spiritual in nature, without offspring, *for they will not eat.*[1]

Here the slaughter of cattle and by corollary the eating of meat is roundly condemned as a 'grievous sin'.[2] The practice is abandoned and later eating of any sort ceases: the result is that 'nature is clad in spirit' (*mēnōk*). Āz, the demon of concupiscence, is in some way identified with the eater; for when the eater ceases to eat, she is forced to turn to Ahriman and extort from him his leave to devour the demons. Thus the evil creation is destroyed by the inner contradictions existing within itself.

The doctrine that the eating of food and man's dependence on physical sustenance represents a fall from a pristine state of perfection is not quite isolated in the Pahlavī texts. In the legend of Mašyē and Mašyānē, the first man and woman, preserved in the *Bundahišn* among other sources, their first consumption of food seems to have been regarded as a grievous sin. After they have emerged from the rhubarb stalk, in which shape they had grown from the seed of Gayōmart, Ohrmazd says to them:[3]

'Ye are men, the father (and mother) of the world: do ye your works in accordance with righteous order (*dātastān*) and a perfect mind. Think, speak, and do what is good. Worship not the demons.' Thus did the twain first think when each considered the other, 'He is a human being'. The first deed that they performed was that they moved and blinked their eyes.[4] And the first thing they said was this: 'Ohrmazd created water, the earth, plants, cattle, the stars, the Moon and the Sun, and all fertile things', which in the righteous revelation are called

[1] Text Z 5 (*a*), §§ 38–41.

[2] It is interesting that the Mazdakites also abstained from meat. v. Christensen, *L'Iran sous les Sassanides*, 2nd ed., p. 342; id. *Le Règne du roi Kawādh*, p. 79.

[3] See note H, p. 194.

[4] See note I, p. 195.

root and fruit. Then the Aggressor assailed their mind and corrupted it: and they cried out:[1] 'The Destructive Spirit created water, the earth, plants, and other things.' When they pronounced this first lie which ruined them, they spoke in accordance with the will of the demons. This first joy did the Destructive Spirit (steal) from them (and) make his own. For this lie both were damned; and their souls (shall remain) in hell till the Last Body.

For thirty days they refrained[2] from food and clothed themselves with grass. After thirty days in the wilderness they came upon a white-haired goat, and they sucked the milk of its udders. And when they had drunk the milk, Mašyē said to Mašyane: 'I had greater joy when I had not drunk the milk than I have now when I have drunk it: my body is ill.'[3] This was their second lie; and the demons obtained strength (thereby).

It is well to bear in mind that 'lie' in Zoroastrian parlance is almost the equivalent of 'sin' in religions of Semitic origin. The first sin of the first human couple was, then, a sin against the intellect, the sin of wrong thinking, that is the sin of Varan. However we interpret the words of Mašyē, the meaning of the second sin seems plain enough. The first couple drank milk, and the demons were strengthened thereby: *ergo*, the drinking of milk itself was sinful.

The account of the last things in Zātspram fully confirms this. In the beginning man falls from his pristine purity by drinking milk: he then goes on to eating meat.[4] The latter action is worse than the first, but the first was already bad enough. Similarly in the last days he first gives up the eating of meat and then gives up eating altogether. This is the prelude to the final triumph of good, since it forces Āz to devour the evil creation.

Interpreting the *Bundahišn* by the *Dēnkart* theology, we can now see that man sinned first in the intellect (*χrat*): he denied God (Ohrmazd) as creator. Secondly he sinned in the flesh (*čihr*), he ate.[5] From this it can only be concluded that man was created such that he had no need of food: eating, then, is a sin against *čihr*, the material world which is the body of Zurvān.

Similarly in the last days man wipes out his 'natural' sin by ceasing to eat. Zātspram, however, does not say how the sin of the intellect was atoned for. This can be dimly inferred from the last words of his chapter dealing with the last things. After describing the appearance of an apocalyptic fiery horseman in the atmosphere, he adds, as if inconsequently, 'And they

[1] This seems better than 'He cried to them'.

[2] This must be the sense of *'vēčišn*: cf. Andreas–Barr, *Bruchstücke einer Pehlevi-Übersetzung der Psalmen*, Berlin, 1933, p. 52.

[3] The sense of the whole passage in 'inverted commas' is somewhat uncertain.

[4] GrBd. 103 continues the story of how man next slaughtered a sheep and ate it.

[5] For the sinfulness of eating in the Manichaean system see H. C. Puech, *Le Manichéisme*, p. 90 and no. 386, where a full list of the relevant texts is given.

shall be freed from doubt'. This surely must mean that creation is finally and definitively delivered from Āz in both her aspects—from food which enslaves man to her in nature, and from doubt which makes him hers in spirit.

One additional small point should be stressed before we leave the subject of the sinfulness of eating. In the Manichaean tradition Āz is represented as having mingled herself with the plants and animals.[1] It is possible that the Zervanites too had some such notion: this would explain why the eating of food must be wicked.

The case is similar in the matter of sexual relations. Here again it is not the excess that is condemned, but the indulgence in sexual intercourse as such. This is a natural enough corollary to the doctrine of the original sinfulness of eating. Food is essential for the maintenance of the life of the individual: man's first parents sinned by taking food. Similarly the union of the sexes is the prerequisite for the propagation of life.[2] If, then, Mašyē did wrong in taking food for the preservation of his own life, he obviously did wrong in uniting with Mašyānē to prolong the life of the species. It is possible that the first human couple may have felt this themselves, for when Mašyānē produced her first two children she devoured one and Mašyē the other.[3] The episode, however, again brings to mind the Manichaean myth in which it is Āz herself who devours the abortions of the demons.[4] The conduct of the first human couple should therefore probably be ascribed to a perverted recrudescence of their concupiscence.

Quite as surprising as the condemnation of eating and the sexual act is that of the third activity ascribed to Āz by Zātspram—'the yearning for whatever good thing one sees or hears'. This 'yearning' is oddly subdivided into 'hoarding by robbery and refusing to give through avarice'. These, however, are not properly subdivisions at all but the results of the 'yearning'. Thus we find not only eating and the sexual act condemned, but also the desire to have. Here again no distinction appears to be made between the excess and the mean, since yearning for any good thing is specifically stigmatized. In this the Zervanite would appear even to surpass the Manichee.

Further light is thrown on this idea by passages in other Pahlavī books.

[1] v. Andreas–Henning, *MirMan.* i, p. 9.

[2] It seems almost superfluous to stress the closeness of these views to the Manichaean. For the latter, conveniently summarized with the fullest possible list of references, v. Puech, op. laud., especially pp. 88 and 186, no. 372.

[3] GrBd. 105. 9: *'hač 'avēšān zāt 'pat 9 'māh yuχt-ē 'zan 'ut 'mart. 'hač šīrēnīh frazand ēvak mātar žūt ēvak 'pitar.*—'After nine months twins were born to them, a girl and a boy. Because of their sweetness the mother devoured one and the father the other.'

[4] Andreas–Henning, *MirMan.* i, p. 22.

The *Mēnōk i χrat* says that it is Āz, conceived of as discontent, that causes man to forget the transitory nature of the things of this world, the death of the body, the judgement of the soul, and the fear of hell.[1] Similarly according to the *Dēnkart* 'concupiscence and yearning enter the body of a man secretly (*pat mēnōk*) and show him the desire of earthly goods. Then the best remedy is this, that the man show himself the transitory nature of the body and of earthly goods, and think thus, "Whence did I receive (this) store? But what shall I do then, since soon it must be left behind? Henceforth I shall receive nothing; for so long as I take pleasure in it from outside, I do not attain to it." For it is much easier not to receive earthly goods than to leave them.'[2]

Zātspram's disquisition on the demon of concupiscence stands in such sharp contrast to the main body of Zoroastrian doctrine preserved in the Avesta, Pahlavī books, and later tradition that we are driven to the conclusion that he is retailing a genuine Zervanite teaching. This is further borne out by the important role he assigns to Zurvān in his scheme of things and by his elevation of the demon Āz to an almost Manichaean eminence.

The divergence between the Mazdean and Zervanite mythologies has long intrigued the curious. Hitherto, however, no evidence had been published to illustrate the difference of the two points of view in the sphere of *Weltanschauung* and morals. Zātspram fills the gap.

About the Mazdean view there is no doubt at all. For them the material world was the handiwork of Ohrmazd. True, Ahriman had invaded that world, contaminated it, and introduced creatures of his own, but nevertheless it remained fundamentally good. Eating, drinking, and the propagation of the human race were regarded as natural, legitimate, and healthful activities. Ahriman, indeed, was regarded by Mānuščihr, the author of the *Dātastān i Dēnīk* and brother of Zātspram, as being essentially a spirit with no material function.[3] Ohrmazd, on the other hand, was not only the creator of the material world but is himself described as both spiritual and material.[4] Matter was therefore good and its enjoyment both permissible and desirable. Nietzsche's 'Ja-sagen zum Leben' would apply as much to the orthodox Mazdeans as to the Zarathuschtra of his own imagining.

Contrast this with the Zervanite view as propounded by Zātspram. The

[1] See note J, p. 195.

[2] DkM. 515. 3: *'mart 'pat mēnōk [i] Āz ārzōk 'ō tan 'rasēt, 'ut-aš 'hēr i gētēh kāmak nimāyēt. 'aδak čārak 'ēn apērtar 'kaδ 'mart frasāvandīh ⟨i⟩ tan ⟨'ut⟩ 'hēr i gētēh 'ō 'χᵛēš nimāyēt, 'ēn mēnēt 'ku *hanbār 'ku-m 'graft? 'bē 'čē 'kunam 'kaδ zūt 'bē 'hištan apāyēt. 'hač 'nūn frāč 'nē 'gīram 'ku-m 'tāk dōšāramīh i 'hač 'bē 'ēstēnd ov-iš 'nē *'rasam; 'čē 'hēr i gētēh 'nē 'graft 'vas χᵛārtar 'ku 'bē 'hištan.*

[3] Dd. 18. 2: *Ahriman rāδ guft 'ēstēt 'ku-š gētēh 'nēst.*—'Of Ahriman it is said that he has no *gētēh*.'

[4] v. text Z 1, § 32 and ff.

root of all evil is concupiscence; but concupiscence is not conceived as the abuse of a natural function as Christianity teaches: it is the very use of that function. We must then suppose either that man was intended by the deity to live in a material body as if he were a non-material entity and that he sinned of his own free will, or that he was doomed to imprisonment in the flesh by the necessity of keeping the body alive and to propagate his species by the urgency of his sexual desire. The second alternative is likely to be the true one, since the overwhelming importance attached to fate is so characteristic a feature of Zervanism that it has never failed to attract the attention of interested scholars. The life of man imprisoned in the body would, then, merely reflect the life of the Infinite God imprisoned in the finite Cosmos: the Cosmos rules man, and both are destined for ultimate release, the god at the end of twelve thousand years, man at death. Āz, as hunger, is present in all material things and can only be expelled at the end of the allotted time when 'nature is clad in spirit'[1] and men cease to eat or to reproduce.

What practical consequences the Zervanites drew from these premisses it is impossible to say; for it is a curious fact that the great religions which have preached predestination, so far from producing an indolent type—at least in their early stages—turn out a peculiarly obnoxious and aggressively intolerant product. Whether this was ever true of Zervanism must remain doubtful. The indications are rather that it was a religion which, since it regarded desire as the basic evil, recommended detachment as the panacea. The Pahlavī *handarz* literature (collections of pious sayings), which so insistently urges men to turn from the material world and to concentrate on the spiritual,—a view which reappears so frequently in the earlier Muhammadan Persian writing,—probably belongs to Zervanism. This strain of philosophical resignation is most apparent in the *Mēnōk i χrat*, which is known to be semi-Zervanite in tendency. 'Do not cultivate the world overmuch', we read, 'for he who cultivates the world does harm to the spirit.'[2] And again: 'The good things of the world are like a cloud that comes on a freezing day and does not linger on any mountain-top.'[3] These admonitions are clearly based on the doctrine mentioned by Zātspram that 'yearning for whatever good thing one sees or hears' is the third of the manifestations of Āz. It is reasonable to suppose that some Zervanites at least endeavoured to avoid the second manifestation, sexual desire, and to cut out as far as possible the first, the taking of food.

[1] Text Z 5 (*a*), § 39.

[2] Mχ. 2. 66: *'vas gētēh-ārāδ 'mā 'bāš, 'čē gētēh-ārāδ mart mēnōk-višōβ 'bavēt.*

[3] Ibid. 2. 65: *nēvakīh i gētēh ētōn humānāk čēγōn aβr i 'pat aβsārān 'rōč 'āyēt 'kē 'pat hēč kōf 'apāč 'nē 'pāyēt.*

Thus we may legitimately infer that Zervanism represented an ascetic wing within the Zoroastrian Church. Contentment (*χᵛarsandīh*) is the virtue opposed to concupiscence, and the ideal man should then desire nothing at all. Nobody except a madman, however, practises asceticism for its own sake. The Christian schools his body in subjection to his soul to open wide the doors of grace: the Manichee fasts and abstains from sexual intercourse in order to release the particles of light that are imprisoned in matter. The Zervanite, however, would fast, practise chastity, and 'give up the world' in order to eliminate concupiscence, the basic evil, as far as possible from his own person. In this he would simply be imitating the trend of the Cosmos itself. For the Cosmos is the body of Zurvān—and since this chapter closes the cosmological section of this work, it is well and, we are rash enough to hope, not entirely superfluous to recapitulate the cosmic drama in the light of the evidence we have pieced together so far.

Zurvān is the Infinite God—Infinite Time and Infinite Space—neither light nor darkness, neither good nor evil. He desires to have a son who should be the creator, but doubts whether this can be. From these mental conditions Ohrmazd and Ahriman arise. Ohrmazd fashions the universe from the substance of Zurvān, yet Ahriman is made king of the material world while Ohrmazd holds sway above. Zurvān thus becomes imprisoned in the body of the Cosmos which is ruled by the twelve Signs of the Zodiac and which will last for twelve thousand years. This is the battleground between the two spirits. The first of these had proceeded from the great God's wisdom, the second from his desire and doubt (Āz-Varan): they are not, however, identical with these. Zurvān arms Ohrmazd with his wisdom and Ahriman with his desire and doubt. He knows that the latter will cause havoc in his own body which is the Cosmos, but he also knows that as the cosmic body moves back towards the spirit, Āz *qua* concupiscence will be powerless against it: she will turn upon the demons and devour them.

Ēšm (Wrath) and Āz say to the Destructive Spirit: 'O thou Destructive Spirit of evil knowledge, I shall swallow thee, for (all) creation has been taken away save thee, and there is neither treasure nor army, and I cannot live.' First Āz, the demon-created, swallows Ēšm of the bloody spear, and second the demon-created Winter, and third Bane that moves in secret, and fourth she swallows Old Age whose breath is foul, so that none remain save the Destructive Spirit and Āz, the demon-created. Āz, the demon-created, says to the Destructive Spirit, 'I will swallow thee, O thou of evil knowledge, for the gods have taken away (all) creation save thee.' The Destructive Spirit rises up and goes towards the Bounteous Spirit, and cries out thus: 'I created this creation, and Āz, the demon-created, who has swallowed my creation, now desires to swallow me: I make thee judge over us.' Ohrmazd arises with Srōš, the Blessed, and Srōš, the Blessed, smites

Āz, and Ohrmazd the Destructive Spirit.[1] With all the foul(?) darkness and misery which he brought into (the world) when he first rushed in, he is thrown out of the sky through the hole by which he rushed in: and at that hole he is laid low and made unconscious so that he will (never) again arise from that low estate. There have been some who have said that he will be forever powerless and, as it were, slain,[2] and that henceforth neither the Destructive Spirit nor his creation will exist.[3]

So with Ahriman and his legions overthrown and concupiscence destroyed the Great God becomes what he had never been before—good. The original flaw in the divine nature is eliminated and the Cosmos, his body, dissolves into himself, which is the Infinite.

Such, baldly, seems to be the cosmological framework of this strangest of religions which sought to solve the problem of evil by placing it in the very heart of God.

II. WOMAN, THE SEDUCTRESS OF MAN

After examining the activities of the demon Āz, an association of ideas leads us naturally to another demon of desire—J̌ēh. Like Āz she makes a dramatic and apparently inexplicable appearance in the *Selections of Zātspram*[4] and again figures in the vivid prelude of the fourth chapter of the *Bundahišn*,[5] from which she as dramatically fades out. Her name is J̌ēh, and she is the demon Whore. The word derives from the Avestan *ǰahī-*[6] commonly used to mean a prostitute. It is also used to mean a woman of Ahriman's creation, and its original sense would appear to be simply 'woman'. A clear parallel to the *Bundahišn* text is found in the Syriac writer, Theodore bar Kônai.[7] This has already been expertly analysed by Professor Benveniste in MO. xxvi, pp. 170–215. The supplementary evidence that can now be supplied from the *Bundahišn* and Zātspram happily supports the conclusions he had already arrived at.

We saw in an earlier chapter that Ohrmazd's recitation of the *Ahunvar* prayer had the effect of laying Ahriman low for three thousand years.[8] In the fourth chapter of the *Bundahišn*, however, his continuance in this abject state is attributed to the creation of Gayōmart, the Righteous, Just,

[1] The destruction of Ahriman and Āz is accomplished by a sacrifice performed by Ohrmazd and Srōš according to GrBd. 227. 8 (v. Chapter V, p. 120, n. 2).

[2] So Zn. 17. 16 (Messina): *Ahriman pat bērōn i āsmān bē *kašēnd, hač-iš sar bē brīnēnd.*—'They drag Ahriman outside the sky and cut off his head.'

[3] Text Z 5 (*b*).

[4] Text Z 5 (*a*), §§ 30–31.

[5] Text Z 6.

[6] It is tempting to connect this word with NP. *zahīdan*, MP. *zahak* 'offspring', &c.; but one would expect to find MP. forms showing an initial *ž*.

[7] Text F 10.

[8] *Supra*, p. 95.

or Blessed Man (*mart i ahrov*), from whose seed the human race was to proceed. The demons, exasperated at the torpor of their captain, sought to encourage him: they retailed in detail the evil they could do, 'but the accursed Destructive Spirit was not comforted, nor did he arise from his fallen estate for fear of the Blessed Man'. It was not until J̌ēh intervened that he revived and was able to deliver his furious and triumphantly successful onslaught on the powers of good. For J̌ēh, 'the accursed Whore, came after three thousand years had run their course; and she cried out to the Destructive Spirit (saying), "Arise, O our father, for I would join battle in the material world that Ohrmazd and the Amahraspands may suffer straitness and misery thereby".' But again Ahriman was not comforted. Then she cried out a second time and said

'Arise, O our father, for in that battle I shall let loose so much affliction on the Blessed Man and the toiling Bull that, because of my deeds, they will not be fit to live: and I shall destroy their dignity ($\chi^{v}arr$): I shall afflict the water; I shall afflict the plants; I shall afflict the fire of Ohrmazd; I shall afflict all the creation of Ohrmazd.' And she related her evil deeds so minutely that the Destructive Spirit was comforted, and leapt forth from his fallen state and kissed the head of the Whore; (and the pollution which they call menstruation appeared on the Whore.) He cried out unto the Whore, (saying), 'Whatsoever is thy desire, do thou ask, that I may give it thee'. Then Ohrmazd in his omniscient wisdom knew that at that time the Destructive Spirit could give whatever the demon Whore asked, and that there would be great profit to him thereby. (The appearance of the body of the Destructive Spirit was in the form of a frog.) And he (*sc.* Ohrmazd) showed one like unto a young man of fifteen years of age to the demon Whore; and the demon Whore fastened her thoughts on him. And the demon Whore cried out to the Destructive Spirit, (saying), 'Give me desire for man that I may seat him in the house as my lord'. And the Destructive Spirit cried unto her, (saying), 'I do not bid thee ask anything, for thou knowest (only) to ask for what is profitless and bad'. But the time had passed when he had not been able to give what she asked.[1]

So much do we learn from the *Bundahišn*. Let us now see what Theodore has to say about the same myth:

Lorsqu'Ormazd eut donné des femmes aux justes, elles s'enfuirent et se rendirent auprès de Satan; lorsqu'Ormazd procura aux justes le calme et le bonheur, Satan procura aussi le bonheur aux femmes. Satan ayant permis aux femmes de demander ce qu'elles voudraient, Ormazd eut peur qu'elles ne demandassent à avoir des rapports avec les justes et qu'il n'en résultât pour eux un châtiment. Il chercha un expédient et fit le dieu Narsa, personnage de *quinze ans. Il le mit tout nu derrière Satan pour que les femmes le vissent, le désirassent et le demandassent: 'Satan, notre père, donne nous le dieu Narsa en présent.'

[1] Text Z 6.

There can be no reasonable doubt that Theodore is faithfully repeating a version of the same myth from which the *Bundahišn* account is derived. The correspondences are obvious. It is better to concentrate on the discrepancies.

(i) First, in the *Bundahišn* (B.) the protagonist is J̌ēh, the Whore: in Theodore (T.) woman who, created by Ohrmazd and destined for man, had fled to Ahriman.

(ii) In B. Ohrmazd knows only that Ahriman could give whatever J̌ēh asked and that Ahriman would be profited thereby. In T. Ohrmazd fears that woman may demand intercourse with 'les justes' and that the latter would be punished.

(iii) In B. Ohrmazd exhibits 'one like a young man of fifteen years of age' to the demon Whore. In T. he creates the god Narsa and exhibits him naked behind Ahriman in order to excite the desire of woman.

(iv) In B. the Whore asks for the desire of man 'that she might seat him in the house as her lord'. This request Ahriman had to grant. In T. woman asks specifically for the god Narsa.

We have seen that Theodore bar Kônai knew Zoroastrianism in its Zervanite rather than its Mazdean form. It is then likely that he has preserved the true Zervanite legend where the *Bundahišn* may have emended. Thus in discrepancy (i) Theodore has almost certainly preserved the authentic tradition. Woman, although created by Ohrmazd, deserts to the camp of Ahriman. In (ii) and (iii) the accounts combined will give the full version: Ohrmazd knows that woman will demand intercourse with the Righteous (or Blessed) Man (Gayōmart—rendered by Theodore as 'les justes'), and that the latter will suffer and Ahriman profit thereby. Thus he sends the god Narsē to excite woman, presumably to distract her attention from the Righteous Man. It is, however, the fourth discrepancy that is important. In Theodore woman asks specifically for the god Narsē: in the *Bundahišn* she asks for the 'desire of man', meaning presumably Gayōmart, the 'Righteous Man', since the *Bundahišn* mentions neither Narsē nor any other male person. What Ohrmazd exhibits to her is something 'like a young man of fifteen years of age', presumably a phantasm.

Theodore's introduction of the god Narsē requires explanation. Narsē (Narsa) in Pahlavī is Nēryōsang, and he is mentioned as having received two-thirds of the seed of Gayōmart when he died.[1] This, however, does not explain why Narsē appears in this passage. The Manichees, however,

[1] GrBd. 100. 15: *'ut-aš 2 bahr Nēryō⟨sa⟩ng nikās dāšt.*

had adopted this myth into their own system: this too has been preserved by Theodore bar Kônai and has been exhaustively discussed by Cumont.[1] The myth is also referred to in the Middle Persian Turfān fragment T III. 260.[2] It is not our intention to enter into this much discussed question, but only to introduce this Manichaean version in order to see what light, if any, it throws on the Zervanite myth. For the interpretation of the Manichaean ideas we would refer the reader to more competent authorities.[3]

The myth which has come to be known as the Seduction of the Archons tells us the following:

When the ships (i.e. the Sun and Moon) went up and reached the middle of the heaven, the Messenger then revealed his forms, male and female, and was seen by all the Archons, the sons of darkness, male and female. And at the sight of the Messenger who was beautiful in his forms, all the Archons became filled with lust for him, the males for the form of the female, and the females for the form of the male, and in their lust they began to emit that light which they had swallowed from the Five Luminous Gods. And then the sin which was shut up in them mixed itself like hair in the dough[4] with the light which came out from the Archons. They desired to go in, but then the Messenger concealed his forms and severed the light of the Five Luminous Gods from the sin that was with them.[5]

The object of this grotesque episode in the borrowed myth is purely Manichaean. The Messenger, by exciting the demons, causes them to emit some of the particles of light which they had absorbed. This light they had swallowed when they defeated the Primal Man (πρῶτος ἄνθρωπος). The Messenger or *Tertius Legatus* is the principal deity of the third emanation in the Manichaean system. In the Middle Persian Manichaean texts he is called Narisah, which is of course an earlier form of Narsē and corresponds exactly to the Narsa of Theodore's account of the Zoroastrian myth. In the *Bundahišn* Narsē (called in Pahlavī by his Avestan name *Nēryōsang* (*Nairyō-saṇha-*)) is also described as the 'Messenger of the Gods'.[6] It is therefore almost certain that Theodore has accurately preserved an authentic Zervanite myth.[7]

[1] *Recherches sur le Manichéisme*, i, pp. 61 ff.

[2] Andreas–Henning, *MirMan.* i.

[3] The best treatment is that of Cumont, l.c. Cf. also Jackson, *Researches in Manichaeism*, pp. 221–54; Schaeder, *Studien zum antiken Synkretismus*, pp. 342–7; Puech, *Le Manichéisme*, p. 172, no. 324.

[4] Following the translation suggested to Jackson by Yohannan (Jackson, op. cit., p. 245). The same figure occurs in ŠnV. i. 57. 451:

zi gāh ī buzurgī ču mūy az χamīr
birūn āmadī, mihtarā: čāreh gīr.

[5] Pognon, *Inscriptions mandaïtes des coupes de Khouabir*, p. 129 (text), p. 190 (translation); Cumont, op. laud., p. 38; Jackson, op. cit., pp. 244 ff.; Schaeder, op. cit., p. 345. Translation after Jackson.

[6] GrBd. 177. 8: *Nēryō(h)sang patyāk i yazdān.*

[7] Schaeder ('Der iranische Zeitgott und sein Mythos', ZDMG. 1941, p. 292) considers that the author of the Zoroastrian myth was copying from the Manichaean. This is wholly improbable.

This hypothesis is rendered doubly assured when we again turn to Zātspram's thirty-fourth chapter. There (§ 38) we read that in the last days 'Artvahišt will come to earth with the powerful help of Airyaman, the *Messenger*, to find a means of overcoming Āz'. He it is who will show man the sinfulness of slaughtering cattle. It is possible, therefore, that one of the divine messengers is sent to Gayōmart, the origin of the human race, to protect him against the attack of J̌ēh, who is only too obviously a creature of concupiscence. The second messenger is sent at the last to deliver man finally from the toils of concupiscence itself. Before offering a fuller interpretation of the Zervanite myth, however, we must pause to consider further evidence that J̌ēh is simply Woman in Zervanite terminology.

An anonymous Syriac text[1] has preserved a hotchpotch of Zervanite doctrine most of which, however, is attested elsewhere. The passage with which we are at present concerned runs as follows:

Il [i.e. Zoroastre] partage les choses créées entre ces deux (Hormezd et Ahremēd) en disant: la lumière appartient à Hormezd, les ténèbres appartiennent à Ahremēd; la vie appartient à Hormezd, la mort à Ahremēd; la santé et la richesse appartiennent à Hormezd, la maladie et la pauvreté à Ahremēd. Sur le même modèle les êtres vivants sont assignés, les uns à Hormezd et les autres à Ahremēd. C'est ainsi qu'il attribue les hommes et les grands animaux à Hormezd, mais les serpents, les scorpions, les cousins, les poux, les mouches et tous les reptiles de la terre à Ahremēd. De tout cela on peut inférer clairement qu'il suppose des séries de divinités mâles et femelles.

The reasoning is far from clear. The author enumerates the possessions of Ohrmazd and Ahriman, and his categories have the true Zoroastrian flavour. His last sentence, however, seems the most astonishing *non sequitur*: 'De tout cela on peut inférer qu'il suppose des séries de divinités mâles et femelles.' What can the man mean?

There is not a word in all that goes before that gives even the vaguest hint that Zoroaster posited series of male and female deities. Goddesses, in fact, are extremely few and far between in the Zoroastrian pantheon. To my mind the only possible sense that can be dragged out of this passage is that creation is divided between Ohrmazd and Ahriman; good belongs to Ohrmazd, evil to Ahriman. Similarly creation is divided between male and female; the male belongs to Ohrmazd, the female to Ahriman. It is quite true that this is not what the text says, and that as it stands the last sentence is capriciously inconsequent. I would therefore prefer to stress the equation J̌ēh (*Bundahišn*) = Woman (Theodore) as sound evidence for a Zervanite belief that woman—or at least Primal Woman as against

[1] Text F 9.

Primal Man—belongs to the evil creation; and refer the reader to Chapter III, pp. 72 ff., where further evidence for the perversity of the female element was presented and analysed.

Benveniste concluded in his analysis of the Theodore bar Kônai text that woman originally belonged to the Ahrimanian creation in the Zervanite scheme of things. From all the evidence this seems a fair inference. The intermediate position, namely that the female element water[1] and woman herself deserted Ohrmazd for Ahriman, is, however, alone attested in the Syriac sources. Only Hippolytus gives the extreme position which equates the male principle with light and the female with darkness.[2]

While granting that the identification of the female element with darkness and therefore with evil was probably held by some Zervanites—and the female sex of Āz, if proven, would greatly strengthen this theory—the better attested position remains that the female element as well as the male was fashioned by Ohrmazd, but through what appears to be an innate perversity deserted to the camp of Ahriman.[3] The temptation to identify Āz with the female principle is overwhelmingly strong, but should be resisted.

There is moreover a further passage in the *Bundahišn*, from its contents probably Zervanite in origin, which fully establishes the fact that some Zoroastrians at least considered woman to be essentially perverse. Ohrmazd is soliloquizing at the time of his creation of woman, and this is what he says:

> I created thee, thou whose adversary is the whore species, and thou wast created with a mouth close to thy buttocks, and coition seems to thee even as the taste of the sweetest food to the mouth; and thou art a helper to me, for from thee is man born, but thou dost grieve me who am Ohrmazd. But had I found another vessel from which to make man, never would I have created thee, whose adversary is the whore species. But I sought in the waters and in the earth, in plants and cattle, in the highest mountains and deep valleys, but I did not find a vessel from which righteous man might proceed except woman whose adversary is the whore.[4]

This episode may be characterized as Zervanite on four grounds: (i) Ohrmazd shows an ineptitude that is quite out of keeping with his Mazdean character of omnipotence and is strongly reminiscent of his inability to create the luminaries without diabolic assistance; (ii) he displays a misogynism unnatural, one would think, in one who is himself the creator of woman; (iii) the only use he can see in woman is that she produces man;

[1] Text F 5, i; cf. *supra*, p. 74.
[2] Text G 3; cf. p. 72.
[3] This desertion of woman to Ahriman is to some extent balanced by Mahmi's desertion to Ohrmazd (*supra*, pp. 147 ff.).
[4] See note K, p. 195.

and finally (iv) he implies a condemnation of the sexual act which is anything but Mazdean.

His perpetual repetition of the phrase 'woman whose adversary is the whore species' seems pointed, and his description of woman is exceptionally offensive and degrading. Between her and 'her adversary the whore species' her creator seems to see little difference. The latter-day scholar may, then, be forgiven if he regards the two as identical. Ohrmazd's address seems to be inconsistent with the normal Zoroastrian view of marital union and in sharp contrast to the passage from the Pahlavī *Rivāyat* already quoted where Ohrmazd and his daughter-wife Spandarmat are described as fondly embracing each other, thus giving divine sanction to sexual union (in this case incestuous).[1] Thus it appears almost certain that the demon J̌ēh represents the first woman and that Theodore bar Kônai's account is substantially correct.

What is very remarkable in both the accounts of the *Bundahišn* and Theodore bar Kônai is the abruptness with which they end. In the one case J̌ēh asks for the desire of man, in the other for the god Narsē: and that, apparently, is that. We have seen that in the Manichaean myth of the Seduction of the Archons, which appears to have been borrowed from this same Zervanite source, the result of the apparition of the 'Messenger' is the liberation of the particles of light from the bodies of the demons. The *leitmotiv* of the Manichaean cosmology, namely the imprisonment of the light in the ὕλη, seems to be entirely lacking in Zervanism. It is, however, inconceivable that the story should have stopped short with the appearance of the Messenger. The *Bundahišn* keys the reader's attention up for some tremendous and awful event in which J̌ēh would play the leading part. After all the demons have failed to rouse Ahriman from his torpor, it is J̌ēh who whips him into activity by describing how she will 'let loose so much affliction on the Righteous Man and the toiling Bull that . . . they will not be fit to live'. Yet when the onslaught does take place, J̌ēh magically disappears from the scene and is never heard of again.

Her intention, however, is perfectly plain. Excited by the appearance of the form of the fifteen-year-old youth exhibited to her—by Ohrmazd, one presumes, though the text is not absolutely clear on this point—she demands 'desire for man, that I may seat him in the house as my lord'. This, oddly enough, Ahriman is unwilling to give, as his surly reply shows: 'I do not bid thee ask anything, for thou knowest (only) to ask for what is profitless and bad.' Ahriman's reluctance is not altogether surprising since J̌ēh's request, if fulfilled, would mean not only the defilement of man and

[1] *supra*, p. 152.

his permanent entanglement with woman, but also the subjection of Ahrimanian woman to Ohrmazdean man. 'But the time had passed when he had not been able to give what she asked': in other words, he was in no position to refuse her request. The inference is then that J̌ēh was let loose on Gayōmart and presumably did what her species usually does under similar circumstances. The abrupt aposiopesis in the *Bundahišn* and, more surprisingly, in Theodore bar Kônai too seems quite inexplicable unless we are to suppose that both the author of the *Bundahišn* and the author on whom Theodore draws realized suddenly that the shameful story they were about to relate was completely heterodox. Zātspram, however, whose heterodoxy can no longer be seriously doubted, completes the story; but here again there is a lacuna in the vital part of the text.

Zātspram's account runs as follows:

> When Ahriman rushed into creation, he had the brood of the demon Whore of evil religion as his companion even as a man has a whore woman as his bedfellow; for verily the whore is a demon: and he appointed the demon Whore queen of her brood, that is the chief of all the whore demons, the most grievous adversary of the Righteous Man. And (the demon Whore) of evil religion joined herself . . . (lacuna) . . .; for the defilement of females she joined herself to him, that she might defile females; and the females, because they were defiled, might defile the males, and (the males) would turn aside from their proper work.[1]

Whether the essential words have been omitted on purpose by a copyist it is impossible to say; but the denouement of the episode is, even without them, absolutely plain. The concatenation of evidence is as follows:

(i) J̌ēh is the Primal Whore;
(ii) she is the 'most grievous adversary of the Righteous Man';
(iii) she had asked for the 'desire of man' and Ahriman could not refuse her;
(iv) she had intercourse with a person unknown.

Quite obviously the Zervanite myth terminated in the union of the First Man whose holiness was such that his mere existence had kept Ahriman powerless for three thousand years,[2] and the First Woman who alone of the demonic host had been able to rouse Ahriman from his stupor by an account of what she could do to Man.

There are, however, two points that still need clearing up: (*a*) what is meant by the defilement of females in Zātspram's account, and (*b*) what is the role of the likeness of the youth of fifteen years of age identified by Theodore bar Kônai as Narsē?

First, the defilement of females. I can find no convincing explanation for

[1] Text Z 5 (*a*), §§ 30–31.

[2] *Supra*, p. 183.

this. At the stage of the cosmic drama during which the episode occurs J̌ēh herself seems to represent the female sex, and she, having been Ahriman's 'companion', can scarcely have been undefiled. The defilement of females can, then, only mean that woman, being the first to sin by concupiscence, transmits her sin to her female offspring who again by concupiscence defile the males. However, in the *Bundahišn*'s account of the first human couple, Mašyē and Mašyānē, who in the Mazdean account sprang from the seed of Gayōmart,[1] both the woman and the man seem equally perverse and culpable.

Second, the appearance of the form of the youth. Theodore identifies the youth with Narsē, and the same god figures in the Manichaean myth, where his function is plain. In the *Bundahišn*, when the onslaught is finally unleashed, Ohrmazd brought sleep upon Gayōmart in the form of a 'youth of fifteen years of age, shining and tall'.[2] This youthful form would then appear to be the personification of Gayōmart's sleep. Theodore's Narsē, then, may perhaps have been adopted by confusion from the Manichaean myth. In any case it would appear that Ohrmazd, in his anxiety to protect Gayōmart from J̌ēh, displayed the youth in order to distract her attention. The sleep, moreover, shows how Gayōmart could have succumbed without resistance.

There seems to be a further pale reflection of the J̌ēh myth in the *Bundahišn*'s account of Ahriman's assault on Gayōmart and the Bull; for before the demon of death is loosed upon him, Ahriman assails him with Āz and Varan and five other deadly sins.[3] This is perhaps a toning down of the crude Zervanite story.

We saw in the first part of this chapter that gluttony played a far greater part in the concept of the Zervanite Āz than did lust, and that in this the emphasis was different from that in the Manichaean system. This, however, may be due to the fact that J̌ēh to a large extent fulfils this function on behalf of Āz. She overpowers the prototype of Man and thus defiles the human race. The first human couple, then, will in all probability be conceived of as the children of Gayōmart and J̌ēh in the Zervanite tradition, inheriting what is good from the first who is the handiwork of Ohrmazd, and what is evil from the latter who is either a self-willed renegade from good to evil or an evil creature herself. This, of course, is deduction from what seems to me certain—the union of Gayōmart and J̌ēh and the Zervanite condemnation of such union and its natural result.

[1] GrBd. 101. 1 ff.; Justi's translation, p. 19.

[2] Ibid. 44. 5.

[3] Ibid. 43. 10: the other sins are Want, Bane, Pain, Disease (? **yask*), and Sloth (*būšasp*, which also means 'sleep').

According to the Mazdean account Gayōmart's seed fell into the earth (Spandarmat) at the moment of his death. The seed grew up in the rhubarb plant from which Mašyē and Mašyānē, the first human couple (as distinct from Gayōmart, the First Man) emerged.[1] It is possible that both this legend and the story of his union with J̌ēh go back to an identical idea—the marriage of the First Man with the Earth Goddess. It will be recollected that Spandarmat is elsewhere referred to as the 'mother of creation'.[2] If this is so, the only distinction between the Mazdean and Zervanite versions would be that in the latter the female principle is equated with evil.

Thus in the course of our analysis of the admittedly scant data at our disposal we have continually come across an evil power of feminine gender. We recognized it first in the female principle of darkness which, according to Hippolytus, was moist and cold.[3] Again we saw that there was good reason to believe that it was present in the demon Āz—the personification of concupiscence which seemed to play so prominent a part in Zervanite teaching, though not in Mazdean. Finally we have again met it in the figure of J̌ēh, the whore who appears to be nothing else than woman. This threefold evidence can only lead to the conclusion that some Zervanites at least regarded the female principle as basically evil; and we are, therefore, bound to accept the corollary—which was already sufficiently obvious from Zātspram's account of Āz—that the prime function of woman, the propagation of the race, is as evil as the vessel which makes it possible. If this conclusion is justified, it at once becomes apparent that Zervanism is far more akin to Gnosticism than it is to Mazdean orthodoxy. Whereas the Mazdeans knew nothing of such a female principle, the Manichaean Āz who is the 'mother of all the demons'[4] corresponds fairly closely to the Zervanite demon of the same name. The Āz of the eastern Manichees is the ὕλη of the West; and this ὕλη is ἡ ἐν ἑκάστῳ τῶν ὄντων ἄτακτος κίνησις.[5] Similarly the weapon which Zurvān hands to Ahriman is 'like unto fire, blazing, *harassing all creatures*, that hath the very substance of Āz'.[6] It seems, then, a legitimate conclusion that a school of Zervanites existed which, though admitting the basic distinction between the two deities of good and evil, Ohrmazd and Ahriman, nevertheless recognized a yet deeper antagonism between a male principle of order styled variously *dātastān* or *rāδēnītārīh* or *patmān* and a female principle of chaos which is concupiscence.

[1] Ibid., chapter xiv, pp. 100 ff.; IndBd., chapter xv, p. 33 of the text, p. 19 of the translation.

[2] *Supra*, p. 152.

[3] *Supra*, p. 72.

[4] *Supra*, p. 166.

[5] *Supra*, p. 167.

[6] Text Z 5 (*a*), § 35.

NOTES TO CHAPTER VII

A. *čašm-gāh*: 'aware' = Phl. *čašm-kās*<Av. √*kas-* (NP. *ā-gāh* = Phl. *ā-kās*, &c.), cf. Henning, l.c. The meaning is attested Dd. 23. 3: *ruvān . . . 'apar vinās 'i-š kart 'ut kirpak 'i-š kam kart čašm-kās 'bavēt*.—'The soul becomes aware of the sins it has committed and the good deeds it has omitted to do.' Cf. ibid. 24. 3. DkM. 802. 18 has *čašm-ākāsīh* [*sic*] *'i-š 'hač dātār Ōhrmazd 'pat zatan 'i-š ātaχš*.—'The awareness (he received) from Ohrmazd concerning his smiting of the fire.' For *čašm-kās* in Mχ. 2. 115 we should probably read ⟨*a-*⟩*čašm-kās* (so Anklesaria) to correspond with the preceding *a-buržišnīk* and *an-āžarmik*. The *a-* privative would then also be reflected in the Skt. translation *a-darśanīya-*. Translate, 'When I sat in the place of the unaware . . ., &c.'.

B. GrBd. 185. 13: *Āz 'dēv 'ān 'kē 'čiš-ē ōpārēt: 'kaδ niyāzīh rāδ 'čiš *'nē mat 'ēstēt, 'hač tan 'χᵛarēt. 'ān druž[īh] 'hast i 'kaδ-aš hamāk χᵛāstak ⟨i⟩ gētēh 'bē 'dāt, 'nē *hanbārēt* (so from Zs. 34. 42 *hanburt*), *sēr 'nē 'bavēt*.—'The demon Āz is she who swallows (all) things. When through want nothing comes her way, she pines away. She is that Lie who would not be sated or satisfied though all the goods of the world were given to her.'

'hač tan 'χᵛarēt: for the meaning cf. Niẓāmu'l-Mulk, *Siyāsat Nāmeh*, ed. Khalkhālī, Tehran, A.H. 1310, p. 44: *mā gūšthā va χūnhā-yi χᵛīš ba-khurdīm andar qaḥt ya'nī lāyur gaštīm*.—'In famine we have eaten our own flesh and blood, that is, we have grown thin.'

C. DkM. 316. 9: *'andar gumēčakīh āmarakānīhā ǰān 'pat tan vīnārišn 'pat* [*tan*] *pattāyišn i čihr 'pat tan: pattāyišn i čihr 'pat tan 'pat 2-čārīh* ⟨*i*⟩ *Āz i čihr 'bavēt; 'ut Āz 'hač* ⟨*dō*⟩*-*čārīh i 'apar čihr 'pat ānāβišn i čihr. 'ut-aš 'apāč dāštār*⟨*i*⟩ *Hurdāt 'ut Amurdāt,—χᵛarišn 'ut χᵛārišn 'hač čihr bandīhēt,—čihr aδyār, Āz hamēstār. 'ut 'kaδ Hurdāt 'ut Amurdāt, χᵛarišn 'ut χᵛārišn, 'hač čihr bandīhēt, čihr 'pat anaδyārīh 'hač Āz-čihr-patišīh ānāβīhēt, 'ut ǰān 'pat tan vīnartan 'nē šāyēt; 'hač avīnārišnīh i ǰān 'pat tan ōšōmandīh 'bavēt i tan*. Cf. further ibid. 379. 5 ff.; 39. 17.

D. DkM. 342. 3 ff.: *aβigatōmand 'martōm gumēχt 'ēstēt ov-iš aβigatīk Āz 'pat marnǰēnītan i 'χᵛarr. 'ut 'dāt 'ēstēt 'hač dātār χrat 'pat pānakīh i 'χᵛarr 'hač Āz. 'ut Āz brātarōt i apāyast. apāyast sahmān-ič. 'tāk apāyast 'pat attān 'ut pātuχšāyīh hanǰāmīhēt, Āz frēh nērōkīhēt. 'ut χrat niyāz vēš 'bavēt* ⟨*'pat*⟩ *pānakīh i 'χᵛarr 'hač Āz. 'kaδ apāyast 'pat pātuχšāyīh 'ut attān hačaδar patmān i nērōk i 'avē 'martōm χrat hanǰāmīhēt, *pattōk 'bavēt 'avē 'martōm χrat 'pat pānakīh i 'χᵛarr 'hač tarvēnītan i 'hač Āz. sūtōmand 'ān pātuχšāyīh 'ut attān 'pat 'ān 'martōm. 'ut 'kaδ apāyast hačapar patmān i nērōk i 'avē 'martōm χrat hanǰāmīhēt, frēh ōžīhēt Āz, 'ut nizōrīhēt 'andar-aš χrat: 'ut 'hač χrat-nizōrīh čust 'χᵛarr 'pat abavandakīh 'i-š pānak, 'ut mastīhēt 'avē 'martōm 'hač frēhbūtīk pātuχšāyīh 'ut attān, 'ut-aš tarvēnīt* ['*ut*] *Āz* ⟨*i*⟩ *'χᵛarr ānāβēt: 'ut-aš ziyānīhēt 'apar-aš 'ān pātuχšāyīh 'ut attān.*

brātarōt: v. BSOS. ix, p. 311. 'First cousin' is perhaps a better translation than 'rival'. The word means 'like a brother'. In passages dealing with ethics it is used to denote a vice which is the caricature of a virtue. Menasce (ŠGV., p. 30) renders 'semblable et apparenté'.

attān: 'wealth' or better 'worldly goods'. The meaning is assured by the following passages:

(*a*) DkM. 916. 2: *tan 'ut attān* corresponding to l.6 of the same page *tan 'ut χᵛāstak*.

(*b*) Ibid. 804. 20: *zīndakīh 'zan 'ut χᵛāstak 'ut apārīk gētēhīk attān*.—'Life, wife, wealth, and other worldly goods.' The word could, of course, be read equally well

as *'T'W*, cf. NP. *tāv* 'strength' which could represent *a(t)tāv* with subsequent loss of the initial *a-*.

E. DkM. 118. 6: *čand āsn-χrat zōr pātuχšāyīh, and 'vēhīh dēn patīrišn 'ut vāβarīkānīh 'ut ravākīh 'ut yazdān pātuχšāyīh, 'vēh masīh, ōβām nēvakīh. 'ut čand mūtak varan zōr vazur⟨g⟩īh[ā], and ay-dēn patīrišn ravākīh 'ut 'dēvān stahmakīh 'ut 'vattarān masīh 'ut ōβām 'vatīh, 'ut [ravākīh] bar i 'ān 'vēh dēn sūt, 'ut ān i ['ān i] ay-dēn ziyān i dāmān.*—'As long as innate reason is strong and powerful, so long is the good religion accepted, believed in, and propagated, the gods hold sway, the good is increased, and the times are prosperous. As long as ruinous Varan is strong and great, so long is the evil religion accepted and propagated, the demons are violent, evil men are increased, and the times are bad. The fruit of the good religion is benefit to created things, and that of the evil religion detriment.'

For *mūtak* v. Ghilain, *Essai sur la langue parthe*, p. 82. It translates Av. *mrūra-*, and is glossed *'kē 'čiš tapāh kunēt* 'which ruins things': so coupled with *tapāh* DkM. 340. 19. Ibid. 252. 3 *χēm mūtakīh* is the opposite of *χēm vīrāδišn* (ibid. 251. 15).

F. DkM. 302. 4: *dušākāsīh bun varan.* Ibid. 104. 14: *dānākīh bun āsn-χrat; dušākāsīh [i] bun arās varan.*—'The source of knowledge is innate reason; the source of wrong knowledge is Varan which has no path.' Ibid. 321.8: *'hač-iš χrat-āhangīh āmarakānīhā 'martōm 'ō dānākīh nīδvārišn, 'ut 'hač varan-āhangīh 'ō dušākāsīh škarvītakīh.*—'By aiming at wisdom man generally proceeds towards knowledge; by aiming at Varan he lurches into wrong knowledge.' *škarvītakīh* to be read rather than *škravītakīh* (BSOS. ix, p. 314) by analogy with NP. *škarfīdan* 'lurch'.

Cf. further DkM. 142. 12: *hamāk kirpak ⟨i⟩ ov-iš patvand gētēh ['pat] bun 'pat χrat frārōn . . . 'har bazak ⟨i⟩ ov-iš patvand gētēhīk bun 'pat varan apārōn.*—'The worldly origin of all his virtue is derived from reason, the righteous . . ., the worldly origin of all his vice is derived from Varan, the unrighteous.' Cf. also the long passage on reason and Varan DkM. 117. 8 ff.

G. DkM. 244. 12: *'ān i tan i 'martōm 'pat pēšōpāδīh sūt-kar χrat; 'ut 'ān i 'pat pēšōpāδīh ziyān-kar varan. 'ut pēšōpāδ-kar⟨īh⟩ i χrat 'ut varan 'andar tan i martōm χᵛatīh, χrat 'pat hāčišn i 'hač Spēnāk Mēnōk aštak Vahuman, varan 'pat frēβišn 'hač Ganāk Mēnōk aštak Akōman.*—'That which in guiding the body of man is beneficial, is reason; that which in guiding it is detrimental, is Varan. (Concerning) the very nature of the guidance (exercised) by reason and Varan inside the body of man, (that of) reason is by attraction (proceeding) from Vahuman, the Messenger of the Bounteous Spirit; (that of) Varan is by deception (proceeding) from Akōman, the Messenger of the Destructive Spirit.'

H. GrBd. 102. 1 ff. = IndBd. 34. 4 ff, translation, p. 19: *martōm 'hēt, 'pitar i gēhān 'hēt. kār 'ut dātastān 'ut bavandak-mēnišnīh 'kunēt. humat mēnēt, hūxt 'gōβēt, huvaršt varzēt; 'dēvān 'mā 'yazēt. 'avēšān 'har 2 nazdist 'ēn mēnīt 'kaδ-šān ēvak 'ō 'dit rāδ mēnīt 'ku martōm 'hast. 'ut-*šān *nazdist kunišn 'ēn kart *'ku 'bē raft 'hēnd 'ut-šān 'bē* mēčīt. *'ut-šān nazdist gōβišn 'ēn guft 'ku Ōhrmazd dāt 'āp 'ut zamīk 'ut urvar 'ut gōspand, star 'ut māh 'ut χᵛaršēt 'ut harvisp āpātīh 'kē 'hač ahrāyīh paytākīh 'gōβēt bun 'ut bar. 'ut-šān 'pas pityārak 'pat mēnišn 'apar duvārast, 'ut-aš mēnišn 'bē āhōkēnīt 'hēnd. 'ut-šān drāyast 'ku Ganāk Mēnōk 'dāt 'āp 'ut zamīk 'ut urvar 'ut apārīk 'čiš. čēyōn guft 'ān i nazdist 'drōy-gōβišnīh 'i-šān viyāβīhet, 'pat apāyast i 'dēvān guft. Ganāk Mēnōk nazdist urvāhmanīh 'hač 'avēšān 'ēn χᵛēšēnīt. 'pat 'ān i 'drōy-gōβišnīh 'har 2 druvand 'būt 'hēnd. 'ut-šān ruvān 'tāk tan 'i pasēn [i] 'pat dōšaχᵛ. 'ut-šān 30 'rōč χᵛarišn-'vēčišn būt, vistarag i giyāh* nihuft. *'pas 'hač 30 'rōč 'pat* viškar *frāč 'ō* buz-ē

i spēt-mōδ mat 'hēnd, 'ut-šān 'pat 'dahān pēm i pistān mēčīt. 'kaδ-šān pēm 'χᵛart 'būt Mašyē *'ō Mašyānē guft 'ku* šātīh i *'man 'hač 'ān 'kaδ-*am *'nē 'χᵛart 'ān i* šīr *pēm, 'ut-am* šātīh šāt-tar *'hač 'ān i 'hast 'nūn 'kaδ 'χᵛart. am 'pat tan 'vat. 'ān-ič i ditīkar 'drōy-gōβišnīh. 'dēvān ōž 'apar mat.* Readings from the Indian recension are given in roman type.

I. TD2 has *mēnīt* 'thought', Ind. *mēčīt* (*MYČYT*), DH *mast* (*MSTW*). It is possible to read Ind. as *mēzīt* and DH as *mist* meaning 'they made water'. *mēčītan* 'suck' is also attested (GrBd. 103. 3 in the previous note and 144. 4 *varrak-mēč*): possible also < **maik-* 'mix'. *mēčīšn* 'twinkling of an eye' is attested in GrBd. 181. 13: *čašm-mēčišn-ē 'hač vizand ⟨i⟩ dāmān kartan 'nē 'ēstēt.*—'He does not cease harming creatures for the twinkling of an eye.' Cf. *mēč* Zs. 1. 25 (text Z 4). NP. has *mužeh* in the same sense. Cf. from the same root Lith. *užmingù* 'go to sleep', *megmi* 'sleep', &c. This seems to me the best reading. Mašyē and Mašyānē have just emerged from the vegetable state: it would be natural that they should move and blink their eyes to convince themselves that they were alive and human. Their actions are probably deduced from those of a new-born baby.

J. Mχ. 18: *pursīt dānāk 'ō mēnōk i χrat 'ku 'čē rāδ martōmān 'ēn 'čahār 'čiš 'i-šān 'pat daχšak vēš apāyēt mēnītan, 'ēn kemtar mēnēnd, vartišnīkīh i 'čiš i gētēh 'ut margīh i tan 'ut āmār i ruvān 'ut bīm i dōšaχᵛ? mēnōk i χrat passaχᵛ kart 'ku viyāβānīh i Āz 'dēv 'ut aχᵛarsandīh rāδ.*—'The wise man asked the Spirit of Wisdom, "Why do men think but little of those four things which by nature they should think of most, the transitory nature of the things of this world, the death of the body, the judgement of the soul, and the fear of hell?" The Spirit of Wisdom made answer (and said), "Because of the deception of the demon Āz and because of discontent".'

K. GrBd. 107. 14 ff.: *guft-aš Ōhrmazd 'kaδ-aš 'zan brēhēnīt 'ku 'dāt-ič-am 'hēh, 'tō 'kē-t ǰēhān sarδak pityār, 'ut-at nazdīk 'kūn 'ut 'dahān-ē 'dāt 'hēh 'kē-t māyišn ētōn 'sahēt čēyōn 'pat 'dahān mičak *i χᵛarišn ⟨i⟩ šīrēntom, *'kē-m 'tō aδyārīh, *'kē-t 'mart hač-iš 'zāt, 'man-ič āzārēh 'kē Ōhrmazd 'ham. 'bē 'hakar-am vindāt 'hēt yāmak 'kē 'mart hač-iš 'kunam, am 'nē 'dāt 'hēt hakarč 'kē-t 'ān i ǰēh sarδak pityārak. 'bē-m 'χᵛāst 'andar 'āp 'ut zamīk 'ut urvar 'ut gōspand, bālist garān 'ān-ič i zufr [i] rōtstāk; 'nē 'vindāt yāmak 'kē 'mart i ahrov hač-iš 'būt yut 'zan 'kē ǰēh pityārak.*

CHAPTER VIII

THE THREE CREATORS

THE last four chapters have been devoted to a fairly detailed analysis of the scanty data which have enabled us to piece together some sort of picture of the Zervanite cosmology and cosmogony. It is now time to examine in somewhat greater detail the nature of the Great God Himself. In this task it is well to start with the enigmatical 'three creators' who so mysteriously appear in the third chapter of the *Greater Bundahišn* and who have already engaged the serious attention of Professor Nyberg.[1]

With commendable insight this scholar recognized that these 'creators' or *Daδvs*, though identified with Ohrmazd in the Avestan *Sīh-rōčak*, nevertheless concealed other deities which later orthodoxy deemed it desirable to suppress. The question then arises, Who were these deities? To this Nyberg replied: Ātur, Mihr, and Dēn. Observing that the Mazdean month was divided up into four sections and that with the exception of the last all ended with *Daδv*, he concluded that in each case the *Daδv* summed up the activity of the various members of the series and was in fact identical with the first. At the end of the last series we find not *Daδv* but *Anaγrān*, 'the Endless Light', and in this Professor Nyberg saw a Mazdean substitute for Zurvān. 'Thus the Mazdean month represents the Aion manifested by the four gods Ohrmazd, Ātur, Mihr and Dēn, together with their creative forces.'[2]

For convenience we reproduce the Mazdean month, following Nyberg's table:

(1)	(2)	(3)	(4)
Ohrmazd	Ātur	Mihr	Dēn
Vahuman	Āpān	Srōš	Art
Artvahišt	Xᵛar	Rašn	Aštāt
Šaθrēvar	Māh	Fravartīn	Āsmān
Spandarmat	Tīr	Varhrān	Zāmdāt
Hurdāt	Gōš	Rām	Mahraspand
Amurdāt	Daδv	Vāt	Anaγrān
Daδv		Daδv	

The identification of the Three Creators with Ātur, Mihr, and Dēn is based on the calendar alone; and Nyberg's assumption that the last member in each case corresponds to the first remains no more than an assumption, since no further evidence has been produced. The Avestan *Sīh-rōčak* repeats the same formula on the three occasions when the *Daδvs* appear,

[1] CCM. 1931, pp. 128–30.

[2] Ibid., p. 130.

yet gives no hint as to what deity might be concealing itself behind the colourless *Daδv*. There is, however, a later Pahlavī version of the *Sīh-rōčak* which consists of a series of invocations to the deities presiding over the days of the month. These are of considerable length and contain a modicum of information on the nature and activities of the gods they extol. Though the evidence they supply for the 'Three Creators' is in itself by no means conclusive, there seems no harm in reproducing these three hymns to the 'Creators' here together with the final hymn to Anaγrān, 'the Endless Light', which rounds off the whole series.[1]

1. *Propitiation to the Creator*

I praise and invoke the Creator Ohrmazd, the good and bounteous: all day and night I magnify him. I give thanks to the munificent Creator Ohrmazd for that he made me, and fashioned me from the stock of man, and created me seeing, speaking, and able to move, and made me worthy of bodily health that I might praise thee day and night and make mention of thy name, O Creator. I give thanks to thee, O good and bounteous Creator, when I behold thy works such as the sky, marvellously made, the fruitful earth, the beauteous stars, the gleaming Moon and the bright Sun whose chariot is swift, and the running water from which is the life of every living creature, and the red burning fire, a mighty helpmate to earthly creatures, and the fruitful plants of many kinds, moist and verdant, whence is the maintenance and life of all things on earth, and good fortune, prosperity, wealth, lordship, and all other fair things that thou hast created. And when I behold a maiden or matron, fair in form, beauteous, comely, and desirable; and when I behold a noble boy, religious and pure in soul, fluent of speech, and skilled in the assembly; and when I see my own kinsmen, good and virtuous, I praise thee, O Creator, boundless in power and eternal in Time. Have mercy upon me, and put it in the mind of my rulers and overlords to grant me welfare and ease and to be kindly toward me. Keep thou in righteousness and increase all those good things which according to thy will are mine, O good Creator. For the good things that are from thee are ever-increasing and long-enduring: and I have no refuge, confidence, or hope save in thy munificence.

2. *Propitiation to the Creator*

I praise and invoke thee, O bounteous Creator, who from now until time eternal art the source of all good things, Ohrmazd: and the origin of all good fortune, prosperity, and light is subject to thy ordering. Yea, thou art Infinite Time, and the creator, upholder, and protector of thy creatures: thou dost purify them from all sin and affliction in thy munificence and mercy. And thou dost raise all men up, whether they be blessed or whether they be damned; and thou dost leave none of thy creatures in the snare and bondage of the Lie. Thou dost cleanse and purify them all, and dost keep them forever in victory abounding in

[1] The transliterated text and references will be found in the appendix to this chapter.

joy; and according to their deeds thou dost bestow freely upon them good rewards from thy Treasury of Eternal Benefit. In all places do I praise thee; for at thy will and behest were the heavens established, and the earth and all creation, material and spiritual. Be thou our saviour, O thou, our munificent Lord, from the hand and strife of evil and violent men, for we have no help or refuge or confidence save in thee, O Ohrmazd, helper of all. Do thou devise a means of helping the helpless; do thou set the captives free; deliver all men from fear and grievous sin, from tyrant and Kay and Karap[1] who rush to do harm to the good creation. Have mercy, O munificent one: have mercy, O Creator: have mercy, O wise one: have mercy, O virtuous one: have mercy, O all-bounteous spirit of welfare, upon us who are merciful. Put into the minds of our overlords who are our rulers and kings that they be of good will and kindly to us. Thus too (put it into) the mind of all rulers and overlords who rule and hold sway over thy creation on earth, that thy creation may increase further and that all that exists on the earth of Spandarmat may remain fruitful. For when men have ease and comfort, all thy creation strives to do good service to men, and they endure in all righteousness. In all things we put our trust in thee, O good, omnipotent Creator.

3. *Propitiation to the Creator*

I praise and invoke thee, O good and bounteous Creator, when I behold thy deeds, desire, will, and command to be so worthy and wondrous that they cannot be grasped or known by earthly intelligence, but can only be known through the omniscient Wisdom which is with thee who art the bounteous Ohrmazd. And the more it is seen, the more art thou praiseworthy thereby, in that thou didst establish the sky without a support—for no setting of a support is visible to earthly creatures; and thou didst establish the earth likewise, as it were, without support, extending far and wide, and didst create upon it navigable rivers,[2] and high mountains full of pasture, water and mineral ores, and trees with mighty branches, wide boughs, and deep roots, and red, burning fire, and men of many kinds[3] and beasts of five kinds[4] and many species: and between heaven and earth thou didst create the course of the beauteous and gleaming stars of good fortune (*χᵛarrōmand*), the Sun and Moon and the Firmament (*Spihr*) of the Seven and the Twelve, and the spiritual clouds and the useful rain, and the wind of fearful force but for which no living creature can endure: it rules all that is between earth and sky. I praise thee, O good Creator, for that thou didst create me sound in limb and righteous in conduct. In all things my trust is in thee.

[1] A class of ruler in the Avesta hostile to the Religion. The Pahlavī translation explains the names as meaning 'blind and deaf to the Religion'. Cf. Darmesteter in SBE. xxiii, p. 26, no. 2. For Nyberg and his school the *Kavis* were originally worshippers of Miθra (*Religionen*, pp. 292 ff., &c.).

[2] See note A, p. 214.

[3] The species of men are enumerated in GrBd., p. 107. Besides Byzantines, Turks, Chinese, Dahae, Arabs, &c., apes and bears appear to be reckoned as belonging to the human species.

[4] The five kinds are (i) animals with cloven hoofs such as the camel, (ii) round-hoofed such as the horse and ass, (iii) those which have five claws such as the dog, (iv) birds, and (v) fish (GrBd., p. 95; Zs. 3. 53).

4. *Propitiation to the Endless Light*

I praise and invoke the Endless Light and bright Garōδmān[1] and self-create Space of eternal benefit in which there is bliss everlasting and entire. From it the straight path of the Činvat Bridge reaches to man on earth which for the blessed widens to the breadth of nine spears' length—its (normal) length is three perches[2]— but for the damned becomes as a razor's edge, and they fall to hell. But the souls of the blessed, having a passage, can proceed easily on a wide path and come to the perfect abodes. Ever do I propitiate and sacrifice to the munificent creator, Ohrmazd, the Amahraspands, and all the gods. I pray that they may make my soul worthy for its meeting with Ohrmazd and the Amahraspands in the perfect abodes. And it has been taught to my very mind that all my life long I should continually strive to make my own the way and path by which I can come to the perfect abodes of all bliss, even Garōδmān. All bliss and all good things of creation are for us from thee. Even as all good things (come) to us from thee, so do thou make us worthy of yet more good things, benefits, good fortune, and bliss.

At first sight these hymns seem disappointing—interesting rather for their literary quality and almost Christian flavour than for the information they give us on the subject of our inquiry. In each the Creator is uncompromisingly Ohrmazd; but in each case Ohrmazd is presented under a slightly different aspect. The first is a creation hymn, pure and simple: the different acts of creation are enumerated and thanks are rendered to the Creator for these. The third, too, is predominantly a creation hymn, but there is a slight change of emphasis. It is not so much the mere fact of creation, but the will and command of God which excites the wonder of the devotee. He is not so much impressed by the fact of the creation of the sky as by the consideration that the sky stays where it is without visible support. In this hymn he is conscious principally of the omniscience of God, confesses that His nature cannot be grasped by any earthly intelligence, and claims that this can only be revealed by the omniscient Wisdom which dwells with God. He thinks of God first as absolute Wisdom through which only He could create. His attitude is very similar to that of the author of the *Mēnōk i χrat*, who quite clearly attributes all spiritual and material activity to the workings of the Spirit of Wisdom:

From the beginning have I who am Innate Wisdom among spiritual and material beings been with Ohrmazd. And the Creator, Ohrmazd, fashioned and created, maintains and orders all spiritual and material creatures, the gods (*yazdān*) and all the rest of creation through the power and valour, wisdom and experience of Innate Wisdom. And at the end of the rehabilitation (*fraškart*) he will crush and smite Ahriman and his abortions chiefly by the power of Wisdom.[3]

[1] See note B, p. 214.

[2] v. Henning, JRAS. 1942, p. 236.

[3] Mχ. 57. 2–4: *'hač fratom 'man 'kē āsnχrat 'ham 'hač mēnōkān 'ut gētēhān 'apāk*

The attitude in either case is the same: God's power is through His wisdom. In the *Mēnōk* Wisdom is clearly distinguished from Ohrmazd, while in our *Sīh-rōčak* text this is not obviously so. According to the *Mēnōk* Wisdom was from the beginning with Ohrmazd and through Its power creation took place. For the *Mēnōk*, then, Wisdom is uncreate. In the *Sīh-rōčak* passage, too, Wisdom is represented as dwelling with God: that creation took place through It is therefore a fairly logical deduction. Thus even without further evidence it would not be fanciful to see in Wisdom in this passage as in the *Mēnōk* an hypostasis of the Creator, and therefore a creator itself. Tentatively, then, we can regard Wisdom as the second of the mysterious 'Three Creators'. Leaving the corroborative evidence for the moment, we will now turn to the second hymn of the series.

This second hymn, unlike the two we have just dealt with, does not appear to be a creation hymn proper. The creation indeed seems to be incidental to the two main themes—the infinite compassion of God on the one hand and petitions for increased prosperity on the other. God is here —what is comparatively rare in Zoroastrian literature—addressed as the Saviour: His purification of sinners is extolled and His rescue of the damned from hell at the end of time. This idea of God, interesting as it is in a Zoroastrian text, must not, however, be allowed to detain us. What is of prime importance for the purpose of our present investigation is the formal identification of Ohrmazd with Infinite Time—an identification that would appear to be unique in Pahlavī literature. Its interest is obvious; for it represents an attempted synthesis of the two conflicting streams of Zoroastrian thought during and after the Sassanian period. The Father and the Son are here fused into one being, and the former becomes an hypostasis of the latter. The ambiguous Zurvān, deposed from his position of priority and supremacy, is fused into the being of his son, Ohrmazd, thereby losing his characteristic superiority to good and evil and being comfortably assimilated to the good.

It is unfortunate that the nature of our source does not permit us to unravel which attributes belong properly to Zurvān and which to Ohrmazd. *Prima facie* it would appear extremely improbable that Zurvān should appear as a Saviour (*bōχtār*): as the God of Fate it would be more natural for him to appear as something from which to be saved. The *Mēnōk i χrat*, however, again supplies an explanation, for in that work which, like these Creator hymns, belongs to a 'semi-Zervanite' brand of Zoroastrianism, we

Ōhrmazd 'būt 'ham; 'ut dātār Ōhrmazd mēnōk 'ut gētēh dahišnān, yazdān 'ut apārīk hamāk dām 'ut dahišn 'pat nērōk 'ut takīkīh 'ut dānākīh 'ut kār-ākāsīh i āsn-χrat āβurīt 'ut 'dāt 'ut 'dārēt 'ut rāδēnēt; 'ut 'pat fraškart 'sar aβsihēnišn 'ut zanišn i Ahriman 'ut-aš višūtakān 'pat χrat nērōk apērtar šāyēt kartan.

find the Infinite Zurvān intervening at the end of time to deliver creation from the powers of evil for ever.

When nine thousand years have fully elapsed, Ahriman will be made powerless; and Srōš the Blessed will smite Ēšm (Wrath); and Mihr, the Infinite Zurvān, and the Genius of Justice (*dātastān*) who lie to no one, and Fate and the divine Fate[1] will smite all the creation of Ahriman, and in the end the demon Āz also: and all the creation of Ohrmazd will again be free from aggression as it was fashioned and created in the beginning.[2]

Whether or not one is disposed to accept Zurvān as a Saviour-God from this evidence is for the moment beside the point. What cannot be denied is that being formally identified here with Ohrmazd, the Creator *par excellence*, in a hymn dedicated to the Creator, he must himself be Creator too. Thus we may be tolerably certain that it is Zurvān himself whose identity is concealed behind *Daδv* in this instance. This, of course, we already knew from the *'Ulemā*, where it is said that only after the creation of Ohrmazd from fire and water did Time become a creator:[3]

In spite of all the grandeur that surrounded it (Time), there was no one to call it creator: for it had not brought forth creation. Then it created fire and water; and when it had brought them together, Ohrmazd came into existence, and simultaneously Time became Creator and Lord with regard to the creation it had brought forth.

This is naturally a fully Zervanite position: that of the *Sīh-rōčak* is 'semi-Zervanite', Time being regarded as co-creator with Ohrmazd or in this passage as being identical with him. Thus we now have three creators —Ohrmazd himself and two hypostases, Time and Wisdom.

The *Bundahišn*, however, speaks of Ohrmazd *and* three creators. We are still one short. The first of our 'Creator' hymns can throw no light on the problem, for it is addressed to Ohrmazd alone as creator, and no amount of ingenuity can legitimately discover a different deity concealed behind his name in this case. We must, then, look elsewhere. Nyberg (l.c.) has already pointed out that the days of the month fall into four groups, the first three of which are terminated by *Daδv*, and the last by *Anaγrān*, 'the Endless Light'. It is here that we must seek the identity of the third *Daδv*.

Here we are on more familiar ground. The hymn is addressed to 'The Endless Light and bright Garōδmān and self-create Space of eternal benefit in which there is bliss everlasting and entire'. The assimilation of Light to Space immediately recalls the opening words of the first chapter of the

[1] The distinction between Fate (*baχt*) and 'divine Fate' (*bayō-baχt*) is clearly given in Mχ. 24 (text Z 32): v. Tavadia, ZII. viii, p. 131. Cf. also *infra*, p. 256.

[2] Text Z 8, §§ 10–11.

[3] Text Z 37, §§ 8–9.

Bundahišn ('that Light is the Space and place of Ohrmazd'). Again we are in the presence of a synthesis of Mazdean and Zervanite ideas. For the Zervanite, if we are to believe Damascius, Space or Time are the intelligible universe in its unity and from them 'derive a good god and an evil spirit, or light and darkness before these'.[1] The Mazdean, however, paradoxically identifies Space with the Endless Light; and Time becomes assimilated to Ohrmazd, though this was always an uncomfortable compromise and we do in fact find Space and Time associated with Ahriman.[2] That Space as being nearly identical with Time, or Light as being the Space and place of Ohrmazd, may represent our third creator is therefore at least possible —and we should then have the tetrad, Ohrmazd, Wisdom, Time, and Space, these three being the three *Daδvs*.

The deification of Space is also found outside Zoroastrianism; for it appears in the speculation of Bardesanes, who in this respect may well have been influenced by western Magian speculation. He placed God in Space, or rather made Space his support, and even seems to have gone so far as to subordinate the deity to Space.[3] In this he may well be following an Iranian tradition; for the idea of God sitting on Space as on a throne can easily be explained as being based on the double meaning of the Pahlavī *gās* (Avestan *gātu-*) 'throne' or 'Space'. In Zātspram's description of the Last Judgement Ohrmazd sits on the 'eternal self-create Space' to pass the judgement.[4] Both meanings of *gās* are here implied; for in a parallel passage Ohrmazd is represented as sitting on the Endless Light[5] which, as we have seen, is identical in the Mazdean system with Space. The parallel with Bardesanes is exact; and, in this case at least, there seems to be some justification for discerning Iranian influence on Gnostic thought, though once again we have no means of assigning any date to the genesis of ideas that are only actually attested in a ninth-century book.

That the Pahlavī *gās* is identical with the Avestan *θwāša-* is proved by the epithet *χᵛaδāt*, a mere transcription of the Avestan *χᵛaδāta-* 'self-create' or 'following its own law' applied only to *θwāša*, the Endless Light and, curiously, to *misvan* or *hamēstagān* 'the place of the mixed' or Zoroastrian version of Purgatory, where those souls are taken whose balance of good and bad deeds is equal. The compound *darəγō-χᵛaδāta-* 'following its own law

[1] Text G 1.

[2] Text Z 18 (*a*).

[3] Schaeder, *Zeitschrift für Kirchengeschichte*, li, 1932, p. 50; Bidez–Cumont, *Mages*, i, p. 62, n. (4).

[4] Zs. 35. 31: *Ōhrmazd 'pat apākīh i Srōš-*ahrāy 'hač nēmrōč ālak sahmān frāč 'ō hanǰaman 'rasēt, 'apar hamēšak gās i χᵛaδāt 'nišēnēt.*—'Ohrmazd together with the blessed Srōš comes to the assembly from the direction and confines of the South, and sits on eternal, self-create Space.'

[5] GrBd. 163. 1: *χᵛat* (sc. *Ōhrmazd*) *'nišēnēt 'pat 'ān i asar* [*i*] *rōšnīh.*—'(Ohrmazd) himself sits on the Endless Light.'

for a long time' is only used of Zurvān and Vayu (Vāy).[1] The epithets are interesting as showing that, even at the time of the compilation of the later Avesta, Time and Space were regarded as independent entities, following their own law and, therefore, not subject to Ohrmazd.

Thus there seem to be solid reasons for regarding these three Creator hymns and that in honour of the Endless Light as being ultimately of Zervanite origin. First we have the appearance of 'self-create Space' which has just been discussed. Secondly, there is the identification of Ohrmazd with Infinite Time—an attempted compromise between the Zervanite and Mazdean positions. In both cases we may discern a conscious attempt of Mazdean orthodoxy to appropriate Time-Space to Ohrmazd. In the third Creator hymn, however, there is evidence that the redactors have unconsciously allowed a specifically Zervanite idea to remain unemended in the text. In this hymn, which we have seen to be associated with Wisdom, we are told that God (Ohrmazd) established the 'firmament of the Seven and the Twelve'. These are, of course, the Seven Planets and the Twelve Signs of the Zodiac. We have already seen that Mazdean orthodoxy regarded the planets as the spawn of Ahriman and as counter-creations to the Signs of the Zodiac.[2] That their creation should here be directly attributed to Ohrmazd is clear enough proof that we are dealing with an insufficiently emended unorthodox text.

Lastly, we have in the hymn to the Endless Light a further indication that Zervanite ideas are present. After mentioning the Endless Light, Heaven, self-create Space, and the Činvat bridge (the bridge of the Separator)[3] where the blessed are separated from the damned, the author refers to the 'way and path' (*rās 'ut pand*) which leads to the abodes of all bliss. This path is mentioned in the *Vidēvdāt*.[4] It is the path that leads to the Činvat bridge and which must be traversed by good and bad alike: it is the path created by Zurvān. The use of the word *pand* shows clearly that the author has the *Vidēvdāt* passage in mind, since *pand* must here be a translation (and near-transliteration) of the Avestan *pantay-* used there: in Pahlavī the word usually means 'advice', though it is rarely attested in the sense of 'path'.[5] The path created by Zurvān is the path of the souls

[1] It is once used of Vayu, but in this case it may well have been transferred from Zurvān: v. *supra*, pp. 87 ff.

[2] *Supra*, pp. 158 ff.

[3] The generally accepted meaning is disputed by Nyberg (*Religionen*, pp. 180–6), who interprets 'Übergang (aus dieser Welt in die andere) des (zur andern Welt) Hinzielenden'. Bailey connects with *kaēnā-* 'exaction' (JRAS. 1939, pp. 115–16; cf. Av. *arənaṯ-čaēša-* 'punishing sins').

[4] Text A 1. For discussion v. Nyberg, CCM. 1931, pp. 119–25. Cf. Christensen, *Études sur le zoroastrisme de la Perse antique*, pp. 54 ff.

[5] DkM. 262. 8: *rās i 'hač aχᵛ 'ō mēnišn 'bast brīt pand 'hač aχᵛ.*—'The way from the will to thought is blocked and the path

of the departed, and it is as the god of death that Zurvān appears in this connexion.[1] By securing the path of Zurvān the devotee earns his passage to eternity.

Our analysis of the Pahlavī *Sīh-rōčak* has led to the provisional conclusion that the Three Creators are—besides Ohrmazd—Time, Space, and Wisdom. We must now proceed to the evidence of the *Bundahišn*.

In the third chapter of that work the *Daδvs* are mentioned twice.[2] Once they are formally identified with Ohrmazd: '(Ohrmazd) inserted his own name in four places in the month—Ohrmazd and the three *Daδvs*'.[3] The second reference is much more interesting. In my translation of it I have had, for various reasons, to diverge considerably from Nyberg. The grammatical grounds for this divergence will be found in the note to line 44 of text Z 2. Moreover, on the ground of our argument from the Pahlavī *Sīh-rōčak* and from other sources detailed below it seems natural to translate the *'ān 3 daδv: ēvak gās 'ut ēvak dēn 'ut ēvak zamān* of the text as, 'those three creators; one is Space, one Religion, one Time'—and then, following the Paris manuscript, 'all are called *dē* (creator)'.[4] That these 'creators' are themselves uncreate follows from the fact that the *Bundahišn* says of them, 'his (*sc.* Ohrmazd's) helpers *are* the three Creators'; but when dealing with the helpers of the six lesser Amahraspands, it speaks of them as having been 'given' to or possibly 'created' for them.

It is interesting that later on in the same chapter we find both the infinite and the finite Zurvān mentioned among the helpers of Vahuman: but this is only one more proof that the *Bundahišn* is not to be treated as a consistent whole, but as a corpus of religious knowledge in which different traditions are clumsily combined. In it Mazdean and semi-Zervanite ideas are constantly to be found side by side.

Again, the opening of chapter i of the same work gives us the same tetrad:

> Ohrmazd was on high in *omniscience and goodness*: for *infinite time* he was ever in the *light*. That light is the *space and place* of Ohrmazd: some call it the Endless Light. Omniscience and goodness are the totality of Ohrmazd: some call them *religion*. The interpretation of both is the same, namely the totality of *Infinite Time*, for Ohrmazd and the Space, Religion, and Time of Ohrmazd were and are and ever shall be.

from the will cut off.' For *aχᵛ* v. p. 53, n. 1. Ibid. 31. 7 and 9: *'apar pand ⟨i⟩ martōm pat-iš bōχtakīh*.—'Concerning the way in which men can be saved.' There are probably other instances of *pand* used in the sense of 'path' in Pahlavī which have escaped my notice. In MPT. we have *r'h 'wd pnd* (Andreas–Henning, *MirMan.* i, p. 8).

[1] Nyberg, l.c.
[2] Text Z 2, §§ 2 and 11.
[3] Cf. GrBd. 163. 1.
[4] *dē* is the later form of *daδv*.

'Both' does not refer to 'omniscience and goodness', for in that case it would naturally precede the explanatory 'some call it religion'. It must rather be taken as referring to the concepts Space–Endless Light and omniscience–religion. The two are comprised in the 'totality of Infinite Time', that is to say eternity, for 'Ohrmazd and the Space, Religion, and Time of Ohrmazd were and are and ever shall be'. This last sentence explains what is meant by 'the totality of Infinite Time': it is eternity, and eternity is the *sine qua non* of the other three: it is their *vičārišn* or what explains them.

This interpretation of the text seems to be proved right by the parallel passage in the *Aβyātkār i Žāmāspīk* ii. 2 (text Z 13). Though the lamentable state of the Pārsī text does not permit of a definitive translation, the tetrad Ohrmazd–Light–Religion–Time is indisputably there. The Pārsī text with the Pāzand variants together with his Pahlavī reconstruction are to be found in Messina's edition, p. 34. On some points we have found ourselves unable to agree with him. As I understand it, the passage runs as follows: 'He who has ever been is only Ohrmazd in the Light—and the Light (proceeds) from Ohrmazd—and the propagation of his Religion, and his Time which is the eternity of Ohrmazd, for it is the genius of right ordering.' The Pahlavī *ēvāč* means both 'only' and 'voice'. Messina adopted the latter, but I know of no Zoroastrian text in any way parallel to such an idea. *ēvāč* (voice) does not correspond to what we call the Word (λόγος): that is *vāχš*. Even so the 'Word' does not appear in the Zoroastrian cosmology until the enunciation of the *Ahunvar* prayer by which Ahriman is driven back into the abyss after his first attempt to invade the kingdom of Light.[1] Moreover, the opening of the first chapter of the *Bundahišn* from which the *Žāmāspīk* passage is obviously derived knows nothing of a 'voice' of Ohrmazd. The two passages complement each other, and from the comparison the tetrad Ohrmazd, Light (Space), Religion, and Time emerges with all desirable clarity.

It was Professor Nyberg's notable achievement to demonstrate the importance of the 'quadriform god' in the Zervanite system;[2] but more important than his 'tetrad of fate' and the 'Zervanite terrestrial tetrad'[3] is this tetrad Time–Space–Religion–Ohrmazd which is the tetrad of the godhead itself. In addition it is better attested than the others and *mutatis mutandis* corresponds exactly to the Manichaean tetrad which makes up the Fourfold Father of Greatness, namely God himself (Zurvān), Light, Power, and Wisdom.[4] Schaeder, who first emphasized the importance of the

[1] *Supra*, p. 100.
[2] CCM. 1931, pp. 47 ff.
[3] Ibid., pp. 107–13.
[4] Schaeder, *Urform*, pp. 136 ff.; Nyberg, CCM. 1931, p. 48.

Manichaean tetrad, rightly adduced the evidence of the opening chapter of the *Bundahišn*. Differing from us in his translation of that inordinately corrupt passage he attempted to prove the existence of a divine tetrad, God–Light–Omniscience–Goodness. This, however, left out of account the evidence we have analysed in this chapter, and did not give the exact parallel to the Manichaean tetrad which Time—Light-Space—Religion-Omniscience—Ohrmazd-Creator supplies.

For the apparent differences between the Zoroastrian and Manichaean tetrads are easily reconciled when we consider that both must go back to a common Zervanite source.[1] Light or Light-Space is common to both. The Manichaeans, following the Zervanites, make Zurvān the supreme deity, but in taking over the Zervanite tetrad they assimilated Zurvān or Infinite Time to their own King of Light. The Mazdeans, on the other hand, being obliged to give first place to Ohrmazd, did not for that reason reject Time. Thus they substituted Ohrmazd for Power. And this was natural enough; for Ohrmazd was above all things the Creator, even in the Zervanite system, and it is exclusively in this capacity that he is lauded in the first Creator hymn of the *Sīh-rōčak*. The act of creation is the manifestation of the divine power, and it is no accident that in this same hymn Ohrmazd is referred to as 'boundless in power' (*akanārak-nērōk*). Moreover, there is a passage in the *Dēnkart* where Power figures in a context closely parallel to those we have been discussing. The different types of knowledge are under discussion: one type of wise person is said to be 'he who knows by his essential knowledge (knowing): and this is alone the Creator Ohrmazd. This knowledge is (knowledge) in Infinite Time and is power (or potentiality) in its highest form.'[2] From this it seems tolerably certain that the original Zervanite tetrad comprised Time, Space, Wisdom, and Power.

The assimilation of Space to Light was a necessary consequence of both Mazdean and Manichaean theology, but it is not Zervanite in origin: for Zurvān is himself not a god of light any more than he is a god of darkness. He is superior to both, and conceived as Space comprises both. The tetrad would then correspond to the Hellenistic conception of the Aion which, if we are to believe Reitzenstein, always includes Time, Space, and the divine personality.[3]

[1] The tetrad Zurvān (Supreme God), Light, Wisdom, and Power seems only to be found in the eastern Manichaean sources. *Kephalaia*, p. 23, has the characteristically different '*εὐδαιμονία*, Wisdom, and Power'.

[2] DkM. 272. 18: *3 aδvēnak 'hēnd dānāk. ēvak 'kē 'pat χ^vatīk dānākīh dānāk; 'ut 'ēn ēvāč dātār Ōhrmazd, 'hast akanārak-zamānīk dānākīh apartomīhā nērōk.*

[3] Reitzenstein, *Studien zum antiken Synkretismus*, p. 81: 'So umschließt denn der hellenistische religiöse Wortgebrauch von Aion immer dreierlei, Zeit, stofferfüllten Raum und göttliche Persönlichkeit.'

The evidence of the Pahlavī *Sīh-rōčak* and the *Bundahišn* has led us to the conclusion that the 'Three Creators' of the latter are Time, Space, and Religion (Wisdom). Since it has become fashionable in certain circles to build whole structures of theory on the quicksands of corrupt or ambiguous texts, it may well be objected by those who rightly abhor such practices that the evidence of the *Sīh-rōčak* is unconvincing and that the text of the opening words of the first chapter of the *Bundahišn* is too corrupt for any firm conclusion to be drawn. There is, however, further evidence which we shall consider in due course; and this in the main confirms our theory. But before proceeding to this evidence it would be well to establish the practical identity of the concepts 'Religion' (*dēn*) and 'Wisdom' (*χrat* or *dānākīh*).

The relationship between wisdom and 'religion' is frequently referred to in the Pahlavī books and especially in the *Dēnkart*, but views on the exact relationship between the two seem to vary from text to text. Sometimes they are identified, sometimes a distinction is made. In one passage the identification is formal: 'The word of the Mazdayasnian Religion is identical with innate wisdom (reason—*χrat*): the word of innate wisdom concerning whatsoever was or is or shall be is from the Mazdayasnian Religion. For innate wisdom is identical with the Mazdayasnian Religion; and the Mazdayasnian Religion is identical with innate wisdom.'[1] Again, 'the decision of Religion is the wisdom of Ohrmazd',[2] and 'the essence of the Mazdayasnian Religion is the wisdom (*fražānakīh*) of Ohrmazd; and his wisdom is bestowing, knowing and doing. Its matter is knowledge of all . . . and it is itself the personality (*χēm*) of Ohrmazd'.[3] Again, 'he who applies his mind to the Religion of Zoroaster learns wisdom'.[4]

In other passages a distinction is made: thus Religion is spoken of as the seed of wisdom,[5] or again it is of the same lineage as innate wisdom[6] and is manifested in the matter, form, and activity of wisdom.[7] It holds sway

[1] DkM. 314. 9: *dēn māzdēsn gōβišn 'χ^vat 'hast āsn χrat. āsn-χratīk gōβišn i katār-īč-ē 'hastān 'būtān 'bavētān 'hač dēn māzdēsn; *'čē rāδ āsn χrat 'χ^vat 'hast dēn māzdēsn; dēn māzdēsn 'χ^vat 'hast āsn χrat.* Cf. ibid. 832. 7: *dēn i 'vēh 'kē 'hast čē-kām-īč dānākīh ⟨i⟩ visp 'hastān 'būtān 'bavētān.*—'The Good Religion which consists of every conceivable kind of knowledge of what is or was or will be.'

[2] Ibid. 915. 19: *vičīr i dēn χrat i Ōhrmazd 'hast.*

[3] Ibid. 329. 14: *dēn māzdēsn χ^vatīh fražānakīh ⟨i⟩ Ōhrmazd; 'ut-aš fražānakīh 'baχšišn dānišn kunišn. 'ut-aš mātaγ dānišn ⟨i⟩ visp . . . i 'χ^vat 'hast Ōhrmazd χēm.* Cf. ibid. 320. 20.

[4] Ibid. 904. 13: *'kē mēnišn 'ō dēn i Zartušt 'dahēt, χrat hamōχtēt.*

[5] Dd. 38. 22: *χrat 'kē-š dēn tō(h)mak.*

[6] DkM. 117. 10: *'vēh dēn āsn χrat 'ut karpān hunarān i āsn χrat ham-zahak.*—'The Good Religion is of the same lineage as innate wisdom and its forms and virtues.'

[7] Ibid., line 15: *paytākīh 'ān ⟨i⟩ 'vēh dēn 'hač χratīkīh, χrat-sāčīh 'ut χrat-mātaγīh 'ut χrat-karpīh 'ut χrat-kārīh.*—'The mani-

'among the good Amahraspands whose state is pure where innate wisdom has complete sovereignty'.[1] Wisdom is represented as a judge who knows the truth or untruth of hidden things by the knowledge of Religion.[2] It is as a lord over the soul (*ǰān*) of man, while free will is as a tutor to the voluntary faculty: the Religion of Ohrmazd is perfect and entire in both.[3] Conceived as celestial deities the Religion 'encompasses all the luminaries as with a girdle and omniscient wisdom encompasses all the knowing gods'.[4]

It is plain, then, from this short summary of excerpts from the relevant texts that the ideas of wisdom and the 'Religion' are so inextricably intertwined as to be virtually identical. It is only natural, then, that the two words should be indiscriminately used in reference to the second of the 'Three Creators'.

After this slight digression we must now return to the subject of the 'Three Creators' proper and consider the evidence of the *Dēnkart*. There we find Ohrmazd associated with three 'eternals' who can scarcely be different from the Three Creators whose eternity is implied in the third chapter of the *Bundahišn*—and this is indeed what one would expect. 'Eternal are the *Creator* Ohrmazd and the *Wisdom of Religion* through whose *power* is goodness, and *Space* on which his matter is (founded), and *Time* which is his eternity.'[5] Whether a more popular myth has been reduced to order by the author of the *Dēnkart* it is impossible to say, though it is likely that the 'Creators' had a more personal character than we can now discern; but for the later Mazdean writers Infinite Time and Infinite Space had become on the one hand hypostases of the Creator Ohrmazd, and on the other the *sine qua non* of creation.[6] It is through their limitation that creation becomes possible, and finite Time is the first creature.

Our text Z 14 presents the Zervanite tetrad with even greater clarity. First there is Time, without origin, yet an origin itself and a source of origins: all being is contingent on it, and without it nothing that is or was or will be can be done: itself is contingent on nothing. Second is Space within which are all substances; and third the wisdom of Ohrmazd which directs all things, yet is itself directed by nothing. Here again we have the

festation of the Good Religion is from wisdom, conformity to wisdom, the matter of wisdom, the form of wisdom and the activity of wisdom.'

[1] Ibid., line 22: *ravākīh . . . 'ān i 'vēh dēn 'andar 'vēh apēčak-ēstišnīk amahraspandān 'ku āsn χrat bavandak pātaχšāyīh.*

[2] Ibid. 259. 16: *ōγōn dātaβar χrat nihuftak 'čiš 'pat ētōnīh ayāp anētōnīh [ayāp anētōnīh] 'hač ākāsīh i 'ān dēn patīrēt.*

[3] Ibid. 178. 5: *'apar-ič ǰān χ"atāyīk vičīnkar χrat, 'apar aχ" dastaβarīk āzāt-kām, 'andar 'har 'dō bav⟨an⟩dak ōhrmazdīk dēn.*

[4] Dd. 38. 14: *'ut-aš fravast 'pat fravand vispān rōšnān čēγōn fravand 'ān i harvisp-ākās χrat fravast 'bavēt vispān ākās yazdān.*

[5] Text Z 15: cf. ZXA. 85. 5: *Ōhrmazd ⟨'ut⟩ gās 'ut dēn *'ut zamān hamē 'būt 'ut hamē 'hast.*—'Ohrmazd, Space, Religion, and Time have always been and always are.'

[6] See note C, p. 215.

same tetrad, Time–Space–Wisdom, and the personality of the Creator. Together they are one God in four persons. The distinction between the persons, however, is fairly marked.

Time and Space are eternity, the raw material from which creation is to proceed and whose limitation makes the creative act possible. Wisdom is the directing power of the universe, but can obviously only come into operation from the moment when something comes into existence to direct, that is after the limitation of Time and Space. *Sub specie aeternitatis* it is in a state of rest, and cannot really be said to direct at all: it has itself to be limited before it can operate *ad externum*.[1] This is the more rapidly achieved by the state of emergency created by the offensive launched by the powers of evil. According to one account[2] this offensive appears first to have produced a state of self-awareness in the deity itself, and from this proceeded the Endless Light: thence arose the Genius of Rectitude, thence Omniscience, thence creation and the defeat of the Evil One.

The theory enunciated by this text that the Endless Light was emanated by the deity and was not itself eternal seems to be of paramount importance. If the light is emanated only after the deity becomes aware of itself and aware of evil, it follows that light was not from the beginning with the deity. This is plainly a genuine Zervanite idea. The existence of evil seems to be prior to God's awareness of Himself: the impact of evil produces self-awareness in the deity and this manifests itself in the light. Light, then, cannot have been with God from all eternity: it is not an hypostasis of the Eternal. This, then, would appear to be a theological presentation of the myth of Zurvān's genesis of Ohrmazd and Ahriman conceived as light and darkness. The darkness (evil) originates through the unawareness of Himself of the eternal God; light proceeds from His awareness which, being the 'manifestation' of the divine nature, is subsequent to the darkness which proceeded from His unawareness.

Here indeed we seem to catch a glimpse of a fundamental Zervanite doctrine which regards the light as being other than eternal. In all the Mazdean accounts the Endless Light is the 'space and place of Ohrmazd' and with him eternal. Our text, however, implies that Ohrmazd, the 'Wise Lord', must, like his 'place', be an emanation from the self-awareness of a higher power, Zurvān. This too seems to be reflected in the *Bundahišn*,[3] where creation in the shape of the 'Endless Form' proceeds from the '*material* light': similarly the creation of Ahriman proceeds from the '*material* darkness'. If, as our text says, the light and presumably the darkness too are not eternal, we must conclude that creation is from

[1] v. text Z 20.

[2] Ibid.

[3] Text Z 1, §§ 26–27.

matter (*gētēh*), which is then seen as the substance of Zurvān, antecedent to both Ohrmazd and Ahriman who are spirits (*mēnōk*). Thus we find in text Z 18 (*a*) that the 'Light of Wisdom' and the 'Darkness of Lying Falsehood' appear as proper to Ohrmazd and Ahriman alongside Space which is common to both, though elsewhere Space is equated with the Endless Light, the 'place of Ohrmazd'. The light and darkness proper, then, would have superseded an original *gētēh* (matter) which appears as *gētēh* [*rōšnīh*] and *gētēh* [*tārīkīh*] in the *Bundahišn*. This 'matter' is the eternal substance of all that is, Time–Space which is Zurvān. This is surely τὸ νοητὸν ἅπαν[1] 'from which are derived either a good god and an evil genius, *or light and darkness before these*'.

Leaving reluctantly these speculations for the time being, we must return again to the evidence for the existence of a tetrad Time—Space—Wisdom—(Ohrmazd)-Power. Mas'ūdī has preserved a Zoroastrian tetrad that is suspiciously like our own. He says of the Magians that they acknowledge five principles;[2] the first is Ohrmazd 'and he is God the glorious and exalted', the second Ahriman 'and he is the evil Satan', and the third *kāh* (= NP. *gāh*, Phl. *gās*)[3] 'which is Time', the fourth *ǰāy*[4] 'which is Space'. So far the correspondence with our tetrad is exact, but at this point the Arabic text becomes obscure. We expect *dēn* 'Religion', but both manuscripts read *yaum* 'day', which is meaningless in the context. One manuscript adds the explanation *wa hūwa'l-ṭayyibatu wa'l-χamīru*, 'and it is the clear wine and the ferment(?)'; the other reads *wa hīya'l-ṭayyibatu wa'l-ḥamīrah*, 'and it is the good and . . .(?) . . . . De Goeje, accepting the first explanation, emended *yaum* to *haum* (Hōm, Haoma), the Iranian equivalent of the Vedic Soma, the drink of the gods. But what is Hōm doing in this company? His connexions with the *Dēn* (Religion) are in mythology slight and in theology nil: with Time and Space he has nothing to do at all. It is true that in the Avesta[5] Ohrmazd brings him the 'ancient (? *paurvanīm*)[6] star-studded, spirit-fashioned girdle of the Mazdayasnian Religion' and that he girded himself with it; but this is a purely mythological passage and obviously cannot serve as evidence for our present problem. In the later literature Hōm is represented as the genius of immortality[7] and confers immortality on mortals after the resurrection;[8] but nowhere does he

[1] Text G 1. [2] Text F 12.
[3] Leyden MS. has *kām*.
[4] MSS. *ǰām*. [5] Ys. 9. 26.
[6] Or the Pleiades; v. Bartholomae, *Indogermanische Forschungen*, xxxi, p. 35: in favour of 'Pleiades' is the Pashto form *pērūne* (Morgenstierne, *Etymological Vocabulary of Pashto*, p. 58).
[7] See note D, p. 215.
[8] GrBd. 149. 12: *'ṗat fraškart-kartārīh (hōm) 'andar apāyēt, 'čē-š an⟨ō⟩šakīh hač-iš vīrāδānd.*—'For the making of the Fraškart (Hōm) is necessary; for from it they will prepare immortality.' Cf. ibid. 175. 5. Ibid. 226. 4: *'gāv i haδayanš 'pat 'ān yazišn *kušēnd: 'hač 'pīh i 'ān 'gāv hōm i spēt ⟨i⟩ anōš vīrāδēnd.*—'At that sacrifice they slaughter the bull Haδayanš, and from his fat they prepare the white, immortal Hōm.' Cf. Dd. 36. 86.

appear as a 'principle'—a role for which he would in any case be singularly miscast.

More plausibly one might emend to *taum* (= Phl. *tōm*, *tōhm* 'seed'); for in the *Dēnkart* the Endless Light is spoken of as the 'seed' from which the *χᵛarr* arises,[1] and the conception of 'seed' plays an important part in the ontological parts of that work.[2] This, however, amounts to duplicating Space, for *tōhm* = Endless Light is the Space of Ohrmazd. Again, in another passage Ohrmazd is seen to create (*āβurītan*) the *Dēn* which is called *tōhmakān tōhmak* 'the seed of seeds',[3] which would exactly fit the Mas'ūdī context. It is, however, unlikely that Mas'ūdī would have known of this equation, though it is not, of course, impossible.

The emendation of foreign words transcribed into the Arabic script is, however, not a rewarding or profitable occupation. One has only to glance at any Arabic text in which such names are transcribed to realize the appalling deformations that can take place:[4] the only possible guide in such cases is common-sense deduction from existing data. In our own passage it will have been noticed that Mas'ūdī gives the form *kāh* (*gāh*) as the Persian for 'Time', and **ǰāy* for 'Space'; but in the older language both habitually mean 'space' or 'place', though *gāh* (*gās*) may also mean 'time'. Mas'ūdī's use of *gāh* and **ǰāy* shows that he was dealing with a text which had the collocation *gās 'ut gyāk*; and it is precisely this collocation that we have in the first chapter of the *Bundahišn*. We are, then, justified in emending the senseless *yaum* to *dēn* while admitting that there is very little resemblance between the signs representing the two words in the Arabic script. For the whole phrase we might read: *dain, wa hīya'ṭ-ṭayyibatu wa'l-tamyīzu*, 'the Religion, that is the good and discrimination'. *Ṭayyib* in connexion with *dēn* would render the Pahlavī *dēn i vēh*, 'the Good Religion'.

Apart from the passages quoted above in which the Three Creators—Time, Space, and Religion (Wisdom)—appear together, there are numerous places in which two of the series are associated in pairs.[5] There is, however, also a passage in the *Šikand Gumānī Vazār*[6] in which the Three Creators whose identity we have been at such pains to establish, not only

[1] Text Z 9.
[2] Cf. especially DkM. 120. 22 ff; 290. 1 ff.
[3] See note E, p. 215.
[4] As a single example among many we may cite Ya'qūbī's version of the name of Mānī's father. While Greek sources have Πατέκιος, Šahristānī *fātak* and the *Fihrist fattaq*, Ya'qūbī has *ḥammād* (!). Cf. Kessler, *Mani*, p. 338.
[5] Time and Space in texts Z 16, 18 (*a*), 23: Time and Wisdom in Z 20 and 22.
[6] 10. 12–13.

appear, but are mentioned by name. The names are not what we expect. The passage reads:

> When he (Ohrmazd) bore the name of Creator (*dādār*), then he bore three (other) names also: creation (*dahišni*), Religion and soul (*rvą*).

Of the series we found in the *Sīh-rōčak*, *Bundahišn*, and *Dēnkart*, only *dēn* is the same; yet that the *Šikand* is referring to the same doctrine of the 'three creators' is quite indisputable. Nor can we lightly emend *dahišni* to something else on the grounds that it is nonsense as it stands in the text; for this text itself adds, 'For it is well known that the name of creator comes from creation'. Obviously, then, the author, who otherwise shows remarkably good sense and considerable dialectical skill, sticks by his paradox that 'creation' is one of the names of the 'Creator'. However, though the theology of the *Šikand* is based on the *Dēnkart*,[1] there is no evidence in that work that creation, religion, and soul figure as three creators. *A priori* the names of the three creators should be Time, Space, and Religion (Wisdom) as in *Bundahišn* iii.[2] We must then either reject our theory of Time–Space–Religion = the Three Creators altogether, and accept the evidence of the *Šikand* only, or offer a plausible explanation of how the author of the *Šikand* can have brought himself to describe 'creation' as a 'creator', and whence he derives 'soul' (*rvą*, *ruvān*) in this creative role.

To take 'soul' (*ruvān*) first. The only passage that occurs to me which is even remotely parallel to our present problematical text occurs in the *Greater Bundahišn*,[3] where the soul of man (the microcosm) is said to correspond to Ohrmazd in the macrocosm. In the Manichaean system, too, the panoply of Primal Man (Ohrmazd in Iranian Manichaean terminology) is equated with his soul,[4] and the power sent by the Primordial God is the soul of matter.[5] None of these passages, however, are parallel: they do not make 'soul' a creator. Nor are we justified in seeing the idea of the Neoplatonic world-soul (the *nafs-i-kull* of the Ṣūfīs) in this one isolated instance; for this idea is foreign to Zoroastrianism.

For the *ruvān* of the *Šikand* the *Bundahišn* has *zamān* 'Time'. If the accounts are to be reconciled, there are two possibilities. Either the author

[1] ŠGV. 4. 107; 9. 1; 10. 57; 12. 1. Cf. the introduction in Âsânâ-West, p. xviii.

[2] *Supra*, p. 204.

[3] GrBd. 190. 13: *ruvān čēyōn Ōhrmazd*, 'the soul is like Ohrmazd'. Cf. Reitzenstein, *Studien*, p. 119.

[4] v. Schaeder, *Urform*, pp. 111 ff.; id. *Studien*, p. 253; Reitzenstein, *Die Göttin Psyche*, p. 14. In the *X*ᵛ*astuānift* the 'Five-gods' corresponding to the 'panoply' of the *Acta* are described as 'our souls': cf. the Persian account of the soul robbed by the powers of darkness in the frag. S 9 (Salemann, *Manichaica*, iii; Jackson, *Researches in Manichaeism*, pp. 75–126; Henning, NGGW. 1933, p. 306).

[5] Alexander of Lycopolis (Brinkmann, p. 5, l. 22), cf. Cumont, *Recherches sur le Manichéisme*, i, p. 18, no. 4; Baur, *Das Manichäische Religionssystem*, p. 52.

of the *Šikand* has sought to suppress all reference to Zurvān-Time as a creator, a view with which he radically disagreed as his last and sixth chapters show, and has substituted 'soul' for the once supreme deity which in his time was being slowly eliminated from the pantheon; or, owing to an early corruption, *ruvān* has been substituted for *zurvān*—the difference of one letter if we accept a Pahlavī spelling *zrwb'n* beside the normal *zwrw'n* and the more unusual *zrwp'n*.[1] Either alternative is possible; but the latter seems to me the more likely since precisely this has in fact happened in a New Persian text (our text Z 36) where the substitution of *ruvān* for *zurvān* is certain.

The case of *dahišn*(*i*) can also be explained as a scribal error, though if it originally was so, it was accepted as genuine by the author of the *Šikand* himself: and this is remarkable in one who would not himself have invented 'creation' as a name of the Creator. Oddly enough, the same enigma appears in the *Dēnkart*[2] where it is said:

> Matter (*gētēh*) is ruled by these six things, by Time, creation (*dahišn*), wisdom, power (*aδyār*, cf. NP. *yāristan*, *yārā*, *yār*, &c.), means, and effort. A wise man has explained that of these six three are spiritual and three material. Time, creation, and wisdom are spiritual; power, means, and effort are material.

Fortunately in this case there is a parallel passage.[3] In this we have a similar though not identical series—Will, Power, Means, Effort, Space, and Time—supplemented in the universe of the good by Wisdom and the Light of Wisdom, and in the universe of evil by Lying Falsehood and the Darkness of Lying Falsehood. Thus Time, Power (*nērōk* or *aδyār*), Means, Wisdom, and Effort are common to both series. The Light of Wisdom and its dark counterpart may for our present purposes be ruled out as being an extension of Wisdom and Lying Falsehood. Thus we are left with Will and Space on the one hand and *dahišn* (creation) on the other. Will is so nearly allied to Effort and Power that it need not detain us. We are therefore reduced to the equation Space = *dahišn*.

It is perfectly possible that the Pahlavī signs normally transcribed as *dahišn* and translated 'creation', and so transcribed and translated in the *Šikand* in the passage we have just discussed, conceal a word for Space which has remained hitherto unknown. It is, however, equally possible that *dahišn* is merely a miswriting of *gās* (space): such is the fascinating simplicity of the Pahlavī script that the mere addition of a ligature and a vertical stroke would transform *gās* into *dahišn*. Similarly if you insert a vertical stroke before *gās* it will become *vēhīh* 'goodness'; and this confusion is actually attested in GrBd. 3. 1, which reads *vēhīh* while IndBd. reads

[1] YF. 2. 39, 40.

[2] Text Z 18 (*b*).

[3] Text Z 18 (*a*).

correctly *gās*. Thus it is not at all impossible that the *dahišn–dēn–ruvān* of the *Šikand* is really *gās–dēn–zurvān* (*zamān*) heavily disguised.

The combined evidence of the *Sīh-rōčak*, *Bundahišn* i and iii, the *Dēnkart* passages, and of Mas'ūdī seems conclusive that one section of the Zoroastrians whom we have called semi-Zervanites conceived Ohrmazd as tetramorphous: his forms are his own personality as Creator, Time, Space, and Wisdom. By analogy with the Manichaean tetrad of Zurvān (Supreme God), Light, Wisdom, and Power, we can deduce an original Zervanite tetrad of Zurvān (Time), Space, Wisdom, and Power which combined to make up the godhead. The evidence of the *Šikand* is disconcerting; and we are quite prepared to admit that we have perhaps explained away the thorny difficulties presented by the impossible 'creation-Creator' and the improbable 'Soul-Creator'. This does not, however, alter the picture which emerges from the rest of our evidence. In Zervanism as well as in Manichaeanism Zurvān is the τετραπρόσωπος πατὴρ τοῦ μεγέθους: Time–Space–Wisdom–Power.

NOTES TO CHAPTER VIII

A. *nāvtāk*: 'navigable'; so following Bartholomae, AIW., col. 1064 against Herzfeld, AMI. ii, pp. 62 ff. The latter connects our word with NP. *nāv* 'trough, pipe, canal', *nāvdān*, *nāvak* 'canal'; cf. GrBd. 82. 5 *nāyičak* = NP. *nāyizeh*, also *nāvičeh*: Yidgha-Munji *nawoyo* (Morgenstierne, *Indo-Iranian Frontier Languages*, ii, p. 234). In support of this he cites the Pahlavī gloss (Vd. 14. 16; 18. 74) *kaθas* (cf. MPT. *khs* 'channel, sewer') and the NP. gloss in FrPhl. *nāvdān*. All this, however, does not obviate the semantic difficulty presented by the present passage, for the creator can scarcely be credited with the creation of 'canals'. Similarly in Yt. 10. 14, *āpō nāvayå pərəθwiš χšaoδaŋha θwaχšəñte*, 'the navigable rivers, the broad torrents rush on'. Clearly 'canals' will not do. *nāvtāk* is the translation of Av. *nāvaya-*. The Phl. spelling is usually *N'YWT'K*, but Vd. 14. 16 has the expected *N'WT'K* (so also a variant in Vd. 18. 74). *N'YWT'K* should perhaps be read as *nāyᵘtāk* with a light *u* as in *pātᵘχšāy* (*P'TWXŠ'Y*, normal spelling in Pahlavī) with the normal development *v*>*y*: *nāy-vitāk* would not be satisfactory since MP. *vitāč-* means 'melt'.

B. Garōδmān = Av. *garō dəmāna-* is usually taken to mean the 'House of Song', so recently Nyberg (*Religionen*, p. 161), but Herzfeld (*Altpersische Inschriften*, pp. 168 ff.) has suggested 'treasure-house', ἀποθήκη, *gar-*, ἀγείρω, 'collect'. This view is corroborated by the alternative phrases for 'heaven': (i) *ganǰ i hamēšak sūt*, 'the treasury of eternal benefit', which we have met above in our second excerpt; (ii) *ganǰ i hamēšak vaχš*, 'the treasury of eternal increase (PhlTexts, p. 139, § 36); (iii) *ganǰ i yazdān*, 'the treasury of the gods', referring to the receptacle of good works collected by the Moon. Further there is Arm. *gerezman* 'tomb', which is plainly neither a house of song nor of glowing (Hertel), but an ἀποθήκη. The connexion of the Armenian word with *garō dəmāna-* is, however, questionable (Hübschmann, *Armenische Grammatik*, i, p. 127; Henning, *Transactions of the Philological Society*, 1946, pp. 157 ff.). In Yt. 12. 37 Garōδmān is represented as

being the highest of six heavens; but according to GrBd. 194 it is the third highest, being inferior to the Endless Light and 'the place of the Amahraspands' and corresponding to the 'station of the Sun' of GrBd., p. 28. Cf. further p. 144, n. F.

C. Texts Z 15 and Z 23, § 102. Cf. DkM. 416. 14 ff., a translation of which was attempted by Junker, *Aion-Vorstellung*, p. 159, n. 31. The text is as follows:

'apar-šān[1] (*yazdān* J.) *akanārakīh i zamān paytākīh ēvak 'bavēt, 'nē šāyastan dahišn 'bē 'andar zamān guftan. 'ut 'andar-šān* (*yazdān* J.) *sačišn i kanārak-zamānīh 'apar-vīnārišn hamīh i 'būt 'bavēt ēvak 'ō 'dit. 'ēn-ič paytākīh guft 'ku 'har 'būt 'bavēt 'ut 'har 'bavēt 'būt 'bavēt. gēhān(?)-šān*[2] *gyāk 'apar 'hast, 'ut 'nē 'čiš 'bē gyāk: [i] 'čišān čand 'čišān ['čiš] kanārakōmand, 'ut gyāk-ič hamāk 'hač tuhīkīh: 'ut tuhīkīh mānāk-gyākīk akanārak guft 'pat abastakīh, čēyōn 'pat zamān dātār 'hastīh. akanārak-zamānīhā 'apar *čišān 'nēst 'čiš guft čēyōn [i] 'būt 'bavēt.*—'Concerning the manifestation of the infinity of Time one of their[1] views is that one cannot speak of creation except (as existing) in Time: for them the regularity of the passage of finite time is continuity (existing between) the past and the future. Its manifestation is said (to consist in this) that everything past is (at some time) future and everything future is (at some time) past. For them matter(?) is (founded) on Space: nothing exists independently of Space. Things *qua* things are finite. All Space is from the Void. The Void *qua* Space is said to be infinite through being non-contingent just as the being of the Creator (is said to be infinite) through Time. *Sub specie aeternitatis*, it is said, there is no such thing as present and past.'[3]

D. PhlTexts, p. 125, § 27: *'ut-aš 'har 'rōč 3 bār hōm 'ō gōš 'gōβēt 'ku rāmišnīk 'kunam, 'ut 'mā tarsēt 'čē-tān ōš 'hač ruvān apāč 'dāram, 'ut-tān ruvān 'nē ōšōmand čēyōn tan ōšōmand.*—'Three times a day Hōm speaks in his ear (saying), 'I will make you glad: fear not, for I keep death from your soul, and your soul is not mortal as your body is mortal." '

GrBd. 116. 2: *hōm i spēt bēšaz i avinast rust 'ēstēt 'andar čašmak i Ardvīsūr: 'har 'kē 'χᵛarēt ahōš 'bavēt.*—'The white, healing, immaculate Hōm grows in the fount of Ardvīsūr: whosoever drinks thereof becomes immortal.'

Zs. 3. 40: *hōm i spēt hamēstār[īh] ⟨i⟩ zarmān, zīvandakgar i murtakān, an⟨ō⟩šakgar i zīvandakān.*—'The white Hōm, adversary of old age, vivifier of the dead and giver of immortality to the living.'

E. DkM. 873. 9: *'apar āβurītan i Ōhrmazd pēš 'hač 'har dahišn i yut 'hač amahraspand 'pat 'bē niyāβākīh i amahraspand *rāst 'saχᵛan i fražānak dēn visp-ākāsīh hangarttom 'ut hangartīktom fravand 'ut dāramaktom ['ut] karp, tōhmakān tōhmak 'ut baχšišnān bun i apārīk 'hamist vēh-dēn gōβišn bay ahunvar.*—'On Ohrmazd's creating before all creation except the Amahraspands and for the assistance of the Amahraspands the righteous word of the wise Religion of omniscience, the most wide embracing and comprehensive girdle and most subtle body, the seed of seeds and source of dispensations, the lord *Ahunvar* together with the other words of the Good Religion.'

[1] Who or what are 'they' (*-šān*)? 'They' occur with monotonous regularity throughout Book IV of the Dk. In the present context they would appear to be the *mānsrō(k)barān* 'bearers of the word' mentioned in the preceding line.

[2] For *gēhān* the text has *YYHN*. I read *gēhān* on the analogy of text Z 15 (DkM. 133. 2), *gyāk 'ī-š gētēh 'apar*.

[3] Cf. text Z 17: 'he (Ohrmazd) is limited by matter, limitless through Time'.

APPENDIX TO CHAPTER VIII

A transliteration of the four passages translated at the beginning of the chapter is appended here. The Pahlavī text is found in the *Zand i χᵛartak Apastāk*, pp. 231–2, 240–1, 252–3, 258–9. The very corrupt and late Pāzand version will be found in *Pāzand Texts*, pp. 250, 257, 266, and 272.

I. ZXA. 231. 11–232. 15.

dātār šnāyēnītārīh

stāyēm 'ut āzbāyēm dātār Ōhrmazd i vēh i aβzōnīk: burzēm 'pat hamāk 'rōč 'ut 'šap. burt-šnōhr[a] *'ham 'hač χᵛāβar dātār Ōhrmazd 'pat-ič kartan i 'man, 'kaδ-aš 'man 'hač čihrak i 'martōmān brēhēnīt, 'ut-aš vēnāk, gōβāk 'ut ravāk 'dāt, aržānīk kart 'ham 'pat tan druvistīh 'ku stāyēm 'rōč 'ut 'šap 'ō 'tō, dātār, 'nām 'baram. spāsdār 'ham 'hač 'tō, dātār i vēh aβzōnīk, 'kaδ kartārīh i 'tō 'vēnam, čēγōn āsmān i aβd-kart 'ut zamīk i hudahāk, star i hučihr 'ut māh i bāmīk, χᵛaršēt i rōšn i ravāk-ray, 'ut 'āp i tačāk i 'har jānvarān zīvišn hač-iš, ātaχš i suχr i sōčāk i 'vazurg aδyārīh i gētēhān hač-iš, urvar ⟨i⟩ χᵛāβargar i vas-gōnak i tarr i zarrgōn i 'har gētēhān hač-iš dārišn zīvišn, ⟨'ut⟩ 'χᵛarr 'ut χᵛahrīh 'ut χᵛāstak 'ut pātuχšāyīh 'ut apārīk-ič nēvakīh i 'tō 'dāt 'hēnd. 'ut 'kaδ kanīk 'vēnam 'ut nāirīk i hukarp ⟨i⟩ hučihr i naχšak*[b] *i patχᵛāδišnīk, 'ut 'kaδ 'pus 'vēnam i āsnōtak*[c] *i hudēn i huruvān i ravāk-guftār i hanǰamanīk, 'ut 'kaδ ham-tō(h)makān i 'χᵛēš 'vēnam i 'vēh i frārōn, stāyēm 'tō, dātār i akanārak-nērōk yāvētān-zamān. apuχšāδ 'pat 'man 'ut 'ō manišn i sardārān 'ut pātuχšāyān 'dah 'pat 'man nēvakīh 'ut āsānīh kartan, *hučašm*[d] **'būtan [i]. 'har nēvakīh 'i-m 'χᵛēš rāδ 'hač 'tō kāmak frārōnīhā 'andar aβzōn 'dār, dātār i vēh; 'čē aβzōnīk 'ut dēr-pattāy 'hast nēvakīh i 'hač 'tō. 'ut-am 'nēst ['ut-am] panāh 'ut-am aβstām 'ut ummēt 'bē 'ō χᵛāβarīh i 'tō.*

II. ZXA. 240. 3–241. 16

dātār šnāyēnītārīh

stāyēm 'ut āzbāyēm 'ō 'tō, dātār i aβzōnīk, 'hač 'nūn 'tāk yāvētānak-zamānīhā 'kē buništ i 'har nēvakīh Ōhrmazd 'hēh; 'ut hamāk 'χᵛarr 'ut χᵛahrīh 'ut rōšnīh bun 'hač 'tō vīnārišn. 'bē[e] *'tō 'χᵛat akanārak zamān 'hēh, 'ut dātār dāštār 'ut pānakēnītār i 'χᵛēš dāmān, yōšdāsrēnītār 'hač 'har āhōk pityārakōmandīh ['ut] 'pat 'χᵛēš χᵛāβarīh apuχšāδišnōmandīh. 'ut harvist 'ul ōstēnēh,*[f] *'kē ahrov 'ut 'kē-ič druvand, 'ut 'kas-ič 'hač χᵛēš dāmān 'andar dām nivandak*[g] *i druž 'nē 'hilēh; 'ut-šān hamāk 'pāk 'ut yōšdāsr 'kunēh, 'ut-šān yāvētān purr-urvāhm-vānišn*[h] *'dārēh, 'ut-šān kunišn passa-čakīhā 'hač 'χᵛēš ganǰ i hamēšak sūt pātdahišn 'ān i vēh [i] āzātakīhā ov-iš nivēkēh.*[i] *'ut 'pat 'har gās stāyēm 'tō, 'čē 'pat kām 'ut framān i 'tō vīnārt 'ēstēt āsmān 'ut zamīk 'ut 'har dām 'ut dahišn gētēh 'ut mēnōk. bōχtār-mān 'bavēh, 'tō χᵛāβar χᵛatāy, 'hač 'dast 'ut kōχšišn i 'vattarān, mustkarān, 'čē-mān 'nēst aδyārīh 'ut pānakīh 'ut aβstām bē 'ō 'tō, Ōhrmazd i vispān frahāt. 'bavēh čārak-χᵛāstār i ačārakān, apēčā-rēnītār i graftārān, bōžēnītār i 'har 'kas 'hač bīm 'ut astānak ⟨i⟩ garān, 'hač sāstā-rān, kayakān, karapān 'kē 'pat dām ⟨i⟩ 'vēh vināstārīh duvārēnd. apuχšāδ, χᵛāβar,*

[a–i] *For notes see p. 218.*

apuχšāδ, dātār, apuχšāδ, dānāk, apuχšāδ, kirpakgar, apuχšāδ, visp-aβzōnīk nēva-kīh mēnōk, 'apar 'amāh apuχšāδāvandān. 'ō mēnišn i pātuχšāyān 'dah 'kē-mān 'apar sardār 'ut pātuχšāy 'hēnd, nēvakīh-kāmak 'ut hučašm 'būtan: ōγōn-ič 'ō mēnišn i hamāk sardārān pātuχšāyān 'kē 'andar gētēh 'apar dām i 'tō pātuχšāy 'ut ravāk-framān 'hēnd, 'ku 'tāk aβzōnīktar 'bavēt 'ān i 'tō dām 'ut dahišn, hamāk i 'apar spandarmat būm [i] purr-bar 'mānēnd. 'čē 'kaδ 'martōmān āsānīh 'ut χᵛahrīh 'bavēt, hamāk-ič dām 'ut dahišn i 'tō 'ō huvarzišnīh i 'martōmān pardāčišn pattōkīh 'i-šān 'pat 'har frārōnīh. 'ut-mān ⟨'pat⟩[j] *'har 'hēr aβstām 'ō 'tō, dātār i vēh i visp-tavān.*

III. ZXA. 252. 5–253. 4

dātār šnāyēnītārīh

stāyēm 'ut āzbāyēm 'tō, dātār i vēh i aβzōnīk, 'kaδ kart apāyastan kām 'ut framān 'vēnam i ōγōn aržōmand ⟨vi⟩tīmās[k] *i 'pat gētēhān dānišn ayāftan 'ut 'dānastan 'nē 'bē ēvāč 'pat harvisp-ākās χrat i 'apāk 'tō, aβzōnīk Ōhrmazd, 'dānastan šāyēt. čand vēš 'vēnīhēt, 'tō pat-iš stāyišnīktar 'hēh, 'kaδ-at āsmān vīnārt i astūn 'kē-š hēč stūn vīnārišn 'ō gētēhān 'nē paytāk; 'ut-at zamīk vīnārt i ham astūn-šōn*[l] *i frāχᵛ-vistarišn 'kē-t 'apar frāč 'dāt rōt i *nāvtāk, kōf i buland i purr-vāstar i 'āpōmand 'ut gōhrō-mand, 'ut dār i vazurg-tāk frāχᵛ-d⟨ē⟩šak 'ut zufr-rēšak, ātaχš-ič i suχr i sōčāk, 'martōm i 'vas-aδvēnak 'ut gōspand i panj-aδvēnak i 'vas-sarδak. 'ut-at andarag zamīk 'ut āsmān frāč-ravišnīh 'dāt, 'ān i hučihr 'ut bāmīk 'ut 'χᵛarrōmand stārak, māh 'ut χᵛaršēt, spihr i haftān 'ut davāzdahān, 'ut mēnōkīk aβr 'ut sūtēmand vārān, vāt-ič i škift-nērōk 'kē hēč jānvar yut hač-iš pattūtan 'nē tavān: rāδēnāk 'hast i 'har 'čē andarag zamīk 'ut āsmān. stāyēm 'ō 'tō, dātār i vēh 'kē-t 'man frāč 'dāt 'ham druvist-annām 'ut frārōn [i] rāδēnišn: 'ut-am 'pat 'har hēr aβstām 'ō 'tō.*

IV. ZXA. 258. 18–259. 14

anaγrān šnāyēnītārīh

*stāyēm 'ut āzbāyēm 'ān i asar rōšnīh 'ut 'ān rōšn garōδmān, hamēšak sūt gās ⟨i⟩ χᵛaδāt *'kē hamēšak ['ut hamēšak] hamāk-χᵛahrīh pat-iš. 'ut-aš 'ō gētēhān rasišnīk 'ān-ič i rāst rās Činvat puhr 'kē 'ō ahrovān 'bē frāχᵛēt 9 nēzak dr⟨ah⟩nāδ, 'kē dērangīh 3 nay, 'ut 'ō druvandān čēγōn ustarak tēh 'bavēt: 'ō dōšaχᵛ 'ōpatēnd. ahro-vān ruvānān vitaragīhā frāχᵛ-rās āsānīhā 'ō 'ān i pahlom aχᵛān franaft 'rasīt tavān. hamvār šnāyēnēm 'ut yazēm χᵛāβar dātār Ōhrmazd 'ut amahraspandān 'ut hamāk yazdān. 'χᵛāδam 'ku-m aržānīkēnēnd ruvān 'andar 'ān i pahlom aχᵛān hamdēmānīh ⟨i⟩ Ōhrmazd 'ut amahraspandān: 'ut-am nikēžīt 'ō aχᵛ*[m] *i vārom 'ku hamē zīvandak dr⟨ah⟩nāδ χᵛāstār 'ut pattōk 'bavam 'pat χᵛēšēnītan i 'ān [i] rās 'ut pand i pat-iš 'ō 'ān i pahlom aχᵛān i hamāk χᵛahrīh garōδmān matan šāyēt. frāč-mān harvisp-ič χᵛahrīh nēvakīh ⟨i⟩ dām 'hač 'tō. čēγōn-mān harvisp nēvakīh 'hač 'tō, ōγōn-ič-mān 'pat 'ān i vēš nēvakīh 'ut sūt, 'χᵛarr, χᵛahrīh aržānīk 'kun.*

[j–m] *For notes see p. 218.*

NOTES TO APPENDIX VIII

[a] Cf. Phl. Psalter, p. 35, *bwltšnwhly*.

[b] Reading and meaning from MParthT. *nχšg* (Andreas–Henning, *MirMan.* iii).

[c] *āsnōtak*: translates Av. *āsna-*, cf. BSOS. ix, p. 311.

[d] Text has *hanǰām*, but the parallel *hučašm* of our third excerpt is decisive.

[e] The MSS. vary between *'pat* and *'bē*; but since *'hēh* can only be 2nd sing. ind. or the conjunctive, and the latter yields no meaning in the context, we must take *'tō* as the subject and read *'bē*. The identification of Ohrmazd with *zamān* 'Time' therefore seems to be certain.

[f] *ōstēn-*, 'raise up' is only distinguished from *hangēžēn-* by a single vertical stroke: v. p. 104, n. C.

[g] *dām*: as in NP. 'snare'. Cf. ŠGV. 4. 65–72 (ten times), Skt. translation *vāgura-*; Zs. 3. 16, *dām-ē 'ut χumb-ē*. A close parallel to our passage is ibid. 35. 22: *Airyaman frēstak band[r]-ē 'pat dast dārēt; 'hač 'har 'martōm-ē rāδ i 'bē viturt, aš band-ē hač-iš ākustak 'pat humānākīh i dām ⟨ni⟩vandak 'kē-š murv māhīk pat-iš 'gīrīhēt.*—'Airyaman, the Messenger, holds a fetter in his hand; and from every man who has passed away there hangs a fetter in the likeness of a snare or bond in which a bird or fish is caught.' For *nivandak* in our passage Pāz. has *vañda*, but the reading is assured by Av. *nivanda-*, 'Fessel': cf. also DkM. 337. 14, 21: 338. 4.

[h] For *vānišn* one may also read *'ut χ^v^ašn* (MPT. *χwšn*, 'Lichtheit', *MirMan.* i).

[i] *nivēkēh*: the usual form in Phl. is *nivēkēn-* (frequent in Dk.) and we should perhaps so normalize here. Cf. Av. *nivaēdaya-*, MPT. *nwydg*, Arm. *nuirel*.

[j] *'pat*: supplied from the parallel at the end of excerpt III.

[k] *vitīmās*: v. p. 30, n. A 1.

[l] *astūn-šōn*: *'vēnišn* might as easily be read. We should then have *ham-'vēnišn* 'wholly visible'. For *šōn* v. Bailey in BSOS. vi, p. 947.

[m] *aχ^v^*: presumably 'existence' rather than 'desire'. For the latter v. p. 53, n. 1: cf. MPT. *'wχ*, 'Sinn' (Henning, *Man. Bet- und Beichtbuch*, s.v.).

CHAPTER IX

THE GOD ZURVĀN

(*a*) *The Fourfold God*

It was the purpose of our last chapter to demonstrate from the Pahlavī books themselves and by comparison with the Manichaean data that the supreme god of the Zervanite Zoroastrians was conceived of as tetramorphous, comprising the four hypostases of Time, Space, Wisdom, and Power.

H. H. Schaeder was the first to point out that the tetramorphous Zurvān was present in Zoroastrianism as well as in Manichaeanism;[1] and H. S. Nyberg, with characteristic enthusiasm, took up the idea and carried it very much further.[2] Neither, however, seems to have discerned the basic tetrad—Time, Space, Wisdom, and Power—the existence of which we have sought to prove. Nyberg, however, thought he could discern other Zurvanic tetrads in the Pahlavī books; and it will be among our tasks in this chapter to consider the validity of these.

Turning first to the non-Iranian sources, in this case written in Syriac, we find three deities appearing as apparently coexistent and co-eternal with Zurvān.[3] Their names are Ašōqar, Frašōqar, and Zarōqar. The information supplied by our sources is as usual scanty; and we will therefore reproduce the four passages here:

F 10: 'He [Zoroaster] first recognized four principles like the four elements, Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar and Zurvān, and said that Zurvān was the father of Ohrmazd.'

F 5 (i): 'Should we then consider Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar and Zurvān to be gods?'

F 8: 'He [Zoroaster] taught first of all the existence of four gods, Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar and Zurvān; but did not say what their functions were.'

F 9: 'He [Zoroaster] says also that the elements, that is fire, water, earth and the atmosphere, are gods, but that in sovereignty and divinity they are inferior to the gods Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar and Zurvān. It was Frašōqar who engendered Ohrmazd.'

The Syriac sources then tell us very little indeed. All that emerges from their laconically contemptuous accounts is that the three gods are

[1] *Urform und Fortbildungen des manichäischen Systems*, pp. 138 ff.

[2] CCM. 1931, pp. 47 ff.

[3] Theodore bar Kônai, Āδur-Hormizd, Mâr Barhad-Bešabbâ, and the anonymous Syrian re-edited by Nyberg, CCM. 1929, pp. 238–41: v. our texts F 10, 5, 8, and 9.

hypostases of Zurvān, identical yet in some way distinct: this seems clear from the statement of F 9 that Frašōqar engendered Ohrmazd, though the same author says earlier in his narrative that both Ohrmazd and Ahriman were born of Zurvān. In this connexion we may cite Šahristānī's statement that the Light emanated 'persons of light', the greatest of whom was Zurvān.[1] Secondly, it is clear that the four gods are all antecedent to Ohrmazd and Ahriman; and thirdly that they are in some way unspecified connected with the four elements. *A priori*, then, we should expect the four gods to correspond to the four eternals discussed in the last chapter. The names of the gods, however, rule this out entirely.

On the meaning of the terms Ašōqar, Frašōqar, and Zarōqar Nyberg (l.c.) has already said most that is essential. He rightly based his interpretation on the Avestan passage *Yašt* 14. 28, where the words *aršōkarəm maršōkarəm frašōkarəm* occur as epithets of the warrior god Vərəθraγna (Phl. Varhrān, NP. Bahrām). In this series *frašōkarəm* is identical with our Frašōqar: our Ašōqar has merely lost the *r* of *aršōkarəm*: two members of the triad are therefore identical. *Maršōkarəm* was considered by Nyberg to be the semantic equivalent of Zarōqar, and he therefore translated 'qui rend vieux', and in this interpretation Benveniste agrees.[2] The whole sequence Nyberg took to mean 'qui rend viril, qui rend vieux, qui rend splendide'. Having satisfied himself as to the etymology and meaning of the three epithets, Nyberg turned his attention to the question of whether they belonged properly to Vərəθraγna or to Zurvān. The theory advanced in his *Questions de cosmogonie et cosmologie mazdéennes*,[3] which seemed plausible enough, he abandoned later in conformity with his highly original but largely unacceptable theories on the nature of the Iranian religions.[4] His earlier view was that at a time when the Zervanite form of Zoroastrianism was gradually being ousted in favour of a more orthodox Mazdeanism, attributes and epithets once proper to Zurvān were gradually transferred to other deities. The epithets 'who makes virile, who makes bright, who makes old' were thus transferred from the Time god to whom they obviously belonged to the genius of victory who should have no part in them. Subsequently, after radically changing his views on the nature of the god Vərəθraγna, Nyberg found that the epithets were equally applicable to either god. It is fortunately no business of ours to argue for the prior claims of either Vərəθraγna or Zurvān: it is enough that the epithets A(r)šōqar, Frašōqar, and Zarōqar are four times attested as hypostases of Zurvān and that each finds confirmation in an original Zoroastrian text:[5] whether they

[1] Text F 4, § 1.
[2] See note A, p. 246.
[3] pp. 89 ff.
[4] *Religionen des alten Irans*, p. 383.
[5] *Infra*, p. 221.

were transferred from Zurvān to Vərəθraγna or vice versa is in this context immaterial.

That Zurvanic attributes were, however, transferred to other deities is certain. In the course of our investigation we have time and again been struck by the fact that many myths found in our Zoroastrian books show a Zervanite origin, but have almost invariably been restated in order to conform as nearly as possible to Mazdean orthodoxy. Nyberg himself has cited one case that appears to me incontestable—the substitution of the death-demon Astōvihāt in the *Aogəmadaēčā* for the Zurvān (*zamān*) of the *Greater Bundahišn*.[1] Again we find that epithets attributed to Zurvān in the latter work are gratuitously transferred to Rapiθwin, the quite insignificant genius of the midday, in the *Dēnkart*. The parallelism is here so exact that there can be no doubt that such a transfer has taken place. By juxtaposing translations of the two passages here, the reader will be best able to judge for himself:

(i) GrBd. 10. 11 (text Z 1, § 25): 'Time understands more than those who understand much. Time is better informed than the well-informed.'

(ii) DkM. 647. 13: 'Rapiθwin is he who understands more than those who understand and he who is better informed than the well-informed.'[2]

That Rapiθwin has in this case benefited by the degradation of Zurvān from the supreme place in the pantheon seems obvious. The point should not need stressing.

The epithet Zarōqar is once attested (in the Pāzand form *Zarvagar*) in a late Pārsī text as a name of Zurvān.[3] Frašōqar, too, once appears in a Pāzand text (Pāz. form *faršōgar*),[4] but here it has been transferred to Ohrmazd. This again can be regarded as part of the late and post-Sassanian effort to minimize the importance of Zurvān, but the transfer has an additional interest in view of the Syriac text's statement that it was Frašōqar who engendered Ohrmazd. Again, we find the term Ašōqar paralleled in the *aršnōtačin* found in the *Dēnkart*[5] in a cosmological passage associated with Zurvān-Time. How and when these epithets were transferred to Vərəθraγna, or whether indeed they were originally proper to him, is for our present purposes beside the point. In the Zoroastrianism of the Sassanian period they quite certainly were regarded as hypostases of Zurvān.

[1] CCM. 1931, pp. 44 ff.
[2] DkM. 647. 13: *rapiθwin 'ān ⟨i⟩ 'hač ayāpakān ayāpakīhātar, 'ut 'ān ⟨i⟩ *'hač pursišnīkān pursišnīktar.*
[3] v. our text Z 36.
[4] PāzTexts, p. 337: it occurs as the hundred and first and last name of Ohrmazd: cf. the late Pārsī compilation entitled *Farziāt-nāmeh* (ed. Modi), p. 62 (Persian numbering): *zi nām ī faršgar ma'nī'st ẓāhir/ qiyāmat-rā kunandeh ū'st āχir.*
[5] Text Z 20.

Nyberg, having satisfied himself on the etymology of the three words, proceeded to expatiate on their significance. Zurvān, being the god who makes virile, who makes bright, and who makes old, must be the god of puberty, maturity, and old age, the god of life and death.[1] As such he ceased to be a *deus otiosus*, but was a nature god manifesting himself in the rhythm of life and death, though, as we shall see, he came to be popularly identified with death and it is in this capacity that he is known in the Avesta.

Nyberg's interpretation of *fraša-* as 'bright' is disputed by many; but though the etymology still remains doubtful, the OP. passages seem to prove that 'excellent, fine' must be the sense at any rate in Old Persian[2] and probably, too, in Avestan. Literally, then, the three hypostases would be 'the male-maker, he who makes good, and he who makes old'.

The function of the god A(r)šōqar at least seems to be indicated by the parallel *aršnōtačin* of the *Dēnkart*.[3] That the two words belong to the same cycle of ideas is proved by the fact that the first is represented as an hypostasis of Zurvān and as such a first 'principle', while the second is called the 'original seed' from which the 'performance of action' (*kār kunišn*) arises: this 'performance of action' duplicates the 'action of Time' (*zamānak kunišn*). The *aršnōtačin* is also called *kār nērōk*, the 'power of action' or 'ability to act', that is action *in potentia*. Literally translated the word appears to mean 'male-flowing', which can surely only refer to the male semen. Thus *a(r)šōkar* will mean quite literally 'the male-making' or 'author of the male principle'—Zurvān, then, in this case conceived as the father of the Cosmos. From his seed proceeds the entire material Cosmos, just as the human race was later to proceed from Gayōmart. This fits in quite beautifully with what we have already said about the conception and birth of Spihr (the Cosmos);[4] and our argument seems to be nicely clinched by the description of this in the *Greater Bundahišn*.[5]

> The creation of Ohrmazd was fostered spiritually in such wise that it remained without thought, without touch, without movement *in a moist state like semen.*

The same passage, too, seems to give the clue to the cosmological function of Frašōqar, for it goes on to say:

> After this moist state came mixture like (that of) semen and blood; after mixture came conception, like a foetus; after conception came diffusion, such as hands and feet; after diffusion came hollowing—eyes, ears, and mouth; after hollowing came movement *when it came forward to the light.*

[1] CCM. 1931, p. 90.
[2] v. R. G. Kent, *Old Persian*, p. 198, where the literature is given.
[3] *Supra*, p. 221.
[4] *Supra*, pp. 112 ff., 141 ff.
[5] Text Z 1, § 38.

This last sentence fits into both interpretations of Avestan *fraša-*, the first of which (Bartholomae and most other scholars) associates it with Skt. *prāñc-* 'moving forward' and the second of which (Nyberg) takes it to mean bright. Frašōqar, then, will be the god who brings about the birth of the Cosmos, which during the process *moves forward* to the *light*.

This is not indeed in accordance with what the Syriac text F 9 says, namely, that it was Frašōqar who *engendered* Ohrmazd; but we should not, I think, rely too much on this very confused and confusing source,[1] especially as another source says of the three hypostases of Zurvān that Zoroaster himself did not specify their functions.[2] The *aršnōtačin* passage, moreover, and the known meaning of the root *aršan-* (ἄρσην) make it certain that A(r)šōqar is the male principle inherent in Zurvān, and must therefore have engendered the Cosmos.

Leaving Frašōqar aside for the moment, let us consider Zarōqar. This must be connected with the root *zar-* 'to grow old', and the equivalent *maršōkarəm* of Yt. 14. 28 is derived by Benveniste (l.c.) from the root *marz-* 'to rub (away)'. *Ergo*, Zarōqar is the genius who brings on old age and physical decay. Thus we have the three gods corresponding to the three decisive moments in the life of the Cosmos—its conception, its birth, and its passing away.

Even so, we are still confronted with the very obvious connexions between Frašōqar and the *Fraškart* which is the final rehabilitation of the Cosmos corresponding to the Christian resurrection of the Dead and the Muhammadan *qiyāmat*. It would be disingenuous to try to dissociate the two terms, for they are *nomen agentis* and *nomen actionis* of the same compound and must have been associated in the minds of the Zoroastrians themselves.[3] The order of the words in the Syriac accounts on the one hand and in Yt. 14. 28 on the other, however, seems to indicate a difference in the conception of Frašōqar. In the first case we have Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar, and in the second *aršōkarəm maršōkarəm frašōkarəm*. If, then, the second series was in fact transferred from Zurvān to Vərəθraγna, *frašōkarəm*, appearing at the end, must be the god who produces the *fraškart*. This series would then represent (i) the god who engenders the Cosmos, (ii) the god who withers it away, and (iii) the god who reconstitutes it or makes it 'excellent'. The series Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar, on the other

[1] The same source we had occasion to quote on p. 187.
[2] Text F 8.
[3] p. 221, n. 4 above. The *Farziāt-nāmeh* obviously equates *faršgar* with *qiyāmat-kunandeh*. In PāzTexts 354. 13 we find the form *frašogar-kardār* used as an epithet of Sōšyans, the eschatological 'saviour'. This is presumably a mistake for the usual *fraškart-kartār*, but the mistake shows that the author equated *frašōkar* with *fraškart-kartār* 'he who brings about the *fraškart*'.

hand, would represent (i) the god who engenders the Cosmos, (ii) the god who brings about its birth, and (iii) the god who brings about its decline and death. In any case they are the three gods presiding over the γένεσις, φθορά, and παλιγγενεσία of the Cosmos which is the finite Zurvān. The *aršnōtačin* passage from the *Dēnkart* (text Z 20) shows clearly what the *leitmotiv* of the myth is:

From action *in potentia*, the original seed the Avestan name of which is *aršnōtačin* first (arose) . . .[1] the performance of action with which coincided the entry of Time into action (*zamānak kunišn*). From the performance of action (arose) the completion of action with which coincided the limit of finite Time. The limit of finite Time merges into Infinite Time the essence of which is eternity, and (which means) that at the Final Body what is contingent on it cannot pass away. Even as the religious authorities have said concerning Time: Time was originally infinite; then it became subject to limitation; at the end it returns to the Infinite.

Thus we have the following series:

	(*a*) *Action*	(*b*) *Time*
(i)	*kār nērōk* 'action *in potentia*'.	⟨*akanārak zamān* 'Infinite Time'⟩.
(ii)	*kār kunišn* 'action proper'.	*zamānak kunišn* 'Time in action'.
(iii)	*kār fražāmišn* 'the completion of action'.	*zamān i brīn kanārak* 'the limit of finite Time'.
(iv)	⟨'the return to the state of rest'⟩.[2]	*akanārak zamān* 'Infinite Time'.

Ašōqar would then be the deity which presides over 'action *in potentia*'; Frašōqar would preside over the *fraškart* (= *kār fražāmišn—zamān i brīn kanārak*),[3] the return from action to rest and from the finite to the Infinite. Zarōqar then must be the deity which presides over *kār kunišn*, action performed in finite time, which, proceeding naturally to its appointed term, can literally be said to be growing old. If this is a correct analysis of the data, the series in Yt. 14. 28 is to be preferred to that of the Syriac writers.

The order unanimously preserved by the latter in which Zurvān appears at the *end* of the series can, I think, be best interpreted on the lines suggested above. This series will then represent the following functions:

(i) Ašōqar, presiding over the conception of the Cosmos.
(ii) Frašōqar, presiding over its birth.
(iii) Zarōqar, presiding over its decline.
(iv) Zurvān, representing its reabsorption into the Infinite.

Frašōqar will then be the god who presides over the birth of the

[1] I omit 'through the creation of Ohrmazd' which is almost certainly a Mazdean addition.

[2] Cf. text Z 19: 'action, at its fulfilment, returns to its original state of rest'.

[3] Ibid.: 'Time, when its full term has elapsed, returns to its source which is the Infinite—that is the *fraškart*, the defeat of the Lie, the Resurrection and the Final Body, eternal bliss delivering all creation.'

Cosmos into Time or over its rebirth into the Infinite at the *fraškart*. The former idea would explain why the author of text F 9 speaks of Frašōqar as having engendered Ohrmazd. Had he said 'gave birth to', his account would probably have been correct.

Conception, birth, death, and rebirth—this, then, is probably the true interpretation of the series Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar, Zurvān: or again αἰών–γένεσις–φθορά–παλιγγενεσία–αἰών, if we accept a series Zurvān–Aršokar–Maršōkar (Zarōqar)–Frašōkar–Zurvān. The basic idea in either case is the same—the genesis of the finite from the Infinite, the procession of the finite back towards the Infinite, and the 'death' of the finite by reabsorption in the Infinite. It is the story of the 'manifestation' of Infinite Time-Space which in this respect can be compared to the Aristotelian as opposed to the Manichaean ὕλη, and of its ultimate retreat into the unknowable Infinite.

There remains, however, one point which is still obscure. What does Theodore bar Kônai mean by saying that Zurvān and his three hypostases are 'like the four elements', or again (text F 9) that the elements 'fire, water, earth and the atmosphere are gods but that in sovereignty and divinity they are inferior to the gods Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar, and Zurvān'?

Theodore refers to the Four Gods as 'principles': similarly the four elements are described as the 'origin (*bun*—principle) of the nature of material things', being themselves the first manifestation of 'matter' (*mātaγ*) and as such called the first 'form'.[1] Moreover, they each have their specific function which the other elements cannot perform:[2] thus, according to Zātspram, water was the element of creation while fire brings about the end of the world.[3] The elements indeed derive directly from Spihr conceived as finite matter[4] and thus form a tetrad in the finite world corresponding to the Ašōqar tetrad in the infinite. The tetrad Ašōqar–Frašōqar–Zarōqar–Zurvān is a quaternity almost in the same sense as the Christian Trinity—four persons in one God of which Zurvān is the eternal origin from which the others eternally proceed. Similarly in the finite Cosmos which is the body of the finite Zurvān, the four elements are the 'form' of

[1] DkM. 120. 22 ff.; cf. text Z 10, 'the elements which are the seed of seeds of material creations'. *v. supra* p. 142, and cf. ŠGV. 4. 88: *či čuñ hamōīn dahišnq bvašni əž čihār zahagq qšq gəθī tan awāž ō čihār zahagq guməžihastan ō vīnāwadā pādā.*—'For it is perfectly clear that since the genesis of all creatures is from the four elements which compose their material body, they must again mingle with the four elements.' Further ibid. 5. 57.

[2] v. ŠGV. 5. 49 ff. (p. 69 in Menasce's translation).

[3] Text Z 5 (*a*), § 50. There does not, however, appear to be agreement on the functions of the four elements. For instance, in text Z 10 air (wind) precedes the other elements.

[4] p. 142 *supra*.

'matter' which itself is the Cosmos. Each of the hypostases of the Infinite Zurvān has its proper function; so, too, in temporality do the four elements have their specific function. Thus they may be correctly described as being 'like' the divine Tetrad but inferior to it 'in sovereignty and divinity'.

As further evidence for the divinization of the elements in Zervanism the so-called 'Song of the Magians' preserved by Dio Chrysostom has been cited and copiously commented on by Cumont, Reitzenstein, and Nyberg.[1] Although we have nothing new to add to what those great scholars have already said, we must, in the interests of completeness, retail again much that has been better said by them.

The myth speaks of Zeus as the first and perfect charioteer of the perfect chariot. This chariot, which is the Cosmos, is guided by the one charioteer and proceeds on its course throughout 'unceasing periods of eternity'. Men can only see the courses of the Sun and Moon, but cannot grasp the movement of the whole. The cosmic chariot is drawn by four steeds of different nature. The first is of infinite beauty and size and is infinitely swift, and its course lies on the outside of the hippodrome: it is sacred to Zeus, winged and shining with the purest light. In it are the Sun and Moon, and the stars appear through it. Of the four horses this is the most brilliant, the most variegated and the most beloved of Zeus. The second horse, which rubs shoulders with it, is sacred to Hera, docile and gentle, and greatly inferior to the first in strength and speed. It is black, but shines with the reflected light of the Sun on the outer side. The third, yet slower than the second, is sacred to Poseidon. But the fourth, says Dio, is the most amazing of all, for it stands firm and immovable, has no wings, and is sacred to Hestia. It, too, is yoked to the chariot, but remains firmly rooted to the ground biting its adamantine bit. There is continual strife between the horses, the two nearest the stationary one leaning upon it and pushing it clumsily: but the outside horse pursues its own course, revolving round the central one as round the turning-post of a hippodrome.

Usually the horses manage to complete their course without hurting one another; but in the course of time the strongest horse starts panting, and its breath heats the others and particularly the fourth. The mane of this last finally catches fire and the whole Cosmos is ablaze. Or, again, it may happen that the horse sacred to Poseidon exerts itself beyond measure and drowns the stationary horse in its sweat. These things, however, happen rarely and only as the charioteer permits.

[1] v. Cumont, MMM. ii, pp. 60–64; Bidez–Cumont, *Mages*, i, pp. 91–97 and ii, pp. 142–52, where the text is given. Cf. also Reitzenstein, *Das iranische Erlösungsmysterium*, pp. 246 ff.; Nyberg, op. laud., pp. 92 ff.; Junker, *Aionvorstellung*, pp. 149 and 161.

According to Cumont the myth is genuinely Magian in origin. The charioteer Zeus (gen. *Διός*) is the supreme god, Zurvān; the horses of Zeus (gen. *Ζηνός*), Hera, Poseidon, and Hestia are the four elements—fire, air, water, and earth. Though they normally proceed in harmony, it sometimes happens that one of them gets over-excited and that the fourth, the earth, is harmed thereby.

After this comparatively intelligible narrative the myth becomes increasingly fantastic. The horses change their forms and fuse their natures until all are vanquished by the strongest and their natures are fused into one. The prize then goes to the strongest, who absorbs the essence of the other three and thereby becomes yet stronger and more brilliant. Rearing superbly, triumphant, and exulting in his victory, he seeks yet further space in which to show his strength and power. This horse, according to the Magians, is the soul of the charioteer.

Here we seem to be very far indeed from the sober world of Zoroastrian orthodoxy; but the ideas of the strife and ultimate fusion of the elements into the fire may well be of Zervanite origin; for Zātspram says that the *fraškart* is brought about by fire and its immediate sequel is the return of the finite Cosmos to the Infinite from which it arose. His description is worth quoting in full, for it shows some similarity to Dio's myth and above all demonstrates the important role played by the elements at the *fraškart*:

On the earth, in the likeness of springs of water, springs of fire will arise in many places. For Ohrmazd created with water and will bring about the end with fire: for water has a nature that illumines the seed and causes it to grow, and fire (a nature) that burns and thwarts it: for when the seed of plants comes to water, it receives the power of growth, and becomes moist.

When the fire appears on earth, the waters begin to sink and the rain ceases to rain till most of the waters on the earth are turned into desert, and the colour of plants on earth turns to the colour of wine(?) because of their union with fire, and they are burnt up and the tillage will be of no effect.

When but three months have yet to pass before the Resurrection, it will come to the great battle, even as in the beginning creation wrestled with the Lie. For ninety days and nights there was war, a battle of thirty days and nights by the rain that smites noxious beasts, of thirty days and nights by the streaming forth of the vapours through which the plants grow, of thirty days and nights by the wind which drives the water on and supports the earth below and above and makes hollows and heights.

But as the great battle in the beginning was by the raining of water and the wind that furthers water, so is the (battle) in the end by the burning and scorching of fire and the fearful wind that makes the fire to blaze.

As (first) for ninety days and nights the gods did battle with the demons and

the Whore, so in the end, manifest and plain, there will be seen by night and in the atmosphere a form of fire in the shape of a man, conceived by the spiritual gods, riding, as it were, a fiery horse, and fearful (to behold): and they shall be freed from doubt.[1]

Here, too, we seem to meet with the idea of fire absorbing all the other elements before being merged into the Infinite. If we wish to pursue the parallel, we may liken water to Ašōqar as being the element and genius of creation respectively, and fire to Frašōqar as being the agent and author of the *fraškart*. Here, however, the parallel breaks down since there is no obvious connexion between Zurvān and Zarōqar and the earth and air. Moreover, water is normally regarded as female and as being the sister and spouse of fire.[2] The parallelism between Zurvān and his hypostases on the one hand and the elements on the other must be confined to the fact that the former are the eternal source of all being, the latter the source of material existence in time. Dio's myth, if it really reflects Zervanite ideas, is mainly interesting in showing Zurvān as the directing force (*τοῦ ξύμπαντος μιὰν ἀγωγήν* = *rāδēnītārīh*) behind the four elements who are thus the terrestrial tetrad reflecting the tetrad of genesis, decay, rebirth, and the Infinite in eternity.

The account of the *'Ulemā i Islām* according to which fire and water were the first things created by Zurvān, and from which Ohrmazd and Ahriman were formed,[3] may fit into our present context. In this case the elements (if fire and water can be taken to represent all four) would proceed immediately from Zurvān and his hypostases; and the statement of the Syriac writer that according to the Magians fire, water, earth, and the atmosphere are gods but inferior in sovereignty and divinity to Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar, and Zurvān, would be quite accurate.

Thus in the purely ontological sphere we can discern three tetrads: first the Tetrad of Being—Time (Zurvān), Space, Wisdom, and Power; second the Tetrad of Becoming, Zurvān (the Infinite), Ašōqar, Frašōqar, and Zarōqar—genesis, decay, and rebirth; and thirdly the Tetrad of Matter—fire, air, water, and earth which are the source of all material creation as manifested to man. The last tetrad can, according to the Syriac sources, be regarded as a reflection in the finite of the other tetrads in the Infinite: and fire in this case would be the earthly representative of Zurvān, for, according to Dio, it is the soul of the divine charioteer.

Besides the above tetrads Nyberg thought that three other tetrads—the tetrad of fate, that of justice, and that of the luminaries—were to be found

[1] Text Z 5 (*a*), §§ 49–54.
[2] v. p. 73 and p. 79, n. D.
[3] Text Z 37, § 9.

or inferred in the texts. The first he derived from a passage in the *Mēnōk i χrat* where it is said: 'the whole world proceeds in accordance with the decree (*brēh*) and the (decisive) moment (*zamānak*) and the fixed decision which are indeed Zurvān, the King and Lord of the long Dominion'.[1] Fate then is allotted in three stages: first the original decree, second the moment at which the decree takes effect, and the fixed irrevocable decision when the thing fated is accomplished. This 'process of fate' (*brēh-ravišnīh*)[2] is summed up in Zurvān of the long Dominion, finite Time. The idea recalls the *kār nērōk* (action *in potentia*), *kār kunišn* (the performance of action), and *kār fražāmišn* (the completion of action) which we have already discussed. The operation of fate as applied to individual men, then, can be said to reflect the three stages in the history of the Cosmos.

Again Zurvān—this time the Infinite—appears at the end of time accompanied by Mihr (Mithra), the Genius of Order (Justice—*dātastān*), and Fate,[3] and destroys Ahriman and his creatures, and finally Āz. Whether we can call this a Zervanite tetrad seems a little doubtful: the collocation of Mihr, the Genius of Order, and Fate seems to me rather haphazard, for the triad of justice or order would normally be Mihr, Srōš, and Rašn.[4] However this may be, it is obvious that Zurvān intervenes here together with two deities (Fate and the Genius of Order) which are merely the personification of his functions and with Mihr who is the god of truth, to crush finally the spirit of excess and deficiency, that is disorder, Āz.[5]

In addition to these tetrads Nyberg surmised that Zurvān also formed a tetrad with the Sun, Moon, and Signs of the Zodiac.[6] This, though extremely probable, is not attested in our texts. Similarly we ourselves have suggested that a tetrad comprising the infinite Zurvān, the finite Zurvān, the course of fate, and the genius of the year may be discerned in the *Bundahišn*:[7] this would then be the Tetrad of Time.

Thus we find the following tetrads attested:

(i) *The Tetrad of Being*
Time (Zurvān)
Space
Wisdom
Power

(ii) *The Tetrad of Becoming*
Zurvān (the Infinite)
Ašōqar (the originator)
Frašōqar (he who brings forth)
Zarōqar (he who causes to pass away)

(iii) *The Tetrad of Matter*
Fire (? the soul of Zurvān)

(iv) *The Tetrad of Time* (*uncertain*)
The Infinite Zurvān

[1] Text Z 27, § 5; cf. Nyberg, op. laud., pp. 54–56.
[2] Cf. text Z 1, § 22 and *supra*, pp. 108 ff.
[3] Text Z 8, § 10; Nyberg, op. laud., pp. 58 ff.
[4] See note B, p. 246.
[5] Text Z 8, ibid.
[6] Op. laud., pp. 56–57.
[7] *Supra*, p. 111.

Air	The finite Zurvān
Water	The Course of Fate
Earth	The Year
(v) *The Tetrad of Order* (*justice*)	(vi) *The Tetrad of Fate*
The Infinite Zurvān	The finite Zurvān
Mihr	The Decree
? Srōš—Order (Justice)	The decisive Moment
? Rašn—Fate	The fixed Decision

In these tetrads, then, Zurvān appears first as pure being, second as the source of contingent being, third as the source of matter, as finite time, as cosmic order, and as fate. This, in fact, sums up all that can be said about him, as we shall see when we come to study his nature in greater detail.

Before leaving the subject of the fourfold god we must devote a few lines to a surprising passage in the Persian *Rivāyats*,[1] where Zurvān appears as a deity with *seven* faces and three eyes in each face. Apparently corresponding to each of the seven faces are seven names. These names are transcribed in the Pāzand character: some are already known from other sources, others remain obscure: the names are *waγī*, *Zurvān*, *zarvagar*, *vaχt*, *nawāγ*, *paδyār*, and *yō-framānə*.

Of these *waγī*, *Zurvān*, *zarvagar*, and *vaχt* are easily recognizable; *paδyār* is well known as a word but astonishing in the context. The meaning of *nawāγ* can be guessed with comparative certainty: *yō-framānə* is difficult.

The name Zurvān is self-evident: *zarvagar* is Zarōqar, with whom we are now familiar; and *vaχt* is simply a Pāzand writing of *baχt* 'fate'. *Waγī*, too, is clear: it is a Pāzand transcription of *baγīk* and may thus be connected with our text Z 12 which enumerates the 'categories' of good and evil which correspond to the three castes.[2] Thus it scarcely seems too bold to suggest that we might well have here another Zervanite tetrad—Zurvān, Ohrmazd (*spēnākīk*, priesthood), Vāy (*vāyīk*, warriorhood), and Spihr (*baγīk*, the husbandmen), a conception that emerges fairly clearly from our texts Z 11 and Z 12. This, then, would be the Tetrad of the Castes or social *order*. In support of this theory we may again mention that Mihr-Narsē, whose Zervanite sympathies we sought to demonstrate in Chapter II, made his three sons the titular heads of the three castes.[3]

The three last names of the series, *nawāγ*, *paδyār*, and *yō-framānə* are more problematical. *Paδyār* means 'the adversary' and is the stock epithet of Ahriman. As an epithet of Zurvān, however, it shocks. This is, however,

[1] Text Z 36.

[2] For discussion *v. supra*, pp. 121 ff.

[3] Ṭabarī, Nöldeke, p. 110; cf. *supra*, p. 125.

what the text says and as such it must be accepted. *Nawāγ* can most easily be explained from NP. *navāχtan* (*navāz-*) 'to cherish'. Zurvān, then, seems to be regarded as the cherisher and the destroyer; and *yō-framānə* can then be emended to *dō-framān-ē*[1] and translated as 'the one who has two commands'. This again would give us yet another tetrad—Zurvān, the Cherisher, the Adversary, and the One who commands both. This would then be the Tetrad of Good and Evil.

Such an interpretation does not seem far-fetched; for each of the seven heads of this monstrous god has three eyes. Each head then should represent a different aspect of the god and the three eyes would represent three functions of the same aspect. There should then be seven tetrads in all.

Going back to the tetrads we listed on pp. 229–30 we can definitely accept those we have christened the Tetrads of Being and Becoming: the Tetrad of Fate is almost certainly genuine and the Tetrad of Order probably so. The Tetrad of Matter is not properly a Zurvānic tetrad at all but the reflection in the finite of the Tetrad of Becoming. The Tetrad of Time is a conjecture of my own and may therefore be eliminated. In place of these we now have a Tetrad of Social Order (the three castes) and a Tetrad of Good and Evil. This brings the total number up to six—two certain and the remainder probable. To complete the number seven we can either resort to Nyberg's Tetrad of the Luminaries (Sun, Moon, and the Signs of the Zodiac) or to my own Tetrad of Time. Thus we can reconstruct the nature of the God Zurvān on the following lines:

ZURVĀN
- *Being* (*Time*): Space, Wisdom, Power.
- *Becoming*: Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar.
- *Order*: Mihr, Order, Fate (Mihr, Srōš, Rašn).
- *Time* (infinite): finite Time, the Course of Fate, the Year.
- *Fate*: The Decree, the decisive Moment, the fixed Decision.
- *Good and Evil*: The Cherisher, the Adversary, the One who has command of both.
- *Social Order*: Priesthood, Warriorhood, the Husbandmen.

(*b*) *The Infinite Zurvān*

In the Zoroastrian books Zurvān (or more usually *Zamān* 'Time') appears either as infinite or finite. It is now time to discuss the nature of these two and the relationship that exists between them. As the Infinite the essence of Zurvān is pure Being: he is that which has no origin, yet is the origin of all things. He is contingent on nothing, and all things are

[1] *d* and *y* are identical in Pahlavī. *dō* (two), however, should either be written as figure 2 ( ) which scarcely differs from (*yō*, *dō*, *gō*, &c.), or with the Aramaic mask. The reading *dō-framān-ē* suits Zātspram's definition of the role of Time (Z 4, § 9), 'Time is a good helper and right orderer of both.'

contingent on him. He is *abun bun bunōmand*, without origin, yet himself the origin of all and the source of secondary causes. As Time his essence is duration; as Space he is the place of all creation without which creation would be impossible. He is the source of creation:[1] he is the Absolute: he 'was and shall be all'.[2] He 'is unageing, undying, without pain, uncorrupting and undecaying, free from aggression, and for ever and ever no one can violate him nor deprive him of his sovereignty in his proper sphere'.[3] This sphere is simply Being.

Zurvān, as Time and Space, is infinite; and nothing is infinite but he.[4] He is at the same time 'uncircumscribed in space and boundless in essence: and there is no other place or abode that is devoid of him'.[5] He is 'that without which nothing from the first is. Nothing can exist without him or separate from him. But in so far as he is infinite he cannot be understood'.[6] He cannot be comprehended by any intellect, so 'he cannot be comprehended by the intellect of God'.[7] Being infinite, his essence is incomprehensible even to himself; he cannot know himself since it is meaningless to say that he knows his infinite essence by an infinite intellect. 'If', the author of the *Šikand Gumānī Vazār* argues, it is said that 'his essence is infinite and that his intellect is infinite, and that with his infinite intellect he knows that he is infinite, that is false and doubly false. For one thing intellect can only be predicated of a thing that is within the scope of the intellect and comprehensible to it.'[8] Hence he is unknowable to created intellects, unknowable, too, to himself. Nothing in fact can be predicated of him as the Infinite except that he Is, that he is uncaused and the first cause of all that is.

Among the 'Magusaeans' or Magians who had emigrated into the Roman Empire this conception of the supreme god appears to be normal. Thus Philo of Byblus speaks of the god of Zoroaster as 'the first, the indestructible, eternal, unbegotten, without parts, without peer, the charioteer of all that is fair, who takes no bribe, the best of the good, the most prudent of the prudent'.[9] So, too, Cosmas of Jerusalem speaks of the supreme God of the Zoroastrian pantheon as being unseen and the source of all the gods.[10]

(c) *The Finite Zurvān*

It is not difficult to understand that such a conception of Time, once accepted, must have gravely affected the position of Ohrmazd as supreme

[1] Texts Z 14, 15, and 22.
[2] Text Z 16.
[3] Text Z 8, § 7.
[4] Text Z 23, § 53.
[5] Ibid., § 94.
[6] Ibid., §§ 102–4.
[7] Ibid., §§ 66–67.
[8] Ibid., §§ 106–8.
[9] *Apud* Eusebius, *Praeparatio Evangelica* i. 10. 52; v. Bidez–Cumont, *Mages*, ii, p. 157.
[10] Cosmas of Jerusalem, *Ad carmina S. Gregorii*, Migne, xxxviii, col. 461; v. Bidez–Cumont, op. laud. ii, pp. 272 ff.

being in the Mazdean system. Indeed, when the two appear in the same passage, one usually gains the impression that Ohrmazd is an intruder into a circle of ideas where he has no place. The author of the *Šikand Gumānī Vazār* saw this clearly; for if, as he himself says, there is nothing infinite except only Time and Space, what becomes of the godhead, Ohrmazd? The Infinite itself is beyond comprehension and therefore it is both futile to argue about it and unsettling to the uninstructed.[1] Further, he accepts the inevitable conclusion from his own premisses: Ohrmazd cannot be infinite.

> A totality, because it is encompassed on all sides, is called total. That which is encompassed on all sides, is necessarily finite. A God who is aware that he is encompassed on all sides, must be considered finite. If he were infinite, he would be unaware of it. The first knowledge of an intelligent being is precisely to know his own essence, quality, and quantity.[2]

Similarly he accepts the further conclusion that the finite cannot derive from the Infinite:

> The Infinite is not susceptible of division: for the part is divided from the whole, and totality implies limitation. . . . For I cannot conceive of the existence and quality of the source (cause) except by comparison and analogy with the result (effect). Whatever is perceptible in the result (effect) must certainly, in like manner, apply to the source (cause). Since it is to be perceived in the result (effect) that it is made and finite, it may without doubt be deduced that the source (cause) from which the result (effect) derives is also finite.[3]

He therefore flatly denies what is explicitly stated in the *Bundahišn* and the *Dēnkart*, namely, that finite Time was fashioned forth by Ohrmazd from Infinite Time.[4] Further, he diverges very far from the position normally adopted by the *Dēnkart*, namely, that Ohrmazd is co-eternal with Time.[5] The *Dēnkart* theology is plainly an attempt to reconcile the Mazdean and Zervanite positions. The extreme Mazdeans were quite content to accept the logic of their dualistic position, viz. that neither Ohrmazd nor Ahriman were infinite.[6] Zervanism, however, must have so influenced the State religion during the Sassanian period that the extreme Mazdean wing of the Zoroastrian community could no longer rid their religion of the

[1] Text Z 23, § 105.
[2] Ibid., §§ 71–75.
[3] Ibid., §§ 86–93.
[4] Texts Z 1, § 22; Z 2, § 3; Z 19; Z 20; Z 22.
[5] Text Z 15: 'Eternal are the Creator Ohrmazd and the Wisdom of Religion through whose power is goodness, and Space on which matter is (founded), and Time which is his eternity (totality).' Z 17: 'He who *has no origin*, the principle of good, the Creator Ohrmazd is omniscient, omnipotent, universal Lord.' Z 22: 'Time is the source of creation and the eternity (totality) of Ohrmazd.'
[6] Text Z 1, § 5: 'The Spirits (Ohrmazd and Ahriman) in themselves are finite . . . everything that is within the knowledge of Ohrmazd is finite.'

contingent on him. He is *abun bun bunōmand*, without origin, yet himself the origin of all and the source of secondary causes. As Time his essence is duration; as Space he is the place of all creation without which creation would be impossible. He is the source of creation:[1] he is the Absolute: he 'was and shall be all'.[2] He 'is unageing, undying, without pain, uncorrupting and undecaying, free from aggression, and for ever and ever no one can violate him nor deprive him of his sovereignty in his proper sphere'.[3] This sphere is simply Being.

Zurvān, as Time and Space, is infinite; and nothing is infinite but he.[4] He is at the same time 'uncircumscribed in space and boundless in essence: and there is no other place or abode that is devoid of him'.[5] He is 'that without which nothing from the first is. Nothing can exist without him or separate from him. But in so far as he is infinite he cannot be understood'.[6] He cannot be comprehended by any intellect, so 'he cannot be comprehended by the intellect of God'.[7] Being infinite, his essence is incomprehensible even to himself; he cannot know himself since it is meaningless to say that he knows his infinite essence by an infinite intellect. 'If', the author of the *Šikand Gumānī Vazār* argues, it is said that 'his essence is infinite and that his intellect is infinite, and that with his infinite intellect he knows that he is infinite, that is false and doubly false. For one thing intellect can only be predicated of a thing that is within the scope of the intellect and comprehensible to it.'[8] Hence he is unknowable to created intellects, unknowable, too, to himself. Nothing in fact can be predicated of him as the Infinite except that he Is, that he is uncaused and the first cause of all that is.

Among the 'Magusaeans' or Magians who had emigrated into the Roman Empire this conception of the supreme god appears to be normal. Thus Philo of Byblus speaks of the god of Zoroaster as 'the first, the indestructible, eternal, unbegotten, without parts, without peer, the charioteer of all that is fair, who takes no bribe, the best of the good, the most prudent of the prudent'.[9] So, too, Cosmas of Jerusalem speaks of the supreme God of the Zoroastrian pantheon as being unseen and the source of all the gods.[10]

(c) *The Finite Zurvān*

It is not difficult to understand that such a conception of Time, once accepted, must have gravely affected the position of Ohrmazd as supreme

[1] Texts Z 14, 15, and 22.
[2] Text Z 16.
[3] Text Z 8, § 7.
[4] Text Z 23, § 53.
[5] Ibid., § 94.
[6] Ibid., §§ 102–4.
[7] Ibid., §§ 66–67.
[8] Ibid., §§ 106–8.
[9] *Apud* Eusebius, *Praeparatio Evangelica* i. 10. 52; v. Bidez–Cumont, *Mages*, ii, p. 157.
[10] Cosmas of Jerusalem, *Ad carmina S. Gregorii*, Migne, xxxviii, col. 461; v. Bidez–Cumont, op. laud. ii, pp. 272 ff.

being in the Mazdean system. Indeed, when the two appear in the same passage, one usually gains the impression that Ohrmazd is an intruder into a circle of ideas where he has no place. The author of the *Šikand Gumānī Vazār* saw this clearly; for if, as he himself says, there is nothing infinite except only Time and Space, what becomes of the godhead, Ohrmazd? The Infinite itself is beyond comprehension and therefore it is both futile to argue about it and unsettling to the uninstructed.[1] Further, he accepts the inevitable conclusion from his own premisses: Ohrmazd cannot be infinite.

> A totality, because it is encompassed on all sides, is called total. That which is encompassed on all sides, is necessarily finite. A God who is aware that he is encompassed on all sides, must be considered finite. If he were infinite, he would be unaware of it. The first knowledge of an intelligent being is precisely to know his own essence, quality, and quantity.[2]

Similarly he accepts the further conclusion that the finite cannot derive from the Infinite:

> The Infinite is not susceptible of division: for the part is divided from the whole, and totality implies limitation. . . . For I cannot conceive of the existence and quality of the source (cause) except by comparison and analogy with the result (effect). Whatever is perceptible in the result (effect) must certainly, in like manner, apply to the source (cause). Since it is to be perceived in the result (effect) that it is made and finite, it may without doubt be deduced that the source (cause) from which the result (effect) derives is also finite.[3]

He therefore flatly denies what is explicitly stated in the *Bundahišn* and the *Dēnkart*, namely, that finite Time was fashioned forth by Ohrmazd from Infinite Time.[4] Further, he diverges very far from the position normally adopted by the *Dēnkart*, namely, that Ohrmazd is co-eternal with Time.[5] The *Dēnkart* theology is plainly an attempt to reconcile the Mazdean and Zervanite positions. The extreme Mazdeans were quite content to accept the logic of their dualistic position, viz. that neither Ohrmazd nor Ahriman were infinite.[6] Zervanism, however, must have so influenced the State religion during the Sassanian period that the extreme Mazdean wing of the Zoroastrian community could no longer rid their religion of the

[1] Text Z 23, § 105.
[2] Ibid., §§ 71–75.
[3] Ibid., §§ 86–93.
[4] Texts Z 1, § 22; Z 2, § 3; Z 19; Z 20; Z 22.
[5] Text Z 15: 'Eternal are the Creator Ohrmazd and the Wisdom of Religion through whose power is goodness, and Space on which matter is (founded), and Time which is his eternity (totality).' Z 17: 'He who *has no origin*, the principle of good, the Creator Ohrmazd is omniscient, omnipotent, universal Lord.' Z 22: 'Time is the source of creation and the eternity (totality) of Ohrmazd.'
[6] Text Z 1, § 5: 'The Spirits (Ohrmazd and Ahriman) in themselves are finite . . . everything that is within the knowledge of Ohrmazd is finite.'

concept of the Infinite or Absolute entirely. By attempting to assimilate Ohrmazd to Infinite Time they arrived at the untenable position that the Good God was infinite but that Ahriman was a separate substance wholly independent of and violently opposed to him. It would be interesting to follow up the Mazdean theology further, but this cannot be undertaken in this work. It is the Zervanite position alone that interests us here.

The question the devotees of Infinite Time had to answer was, How does the Infinite become finite? Again we cannot say with certainty how precisely they solved this riddle because we have no purely Zervanite text that will enlighten us. Ohrmazd thrusts himself into the charmed circle and insistently meddles in matters which, we can be sure, were originally no concern of his. The story of the birth of the Cosmos as of a child we have already discussed:[1] and it would appear to be purely Zervanite, for it is extremely likely that in the *Greater Bundahišn*[2] Ohrmazd has supplanted Zurvān as 'father and mother of creation'. This, however, is the final result of what appears to have been a long process. For while the great majority of our sources speak of the Endless Light as being uncreate, our text Z 20 speaks of it as the result of a complicated process.

This process seems to have been somewhat as follows. We start with the Infinite, hypostasized as Time, Space, Wisdom, and Power. The Infinite, however, neither does nor knows:[3] it Is. Somehow or other by the power (*nērōk*) of Infinite Time God's Wisdom begins to know, apparently in the abstract and without any object of knowledge. From this 'knowing'—which, for lack of an object, can scarcely be described as knowing at all—arises the Aggressor, and this is not in accordance with the will of God. This unwelcome event then produces self-realization in the deity. As a result of the dual process—the knowing of God and the appearance of the Aggressor—God knows himself; 'the divine essence and properties' arrived at knowledge of their own 'ground' (*ōstām*). Knowledge then receives an object: Wisdom knows its 'ground', which is the divine substance itself, Zurvān-Time. This full self-knowledge would then be the essence of Ohrmazd whose 'knowledge is finite, that is, he knows the norm that exists between the two Spirits'.[4] Ahriman springs from the deity's unawareness of himself, Ohrmazd from his self-knowledge; for 'this much knowledge was necessary for the Creator's creative effort'.

This is surely a philosophical reinterpretation of the well-known myth of the generation of Ohrmazd and Ahriman from Time. Ahriman here

[1] *supra*, pp. 128 ff. and text Z 10.
[2] Text Z 1, § 39.
[3] The whole of this paragraph is based on texts Z 19 and Z 20. For the purposes of our argument we are omitting the role of Ohrmazd in the beginning of text Z 20 since he again appears to be superimposed on a Zervanite text.
[4] Text Z 1, § 5.

arises from God's ignorance of himself which, according to the *Šikand*, is a necessary consequence of infinity and therefore brings him to a full consciousness of his own essence which is the beginning of limitation. Then from Ohrmazd, the Creator, arise his Endless Light, his omniscience, and his omnipotence[1]—the tetrad of Ohrmazd. Through these he can proceed to the act of creation.

All this appears to have taken place in eternity, for the limitation of Time is coincident with the act of creation.[2] Rather perhaps it should be regarded as occurring in a sort of twilight between eternity and temporality, between 'being' and 'manifestation'.

The passage of Infinite Time into the finite is dealt with more simply since Ohrmazd has no rival role to play here. Finite Time and Action arise simultaneously since they are interdependent and limit each other. 'Their course proceeds from the first term to the last. Action, at its fulfilment, returns to its original state of rest: Time, when its full term has elapsed, returns to its source which is the Infinite.'[3] Space, too, is limited to form the raw material of the Cosmos: it is 'born' from the Infinite.[4] Finite Space is the 'matter' which later takes on 'form' at the Creator's hands.[5] Thus the fourfold God suffered limitation in order to form and direct the Cosmos. Infinite Time and Infinite Space are reduced to temporality and the limited universe; Wisdom is limited by finding an object of knowledge; and power (the potential) is transformed into action (the actual).

The limitation of Zurvān results in the separation of the component parts of the divine hypostases: the distinction between spiritual (intellectual or ideal, *mēnōk*) and material (*gētēh*), or of 'voluntary' (*kāmīk*) and 'natural' (*čihrīk*) becomes a reality. The relevant text in this connexion is our Z 10, and this has already been fully discussed.[6] Of the four hypostases Wisdom alone can be said to constitute the personality of Ohrmazd in finite Time: limited Time-Space is Zurvān of the long Dominion—matter existing and moving in finite time.

The genesis of Ohrmazd and Ahriman was brought about by the divine knowledge becoming aware of itself; and Ahriman seems to have proceeded from an intermediary state of incomplete knowledge, what Eznik in more everyday language describes as Zurvān's doubt. Thus when the deity finally achieves self-awareness, Ahriman already exists. This, then, is a purely intellectual affair; and Ohrmazd inherits the divine wisdom, while Ahriman inherits the unawareness (later *dušākāsīh* 'wrong knowledge',

[1] Here we have an exact parallel to the Manichaean tetrad—God, his light, wisdom, and power.
[2] Text Z 21.
[3] Text Z 19.
[4] *v. supra*, p. 112.
[5] On the first, second, and third 'forms' v. p. 142.
[6] *Supra*, p. 128.

pas-dānišnīh 'coming to knowledge too late', so, very suitably, in text Z 1, § 3). To judge from the Mazdean texts it would seem that Ohrmazd is also heir to the divine power. One *Dēnkart* text,[1] however, shows that this cannot have been so in the Zervanite system; for, though Ohrmazd is time and again referred to in the Pahlavī texts as being omnipotent, he is here characterized only by Wisdom and the Light of Wisdom, Ahriman by Lying Falsehood and the Darkness of Lying Falsehood. Will, *Power*, Effort, Means, Space, and Time are common to both.

Zurvān himself made finite is primarily the material Cosmos, the so-called 'Endless Form', animated, it is true, by the Spirit of the Power of the Word[2] which proceeds from Ohrmazd, but remaining essentially the material macrocosm and manifesting himself through the operation of fate. He is embodied in the Cosmos, but is also the law by which the Cosmos works. This law manifests itself in the treaty (*patmān*)[3] which Zurvān makes between Ohrmazd and Ahriman. He gives each of the protagonists their appropriate arms and settles the rules for the combat. His law favours neither good nor evil, 'The law (*dātastān*)[4] of Time' is simply to proceed 'from original infinity through limitation involving action, motion and passage, and finally to return back to ultimate infinity'.[5] Thus to him Ohrmazd and Ahriman have little relevance: his 'law' is immutable; finite Time must run its course and it must inevitably lead up to the *fraškart* when the good triumphs and evil is destroyed. For Zurvān of the long Dominion the *fraškart* is death and resurrection into the Infinite—a return to the original state of unawareness and rest.

He is the genius of *rāδēnītārīh* 'direction' or 'control', and he guides all things to their appointed end. With Vāy and Spihr (who are indeed identical with him[6]) he 'protects the creatures of Ohrmazd well and keeps them safe and leads them on to the time of the *fraškart*'.[7] This inexorable progress of Time to the appointed end in fact is far more effective in the defeat of Ahriman than any weapon that Ohrmazd can devise: against it he is powerless. An amusing passage in the *Pandnāmak*[8] appears to say that Ahriman attempts to turn Time backwards, an impossible feat, but one which does credit to the Evil One's instinct of self-preservation. Though

[1] Text Z 18 (*a*).
[2] Text Z 10; v. also p. 130.
[3] For the *patmān* v. *infra*, pp. 248 ff.
[4] Vāy, whose connexion with Zurvān is recognized, is also associated with *dātastān*: cf. text Z 11, § 5, where *dātastān* and *masdātastānīh* are continually used of Vāy.
[5] Text Z 20, § 2; cf. Z 1, § 24; Z 3, § 3.
[6] *Supra*, pp. 126–7.
[7] See note C, p. 247.
[8] Pn. 54 (PhlTexts, p. 49): *Ahriman 'ut 'dēvān : . . čēyōn-šān 'ēn daχšak 'apāč-vīrāδšnīh* ⟨*i*⟩ *zamān*.—'Ahriman and the demons . . . for their sign is to direct time backwards.' This translation is possible, but the syntax of the passage from which the fragment is abstracted is not clear to me.

the end and goal of the law of Time is perfectly clear, it is said to have periods of ascendancy and depression, presumably with reference to the good creation, though the sense of the relevant passage is not quite sure.[1]

The limitation of Time, as we have seen, is the prerequisite for creation of any sort. The Zervanites, arguing from human experience, concluded that Time is a necessary condition of any activity whatsoever: the Creator has need of it as much as man; for

> if God and all the Amahraspands and all material creatures were to come together, they could not bring one single grain of millet into existence without Time. . . . Religion can be taught through Time, and a trade can be taught through Time, and civilized behaviour can be taught through Time: through Time the vine and garden can be cultivated, and through Time do the trees grow, and through Time do they yield up fruit; and through Time can one practise one's trade: and all things in existence are perfected through Time. It cannot be said that there was a creator when Time did not exist. If anyone should say that the function of Time is the night and day, it must be known that there was a long period when day and night did not exist yet Time existed.[2]

Time, then, is as necessary to Ohrmazd, the Creator, as it is to Ahriman, for 'Time is a good helper and right orderer of both'.[3] Just as Ahriman is the Adversary and opposite of Ohrmazd, so is Āz the natural adversary and opponent of Zurvān of the long Dominion; for the latter represents the functioning of the natural law and Āz disturbs and upsets it.[4] We have already suggested that Āz is the personification of Zurvān's 'doubt' and 'desire' mentioned by Eznik; and although there is no suggestion in any Zoroastrian book that she is antecedent to Ahriman as she appears to be in the Manichaean system, the fact remains that the destruction of Āz is the last act in the cosmic drama: only after the annihilation of the power of disorder which she represents can the finite Cosmos be reabsorbed into the Infinite. Thus it is natural and fitting that the *Mēnōk i χrat* should ascribe the destruction of Āz to the Tetrad of Order—Zurvān, Mihr (who sees to it that the terms of the treaty are not infringed), the Genius of Order (*mēnōk i dātastān*), and Fate.[5]

The opposition existing between Zurvān and Āz has nothing to do with moral goodness. Zurvān is not good; he is the natural law which takes no cognizance of good or evil. He is 'dyed' with the colour of good and evil 'because the evil of the Aggressor comes upon creation from without to confound it'.[6] In fact the whole *raison d'être* of finite Time may be said to

[1] The passage in question is DkM. 57. 20 ff.
[2] PersRiv. Hormuzyār, ii, p. 75: p. 443 in the translation of Dhabhar. Cf. Widengren, *Hochgottglaube*, p. 278.
[3] Text Z 4, § 9.
[4] *Supra*, pp. 171 ff.
[5] Text Z 8, § 10.
[6] Text Z 12, § 5.

be to bring about the mixture of good and evil in which evil is bound to be finally annihilated.[1] This seems to be fairly clear from the two recorded instances in which Zurvān as a personal god interferes in the affairs of the Universe.

The first occasion is when he makes the treaty between Ohrmazd and Ahriman and hands the latter 'an implement (fashioned) from the very substance of darkness, mingled with the power of Zurvān, as it were a treaty'. This most sinister weapon could scarcely be put into the hands of Ahriman unless Zurvān himself willed the mixture of good and evil, though knowing at the same time that Āz (concupiscence) would, in the last resort, prove the undoing of the kingdom of darkness. It is a long-term plan with very unpleasant consequences for the powers of light in the earlier phases.

Zurvān's second intervention can also be explained along the same lines. This myth is told by both the *Bundahišn* and Zātspram:[2] Zurvān decrees that Gayōmart, the Righteous Man and first parent of the human race, shall live for thirty years after Ahriman has delivered his victorious attack on the material world. Neither the *Bundahišn* nor Zātspram attempt to explain this unique intervention of the personal god Zurvān in the affairs of the human race. Schaeder considered that the prolongation of Gayōmart's life was due to astrological reasons since Saturn had to rise to a prominent position in order to cause his death.[3] According to Widengren it is a case of Zurvān giving Ahriman a free hand.[4] If, however, we remember that Zurvān of the long Dominion is himself the macrocosm and Man the microcosm, the purpose of Zurvān's intervention can be readily explained. Gayōmart was the holiest of the creatures of Ohrmazd and his creation laid Ahriman low for three thousand years.[5] The defilement of the macrocosm, however, had already taken place; and since Man, the microcosm, is merely a small-scale replica of the macrocosm, his defilement forms part of a fixed plan the culmination of which is the annihilation of evil and disorder through mixture. The method by which Gayōmart was defiled has already been gone into in detail. By prolonging Gayōmart's life Zurvān makes possible the union of the Righteous Man and the Whore and so the propagation of the human race in the 'mixed state'. Man, then, like the macrocosm itself, is subjected to the attacks of concupiscence until the latter is finally laid low in the last days.

[1] Cf. particularly text Z 1, § 12: 'then Ohrmazd, in his omniscience, knew that if he did not fix a time for battle against him, then Ahriman could do unto his creation even as he had threatened; and the struggle and the mixture would be everlasting.'

[2] See note D, p. 247.

[3] *Studien zum antiken Synkretismus*, p. 218. For the astrological interpretation of the passage v. Taqīzādeh, *Gāh-šumārī dar Irān i qadīm*, p. 332.

[4] Widengren, *Hochgottglaube*, p. 287.

[5] *Supra*, pp. 183–4.

(*d*) *The God of Death*

In all we have said so far much conjecture has had to be injected into the narrative to supplement the considerable *lacunae* which exist in our knowledge of this dispossessed god. It is, then, with some sense of relief that we turn to an aspect of this deity of which there can be no doubt. Zurvān is the god of death. There is a passage in the first chapter of the *Bundahišn*[1] which has already been amply treated by Nyberg and which he regarded, mistakenly I think, as a Pahlavī hymn in verse written in honour of Zurvān.[2] The very close resemblance of this passage to *Aogəmadaēčā*, § 57, and the fact that it is introduced by the phrase 'as it says in the Religion', the usual way of introducing a passage translated from the Avestan, seem to preclude any theory that this is an original Pahlavī verse. Be that as it may, this is what we read:

> Time is mightier than both creations,—the creation of Ohrmazd and that of the Destructive Spirit. Time understands action and order (the law, *dātastān*). Time understands more than those who understand. Time is better informed than the well informed; for through Time must the decision be made. By Time are houses overturned—doom is through Time—and things graven shattered. From it no single mortal man escapes, not though he fly above, not though he dig a pit below and settle therein, not though he hide beneath a well of cold waters.

Time is here, of course, finite Time as it affects man in his everyday life. It is no longer the incomprehensible abstraction speculation about which seemed so pointless to the author of the *Šikand Gumānī Vazār*; it is 'nearer to man than the jugular vein'. It is mightier than the creations of Ohrmazd and Ahriman because both are dependent on it for their existence. It understands action and order because action cannot be performed except in Time,[3] and Time is the Genius of Order. It is understanding because it knows the outcome of the battle which it has itself initiated.[4] It is well informed because it is the god of justice[5] and Mihr is its helper,[6] 'who has a thousand ears and ten thousand eyes'[7] and whose vigilance nothing escapes. The decision must be made through Time, for Time is the Lord of Destiny and predetermines all decisions.[8] Time overturns houses because it is the god of decay and death[9] and cannot be escaped. Time, in short, is the god of fate and death.

[1] Text Z 1, § 25.

[2] ZDMG. lxxxii, 1928, pp. 222–35; CCM. 1931, pp. 42 ff.

[3] Text Z 20, § 2, and Z 19: 'Ohrmazd, by his omniscient wisdom and the projection of his will, fashioned a limit for Time through action and for action through Time.'

[4] pp. 231–2.

[5] pp. 58 ff. and 229 ff.

[6] Cf. the tetrad of MX. 8. Mihr, the Genius of Order, Fate, and the Infinite Zurvān.

[7] Yt. 10 *passim*.

[8] Cf. the Tetrad of Fate, p. 230, and *infra*, Chapter X.

[9] *Supra*, pp. 219 ff. on Zarōqar and our immediately following remarks.

That Zurvān was from an early date regarded as the god of death seems proved by the following considerations. The later portion of the *Bundahišn* passage cited above is exactly paralleled in *Aogəmadaēčā*, § 57, where the subject is Astōvihāt, the demon proper of death. Nyberg was almost certainly right in regarding Zurvān as being the original subject of the *Aogəmadaēčā* verse. Astōvihāt, he argued, must have been a later substitution,[1] for here we are in the presence of a god—a fearful and dreaded god, but a god none the less—for language like this in no way befits one of the demons who may terrify but cannot inspire awe.

In the Avesta, too, the only positive information we can glean about the nature of Zurvān is that he made the path which leads to the Činvat bridge where the souls of men must face the judgement.[2]

> The demon . . . Vizarəša . . . after binding it, carries off the soul of . . . men whose life is short. (The soul) of wicked and righteous alike proceeds along the paths created by Zurvān to the Činvat Bridge created by Mazdāh (Ohrmazd).

Here Zurvān is quite clearly the god of death, and Nyberg may well be right in contrasting him here with Ohrmazd as the god of eternal life.[3]

In the Pahlavī books, too, we meet Zurvān as the god of death. We have already noticed that these books prefer to speak of Zurvān as Zamān (Time) except when he appears as a personal god. This apparent aversion to the name Zurvān may in many cases be dictated by deliberate policy on the part of the later Mazdeans, whose efforts to eliminate, disguise, and conceal the father of Ohrmazd and Ahriman have caused modern scholars and not least the present writer so much trouble. Alternatively it may be that the name Zurvān had come to be so closely associated with death that the translation *zamān* (time) was preferred in less sombre contexts; for on the face of it it seems remarkable that when Zurvān appears as death he not infrequently does so under his own name.

'For Zurvān there is no remedy. From death there is no escape',[4] we read in a Pahlavī text. Or again in the pleasant fable of Yavišt i Friyān and the Sorcerer Axt: 'The seventh question he asked was this, "What is that thing which men would fain conceal, and which they cannot conceal?" Yavišt i Friyān said, "Mayst thou in life be in misery, thou accursed villain and heretic (*sāstār*), and mayst thou in death fall to hell; for that is Zurvān whom no one can conceal, for Zurvān reveals himself of his own accord." '[5]

In another passage the god of death appears simply as Time (*zamān*): 'As to him whose eye Time has sewn up, his back is seized upon and will never rise again; pain comes upon his heart so that it beats no more; his

[1] CCM. 1931, p. 45.
[2] Text A 1.
[3] Op. laud., pp. 122 ff.
[4] Text Z 25 (*b*).
[5] Text Z 25 (*a*).

hand is broken so that it grows no more, and his foot is broken so that it walks no more. The stars came upon him, and he goes not out another time: fate came upon him, and he cannot drive it off.'[1] Here Time appears most clearly as the god of death. Fate and the stars accompany him, and it is Time who closes the eyes of the dead. The picture of Time sewing up the eyes of the dead smacks of popular religion, and it is interesting to note that Firdausī has a couplet which is verbally almost identical with our passage, though the meaning is different. This serves as confirmation in detail of what even a casual reading of the *Šāhnāmeh* makes sufficiently plain, namely, that Firdausī's religion is Zervanite fatalism at its most depressing and pessimistic. It shows, too, that Firdausī must have been conversant with the more popular Pahlavī religious texts. 'You cannot drive off death from your body,' he says, 'no one can sew up the eye of Time with a needle.'[2] In the Pahlavī we have *zamān handōχt čašm*, in Firdausī *na čašm i zamān kas ba-sūzan bi-dūχt*: similarly in the Pahlavī one cannot *drive off* fate, and in Firdausī it is death that cannot be *driven off*. 'Drive off' is in each case *s(i)pōχtan*.

One last quotation will suffice to emphasize still further Zurvān's role as the god of death; and this is worth quoting if only as a parallel to any of the hundreds of passages in Firdausī which play on the same theme and which has served as a sombre *basso ostinato* to Persian poetry ever since. It is from the *Žāmāsp-nāmak*:

> Gayōmart was created by Ohrmazd; but when his time was come, Ahriman destroyed him. And again every one of the rulers who lived in former times could do nothing when Time came upon them—and especially Tahmōrup who rode Ahriman as his steed for thirty years; for when his time came, he could not preserve himself from death.[3]

If Tahmōrup, who performed the considerable feat of riding the Devil for thirty years, could not escape from death, the sinner would be foolish to hope for a better lot: 'in bodily form Time drives him back; and they cut off his head and show him the punishment of hell'.[4]

If, then, Zurvān is so markedly a god of death, it will be as such that he appears in the tetrad Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar, Zurvān, in so far as this tetrad refers to the life of man. The tetrad will then preside over conception, birth, decline, and death. Zurvān in whom the three hypostases are

[1] Text Z 26 (*b*).
[2] ŠnV. i. 324. 147: *na marg az tan ī χᵛīš bi-tvān sipūχt | na čašm ī zamān kas ba-sūzan bi-dūχt*. Cf. ibid. ii. 567. 815: *ču čašm ī zamāneh bi-dūzam ba-ganǰ | sazad gar sipihr-am na-dārad ba-ranǰ*.—'How should I close the eye of Time with treasure? It were right if the firmament kept me not in anxiety.'
[3] Text Z 26 (*a*).
[4] PhlRiv. 15. 7 (p. 41): *'ut-aš 'zamān tanōmandīhā 'apāč 'kunēt, 'ut-aš sar 'bē 'brīnēnd 'ut-aš pātufrās i dōšaχᵛ 'bē nimāyēnd.*

summed up will then be the god of man's short span on earth, just as he is the span of the macrocosm's life in time. Thus, as Nyberg has already said, he is not only the inaccessible sky-god who controls an inexorable fate; he is the god of the earth too, of life and death, birth and decay, both in the animal and vegetable kingdoms. This conception seems to have passed into the Mithraic religion of the Roman Empire, for there we find Kronos-Zurvān called *frugifer*.[1] The same idea is present in the *Bundahišn*, where it is Spihr who is the body of Zurvān who dons the dark blue garment of the husbandmen[2] because 'its office is to rule the destinies of the world aright even as that of the husbandmen is to till the soil and to deliver up' its produce. From the Infinite, then, through the macrocosm Zurvān reaches down to man bringing him life and death and maybe an insubstantial resurrection.

(*e*) *The Testimony of Firdausī*

Before closing this chapter a few words must be said on a passage from Firdausī which appears to be of the greatest importance for our purpose, for it expounds views which seem to be an epitome of popular Zervanite doctrine and which thus supplements the evidence we have hitherto culled from the Pahlavī books and from the Armenian, Syriac, and Greek writers. Moreover, it presents us with a picture of the Time-God reigning in his own right: there is no mention of either Ohrmazd or Ahriman, and there is thus no overlarding with Mazdean ideas which has hitherto made it so arduous a task to sift what is genuinely Zervanite from Mazdean accretion, emendation, or falsification. The passage in full is reproduced as text F 13 in our second part.[3]

First, a word or two on the context of this little text. Zāl, the father of the great Iranian hero Rustam, is summoned by the king to appear before the *mōbads* or religious authorities to answer a series of questions on religious matters. He is in fact required to undergo an examination on his catechism. I am inclined to think that this is based on a Pahlavī version, for we have an extant example of this genre in the little Pahlavī text, the *Yavišt i Friyān*. Here the hero, Yavišt, is put through a similar examination on matters of religious general knowledge by the sorcerer, Aχt. The penalty of failure was to have been the razing of his city to the ground. Both stories belong to the 'religion of the people'; but Firdausī's is unquestionably

[1] Arnobius, *Adversus Nationes*, vi. 10, p. 221, Reifferscheid; *apud* Cumont, MMM. ii, p. 58: 'inter deos videmus vestros leonis torvissimam faciem mero oblitam minio et nomine †frugiferio nuncupari'.

[2] Text Z 2, § 6.

[3] The section of the text which directly concerns Time was reproduced by I. F. Blue in *Indo-Iranian Studies . . . in Honour of . . . Sanjana*, p. 61.

Zervanite while the Yavišt story is not. This would be enough to explain the loss of the Pahlavī original if it existed.

Zāl is required to answer six questions put to him by the *mōbads*. They are as follows:

(i) What are those twelve noble cypresses which grow majestic and luxuriant, and each one shoots forth thirty boughs, and they neither wax nor wane?

(ii) Two horses, precious and fleet of foot, move forth, the one like unto a lake of pitch, and the other lustrous as white crystal: they move, and they both hurry on, but never do they catch each other up.

(iii) Thirty horsemen passing in review before the King,—one was lost: but if thou look aright, all thirty are back again when thou dost number them.

(iv) There is 'a meadow which thou dost see full of green herbs and streams. A man with a great sharp scythe stalks proudly towards the meadow; moist and dry together he mows down, and if thou make supplication, he hears thee not'.

(v) Two lofty cypresses (there are) growing like reeds in a billowy sea: a bird has his dwelling-place upon them; at eventide its seat is on the one and at dawn on the other. When it flies from the one, its foliage withers; it alights on the other and it gives out a scent of musk. Of these two one is ever fresh, but the foliage and fruit of the other are withered.

(vi) 'In a mountainous country I found a strong citadel. Wise men from that citadel chose on the plain a thorny place; they built buildings whose top reached to the Moon: some became servants and some leaders. They think no more of that citadel and no one speaks or makes mention of it. An earthquake arises on a sudden and their land and habitation completely disappear. Necessity brings them (back) to that citadel and brings them long forebodings.'

These are the questions with which Zāl is confronted; and here are his answers, all of which met with the approval of his examiners. The order of his answers does not correspond to that of the questions; but for convenience we will keep the same order in the summary of his answers which follows.

(i) The twelve cypresses each with thirty boughs. These are the twelve new moons in the year, and the thirty boughs the thirty days of the month, for 'such is the revolution of Time'.

(ii) The black horse and the white. Both are Time: they are night and day; they measure the time (*dam* 'breath') of the firmament.

(iii) The thirty horsemen one of which disappears and reappears. These are the days of the month; and the new moon is the one that disappears and reappears.

(iv) The man with a sharp scythe. 'This is the wood-cutter Time, and we are like the grass. Alike to him is the grandson, alike to him the grandsire: he takes

account of neither old nor young; whatever prey comes before him, he pursues. Such is the nature and composition of the world that save for death no mother bore a son. He enters in at one door and passes out through another: Time counts his every breath.'

(v) The two lofty cypresses in which a bird has its dwelling. These 'are the two arms of the lofty firmament through which we rejoice and (through which) we are grieved'. The bird is the Sun from which is fear and hope for the world.

(vi) The citadel and the thorny place. The citadel is 'the house of eternity' (*dirang*) and place of reckoning. The 'thorny place is this transitory abode which is at once pleasure and treasure and grief and pain. It counts the breath you breathe, it gives increase and carries it away. Wind and earthquake arise and raise grief and lamentation in the world. All our toiling remains in the thorny place: we must pass on to the citadel. Another will taste the fruits of our toil, but for him too they will not endure, and he too must pass on. So has it been from the beginning; so it is, and this will never grow old (change). If our riches are a good name, our soul will in the end be honoured. If we practise concupiscence (Āz) and twist and turn, (the result) will be manifest when we pass from life. Though our palace reach even unto Saturn, nought will remain for us but a winding-sheet. When brick and earth are heaped upon our face, everywhere is there fear and care and anguish.'

All the essential elements in the Zervanite scheme of things are present in this passage—the 'house of eternity' and 'this transitory abode', surely the Infinite and the finite Zurvān; day and night which are the Light and the Darkness, 'both' of which 'are Time'; the day, the month, and the year —the divisions of finite Time; the two arms of the firmament (*s(i)pihr*) which distribute joy and sorrow—the goodly and the evil Spihr; the wood-cutter Time—the god of death; and finally, as if obligingly to substantiate our thesis, the demon Āz. The whole passage revolves round Time in its multifarious and invariably sinister manifestations. Time, the firmament, fate, and death and the blank unknowable Infinite beyond—and everywhere fear and care and anguish: this, reduced to its simplest elements for simple minds, is the religion of the Great and Just God, Time.

This is not Arab-Muhammadan fatalism; it bears an unmistakably Iranian stamp, for Firdausī's background throughout his great national epic is, in religion as in the vast pageant of legend and history which he unfolds, through and through Iranian. The *mōbads are* the Zoroastrian clergy and Zāl *is* a Zoroastrian catechumen. Both are expressing the genuine religion of Time which the contemporary Zoroastrian Church had by now probably proscribed. Even the details correspond in places to the texts we have so laboriously essayed to analyse. Thus in Firdausī the 'house of eternity' is *sarāy-i dirang;* and in the Pahlavī sources the essence of Infinite Time is

described as *drang* 'duration':[1] 'the essence of Infinite Time is eternal duration, undivided into past and future; that of finite Time is transient duration, divided into future and past'.

Again, the 'two arms of the lofty firmament through which we rejoice and through which we are grieved' are the good and evil Spihr, the first of which bestows good things in abundance and the second of which begrudges them.[2] Similarly the concept of night and day which *are* Time bring to mind the two Spirits, the good and the evil, or rather the light and the darkness which preceded them and which proceeded from Time or Space.[3] This must almost certainly be a very ancient belief, and the story of the birth of Ohrmazd who is 'sweet-smelling and light' and Ahriman 'the dark and hideous' from Zurvān[4] is most naturally explained as an adaptation of an old nature myth to the Zervanite interpretation of the Gāθic passage Ys. 30. 3, where Ohrmazd and Ahriman are said to be twins. The myth, curiously enough, survives in Armenian popular belief, where we find Žuk or Žamanak (= Zurvān or Zamānak) represented as a white-haired old man who sits on a mountain holding two balls of thread in his hands, the one white and the other black.[5] These he rolls alternately down the mountain side, and while he rolls the one down, he draws the other up. The white and black balls of thread are the day and night. The survival of this idea in the Iranian national epic on the one hand and in Armenian folk-lore on the other seems adequate evidence that Damascius or his source Eudemus is right in suggesting that the genesis of light and darkness from Time is prior to the genesis of Ohrmazd and Ahriman.

In Firdausī again the days, the months, and the year all bring us back to the 'Time' passages in the *Bundahišn*, the *mēnōk i sāl* or Genius of the Year[6] and the correspondence between this and the cosmic year of twelve thousand years on the one hand and the firmament on the other with the twelve Signs of the Zodiac each with its thirty degrees.[7] Lastly there is the figure of 'the wood-cutter Time' whose identity with Zurvān as god of death is beyond all doubt, and the appearance of Āz-concupiscence singled out alone from among all the demons, the vices, and imperfections for dishonourable mention. Little or none of this can be coincidence. Firdausī is here giving us a succinct account of the religion of Time as it was once

[1] Texts Z 16 and 22. The use of NP. *dirang* in the sense of 'duration, eternity' is further proof that Firdausī was using Pahlavī material. In NP. the word ordinarily means 'delay'.

[2] Text Z 3, § 3.

[3] Text G 1 (Damascius on the authority of Eudemus of Rhodes).

[4] Text F 1, §§ 48, 49, and 55.

[5] Abeghian, *Der Armenische Volksglaube*, pp. 52–53; cf. I. F. Blue, op. cit., p. 72; Gray, *The Foundations of the Iranian Religions*, p. 127; Junker, *Aionvorstellung*, p. 178.

[6] *Supra*, p. 134.

[7] *Supra*, p. 144, n. E.

expounded in Īrān and in which Ohrmazd and Ahriman appear to have had no place.

Thus Firdausī's evidence corroborates much that we have discussed already and in some cases substantiates arguments we had not dared to press. Thus the impression that we have gained all along that Zurvān is originally a god concerned with matter and not with spirit seems to be borne out by Firdausī's hopeless testimony: for there is no word of heaven, redemption, release, of punishment for evil done or reward for good achieved. The best that can be offered is this: 'if our riches are a good name, our soul will in the end be honoured. If we practise concupiscence and twist and turn, the result will be manifest when we pass from life.' What a prospect! Yet even so he is not sure, for in what this 'honour' consists—whether it be an honourable estate in the 'house of eternity' or merely 'honour' from the lips of men as yet unborn—is left utterly obscure; and as to the concupiscent, their fate will be manifest when they are dead —yet we do not know to whom and where, 'for a veil is drawn over our ultimate lot'. And 'when brick and earth are heaped up on our face, everywhere is there fear and care and anguish'.

All that is known is that after our brief and miserable sojourn in this valley of tears we must pass on to the 'house of eternity' which, according to the *Dēnkart*, is the 'essence of infinite Time'. Here we can expect no ecstatic union with the One, no merging of the self into the Self as of a drop into the sea: all this seems foreign to this starkly stoic religion of unrewarded self-control. Man—who is the microcosm—will be swallowed up in the Infinite just as Zurvān of the long Dominion—the macrocosm—will return to the Infinite Zurvān, where motion finds eternal rest in an Infinite which neither understands nor is capable of being understood.

NOTES TO CHAPTER IX

A. According to Nyberg and Benveniste (MO. xxvi, p. 178) *maršōkara-* is connected with Arm. *ma(r)š* 'worn out'. The form *zarōqar* must be derived from an Av. **zarvō-kara* from the base *zarvan-* (Av. *zaurvan-*), just as we have *aršōkara-* from *aršan-*; cf. Benveniste, *Vṛtra et Vṛθragna*, p. 65. Nyberg's interpretation of these words supersedes the attempts of previous scholars (cf. Junker, *Wörter und Sachen*, xii, 1929, p. 156; Scheftelowitz, *Arch. für Relig.* xxviii, p. 236; Markwart, *Gāthā Uštavati*, p. 35). Wikander's identification (with metathesis) of *marša-* with Skt. *mrakṣa-* 'destruction' (*Vayu I*, p. 118) seems equally possible. Semantically there is little to choose between the two in our context.

B. *Supra*, p. 109. The Genius of Order (*dātastān*), moreover, is probably a description of Srōš who is called the 'Genius of the Mean' (*mēnōk i patmān*) in text Z 5 (*a*), § 44. For the intimate connexion of *patmān* and *dātastān* see *infra*, p. 249,

together with the appendix to Chapter X. Further, in the *Bahman Yašt* 7. 28, Mihr, Srōš, and Rašn actually appear together as the principal agents of the *fraškart*. I can quote no case of Rašn being identified with Fate, and consider that the *Mēnōk*, which is so very much preoccupied with the workings of fate, may have substituted the latter for the god of justice *par excellence* in this passage.

C. ZXA. 249. 16: *Vāy i aparkār i tarvēnītārtom 'hač 'an-ē dāmān, θiβāš i χᵛaδāt, Zurvān zamān ⟨i⟩ akanārak 'ut Zurvān zamān i dērang-χᵛatāy 'kē dāmān i Ōhrmazd hupānakīhā 'ut druvist-dārišnīhā 'ō fraškart zamān aδēnēnd.* The last word corresponds to MPT. *'dyn-* 'herbeiführen' (Andreas–Henning, *MirMan.* ii): cf. DkM. 822. 22, *aδēnītār i driyōšān*; ibid. 470. 12, *aδēnēnd 'ō 'ān i yāvētānīk anākīh.*—'They lead them to eternal torment.' Cf. also Dd. 6. 4, where *aδēnd* seems to be haplography for *aδēnēnd*. Perhaps *aδēnītār* should be read in DkM. 797. 22 (*'DYNWT'L*) and 798. 2 (*'DYN'T'L*).

For Time as the genius of *rāδēnītārīh* 'direction' cf. text Z 13: 'Time which is the eternity of Ohrmazd, for it is the genius of *rāδēnītārīh*'; Z 18 (*b*), 'Matter is ruled by these six things, by Time, *Space, wisdom, power, means, and effort.'

D. GrBd. 68. 13 ff.: *'pat spihr i Gayō(k)mart paytāk 'būt 'ku 'andar aβigatīh 'pat kōχšišn ⟨i⟩ aχtarān ⟨'ut apāχtarān⟩ 30 'sāl zīvast; čēγōn guft Zamān 'pēš 'hač aβigat 'ku Gayō(k)mart ⟨i⟩ takīk 'ō 30 zimastān zīvandakīh 'ut χᵛatāyīh brēhēnīt.*—'In the horoscope of Gayōmart it was revealed that he would live for thirty years during the period of (Ahriman's) assault when the stars (and planets) strive together: for it is said that before the assault Time ordained that the valiant Gayōmart should live and rule for thirty winters.' Similarly Zs. 2. 19: *'ut-aš 'apar frēstīt Ast⟨ō⟩vihāt 'apāk 3000 uzvārtān yaskān i 'χᵛat 'hēnd vīmārīh i gōnak gōnak 'ku-š vīmārēnēnd 'ut margēnēnd Gayō(k)mart: 'ut-šān 'nē vindāt čārak. 'čē vičīr 'būt i brīnkar Zurvān 'pat bun 'andar 'āmatan i Ahriman 'ku 'apar 'ō 30 zimastān Gayō(k)mart i t⟨ak⟩īk 'ān i 'ǰān bōžišn frāč brēhēnom.*—'And Astōvihāt was sent against him together with three thousand chosen diseases, that is illnesses of different kinds, so that they should make Gayōmart ill and cause his death: but they could find no way of doing this. For such was the decision of Zurvān who fixes (all) decrees, "When Ahriman first enters (the creation of Ohrmazd), I decree that the life of the valiant Gayōmart shall be spared for thirty winters."'

CHAPTER X

THE LAW AND FATE

(*a*) *The Treaty and the Mean*

WE have already seen that Zurvān of the long Dominion manifests himself as order and fate. Before proceeding to the much written up subject of fate in the Zervanite religion we must say a few words on Zurvān, the Genius of Order (*mēnōk i rāδēnītārīh*).[1]

In the Pahlavī books Zurvān of the long Dominion, finite Time, is represented as being fashioned forth from Infinite Time: he is the fixed term set for the battle between Ohrmazd and Ahriman, and as such is described as *patmānak* or *patmān*,[2] 'a treaty' extending over 'nine thousand winters'.[3] 'Till it is completed no one can change it or make it different.'[4] This 'norm' of Time leads inevitably to the defeat of Ahriman and the final overthrow of Āz who is disorder; and Zurvān as finite Time thus leads the material world to the final rehabilitation at the *fraškart*.[5] This, then, is the 'norm'—creation—the progress of created things in time—and the rehabilitation of creation at the *fraškart*.[6] What happens—and however many successes Ahriman may gain—is immaterial: the *dātastān*, the 'order, proper function, or law' of Time, is simply to proceed 'from original infinity through limitation involving action, motion, and passage and finally to return back to ultimate infinity'.[7] In the interim period Time who helps *and directs* both good and evil equally,[8] is itself 'dyed' with the colour of good and evil;[9] and the evil in finite Time often seems to predominate. This is very much played down by the *Bundahišn*, but according to the Christian sources the practical rulership of the world in time is given to Ahriman.[10] This, however, makes no difference: the 'norm' of finite Time must lead up to the *fraškart*, and nothing that the powers of darkness can do can alter or prevent it. How they found a way of attacking this 'norm' itself we shall shortly have occasion to relate.

One passage from the *Dēnkart* deserves especial attention in this context, for it seems to show traces of the basic Zervanite doctrine found in the non-Zoroastrian sources, but heavily censored in the Pahlavī books—the

[1] Text Z 13.
[2] Text Z 1, § 13 etc.
[3] Text Z 8, § 9.
[4] Ibid.
[5] pp. 236 and 247 n. C.
[6] Cf. text Z 5 (*a*), § 21: *dām-dahišnīh, dēn-ravākīh, fraškart-kartārīh*, 'creating of creation, the progress of Religion, and the accomplishment of the *fraškart*'.
[7] Text Z 20, § 2.
[8] Text Z 4, § 9.
[9] Text Z 12, § 5.
[10] p. 69 *supra*.

doctrine of an essential defect in God himself, the doctrine of Zurvān's 'doubt'. The translation unfortunately is not completely certain, but the meaning seems to be clear. In this passage the author is discussing the interesting conception of Time being 'dyed' with the colour of good and evil. He goes on to say:

> From a single inconsistency *in potentia* by which there was a dissipation of energy in (the progress of) creation during the millennia (lit. times) between the original creation and the *fraškart*, proceeds the restoring(?) of the balance (which consists) in continuity leading up to the restoration of creation at the *fraškart*. This means the destruction of evil by the power of the good (accumulated) throughout the millennia (times).[1]

The 'single inconsistency *in potentia*' which is, I think, a faithful rendering of the Pahlavī original, seems to make no sense in the context of Mazdean dualism. Ohrmazd is by definition perfectly good, and therefore cannot be susceptible to any 'inconsistency' (*apattōkīh*) either potentially or actually. The *single* inconsistency, moreover, is so very reminiscent of Zurvān's '*single* reflection' from which, Šahristānī tells us, Ahriman arose[2] that we must interpret the *Dēnkart* text according to what we know from the non-Zoroastrian sources, particularly since the passage is of obvious Zervanite provenance.[3]

The progress of creation in time is characterized by 'dissipation of energy' (*viškīt-nērōkīhā*). The 'norm' then does not in any way preclude the existence of disorder during the period of the existence of the universe in Time. And here again we are up against a syncretization of ideas in the use of the term *patmān*, for this represents both the 'treaty' between Ohrmazd and Ahriman which is the agreement to fight for nine thousand years, hence the period itself which can be neither curtailed nor prolonged and which leads up inevitably to the *fraškart*; and the concept of the golden Mean between the two extremes of excess and deficiency.

The fusion and confusion of the two ideas can best be seen in a very curious and pleasing myth which is mentioned casually in the *Mēnōk i χrat* and the little treatise known as 'The Month of Fravartīn' and which has been transformed and elaborated in the *Dēnkart*. The latter passage does not hitherto seem to have attracted the attention of scholars, and the two other passages have therefore been incorrectly translated.[4] The myth as told by the *Mēnōk* must originally have referred to the treaty between Ohrmazd and Ahriman. It relates how Ahriman made a direct assault on this inexorable weapon which resembled far more his own death-warrant

[1] Text Z 12, § 5.
[2] Text F 4, § 1.
[3] p. 125.
[4] Recently by Junker, *Aionvorstellung*, p. 140. So Messina in the parallel passage from Zn. 4. 21.

than a treaty in any ordinary sense of that word. His attempt to dispose of this awkward instrument is diverting in the extreme. The Evil One, impatient to do away with the thing once and for all, resorts to no subtlety, devises no cunning plan: he swallows it outright! This dreadful situation had to be retrieved by the good king Yam (Yima, J̌amšīd), who thus had the uncongenial task of retrieving the thing from the satanic maw.

The third benefit (derived) from Yam was this—that he brought back the material treaty (*patmān*) which had been swallowed by the accursed Ahriman of evil knowledge from his maw.[1]

We are indebted to the *Mēnōk* for this version of the story; for according to 'the Month of Fravartīn' and the *Dēnkart* the treaty was merely carried off to hell, while the *Aβyātkār i Žāmāspīk* ascribes its rape to the Seven Planets.[2] The *Dēnkart* has, as usual, taken the rough edges off the robust fable, and the loss of the *patmān* from the world is interpreted as the loss of the 'Mean', that is the sense of moderation in all things, and the consequent triumph of excess and deficiency. We will, however, quote the passage in full, since it illustrates the manner in which the two meanings of the word have been fused.

The usefulness of all actions and objects is through the mean: they are spoilt and invalidated by excess and deficiency. The mean is under the control of the innate wisdom (reason, *āsn-χrat*) of the Creator: among creatures it (remains) the mean. Lack of order (*yut-dātastān*) is specifically excess and deficiency, diabolical concupiscence (*varan*), the adversary of reason. Whenever divine reason triumphs over diabolical concupiscence among men, the mean and order (*dātastān*) are victorious, excess and deficiency are weakened and creation prospers. Among men the Creator Ohrmazd made reason supreme in the ruler so that he might vanquish concupiscence, that most rebellious Lie, thereby, and by energetic munificence and good government of men might arouse their reason after its extinction by concupiscence so that their minds might be open to reasonable advice and that order (*dātastān*) and the mean might be spread among them and that creation might be well governed.

Now before Yam came to power, reason was at a low ebb among rulers because the demons had carried it off and concupiscence was predominant. The mean which belongs to divine reason was so completely submerged in excess and deficiency which belong to diabolical concupiscence that men had become as beasts. Through debased(?) counsels which had been dropped into their ears and through the fearful prevalence of excess and deficiency among them they had become estranged from the mean in matters of conduct, food, alms, property, and other such activities. The world was disrupted. For since it is plain that once

[1] MX. 27. 15: *'ut sitīkar ('ēn sūt) 'ku patmān i gētēhīk i 'avē dušdānāk druvand (i Ahriman) ōpārt 'ēstāt, aš 'hač aškom 'apāč 'āβurt.* Skt. translation has correctly *gilitam āsīt* 'swallowed'.

[2] See note A, p. 261.

divine reason is withdrawn from men, diabolic concupiscence triumphs and the mean and order which are proper to reason disappear from the world, so does the injustice of excess and deficiency which are proper to concupiscence make its abode more completely with men, and the world becomes ruined and disrupted.

Yam came to power by the will and consent of the Creator. First he put an end to the sovereignty of the demons over men and rescued divine reason from diabolic concupiscence that has no path: and he devised a means of (saving) the mean which belongs to divine reason from the excess and deficiency of diabolical concupiscence so that there should be order (*vīrāδišn*), seemliness, and prosperity on earth. (This was to be achieved) by weakening the demons and depriving them of their sovereignty over men, by increasing once again divine reason, by the defeat of diabolic excess and deficiency, and by causing reason's mean and order (*dātastān*) to shine brightly through the defeat of excess and deficiency and the power of injustice in the world.

By the Creator's great supernatural power and glory ($\chi^{v}arr$) he was raised aloft in bodily form and descended into hell; and for thirteen winters he wandered in hell in the form of a demon, devising a weapon by which the demons might be vanquished and by which their sovereignty over men might be broken. By marvellous and subtle means he was conveyed up from the demons; and he smote and vanquished them by this very weapon and deprived them of their sovereignty over men and drove them far away. Thus was diabolic concupiscence deprived of its sway over men and the excess and deficiency of concupiscence lessened; and divine reason was increased among men, and the mean and order of reason made victorious in creation—for by these did the creation of Ohrmazd achieve immortality and by these was it restored. In a clear exposition of the function of Yam the religion says that he was raised from hell.[1]

In this myth the equation of *patmān* 'the mean' and *dātastān* 'order or the law' is interesting. In view of the nine thousand years period of finite Time being called the *patmān* between Ohrmazd and Ahriman and Zurvān's close association with 'order', it is tempting to attach the whole *patmān* ideology, whether it refers to the treaty or to the mean, to the Zervanite branch of Zoroastrianism. As the mean, however, the *patmān* idea has patently been lifted bodily out of Aristotle, as Menasce has already pointed out;[2] but despite this, this distinguished scholar maintains, the *patmān* 'sums up in one word the moral teaching of Mazdeanism'. This is certainly true of the third book of the *Dēnkart*, which is by far the most important as well as the most difficult Zoroastrian theological work that has survived; but the Aristotelian conception, nevertheless, is ill at ease in a dualistic system which contrasts sharply in pairs light and darkness, good and evil, wisdom and wrong knowledge. The doctrine of the mean

[1] DkM. 295. 7–297. 6. The text will be found in the appendix to this chapter.

[2] His edition of ŠGV., p. 30, where the principal references are given.

was, however, adopted with such whole-hearted enthusiasm by the Zoroastrians that they did not hesitate to claim it as something essentially Iranian, just as the Moslems were later to claim it as something typical of Islam.[1] 'Īrān has always commended the mean', the *Dēnkart* complacently remarks,[2] 'and censured excess and deficiency. In the Byzantine Empire the philosophers, in India the learned, and elsewhere the specialists have in general commended the man whose argument showed subtlety, but the Kingdom of Īrān has shown approval of the (truly) wise'. This is tribute indeed to the Philosopher of the West that not only has his leading ethical idea been absorbed into two Eastern religious systems, but that both should then claim it as distinctively their own. In favour of the Zoroastrians, however, it may be said that the theory of the *patmān* as the treaty between Ohrmazd and Ahriman limiting the conflict to nine thousand years, was specifically and typically Iranian. The *patmān* as the mean, however, must be an Aristotelian borrowing. In the Zoroastrian cosmology and eschatology the two ideas become confused. In the Zervanite tradition Zurvān of the long Dominion *is* in a sense the *patmān* since he is the battlefield in time and space between the two Spirits: as such he represents cosmic order and his proper adversary is therefore Āz who is cosmic disorder. The denouement in the *Mēnōk i χrat*, then, where the Tetrad of Order finally destroys Āz seems to be genuinely Zervanite; and the whole myth can be reconstructed as follows.

In its infinite repose the deity merely *is*. Its partial self-awakening produces a 'single inconsistency'[3] or 'doubt': this inconsistency brings to light something disorderly within the godhead and this is called in the Zoroastrian texts Āz. The inconsistency gives rise to Ahriman; and the genesis of this apparently separate principle produces full self-realization in the deity and hence Ohrmazd as the 'knower'. This, then, is the full 'manifestation' of the potentiality of the infinite God. The 'inconsistency' then manifests itself in the irreconcilable duality of Ohrmazd and Ahriman, good and evil, light and darkness, wisdom and wrong-mindedness: the unity of the godhead is split and must be restored. To achieve this the supreme deity limits himself as finite Space and Time which are governed by the natural law (*dātastān, patmān*). Finite Space and Time are the material Cosmos, the 'first form',[4] the macrocosm. Like the microcosm it is subject to the attacks

[1] I. Goldziher, *Muhammedanische Studien*, ii, pp. 397–400 (cited by Menasce, l.c.).

[2] DkM. 429. 11: *ērān hamē patmān stāyast, frēhbūt 'ut *apēbūt nikōhīt. 'pat hrōm fīlāsō(k)fāy 'ut 'pat hindūkān dānāk 'ut 'pat apārīk *gyāk šnāsak 'ān apērtar stāyast 'kē gōβišn nēzumānīh 'hač-iškān paytākīhast, fražānakān [i] ērān šaθr passandīt 'ēstāt.* For *nēzumānīh* see the appendix to this chapter.

[3] p. 249.

[4] *Supra*, pp. 141–3.

of disorder, but these are in the end powerless to prevent the emergence of the 'last body' (*tan i pasēn*) which is perfect, at the *fraškart* which is the achievement of the good.[1] The whole process is the story of the rehabilitation of an infinite God whom the process of 'manifestation' reveals as imperfect. The *patmān* (or *dātastān*) in this context is the power of order through which this rehabilitation is achieved: it leads up to the 'last' or 'final body', that is the macrocosm made perfect and the *fraškart*, the culminating point of the process through which it is made perfect. The 'final body' is then reabsorbed into the Infinite whence it originally proceeded.

All this is quite foreign to the Aristotelian doctrine of the mean; and in Zātspram's account of the *fraškart* it looks suspiciously as if he only identifies Āz with 'excess and deficiency' as an afterthought, since his whole treatment of the subject shows that for him Āz meant 'concupiscence' as manifested in eating, sexual intercourse, and the desire to possess—not in an excess or deficiency of any of these.[2] It is a little puzzling, then, that Zātspram agrees with the *Bundahišn* and the Pahlavī *Rivāyat* in attributing the overthrow of Āz exclusively to Srōš and not to the Zervanite Tetrad of Order as in the *Mēnōk*.

Interesting as it would be to pursue the doctrine of the mean in the purely Mazdean texts, this is scarcely the place to do so. Moreover, Fr. de Menasce has indicated that he will shortly be producing a study on this subject,[3] and this onerous task we gladly leave in his very much more capable hands. One point, however, must be made. The *patmān* is regularly associated with 'reason' (*χrat*) and 'the religion' (*dēn*) and is consequently contrasted with *Varan* (concupiscence defined as excess and deficiency).[4] This seems to be a purely Mazdean–Aristotelian idea and originally quite independent of the *patmān* applied to Zurvān of the long Dominion by the *Bundahišn* and the *Mēnōk*.[5] Here the mean is seen to belong to the intellectual-spiritual order of phenomena in which Zurvān and his myths play no essential part. The *patmān*, being the opponent of Āz, is similarly divided between the spiritual-voluntary (*mēnōk-kāmīk*) and material-natural (*gētēh-čihrīk*): in the first context it is of the very substance of Ohrmazd, in the second it is the law (*dātastān*) of the finite Zurvān. In both aspects Āz is the force which upsets the ideal equilibrium.[6]

[1] This interpretation preserves the meaning 'excellent' which Kent rightly attributes to OP. *fraša-*, *supra*, p. 222.

[2] *Supra*, pp. 177 ff.

[3] His edition of ŠGV., p. 30.

[4] Cf. the passage quoted above, pp. 250–1, and references *apud* Menasce, l.c.

[5] *Supra*, p. 248.

[6] *Supra*, pp. 171 ff.

(b) *Fate*

We have tried to show that Zurvān of the long Dominion, finite Time, the *patmān*, 'treaty' or 'norm' which regulates the cosmic battle between good and evil, is an inevitable process which culminates in the elimination of evil which is an 'inconsistency' in Being itself, and in the return of the finite to the unknowable Infinite. So, too, do the dealings of Zurvān of the long Dominion bear an impress of finality in relation to the microcosm, Man. In this world he manifests himself as fate.

We began our analysis of the Zervanite religion with a discussion of the myth of the Father of Good and Evil preserved by the Armenian Christian polemist, Eznik of Kołb: and now that the end of our investigation is in sight, it is to him that we again return. 'When nothing at all existed,' our faithful friend informs us, 'neither the heavens nor the earth, . . . there was one, Zurvān by name, which, being interpreted, is fate (*baχt*) or fortune (*p'arḳ'*).'[1]

Hitherto it has been our ungrateful task to seek to reconcile our non-Zoroastrian sources with the testimony of the Pahlavī books. To this treatment both parties proved exceedingly recalcitrant. In the matter of fate, however, the two traditions completely agree. On the non-Zoroastrian side, besides Eznik, Theodore of Mopsuestia bears witness that Zurvān was called τύχη[2] and Theodore Abû Qurra speaks of him as *baχt*,[3] using the Persian word for fate which we know well from the Pahlavī books. Here, too, we find in the *Mēnōk i χrat* that Zurvān is explicitly identified with fate: 'Know', says the Spirit of Wisdom to the wise man, 'that the whole world proceeds in accordance with the decree and the (decisive) moment and the fixed decision which are indeed Zurvān, the King and Lord of the long Dominion.'[4] This we may, with Nyberg, call the Tetrad of Fate.[5] Similarly, Fate appears as a member of the Tetrad of Order by which, in the version of the *Mēnōk*, evil and disorder (Āz) are finally destroyed.[6] Both the Zoroastrian and the external sources, then, fully agree that Zurvān is the god of fate.[7]

From what we have already learnt from the nature and operation of Zurvān it is clear that fate is dispensed by Spihr, the firmament, and by the twelve Signs of the Zodiac in particular. 'All good things' were entrusted 'to Mihr (the Sun) and the Moon and the twelve Signs of the

[1] Text F 1, §§ 3–8.
[2] *Apud* Photius, text G 2.
[3] Text F 2.
[4] Text Z 27, §§ 4–5.
[5] Nyberg, CCM. 1931, p. 108; *supra*, pp. 229 ff.
[6] Cf. pp. 229 and 246 n. B.
[7] Cf. also text Z 1, § 25, and *supra*, pp. 239–42.

Zodiac',[1] and it is the office of the firmament 'to rule the destinies of the world aright'.[2] As such it is King, the *gēhān-baχtār* 'disposer of the world'[3] and of all things the most powerful.[4]

The fact that the firmament dispenses good and bad fortune alike owing to the maleficent operations of the planets has already been noticed;[5] and we suggested that the indifferent dispensation of good and bad fortune by an indifferent firmament containing the Signs of the Zodiac and the planets alike was in all probability the Zervanite version, and that the theory of the diversion of good fortune by the planets to improper purposes and improper objects might be regarded as a Mazdean conception. The result on earth of either is precisely the same: the earthly lot of man is predetermined by the operations of the celestial sphere; and from this there is no escape.

As we have already suggested, the vital distinction between the Zervanite and Mazdean points of view is not the role which either party may or may not assign to the planets, but the province of human activity which they deem to be absolutely subject to the dictates of fate. This was a very live issue in the Zoroastrian Church as it was later to be in Islam. Orthodoxy in the latter case was bound, in obedience to the whole tenor of the Qur'ān and the even more uncompromising attitude of the Tradition, finally to come down on the side of predestination. In Zoroastrianism, however, positing as it does two distinct and separate principles, orthodoxy could only opt for free will, the liberty of man to choose between the two alternatives. It was only when this distinction became to some extent blurred, as it did in Zervanism in which the God of Time was elevated to the supreme position in the pantheon, that predestination could insinuate itself into the Iranian creed.

The Mazdean view is clear enough: fate and effort on man's part each have their proper part to play. They should work together and in harmony as body and soul. 'Fate and action together are like body and soul (*ǰān*). For the body without the soul is a useless carcass, and the soul without the body an impalpable wind. But when they are fused together, they are powerful and exceedingly beneficial.'[6] The golden mean between fate and purposeful action must be found; for the man who puts his trust exclusively in fate 'makes himself contemptible', and he who 'continually exerts

[1] Text Z 28 (*a*), § 3. Cf. ŠGV. 4. 8: *spihir ǰā i baγą i nāki baχtārą kəšą har nāki baχtārī ažaš hamā baχšəñd rāstihā.*—'The firmament is the place of the "gods" (i.e. the luminaries) who bestow good things, for they ever bestow righteously all manner of good things.'
[2] Text Z 2, § 6; cf. Z 3, § 3.
[3] Text Z 24 (*b*) Zurvān of the long Dominion shares the epithet of 'king' (*pātuχsāy*) with Spihr (text Z 27, cf. ZXA. 221. 61).
[4] Text Z 24 (*a*), § 3.
[5] *Supra*, pp. 161 ff.
[6] Text Z 33 (*a*).

himself and makes efforts and denies fate and destiny, is a fool and puffed up with pride. . . . Fate and effort are like two bales of a traveller's baggage on the back of a mule. If one of them is heavier and the other lighter, the load falls to the ground, and the back of the mule is broken, and the traveller suffers embarrassment and does not reach his destination. But if both bales are equal, the traveller does not need to worry, the mule is comfortable, and both arrive at their destination'.[1] Fate is regarded as the cause; man's effort as the occasion for what happens to him.[2]

In reality there is no conflict between the two: each has its appointed sphere and these spheres do not overlap. Fate controls material existence only. Man's spiritual destiny is in his own hands. Yet even on the material side man may acquire what has been allotted to him by fate earlier than the allotted date if he makes efforts towards that end: and what is allotted can be taken away on account of his sins. Similarly by righteous effort he can avert evil that was destined to overtake him. He cannot, however, acquire anything that has not been allotted to him.[3]

This appears to be a modification of the doctrine of *baχt* 'fate' and *bayō-baχt* 'special dispensation' outlined in the *Mēnōk i χrat*,[4] although the passage just quoted leaves very much more scope for human initiative than that semi-Zervanite text is prepared to concede. Fate, according to this text, is what is determined from the beginning, *bayō-baχt* what is determined afterwards. This, however, is a dispensation which the gods only make use of on rare occasions, since Ahriman makes it an excuse to rob the good of wealth and to bestow it on the wicked.

The Mazdeans, with their passion for classification, parcelled up the whole of human activity into five categories—fate, action or effort, nature or habit (*hōk*), character (*gōhr*), and heredity (*aparmānd*).[5] Fate is responsible for life, wife, children, sovereignty, and riches only. Salvation and damnation together with the membership of the three castes are ascribed to effort. Eating, walking, sexual intercourse, sleeping, and excretion are the province of nature; worthiness, friendship, goodness, generosity, and rectitude of character; and intelligence, understanding, body, stature, and appearance of heredity. The role of fate, then, is narrowly restricted to one's existence, one's family, one's social status and income. Salvation and damnation are wholly outside its power: these are the province of man's free will, and he alone is responsible. At the same time it is admitted that all men are not born alike, for the virtues are inborn; they are part of

[1] Text Z 33 (*b*).
[2] Text Z 33 (*a*).
[3] Text Z 34 (*a*).
[4] Text Z 32.
[5] Text Z 35 (*a*) and (*b*). These categories reappear in Ghazzālī's *Naṣīḥatu'l-Mulūk* (text Z 35 (*c*)) as *qaẓā va qadar* (fate), *jahd* (effort), *tab'* (nature = *gōhr* 'character'), and *mīrāṣ* (heredity = *aparmānd*).

man's character or 'substance' (*gōhr*). In addition there are the inherited qualities which further increase the initial inequality between men. It would be a mistake, however, to suppose that these initial handicaps were not allowed for in Mazdean theology, for man's eternal destiny rests squarely in his own hands. By his actions he and he alone can attain to salvation or fall by the wayside. One phrase in the Pahlavī texts explicitly warns against the dangers of fatalism and man's inveterate habit of attributing to a higher power the sins which are peculiarly his own *ad excusandas excusationes in peccatis*. 'Sloth', this text succinctly and pertinently warns, 'is to be attributed to action, not to fate.'[1]

One passage in the *Dēnkart* goes even further in circumscribing the role of fate and in stressing man's responsibility for his actions. Starting by saying that fate controls only material things while man's actions determine the spiritual, the text goes on to say categorically that 'the spiritual salvation of man must be sought principally by his own efforts'. 'When he desires (something) and makes an effort (to get it), he will certainly get it.' Purely material affairs are best left to the will of the gods; but 'abstention (from action) is injurious to the soul; (yet) to the man who cultivates the soul and makes an effort (on its behalf), material riches are added'.[2]

The Mazdean view, then, is pellucidly clear. Fate can only influence man's material estate: it has no jurisdiction over the spiritual. Here man is a free agent; he has the awful freedom of choice between good and evil; he is the master of the ship of his own salvation.

The Zervanite doctrine, presented with varying degrees of rigour, is chiefly preserved in the *Mēnōk i χrat*. Here fate is introduced as 'Lord' or 'King' (*pātuχšāy*) over all persons and things.[3] However, in the twenty-second chapter[4] it seems that this kingship extends only over material factors. Good things which have not been fated cannot be acquired; but if fated, they always come if an effort is made. 'Effort, if it is not favoured by Time, is fruitless on earth, but later, in the spiritual world, it comes to our aid and increases in the balance.' There is here practically no divergence from Mazdean orthodoxy. It is the more surprising, then, to find in the following chapter a view expressed which seems to contradict all this.

Though (one be armed) with the valour and strength of wisdom and knowledge, yet it is not possible to strive against fate. For once a thing is fated and comes true, whether for good or the reverse, the wise man goes astray in his work, and the man of wrong knowledge becomes clever in his work; the coward

[1] PhlTexts, p. 74, § 4: *ašgahānīh baχt 'nē, 'bē kunišn rāδ āmārēnīt*. Though some of the MSS. read *rāδ* in place of *'nē*, the context leaves us in no doubt as to which reading is to be preferred.
[2] Text Z 34 (*b*).
[3] Text Z 29.
[4] Text Z 30.

becomes brave, and the brave cowardly; the energetic man becomes a sluggard and the sluggard energetic. For for everything that has been fated a fit occasion arises which sweeps away all other things.[1]

Similarly and even more uncompromisingly in a later chapter of the same work:

When fate helps a slothful, wrong-minded, and evil man, his sloth becomes like energy, and his wrong-mindedness like wisdom, and his evil like good: and when fate opposes the wise, decent, and good man, his wisdom is turned to unwisdom and foolishness, his decency to wrong-mindedness; and his knowledge, manliness, and decency appear of no account.[2]

This is a long way indeed from the orthodox position: for while it is not expressly stated that fate can deprive one of salvation, it is said that it can alter one's entire character. It is not perhaps entirely incompatible with the Mazdean position to concede to fate a power to turn wrong-mindedness to wisdom and evil to good, since these belong to the spheres of 'heredity' and 'character' respectively, not to that of 'action';[3] but to admit that fate can convert sloth into energy flatly contradicts the text from the *Dēnkart* which we quoted above.[4] Energy (*tuχšākīh*) is the very source and fountain-head of action, the quality by which salvation can be won, and in which, for the Mazdean, fate should have no part. To extend the empire of fate into this province is to deprive man of any power over his own spiritual destiny; and this, it appears, is what Zervanism did. The reason is not very far to seek: for if the goal of the universe is simply the reabsorption of the finite into the Infinite and if, as the Mazdeans and Zervanites agreed, hell is only temporary and comes to an end at the termination of the cosmic cycle,[5] it follows that right conduct on earth can have little intrinsic importance. What fate decrees must be: it is useless to contend with it, since the same engulfment in the same abyss must be the lot of all creation. Like the Supreme Being of the *Bhagavad-Gītā* Zurvān devours his own.

We have seen that in both the Zervanite and Mazdean traditions man's material condition, his social status, and his income are especially the province of fate. According to the Syriac *Acts of Āδur-Hormizd* this fate which conditions one's station in this world is carried on into the next. A Magian high priest is made to say:

In our Avesta it is clearly recognized that whosoever enjoys fame and honour in this world, will also be exalted, honoured, and sublime at the raising of the dead; and whosoever is wretched and lowly in this world will be just as wretched in the world to come.[6]

[1] Text Z 31 (*a*).
[2] Text Z 31 (*b*).
[3] *Supra*, p. 256.
[4] p. 257, n. 2.
[5] See note B, p. 261.
[6] Text F 5.

This doctrine seems so very shocking to the Western mind that one is at first disposed to discount the evidence and to pass it off as *odium theologicum*. Once again, however, Zātspram preserves a doctrine which is sufficiently close to the Syriac account to vindicate the latter's reliability. The passage is of sufficient importance to merit quotation in full.

In the 'Books of the Antagonists' it is demonstrated by analogy that if a man shows aptitude in a particular sphere of action, master craft, enterprise, or occupation here on earth, and is elevated to the rank of priest on the grounds of his intrinsic rectitude which ennobles gain, then the same kind of knowledge, master craft, enterprise, or occupation will accompany his soul, and his condition in the other world (*mēnōk*) will be analogous. Thus because Yam held fear, poverty, and need in check, his soul is worshipped and invoked in order to repel fear which was created by the demons and seeks out need, and need (itself) which moves in secret. So also because Frētōn bound Až i Dahāk, he is invoked to repel the violence of those who behave like Až i Dahāk. And because Guršāsp smote down highwaymen and robbers, he is invoked to repel the violence of those who behave like robbers.[1]

The difference between Zātspram and Āδur-Hormizd seems to be that whereas the latter regards the extension of one's earthly rank into the next world as automatic, the former implies that high rank attained on earth and so extended in heaven is the result of merit. In this he follows the texts quoted by us as Z 35 according to which membership of the three castes of priesthood, warriorhood, and the husbandmen, as well as salvation and damnation, are assigned to the province of 'action' or 'effort', not to fate or heredity. Yet, according to the 'Epistle of Tansar',[2] membership of the castes was practically closed to new-comers, and aspiring candidates had to be approved by the King himself. There seems to be no explanation of this anomaly except perhaps a crude presumption on the part of the Sassanian ruling classes that the privileges enjoyed by them on earth should, and therefore would, be maintained in the next world. This seems to be borne out by what Āδur-Hormizd goes on to say. 'Just as a man has honour in the sight of the great King, . . . so has he honour in heaven in the sight of Ohrmazd the Lord.' And this pernicious doctrine is again faithfully echoed by Zātspram:

It is said, 'O Frašōštar, thou shalt acquire generosity there—for thou shalt practise generosity in heaven. Just as on earth thou wast the court councillor of Vištāsp, so wilt thou be court councillor in the other world (*mēnōkīk*)—this is revealed in the Religion'. The other (offices) too are after the same way and manner. Thus whoever causes water to flow on earth, will be a maker of rain in the other world.[3]

[1] Zs. 32: text in the appendix at the end of the chapter.
[2] Mīnovī, p. 13; cf. Christensen, *L'Iran sous les Sassanides*, 2nd ed., p. 320.
[3] Zs. 33: text in the appendix at the end of the chapter.

Again Zātspram does not state the corollary of this doctrine, namely, that those whose misfortune it is to be impecunious and unprivileged on earth will suffer under the same disadvantages in the next world. This, however, is implicit in his use of the neutral words *kunišn* (which I have here translated 'sphere of action') and *χᵛēškārīh* ('occupation'—'own-work'[1]), the inference being that one's earthly estate, whatever it is, is continued in the next world. If Frašōštar, who was a court councillor on earth, can expect to hold the same position in heaven, the same rule may be assumed to apply to the crossing-sweeper and the boot-black. The unforgivable sin is to leave one's earthly master displeased. 'Of all these he is the worst who dies and leaves his ruler displeased. Whosoever leaves his ruler displeased, will have no place in the bright heaven.'[2] The text from which this quotation is drawn can be taken as being Zervanite, since it mentions Zurvān by name a line earlier. It fits in nicely with what we have learnt from Āδur-Hormizd and Zātspram. The social hierarchy stratified and heavily buttressed by the official Church is sacrosanct since it is reproduced and perpetuated in the next world. Of that supernal society it may be said to be a reflection. Any attempt to interfere with it must then be an unpardonable sin.

Thus while working from entirely different premisses we were able to deduce that Zurvān could manifest himself as a Tetrad of Social Order, we here find that not only is the Zoroastrian social order perpetuated in heaven but that the least offence committed against one's superiors in the social hierarchy is punished by the loss of eternal felicity. Without going so far as to argue from this that Zervanism was even more closely wedded to the State than its Mazdean rival, we can at least say that the idea of an immutable social hierarchy perpetuated in the next world fits very conveniently into the pattern of Zervanite fatalism.

And here again we come back to our old theory that Zurvān, at least so far as he is manifested to this world, is a god of matter, of physical nature and physical well-being and its opposite. He is concerned with neither good and evil, right and wrong, salvation and damnation, rewards and punishments, nor with moral values, nor with the destiny of the soul. Thus in the texts which accept him as a powerful force on earth we find a fatalism which leaves no room for the exercise of a free choice since he can at will alter and pervert the whole character of a man and deprive him of that initiative by which alone he can make a choice. It is no accident that both he[3] and the firmament[4] and fate itself[5] are called *pātuχšāy*, the King, while

[1] *Supra*, pp. 173 ff.
[2] Text Z 25 (*b*).
[3] Text Z 27.
[4] Text Z 24 (*b*).
[5] Text Z 29, § 5.

Ohrmazd appears only as the priest in passages which show a Zervanite origin.[1] Just as the Sassanian kings on earth were absolute rulers with the three castes wholly subordinated to them, so, we may suppose, was Zurvān–Fate absolute monarch ruling absolutely and by his kingly fate the destiny of the Cosmos which again is himself. The struggle between Ohrmazd and Ahriman in the material world and its counterpart, the struggle between good and evil in individual men, is basically a matter which concerns him not at all. Though some inherent defect in his own nature engendered evil, it is powerless to harm him,[2] and the whole regrettable incident is easily disposed of by the device of the limitation of the Infinite by which the evil is localized and thus destroyed. Man, then, is merely a cog in the wheel of fate whose operations must inevitably lead to the annihilation of disorder which sprang from a defect in the divine substance. As such it can be assumed that he will share in the final apotheosis when the finite is merged again into the Infinite where there is no room for duality and where man *qua* man will cease to be.

Order—Law—Fate—and King: so is the Great God made manifest to man. Here there is no hint of salvation, no trace of the Saviour-God in manifold disguise whose diverse operations constitute the hope and the fascination of the Gnostic systems and the kernel of Manichaean belief: there is only the unknowable Infinite made finite as the material Cosmos, Law and Fate. And his Law is to return to whence he came; for he 'was and shall be all'.[3]

NOTES TO CHAPTER X

A. *Māh i Fravartīn* § 10. (PhlTexts, p. 103): *'māh fravartīn 'rōč i Hurdāt Yam patmānak 'hač dōšaχᵛ 'bē 'āβurt 'ut 'andar gēhān 'ō paytākīh mat.*—'In the month of Fravartīn on the day of Hurdāt Yam brought the *patmān* from hell; and it was manifested in the world.' Cf. Zn. 4. 21 (Messina): *ut-aš patmān hač avēšān apāč stat.*—'And he (Yam) took the *patmān* away from them (the planets).'

The Mandaeans have preserved a similar and equally entertaining myth concerning Hibil Zīwā's descent into the infernal regions. In the nethermost hell he is confronted by one Krūn, 'der grosse Fleischberg', who swallows him. Hibil, however, was encased in a sheath of swords and other sharp weapons with which he sliced up his entrails, liver, and kidneys. In return for this rough treatment Krūn was forced to give him the passport he required to take him up out of the infernal regions. v. Lidzbarski, *Ginzā*, p. 157.

B. Sinners are released from hell at the time of the *fraškart*. On this point all the sources agree. Thus Mānuščihr (Dd. 40. 4), who may be taken as the classical exponent of Mazdean doctrine, says: *'ut-aš 'pat 'avēšān yazat-virravišn 'andar 'ān*

[1] Text Z 2, § 4; Z 11 and 12.
[2] Text Z 37, § 24: 'What pain or pleasure has Time from the evil of Ahriman or the goodness of Ohrmazd?'
[3] Text Z 16.

i vattom aχᵛān anākīh 'hast 'tāk 'ān i aβdom aχᵛān vartišn 'kaδ fraškart 'pat kāmak 'andar aχᵛān 'dahīhēt.—'According to their godly doctrine they (the damned) suffer torment in the worst abodes until the coming of the last things when the *fraškart* is produced in the worlds according to (their) desire.' Zātspram too, who may be presumed to reflect the Zervanite point of view, says that the damned are sent back to hell at the *fraškart* for only three days. Zs. 35. 44: *'pat dušmat dušhūχt dušhuvaršt 'ō dōšaχᵛ 'šavēnd 3 rōčak-šapān.*—'For their evil thoughts, words and deeds they go to hell for three days and nights.' Later they are brought out of hell by Airyaman. Ibid. 35. 49: *'pat ham 'zamān [i] Airyaman hamāk druvandān 'apar 'āβarēt.*—'At the same time Airyaman raises up all the damned.' Again the *Dēnkart* (M. 286. 18 ff.) is quite explicit: *'hač dōšaχᵛ 'ul 'nīt, 'pat mēnōk yōšdāsrgarān šōδišn 'hač vinās ⟨vi⟩zand pākēnīt, 'ut-aš ham-gōhr patmōk tan i pākēnītak 'hač aβigat ālūtakīh nōk 'apāč *patmōχt, 'ut yāvētān aviškann(?) purr-urvāhm vīnārt.*—'They are led out of hell and are purified from the harmfulness of sin by the cleansing of the spiritual purifiers; and their body, purified from the defilement of the Aggressor, is again clothed in a garment of the same substance, and they enjoy perfect bliss eternally and without interruption.'

APPENDIX TO CHAPTER X

DkM. 295.7–297.6. (translation pp. 250–1 of this book):

*'ēt 'har kār 'čiš sūtōmandīh 'pat patmān, 'ut-aš 'hač frēhbūt 'ut *apēbūt tapāhīh *akārīh. 'ut patmān vīnārišn 'pat āsn-χrat i dātār, 'andar dahišnān patmān. yut-dātastān 'nām*čišt frēhbūt 'ut *apēbūt 'dēvīk varan āsn-χrat pityārak. 'ut hamē 'kaδ 'andar 'martōmān āsn-χrat ⟨i⟩ yazdīk 'apar varan ⟨i⟩ 'dēvīk čēr, patmān dātastān 'andar martōm pērōžīh 'ut frēhbūt 'ut *apēbūt *nizārīh 'ut dahišn χᵛap-ēstišnīh 'bavēt. 'ut dātār 'andar martōmān āsn-χrat 'apar 'avē i dahyupat ayrayēnīt*[a] *'ku pat-iš 'ān i stahmakťar varan druž vānāt, 'pat amāvandīhā savākīh*[b] *χᵛap-rāδēnītārīh i 'martōm āsn-χrat i pat-išān 'hač zruftakīhā*[c] *i aδar ['ut] varan hangē-žēnāt 'ku-š patīrišn 'bavāt ⟨i⟩ āsn-χratīk handarz 'andar martōm, 'ut ravākīhāt 'andar-šān dātastān patmān, vīnārīhāt dām 'pat nēvakīh.*

*'ut pēš 'hač matan i Yam 'ō χᵛatāyīh, 'hač 'dēvān appurtārīh āsn-χrat 'andar χᵛatāyān nizārīh, varan aparōžīh, 'ut yazat āsn-χratīk patmān 'andar 'dēv varanīk frēhbūt 'ut *apēbūt zruftakīh ōγōn 'būt i martōm dat [i] *'būt mānāk, 'hač-ič 'šut [i] handarz ⟨i⟩ 'andar gōš ōpastak 'ēstāt, 'hač škift čērīh i frēhbūt 'ut *apēbūt 'apar-šān anōtak*[d] *'būt 'hēnd 'hač patmān i 'pat kartan 'χᵛartan 'dātan dāštan apārīk rāδēnišn: višuft 'ēstāt gēhān 'hač ham. 'bē čēγōn 'ēt i paytāk 'ku 'hač yazdīk āsn-χrat frōt-vaštakīh 'hač 'martōm [i] 'dēvīk varan čērīh 'ut āsn-χratīk patmān dātastān 'hač gēhān ānāftakīh, varanīk frēhbūt 'ut *apēbūt adātīh 'andar martōm vēš mēhmānīh 'ut gēhān avērānīh višuftakīh *'būt.*

Yam mat 'ō χᵛatāyīh 'hač dātār kām 'ut nimēž[e]*. fratom 'dēv *'hač 'martōm apātaχšāyēnīt 'ut yazdīk āsn-χrat 'hač 'dēvīk arās varan bōχt; 'ut yazat āsn-χratīk patmān 'hač 'dēv varanīk frēhbūt *apēbūt čārak nikīrīt, 'ku 'pat 'dēv 'hač martōm apātuχšāyīh-ārāδīh nizārīh 'ut yazdīk āsn-χrat 'apāč vaχšišnīh 'ut 'dēvīk frēhbūt *apēbūt vānītakīh 'ut āsn-χratīk patmān dātastān,—'pat vānītakīh i frēhbūt 'ut *apēbūt 'ut adātīh 'andar gēhān nērōk,—burz-brāhīh, ['ut] pat-iš gēhān vīrāδišn*

For notes see p. 263.

pērāδišn farraχᵛīh 'bavāt. 'hač 'vazurg varč 'ut 'χᵛarr i dātār 'apar 'burt 'pat tanō-mandīh 'ō dōšaχᵛ mat, 'ut 13 zimastān 'andar dōšaχᵛ 'pat 'dēv-karpīh 'raft, rāz-aβzār, 'kē pat-iš 'dēv vānīhēnd, 'hač 'martōm apātaχšāy⟨īh⟩ēnd. varčāvand nēzu-mān[f] *čārīhā 'hač 'dēvān *'ul 'burt, 'ut 'dēvān 'pat 'χᵛat aβzār 'zat 'ut vānīt 'ut 'hač 'martōm apātaχšāyēnīt 'ut dūrēnīt. 'ut 'hač 'ān 'bē 'dēvīk varan 'hač čērīh 'apar 'martōm 'bē 'burt, varanīk frēhbūt *apēbūt nizārēnīt, 'ut yazdīk āsn-χrat 'andar martōm vaχšēnīt, 'ut āsn-χratīk patmān dātastān 'andar dām pērōžēnīt, pat-iš Ōhrmazd dām ⟨a⟩margēnīt 'ut 'pat 'apāčīh kart. 'ut paytāk vičārišn ⟨i⟩ dātastān [i] 'ān i Yam rāδ dēn 'gōβēt 'ku-š 'ul 'burt 'hač dōsaχᵛ.*

NOTES

[a] *ayrayēnīt*: denom. to *ayray* (MPT. *'gr'y*, MParthT. *'gr'w*, MPInscr. (KZ) *'gl'dyḥy*, Sprengling, AJSLL., lvii, p. 216). The word translates Av. *ayrya-* 'first-class' with which it may reasonably be connected (Bailey, BSOS. vi, p. 68). Andreas *apud* Waldschmidt-Lentz, *Die Stellung Jesu im Manichäismus*, p. 41, no. 1, connected with Skt. *argha-*: this seems improbable.

[b] *savākīh*: v. BSOS. ix, p. 103.

[c] *zruftakīhā*: v. text Z 2, l. 64, no. 4,

[d] *anōtak*: v. BSOS. ix, p. 312.

[e] *nimēž*: v. BSOS. ix, p. 584; MPT. *nmyzyšn* (Henning, *Beichtbuch*, p. 58).

[f] *nēzumān*: v. Henning, OLZ. 1934, col. 755, where he equates it for the meaning with MPT. *krwk*. ŠGV. miswrites *vičumą*, cf. Menasce, ŠGV., p. 50; the Skt. translation has correctly *vivekatayā* 'with discrimination' for the adverbial form.

Zātspram, Chapter 32.

(1) *čēγōn nimūt 'pat handāčak 'andar nipēkān i hanbitīkān 'ku 'avē 'kē-š 'andar gētēh kunišn-ē ayāp tavān-*nērōkīh-ē*[a] *ayāp masīh-ē ayāp χᵛēškārīh-ē pat-iš sačākīk 'ut-aš āsrōnīhēt*[b] *'pat rāstīh i dārēt 'pat sūt sačēnītan, 'ān aδvēnak dānišn, tavān-nērōkīh 'ut masīh ⟨'ut⟩ χᵛēškārīh 'ō 'ān i 'avē ruvān patvandēnd, 'ut-aš 'pat-ič mēnōk ham-brahmakīh pat-iš 'bavēt.*

(2) *čēγōn Yam 'apāč-dārišnīh i sahm, vitangīh ⟨'ut⟩ *sēž*[c] *rāδ, ruvān i 'avē 'yazīhēt 'ut 'χᵛānīhēt 'pat apāč-ēstišnīh ⟨i⟩ 'dēvān-frāč-kirrēnīt *sēž*[d] *χᵛāstār sahm 'ut *sēž-ič*[e] *i nihān-ravišn.*

(3) *ētōn-ič Frētōn *bastan*[f] *i Až i Dahāk rāδ, 'χᵛānīhēt 'pat 'apāč-ēstišn i až-kartārān bēš.*

(4) *'ut *Guršāsp 'zatan i rāsdārān ['ut sēžān] 'ut gaδaγān ⟨rāδ⟩, 'χᵛānīhēt 'pat apāč-ēstišn i gaδaγ-⟨ka⟩rtārān bēš.*

NOTES

[a] *nērōkīh*: written *NYKLWKYH* in TD. For the phrase cf. Zs. 23. 2: *gōspandān-ič . . . čand-šān dānišn tavān-nērōkīh, dēn ōšmurēnd.*—'The beasts . . . so far as they have knowledge and power, celebrate the religion.'

[b] *āsrōnīhēt*: this can equally well be read as *'bandīhēt*, but the meaning is less satisfactory. In text Z 35 it is stated that *āsrōnīh, artēštārīh*, and *vāstryōšīh* belong to

the province of *kunišn* 'action'. Our present text should therefore probably be interpreted in the light of this.

[c] *sēž*: *SPW* TD: *ZKPW* BK.
[d] Text has *hēč-ič* (*HYČWČW*).
[e] Text has *spōž* (*SPWČW*).
[f] *bastak* TD: *WSTW* BK.

Zātspram, Chapter 33.

(1) *'gōβīhēt 'ku Frašōštar, 'ōδ 'tō 'ō rātīh 'ravišn, 'ku-t rātīh 'andar garōδmān 'kunišn; čēyōn gētēhīhā dar-handarz-pat*[a] *i Vištāsp būt, 'ān i mēnōkīk ham dar-handarz-patīh 'bavēt paytākīh 'hač dēn, apārīk-ič 'pat ham brahm*[b] *'ut aδvēnak, ōyōn čēyōn 'kē 'pat gētēh 'āp tāčītār 'būt, 'ān i mēnōkīk vārān-kartār.*

NOTES

[a] *DLHNDLPPTW* TD: *DLČPTW* Bk.
[b] *brahm*: 'manner' as often: v. BSOS. ix, p. 311, Henning, *Trans. Phil. Soc.* 1944, pp. 112 ff.

RETROSPECT

Our task is ended: and the time has come to bid farewell to one who has for so long occupied our thoughts. Before doing this, however, it would be well to take stock of what has been achieved. We said at the outset that it would be premature to speak of a Zervanite 'system'; for our evidence was so fragmentary that we could not even say whether such a system ever existed. All we knew for certain was that that heterodox branch of Zoroastrianism which habitually goes by the name of Zervanism differed from the orthodox dualism in that it elevated Time to a supreme position over the powers of good and evil, and that it laid great stress on the operations of fate.

In our investigation we were further handicapped by the nature of our sources, all of which were, with one exception, hostile. What of Zervanism has survived in the Pahlavī books, we can now state with some assurance, has in most cases been trimmed to suit Mazdean orthodoxy and, perhaps, robbed of its original significance. Fortunately for us the trimming has often been done by inexpert hands, and it has on occasion been possible to 'frustrate the knavish tricks' of the trimmers and to uncover the Zervanite idea from beneath its Mazdean overlay.

This is, however, only a beginning. The object of this work has been to collect and collate the texts in which Zurvān-Time appears and to offer my own interpretation of the texts collated. The next stage must be a more thorough analysis of these texts with a view to removing what appears to be Mazdean accretion from the Zervanite substratum. This I have barely attempted; for it seemed to me a better course first to publish our minimum findings and allow these to stand or fall by the criticism or assent that they will meet with from other scholars interested in this limited field. What seems obvious to me may seem far from obvious to others; and until our findings receive the blessing of Iranian scholars of known objectivity, there would be little point in pursuing the reconstruction of the House of Time. This book is merely the scaffolding. If that is faulty, we can start again. If it is sound, we or others can proceed with the reconstruction of the ruin. In matters like this where the evidence is scanty and frequently either ambiguous or obscure, or both, it would be presumptuous for any author to claim infallibility for his own views; and it would be both futile and morally injurious for him to cleave to those views against others equally good or better, simply because they are his. That scholars sometimes allow themselves to fall into this excess is a matter to be deplored and an example

to be avoided. If *ipse dixit* is unconvincing as an argument, to take one's stand on an *ipse dixi* is the perfection of foolishness.

Be that as it may, it will not be unprofitable to look back on what has been written and to summarize our tentative conclusions. The principal difficulty, as it appeared when this work was started, was the conflicting nature of the sources. What we had unearthed from the Pahlavī books seemed in no way to correspond to the principal Christian (and Manichaean) sources. Above all, the myth of the birth of Ohrmazd and Ahriman from Time obstinately refused to emerge from any of the Pahlavī texts. On other points, however, we have been able to establish parallelisms; and allowing for the fact that the Mazdean editors of the Pahlavī texts must have been to some pains to eliminate offensive doctrine, the results are as encouraging as could reasonably be hoped.

Nyberg long ago suggested that a form of Zervanism might well have existed in its own right—a religion of Time which took no cognizance of Ohrmazd and Ahriman. Our researches seem to substantiate this. For whereas Eznik and the sources allied to him tell us only of the birth of Ohrmazd and Ahriman from Time, the Pahlavī sources tell us of the birth of the Cosmos (Spihr) which is the body of finite Time from the Infinite (pp. 111 ff.). Material creation evolves from this. Spihr is Primal Matter: from it derives the 'first form', the four elements; thence the 'second form' or the mixing of the primary properties, and finally the 'third form', Man and animals, that is organic life. With the advent of the 'third form' we have the fully developed Cosmos which exists for twelve thousand years when the whole is taken up into the 'last form' or 'final body' (*tan i pasēn*) which is in turn absorbed into the Infinite.

The Cosmos itself derives from the 'seed' into which Time enters: Time-Space is itself the source of this 'seed' (p. 111). Thus the finite Cosmos is represented as having been born from the Infinite and at the appointed moment will be reabsorbed. In this finite world Zurvān-Time who is the macrocosm, and as such the fountain-head and source of the human race (p. 113), continues to manifest himself as natural law and fate. He is quite unconcerned with spiritual values: he is not only the god of nature (*φύσις*, *čihr*), but nature itself. He is the first cause of all physical phenomena, the Absolute conceived of as the origin of primal matter. Even when this purely physical conception of the Universe combines with the genuine Mazdean ethical dualism, Time and Fate continue to control only the physical universe: they have no part in the ethical struggle between good and evil.

This again is clearly borne out by the testimony of Firdausī, who presents us with a purely Zervanite theory of the world of man—dominated by Time, Fate, and the heavenly bodies. Of salvation and damnation there is not a word.

This doctrine is in fact quite plainly that of the Daharīs, who derived the whole Cosmos from Infinite Time, denied the existence of spiritual values, of rewards and punishments, heaven and hell (p. 23). These again would appear to be identical with the Zandīks of Mas'ūdī, who believed in the eternity of matter and denied the creation of the world (p. 38). If all this is granted, we are now free to say that the Zervanite materialists were among those persecuted by the great Kartīr: they were the original Zandīks.

This form of Zervanism which we may call 'Zervanite materialism' can be deduced from certain passages in the *Dēnkart* (M. 120. 22 ff. and text Z 10). It is concerned with matter in the Aristotelian sense. Zurvān as the Infinite is simply the source of all matter, and his limitation, regarded as the birth of the finite from the Infinite, is the origin of the Universe. The differentiation of the Universe we know is regarded as the imposition of 'form' on to undifferentiated 'matter'. In the texts the agent who 'forms' matter is presumably Ohrmazd, though this, I venture to think, is a purely Mazdean interpretation of a fundamentally Aristotelian conception. The Infinite Zurvān thus appears as the father and mother of the Cosmos. As the Infinite he is the source of the 'seed' and as finite he is the embryo which has its origin in that seed.

The *Šikand Gumānī Vazār* rightly objects to this limitation of the Infinite. To modify the basic illogicality of this conception the Zervanites, like Plotinus and the Gnostics, put the maximum number of intermediate stages between the infinite One and phenomenal multiplicity. From the One proceeds the 'mass', thence conception and formation; then the 'first body' which is the firmament, that is the Cosmos, the elements, their mixture, and finally organic life. There is then a chain of being extending from phenomenal existence to the Absolute which is that from which primal matter proceeds.

All this seems to be rooted in the Aristotelian theory of 'form' and 'matter'. The myth of the genesis of Ohrmazd and Ahriman from Time is, however, quite different. The link between the two is the *'Ulemā i Islām* which interposes the creation of fire and water between Time and the two Spirits. Ohrmazd, when introduced into the Aristotelian scheme of things, becomes the 'hot-moist', Ahriman the 'cold-dry' (p. 141). Ohrmazd, then, is assimilated to the air and Ahriman to the earth—Ohrmazd thus apparently deriving from fire and Ahriman from water. So we must logically equate Ohrmazd with the two higher elements—fire and air—and Ahriman with

the lower—water and earth. In text Z 10 the Mazdean editor, therefore, makes nonsense of the whole passage by making *all* the elements derive from the 'hot-moist' because, as we know, 'hot-moist' is the characteristic of Ohrmazd.

It seems fairly obvious that Ohrmazd and Ahriman do not really fit into this scheme of things. They have been introduced where they do not belong. On the other hand, the doctrine deducible from our two Pahlavī texts and the *'Ulemā* is precisely reproduced by Hippolytus (p. 72) according to whom there are two *daemons*, one celestial and one terrestrial: the former is fire mixed with air, the latter is water and has its being in earth. The first is male and the second female; the one light and the other darkness.

Thanks to Hippolytus it now seems possible to reconstruct the true Zervanite view. From Spihr (the body of Zurvān = primal matter) proceed (i) the hot-moist, the male principle, and (ii) the cold-dry, the female. The first is the light and the second darkness. Elsewhere in the *Dēnkart* the male and female principles are equated with fire and water only; they are brother and sister and the source of all material things (p. 73). Thus it seems reasonably clear that the first distinction that appears out of the One is that of male and female: the male is the light—fire and air—the female is the darkness—water and earth. Ohrmazd and Ahriman have simply been substituted for the male and female principles in a system that is seemingly neither Zoroastrian nor Iranian. Thus we find logical grounds for explaining the perversity of female creatures in the myths of water fleeing to Ahriman (p. 74) and of J̌ēh (p. 183).

If, then, Ahriman in the Zervanite myth has simply superseded the primal female element which is evil, we must next try to discover who or what this female element originally was. Plainly, once the existence of such an element is admitted, it can only have been Āz–Concupiscence. This can and must be deduced from the supreme position that that demon occupies in the Manichaean system, from the importance which Zātspram attaches to her, and from the fact that she is the last of the powers of evil to be annihilated.

Here, then, we have a second form of Zervanism. The moral element is now present. Instead of the purely materialistic religion we have already described we now have a form of philosophical asceticism. Evil is equated with desire (pp. 176 ff.). Thus the appearance of duality in the One can properly be attributed to Zurvān's 'desire' to have a son, as Eznik seems dimly to have perceived (p. 115). From this desire the evil female principle is manifested, while on the other side wisdom or reason becomes manifest.

Ethically, then, duality springs from the One in the shape of reason (male) and desire (female), or of order and disorder.

It is very possible that these two forms of Zervanism in which Ohrmazd and Ahriman seem to be irrelevant existed side by side with Mazdeanism. The materialist form may well date back to the earliest Sassanian period when writings on 'medicine, astronomy, movement, time, space, substance, creation, becoming, passing away, change in quality and growth' were collected at the instance (it is said) of Šāpūr I (p. 8). Similarly the ethical version of it would seem to have flourished at the same time, as Mānī's preferment of the female Āz over Ahriman seems to show.

We must, however, concede that Ohrmazd and Ahriman early made their appearance in the system, and the female Āz would then seem to have been relegated to the second place. There is only the most shadowy trace of her in Eznik, and none at all in the other Armenian and Syriac Christian writers or in the fragmentary Manichaean polemics.

Zervanism, when once it ceases to be purely materialistic, is faced with the problem of evil: and since it arose in Īrān, the problem was posed in its simple dualistic form. Zervanism presupposes the unity of Being with a 'material' Absolute standing at its head. We must now consider how this theory could assimilate the ethical dualism of the Zoroastrians. The myth of the twin brothers is no doubt genuine: it is a simplification of what was probably a far more subtle theory. This theory seems to be best exemplified in our texts Z 10 and Z 20. The latter text divides the Cosmos as it develops in the 'Endless Form' into halves, best described as the material (concerned with finite time and activity arising out of potentiality) and the intelligible or spiritual (*dānākīh* = reason). The intelligible unites with the material in the 'first body', that is Spihr = primal matter (*mātaγ*). The 'hot-moist', which we have seen to be Ohrmazd, is connected with the 'spiritual Word' and shares in its power. Filling in what is not stated on the evil side of the picture, we can deduce that either 'desire' or the 'lying Word' (Āz–Varan) unites with the 'cold-dry' which is Ahriman. There is thus an ethical dichotomy in the spiritual world which, so to speak, overflows into the material—the 'hot-moist' being animated by the Spirit of Truth, the 'cold-dry' by the Spirit of Falsehood. Matter is, as it were, possessed and divided by two spiritual forces, though of itself it is neither good nor evil. The cosmology of the *Bundahišn* indeed posits three principles, not two: they are the Light, the Darkness, *and the Void*. The Void is Vāy; and the 'form' of Vāy seems to be identical with Spihr and is therefore the first 'form' of primal matter (pp. 130, 142). In this new scheme, then, the Absolute generates a prototype of spiritual good (reason), a

prototype of spiritual evil (concupiscence or doubt), and a prototype of matter which is devoid of ethical values. In the finite world Zurvān corresponds to the last only.

Zurvān, as the Absolute, we saw, comprised Time, Space, Power, and Reason (Wisdom). Time and Space are the source of matter, power (δύναμις, *nērōk*) the source of action or activity (ἐνέργεια, *kār*). Reason alone is non-material, and it is in the process of the passing of reason from the state of pure potentiality to that of actuality that evil manifests itself. Reason 'in Infinite Time and through its power entered the stage of knowing': from this half-awareness Ahriman (falsehood) arose. Only then did Reason come to know its own ground which is the godhead, and equip itself for the act of creation.

This text (Z 20) is the link between our Pahlavī sources and the myth of the Twin Spirits. The myth deals only with the development of the intelligible world, leaving the material one out of account altogether. Thus the coming of reason to self-realization corresponds to the birth of Ohrmazd: Ahriman represents the actualization of an essential imperfection in the godhead hitherto concealed in the potential (*nērōk*). Ahriman's birth precedes that of Ohrmazd as in the *Dēnkart* text falsehood appears before God's true realization of his own nature. Similarly Ahriman exhibits his true nature as soon as he is born by lying to his father and claiming to be Ohrmazd. The myth and the *Dēnkart* text are identical in content. The first is for the catechumen, the second for the philosopher. Essentially they are the same.

The essence, then, of 'ethical Zervanism' is its novel solution of the problem of evil. Orthodox Christianity teaches that evil is the result of the misuse of the will either by the angels (Satan) or by man either in Adam's original sin or in the personal sinning of the individual. Islam does not really face the problem at all—God leads astray whom He wills for reasons into the validity of which it is impious to inquire. Mazdean Zoroastrianism destroys the unity of the godhead by positing two independent and eternal principles, and thereby gives man absolute freedom of choice between black and white alternatives. Ethical Zervanism starts squarely from the unity of the godhead of which nothing positive can be stated except that it Is. God, the One, is a pure potentiality. Since this is so, neither good nor evil can be predicated of him *sub specie aeternitatis*. In the process of actualization, however, evil conceived as 'desire' or 'doubt' comes to light along with God's wisdom which is one of His eternal attributes. From a state of pure nescience the deity 'comes to know'; but there being as yet no object for his knowledge, knowledge turns to doubt, and the doubt gives

rise to a separate principle which is the Devil. The contrast provided by this unwelcome intruder brings about self-realization within the deity. This self-realization manifests itself as Ohrmazd, the divine Wisdom. The 'ground' of the deity meanwhile, which is eternity, is actualized as finite Time-Space, the material Cosmos which is the battlefield on which the struggle between good and evil must be worked out. The struggle is bound to end in the victory of good because the good is the 'manifestation' of all the wisdom of the godhead, whereas evil is simply the revelation of an essential flaw, the elimination of which, as in an inexorable machine, is the whole point and purpose of the limitation of the deity. God must be limited in order that he may become good.

It is perhaps along these lines too that Zurvān's desire 'to have a son Ohrmazd who should create heaven and earth' is to be interpreted. This very desire begins the process of the actualization of the deity, which in the event reveals his essential imperfection. Had there been no desire, the imperfection would have remained latent: there would have been no actual imperfection at all. Hence the desire was as evil as the unworthy doubt that followed it.

The purpose of the thousand years' sacrifice that accompanies the desire is not clear to me. Sacrifice, however, in the Zervanite system seems to be a necessary accompaniment of the creative act, that is the passage from potency into act. Sacrifice accompanies the actualization of Ohrmazd: Ohrmazd himself performs sacrifice to form his creation, and at the end of time sacrifice is held in order finally to annihilate the powers of evil and to inaugurate the 'Final Body'. Through sacrifice multiplicity is produced from unity, and by sacrifice is the essential unity restored. This perhaps is the 'deeper' significance of Zurvān's address to Ohrmazd: 'Up till now I offered sacrifice for thee; from now on thou shalt offer sacrifice for me.'

From the above it is plain that in the cosmological field and in their conception of the nature of God there was the sharpest antagonism between Mazdean and Zervanite. This difference on fundamentals would seem to be reflected in the purely ethical and human sphere; for, as we have seen, Zervanism allotted a far wider field of action to fate than Mazdeanism was prepared to concede. This, combined with a tendency towards asceticism, would appear to distinguish it in the purely practical sphere from the main current of Zoroastrianism which had no inhibitions about the flesh and freely championed the freedom of the human will. In this matter indeed there appears to have been a distinct anomaly in Zervanite belief; for while we find Ahriman boasting that he does evil by choice, and Mahmi, though by nature evil, choosing the better part, poor Man appears to be weighed

down by fate, and if not quite helpless against it, at least most severely handicapped. There seems to be no rational explanation of this unless it be that Man as microcosm is simply a small-scale reflection of the finite Zurvān, the macrocosm, and as such shares the destiny of the latter, which is already fore-ordained.

Thus we seem to be driven to the conclusion that Zervanism is as pessimistic a creed as is likely to be found on the surface of the globe. In some ways it invites comparison with Buddhism: but whereas the Buddha's *nirvāṇa* is associated with bliss—though who or what is conscious of this bliss is left absolutely vague—Zervanism seems to offer nothing at all. If we can regard Firdausī as a genuine expositor of Zervanite ideas, there is no suggestion of any kind of heavenly reward or of a blissful existence, whether personal or impersonal, experienced or not experienced, in eternity: nor do our other sources give any indication of the ultimate lot of man. The general impression is one of gloom. In this life Man must be content with his lot, extinguish his passions, and resign himself to fate. For the rest, he can only know that he will pass on to the 'house of eternity' the fate of whose denizens is utterly unknown; for 'a veil is drawn' over their eternal destiny, and Time 'was and shall be all'.

PART II
TEXTS

I

PASSAGES FROM THE AVESTA IN WHICH ZURVĀN APPEARS AS A GOD

A 1. *Vidēvdāt*, 19. 29. Cf. Nyberg, CCM. 1931, p. 120.

*vīzarəšō daēvō nąma, spitama zaraθuštra, urvānəm bastəm vāδayeiti drvatąm daēvayasnanąm *mərəzu-ǰīti-mašyānąm, paθąm zrvō-dātanąm ǰasaiti yasča drvaite yasča ašaone, činvaṯ-pərətūm mazdaδātąm.*

TRANSLATION

The demon whose name is Vizarəša, O Spitama Zaraθuštra, after binding it, carries off the soul of accursed devil-worshipping men whose life is short. (The soul) of wicked and righteous alike proceeds along the paths created by Zurvān (Time) to the Činvat bridge created by Mazdāh (Ohrmazd).

A 2. A number of passages mention Zurvān as a deity to be adored. As none of them tells us anything about him whatsoever, it will suffice to mention here the deities with whom he is mentioned.

Yasna, 72. 10. Rāman, Vayu (Vāy), Θwāša (the firmament), the Infinite Zurvān, and Zurvān who for a long time follows his own law (*darəγō-χ^{v}a-δāta-*). The same occur in *Sīh Rōčak* i. 21 and ii. 21.

Vidēvdāt, 19. 13. Daēnā (Dēn, the Religion), the Aməša Spəntas, Θwāša, the Infinite Zurvān, Vayu, Vāta (the wind), the Daughter of Ahura Mazdāh (Armaiti).

Ibid. 19. 16. Mąθra Spənta (the magically increasing word), Θwāša, the Infinite Zurvān, Vayu, Vāta, the Daughter of Ahura Mazdāh, Daēnā, Dāta (the Law).

Nyāyišn, 1. 8. Tištra, Vanant, Θwāša, the two Zurvāns, Vāta, Čištā, Daēnā, the well-made path, the golden lake, and the sulphur mountain.

II

TEXTS RELATIVE TO ZURVĀN FROM ZOROASTRIAN SOURCES OTHER THAN THE AVESTA

Z 1. Our first text comprises the first chapter of the *Greater Bundahišn*. Both this and the third chapter of the same work (Z 2 in our texts) were published with a commentary by Nyberg (*JA.*, vol. ccxiv) in 1929. With this pioneer edition before us, it might seem superfluous to re-edit the same texts here. But more than twenty years have elapsed since the publication of Nyberg's edition; and meanwhile scholarship has not been idle. Two further considerations have prompted me to undertake a somewhat elaborate edition of the two chapters in question. First the nature of this book makes their inclusion in its pages indispensable, for they are among the most important sources for our subject; and secondly I have had the opportunity, denied to the former editor, of collating the manuscript of the Bibliothèque Nationale, *Supp. Pers.* 2043. In the elucidation of many points that had long remained obscure this manuscript has been invaluable. The manuscript is a copy of the Bombay MS. TD_1 made in the nineteenth century for Darmesteter. TD_1 has never been collated, though it is the oldest manuscript of the *Bundahišn* extant, and is described by Anklesaria as 'an almost perfect copy'. The value of the Paris MS. (P.) therefore lies in the fact that it most often reproduces the readings of TD_1 where the other manuscripts are corrupt.

As the basic text of my edition I have naturally used that of Anklesaria, a facsimile of the MS. TD_2 published in Bombay, 1908. As an account of the manuscripts is given in that edition, it would be superfluous to repeat it here; for the edition of Anklesaria is easily accessible to Iranian scholars. Besides TD_2 Anklesaria has given the variants of DH. (v. p. ix of his edition). These have been reproduced here.

For the readings of the *Indian Bundahišn* I have naturally used

the edition of Justi (*Der Bundahesh, zum ersten Male herausgegeben, transcribirt, übersetzt und mit Glossar versehen*, Leipzig, 1868). The 'Indian' recension (Ind.) is considerably shorter than the *Greater* or *Iranian*, and, in the first chapter, omits the entire passage devoted to Zurvān. The third chapter (text Z 2) is, apart from the last paragraph, missing. Readings from the Indian recension adopted in the text are printed in Roman type.

For the Pāzand of the Indian recension the reader is referred to Āntiâ, Pāzand texts, pp. 1 ff., and to Nyberg, *Hilfsbuch des Pehlevi*, pp. 71–76, where the variants are listed. The Pāzand is, however, so miserably late and corrupt that I have not thought it worth while to include its readings in this edition.

To Nyberg we owe two critical editions of the first chapter of the *Greater Bundahišn*. One appeared in the *Journal Asiatique* (l.c.) and consisted of the transliterated text and translation on opposite pages. The other, a transcription in the original Pahlavī script, appeared in his *Hilfsbuch des Pehlevi* (Uppsala, 1928), cf. also the *Glossar* to the same (Uppsala, 1931). Though I have often found myself in disagreement with the author of this edition on points of importance, I should like to acknowledge my debt to him for his pioneer services in the interpretation of the *Greater Bundahišn*.

In his review of Nyberg's *Hilfsbuch* (*Göttingische gelehrte Anzeigen*, 1935) Professor Henning made many fruitful suggestions and emendations. These are quoted as 'Henning' without further reference.

Last, but not least, I have had the privilege of using Professor Bailey's unpublished edition of the *Greater Bundahišn* for which he received the degree of D.Phil. at this University. Though I have consistently tried, as far as was feasible, to follow an independent line of research in the interpretation of this difficult chapter, my debt to my teacher, Professor Bailey, is such that I must have allowed myself, albeit unconsciously, to express views as my own of which he, nevertheless, is the prime author. When the debt has been conscious, I have added the letter B.

In the noting of variants I have not, perhaps, been entirely consistent. The addition or omission of an otiose *Wāw* or an

Iẓāfat has frequently been disregarded. The variant spellings of such words as *āsmān*, *'dēvān* and *nazdist* have been noted on their first occurrence, but are subsequently suppressed. Variants as between ideograms and their phonetic equivalents are noted only very occasionally. Every variant from P. which might be important—and many are certainly not—has been noted. The edition is intended to be used in conjunction with the facsimile published by Anklesaria; but it is hoped that, within the limitations imposed by the necessity of transliteration into the Latin type, it will be found useful.

No account of the contents of the chapter need be given here. An attempt at an interpretation will be found in Chapters IV and V in Part I.

The pages of Anklesaria's (A) and Justi's (J) editions are noted in the outside margin. The exact place where a new page starts is indicated by a vertical stroke in the body of the text.

Anklesaria, p. 2. Justi, p. 1.

(1) **'ēn zand-ākāsīh nazdist 'apar* bundahišnīh *i Ōhrmazd 'ut pityārakīh i ganāk mēnōk, 'pas 'apar čēγōnīh i gēhān dām 'hač bundahišnīh 'tāk fražām čēγōn 'hač dēn i māzdēsnān paytāk; 'pas 'apar 'hēr *'kē *gēhān 'dārēt 'pat vičārišn[īh] ⟨i⟩ *'čē-īh 'ut čēγōnīh.*

5 (2) *'pat 'vēh-dēn ōγōn paytāk, Ōhrmazd bālistīk 'pat harvisp-ākāsīh 'ut vēhīh; zamān i akanārak 'andar rōšnīh hamē 'būt; 'ān rōšnīh gās 'ut gyāk i*
A3 *Ōhrmazd; 'hast 'kē asar rōšnīh 'gōβēt. 'ān harvisp-ākāsīh 'ut vēhīh* | hāmak i Ōhrmazd; 'hast 'kē 'gōβēnd dēn; ham 'har 2 vičārišn ēvak, 'ān i hāmak i *zamān i akanārak čēγōn Ōhrmazd 'ut* gās *'ut dēn 'ut zamān i Ōhrmazd 'būt*
10 'ut 'hast 'ut hamē 'bavēt ['*hēnd*].

(3) *Ahriman 'andar tārīkīh 'pat 'pas-dānišnīh 'ut zatār-kāmīh zufr-pāδak 'būt;* ⟨'būt⟩ 'ut 'hast 'kē 'nē 'bavēt; *'ut-aš zatār-kāmakīh hām, 'ut 'ān tārīkīh gyāk; 'hast 'kē asar tārīkīh 'gōβēt.*

(4) *'ut-šān miyān tuhīkīh 'būt; 'hast 'kē Vāy* 'gōβēnd *'kē-š gumēčišn pat-iš*
15 *'har 2* mēnōk.

J2 (5) *kanārakōmandīh 'ut akanārakōmandīh,—'čē* | *bālistīh 'ān i asar rōšnīh, 'gōβēt, 'ku 'nē sarōmand, 'ut zufr-pāδak, 'ān i asar tārīkīh, 'ut 'ān 'hast akanār⟨ak⟩īh, 'ut 'pat vīmand 'har 2 kanārakōmand 'ku-šān miyān tuhīkīh, ēvak 'ō 'dit 'nē patvast 'hēnd. 'dit 'har 2-ān mēnōk 'pat 'χ^{v}ēš*
20 *tan kanārakōmand. 'dit harvisp-ākāsīh i Ōhrmazd rāδ 'har *'čiš ⟨i⟩ 'andar dānišn i Ōhrmazd kanārakōmand, 'čē* ['ēn] *'ān i* 'andar 'har 2-ān mēnōk

patmān 'dānēt 'tāk bavandak pātaχšāyīh i dām i Ōhrmazd 'pat tan i pasēn 'tāk hamē hamē ravišnīh, 'ut 'ān 'hast akanārakīh. dām i Ahriman 'pat 'ān zamān 'bē aβsihēnīt 'tāk 'kaδ tan i pasēn bēt; | *'ān-ič 'hast kanārakōmandīh.* A4

(6) *Ōhrmazd 'pat harvisp-ākāsīh 'dānast 'ku ganāk mēnōk 'hast, 'apar* 25 **handāčišn 'kunēt, 'pat arišk-kāmakīh* 'andar *gumēčēt, *'hač frakān* 'tāk *fražām 'pat *'čē* [*frakān 'apar*] *'ut čand aβzār* hanžāmēnēt. *'ut-aš mēnōkīhā 'ān dām i 'pat 'ān aβzār 'andar apāyīt, frāč brēhēnīt: 3000 'sāl dām 'pat mēnōk*[*īk*] *'ēstāt, 'ku 'būt 'hēnd amēnītār 'ut aravāk* ⟨*'ut*⟩ *agraftār.*

(7) *ganāk mēnōk 'pas-dānišnīh rāδ 'hač 'hastīh i Ōhrmazd anākās 'būt;* 30 *'pas 'hač 'ān zufāyak āχēzast, 'ō vīmand i dītār i rōšnān mat. 'kaδ-aš 'dīt 'ān i Ōhrmazd rōšnīh agraftār, frāč patrōt, zatār-kāmakīh arišk-gōhrīh rāδ 'pat marnǰēnītan tak 'apar kart. 'ut-aš 'pas* 'dīt *čērīh 'ut* | *aparvēžīh i* frēh *'hač 'ān* J3 *i 'χ^{v}ēš; 'apāč 'ō tam duvārast, kirrēnīt 'vas 'dēv, 'ān dām i marnǰēnītār niyāβ 'ō artīkgarīh.* (8) *Ōhrmazd 'kaδ-aš dām i ganāk mēnōk 'dīt, 'nē 'sahist, dām i* 35 *sahmēn i pūtak i vatak* | **i dušīh; 'ut-aš 'nē buržīt 'hēnd. 'pas ganāk mēnōk* A5 *dām i Ōhrmazd 'dīt, 'sahist, 'vas dām i zufr i van, hamāk-pursišnīh; 'ut-aš buržīt 'ān i Ōhrmazd dām-dahišnīh.*

(9) *'aδak Ōhrmazd 'apāk-ič 'čē aδvēnak 'dānastan i* [*dām i*] *fražām i kār 'ō patīrak i ganāk mēnōk āštīh 'apar dāšt 'ut guft 'ku ganāk mēnōk, 'apar 'ō* 40 *dām i 'man aδyārīh 'bar, stāyišn 'dah, 'tāk 'pat 'ān pātdahišn amarg 'ut azarmān, asōhišn, apōhišn, 'bavēh. 'ut-aš čim 'ēn 'ku 'hakar artīk 'nē sārēnēh, 'χ^{v}at 'nē akār, 'ut 'ō mān 'har 2-ān sūt aβkārīhā.* (10) *'ut-aš drāyast ganāk mēnōk 'ku 'nē 'baram 'ō dām i 'tō aδyārīh, 'ut 'nē 'daham stāyišn, 'bē 'tō 'ut dām-ič i 'tō marnǰēnam 'tāk hamē hamē ravišnīh; 'bē hāčēm harvisp dām i 'tō* 45 *'ō adōstīh i 'tō, dōstīh i 'man. 'ut-aš vičārišn 'ēn 'ku-š 'pat 'ēt dāšt 'ku Ōhrmazd 'andar 'avē ačārak, 'ēt rāδ āštīh* | *'pēš 'dārēt. 'nē* 'patiγraft, *patēst-ič 'apar* J4 *'burt.* (11) *'ut-aš guft Ōhrmazd* | *'ku 'nē harvisp-kartār 'hēh, ganāk mēnōk,* A6 *'ku-t 'man 'nē tavān marnǰēnītan, 'ut*-at *dām-ič i 'man ētōn 'nē tavān kartan 'ku 'apāč 'ō χ^{v}ēšīh i 'man 'nē 'rasēnd.* (12) *'pas Ōhrmazd 'pat harvisp-ākāsīh* 50 *'dānast 'ku 'hakar zamān i kārēčār-ič* [*i*] **aš 'nē 'kunam, 'aδak*-aš *tavān kartan 'pat dām i 'man čēγōn patēst 'apar 'burt, kōχšišn gumēčišnīh hamayīhā, 'ut-aš 'andar gumēčišn i dām nišastan, 'ō 'χ^{v}ēš kartan tavān,—čēγōn 'nūn-ič martōm 'andar gumēčišn 'vas 'kē* apārōnīh *vēš varzīt 'ku frārōnīh, 'ku kāmak i ganāk mēnōk vēš hamē varzēnd.* (13) *'ut-aš guft Ōhrmazd 'ō ganāk mēnōk 'ku zamān* 'kun 'tāk *kārēčār 'pat 'ēn pašn 'ō 9000 'sāl frāč 'aβganam; 'čē-š 'dānast 'ku 'pat 'ēn zamān* 'kartan *akārēnīt ganāk mēnōk. 'aδak ganāk mēnōk avēnāk-fražāmīh rāδ 'pat 'ān patmānak ham-dātastān 'būt, ētōn čēγōn 2 'mart* i *ham-kōχšišn zamān frāč 'kunēnd, 'ku-mān vahmān* | *'rōč 'tāk 'šap* A7 *kārēčār 'kunēm.* 60

(14) *Ōhrmazd 'ēn-ič 'pat harvisp-ākāsīh 'dānast 'ku ē 'andar 'ēn 9000* 'sāl,

3000 'sāl hamāk kāmak i Ōhrmazd 'ravēt, 3000 'sāl 'andar gumēčišn, kāmak i Ōhrmazd 'ut Ahriman 'har 2 'ravēt, 'pat 'ān i aβdom artīk ganāk mēnōk akār šāyēt kartan, 'hač dām pityārakīh 'apāč 'dārēt.

J5 (15) *'pas Ōhrmazd | ahunvar frāč srūt 'ku-š yaθā-ahū-vairyō(k) 20-ēvak*
66 *mārīk 'bē guft; 'ut-aš fražām-pērōžīh i χᵛēš 'ut akārīh i ganāk mēnōk 'ut aβsihišn i 'dēvān, ristāχēz 'ut tan i pasēn, apityārakīh i dām* 'tāk *hamē hamē ravišnīh 'bē 'ō ganāk mēnōk nimūt.* (16) *ganāk mēnōk 'kaδ-aš akārīh i 'χᵛēš, aβsihišn i 'dēvān 'hamist 'dīt, start 'ut abōδ 'būt, 'apāč 'ō tam ōpast, ōγōn čēγōn*
70 *'pat dēn 'gōβēt 'ku 'kaδ-aš 3 ēvak-ē guft 'bavēt, ganāk mēnōk 'hač bīm tan 'andar hanǰēt, 'kaδ-aš 2 bahr guft *'bavēt, ganāk mēnōk 'pat šnūk 'andar*
A8 *ōpast, 'kaδ-aš bavandak guft *'bavēt, | akār *'bavēt ganāk mēnōk. 'hač akārīh i 'pat dāmān i Ōhrmazd* anākīh *kartan, 3000 'sāl 'pat startīh 'sayast.*

(17) *dām-dahišnīh mēnōkīhā 'gōβam, 'pas gētēhīhā.*

75 (18) *Ōhrmazd pēš 'hač dām-dahišnīh *'nē 'būt χᵛatāy, 'ut 'pas 'hač dām-dahišnīh χᵛatāy 'ut sūt-χᵛāstār 'ut fražānak 'ut yut-bēš, āškārak 'ut hamē-rāδēnītār 'ut aβzōnīk, harvisp-nikīrītār 'būt.*

(19) *['ut-aš nazdist *yazdān *χᵛatīh 'dāt, nēvak-ravišnīh, 'ān [i] mēnōk 'i-š tan i χᵛēš pat-iš 'vēh 'bē kart.] ['ut] 'kaδ-aš dām-dahišnīh mēnīt, 'čē-š 'hač*
80 *dām-dahišnīh χᵛatāyīh 'būt.*

(20) *'ut-aš 'dīt 'pat rōšn-vēnākīh Ōhrmazd 'ku ganāk mēnōk hakurč 'hač pityārak 'nē vartēt, 'ān pityārakīh yut 'pat dām-dahišnīh 'nē akārīhēt, dām yut 'pat zamān ravākīh 'nē 'bavēt; 'kaδ zamān brēhēnīt, dām-ič i Ahriman ravāk 'bē 'bavēt.* (21) *'ut-aš ačārakīhā pityārak akār kartan rāδ zamān frāč*
A9 *brēhēnīt: 'ut-aš čim 'ēn 'ku ganāk | mēnōk yut 'pat kārēčār 'nē akārīhēt. kārē-*
86 *čār vičārišn 'ēn 'ku kār 'pat čārōmandīh[ā] kartan apāyēt.*

(22) *'pas 'hač zamān i akanārak[īhā] zamān i dērang-χᵛatāy frāč brēhēnīt 'ut 'dāt, 'hast 'kē zamān i kanārakōmand 'gōβēt. 'hač zamān i dērang-χᵛatāy asačišnīh frāč 'dāt,' ku 'čiš ⟨i⟩ Ōhrmazd 'nē sačēt. 'hač asačišnīh ['ut] aχᵛārīh*
90 *paytāk 'būt, 'ku 'dēvān *χᵛārīh 'nē 'rasēt, 'hač aχᵛārīh *brēh-ravišnīh, mēnōk ⟨i⟩ a-'bē-vartišnīh paytāk 'būt ['ān mēnōk], 'ku 'čiš i Ōhrmazd, 'ān i 'pat bunda-hišn 'dāt, 'nē vartēt. 'hač mēnōk a-'bē-vartišnīh bavandak-kāmak i dām ⟨i⟩ gēhān paytāk 'būt, frārōn dām 'ut dahišn ham-'dātastān-ōmandīh.*

(23) *Ahriman 'pat apārōn dām-dahišnīh adān[īh] a'dātastān. 'ut-aš čim*
95 *vičārišn 'ēn 'ku ⟨'kaδ⟩ Ahriman 'apāk Ōhrmazd kōχšīt, χᵛatāy-fražānakīh, nāmakīh, pahlomīh [Ahriman] asačišnīh i Ōhrmazd 'ut akārīh, [i] χᵛat-*
A10 *dōšakīh, ['ut] apahlomīh, 'pas-dānišnīh i ganāk mēnōk 'ō paytākīh | mat, 'kaδ-aš dām 'dāt.*

(24) *'čē zamān-ič i dērang-χᵛatāy nazdist dām 'i-š frāč brēhēnīt: 'čē akan-*
100 *ārak 'būt pēš 'hač gumēčišnīh i hamayīh i Ōhrmazd. kanārakōmand brēhēnīt 'hač 'ān akanārak, 'ku 'hač bundahišn 'kaδ dām dāt 'tāk 'ō fražām 'ku ganāk*

mēnōk akār 'bavēt patmānak-ē 12,000 'sāl 'ku kanārakōmand: 'pas 'ō akanā-rakōmandīh gumēčēt, vartēt, 'ku dām-ič i Ōhrmazd apēčakīhā 'apāk Ōhrmazd hamayīk 'bavēnd:—(25) *čēγōn 'gōβēt 'pat dēn 'ku zamān ōžōmandtar 'hač 'har*
*2-ān dāmān,—dām i Ōhrmazd 'ān-ič i ganāk mēnōk.—zamān *hu-ayāpak 'ō* 105
*kār 'ut dātastān. [zamān pursišnīktar.] zamān 'hač ayāpakān ayāpaktar. zamān 'hač pursišnīkān pursišnīktar; 'ku vičīr 'pat zamān *šāyēt kartan. zamān [i] mān 'aβganīhēt,—brīn 'pat zamān,—pistak frāč škīhēt. 'kas 'hač 'avē 'nē bōχtēt, 'hač *ōšōmandān martōmān, 'nē 'kaδ 'ō 'ul vāzēt, 'nē 'kaδ 'ō nikōnīh *čāh-ē 'kanēt, 'andar | 'nišīnēt, 'nē 'kaδ hačaδar i χān i āpān i sart* A11
frōt vartēt. 111

(26) *Ōhrmazd 'hač 'ān i χᵛēš χᵛatīh *'kē gētēh rōšnīh karp i dāmān i 'χᵛēš frāč brēhēnīt 'pat ātaχš karp i rōšn i spēt, girt, frāč paytāk. 'hač gētēh i 'ān mēnōk 'kē pityārak i 'andar 'har 2 dām aš 'bē 'barēt, 'hast tavān, 'hast zamān, aš karp i Vāy i 'vēh frāč brēhēnīt čēγōn Vāy apāyast. 'hast 'kē Vāy i dērang-* 115
χᵛatāy frāč 'gōβēt. 'ut-aš dām 'pat aδyārīh ⟨i⟩ Vāy i dērang-χᵛatāy frāč brēhēnīt; 'čē 'kaδ-aš dām-ič 'dāt, Vāy-ič aβzār-ē 'i-š 'pat kār 'andar apāyast.
⟨'ut-aš nazdist yazdān χᵛatīh 'dāt, nēvak-ravišnīh, 'ān mēnōk 'i-š tan i 'χᵛēš pat-iš 'vēh 'bē kart.⟩

(27) *ganāk mēnōk 'hač gētēh tārīkīh, 'ān i 'χᵛēš ⟨χᵛatīh⟩, tan ⟨i⟩ dām ⟨i* 120
*χᵛēš⟩ frāč kirrēnīt 'pat zaγ karp i *siyāh i āturastur-*gōn i tam aržānīk, dru-vand čēγōn bazak-*aδvēntar χrafstar, 'ut-aš 'hač gētēh χᵛat-dōšakīh Varan i vattar-*dēn karp frāč kirrēnīt čēγōn Varan apāyast. 'ut-aš nazdist 'dēvan χᵛatīh 'dāt, dušravišnīh, 'ān mēnōk 'i-š ganākīh i dāmān i Ōhrmazd 'hač-iš | 'būt: 'čē-š 'ān dām 'dāt 'i-š χᵛēš-tan pat-iš 'vattar 'bē kart, 'ku akār 'bē bēt.* A12

(28) *'čē-š 'hač gētēh tārīkīh, 'ān i asar tārīkīh, ['dāt 'hač asar tārīkīh]* 126
*'drōγ-gōβišnīh frāč *'dāt, 'hač ⟨drōγ-gōβišnīh⟩ anākīh i 'avē ganāk mēnōk paytāk 'būt. 'čē 'hač asar [i] tārīkīh 'ān karp frāč kirrēnīt, 'ut-aš 'χᵛēš dām 'andar 'ān karp 'bē 'dāt: 'hač 'ān i 'χᵛēš dām-dahišnīh akār 'bavēt.*

(29) *Ōhrmazd 'hač gētēh rōšnīh rāst-gōβišnīh ⟨frāč dāt⟩. 'hač rāst-gōβišnīh* 130
aβzōnīkīh i dātār paytāk 'būt [dām-dahišnīh]. 'če-š asar karp [i] 'hač asar [i] rōšnīh frāč brēhēnīt, dām-ič hamāk 'andar asar karp(ak) 'bē 'dāt. asar(ak) karp(ak) zamān sačišn yutāk 'būt. 'hač asar(ak) karp(ak) ahunvar frāč 'būt, mēnōk i yaθā-ahū-vairyō(k) 'ke-š 'bē dahišnīh 'ut fražām i dām hač-iš paytāk, 'hast dēn. čēγōn dēn 'apāk dām-dahišnīh 'dahīhast. (30) *'hač ahunvar mēnōk* 135
⟨i⟩ 'sāl frāč 'būt 'kē 'andar | gumēčišn 'nūn nēm-rōšn nēm-tārīk, 365 'rōč- A13
*šapān 'kē brīn i zamān i dērang-χᵛatāy. 'ut-aš 'har 2 dām 'pat kōχšišn pat-iš ravāk 'būt:—čēγōn guft, dām i Ōhrmazd 'pat χᵛatāyīh 'ut dastaβarīh ⟨'ut⟩ dātastānōmandīh ⟨'ut⟩ bālistīh 'pat *χᵛārakīh 'ēstāt; dām i ganāk mēnōk 'pat čērīh 'ut stahmīh 'ut vināskārīh ⟨'ut⟩ zufā⟨ya⟩kīh 'pat dušvārīh 'ēstāt.* 140

(31) *Ōhrmazd 'pat amahraspandān brīnōmand mat. 'kaδ-aš 'dāt 'būt 'hēnd,*

*3 rat,—'čē-š 'apāč 'ō gētēh apāyast,—'dāt: 'ut-aš nōktar 'pat tan i pasēn anākīh hač-iš 'bē *apētak burtan. 'ut-aš dām i mēnōk mēnōkīhā 'dārēt. 'ut-aš dām i gētēh ['ut] mēnōkīhā 'dāt, 'ut-aš 'dit 'bē 'ō gētēhīhā 'dāt.* (32) *'ut-aš nazdist amahraspandān 'dāt, *6 bun, 'pas apārīk, 'ān i 7-om χᵛat Ōhrmazd.*
A14 *'hač dām i gētēh 'pat mēnōk 'dāt nazdist 6, 'ān i 7-om | χᵛat 'būt. 'čē Ōhrmazd 'har 2 'hast mēnōk ⟨'ut gētēh⟩. nazdist gētēh 'hač amahraspandān, 'pas 'hač Vāy i dērang-χᵛatāy.*

(33) *nazdist Vahuman frāč brēhēnīt 'kē-š ravākīh i dām i Ōhrmazd hač-iš 'būt. ganāk mēnōk nazdist mitōχtīhā Akōman'* dāt. Ōhrmazd *'hač dām i gētēh nazdist āsmān; 'ut-aš Vahuman 'hač nēvak-ravišnīh ⟨i⟩ gētēh rōšnīh nazdist frāč brēhēnīt, 'kē-š dēn i 'vēh i māzdēsnān 'apāk 'būt: 'ēn 'ku 'ān i 'ō dām 'rasēt 'tāk fraškart, aš 'dānast; 'pas Artvahišt, 'pas Šaθrēvar, 'pas Spandarmat, 'pas Hurdāt, 'ut* 'pas *Amurdāt brēhēnīt: 7-om χᵛat Ōhrmazd,* (34) *'ut 8-om rāst-gōβišnīh, 9-om Srōš-ahrāy, 10-om Mānsraspand, 11-om Nēryōsang, 12-om rat i buland Raθwō(k) berzait, 13-om Rašn i rāst, 14-om Miθr i frēh-gōyōt, 15-om Arš⟨iš⟩vang i 'vēh, 16-om Pārand, 17-om χᵛāβ, 18-om*
A15 *Vāt, 19-om dātastān⟨ō⟩mandīh | 20-om patkār, pēš⟨ē⟩mār⟨īh⟩ 'ut pasēmārīh, āštīh āβzōnīkīh.*

(35) *'hač dām i gētēh nazdist āsmān, ditīkar 'āp, sitīkar zamīk, čahārom urvar, panǰom gōspand, šašom martōm, haftom χᵛat Ōhrmazd. 'ut-aš dām [i] 'pat aδyārīh i Vāy i dērang-χᵛatāy frāč brēhēnīt; 'čē 'kaδ-aš Vāy i dērang-χᵛatāy frāč brēhēnīt, 'avē-ič aβzār-ē 'būt, 'ut-aš 'pat dām-dahišnīh 'andar apāyast.*

(36) *ganāk mēnōk 'pat 'ān pityārakōmandīh 'hač kamālīkān 'dēvān nazdist Akōman frāč kirrēnīt, 'pas Indar, 'ut 'pas Sāvul, 'ut 'pas Nāŋhaiθ, 'pas Tarōmat, 'pas Tarič 'ut Zērič, 'pas apārīkān 'dēvān, haftom χᵛat ganāk mēnōk. hakurč 'čiš i frārōn 'nē mēnēt, 'nē 'gōβēt, 'nē 'kunēt. 'ut-aš nēvakīh i dām i Ōhrmazd 'nē apāyast: dām i Ōhrmazd nēvakīh dām i Ahriman 'nē apāyast.* (37) *Ōhrmazd 'ān 'čis 'nē mēnēt 'i-š kartan 'nē tavān: ganāk mēnōk*
A16 *'ān 'i-š 'nē tavān kartan mēnēt, 'ut *patēst-ič 'apar | *'barēt.*

(38) *dām i Ōhrmazd 'pat mēnōkīh ētōn parvart 'ku *tarrīhā 'ēstāt, amēnītār, agraftār, aravāk čēγōn šusr hamānāk, 'pas 'hač *tarrīh gumēčakīh šusr χōn hamānāk; 'pas 'hač gumēčakīh āvartakīh 'būt, daštak-ē humānāk; 'pas 'hač āvartakīh viškītakīh *čēγōn 'dast 'ut 'pāδ; 'pas 'hač viškītakīh gaβrīh 'būt, 'čašm, gōš 'ut 'dahān; 'pas 'hač gaβrīh *čandišn 'būt 'kaδ 'bē *'ō 'pēš ⟨i⟩ rōšn 'ēstāt. 'nūn-ič 'pat gētēh 'pat ān hangōšītak 'andar aškomb i 'mātar hanbavīhēnd, 'zāyēnd, parvarēnd.* (39) *'ut Ōhrmazd 'pat dām-dahišnīh 'mātarīh 'ut 'pitarīh i dahišn 'hast: 'čē 'kaδ-aš dām 'pat mēnōk parvart, 'ān 'būt 'mātarīh; 'kaδ-aš 'bē 'ō gētēh 'dāt, 'ān 'būt 'pitarīh.*

(40) *'apar dām-dahišnīh i gētēhīhā.*

(41) *'kaδ ganāk mēnōk startīhā akār 'būt čēγōn-am apar nipišt, 3000 'sāl*

'pat startīh 'sayast. 'andar 'ān akārīh ⟨i⟩ 'avē ganāk | mēnōk Ōhrmazd dām
A17 *'ō gētēh brēhēnīt. *'hač asar rošnīh ātaχš, 'hač ātaχš vāt, 'hač vāt 'āp, 'hač 'āp zamīk harvisp-astōmandīh gētēh frāč brēhēnīt; čēγōn 'gōβēt 'pat dēn 'ku fratom dām hamāk 'āp-ē srišk-ē 'būt, 'ku hamāk 'hač 'āp 'būt yut tōhm i 'martō-mān 'ut gōspandān, 'čē 'ān tōhm ātaχš tōhm-ē.*

(42) *'ut-aš nazdist āsmān 'dāt 'pat 'apāč-dārišnīh. 'hast 'kē fratom 'gōβēt. ditīkar 'āp 'dāt 'pat zatan i tišn druž; sitīkar zamīk 'dāt harvisp-astōmandīh; čahārom urvar 'dāt 'ō aδyārīh i gōspand ⟨i⟩ hudāk; pančom *gōspand 'ō* aδyārīh i 'mart i ahrov: šašom 'mart i ahrov 'dāt 'ō zatārīh 'ut akārīh i ganāk mēnōk 'hamist 'dēvān. 'ut-aš 'pas ātaχš 'dāt χᵛaraγ, 'ut-aš brēh 'hač asar rōšnīh ov-iš patvast, ētōn karp i 'vēh čēγōn ātaχš kāmak. 'ut-aš 'pas vāt | brēhēnīt 'pat 'mart karp i yuvān i 15 sālak 'kē 'ēn 'āp 'ut urvar 'ut gōspand 'ut*
A18 *'mart i ahrov 'har 'čiš-ē 'barēt ⟨'ut⟩ dārēt.*

(43) *'ut-šān čēγōnīh 'gōβam. nazdist āsmān 'dāt, rōšn, paytāk, i apēr dūr-*
195 **kanārak, χāyak-dēs*, χᵛan-āhēn i 'hast gōhr almāst, 'nar. 'ut-aš 'sar 'bē 'ō asar rōšn patvast; 'ut-aš dām hamāk andarōn i āsmān 'bē 'dāt, āvahan humānāk, drupušt 'kē-š 'har aβzār i 'pat kōχišn 'andar apāyast, andarōn 'nihāt 'ēstēt, ayāp mān mānāk 'kē 'har 'čiš 'andar 'mānēt. parkān [bun] i āsmān čand-*
195 *aš pahnāδ 'i-š drahnāδ, čand-aš drahnāδ 'i-š bālā⟨δ⟩, čand-aš bālā⟨δ⟩ 'i-š*
200 *zahyā⟨δ⟩, hamōγ handāč *hupatsāy. varzvar humānāk mēnišmōmand, gōβišnōmand, kunišnōmand, ākās, aβzōnīk, vičītār, mēnōk ⟨i⟩ āsmān.* (44) *'ut-aš patiγraft drang drupuštīh 'hač ganāk mēnōk 'ku 'apāč duvārastan 'nē 'hišt. čēγōn gurt artēštār | 'kē zrēh patmōχt 'ēstēt, 'ku apē-bīmīhā 'hač kārēčār*
A19 *bōχtēt, mēnōk i āsmān āsmān ētōn dārēt. 'ut-aš 'dāt 'ō aδyārīh i āsmān urvāh-*
205 *manīh, 'čē-š urvāhmanīh pat-iš frāč brēhēnit: *'čē 'nūn-ič 'andar* gumēčakīh dām 'pat urvāhmanīh 'andar 'ēstēt.*

(45) *ditīkar 'hač gōhr i āsmān 'āp brēhēnīt čand 'mart-ē 'kaδ 2 'dast 'ō zamīk 'hilēt, 'pat 'dast 'ut 'pāδ 'ravēt, aš 'tāk 'aškomb 'āp 'bē 'ēstēt, 'pat 'ān bālāδ 'āp 'bē tačēt. 'ut-aš 'dāt 'ō aδyārīh vāt 'ut vārān 'ut 'mēγ 'ut snōδān 'ut *snēžak.*
210

(46) *sitīkar 'hač 'āp zamīk dāt, girt dūr-vitarag, 'ut anišēβ, anaβrāz, hamōγ drahnāδ 'apāk pahnāδ, 'ut pahnāδ 'apāk zahyāδ rāst, miyān i 'ēn āsmān 'bē vīnārt: čēγōn 'gōβēt 'ku-š nazdist 3 ēvak-ē 'ēn zamīk frāč brēhēnīt saχt čēγōn ČČ' dāl(??), ditīkar 3 ēvak-ē 'ēn zamīk frāč brēhēnīt aržan ākand; sitīkar 3 ēvak-ē 'ēn zamīk frāč brēhēnīt *narm čēγōn* gil[ak].* | (47) *'ut-aš*
A20 *gōhr 'andar zamīk 'bē 'dāt, kōfīhā 'kē 'pas 'hač 'ān vaχšīt, rust 'hēnd 'hač*
216 *zamīk. 'ut-aš 'dāt 'ō aδyārīh ⟨i⟩ zamīk āsan, rōδ, gōgart, bōrak-ič harvist-ič 'ān i saχt zamīk tōhmak yut 'hač 'STYHL 'čē yut-tōhmak 'hēnd. ōγōn sāχt 'ut brēhēnīt zamīk 'pat hamānāk i 'mart-ē 'kaδ-aš yāmak yāmak hamāk kust 'pat tan saχt 'andar 'kart 'ēstēt. hačaδar 'ēn zamīk hamāk gyāk 'āp 'bē 'ēstēt.*
220

(48) *čahārom urvar 'dāt, nazdist 'ō miyānak i 'ēn zamīk 'apar rust čand*

paδ-ē bālāδ, apē azg, apē pōst, apē χār, 'ut tarr 'ut šīrēn; 'ut-aš visp sarəδak zōr i urvarān 'andar čihr dāšt. 'ut-aš 'dāt 'ō aδyārīh ⟨i⟩ urvar 'āp 'ut ātaχš, 'čē 'har aδvan-ē urvarān 'āp-ē srišk 'pat 'sar, ātaχš 4 angust pēš. 'pat 'ān zōr hamē rust.

(49) *pančom 'gāv i ēv-dāt brēhēnīt 'andar Ērānvēž 'pat miyānak ⟨i⟩ gēhān*
A21 *'pat *bār i | rōt i Vēh Daitē, 'ku miyānak i gēhān. spēt, rōšn 'būt čēγōn māh 'kē-š bālāδ 3 nay patmānīk. 'ut-aš 'dāt 'ō aδyārīh 'āp 'ut urvar, 'čē-š 'andar gumēčišn zōr 'ut vaχšišn 'hač 'ēn 'bavēt.*

(50) *6-om Gayō(k)mart brēhēnīt rōšn čēγōn χᵛaršēt; 'ut-aš 4 nay patmānīk bālāδ 'būt, pahnāδ čēγōn bālāδ rāst, 'pat *bār i rōt i Daitē 'ku miyānak i gēhān 'ēstēt,—Gayō(k)mart 'pat hōy ālak 'gāv 'pat dašn ālak. 'ut-šān dūrīh ēvak 'hač 'dit dūrīh-ič i 'hač 'āp ⟨i⟩ Daitē čand bālāδ ⟨i⟩ 'χᵛēš 'būt: čašmōmand, gōšōmand, uzvān⟨ō⟩mand, daχšakōmand 'būt. Gayō(k)mart daχšakōmandīh 'ēt 'ku martōm 'hač 'avē tōhmak 'pat ān hangōšītak zāt 'hēnd.* (51) *'ut-aš 'dāt 'ō aδyārīh χᵛāβ, āsānīh i dātār, 'čē Ōhrmazd 'ān χᵛāβ frāč brēhēnīt 'pat 'mart karp i buland i 15 sālak i rōšn. 'ut-aš Gayō(k)mart 'apāk 'gāv 'hač*
A22 *zamīk brēhēnīt. | 'ut-aš 'hač rōšnīh 'ut zargōnīh ⟨i⟩ āsmān šusr i 'martōmān 'ut 'gāvān frāč brēhēnīt, čēγōn 'ēn 2 šusr ātaχš tōhmak, 'nē 'āp tōhmak: 'pat tan i 'gāv *'ut Gayō(k)mart 'bē 'dāt 'tāk-aš purr-ravišnīh ⟨i⟩ martōmān gōspandān hač-iš 'būt.*

(52) *'ut-aš 'ēn 6 dahišn 'pat 6 gās ⟨i⟩ gāsānbār 'bē 'dāt. 'pat 'sāl i hangārt 365 'rōč, 12 'māhīkān, 'har 'māhīk 30 'rōč 'ut māhīk-⟨ē⟩ 35 'rōč. 'har 'rōč-ē 'nām *i amahraspand-ē pat-iš 'nihāt.*

(53) *'ut-aš čēγōnīh 'gōβam. nazdist āsmān brēhēnīt 'pat 40 'rōč, čēγōn 'hač 'rōč i Ōhrmazd, 'māhīk ⟨i⟩ Fravartīn 'tāk 'rōč i Āpān 'māhīk ⟨i⟩ Artvahišt. 5 'rōč 'apar 'pāt 'tāk 'rōč i Daδv 'pat Miθr. 'ān 5 'rōč gāsānbār: 'ut-aš 'nām maiδyō(k)zarm. 'ut-aš vičārišn 'ēn 'ku māništ i *martōmān, [māništ ⟨i⟩ Miθr 'āp,] 'ut zargōnīh 'ō paytākīh mat.*

(54) *ditīkar 'āp 'dāt 'pat 55 'rōč, čēγōn 'hač 'rōč i Miθr 'māh i Urtvahišt*
A23 *'tāk 'rōč i Āpān 'māh i Tīr. 5 'rōč 'apar 'pāt 'tāk 'rōč i | Daδv 'pat Miθr. 'ān 5 'rōč gāsānbār: 'ut-aš 'nām maiδyō(k)šam, 'kē-š vičārišn 'ēn 'ku-š 'āp rōšn 'bē kart, 'čē nazdist tērak 'būt.*

(55) *sitīkar zamīk 'dāt 'pat 70 'rōč, čēγōn 'hač 'rōč i Miθr 'māh ⟨i⟩ Tīr 'tāk 'rōč i Art 'māh i Šaθrēvar. 'ān 5 'rōč 'apar 'pāt 'tāk 'rōč ⟨i⟩ Anayrān. 'ān 5 'rōč gāsānbār: 'ut-aš 'nām paitišhah. 'ut-aš vičārišn 'ēn 'ku pā⟨δ⟩-ravišnīh ⟨i⟩ dāmān 'pat zamīk paytāk 'bē kart.*

(56) *čahārom urvar 'dāt 'pat 25 'rōč ⟨čēγōn 'hač 'rōč i Ōhrmazd 'māh i Miθr 'tāk 'rōč i Aštāt.⟩ 5 'rōč 'apar 'pāt 'tāk 'rōč ⟨i⟩ Anayrān. 'ān 5 'rōč gāsānbār: 'ut-aš 'nām ayāsrim, 'kē-š vičārišn 'ēn 'ku-š valg 'ut bōδ 'ut gōnak i zargōnīh paytāk 'būt.*

(57) *5-om gōspand 'dāt 'pat 75 'rōč, čēγōn 'hač 'rōč i Ōhrmazd 'māh i Āpān 'tāk 'rōč i Daδv 'pat Miθr, 'māh i Daδv. 5 'rōč 'apar 'pāt 'tāk ⟨'rōč i Varhrān⟩. 'ān 5 'rōč gāsānbār: 'ut-aš 'nām maiδyairim, 'kē-š vičārišn 'ēn 'ku hanbār i zimastān dāmān i 'χᵛēš rāδ | paytāk 'bē kart.* A24

(58) *šašom martōm 'dāt, 'ku Gayō(k)mart, ⟨'pat⟩ 70 'rōč čēγōn 'hač 'rōč ⟨i⟩* 266
Rām [i] 'māh i Daδv 'tāk 'rōč i Anayrān 'māh i Spandarmat. 5 'rōč 'apar 'pāt 'tāk ⟨'rōč i Spandarmat.⟩ 'ān 5 'rōč gāsānbār: 'hast 'kē 5 'rōč i truftak, 'hast 'kē dužītak 'gōβēt. 'ut-aš 'nām hamaspamaiδayam, 'kē-š vičārišn 'ēn 'ku hām-spāh-ravišnīh 'pat gētēh paytāk 'būt; 'čē fravahr i martōmān 'pat hām-spāhīh 270
raft 'hēnd. (59) *'nām i 'ān 5 'rōč truftak; 'hast 'kē 5 gās i gāsānīk, 'hast 'kē pančak i 'vēh 'gōβēt. 'pat dēn[īk] 'ēn 'hast Ahuvait gās, Uštavait gās, *Spantōmēn gās, Vahušaθr gās, Vahištōišt gās. 'ān 30 'rōč i 'pat māhīkān [i] 'nihāt 'ēstēt, *aš 'nām *'ēn;—Ōhrmazd, Vahuman, Urtvahišt, Šaθrēvar, Spandarmat, Hurdāt, Amurdāt, Daδv, Ātur, Āpān, Xᵛar, Māh, Tīr, Gōš,* 275
Daδv, Miθr, Srōš, Rašn, Fravartīn, Varhrān, Rām, Vāt, Daδv, Dēn, Art, A25
Aštāt, Āsmān, | Zāmdāt, Mahraspand, Anayrān.

(60) *'ān 12 māhīkān 'nām 'hač [ham] amahraspandān;—Fravartīn māh, Urtvahišt 'māh, Hurdāt 'māh, Tīr 'māh, Amurdāt 'māh, Šaθrēvar 'māh, Miθr 'māh, Āpān 'māh, Ātur 'māh, Daδv 'māh, Vahuman 'māh, Spandarmat* 280
'māh. 'ut-šān čēγōnīh ēvak ēvak frāčtar 'gōβam.

NOTES

l. **1.** **'ēn: Greater* (*Gr.*) has *ZK* (*'ān*), Ind. *MN* (*'hač*). Neither is satisfactory. If we adopt the first reading, we are forced to translate, '*That zand-ākāsīh* deals first with the primal creation, etc.'. No reference to any such *zand-ākāsīh* has hitherto been made; and—if the reading is kept—we can only assume that a work called *zand-ākāsīh* not only existed, but was widely enough known to be introduced without preliminary explanation or comment. The reading of Ind. is less hard, and would mean that the present work (our *Bundahišn*) obtained its material from this *zand-ākāsīh*. The simplest solution would seem to be to emend the 𐬀 of the Ind. to 𐬀𐬌 *'ēn*. This would then give us the title of the book,—'This is the *Zand-ākāsīh* etc.'. Nyberg (CCM. 1929, p. 260) emended to 𐬀𐬌𐬨 *'im*, obtaining the same sense, and Markwart (*Šaθrīhā i Ērān, passim*), too, assumes this to have the title of the *Bundahišn*. In the *Hilfsbuch* Nyberg returned to the *'ān* of Gr. which Bailey also keeps.

zand-ākāsīh: zand-ākās i Ind. *nazdist* Ind.: *NZSTW* Gr.
bundahišnīh Ind.: *BWNYH'TYH* Gr.: *bunēδātīh* Nyb.
pityārakīh: patyārak Ind.

l. **2.** *gēhān*: om. Ind.
After *fražām* Ind. has *i tan i pasēn*, 'the end . . . which is the final body'.

l. **3.** *paytāk . . . 'vēh-dēn*: om. Ind.
*'hēr *'kē *gēhān 'dārēt*: Gr. has [illegible]. For this Nyb. read **čē bun hač saχᵛan dārēt*, and translated (CCM.) 'ce qui a son principe dans la parole'. Now this introductory paragraph is plainly giving a summary of the contents of the

Bundahišn; and chapters ix–xvi of that work are entirely devoted to 'objects contained in the world'. The *Bundahišn*, on the other hand, tells us remarkably little of 'ce qui a son principe dans la parole'. What exactly this phrase is supposed to refer to Nyb. does not tell us. If it refers to the *ahunvar* prayer, it is far from explicit. For the whole passage Nyb. reads: *pas apar *čē bun hač saχᵛan dārēt pat vičārišnīh, čē-š u čiyōn-aš pat vēh-dēn*, and translates, 'Enfin, l'exposé de ce qui a son principe dans la parole (et se rapporte) à la discrimination, son essence et sa nature selon la bonne religion.' Here again the part played by the essence and nature of discrimination in the *Bundahišn* is negligible.

A true reconstruction of this corrupt passage can only be obtained once it is realized that the author is here telling us what his book contains. Once we read [illegible] as *'hēr* rather than as *čē bun—čē* written phonetically is, moreover, extremely rare—we have the clue to the passage. *MN* (*'hač*) must then be emended to *MNW* (*'kē*) and [illegible] read as *gēh(ā)n*. The rest of the sentence then follows naturally, the only further emendation required being the alteration of *'čē-š* to *'čē-īh*; and, as anyone familiar with the Pahlavī script knows, this can scarcely be regarded as an emendation at all. Thus we obtain the translation, 'Next concerning the objects contained in the world with an interpretation of their quiddity and quality'. This is a very accurate summary of the contents of chapters ix–xvi of the *Bundahišn*.

l. **4.** *vičārišnīh* TD_2, P.: *vičārišn i* DH.
**'čē-īh* 'whatness, *quidditas*' is found in DkM. 119. 18; 165. 18; 744. 20. To be compared are *'ku-īh* and *'kaδ-īh* (Dd. 36. 14). MSS. have *'čē-š*.

l. **5.** *paytāk*: P. adds *i*, Ind. adds *'ku*.
bālistīk: *B'LYSTNW* Ind.

l. **6.** *vēhīh* (*'vēhīh* Ind.): certainly 'goodness', not 'wisdom' as is proved by Zs. 1 (text Z 4), 21, *Ōhrmazd hamāk 'vēhīh a'vattarīh.*
zamān i akanārak: om. Ind.
For *hamē* Ind. has *hāmak i* suggested by *hāmak* in ll. 7 and 8.

l. **7.** *rōšnīh: rōšn* Ind.
'gōβēt: 'gōβēnd Ind.

ll. **7–10.** The whole passage is exceedingly obscure and corrupt. The text of GrBd. reads: *'ān* (Ind. *'ut*) *harvisp-ākāsīh 'ut vēhīh zamān i akanārak čēyōn Ōhrmazd vēhīh 'ut dēn zamān i Ōhrmazd 'būt 'hēnd.* This text may be translated thus: 'That omniscience and goodness is infinite Time, for the goodness and religion of Ohrmazd were the Time of Ohrmazd.' The sense, however, is far from satisfactory; and the text of Ind. proves that there is a *lacuna* in Gr. In our present text we follow Ind. except that we read the *akanārak* of Gr. rather than the *akanārakōmand* of Ind. There is, of course, no difference in meaning between the two words.

The reading *hāmak* is uncertain. Nyberg (first ZDMG. lxxxii, 1928, p. 220) read *yāmak* 'garment' on the assumption that the first character (ـم) could represent a doubled *Yōδ*. This is certainly attested in the middle of words, but, to my knowledge, there is no example of an initial *Aleph* being employed in this way. Scheftelowitz (*Die Zeit als Schicksalsgottheit in der indischen und iranischen Religion*, p. 46, note) objected to Nyberg's reading, and suggested *χēmak*, *χēm* 'nature, characteristic'. Though the meaning suits the context admirably, it is doubtful whether so common a word would have been corrupted in all manuscripts in both Gr. and Ind. Schaeder's *ahamkay* 'without rival' (*Urform*, p. 143) is unsatisfactory: etymologically dubious, it takes no account of the *hām* (*H'M*) occurring in l. 12. Following Bailey I should prefer to read the word *hāmak* 'universum', though I can cite no parallel for the use of *hām* as a substantive. Slight support for the reading of Scheftelowitz is to be had from DkM. 347. 7 (text Z 9), where *hām* is written instead of *χēm*.

ll. **8–10.** *'ān i hāmak i zamān i akanārak* (*akanārakōmand* Ind.), &c. If we accept the reading of Ind. the phrase must either be taken in conjunction with what precedes it, or else be the subject of *'būt 'ut 'hast 'ut hamē 'bavēt.* In that case we should translate: 'The universe of infinite Time *qua* Ōhrmazd, Space, Religion, and the Time of Ohrmazd, was and is and ever shall be.' The sense is excellent, for we then have the proposition that infinite Time is eternal. On the whole, however, the first alternative seems preferable: for the author says that the interpretation or synthesis of *dēn* and *asar rōšnīh* is one. Having made that statement he could scarcely fail to inform us what that interpretation was: according to our punctuation it is 'the universe of infinite Time'.

l. **9.** *'ut gās*: so DH, Ind.: *vēhīh*, TD_2, P.

l. **11.** *tārīkīh: T'LKYH* DH.
'pas-dānišnīh: 'pas-dānīh Ind.
zatār-kāmīh zufr-pāδak: zatār-kāmakīh 'ut zufāy Ind.

l. **12.** *'ut-aš zatār-kāmakīh hām: 'ut 'ān zatārīh nām* Ind.
hām: v. our remarks on *hamāk* l. 7. Ind. has *nām* 'name'.

l. **13.** *'kē*: so Ind. and P. TD_2 and DH have *'hač.*
tārīkīh 'gōβēt: tārīk 'gōβēnd Ind.

l. **14.** *'būt* DH: TD_2 and P. *'bavēt: būt* Ind.
'gōβēnd: Ind. only.
'kē-š: 'kē 'nūn Ind.

l. **15.** *'har 2 mēnōk*: so Ind. *'har 2 'hēnd* Gr. which Nyb. adopts and attaches to what follows. Reading for *kanārakōmandīh 'ut akanārakōmandīh* the *kanārakōmand 'ut akanārakōmand* of Ind. he translates: 'Tous les deux sont à la fois limités et illimités'. The correct reading is probably *'har 2-ān *mēnōk.*

l. **16.** *kanārakōmandīh 'ut akanārakōmandīh: kanārakōmand 'ut akanārakōmand* Ind.: for *akanārakōmandīh* DH has *akanārakīh* as a correction. *'ut* Ind: *i 'ut* P.: *i* TD_2: om. DH.
'čē: om. Ind.
bālistīh: bālist Ind.: **bālistīk* Nyb.

l. **17.** For *'gōβēt* Ind. has *'gōβēnd passim.* Nyb. reads *guftēt.*
'ku 'nē sarōmand: probably a later gloss; lacking in Ind. For *sarōmand* P. reads *DYL'WMNND.*
zufr-pāδak: zufāy Ind.: *pāδak* spelt *P''K*, DH.
tārīkīh: tārīk Ind. Ind. then omits *'ut 'ān 'hast . . . kanārakōmand.*

l. **18.** *akanār⟨ak⟩īh: 'K'LKYH* P.

l. **19.** *tuhīkīh: tuhīk* Ind.
'ō 'dit P., DH: *'ō i 'dit* TD_2: *'apāk 'dit* Ind.
'hēnd: 'ēstēt Ind.

2-ān: Written "*N* in P. and TD_2: *2* Ind. P. repeats preceding *'har*.
'χᵛēš P, DH, Ind.: only TD_2 has the ridiculous *nipišt*.

l. **20.** After *kanārakōmand* Ind. has *'hēnd* (resp. *-ōmand*).
harvisp-ākāsīh: DH. omits: *harvist-ākāsīh* P.

ll. **20–22.** *'har *čiš . . . 'dānēt*: with the exception of the last word the whole passage is written in the margin in TD_2; but the passage forms a complete line in DH. The reading of TD_2 (and P.) is as follows: *'har 'čē-š 'andar dānišn i Ōhrmazd kanārakōmand 'čē 'ān i 'har 2 'hēnd patmān 'dānēt*. Ind. reads: *'har 2 'čiš 'andar 'dahišn i Ōhrmazd kanārakōmand 'ut akanārakōmand 'čē 'ēn 'ān i 'andar 'har 2-ān mēnōk patmān 'dānēnd*. Our passage must be interpreted with reference to DkM. 293. 15 ff. (text Z 22), where the limitations of knowledge are described. By substituting the *'čiš* of Ind. for the *'čē-š* of Gr. and the insertion of *i*, the meaning of the first part of the sentence becomes plain: 'Whatsoever is within the knowledge of Ohrmazd is limited'. This is in accordance with the Dk. passage cited where knowledge is said to be limited to present and past. The second part of our sentence is unintelligible in Gr. and we must therefore base our interpretation on Ind. By eliminating the superfluous *'ēn* and substituting the *'dānēt* of Gr. for the erroneous *'dānēnd* (*HWYTWNWd*, probably in any case representing the later pronunciation *dānēδ*) we obtain the translation: 'For he knows the *patmān* that exists between the two spirits'. The *patmān* is plainly the treaty between Ohrmazd and Ahriman mentioned later.

Nyberg takes the *T* after *HWYTW* in Gr. with the following 𐭩, thereby obtaining *'dit* instead of *'tāk* (Ind. has *'ut 'dit*). Against him is P. which divides correctly after *T*.

l. **22.** *pātaχšāyīh* P.: *pātšāhīh* Ind.: *pātaχšāy* TD_2, DH.
i dām : 'ut dām Ind.

l. **23.** *'tāk . . . akanārakīh*: Ind. has *'bavēt ; 'ān-ič 'hast i 'tāk hamāk hamāk ravišnīh akanārakōmand*.

l. **24.** *aβsihēnīt*: TD_2 and DH have *'PSHYNN* followed by a gap: *'PSYH'N* P: *'PSYNYT* Ind.
'tāk 'kaδ P.: *'tāk i 'kaδ* TD_2, DH: *'kē* Ind.
bēt TD_2: the rest have *'bavēt*.
kanārakōmandīh : akanārakīh Ind.

l. **25.** *harvisp : harvist* P. *ganāk mēnōk : Ahriman* Ind.

l. **26.** *'apar *handāčišn 'kunēt*: for *'apar* (𐭠𐭥𐭥) Ind. has incorrectly *'čē* (𐭧𐭥𐭥), and reads simply *handāčēt*: Gr. has *handāčēt* (*'ut*) *'kunēt*. One may either reject the *'kunēt* of Gr. with Ind. and Nyb., or, keeping it, emend *handāčēt* to *handāčišn*. Bailey keeps the text of Gr. but reads *'čē* with Ind. rather than *'apar*, and translates, 'whatever he planned and was doing'. The meaning 'attack', however, seems more in keeping with the character and subsequent actions of Ahriman.
arišk-kāmakīh : rišk-kāmak Ind.
'andar Ind.: *čēyōn* Gr., Nyb., Bailey.

ll. **26–27.** **'hač frakān . . . hanžāmēnēt*: The text of TD_2 is here hopelessly corrupt: it runs as follows: *'apar frakān 'apar fražām 'pat 'apar frakān 'apar 'ut čand aβzārān*. The second *frakān 'apar* (*'ut*) is omitted by P., and inserted above the line by DH. Ind. reads: *'tāk fražām 'čē fražām 'pat čand aβzār hanžāmēnēt*. The *frakān 'apar* omitted

in P. must be suppressed as a repetition in TD_2. The preceding *'apar* must then be read as *'čē* (𐭧𐭥𐭥 for 𐭠𐭥𐭥), as is proved by the parallel *ba-čand u čih afzār* (*'Ulemā i Islām*, text Z 37, § 11, PersRiv. ii, p. 81, l. 12). Assuming the *hanžāmēnēt* of Ind. to be genuine, we now have *'pat 'čē 'ut čand aβzār hanžāmēnēt*, which gives excellent sense. There remains only *'apar frakān 'apar fražām*. For the second *'apar* Ind. has *'tāk*. If *'tāk* is correct—and there is no reason to suppose it is not—we must read **'hač frakān 'tāk fražām* and translate: 'from the beginning to the end with what and how many weapons he would accomplish his purpose'.

frakān means 'beginning' or 'source'. So Nyberg, 'commencement' (CCM. 1929, p. 266); 'das Heraustreten, das Hervorgehen, das Entstehen' (*Glossar*, p. 71). The word is not to be confused with *parkān* 'wall' (Bailey, JRAS. 1934, p. 517), though the spelling of both is the same in Pahlavī. PhlTexts, p. 78, last line, best illustrates its use.

'ān rāmišn 'nē 'pat rāmišn apāyēt dāštan 'kē 'pas 'hač 'ān handōh frakān 'bavēt.—'A pleasure which afterwards turns out to be a beginning of grief, should not be considered a pleasure.'

Cf. further DkM. 737. 1: *χᵛap-frakānīh 'ut χᵛap-fražāmīh.*—'A good beginning and a good end.'

Ibid. 47. 10: *'ōh-ič 'vēhān dēn frakān bun vāčak āstuvānīh 'apar Ōhrmazd-bandakīh.*—'Thus the beginning of the religion of the good and its first proposition is to confess oneself the servant of Ohrmazd.'

Ibid. 141. 12: *gētēh pātuχšāyīh vīnārišn 'pat mēnōk dēn frakān ; mēnōk dēn ravākīh 'pat gētēh pātuχšāyīh patvast-ovišīh apērtar.*—'The exercise of earthly kingship has its basis in spiritual religion; the propagation of spiritual religion is mainly (attained) by its close association with earthly kingship.'

The meaning in the last passage seems to be 'basis' or 'support', and this seems to be even more clearly the case in DkM. 336. 2: *sāstārīh 'pat ahramōyīh frakān vīnārtak.*—'Heretical priesthood exercised through the support (on the basis) of false religion'.

Further references are DkM. 25. 6; 209. 6; 212. 22; 214. 14; 217. 20; 237. 5; 253. 9; 335. 19; 337. 11, 21; 338. 3; 593. 6. *frakānēnīt*: 621. 21; 622. 4; 908. 3. *frakān bun 'ut χᵛatīh 'ut hangartīkīh*: 908. 10.

l. **28.** *dām i 'pat 'ān aβzār*: so all MSS. Nyb. takes *'pat* with the preceding *i* in order to obtain the sense 'the creation for which that weapon was necessary'. This meaning does not seem necessarily demanded by the context, and a postpositional *'pat* is not, to my knowledge, an attested Pahlavī construction.
apāyīt : apāyist Ind.
frāč: DH. and P. have the spelling *PL'Č*.

ll. **28–9.** *dām 'pat mēnōk[īk] 'ēstāt : dām 'pat mēnōkīk 'ēstēt* P.: *'pat dām mēnōkīk 'ēstāt* TD_2, DH.: *'andar mēnōk 'ēstīt 'hēnd* Ind. Nyberg, adopting the reading of TD_2 and DH. again takes *'pat* with the preceding word. Here, however, the better reading of P. is against him.

l. **29.** *'būt : būt* Ind.
amēnītār : amanītār Ind.
aravāk : aravā Ind. after which it adds *tan*. The reading has no authority, since the *T* of *tan* is best regarded as a miswriting for *K*: the first *Wāw* of *tan* will then be the *Wāw quiescens*, and the second the ideogram for *ut*.

l. **30.** *'pas-dānišnīh* P. and Ind.: *'pas-dānišn i* TD_2 and DH.
'hastīh i P.: *'hast-aš* TD_2, DH.; *'hast i* Ind.
anākās: *'nē ākās* Ind.

l. **31.** *zufāyak*: *zufāy* Ind.: *ZWP'YYG P.*
āχēzast, following the reading of Bailey. *χēzist* Nyb. Gr. reads *'HČSTW* (ꯍꯕꯔꯎ): Ind. more correctly *'XYČYT.*
vīmand: *'andar 'tāk* Ind.
dītār: spelt ꯍꯕꯔꯎ. Nyb. reading *stār* translated: 'il arriva à la frontière où se trouve l'étoile des lumières.' To this there are two objections: (i) What is the 'star of Light'? (ii) For 'star' Phl. has *star* or *stārak*—the latter usually in the sense of 'constellation'—not *stār*. Our word is *dītār* and means 'sight'. Cf. DkM. 248. 9: *ōγōn ov-iš dōst čēγōn humiθr 'pit 'ō huzahak 'pus, 'ān-ič i 'dūr 'hač dītār.*—'As friendly to him as a loving father to his noble son who is far from his sight.' Ibid., 312. 11: *hudītārīhā tuχšākīh i 'pat χ^{v}ēškārīh.*—'Striving in one's duty with eyes wide open.' Cf. further Zs. 29. 4, *dītārīhēt*: DkM. 21. 11. The adjective *dītārīk* is common. Cf. NP. *dīdār*, Horn, *Grundriss der neupersischen Etymologie*, no. 592.
For *dītār i rōšnān* Ind. has simply *rōšn.*
'kaδ-aš: *'kē-š* Ind.

l. **32.** *'ān i Ōhrmazd rōšnīh* Ind.: *Ōhrmazd 'ān rōšnīh* P.: *Ōhrmazd* repeated in TD_2 and DH. which follow P.
frāč patrōt TD_2, DH.: *patrōp* (*PTLWPW*) P.: *'pat druž* Ind.: *patrōt*, Nyb. rightly <**pati-rav-*. Cf. Kn. (Ântiâ) 11. 7, p. 30: *'andar zamān tīrak* ⟨*i*⟩ *čōpak 'hač dīž paδrōt mat.*—'Forthwith a wooden arrow sped forth and went from the castle.'
zatār-kāmakīh: *zatār-kāmak* Ind.

l. **33.** *marnǰēnītan* Ind. and P.: *marnǰītan* TD_2, DH. The stem is spelt ꯍꯕꯔꯎ and could therefore be read *mrōč-*: cf. Av. *nimraoka-*. Pāz. has *marōč-*.
tak 'apar kart P.: *'dit* (*ṬND*) *'apar kart* TD_2, DH.: *'andar duvārast* Ind. The reading of P. is certainly to be preferred as the phrase occurs again at GrBd. 41. 13, where all the MSS. have *tak*, except Ind. which has ꯍꯕꯔꯎ. *tak 'apar kart*, lit. 'he raised a rush', i.e. 'rushed forth', suits the context admirably and corresponds in meaning to the *'andar duvārast* of Ind. If, however, ꯍꯕꯔꯎ is read, we must take it as *tang* and translate, 'he girded up his loins'. Nyberg's *'dit 'apar kart* can hardly mean 'avança plus loin encore vers le haut'.
'pas: om. Ind.
'dīt Ind. The phonetic complement *T* is missing in TD_2, DH. P omits altogether.
čērīh: *YLYH* P.
frēh Ind.: *farraχ^{v}* Gr.

l. **34.** *tam*: *tār 'ut tom*, Ind.
'dēv: Ind. adds *'ut druž.*
'ān dām i marnǰēnītār niyāβ 'ō artīkgarīh: *'ān i dām i m. niyāβ 'ut artīkgarīh* P.: for *marnǰēnītār* (*MLNČYNYT'L*) DH. has *MWLWČYNYT'L*: for *artīkgarīh* TD and DH. have *artgarīh*. Ind. has *dām i marnǰēnītār χāst 'ō 'LGWND.*
niyāβ: cf. MPT. *ny'bg* 'becoming, suitable' (Henning, BSOS. ix, p. 86). Bailey reads *niyāz* and translates 'created many dēvs, destroyers of that creation, want and conflict', reading *'ut* instead of *'ō* with P. Henning (GGA. 1935, p. 10) regards *niyāβ* (ꯍꯕꯔꯎ) as a truncated form of *χēzist* which he deduces from the Ind. *χāst* which has the same meaning, and, punctuating after *marnǰēnītār*, translates: 'und er stieg hinauf zum Kampf gegen O.'

l. **35.** *'kaδ-aš*: *'kē-š* Ind: om. P.
'dīt: *'vēnēnd* P.: *dīt* written phonetically in Ind.
'nē 'sahist P.: *rāδ 'sahist* TD_2, DH.: om. Ind. The correctness of the *'nē 'sahist* of P. is proved by the opposite *'sahist*, l. 37: cf. Henning, l.c.

l. **36.** *sahmēn i* TD_2: *sahmgund* (*SHMGWND*) DH.: *ham-gund* (*HMGWND*) P.: *sahmkun* (*SHMKWN*) Ind.
vatak: *'vat* Ind. In spite of the reading of Ind., Nyberg read an unattested **nitak* deduced from a conjectured *uparyavan*, itself unattested and far too archaic in form for any Pahlavī text. The form *vatak* is found GrBd. 58. 9: *margīh* ⟨*'ut*⟩ *vatakīh.* DkM. 595. 1: *'dēv 'ut 'martōm i vatak.* Ibid. 612. 7; 634. 22: *vataktar 'ut duš'χ^{v}arrtar.* Ibid. 861. 6: *vatak 'dēv 'ut druvand martōm.* Finally *vatak* translates Av. *ayavant-* Vd. 7. 27, where it is glossed as *'čiš i vat.*
**i*: MSS. *'ut.* Ind. omits.
dušīh: on this form and the parallel *hu-īh* v. BSOS. ix, p. 311. Nyb. *dušdāh*, but Av. *duždā-* should appear as *dušdāk* in Phl. Ind. omits.
'ut-aš: om. P.
buržīt 'hēnd: *buržišnīk 'sahist* Ind.

l. **37.** *zufr i van*: *'ǰān* (*HY'*) *dām i* Ind. Nyb. objected to *zufr* 'deep' as being inapplicable to the creation of Ohrmazd. There is, however, no reason to suppose that 'deep' in Pahlavī cannot have the figurative meaning 'profound' as in other languages. Vd. 1. 21, on the contrary, shows that it can. Translating Av. *gufra-* used in the description of the many fair lands, the Phl. translator adds *'pat kār* ⟨*'ut*⟩ *dātastān*, 'deep in its works and judgement'. Similarly Av. *gufra-* is used in the sense of 'profound, mysterious': Mithra (Yt. 10. 25) is the 'profound lord' (*ahura-gufra-*), cf. AIW., col. 524.
van: the meaning and etymology are shown by DkM. 150. 20 ff. The opposite of *van* is *vānītak* 'conquered': *van*, therefore, means 'victorious' and is an adj. from Old Iranian *van-* 'conquer', (cf. FrÕīm., chapter 8, *vana, van* ꯍꯕꯔꯎ) .One may compare MPT. *wnybwṯ* 'annihilated' (Henning, BSOS. ix. p. 89 and *w'nyšn* = ἀπώλεια, id. BSOAS. xi, pp. 57, 61). The Dk. passage reads as follows: *van pātuχšāy, vantom pātuχšāy[īh]tom spēnāk mēnōk, 'ut vanīh pātuχšāyīh i van 'ut vānišn, zanišn, spōžišn i hamēstār 'hač van vanīh. 'ut vānītak haČaδar purr-zōr pātuχšāytom spēnāk mēnōk *nihān-ōž ganāk mēnōk, 'ut vānītaktom ham ganāk mēnōk.*—'The victorious and kingly, the most victorious and kingly is the Bounteous Spirit. The victory and kingship of the victorious, and the conquering, smiting and repulse of the adversary come from the victory of the victorious one. He who is conquered beneath the almighty, most kingly Bounteous Spirit is the Destructive Spirit whose power is hidden; and he who is most conquered is also the Destructive Spirit.' Cf. ibid. 419. 14: *'kē azatār 'andar-ič vanīh, 'avē vānītak.*—'Whoso does not strike even when victorious, is vanquished.'
hamāk-pursišnīh 'ut-aš: *pursišnīk, 'ut-aš buržišnīk 'sahist 'ut* Ind.

l. **38.** *dām-dahišnīh* TD_2, P.: DH. omits *dām*: *dām 'ut 'dahišn* Ind.

l. **39.** *'apāk-ič*: *-ič* om. Ind.
'dānastan: correctly in P. with *Wāw quiescens* which is omitted by TD_2 and DH. Ind. has *'dānast* without a *Wāw*. The phrase means literally 'with the knowing what manner . . . '.
dām i: omitted in Ind.

kār : K'YR P. Ind. adds *'ut.*

l. **40.** After the first *ganāk mēnōk* Ind. adds *'šut 'hač-iš.* The latter word must stand for the first [illegible] which may be read either *'ut-aš* or *hač-iš.* For [illegible] Ind. has wrongly substituted *MN*, the ideogram for *hač.* Ind. is therefore to be translated, 'He approached Ahriman and offered him peace'.
āštīh P., Ind.: *āšt* TD_2, DH. which may be genuine, cf. Arm. *hašt.*

l. **41.** *'dah* DH.: *'dāt*, P.: TD_2 has the phonetic complement inserted above the line: *'kun* Ind.

l. **42.** *asōhišn apōhišn*: 'uncorrupting, undecaying', so Bailey, JRAS. 1930, pp. 12–13. Nyb. 'without hunger and thirst'. P. omits *apōhišn.*
'bavēh : 'bavēt Ind.
'ut-aš . . . aβkārīhā: lacking in Ind.
sārēnēh: for *sārēn-* 'stir up' v. Henning, BSOAS. xi, p. 61.

l. **43.** *akār : akār i* changed to *akārak* DH.: *'K'L'* P.
2-ān : 2 om. DH.
aβkārīhā: sc. <**upa-kar*, cf. Skt. *upakāra* 'assistance'. The meaning seems to be 'promote', cf. Dd. 30. 17: *nairīk i hukarp i hušarm ⟨i⟩ šōδ-kāmak, 'ān i hēr-pānak i ārāstār 'ut apārīkān nairīkān i sūt-aβkārān.*—'The beautiful and modest woman who desires her husband, and the thrifty one who is a good manageress and others who promote benefit'. Nyb. takes *aβkārīhā* as an optative: but the form is very doubtful.

l. **44.** *'ku 'nē 'baram . . . stāyišn*: for this passage Ind. reads: *'ku 'bē 'nē 'šavam, vēš aδyārīh 'ō dām i 'tō 'nē 'kunam ; 'ut stāyišn i 'pat dām i 'tō 'nē 'kunam, 'ut 'pat 'čiš ⟨i⟩ nēvak 'apāk 'tō ham-dātastān 'nē 'bavam.*—'I shall not go forth, nor shall I any more give assistance to thy creation; nor shall I give praise to thy creation; nor shall I agree with thee in any good thing.'
dām i P.: *dām-ič* TD_2, DH.
'bē 'tō 'ut dām-ič i 'tō : 'ut dām i 'tō Ind.

l. **45.** *hamē hamē* Gr.: *hamāk hamāk* Ind.
hāčēm (*H'ČYM*) TD_2, DH.: *'HYČ'M* P.: om. Ind. For a discussion of *hāč-* v. BSOS. ix, p. 582.

l. **46.** *i 'man : 'χ^{v}ēš 'kunam* Ind.
vičārišn : vizārišn Ind.
'ku-š : 'ku ganāk mēnōk Ind.
'ēt : ē (__) Ind.

l. **47.** *'avē* TD_2, DH.: *'ō* P., Ind.
ačārak: written with the distinctive sign [illegible] in Ind., which adds *'hast.*
'pēš 'dārēt : 'barēt Ind.
'patiyraft Ind.: *patīrēt* Gr.
patēst: for the reading and meaning of this word v. BSOS. ix, p. 582. Gr. reads *PTST'*: Ind. has *'ut-aš 'pat stēž.*

l. **48.** *'burt*: [illegible] TD_2, DH.: [illegible] P.: [illegible] Ind.
'ut-aš : 'hač-iš Ind. Cf. l. 39.
harvisp-kartār 'hēh: Ind. has *harvisp-ākās 'hēt 'ut harvisp-kartār.*

l. **49.** *marnǰēnītan* P., Ind.: *marnǰītan* TD_2, DH.
'ut-at Ind., Henning: *'ut-aš* Gr., Nyb., Bailey.
dām-ič i TD_2: *dām-ič* DH.: *dām i-č* P.: *dām i* Ind.

l. **50.** *harvisp-ākāsīh : harvisp-ākās* P.

l. **51.** *zamān i* Ind., P.: *zamān 'ut* TD_2, DH.
kārēčār-ič : kārēčār Ind.
**aš : 'i-š* Gr.: om. Ind. In the Phl. MSS. *'ut-aš* (pronounced *u-š*), *'i-š*, and *aš* are continually confused.
'kunam : 'daham Ind.
'aδak-aš Ind.: *'aδak* Gr.

l. **52.** *'pat : i* Ind.
čēγōn . . . gumēčišn i dām: lacking in Ind.
patēst : patast MSS. v. l. 47.
kōχšišn : WK'Š'NW P.
gumēčišnīh TD_2: *gumēčišn i* P., DH.

l. **53.** *nišastan* TD_2, DH.: *NY'STY* P.: *vyāpānītan* Ind.

l. **54.** *gumēčišn : gumēčišnīh* Ind.
After *'vas* Ind. adds *'hēnd.*
apārōnīh Ind.: *apārakīh* P.: *apārak* TD_2, DH., Nyb.
varzīt : varzand Ind.
'ku . . . varzēnd: lacking in Ind. Probably a gloss.

l. **55.** *'ut-aš : 'hač-iš* Ind. v. l. 39 note.

l. **56.** *'kun 'tāk* Ind.: *'kart* TD_2, DH.: *'kart i* (with *Wāw quiescens* after *T* and therefore possibly *'kart'tāk*) P.
zamān kartan has the meaning 'fix a time, make an appointment'; cf. the gloss on Vd. 2. 21: *hanžamanīh frāč 'burt 'kē dātār Ōhrmazd*—*'ku zamān 'bē 'kart.*—'The creator Ohrmazd summoned an assembly—that is, he fixed a date.'
'ēn pašn : gumēčišnīh Ind. *pašn* beside *pašt* and *past* (as **yašn*, NP. *ǰašn*, Av. *yasna-* beside *yašt*, or OP. *āšnaiy* beside Av. *āχšti-*, MP. *āštīh*, NP. *āštī*, Arm. *hašt*) is well attested. The two words are almost identical in meaning, though the former has the meaning 'connexion' as well as 'contract'. For the contract or treaty between Ohrmazd and Ahriman Zs. 1 (text Z 4) § 30 has *pašt.* In DkM. 272. 12 the meaning 'connexion' is certain for *pašn. dānišn pašn 'hast i andarag dānāk 'ut 'ān i 'dānīhēt.*—'Knowledge is the connexion between the knower and the object known.' DkM. 628. 22 we may translate 'obligation': *'vas-pašn-tom 'ku 'čiš vēš 'bē 'dahēt.*—'He who has most obligations, that is who gives most.' For 'compact' both words are indifferently used.
DkM. 778. 14: *'apar vinās i druχtan i pašt i 'apar 'χ^{v}art 'ut 'dāt, 'ut garānīh i apārīk miθrōdruž.*—'Concerning the sin of being false to a contract which one has received and given and the grievousness of other (forms of) promise-breaking.'
Ibid. 750. 7: *'apar vinās pātafrās i 'avē ['ō] 'kē 'ō 'ān 'i-š 'pat mēnišn ayāp 'pat gōβišn 'ō [i] 'avē i aržānīk 'dāt, pašn (PYHNW) kart, drōžēt.*—'Concerning the sin and punishment of him who is false to the contract which he has entered into with anyone on whom he has bestowed anything (even) in thought or word.'
pašn is very common in Dk. and is apt to be confused with *pēhn* 'food'. Cf. DkM.

653. 21, where *pašn* is written after *χᵛarišn*; here obviously only *pēhn* is suitable.
'ō DH.: om. P.: *'ō i* TD_2.
frāč 'aβganam: om. Ind
'čē-š : 'kē-š Ind.

l. **57.** *'kartan* Ind.: *'kunēt* P.: *'kun* TD_2, DH.
akārēnīt : 'K'LNNYT P.: *akār 'hast* Ind.

l. **58.** *fražāmīh : afražānak i* Ind.
ham- : kām TD_2.
'būt : 'bavēt TD_2.

l. **59.** *ham-kōχšišn*: Ind. adds *'kē*.
-mān vahmān : 'HM'N Ind.
For *vahmān* Nyb. proposed to read *vyaχmān*<Av. *vyāχman-* 'assembly'. The word is, however, certainly the MP. equivalent of NP. *bahmān* 'un tel'; it is used *passim* in the treatise on how to write letters (PhlTexts, pp. 132–40: edited BSOS. ix, pp. 93–109).
'šap: om. Ind.

l. **60.** *'kunēm : 'kunam* P., DH., Ind.

l. **61.** *'ēn-ič : 'ēn 'čē* Ind.
ē ('Y) TD_2, DH.: om. P.: Ind. omits both *ē* and the following *'andar*.
'ēn: added above the line in TD_2: om. DH.
'sāl is only in Ind.

l. **62.** *hamāk kāmak : HM'K'MK* Ind.
'andar: om. DH.
gumēčišn : gumēčak i Ind.

l. **63.** *'har 2 'ravēt*: om. Ind.: for the last word DH. has *'raft* and repeats from *'har* to *'ān i*.
'pat 'ān i : 3000 'sāl Ind.
artīk: om. Ind.

l. **64.** *šāyēt kartan : 'bavēt* Ind.
pityārakīh : i patyārak Ind.: P. writes *PTH' LKYH*.
'dārēt : 'dārēnd Ind.

l. **65.** *'ku-š*: om. Ind.
yaθā-ahū-vairyō(k): Ind. writes correctly in Avestan script. The remainder have Phl. readings of varying accuracy.
20-ēvak: written as two words in P.: joined up in TD_2: [illegible] Ind.

l. **66.** *mārīk : M'YLYK* Ind.

l. **67.** *aβsihišn : ōsēnītan* Ind.
ristāχēz : LYST'HČ DH.
apityārakīh : apatyārīh TD_2, DH.: *apatyārak* Ind.
dām : dāmān Ind.
'tāk: only in Ind.
hamē hamē : hamāk hamāk Ind.

l. **68.** *nimūt : nimūδ* Ind.

'kaδ-aš : 'kē-š Ind.
akārīh : akārakīh P.

l. **69.** *aβsihišn i 'dēvān 'hamist*: so P.: written in margin in TD_2: om. DH.: *'ut ōsēnītan i 'dēvān 'bē* Ind.
start : sturt P.
'ut abōδ: om. Ind.
'būt : 'bavēt P.
tam : tārtom Ind.

l. **70.** *'gōβēt : paytāk* Ind.
'ku : 'ku-š P.
3: om. P.
'bavēt TD_2: *'būt* P., DH., Ind.
'hač: om. DH.
tan 'andar hanǰēt: lit. 'draws in his limbs'. Unfortunately *hanǰ-* and *uz-* are spelt identically in Phl. *uzītan*, however, means 'rise up', and can, therefore, not seriously be considered in our passage where the word is used with *andar*. *tan 'andar* seems to me to be the only possible reading of [illegible]: Nyb.'s *tavīh* is one of his less happy emendations, and the examples he cites (*Hilfsbuch*, i, p. 14) entirely fail to convince one that the sign [illegible] can be used to represent the sound *īh*. The [illegible] he cites from DkM. 458. 12 does not represent *čē čēγōn*, a reading which presents formidable difficulties, but *čēγōn-ič dēn*: the passage is in no way remarkable except in so far as an extra stroke has been added to *čēγōn*. Though obscure it may be translated thus: *apārīk i ōšmurišn čēγōn-ič dēn nipēk paytākēnēt*, 'Other traditions, as the writings of the Religion too reveal'. Further, Nyb.'s *tavīh* is not an attested form: its existence is rendered all the more unlikely by the fact that in Phl. we have a number of words derived from the root *tav-* signifying 'power'—*tavān, tāv, attānīh, attōkīh*. To all of these the author could have resorted without using an otherwise unknown **tavīh* and representing it by the signs which would certainly—and rightly—have been read *tan 'andar*. Bailey rightly translates 'contracted his body'.

l. **71.** *bahr : bār (B'L)* Ind.
**'bavēt : 'būt* MSS.
ganāk mēnōk: om. Ind.
šnūk : dānūk P.: *zānūk* Ind. All forms are possible for 'knee'. *šnūk* represents the 'pahlavization' of Av. *šnav-* and is comparatively common, e.g. DkM. 529. 15; 765. 6, 7. The form *dānūk* could well be a Pers. form to north-west *zānūk*, and is found e.g. PhlRiv. 31. 3. It is, however, more likely that it either represents *zānūk* (written with the short *z*, as [illegible] for *zamān*) or *šnūk* (the signs [illegible] and [illegible] are very frequently interchanged).

l. **72.** *bavandak : hamāk* Ind.
First **'bavēt : 'būt* TD_2, P., Ind.: om. DH. Ind. adds *start 'ut*.
Second **'bavēt : 'būt* MSS.
ganāk mēnōk : om. Ind.
'hač akārīh i TD_2: om. Ind.: *'hač akārakīh* P.: *'hač akārīh* DH.

l. **73.** *anākīh*: om. Gr.
kartan : kart Ind. without *Wāw quiescens*.
startīh : sturtīh P.
'sayast Gr. (v. text Z 6, l. 2, note): *'ēstēt* Ind.

ll. **74–148**, lacking in Ind.

l. **74.** *dām-dahišnīh* P.: *dām 'ut dahišn* TD_2: *dām dahišn* DH.
mēnōkīha: [illegible] P.

l. **75.** **'nē : rāδ* MSS.
'būt P.: *'bavēt* TD_2, DH.
χ^{v}atāy : XWT' P., DH.

l. **76.** *χ^{v}atāy 'ut* DH.: *XWT' 'ut* P.:*χ^{v}atāy* TD_2.

l. **77.** *aβzōnīk : 'PZNYKW̲* P.

ll. **78–9.** The creation of *yazdān χ^{v}atīh*. As Nyb. has pointed out, the creation of the 'selfhood of the gods' corresponds to Ahriman's counter-'creation of the demons' (ll. 123–5). The correspondence is exact, and the creation in question in each case is the last of a series of three. Our passage must, therefore, be transferred to ll. 118–19.

l. **78.** *nazdist : NZSTW̲* TD_2, DH.: *NZ'ST* P.
**yazdān *χ^{v}atīh*: so Nyb. from the parallel ll. 123–4. *dahišn χ^{v}atāy* TD_2, DH.: *dahišn XWT'* P.

l. **79.** *i χ^{v}ēš* P: *'χ^{v}ēš* TD_2, DH.
dām-dahišnīh : dahišnīh P.: *dām 'ut dahišn* TD_2: *dām dahišn* DH.

l. **81.** *vēnākīh* P.: *YN'GŠ* TD_2.
hakurč : hakarč P.

l. **82.** *pityārak : patyārakīh* P.
'ān pityārakīh : 'ān i patyārakīh P.
akārīhēt : 'K'L' YT corrected to *akārīhēt* DH.

l. **84.** *ačārakīhā*: so Bailey. This seems to be the obvious reading, cf. l. 47. *ačār* in the sense of 'inevitable' is common in ŠGV. (references in BSOS. ix, p. 583). Nyb. reads *apārak, gāh pityārak akār kartan rāδ*, and translates 'afin de rendre inefficaces la perversité et l'hostilité qui en découle, il créa le temps'. However, *apārak* in the sense of 'perversity' is only doubtfully attested in l. 54 of this chapter where we should certainly read *apārōnīh* with Ind. in contrast to the following *frārōnīh*. For *ačārakīhā* cf. NP. *čāreh nīst*, 'there is no alternative'.
pityārak : patyārak P., DH.

l. **86.** After *kār* P. adds [illegible].
čārōmandīhā : čār 'ut čārōmandīhā P.: *vičārišn čārōmandīhā* DH.

l. **87.** *akanārak*[*īhā*]: TD_2 adds *'ut*. Nyb. read *akanārak gāh*, taking the second word as the equivalent of MPT. *ghy* 'then'. It is, perhaps, better to delete, as 'then' is already expressed in *'pas*. P. reads *'K'LKWYH'* preceded by *i* missing in TD_2.
dērang-χ^{v}atāy : dērang- XWT' P.
brēhēnīt 'ut: om. P.: *'dāt* DH. with *brēhēnīt* written above in a later hand.

l. **88.** *dērang-χ^{v}atāy : D̲YLNND̲XWT'* P.

l. **89.** *'dāt : 'būt* P.
After *aχ^{v}ārīh* P. reads *ravišnīh*, omitting preceding *'ut*.

l. **90.** *'būt* P.: *'bavēt* cet.

**χ^{v}ārīh : χ^{v}ārak* MSS.
**brēh* Nyb.: *GRYH* MSS.

l. **91.** *a-'bē-vartišnīh* ([illegible]) P.: *'BWD̲ vartišnīh* DH.: *'BWD̲ varčišnīh* TD_2. The second word must be read as *vartišnīh* as the gloss (*'čiš i Ōhrmazd 'ān i 'pat bundahišn 'dāt, 'nē vartēt*) clearly shows. The reading of the first word must also be decided from the gloss: that of P. can scarcely be read as anything else than *a'bē-vartišnīh*: in TD_2 and DH. we can read *abōδ* or *aband*. The latter is immediately precluded, for the gloss means 'The things that Ohrmazd created at the primal creation, do *not* change', whereas *aband-vartišnīh* must mean 'change without impediment'. On the same grounds *abōδ-vartišnīh* is disqualified: 'imperceptible change' cannot be explained as 'what does not change'. The reading of P. is, then, alone correct, and the reference is to the immutability of fate. Nyb., who had not seen P., read ⟨*gannāk*⟩ *mēnūk abōδ-*vartišnīh paitāk būt*: 'le mauvais esprit perdit manifestement connaissance'. The addition of *gannāk* is now no longer needed. *'ān mēnōk* though not absolutely untranslatable is best deleted: so Nyb.
Before the second *'ān* P. has *'hač*.

l. **92.** *a'bē-* P.: om. TD_2, DH.
kāmak i P., DH.: *kāmak* TD_2.

l. **93.** *'būt : 'bavēt* P.
'ut dahišn TD_2: *dahišn* DH.: *dahišnīh* P.

l. **94.** *adān*[*īh*]: DH. and P. prefix *'ut*.
a'dātastān : a'dātastānīh P.

l. **95.** *kōχšīt : KWXŠ' YTW̲* P.
χ^{v}atāy-fražānakīh : XWT' W PL'NKYH P.

l. **96.** *Ahriman*: P. correctly omits.

l. **97.** *dānišnīh* P.: *'bavišnīh* TD_2, DH.
mat : 'apar mat P.

l. **99.** *dērang-χ^{v}atāy*: the variant spellings of this word will no longer be noted.
nazdist: *NZDSTW̲* DH.: *NZDST* P.: *NZSTW̲* TD_2. For this word these spellings and *NZ'ST*(*W̲*) are indifferently used, and will, therefore, not be further noted.

l. **100.** *'būt* P.: *'bavēt* TD_2, DH.
pēš P.: [illegible] TD_2 read by Nyb. as *pas*: accordingly he punctuated after *'būt*. The reading of P. is, however, to be preferred, as, to the best of my knowledge, *pas* is always written with the ideogram at any rate in the older texts.
gumēčišnīh : gumēčīh P.

l. **101.** *akanārak : akanārīh* P.

l. **102.** (*patmānak*)-*ē* ([illegible]) TD_2: -*i* (·) P.

l. **103.** *gumēčēt : GWMYTYTW̲* DH.
vartēt DH: *'ut vartēt* P.: *varčēt* corrected to *vartēt* above the line, TD_2.
apēčakīhā P.: *apēčīhā* TD_2, DH.

l. **104.** *hamayīk : hamē* P.
zamān: added above the line by a later hand in DH. The passage from here to l. 111 was taken by Nyb. to be a Middle Persian poem celebrating Zurvān. His

theory, however, involves the assumption of a superabundance of glosses and the introduction of archaisms, sometimes 'emended' from a perfectly sound text. Exception has already been taken to this practice by Henning (l.c., p. 11) to which the reader is referred. Moreover, the close resemblance of our passage to *Aogəmadaēčā* 57–66, which Nyb. was himself the first to point out, precludes the possibility of an original Pahlavī poem: the resemblance is in places so great as to amount to translation, and Pahlavī verse translations from the Avestan are not known to have existed.

ōžōmandtar P., DH.: *ōžmandtar* TD_2.

l. **105.** **hu-ayāpak : ayāpak* (𐭠𐭩𐭯𐭪) P.: *handāčak* TD_2, DH. The reading *ayāpak* is to be preferred as it accords better with the subsequent *zamān 'hač ayāpakān ayāpaktar*. The 𐭥 of 𐭥𐭩𐭯𐭪𐭥 is therefore probably to be read *hu-*, and **hu-ayāpak* read: so TD_2 for *'hač ayāpakān* (l. 106) has *hu-ayāpakān*.

l. **106.** *zamān pursišnīktar*: P. rightly omits.

'hač ayāpakān ayāpaktar P.: *hu-ayāpakān ayāpaktar* TD_2, DH. *'hač* had already been supplied by Nyb. With the exception of Herzfeld editors agree on the reading and translation of 𐭠𐭩𐭯𐭪 (*ayāpak*). Nyb. has 'possède plus que les plus fortunés': Scheftelowitz, op. cit., pp. 44–45, 'ist reicher begütert als die Begüterten'. Bailey, 'is more successful than the successful'. Herzfeld, however (*Altpersische Inschriften*, p. 274), reads *aδawak* < **dab-* 'deceive', comparing Av. *aδaoyamna-* 'undeceivable', a standing epithet of Mithra (references in Gray, JAOS. xlvi, p. 98) which accords admirably with the character of Zurvān, the 'just', v. Part I, p. 58). Attractive though the suggestion is, the present author cannot altogether accept it. DkM. 647. 13, where our phrase is exactly reproduced, is unfortunately inconclusive. The passage is as follows: *'ut-aš 'andar rōšnīh 'ō patīrak 'raft Vištāsp 'apar ō 'ān i aβzōnīk rapiθwin, 'ān 'hač ayāpakān *ayāpaktar 'ut 'ān *'hač pursišnīkān pursišnīktar*.—'And Vištāsp went to meet him in the light at the time of the bounteous Rapiθwin (midday), he who . . . . . more than those who . . . . . ., he who is better informed than the well informed.' The passage is not quite conclusive since it is impossible to decide whether the epithets refer to Rapiθwin or Vištāsp: the fact that they here refer to Zurvān, however, makes the former alternative wellnigh certain. As an epithet of the genius of midday 'undeceived' is highly appropriate.

Though I have been unable to find *aδāwak* elsewhere in Pahlavī, the following instances may be of use: Dd. 36. 42: *'pat 'ān i 'drōγ-dēnīh 'ut dāmān* 𐭥𐭥𐭩𐭥𐭥𐭥𐭥 (*āδāftēnītan*?).—'By false religion and the deceiving(?) of creatures.' In the same section we have 𐭥𐭥𐭩𐭥𐭥 *'dēv* which can be read as *āδāβānēnāk*, though it is far more probable that this is merely a misspelling of *viyāβānēnāk*. Less clear is Dd. 36. 47: *nihuftan družān i nihuftār 'hač* 𐭥𐭥𐭥𐭥 (*āδāβišn*) *i gētēhān 'hač-ič matan 'ō gētēhān āδāβišn*(?).—'To keep the concealing lies back from deceiving(?) material creatures and from coming to deceive them.' The translation, however, is uncertain. Dd. 2. 19 𐭥𐭥𐭥𐭥 certainly stands for *viyāβāngar*.

From the above examples it will be seen that the existence of the *āδāβ-* in MP. is by no means impossible. It should, however, be borne in mind that in all instances except Dd. 36. 47 the word may merely be a corruption of a derivative of *viyāβān*, whereas in Dd. 36. 47 one may read *ayāpišn* and translate 'keep them from getting hold of material creatures'. Not being wholly convinced of the existence of *āδāβ-* 'deceive', I have abandoned Herzfeld's *aδawak*. My own translation is based on the certain meaning of *ayāpakīh* "comprehension": v. Index.

'hač pursišnīkān pursišnīktar: closely parallel is GrBd. 209. 2: *'ut-aš kār 'ut dātastān 'vas 'andar pursēnd*—'they make a thorough study of their affairs'. *kār 'ut dātastān* comes to mean little more than 'affairs'. The semantic development of *dātastān* appears to be 'justice, (cosmic) order, affair, story'.

l. **107.** *vičīr* DH.: *WČL* TD_2: *vičār* P.

**šāyēt : ŠYT(W)* MSS.

l. **108.** *zamān [i] mān 'aβganīhēt*, &c.: Nyb. translates, 'notre temps s'en va disparaissant': but Henning has objected that 'our Time' would necessarily be *zamān i amāh* in MP. Further, *aβganīhēt* means 'is overthrown' rather than 'disappears'. 'Our time is overthrown' is scarcely what one would find in a passage celebrating Time. The crux of the passage is *brīn*. As Scheftelowitz (*Die Zeit als Schicksalsgottheit*, pp. 44–45) has pointed out, *brīn pat zamān* is not equivalent to *pat zamān i brīn* as Nyb. appears to have supposed. On the other hand, Scheftelowitz's own version is no more satisfactory. Apparently supposing that *LMYTWN* without phonetic complement can represent MP. *aβgandan*, he emends to, or rather asserts that the text reads, *awgandan šāyet*. 𐭥𐭥𐭥𐭥, which is certainly *pistak* (*pēsītak*) 'adorned', and is so taken by Nyb., he transliterates *paδstak* '= air. **padasta*, ai. *padastha* "auf festem Fuss stehend", np. vgl. *pāyistāh* "feststehend"'. Such a word is unknown in both MP. and NP. He translates, 'unsere Zeit vermag zu vertreiben das Geschick'—most unlikely in view of the connexion, amounting to identity, that existed between Time and Fate in Zervanism (v. Chapter X)—'Durch die Zeit wird auch der Feststehende auf einmal zerschmettert.' Once it is realized, with Henning, that *mān* cannot be taken as 'we', the situation becomes appreciably clearer. *mān* can then only mean 'house' (so Henning): and *zamān mān 'aβganīhēt* must mean 'by Time are houses overthrown'. The use of *zamān* without a preposition as an agent to a verb in *-īhēt* is rare, but an exact parallel is to be found in Zs. 34. 50 (text Z 5 (*a*)): *Ōhrmazd 'pat 'āp 'bē 'dāt, 'pat ātaχš fražāmīhēt*.—'Ohrmazd created by water, and consummates by fire'. *brīn 'pat zamān* must now be taken as a parenthesis—'The decision is through Time'. *pistak frāč škīhēt* will then also have *zamān* as its agent. The emendation of *pistak* to *dēstak* 'building' is tempting.

škīhēt: mutilated in TD_2.

l. **109.** **ōšōmandān*: following Henning, who restored from the parallel *aošaŋuhatąm mašyānąm* (Aog. 58): in spite of the MSS. I prefer to read the normal Phl. *ōšōmandān* rather than *ōšmandān*. TD_2 has 𐭥𐭥𐭥𐭥𐭥, and P. more correctly 𐭥𐭥𐭥𐭥𐭥. Nyb. read *hač hangām ǰān i martōmān* which he supposed to be a gloss. Henning's reading, however, now supported by P., is convincing.

First *'nē 'kaδ*: effaced in TD_2.

Second *'nē 'kaδ : 'kaδ* is omitted in TD_2 and DH.

l. **110.** **čāh-ē 'kanēt, 'andar : ČY'HB HPLWYTW BYN* P., DH.: *ČY'H W HPLWY* followed by a gap, TD_2. The reading *čāh* was first suggested by Schaeder *apud* Nyb. CCM. 1929, p. 274. Nyb.'s *nisyē afravēt* was introduced for 'metrical' reasons. B. Geiger, WZKM, xl, pp. 114 f., read *āfravēt* < *frav-*.

χān (𐭥𐭥𐭥): is the correct reading as the addition of *āpān i sart* shows: so Henning and Bailey; Nyb. and Scheftelowitz read *aχᵛ*.

l. **112.** **'kē gētēh rōšnīh*: MSS. have *'hač gētēh* (TD_2 spells *GYT'H*, DH. and P. *GYT'* *passim*) *rōšnīh*. Keeping the *'hač* Nyb. preferred to assume a *lacuna* and read:

Ōhrmazd . . .<gētāh rōšnīh u>hač gētāh rōšnīh karp . . . tāšīt (so Nyb. *passim* for *brēhēnīt*, v. his *Glossar*, s.v. *tāšītan*; cf. note on l. 113). The passage can, however, only be correctly understood with reference to the parallel l. 120 where the counter-creation of Ahriman is described. There, whether my own addition of *χᵛatīh* is accepted or not, only one creation is mentioned, namely that of Ahriman's *dām*—or rather *tan i dām* corresponding to the *karp i dām* here—from *gētēh tārīkīh*. Since the correspondence is throughout extremely close, Nyb.'s addition seems superfluous. The confusion of *'hač* and *'kē* is so frequent in Phl. as not to require comment.

***l.* 113.** After *brēhēnīt* TD_2 and DH. have *aš*: P. omits. *'pat ātaχš* is written above the line in DH. The correspondence between the Ohrmazdean and Ahrimanian creations is so close that in this passage the text, where faulty, can be restored with comparative certainty. Thus the superfluous *aš* omitted by P. is not found in the parallel l. 121, and must be deleted.

rōšn i P., DH.: *rōšnīh* TD_2. The corresponding word in l. 121 is **siyāh*, and the reading of DH. and P. should therefore be preferred.

spēt: clearly so written in TD_2: P. has *SČYTW* which may either be read *sačēt* (so Nyb.) or *spēt* (Henning). The latter is to be preferred, as the corresponding word in l. 121 is *āturastar-*gōn* 'ash-coloured'.

girt: Nyb. reads *girt frāč paitāk* ⟨*būt*⟩. 'Puis apparut la voûte du ciel', &c. As our conceptions of the Zervanite cosmogony largely depend on the translation of this passage, a somewhat lengthy discussion cannot here be avoided. In CCM. 1931, pp. 194–5, Nyb. gives a scheme of what he conceives to have been the successive stages of the Zervanite creation. These are: (i) Ohrmazd and his essence, (ii) *gētēh rōšnīh*, the light of this world, (iii) (*a*) *karp i dāmān i χᵛēš* 'universal form', (*b*) *rāst gōβišnīh* 'truthfulness', (iv) (*a*) *girt*, the firmament, (*b*) *karp i vāy i vēh*, the form of the good atmosphere, (*c*) *zām*, the earth. Of these we have seen that the second is not dependent on or emanated from the essence of Ohrmazd, but is identical with it. Our immediate concern is now with *girt* which Nyb., followed by Widengren (*Hochgottglaube*, p. 304), took as the firmament. Such an interpretation is only possible if *būt* is added after *frāč paytāk*: and for this there is no MS. authority. Further, the ordinary word for the firmament in all the cosmological texts is *spihr*, and no other example has so far been adduced in which *girt* alone is used of the firmament. The only example known to the present author where such an idea is expressed is DkM. 81. 3, *girt i āsmān*, 'the circle of the sky'. The addition of *i āsmān* is significant as indicating that *girt* alone would have been about as comprehensible in Phl. when applied to the firmament as 'circle' is in English.

In attempting to elucidate this important text it should be borne in mind that in all probability we have here to deal with a translation of an Avestan original, as the forms *asarak karpak* and *asarōk karpak* clearly show. The latter form also occurs in DkM. 349. 5 (text Z 10), where it is expressly stated that *asarōk karpak* was the Av. name for the *aβzār* which was produced from the Endless Light (*'i-š apastākīk 'nām asarōk karpak*). Once this is conceded, it becomes plain that *girt* translates either *skarəna-* or *hikarana* 'round' (AIW., coll. 1587 and 1812) and that *frāč paytāk* is a translation of *frā-dərəsra-* (ibid. 1015). *frāč* is constantly used by the Pahlavī translators to represent Av. *fra-* or *frā-*, and generally, as here, adds little to the meaning. Further, from the little evidence I have been able to collect, it would appear that *girt* in Phl. is used overwhelmingly as an adjective 'round' or as an adverb 'around', precisely as it is in Persia to-day.

PhlRiv. 46. 24 (text Z 7): *aδvēnak-ē 'kē-š sumb girt čēyōn asp.*—'One sort which has round hooves like the horse.' Cf. Zs. 3. 53: *čahār-pāδ i girt-sumb*, 'round-hoofed quadrupeds'; ibid. 3. 54: *girt-sumbān*, 'round-hoofed creatures'.

GrBd. 114. 5: *'pat girtīh 'har ēvak 'pat patmānak i χᵛēš.*—'In roundness each (egg) according to its measure.'

Used with verbs the word, as in NP., has the meaning 'around'.

BahmanYt. 4. 62: *χᵛāstak i gēhān girt 'kunēnd, 'ut hačaδar i zamīk nihān 'kunēnd.*—'They round up (amass) the riches of the world and bury them in the earth.'

Kn. 7. 3 (Ântiâ, p. 22): *spāh 'pat 'vas marak girt kart, 'ō kārēčār i Ardavān 'frēstīt.*—'An army was collected in great numbers and sent to do battle with Ardavān.'

GrBd. 152. 2: *and zamīk dārēt čand 1000 mēš 'kaδ 'pat ham-'nišīnišīh girt frōt nišīnēt.*—'Covers as much ground as when a thousand sheep sit around together.'

Of Nyb.'s other cosmic entities *zām* must also disappear, for the word is unattested elsewhere, and P. reads clearly *dām*. As we shall see in the following notes the scheme of the Ohrmazdean creation can be easily disentangled from this difficult text by a close comparison with the Ahrimanian. The creations are as follows:

Ohrmazdean	*Ahrimanian*
1. The form of his own creatures in the form of fire.	The body of his own creation in the form of coal(?).
2. The form of the good Vāy.	The form of the evil Varan.
3. The selfhood of the gods.	The selfhood of the demons.

With reference to *brēhēnīt* which Nyb. read as *tāšīt*, the position is as follows. As an Iranian word it is easily explained as a denominative to *brēh* 'stature' (JRAS. 1940, p. 37, no. 6). <**brayaθa-* from *brāy-*, *brī-* 'cut'. Semantically one may compare French *taille* beside *tailler*. Pāz. reads *brəhn-*, *brəhən-*, *barəhin-*, and *brəhin-* (readings collected by Bailey). Nyb., however, in spite of the Pāz. prefers to treat the word as an ideogram, Aramaic *bereh*+*ūn*<*bᵉrā*, 'create': in that case one has to assume that *YN* is written for *WN*, and that the first of these two characters is a *Wāw* with a ligature to the left: this is unattested, and can scarcely be admitted as a normal way of writing even an Aramaic mask. For Nyb.'s full argument the reader is referred to his *Glossar*, pp. 224–5.

gētēh i P.: om. TD_2 and DH. P.'s reading is again confirmed by the *'hač gētēh χᵛat-dōšakīh* of l. 122.

***l.* 114.** *'kē pityārak*, &c.: I am entirely unable to agree with Nyberg's translation: 'C'est de cette force céleste que les récalcitrants des deux créations chantent ainsi: Elle est puissante, elle est le Temps.' Exactly parallel is our passage GrBd. 32. 1 (our text Z 2): *čēyōn 'gōβēt 'ku Vāy 'ān i 'andar 'har 'dō dām pityārak 'bē 'barēt*, where Nyb. himself translates correctly: 'C'est comme il est dit: L'œuvre propre de l'atmosphère, c'est de chasser les antagonistes qui se trouvent dans les deux créations.' This too must be the meaning here. *pityārak* means 'opposition' or 'aggression' with particular reference to the activities of Ahriman: it can under no circumstances mean 'les récalcitrants'. *bar-*, like its NP. equivalent, means 'carry off', not 'sing': Nyb.'s parallel—Av. *vāčim bar-* 'die Stimme erheben' (*Glossar*, p. 39),—is not valid, since the essential word in that phrase is, of course, not *bar-* but *vāčim*. In view of the close relation between Zurvān and Vāy, the translation here must be the same as in GrBd. 32. 1. The reading of P. *'bē 'barēt* instead of *'barēt*

makes this doubly certain. Nyb.'s theories expressed in CCM. 1931, p. 197 are based on an incorrect reading of the text and are therefore untenable.

pityārak : PT"'LKW DH, P. This will no longer be noted.

'bē P.: om. cet.

'hast tavān, 'hast zamān: P. omits the first *'hast. 'hast . . . 'hast*, 'whether . . . or' as in GrBd. 167. 5 (text Z 3): *Vāy i dērang-χᵛatāy, 'hast Zurvān zēn, 'hast i Ōhrmazd.*—'Vāy of the Long Dominion, whether he is the weapon of Zurvān or of Ohrmazd'. PhlTexts, p. 63. 59: *'saχᵛan 'hast guftan 'vēh 'ut 'hast 'pātan.*—'A word may either be better said or kept silent.' The first meaning of *'hast . . . 'hast* is 'sometimes . . . sometimes'. In any case there is no reason to suppose that these words are taken from a Zervanite poem (so CCM. 1931, l.c.).

l. 116. First *χᵛatāy* P.: *χᵛatāk* cet. This graphic variant will no longer be noted.

First *frāč*: om P.

'ut-aš P.: *aš* TD_2, DH.

dām P.: *zām* TD_2, DH. *dām* is certainly right as the *'kaδ-aš dām-ič 'dāt* of the explanatory clause shows. Nyb.'s *zām* (cf. l. 113 n.) is therefore superseded: it is in any case not an attested form.

l. 117. *Vāy-ič* (𐬬𐬀𐬌) *aβzār-ē* (𐬀𐬯𐬀𐬌) P.: *3-ič aβzār i* TD_2, DH.

'i-š: The MSS. read slightly more like *'ān-aš*, but may be read as *'i-š* which gives an easier construction.

apāyast ('P'ST) P.: *'P' YTW* TD_2, DH.

ll. 118–19: supplied from ll. 78–9, q.v.

l. 120. *χᵛēš ⟨χᵛatīh⟩ tan : tan i dām* here corresponds to the *karp i dāmān* of l. 110. The addition of *χᵛatīh* in accordance with the *χᵛatīh* above would therefore seem necessary. Otherwise one must translate 'from material darkness which is his own'.

l. 121. *zaγ*: in form exactly like *'ān*. The parallel passage Zs. 1. 29 (text Z 4) *aβzār-ē i . . . zayīk 'ut siyāh 'ut āturastar-gōn*, proves that this must be the reading. Since my note in BSOS. ix, p. 584 no further evidence has turned up. *zaγ karp* naturally corresponds to *ātaχš karp* l. 113. Hence I translate '? coal' on the analogy of NP. *zuγāl*.

**siyāh : S" YH* TD_2: *S' YH* P., DH. Readings indicate either *siyāh* or *siyāhīh*. The former is to be preferred on the grounds of Zs., l.c. Nyb. read **syāvahē* (CCM.) and **siyāvahē* (*Glossar*, p. 203) which is both unnecessarily archaic and involves the joining of a *Wāw* to the left.

*āturastar-*gōn : 'TWRWYSTLN* TD_2, DH.: *'TWRYSTLWN* P. v. BSOS. ix, p. 584.

aržānīk : 'LYČ'NYK MSS.

l. 122. *bazak-*aδvēn : bazak-"N* MSS. The reading is, however, assured by DkM. 103. 6: *čēγōn 'ān i bazak-aδvēntom χrafstar i rīmantom*, and ibid. 145. 8: *tār gētēh 'hamist dušgandīh rīmanīh bazak-aδvēnīh*. Otherwise *bazak-aδēn* would have been a possible reading, 'bringing sin'. Cf. MPT. *'dyn-*. For this word v. Part I, p. 247, n. C.

Varan i : WLNND TD_2, DH.: *WLNNG* P.

l. 123. *vattar-*dēn : WTLWNYT(W)* MSS. Corresponding to *Varan i vattar-*dēn karp frāč kirrēnīt* here l. 115 has *karp i Vāy i 'vēh frāč brēhēnīt*. Our *karp* must then be taken with *Varan*, and the intervening word must be an adjective qualifying *Varan*.

This adjective will presumably be the opposite of *vēh*, the epithet of Vāy. It is therefore clear that the word cannot be *'pāyēt (NTLWNYT)* and that *WTL* must be read as *vattar* 'worse'. The second part of the word could then be read as *nivēt* = NP. *nuvēd* 'good news' (for the same and Arm. *aweteran*, &c. v. Bailey, JRAS, 1934, p. 508; against him Henning, BSOS. ix, p. 85). Not having found a parallel to *nivēt* in Phl., however, I have preferred to emend to **dēn*.

Varan P., DH.: gap in TD_2.

l. 124. *dušravišnīh* P., DH.: gap in TD_2.

ll. 125–8. In the MSS. the sentence from *'čē-š 'hač gētēh tārīkīh . . . ganāk mēnōk paytāk 'būt* precedes *'čē-š 'ān dām . . . 'bē bēt*. The transposition, however, seems to be demanded by the parallel passage ll. 118–19. If it is through the selfhood of the gods that Ohrmazd makes his body better, then one must assume that it is through the selfhood of the demons that Ahriman makes his body worse. In similar contexts the contrasts between the Ohrmazdean and Ahrimanian activities are usually exact.

l. 125. *bēt* TD_2: *'bavēt* P., DH.

l. 126. *'dāt 'hač asar tārīkīh* P.: lacking in DH.: added above the line in TD_2. Nyb. reads *gētāh tārīkīh hač hān i asar tārīkīh dat* (sic); *hač *gētāh tārīkīh. . . .* There is much to be said for this reading, since it is more probable that material darkness should arise out of the Endless Darkness than vice versa. I have, however, preferred to ignore the words inserted in P. and TD_2, since there is nothing corresponding to them in the Ohrmazdean section, ll. 130 ff.

l. 127. **'dāt : 'būt* MSS., but the past part. passive of a transitive verb is required; otherwise the *-š* of *čē-š* is superfluous. In the corresponding clause l. 130 *Ōhrmazd* is the subject.

The second *drōγ-gōβišnīh* must be supplied; cf. l. 130. *'hač rāst-gōβišnīh*, &c. Nyb. has *hač avē anākīh i gannāk-mēnūk*, &c., which gives the same sense.

l. 128. *karp* P., DH.: *tan* TD_2.

kirrēnīt: *brēhēnīt* P.

'χᵛēš P.: *tan* added in TD_2 and DH.

l. 129. *'andar 'ān* P.: *'ut 'hač* TD_2, DH. The correctness of P. is proved by l. 132, *dām-ič hamāk 'andar asar karp(ak) 'bē 'dāt*.

l. 130. *⟨frāč dāt⟩*: some addition is necessary. Nyb. supplies *frāč tāšīt*.

l. 131. *'būt* P.: *'bavēt* TD_2, DH. The superfluous *dām-dahišnīh* must be deleted.

karp i TD_2, DH.: *karpak* P.

l. 132. *hamāk : HM'YK* P.

asar karpak : asarak karpak DH.: *asarōk karpak* P.

asarak karpak: so TD_2, DH.: *asarōk karpak* P.

l. 133. *sačišn: SČWŠN* TD_2, DH.: *SYČWŠNW* P.

'būt P., DH.: *'bavēt* TD_2.

asarak karpak TD_2, DH.: *asarōk karpak* P.

l. 134. For *yaθā-ahū-vairyō(k)* the MSS. have varying spellings.

'bē dahišnīh: Nyb. **bunē-δahišnīh* which would make the contrast with *fražām* more marked.

paytāk P.: *paytākīh* TD_2, DH.

l. **137.** *brīn i zamān*: simply 'a division of time' rather than 'les arrêts du temps' (Nyb.). The phrase corresponds to the Av. *zrvan- θwaršta-*.

l. **138.** *χᵛatāyīh* P.: *χᵛatāy-aš* TD_2.
dastaβarīh P., DH.: *dastūrīh* TD_2.

l. **139.** *dātastānōmandīh* TD_2: *dātastānmandīh* P., DH.
bālistīh: *B'LYSTYH* P.: *B'LSTYH* TD_2, DH.
χᵛārakīh seems to be the correct reading as its Ahrimanian opposite *dušvārīh* shows: MSS. have the unintelligible [illegible] Nyb. *χᵛāhrakīh*.

l. **140.** *dušvārīh* TD_2: *DŠWW'LYH* P., DH.

l. **143.** **apētak*: *'PYT'* P.: *'PYT'K* (*apaytāk*) TD_2, DH. As Nyb. has pointed out, the *apaytāk* of TD_2 makes no sense. The word is best emended to *apētak*, cf. MParthT. *'pydg* (Andreas–Henning, MirMan. iii) Arm. *pētk'*, *pitak*: <Old Iranian **upaita-* (so Nyberg, *Glossar*, s.v.). In Phl. the word has been noticed DkM. 762–5 *passim*: 70. 20; 709. 6; 711. 15. It must, however, be admitted that in these passages the meaning 'necessary' does not seem suitable. Nīr. 54. *nē apētak* translates Av. **paitika-* and is explained as *kē-š bahr andar nē būt ēstēt*, 'in which there has been no part', AIW., col. 828.

l. **144.** *gētēhīhā* (*GYT'HYH'*) TD_2, DH.: *GYT'H* P.

l. **145.** *amahraspandān* TD_2, DH.: *amahraspand* P.
**6*: 7 MSS.

l. **146.** *'čē* (*MH*) P.: *'ōδ* (*TMH*) TD_2, DH.: **avi* Nyb.

l. **147.** *'hač* before *Vāy*: om. P.

l. **149.** End of *lacuna* in Ind. Before *nazdist* Ind. has *Ōhrmazd 'pat startīh i Ahriman dām dāt.*
hač-iš: *frāč* Ind.

l. **150.** *mitōχtīhā*: *M'TWXTYH'* Gr.: *MYTWKXT 'ut 'pas* Ind.: *mitōχι gāh* Nyb. *'dāt. Ōhrmazd*: om. Gr.
gētēh: the spellings of this word vary; they will not be noted here.

l. **151.** First *nazdist*: Ind. has the ideogram *'WL'*.
āsmān: *'SYM'NW* P. This variant is exceedingly common and will not be noted again.
Second *nazdist*: om. Ind.

l. **153.** *'tāk*: om. Ind.
aš: *W'Š* P.
Artvahišt P.: *Urtvahišt* (*'WRT-*) TD_2, DH.: *Ašvahišt* Ind.
Šaθrēvar, *ŠTRYWR* P.: *ŠTRYW* Ind.: *ŠTYWR* TD_2, DH.

l. **154.** Last *'pas*: om. Gr.: Ind. has a *lacuna* from here to l. 164, omitting *brēhēnīt*.

l. **155.** *Srōš-ahrāy*, *SLWŠHL'* TD_2, P.: *SLWŠ'LČ* DH.

l. **156.** *buland*: *BLND* P.

l. **157.** *frēh-gōyōt*, *PL'YGWYWTW* TD_2, DH.: *PL'SYWT* P.

l. **158.** *vāt*: *'T* P.

pēš⟨ē⟩mār: *P'YŠM'L* P.

l. **159.** *aβzōnīkīh*: *'PZNYK* P.

l. **160.** *čahārom*: *čārom* P.

l. **163.** *'ut-aš*: *'i-š* P.

l. **164.** *ganāk mēnōk . . . frāč kirrēnīt, 'pas*: Ind. has *'ut Ahriman 'hač gētēh tārīk Akōman 'ut . . .*
pityārakōmandīh: *PTH'LK'WMNDYH* DH., P.: *PYTH'LK'WMNNDYH* TD_2.
kamālīkān: *KM'YL 'K'N* P.

l. **165.** *kirrēnīt*: *KLNYTW* P.
Indar (*'NDL*) Gr.: [illegible] Ind.
Sāvul: *S'WWL* TD_2: *S'WWLW* DH.: *S'WL* P.: *SWWL* Ind.
Nāγhaiθ: *N'HYKYH* TD_2: *N'HBYH'* P., DH.: *N'KHYT* Ind.
'pas Tarōmat: om. Ind.

l. **166.** *Tarič*: *Tārič* (*T'LYČ*) Ind.: *TLWYČ* DH.
Zārič TD_2, P.: *zārič* (*Z'LYČ*) Ind.: *ZYLWP* DH. Ind. ends the chapter here, and adds: *Ōhrmazd 'hač dām i gētēh* [*i*] *fratom āsmān, ditīkar 'āp 'ut sitīkar zamīk, čahārom urvar, pančom 'gōspand, šašom 'martōm.*

l. **167.** *hakurč*: *genāk menōk hakarč* P.
'čiš P., DH.: *'čišīh* TD_2.

l. **169.** *'čiš*: *i 'čē-š* P.

l. **170.** **patēst-ič* so Nyb.: *'pat stēž-ič* MSS. But cf. l. 47, where Gr. has the correct *patēst* and Ind. *'pat stēž-ič* as here.
**'barēt*: *'barēm* MSS.

l. **171.** **tarrīhā*: MSS. have *TLYHY'*, and for **tarrīh* in l. 172 *TLSYH*. I base my reading on the passage dealing with birth in Burzōē's introduction to the *Book of Kalīlah and Dimnah* (p. 40 in the edition of Fr. Cheikho, S.J., Beyrouth, 1905; p. 22 in the translation of Nöldeke, *Schriften der wissenschaftlichen Gesellschaft in Strassburg*, xii, 1912; cf. Christensen, *L'Iran sous les Sassanides*, p. 420). The text in translation runs as follows: 'And we read in medical books that when the water from which the perfect child is formed reaches the mother's womb, it mingles with her water and blood, thickens, and becomes bulky. . . .' According to Nöldeke (l.c.) Burzōē's introduction is genuine, and the correspondence between his text and that of GrBd. will therefore not be fortuitous. Our own text describes the different stages the foetus goes through before birth. The second of these is *gumēčakīh* 'mixture' and this corresponds exactly to the 'mingling' (*iχtalaṭa*) of Burzōē. We are then justified in supposing that the first stage corresponds to the *mā'* ('water') of Burzōē which Nöldeke translates as 'Feuchtigkeit'. The emendation is now simple, and *tarrīhā* must be read here, and *tarrīh* in l. 172. Nyb. read *tarsīh* translating 'engourdie de peur'.

l. **173.** *āvartakīh*: thus rather than *χᵛartakīh* 'smallness', as the meaning must be 'conception'. Etym. <Av. *var-* 'to make pregnant'. The word occurs in the obscure parallel passage DkM. 349. 17 (text Z 10), and appears to be equated with *gaβrīh*. Ibid. 170. 2, however, the stage following 'mixture' is described as *ham-'bavišnīh*, that is 'conception' or 'the coming together' of the male and female elements. This

idea is in no way expressed in *χᵛartakīh*. Cf. also Av. *vərəna-* 'Leibesfrucht', AIW. 1424.

**'būt* P.: *'bavēt* TD_2, DH. For *humānāk* P writes *hamānāk*.

l. **174.** *viškītakīh*: for meaning and reading v. BSOS. ix, p. 318.

**čēyōn*: MSS. have *jān* (*G'N*) which yields no sense whatever. Nyb. reads *pēšānīk* 'forehead', taking *G'N* as the equivalent of *G'NH* = *GBYN'*, the ideogram of *pēšānīk*. Bailey reads *gēn*, dialect form of *vēn* and having the same meaning as *vēnīk* 'nostril, nose'. No parallel, however, is quoted for MP.

Second *viškītakīh*: the initial *Wāw*, missing in TD_2, is present in P.

l. **175.** First *'būt* P., DH.: *'bavēt* TD_2.

**čandišn*: MSS. have *ČNDŠK*(*W*). The emendation involves the change of only one letter. The last stage before the actual birth is described. The 'movement' of the child from the uterus towards the 'light' of day suits the context admirably. Nyb.'s *nīšak*, as usual, lacks confirmatory evidence in MP.

**'ō : 'avē* MSS.

'pēš: om. P.

l. **176.** *rōšn : LWWŠNW* P.

ān : 'ān (*ZK*) P., DH.

l. **177.** *hanbavīhēnd* (*HNNBWYHYNND*) P.: *HNNBWŠYNND* TD_2.

'zāyēnd : ZLŠNND P.

parvarēnd P.: *PLWLND* TD_2.

l. **178.** *parvart* P., DH.: *parvarēt* TD_2.

l. **179.** After *'ān* TD_2 and DH. have *mēnōk*: P. omits.

'pitarīh P.: *'pitar* TD_2, DH.

l. **181.** *startīhā* P.: *starīhā* TD_2, DH.

l. **182.** *startīh* P.: *sturtīh* TD_2, DH.

'sayast: TD_2 adds [illegible]. On this word v. text Z 6, l. 2.

l. **183.** **'hač* (*MN*) *: 'čē* (*MH*) TD_2, DH.: *'čē-š* P.

asar : 'SLW DH.

l. **184.** *harvisp : HLWSČ* DH.

l. **185.** *srišk* (*SLYŠK*) TD_2: *SLŠK* DH., P.

First *'būt* P.: *'bavēt* TD_2, DH.

l. **188.** *tišn* (*TYŠNW*) P.: *TŠNW* TD_2, DH.

l. **189.** *aδyārīh*: P. writes [illegible] and omits the next nine words.

hudāk : hudahāk DH. **gōspand 'ō* : 'ō gōspand* MSS.

l. **190.** *'ō*: om. P.: DH. adds *aδyārīh*.

l. **192.** *ov-iš : 'WBŠNW* (*hanbašn*!) TD_2.

l. **193.** *'kē 'ēn*: P. repeats.

l. **194.** *'barēt*: [illegible] TD_2, DH.: [illegible] P.

l. **195.** *'gōβam : 'gōβēt* P.

paytāk, i P.: *paytākīh* TD_2, DH.

*(dūr-)*kanārak, χāyak-dēs**: TD_2 reads [illegible]: P. has [illegible]. The reading of TD_2 certainly contains a corruption of *kanārak*. *dūr-kanārak* is a standing epithet of the sky (e.g. ZXA. 256. 10; GrBd. 221. 15) and translates Av. *dūraē-karana-* (Yt. 13. 2) which is itself only used of the sky. The pointing of the reading of P. indicates that the [illegible] of TD_2 represents *dēs* as in GrBd. 41. 3, text Z 6, rather than *gās*. The first part of P.'s reading must then be read as *χāyak*. For the comparison of the sky to an egg cf. Mχ. 44. 7; PhlRiv. 46. 5 (text Z 7); DkM. 64. 7; Zs. 34. 20 (text Z 5). Thus with the aid of the two manuscripts the restoration *dūr-kanārak χāyak-dēs* seems assured. Nyb.'s reading *pasē gās* is not satisfactory.

l. **196.** *χᵛan-āhēn* (*XWN'HYNW*) DH.: *XWN'H'NW* TD_2: *XWN'ŠŠNN* P.

'nar (*ZGL*) P.: *ZGLW* TD_2, DH. *'nar* appears to be the obvious reading, and the ideogram is clearly written in P. For the idea cf. GrBd. 112. 15: *āsmān 'ut ayō(k)χšust 'ut vāt 'ut ātaχš 'nar 'ut hakarč yuttar 'nē 'bavēt : 'āp 'ut zamīk 'ut urvar 'ut māhīk mātak, hakarč yuttar 'nē 'bavēt.*—'The sky, metals, the wind, and fire are male and never become otherwise: water, the earth, plants, and fish are female and never become otherwise.' Nyb.'s *zērn*, though excellent Soghdian, can scarcely be admitted in a MPers. text. Bailey's interpretation (*Zoroastrian Problems*, p. 132) also seems unnecessary.

'bē P.: *'pat* TD_2, DH.

l. **197.** *āvahan* (*'WB'HNW*): so Bailey following Herzfeld, AMI. ii, p. 55 <*vah-* 'dwell'. Nyb. reads **avīkān*.

humānāk (*HWM'N'K*) P.: *HWM'N'KWW* DH.: *HM'N'KW* TD_2.

l. **198.** *drupušt : DLWPŠTW* P: *DLPWŠTW*, TD_2.

kōχšīšn : kōšīšn P.

apāyast (*'P'YSTW*) TD_2, P.: *'P'STW* DH.

l. **199.** *mānāk : hamānāk* P.

'kē P., DH.: om. TD_2.

parkān: 'enclosure'; v. Bailey, JRAS. 1934, p. 517. *bun* is perhaps better omitted. Nyb. preferred to read *frakāvan*.

čand-aš: here and in all the following cases P.: TD_2 has *čandīh*.

l. **200.** *drahnāδ*: DH. has *DLN'D* both times.

čand-aš bālāδ: om. P.

Second *'i-š : 'ut-aš* TD_2.

l. **201.** *hamōγ*: reading uncertain.

hupatsāy : HWPS'L* MSS. Nyb. reads *χūpsār* and translates 'bien agencé' or 'schön angemessen' (*Glossar*, p. 142) and connects with OP. *niyasṣārayam*. For *hupatsāy* cf. MPT. *pdys'y* 'entsprechend'. *hupassāy* with the same meaning could be read, cf. *passaχᵛ* <pati-saχᵛan* &c.

humānāk P., DH.: *hamānāk* TD_2.

l. **202.** *ākās : 'K'YH* P.

aβzōnīk : 'PZNYK P.

āsmān : 'YM'NW DH.

l. **203.** *patiγraft : PYTYLPTW* P.

drang: v. BSOS. ix, pp. 319, 584.

drupuštīh : puštīh P.

'nē: om. P.

l. **204.** *artēštār : 'LYT'ŠT'L* P.
zrēh : ZL'B TD$_2$, DH.: *ZLH* P.
apē- : 'PY TD$_2$, DH.: *'PYB* P.

l. **205.** *urvāhmanīh* TD$_2$: *urvāhman i* P., DH.

l. **206.** Second *urvāhmanīh* TD$_2$, DH.: *urvāhman i* P.
**'čē : 'kē* (*MNWW* P.) MSS.
-ič 'andar : čēγōn MSS.

l. **207.** *urvāhmanīh* P., DH.: *urvāhman i* TD$_2$.
'ēstēt : 'mānēt P.

l. **208.** *'ḥač*: om. DH.
čand . . . 'dast : čand 'kaδ 'mart i 2 'dast P.

l. **209.** *balāδ : bālā* TD$_2$, P.

l. **210.** *aδyārīh :* [illegible] P.
'mēγ : MWW MWZN'H TD$_2$, DH.: *MWW MWW ZN'H* P. For the reading of this word v. BSOAS. x, p. 630.
snōδān : SND'N TD$_2$, DH.: *SNŠNW̲* P. Reading after Nyb. The word is spelt either [illegible] or [illegible] and translates both Av. *snaoδa-* and *snaēž-* (cf. Vd. 8. 4, where it is glossed *vafr* 'snow'). It can therefore be read either *snōδān* or *snēhn*. In our passage the following *snēžak* makes the former more probable.
**snēžak : SNČKW̲* MSS. Reading after Nyb.

l. **211.** *'āp* P.: om. TD$_2$, DH.

anišēβ anaβrāz: [illegible] P. For the privative [illegible] TD$_2$ has [illegible]. This seems the only possible reading: so Bailey, who compares GrBd. 228. 4: *'ēn zamīk anāpēšar*(?) *'ut anišēβ 'ut hāmōn 'bē 'bavēt*.—'This earth will become without declivity and acclivity, and flat.' Henning (p. 12) read *huvišāδ huafrāz* 'weit ausgedehnt, schön sich erhebend': but the condition of the earth as it was first created by Ohrmazd must be similar to the perfect earth produced at the *Fraškart*, that is flat.

l. **212.** *drahnāδ* P.: *DLN'Y* TD$_2$, DH.
First *pahnāδ : pahnā* TD$_2$.
zahyāδ : ZHY'B TD$_2$: *ZHYYB* DH.: *ZWHY'B* P.

l. **213.** *āsmān : 'S'M'N* P.
ēvak-ē : -ē in all cases omitted by P. and DH.

ll. **214–15.** This passage, the most difficult and corrupt in the whole of the first chapter of the *Greater Bundahišn*, caused Nyb., with perhaps undue deference to an unsatisfactory text, to introduce readings which, for their extremely archaic forms, must be considered unacceptable. No satisfactory reconstruction of the text can be obtained unless we can find a clue to what the author is describing. He has just stated that the earth was created flat, and he subsequently tells us of the insertion of the minerals into the earth. In our present passage one thing is clear: he distinguishes three thirds of the earth each of which has peculiar properties. The first, he says, was created hard (*saχt*)—this seems the only possible reading of the word, the alternative *sāχt* being precluded by the absence of any similar verb in

the descriptions of the remaining two thirds—and this is, we venture to think, the clue to the whole passage. If the first section of the earth is hard, we are justified in supposing that the distinction between the three parts is one of consistency, and the third would therefore be soft, and the second something between the two. The ordinary word for 'soft' is *narm*, and towards the end of our passage we find *nēm* [illegible] which we are justified in taking as a corruption of *narm* [illegible]. On the same grounds I would emend the incomprehensible [illegible] to [illegible] *čēγōn gil*(*ak*) 'soft as clay'. If the emendation is bold, the sense is at least uncapricious.

In l. 214 [illegible] remains mysterious. Both Bailey (*Zoroastrian Problems*, p. 137) and Henning (JRAS. 1942, p. 233) have dealt with this tiresome word. The latter would read it as a corrupt ideogram for *'sang*, 'stone' (*ČČ'* corrupted from Aramaic *KYP'*): this he deduces from GrBd. 29. 8, where *ČČ'B i katak-masāδ* is equivalent to Avestan *asma katō-masā*. The present passage he emends to *'sang-*sār*. The objection to this is that *KYP'* = *'sang* is found correctly spelt (Dd. 17. 4 and 36. 103) and that *ČČ'* which is relatively common is not very like *KYP'*.

Bailey identifies *ČČ'* with Aramaic *ṢṢ'* 'nail, peg, wing' and cites GrBd. 140. 1, where the word appears as a name for a thunderbolt (*vīr*). *ṢṢ'* would represent *dār* or *dāl* 'wood', hence the confusion in the FrPhl. which interprets it as *dālman* 'eagle'. Our present *ČČ'D'L* would then be the same word written phonetically and as an ideogram: Bailey quotes instances of this in AVN. 16. 7 and Dd. 36. 17. I am inclined to agree with him that *ČČ'* is actually a mask for *dāl*; but I cannot agree that either the meanings he adduces for Aramaic *ṢṢ'* or *dār* = 'wood' are satisfactory. The meaning seems to be 'hard stone' (for which Henning's *'sang* fits) and the reading is very probably *dāl*, but *dār* (?*dāl*) means 'wood', not 'stone'. We must then be content with saying that *ČČ'* probably represents a word *dāl* otherwise unknown the meaning of which is some sort of hard stone.

In l. 214 we read *aržan* with P. ([illegible], TD$_2$ and DH have *DLTNW̲*) the initial *Wāw* of which may be discounted. My reading is based on Herzfeld's interpretation of OP. *aržana-* (*Altpersische Inschriften*, pp. 88–93). Herzfeld, against Bailey, BSOS. vi, p. 598, *āranjana-* 'colour', interprets as 'building material' or 'sandstone', and Hinz (JNES. 1950, p. 5) gives 'material' for the equivalent Accadian *si-im-ma-nu*. There is no doubt at all that some sort of building material gives a far better sense in Dar. Sus. Chart. 4 than 'colour' or 'ornament'. The relevant section (in Herzfeld's transcription, op. cit., p. 13) is as follows: *ima ha*[*diš tya θ'ūš*]*ā*[*y*]*ā aku*[*navam aržanam-ša*]*iy dūrdaš* [*abariya*] *fra*[*vata*] *būmiy akaniya* (the reading *aržanam* is assured by the Accadian *si-im-ma-nu*).—'This is the palace which I made at Susa. The *aržana* for it was brought from afar. The earth was dug down.' From this passage it seems clear that some sort of building material is intended. No useful purpose can be served by discussing the second passage in the inscription where the word occurs, for the one word which would give us a clue to the meaning of *aržana-* is imperfectly preserved, and will be read *dištā* 'built' or *pištā* 'decorated' according to one's personal view on the meaning of *aržana-*. The first passage, however, on grounds of context, supports the meaning 'building material, sandstone' rather than 'ornament'. Further support is now supplied by the reading of P. in our Bd. passage. If we read *aržan ākand*, we will then have the highly suitable meaning 'composed of sandstone'. MP. *aržan* is to be equated with Arm. *arjan* 'stone, statue'. *ākand* naturally corresponds to NP. *āgand* 'filled': in MP. also 'composed of', cf. Vd. 7. 11, *pašm-ākand* 'composed of wool', cf. text Z 7, § 5, *nikand*, and note ad loc.

l. **217.** *gōgart bōrak-ič*: for the first cf. MPT. *gwgyrd*, Soghd. *γwkt*, NP. *gōgard*, v. Henning, BSOS. ix, p. 90. and ibid. x, p. 398. P. omits *gōgart*. *gōgart* translates Av. *saokənta-* 'sulphur'.

l. **218.** *'ān i* P.: *'ān ē* (𐬀) TD_2.
'STYHL P.: *'STYHHL* TD_2, DH. The word remains problematic. Nyb. read *as-čihr*<**us-čiθra-* 'plant without seed'. This was accepted with reserve by Henning, MirMan. i, p. 9, no. 3, who similarly interpreted MPT. *"čyhr*. That our word is indeed a miswriting for the Turfān word seems proved by Vd. 4. 55, where we have *'āp i gōkartōmand zarrōmand āčihrōmand* (so the MS. MU1) translating Av. *āpəm saokəñtavaitīm zaranyāvaitīm vīθušavaitīm*. *āčihr* is therefore the Phl. equivalent of Av. *vīθuša-* which is itself of unknown meaning. It would seem from GrBd. and Vd. that we have to deal with a metal. Henning's Turfān text, however, clearly indicates a plant: *'wrwr 'sprhm w mrw 'wd "čyhr 'wd gwnggwng 'rwy kyšt 'wd rwst.*— 'Plants, flowers, herbs and *āčihr* and all manner of growing things were sown and grew.' It seems likely that we have to deal with a form of plant which by its hardness or some other property may be classed with metals. What this plant is, I am unable to say.

l. **219.** *'mart-ē*: *'mart* P.
hamāk: om. P.

l. **220.** *'ēstēt*: *'ēstāt* P.

l. **221.** *miyānak i*: *miyān* P.

l. **222.** *bālāδ*: *bālā* P. This insignificant variant will no longer be noted.
sarəδak: *SLYTKW* TD_2, DH.: *SLTKW* P.

l. **223.** *urvar*: TD_2 adds *'ut*.

l. **224.** *aδvan*: so Bailey, JRAS. 1934, pp. 505 ff.
srišk: *SLYŠK* P.: *SLŠKW* TD_2.
4: *5* DH.

l. **226.** *ēv-dāt* TD_2: *ēvak-dāt* P., DH.
miyānak P.: *M"NWKW* TD_2, DH.

l. **227.** **bār*: *bārīh* DH., P.: *B'L'YH* TD_2.
Vēh Daitē: *vēhdait* (one word) P.
spēt: *SYČYTW* TD_2, DH.: *SČYTW* P.
māh: *M'HY* DH.

l. **229.** *'bavēt*: *'būt* P.

l. **230.** *6-om*: *7-om* DH.

l. **231.** **bār*: *B'L'* MSS.

l. **232.** *'ēstēt* TD_2, P.: *'ēstāt* DH.

l. **234.** *uzvān⟨ō⟩mand*: *uzvānmand* TD_2, DH.: *ZW'N'NW 'WMNND* P.
daχšakōmandīh: *DXŠK'WMNDYH* DH.: *DXŠK'W'WMNNDYH* TD_2: *DXŠK'WMNND* P.

l. **235.** *'ēt 'ku*: repeated in DH.
'ān TD_2: *'ān* P., DH.

l. **237.** *buland*: *BLND* P.
Gayō(k)mart: *Gayōmart* DH.

l. **238.** *zargōnīh*: has the meanings of 'yellow or green colour' or 'freshness'. Cf. Vd. 2. 26: *zargōnēn 'ku tarr*. Cf. Soghd. *zrywn* 'vegetable' (*Sûtra des causes et des effets*); Khotanese *ysaragūna* 'of golden hue' (Konow, *Saka Studies*, s.v.).

l. **239.** *'ēn*: [illegible] P.
'nē 'āp tōhmak: om. P.

l. **240.** **'ut*: om. P.: *i* TD_2, DH.
'tāk-aš P., and so corrected in DH.: *NDYH* TD_2.

l. **242.** *'sāl i*: *'sāl-ē* (*ŠNTB*) P.

l. **244.** **i*: *-ē* (ـــ) MSS.

l. **245.** *čēγōnīh* P.: *čēγōn-aš* TD_2, DH.
āsmān: *'S'M'NW* P.

l. **246.** First *'rōč i*: *'rōč-ē i* P.
First *'māhīk*: *'māh* P. *Fravartīn*: *PLWLDYNW* P.
After *'tāk* TD_2 and DH. have *'ēn*.
Second *'māhīk*: *'māh* P.

l. **247.** *'pāt*: appears to be used in the sense of 'remained' throughout this section. Nyb. emends throughout to *'mānd*. P. spells *NTLWT*.

l. **248.** *māništ i *martōmān*: *M'N Y YŠTW* without *i* TD_2: *martōmīh* all MSS.
māništ ⟨i⟩ Miθr 'āp: om. P., perhaps rightly, as [illegible] may merely be a misspelt repetition of [illegible].

l. **249.** *paytākīh*: *paytāk i* P.

l. **252.** *maiδyō(k)šam*: *maiδyō(k)šām* P.

l. **253.** *'būt*: *'bavēt* TD_2.

l. **255.** *Art*: *'LT* DH.: *'LTW* P.: *YLT* TD_2.
'pāt: *NTWLWNT* TD_2.

l. **256.** *paitišhah*: *PYTYŠHH* TD_2: *PYTYYŠH* DH.: *PYTYŠH* P.
ravišnīh: *ravišn i* DH., P.

l. **259.** *5 'rōč*: om. P. In the restoration of the text I follow Nyb. After the second *'tāk* TD_2 has *Aštāt 'rōč* which is added above the line in DH. and omitted in P.

l. **260.** *ayāsrim*: *'Y'SLYM* TD_2: *'Y'SLM* P., DH.
vičārišn: *čārišn* P.
'ku-š: *'ku* P.

l. **261.** *zargōnīh*: *ZLGNYH* P.

l. **262.** *5-om*: *pančom* P., DH.

l. **263.** Second *'tāk*: om. P., DH.
⟨rōč i Varhrān⟩: so after Nyberg.

l. **264.** *maiδyairim*: *MYTY'YLYM* TD_2: *MYTY'YL* DH., P.

l. **266.** *Gayō(k)mart*: *90* written after it and then deleted in DH.

l. **267.** *Spandarmat*: *SČDRMTW* P.

l. **268.** *'tāk*: om. P., DH.

Before 5 *'rōč i truftak* P. has *'ān* omitting *'rōč i*. For *truftak* v. Schaeder, *Studien*, p. 216, and Nyb., p. 293; cf. id. *Glossar*, p. 227. Beside *truft* the spelling *traft* is found, cf. DkM. 407. 2; 444. 5.

l. **269.** *hamaspamaiδayam : HM'SČM'D̲YM* TD_2, DH.: *HM'SPSYM'N* P.

l. **273.** **Spantōmēn : SPYTMT* TD_2, DH.: *SČNDTMTW̲* P.
Vahištōišt (*WHŠTWYŠT*) P.: *WHŠTWHŠTW̲* TD_2, DH.
māhīkān [*i*]: P. has *māhān-ē* (*-B*).

l. **274.** **aš : 'ut-aš* MSS.
**'ēn : 'rōč* MSS.
Urtvahišt : 'WRTWHŠTW̲ TD_2: *'WRTHŠTW̲* P.

l. **275.** *Hurdāt*: P. writes the plenary *Aleph*.

l. **276.** *Fravartīn : PLWLDYNW̲* P.
Varhrān : Varhrām P.
Art P., DH: *YLTW̲* TD_2.

l. **277.** *Āsmān : 'S'M'N* P.: *'SYM'N* DH.

l. **278.** *'hač*: om. P.
For *Fravartīn* P. reads *'māh Fravardīn*; DH. *'māh Fravartīn*.

l. **279.** *Urtvahišt*: MS. readings as in l. 274.

l. **281.** *'māh*: om. P.
čēγōnīh P.: *čēγōn-aš* TD_2, DH.
One *ēvak* is omitted by P.
'gōβam : 'gōβēt P.

TRANSLATION

(1) This, the Knowledge of the Commentary, (deals) first with the primal creation of Ohrmazd and the aggression of the Destructive Spirit; next with the nature of material creatures from the original creation up to the consummation as it is revealed in the Mazdayasnian religion; next with the things contained in the world together with an interpretation of their nature and properties.

(2) Thus is it revealed in the Good Religion. Ohrmazd was on high in omniscience and goodness: for infinite Time he was ever in the Light. That Light is the Space and place of Ohrmazd: some call it the Endless Light. Omniscience and goodness are the totality of Ohrmazd: some call them 'religion'. The interpretation of both is the same, namely the totality of Infinite Time, for Ohrmazd and the Space, Religion, and Time of Ohrmazd were and are and ever shall be.

(3) Ahriman, slow in knowledge, whose will is to smite, was deep down in the darkness: ⟨he was⟩ and is, yet will not be. The will to smite is his all, and darkness is his place: some call it the Endless Darkness.

(4) Between them was the Void: some call it Vāy in which the two Spirits mingle.

(5) Concerning the finite and infinite: the heights which are called the Endless Light (since they have no end) and the depths which are the Endless Darkness, these are infinite. On the border both are finite since between them is the Void, and there is no contact between the two. Again both Spirits in themselves are finite. Again concerning the omniscience of Ohrmazd—everything that is within the knowledge of Ohrmazd is finite; that is, he knows the Norm (pact) that exists between the two Spirits until the creation of Ohrmazd shall rule supreme at the Final Body for ever and ever: that is the infinite. At that time when the Final Body comes to pass, the creation of Ahriman will be destroyed: that again is the finite.

(6) Ohrmazd in his omniscience knew that the Destructive Spirit existed, that he would attack and, since his will is envy, would mingle with him; and from beginning to end (he knew) with what and how many instruments he would accomplish his purpose. In ideal form he fashioned forth such creation as was needful for his instrument. For three thousand years creation stayed in this ideal state, for it was without thought, without movement, without touch.

(7) The Destructive Spirit, ever slow to know, was unaware of the existence of Ohrmazd. Then he rose up from the depths and went to the border from whence the lights are seen. When he saw the light of Ohrmazd intangible, he rushed forward. Because his will is to smite and his substance is envy, he made haste to destroy it. Seeing valour and supremacy superior to his own, he fled back to the darkness and fashioned many demons, a creation destructive and meet for battle. (8) When Ohrmazd beheld the creation of the Destructive Spirit, it seemed not good to him—a frightful, putrid, bad, and evil creation: and he revered it not. Then the Destructive Spirit beheld the creation of Ohrmazd and it seemed good to him—a creation most profound, victorious, informed of all: and he revered the creation of Ohrmazd.

(9) Then Ohrmazd, knowing in what manner the end would be, offered peace to the Destructive Spirit, saying, 'O Destructive Spirit, bring aid to my creation and give it praise that in reward therefor thou mayest be deathless and unageing, uncorrupting and undecaying. And the reason is this that if thou dost not provoke a battle, thou shalt not thyself be powerless, and to both of us there shall be benefit abounding.' (10) But the Destructive Spirit cried out, 'I will not bring aid to thy creation nor will I give it praise, but I shall destroy thee and thy creation for ever and ever: yea, I shall incline all thy creatures to hatred of thee and love of me.' And

the interpretation thereof is this, that he thought Ohrmazd was helpless against him and that therefor did he offer peace. He accepted not but uttered threats. (11) And Ohrmazd said, 'Thou canst not, O Destructive Spirit, accomplish all; for thou canst not destroy me, nor canst thou bring it about that my creation should not return to my possession.'

(12) Then Ohrmazd, in his omniscience, knew that if he did not fix a time for battle against him, then Ahriman could do unto his creation even as he had threatened; and the struggle and the mixture would be everlasting; and Ahriman could settle in the mixed state of creation and take it to himself. Thus even now, in the mixed state, there are many men who work unrighteousness more than righteousness—that is they work chiefly the will of the Destructive Spirit. (13) And Ohrmazd said to the Destructive Spirit, 'Fix a time so that by this pact we may extend the battle for nine thousand years'. For he knew that by fixing a time in this wise the Destructive Spirit would be made powerless. Then the Destructive Spirit, not seeing the end, agreed to that treaty, just as two men who fight a duel fix a term (saying), 'Let us on such a day do battle till night falls'.

(14) This too did Ohrmazd know in his omniscience, that within these nine thousand years three thousand would pass entirely according to the will of Ohrmazd, three thousand years in mixture would pass according to the will of both Ohrmazd and Ahriman, and that in the last battle the Destructive Spirit would be made powerless and that he himself would save creation from aggression.

(15) Then Ohrmazd chanted the *Ahunvar*, that is, he recited the twenty-one words of the *Yaθā ahū vairyō*: and he showed to the Destructive Spirit his own final victory, the powerlessness of the Destructive Spirit, the destruction of the demons, the resurrection, the Final Body, and the freedom of creation from all aggression for ever and ever. (16) When the Destructive Spirit beheld his own powerlessness and the destruction of the demons, he was laid low, swooned, and fell back into the darkness; even as it is said in the Religion, 'When one third thereof is recited, the Destructive Spirit shudders for fear; when two thirds are recited, he falls on his knees; when the prayer is finished, he is powerless'. Unable to do harm to the creatures of Ohrmazd for three thousand years the Destructive Spirit lay crushed.

(17) I shall now speak of the ideal creation, then of the material.

(18) Ohrmazd, before the act of creation, was not Lord: after the act of creation he became Lord, eager for increase, wise, free from adversity, manifest, ever ordering aright, bounteous, all-perceiving, (19) [First he created the essence of the gods, fair (orderly) movement, that genius by which he made his own body better] for he had conceived of the act of creation: from this act of creation was his lordship.

(20) And by his clear vision Ohrmazd saw that the Destructive Spirit would never cease from aggression and that his aggression could only be made fruitless by the act of creation, and that creation could not move on except through Time and that when Time was fashioned, the creation of Ahriman too would begin to move. (21) And that he might reduce the Aggressor to a state of powerlessness, having no alternative he fashioned forth Time. And the reason was this, that the Destructive Spirit could not be made powerless unless he were brought to battle. And the interpretation of battle (*kārēčār*) is this, that action (*kār*) must be performed with resourcefulness (*čārōmandīh*).

(22) Then from Infinite Time he fashioned and made Time of the long Dominion: some call it finite Time. From Time of the long Dominion he brought forth permanence that the works of Ohrmazd might not pass away. From permanence discomfort was made manifest that comfort might not touch the demons. From discomfort the course of fate, the idea of changelessness, was made manifest, that those things which Ohrmazd created at the original creation might not change. From the idea of changelessness a perfect will (to create) material creation was made manifest, the concord of the righteous creation.

(23) In his unrighteous creation Ahriman was without knowledge, without method. And the reason and interpretation thereof is this, that when Ahriman joined battle with Ohrmazd, the majestic wisdom, renown, perfection, and permanence of Ohrmazd and the powerlessness, self-will, imperfection, and slowness in knowledge of the Destructive Spirit were made manifest when creation was created.

(24) For Time of the long Dominion was the first creature that he fashioned forth: for it was infinite before the contamination of the totality of Ohrmazd. From the infinite it was fashioned finite; for from the original creation when creation was created until the consummation when the Destructive Spirit is made powerless there is a term of twelve thousand years which is finite. Then it mingles with and returns to the Infinite so that the creation of Ohrmazd shall for ever be with Ohrmazd in purity. (25) As it is said in the Religion, 'Time is mightier than both creations,—the creation of Ohrmazd and that of the Destructive Spirit. Time understands all action and order (the law). [Time is better informed.] Time understands more than those who understand. Time is better informed than the well-informed; for through Time must the decision be made. By Time are houses overturned—doom is through Time—and things graven

shattered. From it no single mortal man escapes, not though he fly above, not though he dig a pit below and settle therein, not though he hide beneath a well of cold waters.'

(26) From his own essence which is material light Ohrmazd fashioned forth the form of his creatures—a form of fire—bright, white, round, and manifest afar. From the material (form) of that Spirit which dispels aggression in the two worlds—be it Power or be it Time—he fashioned forth the form of Vāy, the Good, for Vāy was needed: some call it Vāy of the long Dominion. With the aid of Vāy of the long Dominion he fashioned forth creation; for when he created creation, Vāy was the instrument he needed for the deed. ⟨Then he created the essence of the gods, fair (orderly) movement, that genius by which he made his own body better.⟩

(27) From the material darkness which is his own essence the Destructive Spirit fashioned forth the body of his creation in the form of coal (?), black and ashen, worthy of the darkness, damned as the most sinful noxious beast. From material self-will he fashioned forth the form of Varan (heresy) whose religion is the worse (?); for Varan was needed. Next he created the essence of the demons, evil (disorderly) movement, that genius from which destruction came to the creatures of Ohrmazd: for he created a creation through which he made his own body more evil that (in the end) he might be powerless.

(28) For from material darkness which is the Endless Darkness he created lying speech: and from lying speech the harmfulness of the Destructive Spirit was manifest. [For he created that creation through which he made his own body more evil that he might be powerless.] For from the Endless Darkness he fashioned forth that form and he created his creation within that form: and through his own act of creation he will become powerless.

(29) From material light Ohrmazd created true speech: and from true speech the productiveness of the Creator was revealed. For he fashioned forth the Endless Form from the Endless Light and he created all creation within the Endless Form. The Endless Form is exempt from the passage of Time. From the Endless Form the *Ahunvar* came forth, the genius of the *Yaθā ahū vairyō* through which creation and the end of the world are revealed: this is the Religion. For Religion was created simultaneously with the act of creation. (30) From the *Ahunvar* the Spirit of the Year came forth which is now in a mixed state, half light and half dark, three hundred and sixty-five days and nights, and is a division (dispensation) of Time of the long Dominion. By means of it both creations were set in motion and strove with each other; as it is said, 'The creation of Ohrmazd was

endowed with lordship, authority, orderliness, blissful in the heights; the creation of the Destructive Spirit was endowed with contumacy, rebelliousness, sinfulness, straitened in the depths.'

(31) Ohrmazd became lord over decisions through the Amahraspands. When they had been created, he made three Judges, for they were needed for the material world. In the latter days at the Final Body they shall carry evil away from it. Spiritually he sustains the spiritual creation. The material creation he created in ideal form: then he created it in material form.

(32) First he created the Amahraspands, six originally, then the rest; and the seventh is Ohrmazd himself. Of the material world he created first six (beings) in ideal form; and he himself was the seventh. For Ohrmazd is both spiritual ⟨and material⟩. Material creation is first from the Amahraspands, second from Vāy of the long Dominion.

(33) First he fashioned forth Vahuman by whom movement was given to the creation of Ohrmazd. The Destructive Spirit first created Akōman of the lying word. Of material creatures Ohrmazd first fashioned the sky; and from the goodly movement of material light he fashioned forth Vahuman with whom the good Mazdayasnian Religion dwelt: that is to say Vahuman knew what would befall creation even up to its rehabilitation. Then he fashioned Artvahišt, then Šaθrēvar, then Spandarmat, then Hurdāt, then Amurdāt: and the seventh was Ohrmazd himself. (34) Eighth true speech, ninth the blessed Srōš, tenth Mānsraspand, eleventh Nēryōsang, twelfth the exalted judge Raθwōk Berzait, thirteenth Rašn the just, fourteenth Mihr of wide pastures, fifteenth Aršišvang the good, sixteenth Pārand, seventeenth Sleep, eighteenth the Wind, nineteenth Order (the Law), twentieth Dispute, prosecution and defence, and the fruitfulness of reconciliation.

(35) Of material creation (he created) first the sky, second water, third the earth, fourth plants, fifth cattle, sixth man; the seventh was Ohrmazd himself. And he fashioned forth creation with the aid of Vāy of the long Dominion: for when he fashioned forth Vāy of the long Dominion, it too was as an instrument and needful for the act of creation.

(36) The Destructive Spirit, bent on aggression, first of the demons with monstrous heads fashioned forth Akōman, then Indar, then Sāvul, then Nāŋhaiθ, then Tarōmat, then Tarič and Zērič, then the other demons: the seventh was the Destructive Spirit himself. Never does he think or speak or do anything that is righteous; nor did he need the good that is in the creation of Ohrmazd;—and the creation of Ahriman did not need the good that is in the creation of Ohrmazd. (37) Ohrmazd does not turn his mind

to anything he cannot do. The Destructive Spirit does turn his mind to what he cannot do and threatens to do it.

(38) The creation of Ohrmazd was fostered spiritually in such wise that it remained without thought, without touch, without movement in a moist state like semen. After this moist state came mixture like (that of) semen and blood; after mixture came conception, like a foetus; after conception came diffusion, such as hands and feet; after diffusion came hollowing—eyes, ears and mouth; after hollowing came movement when it came forward to the light. Even now on earth do men in this wise grow together in their mother's womb, and are born and bred. (39) Ohrmazd by the act of creation is both father and mother to creation: for in that he fostered creation in ideal form, he acted as a mother; and in that he created it materially, he acted as a father.

DH (H) 2

(40) Concerning the material creation.

(41) When the Destructive Spirit was laid low, unable to act (as I have written above) for three thousand years he lay abject and low. During the period of the powerlessness of the Destructive Spirit Ohrmazd fashioned creation in material form. From the Endless Light he fashioned fire in material form, from fire wind, from wind water, from water the all-solid earth: as it is said in the Religion: 'The first creation of all was a drop of water, for all things arose from water except the seed of man and cattle: for that seed has the seed of fire.'

(42) First he created the sky as a defence. Some call it 'the first'. Second he created water to smite down the Lie of thirst: third he created the all-solid earth: fourth he created plants to help the useful kine: fifth kine to help the Blessed Man: sixth he created the Blessed Man to smite the Destructive Spirit and his demons and make them powerless. Then he created fire, a flame; and its brilliance derived from the Endless Light, a goodly form even as fire desires. Then he fashioned the wind in the form of a stripling, fifteen years of age, which fosters and keeps the water, the plants, and the kine, the Blessed Man and all things that are.

(43) Now I shall describe their properties. First he created the sky, bright and manifest, its ends exceeding far apart, in the form of an egg, of shining metal that is the substance of steel, male. The top of it reached to the Endless Light; and all creation was created within the sky—like a castle or fortress in which every weapon that is needed for the battle is stored, or like a house in which all things remain. The [bottom of the] vault of the sky's width is equal to its length, its length to its height, and its height to its depth: the proportions are the same and fit exceeding well (?). Like a husbandman the spirit of the sky is possessed of thought and speech

and deeds, knows, produces much, discerns. (44) And it received durability as a bulwark against the Destructive Spirit that he might not be suffered to return (to whence he came). Like a valiant warrior who dons his armour that fearless he may return from battle, so does the spirit of the sky keep (don) the sky. And to help the sky, he (Ohrmazd) gave it joy, for he fashioned joy for its sake: for even now in the mixed state creation is in joy.

(45) Second from the substance of the sky he fashioned water, as much as when a man puts his hands on the ground and walks on his hands and feet, and the water rises to his belly and flows to that height. And as helpmates he gave it wind, rain, mist, storm, and snow.

(46) Third from water he created the earth, round, with far-flung passage-ways, without hill or dale, its length equal to its breadth, and its breadth to its depth, poised in the middle of the sky: as it is said, 'The first third of this earth he fashioned as hard as granite(?); the second third of this earth he fashioned of sandstone(?); the third third of this earth he fashioned as soft as clay.' (47) And he created minerals within the earth, and mountains which afterwards sprang forth and grew out of the earth. And to aid the earth he gave it iron, copper, sulphur, and borax and all the other hard substances of the earth except . . . (?) . . ., for that is of a different substance. And he made and fashioned the earth like a man when he tightly covers his body on all sides with all manner of raiment. Beneath this earth there is water everywhere.

(48) Fourth he created plants. First they grew in the middle of this earth to the height of a foot, without branches, bark or thorn, moist and sweet: and every manner of plant life was in their seed. And to aid the plants he gave them water and fire; for the stem of every plant has a drop of water at its tip and fire for (the breadth of) four fingers before (the tip). By the power of these they grew.

(49) Fifth he fashioned the lone-created Bull in Ērānvēž in the middle of the earth, on the banks of the river Vēh Daitē, for that is the middle of the earth. He was white and shining like the Moon and his height was about three cubits. And to aid him he gave him water and plants; for in the mixed state he derives strength and growth from these.

(50) Sixth he fashioned Gayōmart, shining like the Sun, and his height was about four cubits and his breadth equal to his height, on the banks of the river Daitē, for that is the middle of the earth—Gayōmart on the left side, the Bull on the right side; and their distance one from the other and their distance from the water of the Daitē was as much as their height. They had eyes and ears, tongue and distinguishing mark. The distinguishing mark of Gayōmart is this, that men have in this wise been born from

his seed. (51) And to aid him he gave him sleep, the repose of the Creator; for Ohrmazd fashioned forth sleep in the form of a man, tall and bright, and fifteen years of age. He fashioned Gayōmart and the Bull from the earth. And from the light and freshness of the sky he fashioned forth the seed of men and bulls; for these two seeds have their origin in fire, not in water: and he put them in the bodies of Gayōmart and the Bull that from them there might be progeny abundant for men and kine.

(52) These six creations he made in the six *gāsānbār* seasons. In a complete year there are three hundred and sixty-five days or twelve months, each month having thirty days and one month thirty-five. Each day was given the name of an Amahraspand.

(53) Now I shall speak of their properties. First he fashioned the sky in forty days, that is from the day of Ohrmazd in the month of Fravartīn to the day of Āpān in the month of Artvahišt. For five days he rested till the day of Daδv pat Miθr. Those five days are *gāsānbār*: their name is *maiδyōzarm*. And the interpretation of *maiδyōzarm* is this, that the dwellings of man [and the dwellings of Mihr and water] and vegetation were made manifest.

(54) Second he created water in fifty-five days, that is from the day of Miθr in the month of Artvahišt to the day of Āpān in the month of Tīr: for five days he rested till the day of Daδv pat Miθr. Those five days are *gāsānbār*: their name is *maiδyōšam*. And the interpretation of *maiδyōšam* is this, that water was (then) made clear; for at first it was turbid.

(55) Third he created the earth in seventy days, that is from the day of Miθr in the month of Tīr to the day of Art in the month of Šaθrēvar. For five days he rested till the day of Anaγrān. Those five days are *gāsānbār*: their name is *paitišhah*. And the interpretation of *paitišhah* is this, that it was (then) revealed that creatures on earth can walk on foot.

(56) Fourth he created the plants in twenty-five days, that is from the day of Ohrmazd in the month of Miθr till the day of Aštāt: for five days he rested till the day of Anaγrān. Those five days are *gāsānbār*: their name is *ayāsrim*. And the interpretation of *ayāsrim* is this, that leaf and scent and colour of vegetation were (then) made manifest.

(57) Fifth he created cattle in seventy-five days, that is from the day of Ohrmazd in the month of Āpān to the day of Daδv pat Miθr in the month of Daδv: for five days he rested till the day of Varhrān. Those five days are *gāsānbār*: their name is *maiδyāirim*. And the interpretation of *maiδyāirim* is this that he taught his creatures to lay up store for winter.

(58) Sixth he created Man, that is Gayōmart, in seventy days, that is from the day of Rām in the month of Daδv to the day of Anaγrān in the

month of Spandarmat: for five days he rested till the day of Spandarmat. Those five days are *gāsānbār*. Some call them the 'stolen days', some the 'days filched away'. Their name is *hamaspamaiδayam*. And the interpretation of *hamaspamaiδayam* is this, that marching in assembled hosts was made manifest on earth: for the Fravahrs of men came down in assembled hosts. (59) The name of those five days is the Stolen. Some call them the five Gāθic periods, some the good pentad. In the Religion they are *Ahunvait gās*, *Uštavait gās*, *Spantōmēn gās*, *Vahušaθr gās*, *Vahištōišt gās*. The names of the thirty days that form the months are these: Ohrmazd, Vahuman, Artvahišt, Šaθrēvar, Spandarmat, Hurdāt, Amurdāt, Daδv, Ātur, Āpān, Xᵛar, Māh, Tīr, Gōš, Daδv, Miθr, Srōš, Rašn, Fravartīn, Varhrān, Rām, Vāt, Daδv, Dēn, Art, Aštāt, Āsmān, Zāmdāt, Mahraspand, Anaγrān.

(60) Likewise the twelve months are named after Amahraspands: the month of Fravartīn, the month of Artvahišt, the month of Hurdāt, the month of Tīr, the month of Amurdāt, the month of Šaθrēvar, the month of Miθr, the month of Āpān, the month of Ātur, the month of Daδv, the month of Vahuman, the month of Spandarmat. Of the properties of each severally I shall discourse below.

NOTES

(6) 'He fashioned forth such creation as was necessary for the weapon.' The 'weapon' must be the original weapon from which the universe is formed mentioned in PhlRiv. (text Z 7). This weapon which develops from the 'Endless Form' is limited space, the 'body' of limited Time, the universe contained within the firmament; v. Part I, Chapter V.

(19) The passage in square brackets is obviously out of place. It must be inserted in § 26, for the creation of the essence of the gods corresponds to the creation of the essence of the demons in Ahriman's counter-creation.

(20) Cf. DkM. 390. 22: *druž pēš 'hač kanārak-paytākīh i zamān 'pat tarmēnītan ⟨i⟩ dātār 'ut-aš dahišnān nērōk*.—'Before a limit was set to Time, the Lie had the power to despise the Creator and his creations.'

(31) The three Judges are in all probability Mihr, Rašn, and Srōš: v. Part I, p. 102.

Z 2. The third chapter of the *Greater Bundahišn*, p. 30, l. 10 to p. 39, l. 11 in the edition of Anklesaria (for details v. Z 1, introduction). Except for ll. 100–11 (Justi, p. 7, l. 9–p. 8, l. 5) the chapter is missing in the Indian recension and, therefore, also in the Pāzand. The chapter has been transliterated, translated, and annotated by Nyberg in the *Journal Asiatique*, vol. ccxiv, 1929, pp. 228–37 and 295–310. For a discussion of its contents v. Part I, Chapters V and VIII.

(1) *'apar čēγōn⟨īh 'ut⟩ čim i dahišnīh ⟨i⟩ dām 'ō artīk-karīh.* A30

(2) *Ōhrmazd 'nām i 30 amahraspand 'pat 'ān 30 'rōč ētōn 'nihāt 'ku nazdist Ōhrmazd, 'pas 6 amahraspand, 'bavēt 7: 'ut 8-om daδv, 'hast dātār; 'ut 'pas 6 amahraspand, 'bavēt 7; 8-om daδv, 'hast dātār, 'pas 7 amahraspand |*
A31 *'bavēt *8; 9-om daδv, 'hast dātār. 'ut 'pas 7 amahraspand, 'bavēt 8. čēγōn*
6 *'nām i 'χᵛēš 'pat 4 gyāk 'andar māhīkān passāχt,—Ōhrmazd 'ut 'ān i 3 daδv ⟨i⟩ ēvak 'nām: ēvak gās 'ut ēvak dēn 'ut ēvak zamān 'kē hamē 'būt 'hēnd.*

(3) *'kaδ ganāk mēnōk 'ō pityārak mat, Ōhrmazd Zamān i dērang-χᵛatāy brēhēnīt 'pat 'mart karp i 15 sālak, rōšn, spēt-dōisr, buland, amāvand 'kē-š*
10 *amāvandīh 'hač hunarāvandīh, 'nē 'hač dužīh 'ut stahmakīh.*

(4) *'ut-aš 'χᵛat patmōčan i spēt patmōχt, 'ut brēh i āsrōnīh dāšt; 'čē hamē dānākīh 'apāk āsrōnān 'kē 'ō 'kasān nimūtār, 'har 'kas hač-iš hamōχtār 'hēnd. Ōhrmazd-ič χᵛēškārīh dām-dahišnīh 'būt; dām 'pat dānākīh šāyēt 'dāt. 'ēt rāδ brahmak i dānākān patmōχt, 'hast āsrōnīh.*

15 (5) *Vāy i 'vēh yāmak i 'zarrēn sēmēn gōhr-pēsīt 'ut *arγavān 'vas-rang patmōχt, brahmak i artēštārīh ⟨dāšt⟩; 'čē 'apar raftār 'hač 'pas ⟨i⟩ dušmanān*
A32 *'pat pityārak zatan, dām pānakīh kartan; čēγōn 'gōβēt | 'ku Vāy 'ān i 'andar 'har 'dō dām pityārak 'bē 'barēt, χᵛēškārīh, *'kē-š 'dāt spēnāk mēnōk, 'kē-ič ganāk mēnōk, — 'pat 'ēn 'ku artīk 'sar 'bē 'kunēt, dām i Ōhrmazd hamē*
20 *aβzāyēt, 'ān i ganāk mēnōk āβsihēnēt.*

(6) *'hač Zamān brēhēnīt Spihr i Zurvān i dērang-χᵛatāy tan, nēvak baγ [i] baχtīh; 'ut-aš patmōčan i χšēn patmōχt, brahmak i vāstryōšīh dāšt: 'čē-š nēvak baχtārīh ⟨i⟩ gēhān χᵛēškārīh, ōγōn čēγōn vāstryōšān gēhān varzītan, passačakīhā 'bē dātan.*

25 (7) *čēγōn Ōhrmazd miyān ⟨i⟩ 'har 6 amahraspand dām i 'χᵛēš *passāχt, dahišn-*ič i* mēnōk 'ut gētēh 'pat ham-aδvēnak 'dāt, čēγōn mēnōk Ōhrmazd 'ut 'ān 6 amahraspand, Vahuman, Artvahišt, Šaθrēvar, Spandarmat, Hurdāt, Amurdāt, ētōn-ič āsmān 6 *pāδak i nazdist aβr-pāδak, ditīkar spihr i aχtarān, sitīkar star i agumēčišnīh, 4-om vahišt,—māh 'pat 'ān pāδak 'ēstēt,—*
30 *pančom garōδmān 'kē anaγr [i] rōšn 'χᵛānīhēt,—χᵛaršēt 'pat 'ān pāδak 'ēstēt,*
A33 *— | šašom gās i amahraspandān, haftom asar rōšnīh, gās ⟨i⟩ Ōhrmazd.*

(8) *ōγōn ič dām i gētēh *7 brēhēnīt, nazdist āsmān, ditīkar 'āp, sitīkar zamīk, čahārom urvar, pančom gōspand, šašom martōm, 'ut haftom ātaχš 'kē brēh 'hač asar rōšn, gās i Ōhrmazd. 'ut-aš ātaχš 'andar harvisp dahišn ētōn 'bē parkand,*
35 *frāč brēhēnīt, čēγōn katak-χᵛatāy-ē 'kaδ 'andar χānak 'šavēt, yāmak i 'andar χānak χᵛap 'apāč 'nihāt . . . 'ut-aš framūt 'ō ātaχš 'andar aβigatīh parastak i martōm kartan, χᵛarišn sāχtan 'ut dart zatan. 'kaδ 'hač 'čiš 'čiš 'bē vazēn⟨ēn⟩d, bērōn 'āyēt; 'kaδ 'ēsm 'apar 'nihēnd, frāč 'gīrēt.*

(9) *'ut-aš harvisp amahraspandān 'pat ham-kārīh artīk-karīh ⟨i⟩ dām ētōn*
40 *gumārt ēstēnīt 'ku 'kaδ aβigat āmat, 'har 'kas 'ān i χᵛēš hamēmāl 'pat kōχšišn frāč 'graft, 'ku nōk framān 'andar 'nē apāyēt.*

(10) *'ut-aš čēγōnīh frāčtar 'gōβam.*

(11) *fratom 'hač mēnōkān Ōhrmazd | ['ān 3 daδv], 'ut-aš 'hač gētēhān bun*
A34 *martōm 'ō 'χᵛēš 'graft. 'ut-aš ham-kār 'ān 3 daδv: ēvak gās 'ut ēvak dēn 'ut ēvak zamān, visp dē 'nām 'kē 'hast mēnōk ⟨i⟩ harvisp [ākās 'ut-aš martōm 'ō*
45 *'χᵛēš 'graft] dahišn hač-iš. martōm 'pat 5 *bažišn frāč 'dāt, tan 'ut ǰān 'ut ruvān 'ut aδvēnak 'ut fravahr; čēγōn tan 'ān i gētēh; 'ut ǰān 'ān i 'apāk vāt patvast 'ēstēt, vēn 'āβarišn barišn; ruvān 'ān i 'apāk bōδ 'andar tan 'āšnavēt, 'vēnēt, 'gōβēt, 'dānēt: aδvēnak 'ān i 'pat χᵛaršēt pāδak 'ēstēt: fravahr 'ān i 'pēš i Ōhrmazd χᵛatāy: 'pat 'ān čim ētōn brēhēnīt 'ku 'andar aβigatīh 'martōm*
50 *'mīrēnd, tan 'ō zamīk, 'ǰān 'ō vāt, aδvēnak 'ō χᵛaršēt, ruvān 'ō fravahr patvast, 'ku *'dēvān ruvān marnǰēnītan 'nē tavān 'bavāt.*

(12) *ditīkar 'hač mēnōkān Vahuman. 'ut-aš 'hač gētēhān dahišn gōspand sarδakān 'ō 'χᵛēš patiγraft. 'ut-aš 'dāt 'ō aδyārīh ham-kārīh Māh 'ut Gōš 'ut Rām 'ut | Spihr i χᵛatāy ⟨'ut⟩ Zurvān i akanārak 'ut Zurvān i dērang-χᵛatāy.*
A35 *'ut-aš gōspand 'pat panč *bažišn frāč brēhēnīt,—tan, ǰān, ruvān, aδvēnak,*
56 *mēnōk: 'ku ['tāk] 'andar aβigatīh Gōšurvan tōhmak i gōspandān 'hač māh pāδak patiγraft, 'pat aδyārīh i Rām i 'vēh 'andar gēhān ravākēnīt. 'kaδ 'mīrēnd, tan 'ō Gōšurvan, ruvān 'ō Rām, aδvēnak 'ō māh, mēnōk 'ō Vahuman patvast, 'ku *dēvān 'bē marnǰēnītan 'nē tavān bāt.*
60

(13) *sitīkar 'hač mēnōkān Urtvahišt. 'ut-aš 'hač dahišn i gētēh ātaχš 'ō 'χᵛēš 'patiγraft. 'ut-aš 'dāt 'ō aδyārīh ham-kārīh Ātur 'ut Srōš 'ut Varhrān 'ut Nēryō(k)sang, 'pat 'ān čim 'ku 'andar aβigatīh Varhrān ātaχš 'andar mān *nišāst vīnārt, drupuštīh 'dahēt, Srōš pānakīh 'kunēt; 'kaδ 'bē azrōβēt, 'hač Varhrān 'ō Srōš, 'hač Srōš 'ō Ātur, 'hač Ātur 'apāč 'ō Artvahišt patvast,*
65 *'ku 'dēvān 'bē marnǰēnītan 'nē tavān 'bavāt.*

(14) *čahārom | 'hač mēnōkān Šaθrēvar. 'ut-aš 'hač dahišn ⟨i⟩ gētēh ayō(k)-*
A36 *χšust 'ō 'χᵛēš 'graft. 'ut-aš 'dāt 'pat aδyārīh ham-kārīh Xᵛar, Miθr, Āsmān, Anaγrān, Sōk i 'vēh, Ar(k)dv⟨ī⟩-sūr, Hōm yazat, Burz yazat 'ut Dahmān Āfrīn. 'čē ayō(k)χšust ōstuvārīh 'hač āsmān; āsmān bun gōhr [i] *gēn ayō(k)-*
70 *χšust. 'ut-aš vīnārišn 'hač Anaγrān. Anaγrān andarag rōšn mān i 'zarrēn gōhr-pēsīt *'ut 'ul 'ō gās i amahraspandān patvast 'ēstēt, 'ku 'pat 'ēn ham-kārīh 'dēvān 'andar aβigatīh ayō(k)χšust ōvēn kartan 'nē tavān 'bavāt.*

(15) *pančom 'hač mēnōkān Spandarmat. 'ut-aš 'hač dahišn i gētēh zamīk 'ō 'χᵛēš patiγraft. 'ut-aš 'dāt 'ō aδyārīh ham-kārīh Āpān, Dēn, Art, Mahraspand*
75 *'ut Aršišvang 'ut Ar(k)dv⟨ī⟩-sūr i anāhīt: čēγōn *Aršišvang mēnōk i yōšdāsrgar i zamīk, āpān, tōhmak. 'ut-aš pēš Mahraspand, Mānsraspand, gōβišn i Ōhrmazd. 'ut Art 'ut Dēn 'andar 'χᵛarr [i] mān 'hast. | 'hač Aršišvang 'gōβēt,*
A37 *—'χᵛarr i vahištīk *artāyīh. Ar(k)dv⟨ī⟩-sūr *i anāhīt 'pit 'ut 'māt i āpān. 'pat 'ēn ham-kārīh 'andar aβigatīh vīnārt 'ēstēt. 'ut 'ēn mēnōkān ⟨i⟩ hamkār*
80 *'χᵛarr nikās 'dārēnd.*

(16) *šašom 'hač mēnōkān Hurdāt. 'ut-aš 'hač dahišn i gētēh 'āp 'ō 'χᵛēš 'patiγraft. 'ut-aš 'dāt 'ō aδyārīh ham-kārīh Tīr 'ut Vāt 'ut Fravartīn,—čēγōn Tīr Tištar,—'ku 'andar aβigatīh 'ān 'āp 'pat aδyārīh ⟨i⟩ Fravartīn,—'hast i*
85 *Fravahr i ahrovān,—'stanēt, mēnōkīhā 'ō Vāt aβspārēt: Vāt 'ān 'āp 'nēvīhā 'ō kišvarīhā rāδēnēt, vitārēt. 'pat aβr aβzār 'apāk ham-kārān vārēnd.*

(17) *haftom 'hač mēnōkān Amurdāt. 'ut-aš 'hač dahišn i gētēh urvar 'ō χᵛēš patiγraft. 'ut-aš dāt 'ō aδyārīh ham-kārīh Rašn 'ut Aštāt 'ut Zāmdāt, 3 'χᵛarr i 'ōδ 'pat čīnkār puhr, 'kē ⟨'andar⟩ aβigatīh ruvān i martōmān 'pat*
90 *nēvak 'vat kart āmārēnd.*

(18) *'an amar mēnōk i dām 'pat 'avēšān ham-kārīh vīnārt 'ēstēnd, čēγōn 'ān*
A38 *i 'andar Spihr | aχtarān rāδ nipišt.* (19) *'ut-aš *'rōč-ič i 'andar *māhīkān 'har ēvak 'pat 5 hangām baχt, 'har hangām-ē mēnōk-ē pat-iš gumārt, čēγōn bāmdāt gās [i] Hāvan mēnōk, nēmrōč gās Rapiθwin mēnōk, aδβārak gās [i] Uzayarin*
95 *mēnōk, apātyāβān ⟨gās⟩ Aiwisrū(k)srim mēnōk, Ušahin gās Ušahin mēnōk χᵛēšīh 'dārēnd. 'ut-aš 'avēšān-ič 'pat ham-kārīh 'baχt 'hēnd; 'čē-š Hāvan 'ō Miθr, 'ut Rapiθwin 'ō Artvahišt, Uzayarin 'ō Burz yazat, Aiwisrū(k)srim 'ō ahrovān Fravahrān 'ut Varhrān, Ušahin 'ō Srōš 'ut Rašn 'pat ham-kārīh vīnārt.* (20) *'čē-š 'dānast 'ku 'kaδ aβigat 'rasēt, 'rōč 'pat 'ēn 5 hangām 'baχš-*
100 *īhēt: 'tāk 'pēš 'kaδ aβigat mat, hamēšak nēmrōč 'būt, 'hast Rapiθwin. Ōhrmazd 'apāk amahraspandān 'pat Rapiθwin* gās *mēnōk i yazišn frāč sāχt. 'andar yazišn kunišn dām hamāk 'bē 'dāt.* (21) *'apāk bōδ Fravahr i martōmān uskārt;*
A39 *χrat i harvisp-ākās 'pat martōmān frāč 'burt, | guft 'ku katār-tān sūtōmandtar 'sahēt, 'kaδ-tān 'bē 'ō gētēh brēhēnam 'ut tan-kartīhā 'apāk druž 'bē kōχšēt, druž 'bē aβsihēnēt, 'ut-tān 'pat fražām druvist anōšak 'apāč vīrāδēm, 'ut-tān 'apāč 'ō gētēh 'daham, *hamayīkīhā amarg, azarmān, apē-hamēmāl 'bavēt, ayāp-tān hamayīk pānakīh ⟨i⟩ aβigat apāyēt kartan.* (22) *'ut-šān 'dīt Fravahr i 'martō-mān 'pat 'ān i χrat i harvisp-ākās anākīh 'hač druž 'ut Ahriman 'andar gētēh pat-iš 'rasēt, aβdom apē-hamēmālīh 'hač pityārak, druvist anōšak 'apāč 'bavišn-*
110 *īh 'pat tan i pasēn 'tāk hamē hamē ravišnīh rāδ, 'pat 'šutan* 'ō gētēh hamdātastān 'būt *'hēnd.*

NOTES

l. **1.** *čēγōn⟨īh 'ut⟩: čēγōn* TD_2, DH.: om. P.
artīk-karīh: artīk-garīh P.

l. **2.** *'nām: dām* P.
nazdist: NZSTW TD_2. The different spellings of this word will no longer be noted: cf. Z 1, l. 99 n.

l. **3.** *8-om*: so P., DH.: *7-om* with *8-om* in margin TD_2.

l. **5.** **8: 9* DH.: om. TD_2, P.
9-om daδv . . . amahraspand, 'bavēt: om. P.

8: 8-om P.
čēγōn: čēγōn-aš P.

l. **6.** *māhīkān: 'māhīkān* DH.: *'māhīkān-ē* ( ) P.

After *daδv* P. adds *čēγōn*. For the punctuation and interpretation of this passage v. l. 44 n. and Chapter VIII. After *'nām* P. adds *i*.

l. **8.** *pityārak: patyārak* (*PT"LKW*) P. This unimportant variant will no longer be noted.

l. **9.** *brēhēnīt: frāč brēhēnīt* P.
karp: so P., DH.: *tan* TD_2.
15 P., DH.: *5* TD_2.
dōisr: DWYSLWY TD_2, DH.: *DW'SL* P. The word is a mechanical transcription of Av. *dōiθra-*.
buland: i BLD P.

l. **10.** *hunarāvandīh* P.: *hunarāvand-aš* TD_2, DH.

l. **11.** *patmōčan i* P.: *PTMWČND* TD_2, DH.
brēh: BL'Y TD_2, DH.: *BL'H* P. *brēh* in the sense of 'character' is attested DkM. 220. 21: *χēm 'ut hōk 'ut brēh*. PhlTexts, p. 26, § 13: *brēh i moγ-martīh* 'the character of a Magian'. Nyb. on the analogy of ll. 16 and 22 emended to *brahmak*; but the emendation is not strictly necessary as both words are capable of having the desired meaning 'character'. I have therefore kept *brēh* in accordance with the MSS. *brēh* 'character' is best regarded as a development of *brēh* 'stature' <base *brāy-*, *brī-* 'cut'. Cf. text Z 1, l. 113 n.
āsrōnīh: 'SLNYH P.

l. **12.** *'kasān*: MSS. ס״ל״ for ס״ט״.
hamōχtār: for the passive sense of agent nouns in *-tār* cf. NP. *giriftār* 'prisoner'.

l. **14.** *brahmak*: has the meaning (i) 'robe' as here, (ii) 'manner', (iii) 'character', so ll. 16, 22; cf. Zs. 32. 1: *'ān aδvēnak dānišn tavān-nērōkīh, 'ut masīh, χᵛēškārīh 'ō 'ān i 'avē ruvān patvandēnd, 'ut-aš pat-ič mēnōk ham-brahmakīh pat-iš 'bavēt.*—'The same kind of knowledge, master-craft, enterprise, and occupation will accompany the soul, and in the spiritual world it will have the same character.' v. further BSOS. ix, p. 311 and Henning, *Transac. Philolog. Soc.*, 1945, pp. 108–18, where the question receives very full treatment.

l. **15.** *Vāy: W'Y* P.: *W'B* TD_2, DH. Vāy must be taken as the subject, as the parallel passages Z 11 and Z 12 show. It is Vāy who dons the many-coloured garment which is his essence (Z 11), not Ohrmazd who dons Vāy, as Nyberg erroneously translated. Ohrmazd dons one garment only, that of the priests, and that is emphasized by the use of *χᵛat* in l. 11. The distinction is, then, between 'he (Ohrmazd) *himself* . . .' on the one hand and Vāy (who dons the garment of the warriors) and Spihr (who dons that of the husbandmen) on the other. Moreover, there is no pronoun in the whole sentence which could stand for Ohrmazd: if the intended subject were Ohrmazd, then such a pronoun would necessarily be employed, and the sentence would in all probability start with *'ut-aš*. When Widengren (*Hochgottglaube*, p. 297) draws a distinction between the robe of the warriors as it

appears in DkM. l.c. and the same in this passage, his whole argument is based on a mistranslation. In both passages the garment belongs to Vāy: Ohrmazd dons only the garment of the priests. Fortunately Wikander (*Vayu I*, p. 27) has already corrected this error.

'zarrēn : ZYBYNW P.

pēsīt P.: *pēšīt* TD_2, DH.

**aryavān* (*W'LGWWK'N* MSS.): as in NP. 'judas-tree' and the colour of its blossom. I owe the suggestion to Professor Henning. The parallel passage (text Z 11) gives the basic colour of Vāy's garment as 'red' (*suχr*): we therefore require a synonym for 'red' or similar colour. *aryavān* fits well and seems more satisfactory than either Nyberg's **ālgōnakān* or Wikander's *har-gōnakān* (*Vayu I*, p. 29) which is tautologous.

rang: so clearly P. (*LNQ*): *LNY* (*rōy*) TD_2. Nyberg has accepted the latter, translating 'toutes sortes', but it is doubtful if *rōy* (*rōδ*) can be used in the sense of 'manner'. 'Colour' is clearly more suitable.

l. 16. *brahmak i artēštārīh* ⟨*dāšt*⟩: for *artēštārīh* P. has *artēštār i*. The addition of *dāšt* is demanded by the parallel ll. 11 and 22. For *brahmak* in the sense of character cf. l. 14 n.

'hač : 'čē P.

l. 17. *Vāy : W'Y* P.: *W'B* TD_2, DH.

l. 18. *pityārak* P.: *pityār* TD_2, DH. The passage is based on Yt. 15. 44. Cf. Nyb., p. 295.

**'kē-š : 'čē-š* MSS.

l. 19. *'pat 'ēn 'ku*: TD_2 and DH. add *'kē*.

l. 20. *aβzāyēt : 'PZ'TW* P.

l. 21. *'hač Zamān : 'hač dāmān* P.: *'kē zamān* TD_2, DH.

brēhēnīt P.: *brēhēnišnīh* TD_2, DH.

Spihr i Zurvān i dērang-χᵛatāy tan, nēvak bay-baχtīh : Spihr 'ut Zurvān dērang-χᵛatāy tan bay i baχtīh TD_2: *Spihr 'ut Zurvān* [illegible] *i baχtīh* DH. (if I have correctly understood Anklesaria's note, p. 9): *Spihr i WZWLWW'K 'būt nēvak baχtīh* P. No individual MS. reading is satisfactory, but the text can be restored (i) by the comparison and rearrangement of the MSS., and (ii) by comparison with DkM. 350. 1 (text Z 10). *tan*, though only found in TD_2, must be kept: for the reading of DH. is corrupt, and plainly represents ⟨*dēran*⟩*g-χᵛa*⟨*t*⟩*āy tan*: the *'būt* (שיוי) of P. is merely a clumsy attempt on the part of the scribe to correct the unintelligible שיי of DH. into an intelligible form. *Spihr i . . .* is to be read rather than *Spihr 'ut Zurvān i dērang-χᵛatāy tan* since we find in DkM. l.c. that Spihr is spoken of as *fratom tan* 'the first body'. Thus we must translate here 'Spihr, the body of Zurvān of the Long Dominion', and take *bay-baχtīh* in apposition to *spihr* whose function it is to distribute good and bad fortune on earth; v. the following sentence and text Z 3. That only one entity is here described is proved by the singular *'ut-aš* of the following sentence. Nyb., however (whom Wikander follows), preferred to read *spihr u zurvān* ⟨*i*⟩ *dērang-χᵛatāi, tan, bayē-baχtīh*, 'le firmament étoilé, Zurvān à la longue domination, le corps (universel) et le Sort'. The difficulty of the following *'ut-aš* he avoided by referring it to Ohrmazd in spite of the fact that there is no direct reference to that deity in what directly precedes. Another grave objection to his interpretation is the use of *tan* in the sense of 'universal body'. To express so

pregnant an idea a qualifying adjective is indispensable. With the rejection of Nyb.'s translation, his tetrad *Spihr, Zurvān, tan*, and *bayē-baχtīh* (CCM. 1931, pp. 60, 109) must disappear. Against Nyb.'s assumption that Ohrmazd himself wore the garment here described, we must—in addition to the grammatical difficulties already referred to—object that in our text Z 12 the third garment belongs to the *bayān* 'constellations', corresponding, clearly, to the *bay-baχtīh* of this passage. It should further be observed that *bay-baχt* is used as an epithet of Harburz, itself identical with the sky.

l. 22. *χšēn : XŠ'NW* P.: *χšēnēn* DH., TD_2.

vāstryōšīh : W'SLTLYWŠYH DH.

l. 23. *vāstryōšān : 'STLYWŠ'NW* DH.

passačakīhā : passāčakīhā P.

l. 25. **passāχt : PSXTW* P. [illegible] TD_2, DH. which Nyb. took as *-ič* **givaχt* <*vi-bag-*.

l. 26. **-ič i* * : *Y Č* P.: *'čē* TD_2, DH.

l. 27. *Urtvahišt : 'WRTWHŠTW* TD_2, DH.: *'WRTHŠTW* P.

Spandarmat : SČDRMTW P.: *SČYNNTMTW* DH.

l. 28. *ētōn-ič*: *ētōn* P. *āsmān : 'SYM'NW* DH.: *'S'M'N* P.

**pāδak*: [illegible] MSS.

aβr-pāδak : aβr-P'HK P. For *pāδak* in ll. 29 and 30 P. has the same reading.

l. 30. *'ēstēt* P.: *'ēstāt* TD_2, DH.

l. 32. **7 : 6* MSS.

āsmān : 'S'M'NW P.

l. 33. *šašom : ŠŠWWM* P. (so also in ll. 31 and 82).

brēh : BL'Y TD_2, DH.: *BL'H* P.

l. 33. *'andar*: om. P.

parkand : PLYKND P. Nyb. reads *frakand*.

l. 35. *čēγōn katak-χᵛatāy-ē 'kaδ*, &c.: the sentence as it stands construes perfectly, but the point of the simile is far from apparent, the similarity between Ohrmazd scattering the fire throughout the world and a householder putting away his clothes being, to say the least, obscure. We must, therefore, assume that the end and point of the simile have been lost, and accordingly leave a *lacuna*. The simile clearly ends at *'nihāt* as the appearance of *aβigatīh*, the technical name for Ahriman's malignant attacks, shows. Nyb.'s treatment of the passage which failed to recognize that the simile—or what is left of it—ends at *'nihāt*, is unsatisfactory in that it introduces too many words of uncertain form and meaning, and resorts to a wholesale transposition of the text.

l. 36. *χānak* (*i*) P.: om. TD_2, DH.

aβigatīh P., DH.: *aβigat* TD_2.

parastak: the meaning, from the context, certainly is 'service'. Should we, therefore, emend to *parastišn*?

l. 37. *'kaδ : 'MT* P.: *'MWT* TD_2, DH.

'čiš 'čiš: *'čiš* P.

l. 38. *vazēn*⟨*ēn*⟩*d*: this seems to be the best reading, with haplography of *ēn*, meaning 'cause to move', then here 'kindle'. Equally well we may read **čīnēnd* 'they heap up':

cf. Andreas–Henning, MirMan. ii, p. 28, l. 11, *'n hym 'dwr 'i čyyd zrdrwšt.*—'I am the fire which Zoroaster heaped up'.

l. **39.** *artīk-karīh : artīk-gārīh* P.

l. **40.** *gumārt : gumartan* P.
ēstēnīt: so P.: *ēstānīt* TD_2, DH.
āmat : mat P.
kōχšišn DH.: *KWXŠ'ŠNW̲* TD_2: *KXŠŠNW̲* P.

l. **41.** *'graft* P.: and so corrected from *'gīrēt* in TD_2.

l. **43.** [*'ān 3 daδv*], *'ut-aš*: om. P. P. is probably right in omitting *'ān 3 daδv*. The *daδvs* are the *ham-kārān* of Ohrmazd, just as Māh, Gōš, &c., are the *ham-kārān* of Vahuman (so also the other Amahraspands). In the case of the six other Amahraspands the *ham-kārān* are not mentioned in the initial sentence; and we may, therefore, safely follow P. and ignore the *3 daδv* in this context.
'hač gētēhān . . . 3 daδv: added above the line in DH.
bun : BND P.

l. **44.** *'ō 'χ^{v}ēš* P.: *'ut 'hač 'χ^{v}at* TD_2, DH.
gās 'ut: *gās i* P.

ēvak gās . . .: the passage in ll. 45–6 bracketed in our text is missing in P. and written above the line in DH. TD_2 alone has the offending passage written in the text. There can be no doubt that the reading of P. is right because (i) there is nothing in the parallel passages dealing with the activities of the remaining Amahraspands which in any way corresponds to the extra words in TD_2, and (ii) the words *'ut-aš martōm 'ō 'χ^{v}ēš 'graft* are obviously a tardy correction in TD_2 of the wrongly written *martōm 'ut 'hač 'χ^{v}at 'graft* in the preceding line: in that passage, too, P. gives the only correct reading. *ākās*, which is also missing in P., must then be regarded as an addition on the part of the scribe whose familiarity with the phrase *harvisp-ākās* 'omniscient' led him into error. The reading of P. *'kē 'hast mēnōk ⟨i⟩ harvisp dahišn hač-iš*, 'That is the spirit from whom all creation (arises)', gives a useful clue to the reading of [illegible] (TD_2, [illegible] DH, [illegible] P.). Since the relative clause has a singular verb, we must look for a singular noun in the problematic word: further, since the noun concerned is described as 'the spirit from which all creation arises', we are entitled to look for a word meaning 'creator'. Again in ll. 6–7 we have met the three *Daδvs* who were there described as having one name (*'nām* = *ŠM*). It seems probable, therefore, that here the [illegible] occurring at the end of the disputed word represents *ŠM- 'nām*. The beginning of the word can scarcely be anything but *visp* 'all'; and we are then left with the signs [illegible] which can easily be interpreted as *dē* (*DYY*), that is the later and therefore more comprehensible form of *daδv* 'creator'. This interpretation seems satisfactory in that it supplies a singular noun for the *'hast* of the relative sentence, and that the relative sentence gains additional point by serving as an explanntory clause to *dē*, the original meaning of which can scarcely have been generally understood at the time of the writing of the Bd. I have read *ēvak gās*, &c., as a separate sentence ('one is Space . . .') rather than as a series of compound adjectives ('of one rank . . .', so Nyb.), first because only so does *visp* cease to be superfluous, and secondly because it seems most unlikely that the author should not reveal the identity of the 'creators' who are the helpers of Ohrmazd, though he carefully enumerates the helpers of the six lesser Amahraspands. For a full discussion of the problems involved the reader is referred to Part I, Chapter VIII.

Against my interpretation of [illegible] a Pāz. form *vīspaesąm* (Pāz. Texts, p. 358. 4) should be noted. The Pāz. passage is, however, horribly corrupt.

l. **45.** *'kē*: repeated in DH.

l. **46.** **bažišn*: MSS. *BWČŠNW̲* (*bōžišn*), but the insertion of an otiose *Wāw* is so common in Phl. as to deserve no comment. The context clearly demands 'part', not 'redemption'. Nyb., however, translates: 'il créa pour l'homme la rédemption par cinq (forces)'. 'Pour l'homme', however, would necessarily be *martōm rāδ* or at least *'pat martōm : martōm* alone is not enough. Cf. Bailey, *Zoroastrian Problems*, p. 92, in support of our interpretation.

l. **47.** *'apāk vāt . . . bōδ 'andar tan*: om. P., substituting only *B'Y 'andar tan*.
vēn: 'breath' v. Bailey, BSOS. vii, p. 83. Nyb. reads the excessively archaic *vayū*.

l. **48.** *bōδ* DH.: *BWWD̲* TD_2.

l. **49.** *'vēnēt*: om. P.
pāδak : P'HK P.

l. **50.** *čim* (*ČYM*) TD_2: *ČM* P., DH.

l. **51.** *zamīk*: om. P.
vāt: P. has *WYSTW̲* with *WW'TW̲* written above it.

l. **52.** **'dēvān*: MSS. have *-šān*, but v. the parallels ll. 66, 73.
marnǰēnīt(an) P.: *MLWYNNYTNW̲* TD_2, DH.
'bavāt: *'bavēt* P.

l. **53.** *dahišn* P.: *daχšak* TD_2, DH. In the parallel passages ll. 61, 67, 74, 82, however, *dahišn* always occurs.

l. **55.** First *Zurvān : WZLWN* P.
Second *Zurvān : ZWWLWN* P.

l. **56.** *panč : 5* P.
**bažišn : BWČŠNW̲* MSS. v. l. 46 n.

l. **58.** *pāδak : P'HK* P.
patiγraft TD_2: *'patiγraft* DH.: *'patīrēt* P.
aδyārīh P., DH.: *aδyār* TD_2.
'vēh : Š'PYL DH.
ravākēnīt P.: *ravāgēnīt* TD_2.

l. **60.** **'dēvān : -šān* P.: *daχšak* TD_2, DH. Cf. l. 53 n.
bāt TD_2: *'bavāt* DH.: *'būt* P.

l. **61.** *Urtvahišt : 'WRTWHŠTW̲* TD_2, DH.: *'WRTHŠTW̲* P.

l. **62.** *'patiγraft : 'patīrēt* P.
Varhrān : Varhrām P.

l. **63.** *Nēryō(k)sang : Nērōksang, 'ut-aš* P.
Varhrān : Varhrām P.

l. **64.** **nišāst : nišast* TD_2, DH.: *ŠSTNW̲* P.
'dahēt : 'dāt P.
pānakīh : pānak i P.
azrōβēt ('*ZLWPYTW̲*) P.: *MLWPYTW̲* TD_2, DH. <*uz*+**raup-* whence NP. *ruftan* 'sweep'. Meaning, 'extinguish, destroy'. The more usual form is *zruftan*, *zrōβ-*, cf. DkM. 407. 1: *visāndak 'ut zruftak 'ut sūtak*, 'scattered, destroyed, and worn

away'. Ibid. 295. 17: *'ku . . . āsn-χrat i pat-išān 'hač zruftakīhā i aδar ['ut] varan hangēžēnāt.*—'That he might raise up the innate wisdom within them from the ruins under lust.' Again l. 22 on the same page. Ibid. 435. 12: *nihānīk zruftakīh.* Ibid. 454. 14: *zruftakīhā.* For the form *azruftan* cf. ibid. 90. 14: *ātaχš 'hač vāt čērīh *azruft* (*'ZWL'PTW*)—'The fire is extinguished by the violence of the wind.' Ibid. 293. 13: **azrōβēnd 'ut nikōnēnēnd.*—'They destroy and humble.'

l. **65.** *Varhrān : Varhrām* P.
Artvahišt : 'WRTHŠTW P.

l. **66.** *'dēvān*: P. and DH. have one more ـ than TD_2. This variant is too common and has too little significance to be of any importance: it will therefore not be further noticed.
marnǰēnītan : MLNČWYNNYTNW TD_2, DH.: *MLNČYNYT* P.

l. **68.** *aδyārīh : 'YYB'LYH* P.: *'YYYB'LYH* TD_2, DH.
Āsmān : 'S'M'NW P.

l. **70.** *Āfrīn : 'PLYNW* TD_2, DH.: *'PRYNW* P.
ōstuvārīh : 'WSTWB'LYH TD_2, DH.: *'WSTB'LYH* P.
Second *āsmān*: om. P.

**gēn*: TD_2 has [illegible], thereby indicating the letters *G* and *Y*. P. omits. I read *gēn* on the analogy of PhlRiv. 46 (text Z 7), §§ 4 and 8 *kēn*, which would appear to be an abbreviated form of *āpakēnak* 'crystal': cf. NP. *gīneh* in the same sense. For a full discussion of the question v. Bailey, *Zoroastrian Problems*, pp. 129–34.
ayō(k)χšust : ayō(k)χšustēn P.

l. **71.** *'zarrēn* (*ZHB'YNW*) TD_2, DH.: *ZHB'TW* P.

l. **72.** *pēsīt : PYŠTW* TD_2, DH.: *PYST* P.
**'ut :* MSS. *i.*
'ō P.: om. TD_2, DH.

l. **73.** For *ayō(k)-* P. has *'andar k-*.
ōvēn: the spelling of this problematic word is always [illegible], which suggests the pronunciation *ōvēn*: this will then be derived from **ava-vanya-*, and will be compared with MPT. *wnybwṭ* 'annihilated' (Henning, BSOS. ix, p. 89) and *wnywdyh* (ibid.), the latter corresponding closely to Phl. *ōvēn-būtīh* 'annihilation': cf. Nyb. *Glossar*, s.v. *avin* and *avin-būtīh*. The reading *avēn* 'unsichtbar' adopted by Nöldeke (*Bezzenbergers Beiträge*, iv. 41) but contested by Salemann (*Grundriss der iranischen Philologie*, i, p. 322) is unsatisfactory in that that word occurs DkM. 263. 22 in the spelling [illegible], and means not 'invisible' but 'blind'. Both forms *avēn* and *avin* (so Nyb. <*vind-* 'find'), however, would seem to be precluded by the verbal form [illegible], Mχ. 16. 12: *zanišn 'ut ōvēnišn*, 'striking and annihilating'. Such a form, if it were a denominative to *avēn* or *avin*, would necessarily be *avēnēnišn, avinēnišn*. If, however, it is derived from **ava-vanya-*, it presents no difficulty.
With this word must be connected [illegible] = *ōvēnītan*. In the two following instances it is exactly parallel to Mχ. l.c. DkM. 557. 13: *'nē 'zanišn 'ut-aš 'nē ōvēnišn*, and on the same page, l. 16: *'zanēt ayāp ōvēnēt*. Ibid. 512. 1: *'ān i vināskār 'pat vināš 'nē ōvēnītan*, 'not to kill a sinner on account of his sin'. Cf. ibid. 567. 15: *aβsōs 'ut ōvēnišn 'ut panīh*, 'sorcery, murder, and avarice'.
For *ōvēn* FrPhl. gives [illegible] which can be read as *ēvēn* <**abi-vanya-*.

l. **74.** *Spandarmat : SČDRWMT* P.
dahišn i : dahišnīh TD_2, DH.

l. **75.** *Art* P., DH.: *YLTW* TD_2.

l. **76.** First *Aršišvang* (*'LŠŠWNG*) DH.: *'LYŠŠWNG* TD_2: *'L'ŠWNG* P.
i anāhīt P: *'ut anāhīt* TD_2, DH: *i 'ut anāhīt* P.
Second **Aršišvang : 'ŠWN'* TD_2, DH.: *'ŠWNG* P.

l. **77.** *mānsraspand : mahraspand* P.

l. **78.** *'hač : 'kē* P.
Aršišvang : 'LŠŠNG DH.: *'LYŠŠNG* TD_2: *'LŠŠWND* P.

l. **79.** *vahištīk : 'ŠTYT* P.
**artāyīh : artāy-aš* MSS.
**i : 'ut* MSS.

l. **80.** *aβigatīh* P.: *aβigat i* TD_2: *aβigat-ē* [illegible] DH.
'ēstēt : 'ēstēnd P.

l. **81.** *nikās 'dārēnd* P.: *'vasīh 'āβarēnd* TD_2, DH.

l. **82.** *'ut-aš* P., DH.: *aš* TD_2.
'hač: om. P.
gētēh : gētēhān (*GYT"N*) P.

l. **83.** *'ut-aš*: om. DH, P.
Fravartīn : PLWLTDYNW P.

l. **85.** *'stanēt : YWSTWP* P.
mēnōkīhā : MYNWYH P.
'nēvīhā : TNDYH' TD_2, DH.: *TGKYH'* P.: *dit-gāh* Nyb.

l. **86.** *vārēnd : vīnārēnd* TD_2, DH.

l. **87.** *dahišn i* P.: *dahišnīh* TD_2, DH.

l. **88.** *Zāmdāt : ZMD'TW* P.

l. **89.** *čīnkār puhr : ČYNW'LPWL* P.
martōmān : MLTWH'N P.

l. **90.** *'vat : SLYŠ* P.

l. **91.** *amar*: om. P.

l. **92.** **'rōč-ič : 'ēn-ič* MSS. (*'ēn* being [illegible] and *'rōč* [illegible]).
**māhīkān*: *miyānakān* MSS.

l. **93.** *baχt*: so P. TD_2 has *NB'XTW* which Nyb. read as *niβaχt*.

l. **94.** First *mēnōk* DH, P.: *mēnōk-ē* TD_2.
Second *gās* only in P. which adds *i*.
aδβārak : 'YYČ'LK P.: *'YYYČ'LK* TD_2, DH.: TD_2 prefixes *i*. For an etymological discussion of the word v. Bartholomae, *ZumAIW.*, p. 32, n. 1, who derives the prefix from Av. *aδā* = Skt. *adhaḥ* rather than *aδi-*. The latter view is, however, supported by Salemann and Nyb.
Uzayarin (*'WZYLYNW*) TD_2, DH.: *'WZ'LYNW* P.

l. **95.** *apātyāβān*: reading after Nyb. Quite uncertain.
First *Ušahin : 'WŠH'N Y* P.: *'WŠH'NW* DH.
Ušahin (*'WŠŠYNY*) *mēnōk* P.: om. TD_2, DH.

l. **97.** *Artvahišt* DH.: *'WRTWHŠTW* TD$_2$: *'WRTHŠTW* P.
Uzayarin: *'WZ'LYNW* P.
Burz: *BLČ* P.
Aiwisrū(k)srim: *'YYČSLWKSLYM* TD$_2$: *'YYYČSLWKSLM* DH.: *'YYČSLWKSLM* P.

l. **98.** *Fravahrān*: om. P.
ham-kārīh: *ham-kārak* P.

l. **99.** *'rōč*: *'ēn* P.

l. **100.** From here to the end of the chapter Ind. resumes; Justi, p. 7.
'peš (۱۳۹) TD$_2$, DH., Ind.: *'tar* (۱۳۵) P.
'kaδ: *'kē* Ind.
Rapiθwin (*LPYTPYNW*) TD$_2$, P.: *LPTPYNW* DH.

l. **101.** *sāχt*: *yašt* P.
'andar yazišn . . . 'bē 'dāt: *'ut-aš 'andar yazišn 'har aβzār-ē 'pat zatan i pityārak 'andar apāyast 'bē 'dāt* Ind.

l. **103.** *harvisp-ākās*: *harvisp-ākāsīh* P.
'burt (۱۳۱۲۵): *srūt* (۱۳۲۵) P.
katār-tān: *katār 'i-tān* Ind.: *katār-tēn* P.
sūtōmandtar DH., Ind.: *sūtmandtar* TD$_2$: *SWT'WDTL* P.

l. **104.** *'kaδ-tān* P.: *'kaδ 'tāk* TD$_2$, DH.: *'kē-tān* Ind.
brēhēnam: *'daham* Ind.
tan-kartīhā: *tanē-kartīhā* Gr.: *tan-kartakīhā* Ind.
kōχšēt: *kōšēt* Ind.

l. **105.** *aβsihēnēt*: *aβsēnēt* Ind.
druvist: repeated in P.
anōšak: *'NŠKW* P.: *'NWKŠK* Ind.
vīrāδēm: *WYL'YM* Ind.: *WYLYM* P.
Second *'ut-tān*: Ind. adds *'pat fražām*.

l. **106.** **hamayīkīhā*: *hamayīk gās* Gr.: *hamakīhā* Ind.
azarmān: om. P.
apē-hamēmāl: *apē-pityārak* Ind.

l. **107.** *hamayīk*: *hamēšak* Ind.
⟨*i*⟩: *'hač* Ind.
'ut-šān 'dīt: *'dit* Ind.

l. **108.** *harvisp-ākās* Ind.: *harvisp-ākāsīh* Gr.
'hač: *'kē* P.
'ut Ahriman: *i Ahriman* Ind.

l. **109.** *apē-hamēmālīh*: *apē-hamēmāl* Ind.
anōšak: *'NŠKW* P.: *'NWKŠK* Ind.
'bavišnīh: *'būtan* Ind.

l. **110.** *'tāk*: *i* P.
hamē hamē TD$_2$, DH.: *hamē* P.: *hamāk hamāk* Ind.
'ō gētēh ham-dātastān 'būt Ind.: missing in Gr.

TRANSLATION

(1) On the manner and reason for creating creation for battle.

(2) Ohrmazd gave the names of thirty Amahraspands to the thirty days (of the month) in this wise: first comes Ohrmazd, then six Amahraspands; that is seven; the eighth is Daδv, that is the Creator. Then come six Amahraspands; that is seven; the eighth is Daδv, that is the Creator. Then come seven Amahraspands; that is eight; the ninth is Daδv, that is the Creator. Then come seven Amahraspands; that is eight. Thus he inserted his own name in four places in the month—Ohrmazd and the three Daδvs who have one name: one is Space, one Religion, and one Time: they have always existed.

(3) When the Destructive Spirit delivered his assault, Ohrmazd fashioned Time of the long Dominion in the form of a man of fifteen years of age, bright, with white eyes, tall and mighty, whose might is from valour, not from robbery and violence.

(4) (Ohrmazd) himself donned a white garment and it had the stamp of priesthood: for wisdom is ever with the priests who are guides to men, and all men are their pupils. And the office of Ohrmazd was the act of creation, and it was through wisdom that creation must be created. Therefor did he don the robe of the wise (which is the robe of) priesthood.

(5) Vāy, the Good, donned a garment of gold and silver, adorned with precious stones, purple, and having many colours, and it had the stamp of warriorhood; for he pursues the enemy from behind that he may smite the Aggressor and protect creation; even as it is said—'The office of Vāy is to carry off opposition in the two creations—both that created by the Bounteous Spirit and that created by the Destructive Spirit'—in so far as it is he who will bring the battle to an end, will bring increase to the creation of Ohrmazd and destruction to that of the Destructive Spirit.

(6) From Time the firmament was fashioned, the body of Zurvān of the long Dominion, the good destiny of the gods (Signs of the Zodiac): he donned a dark blue garment and it had the stamp of the husbandmen: for its office is to rule the destinies of the world aright even as that of the husbandmen is to till the soil and to deliver up (its produce) in due course.

(7) When Ohrmazd had moulded his creation among the Amahraspands, he made the ideal (spiritual) and material creations in the same manner—on the spiritual side Ohrmazd and the six Amahraspands, namely Vahuman, Artvahišt, Šaθrēvar, Spandarmat, Hurdāt, and Amurdāt, and similarly the sky in six stations; first the station of the clouds, second the firmament of the stars, third the stars exempt from contamination, fourth heaven—the Moon is in that station—fifth Garōδmān called the endless (*anayr*) light—

the Sun is in that station—sixth the place of the Amahraspands, seventh the Endless (*asar*) Light, the place of Ohrmazd.

(8) Thus too he fashioned material creation in seven parts—first the sky, second water, third the earth, fourth plants, fifth kine, sixth Man, and seventh fire whose brilliance is from the Endless Light, the place of Ohrmazd. And he disseminated and fashioned fire in all creation, even as a master of a house, on entering his abode, carefully puts away the garments that are within the house. . . . And he commanded fire to serve man during the period of the assault of the Aggressor, to prepare his food and ward off pain. When one kindles it from diverse things, it comes forth: when one puts fuel upon it, it devours it.

(9) And he so appointed and disposed all the Amahraspands to assist creation and join battle for it that when the Aggressor came, each singled out his own opponent for the fray, and no new command was needed.

(10) I shall now speak further of their nature.

(11) The first of spiritual beings is Ohrmazd. Of material beings he took to himself the Original Man. His helpers are the three Daδvs (creators): one is Space, one Religion, one Time; all are called *dē* (creator) which is the spirit from which all creation proceeds. Man was fashioned in five parts—body, spirit (breath), soul, prototype, and Fravahr. Body is the material part; spirit that which is connected with the wind—the inhaling and exhaling of breath; soul that which, with the consciousness in the body, hears, sees, speaks, and knows; the prototype is that which is situated in the station of the Sun; the Fravahr is that which is in the presence of Ohrmazd, the Lord: it was created in this wise because during the period of the assault of the Aggressor men die, and their body rejoins the earth, their spirit the wind, their prototype the Sun, their soul the Fravahr so that the demons could not destroy the soul.

(12) The second of spiritual beings is Vahuman. Of material creatures he took to himself all kinds of kine. For his aid and assistance the Moon, Gōš, Rām, Spihr (the firmament) the Lord, the infinite Zurvān and Zurvān of the long Dominion were given him. Kine were fashioned in five parts—body, spirit (breath), soul, prototype, and immaterial spirit (*mēnōk*): for during the period of the assault of the Aggressor Gōšurvan received the seed of cattle from the station of the Moon, and with the aid of Rām, the good, caused it to flow throughout the earth. When kine die, their body rejoins Gōšurvan, their soul Rām, their prototype the Moon, their immaterial spirit Vahuman so that the demons could not destroy them.

(13) The third of spiritual beings is Artvahišt. Of material creatures he took to himself fire. For his aid and assistance Ātur, Srōš, Varhrān, and Nēryōsang were given him: for during the period of the assault of the Aggressor Varhrān placed and established the fire within the house and fends for it; and Srōš protects it. When it is extinguished, it returns from Varhrān to Srōš, from Srōš to Ātur, from Ātur back to Artvahišt so that it could not be destroyed by the demons.

(14) The fourth of spiritual beings is Šaθrēvar. Of material creatures he took to himself the metals. For his aid and assistance the Sun, Mihr, the Sky, Anaγrān (the Endless Light), the good Sōk, Ardvī-sūr, the god Hōm, the god Burz, and Dahmān Āfrīn (the praise of the wise) were given him. For the solidity of metals is from the sky; and the original substance of the sky is the metal of crystal (diamond?). It is controlled by Anaγrān. Anaγrān within is a shining house, golden and adorned with precious stones: above it joins the place of the Amahraspands so that with the aid of these the demons could not annihilate the metals at the time of the assault of the Aggressor.

(15) The fifth of spiritual beings is Spandarmat. Of material creatures she took to herself the earth. For her aid and assistance the Waters, Religion, Art, Mahraspand, Aršišvang, and Ardvī-sūr, the immaculate, were given her: for Aršišvang is the genius which purifies the earth, water, and semen. In her presence is Mahraspand (Mānsraspand) the word of Ohrmazd. Art and Religion are in the house of fortune. Of Aršišvang it is said, 'She is the glory (*χᵛarr*) of heaven, even righteousness.' Ardvīsūr, the immaculate, is the father and mother of the waters. With the aid of these (the earth) is controlled during the period of the assault of the Aggressor. These helping spirits watch over the *χᵛarr*.

(16) The sixth of spiritual beings is Hurdāt. Of material creatures he took to himself water. For his aid and assistance Tīr, the Wind, and the Fravarts were given him. Tīr is Tištar. For the period of the assault of the Aggressor Tīr, with the help of the Fravarts, that is the Fravahrs of the blessed, receives the waters and delivers them unseen (*mēnōkīhā*) to the Wind: the Wind distributes the waters fairly to the continents and spreads them abroad. By means of clouds and their helpers they rain down.

(17) The seventh of spiritual beings is Amurdāt. Of material creatures he took plants to himself. For his aid and assistance Rašn, Aštāt, and Zāmdāt were given him, the three treasures (*χᵛarr*) whose place is beyond the Činvat Bridge who, during the period of the assault of the Aggressor, bring the souls of men to account for what they have done of good and evil.

(18) There are numberless other spirits by whose aid creation is controlled even as it is written concerning the stars in the firmament. (19) Every single day in the months is divided into five periods and over every period

a genius is appointed: the genius Hāvan keeps the period of dawn as his own, the genius Rapiθwin the period of midday, the genius Uzayarin the period of evening, the genius Aiwisrūθrim the period *apātyāβān*, the genius Ušahin the period Ušahin. They too are delegated as assistants (to others); for Hāvan is appointed to Mihr to aid him, Rapiθwin to Artvahišt, Uzayarin to the god Burz, Aiwisrūθrim to the Fravahrs of the blessed and Varhrān, Ušahin to Srōš and Rašn. (20) For (Ohrmazd) knew that when the Aggressor came, the day would be divided into five periods; for before the Aggressor came, it was always midday, that is Rapiθwin. At the Rapiθwin time Ohrmazd and the Amahraspands fashioned the 'idea' (*mēnōk*) of sacrifice. By the performance of sacrifice all creation was created. (21) He took counsel with the consciousness and Fravahr of man and infused omniscient wisdom into man, saying, 'Which seemeth more profitable to you, whether that I should fashion you forth in material form and that you should strive incarnate with the Lie and destroy it and that we should resurrect you at the end, whole and immortal and recreate you in material form, and that you should eternally be immortal, unageing, without enemies; or that you should eternally be preserved from the Aggressor?' (22) And the Fravahrs of men saw by that omniscient wisdom that they would suffer evil from the Lie and Ahriman in the world; but because at the end (which is) the Final Body, they would be resurrected free from the enmity of the Adversary, whole and immortal for ever and ever, they agreed to go into the material world.

NOTE

(12) This part of the *Bundahišn* is clearly Mazdean: the position of Zurvān as an inferior deity and one of the helpers of Vahuman shows this plainly. It is significant that in this chapter Zurvān, the personal god, is separated from *zamān*, the more abstract concept of Time which is reckoned as one of the creators.

Z 3. The following text is taken from the twenty-sixth chapter of the *Greater Bundahišn*, 'On the high deeds of the spiritual gods'. The text is found in Anklesaria, p. 166, l. 4–p. 167, l. 9. This passage does not occur in the Indian recension and is missing in DH. Besides our own, translations are to be found in Darmesteter, ZA. ii, pp. 309 ff.; Widengren, *Hochgottglaube im alten Iran*, p. 232; Wikander, *Vayu I*, p. 18 (§§ 1 and 2 only).

(1) *Rām i Vāy i 'vēh ⟨i⟩ dērang-χᵛatāy 'gōβēt, 'χᵛat 'hast Vāy i dērang-χᵛatāy 'kē 'andar mēnōkān artēštārān sardārīh χᵛēškārīh 'dārēt. 'ut ruvān i ahrovān, 'kaδ 'pat *čīn-vitarag vitīrēt, Vāy i 'vēh 'dast 'apar 'gīrēt, 'ō 'ān i*

χᵛēš gās 'barēt. ē rāδ Rām 'gōβēt, 'čē rāmišn-dātār 'ō hamāk dahišn. 'kaδ-ič Vāy i 'vattar 'ǰān 'hač tan 'bē zanēt, 'avē i Vāy i 'vēh 'bē patīrēt, χᵛarsandīh 'bē 'dahēt.

(2) *'hač 'ān i zamān i brīn spihr, Zurvān; čēγōn 'gōβēt 'ku spihr i χᵛatāy 'ut Zurvān i akanārak 'ut Zurvān i dērang-χᵛatāy. spihr 'ān i 'kē nēvakīh 'baχšēt; 'ut-aš χᵛatāyīh, 'pātuχšāyīh čēγōn vāstryōšān gēhān varzēnd, 'avē-ič baχtārīh 'kunēt.*

(3) *mēnōk-ē ⟨i⟩'apāk Miθr hamkār Sōk 'χᵛānēnd. hamāk nēvakīh 'kē 'hač apargarān 'ō gētēh brēhēnīt, naz⟨di⟩st 'ō Sōk 'āyēt, Sōk 'ō Māh aβspārēt, Māh 'ō Ar(k)dv⟨ī⟩-sūr aβspārēt, Ar(k)dv⟨ī⟩-sūr 'ō spihr aβspārēt, spihr 'pat gēhān 'baχšēt: 'kē vēš 'dahēt nēvak[īh] spihr, 'ut 'kē kam 'dahēt vat spihr 'χᵛānēnd. 'ān-ič i 'baχšišn 'pat zamān 'rasēt 'kē Vāy i dērang-χᵛatāy, 'hast Zurvān zēn, 'hast i Ōhrmazd. 'ēt 'ku zūr pat-iš vānīt; 'ān-ič 'hast kunišn i zamān *'ku 'būt akanārak, 'ō dām-dahišnīh *kanārakōmand brēhēnīt 'tāk 'ō fražām 'ku akārīh i ganāk mēnōk, 'ut 'pas gumēčēt 'ō ham ak⟨an⟩ārakīh 'tāk 'ō hamē hamē ravišnīh.*

NOTES

l. 1. First *'vēh*: *vēh* P.
'hast (*'YTW*): *ētōn* (*'YTWNW*) P.
Second *dērang-*: *DYLNNK* TD₂.

l. 2. *'dārēt*: om. P.

l. 3. **čīn-vitarag*: *ČYYNWTLG* TD₂: *Č WTLG* P.
'apar: om. P.

l. 5. *'bē patīrēt* P.: *'bē 'pat patīrēt* TD₂.

l. 7. *'ān i zamān i* P.: *'ān zamān* TD₂.
χᵛatāy 'ut P.: *χᵛatāy i* TD₂.

l. 8. *Zurvān i dērang-χᵛatāy* P.: *Zurvān dērang-χᵛatāy* TD₂.

l. 9. *'pātuχšāyīh*: om. P.

l. 10. *'kunēt*: ירגוסיה P.; ירגוסיה TD₂.

l. 11. *hamkār* P.: *hamkārīh* TD₂.
'kē: *'kaδ* P.

l. 12. Second *Sōk*: *sūt* P.

l. 13. *aβspārēt*, *Ar(k)dv⟨ī⟩-sūr*: so P.: om. TD₂.
Second *aβspārēt*: *'PYST'LYTW* P.

l. 14. First *spihr*: so P.: om. TD₂.

l. 15. *Vāy i* P.: *Vāy* TD₂.
'hast . . . 'hast: in the sense of 'whether . . . or . . .'; v. text Z 1, l. 114, note.

l. **16.** *Zurvān zēn* P.: *Zurvān i zēn* TD_2. The reading of P. is to be preferred since we should otherwise have to translate 'Time . . . which is Vāy of the long Dominion, whether it be the weapon Zurvān or Ohrmazd'. In spite of the formal identification of Ohrmazd with Time in the *Sīh-rōčak* (v. Chapter VIII), such an interpretation seems improbable here.

For *'hast i Ōhrmazd* P. has *'hast Ōhrmazd.*

'ēt : ē P.

'ān-ič P.: *'ān-ič i* TD_2.

l. **17.** **'ku : 'kē* MSS.

Before *'ō dām-dahišnīh* P. adds *'tāk*, and reads *dahišn i* for *dahišnīh.*

**kanārakōmand : ('ut) kanārakōmandīh* P.: *('ut) kanārak mānd* TD_2.

l. **18.** *fražām* P.: *fražām i* TD_2.

akārīh : akanārīh, P.

ak⟨an⟩ārakīh : akārakīh MSS.

TRANSLATION

(1) Rām who is called the good Vāy of the long Dominion is truly Vāy of the long Dominion who, among spiritual beings, has the office of chieftainship of the warriors. When the souls of the blessed pass over the Činvat Bridge, the good Vāy takes them by the hand and brings them to their appointed place. He is called Rām because he gives pleasure (*rāmišn*) to all creation. When the evil Vāy strikes the breath-soul from the body, the good Vāy receives it and gives it contentment.

(2) From finite Time (comes) the firmament (Spihr) and Zurvān; even as it is said, 'Spihr the Lord, the infinite Zurvān and Zurvān of the long Dominion.' Spihr it is who bestows good things; and his lordship and kingship are as when the husbandmen till the earth, and (the earth) makes good return (lit. makes bestowal).

(3) The spirit who is the helpmate of Mihr is called Sōk. All good things which are fashioned by those who work on high for the material world first come to Sōk: Sōk delivers them to the Moon, the Moon delivers them to Ardvī-sūr, Ardvī-sūr delivers them to Spihr, and Spihr bestows them on the material world. He who gives them in abundance is called the goodly Spihr; and he who gives them sparingly is called the evil Spihr. The things bestowed reach (men) through Time who is Vāy of the long Dominion, whether it be the instrument of Zurvān or of Ohrmazd. (For) this (reason is he called Zurvān) because deceit (*zūr*) is conquered (*vānīt*) by him: and this is the operation of Time, that it was infinite but was made finite for the act of creation, (and so it remains) until the consummation, that is when the Destructive Spirit is made powerless: then it mingles with that same infinity for ever and ever.

Z 4. The first chapter of *The Selections of Zātspram.* An edition with variants and philological notes will be found in BSOS. ix, pp. 573–85.

'apar gumēčišn i Spēnāk Mēnōk 'ut Ganāγ Mēnōk

(1) *'ēt 'pat dēn ōγōn paytāk 'ku rōšnīh hačapar 'ut tārīkīh hačaδar; 'ut-šān miyānak i 'har 2 višātakīh 'būt.*

(2) *Ōhrmazd 'andar rōšnīh, Ahriman 'andar tārīkīh; 'ut Ōhrmazd 'hastīh ⟨i⟩ Ahriman matan-ič 'ō patkār ākās; Ahriman 'hač 'hastīh rōšnīh ⟨i⟩ Ōhrmazd 'nē ākās 'būt.*

(3) *Ahriman 'andar tam-tārīkīh 'ō *frōt kustān hamē 'raft; 'dit [i] handāčišnīk 'ul 'ō 'apar 'āmat; 'ut-aš tēh-ē i rōšnīh frāč 'dīt, 'ut yut-gōhrīh i ov-iš rāδ tuχšīt 'ku ov-iš 'rasēt, 'ut-aš ham *ōγōn pat-iš 'andar kāmak vālīhēt čēγōn 'pat-ič tārān.*

(4) *'kaδ frāč 'ō vīmand mat, Ōhrmazd 'apāč dāštan i Ahriman 'hač 'χᵛēš šaθr rāδ, frāč 'ō hamrānīh mat, 'ut-aš 'pat apēčak gōβišn ⟨i⟩ dātīk startak kart, 'ut-aš 'apāč 'ō tom 'aβgand. pāspānīh 'hač družž rāδ mēnōkīhā 'andar *ō bālist* mēnōk āsmān 'āp zamīk ['āp] urvar gōspand 'martōm 'ut ātaχš brēhēnīt, 'ut-aš 3000 'sāl 'apāč dāšt.*

(5) *Ahriman-ič 'andar tom aβzār hamē ārāst. 'pat sar i 3000 'sāl 'apāč 'ō vīmand 'āmat; patēstāt 'ut drāyīt 'ku 'zanam 'tō, 'zanam dāmān i 'tō rāδ. dām 'dāt mēnēh, 'tō 'kē Spēnāk Mēnōk 'hēh: harvisp ['pat]' ān 'bē marnǰēnam.*

(6) *Ōhrmazd pāsaχᵛēnīt 'ku 'nē, družž, harvisp kartār 'hēh.*

(7) *'dit Ahriman patēstāt 'ku 'bē hāčēm harvisp aχᵛ i astōmand 'ō adōstīh i 'tō, dōstīh i 'man.*

(8) *Ōhrmazd 'pat mēnōk-χratīh 'dīt 'ku 'ān-ič *i Ahriman patēstāt tavānīk 'pat kartan 'hakar 'nē brīnōmand zamānak i kōχšišn.*

(9) *['ut-aš 'bē] 'ut-aš 'Zamān 'bē 'ō aδyārīh 'χᵛāst, 'čē-š 'dīt 'ku Ahriman 'pat miyānčīkīh i hēč rōšnīh 'apar 'nē 'ēstēt. Zamān 'hast 'har 2 χᵛap hamaδyārīh rāst rāδēnītārīh; ov-iš niyāz.*

(10) *'ut-aš 'pat 3 zamān 'kart i 'har zamān-ē 3 hazārak.*

(11) *Ahriman 'apar 'ēstāt.*

(12) *Ōhrmazd 'dīt 'ku, 'kaδ Ahriman fravastak kartan 'nē šāyēt, hamē 'kaδ 'χᵛāδēt, 'apāč 'ō 'χᵛēš *bunist i tārīkīh 'šavēt, aβzār vēš ārāδēt, afražām patkār 'bavēt. 'ut-aš 'pas 'hač zamān 'kartan ahunvar frāč srūt.*

(13) *'ut-aš 'pat ahunvar 3 aδvēnak ov-iš nimūt.*

(14) *fratom 'ku 'har 'čiš 'ān ⟨i⟩ frārōn [i] Ōhrmazd kām:*

(15) *'hač *'ēn paytāk 'ku 'kaδ 'ān i frārōn [i] Ōhrmazd kām, paytāk 'ku 'čiš 'hast i 'nē 'andar kām i Ōhrmazd, ačār 'ān 'kē *bun dāšt* Vāy i yut-gōhr.*

(16) *ditīkar 'ēn 'ku 'kē 'ān 'kunēt i Ōhrmazd kām, *aš mizd pātdāhišn χᵛēš [īk]; 'avē 'kē 'nē 'ān 'kunēt 'kē Ōhrmazd kām, *aš puhr pātafrās 'χᵛēš.*

(17) *'hač 'ēn nimāyīhēt kirpak-garān mizd 'ut vināskārān pātafrās, 'ut mātiyān vahišt dōšaχᵛ hač-iš.*

(18) *sitīkar nimūt 'ku χᵛatāyīh i Ōhrmazd 'avē aβzāyēnēt i 'ō driγōšān vičārīhēt pityārakōmandīh;*

(19) *'ān-aš nimūt 'ku 'hast-'hērān 'ō niyāzīk -'hērān aδyār 'bavišn; čēγōn ākās-dahišnān 'ō anākāsagān hamōχtan, tavānīk-χᵛāstakān 'ō niyāzīk-χᵛāstakān rātīhā 'dāt⟨an⟩ i 'χᵛēš frahāt dast.* [*i*] *Ōhrmazd dāmān ēvak 'ō 'dit 'andar kōχšišnīk artīk.*

(20) *čēγōn fraškart-kartārīh 'pat 'ēn 3 'čiš šāyēt 'būt.*

(21) *'hast fratom rāst-dēnīh i 'χᵛat ōstavānīh i 'apar 2 buništakīh, 'pat 'ān ristak brahm 'ku Ōhrmazd hamāk 'vēhīh a-'vattarīh, 'ut-aš kām visp frārōn, Ahriman visp 'vattarīh a-'vēhīh.*

(22) *ditīkar aδmēt i mizd pātdahišn i kirpak-garān, bīm i 'hač puhr pātafrās ⟨i⟩ *bazak-garān, tuχšītan i 'pat kirpak, pahrēχtan i 'hač vināš.*

(23) *sitīkar ham-aδyārīh 'būtan i dāmān ēvak 'apāk *'dit; 'hač ham-aδyārīh ham-spāhīh, 'hač ham-spāhīh pērōžīh i 'apar dušman 'bavēt i *'χᵛat fraškart.*

(24) *'pat 'ēn gōβišn start 'būt, 'apāč 'ō tom ōpast.*

(25) *Ōhrmazd dām tanōmandīhā 'bē 'ō gētēh 'dāt, — fratom āsmān, ditīkar 'āp, sitīkar zamīk, 4-om urvar, 'ut pančom gōspand, 6-om 'martōm; 'ut ātaχš 'andar visp 'būt parganδak 'hamist 'pat 6 gōhrak, i 'har gōhrak-ē *drang i 'pat 'apar 'dāt and būt, guft 'ēstēt, čand mēč-ē i 'kaδ ēvak 'pat 'dit frōt 'nihēnd.*

(26) *3000 'sāl dām tanōmand 'ut afrāč-raftār 'būt: χᵛaršēt māh starān 'ēstīt 'hēnd 'andar bālist avazišnīk.*

(27) *'pat zamānak sar Ōhrmazd nikīrīt 'ku 'čē sūt 'hast* [*i*] *'hač 'dāt i dām 'kaδ ačandišnīk aravišnīk avazišnīk: 'ut-aš 'pat aδyārīh i Spihr 'ut Zurvān dām frāč brēhēnīt.*

(28) *Zurvān attōk 'būt 'ku-š dām i Ōhrmazd ravāk kart 'bē 'hač ravākīh i Ahriman dām, 'čē buništān ēvak 'ō 'dit vizāyišnīk patīrak-ēstišnīk būt 'hēnd.*

(29) *'ut-aš fražām-nikīrīhā aβzār-ē i 'hač 'χᵛat gōhr ⟨i⟩ tārīkīh 'kē-š nērōk i zurvānīk pat-iš patvastak, past aδvēnak, zayīk 'ut siyāh 'ut āturastargōn frāč 'ō Ahriman burt.*

(30) *'ut-aš 'pat frāč barišnīh guft 'ku 'pat 'avēšān zāy apākīh* [*i*] *Āz 'ēt i 'tō 'bē žōyēt; χᵛat 'pat suδ frōt 'mīrēt,—'hakar 'pat sar i 9000 'sāl čēγōn-at patēstīt, pašt 'apar kart, 'zamān 'apar 'kart, 'nē fražāmēnīt.*

(31) *'pat ham 'zamān Ahriman 'hač ham zō(h)rān 'hamist 'bē 'ō star-pāδak 'āmat.*

(32) *bun i āsmān 'pat star-pāδak dāšt; 'hač 'ōδ frōt 'ō tuhīkīh āhaχt i *andarōn buništ i rōšnān 'ut tārān, 'ut gyāk i artīk, 'kē-š tačišn i 'har 2-ān pat-iš.*

(33) *'ut-aš tārīkīh ⟨i⟩ 'apāk 'χᵛēš dāšt*[*an*] *'andar 'ō āsmān 'āβurt: āsmān ōγōn 'ō tom āhaχt 'ku andarōn i aškōβ i āsmān čand 3 ēvak-ē hačapar starpāδak 'bē 'rasāt.*

TRANSLATION

On the mixing of the Bounteous Spirit and the Destructive Spirit.

(1) Thus is it revealed in the Religion: the light was above and the darkness beneath; and between the two was the Void. (2) Ohrmazd in the light and Ahriman in the darkness. Ohrmazd knew of the existence of Ahriman and of his coming to do battle: Ahriman knew not of the existence and light of Ohrmazd. (3) In the dismal darkness he wandered to the nether side: then, rushing, he came up and beheld a point of light, and because it was of a different substance from himself, he strove to attain it, and his desire for it waxed so mightily that (it was as great as his desire) for the darkness. (4) When he came to the boundary, Ohrmazd, wishing to hold Ahriman back from his kingdom, advanced to join battle. By the pure word of the Law he laid him low and hurled him back into the darkness. As a protection against the Lie he fashioned in the heights the 'ideal' sky, water, earth, plants, cattle, man, and fire—all in ideal form. For three thousand years he held him back. (5) Ahriman too was preparing weapons in the darkness.

At the end of three thousand years he returned to the boundary, and threatening said, 'I shall smite thee, I shall smite thy creatures. Art thou of a mind to create a creation, O thou who art the Bounteous Spirit? Verily I shall utterly destroy it.' (6) Ohrmazd answered (and said), 'Thou canst not, O Lie, accomplish all.'

(7) Again Ahriman threatened (saying), 'I shall bring all corporeal existence to hate thee and to love me.'

(8) Ohrmazd, in his spiritual wisdom, saw that what Ahriman had threatened he could do unless the time of the conflict were limited. (9) He begged Time to aid him, for he saw that through no intermediary belonging to the light would (Ahriman) desist. Time is a good helper and right orderer of both: there is need of it. (10) (Ohrmazd) made it in three periods, each period three thousand years. (11) Ahriman desisted.

(12) Ohrmazd saw that unless Ahriman were encompassed, he would return to his own principle of darkness whenever he so willed and would prepare more weapons, and the conflict would be without end. After fixing the time, he chanted the Ahunvar. (13) And in the Ahunvar he showed him

three things. (14) First that every righteous thing is the will of Ohrmazd: (15) and from this it is plain that since righteousness is the will of Ohrmazd, obviously there are things which are not according to the will of Ohrmazd—and these can only be whatever has its root in Vāy who is of a different substance. (16) Secondly this, that he who does the will of Ohrmazd, reward and recompense are his; and he who does not the will of Ohrmazd, punishment and retribution are his. (17) This shows the reward of the virtuous and the punishment of sinners, and thence, too, heaven and hell. (18) Thirdly it shows that the sovereignty of Ohrmazd prospers him who keeps affliction from the poor. (19) This shows that the wealthy are to help the needy: as the learned teach the ignorant, so should the rich generously lend a helping hand to the poor; for the creatures of Ohrmazd are in strife and battle one with another.

(20) For the final rehabilitation will be effected by these three things. (21) First orthodoxy, that is the belief in two principles, in this wise and manner that Ohrmazd is all good and devoid of evil and his will is all-holy; and that Ahriman is all evil and devoid of good. (22) Second, the hope of reward and recompense for the virtuous and the fear of punishment and retribution for sinners, striving after virtue and shunning vice. (23) Third, that creatures should help one another: for from mutual help comes solidarity, from solidarity victory over the enemy, and this is the final rehabilitation.

(24) By this word (Ahriman) was laid low and fell back into the darkness.

(25) (Then) Ohrmazd projected creation in bodily form on to the material plane, first the sky, second water, third earth, fourth plants, fifth cattle, sixth man: and fire permeated all six elements, and the period for which it was inserted into each element lasted, it is said, as much as the twinkling of an eye. (26) For three thousand years creation was corporeal and motionless. Sun, Moon, and stars stood still in the heights and did not move.

(27) At the end of (this) period Ohrmazd considered, 'What profit have we from our creation if it neither moves nor walks nor flies?' And with the aid of the firmament and Zurvān he fashioned creation forth. (28) Zurvān had power to set the creation of Ohrmazd in motion without giving motion to the creation of Ahriman, for the (two) principles were harmful to each other and mutually opposed.

(29) Pondering on the end he (Zurvān) delivered to Ahriman an implement (fashioned) from the very substance of darkness, mingled with the power of Zurvān, as it were a treaty, resembling coal (?), black and ashen. (30) And as he handed it to him, he said, 'By means of these weapons Āz

(concupiscence) will devour that which is thine and she herself shall starve, if at the end of nine thousand years thou hast not accomplished that which thou didst threaten, to finish off the treaty, to finish off Time.'

(31) Meanwhile Ahriman, together with his powers went to the station of the stars. (32) The bottom of the sky was in the station of the stars: from there he dragged it into the Void which lies between the principles of light and darkness and is the field of battle where both move. (33) And the darkness he had with him he brought into the sky; and he dragged the sky down into the darkness so that within the roof of the sky as much as one third only could reach above the region of the stars.

Z 5 (*a*). The thirty-fourth chapter of *The Selections of Zātspram*. The transliterated text, both unvocalized and vocalized, was published for the first time in BSOS. x, pp. 377–98. Translation and notes appeared in the next number of the same *Bulletin* (pp. 606–31). For the notes the reader is referred there.

'apar fraškart-kartārīh

(1) ['ku] *'andar dēn ōγōn nimūt ēstēt 'ku Zartušt 'hač Ōhrmazd pursīt 'ku tanōmandān* ⟨*i*⟩ *'pat zamīk 'bē viturt 'hēnd, 'pat fraškart tanōmand 'apāč 'bavēnd ayāp asāyak humānākīhā?*

(2) *Ōhrmazd* ⟨*guft*⟩ *'ku tanōmand 'apāč 'bavēnd, uzēnd.*

(3) *'ut Zartušt pursīt 'ku 'ān 'kē 'bē viturt, 'sag 'ut vāy 'bē visānd 'ut gurg 'ut dālman*[*ak*] *'bē burt, čēγōn 'apāč 'ō ham 'rasēnd?*

(4) *Ōhrmazd guft 'ku 'kaδ 'tō 'kē Zartušt 'hēh,* ['*aδak-at*] *kiβōt-ē i dārēn kartan apāyēh, *aδak 'pat kartan čēγōn hugartar 'bavēh, 'kaδ-at dār 'nē būt, 'ut-at 'brītan passāχt*⟨*an*⟩ *apāyīt, ayāp 'kaδ kiβōt 'būt, 'ut-aš* [*ān*] *ātak*(?) *ēvak 'hač 'dit 'bē višuft, 'apāč passāχtan apāyēt?*

(5) *Zartušt guft 'ku 'kaδ dār-*ē tāk būt 'hēh, hugartar 'būt 'hēh 'ku 'kaδ dār 'nē būt 'hēh, 'ut 'kaδ kiβōt ātak*(?) ⟨*ēvak hač dit bē višuft*⟩, *hugartar būt 'hēh. . . .*

(6) *Ōhrmazd guft 'ku 'avēšān dāmān, 'kaδ 'nē būt 'hēnd, am brēhēnītan tavān būt, 'ut 'nūn 'kaδ būt 'ut višuft, 'apāč passāχtan hugartar.*

(7) *'čē-m 'hēnd 5-ān hanbārtārān patiγraftār i viturtān tanōmandīh: ēvak zamīk *'kē 'apar nikās-dāštār i 'gōšt 'ut ast 'ut paδ i 'martōmān: ēvak 'āp nikās-*dāštār i* [*pit 'ut*] *χōn: ēvak urvar i dāštār i vars 'ut mōδ: ēvak *ras-rōšnīh* patiγraftār*[*īh*] *i ātaχš: ēvak ham vāt 'i-m 'ǰān i χᵛēšān dāmān 'pat fraškart hangām* ⟨*apāč dahēt*⟩ (?).

(8) *'apar 'χᵛānam zamīk, hač-iš 'χᵛāst ast 'ut 'gōšt 'ut paδ i Gayō*(*k*)*mart*

apārīkān. (9) *'gōβēt zamīk 'ku čēγōn 'rasēnam 'kaδ 'nē 'ēn 'bē 'dānam 'ku katār 'ān i 'avē ⟨ast ut gōšt ut paδ ut katār ān i avē?⟩*

(10) *'apar 'χᵛān⟨am⟩ 'āp i Arang i 'hast Diglit 'hač rōtān, 'ku 'apar 'rasēn χōn i 'avē i ristak 'martōm.* (11) *'gōβēt ⟨āp⟩ 'ku čēγōn 'rasēnam, 'kaδ 'nē *'ēn 'bē 'dānam 'ku katār 'ān i 'avē χōn 'ut *katār 'ān i 'avē?*

(12) *'apar 'χᵛānam urvar 'ut 'hač 'avē 'χᵛāδam vars ⟨i⟩ rist 'martōm.* (13) *'gōβēt urvar 'ku čēγōn 'rasēnam 'kaδ 'nē *'ēn 'bē 'dānam ⟨ku⟩ katār 'ān i 'avē vars 'ut katār 'ān i 'avē?*

(14) *'apar 'χᵛānam vāt, *'hač 'avē 'χᵛāδam ǰān i 'avē ristak 'martōm.* (15) *'gōβēt vāt 'ku čēγōn 'rasēnam, 'kaδ 'nē *'ēn 'bē 'dānam 'ku katār 'ān i 'avē 'ǰān, katār 'ān i 'avē?*

(16) *⟨man⟩ 'kē Ōhrmazd 'ham, 'kaδ apāč nikīrom 'pat zamīk 'āp urvar rōšnīh vāt, 'pat rōšn dīδišn(?) 'bē 'dānam, ēvak 'hač 'dit 'bē šnāsēm: 'čē 'pat visp-dānišnīh, 'pat rōšn-mēnišnīh ēvak 'hač 'dit ōγōn vičīhēm čēγōn 'kaδ ⟨mart?⟩ šīr ⟨i⟩ 'mātakān ⟨dōχt⟩, i 'pat zamīk 'pat ham-yōy frāč tačēnd ēvak 'andar 'dit, 'ēt 'ku-m katār 'mātak: ōγōn 'bē šnāsēm čēγōn 'kaδ 'mart-ē 30 asp 'hēh, 'har ēvak rāδ yāmak-ē i nišān-ē pat-iš 'ku katār asp *rāδ, ['kaδ šīr dōχt,] 'ān 30 yāmak aγnēn 'ēstēnd, *aδak 'kāmēt 'dānastan, 'har yāmak-ē 'apar 'gīrēt, nišān i 'pat yāmak 'bē šnāsēt 'ku-m katār asp.*

(17) *'apar *'frēstam Airyaman frēstak 'kē-š fražāmkārīh 'andar χᵛēškārīh.* (18) *'bē 'rasēnēt ast 'ut χōn 'ut vars 'ut rōšnīh ⟨'ut⟩ 'ǰān i Gayō(k)mart 'ut *Mašyē 'ut *Mašyānē.*

(19) *'ut-aš pēšōpāδ 'ápāč passāčom ast i Gayō(k)mart, 'ut-aš 'ān i *Mašyē 'ut *Mašyānē ham-patvast dašnak 'ut hōyak 'bē 'daham.*

(20) *'ut-am 'ō ham-passāχtan 'apāč 'dātan hugartar 12 dāmān 'i-m 'pat bun 'bē 'dāt, fratom 'kaδ-am āsmān vīnārt astūn an-'apar-dāštār 'kē-š 'hač hēč kust 'nē 'hēnd gētēhān 'bē dāštār; 'ut ditīkar 'kaδ-am zamīk vīnārt miyānak ⟨i⟩ āsmān *'ku 'ō katār-ič-ē nēmak 'nē nazdīktar būt, humānākīh i zartak i χāyak miyān ⟨i⟩ χāyak; 'ut sitīkar 'kaδ-am χᵛaršēt brēhēnīt; 4-om 'kaδ-am māh brēhēnīt; ⟨5-om 'kaδ-am star brēhēnīt;⟩ *6-om 'kaδ-am 'andar urvarān 'vas gōnak rang 'ut *čāšišn 'bē 'dāt; *7-om 'kaδ-am 'andar urvar ātaχš 'pat *asōčišnīh 'bē 'dāt; *8-om 'kaδ-am χōšak 'ō zamīk 'bē burt 'ut 'pat hangām i frāč vaχšišn [i] barōmand 'bavēnd, 'ō χᵛarišn i 'martōmān 'ut gōspandān 'rasēnd; 9-om 'kaδ-am 'andar 'mātakān zahak 'bē vīnārt, 'apar nihuft 'tāk 'bē ⟨nē⟩ viturt, 'ut-am yut yut 'andar 'ān ārōδišn paytākēnīt ast χō⟨n⟩ mōδ 'ut drēm 'ut paδ 'ut srūv; dahom 'kaδ-am tanōmand murvān 'pat parr ⟨andar⟩ andarvāy vāδēnīt; yāzdahom 'kaδ-am 'āp 'pāδ *χargōš humānākīh [i] frāč raftār 'dāt; duvāzdahom ⟨'kaδ-am aβr dāt⟩ 'ul 'apar burtār i 'āp, vārānēnītār i vārān.*

(21) *humānāk 'būt ['ō] dām-dahišnīh, dēn-ravākīh, fraškart-kartārīh 'ō*

**dēsītan i 'χānak.* (22) *čēγōn katak 'pat 3 aβzār fražāmīhēt i 'hast būm dīvār 'ut aškōβ; 'ut 'ān i dām-dahišnīh būm, dēn-ravākīh dīvār, fraškart-kartārīh aškōβ.*

(23) *čēγōn 'kaδ 'mart 'χānak 'kāmēt vīrāstan, 'mart 3 'bē vičēnēt 'kē ēvak 'pat būm vīrāstan, ēvak 'pat dīvār āhaχtan, 'ut ēvak 'pat aškōβ kartan fra-haχtaktar, 'ut yut yut 'pat 'ān kār 'bē 'ēstēnīt: 'tāk būm vīrāst 'ut dīvār āhaχt[an], 'nē šāyast.* (24) *'avē 'kē-š 'χānak framūt, rōšn ākās 'ku 'pat čand 'ō fražām 'rasēt, 'ut 'pat-ič frahaχtkārīh i 'avē i aškōβ-ka⟨r⟩tār apēgumān būtan rāδ, dēr-vistāχᵛ. 'kaδ dīvār 'ō fražām mat, ['tāk] 'avē 'kē-š aškōβ 'andar χᵛēškārīh, aškōβēnītan ōγōn hugar čēγōn 'avēšān-ič 2 'pat kār 'i-šān 'pātēmār.*

(25) *'ut 'dit humānāk būt fraškart-kartārīh 'ō 'šap i tār: 'kaδ 'šap 'ō sar 'šavēt, χᵛaršēt 3 kanārak i gēhān uzēt, 'ut 'apāč 'ō 'χᵛēš gyāk mat 'ut gartišn fražāmēnēt, ['ān] nōk 'pat spēžišn 'bavēt 'ut tam 'ut tār 'zanēt.*

(26) *humānāk būt 'ō māh 'kē 15 'andar vaχšišn, 15 'andar ⟨na⟩rfsišn 'bavēt. 'kaδ bavandak būt avēnāβtāk, nōk 'apāč 'zāyēt, 'hač χᵛaršēt šaθriyār i rōšnān 'pat bām paytāk 'bavēt: gēhān i ristāχēz 'apāč-dahišnīh pat-iš paytāk-īhēt.*

(27) *humānāk būt 'ō 'sāl 'kē 'pat vahārān draχt viškuft 'bavēnd, 'pat hāmēn bar 'dahēnd, 'ut ⟨pat⟩ pātēz fražām bar *'dahēnd, 'pat zimastān hušk 'ut murt humānāk 'bavēnd.* (28) *'kaδ vinīrišn i 'sālān spurrīkīhēt, Miθr 'apāč 'ō gyāk i naχᵛistēn mat, 'rōč 'ut 'šap hāvand-patmān, andarvāy nisārīk(?)-patmān[īk] 'bavēnd. 'ut murtāχēz humānāk *ō hušk dārān draχtān ⟨i⟩ nōk varg ⟨s⟩pēžīhēnd 'ut nihāl viškōβīhēnd.*

(29) **ōstīkānīh 'apāč dahišnīh rāδ 'har čihrān fražām 'ō bun ham hangōšītak 'bavēnd, čēγōn 'martōm 'kē-šān 'bavišn 'hač tōhm *tačēnd, čēγōn urvarān 'kē-šān 'bavišn 'hač tōhmak, bavandak-fražāmīh 'pat ham-tōhmīh.*

(30) *'pat dēn ōγōn paytāk 'ku Ahriman, 'kaδ 'andar 'ō dām duvārast, duš-dēn ǰēh-dēv sarδak ōγō⟨n⟩ 'pat hanbāz dāšt čēγōn 'mart 'zan ⟨i⟩ ǰēh-ē hanbašn ⟨bavē⟩t; 'čē 'χᵛat 'hast [i] 'dēv ǰēh: 'ut-aš duš-dēn [-ē] ǰēh-dēv sarδak bān-⟨ūk⟩ aβ⟨di⟩st[an], 'χᵛat 'hast sar i hamāk [ǰēh] ǰēh 'dēvān, garān pityāraktar 'ō 'mart ahrov.* (31) *'ut-aš duš-dēn [i] ⟨ǰēh-dēv apāk mart i ahrov⟩ ham-yuχt āhōkēnītan i 'mātakān rāδ 'apāk ham-yuχtīhast, 'ku 'tāk 'mātakān āhōkēnāt, 'ut āhōkēnītakīh ⟨i⟩ 'mātakān rāδ 'narān āhōkēnānd, 'hač χᵛēškārīh vartānd.*

(32) *'ut-aš 'pas vičīt spāhpat sardār i 'χᵛat 'hast *Āz; 'ut-aš 4 spāhpat 'pat ham-kārīh frāč 'dāt 'hēnd, 'hast Ēšm 'ut Zimastān 'ut Zarmān 'ut S⟨ē⟩ž, humānākīh i χᵛarāsān 'ut *χᵛarβarān 'ut nēmrōč 'ut apāχtar.* (33) *spāhpat 'apar vičīt ['ut] Āz, dašnak sardār 'ut hōyak sardār, i 'hast suδ tišn, ētōn-ič Zarmān *šēvan mōδak, ētōn-ič S⟨ē⟩ž frēhbūt 'ut *apēbūt.*

(34) *'pat fraškart fratom čār i Āz 'χᵛāδīhēt; 'hast 'ēt rāδ 'čē spāhpat sardār 'hast ⟨i⟩ *apārīkān-ič družān, Ahriman dušdēn nērōk 'hač 'avē vēš.*

(35) *'pat-ič bun ravākīh ⟨i⟩ dām 'kaδ Zurvān 'ān karp *patmōk i tārīk 'ut āturastar-gōn ravākīh rāδ frāč 'ō Ahriman burt 'pat 'ēn *pašt 'ku 'ēn 'hast 'ān zāy i ātaχš humānāk sōčišnīk, 'ut hamāk dāmān pat-iš ōštāβōmand, 'χᵛat gōhr i Āz dārēt. 'kaδ zamānak i 9000 'sāl 'bē 'ō fražām mat, 'ān 'čē-t 'pat ⟨bun⟩ 'bē *patēstāt 'ku 'bē hāčēh harvisp aχᵛ i astōmand 'ō adōstīh i Ōhrmazd, dōstīh i 'χᵛēš, 'χᵛat ⟨vir⟩ravišn i 'apar ēvak-buništakīh 'ku ham 'ān 'kē aβzāyēnītār zatār, bavandak 'nē fražāmēnīt, 'pat 'avēšān zāy *apākīh Āz 'ēt i 'tō 'bē žōyēt, dām ⟨i⟩ 'tō, χᵛat 'pat suδ frāč 'mīrēt, 'čē 'nē ayāpēt 'hač Ōhrmazd dāmān χᵛarišn, humānākīh i ⟨va⟩zay-ē 'kē 'andar 'āp zīvandak, 'ut 'tāk 'āp hamē āhōkēnēt, *aš 'χᵛat pat-iš hamē zīvēt, 'ut 'kaδ-aš 'āp hač-iš 'apāč*'graft, murtak hušk 'bavēt.*

(36) *'ut Āz ēvak-čihrīhā 'nē tavān 'būt āhōkēnītan 'tāk dāmān parkandak 'bavēt, *aš zō(h)rān 'pat yumē ravāk 'būtan i 'andar dām rāδ, 'ō 3 baχt i 'hast čihrīk, 'bē čihr 'ut bērōn 'hač čihr. čihrīk 'ān *'kē 'andar χᵛartārīh 'kē-š 'ǰān ov-iš bastak: 'bē čihrīk kāmakōmandīh i 'apar gumēčišn 'kē 'χᵛat varan 'χᵛānīhēt 'kē 'pat vēnišn i 'ō 'bē 'ān i andarōn hangēžīhēt 'ut čihr i tan ōštāβīhēt: bērōn 'hač čihr ārzōk i 'ō katār-ič-ē nēvakīh i 'vēnēt ayāp āšnavēt.*

(37) *'har tōβ-ē 'ō 2 baχt; 'ān i čihrīk 'hast suδ tišn; 'ān i 'bē čihrīk 'hast rēčāk patīr⟨ā⟩k; 'ān i bērōn 'hač čihr 'hast appurīhā handōχtan, penīhā 'bē 'nē 'dātan.*

(38) *'ēt 'hast 'kē-š 'vattarīh 'andar fravand. 'ut [aβdom] paytāk 'ku aβdom *čārgarīh i Āz rāδ Ašvahišt 'pat ham-zō(h)rīh i Airyaman frēstak 'bē 'ō zamīk 'āyēt, 'ō dāmān 'apar garān-vināsīh *i gōspand sarδakān 'zatan, kam-*sūtīh i hač-iš ⟨ni⟩māyēt; 'ēn-ič framāyēt 'ku 'mart 'hēt, 'mā ētōn gōspand 'bē kušītār *'bavēt čēγōn-tān pēš frāč 'pat *'nūn *kušīt.*

(39) *'kaδ nazd 'ō fraškart-kartārīh 'bavēt, niγōχšītārān i Ašvahišt framān 'hač gōspand-zatārīh 'gōšt ['ut] χᵛarišnīh 'bē vartēnd, 'ut 4 ēvak *nērōk i Āz 'bē kāhēt, nēvakīh i 'andar tan 'ō 'hast, 'bē ānāβīhast, tam-ič tār bahrīhā *'zat: *mēnōkīkīh 'ō čihr apērtar patmōčīhēt, dānišnān rōšntar ayāpīhēt.*

(40) *frazandān i 'hač 'avēšān 'zāyēnd Āz 'andar tan *apātyāvandtar 'ut tan kam-gandaktar, 'ō yazdān *čihr ham-patvand-tar. 'pat hamōχtārīh i yazdān 'hač pēm-χᵛarišnīh vartēnd; nēmak nērōk i Āz 'bē kāhēt.* (41) *'avēšān-ič 'zāyišnān aχᵛarišnīh rāδ hubōδ, kam-tārīk, mēnōk-čihr 'ut a'zāyišnōmand 'bavēnd.*

(42) *'ut 'pas Āz *'dēv, 'nē ayāftan i nērōk 'hač Ōhrmazd dāmān ⟨rāδ⟩, 'bē 'ō Ahriman 'kē-š 'pat spāhpatān sardār paytākēnīt, ['ut] ruzdakīhā 'andar 'ō dāmān rat patkārt 'ku-m sēr hanburt 'kunēt, 'čē 'nē ayāpēm 'hač Ōhrmazd dāmān χᵛarišn zō(h)rān.* (43) *'pat framān i Ahriman 'dēv i χᵛartak 'bē aβsihēnēt. aβdom 'ān i 4 spāhpatān frāč 'mānēnd 'ut 'an 2 i Ahriman Āz.*

(44) *frāč 'ō zamīk 'āyēnd Ōhrmazd, Ahriman, Srōš, Āz. ['ō] Ōhrmazd*

*Ahriman 'zanēt: 'tāk *baχtīk būt Āz 'apāk Ahriman, čār 'nē ayāpēt, 'ān-ič rāδ 'kaδ Ōhrmazd visp-dātār i rōšnīh, 'ut-aš tārīkīh i Ahriman pityārak; Srōš-ahrāy i patmānīk 'hast mēnōk i patmān, 'ut-aš Frēhbūt 'ut *Apēbūt i Āz pityārak: hambrēh 'hēnd 'pat kōχšišn.* (45) *'bē čēγōn Āz 'apāk baχtīk ⟨nē⟩ 'bavēt, Ahriman ēvtāk, 'ut-aš hamēmāl 3, 2 i yut-gōhr i 'hast Ōhrmazd Srōš, 'ut ēvak i ham-gōhr i 'hast Āz ⟨i⟩ baχtīktar: 'kaδ-aš aδyār 'bē 'ō hamēmālīh *gašt, hambatīk pērōžīhēt.*

(46) *'kaδ 57 'sāl 'ō fraškart-kartārīh 'apāč 'ō 'zāyišn 'bavēt i Sōšyans, spurrīkgarīh 'ān i *'bē 'ō Zartušt 'bē 'dahīhēt.*

(47) *'apar Zartušt ōγōn paytāk 'ku 'pat 30 sālak 'bē 'ō ham-pursīh i Ōhrmazd mat, 'ut-aš dēn patiγraft, 'ut-aš yazdīkīh ravākēnīt. 'pat 57 'sāl dēn 'pat 7 kišvar bahrakīhā 'bē mat. čēγōn dēn 'ō ravākīh mat, druž 'hač āškārak-paytākīh [i] 'bē 'ō hačaδar zamīk . . . bahrīhā nērōk-šān akārīhast.*

(48) *'kaδ 'ān spurrgar frēstak i 'hast Sōšyans parvānak Airyaman 'pat zamīk paytāk 'bavēt, 'pat ham-handāčakīh 'pat 30 sālak 'bē 'ō mēnōkān [i] ham-*pursēt. dāt i fraškart-kartārīh ham 'pat 57 'sāl; bavandak-ravākīhā 'pat 7 kišvar 'bē 'ravēt; 'pat bavandak-ravākīh ānāβīhēt druž 'hač dāmān.*

(49) *'kaδ aβigat 'ō dām mat, frāč 6000 'sāl i ōšmartīk, i 'hast 'hač Fravartīn 'māh, Ōhrmazd 'rōč [i] gašt, 'mānd 'ēstēt, 'ō uspurrīkīh i 6000 'sāl i vihēžakīk *4 'sāl humānākīh [i]; 'čē 'har 4 'sāl 'rōč-ē vihēžak, 'nē āβzōn; 'pat 6000 'sāl 4 'sāl humānāk 'bavēt. 'pat 'ān gās nišān 'bavēt i ristāχēz, 'ut spihr 'bē yumbēt, ravišn ⟨i⟩ χᵛaršēt, māh, *starān *gaδ aδvēnak* 'bavēnd; čēγōn spihr vartišnīk, andarvāy 'ut zrēhān 'hamist zamīk 'ut mānišnān 'hač čihrīk ⟨rās⟩ 'bē *vartēnd. 'pat zamīk humānākīh i čašmakīhā i 'āp 'vasān gyākān čašmak ⟨i⟩ ātaχš 'ul uzēnd.* (50) *'ēt rāδ 'čē Ōhrmazd 'pat 'āp 'bē 'dāt, 'pat ātaχš fražāmīhēt: 'čē 'āp čihr dārēt i rōšnāk 'ut vaχšāk, ātaχš sōčāk pātēr⟨ān⟩gar i tōhm: čēγōn 'kaδ tōm i urvarān 'bē 'ō 'āp 'rasēt, aš zō(h)r i vaχš⟨ā⟩kīh, 'ut-aš χᵛēt 'bavēt.*

(51) *'kaδ 'ān ātaχš 'pat zamīk paytāk 'bavēt, āpān 'andar 'ō ōpāδišn 'ēstēnd, 'ut vārān-ič 'hač vārišn 'apāč 'ēstēnd 'tāk 'āp 'pat zamīk frahistān 'apāč 'ō *avērānīh aβspārīhā⟨t⟩ 'ut čihrān i 'apar zamīk ātaχš hamīkīh rāδ, gōnak 'ō maδīh(?) *vartāt vaχšākēnāt*, 'ut *varz apātyāvand 'bavēnd.*

(52) *'kaδ 3 'māh 'ō ristāχēz 'apāč, 'ō artīk 'bavēt i 'vazurg, čēγōn 'pat bun dām 'ut dahišn 'andar kōχšišnīh ⟨i⟩ druž. 90 rōč-šapān kārēčār būt, artīk i 'hast 30 'rōč 'ut 'šap *'pat vārān i χrafstar-zatār, 30 'rōč 'šap 'pat tāčišn 'hač 'mēγ 'kē-š urvar pat-iš vaχšēt, 30 'rōč 'šap 'pat vāt 'kē 'āp 'bē rānēnēt, zamīk aδar *dārišn 'ul *dārišn i gōr 'ut *čakāt 'bē kart.* (53) *'bē čēγōn 'ān i 'vazurg artīk 'pat bun ⟨pat⟩ vārišn i 'āp 'ut vāt i 'āp savāk 'būt, 'ān 'pat sar 'pat tāpišn 'ut tapišn i 'hač ātaχš 'ut škift vāt i ātaχš aβrōčāk.* (54) *čēγōn 'ān i artīk 'apar 90 'rōč-šapān yazdān 'apāk 'dēvān-ič 'ut ǰēh būt, 'ān 'pat aβdom*

*āškārak-paytākīhā 'vēnīhēt, šapān 'andar andarvāy ātaχš karp, 'mart dēš mēnōkān mēnīt, ātaχšīk ⟨pat⟩ *bārak i 'asp humānāk škift: apēgumān 'bavēnd.*

NOTES

§ 6. *paδ*: reading so instead of *pīh* 'fat': v. Henning, *Book of Giants*, BSOAS, xi, p. 63, n. 1. In addition to the Manichaean parallels in Chinese, Uiyur Turkish, and Soghdian cited there, we have the series 'veins, hair, bone, sinews (*pay*) and blood' in Nāṣir i Khusrau, *Dīvān*, p. 307, l. 23 (ed. Tehran, A.H. 1306–7). Cf. Part I, Chapter V, p. 145, n. G.

§ 19. *dašnak 'ut hōyak*: so both here and in § 33 rather than *gašnak 'ut andak* previously read. Fr. P. J. de Menasce kindly pointed out the error in § 33 shortly after the translation appeared in article form.

TRANSLATION

On the final rehabilitation.

(1) It is revealed in the Religion that Zoroaster asked Ohrmazd (saying), 'Shall bodily creatures who have passed away on earth, receive their bodies back at the final rehabilitation or shall they be like unto shades?'

(2) Ohrmazd said, 'They shall receive their bodies back and shall rise again.'

(3) And Zoroaster asked (saying), 'He who hath passed away is torn apart by dog and bird and carried off by wolf and vulture: how shall (their parts) come together again?'

(4) Ohrmazd said, 'If thou who art Zoroaster hadst to make a wooden casket, would it be easier to make it if thou hadst no wood and yet hadst to cut and fit it, or if thou hadst a casket and its parts were sundered one from the other and thou hadst to fit it together again?'

(5) Zoroaster said, 'If I had a branch of wood, it would be easier than if I had no wood; and if I had a casket (and its parts were sundered one from the other), it would be easier. . . .'

(6) Ohrmazd said, 'When those creations were not, I had power to fashion them; and now when they have been and are scattered abroad, it is easier to fit them together again. (7) For I have five store-keepers who receive the bodily substance of those who have passed away. One is the earth which keeps the flesh and bone and sinews of men: one is the water which keeps the [flesh and] blood: one is the plants which preserve the hair of the head and the hair of the body: one is the light of the firmament(?) which receives the fire: and yet another is the wind which ⟨gives back⟩ the spirit of my own creatures at the time of the rehabilitation.

(8) I call upon the earth and ask of it the bone and flesh and sinews of

Gayōmart and the others. (9) The earth saith, "How shall I bring them, for I know not which is the ⟨bone, flesh, and sinews⟩ of the one ⟨and which of the other⟩?"

(10) I call upon the water of the Arang which is the Tigris among rivers (saying), "Bring forth the blood of those men who are dead." (11) ⟨The water⟩ saith, "How shall I bring it, for I know not which is the blood of the one and which of the other?"

(12) I call upon the plants and ask of them the hair of the dead. (13) The plants say, "How shall we bring it, for we know not which is the hair of the one and which of the other?"

(14) I call upon the wind and ask him for the spirit of those men who are dead. (15) The wind saith, "How shall I bring it, for I know not which is the spirit of the one and which of the other?"

(16) When I who am Ohrmazd look down upon the earth, water, plants, light, and wind, in my clear sight I know and distinguish the one from the other: for in my omniscience and clear thought I distinguish the one from the other even as when a man milks the milk of female beasts and it runs down upon this earth in the same channel, one stream into the other, he knows of which of his beasts it is. I recognize them even as when a man hath thirty horses and each horse has a caparison with a mark on it (to show) to which horse it belongs, and those thirty caparisons stand together, and the man (then) wishes to know; he takes off the caparisons and knows by the mark on the caparison which of his horses is which.

(17) I shall send forth Airyaman the Messenger among whose duties is the fulfilment of the end. (18) He will bring the bone and blood and hair and light and spirit of Gayōmart and Mašyē and Mašyānē. (19) And first shall I fit together again the bones of Gayōmart—and the bones of Mašyē and Mašyānē lie together near him, to the right and to the left—these shall I bring forth.

(20) And it is easier for me to fit together and create again the twelve creations that I created in the beginning: first when I created the sky without pillar or support which no material creature supports from any side; and second when I established the earth in the middle of the sky so that it was nearer to neither side, like the yolk of an egg in the middle of an egg; and third when I fashioned the Sun; fourth when I fashioned the Moon; ⟨fifth when I fashioned the stars;⟩ sixth when I created many hues, colours, and tastes in the plants; seventh when I created fire within the plants and it did not burn; eighth when I brought corn to the earth, and when it is full grown, it bears fruit and serves as food for man and kine; ninth when I formed the embryo within female creatures and covered it up

so that it did not die and, as it grew, I revealed one by one the bone, blood, hair, phlegm, sinews, and nails; tenth when I made birds in bodily form to fly in the air; eleventh when I gave the water feet moving forward like unto a hare(?); twelfth ⟨when I created the clouds⟩ that carry the water up and rain it down.'

(21) The creating of creation, the progress of Religion, and the final rehabilitation are like unto the building of a house. (22) For a house can only be completed by means of three things, that is the foundation, the walls, and the roof. Creation is the foundation, the progress of Religion the walls, and the rehabilitation the roof. (23) As when a man desires to build a house, he chooses three men of whom one is most skilled in laying the foundation, one in raising the walls, and one in making the roof; and each is assigned to his proper work. Till the foundation was laid and the walls raised, it was not possible (to make the roof). (24) He who bade the house (be built) knows clearly how many things are needed to complete it, and because he has no doubt concerning the skill of the maker of the roof, long does he confidently wait. When the walls are completed, it is as easy for him whose business is the roof, to roof (the house) in as (it is) for the other two in the work that is assigned to them.

(25) And again the rehabilitation was like unto a dark night: when the night draws to its close, the Sun rises over three corners of the earth and returns to its proper place and completes its cycle and comes to shine anew and smites the darkness and gloom.

(26) It was like unto the Moon which waxes for fifteen (nights) and for fifteen wanes. When it has completely disappeared, it is born anew and is manifest in the sheen (it has) from the Sun, the lord of lights: the restoration of the world of the resurrection is made manifest thereby.

(27) It was like unto the year in which, in spring, the trees blossom, in summer they bear fruit, in autumn they bear the last fruits, and in winter they become dry and as if dead. (28) When the order of the years is fulfilled, Mihr (the Sun) returns to his first place, day and night are equal in measure, and the atmosphere (returns to) its original(?) equilibrium.

And the resurrection of the dead is like unto dry trees and shrubs that put forth new foliage and shoot forth tender saplings. (29) Since stability must be restored the end of all natural things is in the same manner as their beginning, even as man whose coming to be springs from the semen or as the plants whose becoming is from seed; their perfection and end are in the selfsame seed.

(30) In the Religion thus is it revealed—When Ahriman rushed into creation, he had the brood of the demon Whore of evil religion as his

companion even as a man has a whore woman as his bedfellow; for verily the whore is a demon: and he appointed the demon Whore queen of her brood, that is the chief of all the whore demons, the most grievous adversary of the Blessed Man.

(31) And ⟨the demon Whore⟩ of evil religion joined herself ⟨to the Blessed Man⟩; for the defilement of females she joined herself to him, that she might defile females; and the females, because they were defiled, might defile the males, and (the males) would turn aside from their proper work.

(32) And he chose a captain of his commanders who is none other than Āz (concupiscence): and he gave her four commanders to help her, who are Wrath and Winter and Old Age and Bane, like unto the East and West and South and North. (33) Āz chose commanders, captains of the right and captains of the left, which are hunger and thirst: so too did Old Age (choose) lamentation and mourning: so too did Bane (choose) excess and deficiency.

(34) At the final rehabilitation first a means of overcoming Āz is sought, for she is the captain of the commanders of the other lies, and from her has Ahriman of evil religion most strength. (35) When first creation began to move and Zurvān for the sake of movement brought that form, the black and ashen garment to Ahriman, (he made) a treaty in this wise, 'This is that implement like unto fire, blazing, harassing all creatures, that hath the very substance of Āz. When the period of nine thousand years comes to an end, if thou hast not perfectly fulfilled that which thou didst threaten in the beginning, that thou wouldst bring all material existence to hate Ohrmazd and to love thee—and verily this is the belief in the one principle, that the increaser and destroyer are the same—then by means of these weapons Āz will devour that which is thine, thy creation; and she herself will starve; for she will no longer obtain food from the creatures of Ohrmazd—like unto a frog that liveth in the water; so long as it defileth the water, it liveth by it, but when the water is withdrawn from it, it dieth parched.'

(36) And Āz because she had only one nature, had not the power to cause defilement as long as creatures were dispersed. That her powers might work together within creation, she divided them in three, that is 'that pertaining to natural functions', 'that pertaining to natural functions directed outward', and 'that outside the natural functions'. That pertaining to the natural functions consists in eating on which life depends: that pertaining to the natural functions directed outward is the desire to mingle (copulate) which is called lust (Varan) through which, by a glance outward,

the inwards are excited and the natural functions of the body thrown into turmoil: that outside the natural functions is the yearning for whatever good thing one sees or hears.

(37) Each part was divided into two: that pertaining to the natural functions is hunger and thirst; that pertaining to natural functions directed outward is the emitting and receiving (of seed); that outside the natural functions is hoarding by robbery and refusing to give through avarice.

(38) This is she who comprises (all) evil. And it is revealed that at the end Artvahišt will come to earth with the powerful help of Airyaman, the Messenger, to find a means of overcoming Āz, and he will show to creatures that the slaughter of the divers kinds of cattle is a grievous sin and that the profit therefrom is small: and this will he command, 'Ye are men; slaughter not the cattle even as hitherto ye have slaughtered them.'

(39) When the time of the rehabilitation shall draw nigh, those who hearken to the command of Artvahišt will turn from the slaughter of cattle and the eating of flesh, and one quarter of the power of Āz will dwindle, and the strength that is in her body will be destroyed, and the darkness and gloom will be smitten in part: nature will be clad in spirit and intelligences will be more clearly grasped.

(40) In the bodies of the children that are born to them Āz shall be less strong and their bodies shall stink less, and their nature will be more closely bound to the gods. Instructed by the gods they will turn away from the drinking of milk; half the power of Āz will dwindle. (41) And those who are born to them will be sweet-smelling, lacking darkness, spiritual in nature, without offspring, for they will not eat.

(42) And then the demon Āz, since she will derive no power from the creatures of Ohrmazd, will chide Ahriman who appointed her captain of his commanders (saying) in her greed to the judge of creatures, 'Satisfy me, satiate me, for I derive nor food nor strength from the creatures of Ohrmazd.' (43) At the command of Ahriman she will destroy the lesser demons. At the last (only) those four commanders will remain, and the other two, even Ahriman and Āz.

(44) Forth to the earth come Ohrmazd and Ahriman, Srōš and Āz. Ohrmazd smites Ahriman: so long as Āz was in league with Ahriman, he found no means of overcoming him, for Ohrmazd is the all-creator of light and the darkness of Ahriman is his adversary: Srōš, the moderate and blessed, is the genius of the Mean and the excess and deficiency of Āz are his adversary: they are of equal stature in the battle. (45) But when Āz is ⟨no longer⟩ in league with (Ahriman), Ahriman is alone, and his adversaries are three—two of a different substance, that is Ohrmazd and Srōš, and one

of the same substance, that is Āz, his greatest ally (heretofore). When his helpmate turns to enmity, the Adversary will be vanquished.

(46) When fifty-seven years have yet to pass till the final rehabilitation, the birth of Sōšyans will come to pass, the consummation of that which was bestowed on Zoroaster.

(47) Concerning Zoroaster thus is it revealed—for thirty years he conferred with Ohrmazd, and he received the Religion and spread godliness abroad. In fifty-seven years the Religion reached the seven climes in part. When the Religion made progress, the Lie, once manifest and plain to see, ⟨fled⟩ beneath the earth and its power was partially destroyed.

(48) When the Messenger of the consummation who is Sōšyans, the envoy and Airyaman, appears on earth, in like manner will he confer for thirty years with the spiritual gods. The term allotted for the final rehabilitation is also fifty-seven years. The Religion will reach the seven climes in its plenitude, and by the wholeness of its propagation the Lie will be uprooted from creation.

(49) When the Aggressor came upon creation, six thousand years of the 'reckoned calendar' remained—that is from the day of Ohrmazd in the month of Fravartīn until the period returns to the day of Ohrmazd in the month of Fravartīn. For the completion of six thousand years of the intercalating calendar the equivalent of four years (is needed): for in every four years there is one intercalated day, not more: in six thousand years that is the equivalent of four years. At that time will come the sign of the resurrection, and the firmament will move (from its course) and the course of the Sun, Moon, and stars will be *like to the planets* (?); and as the firmament turns, so will the atmosphere and the seas, the earth and the abodes (of men) turn from their natural ⟨paths⟩. On the earth, in the likeness of springs of water, springs of fire will arise in many places. (50) For Ohrmazd created with water and will bring about the end with fire: for water has a nature that illumines the seed and causes it to grow, and fire (a nature) that burns and thwarts it: for when the seed of plants comes to water, it receives the power of growth and becomes moist.

(51) When the fire appears on earth, the waters begin to sink and the rain ceases to rain till most of the waters on the earth are turned into desert, and the colour of plants on earth turns to the colour of wine(?) because of their union with fire, and they are burnt up and the tillage will be of no effect.

(52) When but three months have yet to pass before the Resurrection, it will come to the great battle even as in the beginning creation wrestled with the Lie. For ninety days and nights there was war, a battle of thirty

days and nights by the rain that smites noxious beasts, of thirty days and nights by the streaming forth of the vapours through which the plants grow, of thirty days and nights by the wind which drives the water on and supports the earth below and above and makes hollows and heights.

(53) But as the great battle in the beginning was by the raining of water and the wind that furthers water, so is the (battle) in the end by the burning and scorching of fire and the fearful wind that makes the fire to blaze.

(54) As (first) for ninety days and nights the gods did battle with the demons and the Whore, so in the end, manifest and plain, there will be seen by night and in the atmosphere a form of fire in the shape of a man, conceived by the spiritual gods, riding, as it were, a fiery horse, and fearful (to behold): and they shall be freed from doubt.

Z 5 (*b*). From the *Pahlavī Rivāyat* 48, §§ 90–96. v. also BSOS. x, pp. 626–7.

(90) **Ēšm 'ut Āz 'bē 'ō ganāk mēnōk 'gōβēt 'ku dušdānāk ganāk mēnōk, 'bē 'tō žōyam, 'čē-t 'bē 'hač 'tō dām 'graft, ⟨'nē⟩ ganǰ 'nē-ič gund, 'ut 'man zīvastan 'nē tavān.* (91) *fratom Āz i 'dēvān-dāt 'bē *žōyēt Ēšm i χur-druš, 'ut ditīkar zimastān i 'dēvān-dāt, 'ut sitīkar sēž i nihān-ravišn, 'ut 4-om zarmān i *dušdaft 'bē *žōyēt 'tāk hēč-ē frāč mānēnd* (92) *⟨'bē 'hač⟩ ganāk mēnōk 'ut Āz i 'dēvān-dāt. 'gōβēt Āz i 'dēvān-dāt 'bē 'ō ganāk mēnōk 'ku 'bē 'tō žōyam, dušdānāk, 'čē yazdān 'bē 'hač 'tō dām *'graft.* (93) *ganāk mēnōk 'ul ēstēt, 'bē 'ō spēnāk mēnōk 'šavēt, ētōn *davēt 'ku 'man 'ēn dām 'dāt 'ut Āz i 'dēvān-dāt 'kē-š dām ⟨i⟩ 'man žūt, 'nūn 'man 'bē 'kāmēt žūtan; 'tō 'pat dātaβarīh 'kunam.* (94) *Ōhrmazd 'apāk Srōš ahrov 'ul ēstēt 'ut Srōš-ahrāy[īh] Āz 'bē 'zanēt, Ōhrmazd ganāk mēnōk.* (95) *'apāk spistēn(?) tārīkīh 'ut anākīh ⟨i⟩ fratom 'kaδ 'andar duvārast, 'andar āβurt, hamāk 'pat sūrāk 'ku 'andar duvārast, bērōn āsmān *'kart, 'ut-aš ⟨pat⟩ 'ān sūrāk ētōn start 'ut abōδ 'bē 'kart i 'pas 'hač 'ān sturtīh 'apāč ⟨nē⟩ ēstēt.* (96) *būt 'kē-š guft 'ku yāvētānakān 'pat *ōžanišn aδvēnak akār 'bē 'kart, 'nē 'pas ganā⟨k⟩ mēnōk 'bavēt, 'nē 'ān i 'avē dām.*

TRANSLATION

(90) Ēšm (Wrath) and Āz say to the Destructive Spirit 'O thou Destructive Spirit of evil knowledge, I shall swallow thee, for (all) creation has been taken away save thee, and there is neither treasure nor army, and I cannot live.' (91) First Āz, the demon-created, swallows Ēšm of the bloody spear, and second the demon-created Winter, and third Bane that moves in secret, and fourth she swallows Old Age whose breath is foul, so that

none remain (92) ⟨save⟩ the Destructive Spirit and Āz, the demon-created. Āz, the demon-created, says to the Destructive Spirit, 'I will swallow thee, O thou of evil knowledge, for the gods have taken away (all) creation save thee.' (93) The Destructive Spirit rises up and goes towards the Bounteous Spirit, and cries out thus, 'I created this creation, and Āz, the demon-created, who has swallowed my creation, now desires to swallow me: I make thee judge over us.' (94) Ohrmazd arises with Srōš, the Blessed, and Srōš, the Blessed, smites Āz, and Ohrmazd the Destructive Spirit. (95) With all the foul(?) darkness and misery which he brought into (the world) when he first rushed in, he is thrown out of the sky through the hole by which he rushed in: and at that hole he is laid low and made unconscious so that he will (never) again arise from that low estate. (96) There have been some who have said that he will be forever powerless and, as it were, slain, and that henceforth neither the Destructive spirit nor his creation will exist.

Z 6. The following text is found in both the *Greater* (Anklesaria, p. 39, l. 11–p. 41, l. 10) and the *Indian* (Justi, p. 8, l. 6–p. 9, l.13) *Bundahišn*. As the difference between the two versions is more marked here than elsewhere, I have transcribed the two texts separately. The text relates the activities of J̌ēh, the Primal Whore; and the Indian version has been translated by Christensen, *Le Premier Homme*, i, p. 15 and extensively treated by Benveniste (MO. xxvi, pp. 187 ff.), who rightly used it to interpret and supplement Theodore bar Kônai's account of the Zoroastrian religion (v. our text F 10). Reference to J̌ēh is also made in the thirty-fourth chapter of Zātspram, § 30 (text Z 5 (*a*)). A full discussion of this problematical figure will be found in Part I, Chapter VII.

Greater Bundahišn 39. 11 ff.

⟨'apar⟩ duvārastan i aβigat 'ō dām.

'gōβēt 'pat dēn 'ku ganāk mēnōk, 'kaδ-aš akārīh ⟨i⟩ 'χᵛēš 'hamist 'dēvān 'hač 'mart i ahrov 'dīt, start 'būt; 3000 'sāl 'pat sturtīh 'sāyast. 'andar 'ān sturtīh kamālakān 'dēvān yut yut davīt 'hēnd 'ku 'apar āχēz, 'pit i 'amāh, 'čē 'ān kārēčār 'kunam, 'ān 'i-š Ōhrmazd 'ut amahraspandān tangīh ⟨'ut⟩ anākīh hač-iš; 'ut-šān yut yut duškunišnīh i 'χᵛēš dōkānīk ōšmurt. 'ut-aš 'nē rāmīhast 5 *'avē i druvand ganāk mēnōk, 'ut 'nē χāst 'hač 'ān sturtīh, bīm i 'mart i ahrov*

*rāδ, 'tāk 'kaδ Jēh druvand mat 'pat bavandakīh ⟨i⟩ 3000 'sāl, davīt 'ku 'apar āχēz, 'pit i 'amāh, 'čē 'man 'andar 'ān kārēčār and-čand bēš *'apar 'mart i ahrov, 'gāv i varzāk 'hilam 'ku kunišn i 'man rāδ zīvand⟨ak⟩īh 'nē apāyēt,*
10 *'ut-šān 'χᵛarr 'bē 'appuram, bēšēm 'āp, bēšēm zamīk, bēšēm ātaχš, bēšēm urvar, bēšēm harvisp dahišn i Ōhrmazd-dāt. 'ut-aš 'ān duškunišnīh ōγōn 'pat dōkān ōšmurt 'ku ganāk mēnōk 'bē rāmīhast, 'hač 'ān sturtīh frāč ǰast, 'sar ⟨i⟩ Jēh 'apar bōsīt. 'ēn rīmanīh ⟨i⟩ daštān 'χᵛānēnd 'pat Jēh paytāk 'būt. davīt ganāk mēnōk 'ō *Jēh-dēv* 'ku-t 'čē kāmak 'hēt, 'χᵛāδ, 'tāk-at 'daham. 'aδak Ōhr-*
15 *mazd 'pat χrat ⟨i⟩ harvisp-ākāsīh 'dānast 'ku 'pat 'ān zamān 'čē Jēh-dēv 'χᵛāδēt, ganāk mēnōk attōk 'dāt, 'ut-aš 'pat 'ān mas-sūtīh. 'ān ganāk mēnōk karp [i] dītan dēs ⟨i⟩ vazaγ. 'ut-aš 'mart ⟨i⟩ yuvān i 15 'sālak humānāk 'ō Jēh-dēv nimūt. 'ān i Jēh-dēv mēnišn ov-iš bast. 'ut-aš davīt Jēh-dēv 'ō ganāk mēnōk 'ku 'mart-kāmakīh 'ō 'man 'dah, 'ku-š 'pat sardārīh 'andar mān 'bē*
20 *nišēnam. 'ut-aš davīt ganāk mēnōk 'ku 'čiš 'χᵛāstan 'ō 'tō 'nē 'gōβam, 'čē apēsūt 'vat 'dānēh 'χᵛāst. 'bē *sačist 'ān zamān *'kaδ-aš 'čē* 'χᵛāst 'hēt, 'nē attōk 'būt 'hēh 'dātan.*

Indian Bundahišn, 8. 6 ff.

'apar duvārastan ⟨i⟩ aβigat 'ō dām.

*'gōβēt 'pat dēn 'ku ganāk mēnōk, 'kaδ-aš akārīh i 'χᵛēš 'ut hāmist 'dēvān 'hač 'mart i ahrov 'dīt, start 'būt; 3000 'sāl 'pat startīh *'sayast. 'andar 'ān startīh kamālakān 'dēvān yut yut drāyīt 'hēnd 'ku 'apar āχēz, 'pit i 'amāh, 'čē 'amāh 'andar 'ān gētēh kārēčār 'kunam, 'ān 'i-š Ōhrmazd 'ut aməšospan-*
5 *dān tangīh 'ut anākīh 'hač-iš 'bavēt. yut yut duškunišnīh i 'χᵛēš 2-kānak ōšmart. 'ut-aš 'nē *rāmīhast 'avē druvand ganāk mēnōk, bīm i 'mart i ahrov rāδ 'sar 'apar kartan 'nē tavānast 'tāk 'kaδ Jēh i druvand mat 'pat bavandakīh ⟨i⟩ 3000 'sāl, *'ut-aš drāyīt 'ō ganāk mēnōk 'ku 'apar āχēz, 'pit i 'amāh, 'čē 'man 'andar 'ān gētēh kārēčār 'kunam 'i-š Ōhrmazd 'ut aməšospandān tangīh*
10 *'ut anākīh hač-iš 'bavēt. 'ut-aš yut yut duškunišnīh i 'χᵛēš 2-kānak ōšmart; 'ut-aš 'nē rāmēnīt *'avē druvand ganāk mēnōk, 'nē χāst 'hač 'ān startīh bīm i 'mart i ahrov rāδ. 'ut 'dit Jēh i druvand drāyīt 'ku 'apar āχēz, 'pit i 'amāh, 'čē 'man 'andar 'ān kārēčār 'ēn čand *bēš 'apar 'mart i ahrov 'ut 'gāv i varzāk 'hilam, 'ku kunišn i 'man rāδ zīvandakīh 'nē apāyēt; 'ut-šān 'χᵛarr 'bē marn-*
15 *ǰēnam; bēšom 'āp, bēšom urvar, bēšom ātaχš i Ōhrmazd, bēšom harvisp dahišn i Ōhrmazd. 'ut-aš 'ān duškunišnīh ōγō⟨n⟩ 'pat 2-kānak ōšmart 'ku ganāk mēnōk 'bē rāmist, 'ut 'hač 'ān startīh frāč ǰast, 'ut sar i Jēh 'apar bōsīt, 'ut 'ēn rīmanīh i daštān 'χᵛānēnd 'pat Jēh paytāk 'būt. drāyīt 'ō Jēh 'ku-t 'čē kāmak, 'tāk-at 'daham. 'ut-aš drāyīt Jēh 'ō ganāk mēnōk 'ku 'mart-*kāmakīh 'tāk 'ō 'man*
20 *'dah. ganāk mēnōk karp dītan d⟨ē⟩sak i vazaγ [karp]. 'ut-aš 'mart i yuvān i 15 'sālak 'ō Jēh nimūt. 'ān Jēh mēnišn ov-iš 'burt.*

NOTES

Greater Bundahišn, 39. 11 ff.

l. 2. *sturtīh : startīh* P.
'sāyast: the ideogram for this word is written *ŠKBHWN-* = *šekibūn* (Nyberg, *Glossar*, p. 163). The meaning is certainly 'lie down', but the Iranian equivalent is uncertain and has been the subject of much discussion. The reading of Ind. is [illegible] = *'sahast* which gives us a clue to the interpretation of our word. *'sahast* means 'seemed' and is entirely unsuitable in the context. We must therefore suppose that Ind. has written *'sahast* instead of a nearly homophonous word. Errors of this sort are not infrequent in Ind., cf. *MNŠ* = *'hač-iš* frequently used for *'PŠ* = *'ut-aš* besides *'hač-iš*, also the ideogram for *'ō* 'to' for *'avē* (pronounced *ōy*) 'he': cases of similar misuse of ideogram could be multiplied. Now *ŠKBHWN-* translates Av. *sāy-* 'lie down' (Bartholomae, AIW., col. 1571). Bartholomae l.c. read *nisāy-* inf. *nisītan* in which he was followed by Junker (FrPhl., p. 84): Nyberg rightly objected to the inf. *nisītan* on the ground that the word has the phonetic complement *-astan*, not *-ītan*: he read *niyastan*. The reading of Ind. here, however, proves that our word must have sounded approximately *sahast*. In view of the fact that it translates Av. *sāy-* and that the Pahlavī translators tend to translate Av. words by their Pahlavī derivatives (whether real or supposed), the reading *sāyastan* seems moderately certain. For *sahast* the expected south-west form would be *sayist* with the usual alternation of *H* and *Y* (representing an older *D*). In this case the two words, in the southern dialect, would be identical in pronunciation. Alternatively one may suppose with Bailey that a form *sah-* existed beside *sāy-*, cf. MP. *zahak*, NP. *zahīdan* beside *zāy-* 'to be born'. For the form in *-astan* we may compare *drāyastan* beside *drāyītan*. The readings of FrPhl. are certainly corrupt: they are [illegible], [illegible], [illegible]. Here the *T* may possibly be used to indicate a pronounced δ, in this case a false 'archaic' writing.

l. 3. *sturtīh : startīh* P.
kamālakān : KM'YLK'NW P.
davīt (*DWYTW*) TD₂: *DWDYT* P.
'pit i P.: *'pit* TD₂.

l. 4. *'kunam* [illegible] P.: [illegible] DH.: [illegible] TD₂.
First *'ut* P.: om. TD₂, DH.
tangīh : tangīhā P.

l. 5. *duškunišnīh : yut kunišnīh* P. *ōšmurt : ōšmārt* P.

l. 6. *ganāk mēnōk*, *'ut*: om. P.
χāst P.: *X'SYNW* TD₂, DH.
sturtīh : *startīh* P.: *STYH* with *LT* above the line DH.

l. 7. *Jēh*: [illegible] TD₂: [illegible] DH.: [illegible] P.
davīt (*DWYTW*) TD₂: *DWYDTW* P.
'apar: om. P.

l. 8. *'amāh*, *'čē* P.: *'apāk* TD₂.
**'apar* (*DMM*) : *DMDM* MSS.

l. 9. *zīvand⟨ak⟩īh*: *zīvandīhā* P.

l. 10. *'bē (BR') : BRY* P.
First *bēšēm* TD_2, DH.: *bēšām* P.
Second *bēšēm* P., DH.: *bēšām* TD_2.

l. 11. *dahišn i* TD_2, P.: *dahišnīh* DH.

l. 12. *sturtīh : startīh* P.
J̌ēh: [illegible] TD_2: [illegible] DH.: [illegible] P.

l. 13. *bōsīt : BWST* P.
rīmanīh : L'MNNYH P.
daštān : dāštān P., DH.
J̌ēh: [illegible] TD_2: [illegible] DH.: [illegible] P.
davīt : variants as in l 7.

l. 14. **J̌ēh-dēv**: [illegible] TD_2, DH: [illegible] P.
'tāk-at : 'tāk P.

l. 15. *ākāsīh : 'K'S'* DH.
'ān: om. P.
J̌ēh-dēv [illegible]: [illegible] P.

l. 16 *'dāt* P., DH.: *'dahēt* TD_2.

l. 17. *dēs*: written *D'S* with the *D* correctly pointed. The word is, of course, identical with MPT. *dys*. The spelling *D'S* (in form identical with *gās*) is remarkable but normal. For the variations in the spelling of this word v. DkM. 746. 13, 14 where we have *D'S* = *dēs*, *DYSYHSTNW* = *dēsīhastan* and *DHŠNYH* = *dēsišnīh*. For *dēsak* meaning also 'form' we have the spellings [illegible] and [illegible], the latter form being the more common. The identity of the two words is proved by DkM. 379. 6, [illegible]*-sōhišnīh* 'contact with forms' as compared with ibid. 380. 9, [illegible]*-sōhišnīh* in the same sense. Further ibid. 257. 22: *'har* [illegible] *'pat-ič 'nām i tōhmak i 'andar-aš*, 'Every form (is called) by the name of the seed that is within it.' In DkM., pp. 207–8 all three forms are found. See further, Bailey, *Zoroastrian Problems*, p. 94.

The reading of *sōhišn* is confirmed by MPT. *swh-* (unpublished, information supplied by Professor Henning). Bailey connects it with Av. *θrav-* in *θraviṯ*: Purs. 23 (Darmesteter, ZA. iii, p. 60) *zarətəm . . . nasuš aōi ava θraviṯ*.—'Dead matter touches an old man.' Bailey, ibid., pp. 97 and 229.
humānāk : hamānāk P.

l. 18. First *J̌ēh-dēv* [illegible]: [illegible] DH: [illegible] P.
Second *J̌ēh-dēv* [illegible].
davīt : DWYYT P.

Third *J̌ēh-dēv*: [illegible] TD_2: [illegible] DH. From *J̌ēh-dēv* to *'ku-š 'pat* is missing in P., the copyist having, apparently, left out a line.

l. 19. *sardārīh :* [illegible] P.

l. 20. *davīt : DWYYT* P.
After *'ku* P. adds *'čē*, and for *'čiš* (*MND' M*) reads *MD'M*.
'gōβam : 'gōβēm P.
apē-sūt P. (*'PYSWTW*): [illegible] TD_2, DH.

l. 21. *'χ^{v}āst : B'YHWNYSTNW* P.
**sačist : SPSTW* TD_2, DH.: [illegible] P.
**'kaδ-aš 'čē* : *'čē 'kaδ-aš* MSS.

l. 22. *'dātan : 'dah* P.

TRANSLATION

Greater Bundahišn 39. 11 ff.

Concerning the onslaught of the Aggressor against creation.

It is said in the Religion that when the Destructive Spirit saw that he himself and the demons were powerless on account of the Blessed Man, he was laid low. For three thousand years he lay stricken. And when he was thus laid low, the demons with monstrous heads cried out one by one (saying), 'Arise, O our father, for we would join the battle from which Ohrmazd and the Amahraspands will suffer straitness and misery'; and one by one they minutely related their own evil deeds. But the accursed Destructive Spirit was not comforted, nor did he arise from his fallen estate for fear of the Blessed Man; till the accursed Whore came after the three thousand years had run their course, and she cried out (saying), 'Arise, O our father, for in that battle I shall let loose so much affliction on the Blessed Man and the toiling Bull that, because of my deeds, they will not be fit to live. I shall take away their dignity (*χ^{v}arr*); I shall afflict the water, I shall afflict the earth, I shall afflict the fire, I shall afflict the plants, I shall afflict all the creation which Ohrmazd has created.' And she related her evil deeds so minutely that the Destructive Spirit was comforted and leapt from his fallen state and kissed the head of the Whore. That pollution which they call menstruation appeared on the Whore. And the Destructive Spirit cried out to the demon Whore, 'Whatsoever is thy desire, do thou ask, that I may give it thee.' Then Ohrmazd in his omniscient wisdom knew that at that time the Destructive Spirit could give whatever the demon Whore asked and that there would be great profit to him thereby. The appearance of the body of the Destructive Spirit was in the form of a frog. And he (Ohrmazd?) showed one like unto a young man of fifteen years of age to the demon Whore; and the demon Whore fastened her thoughts on him. And the demon Whore cried out to the Destructive Spirit (saying), 'Give me desire for man that I may seat him in the house as my lord.' And the Destructive Spirit cried unto her (saying), 'I do not bid thee ask anything, for thou knowest (only) to ask for what is profitless and bad.' But the time had passed when he had not been able to give what she asked.

Indian Bundahišn 8. 6 ff.

Concerning the onslaught of the Aggressor against creation.

It is said in the Religion that when the Destructive Spirit saw that he himself and the demons were powerless on account of the Blessed Man, he was laid low. For three thousand years he lay stricken. And when he was thus laid low, the demons with monstrous heads cried out one by one (saying), 'Arise, O our father, for we would join battle in the material world that Ohrmazd and the Amahraspands may suffer straitness and misery thereby.' One by one they minutely related their own evil deeds. But the accursed Destructive Spirit was not comforted, and for fear of the Blessed Man he could not raise his head; till the accursed Whore came after the three thousand years had run their course; and she cried out to the Destructive Spirit (saying), 'Arise, O our father, for I would join battle in the material world that Ohrmazd and the Amahraspands may suffer straitness and misery thereby.' And one by one (the demons) minutely related their own evil deeds: but the accursed Destructive Spirit was not comforted, nor did he rise from his fallen state for fear of the Blessed Man. Then a second time did the accursed Whore cry out (saying), 'Arise, O our father, for in that battle I shall let loose so much affliction on the Blessed Man and the toiling Bull that, because of my deeds, they will not be fit to live: and I shall destroy their dignity ($\chi^v arr$): I shall afflict the water; I shall afflict the plants; I shall afflict the fire of Ohrmazd; I shall afflict all the creation of Ohrmazd.' And she related her evil deeds so minutely that the Destructive Spirit was comforted and leapt forth from his fallen state and kissed the head of the Whore; and the pollution which they call menstruation appeared on the Whore. He cried out to the Whore (saying), 'What is thy desire that I may grant it thee?' And the Whore cried out to the Destructive Spirit (saying) 'Give me the desire for man.' The appearance of the body of the Destructive Spirit was in the form of a frog. And he showed the Whore a young man of fifteen years of age. The Whore fastened her thoughts on him.

Z 7. The following text is taken from the *Pahlavī Rivāyat* accompanying the *Dātastān i dēnīk* and will be found in pp. 127–37 in the edition of Dhabhar, Bombay, 1913. The first four sections of our text have been edited by Tavadia, *Studia Indo-iranica, Ehrengabe für Wilhelm Geiger*, Leipzig, 1931, pp. 239–40. We have omitted §§ 16–21 from our text as they are a fragment from the life of Zoroaster interpolated from another source. As a full

apparatus is supplied in Dhabhar's edition, it has not been thought necessary to reproduce it here.

(1) *'ēt 'ku āsmān čēγōn 'hač 'čē kart ēstēt.*

(2) *aβzār būt čēγōn χ^v^araγ i ātaχš i 'pat rōšnīh 'pāk; 'hač 'ān i asar rōšnīh 'bē brēhēnīt;* (3) *'ut-aš hamāk dām dahišn 'hač 'ān 'bē kart: 'ut 'kaδ-aš 'bē kart būt, aš 'andar 'ō tan burt, 'ut-aš 3000 'sāl 'andar tan dāšt, 'ut-aš hamē aβzāyīt, 'ut-aš 'vēh hamē kart, 'ut-aš 'pas ēvak ēvak 'hač tan ⟨i⟩ 'χ^v^ēš hamē brēhēnīt.* (4) *'ut-aš nazdist āsmān 'hač 'sar 'bē brēhēnīt, 'ut-aš gōhr 'hač kēn ⟨i⟩ spēt. 'ut-aš pahnāδ 'ut bālāδ rāst. 'ut-aš zahyā⟨δ⟩ i parkān 'ān and 'hast čand pahnāδ i tuhīkīh. 'ut-aš vīnārišn 'pat 'nar i ahrov dahmān āf⟨r⟩īn. 'ut-aš dāštārīh ⟨i⟩ gētēh 'nēst. Ōhrmazd 'apāk dām 'ut dahišn 'andar *'nišast.*

(5) *'ut-aš zamīk 'hač 'pāδ 'bē brēhēnīt; 'ut-aš vīnārišn 'hač kōf. [Miθr χ^v^atāy, nēvak dahmān āfrīn, *Rašn i rāst [i], 'ut *rat i ahrāyīh 'pat nēvakīh 'apar aržānīk mēnōk χ^v^āstak [i] 'pat ahrov-dāt 'bē 'dahēnd.] 'ut-aš gōhr *'andar 'bē nikand. 'ut-aš kōfīhā 'hač 'ān gōhr 'bē rōδēnīt; 1700 'sāl hačaδar 'ut hačapar 'har 2 hamē rust, 'ut 'pas hačaδar 'bē ēstāt, hačapar 800 'sāl 'dit hamē rust 'tāk 'bē 'ō āsmān. 'ut-aš hačaδar 'ut hačapar girtak pēr⟨ā⟩mōn 'χ^v^arr 'āyēt. 'ut-aš humānāk ētōn čēγōn χāyak-ē 'kē-š murvēčak 'andar. 'ut-aš dāštārīh i gētēh 'nēst.* (6) *ētōn čēγōn-aš kōf 'bē rōδēnīt 'tāk 'ēn patmānak i 'hast, *aš zamīk 'pat nēmak i āsmān 'pat star pāδak frāč 'dāt. hač-iš paitištān frapad 'bē brēhēnīt. 'kaδ Ahriman 'andar duvārast, 'aδak-aš frōt *āhaχt: 'pat tan i pasēn 'apāč *ō star pāδak 'šavēt.* [(7) *Harburz zahyā⟨δ⟩ čand pahnāδ i zamīk: pēr⟨ā⟩mō⟨n⟩ Harburz parkān. 'ut-aš pahnāδ i *Harburz and čand* zamīk 'ut star pāδak, nēmak i āsmān. 'hač star pāδak 'tāk māh pāδak 34000 frasang mar.* [*vēš*] *'hač māh pāδak 'tāk 'ō χ^v^aršēt pāδak *34000 frasang. 'hač χ^v^aršēt 'tāk 'ō āsmān *34000 frasang. 'hač star pāδak 'tāk 'ō 'ētar *34000 frasang, 'ut 'hač 'ēn gyāk 'tāk 'ō āsmān i hačaδar 11000 frasang.* (8) *āsmān gōhr kēn: spēt rōšn; 'ut-aš rōšnīh 'hač 'ān i χ^v^aršēt.* (9) *'pas 'hač 'ān i 'kaδ druž 'ō dām duvārist, 'bē Zartuχšt 'hač gētēhān 'kas-ič 'nē 'dīt. haft kišvar *nendar āsmān. Harburz kōf[īh] 2244 'hast.*

(10) *zrēh i Frāχ^v^kart 3 ēvak i 'ēn zamīk.*] (11) *'ut-aš 'āp 'hač ars 'bē brēhēnīt, 'hast 'i-š 'andar 'ō zamīk gumēχt, 'ut 'hast 'i-š 'apar 'bē *ēstēnīt, 'ut 'hast ⟨'i-š 'andar⟩ andarvāy 'bē *ēstēnīt: 'ut hamāk 'pat ravišn 'ēstāt.* (12) *'har 'ān 'kē-š zōhr vēš 'ut-aš *hiχrīh kam, 'pat 3 'sāl; 'ān 'kē-š 'har 2 rāst, 'pat 6 'sāl; 'ān 'kē-š *hiχrīh vēš 'ut-aš zōhr kam, 'pat 9 'sāl 'apāč 'ō zrēh i Frāχ^v^kart 'rasēt.*

(13) *'ut-aš urvar 'hač mōδ 'bē brēhēnīt, 'ut nazdist ē bun-ē vitast, 2 angust 'pat bālāδ būt; 'ut-aš hamāk sarδak urvarān 'andar būt, 'bē ē sarδak. 'ut-aš 'pat Ērānvēž frāč dāt.* (14) *'pas 'hast murvān, 'hast i 'pat 'āp, 'ut 'hast i*

*'martōmān gyāk gyāk 'bē burt *'ō vēšak-ič ⟨'ut⟩ 'andar zrēh. 'ut Hōm i spēt 'ut apārīk urvar i 'andar gēhān 'hač 'ān 'bē 'būt. 'ut-aš *āsānīh 'hač 'āp 'ut zōhr 'ut *zargōn i 'pāk. 'ut-aš dušχ^{v}ārīh 'hač 'ān i 'kaδ adātastānīhā 'bē 'brīnēnd ayāp 'bē 'škēnēnd. 'ān sarδak 'i-š 'pas 'dāt, 50 sarδak 'būt.*

*(15) 'ut-aš 'gāv *hač 'dast ⟨i⟩ dašn 'bē brēhēnīt; 'ut-aš 'andar Ērānvēž frāč 'dāt. 'ut-aš 3 *nay *'pat bālāδ *'ut pahnāδ būt. 'ut 'kaδ-aš Ahriman 'apar mat, 'pat gyāk 'bē 'murt. 'ut-aš šusr 'pat gyāk 'bē 'ō zamīk mat. hamāk sarδak i gōspandān ⟨i⟩ Ōhrmazd 'hač 'ān šusr 'bē kart. 'ut-aš nazdist 'hač 'har sarδak-ē ēvak 'nar 'ut ēvak 'mātak 'bē kart, 'ut 'pas patvand 'hač 'avēšān 'bē 'raft. 'ut-šān 'χ^{v}ašīh 'ut āsānīh 'hač 'āp 'ut vāstar *pāyišn, nēvak zimastān *'ut hāmēn *i 'pāk. 'ut-šān dušχ^{v}ārīh 'hač 'ān 'kaδ-šān adātīhā 'bē kušēnd, 'ut-šān kār adātīhā framāyēnd, 'ut-šān 'āp 'ut vāstar 'nē 'dahēnd, 'ut-šān pāyišn . . . 'ut-aš gurs⟨nak⟩īh 'ut tišnakīh ētōn mat 'i-š ōž zō(h)r 'ut nērōk 'ut vēnišn 'ut āšnavišn 'i-š 'bē 'šut.*

* * * *

*(22) gōspand 262 sarδak 'hast, 'ut 'ān[i] 5 aδvēnak. (23) aδvēnak-ē 'ān 'kē-š sumb 2-kānak čēγōn 'gāv, (24) aδvēnak-ē 'kē-š sumb girt čēγōn asp, (25) aδvēnak-ē 'ān i 'kē 'pāδ čēγōn 'ān i 'uštur; (26) aδvēnak murv, aδvēnak āpīk 'ut māhīk. 'bē gōspand-ē aδvēnak 'hač apistāk čāšt. (27) 'sag 'ut sārīgar, varāγ ⟨i⟩ siyāh 'ut dālman 'ut 'tāk apārīk *'nē apāyēt 'χ^{v}artan, 'sag 'ēt rāδ 'čē šusr i Gayō(k)mart 'čiš 'andar 'hast, 'ut sārīgar [i] 'ut varāγ ⟨i⟩ siyāh 'ut dālman tan hamāk *hiχrīh 'ut 'pat nasāy 'χ^{v}artan 'dāt 'ēstēnd.*

*(28) 'ut-aš ātaχš 'hač vārom 'bē brēhēnīt. 'ut-aš brēh 'hač 'ān asar rōšnīh brēhēnīt. (29) 'ut-aš urvar 'bē 'dāt, 'ut-aš ātaχš 'andar 'bē 'dāt. 'ut-aš āfrīn ov-iš kart, 'ku 'kē 'šmāk 'nē 'hēt ātaχš-kartār 'ku ātaχš hač-iš 'nē šāyēt 'vēχt, 'ān 'šmāk 'hēt ātur-sōk, 'ku 'kaδ-aš 'apar 'nihēnd, ē frāč 'gīrāt. (30) 'kaδ-aš tan 'bē 'ō gētēh kāmist 'dāt, aš garzišn kart 'ku 'bē ⟨'ō⟩ gētēh 'nē 'šavam, 'čē-m anākīh 'vas pat-iš 'kunēnd. (31) 'pas Ōhrmazd ātur gušnasp 'pat Āturpāt⟨ak⟩ān 'pat varhrānīh 'bē 'nišāst. (32) 'ut-aš guft 'ku 'martōm *kār i* yazišn 'ō ātaχš kat⟨ak⟩īk pātaχšāyōmand framūt: 'kaδ-šān ē *yazišn framūt 'hāt, ⟨ēsm⟩ 'bē 'ō ātaχš varhrān 'barēnd, 'ut-at [i] arg 'bē 'kunēnd. (33) 'ut 'pas 'pat 'āmatan i 'ō gētēh 'andar ēstāt, 'ut ham-dātastān 'būt. (34) 'ut Ōhrmazd 'pat pātdahišn [i] hamāk ātaχš varhrān 'pat ahrāyīh paytākēnīt. (35) 'ut-aš ātur i farnbay 'pat 'ān pātdahišn *i 'kaδ-aš kārēčār i 'apāk Dahāk kart, aš 'pat vahrāmīh 'pat X^{v}ārazm 'bē 'nišāst; 'ut ātur burzēn-miθr 'pat 'ān pātdahišn i 'kaδ-aš Vištāsp 'bē 'ō dēn hāχt, ⟨'pat⟩ vahrāmīh 'pat puštān i Vištāspān 'bē *'nišāst.*

(36) 'ut-aš 'martōm 'hač 'ān 'gil 'kē-š Gayō(k)mart hač-iš kart, 'pat šusr aδvēnak 'andar 'ō Spandarmat 'hišt: 'ut Gayō(k)mart 'hač Spandarmat 'bē

*brēhēnīt 'ut zāt. čēγōn *Mahryā 'ut *Mahryānē rust 'hēnd, 3000 'sāl 'nē 'ravēnīt. 'kaδ Ahriman 'andar duvārast, 30 'sāl būt 'tāk hamē 'raft. 'ut-aš Fravartīn 'māh 'rōč ⟨i⟩ Ōhrmazd 'bē 'ōžat. šusr i Gayō(k)mart 'bē 'ō zamīk mat, 40 'sāl 'pat šusrīh 'andar zamīk ēstāt. (37) 'pas *Mahryā 'ut *Mahryānē 'hač zamīk ⟨'pat⟩ rēβās karp 'bē rust 'hēnd, ē 'ku ētōn čēγōn rēβās 'kaδ 'apar 'āyēt, aš varg 'pat tan frāč ēstāt. 'avēšān-ič dast 'pat gōš 'apāč ēstāt. Rōšn guft 'ku 9 'māh rēβās karp būt 'hēnd. (38) 'pas 'bē 'ō 'martōm-karpīh vašt 'hēnd. 'hač 'avēšān 6 'pus, 6 'duχt 'bē 'zāt 'hēnd; 'ut būt i zīvast, 'ut būt i murt 'hēnd. 'ut 'pas hamāk 'martōm 'hač 'avēšān 'bē būt 'hēnd.*

NOTES

§ 2. *'pāk*: Dhabhar prints *'i-š* in his text, but the MSS. MRI and J read *'pāk*. Both make adequate sense.

§ 4. *kēn*: *KYNW*, so here and in § 8. The substance of the sky is generally considered to be of *ayōχšust*. Our present word was interpreted by Bailey as **āpakēnak* 'crystal' (*Zoroastrian Problems*, p. 133). However, as the word appears twice in our passage in the form *kēn*, it would seem possible to take it as an abbreviated form of *āpakēnak*, cf. NP. *gīneh* 'crystal'. This is surprising in that *-kēn*, *-kēnak* must certainly be regarded as suffixes, cf. OP. *kāsakaina-* 'made of glass' from *kāsa-ka-* 'glass' (Kent, *Old Persian*, s.v.), cf. Skt. *kāca-*. Probably we are to see this word in the mysterious of GrBd. 36. 5 (text Z 2, l. 70 and note).

parkān: v. Bailey, JRAS. 1934, p. 517.

§ 5. **Rašn i rāst*: text has *rāt i rāst*. *rāst* is, however, the stock epithet of Rašn and corresponds to the Av. *razišta-*. For *rat i ahrāyīh* the text has *rāt i ahrāyīh*. There can be little doubt that Srōš is meant: his stock epithet is *ahrāy* (Av. *ašya-*) and in the Iranian Manichaean texts he appears always as *srwšhr'y* = *Srōš-ahrāy*. Moreover, the trio Mihr, Srōš, and Rašn are so intimately connected that they even appear in a Mandaean text (Lidzbarski, *Ginzā*, p. 284, n. 4) where they are identified with the Mandaean Hibil, Šitil, and Anōš. See also Part I, pp. 102–3.

*'*andar*: MSS. have , *'χ^{v}arr*, which can hardly be right. I would, therefore, emend to *'andar*. The passage obviously refers to the insertion of the metals into the earth told in GrBd. 20. 2–4 (text Z 1, ll. 217–8). Another possibility would be *sēm* 'silver', but the spelling in Phl. is usually *'SYM*.

nikand: for the root *kan-* v. Bailey, JRAS. 1934, p. 515; cf. text Z 1, l. 214 note. MPT. has *hmngnd*, Andreas–Henning, MirMan. i, p. 10: *'wš pd wyspzng z'z 'wd mzn 'y χwyš gryw hmngnd*.—'And she filled it with all manner of . . . and Mazans of her own self.'

§ 6. *paitištān frapad*: transcriptions of Av. *paitištāna-* and *frapad-*.

**āhaχt*: text *W'ŠTW* (*vāšt* or *vahišt*), but cf. Zs. 1. 32 (text Z 4): *bun i āsmān 'pat star-pāδak dāšt; 'hač 'ōδ frōt 'ō tuhīkīh āhaχt*. So GrBd. 41. 14: *āsmān 'pat star pāδak 'ēstāt; frōt 'ō tuhīkīh āhaχt*.—'The sky was in the station of the stars; it was dragged down into the Void.'

*'*ō star pāδak*: text has *'ut star pāδak*.

§ 7. **Harburz and čand**: text has *and čand Harburz*.
**34000*: text has *1000, 4000* in all cases.

§ 8. *kēn*: v. § 4, note.

§ 9. **nendar*: text has [illegible]. The meaning required seems to be 'within'. I would therefore read *nendar* and compare *Psalter nyndly*, MPT. *nyndr* 'within' (Henning, BSOS. ix, p. 86)<**ni-antar* as Soghd. *čntr*<**hača-antar-* (v. Barr, *Psalter*, p. 51).

§ 13. *vitast*: written *WTYSTW* = Av. *vitasti-* 'span'.

§ 14. **'ō vēšak-ič 'ut : 'ut vēšak-ič* text.
**āsānīh*: written *'S'NYY*. That *āsānīh* is certainly right is proved by the parallel § 15, *'ut-šān 'χᵛašīh 'ut āsānīh 'hač 'āp*, &c.

**zargōn*: text has [illegible]: the emendation to *zargōn* is therefore very slight. On this word v. text Z 1, l. 238, note.

§ 15. *3 *nāy *'pat : 5 'bē*, text.
**pāyišn*: [illegible] text, and in the second place [illegible] which suggests *paχsišn* 'ripening', but *pāyišn* alone seems suitable to the context.
**'ut hāmēn* i 'pāk : hāmēn 'tāk 'pāk*, text.
After the second *pāyišn* there appears to be a *lacuna*. The text, as it stands, is untranslatable.

§ 27. *sārīgar*: that is *sār i gar* 'the starling (NP. *sār*) of the mountain': cf. Tavadia, ŠnŠ., p. 32, no. 5, 2–3.
dālman: according to Bailey (*Zoroastrian Problems*, p. 230)<OP. **darnu-mani-* = Av. *zarənu-manay-* an epithet of the bird *kahrkāsa-*, therefore 'the golden-necked vulture'. This interpretation is borne out by GrBd. 155. 9 where *karkās* is identified with *dālman*.—*karkās ⟨i⟩ zarmān-mēnišnīh, 'hast i dālman, nasāy χᵛarišnīh rāδ 'dāt*.—'The vulture whose thoughts are on old age, that is the *dālman*, was created for the consumption of corpses.'

§ 28. *vārom*: = Av. *vārəma*, v. Bailey, JRAS. 1934, p. 511.

§ 32. **kār i* : K'L'* (i.e. *'vāng*), text.
**yazišn : pašn*, text. For the latter cf. text Z 1, l. 56, note. The meaning 'treaty' or the like, however, is not suitable here. In the Phl. script the difference between *pašn* and *yazišn* is minute.

§ 35. *hāχt*: past part. to *hāč-*. Not *āhaχt*, since *hāχtan* is the technical term for 'convert'; v. BSOS. ix, p. 582.

TRANSLATION

(1) Concerning the manner in which and (the substance) from which the sky was made.

(2) There was an implement like a flame of fire, pure in light; it was fashioned from the Endless Light; (3) and from it all creation was made: and after it had been made, it was put into a body; and for three thousand

years it was kept within the body, and it grew continually, and it was made better. Then it fashioned (things) one by one from its body.

(4) First the sky was fashioned from its head; and its substance was of white crystal: and its breadth and height were equal: and the depth of its surrounding wall is as great as the breadth of the Void. And it is ruled by the Blessed Man, the Praise of the Wise. And it has no material support. Ohrmazd settled within it with his creation.

(5) And the earth was fashioned from its feet; and it is ruled by the mountains. [Mihr, the Lord, the goodly Praise of the Wise, Rašn, the Just, and the Judge of Righteousness give spiritual (unseen, *mēnōk*) riches in alms to those who are worthy of good things.] And minerals were inserted into it. And from those minerals the mountains were made to grow. For one thousand and seven hundred years they grew both above and beneath: then beneath they ceased (to grow), and for another eight hundred years they grew above till (they reached) the sky. And above and beneath the χᵛarr circles around. And it was like an egg with an unhatched bird inside it. And it has no material support. (6) As the mountains were made to grow till (they reached) this measure that (now) exists, the earth was created half way up the sky in the station of the stars. It was fashioned from its (sc. the implement's) legs and forefeet. When Ahriman rushed in, he dragged it down: at the Final Body it returns to the station of the stars. [(7) The depth of Harburz is as much as the breadth of the earth: Harburz is an enclosing wall around it. And the breadth of Harburz is as much as the earth and the station of the stars, one half of the sky. From the station of the stars to the station of the Moon is a distance of thirty-four thousand parasangs. From the station of the Moon to the station of the Sun it is thirty-four thousand parasangs. From the Sun to the sky it is thirty-four thousand parasangs. From the station of the stars to this place it is thirty-four thousand parasangs. From this place to the sky beneath it is eleven thousand parasangs. (8) The substance of the sky is white crystal —bright; and its light is from the Sun. (9) After the Lie had rushed into creation, no one of material creatures could be seen except Zoroaster (*sic*). The seven climes are within the sky. The mountains of Harburz are two thousand, two hundred and forty-four in number.

(10) The sea of Frāχᵛkart is one third of this earth.] (11) And water was fashioned from its (sc. the implement's) tears: some was mingled with the earth, and some was established above, and some was established in the atmosphere: and all was set in motion. (12) Whatever has a greater part of pure water and a lesser of filth, returns to the sea of Frāχᵛkart in three years; whatever has them in equal proportions, returns in six years:

whatever has a greater part of filth and a lesser of pure water, returns in nine years.

(13) And the plants were fashioned from its hair; and the first stem was one span, two fingers in height. And all species of plants were within it except one species. And it was created in Ērānvēž. (14) And they (the plants) were carried to divers places either by the birds, or by means of the water or by men, to the forests and into the sea. The white Hōm and the other plants which are in the world, sprang from it. And it derives comfort from the water and the waters of libation and pure verdure: and it is discomforted when it is injudiciously cut or broken. The species that was next created (gave rise to) fifty species.

(15) And the Bull was fashioned from its right hand; and it was created in Ērānvēž. And it was three cubits in height and breadth. And when Ahriman assailed it, it died at once; and immediately its seed fell to the earth. All species of the cattle of Ohrmazd were made from that seed. And first one male and one female were made of each species, and then offspring went out from them. And they derive pleasure and comfort from the water and the protection of the pasture lands, from a kindly winter and a pure summer. And they are discomforted when they are unjustly slaughtered or when they are set unjust tasks, or when they are not given water and pasturage, or when protection ⟨is withheld from them (?)⟩, or when hunger and thirst assail them so (violently) that they lose strength, might and power, sight and hearing.

* * * *

(22) There are two hundred and sixty-two species of livestock, and they are of five kinds. (23) One kind is that which has a cloven hoof, such as the ox; (24) one kind is that which has a round hoof, such as the horse; (25) one kind is that which has feet like a camel; (26) one kind is birds; one kind is amphibians and fish. The kinds of livestock are taught in the Avesta. (27) The dog and buzzard, the black crow and vulture and others must not be eaten—the dog for this reason that there is something of the seed of Gayōmart in it. The bodies of the buzzard, black crow, and vulture are full of filth, and they were created to eat dead matter.

(28) And fire was fashioned from its mind; and its brilliance was fashioned from the Endless Light. (29) And the plants were created, and fire was inserted into them. And he (Ohrmazd?) blessed them (saying), 'You who do not make fires—that is fire must not be kindled from them—you are (nevertheless) increasers of fire—that is when one puts (plants) on it, it takes them.' (30) When he wished to create its body on earth, it

complained (saying), 'I will not go to the earth, for they will do me much harm.' (31) Then Ohrmazd victoriously established the Gušnasp fire in Atropatene. (32) And he said, 'Men have been commanded to worship the fire as the lord of the house: since they were commanded to perform this sacrifice, they will bring fuel to the Varhrām fire, and they will spare no effort for thee.' (33) Then it agreed to go to the earth and consented. (34) And in recompense Ohrmazd manifested all fires as victorious in righteousness. (35) And the recompense of the Farnbaγ fire was that when he did battle with Dahāk, he was established victoriously in Chorasmia; and the recompense of the Burzēn-mihr fire was that when Vištāsp was converted to the Religion, it was victoriously established on the ridges of Vištāsp.

(36) From the clay from which Gayōmart was made (he made) man emitting him in the form of seed into Spandarmat: and Gayōmart was fashioned from Spandarmat and was born. When Mašyē and Mašyānē grew up, (he had existed) for three thousand years (and) had not passed away. When Ahriman rushed in, it was thirty years before he passed away. And in the month of Fravartīn on the day of Ohrmazd he was slain. The seed of Gayōmart fell to the earth, and for forty years it remained in the earth in the form of seed. (37) Then Mašyē and Mašyānē grew from the earth in the form of a rhubarb—that is to say that just as the rhubarb grows up and has leaves on its stem, so did they too stand with their hands on their ears. Rōšn has said that for nine months they were in the form of a rhubarb. (38) Then they were turned into human shape. From them six sons and six daughters were born; some lived and some died. And then all men sprang from them.

Z 8. The eighth chapter of the *Mēnōk i Xrat* (Anklesaria, pp. 43–47; Sanjana, pp. 21–23; Pāzand, West, pp. 16–18). Transliterated text and translation by Nyberg, CCM. 1929, pp. 198–201.

(1) *pursīt dānāk 'ō mēnōk i χrat 'ku Ōhrmazd 'ēn dām 'ut dahišn čēγōn 'ut 'pat 'čē aδvēnak 'dāt.* (2) *'ut-aš amahraspandān 'ut mēnōk i χrat čēγōn 'ut 'pat 'čē aδvēnak tāšīt 'ut 'dāt.* (3) *'ut Ahriman i druvand 'dēvān 'ut družān ('ut apārīk-ič višūtakān) čēγōn višūt 'hēnd?* (4) *('ut 'har nēvakīh 'ut 'vattarīh 'ō 'martōmān 'ut apārīk-ič dāmān čēγōn 'rasēt?)* (5) *'ut 'čiš i 'baχt 'ēstēt vartēnītan šāyēt ayāp 'nē?*

(6) *mēnōk i χrat passaχᵛ kart 'ku dātār Ōhrmazd 'ēn dām 'ut dahišn 'ut amahraspandān 'ut mēnōk i χrat 'hač 'ān i 'χᵛēš rōšnīh 'ut 'pat āfrīn i Zurvān i akanārak brēhēnīt.* (7) *'ēt rāδ 'čē Zurvān i akanārak azarmān 'ut amarg 'ut adart 'ut asōhišn 'ut *apōhišn 'ut apityārak, 'ut 'tāk hamē 'ut hamē ravišnīh hēč 'kas 'bē 'statan 'ut 'hač χᵛēškārīh apātaχšāy kartan 'nē tavān.*

(8) *'ut Ahriman i druvand 'dēvān 'ut družān 'ut apārīk-ič *višūtakān 'hač kūnmarz i 'χᵛēš višūt.* (9) *'ut-aš 9000 zimastān 'pat zamān i akanārak 'apāk Ōhrmazd patmān 'kart, 'ut 'tāk bavandak 'bē 'būtan, hēč 'kas vartēnītan 'ut yuttar kartan 'nē tavān.* (10) *'ut 'kaδ 9000 'sāl bavandak 'būt, Ahriman 'bē akārīhēt; 'ut Srōš-ahrāy Ēšm 'bē 'zanēt, 'ut Miθr 'ut Zurvān i akanārak 'ut mēnōk i 'dātastān 'kē 'pat hēč 'kas 'nē *družēnd 'ut baχt 'ut *bayō-baχt hamōyēn dām 'ut dahišn i Ahriman, 'ut 'pat aβdomīh Āz-ič 'dēv 'bē 'zanēnd:* (11) *'ut hamāk dām 'ut dahišn i Ōhrmazd apityārak ētōn 'apāč 'bavēt čēyōn 'ān [i] 'i-š 'pat fratomīh brēhēnīt 'ut 'dāt.*

(12) *'har nēvakīh 'ut *'vattarīh (yuttarīh* MSS.) *i 'ō martōmān 'ut apārīkič dāmān 'rasēt 'pat 7-ān 'ut 12-ān 'rasēt.* (13) *'ut 'ān 12 aχtar čēyōn 'pat dēn 12 spāhpat i 'hač kustak i Ōhrmazd (guft 'ēstēt). 'ut ān 7 apāχtar 7 spāhpat i 'hač kustak i Ahriman guft 'ēstēt.* (14) *'ut harvist dām 'ut dahišn 'avē 7 apāχtarān tarvēnand 'ut 'ō margīh 'ut 'har anākīh aβspārēnd, čēyōn 'avēšān 12 aχtar 'ut 7 apāχtar brēhēnāk 'ut rāδēnāk i gēhān 'hēnd.*

(15) *Ōhrmazd nēvakīh kāmak 'ut hakarč anākīh 'nē 'patīrēt 'ut 'nē 'sahēt. 'ut Ahriman anākīh kāmak 'ut 'čiš-ič nēvakīh 'nē mēnēt 'ut 'nē 'patīrēt.* (16) *Ōhrmazd ⟨'hast i⟩ 'kaδ-aš 'kāmēt, 'pat dām i Ahriman, 'ut Ahriman-ič 'hast i 'kaδ-aš ('kāmēt), 'pat dām i Ōhrmazd vartēnītan tavān; 'bē ētōn tavān vartēnītan 'ku 'pat fražām-kārīh Ōhrmazd ziyān 'nē 'bavēt; 'čē fražām-pērōžīh Ōhrmazd 'χᵛēš.* (17) *'čē paytāk 'ku Ōhrmazd Yam 'ut Frētōn 'ut Kayōs ahōš 'dāt 'hēnd, 'ut Ahriman ētōn vartēnīt čēyōn āšnāk.* (18) *'ut Ahriman Bēvarāsp 'ut Frāsyāk 'ut Alaksandar ētōn 'sahast 'ku anōšak 'hēnd; 'ut Ōhrmazd 'ō mas-sūtīh ētōn vartēnīt čēyōn 'ān i paytāk.*

TRANSLATION

(1) The wise man asked the Spirit of Wisdom (saying), 'How and in what manner did Ohrmazd create this creation? (2) And how and in what manner did he fashion and create the Amahraspands and the Spirit of Wisdom? (3) How did the accursed Ahriman give birth to the demons and lies and other abortions? (4) And how do all good and bad things come to mankind and other creatures? (5) And can what is destined be changed or not?'

(6) The Spirit of Wisdom made answer (and said), 'The Creator Ohrmazd fashioned this creation and the Amahraspands and the Spirit of Wisdom from his own light with the blessing of the Infinite Zurvān: (7) for the Infinite Zurvān is unageing, undying, without pain, uncorrupting and undecaying, free from aggression, and for ever and ever no one can violate him nor deprive him of his sovereignty in his proper sphere.

(8) And the accursed Ahriman gave birth to the demons and lies and the other abortions by committing sodomy on his own person. (9) And for nine thousand years he made a treaty with Ohrmazd through infinite Time and till it is completed no one can change it or make it different. (10) And when nine thousand years have fully elapsed, Ahriman will be made powerless; and Srōš the Blessed will smite Ēšm (Wrath); and Mihr, the Infinite Zurvān and the Genius of the Law (justice or order) who lie to no one, and Fate and the divine Fate will smite all the creation of Ahriman, and in the end the demon Āz also: (11) and all the creation of Ohrmazd will again be free from aggression as it was fashioned and created in the beginning.

(12) All welfare and adversity that come to man and other creatures come through the Seven and the Twelve. (13) The twelve Signs of the Zodiac, as the Religion says, are the twelve commanders on the side of Ohrmazd; and the seven planets are said to be the seven commanders on the side of Ahriman. (14) And the seven planets oppress all creation and deliver it over to death and all manner of evil: for the twelve Signs of the Zodiac and the seven planets rule the fate of the world and direct it.

(15) Ohrmazd desires welfare and is never susceptible to evil, nor does it beseem him. And Ahriman desires evil and never thinks of anything good nor is he susceptible to it. (16) Sometimes, when he wills, Ohrmazd can change the creation of Ahriman; and sometimes, when he wills, Ahriman can change the creation of Ohrmazd; but he can only change it in such wise that in the end Ohrmazd suffers no loss; for the final victory belongs to Ohrmazd. (17) For it is revealed that Ohrmazd created Yam and Frētōn and Kayōs immortal but Ahriman changed this in the manner that is known. And to Ahriman it seemed that Bēvarāsp (Dahāk) and Frāsyāk and Alexander were immortal: and Ohrmazd changed this for his greater profit as it is revealed.

Z 9. From the *Dēnkart* (Madan, p. 347, ll. 1–22; Sanjana, viii, p. 385). An annotated edition of this text has appeared in BSOS. ix, pp. 876, 885–6, 898.

'apar 'χᵛarr āβurāk, tōhmak, 'ut dārāk-χēm, 'ut baχtār i 'ō gētēhīk tōhmak, 'ut baχšišn-framān, parvarāk 'ut 'pāyāk i 'pat tōhmak 'ut 'andar tōhmak tan; 'ut-aš kār 'ut 'apāč patiyruftār 'ut 'apāč patvastār i 'ō χᵛēšāvand,—'hač nikēž i vēh-dēn.

*'ēt 'χᵛarr āβurāk dātār Ōhrmazd. tōhmak 'kē hač-iš *vičārīhēt 'ān i anayr rōšnīh. 'ut-aš dārāk-*χēm mēnōkīk ātur 'ut 'āp 'ut gil mēnōk, 'ut gētēh ātur 'āp 'ut gil gētēh. 'ut baχtār i 'ō gētēhīk tōhmak 'hač [dāt] dātār framān*

mēnōkān yazdān 'hēnd. baχšišn-framān i 'ō tōhmak, 'andar tōhmak 'ō tan mat, Zamān i 'ān i kār 'pat 'ān 'χ^{v}arr 'andar 'ān tōhmak 'pat 'ān tan rāδēnītan apāyišnīk. 'ut parvarāk 'ut 'pāyāk i 'χ^{v}arr 'apar tōhmak 'ut tan i 'andar ⟨tōhmak⟩ χrat pēšōpāy 'ut rātīh 'ut rāstīh 'ut spāsdārīh 'ut χ^{v}arsandīh 'ut tuχšākīh i 'pat χ^{v}ēškārīh. 'ut-aš kār bōžākīh 'ut bōžēnākīh 'ut buržākīh 'ut buržēnākīh i 'χ^{v}arrōmand 'pat 'χ^{v}arr ⟨i⟩ 'χ^{v}ēš 'ut χ^{v}ēšīk, čand-aš 'χ^{v}arr sahmān. 'ut 'apāč patiγruftār[īh], kart kār 'ut hanžaftak kārēkar, 'avēšān i bun 'dārāk-χēm. 'apāč patvastār i 'ō [i] χ^{v}ēšāvand, 'ān i bahrīk 'ō tōhmak tōhmak 'ut tan tan, 'ut hamākīhā fraškart zamān 'ō fraškart-kartārān 'χ^{v}arrōmandān hanbātak 'pat pat-iš kartan i fraškart, 'ut 'pat tan i pasēn 'ō harvist aχ^{v} i astōmand, dātār Ōhrmazd visp-ākās visp-tavān.

TRANSLATION

Concerning him who forms the χ^{v}*arr*, its seed (origin), what maintains its character, what assigns it to the seed of matter, what is responsible for this assignment, what fosters and preserves the body through and in the seed: concerning the activity of the χ^{v}*arr* and the agent which receives it back and re-unites it with what is properly its own—from the Exegesis of the Good Religion.

He who formed the χ^{v}*arr* is the creator Ohrmazd. The seed from which it derives is the Endless Light. The 'ideal' fire, water, and earth maintain its character in the ideal world; material fire, water, and earth in the material world. Subject to the command of the Creator it is the spiritual gods who are responsible for assigning it to the material seed. It is Time manifesting itself in activity which is responsible for the assignment of the χ^{v}*arr* to the (? material) seed and which itself became embodied in that seed and is indispensable for the regulation of the χ^{v}*arr* in the seed for (the benefit of) that body (in which it is embodied). What fosters and preserves the χ^{v}*arr* in the seed and the body which is comprised in that seed, is Wisdom the guide, generosity, rectitude, gratitude, contentment, and the concentration of effort on its proper object. The proper function of the χ^{v}*arr* is to save and to bring about salvation, to ennoble and cause to be ennobled every entity which possesses χ^{v}*arr* by means of each entity's own χ^{v}*arr* and what is proper to it, and to the extent of its (individual) χ^{v}*arr*. It is those entities which maintain its original character that receive it back, once its work is done and the agents have brought the work to fruition. It is the omniscient and omnipotent creator Ohrmazd who re-unites it to what is properly its own—both in individual cases (when each individual χ^{v}*arr* is re-united) to its particular seed and body, and universally, at the time of the rehabilitations (when the universal χ^{v}*arr* is re-united) to the

architects of that rehabilitation, the generation of those fully possessed of χ^{v}*arr* for the work of rehabilitation; and again at the Final Body (when the χ^{v}*arr* is re-united) to the whole of material existence.

This is perhaps the most difficult of all the texts we have to analyse. I have purposely left χ^{v}*arr* untranslated: neither the traditional 'glory' nor Bailey's 'fortune' will do. The clue seems to be in Eznik's use of *p'arḳ'* (text F 1) = χ^{v}*arr* which he says translates 'Zurvān'. That we are here moving in the same circle of ideas seems to me proven by the repeated occurrence of derivatives of *baχt* (*bag-*) in this text (*baχtār*, *baχšišn-framān*), since *baχt* is again described by Eznik as a 'translation' of 'Zurvān'. Add to this the appearance of Zurvān–Time himself, and the essentially Zervanite character of the text seems obvious.

In the first part of this book we were led to conclude that Zurvān is simply Absolute Being, that without which nothing can exist. The χ^{v}*arr* in our present context seems to be much the same. It is 'matter', whether 'spiritual' (intelligible or ideal) or corporeal, 'formed' by Ohrmazd, who thus appears as the individuating agent of the Cosmos. The 'Endless Light' is almost certainly a Mazdean 'translation' of Space (cf. text Z 20 and Part I, pp. 208–10). The 'ideal' elements maintain the character of the χ^{v}*arr* just as Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar, and Zurvān together form the godhead and are 'like the elements' (text F 10). 'Time manifesting itself in activity' is, of course, finite Time 'embodied' in the finite Cosmos to all the parts of which it assigns their χ^{v}*arr*, that is their properties.

The whole question of χ^{v}*arr* in the Pahlavī books needs to be investigated anew. Bailey's interpretation of the original meaning of the word seems to me quite convincing. To judge from the Pahlavī evidence the Pahlavī translation itself, χ^{v}*ēškārīh* 'own-work', seems to be exact. Thus a different translation will be necessary with each individual use of the word. The χ^{v}*arr* of a king could therefore be rendered by 'majesty' (hence the traditional 'glory'), but the χ^{v}*arr* of God is simply his Being.

Z 10. The following text is taken from the *Dēnkart* (Madan, p. 349, l. 1–p. 350, l. 10; Sanjana, viii, pp. 387–8). I only treat this passage with reluctance since there is much in the middle section that still remains obscure.

'apar bun-'bavišn i gētēh-dahišn [dahišn] 'hač nikēž i vēh-dēn.

'ēt aβzār 'kē dātār 'hač 'ān i anaγr-rōšnīh brēhēnīt 'ut dām 'andar hangartīkēnīt paytākīh, 'i-š apistākīk 'nām asarō(k) karpa(k) 2; ēvak 'ān i mēnōk dahišn, ēvak 'ān i gētēh-dahišn 'andar hangartīkēnīt. 'andar 'ān i mēnōk dahišn 'andar hangartīkēnīt mēnōk i vāχš nērōk; 'ut 'andar 'ān i gētēh dahišn 5 *'andar hangartīkēnīt mēnōk i čihr nērōk, 'ut nišast. aβzār i mēnōk dahišn hangartīkīh kart spurrīk, 'ut pat-iš kār i 'pat dahišn i 'andar 'ān aβzār apāyišnīk[īh] hač-iš vičārt vāχšōmand mēnōkān yazdān ēvak ēvak 'ō 'ān 'i-šān [ō] χ^{v}ēškārīh. 'ut 'andar aβzār i gētēh dahišn hangartīkīh 'pat dātār kām 'ut varčēn čihr-*nērōk mēnōk 'pat šaθr i vāχš nērōk mēnōk *hamīhēt.* 10

*'ō dāramuktom gētēh 'grīv paytākīh fratom nisang *i-š apistāk⟨īk⟩ 'nām*

*kōt 'ut 'pat aδvāč i gēhān KYŠ srēšak srēšōtak-ič 'χ^{v}ānd; 'hač nisang i kōt 'ut srēšōtak-ič 'nām *nisang 'i-š apistākīk 'nām āvartakīh 'ut gaβrīh-ič 'ut 'pat aδvāč i martōm dītan i nōk(??) KYŠ-ič' χ^{v}ānd: 'ut hiyag(?) 'hast i kōt, 'ut-aš*
15 *kart 'andar. 'ut 'hač *nisang i āvartakīh ⟨'ut⟩ gaβrīh 'ut dītan i nōk(?) KYŠ-ič 'nām *nisang 'i-š apistākīk 'nām ['ut] *dēsakōmandīh 'pat aδvāč i 'martōm vistartakīh-ič 'χ^{v}ānd: 'ut hiyag (?) 'hast i ⟨'ān⟩ *nisang, 'ut-aš *nisang kart-ič 'andar. 'hač *nisang i *dēsakōmandīh 'ut vistartakīh-ič 'nām vāχš nērōk mēnōk hamīk fratom tan 'i-š apistākīk ⟨'nām⟩ Ras 'ut Spahr-ič 'nām, 'pat*
20 *aδvāč i 'martōm spihr-ič 'χ^{v}ānd, 'i-š zahak 'andar 'hēnd rōšnān, χ^{v}aršēt, māh 'ut starān ham bun, 'ō visp dām 'i-š aδar rāδēnītār, 'hast i [čihrān] 'χ^{v}at čihrān apartom. 'ut 'hač Ras *'bavišn, garm 'ut χ^{v}ēt, vātōmand ['ut] 'pat ham-bastakīh [druž] ⟨i⟩ mēnōk vāχš ham-zōrīhā, zahak ⟨i⟩ gētēh dahišnān tōhmakān tōhmak *'kē 'bavišn-ravišnīh. zahakān [i] dēsak i *bavišn 'χ^{v}ānīhēt ⟨i⟩*
25 *rastakān-ič. 'hač ⟨bavišn-ravišnīh⟩ 'bavišn-ēstišnīh ⟨i⟩ zīndakān 'i-š 'andar gōspand 'ut 'martōm gētēh 'kē 'hēnd gētēh *dēsak karp.*

NOTES

l. **3.** *asarō(k) karpa(k)*: the terminations show that the words are transliterated from an Avestan original; cf. text Z 1, ll. 131–3 with the variants.

l. **11.** *dāramuk*: Pāz. *dāramaa*, ŠGV. 8. 137 and 10. 3 where Skt. rightly translates *sūkṣma-*; cf. ibid. 10. 79, *bārīk u dāramaa*. The usual spelling in Phl. is *dāramak* (*D'LMK*) in accordance with Pāz. rather than *D'LMWK* as here, cf. DkM. 75. 4: *dāramak-tan i kam-nērōk*, 'slender-bodied and having little strength'; further ibid. 301. 2; 873. 12; Dd. intro. 24, *dāramak-sarōk* translates Av. *urvī-sarah-* 'with pointed head'. Reading after Pāz. The etymology is uncertain, but Bailey (JRAS. 1934, p. 512) would connect it with *dar-* 'to split'.

'grīv: in the sense of 'self' extremely rare in Phl., but common in the Manichaean texts: cf. Soghd. *γr'yw* 'self'.

nisang: the reading of this word is uncertain, particularly as the spelling of it varies throughout this section. *nisang* is known to mean (i) 'a little', (ii) 'chapter', (iii) 'period'. For the first meaning cf. DkM. 245. 1: *'ō 'avē 'kē 'andar frāχ^{v}īh χ^{v}ārīh 'vas-ič 'sāl nisang, 'ut 'ō 'avē 'kē 'andar tangīh 'ut dušvārīh andak-ič zamān 'dēr.*—'To him who lives in comfort and ease even many years appear short, but to him who lives in straitened circumstances and distress even a short time seems long.' The same meaning is found ibid. 874. 8, where *nisang 'saχ^{v}an* is contrasted with *vāng i 'saχ^{v}an*. Cf. ŠGV. *nihañg*; 13. 4, Skt. *svalpa-*; 13. 48, Skt. *kiṃcit*; 14. 1, Skt. *kiṃcittaram*; 15. 1, Skt. *kiṃcit*. In the last instance the transition from 'short' to 'chapter' is perceptible: *χ^{v}azāraa nihañg pādāinom*, 'I will write a small chapter'. GrBd. 218. 2 deserves notice, for the meaning there is certainly 'period': *'ut 'andar ham nisang Pešyōtan i Vištāspān 'hač Kang-diž 'āyēt.*—'And in the same period Pešyōtan, the son of Vištāsp, will come from Kang-diž.' This must be the meaning here: 'period' or 'stage' suits. The following references may be of use; DkM. 62. 17; 127 *passim*; 178. 17; 179. 3; 284. 7; 433. 15; 473. 2; 482. 17; 599. 16; 600. 20; 657. 9; 659. 10; 787. 4; 804. 22; 874. 8.

l. **12.** *kōt*: so, on the excellent suggestion of Bailey. Professor Henning tells me that in the unpublished Persian-Soghdian glossary *kwd w hrg* = "*my pr twδyy* 'refuse on a heap'. Cf. Arm. *koyt* 'heap' and NP. *kōd* with the same meaning. The word here seems to refer to the amorphous mass in the womb prior to the formation of the foetus described by GrBd. 16 (text Z 1, ll. 171–6) as *gumēčakīh* 'mixture'; v. the note ad loc.

srēšak: cf. NP. *sirīšeh* 'dough, leaven', *sirištan*, Av. *sraeš-*, &c., v. Horn, *Grundriss der neupersischen Etymologie*, p. 162. For the termination *-ōtak* in *srēšōtak* v. BSOS. ix, p. 311.

l. **13.** *āvartakīh*: v. text Z 1, l. 173 note.

l. **14.** *dītan i nōk*: so, following the reading of Sanjana. Madan has *STWNKWN*, of which I can make nothing.

hiyag: quite uncertain, but the meaning is at least indicated by DkM. 166. 5: *'ēt i tan vīmārīh baχšīhēnd 'ō ēvak 'dō aδvēnak hiyag(?) i ōγārišnōmand, 'ut-aš vičārišn *patvēšakōmand . . . 'ut ēvak i hiyak i anōγārišn, 'ut-aš vičārišn *apatvēšak.*—'The illnesses of the body are divided into one or two sorts of ailments(?) which can be dispelled—and the explanation of this is that they arise from some rottenness—and into one ailment (?) which cannot be dispelled—and the explanation of this is that they do not arise from any rottenness.' On *patvēšak* v. Tavadia, ŠnŠ. 2. 7, note. *ōγārišn* corresponds to ŠGV. *hugār-* 'subdue, drive away'; 11. 138: *vašą nyāž daryōšī ažaš hugārəñd hələñd.*—'They drive off and dispel want and poverty from him.' Ibid. 13. 104: *kəš rañj hugārihət*, 'who has subdued pain'. If the meaning of our word which is spelt [illegible] and [illegible], is indeed 'ailment', it is to be connected with Arm. *hivand*, Phl. *hiyandak*.

l. **19.** *Spahr*: = Av. *θwāša-* v. Part I, p. 89.

TRANSLATION

Concerning the original coming to be of the material creation, from the Exegesis of the Good Religion.

This is what is revealed concerning the instrument which the Creator fashioned from the Endless Light and in which he caused creation to be contained. Its Avestan name is the Endless Form and it is twofold. On the one hand it contains the 'ideal' creation; on the other the material creation. In the 'ideal' creation the Spirit of the Power of the Word was contained; and in the material creation the Spirit of the Power of Nature was contained, and it settled (in it). The instrument which contains the ideal creation was made perfect and the spiritual (ideal) gods of the Word were separated from it, each for its own function, to perform those activities which were necessary for the creation that was within the instrument. And within the instrument which contains the material creation the marvellous Spirit of the Power of Nature was united to the kingdom of the Spirit of the Power of the Word through the will of the Creator.

In greater detail this is what is revealed concerning the nature of the

material world. First was the stage the Avestan name of which is the mass and which is called the . . . mass or conglomeration in the language of the world. From the stage which is called the mass and conglomeration (proceeded) the stage the Avestan name of which is conception and also hollowing and which is called the new phenomenon(?) and also . . . in the language of men. It is (as) an ailment(??) in the mass, and it was inserted into it. From the stage which is called conception, hollowing, the new phenomenon(?) and . . . (proceeded) the stage the Avestan name of which is formation and which is called expansion in the language of men. It is as an ailment(??) in the (former) stage and it was inserted into that stage. From the stage the name of which is formation and expansion (proceeded) the first body united with the Spirit of the Power of the Word; and its Avestan name is the Wheel and it also has the name of Spahr (Θwāša) and in the language of men it is called the firmament (*spihr*). In it, like embryos, are the luminaries, the Sun, Moon, and stars, all of the same origin. They control all creation under them and are themselves the highest natural phenomena. From the Wheel proceeded becoming, the hot and the moist of which air is composed: these are connected with the spiritual Word and share in its power: (and from it also proceeded) the elements which are the seed of seeds of material creations and which are the movement of becoming. The elements are called the form of the becoming of the primary qualities. From the movement of becoming (proceeded) the settling of becoming, living things, which include material cattle and men, for they are the form and shape of matter.

Z 11. From the *Dēnkart* (Madan, p. 203. 16–206. 23; Sanjana, v, pp. 229–32). The text has already been edited in BSOS. ix, pp. 303–320 to which the reader is referred for philological matter arising out of it.

(1) *'apar *4 aδvēnak aβzār i fražānak brīnkar dātār Ōhrmazd 'pat kanārakōmand zamān 'ō 4 aδvēnak kunišnīk 'apāč kart, 'hač nikēž ⟨i⟩ vēh-dēn.*

(2) *'ēt 4 aβzār *i fražānak brīnkar dātār Ōhrmazd 'pat kanārakōmand zamān 'ō 4 aδvēnak kunišngarān baχt, 2 i huīk nērōk 'pat ravākīh i aβzōn i pat-iš huīk-kār 'i-šān 'pat nērōk, 'ut 2 dušīh nērōk 'pat *sēžišn akārīh i ⟨pat-iš⟩ dušīk-kār 'i-šān 'pat zōr, čēγōn 'hēnd hangartīk i visp rāδēnišn kār i 'andar zamānak i 6 hazangrō(k)zam, kanārakōmand zamān pat-iš vaštan vartītan 'ut paytākīk brahm i ōβām 'hač kunišn 'tāk fražām i gētēh.*

(3) *'ut-aš ēvak āsrōnīh brahm, 'vēh apēčak rāδēnišnīkīh 'kē 'kaδ spēnāk mēnōk zāy, 'ō 'χᵛēš χᵛatīh dōšišn, pat-iš 'baχt *hač-iš 'χᵛēš bažišn 'pat kanārakōmand ⟨zamān⟩, 'kaδ fražām-pērōžīh 'i-š 'apar aβigatīk, bavandak vānītārīh 'ut aβsiδēnītārīh i 'hač 'χᵛēš dām. 'ēn brahm 'χᵛānīhēt spēnāk-mēnōkīh-ič Ōhrmazd *'χᵛēš 'χᵛatīh 'i-š 'hast patmōk 'ut-aš spēk, 'ut 'andar apartar mēnōkān mātiyān 'pat Vahuman 'ut Mānsraspand. 'ut 'andar bālist-vāzišnān *rāδēnāk ⟨i⟩ χᵛap rōšnān baγān; 'andar vāχšikān 'pat ravākīh ⟨i⟩ ruvān 'andar 'martōm tan; 'andar hunarān 'pat χʳat; 'andar barišnān 'pat ērīh 'ut χᵛarsandīh; 'andar χēmān 'pat 'ān i āsnōtak mēnišn, 'ān i arišuχt gōβišn; *andar gētēh dēsakān 'pat 'mart i ahrov; 'andar pēšakān 'pat āsrōnān; ⟨'andar⟩ patān 'pat 'avē 'kē gētēhān apartom aχᵛ 'ut rat: 'ut 'andar patmōkān 'pat 'ān i rōšn 'ut spēt patmōčan: 'ut 'andar hukārān 'pat 'vēh vaχšēnītan, 'vattar zatan.*

(4) *ēvak sāstārīh brahm, 'vattar apēčak rāδēnišnīh 'kē 'kaδ ['tāk] ganāk mēnōk zāy, 'ō 'χᵛēš 'χᵛatīh dōšišn, 'kē ov-iš 'baχt 'pat zamān 'hač brīnkar rāδēnāk *bažišn, aβsiδīhišn, ōvēn-fražāmīh i ganāk mēnōk i dōšītār i ham zāy. 'ēn brahm 'χᵛānīhēt ganāk mēnōk χᵛatīh 'i-š 'hast *patmōk; 'ut-aš škafttar vīrāstakīh 'andar *Māzan 'dēvān 'pat Akōman, 'ān i 'vattar dēn; 'andar baγān-baχtārīh appurtārān 'kē 'hēnd apāχtarān, 'pat 'ān i apāχtar i starōšmur Kēvān 'χᵛānēnd; 'ut-aš dēnīk 'nām dūr-pityārak: 'andar āhōkān 'pat dušākāsīh; 'ut 'andar barišnān 'pat anērīh 'ut aχᵛarsandīh; 'ut 'andar ['andar] χēmān 'pat 'ān i davan mēnišn, 'ān i mitōχt gōβišn; ⟨'andar⟩ gētēh dēsakān 'pat druvand mar; ⟨'andar⟩ pēšak pityārakān 'pat sāstārīh; 'ut 'andar *patīh pityārakān 'pat 'avē i dušdēn 'ut dōšaχᵛīk[ān]; 'ut 'andar patmōkān 'pat 'ān i hērak-gōn patmōčan; 'ut 'andar duškārān 'pat 'vēh zatan, 'vattar vaχšenītan.*

(5) *'ut ēvak artēštārīh brahm, 'vēh gumēčak rāδēnītārīh [i] 'kē 'kaδ hangartīk i χᵛap rāδēnītārīh aδyārīh āsrōnīh hudānākīh zahāk, amāvandīh 'ut vīrāstārīh 'ut vīnārtārīh i dātastān, ayāpēnītār i 'ō katār-ič-ē 'ān i 'ō mas-dātastānīh χēm, dahišn sūtīh aδyār, 'kē ov-iš 'baχt 'pat zamān 'hač brīnkar rāδēnāk *bažišn 'ō 'χᵛēš fražām-sūtīh, hambunīh i Vāy ⟨i⟩ 'apar 'andar 'har 2 'tāk fražām patiγraftār i *ham zāy: 'ut 'ēn brahm aparkār Vāy χᵛatīh patmōk; 'ut-aš mātiyān 'andar yazdān mēhmānīh 'pat Vāy i mēnōk[īh] i Ras-ič 'nām, 'χᵛat 'hast spihr 'ut Spahr-ič 'χᵛānīhēt 'apar-ič takīk vāt 'ut 'ǰān-ič 'martōm; 'ut 'andar hunarān 'apar takīkīh 'ān i 'martān, ham marttāčōkīh; 'ut 'andar barišnān 'pat WL'YM'NW dātastānīkīh; 'ut 'andar χēmān 'pat kāmak i frārōn 'ut 'ān i mas-dātastānīhā kār; 'ut 'andar gētēh dēsakān 'pat 'ān i takīk 'ut arvand tan; 'ut 'andar pēšakān 'pat artēštārān; 'ut 'andar patān 'pat arvand spāhpat; 'ut 'andar patmōkān 'pat 'ān i suχr 'ut maδ-gōn patmōčan 'kē 'pat harvist pēsišn pēsīt 'ēstēt, 'pat sēm 'ut 'zarr 'ut karkēhan 'ut 'ān-ič i 'bē *tāpāk yākand; 'ut 'andar kārān 'pat mas-dātastānīh i χēm, dahišn zatan 'ut vaχšēnītan i 'har 2 'vēh 'ut 'vattar.*

(6) *ēvak χᵛat-dōšakīh, 'vattar gumēčak rāδēnišnīh 'kē 'kaδ hangartīk duš-rāδēnītārīh, ham škarvan sāstārīh dušākāsīh hamēstār [i hamēstār i] rāδēnītārīh apassačakīh 'ut anaδvēnīh 'ut 'hišt- ŠKWYīh 'ut aβrāstakīh, brātarōt-davišnīh 'ut anāštīh, ['ut] ahramōγīh čardār(?), 'ke ov-iš baχt 'pat kanārakōmand zamān [brātarōt] 'hač brīnkar rāδēnāk ⟨bažišn⟩ 'ō 'χᵛēš fra-žāmīh-sūtīh, čērīh i 'har kāmīk kunišngar 'kē apāyēt pat-iš: 'ut 'ēn brahm Varan druž χᵛatīh; 'ut-aš škafttar grāyastakīh 'andar 'dēvān ['kē apāyēt] 'apar χurdruš Ēšm; 'ut 'andar baγān-baχtārīh appurtārān 'pat apāχtar 'i-š star-ōšmur *Vahrām 'χᵛānēnd, 'ut-aš dēnīk 'nām aγ-āšt; 'andar āhōkān 'pat χᵛat-dōšakīh; 'ut 'andar barišnān 'pat anayāpīh 'ut āhītīh; 'ut ⟨'andar⟩ χēmān 'pat 'ān i apārōn kāmak, 'ān i χᵛat-dōšakīh dēn 'ut 'ān i fražām [i] višōβ kār; 'ut 'andar gētēh dēsakān 'pat χᵛat-dōšakān 'ut apārōn-stēž marān; 'andar pēšak hamēstārān 'pat ahramōγān; 'andar *patīh pityārakān 'pat 'ān i anaχᵛ 'ut arat zat-dastaβar anēr; 'ut 'andar patmōkān 'pat 'ān i χᵛat-dōšakīhā brahmak.*

NOTES

(4) *ōvēn*: on this word v. text Z 2, l. 73, note.

(5) *'jān-ič 'martom*: so, I think correctly, Wikander, *Vayu I*, p. 86, who quotes GrBd. 34. 6: *jān 'ān i 'apāk vāt patvast 'ēstēt.*—'breath is that which is associated with the wind.'

maδ-gōn: so now rather than *'āp-gōn* in accordance with the *aryavān* of GrBd. 31. 14 (text Z 2, l. 15). In NP. cf. Nāṣir i Xusrau, *Dīvān* (ed. Tehran, A.H. 1304–7), p. 139, l. 13: *āb ču nīl i birkeh-aš maigūn šud.*

(6) *čardār*: seems the most probable reading of [illegible]. My reading *-ič riyahr* in BSOS. ix, p. 305 must now be rejected since [illegible] is well attested with the meaning 'parent' (of demonic creatures). In this passage it corresponds to *zahāk* in the former section; so also DkM. 293. 3: *varan adāt čardār* as against *āsn-χrat dāt zahāk*, and 325. 9. In Pahlavī *zahāk* and *zahak* are indistinguishable, but that it is to be read *zahāk* in the above-cited passages is proved by DkM. 359. 19: *Āz i niyāz [ānak] čardār 'ut niyāz i Āz hunušak.*—'Greed, the parent of want, and want the offspring of greed.' The etymology of our word is quite uncertain, but *čardār* and *čargār* are the only probable readings.

TRANSLATION

(1) Of the four kinds of instrument instituted through finite Time by the wise, decisive Creator, Ohrmazd, for the four kinds of agent, (an extract) from the Exegesis of the Good Religion.

(2) This concerns the four instruments ordained through finite Time by the wise, decisive Creator, Ohrmazd, for the four kinds of agent: two are powers of good, and through these powers arises good action for increasing progress; two are powers of evil, and through these forces arises evil action for decay and ineffectiveness. For these comprise all

development and activity within the period of six millennia: through them finite Time turns and revolves, and from their action the character of (particular) times appears even to the end of the world.

(3) One is the robe of priesthood, the ordering of good in its pure estate which, being the weapon of the Bounteous Spirit, was chosen by him as his very essence and bestowed upon him by his own dispensation through finite Time to ensure his final victory over the Aggressor, the utter defeat of this last and the erasing of him from his own creation. This robe is called 'Bounteous-Spirit-ness', the very essence of Ohrmazd, his garment and his brilliance. Among the higher spirits it is chiefly with Vahuman and Mānsraspand. Among those whose course is on high, it controls the good luminaries, the *baγān* (fixed stars); among spiritual beings it is in the progress of the soul in the body of man; among virtues in wisdom; among modes of conduct in good behaviour and contentment; among characters in noble thought and the rightly spoken word; among material 'forms' in the blessed man; among the castes in the priests; among rulers in the highest worldly lord and judge; among garments with the shining white garment; among good deeds in the furtherance of good and destruction of evil.

(4) One is the robe of false priesthood, the ordering of evil in its pure estate which, being the weapon of the Destructive Spirit, was chosen by him as his very essence and which was bestowed on him through Time from its decisive dispensation that orders aright, for the destruction and final annihilation of the Destructive Spirit, the chooser of that very weapon. This robe is called the essence of the Destructive Spirit and is his garment: among the Māzan demons it operates most fearfully in Akōman whose religion is the worst; among the robbers of the gods' gifts who are the planets, it is in the planet called by the astrologers Kēvān (Saturn) whose name in the Religion is 'he whose aggression reaches far': among sins it is in wrong knowledge; among modes of conduct in bad behaviour and discontent; among characters in lying thought and the falsely spoken word; among material 'forms' in the accursed villain (*mar*); among the enemies of caste in false priesthood; among the enemies of rulership in the infernal heretic; among garments in the ash-coloured garment; among evil deeds in the destruction of good and furtherance of evil.

(5) One is the robe of warriorhood, the ordering of good in its contaminated estate which, since it comprises good order, ability, priesthood, the parent of wisdom, power, and the orderly dispensation of the (natural) law, influences whatever has the character of orderliness and tends to benefit creation; and this was bestowed on him (sc. Vāy) through Time from its decisive dispensation that orders aright to its ultimate advantage,

and it has the same origin as Vāy, the recipient of this very weapon above and within both (creations) till the end: and this robe is the essence of Vāy of lofty deeds and his garment; among the gods it is associated chiefly with the Spirit Vāy whose name is the Wheel, that is the firmament, and it is also called Spahr (Θwāša), and with the swift wind and the breath of man; among virtues it is with the speed which is in men, that is valour; among modes of conduct in . . . orderliness; among characters in righteous desire and action conducive to greater good order; among material 'forms' in the swift and valiant body; among the castes in the warriors; among rulers in the valiant commander of an army; among garments in the red and wine-coloured garment, adorned with all kinds of ornament, with silver and gold, chalcedony, and shining ruby; among deeds in the great good ordering of character, the destruction and furtherance of both the good and evil creations.

(6) One is self-will, the ordering of evil in its contaminated estate which, since it comprises disorder, vacillation, false priesthood, wrong knowledge, ordering in opposition, unseemliness and lawlessness, lack of respect and pride, has the din of shouting in rivalry and peacelessness, the progenitor of heresy; and this was bestowed on him (sc. Varan) through finite Time from its decisive dispensation which orders aright to its own ultimate advantage, for it rises superior to every voluntary agent which is necessary to it: and this robe is the selfhood of the Lie Varan; among the demons it influences most fearfully Ēšm of the bloody club; among the robbers of the gods' gifts, the planet called by the astrologers Vahrām (Mars) whose name in the Religion is 'he whose peace is evil': among sins it is in self-will; among modes of conduct in ineffectiveness and sulkiness; among characters in unrighteous desire, in the religion of self-will and action that confuses the end; among material 'forms' in the self-willed and the villains (*mar*) who stir up strife unrighteously; among the enemies of caste in the heretics; among the enemies of rulership in those who have no lord or judge and who strike the priests improperly; among garments in the garment of self-will.

Z 12. From the *Dēnkart* (Madan, p. 21. 15–24. 5; Sanjana, i, pp. 23–25). This text has been edited in BSOS. ix, pp. 307 ff., to which the reader is referred.

(1) *'apar zamānak rang 'ut 'čē-īh ⟨i⟩ rang 'ut 'kē-ič ['hač] *rašt [i] 'pat rang, 'hač nikēž i vēh-dēn.*

(2) **'ēt 'apar* zamānak rang, vēhīh 'ut 'vattarīh: vēhīh ['ut] spēnāk-mēnōkīk χᵛat-gōhrīhā, 'vattarīh ganāγ-mēnōk 'pat rasišn i 'hač 'bē gōhr. 'ut*

*ōšmurišn i vēhīh *'ut 'vattarīh 'sar 'hač zamānak ⟨i⟩ pat-iš *rašt 8,—spēnākīk ⟨'ut ganākīk⟩ 'hač-išān vāyīk 'ut varanīk 'ut baγīk 'ut *gaδōkīk 'ut hunihātīk 'ut dušnihātīk.*

(3) **spēnākīk ōšmurišn mātiyān ⟨āsrōnīh⟩ dēn dānākīh ērīh rāstīh 'ut χᵛāβarīh, ['ut] 'če-šān ham-tōhmak ratīh 'ut rāδēnītārīh i *'apar vēh-dēn ⟨i⟩ rāst. ganākīk ōšmurišn mātiyān sāstārīh i āsrōnīh hamēstār, aγ-dēnīh anērīh 'ut kayakīh 'ut karapīh 'ut drōžanīh 'ut anispāsīh, ['ut] 'čē-šān ham-tōhmak višuftārīh pat-iš. vāyīk ōšmurišn *mātiyān artēštārīh āsrōnīh aδyār, takīkīh 'ut arvan⟨d⟩īh 'ut χᵛatāyīh 'ut dāt, 'čē-šān ham-tōhmak hunar 'ut rāδēnītārīh 'apar χᵛatāyīh. varanīk ōšmurišnīh mātiyān χᵛat-dōšakīh, har ahramōyīh i *āsrōnīh brātarōt, sāstārīh aδyār, 'ut duštdānākīh 'ut aγ-dēnīh, ['ut] 'čē-šān ham-tōhmak āhōk višuftārīhā i pat-iš. baγān⟨īk⟩ ōšmurišn vāstryōšīh i gēhān varzītārīh, 'čē-šān ham-tōhmak 'pat patmānak mānišnīk handōčišnīk 'ut vičī-tārīhišnīk rātīh i pat-iš *aβzāyēnītan, āsrōnīh artēštārīh aδyār. *gaδōk⟨īk⟩ ōšmurišn 'pat dužīh 'ut stahmakīh, varzītārān ⟨i⟩ gēhān pityārēnītan [i] 'ut 'pat panīk panēnītārīh nangkarīk halak-kartārīh āpātīh ⟨i⟩ gēhān pityārēnī-tan, 'pat *panīh patēχᵛīh aβsihēnītan 'ut dām marnǰēnītan, 'čē-š ham-tōhmak vāstryōšīh [i] pityār. 'ut hunihātīk ōšmurišn hutuχšīh 'ān 3 pēšak aδyār 'pat hutuχšīh humat hūχt huvaršt ruvān-ahrovīh. dušnihātīk ōšmurišn duštuχšākīh, 'ut 'pat dušmat dušhūχt dušhuvaršt 'ut ruvān-druvandīh 3 pēšakān pityār.*

(4) *'ut 'ēt ōšmurišnān yut yut 'hač 'χᵛēš bun rasišnīh 'hač 'ān i 'apar 'ō 'ān 'i-š aδar: ['vēh] 'vēh, spēnākīk 'ō vāyīk, 'ut vāyīk 'ō baγīk, *baγīk 'ō hunihā-tīk: 'vattar, ganākīk 'ō varanīk, ⟨varanīk⟩ 'ō *gaδōkīk, 'ut *gaδōkīk 'ō dušni-hātīk. 'ut pat-iš yut yut 'ān i 'χᵛēš ērīk 'ut 'vēhīk *čērīh, *'vattarīk stahmakīh: 'ut čērīh 'ut stahmakīh 'andar gēhān āmarakānīhā; 'ut 'pat-ič yut yut tan 'vēhīk čērīh 'pat nēvakīh, 'ut *'vattarīk stahmakīh 'pat 'vatīh i ōβām 'ut mar-tōm, paytākīh: 'ut 'hač-ič 'ān ⟨i⟩ hačaδar 'ō 'ān i hačapar nērōk 'ōh patvandī-hēt čēγōn 'hač martōm kār 'pat huyāčakīh 'ō yazdān 'ut 'pat dušyāč⟨ak⟩īh 'ō 'dēvān nērōk patvandišnīh, dēn [pākīh] paytākīh.*

(5) *dātār Ōhrmazd rašt zamānak 'pat rang, 'pat vēhīh čim gōhrīhā aβzōn i dahišnān 'hač vēhīh, 'ut pat-iš ['ut] vānītan i aβigatīk 'vattarīh i 'hač duš bun, 'ut 'pat 'vattarīh, čim aβigatīk 'vattarīh i 'hač 'bē 'pat višōβišn 'ō dām matan: 'hač ēv-kartak nērōkīk apattōkīh i dām 'andar 'ō zamānakīhā i 'hač bundahišn 'tāk fraškart viškīt-nērōkīhā, tarāzēnišnīh nisārišnīkīh 'andar pattōkīh 'ut patvandišnīh i dahišn 'ō fraškart 'kē zōr i vēhīh i 'andar zamān-akīhā 'vattarīh ānāβišnīkīh. 'ut zamānak 'ān-ič i rang i 'vattarīh vēš *'dārēt, 'ān i 'vattarīh frahist 'hač vēhīh i 'andar ham zamānak; 'pat sačišn 'i-š drang hamāk vānītārīh, *'hast fraškart gās 'pat zōr i vēhīh, 'vattarīh 'andar ōβā-mīhā 'ut zamānakīhā hamāk vānītārīh: 'ān zamānak ⟨i⟩ fraškart 'pat vēhīh apēčak-ēstišnīh; 'ut pat-iš ganāγ-mēnōk aβsihišn, dām vāyišn-dahišnīh, tan i*

*pasēn 'ut amargīh 'ut *šētāy i hām dahišn i 'vēh matan 'bavēt 'pat dātār fražānakīhā handāčišn kām nērōk.*

TRANSLATION

(1) Of the colour of Time and the nature of that colour and him who dyed it with colour—from the Exegesis of the Good Religion.

(2) This concerns the colour of Time—good and evil: good is of the very substance of the Bounteous Spirit; evil is of the Destructive Spirit, proceeding from an outside substance. The categories of good and evil which have their beginning in Time and with which Time is dyed, are eight (in number): *spēnākīk* (bounteous) ⟨and *ganākīk* (destructive)⟩ from which are derived *vāyīk* and *varanīk*, *bayīk* (that bestows) and *gaδōkīk* (that takes away), *hunihātīk* (of good nature) and *dušnihātīk* (of evil nature).

(3) The category of *spēnākīk* includes chiefly ⟨priesthood,⟩ religion, wisdom, good conduct, righteousness, and munificence; for akin to them are the judgeship and the good management of the right and Good Religion. The category of *ganākīk* includes chiefly false priesthood, the adversary of priesthood, irreligion, bad conduct, the quality of Kay and Karap, falsehood and ingratitude; for akin to them is the confusion of them (i.e. the virtues just mentioned). The category of *vāyīk* includes chiefly warriorhood, the helpmate of priesthood, speed and valour, lordship and law; for akin to them are virtue and the good management of lordship. The category of *varanīk* includes chiefly self-will, all heresy, the rival of priesthood and helpmate of false priesthood, evil knowledge and irreligion; for akin to them is sin which confuses them (i.e. the virtues mentioned under the category of *vāyīk*). The category of *bayānīk* includes husbandry, the tilling of the soil; for akin to them, resembling moderation, thrifty and discerning, is generosity, author of increase, the helpmate of priesthood and warriorhood. The category of *gaδōkīk* includes theft and violence, enmity to the tillers of the soil, and, through miserly encouragement of stinginess and envious foolish deeds, enmity to the fertility of the earth, and through miserliness the suppression of prosperity and destruction of creation: for akin to them is the adversary of husbandry. The category of *hunihātīk* includes artisanship, the helpmate of the three castes through good effort, good thought, word, and deed, and salvation of the soul. The category of *dušnihātīk* includes bad artisanship through evil effort, evil thought, word, and deed, and damnation of the soul, the adversary of the three castes.

(4) These categories proceed severally from their origin through the higher to the lower. On the good side, *spēnākīk* to *vāyīk*, *vāyīk* to *bayīk*, *bayīk* to *hunihātīk*; on the evil, *ganākīk* to *varanīk*, ⟨*varanīk*⟩ to *gaδōkīk*, *gaδōkīk* to *dušnihātīk*. In these respectively (we find) the courage of good conduct and goodness, and the violence of evil; courage and violence are of general occurrence in the world. In their respective bodies the courage of goodness leads to welfare, while the violence of evil leads to bad times and evil men, as it is revealed. There is a connexion of faculties from the lower to the higher, just as with the deeds of men their faculties are connected with the gods through good endeavour and with the demons through evil endeavour, as the Religion reveals.

(5) The creator Ohrmazd dyed Time with colour—with good because in substance the benefit accruing to creatures is from the good and the evil of the Aggressor which is from an evil origin is vanquished by the good—and with evil because the evil of the Aggressor comes upon creation from without to confound it. From a single inconsistency which exists in potency (and entered) into creation during the millennia (times) between the original creation and the final rehabilitation during which time there is dissipation of energy, proceeds the restoring of the balance which consists in continuity and the restoration of creation at the rehabilitation, which means the destruction of evil by the power of the good (accumulated) throughout the millennia. In times which are mainly coloured with evil, evil will exceed the good: but after the passage of such periods comes complete victory, that is the time of the rehabilitation (brought about) by the power of good (which means) the complete defeat of the evil (which had come into being) throughout the millennia. That is the moment of the rehabilitation when good is established in its pure state: through it will come the annihilation of the Destructive Spirit and the triumph of creation, the Final Body, immortality, ecstasy for all the good creation through the Creator's wise design, will and power.

Z 13. *Aβyātkār i Zāmāspīk* 2. 2 (Messina), p. 34 in Messina's edition; translation on p. 85.

Pārsī text.	Pahlavī reconstruction mainly after Messina.
⟨guftaš Žāmāsp⟩ bētāš kū šnav dayuvad ān če hamā būd āvāǰ Hōrmazd andar rōšnāī u rōšnāī az Ōrmazd ān bēd keš Hōrmazd andar χᵛānēd če azaš dēn rabāyišn būd azaš zamān hamā būdaš Ōrmazd būd čūn hast mēnō rāyēnīdāraš.	*guft-aš Žāmāsp bētaχš ku šnav, dahyupat, ān i hamē būt ēvāč Ōhrmazd andar rōšnīh, ut rōšnīh i hač Ōhrmazd,—ān bavēt kē-š Ōhrmazd andar *mānēt-ič,—ut-aš dēn ravākēnišn būt, ut-aš zamān hamē-būtīh i Ōhrmazd būt, čēγōn hast mēnōk i rāδēnītārīh.*

NOTE

**mānēt*: Messina keeps *χᵛānēt* and also takes *ēvāč* in the sense of 'voice'. The parallel passage in the opening of the first chapter of the *Bundahišn*, however, has nothing to justify such an interpretation. *ēvāč* must clearly mean 'only'. Reading *χᵛānēt* Messina translates 'la luce (procedente) da Ōhrmazd è quella cui evoca Ōhrmazd'; but the idea of 'evocation' is Manichaean and wholly foreign to Zoroastrianism, whether Zervanite or Mazdean. I would therefore read *mānēt* 'dwells', remembering that the light is the 'place' of Ohrmazd (text Z 1, § 1). The corruption of *mānēt* to *χᵛānēt* is equally simple whether we assume it to have been written ideographically or phonetically.

TRANSLATION

Prince Žāmāsp said, 'Listen, O king, he who has ever been is only Ohrmazd in the light—and the light (proceeds) from Ohrmazd—that is, that in which Ohrmazd dwells—and the propagation of his religion, and his Time which is the eternity of Ohrmazd, for it is the genius of right ordering.'

Z 14. From the *Dēnkart* (Madan, p. 128. 16–129. 3; Sanjana, iii, p. 147). Edition with notes in BSOS. ix, pp. 871, 879, 889.

'apar 'ān i 'har ov-iš niyāz, 'χᵛat 'hač 'har apē-niyāz; 'ān i 'har 'andar, 'χᵛat 'andar hēč; 'ān i 'apar 'har rāδēnītārīh, [i 'ut] χᵛat 'hač hēč i 'bē 'nē rāδēnišnīk,—'hač nikēž i vēh-dēn.

*'ēt abun 'ut bunōmand 'pat kār, 'ut 'hastīh-ič i 'har 'ō Zamān niyāz. 'ut apē Zamān hēč kartan *i *'hast 'būt 'bavēt, 'nē attōk 'hēnd. 'ut Zamān 'ō hēč 'hač 'imēšān 'pat hēč 'čiš 'nē niyāz. 'ut 'ān i 'har gōhr 'andar, 'χᵛat 'andar hēč, Gyāk. 'ut 'apar 'har rāδēnītār, 'χᵛat 'hač hēč i 'bē 'nē rāδēnišnīk, dānākīh i Ōhrmazd.*

TRANSLATION

On that of which all has need, and which itself has need of nothing; and that which has all within it, yet is within nothing; and that which directs all, yet itself is directed by no outside thing—from the Exegesis of the Good Religion.

This that (Time) has no origin, yet through action has an origin. The existence of all has need of Time. Without Time one can do nothing that is or was or shall be. Time has need of none of these for anything. That within which every substance is, yet itself is within nothing, is Space. That which directs all, yet itself is directed by no outside thing, is the Wisdom of Ohrmazd.

Z 15. From the *Dēnkart* (Madan, p. 132. 21–133. 9; Sanjana, iii, p. 152). Edition with notes in BSOS. ix, pp. 871, 880, 889.

*'apar 'hastīh *'ut paytākīh [i] 'ut yuttarīh i 'hastīh 'hač paytākīh,—'hač nikēž i vēh-dēn.*

*'ēt čēyōn pōryōtkēšān 'hač 'vēh-dēn nikēž guft;—'hast i hamayīk Ōhrmazd dātār 'ut dēn dānākīh 'i-š 'pat nērōk vēhīh, Gyāk 'i-š gētēh 'apar, 'ut Zamān 'i-š 'hast hamayīkīh. paytākīh 'i-šān 'hastīh, 'ān i Ōhrmazd dātār 'hač dahišn-kartakīh, 'ān i dēn dānākīh ⟨'hač⟩ 'saχᵛan ⟨i⟩ kāmīk-dānākīhā 'ut kār, 'ān i *Zamān Gās ⟨'hač 'ān i⟩ 'pat Zamān 'andar Gyāk 'dāt šāyītan-ič i dahišn. 'ut yuttarīh i 'hastīh [i] 'hač paytāk⟨īh⟩ [i] 'ēn-ič 'kaδ 'ān 'hastīh apē-paytāk ['pat] 'ō martōm, 'pat χᵛatīh 'būt; 'vas 'būt *šāyēn abun bun bunōmand, 'hast i apaytāk 'ō martōm. 'ut 'nē hēč paytākīh apē 'hastīh 'būt šāyēt.*

TRANSLATION

On existence and manifestation, and the difference between existence and manifestation—from the Exegesis of the Good Religion.

This is how the Ancient Sages have spoken from the Exegesis of the good Religion: eternal are the Creator Ohrmazd and the Wisdom of Religion through whose power is goodness, and Space on which his matter is (founded), and Time which is his eternity. The manifestation of their being: that of the creator Ohrmazd is from the act of creation; that of the Wisdom of Religion from the word, wise in will, and from action; that of Time and Space ⟨from the fact that⟩ creation had to be created by means of Time and in Space. The difference between existence and manifestation is this that when existence was unmanifest to man it existed in essence: it was merely potential, without origin, yet an origin and the source of origin, that is to say unmanifest to man. There can be no manifestation without existence.

Z 16. From the *Dēnkart* (Madan, p. 207. 1–7; Sanjana, v, p. 232). Edition with notes in BSOS. ix, pp. 872, 880, 892.

*'apar *Zamān 'χᵛat 'ut-aš χᵛatīh 'ut kanārak,—'hač nikēž i vēh-dēn.*

*'ēt Zamān 'χᵛat hamē, 'ut-aš χᵛatīh drang; 'ut pat-iš 'hast kartārīh nērōk ⟨i⟩ gētēh. 'hast hamayīk 'ān 'i-š 'pat nērōk. 'ut-aš kanārak yumbišn i gētēh 'andar Vāy 'pat Spāš, čēyōn rōšnān *vāzišn, vāt vāyišn, 'āp tačišn, urvar rōδišn, 'ut 'har *nērōk kār 'andar Vāy. 'ut hangartīk 'būt 'bavēt hamāk.*

TRANSLATION

On Time itself, and its essence and limitation—from the Exegesis of the Good Religion.

This that Time itself is eternal, and its essence is duration. Through it matter has the potentiality of being actualized. *Qua* potency it is eternal. Its limitation consists in the movement of matter in Space (Vāy) by means of the Firmament (Spāš), as, for example, the course of the luminaries, the blowing of the wind, the running of water, the growth of plants, and all actualization of potency in Space (Vāy). In short (Time) was and shall be all.

Z 17. From the *Dēnkart* (Madan, p. 198. 18–199. 6; Sanjana, v, p. 224). Edition with notes in BSOS. ix, pp. 872, 880, 891.

*'apar 'nē 'hast 'ut 'nē 'bavēt sačītan i hēč atavānīk 'apar vēhīkān buništ dātār Ohrmazd; 'ut kanār⟨ak⟩ōmandīh 'ut *akanārakīh-ič 'i-š tavān,—'hač pōryōtkēš gōβišn, nikēž i vēh-dēn.*

*'ēt abun 'vēhīkān buništ dātār Ōhrmazd visp-ākās, visp-tavān, visp-χᵛatāyīh. 'nē 'hast 'ut 'nē 'bavēt 'ut 'nē 'būt 'apar 'avē vēh-kām i kirpak-kar *hēč atavān. 'ēn-ič paytākīh 'kaδ tavān 'har 'andar *šāyēn fravand, 'avē i vispān ham bun 'ut yazat šāyēn 'har-tavān. 'ut-aš tavān 'pat 'ān i 'andar šāyēn fravastak kanārakōmand, 'ut 'pat 'ān i abrīn akanārak; čēγōn kanārakōmandīh-ič 'i-š 'pat gētēh, 'ut akanārakīh [i] 'i-š 'pat Zamānak.*

TRANSLATION

On there not being and the impossibility of there being anything not within the power of the principle of the good, Ohrmazd, the Creator: on the limitation and limitlessness of his power—from the words of the Ancient Sages, the Exegesis of the Good Religion.

This that he who has no origin, the principle of the good, the Creator Ohrmazd is omniscient, omnipotent, universal Lord. There is not, nor was there, nor shall there be anything impossible to his good and virtuous Will. This too is revealed, that since all power is confined to the possible, he who is both origin and God of all, is omnipotent in (the sphere of) the possible. His power, in so far as it is confined to what is possible, is limited; but in so far as it is unimpaired, it is limitless. Thus he is limited by matter, limitless through Time.

Z 18 (*a*). From the *Dēnkart* (Madan, p. 221. 11–224. 8; Sanjana, v, pp. 247–9). Edition with notes in BSOS. ix, pp. 872, 881, 892.

*'apar 'vēhīh ['vēhīh] 'ut vēhīh bun 'ut 'vēhīh ravākīh 'ut 'vēhīh vīmand 'ut 'vēhīh vihān 'vēhīh čim, hangartīkīh 'ut-aš zahak ōšmurišnān *i 'vēhīh: 'ut*

'vattarīh ravākīh 'ut 'vattarīh ['ut] vīmand 'ut 'vattarīh čim, 'ut 'vattarīh hangartīkīh [i] 'ut-aš hunušak ōšmurišn, 'ut 'vattarīh rāδēnišn 'pat bun 'ut miyān ⟨'ut⟩ fražām,—'hač nikēž i vēh-dēn.

*'ēt 'vēhīh-ōstīkān 'vēhīh-⟨χᵛatīk⟩ Spēnāk Mēnōk. 'ut 'vēhīh bun ham 'ō vēh-dēn, 'hast 'ān i katār-ič-ē i 'pat apar-rasišnīh 'ut pat-iš kartārīh sūt; 'ut 'vēhīh [i] ravākīh i 'avē 'vēh ⟨Spēnāk Mēnōk⟩ 8-ič 'i-š χᵛatīh, i 'hast dānišn *'ut rōšnīh i dānišn 'pat yut-'nihātakīh ham-vīmand; 'ut kām, nērōk, aβzār 'ut tuχšākīh 'ut *gyāk 'ut zamān. 'ut-aš paytāk 'hač hamāk mēnōkīk 'ut gētēhīk 'vēhīh-rāδēnākān ⟨i⟩ gētēh 'i-šān 'pat 'vēhīh-rāδēnākīh ōčīrišnīk, 'hast dānākīh i ōsānišnīk 'hač rōšnīh [i] 'apar gēt⟨ēh⟩ 'kē pat-iš ⟨vēh⟩ 'vēnēnd 'ut mēnēnd, vēh-dēn 'ut [gās] kām 'kē pat-iš apāyēt 'vēhīh, 'ut nērōk, aβzār 'ut tuχšākīh 'ut *zamān gās 'kē vēhīh nērōk, gētēh pat-iš 'andar 'kunēt vēhīh. 'ut vīmand i 'vēhīh 'ān 'i-š fra'nāmišn 'hač 'χᵛēš, 'ut a-fra'nāmišnīh 'hač 'bē 'χᵛēš, čēγōn zīndakīh i 'pat χᵛatīh apāyišnīk 'ut stāyišnīk, 'ut-aš anapāyišnīkīh *astavišnīh 'hač 'bē 'χᵛēš, i 'hast vīmārīh 'ut vaštīh 'ut zarmānīh vinās druvandīh. 'ut vihān i 'vēhīh 'andar dahišnān χᵛatīk 'vēhīh rātīh i dāmān 'pit χᵛatāy dātār Ōhrmazd. 'ut-aš čim apāyišn kām 'i-š 'apar dahišnān sūt matan 'i-š 'vēhīh 'ō dahišnān. 'ut 'vēhīh hangartīk patmān, 'ut-aš zahak dāt: zahak ōšmurišnān χrat χēm 'ut šarm 'ut miθr 'ut rātīh 'ut rāstīh, spāsdārīh, apārīk [i] hunarān ⟨i⟩ pat-iš Amahraspand 'hamist apārīk [i] mēnōkān *yazdān 'χᵛatīh; ⟨hač-iš⟩ martōm zīndakīh 'ut druvist āpātīh 'ut χᵛatāyīh 'ut dēndānākīh 'ut kirpak-ahrovīh 'ut 'hamist gētēh 'vēh dahišnān nēvakīh vīnārišnīh. 'ut 'vēhīh rāδēnišn 'pat bun dātārīh ravākīh i dām, 'pat miyān dām vīnārišn patvandišn [i] 'ut 'vattarīh vānītārīh, 'pat fražām aβigat bavandak vānītārīh, hač-iš ['ut] hām dahišn bōžišn, apēčakīh, yāvētānak nēvakīh 'ut šētāy.*

*'ut 'vattar-ōstīkān 'vattarīh-χᵛatīk dušākās Ganāk Mēnōk. 'vattarīh bun 'ān ham *'ō 'vattar *dēn, 'hast 'ān i katār-ič-ē 'pat 'apar-'rasišnīh ziyān. 'vattarīh ravākīh i 'avē 'vattar Ganāk Mēnōk zūr-mitōχtīh [i] 'ut tam zūr-mitōχtīh ⟨i⟩ yut-'nihātakīh ham-vīmand; 'ut kām, nērōk 'ut tuχšākīh 'ut aβzār 'ut gyāk 'ut zamān. 'ut-aš paytākīh 'hač 'ān i 'vattar-kartārān 'pat 'vattar-kartārīh 'dārēnd tamīk mitōχt 'kē pat-iš 'vattar čīhēnd mēnēnd, 'ut kām 'kē pat-iš 'vattar apāyēt, *nērōk-ič 'ut vičōδišn aβzār 'ut zamān gyāk 'kē 'vattarīh 'pat gētēh pat-iš 'andar 'kunēt. 'ut vīmand i 'vattarīh 'ān i 'pat χᵛatīh a-fra'nāmišnīkīh, 'ut-aš fra'nāmišn 'hač 'bē; čēγōn margīh i 'pat χᵛatīh anapāyišnīk 'ut *astavišnīk, 'ut-aš apāyišnīkīh 'ut stāyišnīkīh 'hač 'bē, i 'hast vīmārīh, vaštīh 'ut zarmān, škōhīh 'ut bēš i 'vattar 'hač marg. vihān i 'vattarīh 'andar gētēh 'ut mēnōk dāmān hamāk vatīh bun Ganāk Mēnōk aβigat. 'ut čim i rasišn i 'ō dāmān 'vēhīh aβigatīk anākīh-kām i 'avē druž 'pat ziyān i Spēnāk Mēnōk dāmān, āhōkēnītan 'i-šān 'pat 'ān i 'vattarīh bun vihān i 'har anākīh. 'ut 'vattarīh hangartīkīh Frēhbūt 'ut Apēbūt; 'ut 'vattarīh hunušak adāt. 'ut*

*hunušak ōšmurišnān āz 'ut ēšm, kēn, arišk 'ut druχtārīh, drōnīh 'ut panīh 'ut anispāsīh 'ut apārīk [i] āhōkān i pat-iš 'dēv druž dušχ^vatīh; hač-iš martōm sāstārīh 'ut ahramōγīh, vīmārīh 'ut škōhīh 'ut dušākāsīh *'ut vinās druvandīh 'ut 'hamist apārīk gētēh dahišnān anākīh višōβišn. 'ut 'vattarīh rāδēnišn 'pat bun dāmān āhōkēnišn, 'pat miyān kōšišn [i] 'ut āšōβ i 'andar gumēčakīh, 'pat fražām fražān⟨ak⟩īhā rāδēnītārīh i 'vēh Spēnāk Mēnōk, vānītakīh i 'pat 'vēhīh nērōk.*

kēš-dārān 'kē bun ēvak kēš 'i-šān 'ān bun spēnāk ganāγ, 'ut 'vēh 'ut 'vattar, stāyastak nikōhītak guft 'bavēt.

TRANSLATION

On goodness, the origin of goodness, the movement of goodness, the definition of goodness, the cause of goodness, the reason of goodness, what it is summed up in, and the categories of the offspring of goodness. On the movement of evil, the definition of evil, the reason of evil, what evil is summed up in, the categories of its abortions, the promotion of evil at the beginning, middle, and end—from the Exegesis of the Good Religion.

This that he whose ground is goodness and whose essence is goodness is the Bounteous Spirit. The origin of goodness is also in the Good Religion, that is to say whatever causes benefit when it supervenes and is put into practice. The movement of the goodness of the good Bounteous Spirit, that is his essence, is eightfold: it is Wisdom and the Light of Wisdom which are proper to his distinct nature, and Will, Power, Means, Effort, Space, and Time. It is revealed that of all those (powers), spiritual and material, which promote goodness in the world and are distinguished by the promotion of goodness, it is Wisdom that descends from the Light on to the earth and by which (men) see and think well; the Good Religion and Will by which goodness is desired; and Power, Means, Effort, Time, and Space which have the potentiality of goodness, and through which the world practises goodness. The definition of goodness is that which of itself develops, while hindrance of its development comes from outside itself; just as life in itself is desirable and worthy of praise, and that which is undesirable and unworthy of praise comes from outside itself, such as illness, disease, old age, sin, damnation. The cause of goodness in creatures is the essential goodness and generosity of the Father of Creation, the Lord and Creator, Ohrmazd. His intention, wish, and will for his creatures is that the benefit of his goodness shall come to them. Goodness is summed up in the Mean: its offspring is the Law. The categories of this offspring are wisdom, good character, modesty, love, generosity, rectitude, gratitude, and the other virtues inherent in the essence of the Amahraspands and the

other spiritual gods. Thence is the life of man, sound prosperity, lordship, knowledge of the Religion, salvation by virtue together with the promotion of welfare among the good creatures of the world. The promotion of goodness consists, in the beginning, in the act of creation and the setting of it in motion; in the middle, in directing and continuing creation and the conquest of evil; at the end, in the complete conquest of the Aggressor, whence is the salvation of all creation, purity, eternal well-being, and bliss.

He whose ground is evil and whose essence is evil is the Destructive Spirit of evil knowledge. The origin of evil is also in the evil religion, that is to say whatever causes harm when it supervenes. The movement of the evil of the evil Destructive Spirit is in Lying Falsehood and the Darkness of Lying Falsehood which are proper to his distinct nature; and Will, Power, Effort, Means, Space, and Time. It is revealed that of the evil-doers in evil deeds, they hold that it is the Dark Falsehood by which they perceive and think evil, Will that by which evil is desired; Power, Striving, Means, Time, and Space that through which evil is practised in the world. The definition of evil is that which essentially does not develop, while its development is from outside: just as death in itself is undesirable and unworthy of praise, and that which is desirable and worthy of praise (to itself) comes from outside, such as illness, disease, old age, poverty, and torment, which are worse than death. The cause of evil in spiritual and material creatures is the origin of all evil, the Destructive Spirit, the Aggressor. The reason for its coming upon the goodness of creation is the Lie's desire of destruction, inherent in an aggressor, for the harm of the creatures of the Bounteous Spirit, and for their defilement by means of evil, the original cause of all injury. Evil is summed up in Excess and Deficiency: and the abortion of evil is Lawlessness. The categories of this abortion are concupiscence, anger, vengeance, envy, deception, guile, avarice, ingratitude, and the other vices that are inherent in the evil essence of the Demon and the Lie. Thence is tyranny over men, heresy, illness, poverty, evil knowledge, damnation in sin, together with all the other injury and confusion of worldly creatures. The promotion of evil consists, in the beginning, in the defilement of creatures; in the middle, in strife and confusion in the contaminated state; at the end, in the wise control of the good Bounteous Spirit and the defeat (of evil) by the power of goodness.

The religion of those sectaries who (favour) one principle is forced to declare that that principle is Bounteous and Destructive, good and evil, praiseworthy and blameworthy.

Z 18 (*b*). From the *Dēnkart* (Madan, p. 567. 10–14).

*gētēh 'pat 'ēn 6 'čiš rāδēnīhēt, 'pat zamān, *gās, dānišn, aδyār 'ut aβzār 'ut tuχšākīh: 'ut dānāk vičīrēnīt 'ku 'hač *'ēn 6 3 mēnōkīk 'ut 3 gētēhīk: zamān, *gās, dānišn mēnōkīk; 'ut aδyār 'ut aβzār 'ut tuχšākīh gētēhīk.*

NOTE

**gās*: The text has *dahišn*, but I am inclined to read *gās* for the reasons stated in Part I, Chapter VII, pp. 213–14.

TRANSLATION

Matter is ruled by these six things, by Time, *Space, wisdom, power, means, and effort. A wise man has explained that of these six three are spiritual and three material. Time, *Space, and wisdom are spiritual; power, means, and effort are material.

Z 19. From the *Dēnkart* (Madan, p. 228. 1–22; Sanjana, v, p. 254). Edition with notes in BSOS. ix, pp. 874, 883, 895.

'apar χrat, kām 'ut kār 'ut 'zamān i Ōhrmazd, — 'hač nikēž i vēh-dēn.

*'ēt Ōhrmazd 'pat harvisp-ākās χrat kāmīk handāčišn brīt 'pat kār zamān kanārak, 'pat zamān kār kanārak: 'hač fratom 'tāk aβdom kanārak matan [i] 'bavēt. kār 'pat spurr-karīh 'apāč 'ō bun āsān, zamān 'pat spurr-kanārak-sačišnīh 'apāč 'ō bun akanārakīh matan, i 'hast fraškart, druž aβsihīk 'ut ristāχēz, tan i pasēn, hām dahišn bōžišnīk 'ut yāvētānīk šētāy. 'ut-aš χrat 'ut kām 'ut kār 'ut zamān avartišnīk, 'hast 'hač fratomīk handāčišn 'apar 'ō 'ān ⟨i aβdom⟩ kām handāčišn sāčišnīk ravāk; 'ut-aš 'andar mātiyān ravākīh i dēn ⟨i⟩ Māzdēsn 'hamist dām 'pat patvandišn i 'ō fraškart, 'apar asāčišnīh i 'har ānāβišnīk, apērtar 'ān i dēn ⟨i⟩ Māzdēsn 'ut dām visistakīh i 'hač fraškart 'bavēh. 'ut 'martōm kām 'ut kār dastaβar dēn ⟨i⟩ Māzdēsn. 'har Ōhrmazdīk fražām sūt, 'kaδ-ič 'pat gētēh 'hač pityārak nikōhišn ziyān-ē 'andar 'hēh: 'bē 'ān dastaβarīh ⟨i⟩ hamāk ganākīk fražām ziyān, 'kaδ-ič 'pat gētēh 'hač pityārak frēβišn sūt humānē 'andar 'hēnd. 'ut 'ōh-ič Ōhrmazd χrat 'ut kām handāčišn hām dahišn sūt *i avartišnīk sačēt.*

'ut kēš-dārān 'kē kām i yazat vartišnīk, 'har 'rōč 'pat dašn-ē(?), 'ut-aš 'saχᵛan patēstīk dōšaχᵛ purr 'hač martōm-ič kartan, kēš, 'ān 'kē-š 'pat yazat 'dārēnd, kām 'pat anōstīh, frašēβ i dāmān, 'saχᵛan 'pat anāk patēst burtārīh, Ganāk Mēnōk mānāk.

TRANSLATION

On the Wisdom, Will, Action, and Time of Ohrmazd—from the Exegesis of the Good Religion.

This that Ohrmazd, by his omniscient Wisdom and the projection of his Will, fashioned a limit for Time through action, and for action through Time. Their course proceeds from the first term to the last. Action, at its fulfilment, returns to its original state of rest: Time, when its full term has elapsed, returns to its source which is the Infinite;—that is the rehabilitation, the defeat of the Lie, the Resurrection and the Final Body, eternal bliss delivering all creation. His Wisdom, Will, Action, and Time are immutable. From the first projection of his Will till the last they are effective and in motion: in particular the forward motion of the Mazdayasnian Religion together with creation proceeds within them till it reaches the rehabilitation, so that every destructive thing is rendered ineffective, especially that which causes the separation of the Mazdayasnian Religion and creation from the rehabilitation. The rule for man's will and action is the Mazdayasnian Religion; and the end of all that is Ohrmazd's, is benefit, even though on earth some harm should accrue to it owing to its vilification by the Adversary. But the end of the rule of all that is destructive is harm, even though on earth the semblance of benefit should accrue to it owing to the wiles of the Adversary. Thus it appears that the Wisdom of Ohrmazd and the projection of his Will are an immutable benefit to the whole of creation.

The religion of those sectaries for whom the will of God is mutable and, every day, has a different character, and for whom the word of God threatens to fill Hell with men (makes) him whom they hold to be God resemble the Destructive Spirit, in that his will is unstable and injurious to his creatures and that his words threaten them with distress.

Z 20. From the *Dēnkart* (Madan, p. 282. 7–283. 17; Sanjana, vi, p. 313). Edition with notes in BSOS. ix, pp. 874, 883, 896.

(1) *'apar 'ān i 'pat gartišn 'apāč 'ō bun, 'ut 'ān i 'pat rastak 'hač bun 'ō 'sar patvand,—'hač nikēž i vēh-dēn.*

(2) *'ēt 'hač vēh-dēn nikēž 'hač 'ān i 'pat gartišn 'apāč 'ō bun patvand, Zamān; 'hač 'ān i 'hač bun 'ō 'sar 'pat patvand, dānākīh. 'ut Zamān *rāδ 'ēt ōγōn nikēžīt 'ku 'hač kār nērōk bun tōhmak i apistākīk* aršnōtačin *'nām, 'pat dātār āβurišn, fratom kār kunišn 'i-š Zamānak kunišn hambatast; 'hač kār kunišn kār fražāmišn 'i-š Zamān ⟨i⟩ brīn kanārak hambatast; Zamān [fražāmišn] ⟨i⟩ brīn kanārak patvand 'apāč 'ō akanārak Zamān i 'hast hamayīkīh χᵛatīh 'ut asačišnīh i 'pat tan i pasēn ⟨i⟩ 'avē χᵛēšīkān. čēγōn dastaβarān Zamān rāδ guft[an] 'ku Zamān 'hač bunīh akanārak 'būt, 'pas 'bē 'ō kanārakō-mandīh niδāt 'ut 'pat 'sarīh 'apāč 'ō akanārakīh *vartēt. 'ut-aš dātastān ⟨i⟩*

Zamān 'hač akanārakīh ⟨i⟩ bunīk 'pat brīn-kanārakīh i kārīk, ravišnīk 'ut sačišnīk 'apāč 'ō akanārakīh i fražāmīk patvast.

(3) *'ut dānākīh rāδ 'ēt ōγōn nikēž 'ku 'pat dātār aβdīh ['hač] dānākīh akanārak-zamānīhā 'pat-iš nērōk, afrāč-*sačišnīh i Ōhrmazd χᵛatīh χᵛēšīk i 'pat Zamān i akanārak 'bavēt, 'ō 'dānastan mat[an]: 'hač 'ān 'bē akām *uzišnīh ⟨i⟩ aβigat 'apar 'ān 'i-š mitōχtīk anhastkarīh i 'ān i 'avē χᵛatīh 'ut χᵛēšīk patvastēt: 'ut 'hač 'ān 'bē patvand frāč *gaštīh i* 'avē χᵛatīh 'ut χᵛēšīk 'pat 'χᵛēs ōstām 'dānastan hambatast. 'ān and 'dānastan apāyast ⟨'pat⟩ 'ul uzišnīh i 'avē dātār 'ō dām dahišnīh. 'ut 'hač 'ān 'ul uzišnīh fratom hačišīk 'ān i anaγr rōšn: 'hač 'ān anaγr [i] rōšn rāstīh mēnōk ['ut 'hač 'ān anaγr rōšn rāstīh mēnōk] 'pat patvand 'hač dānākīh [i] 'pat nērōk aβzōnīkīh [i] 'ō 'dānastan i visp: 'hač 'dānastan i visp tavān i 'pat kartan i visp 'i-š kām: 'hač 'ān 'bē dām dahišnīh 'ut aβigat pat-iš vānītārīh 'ut dām 'apāč 'ō 'χᵛēš kartārīh 'ut yāvētān [aβigatīk] 'andar hamāk šātīh vīnārtārīh i Ōhrmazd. 'ōh-ič hu-īk 'hērān bun, 'vēh bun, 'vēh tōhmak i visp* χuih *nērōk; [*vēhīk] 'vēhīk dahišnān hamāk hač-iš 'hēnd ['avē], 'čē fratom hačišīk 'pat āβurišn 'ut 'čē ['ō] 'ān 'pat patvand čēγōn bām 'hač pērōk, 'ut pērōk 'hač brēh, brēh 'hač rōšnīh ['hač rōšn].*

TRANSLATION

(1) On that which, revolving, returns to its origin and that which is regularly continuous from beginning to end—from the Exegesis of the Good Religion.

(2) This, from the Exegesis of the Good Religion, concerns that which, revolving, returns to its beginning, Time; and that which continues from beginning to end, Wisdom. Of Time thus it is taught. From action *in potentia*, the original seed the Avestan name of which is *aršnōtačin* (semen-flowing) first (arose), through the Creator's creation, the performance of action with which coincided the entry of Time into action. From the performance of action (arose) the completion of action with which coincided the limit of finite Time. The limit of finite Time merges into Infinite Time the essence of which is eternity, and (which means) that at the Final Body what is contingent on it cannot pass away. Even as the religious authorities have said concerning Time: Time was originally infinite; then it became subject to limitation; at the end it returns to the Infinite. The law of Time is (to proceed) from original infinity through limitation involving action, motion, and passage, and finally to return back to ultimate infinity.

(3) Of Wisdom thus it is taught. By the Creator's marvellous power—in infinite Time and through its power wisdom entered (the stage of) knowing (the immutability of Ohrmazd's essence is contingent on Infinite Time). Contingent on this is the rising up of the Aggressor, against the

will (of God), to destroy the essence and properties (of Wisdom) by false speech. Contingent on this was the reapplication of (Wisdom's) essence and properties to the knowing of its own ground. So much knowing was necessary for the Creator to rise up for the creative act. The first result of this rising up was the Endless Light. From the Endless Light is the Spirit of Truth which derives from Wisdom (animated) by the energy of power (and which thus) comes to the knowledge of all. From the knowledge of all is power to do all he wills. Thence creation and the Aggressor's defeat thereby and the return of creation to its proper sphere of action and the eternal rule of Ohrmazd in perfect joy, viz. the origin of good things, the origin of good, the seed of good, the potentiality of all that is good. All good creatures are from him as a first result by creation or by emanation (lit. by connexion with him) as sheen is from shining, shining from brilliance, and brilliance from the light.

Z 21. From the *Dēnkart* (Madan, p. 290. 8–12; Sanjana, vii, p. 322). Edition with notes in BSOS. ix, pp. 875, 884, 897.

'apar 'ān i pēš 'ut 'ān i 'apāk 'ut 'ān i ['apāk] 'pas 'hač dātārīh,—'hač nikēž i vēh-dēn.

'ēt 'ān i pēš 'hač dātārīh ⟨akanārak Zamān⟩, 'apāk 'χᵛat dātār dahišn hambatast kanārakōmand Zamān, 'ān i 'pas 'hač dātārīh dahišn-ič kār i 'tāk fraškart.

TRANSLATION

On that which was before, and that which was with, and that which was after creation—from the Exegesis of the Good Religion.

This that that which was before creation was ⟨Infinite Time⟩: that which coincided with the very act of the Creator's creation was Finite Time: that which was after creation was action (continuing) till the rehabilitation.

Z 22. From the *Dēnkart* (Madan, p. 293. 15–294. 3; Sanjana, vii, p. 326). Edition with notes in BSOS. ix, pp. 875, 885, 897; cf. Menasce, ŠGV., p. 250.

*'apar sahmānōmandīh i dānišn tavān, akanārakīh 'ut kanārakōmandīh-ič i Zamān, 'ut *χᵛatīh i Zamān i akanārak 'ut 'ān i kanārakōmand,—'hač nikēž i vēh-dēn.*

*'ēt čēγōn dānišn 'apar 'hast *'būt ['hast] visp-ič sahmānōmand, 'ut tavān 'har 'andar šāyēt 'būtan, šāyēt 'būt kanārakōmand paytāk, 'ōh-ič sahmānō-*

*mandīh i dānišn i visp-ič, tavān i 'apar-ič visp nikēžāk ⟨i⟩ akanārakīh. 'ōh-ič [i] Zamān dahišnān bun, Ōhrmazd hamayīkīh, 'ut-aš kanārakōmandīh 'būt šāyēt, *'ku dahišn 'andar brīnōmand zamān. 'ut *χᵛatīh i Zamān i akanārak drang i hamayīk i abrīn 'pat 'būt 'bavēt, 'ān i kanārakōmand drang ⟨i⟩ sačišnīk i brīnōmand 'pat 'bavēt 'būt.*

TRANSLATION

On the limited nature of knowledge and the possible, the infinity and limitation of Time and the essence[a] of infinite and finite Time—from the Exegesis of the Good Religion.

This that since knowledge is wholly limited to what is present and past[b] and the potential to the possible, it is clear that the possible (too) is limited. Thus the limitation of omniscience and omnipotence gives an indication of infinity[c]. Thus Time is the source of creation and the eternity of Ohrmazd. Its limitation was necessary, for creation takes place in a definite time. The essence of Infinite Time is eternal duration, undivided into past and future; that of finite time is transient duration, divided into future and past.

NOTES

[a] From the context the reading *χᵛatīh seems certain: χᵛat in philosophical contexts seems to render Greek καθ' αὑτό.

[b] Menasce reads *hast būt bavēt* and translates 'la science porte sur ce qui a été, est, sera, tout cela étant limité'. This can scarcely be right: for the point seems to be that we know only that which is past and present: the future (i.e. that which will come to pass or can come to pass) cannot be actually known since it is still only in potency (*tavān* = δύναμις). *sahmānōmand* is best taken with *dānišn* as *sahmānōmandīh i dānišn* in line 6 shows.

[c] Menasce's 'nous offre une analogie pour la notion d'infinité qui s'applique au temps' does not seem to be a possible rendering, since *akanārakīh* is separated from *zamān* by *'ōh-ič* and cannot therefore be construed with it. *'ōh* means 'thus' and marks the beginning of a new clause.

Z 23. *Šikand Gumānī Vazār*, chapter xvi, §§ 53–111, cf. Salemann's edition (*Ein Bruchstück Manichaeischen Schrifttums*, 1904, St. Petersburg, pp. 20–24), my own BSOS. ix, pp. 876, 886, 898, and that of de Menasce.

(53) *nuñ gōem naχust awar būdan nə̄ šāyastan i hə̄či hastaa θis i akanāraa* (54) *bə̄ ə̄wāž ą̄ i akanāraa χᵛānom θihī u ǰamąn.* (55) *ąča i ō hast añdaruñ pa ǰāmañdī u ǰamąnī hastą θisą kanāraomañd vīnihəṯ.* (56) *īñča ku agaršą yakī u duī awar gōyehəṯ əž ą čuñ yakī bə̄ pa hamāihā farawastaī i θis ainā nə̄ bahōṯ:* (57) *či yak īñ ku nə̄ du:* (58) *du īñ ku bun yak *u ǰudāī i yak əž diṯ.* (59) *i nə̄*

du χᵛānihəṯ (60) *ka yak bə̄ pa hamā farawastaī i yakī nə̄ šnāsihəṯ;* (61) *u duī bə̄ pa ǰudāī i yak yak nə̄ šāyaṯ būdan.* (62) *yak ą i pa yakī yak u ōstyą pa yakī.* (63) *yak u du añdar tuχmaa i čañdī maraomañdī;* (64) *u čañdī u maraomañdī u hamāī u ǰudāī i čuñ mən guft bə̄ kanāraomañdī būdan nə̄ šāyaṯ.* (65) *ōča myąnaa dānašną rōšan.*

(66) *diṯ īñ ku akanāraa ą bahōṯ i pa dānašni nə̄ farawañdihəṯ:* (67) *ka pa hə̄či dānašni farawastan nə̄ šāyaṯ, añdar dānašni i yazaṯ farawastan nə̄ šāyast ačār.* (68) *ą yazaṯ χᵛadī i χᵛə̄š ąča i tār bunyaštaa hamāihā añdar dānašni nə̄ farawañdihəṯ.* (69) *kaš χᵛə̄š χᵛadī añdar χᵛə̄š dānašni nə̄ farawañdihəṯ, ą vīsp-vahə u vīsp-vīn guftan vāhar.* (70) *či vīsp hamāī vazārəṯ.*

(71) *u hamāī hamā kūstaa farawastaī rā hamā χᵛānihəṯ.* (72) *hamā kūstaa farawastaa kanāraomañdī ačār.* (73) *ą yazaṯ ka əž hamā farawastaī i χᵛə̄š āgāh kanāraomañd sažəṯ añgārdan.* (74) *agar akanāraa anāgāh.* (75) *fradim dānašni i dānā ažaš χᵛazīrašnī dānastan i χᵛə̄š χᵛadī u čūnī u čañdī.* (76) *kə ą i χᵛə̄š hamā χᵛadī u čūnī u čañdī anāgāh awariča awarə̄ čūnī u čañdī dānā būṯ guftan vāhar.* (77) *īñča ku čuñ akanāraa afarawastaī rā pa dānašni nə̄ farawañdihəṯ.* (78) *ą īñ kuš hamā χᵛadī dānā ayå hast i adān, hamā rōšan ayå hast i tārīk, hamā ziñdaa ayå hast i murdaa *ažaš anāgāh.*

(79) *diṯ īñ ku rōšanī u ǰą i ə̄dar ayāwom, bahar i əž ham zurvąnī hast ayå nə̄.* (80) *ka bahar i əž χᵛadī i zurvąnī hast, ą ē huzvārąd ku θis kəš bahar ažaš baχtan šāyaṯ baharmañd šāyaṯ būdan.* (81) *baharmañd bə̄ ka haminīdaa añdā nə̄ šāyaṯ:* (82) *u haminīdaa bə̄ əž haminīdār kəš ą haminīdaa haminīṯ, ainā nə̄ vazirəṯ:* (83) *u ka bahar kardaa kanāraomañd vīnihəṯ, bun kəš bahar ažaš ham āinaa kardaa kanāraomañd būdan agumą,* (84) *pa ą či gōeñd ku vīsp bar bahar ō bun guwāī dādār.* (85) *ą ka bahar kardaa kanāraomañd ayāwom, ąča bun bə̄ ka kardaa u əž baharą haminīdaa kanāraomañd ainā būdan nə̄ šāyaṯ.*

(86) *īñča ku akanāraa nə̄ baχšihəṯ:* (87) *či bahar əž hamāī baχšihəṯ,* (88) *u hamāī awar kanāraomañdī guwāī,* (89) *čuñ mən ažawar namūṯ.* (90) *ku hastī čūnī i bun bə̄ əž humānāī u añgōšīdaa i bar ainā nə̄ ayāwom.* (91) *har či pa bar ayāwihəṯ* (92) *pa bun ham āinaa būdan ə̄war.* (93) *ą ka kardaī u kanāraomañdī pa bar ayāwašnī ham əž vazār buniča kəš bar ažaš pa kanāraomañdī agumą.*

(94) *diṯ īñ ku akanāraa ą bahōṯ i aparə̄χt ǰā u avamąn χᵛadī,* (95) *vaš han ǰā nišāmī ažaš parə̄χt nə̄st.* (96) *ą ka du bunyaštaa akanāraa u asāmąn-χᵛadī gōyehəṯ, āsmąną zamyą χāmast tani-kardą, vaχšašną, ǰāną, rōšaną, baγą, amə̄šāspəñdą, vasą hambarašną kəšą ǰaṯ-nąmī əž ǰudāī i yak yak əž ōi diṯ, nə̄ sāmąnmañd šāyaṯ būdan.*

(97) *qš hamā añdar či u ku dāṯ.* (98) *ka du bunyaštą hamə̄šaihā aparə̄χt-ǰā būṯ həñd,* (99) *bə̄ agaršą χᵛadī i akanāraa kanāraomañd kard u ǰā i īñ hamā hastą būdą bahōdą kard būdan čuñ šāyaṯ.*

(100) *agar gōhar i hamā akanāraa kanāraomañd būdan šāyaṯ ą nāstiča būdan šāyastan āwar.* (101) *ą i awar avardišnī i gōhar gōeñd vāhar.*

(102) *īñča ā dānāṯ ku akanāraa ą bahōṯ kəš parəχt i ažaš fradim nā *bāṯ.* (103) *hāči θis ǰaṯ əž ōi ǰudā ažaš būdan nā šāyaṯ.* (104) *bā əž vīmañd i akanāraī nā šnāsihəṯ.* (105) *ayå sturdaihā ą θis i nā dānəṯ ku či hamā gōeṯ u stāžəṯ u saχun awar rāinəṯ kōdagą kōdak-današną padaš vyāwąninəṯ, añdārāh ō či.* (106) *agaraš aχᵛaraidihā īñča gōeṯ kuš χᵛadī akanāraa vaš dānašniča akanāraa pa akanāraa-dānašnī dānəṯ ku akanāraa hast,* (107) *ą vāhar *u dubār vāhar.* (108) *yak īñ ku dānašni awar θis ą i pa dānašni ayāftaa u añdar dānašni farawastaa.* (109) *θisiča bā ą i añdar dānašni hamāihā farawastaa u ayāftaa añdā buñdaa nā šnāsiheṯ.* (110) [*i*] *θis dānašni pa hamā šnāχtan i θis bahōṯ;* (111) *hamā šnāχtan i θis pa hamā *farawastaī i θis añdaruñ dānašni bahōṯ.*

TRANSLATION

(53) Now I shall first discuss the impossibility of any existent thing being infinite except only the Void and Time, which I call infinite. All entities which are within locality and temporality are seen to be finite. Thus if they stipulate unity or duality (it will be found) that unity cannot exist except in an object that is completely self-contained: for the one is that which is not two: and two is that of which the origin is one and the separation of the one part from the second. Though this cannot be called two, for the one is not conceivable except as completely self-contained in its unity; and duality cannot exist except through the separation of the two ones. The one is that which is one in unity and confirmed in unity. Unity and duality are at the source of quantity and numerality. Quantity, numerality, totality, and separability, as I have said, can be nothing but finite. This is clear even to the moderately intelligent.

(66) Again the Infinite is that which cannot be comprehended by the intellect: and since it cannot be comprehended by any intellect, it follows that it cannot be comprehended by the intellect of God. Thus to the intellect God, his own essence and that of the Dark Principle, as wholes, are incomprehensible. Since his own essence is not comprehensible even to his own intellect, to call him all-good and all-seeing is false. How should one explain a complete totality?

(71) A totality, because it is encompassed on all sides, is called total. That which is encompassed on all sides, is necessarily finite. A God who is aware that he is encompassed on all sides, must be considered finite. If he were infinite, he would be unaware of it. The first knowledge of an intelligent being is precisely to know his own essence, quality, and quantity. To assert that one who is unaware of all his essence, quality, and quantity, should be cognizant of the quality and quantity of others, is false. Thus the Infinite not being encompassed in any way cannot be comprehended by the intellect. It follows that it is not aware whether its whole essence is wise or ignorant, light or dark, alive or dead.

(79) Again (we must consider) whether the light and the living soul, which we receive on this earth, receive a part (lot) from that same Zurvānic substance or not. If it does receive such a part from the essence of Zurvān, then let them note that a thing from which a part can be divided must itself be composed of parts. What is composed of parts cannot but be joined together: and what is joined together is only distinguishable in so far as it is joined together by a joiner. And since the part is obviously made and finite, so also the source from which the part is derived must undoubtedly be made and finite, in accordance with the argument that has been put forward that every result and part bears witness of its source. So, since we find the part to be made and limited, it cannot be that the source is other than made and composed of parts and finite.

(86) Further the Infinite is not susceptible of division: for the part is divided from the whole, and totality implies limitation, as I have demonstrated above. For I cannot conceive of the existence and quality of the source except by comparison and analogy with the result. Whatever is perceptible in the result must certainly, in like manner, apply to the source. Since it is to be perceived in the result that it is made and finite, it may without doubt be deduced that the source from which the result derives is also finite.

(94) Again the Infinite is that which is uncircumscribed in Space and boundless in essence; and there is no other place or abode that is devoid of it. Now if it is said that the two Principles are infinite and boundless in essence, then boundless too are the heavens and earths together with corporeal and growing things, souls, lights, gods, Amahraspands, and the numerous complex entities which are variously named because they differ from one another: they cannot be bounded. Then in what and where were all these things created? If the two Principles were always uncircumscribed in Space, how is that possible unless their infinite essence was made finite and the place of all things that are and were and shall be? If an all-infinite substance can become finite, it is certainly possible that it may also become non-existent. What they say about the immutability of substance is untrue.

(102) Now you must know that the Infinite is that without which nothing from the first is. Nothing can exist without it or separate from it. But in so far as it is infinite, it cannot be understood. So what, pray, is the point

of obstinately discussing a thing which one does not know, of disputing and bandying words, and so deceiving the immature and those of immature intelligence? If one stupidly(?) asserts that its essence is infinite and that its intellect is infinite, and that with its infinite intellect it knows that it is infinite, that is false and doubly false. For one thing intellect can only be predicated of a thing which is within the scope of the intellect and comprehensible to the intellect. Nothing can be perfectly understood except that which is completely comprehensible to the intellect and within its scope. Knowledge of a thing is only attained by complete understanding of it; and the complete understanding of a thing is obtained by the complete comprehension of it in the intellect.

Z 24 (*a*). The twenty-eighth chapter of the *Mēnōk i Xrat*: Anklesaria, pp. 94–95; Sanjana, p. 48; Pāzand, West, p. 33. Nyberg's transliterated text and translation, CCM. 1929, pp. 202–3.

(1) *pursīt dānāk 'ō mēnōk i χrat 'ku 'kē niχšaδišnīktar, 'kē 'pat-nērōk-tar, 'kē tēžtar, 'kē šāttar, 'kē dušrāmišntar, ('kē anōmēttar)?*

(2) *mēnōk i χrat passaχ^v kart 'ku Ōhrmazd i χ^vatāy niχšaδišn⟨īk⟩tar ('kē) 9000 'sāl anākīh 'pat dāmān i 'χ^vēš 'hač Ahriman 'dīt, 'pas-ič 'bē 'pat 'dātastān 'ut niχšaδišnīh *ēnyā 'nē 'zanēt.* (3) *'ut spihr 'pat-nērōk-tar:* (4) *'ut vīr i 'martōmān tēžtar:* (5) *'ut ruvān i ahrovān šāttar:* (6) *'ut 'ān i druvandān dušrāmišntar ('ut anōmēttar).*

niχšaδišnīk: for the reading of this word v. BSOS. ix, p. 107.

TRANSLATION

(1) The wise man asked the Spirit of Wisdom (and said), 'Who is the most patient; who is the most powerful; who is the most sharp; who is the most joyful; who is the most miserable; who is the most hopeless?'

(2) The Spirit of Wisdom answered (and said), 'Ohrmazd, the Lord, is the most patient; for for nine thousand years he sees Ahriman (inflict) misery on his own creatures, yet he does not smite him except with justice and patiently: (3) and the firmament is the most powerful: (4) and the intelligence of men is the most sharp: (5) and the soul of the blessed is the most joyful: (6) and that of the damned is the most miserable and the most hopeless.'

Z 24 (*b*). From the *Aβyātkār iVazurg-miθr* (*Pahlavī Texts*, p. 95).

(129–30) *'kē pātaχšāytar? spihr i gēhān-baχtār.*
(131–2) *'kē rāsttar? zamān i brīn.*
(133–4) *'kē aβdtar? 'ān 'kē zamān apērtar mat 'ēstēt.*
(135–6) *'kē vičītārtar? dānāk i 'vas-uzmāyišn.*

TRANSLATION

(129–30) Who is the most kingly? The firmament which makes distribution to the world.
(131–2) Who is the most just? Finite Time (*or*, Decisive Time).
(133–4) Who is the most marvellous? He to whom Time comes most.
(135–6) Who is the most discriminating? The wise man who has much experience.

Z 25 (*a*). *Yavišt i Friyān*, 2. 37–40 (Haug and West, *The Book of Arda Viraf*, p. 217).

(37) *haftom frašn 'ēn pursīt, 'ku 'čē 'ān 'čiš i martōmān 'pat nihān 'kāmēnd kartan, 'ut-šān nihān kartan 'nē šāyēnd?*

(38) *Yavišt i Friyān guft 'ku zīvandakān 'pat škōh 'bāš, mar i druvand sāstār, 'ut 'murtakān 'ō dōšaχ^v ōpat;* (39) *'čē 'ān Zruvān 'hast 'kē 'kas nihān kartan 'nē tavān;* (40) *'čē Zruvān χ^vat paytāk 'bavēt.*

TRANSLATION

(37) The seventh question he asked was this, 'What is that thing which men would fain conceal, and which they cannot conceal?'

(38) Yavišt i Friyān said, 'Mayst thou in life be in misery, thou accursed villain and heretic, and mayst thou in death fall to hell; (39) for that is Zurvān whom no one can conceal; (40) for Zurvān reveals himself of his own accord.'

Z 25 (*b*). *Pahlavī Texts*, p. 40, ll. 13 ff.

*dānākīh rāδ tāk 'nēst. riškīh rāδ 'nām 'nēst. gētēh rāδ 'pāyišn 'nēst. *yuvānīh rāδ nāzišn 'nēst. χ^vāstak rāδ buržišn 'nēst. zīvandakīh rāδ rāmišn 'nēst. Zarvān rāδ dārōk 'nēst. margīh rāδ čārak 'nēst. 'zanān rāδ χrat 'nēst. χ^vatāy rāδ hambāz 'nēst. 'ut 'hač 'ēn hamāk 'avē 'vattar 'kē 'bē 'mīrēt, χ^vatāy 'hač 'avē hušnūt 'nēst. 'ut 'har 'kē χ^vatāy 'hač 'avē hušnūt 'nēst, 'avē rāδ 'andar vahišt ⟨i⟩ bāmīk gyāk 'nēst.*

TRANSLATION

Of wisdom there is no equal. For envy there is no name. For the world there is no enduring. In youth there is no enjoyment. In wealth there is no honour. In life there is no pleasure. For Zurvān there is no remedy. From death there is no escape. In women there is no wisdom. Of a ruler there is no peer. Of all these he is the worst who dies and leaves his ruler displeased. Whosoever leaves his ruler displeased, will have no place in the bright heaven.

Z 26 (*a*). *Aβyātkār i Žāmāspīk* (Messina), 14. 16–17.

Pārsī text	Pahlavī reconstruction
avdān ēn če gōyam ke marg kaš avāz na gīrēd u zamān na dādēt če Gayōmard būd Ōrmazd dād kaš zamān mad Ahrīman pa mar u činīd u dadīgar yak yak χudāyān bēš būda hand kaš ānzamān frāz mad čiš az kardan na tavān pa nāmčišt Tahmōrap kaš sī sāl Ahrīman ba bār dāšt u če kaš χvēš frāz mad χvēštan az χōš avā dāšt na tavān.	(16) *ut-tān ēn-ič gōβam ku marg kas apāč nē kunēt ut zamān nē dārēt. čē Gayōmart būt Ōhrmazd-dāt; kaδ-aš zamān mat, Ahriman bē marnǰēnīt.* (17) *ut ditīkar ēvak ēvak χᵛatāyān i pēš būt hēnd, kaδ-šān zamān frāč mat, čiš-ič kartan nē tavān, pat nāmčišt Tahmōrap kē-š sīh sāl Ahriman pat bārak dāšt. čē kaδ-aš χᵛēš ⟨zamān⟩ frāč mat, χᵛēš-tan hač ōš apāč dāšt nē tavān.*

TRANSLATION

(16) This too do I say unto thee—No one can drive back death or hold back Time. For Gayōmart was created by Ohrmazd; but when his time was come Ahriman destroyed him. (17) And again every one of the rulers who lived in former times could do nothing when Time came upon them —and especially Tahmōrap who rode Ahriman as his charger for thirty years; for when his time came, he could not preserve himself from death.

Z 26 (*b*). *Pahlavī Texts*, p. 76, §§ 23–24.

(23) *'kē zamān handōχt*[a] *čašm, 'ān [i] *'pušt 'graft i 'nē āχēzēt, 'dil 'ān dart 'āyēt i 'nē čandēnīt, 'dast 'ān [i] škast i 'nē rōδēt, 'ut 'pāδ 'ān škast ⟨i⟩ 'nē 'ravēt.* (24)* *star mat, yut bār 'nē 'šavēt: baχt mat, spōχtan 'nē šāyēt.*

[a] For *handōχt* in the sense of *dōχt* v. Part I, p. 241.

TRANSLATION

(23) As to him whose eye Time has sewn up, his back is seized upon and will never rise again; pain comes upon his heart so that it beats no more; his hand is broken so that it grows no more, and his foot is broken so that it walks no more. (24) The stars came upon him, and he goes not out another time: fate came upon him, and he cannot drive it off.

Z 27. The twenty-seventh chapter of the *Mēnōk i Xrat*, §§ 4–7 (Anklesaria), §§ 8–13 (Sanjana). Anklesaria, pp. 85–86; Sanjana, p. 44; Pāzand, West, p. 30. Nyberg's transliteration and translation, CCM. 1929, pp. 200 f.

(4) *mēnōk i χrat passaχᵛ kart 'ku 'ān i 'avēšān rāδ 'pat nēvakīh ayāp 'pat 'vattarīh pursēh, ākās 'bāš 'ut 'bē 'dān;* (5) *'čē kār i gēhān hamōγēn 'pat brēh 'ut zamānak 'ut vičīr i brīn 'ravēt i 'χᵛat 'hast Zurvān i pātaχšāy 'ut dērang-χᵛatāy;* (6) *čēγōn 'andar ōβām ōβām 'ō 'har 'kē rāδ 'baχt 'ēstēt [čēγōn] 'ān i apāyēt matan, 'apar 'rasēt:* (7) *čēγōn 'hač-ič ham-patvand i 'avēšān pēšēnīkān i vitartak paytāk, 'ku aβdom 'ān nēvakīh i 'hač 'avēšān 'ō dāmān i Ōhrmazd apāyast matan, 'bē mat.*

TRANSLATION

(4) The Spirit of Wisdom made answer (and said), 'Regarding that which thou dost ask concerning the good and evil which they have brought, understand and know (5) that the whole world proceeds in accordance with the decree and the (decisive) moment and the fixed decision which are indeed Zurvān, the King and Lord of the long Dominion. (6) For in succeeding times what is fated to happen happens to whomsoever it has been fated. (7) For of the lineage of those ancient heroes who have passed away it is revealed that the benefits which were fated to come to the creatures of Ohrmazd from them came (to them) in the end.'

Z 28 (*a*). The twelfth chapter of the *Mēnōk i Xrat*: Anklesaria, pp. 51–53; Sanjana, pp. 26–27; West, Pāzand, pp. 19–20: transliterated text and translation in Nyberg, CCM. 1929, pp. 202–5.

(1) *pursīt dānāk 'ō mēnōk i χrat 'ku 'čē rāδ 'kaδ 'hēr i mēnōk ētōn rāst, 'ut 'ān i gētēh ētōn drōβ 'baχt 'ēstēt?*

(2) *mēnōk i χrat passaχᵛ kart 'ku 'hēr i gētēh 'pat bun-dahišnīh ētōn rāst 'baχt 'ēstēt čēγōn 'ān i mēnōk;* (3) *'ut dātār Ōhrmazd hamōγēn nēvakīh i 'pat 'ēn dām 'ut dahišn 'ō bun i Miθr 'ut Māh 'ut 'avēšān 12 aχtar i 'hač dēn 12 spāhpat guft 'ēstēt, kart; 'ut 'avēšān-ič rāstīhā 'ut sačākīhā 'baχtan rāδ 'hač Ōhrmazd 'patiγraft.* (4) *'ut 'pas Ahriman 'ān 7 apāχtar čēγōn 7 spāhpat i Ahriman guft 'ēstēt, *višūt 'pat** (text *'pat višūtan*) *'bē 'statan i 'ān nēvakīh 'hač dāmān i Ōhrmazd; 'pat pityārakīh i Miθr 'ut Māh 'ut 'avēšān 12 aχtarān 'dāt.* (5) *'ut 'har nēvakīh i 'avēšān aχtarān 'pat dāmān i Ōhrmazd 'baχšēnd, 'avēšān apāχtarān, čand-šān tavān *'bavēt, hač-iš 'apparēnd, 'ut 'bē 'ō nērōk ⟨i⟩ 'dēvān 'ut družān 'ut 'vattarān 'dahēnd.* (6) *'ut 'hēr i mēnōk 'ēt rāδ ētōn rāst 'čē Ōhrmazd i χᵛatāy 'apāk harvisp yazdān 'ut amahraspandān apityārak 'hēnd, 'ut kōšišn i 'apāk Ahriman 'ut 'dēvān 'ut āmār-ič i ruvān i martōmān 'pat rāstīh 'kunēnd;* (7) *'ut 'kē-š kirpak vēš, gās 'pat vahišt, 'ut 'kē-š kirpak 'ut vinās aγnēn rāst, gās 'pat hamēstakān, 'ut 'kaδ bazak vēš, 'aδak-aš rās 'ō dōšaχᵛ.*

NOTE

(4) *višūt*: only attested in the sense of 'give birth to' (of demonic beings). Nyberg translates differently, but unnecessarily.

TRANSLATION

(1) The wise man asked the Spirit of Wisdom, 'Why are the things of the spirit dispensed so justly, and those of the material world so unjustly?'

(2) The Spirit of Wisdom made answer (and said), 'The things of the material world at the original creation were dispensed quite as justly as those of the spirit; (3) and the Creator Ohrmazd entrusted all the good things which are in this creation to Mihr and the Moon and the twelve Signs of the Zodiac which are called by the Religion the twelve commanders; and in order to distribute them justly and befittingly, they received them from Ohrmazd. (4) Then Ahriman gave birth to the seven planets which are called the seven commanders of Ahriman, to take away the good things from the creatures of Ohrmazd: he created them in opposition to Mihr and the Moon and the twelve Signs of the Zodiac. (5) And all the good things that the constellations bestow on the creatures of Ohrmazd are taken away by the planets so far as is in their power; and they give them to the demons and lies and evil men to strengthen them. (6) But the things of the spirit are so just because Ohrmazd, the Lord, as well as the gods and the Amahraspands, are free from opposition: they struggle against Ahriman and the demons, and judge the souls of men in accordance with justice. (7) The place of him who has more virtue (than vice) is in heaven; and

the place of him whose virtue and vice are equal is in "the place of the mixed"; and the path of him who has more vice (than virtue) (leads) to hell.'

Z 28 (*b*). The thirty-eighth chapter of the *Mēnōk i Xrat*: Anklesaria, pp. 111–12; Sanjana, pp. 56–57; Pāzand, West, p. 39.

(1) *pursīt dānāk 'ō mēnōk i χrat 'ku 'čē rāδ, 'kaδ nēvakīh i gētēh 'nē 'pat aržānīkīh 'baχšēnd 'ut ruvān 'pat mēnōkān 'pat kunišn aržānīkīh graftār 'kunēnd?*

(2) *mēnōk i χrat passaχᵛ kart 'ku χᵛāβarīh i Ōhrmazd i χᵛatāy 'apar dāmān rāδ, ham 'pat 'vēhān 'ut ham 'pat 'vattarān hamāk nēvakīh 'baχšēt; 'bē 'kaδ-šān 'nē hamvārak 'apar 'rasēt, stahmakīh i Ahriman 'ut 'dēvān 'ut 'appurišn i 'ān 7 apāχtar rāδ.* (3) *'pat mēnōkān 'ēt rāδ (ruvān) 'pat kunišn aržānīkīh graftār 'kunēnd 'čē ('har) 'kas druvandīh 'pat kunišn i 'χᵛēš kart 'bavēt.*

TRANSLATION

(1) The wise man asked the Spirit of Wisdom, 'Why is it that the good things of this world are not distributed according to desert, but the soul in the spiritual world is made to receive its deserts in accordance with its deeds?'

(2) The Spirit of Wisdom made answer (and said), 'In his kindly care for his creatures Ohrmazd, the Lord, distributes all good things to both good and bad; but when they do not arrive equally, it is due to the violence of Ahriman and the demons and the theft of them by the seven planets. (3) The soul in the spiritual world is made to receive its deserts in accordance with its deeds because every person is damned (only) on account of the deeds which he himself has performed.'

Z 29. The forty-seventh chapter of the *Mēnōk i Xrat*: Anklesaria, p. 132; Sanjana, pp. 67–68; West, p. 46 (Pāzand). Transliteration and translation will be found in Widengren, *Hochgottglaube*, p. 199.

(1) *pursīt dānāk 'ō mēnōk i χrat 'ku 'čē 'ān 'čiš i 'hač 'har χᵛāstak pahlomtom;* (2) *'ut 'čē 'ān i 'apar 'har 'čiš pātaχšāy;* (3) *'ut 'čē 'ān i 'kas hač-iš 'virēχtan 'nē tavān?*

(4) *mēnōk i χrat passaχᵛ kart 'ku χrat 'hast i 'vēh 'hač hamōγēn χᵛāstak i 'pat gēhān;* (5) *'ut baχt 'hast i 'apar 'har 'kas 'ut 'har 'čiš pātuχšāy;* (6) *'ut Vāy i 'vattar ('hast) 'kē 'kas hač-iš 'virēχtan 'nē tavān.*

TRANSLATION

(1) The wise man asked the Spirit of Wisdom, 'What is that which is the most excellent of all riches; (2) and what is that which is lord over all things; (3) and what is that from which no one can escape?'

(4) The Spirit of Wisdom made answer (and said): 'Wisdom it is which is better than all the riches on the world; (5) and fate it is which is lord over all persons and things; (6) and the evil Vāy it is from whom no one can escape.'

Z 30. The twenty-second chapter of the *Mēnōk i Xrat*: Anklesaria, pp. 78–79; Sanjana, p. 40; Pāzand, West, p. 28. Transliteration and translation by Nyberg, CCM. 1929, p. 204, and Tavadia, ZII. viii, p. 129.

(1) *pursīt dānāk 'ō mēnōk i χrat 'ku 'pat tuχšākīh 'hēr 'ut χᵛāstak i gētēh 'ō 'χᵛēš šāyēt kartan ayāp 'nē?*

(2) *mēnōk i χrat passaχᵛ kart 'ku 'pat tuχšākīh 'ān nēvakīh i 'nē brēhēnīt 'ēstēt 'ō 'χᵛēš kartan 'nē šāyēt; 'bē 'ān i brēhēnīt 'ēstēt, tuχšākīh rāδ 'has 'bē 'rasēt.* (3) *'bē tuχšākīh 'kaδ-aš zamān 'nē 'apāk, 'pat gētēh apē-bar, 'bē 'pas-ič 'pat mēnōk 'ō frahāt 'rasēt, 'ut 'pat tarāzūk aβzāyēt.*

TRANSLATION

(1) The wise man asked the Spirit of Wisdom, 'Can one appropriate worldly wealth and riches by one's effort or not?'

(2) The Spirit of Wisdom made answer (and said), 'One cannot appropriate by effort such good things as have not been fated; but such as have been fated always come when an effort is made. (3) But effort, if it is not favoured by Time, is fruitless on earth, but later, in the spiritual world, it comes to our aid and increases in the balance.'

Z 31 (*a*). The twenty-third chapter of the *Mēnōk i Xrat*: Anklesaria, pp. 79–80; Sanjana, p. 41; West, p. 28. Transliteration and translation in Nyberg, CCM. 1929, pp. 204–5.

(1) *pursīt dānāk 'ō mēnōk i χrat 'ku 'pat χrat 'ut dānākīh 'apāk brēh kōχšītan šāyēt ayāp 'nē?*

(2) *mēnōk i χrat passaχᵛ kart 'ku 'apāk-ič takīkīh 'ut zōrōmandīh i χrat 'ut dānākīh 'pas-ič 'apāk brēh kōχšītan 'nē šāyēt:* (3) *'čē 'kaδ brēhēnišn 'pat nēvakīh ayāp 'pat yuttarīh frāč 'rasēt, dānāk 'pat kār viyāβān 'bavēt 'ut dušākās (pat) kār ākās (bavēt), 'ut vat-dil dilītar (bavēt), 'ut dilītar vat-dil (bavēt), 'ut tuχšāk ašgahān (bavēt ut ašgahān) tuχšāk 'bavēt:* (4) *ētōn čēγōn 'pat 'ān 'čiš i brēhēnīt 'ēstēt, bihānak pat-iš 'andar 'āyēt, 'ut apārīk 'har 'čiš 'bē spōžēt.*

TRANSLATION

(1) The wise man asked the Spirit of Wisdom, 'Is it possible to strive against fate with wisdom and knowledge or not?'

(2) The Spirit of Wisdom made answer (and said), 'Though (one be armed) with the valour and strength of wisdom and knowledge, yet it is not possible to strive against fate. (3) For once a thing is fated and comes true, whether for good or the reverse, the wise man goes astray in his work, and the man of wrong knowledge becomes clever in his work; the coward becomes brave, and the brave cowardly; the energetic man becomes a sluggard, and the sluggard energetic: (4) For, for everything that has been fated a fit occasion arises which sweeps away all other things.'

Z 31 (*b*). The fifty-first chapter of the *Mēnōk i Xrat*: Anklesaria, pp. 139–40; Sanjana, pp. 71–72; West, p. 48.

(1) *pursīt dānāk 'ō mēnōk i χrat 'ku 'čē rāδ 'kaδ ašgahān 'ut dušākās 'ut 'vat 'mart 'hast i 'kaδ 'ō buržišn 'ut nēvakīh i vazurg 'rasēt, 'ut 'avē i šāyandak 'ut dānāk 'ut 'vēh 'mart 'hast i 'kaδ 'ō garān anākīh 'ut škaftīh 'ut niyāzōmandīh 'rasēt?*

(2) *mēnōk i χrat passaχᵛ kart 'ku 'avē i ašgahān 'ut dušākās 'ut 'vat 'mart, 'kaδ-aš brēh aδyār 'bavēt, 'aδak-aš 'ān ašgahānīh 'ō tuχšākīh (humānāk), 'ut 'ān dušākāsīh 'ō dānākīh (humānāk), 'ut 'ān 'vattarīh 'ō 'vēhīh humānāk 'bavēt:* (3) *'ut 'avē i dānāk 'ut šāyandak 'ut 'vēh 'mart, 'kaδ-aš brēh hamēmāl, 'aδak-aš 'ān dānākīh 'ō adānākīh 'ut halakīh, 'ut 'ān šāyandakīh 'ō dušākāsīh vartēt, 'ut dānišn 'ut hunar 'ut šāyandakīh armēšt paytāk 'bavēt.*

TRANSLATION

(1) The wise man asked the Spirit of Wisdom, 'Why is it that the slothful, wrong-minded, and evil man sometimes achieves great honour and prosperity, and that the decent, wise, and good man sometimes is the victim of grievous misfortune, violence, and want?'

(2) The Spirit of Wisdom made answer (and said), 'When fate helps a slothful, wrong-minded, and evil man, his sloth becomes like energy, and his wrong-mindedness like wisdom, and his evil like good: (3) and when fate opposes the wise, decent, and good man, his wisdom is turned to un-

wisdom and foolishness, his decency to wrong-mindedness; and his knowledge, manliness, and decency appear of no account.'

Z 32. The twenty-fourth chapter of the *Mēnōk i Xrat*: Anklesaria, pp. 81–82; Sanjana, pp. 41–42; West, p. 29. Transliteration and translation in Nyberg, CCM. 1929, pp. 206–7.

(1) *pursīt dānāk 'ō mēnōk i χrat 'ku ayāft-χᵛāstārīh 'ut kirpak-varzītārīh 'ut aržānīkīh rāδ yazdān 'ō 'martōmān 'dit-ič 'čiš 'baχšēnd ayāp 'nē?*

(2) *mēnōk i χrat passaχᵛ kart 'ku 'baχšēnd,* (3) *'čē ētōn čēγōn 'gōβēnd 'ku baχt 'ut bayō(k)-baχt.* (4) *'aδak baχt 'ān 'bavēt i 'hač fratomīh 'baχt 'ēstēt, 'ut bayō(k)-baχt 'ān i 'dit-ič 'baχšēnd.* (5) *'bē yazdān 'ān 'baχšišn 'ēt rāδ kem 'kunēnd 'ut 'pat mēnōk (kem) paytāk⟨ēn⟩ēnd 'čē Ahriman-ič i druvand 'pat 'ān bihānak 'pat nērōk i 7 apāχtar χᵛāstak 'ut apārīk-ič 'har nēvakīh i gētēh 'hač 'vēhān 'ut aržānīkān 'appurēt 'ut 'ō 'vattarān 'ut anaržānīkān apērtar 'baχšēt.*

TRANSLATION

(1) The wise man asked the Spirit of Wisdom, 'Do the gods make a second dispensation to men because they have amassed wealth and practised virtue and are worthy, or do they not?'

(2) The Spirit of Wisdom made answer (and said), (3) 'They do: for it is just as they say, "fate and the divine fate". (4) Fate is that which is fated in the beginning, and divine fate is that which they determine afterwards. (5) But the gods use this kind of dispensation rarely and manifest it rarely in the spiritual world because the accursed Ahriman makes this a pretext to rob the good and worthy of wealth and all other material prosperity through the power of the seven planets, and to bestow it chiefly on the evil and unworthy.'

Z 33 (*a*). From the *Aβyātkār i Vazurg-miθr*, §§ 105–9: *Pahlavī Texts*, p. 94. Transliterated text and translation by Tavadia in ZII. viii, p. 126.

'čiš i 'ō martōmān 'rasēt, 'pat baχt 'bavēt ayāp 'pat kunišn? baχt 'ut kunišn aγnēn ōγōn humānāk 'hēnd čēγōn tan 'ut ǰān: 'čē tan yut 'hač ǰān kālput-ē 'hast i akār, 'ut ǰān yut 'hač tan vāt-ē 'hast i agraftār; 'ut 'kaδ aγnēn gumēχt 'ēstēt, ōžōmand 'ut 'vazurg sūtōmand.

'čē baχt 'ut 'čē kunišn? baχt-ič čim, kunišn vihānak ⟨i⟩ 'čiš i 'ō martōmān 'rasēt.

TRANSLATION

Do the things that happen to man happen through fate or through action? Fate and action together are like body and breath-soul. For the body without the breath-soul is a useless carcase, and the breath-soul without the body an impalpable wind. But when they are fused together, they are powerful and exceedingly beneficial.

What is fate and what is action? Fate is the cause and action the occasion for the things that happen to man.

Z 33 (*b*). From the *Epistle of Tansar*, p. 45 in the edition of Minovi (Teheran, 1932): v. also the *editio princeps* of Darmesteter (JA. 1894, p. 247) and his translation (ibid., p. 553). The so-called *Epistle of Tansar* survives only in a modern Persian translation of Ibn Muqaffa''s Arabic version of the Pahlavī original. The latter dates from the reign of Xusrau I (A.D. 531–78): v. Markwart, *Ērānšahr*, pp. 30, 48; Christensen, *L'Empire des Sassanides*, pp. 111 ff.: id., *L'Iran sous les Sassanides*, pp. 58 ff. For our modern Persian texts it has been considered sufficient to give the translation only, since there is not, as in Pahlavī, any ambiguity of reading and rarely any of interpretation: moreover the texts themselves are readily accessible.

Know for certain that whosoever neglects to make efforts and puts his trust in fate and destiny makes himself contemptible; and whosoever continually exerts himself and makes efforts and denies fate and destiny is a fool and puffed up with pride. The wise man must find the mean between effort and fate, and not be content with one of them. For fate and effort are like two bales of a traveller's baggage on the back of a mule. If one of them is heavier and the other lighter, the load falls to the ground, and the back of the mule is broken, and the traveller suffers embarrassment and does not reach his destination. But if both bales are equal, the traveller does not need to worry, the mule is comfortable, and both arrive at their destination.

Z 34 (*a*). Gloss to the *Pahlavī Vidēvdāt* 5. 9, ed. Jamasp, Bombay, 1907, pp. 152–3. Transliteration and translation by Tavadia, ZII. viii, p. 127.

gētēh 'pat baχt, mēnōk 'pat kunišn. 'hast 'kē ētōn 'gōβēt, 'zan 'ut frazand 'ut χᵛāstak 'ut χᵛatāyīh 'ut zīvandakīh 'pat baχt, apārīk 'pat kunišn. 'mart i 'ān

nēvakīh 'i-š 'nē brēhēnīt 'ēstēt, aš hakarč 'apar 'nē 'rasēt, 'hač 'ān gyāk paytāk: gairi masō aŋhō aetahē.[a] *'ān 'i-š 'apar brēhēnīt 'ēstēt, aš 'pat tuχšākīh 'pēš 'bē 'rasēt: anyō arədva zəñgō χ^{v}arənō:*[a] *'ut-aš 'pat vināskārh 'bavēt 'kaδ-aš appār 'bavēt: āaṯ χ^{v}arənō frapiryeiti.*[a] *'ut-aš anākīh ⟨i⟩ brēhēnīt 'ēstēt, 'pat frārōn tuχšākīh spōχtan tavān: pouru-χ^{v}arənaŋhō ašava zaraθuštra.*[a] *'ut-aš 'pat vināskārīh nōk nōk ov-iš 'ō brēhēnīt: aešąmča naraṃ.*[a]

[a] Avestan written in the Avestan character.

TRANSLATION

Material things are through fate, spiritual through action.[a] Some say that wife, child, riches, sovereignty, and life are through fate, and the rest through action.[b] A man can never attain to such good things as have not been allotted (fated) to him; that is plain from the passage: 'His house(?) is the size of a mountain.' What has been allotted to him can be obtained earlier if he makes efforts: . . . .[c] And it is for his sins if it is taken away from him: 'Then his fortune is forfeit.' The evil that is allotted to him can be averted by righteous effort: 'Those who have great fortune, righteous Zaraθuštra'. But if they sin, they are allotted to them again and again: 'Of those men.'

NOTES

[a] Cf. the following text; also Vd. 5. 8, gloss: *gētēh 'pat baχt, mēnōk 'pat ruvān*—'the material world (is ruled) by fate, the spiritual by the soul'. If I understand the passage aright, exactly the opposite point of view seems to be expressed in DkM. 417. 3: *baχt 'apar 'ān i 'hač mēnōkān, kunišn 'apar [i] 'ān i 'hač gētēhān.*—'Fate controls that which is from the spiritual beings, and action controls that which is from the material.'

[b] Cf. texts Z 35 (*a*), (*b*), and (*c*).

[c] The Avestan words *anyō arədva zəñgō χ^{v}arənō* are meaningless. Tavadia, l.c., accepted Bartholomae's *ərədvō-zəñgō* for *arədva zəñgō*, and translated 'active (having erect legs)'. See further Bailey, *Zoroastrian Problems*, p. 34.

Z 34 (*b*). From the *Dēnkart* (Madan, p. 284. 13–20).

'ēt gētēh rāδēnišn apērtar 'pat brēh, 'ut mēnōk rāδēnišn apērtar 'pat kunišn. 'hač 'ēt martōm mēnōk bōžišn mātakvarīhā 'pat 'χ^{v}ēš tuχšišn 'χ^{v}āst: 'ān i 'kaδ χ^{v}āδēt, pat-iš tuχšēt, ēvarīk ayāpēt. gētēh mātiyān 'pat yazdān frāč 'hištan 'ān i yazdān 'apar gētēh χ^{v}āδišn. 'čē ruvān-vizāyišnīk [i] pahrēč: 'pat 'ān i ruvān-sāčišnīk tuχšāk martōm gētēh-ič 'hēr, čēγōn pat-iš sūtēmandtar, handāχt;—'hač vēh-dēn nikēž pōryōtkēšān čāštak.

TRANSLATION

This that the material world is controlled mainly by fate, and the spiritual world is controlled mainly by action. Hence the spiritual salvation of man must be sought principally by his own efforts: that is, when he desires (something) and makes an effort (to get it), he will certainly get it. The important thing in the material world is to leave what the gods will with regard to the material world to the gods. For abstention (from action) is injurious to the soul; (yet) to the man who cultivates the soul and makes an effort (on its behalf) material riches are added, for they are very useful to him—from the Exegesis of the Good Religion, the doctrine of the ancient sages.

Z 35 (*a*). From the *Dēnkart*, Madan, p. 568. 3–12.

*'gōβēnd 'ku hufravart Āturpāt i Mahraspandān 'hēr i gētēh 'pat 25 'dar *'dāt, 5 'pat brēh, 'ut 5 'pat kunišn, 'ut 5 'pat hōk, 'ut 5 'pat gōhr 'ut 5 'pat aparmānd. zīvandakīh 'ut 'zan 'ut frazand 'ut χ^{v}atāyīh 'ut χ^{v}āstak apērtar 'pat brēh. ahrovīh 'ut druvandīh, āsrōnīh 'ut artēštārīh 'ut vāstryōšīh apērtar 'pat kunišn. 'χ^{v}artan 'ut raftan 'ut 'ō 'zanān 'šutan 'ut būšāsp kartan 'ut kār vičārtan apērtar 'pat hōk. χēm 'ut miθr 'ut 'vēhīh ⟨'ut⟩ rātīh 'ut rāstīh apērtar 'pat gōhr. ōš 'ut vīr 'ut tan 'ut brēh 'ut dītan apērtar 'pat aparmānd.*

TRANSLATION

They say that Āδurbāδ, son of Mahraspand, divided the things of this world into twenty-five parts: five (he assigned) to fate, five to action, five to nature, five to character, and five to heredity. Life, wife, children, sovereignty, and riches are chiefly through fate. Salvation and damnation and the membership of the castes of priests, warriors, and husbandmen are chiefly through action. Eating, walking, going in to one's wife, sleeping, and satisfying one's natural needs are chiefly through nature. Worthiness, friendship, goodness, generosity, and rectitude are chiefly through character. Intelligence, understanding, body, stature, and appearance are chiefly through heredity.

Z 35 (*b*). Practically identical with the foregoing text is the following, *Pahlavī Texts*, p. 82, ll. 9–16.

'ēn-ič 'gōβēnd 'ku 'čiš ⟨i⟩ gētēh 'pat 25 bahr 'nihāt 'ēstēt, 5 'pat baχt, 5 'pat kunišn, 5 'pat hōk, 5 'pat gōhr 'ut 5 'pat aparmānd. zīvandakīh ⟨'ut⟩ 'zan 'ut frazand 'ut χ^{v}atāyīh 'ut χ^{v}āstak 'pat baχt. āsrōnīh 'ut artēštārīh 'ut vāstryōšīh

*'ut kirpak 'ut bazak 'pat kunišn. 'ō 'zanān 'šutan 'ut kār vičārtan 'ut 'χᵛartan 'ut raftan 'ut 'χuftan 'pat hōk. miθr 'ut āzarm 'ut rātīh 'ut rāstīh 'ut *aδar mēnišnīh 'pat gōhr. tan 'ut *brēh 'ut ōš 'ut vīr 'ut nērōk 'pat aparmānd.*

TRANSLATION

They say, too, that the things of this world are divided into twenty-five parts: five are through fate, five through action, five through nature, five through character, and five through heredity. Life, wife, children, sovereignty, and wealth are through fate. The membership of the castes of the priests, warriors and husbandmen, virtue and vice are through action. Going in to one's wife, satisfying one's natural needs, eating, walking, and sleeping are through nature. Friendship, respect, generosity, righteousness, and humility are through character. Body, stature, understanding, intelligence, and strength are through heredity.

Z 35 (*c*). Practically the same text (in New Persian) is found in Ghazālī, *Naṣīḥatu'l-mulūk* (ed. J. Humā'ī, Tehran, A.H. 1315–17), pp. 123–4. The editor quotes another work, the *Jāvīdān χirad*, as having the same text and attributing it to Āδurbāδ, presumably the son of Mahraspand (v. Part I, Chapter I). The translation is as follows:

It is generally agreed that worldly affairs are divided into twenty-five categories. Five of these are the province of fate (*qaẓā va qadar*), first choosing a wife, second children, third property, fourth kingship, fifth life.

Five others are the province of effort (*jahd*), first learning (*'ilm*), second the office of secretary, third horsemanship, fourth heaven, fifth salvation from hell.

Five others are of nature (*ṭab'ī*), first trust, second courtesy, third humility, fourth liberality, fifth truthfulness.

Five others are by habit (*'ādat*), first walking, second eating, third sleeping, fourth sexual intercourse, fifth excretion.

Five others are hereditary (*mīrāṣī*)—good looks, a good character, ambition, pride, and meanness.

Z 36. From the *Persian Rivâyat* (Hormazyār, ii, p. 53, l. 10). Text and translation with notes in BSOS. ix, pp. 310, 320.

From the Zand-Avesta

God said to Zoroaster, 'Zurvān has seven faces, and on each face three eyes; and he has seven names: the name of the one is 'Godly' (bestowing); the second 'Zurvān'; the third 'He who makes old'; the fourth 'Fate'; the fifth 'the Cherisher (?)'; the sixth 'the Adversary'; the seventh *yō-framānā* (? *dō-framān-ē*, he who has two commands, v. Part I, p. 231).

Z 37. The second *'Ulemā i Islām*. The text was first published by Olshausen and Mohl in *Fragmens rélatifs à la Religion de Zoroastre extraits des manuscrits Persans de la Bibliothèque du roi*, Paris, 1829. The first translation is that of Vullers, *Fragmente ueber die Religion des Zoroaster*, Bonn, 1831, pp. 43–67. A second translation was made by Blochet in RHR. 1898, xxxvii, pp. 40–49. Finally the text appears in the *Persian Rivâyats* (Hormazyār), ii, pp. 80–86, and the translation in Dhabhar's *Persian Rivâyats*, pp. 449–57. Parallel with the *'Ulemā* is a *rivāyat* first published and translated by Spiegel in *Die traditionelle Literatur der Parsen*, pp. 161–6: this also appears in PersRiv. ii, pp. 62–66 (Dhabhar, pp. 428–31). The variants in this version are most useful for re-establishing the text. The parallelism between the two texts, however, only lasts as far as § 18. Words or sentences only found in the Spiegel text are put between brackets ( ).

(1) Six hundred years after Yezdigird (sc. III) according to the Religious Era the doctors of Islām asked certain questions of one who was learned in our religion. The conversation took place in this manner, and a book has been compiled on this matter, and this book is called '*The Doctors of Islām*', or '*The explanation of the nature of the world and the soul of man from the beginning of time till the end.*'

(2) They asked: 'What do you say concerning the raising (of the dead)? Do you believe it or not?'

(3) The High Priest of the Magians said: 'We believe in the raising (of the dead), and the resurrection will take place.'

(4) Then the Doctors of Islām said: 'Has the world (always) existed? and what is your opinion concerning God's creation of man, non-existence, death, and the resurrection in life?'

(5) The religious leader of that time answered: 'In this matter of which you ask concerning the raising (of the dead), first we must know what creation is and what it is to cause death and wherefore man is resurrected in life: and we must say whether the world has (always) existed or whether it has been created.

(6) 'First I will speak of the world and discuss whether it has (always)

existed or whether it was created. If it should be said that it has (always) existed, this opinion is untenable: for ever anew do things wax in the world and then again wane [and wax], decrease and then again increase. Further all that is susceptible of coming to be and passing away and is the effect of a cause is not proper to God. Thus it is established that the world has not (always) existed and that it has been created. Moreover, a created thing necessarily implies a Creator. (7) Now it must be known that in the Pahlavī religion to which the Zoroastrians adhere, the world is said to have been created. After saying that the world has been created we must further say who created it and when, how, and why he created it.

(8) 'In the religion of Zoroaster it is thus revealed. Except Time all other things are created.[a] Time is the creator; and Time has no limit, neither top nor bottom. It has always been and shall be for evermore. No sensible person will say whence Time has come. In spite of all the grandeur that surrounded it, there was no one to call it creator; for it had not brought forth creation. (9) Then it created fire and water; and when it had brought them together, Ohrmazd came into existence, and simultaneously Time became Creator and Lord[b] with regard to the creation it had brought forth. (10) Ohrmazd was bright, pure, sweet-smelling, and beneficent, and had power over all good things. Then, when he looked down, he saw Ahriman ninety-six thousand parasangs away, black, foul, stinking, and maleficent; and it appeared fearful to Ohrmazd, for he was a frightful enemy. (11) And when Ohrmazd saw this enemy, he thought thus: "I must utterly destroy this enemy", and he considered with what and how many instruments *he could destroy him.* (12) Then did Ohrmazd begin ⟨the work of creation⟩. Whatever Ohrmazd did, he did with the aid of Time; for all the excellence that Ohrmazd needed, had (already) been created. And Ohrmazd made Time of the long Dominion manifest[c] which has the measure of twelve thousand years, and within it he attached the firmament, the artificer[d] (and heaven).[e] (13) And each of the twelve Signs of the Zodiac which are bound to the firmament he appointed for a thousand years. During three thousand years the spiritual creation was made; and Aries, Taurus, and Gemini held sway each for a thousand years. (14) Then Ahriman (with the aid of Time) turned towards the heights that he might do battle with Ohrmazd: he saw[f] an army marshalled and drawn up in ranks, and rushed back to hell. From the foulness, darkness, and stench that was within him, he raised an army. This was possible for him.[g] In this matter much has been said. The meaning of this is that when he (saw he) was empty-handed, he rushed back to hell. (15) Because of the righteousness he saw in Ohrmazd for three thousand years he could not move, so that during these three thousand years

material creation was made.[h] The control of the world passed to Cancer, Leo, and Virgo. In this matter much has been said.

(16) 'I will say a few words on this subject. In the creation of the material world first he manifested the sky, and the measure of it was twenty-four (thousand) by twenty-four thousand parasangs, and its top reached Garōδmān . . . .[i] After forty-five days he caused the water to appear (from the sky);[j] after sixty days the earth appeared out of the water: after seventy-five days he manifested plants, large and small: after thirty days the Bull and Gayōmart appeared: and after eighty days Adam and Eve[k] made their appearance. (17) When the three thousand years we have mentioned (had elapsed) and Man, the material world, and the other creatures we have mentioned had come into existence, the accursed Ahriman again bestirred himself: and (Time brought it about that Ahriman)[l] bored a hole in the sky, the mountains, and the earth, rushed into the material world and defiled everything in it with his wickedness and impurity. (18) As he possessed no spiritual thing, he did battle for ninety days and nights in the material world; and the firmament was rent, and the spiritual beings came to the assistance of the material world. (19) And they seized the seven most evil demons and brought them to the firmament[m] and bound them with unseen (spiritual, *mīnū*) bonds. And Ahriman afflicted Gayōmart with a thousand torments till he passed away. And from him certain things came into existence. About this much has been said. From the Bull too certain things and animals came into existence. About this much has been said. (20) Then they seized upon Ahriman and carried him off to hell by that very hole through which he had entered the world; and they bound him with unseen bonds. Two angels, even Ardībihišt, the Amahraspand, and Varhrām, the god, stood in guard over him.

(21) 'If it is objected that since all this suffering comes from him, they should have slain him when they captured him, then it must be known that when one kills a living creature and says, 'I have killed so and so', and that creature is (actually) killed, the fire that is in him goes to the Fire, and the water that is in him to the Water, and the earth that is in him to the Earth, and the air that is in him to the Air: and at the time of the raising (of the dead) he will be raised up; and what does it matter if in the meantime (the elements) were separated? (22) Thus it is plain that none of these things which we have mentioned is annihilated, but that each of them is, as it were, separated from the four elements. Further, how could Ahriman with all his density[n] be slain unless they slew him gently and by degrees, and mingled evil with good, and darkness with light, and foulness with purity, so that mastery should remain, not vengeance and enmity?

(23) 'If it is objected that since (Time) possessed all this mastery, why did it create Ahriman, we (reply that as) we said in the beginning, Ohrmazd and Ahriman both came into existence from Time. Every sect holds a different opinion. (24) One party says that it created Ahriman so that Ohrmazd should know that Time has power over (all) things: another says that there was no need to create him, and that Time[o] said to Ohrmazd, "I have power to do this without bringing pain upon Ohrmazd and ourselves": another says, "What pain or pleasure has Time from the evil of Ahriman or the goodness of Ohrmazd?" Another says that it created Ohrmazd and Ahriman so that it might mingle good and evil, and that things of different kinds and colours might come into existence: another says that Ahriman was an honoured[p] angel, and that because of some disobedience of which he had been guilty he became the target of malediction. In this matter much has been said.

(25) 'Now we will proceed to the end of our story. After the spiritual beings had bound Ahriman in hell and had bound the seven demons on to the firmament[q]—the names of the demons are as follows: Zēriǰ, *Tariǰ, *Nānghaiθ, Tarmad, Xišm, *Sēǰ, and *Bēš—Ohrmazd surrounded every one of the seven with light and gave them Ohrmazdean names—Kēvān (Saturn), Ohrmazd (Jupiter), Bahrām (Mars), Šēd (the Sun), Nāhīd (Venus), Tīr (Mercury), and Māh (the Moon). (26) When these deeds were duly performed, the firmament began to revolve, and the Sun, Moon, and stars began to rise and set; and hours, days, nights, years, and months appeared, and the 'givers'[r] appeared. In this matter much has been said.

(27) 'For three thousand years men existed and the demons too were plain to see, and there was war between men and demons. In Man there are some things that are Ohrmazd's and some that are Ahriman's. In his body there is fire, water, earth, and air, and further soul, intelligence, consciousness, and *fravahr*; further the five senses, sight, hearing, taste, smell, and touch. (28) Should anyone say that all these derive from the soul, it is not so; for there are many people who are dumb and lame. If anyone should object saying, "If the soul does not possess these faculties and provisions, what then can it do?"—(we reply) that this is not a fair question (*lit.* this is not so): for we see that fire has no mouth, yet it consumes food; and it has no feet, yet when you put fuel before it, it goes in pursuit of the fuel; and it has no eyes, yet it gives light to the eyes. This has been said that we should know that provided though we are with all these faculties and provisions, we are nothing without His favour despite all the pride and selfishness we show in our relations with one another. Since we have recorded those things which are Ohrmazd's, we will now record[s] those which are

Ahriman's, that people may know. These are Concupiscence (Āz), Want, Envy, Vengeance, Lust, Falsehood, and Anger. These the demons had in their bodies; and they were (mixed with) the four elements.[t] (30) For the power of Ahriman comes to the demons of the firmament, and thus does he ever anew bring evil to the world through them, until the power of Ahriman wanes and the evil of Ahriman diminishes, till through the resurrection all his evil decreases and is annihilated.

(31) 'And the men of that time walked according to the paths of righteousness and smote the demons until J̌amšīd became king. For six hundred and sixteen years and six months did he reign; and the demon of Wrath entered him and he claimed to be God. And the Arab Dahāk seized him and slew him and settled at the king's court. (32) He reigned a thousand years and mixed men and demons together and worked much sorcery in the world until Farīdūn, son of Ātfī, came and bound him. Dahāk means ten sins.[u] Now he is commonly called Ẓaḥḥāk. After this, war broke out among men because some had mixed with the demons and some had fallen into error. Then Farīdūn strove to call men back to the path of righteousness. When Āfrāsyāb appeared from his family, disorder increased: and when Kay Xusrau appeared, he purged the world of evil men. (33) Then Zartušt (Zoroaster) Isfantamān came as a prophet and brought the Avesta, Zand, and Pāzand. King Guštāsp was converted and spread it abroad in the world;[v] and one quarter of the world was converted to the religion of Zartušt and spread it abroad in the world; and for three hundred years it went every day better with the followers of the Religion until Alexander the Roman (Macedonian) came, and once again confusion increased. (34) After this Ardašīr, son of Pāpak, lessened the confusion and five hundred years passed by. After that the army of the Arabs rose up and brought the Persians beneath its yoke; and every day they became weaker (till) the time when Bahrām, the mighty, comes and takes to himself the throne of the kingdom of the Sassanians.

(35) 'Then Ōšēdar, the bright, will come and will bring one Nask of the Avesta and Zand in addition to that which Zartušt Isfantamān had brought, and Bahrām, the mighty, will spread it abroad in the world; and of those three quarters who were not converted in the time of Zartušt, one quarter more will be converted and for four hundred years will spread it abroad.[w] Then once again will confusion appear. In this matter much has been said. (36) Then again Ōšēdar-māh will come and will make an end of confusion and will bring one more Nask of the Avesta in addition to that which Ōšēdar, the bright, had already brought, and will spread it abroad in the world. One half of those who are without religion will be converted to the

Good Religion. Once again a period of welfare will pass away and a period of evil will set in and in its turn pass away. (37) Then *Sōšyans[x] will bring one Nask of the Avesta in addition to that which Ōšēdar-māh had already brought and all men will be converted to the Good Religion and confusion will vanish from the world. Fifty-seven years will pass and the resurrection will come to pass. In this matter much has been said; but I have been brief so as not to bore the reader.

(38) 'Now we have come to the end of our story. When it is said that a person dies or is killed, the air that is within him is united to the Air, and the earth within him to the Earth, the water within him to the Water, and the fire within him to the Fire. His soul, intelligence, and consciousness all become one and unite with the *fravahr*, and the whole becomes one. If one has a preponderance of sin, one is punished: if one has a preponderance of virtue, one is taken up to heaven. Then the demons who were with these persons will all be worn down and slain. (39) With regard to the punishment that they endure, the Amahraspand Ardībihišt acts as mediator and does not permit that they be punished beyond the measure of their sin. Whoso is worthy of heaven is borne to heaven; and whoso is worthy of Garōδmān is borne to Garōδmān; and whoso is worthy of Hamēstagān (the place of the mixed, i.e. purgatory) is borne to Hamēstagān. (40) Then up to the resurrection the power of the demons is worn down and their wickedness is reduced to nothing because men endure punishment; and thus the demons that are within men are worn down. (41) After this they raise up the bodies of the denizens of heaven and hell even from the primal substances: they collect (spirit) from spirit, fire from fire, water from water, earth from earth, and air from air, and the soul returns to earth. (42) At the time of the resurrection the evil that is in the body of man no longer remains, and men will be free from death, old age, and want, so that they live for ever; and no evil will remain.

(43) 'Beasts, birds, and fish have no soul, but the fourfold spirit is reunited with them. They are exempt from the reckoning and judgement because they have no soul or *fravahr*. It is the soul that shows that man is possessed of reason, knowledge, righteousness, and height(!) and the ability to speak words with his tongue and to do deeds with his hands. Otherwise all living creatures partake of the four elements. But man has all this besides, and because he possesses a soul, he must undergo the reckoning and judgement while other living creatures do not.

(44) 'With regard to what has been said about what creation is and what it is to cause death and why there is hope of resurrection in life, we must know that creation is due to his mercy and grace, and the cause of death is

this, that (if) we were like the Amahraspands who do not die, Ahriman would have been unable to mingle with us, and his evil, darkness, foulness, and stench would have remained for ever: (but now) since he has mingled with us[y] and torments us, he has propagated himself and thinks that he can annihilate us, and he does not know that it is his own wickedness that he is destroying. That is how death is caused. (45) The resurrection in life is a holy duty for Him since we have laboured much both in the material world and in the spiritual. So because of His mercy and kindness it is a holy duty for Him to bring us to life, although there is no question of anything being (really) dead. Rather He brings together what was scattered abroad and raises up the person and gives him his recompense from the good things that are His.

(46) 'With regard to the twenty-one Nasks of the Avesta of which they speak, Avesta is the tongue of Ohrmazd, and Zand is our tongue and Pāzand that tongue in which everyone knows what he is saying. (47) The Avesta, Zand, and Pāzand of the twenty-one Nasks are as follows. The Zand and Pāzand of seven Nasks treat of those matters which we have discussed. The Zand and Pāzand of another seven Nasks treat of what is proper and what is improper, of what to do and what not to do, of what to say and what not to say, of what to take and what not to take, of what to eat and what not to eat, of what is pure and what is impure, of what to wear and what not to wear, and such matters. If I recounted all, the book would (never) end: and so I have been brief. The Zand and Pāzand of the other seven Nasks treat of medicine and astrology. In this matter much has been said.

(48) 'They say that the Sun revolves round the earth; and everywhere the Sun goes, as for example here where we are, the sky and the stars follow (*lit.* are). It can go under the earth or to the side of the earth, so that we ourselves may be under the earth though we say that we are on the top of the earth. In the Avesta and Zand it is said that all men that have been or are or shall be will go to heaven, and that their souls shall undergo punishment before the resurrection.

(49) 'More wonderful is this that we send our children to school and teach them good conduct and keep them far from evil. Yet when you consider, they still come to know evil before good. But good is good in the sight of God and before men; and evil is evil before the Creator and before men. And in man there is good and evil; and in the world there is good and evil; and in the firmament there is good and evil; and in the spiritual world there is heaven and hell. (50) We were created by the Creator, and to Him is our return. Had it not been necessary, the Creator would not

have created us. And with regard to the fact that evil should never have been created and yet exists, a veil is drawn over this, or else our intelligence cannot attain it. Yet since this is so, we must leave what is God's concern to God.

(51) 'What thou art told to do, thou shalt do; and what thou art told not to do, thou shalt not do; and what thou art told to think, thou shalt think; and what thou art told not to think, thou shalt not think; and what thou art told to say, say; and what thou art told not to say, thou shalt not say; and what thou art commanded to eat, eat; and what thou art commanded not to eat, thou shalt not eat; and what thou art told to wear, wear; and what thou art told not to wear, thou shalt not wear, and other such things as these. And our law is to busy ourselves with the service of God.'

(52) Greetings and blessings upon the pure and good and those who show the way. May the good prevail. Amen.

NOTES

[a] So, reading *ǰuz* as in Spiegel's text instead of *χudā* as in Hormuzyār. With the reading *χudā* no satisfactory sense is obtained. Blochet translates: 'Dieu a créé toutes les choses du Temps, et le Temps est le Créateur.' This is obviously inadequate.

[b] Reading *χudāvand* with Spiegel and the MS. Bk. quoted by Dhabhar.

[c] Ohrmazd must be the subject, for he is already existent whereas there has been no mention of Time of the long Dominion: yet Blochet, following Vullers, translates, 'Le Temps de la Longue Souveraineté créa Ormazd'.

[d] Literally 'the painter' (*naqqāš*): Dhabhar unaccountably translates 'its chart'.

[e] *va mīnū*: not in Spiegel. The word is obviously a transcription of Phl. *mēnōk* which in this context would mean 'in ideal or spiritual form'.

[f] So following Spiegel's text, *dīd*: Hormazyār has *az dīv*.

[g] *va mumkin būd*: the sense is not clear. Blochet has 'Il est possible que cela soit': similarly Dhabhar. Vullers, 'Wann dieses möglich gewesen'.

[h] This episode corresponds to the first defeat of Ahriman described in text Z 1, § 7, and Z 4, § 4.

[i] The text is corrupt: Hormuzyār has *tā ba-garôθmān bar šudeh*; Spiegel, *tā ba-garôθmān bi-rasad bar šudan bar rūy i āsmān*. Neither makes sense, and Vullers wisely left a *lacuna* in his translation. Blochet translates 's'élevant jusqu'au Garôthmân et sur la sphère céleste'. Dhabhar has 'upwards to G. which was over the heavens'. This involves a slight emendation of the text.

[j] All MSS. appear to read *āb* except Bk. which has *āsmān*. I would therefore read *az āsmān āb* corresponding to GrBd. 19. 5 (text Z 1, § 45), *'hač gōhr i āsmān 'āp brēhēnīt*.

[k] i.e. the first human couple, Mašyē and Mašyānē.

[l] So Spiegel's text: Hormuzyār omits.

[m] From here on Spiegel's text is completely different. In translation it runs as follows:

'Of the seven demons they seized the four who were the worst, and they bound them with unseen bonds to the eighth heaven which they call the heaven of the fixed stars; and they appointed the star Vanand over those four demons so that they could do no harm. Of the other three demons they put Saturn who has a very evil influence in the seventh heaven; and in the Āyīn(?) heaven which is the sixth heaven they put Jupiter who has a very good influence. The second demon who is Mars and who has only a slightly evil influence, they put in the fifth heaven: and in the fourth heaven which is the centre of the heavens they placed the Sun and they presented him with sovereignty over the heavens [over against the heavens(?)]. They placed Saturn and Mars higher than the heaven of the Sun so that the poison and filth which they let fall upon the earth should be melted by the heat of the Sun and come to the earth in smaller quantities. In the third heaven they put Venus who has only a slightly good influence. The third demon which is Mercury, whose nature is mixed, they placed in the second heaven, and they bound him to the hand of the Sun so that (the Sun) should control the affairs of the heavens over him: but he does not escape from the Sun; for since his heaven is below that of the Sun, all the poison and filth which he lets fall comes to the earth. They call him "mixed" because he is inclined to do evil, but since he is a prisoner in the hand of the Sun, he cannot do excessive harm as he would wish to do. His place is between two planets of good influence. Necessarily when he is with a good influence, he does good; and when he falls together with an evil influence, he does evil. For this reason they do not call him an evil influence, but mixed. In the first heaven they put the Moon. Below the heaven of the Moon there is another heaven which they call the heaven of Gōčihr, and the tail and the head of the serpent[t] are in that heaven. When the period of control of Aries, Taurus, and Gemini had passed and control passed to Cancer and it was its turn, they prepared the horoscope of the world; and they placed every constellation in the twelve Signs of the Zodiac in the house of its ascendant in the form in which they are (now) fixed so that it should be easier to understand. Then Ahriman afflicted Gayōmart with a thousand torments until he passed away. From him certain things came into existence; and from the Bull, too, many kinds of things and animals came into existence. Then they seized upon Ahriman and carried him off to hell by that hole through which he had come into the world; and they bound him with unseen bonds, for the Amahraspand Ardībihišt and the god Vahrām were appointed (over him).'

[n] For *siṭabrī* Blochet's 'vil et méprisable' is wrong.

[o] Taking 'Time' as the subject with Vullers. Taking Ahriman as the subject Dhabhar produces singularly poor sense: 'He (Ahriman) said to Ormazd: I can do such (evil) things and therefore it is not necessary to attribute evil unto Ormazd or unto me.'

[p] So, reading *muqarrab*. Blochet read *mutaẓarrib* and translated 'qui se châtie lui-même'.

[q] Hormuzyār adds *tavānand kard*, which yields no sense.

[r] As Spiegel saw, the 'givers' must be the twelve Signs of the Zodiac (*Eranische Alterthumskunde*, ii, p. 182). *dahandagān* is in fact a literal translation of Av. *baγa-*, Phl. *baγ* 'bestower', then 'constellation': so ŠGV. 4. 8: *baγą i nākī-baχtārą*.

[s] For the *yād kunand* of the text *yād kunīm* must be read.

[t] For 'serpent' the text has the incomprehensible *WKYD*, but the meaning is assured by GrBd. 52. 12: *gōčihr miyān ⟨i⟩ āsmān 'bē 'ēstāt mār humānāk, 'sar 'pat dōpatkar 'ut dumb 'pat nēmāsp.*— 'Gōčihr was in the middle of the sky, like a serpent, with its head in Gemini and its tail in Centaurus.'

[t] The text reads: *dar dīvān kālbud dāštand ṭabā'i' čahār gūneh būdī*. In his translation Dhabhar appears to have substituted *agar* for *dar*—'Had the demons been incarnate, their natures would have been of these four kinds.' I would prefer to emend the text to *dīvān dar kālbud dāštand bā ṭabā'i' čahār-gūneh būdand*, since *ṭabā'i'* must surely refer to the elements and not to the 'natures' of the demons.

[u] The *DH'''* of the text is meaningless. We must emend to *DH'Γ* = *dahāγ*: from the explanation *dah 'aib* it is to be assumed that the word was understood as *dah aγ* < Av. *aγa-* 'evil', Phl. *aγ-* in *aγdēn*, &c. According to Dhabhar the MS. Bk. enumerates the sins; these Blochet translates as follows: 'odieux, inique, petit, tyran, sans pudeur, mangeant beaucoup, parlant mal, menteur, téméraire, ayant mauvais cœur, sans intelligence'.

[v] Text has *qabūl dar ǰahān kard*: read, with Dhabhar, *qabūl kard va dar ǰahān ravā kard*. Dhabhar reads *ravān* rather than *ravā*.

[w] Reading *ravā kunand* for *ravā bāšand*. For Hormazyār's *sih bāreh ōšēdarmāh yakī ziyādat kunad* read with MSS. T 30 and Bk. (Dhabhar p. 454) *sih yakī ziyādat qabūl kunad*.

[x] The text reads *siyāvušānī*.

[y] Reading *čūn* for *χūn*.

Z 38. The following text from the *Persian Rivâyat* is not found in the edition of Modi and Unvala. It was, however, published by Dhabhar in his translation (p. 438), where the Persian text will also be found. It appears to be an attempt on the part of an orthodox Mazdean to square Mazdean dualism with the myth that Ohrmazd and Ahriman issued from Time. The equation of Zurvān with the *Ahunvar* prayer, which does not appear elsewhere, is probably late and suggested by the fact that in the *Bundahišn* the *Ahunvar* is chanted just after the creation of finite Time.

From the Rivâyat of Bahman Pūnjayeh.—Ohrmazd and Ahriman became manifest from Time; that is to say, Ohrmazd and Ahriman became manifest during the same period. However, Ohrmazd became manifest through the overflowing of his own essence. There is no doubt about this. Again Zoroaster asked Ohrmazd (saying), 'At the time when the world came into existence, what existed?' Ohrmazd said, 'At that time I and my *Ahunvar* both existed.' Zurvān is called the *Ahunvar*.

III

POLEMICS AGAINST THE ZOROASTRIAN RELIGION AND NOTICES THEREOF FROM CHRISTIAN, MANICHAEAN, AND MUHAMMADAN SOURCES WRITTEN IN ORIENTAL LANGUAGES

F 1. Four versions of the Zervanite myth are preserved, two by the Armenians Eznik of Kołb and Ełišē Vardapet, and two by the Syrians Theodore bar Kônai and Yohannân bar Penkayê. For our arrangement of the texts in tabular form we are indebted to Louis Mariès, who has given us a close study of the three former in his valuable book, *Le* de Deo *d'Eznik de Kołb*, Paris, 1924, pp. 48–52. The last text was brought to light by P. de Menasce, who edited and commented upon it in his article, 'Autour d'un texte syriaque inédit' (BSOS. ix, pp. 587–601). The translation reproduced here is his. Mariès's table is also to be found—as are the majority of the texts appearing in this section—in Bidez–Cumont, *Les Mages hellénisés*, ii, pp. 89–92, whose translation I have followed in the main. For Eznik I have used the Venice edition, 1926 (pp. 125–8; p. 89 in the translation of Schmid; *Le Vaillant de Florival*, p. 75; Langlois, ii, p. 375; cf. I. F. Blue, *Indo-Iranian Studies in honour of Sanjana*, p. 70); for Ełišē the edition of Yohannisean, Moscow, 1892 (tr. Langlois, ii, p. 190); for Theodore bar Kônai the edition of Pognon in his *Inscriptions mandaïtes des coupes de Khouabir*, pp. 111 ff. (translation, pp. 162 ff.); and for Yohannân bar Penkayê the text and translation of de Menasce, l.c.

Obviously the four accounts go back to a common original; but whether this original is Theodore of Mopsuestia (G 2) as has been maintained by Cumont (MMM. i, p. 18; *Mages*, ii, p. 88) is open to doubt. For his version we have only the miserable summary preserved by Photius, and we are unable to judge from it what details in the myth were common to it and any one of the four accounts. Mariès supposes all four versions—not counting bar Penkayê whom he did not know—go back in two branches to a

common Syriac source, itself dependent on a Pahlavī original. His views are summarized in the following table.

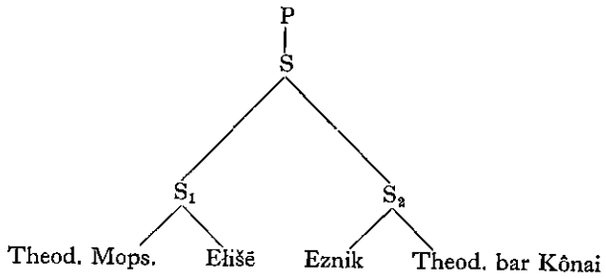

Schaeder, on the other hand, derives Ełišē direct from Eznik, and Eznik from Theodore of Mopsuestia (*Studien*, p. 239). None

	Eznik	*Ełišē*
1.		
2.		
3.	Alors que rien absolument n'existait encore, — disent-ils, —	. . . avant que fussent
4.	ni cieux, ni terre,	les cieux et la terre
5.	ni autres créatures que ce soit	
6.	qui sont aux cieux et sur la terre —	
7.	existait un dénommé Zrouan,	Zrouan le grand dieu
8.	ce qui se traduit 'sort' ou 'fortune'.	
9.	Pendant mille ans il avait offert sacrifice	offrait sacrifice pendant mille ans
10.		et disait:
11.	afin d'avoir peut-être un fils	'Peut-être aurai-je un fils,
12.	qui aurait nom Ormizd	Ormizd (sera son) nom,
13.	et qui ferait les cieux et la terre	il fera le ciel et la terre.'
14.	et tout ce qu'ils contiennent.	
15.	Depuis mille ans il offrait (ainsi) sacrifice	
16.	quand il se mit à faire réflexion et dit:	
17.	'De quelle utilité pourra bien être le sacrifice que j'offre?	

of these hypotheses is wholly acceptable, as each account has its individual peculiarities and no two are entirely in agreement throughout. We must, then, be content to note that they all derive from a common original, probably Pahlavī but possibly Syriac. I am inclined to think that the original was a genuine Zervanite text and not a Mazdean anti-Zervanite polemic, since it bears a striking resemblance to the genuinely Zervanite *'Ulemā i Islām* (text Z 37). If so, it is best regarded as a simple exposition of Zervanite doctrine for simple people.

Henning (*Zoroaster, Politician or Witch-doctor?*, p. 51) considers that all the principal anti-Zervanite writers including the Manichaean fragment (text F 7 (*b*)) derive from a common written source which cannot be later than the fourth century A.D.

	Theodore bar Kônai	*Yohannân bar Penkayê*
1.	Voici ce que dit (Zerdouscht) sur la conception	
2.	de Hormizd et d'Ahriman:	
3.	Quand rien n'existait encore,	. . . avant que Zarwan n'eût créé
4.	sinon les ténèbres,	le ciel et la terre,
5.		
6.		
7.	Zerwan	il
8.		
9.	offrit des sacrifices pendant mille ans.	offrait, mille années durant, des libations à Dieu
10.		
11.		dans le but d'obtenir un fils,
12.		Hormizd,
13.		qui créerait le ciel et la terre.
14.		
15.		Et au terme de cette période de (mille) années,
16.	Et parce qu'il douta,	il réfléchit dans son cœur, et se dit:
17.		'Aurai-je vraiment quelque profit de ces sacrifices,

Eznik	*Elišē*
18. et aurais-je un fils Ormizd?	
19. ou bien fais-je en vain ces efforts?'	
20. Et tandis qu'il faisait cette réflexion	
21. Ormizd et Arhmn furent conçus	Et il conçut deux (fils)
22. dans le sein de leur mère:	dans (son) sein:
23. Ormizd en vertu du sacrifice offert	l'un pour le sacrifice offert
24. et Arhmn en vertu du doute susdit.	et un autre encore pour avoir dit: 'peut-être'.
25. Lors donc, s'en étant rendu compte, Zrouan	Quand il sut
26. dit: 'Deux fils sont	qu'ils étaient deux
27. dans le sein que voilà:	dans ce sein:
28. celui d'entre eux, quel qu'il soit, qui vite à moi parviendra	'Celui qui vite viendra, dit-il,
29. je le ferai roi.'	je lui donnerai la royauté.'
30. Ormizd ayant eu connaissance	
31. des desseins de leur père	
32. (les) révéla à Arhmn,	
33. disant: 'Zrouan notre père	
34. a formé ce dessein: qui d'entre nous vite	
35. à lui viendra, il le fera	
36. roi.'	
37. Et Arhmn ayant entendu cela	Or celui qui avait été conçu
38.	de par son peu de foi
39. perça le sein	déchira le sein
40. et sortit,	et sortit dehors.

Theodore bar Kônai	*Yohannân bar Penkayê*
18. craignant qu'il ne lui vînt point de fils,	
19.	ou est-ce en vain que je me fatigue?'
20.	Au moment même où cette pensée lui vint,
21. Satan fut conçu en même temps que Hormizd.	Hormizd et Ahrman furent conçus,
22.	
23.	Hormizd en raison des libations,
24.	Ahrman en raison du doute.
25. Et quand il s'aperçut de la conception d'Ahriman,	Dès qu'il s'en fût avisé,
26. il dit:	il fit un vœu, disant,
27.	
28. 'Celui qui le premier viendra vers moi,	'A celui qui se trouvera être l'aîné,
29. je le ferai roi.'	je donnerai ces baguettes — ils les appellent būrsemē — et je lui donnerai puissance pour créer le ciel et la terre.'
30. Hormizd connut	
31. la pensée de son père,	
32. et la révéla à Satan.	
33.	
34.	
35.	
36.	
37. Et lorsque Satan en eut connaissance,	Ahrman, quand il entendit cela,
38.	
39. il fendit le ventre de sa mère,	déchira aussitôt le ventre de sa mère,
40. et tomba de son nombril,	en sortit

Eznik	*Eliše*
41. se présenta devant son père.	
42. Et Zrouan, l'ayant vu,	
43. ne sut pas qui il pouvait bien être;	
44. et il demandait: 'Qui es-tu, toi?'	Zrouan lui dit: 'Qui es-tu?'
45. Et celui-ci dit: 'Je suis ton fils.'	Il dit: '(Je suis) ton fils, Ormizd.'
46. Zrouan lui dit:	Zrouan lui dit:
47.	
48. 'Mon fils est parfumé et lumineux,	'Mon fils est lumineux et parfumé,
49. et toi, tu es ténébreux et puant.'	toi, tu es ténébreux et aimes à faire le mal.'
50.	Et après avoir pleuré très amèrement
51.	il lui donna la royauté pour ⟨neuf?⟩ mille ans.
52. Et tandis qu'ils	
53. échangeaient entre eux ces paroles,	
54. Ormizd étant né à son heure,	Quand il eut donné naissance
55. lumineux et parfumé,	à l'autre fils encore, il le nomma Ormizd,
56. vint, se présenta devant Zrouan.	
57. Et Zrouan l'ayant vu	
58. sut que c'était là son fils Ormizd,	
59. en vue duquel il offrait sacrifice.	
60. Et ayant pris les baguettes	
61. qu'il tenait en sa main, avec lesquelles il offrait sacrifice,	
61a.	ôta la royauté à Arhmn
62. il les donna à Ormizd, et dit:	et la donna à Ormizd en disant:
63. 'Jusqu'à présent	'Jusqu'à présent

Theodore bar Kônai	*Yohannân bar Penkayê*
41. et alla vers Zerwan.	et se présenta devant son père, Arzwan.
42. Et Zerwan	Celui-ci, en le voyant,
43.	
44. lui demanda: 'Qui es-tu?'	dit: 'Qui es-tu?'
45. Et celui-ci répondit: 'Je suis ton fils.'	Ahrman lui répondit par une tromperie, 'C'est moi qui suis ton fils, Hormizd.'
46. Et Zerwan lui dit:	
47. 'Tu n'es pas mon fils	
48.	
49. parce que tu es ténébreux et laid.'	
50.	Et tandis qu'Arzwan s'en contristait
51.	
52. Et pendant qu'il parlait ainsi	et qu'ils
53.	étaient en contestation,
54. Hormizd naquit,	le moment vint pour Hormizd, et il naquit.
55. de bonne odeur et lumineux.	
56.	
57. Et Zerwan dit:	
58. 'C'est mon fils, Hormizd.'	
59.	
60. Et les baguettes	
61. qu'il tenait,	
61a.	
62. il les lui donna et dit:	Et il lui donna puissance.
63. 'Jusqu'à présent	

Eznik	*Ełišē*
64. c'est moi qui pour toi offrais sacrifice:	c'est moi qui t'ai offert sacrifice:
65. dorénavant c'est toi qui pour moi l'offriras.'	maintenant c'est à toi de me l'offrir.'
66. Et tandis que Zrouan	
67. donnait les baguettes à Ormizd, et	
68. le bénissait, Arhmn, s'étant approché	
69. devant	
70. Zrouan, lui dit:	
71. 'N'as-tu pas fait le vœu suivant:	
72. quiconque de mes deux fils	
73. parviendra à moi le premier,	
74. celui-là je le ferai roi?'	
75. Et Zrouan, pour ne pas violer son serment,	
76. dit à Arhmn:	
77. 'Oh! faux et malfaisant!	
78. la royauté te sera accordée	
79. neuf mille ans,	
80. et Ormizd	
81. je (l')ai établi roi au-dessus de toi,	
82. et après neuf mille ans	
83. Ormizd régnera,	
84. et tout ce qu'il voudra faire,	
85. il le fera.'	
86.	
87. Alors Ormizd et Arhmn se mirent	
88. à faire des créatures.	
89. Et tout ce qu'Ormizd créait	Et Ormizd créa
90. était bon et droit,	les cieux et la terre;

Theodore bar Kônai	*Yohannân bar Penkayê*
64. c'est moi qui t'offrais des sacrifices:	
65. dorénavant tu vas m'en offrir.'	
66. Mais Satan, comme les choses	
67. se passaient ainsi,	
68.	
69.	
70. dit à Zerwan:	
71. 'Prends garde, n'as-tu pas fait cette promesse:	
72.	
73. le premier qui viendra,	
74. je lui donnerai la royauté?'	
75. Et Zerwan	
76. lui dit:	
77. 'Va-t'en, Satan;	
78. je t'ai fait roi	
79. pour neuf mille ans,	
80. et Hormizd,	
81. je l'ai fait dominer sur toi,	
82. et après le terme fixé	
83. Hormizd régnera,	
84. et tout, suivant sa volonté	
85. il mènera.'	
86. Et Satan s'en alla et fit tout ce qui lui plut.	
87.	
88.	
89. Et lorsque Hormizd créa	Hormizd créa
90. les justes,	toutes les choses qui sont bonnes et belles,

Eznik	*Eliše*
91. et ce qu'Arhmn faisait	mais Arhmn à l'opposé fit
92. était mauvais et tortueux.	le mal.
93.	
94.	

F 2. From the treatise *On the True Religion* of Theodore Abū Qurra, Bishop of Harran (*c.* 740–820). The text is found in the edition of Father Cheikho, S.J. (Beyrouth, 1912), pp. 12–13. The treatise has been translated by Georg Graf (*Beiträge zur Geschichte der Philosophie des Mittelalters*, xiv, Heft 1, our text appearing on pp. 24–25), and his translation has been reproduced by de Menasce in BSOS. ix, pp. 600–1.

Theodore's source is obviously that of Eznik as is proved by their common use of the Persian word *baχt* for Fate and the account, common to both (v. text F 7 (a)), of the creation of the Sun and Moon through the intercourse of Ohrmazd with his mother and sister.

I turned aside from these and was encountered by a group of the Magians. They said, 'Drive them away (sc. the star-worshippers), they have no authority. Come rather to us; for what we possess is the truth.' They stated that their great god was called Zurvān (Ar. Dharwān) and that Zurvān was Fortune (*baχt*). Before he created the earth (*dunyā*), he sacrificed for a thousand years that a son might be born to him: and his wife conceived a son whose name was Hormazd. When he had been conceived for seven hundred years, his father, Zurvān, doubted if he had been conceived; and this doubt of his brought into being another child in his wife's womb, who was Satan. Zurvān knew of this and said: "Whichever of my sons shall first behold my face, verily to him shall I give the kingdom." And Hormazd knew of this while he was in his mother's womb and apprised Satan thereof. And when Satan knew that, he pierced his mother's womb and issued from her side, and went forth till he came into his father's presence: and he was darkness—black of face and ugly. And his father said to him: "Who art thou?" He replied, "I am thy son, Satan, who arose from thy doubt. Give me the kingdom even as thou didst say." And Zurvān was grieved: and since he would not go back on his word, he gave him the kingdom of this world (*dunyā*) for seven thousand years. Hormazd was born from his mother at the end of a thousand years, and he issued forth

Theodore bar Kônai	*Yohannân bar Penkayê*
91. Satan créa	et Ahrman fit
92. les démons;	tout ce qui est nuisible.
93. celui-là créa la richesse,	
94. celui-ci la pauvreté.	

as light—beautiful and fair. He created heaven and earth and the divers natures that are between them in their beauty and fairness, in which we see the world. But they were in darkness, and there was no light in them. And he was grieved, and consulted Satan therein: and he counselled him to have intercourse with his mother. And he did so and had intercourse with her: and she conceived and bore the Sun as a light for the day. And (he also counselled him) to have intercourse with his sister. And he did so and had intercourse with her: and she conceived and bore the Moon as a light for the night. Therefore do the Magians have intercourse with their mothers and sisters and daughters, so that they may bear sons like the Sun and the Moon, even as Hormazd, their god, (did). This is their description of their gods. As Hormazd (did himself), so did he allow them to indulge in all the lusts of the world they please, since for this reason did he create them. They maintain that the prophet who gave them this truth was Zoroaster.

F 3 (*a*). From the *Dēnkart*, Madan, p. 829, ll. 1–5. This, the only passage in Pahlavī literature that expressly condemns the Zervanite theory that Ohrmazd and Ahriman were brothers, has been the subject of frequent discussion. The reader is referred principally to Schaeder, *Iranische Beiträge*, i, pp. 288–91, and Benveniste, MO. xxvi, pp. 209–11; cf. also Darmesteter, ZA. i, p. 221, no. 10; Blochet, RHR. xxxvii, p. 28; Junker, *Aion-Vorstellung*, p. 144; I. F. Blue, *Indo-Iranian Studies in honour of . . . Sanjana*, p. 64. We have included this text in the 'foreign' rather than the Zoroastrian section of the texts on account of our parallels in Manichaean and Syriac writers.

'hač gōβišn i Zartuχšt 'apar drāyastan i Ariš 'dēv 'ō 'martōmān: Ōhrmazd 'ut Ahriman 2 'brāt i 'pat ēvak aškom 'būt 'hēnd: 'hač 'avēšān Amahraspand-⟨ē⟩ 'ān

From the saying of Zoroaster concerning the cry of the demon Ariš (Envy) to mankind: 'Ohrmazd and Ahriman were two brothers in one womb. Of them an Amahraspand chose

i 'vattar dōšīt 'pat 'ān i 'kaδ-aš šnāsakān 'dēvān-ēzišnīh guft, 'ut 'ēn 'ku 'pas[īh] gōspand 'dahēt 'ō apāχtarīkān 'dēvān.

the worse inasmuch as his adherents preach the worship of demons and that they should offer cattle (as victims) to the demons of the planets.'

Ariš: for Ariš, the demon of Envy, v. Chapter I, p. 31, n. E. This particular demon seems to have been suggested by the use of the word *ərəš* in Ys. 30. 3, of which our present passage is supposed to be a translation. The Gāθic passage in question is that in which Ohrmazd and Ahriman are said to have been twins (*yōmā*) and to which the Zervanites pointed as authoritative evidence for the orthodoxy of their views. The Mazdean translator in the *Dēnkart*, possibly fortified by his ignorance of the sacred language and no less by that of his rivals, turns the tables on them and produces a translation the meaning of which is the exact opposite of theirs. That the Avestan language was but very imperfectly understood by those who were supposed to be its interpreters is sufficiently indicated by the following passage of the *Dēnkart*, DkM. 455. 10. A Christian polemist of the name Bōχt-Mārā asks a Magian priest several questions concerning his religion. Among them is the following: 'Why did God proclaim this religion in an unknown and cryptic language called Avestan?'—*yazat 'ēn dēn 'čē rāδ 'pat aδvāč-ē i anāšnāk i nihuftak i apastāk 'nām guft?* The reply does not attempt to refute the charge, but freely admits it, DkM. 459. 8. 'This word and religion of the Avesta is omniscience. As it is most nearly connected with the good spirits, so with regard to the languages of earthly men is it wonderful and passes all comprehension of men. The *Zand*, by reason of the manner in which it is spoken, is more current in the world and better understood.'—*'ēn mānsar 'ut dēn apastāk harvist-ākāsīh. čēyōn 'vēh-mēnōkān ['ut] nazd-brahmīhātar, 'pat hamāk āvāč i gēhānīkān ōyōn vitīmāsīk i vitart 'hač 'har ayāpakīh i 'martōmān. 'ut zand 'pat aδvēnak *i guft 'ēstēt, 'pat miyān i gēhān ravāktar, 'andar gēhān āšnāktar.* A franker admission of sacerdotal ignorance could hardly be made.

Amahraspand-⟨ē⟩: the addition of *-ē* or *-ān* seems necessary: otherwise we should obtain the translation—accepted by Schaeder, op. cit., p. 289—'Of them the Amahraspand chose the worse': alternatively it is possible to take *Amahraspand* as a plural derived from an old nominative rather than the genitive (v. Nyberg, CCM. 1929, pp. 266–7). Punctuation after *Amahraspand* does not seem possible, as the following sentence would then be left without a subject. The translation 'the Amahraspand' seems most unlikely, since it would then be necessary to assume that a doctrine was widely known according to which a given Amahraspand chose the evil side and that this Amahraspand was generally known as *the* Amahraspand to the exclusion of all others. This seems highly improbable, for in the Mazdean books the Amahraspands are always considered as the highest deities in the good creation and are, moreover, seven in number. If any one were referred to as *the* Amahraspand, it would no doubt be Vahman who is the first of their number.

What, then, is meant by 'An Amahraspand chose the worse'? Benveniste has claimed that the passage proves that in Zervanism there were Amahraspands of evil as well as of good. This is scarcely in accordance with their name, which, as Bailey has convincingly shown, means 'the immortals who give increase'. Now it is an acknowledged fact that the Manichaeans, in adapting the Iranian deities to their own conceptions, aimed at the closest correspondence possible with the Zervanite, not the Mazdean, brand of Zoroastrianism; and the Amahraspands do in fact occur in Manichaean texts: they are the five 'light' elements which make up the panoply

of the Primal Man (Ohrmazd in the Iranian texts), light, wind, fire, water, and the gentle breeze. It would, then, seem probable that in Zervanism too the elements were called 'Amahraspands'; and the elements of the Pahlavī books are normally those of Empedocles—fire, water, earth, and air. Of these, then, one chose the worse, that is, attached itself to Ahriman. This can only be water: for we read in Āδur-Hormizd (text F 5), 'Als das Wasser zum Ahraman gekommen war . . . .' Further, we saw in Chapter III, pp. 72 ff., that associated with some Zervanites at least, water, the female element, was regarded as evil. Our present passage is not, then, an isolated case of the Amahraspands being ~~according~~ attributed to Ahriman, but a further confirmation of what already had become sufficiently clear, namely that water, in our system, belongs to the evil creation.

'kaδ-aš šnāsakān: the sentence is only satisfactory if we take *šnāsakān* as the subject. Schaeder translates 'indem er den ihn Erkennenden (= Anerkennenden) die Dev-Anbetung verkündete': but this must involve the addition of *'ō* before *šnāsakān*. Benveniste has 'en ce qu'il a prêché le culte des démons, ses partisans' (l.c., p. 209): on p. 211 for *-aš šnāsakān* he writes 'qui le reconnaissent', from which he derives the meaning 'partisans'. It is, however, improbable that *šnāsakān* is in apposition to *'dēvān*, as the latter is best regarded as the first member of a compound *'dēvān-ēzišnīh*. Were this not so, the presence of the abstract termination *-īh* after the verbal noun *ēzišn* would be superfluous. It will, however, be granted that the scribes of the *Dēnkart* freely sprinkle their text with incorrect *-īh*'s.

F 3 (*b*). The following, a Manichaean fragment in Middle Persian, will be found in F. W. K. Müller, *Handschriften-Reste in Estrangelo-Schrift aus Turfān*, ii, p. 94; Salemann, *Manichäische Studien*, p. 10. See further text F 7 (*b*).

'wd gwynd kw 'whrmyzd 'wd 'hrmyn br'dr hynd 'wd pdys'y 'yn sχwn rsynd 'w wnywdyẖ.

'And they say that Ohrmazd and Ahriman are brothers; in consequence of this doctrine they will meet with their destruction.'

wnywdyẖ: later form of MPers. *wnybwṯ* + the abstract suffix *-yẖ* (*-īh*) (Henning, BSOS. ix, p. 89).

F 3 (*c*). Another Manichaean text found in the Turkish *Xᵛastuā-nift*. Text and translation in von le Coq, JRAS. 1911, p. 282, and Bang, 'Manichaeische Laien-Beichtspiegel', *Muséon*, xxxvi, p. 147. I follow the latter's translation.

The *Xᵛastuānift*—perhaps the most interesting and important Manichaean text that has so far turned up in central Asia—may be described as a Manichaean general confession. Its first section, from which our text is extracted, deals with sins against the god Äzruä (the Turkish form of Zurvān borrowed from the

Soghdian). From the Manichaean condemnation of the doctrine that Ohrmazd and Ahriman were brothers we may assume the whole of our passage to be an attack on those Zervanite doctrines which were repulsive to the eastern Manichees.

Wenn wir gesagt haben sollten: 'wenn jemand das Leben verleiht, so verleiht Gott es; wenn jemand den Tod giebt, so giebt Gott ihn', (oder) wenn wir gesagt haben sollten: 'das Gute unde das Böse hat Gott alles geschaffen', (oder) wenn wir gesagt haben sollten: 'er (Gott) ist der Schöpfer der ewigen Götter' (Gott sei der Schöpfer[a] der ewigen Götter), (oder) wenn wir gesagt haben sollten: 'Khormuzta[b] (der Urmensch) und Schimnu[c] (der Urteufel, die Materie) sind jüngerer und älterer Bruder.' Wenn wir jemals, mein Gott, aus Unverstand Gott verleugnend (wörtl.: gegen Gott falsch seiend) in dieser Weise gewaltig (gräßlich) gotteslästerliche Dinge gesagt haben sollten oder in dieser Weise diese unverzeihlichen (?) Sünden begangen haben sollten, mein Gott, so bereue ich, Raimast Färzind, jetzt und bitte um Vergebung der Sünden. *Manastar hirza* (d.h. Meine Sünde erlaß, vergieb).

NOTES

[a] The meaning is presumably 'creator by procreation and birth' with reference to Zurvān's physical paternity and maternity of Ohrmazd and Ahriman. The idea was notoriously repulsive to the Manichaeans who, when speaking of it, used the word 'evoke'.

[b] i.e. Ohrmazd.

[c] i.e. Ahriman: naturally not 'matter' in Zervanite doctrine.

F 3 (*d*). From the Syriac *Acts of the Persian Martyrs*. Text in Bedjan, *Acta Martyrum*, ii, p. 221; translation, O. Braun, *Ausgewählte Akten persischer Märtyrer*, p. 67. Both reproduced in Widengren, *Hochgottglaube im alten Iran*, p. 301; cf. I. F. Blue, *Indo-Iranian Studies in honour of . . . Sanjana*, p. 68. This translation follows Widengren in the main.

(The martyr Pûsai speaks to Šāpūr the Great.)

Wenn deine Majestät sagt: Sonne, Mond, Feuer und Wasser sind Kinder des Hormizd, so glauben wir Christen weder an den Bruder Satans noch bekennen wir den Mit-Erben des Teufels, wie die Magier sagen Hormizd sei der Bruder Satans. Wenn wir den Bruder Satans nicht anbeten, wie sollen wir dann die Kinder seines Bruders bekennen?

F 4. Šahristānī, *Kitābu'l-milal wa'n-niḥal*, pp. 183–5 in the edition of Cureton (Leipzig, 1923), cf. the translation of Haarbrücker, vol. i, pp. 277 ff. (Halle, 1850); I. F. Blue, *Indo-Iranian Studies in honour of Sanjana*, pp. 72 ff.

(1) The Zurvāniyya say that the Light emanated persons of light, and all were endowed with spirit, light, and lordship: but the greatest person whose name was Zurvān, doubted concerning something, and Ahriman (who is) Satan arose from that doubt. Some say that this was not so, but that the Great Zurvān stood and mumbled (prayers) for [nine thousand,] nine hundred and ninety-nine years that he might have a son; but he did not have one. Then he consulted with himself and thought and said, 'Perchance is this world (cosmos) as nothing': and Ahriman arose from this single reflection; and Hormuz arose from that wisdom. And they were both in one womb, and Hormuz was nearest to the door of egress: but Ahriman schemed so that he rent his mother's womb, and went out before him and seized the world (the earth). It is said that when he stood before Zurvān, and (Zurvān) beheld him and saw all the evil, wickedness, and corruption in him, he loathed him and cursed him and drove him away. And (Ahriman) went forth and mastered the world (the earth). (2) Hormuz, however, remained for a while without power over him; and he it is whom some took for their lord and served him in that they found in him goodness and purity and righteousness and beauty of character.

(3) Some of the Zurvāniyya think that there was always something evil with God, either an evil thought or an evil corruption, and that is the origin of Satan. They think that the world (earth) was free from wickedness and calamities and discord, and that its people were in a (state of) pure good and perfect prosperity: but when Ahriman arose, wickedness and calamities and discord arose.

(4) (Ahriman) was in a place apart from the sky, and he schemed so that he rent the sky and rose up. Some say that he was in the sky and that the earth was free from him, and he schemed till he rent the sky and descended on to the earth with all his hosts: and the Light fled with its angels, and Satan pursued it till he hemmed it in in its garden (paradise) and did battle with it for three thousand years, though Satan did not attain to the Lord Most High.

(5) Then the angels mediated and made peace (between them) so that the Devil and his hosts should dwell in the light for nine thousand years including the three thousand years in which he did battle with him. Then he will go out to his place.

(6) According to their words the Lord Most High thought it best to bear with the vileness of the Devil and his hosts, and he did not break the treaty until the time of peace was fulfilled: and men are in tribulation and discord and misfortune and trouble until the completion of the period. Then they return to their primal prosperity.

(7) The Devil made a pact that he (Hormuz) should give him power over things that he might do them, and he should allow him to undertake evil emprises. When they were finished with the pact, they called to witness two just ones, and they handed their swords to them, and said to them, 'Whoso shall break this treaty, him do ye slay with this sword.'

(8) I do not think that any sensible person will give credence to this idiotic doctrine, or look (favourably) on this feeble and idle religion. Yet, perhaps it is an allegory of what is figured in the mind. But whoso knows the Lord Most High in his glory and majesty will not assent to such nonsense nor lend his ears to these absurdities.

(9) More exact than this is what Abû Ḥâmidi-z-Zûzanî has told, (saying) that the Magians think that the Devil was always in the darkness and that the atmosphere and the Void were in a place apart from the kingdom of God. Then he continually crept and artfully drew nigh till he perceived the Light, and leapt forward and entered the kingdom of God and the Light, and brought in with him those calamities and wickedness. (10) And God Most High created this world (cosmos) as a net for him, and he fell into it and was suspended in it and could not return to his kingdom. He is imprisoned in this world (cosmos) and tortured in his captivity; and he shoots at God's creation with calamities and distress and discord: to whomsoever God gives life, he assails him with death; and to whomsoever (God) gives health, he assails him with sickness; and whomsoever (God) rejoices, he assails him with grief: nor does he cease from this till the day of the Resurrection. (11) Yet every day his kingdom decreases until he has no more power. And when the Resurrection comes to pass, his kingdom will pass away, and his fires shall be quenched, and his power will cease and his might shall dwindle away, and he shall be flung into the atmosphere, and the atmosphere is darkness without ending or issue. Then God will assemble the men of the religions and judge them and requite them according to their obedience or disobedience towards Satan.

F 5. S 7 in Bidez–Cumont, *Mages*, ii (pp. 107–11). Text in Bedjan, *Acta Martyrum*, ii, pp. 576 ff. Annotated translation first published by Nöldeke in *Festgruß an Rudolph von Roth*, Stuttgart, 1893, pp. 34–38. Reproduced by Mariès, *Le* de Deo *d'Eznik de Kołb*, pp. 43–47, who adds translations of parallel passages from Eznik in parallel column. The best edition is now that of Bidez–Cumont, l.c. Our translation is that of Nöldeke.

I

(The Magian High Priest, Âdhurfrâzgerd, speaks)

Aus unserem Abhestāg (Avesta) ist deutlich erkannt worden, daß jeder, der in dieser Welt in Glanz und Ehren, auch im Ristâchêz herrlich, geehrt und erhaben ist, und jeder, der in dieser Welt elend und niedrig, auch in jener Welt ebenso elend ist. Denn diese beiden Welten Gêthîh und Behišt sind von Hormizd geschaffen, und wie einer vor dem Großkönig, den Hormizd Chodâi zum Pâtachšâh gemacht hat, um in dieser Welt über unser Kišwar zu herrschen, Ehre hat, so hat er sie auch im Behišt vor Hormizd Chodâi.

Da that der treffliche Âdhurhormizd den Mund auf und sprach zu ihm: Was ist das Leben? Was sind diese vergänglichen Güter, mit denen sich beschäftigt zu haben nach dem Vergehen der Welt keinem hilft? Was habt ihr für eine Lehre, die nützte? Sollen wir Ašôqar, Frašôqar, Zarôqar und Zurwân für Götter halten? Oder den durch Gebet und Gelübde erlangten Hormizd, dessen Vater für seine Gelübde und Opfer erst Erfolg hatte, nachdem er, ohne es zu wollen, den Satan hervorgebracht, indem er gar nicht damit einverstanden war und nicht wußte, wer sie in ihm gebildet hatte und von wem sie geschaffen waren? So zeigt sich, daß Ašôqar, Frašôqar und Zarôqar leere Namen und empfindungslose Steine sind, und so zeigt sich auch Zurwân fern von aller Eigenschaft als Gott, da er ja nicht einmal das wußte, was in seinem Leibe gebildet wurde. Es sieht also nach euren Worten so aus, als ob etwa noch ein anderer Gott da war, dem Zurwân, nach euren Worten, opferte und der ohne seinen Willen die Söhne bildete. Oder galt das vielleicht den Naturwesen, die von euch die Angehörigen des Hormizd und Behman genannt werden, (sc. oder) den dreißig Göttern und Göttersöhnen, die Gutes und Böses thun? Wen sollen wir also von ihnen ehren oder wem zu gefallen suchen, daß er uns helfe? Oder muß man vielleicht dem Ahraman zu gefallen suchen, der, nach euren Worten, aus seinen Werken als weise, kundig und hochmächtig erscheint, wie Hormizd als schwach und dumm, da er gar nichts zu schaffen wußte, bis er von Ahramans Schülern lernte? Denn als er, nach euren Worten, die Welt erschuf, ließ er sie in Finsternis, bis er von Ahramans Schülern lernte. Dann erst schuf er das Licht. Und als Hormizd dann nur einmal bei seiner Mutter schlief, wurde die Sonne, die so hell ist, geboren,

und die Hunde, Schweine, Esel und Rinder. Während sie vorher jeden Tag Chwêtwôdatîh vollzogen hatten, konnten sie doch nicht die Sonne schaffen und besonders nicht die Rinder, welche die Gerechten sind, und die Hunde, die reinen und reinigenden, die Hüter der Thore des Behišt. Und als das Wasser zum Ahraman gekommen war, sprach dieser zu Hormizd: 'deine Tiere sollen nicht von meinem Wasser trinken'. Da Hormizd nun kein Mittel sah und in Furcht war, entdeckte ihm ein Dämon von Ahramans Schar eins und belehrte ihn. Da sprach er zu Ahraman: 'nimm dein Wasser von meiner Erde'. So trank nun der Frosch,[a] den Ahraman geschaffen hatte, das Wasser aus, und Hormizd blieb wieder in Furcht und Betrübnis, bis er von den Geschöpfen Ahramans Hilfe erhielt, denn eine Fliege drang dem Frosch in die Nase, da wurde er irre, und nun kehrte das Wasser an seine Stelle zurück. Hormizd freute sich da und versprach einem von den Dienern, den Vertrauten Ahramans, der ihm die Entdeckung und Mitteilung gemacht hatte, ihm einen Sitz im Behišt zu geben. Und alle Magier sagen für ihn Shnûman her. Wie aus den Thatsachen ersichtlich, ziemt sich's also für uns, dem weisen und mächtigen Satan zu gehorchen und zu dienen, nicht aber dem dummen und unkräftigen Hormizd.

II

(*Anâhêdh speaks to Adhurfrâzgerd*)

Wie sagst du, o Obermagier? daß das Feuer und die Gestirne, die du vorbringst, Kinder des Hormizd seien, die von ihm selbst empfangen und geboren seien? oder von jemand anders? Wir sehen ja, daß alle, die erzeugen und gebären, die Geburt durch Vereinigung zweier, des Männlichen und Weiblichen, zu stande bringen, und nicht (geschieht das) bloß von einem von ihnen. Wenn sie nun aber Hormizd in sich selbst, d.h. bloß in seinem Leibe, empfangen und geboren hat, so ist er, wie sein Vater Zurwân, mann-weiblich, wie die Manichäer sagen. Und wenn er sie mit seiner Mutter, Tochter oder Schwester gezeugt hat, wie eure thörichte und alberne Lehre sagt, warum soll er uns dann nicht in allem gleichen? Ein Gott dagegen hat weder Mutter, noch Tochter, noch Schwester, weil er einer ist und er allein Gott ist, der über all seine Schätze frei verfügt. Daß aber Hormizd wie wir dem Anfang, Ende und Vergehen unterliegt, dafür zeugen sein Vater Zurwân und seine Mutter Xᵛaš(χ)varrīγ.[b] Wie diese das Leben verloren haben, so verlieren es auch ihre Kinder und Kindeskinder, und über diese heißt es in unseren (heiligen) Schriften: 'verlaßt euch nicht auf einen Menschen, auf den kein Verlaß ist, sondern auf den lebendigen Gott.'

NOTES

[a] This myth is highly obscure. Presumably one of the demons is referred to as a frog. Though in the fourth chapter of the *Bundahišn* Ahriman figures as a frog, he plainly cannot be meant here since this frog is created by him. It would therefore seem probable that it is Āz who is compared to a frog in Zs. 34. 35 (text Z 5 (*a*)). The fly is perhaps Ēšm, the demon of wrath.

[b] v. Chapter III, p. 64.

F 6. S 3*a* in Bidez–Cumont, *Mages* (ii, pp. 98–99). Mâr Abhâ. From the *Interpretation of the Laws concerning Sexual Intercourse and Marriage*. Text and translation published by Braun (ZDMG. lvii, 1903, pp. 562–5); reproduced by Sachau with translation (*Syrische Rechtsbücher*, iii, 1914, p. 265). Cf. further Benveniste, MO. xxvi, p. 175. The author Mâr Abhâ was a convert from Magianism to Nestorian Christianity: he was a Nestorian Catholicus from 540 to 552 (Bidez–Cumont).

This translation is that of Sachau.

Von Zerwân, dem Vater ihrer Götter, erzählen die Magier, daß er 1000 Jahre Magismus geübt habe, damit er einen Sohn bekomme, und daß er ob seiner Gerechtigkeit erhört wurde. Sie (die Magier) mögen uns nun nachweisen, wer dieses Zerwâns Mutter, Schwester und Tochter war, wer der Gemahl seiner Mutter und der Vater seiner Schwester, wer seine Gemahlin oder Mutter oder der Vater seiner Mutter war. Wenn sie über diesen (Zerwân) nichts vorbringen können, wie reden sie dann über Hormizd! Woher kommen denn diese Weiber des Hormizd, da sie doch lehren, daß er weder von sich selbst noch von seinem Vater noch von irgendeinem anderen Menschen geboren sei.

Wie war es ferner möglich, daß durch ein solches Lager die Himmelskörper geschaffen wurden, wie sie sagen? Unwahrscheinliches und Unglaubwürdiges kann durch Wahrscheinliches und Sichtbares bewiesen werden. Sie sollen uns nun ein sicheres Zeugnis für diese Hormizdgeschichte bringen. Infolge ihrer jetzigen Theorien heiraten sie ihre Mütter, Schwestern und Töchter. Wenn nun solche Leute imstande sind Wunder und eine neue Schöpfung zu verrichten, und durch den Geschlechtsverkehr mit solchen Weibern eine neue Weisheit zu erlangen, dann glauben die Menschen auch diese unwahrscheinliche Hormizdgeschichte so, wie sie erzählt wird. Wenn sie aber derartiges nicht nachweisen können, wie sollen wir dann von Hormizd glauben, daß er imstande gewesen sei, die Weisheit für die Erschaffung der Himmelskörper durch eine solche schmutzige

Geschlechtsverbindung zu erwerben, er, der ein Schüler des Satans ist, dem der Satan Genosse und gesinnungsgleich ist? Wenn aber Hormizd, der nicht von sich selbst und nicht von seiner und seines Vaters und seiner übrigen Vorfahren Gottesnatur, sondern von dem Satan diese Lehre von der absonderlichen Geschlechtsverbindung mit Mutter, Schwester und Tochter empfangen hat, wie sollte es da nicht klar sein und man es nicht laut ausrufen, daß alle diejenigen, welche um ihres Gottes Hormizd willen solche (blutverwandte) Weiber heiraten, Schüler und Sklaven des Satans sind, nicht des wahren Gottes?

F 7 (*a*). From Eznik, *Against the Sects*, Book II, chapter 8, Venice edition, 1926 (pp. 151–4); cf. the translations of Schmid, pp. 108–10; Langlois, ii, p. 380.

Indeed, both (sc. Ohrmazd and Ahriman) were responsible for the torments of evil in that they harm the good creatures of the good (god). For Ohrmazd, they say, made whatsoever is good, including righteous and beneficent men; and Ahriman (made) evil creatures and demons (*dews*).

Now if the demons were evil creatures and evil by nature, then no single one of them could ever conceive anything good—particularly not Ahriman. But we see that one thing which is very fair among creatures, was brought into being by the resourcefulness of Ahriman, as they (themselves) say. When he saw, they say, that Ohrmazd had created beautiful creatures, yet knew not how to create light, he took counsel with the demons, and said, 'What benefit hath Ohrmazd? for he has created such beautiful creatures, yet they remain in darkness, and he knew not how to create the light? But if he were wise, he would go in unto his mother, and the Sun would be born (*lit.* would become) as his son; and he would have intercourse with his sister, and the Moon would be born.' And he charged (them) that not one (of them) should betray his thought. A demon, Mahmi, having heard this, came before Ohrmazd with all speed, and betrayed that thought to him. O what senselessness and disgusting imbecility! He who knew the means by which he could create heaven and earth and all that in them is, could not even conceive of this means and device. Thus not only do they make Ohrmazd foolish, but (they make) Ahriman good and the deviser of good creatures.

For again they assert that Ahriman said: 'It is not that I cannot create anything good, but that I will not.' And that he might give effect to his words, he created the peacock. Do you see? He is evil through his own wish, not from the fact of his birth.

Yet what is there more brilliant than the light which Ahriman devised? or what is more fair than the peacock which he made to display his power to make what is beautiful? Thus it is clear that if Ahriman were in essence evil, he could not have devised a means of creating the light, nor could he have created what is fair. Further, if the demons were in essence evil, it would have been impossible for Mahmi to reveal the means of creating light: for even to this day the priests of this sect offer sacrifices to him three times a year. For this reason they are refuted and condemned in that they too are worshippers of demons: and the demons are not evil in essence, but of their own free will. And if they themselves offer sacrifices to a demon, what grounds have they for persecuting the worshippers of the demons? You see that whatever they say is fables and idle tales.

F 7 (*b*). The following text from a Persian Manichaean fragment has lately been published by Professor Henning (*Zoroaster*, p. 50). The first paragraph is the same as our text F 3 (*b*). The fragment presumably derives from the same source as Eznik.

'wd gwynd kw 'whrmyzd 'wd 'hrmyn br'dr hynd 'wd pdys'y 'yn sχwn rsynd 'w wnywdyẖ.

They say that Ohrmazd and Ahriman are brothers: in consequence of this doctrine they will meet with their destruction.

z'wr w p'dys'gyẖ gwynd 'br 'whrmyzd kwš m'hmy dyw hmwχt šhr rwšn qyrdn.

They lie against Ohrmazd and slander him, (saying) that the demon Māhmī taught him to make the world light.

F 8. S 4 in Bidez–Cumont, *Mages* (ii, p. 100). From the treatise on *The Cause of the Foundation of the Schools*, by Mâr Barhad Bešabbâ, Bishop of Halvan (wrote 581–604). Text and translation by Addai Scher, *Patrologia Orientalis*, iv, 1908, pp. 365–7; cf. Benveniste, MO. xxvi, p. 176.

Zardušt, mage perse, fonda, lui aussi, une école en Perse, au temps du roi Baštasp (i.e. Vištāspa *resp.* Guštāsp, Hystaspes); il attira à lui beaucoup d'élèves, qui, étant aveugles d'esprit, s'accordèrent facilement avec lui dans ses erreurs. Il enseigna tout d'abord l'existence de quatre dieux, Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar et Zarwān; mais il ne dit pas quelles étaient leurs opérations. Ensuite il admit deux autres dieux, Hormizd et Ahriman, disant que tous les deux ont été engendrés par Zarwān. Hormizd est complètement

bon; Ahriman est complètement mauvais. Ce sont les deux qui ont fait ce monde; le dieu bon créa les bonnes créatures, et le dieu mauvais créa les créatures mauvaises. Zardušt admit ensuite vingt-quatre autres dieux, qui font en tout trente, selon les jours du mois. Il dit qu'il ne faut point égorger les animaux; car Hormizd est en eux, mais qu'il faut meurtrir par des coups de bâton le cou de l'animal destiné à être égorgé, jusqu'à ce qu'il soit sans vie, et ensuite l'immoler, afin qu'il ne sente point la douleur. Il dit encore, entre autres choses, que l'homme peut épouser sa mère, sa fille et sa sœur; et qu'il ne faut pas que les morts soient ensevelis, mais qu'ils soient jetés au dehors pour être la nourriture des oiseaux de proie.

F 9. S 5 in Bidez–Cumont, *Mages* (ii, p. 101). Anonymous Syriac text. Published by Rahmani in *Studia Syriaca*, fasc. iv, p. 1. Re-edited and translated by Nyberg in JA. ccxiv, 1929 (CCM.), pp. 238–41.

Sur l'erreur des mages

Ceux-ci se répandaient, eux aussi, dans l'Empire de l'Est; ils avaient reçu leur erreur de Zardušt le fou . . . qui avait été instruit dans la langue hébraïque et la langue égyptienne, et qui avait recueilli de sept langues ses paroles en y mêlant le poison de la mort pour le donner en nourriture aux mages — de sorte qu'on peut dire qu'ils ne comprennent ni ce qu'ils disent eux-mêmes, ni les fables ineptes que leur maître a inventées.

C'est que son impiété est manifeste. Elle consiste en ceci: à l'origine des choses il pose deux antagonistes comme chefs de ce monde-ci qui est un, à savoir Hormezd et Ahremēd, c'est à dire Satan; il dit que ces deux sont nés du dieu Zarvān. Il partage les choses créées entre ces deux en disant: la lumière appartient à Hormezd, les ténèbres appartiennent à Ahremēd; la vie appartient à Hormezd, la mort à Ahremēd; la santé et la richesse appartiennent à Hormezd, la maladie et la pauvreté à Ahremēd.[a] Sur le même modèle les êtres vivants sont assignés, les uns à Hormezd et les autres à Ahremēd. C'est ainsi qu'il attribue les hommes et les grands animaux à Hormezd, mais les serpents, les scorpions, les cousins, les poux, les mouches et tous les reptiles de la terre à Ahremēd. De tout cela on peut inférer clairement qu'il suppose des séries de divinités mâles et femelles. Il dit qu'à chaque jour du mois préside un dieu, en commençant par Hormezd qui est le premier, et en donnant ainsi une série de trente dieux. Il dit aussi que les éléments, savoir le feu,[b] l'eau, la terre et l'atmosphère sont des dieux, mais qu'ils sont inférieurs quant à la souveraineté et à la divinité aux dieux

Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar et Zarwān. Frašōqar est celui qui engendra Hormazd.

NOTES

[a] Cf. Ełišē, Yohannisean, p. 28; Langlois, ii, p. 190. 'Ohrmazd created heaven and earth; and Ahriman, on the contrary, created evil. In this way are creatures divided: the angels (belong) to Ohrmazd, and the demons to Ahriman. Whatever is good in heaven and here, belongs to Ohrmazd; all sins, which are committed there or here, were created by Ahriman. Similarly whatever is good on earth was created by Ohrmazd, and whatever is not good was created by Ahriman: thus Ohrmazd created man, and Ahriman created disease, illness, and death: and all misfortunes, disasters, and bitter wars that exist, are creatures of the evil side; but prosperity, lordship, fortune, honour, bodily health, beauty of form, eloquence, and long life are the work of the creator of good. Everything which is not so, is contaminated by the creator of evil.'

[b] Text has *NWR'* 'fire', not *NHWR'* 'light' (so Nyberg).

F 10. S 6 in Bidez–Cumont, *Mages* (ii, pp. 104–7). From Theodore bar Kônai, *Book of Scholia*. Text and translation in Pognon, *Inscriptions mandaïtes des coupes de Khouabir*, pp. 111 ff. and pp. 161 ff. The whole chapter has been thoroughly analysed by Benveniste, MO. xxvi, pp. 170–215. Cf. also Yohannan, JAOS. xliii, pp. 239–42, and Chapter VII of this book.

Il (sc. Zoroastre) reconnut d'abord quatre principes comme les quatre éléments, Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar et Zarwan, et dit que Zarwan fut le père d'Ormazd.

[*Here follows the myth reproduced in our text F 1*]

Lorsqu' Ormazd eut donné des femmes aux justes, elles s'enfuirent et se rendirent auprès de Satan; lorsqu' Ormazd procura aux justes le calme et le bonheur, Satan procura aussi le bonheur aux femmes. Satan ayant permis aux femmes de demander ce qu'elles voudraient, Ormazd eut peur qu'elles ne demandassent à avoir des rapports avec les justes et qu'il n'en résultât pour eux un châtiment. Il chercha un expédient et fit le dieu Narsa, personnage de cinq cent (*read* quinze) ans. Il le mit tout nu derrière Satan pour que les femmes le vissent, le désirassent et le demandassent à Satan. Les femmes levèrent leurs mains vers Satan et lui dirent: 'Satan, notre père, donne-nous le dieu Narsa en présent!'

Dans un autre passage, il dit, que la terre était une jeune vierge qui s'était fiancée avec Parisag.[a] Il dit que le feu était doué de raison et marchait avec Gounrap,[b] l'humide des bois. Il dit de Parisag qu'il était parfois une colombe, une fourmi, un vieux chien; de Koum,[c] qu'il était un

dauphin et un coq et qu'il accueillit Parisag; de Kikoaouz, qu'il était un bélier de montagne et frappait le firmament de ses cornes; de la terre et de Gougi, qu'ils menacèrent le ciel de l'avaler.

Les partisans de Zoroastre réprouvent les règles de la femme et la lèpre qu'ils considèrent comme impures au point de vue de la loi réligieuse. Il enseigne à honorer le feu et regarde les jours du mois comme des dieux.

D'après le témoignage de ses disciples, cet imposteur fut dévoré par des loups, parce que, lorsqu' il voulut s'enfuir d'auprès d'eux, ils lui ôtèrent la vue. Il y a des gens qui prétendent qu'il leur donna à l'origine un enseignement véridique, mais que, lorsqu' il voulut partir, ils ne le lui permirent pas et l'aveuglèrent, et qu'alors il changea et leur donna un enseignement pervers.

De Zoroastre à l'apparition de Notre Seigneur Jésus Christ, six cent vingt-huit années et sept mois s'écoulèrent.

NOTES

[a] Parisag is presumably Frāsyāk (Āfrāsyāb). v. Benveniste, op. cit.

[b] *gwnrp*: formally this word corresponds to Av. *gandarəwa-*, Phl. *Gandarβ* (*gndrp*, Mχ. 27. 23; PhlRiv. 18, f. 9; DkM. 597. 15: 802. 21). *Gwnrp* = *Gunnarβ* < *Gundarβ* (*nd* > *nn* as in *handām* > *hannām*, &c.). For the spelling with *w* cf. Firdausī's *Kundərū* < *Gandarβ*, ŠnV. i. 55. 405:

u-rā kundərū χᵛāndandī ba-nām
ba-kundī zadī pīš bīdād gām.

Here *kundərū* must obviously be vocalized in accordance with *kundī*. The epithet 'l'humide des bois' is not paralleled; Gandarəwa is, however, connected with the water, and his fight with Kərəsāspa takes place in the sea Vourukaša (PhlRiv. 18, f. 9 ff.). His association with the fire could be explained by the fact that he is the opponent of Kərəsāspa who did violence to the fire. This identification of *gwnrp* with *gandarəwa* has been adopted by Henning (*Zoroaster*, p. 51).

A different and in many ways more satisfactory interpretation has been suggested by de Menasce in JA. 1949, pp. 3–6. He would emend *gwnrp* to *gwrp* = *Gurāf* < *Virāf*, the hero of the *Artāk Virāf Nāmak*, thus rejecting the hitherto accepted *Virāz*. Artāk Virāf is, in fact, reprimanded for giving damp wood to the fire and is addressed as *χᵛēt-ēzm* (x. 6), of which 'humide des bois' would be an exact translation. Further Ātur, the genius of fire, and Srōš are Virāf's guides and the phrase 'le feu était doué de raison et marchait avec *Gurāf' is therefore closely parallel. The equation of *gwnrp* with Artāk Virāf, then, seems the more plausible.

[c] Koum is possibly Hōm, and Kikoaouz is presumably Kay Kāūs (Benveniste, op. cit.). Neither of the legends told here appears, so far as I know, in any Zoroastrian text.

F 11. The following extract from Eznik follows immediately after our text F 7 (*a*). The text is found in the Venice edition, 1926, p. 154. Cf. the translations of Schmid, p. 110; Langlois, ii, p. 380. Cf. Benveniste, *The Persian Religion*, pp. 89 ff.

Again those who attribute the creation of the luminaries to such causes as these alter their words and introduce another cause for the genesis of the Sun. Ahriman, they say, summoned Ohrmazd to a feast. When he had come, Ohrmazd was unwilling to partake of the feast unless their sons should first have struggled together. When the son of Ahriman had vanquished the son of Ohrmazd, they sought for a judge and could find none. Then they took and created the Sun to be a judge for them.

Thus they say on the one hand that Ahriman found a way to create the Sun; on the other it is plain that he is the co-creator of the light. And if there was no other judge, could they not go to their father or to him to whom the father and son offered sacrifice according to the fable?

F 12. Mas'ūdī, *Kitābu't-tanbīh wa'l-išrāf*, ed. de Goeje, p. 93; translation of Carra de Vaux, p. 134.

(We have related) their (the Persians') stories of his (Zoroaster's) miracles and signs and wonders and their belief in five original principles, that is Ohrmazd who is God (may he be exalted and glorified) and Ahriman who is the evil Satan, and Gāh which is Time (*zamān*), and Jāy[a] which is Space, and *Yōm which is the good ferment* together with their arguments in favour of this doctrine.[b] And (we have related) their reason for magnifying the two luminaries and other lights, and the distinction they draw between fire and light, and their account of the origin of the human race concerning Mīšāh (Phl. Mašyē) who is Mahlā, son of Gayōmart and Mīšānī (Phl. Mašyānē) who is Mahlīnah, daughter of Gayōmart, and how the genealogy of the Persian race is traced back to these two; and besides (we have related) in those of our books which we have named, their religious opinions and the nature of their services and the places in which they have their fire-temples.

Certain Muhammadan theologians who have written books on the sects and who have sought to refute this sect, both in the remote and the recent past, relate that they hold that God had a thought and that from that thought evil arose, that is Satan, and that God conciliated him, granting him a period of time in which he might tempt (men), and other things from their religion which the Magians deny and do not believe. I think that this was told them by some common persons from whom they heard it and took it on trust and attributed it to the whole (sect).

NOTES

[a] The MSS. have *jām*.

[b] For a discussion of this passage v. Part I, pp. 210–11.

F 13. Firdausī, *Šāhnāmeh*, ed. Vullers, vol. i, pp. 208–11; cf. the translation of Mohl, vol. i, pp. 259–63.

The mōbads make trial of Zāl

1. Then did the king summon Zāl, for he wished to ask him certain questions. The wise men with wakeful minds took their seats, and with them Zāl and the renowned *mōbads*, that they might ask of him many a thing and word hidden with a veil. One *mōbad* questioned Zāl—a quick-witted, discerning sage was he—'What are those twelve noble cypresses which grow majestic and luxuriant, and each one shoots forth thirty boughs and they neither wax nor wane in the Persian computation(?)?'

2. Another *mōbad* said, 'O exalted one, two horses, precious and fleet of foot, move forth, the one like unto a lake of pitch and the other lustrous as white crystal: they move and they both hurry on, but never do they catch each other up.'

3. Another spake thus, 'Those thirty horsemen, passing in review before the King—one was lost; but if thou look aright, all thirty are back again when thou dost number them.'

4. A fourth spake thus, '(There is) a meadow which thou dost see full of green herbs and streams. A man with a great sharp scythe stalks proudly towards the meadow; moist and dry together he mows down, and if thou make supplication, he hears thee not.'

5. Another said, '(There are) two lofty cypresses (growing) like reeds in a billowy sea: a bird has its dwelling-place upon them; at eventide its seat is on the one and at dawn on the other. When it flies from the one, its foliage withers; it alights on the other and it gives out a scent of musk. Of these two one is ever fresh, but the leaves and fruit of the other are withered.'

6. Another asked, 'In a mountainous country I found a strong citadel. Wise men from that citadel chose on the plain a thorny place; they built buildings whose top reached to the Moon: some became servants and some leaders. They think no more of that citadel and no one speaks or makes mention of it. An earthquake arises on a sudden and their land and habitation completely disappear. Necessity brings them to that citadel and brings them long forebodings. These words are hidden by a veil: seek, and speak forth plain before the lords. If thou make these secrets manifest, thou makest purest musk from black earth.'

Zāl answers the mōbads

7. For awhile the aged Zāl was lost in thought; he raised his wings and stretched forth his pinions. Thereupon he loosened his tongue in answer and took account of all the questions of the *mōbads*.

8. 'First concerning the twelve lofty trees, each of which puts forth thirty branches—in a year there are twelve new moons like splendid kings upon new thrones. In thirty days the month comes to an end: such is the revolution of Time.

9. 'Now for what thou hast said concerning the two horses, blazing like unto lightning. Both the white and the black are Time; they pursue each other swiftly, they are night and day which pass by, they reckon each moment of the firmament above us. They do not catch each other up as they gallop on, running like the quarry before the hounds.

10. 'And the third question which thou didst ask concerning the thirty horsemen who passed before the king; of those thirty horsemen one is missing, but at the time of numbering the full thirty are (there). Know that the numbering of the new moon is in this wise, for so has the Lord of earth ordained. Thou canst be speaking only of the waning of the Moon which on one certain night always disappears from time to time.

11. 'Now I shall unsheathe that word concerning the two cypresses where a bird has its dwelling-place. From the constellation of the Ram to the Scales darkness keeps the world hid: when it passes from these it goes to the Fish, and then there is darkness and blackness. Those two cypresses are the two arms of the lofty firmament through which we rejoice and (through which) we are grieved. Know that the flying bird upon it is the Sun, and know that for the world fear and hope are from him.

12. 'Again the citadel in a mountainous land is the house of eternity and the place of reckoning: that thorny place is this transitory abode which is at once pleasure and treasure and grief and pain. It counts the breath you breathe, it gives increase and carries it away. Wind and earthquake arise and raise grief and lamentation in the world. All our toiling remains in the thorny place: we must pass on to the citadel. Another will taste the fruits of our toil, but for him too they will not endure, and he too must pass on. So has it been from the beginning; so it is, and this will never grow old (change). If our riches are a good name, our soul will in the end be honoured. If we practise concupiscence (Āz) and twist and turn, (the result) will be manifest when we pass from life. Though our palace reach even unto Saturn, nought will remain for us but a winding-sheet. When brick and earth are heaped upon our face, everywhere is there fear and care and anguish.

13. 'Concerning the desert and that man with the sharp scythe, and the hearts of moist and dry are in terror of him; moist and dry alike he mows

down, and if thou make supplication, he hears thee not. This is the wood-cutter Time, and we are like the grass. Alike to him is the grandson, alike to him the grandsire: he takes account of neither old nor young; whatever prey comes before him, he pursues. Such is the nature and composition of the world that save for death no mother bore a son. He enters in at one door and passes out through another: Time counts his every breath.'

IV

GREEK TEXTS

In this section only those texts from Greek authors will be found which directly concern Zurvān or Zervanism. For the collected Greek and Latin references to the Magian religion the reader is referred to Clemen, *Fontes historiae religionis persicae*, Bonn, 1920, and to Bidez–Cumont, *Les Mages hellénisés*, ii, Paris, 1938.

G 1. From the *Dubitationes et solutiones de Principiis* of Damascius (*c.* A.D. 453–533) 125 bis. v. Clemen, *Fontes*, p. 95.

μάγοι δὲ καὶ πᾶν τὸ ἄρειον γένος, ὡς καὶ τοῦτο γράφει ὁ Εὔδημος, οἱ μὲν Τόπον, οἱ δὲ Χρόνον καλοῦσι τὸ νοητὸν ἅπαν καὶ τὸ ἡνωμένον, ἐξ οὗ διακριθῆναι ἢ θεὸν ἀγαθὸν καὶ δαίμονα κακόν, ἢ φῶς καὶ σκότος πρὸ τούτων, ὡς ἐνίους λέγειν. οὗτοι δὲ οὖν καὶ αὐτοὶ μετὰ τὴν ἀδιάκριτον φύσιν διακρινομένην ποιοῦσι τὴν διττὴν συστοιχίαν τῶν κρειττόνων, τῆς μὲν ἡγεῖσθαι τὸν Ὠρομάσδη, τῆς δὲ τόν Ἀρειμάνιον.

G 2. Theodore of Mopsuestia *apud* Photius, bibl. 81 (Migne, *P.G.* ciii, col. 281: Clemen, *Fontes*, p. 108; Bidez–Cumont, *Mages*, ii, p. 87).

ἀνεγνώσθη βιβλιδάριον Θεοδώρου Περὶ τῆς ἐν Περσίδι μαγικῆς, καὶ τίς ἡ τῆς εὐσεβείας διαφορά, ἐν λόγοις τρισί. . . . καὶ ἐν μὲν τῷ πρώτῳ λόγῳ προστίθεται τὸ μιαρὸν Περσῶν δόγμα, ὃ Ζαράδης εἰσηγήσατο, ἤτοι τοῦ Ζουρουάμ, ὃν ἀρχηγὸν πάντων εἰσάγει, ὃν καὶ Τύχην καλεῖ· καὶ ὅτι σπένδων, ἵνα τέκῃ τὸν Ὀρμίσδαν, ἔτεκεν ἐκεῖνον καὶ τὸν Σατανᾶν· καὶ περὶ τῆς αὐτῶν αἱμομιξίας. καὶ ἁπλῶς τὸ δυσσεβὲς καὶ ὑπέραισχρον δόγμα κατὰ λέξιν ἐκθεὶς ἀνασκευάζει ἐν τῷ πρώτῳ λόγῳ.

G 3. Hippolytus, *Refutatio omnium haeresium*, i. 2. 12–13 (v. Clemen, *Fontes*, p. 76; Bidez–Cumont, *Mages*, ii, p. 63).

Διόδωρος . . . ὁ Ἐρετριεὺς καὶ Ἀριστόξενος ὁ μουσικός φασι πρὸς Ζαράταν τὸν Χαλδαῖον ἐληλυθέναι Πυθαγόραν· τὸν δὲ ἐκθέσθαι αὐτῷ δύο εἶναι ἀπ' ἀρχῆς τοῖς οὖσιν αἴτια, πατέρα καὶ μητέρα· καὶ πατέρα μὲν φῶς, μητέρα δὲ σκότος, τοῦ δὲ φωτὸς μέρη θερμόν, ξηρόν, κοῦφον, ταχύ· τοῦ δὲ σκότους

ψυχρόν, ὑγρόν, βαρύ, βραδύ· ἐκ δὲ τούτων πάντα τὸν κόσμον συνεστάναι, ἐκ θηλείας καὶ ἄρρενος. εἶναι δὲ τὸν κόσμον φησὶν κατὰ μουσικὴν ἁρμονίαν, διὸ καὶ τὸν ἥλιον ποιεῖσθαι τὴν περίοδον ἐναρμόνιον. περὶ δὲ τῶν ἐκ γῆς καὶ κόσμου γινομένων τάδε φασὶ λέγειν τὸν Ζαράταν· δύο δαίμονας εἶναι, τὸν μὲν οὐράνιον, τὸν δὲ χθόνιον· καὶ τὸν μὲν χθόνιον ἀνιέναι τὴν γένεσιν ἐκ τῆς γῆς· εἶναι δὲ ὕδωρ, τὸν δὲ οὐράνιον πῦρ μετέχον τοῦ ἀέρος, θερμὸν καὶ ψυχρόν· διὸ καὶ τούτων οὐδὲν ἀναιρεῖν οὐδὲ μιαίνειν φησὶ τὴν ψυχήν· ἐστὶ γὰρ ταῦτα οὐσία τῶν πάντων.

G 4. Plutarch, *de Iside et Osiride*, 45–47, pp. 369 D–370 D (Clemen, *Fontes*, p. 48; Bidez–Cumont, *Mages*, ii, pp. 70 ff.: translated in Benveniste, *The Persian Religion*, pp. 69 ff.). Though this passage cannot strictly be considered Zervanite (v. Chapter I, pp. 13 ff.), it is included because in our opinion it may reflect the beliefs and practices of the dissident Magians, the *yātūkān* or sorcerers.

εἰ γὰρ οὐδὲν ἀναιτίως πέφυκε γίνεσθαι, αἰτίαν δὲ κακοῦ τἀγαθὸν οὐκ ἂν παράσχοι, δεῖ γένεσιν ἰδίαν καὶ ἀρχὴν ὥσπερ ἀγαθοῦ καὶ κακοῦ τὴν φύσιν ἔχειν. καὶ δοκεῖ τοῦτο τοῖς πλείστοις καὶ σοφωτάτοις. νομίζουσι γὰρ οἱ μὲν θεοὺς εἶναι δύο καθάπερ ἀντιτέχνους, τὸν μὲν ἀγαθῶν, τὸν δὲ φαύλων δημιουργόν· οἱ δὲ τὸν μὲν [γὰρ] ἀμείνονα θεόν, τὸν δ' ἕτερον δαίμονα καλοῦσιν, ὥσπερ Ζωροάστρης ὁ μάγος, ὃν πεντακισχιλίοις ἔτεσιν τῶν Τρωικῶν γεγονέναι πρεσβύτερον ἱστοροῦσιν. οὗτος οὖν ἐκάλει τὸν μὲν Ὡρομάζην, τὸν δ' Ἀρειμάνιον, καὶ προσαπεφαίνετο τὸν μὲν ἐοικέναι φωτὶ μάλιστα τῶν αἰσθητῶν, τὸν δ' ἔμπαλιν σκότῳ καὶ ἀγνοίᾳ, μέσον δ' ἀμφοῖν τὸν Μίθρην εἶναι· διὸ καὶ Μίθρην Πέρσαι τὸν Μεσίτην ὀνομάζουσιν. ἐδίδαξε ‹δὲ› τῷ μὲν εὐκταῖα θύειν καὶ χαριστήρια, τῷ δ' ἀποτρόπαια καὶ σκυθρωπά. πόαν γάρ τινα κόπτοντες ὅμωμι καλουμένην ἐν ὅλμῳ τὸν Ἅιδην ἀνακαλοῦνται καὶ τὸν σκότον, εἶτα μίξαντες αἵματι λύκου σφαγέντος εἰς τόπον ἀνήλιον ἐκφέρουσι καὶ ῥίπτουσι. καὶ γὰρ τῶν φυτῶν νομίζουσι τὰ μὲν τοῦ ἀγαθοῦ θεοῦ, τὰ δὲ τοῦ κακοῦ δαίμονος εἶναι, καὶ τῶν ζῴων ὥσπερ κύνας καὶ ὄρνιθας καὶ χερσαίους ἐχίνους τοῦ ἀγαθοῦ, τοῦ [δὲ] φαύλου μῦς ἐνύδρους εἶναι· διὸ καὶ τὸν κτείνοντα πλείστους εὐδαιμονίζουσιν. οὐ μὴν ‹ἀλλὰ› κἀκεῖνοι πολλὰ μυθώδη περὶ τῶν θεῶν λέγουσιν, οἷα καὶ ταῦτ' ἐστίν, ὁ μὲν Ὡρομάζης ἐκ τοῦ καθαρωτάτου φάους, ὁ δ' Ἀρειμάνιος ἐκ τοῦ ζόφου γεγονὼς πολεμοῦσιν ἀλλήλοις· καὶ ὁ μὲν ἓξ θεοὺς ἐποίησε, τὸν μὲν πρῶτον εὐνοίας, τὸν δὲ δεύτερον ἀληθείας, τὸν δὲ τρίτον εὐνομίας, τῶν δὲ λοιπῶν τὸν μὲν σοφίας, τὸν δὲ πλούτου, τὸν δὲ τῶν ἐπὶ τοῖς καλοῖς ἡδέων δημιουργόν· ὁ δὲ τούτοις ὥσπερ ἀντιτέχνους ἴσους τὸν ἀριθμόν. εἶθ' ὁ μὲν Ὡρομάζης τρὶς ἑαυτὸν αὐξήσας ἀπέστησε τοῦ ἡλίου τοσοῦτον, ὅσον ὁ ἥλιος

τῆς γῆς ἀφέστηκε, καὶ τὸν οὐρανὸν ἄστροις ἐκόσμησεν· ἕνα δ' ἀστέρα πρὸ πάντων οἷον φύλακα καὶ προόπτην ἐγκατέστησε, τὸν Σείριον. ἄλλους δὲ ποιήσας τέσσαρας καὶ εἴκοσι θεοὺς εἰς ᾠὸν ἔθηκεν· οἱ δ' ἀπὸ τοῦ Ἀρειμανίου γενόμενοι καὶ αὐτοὶ τοσοῦτοι διατρήσαντες τὸ ᾠὸν †γανωθὲν ἀναμέμικται τὰ κακὰ τοῖς ἀγαθοῖς. ἔπεισι δὲ χρόνος εἱμαρμένος ἐν ᾧ τὸν Ἀρειμάνιον, λοιμὸν ἐπάγοντα καὶ λιμόν, ὑπὸ τούτων ἀνάγκη φθαρῆναι παντάπασι καὶ ἀφανισθῆναι, τῆς δὲ γῆς ἐπιπέδου καὶ ὁμαλῆς γενομένης ἕνα βίον καὶ μίαν πολιτείαν ἀνθρώπων μακαρίων καὶ ὁμογλώσσων ἁπάντων γενέσθαι. Θεόπομπος δέ φησι κατὰ τοὺς Μάγους ἀνὰ μέρος τρισχίλια ἔτη τὸν μὲν κρατεῖν, τὸν δὲ κρατεῖσθαι τῶν θεῶν, ἄλλα δὲ τρισχίλια μάχεσθαι καὶ πολεμεῖν καὶ ἀναλύειν τὰ τοῦ ἑτέρου τὸν ἕτερον· τέλος δ' ἀπολείπεσθαι τὸν Ἅιδην, καὶ τοὺς μὲν ἀνθρώπους εὐδαίμονας ἔσεσθαι, μήτε τροφῆς δεομένους, μήτε σκιὰν ποιοῦντας, τὸν δὲ ταῦτα μηχανησάμενον θεὸν ἠρεμεῖν καὶ ἀναπαύεσθαι χρόνον ἄλλως μὲν οὐ πολὺν ὡς θεῷ, ὥσπερ ‹δ'› ἀνθρώπῳ κοιμωμένῳ μέτριον. ἡ μὲν οὖν Μάγων μυθολογία τοιοῦτον ἔχει τρόπον.

G 5. St. Basil, *Epistula 258 ad Epiphanium*, 4 (Migne, P.G. xxxii, col. 952; Clemen, *Fontes*, p. 86).

τὸ δὲ τῶν Μαγουσαίων ἔθνος . . . πολύ ἐστι παρ' ἡμῖν κατὰ πᾶσαν σχεδὸν τὴν χώραν διεσπαρμένον, ἀποίκων τὸ παλαιὸν ἐκ τῆς Βαβυλωνίας ἡμῖν ἐπεισαχθέντων. οἳ ἔθεσιν ἰδιάζουσι κέχρηνται, ἄμικτοι ὄντες πρὸς τοὺς ἄλλους ἀνθρώπους· λόγῳ δὲ πρὸς αὐτοὺς κεχρῆσθαι, καθό εἰσιν ἐζωγρημένοι ὑπὸ τοῦ διαβόλου εἰς τὸ ἐκείνου θέλημα, παντελῶς ἐστιν ἀδύνατον. οὔτε γὰρ βιβλία ἔστι παρ' αὐτοῖς, οὔτε διδάσκαλοι δογμάτων, ἀλλὰ ἔθει ἀλόγῳ συντρέφονται, παῖς παρὰ πατρὸς διαδεχόμενοι τὴν ἀσέβειαν. ἐκτὸς δὲ τούτων, ἃ ὑπὸ πάντων ὁρᾶται, τὴν ζωοθυσίαν παραιτοῦνται ὡς μίασμα, δι' ἀλλοτρίων χειρῶν τὰ πρὸς τὴν χρείαν ζῶα κατασφάττοντες· γάμοις ἐπιμαίνονται παρανόμοις· καὶ τὸ πῦρ ἡγοῦνται θεόν· καὶ εἴ τι τοιοῦτο. τὰς δὲ ἐκ τοῦ Ἀβραὰμ γενεαλογίας οὐδεὶς ἡμῖν μέχρι τοῦ παρόντος τῶν μάγων ἐμυθολόγησεν· ἀλλὰ Ζαρ[ν]οῦάν τινα ἑαυτοῖς ἀρχηγὸν τοῦ γένους ἐπιφημίζουσι.

G 6. Inscription of Antiochus I of Commagene in Dittenberger, *Orientis Graeci inscriptiones selectae*, no. 383, ll. 36 ff. (=Jalabert–Mouterde, *Inscriptions grecques et latines de Syrie*, I).

ἐπεὶ δὲ ἱεροθεσίου τοῦδε κρηπεῖδα ἀπόρθητον χρόνου λύμαις οὐρανίων ἄγχιστα θρόνων καταστήσασθαι προενοήθην, ἐν ὧι μακαριστὸν ἄχρι [γ]ήρως ὑπάρξαν σῶμα μορφῆς ἐμῆς πρὸς οὐρανίους Διὸς Ὡρομάσδου θρόνους θεοφιλῆ ψυχὴν προπέμψαν εἰς τὸν ἄπειρον αἰῶνα κοιμήσεται . . . (ll. 105 ff.) διαμονῆς δὲ

τούτων ἕνεκεν, ἣν ἐμ φρονίμοις ἀνδράσι εὐσεβὲς ἀεὶ τηρεῖν, οὐ μόνον εἰς τιμὴν ἡμετέραν ἀλλὰ καὶ μακαριστὰς ἐλπίδας ἰδίας ἑκάστου τύχης ἐγὼ καθοσιώσας ἐν στήλ[α]ις ἀσύλοις ἐχάραξα γνώμηι θεῶν ἱερὸν νόμον, ὃν θέμις ἀνθρώπων γενεαῖς ἁπάντων, οὓς ἂν χρόνος ἄπειρος εἰς διαδοχὴν χώρας ταύτης ἰδίαι βίου μοίραι καταστήσῃ, τηρεῖν ἄσυλον εἰδότας ὡς χαλεπὴ νέμεσις βασιλικῶν δαιμόνων τιμωρὸς ὁμοίως ἀμελίας τε καὶ ὕβρεως ἀσέβειαν διώκει, καθωσιωμένων τε ἡρώων ἀτιμασθεὶς νόμος ἀνειλάτους ἔχει ποινάς.

G 7. Psellus, *De operatione daemonum*, ed. Boissonade, 3. Reproduced by Darmesteter, *Ohrmazd et Ahriman*, p. 332, no. 2. Though the doctrine here expounded is attributed to a sect called the Euchites (v. ERE. *ad loc.*), the mention of Mānī and the most exact correspondence between it and other sources make it almost certain that the sect mentioned was directly dependent upon Zervanism.

τῷ μὲν ἐπαράτῳ Μάνεντι δύο ὑπετέθησαν τῶν ὄντων ἀρχαί, θεῷ θεόν, δημιουργῷ τῶν ἀγαθῶν αὐτουργὸν κακίας, τῷ ἀγαθῷ ἄρχοντι τῶν οὐρανίων τὸν τῆς κακίας ἄρχοντα τῶν ἐπιγείων, πλημμελῶς ἀντιτάττοντι· Εὐχίταις δὲ τούτοις τοῖς κακοδαίμοσι καὶ ἑτέρα τις ἀρχὴ προσελήφθη τρίτη. πατὴρ γὰρ αὐτοῖς υἱοί τε δύο, πρεσβύτερος καὶ νεώτερος, αἱ ἀρχαί· ὧν τῷ μὲν πατρὶ τὰ ὑπερκόσμια μόνα, τῷ δὲ νεωτέρῳ τῶν υἱῶν τὰ οὐράνια, θατέρῳ δὲ τῷ πρεσβυτέρῳ τῶν ἐγκοσμίων τὸ κράτος ἀποτετάχασιν.

ADDENDUM

WHEN this book went to press, I had not seen the text reproduced here. It is in some ways comparable to Šahristānī's account of the Magian religion. I shall, therefore, call it F 4 (b).

F 4 (b). From Murtaẓā Rāzī, *Kitābu tabṣirati'l-'awāmmi fī ma'rifati maqālāti'l-anām*, p. 13 in the Tehran edition of 1313 A.H. (solar). The editor of that edition dates Murtaẓā between 580 and 653 A.H.

Know that according to the Magian religion there are two creators of the world, Yazdān (God) and Ahriman. They call Yazdān God and Ahriman Satan. They say that when God Most High created the world, he had an evil thought (*andīšeh*) and said, 'Perhaps there is an opposite (power) to me who is hostile to me'. And Satan arose from his thought (*fikr*). Others say that since Yazdān was alone, he was frightened, and had an evil thought from which Ahriman arose. And Ahriman was outside the world: he looked through a hole and saw Yazdān, and observing his dignity and rank, he became envious; and evil and corruption arose in him. Yazdān created the Angels to be his army. He and his army did battle with Ahriman and the battle between them lasted for a long time. Since Yazdān could not stop Ahriman, they made peace together, and entrusted their swords to the Moon. Some say they entrusted them to the Angels on the condition that Ahriman should remain in the world for as long as they had stipulated. Whichever of them broke the treaty before the end of the appointed time, should be slain with his own sword. At the end of the (appointed) time Ahriman will go out of the world; and once he has left, the world will be absolutely good, and evil and corruption will no longer remain.

Some of them say that both Yazdān and Ahriman are bodies: others say that Ahriman is not a body, but that Yazdān is. They say that Yazdān is good by nature and cannot do evil, and that Ahriman is evil by nature and cannot do good. All that is good in the world is produced by Yazdān; all that is evil by Ahriman. They say that diseases and the creation of noxious creatures like snakes and scorpions, &c., are evil and produced by Ahriman. This is false since in their opinion all thought (*fikr*) and doubt is evil; yet this arose from Yazdān.

BIBLIOGRAPHY OF WORKS CITED

I. TEXTS

Aogəmadaēčā: ed. W. Geiger, Erlangen, 1878. More recent editions are those of J. Duchesne-Guillemin, JA., 1936, pp. 241 ff. and Wikander, *Vayu I*, 1941, pp. 96–209.

Artāy-Virāβ-nāmak: The Book of Arda Viraf, ed. Destur Hoshangji Jamaspji Asa, M. Haug, and E. W. West, Bombay, 1872.

Avesta: ed. K. F. Geldner, Stuttgart, 1895.

Aβyātkār i Žāmāspīk: Libro apocalittico persiano, by G. Messina, S.J., Rome, 1939.

—— *Jâmâspi*, Pahlavi, Pâzand, and Persian texts, ed. J. J. Modi, Bombay, 1903.

Bahman Yašt: ed. Kaikobâd Âdarbâd Nosherwân, Bombay, 1899.

—— *Zand-î Vohûman Yasn*, ed. B. T. Anklesana, Bombay, 1919.

Bel'amī: *Chronique de . . . Ṭabarī, traduite sur la version persane de . . . Bel'ami . . . par* H. Zotenberg, i–iv, Paris, 1867–74.

Bērūnī: *Chronologie orientalischer Völker von Albērūnī*, ed. C. E. Sachau, Leipzig, 1878.

—— *The Chronology of Ancient Nations*, trans. by C. E. Sachau, London, 1879.

Bundahišn (greater or Iranian version): ed. Ervad Tahmuras Dinshaji Anklesaria, Bombay, 1908.

—— (Indian Version): *Der Bundehesh, zum ersten Male herausgegeben* . . . von F. Justi, Leipzig, 1868.

Dātastān i dēnīk: The Datistan-i dinik, Part I, Pursishn I–XL, ed. Ervad Tahmuras Dinshaji Anklesaria, Bombay, undated.

Dēnkart: The Complete Text of the Pahlavī Dinkard . . . under the supervision of Dhanjishah Meherjibhai Madan, Bombay, 1911.

—— another edition: *Dīnkard*, ed. and trans. Peshotan Behramgee and Darab Peshotan Sanjana, 19 vols., Bombay, 1874–1928.

Ełišē Vardapet: *Patmut'iwn Vardananc'*, ed. H. Yohannisean, Moscow, 1892.

—— translation in Langlois, *Collection des historiens anciens et modernes de l'Arménie*, ii, pp. 179–251.

Eznik of Kołb: *Against the Sects*, pocket edition, Venice, 1926.

—— translations: J. M. Schmid, Vienna, 1900: Langlois, *Collection, &c.*, pp. 371–82 (Book II only).

Farziât-nâmeh: The Persian Farziât-nâmeh and Kholâseh-i Dîn of Dastûr Dârâb Pâhlan, text and version with notes, by Jivanji Jamshedji Modi, Bombay, 1924.

Firdausī: *Šāhnāmeh*, ed. J. A. Vullers and S. Landauer, 3 vols., 1877–84.

—— ed. Turner Macan, 4 vols., Calcutta, 1829.

—— trans. J. Mohl, *Le Livre des Rois*, 7 vols., Paris, 1876–78.

Frahang i Ōīm: An Old Zand-Pahlavī Glossary, by Destur Hoshengji Jamaspji, revised by M. Haug, Bombay, 1867.

—— 'Der Frahang i Ōīm', by H. Reichelt, WZKM, 1900, xiv, pp. 177–213, and xv, pp. 117–86.

Ghazālī: *Naṣīḥatu'l-Mulūk*, ed. Jalāl Humā'ī, Tehran, A.H. (solar) 1315–17.

Ḥamza Isfahānī: ed. I. M. E. Gottwaldt, St. Petersburg, 1844.

Kârnâmak-i Artakhshîr Pâpakân: ed. Edalji Kersâspji Ântiâ, Bombay, 1900.

Łazar of P'arpi: trans. Langlois, *Collection, &c.*, ii, pp. 255–368.

Mānuščihr, *Epistles of: The Epistles of Mânûshchîhar*, ed. Ervad Bamanji Nasarvanji Dhabhar, Bombay, 1912.

Masʿūdī: *Murūju-dh-dhahab* (*Les Prairies d'Or*), ed. C. Barbier de Meynard and Pavet de Courteille, 9 vols., Paris, 1861–77.
—— *Kitābu't-tanbīh wa'l-ishrāf*, ed. M. J. de Goeje, Leyden, 1894.
—— translation: *Le Livre de l'avertissement et de la revision*, by B. Carra de Vaux, Paris, 1897.
Mātiyān i hazār dātastān: text, vol. i. *Mâdigân-i-hazâr dâdîstân* . . . with an introduction, by Jivanji Jamshedji Modi, Poona, 1901.
—— vol. ii: ed. Ervad Tehmuras Dinshaw Anklesaria, Bombay, 1913.
—— Complete transliteration and translation: S. I. Bulsara, *The Laws of the Ancient Persians*, Bombay, 1937.
Mēnōk i Xrat: Dânâk-u mainyô-i khard, Pahlavi, Pazand, and Sanskrit texts, ed. Ervad Tehmuras Dinshaw Anklesaria, Bombay, 1913. Quotations are from this edition. A.'s chapter 0 is quoted as chapter 1, chapter 1 as chapter 2, and so on.
—— *The Dînâ î Maînû î Khrat or The Religious Decisions of the Spirit of Wisdom*, ed. Darab Dastur Peshotan Sanjana, Bombay, 1895.
Moses of Chorene: *History of Armenia*, ed. and trans. by P. E. le Vaillant de Florival, 2 vols., Paris, 1846.
Nīrangistān: A photozincographed facsimile . . . ed. Darab Dastur Peshotan Sanjana, Bombay, 1894.
Pahlavī Rivāyats: The Pahlavi Rivâyat accompanying the Dâdistân-î Dînîk, ed. Ervad Bamanji Nasarvanji Dhabhar, Bombay, 1913.
Pahlavī Texts: ed. Jamaspji Dastur Minocheherji Jamasp-Asana, Bombay, 1897.
Pʿawstos of Byzantium: ed. Venice, 1914.
—— translation in Langlois, *Collection, &c.*, i, pp. 203–310.
Persian Rivāyats: Dârâb Hormazyâr's Rivâyat, 2 vols., by Ervad Manockji Rustamji Unvâlâ, Bombay, 1922.
—— translation by E. B. N. Dhabhar, Bombay, 1932.
Procopius: *De Bellis*, Loeb Classical Library, ed. H. B. Dewing, London, 1914.
Rig-Veda Saṁhitā: ed. F. Max Müller, 4 vols., London, 1890–6.
Šahristānī: *Kitābu'l-milal wa'n-nihal*, ed. W. Cureton, Leipzig, 1923.
—— translation: *Religionspartheien und Philosophen-Schulen*, 2 vols., Th. Haarbrücker, Halle, 1850–1.
Šāyast nē Šāyast: A Pahlavi Text on Religious Customs, ed. J. C. Tavadia, Hamburg, 1930.
Shikand-gûmânîk vijâr: The Pāzand–Sanskrit text together with a fragment of the Pahlavi . . ., ed. Hôshang Dastûr Jâmâspji Jâmâsp Âsânâ and E. W. West, Bombay, 1887.
—— *Texte pazand–pehlevi transcrit, traduit et commenté*, le P. P. J. de Menasce O.P., Fribourg, 1945.
Ṭabarī: *Geschichte der Perser und Araber zur Zeit der Sasaniden*, von Th. Nöldeke, Leyden, 1879.
Ps-Tansar, *Epistle of: Tansar's epistle to Goshnasp*, Persian text, ed. Mojtabâ Minovi, Tehran, 1932.
—— text, ed. J. Darmesteter, JA. 1894, pp. 185–250; translation ibid., pp. 502–55.
Theophylactus Simocatta: *Historiae*, ed. C. de Boor, Leipzig, 1857.
Vidēvdāt (Avestan and Pahlavī): *Vendidâd*, ed. Dastoor Hoshang Jamasp, Bombay, 1907, 2 vols.
Yaʿqūbī: ed. M. Th. Houtsma, Leyden, 1883.
Yāqūt: *Geographisches Wörterbuch*, ed. Ferd. Wüstenfeld, Leipzig, 1866–73, 6 vols.
Yavišt i Friyān: in *The Book of Arda Viraf*, ed. Destur Hoshangji Jamaspji Asa, M. Haug, and E. W. West, Bombay, 1872.

Zand i Xᵛartak Apastāk: Zand i Khūrtak Avistāk, ed. Ervad Bamanji Nasarvanji Dhabhar, Bombay, 1927.
Zātspram: *Vichîtakîhâ-î Zâtspram*, ed. Anklesaria, Bombay (printed but unpublished). Critical edition of Chapters I and XXIV by Zaehner, BSOS. ix, pp. 573–85 and X, pp. 377–98 and 606–31.

For the facsimiles of the Copenhagen MSS.:
Codices Avestici et Pahlavici bibliothecae universitatis Hafniensis, ed. A. Christensen, 1931–44.

II. GENERAL

M. Abeghian: *Der armenische Volksglaube*, Leipzig, 1899.
Alexander of Lycopolis: *Contra Manichaei Opiniones*, ed. A. Brinkmann, Leipzig, 1895.
C. R. C. Allberry: *A Manichaean Psalm-book, Part II*, Stuttgart, 1938.
F. C. Andreas and K. Barr: *Bruchstücke einer Pehlevi-Übersetzung der Psalmen*, SbPAW. 1933.
F. C. Andreas and W. Henning: *Mitteliranische Manichaica aus Chinesisch-Turkestan*, i–iii, SbPAW. 1932–4.
Aristotle: *De generatione et corruptione*, ed. H. H. Joachim, Oxford, 1922.
—— *Physics*, ed. W. D. Ross, Oxford, 1936.
—— *Metaphysics*, ed. W. D. Ross, Oxford, 1924.
—— *De Caelo*, ed. D. J. Allan, Oxford, 1936.
H. W. Bailey: *Zoroastrian Problems in the Ninth Century Books*, Oxford, 1943.
W. Bang: 'Manichaeische Laien-beichtspiegel', *Muséon*, xxxvi, pp. 137–242, Louvain, 1923.
F. C. Baur: *Das Manichäische Religionssystem*, Göttingen, 1831; photomechanischer Neudruck, Göttingen, 1928.
C. Bartholomae: *Altiranisches Wörterbuch*, Strassburg, 1904.
—— *Zum altiranischen Wörterbuch*, Strassburg, 1906.
—— *Zur Kenntnis der mitteliranischen Mundarten*, i–vi, Heidelberg, 1916–25.
—— *Zum Sassanischen Recht*, i–v, Heidelberg, 1918–23.
P. Bedjan: *Acta martyrum et sanctorum*, 7 vols., Paris, 1890–7.
E. Benveniste: *The Persian Religion according to the Chief Greek Texts*, Paris, 1929.
—— 'Le Témoignage de Théodore bar Kônay sur le zoroastrisme', MO. xxvi, pp. 170–215.
—— and L. Renou: *Vṛtra et Vṛθragna*, Paris, 1934.
J. Bidez and F. Cumont: *Les Mages hellénisés*, 2 vols., Paris, 1938.
I. F. Blue: 'The Zarvanite System', in *Indo-Iranian Studies . . . in honour of Shams-ul-Ullema Dastur Darab Peshotan Sanjana*, London, 1925.
Book of John (Mandaean): v. Lidzbarski.
W. Bousset: *Hauptprobleme der Gnosis*, Göttingen, 1907.
A. J. H. W. Brandt: *Die mandäische Religion*, Leipzig, 1889.
—— *Mandäische Schriften*, Göttingen, 1893.
O. Braun: 'Ausgewählte Akten persischer Märtyrer', in *Bibliothek der Kirchenväter*, xxii, Munich, undated.
F. C. Burkitt: *The Religion of the Manichees*, Cambridge, 1925.
L. C. Casartelli: *The Philosophy of the Mazdayasnian Religion under the Sassanids*, tr. Jamasp Asa, Bombay, 1889.
L. Cheiko: *La Version arabe de Kalîlah et Dimnah*, Beyrouth, 1905.
A. Christensen: *L'Empire des Sassanides*, Copenhagen, 1907.
—— *Le Règne du roi Kavādh I et le communisme mazdakite*, Copenhagen, 1925.

—— *Les Types du premier homme et du premier roi dans l'histoire légendaire des Iraniens*, 2 vols., Leyden and Uppsala, 1917–34.
—— *Études sur le zoroastrisme de la Perse antique*, Copenhagen, 1928.
—— *L'Iran sous les Sassanides*, Copenhagen, 1936. This edition referred to unless otherwise stated. 2nd edition, 1944.
C. Clemen: *Fontes historiae religionis persicae*, Bonn, 1920.
—— *Die griechischen und lateinischen Nachrichten über die persische Religion*, Giessen, 1920.
A. von le Coq: *Türkische Manichäica aus Chotscho*, i–iii, AbPAW, 1911, 1919, 1922.
F. Cumont: *Textes et monuments figurés relatifs aux mystères de Mithra*, 2 vols., Brussels, 1896–9.
—— *Les Mystères de Mithra*, 3rd edition, Brussels, 1913.
—— *Les Religions orientales dans le paganisme romain*, 3rd edition, Paris, 1929.
—— 'La Fin du monde suivant les Mages occidentaux', RHR. ciii, pp. 29–96.
—— *Recherches sur le manichéisme*, i–ii, Brussels, 1908, 1912.
—— *Les Mages hellénisés*: v. Bidez.
J. Darmesteter: *Le Zend Avesta*, 3 vols., Paris, 1892–3.
—— *The Zend Avesta*, SBE. vols. iv and xxiii.
—— *Ohrmazd et Ahriman*, Paris, 1877.
E. de Faye: *Gnostiques et Gnosticisme*, 2e édition augmentée, Paris, 1925.
W. Dittenberger: *Orientis Graecae inscriptiones selectae*, Leipzig, 1903–5.
J. Duchesne-Guillemin: *Zoroastre*, Paris, 1948.
G. Flügel: *Mani, seine Lehre und seine Schriften*, Leipzig, 1862.
W. Geiger and E. Kuhn: *Grundriss der iranischen Philologie*, Strassburg, 1895–1904.
A. Ghilain: *Essai sur la langue parthe*, Louvain, 1939.
Ginzā: v. Lidzbarski.
I. Goldziher: *Muhammedanische Studien*, Halle, 1889–90.
L. H. Gray: *The Foundations of the Iranian Religions*, Bombay, 1925.
A. von Harnack: *Marcion, Das Evangelium vom fremden Gott*, Leipzig, 1924.
Hegemonius: *Acta Archelai*, ed. C. H. Beeson, Leipzig, 1906.
W. B. Henning: *Ein manichäisches Bet- und Beichtbuch*, AbPAW, 1937.
—— *Mitteliranische Manichaica, &c.*, v. Andreas.
—— *Zoroaster, Politician or Witch-doctor?*, Oxford, 1951.
E. Herzfeld: *Archäologische Mitteilungen aus Iran*, 9 vols., Berlin, 1929–38.
—— *Altpersische Inschriften*, Berlin, 1938.
—— *Paikuli, Monument and Inscription of the Early History of the Sasanian Empire*, 2 vols., Berlin, 1924.
—— *Am Tor von Asien, Felsdenkmale aus Irans Heldenzeit*, Berlin, 1920.
P. Horn: *Grundriss der neupersischen Etymologie*, Strassburg, 1893.
H. Hübschmann: *Armenische Grammatik*, i, Leipzig, 1897.
A. V. W. Jackson: *Zoroastrian Studies*, New York, 1928.
—— *Researches in Manichaeism*, New York, 1932.
H. Junker: *Über iranische Quellen der hellenistischen Aion-Vorstellung, Vorträge der Bibliothek Warburg*, Leipzig, 1923.
F. Justi: *Geschichte des alten Persiens*, Berlin, 1879.
—— *Iranisches Namenbuch*, Marburg, 1895.
A. B. Keith: *The Religion and Philosophy of the Vedas and Upanishads*, 2 vols., Cambridge, Mass., 1925.
R. G. Kent: *Old Persian, Grammar, Texts, Lexicon*, New Haven, Connecticut, 1950.
K. Kessler: *Mani, Forschungen über die manichäische Religion*, i, Berlin, 1889.

J. Labourt: *Le Christianisme dans l'empire perse sous la dynastie sassanide*, Paris, 1904.
P. de Lagarde: *Persische Studien*, Göttingen, 1884.
V. Langlois: *Collection des historiens anciens et modernes de l'Arménie*, 2 vols., Paris, 1867–9.
M. Lidzbarski: *Ginzā, Der Schatz oder Das grosse Buch der Mandäer, übersetzt und erklärt*, Göttingen, 1925.
—— *Das Johannesbuch der Mandäer*, Giessen, 1915.
H. Lommel: *Die Yašts des Avesta, übersetzt und eingeleitet*, Göttingen, 1927.
L. Mariès: *Le* De Deo *d'Eznik de Kolb . . . études de critique littéraire et textuelle*, Paris, 1924–5.
J. Markwart: *Ērānšahr nach der Geographie des Ps. Moses Xorenac'i*, Berlin, 1901.
—— and G. Messina: *Das erste Kapitel der Gāθā Uštavatī*, Rome, 1930.
—— and G. Messina: *Šaθrīhā i Ērān, A catalogue of the provincial capitals of Ērānšahr*, Rome, 1931.
P. J. de Menasce: *Škand-Gumānīk Vičār*, Fribourg, 1945.
G. Messina: *Der Ursprung der Magier und die zarathuštrische Religion*, Rome, 1930.
Ed. Meyer: *Ursprung und Anfänge des Christentums*, 3 vols., Stuttgart, 1921–3.
J. J. Modi: *The Persian Farziât-nâmeh and Kholâseh-i Dîn*, Bombay, 1924.
J. H. Moulton: *Early Zoroastrianism*, London, 1913.
G. Morgenstierne: *An Etymological Vocabulary of Pashto*, Oslo, 1927.
—— *Indo-Iranian Frontier Languages*, i–ii, Oslo, 1929, 1938.
F. W. K. Müller: *Handschriften-Reste in Estrangelo-Schrift aus Turfān*, i–ii, SbPAW. and AbPAW. 1904.
Th. Nöldeke: *Geschichte der Persen, &c.*: v. Ṭabarī.
—— 'Syrische Polemik gegen die persische Religion', in *Festgruß an Rudolph von Roth*, pp. 34–38, Stuttgart, 1893.
H. S. Nyberg: 'Ein Hymnus auf Zervān im Bundahišn', ZDMG. 1928, pp. 217–35.
—— *Hilfsbuch des Pehlevi*, i, Uppsala, 1928.
—— *Hilfsbuch des Pehlevi*, ii, *Glossar*, Uppsala, 1931.
—— 'Questions de cosmogonie et de cosmologie mazdéennes', JA. vol. ccxiv (1929), pp. 193–310, and vol. ccxix (1931), pp. 1–134, 193–244.
—— *Die Religionen des alten Iran*. German translation by H. H. Schaeder, Leipzig, 1938.
J. Olshausen and J. Mohl: *Fragments relatifs à la religion de Zoroastre*, Paris, 1829.
S. A. Pallis: *Mandaean Studies*, London–Copenhagen, 1919.
H. Pognon: *Inscriptions mandaïtes des coupes de Khouabir*, Paris, 1898.
H. J. Polotsky: *Manichäische Homilien*, Stuttgart, 1934.
—— *Kephalaia*, i, Stuttgart, 1940.
H. C. Puech: *Le Manichéisme, Son Fondateur, Sa Doctrine*, Paris, 1949.
R. Reitzenstein: *Die hellenistischen Mysterienreligionen, ihre Grundgedanken und Wirkungen*, Leipzig, 1910.
—— *Die Göttin Psyche in der hellenistischen und frühchristlichen Literatur*, Heidelberg, 1917.
—— *Das iranische Erlösungsmysterium*, Bonn, 1921.
—— and H. H. Schaeder: 'Studien zum antiken Synkretismus aus Iran und Griechenland', in *Studien der Bibliothek Warburg*, Leipzig, 1926.
C. E. Sachau: *Syrische Rechtsbücher*, Berlin, 1907–14.
C. Salemann: *Manichaeische Studien, Zapiski impyeratorskoy akadyemiy nauk*, 8th series, St. Petersburg, 1908.
—— *Manichaica*, i–v, St. Petersbourg, 1907–13.

F. Sarre: *Die Kunst des alten Persiens*, Berlin, 1923.
H. H. Schaeder: 'Urform und Fortbildungen des manichäischen Systems', in *Vorträge der Bibliothek Warburg* 1924–5, Leipzig, 1927.
—— and R. Reitzenstein: *Studien, &c.*, v. Reitzenstein.
—— 'Iranische Beiträge I', in *Schriften der Königsberger gelehrten Gesellschaft*, Halle, 1930.
—— 'Der iranische Zeitgott und sein Mythos', in ZDMG. 1941, pp. 268–99.
I. Scheftelowitz: *Die Zeit als Schicksalsgottheit in der indischen und iranischen Religion*, Stuttgart, 1929.
—— 'Neues Material über die manichäische Urseele und die Entstehung des Zarvanismus', ZII. iv, p. 317–44.
C. Schmidt and H. J. Polotsky: *Ein Mani-Fund in Ägypten*, SbPAW. 1933.
F. Spiegel: *Erânische Alterthumskunde*, 3 vols., Leipzig, 1871–8.
—— *Die traditionelle Literatur der Parsen*, Vienna, 1860.
S. H. Taqizadeh: *Gāh-šumārī dar Irān i qadīm* (*L'ancien calendrier iranien*), Teheran, 1938.
J. A. Vullers: *Fragmente über die Religion des Zoroaster*, Bonn, 1831.
E. Waldschmidt and W. Lentz: *Die Stellung Jesu im Manichäismus*, AbPAW., Berlin, 1926.
—— *Manichäische Dogmatik aus chinesischen und iranischen Texten*, SbPAW., Berlin, 1933.
O. G. von Wesendonk: *Das Wesen der Lehre Zarathuštrōs*, Leipzig, 1927.
E. W. West: *Pahlavī Texts*, SBE. v, xviii, xxiv, xxxvii, xlvii.
G. Widengren: *Hochgottglaube im alten Irān*, Uppsala, 1938.
—— *Mesopotamian Elements in Manichaeism*, Uppsala, 1946.
S. Wikander: *Der arische Männerbund*, Lund, 1938.
—— *Vayu, Teil I*, Uppsala, 1941.
—— *Feuerpriester in Kleinasien und Iran*, Lund, 1946.

INDEX OF PASSAGES QUOTED

This index includes quotations from Zoroastrian sources only.

OP. Inscr.
Dar. Sus. Chart. 4 309

Av.
Aog. 77–81. 84 (translation), 103–4 (text)
Ny. 1. 8 275
Purs. 23 358
Vd. 4. 55 310
19. 13 275
19. 16 275
19. 29 275
Y. 30. 3–4 4
30. 5 120
Yt. 10. 9 53
10. 14 214
11. 14 103
14. 28 220
72. 10 275

Phl.
Bahman Yt. 4. 62 301
7. 31–33 102
Dd. 18. 2 . . . . . 135, 180
23. 3 193
29. 4 86
30. 17 292
35. 3 87
36. 35 156
36. 42 298
36. 47 298
36. 90 166
38. 14 208
38. 22 207
40. 4 261–2
DkM. 20. 2 27
21. 15–24. 5 378–81
31. 7 204
31. 10 144
39. 17 174
44. 6 85
47. 10 289
50. 18 171
51. 10 53
67. 14 124
75. 4 372
79. 21 79
81. 3 300
82. 7 53
90. 14 330
104. 14 194
117. 10 207
117. 11 175
117. 15 207
118. 6 194
120. 22 ff. . 142 (translation), 145 (text)
123. 13 174
124. 18 ff. 145–6
128. 16–129. 3 382
132. 21–133. 9 383
141. 12 289
142. 12 194
150. 20 ff. 291
166. 5 373
178. 5 208
182. 6 ff. . 14 (translation), 30–1 (text)
198. 18–199. 6 384
199. 18 85
201. 8 45
203. 16–206. 23 374–8
207. 1–7 383–4
207. 17 112
207. 18 112
211. 21 14
212. 5 30
219. 7–22 52–53
220. 21 325
221. 11–224. 8 384–7
228. 1–22 388
232. 22 173
244. 12 194
245. 1 372
248. 9 290
252. 3 194
257. 22 358
259. 16 208
260. 12 171
262. 8 203
272. 12 293
272. 18 206
278. 7 145
278. 13 85
282. 7–283. 17 389–91
284. 13–20 406–7
286. 18 262
290. 8–12 391
292. 20 174
293. 3 376
293. 13 330
293. 15–294. 3 391–2
295. 7–297. 6 . 250–1 (translation), 262–3 (text)

295. 17, 22 . . . 330
302. 4 . . . 194
302. 21 . . . 124
312. 11 . . . 290
314. 9 . . . 207
314. 12 . . . 144
316. 9 . . . 171–2 (translation), 193 (text)
321. 8 . . . 194
329. 14 . . . 207
336. 2 . . . 289
342. 3 ff. . . . 174 (translation), 193 (text)
347. 1–22 . . . 369–71
349. 1–350. 10 . . . 371–4
349. 5 . . . 300
350. 13 . . . 174
352. 5 . . . 33
355. 6 . . . 15
358. 22 . . . 144
359. 19 . . . 171, 376
378. 22 . . . 172
379. 1 . . . 144
379. 5 . . . 172
379. 6 . . . 358
380. 9 . . . 358
390. 22 . . . 321
407. 1 . . . 329
412. 3–415. 3 . . . 7–9 (translation) 31–34 (text)
416. 14 ff. . . . 215
417. 3 . . . 406
417. 15 . . . 79
419. 14 . . . 291
428. 15–429. 8 . . . 139 (translation), 145 (text)
429. 11 . . . 252
435. 12 . . . 330
437. 20 . . . 27
454. 3 . . . 12
454. 11 . . . 27
454. 14 . . . 330
455. 10 . . . 430
458. 12 . . . 295
459. 8 . . . 430
466. 12 . . . 52
468. 10 . . . 79
470. 12 . . . 247
512. 1 . . . 330
513. 8 . . . 173
515. 3 . . . 180
557. 13 . . . 330
567. 10–14 . . . 388
567. 15 . . . 330
568. 3–12 . . . 407
569. 14 . . . 171
595. 1 . . . 291
628. 22 . . . 293
634. 14 . . . 16
634. 22 . . . 291
647. 13 . . . 221, 298
652. 10 . . . 10
653. 21 . . . 294
737. 1 . . . 289
746. 13, 14 . . . 358
750. 7 . . . 293
778. 14 . . . 293
802. 18 . . . 193
803. 17 . . . 172
804. 20 . . . 193
817. 17 . . . 104
822. 22 . . . 247
829. 1–5 . . . 429–31
831. 16 . . . 15
832. 7 . . . 207
832. 12 . . . 31
836. 11 . . . 171
861. 6 . . . 291
873. 9 . . . 215
893. 10 . . . 16
904. 13 . . . 207
908. 3 . . . 289
915. 19 . . . 144, 207
946. 12 . . . 12
GrBd. 2. 8–25. 5 . . . 276–321
19. 5 . . . 416
25. 6 . . . 147
26. 8 . . . 147
26. 11 . . . 163
27. 8 . . . 97, 144
27. 15 . . . 148
28. 1 . . . 148
28–29 . . . 144
28. 10 . . . 148
29. 8 . . . 309
29. 12 . . . 148
30. 10–39. 11 . . . 321–36
32. 1 . . . 301
34. 6 . . . 376
39. 11–41. 10 . . . 355–9
41. 14 . . . 363
43. 10 . . . 191
47. 12 . . . 15
47. 15 . . . 86
52. 12 . . . 164, 417
53. 1 . . . 164
53. 8 . . . 164
54. 8 . . . 164
57. 7 ff. . . . 160 (translation), 165 (text)
58. 9 . . . 291
68. 13 ff. . . . 247
72. 9 . . . 138
95 . . . 198
100. 15 . . . 185
102. 1 ff. . . . 177–8 (translation), 194 (text

102. 6–11 . . . 75
103. 6 . . . 302
105. 9 . . . 179
107 . . . 198
107. 14 ff. . . . 188 (translation), 195 (text)
112. 14 . . . 75
112. 15 . . . 307
114. 5 . . . 301
116. 2 . . . 215
132. 8 . . . 86
145. 8 . . . 302
149. 12 . . . 210
152. 2 . . . 301
155. 9 . . . 364
163. 1 . . . 202
166. 4–167. 9 . . . 336–8
167. 5 . . . 302
170. 2 . . . 305
177. 7 . . . 15
177. 8 . . . 186
181. 6 . . . 73, 141
181. 13 . . . 195
182. 2 . . . 15
185. 13 . . . 193
186. 12 . . . 85
188. 11 . . . 73
189. 8 . . . 145
189. 13 . . . 162
193. 11 . . . 156
194. 12 . . . 145
209. 2 . . . 299
218. 2 . . . 372
226. 4 . . . 211
227. 7 . . . 69
227. 8 . . . 120
IndBd. 1. 2–6. 2 . . . 276–305
7. 9–8. 5 . . . 321–36
8. 6–9. 13 . . . 355–60
Kn. 7. 3 . . . 301
11. 7 . . . 290
MhD. ii. 39. 11–17 . . . 45–46 (translation), 52 (text)
Mχ. 2. 65 . . . 181
2. 66 . . . 181
2. 115 . . . 193
8 . . . 367–9
10. 4 . . . 164
12 . . . 399–400
16. 12 . . . 330
18 . . . 195
22 . . . 402
24 . . . 404
27. 4–7 . . . 399
27. 15 . . . 250
28 . . . 396
33 . . . 402–3
36. 2 . . . 158
38 . . . 401
46. 2 . . . 86
47 . . . 401–2
51 . . . 403
57. 2–4 . . . 199–200
PhlRiv. 8. 2–4 . . . 152 (translation), 163 (text)
8 *d* 2 . . . 158
15. 7 . . . 241
46 . . . 360–7
46. 24 . . . 301
48. 90–96 . . . 354–5
PhlTexts p. 40 . . . 397–8
p. 42 . . . 4
p. 46 . . . 171
p. 49 . . . 236
p. 63 . . . 302
p. 74 . . . 257
p. 76 . . . 398–9
p. 78 . . . 289
p. 82 . . . 407–8
p. 89 . . . 171
p. 94 . . . 404–5
p. 95 . . . 397
p. 103 . . . 261
p. 125 . . . 215
p. 139 . . . 214
Vd.(Phl.) 2. 21 . . . 293
4. 55 . . . 310
5. 8 . . . 406
5. 9 . . . 405–6
7. 11 . . . 309
Yavišt i Friyān 2. 37–40 . . . 397
3. 34 . . . 58, 90
Zn. 2. 2 . . . 381–2
4. 21 . . . 261
14. 16–17 . . . 398
17. 16 . . . 183
Zs. 1 . . . 339–43
1. 21 . . . 286
1. 29 . . . 302
1. 30 . . . 293
1. 32 . . . 363
2. 19 . . . 247
3. 16 . . . 218
3. 40 . . . 215
3. 53 . . . 198, 301
3. 54 . . . 301
4. 4–6 . . . 163
4. 8 . . . 155–6
23. 2 . . . 263
30. 1 . . . 112
30. 5–11 . . . 162
32 . . . 259 (translation), 263 (text)
32. 1 . . . 325
33 . . . 259 (translation), 264 (text)
34 . . . 343–54
34. 50 . . . 299

35. 31 202
35. 44 262
35. 49 262
ZXA. 85. 5 208
231. 11–232. 15 197 (translation), 216 (text)
240. 3–241. 16 197–8 (translation), 216–17 (text)
241 101
249. 16 . . . . . 236, 247
252. 5–253. 4 . 198 (translation), 217 (text)
258. 18–259. 14 199 (translation), 217 (text)

Pāz.
ŠGV. 1. 20 140
2. 17 79
3. 9 156–7
3. 16 ff. 164
4. 8 . . . . . 255, 417
4. 9 159
4. 21 164
4. 37 159
4. 39 ff. 164
4. 43 159
4. 88 225
6 23
10. 12–13 211–12
10. 20 144
11. 138 373
13. 104 373
16. 53–111 392–6

NP.
Epistle of Tansar (Minovi), p. 45 . 405
Farẓiât-nâmeh, p. 62 221
PersRiv. (Dhabhar), p. 438 . . . 418
PersRiv. (Unvala) ii. 53. 10 . . . 408
ii. 75 237
ii. 80–86 . . 409–18

SELECT GLOSSARY

OLD IRANIAN

**maδmiya-* 149.
**spiθra-* 88 n. 6.
**θwarta-* 'hurrying' 89.

AVESTAN

aγrya- 'first-class' 263 n. a.
aŋhvā- 'effort, will' 53 n. 1.
aršnōtačin 'semen-flowing' 222 ff., 389.
aršōkarəm 'male making' 220, 223, **246 n. A.**
āzi- 'greed' 168.
dānuš 'river' 104 n. B.
ərəš 'rightly' 149.
fraša- 'excellent' **222.**
frašōkarəm 'making excellent' 220, 223.
garō dəmāna- 'heaven' **214 n. B.**
gātu- 'throne, place' 202.
mahmī 'to my', name of a demon 149.
maršōkarəm 'making decrepit' 220, 223, **246 n. A.**
paurvanīm 'ancient(?), Pleiades(?)' 210.
θrav- 'touch' 358.
θwāša- 'firmament' **89.**
vaēkərəta- name of a country **82 n. 4.**
vīθušavaiti- ? **310.**
χᵛaētuš 'kinsman' 150.
χᵛaēt(u)-vadaθa- 'consanguineous marriage' 150.

OLD PERSIAN

aržana- 'building material, sandstone' **309.**
fraša- 'excellent, fine' **222.**
kāsakaina- 'made of glass' 363.

MIDDLE PERSIAN (INSCRIPTIONS)

'GL'DYḤY 'nobility' 263 n. a.
'LSWMWK 'heretic' **25 n. 1.**
GWMLČ'K 'in error(?)' **25 n. 1.**
KLSTYD'N 'Christian' 24 n. 1.
MKTKy ? **24 n. 2.**
N'ČL'Y 'Christian' **24 n. 1.**
PHLSTY 'spared' 25 n. 2.

MIDDLE PERSIAN (PSALTER)

nyndly 'inside' 364.
wtym'skyh 'marvel' 30 n. 1.

MANICHAEAN MIDDLE PERSIAN AND PARTHIAN

''čyhr ? **310.**
'gr'w (Parth.) 'noble' 263 n. a.
'gr'y 'noble' 263 n. a.
'dyn- 'lead' 247 n. C, 302.
'pydg 'needing' 304.
'whyr- 'move down' 33.
'wχ 'sense' 218 n. m.
čašm-gāh 'aware' **193.**
dys 'form' 358.
hmngnd 'fill' 363.
hrg 'refuse' 373.
ǰdg 'fame' 33.
khs 'channel' 214 n. A.
krwk 'skill' 263 n. f.
kwd 'heap' 373.
nχšg (Parth.) 'good' 218.
ny'bg 'suitable' 290.
nyndr 'within' 364.
p'dys'gyḥ 'slander' 439.
pdys'y 'in consequence of' 307, 431, 439.
przyd 'bound' 161 n. 3.
swh- 'touch' 358.
w'nyšn '*ἀπώλεια*' 291.
wnybwt 'annihilated' 291, 330.
wnywdyḥ 'destruction' 330, 431.
χwšn 'light' 218 n. h.

ARMENIAN

ampartk'aš ? **29.**
ark'ay 'King' 69.
boxpayit ? **29.**
gerezman 'tomb' **214 n. B.**
hamakden 'possessing all the religion' 29, 43.
hašt 'peace' 292, 293.
mazdezn 'worshipper of Ohrmazd, Zoroastrian' **31.**
mog 'Magian, Zoroastrian' **31.**
parskaden 'adhering to the religion of the Persians' 29.
petk' 'necessity' 304.
petmog ? **29,** 43.
pitak 'necessary' 304.
p'aṛaworut'iwn 'good fortune' 59.
p'aṛk' 'fortune' 57, **62 n. 1,** 65.
t'agawor 'King' 69.
t'šuaṛ 'unfortunate' 65.
t'šuaṛut'iwn 'misfortune' 65.
vṛamakan krak 'Bahrām fire' 43.
yašt 'sacrifice, hymn of praise' 62.

ZOROASTRIAN MIDDLE PERSIAN (PAHLAVĪ)

abōδ (i) 'unconscious' 280 § 16, 295, 354. (ii) 'imperceptible(?)' 297. Cf. *bōδ* (i).
abrīn 'undivided, unimpaired' 384, 392.
abun 'having no origin' 232, 382, 383, 384.
aβδ 'wonderful' 145 n. I (*-kaṛīh*), 216 (*-kart*), 397 (*-tar*).
aβδīh 'wonder, mystery' 30, 32, 390 § 3.
aβdistan 'appoint' 345 § 30.
aβigat 'the Aggressor, Ahriman' 27, 148 n. 5, 165 n. H, 172 n. 4, etc., etc.
aβigatīh 'the period during which Ahriman's attack lasts' 27, 247 n. D, etc., etc.
aβkārīhā 'abounding' 279 § 9, **292.** Cf. *sūt-aβkār.*
aβrāstakīh 'pride' 376.
aβsārān 'freezing' 181 n. 3.
aβsiδ- 'destroy, annihilate' 10 (*-īhēt*).
aβsiēn- (= *aβsihēn-*) 'destroy' 375 § 3.
aβsīīhišn 'destruction' 375 § 4.
aβsihēn- 'destroy' 52 (*-ītan*), 279 § 5 (*-īt*), 288 (do.), 322 § 5 (*-ēt*), 324 § 21 (do.), 332 (do.), 346 § 43 (do.), 379 § 3 (*-ītan*). Cf. *aβsiδ-, ōsēnītan.*
aβsihīk 'destroying' 388.
aβsihišn 'destruction, annihilation' 280 §§ 15, 16; 294, 295, 379 § 5.
aβstām 'confidence' 216, 217.
ačandišnīk 'motionless' 340 § 27.
ačār 'inevitable' **296,** 339 § 15, etc.
āčihrōmand ? **310.**
āδāβānēnāk(?) 'deceiving' 298.
āδāβišn(?) 'deceiving(?)' 298.
āδāftēnītan(?) 'deceive(?)' 298.
aδar-mēnišnīh 'humility' 408.
adāšt-srōšīh 'disobedience' 14.
aδāwak 'undeceivable' **298.**
aδβārak 'evening' 324 § 18, 331.
aδēn- 'lead' **247 n. C,** 302.
aδvan 'stem' 284 § 48, 310.
aδvēnak (i) 'kind, sort, manner' 27 n. 3, 30 n. A and *passim.* (ii) 'form, εἶδος' **33,** 146. (iii) 'species' 79 n. D, 217 (*vas-* —), 362 §§ 23–26. (iv) 'prototype (of human soul)' 136 n. 2, 323 §§ 11, 12. (v) adv. 'like' 148 n. 4, 347 § 49.
aδyār (i) 'helper' *passim.* (ii) 'power' **213,** 388.
afrāč-sačišnīh 'immutability' 390 § 3.
afrahaχtīh 'failure to teach' 14 n. 5.
afra'nāmišnīh 'lack of development' 385.
ay-āšt 'whose peace is evil' 376.
ayrayēn- 'make superior, cause to triumph' 262 (*-īt*), **263 n. a.**
āhītīh 'sulkiness' 376.
āhōkēn- 'defile, trouble' 75 n. 2 (*-īt*), 194 n. H (do.), 345 § 30 (*-ītan, -āk, -ītakīh, -ānd*), 346 § 35 (*-ēt*), § 36 (*-ītan*), 385 (do.), 386 (*-išn*).
ahōš 'immortal' 31 n. E, 215 n. D, 368 § 17.
ahrov-dāt 'almsgiving' 361 § 5.
aiβyāhan 'girdle' 69 n. 1, 120 n. 2, 156 n. 2.
ākandan 'fill, constitute' 283 § 46, **309.**
ākustak 'hanging, suspended' 218 n. g.
ālak 'side, direction, quarter' 138 n. 4, 202 n. 4, 284 § 50.
almāst 'steel' 283 § 43.
amar 'numberless' 324 § 18, 331.
āmār 'reckoning, judgement' 195 n. J, 400.
āmār- 'bring to account' 324 § 17 (*-ēnd*).
āmarakānīhā 'generally' 193 n. C, 194 n. F, 379 § 4.
āmārēn- 'reckon, attribute' 257 n. 1.
amāvand 'powerful, energetic' 262 (*-īhā*), 322 § 3 (and *-īh*), 375 § 5 (*-īh*).
an 'other' 148 n. 2, 346 § 42.
ānāβ- 'destroy' 193 n. C (*-išn, -īhēt, -ēt*), 346 § 39 (*-īhast*), 347 § 48 (*-īhēt*), 379 § 5 (*-išnīkīh*). Infin. *ānāftan.*
ānāβišnīk 'destructive' 388.
anaδvēnīh 'lawlessness' 376.
ānāftakīh 'destruction, disappearance' 262.
anāpēšar(?) 'without declivity' 308.
anaχᵛ 'who has no lord' 376.

anayāpīh 'incomprehension' 376. Cf. *ayāpakīh.*
andar pursītan 'make a thorough study' 299.
andarag (i) 'between' 147 n. 3, 217, 293. (ii) 'within, inside' 323 § 14.
andarvāy 'atmosphere' 344 § 20, 345 § 28, 347 § 49, 348, 361 § 11.
anēr 'ungentlemanly, ignoble' 375 § 4 (*-īh*), 376, 379 § 3 (*-īh*).
anētōnīh 'not suchness' 208 n. 2 (*pat anētōnīh* 'as it is not').
anhambatīk 'not inconsistent, not contradictory' 27 n. 3.
anhanbār 'insatiate' 171 n. 3.
anhastkarīh 'annihilation' 390 § 3.
anōst 'unstable' 33 n. c, 388 (*-īh*).
anōtak 'stranger, foreigner, estranged' 53, 262, 263 n. d.
apāč stāyastan 'apostasize' 45 n. 2.
apāč vaštak 'perverted' 30 n. B.
apāč-vīrāδišnīh 'directing backwards' 236 n. 8.
apahrēčišnīh 'intemperance' 53 n. 1.
āpakēnak 'crystal' 330. Cf. *kēn, gēn.*
apar dāštan 'offer' 279 § 9.
apar kartan 'finish off' 340 § 30.
apar pātan 'rest' 284 §§ 53–56; 285 §§ 57–58.
apargar 'working on high' 337 § 3.
aparkār 'whose deeds are lofty' 375 § 5.
aparmānd 'heredity' 256 n. 5, 407, 408. = Ar./NP. *mīrāṣ.*
aparōžīh 'ascendancy, supremacy' 262. Cf. *ōž.*
apar-vīnārišn 'regularity' 215 n. C.
apassačakīh 'unseemliness' 376.
apātaχšāy- 'deprive of sovereignty' 262 (*-ēnīt*), 263 (*-īhēnd, -ēnīt*).
apattōkīh 'lack of continuity, inconsistency' 249, 379 § 5.
apatvēšak 'without rottenness' 373.
apātyāβān 'late evening' 324 § 18, 331.
apātyāvand 'powerless' 346 § 40 (*-tar*), 347 § 51.
apātyāvandakīh 'being powerless, unable to resist' 165.
apaχšišn 'pity' 52 n. A. Cf. *apuχšāδ-*
apāχtar (i) 'North' 163 n. A, 345 § 32. (ii) 'planet' 247 n. D, 368 §§ 13–14, 375 § 4, 376, 400, 401, 404, 430 (*-īk*).
²*apāyast* 'desire, will' 193 n. D, 194 n. H, 217.
apāyišn 'wish, will' 385.
apāyišnīk 'desirable' 385.
apēbūt 'deficiency' 252 n. 2, 262–3, 345 § 33, 347 § 44, 385.
apēčārēnītār 'setting free' 216.
apētak 'necessary' 282 § 32, **304.**
apē-vihānak 'without pretext, without prejudice' 32, 34 **n. f.**
apōhišn 'undecaying' 279 § 9, 292, 367 § 7.
appār 'taken away' 406.
appārak 'rapacious' 171 n. 2.
appur 'robbing' 346 § 37 (*-īhā*).
appur- 'carry off, rob' 86 n. 2 (*ǰān-appurišnīh*), n. 4 (*-ēt*), 356 (*-am*), 400 (*-ēnd*), 401 (*-išn*), 404 (*-ēt*).
appurtār 'robber, who carries away' 86 n. 2, 262 (*-īh*), 375 § 4, 376.
apuχšāδ- 'have mercy' 216, 217. Cf. *apaχšišn.*
apuχšāδāvand 'merciful' 217.
apuχšāδišnōmandīh 'mercy' 216.
arg 'pains, effort' 362 § 32.
argastān 'system(?)' 32, **34 n. e.**
aryavān 'judas-tree, purple' 322 § 5, **326,** 376.
arišuχt 'rightly spoken' 375 § 3.
armēšt 'stagnant, of no account' 403.
ars 'tear' 361 § 11.
ārōδišn 'growth' 344 § 20.
artīk 'battle' 279 § 9, 294, 322 § 5, 340 § 19, 341 § 32, 347 §§ 52–54.
artīkgarīh 'battle' 279 § 7, 290, 324, 328.
artīk-karīh 'battle' 321, 322 § 9, 324, 328.
arvand 'swift' 375 § 5, 379 § 3.
arvand-asp 'having swift horses' 148 n. 3.
aržan 'sandstone'(?) 283 § 46, **309.**
asačišnīh 'not passing away, permanence' 109, 280 §§ 22–23, 389 § 2.
asāčišnīh 'ineffectiveness' 388.
āsan 'iron' 283 § 47.
āsnōtak 'noble' 216, **218 n. c.,** 375 § 3.
asōhišn 'uncorrupting' 279 § 9, 292, 367 § 7.
asrust 'disobedience, unorthodoxy' 53.
ast(ak) 'bone' 145 n. G, 162 n. 2, 343 §§ 7–8, 344 §§ 9, 18–20.
astānak 'sin' 216.
astavišnīh 'being unworthy of praise' 385.
astōmand 'having bones, material' 53 n. 1, 339 § 7, 346 § 35, 370.
āstuvānīh 'avowal, confession' 289. Cf. *ōstavānīh.*
'STYHL ? 283 § 47, **310.**
āsumbišn(?) 'gulp' 171 n. 5.
asūtak 'zealous' 32 (*-īhā*), **34 n. k.**
ašgahān 'slothful' 257 n. 1 (*-īh*), 403 (and *-īh*).
aškōβ 'roof' 341 § 33, 345 §§ 22–24 (and *-kartār*).
aškōβēnītan 'roof in' 345 § 24.
aštak 'messenger' 194 n. G.
ātak(?) 'part' 343 §§ 4–5.
atavān(īk) 'impossible' 384.
attān(?) 'possessions' 53, **193 n. D,** 295.
attāv(?) 'possessions' **194 n. D.**

attōk 'able' 295 (*-īh*), 340 § 28, 356, 382.
āturastur-gōn 'ash-coloured' 281 § 27, 340 § 29, 346 § 35.
ātur-sōk 'increasing the fire' 362 § 29.
āvahan 'dwelling, castle' 283 § 43, 307.
āvartakīh 'conception' 282 § 38, **305**, 372, 373.
avazišnīk 'not flying, not moving' 340 §§ 26–27.
ā'vēčišnīh(?) 'examination, study' 32.
avēnāβtāk 'invisible' 345 § 26.
avinast 'immaculate' 215 n. D.
aviškann(?) 'unceasingly, eternally' 262 n. B.
aχtar-āmār 'astronomer' 165.
[1]*aχᵛ* 'existence' **53 n. 1**, 217, **218 n. m**, 262 n. B, 339 § 7.
[2]*aχᵛ* 'lord' 375 § 3.
[3]*aχᵛ* 'zeal, will-power, will' **53 n. 1**, 128, 172 nn. 3, 4; 203 n. 5, **218 n. m.**
aχᵛārīh 'uneasiness, discomfort' 280 § 22.
aχᵛīk 'pertaining to the will' 144 n. C, 172 n. 3.
ayāpak 'understanding, comprehending' 221 n. 2, 281 § 25, **298.** Meaning deduced from *ayāpakīh* q.v. and NP. *andar yāftan* 'understand', etc.
ayāpakīh 'understanding, comprehension' 430.
azarmān 'unageing' 279 § 9, 324 § 21, 332, 367 § 7.
āzātīh-kartārīh 'giving thanks' 32, **34 n. 1.**
āzbāy- 'invoke' 101 n. 5 (*-ēm*), 216 (do.), 217 (do.).
āz-čihr-patišīh 'nature being in the grip of concupiscence' 193 n. C.
azg 'branch' 284 § 48.
azrōβ- 'extinguish' 323 § 13 (*-ēt*), **330** (*-ēt*, *-ēnd*). Cf. *azruft*, *zruftak*.
azruft 'extinguished' 330.

baγ (i) 'lord, His Majesty' 32, 52 n. B, 215 n. E. (ii) 'constellation' 53 n. 1, 322 § 6, 326, 327, 375 §§ 3–4, 376, 379 § 3, 417.
baγ-baχtārīh 'destiny of the gods' (i.e. the constellations) 322 § 6, 326–7. Cf. *baγ*, *baγō-baχt*.
baγīk (*baγānīk*) 'belonging to the constellations' 121, 122, 230, 379 §§ 2–4.
baγō-baχt 'special dispensation of fate' **256**, 368 § 10, 404.
bālist-vāzišn 'whose course is on high' 375 § 3.
bām 'sheen' 345 § 26, 390 § 3.
bāmīk 'gleaming' 216, 217, 397
bār 'bank' 284 §§ 49–50, 310.
bārak 'steed' 348, 398.
barišn 'mode of conduct' 375 §§ 3–5, 376.
bavišn 'becoming, γένεσις' 32, **33 n. c**, 79 n. D, 112 nn. 1, 4; 145 n. I, 345 § 29, 372.
bavišn-ēstišnīh 'settling of becoming' 145 n. I, 146, 372.
bavišn-ravišnīh 'movement or progress of becoming' 112 n. 4, 145 n. I, 146, 372.
baχtīk 'allied' 347 §§ 44–45 (and *-tar*).
bazak-aδvēn 'sinful' 281 § 27, **302.**
bē for *baγ* 'lord' 52 n. B.
bē-kišvar 'abroad' 145 n. H.
bētaχš 'prince' 381.
bihānak 'occasion, pretext', 403, 404. Cf. *vihānak*.
bōδ (i) 'consciousness' 323 § 11, 324 § 21, 329. (ii) 'smell' 171 n. 9.
bōrak 'borax' 283 § 47, 310.
bōχt- 'escape' 283 § 44 (*-ēt*).
brahm (i) 'robe' 122, 374 § 3, 375 §§ 3–5, 376. (ii) 'manner, character' **264 n. b**, 340 § 21, 374 § 2, 430 (*nazd-brahmīhātar*).
brahmak (i) 'robe' 322 § 4, **325**, 376. (ii) 'manner' **325.** (iii) 'character, stamp' 322 §§ 5–6, **325**, 326. Cf. *ham-brahmakīh*.
brātarōt 'first cousin, rival' 193 n. D, 379 § 3. Cf. Pāz. *brādarōdī*.
brātarōt-davišnīh 'shouting in rivalry' 376.
brāz- 'shine' 156 n. 2 (*-īhēt*).
[1]*brēh* (i) 'stature' 301, 407, 408. (ii) 'character, stamp' 322 § 4, **325.** (iii) 'decree, fate' 229, 399, 402, 403, 406, 407.
[2]*brēh* 'brilliance' 283 § 42, 297, 322 § 8, 327, 362 § 28, 390 § 3.
[2]*brēhēnišn* 'fatality' 402.
brēhēnītan (i) 'fashion forth, create' **301** and *passim*. (ii) 'decree, destine' 247 n. D, 402, 403, 406.
brēh-ravišnīh 'course of fate' 109, 229, 280 § 22.
brīn (i) 'limited, finite' 106, 224, 337 § 2, 389 § 2, 390, 397. (ii) 'decisive' 399. (iii) 'division' 281 § 30, **304.** (iv) 'decision' 281 § 25, 299.
brīnkar 'who fixes decrees, decisive' 118, 247 n. D, 374 §§ 1–2, 375 §§ 4–5, 376.
brīnōmand (i) 'divided, limited, finite, definite' 57, 339 § 8, 392. (ii) 'decisive, taking a decision' 281 § 31.
brītan 'cut, fashion' 388.
būm (i) 'ground, earth' 85 n. 2. (ii) 'foundation' 345 §§ 22–23.
bun (i) 'root, source, origin, cause' 75 n. 1 (*bun ut bar* 'root and fruit' or 'cause and effect'), 85 n. 2, 112 n. 1, 124 n. 3, 145 n. I (*fratom bun* 'first cause'), 194 nn. F, H, 215 n. E, 225, 232, 345 § 29, 372, 379 §§ 4–5, 382, 383, 384, 385, 386, 389 §§ 1–2, 390 § 3, 392. (ii) 'stem' 361 § 13. (iii) 'beginning' 32, 165 n. H, 247 n. D, 346 § 35, 347 §§ 52–53, 385. (iv) adj. 'original' 145 n. H, 323 §§ 11, 14; 346 § 35, 370, 388. (v) adv. 'originally' 282 § 32, 389 § 2 (*pat bunīh*). (vi) 'responsibility' in *ō bun kartan* 'entrust' 400.
bunīk 'original' 390 § 2.
bunist (besides *buništ*) 'source, principle' 339 § 12.
bunōmand 'having an origin, source of (other) causes' 232, 382, 383.
burt-šnōhr 'giving thanks' 216, **218 n. a.**
burz-brāhīh 'shining brightly' 262.
burž- 'revere' 216 (*-ēm*), 279 § 8 (*-īt*), 291 (do.), 370 (*-ākīh*, *-ēnākīh*).
buržišn 'honour' 397, 403.

čakāt 'height' 347 § 52.
čand 'quà' 215 n. C.
čandēn- 'move (trans.)' 398 (*-īt*).
čandišn 'movement' 32, 282 § 38, 306.
čardār? 'progenitor' **376.**
[1]*čāšišn* 'taste' 344 § 20.
[2]*čāšišn* 'teaching' 52 n. C.
čašm-kās 'aware' **193 n. A.**
čāštak 'teaching, doctrine' 16, 52 n. C, 406.
čāštan 'teach' 27 n. 5, 362 § 26.
ČČ' ? 283 § 46, **309.**
čē-īh '*quidditas*, nature = τὸ τί' 278 § 1, **286.**
čē-kām-ič 'whatever' 207 n. 1.
čīh- 'perceive' 385 (*-ēnd*).
čihr (i) 'nature' 128, **144 n. C**, 145 n. I, **171** n. 9, 172 nn. 3, 4; 174 n. 2, 178, 193 n. C, 346 § 36 (and *ēvak-čihrīhā*), §§ 37, 39, 40 (and *mēnōk-čihr*); 347 § 50, 371. (ii) 'natural phenomenon' 345 § 29, 372. (iii) 'seed' 284 § 48. (iv) 'plant' 347 § 51.
čihrak 'lineage, stock' 216.
čihrīk (i) 'natural' 85 n. 2, 144 n. C, 172 n. 3, 235, 346 §§ 36–37, 347 § 49. (ii) 'of one's own nature, related' 166 n. 4.
čim (i) 'reason, cause' 52 n. A, 165 n. H (*ham čim rāδ*), 279 § 9, 280 § 21, 323 §§ 11, 13; 329, 384, 385, 404. (ii) 'why?' 27 n. 5, 321. (iii) 'because' 379 § 5. (iv) 'intention' 385.
čīnkār translates Av. *činvat-* 324 § 17, 331.
čīn-vitarag 'the Činvat bridge' 336.
čust 'is made unstable' 193 n. D.

daδv 'creator' 196, 197, 204 n. 4, 322 § 2, 323 § 11, 324, 325, 328.
dahmān āfrīn 'praise of the wise' (name of a deity) 361 §§ 4–5.
dāl (?) 'granite(?)' 283 § 46, **309.**

dālman 'vulture' 343 § 3, 362 § 27, **364.**
[2]*dām* 'snare' 216, **218 n. g.**
dānūk 'knee' **295.**
dar (i) 'door', (ii) 'chapter', (iii) 'part', 407; (iv) 'matter' 52 n. A.
[1]*dār* 'tree, wood' 217, 343 §§ 4–5, 345 § 28.
[2]*dār*(?) 'granite(?)' 283 § 46, **309.** v. *dāl*(?).
dārāk-χēm 'maintaining the character of' 369, 370.
dāramak (*dāramuk*) 'slender, subtle, detailed' 215 n. E (*-tom*), 371 (do.), **372.** Cf. Pāz. *dāramaa* q.v.
dārēn 'wooden' 343 § 4.
dar-handarz-pat 'court councillor' 264 (and *-īh*).
[1]*dašn*(*ak*) 'right (hand)' 138 n. 4, 284 § 50, 344 § 19, 345 § 33, 348, 362 § 15.
[2]*dašn*(?) 'direction(?)' 388.
daštak 'embryo' 282 § 38.
daštān 'menstruation' 356, 358.
dāštan 'have' *passim*: *pat ēt dāštan* 'consider' 86 n. 4, 279 § 10.
davan 'lying' 375 § 4.
daχšak (i) 'sign, characteristic' 236 n. 8, 284 § 50 (*-ōmand*, *-ōmandīh*), 310 (do.). (ii) 'nature' 195 n. J, 329.
dē 'creator' 204 n. 4, 323 § 11, **328.**
dēr-pattāy 'long enduring' 216.
dēr-vistāχᵛ 'confident and patient' 345 § 24.
dēs 'form' 33 n. c, 283 § 43 (*χāyak-* —), 307 (do.), 348, 356, **358.**
dēs- 'form, build' 358 (*-īhastan*, *-išnīh*).
dēsak 'form, εἶδος' 112 n. 4, 145 n. I, 356, **358**, 372, 375 §§ 3–5, 376.
dēsakōmandīh 'formation' 372.
dēsak-sōhišnīh 'contact with forms' 358. Cf. *sōh-*.
dēsītan 'build' 345 § 21.
dēšak 'bough' 217.
dēstak 'building' 299.
dīδišn 'vision' 344 § 16.
dilītar 'brave' 403.
dītan 'appearance, phenomenon' 356, 372, 407.
dītār 'sight' 279 § 7, **290.**
dītārīh- 'be seen' 290 (*-ēt*).
dītārīk 'visible' 290.
dōčārīh 'confronting' 193 n. C (*pat 2-čārīh*).
dōisr (Av. *dōiθra-*) 'eye' **325.** Cf. *spēt-dōisr*.
dōkān 'detail' 356 (*pat dōkān*, *pat 2-kānak* 'in detail').
dōkānīk 'detailed, precise' 32, 355, 356 (*2-kānīk*).
dōšāramīh 'seeking to please' 30 n. A, 180 n. 2.
dōšišn 'choosing' 374 § 3, 375 § 4.

dōšītan 'choose' 430.
dōšītār 'chooser' 375 § 4.
dōχtan 'milk' 344 § 16.
drahnāδ 'length' 163 n. C, 217, 283 §§ 43, 46; 307, 308.
drang 'duration' 245, 283 § 44, 307, 340 § 25, 379 § 5, 383, 392.
drēm 'phlegm' 344 § 20.
drōβ 'unjustly' 399.
drōnīh 'deceit, guile' 386.
drōž- 'be false to, violate' 293 (*-ēt*), 368 § 10 (*-ēnd*). Infin. *druχtan* q.v.
drōžanīh 'falsehood' 164 n. D, 379 § 3.
drupušt (i) 'fortress' 156 n. 2 (*band-drupuštīh*), 283 §§ 43, 44 (*drang-drupuštīh*); 307 (and *-īh*). (ii) adv. 'firmly, jealously' 53.
drupuštīh 'protection' 323 § 13.
druvist-annām 'sound of limb' 217.
druχtan 'be false to, violate' 293. Pres. stem. *drōž-* q.v.
druχtārīh 'lying, deception' 386.
duš 'evil' 379 § 5.
dušdaft 'whose breath is foul' 354.
dušīh 'evil' 279 § 8, **291.** Cf. *hu-īh.*
dušīk-kār 'evil action' 374 § 2.
dušmičak 'bad taste' 52 n. A.
dušnihātīk 'of evil nature' 121, 379 §§ 2–4.
duš-rāδēnītārīh 'bad government, disorder' 376.
dušχᵛatīh 'evil essence' 386.
dušyāčakīh 'evil endeavour' 379 § 4.
dūtak 'family' 12 n. 3, 53 (*anōtak-dūtakān*).
dužīh 'robbery' 322 § 3, 379 § 3.
dužītak 'stolen' 285 § 58.

ēnyā 'otherwise' 396.
ēr 'noble' 32 (*-tar*), 375 § 3 (*-īh*), 379 § 3 (do.).
ērīk 'noble' 379 § 4.
ēsm 'fuel' 322 § 8.
ētōnīh 'suchness' 208 n. 2 (*pat ētōnīh* 'as it is').
ēvar 'certain' 34 n. j, 406 (*-īk*).
ēvār 'destruction, pillage' 31, 33 n. b.
ēvēn- 'annihilate' 330. Cf. *ōvēn-*.

frāč kartan 'fix, settle' 279 § 13.
frahāt 'help, helper' 216, 340 § 19, 402.
frahaχtak 'trained, skilled' 345 § 23 (*-tar*).
frahaχt-kārīh 'skill, experience' 345 § 24.
frahist (i) 'for the most part' 27 n. 3. (ii) 'exceeding' 379 § 5.
frahistān 'for the most part' 347 § 51.
frakān 'beginning, basis' 279 § 6, **288–9.**
frakānēnītan 'begin' 289.
franaftan 'proceed' 217. Pres. stem *franām-*.
fra'nāmišn 'proceeding, development' 385.
frapad 'forefoot' 361 § 6, 363.
frasāvandīh 'perishability' 180 n. 2.
frašēβ 'injurious' 388.
frašn 'question' 397.
fravand (i) 'girdle' 208 n. 4, 215 n. E. (ii) 'compass, scope' 346 § 38, 384.
fravastak 'comprised, contained, encompassed' 112 n. 4, 339 § 12, 384.
fravastan 'comprise, contain' 208 n. 4. Pres. stem *fravand-*.
frāχᵛ- 'widen' 217 (*-ēt*).
frāχᵛ-gōyōt 'having wide pastures' 101 n. 5, 102 nn. 1, 4.
frēhbūt 'excess' 193 n. D, 252 n. 2, 262–3, 345 § 33, 347 § 44, 385.
frēh-gōyōt (= *frāχᵛ-gōyōt* q.v.) 282 § 34, 304.
frōk- 'shine' 163 n. C (*-īhast*).
frōt 'down' *passim. frōt nēst* 'is not lacking' 32.
frōt-vaštakīh 'withdrawal' 262.

gaβrīh 'hollowing' 282 § 38, 372.
gaδ 'planet' 347 § 49.
gaδay 'robber' 263.
gaδōkīk 'belonging to the planets' 121, 123, 379 §§ 2–4.
gar 'mountain' 195 n. K.
garōδmān 'heaven' **214 n. B.**
garzišn 'complaint' 362 § 30.
gašnak 'numerous' 348.
gavākīh(?) 'growth' 32, 34 n. d. (more probably *gōβāk* = λογικός 'rational'; *gōβākīh* 'logic').
gēn 'crystal' 323 § 14, **330.** Cf. *kēn, āpakēnak.*
gētēh-handāčak-nimāyišnīhā 'prescribing (conduct) as far as this world is concerned' 32.
gijistak 'accursed' 158 n. 1.
girt (i) 'round' 281 § 26, 283 § 46, **300–1,** 362 § 24. (ii) 'circle' **300–1.** (iii) 'around' **300–1.**
girtak 'around' 361 § 5.
gōgart 'sulphur' 283 § 47, **310.**
gōhr (i) 'mineral' 283 § 47, 361 § 5. (ii) 'jewel' 322 § 5 (— *-pēsīt*), 323 § 14 (do.). (iii) 'substance' 32, 73 n. 3, 79 n. D, 141 n. 3, 145 n. G, 164 n. D, 283 §§ 43, 45; 340 § 29, 346 § 35, 361 §§ 4, 8; 378, 379 § 5 (*-īhā* 'in substance'), 382. Cf. *ham-gōhr, yut-gōhr.* (iv) 'character, nature' 256 n. 5, 257, 407, 408 = Ar./NP. *ṭab'*.
gōhrak 'element' 340 § 25.
gōhrōmand 'full of metals or mineral ores' 217.

gōr 'hollow' 347 § 52.
graftār 'prisoner' 216.
grāy- 'incline, lean' 85 n. 2 (*-išnīh*), 376 (*-astakīh*).
grīv (i) 'neck' 163 n. B. (ii) 'self' 371.
gund 'army' 354.
gyāk 'place' *passim. pat gyāk* 'on the spot, immediately' 27 n. 5, 362 § 15.

hāč- 'incline, convert' 15 n. 3 (*-ēt*), 279 § 10 (*-ēm*), 292 (do.), 339 § 7 (do.), 346 § 35 (*-ēh*). Infin. *hāχtan* q.v.
hačišīk 'result' 390 § 3.
halak 'ill-considered, foolish' 52 n. A (*-īhā*), 379 § 3, 403 (*-īh*).
hāmak 'totality' 278 § 2, **286–7.**
hambatast 'coincided' 389 § 2, 390 § 3, 391.
hambatīk 'adversary' 347 § 45. Cf. *hambitīk.*
hambav- 'grow together' 282 § 38 (*-īhēnd*), 305 (*-išnīh*), 306 (*-īhēnd*). *hambōs-* (NP. *anbūs-*) could also be read.
hambitīk 'opposed, adversary' 53, 263 (*hanbitīkān*). Cf. *hambatīk, anhambatīk.*
ham-brēh 'of equal stature' 347 § 44.
ham-brahmakīh 'having a similar mode or condition' 263, 325.
hambunīh 'original substance' 375 § 5.
ham-dātastān 'agreeing' 110 (*-ōmandīh*), 279 § 13, 280 § 22 (*-ōmandīh*), 292, 324 § 22, 332, 362 § 33.
hamēmāl 'rival, adversary' 53, 322 § 9, 324 § 21 (*apē-* —), § 22 (*apē-* — *īh*), 332 (do. and *apē-* —), 347 § 45 (and *-īh*), 403.
hāmēn 'summer' 345 § 27, 362 § 15, 364.
hamēn- 'unite' 145 n. I (*-ītār*).
hamē-rāδēnītār 'ever ordering aright' 280 § 18.
hamēstakān 'purgatory' 400.
ham-gōhr 'of the same substance' 262 n. B, 347 § 45.
hamīh- 'be united' 371 (*-ēt*).
hamīkīh 'union' 347 § 51.
hamōk 'teaching' 31, 32.
hamōχt- 'learn' 207 n. 4 (*-ēt*).
hamōχtār 'pupil' 322 § 4, **325.**
hamrānīh 'battle' 339 § 4.
ham-vīmand 'contiguous, proper to' 385.
ham-yuχt 'united' 345 § 30 (and *-īhast*).
ham-zahak 'of the same lineage' 207 n. 6.
²*hanbār-* 'be sated' 193 n. B. Cf. *hanburt, anhanbār.*
hanbārtār 'store-keeper' 343 § 7.
hanbasān 'contradictory' 27 n. 5.
hanbašn 'bedfellow' 306, 345 § 30.
hanbātak 'generation' 12 n. 3, 370.
hanbāz (*hambāz*) 'companion' 345 § 30, 397.
hanburt 'sated' 193 n. B, 346 § 42. Cf. ²*hanbār-*.
handāč 'proportion' 283 § 43.
handāčak (i) 'measure'. (ii) 'manner' 347 § 48 (*pat ham-handāčakīh* 'in like manner'. (iii) adv. 'like' 164 n. G. (iv) 'analogy' 263.
¹*handāčišn* (i) 'attack' 279 § 6, 288, 339 § 3 (*-īk*). (ii) 'overthrowing, victory' 12 n. 2.
²*handāčišn* 'ordaining, design' 380, 388 (= Ar./NP. *taqdīr* in Naṣir i Xusrau, *Gušāyiš u rahāyiš*).
handāχtan 'add' 32, 145 n. H, 406. Pres. stem *handāč-*.
handēmānīh 'meeting' 217.
handōčišnīk 'thrifty' 379 § 3.
²*handōχt* 'sew up' 241, 398.
hangart 'all-embracing' 215 n. E.
hangārt 'complete' 284 § 52.
hangārtan 'consider, esteem' 32, 79 n. D (*hangārīhēnd*).
hangartīk (i) 'including, inclusive, comprehensive, summing up' 45 n. 2, 215 n. E (*-tom*), 374 § 2, 376, 383, 385. (ii) 'compendium(?)' 145 n. H.
hangartīkēn- 'cause to be contained' 371 (*-īt*).
hangartīkīh 'comprehensiveness, scope, summing up' 289, 371, 384, 385.
hangat 'accumulated' 32 (— *-dānākīh*).
hangēnītan 'induce' 30 n. B (2).
hangēž- 'excite' 346 § 36 (*-īhēt*).
hangēžēn- 'raise up' 104 n. C, 262, 330 (*-āt*).
hangōšītak 'manner' 32, 282 § 38, 284 § 50, 345 § 29.
hanžaftak 'completed' 370.
harvisp-astōmandīh 'all solid' 283 §§ 41–42.
hast . . . hast 'sometimes . . . sometimes', 'whether . . . or . . .' **302,** 337 § 3, 338.
hast-hēr 'rich' 340 § 19.
hāvišt 'pupil' 52 n. C.
hāχtan 'convert' 362 § 35, **364.** Pres. stem *hāč-* q.v.
hazangrō(k)zam 'millennium' 374 § 2.
hēr 'goods, property, thing' 180 n. 2, 217, 278 § 1, 285–6, 390 § 3, 399, 400, 402, 406, 407.
hērak-gōn 'ash-coloured' 375 § 4.
hēr-pānak 'thrifty' 292.
hišt-škōhīh(?) 'lack of respect' 376.
hixr 'excrement' 30, 52 n. A (*-īh*), 171 n. 9, 361 § 12 (*-īh*), 362 § 27 (do.).
hiyag(?) 'ailment(?)' 372, **373.**
hiyandak 'ill' 373.
hōk 'habit' 256, 325, 407, 408 = Ar/NP. *'ādat.*

hōy(ak) 'left (hand)' 284 § 50, 344 § 19, 345 § 33, 348.
hu-ayāpak 'understanding well' 281 § 25, 298. Cf. *ayāpakīh* q.v.
hubōδ 'sweet-smelling' 73 n. 3, 141 n. 3, 346 § 40. Cf. *bōδ* (ii).
hučihr 'beautiful' 216, 217.
hučihr-gar 'beautifying' 162 n. 2.
hudahāk 'fruitful' 216, 306.
hudāk 'useful, fruitful' 283 § 42, 306.
hugar 'easy' 343 § 4 (*-tar*), § 5 (do.), 344 § 20 (do.), 345 § 24.
hu-īh 'goodness' 374 § 2. Cf. *dušīh*.
hu-īk 'good' 374 § 2, 390 § 3.
hu-īk-kār 'good action' 374 § 2.
hukarp 'shapely, beautiful' 292.
humiθr 'friendly' 290.
hunihātīk 'of good nature' 121, 379 §§ 2–4.
hunušak 'offspring (of demons only)' 171 n. 4, 175 n. 1, 376, 385, 386.
hupahrēčišnīh 'sober living, temperance' 53 n. 1.
hupatsāy 'fitting well(?)' 283 § 43, **307.**
huyāčakīh 'good endeavour' 379 § 4.
huzahak 'noble' 290. Cf. [1]*zahak*.

kaδ-īh 'when-ness, temporality' 286.
kālput 'carcase' 404.
kamālakān 'having (monstrous) heads (of demons)' 355, 356, 357.
kamālīk 'having a (monstrous) head (of demons)' 282 § 36, 305.
kanīk 'maiden' 163 n. C, 216.
kār (i) 'action' *passim.* (ii) '*ἐνέργεια*, actuality' 224, 229, 270, 383.
kār ut dātastān '(worldly) affairs' 281 § 25, 299.
kār vičārtan 'satisfy one's natural needs' 407, 408.
kārīk 'actual' 390 § 2.
karkās 'vulture' 364.
karkēhan 'chalcedony' 375 § 5.
karp 'body, shape, form' 33 n. c, 115, **131 n. 2,** 146, 175 n. 1, 207 nn. 6, 7 (*χrat-karpīh*); 215 n. E, 263 (*dēv-karpīh*), 281 §§ 26–29, 283 § 42, 284 § 51, 300 (= *tan*), 302 (do.), 303, 322 § 3, 325 (= *tan*), 346 § 35, 348, 356, 363 §§ 37, 38 (*-īh*); 372.
kartak 'rite' 52 n. C, 53.
katak-masāδ 'of the size of a house' 309.
katār 'which' 324 § 21, 332, 344 §§ 9, 11, 13, 15–16.
katār-ič-ē 'whatever, any at all' 207 n. 1, 344 § 20, 346 § 36, 375 § 5, 385.
kaθas 'channel' 214 n. A.
[2]*kēn* 'crystal' 330, 361 §§ 4, 8; **363,** 364. Cf. *gēn, āpakēnak*.
kērōkīh 'craft, process' 32.
kēš-dār 'sectary' 386, 388.
kiβōt 'casket' 343 §§ 4–5.
kišvarīk 'a subject, national' 32.
kōšāk (= Skt. *kośa*) 'volume' 145 n. H.
kōt 'mass' 372, **373.**
ku-īh 'where-ness, position' 286.
kunišnīk 'agent' 374 § 1.
kust(ak) 'side, direction' 163 nn. A, C; 283 § 47, 339 § 3, 344 § 20, 368 § 13.

maδ-gōn 'wine-coloured' 375 § 5, **376.**
maδīh(?) 'wine-ness' 347 § 51.
mān 'house' 281 § 25, 283 § 43, 299, 323 §§ 13–15, 356.
mānāk 'resembling' 262, 283 § 43, 307, 388.
mānāk-gyākīk '*qua* space' 215 n. C.
mānišn 'abode' 347 § 49.
mānišnīk 'resembling' 379 § 3.
māništ 'dwelling-place' 284 § 53, 311.
[1]*mar* 'number' 361 § 7.
[2]*mar* 'villain' 31 n. B, 375 § 4, 376, 397.
marak 'number' 301.
mārīk 'word' 280 § 15.
marnjēnītan 'destroy' *passim,* **290.**
marttāčōkīh 'valour' 375 § 5.
mastīh- 'become drunk' 193 n. D.
mātaγ 'matter, *ὕλη*' 145 n. I, 207 nn. 3, 7 (*χrat-mātaγīh*), 225, 269.
mātakvarīhā 'principally' 406.
[1]*matiyān* 'book, volume' 32, 145 n. H.
[2]*mātiyān* 'important, chiefly' 32, 340 § 17, 375 §§ 3, 5; 379 § 3, 388 (*andar* —), 406.
māyišn 'coition' 195 n. K.
mēč 'eyelash' 195 n. I, 340 § 25.
[1]*mēčītan* 'blink' 194 n. H, **195 n. I** (*čašm-mēčišn*).
[2]*mēčītan* 'suck' 195 nn. H, I.
megistīk '*al-maǰist, μεγίστη* of Ptolemy' 145 n. H.
mēnōkān-tāšīt 'fashioned by the spiritual powers' 156 n. 1.
mēχ i gās 'the Pole Star' 163 n. A, 165.
mēzītan 'make water' 195 n. I.
mitōχt 'falsely spoken' 282 § 33 (*-īhā*), 304 (do.), 375 § 4, 390 § 3 (*-īk*).
mōδak 'mourning' 345 § 33.
murvēčak 'young of bird' 361 § 5.
mūtak 'ruinous' 175 n. 1, **194 n. E.**

nāirīk 'woman' 216, 292.
nāmakīh 'renown' 280 § 23.
nāmčišt(īk) 'especially' 52 n. A, 145 n. I, 262, 398.
narfsišn 'waning' 345 § 26.
nāvtāk 'navigable' **214 n. A,** 217.
naχšak 'comely' 216, **218 n. b.**

nay 'cubit' 284 §§ 49–50, 362 § 15, 364.
nāyᵘtāk v. *nāvtāk*.
nāzišn 'enjoyment' 397.
nendar 'inside' 361 § 9, **364.**
nērōk '*δύναμις*' (i) 'power, strength' 53, 165 n. H, 193 n. D, 270, 340 § 29, 345 § 34, 346 § 39, etc., etc. (ii) 'ability' 321. (iii) 'potentiality' 32, 222, 224, 229, 270, 383, 385 (the meanings 'power' and 'potentiality' alternate).
nērōkīh- 'be strengthened' 193 n. D (*-ēt*).
nērōkīk 'potential' 379 § 5.
nēzumān 'subtle' 252 n. 2 (*-īh*), **263 n. f.**
niδvār- 'proceed, rush off' 166 n. 4 (*-ēt*), 194 n. F (*-išn*).
niγōχšītār 'hearer, obedient' 346 § 39.
nihāl 'sapling' 345 § 28.
nihātkārīh 'prosperity' 32.
nikandan 'insert' 309, 361 § 5, 363.
nikēž 'teaching, exegesis' 369, 371 § 1, 378, 382, 383, 384, 385, 388, 389, 390, 391, 406.
nikēž- 'teach, give an indication' 217 (*-īt*), 389 (do.), 392 (*-āk*).
nikēžišn 'teaching, doctrine' 27 n. 3, 32.
nimēž 'wink, consent' 262, 263 n. e.
nisang (i) 'a little' **372.** (ii) 'chapter' **372.** (iii) 'period, stage' 371, **372.** Cf. Pāz. *nihañg*.
nisārīk(?) 'original(?)' 345 § 28.
nisārišnīkīh 'restoring' 379 § 5.
nišāstan 'set down, establish' 323 § 13, 329, 362 §§ 31, 35.
nītan 'lead' 262 n. B.
nivandak 'bondage, trap' 216, **218, n. g.**
nivēk(?) 'doctrine(?) 32, 34 n. g.
nivēk- 'bestow' 216, **218 n. i.**
**nivēt* 'good news' 303.
niχšaδišnīh 'patience' 396.
niχšaδišnīk 'patient' 396 (*-tar*).
niyāβ 'suitable' 279 § 7, **290.**
niyāβākīh 'assistance(?)' 215 n. E.
nizōrīh 'weakness' 193 n. D.
nizōrīh- 'be weakened' 193 n. D (*-ēt*).

ōβām 'period, time' 97 n. 9, 102 n. 1, 194 n. E, 374 § 2, 379 §§ 4–5, 399.
ōčirišnīk 'distinguishable, distinguished' 385. Cf. Pāz. *χᵛazirašnī* q.v.
ōγārišnōmand 'able to be dispelled' 373. Cf. Pāz. *hugār-* q.v.
ōpārtan 'swallow' 171 n. 5, 193 n. B. (*-ēt*), 250 n. 1.
ōsānišnīk 'descending' 385.
ōsēnītan 'destroy, annihilate' 294, 295. Later spelling of *aβsihēnītan* q.v.
ōstām 'ground, basis' 234, 390 § 3.
ōstān '(position of) trust' 52 n. B.
ōstavānīh 'confessing' 340 § 21. Cf. *āstuvānīh*.
ōstēn- 'raise up' 104 n. C, 216, **218 n. f.**
ōstīk 'stable, confident' 32 (*-īhā*).
ōstīkān 'grounded in' 385 (*vēhīh-* — 'grounded in goodness', *vattar-* —). Cf. Pāz. *ōstyą*.
ōstīkānīh 'stability' 345 § 29.
[1]*ōš* 'death' 215 n. D, 398.
[2]*ōš* 'intelligence' 407, 408.
ōšmurišn 'category' 379 *passim,* 384, 385, 386.
[1]*ōšōmand* 'subject to death, mortal' 172 n. 1, 215 n. D, 281 § 25, 299.
[2]*ōšōmand* 'wakeful' 101 n. 5.
ōvēn 'annihilated' 323 § 14, **330,** 376.
ōvēn- 'annihilate' **330** (*-ēt, -ītan*). Cf. *ēvēn-*.
ōvēn-būtīh 'annihilation' 330. Cf. MPT. *wnywdyh*.
ōvēn-fražāmīh 'final annihilation' 375 § 4.
ōvēnišn 'annihilating' 330.
ōž 'power' 145 n. I, 195 n. H, 291 (*nihān-ōž*), 362 § 15.
ōžīh- 'be strengthened' 193 n. D (*-ēt*).
ōžōmand 'mighty' 281 § 25 (*-tar*), 298 (do.), 404.

paččēn 'copy' 27 n. 2, 31, 32.
paδ 'sinew' 145 n. G, 162 n. 2, 343 §§ 7–8, 344 §§ 9, 20; **348.**
paδrōt v. *patrōt*.
pahrēč 'abstention' 406.
pahrēχtan 'refrain' 340 § 22. Pres. stem *pahrēč-*.
paitištān 'leg' 361 § 6, 363.
pand 'path' **203 n. 5,** 217.
panēnītārīh 'causing to be miserly' 379 § 3.
panīh 'avarice' 379 § 3, 386.
panīk 'miserly' 379 § 3. Cf. *pen*.
pārak 'bribe' 58 n. 6, 90 n. 1.
parastak 'service' 322 § 8, **327.**
parkān 'enclosing wall' 283 § 43, 289, 307, 361 §§ 4, 7; 363.
parvānak 'envoy' 347 § 48.
pasēmārīh '(legal) defence' 282 § 34.
pasōmandīh 'richness in flocks' 16 n. 3.
passāč- 'fit together' 344 § 19 (*-om*). Infin. *passāχtan* q.v.
passačak 'befitting, suitable' 31 n. B, 216 (*-īhā*), 322 § 6 (do.), 327 (do.).
passāčišn 'composition' 79 n. D.
passāχt 'consistent' 32.
passāχtan (i) 'mould, fit together' 322 § 7, 327, 343 §§ 4–6, 344 § 20. (ii) 'insert' 322 § 2. (iii) 'submit' 12 n. 2.
past 'treaty' 340 § 29. Cf. *pašt, pašn*.
pašn 'pact, connexion, obligation' 279 § 13, **293,** 364.

pašt 'treaty, pact' 102 n. 1, **293**, 340 § 30, 346 § 35.
pat 'lord' 375 §§ 3, 4 (*-īh*), 5; 376 (*-īh*).
pātēmār 'assigned task' 345 § 24.
pātērāngar 'thwarting' 347 § 50.
patērānēn- 'prevent' 165 n. H (*-īt*).
patēst 'threat' 279 §§ 10, 12, 282 § 37, 292, 293, 305, 388.
patēst- 'threaten' 339 § 5 (*-āt*), 7 (do.), 8 (do.); 340 § 30 (*-īt*), 346 § 35 (*-āt*).
patēstīk 'threatening' 388.
patēχᵛīh 'prosperity' 379 § 3.
pātēz 'autumn' 345 § 27.
patγāk 'messenger' 186 n. 6.
patīrak 'opposite, over against' 279 § 9 (*ō patīrak i* 'up to'), 298.
patīrak-ēstišnīk 'opposed' 340 § 28.
patkārdār 'disputant' 12 n. 2, 27 n. 3 (*patkārtār*).
patmān (i) 'measure' 345 § 28 (*hāvand-patmān* 'of equal measure'). (ii) 'proportion, moderation' 79 n. D, 193 n. D. (iii) 'the Mean' 58, 246, 249, 251, 252 n. 2, 261 n. A, 262–3, 385. (iv) 'agreed time, norm, treaty' 58, 102 n. 1, 248, 249, 250, 261 n. A, 279 § 5, 288, 368 § 9.
patmānak (i) 'measure' 301, 361 § 6. (ii) 'moderation' 379 § 3. (iii) 'the Mean' 261 n. A, 347 § 44. (iv) 'treaty' 248, 261 n. A. (v) 'term, period' 281 § 24. (vi) 'bond(?)' 165 n. H.
patmānīk (i) 'moderate' 171 n. 9, 347 § 44. (ii) 'approximate' 284 §§ 49–50.
patmān-kārīh 'moderating action' 145 n. I.
patmōč- 'clothe' 346 § 39 (*-īhēt*). Infin. *patmōχtan* q.v.
patmōčan 'garment' 15 n. 4, 118, 163 n. C, 164 n. G, 322 §§ 4, 6; 325, 375 §§ 3–5.
patmōk 'garment' 118, 262 n. B, 346 § 35, 375 §§ 3–5; 376.
patmōχtan 'clothe, wear' 163 n. C, 164 n. G, 262 n. B, 283 § 44, 322 §§ 4–6. Pres. stem *patmōč-* q.v.
pat-nērōh 'powerful' 396 (*-tar*).
pātram 'common people, *plebs*'. *pātram-ič aδvēnak āvāčīk* 'vulgar idiom, the vernacular' 32.
patrōtan 'rush forward' 279 § 7, **290**.
pattāyišn 'continuance' 193 n. C.
pattōk 'durable, firmly established' 193 n. D, 217.
pattōkīh 'continuance, endurance' 217, 379 § 5.
pattūtan 'endure, last' 217. Pres. stem *pattāy-*.
patvand (i) 'connected, connexion' 173 n. 3, 194 n. F etc. (ii) 'offspring' 362 § 15.
patvast-ovišīh 'association' 289.
patvēšak 'rottenness' 373 (and *-ōmand*).
patχᵛāδišnīk 'desirable' 216.
paχsišn 'ripening' 364.
paytākēn- (i) 'manifest', (ii) 'appoint' 346 § 42 (*-īt*), 404 (*-ēnd*).
pazzāmišn 'ripening' 79 n. D.
pēhn 'food' 293–4.
pēm 'milk' 195 n. H, 346 § 40.
pen 'miserly' 346 § 37. Cf. *panīk*.
pērāδišn 'seemliness' 263.
pērōk 'shining' 390 § 3.
pēsišn 'adornment' 375 § 5.
pēsīt(ak) 'adorned' 156 n. 1, 322 § 5 (*gōhr-pēsīt*), 323 § 14 (do.), 326, 330, 375 § 5. Cf. *pistak*, *pēšīt*.
pēšēmārīh 'prosecution' 282 § 34, 305.
pēšīt 'adorned' 326. Cf. *pēsīt*.
pēšōpāδ (i) 'guide, leader' 12 n. 3, 16 n. 3, 194 n. G, 370. (ii) 'first' 344 § 19.
pistak 'adorned' 281 § 25, **299**.
²*pit* 'flesh' 145 n. G, 343 § 7.
pōryōtkēš 'ancient sage' 383, 384, 406.
¹*puhr* 'bridge' 217, 324 § 17.
²*puhr* 'punishment' 14 n. 5, 340 §§ 16, 22.
purr-patmānīhā 'in full measure' 53.
purr-urvāhn 'full of bliss' 85 n. 4, 216 (— *-vānišn*), 262 n. B.
purr-vāstar 'full of pasture' 217.
pursišnīk 'well informed' 221 n. 2, 281 § 25, 298.
pušt (i) 'back', (ii) 'ridge' 362 § 35.
pūtak 'putrid' 279 § 8.

rāδēn- (i) 'order, direct, rule, regulate, control' 200 (*-ēt*), 370 (*-ītan*). (ii) 'distribute' 324 § 16 (*-ēt*), 388 (*-īhēt*).
rāδēnāk 'ordering, directing', etc. 118, 217, 368 § 14, 375 §§ 3–5, 376, 385 (and *-īh*).
rāδēnišn 'regulating, management, development, conduct, activity' 217, 262, 374 §§ 2–3 (*-īkīh* 'ordering'), 375 § 4 (*-īh*), 376 (do.), 382 (*-īk* 'directed'), 385, 388, (opp. *višōβišn* 'confusion'), 406.
rāδēnītār 'who orders, directs', etc., 85 n. 3, 372, 382.
rāδēnītārīh 'ordering, directing, regulation, management' 236, 247 n. C, 248, 339, 375 § 5, 376, 379 § 3, 381, 382, 386.
ras (= Av. *raθa-*) 'wheel (of heaven), firmament' 112 nn. 1, 4; 144 n. C, 145 n. I, 343 § 7, 372, 375 § 5.
¹*rastak* 'natural property' 372. Cf. *ristak* (iii).
²*rastak* 'regularity' 389 § 1 (*pat rastak* 'regularly').
raštan 'dye' 378, 379 §§ 2, 5.
rātēnītan 'propagate' 53.
ravāk-ray 'whose chariot is swift' 216.

ray 'chariot' 164 nn. E, F; 165 n. H.
rāy 'effort' 173 n. 2.
rāz-aβzār 'devising weapons' 263.
rēβās 'rhubarb' 363 § 37.
¹*ristak* (i) 'manner' 340 § 21. (ii) 'way, sect' 32 (*yut-ristakān*). (iii) 'natural property' 145 n. I. Cf. ¹*rastak*.
²*rist(ak)* 'dead' 344 §§ 10, 12, 14.
riyahr 'mourning' 376.
rōδ 'copper' 283 § 47.
rōp 'looting' 31, **33 n. b**.
rōtstāk 'valley' 195 n. K.
ruzdak 'greedy' 346 § 42.

²*sač-* 'pass away' 280 § 22 (*-ēt*), 356 (*-ist*), 359 (do.).
sačēn- 'make seemly, ennoble' 263.
sačišn 'passing, passage' 215 n. C, 281 § 29, 303, 379 § 5, 388 (*spurr-kanārak-sačišnīh*). Cf. *asačišnīh*.
sačišnīk 'transitory' 390 § 2, 392.
sāčišnīk 'effective' 388.
sah- 'seem good' 195 n. K (*-ēt*), 279 § 8 (*-ist*), 291 (do.), 324 § 21 (*-ēt*), 368 § 15 (do.), 18 (*-ast*).
sahmān 'limit, boundary, extent' 193 n. D, 202 n. 4, 370.
sahmānōmand 'limited' 391 (and *-īh*).
sangēn 'heavy' 73 n. 3, 141 n. 3.
sar(ə)δak 'sort, kind, species' 32 (*yut-sarəδakān*), 195 n. K, 217 (*vas-* —), 284 § 48, 310, 323 § 12, 345 § 30, 346 § 38, 361 § 13, 362 §§ 14, 15, 22.
sārēn- 'provoke' 279 § 9 (*-ēh*), 292 (do.).
sārīgar 'buzzard' 362 § 27, 364.
sāstār (i) 'ruler, tyrant' 16 n. 3 (*-īh*), **121 n. 1**, 216. (ii) 'heretical priest' **45**, 122, 289, 375 § 4 (*-īh*), 376 (do.), 379 § 3 (do.), 386 (do.), 397.
savāk 'furthering' 347 § 53.
savākīh 'munificence' 262, 263 n. b.
sǎy- 'lie down' **104 n. C**, 280 § 16 (*-ast*), 283 § 41 (do.), 295 (do.), 306 (do.), 355 (do.), 356 (do.), **357**.
sēž 'bane' 345 §§ 32, 33; 354.
sēžišn 'decay' 374 § 2.
snēžak 'snow' 283 § 45, 308.
snōδān 'storm' 283 § 45, **308**.
sōh- 'touch' 358 (*-išnīh*).
spahr (= Av. *Θwāša-*) 'firmament' 89, 372, 375 § 5. Cf. *spāš*.
spāš (= Av. *Θwāša-*) 'firmament' 88 n. 1, 89 n. 1, 247 n. C (*θiβāš*), 383. Cf. *spahr*.
spazgīh 'calumny' 10 n. 3.
spēk 'brilliance' 375 § 3.
spēt-dōisr 'white-eyed' 322 § 3, 325.
spēž- 'put forth new growth' 345 § 28 (*-īhēnd*).
spēžišn 'shining' 345 § 25.
spistēn(?) 'foul(?)' 354.
spurrgar 'who consummates' 347 § 48.
spurrīk 'whole, perfect' 32, 371.
spurrīk- 'complete' 345 § 28 (*-īhēt*).
spurrīkgarīh 'consummation' 347 § 46.
spurrkarīh 'completion' 388.
srēšak 'mass' 372, **373**.
srēšōtak 'conglomeration' 372.
srov 'word' 15 n. 1, 31 n. B (*duš-srov*).
srūv 'nail (of hand or foot)' 344 § 20.
star-ōšmur 'astronomer' 375 § 4, 376.
start 'laid low' 86 n. 3, 280 § 16 (and *-īh*), 282 § 41 (*-īhā*), 295 (and *-īh*), 304 (*-īh*), 306 (do.), 339 § 4 (*-ak*), 340 § 24, 354, 355, 356 (and *-īh*), 357 (do.), 358 (do.). Cf. *sturt*.
sturt 'laid low' 102 n. 1, 283 § 41 (*-īh*), 295 (and *-īh*), 354 (*-īh*), 355 (do.), 357 (do.), 358 (do.). Cf. *start*.
suδ 'hunger' 340 § 30, 345 § 33, 346 §§ 35, 37.
sus(?) 'degree' 97 n. 2, 144 n. E.
sūt-aβkār 'promoting benefit' 292. Cf. *aβkārīhā*.
sūtārīh 'efficacy' 52 n. A.
sūtak 'worn away' 329.

ša⟨sa⟩pīkān(?) 'royal(?)' 31, 32, 145 n. H.
šāyandak 'decent' 403 (and *-īh*).
šāyēn (i) 'potential' 383. (ii) 'possible' 384.
šāyēt būt(an) 'possible' 391.
šētāy 'bliss' 380, 385, 388.
šēvan 'lamentation' 345 § 33.
škaft 'fearful' 375 § 4 (*-tar*), 403 (*-īh*). Cf. *škift*.
škarv- 'lurch' 194 n. F. (*-ītakīh*).
škarvan 'lurching, vacillation' 376.
škift 'fearful, violent' 172 n. 1, 217, 262, 347 § 53, 348. Cf. *škaft*.
škōh 'poverty, misery' 397.
škōhīh 'poverty' 385, 386.
šnūk 'knee' 280 § 16, **295**.
šōn 'manner, sort' 145 n. H, 217–18 (*astūn-šōn*), 218 n. I.
šusr 'semen' 282 § 38, 284 § 51, 362 §§ 15, 27, 36; 363 § 36 (and *-īh*).

tač- 'flow' 283 § 45 (*-ēt*), 344 § 16 (*-ēnd*), 345 § 29 (do.).
tačišn 'flowing, movement' 341, 383.
tak 'haste' 279 § 7 (*tak apar kart* 'he made haste'), **290**.
¹*tāk* 'branch' 217 (*vazurg-* —), 343 § 5.
²*tāk* 'equal, peer' 397.
takīk 'swift, valiant' 86 n. 3, 200 n. (*-īh*), 247 n. D, 375 § 5 (and *-īh*), 379 § 3 (*-īh*), 402 (do.).

tam (*tom*) 'darkness' 279 § 7, 280 § 16, 281 § 27, 290, 295, 339 §§ 3–5, 340 § 24, 341 § 33, 345 § 25, 346 § 39.
tam-axᵛ 'of dark nature' 30 n A.
tamīk 'dark' 158 n. 4, 165.
tan-kartīhā 'incarnate' 324 § 21, 332.
tarāzēnišnīh 'balance' 379 § 5.
tarāzūk 'scales, balance' 402.
tarmēnītan 'despise' 321.
tarvēn- 'conquer, overcome, oppress' 193 n. D (*-ītan, -īt*), 247 n. C (*-ītārtom*), 368 § 14 (*-and*).
tāšītan 'create' 367 § 2.
tēh 'edge, point' 217, 339 § 3.
tišn 'thirst' 283 § 42, 306, 345 §§ 33, 37.
tōβ 'part' 346 § 37.
tom v. *tam*.
traft 'stolen' 312. Cf. *truftak*.
truftak 'stolen' 285 §§ 58–59, 312.

urvāhmanīh 'joy' 194 n. H, 283 § 44, 308. Cf. *purr-urvāhm*.
uskār 'consideration'. *ō uskār kart* 'examined', 32.
uskār- 'discuss, consult' 32 *passim*, 324 § 21 (*-t*).
uspurrīkīh 'completion' 347 § 49. Cf. *spurrīk* etc.
ustarak 'razor' 217.
uz- 'rise up' 85 n. 2 (*-išnīh*), 295, 343 § 2 (*-ēnd*), 345 § 25 (*-ēt*), 347 § 49 (*-ēnd*), 390 (*-išnīh*).

vāβarīkānīh 'faith' 194 n. E.
vāδēn- 'make to fly' 344 § 20 (*-īt*).
vahmān 'such a, so and so' 279 § 13, **294**.
vāl- 'grow, wax' 339 § 3 (*-īhēt*).
valg 'leaf' 284 § 56.
van 'victorious' 279 § 8, **291** (*-tom, -īh*).
vān- 'conquer' 32 (*-īt*), 262 (*-āt, -ītakīh*), 263 (*-īhēnd, -īt*), **291** (*-išn, -ītak, -ītak-tom*), 337 (*-īt*), 379 § 5 (*-ītan*), 386 (*-ītakīh*).
vānītārīh 'conquest' 52 n. C (*-ā*), 174 n. 2, 375 § 3, 379 § 5, 385, 390 § 3.
varāy 'crow' 362 § 27.
varanīk 'pertaining to Varan, heretic, free-thinker' 32, 125 n. 1.
varč 'supernatural power, marvel' 30 n. 1 (— *-kārīh*), 263.
varčāvand 'marvellous' 263.
varčēn 'marvellous' 371.
vārom 'mind' 217, 362 § 28.
varōmand 'doubtful' 32, **34 n. j.**
vars 'body hair' 343 § 7, 344 §§ 12–13, 18.
varz 'tillage' 347 § 51.
varzāk 'toiling' 356.
varzvar 'husbandman' 283 § 43.
vāspuhrakānīh 'good government' 32.
vāstar 'pasture' 362 § 15.
vaštīh 'illness' 385.
vatak 'bad' 53, 165 (*-īh*), 279 § 8, **291**.
vat-dil 'cowardly' 403.
vaχš 'increase' 214 n. B.
vāχš 'word, Word' 174 n. 11, 205, 371 (and *-ōmand*), 372.
vaχš- 'grow' 283 § 47 (*-īt*), 347 § 50 (*-āk, -ākīh*), § 52 (*-ēt*).
vaχšākēn- 'burn up' 347 § 51 (*-āt*).
vaχšēn- 'increase' 53 (*-ītan*), 263 (*-īt*), 375 §§ 3–5 (*-ītan*).
vaχšīk 'blazing' 156 n. 2.
vāχšīk 'spiritual being' 375 § 3.
vaχšišn 'growth, increase' 145 n. H, 262 (*-īh*), 284 § 49, 344 § 20, 345 § 26.
vāy 'bird' 343 § 3.
vāyišn 'blowing' 383.
vāyišn-dahišnīh 'triumph' 379 § 5.
vāz- 'fly, move' 281 § 25 (*-ēt*), 383 (*-išn*).
vazēn- 'kindle' 322 § 8 (*-ēnd*), **327**.
vāzišnīh 'inspiration' 32.
vazurg-framātār 'prime minister' 40, 52 n. B.
vēčišn 'refraining' 178 n. 2, 194 n. H.
vēn 'breath' 323 § 11, 329.
vēšak 'forest' 362 § 14, 364.
vēχtan (i) 'drive away, neglect' 53. (ii) 'kindle' 362 § 29. Pres. stem *vēč-*.
vičār-, vičārtan (i) 'separate, scatter' 102 n. 1 (*vičārt-vars* 'having dishevelled hair'), 369 (*-īhēt* 'is separated, derives'), 371. (ii) 'dispel, scatter' 156 n. 2 (*gumān-vičār* 'dispelling doubt'). (iii) 'explain' *passim*. (iv) 'ward off, keep away' 340 § 18.
vičīh- 'distinguish' 344 § 16.
vičīnkar 'discriminating' 208 n. 3.
vičīr 'decision' 144 n. D, 207 n. 2, 247 n. D, 281 § 25, 299, 399.
vičīrēn- 'explain' 388 (*-īt*).
vičīrkarīh 'discernment' 27 n. 3.
vičītār 'discerning' 283 § 43, 397 (*-tar*).
vičītārīhišnīk 'discerning' 379 § 3.
vičōδ- 'examine, investigate' 32 (*-išnīh*), 385 (*-išn*). Infin. *vičustan*.
vičustan 'examine, investigate' 145 n. H. Pres. stem *vičōδ-*.
vihān 'cause' 384, 385.
vihānak 'occasion' 404. Cf. *bihānak*.
vihēr- 'move, change' 32. **33–34** (*-išnīk, -išn*).
vihēžak 'intercalated' 347 § 49.
vihēžakīh 'intercalating' 347 § 49.
vīmand (i) 'border, frontier' 278 § 5, 279 § 7, 290, 339 §§ 4–5. (ii) 'definition' 384, 385. Cf. Pāz. *vīmañd*.

vīmandīk 'to be defined' 112 n. 4.
vīnār-, vīnārtan (i) 'establish, set up' 148 n. 2, 216, 217, 283 § 46, 323 §§ 13, 15; 324 §§ 18–19, 344 § 20. (ii) 'maintain, govern, exercise' 193 n. C, 262 (*-t, -īhāt*), 289 (*-tak*), 331 (*-ēnd*).
vīnārišn (i) 'order, control, exercise' 79 n. D, 85 n. 4 (*hamē- vīnārišnīk*), 217, 262, 289, 323 § 14, 361 § 4. (ii) 'maintaining' 193 n. C (also *avīnārišnīh*), 217, 385 (and *-īh*). (iii) 'behaviour' 144 n. C.
vīnārtārīh 'maintenance' 375 § 5, 390 § 3.
vināsišn 'destruction, passing away, φθορά' 32, **33 n. c**, etc.
vināstārīh 'harming' 216.
vindātan 'find' 195 n. K, 247 n. D.
vinrišn 'order' 345 § 28.
¹vīr 'intelligence' 396, 407, 408.
²vīr 'thunderbolt' 309.
vīrāδ- 'prepare, put together' 210 n. 8 (*-ānd*), 211 (*-ēnd*), 324 § 21 (*-ēm*), 332 (do.). Infin. *vīrāstan* q.v.
vīrāδišn (i) 'order' 262. (ii) 'corrective, correction' 145 n. H, 194 n. E.
vīrāstan 'prepare, put together, build' 345 § 23. Pres. stem *vīrāδ-* q.v.
vīrāstakīh 'operation' 375 § 4.
vīrāstārīh 'orderliness' 375 § 5.
vīrōmand 'intelligent, scholar' 145 n. H.
virravišn 'faith' 261 n. B, 346 § 35.
visāndak 'scattered' 329.
visāndan 'tear apart, disperse' 343 § 3.
vistarag 'clothes' 30 n. B, 194 n. H.
vistartakīh 'expansion' 372.
višātakīh 'open space, void' 339.
viškar 'wilderness' 194 n. H.
viškītakīh 'diffusion' 282 § 38, 306.
viškīt-nērōkīhā 'with energy dissipated' 249, 379 § 5.
viškōβ 'disturber' 174 n. 5.
viškōβ- 'blossom' 345 § 28 (*-īhēnd*). Infin. *viškuftan*.
viškuftan 'blossom' 345 § 27. Pres. stem *viškōβ-*.
višūtak 'abortion (of demons)' 367 § 3, 368 § 8.
višūtan 'give birth to (of demons)' 367 § 3, 368 § 8, 400.
vitangīh 'poverty' 263.
vitār- 'cause to pass, spread abroad' 324 § 16.
vitarag 'passage' 217, 283 § 46 (*dūr-* —).
vitārēn- 'cause to pass away, kill' 87 n. 3.
vitartak 'dead' 399. Cf. *viturt*.
vitast 'span' 361 § 13, 364.
vitīmās 'marvel, mystery' **30 n. B** (and *-īh, -īk*), 217, 218, 430 (*-īk*).
viturt 'dead' 343 § 7. Cf. *vitartak*.
viturtan 'die' 218 n. g, 343 §§ 1, 3; 344 § 20.
viyāβ- 'deceive, ruin' 194 n. H (*-īhēt*).
viyāβān 'going astray' 402.
viyāβānēnāk 'deceiving' 298.
viyāβāngar 'deceitful' 298.
viyāβānīh 'deception' 195 n. J.
vizāyišnīk 'harmful' 340 § 28.
vizūtan 'harm' 145 n. H.
vizūtār 'preventing' 86 n 2.

χān (i) 'spring, well' 281 § 25, 299. (ii) 'source, origin' 85 n. 2.
χānīk 'original' 32.
χrafstar 'noxious beast' 281 § 27, 347 § 52.
χru-drafš 'having a bloody banner' 102 n. 4.
χšēn 'dark blue' 322 § 6, 327.
χur-druš 'having a bloody spear' 354, 376.
χᵛāβar 'munificent' 216 (and *-īh*), 379 (*-īh*), 401 (do.), etc.
χᵛāβargar 'fruitful' 216.
χᵛaδāt 'self-create' 89, 202 n. 4, 217, 247 n. C.
χᵛahrīh 'prosperity' 216, 217.
χᵛan-āhēn 'shining metal' 283 § 43, 307.
χᵛap-rāδēnītārīh 'good government' 262.
χᵛār 'easy' 180 n. 2.
χᵛaray 'flame' 283 § 42, 361 § 2.
χᵛārakīh 'ease, bliss' 281 § 30.
χᵛārīh 'ease, comfort' 280 § 22, 297.
χᵛārišn 'drink' 171 n. 9, 193 n. C.
χᵛatān 'kinsmen' 53.
χᵛat-dōšakīh 'self-will' 124, 174 n. 6, 280 § 23, 281 § 27, 301, 376, 379 § 3.
χᵛat-gōhrīhā 'of the very substance' 378.
χᵛatīh 'selfhood, essence' 15 n. 4, 194 n. G, 207 n. 3, 281 §§ 26–27, 289, 374 § 3, 375 §§ 3–5, 376, 383 (*pat χᵛatīh* 'καθ' αὑτό, *per se*'), 389 § 2, 390 § 3, 391, 392.
χᵛatīk 'essential' 385.
χᵛēšēn- 'appropriate' 194 n. H. (*-īt*), 217 (*-ītan*).
χᵛēšīh 'kinship, possession' 279 § 11.
χᵛētōdat(īh) 'consanguineous marriage' 150, 152, 163 n. B.

yākand 'ruby' 375 § 5.
¹yāmak 'garment' 283 § 47, 322 §§ 5, 8; 344 § 16 ('caparison').
²yāmak 'vessel' 195 n. K.
yask 'disease' 191 n. 3, 247 n. D.
yatak 'property' 32, **33 n. c.**
yatak-vihērīh 'change of property, ἀλλοίωσις' 32, **33 n. c.**
yōy 'stream' 344 § 16.
yumē 'together' 346 § 36.
yut-dātastānīh 'wrong principle, heresy' 27 nn. 2, 3.

yut-gōhr 'of different substance' 339 § 3 (*-īh*), 15; 347 § 45.
yut-vēnišnīh 'heterodoxy' 27 n. 2.
yut-nihātakīh 'distinct nature' 385.
yuχt 'a pair' 179 n. 3.

zaγ 'coal(?)' 281 § 27, **302.**
zayīk 'like coal(?)' **302**, 340 § 29.
[1]*zahak* 'embryo, offspring' 175 n. 1, 344 § 20, 372, 385. Cf. *ham-zahak*, [1]*huzahak*.
[2]*zahak* 'element, στοιχεῖον' 145 n. I, 146.
zahāk 'parent' 375 § 5, **376.**
zahyāδ 'depth' 283 §§ 43, 46; 308, 361 §§ 4, 7.
zamān kartan 'fix a time, make an appointment' 279 § 13, 293.
zand-ākāsīh 'commentary' 278 § 1, 285.
zarmān 'old age' 215 n. D, 345 §§ 32, 33; 354, 364, 385 (*-īh*).
zarryōn 'verdant, fresh' 216, 284 §§ 51, 53, 56 (*-īh*); **311** (*-īh*), 362 § 14, 364.
zartak 'yolk' 344 § 20.
zāy 'weapon' 118, 340 § 30, 346 § 35, 374 § 3, 375 §§ 4–5.
zēn 'weapon' 302, 337 § 3, 338.
zōhr 'pure water' 361 § 12, 362 § 14.
[1]*zrēh* 'sea' 85 n. 2, 347 § 49, 361 §§ 10, 12; 362 § 14.
[2]*zrēh* 'mail armour' 283 § 44, 308.
zruftak 'dispersed' 262 (*-īhā*, *-īh*), 263 n. c, **330** (and *-īh*, *-īhā*). Cf. *azrōβ-*, *azruft*.
zufāy(ak) 'depths' 279 § 7, 281 § 30 (*-īh*), 287, 290.
zufr 'deep, profound' 195 n. K, 217 (— *-rēšak*), 291.
zufr-pāδak (i) 'deep down' 278 § 3, 287. (ii) 'depths' 278 § 5.
zūr 'deceit' 337 § 3.
zūr-mitōχtīh 'lying falsehood' 385.

žah- 'pray for, crave' 16 n. 3.
žōy- 'swallow' 171 n. 9 (*-īšn*), 340 § 30 (*-ēt*), 346 § 35 (do.), 354 (*-am*, *-ēt*). Infin. *žūtan* q.v.
žūtan 'swallow' 179 n. 3, 354.
žūtārīh 'swallowing' 166 n. 4.

PĀZAND

ainā 'otherwise' 392 § 56.
aparāχt 'uncircumscribed' 393 § 94, 97 (— *-jā*).
asāmąn-χᵛadī 'of infinite essence' 393 § 96.
avamąn 'boundless' 393 § 94.
awāχtar 'planet' 158 n. 4 (*-ī*), 164 n. F.
aχᵛaraidihā 'stupidly' 394 § 106.

baγą 'the constellations' 255 n. 1, 417.
bar 'fruit, effect' 393 §§ 84, 90, 91, 93.
brādarōdī 'rival' 79 n. E.
bun 'origin, cause' 392 § 58, 393 §§ 83, 84, 85, 90, 92, 93.

dāramaa 'subtle' 372. Cf. Phl. *dāramak*.
dīmaspə for Phl. *vitīmās* q.v. 30 n. 1.

āwar 'certain' 393 § 92, 394 § 100.

farawañd- 'contain, comprise' 393 § 66 (*-ihəṭ*), 68 (do.), 69 (do.), 77 (do.). Infin. *farawastan*.
farawastaa 'bounded, comprised' 393 § 72, 394 §§ 108–9.
farawastaī 'comprehensiveness' 392 § 56, 393 §§ 60, 71, 73; 394 § 111.
farawastan 'contain, comprise' 393 § 67. Pres. stem *farawañd-*.
faršogar 'making excellent' 221.

gadūg 'planet' 159 n. 7.

hambarašn 'complex entity' 393 § 96.
haminīdaa 'united, joined together' 393 §§ 81, 82, 85.
haminīdār 'one who unites' 393 § 82.
hugār- 'subdue, drive away' **373.** Cf. Phl. *ōγārišnōmand*.
huzvār- 'explain' 393 § 80 (*-qd*).

jīk 'rope' 159 n. 6, 164 n. F.

kūstaa 'side' 393 §§ 71–72.

maraomañdī 'numerality' 393 §§ 63–64.

nawāγ 'cherisher' 230–1.
nihañg (i) 'a little' **372.** (ii) 'chapter' **372.** Cf. Phl. *nisang*.

ōstyą 'firm, confirmed' 393 § 62.

parəχt 'devoid' 393 §§ 95, 102.

sāmąnmand 'bounded' 157 n. 1, 393 § 96.
sturdaihā 'obstinately' 394 § 105.

vāhar 'false, absurd' 393 §§ 69, 76; 394 §§ 101, 107.
vaχt 'fate' 230.
vazūdār 'injuring' 79 n. E, 159 n. 7 (*kam-vazūdāri*).

vičumą v. Phl. *nēzumān* 263 n. f.
vīmañd (i) 'boundary, confines' 157 n. 1. (ii) 'definition' 394 § 104 (*əž vīmañd i* 'in so far as').
vīnāwadā 'evident' 225 n. 1.
vīspaesąm ? 329.
vyāwąnin- 'deceive' 394 § 105.

wayī 'godly, pertaining to the constellations' 230.

χuih 'goodness' 390 § 3.
χᵛadī 'selfhood, essence' 164 n. D, 393 §§ 69, 75, 76, 78, 80, 94, 99; 394 § 106.
χᵛazāraa 'small' 372.
χᵛazīrašnī 'precise' 393 § 75. Cf. Phl. *ōčīrišuīk* q.v.

yō-framānə (for *dō-framānə*) 'having two commands' 230–1, 409.

zahag 'element' 225 n. 1. Cf. Phl. [2]*zahak*.
zarvagar 'making old' 221, 230.

NEW PERSIAN

dahandagān 'the constellations' 417 n. r.
aγ 'evil' 418 n. u.
faršgar 'making excellent' 221 n. 4, 223 n. 3.

INDEX OF SUBJECTS

Abū Ḥamīdi Zūzanī, 434.
Aβyātkār i Vazurg-miθr, 397, 404.
Aβyātkār i Žāmāspīk, 250, 398.
Acta Archelai, 212.
Acts of Anāhīδ, 64, 65, 151, 154, 155.
Acts of Pûsai, 151, 154.
Āδurbāδ (Aturpāt), son of Mahraspand, 45, 49, 53; ordeal of, 11, 12, 39; his views proclaimed orthodox, 8, 11, 12, 39, 44, 51; his doctrine continued in Pahlavī books, 12.
Āδur Frāzgerd, Magian High Priest, 435, 436.
Āδur-Hormizd, Persian martyr, 62, 63, 74, 157, 219, 258, 259, 260, 431, 435.
Agathias, 49.
aγ-dēn (heretic), as distinct from *ahramōγ*, 45.
ahramōγ (apostate), 25; as distinct from *aγ-dēn*, 45.
Ahriman, Aggressor, Adversary, Destructive Spirit, *passim*; as Ohrmazd's twin, 4, 26, 80, 120, 245, 429, 431, 432, 435, 439; conceived of Zurvān's doubt, 60–61, 63, 72, 132, 235, 249, 420–1, 428, 433; (elder) son of Zurvān, 5, 13, 65, 70, 220, 266; arises from God's self-ignorance, 235, 391; inherits Zurvān's unawareness, 235; pierces mother's womb and is first born, 64, 66, 422–3, 428, 433.
made king, but inferior to Ohrmazd, 59, 426–7; king for 9,000 years, 69, 72, 426–7; triumphs for 9,000 years, 98; dwells in the world for 9,000 years, 433; power lasts for 7,000 years, 69, 428; masters the world, 67, 433; prince of this world, 70; practical ruler of this world, 248; power relationship with Ohrmazd, 69 ff.; kingdom taken from, 68, 424.
routs Ohrmazd, 99, 133 n. 1, 433; (in Zervanism) evil by choice, 120, 132, 157, 438, clever and sometimes beneficent, 157; shows Ohrmazd how to create luminaries, 63, 147 ff., 429, 438; creates the peacock, 120, 439; his son defeats Ohrmazd's, 101, 443.
theories on his origin in Zervanism, 103 n. A, 412; origin from fire and water, 73, predominantly from water, 78, 267; substance cold, dry, heavy, dark, stinking, 73, 141; is 'cold-dry', 267, 269; associated with water and earth, 267–8; creates water, earth, and plants, 75; females belong to, 187.
principle of evil, 4, 15 n. 7, 29, 58, 342, 410, 415, 433, 440; his substance evil, 164 n. D, 380, 387; 'evil-minded' or 'wrong-headed', 121, 122; desires evil, 369, 438; never thinks, says, or does anything righteous, 317; desires to hurt, 91, 94, 95, 312, 313; destroyer, 4, 68, 187.
liar and deceiver, 4; lies to Zurvān, 68, 424–5, 428.
author of death, 4, 86–87; is disorder, 110; his envy, 313; desires and envies the light, 94, 341; self-willed, 108, 315.
slow in knowledge, 91, 94, 108, 110, 312, 313, 315; without knowledge, 315, 448; without method, 315; unaware of Ohrmazd's existence, 313, 341; 'powerless', 108, 314, 315, 316, against time, 236.
his misery, 109, 110; creates illness, 187, 434, 440, 441, and poverty, 187, 429, 440, and death, 187, 434, 440, 441.
his darkness, 68, 73, 187, 245, 410, 415, 424–5, 428, 434, 448; essence material darkness, 316; dwells in the depths in darkness, 91, 312, 341; stinking, 68, 73, 245, 410, 414, 424; lying falsehood and darkness distinguish him from Ohrmazd, 236, 386.
not infinite, 91, 92; finite, 313; associated with the finite, 93; his creation finite in time, 94, not deathless, 94; will cease to exist, 312; destroyed at Final Body, 313; expelled from Cosmos and slain, 183, 355; cast into hell and bound, 412, 417.
imprisoned in the Cosmos, 434.
has no material function, 135, 180; possesses no spiritual thing, 411.
attacks both ideal and material creations, 100; his first lie, 100; reveres Ohrmazd's creation, 94, 313, and threatens to seduce it, 95, 313, 341; laid low for 3,000 years at chanting of *Ahunvar*, 95, 99, 100, 133, 183, 205, 314, 341; powerless for 3,000 years because of Blessed Man, 359, 360.
creates demons, 313; conceives and bears planets, 157; fashions weapons for attack, 94, 313, 410.

rejects offer of peace, 313; agrees to 9,000 years' battle, 314; fashions body of his creation, 316; body of his creation given to him by Zurvān, 114, 116 ff., 131.
his creation is from material darkness, 209, 316.
receives weapon of Āz from Zurvān, 59, 132, 192, 342, 351; receives garment of Āz from Zurvān, 59, 119, 121 ff., 132, 351; receives garment of false priesthood from Zurvān, 377; chooses his evil garment, 120, 132, 377; made powerless by his own creation, 316.
Primal Whore his companion, 350; aroused by Primal Whore, 74, 184, 359, 360.
drags sky into Void, 343, 363, 365; breaks treaty, 102, and swallows it, 250; defeats the wind, 86; destroys Gayōmart, 241; ridden by Tahmōrup, 241.
appeals to Ohrmazd against Āz, 182; attempts to turn time back, 236; can change Ohrmazd's creation, 369.
reptiles belong to, 187; in form of frog, 359, 360, 437.
object of worship of heretics, 13, 14–15; his 'teaching' suppressed by Kartīr, 24; *see further* Devil-worshippers.
Ahriman (Manichaean), king of darkness, 21.
Ahunvar, basic Zoroastrian prayer: essence of the *Dēn*, 107, 111, 133; is the *Dēn*, seed of seeds, 215 n. E; co-eternal with Ohrmazd, 418; manifestation of the Spirit of the Power of the Word, 133; proceeds from the Endless Form, 129, 316; first creation after Amahraspands, 215 n. E; identified with Zurvān, 134, 418; Ohrmazd's chanting of, lays Ahriman low for 3,000 years, 95, 99, 100, 133, 183, 205, 314, 341.
Ahura Mazdāh, prays to Vayu, 82; *see* Ohrmazd.
ahuras (*asuras*), class of Indo-Iranian deity, 17.
Airyaman, divine Messenger, 177, 187, 349, 352; comes to earth with Artvahišt, 177, 187, 352; duty is fulfilment of the end, 349; resuscitates Gayōmart, Mašyē, and Mašyānē, 349; brings damned out of hell, 262; identical with Sōšyans, 353.
Aiwisrūθrim, assists Fravahrs, 336.
Akōman, the Evil Mind, arch-demon, 121, 135, 175, 377; created, 317.
Alexander of Lycopolis, 71, 167, 175, 212.
Alexander of Macedon, 8, 369, 413.
Amahraspands (Amaša Spəntas), 29, 103, 105, 117, 144 n. C, 184, 199, 204, 215, 237, 275, 317, 333, 334, 335, 359, 360, 368, 386, 395, 415, 429, 430; creation of, 135, 317; wisdom holds sway among, 208; free from opposition, 400.
Amahraspands (Manichaean), the 'light' elements, 430–1.
Amurdāt, Amahraspand, 103, 152, 333; created, 317; adopts plants, 135, 335; Rašn, Aštāt, and Zāmdāt his helpers, 335; as food, 171.
Anaγrān, *see* Endless Light.
Anāhīδ, Persian martyr, 436; *see also* Acts of Anāhīδ.
Anāhīt (planet), *see* Venus.
Anāhitā, 17, 34; temples at Hypapa and Hierocaesarea, 19; *see* Ardvīsūr.
an-Nadīm, Arab chronicler, 113.
Anōš, Mandaean deity: redeemer, 77; stranger, 79.
Antiochus I of Commagene: inscription of, not certainly Zervanite, 20, but χρόνος ἄπειρος mentioned, 31, 449–50.
Aogəmadaēčā, 84, 85, 90, 239, 240.
Arabissus, inscription at, 155.
Arang (River Tigris), 349.
Ardašīr I, son of Pāpak, 7; founder of Sassanian dynasty, 7; re-establishes Zoroastrianism, 8, 35, 51; draws up canon of Avesta, 8; introduces doctrine of inseparability of Church and State, 36; founds fire-temples, 36; model of princely wisdom, 36.
Ardvīsūr, 215 n. D; assistant of Šaθrēvar, 335; assistant of Spandarmat, 335, father and mother of waters, 335; passes good things on to world, 338; *see also* Anāhitā.
Ariš, Demon of Envy, 26; most lying of demons, 31 n. E; propounds doctrine that Ohrmazd and Ahriman are twins, 149, 429–30; tempts Zoroaster, 31 n. E.
Aristotle, 20, 28, 37, 251, 253; Xusrau I interested in, 49; physical theories of, in Pahlavī books, 33, 79, 141 ff.; *see further* matter and form, Mean, potentiality and actuality.
Arnobius, 242.
Aršak, Armenian vassal of Šāpūr II, 69.
Aršišvang: created, 317; assistant of Spandarmat, 335; purifies earth, water, and semen, 335; glory of heaven, and righteousness, 335. *Cf.* Art.
Art: assistant of Spandarmat, 335; is in house of Fortune, 335. *Cf.* Aršišvang.
Artāk Virāβ, 442.

Artvahišt, Amahraspand, 103, 152, 333; created, 317; adopts fire, 135, 334; fire returns to, 335; helpers are Ātur, Srōš, Varhrān, and Nēryōsang, 334; assisted by Rapiθwin, 336; comes to earth to stop slaughter of cattle, 177, 187, 352; stands guard over Ahriman, 411, 417; mediates for the damned, 414.
Asceticism, in Zervanism, 176–82.
Astarte, 78.
Astōviδāt (Astōviδōtu), demon of death, 84, 172, 247 n. D; substituted for Zurvān in *Aogəmadaēčā*, 221, 240.
asuras, see ahuras.
Ašōqar: hypostasis of Zurvān, 57, 143, 219, 435, 439, 441; 'who makes virile', 220; 'male-maker', 222; male principle in Zurvān, 223; father of Cosmos, 222; presides over action *in potentia*, 224; causes conception, 224.
Aštāt, assistant of Amurdāt, 335; brings souls to account, 335.
Attargatis, 78.
Ātur: assistant of Artvahišt, 334; fire returns to, 335; as Artāk Virāβ's guide, 442.
Augustine, St., 21, 71, 118.
Aurvasāra, prays to Vayu, 82.
Avesta, 103, 435; tradition on its origin and history, 7–9; called *zamzamat* by Arabs, 62; unknown and cryptic language, 430; does not contradict itself, 27; is word of Ohrmazd, 15; tongue of Ohrmazd, 415; omniscience and incomprehensible, 430.
Aχt (Aχtya), 240, 242; sorcerer and devil-worshipper, 30 n. A; allegedly contemporary of Zoroaster, 30 n. A.
Āz, concupiscence, 59, 61, 69, 115, 124, 166 ff., 244, 245, 413, 445; acquisitiveness, gluttony, and lust, 115, 176; every form of desire, 116; akin to desire, 173; greed, 168, 171; insatiable, 171, 193 n. B; opposed to contentment, 171, 180, 182.
predominantly Zervanite demon, 166; unimportant in Avesta, 166, 168.
male in Avesta, 166; probably female in Zervanism, 168; original female element, 188, 268.
natural adversary of Zurvān, 237, 252; cosmic disorder, 252; enemy of order, 175; upsets natural law, 237.
original evil with God, 175; as Zurvān's doubt and desire, 237.
comprises all evil, 352; excess and deficiency, 102, 175, 253, 352; as hunger and thirst, sexual desire, and desire for good things, 176 ff., 253; abuse of legitimate activities, 175; attacks both nature and will, 172; corrupts nature, 171; enemy of the body, 171; demon of death, 172.
misuse of intellect, 175; fights with reason for $\chi^{v}arr$ of man, 172–4; makes man forget his eternal destiny, 180, 195 n. J; adversary of Srōš and the Mean, 175.
equivalent to and inclusive of Varan, 131, 174–5; supreme commander of demons, 168, 176, 351; Ahriman has most strength from, 351.
garment steeped in essence of, given to Ahriman, 59, 132, 192, 342–3, 351.
divides her powers into three, 351–2; power gradually dwindles, 351; swallows up the demons, 115, 177, 182, 352, 354; turns against Ahriman, 115, 182, 352, 355; smitten by Srōš, 183, 253, 355; overthrown by Tetrad of Order, 175, 201, 229, 237, 252, 253, 254, 369.
Āz (Manichaean): ὕλη and *concupiscentia*, 167, 168; 'disorderly motion', 167, 175, 192; gluttony and lust, 170; mother of all the demons, 166, 192; takes precedence over Ahriman, 167, 169; forms body and imprisons soul in it, 169; creates bodies of first man and woman, 170; blinds soul to its true origin, 169; mingles with plants and animals, 169, 179; devours abortions of the demons, 179.

Babylon, 17, 20, 144 n. F, 155, 158, 449; influence of, 19–20.
bayō-baχt, special dispensation of gods, 256, 404.
Bahman-Yašt, 97, 102.
Bahrām, *see* Varhrān.
Bahrām (Mandaean), 77.
Bahrām I, 38, 51.
Bahrām III, 24, 39.
Bahrām V, 40, 43, 45, 54; said to have retired Mihr-Narsē, 46.
Bahrām Čōβēn, rebel defeated by Xusrau II, 51.
Bahrām fire, 43; *see also* Fire.
Balāš (Valaχš, Vologeses), Sassanian king, 47.
Bane (*Sēž*), arch demon; commander of the North, 351; swallowed by Āz, 182, 354.
Barbelo, mother and πρωτάνθρωπος, 78.
Bardesanes, 77, 167; his views on Space, 202.

barsom, bundle of sacred twigs, 78; handed by Zurvān to Ohrmazd, 66, 72; symbol of priesthood, not royalty, 66–67.
Basil, St., 113, 144 n. B, 449.
Baχt 57, &c.; *see* Fate.
Bel'amī, Persian translator of Ṭabarī, 43.
Bērunī, 97.
Book of John (Mandaean), 77.
Bōχt-Mārā, Christian polemist, 430.
Brahmā (Buddhist), 22.
Brahmans, persecuted by Kartīr, 11, 24.
Buddha, 272.
Buddhists, persecuted by Kartīr, 11, 24.
Bundahišn, passim; two recensions, 81, 277; author dualist and traditionalist, 92; Zurvān myth in, 26, 105; partly 'semi-Zervanite', 71.
Burz, assistant of Šaθrēvar, 335; assisted by Uzayarin, 336.
Burzēn-mihr fire, established on ridges of Vištāsp, 367.

Castes, 259, 261; priests, warriors, husbandmen, and artisans, 123; their heavenly patrons, 123; derived from 'primal instrument', 139.
Cattle, propitiated by Kartir, 24, 25.
Chaldaeans, 28, 47.
Christians: persecuted by Kartīr, 24, 25, and by Yezdigird II, 29, 44; rebuked for mocking at Fate and Fortune, 59; full liberty under Xusrau I, but persecuted by Dāδ-Hormizd, 49.
Činvat Bridge, 87, 90, 203, 275, 335, 338; broadens for the righteous but narrows for the wicked, 199.
Čištā, 275.
Clement of Alexandria, 20.
Consanguineous unions: habitual, 43; permitted, 440; encouraged by Kartīr, 25; most meritorious action possible, 151–2, 155; Ohrmazd learns of, from Ahriman, 438; Ohrmazd's triple incest generates luminaries, 63, 148 ff., 429, 435–6, 438; Ohrmazd and Spandarmat, 152.
Cosmas of Jerusalem, 232.
Cosmic period, 12,000 not 9,000 years, 96–100, 266, 315.
Cybele, 78.
Cyrus, 19.

Dāδ-Hormizd, Magian high priest under Xusrau I, 49–50.
daδvs, *see* Three Creators.
Dahāk (Ẓaḥḥāk, Aži Dahāka), 259, 367, 369; reigns 1,000 years, 413; bound by Frētōn, 413; slays Yam, 413; prays to Vayu, 82; said to have composed Pentateuch and built Jerusalem, 30 n. A.
Daharīs (Dahrīs), materialist sect: derive world from Infinite Time, 23, 267; deny heaven and hell, 23, 267; identical with Zandīks, 267.
Dahmān Afrīn, 'the Praise of the Wise', a deity, 136; assistant of Šaθrēvar, 335; rules the sky, 365; equated with Blessed Man, 365.
daiva, class of Indo-Iranian deity; demonized in Irān, 17; not gods of foreign cults, 17.
daivadāna, temple (or law) of *daivas*, destroyed by Xerxes, 16.
Damascius, 20, 55, 88, 202, 245, 447; takes refuge in Ctesiphon, 49.
Dārāy, son of Dārāy (Darius Codomannus), orders Avesta to be written, 7–8.
darkness: first existent thing, 55; Cosmos constructed from, 70–71; prior to Ahriman, 245; essential element in Ahriman, *see* Ahriman.
darkness of lying falsehood, 210, 213, 236.
dātastān, (cosmic) order, 58, 176, 192, 246, 250 ff.; of Time, 248; characteristic of Ohrmazd's creation, 110; equated with the Mean, 251; opposed to Āz, 175; governs material creation, 132; rehabilitation achieved through, 253.
dātastān, Genius of: probably name of Srōš, 246 n. B; overthrows Āz, 175, 201, 229, 237, 369.
Dātastān i dēnīk, 87, 97, &c.; most orthodox Mazdean book, 166, 180.
Dēn, the Religion, 275; is omniscience, 91, 144 n. D, 204, 215 n. E, 312, wisdom, 91, 144 n. D, 207, 215 n. E, or seed of wisdom, 207; manifested in wisdom, 207; wisdom manifested in, 207.
is will of Ohrmazd, 130, 144 n. D, goodness, 204.
is *Ahunvar*, 215 n. E, 316; summed up in *Ahunvar*, 107, 111; dwells with Vahuman, 317.
one of the three Creators, 333, 334; called seed of seeds, 211, 215 n. E.
encompasses the luminaries, 208; as girdle, 215 n. E, of Spandarmat, 155, 163 n. C; assistant of Spandarmat, 335; in house of Fortune, 335; rule for man's will and action, 389.
Dēnkart, passim; its text corrupt, 6–7; dates in substance from Sassanian period, 7; handed down in family of Āδurbāδ, 12; once attacks Zervanite myth, 26; little affected by Zervanite ideas, 12; 'semi-Zervanite' in places, 26; deplores heresy, 27.
dēvāsnīh, *see* devil-worshippers.

Devdat, son of Afšīn, 16.
devil-worshippers, 10, 30; sect described by Plutarch, 13–15, 448; worship Ahriman and demons as well as gods, 14–16, 20, 35; sacrifice to Ahriman, 448; deny rewards and punishments, 14; claim a revelation, 14–15; widespread cult, 15, though clandestine, 16; antecedents of Mithraists, 19, 35; influence Šāpūr I, 37; teaching of Ahriman suppressed by Kartīr, 24; many converted to orthodoxy by Kartīr, 25; excluded from Zoroastrian Church, 35.
Dio Chrysostom, 20, 226.
Diogenes Laertius, 13, 18.
dušāmōč-dēnīh, heretical sect, 13.

Elements, 144 n. C, 411, 414, 441; are gods, 440, but inferior to Zurvān and his hypostases, 219, 225; principle of material things, 225; 'seed of seeds of material creations', 141; proceed from Endless Light, 141, or Spihr, 128, 225, 266; first 'form', 225, 266; first manifestation of matter, 225; belong to Ohrmazd and Vahuman, 435; maintain character of *χᵛarr*, 370; in man, 412; at the *fraškart*, 227–8; called Amahraspands, 431; in Dio Chrysostom's 'Song of the Magians', 226.
Ełišē Vardapet, Armenian historian, 41, 47, 54, 59, 62, 67, 68, 441; claims to be eyewitness of events he describes, 29, 43; shows detailed knowledge of Zoroastrianism, 42–43; Zurvān myth in, 54 ff., 419–28; preserves (spurious) edict of Mihr-Narsē, 40.
Elkesaïte Gnosis, 72, 76.
Elxai, receives book from Parthians, 76.
Empedocles, 142.
Endless Darkness: in the depths, place of Ahriman, 91, 126, 312; infinite in downward direction, 93, 313; lying speech created from, 316.
Endless Form, the, 269; is 'primal instrument', 373; fashioned from the Endless Light, 127, 316, 373; proceeds from material light, 129, 209; made of fire from light, 113, 128; material and spiritual, 127, 129, 133, 373; exempt from passage of Time, 316; as embryo, 128, 374; creation within it, 127, 316, 373; wisdom infused into, 132; *Ahunvar* proceeds from, 129; results in Cosmos (Spihr), 130, 136, 374.
Endless Light, the, 199, 201, 203, 364; place of Ohrmazd, 70, 91, 96, 126, 312, 334; infinite in upward direction, 93, 313; assimilated to Space, 202, 371; throne of God, 202; Ohrmazd's creation proceeds from, 126, 136; seed of *χᵛarr*, 211, 370.
not eternal in Zervanism, 209, 234; proceeds from self-awareness of deity, 209; first result of creative act, 391.
equated with Garōδmān and with place of Ohrmazd, 135, 144–5; confusion over names *anaγrān* and *asar rōšnīh*, 144, 333–4; as Anaγrān assistant of Šaθrēvar, 335; controls the sky, 335.
Epiphanius, 54.
Epistle of Tansar, 259; not genuine, dates from reign of Xusrau I, 10, 44, 47, 49.
Ēšm, demon of wrath, 378, 412; made commander of the East, 351; smitten by Mihr, 102, or Srōš, 201, 369; swallowed by Āz, 182, 354.
'Euchites', dependent on Zervanism, 70, 450.
Eudemus of Rhodes, 20, 21, 49, 88, 89, 447; Zurvān myth in, 55, 245.
Eusebius, 232.
Eznik of Kołb, Armenian apologist, 21, 40, 41, 80, 81, 88, 97 ff., 129, 140, 147 ff., 235, 237, 254, 266, 268, 269, 371, 438, 443; on Zoroastrian sects, 28–29; Zurvān myth in, 54–78, 419–28.

Farnbaγ fire, established in Chorasmia, 367.
Fate (Mazdean): controls material existence only, 256, 257, 406, 407; works together with man's will, 255, 405; the cause, man's effort the occasion, 256, 405; responsible for life, wife, children, sovereignty, and riches only, 256, 406, 407, 408; no jurisdiction over the spiritual, 257; what is not fated cannot come to pass, 402, 403, 406; cannot be escaped, 241, 399, 403.
Fate (Zervanite): as definition of Zurvān, 59, 65; Zurvān manifested in, 254; lord over all things, 90, 402; Lord and King, 257, 260; Ohrmazd powerless against, 108; three stages in, 229; alters man's character, 258, 403–4; earthly lot prolonged in heaven, 258–60, 435; overthrows Āz, 175, 201, 229, 237, 369.
Fate, course of, immutable, 108–9, 229, 315.
Father of Greatness (Manichaean), 64, 65, 78, 205. *Cf.* Zurvān (Manichaean).
Female Element: in deity, 62; both distinct from and implicit in Zurvān, 64, 65; called Zurvān's wife, 63, 65; named Xᵛaš-χᵛarrīγ, 64–65; mother, principle of darkness, 72; equated with darkness, 72, 188, 268, 447; originally evil, 74; principle of chaos and concupiscence, 192.
as water, dark, and evil, 72–74, 268; 'cold-dry', proceeds from Spihr, 268.
as Jēh, Primal Woman, 183 ff.; females belong to Ahriman, 75, 187; *see also* Āz, Jēh.
Fihrist, Arab chronicle, 36.
'Final Body', 271, 314, 317, 336, 381, 389, 390; is Zurvān's 'glorified body', 133; macrocosm made perfect, 253; temporality ceases with, 224; absorbed into Infinite, 266; means Ohrmazd's supreme rule and destruction of Ahriman, 313.
Firdausī, 242 ff., 272, 442; knew popular Pahlavī religious texts, 241; reproduces Zervanite doctrines, 266; his real religion Zervanite pessimism, 242.
Fire, 85, 197; son of Zurvān, 73; created before Ohrmazd and Ahriman, 67, 72, 201, 228, 267, 410; considered a god, 440, 449; male, brother and spouse of water, 73, 79, 228, 268; father of all material things, 73, 79.
child of Ohrmazd, 64, 436; created from Endless Light, 318; brilliance from Endless Light, 334, 366; fashioned from mind of 'primal instrument', 366; seventh material creation, 135, 318, 334, 341.
unwilling to go down to earth, 367; associated with air, 72, 73; permeates all six 'elements', 342.
in plants, 319, 349, 366; origin of seed of men and bulls, 320; thwarts growth, 227, 353; does not kill, 84; brings about end of world, 225, 227, 353–4; appearance of fiery horseman at end of world, 227.
fires established by Kartīr, 24, 25; ministration to, 47, 53, 73; demonized in some systems, 76; female according to Elxai, 76.
Fire (Mithraic), brother of water, 79.
Firmament, *see* Spihr, Θwāša.
'First Body', *see* Spihr.
Fortune, 57; as definition of Zurvān, 59, 65, or his hypostasis, 62, or consort, 129; sacrificed to by Zurvān, 62, 65; *see further* Xᵛarr, Xᵛaš-χᵛarrīγ.
Frāsyāk (Āfrāsyāb), 369, 413, 442.
fraškart, final rehabilitation of world, 23, 85, 119, 166, 224, 236, 247, 253, 350 ff.; corresponds to Christian resurrection, 223; brought about by fire, 227, 353; lasts 57 years, 353.
Frašōqar, Hypostasis of Zurvān, 57, 143, 219, 435, 439; 'who makes good', 222; 'who makes bright', 220; presides over birth, 224; brings Cosmos to birth, 223–4; produces *fraškart*, 223, 224; as father of Ohrmazd, 57, 220, 441.
Frašōštar, 259, 260.
Fravahrs (Fravašis), 321; man's Fravahr in presence of Ohrmazd, 334; agree to go down to earth, 336; in man, 412, 414; assisted by Aiwisrūθrim, 336; assistants of Hurdāt, 335.
Frāχᵛkart, mythical sea, 365.
free will: salvation obtained by, 256–7; operative in spiritual sphere, 257.
Frētōn (Θraētaona, Farīdūn), 259, 369; binds Dahāk, 413.

Gandarəwa, 442.
garments (Mandaean), 118.
garments (Manichaean), 118.
garments (Zoroastrian), *see* Ahriman, Ohrmazd, Spihr, Varan, Vāy, Zurvān.
Garōδmān, 145, 199, 201, 411, 414; place of the Sun, 135, 333–4; highest of six heavens, 214 n. B; treasure-house, 214 n. B.
Gāθās, 17, 68, 80, 120, 149, 151.
Gayōmart (Blessed Man), 170, 177, 366, 398, 411, 443; creation of, 137, 318, from the earth, 320; created by Ohrmazd, 241; born of Spandarmat, 137, 367; seed fashioned from fire, 320; 'like the Sun', 136, 319; origin of man, 113, 184, 187, 191, 222, 320; created to smite Ahriman, 318; keeps Ahriman at bay, 183, 190, 238.
has intercourse with Jēh, 190–1, 238, 351; assailed by Āz and other sins, 191.
different accounts of his death, 27–28; lives 30 years after Ahriman's attack, 238, 247 n. D, 367; his death, 411, 417; first human couple from his seed, 192; resurrected by Airyaman, 349.
Gayōmarθiyya, 97.
Gēhmurd, Manichaean first man, 170. *Cf.* Gayōmart.
Ginzā, Mandaean sacred book, 77, 104 n. D, 118, 153, 160, 261 n. A, 363.
Gnosticism, 79.
Gnostics, 3, 59, 70, 71, 76, 77, 78, 113, 128, 143, 160, 192, 261, 267; Iranian influence on, 202.
Gōčihr, 159, 164 n. E, 417; bound to Sun, 159.
God of the Laws (Marcionite), just but imperfect, 59.

Gōš, assistant of Vahuman, 334.
Gōšurvan, receives and distributes seed of cattle, 334; receives body of cattle, 334.
Great Bear, the, *see* Haptōring.
Greek influence on Zoroastrianism, 139 ff. *Cf.* Šāpūr I.
Guršāsp (Kərəsāspa), 259, 442.
Gušnasp fire, established in Atropatene, 367.
Guštāsp, *see* Vištāsp.

Hamēstagān, purgatory, 202, 401, 414.
Haptōring (the Great Bear): ruler of the North, 148, 159, 163 n. A; attacked by Jupiter, 159; more powerful than Jupiter, 160.
Harburz, half of the sky, 365.
Hāvan, genius of dawn, 336.
Hell, temporary condition, 258, 261–2.
Hera, 226; represents air, 227.
Herodotus, 68, 73.
Hestia, 226; represents earth, 227.
Hesychius, 13.
Hewath, *see* Rūhā.
Hibil(-Zīwā), Mandaean deity, 77; 'stranger', 79; his descent into Hell, 261 n. A.
Hippolytus, 72, 73, 76, 78, 268, 447.
Hōm, 366, 442; genius of immortality, 210, 215 n. D; assistant of Šaθrēvar, 335; girds himself with the *Dēn*, 210.
Homilies (Manichaean), 38.
Hormizd I, favours Manichees, 38.
Hurdāt (Amahraspand), 103, 152, 333; created, 317; helpers are Tīr, Wind, Fravahrs, 335; adopts water, 135, 335; as drink, 171.

ideal creation, motionless for 3,000 years, 131, 313, 342; the Amahraspands, 333.
Ideal Year, 111; proceeds from *Ahunvar*, 111, 134. *Cf.* Spirit of the Year.
Indian *Bundahišn*, basic text for Mazdean cosmology, 91.
Indian Influence in Īrān, 10; introduction of chess and *pancatantra*, 50; Puruṣa myth, 137 ff.
Indar (Indra), arch-demon, 17, 135, 317.
Indra (Buddhist), 22.
Indra (Vedic), 83, 137.
Infinite, the: as Time and Space, 91, 232, 394; indivisible, 394, 395; all-pervading, 91; nothing can exist without, 92, 232, 395; incomprehensible even to God, 92, 232, 394, 395; boundless in essence, 395; uncircumscribed in space, 395; finite cannot proceed from, 233; *see further* Space, Zurvān.
Irenaeus, 54.
Jains, 3.
Jamšīd, *see* Yam.
Jēh, the Primal Whore, 74, 183 ff., 268, 350–1; Ahriman's companion, 350–1; originally woman, 183, 187; made queen of her brood, 351; arouses Ahriman from his torpor, 74, 184, 359, 360; asks for the desire of man, 184, 189, 359, 360; worst adversary of Blessed Man, 351; unites with Gayōmart (Blessed Man), 190, 351; defiles human race, 74, 191; old chthonian goddess, 75.
Jōšamīn, Mandaean deity, 60.
Jupiter (planet), 417; propitious, 159–61; planet of life, 160; in sixth heaven, 417; compared to skin in man, 162; attacks Great Bear, 159; spirited into eighth heaven, and substitute put in his place, 161.

Ka'beh i Zartušt (inscription), 11, 22, 24, 26, 138.
Kainawiyya, 76.
Kārnāmak i Artaxšaθr i Papakān, its matter legendary, 36.
Kartīr, 23–26, 37, 38, 51 ,138, 139; *hērbaδ* under Šāpūr I, 11; *mōbaδ* under his successors, 11; great inscription of, 11 ff., 24; not identical with Tansar, 10; his persecutions, 11–24; carries Magianism to non-Iranian provinces, 24; converts 'devil-worshippers', 25; encourages consanguineous marriages, 25; policy of, first victory of Mazdean orthodoxy, 38, 51; responsible for Mānī's execution, 26.
Kavāδ (Qubād), 47, 51; favours Mazdak, 11, 47.
Kayōs (Kā'ūs), 369, 442.
Kephalaia, Manichaean treatise, 36, 159, 167, 206.
Kərəsāspa, *see* Guršāsp.
King of Darkness (Mandaean), ignorance of, 104 n. D.
King of Light (Mandaean), 104 n. D.
Krūn; Mandaean demon, 261.

Łazar of P'arpi, Armenian historian, 40, 41, 43.
Lie, the: synonym for evil, 17, 68, and *passim*; lying equivalent to heresy, 75.
Light, prior to Ohrmazd, 245; *see* Endless Light.
Light of Wisdom, 210, 213, 236.
Luminaries: creation of, 147–8; created by Ohrmazd's incest, 147 ff., 157, 436; control all creation, 374; associated with priesthood, 377. *See also* Moon, Planets, Stars, Sun, Zodiac.

Lying Speech, created from Endless Darkness, 316.

Macrocosm, 136 ff., 145 n. G, 252, 253; *see* Spihr, Zurvān.
Magians, 8–9, 13, 14, 16, 20, 42, 43, 47, 49, 50, 58, 62, 72, 73, 97, 148, 210, 429, 432, 434, 437, 440, 443, 447, 448, 449; honoured by Kartīr, 24; become all-powerful, 25; sent by Yezdigird II to convert Armenians, 42; defeat Mazdak in controversy, 48.
relation to *μαγουναῖοι*, 18; influenced by Babylonian thought, 19; emigrate westwards, 19; adopt Aramaic, 19; in Asia Minor and Caucasus, 24; rights for, in Asia Minor obtained by Xusrau I, 50.
Magusaeans, 18; Magians in Roman Empire, 232, 449; have no books, 449; think Zurvān their ancestor, 449.
Mahmi, demon, 156, 157, 271; betrays Ahriman's knowledge to Ohrmazd, 63, 147 ff., 438; teaches Ohrmazd how to make world light, 439; sacrifice offered to, 148, 439; etymology, 148–50.
Mahraspand, *see* Mānsraspand.
Malalas, 48.
Man: composed of body, spirit, soul, prototype, and *fravahr*, 334; soul, intelligence, consciousness, and *fravahr*, 412.
Mandā d'Hayyē, Mandaean deity: saviour and 'stranger', 79; his garment, 118.
Mandaeanism, 71, 118, 152 ff., 161; Christ a maleficent being in, 76–77, 79.
Mandaeans, 24, 79, 153, 159, 164, 261.
Mānī, 10, 30, 38, 70, 269, 450; begins mission in A.D. 242, 22; done to death by Kartīr, 26, 38.
Manichaeanism, 71, 78, 161, 167 ff., 212, 219, 261; dualism of spirit and matter, 4; largely of Christian heretical and Gnostic origin, 38, 167.
Manichaeans, 4, 16, 26, 64, 71, 96, 107, 113, 118, 159, 164, 166, 168, 182, 185 ff., 206, 432, 436; adopt Zoroastrian terminology, 21, 430; condemn reproduction of species, 170; favoured by Šāpūr I, 10, 36; persecuted by Kartīr, 11, 24, 25, 38.
'manifestation', 235; of Being, Ohrmazd, &c., 107 ff., 383; of Time and Space, 134, 225, 383; of the potentiality of God, 252; of good and evil, 271; of wisdom, 383; of nature in the Cosmos and of spirit in the *Ahunvar*, 133; reveals God as imperfect, 253.
Mānsraspand (Mahraspand), 275; created, 317; is the word of Ohrmazd, 335; assistant of Spandarmat, 335; associated with robe of priesthood, 377.
Mānuščihr, author of *Dātastān i dēnīk*, 90, 180; classical exponent of Mazdean orthodoxy, 261; concerned with Zātspram's heterodoxy, 96; avoids all mention of Zurvān, 90; his epistles, 96.
Mâr Abhâ, Christian convert from Zoroastrianism, 58, 147, 154, 437.
Mâr Barhad-Bešabbâ, Bishop of Halvan, 219, 439.
Marcion, 59, 79, 153, 167.
Marcionites, 24, 79.
Mardān-farruχ, author of *Šikand-gumānī Vazār*, dualist and rationalist, 92, 107.
Mard-būδ, *mōbaδān-mōbaδ* of Pērōz, advises Mihr-Narsē's retirement, 46.
Marduk, 17.
Mars (planet), 378; attacks Vega, 159; more powerful than Vega, 160; in fifth heaven, 161, 417; compared to veins in man, 162.
Maruts, 83.
Mas'ūdī, Arab historian, 10, 36, 38, 42, 44, 46, 49, 62, 96, 210 ff., 267, 443.
Mašyā and Mašyārē, first man and woman, 75, 195 n. I, 416, 443; arise from Gayōmart's seed, 137, 191, 192; proclaim Ahriman creator, 178; sin by drinking milk, 178; both equally perverse, 191; resuscitated by Airyaman, 349.
Mātiyān i hazār dātastān, Pahlavī law book: slighting reference to Mihr-Narsē and Yezdigird II in, 45–46; reflects views of Zoroastrian orthodoxy, 46.
matter (Manichaean), principle of darkness, 71.
matter (Mazdean), basically good, 4, 180.
matter (Zervanite): neutral substance, 130; substance of Zurvān, 210; source of creation and prior to Ohrmazd and Ahriman, 210; body of finite Zurvān, 130; actualized by Time, 384; used in Aristotelian sense, 384.
matter and form, 208, 225, 267; elements first 'form' of matter, 225.
Mazdak, Communist infidel, 11, 44, 45; wins support of Kavāδ, 47; massacred with his supporters, 48.
Mazdean distortion of Zervanite texts, 119, 125, 128, 203, 240, 265, 266.
Mazdeanism: fully dualist Zoroastrianism, 12, 58; admits two principles, 29, 30; assimilates Ohrmazd to Infinite Time, 234; denies infinity to Ohrmazd and Ahriman, 233; champions freedom of

will, 271; anti-ascetic, 180; advocates reproduction of species, 170; triumphant under Kartīr, 38, 51; official under Šāpūr II, 12, 39, 51, and under Xusrau I and after Islam, 12.
Mean, the, 58, 176, 246, 250; Aristotelian borrowing, 251; claimed as essentially Iranian, 252; opposite of excess and deficiency, 250; opposed to Varan, 253; equated with *dātastān*, 251; power of order through which rehabilitation is achieved, 253, 254; substance of Ohrmazd and law of Zurvān, 253; controlled by wisdom, 250; associated with reason and religion, 253; sum of goodness, 386; carried off by demons, 250.
Mēnōk i χrat, passim; semi-Zervanite in places, 26, 117, 200; preaches detachment from world, 181.
Mercury (planet): does both good and evil, 160; attacks Sirius, 159–60; of equal strength with Sirius, 160; in second heaven, 161, 417; compared to bones in man, 162.
Mihr (Mithra), 82, 89, 350; created, 317; god of contracts, 101, 102; *harvisp-patmān*, 102; μεσίτης, 101, 149, 448; judge and mediator, 101; upholds treaty between Ohrmazd and Ahriman, 102, 237; between Ohrmazd and Ahriman, 448; confused with Sun, 101; helper of Zurvān, 239; all good things entrusted to, 254, 400; presents *barsom* to Sassanian kings, 66; smites Ēšm, 102; overthrows Āz, 175, 201, 229, 237, 369; assistant of Šaθrēvar, 335; assisted by Hāvan, 336, and Sōk, 338; identified with Apollo, Helios, and Hermes, 31 n. C.
Mihr (Mandaean), 77, 363.
Mihr, Srōš, Rašn, 363; with Zurvān as Tetrad of Order, 229; uphold treaty between Ohrmazd and Ahriman, 102–3, 115; judge the dead, 77, 103; preside over the earth, 136; principal agents of *fraškart*, 247; the three judges, 321.
Mihr-Narsē, Prime Minister of Yezdigird I, Bahrām V, and Yezdigird II, 40, 43; not influential under Yezdigird I, 43; dominant influence under Bahrām V and Yezdigird II, 43–45; endeavours to convert Armenian Christians, 40; retired by Pērōz, 46; considered a 'sinner' by later Mazdeans, 46; was a Zervanite, 47, 51; eldest son called Zurvāndāδ, 41; decree of, 40 ff., 59; revives caste system, 125; makes his sons titular heads of castes, 230.
misvan, purgatory, 202; *see hamēstagān*.
Mithra, *see* Mihr.
Mithraism, 19, 65, 79, 143; derives from 'devil-worshippers', q.v., 19–20.
Moon, 100, 136, 144, 156, 160 ff., 186, 197, 226, 319, 333, 342, 349, 350, 353, 365, 412, 444, 445; child of Ohrmazd by his sister, 63, 147, 151, 154, 157, 429; like an embryo, 374; created by Ohrmazd, 75, 198; in first heaven, 417; between Sun and stars, 148; collects good works, 214 n. B; all good things entrusted to, 254, 400; passes good things on to world, 338; receives prototype of cattle, 334; assistant of Vahuman, 334; compared to marrow in man, 162; worship of, 43; *see also* Luminaries.
Moon, dark: bound to Moon, 160, 164 n. F; responsible for eclipses, 158.
Moses of Chorene, Armenian historian, 113, 144.
Mother goddess: in Zervanism, 62 ff., 78; principle of darkness, 72; as water, 73; in other systems, 78. *See* Female Element.
Mother of Life (Manichaean), 64; first evocation of Father of Greatness, 78; evokes Primal Man (Ohrmazd), 65.
'movement of becoming': is 'form' contained in the seed, 112; is the elements, 141, 142, 374.
Mūšparīk, 159; bound to chariot of Sun, 159, 164 n. E.

nafs-i-kull, universal soul, 212.
Namrūs, *see* Rūhā.
Nāŋhaiθ, arch-demon, 135, 317, 412.
Naqš i Rajab (inscription), 23, 25, 26, 38.
Narsē, god: displayed by Ohrmazd to excite desire of woman, 184, 189, 441; *see* Nēryōsang.
Narsē, King, 23.
Narsē (Manichaean), *Tertius Legatus*, seducer of Archons, 186.
Nature (*čihr*): as opposed to 'will' (*kām*), 128, 144 n. C, 171, 178, 235; physical side of man, 171 ff.
Nēryōsang: created, 317; messenger of gods, 186–7; fire returns to, 335; receives two-thirds of Gayōmart's seed, 185; assistant of Artvahišt, 334. *Cf.* Narsē.
Niẓāmu'l-Mulk, 193 n. B.
Nuzi documents, 20, 88.

Ohrmazd (Zervanite): as Ahriman's twin, 4, 26, 80, 120, 245, 429, 431, 432, 435, 439; (younger) son of Zurvān, 5, 13, 60, 70, 220, 266; engendered by Frašōqar, 57, 220; divulges Zurvān's thought to Ahriman, 66, 423, 428; born through Zurvān's sacrifice, 60 ff., 422–5, 433, 435, and from his wisdom, 61, 66, 132, 433; emanated as light, 130.
receives *barsom* from Zurvān, 66, 68, 424–5; made king above Ahriman, 69; rules world of spirit, 70; routed by Ahriman, 99; craves assistance of Time, 55, 95, 341.
formed from fire and water, 72, 201, predominantly from fire, 78, 267; is 'hot-moist', 267, 269; substance is warm, moist, sweet-smelling, light, 73, 141.
receives garment from Zurvān, 119, 121, garment of priesthood, 120, 122 ff.
good but not wise, 157; weak and stupid, 435, 438; powerless against fate, 108; cannot create man except through woman, 188; unable to create luminaries, 71, 147 ff., 435, 438, until instructed by Ahriman, 147 ff., 435, 438; incestuous creation of luminaries, 63, 147 ff., 154, 429, 435–6; dyes Time with good and evil, 93, 125, 381.
creates males only, 75–76; males only belong to, 187; displays Narsē to excite desire of woman, 184, 189, 441; his son conquered by Ahriman's, 101, 443.
Ohrmazd (Mazdean): Bounteous Spirit, *passim*; his omniscience, 91, 94, 204, 233, 235, 312, 314, 349, 359, 370, 384, 389, 391, and wisdom, 15 n. 4, 91, 93, 122 ff. (*see* 'Wisdom'); his wisdom is the *Dēn*, 91, 144 n. D; creates through wisdom, 132; his wisdom not infinite, 92, 93; all-perceiving, 314; can only be comprehended by Wisdom, 198, 199; distinguished from Ahriman by Wisdom and Light of Wisdom, 236, 386.
his goodness, 4, 15 n. 4, 29, 58, 93, 197, 204, 312, 342, 384, 410, 433, 439–40; his substance is goodness, 164 n. D, 380, 386; omniscience and goodness his totality, 204, 312; good by choice, 120, 132.
his light, 4, 68, 73, 187, 245, 312, 341, 410, 424–5, 428–9, 440, 448; dwells in (Endless) Light, 70, 91, 151, 204, 312, 382, 429; essence is material light, 113, 316.
his bliss, 109, 110; sweet-scented, 68, 73, 245, 410, 424–5.

his omnipotence, 233, 235, 236, 370, 384, and power, 93; boundless in power, 197, 206; his power confined to the possible, 156–7, 384, and limited by matter, 384; does not consider what he cannot do, 317–18; power derives from his omniscience, 391; can change Ahriman's creation, 369.
associated with the Infinite, 93; not infinite, 91, 92, 93, 233; finite, 233; Time his eternity, 90, 93, 107, 205, 208, 233, 382, 383, 392; eternal with Time, 233; eternal in Time, 197; limitless through Time, 384; is Infinite Time, 197, 200, 203.
his place on high, 312, 341; his will immutable, 107, 109, 389, and holy, 342, is goodness, 130, and the *Dēn*, 144 n. D; his essence immutable and contingent on Infinite Time, 390.
bisexual, 436; father and mother of creation, 128, 234, 318.
as priest, 66–68, 261; dons garment of priesthood, 67, 120, 132, 333; takes robe of priesthood as his essence, 377; patron of priests, 123, 124; chants *Ahunvar*, 95, 99, 100, 133, 183, 205, 314, 341; creates by sacrifice, 62, 336; Zurvān his victim, 140; sacrifices to defeat Ahriman, 120.
creator, 197–8; his office is creation, 132, 206, 333; manifested in creation, 107, 383; settles in creation, 128; creator of life, 4; his 'ideal' creation, 94, 313, 341, 342; fashions forth finite Time 315, 341, 389, and form of his creatures, 316.
repels Ahriman's first attack, 94, 99, 341; offers peace, 94, 99, 313; offers 9,000-year pact, 99, 314; reacts against Ahriman in accordance with the law, 98; does not break treaty, 434; his creation orderly, 110; orders aright, 314.
not lord before creation, 105, 314; Lord, 233, 334, 384, 396; lordship from creation, 315; upholder, protector, purifies from sin, 197–8; saviour, 200; possesses life and health, 187, 434, 440, 441, and riches, 187, 440; patient of Ahriman's wickedness, 396; smites Ahriman at end of Time, 183, 355.
has relations with Spandarmat, 152, 189; seventh of Amahraspands, 317; seventh material creation, 317; adopts man, 334; corresponds to soul in man, 212; in animals, 440; rules supreme at

Final Body, 313; his duty to raise the dead, 415; his helpers the three Creators, 334.
confers royalty on Sassanian kings, 66; identified with Zeus, 31 n. C, 67, 449; in Khotanese, the Sun, 22.
Ohrmazd (Buddhist), translates Indra, 22.
Ohrmazd (Manichaean): is πρῶτος ἄνθρωπος, 21, 169; armed with five pure elements, 118; his panoply is his soul, 212; reveals to imprisoned soul its true origin, 169.
Ohrmazd (planet), *see* Jupiter.
Old Age (Zarmān), arch demon: commander of South, 351; swallowed by Āz, 182, 354.
omomi, herb used in sacrifices to Ahriman, 13.
Order, *see dātastān*.
Ōšēdar, 413.
Ōšēdar-māh, 413, 414.

Pahlavī books, date from 9th century A.D., 26.
Pancatantra, 50.
Pārand, 317.
patmān, *see* Mean *and* Treaty.
Paulus Persa, 28.
P'awstos of Byzantium, 69.
Pērōz (Fīrūz), Sassanian king, 47; retires Mihr-Narsē, 46.
Philo of Byblus, 232.
Photius, 55, 254, 419, 447.
Planets, 29, 121, 122, 123, 144; demonized by Mazdeans, 144 n. F, 152; difference in Mazdean and Zervanite view of, 161–2, 255; Ahrimanian, 123, 154; born of Ahriman, 157, 203, 400; opposed to Signs of Zodiac, 123, 203; attack Signs of Zodiac, 159; intercept good gifts, 158, 159, 161, 400, 404; oppress creation, 158; deal death and evil, 369; bound to Sun and Moon, 159, 161, 164 n. F; four bound in eighth heaven, 161, 416–17; commanders on side of Ahriman, 369, 400; given Ohrmazdean names, 412; with Signs of Zodiac rule world, 158, 160; rule seven grades of heaven, 162; correspond to different parts of man, 162; seize the treaty, 250; their various influences explained, 160 ff.
Planets (Mandaean): 'rulers of the world', 160; evil architects of world, 153, 154; created by Ptahil or by union of Rūhā and Ur, 153.
Plato, Xusrau I interested in, 49.
Plotinus, 267.
Plutarch, 13, 16, 19, 97, 98, 101, 102, 448; describes 'devil-worshippers', 13–15, 19.
Poimandres, 73.
Pole Star, supreme commander of all quarters, 148, 159, 163 n. A; attacked by Saturn, 159.
Poseidon, 226; represents water, 227.
potentiality and actuality, 107, 222 ff., 229, 235, 249, 269, 270, 381, 383, 384, 390–1; power, as potentiality in Ohrmazd, 206, 213, 386, 387, 388, 389, 391; transformed into action, 235.
Prajāpati, 72.
Primal Bull, 184, 189, 191, 411; created, 136, 319; like the Moon, 136, 319; fashioned from the earth, 320; its seed fashioned from fire, 320; slain by Ahriman, 366.
primal 'instrument': all creation proceeds from, 136 ff., 364 ff.; fashioned from Endless Light, 364, 373; is Endless Form, 373; body of limited Time, 321.
Primal Man (Manichaean), 113, 186; called Ohrmazd, 21, 118.
Primal Whore, *see* Jēh.
Procopius, 39.
Psellus, 70, 450.
Pseudo-Clementinae, 72, 76.
Ptahil, Mandaean demiurge, 153; creates planets, 153.
Ptolemy, 139.
Puruṣa, primal giant of Vedic mythology, 137 ff.
Pythagoras, visits Zaratas, 447.
Pythagorean influence, 73.

Qur'ān, 255.

Rahziēl, Mandaean demon, 118.
Rām (Rāman), 87, 275; assistant of Vahuman, 334; identical with good Vāy, 338; chief of warriors, 338; distributes seed of cattle, 334; soul of cattle goes to, 334.
Rapiθwin, genius of midday, 336; substituted for Zurvān, 221.
Rašn, the Just, 77, 317; created, 317; god of justice *par excellence*, 103; weighs deeds of the dead, 103; brings souls to account, 335; one of the 'three judges', 103; rides on Mihr's left, 102; assisted by Ušahin, 336; assistant of Amurdāt, 335. *Cf.* Mihr, Srōš, Rašn.
Rašn (Mandaean), 77, 363.
Raθwōk Berzait, 317.
Religion, *see Dēn*.
Resurrection of Body, 348 ff.
rewards and punishments, denied by Daharīs, 23, and by Zervanites, 23–24, 26.

Rig-Veda, 17, 83.
Rūhā (Mandaean), Queen of darkness, 78, 118; mother of all evil, 153, 154, 167; incest with Ur to form planets, 153–4.
Rustam, 56, 242.
ruvān (soul), corresponds to Ohrmazd, 212.

Safavīs, 3.
sacrifice (animal): by Yezdigird II, 47; to devils, 13, 14.
sacrifice (divine): Zurvān's creative, 55, 58, 60, 63, 140, 420–1, 428, 433, 437; has virtue in itself, 62; Ohrmazd's creative, 62, 140, 336; Ohrmazd's, at end of time, 62, 69, 183; breaks Ahriman's power, 69, 183; significance of, 271.
Sām (Mandaean), 77.
Sāṁkhya, 3.
Sarva (Sāvul), arch-demon, 17, 135, 317.
sāstār, as heretical priest, 45, 121, 122, 123, 377.
Saturn (Mithraic), *see* Zurvān-Kronos.
Saturn (planet), 244, 377, 445; planet of death, 160; attacks Pole Star, 159; more powerful than Pole Star, 160; in seventh heaven, 161, 417; compared to hair of man, 162.
Satvēs (Scorpio): rules the South, 147, 159, 163 n. A; attacked by Venus, 159; more powerful than Venus, 160.
Scorpio, *see* Satvēs.
Seduction of the Archons (Manichaean), 186, 189.
seed, cosmic: of creation, 111, proceeds from Zurvān, 267; entered by Zurvān, 112, 266, 370; origin of finite Zurvān, 267; *χᵛarr* proceeds from, 128, 211; is action in potency, 390; called *aršnōtačin*, 390.
'semi-Zervanites', make Time first principle with Ohrmazd and Ahriman, 56; Time co-creator with Ohrmazd, 201; God as Creator, Time, Space, Wisdom, 214.
'settling of becoming', is organic life, 141, 142, 374.
sex: first distinction in godhead, 73; fire and water male and female, 72 ff.; light and darkness of different sex (Bardesanes), 77.
Shī'a Muslims, 3.
Sīh-rōčak (Pahlavī), 89, 196 ff., 212, 214; semi-Zervanite in places, 201, 203.
Simonian Gnosis, 77.
Sirius, *see* Tištar.
Sky, 128, 197, 198, 199; in six stations, 135, 144 n. F; its substance crystal, 136, 365, or steel, 318; male, 318; formed from head of 'primal instrument', 136, 365.
Σοβιαί, Mesopotamian baptist sect, 76.
Sōk, passes good things on to world, 338; assistant of Šaθrēvar, 335, and of Mihr, 338.
Soma, 210.
'Song of the Magians', 226.
Sophocles, 19.
Sōšyans, born, 353; confers for 30 years with gods, 353; will bring additional Nask of Avesta, 414; identical with Airyaman, 353.
Space, 386, 387, 388; eternal, 208, 233; infinite, 91, 215 n. C, 232; infinite and finite, 112; necessary for creation, 208, 383; within nothing, 382; contains all substances, 208, 382; with Time origin of universe, 49, 88, 89, and raw material of creation, 209; with Time is the universe, 202; matter founded on, 208, 215 n. C, 233, 383; itself matter, 235; self-create, 199, 201, 202, 203; is from the Void, 215 n. C; limitation of, for creation, 71, 235; cannot be limited (Mardān-farruχ), 92; tendency to identify with Endless Light, 202; one of the 'three Creators', 202 ff., 333, 334; identical with Vāy and Spihr, 88–89; common to Ohrmazd and Ahriman, 210; associated with Ahriman, 202; light and darkness, good and evil proceed from, 202; throne of God, 202.
Space (Bardesanes), God supported by, 202.
Spandarmat (Amahraspand), 103, 333; created, 317; adopts the earth, 135, 198, 335; Queen of Heaven, and mother of creation, 152; girt with *Dēn* and mother of it, 155, 163 n. C; sits in Ohrmazd's lap, 152, 155, 189; gives birth to Gayōmart, 137; Gayōmart's seed falls into, and first human couple grows from, 192; assistants are Waters, Dēn, Art, Mahraspand, Aršišvang, and Ardvīsūr, 335.
Spihr, the firmament, 89; also Space, 88; translates Θwāša, 89, 374, 378; standing epithet *χᵛatāy* 'lord', 89, 334, 338; proceeds from Time, 266, 333, 338; attached to finite Time, 410; result of the 'seed', 112; source of the 'seed', 112.
as macrocosm, 112, 128, 142; 'first body', 111, 112, 141, 143, 269, 374; Zurvān's body, 112, 121, 140, 266, 333; primal 'instrument' or Man, 136 ff.
derives from Endless Light, 111; born, 128, 132, 222, 374; as matter, 269; evolution of, 142, 225; elements proceed from, 128, 141, 225, 266, 374;

formed into a circle, 111; the Wheel, 112, 374, 378; compared to year, 97, 144 n. E.
rules destinies of the world, 88–89, 255, 333; dispenses fate, 254; good and evil destiny, 111, 123, 127, 161, 245, 255, 338, 445; of the Seven and the Twelve, 198; compounded of good and evil, 128, 161; is destiny, 333.
assists Ohrmazd in creation, 342; stationary before Ahriman's attack, 148.
king, 255, 260, 338; most kingly, 397; most powerful, 396; disposer of the world, 255; bestows good things, 338.
dons garment of husbandmen, 121 ff., 242, 333; patron of husbandmen, 122–4; with Zurvān and Vāy leads men to *fraškart*, 236.
assistant of Vahuman, 334; identified with Vāy, 127, 378. *Cf.* Space, Spirit of the Sky, Θwaša.
Spirit of the Power of Nature, 128, 129–30, 133, 373–4.
Spirit of the Power of the Word, 129–30; is True Speech, 131, 132, 133, 373–4.
Spirit of the Sky: like a husbandman, 318; possessed of thought, speech, and deeds, 319.
Spirit of the Year, 98, 245; proceeds from *Ahunvar*, 134, 316; division of finite Time, 134, 316; both creations set in motion by, 316.
Spirit of Wisdom, 117, 195, 254, 368, 396, 399, 400; from beginning with Ohrmazd, 199; creation by means of, 199.
Spiritus Vivens (Manichaean), 118.
Σπιθριδάτης, 88.
Σπιθροβάτης, 88.
Srōš: created, 317; genius of the *patmān*, 102, 352; genius of order, 246; watches over treaties, 103; adversary of Āz, 175; smites Āz, 102, 183; smites Ēšm, 102, 201, 369; assists Ohrmazd at final sacrifice, 69, 120; rides on Mihr's right, 102; guides Artāk Virāβ, 442; protects fire, 335; fire returns to, 335; assisted by Ušahin, 337; assistant of Artvahišt, 334. *Cf.* Mihr, Srōš, Rašn.
Srōš (Mandaean), 77, 363.
Stars, 342; produced by Ohrmazd's incest with his daughter, 63, 64, 151, 154, 157, 429; created by Ohrmazd, 75, 197, 198; like embryos, 374; contaminated and uncontaminated, 148, 333; *see also* Luminaries, Zodiac.
Strabo, 18, 28, 62.
substance, cannot be changed, 157, 164 n. D.
Ṣūfīs, 212.
Sun, 22, 75, 100, 136, 144, 156, 158, 160 ff., 186, 197, 226, 244, 319, 334, 342, 349, 350, 353, 365, 412, 445; child of Ohrmazd by his mother, 63, 147, 151, 154, 157, 429, 435; created by Ohrmazd, 198; created to mediate between Ohrmazd and Ahriman, 101, 443; above moon and stars, 148; with Moon and stars controls all existence, 141; man's prototype in station of, 334; compared to sinews in man, 162; like an embryo, 374; revolves round earth, 415; in fourth heaven, 417; assistant of Šaθrēvar, 335.
Sun, dark: bound to Sun, 160, 164 n. F; responsible for eclipses, 158.

Šahristānī, Arab heresiologist, 55, 56, 57, 60, 61, 66, 67, 69, 70, 76, 79, 81, 97–103, 113, 115, 130, 175, 220, 249, 433.
Šāpūr I, 22, 138, 167; captor of Valerian, 36; adds writings from India and Byzantium to Avesta, 8, 10, 37, 51, 139, 143, 269; inclines towards Zervanism, 37; favours Manichees, 10, 36; two brothers converted to Manichaeanism, 37; practises magic, 37.
Šāpūr II, 69; intolerant of heresy, 8; persecutes heretics and non-Zoroastrians, 39; summons religious conference, 8, 39; supports Āδurbāδ, 11, 12; decrees Āδurbāδ's views alone orthodox, 39, 44, 51.
Šaθrēvar, Amahraspand, 103, 152, 333; created, 317; adopts metals, 135, 335; helpers are Sun, Mihr, Sky, Anaγrān, Sōk, Ardvīsūr, Hōm, Burz, Dahmān Āfrīn, 335.
Šikand Gumānī Vazār, *passim*; regards Zurvān simply as the Infinite, 90; denies infinity to Ohrmazd, 233; thinks speculation on the infinite futile, 239; objects to limitation of Infinite, 267.
Širēn, favourite wife of Xusrau II, Christian, 51.
Šitil, Mandaean deity, 77.

Ṭabarī, Arab historian, 36, 37, 43–44, 46, 50, 51, 125.
Tacitus, 19.
Tahmōrup: rides Ahriman for 30 years, 241, 398.
Ṭansar, *hērbaδān-hērbaδ* of Ardašīr I, 9; draws up canon of Avesta, 8, 35, 44; not identical with Kartīr, 10; Platonist ideas of, 10, 36.
Tarič, arch-demon, 135, 317, 412.

Tarōmat (Tarmad), arch-demon, 317, 412.
Tertius Legatus (Manichaean), 186, 189.
Tetrads, divine: Ohrmazd, Light, Wisdom, Time, 57; Ohrmazd, Light, Religion, Time, 205; Ohrmazd, Space, Religion (Wisdom), Time, 93, 204 ff., 208, 312; Time, Space, Wisdom, Power, 91, 93, 214, 219, 228, 229, 231, 234; Infinite Time, finite Time, course of Fate, ideal year, 110–11, 134, 229, 231; Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar, Zurvān, 219–25, 228, 229, 231, 241, 435, 439, 441; fire, water, air, earth, 225–8, 229; Zurvān, decree, decisive moment, fixed decision, 229–31, 254; Zurvān, Mihr, Genius of Order, Fate, 229–31; Tetrad of Fate, 205, 231, 254, of good and evil, 231, of castes, 230–1; terrestrial, 205.
Tetrads (Manichaean), God, Light, Wisdom, Power, 205, 214.
Theodore Abū Qurra, Christian-Arab polemist, 60, 63, 68, 69, 97, 147, 254.
Theodore bar Kônai, Syriac polemist, 40, 41, 60, 63, 74, 97 ff., 143, 183 ff., 219, 225, 441; Zurvān myth in, 54, 419–28.
Theodore of Mopsuestia, 254, 419, 420; Zurvān myth in, 55, 447.
Theophanes, 48.
Theophylact, 51.
Theopompus, 449.
three Creators, the, 196 ff.; are Wisdom (Religion), Time, and Space, 200–14, 333; identified with Ohrmazd, 196, 204, 333; uncreate, 204, 333; according to ŠGV. creation, Religion, and soul, 212 ff.
three Judges, the, 102, 317; are Mihr, Srōš, and Rašn, 102, 321.
Tigris, 349.
Time, *see* Zurvān.
Tīr (planet), *see* Mercury.
Tištar (Sirius), 275; rules the East, 147, 159, 163 n. A; overseer of all stars, 449; attacked by Mercury, 159; assistant of Hurdāt, 335; delivers waters to wind, 335; also called Tīr, 335.
Treaty (*patmān*), 58; between Ohrmazd and Ahriman, 115, 117, 314; lasts 9,000 years, 95, 98, 100, 248; its terms inviolable, 93, 248; brought about by 'angels' (Mihr, Srōš, Rašn), 99, 101–2, 433–4; by Zurvān, 101, 115, 369; is Zurvān of the long Dominion, 248; leads inevitably to *fraškart*, 248; swallowed by Ahriman, 250; carried off to hell, 250; seized by the Planets, 250; play on two senses of patmān, 249 ff.
True Speech, created from material light, 316.
Tuγazγaz, Manichaean Turkish tribe, 96.
Θwāša, 87, 384 (Spāš); self-create, 89; revolving firmament, 89; identified with Space, 89, 202; appears with Zurvān, 89, 275. *See also* Space, Spihr.

'Ulemā i Islām, 5, 27, 54, 60, 67, 72, 81, 96, 97, 98, 105, 106, 110, 111, 135, 147, 160, 228, 267, 268, 409, 421.
Ur, Mandaean arch-demon: king of darkness, 154; begets planets out of Rūhā, 153; son of Rūhā, 167.
Uranius, 49.
Ušahin, 336.
Uzayarin, genius of evening, 336.

Vahrām fire, 367.
Vahuman (Bahman), 103, 121, 152, 333, 430; created from movement of light, 317; gives movement to Ohrmazd's creation, 317; *Dēn* dwells with, 317; adopts cattle, 135, 334; receives immaterial spirit of cattle, 334; assisted by the two Zurvāns, 135, 204, 334, and Moon, Gōš, Rām, and Spihr, 334; associated with robe of priesthood, 377, and elements, 435.
Valaχš (Vologeses), Arsacid, collects remains of Avesta, 8.
Valaχš, Sassanian King, *see* Balāš.
Vanand (Vega), 275; rules the West, 148, 159, 163 n. A; attacked by Mars, 159; guards four abducted demons, 417.
Varan, heresy and lust, 114, 124, 174; as heresy, 174, 175; as lust, 351; identical with Āz, 131, 174; λόγος of evil, 174; as Lying Speech, Ahriman's spiritual manifestation, 131; self-will and wrong-headedness, 174, 178; misuse of intellect, 175; adversary of wisdom, 124, 125, 174, 194 nn. E, F, G, 250; counterpart of Vāy, 124, 125, 130; abortion of Akōman and Ahriman, 175; formed from self-will, 114, 123, 316; form of, 131; receives garment from Zurvān, 119, 121 ff., 378; kills man's χ*arr, 174.
Varazvałān, Armenian convert to Zoroastrianism, 41.
Varhrān (Vərəθraγna, Bahrām), genius of victory: *aršōkarəm maršōkarəm frašōkarəm*, 220 ff.; stands guard over Ahriman, 411, 417; establishes fires, 335; fire returns to, 335; will restore Sassanian kingdom, 413; assisted by Aiwisrūθrim, 336; assistant of Artvahišt, 334; identified with Heracles and Ares, 31 n. C.
Varhrān (planet), *see* Mars.

var-nīrang, 'ceremony of the ordeal', rite of 'devil worshippers', 14.
Vāt, wind god, 86, 275; defeated by the demons, 86; distributes waters, 335; assistant of Hurdāt.
Vāy: as Space, 71, 85, 88, 89, 126, 384; the Void, 85, 88, 91, 126, 269, 313; place of mixture of good and evil, 85–86, 126, 313; the atmosphere, 85; wind and breath-soul, 85; identified with Spihr, 127, 378; with Zurvān, 58, 89, 338; his 'form', 114; formed from Power or Time, 126, 129, 316; instrument of creation, 114, 126, 316, 317; instrument of Zurvān or Ohrmazd, 338; with Spihr and Zurvān leads men on to *fraškart*, 236; his office to carry off opposition, 333; brings cosmic battle to an end, 333; just, 58, 89; *see also* Vayu. *Cf.* Space, Spihr, Void.
Vāy, the Evil: of different substance, 342; demon of death, 84, 85, 86, 338; identified with Astōviδāt, 85; inescapable, 90, 402; ridden by Kay Xusrau, 87.
Vāy, the Good, 84; fashioned from Time, 316; spirit of life, 85; aids Ohrmazd's creation, 316; leads souls to heaven, 86, 87, 338; dwelling-place of purified souls, 85; receives garment from Zurvān, 119, 121, 377; dons garment of warriors, 122 ff., 333, 377; patron of warriors, 123, 124, 125, 338.
Vayu: originally a supreme deity, 82–83, 90, 125–6; split into good and evil half, 82, 84, 90; superior to good and evil, 83–84; his names, 83; Ahura Mazdāh prays to, 82; god of warriors, 83; wind god, 83, 86; connected with Zurvān, 87, 203; also in Rig-Veda, 83.
Vega, *see* Vanand.
Venus (planet): propitious, 159–61; attacks Scorpio, 159; spirited into eighth heaven, 161; in third heaven, 417; compared to flesh in man, 162.
Vidēvdat, 84, 87, 203, 275, 405.
Vištāsp (Guštāsp), 259, 367, 413, 439.
Vitruvius, 72.
Vizaraša, demon of death, 240, 275.
Void, the: source of Space and infinite, 215; with Time alone infinite, 394; between kingdoms of light and darkness, 88, 91, 94, 313, 341, 434; called Vāy, 91, 313.

Water, 85, 197; daughter of Zurvān, 73; created before Ohrmazd and Ahriman, 67, 72, 201, 228, 267, 410; sister and spouse of fire, 73, 79, 228, 268; mother of all created things, 73, 79; deserts to Ahriman, 74, 157, 268, 436, 436; connected with earth, 72, 73, and darkness, 71; chthonian principle, 448; originally evil, 74, 76, 431.
not evil in Zoroastrian books, 78; element of creation, 71, 225, 227, 353; created from tears of primal 'instrument', 136, 365; second material creation, 136, 317, 318, 319, 320, 334.
in plants, 319; promotes growth, 227; assistant of Spandarmat, 335.
keeps blood of the dead, 348; propitiated by Kartīr, 24, 25; ministration to, 53, 73.
Water (Mithraic), sister of fire, 79.
whore, *see* Jēh.
Winter, as arch-demon, 182; commander of west, 351; swallowed by Āz, 182, 354.
Wisdom: eternal, 208, 233, 383; identical with *Dēn*, 91, 144 n. D, 207, 215 n. E; *Dēn* its seed, 207; manifest in *Dēn*, 107, 130, 207; as personality of Ohrmazd, 235; distinguishes Ohrmazd from Ahriman, 236, 386; alone comprehends Ohrmazd, 198, 199; hypostasis of Ohrmazd, 200; creation through, 132, 199; directed by nothing, directs all, 208–9, 382.
controls the Mean, 250; limited by finding object of knowledge, 235; comes to know its ground, 390–1; attribute of priesthood, 121 ff., 333, 377; best of all things, 90, 402; goodness through, 383.
infused into Fravahrs, 336; descends from light and promotes good, 386.
Woman: creature of evil, 74, 188, 191; secedes to Ahriman, 74, 157, 184, 188, 191, 441; asks for god Narsē, 184, 189, 441; grieves Ohrmazd, 188. *See also* Jēh.

Xerxes: destroys *daivadāna*, 16; forbids 'devil-worship', 16–17; destroys temple of Marduk, 17; unorthodox behaviour attributed to, 18.

Xusrau I, 12, 20, 26, 45; chaotic conditions on accession, 47; suppresses Mazdakites, 48; re-establishes orthodoxy, 48, 50, 51; suppresses heresy, 8, 49, 53, 54, 143; revives caste system, 8; ally of Magians, 8–9; interest in Greek philosophy, 28, 49.
Xusrau II: disliked by Magian clergy, 50; probably became Christian, 51; marries daughter of Emperor Maurice, 51; superstitious, 51.

Xusrau, Kay, 413; rides Vāy round Irān, 87.
χᵛarr, 'fortune, function, soul, final cause, dignity, glory': proceeds from the 'seed', 128, 370; Time embodied in, 129; assigned by Time to the 'seed', 370; proceeds from Endless Light, 211, 370; circles above and below earth, 365; maintained by elements, 370; preserved by wisdom, 370; function is salvation, 370; reason dwells in, 174; reason and concupiscence fight for, 173; 'own-work', virtue, 'job', 173, 371; intelligible and corporeal matter, 371; of Primal Man and Bull threatened by Jēh, 184, 359, 360.
χᵛarr i dēn, 'fortune or glory of Religion': as girdle round sky, 155–6; general of uncontaminated stars, 155.
Xᵛastuānift, Manichaean confession: 14, 212; condemns Zervanite myth, 22, 26.
Xᵛaš-χᵛarrīy, Zurvān's consort, 64–65, 155, 156, 436; emanated from his *χᵛarr*, 65.
χᵛatāynāmak, Sassanian Book of Kings, 10, 12, 44; reflects views of nobles, 46.

Yam (Yima, Jamšīd), 259, 369; rules 616 years, 413; retrieves treaty from Ahriman's maw, 250, or from planets, 261 n. A; puts end to rule of demons, 251; rescues the Mean from demons, 251, 261 n. A; restores reason, 251; claims to be God, 413; slain by Dahāk, 413.
Ya'qūbī, Arab historian, 37.
yātūkīh, 'sorcery', heretical sect, 13; *see* 'devil-worshippers'.
Yavišt i Friyān, 240, 242, 243, 397; *see* Yōišta.
Yezdigrid I ('the Sinner'), 46; his tolerance, 39.
Yezdigird II ('the Clement', 42), Zervanism predominant in his reign, 40, 51, 54; sincere Zervanite, 47; attempts to convert Armenians, 41–42; and Mihr-Narsē, 44–46; worships Sun, ministers to fire, sacrifices bulls, 47.
Yohannân bar Penkayê, Nestorian monk, 40, 41, 54, 60, 63, 66, 67, 419–28.
Yōišta, 240; defeats Aχt, the sorcerer, 30. *See* Yavišt i Friyān.

Zāl, father of Rustam, 56, 242, 244, 444–5.
Zamān, 'Time', *see* Zurvān.
Zāmdāt, assistant of Amurdāt, 335; brings souls to account, 335.
Zandīks, heretics, 24; persecuted by Kartīr, 24, 38; believe in eternity of matter, 38, 267; identical with Zervanite materialists, 38, 267, and Daharīs, 267; later identified with Manichees, 38.
Zarades, 447.
Zaratas, 72; visited by Pythagoras, 447.
Zarōqar, hypostasis of Zurvān: 57, 143, 219, 435, 439, 441; 'who makes old', 220; brings old age and death, 223; as name of Zurvān, 221, 230; presides over decline, 224.
Zātspram, High Priest of Sīrkān, *passim*; presupposes Zervanite myth, 26, 96, 106; 'semi-Zervanite', 71, 162; draws on Zervanite sources, 95, 180; reflects Zervanite point of view, 262; his heresies and intercourse with Manichees, 96; heterodoxy not open to doubt, 190.
Zērič, arch-demon, 135, 317, 412.
Zervanism: Time supreme God of, 20, 255, 265; re-establishes unity of godhead, 5; characterized by imperfection of God, 59; admits three principles, 29, 35, 58.
lays stress on fate, 265; source of Persian fatalism, 52; Ohrmazd and Ahriman foreign to, 246, 266; ascetic form of Zoroastrianism, 176–82; equates female with evil, 183–92; Zandīks and Daharīs derive from, 38, 267; moral form of, 269; makes material Absolute source of Being, 269; based on Ys. 30. 3, 430; in Firdausī, 241; different theories on origin of Ahriman, 412.
two forms of, 74, 268 ff.; alien ideas in, 5, 37, 143; form of Zoroastrianism attacked by Christians and Manichees, 21–22; attacked in *Dēnkart*, 26; attempts to expunge, from Pahlavī books, 5.
influential in SW. Irān, 30; possible Western origin of, 38; relations with Mazdeanism, 27.
not certainly attested earlier than Sassanian period, 20; current under Šāpūr I, 22, 37, 51, 167; out of favour under Kartīr, 38; predominant under Yezdigird II, 40, 47, 51; Xusrau I seeks *via media* between Mazdeanism and, 48; possibly proscribed at beginning of his reign, 49.
Zeus, identified with Ohrmazd, 31 n. C; (gen. *Διός*) represents Zurvān, 227; (gen. *Ζηνός*) fire, 227.
Zodiac, Signs of, 97, 121, 122, 123, 147, 148, 245, 417; created by Ohrmazd, 203; commanders on side of Ohrmazd, 369, 400; all good things entrusted to, 254,

400; with Planets rule world, 158, 160, 254; each rules 1,000 years, 410. *See also* 'Luminaries', 'Stars'.
Zodiac, Signs of (Mandaean): produced by incest of Rūhā and Ur, 153.
Zoroaster (Zaraθuštra, Zardušt, &c.), 4, 8, 16, 17, 18, 30, 31, 36, 37, 72, 97, 232, 275, 365, 410, 429, 439, 440, 441, 442, 443; confers with Ohrmazd, 348 ff., 353; brings Avesta, Zand, and Pāzand, 413; taught in Hebrew and Egyptian, 440; devoured by wolves, 442; lived 628 B.C., 442, or 5,000 years before Trojan war, 448.
Zoroastrianism, *passim*; plurality of sects, 13–16, 28–30; Parthian and Persian schools, 29–30; alleged to have no books, 9, 28.
Zurvān, 'Time': called Zurvān as person *zamān* as Time, 81, 240, 336; name in Nuzi documents, 20, 88; goes back to remote antiquity, 20; minor deity in Avesta, 87.
Zurvān, the Infinite, *passim*; his essence eternity, 224, 384, 390, 410; eternal duration, 232, 245, 384, 392; boundless, 232, 410; *qua* potency eternal, 384.
pure Being, 230, 231; Ohrmazd's immutability contingent on, 390; as pure being, contingent being, matter, time, order, and fate, 230; precedes creation, 391; was and shall be all, 232, 272, 384; incomprehensible, 90, even to God, 232; unageing, undying, &c., 232, 368.
first principle, 19; supreme deity, 20, 88; contingent on nothing, 208, 231; needs nothing, 382; nothing can exist without, 232; *sine qua non* of creation, 208; without origin and origin of all, 208, 231, 232, 382.
as Time, Space, Wisdom (Religion), Power (Ohrmazd), 91, 93, 214, 219, 229, 231, 234, 270, 312.
creation only possible in, 215 n. C; and Space alone infinite, 91, 232, 394; with Space origin of universe, 49, 88, 89, 112, and raw material of creation, 209; with Space intelligible universe, 202, 447; cannot be limited (Mardān-farruχ), 92, 107, 233.
creator, 410; source of creation, 232, 392, 447; source of all according to Daharīs, 23; source of the 'seed', 267; enters seed, 111, 266; cosmos proceeds from his seed, 222; assigns *χᵛarr* to seed, 370.
source of matter, 267; as Time, Space, matter, 266; god of matter, 260; as (primal) matter, 130, 135, 209–10, 266; creates fire and water, 410.
father (and mother) of Ohrmazd and Ahriman, 5, 13, 56 ff., 63, 80, 90, 92, 93, 432, 436, 439, 440, 441, 447; bisexual, 65, 436; father of good and evil, 61; (desire and) evil inherent in, 61, 115–16, 175, 433; the evil is Āz, 175; beyond and inclusive of good and evil, 65, 72, 90, 91, 206.
not god of light, 21, 96, 151; 'greatest of persons of light', 55, 57, 220, 433.
Ohrmazd and Ahriman come into existence through, 67; light and darkness, good and evil derive from, 202, 447.
his 1,000-year sacrifice, 55, 58, 60, 72, 420–1, 428, 433, 437, to obtain son, Ohrmazd, 58, 60, 420–1, 433, 437; sacrifice to Fortune, 62; his wife, 64–66, 428; his doubt, reflection, or desire engenders Ahriman, 60–61, 63, 78, 420–3, 428, 433, 443; inconsistency in, 249, 381; his vow to Ahriman, 66, 422–3, 428, only partially fulfilled, 69, 426–7, 429; philosophical interpretation of myth, 209, 234; hands *barsom* to Ohrmazd, 66, 68, 424–7.
Ohrmazd craves his aid, 341; aids Ohrmazd in creation, 342, 410; one of the 'three Creators', 201, 333, 334.
makes treaty between Ohrmazd and Ahriman, 115, 238, 342, 369; sets both creations in motion, 106; blesses Ohrmazd's creation, 117, 368; hands weapon of Āz to Ahriman, 55, 56, 59, 114–15, 132, 166, 192, 238, 342, 351; gives Ohrmazd material of his creation, 117; gives garments to Ohrmazd, Ahriman, Vāy, and Varan, 119, 376–8; vests Ohrmazd, Vāy, and Spihr, 125.
finite Time created from, 106.
the Great God, 60, 72, 244; King and Lord, *see* Zurvān, finite; genius of Order, 382; neither omnipotent nor omniscient, 72, 78; assimilated to Ohrmazd, 202; associated with Ahriman, 202; overthrows Āz, 175, 201, 229, 237, 369; Mardān-farruχ's views, 92.
hypostasis of Ohrmazd, 12, 57, 93, 205; eternity of Ohrmazd, 90, 93, 107, 205, 208, 233, 382, 383, 392; is Ohrmazd, 197, 200, 203; not father of Ohrmazd and Ahriman, 26.

Zurvān of the long Dominion, Finite Time: in Avesta, 57; creation of, 105, 106, 410, from the Infinite, 92, 106, 107, 143 n. A, 224, 233, 236, 248, 315, 338, in form of youth of fifteen, 333; first of all creatures, 315; needed by all including Creator, 95, 96, 237, 341, 382; needed for creation, 383.
transient duration, 245, 392; brings about mixture of good and evil, 238; directs good and evil, 248.
limited for creation, 71, 338; limitation coincides with creation, 235, 391; limitation of, origin of universe, 267, and movement in Space, 384; instrument of (Infinite) Zurvān or Ohrmazd, 88; and action interdependent, 235, 389, 390; proceeds from Infinite through limitation to Infinite, 248, 389, 390; revolves in circle, 106 ff., 377, 390; fixed term for cosmic battle, 248; regulates same, 254; is the *patmān*, 252; returns to Infinite, 92, 107, 143 n. A, 235, 236, 246, 254, 315, 338, 389, 390; lasts 12,000 years, 57, 92, 96–100, 315; three periods of 3,000 years, 95, 341; 12,000 years correspond to 12 Signs of Zodiac, 96, 97–98, 144 n. E.
connexion with firmament (Spihr), 97–98, 111, 112; firmament fashioned from, 333, 338; as embryo from seed, 267; embodied in seed, 370; as macrocosm, 112–13, 236, 238, 246, 266; embodied in firmament, 112, 132, 266, 333; as victim of sacrifice, 140; as matter in motion, 235.
comprises light and darkness, 56, 65, 73, 245; as night and day, 56, 134, 243, 445; Žuk in Armenian folklore, 56, 245; common to Ohrmazd and Ahriman, 93, and both creations, 90; helps both Spirits, 95, 96, 107, 237, 341; sets both creations in motion, 106; mightier than same, 239, 315.
unconcerned with good and evil, 22, 93, 125, 237, 248, 380, 381; needed to curb Ahriman, 105–6.
material cosmos proceeds from, 151; as matter, 130, 135, 209–10, 270; as material cosmos, 236; god of nature, 266; nature itself, 266.
none escapes him, 239; nothing can be done against, 90; Ahriman powerless against, 236.
understands, 239, 315; genius of order, 175, 236, 239, 247 n. C, 248, 261, 382; natural law and fate, 236, 237, 248, 252, 261, 266; his law immutable, 236; his opponent Āz, 237, 252; favours good and evil, 236; leads to *fraškart*, 236, 248; directs elements, 228.
as justice, 29, 58–60, 72, 89, 106, 175, 239, 244; most just, 397; conquers deceit (*zūr-vān*), 58, 338.
defined as Fate, 59, 230, 254, 420, 428, 447, and Fortune, 59, 254, 420; god of fate, 254 ff.; controls human destinies, 92, 161; gives good and bad fortune, 161; decisions made through, 239, 315.
god of death, 87, 90, 239 ff., 243, 446, and life, 242; none escape him, 239, 316, 398; cannot be concealed, 90, 240; controls path to Činvat bridge, 87, 90, 203–4, 240, 275.
fourfold god, 196–214, 219–31, *see* Tetrads, divine; King, 229, 254, 255, 260, 261; lord, 229, 254, 410.
has seven faces and seven names, 29, 230–1, 408–9; is treaty between Ohrmazd and Ahriman, 248; extends Gayōmart's life, 238, 247 n. D.
origin of man, 113, 138, 266; as Primal Man, 113; man derives from his seed, 138; ancestor of Aryans, 144 n. B, 449; identified with Abraham, 144 n. B, and Titan and Iapetos, 144 n. B.
connected or identical with Vāy, 87, 88, 90, 127, 338; identical with Space, 127, and *Ahunvar*, 134, 418; two Zurvāns assist Vahuman, 135, 204, 334.
Zurvān (Buddhist), Azrua (= Zurvān) translates Brahmā, 22.
Zurvān (Manichaean): supreme God of Light, 21; opposite of Ahriman, 21; Father of Greatness, 21, 54, 60, 64; bisexual, 65; evokes Mother of Life, 65.
Zurvān-Kronos (Mithraic): head of Mithraic pantheon, 19; *frugifer*, 242; sexless, 65; encircled by snake, 65; with sickle and thunderbolt, 67.
Zurvāndāδ: eldest son of Mihr-Narsē, 41; *hērbaδān-hērbaδ* under Bahrām V, 44; described as *sāstār* 45.
Zurvānduχt, daughter of Šāpūr II, 44.

Žāmāsp, 382; wrote Avesta, 27.
Žāmāsp-nāmak, 241; *see Aβyātkār i Žāmāspīk*.
Žāmāspi (Persian version), 50.
Žuk, Armenian deity, 56, 245; *see* Zurvān.

PRINTED IN
GREAT BRITAIN
AT THE
UNIVERSITY PRESS
OXFORD
BY
CHARLES BATEY
PRINTER
TO THE
UNIVERSITY

School of Theology at Claremont
1001 1331113

The Library

SCHOOL OF THEOLOGY
AT CLAREMONT

WEST FOOTHILL AT COLLEGE AVENUE
CLAREMONT, CALIFORNIA

Digitized by the Internet Archive
in 2021 with funding from
Kahle/Austin Foundation

https://archive.org/details/zurvanzoroastria0000zaeh

ZURVAN

A ZOROASTRIAN DILEMMA

Oxford University Press, Amen House, London E.C.4
GLASGOW NEW YORK TORONTO MELBOURNE WELLINGTON
BOMBAY CALCUTTA MADRAS KARACHI CAPE TOWN IBADAN
Geoffrey Cumberlege, Publisher to the University

1590
Z35
Z3

ZURVAN

A ZOROASTRIAN DILEMMA

BY

R. C. ZAEHNER

SPALDING PROFESSOR OF EASTERN RELIGIONS AND ETHICS
IN THE UNIVERSITY OF OXFORD
FELLOW OF ALL SOULS COLLEGE

OXFORD
AT THE CLARENDON PRESS
1955

Theology Library
SCHOOL OF THEOLOGY
AT CLAREMONT
California

PRINTED IN GREAT BRITAIN

To

JEAN SEZNEC

PREFACE

ALTHOUGH it would be untrue to say that in the past twenty years little of importance has been written on Zoroaster and Zoroastrianism, it is nevertheless true that both Professor Nyberg's *Die Religionen des alten Iran* and Herzfeld's *Zoroaster*, the principal quantitative contributions to the subject in recent times, are concerned mainly with the origins of Zoroastrianism and kindred religions, not with the system as it later developed in Sassanian times. The Sassanian period, during which Zoroastrianism emerges as a fully fledged member of the 'higher' religions with a complex theology of its own, has received less attention than the inherent interest of the subject merits. There is one very solid reason for this—Pahlavī.

Students of Zoroastrianism, unless they belong to that rare and distinguished class of persons who do not know, know that they do not know, and rejoice in their invincible ignorance, are usually discouraged by the apparently insoluble problems presented by their principal sources: for the *Gāθās* which contain Zoroaster's own thoughts, and the *Dēnkart* which expounds the fully developed theology of the Zoroastrian 'golden age', are perhaps the most difficult texts in any language. But whereas, in the case of the *Gāθās*, the philological difficulties are such that we must, for the moment at least, despair of finding a certain solution, the difficulties of the *Dēnkart*, if only because of its greater bulk, are in many cases not insuperable. Comparison with parallel passages will often throw a flood of light on what seemed to be—and indeed are—hopelessly corrupt texts, and patience in this severe discipline is not infrequently rewarded. Professor Henning, in his Ratanbai Katrak lectures of 1949, has issued a solemn warning against 'those rash spirits who engage in Zoroastrian studies without equipping themselves properly, without reading the Pahlavī literature, without learning to handle the intricate Manichaean fragments in Middle Persian, Parthian, and Sogdian, without studying the Sogdian and Khotanese books'. The warning was, no doubt, timely; yet I must confess to insufficient equipment in this respect, for my knowledge of Soghdian is rudimentary, and of Khotanese nil. However, while admitting that a knowledge of these two languages may be *useful* to the student of Zoroastrianism, I cannot see that it is necessary.

In addition to a sound knowledge of Pahlavī, the Avesta, and the Manichaean texts, however, an indispensable qualification for the interpretation of the Middle Persian Zoroastrian texts is some acquaintance at least with

Hellenistic philosophy and a familiarity with the Aristotelian jargon; for it is becoming increasingly plain that the *Dēnkart* and the *Šikand* at least are as thoroughly permeated with Aristotelian thought as is the Arabic of the *mutakallimūn*. Fr. P. J. de Menasce has already made this sufficiently clear.

During the time that this book has been in the press my attention has been largely diverted from things Zoroastrian by my election as Spalding Professor of Eastern Religions and Ethics at my old University. Though it will no longer be possible to devote the greater part of my time to the elucidation of Zoroastrian problems which I still find fascinating, I hope at least to be able to make some contribution in this little-surveyed field; for Zoroastrian theology is interesting, and a study of the Pahlavī texts leaves one with a respect for the seriousness of the Zoroastrian approach to the major religious problems which could not be easily deduced from much that has lately been written on the subject.

I cannot claim that the present study on Zurvān fully brings out the theological issues with which Mazdean and Zervanite were alike preoccupied. Perhaps too much space has been devoted to the sometimes puerile myths attached to the person of Zurvān; but I hope that the later chapters of the book will show that both Mazdeans and Zervanites were concerned with more serious matters than bisexuality and incest—a point that never emerges from the writings of their Christian opponents. Both parties are vitally concerned with the problem of evil, the unity of the godhead, and their apparent incompatibility. It has been my aim to elicit from the texts the solutions they propounded, but I should be the last to claim that this book is more than a preliminary study.

Much of the philological work on which my translations are based has already appeared elsewhere ('Zurvanica I–III' in BSOS. ix, pp. 303–20, 573–85, 871–901, and 'A Zervanite Apocalypse', ibid. x, pp. 377–98, 606–31), but further study has made it necessary to alter the translation in places. This is particularly true of the text Z 20, one of the most crucial for our subject.

It is now nearly two years since the manuscript of this book was delivered to the Press. I have not found it necessary to alter much in the proof stage—only what seemed to me to be positive mistakes. There is, however, one point on which I have definitely changed my mind. This is the question of the Mithraic lion-headed deity. My unbounded admiration for Cumont had led me to accept his identification with Zurvān-Kronos without question. I can no longer do so. *A priori* it would seem certain that this monstrous and manifestly evil being must be the *deus Areimanius* to whom

votive tablets are dedicated; and this is borne out not only by the Manichaean evidence which Professor Duchesne-Guillemin has already cited (*Ormazd et Ahriman*, p. 128), but by the fact that both lion and snake figure prominently in the Pahlavī books as creatures of Ahriman, the first being the principal representative of the 'wolf species' and the second of the *χrafstars*. Ahriman, as master of this world (text F 4, § 1), would inevitably become adorned with the Signs of the Zodiac and the Planets: he would, in fact, be assimilated to Zurvān of the long Dominion just as Ohrmazd is assimilated to the Infinite Zurvān in many of the texts in this book. A preface is not, however, the place to marshal the evidence in support of this theory.

Since this book went to press I have had occasion to refer to the *Tabṣiratu'l-'awāmm* of Murtaẓā Rāzī. This preserves an account of the Zervanite myth which I had not previously seen, and which I append as an addendum.

In transliterating the Pahlavī texts I have followed the 'archaic' transcription used by Nyberg in his *Hilfsbuch*. There are minor divergences, and these will be quickly noticed but are of little importance. The presence of ideograms is noted by a *spiritus lenis* (') preceding the word ideographically written. Where manuscript variants are noted (as in texts Z 1 and 2), these may appear unvocalized in capital letters. Here W at the end of a word represents a *wāw quiescens*: underlining of other letters indicates that in the original these letters are provided with diacritical points (G = S̈, D = Ŝ, &c.). In noting variants I have not been consistent in indicating the presence or absence of a *wāw quiescens* or of the *iẓāfat*. My excuse is that this would have further lengthened a book which is already long enough, and that this was not justifiable in the circumstances; for the more Pahlavī one reads, the stronger does one's conviction grow that both are inserted or omitted at the copyist's good pleasure. When the presence or absence of an *iẓāfat* makes a difference to the sense I have, of course, indicated it. A notable example of this occurs on p. 338, where it makes a considerable difference whether one reads *Zurvān zēn* or *Zurvān i zēn*.

In the transcription of proper names in Part I, I must plead guilty to wild inconsistency. I realize that if we call the founder of the Sassanian dynasty Ardašīr we should call Āδurbāδ Āzurbād, and Pērōz Fīrūz. So far as I have been guided by any principle at all, it has been to give the New Persian form of names which are still current today and the (Manichaean) Middle Persian form to less well-known characters: but even this 'principle' has not infrequently been violated, as the case of Pērōz clearly shows.

There remains only the grateful task of apportioning thanks where thanks are due. First I would express my very great gratitude to the Delegates of the Clarendon Press for undertaking the onerous task of printing and publishing this bulky and unremunerative work. I could have wished that the object of their altruism were more worthy. Secondly, I would like to thank all those who have assisted in seeing the book through the Press; for I can well realize that if the sufferings endured by authors in the checking of proofs of this sort may be considerable, they can be as nothing compared to the agonies which both compositors and proof-readers must go through when confronted with page upon page of 'high-piping' Pahlavī. At all stages of the printing their accuracy and efficiency have been beyond praise; and if, despite all the patient and unrewarding work they have put into the production of this book, errors still remain, then I alone am responsible.

Mrs. Helen Allison, Mr. G. Morrison, and Mr. David Bivar have rendered me invaluable assistance in checking the accuracy of transcription and translation. Without their aid this task would have been infinitely more irksome. To them my thanks are very sincerely offered.

I am further indebted to the Editorial Board of the Bulletin of the School of Oriental and African Studies for allowing me to incorporate in this book material which has already appeared in the *Bulletin*. I greatly appreciate their generosity.

It gives me pleasure, too, to acknowledge my great debt to Professor Bailey, who, by teaching me Pahlavī, supplied me with the one tool that was really indispensable for my task; and to Professor Nyberg whose *Questions de cosmogonie et de cosmologie mazdéennes* first stimulated my interest in the father of Ohrmazd and Ahriman. Thus it would not be untrue to say that the 'matter' of this book derives from Bailey, the 'form' from Nyberg: for the combination only can I claim any credit. Finally, I would thank Professor Henning for coming to my assistance on many occasions when I had been unable to solve a philological point.

In conclusion I would express the hope that the publication of this work may do something to stimulate further interest in the Zoroastrian religion.

R. C. Z.

ALL SOULS COLLEGE
OXFORD

CONTENTS

ABBREVIATIONS xv

PART I. THE ARGUMENT

INTRODUCTION 3

I. THE ZOROASTRIAN SECTS 7

II. ZERVANISM AND MAZDEANISM IN THE SASSANIAN PERIOD 35

III. THE FATHER OF GOOD AND EVIL 54

IV. COSMOLOGY, I
(*a*) The God Vāy. 80
(*b*) The Mazdean Cosmology 91

V. COSMOLOGY, II
I. The Zervanite Fragments from the first Chapter of the *Greater Bundahišn* 105
(*a*) Zurvān of the long Dominion 106
(*b*) Spihr, the Body of Zurvān 111
(*c*) The Weapon of Concupiscence 113
(*d*) The Investiture of the Gods 118
(*e*) Vāy again 125
(*f*) The Endless Form 127
(*g*) The Manifestation of Creation 133
II. The Material Creation 134

VI. THE LUMINARIES 147

VII. I. THE DEMON ĀZ 166
II. WOMAN THE SEDUCTRESS OF MAN 183

VIII. THE THREE CREATORS 196

IX. THE GOD ZURVĀN
(*a*) The Fourfold God 219
(*b*) The Infinite Zurvān 231
(*c*) The Finite Zurvān 232

(*d*) The God of Death 239
(*e*) The Testimony of Firdausī 242

X. THE LAW AND FATE
(*a*) The Treaty and the Mean 248
(*b*) Fate 254

RETROSPECT 265

PART II. TEXTS

I. PASSAGES FROM THE AVESTA IN WHICH ZURVĀN APPEARS AS A GOD
A 1. *Vidēvdāt* 19. 29 275
A 2. Passages mentioning Zurvān as a deity (Ys. 72. 10: Vd. 19. 13: 19. 16: *Nyāyišn* 1. 8) 275

II. TEXTS RELATIVE TO ZURVĀN FROM ZOROASTRIAN SOURCES OTHER THAN THE AVESTA
Z 1. *Greater Bundahišn*, Chapter I 276
Text 278
Notes 285
Translation 312
Z 2. *Greater Bundahišn*, Chapter III 321
Text 321
Notes 324
Translation 333
Z 3. From the 26th chapter of the *Greater Bundahišn* (Anklesaria, 166. 4–167. 9) 336
Z 4. *Selections of Zātspram*, Chapter I 339
Z 5 (*a*). *Selections of Zātspram*, Chapter XXXIV 343
(*b*). From the *Pahlavī Rivāyats*, 48, §§ 90–96 354
Z 6. From the 4th chapter of the *Greater Bundahišn* (Anklesaria, 39. 11–41. 10) 355
Z 7. From the *Pahlavī Rivāyats*, pp. 127–37 360
Z 8. *Mēnōk i Xrat*, Chapter VIII 367
Z 9. From the *Dēnkart* (Madan, 347. 1–22) 369
Z 10. From the *Dēnkart* (Madan, 349. 1–350. 10) 371
Z 11. From the *Dēnkart* (Madan, 203. 16–206. 23) 374

Z 12. From the *Dēnkart* (Madan, 21. 15–24. 5) 378
Z 13. From the *Aβyātkār i Žāmāspīk* (Messina 2. 2) 381
Z 14. From the *Dēnkart* (Madan, 128. 16–129. 3) 382
Z 15. From the *Dēnkart* (Madan, 132. 21–133. 9) 383
Z 16. From the *Dēnkart* (Madan, 207. 1–7) 383
Z 17. From the *Dēnkart* (Madan, 198. 18–199. 6) 384
Z 18 (*a*). From the *Dēnkart* (Madan, 221. 11–224. 8) 384
(*b*). From the *Dēnkart* (Madan, 567. 10–14) 388
Z 19. From the *Dēnkart* (Madan 228. 1–22) 388
Z 20. From the *Dēnkart* (Madan 282. 7–283. 17) 389
Z 21. From the *Dēnkart* (Madan, 290. 8–12) 391
Z 22. From the *Dēnkart* (Madan, 293. 15–294. 3) 391
Z 23. From the *Šikand Gumānī Vazār*, Chapter XVI, §§ 53–111 392
Z 24 (*a*). *Mēnōk i Xrat*, Chapter XXVIII 396
(*b*). *Aβyātkār i Vazurg-Miθr*, §§ 129–36 397
Z 25 (*a*). From *Yavišt i Friyān*, Chapter II, §§ 37–40 397
(*b*). From *Pahlavī Texts*, p. 40, l. 13 397
Z 26 (*a*). From the *Aβyātkar i Žāmāspīk* (Messina 14. 16–17) 398
(*b*). From *Pahlavī Texts*, p. 76, §§ 23–24 398
Z 27. *Mēnōk i Xrat*, Chapter XXVII 399
Z 28 (*a*). *Mēnōk i Xrat*, Chapter XII 399
(*b*). *Mēnōk i Xrat*, Chapter XXXVIII 401
Z 29. *Mēnōk i Xrat*, Chapter XLVII 401
Z 30. *Mēnōk i Xrat*, Chapter XXII 402
Z 31 (*a*). *Mēnōk i Xrat*, Chapter XXIII 402
(*b*). *Mēnōk i Xrat*, Chapter LI 403
Z 32. *Mēnōk i Xrat*, Chapter XXIV 404
Z 33 (*a*). *Aβyātkār i Vazurg-Miθr*, §§ 105–9 404
(*b*). *Epistle of Tansar* (Minovi, p. 45) 405
Z 34 (*a*). Gloss to Pahlavī *Vidēvdāt* 5. 9 405
(*b*). From the *Dēnkart* (Madan, 284. 13–20) 406
Z 35 (*a*). From the *Dēnkart* (Madan, 568. 3–12) 407
(*b*). From *Pahlavī Texts*, p. 82, ll. 9–16 407
(*c*). From Ghazālī, *Nasīḥatu'l-Mulūk* (Humā'ī, pp. 123–4) 408
Z 36. From the *Persian Rivāyats* (Hormazyār), vol. ii, p. 53 408
Z 37. The second *'Ulemā i Islām*, Hormazyār, vol. ii, pp. 80–86 409
Z 38. From the *Persian Rivāyats*, Dhabhar's Translation, p. 438 418

III. POLEMICS AGAINST THE ZOROASTRIAN RELIGION AND NOTICES THEREOF FROM CHRISTIAN, MANICHAEAN, AND MUHAMMADAN SOURCES WRITTEN IN ORIENTAL LANGUAGES

F 1. The Zervanite Myth preserved by Eznik of Kołb, Ełišē Vardapet, Theodore bar Kônai, and Yohannân bar Penkayê 419
F 2. From Theodore Abū Qurra, *On the True Religion* (Cheikho, pp. 12–13) 428
F 3 (*a*). From the *Dēnkart* (Madan, 829. 1–5) 429
(*b*). Manichaean Fragment (Salemann, *Manich. Stud.* p. 10) 431
(*c*). From the Manichaean *X^vastuānift* (von le Coq, JRAS. 1911, p. 282) 431
(*d*). From the Syriac *Acts of the Persian Martyrs* (Bedjan, vol. ii, p. 221) 432
F 4. From Šahristānī, *Kitābu'l-milal wa'n-niḥal* (Cureton, pp. 183–5) 433
F 5. From the Syriac *Acts of the Persian Martyrs* (op. cit. pp. 576 ff.) 434
F 6. From the *Interpretation of the Laws concerning Sexual Intercourse and Marriage* (Sachau, *Syrische Rechtsbücher*, iii, p. 265) 437
F 7 (*a*). From Eznik of Kołb, *Against the Sects*, Book II, Chapter 8 438
(*b*). From a Persian Manichaean Fragment (Henning, *Zoroaster*, p. 50) 439
F 8. From the treatise on *The Cause of the Foundation of the Schools*, by Mâr Barhad Bešabbâ (Addai Scher, *Patrologia Orientalis*, iv, pp. 365–7) 439
F 9. Anonymous Syriac Text (Nyberg, JA. ccxiv, 1929, pp. 238–41) 440
F 10. From Theodore bar Kônai, *Book of Scholia* (Pognon, *Inscriptions mandaïtes des coupes de Khouabir*, pp. 111 ff. and 161 ff.) 441
F 11. From Eznik of Kołb, *Against the Sects*, Book II, Chapter 9 442
F 12. From Masʿūdī, *Kitābu't-tanbīh wa'l-išrāf* (de Goeje, p. 93) 443
F 13. From Firdausī, *Šāhnāmeh* (Vullers, i, pp. 208–11) 444

IV. GREEK TEXTS

G 1. From Damascius, *Dubitationes et Solutiones*, 125 bis 447
G 2. From Theodore of Mopsuestia *apud* Photius, bibl. 81 447
G 3. From Hippolytus, *Refutatio omnium haeresium*, i. 2. 12–13 447
G 4. From Plutarch, *De Iside et Osiride*, 45–47 448
G 5. From Basilius, *Epistula 258 ad Epiphanium*, 4 449
G 6. Inscription of Antiochus I of Commagene 449
G 7. From Psellus, *De Operatione Daemonum* (Boissonade, 3) 450

ADDENDUM TO F 4 451

BIBLIOGRAPHY 453

INDEXES 459

ABBREVIATIONS

N.B. Abbreviated titles of books or articles are only noted here in cases where the abbreviated title is not obvious.

AASOR. *Annual of the American Schools of Oriental Research.*
AbPAW. *Abhandlungen der preussischen Akademie der Wissenschaften.*
AIW. Bartholomae, *Altiranisches Wörterbuch.*
AJSLL. *American Journal of Semitic Languages and Literature.*
Andreas–Barr, *Psalter: Bruchstücke einer Pehlevi-Übersetzung der Psalmen.*
Andreas–Henning, MirMan.: *Mitteliranische Manichaica aus Chinesisch-Turkestan.*
AO. *Acta Orientalia.*
Aog. *Aogəmadaēčā.*
Arm. Armenian.
Av. Avesta, Avestan.
AVM. *Aβyātkār i Vazurg-Miθr*, in *Pahlavī Texts.*
AVN. *Artāy Virāβ Nāmak.*
Bd. *Bundahišn.*
BkPhl. Book Pahlavī.
BSO(A)S. *Bulletin of the School of Oriental* (*and African*) *Studies*, London.
CCM. Nyberg, *Questions de cosmogonie et de cosmologie mazdéennes.*
Clemen, *Fontes. Fontes historiae religionis persicae.*
Cumont, MMM. *Textes et monuments figurés relatifs aux mystères de Mithra.*
Darmesteter, ZA. *Le Zend Avesta.*
Dd. *Dātastān i dēnīk.*
Dk. *Dēnkart.* M. Madan; S. Sanjana.
ERE. *Encyclopaedia of Religion and Ethics.*
FrPhl. *Frahang i Pahlavīk.*
FrŌīm. *Frahang i Ōīm.*
GGA. *Göttingische gelehrte Anzeigen.*
GrBd. *Greater Bundahišn.*
Herzfeld, AMI. *Archäologische Mitteilungen aus Irān.*
Ind. Bd. *Indian Bundahišn.*
JA. *Journal Asiatique.*
JAOS. *Journal of the American Oriental Society.*
JNES. *Journal of Near Eastern Studies*, Chicago.
JRAS. *Journal of the Royal Asiatic Society.*
Kn. *Kārnāmak i Artaχšaθr i Pāpakān.*
Langlois. *Collection des historiens anciens et modernes de l'Arménie.*
MhD. *Mātiyān i hazār dātastān.*
MMM. v. Cumont.
MO. *Monde Oriental.*
MParthT. Middle Parthian, Turfān.
MPT. Middle Persian, Turfān.
Mχ. *Mēnōk i Χrat.*
NGGW. *Nachrichten von der Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen.*
Nöldeke, *Ṭabarī. Geschichte der Perser, &c.*
NP. New (Muhammadan) Persian.
Ny. *Nyāyišn.*
Nyberg, CCM. v. CCM.
Nyberg, Glossar: *Hilfsbuch des Pehlevi*, II, *Glossar.*

OLZ. *Orientalische Literatur-Zeitung.*
OP. Old Persian.
Pāz. Pāzand.
PersRiv. *Persian Rivāyats.*
P.G. Migne, *Patrologia Graeca.*
Phl. Pahlavī.
PhlRiv. Pahlavī Rivāyats.
Pn. *Pandnāmak i Zartuχšt*, in *Pahlavī texts.*
Psalter. v. Andreas–Barr, *Psalter.*
Purs. *Pursišnīhā*, in Darmesteter, ZA. III, pp. 53–77.
Rev. Et. Arm. *Revue des études arméniennes.*
RHR. *Revue de l'histoire des religions.*
RSO. *Rivista degli studi orientali.*
RV. *Rig-Veda.*
SBE. *Sacred books of the East.*
SbPAW. *Sitzungsberichte der preußischen Akademie der Wissenschaften.*
ŠGV. *Shikand-gûmânîk vijār.*
Skt. Sanskrit.
ŠnŠ. *Šāyast nē šāyast.*
ŠnV. *Šāhnāmeh*, ed. Vullers.
Vd. *Vidēvdāt.*
WZKM. *Wiener Zeitschrift für Kunde des Morgenlandes.*
YF. *Yavišt i Friyān.*
Ys. *Yasna.*
Yt. *Yašt.*
ZA. v. Darmesteter, ZA.
ZDMG. *Zeitschrift der deutschen morgenländischen Gesellschaft.*
Zeitschr. f. Kircheng. *Zeitschrift für Kirchengeschichte.*
ZII. *Zeitschrift für Indologie und Iranistik.*
Zn. (*Žāmāsp-nāmak*) *Aβyātkār i Žāmāspīk*, ed. Messina.
Zs. Zātspram.
ZumAIW. Bartholomae, *Zum altiranischen Wörterbuch.*
ZXA. *Zand i χ^{v}artak apastāk.*

PART I
THE ARGUMENT

INTRODUCTION

ĪRĀN is, in the strictest sense, the Middle East. It is the bridge that connects, or the chasm that separates, the two great cultures of the ancient world—our own Mediterranean culture on the one hand, founded as it is on the contrasted civilizations of Greece and Israel, and that of farther Asia on the other, having India and China as its twin corner-stones. For this reason Īrān has naturally attracted the attention of Orientalists as being the obvious link between these two distinct and widely differing civilizations. Given its geographical position and troubled history, Īrān should have been the fertile meeting-ground of East and West. Here, if anywhere, we should expect to find a fruitful synthesis of the speculative and mystical systems of India and the positive theism of the Semites. This has, however, only to a small extent been the case: or so, at least, we are left to surmise; for, compared with the vast and highly developed literatures of India and the Hellenistic world, Iranian literature of the 'Middle' period (*c.* 300 B.C. to A.D. 900) is, both in quality and quantity, disappointing; and speculation as to how much may have been lost is largely futile.

Further, until the Muhammadan conquest wiped out the earlier religions of the Middle East, the religion of Zoroaster was supreme in Īrān. Revived at the beginning of the third century A.D., Zoroastrianism proceeded not only to put its own house in order but to deal ruthlessly with such foreign religions as had succeeded in taking root on its soil. Indeed the Sassanian period, with which this book is primarily concerned, shows a distinct family resemblance to that of the later Safavīs when, after some eight hundred years of political eclipse, the Persian Empire was again restored under an indigenous dynasty. In both cases the rulers of an empire which was united in neither race nor language sought to impose a State religion on their subjects, which would at least give them a semblance of religious unity, if of no other. Both the Zoroastrians in Sassanian times and the Shīʿah Muslims in the Safavī period proved to be exceptionally intolerant of other religions—largely, one suspects, to emphasize their difference from the neighbouring states. This atmosphere of religious nationalism, then, would not *a priori* seem propitious for any merging of foreign ideas on Iranian soil. A further stumbling-block to such a development was the nature of the Zoroastrian religion itself: for Zoroastrianism was uncompromisingly dualist. Nor was its dualism the classic dualism between spirit and matter which would have provided a common meeting-ground with the Indian Jains and the Sāṁkhyā to the East, with the Gnostics to the

West, and with the Manichaeans in Īrān itself. It was a dualism of spirit, postulating two principles at the origin of the Universe—the Spirit of Good or Ohrmazd, and the Spirit of Evil or Ahriman. This extremely original idea dates back to Zoroaster himself, and it is his basic contribution to the philosophy of religion. As far as we can determine from the evidence available, Zoroaster was personally responsible for this radical solution of the problem of evil; and this is all the more remarkable in that this essential problem does not seem to have made any serious impact on the Aryan consciousness until his day. Yet the doctrine of the two Spirits could scarcely be more categorically stated than in *Yasna* 30. 3–4, where Zoroaster himself says:

> In the beginning the two Spirits who are the well-endowed(?) twins were known as the one good, the other evil, in thought, word, and deed. Between them the wise chose the good, not so the fools. And when these Spirits met, they established in the beginning life and the absence of life that in the end the evil should meet with the worst existence, but the just with the Best Mind.

Though it was no doubt Zoroaster himself who sowed the seed of spiritual dualism, it was left to his epigones in later times to systematize it. A Zoroastrian confession of faith is found in the *Pand-nāmak i Zartuχšt*, §§ 2 ff. (PhlTexts, p. 42) which expounds the dualist creed with all desirable clarity.

> This must I know without venturing to doubt: I came from the spirit, nor was I (always) from the world. I was created, and have not (always) been. I belong to Ohrmazd, not to Ahriman; to the gods, not to the demons; to the good, not to the evil. I am a man, not a demon. I am a creature of Ohrmazd, not of Ahriman. . . . (§ 12) I must firmly believe that there are two principles, one the Creator, and the other the Destroyer. It is the Creator, Ohrmazd, who is all goodness and all light, and the accursed Destroyer, Ahriman, who is all evil, full of death, a liar and a deceiver.

Zoroastrianism, then, separated itself on the fundamental issue of the unity of the godhead from all other systems whether monist or monotheistic: and among dualist systems it is unique in that its dualism is not the classic dichotomy of spirit and matter, found in different forms and degrees of virulence in both India and the West and reaching its clearest statement in the religion of the Manichees; but it is a dualism of two rival spiritual and moral forces—good and evil, light and darkness, order and disorder, Ohrmazd and Ahriman. Matter does not essentially enter into the question at all. Indeed, when it is formed or created, it is formed by Ohrmazd and is therefore good. Later, it is true, it is corrupted by Ahriman, but basically it belongs to Ohrmazd and is anything but the source of evil.

It can be readily understood that so fundamental a dualism might well produce a reaction, since the history of religion proves that the nature of man seems to demand a unified godhead. This reaction duly appeared: it is what we call Zervanism. As might be expected in a heterodox sect, in Zervanism we do appear to find traces of alien ideas which were so rigorously excluded from the Zoroastrian orthodoxy: and it is the tenets of this sect and its possible connexions with non-Iranian religions that we propose to examine in these pages.

It will have been noticed in the passage quoted above from *Yasna* 30 that the two primeval spirits are referred to as twins. If they are twins, then it is only logical to assume that they had a common father. If they had such a father, it would be reasonable to suppose that that father is the Infinite, since the twins, limiting each other as they do, can neither of them be infinite. The Infinite appeared most frequently in the Zoroastrian writings as Infinite Time (*zrvān- akarana-* or, in Pahlavī, *zurvān i akanārak*). Hence Ohrmazd and Ahriman came to be regarded as the twin sons of Infinite Time.

Here, plainly, was a major heresy. The Zervanites tried to re-establish the unity of the godhead by positing a principle prior and superior to Ohrmazd and Ahriman, thereby doing away with that essential dualism which is the hub of the Zoroastrian position. The orthodox appear to have reacted against this heresy with vigour; and the sharpness of their reaction has made the reconstruction of the Zervanite system doubly formidable. For the Pahlavī texts, as they survive today, are orthodox texts in which every effort has been made to expunge all trace of the Zervanite heresy. Zervanism, therefore, shares the fate of all sects that have not been able to survive: it is never (or hardly ever) allowed to speak for itself. Of all our sources only one, the so-called *'Ulemā i Islām* (text Z 37), is written from the Zervanite point of view; and this text is very late. The non-Zoroastrian sources are mainly Christian and Manichaean, and their approach is understandably unsympathetic and hostile; while the orthodox Zoroastrians, whose work the present corpus of Pahlavī literature represents, have done all they could to eradicate older ideas which could no longer be tolerated in the official dualism. Fortunately the censors of the Sassanian and post-Sassanian periods were less expert at the rewriting of history than their Stalinist successors; and Zurvān has fared better at their hands than has Trotsky among the forgers of the Kremlin. Despite their vigilance passages remain in the Pahlavī books themselves which enable us to uncover fragments of Zervanite belief from their orthodox overlay. This has been a delicate task, but it has, we hope, enabled us to form

a somewhat clearer picture of this half-forgotten and highly obscure religion.

Our Pahlavī sources, it must be confessed, are irritatingly obscure. They are written in an ambiguous and rebarbative script which has tried the patience of Orientalists for more than a century. In addition, the *Dēnkart*, that great corpus of Zoroastrian theology and potentially by far the most important of our extant sources, is undoubtedly the most corrupt text in any Iranian language of any period. Added to this, it is written in an abbreviated 'note' style compared with which the *Metaphysics* of Aristotle is plain sailing. There is no punctuation: and if there is, it is all too frequently misplaced. The existing translations seem to bear little relation to the maddening original, and we are left therefore to cope with the thing as best we can, alone.

True, the study of Pahlavī has been considerably facilitated by the discovery of the Manichaean Middle Persian texts from Turfān: yet the difficulties that still remain are so considerable that I have found it necessary to publish the more important Pahlavī sources in transliteration (with translation and commentary) in article form before incorporating them into this book. To these articles (published in the BSO(A)S., vols. ix and x) the reader is referred for the philological justification of my translations.

This book, then, has two objects: first, to collect the relevant texts from all sources in one volume, and secondly to fit together this jigsaw puzzle into some sort of unity into which the individual pieces could, without violence, fit. Although singularly little has been written about Zurvān and Zervanism, and despite the fact that what little has appeared is now largely out of date, the subject appears to have fascinated scholars working in such disparate fields as Buddhism and the heresy of the Bogomils, not to mention the various forms of Gnosticism, Mithraism, and the religion of the Mandaeans. Since scholars working in so great a variety of fields have seemed to attach such great importance to the god Zurvān and the religion over which he presides, it has seemed worth while to marshal the evidence and rebuild the edifice as best we can. This is the object and the justification of the present work.

CHAPTER I

THE ZOROASTRIAN SECTS

THE year A.D. 226 marks the foundation of the second Persian Empire. Persia for the second time appears on the scene of history as a great power and as the eastern rival of the Roman Empire. The Parthian confederation which had for so long dominated the Middle Eastern scene was swept aside, defeated by a Persian of the province of Fārs, Ardašīr, the son of Pāpak. This man was to lay the foundations of what is known in history as the Sassanian Empire. The empire he founded differed greatly from its predecessor in that it was highly centralized under the supreme headship of the King of Kings, an absolute monarch who enjoyed almost divine honours.

Corresponding with the political change was another: the religion of the Magians, worshippers of Ahura Mazdāh (Ohrmazd), or Zoroastrians as they may now be indifferently called, was elevated to the position of official religion of the Iranian autocracy. Under the Parthian overlords this religion would appear to have sunk very low, and information concerning its fortunes is exceedingly scant. There would appear to have been no one belief which could lay claim to orthodoxy among the many shades of Iranian religion that must then have been current. There can, however, be little doubt that during the Seleucid and Parthian epochs Hellenistic influences made themselves felt which may even then have penetrated into the Zoroastrian religion itself.

For the Sassanian period we are less completely in the dark; for we are fortunate in possessing an account by the Zoroastrian priests themselves of the rehabilitation of their religion. This account is of such importance to our investigation that it must be quoted in full. It is to be found in the fourth book of the *Dēnkart*,[1] a great corpus of religious learning dating, in matter, from the late Sassanian period. The text of this formidable work is notoriously corrupt, and its style cramped, arid, and obscure. With regard to the last epithet at least our present passage is no exception to the depressing rule, and we therefore offer our translation with some misgiving, but hope that it nevertheless comes near to rendering the thoughts of the original. It runs as follows:[2]

Dārāy, son of Dārāy,[3] commanded that two copies of all the Avesta and Zand

[1] DkM. 412. 3–415. 3. The text will be found in the appendix to this chapter.

[2] Cf. Darmesteter, ZA. iii, p. xxxi.

[3] Meaning Darius Codomannus, whom writers of the Sassanian period supposed to be the son of Darius the Great. Of all the Achaemenids two Dariuses alone were known to them.

should be written, even as Zoroaster had received them from Ohrmazd, and that one should be preserved in the Royal Treasury and one in the National Archives.

Valaχš (Vologeses),[1] the Arsacid, commanded that a memorandum be sent to the provinces (instructing them) to preserve, in the state in which they had been found in (each) province, whatever of the Avesta and Zand had come to light and was genuine, and also any teaching deriving from it which, although now scattered owing to the chaos and disruption which Alexander had brought in his wake and the pillage and looting of the Macedonians in the kingdom of Īrān, either survived in writing or was preserved in an authoritative oral tradition.

His Majesty, the King of Kings, Artaχšaθr (Ardašīr I), son of Pāpak, following Tansar as his religious authority, commanded all those scattered teachings to be brought to the court. Tansar set about his business and selected one (? tradition) and left the rest out of the canon: and he issued this decree: 'The interpretation of all the teachings from the Mazdayasnian religion is our responsibility: for now there is no lack of certain knowledge concerning them.'

The King of Kings, Šāpuhr (Šāpūr, Sapor I), son of Artaχšaθr, further collected those writings from the Religion which were dispersed throughout India, the Byzantine Empire, and other lands and which treated of medicine, astronomy, movement, time, space, substance, creation, becoming, passing away, change in quality, growth (?), and other processes and organs. These he added to the Avesta and commanded that a fair copy of all of them be deposited at the Royal Treasury: and he examined (the possibility) of bringing all systems(?) into line with the Mazdayasnian Religion.

The King of Kings, Šāpuhr, son of Ohrmazd (Šāpūr II), summoned men from all lands to an unprejudiced(?) disputation to examine and investigate all creeds. After Āδurbāδ had been vindicated by the consistency of his argument, he issued a declaration before all those representatives of the different sects, doctrines, and schools in this wise: 'Now that we have seen the Religion upon earth, we shall not tolerate false religions and we shall be exceeding zealous.' And thus did he do.

His present Majesty, the King of Kings, Xusrau (Chosroes I), son of Kavāδ (Cabades, Qubād), after he had put down irreligion and heresy with the greatest vindictiveness according to the revelation of the Religion in the matter of all heresy, greatly strengthened the system of the four castes and encouraged precise argumentation, and in a diet (?) of the provinces he issued the following declaration: 'The truth of the Mazdayasnian religion has been recognized. Intelligent men can with confidence establish it in the world by discussion. But effective and progressive propaganda should be based not so much on discussion as on pure thoughts, words, and deeds, the inspiration of the Good Spirit, and the worship of the gods paid in absolute conformity to the word. What the chief Magians of Ohrmazd have proclaimed, do we proclaim; for among us they have been shown to possess spiritual insight. And we have asked and ask of them the fullest exposition of doctrine both of that which concerns spiritual insight and of that which deals with conduct on earth, and for this we give thanks to the gods. Fortunately for the good governance of the country the realm of Īrān has

[1] It cannot be determined which of the four Vologeses is here meant.

gone forward relying on the doctrine of the Mazdayasnian religion, that is the synthesis of the accumulated knowledge of those who have gone before us throughout the whole of X^{v}anīras.[1] We have no dispute with those who have other convictions, for we (ourselves) possess so much both in the Avestan language through pure oral tradition or reduced to writing in books and memoranda and in the vulgar idiom through oral transmission—in short the whole original wisdom of the Mazdayasnian religion. Whereas we have recognized that, in so far as all dubious doctrines, foreign to the Mazdayasnian religion, reach this place from all over the world, further examination and investigation prove that to absorb and publish abroad knowledge foreign to the Mazdayasnian religion does not contribute to the welfare and prosperity of our subjects as much as one religious leader (*rat*) who has examined much and pondered much in his recital (of the ritual); with high intent and in concert with the perspicacious, most noble, most honourable, most good Magian men, we do hereby decree that the Avesta and Zand be studied zealously and ever afresh so that what is acquired therefrom may worthily increase and fertilize the knowledge of our subjects. Those who tell our subjects either that it is not possible to acquire, or that it is possible to acquire in its entirety, knowledge of the Creator, the mystery of spiritual beings, and the nature of the Creator's creation, are to be deemed men of insufficient intellect and free-thinkers. Those who say that it is possible to understand Being through the revelation of the Religion and also by analogy, are to be deemed researchers (after truth). Those who expound (this doctrine) clearly, are to be deemed wise and versed in the Religion. And since the root of all knowledge is the doctrine of the Religion concerning both ideal potentiality and material manifestation, a man (who speaks in this cause) speaks wisely even though he derives the doctrine from no Avestan revelation. So he should be esteemed as (speaking) in accordance with the revelation of the Religion, the function of which is to give instruction to the sons of men.'

It will have been observed from the above that at the time of the accession of Ardašīr I the Zoroastrian 'Church' was in a state of the extremest disorganization. What writings it may have possessed—and it has been maintained that it possessed none[2]—are alleged to have been scattered throughout the provinces. That Tansar, the *hērbaδān-hērbaδ*[3] of Ardašīr, collected what material he could find and reduced it to some sort of canon we have no good reason to disbelieve. The discovery at Ka'beh i Zartušt of the great inscription of the high priest Kartīr whose career starts during

[1] The central of the seven mythical climes.

[2] v. F. Nau in RHR. xcv, pp. 149–99, and JA. 1927, pp. 150 ff. Nyberg, *Die Religionen des alten Iran*, pp. 13–14, suggests that the Avesta was preserved in only two or three copies and that it played little part in the religious life of the average Mazdean: cf. Christensen, *L'Iran sous les Sassanides*, pp. 509–12. Bailey (*Zoroastrian Problems*, p. 172) assigns the first writing down of the Avesta to the middle of the sixth century A.D.

[3] For a discussion of the titles *hērbaδ* and *mōbaδ* v. Wikander, *Feuerpriester in Kleinasien und Iran*, pp. 23 ff.

the reign of Ardašīr's successor, Šāpūr I, is scarcely sufficient, as Sprengling would have us believe,[1] to relegate Tansar entirely to the realm of romance. It is, of course, possible that Tansar was in fact identical with Kartīr, as Sprengling maintains, and the record preserved in the *Dēnkart* attributes to Tansar the exploits of Kartīr; for it is true that the accounts of Ardašīr's reign in the Pahlavī books are very much more legendary than historical. Legend, however, weaves itself round a core of historical fact; and were Tansar not remembered as a pioneer of the Zoroastrian revival in Sassanian times, it is difficult to see any reason why the pseudo-Tansar whose epistle appears to date from the reign of Xusrau I (A.D. 531–78)[2] should have thought it worth while to borrow his name. The personality of Tansar is indeed almost entirely lost to us, but his importance as the reviver of Zoroastrianism is remembered. The *Dēnkart* says of him: 'Neither shall unrighteous turmoil, nor unrighteous devil-worship, nor unrighteous calumny be eradicated from the provinces until men offer to accept him, the priest, the spiritual leader, the eloquent, truthful, blessed Tansar.'[3] The later evidence is all somewhat suspect. The author of the epistle represents him as a sage who retired from the world, while Masʿūdī[4] attributes Platonist ideas to him. All this, however, should be taken with a large pinch of salt, for the evidence is late and the source on which it is based, i.e. the Sassanian *χᵛatāynāmak* or 'Book of Kings', does not seem to have drawn on authentic records for the earlier Sassanian period.

The *Dēnkart* references to the reign and religious activities of Šāpūr I are of considerable interest; for he is said to have incorporated a variety of Greek and Indian works into the Avesta. The Persians, in this respect as in many others so very different from the Greeks, were never over-anxious to admit their indebtedness to foreign influences, though these have throughout their history been of overwhelming importance. It is, then, of great significance that we should find them here freely admitting the infiltration of scientific-religious matter both from West and East into their religious system. It is the more significant in that Šāpūr I is known to have dabbled in heterodoxy and more particularly in the newly founded religion of Mānī,[5] which was to prove so vicious a thorn in the side of Christianity and Zoroastrianism, and later of Islām itself. The overwhelming probability,

[1] AJSLL. lvii, 1940, pp. 214–15.

[2] v. Markwart, *Ērānšahr*, i, pp. 30 and 48; Christensen, *L'Empire des Sassanides*, pp. 111–12.

[3] DkM. 652. 10: *'nē-ič 'hač 'ān 'dēh 'ān i apārōn anāštīh frāč aβsiδīhēt 'ut 'nē 'ān i apārōn *dēvāsn 'ut 'nē 'ān i apārōn spazgīh 'tāk 'kaδ ō 'avē *'dahēnd patīrišn āsrōn i mēnōk sardār i purr-guftār rāst-guftār i ahrov Tansar.*

[4] *Murūǰ*, Barbier de Meynard, ii, p. 161.

[5] H. C. Puech, *Le Manichéisme*, p. 47 and notes 188 and 189 (p. 134), where the references to the original sources are given.

then, is that the *Dēnkart* account of the influx of foreign influences during this period is substantially true.

This seems now to be proved by the evidence of the great inscription of Kartīr recently discovered at Ka'beh i Zartušt. Most unfortunately the only edition of this vitally important source gives neither text nor transliteration, but only a dead-literal translation interspersed with odd words in the original.[1] From this, however, it emerges clearly that Kartīr, who describes himself as *ēhrpat* (*hērbaδ*) under Šāpūr I and *magupat* (*mōbaδ*) under his successors, persecuted Brahmans and Buddhists as well as Manichaeans. Thus the penetration of Indian as well as Greek ideas into Īrān at this time seems to be established beyond reasonable doubt: and the correctness of the information transmitted in our *Dēnkart* passage receives unexpected and welcome confirmation. The activities of this amazing man can conveniently be dealt with later in the chapter: for the present we must confine ourselves to the *Dēnkart* text.

According to this the 'orthodox' reaction set in under Šāpūr II. The protagonist of the reaction was one Āδurbāδ, son of Mahraspand, who looms large throughout the Pahlavī books. We do not know what the different 'sects, doctrines, and schools' mentioned in the text were, nor is it clear whether they refer to Zoroastrian sects only or to non-Iranian religions as well. In view of the second Šāpūr's savage persecution of the Christians which, in the light of Kartīr's inscription, can now be regarded as a prolongation and intensification of an already existing state of affairs, it may be concluded that the views of the non-Zoroastrians were not sought. Certain it is that the question was decided by ordeal,[2] that Āδurbāδ emerged victorious, that his doctrine was then accepted as orthodox, and that divergence from this new rule of faith was not tolerated.

For the years between Šāpūr II and Xusrau I the Pahlavī books give no information whatsoever. Their silence suggests that these years were distasteful to the post-Sassanian theologians to whose hand we owe the Pahlavī books in their present form. Xusrau's predecessor and father, Kavāδ, was certainly not dear to them. Like Šāpūr I he toyed with the newest religion then current, in this case that of the communist Mazdak. Under the circumstances the necessity for Xusrau's decree will be readily understood. It seems probable that the version preserved in the *Dēnkart* is, if not Xusrau's *ipsissima verba*,[3] at any rate very close to the actual

[1] M. Sprengling, 'Kartīr, Founder of Sasanian Zoroastrianism', AJSLL. lvii, 1940, pp. 197–228.

[2] The story of the ordeal of Āδurbāδ is told in DkM. 454. 3; 644. 19; ŠGV. 10. 70.

[3] But see Bartholomae, *Zur Kenntnis der mitteliranischen Mundarten*, iii, p. 10, who maintains that the use of the word *'im* 'this' proves that the author of the *Dēnkart* was transcribing an official document.

decree. The style has a breadth and dignity wholly unlike the jejune and pinched manner of the bulk of that book, and for the events of the reign of Xusrau the author must have had ample material at his disposal; for the historians dependent on the *χᵛatāynāmak* give very full accounts of this reign.

But, it may well be asked, in what way does the *Dēnkart* passage throw light on the so-called Zervanite religion? To this we must lamely reply that its value is largely negative. It gives no positive data concerning the prevalence of Zervanite ideas, but it does indicate with all desirable clarity those periods when 'pure' Mazdeanism was supreme. The *Dēnkart*—in essence much less tainted with Zervanism than the *Bundahišn* or Zātspram—regards the reigns of Šāpūr II and Xusrau I as the peak periods of the particular Mazdean brand of Zoroastrianism it represents. Both are characterized by an onslaught on heresy. For the post-Sassanian Pahlavī authors Āδurbāδ and Xusrau are the heroes of their faith; and it is no accident that both are fathered with collections of *handarzes* or wise sayings,[1] an honour accorded to few other figures under the Sassanian dominion. By submitting to the ordeal and emerging from it victorious, Āδurbāδ obtained the acceptance of his doctrine by Šāpūr II:[2] and that that doctrine was that adopted after the fall of the Sassanian Empire can scarcely be doubted. It is the dualist doctrine, the doctrine of the two primeval spirits, Ohrmazd and Ahriman, both without beginning, separate from and opposed to each other, the principles of good and evil, light and darkness—the 'pure' Mazdean doctrine as it will be convenient to call it. Zurvān, known to us as the father of Ohrmazd and Ahriman from a variety of sources, is either unknown to it or regarded as an hypostasis of Ohrmazd. It is basically the doctrine of the *Dēnkart*, which claims to have been handed down for five or six generations in the family of Āδurbāδ himself.[3] After a period of religious unrest and the probable resurgence of Zervanism,[4] Xusrau I

[1] Cf. PhlTexts, pp. 55–57 (Xusrau); ibid. 144–53 (Āδurbāδ); DkM. pp. 215–18 (Āδurbāδ); ibid. 218–19 (Xusrau); also ibid. 572. 17 ff.

[2] DkM. 454. 3: *'pat ⟨vi⟩tāχtak rōδ passāχtan i hufravart Āturpāt i Mahraspandān 'ut bōχtan 'i-š 'pat patkār handāčišn i hām Xᵛanīras patkārdārān 'andar χᵛatāyīh i 'avē bay Šāpuhr 'šāhān 'šāh ⟨i⟩ Ōhrmazdān.*—'Through the submission of Āδurbāδ, son of Mahraspand, of goodly Fravahr to the ordeal of molten brass and through his victory in argument the disputing parties of all Xᵛanīras were confounded during the reign of His Majesty, Šāpūr, King of Kings, son of Ohrmazd.'

[3] The author claims to have transcribed his text from a copy (DkM. 946. 12): *'kē 'andar dēnān dēn 'hast čēγōn hufravahrān hudēnān pēšōpāδān [i] 'hač dūtak i hufravart Āturpāt i Mahraspandān [i] 'hač 5 'ut 6 hanbātak 'apāč . . . dāšt.*—'Which is the religion of religions, even as the leaders of goodly Fravahr and good religion received it from the family of Hufravart Āδurbāδ, son of Mahraspand, for five or six generations.'

[4] *Infra*, pp. 39–48.

re-established this true Mazdean doctrine. In a collection of sayings attributed to him he advises the faithful to teach the religious word and worship of the gods 'in accordance with the teachings and practice of the disciples of Āδurbāδ, son of Mahraspand from the province of Makrān(?)'.[1] This, then, is the doctrine preserved for us in the *Dēnkart* and kindred Pahlavī books.

Now it may be supposed that the Zoroastrian Church, elevated as it was to the rank of State religion at the beginning of the Sassanian period, possessed a unified doctrine and a fixed dogma. This is, however, not the case. We do not know how many sects were admitted within the Church, nor how many existed outside it. We are, however, mainly concerned with one only, the Zervanite, that is the sect which believed Time to be the source of all things and to be the father of the principles of good and evil, of Ohrmazd and Ahriman.

The *Dēnkart*[2] distinguishes three forms of Iranian religion. The first is *yātūkīh* or 'sorcery', a sect which conceives of the Creator as purely maleficent; the second is *dušāmōč-*dēnīh*,[3] 'the religion of false doctrine', and this sect conceives of the Creator as both beneficent and maleficent; the third is the *dēn i māzdēsn*, 'the religion of the worshippers of Mazdāh or Ohrmazd', and regards the Creator as purely beneficent and exempt from all evil, inclining men to goodness and wisdom.

It is a remarkable fact that the doctrine of the 'sorcerers' of the Avesta and Pahlavī books agrees in many respects with that ascribed to the Magians by many Greek and Latin writers. Plutarch, in a famous passage from the *de Iside*,[4] writes that Zoroaster, the Magus, taught men to sacrifice to Oramazes (Ohrmazd) offerings of vows and thanksgiving, and to Areimanios (Ahriman) offerings of gloom to avert evil (*ἀποτρόπαια καὶ σκυθρωπά*). 'Pounding in a mortar a herb called *omomi*,[5] they invoke Hades[6] and the darkness; then mixing it with the blood of a slaughtered wolf, they carry it off to a sunless place and cast it away.' As Professor Benveniste justly remarks, 'the very idea of an offering to Ahriman is, in the eyes of a Mazdean, rank heresy'.[7] But does it follow that because the rite is not Mazdean, it must therefore be Zervanite, as Benveniste argues? Is it not surprising that Plutarch, if he is describing the Zervanite faith, should omit to mention Zurvān, and should give not the slightest hint that there

[1] Chapter II, p. 52, n. c.

[2] DkM., p. 153.

[3] The text reads *dušāmōč-sūtīh* (ibid. 153. 16).

[4] 369D–370D (text G 4).

[5] The nature of this herb is discussed by Benveniste, *The Persian Religion*, p. 74 and in JA. 1929, p. 290, where he seeks to prove it to be the *amomis*.

[6] The Greek translation of Ahriman. Cf. Hesychius, s.v. *Ἀρειμάνιος, ὁ Ἅιδης παρὰ Πέρσαις*; Diogenes Laertius, *Proem* 8, *Ἅιδης καὶ Ἀρειμάνιος*.

[7] *The Persian Religion*, p. 73.

was a deity superior to Ohrmazd and Ahriman? Both Christensen[1] and Nyberg[2] have rejected this hypothesis, and they have been followed by MM. Bidez and Cumont in their authoritative work on the hellenized Magians.[3] Since these sacrifices then do not seem to be Zervanite and can obviously not be Mazdean, we must seek a solution elsewhere.

In the Pahlavī books we are frequently confronted with certain people hostile to the Mazdean community called *dēvāsn* (MPT. *dyw'sn*, Henning, BSOS. ix, p. 82; Av. *daēvō-yasna-*) or 'devil-worshippers'. That such a class of persons existed outside the imagination of the Mazdean theologians is proved by the corroborative evidence of the Manichaean *X^vastuānift*, where we read, 'The second (sc. person who leads to the gates of hell) is he who thinks the devil is God and worships him', and again, 'If, thinking devils and spirits to be gods, we have sacrificed living creatures to them . . . my sin forgive'.[4] These devil-worshippers are identical with the 'sorcerers' of the *Dēnkart* who did not believe in rewards and punishments[5] and worshipped the demons.[6]

Just as the European sorcerers celebrated a black Mass, a blasphemous travesty of the central act of Catholic worship, so did the Iranian sorcerers have their own occult ceremonies which they performed in honour of Ahriman: in their case they based their perverted rite on the *Var-nīrang* or 'ceremony of the ordeal'. The *Dēnkart* describes the fundamental difference between the two.

The perverted, devilish, unrighteous rite of the 'mystery of the sorcerers'[7] consists in praising Ahriman, the destroyer, in prowling around in great secrecy, in keeping home, body, and clothes in a state of filthiness and stench, in smearing the body with dead matter and excrement, in causing discomfort to the gods and joy to the demons, in chanting services to the demons and calling on them by name as befits their activity, in the worship of the demons and false religion, in thinking in accordance with the Evil Mind, in false speech and unrighteous action—the disreputable sorcerers and villains—and in all else that befits the devilish and is far from the godly.[8]

Not only did they have their own characteristically revolting form of worship, but they also seem to have claimed some sort of revelation; for in a

[1] MO. xxv, pp. 29–34.

[2] CCM. 1931, p. 234.

[3] *Mages*, i, p. 65.

[4] von le Coq, JRAS. 1911, p. 290; Bang, *Muséon*, xxxvi, p. 155.

[5] DkM. 211. 21: *dušdānāk druvand Aχt 'pat afrahaχtīh i kirpak mizd 'ut abōžišnīh 'hač bazak puhr adāšt-srōšīh 'ut zat-dastaβarīh* [*i*] *drāyast*.—'Aχt, the accursed of evil knowledge, proclaimed disobedience and disregard of authority by not teaching that virtue is rewarded and that there is no escape from the punishment of sin.' Aχt is the arch-sorcerer: see note A, p. 30..

[6] See note A, p. 30.

[7] Probably the name of the ceremony in question.

[8] See note B, p. 30.

list of the demonic counterparts to the various divine beings we meet with the 'word of sorcery' whose adversary is the 'pure Word' or λόγος.[1] This latter is elsewhere explained as the 'word of Ohrmazd, that is the Avesta which, being interpreted, is the pure praise of God'.[2] It would therefore seem reasonably safe to conclude that the proscribed sect, too, had its traditional literature. The prime object of their worship was naturally Ahriman; for 'by the religion of the sorcerers (Ahriman) so inclines men to love him and to hate Ohrmazd that they abandon the religion of Ohrmazd and practise that of Ahriman'.[3] To the Mazdeans the essence of the religion of the sorcerers was 'evil knowledge' and its 'garment' (by which we may understand its outward manifestation) heresy, while the essence of their own was wisdom and its 'garment' goodness.[4]

By his knowledge of evil the sorcerer seeks, if he is a qualified magician, to subdue the Evil One to his will and to force him into his service, or if he is less competent, to appease him with sacrifice. The sorcerers of Īrān certainly did the latter, as we learn from the pleasing text entitled *Yavišt i Friyān*.[5] This opusculum may indeed be regarded as a little propaganda piece put out by Zoroastrian orthodoxy to demonstrate the dangers inherent in the worship of demons who rarely prove tractable in the long run. Their worship and that of their prince, Ahriman, is indeed so frequently alluded to and condemned in the Pahlavī books[6] that we must conclude that the practice was fairly widespread in Īrān during the Sassanian period. So far from propitiating the evil power, the Mazdeans pointed out, this cult rendered it the more virulent.[7]

That the cult was conducted at night and in great secrecy may be inferred from the epithet *nihānīktom duvārišnīh*, 'prowling around in great secrecy'.[8] The adepts of the forbidden rite would, then, seem not to have dared to profess their religion openly, but concealed their heresy by conforming to Mazdean orthodoxy, a stratagem that the Isma'īlīs were to repeat in Islamic days. Thus we read in the *Dēnkart*: 'Their power to propagate the religion

[1] GrBd. 47. 12: *srov i yātūkīh 'ō mānsar i apēčak.*

[2] Ibid. 177. 7: *mahraspand gōβišn i Ōhrmazd i 'hast i apastāk 'kē-š vičārišn apēčak stāyišn ⟨i⟩ yazat.*

[3] Ibid. 182. 2: *'pat yātūk-dēnīh 'martōm 'ō dōstīh ⟨i⟩ 'χᵛēš 'ut adōst⟨īh⟩ i Ōhrmazd and *hāčēt 'ku dēn i Ōhrmazd 'hilēnd 'ut 'ān i Ahriman varzēnd.*

[4] DkM. 355. 6: *'ēt dēn i Ōhrmazd χᵛatīh dānākīh 'ut-aš patmōčan 'vēhīh . . . dēn i Ahriman χᵛatīh dušākāsīh 'ut-aš patmōčan ahramōγīh.*—'This that the essence of the religion of Ohrmazd is wisdom and its garment goodness . . . and the essence of the religion of Ahriman is evil knowledge and its garment false religion.'

[5] v. p. 30, note A.

[6] Besides the passages cited above cf. ibid. 776. 21; 792. 18; 831. 15; 836. 18.

[7] Ibid. 831. 16: *Ahriman 'kaδ-aš yazēnd, 'vattar 'ut stahmaktar anākīh-kartārtar 'bavēt.*—'When they worship Ahriman, he becomes more wicked, violent, and maleficent.'

[8] v. p. 30, note B.

of Ahriman in the name of Ohrmazd is restricted, and they keep their heresy hidden.'[1] This brief remark is for us particularly instructive: it amounts to an admission that the sorcerers did not worship the powers of darkness exclusively, but also paid tribute to Ohrmazd. Their practices were in fact closely akin to those described by Plutarch, who was himself aware of two distinct views about Ahriman among the Magians.[2] Once in the Pahlavī books the sorcerers are allowed to speak for themselves. In the legendary life of Zoroaster they will not be converted to the new religion because, they say, 'there did we take counsel with the demons. When we crave of them lordship and leadership, they grant it us: when we crave richness in flocks and wealth, they grant it us.'[3] This, then, is the answer to the Mazdean propaganda. It is not true, the sorcerers maintain, that the demons let them down: on the contrary they provide them with affluence and power, and these are commodities which magic has always claimed to be able to provide.

Before leaving our Pahlavī sources reference may be made to one point of interest. It will be observed that the religion of the sorcerers is referred to not with the word *kēš* as in the case of the Jews, or *čāštak* as in the case of the Manichees, but with the word *dēn*, the term normally used only of the Zoroastrian Church itself. It is perhaps not too bold to see in this usage a survival of a once legitimate religion suppressed long ago, possibly by Xerxes,[4] but still in the Sassanian period carrying on a vigorous if underground activity. Even after the fall of the House of Sāsān we find a reminiscence of it in the name *Devdat*,[5] a son of Afšīn, the Arab governor of Āzarbaijān.

Before passing to the core of our problem we may perhaps be allowed to trace the destiny of the sorcerers or devil-worshippers in history. The earliest reference we have to this cult in the West of Īrān is in an inscription of Xerxes first published by Herzfeld in 1936[6] in which that monarch appears to boast of having destroyed a *daiva* temple (if this is really the meaning of *daivadāna-*) and proclaims: 'Thou shalt not worship the *daivas*.

[1] DkM. 893. 10: *'ut-šān tavān i 'apar Ahriman dēn 'pat Ōhrmazd-'nāmīh ravāk kartan 'bandīhēt, 'ut ahramōγīh nihān 'dārēnd.*

[2] *De latenter vivendo*, 1130A (Bidez–Cumont, *Mages*, ii, p. 73, n. 3): *τὸν δὲ τῆς ἐναντίας κύριον μοίρας, εἴτε θεός, εἴτε δαίμων ἐστίν, Ἅδην ὀνομάζουσιν.*

[3] DkM. 634. 14: *'ōδ 'ō 'dēvān ham-pursīt 'hēm: 'kaδ sāstārīh pēšōpāδīh 'hač 'avēšān žahēm, 'ān 'ō 'amāh 'dahēnd: 'kaδ pasōmandīh 'ut tavāngarīh 'hač 'avēšān žahēm, 'ān ō 'amāh 'dahēnd.*

[4] *Infra*, pp. 17, 20.

[5] Hübschmann, *Armenische Grammatik*, p. 37; cf. Nöldeke, ZII. ii, p. 318, *dēvdāδ*, son of *dēvdast*; Justi, *Iranisches Namenbuch*, s.v. *Dīwdāδ*.

[6] Herzfeld, *Archäologische Mitteilungen aus Iran*, Bd. viii, pp. 56–77. For bibliography see Kent, *Old Persian*, p. 112.

Where before the *daivas* were worshipped, there did I worship Ahura Mazdāh in accordance with the law (*arta-*) with the proper rite.'[1] Herzfeld and others have held that the inscription proves Xerxes to have been a Zoroastrian. Without wishing to revive this controversy, we will merely express a personal view that the evidence to date seems overwhelmingly in favour of Herzfeld's view if by Zoroastrian we understand one who combats the worship of the *daivas* as Zoroaster did and who exalts the 'law' (*arta-*) and condemns the 'lie' (*drauga-*)—an attitude which, one would have thought, was of the essence of the *Gāθās* and incidental only to the *Rig-Veda* with which we are so often invited to compare them. This view, we are happy to note, is that adopted by Professor Duchesne-Guillemin in his excellent monograph on Zoroaster (pp. 109–10).

Gladly leaving this controversial question we must now say a few words about the *daivas* themselves. *Daiva-* (Av. *daēva-*, Skt. *deva-*) is the Indo-Iranian designation for a certain class of deity: distinguished from them are the *ahuras* (Skt. *asuras*). The two classes of deity developed on very different lines in the sister civilizations of India and Īrān. In India the *devas* increased in importance and gradually ousted the *asuras*: in Īrān it was the *ahuras* who gained the day while the *daivas* were gradually reduced to the rank of demons. This being so, it would be surprising if *daiva-* in the Xerxes inscription referred to anything other than the dethroned deities. Herzfeld would include among these Mithra, Anāhitā, and all the gods who were excluded from the Gāθic pantheon: but in view of the fact that Mithra is himself constantly called *ahura* in the Avesta, this view can scarcely command acceptance.

Nyberg adopts a point of view diametrically opposed. For him the *daivadāna* is the temple of Marduk in Babylon. True, Xerxes' religious policy, unlike that of his predecessors, is known to have been intolerant. He sacked the temple of Marduk in Babylon, carried off its golden statue, and slew the high priest.[2] But this is not enough in itself to justify the use of *daiva-* for a foreign deity: neither Avestan nor Pahlavī usage justifies such an assumption. It seems much more probable that the *daivas* of the Xerxes inscription are what they always had been and continued to be, a group of (Indo-) Iranian deities which at some period were reduced to the rank of demons—Ahriman himself, though his original identity is still unclear,[3] Indra, Sarva, and the rest. This view is confirmed by the *Dēnkart*, where the worship of Indra (Indar) and Sarva (Sāvul) is forbidden along

[1] So following Henning (*Transac. Phil. Soc.* 1944, pp. 108 f.). Other views listed by Kent, op. cit., p. 201.

[2] Herodotus i. 183.

[3] Wikander (*Vayu I*, p. 207) argues with great plausibility that Vayu was the original of Ahriman.

with that of Ahriman.[1] It would, therefore, seem probable that Xerxes, in spite of the heterodox behaviour attributed to him by Herodotus,[2] was the first to suppress the cult of the *daivas*. But whether his successors were not strenuous enough in following the example he had set, or for some other reason unknown to us, the proscribed religion continued to thrive and was a cause of constant concern to the priesthood of Sassanian Īrān.

The fundamental difference between the *Μάγοι* and *Μαγουσαῖοι* known to the Greeks, on the one hand, and the Zoroastrian Magians in Persia, on the other, has continued to puzzle scholars for more than a century. About the origin of the Magians there is no agreement. For Moulton[3] they were an aboriginal tribe, neither Aryan nor Semitic, diviners, necromancers, and quacks: they were responsible for the *Vidēvdāt*, its superstitions and absurdities; they were solely responsible for the degeneration of the religion of Zoroaster; they introduced the exposure of corpses, next-of-kin marriage, and they worked out the mechanical and over-systematized dualism with which we are all too familiar in later Zoroastrianism. So Moulton.

For Messina the case was very different.[4] He regards the Magians as being the original disciples of Zoroaster. They were his missionaries and were the first to bring his doctrine to the West: they formed a colony in Media and propagated the Good Religion there. Messina further proves the falsehood of Moulton's contention that the Magians were from the earliest times known to the Greeks only as sorcerers. Among those who were in a position to know, they were respected and admired: for Plato *μαγεία* means the service of the gods;[5] and in this he is followed by Apuleius and Dio Chrysostom.[6] They are said by Strabo to lead a holy life.[7] Diogenes Laertius, on the authority of Sotion, says that they worship the gods with sacrifice and prayer and are alone heard; they reveal the nature, essence, and genesis of the gods, discourse concerning justice, and condemn graven images: he enumerates further many other beliefs which are elsewhere attested both in Iranian and Greek sources.[8] For further eulogistic accounts of the Magians the reader is referred to Messina[9] and to MM.

[1] DkM. 792. 18.

[2] It is, however, significant that the Greek writers on the Magians are said to have condemned Herodotus and to have denied that Xerxes shot arrows at the Sun or put the sea in bonds. v. Diogenes Laertius, *Proem* 9 (Bidez–Cumont, *Mages*, ii, p. 68). Duchesne (*Zoroastre*, p. 114) following Messina (*Ursprung der Magier*) impugns the reliability of Herodotus.

[3] *Early Zoroastrianism*, pp. 182 ff.

[4] *Ursprung der Magier*, passim.

[5] *1 Alcibiades* 122A; v. Bidez–Cumont, op. laud. ii, p. 22; Clemen, *Fontes*, p. 22.

[6] v. Bidez–Cumont, op. laud. ii, pp. 22, 28.

[7] Strabo xv. 3. 1; Clemen, *Fontes*, p. 33.

[8] Diogenes Laertius, *Proem* 6–9; Bidez–Cumont, op. laud. ii, pp. 67 ff.; Clemen, *Fontes*, p. 74.

[9] Op. cit., pp. 41 ff.

Bidez and Cumont's great work, *Les Mages Hellénisés*, ii, pp. 18 ff., where the distinction between μαγεία and γοητεία is emphasized. This does not, however, alter the fact that the average Greek, who had no specialized knowledge of Oriental religions, regarded the Magians as sorcerers and nothing more.[1]

Now we know that during the reign of Xerxes the Magians had already begun to emigrate from Īrān to the West. At the time of Xanthus the Lydian they had already established themselves in Lydia; temples of Anāhitā existed at Hypapa and Hierocaesarea, the foundation of the latter being attributed to Cyrus,[2] and Iranian colonists had named the Lydian plain the Hyrcanian plain.[3] They rapidly spread to Phrygia and Galatia, and a bas-relief discovered at Dascylium shows two Magians offering sacrifices according to the Mazdean rite.[4] By the time of Strabo they were firmly established in Cappadocia and Pontus.[5] Since they came principally from Mesopotamia, it is scarcely surprising that they should have been profoundly influenced by Babylonian thought.[6] In Babylon they came into contact with the Chaldean priests, from whom they learnt much, notably the science of astrology and a certain tendency to regard Time as the first principle. These ideas they carried with them in their western migrations. They rapidly became naturalized, and their idiom appears to have been Aramaic.[7] Whether they still preserved relations with their co-religionists in Īrān is not certain, though there is reason to believe that some, at any rate, of the Magian colonies abroad did so during the Sassanian period.

Now Cumont, whose knowledge of these matters was unique, maintained that 'it was the Zervanite system that the Mazdeans of Asia Minor taught the occidental followers of the Iranian religion':[8] but in many cases it was more than Zervanism; it was *yātūkīh*, 'sorcery', and *dēvāsnīh*, 'devil-worship'. The mysteries of Mithra with which we are now fairly well acquainted, thanks to the untiring researches of the above-mentioned scholar, are Zervanite in so far as they place Kronos-Zurvān at the head of the pantheon, but they are 'devil-worshipping' too in that they allow offerings to be made to Ahriman, the prince of devils.[9] That the latter could exist without the former is, we venture to think, proved by the account of Plutarch cited above. The practice of worshipping the demons

[1] Cf. Sophocles, *Oedipus Tyrannus* 387: μάγον τοιόνδε μηχανορράφον | δόλιον ἀγύρτην.

[2] Tacitus, *Annales* iii. 62, quoted by Cumont, MMM. i, p. 10, n. 6.

[3] v. Bidez–Cumont, op. laud. i, p. 5; Cumont, MMM. i, pp. 9–10.

[4] Reproduced in Cumont, *Les Religions orientales*, 4th ed., p. 135, Fig. 10.

[5] Cumont, MMM. i, p. 9, nn. 6, 7.

[6] Id. *Religions orientales*, 3rd ed., p. 229.

[7] Ibid., p. 228; *Mages*, i, p. 35.

[8] MMM. i, p. 78.

[9] For the inscriptions *deo Areimanio*, v. ibid. ii, pp. 98, 141.

is also referred to by Clement of Alexandria: 'the Magians', he says, 'worship angels and demons'.[1] This, as we have seen, is the practice not of the Mazdeans or Zervanites but of the 'devil-worshippers', the third Iranian sect mentioned in the *Dēnkart*. With these facts in mind it will, perhaps, be safe to conclude that Xerxes, in suppressing the *daiva* cult, caused a large-scale emigration of dissident Magians. These, after absorbing much of Babylonian speculation, transported their beliefs to Asia Minor; and from them arose the Graeco-Roman religion of Mithra.

We have seen that the Magians or 'Magusaei' of Asia Minor developed a religion which derived on the one hand from heretical Zoroastrianism and on the other from Babylon. From Babylon, in all probability, they derived the idea of Time, represented by the firmament, as the supreme god. This is the cardinal tenet of the belief we call Zervanism. Before the Sassanian period the evidence for the existence of Zervanism is scanty in the extreme. True, the name Zurvān may be deduced from tablets dating back to the twelfth century B.C.[2] in which the name *Za-ar-wa-an* bears a most striking resemblance to our deity; but this by no means entitles us to conclude that Zervanism, as we know it, existed at that time, though we must, I think, be prepared to admit the existence of a god Zurvān in very remote antiquity.

After this we have no further reference to Zurvān in a datable source until the fourth century B.C. The passage in question, the first account of Zervanite doctrine to be supplied by a non-Iranian source, is given by Eudemus of Rhodes, a pupil of Aristotle. The account, however, is only given at second hand by Damascius,[3] who, writing at the time of Xusrau I, may conceivably have been attributing to Eudemus beliefs which must still have been current in his time. Two other references are preserved before the Sassanian period, the inscription of Antiochus I of Commagene[4] and the 'Song of the Magians' retailed by Dio Chrysostom:[5] but both would appear to belong to the tradition of the Western Magusaei rather than to Īrān. Moreover, it is by no means certain that the inscription is Zervanite. It is only with the foundation of the Sassanian Empire that the doctrine connected with the name of Zurvān comes into its own.

[1] *Stromata* iii. 6. 48 *apud* Bidez–Cumont, *Mages*, i, p. 60, n. 6.

[2] In the Nuzi documents the following forms are found: *Za-ar-wa-an*, *It-ḫi-Za-ar-wa*, *Ar-Za-ar-wa*, and *Du-uk-ki-Za-ar-wa*. v. Widengren, *Hochgottglaube im alten Iran*, p. 310. Duchesne (op. laud., p. 96) does not consider that these forms necessarily refer to the Iranian deity.

[3] *Dubitationes et Solutiones*, 125 bis; Clemen, *Fontes*, p. 95 (text G 1). The authenticity of this passage has been disputed by Scheftelowitz, followed by von Wesendonk, *Das Wesen der Lehre des Zarathuštrōs*, p. 14.

[4] See note C, p. 31.

[5] Text and copious notes in Bidez–Cumont, *Mages*, ii, pp. 142 ff.

It is indeed an astonishing fact that only when the 'Mazda-worshipping religion'[1] became the religion of State do we come into contact with Zervanite doctrines. All our foreign sources for the latter, with the dubious exception of Eudemus, refer to the Zoroastrianism of the Sassanian Empire. The Armenian, Eznik of Kołb, in particular gives us details of the Zervanite mythology which are so utterly at variance with the true Mazdeanism of the Pahlavī books that we would be prepared to doubt his evidence were it not for the confirmation we receive from Manichaean sources.[2] When the Christian polemists attack the Magian religion, they attack not Mazdean dualism, but Zervanite polytheism. If it were only the Christian attacks that had to be considered, we might content ourselves with the inadequate theory that, since their accounts mostly derive from a common source, this source might well be pre-Sassanian and that they were attacking a religion which had long been obsolescent, just as St. Augustine, when he attacks Paganism, devotes his attention to the ancient gods and pays no heed to the living religions of Isis, Mithra, Cybele, and the rest.[3] But here we stumble upon further obstacles. The Manichaeans, adapting their system to the religious terminology of Īrān, selected not Ohrmazd as the representative of their supreme god but Zurvān. This is all the more astonishing in that the Manichaean Zurvān is essentially the god of light, the very Father of Light:[4] he is not the father of Ahriman as in the Zervanite myth, but stands in the same relation to him as does Ohrmazd in the orthodox Mazdean account: they are eternal enemies, of separate substance, good and evil, light and darkness, irreconcilably opposed. The parallel between the Manichaean Zurvān and Ahriman on the one hand and the Mazdean Ohrmazd and Ahriman on the other is exact. Yet the Manichaeans did not regard Ohrmazd as a suitable representative of their own 'Father of Greatness': they chose Zurvān although, from all we can deduce from the Zoroastrian and external sources alike, the Zoroastrian Zurvān was in no sense a god of light,[5] and Ohrmazd would seem ideally fitted for the role of Father of Light. Yet when he appears in the Manichaean system, it is not as the supreme god but as the πρῶτος ἄνθρωπος, the God-man, to use Reitzenstein's phrase, who, though wholly divine and consubstantial with the Father of Greatness, is nevertheless inferior to him, being sent to do battle with the powers of darkness and ignominiously defeated. In selecting Zurvān to represent the Father of Greatness the Manichaeans were evidently

[1] See note D, p. 31.

[2] *Infra*, pp. 148 ff.

[3] v. Cumont, *Les Religions orientales*, p. 315.

[4] Cf. Schaeder, *Studien zum antiken Synkretismus*, p. 277; Waldschmidt–Lentz, *Die Stellung Jesu im Manichäismus*, p. 48; id. *Manichäische Dogmatik*, p. 17.

[5] *Infra*, pp. 55 ff.

struck by that inaccessibility and aloofness from the cosmic conflict which was characteristic of their own supreme deity. This is, in fact, about the only point they have in common. The conclusion is, therefore, ineluctable: at the time of Mānī, who began his mission in A.D. 242 in the reign of Šāpūr I, Ohrmazd was not regarded as the supreme god: there was another higher than he, and that was Zurvān: Zervanism was the current form of Zoroastrianism at that time.

Now it may be argued that, since the theatre of Mānī's activities was Mesopotamia, Zervanite doctrines may be assumed to have been confined to that non-Iranian country. Again there is evidence to invalidate such an hypothesis. In the far north-eastern corner of the Iranian lands, in Soghdiana, large Buddhist colonies had come into being, and translations of Buddhist works had been made into Soghdian. These too do not use the word *Ōhrmazd* to translate Brahmā who is the highest of the gods, but *Azrua*, the Soghdian form of Zurvān: the word *Ōhrmazd* is used to translate Indra. Moreover, the Manichaean *X^{v}astuānift*[1] as well as a Manichaean Persian fragment[2] contain passages unmistakably directed against the Zervanite doctrine that Zurvān was the father of Ohrmazd and Ahriman. 'If', the *X^{v}astuānift* says, 'we should have said, the good and the bad, all has been created by God'; 'if we should have said, Ohrmazd and Ahriman are brothers . . . I repent.' If the Zervanites were an insignificant minority, there would have been no need for including this clause in the *X^{v}astuānift*. In this connexion it is of some interest to note that in Khotanese *Urmaysde* (= Ohrmazd) means 'the sun', thereby preserving what may have been an original naturalistic trait of his character, only occasionally to be met with in the Avesta.

From what has gone before we see that the evidence supplied by our sources contemporary with the Sassanian power overwhelmingly supports the theory that the predominant religion of the empire was Zervanite. This view was taken up by Professor Christensen,[3] who claimed that Zervanism was the normal form of Sassanian Zoroastrianism.

When we turn to the native Iranian sources, however, the picture is bewilderingly different. The inscriptions, even including the great Kartīr inscription from Ka'beh i Zartušt, do not enlighten us greatly. The kings and potentates whose exploits they celebrate are called 'worshippers of Mazdāh' (*māzdēsn*),[4] but it would not be legitimate to conclude from this that they regarded themselves for this reason as being specifically Mazdean

[1] von le Coq, JRAS. 1911, p. 282; Bang, *Muséon*, xxxvi, p. 147.

[2] v. our text F 3 (*b*).

[3] *L'Iran sous les Sassanides*, p. 144.

[4] v. Herzfeld, *Paikuli*, passim.

as opposed to Zervanite. The term is the conventional designation of Zoroastrians of all sects.[1] Both Kartīr and Narsē mention Ahriman and the demons[2] and the latter mentions 'the time of the *fraškart*',[3] that is the final renovation and rehabilitation of the world at the end of time.

Of greater importance is the inscription of Kartīr at Naqš i Rajab. This inscription is fairly complete, but there remain unsolved problems. The crucial passage for our purposes, however, is that in which the high priest exhorts the reader to remember 'that heaven exists and hell exists, and that whoso is virtuous will go to heaven, and whoso is vicious will be cast into hell: whoso is virtuous and walks according to . . . (?) . . . of virtue, will achieve a fair name and prosperity for his material body and blessedness for his material soul.'

This is important; for two doctrines are here specifically upheld: (i) the existence of heaven and hell, and (ii) the rewarding of virtue and the punishment of vice. The inference is, of course, that these truths needed emphasizing because they were questioned: and it is precisely on these questions that there seems to have existed a deep divergence of view between Mazdean and Zervanite. The *Šikand Gumānī Vazār* mentions a sect which it calls the Daharīs, well known in the Islamic period as being a materialist sect which held precisely the views attributed to them by the *Šikand*.[4] *Dahr* is, of course, simply the Arabic for 'time', but it is too early yet to say whether or not these *daharīs* are identical with the Zervanites.[5] Their views are, however, worth quoting since we shall return to them when we have accomplished our major task of piecing together the elements of Zervanism from the evidence of the Pahlavī books. 'They consider', says the *Šikand*, 'that this world with its manifold changes and dispositions of its members and organs, and the opposition of one to another, and the intermixture of the one with the other is derived from the principle of Infinite Time; and that, further, virtue remains unrewarded and sin unpunished, that heaven and hell do not exist, and there is no one who attends to virtue and sin; and further that phenomena are only material and that the spiritual does not exist.' If it is not this particular sect that Kartīr has in mind, it is plainly one so similar as to make no difference.

Again, the affirmation of the existence of rewards and punishments seems to be directed against a doctrine attributed to the Zervanites themselves by a Syriac writer,[6] according to whom those who are honoured on

[1] v. p. 31, note D.

[2] Herzfeld, op. cit., p. 95; Sprengling, AJSLL. lvii, p. 207.

[3] Herzfeld, op. cit., p. 117.

[4] ŠGV., Chapter VI; cf. BSOS. ix, pp. 878, 888.

[5] But cf. *infra*, p. 267.

[6] v. our text F 5 and pp. 257 ff.

earth will be honoured in heaven, and those who are wretched on earth will also be wretched in heaven.

That Kartīr's intention was indeed to uphold doctrines against a sect resembling the Daharīs of the *Šikand* who denied them is fully borne out by his great inscription at Ka'beh-i Zartušt. This reveals him as a religious zealot of quite uncommon ardour who is not likely to have graven the true doctrine on stone in a spirit of pious platitude. What he had inscribed at Naqš i Rajab was inscribed as a clear warning to heretics of the Daharī school, and who but the Zervanites could these possibly have been?

The great inscription shows that Kartīr flourished under Šāpūr I, Hormizd I, Bahrām I, II, and III. He tells us how he unleashed a religious persecution of great severity throughout the Persian Empire and how, in his proselytizing zeal, he carried the Magian religion to the non-Iranian provinces. The valiant deeds he proudly boasts of may be listed as follows:

(i) the affairs of Ohrmazd and the gods prospered; and the Mazdayasnian religion and the Magian hierarchy received great honour;
(ii) the gods, water, fire, and cattle were duly propitiated;
(iii) Ahriman and the demons were struck down(?) and their teaching was expelled from the empire;
(iv) Jews, Buddhists, Brahmans, two sorts of Christians,[1] Manichees(?),[2] and *Zandīks* were chastised;
(v) idols were destroyed and the dwellings of the demons undone(?);[3]
(vi) fires were established throughout the realm and the Magians prospered.

These events appear to belong to the reign of Bahrām III since Kartīr winds up the account of his exploits with a repetition of the title conferred on him by that king (viz. *bōχt-ruvān-varhrān*).

He next proceeds to tell how he established fires and Magian settlements in the non-Iranian lands. This represents a proselytizing campaign of great magnitude extending throughout Asia Minor and the Caucasus.

Turning from the missionary field this redoubtable old zealot brings us

[1] *N'ČL'Y* = *nāsərā* (Syr. *nasorāyē*, Gk. *Ναζωραῖος*) and *KLSTYD'N* (*kristiyān* = *χριστιανός*). The distinction between the two sects is not clear. For views involving Mandaeans, Marcionites, and orthodox Christians cf. Menasce, ŠGV., pp. 206 ff.

[2] The text has *MKTK-y*, tentatively emended by Sprengling to *MNYNK* 'Manichees'. Menasce transliterates as *mukta*, op. laud., p. 243. In conjunction with *Zandīk* he comments, 'C'est à dire, certainement, indiens et manichéens'. Without being able to offer any constructive suggestion of my own, I would suggest that *mukta* would be likely to appear as *MWKTK*. For *zandīk* which normally means 'Manichaean' *v. infra*, p. 267.

[3] Sprengling's translation is most obscure here. Deprived as we are of the original text, we can offer neither comment, criticism, nor suggestion.

back to the religious situation at home. This fascinating passage appears from Sprengling's curious literal translation to run approximately as follows:

Heretics and apostates(?)[1] who (were) within the Magian community (*MGWN*) were spared[2] for the Mazdayasnian religion and the Magian community but not for propaganda: I chastised and upbraided them and improved them.

After further reference to his untiring efforts at setting up fire shrines he goes on to say that many consanguineous marriages[3] were arranged, that many who had lapsed from the faith had been reconciled, and that he himself had converted many who had subscribed to the teaching of the demons and brought them over to the worship of the gods. The inscription ends with the same formula as that of Naqš i Rajab, to wit that the reader may enjoy a good name and prosperity in his body and blessedness for his soul.

The inscription, then, tells us a great deal, but leaves us again with many problems. It is abundantly clear that Kartīr unleashed a major persecution of Christian and Indian sects as well as of the Manichees. It is equally clear that he put down the 'devil-worshippers' and reconverted the amenable to Zoroastrian orthodoxy, though not permitting them to take part in propaganda for the faith: clear again that he followed up the conquest by the sword of non-Iranian lands by the propagation of the Zoroastrian faith in those lands: equally clear, too, that he destroyed idols.

What, however, do we learn of the Zoroastrian orthodoxy which Kartīr defended and propagated with such uncommon zeal? First it is plain that the Magians became all-powerful. The cult of fire, water, and cattle was strengthened and incestuous marriages were encouraged—and this is about all. Kartīr, in fact, is interested in reviving the characteristic aspects of Zoroastrian religious practice which were almost certainly common to Mazdeans and Zervanites: he does not appear to be interested in the formulation of doctrine. He depicts himself as an enthusiastic religious imperialist—putting down alien religions at home and seeking to establish the national cult in alien sections of the empire, yet bringing the Iranian 'devil-worshippers' and heretics back into his fold and expelling the obdurate.

[1] *'LSWMWK* and *GWMLČ'K*: the first word is the Phl. *ahramōγ*. This gratifying equivalence I owe to Professor Henning, who compares inscr. *PLSWBY* = Phl. *Pahlav* and *P'LSWMY* = *pahlom* (for inscr. *LS* = *hl*). *GWMLČ'K* can scarcely be connected with *gumārtan* as Sprengling suggests. We may either derive it from the root *marz-* 'wipe' or read *gum-aržāk* 'one whose worth is lost'. Although NP. *gum* does not appear to be attested in MP., the latter reading gives the better sense.

[2] *PḤLSTY* = *pahrist*. v. Henning, BSOAS. 1943, p. 62, n. 2.

[3] Chapter VI, pp. 151–2.

The evidence, then, supplied by the Ka'beh i Zartušt inscription does not tell us much about Kartīr's own religion: it only tells us what sort of man he was. This is enough; for it shows that what he wrote at Naqš i Rajab he wrote as a warning to any who should dare to deny the existence of heaven and hell, or rewards and punishments. The fact that Kartīr speaks of Ohrmazd and the gods and is silent as far as Zurvān is concerned is not important; for if the interpretation of Zervanism which we are to unfold in the following chapters is correct, Zurvān would scarcely figure prominently in an official inscription.

One matter, however, raised by the inscription remains exceedingly puzzling. Why do we know so little of Kartīr except what he tells us himself? In its account of doctrinal development during the Sassanian period the *Dēnkart* says absolutely nothing about this fiery pillar of the faith; nor do we hear of him from Christian or Moslem sources. Apart from himself only the unfortunate Manichees preserve his memory, and that as the inquisitor who did their master to death.[1] The Zoroastrians are mute.

Leaving this problem till our next chapter we may now turn our attention to the Pahlavī books. These, it is true, only date from the ninth century:[2] but their matter may be considered to go back to the reign of Xusrau I. Here again we are confronted with a religion that knows nothing of Zurvān either as a supreme god or as the father of Ohrmazd and Ahriman. Some passages in Zātspram and to a lesser extent in the *Bundahišn* indeed seem to presuppose such a doctrine, whereas parts of the *Mēnōk i χrat* and the *Dēnkart* reveal a state of religion which we may perhaps be permitted to call semi-Zervanite, an attempt to fuse the conflicting doctrines of the two schools. In a passage from the *Dēnkart* to which Darmesteter first drew attention,[3] the Zervanite doctrine of the brotherhood of Ohrmazd and Ahriman is attacked in terms recalling the Manichaean attack in the *Xᵛastuānift*.[4] The passage in question purports to be a translation of *Yasna* 30. 3[5] which does in fact speak of two primeval twins. The Mazdean translators—assuming that they understood the passage at all, which is doubtful—would naturally be distressed by the presence in so high an authority of their rivals' view. They accordingly supplied an ingenious mistranslation: taking the Avestan *ərəš* 'rightly' as the name of a demon *Ariš(k)* 'Envy', they proceeded to put the offending statement into the mouth of

[1] Polotsky, *Manichäische Homilien*, pp. 45 ff. Cf. also the *Psalm-Book* references quoted by Puech, *Le Manichéisme*, p. 137, n. 203.

[2] v. West, SBE. v, p. xlii.

[3] DkM. 829. 1 ff. (text F 3 (*a*)). Cf. Darmesteter, ZA. i, p. 221, n. 10; Blochet, RHR. xxxvii, p. 28; Schaeder, *Iranische Beiträge*, i, pp. 288 ff.

[4] v. text F 3 (*c*).

[5] For a treatment of this passage v. Nyberg, CCM. 1931, p. 113.

that demon.[1] The text is unfortunately a little obscure, but there can be no doubt that it is an attack on Zervanite doctrine. This brief passage is the only evidence we have that there was active hostility between Mazdeans and Zervanites, but that either should have consistently persecuted the other seems unlikely. They were probably represented in different schools; and both may have found a place within the Sassanian Church, one party dominating at one time and the other at another. The *Dēnkart*, however, takes cognizance of heresy and deplores it. Like the Zervanite *'Ulemā i Islām* it admits the existence of different trends within the Church. Relating the tradition that Žāmāsp wrote the Avesta following the words and writings of Zoroaster himself, it adds that the provincial governors (*dahyupatān*) and religious authorities (*dastaβarān*) made many copies of it, and some of them reached not only the instructed but also unscrupulous persons who vitiated (*vināsītārān*) and contaminated it with heresy and heterodoxy (*yut-vēnišnīh*).[2] Another passage in the same book seems to indicate that heresy had not been stamped out even at the time of the writer, though the exact translation is here again uncertain.[3]

The figure of Zurvān, however, does indeed seem to have been the principal subject of difference in the Zoroastrian Church: even in trivial matters connected with that doctrine there seems to have been a difference of opinion. For we learn from the *Bundahišn* and from Zātspram that Zurvān or Zamān (Time), as the *Bundahišn* calls him, decreed at the time of the original creation that Gayōmart, the first man, should live for thirty years after the onslaught of Ahriman:[4] but in the *Dēnkart* a heretic asks: 'There are two authentic traditions concerning Gayōmart, one that he lived thirty years during the Aggressor's attack, and one that the Aggressor came and that he died on the spot. That the two (accounts) are self-contradictory is obvious. Why do you accept and teach both?'[5] The sense of the answer

[1] See note E, p. 31.

[2] DkM. 437. 20: *dahyupatān 'ut dastaβarān hač-iš 'būt i vēš paččēn kart: 'ut 'pas-ič 'ō-ič ākāsān 'ut vināsītārān-ič hač-iš 'hast i mat. 'būt i yut-dātastānīh yut-vēnišnīh 'apar 'burt.*—'There were certain provincial governors and religious authorities who made more copies of it: some of these reached the instructed (sc. orthodox) but some (fell into the hands of) people who corrupted it. Some again added wrong principles and heterodoxy.'

[3] Ibid. 454. 11: *'nūn 'ān aδvēnak nikēžišn rāδ patkārtārān gumānīkīh i pat-iš guftan rās; 'aδak-ič apastāk frahist an-hambatīk ov-iš gōβišn nipēkān 'pat *dēnīk vičirkarīh ⟨i⟩ χrat 'i-š pat-iš yut-dātastān⟨īh⟩ 'nē 'bavišn.*—'Now controversialists have the means of expressing their doubts concerning that kind of doctrine; but the Avesta for the most part does not contradict its words and writings thanks to the religious discernment of Wisdom in which there can be no heresy.'

[4] *Infra*, p. 238.

[5] DkM. 20. 2: *gōβišn i 2 dastaβar 'apar Gayō(k)mart, ēvak 'ku 'andar aβigatīh 30 'sāl zīvast, 'ut ēvak 'ku mat aβigat, 'pat gyāk 'murt, 'ān i ēvak 'ō 'dit hanbasān paytāk; 'har 2 patiγraftan čāštan čim?*

supplied by the Mazdean apologist is not clear to us, and we therefore refrain from providing a translation. What does seem clear, however, is that he does not consider the two traditions to be either contradictory or mutually exclusive.

This lack of doctrinal unity among the Zoroastrians did not escape the notice of non-Iranians whether friendly or hostile.[1] Strabo remarks on it in the case of the Chaldaeans,[2] and the Christians were naturally not slow to make use of it. The account of Paulus Persa first quoted by Casartelli[3] is of importance if we can accept that scholar's view that the doctrines there mentioned refer only to Zoroastrian beliefs. Paulus wrote under Xusrau I, for whom he composed a digest of the Aristotelian dialectic in Syriac.[4] He was a Christian and, according to Christensen, probably identical with Paul, metropolitan of Nisibis under the Catholicos Joseph. He says:

> There are some who believe in only one God; others claim that he is not the only God: some teach that he possesses contrary qualities; others say that he does not possess them: some admit that he is omnipotent; others deny that he has power over everything. Some believe that the world and everything contained therein have been created; others think that all things are not created. And there are some who maintain that the world was created *ex nihilo*; according to others God drew it out from a ὕλη.[5]

The work in which the passage occurs was written for the King of Kings, and Casartelli concludes from that circumstance that Paul is faithfully enumerating the characteristic doctrines of the Iranian sects of the Sassanian period. This attractive hypothesis is not absolutely convincing since Xusrau, for all his interest in Greek philosophy, seems to have laid down the law in no uncertain manner where the doctrine of the State religion was concerned.[6]

However, whatever our view on the evidence of Paulus Persa, we have two other testimonies which can leave us in little doubt as to the fluidity of Zoroastrian dogma in Sassanian times. These are supplied by the Armenians Eznik of Kołb and Ełišē Vardapet. Eznik, like the nameless heretic of the *Dēnkart*, was struck by their inconsistency. 'Their foolishness', he says, 'is enough to refute them from their own words which are mutually exclusive and self-contradictory';[7] and again, repeating the oft-made charge that they had no books, he says: 'Since their laws are not in books, some-

[1] Cf. Bidez–Cumont, op. laud. i, p. 58.

[2] xvi. 1. 6.

[3] *The Philosophy of the Mazdayasnian Religion under the Sassanids*, p. 1.

[4] v. Christensen, *L'Iran sous les Sassanides*, p. 422.

[5] Casartelli, l.c.; Christensen, l.c.

[6] *Infra*, p. 48.

[7] Ed. Venice, 1926, bk. ii, § 2, p. 128; Langlois, ii, p. 375; Schmid, p. 94.

times they say one thing with which they deceive, and sometimes another with which they seduce, the ignorant.'[1] But he is not content merely to draw attention to their inconsistency; he tells us that they were divided into sects, that some admitted three principles—the good, the just, and the evil—some two, and some seven.[2] The followers of the three principles are clearly the Zervanites: the good is Ohrmazd, the evil Ahriman, and the just Zurvān. Equally obviously the followers of the two principles are the Mazdeans. The seven principles might be anything; for it is not possible to say whether the author is thinking of the seven Amahraspands, the seven planets, or something else. According to a Persian *Rivāyat* Zurvān himself is said to have seven faces and seven names,[3] but this is an isolated account and of late date.

Ełišē Vardapet, writing on the religious war that resulted from Yezdigird II's aggressive policy, has occasion to mention a certain high Magian priest who was put in charge of the captured Christians. As he was subsequently converted to Christianity and Ełišē claims to have witnessed certain of the events he describes,[4] it seems safe to assume that the account given by the historian is on the whole accurate. We shall have occasion to discuss Ełišē's value as an authority later. This priest 'was more familiar with the Zoroastrian laws than many learned men. In fact he was called *hamakden* (one who possesses all the religion) which was considered a great glory according to their erroneous doctrine. He knew the *ampartkʿaš* and had learnt the *bozpayit*: he was also a master of the *palhavik* and the *parskaden*: for these are the five schools (*keštkʿ*) which comprise all the laws of Magianism. Besides there is another sixth one called *petmog*.'[5] The significance of *ampartkʿaš*, *bozpayit*, and *petmog* is not certain, though both Benveniste and Christensen have put forward suggestions.[6] *Hamāk-dēn* is known also in the Pahlavī *Dātastān i dēnīk*.[7] *Palhavik* and *parskaden* are also clear: they are the Parthian and Persian religions. The inference seems fairly obvious: there must have been regional schools, a northern Parthian and a southern Persian;

[1] Venice, 1926, ii. 9, p. 156; Langlois, ii, p. 381; Schmid, pp. 111–12.

[2] Venice, i. 28, p. 122; Schmid, p. 87.

[3] v. text Z 36.

[4] Ed. Yohannisean, p. 20; Langlois, ii, p. 187. He claims to have been present at, seen, and heard one of Yezdigird's pronouncements.

[5] Yohannisean, p. 131; Langlois, ii, p. 230.

[6] For *ampartkʿaš* Benveniste (*Handes Amsorya*, 1927, p. 763) suggested 'traité de pénalités' < **hamparta-(t)kaiša-*. Christensen, *L'Iran sous les Sassanides*, p. 117, suggested 'collection complète de doctrines relatives à la foi'. For *bozpayit* he suggested Phl. **bazpatit* 'confession des péchés commis'. For *petmog* he followed Langlois and translated 'doctrine (spéciale) des mōbadhs'; for this one would expect *mogpet*.

[7] Copenhagen facsimile, fol. 192 verso, l. 4: *mayōk-'mart hamāk-dēn*. The word is frequent in the latter half of the Dd. Cf. MPT. *h'm'gdyn* and Turkish *qamay nom* (von le Coq, *Türkische Manichäica aus Chotscho*, iii, p. 15).

and their doctrines must presumably have differed. For lack of evidence we cannot say whether either of them was Zervanite, but the following fact seems significant.

The Turfān Manichaean texts are written in two distinct dialects, Persian and Parthian. In the Persian texts the supreme deity is called Zurvān, but in the Parthian he is *baγ* 'God'. It would, therefore, seem fair to conclude that Zervanism was dominant in south-western Īrān at any rate at the time of Mānī, but that this was not so in the north. The proximity of Persis to Babylon makes this supposition the more likely, though in the present state of our data we will refrain from pressing this point.

NOTES TO CHAPTER I

A. DkM. 212. 5: *tam-aχᵛ yātūk druvand Aχt 'pat yazdān dušmanīh 'dēvān dōšāramīh yazdān yazišn 'aβgandan 'vas aδvēnak 'dēv-yāzakīh kartan drāyast.*—'Aχt, the accursed sorcerer of dark nature, by setting himself against the gods and by currying favour with the demons, bade (men) abandon the worship of the gods and in divers ways to perform worship to the demons.' This Aχt figures here as the antagonist of Zoroaster. For each precept of the latter he proclaims another diametrically opposed. In the Avesta he appears as *Aχtya-* (Yt. 5. 82), where he asks ninety-nine riddles of Yōišta of the Fryānas. Yōišta prays to the goddess Anāhitā that he may answer them, and his request is granted. The story is fully told in the little Pahlavī text *Yavišt i Friyān.* Aχt comes with an army of seven myriads to the city of the Solvers of Riddles and threatens to destroy it unless his riddles are answered. Yavišt (Yōišta) is chosen for the task and is successful. He then asks Aχt three riddles: at a loss Aχt rushes off into hell and craves the assistance of Ahriman, who denies him. He then returns and is slain by Yavišt. The Mazdeans were probably as arbitrary in representing Aχt as the founder of the *yātūkān* as they were in ascribing the origin of the Jews to another of their legendary figures, Dahāk. Cf. DkM. 253. 15 ff. and 257. 6 ff., where Dahāk is said to have composed the Pentateuch (*'wlyt'* = Syriac *Urāithā*) and to have built the city of Jerusalem. v. also ibid. 298. 12 and 299. 15.

B. DkM. 182. 6 ff.: *apāč-vaštak 'dēvīk apārōn nīrang yātūkīh *vitīmāsīh*[1] *⟨'pat⟩ stāyastārīh ⟨i⟩ marnjēnītār Ahriman, nihānīktom duvārišnīh 'ut rīmanīh 'ut gandakīh i gyāk 'ut tan 'ut vistarag 'ut 'pat tan 'burtan i nasāy 'ut hiχr, hangēnītan*[2] *i yazdān bēš, 'dēvān *rāmišn, 'dēv-yazakīk drāyastan 'ut 'χᵛāndan i 'dēvān 'pat 'nām i 'andar*

[1] *vitīmāsīh*: cf. Phl. Psalter *wtym'skyh* translating Syriac *tdmrt'* 'wonder'. Used in BkPhl. as 'wonderful' in a bad sense. Thus DkM. 181. 21 the demoniac *vitīmās* is opposed to the godly *aβdīh*: but ibid. 425. 21 the words are used in conjunction with no moral distinction. Ibid. 436. 2, *vitīmāsīk varč-kārīh i frāč 'hač Yamšēt . . . paytākīhast*, here in a good sense. Cf. also ibid. 459. 10 and ZXA. 252. 8 where Pāz. (Pāz-Texts, p. 266) has *dīmaspə*. See further Bailey, *Zoroastrian Problems*, p. 214.

[2] *hangēnītan*: reading uncertain. Found also DkM. 391. 7. Denominative to *hang*?

*kārīh ⟨i⟩ 'avēšān [i] 'pat dēvāsnīh 'ut aγ-dēnīh 'ut akōman-mēnišnīh, 'drōγ-drāyastārīh 'ut apārōn-varzītārīh, duš-srov yātūk mar [nasāy], ⟨'ut⟩ apārīk i passačak 'ō 'dēvīk 'ut 'dūr 'hač *yazdīk.*

C. Text G 6. The accompanying figures of Zeus–Oromasdes, Apollon–Mithras–Helios–Hermes, Artagnes–Heracles–Ares plus the figure of 'my country Commagene which nourishes all' are thought by Schaeder to represent four facets of the infinite Zurvān (*Urform und Fortbildungen des manichäischen Systems*, p. 138). So also Nyberg, CCM. 1931, p. 126. It should, however, be emphasized that apart from the mention of χρόνος ἄπειρος in the inscription itself there is no justification for finding the four-fold Zurvān here. The representation of the four deities on the rock together with the lack of it in the case of Zurvān argues rather against such an interpretation.

D. The two terms *mazdezn* (mazda-worshipping) and *mog* (Magian) are used indifferently by the Armenian historians; cf. P'awstos of Byzantium, ed. Venice, 1914, p. 183, where the terms are equated. The Zervanite decree, attributed to Mihr-Narsē but almost certainly compiled by Ełišē from other sources, starts with the words, 'Know that whoso dwells beneath heaven and does not keep the laws of the Mazdean religion (*deni mazdezn*) is deaf and blind and deceived by the demons of Ahriman.' Ełišē, ed. Yohannisean, p. 27; Langlois, ii, p. 190.

E. Ariš plays no very important part in Zoroastrian demonology. He is, however, referred to as the most lying of the demons (*družtom*). He promised Zoroaster that if he worshipped him he would be king among men, exercising his will over the two worlds, and that he would be immortal. DkM. 832. 12–17: *pursīt-aš 'hač 'avē Zartuχšt 'ku Ariš-am družtom, 'čē 'man 'pat 'ān pātdahišn 'hast 'hakar 'šmāk 'pat gōβišn yazam? 'ut-aš 'ō 'avē guft Ariš, 'dēvān družtom, 'ku 'tō pātuχšāy 'bavēh 'andar martōmān 'pat kāmak-dahišnīh 'andar aχᵛān; čēγōn-at 'χᵛat apāyēt, ahōš 'bavēh.*— 'Zoroaster asked him (saying), "O Ariš, worst Lie to me, what reward shall I obtain if I worship thee in speech?" And Ariš, the worst Lie among the demons, said to him, "Thou shalt be king among men, exercising thy will in the worlds, and thou shalt be immortal even as is thy desire."'

APPENDIX TO CHAPTER I

From the *Dēnkart*, Madan, pp. 412. 3–415. 3. The translation appears in the body of the chapter, pp. 7–9. A transliteration of part of this passage (DkM. 411. 15–413. 13) has appeared in Bailey, *Zoroastrian Problems*, pp. 218–19.

*Dārāy i Dārāyān hamāk apastāk 'ut zand čēγōn Zartuχšt 'hač Ōhrmazd patiγraft, *nipištan 2 paččēn, ēvak 'pat ganǰ i ša⟨sa⟩pīkān,*[a] *ēvak 'pat dižʼ i nipišt dāštan framūt.*

Valaχš i Ašakānān apastāk 'ut zand čēγōn apēčakīhā 'andar 'āmat 'ēstāt, hamōk-ič i hač-iš 'har 'čē 'hač vizand 'ut āšuft-kārīh i Alaksandar 'ut ēvār 'ut rōp[b] *i Hrōmāyān 'andar Ērān šaθr pargandakīhā 'apar nipištak *'ut 'čē uzvān-aβspārišnīk 'pat dastaβar 'mānd 'ēstāt 'andar šaθr čēγōn frāč mat 'ēstāt, nikās dāštan, 'ō šaθrīhā [i] aβyātkār kartan framūt.*

[a, b] *For notes see p. 33.*

'avē baγ Artaχšaθr 'šāhān 'šāh i Pāpakān 'pat rāst-dastaβarīh ⟨i⟩ Tansar 'ān-ič hamōk i pargandak hamāk 'ō 'dar 'χ^{v}āst. Tansar 'apar mat, 'ān i ēvak frāč patiγraft 'ut apārīk 'hač dastaβar 'hišt: 'ut 'ēn-ič framān 'dāt 'ku frāč 'ō 'amāh 'har nikēžišn 'ān-ē 'bavēt 'hač dēn māzdēsn, 'čē 'nūn-ič ākāsīh 'ut dānišn hač-iš frōt 'nēst.

Šāpuhr i 'šāhān 'šāh i Artaχšaθrān nipēkīhā-ič i 'hač dēn 'bē 'apar bižiškīh 'ut star-gōβišnīh 'ut čandišn 'ut zamān 'ut gyāk 'ut gōhr, dahišn, 'bavišn, vināsišn 'ut yatak-vihērīh[c] 'ut gavākīh[d] 'ut apārīk kērōkīh 'ut aβzār 'andar Hindōkān 'ut Hrōm apārīk-ič zamīkīhā pargandak 'būt, 'apāč 'ō ham 'āβurt 'ut 'apāk apastāk 'apāč handāχt 'ut 'har 'ān i druvist paččēn'ō ['ō] ganǰ i ša⟨sa⟩pīkān 'dātan framūt, 'ut ēstēnītan i hamāk argastān[e] 'apar dēn māzdēsn 'ō uskār 'kart.

*Šāpuhr 'šāhān 'šāh i Ōhrmazdān hamāk kišvarīkān 'pat patkārišn apē-vihānak[f] kartan, hamāk gōβišn 'ō uskār 'ut vičōδišn 'āβurt. 'pas 'hač bōχtan i Āturpāt 'pat gōβišn i passāχt, 'apāk hamāk 'avēšān yut-sarəδakān 'ut nivēk(?)[g]-ōšmurtān-ič 'ut [i] yut-ristakān, 'ēn-ič guft 'ku 'nūn 'kaδ-mān dēn 'pat gētēh 'bē 'dīt, 'kas-ič aγ-dēnīh 'bē 'nē *'hilēm, vēš 'apar tuχšāk tuχšēm, 'ut ham-gōnak kart.*

*'im baγ Xusrau 'šāhān 'šāh ⟨i⟩ Kavātān čēγōn-aš ahramōγīh 'ut sāstārīh spurr-hamēstārīhā vānīt, 'pat paytākīh 'hač dēn 'andar 'har ahramōγīh, 4 pēšak ākāsīh 'ut uskārišn i dōkānīk 'vasīhā 'bē aβzūt, 'ēn-ič 'pat dēhān-'hanǰamanīh[h] guft 'ku rāstīh i dēn māzdēsn 'bē 'dānast: ōšyārān 'pat uskārišn ōstīkīhā tavān *'bē 'pat gētēh ēst-⟨ēnī⟩t; 'ut apartar aβzōnīk 'ut pēš-rat 'būtan mātiyān 'nē 'pat uskār, 'bē 'pat apēčakīh ⟨i⟩ mēnišn 'ut gōβišn 'ut kunišn 'ut 'vēh-mēnōk vāzišnīh, mānsrīk apēčakīhā ēzišnīh i yazdān šāyēt. 'ut-mān Ōhrmazd maγupat 'ān ['ān] ⟨i⟩ 'χ^{v}ānd, 'χ^{v}ānēm, 'kē ⟨'pat⟩ mēnōk-vēnišnīh 'andar 'amāh paytākīhast. 'ut-mān frāχ^{v}-⟨vi⟩čārīh mēnōk-vēnišnīh⟨ā⟩ gētēh-handāčak-nimāyišnīhā-ič 'har 2 aδvēnak spurrīk hač-išān 'χ^{v}āst 'ut 'χ^{v}āδēm 'apāk-ič 'ān i [āpīh] āzātīh-kartārīh[i] i yazdān. vāspuhrakānīh[ā] 'apar Ērān rāδ, Ērān šaθr 'pat hamōk i 'hač dēn māzdēsn frāč 'raft i pēšēnīkān hangat-dānākīh āmēčišnīh i 'ō-ič hām χ^{v}anīras. 'ān i ākāsān 'pat yuttarīh patkār 'nēst. ōγōn 'vasīhā apastāk-aδvāčīk 'pat apēčak gōβišnīh, nipēk-pērāδišnīk 'hač mātiyān-aβyāt-kārīh, 'ut pātram-ič aδvēnak āvāčīk 'andar gōβišn-ākāsēnišn dāšt 'ēstēt, 'pas-ič hamāk χānīk(χą) dānākīh i dēn māzdēsn. 'ēt-ič rāδ 'i-mān šnāχt 'ēstēt 'ku 'kaδ hamāk *varōmand[j] uskārišnīh i bēkānak 'hač dēn māzdēsn ⟨'hač⟩ gēhān 'ō 'ēt gyāk 'rasēnd, 'pat nōk ā'vēčišnīh(?) 'ut uskārišnīh bēkānak 'hač dēn māzdēsn and dānišn ayāftan 'ut paytākēnītan 'ō sūt 'ut nihātkārīh i gētēhān 'āβurtan 'nē šāyēnd čand 'andar ōšmurišn [i] rat-ē 'pat vēš vičōδišnīh 'ut vēš *uskārišn ⟨ba⟩vāt. apartom χ^{v}āδišnīhā framāyēm 'hamist maγōk-*'martān i vēnāk ⟨'ut⟩ ērtar 'ut huχēmtar 'ut 'vēh nōk nōk asūtakīhā[k] apastāk 'ut zand uskārtan 'ut ayāpišn i hač-iš 'ō dānākīh ⟨i⟩ gēhānīkān aržānīkīhā aβzūtan. 'avēšān 'kē*'ō gētēhān* šnāχtan i dātār 'ut aβdīh⟨i⟩mēnōkān 'ut čēγōnīh i dahišn 'hač dātār fratom ayāftan 'nē šāyastan ayāp hamāk ayāftan šāyastan guft, 'pat ['pat] kam-dānišn varanīk; 'avēšān 'kē ⟨'pat⟩ paytākīh i 'hač dēn *'hastīh 'ut 'pat-ič hangōšītak *'hastīh šnāχtan šāyastan guft, 'pat uskārkar; 'ut 'ān 'kē rōšn nimūt 'pat dānāk[īh] dēnākās[īh] dāšt. 'ut 'hač 'ān čēγōn 'har dānākīh bun dēn hamō⟨k⟩ 'pat nērōk i mēnōkīk 'ut ham 'pat paytāk[īh]ēnītārīh ⟨i⟩ gētēhīk, 'ān [i] 'kas dānākīhā guft 'kaδ-ič-aš 'hač katām apastāk paytākīh hamist 'nē dāšt, 'aδak-ič 'pat paytākīh i 'hač dēn hangārt 'kē χ^{v}ēškārīh 'pat hamōk frāč 'ō *gēhān-zātakān 'burt.*

[c–k] *For notes see pp.* 33–34.

NOTES TO APPENDIX

[a] So following Bailey, *Zoroastrian Problems*, p. 230.

[b] *ēvār*: <*abi*+*par-*: cf. *appurtan*, *appār*, Arm. *awar*. For *rōp* cf. NP. *ruftan*, &c. *ēvār* also occurs Zn. (Messina) 16. 30. This interpretation was suggested by Professor Bailey.

[c] The meaning of *vihēr-* is certainly 'move' as is proved by DkM. 136. 21, *anōst 'ut vihērišnīk* 'unstable and moving'. So *rasišn i vihērišn* (ibid. 256. 4) seems to correspond to *'rasišn* ⟨*i*⟩ *hām gēhān ravākīh* (ibid. 257. 4) with the consequent equation of *vihērišn* = *ravākīh*. Connected therefore are MPT. *'whyr-* 'aufsteigen' (Henning, *Ein manichäisches Bet- und Beichtbuch*, s.v.), Soghd. *γr-* (Manichaean *χr-*), Av. *har-*, Skt. *sṛ-*, &c.

The first member of our compound, however, presents a more difficult problem. The word, written *YTK*, should be the equivalent of MPT. *ǰdg* 'Ruhm' (Henning, ibid. s.v.), but 'Ruhm' is clearly unsuitable here. In our passage we are obviously dealing with theories ultimately deriving from Aristotle. Thus if *bavišn* corresponds to *γένεσις* and *vināsišn* to *φθορά*, we would expect *yatak-vihērīh* to correspond to *ἀλλοίωσις* 'alteration', defined by Aristotle as 'qualitative change' (*κίνησις κατὰ τὸ ποιόν*, *De caelo* 270[a]27; cf. *De generatione* 319[b]10, where it is described as change 'in the affections or properties', *ἐν τοῖς ἑαυτοῦ πάθεσιν*; cf. *Met.* 1022[b]15), particularly if Bailey is right in interpreting *gavākīh* as 'growth' (v. next note), that is quantitive change. Our word is, however, clearly defined in DkM. 352.5, where we have: *yatak-vihērīh 'hast *patvandišn i gētēh 'ō ham, vihērišn i 'hač dēs aδvēnak 'ō aδvēnak* ⟨*i*⟩ *karp*.—'*yatak-vihērīh* is the joining together of matter, change from the mode of form to the mode of shape (or body).' Various illustrations of the process are then given, e.g. (i) the formation of the minerals from earth, (ii) the growth of plants from earth and water, and (iii) of fruit from the root of the plant. In the case of artefacts (iv), the production of a bracelet, ear-ring, or ring from gold by the goldsmith is cited; and finally (v) the production of milk, blood, flesh, tendons, and hair from food and drink is instanced.

Now this passage seems to be of Aristotelian provenance; and in *Physics* i. 7 the problem of change is treated very much along these lines. The most relevant passage runs as follows (190[b]5): *γίγνεται δὲ τὰ γιγνόμενα ἁπλῶς, τὰ μὲν μετασχηματίσει, οἷον ἀνδριάς, τὰ δὲ προσθέσει, οἷον τὰ αὐξανόμενα, τὰ δ' ἀφαιρέσει, οἷον ἐκ τοῦ λίθου ὁ Ἑρμῆς, τὰ δὲ συνθέσει, οἷον οἰκία, τὰ δ' ἀλλοιώσει, οἷον τὰ τρεπόμενα κατὰ τὴν ὕλην*.

Here five varieties of change are distinguished: (*a*) change of shape or form, (*b*) by addition = growth, (*c*) by subtraction, (*d*) by composition, and (*e*) qualitative change. In the examples cited in our Pahlavī text (i) and (iv) are clearly a change of shape, (ii) and (iii) are by addition, viz. growth, and (v) might either be classed as change in form or as *ἀλλοίωσις* at least as defined in the passage from the *Physics* quoted above (cf. Ross's note ad loc.). In addition we have the definition of *yatak-vihērīh* as *patvandišn 'ō ham* which clearly corresponds to *σύνθεσις*. We cannot simply identify *yatak-vihērīh* with *μετασχηματισις* as Bailey did, for it includes all the varieties of change except *γένεσις* and *φθορά* (which are not strictly *κίνησις* at all) and locomotion. It must then include not only *μετασχηματισις* but also growth and diminution and qualitative change. It is, therefore, change in what is properly predicated of a substance, for in all the examples cited the substrate remains the same. Further, the second part of the Pahlavī definition states that *yatak-vihērīh* means the passage from one *aδvēnak* to another, a change of *εἶδος*, it would seem. *yatak*, therefore, includes *εἶδος*, *σχῆμα*, *ποιότης*, and *ποσότης*: it is therefore

probably a translation of Greek *πάθος*, in which case the whole phrase is probably a translation of *ἀλλοίωσις* used in a very loose sense.

If, as Bailey proposes (*Zoroastrian Problems*, p. 82), the word is connected with Old Iranian *yam-*, the basic meaning of *yatak* would be 'a thing retained, property'. The development 'property' > 'fame' would then be parallel to the semantic development of *χᵛarr* 'good things' > 'glory'.

[d] *gavākīh*: 'growth', so following Bailey, op. cit., p. 83.

[e] *argastān*: to *arg* 'trouble', 'righteous effort'. I cannot, however, cite any other occurrence of the word. For a similar use of the suffix *-stān* one may cite *dātastān*, *nīrangastān*, &c.

[f] *patkārišn apē-vihānak*: *patkārišn-vāzān āhōk*, Bailey. I do not understand what this means. Wikander, *Feuerpriester in Kleinasien und Iran*, p. 114, apparently reads *apē-vihānak* as *āpān-χānak* and takes this to mean that Šāpūr II erected a temple to Anāhitā. This seems to be yet another case in which a Pahlavī word has been transliterated and translated arbitrarily and without regard to context in order to lend support to a subjective historical theory. Wikander's 'house of waters', then, would seem to have no basis in fact.

[g] *nivēk*: *nask* Bailey.

[h] *'hanǰamanīh*: v. FrPhl., ch. xii. Bailey reads *yazdān-χratīh* for *dēhān-'hanǰamanīh* without indicating that he is emending the second word. Our reading seems to give a slightly better sense.

[i] For *āzātīh kartan* in the sense of 'to thank' v. Henning, GGA. 1935, p. 10.

[j] **varōmand*: text has *vīrōmand*, but the emendation is necessary if a satisfactory sense is to be obtained. The meaning is certainly 'doubtful'; cf. PhlVd. 5. 32; 3. 14; DkM. 704. 20; 723. 17; 861. 20. In all these passages it is opposed to *ēvar* 'certain'.

[k] *asūtak*: *a*+*sūtak* (NP. *sūdeh*). With and without the privative the word is very common in Dk.

CHAPTER II

ZERVANISM AND MAZDEANISM IN THE SASSANIAN PERIOD

It should be abundantly clear from our investigations in the last chapter that different trends of thought were active within the Zoroastrian Church under the Sassanians. Of these we have been able to distinguish the Mazdean proper, the theory of the two principles mentioned by Eznik; the Zervanite or the theory of three principles; and the *yātūkān*, sorcerers or devil-worshippers, a sect that rendered homage to Ahriman as well as Ohrmazd and which had affinities with the Magusaeans of Asia Minor and the Mithraists of the Roman Empire. These last are so violently attacked in the Pahlavī literature and the great Kartīr inscription that it is reasonable to suppose that they were excluded from communion with the Iranian Church.

The question now arises, Was Zervanism or Mazdeanism the dominant doctrine during the Sassanian period? Did the two views alternately predominate and, if so, to what periods is the ascendancy of each to be assigned? Christensen cut the Gordian knot by declaring that Zervanism was the normal form of Sassanian Zoroastrianism,[1] but Bidez and Cumont rightly regarded this theory as too bold.[2] The lines along which an investigation of this question should be conducted have, however, already been traced by O. G. von Wesendonk, who has tried to show that the two forms of Zoroastrianism alternated and has attempted to sketch the stages through which each passed.[3] The present author is convinced that his method is right, and he will therefore follow in the path he has already traced.

Of the founder of the dynasty, Ardašīr I, we know that he made serious efforts to establish the religion of Zoroaster as the religion of State. He appears to have entrusted the formation of a religious canon to the high priest (*hērbaδān-hērbaδ*),[4] Tansar. Our accounts of Ardašīr, both Pahlavī

[1] *L'Iran sous les Sassanides*, p. 144.

[2] *Mages*, i, p. 63, n. 3.

[3] *Das Wesen der Lehre Zarthuštrōs*, pp. 19–20.

[4] In the Zoroastrian Church this office was inferior only to that of *mōbaδān-mōbaδ*. v. Christensen, op. laud., pp. 114, 131, 513 ff., and id., *L'Empire des Sassanides*, pp. 35–36; Wikander, *Feuerpriester in Kleinasien und Iran*, chap. ii. W. advances the thesis that the *hērbaδs* originated in the north-west and were the priests of Vayu and Anāhitā. Not having had time thoroughly to analyse W.'s data, the present author can only reserve his judgement.

and Arabic, are more legendary than historical. As the founder of the second Persian Empire he became the model of princely wisdom: he is the reputed author of many 'wise sayings', one of which condemns the solitary life.[1] This is flatly contradicted by a tradition that he himself retired from the world at the end of his life, taking refuge in the profoundest pessimism.[2] The Erastian doctrine of the inseparability of religion and kingship, Church and State, is also said to have originated with him[3]—a doctrine which later was to become a commonplace of Sassanian theology. Tansar himself is reputed to have been an ascetic and connected with the Platonist sect.[4] What Ma'ūdī's authority for this curious statement is we do not know; but it is probably a late invention of Muhammadan times. Ṭabarī knows nothing of it.

The little Pahlavī text, the *Kārnāmak i Artaχsaθr i Pāpakān*, is also quite legendary in character. Ardašīr is naturally represented as a good Mazdean, as offering sacrifice to Ohrmazd and the Amahraspands,[5] and as a founder of fire-temples.[6] However, from the point of view of religion all that can be said of his reign is that during it the first serious attempt seems to have been made to revive the religion of Zoroaster. Any definition of theological dogma would at this stage have been premature.

About Ardašīr's son and successor, Šāpūr I, we are better informed. To the West he is best known as the monarch who captured and humiliated the Emperor Valerian. In the East he is better remembered for his interest in the current religions of the empire. According to a tradition preserved in the *Fihrist*[7] the great heresiarch Mānī was present at his coronation in A.D. 242 and delivered his first sermon on that occasion; but according to the Manichaean *Kephalaia* he returned from India at the news of the death of Ardašīr and had an interview with Šāpūr in Susiana.[8] The result was a complete success: the Manichaeans were given full liberty to preach their doctrines wherever they wished, and Mānī himself spent a long time in the royal suite. In view of the statements of the *Dēnkart* concerning Šāpūr's additions to the Avesta,[9] it is improbable that he was actually converted to Manichaeism, at any rate openly; but there can be no doubt that the

[1] Mas'ūdī, *Murūj*, ed. Barbier de Meynard, ii, p. 163.

[2] Ibid., pp. 159–60.

[3] Ibid., p. 162: 'O my son, know that religion and kingship are two brothers, and neither can dispense with the other. Religion is the foundation of kingship, and kingship protects religion. For whatever lacks a foundation must perish, and whatever lacks a protector disappears.'

[4] Ibid., p. 161.

[5] Kn. (Ântiâ) 12. 17, p. 35.

[6] Ibid. 13. 18, p. 40; 15. 21, p. 51.

[7] Flügel, *Mani*, pp. 51, 84.

[8] v. Schmidt–Polotsky, *Ein Mani-Fund in Ägypten*, SbPAW. 1933, p. 47; Polotsky, *Kephalaia*, p. 15; Puech, *Le Manichéisme*, pp. 44–49.

[9] *Supra*, pp. 8 and 10–11.

Manichees enjoyed high favour during his reign,[1] and even converted two of the royal brothers, Mihršāh and Pērōz.[2]

Nor does Šāpūr seem to have confined his interest to Manichaeanism. Ṭabarī[3] tells us that when he was besieging the fortress of Daizān the latter's daughter appeared on the walls; and the pair promptly fell in love. She asked what he would give her if she showed him how to destroy the walls of the fortress and put her father to death. He replied that he would make her his queen. This satisfied her, and she accordingly gave him this secret. 'Take a green dove', she said, 'with a ring round its neck, and write something on its foot with the menstruous discharge of a blue-eyed maiden. Then let it go, and it will settle on the ramparts of the city, and they will fall in ruins.' And so it was. A clearer case of black magic it would be hard to find; and Nöldeke comments: 'the concept is probably this: the utterly unclean from the clean on the clean brings nature into a state of unrest and produces destruction'. If the episode bears any relation to historical fact, Šāpūr must obviously have been influenced by the 'sorcerers' or 'devil-worshippers' who were later to be the object of his minister Kartīr's particular displeasure. This, however, in no way excluded him from the Zoroastrian communion: on the contrary he seems to have wished to broaden its basis by enlarging its sacred literature by the introduction of foreign material from Greek and Indian sources.[4] These included works on astronomy, time, and space, the process of becoming, decay, and 'alteration'. All these are reminiscent first of Aristotle and secondly of Zervanism.

Now the *Dēnkart* states that all these writings were writings of the Religion,[5] that is of Iranian origin, which had been scattered throughout the Byzantine Empire and India. This may, of course, be nothing more than acquisitive nationalism on the part of the author of the *Dēnkart*; but that does not preclude the possibility that the works collected by Šāpūr may have been drawn from the mass of material which went under the name of Zoroaster in the Greek-speaking world. This material was largely Zervanite in tendency, and the mention of works on time and space makes it probable that Šāpūr himself had an inclination towards Zervanism, and that by including these works he sought to give scriptural authority to what was in fact a largely alien religion. The resemblance between Zervanism and Manichaeism has often been noticed, but the latter is now

[1] According to Ya'qūbī (Houtsma, i, p. 181) Šāpūr, after adhering to the Manichaean religion for ten years, turned against Mānī, who was forced to flee: v. Kessler, *Mani*, pp. 329–30. The Coptic texts, however, prove this statement to be erroneous: v. Schmidt–Polotsky, op. cit., p. 51.

[2] Schmidt–Polotsky, op. cit., p. 49; Puech, op. cit., p. 131.

[3] Nöldeke, *Ṭabarī*, p. 38.

[4] *Supra*, p. 10.

[5] Ibid.

widely admitted to be of Christian heretical and Gnostic origin rather than Iranian.[1] It may also be surmised that much in Zervanism also came from the West and that this infiltration took place in the reign of the first Šāpūr. It is not suggested that Zervanism first came into existence during his reign, for Mānī's use of the name Zurvān is against that; but it does seem likely that Šāpūr strengthened and supported that belief by the introduction of foreign matter akin to already current Zervanite ideas.

Hormizd I, Šāpūr's successor, also seems to have favoured the Manichees, though the tattered condition of the relevant passage in the *Homilies*[2] allows of no certain conclusion. But under Bahrām I a reaction set in. According to Ḥamza[3] a conference was called at which Mānī was to vindicate his views. He was refuted by the Zoroastrian doctors under the redoubtable Kartīr and put to death. His martyrdom was followed by the persecution of his followers; and this persecution was liberally extended to other heretics, as Kartīr himself proudly boasts.

Among those singled out for persecution by Kartīr were the Zandīks. These, in later times, came to mean the Manichaeans; but Mas'ūdī points out that at the time of Bahrām I this term referred to those who interpreted the *Zand* or commentary on the Avesta in an unorthodox way and more particularly to those who believed in the eternity of matter and denied the creation of the world.[4] This again brings us back to the Daharīs mentioned by the *Šikand* whose views were precisely these. H. H. Schaeder (l.c.) has already shown that the Zandīks might at least have included the Zervanites and has quoted a case from the *Dēnkart* where such an 'interpretation' is attacked.[5] It is then probable from the external evidence that Kartīr persecuted the Zervanites and proscribed their doctrines. His inscription at Naqš i Rajab is a restatement of Mazdean doctrine after a period of anarchy following the encouragement of heretical views by Šāpūr I. The period of Kartīr's power, extending through the reigns of the first three Bahrāms (A.D. 273–93), can then be regarded as the period of the first victory of Mazdean orthodoxy, during which Zervanism, if not actually persecuted, was very much out of favour. If later in this work it can be shown that unmixed Zervanism was in fact indistinguishable from

[1] Cf. Schaeder, *Zeitschrift für Kirchengeschichte*, 1932, p. 21 ff.; Burkitt, *The Religion of the Manichees*, p. 14; von Wesendonk, AO. x, pp. 336–63; Puech, *Le Manichéisme*, p. 150, n. 268. Against this view v. Widengren, *Mesopotamian Elements in Manichaeism*, pp. 10 ff.

[2] Polotsky, *Manichäische Homilien*, pp. 42, 48.

[3] ed. Gottwaldt, p. 50: translation by U. M. Daudpota in the *Journal of the K. R. Cama Oriental Institute*, No. 22, p. 96.

[4] Mas'ūdī, *Murūǰ*, Barbier de Meynard, ii, pp. 167–8; v. further Schaeder, *Iranische Beiträge*, i, pp. 278 ff.

[5] DkM. 829. 1–5 (text F 3 (*a*)).

the doctrine of the Daharīs, then actual persecution by Kartīr will scarcely be open to reasonable doubt.

We know too little of the two short reigns that intervene between the death of Bahrām III (A.D. 293) and the accession of Šāpūr II (A.D. 309) to be able to form any idea of religious developments during that period. The work of the second Šāpūr, however, can now be seen as the culmination of the process of intolerance initiated and zestfully developed by Kartīr. That there may have been backsliding in the intervening reigns is indicated by the fact that under this Šāpūr another council had to be convened and the redoubtable Āδurbaδ, son of Mahraspand, was required to vindicate his views by submitting to the ordeal. This he did with triumphant success, and a royal edict ensured that his views and no others should in future be esteemed as the true faith of Zoroastrian orthodoxy.[1] The reign of Šāpūr II may thus be regarded as the high-water mark of orthodox Mazdeanism. The achievement of Āδurbāδ was built on the foundation laid by Kartīr; and it is perhaps part of that notable achievement that the very name of Kartīr has been expunged from the Zoroastrian tradition. Had the latter's great inscription never been found, posterity would still be ignorant of the signal part he played in the long, sad history of religious bigotry. In the books of his co-religionists he is not remembered: for them Āδurbāδ is the great figure of the Mazdean renaissance which must rank higher than the 'second spring' which came in under Xusrau I; for in that reign, it appears, non-Iranians were allowed to go about their lawful occasions in peace.[2] In the reign of Šāpūr the Great uniformity was enforced within the Church and other religions were heavily and savagely chastised.

It would seem that this state of affairs, so gratifying to the Mazdeans, lasted until the reign of Yezdigird I, branded by the Zoroastrian tradition as 'the Sinner'. To judge from foreign sources his sin would appear to have consisted in a spirit of tolerance ill suited to the times. The Christians had every reason to be thankful to him and even the Pagan Procopius praises his magnanimity.[3] His forbearance was, however, tried by the action of a priest in the city of Hormizd-Ardašīr in Susiana who, with the connivance of his bishop, abused his freedom by destroying the fire-temple in that city.[4] Yezdigird was forced to take counter-measures; and the spirit of tolerance thus received a renewed set-back.

Towards the end of this reign, according to Christensen,[5] a figure arose who will occupy our close attention in the following pages. This was

[1] *Supra*, p. 11.

[2] *Infra*, p. 49.

[3] Procopius, i. 2. 8.

[4] v. Labourt, *Le Christianisme dans l'empire perse sous la dynastie sassanide*, pp. 105 ff.; Christensen, *L'Iran sous les Sassanides*, p. 267.

[5] Op. laud., p. 268.

Mihr-Narsē, who became *Vazurg-framāδār* or Prime Minister at this time. Mihr-Narsē is a personage of great importance for our subject, and we must therefore devote some considerable space to him. Had Ełišē not preserved a remarkable document purporting to be from his hand, he would never have attracted the attention of modern scholars as anything but the exceptionally able and upright minister of the Kings Yezdigird I, Bahrām V, and Yezdigird II. Ełišē tells us that, in his efforts to convert the Armenian Christians to the Good Religion, Mihr-Narsē ordered the Magians to draw up an edict in which they were to expound the cardinal tenets of their religion; and it is this edict which Ełišē professes to reproduce.[1] The edict is frankly Zervanite and differs in only small detail from the accounts transmitted by Eznik, Theodore bar Kônai, and Yohannân bar Penkayê. On the strength of this earlier scholars concluded that the Zervanite form of Zoroastrianism was predominant or even official at least during the reign of Yezdigird II.[2] This somewhat naïve assumption was rejected by Cumont, who succinctly remarks, 'La fausseté de ce document saute aux yeux.'[3] He further points out that the answer of the Armenian clergy bears no relation to the edict—a fact scarcely surprising in itself if, as Łazar of P'arpi asserts,[4] that venerable body of men did not take the trouble to open it—and that the edict is borrowed from Eznik. Cumont's thesis was later vigorously supported by H. H. Schaeder,[5] who, while maintaining that the edict of Ełišē derived not from his actual experience of the Magian religion but from literary sources, went further and described Eznik himself as a 'literary pirate of a calibre rare even in Armenian literature'. Since M. L. Mariès,[6] following Meillet, published his researches on the sources of Eznik, Schaeder's harsh judgement on that Armenian classic will not be lightly disputed.

The earlier view that the edict was authentic was then taken up by O. G. von Wesendonk.[7] His theory was that the edict consisted of two parts: the one, religious, drawn up by the Magian priests for the benefit of the uninstructed Armenians, the other, an edict addressed by the King Yezdigird to the Armenian nobility. The first, he maintained, is preserved in Ełišē, the second by Łazar.[8] The striking and for him awkward resemblance

[1] Ełišē, ed. Yohannisean, p. 27; Langlois, ii, p. 190. v. our text F 1.

[2] Spiegel, *Erânische Alterthumskunde*, ii, p. 183; Casartelli, op. cit., p. 3: Darmesteter, ZA. i, p. 221, n. 10; Justi, *Geschichte des alten Persien*, p. 197: Blochet, RHR. xxxvii, p. 27; Ed. Meyer, *Ursprünge und Anfänge des Christentums*, ii, p. 84.

[3] Cumont, MMM. i, p. 17.

[4] Langlois, ii, p. 282.

[5] *Studien zum antiken Synkretismus*, p. 239; cf. the same scholar's *Der Iranische Zeitgott und sein Mythos*, ZDMG. 1941, p. 291.

[6] *Le 'De Deo' d'Eznik de Kołb*, esp. pp. 39–54.

[7] l.c.

[8] Langlois, ii, p. 281.

between the three accounts of Eznik, Ełišē, and Theodore bar Kônai was explained away rather than explained. In support of his theory that Mihr-Narsē and Yezdigird II were Zervanites, von Wesendonk adduced the fact that the former's son, and the eldest at that, bore the name of Zurvāndāδ. Beyond that and the spurious edict he had little evidence to show.

Now, as Mariès has demonstrated, it seems certain that, though there is no reason to suppose Ełišē to be directly dependent on Eznik, the three or, with bar Penkayê, four Zervanite accounts cited derive from a common source, and that the so-called edict of Mihr-Narsē is valueless as evidence for the prevalence of Zervanism during the reign of Yezdigird II. If we are to substantiate von Wesendonk's thesis that Mihr-Narsē was a Zervanite, our time will be better occupied (*a*) in seeking to find out whether Ełišē has otherwise any knowledge of the religion of the Persians and, if he has such knowledge, whether he would be likely to insert into his history an account of that religion which could be refuted by any Magian priest as being either long out of date or a travesty of the facts, and (*b*) in ascertaining whether the Zoroastrian books throw any light on Mihr-Narsē himself, his son Zurvāndāδ, or Yezdigird II. To the clarification of these two points we shall now proceed.

It would appear from the accounts of Ełišē[1] and Łazar[2] that Yezdigird II, swayed by his Prime Minister Mihr-Narsē, pursued an extraordinarily vigorous policy of proselytism. From the fourth to the eleventh year of his reign he sought to convert the Armenian nobility by peaceful methods and rewarded those who acquiesced with gifts of money and land.[3] These methods were only partially successful, for the bulk of the Armenian nation remained loyal to the Christian religion: so Mihr-Narsē, with the support of a converted Armenian called Varazvałan, then issued his famous 'edict' demanding that the Armenians should adhere to the Good Religion.[4] Both Ełišē and Łazar produce a version of this edict, but the former attributes it to Mihr-Narsē and the latter to the King. Von Wesendonk (l.c.) is doubtless right in explaining the total lack of correspondence between the two versions by identifying Ełišē's with the digest of the Persian religion mentioned by Łazar,[5] not with the royal edict. According to Łazar[6] the edict remained unopened, and its recipients proceeded to draw up a reply couched in language of extreme violence. This proved too much even for

[1] Yohannisean, pp. 19 ff.; Langlois, ii, pp. 187 f.

[2] Langlois, ii, pp. 278 f.

[3] Ełišē, Yohannisean, p. 21; Langlois, ii, p. 188.

[4] Łazar, Langlois, ii, pp. 278–81.

[5] Langlois, ii, p. 281: 'Aussitôt le roi convoqua les mages, leur fit écrire les lois du magisme et les envoya en Arménie. Il rédigea aussi un édit adressé à toute la nation arménienne.'

[6] Ibid., p. 282.

Yezdigird surnamed 'the Clement',[1] who retorted by dispatching a punitive expedition to the rebellious province. What is more interesting to us is that a great number of Magian priests were sent in its wake.[2] *A priori* it would therefore seem improbable that Ełišē should insert into his history a false account of the Magian religion purporting to be the work of Mihr-Narsē and therefore orthodox, at a moment when there were on Armenian territory large numbers of Magians any of whom could prove his statement false and convict him of ignorance. Wilful misrepresentation of his adversary's doctrine would scarcely be the best means of serving his own Church or of preventing those whose faith was lukewarm from going over to the other side. These could only be alienated by such a procedure, and convinced Christians would, anyway, not be susceptible to argument. Mas'ūdī[3] in an interesting passage defends the Zoroastrians from the charge levelled against them by Muhammadan theologians, namely, that the Devil sprang from a thought of the deity, by suggesting that such opinions were held by the common people but were consistently denied by the Magians themselves. Ełišē can plead no such excuse, for the official representatives of the Zoroastrian Church were there, and their doctrine would be known to the Armenians. We are therefore justified in believing that the so-called edict of Mihr-Narsē, though derived from other sources, nevertheless represents approximately the official doctrine of the time of Yezdigird II.

If Ełišē showed himself otherwise entirely ignorant of the Persian religion of his time, we should be justified in dismissing the 'edict' as a mere repetition from Eznik or some other Christian propagandist. But in fact he does not. In the edict itself he makes Mihr-Narsē refer to the Christians as 'deaf and blind and deceived by the demons of Ahriman',[4] thereby reproducing exactly the Pahlavī interpretation of the Avestan terms *kavi-* and *karapan-*.[5] He knew that it was forbidden to slaughter cattle without first stunning the victim,[6] that excrement was not to be put on the fire,[7] that one should wash one's hands with *gōmēz* (cow's urine)—and he is familiar with the technical term—that it was unlawful to kill beavers, foxes, and hares,[8] but that it was meritorious to destroy snakes, lizards, frogs, ants,

[1] *al-laiyin*, Ḥamza, Gottwaldt, p. 55.

[2] Ełišē, Yohannisean, p. 49; Langlois, ii, p. 199; Łazar, Langlois, ii, p. 291.

[3] *Kitābu't-tanbīh*, de Goeje, p. 93; trans. Carra de Vaux, p. 136; text F 12.

[4] Yohannisean, p. 27; Langlois, ii, p. 191; cf. Meillet, *Rev. Ét. Arm.* vi, pp. 1 ff.

[5] e.g. Yt. 1. 10 = ZXA., p. 90. Cf. Darmesteter's note in *The Zend-Avesta*, ii, p. 26 (SBE. xxiii).

[6] See note A, p. 52.

[7] Cf. esp. Vd. 7. 25–27.

[8] Why Ełišē selects the beaver, fox, and hare from the creatures of Mazdāh is not quite clear. We should have expected some mention of the otter or dog; but perhaps, as a Christian polemist, he merely wishes to draw attention to the absurdity of a religion which forbade the destruction of harmful creatures.

and all sorts of vermin.[1] In common with most other authors who deal with the Mazdean religion he knows of their consanguineous marriages, their worship of the elements and the Sun and Moon, and he is familiar with the name of the Bahrām fire.[2] Further he gives us information concerning the Magian 'schools' mentioned above,[3] information which we get in no other source. It should, then, be clear that our author had a knowledge of the religion of the Persians altogether outstanding in an Armenian historian, vastly superior to that of Łazar, for instance, who describes the same events. Though yielding nothing to the latter in bigotry, he does yet seem to have taken the trouble to find out something of the opinions of his opponents: and it would be doing him an injustice to assume that whereas whatever else he reports about the Magian religion is true and supported by other sources—and the authenticity of the *petmog* passage is vouched for by his correct use of the word *hamakden*—he should have been so foolish as to insert into what is supposed to be an edict of Mihr-Narsē a doctrine that was either proscribed by the latter's Church or had long fallen into disrepute. Instructed in the details of this religion he is scarcely likely to have committed a blunder in so important a matter as that of the origin of the universe. Himself a witness of the events he describes,[4] he would at any rate have been refuted by the Magians operating in Armenia. Believing for the moment in his veracity, we now turn to other sources.

The most important of these is Ṭabarī. According to him Mihr-Narsē occupied the highest office of state, that of *vazurg-framāδār*, during the reigns of Yezdigird I, Bahrām V, and Yezdigird II:[5] but it would appear that it was only in the reign of Bahrām that he began to exercise a preponderant influence. Yezdigird I, we are told, rejected his advice,[6] which we can well believe; for the King was as notable for his tolerance as his minister was for his religious zeal. Under Bahrām, however, he seems to have enjoyed unlimited power: he was entrusted with the management of the State during the monarch's absence in India[7] and was looked up to like a king.[8] During the reign of Bahrām as in that of Yezdigird II he distinguished himself in the field against the Byzantines. About his character Ṭabarī is enthusiastic, describing him as the wise man of his time, a man of perfect culture, distinguished in his behaviour, and outstanding among

[1] Cf. Vd. 14. 5, where snakes, frogs, and ants are mentioned. Herodotus i. 140 mentions particularly ants and snakes as being the victims of the Magi. GrBd., p. 142, heads its list of noxious creatures with the snake, scorpion, lizard, ant, fly, and locust.

[2] *vṛamakan krak*, Yohannisean, p. 66; Langlois, ii, p. 206.

[3] p. 29.

[4] He professes to have seen Yezdigird II and heard his voice: Yohannisean, p. 20; Langlois, ii, p. 187.

[5] Ṭabarī, Nöldeke, pp. 75, 106, 113.

[6] Bel'amī, Zotenberg, ii, p. 104.

[7] Ṭabarī, Nöldeke, p. 106.

[8] Bel'amī, Zotenberg, ii, p. 122.

his contemporaries.[1] Because of his intelligence and the confidence he inspired in the people he was greatly esteemed by his royal masters.[2] Mas'ūdī, though he does not mention him by name, records that Yezdigird II summoned to his court one of the wise men of his time, and that he modelled his conduct on him and governed according to his advice.[3] Thus the accounts deriving from the *Xᵛatāynāmak* or Sassanian Book of Kings accord with the Armenians in regarding Mihr-Narsē as the dominant influence during the reign of Yezdigird II. He was cordially hated by the Armenians as being primarily responsible for the Christian persecutions, while the Book of Kings, reflecting the opinion of the nobility, cannot find praise high enough for his character and knightly exploits.

Now among the sons of Mihr-Narsē there was one of the name of Zurvāndāδ. Being the eldest he was destined for the Church and the law, and was elevated to the rank of *hērbaδān-hērbaδ* (high priest) during the reign of Bahrām V.[4] This office, though inferior to that of *mōbaδān-mōbaδ*, seems to have been extremely important.[5] Among other functions it would seem that the *hērbaδān-hērbaδ* exercised a decisive influence in doctrinal matters, for the great Tansar, who is said to have drawn up the Sassanian Avesta, is alleged to have held that office, not that of *mōbaδān-mōbaδ*.[6] The name of Zurvāndāδ does not necessarily prove its owner to have been a Zervanite, as von Wesendonk seems to imply, any more than the name Zurvānduχt borne by a daughter of Šāpūr II[7] proves Zervanite tendencies in that monarch who, by accepting the doctrine of Āδurbāδ, son of Mahraspand, would seem to have associated himself with the categorical dualism which finds its expression in the Pahlavī books. The name does, however, indicate that Zurvān was an object of reverence in the family concerned, and is of obvious significance when borne by an eldest son and one of the highest officials of the Magian clergy. Even so, Zurvāndāδ is important to us not so much because of his name as because he is the object of a disparaging reference in a Pahlavī book.

For if we turn to the Pahlavī *Vidēvdāt* 4. 49, we find that whereas the notorious Mazdak is cited as the typical *ahramōγ* or heretic, Zurvāndāδ[8]

[1] Ṭabarī, Nöldeke, pp. 75–76.

[2] Ibid., p. 109.

[3] *Murūj*, Barbier de Meynard, ii, p. 193.

[4] Ṭabarī, Nöldeke, p. 110.

[5] For the functions of the *hērbaδān-hērbaδ* v. p. 35, n. 4.

[6] DkM. 406. 6. Full references in Minovi, *Tansar's Epistle*, p. 9.

[7] Arm. *zruanduχt* in P'awstos of Byzantium vi. 1. v. Hübschmann, *Armenische Grammatik*, p. 42.

[8] There can be no doubt that the reading *Zurvāndāt* preserved in one MS. (IM) is correct. The reading *ZLHWND'T* kept by Hôshang Jâmâsp in his text was read by Darmesteter as *Zarhûndât* (ZA. ii, p. 62, n. 38), on which that able translator remarks, 'le nom est malheureusement trop corrompu pour permettre une identification historique'.

appears as the typical *sāstār*. The latter term, besides meaning simply 'tyrant', is also used in a religious sense. In DkM. 204. 18 and 22. 4[1] it is used in opposition to *āsrōn* or priest, and in the latter passage it is qualified as *aγ-dēnīh* or 'wrong religion'. The difference between the last term and *ahramōγ* is explained in the *Dēnkart*: 'Apostasy (from the Good Religion) includes two categories, that of the *ahramōγ* who considers it non-existent and that of the *aγ-dēn* who considers the Good Religion not good.'[2] This passage clearly shows that the orthodox Mazdean made a distinction between *ahramōγ* and *aγ-dēn*. The former, who ignores the Good Religion, would seem to be a member of an external cult, a non-Zoroastrian; the latter acknowledges the Good Religion, but considers it to be 'not good', or in other words is not in agreement with the orthodox doctrine: and for the author of the *Dēnkart* the orthodox doctrine is that of 'the two Principles', the pure teaching of the school of Āδurbāδ. The Pahlavī *Vidēvdāt*, then, in referring to Mazdak as the typical *ahramōγ* and to Zurvāndāδ as the typical *sāstār*, is making a distinction. The former is the founder of a new religion not in communion with the Zoroastrian Church; the latter is a priest holding heretical views within it.

It may, of course, be argued that there is no proof that the Zurvāndāδ of the *Vidēvdāt* is identical with the son of Mihr-Narsē. True, but the probabilities seem overwhelmingly in favour of this assumption. First we have no knowledge of any Zurvāndāδ other than the son of Mihr-Narsē who could conceivably be regarded as a typical *sāstār*.[3] Secondly, the mention of Mazdak indicates the period to which we should assign the Zurvāndāδ in question, namely the period of religious unrest prior to the reform of Xusrau I. Thirdly, we have good reason to suppose that Zervanism was in the ascendant during the reign of Yezdigird II and that Mihr-Narsē and his son were supporters of that religion. All this seems to be borne out by a passage in the *Mātiyān i hazār Dātastān* where Mihr-Narsē and Yezdigird are referred to in uncomplimentary terms:

> ... as when His Majesty, the King of Kings, Bahrām, son of Yezdigird, appointed Mihr-Narsē, the Prime Minister, to serve the fire of Artvahišt and the fire 'Increase the land (?), O Lord'. For several years he was kept at that task, to the tending of fires. Then at the command of His Majesty, the King of Kings, Yezdi-

[1] v. our texts Z 11 and Z 12.

[2] DkM. 201. 8–10: *'apāč stāyastan [i] hangartīk 2 aδvēnak, ahramō⟨γ⟩īk čēγōn an'hast mēnītan, aγ-dēnīk čēγōn a'vēh mēnītan i vēh-dēn.*

[3] The other known Zurvāndāδs are: (*a*) A jurist frequently quoted in the MhD., the son of Yuvān-Yam, sometimes occurring without the patronymic. (*b*) Cited by Justi (*Namenbuch*, s.v. *Zarwāndāδ*) are two persons among the twelve Magi who were said to have paid homage to Jesus, a Zrovandat, Bishop of Gołthn, and a Zīrwandāt (!) appearing on a Sassanian seal. (*c*) A pupil of Mānī who operated in Khorasan (Schaeder, ZDMG. 1941, p. 274).

gird, son of Bahrām, he was received back into a position of trust because of his reputation as a sinner and was kept for several years in a position of trust. Then His Majesty, the King of Kings, Pērōz, consulted with the chief Mōbaδ, Mardbūδ, and other authorities who had come, and appointed him to serve not the same fire but the fire of Ōhrmazd-Pērōz.[1]

Though the passage is not absolutely clear, the salient fact cannot be evaded. Mihr-Narsē had the reputation of a 'sinner', and apparently for this reason was put in a position of trust by Yezdigird II. Bahrām V and Pērōz, on the other hand, put him in charge of fire-temples. What precisely this means is not immediately obvious: but the service of fire-temples must have meant a retirement from public life, for Masʿūdī says that when Ardašīr I abandoned the world he frequented fire-temples and served God there.[2] The meaning of the passage can, therefore, only be that, in the eyes of both Bahrām V and Pērōz, Mihr-Narsē was *persona non grata.* It is also significant that on his second banishment to a fire-temple the decision was reached at the instance of the chief Mōbaδ and other ecclesiastical authorities: he must, therefore, also have been unpopular with the Church. Yezdigird II, however, brought him back to a position of trust, and that because he was a sinner! In other words, he was a heretic.

It need hardly be said that the accounts of Ṭabarī and the *Mātiyān* are in complete disagreement. But this is scarcely surprising, for the account of the former is based on the *Xᵛatāynāmak* and reflects the views of the nobles: the latter is a purely priestly work and reflects the views of Zoroastrian orthodoxy. That Mihr-Narsē was actually disgraced by Bahrām V is improbable: on this point the evidence of Ṭabarī is on the whole to be preferred, for he has no obvious axe to grind. The priests, on the other hand, had every interest in whitewashing Bahrām V, who was an extremely popular monarch. It is therefore not unlikely that they invented the story of Mihr-Narsē's disgrace, if such indeed it was. About Yezdigird II they presumably cared less, for he never captured the popular imagination as Bahrām did, and they were, therefore, quite content to allow him to be implicated in the heresies of his distinguished minister. His degradation under Pērōz may well be historical, for Ṭabarī, who admires Mihr-Narsē, does not mention his being the minister of Pērōz at all. This passage from the *Mātiyān* then proves that both Yezdigird and Mihr-Narsē were obnoxious to the later Sassanian Church. Nor can we explain this antagonism, as we can in the case of Yezdigird I, as a reaction of a bigoted clergy against religious toleration; for as we know from the Armenians and Ṭabarī alike, Mihr-Narsē was a zealot and as indefatigable a founder of fire-temples as

[1] See note B, p. 52.

[2] *Murūj*, Barbier de Meynard, ii, p. 160.

the great Kartīr himself. The conclusion is inescapable: Mihr-Narsē's form of Zoroastrianism differed from that of the Pahlavī books: he must have been a Zervanite. We can therefore say with tolerable certainty that Zervanism was the predominant religion during the reign of Yezdigird II.

Of the religion of Yezdigird II himself we can gather little apart from what we have just said. Like all the other Persian kings he swears by the Sun,[1] and bids his subjects worship it and minister to the fire,[2] and he 'multiplied the sacrifice of white bulls and shaggy he-goats to the fire'.[3] He accused the Christians of sorcery[4] and considered it a sin to receive tribute from them and to accept their services so long as they persisted in their error.[5] Like Šāpūr I, his predecessor in error, he appears to have been genuinely interested in finding a religion that would satisfy him. 'He studied all doctrines and examined the religion of the Magians and Chaldees and all the teachings of his country.'[6] He is even said to have had the Christian scriptures read to him, but like his Muhammadan successors was scandalized by the Crucifixion, and laughed the idea of a bodily Resurrection to scorn.[7] If then he was a Zervanite, he would seem to have been one by conviction.

For the reigns of Pērōz and Balāš we have no information; but the events of the reign of Kavāδ seem to indicate that the policy of permitting religious speculation within the State Church had run riot. It is not within the scope of this book to give an account of the Mazdakite heresy and its hold on Kavāδ: for this the reader is referred to Christensen's excellent monograph.[8] The success of that movement and the chaos it caused testify to the weakness of the Zoroastrian Church at that period and the urgent need for the drastic reforms afterwards put into effect by Xusrau I.

At the time of the accession of this monarch the empire was torn with faction: the social order had been dislocated by the communist theories and practices of the Mazdakites, and the Church itself had absorbed many extraneous ideas. The so-called 'Epistle of Tansar' which was written in the reign of Xusrau I[9] reflects the chaotic conditions prevalent before his reign. 'Because of the decadence of the men of those times and the decline of the monarchy and men's thirst after heresy and false interpretations and their desire for glory, those writings and traditions had so passed from

[1] Ełišē, Yohannisean, p. 43; Langlois, ii, p. 198.

[2] Id. Yoh., pp. 22, 43; L., pp. 188, 197.

[3] Id. Yoh., p. 17; L., p. 187.

[4] Id. Yoh., p. 41; L., p. 196 (translation inaccurate).

[5] Id. Yoh., p. 45; L., p. 197.

[6] Id. Yoh., p. 20; L., p. 187.

[7] Id. Yoh., p. 18; L., p. 187.

[8] 'Le Règne du roi Kawādh I et le communisme mazdakite' in *Det Kongelige Danske Videnskabernes Selskab. historisk-filologiske Meddelelser*, ix. 6.

[9] v. p. 10, n. 2.

the memory of the people that not an iota of the truth remained.'[1] Even before his accession but after he had been recognized as heir apparent, Xusrau had dealt the Mazdakites a mortal blow. A conference was summoned to which Mazdak and his supporters were invited. Defeated in controversy, they were ruthlessly massacred.[2] With the Mazdakites thus liquidated the new king was free to put the house of the Zoroastrian Church in order. The decree preserved in the *Dēnkart*[3] bears witness to this act. The words 'after he had put down irreligion and heresy' must refer to his drastic suppression of the Mazdakites, and 'the truth of the Mazdayasnian religion has been recognized' must refer to the conference in which the Magian priests defeated Mazdak. Xusrau agreed to accept the decision of the chief Mōbaδ as binding, but demanded of the Magians a precise definition of doctrine, though at the same time pointing out that a good life and ritual accuracy are of more importance than questions of dogma. He then deplores the fact that foreign doctrines had found their way into the Mazdayasnian religion, and urges his subjects to study the Avesta and *Zand*. He attacks those who deny that God can be known and those who assert that He can be known in His entirety. The first of these parties may refer to one school of Zervanites.[4] Finally he says: 'Those who say that it is possible to understand Being through the revelation of the Religion and also by analogy, are to be deemed researchers (after truth).' Here Xusrau would appear to be authorizing the marriage of the Good Religion and Greek philosophy which is so noticeable a feature of the *Dēnkart*. He is seeking a *via media* both between religion on the one hand and philosophy or science on the other, and between the rival schools of Mazdeanism and Zervanism. The attempted fusion, however, was not complete; and it is thanks to his failure that we can reconstruct the Zervanite system at all.

Further light is thrown on the activities of Xusrau by another passage in the *Dēnkart*.[5] Here he advocates the complete destruction of the doctrines of heretics, the enforcement of the views advocated by Āδurbāδ, son of Mahraspand, and the popularization of religious knowledge among the orthodox: this knowledge, however, was to be jealously kept from heretics. He further recommends that his subjects increase their sacrifices to the

[1] Minovi, p. 11, l. 12; Darmesteter, JA. 1894, pp. 212, 516.

[2] Malalas and Theophanes give a full account of the defeat and death of Mazdak. v. Christensen, op. laud, p. 124, and id., *L'Iran sous les Sassanides*, pp. 354–5.

[3] *Supra*, pp. 8–9.

[4] Cf. the discussion of the infinite in the ŠGV. 16. 104 ff. (text Z 23): 'In so far as it is infinite it cannot be understood.' For similar views on the incomprehensibility of the supreme deity in the Hellenistic religions v. Reitzenstein, *Das iranische Erlösungsmysterium*, Beigabe i, § 2.

[5] See note C, p. 52.

gods and destroy the idol-temples of the demons, that they should use their strength to help one another, but deny it to foreigners.

Mas'ūdī,[1] too, tells us of his intolerance towards heretics. 'He united the people of his realm in the religion of the Magians, and forbade them discussion, divergence of opinion, and controversy.' We learn from the 'Epistle of Tansar'[2] that the King—probably referring to Xusrau in fact—gave orders for heretics to be imprisoned and to receive instruction from the Magians for the space of one year. If the victim recanted, he was released; but if he persisted in his error, he was to be made aware of the consequences and finally liquidated. This shows a relative leniency that contrasts favourably with the savage tone of the *Dēnkart* passage. That work, indeed, gives a picture of Xusrau very different from that which we obtain from other sources. Agathias[3] tells us that he studied Greek philosophy and that he was much given to Plato and Aristotle. He also states that a Syrian called Uranius taught him philosophy and that he discussed matters of theology with the Magians. In spite of this interest in learning Agathias formed the lowest opinion of his intellectual qualifications.

Owing to persecution in the Byzantine Empire and the closing of the schools of philosophy in Athens, seven philosophers took refuge at the court of Ctesiphon.[4] One of them was Damascius, to whom we owe a short account of the Persian religion which he claims to have derived from Eudemus of Rhodes. The account is Zervanite, for it places Space and Time at the origin of all created things. Scheftelowitz and von Wesendonk have doubted the authenticity of the attribution to Eudemus, and think that Damascius is describing a religion he knew first-hand at Ctesiphon.[5] But this fails to explain why he should wish to attribute what he had himself observed to another or why he should have selected Eudemus in particular. Moreover, the tone of the decree of Xusrau preserved in the *Dēnkart* and his encouragement of the followers of Āδurbāδ make it probable that the Zervanites were a proscribed sect at least during the early part of his reign. It would surely be attributing an excess of tact to Damascius to suppose he described the Zervanite doctrine under the name of Eudemus in order to shield the offending sect from the royal displeasure.

It is well known that Xusrau's policy towards other religions was tolerant in the extreme. By the peace of 562 the Christians were granted full liberty to practise their cult, but were forbidden to proselytize.[6] However, during the war they suffered persecution at the hands of the chief Mōbaδ, Dāδ-

[1] *Murūj*, Barbier de Meynard, ii, p. 196.

[2] Minovi, p. 17; Darmesteter, JA. 1894, pp. 219, 524.

[3] ii. 28.

[4] v. Christensen, *L'Iran sous les Sassanides*, p. 423.

[5] v. p. 20, n. 3.

[6] v. Christensen, op. cit., p. 368.

Hormizd, probably with the full approval of the King.[1] In return for his concessions to the Christians he obtained similar rights for the Magians within the Byzantine Empire.[2] This is interesting, for it shows that the Iranian Church recognized its connexion with the Magians abroad though, according to our Greek sources, these had little in common with it.

It was during the reign of Xusrau I, too, that Indian ideas re-emerge in Īrān; and a small Pahlavī 'Book of Chess'[3] tells us how that game was brought to Īrān from India during his reign.[4] Translations of Indian works also took place, notably of the *Pancatantra*, that charming book of fables that was later to find its appropriate place in the heritage of the West. Reference will be made later to possible borrowing from India in the Pahlavī literature.

How then are we to reconcile the harsh, xenophobe Xusrau of the *Dēnkart* with the protector of Greek philosophers, associate of Christians, and amateur of Indian literature? The solution would appear to be that the *Dēnkart* decree is to be assigned to the beginning of his reign[5] when harsh measures were necessary to preserve both Church and State from disintegration. After he had strengthened the Zoroastrian Church and put a stop to doctrinal wrangling within it, he could afford to adopt a generous policy towards the Christians who, maintaining the errors of Nestorius against the orthodoxy of Byzantium, could no longer be regarded as enemies within the gates. The presence of a few Greek philosophers at his court might well cause offence to the more conservative among the Magians but was no doubt pleasing to the vanity of the King of Kings. We can then conclude that the reign of Xusrau I combined the re-establishment of Mazdeanism with a policy of toleration towards other religions. For he himself says in his decree, 'We have no dispute with those who have other convictions.'

With the passing of Xusrau 'of Immortal Soul' the Sassanian Empire entered on the period of its decline. For the sake of completeness we must, I suppose, say a few words about that flashy and deplorable monarch Xusrau II, styled 'the Victorious'. He was thoroughly disliked by the Zoroastrian clergy; for according to the Persian *Žāmāspī* he practised tyranny and injustice: evil customs became prevalent, and the religion and the realm of Īrān declined. It uses the words *āyīn i bad*, a term later to be

[1] Christensen, op. cit., p. 421; Labourt, *Le Christianisme dans l'empire perse sous la dynastie sassanide*, pp. 176ff.

[2] Ṭabarī, Nöldeke, p. 288.

[3] PhlTexts, pp. 115–20: cf. Salemann in *Mélanges asiatiques tirés du bulletin de l'académie impériale de St. Pétersbourg*, ix, pp. 222–42.

[4] Herzfeld, *Archäologische Mitteilungen aus Iran*, iii, p. 28, favours an earlier date.

[5] *Supra*, p. 47.

applied to the Arabs;[1] and it would therefore seem probable that the statement of Eutychius that he embraced Christianity was true.[2] At any rate he married the daughter of the Emperor Maurice by whose aid he succeeded in defeating the formidable pretender, Bahrām Čōβēn.[3] His favourite wife, Šīrēn, too, was a Christian from Byzantium;[4] and he himself prayed to the martyr Sergius and returned a golden cross, decorated with pearls and precious stones,[5] which Xusrau I had carried off. But if he was a Christian, he was no ornament to that Church, for he was addicted to every sort of superstition. He wore an amulet to keep him from death[6] and surrounded himself with astrologers and sorcerers,[7] and even dabbled in astrology himself.[8] Christensen is right in saying that 'superstition was the real basis of his religion'.[9] To superstition again must be attributed both the homage he paid to the Christian martyr Sergius and the erection of 353 fire-temples to which he appointed no less than 12,000 *hērbaδs*.[10] The whole procedure exhibits that intellectual vulgarity which vainly seeks to propitiate the higher powers by utilizing mutually exclusive religions and caring not at all whether either be true. With the demise of this futile monarch dynastic chaos set in and the rotten apple of autocratic corruption was ripe to fall into the hands of the desert barbarian.

In this chapter we have attempted, by a close examination of the scant material at our disposal, to trace the vicissitudes of the Zoroastrian religion during the Sassanian period. Let us now summarize our conclusions. The religion was resuscitated by Ardašīr I with the assistance of Tansar. Šāpūr I introduced certain foreign elements and during his reign the Zervanites seem to have been dominant. Under Bahrām I the Mazdean reaction sets in. Certain basic doctrines are reaffirmed by Kartīr: uniformity on Mazdean lines becomes the order of the day and wholesale persecution begins. The same trend is further developed under Šāpūr II, who summoned a council to settle the doctrinal question. At this council the Mazdean dualists, headed by Āδurbāδ, son of Mahraspand, were victorious and their views were accepted as orthodox. Under Yezdigird II the Zervanites again prevailed, and their cause was espoused by the Prime Minister, Mihr-Narsē. By the reign of Kavāδ doctrinal imprecision had produced chaotic conditions, and Xusrau found himself compelled to reaffirm the doctrines of Āδurbāδ, albeit judiciously combined with gobbets of Greek philosophy. After this a general laxity seems to have invaded the body politic: the

[1] Modi, ii. 3.
[2] Cf. Ṭabarī, Nöldeke, p. 287, n. 2.
[3] Theophylact, *Historiae*, iv. 14.
[4] Id. v. 13. 7.
[5] Id. v. 1. 8; 13. 1.
[6] Ṭabarī, Nöldeke, p. 382.
[7] Ibid., p. 304.
[8] Theophylact v. 15. 3.
[9] *L'Iran sous les Sassanides*, p. 482.
[10] Ṭabarī, Nöldeke, p. 353.

Zoroastrian religion was no longer in a state to stand up to the Muslim onslaught, and within a few centuries it was wholly to fade out of the Middle Eastern scene, leaving few traces behind and proving too weak permanently to influence Iranian thought. Zervanism, though defeated, lived on in that inveterate fatalism which has ever since been so marked a characteristic of the Persian mind.

NOTES TO CHAPTER II

A. Yohannisean, p. 50; Langlois, ii, pp. 199–200. Cf. the account of Strabo, xv. 3. 15 (*apud* Clemen, *Fontes*, p. 35, and Benveniste, *The Persian Religion*, p. 52), Mâr Barhad Bešabbâ (text F 8), and the reply to the Christian Bōχt-Mārā's question as to why the Zoroastrians struck the victim with a log before applying the knife (DkM. 456. 4) found in DkM. 466. 12. 'The reason for striking cattle with a log before (applying) the knife, together with the other things which are to be done in that matter, apart from the ritual efficacy of cleansing the body from a number of demons, especially the portions of excrement and bad taste, and (apart from) preventing the unjust and ill-considered slaughter of cattle, is first pity for the beast and on this account the lessening of its fear and pain when the knife is applied to it, and the prevention of the slaughter of cattle in an ill-considered manner, impulsively and at any time when one's desire is urgent.' The text is as follows: *gōspand čōp pēš 'hač kārt frāč burtan 'hamist apārīk i 'andar 'ān 'dar kunišn čim, 'ān yut 'hač nīrangīk sūtārīh i čand druž 'hač tan 'pāk kartan, nāmčištīk bahr i *hiχrīh*(?) *'ut dušmičakīh, adātīhā 'ut halakīhā ['ut] kam-kušišnīh-ič i gōspand, ēvak apaχšišn i 'apar gōspand, 'pat-ič 'ān rās kam-bīmīh 'ut kam-dartīh 'i-š 'hač frāč-'barišnīh ⟨i⟩ 'kārt 'ut 'nē halakīhā zūt zūt 'pat 'har zamān āržōk-tēžīhā 'ōžatan i gōspand.*

B. MhD. ii (1913), p. 39, 11–17; Bulsara, *The Laws of the Ancient Persians*, p. 551: *'apāk 'ān 'kaδ 'avē baγ Vahrām 'šāhān 'šāh Yazdkartān Miθr-Narsē i vazurg-framātār 'pat bandakīh ⟨i⟩ ātaχš i Artvahišt 'ut ātaχš i aβzōn-χ^{v}atāy-šaθr*(?) *'dāt. čand 'sāl 'pat 'ān 'dāt 'pat āturān dāštan. 'pas 'pat framān i 'avē 'bē* (*BR'* for *baγ*>*bē*) *Yazdkart 'šāhān 'šāh i Vahrāmān ⟨'pat⟩ 'nām i vināskārīh 'apāč 'ō ōstān 'graft, čand 'sāl 'pat ōstān dāšt; 'ut 'pas 'avē baγ Pērōž 'šāhān 'šāh 'pat ham-pursakīh i Mart-būt mayupatān-mayupat 'būt ⟨'ut⟩ apārīk dastaβarān i mat 'ēstāt 'hēnd, 'pat bandakīh 'nē 'ō ham ātaχš [i] 'bē 'ō ātaχš i Ōhrmazd-pērōž 'dāt.* Another reference to Mihr-Narsē occurs in MhD. ii. 35. 17; Bulsara, p. 537.

C. DkM. 219. 7–22: *ēvak ahramōγān čāštak 'ut ka⟨r⟩tak 'hač ērān-šaθr bavandak-vānītārīhā aβsihēnītan. ēvak čāšišn i dēn mānsar 'ut ēzišn 'ut kartakān i yazdān 'hamist dāt aδvēn 'pat čāštak 'ut kartak i hāvištān i Āturpāt i Mahraspandān i ⟨'hač⟩ mukurān*[1] *'dēh 'būt, kartan. ēvak patīrišn i 'martān i ahrovān, hubarišnīh i ātaχš i*

[1] The Pahlavī has *MWKWL'N* which may most easily be read as *'hač kūrān*. A village called *kurān* is mentioned by Yāqūt, Wüstenfeld, iv, p. 247, as being in Fārs. But our present place is a *dēh* 'province' and is therefore best identified with Makrān or Mukrān, the province east of Kirmān. v. Markwart, *Ērānšahr*, p. 31, where the forms *mukkurān* and *mākurān* are quoted. GrBd. 86. 9 has *makurastān* (*MKWLST'N*) and Kn. 7. 3 (Ântiâ, p. 22) *makrastān* (*MKLST'N<u>W</u>*).

aβzōnīk, yōšdāsrīh ⟨i⟩ āpān i 'vēhān 'hač ērān 'dēhān 'nē 'vēχtan. ēvak dēn 'ut dānākīh, aχ^v[1] *mēnišn ov-iš dahišnīh⟨ā⟩, 'pat bavandak tuχšākīh vaχšēnītan, 'ut 'ō ōstaβār-χēmān frāχ^vīhā rātēnītan, 'ut 'hač vatak ahramōyān drupušt 'pāt. ēvak yazišn kartakān i yazdān purr-patmānīhā 'andar ērān 'dēhān aβzāyēnītan, 'ut-aš hambitīk 'dēvīk [ōžīhā] uzdēs asrušt zatan, škastan, 'aβgandan. ēvak 'ō 'ān i 'amāh dāt 'pat ravākīh 'ut frāχ^v-vistarišnīh mēnišn, nērōk, tan-ič 'ut ǰān aβspārtan. ēvak zōr 'ut attān 'ō χ^vēšīk χ^vatān aδyārīh patvastan 'ut 'hač anōtak-*[2]* dūtakān 'ut hamēmāl brītan.*—'One (of his counsels) was to eradicate the teachings and practices of heretics from the realm of Īrān by defeating them utterly: one, to put into practice the teachings of the word of the Religion and the worship and rites of the gods together with the law and customs in accordance with the teachings and practice of the disciples of 'Āδurbāδ, son of Mahraspand, who came from the province of Makrān: one, not to neglect in the provinces of Īrān hospitality to holy men, the good care of the beneficent fire, and the purification of the good waters: one, to cause religion and learning to prosper by being exceedingly zealous and by applying one's energy and thought to it, to propagate it widely among the sound of heart (i.e. the orthodox) and jealously to withhold it from evil heretics: one, to increase in full measure the service and rites of the gods within the provinces of Īrān and to smite, smash, and overthrow the idol-temples and disobedience (i.e. unorthodoxy) that comes from the Adversary and the demons: one, to dedicate thought, strength, and body and life to the propagation and wide dissemination of our law: one, to offer one's force and possessions to one's own kin and to withhold them from strangers and enemies.'

[1] *aχ^v*: translates Av. *aŋhvā-* 'energy' as well as the commoner *aŋhav-* 'existence'. It is sometimes difficult to distinguish the two in Pahlavī, but when used with *mēnišn* 'thought' we may be certain that the former is intended; cf. Yt. 10. 9: *fraχšni avi manō zarazdātōiṯ aŋuhyāṯ hača*—'with a well-pleasing mind, from energy given in devotion'; v. further ib. 1. 2; Ys. 11. 18; Vd. 5. 21. *aχ^v* is equivalent to *kām*: so DkM. 262. 3, *aχ^v kām-mēnišnīh*; ibid. 819. 17, *aχ^v kāmak*. The series *manaŋhā . . . vačaŋhā . . . šyaoθanā . . . aŋhuyā* of Ys. 11. 18 appears in Phl. (DkM. 265. 16) as *mēnišn . . . guftan . . . . . kartan . . . kāmak. aχ^v* is only used in a good sense. It is both spiritual (*mēnōkīk*) and material (*gētēhīk*). On the spiritual plane it derives health and ease of movement from the desire of the will of the gods (*yazdān*) and the power of the constellations (*baγān*). It becomes ill and straitened through the violence of the demons and the vengeance of the planets (robber-demons, v. BSOS. ix, p. 316). On the earthly plane it derives health from sober living (*hupahrēčišnīh*), ease of movement from effort: it becomes ill through careless living (*apahrēčišnīh*) and is straitened by laziness (v. DkM. 82. 7 ff.). The way from desire (*aχ^v*) to thought is spoken of ibid. 48. 17 and 51. 10: 'When the way from desire to thought is perfect and pure, spiritual insight (contemplation —*mēnōk-vēnišnīh*) ensues.' Though the meaning of the word was clear to the Pahlavī theologians, they were yet unable to distinguish it from *aχ^v* = *aŋhav-* 'existence'. They knew it meant 'free will', yet they say that the Avestan name of *āzātkām* 'free will' is *aχ^v i astōmand* (Av. *aŋhav-astvant-* 'corporal life'!). Thus it will be seen that they could preserve an older doctrine even when they had ceased to understand the Avestan language. This misuse of the word *aχ^v* was not recognized by Tavadia in his treatment of the passage (ZII. viii, p. 122).

[2] *anōtak*: v. BSOS. ix, p. 312.

CHAPTER III

THE FATHER OF GOOD AND EVIL[1]

In the last chapter we endeavoured to trace the fortunes of Zervanism throughout the Sassanian period. We showed that, during the reign of Šāpūr I, Mānī adopted the name Zurvān to represent his own supreme deity which the Byzantine anathemas call ὁ τετραπρόσωπος πατὴρ τοῦ μεγέθους[2] and the *Fihrist*, *maliku ǰanāni'n-nūr* 'the King of the Paradise of Light', or *maliku 'ālami'n-nūr*[3] 'the King of the Cosmos of Light'. After a temporary eclipse Zervanite doctrines re-emerged in the reigns of Bahrām V and Yezdigird II only to be crushed under Xusrau I. Having indicated the periods during which Zervanism may be considered to have been the predominant form of Zoroastrianism in Īrān, we must now proceed to analyse its beliefs.

Unfortunately, in the present state of our knowledge, we cannot speak of a Zervanite system as we can, for instance, of a Manichaean system, or a Marcionite or Valentinian system: we can point to Zervanite myths or beliefs, we may attempt to explain them, we can reconstruct and put forward hypotheses, but only on rare occasions can we be certain that we have arrived at the truth. For Zervanism we have no zealous Christian, no Irenaeus or Epiphanius who, in his onslaught on heresy, will reveal the basic beliefs of those he assails: we must content ourselves with Eznik, whose information is selective, and Theodore bar Kônai, who gives us tantalizingly few samples of the religion he attacks. We possess only one Zervanite treatise, the *'Ulemā i Islām*, and that of very late date. From these scattered remains and from the rare survivals of older Zervanite beliefs which we occasionally meet in the Mazdean books we must endeavour to reconstruct whatever we can of the Zervanite religion. In this chapter we will consider the Zervanite mythology, and will therefore turn at once to the well-known Zervanite myth transmitted principally by Eznik of Kołb, the Armenian apologist.

This myth, the story of the genesis of Ohrmazd and Ahriman, is preserved in closely similar form in four sources—the Armenians Eznik and Ełišē and the Syriac writers Theodore bar Kônai and Yohannân bar Penkayê. Translations of the texts in parallel columns will be found in our

[1] The whole of this chapter is based on the four parallel accounts of the Zervanite myth which will be found reproduced as our text F 1.

[2] Migne, P.G. i, col. 1461; Kessler, *Mani*, p. 403.

[3] Flügel, *Mani*, pp. 52, 56.

text F 1. Short notices of the same myth are also found in Theodore of Mopsuestia *apud* Photius and in Eudemus *apud* Damascius (texts G 2 and 1). Slightly differing versions are given in the *'Ulemā* and Šahristānī (texts Z 37 and F 4). So much for the sources. Let us now proceed to the story they have to tell.

In the very opening sentence of the myth there is a discrepancy in our accounts. On the one hand Eznik says: 'When nothing at all existed, neither heaven nor earth nor any other creature which is in heaven or on earth . . .'; on the other, Theodore bar Kônai has: 'When nothing existed *except darkness* . . .'. All accounts then proceed to relate that Zurvān offered sacrifice for a thousand years.[1]

Theodore's addition 'except darkness' is disconcerting, for it stands in flat contradiction to what Šahristānī tells us and is a severe embarrassment to those who would see in Zurvān a god of light. According to the great Arab collector of heresies the Light emanated 'persons' of light all of whom were endowed with spirit, light, and sovereignty: the greatest of these persons was Zurvān. Thus for one of our main sources Zurvān reigns over the darkness, for another he forms part of the realm of light. Which version is to be trusted? Reitzenstein, with characteristic dogmatism, laid down that Zurvān was associated exclusively with the light, 'da Zarvan immer Lichtgott bleibt, darf man vielleicht hinzufügen: des Lichts'.[2] Pallis is even more emphatic: 'the first hypostasis of Zervan', he declares, 'is light which is in fact identical with time'.[3] Such statements, however, not only make light of the evidence of Theodore who is unquestionably a reliable source, but take no account of the clear statement of Zātspram that Ohrmazd, dismayed at the threats of Ahriman, begged Time (*zamān* which is identical with Zurvān[4]) to aid him, 'for he saw that through no intermediary *belonging to the light* would Ahriman desist'.[5] Any thesis then that would identify Zurvān with light is untenable. Moreover, how can the supporters of such an hypothesis account for the 'ash-coloured garment' which, in Zātspram's account, Zurvān hands to Ahriman, and how account for the description

[1] For 'a thousand years' Šahristānī (text F 4, § 1) has the figure nine thousand nine hundred and ninety-nine. The figure is best explained as a mistake on Šahristānī's part. In all probability he misread his original in which nine hundred and ninety-nine must have stood. The latter figure would be equivalent to the thousand of the other sources. For the use of large numbers composed of nines one may compare the 99,999 remedies of Airyaman in Vd. xxii.

[2] *Iranisches Erlösungsmysterium*, p. 177, n. 2. This identification of Zurvān with light was long ago rejected by Darmesteter, *Ohrmazd et Ahriman*, p. 333.

[3] *Mandaean Studies*, p. 69.

[4] On the identity of Zurvān and Zamān (resp. NP. *rūzgār* = Time) cf. Widengren, *Hochgottglaube*, p. 276.

[5] Zs. 1. 9; text Z 4. That these scholars should have neglected Zātspram is very understandable since the text still remains unpublished.

of this garment as being 'from the very substance of darkness' and '*mingled with the power of Zurvān*'?[1]

Since, then, it is clear that Zurvān cannot be the god of light, is there any ground for associating him exclusively with the darkness? The answer is equally plain: No. For this evasive deity is at once the god of light and of darkness; for he is the father of Ohrmazd and Ahriman who respectively dwell in the Endless Light and the Endless Darkness:[2] or again he transcends the distinction between light and darkness, for these are only made manifest after the genesis of Ohrmazd and Ahriman whose attributes and places they are. So, in the folk-lore of Armenia which, as far as we can tell, still survives today, and which in this case is traceable back to ancient Īrān, Žuk (Zurvān) or Žamanak (*zamān*, Time) is represented as sitting on a high mountain and as rolling alternately a white and a black ball of thread down the mountain-side.[3] Here it is apparent that we have to do with a simple nature divinity, the god of the day and the night which mark the course of time. As Nyberg has so aptly remarked, 'Si Zurvān est le firmament, il est probable que les jumeaux (i.e. Ohrmazd and Ahriman) sont simplement le jour et la nuit, le ciel lumineux et le ciel obscur.'[4] This primitive conception of the god is again preserved by another late source, the Persian poet Firdausī (text F 13). The Zoroastrian clergy are questioning Zāl, the father of Rustam, on religious matters: one of the *mōbaδs* says, 'O exalted one, two horses, precious and fleet of foot, move forth, the one like unto a lake of pitch and the other lustrous as white crystal: they move and they both hurry on, but never do they catch each other up.' To which Zāl replies:

> Now for what thou hast said concerning the two horses, blazing like unto lightning. Both the white and the black are Time; they both pursue each other swiftly, they are night and day which pass by, they reckon each moment of the firmament above us. They do not catch each other up as they gallop on, running like the quarry before the hounds.

Since then Time is regarded as comprising both light and darkness, how is it that Šahristānī[5] speaks of it not only as a 'person' of light but as only one of many such persons, though the greatest? It would appear that he has confused in his account the conception of the pure 'Zurvāniyya' with that of the 'Semi-Zervanites', as we may conveniently call them, or those who made Time a principle equal with Ohrmazd and Ahriman, but strenuously denied that the Devil arose from a doubt of the supreme deity.[6]

[1] Text Z 4, § 29.
[2] Text Z 1, §§ 2 and 3; Z 4, § 2.
[3] Abeghian, *Armenische Volksglaube*, p. 53. Cf. Junker, *Aionvorstellung*, p. 178, n. 103.
[4] CCM. 1931, p. 112: cf. *infra*, p. 245.
[5] Text F 4, § 1.
[6] v. Chapter VIII, *passim*.

The truer conception which still survives in Zātspram is blurred in the *Bundahišn*,[1] where we find Infinite Time associated with Ohrmazd, the Endless Light and Wisdom: this tetrad, which we shall fully discuss below,[2] is a favourite in the Pahlavī books.

Now when Šahristānī speaks of the greatest of the persons of light, we are not entitled to conclude that he knew nothing whatever of a Zurvān-religion proper, as Schaeder would have us believe;[3] for he doubtless had in mind a doctrine which knew of other 'persons' beside Zurvān, in all probability his well-attested hypostases, Ašōqar, Frašōqar, and Zarōqar,[4] the importance of which Schaeder was himself the first to recognize.[5] That these were in fact 'persons' rather than attributes is proved by the fact that Frašōqar is said personally to have 'engendered' Ohrmazd.[6] Alternatively we are at liberty to think of the *baχt* and *pʿaṛkʿ* of Eznik or any of the tetrads which Nyberg has brought to light.[7] Šahristānī's evidence is not to be cavalierly waved aside on the grounds that he was ignorant of a Zurvān-religion in which Zurvān appears as the highest principle: it is all the more interesting and important in that it depicts a stage in the development of Zervanism intermediate between that represented by Eznik and the texts allied to him and the later compromise between Zervanism proper and ultra-Mazdeanism found in the Pahlavī books. But let us return to the myth.

Before anything existed, 'there existed one, Zurvān by name, which being interpreted is Fate (*baχt*) or Fortune (*pʿaṛkʿ*)'.[8]

With the entrance of Zurvān on to the scene let us pause for a moment to consider his nature. The Avesta distinguishes two Zurvāns, *zrvan-akarana-* and *zrvan- darəγō-χᵛaδāta-*, that is 'boundless Time' and 'Time whose autonomous sway lasts for a long time'. Whether the two were actually considered as distinct beings in the Avesta itself must remain uncertain; but in the Pahlavī books the difference is clearly marked. The two Zurvāns appear as *Zurvān* (resp. *zamān*) *i akanārak* 'boundless' or 'infinite Time' and *zamān i kanārakōmand* or *brīnōmand*, that is 'bounded' or 'finite Time'. The first represents infinity—in the Mazdean texts specifically the infinity of Ohrmazd—and the second temporality, finite Time, or more exactly the twelve thousand years' period during which the great struggle between Ohrmazd and Ahriman takes place. The Zurvān of the

[1] Text Z 1, § 2. [2] Chapter VIII.

[3] *Studien zum antiken Synkretismus*, p. 238.

[4] *v. infra*, pp. 219–25.

[5] *Ursprung und Fortbildungen des manichäischen Systems*, pp. 141 ff.

[6] Text F 9, end.

[7] v. CCM. 1931, pp. 47 ff., and *infra* pp. 221–3.

[8] The identification of Zurvān with Fate is also found in Theodore Abū Qurra (text F 2) and Theodore of Mopsuestia (text G 2).

myth must, of course, be the infinite Zurvān since he is antecedent to Ohrmazd and Ahriman and therefore to the 'forming' of finite Time. Eznik's qualification of the name Zurvān as 'fate' or 'fortune' is, therefore, a little inconsequent, for logically the operations of these are only possible in finite time. To expect strict logic from so simple a myth would, however, be singularly inept.

Leaving aside Fate and Fortune for the moment then, let us turn to another passage from our Armenian source.[1] Here we are told that the Persians were divided into sects: some believed in three principles, the good, the just (*ardar*), and the evil; some in two, the good and the evil only, and some in seven. Whatever the last sect may have been,[2] the other two are clearly the Zervanites and Mazdeans proper. Eznik mentions the sect of the three principles first because it is their doctrine he subsequently discusses. The good and the evil are unmistakably Ohrmazd and Ahriman: the just must then as unmistakably be Zurvān. So Mâr Abhâ, a convert from Zoroastrianism, says:[3] 'Of Zurvān, the father of their gods, the Magians relate that he practised the Magian rite for a thousand years in order to get him a son, and he was heard on account of his righteousness (justice).'

In the Pahlavī books this is felicitously confirmed: 'Who is the most just?' the catechist asks. 'Finite Time',[4] the catechumen replies. That justice is here attributed to finite rather than infinite Time need not detain us, for the latter is the source of the former, the 'root', as Eznik says (l.c.), of justice. So generally accepted does this concept of Zurvān appear to have been that the author of the *Bundahišn* sees fit to supply a pleasing popular etymology of his name: he is Zurvān because he 'conquers deceit' (*zūrvān*).[5] Similarly the god Vāy, who, as we shall later see, is in the semi-Zervanite texts practically identified with Zurvān, is described as the most just: 'He pities none and takes no bribe and deals justly with master and servant alike.'[6] Before very long we shall find that Zurvān, the Just, is, as might be expected, closely bound up with *dātastān* 'order', 'justice' or 'the law' and with *patmān* 'the treaty' or 'the mean'.[7]

The justice of Zurvān appears to be very much of the letter, not of the spirit. As we shall see, he promised the kingdom to whichever of the two

[1] Eznik, Venice edition, 1926, p. 122; translation of Schmid, p. 87: 'Some propose three principles, (those) of the good, the just, and the evil; others two, of good and evil; yet others seven.'

[2] Cf. *supra*, p. 29.

[3] Text F 6.

[4] *Aβyātkār i Vazurg-miθr*, §§ 131–2 (Phl-Texts, p. 95) = text Z 24 (*b*).

[5] Text Z 3, § 3 = GrBd. 167. 6.

[6] *Yavišt i Friyān*, 3. 34 *apud* West, AVN., p. 228: *'hač rāstān Vāy i 'vēh rāsttar 'kē hēč-aš 'kas āzarm 'nē, 'ut pārak 'nē 'stanēt, 'ut χᵛatāy 'ut bandak rāδ 'apāk ēvak ditīkar rāstīh 'dārēt.*

[7] *Infra*, Chapter X.

spirits, Ohrmazd and Ahriman, should first be born: but when Ahriman appeared first, he did indeed give him the kingship, but he made Ohrmazd Lord above him.[1] Similarly he presents him with a garment steeped in the essence of Āz,[2] the demon of greed who was eventually to devour the whole Ahrimanian creation and, but for the intervention of the powers of light, would have devoured Ahriman himself.[3]

The justice of Zurvān is in this respect curiously like the justice of the 'God of the Law' whom that ingenious heresiarch Marcion evoked from the Old-Testament Jehovah. This god is exhibited as being circumscribed by his own weakness and imperfection: he is tainted with *iniquitas*, *pusillitas*, and *malitia*.[4] Yet, for Marcion, if not for his disciples, the God of the Law is the God of Justice by definition. What distinguishes the system of Marcion radically from that of the Zervanites is that the God of the Law is an inferior deity, subject to the Good God who is supreme, and apparently unaware of his existence. Zurvān, on the contrary, is the First Principle, but fully as imperfect as Marcion's phantasm and as capable of *pusillitates*. The imperfection of God is indeed the hall-mark of the Zervanite system.

No useful purpose, however, can be served in attempting to postulate an influence of one system on the other, a diverting if unprofitable exercise once dear to Reitzenstein and Bousset. Harnack's refutation of such pointless speculation seems absolutely convincing,[5] particularly in the case of Marcion who, of all the Gnostics, is the most firmly rooted in the Judaeo-Christian tradition and the most alien to Iranian ideas.

As God of this specialized form of Justice, Zurvān is then naturally defined as Fate and Fortune.[6] This definition is amply attested in the Pahlavī books,[7] and appears to be known to Ełišē too. Thus in the text purporting to be the decree of Mihr-Narsē which we had occasion to discuss in the last chapter, the Christians are roundly censured on the grounds that 'they mock at the name of Fate (*baχt*) and greatly insult Fortune (*p'aṛaworut'iwn*)'.[8] In view of the close similarity of the accounts given by the two Armenians, it seems certain that Ełišē, whose veracity has been so needlessly impugned, was familiar with this well-attested equation of Zurvān with Fate or Fortune.

The same historian has one more small contribution to make to our knowledge of Zurvān. Where Eznik reads 'Zurvān, which being interpreted

[1] But cf. our remarks on p. 66–70.
[2] Text Z 4, § 29.
[3] Text Z 5 (*a*), §§ 42–45.
[4] v. von Harnack, *Marcion*, pp. 97–118, esp. p. 101.
[5] Ibid., pp. 436* ff.
[6] v. p. 57, n. 8.
[7] Chapter X (*a*).
[8] Ełišē, Yohannisean, p. 29; tr. Langlois, ii, p. 191.

is Fate or Fortune', Ełišē has 'Zurvān, the Great God'. Since Ełišē's evidence in this passage at least is heavily and with reason assailed,[1] we should perhaps refrain from accepting his word in even so small a matter as that a standing epithet of Zurvān was 'great'. His evidence, however, is once again corroborated; for the *'Ulemā i Islām*, our only surviving original Zervanite text, dealing with precisely this stage of the Zervanite cosmogony, says: 'In spite of all the *grandeur* (*buzurgvārī*) that surrounded it (Time), there was no one to call it creator.'[2] Similarly Šahristānī calls Zurvān the greatest of the persons of light or simply *zurvānu'l-kabīr* 'the Great Zurvān'.[3] Again, in the Manichaean texts Zurvān is the Iranian equivalent of the 'Father of Greatness' of Theodore bar Kônai and the Byzantine anathemas. We may then conclude that 'great' (*vazurg*, *vazurgvār*)[4] was a standing epithet of the infinite Zurvān who as such is the source and origin of all things good and evil. Essentially he is the 'Great and Just God'.

We may now proceed to the Zervanite myth proper. The Great God Zurvān sacrifices for a thousand years 'that perchance he might have a son whose name should be Ohrmazd, who should create heaven and earth and all that in them is: and after offering sacrifice for a thousand years[5] he began to ponder, saying, "Are these sacrifices which I offer of any use, and shall I have a son Ohrmazd, or do I strive in vain?" And while he considered thus, Ohrmazd and Ahriman were conceived[6] in their mother's womb.' So writes Eznik, and our other three sources are in substantial agreement.

One small point is perhaps worth mentioning: Eznik and Yohannân bar Penkayê speak of 'pondering' or 'reflecting', while Theodore bar Kônai says more explicitly that he 'doubted'.[7] The difference, though small, does seem to be of some importance. The use of the terms 'pondering' and 'reflecting' at least draws a veil over the essential imperfection of Zurvān, and does not allow the basic inconsistency in the divine nature to come to light. The

[1] Chapter II, p. 40.

[2] Text Z 37, § 8.

[3] Text F 4, § 1.

[4] So also the Manichaean Zurvān is (in Parthian) *piδar vazargēft* (Andreas–Henning, MirMan. iii, p. 65) from the Syriac original *abhā derabbūthā*.

[5] Theodore Abū Qurra gives a more detailed account of Zurvān's thousand-year sacrifice. After his wife (*v. infra*) had been pregnant with Ohrmazd for seven hundred years, Zurvān doubted whether he had been conceived. From his doubt Ahriman was conceived and apparently born after a very short interval. Ohrmazd was only born after the completion of the thousand years. v. text F 2.

[6] The idea of pregnancy ensuing on a thought or doubt seems to have been borrowed into Mandaeanism. *Right Ginzā*, p. 295 (p. 292 in the translation of Lidzbarski) reads: 'Dann sann (sc. Jōšamīn) nach, sein Gedanke wurde schwanger, und der Gedanke war nahe daran, im Zweiten geboren zu werden.' In Mandaeanism, as in Manichaeanism, the normal means of producing deities is by 'evocation'. It is therefore probable that the idea of the pregnancy of the thought of Jōšamīn derives from Zervanism.

[7] Cf. also text F 4, § 1.

term 'doubt',[1] however, advertises this imperfection and elevates this unsureness in the godhead into the distinctive mark of the system. Eznik was quick to realize this and made much of it in his refutation.[2] We may assume that the Zervanites themselves were fully conscious of the distinction too: Zurvān 'ponders' or 'doubts' depending on whether his devotee wishes to minimize or to proclaim his imperfection, which, in controversy with other religions, might be a source of embarrassment. The 'doubt' is the manifestation of an essential defect in the godhead and it is exteriorized in the birth of Ahriman: from the untainted divine nature Ohrmazd, the good god, is born. Zurvān is the father of good and evil alike; as physically he is light and darkness, so is he morally good and evil. His 'Marcionite' justice has room for both.

The evil in the godhead is, however, minimized: it is, so to speak, an ontological mistake. Šahristānī again admirably describes the just proportion of good and evil in this ambiguous god. He says: 'Ahriman arose from this *single* reflection; and Ohrmazd arose from that wisdom.'[3] Though by nature just and wise, there is a basic imperfection in the godhead which manifests itself as 'doubt'. From its nature and its imperfection good and evil are born. The clash between the two is inevitable, and the battle must take place in finite time and space so that the balance may once again be restored. Truly 'there was always something evil with God, either an evil thought or an evil corruption, and that is the origin of Satan.'[4]

In attacking this particular phase of the Zervanite myth Eznik has some pertinent things to say. Was Zurvān perfect or imperfect?[5] If perfect, he could have created the heavens and earth and would not have needed a son to do so. If imperfect, there must have been some being superior to him. Here Eznik, like so many Christian apologists, shows himself quite unable to put himself in his antagonist's position. For him the perfection of God is axiomatic; therefore if the Zervanites admit that Zurvān is imperfect, it follows that there must be a perfect being higher than he. Moreover, does not Zurvān's performance of sacrifice argue the existence of such a higher being to whom the sacrifice is directed? To whom did he offer sacrifice? he asks. Again Eznik does not understand that for the Magian sacrifice

[1] In one passage (p. 129, ed. Venice, 1926; Schmid, pp. 94–95; Langlois, ii, p. 376) Eznik attributes the conception and birth of Ohrmazd and Ahriman to 'desire' (*tenčank'*) on the part of Zurvān. Little importance could be attached to this isolated instance if we did not know that Āz, who is the demon of lust and greed, played a most important part in Zervanite beliefs. We shall have occasion to refer to this statement of Eznik's again when we discuss the activities of that demon (Chapter VII).

[2] See note A, p. 78.

[3] Text F 4, § 1.

[4] Ibid., § 3.

[5] Ven., p. 130; Schmid, p. 96; Langlois ii, p. 376.

has virtue in itself, irrespective of its object, for Ohrmazd too performs a sacrifice at the end of time. Moreover, Eznik uses the word *yašt*, a word borrowed from Iranian and meaning a 'hymn of praise', in which sense it is probably used here.[1] Zurvān, then, is performing the Magian liturgy, the interminable mumblings of which so struck the Greek[2] and Syriac writers.[3] Once again Šahristānī confirms the nature of this 'sacrifice': Zurvān 'stood and mumbled (*zamzama*) . . . that he might have a son'; and according to Masʿūdī *zamzamat* 'mumbling' was the disrespectful term applied by the Arabs to the Avesta.[4] This, then, is the Magian liturgy transported into eternity. Its performance results in the birth of Ohrmazd just as elsewhere[5] all creation is said to have been created by sacrifice.

To the question, 'To whom did he offer sacrifice?' the Magians are alleged to reply that he sacrificed to Fortune (*pʿaṛkʿ*).[6] Eznik retorts that Fortune is not an independent substance but derives from 'prosperity'. The sense, however, is fairly plain. Zurvān offers sacrifice to Fortune as an hypostasis of himself. He is at the same time priest and God, and the result of his sacrifice is to be Ohrmazd, the demiurge. The latter in turn will create creation by sacrifice and renew it in the last days by the same means.

The reader will probably have noticed that Eznik spoke of Ohrmazd and Ahriman being conceived 'in their mother's womb'. This is surprising, for Eznik told us at the beginning of his narrative that when nothing at all existed Zurvān offered up sacrifices. If nothing else existed, whence is this mother? This question has already been treated fully by Nyberg and others, but we must go over the same ground, since the 'mother' is of importance in the system we are endeavouring to elucidate.

Of the four parallel sources Łišē alone is wholly ignorant of the 'mother': he not only omits to mention her in his account, but puts the following words into the mouth of Joseph, Bishop of Ararat, in his reply to the 'decree' of Mihr-Narsē: 'Lo! Ahriman and Ohrmazd were born from a father, not from a mother: if you consider this well, even you will not accept it.'[7] Eznik, however, with his usual controversial acumen, noticed the sudden appearance of the 'mother' in the myth and pointed out the difficulties that this unexpected introduction of a female element entailed. He uses two arguments, the second of which is merely insulting, but the

[1] Cf. Eznik's use of *pʿaṛkʿ* = Pers. *χᵛarr* 'fortune': when dealing with the Zoroastrians he plainly does not use the word in its ordinary significance δόξα.

[2] Cf. Strabo xv. 3. 14 (Clemen, *Fontes*, p. 35; Benveniste, *The Persian Religion*, p. 52; Bidez–Cumont, *Mages*, ii, p. 112, n. (i).

[3] Cf. Text F 4, and Bidez–Cumont, l.c.

[4] *Murūǰ*, Barbier de Meynard, ii, p. 124.

[5] Text Z 2, § 20.

[6] Ven., p. 131; Schmid, p. 96; Langlois, ii, p. 376. Āδur-Hormizd suggests that the sacrifice was offered to the elements rather than to Fortune. v. text F 5.

[7] ed. Yohannisean, p. 33; Langlois, ii, p. 193.

first of which shows some insight into the nature of the belief he is attacking. The second—*ad hominem*—is that a female element was introduced as a concession to alleged Persian lasciviousness.[1] The first puts the problem clearly: 'But', he says, 'from what is it clear that there was (any) mother (at all)? especially as they say, "When nothing at all existed, neither heaven nor earth, Zurvān alone existed". Now this is really highly ridiculous that he himself should be both father and mother, and that the same person should have emitted the seed and received it.'[2] Eznik, then, clearly interpreted the myth as meaning that Zurvān was hermaphroditic: and his interpretation is now generally and rightly accepted. Both Theodore bar Kônai and Yohannân bar Penkayê speak of a mother, and both introduce her into the myth as casually as Eznik himself.[3] Her existence is, however, put beyond all doubt by a fable preserved by Eznik[4] and two other sources,[5] the gist of which is as follows.

Ohrmazd, after creating heaven and earth, saw that they were still in darkness, yet could think of no means of giving them light. Ahriman, however, knew that if Ohrmazd were to have intercourse with his mother, the Sun would come to be, and that if he were to have intercourse with his sister, the Moon would be born. This information he imparted to the other demons; whereupon one of them, Mahmi by name, conveyed the intelligence to Ohrmazd who, acting on his advice, produced the Sun and Moon in the manner indicated. As we shall have occasion to return to this improbable myth, we must be content with remarking here that it is certainly genuine, as this demon Mahmi—the etymology of whose name is still perplexing[6]—occurs in a fragment of a Manichaean polemic against the Zervanites.[7] Theodore Abū Qurra,[8] to whose account of the Zervanite myth de Menasce has drawn our attention, is most explicit on this subject. For him Zurvān has ceased to be hermaphroditic: he states quite plainly that he has a wife, and incidentally gives details of the exact time when Zurvān began to doubt and Ahriman was conceived. This is what Abū Qurra says:

> Before he (Zurvān) created the earth, he sacrificed for a thousand years that a son might be born to him: and his wife conceived a son whose name was Ohrmazd. When he had been conceived for seven hundred years, his father, Zurvān, doubted if he had been conceived; and this doubt of his brought into being another child in his wife's womb, who was Satan.

[1] Ven., p. 155; Schmid, p. 111; Langlois, ii, p. 381.

[2] Ven., p. 149; Schmid, p. 107; Langlois, ii, p. 379.

[3] Text F 1, § 39.

[4] v. text F 7 (*a*).

[5] v. text F 7 (*b*), Manichaean fragment. Less fully in Āδur-Hormizd (F 5) and others; v. Chapter VI.

[6] *Infra*, pp. 148–9.

[7] *Supra*, p. 21, and *infra*, p. 148.

[8] v. text F 2.

Again he speaks of Ahriman piercing his mother's womb and of the self-same mother bearing Ohrmazd after a period of a thousand years. The latter remark is interesting in that it is unique, and we shall return to it later.

Thus we see that a female element must certainly have existed beside Zurvān. Eznik was unable to decide whether the female figure was distinct from or implicit in Zurvān. The solution seems to be that it was both. This emerges very clearly from the now well-known Acts of Anāhīδ. Speaking of the fire and the stars which the Magians held to be children of Ohrmazd, he says: 'If Ohrmazd conceived them within himself, that is simply in his body, and bore them, then he is like his father Zurvān, hermaphroditic, as the Manichaeans say.'[1] But a few lines later he says (I will leave the proper name blank as it must be discussed later), 'But that Ohrmazd is, like us, dependent on beginning, end, and passing away, is attested by his father Zurvān and his mother . . ..'

The name of the mother is of obvious importance if we could find a satisfactory explanation for it. Nöldeke read *Ch*^{w}*ašīzag*[2] (*χ*^{v}*ašīzag* in our transcription): Nyberg followed him and translated 'la petite belle',[3] and Benveniste considered the matter settled in Nyberg's favour since the word occurred fairly commonly as a Mandaean proper name.[4] This, however, proves nothing: for though it may be natural and proper that a Mandaean lady should be called 'la petite belle', so to describe the consort of the supreme deity seems little short of farcical.

Nyberg (l.c.) very plausibly compared our deity to the Manichaean Mother of Life,[5] second only to the Father of Greatness (Zurvān) in the Manichaean pantheon. Can such a deity really be called 'la petite belle'? We leave judgement to the reader's common sense.

Let us now examine the other readings and see if a more satisfactory solution cannot be found. On the manuscripts' reading Nöldeke (l.c.) has the following: '*XWŠWRYG* (Var. *XWŠYRG* und, wenn ich den Herausgeber richtig verstehe, am Rand der einen Handschrift *XWŠYZG*). Die letztere Form empfiehlt sich dadurch etwas, daß sie (geschrieben *XW'ŠYZ'G*) als Weibername auf einer mandäischen Zauberschale vorkommt.' The best attested readings are then *XWŠWRYG* and *XWŠYRG*, the other *XWŠYZG* (for which *χ*^{v}*ašīzag* was read) not even being certain. Now the first can most naturally be read as *χ*^{v}*ašvarīγ*; and that would be the natural reduction of Middle Persian **χ*^{v}*aš-χ*^{v}*arrīγ*, 'whose *χ*^{v}*arr* is fair', that is

[1] Text F 5 ii.

[2] *Festgruß an Rudolf von Roth*, Stuttgart, 1893, p. 37.

[3] CCM. 1931, p. 83. Andreas *apud* Lidzbarski, *Ephemeris für Semit. Epigr.* i, p. 100, suggested *χ*^{v}*aš-zāk* 'of fair offspring'.

[4] MO. xxvi, p. 183.

[5] See note B, p. 78.

'whose fortune is fair'. We see exactly the same process occurring in Armenian where Persian *dušχᵛarr* becomes Armenian *tʿšuaṛ*. It might, of course, be objected that the Armenian word is to be connected with MP.NP. *dušvār*, the opposite of *χᵛār* 'easy': but this is not possible in the passage from Eznik already quoted. The passage runs as follows: 'It is not as if *pʿaṛkʿ* (fortune) were anything existing of itself, but according to someone's success it is called *pʿaṛkʿ*, just as according to someone's lack of success it is called *tʿšuaṛutʿiwn* (misfortune).'[1]

We know already that Zurvān was qualified by Eznik as Fate or Fortune and that he was represented as sacrificing to that Fortune. We know further that he is represented as having a female element in his composition, and that that female element may be represented as apart from him and is called by a later Arabic writer his wife.[2] Thus when we find that this female element is called by the Acts of Anāhīδ *χᵛaš-χᵛarrīγ* 'she whose fortune is fair', the pieces of the puzzle begin to fit into a pattern. Zurvān was originally hermaphrodite: as he transcends light and darkness, good and evil, or comprises them within his personality, so is he at once beyond the two sexes and a sharer in both. His hermaphroditic nature is confirmed by the evidence of Mithraism; for in all the statues of Zurvān-Kronos that have come to light, his body is encircled by a snake, and in all but one the snake conceals the god's genitals.[3] As Cumont has emphasized, the Mithraists thereby sought to represent their supreme god as sexless, or at least to leave the sex indeterminate.[4] Similarly we find that the Manichaeans speak of their Zurvān, the Father of Greatness, as an elder brother or elder sister.[5] So in the Zervanite myth we have a mother 'whose fortune is fair' who, at first only an aspect of Zurvān, later becomes an independent entity. Since no account mentions her as existing in the beginning—and Eznik is very emphatic on this point[6]—we must assume that she was emanated by Zurvān from his Fortune at the earliest stage in the cosmic drama. Taking into account the difference in the role of Ahriman in the two religions, the initial stages in the cosmic process are exactly the same in Zervanism and Manichaeanism; for in the latter system the Father of Greatness (Zurvān) first emanates or 'evokes'—to use the Manichaean term—the Mother of Life, and she in turn evokes the Primal Man (Ohrmazd). The Zervanite system differs only in so far as it makes Ahriman too a son of Zurvān.

[1] Ven., p. 131; Schmid, p. 97; Langlois, ii, p. 376.

[2] Theodore Abū Qurra, text F 2.

[3] v. Cumont, MMM. i, p. 82. [4] Ibid.

[5] von le Coq, *Türkische Manichäica aus Chotscho*, i (AbPAW. 1911), p. 22: 'der Gott Äzrua (= Zurvān), der selbst ist aller Götter des Götterhimmels älterer Bruder und ältere Schwester, die lautere Majestät, der lichte Verstand(?) (Mutter ?).'

[6] Ven., p. 149; Schmid, p. 107; Langlois, ii, p. 379.

Now Zurvān, after doubting, perceived that there were two sons in the mother's womb, and he made a vow that whichever should come into his presence first should receive the kingdom from him. Ohrmazd, who, as we have seen, was conceived from the wisdom of his father,[1] divined his thought and somewhat guilelessly divulged it to Ahriman. The latter was not slow to take advantage of his newly acquired knowledge; but unfortunately for him Ohrmazd, the elder twin, lay nearer to the egress of his mother's womb.[2] Ahriman, rising superior to the physical obstacle, ripped the womb open at the navel, sprang out, and presented his detestable person to his father Zurvān.

It has already been noticed that in this passage Zurvān promises to make his first-born king, but that later (§§ 60–62) it is the *barsom* or bundle of sacred twigs that he hands over to Ohrmazd. The *barsom* is then the symbol of royalty according to Nyberg,[3] Benveniste,[4] and de Menasce[5], who thereby deprive Zurvān of his essential nature which is justice; but as Menasce himself notes, Zurvān bids Ohrmazd offer sacrifices for him, just as he himself had previously sacrificed for Ohrmazd. This, we are unconvincingly told, is due to Mazdean influence 'qui revendique l'usage religieux, sacrificiel des barsūm'. Yohannân bar Penkayê has the fullest account of this episode: he says, 'I will give him these sticks—they call them *būrsemē*—and I will give him power to create heaven and earth.'[6] Are we not rather to understand, then, that Zurvān promises to give his first-born the kingship and his second-born the office of high priest?

It will be noticed that in the Sassanian rock reliefs in which Ohrmazd is represented as conferring royalty on the new King he gives him not the *barsom* but a diadem.[7] In one only does the *barsom* appear, and then it is not Ohrmazd who presents it—for he is there and presents the diadem as usual—but Mithra.[8] The relief would therefore seem to indicate that the symbols of the diadem and the *barsom* are distinct, the first representing royalty and the second priesthood. Moreover, we shall see later on that though Zurvān

[1] So Šahristānī, text F 4, § 1.

[2] According to Šahristānī. The other sources do not mention the fact. They imply it, however, when they tell us that Ahriman rent his mother's womb, hardly necessary unless Ohrmazd were blocking the natural egress. The passages dealing with the brotherhood of Ohrmazd and Ahriman are collected in our text F 3.

[3] CCM. 1931, p. 76.

[4] MO. xxvi, p. 181.

[5] BSOS. ix, p. 590.

[6] Text F 1, § 29.

[7] Sarre, *Die Kunst des alten Persiens*, p. 44.

[8] Herzfeld, *Am Tor von Asien*, plate 29. Naturally no conclusion can be drawn from the fact that Ohrmazd presents the royalty to the Sassanian kings. Though he must have been regarded as the patron of the royal house and as divine king by the Sassanians themselves, this was not the opinion of the priests who naturally made Ohrmazd, the greatest god, the divine High Priest (cf. our text Z 2, § 4 and Chapter V).

gives the *barsom* to Ohrmazd, it is Ahriman whom he makes king.[1] As Šahristānī says, Ahriman 'went forth and mastered the world'.[2]

The episode has survived in Mithraism and is best illustrated on a monument at Neuenheim (Cumont, MMM. ii, No. 245, illustration facing p. 346) where Saturn (Zurvān), his head veiled and carrying a sickle in his left hand, hands a thunderbolt[3] to Jupiter (Ohrmazd), who supports himself on his sceptre. The scene is a modification of our myth; but little importance can be attached to the fact that a thunderbolt has replaced the *barsom*. The thunderbolt, being the weapon of Zeus-Jupiter *par excellence*, would naturally succeed the Persian *barsom* which would not have been understood in the West. Such restatements of Iranian myths in occidental terms are a commonplace of the Mithraic religion—in the episode following the one under discussion, for instance, we find the struggle of Ohrmazd and Ahriman disguised as a gigantomachy—and the evidence of Mithraism can only come to our aid when no obvious Hellenic interpretation is plausible.

A further indication that the *barsom* represents priesthood rather than sovereignty is supplied by the *Bundahišn*[4] together with the parallel from the *Dēnkart*;[5] for we learn there that Ohrmazd puts on the garment of priesthood, and, as we shall see later, there is every reason to believe that it was from the hands of Zurvān himself that he received his priestly investiture.

On the generation and birth of Ohrmazd and Ahriman our only Iranian source which is explicitly Zervanite, the *'Ulemā i Islām*, differs very considerably both from the myth of Eznik and from Šahristānī. It speaks of the creation of fire and water as being antecedent to that of Ohrmazd and Ahriman;[6] and at the beginning of its account it would appear that Ahriman is an independent entity, but later this impression is corrected, for it goes on to say, 'We said in the beginning, Ohrmazd and Ahriman both came into existence from Time.'[7] The divergence is important, and we shall return to it at the end of the chapter.

When Ahriman came into the presence of Zurvān, he said, 'I am thy son', or according to Yohannân bar Penkayê and Ełišē, 'I am thy son, Ohrmazd'.[8] The latter version certainly reposes on an authentic tradition:

[1] v. pp. 69 ff.

[2] Text F 4, § 1.

[3] The photograph is unfortunately not entirely satisfactory, and the object handed over might be anything. Cumont, however, expressly states that it is a thunderbolt and we have no reason for doubting his word.

[4] Chapter V, pp. 113 ff., and text Z 2, § 4.

[5] Text Z 11.

[6] Text Z 37, § 9.

[7] Ibid., § 23.

[8] Text F 1, § 45.

for from the time of Zoroaster the principle of evil had become identified with the Lie.[1] It is therefore only natural that Ahriman's first action should be to lie to his father. Zurvān, however, denies him because he is of the darkness and stinking and loves to do harm. He wept: and even as he talked to Ahriman, Ohrmazd was born, bright and sweet-scented; and Zurvān knew that it was his son Ohrmazd.

It was at this stage that Zurvān handed the *barsom* to Ohrmazd, saying, 'Up till now have I offered sacrifice for thee, henceforth shalt thou offer sacrifice for me.'[2] Eliše and Theodore Abū Qurra here differ from the other accounts: they state that Zurvān gave the kingdom to Ahriman, but took it away from him when Ohrmazd was born—that being a thousand years later according to Abū Qurra.[3] Here we almost certainly have an attempt at compromise between the ultra-Zervanite position which grants a period of nine thousand years' kingship to Ahriman and that of the Mazdeans which only allowed Ahriman three thousand years of strife.[4] Even in that period they would not have it that he was supreme, and for the two remaining tri-millennia they allowed Ohrmazd to do as he pleased.

With the delivery of the *barsom* to Ohrmazd we have seen that Zurvān invested him with the office of priest. Hitherto Zurvān had sacrificed that he might have a son; and from his sacrifice Ohrmazd was in fact born: but he doubted, and with disastrous results. Ahriman, the Aggressor and Destroyer, had been born from that doubt and was, as it were, its personification. If we are to believe Eznik, it was in order to be rid of the doubt that Zurvān handed the *barsom* to Ohrmazd.[5] In attacking the Zervanite thesis he nevertheless succeeds in presenting a clear picture of how this episode was understood by his opponents. 'And thus it is plain', he says, 'that the father was without intelligence and power and placed his reliance in another, and that the son was likewise without intelligence and power. For the one could not give birth to his son without performing sacrifice, and the son could not release him from his doubts without taking the rods into his hand.'[6] There is every reason to believe that such was indeed the Zervanite belief. By doubting, Zurvān had become unworthy of priesthood and power. Because of the vow he had made he was obliged to give kingship to Ahriman: but to Ohrmazd he gave the *barsom*, the emblem of

[1] This is one of the very rare occasions on which Herodotus, the Behistūn inscription, and the *Gāθās* agree. Benveniste's contention (*Persian Religion*, p. 36) that the use of *druǰ-* in the *Gāθās* is totally dissimilar from that of the inscription, and that therefore the two are independent, is unconvincing.

[2] Text F 1, §§ 63–64.

[3] Text F 2. The meaning may, however, be that Ohrmazd was born 1,000 years after Zurvān began to sacrifice.

[4] Text Z 1, § 14.

[5] v. p. 78, n. A.

[6] Ibid.

priesthood, so that he could by virtue of sacrifice bring the power of Ahriman to naught. Thus in the Pahlavī books we find that at the end of the period of twelve thousand years Ohrmazd and Srōš hold a great sacrifice[1] and that thereby the power of Ahriman is broken: finally *no doubt remains*.[2]

We now come to the concluding episode of the Zurvān myth. Ahriman approaches Zurvān and reminds him of his vow, addressing him thus (Theodore bar Kônai): 'Take care, didst thou not make that vow, "To the first to come I shall give kingship."' And Zurvān replies: 'Begone, Satan; I have made thee King for nine thousand years, and I have made Ohrmazd to rule above thee, and after the allotted time Ohrmazd shall reign and order all things according to his will.'[3]

Two points deserve notice here. What is meant by 'I have made Ohrmazd to rule above (*resp.* over) thee'? Eznik too has the same phrase (*i veray kʿo arkʿay kacʿucʿeal*).[4] Nyberg, in his treatment of the myth, saw in the use of the Armenian words *arkʿay* and *tʿagawor* a distinction which he would trace back to the Pahlavī original. According to him *arkʿay* would represent *šāh* and *tʿagawor pātiχšāh*. 'Quoiqu' Ormuzd reste maître suprême, Ahriman possède donc, selon notre mythe, une sorte de pouvoir légitime dans la durée présente: si Ormuzd est le *pātiχšāh*, Ahriman est du moins le *Šāh* de notre monde.'[5] But it is doubtful whether this distinction can be maintained, for the two words are used indifferently by the Armenian historians to denote kings in general and the King of Persia, the 'King of Kings', in particular. If anything *tʿagawor* would appear to be more generally used of the King of Kings and *arkʿay* of vassal kings. Thus Pʿawstos of Byzantium (e.g. iv. 54) speaks of Šāpūr II of Persia as *tʿagawor* and of his Armenian vassal Aršak as *arkʿay*. We should therefore seek a solution to our difficulty elsewhere. Let us turn to Šahristānī.

According to him Zurvān cursed Ahriman and drove him away, and Ahriman went forth and mastered the world (*dunyā*) and Ohrmazd was without power over him;[6] and the period of Ahriman's domination lasts, according to Abū Qurra, for seven thousand years. How, then, can Ohrmazd be said to have been king over him? The answer would seem to be

[1] v. esp. GrBd. 227. 7 ff.: *'pas 2 druž frāč 'mānēnd, Ahriman 'ut Āz. Ōhrmazd 'ō gētēh 'āyēt, 'χᵛat zōt, Srōš-ālāy rāspīk, 'ut aiβyāhan 'pat 'dast 'dārēt. Ganāk Mēnōk 'ut Āz 'pat 'ān i gāsānīk nīrang zat-aβzārīhā akārīhast.*—'Then two lies remain, Ahriman and Āz. Ohrmazd comes down to earth and is himself the *zōt* priest and Srōš, the Blessed, the *rāspīk*. He holds the girdle in his hand. The Destructive Spirit and Āz, their weapons smashed, are made powerless by that Gāθic ritual.'

[2] Zs. 34. 54. v. text Z 5 (*a*).

[3] Text F 1, §§ 66–85.

[4] Venice, p. 127.

[5] CCM. 1931, p. 76.

[6] Text F 4.

given by the use of the Arabic word *dunyā*, meaning the corporal world in distinction to the spiritual; what, in fact, the Mazdeans understood by *gētēh*. The use of this particular word cannot be accidental, for, a little before, Šahristānī speaking of the Cosmos calls it, as we would expect, *'ālam*. Ahriman was, then, given the dominion of the earth, and Ohrmazd was set as lord above him. 'Above', then, must be understood literally. Ahriman is indeed the prince of this world, but Ohrmazd rules the world of spirit above.[1]

This theory that among the Zervanites as well as among the Gnostics the Devil was regarded as the ruler of the earth receives striking confirmation from a passage in Psellus (text G 7) where exactly these views are described. The sect in question is described as Euchite, but that they, whoever they were,[2] were dependent on Zervanism seems likely since they acknowledged three principles,[3] a father and two sons, the younger of whom controlled the heavens and who must therefore correspond to the good god of Mānī mentioned in Psellus' previous paragraph. The father who would represent Zurvān controls only those things which are above the Cosmos; the younger son—and it will be remembered that Ohrmazd is the younger in Eznik's myth too—controls the heavens; but the sway of the elder son who must be Ahriman, the Evil Spirit, extends over all that is within the Cosmos. Thus though Zurvān may still control things transcendental, it is Ahriman who holds undisputed sway in this world, while Ohrmazd rules above in heaven. In this respect the Zervanites are at one with the more pessimistic of the Gnostic sects who regard the Evil Spirit as the ruler of the earth.

That Ohrmazd in fact rules a kingdom above that of Ahriman seems all the more likely in that the Mazdean cosmologies represent Ohrmazd as dwelling in the Endless Light which is situated above the Void. In this the *Bundahišn* and Zātspram agree, both of which give us a cosmology which has been strongly influenced by Zervanism.[4] With the delivery of the sovereignty of the earth to Ahriman in the myth and the establishment of Ohrmazd above him in heaven we have substantially the same situation as we meet with at the beginning of the Mazdean cosmology. The one is below in darkness and the other on high in the light. In point of fact the Cosmos has not yet come into being; but that the material world was constructed from an element of darkness or rather some neutral substance, in

[1] See note C, p. 79.

[2] These Euchites would appear to be connected with the Manichees and can scarcely be identical with the sect of the same name discussed in ERE.

[3] Eznik too speaks of a Magian sect which acknowledged three principles: we have seen that this sect must be the Zervanites; v. p. 58.

[4] Texts Z 1 *init.*, Z 4 *init.*

Zervanism as well as Manichaeanism, Mandaeanism, and the majority of Gnostic sects, cannot be doubted: for how else can the singular statement of Eznik be accounted for according to which Ohrmazd was unable to create the luminaries to illuminate his creation which was in darkness?[1] We have no longer any excuse for doubting Eznik's word, for the episode is now confirmed by a Manichaean fragment attacking this very doctrine.[2] Thus according to the Zervanites Ohrmazd, though the creator of heaven and earth, must have used the darkness or some neutral substance as the raw material for his creation. In this they approach the Manichaean position.[3] The myths are different, but the fundamental conception is the same: the world is fashioned by the God or gods of light out of the substance of darkness: in the Zervanite cosmogony the Spirit of Darkness forms a counter-creation from the same material.

The Manichaeans, according particularly to Alexander of Lycopolis and St. Augustine, regarded the principle of darkness as matter,[4] and this is borne out by the Coptic Manichaean texts.[5] We cannot be quite sure that this was also the Zervanite point of view: it is not confirmed by the 'semi-Zervanite' texts in the *Bundahišn* and Zātspram,[6] but we will come upon the idea again and again. We shall see in the next chapter that creation was regarded as a limitation of Space (*gās* or *Vāy*) and Time (*zamān*) which cannot properly be regarded as either light or dark. Such a creation would also require the luminaries to lighten it. We do, however, find references in the Pahlavī books which indicate that water was the element from which creation was made,[7] and water, according to one school of thought, was intimately connected with darkness.[8] We can safely conclude that for one sect of Zervanites at least darkness-water was the raw material of both the creation of Ohrmazd and that of Ahriman.

Of the figure nine thousand years which the myth assigns to the reign of Ahriman we shall have occasion to speak in the next chapter.

What, then, have we gathered of the nature of Zurvān from this myth? He was the sole existing person, and he wished for a son who might create

[1] Text F 7 (*a*).

[2] Text F 7 (*b*).

[3] A clear account of the Manichaean creation myth will be found in Burkitt, *The Religion of the Manichees*, pp. 27 ff.: cf. also Polotsky in Pauly–Wissowa, s.v. 'Manichäismus'; Cumont, *Recherches sur le manichéisme*, i, pp. 25 ff.; Jackson, *Researches in Manichaeism*, pp. 233 ff.; Puech, *Le Manichéisme*, pp. 79 ff.

[4] Baur, *Das manichäische Religionssystem*, p. 20; Reitzenstein, *Die Göttin Psyche*, p. 6.

[5] v. Allberry, *A Manichaean Psalm-book*, 54. 17; 108. 24; 221. 5.

[6] The concept of *hylè* seems conspicuously absent from our Iranian texts.

[7] v. esp. Zs. 34. 50 (text Z 5 (*a*)): 'For Ohrmazd created with water and will bring about the end with fire.' So GrBd. 17. 4 = text Z 1, § 41: 'The first creation of all was a drop of water, for all things arise from water except the seed of man and cattle: for that seed has the seed of fire.'

[8] pp. 72 ff.

heaven and earth. Like the Indian Prajāpati he may have been lonely and desired to manifest his power. While offering sacrifice in order to obtain a son, he doubted, and through this doubt Ahriman was conceived. At the birth of his two sons he gave the *barsom* with which he had been sacrificing to Ohrmazd as a sign of divine priesthood; and Ahriman he made king of the world for nine thousand years. By so doing he divested himself of all effective power and charged Ohrmazd to offer sacrifice for him to counteract the evil consequences of his doubt. He is regarded as the Great God and the Just God, but not as omnipotent or omniscient. Though not himself evil he contains the germ of evil, and though not dark he has the seed of darkness within him. Through a single mistake Ahriman, the Devil, is born, and Zurvān thereby forfeits his right to the divine priesthood and hands it on to his son Ohrmazd, who is the principle of goodness and light. After his fall and by his doubt he becomes inferior to Ohrmazd.

We noticed earlier in this chapter that in one important respect the *'Ulemā i Islām* differs from our other sources.[1] According to this little treatise Ohrmazd and Ahriman were not the immediate offspring of Zurvān or Time, but were formed by the latter from fire and water which had been previously created. The *'Ulemā*, however, leaves the question of the genesis of Ahriman in doubt. We are merely told that Ohrmazd looked down and beheld Ahriman ninety-six thousand parasangs away. Later, however, the same treatise tells us that both Ohrmazd and Ahriman came into existence through Time: but no mention is made here of their genesis from fire and water. This account of the *'Ulemā* which gives priority over Ohrmazd and Ahriman to fire and water is so singular that it deserves extensive discussion. Bousset in his *Hauptprobleme der Gnosis*[2] has already drawn attention to the passage in his discussion of the Pseudo-Clementinae and the Elkesaite Gnosis. With reference to the *'Ulemā* he has very properly drawn attention to a passage from Hippolytus[3] which is of the highest interest for our problem. According to this authority the Magians admitted two principles, a father and a mother. The father is light, the mother darkness: the parts of the light are hot, dry, light, and swift; those of the darkness cold, moist, slow, and heavy. From these principles, the male and the female, all the Cosmos proceeds. Later Hippolytus quotes a doctrine attributed to Zaratas (Zoroaster) according to which there are two *daemons*, the one celestial and the other terrestrial. The latter is water and has its being from the earth; the former is fire mixed with air.[4]

[1] v. p. 67.

[2] p. 153; cf. Reitzenstein, *Studien zum antiken Synkretismus*, pp. 116 ff.; Bidez–Cumont, *Mages*, ii, pp. 63–66.

[3] Our text G 3.

[4] Cf. Vitruvius, *De archit.* viii, praef. 1.

Bousset (l.c.), while admitting the importance of this passage, does not think that it represents a genuine form of Magianism: according to him it is strongly tinged with Pythagorean ideas;[1] and this may, in fact, be the case. If so, we should be constrained to admit Pythagorean influence on Magian thought—a not impossible hypothesis—for we have parallels to Hippolytus not only in the *'Ulemā* but also in the Pahlavī books.

That the Persians worshipped fire and water consistently from the time of Herodotus till the Muhammadan conquest is a commonplace of religious history and does not need to be emphasized. Corresponding to their prominence in the cult is their cosmological importance. According to the *Dēnkart* they are the source of everything: fire and water are father and mother and all material things are born from them. Fire is male, water female; and they are brother and sister.[2] Since they are brother and sister, it would only be natural that they should have a parent. The Pahlavī books are silent on this point, and for an obvious reason. For they were the son and daughter of Time, that is Zurvān, as the *'Ulemā* expressly states. In the myth we saw that Zurvān comprises both good and evil, light and darkness, sweet scent and stench: we saw that there was reason to suppose that he was hermaphroditic, though later a 'mother' seems to have been introduced at his side. But in the *'Ulemā* account we find the distinction of sex appearing before that of good and evil, light and darkness, Ohrmazd and Ahriman. The first creatures are fire, the male, and water, the female. From them Ohrmazd arose.

And what of Ahriman? As we have seen, the *'Ulemā*'s account of the myth leaves his existence unexplained, though it later admits that he came into being through Time and therefore presumably through fire and water. Nor is this a mere hypothesis; for we find in the *Bundahišn* that the substance of Ohrmazd is described as warm and moist, and that of Ahriman as cold and dry.[3] This singular composition of the opposing deities can only be explained if we suppose them to be produced from the elements whose properties they have borrowed. Fire is the hot and dry, water the cold and moist.[4] With the former is associated air, with the latter earth.[5] But these

(Clemen, *Fontes*, p. 37), 'de septem sapientibus Thales Milesius omnium rerum principium aquam est professus, Heraclitus ignem, Magorum sacerdotes aquam et ignem'.

[1] v. the remarks of MM. Bidez and Cumont, op. laud., ii, p. 64, n. 3, who distinguish the Magian and Pythagorean elements in Hippolytus' account.

[2] See note D, p. 79.

[3] GrBd. 181. 6: *gōhr i Ōhrmazdīk garm 'ut χᵛēt, rōšn 'ut hubōδ i sapuk.*—'The substance of Ohrmazd is warm and moist, bright and sweet-smelling and light.' Ibid. 188. 11: *gōhr i Ahriman sart χušk *sangēn tārīk 'ut gandak.*—'The substance of Ahriman is cold and dry, heavy, dark, and stinking.'

[4] See note E, p. 79.

[5] According to the opinion of the Magians cited by Hippolytus, l.c. So *Poimandres* iv; cf. Reitzenstein, *Die Göttin Psyche*, p. 33.

would seem to be secondary,[1] for they are not mentioned in this connexion in the *'Ulemā* and played a subordinate role in the cult.

Thus it is possible to distinguish two forms of Zervanism. According to the first, Zurvān, either through the evocation of a mother goddess or from himself, generates the two gods, Ohrmazd and Ahriman, light and darkness, good and evil. According to the second he generates two elements, the one male and the other female, the one light and the other dark, fire and water. The female principle is then water and darkness: being darkness it would also be evil.

Now when we turn from the Zoroastrian writings to the *Acts of Āδur-Hormizd* (text F 5) we find further very remarkable evidence for our hypothesis. 'When the water had come to Ahriman,' we read, 'the latter spake to Ohrmazd: "Thy beasts shall not drink of my water." ' The water is subsequently swallowed by the frog created by Ahriman; and the frog in its turn is attacked by a fly so that it brings up the water, and the latter returns to its proper place. One circumstance only can detain us here, that is the flight of water to Ahriman. The flight of the water is comparable to the secession of woman to Ahriman in the notice of Theodore bar Kônai. The latter has been fully dealt with by Benveniste, who has endeavoured to show that this secession is a concession to Mazdean doctrine and that in the original Zervanite myth woman was a creature of evil.[2] The same is evidently the case in Āδur-Hormizd. Water is female and therefore liable to share in the perversity of woman: and water shows a similar capriciousness in deserting the creation of Ohrmazd for that of Ahriman. It is therefore legitimate to conclude what Benveniste concluded in the case of woman: water, in the original Zervanite myth, belonged not to the powers of good but to evil. As against fire, the bright, male, beneficent deity, then, we have water, the dark, female, and maleficent.

Is there any trace of such an evil female element in the Pahlavī literature? There is. Unfortunately the references to her are so exasperatingly few that it is no longer possible to distinguish her original character. She is J̌ēh, the Primal Whore. As a mythological figure we know her only in the *Bundahišn* and Zātspram.[3] After Ahriman's defeat at the hands of Ohrmazd it is she and only she who is able to arouse the prince of darkness from his torpor and to spur him on to his furious onslaught on the creation of Ohrmazd;[4] and it is she who defiles the whole human race.[5] The role of

[1] One should not forget, however, that Zurvān, Ašōqar, Frašōqar, and Zarōqar are regarded as antecedent to Ohrmazd and Ahriman and are *like the elements*: cf. pp. 219.

[2] v. p. 228 ff.

[3] Texts Z 5 (*a*) and Z 6.

[4] Text Z 6.

[5] Text Z 5 (*a*), § 31.

this creature seems to have been important in the Zervanite system, and we shall have occasion to discuss it in detail below.[1] For her original character we can only resort to conjecture, but it does not seem too bold to suggest that she is the survival of an old chthonian goddess representing earth and water who, with the spread of Mazdean dualism, was reduced to the status of a demon. She may well have been the female principle of the Universe, the moist and fertile earth, like a thousand other earth goddesses in other religions.

The existence of such a deity associated with water seems to be strikingly corroborated by a passage in the *Bundahišn*. This passage concerns the first human couple, Mašyē and Mašyānē, and the steps by which they were brought to sin. The relevant portion runs as follows:

> The first words they spoke were these: 'Ohrmazd created the water, earth, plants, cattle, the stars, Moon, and Sun, and all the prosperity which, according to the revelation of righteousness, is called root and fruit.' Then the Aggressor assailed their thoughts and troubled them; and they cried out: 'The Destructive Spirit (Ahriman) created water and earth and plants and other things.'[2]

This may not at first seem particularly significant: but on closer examination it will appear that the list of things which Ahriman was said to have created is defective. No claim for an Ahrimanian origin of fire or the sky is advanced: his domain is only that of the water, earth, and plants. This can surely be no accident, for ten pages farther on the *Bundahišn* asserts that the former were all considered male and the latter female. 'It is said that four things are male and four female. The sky, metals, wind, and fire are male and never alter. Water, the earth, plants, and fish are female and never alter.'[3]

Now the statement that water, earth, and plants were created by Ahriman is said by the *Bundahišn* to have been the first lie of Mašyē and Mašyānē; and 'lying' is the technical term for adhering to a false or proscribed doctrine. We can therefore be certain that the doctrine alluded to is that described by Hippolytus. No claim is made that Ahriman is creator of all things: he is the creator of water, earth, and plants. These are all female. By corollary we must assume that the sect attacked held Ohrmazd to have

[1] p. 183 ff.

[2] GrBd. 102. 6–11: *'ut-šān nazdist gōβišn 'ēn guft 'ku Ōhrmazd dāt 'āp 'ut zamīk 'ut urvar 'ut gōspand, star 'ut māh 'ut χᵛaršēt 'ut harvisp āpātīh 'kē 'hač ahrāyīh paytākīh 'gōβēt bun 'ut bar. 'ut-šān 'pas pityārak 'pat mēnišn 'apar duvārast, 'ut-aš mēnišn 'bē āhōkēnīt 'hēnd; 'ut-šān drāyast 'ku ganāk mēnōk 'dāt 'āp 'ut zamīk 'ut urvar 'ut apārīk 'čiš.*

[3] Ibid. 112. 14: **4 'čiš 'narān, 4 'mātak 'goβēt; āsmān ayō(k)χšust, vāt 'ut ātaχš 'nar, 'ut hakarč yuttar 'nē 'bavēt: 'āp 'ut zamīk 'ut urvar 'ut māhīk mātak 'ut hakarč yuttar 'nē 'bavēt.*

been the creator of the male series, the sky, metals, wind, and fire. All this accords admirably with Hippolytus.[1]

Whether this dissident Zervanite belief in the priority of fire and water and the assimilation of the first to the light and the second to darkness is originally Iranian, we have no means of telling. Parallels are, however, to be found in sects that may well have been strongly influenced by Iranian ideas. The beliefs of the Kainawiyya, as recorded by Šahristānī, deserve notice.[2] For them fire, water, and earth were the original principles: fire was by nature good and light, and water was its natural opponent. Whatever was good came from the fire; evil from the water. The parallel with our Zervanite doctrine is close and, if influence is to be assumed, our conjecture that in this particular form of Zervanism water was essentially the evil element receives additional confirmation. The assimilation of water to the darkness in Hippolytus made this probable: the evidence of the Kainawiyya makes it comparatively certain. In all Iranian religion darkness and evil are practically synonymous.

The Elkesaite parallel which Bousset particularly emphasized[3] is less satisfactory. Here the situation is exactly reversed: water is the holy element, fire the evil. The same demonization of fire is to be found in the Pseudo-Clementinae and certain Gnostic systems.[4] Again in the Elkesaite system the sexes are reversed: water is the male and fire the female. Here Bousset discerns direct Iranian influence: the Elkesaites have borrowed the Zervanite doctrine and turned it upside down. This theory he substantiates by the statement of Hippolytus that Elxai received a secret book from the Parthians and transmitted it to the *Σοβιαῖ*, probably a baptist sect in Mesopotamia. Bousset comments:

> Wenn es also hier heißt, daß Elxai sein Buch von Parthien empfangen und seinerseits dem *Σοβιαῖ* übergeben habe, so übersetzen wir das religionsgeschichtlich und schließen, daß auf die zwischen Euphrat und Tigris auf der einen Seite und dem Jordan auf der anderen Seite wohnenden Täufersekten zu einer bestimmten Zeit ein Einfluß von Seiten der persischen Religion ausgegangen ist.[5]

This seems reasonably convincing. Minor religions are apt to borrow ideas from major ones and to turn them upside down in the process. We have only to recall the Mandaean treatment of Christ whom they turn into a

[1] Cf. the anonymous Syriac text F 9: 'De tout cela on peut inférer clairement qu'il (sc. Zoroastre) suppose des séries de divinités mâles et femelles.' v. further the remarks of Professor Benveniste in MO. xxvi, pp. 185 ff., and Chapter VII, p. 187.

[2] ed. Cureton, p. 196; tr. Haarbrücker, i, p. 297. Cf. Reitzenstein, *Die Göttin Psyche*, p. 35.

[3] *Hauptprobleme*, p. 156, where the relevant passages are cited.

[4] Ibid., pp. 151 ff.

[5] Ibid., p. 158.

maleficent being who wreaks havoc in the city of Jerusalem while the work of redemption is carried out by the Mandaean deity Anōš.[1] Even more striking is their treatment of Rūhā d'Qudšā, the Holy Ghost, whom they quite simply transform into the principle of evil!

As Brandt[2] and others after him have shown, this sect has also borrowed from Īrān. Certain of its deities, such as Rašn, Bahrām, and Sām, are recognizably Iranian; and once the Mandaean triad Hibil, Šitil, and Anōš is identified with the Iranian triad Mihr, Srōš, and Rašn (Mand. *mwhwr*, ⟨*s*⟩*rwš*, and *r'st*, the latter representing the stock epithet of Rašn—*rāst* 'the Just').[3] When, therefore, we find in the third book of the *Ginzā*[4] that the demiurge Ptahil descends into the dark waters, clad in a garment of fire, and that the fire mingles with the water and the material creation comes into being therefrom,[5] we cannot fail to be reminded of the Zervanite myth preserved in the *'Ulemā*. Again it would appear to be a case of the male element, fire, fertilizing the female, water, in order to produce the Cosmos. We are probably justified in regarding this Mandaean episode as deriving from the same source as the Zervanite myth, since the Mandaean religion usually distinguishes two series of elements—the good fire, water, air, and earth, and their evil counterparts. In this they agree with the Manichaeans.

Though Gnostic parallels are more often diverting than instructive, it should be mentioned in passing that in the system of Bardesanes (if we may still speak of him as a Gnostic) light and darkness were regarded as being of different sexes,[6] and that in other systems, notably the so-called Simonian, a male and a female were placed at the fount of the Cosmos.[7]

From the above evidence we may conclude that there was a school of dissident Zervanism according to which Time produced fire and water, the one light and good, the male element, the other dark and evil, the female.

[1] On the Mandaean polemics against the Christians in general and the Messiah in particular v. Brandt, *Mandäische Religion*, pp. 141 ff. The appearance of the 'lying Christ' is found in the second book of the *Ginzā* (tr. Lidzbarski, pp. 49 ff.).

[2] Op. laud., p. 194.

[3] Lidzbarski, op. laud., p. 284, n. 4. The Mandaean text has *rwš* instead of *srwš* (Srōš) and the editor has made the necessary correction. Pallis (*Mandaean Studies*, p. 87) reads *ruš* and identifies with Av. *raōčā-*: this is certainly wrong, as Mihr, Srōš, and Rašn form the triad whose function it is to judge the dead.

[4] p. 103. 11 in Lidzbarski's translation (cf. also pp. 91. 25); 266. 7 has: 'Da nahm er etwas vom lebenden Feuer . . . warf es in das schwarze Wasser, und die Erde Tibil dichtete sich.'

[5] Cf. also *Book of John* (Lidzbarski's translation, p. 56): 'Aus Feuer und Wasser wurde der eine Himmel ausgespannt. Aus Feuer und Wasser haben sie die Erde auf dem Amboß gedichtet. Aus Feuer und Wasser sind Früchte, Trauben und Bäume entstanden. Aus Feuer und Wasser wurde der körperliche Adam gebildet.'

[6] Flügel, *Mani*, pp. 161–2; Bousset, op. laud., p. 97.

[7] Bousset, op. laud., p. 128.

These were mingled and from them arose Ohrmazd and Ahriman, the one derived predominantly from the fire and the other from water. Only in their physical composition were the natural properties of their 'parents' mixed. Ohrmazd inherited the heat of fire and the moisture of water, Ahriman the coldness of water and the dryness of fire. It seems probable that this form of Zervanism was not Iranian in origin, for nowhere in the Zoroastrian books do we find any reference to water as being evil. This can only be inferred from Hippolytus and from comparison with cognate religions. It is more likely that Zervanism derived such thoroughly un-Zoroastrian ideas from non-Iranian sources than vice versa.

NOTES TO CHAPTER III

A. Eznik is quick to point out that, by doubting, Zurvān is the origin of evil rather than Ahriman. 'Thus it is clear', he concludes, 'that Zurvān was without power and imperfect, without knowledge, and himself the cause of evil, not Ahriman. For had he not doubted, as they say, Ahriman would not have come into existence, whom they say is the creator of evil: but he himself doubted, who is without faith and full of incompetence' (Venice, 1926, pp. 132–3; Schmid, p. 97; Langlois, ii, p. 376). Again (Venice, 1926, p. 151; Schmid, p. 108; Langlois, ii, p. 380) he ridicules the myth of the transference of the *barsom* from Zurvān to Ohrmazd: 'If he (Ohrmazd) were God and had power to create heaven and earth, why should he need to have the *barsom* and to perform sacrifice, that he might free his father from doubt? Why was he, who could create heaven and earth without the *barsom*, unable to rid his father of care without the rods? Thus it is plain that the father was without intelligence and power and placed his reliance in another, and that the son was likewise without intelligence and power. For the one could not give birth to his son without performing sacrifice, and the son could not release him from his doubts without taking the rods into his hand.' Interesting also is Ven., p. 139 (Schmid, p. 101; Langlois, ii, pp. 377–8), where Eznik demonstrates that Zurvān cannot be king and creator.

B. This figure is not peculiar to Manichaeanism: it occurs in many of the Gnostic sects (E. de Faye, *Gnostiques et Gnosticisme*, pp. 379–412) and is, according to Bousset (*Hauptprobleme der Gnosis*, p. 26) to be derived from such mother-goddesses as the Babylonian Ištar, the Syrian Attargatis, the Phrygian Cybele, and the Aramaean Astarte. In Manichaeanism she is the first evocation of the Father of Greatness, and therefore wholly on the side of light. The other extreme is represented by Mandaeanism where the Mother, Rūhā (*resp.* Namrūs or Hewath), is the queen of darkness. For the confusion of sexes which we have in the Zervanite myth we may compare the figure of Barbelo in the Barbelo-Gnosis: besides being the Mother, she is the πρωτάνθρωπος or primal man (Bousset, op. cit., p. 60, to which the reader is referred for further details). The Zervanite Mother is far more vague than that of any of the Gnostic systems and may therefore have been borrowed from them or their source.

C. The idea that the evil deity has control of this world and that the good deity rules on high and far removed from the world is pure Gnosticism. Marcionism, though strictly speaking not a Gnostic sect, knows it too, though for the evil deity it substitutes the 'Just' God of the Old Testament. Cf. *supra*, p. 59. Both Marcion and the Mandaeans speak of the Saviour—in the one case Jesus, in the other Mandā d'Hayyē, Hibil-Zīwā, or Anōš—as the 'stranger' god. How far this idea was present in Zervanism it is not possible to say, though Šahristānī's account makes it probable that their more pessimistic wing regarded the world as the legitimate province of Ahriman. The idea is un-Iranian and would, therefore, be borrowed from a Western source.

D. DkM. 79. 21: *'ut 'har-ič gētēhīk 'bavišn, pazzāmišn, vīnārišn 'hač hamīh 'pat patmān ⟨i⟩ 'āp i māt⟨ak⟩ 'ut ātur i 'nar, 'pat ham-dahišnīh 'χᵛāh 'ut 'brāt hangārī-hēnd.*—'All material becoming, ripening, and order is from the coming together in due proportion of water, the female, and fire, the male: since they were created together, they are considered sister and brother.' Cf. ibid. 468. 10: *'ōh-ič 'āp 'hač ātaχš 'hamist gōhr 'ut čand aδvēnak 'pit 'ut 'māt 'hēnd.*—'Thus water together with fire is a substance: they are the father and mother of several species.' Ibid. 417. 15: *passāčišn i jānvarān 'pat hamīh i ātaχš 'ut 'āp.*—'The composition of animals is through the union of fire and water.' In Mithraism fire and water are brother and sister: v. Cumont, *Mystères de Mithra*, p. 115.

E. Cf. Aristotle, *De generatione* 330ᵃ30 (p. 41 in the edition of Joachim): *ἐπεὶ δὲ τέτταρα τὰ στοιχεῖα, τῶν δὲ τεττάρων ἓξ αἱ συζεύξεις, τὰ δ' ἐναντία οὐ πέφυκε συνδυάζεσθαι (θερμὸν γὰρ καὶ ψυχρὸν εἶναι τὸ αὐτὸ καὶ πάλιν ὑγρὸν καὶ ξηρὸν ἀδύνατον), φανερὸν ὅτι τέτταρες ἔσονται αἱ τῶν στοιχείων συζεύξεις, θερμοῦ καὶ ξηροῦ, καὶ ὑγροῦ καὶ θερμοῦ, καὶ πάλιν ψυχροῦ καὶ ξηροῦ, καὶ ψυχροῦ καὶ ὑγροῦ. καὶ ἠκολούθηκε κατὰ λόγον τοῖς ἁπλοῖς φαινομένοις σώμασι, πυρὶ καὶ ἀέρι καὶ ὕδατι καὶ γῇ. τὸ μὲν γὰρ πῦρ θερμὸν καὶ ξηρόν, ὁ δ' ἀὴρ θερμὸν καὶ ὑγρόν . . . τὸ δ' ὕδωρ ψυχρὸν καὶ ὑγρόν, ἡ δὲ γῆ ψυχρὸν καὶ ξηρόν.* Cf. ŠGV. 2. 17: *sardī i brādarōdī ō χᵛīdī i āw gumāχt əstəṯ, hamāstār i garmī i ātaš. u χᵛaškī i brādarōdī ō garmī i ātaš gumāχt əstəṯ hamāstārihā ō χᵛīdī i āw vazūdār.*—'The rival cold, which is mixed with the moist of water, is the opponent of the hot in fire: and the rival dry, which is mixed with the hot in fire, opposes and injures the moist in water.'

CHAPTER IV

COSMOLOGY, I

(*a*) *The God Vāy*

In turning from the non-Iranian sources to the Avesta and Pahlavī books one cannot fail to be struck by their dissimilarity. In the last chapter we saw that according to Eznik and a number of other authorities Zurvān was regarded as the father of Ohrmazd and Ahriman. One might have thought that some trace of such a belief could be discerned in the Avestan and Pahlavī sources themselves. In that we shall be much disappointed. In all the Pahlavī books there is only one reference to the myth we have latterly discussed. The reference occurs in the ninth book of the *Dēnkart*,[1] which purports to be a translation of and a commentary on the *Gāθās*. The passage in question deals with Ys. 30. 3, where the Avestan text clearly states that the Good and Evil Spirits are twins (*yəmā*). Such a text cannot have failed to strengthen the Zervanite position immensely; and one might even be tempted to believe that the myths and speculations about Zurvān prevalent during the Sassanian period owe their existence to it alone.[2] The compilers of the *Dēnkart* at any rate were thoroughly aware of the interpretation put upon this text by their opponents. Though their knowledge of the Gāθic language was doubtless rudimentary, they nevertheless seem to have known that *yəmā* meant 'twins', and accordingly translate 'two brothers'. But for them the admission that Ohrmazd and Ahriman were brothers was fatal. Some other way out of their difficulty had to be found. Fortunately for them the word *ərəš* occurred in the third line of the stanza. Disingenuously ignoring the fact that *ərəš* meant 'rightly' and relying on the ignorance of others,[3] they proceeded to turn the Avestan *ərəš* into the demon Ariš(k) (Envy)! The whole passage then was merely a lie spread abroad by the demon of Envy, and the doctrine therein proclaimed was therefore false. This wilfully stupid mistranslation is the only reference to the doctrine of the brotherhood of Ohrmazd and Ahriman in the whole of Pahlavī literature; and even here the name of Zurvān is not mentioned. That the passage is hostile to Zervanism cannot be denied: but on the ground of this single passage it would not be permissible to conclude that a state of active hostility existed between the two opposing schools.[4] The

[1] Text F 3 (*a*).

[2] Cf. Darmesteter, *Zend-Avesta I*, p. 221, n. 10.

[3] For the Sassanian theologians' ignorance of the Avestan language see Text F 3 (*a*), note.

[4] According to Nyberg (CCM. 1931, pp. 60, 197) GrBd. 11. 4–5 (text Z 1, § 26)

evidence collected in Chapters I and II, however, indicates that such hostility did exist, though among the Zervanites themselves great latitude seems to have been permitted to the faithful in their conceptions of the supreme deity.[1]

However, though the Pahlavī literature contains only one reference to the prime Zervanite doctrine as it has been preserved for us by Eznik and other Christian writers, it is nevertheless invaluable in supplying us with material which enables us better to understand the character of Zurvān, and from which, in conjunction with other sources, we may piece together fragments of other Zervanite myths. Without its assistance such attempts would have been foredoomed to failure.

Between the Pahlavī books on the one hand and the Christian accounts on the other stand the *'Ulemā i Islām* (text Z 37) and Šahristānī (text F 4). The former is particularly important as being the only extant account of Zervanism written by Zervanites: its value is, perhaps, slightly diminished by its undoubtedly late date. It does, however, present a cosmology which is recognizably connected both with the myth of Eznik and with the cosmologies of the *Greater Bundahišn* and Zātspram. In our analysis of the latter both the *'Ulemā* and Šahristānī have continually been at the back of our minds.

By far the fullest account of the Zoroastrian cosmology that has come down to us is that of the *Bundahišn*. That work has been preserved in two recensions, known respectively as the *Indian* and the *Greater* or *Iranian Bundahišn*. As its name implies, the latter is the more complete and contains much matter that is unknown to the Indian recension. In the first chapter (text Z 1) which is our immediate concern this difference is marked. The Indian gives us a more or less straight Mazdean cosmology in which Zurvān or Zamān (Time), as he is generally called in the Pahlavī books,[2] plays a suitably modest part. The 'Indian' account is consistent and may reasonably be supposed to derive from a single source. However, into the middle of this account the 'Iranian' version thrusts a long passage throughout which Zamān (Zurvān) is certainly the principal character. This passage will occupy our close attention for the greater part of our fifth chapter.

Parallel with the *Greater Bundahišn* and dependent on its source is the

is a polemic against the Zervanites. This theory, however, is based on a very forced translation of the text, and is therefore unacceptable: v. Text Z 1, l. 114, note.

[1] See note A, p. 103.

[2] 'Zurvān' is usually used when the deity is envisaged as a person, 'Zamān' when he represents the concept 'Time'. The comparatively rare occurrence of the word 'Zurvān' is to be attributed to the fact that the Mazdeans wished to divest the god of Time of his personal attributes, many of which were obnoxious to them. Zātspram, characteristically, is an exception.

cosmology of Zātspram, who gives further mythological details which serve to throw light on the otherwise obscure account of the *Greater Bundahišn.*

Before we pass on to the cosmology of the *Bundahišn* a few words must be said about a deity who, in the Sassanian period, played an important part in Zervanite mythology—Vāy. Unlike Zurvān of whom the Avesta tells us practically nothing, Vāy, or (to give him his Avestan name) Vayu, is the object of an entire *Yašt*[1] and appears frequently in other parts of the Avesta. Of the Avestan Vayu little need here be said since the subject has been exhaustively treated by Wikander,[2] who here follows Nyberg's more recent and hotly contested ideas.[3] A short account of his characteristics will, however, be necessary.

Originally Vayu appears to have been the supreme deity of a people unconnected with the original Zoroastrian community.[4] Like Zurvān and Mithra he is not a moral deity; but unlike Mithra the evil side of his character was so marked that the Mazdāh-worshipping Zoroastrians who adopted him were forced to split his personality into two. The all-powerful god in their hands became two, the beneficent Vayu who works on the side of Ahura Mazdāh (Ohrmazd), and the maleficent who is little better than a demon of death. Even in the *Yašt* dedicated to him (parts of which are certainly old) this process is perceptible; for the author offers worship only to 'that Vayu which belongs to the Bounteous Spirit' (§§ 5, 57).

As Nyberg has pointed out,[5] the most significant part of the *Yašt* is that in which the names of Vayu are catalogued. But before passing to these we should notice that in §§ 2–4 Ahura Mazdāh himself prays to him that he may vanquish the creatures of Ahriman, thereby acknowledging his own inferiority. Nyberg[6] is certainly right in emphasizing that this episode can only indicate the adoption of the deity of another cult into the Mazdean community. The *Yašt* goes on to enumerate the various mythical heroes who sacrificed to Vayu, and whose requests were granted. The prayers of the evil Dahāka and the otherwise unknown Aurvasāra were, however, left

[1] Yt. 15. Though generally known as the *Rām Yašt*, it is devoted entirely to Vayu. The change of name is probably a Mazdean attempt to minimize the importance of Vayu in the Avesta.

[2] *Vayu I, passim.*

[3] CCM. 1941, pp. 197 ff.; *Die Religionen des alten Iran*, pp. 300 ff.; cf. Geo. Widengren, *Hochgottglaube im alten Iran*, pp. 189 ff. The traditional view will be found in Lommel, *Die Yašts des Avesta*, pp. 143 ff.; Gray, *The Foundations of Iranian Religions*, p. 169.

[4] According to Nyberg (*Religionen*, pp. 300, 317) the worshippers of Vayu were originally situated on the upper or middle reaches of the Jaxartes; and the country called *vaēkərəta* in the Avesta is really **Vayu-kərəta* 'made by Vayu'. Cf. Skt. *vaikṛtika-*, a Yakṣa of Gandhāra mentioned in the *Mahāmāyurī* (Lévi, JA. 1915, p. 49).

[5] CCM. 1931, p. 198.

[6] *Religionen*, p. 292.

unanswered. With the termination of these prayers we come to the names of Vayu (§§ 43–48). This passage, though in prose, late, and in places corrupt, is of the greatest interest to the religious historian.

His name is Vayu because he pursues (*vayemi*) both the creation of Ohrmazd and that of Ahriman: he is the 'catcher' (*apayate*), for he catches both the creation of Ohrmazd and that of Ahriman. He is the all-conqueror because he conquers both creations. Among other epithets we may cite *zinakə* 'the harmful', *vindiχ^{v}arənə* 'he who finds the *χ^{v}arənah* (fortune)', the swift and the most swift (*aurvō*, *aurvōtəmō*), the strong and the most strong (*taχmō*, *taχmōtəma*), the firm and the most firm (*dərəzrō*, *darəǰištō*), the mighty and the most mighty (*aoǰi*, *aoǰiš*). He conquers at one blow (*haθravana*), opposes the demons and subdues the enemy (*viδaēvō-karə*, *ṯbaēšō-tarō*); he is a sharp spear and the owner of a sharp spear (*tižyarštə*, *tižyarštiš*), a broad spear and the owner of a broad spear (*pərəθvarəštə*, *pərəθvarəštiš*).[1] When a man is bound, he stands still and lets him advance and then carries him away.[2] He must be invoked in battle or by a prince when he runs or rides out to battle (§ 50). He is pictured as wearing a golden helmet and a golden crown; he has a golden chariot and golden wheels, golden arms and golden garments, golden shoes and girdle.[3] Further he is worshipped by unmarried women who pray for a husband (§ 40).

From this brief outline of the *Yašt* it will be seen that Vayu is above all a god of war and warriors,[4] and this trait remains with him down to the Sassanian period, when he is expressly referred to as the god of the *Artēštārān*, the second or warrior caste.[5] His antiquity is undisputed since he appears in the *Rig-Veda* where one whole hymn is devoted to him.[6] Both in the Avesta and the Veda he is associated with Vāta, the Wind: in the Veda also he appears frequently with Indra and once with the Maruts, and is therefore regarded as a wind god.[7]

That he was in some part of Īrān elevated to the rank of supreme deity appears clearly in the fifteenth *Yašt*. Ahura Mazdāh prays to him, and he pursues both creations, that of Ahura Mazdāh as well as that of Ahriman: further, he conquers them both. He is in fact superior to good and evil, and like the warrior caste of which he is the patron, he manifests himself

[1] The epithets of Vayu will be found conveniently transliterated and translated in Wikander, *Vayu I*, pp. 7–9, also in Widengren, op. cit., pp. 189–90.

[2] Wikander, op. laud., p. 10: Widengren, p. 191.

[3] Wikander, pp. 12, 33; Widengren, pp. 193–4.

[4] Nyberg, CCM. 1931, p. 219.

[5] Text Z 3, § 1: 'Vāy of the long Dominion who, among spiritual beings, has the office of chieftainship of the warriors.'

[6] RV. iv. 46: for the Vedic Vāyu cf. Keith, *The Religion and Philosophy of the Veda and Upanishads*, i, p. 139.

[7] His name means simply 'he who blows'. In Sanskrit Vāyu comes to mean simply 'the wind'.

through force. Obviously the dualistic Zoroastrians during their syncretistic period, when confronted by so amoral a deity, must have been gravely embarrassed. Their solution was ingenious: the personality of Vayu was divided into two. The Good Vayu became, like the other deities, assimilated into the system, a beneficent power subordinate to Ohrmazd. The Bad Vayu, on the other hand, became a demon of death. We have noticed that in the *Yašt* Vayu is described as carrying off those who are bound. In the *Vidēvdāt*,[1] where the dichotomy of his person has already taken place, we find the incident repeated but characteristically changed. Zoroaster asks Ohrmazd if fire or water kill a man: Ohrmazd replies that neither fire nor water kill a man,[2] but that Astōvīδōtu (the demon of death proper) binds him and that Vayu carries him off bound.

In the *Aogəmadaēčā*[3] or Mazdean liturgy for the dead the transition from the simple to the dual view of Vayu has not yet taken place. He is indeed the bringer of death, but apparently not a demon; for he is spoken of in terms of awe suitable only to a powerful god. Though this passage has been repeatedly quoted in recent times,[4] it has a certain impressiveness, and we willingly avail ourselves of the excuse that no account of Vayu can be complete without it in order to quote it. It runs as follows:

The path can be avoided which a running river guards: only the path of the pitiless Vayu can never be avoided.

The path can be avoided which is guarded by a dragon of the size of a bull, that devours horses and men, that slays men and is pitiless: only the path of the pitiless Vayu can never be avoided.

The path can be avoided which a dusky bear guards: only the path of the pitiless Vayu can never be avoided.

The path can be avoided which is guarded by a robber who slays at one blow and is pitiless: only the path of the pitiless Vayu can never be avoided.

The path can be avoided which (is commanded) by an army equipped with chariots and (lurking) in ambush: only the path of the pitiless Vayu can never be avoided.[5]

In the Pahlavī texts the division of the personality of Vayu into two distinct entities is complete. One is called *Vāy i vēh* 'the good Vāy' (as we shall now call him), the other *Vāy i vattar* 'the evil Vāy'. But a trace of his

[1] 5. 8–9.

[2] Fire and water, being pure elements and, as such, holy, could not be regarded as being responsible for the death of anyone: in cases of drowning and burning, then, the responsibility was shifted on to the two death demons.

[3] v. the edition of Duchesne, JA. 1936, pp. 241–55. The passage here quoted forms §§ 77–81 of his edition: v. also Wikander, op. laud., pp. 96–101 and his most exhaustive and original commentary.

[4] v. especially Nyberg, CCM. 1931, pp. 205 ff.; Widengren, op. cit., pp. 192–3.

[5] See note B, p. 103.

original ambiguous nature is allowed to remain: for beside the personal god and the personal demon, a third variant of this Protean deity is to be met with; for Vāy, once the god of the wind that blows between heaven and earth, has now become the intervening space between the Kingdom of Light above and the Kingdom of Darkness below.[1] Within this impersonal element the struggle between the principles of Light and Darkness takes place. As is only fitting, Vāy, who once stood above good and evil, has become a place of mixture between the powers of good and the powers of evil. After the creation, Vāy is conceived of as the atmosphere between the earth and sky: it is used in contra-distinction to the earth (*būm*). 'The original source of fire is the atmospheric fire (*vāyīk ātaχš*): the original source of water is the terrestrial sea. Fire naturally rises to the atmosphere (*Vāy*), and water inclines down towards the earth.'[2] In the macrocosm Vāy is the life-giving power and corresponds to the 'fiery wind' in the body of man 'which is the breath-soul (*ǰān*)'.[3] Here the distinction between the two Vāys is again apparent: just as the evil Vāy is the demon of death, so is the good Vāy the spirit of life. After the universal rehabilitation (*fraškart*) which takes place at the end of the cosmic period, Vāy becomes the dwelling-place of the purified souls: 'the soul, full of bliss, (remains) in the pure Vāy who ever controls the Adversary in the world.'[4] At that period, then, Vāy would seem to be identical with Space. We shall have occasion to discuss this when we come to speak of the cosmology of the *Bundahišn*.

As personal deities the two Vāys are naturally opposed. In the Pahlavī texts the Evil Vāy is simply the demon of death. He is no longer the awful and inexorable god depicted in the *Aogəmadaēčā*, but has become the ignoble henchman of the Devil and is identified with Astōviδāt (Av. Astō-vīδōtu). 'Astōviδāt is the Evil Vāy who carries the breath-soul away: as it is said, "When he touches a man with his hand, it is sleep: when he casts his shadow on him, it is fever: and when he sees him with his eye, he smites the breath-soul." '[5] The function of the Good Vāy is to save the

[1] v. text Z 1, § 4.

[2] DkM. 199. 18: *ātaχš bun χān vāyīk ātaχš: 'āp bun χān būmīk zrēh, 'hast čihrīk 'ul-uzišnīh ⟨i⟩ ātaχš'ō vāy; 'ut frōt grāyišnīh i 'āp 'ō būm.*

[3] DkM. 278. 13: *gēhān zīvēnāk ǰān⟨va⟩r ǰān aparkār Vāy i 'pat aδvāč i gēhān 'χᵛānēnd-ič Vāy, 'ut ⟨pat⟩ dēn mēnōk i Vāy-ič ⟨i⟩ rāδēnītār 'gōβēt, čēγōn martōm tan zīvēnāk ātaχšōmand vāt i 'hast ǰān.*—'He who quickens the world and is the life (the breath-soul) of living things is Vāy whose works are high. In the language of the world they call him Vāy: in Religion he is called the Spirit Vāy who orders aright. Similarly what quickens the body of man is the fiery wind which is life (the breath-soul).'

[4] DkM. 44. 6: *ruvān purr-urvāhm 'andar apēčak Vāy ⟨i⟩ pityārak ⟨i⟩ gēhān hamē-vīnārišnīk 'bavēt.*

[5] GrBd. 186. 12 (cf. Widengren, op. cit., p. 198): *Astēvihāt Vāy i 'vattar 'kē ǰān 'stanēt; čēγōn 'gōβēt 'ku 'kaδ 'dast 'apar*

soul (*ruvān*) of the righteous from the attacks of his evil counterpart: he takes the soul by the hand and leads it to its appointed place.[1] Nor is he neglectful of the breath-soul (*ǰān*, here as always almost 'life'), for he welcomes it and comforts it after the ordeal it has suffered through its severance from the body.[2] He may, then, be regarded as a ψυχοπομπός to the soul of the righteous dead, while that of the unrighteous is dragged down to hell.

Of his connexion with Vāt, the Wind, little need be said here. One passage, however, deserves to be noted; for it shows that even in the Pahlavī books the personal Vāy might still retain its original indifference to good and evil. Indeed on this occasion he seems to show partiality to the hosts of Ahriman and to cause discomfiture to the Wind. The text speaks for itself: 'The Destructive Spirit cried out to the demons, "Come, destroy the swift and valiant wind created by Ohrmazd: for if ye destroy the wind, then all creation will be destroyed by you." And in that battle, because Vāy of the long Dominion did not come to its aid in time, the wind was laid low.'[3] Because of Vāy's failure to help on this occasion, the wind now blows either too violently or too softly. Here the personal Vāy may be seen to adopt that non-belligerency in the cosmic struggle which characterizes him in his impersonal form.

From this short review of the character and attributes of this important god it may be safely concluded that cosmologically Vāy is conceived of as the intermediate space between the kingdoms of light and darkness or as its presiding genius: in this position—except in so far as the struggle takes place within him—questions of good and evil are not sufficiently involved for the Sassanian theologians to consider the splitting of his person necessary. He was, however, also the god of death; and with the exception of the destruction of the soul,[4] death is the greatest evil that can overtake a

*martōm mālēt, Būšāsp; 'kaδ asāyak 'aβganēt, *tap; 'kaδ-aš 'pat čašm 'vēnēt, 'ǰān 'bē zēnēt.* Cf. GrBd. 47. 15: *Astōvihāt 'kē Vāy i 'vattar 'χᵛānīhēt.*—'Astōvihāt who is called the evil Vāy.'

[1] v. text Z 3, § 1.

[2] Dd. 29. 4: *čēyōn Vāy i 'vattar appurtār 'ut zatār, ētōn-ič Vāy i vēh kōχšīıār ['ut] ham patīrak i Vāy i 'vattar, 'ut-aš vizūtār 'hač 'ǰān-appurišnīh 'ut patıyraftār 'ut pānak i 'ǰān.*—'Just as the evil Vāy carries away (the breath-soul) and strikes it down, so does the good Vāy too strive against the evil Vāy, and prevents him from carrying off the breath-soul, and receives and protects the breath-soul.'

[3] GrBd. 132. 8: *drāyast Ganāk Mēnōk 'ō 'dēvān 'ku āy, vāt marnǰēnēt, čēr i takīk i Ōhrmazd-dāt; 'čē 'kaδ-tān vāt marnǰēnīt, atān harvisp dām marnǰēnīt 'bavēt. 'ut 'pat 'ān kōχšišn 'pat Vāy ⟨i⟩ dērang-χᵛatāy rāδ, 'ku-š 'pat gās [i] 'ō aδyārīh 'nē mat, vāt start 'būt.*

[4] MX 46. 2: *Ahriman 'kaδ 'hač martōmān zīvandakīh 'ut 'zan 'ut frazand 'ut hāmōγēn nēvakīh i gētēhīk 'bē 'appurēt, 'nē 'pat 'ēt 'dārēt 'ku-š 'čiš-ič ziyān 'pat 'avē 'kas kart; 'bē 'kaδ-aš 'ān i ēvtāk ruvān 'bē 'appurēt 'ut tapāh 'bē 'kunēt, 'aδak 'pat 'ēt 'dārēt 'ku-m ziyān-ē i bavandak pat-iš kart.*—'When Ahriman robs men of life and wife and child and all the good things of this world, he does not consider that he has done any harm to that person; but when he robs him

pious Mazdean. In these circumstances the death god had to be demonized, and, presumably to conciliate those people whose supreme deity they had absorbed and were in the process of distorting, they created a Good Vāy whose function it was to welcome such souls as had succeeded in eluding his evil counterpart.

Before leaving Vāy for the broader question of the *Bundahišn* cosmology, we should mention in passing—no more is necessary, for the question has been adequately discussed by Widengren[1]—a curious myth preserved in the *Dēnkart* and *Dātastān i dēnīk*.[2] Shortly before the time of the final rehabilitation Kay Xusrau, one of the mythical Iranian heroes, resuscitated to facilitate the final destruction of the demons, charges Vāy of the long Dominion with the smiting of the breath-soul of men. Vāy agrees that he is guilty, and in revenge Xusrau turns him into a camel and rides him round Īrān. Finally, though the translation is here uncertain, Vāy seems to cause Xusrau's death too.[3] The myth may be regarded as the final victory of death before the rehabilitation when all creatures partake of eternal life.

Such, in brief outline, is the nature of the god Vāy. Let us now consider him in relation to Zurvān. The two deities seem at first to have been entirely distinct. In the Avesta Vayu plays an independent part, while Zurvān still appears as an exceedingly minor deity. One fact only do we learn about him: he is the god who controls the path which the souls of the dead must traverse before they come to the Činvat bridge: this path is called *zrvō-dāta-* 'created by Zurvān'.[4] He is, then, even at this early date the god of death, and in that respect his function closely resembles that of Vāy. In the later *Yasna* and *Vidēvdāt* the two are connected in invocations: 'We worship the day of Rāman of goodly flocks, of Vayu who works highly . . . of Θwāša who follows his own law (*χᵛaδāta-*), of the infinite Zurvān and Zurvān who for a long time follows his own law (*darəγō-χᵛaδāta-*).'[5] Again we find the stock epithet of Zurvān, *darəγō-χᵛaδāta-*, once applied to Vayu,[6] and may therefore assume that at the time of the composition of the latest parts of the Avesta a definite relationship existed between the two gods.

In the Pahlavī texts the relationship has become closer. Vāy, after

of his soul alone and destroys it, then he considers that he has done him a perfect injury.'

[1] See note C, p. 104.

[2] 35. 3. Cf. also PhlRiv. 48. 39.

[3] Dd. l.c. has: *Kay-Xusrau 'kē 'hač Vāy i dērang-χᵛatāy vitārēnīt*. The last word means literally 'to cause to pass', and I should therefore translate, 'KayXusrau whom Vāy of the long Dominion caused to pass away'.

[4] Text A 1 = Vd. 19. 29.

[5] Text A 2 (Ys. 72. 10; *Sīhrōčak* i. 21 and ii. 21).

[6] Ny. 1. 1. Vayu here appears in the form *vayąm* (acc. fem.!).

becoming identified with the Void or intermediate space between the realms of light and darkness, is further identified with Space: after the creation all created things exist within it.[1] Zurvān is Time through which alone the act of creation is possible.[2] The two deities are thus intimately connected, and we have the evidence of Damascius on the authority of Eudemus of Rhodes that the Magians regarded Space and Time as the prime principle from which the good god and the evil demon arise.[3] Eznik and the sources allied to him know only of Zurvān as the supreme deity and make no mention of Space; but too much importance cannot be attached to this, for the Zurvān of Eznik is a figure of mythology while that of the Pahlavī texts is more an intellectual concept. Further, the connexion between Time and Space is so intimate that they may be regarded as identical: for, according to the *Greater Bundahišn*, good 'things bestowed reach (men) through Time (*zamān*) *who is Vāy of the long Dominion*, whether it be the instrument of Zurvān or of Ohrmazd.'[4]

The whole *Bundahišn* cosmology is somewhat complicated by the fact that the concept Space is referred to in three ways: sometimes it is Vāy; sometimes *gās* or *gyāk*, the ordinary Persian words for space or place (the former also having the meaning of time); and sometimes it is Spihr which, meaning strictly the firmament, later came to include all space within it. The confusion is due to the syncretistic nature of the religion with which we have to deal. As we have seen, Vāy or Vayu was the supreme deity of a people living in all probability in eastern Īrān. Zurvān and Spihr belong to western Īrān, the former appearing to be extremely ancient, as proper names from the Nuzi documents show. These date apparently from the twelfth or thirteenth century B.C. and give us the forms *Za-ar-wa-an*, *It-ḫi-Za-ar-wa*, *Ar-Za-ar-wa*, and *Du-uk-ki-Zar-ar-wa*.[5] The early existence of Spihr in the west is also attested by the proper names *Σπιθριδάτης* and *Σπιθροβάτης*.[6] Spihr is strictly the firmament[7] rather than Space: it is the seat of the stars and therefore controls the fate of man.[8] As we shall soon see, Time and Space, which at first were infinite, had to be limited in order to make the act of creation possible. After the limitation Spihr is strictly

[1] v. esp. text Z 16: 'Its (Time's) limitation consists in the movement of matter in Vāy by means of the firmament (*spāš*).'

[2] Texts Z 14, 15, 16.

[3] Text G 1.

[4] Text Z 3, § 3.

[5] Collected by Widengren, op. cit., p. 310. The forms quoted will be found in AASOR. xvi, Nos. 46–50.

[6] References in Justi, *Namenbuch*, p. 310, and Nöldeke, *Persische Studien*, Sb (Kaiserlichen)AW. 1888, pp. 421–2. Henning (JRAS. 1942, p. 239) is unconvinced that these forms prove the existence of an Old Iranian **spiθra-* whence Phl. *spihr*. His equation of *spihr* with Gk. *σφαῖρα* is not entirely convincing.

[7] Or so the text DkM. 207 implies: v. n. 1, and p. 89, n. 1.

[8] *v. infra*, pp. 158 ff.

the starry firmament and Vāy the space within it. Matter moves in Vāy but is controlled by Spihr.[1]

Spihr is the Pahlavī translation of the Avestan *Θwāša-*:[2] its epithet *χᵛatāy* 'lord', therefore, corresponds to the standing epithet of Θwāša, *χᵛaδāta-* 'who follows his own law', just as *dērang-χᵛatāy*, the standing epithet of Zurvān, corresponds to Av. *darəγō-χᵛaδāta-*. The god Θwāša has hitherto generally been identified with Space and has been fully discussed by both Nyberg[3] and Widengren.[4] This identification, however, is not quite exact. *Θwāša* would represent OI. **θwarta-* (cf. Skt. *tvar-* 'hurry')[5] and must mean 'he who hurries': hence we have MP. *spahr* (*θwahr*), just as we have *ahrov* from *ašavan-*.[6] *Spahr* is identical with *spihr*, who in turn is identical with *spāš* (=*Θwāša*). Spihr is primarily the firmament, only secondarily Space; and *a priori* the same may therefore be assumed of Θwāša. Of the latter it must be confessed that extremely little is known. Besides being mentioned three times with Zurvān[7] it appears once along with other deities, in the entourage of Mithra, a position obviously better suited to the firmament than to so vague a concept as Space.[8] Moreover, one would naturally think of the firmament as 'him who hurries'—a phrase which would not immediately occur to one in connexion with Space. As anyone even moderately familiar with Persian poetry knows, the firmament continues to be described as *tīz-rau* 'swiftly moving' far down into the Muhammadan period. The identification of Θwāša with Space must, however, be inferred from the *gās i χᵛaδāt* of the Pahlavī *Sīh-rōcak*:[9] thus Θwāša appears in the company of Zurvān (Time), and Eudemus of Rhodes speaks of Space and Time as the original principle.[10] Θwāša is equivalent to Spihr, the firmament, and therefore to the space contained within the firmament.

But to return to Vāy. In the Pahlavī literature the assimilation of this deity to Zurvān has gone far. As we saw in our third chapter, one of the prime attributes of Zurvān was justice. 'Who is the most just? Finite Time', we read in one of the texts.[11] Justice, too, is one of the attributes of Vāy, for he 'is more just than the just and has respect for none, nor does he accept

[1] Text Z 16 = DkM. 207: '. . . the movement of matter in Vāy by means of the firmament (*spāš*, i.e. *Spihr*), as, for example, the course of the luminaries, the blowing of the wind, the running of water, the growth of plants'.

[2] v. text Z 11, § 5 = DkM. 205. 19. The same identification occurs ibid. 278. 17. Darmesteter (ZA. ii, p. 310, no. 45) had already observed this identification.

[3] CCM. 1931, p. 103.

[4] Op. cit., p. 231.

[5] So rightly Bartholomae, AIW., s.v.

[6] This seems to be the obvious interpretation of the word discussed in BSOS. ix, p. 313. The suggestion put forward there now seems to me most improbable.

[7] v. text A 2.

[8] Yt. 10. 66.

[9] *Infra*, pp. 199, 217.

[10] Text G 1.

[11] Text Z 24 (*b*).

bribes: and he observes justice with both master and servant, with the one as with the other.'[1] As gods of death both are said to possess a 'path'; for we hear of the path 'created by Zurvān' along which the soul of the dead proceeds to the Činvat bridge:[2] similarly we learn in the *Aogəmadaēčā* that all paths may be avoided, though beset with frightful dangers; only the path of Vayu can never be avoided. Both gods are terrible and cannot be escaped. Of Vāy it is said: 'Wisdom it is which is better than all the riches on the world; and fate it is which is lord over all persons and things; and the Evil Vāy it is from whom no one can escape.'[3] Similarly Zurvān can never be hidden[4] and there is no remedy against him.[5] When Time comes upon a man, he can do nothing against it;[6] and Time sews up the eye of man.[7]

Both gods seem originally to have been foreign to the dualistic system of the Mazdeans; but both were absorbed into it, losing much of their original character in the process and causing grave embarrassment to the Mazdeans, who never entirely succeeded in making them a homogeneous part of their system. Both gods had originally been superior to good and evil. In the case of Vāy the Mazdeans reacted by neatly bisecting him into a good and a bad half. The case of Zurvān was more difficult; for that deity had, at the beginning of the Sassanian period or earlier, been elevated to the rank of father of gods and demons. The Mazdeans were, then, faced with three alternatives: either they could split his personality in two as they had already done to Vāy; or they could eliminate him altogether from the pantheon; or they could assimilate him as much as possible to Ohrmazd, one of whose hypostases he would then be. To anyone acquainted with the Pahlavī literature it is obvious that no general agreement could be reached among the Mazdeans on this subject; for in different texts we find all three views represented. Thus in the *Dēnkart* we find that Time belongs both to the creation of Ohrmazd and to that of Ahriman,[8] though elsewhere in the same book it is referred to as the 'eternity of Ohrmazd'.[9] Mānuščihr alone has eliminated Zurvān entirely from the pantheon, and even seems to take care never to mention him. In the *Šikand Gumānī Vazār*, too, he plays no important part: he is regarded solely as the Infinite and as such incomprehensible.[10] In the *Bundahišn* and more particularly in Zātspram his charac-

[1] YF. 3. 34: *'hač rāstān Vāy i 'vēh rāsttar 'kē hēč-aš 'kas āzarm 'nē, 'ut pārak 'nē 'stanēt, 'ut χᵛatāy 'ut bandak rāδ 'apāk ēvak ditīkar rāstīh 'dārēt.*

[2] v. p. 240.

[3] Text Z 29.

[4] Text Z 25 (*a*).

[5] Text Z 25 (*b*).

[6] Text Z 26 (*a*).

[7] Text Z 26 (*b*).

[8] Text Z 18 (*a*), (*b*); cf. DkM., p. 92, where *zamānak 'ān i yazdān* (1. 11) 'the time of the gods' is contrasted with *zamānak 'ān i 'dēvān* (1. 20) 'the time of the demons'.

[9] v. esp. texts Z 15, 20, 22.

[10] Text Z 23, § 53 ff.

ter has been less distorted, and it is from them that we learn most. Let us then now turn to the cosmology that they present.

(*b*) *The Mazdean Cosmology*

In the accounts of the creation that have come down to us it is not always easy or possible to draw a clear distinction between what may be called Mazdean and what may be called Zervanite. The *Indian Bundahišn*, however, pays little attention to Time (Zurvān) and, with a few modifications, may therefore be taken as our basic text for the Mazdean cosmology. To this we must now address our attention.

In the beginning Ohrmazd was on high and dwelt in the Endless Light: he was characterized by omniscience and wisdom which some call Religion (*dēn*). Ahriman was in the depths and dwelt in the Endless Darkness: he was slow in knowledge and his will was to do harm. Between the kingdoms of light and darkness was the Void which some call Vāy.[1] This, briefly, would seem to be the Mazdean view of the universe before Ahriman's attack on the kingdom of light and the creation consequent on it.

The *Indian Bundahišn* has, however, borrowed some Zervanite motifs and combined them with the orthodox Mazdean version. It was faced with the task of reconciling two religions which were irreconcilable. One had elevated Time above Ohrmazd and Ahriman and made it the supreme deity and first cause: this God was tetramorphous, comprising time, space, wisdom, and power:[2] standing above good and evil, he was indifferent to both. As Infinite Time he was eternal and eternity.[3]

The Mazdeans, on the other hand, acknowledge two principles, Ohrmazd and Ahriman. With the first was associated all that was good and beautiful; with the second all that was evil and foul. Neither could claim to be infinite since both ruled in their respective kingdoms and between them was the Void. How were these points of view to be reconciled? and what part was to be assigned to Time and Space in the new syncretism? The author of the *Šikand Gumānī Vazār* may, in this respect, be regarded as the most 'orthodox' interpreter of the Mazdean view, for he strips Time of all the attributes and functions with which the Zervanites had enriched it. Time and Space—or the Void as he calls it, though he obviously does not use the word in the sense of the 'open space' between the kingdoms of light and darkness—are, according to him, alone infinite:[4] the infinite is not susceptible of division[5] but is an essence pervading everything.[6] The two

[1] Z 1 (GrBd., chap. i), §§ 2–4.
[2] v. Chapter VIII.
[3] Text Z 20, para. 2, 'Infinite Time the essence of which is eternity'.
[4] Z 23 (= ŠGV. 16), § 53.
[5] Ibid., §86.
[6] Ibid., §102.

opposing powers are not infinite;[1] nor is the wisdom of Ohrmazd infinite, for it is confined to the possible: he can have no knowledge of the impossible. He cannot be infinite, for, if he were, he would not be aware of his infinity. The infinite can by definition not be comprehended; therefore it is incomprehensible to the intellect of the deity too.[2] All that can be predicated of it is that nothing can exist without it and that it can never be understood.[3]

In his treatment of the Infinite Mardān-Farruχ, the author of the *Šikand*, is at variance with all the other Mazdean writers; for he does not admit the possibility of the limitation of Time—Time and Space being infinite. In so doing he would seem to deny the doctrine, found in all the other sources, that Time was created finite from infinite Time and that after twelve thousand years it would merge again into the infinite. In so doing he effectively rid the Mazdean system of Zurvān, the god of Time; for according to him the latter, being infinite, was consequently incomprehensible and uncomprehending: it had no sort of control over human affairs, was without power, pervading the universe but not affecting it. For him, a Mazdean dualist and a rationalist, the question of infinite Time was of less than academic interest. Discussion of so intricate and vague a subject seemed to him only to confuse the minds of the intellectually immature.[4] As Zervanite doctrines can only have brought confusion into the Zoroastrian Church, he was prepared to eliminate the offending deity altogether, especially since he lived at a time when his Church was gradually being destroyed by the proselytizing zeal of an aggressive monotheistic creed. At such a time, he must have thought, the luxury of doctrinal fluidity could ill be afforded.

Mardān-Farruχ was a dualist and a rationalist, and his solution of the question of Zurvān-Time was reached in accordance with his philosophy. The author of the *Bundahišn* was a dualist and a traditionalist. In the latter capacity he had inherited doctrines which were incompatible. On the one hand he had been taught that the Cosmos as we know it had arisen out of the mixture of two eternally hostile principles and that these principles were of different substance and in origin entirely distinct: on the other he had learnt that Zurvān-Time stood above both these, that he manifested himself as fate and thereby controlled human destinies.[5] Though at his time the doctrine that Zurvān was the father of the two opposing spirits had, in all probability, been proscribed,[6] the Zervanite party within the

[1] Text Z 23, § 96.
[2] Ibid., § 66 ff.
[3] Ibid., § 103 ff.
[4] Ibid., § 105.
[5] *v. infra*, Chapter X.
[6] Probably under Xusrau I; cf. *supra*, p. 48.

Church would still seem to have been strong enough to be worth conciliating. A compromise had therefore to be sought. Let us see how the author of the Mazdean account of the creation found in the *Bundahišn* effected this.

From the Zervanites he probably learnt that their supreme god, Zurvān, comprised Time, Space, Wisdom, and Power.[1] In the Mazdean system Ohrmazd was the supreme deity, good, wise, and powerful. The later Mazdeans, then, tried to fuse the two deities into one and to make Time whom they now call simply *zamān* (the ordinary Middle Persian word for 'time') rather than the archaic *Zurvān*,[2] an hypostasis of Ohrmazd. Thus in the opening words of the *Bundahišn* we find that Time is exclusively connected with Ohrmazd and elsewhere it is described as the eternity of Ohrmazd:[3] 'Ohrmazd and the Space, Religion, and Time of Ohrmazd were and are and ever shall be.'[4] On this point the *Dēnkart* is not consistent, for it refers to Time as the eternity of Ohrmazd, but also speaks of it as being common to Ohrmazd and Ahriman.[5] The latter view is obviously Zervanite in origin.

The same tendency is perceptible in the case of Space, for it tends to be identified with the Endless Light which is the place of Ohrmazd.[6] Such an identification is, of course, logically untenable since Space must also comprise the Endless Darkness and the Void between the light and the darkness. As we shall have occasion to discuss the fusion of the personalities of Zurvān and Ohrmazd in a later chapter, no more need be said here.

After describing the original condition of the Cosmos, the *Bundahišn* interposes a digression on the infinite and the finite,[7] the object of which seems to be to associate Ohrmazd with the first and Ahriman with the second. In space the Endless Light is infinite in an upward direction but bounded on the nether side by the Void: similarly the Endless Darkness is infinite in a downward direction but finite on the upper side. The two Spirits themselves are both finite and the omniscience of Ohrmazd is also finite, being confined only to what is made possible by the terms of the treaty which is subsequently made between the two Spirits.[8] By this it is probably meant that the prescience of Ohrmazd is bounded by natural law

[1] *v. infra*, Chapter VIII.

[2] v. p. 81, n. 2.

[3] Texts Z 15, 22.

[4] Z 1, § 2.

[5] v. p. 90, nn. 8, 9. Worthy of attention because of its oddity is the attempt of DkM. 23. 12 (text 12, § 5) to reconcile the two points of view. Twof acts had to be faced, first that Ohrmazd was the supreme deity and good, and second that Time comprised both good and evil. Thus the author of the *Dēnkart* invents the ingenious myth according to which Ohrmazd is said to have dyed Time with colour—with good and evil!

[6] Cf. *infra*, p. 201.

[7] Z 1, § 5.

[8] The terms of the treaty are inviolable—'and till it is completed no one can change it or make it different' (text Z 8, § 9).

which can be transgressed by neither side in the cosmic battle. The question of the treaty will receive our attention later.

In Time the creation of Ohrmazd is regarded as infinite in futurity since it will rule supreme in the end for ever and ever; but the creation of Ahriman is finite since a time will come when it will be destroyed. Thus the Mazdeans were able to conceive of infinity in one direction only; in space infinite height starting from a given lower line; in time infinite futurity starting from a fixed moment. In this they were followed by the Muhammadans, who distinguish between *azal* 'eternity without beginning' and *abad* 'eternity without end'.

Though separated by the Void from the kingdom of Ahriman, Ohrmazd, being omniscient, knew of it and was aware that once Ahriman had seen his kingdom he would attack. Ahriman meanwhile was prowling about in the darkness, ignorant of the existence of Ohrmazd and the light.[1] When he reached the border, however, he saw a point of light; and having seen it, he desired it and envied it: and being envious he sought to destroy it. Realizing in time that Ohrmazd was more powerful than he, he plunged back into the darkness to fashion weapons with which to attack his rival. Ohrmazd meanwhile created the 'ideas' or unseen prototypes (*mēnōk*) of the sky, water, earth, plants, cattle, man, and fire: for three thousand years these remained motionless.

In his account of these events Zātspram differs slightly from the *Bundahišn*. According to the latter the mere sight of Ohrmazd and his 'ideal' creation was enough to convince Ahriman that an attack on them would be foolish in the extreme: but in Zātspram's account Ohrmazd, perceiving that Ahriman had reached the border and that an attack was imminent, forestalled his adversary and himself joined battle: 'by the pure word of the Law he laid him low and hurled him back into the darkness.'[2] The episode, recorded by Zātspram alone, is likely to be of Zervanite origin. We shall discuss it later when we come to deal with the cosmic period of twelve thousand years.

As the spirits were fashioning their respective creations, they observed each other at work: but whereas the creation of Ahriman seemed frightful and evil to Ohrmazd, Ahriman, against his will, was forced to revere the creation of Ohrmazd, for it was 'profound, victorious', and 'informed of all'.[3] At this point Ohrmazd offered peace to Ahriman and invited him to co-operate with him in the work of creation: in return for his co-operation Ahriman would be 'deathless and unageing, uncorrupting and undecaying'.

[1] See note D, p. 104.
[2] Z 4, § 4.
[3] Z 1, § 8.

But by his very nature Ahriman could not accept, for his desire is to hurt. Thus he refused to help, and threatened to destroy the creation of Ohrmazd, to bring his creatures to hate him and to seduce them to his own allegiance. This he did because he was convinced that Ohrmazd's offer was merely a sign of weakness and that he was therefore imperfectly armed for the battle.[1]

With the rejection of his offer, Ohrmazd realized that there was only one expedient: he must fashion forth Time, that is to say, he must create a period of nine thousand years in which the great cosmic battle should be fought: otherwise the struggle would be everlasting. By fixing a definite period he would thus force the powers of darkness to show their hand: the issue would become acute,[2] and a decisive struggle in which he was sure of victory would remove the danger of further attack on himself and his creation for ever. He therefore proposed a period of nine thousand years to Ahriman and the latter accepted the challenge. Ohrmazd, however, knew that of the 9,000 years 3,000 would pass entirely according to his own will, 3,000 would be filled with struggle, while in the last 3,000 Ahriman would finally be made powerless.[3]

Simultaneously with the creation of the period of nine thousand years he chanted the *Ahunvar* prayer by which he revealed to Ahriman his own final victory, the defeat of Ahriman and destruction of the demons, and the eventual immunity of all creatures from the attacks of the powers of darkness. This revelation was a crushing blow to Ahriman: he swooned and fell back into the darkness and lay there unconscious for three thousand years.[4]

In his account of the creation of the world-period Zātspram again differs; and on this occasion there can be no doubt that he draws on a Zervanite source. 'Ohrmazd, in his spiritual wisdom,' he says, 'saw that what Ahriman had threatened, he could do unless the time of the conflict were limited. He begged Time (*zamān*) to aid him, for he saw that through no intermediary belonging to the light would (Ahriman) desist. Time is a good helper and right orderer of both: there is need of it. (Ohrmazd) made it in three periods, each period three thousand years. Ahriman desisted.'[5] Up to this point not a word has been said about the existence of Time; yet we are here suddenly confronted with an almost personified conception of that deity. Moreover, he appears to be more powerful than either Ohrmazd or Ahriman, for Ohrmazd approaches him as a suppliant. He is thoroughly

[1] Z 1, §§ 9–12; cf. Z 4, §§ 5–7.

[2] Admirably expressed by Nyberg, CCM. 1931, p. 39: 'Le plan d'Ormuzd vise à tirer l'ennemi de son état caché, à rendre aigu, pour ainsi dire, le mal.'

[3] Z 1, §§ 12–14.

[4] Ibid., §§ 15–16; cf. Z 4, §§ 12, 24.

[5] Z 4, §§ 8–9.

alarmed by Ahriman's threats and realizes that they can indeed be put into practice unless Time comes to his aid. Thus, though Zātspram has hitherto followed the orthodox Mazdean version of the cosmogony, he now speaks as a Zervanite, for he tacitly assumes the pre-existence of Zurvān-Time and envisages him as a deity whom both Ohrmazd and Ahriman need[1] and whose assistance they must solicit.[2] What is even more curious, he does not conceive of him as being intimately connected with Ohrmazd, much less as his hypostasis as the *Bundahišn* does; for he implies that he is not a deity of light[3] and is therefore essentially different from Ohrmazd whose place is the Endless Light. We can then scarcely avoid the conclusion that Zātspram, whose heterodoxy in other matters caused grave concern to his brother, Mānuščihr,[4] was a Zervanite at heart; for though he nowhere states that Zurvān is the father of the two Spirits, he seems to write on this and other occasions as if that myth were already known. How else can we explain the sudden appearance of the god Time who controls the activities of both Spirits and is not a god of light, but apparently more powerful than the principles of light and darkness?

We now come to the problem of the cosmic period. The difficulty is that our sources do not agree about its length: some mention the figure 9,000 and others 12,000 years. On the grounds that the figure of Eznik, Plutarch, and the *Mēnōk i χrat* was 9,000, Benveniste concluded that this was the properly Zervanite figure:[5] he did not, however, attempt to explain why this figure should have been selected. Nyberg, on the other hand, maintained that 12,000 must be the Zervanite figure,[6] that is the figure given by the *Bundahišn*—9,000 years conflict preceded by 3,000 years creation of the 'ideal' world. As Nyberg rightly points out, it is impossible not to find here an allusion to the number of the Signs of the Zodiac. This supposition, as he justly remarks, is confirmed by the evidence of the *'Ulemā i Islām* where each millennium is placed under one of the constellations.[7]

[1] On the need that everything has of Time cf. text Z 14: 'The existence of all has need of Time. Without Time one can do nothing that is or was or shall be. Time has need of none of these for anything.'

[2] According to the *'Ulemā* (Z 37, § 14) Time helps Ahriman as well as Ohrmazd.

[3] Cf. our remarks, pp. 55 ff.

[4] In the *Epistles of Mānuščihr* Zātspram is accused of trying to abolish the *Barešnūm* ceremony: it would appear also that he had had intercourse with a Turkish tribe called Tuγazγaz (Mān. 2. 1. 12) who, according to Mas'ūdī, were Manichaeans (v. further Minorsky, *Ḥudūd al 'Ālam*, pp. 263–77). v. Dhabhar's introduction to the *Epistles*, esp. pp. 10 ff.: it is unfortunate that the letters are so obscure as to yield very little sense.

[5] *The Persian Religion*, pp. 107 ff.

[6] CCM. 1931, p. 57. Junker, *Aionvorstellung*, p. 172, takes 12,000 years to be the length of *zamān i dērang-χᵛatāy* and suggests that the first three thousand years may, in the Zervanite account, have been favourable to Ahriman; cf. our remarks below.

[7] *'Ulemā* (Z 37), § 13 ff.

One may add with equal truth that the great cycle of 12,000 years corresponds to the year with its twelve months; for Bērūnī mentions in connexion with the religion of the Magians a cycle of '12,000 years, corresponding to the number of the Signs of the Zodiac and of the months'.[1] In view of the close connexion of Zurvān with the firmament[2] which is disputed by none, it would seem that Nyberg's view is certainly right.

Let us now examine the evidence. The figure 12,000 is given by the *'Ulemā* and the Zervanite fragments of the *Greater Bundahišn*, and by Bērūnī. The figure of the *Bundahišn* cosmology and of Zātspram is 9,000 years of strife in addition to 3,000 years of 'ideal' creation; an aggregate, therefore, of 12,000 years.

The figure 9,000 is given by Eznik, Theodore bar Kônai, and Šahristānī[3] among the non-Zoroastrian sources, and by the *Mēnōk i χrat*[4] and the *Dātastān i dēnīk* (36.9), while the account of Plutarch speaks of the two deities as ruling in turn for 3,000 years each plus a further 3,000 years in which the two become disentangled.[5]

Besides these Theodore Abū Qurra[6] gives the figure 7,000 years, in this case therefore corresponding to the planets rather than the Signs of the Zodiac.[7] Šahristānī also gives this figure in his account of the Gayōmarθiyya[8] and in this the *Bahman Yašt* seems to agree with him.[9]

That 12,000 is the Zervanite figure seems proved by its occurrence in the *'Ulemā* and the Zervanite part of the *Greater Bundahišn* and by Bērūnī's statement that the number twelve corresponds both to the Signs of the

[1] *Chronology*, Sachau, p. 14: translation, p. 17.

[2] The firmament itself is compared to the year: cf. GrBd. 27. 8: *sitīkar 'ēn spihr 'pat humānākīh ⟨i⟩ 'sāl-ē 'nihāt, 12 aχtar čēγōn 12 'māhīkān, 'har aχtarīk 30 sus(?) čēγōn 'har 'māh-ē 30 'rōč-šapān.*—'Third he made the firmament like the year, the twelve constellations like the twelve months, and the thirty degrees of each constellation like the thirty days and nights in each month.'

sus: on the reading of this word v. Henning, JRAS. 1942, p. 238.

[3] Texts F 1, §§ 78–79; F 4, § 5.

[4] Texts Z 8, § 9; Z 24 (*a*).

[5] Text G 4. Such seems the obvious interpretation of the Greek. Junker, however, (*Aionvorstellung*, p. 145) against Söderblom (*Hoshang Memorial Volume*, Bombay, 1918, p. 228), supposes it to mean that one god rules for 3,000 years while the other is ruled, and that 3,000 years of battle follow. This view does not correspond to any of our other sources and has not been followed.

[6] Text F 2.

[7] Cf. Cumont, 'La Fin du monde selon les mages occidentaux', RHR. ciii, pp. 56 ff.; Bidez–Cumont, *Mages*, ii, p. 78, n. 22: Reitzenstein, *Studien zum antiken Synkretismus*, pp. 45–47.

[8] Cureton, p. 182; Haarbrücker, p. 276. The existence of a separate sect called 'Gayōmartians' is rightly disputed by Schaeder, *Studien*, p. 238.

[9] *Bahman Yašt*, ch. iii. So Reitzenstein, op. cit., p. 45, who thinks rightly that the tree seen in a dream by Zoroaster which has seven boughs made of different metals (gold, silver, and so on in descending order) refers to cosmic periods of a thousand years each, and that each millennium is ruled by a planet. According to the *Bahman Yašt* these branches are 'periods' (*ōβām*), and the tree is the material world (*gētēh*).

Zodiac and the months of the year: it will be noticed later that the 'Spirit of the Year' plays a part in Zervanite cosmology. The wording of the *'Ulemā* leaves no doubt on this point whatsoever: 'and Ohrmazd made Time of the long Dominion manifest which has the measure of 12,000 years, and within it he attached the firmament, the artificer.'[1] On the other hand, there is no reason whatever to attach any importance to the figure 9,000 of the *Mēnōk*, as this refers to the term covered by the treaty (*patmān*) made between Ohrmazd and Ahriman, not to the complete period covered by the 'manifestation' of Time of the long Dominion (*zamān i dērang-χᵛatāy*). In the Mazdean cosmology of the *Bundahišn*, a digest of which we have just presented, the same figure occurs, while the preceding 3,000 years are devoted to the 'ideal' creation.

The account of Eznik and Theodore bar Kônai, however, presents serious difficulties, for here Zurvān gives sovereignty to Ahriman for 9,000 years: yet Eznik's myth is beyond all doubt Zervanite. But this is equally true of the *'Ulemā*; and Benveniste in his treatment of the problem seems to overlook this fact. We must therefore admit that both figures appear in Zervanite accounts and try to find an explanation on this basis.

In Eznik's myth sovereignty is given to Ahriman for 9,000 years with the proviso that after the lapse of this period Ohrmazd will do everything according to his will. The Mazdean cosmology of the *Bundahišn*, however, says: 'this too did Ohrmazd know in his omniscience, that within these 9,000 years 3,000 would pass entirely according to the will of Ohrmazd, 3,000 years in mixture would pass according to the will of both Ohrmazd and Ahriman, and that in the last battle the Destructive Spirit would be made powerless and that he himself would save creation from aggression.'[2] With this account Plutarch substantially agrees.

Though granting the essentially Mazdean nature of the *Bundahišn* account, may one not conclude that the last three millennia in which the powers of darkness are finally routed corresponds to the period in Eznik's myth in which Ohrmazd does everything according to his will? The first 3,000 years in which, according to the *Bundahišn*, Ohrmazd does as he pleases, may well have been less comfortable for him in the more pessimistic Zervanite doctrine. Indeed this seems to be implied in a passage in the *Mēnōk* in which it is said that Ohrmazd sees Ahriman afflict his creatures with misery but only retaliates in accordance with the law and patiently.[3] In other words, Ahriman has the best of the battle for 3,000 full years

[1] Z 37, § 12.

[2] Z 1, § 14.

[3] Mχ. 28 (Z 24 (*a*)): 'Ohrmazd, the Lord, is the most patient; for for nine thousand years he sees Ahriman (inflict) misery on his own creatures, yet he does not smite him except with justice and patiently.'

before the treaty is made (assigned to the creation of the 'ideal' world in the Mazdean system) and for 6,000 years after.[1]

At this point we must again return to the *Bundahišn* and Zātspram. We have already seen that the latter speaks of a first battle between the two Spirits before the 'ideal' creation, that is at the very beginning of the 12,000 years' period. In this it is said that Ahriman was repulsed 'by the pure word of the law'.[2] Now the 'pure word of the law' is simply another way of speaking of the *Ahunvar*, the most holy and potent of the Zoroastrian prayers, by means of which Ohrmazd hurls Ahriman back into the darkness after his second assault. It is then probable that Zātspram has substituted the repulse of Ahriman by the pure word of the law for some other myth less agreeable to Ohrmazd. The *Bundahišn* seems to bear this out.

There we read that after the first three thousand years Ohrmazd offered peace to Ahriman and that the latter haughtily refused thinking that Ohrmazd was defenceless and weak.[3] Yet if Ohrmazd had already inflicted one crushing defeat on his adversary and was himself fully equipped for further battle, and if all the time he knew in his omniscience that Ahriman would in any case be defeated, it is difficult to see what reason he could have had for offering a peace which would not particularly benefit himself and which he knew would be rejected. Do these inconsistencies, then, conceal a Zervanite myth in which Ahriman, not Ohrmazd, was the victor during the first three millennia?

Such an hypothesis is strongly supported by the evidence of Šahristānī. This author mentions an attack of Ahriman's in which Ohrmazd is routed: 'and the Light fled with its angels, and Satan pursued it till he hemmed it in in its garden (paradise) and did battle with it for three thousand years, though Satan did not attain to the Lord Most High.'[4] This attack, it should be noted, takes place before the treaty between the two Spirits is made, for Šahristānī goes on to say: 'Then the angels mediated and made peace (between them) so that the Devil and his hosts should dwell in the light for nine thousand years including the three thousand years in which he did battle with him.' It is true that the attack is represented as being directed primarily against the sky and earth, and is therefore certainly to be identified with Ahriman's successful onslaught on the material creation vividly recorded in the fourth chapter of the *Greater Bundahišn*: but this is probably a confusion on Šahristāni's part. What is really valuable, however, is that he tells us of an earlier and successful attack by the powers of darkness preceding the treaty drawn up between the two Spirits. Thus, in

[1] For the ultra-Zervanite doctrine of Ahriman's sovereignty over this world *v. supra*, pp. 69 ff.

[2] Cf. p. 94.

[3] Z 1, § 10.

[4] F 4, § 4.

the light of what he says, Ohrmazd's anxiety to come to terms with his adversary is very understandable: he had suffered a heavy defeat at the hands of Ahriman and was therefore only too pleased to offer a truce.

With these facts in mind we are now in a position to reconstruct the sequence of events during the 12,000 years' period according to the Zervanite interpretation. Broadly speaking it may be said that according to the most pessimistic view Ahriman reigns for a full 9,000 years and that only in the last three millennia is Ohrmazd finally victorious. According to the less pessimistic view Ahriman scores an initial victory in the first tri-millennium after carrying out a successful attack on the 'ideal' creation of Ohrmazd: in the second tri-millennium Ohrmazd offers a truce which is finally accepted: a treaty is made by which the struggle is limited to 9,000 years: Ohrmazd chants the *Ahunvar*, thereby revealing the final defeat of Ahriman: Ahriman loses consciousness and is defeated for the time being. In the third tri-millennium Ahriman again attacks, but this time he concentrates on the material creation which he defiles and torments: in the last Ahriman is finally subdued.

Knowing the Zoroastrian tendency to manufacture exact contrasts between the activities of the two Spirits, I would suggest that Ahriman's attack on the 'ideal' creation took the form of uttering a lie, the demoniac counterpart of the *Ahunvar* prayer which is the utterance of truth. This seems to be corroborated by the curious fact that in the Zervanite fragments of the *Greater Bundahišn* the creation of 'Lying Speech' is mentioned *before* that of 'True Speech' from which the *Ahunvar* proceeds.[1] In every other case the creations of Ohrmazd precede those of Ahriman. If Ahriman made use of Lying Speech at an earlier date with the same effect as that produced by Ohrmazd's subsequent use of the *Ahunvar*, this singular transposition becomes significant. It will, moreover, be recalled that in Eznik's myth Ahriman's first action was to lie to his father, Zurvān, by asserting that he was Ohrmazd.

With regard to the thousand years' sacrifice performed by Zurvān in its relation to the 12,000 years' period, it seems probable that this is not included: for the '*Ulemā*, the only source which contains both traditions, speaks of the creation of Time of the long Dominion, that is the 12,000 years' period, as being subsequent to the genesis of Ohrmazd and Ahriman. This point is emphasized by Eznik, who argues that it would be impossible to sacrifice for a thousand years before the creation of the Sun and Moon through which time proper is manifested.[2]

[1] Z 1, §§ 28–29.

[2] Eznik, ii. 3 (Venice, 1926, p. 131; Schmidt, p. 97; Langlois, ii, p. 376): 'And again, if the sun and moon, by which the

The actual treaty between Ohrmazd and Ahriman is again probably Zervanite in origin, for according to Zātspram it is Zurvān who brings it about.[1] Though we shall discuss the whole matter when we come to deal with the Zervanite fragments of the *Greater Bundahišn*, one point deserves to be mentioned here. Šahristānī, in his account of this episode, tells us that 'the angels mediated and made peace (between them)'.[2] Who were these angels? Now Benveniste, in his treatment of Plutarch's account of the religion of the Magians, has drawn attention to the fact that Mithra is there described as μεσίτης.[3] Following this up he rightly adduced the testimony of Eznik, who describes a Magian myth in which the Sun (*χᵛaršēt*) acts as mediator between Ohrmazd and Ahriman (text F 11). The myth tells us that Ahriman invited Ohrmazd to a feast, but that Ohrmazd would not partake of it unless their sons should first have struggled together. In the ensuing battle Ahriman's son is triumphant. Seeking a judge they could not find one; so they created the Sun to be a judge over them. This battle must be identical with that described by Šahristānī, that is the battle which took place before the treaty was concluded, the onslaught of Ahriman on the 'ideal' creation of Ohrmazd. We can therefore conclude that Eznik's account is a popular version of the original battle between the two Spirits. Eznik is not slow to point out that this myth is inconsistent with another according to which the Sun was produced by the incestuous intercourse of Ohrmazd with his mother.[4] The inconsistency, however, disappears if for the Sun we substitute Mithra (Mihr), as Benveniste rightly did.

During the Sassanian period Mithra had become a purely solar deity and might therefore be confused with the Sun. He is a god of contracts and therefore eminently suited to the work of arbitration. Further, Eznik uses the Iranian word *datawor* for 'judge', and this very word is used in the Pahlavī texts in connexion with Mithra. Thus we read: 'We praise and invoke the creator, Ohrmazd, . . . in that he fashioned thee forth, O right-dealing Mihr (Mithra) of wide pastures, for thou art a just judge (*dātaβar*) and wakeful, for thou dost work justice (*dātaβarīh*) and just *mediation* (*miyānčīkīh*) among spiritual and material creatures.'[5] That Mihr, who is

hours, days, months and years are reckoned, had not even come into existence, whence did the thousand years appear? for the luminaries did not exist which control the number of the days and months and years.'

[1] Z 4, § 29; Z 5 (*a*), § 35.

[2] F 4, § 5.

[3] *The Persian Religion*, pp. 89 ff.

[4] Cf. texts F 5, 6, 7 (*a*); further *infra*, pp. 147 ff.

[5] ZXA., p. 241: *stāyēm 'ut āzbāyēm dātār Ōhrmazd . . . 'kaδ-aš frāč brēhēnīt 'tō, kirp⟨ak⟩-gar Miθr i frāχᵛ-gōyōt 'kaδ rāst dātaβar 'ut *ōšōmand* (so Pāz.) *'hēh 'ku 'pat mēnokān 'ut gētēhān dātaβarīh 'ut miyānčīkīh rāst 'kunēh.*

here called 'mediator' as in Plutarch, is indeed identical with the 'Sun' of Eznik's account can therefore scarcely be doubted. A passage in the *Bahman Yašt* is conclusive. Here we see Mihr exercising his office as judge between the two Spirits, for Ahriman has broken the treaty: 'The accursed Destructive Spirit cries out to Mihr of wide pastures (saying), "Rise up in righteousness, O Mihr of wide pastures." Then Mihr of wide pastures cries out (saying), "Of those nine thousand years which were agreed upon, up till now Dahāk of evil religion and Frāsyāβ, the Turanian and Alexander the Macedonian and the demons with leather belts and dishevelled hair have ruled for a thousand years more than the treaty (allowed for)." The accursed Destructive Spirit is laid low when he hears these words.'[1] It will be seen that according to this account Ahriman breaks the treaty and rules for a thousand years more than is his due: he extends his sway into the first millennium when Ohrmazd should finally triumph. Mihr, however, in his capacity of mediator, holds him back and sees that the terms of the treaty are not infringed. As god of treaties Mihr is called *harvisp-patmān* 'he who deals with all treaties'.[2]

Šahristānī, however, speaks not of one mediating angel but of several. The *Bundahišn* mentions three 'judges' (*rat*) who are needed for the material world and will carry all evil away from it in the last days.[3] These judges must surely correspond to the mediating 'angels' of Šahristānī and the *datawor* of Eznik. One we know to be Mihr whose eschatological function is to smite Ēšm, the demon of wrath.[4] Since the number is three, we may be sure that the other two judges are Srōš and Rašn: as gods of justice the three are very closely connected.[5] Srōš is even more intimately connected with the *patmān* or treaty (mean or norm) than Mihr; for he is the genius of *patmān* and as such will smite Āz at the end of the world—Āz being the demon of concupiscence, of excess and deficiency.[6] Even in the

[1] 7. 31–33 (Anklesaria): *vāng 'kunēt Ganāk Mēnōk i druvand 'ō Miθr i frāχᵛ-gōyōt 'ku 'pat rāstīh 'ul 'ēst, 'tō Miθr i frāχᵛ-gōyōt. 'pas Miθr i frāχᵛ-gōyōt 'vāng 'kunēt 'ku 'ēn 9000 'sāl pašt 'i-š kart, 'tāk 'nūn Dahāk i dušdēn 'ut Frāsyāβ i Tūr 'ut Alaksandar i Hrōmāyīh 'ut 'avēšān duvāl-kūstīkān 'dēvān i vičārt-vars 1000 'sālān ōβām vēš 'hač patmān χᵛatāyīh kart. sturt 'bavēt 'ān druvand Ganāk Mēnōk 'kaδ ētōn ašnūt.*

[2] *Miθr Ny.* § 14 (ZXA., p. 25).

[3] Z 1, § 31.

[4] According to the *Bahman Yašt*, immediately following the passage quoted in n. 1, *Miθr i frāχᵛ-gōyōt 'bē 'zanēt Ēšm i χrudrafš.*—'Mihr of wide pastures smites Ēšm of the bloody banner.' This function is elsewhere ascribed to Srōš, who is the adversary of Ēšm *par excellence*. The intimate connexion between Mihr and Srōš, both in the Avesta and the later texts, has long been recognized.

[5] The connexion is first to be seen in *Mihr Yašt* 100, where Srōš is described as riding on the right and Rašn on the left of Mihr. v. further text Z 7, § 5.

[6] Z 5 (*a*), § 44. The destruction of Āz by Srōš seems to be a wholly Zervanite episode, for it is not found in the *Dātastān i dēnīk*: usually his adversary is Ēšm, and him he destroys at the end of the cosmic period: v. further Chapter VII.

Avesta he is described as 'watching over the treaties and compacts between the Lie and the Most Bounteous',[1] that is Ohrmazd and Ahriman. If Mihr and Srōš are the first two judges, there can be no doubt that Rašn is the third, since he is the judge *par excellence*, and it is his function to weigh up the good and bad deeds of the dead. As judge he appears with both Mihr and Srōš.[2] Mihr, Srōš, and Rašn are therefore the three just ones whose duty it is to see that the treaty between Ohrmazd and Ahriman is not infringed. Though the *Bundahišn* says that the three judges were created by Ohrmazd and Eznik represents the Sun (which takes their place) as being a joint creation of Ohrmazd and Ahriman, it is not too bold to suggest that the original creator of the three judges was Zurvān himself, for he is the principle of justice[3] and as such would naturally create the deities whose duty it is to uphold the treaty for which he was himself responsible.

We must now return to the cosmology of the *Indian Bundahišn* which is here quite free from Zervanite ideas. After making Ahriman powerless for three thousand years, Ohrmazd fashions forth the six Amahraspands, Vahuman, Artvahišt, Šaθrēvar, Spandarmat, Hurdāt, and Amurdāt. Ahriman then creates six counter-Amahraspands. Corresponding to the six Amahraspands Ohrmazd creates the material world, first the sky, second water, third the earth, fourth plants, fifth cattle, and sixth man. This is the standard Mazdean account of the material creation and so, briefly and clearly, is it told by the *Indian Bundahišn*.[4]

NOTES TO CHAPTER IV

A. On the difference of opinion among Zervanites on the subject of the origin of Ahriman v. *'Ulemā i Islām* (text Z 37, § 24): 'One party says that it (Time) created Ahriman so that Ohrmazd should know that Time has power over (all) things: another says that there was no need to create him, and that Time said to Ohrmazd, "I have power to do this without bringing pain upon Ohrmazd and ourselves": another says, "What pain or pleasure has Time from the evil of Ahriman or the goodness of Ohrmazd?" Another says that it created Ohrmazd and Ahriman so that it might mingle good and evil, and that things of different kinds and colours might come into existence: another says that Ahriman was an honoured angel, and that because of disobedience of which he had been guilty, he became the target of malediction.' The last theory has plainly been influenced by the Jewish idea of the disobedience of Lucifer.

B. The text is as follows: (77) *pairiθwō bavaiti pañtå | yim dānuš pāiti [frā bunāṯ] tačiñtiš: | hå diṯ aēvō apairiθwō | yō vayaoš anamarəždikahe.* (78) *pairiθwō* &c. . . .

[1] Yt. 11. 14: *sraošəm ašīm . . . yazamaide | yō āχštišča urvaitišča | drujō spasyō spəniš-tahe.* Cf. Benveniste, op. cit., p. 92. He was the first to emphasize the importance of this passage.

[2] PhlTexts, 156. 7; Dd. 13. 3, where Srōš and Rašn judge those who have sinned against Mihr.

[3] *v. supra*, p. 58.

[4] The much fuller account of the *Greater Bundahišn* will be discussed in the next chapter.

yim ažiš pāiti gāu-stavå | *aspaŋhāδō vīraŋhāδō,* | *vīraja anamarəždikō.* | *hå diṯ* &c. . . . (79) *pairiθwō* &c. . . . *yim arəšō pāiti aχšaēnō* | *anamarəždikō.* | *hå diṯ* &c. . . . (80) *pairiθwō* &c. . . . *yim mašyō gaδō pāiti* | *aēvǭjanō* (*aivajā* Duchesne) *anamarəždikō.* | *hå diṯ* &c. . . . (81) *pairiθwō* &c. . . . *yō haēnayå čaχravaiθyå* | *vyāzdayå.* | *hå diṯ* &c.

dānuš: for a detailed discussion of this term v. Wikander, op. laud., pp. 171–6. Wikander concludes that the meaning of *dānuš* is 'dragon's mother'.

C. Widengren, op. cit., p. 204, where a transliterated text and translation of the relative text (DkM. 817. 12 ff.) will be found. It would not, perhaps, be out of place if some suggestions were made relative to the transliteration and translation of that text, for the author has left many queries which it would now seem possible to eliminate. The word he reads as *ōspēnītan* must be read either as *hangēžēnītan* or **ōstēnitan*: it is the technical term for raising the dead at the final resurrection. The GrBd., for instance (p. 223), varies between *hangēž-*, *hangēžēn-* (with the diacritical marks), and *ōstēn-*: both mean 'raise up'; but the former is to be preferred since the Pārsī texts, including the *'Ulemā* have *angīzīdan.*

For the ideogram *ŠKBHWN-* I suggest that *sāy-* should be read, not *šat-* or *hil-* as Widengren (v. text Z 6, l. 2, note): the meaning is, of course, 'lie down'. For *rāvēnītār* I should prefer to read *rānēnītār*; cf. NP. *rāndan.* As a translation of DkM. 817. 17–818. 1 the following may be of service: 'And (concerning) his going along with the men of Īrān skilled in the assembly to that place where the immortal Haŋišti Gəurvąn lay in a cave, and his raising him up; and his going with him to that place where Tōs who drives the battle on, lay in a cave, and his raising him up; and his going with him to that place where Kay Apivah lay, and his raising him up.' Cf. also Wikander, *Vayu I*, pp. 38 ff.

D. Z 1, §§ 6–7. For Ahriman's ignorance of the existence of Ohrmazd it is interesting to compare the Mandaean account of the King of Darkness, *Ginzā*, p. 278 (277. 19 in Lidzbarski's translation which I quote): 'Die Finsternis existiert in ihrer eigenen bösen Natur, heulende Finsternis, öde Dunkelheit, sie kennt weder Erstes noch Letztes.' The last remark is explained by the account of the omniscience of the King of Light; unlike the King of Darkness, he knew the first things and the last, the past and the future. 'Er wußte und erkannte, daß der Böse da ist' (line 22). Again the ignorance of the King of Darkness is illustrated in *Ginzā*, pp. 280–1 (translation, p. 279. 7 ff.): 'Er nahm Stolz an, erhob sich über alle und sprach: "Gibt es jemand, der größer ist als ich? Gibt es jemand, der mir gewachsen ist? Gibt es jemand, der größer ist als ich, ausgedehnter und trefflicher als alle Welten? Gibt es jemand, dessen Speise Berge sind, in dessen Bauch sich kein Blut findet? Sollte es jemand geben, der kraftvoller ist als ich, so will ich mich zum Kampfe mit ihm erheben, will mich erheben zum Kampfe mit ihm und sehen, woher seine Kraft kam."' Cf. ibid. 81. 27 ff.

CHAPTER V

COSMOLOGY, II

I. THE ZERVANITE FRAGMENTS FROM THE FIRST CHAPTER OF THE *GREATER BUNDAHIŠN*

BETWEEN its account of the conclusion of the treaty between Ohrmazd and Ahriman and that of the material creation, the *Greater Bundahišn* inserts a long passage which is decidedly Zervanite in character. This passage may be divided into five sections: the first (§§ 20–21) is of little immediate interest in that it merely repeats the story of the fashioning forth of finite Time with which we are already familiar. The second (§§ 22–25) gives a detailed account of the creation and powers of *Zamān i dērang-χᵛatāy* 'Time of the long Dominion', itself identical with finite Time: the third (§§ 26–27) is a fragment of Zervanite cosmogony: the fourth (§§ 28–30) is also cosmological, but is in a state of appalling confusion. The fifth (§§ 31–32) deals with the creation of the Amahraspands and the 'Judges'.

Immediately preceding these fragments there is a passage which contains a very remarkable statement. It says that before the act of creation Ohrmazd was not *χᵛatāy* (Lord, or more literally 'having power of his own'), and that only after that act did he become *χᵛatāy*. This is slightly reminiscent of a passage in the *'Ulemā* where it is said that 'in spite of all the grandeur that surrounded it (*zamān*—Time), there was no one to call it creator: for it had not brought forth creation'.[1] Only after the initial act of creation did Time become creator 'and lord with regard to the creation it had brought forth'.

In the case of Ohrmazd there is a slight difference: it is not said that he was not creator before the act of creation—which should be sufficiently obvious: he was not *χᵛatāy*, that is he was not Lord by his own power: he did not in fact possess the quality distinctive of absolute deity (for *χudā*, the New Persian form of *χᵛatāy*, is the ordinary word for God). If, then, he was not *χᵛatāy*, it is legitimate to infer that there was some other deity superior to him who was *χᵛatāy*. This other deity would plainly be Zurvān; and it would therefore appear that the *Greater Bundahišn*, in these 'Zervanite' passages at least, tacitly assumes the priority of Zurvān over Ohrmazd.

In § 20 the author repeats his account of the fashioning of finite Time, but stresses the fact that only through Time could the creation of Ahriman be set in motion. The creation of finite Time would, so to speak, force

[1] Text Z 37, § 8.

Ahriman into the open: the attack of the powers of evil would therefore be more intense, but their final defeat would be the more rapidly assured, and the struggle would not be everlasting. According to Zātspram, 'Zurvān had power to set the creation of Ohrmazd in motion without giving motion to the creation of Ahriman.'[1] This he declined to do, though Zātspram does not state the reason. We are at liberty to surmise, of course, that Zurvān too, by setting the creation of Ahriman in motion, sought to shorten the struggle by making it more acute. But this is not a satisfactory explanation; for if Zurvān had given the creation of Ohrmazd the capacity of movement and denied it to that of Ahriman, Ohrmazd would obviously have obtained an enormous and immediate advantage. Why, then, did he not do so? If, as we have suggested, Zātspram is writing against a Zervanite background, the question is readily answered. He could not do so, because he had promised the sovereignty of the world for nine thousand years to Ahriman;[2] and if he were to enable Ohrmazd to wrest that sovereignty from him without fair battle, he would be guilty of breaking his promise and would thus violate his own nature which is Justice.[3] Or, again, he may have wished to reassert his power and thereby convince Ohrmazd that he had not abdicated all authority. The latter view is expressly mentioned by the *'Ulemā*, which states that he created Ahriman in order to manifest his power.[4]

(*a*) *Zurvān of the long Dominion*

We now come to the creation of *Zurvān* (*zamān*) *i dērang-χᵛatāy* or 'Time of the long Dominion' which is also called finite Time (*zamān i kanārakōmand* or *zamān i brīn*).[5] This is the cosmic period of twelve thousand years.[6] It was fashioned forth from Infinite Time (*Zurvān* or *zamān i akanārak*): at the end of the cosmic period it mingles again with Infinite Time which is eternity.[7] Finite Time is conceived as revolving in a circle and returning to its own point of departure.[8] It would, however, be wrong to suppose that this circular movement of time is eternal: there seems to be absolutely no evidence for this in any Zoroastrian text. The Iranian theory of Time, therefore, is seen to have little or no affinity with the αἰών speculations of

[1] Text Z 4, § 28.

[2] *v. supra*, pp. 69 ff.

[3] For justice as the distinctive attribute of Zurvān v. pp. 58 ff.

[4] Text Z 37, § 24: 'One party says that (Time) created Ahriman so that Ohrmazd should know that Time has power over (all) things.'

[5] Text Z 1, § 22 and Z 20.

[6] This is clearly stated in text Z 1, § 24: 'From the Infinite it was fashioned finite; for from the original creation when creation was created until the consummation when the Destructive Spirit is made powerless there is a term of twelve thousand years which is finite.'

[7] See note A, p. 143.

[8] Text Z 20, § 2: 'This . . . concerns that which, revolving, returns to its beginning, Time.'

the Hellenistic world or with the ever-recurring *Kalpas* of the Hindus. At a given moment, finite Time comes into existence out of Infinite Time, moves in a circle until it returns to its beginning, and then merges into Infinite Time, that is Timelessness. The process is never renewed.

The whole process is philosophically dubious, and Mardān-Farruχ, who alone among Zoroastrian writers of the Pahlavī period can lay any claim to being considered a philosopher, takes violent exception to the idea that the Infinite can under any circumstances become finite.[1] In so doing he is theoretically attacking the Manichees, but his words apply equally to the theory of Time held by his own co-religionists, Mazdeans as well as Zervanites; for there is no reason to suppose that the idea of one cosmic period was specifically Zervanite. The Mazdeans accept the cosmic period as necessary for the conflict between the Spirits of Good and Evil, but eliminate any suggestion that Ohrmazd is not predominantly triumphant. For them finite Time is simply a creation of Ohrmazd from his own eternity and therefore in close alliance with him.[2]

With the limitation of Time, being becomes 'manifest' (*paytāk*).[3] Qualities which were potential only, become actual. From Infinite Time finite Time becomes manifest, and from the state of eternal rest action comes into existence. Finite Time and action are inseparable and complementary. Time proceeds from its first term to its last and returns to its source which is the Infinite while action returns to its original state of rest. Time limits action, and action limits Time.[4] Through the manifestation of both the principle of Evil is vanquished, and at the end of Time a state of eternal rest and bliss sets in. Through Time the will of Ohrmazd becomes manifest; and his will is immutable.[5] Ohrmazd himself is manifested through the act of creation, and his wisdom through the *Dēn* (Religion) and the *Ahunvar* prayer which is its quintessence.[6]

But finite Time is also at the service of Ahriman: it favours both Spirits;[7]

[1] Text Z 23, §§ 79 ff., esp. § 93: 'Since it is to be perceived in the result that it is made and finite, it may without doubt be deduced that the source from which the result derives is also finite.'

[2] Cf. *supra*, pp. 91 ff.

[3] On 'being' (*hastīh*) and 'manifestation' (*paytākīh*) v. text Z 15.

[4] The interrelation of Time and action is best described in DkM. 282. 11 ff. (text Z 20, § 2): 'From action *in potentia* . . . (arose) first, through the Creator's creation, the performance of action with which coincided the entry of Time into action: from the performance of action (arose) the completion of action with which coincided the limit of finite Time.'

[5] v. text Z 19.

[6] Text Z 15 (DkM. 133. 3): 'That (i.e. the manifestation) of the creator Ohrmazd is from the act of creation; that of the Wisdom of Religion from the word, wise in will, and from action.' The 'word' must be the *Ahunvar*; cf. Z 1, § 29, where it is identified with *dēn* (religion).

[7] According to the '*Ulemā* (Z 37, §§ 14, 17) Time helps both Spirits, for 'Time brought it about that Ahriman bored a hole in the sky . . .', &c.

for through Time both good and evil actions are performed.[1] The fact that Ahriman is finally defeated in the cosmic battle reflects no credit on Time: it is due rather to the very nature of Ahriman himself, whose 'powerlessness, self-will, imperfection, and slowness in knowledge'[2] become manifest as soon as finite Time comes into operation. Without finite Time these would merely have been potential, and the wickedness of Ahriman could never have been destroyed. Once the perfection and wisdom of Ohrmazd can come into operation through Time, the destruction of Ahriman, whose nature is chaotically destructive, is assured.

Such, briefly, is what the Zoroastrians, both Mazdean and Zervanite, taught concerning finite Time. Such a doctrine could be readily accepted by the Mazdeans since there is no suggestion that Time is in any way superior to Ohrmazd, far less that it is his father: for it was created from Infinite Time by Ohrmazd and, on the whole, operates according to his will. The characteristic of Zervanism is that it makes a mythical figure of Time who is superior to Ohrmazd and Ahriman, and who controls an inexorable Fate against which Ohrmazd is powerless.[3]

The Zervanite fragment of the *Greater Bundahišn* now goes on to elaborate a further series of concepts deriving from finite Time, a close study of which will not be without interest.[4]

From Time of the long Dominion, the first created entity, arose *asačišnīh*, literally 'not-passing-away-ness', that is 'permanence', 'that the works of Ohrmazd might not pass away. From permanence discomfort was made manifest, that comfort (or bliss) might not touch the demons. From discomfort the course of Fate, the "idea" (*mēnōk*) of changelessness, was made manifest, that those things which Ohrmazd created at the original creation might not change. From the idea of changelessness a perfect will to create material creation was made manifest, the concord of the righteous creation.'

It will be noticed that after the cataloguing of each successive emanation —and they must be regarded as emanations and not creations, since they 'were made manifest' or more literally 'became manifest'—a gloss on the function of each is appended; and in all cases the gloss has a distinctly Mazdean flavour. They may then be regarded as Mazdean accretions 'explaining' a Zervanite text.

As Nyberg has pointed out,[5] these emanations proceed dialectically. Thus the 'permanence' of the works of Ohrmazd proceeds from Time of the long Dominion; and from this Ohrmazdean 'permanence' the 'discomfort' of the demons. Thence comes 'the course of Fate' and the 'perfect

[1] v. Chapter IV, p. 90, n. 8.
[2] Text Z 1, § 23.
[3] *v. infra*, pp. 236 ff.
[4] v. text Z 1, § 22.
[5] CCM. 1931, p. 40.

will to create material creation'.[1] Here, it will be noticed, the dialectical scheme breaks down: the 'course of Fate' cannot properly be assigned either to the Ohrmazdean or to the Ahrimanian scheme of things: for Fate, as we shall see, like Zurvān (Time) of the long Dominion, cannot, properly speaking, be attributed to either side. As the genius of immutability its laws are fixed, and it can never be changed.[2] Again, how does the 'perfect will to create material creation' emerge from Fate?—or, to put it more clearly, how does Ohrmazd's holy will to create a good creation derive from the immutable course of Fate which stands beyond good and evil?

These questions lead us to examine the text more closely. Let us list the emanations in order. The picture will then be as follows:

Zamān i akanārak	Infinite Time
Zamān i dērang-χᵛatāy	Time of the long Dominion
asačišnīh	Permanence (not-passing-away-ness)
aχᵛārīh	Discomfort (or misery)
brēh-ravišnīh = *a-bē-vartišnīh*	The course of Fate = immutability
bavandak kāmak i dām	Perfect desire to create

With the emanations so listed, one discrepancy is immediately apparent, namely the semantic identity of 'immutability' and 'permanence' (*a-bē-vartišnīh* and *asačišnīh*). Again we cannot fail to be struck by the oddity of the contrast between the *asačišnīh* ('permanence') of the works of Ohrmazd and the 'discomfort' or 'misery' of the demons. As a contrast to this we would have expected the 'comfort' or 'bliss' of Ohrmazd; and I am strongly inclined to think that so originally it must have been. The *asačišnīh* would appear to have been transposed from the *brēh-ravišnīh—a-bē-vartišnīh* complex, with the second term of which it is practically synonymous. That such a transposition in fact took place can be inferred by comparison with GrBd. 1 (text Z 1), § 30, where the 'bliss' (*χᵛārakīh*) of Ohrmazd's creation is contrasted with the 'misery' (*dušvārīh*) of that of Ahriman. In any case, whether we accept Ohrmazd's 'bliss' in place of his 'permanence', we are still left with a threefold 'dialectical' emanation consisting of one Zurvanic, one Ohrmazdean, and one Ahrimanian element—Time of the long Dominion, the bliss (or permanence) of Ohrmazd, and the misery of Ahriman.

The next term in the series of emanations is again Zurvanic (the course of Fate); and this is duly followed by an Ohrmazdean item, 'the perfect will to create'. What of the Ahrimanian component? This appears to have dropped out completely.

[1] For the Will of Ohrmazd cf. text Z 19: 'His wisdom, will, action, and Time are immutable. From the first projection of his will till the last they are effective and in motion.'

[2] v. especially texts Z 30, 31, and *infra*, pp. 257 ff.

A closer examination of the text, however, will reveal that this is not so. We read 'a perfect will (to create) material creation was made manifest, the concord of the righteous creation'. In the very next sentence we find, 'In his unrighteous creation Ahriman was without knowledge, without method' (*Ahriman 'pat apārōn dām-dahišnīh adān a'dātastān*). Now here we have one of the familiar and almost mechanical contrasts between the Ohrmazdean and Ahrimanian schemes of things. The Ohrmazdean emanation is the 'concord of the righteous creation' (*frārōn dām 'ut dahišn ham-'dātastānōmandīh*): to this is opposed the 'unrighteous' (*apārōn*) creation of Ahriman which is *a'dātastān* 'without order', that is in exact contrast to the *ham-'dātastānōmandīh* of Ohrmazd's creation. Here, then, is the Ahrimanian term of the threefold emanation. Opposed to the 'perfect will (to create) material creation, the concord of the righteous creation' we can discern the 'disorderliness of the unrighteous creation'; and in opposition to the 'perfect will' itself we have the 'lack of knowledge' (*adānīh*) of Ahriman.[1] The dialectical scheme is thus restored.

Thus we see that in this fragment two series of emanations are proposed, all deriving ultimately from Infinite Time. They are strictly emanations and not creations, and this would tend to confirm the Zervanite origin of the passage, since Ohrmazd is creator *par excellence*. These emanations are in each case threefold—Zurvanic, Ohrmazdean, and Ahrimanian—in that order.

Here we are surely justified in seeing a link with the Zervanism known to us from the Christian sources and from the *'Ulemā*, where we have seen the first of these triads, namely Zurvān, Ohrmazd, and Ahriman themselves. The scheme of emanations would therefore look something like this:

[1] In text Z 1, § 30, cited above, the *dātastānōmandīh* of Ohrmazd's creation is contrasted with the *vināskārīh* (sinfulness) of Ahriman's.

Our investigations later on in this chapter will show that 'the ideal Year' (*mēnōk i sāl*) probably appeared as the concluding term in the series.[1] If so, we would then have yet another manifestation of the tetramorphous god to whom Schaeder first introduced us and with whom Nyberg has made us familiar.[2]

Such a theory is favoured by a comparison with § 30 of our text Z 1. Here the 'ideal' year, which in fact represents the terrestrial year of 365 days and nights and is a division of Time of the long Dominion, proceeds from the *Ahunvar* prayer which is identified with *Dēn*, the Religion, itself the manifestation of the divine Wisdom. Moreover, the *Dēn* appears simultaneously with the act of creation and can therefore be identified with Ohrmazd's 'perfect will to create an ordered creation'. Hence we are perhaps justified in finding a tetrad of Time with the following members:

Zamān i akanārak	Infinite Time
Zamān i dērang-χᵛatāy	Finite Time
brēh-ravišnīh = *a-bē-vartišnīh*	The course of Fate
mēnok i sāl	The 'ideal' year

We must, however, now return to Time of the long Dominion proper. Coincident with the creation or 'fashioning forth' of Zurvān-Time of the long Dominion is the appearance of Spihr, the Firmament. Just as Time was limited and fashioned into the form of a cycle, so is Space limited and formed into the circle of the firmament. Finite Time is the first creation, and within it, according to the *'Ulemā*, the firmament is attached.[3] The firmament is the 'first body', and ultimately it is fashioned from the Endless Light: for so the *Dēnkart* says.[4] But Spihr, the firmament, like Zurvān of the long Dominion, has a dual nature; it distributes both good and bad fortune, and is therefore called either 'the good Spihr' or 'the evil Spihr'.[5] Must we not, then, conclude that the derivation of Spihr from the Endless Light, which, being the place of Ohrmazd, is necessarily associated only with the Good, is a purely Mazdean conception, and that in the Zervanite cosmology to which it properly belongs Spihr was simply regarded as the finite form of Space, just as Time of the long Dominion is the finite form of Time?

(*b*) *Spihr, the Body of Zurvān*

Now in our text Z 9 we find that Time enters a body within the *tōhmak*, that is the 'seed' of creation or original unformed matter. Spihr, or *ras* 'the

[1] *Infra*, p. 134.

[2] CCM. 1931, pp. 47 ff.: see further Chapter VIII, *passim*, and Chapter IX, pp. 219–31.

[3] Text Z 37, § 12.

[4] v. text Z 10.

[5] Text Z 3, § 3: 'Spihr bestows them (sc. good things) on the material world. He who gives them in abundance is called the goodly Spihr; and he who gives them sparingly is called the evil Spihr.'

Wheel' as it is sometimes called, is elsewhere spoken of as the source of *tōhmak*.[1] Spihr, however, is also 'the first body', as we have seen, that is, according to our text Z 10, the fully formed creation there likened to a new-born child appearing after the various phases of gestation in the womb. How then can it, the effect, be the source of the 'seed' (*tōhmak*), the cause?

The only reasonable explanation appears to be that we are here in the presence of Space dually conceived, first as infinite and secondly as finite, corresponding exactly to infinite and finite Time (Zurvān). As infinite it would naturally be the source of the 'seed': as finite, that is as the fully formed 'body' of creation, it is the result of that 'seed'. In both aspects it is most intimately associated if not identical with Zurvān-Time.

We must now devote a little more space to the concept of Spihr as 'the first body'. Zātspram, in comparing the macrocosm to the microcosm, compares the body of man to Spihr.[2] Spihr, then, thus conceived, is not merely the starry firmament, but finite Space, in other words the material Cosmos. Thus the entrance of Time into a body can only mean its entrance into Spihr, the Cosmos. This, I think, must be the interpretation of a passage in the third chapter of the *Greater Bundahišn* differently translated by Nyberg (Z 2, l. 21 of our text, § 6 of the translation) where we must translate, 'Spihr, the body of Zurvān of the long Dominion'. Nyberg's interpretation of *tan* as 'le corps universel', though in fact giving the right sense, is unattested elsewhere. *Tan* standing by itself can scarcely be made to mean 'universal body'.[3]

Spihr, then, as infinite, is the source of the 'seed' from which all forms arise.[4] Time becoming finite enters the seed, which develops through all the stages of the embryo, finally becoming the fully fledged body, the finite Spihr, that is the material Cosmos. Zurvān, then, can accurately be said to become incarnate in the universe and as such can be regarded as the origin of all material things. As the god whose body is the firmament he is the macrocosm corresponding to man, the microcosm. As such he becomes anthropomorphized, and once we find him appearing in the form of a youth of fifteen years of age.[5]

[1] DkM. 207. 17: *'bavišn 'χᵛat 'hast tōhmakān tōhmak i gētēh bun, 'būtak i 'hač ras.* —'Becoming is in fact the seed of seeds, the origin of the material world, and derived from the firmament.'

[2] Zs. 30. 1: *'ku-š humānākīh ōyōn 'martīhā ⟨čēyōn⟩ āsmānīk spihr i gartišnīk.*—'For the likeness of man is as the revolving firmament of the sky.'

[3] v. text Z 2, l. 21 (text and note).

[4] DkM. 207. 18: *'hač ras 'bē 'bavišn frāč 'būt: 'ut 'bavišn-ravišnīh vīmandīk dēsak i 'andar tōhmak fravastak.*—'From the firmament becoming arose; and the movement of becoming is defined as form contained within the seed.'

[5] Text Z 2, § 3.

To sum up, then, as Infinite Time, Zurvān corresponds to the *Urgott* in other systems: as Time of the long Dominion, manifested through finite Space, he is the macrocosm, and has a distinct affinity with the so-called Primal Man (πρῶτος ἄνθρωπος) of the Manichees and Gnostics.

Thus when we read in Šahristānī that the first origin of Man (*al-ašχāṣ*) was Gayōmart, or sometimes again 'the Great Zurvān',[1] we may not unreasonably conclude that the author is quoting two separate and equally authentic traditions. Gayōmart as the first human being is, of course, in all the Zoroastrian tradition the first father of the human race. Zurvān, as the macrocosm, could equally be regarded as the ultimate origin of man, the microcosm; and there is reason to believe that according to one tradition the latter springs from his seed.[2]

Šahristānī does not indeed make any distinction between Gayōmart, the 'first man', and Zurvān as 'Primal Man' (πρῶτος ἄνθρωπος, macrocosm), as an-Nadīm does in his account of the Manichaean system.[3] The idea that Zurvān is the origin of the human race is, however, found in St. Basil[4] and Moses of Chorene.[5] The tradition is therefore likely to be authentic.

We must now again return to our basic text, the first chapter of the *Greater Bundahišn*. Sections 24 and 25 repeat again the account of the formation of Time of the long Dominion, and this time the figure of twelve thousand years is clearly specified. Section 25 gives details about the powers and character of Time, discussion of which must be postponed until Chapter IX.

With the following section we come to what is perhaps the knottiest problem in the whole field of Zervanite research. The difficulties, in this case, are not due to lack of evidence, but rather to the contradictions that exist between our various sources. It would therefore seem best to examine all the sources separately. They are five in number: (i) our present passage GrBd. 1 (Z 1), §§ 26–27; (ii) GrBd. 3 (Z 2), §§ 4–6; (iii) DkM. 203. 16–206. 23 (Z 11); (iv) ibid. 21. 15–24. 5 (Z 12); (v) ibid. 349. 1–350. 10 (Z 10), though the latter is in places so obscure as to be untranslatable. Besides these PhlRiv. 46 (Z 7) and Zs. 1 (Z 4) must be borne in mind.

(*c*) *The Weapon of Concupiscence*

Let us now first examine the account given by the first chapter of the *Greater Bundahišn*. First Ohrmazd fashioned the 'form' of his creatures—a 'form' of fire—from his own essence which is 'material' (*gētēh*) light: this

[1] Cureton, p. 182; Haarbrücker, i, p. 276.

[2] Text Z 7, § 36, and below, p. 137.

[3] v. Flügel, *Mani*, pp. 54, 58. 'Primal Man' is expressed by the Arabic *insānu'l-qadīmu*, 'the first man' by *insānu'l-awwalu*.

[4] Text G 5.

[5] See note B, p. 144.

'form' was bright, white, and manifest afar. Next, from 'the material (form) of that spirit which dispels aggression in the two worlds—be it Power or be it Time', he fashioned forth the form of the Good Vāy, also called Vāy of the long Dominion. With the aid of the latter he fashioned forth creation, 'for when he created creation, Vāy was the instrument he needed for the deed'. Next he created the essence of the gods, 'that genius (*mēnōk*) by which he made his own body better'.

The creative activity of Ahriman, meanwhile, proceeded on exactly parallel lines. From his essence which is material darkness he fashioned the 'body' (*tan*) of his creation, 'in the form of coal(?), black and ashen, worthy of the darkness, damned as the most sinful noxious beast'. From 'material' self-will he fashioned the form of Varan (heresy), 'for Varan was needed'. Next he created the essence of the demons by which he makes his body more evil.

Had we the evidence of the *Bundahišn* only, we might suppose that the whole of this episode was Mazdean: Ohrmazd sets about making the material creation, and Ahriman replies with a counter-creation. Zātspram, however, by recounting one incident in detail, shows that the whole must be tinged with Zervanism. The incident in question concerns the first of the creations of Ahriman detailed above; and in Zātspram's account Zurvān plays a decisive part. As we have already seen, Zurvān was able to give movement to the creation of Ohrmazd without doing the same for that of Ahriman. He did not, however, do so; and Zātspram goes on to tell us in what way Zurvān gave movement to the diabolic creation:

> Pondering on the end, he (Zurvān) delivered to Ahriman an implement (fashioned) from the very substance of darkness, mingled with the power of Zurvān, as it were a treaty, resembling coal (?), black and ashen. And as he handed it to him, he said, 'By means of these weapons Āz (concupiscence) will devour that which is thine, and she herself shall starve, if at the end of nine thousand years thou hast not accomplished that which thou didst threaten, to finish off the treaty, to finish off Time.'[1]

The similarity of the two texts is striking; even the wording, in some cases, is identical. Thus in the *Bundahišn* Ahriman's creation is said to have been fashioned 'from the material darkness' (*'hač gētēh tārīkīh*); and in Zātspram the 'weapon' or 'implement' which Zurvān gives to Ahriman is 'from the very substance of darkness' (*'hač 'χᵛat gōhr i tārīkīh*): in both cases the object is 'black' (*siyāh*) and 'ashen' (*āturastar-gōn*): in Zātspram it is *zayīk* (resembling coal?); and in the *Bundahišn*, *'pat zay karp* (in the form of coal?). Even the most sceptical could scarcely doubt that the

[1] Text Z 4, §§ 29–30; cf. Z 5 (*a*), § 35.

'implement' delivered to Ahriman by Zurvān in Zātspram's account is identical with the 'body of the creation' of Ahriman in the *Bundahišn*. The *Bundahišn* has, then, preserved a Zervanite episode, but has suppressed the decisive role played by Zurvān in it. Fortunately, with the aid of Zātspram, we are in a position to reconstruct the scene.

It will have been noticed that the 'weapon' is handed to Ahriman in the form of a 'treaty'; or again, 'When first creation began to move and Zurvān for the sake of movement brought that form (here *karp* as in the *Bundahišn*), the black and ashen garment to Ahriman, (he made) a treaty',[1] &c. The treaty is already familiar to us. It must be that made between Ohrmazd and Ahriman; but in this passage it is obvious that the actual maker of the treaty, the judge between the two parties, is Zurvān himself. Though we have shown that the function of upholding the terms of the treaty was delegated to subordinate deities, in all probability Mihr, Srōš, and Rašn,[2] the actual terms are dictated by Zurvān. He it is who supplies Ahriman with the 'instrument' or 'weapon' with which to wage war on Ohrmazd: if he should make good his threat that he would bring all creation to hate Ohrmazd and love himself, then he would be the victor; but if he should not—and this would in fact be the case—then his own instrument would turn against him and devour him; for this instrument was a two-edged weapon, devastating so long as Ahriman is on the offensive, but disastrous to him once the tables are turned and final defeat becomes inevitable. For it is a weapon 'like unto fire, blazing, harassing all creatures, that hath the very substance of Āz'.[3] Āz is the personification of concupiscence—acquisitiveness, gluttony, and lust, and perhaps much more besides. When in Chapter VII we come to discuss this formidable being, we shall see that it is she who finally turns against Ahriman, swallows up the demons, and then turns upon Ahriman himself.

Yet this redoubtable instrument is the gift of Zurvān, and the 'power of Zurvān' (*nērōk i zurvānīk*) is mingled with it. Thus if Zurvān is able to hand to Ahriman an instrument which contains the 'very substance of concupiscence', it follows that his own nature is not as yet purged of evil. As Šahristānī aptly puts it, 'there was always something evil with God'.[4] Eznik too points to this core of wickedness in the Zervanite God. Contrasting the Zervanites with the Manichees, he observes that their doctrines do not in reality diverge. Mānī admits 'two principles, of good and of evil, though not through conception and birth, but independent'. The Zervanites, on the other hand, 'say the same, (but they arise) through the desire

[1] Text Z 5 (*a*), § 35.
[2] *Supra*, pp. 101–3.
[3] Text Z 5 (*a*), § 35.
[4] Text F 4, § 3.

(*tenč'anawk'*) of Zurvān, through conception and birth'.[1] Desire, then, was from the beginning present in the godhead, and it was through desire that both Ohrmazd and Ahriman came into existence. As we shall see later, the concept of Āz covers every form of desire, and this appears to have been regarded by the Zervanites as evil in itself. Thus when Zurvān hands over this instrument mingled with 'the very substance of Āz' he is, so to speak, divesting his own personality of an inherent defect which originally resulted in the genesis of Ahriman.

Before proceeding to the very intricate problem of the 'garments', 'implements', or 'forms' which are attributed not only to Ohrmazd and Ahriman but to other deities as well, we must try to interpret more fully the problem presented by Zātspram's account of Zurvān's intervention in the cosmic drama.

For greater clarity we will here juxtapose the three texts referring to the 'garment', 'implement', 'form', or 'body' of Ahriman:

(1) Text Z 4 = Zs. 1, § 29. '(Zurvān) delivered to Ahriman an *implement* (*aβzār*) (fashioned) from the very substance of darkness, mingled with the power of Zurvān, as it were a treaty, resembling coal(?), black and ashen.'

(2) Text Z 5 (*a*) = Zs. 34, § 35. 'When . . . Zurvān . . . brought that *form*, the black and ashen *garment* to Ahriman, (he made) a treaty in this wise: "This is that *implement*, like unto fire, blazing, harassing all creatures, that hath the very substance of Āz." '

(3) Text Z 1 = GrBd. 1, § 27. 'From the material darkness which is his own essence the Destructive Spirit fashioned forth the *body* of his creation in the *form* of coal(?), black and ashen, worthy of the darkness, damned as the most sinful noxious beast.'

Corresponding to the last passage quoted is the account from the same source of the 'form' of the Ohrmazdean creation (Z 1 = GrBd. 1, § 26):

> 'From his own essence which is material light Ohrmazd fashioned forth the *form* of his (own) creatures—a form of fire—bright, white, round, and manifest afar.'

In the Ahrimanian series it is obvious that the object in (1) referred to as an 'implement' and in (2) as a 'form', 'garment', or 'implement' must be identical with the 'body' of Ahriman's creation in (3). According to Zātspram the 'form' is given to Ahriman by Zurvān. The *Bundahišn*, however, knows nothing of this.

This source, on the contrary, says that Ahriman created the 'form' (*karp*) or 'body' (*tan*) from the material darkness which is his own essence (lit.

[1] Venice edition, 1926, pp. 128–9; Schmid, p. 94–5; Langlois, ii, p. 376.

'selfhood'). Similarly Ohrmazd created the 'form' of his creatures from his own essence which is material light. No intervention of any kind by Zurvān is mentioned.

The *Mēnōk i χrat*,[1] however, does mention Zurvān in connexion with Ohrmazd's creative activity. 'The Creator Ohrmazd', it says, 'fashioned this creation and the Amahraspands and the Spirit of Wisdom from his own light with the blessing of the Infinite Zurvān.' Zurvān, therefore, was indirectly involved in the Ohrmazdean creation according to the *Mēnōk*, which may be regarded as semi-Zervanite in tendency.

With this much evidence in our hands it is neither difficult nor, I think, unreasonable to deduce that the whole account goes back to a Zervanite origin.

In the original myth both 'forms' must have been the gifts of Zurvān to his two sons, Ohrmazd and Ahriman. To the first he gives 'the form of his creation', that is the raw material of creation, in the form of fire: to the second the 'body' or 'form' of the evil creation described by Zātspram again as 'like unto fire'—'blazing, harassing all creatures, that hath the very substance of concupiscence'. It is interesting that both 'forms' are conceived of as being like fire—the first a pure, white fire, the other continually in need of fuel (coal?), black and ashen, and worthy of the darkness—a fine, apt, and graphic description enough of an object imbued with 'the very substance of concupiscence'.

To carry the argument a stage farther. In Zātspram's account the 'implement', as we have seen, appears to be identical with the treaty between Ohrmazd and Ahriman which we have already discussed (pp. 101 ff.). It represents, then, the inauguration of the nine thousand years of struggle in time, and as such must be as much the concern of Ohrmazd as of Ahriman. It is therefore possible that there was originally only one fiery form—namely the raw material of all creation which would in fact be identical with Spihr (finite Space later to develop into the Cosmos) which we have seen is the body of Zurvān. Within this 'form' the struggle would develop between the pure fire (of wisdom) and the murky fire of concupiscence till the latter is finally destroyed. This point, however, cannot be laboured here since we can as yet offer no convincing proof.[2]

Leaving speculation for the moment, we must now return to our texts, since we have so far only touched on the fringe of the problems involved. We have by no means seen the last of these curious 'forms' and 'garments', and the *Dēnkart* has much in store to interest and confuse.

[1] Text Z 8, § 6.

[2] See further, however, pp. 127–8. For the opposition of wisdom and concupiscence v. p. 124, n. 1.

(*d*) *The Investiture of the Gods*

We have already seen that Zātspram speaks of the object handed to Ahriman by Zurvān either as an 'implement' or 'weapon' (*aβzār*, *zāy*) or as a 'garment' (*patmōk*, *patmōčan*). The Manichaean system offers an exact parallel to this usage. In this system the 'Primal Man', whom the Iranian Manichees identified with Ohrmazd, arms himself with the five pure elements in order to do battle with the powers of darkness. These five elements are referred to either as his armour or as his garment.[1] The indifferent use of the two terms is best illustrated by the following passage from St. Augustine:

> Factum de substantia Dei, id ipsum existentem quod Deus est, membra sua vel vestimenta sua, vel arma sua, id est quinque elementa, cum et ipsa nihil aliud essent quam substantia Dei, in tenebrarum gente mersisse.[2]

The garment, then, not only confers superior power on the wearer and thereby becomes a weapon, but also in some way represents his very substance. Similarly the *Spiritus Vivens* or Demiurge in the same system puts on the god Water 'like armour or like a garment'.[3]

In the Mandaean literature too both gods and demons array themselves in garments with a view to attaining greater potency or to warding off evil. Thus a minor Mandaean deity called Rahziēl wraps himself in two garments to protect himself from his enemies.[4] The garment of the great god Mandā d'Hayyē has such intrinsic power that the demons form a secret conspiracy against it;[5] and the arch-demoness Rūhā complains that her robe is of no effect.[6] Instances of the donning and doffing of garments could be indefinitely multiplied from the Mandaean books; but this is scarcely necessary since the power of the garment as a defensive weapon and as representing the personality of the wearer is already sufficiently attested.

After this brief digression it is time to return to the 'garment' or 'instrument' mentioned by Zātspram. This garment, curiously enough, turns up twice also in the *Dēnkart*,[7] though on a rather different ideological plane. There can be no doubt that this is the same garment of Ahriman, for it is said to be 'bestowed on him through Time from its decisive dispensation that orders aright' (*'kē ov-iš 'baχt 'pat zamān 'hač brīnkar rāδēnāk *bažišn*).[8]

[1] Full references *apud* H. J. Puech, *Le Manichéisme*, p. 167, n. 307; cf. p. 77 of the same work.

[2] *Contra Faustum*, xi. 3; cf. Baur, *Das manichäische Religionssystem*, p. 54.

[3] von le Coq, *Türkische Manichäica aus Chotscho*, iii, p. 9; cf. F. W. K. Müller, *Handschriften-reste in Estrangelo-Schrift aus Turfan*, ii, p. 39, fr. 98*b* (AbPAW. 1904).

[4] *Right Ginzā*, p. 250: p. 252. 3 in Lidzbarski's translation.

[5] Ibid., p. 259. 1 (translation).

[6] Ibid., p. 102. 37.

[7] Text Z 11, where the word used is *brahm* not *patmōk* as in Zs. 34. 35 (Z 5 (*a*)): cf. text Z 12.

[8] Text Z 11, § 4.

Nor is this the only garment mentioned, for others are bestowed on Ohrmazd himself, the god Vāy, and the demon Varan (heresy or lust).[1] The garments bestowed on Vāy and Varan are again 'bestowed through Time from its decisive dispensation that orders aright', exactly as in the case of Ahriman. Ohrmazd's garment, however, is 'bestowed upon him *by his own dispensation* through finite ⟨Time⟩' (the word 'Time' is omitted in the text).

The appearance of Time in the role of dispenser of garments must surely indicate that we are again in the presence of Zervanite ideas. The curious variation in the wording as between the investiture of Ohrmazd and that of the other beings is in all probability to be attributed to wilful distortion of an originally Zervanite text. In the case of Ahriman, Vāy, and Varan, Zurvān is the sole agent. Ohrmazd, on the other hand, bestows his own garment *by his own dispensation* on himself: Zurvān-Time is merely the medium employed. This reads exceedingly like a Mazdean variation on an essentially Zervanite theme.

Much the same has happened in DkM. 290. 10 (text Z 21), though here in the form of simple suppression rather than ideological variation. Here both sense and context demand the insertion of *akanārak zamān* (Infinite Time); but it is wanting in the text. The passage in translation reads: 'That which was before creation was ⟨Infinite Time⟩; that which coincided with the very act of the Creator's creation was finite Time; that which was after creation was action (continuing) till the rehabilitation (*fraškart*).' Without the grammatically and semantically essential 'Infinite Time' the sentence is left without a subject. The omission in this case and the apparent alteration in the other were most probably perpetrated on purpose by a Mazdean scribe who was trying to reconcile Zervanite ideas with the primacy of Ohrmazd over Zurvān-Time. It is therefore not at all fanciful to suggest that the original myth read in the case of Ohrmazd too: 'the robe of priesthood . . . was . . . bestowed upon him through Time from its own decisive dispensation that orders aright.'

Though the *Dēnkart* passage belongs to a more speculative sphere than the *Bundahišn* and Zātspram, the 'garments' of Ohrmazd and Ahriman are in fact the same as the 'bright, white form, round and manifest afar' on the one hand and the 'black and ashen garment' on the other with which we are already familiar. For the *Dēnkart* too describes the first as a 'shining white garment' and the second as 'ash-coloured'. The purpose of the investiture is again the same. In the case of Ohrmazd the garment ensures

[1] For the theological association of heresy with lust one may compare the Old-Testament conception of 'fornicating' after strange gods.

'his final victory over the Aggressor, the utter defeat of this last and the erasing of him from his own creation': in the case of Ahriman it was bestowed on him 'for the destruction and final annihilation of the Destructive Spirit, the chooser of that very weapon'.

Here it is worth noting that each of the twin Spirits *chooses* his own garment: they are not simply handed out to them by Zurvān. Once chosen the garments become the essence or 'selfhood' of each. This concept is foreign to the general trend of Sassanian Zoroastrianism which regards Ohrmazd as the *principle* of good and Ahriman as the *principle* of evil. Here, however, they appear to be good and evil *by choice*. It is impossible not to see an allusion here to the original doctrine of Zoroaster formulated in the *Gāθās* (*Yasna* 30. 5), however little the text may have been understood in Sassanian times. The Gāθic text runs as follows:

> Of these two Spirits the Evil One chose to do what is worst, but the Most Bounteous Spirit who is clad in the stone-hard sky (chose) order (*aša*), as did all who seek to please the Wise Lord (Ahura Mazdāh, i.e. Ohrmazd) by virtuous deeds.[1]

The choice of the garments in our own myth, however, decides the issue of the cosmic conflict. Both Ohrmazd's choice of the good and Ahriman's choice of the evil, but particularly the latter—since Āz (concupiscence) introduces an element of self-destruction into the evil camp—make the destruction of Ahriman certain.

The nature of this momentous choice is made clear by the *Dēnkart's* description of the garments which, as we have seen, are the essence and selfhood of the two Spirits.

The garment of Ohrmazd is the robe of priesthood—and it is significant that the final ejection of evil from the universe is accomplished by a sacrifice conducted by Ohrmazd as officiating priest with Srōš as his assistant.[2] This robe has such power that it alone ensures the utter defeat of Ahriman and his ejection from Ohrmazd's creation. In the heavens it is associated with

[1] It is interesting that this passage occurs in the same *Gāθā* as the famous passage where the Bounteous and Destructive Spirits (*spənta* and *ayra mainyu*) are described as 'twins'. In the Pahlavī books *Spənta Mainyu* is identified with Ohrmazd, though this was not explicit in the *Gāθās*. For the Mazdean 'explanation' of this passage see p. 80. For Ahriman's being evil *by choice* and yet capable of good cf. the myth recorded by Eznik (text F 7 (*a*)) according to which he created the peacock to show that he could create a beautiful thing.

[2] GrBd. 227. 8: *Ōhrmazd 'ō gētēh 'āyēt 'χᵛat zōt Srōš-ālāy rāspīk 'ut aiβyāhan 'pat 'dast 'dārēt. Ganāk Mēnōk 'ut Āz 'pat 'ān i gāsānīk nīrang zat-aβzārīhā akārīhast* (so Ind.).—'Ohrmazd comes down to earth himself as *zōt* priest and Srōš, the Blessed, as *rāspīk*—and he holds a girdle in his hand. The Destructive Spirit and Āz, their weapons smashed, are made powerless by the Gāθic ritual.'

the Signs of the Zodiac, and on earth with the priest. The virtue it represents is wisdom.

The robe of Ahriman is thus characterized. First it is the robe of *sāstārīh*, here as always in purely theological passages 'heretical priesthood'.[1] In the heavens it is associated with the Planets and among them more especially with Saturn, the planet of death; on earth with the heretical priest. The vice it represents is *dušākāsīh* ('evil knowledge' or 'wrong-headedness'), the opposite of wisdom.

It is perhaps significant that Āz figures nowhere in this description of the robe of Ahriman. It does, however, seem legitimate to conclude that the *Dēnkart* passage has been heavily edited by a Mazdean scribe, since Akōman (Evil Mind, the Ahrimanian opponent of the Amahraspand Vahuman in the Mazdean system) figures as the demon through whom the robe operates. Vahuman too appears in the section devoted to the robe of Ohrmazd.

The purpose of the investiture, however, is abundantly clear: it is the ultimate overthrow of Evil.

We must now turn our attention to a series of investitures which may or may not belong to this particular myth.

In the text we have been discussing (Z 11) four garments are mentioned: they are the garments of Ohrmazd and Vāy in the good camp, and those of Ahriman and Varan in the evil. The garments of Ohrmazd and Vāy are again found in the third chapter of the *Greater Bundahišn*;[2] and in addition a garment is donned by 'Spihr, the body of Zurvān of the long Dominion, the good destiny of the gods'.[3] This chapter, however, makes no reference to the garments of Ahriman and Varan.

A yet fuller list is found in another *Dēnkart* text (Z 12). It does not, indeed, speak of 'garments' or 'instruments', but of 'categories' (*ōšmurišnān*). The exact correspondence between the three texts, however, proves that we are again in the presence of the same idea. The 'categories' are *spēnākīk*, *ganākīk*, *vāyīk*, *varanīk*, *baγānīk*, *gaδōkīk*, *hunihātīk*, and *dušnihātīk*; that is the categories of *Spēnāk Mēnōk*, the Bounteous Spirit who is Ohrmazd himself; of *Ganāk Mēnōk*, the Destructive Spirit who is Ahriman; of Vāy; of Varan; of *baγān*, the gods, here used in the sense of the Signs of

[1] According to Wikander the *sāstārs* were originally worshippers of Vayu (Vāy): v. *Vayu I*, pp. 90 and 71.

[2] Text Z 2, §§ 4–6.

[3] We cannot accept the translation of Nyberg which Widengren (*Hochgottglaube*, p. 247) follows: according to this Ohrmazd dons all three garments, Vāy and Spihr being themselves the second and third. v. text Z 2, l. 2 [one] note. Wikander, *Vayu I*, p. 27, has energetically protested against this very forced interpretation of the text.

the Zodiac; and of *gaδōkān*, the robbers, who are the Planets. The last two categories, *hunihātīk* and *dušnihātīk*, mean simply 'of good nature' and 'of evil nature'.

Combining the three texts from the *Dēnkart* (Z 11 and 12) and the *Bundahišn* (Z 2) we obtain the following data:

(i) *The Gods of Light*

(*a*) Ohrmazd
- (i) dons the white garment of priesthood characterized by wisdom (Z 2).
- (ii) dons the white robe (*brahm*) of priesthood associated with the virtue of wisdom (Z 11).
- (iii) implicit in the *spēnākīk* category which includes priesthood, religion (*dēn*), wisdom, &c. (Z 12).

(*b*) Vāy
- (i) dons the many-coloured and jewel-bedecked garment of warriorhood: dispels aggression in both creations (Z 2).
- (ii) dons the red, wine-coloured and jewel-bedecked robe of warriorhood: associated with the virtue of valour (Z 11).
- (iii) implicit in the *vāyīk* category which includes warriorhood, speed, valour, lordship, and law (Z 12).

(*c*) Spihr
- (i) dons the dark blue garment of the husbandmen:[1] rules the destinies of the world aright (Z 2).
- (ii) implicit in the *baγānīk* category which includes husbandry and generosity (Z 12).

(ii) *The Demons of Darkness*

(*a*) Ahriman
- (i) dons the ash-coloured garment characterized by concupiscence (Āz) (Zātspram's two texts only).
- (ii) dons the ash-coloured garment of *sāstārīh* (heretical priesthood) associated with the sin of evil knowledge (wrong-headedness, *dušākāsīh*) (Z 11).
- (iii) implicit in the *ganākīk* category which includes *sāstārīh* the adversary of priesthood, irreligion, falsehood, and ingratitude (Z 12).

[1] Cf. text Z 3, § 2. 'Spihr it is who bestows good things; and his lordship and kingship are as when the husbandmen till the earth, and (the earth) makes good return.' Elsewhere the 'Spirit of the Sky' (*mēnōk i āsmān*) is compared to a husbandman (*varzvar*) (text Z 1, § 43).

(*b*) Varan	(i) dons the garment of self-will associated with the sin of self-will (Z 11).
	(ii) implicit in the Varanīk category which includes self-will, heresy 'the rival of priesthood and helpmate of *sāstārīh*', evil knowledge, and irreligion (Z 12).
(*c*) Gaδōkān (the Planets)	(i) implicit in the *gaδōkīk* category which includes theft and violence, enmity to the tillers of the soil, avarice, and the suppression of prosperity (Z 12).

In addition Z 12 has the categories of *hunihātīk* which includes 'good effort' and *dušnihātīk* which includes 'evil effort'.

It is almost superfluous to point out that these three categories represent the three Zoroastrian castes—the priests (*āsrōnān*), the warriors (*artēštārān*), and the husbandmen (*vāstryōšān*). The artisan class which was only added at a much later date receives an honourable mention in the text Z 12, but is not placed under the aegis of any patron deity.

By donning the robe of priesthood Ohrmazd associates himself with the Zoroastrian priesthood on earth. Similarly Vāy takes over the patronage of the warriors,[1] and Spihr, the firmament, that of the husbandmen. This much is, for once, indisputably clear.

On the Ahrimanian side, however, matters are very much more complicated.

Ahriman's ash-coloured garment has been met before and exhaustively discussed. It belongs to a genuine Zervanite tradition preserved for us by Zātspram only. The case of the Planets is less clear, that of Varan not clear at all.

In the Zoroastrian tradition the Planets, because of their apparently irregular course, are regarded as Ahrimanian—destructive and disruptive creatures: they are the evil counterpart of the Signs of the Zodiac. Nevertheless they form part of the firmament (Spihr), and for this reason we find the firmament divided into a good and evil half.[2] The categories of *baγānīk* and *gaδōkīk*, therefore, are merely the two aspects of the firmament considered as the god of fate. The dark blue garment of Spihr is therefore unmistakably the night sky,[3] though dark blue may well have been the national costume of the Iranian peasant in Sassanian times as it still is today. Like Vāy, Spihr has suffered a Mazdean dichotomy, and the category of the Planets can scarcely have had an independent existence in the original investiture myth.

[1] v. p. 83 and n. 5 there.

[2] Text Z 3, § 3. v. p. 111, n. 5.

[3] Cf. Wikander, *Vayu I*, p. 28.

The case of Varan is far more complex. Why, of all creatures, is Varan singled out to be the evil counterpart of Vāy, the warrior-god? In the *Dēnkart* Varan is predominantly the adversary of Wisdom (*χrat*),[1] and it is therefore associated with *χᵛat-dōšakīh* (self-will or heresy) and *dušākāsīh* (wrong knowledge or error). For Zātspram, however, Varan is specifically lust,[2] and as such merely an aspect of that mother of all wickedness, Āz. Elsewhere it is described as 'the most grievous of all evil' and the 'principle of wrong-knowledge',[3] and all sins are its weapon.[4]

There seems no reason at all why Varan, a preponderantly theological demon (heresy), should be selected as the adversary of Vāy, the warrior-god.[5] If we examine the passage more closely, we will find that the account of Varan's robe differs in one important respect from that of Ohrmazd, Ahriman, Vāy, and Spihr. Ohrmazd's robe is white, Ahriman's ash-coloured, Vāy's red or many-coloured, Spihr's dark blue. The garment of Varan, however, is merely described as the garment of 'self-will'. It seems probable that Varan had no share in the original investiture myth; and this is not surprising, since the myth is plainly based on the caste system and the investiture is that of the patron gods of the three castes —Ohrmazd the priest, Vāy the warrior, and Spihr the husbandman. This is most clearly attested by the text Z 2 (*Greater Bundahišn*, chapter iii), where there is no reference at all to the Ahrimanian counterparts.

Let us assume then that *Bundahišn* iii presents the myth in its original form—a myth the purpose of which is the sanctification of the three castes. The Ahrimanian counterparts will then be subsidiary, and the two *Dēnkart* accounts (texts Z 11 and 12) will represent a not very successful attempt to fuse three separate myths into one. These myths will be:

(i) the investiture myth of the castes,
(ii) the investiture of Ohrmazd and Ahriman by Zurvān with the garments of their 'selfhood' or 'essence', and

[1] The opposition of *χrat* and *Varan* is so frequent that we must content ourselves with giving a selection only of the references where it occurs. These are: DkM. 68. 15 ff.; 302. 2, 15; 295. 14; 440. 20; 142. 13; 244. 13; 292. 21–293. 3; 312. 11; 321. 8; 123. 14; 247. 10; &c. As a translation of Av. *varənya-* the NP. has *varan nām i dīv ki dūzaχī u gumānī ast*.—'Varan is the name of the demon of hell and doubt' (Bartholomae, AIW., col. 1373).

[2] Text Z 5 (*a*), § 36: 'That (part of Āz) pertaining to the natural functions directed outward is the desire to mingle (copulate) which is called Varan.'

[3] DkM. 302. 21: *Varan garān-tom i hamāk anākīh*, and on the same page l. 4 *dušākāsīh bun Varan*—'Varan is the principle of wrong knowledge'.

[4] Ibid. 67. 14: *hamāk āhōk i 'hēnd varan aβzār*.

[5] It is, of course, possible to see, with Wikander, in this opposition the partial demonization of Vāy, the cult of Vāy having been in an earlier age the most serious rival of orthodox Mazdeanism. If so, it is interesting that this opposition should survive right up to the Sassanian period.

(iii) a myth of Vāy, formerly a supreme deity in his own right, and now half-absorbed into a Mazdean–Zervanite system.

Varan, otherwise unexplained, will then belong to (ii) and owe its presence here to its close association with Āz from whom it proceeds.[1] As the stock adversary of Wisdom, it can hardly be the original adversary of Vāy, who of all gods has the smallest part in that excellence.

The myth of the investiture of the patrons of the castes would also seem to be of Zervanite origin. In text Z 11 the garments are bestowed 'through *Time* from its decisive dispensation that orders aright' (the exception in the case of Ohrmazd has already been noted), whereas the heading of our text Z 12 is: 'Of the colour of *Time* and the nature of that colour and him who dyed it with colour.'

This latter text seems to me to be of indisputably Zervanite origin, though clumsily—very clumsily—rehashed by a Mazdean hand. According to the Mazdean reconstruction Ohrmazd 'dyed Time with colour—with good because in substance the benefit accruing to creatures is from the good . . . and with evil because the evil of the Aggressor comes upon creation from without to confound it'. That Ohrmazd should 'dye' Time with evil is surely unthinkable from a Mazdean point of view. It is tantamount to admitting that Ohrmazd is himself the author of evil; and the whole *raison d'être* of dualism is to preserve the good principle from any possibility of tracing back the origin of evil to it.

It is then safe to conclude that in the original myth it was Zurvān himself who vested Ohrmazd, Vāy, and Spihr (described in *Bundahišn* iii as 'his own body') in the robes of priesthood, warriorhood, and husbandry.

Before leaving the myth of the castes it is not irrelevant to mention here that according to Ṭabarī it was Mihr-Narsē, whose Zervanite sympathies we tried to demonstrate in Chapter II, who appears to have revived the never very strict Iranian caste system by making his three sons the leaders of the three castes as Zoroaster is said to have done before him.[2]

(*e*) *Vāy again*

We have seen that as patron god of the warriors Vāy fits naturally into the myth of the castes. He is, however, a source of quite maddening confusion once he is introduced on to the cosmological plane. Nyberg and

[1] Cf. text Z 12, § 4: 'These categories proceed severally from their origin through the higher to the lower.' The *varanīk* category proceeds from the *ganākīk*. True, the *Dēnkart* does not mention Āz in the *ganākīk* category, but Zātspram probably has preserved the original Zervanite theme. Cf. also the foregoing note.

[2] Nöldeke, p. 110; cf. Schaeder, 'Der iranische Zeitgott', ZDMG. 1941, p. 275.

Wikander have demonstrated that he was originally a supreme god in his own right, and as such he still appears in the *Yašt* of the Avesta dedicated to him (Yt. 15). The *Bundahišn* and the *Dēnkart* have endeavoured to find a place for him in the half-Mazdean, half-Zervanite cosmology on which their accounts are based. These two sources both bring him into the cosmological drama. Zātspram refers to him only once.[1]

Cosmologically Vāy is the Void between the Endless Light and the Endless Darkness.[2] In this sense it may be conceived as extending indefinitely to right and left in a horizontal direction. Before creation and the mixture of the two Spirits it must have been as eternal as they.

§ 26 of the first chapter of the *Greater Bundahišn*, however, refers to the 'fashioning forth' or creation of Vāy:

> From the material (form) of that Spirit which dispels aggression in the two worlds—be it Power or be it Time—he (Ohrmazd) fashioned forth the form of Vāy, the Good, for Vāy was needed: some call it Vāy of the long Dominion. With the aid of Vāy of the long Dominion he fashioned forth creation; for when he created creation, Vāy was the instrument he needed for the deed.

Similarly in § 35:

> And he fashioned forth creation with the aid of Vāy of the long Dominion: for when he fashioned forth Vāy of the long Dominion, it too was as an instrument and needful for the act of creation.

Vāy then appears to be an indispensable element in the drama of creation, partaking of both good and evil. GrBd. i, §§ 24–26 (text Z 1) gives the following sequence of creations:

(i) the fashioning of finite Time from Infinite Time,
(ii) the fashioning forth of the form of Ohrmazd's creatures from the Endless Light,
(iii) the fashioning forth of Vāy of the long Dominion from either Power or Time.

The obvious interpretation of (iii) would appear to be that Vāy of the long Dominion is, so to speak, carved out of the Void, just as Time of the long Dominion is carved out of Infinite Time. The first represents the limitation of Space, the second the limitation of Time. Zurvān, infinite Time-Space, is the source from which both are drawn. Vāy of the long Dominion is then finite Space.[3] This is expressly stated in DkM. 205. 18

[1] Text Z 4, § 15: 'There are things which are not according to the will of Ohrmazd—and these can only be whatever has its root in Vāy who is of a different substance.'

[2] Text Z 1, §§ 1–4: cf. Z 4, § 1.

[3] Cf. text Z 16: 'Its (Time's) limitation consists in the movement of matter in Vāy (Space) by means of the firmament.'

(text Z 11), which speaks of 'the Spirit Vāy whose name is the Wheel, that is the firmament (Spihr), and it is also called *spahr* (= Av. *θwāša-*)'.

For the cosmological texts we therefore have the equation: Vāy of the long Dominion = Spihr. Both are Space; though the latter is conceived of specifically as the firmament and the former as the atmosphere. The text Z 3, § 3, adequately illustrates the relationship or rather identity of Zurvān, Spihr, and Vāy:

> Spihr bestows (good things) on the material world. He who gives in abundance is called the goodly Spihr; and he who gives them sparingly is called the evil Spihr. The things bestowed reach (men) through *Time who is Vāy of the long Dominion, whether it be the instrument of Zurvān or of Ohrmazd.*

In the cosmological texts, therefore, there is no real distinction between the finite Zurvān-Time, Vāy of the long Dominion, and Spihr. They are all finite Time-Space.

The confusion starts when our authors seek to combine the cosmological Vāy with the personal warrior-god of the same name. Thus the *Dēnkart* identifies Vāy and Spihr (text Z 11), yet in the parallel text (Z 12) the 'categories' proceed from their origin from the higher to the lower, from the category of Ohrmazd (*spēnākīk*) through that of Vāy to that of Spihr (*baγānīk*). This must surely be an attempt to weld together two totally dissimilar myths—the myth of the castes and the cosmological myth in which Vāy appears as an hypostasis of Zurvān-Spihr.

(*f*) *The Endless Form*

The last major problem presented to us by the first chapter of the *Greater Bundahišn* is what is called the *asar(ōk) karp(ak)* or 'Endless Form'. This is how it is spoken of in that thorny chapter (text Z 1, § 29):

> He (Ohrmazd) fashioned forth the Endless Form from the Endless Light, and he created all creation within the Endless Form. The Endless Form is exempt from the passage of Time.

The Endless Form, then, is plainly identical with the 'form of the creatures of Ohrmazd' described earlier in the chapter (§ 26). There we read:

> From his own essence which is material light Ohrmazd fashioned forth the Form of his own creatures—a form of fire—bright, white, round, and manifest afar.

The Endless Form then is the raw material of the Ohrmazdean creation. It is described in more detail in a somewhat obscure passage of the *Dēnkart* (text Z 10). We learn in that passage that the 'Form' contained both the 'ideal' (spiritual—*mēnōk*) creation and the material. The *Bundahišn* passage

appears to deal with the material aspect only. We will therefore turn to this first.

The material creation as opposed to the 'ideal' is the domain of 'nature' (*čihr*) and it contains the Spirit of the Power of Nature (*mēnōk i čihr nērōk*). 'Nature' is used in contradistinction to 'will' (*kām* or *aχ*^{v} representing Avestan *aŋhvā-*) in several *Dēnkart* passages[1] and is wholly removed from the moral sphere (cf. 'natural life' contrasted with 'voluntary knowledge' in the last note). The material side of the Endless Form is therefore the prototype of the world of nature.

The material 'Endless Form' is here (both in Z 1, § 38, and in Z 10) conceived of as an embryo proceeding from conception to birth. When born this Endless Form becomes Spihr, the firmament, here very plainly conceived of as the macrocosm, the formed creation and the prototype of man. Thus following up a different line of evidence we arrive at the conclusion we have already reached once before. In the Zervanite system Spihr, the body of Zurvān, is the macrocosm or the equivalent of the πρῶτος ἄνθρωπος of the Gnostics. From it proceed the elements.[2]

Now we have seen that the firmament is conceived even by the Mazdeans proper as being compounded of both good and evil or rather as being indifferent to both. It is therefore surprising that the *Bundahišn* (Z 1, § 39) speaks of Ohrmazd as being the father and mother of creation. Without in any way seeking to labour a point which of its nature cannot be formally proved, I would suggest that this is another Mazdean attempt to monopolize a myth which springs from a Zervanite source. It is on a par with the far more obvious case of Ohrmazd 'dyeing' Time with good and evil.[3]

Much the same has happened in a Pahlavī *Rivāyat* (Z 7) dealing with this subject. Here the Endless Form is referred to as an instrument (*aβzār*) 'like a flame of fire, pure in light'. This account has been fully adapted to the Mazdean system, for instead of the four elements proceeding from the infant Spihr, we find the seven Mazdean first creations. The sky was fashioned from its head, water from its tears, the earth from its feet, the plants from its hair, the Bull from its right hand, Man from its seed, and fire from its mind. Finally Ohrmazd himself settles in the 'form'.

We must now turn to another rather obscure *Dēnkart* text (Z 9). Here we come upon the conception of the 'seed' (*tōhmak*) of the Cosmos. From this seed Fortune (*χ*^{v}*arr*) derives: the elements (fire, water, and earth) pre-

[1] See note C, p. 144.

[2] v. text Z 10: 'From the Wheel proceeded becoming, the hot and the moist of which the wind (air) is composed: these are connected with the spiritual Word and share in its power: (and from it also proceeded) the elements which are the seed of seeds of material creations . . .'. Cf. *infra*, pp. 141–3.

[3] *v. supra*, p. 125.

serve it and Time is embodied within it. The conjunction of Time and Fortune is strangely reminiscent of Eznik's myth which mentions Fortune along with Zurvān. Further, the conception and birth of the firmament recalls the conception and birth of Ohrmazd and Ahriman in that myth. Conception and birth usually imply the existence of a father and mother. Is it too bold to discern in these texts the dim survival of a myth in which Spihr, the body of Zurvān of the long Dominion, that is the Cosmos, is begotten by the Infinite Zurvān and born of his Fortune?

Some support is lent to this view again by that most knotty of verses in the first chapter of the *Greater Bundahišn*, § 26 of our text Z 1. Here we have two distinct 'forms': the 'form' of the creatures of Ohrmazd which we have already seen corresponded to the Endless Form in other contexts, and the 'form' of Vāy fashioned from 'that Spirit which dispels aggression in the two worlds—*be it Power or be it Time*'—'for Vāy was needed'. Vāy here is obviously identical with Zurvān-Spihr of the long Dominion, or more plainly the material universe; and it thus appears to duplicate the Endless Form of Ohrmazd's creation. This, combined with the evidence we have reviewed hitherto, would seem to indicate that the author of the *Bundahišn* is seeking to combine a purely Zervanite account of the creation in which the material Cosmos is born of Infinite Time with Mazdean dualism. The original Zervanite scheme appears to have remained firmly on the physical plane, busying itself with neither good nor evil. Mythologically the birth of the Cosmos from Zurvān probably antedates the genesis of Ohrmazd and Ahriman.

It will be noticed that in the whole of the semi-Zervanite section of the first chapter of the *Greater Bundahišn* there are curious inconsistencies. In § 29, for instance, Ohrmazd creates True Speech from *material* light, and again the *Ahunvar* prayer proceeds from the Endless Form which itself proceeds from the same *material* light. Why should these wholly spiritual conceptions be represented as proceeding from a *material* origin?

If we return to the *Dēnkart* text Z 10, we will find a fuller account and the *Bundahišn* text will become less obscure. The relevant passage runs as follows:

On the one hand it (the Endless Form) contains the spiritual (ideal) creation; on the other the material creation. In the spiritual creation the Spirit of the Power of the Word was contained; and in the material creation the Spirit of the Power of Nature was contained, and it settled (in it).[1] The instrument which contains the spiritual creation was made perfect . . .; and within the instrument which

[1] This would seem to be nearer to the original account. For the 'Spirit of the Power of the Word' the Pahlavī *Rivāyat* just discussed substitutes Ohrmazd.

contains the material creation the marvellous Spirit of the Power of Nature was united to the kingdom of the Spirit of the Power of the Word through the will of the Creator.

In fact we really have two 'forms' or 'instruments', not one. One is the prototype of matter from which Spihr, the firmament, is later to proceed; the other is the prototype of the spiritual and moral world: but the two are united at conception. Thus when the *Bundahišn* derives True Speech from material light, it must be confusing the material aspect of the Endless Form with the spiritual. True Speech can only logically derive from the Spirit of the Power of the Word which can scarcely be anything else than the eternal Wisdom (called by the *Bundahišn* Z 1, § 2, 'omniscience and goodness' or 'religion' (*dēn*)) which is the 'will' of Ohrmazd.

A similar logical confusion may be observed in a passage from Šahristānī. 'The Most High God at a certain time . . . of his reign created a spiritual (*rūḥānī*) creation; and when three thousand years had elapsed, he emanated (*anfadha*) his *will* in the form of resplendent light, fashioned in the form of a man: and he surrounded it with seventy of his blessed angels.'[1] Here again we have the incarnation of a divine hypostasis in the shape of a man. The 'spiritual creation' can only be the 'Endless Form'; the 'will' of God (Ohrmazd) is infused into it; and the result is the Cosmos.

In the text of the *Greater Bundahišn* as it now stands (Z 1, § 26) we can only conclude that the 'form' of the creatures of Ohrmazd should refer to the ideal or spiritual prototype only, and the 'form' of Vāy to the material. This must hold true for the Ahrimanian creation too. The 'body' of Ahriman's creation is ideal, and the 'form' of Varan is simply a repetition of the 'form' of Vāy on the Ohrmazdean side.[2] In fact we have three 'prototypes':

(i) the prototype of spiritual good,
(ii) the prototype of spiritual evil, and
(iii) the prototype of matter.

This last is a neutral substance, neither good nor evil, but the battle-ground of the struggle between the two. This battle-ground is Spihr, the body of Zurvān of the long Dominion.

In text Z 10 Spihr, the Cosmos, is born: it is 'the First Body united with the Spirit of the Power of the Word'. In other words, divine Wisdom is infused into the Cosmos at the time of its conception. This represents the fusion of spirit (Ohrmazd) and matter (Zurvān).

It remains only to be noted in this connexion that the period of gestation

[1] Cureton, p. 185; Haarbrücker, i, p. 281. The passage occurs in the account of the *Zarāduštiyya*, not of the *Zarvāniyya*.

[2] v. pp. 124 ff.

of the cosmic embryo is conceived in our texts as taking place during the first 3,000 years of the 12,000-year period.[1]

Having duly considered the 'Endless Form' we must now return to the dark side of the picture.

While the Endless Form, both spiritual and material, was being fashioned, Ahriman 'from the material darkness which is his own essence fashioned forth the body (*tan*) of his creation in the form of coal(?), black and ashen, worthy of the darkness, damned as the most sinful noxious beast. From material self-will he fashioned forth the form of Varan whose religion is the worse; for Varan was needed.'[2]

We have tried to demonstrate that the 'form' of Varan in the Ahrimanian creation superseded the 'form' of Vāy conceived in his maleficent aspect;[3] and we have further suggested that the *material* form of good and evil was originally one, not two.[4] The presence of Varan in this context was attributed to its close association with Āz.[5] Unlike Vāy in the Ohrmazdean creation, then, Varan is the true spiritual manifestation of Ahriman, just as the Spirit of the Power of the Word (True Speech in Z 1, equivalent to the will of Ohrmazd which is Wisdom) is Ohrmazd's *spiritual* manifestation. In this case Varan would be equivalent to the Lying Speech mentioned in Z 1, § 28.

Varan, which is to all intents and purposes identical with Āz or at least derives from the latter, here takes its place. The Varan of the *Bundahišn* account must be a reflection of the original Zervanite tradition preserved by Zātspram according to which Zurvān arms Ahriman with Āz-concupiscence for his own destruction.

Let us now recapitulate the results of our investigation so far. In the beginning Zurvān, the Infinite, alone existed. He desired a son who should be creator, but doubted whether this could come to pass. From this doubt Ahriman was conceived and born, while from his wisdom Ohrmazd arose.[6]

[1] Text Z 1, § 6, describing the first act of creation before Ahriman's first assault: 'For 3,000 years creation stayed in this ideal state, for it was without thought, without movement, without touch.' So ibid., § 38, the process of the material Cosmos is thus described: 'The creation of Ohrmazd was fostered spiritually in such wise that it remained without thought, without touch, without movement, in a moist state like semen.'

[2] Text Z 1, § 27. There is no real distinction between *karp* 'form' and *tan* 'body'. In the *Bundahišn* it will be found that where the MS. TD2 has *tan* the Paris MS. frequently has *karp*. So also the 'Endless Form' of Ohrmazd is called *karp*, but that of Ahriman is *tan*. Later this too is referred to as *karp*.

[3] v. pp. 124–5.

[4] v. p. 129.

[5] v. p. 124.

[6] Šahristānī, text F 4, § 1.

The conception and birth of the material Cosmos was then devised by Zurvān, who himself entered finite form and became embodied in the material Cosmos which is Spihr, the body of the finite Zurvān (Time-Space). This material creation is governed by cosmic order (*dātastān*),[1] which we might call the natural law.

It is to this stage of the cosmic drama that the Āz episode recorded by Zātspram belongs, and here too the investiture myth, *so far as it concerns Ohrmazd and Ahriman*, must be taken into consideration. The first three thousand years of finite Time have passed; the limitation of Zurvān as Space and Time has come to pass, and 'Spihr, the body of Zurvān' is born. The battlefield is ready and the powers of good and evil await the signal for the fray. It is here that Zurvān as the supreme god intervenes.

Though Ahriman, born of Zurvān's doubt, is by nature evil, and Ohrmazd, born of his Wisdom, is by nature good, it still remains for Zurvān to set the seal on their characters.

When first creation began to move and Zurvān for the sake of movement brought that form, the black and ashen garment, to Ahriman, (he made) a treaty in this wise—'This is that implement, like unto fire, blazing, harassing all creatures, that hath the very substance of Āz. When the period of nine thousand years comes to an end, if thou hast not perfectly fulfilled that which thou didst threaten in the beginning, that thou wouldst bring all material existence to hate Ohrmazd and to love thee . . ., then by means of these weapons Āz will devour that which is thine, thy creation; and she herself will starve; for she will no longer obtain food from the creatures of Ohrmazd—like unto a frog that liveth in the water; so long as it defileth the water, it liveth by it, but when the water is withdrawn from it, it dieth parched.'[2]

On the other side Ohrmazd 'himself donned a white garment, and it had the stamp of priesthood; for wisdom is ever with the priests who are guides to men, and all men are their pupils. And the office of Ohrmazd was the act of creation, and it was through wisdom that creation must be created. Therefor did he don the robe of the wise which is the robe of priesthood.'[3]

Within the limits of their nature the two Spirits were free to choose. Ohrmazd chose the robe of priesthood as his essence, and Ahriman the robe of heretical priesthood.[4] The first chose the weapon of wisdom, and the second the weapon of concupiscence. The choice of both was equally effective in the overthrow of the Evil One.

Wisdom in the shape of the Spirit of the Power of the Word was infused into the embryonic Cosmos (Endless Form) at its conception. There is no

[1] Cf. text Z 11, § 5, and Chapter IX, pp. 249–53.

[2] Text Z 5 (*a*), § 35.

[3] Text Z 2, § 4 (GrBd., ch. iii).

[4] v. text Z 11, §§ 3–4.

evidence that in this myth concupiscence made its irruption until Ahriman's successful assault on the fully developed material creation, that is 6,000 years after the limitation of Time. The first 3,000 years were apparently spent by the two Spirits in perfecting their own spiritual armament while the Cosmos was conceived and ultimately born.[1] Of the remaining 9,000 years, 'three thousand would pass entirely according to the will of Ohrmazd, three thousand years in mixture would pass according to the will of both Ohrmazd and Ahriman, and . . . in the last battle the Destructive Spirit would be made powerless'.[2]

In the end Ahriman and his hordes are either expelled from the material Cosmos or annihilated. The 'Final Body' (*tan i pasēn*) is then inaugurated. Seen in this context the 'Final Body' represents exactly what it says—the final shape that the original body or 'form' takes on, the shape it assumes after the expulsion of evil when finite Time again merges into the Infinite. The Final Body is therefore the same body of Zurvān finally delivered from evil, concupiscence, and doubt. 'In the end, manifest and plain, there will be seen by night and in the atmosphere a *form of fire* in the shape of a man, conceived by the spiritual gods, riding, as it were, a fiery horse, and fearful (to behold): and they shall be freed from doubt.'[3]

(*g*) *The Manifestation of Creation*

We have seen that in the *Dēnkart* the 'Endless Form' was conceived of as (*a*) a spiritual entity ruled by the 'Spirit of the Power of the Word' and (*b*) as the source of matter ruled by the 'Spirit of the Power of Nature'. The latter is 'made manifest', to use the Zoroastrian term, in Spihr, the material Cosmos. The former is made manifest in the *Ahunvar*, the basic prayer of the Zoroastrians and essentially identical with the *Dēn* (Religion) which in turn is identical with wisdom.[4] The effect of Ohrmazd's initial recital of this prayer was to precipitate Ahriman back into the darkness, where he lay in a state of torpor for three thousand years.

In the Mazdean version the manifestation of finite Time and of the *Ahunvar* take place simultaneously. So great does the confusion caused by the intermingling of Zervanite and Mazdean ideas appear to have been

[1] That during the first 3,000 years Ahriman may have scored a signal victory over the spiritual creation of Ohrmazd necessitating the formulation of a treaty has already been suggested (p. 99).

[2] Text Z 1, § 14. This, however, is probably a Mazdean rather than a Zervanite account.

[3] Text Z 5 (*a*), § 54. It is tempting to see in this a personification of the *tan i pasēn* (Final Body). As the original creation was in the form of fire (text Z 7, § 2, &c.), so is the Final Body in the form of fire. Significant is the last sentence, 'and they shall be freed from doubt'.

[4] See note D, p. 144.

that, in a late Persian *Rivāyat*, we find Zurvān identified with the *Ahunvar*.[1] In this passage the *Ahunvar* is conceived of as uncreate wisdom, Zurvān as Infinite Time. The author has fused the two together.

Yet another case of confusion between the spiritual and the material appears in the *Bundahišn* passage (Z 1, § 30) immediately following the recital of the *Ahunvar*. The passage runs: 'From the *Ahunvar* the Spirit of the Year came forth which is now in a mixed state, half light and half dark, . . . and is a division of Time of the long Dominion.'

It seems sufficiently clear in this case that the author of the *Bundahišn* has totally misunderstood his sources. As a division of Time of the long Dominion, the Spirit of the Year must proceed from that deity, not from the *Ahunvar* which is the manifestation of Ohrmazd's wisdom. The Spirit of the Year or, better, the Ideal Year in the abstract is, as the text itself says, simply a division of Time, and fits in with the Zurvān-Spihr complex, not with the Ohrmazdean.

If the reader will turn to p. 111, he will find that we had there suggested that the Ideal Year appeared as the last member of a tetrad, Infinite Zurvān —Zurvān of the long Dominion—the Course of Fate—the Ideal Year. Following the reasoning outlined in this chapter we obtain a similar tetrad, Infinite Zurvān—Zurvān of the long Dominion—Spihr, the Cosmos—the Ideal Year. The Ideal Year will, then, be the 'manifestation' of Zurvān of the long Dominion, just as the material creation is the 'manifestation' of finite Space.[2]

The author of the *Bundahišn* (Z 1, § 30) fortunately makes clear his own conception of this manifestation. The Ideal Year is 'now in a mixed state, half light and half dark, three hundred and sixty-five days and nights'. We seem here to be right back at the most simple and primitive form of Zervanism—Time represented as an endless succession of days and nights. Transported into mythology it was all too easy to create a great god Time who, by an analogy with terrestrial experience, must comprise both light and darkness.

> For what thou hast said concerning the two horses, blazing like unto lightning. Both the white and the black are Time: . . . they are night and day which pass by, they reckon each moment of the firmament above us.[3]

The popular tradition has in this case preserved the origin of the myth.

II. THE MATERIAL CREATION

Unlike the cosmological myths which precede it and which have kept us occupied so long, the actual creation of the material world presents few

[1] Text Z 38. [2] See note E, p. 144. [3] v. text F 13, § 9.

difficulties. No non-Zoroastrian source gives a satisfactory account of it, and we are therefore confined to the Iranian versions; and these are, for once, perfectly straightforward. The purely Mazdean account of the material creation is again best preserved in the first chapter of the *Greater Bundahišn* (§§ 32–60), and the Zervanite '*Ulemā* agrees with it.[1] The *Bundahišn* tells its story clearly and well. We shall therefore confine ourselves to a brief summary and refer the reader to our text Z 1.

After the conclusion of the treaty with Ahriman Ohrmazd proceeds with the work of creation. First he created the six Amahraspands—Vahuman, Artvahišt, Šaθrēvar, Spandarmat, Hurdāt, and Amurdāt. After the creation of the material world Vahuman was to adopt cattle as his especial care, Artvahišt fire, Šaθrēvar the metals, Spandarmat the earth, Hurdāt water, and Amurdāt the plants. Having created the Amahraspands Ohrmazd added himself to their number, thus forming a heptad.

Corresponding to the six Amahraspands the sky was fashioned in six stations: first the station of the clouds; second the firmament (Spihr) of the stars;[2] third the stars exempt from contamination; fourth heaven (*vahišt*), the place of the Moon; fifth *Garōδmān* or Endless (*anaγr*) Light, the place of the Sun; sixth the place of the Amahraspands: and to these is added the Endless Light (*asar rōšnīh*), the place of Ohrmazd.[3] The sky itself is the first of a series of six creations: the second is water, the third the earth, the fourth the plants, the fifth cattle, and the sixth Man; and to these fire is added as a seventh, fire 'whose brilliance is from the Endless Light, the place of Ohrmazd'.

In opposition to the Amahraspands Ahriman created six arch-demons—Akōman, Indar, Sāvul, Nāŋhaiθ, Tarič, and Zērič, again adding himself as the seventh. Nothing, however, is said of his creating a material creation.[4] This is surely remarkable: for as we have already observed, in *Bundahišn* i, § 27, Ahriman fashions forth the 'body of his creation' from the *material* darkness, and this 'body' is parallel to the 'form' of the creatures of Ohrmazd, itself identified with the 'Endless Form'. This lends further confirmation to our theory that the material creation in this tradition proceeds from Zurvān and is independent of the Spirits of good and evil.

Ohrmazd created the sky in the form of an egg: its top reaches to the Endless Light, and all creation was created within it. It was the first material creation which Ahriman attacked, and it acted as a bulwark

[1] Text Z 37, § 16.

[2] It will be noticed that in the Mazdean account Spihr takes a very subordinate position. The same is true of Zurvān who in the third chapter of the *Bundahišn* is merely the assistant of Vahuman (Z 2, § 12).

[3] See note F, p. 144.

[4] Dd. 18. 2: *Ahriman rāδ guft 'ēstēt 'ku-š gētēh 'nēst.*—'It is said of Ahriman that he has no material thing.'

against him. The substance of the sky was crystal, and from this the second material creation, water, was made. From water the earth was made, round, but with an even surface; and it was made in three parts, one hard, one of the consistence of sandstone, and one soft as clay.[1] Then the mountains were made to grow out of the earth, and the minerals inserted into it. Fourth plants were created: first one plant only grew in the middle of the earth 'without branches, bark, or thorn, moist and sweet'; and from this all vegetable life proceeded. Fifth the Primal Bull was created on the banks of the river Daitē; and it 'was white and shining like the Moon'.[2] Sixth Gayōmart, the First Man, was created 'shining like the Sun'[3] on the left bank of the river Daitē; for the Bull was on the right. To aid him he gave him sleep which he fashioned in the form of a man 'tall and bright, fifteen years of age'. This sleep was given him in order to deaden the pain that he would feel when the onslaught of Ahriman came.[4] From the light and freshness of the sky the seed of the Man and the Bull was fashioned.

Each of these creations he made at one of the *gāsānbār* seasons; and the whole of the material creation was completed in a year.

This is the story as told by the *Bundahišn*. A very different version is given by one of the Pahlavī *Rivāyats* accompanying the *Dātastān i Dēnīk* (Z 7). True, the six Mazdean creations are to be found there too, and again fire is added as the seventh; but in this case they emerge from a fiery 'instrument' which is conceived of as a man and which can only be Spihr who, as we saw, emerged from the 'Endless Form' and is the prototype of Man. The 'instrument' is described as being like a flame of fire and was fashioned from the Endless Light, 'and from it all creation was made: and after it had been made, it was put into a body; and for three thousand years it was kept within the body, and it grew continually, and it was made better. Then it fashioned (things) one by one from its body.' The sky was created from its head, and it was ruled by Dahmān Āfrīn, 'the Praise of the Wise'. From its feet the earth was fashioned, and Mihr, Rašn, and Srōš were set over it.[5] Water was fashioned from its tears, and the plants from its hair; the Bull from its right hand, and fire from its mind.

In the case of Man (Gayōmart) there is some confusion in the text, for the author seems to have mixed up two traditions: he says (§ 36): 'From

[1] The translation is a little uncertain.

[2] The Avestan epithet of the Moon is *gao-čiθra-*, 'having the seed of the Bull': when the Primal Bull dies, his body and 'prototype' (*aδvēnak*) are delivered to the Moon (GrBd. 72. 11).

[3] Just as the body and 'prototype' of the Bull go to the Moon, so was the body of Gayōmart delivered to the Sun (GrBd. 73. 1).

[4] *Infra*, p. 190.

[5] v. text Z 7, § 5 note. Mihr, Srōš, and Rašn who with Zurvān form a tetrad of Justice are presumably identical with the Three Judges (*3 rat*); v. p. 102.

the clay from which Gayōmart was made (he made) man, emitting him in the form of seed into Spandarmat (the Earth): and Gayōmart was fashioned from Spandarmat and was born.' This is strongly reminiscent of the story of the genesis of Mašyē and Mašyānē, the first human *couple* who sprang from Gayōmart's seed: for when Gayōmart died his seed is said to have fallen into the earth. In the course of time a rhubarb plant grew out of the earth, and from this the first human couple emerged.[1] Thus it would appear that in the present text the phrase 'from the clay from which Gayōmart was made', which seems to make nonsense of the passage, has crept in from another source. The meaning of the passage must then be that the seed of Spihr fell into earth which in due course gave birth to Gayōmart.

The whole myth brings to mind the famous *Puruṣa* hymn in the *Rig-Veda* (x. 90). As there seems to be every reason to believe that this is a case of Indian influence on Iranian thought, we feel that we are justified in reproducing the relevant sections of that hymn here:[2]

(6) When the gods performed sacrifice with Puruṣa as an oblation, the spring was its melted butter, the summer its fuel, the autumn its oblation.
(7) That Puruṣa, born in the beginning, they besprinkled as a sacrifice on the strew; with him the gods, the Sādhyas, and the seers sacrificed.
(8) From that sacrifice completely offered was collected the clotted butter: he made that the beasts of the air, of the forest, and those of the village.
(9) From that sacrifice completely offered were born the hymns and the chants; the metres were born from it; the sacrificial formula was born from it.
(10) From that arose horses and all such as have two rows of teeth. Cattle were born from that; from that were born goats and sheep.
(11) When they divided Puruṣa, into how many parts did they dispose him? What (did) his mouth (become)? What are his two arms, his two thighs, his two feet called?
(12) His mouth was the Brāhman, his two arms were made the warrior, his two thighs the Vaiśya; from his two feet the Śūdra was born.
(13) The moon was born from his mind; from his eye the sun was born; from his mouth Indra and Agni, from his breath Vāyu was born.
(14) From his navel was (produced) the air; from his head the sky was evolved; from his two feet the earth; from his ear the quarters: thus they fashioned the worlds.

The resemblance between the Vedic hymn and our *Rivāyat* passage is obvious. Two episodes are identical; for in both cases the sky is said to

[1] The fullest account of this curious myth will be found in GrBd. 100. 14 ff: cf. Justi's translation, p. 19.

[2] The relevance of this Vedic hymn to Zurvān's sacrifice in Eznik's myth had been previously noticed by Darmesteter, *Ohrmazd et Ahriman*, p. 329; cf. also Menasce, *Škand-Gumānīk Vičār*, p. 31; E. Lamotte, *Notes sur la Bhagavad-Gītā*, Louvain, 1924, p. 94.

have evolved from the head, and the earth from the feet of the Primal Man, as we may justifiably call him in both traditions, for Puruṣa means simply 'man'.

It will have been noticed that in the *Rivāyat* the usual order of the Mazdean creation has been altered: the creation of the earth is described before that of water, whereas in the *Bundahišn* the earth is created *from* water[1] and the short account in Zātspram agrees (Z 4). There would seem to be no reason for this transposition unless the author of the *Rivāyat* were following a different tradition in which the creation of the earth followed immediately on the creation of the sky. This is plainly attested in the Puruṣa hymn; and so much the author would seem to have borrowed, whether directly or indirectly it is impossible to say. In utilizing the myth, however, he must have been handicapped by the fact that he was bound to adhere to the Mazdean sevenfold creation. In borrowing the idea of the sacrificial dismemberment of the cosmic giant he was faced with the problem of suitably fitting the seven Mazdean creations into the latter's anatomy. The sky and the earth were already there: they corresponded to the head and the feet. How were water, the plants, the Bull, and Man to be accounted for? Here the author would seem to have proceeded according to the most obvious analogies. Thus he equates water with the tears, and plants with the hair. The latter analogy is also found in the Zoroastrian comparisons of the macrocosm with the microcosm,[2] but this is the only point of resemblance and it is therefore unlikely that our author is consciously borrowing from that source. Again the fact that the Primal Bull was created on the right bank of the river Daitē[3] and fell on his right side when he died[4] probably suggested the idea that he proceeded from the right hand of the Giant. The derivation of Gayōmart from the seed, however, may well go back to a genuine Zervanite theme which would derive Man, the microcosm, from Zurvān-Spihr, the macrocosm.[5]

It may, of course, be objected that the resemblances between the *Rivāyat* and the Puruṣa hymn are purely fortuitous, and that it is absurd to trace any connexion between a late Pahlavī text and a Vedic hymn composed probably in the eighth century B.C. There is, however, further evidence which deserves to be examined. First, we now know from Kartīr's great inscription of Ka'ba i Zartušt that during the reigns of Šāpūr I and his

[1] Text Z 1, § 46.

[2] See note G, p. 145.

[3] Text Z 1, § 50.

[4] GrBd. 72. 9: *'pas Ganāk Mēnōk 'ō 'gāv mat. 'gāv 'ō nēmrōč ālak 'pat dašn 'dast ōpast.*—'Then the Destructive Spirit came upon the Bull. The Bull fell towards the southern quarter on his right side.'

[5] *v. supra*, pp. 111–13 and note B, p. 144.

successors Indian religious sects had deeply penetrated into Īrān and that they represented an ideological force considerable enough to be deemed worthy of persecution.[1] Secondly, we saw in our first chapter[2] that Greek and Indian books were said to have been incorporated into the Sassanian Avesta at the time of Šāpūr I. Further details about these books are given in the fourth book of the *Dēnkart* where the names of books are mentioned, notably the *Μεγίστη* (*Al-maǰistī*) of Ptolemy.[3] When we find that one of these books describes the origin of the castes in exactly the same way as the Puruṣa hymn, the strong probability, already suggested by Kartīr's inscription, that the Persians were fully conversant with Indian religious ideas during the Sassanian period, becomes practically a certainty. The passage is so important that it must be quoted *in extenso*. The translation is as follows:

The -----*kośa* of the Indians and the *Megistē* of the Greeks and other (writings) of that sort were combined with the original literature (the Avesta?) in the Royal Treasury because they offered a reasonable corrective to students of this particular science. Their writings have recently been arranged by scholars, for they were brought from foreign countries: they have been considered and studied, nor have they been neglected or slightingly received on account of their inferiority and foreign name. It happened indeed that with the growth of knowledge they became more highly esteemed, and they did not suffer on account of the outlandish names attached to the books. No single book or volume was discovered which contained in its entirety all the science and learning (contained) in (other) books and volumes: but each (school) carried out research on the basis of its own original book or volume. They call the book in the Royal Treasury which deals with all topics the Compendium(?). Among them the body of man is, as it were, divided between the four castes on earth; Priesthood (corresponds) to the head, Warriorhood to the hands, Husbandry to the belly, and Artisanship to the feet.[4]

Here there is an exact correspondence with what the Puruṣa hymn has to say about the origin of the castes—'His mouth (*mukham*, also 'head') was the Brāhman; his two arms were made the warrior; his two thighs the Vaiśya; from his two feet the Śūdra was born.' In the *Dēnkart* the Iranian castes are substituted for the Indian: for the Brāhmans (priests) we have the *āsrōnān* (also priests), for the *rājanyaḥ* (warriors) the *artēštārān* (also warriors), for the *vaiśyāḥ* (the husbandmen or traders) the *vāstryōšān* (husbandmen), and for the *śūdrāḥ* (the servile class) the *hutuχšān* (artisans). The correspondence is, then, exact except that the belly is substituted for the thighs of the Indian version. Moreover, the passage reappears in the

[1] *v. supra*, p. 11.
[2] p. 10.
[3] So Bailey, *Zoroastrian Problems*, p. 86, who is undoubtedly right.
[4] See note H, p. 145.

Šikand,[1] though it is there obviously based on the *Dēnkart*. Thus it would seem highly probable that the Zoroastrians have here borrowed an Indian myth and modified it in order to suit the Mazdean cosmogony. If that is so we may well consider whether further details have not also been borrowed.

The main difference between the two myths is that on the one hand Puruṣa, as Primal Man, is offered in sacrifice by the gods, and that in the other the Primal 'Instrument' which is Spihr, the body of Zurvān, emits creation from its various limbs, so far as we know of its own accord. The importance of sacrifice in the genesis of Ohrmazd and Ahriman, however, is well known from Eznik and the sources allied to him, and has received detailed treatment earlier in this study. By sacrifice Zurvān gave birth to Ohrmazd, and later in handing over the *barsom* to Ohrmazd he said: 'Hitherto have I offered sacrifice for thee; henceforward shalt thou offer sacrifice for me.'[2] What did Zurvān mean by bidding Ohrmazd offer sacrifice for him? The answer is, I think, indicated by a sentence at the end of the third chapter of the *Greater Bundahišn*, where it is said: 'At the *Rapiθwin* time Ohrmazd and the Amahraspands fashioned the Spirit (genius, idea, *mēnōk*) of Sacrifice. By the performance of sacrifice all creation was created.'[3] One may then legitimately ask how creation came into existence through sacrifice, and who was the victim? Could it not have been Zurvān himself, incarnate in the Cosmos, Spihr; and is that not perhaps the significance of the sacrifice that Ohrmazd was to offer for Zurvān? The idea is attractive and the evidence fits; but there is not enough of it to transmute the pleasing hypothesis into objective fact. The hypothesis, indeed, gives point to Zurvān's injunction to his son to offer sacrifice for him; for in offering himself as victim he would draw up the curtain on a cosmic drama in which his own desire (Āz) and his own doubt (Ahriman), firm allies at first, finally destroy each other in his own body. Or again we may let our fancy play with the myth of the investiture of Ohrmazd, Vāy, and Spihr with the garments of the different castes and speculate as to whether this too was suggested by an Indian source deriving from the Puruṣa myth. All this, however, belongs to the realm of fantasy and there it must be allowed to remain. All that we can say with certainty is that the Indian myth which derived the four castes from various parts of the body of a primal giant was known in Īrān during the Sassanian period and was borrowed by the Zoroastrians.

1. 20: *vaš añdar gāhą kardaa i hast mardum pādāinīṭ pa humānāī i īñ čihār pāšagą i gāhą, čuñ awar sar āsrūī, awar dast aratištārī, awar iškam vāstryōšī, awar pāe hūtuχšī.*

[2] Text F 1, §§ 63–65.

[3] Text Z 2, § 20.

Yet another version of the material creation is hinted at in the *Bundahišn*[1] and fully elaborated in the *Dēnkart*.[2] The *Bundahišn* fragment, which differs radically from the account of the material creation which immediately follows it and which we have already summarized, briefly says: 'From the Endless Light he fashioned fire in material form, from fire wind, from wind water, from water the all-solid earth.' Here we have the four Empedoclean elements arbitrarily introduced into a Mazdean cosmological text where they are exceedingly ill at ease. The full story is told in our text Z 10, and the whole process, which seems physiological rather than mythological in character, starts with the firmament, Spihr, 'the First Body'. This, then, is the true continuation of the myth of the birth of Spihr, the body of Zurvān.

In the firmament were the Sun, Moon, and stars 'like embryos' (whence they had appeared is not stated). They control all existence under them and are themselves the highest natural phenomena. From the firmament the hot and moist proceeded 'of which the wind (air) is composed' and the elements which are the 'seed of seeds of material creations' and the 'movement of becoming' (*bavišn-ravišnīh*). From the 'movement of becoming' proceeds the 'settling of becoming' which is organic life. Now it seems clear enough that all this is based on Greek physics, and we would therefore expect that the four elements would be compounded from the four natural properties (hot, cold, moist, and dry). The *Dēnkart*, however, derives the whole of material existence from the air ('hot-moist' according to Aristotle and the *Dēnkart*), and nothing at all is said of the 'cold' and the 'dry'.

The explanation of this is that the Zoroastrians had assimilated the hot and the moist to Ohrmazd and the cold and the dry to Ahriman.[3] Ohrmazd then would become assimilated to the air and Ahriman to the earth if we care to follow up the Aristotelian parallel! What the source of these identifications is, however, I am at a loss to say. Whatever the reason, the results were embarrassing. Thus the Zoroastrian divines, deriving the elements from the natural properties, would have been logically forced to admit that one—the earth—was wholly evil, and two—fire and water—partly so. This they could scarcely do, since for all but a fraction of them the four elements were holy—more particularly, of course, fire and water.[4]

[1] Text Z 1, § 41. [2] Text Z 10.

[3] GrBd. 181. 6: *gōhr i Ōhrmazdīk garm 'ut χᵛēt, rōšn 'ut hubōδ *'ut *sapuk.*—'The substance of Ohrmazd is warm and moist, bright and fragrant and light.' Ibid. 188. 11: *gōhr i Ahriman sart 'ut χušk 'ut *sangēn, tārīk 'ut gandak.*—'The substance of Ahriman is cold and dry, heavy, dark and stinking.' Cf. *supra*, pp. 73–78.

[4] That certain extreme Zervanites regarded water as evil has been suggested in Chapter III (p. 74).

They were therefore forced into the uncomfortable position of deriving all four elements, including the earth, from the 'hot' and the 'moist'. The fullest account of this singular development is given in DkM. 120. 22 ff.:

> The seed of the material world arose from the fashioning and creative activity of the Creator using the power of the firmament as his raw material (*'pat ras-ōž-aβzārīh*); its name in Religion is 'becoming'. This is specifically the 'hot-moist', the origin of material creations. It is also called 'matter' (*mātaγ*). Through the Creator's moderating action the 'first form' arose from becoming: its name in Religion is 'the movement of becoming'. This is specifically the four elements—air, fire, water, and earth—the origin of the nature of material things. Through the Creator's wise action the 'second form' arose from the 'movement of becoming': its name is the 'settling of becoming'. This is specifically the mixture of the four living natural properties. Through the Creator's marvellous action the 'third form' arose, the material form of *fravahr* and soul which unites those same natural properties. This is specifically Man, cattle, and other good living things.[1]

This will then give us the following scheme of the evolution of organic life:

1. Spihr, the firmament: i.e. becoming, hot-moist, matter.
2. The first form: i.e. movement of becoming, the four elements.
3. The second form: i.e. settling of becoming, mixture of the four living natural properties.
4. The third form: i.e. the material form of *fravahr* and soul which unites the natural properties, Man and animals.

That the author of the *Dēnkart* himself found it impossible to reconcile the Hellenistic natural properties with the presumably indigenous tradition which identified Ohrmazd with the 'hot' and the 'moist' can be seen from the fact that he describes the 'second form' as 'the mixture of the *four* living natural properties'.

It will have been noticed that the two latter accounts of the material creation—the formation of the universe from the limbs of a primal giant and the 'physiological' development of organic life from the elements and natural properties—almost certainly derive from a foreign source. The first could be traced back to India; the second points unmistakably to Greece, for the four natural properties are a commonplace of Greek medicine and the four elements go back to Empedocles. Further study of the *Dēnkart* and allied texts might, moreover, bring to light broad strata of Greek thought embedded in the dry theological texts. Professor Bailey has already taken the first steps in this direction.[2]

[1] See note I, p. 145.

[2] An excellent beginning has been made by Professor Bailey in his *Zoroastrian Problems*, pp. 82 ff.

Both these imported creation myths fit more naturally into a Zervanite scheme than into a Mazdean; for in each it is Spihr (whether mentioned by name or not) who is the 'instrument' or 'body' from which the material universe proceeds. Moreover, in the *Dēnkart* passages there is no trace of the sevenfold creation which is the hall-mark of Mazdean cosmology. It is rather the four elements which have taken their place. This is at once reminiscent of Theodore bar Kônai's digest of Zervanite doctrine,[1] where the four elements appear as the terrestrial counterpart of Zurvān and his three celestial hypostases, Ašōqar, Frašōqar, and Zarōqar.

Thus on the one side we see a Zervanism strongly tinged with Indian ideas, and on the other we find it in close alliance with Greek physical theory. It seems, then, that Zervanism owed much to foreign influences which must have made themselves felt at the time of Šāpūr I and which, if we are to believe the *Dēnkart*, were finally expunged from the Zoroastrian religion by the action of Xusrau I.[2]

Zervanism, then, though no doubt originally Iranian in provenance, is a classic example of religious syncretism. Borrowing from East and West it must have collected a mass of heterogeneous doctrine under which the original Iranian religions are barely distinguishable. That Xusrau I should have attempted to introduce doctrinal order into this corpus of heterogeneous belief is readily understood. That Zervanite theories, on the other hand, should have seriously influenced Western thought seems unlikely. Mithraism is no doubt an exception, but even here the Iranian core is barely discernible under the later accretions. That the Pahlavī books borrow extensively from Greek philosophy seems now indisputable: the reverse has yet to be proved. That there was an interaction of ideas between Zoroastrianism and the Gnostic sects is certainly true, but that the main stream of Hellenistic thought was to any extent influenced by Īrān is most unlikely. The Sassanian Empire is no exception to the general rule that the inferior civilization is prone to borrow from the superior. That the heirs of Hellenism were still intellectually far in advance of their Oriental neighbours barely admits of discussion.

NOTES TO CHAPTER V

A. Ibid. Cf. text Z 20: 'Time was originally infinite; then it became subject to limitation: at the end it returns to the Infinite. The law of Time is (to proceed) from original infinity through limitation involving action, motion, and passage, and to return back to ultimate infinity.' Again, text Z 3, § 3: 'This is the operation of Time, that it was infinite but was made finite for the act of creation (and so it

[1] Text F 10.

[2] v. Chapter II, pp. 48 ff.

remains) until the consummation, that is, when the Destructive Spirit is made powerless: then it mingles with that same infinity for ever and ever.'

B. Moses, i. 9 (pp. 42–43 in the editiòn of le Vaillant de Florival). He speaks of Zurvān, Titan, and Iapetos as being the fathers of three lines of men. He is, therefore, confusing three distinct myths: (i) the Greek myth of the Titans, (ii) the Semitic myth of Shem, Ham, and Japheth, and (iii) the myth recorded by St. Basil according to which Zurvān was the ancestor of the Aryans. The latter myth is certainly responsible for the identification of Zurvān with Abraham in the *Farhang-i-Jahāngīrī*; cf. I. F. Blue, *Indo-Iranian Studies in Honour of Sanjana*, p. 66).

N.B. Zurvān (*zruan*) is the normal Armenian translation of the Greek *Kronos.*

C. v. DkM. 359. 5 ff.: the sense seems to be that the Amahraspands are *kāmīk*, but the firmament (*ras*) and the elements *čihrīk*. Cf. DkM. 379. 1: *'ōh-ič čihrīk zīvandakīh 'ut aχ^{v}īk dānākīh* [*i*] *'andar martōm martōmīh.*—'Thus humanity in man consists of natural life and intellect which is of the will.' The contrast between *čihr* and *kām* (*aχ^{v}*) is practically equivalent to that between *baχt* (fate) and *kōχšišn* (effort, free will). See further DkM. 358. 22: *dahišnān i dātār Ōhrmazd 'hast vīnārišn 'ut yumbišn čihrīk, 'ut 'hast i kāmīk.*—'The behaviour and movement of the creatures of the Creator, Ohrmazd, are partly according to nature and partly according to will.' Cf. also ibid. 149. 14; 352. 7; 379. 1.

D. Cf. DkM. 915. 19: *vičīr i dēn χrat i Ōhrmazd 'hast.*—'The decision of the Religion is the Wisdom of Ohrmazd.' Ibid. 314. 12: *dēn* ⟨*i*⟩ *māzdēsn 'χ^{v}at 'hast āsnχrat.*—'The Mazdayasnian Religion is itself innate wisdom (reason).' For the connexion of the Religion and the *will* of Ohrmazd cf. DkM. 31. 10: *'vēh dēn i 'ān i Ōhrmazd kām.*—'The good Religion which is the will of Ohrmazd.' Identical ibid. 45. 4: cf. ŠGV. 10. 20: *kām i dādār bā əž dīn i dādār nā šnāsihəṯ.*—'The will of the Creator cannot be known except through the Religion of the Creator.'

E. Cf. Z 1, § 52: 'These six creations he made in the six *gāsānbār* seasons. In a complete year there are three hundred and sixty-five days or twelve months.' GrBd. 27. 8: *sitīkar 'ēn spihr 'pat humānākīh* ⟨*i*⟩ *'sāl-ē 'nihāt 12 aχtar čēγōn 12 'māhīkān, 'har aχtar-*ē 30 sus(?) čēγōn 'har 'māh-ē 30 'rōč-šapān.*—'Third, this firmament (Spihr) was laid out in the likeness of a year—twelve constellations resembling the twelve months, each constellation having thirty degrees just as each month has thirty days and nights.' The year and the firmament are therefore considered to correspond exactly.

F. Text Z 2, § 7. The division of the sky into seven layers is not originally Mazdean. The seven stations obviously correspond to the seven planets and derive from Babylon. With the exception of the Sun and Moon these had been 'demonized' by the Mazdeans: thus though the 'place of the Sun' and 'the place of the Moon' were allowed to remain, Mazdean names were found for the other five stations. The duplication of the Endless Light (*anayr rōšnīh* as well as *asar rōšnīh*) is interesting as showing that suitable names were not easily found. Moreover, the names do not seem to have been fixed. Thus in GrBd., pp. 28–29, we find the following (from bottom to top): (i) the contaminated firmament, (ii) the non-contaminated firmament, (iii) the Moon, (iv) the Sun, (v) the place of the Amahraspands, (vi) the

Endless Light, the place of Ohrmazd. To these we should probably add (at the bottom) *āsmān* (the sky) as a seventh to correspond with the scheme of GrBd. 194. 12.

This has the following scheme (from top to bottom): (i) the Endless Light, (ii) the place of the Amahraspands, (iii) Garōδmān, (iv) Vahišt (heaven), (v) the non-contaminated firmament, (vi) the contaminated firmament, and (vii) the sky.

Again the first *ʿUlemā* (PersRiv. ii, p. 74; Dhabhar, p. 441) differs. It has: (i) the station of the wind, (ii) the firmament, (iii) the station of the stars, (iv) of the Moon, (v) of the Sun, (vi) the Endless Light, and (vii) Garōδmān.

G. GrBd. 189. 8 ff. lists the following correspondences:

pōst čēγōn āsmān	skin like the sky.
gōšt čēγōn zamīk	flesh like the earth.
astak čēγōn kōf	bones like the mountains.
rayān čēγōn rōtīhā	veins like the rivers.
χōn čēγōn ʾāp	blood like water.
aškomb čēγōn drayāh	stomach like the sea.
mōδ čēγōn urvar	hair like the plants.
gōhr i tan čēγōn ayō(k)χšust	the substance of the body like the metals.
āsn-χrat čēγōn martōm	innate reason like man.
gōšō(k)srūt χrat čēγōn gōspand	acquired knowledge like cattle.

Cf. DkM. 278. 7: *gēhān tan ātaχš, ʾāp, zamīk, ayō(k)šust, urvar ʾut gōspand ʾut martōm, čēγōn ʾmartōm tan mazg ʾut χōn ʾut ray ʾut paδ ʾut ast ʾut pit ʾut mōδ.*—'The body of the world is fire, water, earth, metals, plants, cattle, and man, just as the body of man is marrow, blood, veins, sinews, bone, flesh, and hair.'

H. DkM. 428. 15–429. 8: *D'L-kōšāk i hindōk, megistīk i hrōmāy ʾut apārīk i ʾhač ʾān šōn ʾapāk bun-nipēk i ʾpat ganǰ i ša⟨sa⟩pīkān ʾōh handāχt, ʾčē ʾandar-šān vīrāδišn ʾapāk čim ʾō χᵛāstārān i ham-ākāsīh ʾōh nimūt. nipēk-šān [i] vīrōmandān nōk ārāst, ē ʾčē ʾhač ʾbē-kišvar ʾāβurt, ē nikīrīt ʾut ē vičust, frāč ʾnē ʾhišt nikōnīh ʾut bēkān[ān]ak-ʾnāmīh rāδ, ʾnē kam patiγraft. ʾut ʾbūt ʾkaδ vaχšišn i dānākīh rāδ vēš-ič stāyast, ʾut ʾpat-ič ʾnām i ʾbē-kišvarīk ⟨i⟩ nipēkīhā ʾnihāt, ʾnē vizūt. ēvak-šān nipēk ʾut mātiyān ʾpat bavandak-karīh i ʾhar ākāsīh ʾut dānišn i ʾandar nipēkīhā ʾut mātiyānīhā, paytāk ʾnē ʾkart; ʾbē-šān yut yut ʾhač bun-nipēk ʾut mātiyān i ʾχᵛēš ʾχᵛāst. ʾut *hangartīk ʾχᵛānēnd nipēk-ē i ʾpat ganǰ i ša⟨sa⟩pīkān ʾapar hamāk ʾsaχᵛan. ʾut ʾandar-šān tan i martōmān 4 pēšak i gēhān ʾpat baχšišn ʾapar ʾsar āsrōnīh, ʾut ʾapar ʾdast artēštārīh, ʾut ʾapar aškam vāstryōšīh, ʾut ʾapar ʾpāδ hutuχšīh.*

kōšāk = Skt. *kośa*: v. Menasce (JA. 1949, p. 2). *D'L* is not clear.

I. DkM. 120. 22 ff.: *tōhmak i gētēh ʾbūtak i ʾhač dātār āβurišn ʿut dahiśn ʾpat ras-ōž-aβzārīh ʾut-aš dēnīk* ʾnām ʾbavišn, ʾut nāmčist garm-χᵛēt bun ⟨i⟩ gētēh dahišnān, mātaγ-ič ʾχᵛānīhēt. ʾut-aš dēsak i fratom ʾbūtak i ʾpat dātār [ʾut] patmān-kārīh ʾhač ʾbavišn, ʾut-aš dēnīk ʾnām ʾbavišn-ravišnīh, ʾut-aš nāmčist ʾčahār zahakān i ʾhēnd vāt, ātaχš, ʾāp, ʾgil, bun ⟨i⟩ gētēhān čihr. ʾut dēsak i ditīkar ʾbūtak [i] ʾpat dātār fražānak-kārīh[ā] ʾhač ʾbavišn-ravišnīh, ʾut-aš ʾnām ʾbavišn-ēstišnīh, ʾut-aš nāmčist ʾčahār ristakān āmēčišn i zīndakān. dēsak i sitīkar ʾhač dātār aβd-karīh fravahr ʾut ruvān ham-ristakān hamēnītār gētēh, ʾut-aš nāmčist martōm, gōspand ʾut apārīk zīndakān i vēh.* Cf. DkM. 124. 18 ff.: *ʾhač ras ʾpat dātār āβurišn ʾrasītak ʾō ʾbavišn garm-χᵛēt, gētēh dahišnān fratom bun. ʾhač ʾbavišn garm-χᵛēt ʾbavišn-ravišnīh, zahakān ʾčahār i*

'hast vāt, ātaχš, 'āp, 'gil. 'hač 'bavišn-ravišnīh 'bavišn-ēstišnīh, aδvēnakān i āmēχtak. 'hač zahakān aδvēnakān baχtak 'ō karpān.—'From the Wheel (the firmament), through the Creator's fashioning, is derived becoming, the hot and the moist, the first origin of material creatures. From becoming, the hot and the moist, (comes) the movement of becoming, the four elements which are wind (air), fire, water, and earth. From the movement of becoming (comes) the settling of becoming, mixed forms. From the forms of the elements bodies are derived.' Cf. further DkM. 202. 16 ff. and ibid. 207. 8 ff.

CHAPTER VI

THE LUMINARIES

When (Ahriman) saw . . . that Ohrmazd had created beautiful creatures, yet knew not how to create light, he took counsel with the demons, and said: 'What benefit hath Ohrmazd? for he has created such beautiful creatures, yet they remain in darkness, and he knew not how to create the light? But if he were wise, he would go in unto his mother, and the Sun would be born as his son; and he would have intercourse with his sister, and the Moon would be born.' And he charged (them) that not one (of them) should betray his thought. A demon, Mahmi, having heard this, came before Ohrmazd with all speed, and betrayed that thought to him.[1]

SUCH is Eznik's account of the creation of the Sun and Moon; and this is repeated by no less than six other sources, including a Manichaean fragment.

The fable is certainly Zervanite for three very good reasons: (i) it is reproduced by the sources that are concerned with refuting the Zervanite version of Zoroastrianism and, in the case of Abū Qurra and the Manichaean fragment, it follows on the myth of the birth of the Twins; (ii) there is no trace of it in the Pahlavī books; and (iii) it is unthinkable that Ohrmazd, in a Mazdean account, should be at a loss how to make the world light.

The fullest account of the creation of the luminaries according to the Mazdeans is to be found in the second chapter of the *Bundahišn*.[2] It is simple and straightforward and knows nothing of the dubious complexities retailed by Eznik.

After the creation of the firmament the twelve Signs of the Zodiac were attached to it,[3] and to assist these 6,480,000 minor stars were created.[4] One star was appointed over each of the four heavenly quarters—Tištar (Syrius) over the East, Satvēs (Scorpio according to Henning)[5] over the South,

[1] Eznik, ii, § 8 (text F 7 (*a*)) together with the Manichaean fragment (text F 7 (*b*)); cf. Theodore Abū Qurra (F 2); and from the *Acta Martyrum* our texts F 3 (*d*), F 5 i and ii, and F 6 (Mâr Abhâ).

[2] For an annotated translation v. Henning in JRAS. 1942, pp. 229–48.

[3] '*Ulemā* (text 37), § 13: 'And each of the twelve Signs of the Zodiac which are bound to the firmament he appointed for a thousand years.' Cf. GrBd. 25. 6: *Ōhrmazd andarag i āsmān 'ut zamīk rōšnān frāč brēhēnīt.*—'Ohrmazd fashioned forth the luminaries between the sky and the earth.'

[4] GrBd. 26. 8: *'har aχtar-ē 'hač 'avēšān 6,480,000 χᵛartak stār⟨ak⟩ 'pat aδyārīh frāč brēhēnīt.*—'To assist each of these constellations he fashioned forth 6,480,000 small stars.'

[5] JRAS. 1942, p. 246; Jackson identified Satvēs with Fomalhaut (ERE. xii, p. 86).

Vanand (Vega) over the West, and Haptōring (the Great Bear) over the North. The supreme commander of them all was the 'Nail in the middle of the sky', that is the Pole Star.[1] Above the Zodiac were set the stars 'exempt from contamination'; and when Ahriman launched his attack on the material creation, he was unable to attain to these.[2] Above these the Moon was installed, and above her the Sun.[3] The firmament itself was created in the form of a wheel;[4] but before Ahriman attacked, it remained stationary and it was always noon.[5] All this is straightforward enough, and there is nothing at all to suggest that the luminaries could only be produced by what can only be described as an act of heavenly incest.

This latter myth is puzzling indeed, and were it not confirmed by the independent evidence of a Manichaean fragment, its very strangeness and the crassness of its imagery might lead us to doubt its authenticity. The Manichaean fragment, however, speaks as plainly as Eznik himself: 'They say', it tells us, 'that Ohrmazd and Ahriman are brothers: in consequence of this doctrine they will meet with their destruction. They lie against Ohrmazd and slander him, (saying) that the demon Māhmī taught him to make the world light.'[6]

The demon Mahmi makes this one meteoric appearance only in the whole corpus of our sources, and that is all we know about him. Only the Acts of Āδur-Hormizd, though ignorant of his name, add that the Magians offer propitiatory sacrifices (*šnūman*) for him annually.[7]

Because of the very insufficiency of the data, no doubt, scholars have put forward various interesting, plausible, and unprovable theories on the subject of this elusive demon. For Junker[8] he was a demon of sexual intercourse; and his name was to be derived from an Avestan *maēθmana-* (from *maēθ-* 'to unite'). Such a form, however, should produce a *mēhman* or

[1] See note A, p. 163.

[2] GrBd. 28. 1: *'an hačapar 'avēšān starān agumēčišnīh vīnārt 'ku 'kaδ aβigat 'rasēt, 'pat kōχšišn spōžēnd, 'ō apartar gumēχtan 'nē 'hilēnd.*—'Again above these stars the uncontaminated zone was established so that when the Aggressor came, they should repel him in battle and not suffer him to contaminate the higher regions.'

[3] Ibid. 28. 10: *hačapar 'hač 'ān brēhēnīt māh i gōspand-tōhmak. hačapar i 'ān brēhēnīt χᵛaršēt ⟨i⟩ arvand-asp.*—'Above this (i.e. the stars exempt from contamination) the Moon which has the seed of cattle, was fashioned; and above that the Sun whose steeds are swift, was fashioned.'

[4] Ibid. 27. 15: *'ut-aš spihr ⟨'ut⟩ 'avēšān aχtarān čaχrak aδvēnak 'nihāt 'kē 'andar gumēčišn 'ō ravišn 'ēstēnd.*—'And he made the firmament and the stars in the form of a wheel which, during the time of contamination, is set in motion.'

[5] Ibid. 29. 12: *'tāk matan i aβigat, māh 'ut χᵛaršēt 'ut 'avēšān stārakān 'ēstāt, 'nē 'raft 'hēnd, 'ut apēčakīhā zamān hamē vitārt, 'ut hamvār nēmrōč 'būt.*—'Till the Aggressor came the Moon and Sun and stars stood still and did not move, and time ever passed in purity and it was always midday.'

[6] Text F 7 (*b*).

[7] Text, F 5. i.

[8] *Aionvorstellung*, p. 171, n. 81; *Wörter und Sachen*, xii, 1929, p. 135, n. 2.

mēhm in Middle Persian. The suffix is, in any case, particularly puzzling. Nyberg[1] preferred to derive the name from an Old Iranian **maδmiya-* ('mediator') and equated Mahmi with Mithra (Mihr) in his capacity of μεσίτης. Schaeder,[2] however, rejected this interpretation on the grounds that (*a*) Mithra was unlikely to figure in any tradition as a demon, and (*b*) that in Armenian **maδmiya-* would give *marmi* rather than *mahmi*. It might also be added that Mahmi's action is that of a traitor, renegade, or enthusiastic convert: it is not the action of a 'mediator' in any accepted sense of that word.

Schaeder himself produced a far more subtle theory, maintaining that the whole episode was based on a misunderstanding of the Gāθic text Ys. 32. 1. In that text (second line) the word *mahmī* occurs, and it is the locative singular of the possessive adjective of the first person singular. The word was misunderstood by a translator, lifted bodily out of the text, and transformed into a fully fledged demon. This sounds preposterous. It must, however, be borne in mind that in the Sassanian period the *Gāθās* were scarcely understood at all and that commentators could and did make them mean more or less what they liked. The case of a demon *Ariš* being happily conjured up from an innocent adverb (*ərəš*) has already been noticed.[3] This can only have been done by a Mazdean commentator who understood the gist of the passage very well—viz. that the Bounteous and Destructive Spirits were represented as twins, and could only get out of the dilemma by attributing the doctrine not to Zoroaster but to a demon, Ariš, whom he had himself invented from the text. The disingenuousness of the whole proceeding is patent from the fact that in other less controversial passages the commentators translate *ərəš* correctly as *rāst* 'rightly'.[4] Why then, Schaeder could well have argued, should not the Zervanites do the same with the adjectival *mahmī*?

In fact neither the Pahlavī translation nor the *Dēnkart* paraphrase[5] take *mahmī* as a proper name. The translation has correctly *'pat 'man mēnisnīh*, 'according to my thought'. This does not, of course, in any way prove that a Zervanite commentary *might* not have existed which translated the words *daēvā mahmī* as 'the demon Mahmi'. This—for a Pahlavī translation of a Gāθic passage—would be far from extraordinary and would be exactly paralleled by the *ərəš–Ariš* confusion. The difference is that *ərəš* could (and did) easily suggest Av. *ərəšay-* = Phl. *arišk* (NP. *rišk*) 'envy', whereas *mahmī* corresponds to no known Avestan, Pahlavī, or New Persian

[1] *Religionen*, p. 385.
[2] 'Der iranische Zeitgott', ZDMG. 1941, pp. 294–5; cf. Henning, *Zoroaster*, p. 51.
[3] Ys. 30. 3: v. p. 80.
[4] v. Bartholomae, AIW., col. 355.
[5] DkM. 835. 19–836. 7.

word, as the divergence of scholars' views on his etymology conclusively proves.

Moreover, even if it were proved up to the hilt that Mahmi is nothing but a misunderstood pronominal adjective in the locative case suddenly and magically promoted to demonhood, is it not a little odd that an elaborate myth, which has nothing to do with the Gāθic text from which he allegedly arose, should be invented in his honour? Both Eznik and the Manichaean fragment agree that Mahmi's action consisted in showing Ohrmazd how to illumine the world. This, according to Eznik and other Christian sources, was to be achieved by an incestuous act on the part of Ohrmazd. Where is all this in the Gāθic text?

It is true that a not too scrupulous or not too literate translator might evoke the word *χᵛētōdat* (Av. *χᵛaētu-vadaθa-*) from the *χᵛaētuš* occurring in the first line of the verse under discussion. I cannot, however, see how he could have extracted the idea of the creation of light from the Avestan text. To maintain then that both the demon and the fable of which he is the hero have been extracted from a misunderstood grammatical form seems merely fanciful.

It would, however, be reasonable to suppose that the Gāθic text was interpreted by a Zervanite commentator in the sense of the incest myth, *if such a myth already existed*, and if its hero's name was indeed Mahmi or something approaching those sounds. The name then would have been staring him in the face from the Avestan text, and the incest myth he could have easily elicited from the word *χᵛaētuš*: this would be neither more nor less extraordinary than the parallel case of the adverbial Ariš.

It is, moreover, interesting to refer to the *Dēnkart* paraphrase in this connexion. Both this and the glosses on the Pahlavī translation interpret the text as meaning that certain demons (three, according to the *Dēnkart*) sought to come to an understanding with Ohrmazd, but that the latter summarily rejected their overtures. It is possible that in a Zervanite version these may have been accepted, and that the whole passage was then connected up with the already existing incest myth, in which the demon Mahmi may or may not already have played a part. The name 'Mahmi' may indeed have been introduced from the Gāθic text; and I do not think this unlikely since no satisfactory etymology has so far been proposed.[1] The myth, however, must have been in existence *before* some commentator read so extraordinary a meaning into the Gāθic text. To dismiss the

[1] *māh-mī* could be interpreted as a truncated form of *māh-mihr* > *māh-mī(r)*: cf. Henning, JRAS 1942, p. 239 (*mihr*, widely pronounced *mīr*). For a form *mī* one may compare Zēbakī *mī* 'day'. For the development cf. *hiχr* > *hīr* > *hī* (Horn, *Grundriss der neupersischen Etymologie*, p. 281).

myth—which we now know is attested in a Manichaean source as well as in several Christian—as an invention from the *Gāθās* begs the question. The myth, baffling as it is, must be accepted as genuine both because it is now confirmed by the Manichaean fragment and because even if some amiable idiot were to invent the whole story from a pronominal adjective, it would scarcely receive sufficient currency in Zoroastrian circles to become the target of both Christian and Manichaean polemics.

Further, the defection of Mahmi fits nicely into what we have already seen seems to be fairly typical of Zervanite Zoroastrianism, namely, the freedom of choice which is apparently enjoyed both by Ohrmazd and Ahriman themselves and by their first creatures. The myth, however, does present a genuine problem. How is it possible that Ohrmazd, whose 'place'[1] is the Endless Light and who fashioned his creation from the same Endless Light, should be unable to illumine his creation which was now, for no known reason, *in the darkness*?

Here again we must refer to the theory we have already propounded, that according to the Zervanites the material Cosmos proceeded *not* from the Endless Light but from Zurvān himself;[2] and since Zurvān is in no sense a god of light, the illumination of the Cosmos would thus be necessary. What the precise significance of Mahmi's defection would then be I cannot say.

Regretfully leaving Mahmi for the moment, we must return to the sordid business of the generation of the luminaries, the method of which he revealed to Ohrmazd. We have seen that Ohrmazd was finally able to illumine the Cosmos by producing first the Sun by intercourse with his 'mother' and secondly the Moon by intercourse with his 'sister'. The Acts of Pûsai[3] tell us that he produced the stars as well by similar means, one assumes by a similar relationship with his 'daughter'. The assumption is substantiated by the Acts of Anâhîδ, where we read: 'And if he begot them (i.e. the fire and the luminaries) through his mother, *daughter*, and sister, . . . why should he not resemble us in all things.'[4]

The fact that no original Zoroastrian text with which I am acquainted makes any mention at all of this, to us scandalous, myth cannot be attributed to any shy reserve on the part of the Zoroastrian priesthood, whose advocacy of this practice was notorious. Until comparatively recent times they showed no diffidence whatever in championing a union which is strongly condemned by most religions and which is, one would have thought, repugnant to the natural man. Quite the contrary: in all stages of their ancient literature they extol the practice, quoting it often as being *the*

[1] Cf. text Z 1, § 2.
[2] v. pp. 111, 128, 141.
[3] Text F 3 (*d*).
[4] Text F 5, ii.

most meritorious action it is possible for man to perform,[1] and even seek to sanctify it by attributing the practice to Ohrmazd himself:

It is revealed that Ohrmazd practised *χᵛētōdatīh* (consanguineous marriage). When Zoroaster sat before Ohrmazd, and Vahuman, Artvahišt, Šaθrēvar, Hurdāt, Amurdāt and Spandarmat were sitting around Ohrmazd, Spandarmat sat in his lap and her arm rested upon his neck. Zoroaster asked Ohrmazd (saying), 'Who is this that reclineth in thy lap, and who loves thee so much and is so dear to thee? Thou who art Ohrmazd dost not avert thy gaze from her, nor doth she avert her gaze from thee; and thou who art Ohrmazd dost not let her out of thy arms, nor does she let thee out of her arms.' Ohrmazd said, 'This is Spandarmat, my daughter, my Queen of Heaven and Mother of Creation.'[2]

This myth may well be a late invention designed to give divine sanction to the 'holy' practice of incest, just as the investiture myth was probably designed to sanctify the three earthly castes. Had the author of the *Rivāyat* from which the quotation is extracted known of a tradition according to which Ohrmazd produced the luminaries by intercourse with Spandarmat, he would surely have introduced it in this context—unless, of course, the myth had fallen into disrepute as being Zervanite. As it is, the story is left very much in the air and leaves us with a series of unanswered questions. First, if Spandarmat is the daughter of Ohrmazd, who is her mother? Second, if she had intercourse with Ohrmazd, what was the fruit of the union? Third—and more important—why is Spandarmat, otherwise so closely associated with the earth as to be identical with it, described here as the 'Queen of Heaven and Mother of Creation'?

Before attempting to answer these questions we must cite a close parallel from a Mandaean text dealing with precisely this subject. Like the Zoroastrians, this extraordinary sect became familiar with astrology and astrolatry through their contact with Babylon. The planets presented the Zoroastrians, both Mazdean and Zervanite, with an interesting dilemma. The stars proper followed their regular courses and so reflected the divine order: the planets, however, followed eccentric courses and for this reason could not be fitted into that order: hence they must be diabolical. This deduction was probably arrived at at a comparatively late date since the planets were in ordinary speech named after Zoroastrian deities corresponding as nearly as possible to their Babylonian archetypes.[3] Astrological

[1] On this see Christensen, *L'Iran sous les Sassanides*, 2nd ed., pp. 324 ff. Chapter viii of the Pahlavī *Rivāyat* accompanying the *Dātastān i Dēnīk* is entirely devoted to this subject.

[2] See note B, p. 163.

[3] Thus Ohrmazd = Marduk = Jupiter; Varhrān (Bahrām) = Nergal = Mars, &c. It is curious that Saturn was not termed 'Zurvān' as might have been expected, but retained his Babylonian name (*Kēvān*), particularly as both the planet Saturn and Zurvān are associated with death.

theory, however, attributed beneficent influences to certain of the planets, maleficent to others. We shall see shortly what mental acrobatics the Zoroastrians had to perform in trying to reconcile the two traditions.

The Mandaean reaction to the foreign cult was typical. Just as in another context the second-century heresiarch, Marcion, took over the Old Testament Jehovah and turned him into a quasi-maleficent deity independent of, yet inferior to, the God of Love, so did the Mandaeans accept the Babylonian stars and planets: these retained their function of architects and controllers of the world associated with the Demiurge, Ptahil; but the world itself was evil and its creation was a mistake. The planets were therefore basically evil.[1] The stars and planets had simply become the taskmasters of an enslaved humanity. Above them and above the Demiurge was the kingdom of Light and the countless pure spirits associated with it whose function was to redeem the soul from its slavery to the luminaries.

On the origin of these, however, the Mandaean *Ginzā* is not consistent. According to one account they were simply created by Ptahil.[2] The second version, however, resembles the Zervanite so closely that it is impossible to escape the conclusion that both go back to a common origin. Since consanguineous marriages were notoriously Magian, it seems fair to suppose that the myth too is of Magian origin.

The Mandaean myth is told in *Right Ginzā*, p. 94 (Lidzbarski's translation, pp. 99 f.). Rūhā, who is the mother of all evil, perceiving that Ptahil is in difficulties, calls to her son, Ur, and solicits his intimacy: 'Auf, schlafe bei deiner Mutter, damit du von der Fessel befreit werdest, mit der du gefesselt, die stärker als alle Welt ist.' After seven days she bore the seven planets.[3] Then she again approached her son and said, 'Ich bin deine Schwester. Wenn du bei mir liegest, wird deine Kraft sich verdoppeln.' After twelve more days she bore the twelve Signs of the Zodiac.[4] It will have been noticed that Rūhā calls herself first the mother of Ur and secondly his sister, just as in the Zervanite myth Ohrmazd approaches first his mother and then his sister in order to generate the Sun and Moon. Then a third time Rūhā approaches Ur and says, 'Steh auf, *mein Vater*, siehe, ich bin deine Tochter. Kose und küsse mich und liege bei mir.'[5] Then she conceives five monsters; and on the first day the heaven was rent and it lightened; on the second day it thundered; on the third the heavens were surrounded by flames of fire; on the fourth there were earthquakes at the gates of the darkness; and on the fifth the pangs of childbirth came

[1] Brandt, *Die Mandäische Religion*, p. 61.
[2] Cf. *Ginzā* (Lidzbarski's translation), p. 294. 7; 446. 41.
[3] Ibid., p. 99. 12 ff.
[4] Ibid., p. 100. 24 ff.
[5] Ibid., p. 101. 25 ff.

upon Rūhā, and she bore the Five. The Five are the five planets proper, less the Sun and Moon. Thus the birth of the planets is represented as having taken place twice over, as Brandt has already shown.[1]

Now the incest motif makes a Magian origin of our myth almost certain, and we must therefore assume that the Zervanite version, or what is preserved of it, is nearer the original than the Mandaean which, if a common origin is to be assumed, has distorted it. In the Zervanite account the result of Ohrmazd's intercourse with his mother and sister is the Sun and the Moon respectively. Why have the Mandaeans substituted the Seven and the Twelve for these? It is possible that in transferring the myth from the realm of light to that of darkness they were not anxious to bring into relief the demonization of the Sun and Moon which are occasionally spoken of as beneficent beings.[2] The planets and to a lesser extent the Signs of the Zodiac were, however, considered devilish powers[3] the former being responsible, with Ptahil, for the creation of the world which this improbable sect, more than any other, regarded as basically and irretrievably evil. The substitution of the Seven and the Twelve for the Sun and Moon of the Magian myth is not unnatural; for the protagonists are no longer the powers of light but Ur, the king of darkness, and his mother, who is the very substance of evil.

Since the planets appear to have been born twice in the Mandaean myth, we might be tempted to conjecture that the third parturition brought about by Ohrmazd's third incest produced the five planets in the Zervanite myth too (for both Mâr Abhâ and the Acts of Anâhîδ[4] clearly show that a third incest of father and daughter was committed). Against this, however, we have the statement of the Acts of Pûsai that the Sun, Moon, and *stars* were the children of Ohrmazd; there is no mention of the planets. Further, our Iranian sources are unanimous in assigning the planets to the creation of Ahriman.

If the reader can bear with me a little longer in investigating this 'senselessness and disgusting imbecility',[5] we will find that the Mandaean myth throws a little light on to the Zervanite episode. Ur and Rūhā commit incest three times in order to generate the luminaries: in the Zervanite myth Ohrmazd does the same. Ohrmazd is alleged to have done so with his mother, his sister, and his daughter: Ur's partner (and mother) when inciting him to action calls herself first his mother, then his sister, and

[1] Op. cit., p. 61.

[2] Brandt, op. cit., p. 62. Cf. *Book of John* (Lidzbarski's translation), pp. 84, 117, and 118.

[3] The Seven and the Twelve are often mentioned together as maleficent powers; cf. *Ginzā* 311. 20; 319. 35; 323. 25, &c.

[4] *Supra*, p. 151: texts F 5, ii and F 6.

[5] Text F 7 (*a*), para. 2.

finally his daughter. Now, among the Zoroastrians these three consanguineous unions were considered to be the most holy of all.[1] It is natural that this triple incest should have been fathered on Ohrmazd. That with Spandarmat, his daughter, is attested, though the offspring of the union is not mentioned: there is, however, no trace of the other two in Pahlavī literature—which, since that literature is practically speaking wholly Mazdean, is not surprising. It is possible, of course, that the triple incest was in fact only of one kind—that between mother and son as in the Mandaean account—and the extreme paucity of goddesses of any sort in later Zoroastrianism, whether Mazdean or Zervanite, would make this probable. Thus we can only conclude that (i) such a myth existed, (ii) that it was invented to sanctify incest, and (iii) that it somehow or other became associated with the creation of the luminaries.

Apart from other considerations the contexts in which it occurs (i.e. Syrian and Armenian Christian polemics) prove that it belongs to the Zervanite rather than the Mazdean tradition. As a justification of incest, however, it must have belonged to both, since Spandarmat, being one of the Amahraspands, falls rather into the Mazdean orbit.

That the incest is secondary in the myth of the production of the luminaries seems to be indicated by the Acts of Anâhîδ; for Anâhîδ seems to suggest that the Magian whom he was addressing was not himself clear whether fire and the luminaries were born of a female or of Ohrmazd himself as a hermaphrodite. It is incidentally he who supplies the name of Ohrmazd's mother (Xᵛašχᵛarrīk, p. 64).

A parallel to this myth[2] from an Aramaic inscription from Arabissus describing *dēn mazdaianiš* (the Zoroastrian Religion *par excellence*) as the wife and sister of Bel (here presumably representing Ohrmazd) is not particularly helpful. True, the *χᵛarr i dēn i mazdēsnān* (the Fortune of the Mazdayasnian Religion) appears repeatedly in the Pahlavī texts as a star-studded girdle around the sky,[3] and is the general of those stars in the highest heaven which are exempt from contamination by Ahriman.[4] This, however, is not enough to prove that the 'Fortune of the Religion' was the agent by which Orhmazd created the luminaries.

It is, however, significant that Zātspram, who, as we have seen, often preserves traces of Zervanism which have disappeared elsewhere, speaks of Spandarmat as being girt with the *Dēn* (Religion) as with a girdle.[5] This, he says, constitutes Spandarmat's motherhood of the *Dēn*.[6]

[1] Cf. PhlRiv., l.c.; DkM. 72. 20 ff., and Christensen, l.c.

[2] Chabot, *Rép. épigr. sémit.* iii. 1785 *apud* Bidez–Cumont, *Mages*, i, p. 95, n. 2.

[3] GrBd. 71. 6; 193. 11; Dd. 36. 35; 38. 14.

[4] Cf. p. 148, n. 2.

[5] See note C, p. 163.

[6] Zs. 4. 8: *'ēn-ič būt 'mātarīh i 'pat *dēn*

From the shreds of evidence we have been able to glean from the Pahlavī texts we can now reconstruct a parallel to the Zervanite incest myth found in the Christian sources. Spandarmat, described in the *Rivāyat* passage as the 'Queen of Heaven', appears in Zātspram as 'mother of the *Dēn*'. The 'Fortune of the *Dēn*' is depicted as the star-studded girdle of the firmament (Spihr),[1] the barrier beyond which the powers of evil cannot pass.[2] Being the general of, and thus representing, the luminaries, the 'Fortune of the Religion' may thus have been represented in a Zervanite tradition as the offspring of Ohrmazd and his daughter, Spandarmat, who as 'Queen of Heaven' may represent some deity in the Zervanite pantheon unknown to us.

The incestuous procreation of the stars by Ohrmazd, then, is reflected in the Zoroastrian texts themselves. Similar corroboration for the incestuous genesis of the Sun and Moon, however, is not so far forthcoming. Whether or not the dubious Xᵛašχᵛarrīk was in the fable the mother of the Sun; who is understood by Ohrmazd's sister; and whether all three—the mother, sister, and daughter—are not really one as in the Mandaean myth, are points that must for the present remain unresolved. The question of the engaging demon, Mahmi, moreover, still remains shrouded in impenetrable obscurity.

The myth is, however, instructive in another way; for it illustrates a basic difference between the Mazdean and Zervanite conceptions of both Orhmazd and Ahriman. The Mazdean conceives Ohrmazd as omniscient and omnipotent, his wisdom and power being, logically enough, limited to the possible: his essence is goodness. What the Mazdean understood by divine omnipotence is clearly set out by Mardān-farruχ in the third chapter of the *Šikand Gumānī Vazār*, and we cannot do better than quote him:

When one says that a thing is impossible and further says that God has power to do it, that thing is then removed outside the bounds of the impossible, for

MSS. *DTW*) *i 'pat Spandarmat 'bē 'dahīhast.*—'This was the motherhood of the Religion which was given to Spandarmat.' This is the significant sentence: it appears to have little or nothing to do with the passage recorded in note C, p. 163. Wearing the *Dēn* as a girdle scarcely constitutes motherhood. Zātspram, then, must have known of another myth in which Spandarmat figured as the mother of the *Dēn*; this is actually found in §§ 1–3 of the same chapter.

[1] GrBd. 193. 11: *'χᵛarr i dēn i māzdēsnān kūstīk humānāk i star-pēsītak mēnōkān-tāšīt 'ān spihr *dāšt 'ēstēt.*—'The firmament stands arrayed in the Fortune of the Mazdayasnian Religion, as in a girdle studded with stars and fashioned by the spiritual powers.'

[2] Dd. 36. 35: *'ōδ aiβyāhan 'ēstēt mēnōk vaχšīk 'ān i band-drupuštīh 'kē-š harvisp bandān nikās ov-iš i 'χᵛat 'hast 'vazurg 'χᵛarr . . . ⟨i⟩ dēn: apēčak gumān-vičār brāzīhēt.*—'There stands the girdle, a blazing spirit, the fortress for the bonds to which the guarding of all the bonds (i.e. the invisible bonds connecting the stars) is entrusted, that is the great Fortune of the Religion: pure it shines, dispelling doubt.'

then it ceases to be impossible, and becomes possible. Just as his power is confined, so is his will. For he is wise; and the will of one who is wise is (concentrated) entirely on the possible; and his will does not encroach on what is impossible, for he only wills that which can and ought to come to pass.[1]

Thus, the author goes on to say, it would be inaccurate to say that Ohrmazd is able to hold Ahriman back from evil; for evil is his eternal essence and cannot be changed. Devilry can never be changed into godliness any more than darkness can be turned into light, or light into darkness. No substance can change in its nature, and only those who do not know what a substance is could say that it can.[2]

Contrast this with the conception of the same deity as exhibited by Eznik[3] and the Syriac writers. For them Ohrmazd is indeed good, but his goodness seems to be divorced from common sense, let alone wisdom; for he could not even think of a method of creating the light and had to be instructed by the accommodating Mahmi, a renegade from Ahriman's camp. Ahriman, on the other hand, whom the Mazdeans represented as being essentially both evil and stupid, shows himself to be both clever and to some extent beneficent, for he knew how the light could be created and was in a certain way instrumental in its creation. So, as Āδur-Hormizd pertinently asks, 'Should we try to please Ahriman who, according to your words, appears wise, knowing, and mighty from his works, just as Ohrmazd appears weak and stupid, for he could create nothing till he had learnt from the disciples of Ahriman?'[4]

Again on the Ahrimanian side we find Mahmi breaking loose from his master's tutelage to join forces with Ohrmazd, just as in another myth derived from a similar source Woman (and again water) seems to have deserted Ohrmazd for Ahriman[5]—each thus exercising a choice that was at variance with its nature.

We have now seen that the Sun, Moon, and stars were produced by 'heavenly incest' in the Zervanite story. The genesis of the planets is equally scabrous; and this again tends to confirm the genuineness of the Mahmi myth, so hastily impugned by Schaeder. These Ahriman conceived and bore (*višūt*)[6] by committing sodomy on his own person.[7] This particular vice was regarded by the Zoroastrians as the most damnable of all offences—the Ahrimanian counterpart of incest which was regarded, as

[1] ŠGV. 3. 9: *ka guft ku nə šāyaṭ būdan, diṭ gōeṭ ku yazaṭ padaš tvąnī, qš əž vīmañd i nə šāyaṭ būdan burd. či pas nə nə šāyaṭ bə šāyaṭ būdan. čuñš tvą sāmąnmañd awąniča ažaš kām; či faržąnaa, u kām i faržąnaa har ō ą i šāyaṭ būdan; vaš kām ō ą i nə šāyaṭ nə vadīrəṭ; či har ą kāməṭ i šāyaṭ sažəṭ būdan.* Cf. also text Z 22 and Z 17: 'He who is both origin and God of all, is omnipotent in (the sphere of) the possible.'

[2] See note D, p. 164. [3] Text F 7 (*a*).

[4] Text F 5, i.

[5] Text F 10 and p. 74.

[6] Text Z 28 (*a*), § 4. [7] Text Z 8, § 8.

we know, as the most sublime virtue.[1] This unedifying detail was probably invented to balance the Ohrmazdean 'virtue' in the usual Zoroastrian way; and by associating this vice with Ahriman the priests no doubt sought to 'diabolize' it. This squalid mythology would almost certainly follow, rather than precede, the practices extolled and condemned.

We can now leave the sordid tale of the genesis of the luminaries and proceed to study the effects they were supposed to produce on earth. Since Zurvān of the long Dominion is embodied in the Cosmos (Spihr) and Spihr is specifically identified with the firmament, it is not surprising that the luminaries play an important part in Zervanite doctrine.

All welfare and adversity that come to man and other creatures, come through the Seven and the Twelve. The twelve Signs of the Zodiac, as the Religion says, are the twelve commanders on the side of Ohrmazd; and the seven planets are said to be the seven commanders on the side of Ahriman. And the seven planets oppress all creation and deliver it over to death and all manner of evil; for the twelve Signs of the Zodiac and the seven planets rule the fate of the world and direct it.[2]

At the time of the original creation, we are told, the material creation was as good as the spiritual, and the Sun and Moon and the Signs of the Zodiac were put in charge of it: they received good things from Ohrmazd and distributed them justly on earth. The planets, however, upset this benevolent dispensation; for whatever the constellations bestow is intercepted by the planets and diverted to the use of the demons. When Ahriman made his successful attack on the material creation, he was accompanied by the planets.[3] The measures taken by the forces of light to counteract their baleful influence are fully told in the fifth chapter of the *Greater Bundahišn* and the fourth of the *Šikand Gumānī Vazār*, the gist of which is given in the following paragraphs.

The demonization of the planets had embarrassing consequences for the Zoroastrians. They had adopted the number seven from Babylon, and that number naturally included the Sun and Moon, both of which had been the object of the highest veneration among the Iranians from the earliest times. How could this be reconciled with the evil nature of the planets? In order to obviate the difficulty they invented a 'dark' Sun and Moon[4] which were supposed to be responsible for the eclipse of the Sun and Moon proper. When the planets invaded the firmament each chose its appropriate

[1] For sodomy as the characteristic act of Ahriman and the demons cf. PhlRiv. 8 *d* 2 (p. 13): *paytāk 'ku Ahriman i gijistak 'kaδ-aš 'apāk 'χᵛēš-tan kūnmarz kart, aš garāntar 'būt čēγōn 'kaδ-aš 'apāk 'dēvān kart.* It is the worst of all sins; so MX. 36. 2: *'hač vinās i 'martōmān 'kunēnd kūnmarz garāntar.*

[2] Text Z 8, §§ 12–14.

[3] Text Z 28 (*a*).

[4] *Miθr i tamīk* and *māh i tamīk*, GrBd. 57. 7 ff. ŠGV. 4. 46: *mihir u māh i awāχtarī.*

antagonist. The planet Jupiter (Ohrmazd) attacked the Great Bear (Haptōring) in the north; Venus (Anāhīt) attacked Scorpio (Satvēs) in the south; Mars (Varhrān) Vega (Vanand) in the west; Mercury (Tīr) Sirius (Tištar) in the east; and Saturn (Kēvān), the supreme commander of the planets, attacked the Pole Star, who is the commander-in-chief of all the Signs of the Zodiac.[1] Besides the planets two other maleficent beings are mentioned, Gōčihr and Mūšparīk by name.[2] These are perhaps identical with the ἀναβιβάζοντες mentioned in the Manichaean *Kephalaia*, lxix[3], on which the planets are said to depend. These were bound to the chariot, or, according to the *Šikand*, the brilliance of the Sun, to prevent them from doing excessive harm. The same treatment was meted out to the planets, who were bound with two ropes to the Sun and Moon[4] and clothed in the light of Ohrmazd so that men, on seeing them, should not be terrified.[5] Their being bound in this way was held to explain their irregular motion, for when they reach the bottom of the rope they are pulled back and are not allowed to pursue their own course.[6]

According to the astrologers, however, the planets Jupiter and Venus were propitious. This the Zoroastrians would attribute to the garments of light with which Ohrmazd had clothed them or again to some influence emanating from their celestial opponents.[7] The latter, however, seem to have had remarkably little success in restraining their bondsmen: for whatever benefits they bestowed on the world were intercepted by the planets whom they were supposed to control, and distributed in a manner that was anything but advantageous to the good creation.[8] It is a peculiarity which the Zoroastrians share with the similar dualistic systems of the Mandaeans and Manichaeans that, though they represent the powers of good as rapidly gaining control of their evil counterparts, these nevertheless, even when subdued, exercise a quite disproportionate influence over the events of the world. The Mandaeans, who have a similar myth concerning

[1] GrBd. 52. 3 ff.; ŠGV. 4. 32 ff.

[2] See note E, p. 164.

[3] p. 169. 13–16: cf. Menasce, ŠGV., p. 47 and note (3) there; also Puech, *Le Manichéisme*, p. 171, n. 321.

[4] See note F, p. 164.

[5] See note G, p. 164.

[6] ŠGV. 4. 43: *har ka ō awadim i jīk šawənd, pa pas awāž āhañžənd, vašą χᵛəškāmaihā raftan nə hələnd, ku dąm nə vanāsənd.*—'Whenever they go to the end of the rope, they draw them back and do not let them rove at will; and thus they cannot harm creation.'

[7] Ibid. 4. 37: *nəkī i əž əšą gadūgą gōeñd əž ą pañja stāraa i hōrməzdī, čuñ vəš-nīrōī kamvazūdārī pərōžī ayāwəñd.*—'The good which they say comes from those "robbers", comes from those five stars of Ohrmazd, for (the latter) obtain victory since their power is great and the damage (they suffer) small.' Cf. p. 164, n. G.

[8] Texts Z 28 (*a*) and (*b*); ŠGV. 4. 9: *haftą star-karfą faryą i ažər əšą dvārəñd apurdārą i jaṭ baχtārą.*—'The seven star-forms, the Perīs which roam about beneath them (viz. the Signs of the Zodiac) are robbers who distribute amiss.'

the binding of the planets[1] nevertheless habitually refer to them as the 'Rulers of the World'.[2] Thus, too, the *Mēnōk i χrat* distinctly says that the planets in conjunction with the constellations control the fate of the world,[3] and the *Bundahišn* frankly admits that the two planets, Saturn and Mars, regarded by the astrologers as inauspicious, proved more powerful than their adversaries.

In the beginning when the Aggressor rushed in, it so happened that the dark Sun and Moon were bound(?) to the chariot of the Sun and Moon: therefore they can do no harm. The Great Bear and Scorpio showed themselves more powerful than Jupiter and Venus; and they prevented Jupiter and Venus from doing harm. Therefore do the astrologers call them beneficent. Mars proved to be more powerful than Vega, and Saturn than the Pole Star; and the harm they do is plain to see. Therefore the astrologers account them evil-doers. Mercury who is the demon Apaōš, attacked Sirius. These two proved to be of equal strength and power. Therefore the astrologers say that Mercury does good to those who do good and evil to those who do evil. . . . For the same reason they say that Jupiter is the planet of life and Saturn the planet of death. For Jupiter, being powerless against his adversary, bestows whatever his adversary wills, and gives life, greatness, and riches. Saturn, being victorious over his adversary, does what is hurtful to him,—death, misery, poverty, torture(?), and adversity.[4]

Thus the planets, even when bound, seem on balance to have the better of the astral battle since it is their commander-in-chief who is victorious. The terrestrial world, therefore, is predominantly controlled by evil powers. The similarity of this doctrine to that of the Gnostics is too obvious to need emphasis.

In a curious Persian *Rivāyat*[5] which is closely connected with the *'Ulemā* and even more Zervanite in tendency we find a different account of the planets. Here the demonization has gone less far, and the approximation of religious myth to astrological theory is more complete. According to the astrologers only Saturn and Mars had an evil influence: Jupiter and Venus were auspicious, and Mercury occupied a neutral position. The way in which this *Rivāyat* seeks to reconcile the binding of the planets with astrological ideas is ingenious and diverting. In the writings of the Religion the author learnt that all the seven planets were bound; moreover, these planets were demons, and very powerful demons at that. How was this to

[1] *Ginzā* (Lidzbarski), p. 104. 19: 'Die Unholde stellten sich hin und wurden in ihren Banden gefesselt'; cf. ibid., p. 319. 16; 492. 16.

[2] Ibid. 296. 16; 512. 35, &c.

[3] Text Z 8, § 12.

[4] See note H, p. 165.

[5] For the text and translation v. Spiegel, *Die traditionelle Literatur der Parsen*, pp. 162 ff.; cf. our text Z 37, note *m*. The passage has been discussed by the same author in *Eranische Alterthumskunde*, ii, pp. 180 ff.

be reconciled with the astrological opinion that Jupiter and Venus exercised a propitious influence?

The problem was solved in this way. Of the 'seven worst demons' who were naturally the planets in the original myth, four—whose names are unspecified—were seized and bound in the eighth heaven—the heaven of the fixed stars in this account. The three left over were the inauspicious planets—Saturn, Mars, and the equivocal Mercury. Thus Saturn was put in the seventh heaven, Mars in the fifth, and Mercury in the second. The Sun and Moon, Jupiter and Venus could therefore be regarded as belonging to the good creation, since four of the planet-demons had been spirited away into the eighth heaven and only seven planets in all had been bound. *Ergo*, the Sun and Moon, Jupiter and Venus were not planets at all!

This account is merely an example of later Zervanism trying to reconcile the two opposing theories: it in no way proves that Zervanism was more influenced by Babylonian astrology than was Mazdean orthodoxy. It is not a genuine myth based on astrological data, but an obviously late patchwork of the old myth, according to which the planets were evil, and the ordinary astrological view with which we are now familiar. This is proved by the curious invention of four nameless demons who are carried out of harm's way into the heaven of the fixed stars and who are merely substitutes for the Sun and Moon, Jupiter and Venus which had somehow to be fitted into the good creation. The four demons are only introduced in order to make up the required number of seven evil planets.

We have already seen that Zurvān was a god of destiny, and it is Spihr, the firmament, through which this destiny is apportioned on earth.[1] The Signs of the Zodiac are an integral part of the firmament and are the active agents through which fate operates: their dispensations are, however, perverted and diverted by the planets who roam about under the firmament and are bound to the Sun. The *Bundahišn*, however, speaks of the firmament as being both good and evil;[2] that is, it must contain the planets as well as the Signs of the Zodiac. This is plainly the Zervanite view; for, as we have seen, Zurvān is indifferent to good and evil. Through the firmament, the Twelve and the Seven, he manifests himself as fate: he is the apportioner of fortune, whether good or bad, and the luminaries are his agents. The binding of the planets is probably common to the Zervanites and Mazdeans since it is also found in Manichaeanism[3] and Mandaeanism:[4]

[1] pp. 111 ff. and p. 127.

[2] Text Z 3, § 3.

[3] Cf. the Turfān fragment M 98 (F. W. K. Müller, *Handschriften-Reste in Estrangelo-Schrift aus Turfan*, ii, p. 37 ff.); Salemann, *Manichäische Studien*, i, p. 16; Jackson, *Researches in Manichaeism*, pp. 30, 31, and 38; *hpt 'b'χtr przyd.*—'The seven planets were bound.'

[4] v. p. 160, n. 1.

but their position below the firmament rather than in it would appear to be a Mazdean variation aimed at absolving Ohrmazd, who, for them, was the creator of the firmament, from all participation in the activities of the planets.

Before closing this chapter we must refer to yet another version of the role of the planets in the Cosmos: and since Zātspram is the author of it, it may be taken that this too was current among Zervanites. It occurs in his treatment of the macrocosm and microcosm and differs substantially from the account given in the *Bundahišn*.[1] There seems to be no suggestion that the planets are evil, but rather that they are an integral and harmonious part of the Universe. They are compared to the different components of the human body—the Moon to the marrow, Mercury to the bones, Venus to the flesh, the Sun to the sinews, Mars to the veins, Jupiter to the skin, and Saturn to the hair.[2] Obviously, then, the planets are regarded as ruling or representing the seven grades of the heavenly sphere or firmament, the uppermost being ruled by Saturn which corresponds to hair in man, the second by Jupiter corresponding to the skin, and so on down to the Moon which corresponds to the marrow. Similarly, the *Bundahišn*[3] compares the hands and feet of man to the Seven and the Twelve, forgetting apparently the diabolic role it had assigned to the planets in an earlier chapter. This 'naturalistic' view of the planets as ruling the seven heavens is, of course, that of the astrologers.

Thus we have three separate accounts of the origin of the luminaries:

(i) The Sun, Moon, and the Signs of the Zodiac are produced by the incestuous intercourse of Ohrmazd with his mother, sister, and daughter: the planets are produced by the sodomy of Ahriman.

(ii) The Sun, Moon, and stars are simply created by Ohrmazd, and the planets by Ahriman. According to both these views the planets can only be maleficent powers.

(iii) The astrological view which derives good fortune as well as bad from the planets. All the luminaries are simply part of the revolving sphere.

The first view must be regarded as Zervanite and the second as Mazdean for reasons which we have already advanced. Both agree in the demoniza-

[1] GrBd. 189. 7 ff.

[2] Zs. 30. 5–11: *niyāβīhast mazg 'ō māh . . . 'ut hačapar māh Tīr, 'ut-aš mēhmānīh 'apar ast. 'ut hačapar Tīr Anāhīt, 'ut-aš mēhmānīh 'apar 'gōšt. hačapar Anāhīt Miθr, 'ut-aš mēhmānīh 'apar paδ. 'ut hačapar Miθr Varhrān, 'ut-aš mēhmānīh 'apar χōnīk ray. hačapar Vahrān Ōhrmazd, 'ut-aš mēhmānīh 'apar pōst, hučihr-gar i tanān. hačapar Ōhrmazd Kēvān, 'ut-aš mēhmānīh 'apar mōδ.*

[3] GrBd. 189. 13: *'dast 'ut 'pāδ aβzār čēγōn 7-ān 12-ān.*

tion of the planets, and both are faced by the same difficulties when confronted with the astrological theory. It is, however, a mistake to regard the astrological interpretation of the Universe as specifically Zervanite on the grounds that that sect laid overwhelming emphasis on fate. So long as the heavenly sphere is regarded as the source of fate indifferently apportioning good and evil to mankind, it matters little what role the subsidiary agents —that is the stars and the planets—play. The essential difference between Zervanism and Mazdeanism in this respect is not in the method of operation of fate as manifested particularly in the planets, but in the scope of fate, that is whether man has any power against it or whether it is so overwhelmingly strong as to be irresistible. This fundamental question will be discussed in Chapter X.

NOTES TO CHAPTER VI

A. GrBd. 26. 11: *'pat 'avēšān aχtarān 4 spāhpat *'pat 4 kust gumārt, spāhpat-ē 'apar 'avēšān spāhpatān gumārt . . . čēγōn 'gōβēt 'ku Tištar χ^{v}arāsān spāhpat, Satvēs nēmrōč spāhpat, Vanand *χ^{v}arāβarān spāhpat, *Haptōring apāχtar spāhpat. mēχ ⟨i⟩ gās 'kē mēχ i miyān i āsmān 'gōβēt, spāhpatān spāhpat.*—'He appointed four commanders over those stars in the four points of the compass, and he appointed a commander over those commanders. . . . For it is said that Tištar is the commander of the East, Satvēs commander of the South, Vanand commander of the West, and Haptōring commander of the North. The Pole Star, which is called the "Nail in the middle of the sky", is the commander of the commanders.'

mēχ ⟨i⟩ gās is the Pole Star; *mēχu'l-ǰāh* appears in Arabic in this sense: for discussion and references v. Taqizadeh, *Gāh-šumārī dar Irān i qadīm*, pp. 331–2.

B. PhlRiv. 8. 2–4 (p. 9): *'ut Ōhrmazd 'pat χ^{v}ēt⟨ō⟩datīh kartan paytāk 'ku 'kaδ Zartuχšt 'pēš i Ōhrmazd 'nišast, 'ut Vahuman 'ut Artvahišt 'ut Šaθrēvar 'ut Hurdāt 'ut Amurdāt 'ut Spandarmat pērāmōn i Ōhrmazd 'nišēnēnd, *aš Spandarmat 'pat kanār 'nišēnēt, 'ut-aš dast 'pat grīv 'āβurt ēstāt. Zartuχšt *'bē 'ō Ōhrmazd pursīt 'ku 'ēt 'kē 'pat kanār i 'tō 'nišēnēt, 'ut-aš ētōn dōst 'hēh, 'ut 'ān-ič 'ō 'tō ētōn dōst 'hēh. 'nē 'tō 'kē Ōhrmazd 'hēh, *'hač 'avē 'čašm 'bē vartēh, 'ut 'nē 'avē 'hač 'tō 'bē vartēt. *'tō 'kē Ōhrmazd 'hēh, 'avē 'hač dast 'bē 'nē 'hilēh, 'ut 'nē 'avē 'tō 'hač 'dast 'bē 'hilēt. 'ut Ōhrmazd guft, 'ēn Spandarmat i 'man 'duχt, 'ut-am katak-bānūk i vahišt 'ut 'māt i dāmān.*

C. Zs. 4. 4–6: *paytākīh i dēn 'pat Spa⟨n⟩darmat 'pat 'ān gās būt 'kaδ Frāsyāβ 'āp 'hač ērān-šaθr 'apāč dāšt 'ut 'āp 'apāč 'āβurt. kanīk-karpīhā 'pat χānak i Mānuščihr i ērān-šaθr dahyupat anērān pāsaχ^{v}-guftār 'būt: *'ōh paytākīhast. 'ut-aš patmōχt dāšt rōšnīk patmōčan 'kē 'bē frōkīhast 'ō vispān kustakān hāsr-ē drahnāδ i 'hast *frasang* (text *PLDDMN*) *2 humānāk. 'ut-aš 'pat miyān bast dāšt zarrēn kūstīk i 'χ^{v}at būt dēn i māzdēsnān.*—'The Religion was manifested in Spandarmat at the time when Frāsyāβ withheld the waters from Īrān and (Spandarmat) brought them back. In the form of a maiden she made answer to the non-Iranians in the house of Mānuščihr, the lord of Īrān: thus did she appear. She was arrayed in a bright robe which shone forth in all directions for a *hāsr's* length, that is about two parasangs. And she was girt with a golden girdle which was the Religion of the Mazdayasnians.'

D. ŠGV. 3. 16 ff.: *agar gōem ku dādār Hōrməzd Āharman əž vatarī yaš hamāšaa gōharī awāž dāštan tvą, ą gōhar i dāwī ō yazadī u ą i yazadī ō dāwī vardinīdan šāyaṯ, u tār rōšan u rōšan tār kardan šāyaṯ. gōhar pa χᵛadī vaštan, gōhar nā-šnāsą gōeñd.*—'If I say that the creator, Ohrmazd, can restrain Ahriman from the evil which is his eternal substance, that involves changing the demonic substance into the divine and the divine into the demonic, and making darkness light and light darkness. (Only) those who do not know (the meaning of) substance speak of substance changing of its own accord.' Cf. Mχ. 10. 4: *'har 'čiš vartēnītan šāyēt 'bē gōhr i nēvak 'ut 'vat. 'ut gōhr i nēvak 'pat 'čiš-ič čārak ō 'vattarīh, 'ut gōhr i 'vat 'pat hēč aδvēnak 'ō 'vēhīh vartēnītan 'nē šāyēt. 'ut Ōhrmazd nēvak-gōhrīh rāδ, 'hēč 'vattarīh 'ut drōžanīh 'nē passandēt: 'ut Ahriman vat-gōhrīh rāδ, hēč 'vēhīh 'ut rāstīh 'nē 'patīrēt.*—'All things can be changed except the substance of good and evil. By no means can the substance of good be changed to evil, and in no way can the substance of evil be changed to good. Because the substance of Ohrmazd is good, he can countenance no evil or falsehood; and because the substance of Ahriman is evil, he can admit no goodness or righteousness.'

E. GrBd. 52. 12: *gōčihr miyān ⟨i⟩ āsmān 'bē 'ēstāt, mār humānāk, 'sar 'pat dōpatkar 'ut dumb 'pat nēmasp čēγōn 'pat miyān i sar 'ut dumb 'har gās 6 aχtar 'būt.*—'Gōčihr was in the middle of the sky, like a serpent; its head was in Gemini and its tail in Centaurus so that between its head and tail there were six constellations in all directions.' Of Mūšparīk GrBd. 53. 1 says: *mūšparīk ⟨i⟩ dumbōmand parr-var jast, χᵛaršēt 'ō ray i 'χᵛēš bast 'ku 'tāk-aš vinās kartan 'nē tavān 'bavāt.*—'Mūšparīk who has a tail and wings leapt forth; the Sun bound him to his chariot so that he should not be able to do harm.'

Gōčihr is simply the Pahlavī derivative of Av. *gao-čiθra-*, 'having the seed of cattle', the stock epithet of the Moon.

F. GrBd. 53. 8: *apārīk ditīkar 'ō ham ray i χᵛaršēt [tan] 'pat dērangīh 'ut kastakīh bast 'ēstēt.*—'The others too were bound to the same chariot of the Sun, some at a long distance and some at a short.' ŠGV. 4. 39 ff.: *u īñ pañja awāχtar dādār Hōrməzd χᵛāš-kāmaihā nā hištan rā har yak pa du jīk ō mihir u māh bast əstəñd; vašą frāžrawəšnī u awāž-rawəšnī əž ham čim; hast kəš drānāe i jīk drāžtar čuñ Kaevąn u Avarmazd, u hast i kəhtar čuñ Tīr u Anāhīṯ.*—'And to prevent these five planets from roving at will, the creator Ohrmazd bound each of them to the Sun and Moon with two ropes: hence their forward and backward motion (progression and regression). The rope of some is longer, such as Saturn (Kēvān) and Jupiter (Ohrmazd), that of others is shorter, such as Mercury (Tīr) and Venus (Anāhīt).' The word *ray* used by the GrBd. is probably correct since the Manichaeans too speak of a *rah*, 'ship' resp. 'chariot' of the Sun and Moon, and the Mandaeans also speak of the planets as riding chariots (Brandt, op. cit., p. 62). The ŠGV. has *brih* = *brēh*, an astrological term. According to the *'Ulemā* (text Z 37, § 25) the planets were bound to the firmament.

G. GrBd. 54. 8: *'ut-šān 'ēn rōšnīh ⟨i⟩ hač-iš paytāk ham rōšnīh i ōhrmazdīk, handāčak 'vattarān 'kē patmōčan i gētēh *patmōχt 'hēnd . . . patmōχtan i 'ān rōšnīh rāδ vinās kartan kam tavān. ēvak 'ēn 'ku martōm 'vēnēnd, hač-iš 'nē tarsēnd.*—'The light which emanates from them is the same light of Ohrmazd, like evil persons who are clad in a material garment. . . . Because they are clad in that light they can do less harm. Again, when men see them, they are not afraid of them.' ŠGV. 4. 21: *awąñiča āšą awāχtarą rōšanī padmōχt dārəñd.*—'Thus those planets are clad with light.'

H. GrBd. 57. 7 ff.: *'pat bun 'kaδ aβigat 'andar duvārast ōγōn ǰast 'ku miθr *'ut māh i tamīk patmānak *dārēnd 'hač ray ⟨i⟩ χᵛaršēt 'ut māh. ⟨'ēt⟩ rāδ vinās-kārīh 'nē tavān kartan. 'ut Haptōring 'ut Satvēs 'hač Ōhrmazd 'ut Anāhīt frēh-nērōk-tar ǰast 'hēnd, 'ut-šān Ōhrmazd 'ut Anāhīt 'hač vinās kartan pātērānēnīt. ham-čim rāδ aχtar-āmārān 'avēšān rāδ 'pat kirpak-gar 'χᵛānēnd. Varhrān 'hač *Vanand 'ut Kēvān 'hač mēχ i gās frēh-nērōk-tar ǰast 'hēnd; 'ut-šān vināskārīh paytāk. 'ēt rāδ aχtar-āmārān 'avēšān 'pat bazak-gar ōšmarēnd. 'ut Tīr, 'hast Apaōš 'dēv, 'ō Tištar mat; 'har 2 hāvand-zōr 'ut hāvand-nērōk ǰast 'hēnd. 'ēt rāδ aχtar-āmārān 'goβēnd 'ku Tīr 'apāk kirpak-garān kirpak-gar, 'ut 'apāk bazak-garān bazak-gar . . . ham-čim rāδ 'gōβēnd 'ku Ōhrmazd stārak ⟨i⟩ zīvandakīh 'ut Kēvān stārak i margīh 'čē Ōhrmazd apātyā-vandakīh 'andar hamēstārīh rāδ 'ān 'baχšēt i hamēstār kāmak, zīvandakīh 'ut *'vazur-gīh χᵛāstak 'dahēt. Kēvān čērīh 'hač hamēstār rāδ, 'ān 'kunēt 'ō 'ēn pityār, margīh vatakīh 'ut driγōšīh, pēč(?) ham pityārak.*

CHAPTER VII

I. THE DEMON ĀZ

In the preceding chapters we have attempted to give some account of Zervanite conceptions of cosmology and cosmogony. In the course of our investigations we found that Zurvān handed to Ahriman an 'implement like unto fire, blazing, harassing all creatures, that hath the very substance of Āz'.[1] We shall now have to pay more attention to the demon Āz and the part it plays in the Zervanite scheme of things.[2]

That Āz belongs to the Zervanite rather than the Mazdean demonology may be inferred from the following facts. First, it was adopted into the system of the eastern Manichees whose terminology derives from Zervanism, not Mazdeanism; and it plays a decisive part in the cosmological fragments found in Turfān. Secondly, it is the leader of the demonic hosts in Zātspram's account of the last things. On the other hand, it occurs only four times in the Avesta, where it is as unimportant as Zurvān himself;[3] and the *Dātastān i Dēnīk*, the most 'orthodox' Mazdean book we possess, assigns an insignificant role to it in its account of the *Fraškart* (the final 'rehabilitation' of the Cosmos). For whereas in Zātspram this demon plays a leading part throughout, and finally turns on Ahriman in his hour of defeat and devours his entire demonic host, in the *Dātastān* this latter feat is merely mentioned as if in passing,[4] and there is no suggestion that this demon is the leader of the demons or that it is in any way in a category by itself.

Before proceeding any farther it may be as well to try to determine the gender of this demon since even this is uncertain. We know that in the Avesta Āz was considered to be of the male sex, for his qualifying adjective *daēvō-dāta-*[5] is used in the masculine gender. On the other hand, the Manichaean demon is certainly female, for she is described as 'the mother of all demons' (*m'd 'y wysp'n dyw'n*).[6] The question therefore arises

[1] *Supra*, pp. 114 ff., 117; text Z 5 (*a*), 35.

[2] Some discussion of this demon will be found in Scheftelowitz, ZII. iv, pp. 317–44. A short article entitled 'The Zoroastrian Demon Āz in the Manichaean Fragments from Turfan', by G. C. O. Haas has also appeared in *Indo-Iranian Studies in Honour of . . . Sanjana*, pp. 193–5: this is, however, mainly devoted to the Manichaean texts available at the time (1925).

[3] References in Gray, *Foundations of the Iranian Religions*, p. 202; cf. Bartholomae, AIW. *āzay-* s.v.

[4] Dd. 36. 90: *ētōn-ič Āz 'dēv 'kaδ 'nē ayāpēt 'pat žūtārīh 'ō 'ān i 'vēh, 'andar ⟨ni⟩δvārēt 'pat 'χᵛēš čihrīk 'ō 'ān i 'dēvān žūtārīh.*—'Thus too when the demon Āz cannot reach the good (creation) to swallow it, she rushes off to those of her own nature to swallow the demons.'

[5] Ys. 16. 8; Vd. 18. 19.

[6] So in the fragment S 9; v. Henning, NGGW. 1932, p. 215.

whether the Avestan or the Manichaean demon is nearer to the Āz of the Pahlavī books.

A priori the evidence of the Avesta should be preferred since it is *the* Zoroastrian text *par excellence*, and we are still dealing with a form of Zoroastrianism, however corrupt. Moreover, the Manichaean religion is still believed by many to have its roots in the gnosticism of the Syro-Hellenistic world and to derive largely from the systems of Bardesanes and Marcion.[1] On the other hand, it seems certain that the eastern type of Manichaeanism differed in many respects from the western; and this difference is due largely to the attempt of the Persian Manichees to assimilate their religion to Zoroastrianism in its Zervanite manifestation, for that form of Zoroastrianism must have been dominant at the time of Šāpūr I when Mānī started to proclaim his religion, as the Manichaean evidence itself proves.

Such assimilation was attempted in the case of Āz. In two cosmological texts known respectively as S 9[2] and T III. 260[3] Āz appears as the leader of the entire demonic host. In Persian (Middle and New) her name is most adequately translated by the Latin *concupiscentia*, a concept that includes acquisitiveness, gluttony, and lust. She should then correspond exactly to the *ἐπιθυμία*, *ἡδονή*[4] or *concupiscentia* of the western Manichaean tradition. The Āz of the eastern tradition is, however, far more than this: she is the mother of all the demons and the greatest of them. In the diabolical hierarchy she is always mentioned first, taking precedence over Ahriman. Her relationship to the latter is exactly parallel to the relationship of the female Rūhā to the male Ur in the Mandaean scriptures. Ur is the king of darkness; Rūhā is his mother and stands for the totality of evil.[5] Similarly with the eastern Manichees it is Āz who is the principle of evil. Her counterpart in the western tradition is *ὕλη*,[6] not indeed the *ὕλη* of Greek philosophy, but *ἡ ἐν ἑκάστῳ τῶν ὄντων ἄτακτος κίνησις*[7] 'the disorderly motion that is in each thing that is'. This brilliant definition of evil

[1] v. p. 38, no. 1.

[2] *Editio princeps* by Salemann, *Bull. Acad. Pétersb.* 1912, pp. 7–14. Re-edited by Jackson, *Researches in Manichaeism*, pp. 75–126. The best edition is that of Henning, NGGW. 1932, pp. 214–28.

[3] Andreas–Henning, *Mitteliranische Manichaica aus Chinesisch-Turkestan*, i (SbPAW. 1932).

[4] Alexander of Lycopolis, p. 22 (Brinkmann). Cf. Schaeder's excellent treatment of the relationship between these and *ὕλη*, *Urform*, pp. 113 ff.

[5] Cf. Brandt, *Die mandäische Religion*, p. 34.

[6] Cf. Schaeder, l.c.; Henning, NGGW. 1932, p. 220; id. *Ein manichäisches Bet- und Beichtbuch*, p. 91 *mrcync šm'r' ''z* 'die Hyle, die *ἐνθύμησις* des Todes'. Cf. the description of *ὕλη* in *Kephalaia*, p. 26: *ὕλη* is the creator of evil, including *ἡδονή* and causes the King of Darkness to attack the Kingdom of Light.

[7] Alexander of Lycopolis, p. 5, ll. 7–8 (Brinkmann); Baur, *Das manichäische Religionssystem*, p. 20.

preserved for us by Alexander of Lycopolis, would apply equally to the Āz of the Zervanites, as we shall very soon see.[1]

In the Avesta there is nothing at all to suggest that *Āzi* (Āz) occupies a position so supremely exalted in the diabolic scheme of things, any more than there is anything to suggest the transcendent destiny that later heretical development was to prepare for Zurvān. So humble is her (or rather his) position that we are unable to discover anything about him except that he consumes the fire and wishes to extinguish it.[2] His gender is masculine and his epithet *daēvō-dāta-* 'created by the demons' or 'following the law of the demons', clear proof that he was very far from being considered as the very principle of evil.

The Pahlavī language has no means of distinguishing gender, nor do the texts help us in this respect. Zātspram tells us that Āz was appointed 'captain of the commanders' (*spāhpatān sardār*) of the demons;[3] and this would tell slightly in favour of his masculinity. The Manichaean evidence, however, seems conclusive. When adapting their system to Iranian religious conditions, the Manichees chose Āz to represent their ὕλη. Were the current form of Zoroastrianism in the third century A.D. that which is now preserved in the extant Avesta and the Pahlavī books, they must inevitably have chosen Ahriman, the principle of evil in the Mazdean system. That they did not do so seems to prove first that Āz corresponded more nearly to their own conception of the basic nature of evil (disorder), and, secondly, that it already occupied a position in the diabolic hierarchy comparable or superior to that of Ahriman. The Zoroastrian demon Āz was primarily a demon of greed, and even a Turkish *Manichaean* text expressly calls it 'the shameless demon of greed'.[4] This, however, is not the primary quality in the Manichaean ὕλη, and it is difficult to see why they should have selected Āz to represent this latter in preference to Ahriman, a disorderly character enough in all conscience, unless they required a specifically female entity. Once adopted, Āz assumed duties as both ὕλη and *concupiscentia*, the latter being in any case implicit in the former. For convenience, then, we will refer to the Zervanite demon as 'she'.[5]

Before proceeding to an analysis of the latter we must pause to glance at the antics of her Manichaean namesake. Fortunately the two relevant cosmological texts have been edited by Professor Henning, who has long

[1] For the latest description and a full list of references to sources as well as the relevant literature see H. C. Puech's most useful monograph (*Le Manichéisme*), p. 76 with notes.

[2] Vd. 18. 19.

[3] Text Z 5 (*a*), § 42.

[4] von le Coq, *Türkische Manichaica aus Chotscho*, iii (AbPAW. 1922), p. 29.

[5] It is possible, of course, that Āz too, like Zurvān, was regarded as hermaphroditic.

made this particular study his own.[1] To his work the interested reader is referred for further detail. The fragment S 9 tells the following story:

Angered was Āz, the evil mother of all demons, and a grievous uproar did she stir up to aid her 'self'. And from the foulness of the he-devils and the filth of the she-devils she formed this carrion (the body) and entered it herself. Then from the five elements of light, the armour of Ohrmazd, the Lord, did she bring forth (?) the good soul and imprisoned it in the carrion. As blind and deaf she made it, unconscious and distraught, so that it no longer knew its origin or lineage. She made the carrion and the prison: she bound the senseless soul: 'Cruel to me imprisoned are the demons male and female and all the witches.' Right well did she bind the soul in the accursed(?) body, and hideous did she make it, wicked, angry, vengeful. Then did Ohrmazd, the Lord, have mercy on the souls (*sic*), and in human form did he come down to the earth. He put to shame the wicked Āz and he made (the soul) aware[2] and showed it plainly all that had been and was to be. Swiftly did he reveal to it that Ohrmazd, the Lord, had not made this fleshly carrion, nor had he imprisoned the soul itself therein. The wise soul of the blest was granted resurrection and believed in the wisdom of Ohrmazd, the good Lord. All counsels, commands and seals of goodly peace did it right willingly accept like a valiant hero. It laid aside the carrion of death and was made free for ever and lifted up to heaven, to the kingdom of the blest.

In this fragment Āz fulfils two functions: first, she forms the human body from all manner of filthiness and as concupiscence makes her home in it. Secondly, she imprisons the soul which belongs by birthright to the kingdom of light and blinds it to its true origin: she makes it 'hideous, wicked, angry, and vengeful', assimilating it to her own 'disorderly motion'. It is the function of Ohrmazd (who corresponds to the πρῶτος ἄνθρωπος and in this context to Jesus in the Manichaean system of the West) to restore the soul to an understanding of the (Manichaean) reality.

The story of the creation of the human body is told with greater, more graphic, and more sickening detail in the long cosmological fragment T III. 260.[3] There is no need to retail more than the salient features of this repellent text here. Āz is again the leader of the demonic hosts, greater than Ahriman. She and her confederates are bound by the powers of light; but this does not appear to prevent her from entering and defiling the vegetable world. She then falls from the heavens where she had been bound, and a furious orgy of abortion and fornication ensues. The female demons produce a monstrous offspring that creeps over the earth and devours the fruit of the trees. This fruit, being already defiled by Āz, when consumed, fills the demons with lust, and they lie together. The demon world then begins to proliferate with tropical profusion, and some of the abortions are devoured by Āz, 'that she might form two creatures from

[1] *Supra*, p. 167, nn. 2, 3. [2] See note A, p. 193. [3] *Supra*, p. 167, n. 3.

them, a man and a woman'—how is not absolutely clear. The upshot of the whole disgusting process, however, is the creation of the first man (*Gēhmurd* = the Zoroastrian Gayōmart). He inherits a whole catalogue of sins from the demons, but a small particle of light is still imprisoned within his body; and this is the soul. Similarly the first woman was created, more debased, corrupt, and sinful than her consort.[1]

In this most vivid of the Manichaean lucubrations preserved in Middle Persian Āz appears clearly in the role of concupiscence on a cosmic scale. Throughout the whole revolting scene she figures as the insatiable driving-force of lust. The attendant vice of gluttony, however, is not neglected; for she devours some of the new-born demons in order to create man and woman! Briefly, then, in the Manichaean fragments Āz appears as the principle of evil: she manifests herself in three forms—as the deceiver who blinds man to his supernatural destiny, as lust, and as greed. She is the ὕλη manifesting itself as *concupiscentia*.

As is known the Manichees carried their condemnation of concupiscence to its logical conclusion, condemned the reproduction of the species as a sure means of perpetuating the imprisonment of the light in matter, and forbade their *electi* to marry. Diametrically opposed to this was the Mazdean view which strongly advocated such propagation as a pious duty. Somewhere between the two was the Zervanite position, as we shall have occasion to see.

On examining the evidence of the Pahlavī books it will be found that the demon Āz very closely resembles her Manichaean namesake: all three aspects are apparent, the turning of man away from his supernatural destiny, lust, and greed. This last vice is understood as acquisitiveness as well as gluttony, and plays a much greater part in the Zoroastrian texts than in the Manichaean. Lust, however, in the sense of sexual profligacy is very much less in evidence.

Our principal sources for the activities of this interesting demon are the *Dēnkart* and Zātspram. The former gives us a glimpse of the philosophical approach to the demon, the latter presents what appears to be a highly personal interpretation which, however, may be the true Zervanite view; for if the fragments of Zervanite mythology retailed by Christian authors are at all to be believed, Zervanism must, like Manichaeanism, have been stronger in the invention of myths, pleasing and unpleasing, than in philosophical analysis or theological speculation.

[1] For the account of Theodore bar Kônai v. Cumont, *Recherches sur le Manichéisme*, i, pp. 40–43; Jackson, *Researches in Manichaeism*, pp. 248–54. For the account of an-Nadīm (*Fihrist*), v. Flügel, *Mani*, pp. 58 and 90–91; Kessler, *Mani*, pp. 393–4.

The Zoroastrian Āz, too, is concupiscence, manifested primarily as gluttony. In the purely ethical sphere she is the vice opposed to contentment (*χᵛarsandīh*).[1] She is the most discontented and the most rapacious.[2] She is insatiate,[3] and want is born of her.[4] Her desire is to swallow the whole world at one gulp;[5] yet even if the goods of the whole world were given to her, she would not be satisfied and would want more. If she is deprived of sustenance, she pines away.[6] She is the most contumacious of the demons.[7]

In the physical world Āz appears as the adversary of *čihr* 'nature'. *Čihr* represents the purely physical side of man, that part of his being by which his body lives and which is unaffected by his will: thus we find it frequently contrasted with *kām* 'the will'.[8] The human body is, for instance, by nature sweet-smelling, but when abused by gluttony becomes a source of stench.

By nature the inside of the body is characterized by a sweet smell: stench (comes) to it from Āz. The sweet scent which reaches the inside of the body by the consumption of food from outside (the body), arises (only) from moderation exercised in the eating of bread and meat and from drinking wine in due measure. Stench arises from the devouring of carrion and excrement.[9]

Āz, then, is the abuse of a natural and legitimate activity.

In another passage the *Dēnkart* elaborates this theme in more general terms.[10]

In the mixed state life (the breath-soul, *ǰān*) is generally kept in the body by the continued working of the natural functions (*čihr*) in the body. The continued working of the natural functions in the body confronts the 'natural' Āz: and Āz being pitted against the natural functions seeks to destroy them. Āz it is who withholds Hurdāt and Amurdāt; (that is) food and drink are cut off from the natural functions. Nature (*čihr*) is the ally (of the body), Āz the enemy. When Hurdāt and Amurdāt, (that is) food and drink, are cut off from the natural functions, the latter, deprived of any ally and being in the grip of Āz, are destroyed:

[1] Pn. 38 (PhlTexts, p. 46): *Āz 'pat χᵛarsandīh . . . 'bē zanēt.*—'One smites Āz with contentment'.

[2] AVM. 32. (PhlTexts, p. 89): *Āz aχᵛarsandtar appāraktar.*

[3] DkM. 836. 11: *Āz-ič i anhanbār.*

[4] Ibid. 359. 19: *niyāz i Āz hunušak.*—'Want, the offspring of Āz'.

[5] Ibid. 50. 18: *Āz 'kaδ-aš gēhān 'pat ēvak 'SWMBŠN 'andar ōpārtan [i] āhang.* The reading of the word which I have written in capitals is uncertain; the context shows, however, that the meaning must be 'gulp' or some similar word. A connexion with NP. *suftan* and kindred words seems unlikely.

[6] See note B, p. 193.

[7] DkM. 569. 14: *druž-ē Āz stahmaktar.*

[8] e.g. DkM. 379. 1; 352. 7; 149 *passim*; 359. 1.

[9] DkM. 260. 12: *tan andarōn 'χᵛatīk bōδ 'hač čihr, 'ut-aš gand 'hač Āz. 'ut 'hač 'ān i* (better *'ān i 'hač*) *bērōn 'ō andarōntom tan 'hač χᵛarišn 'rasāt bōδ 'hač patmān⟨īk⟩ 'nān 'ut gōšt χᵛarišn 'ut 'maδ dātīk χᵛārišn; 'ut gand 'hač nasāy 'ut hiχr žōyišn.* This last phrase cannot surely be taken literally: it would appear to be a 'dysphemism' for over-indulgence in food and drink.

[10] See note C, p. 193.

and life can no longer be maintained in the body. Since life can no longer be maintained in the body it is ripe for death.

Here the role of the demon of gluttony is reversed: she no longer appears as a vice, but as the personification of that vice which attacks man by devouring his food and thereby causing his death. She deprives his physical nature of the means by which it can live: she is the enemy of the living body and the demon of death.

This conception of Āz is uncommon, but in another passage of the *Dēnkart* it is explicit. 'Mortal men are all carried off by Astōvihāt by means of Āz, the fearful, who is manifest afar: they cannot escape.'[1] Astōvihāt is the demon of death *par excellence*, 'he who dissolves the bones'. He is death itself, Āz the agent who brings it about.

The conception of Āz as a death demon seems to have survived into the Muhammadan era, for we read in the *Šāhnāmeh*:[2]

hameh tā dar ī Āz rafteh farāz
ba-kas vā na-šud īn dar ī Āz bāz.

All have gone as far as the door of Āz: the door of Āz has never opened again to anyone.

I can quote no other example of Āz used in this sense in Muhammadan Persian literature where *āz* normally means 'greed', as one would expect. In this case, however, the 'door of Āz' can only mean death.

The function of Āz in the material world (*gētēh*) is now fairly plain. We must now consider her role in the world of spirit (*mēnōk*). Man, for the Zoroastrians as for the Christians, is composed of spirit and matter: nature presides over the material world, the will over the spiritual. Thus 'in man by the Creator's dispensation nature operates in the material sphere, the will controls the spiritual: thus natural life and knowledge in the will constitute the humanity of man'.[3] Āz is pitted both against nature and the will: she upsets and disrupts both.[4] She is, in fact, the force that attacks man in his very humanity.

This theory is more fully developed in another passage where *χrat* and Āz are represented as fighting for the *χᵛarr* of man. In the theological passages of the *Dēnkart*, *χrat* is best translated as 'reason' rather than 'wis-

[1] Ibid. 803. 17: *ōšōmandān hamāk Ast⟨ō⟩-vihāt 'pat 'ān i škift 'ut frāč paytāk Āz* [*i*] *'burt, 'ut 'nē bōχtēnd.*

[2] ŠnV. 433. 7.

[3] DkM. 378. 22: *'andar 'martōm dātār-āβurišnīk gētēh-varzītārīh čihr : mēnōk-ārāstārīh aχᵛ* [*aχᵛ*]. *'ōh-ič čihrīk zīvandakīh 'ut aχᵛīk dānākīh i 'andar martōm martōmīh.*

aχᵛ is the equivalent of the Av. *aŋhvā-*.

[4] Ibid. 379. 5: *aβigat-kirrēnišnīk višuftārīh ⟨čihr⟩ 'ut aχᵛ i 'har 2 'pat martōm Āz.* —'By the counter-dispensation of the Aggressor it is Āz who disrupts both nature and will in man.'

dom'; it is (or should be) the directing faculty in man.[1] In this context we may keep the translation 'concupiscence' for Āz. To find an exact English equivalent for *χᵛarr* is, however, not nearly so easy.

Professor Bailey has devoted the first seventy-seven pages of his *Zoroastrian Problems in the Ninth-Century Books* to the semantic development of *χᵛarr* (*χᵛarənah*). His conclusion is that the original meaning was 'welfare' or 'good things'. No one who has carefully read those formidable seventy-seven pages, packed as they are with sound deductions from a representative collection of texts, will be disposed to quarrel with his thesis. In Pahlavī *χᵛarr* is identified with *χᵛēškārīh*,[2] that is, literally, 'own-work': it is then the distinctive behaviour of any given entity. In the passage quoted above (p. 172) we were told what constituted the humanity (*martōmīh*) of man (*martōm*). His humanity, being what differentiates him as man, would be his *χᵛēsīh* 'own-ness' rather than his *χᵛēškārīh* 'own-work' or *χᵛarr*. His 'own-work' is rather the correct use of his humanity, that is virtue: the incorrect use of it (= *dušfarragīh*) constitutes vice.[3] This *χᵛarr* or 'own-work' of man consists in the quest after God.[4] Since he is a creature of God and only later fell victim to the Aggressor, this seems consistent enough: misuse of his humanity is something that does not belong to him; it is Āz, concupiscence, which attacks him from outside. I can find no single English word to translate *χᵛarr* in this sense. 'Personality' approximates to it quite closely, but this again does not convey the sense of *action* implicit in *χᵛēškārīh*. Without wishing to debase the notion of *χᵛarr* any further, I would suggest that *χᵛarr* can be almost exactly rendered by the colloquial English 'job', which means both an occupation and what a man is intended to do and ought to do. This is not to suggest that *χᵛarr* has not other meanings in other contexts, which, of course, it has.

Having propounded, then, what we understand by *χᵛarr* as applied to man, we may now look at the *Dēnkart* passage where reason and concupiscence dispute its possession:

Man who is the object of (diabolic) aggression, is tainted with aggressive concupiscence which is intent on destroying his *χᵛarr*. Reason was created by the Creator to protect the *χᵛarr* from concupiscence. Concupiscence is first cousin to desire. There is a limit set to desire. So long as desire for wealth and power is fulfilled, concupiscence is greatly strengthened and reason is gravely impaired in

[1] Cf. Bailey, *Zoroastrian Problems*, p. 85.

[2] Id., op. laud., p. 35. In addition DkM. 394. 4 equates *χᵛarr* with *χᵛēškārīh* and *rāy* with *tuχšākīh* 'effort, energy': cf. also DkM. 341. 10 ff.

[3] DkM. 232. 22: *hunar 'χᵛarr 'ut āhōk dušfarragīh patvand.*—'Virtue is associated with *χᵛarr*, vice with *dušfarragīh*.'

[4] Ibid. 513. 8: *martōm 'hač 'pas i 'nān 'hēnd, 'ut yazdān 'hač 'pas ⟨i⟩ martōm 'hēnd 'ut 'χᵛarr 'hač 'pas ⟨i⟩ yazat.*—'Man is in search of bread, the gods in search of man and the *χᵛarr* in search of God.'

(its function of) protecting the *χᵛarr* from concupiscence. When a man fulfils his desire for power and wealth in subjection to that moderation which is dictated by reason, that man's reason becomes firmly established in (its function of) protecting his *χᵛarr* from the onslaught of concupiscence. Such power and wealth are beneficial to such a man. But when a man fulfils his desire by overriding that moderation which is dictated by his reason, concupiscence is greatly strengthened and reason weakened within him. Because of this weakening of the reason his *χᵛarr* is made unstable since its protector has become imperfect: the man becomes intoxicated with his excessive power and wealth: he is overwhelmed by concupiscence which destroys his *χᵛarr*, and he is harmed by that power and wealth.[1]

In the spiritual sphere, then, concupiscence (Āz) appears as the enemy of reason, and in its attacks on 'nature' it is vanquished by reason.[2] This conception of Āz is, however, rare. In most of the other passages in the *Dēnkart* dealing with this question it is not Āz but Varan that appears in this role. Varan, according to Zātspram, is merely one of the aspects of Āz. This aspect is called *bē čihrīk*, meaning something like 'nature directed outwards': it is defined as that 'through which, by a glance outward, the inwards are excited and the natural functions of the body thrown into turmoil'.[3] It is further described as the desire to 'mingle'. It is obvious, then, that Varan is here conceived of simply as the demon of lust.

The *Dēnkart* has quite a different conception of Varan. It is mentioned again and again as the opposite of reason (*χrat*).[4] In one passage this demon appears together with Āz against 'reason which dwells in the *χᵛarr*'.[5] Varan as much as Āz is fatal to the *χᵛarr*: 'the life of the *χᵛarr* is from the wisdom of reason, its death is from the self-will of Varan'.[6] Varan is associated with *χᵛat-dōšakīh* ('self-will' or 'choosing for oneself') and *duš-ākāsīh* ('wrong knowledge, wrong-headedness')[7] with *aγdēnīh* ('bad religion, error')[8] and *ahramōγīh* ('heresy').[9] It is described as the origin of wrong knowledge,[10] 'the essence of the demons and the λόγος (*vāχš*) of evil':[11] it is the abortion

[1] See note D, p. 193.

[2] DkM. 39. 17: *'ān i 'pat čihr duvārišnīk Āz 'ut arišk 'ut apārīk i čihr [i] 'ut hunar [i] pat-iš pityār. 'ut-šān vānītārīh 'hač āsn-χrat.*—'Those who attack (man's) nature are concupiscence (Āz), envy, etc., the adversaries of the natural and the virtuous. They are conquered by innate reason.'

[3] Text Z 5 (*a*), § 36.

[4] For references v. Chapter V, p. 124, n. 1.

[5] DkM. 292. 20: *'ān i χᵛatāyān 'pat χᵛatāyīh pahlom 'χᵛarr mēhn āsn-χrat . . . 'ut 'ān 'i-šān 'pat χᵛatāyīh vattom fratom dušfarragīh-āγōš Āz 'ut viškōβ arās Varan.* —'That which is the most perfect for rulers in the exercise of power is innate reason which dwells in the *χᵛarr* . . ., and that which is the worst for rulers in the exercise of their power is first Āz which embraces the misuse of the *χᵛarr* and Varan, the disturber who has no path.'

[6] Ibid. 350. 13: *'χᵛarr zīndakīh 'hač χrat fražānakīh, 'ut-aš margīh 'hač varan χᵛat-dōšakīh.*

[7] Cf. the last two footnotes and text Z 11, § 6.

[8] See note E, p. 194.

[9] Text Z 11, § 6.

[10] See note F, p. 194.

[11] DKM 123. 13: *dēn paytākīh 'apar yazdān 'hastīh, 'vēh vāχš, 'hast χrat-ič; 'apar*

of the Evil Mind and the Destructive Spirit.[1] It is, in fact, heresy and unbelief; it leads astray (*arās*), unsettles (*viškōβ*), and deceives (*frēβišn*).[2] In short it is the misuse of the intellect, the *mēnōk* or spiritual facet of Āz.

To sum up: Āz, who includes Varan, attacks both man's physical nature and his reason. She is essentially the abuse of legitimate activities. Thus she is gluttony and lust on the material plane, the misuse of the intellect on the spiritual. She personifies disorder, and is therefore the enemy of *dātastān* or cosmic order. Zātspram analyses her as 'excess and deficiency':[3] she is the enemy of the 'mean' which represents order. She is also desire and doubt, and so conceived she fits nicely into the Zervanite myth. Zurvān, it will be remembered, first *desired* to have a son, Ohrmazd, and then *doubted* whether this could come to pass. Āz, then, is that 'something evil' which 'was always with God' to which Šahristānī refers. By investing Ahriman with the garment that contained 'the very substance of Āz', Zurvān divests himself of the evil that was always with him, and allows it to destroy itself.

Thus our analysis of the *Dēnkart* texts in which Āz and Varan appear has enabled us to establish that Āz is on the one hand concupiscence comprising greed and lust, and on the other the sin of the intellect, called by the Zoroastrians 'self-will' or 'wrong-mindedness'. Translated into Christian terms it would be called intellectual pride. The resemblance to the Manichaean Āz is striking, and the ἄτακτος κίνησις of Alexander of Lycopolis would seem to be an equally apt description of both.

Our knowledge of this demon is supplemented by Zātspram (l.c.). Here, in the final battle in the last days, Āz figures as the adversary of Srōš, defined as *patmān*, 'the Mean': she herself is 'excess and deficiency'. The Mean, in other contexts called 'Order' (*dātastān* and *rāδēnītārīh*) represents the divine scheme of things as it should be. Zurvān himself is the genius of Order[4] and the god of justice.[5] Āz is the genius of disorder. It is therefore fitting that the final overthrow of Āz should be attributed by the *Mēnōk* to Zurvān, Mihr, the genius of Order (*mēnōk i dātastān*), and Fate;[6]

'dēvān 'hastīh, 'vattarīh vāχš [i] 'hast varan-ič.—'The revelation of the Religion concerning the essence of the gods,—the Word of the good, that is wisdom (reason, *χrat*); concerning the essence of the demons, the Word of evil, that is Varan.'

[1] Ibid. 117. 11: *āsn-χrat 'ut-aš karpān hunarān Vahuman Spēnāk Mēnōk zahak . . . 'ut mūtak varan ⟨'ut⟩ karpān āhōkān i mūtak varan Akōman Ganāk Mēnōk hunušak.*—'Innate reason and its forms and virtues are the offspring of Vahuman and the Bounteous Spirit. . . . Varan, the ruinous, and its forms and vices are the abortions of Akōman and the Destructive Spirit.'

[2] See note G, p. 194.

[3] Text Z 5 (*a*), § 44.

[4] Text Z 13: 'Time which is the eternity of Ohrmazd, for it is the genius of order (right ordering).'

[5] *Supra*, pp. 58 ff.

[6] Text Z 8, § 10.

for hers is an onslaught on the order of the Universe, and it is the tetrad of cosmic order that is her natural enemy. We shall have more to say on this subject when we come to deal with the concepts of 'the Mean' and cosmic order (*dātastān*).

Zātspram's account of the last things differs so sharply from the other accounts found in the Pahlavī books in the enormous importance he attaches to Āz that we are, I think, justified in claiming it as an almost purely Zervanite account.

When first creation began to move, Zurvān gave Ahriman that baleful garment which had 'the very substance of Āz'. Ahriman then, with little foresight, made Āz the captain of the commanders of his hosts. Meanwhile the power of Āz manifested itself in three ways:[1]

(i) First it showed itself in man's need to eat food 'on which life depends': this need was subdivided into hunger and thirst.

(ii) Secondly in man's desire for sexual union, Varan, that 'through which, by a glance outwards, the inwards are excited and the natural functions of the body thrown into turmoil': this again was subdivided into the desire to emit and the desire to receive, referring obviously to the male and female sexual instincts.

(iii) Thirdly in man's 'yearning for whatever good thing he sees or hears': this last was subdivided into robbery and avarice.

These three categories are called in Pahlavī *čihrīk*, *bē čihrīk*, and *bērōn hač čihr*. All three are therefore concerned with *čihr*, nature, the material world, and not with the spiritual or intellectual. This is not surprising, since Zurvān himself had become embodied in the material cosmos, and Āz, one may deduce, directed her energies principally against him. Zātspram knows nothing of the conflict between reason and Varan which may be both Mazdean and Zervanite. He is concerned with the material universe and its deliverance from the demon of concupiscence, simply conceived and unembellished by theology.

The whole passage, figuring, as it does, in a Zoroastrian text, is quite astonishing. Of all religions Zoroastrianism was probably the most averse to asceticism, nor had it any Manichaean notions about matter being evil. Moreover, Zātspram himself describes Āz as the demon of excess and deficiency: yet he defines the functions of Āz as (i) eating and drinking, (ii) sexual relations, and (iii) the desire to own good things. Seemingly, then, it is not the vices of excess and deficiency inherent in these three activities that make up concupiscence, namely gluttony, lust, and avarice,

[1] Text Z 5 (*a*), § 36 ff.

but the activities themselves. It could, of course, be argued that since Āz is already by definition excess and deficiency, excess and deficiency in these three activities are implied and condemned. But the sequel is against such a supposition, and Zātspram is best left to speak for himself.

At the end Artvahišt will come to earth with the powerful help of Airyaman, the Messenger, to find a means of overcoming Āz, and he will show to creatures that the slaughter of the divers kinds of cattle is a grievous sin and that the profit therefrom is small: and this will he command, 'Ye are men; slaughter not the cattle even as hitherto ye have slaughtered them.' When the time of the rehabilitation shall draw nigh, those who hearken to the command of Artvahišt will turn from the slaughter of cattle and the eating of flesh, and one quarter of the power of Āz will dwindle, and the strength that is in her body will be destroyed, and the darkness and gloom will be smitten in part: nature will be clad in spirit, and intelligences will be more clearly grasped. . . . Instructed by the gods they will turn away from the drinking of milk; half the power of Āz will dwindle. And those who are born to them will be sweet-smelling, lacking darkness, spiritual in nature, without offspring, *for they will not eat.*[1]

Here the slaughter of cattle and by corollary the eating of meat is roundly condemned as a 'grievous sin'.[2] The practice is abandoned and later eating of any sort ceases: the result is that 'nature is clad in spirit' (*mēnōk*). Āz, the demon of concupiscence, is in some way identified with the eater; for when the eater ceases to eat, she is forced to turn to Ahriman and extort from him his leave to devour the demons. Thus the evil creation is destroyed by the inner contradictions existing within itself.

The doctrine that the eating of food and man's dependence on physical sustenance represents a fall from a pristine state of perfection is not quite isolated in the Pahlavī texts. In the legend of Mašyē and Mašyānē, the first man and woman, preserved in the *Bundahišn* among other sources, their first consumption of food seems to have been regarded as a grievous sin. After they have emerged from the rhubarb stalk, in which shape they had grown from the seed of Gayōmart, Ohrmazd says to them:[3]

'Ye are men, the father (and mother) of the world: do ye your works in accordance with righteous order (*dātastān*) and a perfect mind. Think, speak, and do what is good. Worship not the demons.' Thus did the twain first think when each considered the other, 'He is a human being'. The first deed that they performed was that they moved and blinked their eyes.[4] And the first thing they said was this: 'Ohrmazd created water, the earth, plants, cattle, the stars, the Moon and the Sun, and all fertile things', which in the righteous revelation are called

[1] Text Z 5 (*a*), §§ 38–41.

[2] It is interesting that the Mazdakites also abstained from meat. v. Christensen, *L'Iran sous les Sassanides*, 2nd ed., p. 342; id. *Le Règne du roi Kawādh*, p. 79.

[3] See note H, p. 194.

[4] See note I, p. 195.

root and fruit. Then the Aggressor assailed their mind and corrupted it: and they cried out:[1] 'The Destructive Spirit created water, the earth, plants, and other things.' When they pronounced this first lie which ruined them, they spoke in accordance with the will of the demons. This first joy did the Destructive Spirit (steal) from them (and) make his own. For this lie both were damned; and their souls (shall remain) in hell till the Last Body.

For thirty days they refrained[2] from food and clothed themselves with grass. After thirty days in the wilderness they came upon a white-haired goat, and they sucked the milk of its udders. And when they had drunk the milk, Mašyē said to Mašyane: 'I had greater joy when I had not drunk the milk than I have now when I have drunk it: my body is ill.'[3] This was their second lie; and the demons obtained strength (thereby).

It is well to bear in mind that 'lie' in Zoroastrian parlance is almost the equivalent of 'sin' in religions of Semitic origin. The first sin of the first human couple was, then, a sin against the intellect, the sin of wrong thinking, that is the sin of Varan. However we interpret the words of Mašyē, the meaning of the second sin seems plain enough. The first couple drank milk, and the demons were strengthened thereby: *ergo*, the drinking of milk itself was sinful.

The account of the last things in Zātspram fully confirms this. In the beginning man falls from his pristine purity by drinking milk: he then goes on to eating meat.[4] The latter action is worse than the first, but the first was already bad enough. Similarly in the last days he first gives up the eating of meat and then gives up eating altogether. This is the prelude to the final triumph of good, since it forces Āz to devour the evil creation.

Interpreting the *Bundahišn* by the *Dēnkart* theology, we can now see that man sinned first in the intellect (*χrat*): he denied God (Ohrmazd) as creator. Secondly he sinned in the flesh (*čihr*), he ate.[5] From this it can only be concluded that man was created such that he had no need of food: eating, then, is a sin against *čihr*, the material world which is the body of Zurvān.

Similarly in the last days man wipes out his 'natural' sin by ceasing to eat. Zātspram, however, does not say how the sin of the intellect was atoned for. This can be dimly inferred from the last words of his chapter dealing with the last things. After describing the appearance of an apocalyptic fiery horseman in the atmosphere, he adds, as if inconsequently, 'And they

[1] This seems better than 'He cried to them'.

[2] This must be the sense of *'věčišn*: cf. Andreas–Barr, *Bruchstücke einer Pehlevi-Übersetzung der Psalmen*, Berlin, 1933, p. 52.

[3] The sense of the whole passage in 'inverted commas' is somewhat uncertain.

[4] GrBd. 103 continues the story of how man next slaughtered a sheep and ate it.

[5] For the sinfulness of eating in the Manichaean system see H. C. Puech, *Le Manichéisme*, p. 90 and no. 386, where a full list of the relevant texts is given.

shall be freed from doubt'. This surely must mean that creation is finally and definitively delivered from Āz in both her aspects—from food which enslaves man to her in nature, and from doubt which makes him hers in spirit.

One additional small point should be stressed before we leave the subject of the sinfulness of eating. In the Manichaean tradition Āz is represented as having mingled herself with the plants and animals.[1] It is possible that the Zervanites too had some such notion: this would explain why the eating of food must be wicked.

The case is similar in the matter of sexual relations. Here again it is not the excess that is condemned, but the indulgence in sexual intercourse as such. This is a natural enough corollary to the doctrine of the original sinfulness of eating. Food is essential for the maintenance of the life of the individual: man's first parents sinned by taking food. Similarly the union of the sexes is the prerequisite for the propagation of life.[2] If, then, Mašyē did wrong in taking food for the preservation of his own life, he obviously did wrong in uniting with Mašyānē to prolong the life of the species. It is possible that the first human couple may have felt this themselves, for when Mašyānē produced her first two children she devoured one and Mašyē the other.[3] The episode, however, again brings to mind the Manichaean myth in which it is Āz herself who devours the abortions of the demons.[4] The conduct of the first human couple should therefore probably be ascribed to a perverted recrudescence of their concupiscence.

Quite as surprising as the condemnation of eating and the sexual act is that of the third activity ascribed to Āz by Zātspram—'the yearning for whatever good thing one sees or hears'. This 'yearning' is oddly subdivided into 'hoarding by robbery and refusing to give through avarice'. These, however, are not properly subdivisions at all but the results of the 'yearning'. Thus we find not only eating and the sexual act condemned, but also the desire to have. Here again no distinction appears to be made between the excess and the mean, since yearning for any good thing is specifically stigmatized. In this the Zervanite would appear even to surpass the Manichee.

Further light is thrown on this idea by passages in other Pahlavī books.

[1] v. Andreas–Henning, *MirMan.* i, p. 9.

[2] It seems almost superfluous to stress the closeness of these views to the Manichaean. For the latter, conveniently summarized with the fullest possible list of references, v. Puech, op. laud., especially pp. 88 and 186, no. 372.

[3] GrBd. 105. 9: *'hač 'avēšān zāt 'pat 9 'māh yuχt-ē 'zan 'ut 'mart. 'hač šīrēnīh frazand ēvak mātar žūt ēvak 'pitar.*—'After nine months twins were born to them, a girl and a boy. Because of their sweetness the mother devoured one and the father the other.'

[4] Andreas–Henning, *MirMan.* i, p. 22.

The *Mēnōk i χrat* says that it is Āz, conceived of as discontent, that causes man to forget the transitory nature of the things of this world, the death of the body, the judgement of the soul, and the fear of hell.[1] Similarly according to the *Dēnkart* 'concupiscence and yearning enter the body of a man secretly (*pat mēnōk*) and show him the desire of earthly goods. Then the best remedy is this, that the man show himself the transitory nature of the body and of earthly goods, and think thus, "Whence did I receive (this) store? But what shall I do then, since soon it must be left behind? Henceforth I shall receive nothing; for so long as I take pleasure in it from outside, I do not attain to it." For it is much easier not to receive earthly goods than to leave them.'[2]

Zātspram's disquisition on the demon of concupiscence stands in such sharp contrast to the main body of Zoroastrian doctrine preserved in the Avesta, Pahlavī books, and later tradition that we are driven to the conclusion that he is retailing a genuine Zervanite teaching. This is further borne out by the important role he assigns to Zurvān in his scheme of things and by his elevation of the demon Āz to an almost Manichaean eminence.

The divergence between the Mazdean and Zervanite mythologies has long intrigued the curious. Hitherto, however, no evidence had been published to illustrate the difference of the two points of view in the sphere of *Weltanschauung* and morals. Zātspram fills the gap.

About the Mazdean view there is no doubt at all. For them the material world was the handiwork of Ohrmazd. True, Ahriman had invaded that world, contaminated it, and introduced creatures of his own, but nevertheless it remained fundamentally good. Eating, drinking, and the propagation of the human race were regarded as natural, legitimate, and healthful activities. Ahriman, indeed, was regarded by Mānuščihr, the author of the *Dātastān i Dēnīk* and brother of Zātspram, as being essentially a spirit with no material function.[3] Ohrmazd, on the other hand, was not only the creator of the material world but is himself described as both spiritual and material.[4] Matter was therefore good and its enjoyment both permissible and desirable. Nietzsche's 'Ja-sagen zum Leben' would apply as much to the orthodox Mazdeans as to the Zarathuschtra of his own imagining.

Contrast this with the Zervanite view as propounded by Zātspram. The

[1] See note J, p. 195.

[2] DkM. 515. 3: *'mart 'pat mēnōk [i] Āz ārzōk 'ō tan 'rasēt, 'ut-aš 'hēr i gētēh kāmak nimāyēt. 'aδak čārak 'ēn apērtar 'kaδ 'mart frasāvandīh ⟨i⟩ tan ⟨'ut⟩ 'hēr i gētēh 'ō 'χᵛēš nimāyēt, 'ēn mēnēt 'ku *hanbār 'ku-m 'graft? 'bē 'čē 'kunam 'kaδ zūt 'bē 'hištan apāyēt. 'hač 'nūn frāč 'nē 'gīram 'ku-m 'tāk dōšāramīh i 'hač 'bē 'ēstēnd ov-iš 'nē *'rasam; 'čē 'hēr i gētēh 'nē 'graft 'vas χᵛārtar 'ku 'bē 'hištan.*

[3] Dd. 18. 2: *Ahriman rāδ guft 'ēstēt 'ku-š gētēh 'nēst.*—'Of Ahriman it is said that he has no *gētēh*.'

[4] v. text Z 1, § 32 and ff.

root of all evil is concupiscence; but concupiscence is not conceived as the abuse of a natural function as Christianity teaches: it is the very use of that function. We must then suppose either that man was intended by the deity to live in a material body as if he were a non-material entity and that he sinned of his own free will, or that he was doomed to imprisonment in the flesh by the necessity of keeping the body alive and to propagate his species by the urgency of his sexual desire. The second alternative is likely to be the true one, since the overwhelming importance attached to fate is so characteristic a feature of Zervanism that it has never failed to attract the attention of interested scholars. The life of man imprisoned in the body would, then, merely reflect the life of the Infinite God imprisoned in the finite Cosmos: the Cosmos rules man, and both are destined for ultimate release, the god at the end of twelve thousand years, man at death. Āz, as hunger, is present in all material things and can only be expelled at the end of the allotted time when 'nature is clad in spirit'[1] and men cease to eat or to reproduce.

What practical consequences the Zervanites drew from these premisses it is impossible to say; for it is a curious fact that the great religions which have preached predestination, so far from producing an indolent type—at least in their early stages—turn out a peculiarly obnoxious and aggressively intolerant product. Whether this was ever true of Zervanism must remain doubtful. The indications are rather that it was a religion which, since it regarded desire as the basic evil, recommended detachment as the panacea. The Pahlavī *handarz* literature (collections of pious sayings), which so insistently urges men to turn from the material world and to concentrate on the spiritual,—a view which reappears so frequently in the earlier Muhammadan Persian writing,—probably belongs to Zervanism. This strain of philosophical resignation is most apparent in the *Mēnōk i χrat*, which is known to be semi-Zervanite in tendency. 'Do not cultivate the world overmuch', we read, 'for he who cultivates the world does harm to the spirit.'[2] And again: 'The good things of the world are like a cloud that comes on a freezing day and does not linger on any mountain-top.'[3] These admonitions are clearly based on the doctrine mentioned by Zātspram that 'yearning for whatever good thing one sees or hears' is the third of the manifestations of Āz. It is reasonable to suppose that some Zervanites at least endeavoured to avoid the second manifestation, sexual desire, and to cut out as far as possible the first, the taking of food.

[1] Text Z 5 (*a*), § 39.

[2] Mχ. 2. 66: *'vas gētēh-ārāδ 'mā 'bāš, 'čē gētēh-ārāδ mart mēnōk-višōβ 'bavēt.*

[3] Ibid. 2. 65: *nēvakīh i gētēh ētōn humānāk čēγōn aβr i 'pat aβsārān 'rōč 'āyēt 'kē 'pat hēč kōf 'apāč 'nē 'pāyēt.*

Thus we may legitimately infer that Zervanism represented an ascetic wing within the Zoroastrian Church. Contentment (*χᵛarsandīh*) is the virtue opposed to concupiscence, and the ideal man should then desire nothing at all. Nobody except a madman, however, practises asceticism for its own sake. The Christian schools his body in subjection to his soul to open wide the doors of grace: the Manichee fasts and abstains from sexual intercourse in order to release the particles of light that are imprisoned in matter. The Zervanite, however, would fast, practise chastity, and 'give up the world' in order to eliminate concupiscence, the basic evil, as far as possible from his own person. In this he would simply be imitating the trend of the Cosmos itself. For the Cosmos is the body of Zurvān—and since this chapter closes the cosmological section of this work, it is well and, we are rash enough to hope, not entirely superfluous to recapitulate the cosmic drama in the light of the evidence we have pieced together so far.

Zurvān is the Infinite God—Infinite Time and Infinite Space—neither light nor darkness, neither good nor evil. He desires to have a son who should be the creator, but doubts whether this can be. From these mental conditions Ohrmazd and Ahriman arise. Ohrmazd fashions the universe from the substance of Zurvān, yet Ahriman is made king of the material world while Ohrmazd holds sway above. Zurvān thus becomes imprisoned in the body of the Cosmos which is ruled by the twelve Signs of the Zodiac and which will last for twelve thousand years. This is the battleground between the two spirits. The first of these had proceeded from the great God's wisdom, the second from his desire and doubt (Āz-Varan): they are not, however, identical with these. Zurvān arms Ohrmazd with his wisdom and Ahriman with his desire and doubt. He knows that the latter will cause havoc in his own body which is the Cosmos, but he also knows that as the cosmic body moves back towards the spirit, Āz *qua* concupiscence will be powerless against it: she will turn upon the demons and devour them.

Ēšm (Wrath) and Āz say to the Destructive Spirit: 'O thou Destructive Spirit of evil knowledge, I shall swallow thee, for (all) creation has been taken away save thee, and there is neither treasure nor army, and I cannot live.' First Āz, the demon-created, swallows Ēšm of the bloody spear, and second the demon-created Winter, and third Bane that moves in secret, and fourth she swallows Old Age whose breath is foul, so that none remain save the Destructive Spirit and Āz, the demon-created. Āz, the demon-created, says to the Destructive Spirit, 'I will swallow thee, O thou of evil knowledge, for the gods have taken away (all) creation save thee.' The Destructive Spirit rises up and goes towards the Bounteous Spirit, and cries out thus: 'I created this creation, and Āz, the demon-created, who has swallowed my creation, now desires to swallow me: I make thee judge over us.' Ohrmazd arises with Srōš, the Blessed, and Srōš, the Blessed, smites

Āz, and Ohrmazd the Destructive Spirit.[1] With all the foul(?) darkness and misery which he brought into (the world) when he first rushed in, he is thrown out of the sky through the hole by which he rushed in: and at that hole he is laid low and made unconscious so that he will (never) again arise from that low estate. There have been some who have said that he will be forever powerless and, as it were, slain,[2] and that henceforth neither the Destructive Spirit nor his creation will exist.[3]

So with Ahriman and his legions overthrown and concupiscence destroyed the Great God becomes what he had never been before—good. The original flaw in the divine nature is eliminated and the Cosmos, his body, dissolves into himself, which is the Infinite.

Such, baldly, seems to be the cosmological framework of this strangest of religions which sought to solve the problem of evil by placing it in the very heart of God.

II. WOMAN, THE SEDUCTRESS OF MAN

After examining the activities of the demon Āz, an association of ideas leads us naturally to another demon of desire—J̌ēh. Like Āz she makes a dramatic and apparently inexplicable appearance in the *Selections of Zātspram*[4] and again figures in the vivid prelude of the fourth chapter of the *Bundahišn*,[5] from which she as dramatically fades out. Her name is J̌ēh, and she is the demon Whore. The word derives from the Avestan *ǰahī-*[6] commonly used to mean a prostitute. It is also used to mean a woman of Ahriman's creation, and its original sense would appear to be simply 'woman'. A clear parallel to the *Bundahišn* text is found in the Syriac writer, Theodore bar Kônai.[7] This has already been expertly analysed by Professor Benveniste in MO. xxvi, pp. 170–215. The supplementary evidence that can now be supplied from the *Bundahišn* and Zātspram happily supports the conclusions he had already arrived at.

We saw in an earlier chapter that Ohrmazd's recitation of the *Ahunvar* prayer had the effect of laying Ahriman low for three thousand years.[8] In the fourth chapter of the *Bundahišn*, however, his continuance in this abject state is attributed to the creation of Gayōmart, the Righteous, Just,

[1] The destruction of Ahriman and Āz is accomplished by a sacrifice performed by Ohrmazd and Srōš according to GrBd. 227. 8 (v. Chapter V, p. 120, n. 2).

[2] So Zn. 17. 16 (Messina): *Ahriman pat bērōn i āsmān bē *kašēnd, hač-iš sar bē brīnēnd.*—'They drag Ahriman outside the sky and cut off his head.'

[3] Text Z 5 (*b*).

[4] Text Z 5 (*a*), §§ 30–31.

[5] Text Z 6.

[6] It is tempting to connect this word with NP. *zahīdan*, MP. *zahak* 'offspring', &c.; but one would expect to find MP. forms showing an initial *ž*.

[7] Text F 10.

[8] *Supra*, p. 95.

or Blessed Man (*mart i ahrov*), from whose seed the human race was to proceed. The demons, exasperated at the torpor of their captain, sought to encourage him: they retailed in detail the evil they could do, 'but the accursed Destructive Spirit was not comforted, nor did he arise from his fallen estate for fear of the Blessed Man'. It was not until J̌ēh intervened that he revived and was able to deliver his furious and triumphantly successful onslaught on the powers of good. For J̌ēh, 'the accursed Whore, came after three thousand years had run their course; and she cried out to the Destructive Spirit (saying), "Arise, O our father, for I would join battle in the material world that Ohrmazd and the Amahraspands may suffer straitness and misery thereby".' But again Ahriman was not comforted. Then she cried out a second time and said

'Arise, O our father, for in that battle I shall let loose so much affliction on the Blessed Man and the toiling Bull that, because of my deeds, they will not be fit to live: and I shall destroy their dignity ($\chi^{v}arr$): I shall afflict the water; I shall afflict the plants; I shall afflict the fire of Ohrmazd; I shall afflict all the creation of Ohrmazd.' And she related her evil deeds so minutely that the Destructive Spirit was comforted, and leapt forth from his fallen state and kissed the head of the Whore; and the pollution which they call menstruation appeared on the Whore. He cried out unto the Whore, (saying), 'Whatsoever is thy desire, do thou ask, that I may give it thee'. Then Ohrmazd in his omniscient wisdom knew that at that time the Destructive Spirit could give whatever the demon Whore asked, and that there would be great profit to him thereby. (The appearance of the body of the Destructive Spirit was in the form of a frog.) And he (*sc.* Ohrmazd) showed one like unto a young man of fifteen years of age to the demon Whore; and the demon Whore fastened her thoughts on him. And the demon Whore cried out to the Destructive Spirit, (saying), 'Give me desire for man that I may seat him in the house as my lord'. And the Destructive Spirit cried unto her, (saying), 'I do not bid thee ask anything, for thou knowest (only) to ask for what is profitless and bad'. But the time had passed when he had not been able to give what she asked.[1]

So much do we learn from the *Bundahišn*. Let us now see what Theodore has to say about the same myth:

Lorsqu'Ormazd eut donné des femmes aux justes, elles s'enfuirent et se rendirent auprès de Satan; lorsqu'Ormazd procura aux justes le calme et le bonheur, Satan procura aussi le bonheur aux femmes. Satan ayant permis aux femmes de demander ce qu'elles voudraient, Ormazd eut peur qu'elles ne demandassent à avoir des rapports avec les justes et qu'il n'en résultât pour eux un châtiment. Il chercha un expédient et fit le dieu Narsa, personnage de *quinze ans. Il le mit tout nu derrière Satan pour que les femmes le vissent, le désirassent et le demandassent: 'Satan, notre père, donne nous le dieu Narsa en présent.'

[1] Text Z 6.

There can be no reasonable doubt that Theodore is faithfully repeating a version of the same myth from which the *Bundahišn* account is derived. The correspondences are obvious. It is better to concentrate on the discrepancies.

(i) First, in the *Bundahišn* (B.) the protagonist is J̌ēh, the Whore: in Theodore (T.) woman who, created by Ohrmazd and destined for man, had fled to Ahriman.

(ii) In B. Ohrmazd knows only that Ahriman could give whatever J̌ēh asked and that Ahriman would be profited thereby. In T. Ohrmazd fears that woman may demand intercourse with 'les justes' and that the latter would be punished.

(iii) In B. Ohrmazd exhibits 'one like a young man of fifteen years of age' to the demon Whore. In T. he creates the god Narsa and exhibits him naked behind Ahriman in order to excite the desire of woman.

(iv) In B. the Whore asks for the desire of man 'that she might seat him in the house as her lord'. This request Ahriman had to grant. In T. woman asks specifically for the god Narsa.

We have seen that Theodore bar Kônai knew Zoroastrianism in its Zervanite rather than its Mazdean form. It is then likely that he has preserved the true Zervanite legend where the *Bundahišn* may have emended. Thus in discrepancy (i) Theodore has almost certainly preserved the authentic tradition. Woman, although created by Ohrmazd, deserts to the camp of Ahriman. In (ii) and (iii) the accounts combined will give the full version: Ohrmazd knows that woman will demand intercourse with the Righteous (or Blessed) Man (Gayōmart—rendered by Theodore as 'les justes'), and that the latter will suffer and Ahriman profit thereby. Thus he sends the god Narsē to excite woman, presumably to distract her attention from the Righteous Man. It is, however, the fourth discrepancy that is important. In Theodore woman asks specifically for the god Narsē: in the *Bundahišn* she asks for the 'desire of man', meaning presumably Gayōmart, the 'Righteous Man', since the *Bundahišn* mentions neither Narsē nor any other male person. What Ohrmazd exhibits to her is something 'like a young man of fifteen years of age', presumably a phantasm.

Theodore's introduction of the god Narsē requires explanation. Narsē (Narsa) in Pahlavī is Nēryōsang, and he is mentioned as having received two-thirds of the seed of Gayōmart when he died.[1] This, however, does not explain why Narsē appears in this passage. The Manichees, however,

[1] GrBd. 100. 15: *'ut-aš 2 bahr Nēryō⟨sa⟩ng nikās dāšt.*

had adopted this myth into their own system: this too has been preserved by Theodore bar Kônai and has been exhaustively discussed by Cumont.[1] The myth is also referred to in the Middle Persian Turfān fragment T III. 260.[2] It is not our intention to enter into this much discussed question, but only to introduce this Manichaean version in order to see what light, if any, it throws on the Zervanite myth. For the interpretation of the Manichaean ideas we would refer the reader to more competent authorities.[3]

The myth which has come to be known as the Seduction of the Archons tells us the following:

When the ships (i.e. the Sun and Moon) went up and reached the middle of the heaven, the Messenger then revealed his forms, male and female, and was seen by all the Archons, the sons of darkness, male and female. And at the sight of the Messenger who was beautiful in his forms, all the Archons became filled with lust for him, the males for the form of the female, and the females for the form of the male, and in their lust they began to emit that light which they had swallowed from the Five Luminous Gods. And then the sin which was shut up in them mixed itself like hair in the dough[4] with the light which came out from the Archons. They desired to go in, but then the Messenger concealed his forms and severed the light of the Five Luminous Gods from the sin that was with them.[5]

The object of this grotesque episode in the borrowed myth is purely Manichaean. The Messenger, by exciting the demons, causes them to emit some of the particles of light which they had absorbed. This light they had swallowed when they defeated the Primal Man (πρῶτος ἄνθρωπος). The Messenger or *Tertius Legatus* is the principal deity of the third emanation in the Manichaean system. In the Middle Persian Manichaean texts he is called Narisah, which is of course an earlier form of Narsē and corresponds exactly to the Narsa of Theodore's account of the Zoroastrian myth. In the *Bundahišn* Narsē (called in Pahlavī by his Avestan name *Nēryōsang* (*Nairyō-saŋha-*)) is also described as the 'Messenger of the Gods'.[6] It is therefore almost certain that Theodore has accurately preserved an authentic Zervanite myth.[7]

[1] *Recherches sur le Manichéisme*, i, pp. 61 ff.

[2] Andreas–Henning, *MirMan.* i.

[3] The best treatment is that of Cumont, l.c. Cf. also Jackson, *Researches in Manichaeism*, pp. 221–54; Schaeder, *Studien zum antiken Synkretismus*, pp. 342–7; Puech, *Le Manichéisme*, p. 172, no. 324.

[4] Following the translation suggested to Jackson by Yohannan (Jackson, op. cit., p. 245). The same figure occurs in ŠnV. i. 57. 451:

zi gāh ī buzurgī ču mūy az χamīr
birūn āmadī, mihtarā : čāreh gīr.

[5] Pognon, *Inscriptions mandaïtes des coupes de Khouabir*, p. 129 (text), p. 190 (translation); Cumont, op. laud., p. 38; Jackson, op. cit., pp. 244 ff.; Schaeder, op. cit., p. 345. Translation after Jackson.

[6] GrBd. 177. 8: *Nēryō(k)sang patγāk i yazdān.*

[7] Schaeder ('Der iranische Zeitgott und sein Mythos', ZDMG. 1941, p. 292) considers that the author of the Zoroastrian myth was copying from the Manichaean. This is wholly improbable.

This hypothesis is rendered doubly assured when we again turn to Zātspram's thirty-fourth chapter. There (§ 38) we read that in the last days 'Artvahišt will come to earth with the powerful help of Airyaman, the *Messenger*, to find a means of overcoming Āz'. He it is who will show man the sinfulness of slaughtering cattle. It is possible, therefore, that one of the divine messengers is sent to Gayōmart, the origin of the human race, to protect him against the attack of J̌ēh, who is only too obviously a creature of concupiscence. The second messenger is sent at the last to deliver man finally from the toils of concupiscence itself. Before offering a fuller interpretation of the Zervanite myth, however, we must pause to consider further evidence that J̌ēh is simply Woman in Zervanite terminology.

An anonymous Syriac text[1] has preserved a hotchpotch of Zervanite doctrine most of which, however, is attested elsewhere. The passage with which we are at present concerned runs as follows:

> Il [i.e. Zoroastre] partage les choses créées entre ces deux (Hormezd et Ahremēd) en disant: la lumière appartient à Hormezd, les ténèbres appartiennent à Ahremēd; la vie appartient à Hormezd, la mort à Ahremēd; la santé et la richesse appartiennent à Hormezd, la maladie et la pauvreté à Ahremēd. Sur le même modèle les êtres vivants sont assignés, les uns à Hormezd et les autres à Ahremēd. C'est ainsi qu'il attribue les hommes et les grands animaux à Hormezd, mais les serpents, les scorpions, les cousins, les poux, les mouches et tous les reptiles de la terre à Ahremēd. De tout cela on peut inférer clairement qu'il suppose des séries de divinités mâles et femelles.

The reasoning is far from clear. The author enumerates the possessions of Ohrmazd and Ahriman, and his categories have the true Zoroastrian flavour. His last sentence, however, seems the most astonishing *non sequitur*: 'De tout cela on peut inférer qu'il suppose des séries de divinités mâles et femelles.' What can the man mean?

There is not a word in all that goes before that gives even the vaguest hint that Zoroaster posited series of male and female deities. Goddesses, in fact, are extremely few and far between in the Zoroastrian pantheon. To my mind the only possible sense that can be dragged out of this passage is that creation is divided between Ohrmazd and Ahriman; good belongs to Ohrmazd, evil to Ahriman. Similarly creation is divided between male and female; the male belongs to Ohrmazd, the female to Ahriman. It is quite true that this is not what the text says, and that as it stands the last sentence is capriciously inconsequent. I would therefore prefer to stress the equation J̌ēh (*Bundahišn*) = Woman (Theodore) as sound evidence for a Zervanite belief that woman—or at least Primal Woman as against

[1] Text F 9.

Primal Man—belongs to the evil creation; and refer the reader to Chapter III, pp. 72 ff., where further evidence for the perversity of the female element was presented and analysed.

Benveniste concluded in his analysis of the Theodore bar Kônai text that woman originally belonged to the Ahrimanian creation in the Zervanite scheme of things. From all the evidence this seems a fair inference. The intermediate position, namely that the female element water[1] and woman herself deserted Ohrmazd for Ahriman, is, however, alone attested in the Syriac sources. Only Hippolytus gives the extreme position which equates the male principle with light and the female with darkness.[2]

While granting that the identification of the female element with darkness and therefore with evil was probably held by some Zervanites—and the female sex of Āz, if proven, would greatly strengthen this theory—the better attested position remains that the female element as well as the male was fashioned by Ohrmazd, but through what appears to be an innate perversity deserted to the camp of Ahriman.[3] The temptation to identify Āz with the female principle is overwhelmingly strong, but should be resisted.

There is moreover a further passage in the *Bundahišn*, from its contents probably Zervanite in origin, which fully establishes the fact that some Zoroastrians at least considered woman to be essentially perverse. Ohrmazd is soliloquizing at the time of his creation of woman, and this is what he says:

> I created thee, thou whose adversary is the whore species, and thou wast created with a mouth close to thy buttocks, and coition seems to thee even as the taste of the sweetest food to the mouth; and thou art a helper to me, for from thee is man born, but thou dost grieve me who am Ohrmazd. But had I found another vessel from which to make man, never would I have created thee, whose adversary is the whore species. But I sought in the waters and in the earth, in plants and cattle, in the highest mountains and deep valleys, but I did not find a vessel from which righteous man might proceed except woman whose adversary is the whore.[4]

This episode may be characterized as Zervanite on four grounds: (i) Ohrmazd shows an ineptitude that is quite out of keeping with his Mazdean character of omnipotence and is strongly reminiscent of his inability to create the luminaries without diabolic assistance; (ii) he displays a misogynism unnatural, one would think, in one who is himself the creator of woman; (iii) the only use he can see in woman is that she produces man;

[1] Text F 5, i; cf. *supra*, p. 74.

[2] Text G 3; cf. p. 72.

[3] This desertion of woman to Ahriman is to some extent balanced by Mahmi's desertion to Ohrmazd (*supra*, pp. 147 ff.).

[4] See note K, p. 195.

and finally (iv) he implies a condemnation of the sexual act which is anything but Mazdean.

His perpetual repetition of the phrase 'woman whose adversary is the whore species' seems pointed, and his description of woman is exceptionally offensive and degrading. Between her and 'her adversary the whore species' her creator seems to see little difference. The latter-day scholar may, then, be forgiven if he regards the two as identical. Ohrmazd's address seems to be inconsistent with the normal Zoroastrian view of marital union and in sharp contrast to the passage from the Pahlavī *Rivāyat* already quoted where Ohrmazd and his daughter-wife Spandarmat are described as fondly embracing each other, thus giving divine sanction to sexual union (in this case incestuous).[1] Thus it appears almost certain that the demon J̌ēh represents the first woman and that Theodore bar Kônai's account is substantially correct.

What is very remarkable in both the accounts of the *Bundahišn* and Theodore bar Kônai is the abruptness with which they end. In the one case J̌ēh asks for the desire of man, in the other for the god Narsē: and that, apparently, is that. We have seen that in the Manichaean myth of the Seduction of the Archons, which appears to have been borrowed from this same Zervanite source, the result of the apparition of the 'Messenger' is the liberation of the particles of light from the bodies of the demons. The *leitmotiv* of the Manichaean cosmology, namely the imprisonment of the light in the ὕλη, seems to be entirely lacking in Zervanism. It is, however, inconceivable that the story should have stopped short with the appearance of the Messenger. The *Bundahišn* keys the reader's attention up for some tremendous and awful event in which J̌ēh would play the leading part. After all the demons have failed to rouse Ahriman from his torpor, it is J̌ēh who whips him into activity by describing how she will 'let loose so much affliction on the Righteous Man and the toiling Bull that . . . they will not be fit to live'. Yet when the onslaught does take place, J̌ēh magically disappears from the scene and is never heard of again.

Her intention, however, is perfectly plain. Excited by the appearance of the form of the fifteen-year-old youth exhibited to her—by Ohrmazd, one presumes, though the text is not absolutely clear on this point—she demands 'desire for man, that I may seat him in the house as my lord'. This, oddly enough, Ahriman is unwilling to give, as his surly reply shows: 'I do not bid thee ask anything, for thou knowest (only) to ask for what is profitless and bad.' Ahriman's reluctance is not altogether surprising since J̌ēh's request, if fulfilled, would mean not only the defilement of man and

[1] *supra*, p. 152.

his permanent entanglement with woman, but also the subjection of Ahrimanian woman to Ohrmazdean man. 'But the time had passed when he had not been able to give what she asked': in other words, he was in no position to refuse her request. The inference is then that J̌ēh was let loose on Gayōmart and presumably did what her species usually does under similar circumstances. The abrupt aposiopesis in the *Bundahišn* and, more surprisingly, in Theodore bar Kônai too seems quite inexplicable unless we are to suppose that both the author of the *Bundahišn* and the author on whom Theodore draws realized suddenly that the shameful story they were about to relate was completely heterodox. Zātspram, however, whose heterodoxy can no longer be seriously doubted, completes the story; but here again there is a lacuna in the vital part of the text.

Zātspram's account runs as follows:

> When Ahriman rushed into creation, he had the brood of the demon Whore of evil religion as his companion even as a man has a whore woman as his bedfellow; for verily the whore is a demon: and he appointed the demon Whore queen of her brood, that is the chief of all the whore demons, the most grievous adversary of the Righteous Man. And (the demon Whore) of evil religion joined herself . . . (lacuna) . . .; for the defilement of females she joined herself to him, that she might defile females; and the females, because they were defiled, might defile the males, and (the males) would turn aside from their proper work.[1]

Whether the essential words have been omitted on purpose by a copyist it is impossible to say: but the denouement of the episode is, even without them, absolutely plain. The concatenation of evidence is as follows:

(i) J̌ēh is the Primal Whore;
(ii) she is the 'most grievous adversary of the Righteous Man';
(iii) she had asked for the 'desire of man' and Ahriman could not refuse her;
(iv) she had intercourse with a person unknown.

Quite obviously the Zervanite myth terminated in the union of the First Man whose holiness was such that his mere existence had kept Ahriman powerless for three thousand years,[2] and the First Woman who alone of the demonic host had been able to rouse Ahriman from his stupor by an account of what she could do to Man.

There are, however, two points that still need clearing up: (*a*) what is meant by the defilement of females in Zātspram's account, and (*b*) what is the role of the likeness of the youth of fifteen years of age identified by Theodore bar Kônai as Narsē?

First, the defilement of females. I can find no convincing explanation for

[1] Text Z 5 (*a*), §§ 30–31.

[2] *Supra*, p. 183.

this. At the stage of the cosmic drama during which the episode occurs J̌ēh herself seems to represent the female sex, and she, having been Ahriman's 'companion', can scarcely have been undefiled. The defilement of females can, then, only mean that woman, being the first to sin by concupiscence, transmits her sin to her female offspring who again by concupiscence defile the males. However, in the *Bundahišn*'s account of the first human couple, Mašyē and Mašyānē, who in the Mazdean account sprang from the seed of Gayōmart,[1] both the woman and the man seem equally perverse and culpable.

Second, the appearance of the form of the youth. Theodore identifies the youth with Narsē, and the same god figures in the Manichaean myth, where his function is plain. In the *Bundahišn*, when the onslaught is finally unleashed, Ohrmazd brought sleep upon Gayōmart in the form of a 'youth of fifteen years of age, shining and tall'.[2] This youthful form would then appear to be the personification of Gayōmart's sleep. Theodore's Narsē, then, may perhaps have been adopted by confusion from the Manichaean myth. In any case it would appear that Ohrmazd, in his anxiety to protect Gayōmart from J̌ēh, displayed the youth in order to distract her attention. The sleep, moreover, shows how Gayōmart could have succumbed without resistance.

There seems to be a further pale reflection of the J̌ēh myth in the *Bundahišn*'s account of Ahriman's assault on Gayōmart and the Bull; for before the demon of death is loosed upon him, Ahriman assails him with Āz and Varan and five other deadly sins.[3] This is perhaps a toning down of the crude Zervanite story.

We saw in the first part of this chapter that gluttony played a far greater part in the concept of the Zervanite Āz than did lust, and that in this the emphasis was different from that in the Manichaean system. This, however, may be due to the fact that J̌ēh to a large extent fulfils this function on behalf of Āz. She overpowers the prototype of Man and thus defiles the human race. The first human couple, then, will in all probability be conceived of as the children of Gayōmart and J̌ēh in the Zervanite tradition, inheriting what is good from the first who is the handiwork of Ohrmazd, and what is evil from the latter who is either a self-willed renegade from good to evil or an evil creature herself. This, of course, is deduction from what seems to me certain—the union of Gayōmart and J̌ēh and the Zervanite condemnation of such union and its natural result.

[1] GrBd. 101. 1 ff.; Justi's translation, p. 19.

[2] Ibid. 44. 5.

[3] Ibid. 43. 10: the other sins are Want, Bane, Pain, Disease (? **yask*), and Sloth (*būšasp*, which also means 'sleep').

According to the Mazdean account Gayōmart's seed fell into the earth (Spandarmat) at the moment of his death. The seed grew up in the rhubarb plant from which Mašyē and Mašyānē, the first human couple (as distinct from Gayōmart, the First Man) emerged.[1] It is possible that both this legend and the story of his union with J̌ēh go back to an identical idea—the marriage of the First Man with the Earth Goddess. It will be recollected that Spandarmat is elsewhere referred to as the 'mother of creation'.[2] If this is so, the only distinction between the Mazdean and Zervanite versions would be that in the latter the female principle is equated with evil.

Thus in the course of our analysis of the admittedly scant data at our disposal we have continually come across an evil power of feminine gender. We recognized it first in the female principle of darkness which, according to Hippolytus, was moist and cold.[3] Again we saw that there was good reason to believe that it was present in the demon Āz—the personification of concupiscence which seemed to play so prominent a part in Zervanite teaching, though not in Mazdean. Finally we have again met it in the figure of J̌ēh, the whore who appears to be nothing else than woman. This threefold evidence can only lead to the conclusion that some Zervanites at least regarded the female principle as basically evil; and we are, therefore, bound to accept the corollary—which was already sufficiently obvious from Zātspram's account of Āz—that the prime function of woman, the propagation of the race, is as evil as the vessel which makes it possible. If this conclusion is justified, it at once becomes apparent that Zervanism is far more akin to Gnosticism than it is to Mazdean orthodoxy. Whereas the Mazdeans knew nothing of such a female principle, the Manichaean Āz who is the 'mother of all the demons'[4] corresponds fairly closely to the Zervanite demon of the same name. The Āz of the eastern Manichees is the *ὕλη* of the West; and this *ὕλη* is *ἡ ἐν ἑκάστῳ τῶν ὄντων ἄτακτος κίνησις*.[5] Similarly the weapon which Zurvān hands to Ahriman is 'like unto fire, blazing, *harassing all creatures*, that hath the very substance of Āz'.[6] It seems, then, a legitimate conclusion that a school of Zervanites existed which, though admitting the basic distinction between the two deities of good and evil, Ohrmazd and Ahriman, nevertheless recognized a yet deeper antagonism between a male principle of order styled variously *dātastān* or *rāδēnītārīh* or *patmān* and a female principle of chaos which is concupiscence.

[1] Ibid., chapter xiv, pp. 100 ff.; IndBd., chapter xv, p. 33 of the text, p. 19 of the translation.

[2] *Supra*, p. 152.

[3] *Supra*, p. 72.

[4] *Supra*, p. 166.

[5] *Supra*, p. 167.

[6] Text Z 5 (*a*), § 35.

NOTES TO CHAPTER VII

A. *čašm-gāh*: 'aware' = Phl. *čašm-kās*<Av. √*kas-* (NP. *ā-gāh* = Phl. *ā-kās*, &c.), cf. Henning, l.c. The meaning is attested Dd. 23. 3: *ruvān . . . 'apar vinās 'i-š kart 'ut kirpak 'i-š kam kart čašm-kās 'bavēt.*—'The soul becomes aware of the sins it has committed and the good deeds it has omitted to do.' Cf. ibid. 24. 3. DkM. 802. 18 has *čašm-ākāsīh* [*sic*] *'i-š 'hač dātār Ōhrmazd 'pat zatan 'i-š ātaχš.*—'The awareness (he received) from Ohrmazd concerning his smiting of the fire.' For *čašm-kās* in Mχ. 2. 115 we should probably read ⟨*a-*⟩*čašm-kās* (so Anklesaria) to correspond with the preceding *a-buržišnīk* and *an-āžarmik*. The *a-* privative would then also be reflected in the Skt. translation *a-darśanīya-*. Translate, 'When I sat in the place of the unaware . . ., &c.'.

B. GrBd. 185. 13: *Āz 'dēv 'ān 'kē 'čiš-ē ōpārēt: 'kaδ niyāzīh rāδ 'čiš *'nē mat 'ēstēt, 'hač tan 'χᵛarēt. 'ān druž*[*īh*] *'hast i 'kaδ-aš hamāk χᵛāstak* ⟨*i*⟩ *gētēh 'bē 'dāt, 'nē *hanbārēt* (so from Zs. 34. 42 *hanburt*), *sēr 'nē 'bavēt.*—'The demon Āz is she who swallows (all) things. When through want nothing comes her way, she pines away. She is that Lie who would not be sated or satisfied though all the goods of the world were given to her.'

'hač tan 'χᵛarēt: for the meaning cf. Niẓāmu'l-Mulk, *Siyāsat Nāmeh*, ed. Khalkhālī, Tehran, A.H. 1310, p. 44: *mā gūšthā va χūnhā-yi χᵛīš ba-khurdīm andar qaḥt yaʿnī lāyur gaštīm.*—'In famine we have eaten our own flesh and blood, that is, we have grown thin.'

C. DkM. 316. 9: *'andar gumēčakīh āmarakānīhā ǰān 'pat tan vīnārišn 'pat* [*tan*] *pattāyišn i čihr 'pat tan: pattāyišn i čihr 'pat tan 'pat 2-čārīh* ⟨*i*⟩ *Āz i čihr 'bavēt; 'ut Āz 'hač* ⟨*dō*⟩*-*čārīh i 'apar čihr 'pat ānāβišn i čihr. 'ut-aš 'apāč dāštār*⟨*i*⟩ *Hurdāt 'ut Amurdāt,—χᵛarišn 'ut χᵛārišn 'hač čihr bandīhēt,—čihr aδyār, Āz hamēstār. 'ut 'kaδ Hurdāt 'ut Amurdāt, χᵛarišn 'ut χᵛārišn, 'hač čihr bandīhēt, čihr 'pat anaδyārīh 'hač Āz-čihr-patišīh ānāβīhēt, 'ut ǰān 'pat tan vīnartan 'nē šāyēt; 'hač avīnārišnīh i ǰān 'pat tan ōšōmandīh 'bavēt i tan.* Cf. further ibid. 379. 5 ff.; 39. 17.

D. DkM. 342. 3 ff.: *aβigatōmand 'martōm gumēχt 'ēstēt ov-iš aβigatīk Āz 'pat marnǰēnītan i 'χᵛarr. 'ut 'dāt 'ēstēt 'hač dātār χrat 'pat pānakīh i 'χᵛarr 'hač Āz. 'ut Āz brātarōt i apāyast. apāyast sahmān-īč. 'tāk apāyast 'pat attān 'ut pātuχšāyīh hanǰāmīhēt, Āz frēh nērōkīhēt. 'ut χrat niyāz vēš 'bavēt* ⟨*'pat*⟩ *pānakīh i 'χᵛarr 'hač Āz. 'kaδ apāyast 'pat pātuχšāyīh 'ut attān hačaδar patmān i nērōk i 'avē 'martōm χrat hanǰāmīhēt, *pattōk 'bavēt 'avē 'martōm χrat 'pat pānakīh i 'χᵛarr 'hač tarvēnītan i 'hač Āz. sūtōmand 'ān pātuχšāyīh 'ut attān 'pat 'ān 'martōm. 'ut 'kaδ apāyast hačapar patmān i nērōk i 'avē 'martōm χrat hanǰāmīhēt, frēh ōžīhēt Āz, 'ut nizōrīhēt 'andar-aš χrat: 'ut 'hač χrat-nizōrīh čust 'χᵛarr 'pat abavandakīh 'i-š pānak, 'ut mastīhēt 'avē 'martōm 'hač frēhbūtīk pātuχšāyīh 'ut attān, 'ut-aš tarvēnīt* ['*ut*] *Āz* ⟨*i*⟩ *'χᵛarr ānāβēt: 'ut-aš ziyānīhēt 'apar-aš 'ān pātuχšāyīh 'ut attān.*

brātarōt: v. BSOS. ix, p. 311. 'First cousin' is perhaps a better translation than 'rival'. The word means 'like a brother'. In passages dealing with ethics it is used to denote a vice which is the caricature of a virtue. Menasce (ŠGV., p. 30) renders 'semblable et apparenté'.

attān: 'wealth' or better 'worldly goods'. The meaning is assured by the following passages:

(*a*) DkM. 916. 2: *tan 'ut attān* corresponding to l.6 of the same page *tan 'ut χᵛāstak.*

(*b*) Ibid. 804. 20: *zīndakīh 'zan 'ut χᵛāstak 'ut apārīk gētēhīk attān.*—'Life, wife, wealth, and other worldly goods.' The word could, of course, be read equally well

as *'T'W*, cf. NP. *tāv* 'strength' which could represent *a(t)tāv* with subsequent loss of the initial *a-*.

E. DkM. 118. 6: *čand āsn-χrat zōr pātuχšāyīh, and 'vēhīh dēn patīrišn 'ut vāβarīkānīh 'ut ravākīh 'ut yazdān pātuχšāyīh, 'vēh masīh, ōβām nēvakīh. 'ut čand mūtak varan zōr vazur⟨g⟩īh[ā], and aγ-dēn patīrišn ravākīh 'ut 'dēvān stahmakīh 'ut 'vattarān masīh 'ut ōβām 'vatīh, 'ut [ravākīh] bar i 'ān 'vēh dēn sūt, 'ut ān i ['ān i] aγ-dēn ziyān i dāmān.*—'As long as innate reason is strong and powerful, so long is the good religion accepted, believed in, and propagated, the gods hold sway, the good is increased, and the times are prosperous. As long as ruinous Varan is strong and great, so long is the evil religion accepted and propagated, the demons are violent, evil men are increased, and the times are bad. The fruit of the good religion is benefit to created things, and that of the evil religion detriment.'

For *mūtak* v. Ghilain, *Essai sur la langue parthe*, p. 82. It translates Av. *mrūra-*, and is glossed *'kē 'čiš tapāh kunēt* 'which ruins things': so coupled with *tapāh* DkM. 340. 19. Ibid. 252. 3 *χēm mūtakīh* is the opposite of *χēm vīrāδišn* (ibid. 251. 15).

F. DkM. 302. 4: *dušākāsīh bun varan.* Ibid. 104. 14: *dānākīh bun āsn-χrat; dušākāsīh [i] bun arās varan.*—'The source of knowledge is innate reason; the source of wrong knowledge is Varan which has no path.' Ibid. 321.8: *'hač-iš χrat-āhangīh āmarakānīhā 'martōm 'ō dānākīh niδvārišn, 'ut 'hač varan-āhangīh 'ō dušākāsīh škarvītakīh.*—'By aiming at wisdom man generally proceeds towards knowledge; by aiming at Varan he lurches into wrong knowledge.' *škarvītakīh* to be read rather than *škravītakīh* (BSOS. ix, p. 314) by analogy with NP. *škarfīdan* 'lurch'.

Cf. further DkM. 142. 12: *hamāk kirpak ⟨i⟩ ov-iš patvand gētēh ['pat] bun 'pat χrat frārōn . . . 'har bazak ⟨i⟩ ov-iš patvand gētēhīk bun 'pat varan apārōn.*—'The worldly origin of all his virtue is derived from reason, the righteous . . ., the worldly origin of all his vice is derived from Varan, the unrighteous.' Cf. also the long passage on reason and Varan DkM. 117. 8 ff.

G. DkM. 244. 12: *'ān i tan i 'martōm 'pat pēšōpāδīh sūt-kar χrat; 'ut 'ān i 'pat pēšōpāδīh ziyān-kar varan. 'ut pēšōpāδ-kar⟨īh⟩ i χrat 'ut varan 'andar tan i martōm χᵛatīh, χrat 'pat hāčišn i 'hač Spēnāk Mēnōk aštak Vahuman, varan 'pat frēβišn 'hač Ganāk Mēnōk aštak Akōman.*—'That which in guiding the body of man is beneficial, is reason; that which in guiding it is detrimental, is Varan. (Concerning) the very nature of the guidance (exercised) by reason and Varan inside the body of man, (that of) reason is by attraction (proceeding) from Vahuman, the Messenger of the Bounteous Spirit; (that of) Varan is by deception (proceeding) from Akōman, the Messenger of the Destructive Spirit.'

H. GrBd. 102. 1 ff. = IndBd. 34. 4 ff, translation, p. 19: *martōm 'hēt, 'pitar i gēhān 'hēt. kār 'ut dātastān 'ut bavandak-mēnišnīh 'kunēt. humat mēnēt, hūxt 'gōβēt, huvaršt varzēt; 'dēvān 'mā 'yazēt. 'avēšān 'har 2 nazdist 'ēn mēnīt 'kaδ-šān ēvak 'ō 'dit rāδ mēnīt 'ku martōm 'hast. 'ut-šān nazdist kunišn 'ēn kart *'ku 'bē raft 'hēnd 'ut-šān 'bē* mēčīt. *'ut-šān nazdist gōβišn 'ēn guft 'ku Ōhrmazd dāt 'āp 'ut zamīk 'ut urvar 'ut gōspand, star 'ut māh 'ut χᵛaršēt 'ut harvisp āpātīh 'kē 'hač ahrāyīh paytākīh 'gōβēt bun 'ut bar. 'ut-šān 'pas pityārak 'pat mēnišn 'apar duvārast, 'ut-aš mēnišn 'bē āhōkēnīt 'hēnd. 'ut-šān drāyast 'ku Ganāk Mēnōk 'dāt 'āp 'ut zamīk 'ut urvar 'ut apārīk 'čiš. čēγōn guft 'ān i nazdist 'drōγ-gōβišnīh 'i-šān viyāβīhet, 'pat apāyast i 'dēvān guft. Ganāk Mēnōk nazdist urvāhmanīh 'hač 'avēšān 'ēn χᵛēšēnīt. 'pat 'ān i 'drōγ-gōβišnīh 'har 2 druvand 'būt 'hēnd. 'ut-šān ruvān 'tāk tan i pasēn [i] 'pat dōšaχᵛ. 'ut-šān 30 'rōč χᵛarišn-'vēčišn būt, vistarag i giyāh* nihuft. *'pas 'hač 30 'rōč 'pat viškar frāč 'ō* buz-ē

i spēt-mōδ mat 'hēnd, 'ut-šān 'pat 'dahān pēm i pistān mēčīt. 'kaδ-šān pēm 'χ^{v}art 'būt Mašyē 'ō *Mašyānē guft 'ku* šātīh i *'man 'hač 'ān 'kaδ*-am *'nē 'χ^{v}art 'ān i* šīr *pēm, 'ut-am* šātīh šāt-tar *'hač 'ān i 'hast 'nūn 'kaδ 'χ^{v}art. am 'pat tan 'vat. 'ān-ič i ditīkar 'drōγ-gōβišnīh. 'dēvān ōž 'apar mat.* Readings from the Indian recension are given in roman type.

I. TD2 has *mēnīt* 'thought', Ind. *mēčīt* (*MYČYT*), DH *mast* (*MSTW̲*). It is possible to read Ind. as *mēzīt* and DH as *mist* meaning 'they made water'. *mēčītan* 'suck' is also attested (GrBd. 103. 3 in the previous note and 144. 4 *varrak-mēč*): possible also <**maik-* 'mix'. *mēčīšn* 'twinkling of an eye' is attested in GrBd. 181. 13: *čašm-mēčišn-ē 'hač vizand* ⟨*i*⟩ *dāmān kartan 'nē 'ēstēt.*—'He does not cease harming creatures for the twinkling of an eye.' Cf. *mēč* Zs. 1. 25 (text Z 4). NP. has *mužeh* in the same sense. Cf. from the same root Lith. *užmingù* 'go to sleep', *megmi* 'sleep', &c. This seems to me the best reading. Mašyē and Mašyānē have just emerged from the vegetable state: it would be natural that they should move and blink their eyes to convince themselves that they were alive and human. Their actions are probably deduced from those of a new-born baby.

J. Mχ. 18: *pursīt dānāk 'ō mēnōk i χrat 'ku 'čē rāδ martōmān 'ēn 'čahār 'čiš 'i-šān 'pat daχšak vēš apāyēt mēnītan, 'ēn kemtar mēnēnd, vartišnīkīh i 'čiš i gētēh 'ut margīh i tan 'ut āmār i ruvān 'ut bīm i dōšaχ^{v}? mēnōk i χrat passaχ^{v} kart 'ku viyāβānīh i Āz 'dēv 'ut aχ^{v}arsandīh rāδ.*—'The wise man asked the Spirit of Wisdom, "Why do men think but little of those four things which by nature they should think of most, the transitory nature of the things of this world, the death of the body, the judgement of the soul, and the fear of hell?" The Spirit of Wisdom made answer (and said), "Because of the deception of the demon Āz and because of discontent".'

K. GrBd. 107. 14 ff.: *guft-aš Ōhrmazd 'kaδ-aš 'zan brēhēnīt 'ku 'dāt-ič-am 'hēh, 'tō 'kē-t ǰēhān sarδak pityār, 'ut-at nazdīk 'kūn 'ut 'dahān-ē 'dāt 'hēh 'kē-t māyišn ētōn 'sahēt čēγōn 'pat 'dahān mičak *i χ^{v}arišn* ⟨*i*⟩ *šīrēntom, *'kē-m 'tō aδyārīh, *'kē-t 'mart hač-iš 'zāt, 'man-ič āzārēh 'kē Ōhrmazd 'ham. 'bē 'hakar-am vindāt 'hēt yāmak 'kē 'mart hač-iš 'kunam, am 'nē 'dāt 'hēt hakarč 'kē-t 'ān i ǰēh sarδak pityārak. 'bē-m 'χ^{v}āst 'andar 'āp 'ut zamīk 'ut urvar 'ut gōspand, bālist garān 'ān-ič i zufr* [*i*] *rōtstāk; 'nē 'vindāt yāmak 'kē 'mart i ahrov hač-iš 'būt yut 'zan 'kē ǰēh pityārak.*

CHAPTER VIII

THE THREE CREATORS

THE last four chapters have been devoted to a fairly detailed analysis of the scanty data which have enabled us to piece together some sort of picture of the Zervanite cosmology and cosmogony. It is now time to examine in somewhat greater detail the nature of the Great God Himself. In this task it is well to start with the enigmatical 'three creators' who so mysteriously appear in the third chapter of the *Greater Bundahišn* and who have already engaged the serious attention of Professor Nyberg.[1]

With commendable insight this scholar recognized that these 'creators' or *Daδv*s, though identified with Ohrmazd in the Avestan *Sīh-rōčak*, nevertheless concealed other deities which later orthodoxy deemed it desirable to suppress. The question then arises, Who were these deities? To this Nyberg replied: Ātur, Mihr, and Dēn. Observing that the Mazdean month was divided up into four sections and that with the exception of the last all ended with *Daδv*, he concluded that in each case the *Daδv* summed up the activity of the various members of the series and was in fact identical with the first. At the end of the last series we find not *Daδv* but *Anaγrān*, 'the Endless Light', and in this Professor Nyberg saw a Mazdean substitute for Zurvān. 'Thus the Mazdean month represents the Aion manifested by the four gods Ohrmazd, Ātur, Mihr and Dēn, together with their creative forces.'[2]

For convenience we reproduce the Mazdean month, following Nyberg's table:

(1)	(2)	(3)	(4)
Ohrmazd	Ātur	Mihr	Dēn
Vahuman	Āpān	Srōš	Art
Artvahišt	Xᵛar	Rašn	Aštāt
Šaθrēvar	Māh	Fravartīn	Āsmān
Spandarmat	Tīr	Varhrān	Zāmdāt
Hurdāt	Gōš	Rām	Mahraspand
Amurdāt	Daδv	Vāt	Anaγrān
Daδv		Daδv	

The identification of the Three Creators with Ātur, Mihr, and Dēn is based on the calendar alone; and Nyberg's assumption that the last member in each case corresponds to the first remains no more than an assumption, since no further evidence has been produced. The Avestan *Sīh-rōčak* repeats the same formula on the three occasions when the *Daδv*s appear,

[1] CCM. 1931, pp. 128–30.

[2] Ibid., p. 130.

yet gives no hint as to what deity might be concealing itself behind the colourless *Daδv*. There is, however, a later Pahlavī version of the *Sīh-rōčak* which consists of a series of invocations to the deities presiding over the days of the month. These are of considerable length and contain a modicum of information on the nature and activities of the gods they extol. Though the evidence they supply for the 'Three Creators' is in itself by no means conclusive, there seems no harm in reproducing these three hymns to the 'Creators' here together with the final hymn to Anaγrān, 'the Endless Light', which rounds off the whole series.[1]

1. *Propitiation to the Creator*

I praise and invoke the Creator Ohrmazd, the good and bounteous: all day and night I magnify him. I give thanks to the munificent Creator Ohrmazd for that he made me, and fashioned me from the stock of man, and created me seeing, speaking, and able to move, and made me worthy of bodily health that I might praise thee day and night and make mention of thy name, O Creator. I give thanks to thee, O good and bounteous Creator, when I behold thy works such as the sky, marvellously made, the fruitful earth, the beauteous stars, the gleaming Moon and the bright Sun whose chariot is swift, and the running water from which is the life of every living creature, and the red burning fire, a mighty helpmate to earthly creatures, and the fruitful plants of many kinds, moist and verdant, whence is the maintenance and life of all things on earth, and good fortune, prosperity, wealth, lordship, and all other fair things that thou hast created. And when I behold a maiden or matron, fair in form, beauteous, comely, and desirable; and when I behold a noble boy, religious and pure in soul, fluent of speech, and skilled in the assembly; and when I see my own kinsmen, good and virtuous, I praise thee, O Creator, boundless in power and eternal in Time. Have mercy upon me, and put it in the mind of my rulers and overlords to grant me welfare and ease and to be kindly toward me. Keep thou in righteousness and increase all those good things which according to thy will are mine, O good Creator. For the good things that are from thee are ever-increasing and long-enduring: and I have no refuge, confidence, or hope save in thy munificence.

2. *Propitiation to the Creator*

I praise and invoke thee, O bounteous Creator, who from now until time eternal art the source of all good things, Ohrmazd: and the origin of all good fortune, prosperity, and light is subject to thy ordering. Yea, thou art Infinite Time, and the creator, upholder, and protector of thy creatures: thou dost purify them from all sin and affliction in thy munificence and mercy. And thou dost raise all men up, whether they be blessed or whether they be damned; and thou dost leave none of thy creatures in the snare and bondage of the Lie. Thou dost cleanse and purify them all, and dost keep them forever in victory abounding in

[1] The transliterated text and references will be found in the appendix to this chapter.

joy; and according to their deeds thou dost bestow freely upon them good rewards from thy Treasury of Eternal Benefit. In all places do I praise thee; for at thy will and behest were the heavens established, and the earth and all creation, material and spiritual. Be thou our saviour, O thou, our munificent Lord, from the hand and strife of evil and violent men, for we have no help or refuge or confidence save in thee, O Ohrmazd, helper of all. Do thou devise a means of helping the helpless; do thou set the captives free; deliver all men from fear and grievous sin, from tyrant and Kay and Karap[1] who rush to do harm to the good creation. Have mercy, O munificent one: have mercy, O Creator: have mercy, O wise one: have mercy, O virtuous one: have mercy, O all-bounteous spirit of welfare, upon us who are merciful. Put into the minds of our overlords who are our rulers and kings that they be of good will and kindly to us. Thus too (put it into) the mind of all rulers and overlords who rule and hold sway over thy creation on earth, that thy creation may increase further and that all that exists on the earth of Spandarmat may remain fruitful. For when men have ease and comfort, all thy creation strives to do good service to men, and they endure in all righteousness. In all things we put our trust in thee, O good, omnipotent Creator.

3. *Propitiation to the Creator*

I praise and invoke thee, O good and bounteous Creator, when I behold thy deeds, desire, will, and command to be so worthy and wondrous that they cannot be grasped or known by earthly intelligence, but can only be known through the omniscient Wisdom which is with thee who art the bounteous Ohrmazd. And the more it is seen, the more art thou praiseworthy thereby, in that thou didst establish the sky without a support—for no setting of a support is visible to earthly creatures; and thou didst establish the earth likewise, as it were, without support, extending far and wide, and didst create upon it navigable rivers,[2] and high mountains full of pasture, water and mineral ores, and trees with mighty branches, wide boughs, and deep roots, and red, burning fire, and men of many kinds[3] and beasts of five kinds[4] and many species: and between heaven and earth thou didst create the course of the beauteous and gleaming stars of good fortune (*χᵛarrōmand*), the Sun and Moon and the Firmament (*Spihr*) of the Seven and the Twelve, and the spiritual clouds and the useful rain, and the wind of fearful force but for which no living creature can endure: it rules all that is between earth and sky. I praise thee, O good Creator, for that thou didst create me sound in limb and righteous in conduct. In all things my trust is in thee.

[1] A class of ruler in the Avesta hostile to the Religion. The Pahlavī translation explains the names as meaning 'blind and deaf to the Religion'. Cf. Darmesteter in SBE. xxiii, p. 26, no. 2. For Nyberg and his school the *Kavis* were originally worshippers of Miθra (*Religionen*, pp. 292 ff., &c.).

[2] See note A, p. 214.

[3] The species of men are enumerated in GrBd., p. 107. Besides Byzantines, Turks, Chinese, Dahae, Arabs, &c., apes and bears appear to be reckoned as belonging to the human species.

[4] The five kinds are (i) animals with cloven hoofs such as the camel, (ii) round-hoofed such as the horse and ass, (iii) those which have five claws such as the dog, (iv) birds, and (v) fish (GrBd., p. 95; Zs. 3. 53).

4. *Propitiation to the Endless Light*

I praise and invoke the Endless Light and bright Garōδmān[1] and self-create Space of eternal benefit in which there is bliss everlasting and entire. From it the straight path of the Činvat Bridge reaches to man on earth which for the blessed widens to the breadth of nine spears' length—its (normal) length is three perches[2]— but for the damned becomes as a razor's edge, and they fall to hell. But the souls of the blessed, having a passage, can proceed easily on a wide path and come to the perfect abodes. Ever do I propitiate and sacrifice to the munificent creator, Ohrmazd, the Amahraspands, and all the gods. I pray that they may make my soul worthy for its meeting with Ohrmazd and the Amahraspands in the perfect abodes. And it has been taught to my very mind that all my life long I should continually strive to make my own the way and path by which I can come to the perfect abodes of all bliss, even Garōδmān. All bliss and all good things of creation are for us from thee. Even as all good things (come) to us from thee, so do thou make us worthy of yet more good things, benefits, good fortune, and bliss.

At first sight these hymns seem disappointing—interesting rather for their literary quality and almost Christian flavour than for the information they give us on the subject of our inquiry. In each the Creator is uncompromisingly Ohrmazd; but in each case Ohrmazd is presented under a slightly different aspect. The first is a creation hymn, pure and simple: the different acts of creation are enumerated and thanks are rendered to the Creator for these. The third, too, is predominantly a creation hymn, but there is a slight change of emphasis. It is not so much the mere fact of creation, but the will and command of God which excites the wonder of the devotee. He is not so much impressed by the fact of the creation of the sky as by the consideration that the sky stays where it is without visible support. In this hymn he is conscious principally of the omniscience of God, confesses that His nature cannot be grasped by any earthly intelligence, and claims that this can only be revealed by the omniscient Wisdom which dwells with God. He thinks of God first as absolute Wisdom through which only He could create. His attitude is very similar to that of the author of the *Mēnōk i χrat*, who quite clearly attributes all spiritual and material activity to the workings of the Spirit of Wisdom:

From the beginning have I who am Innate Wisdom among spiritual and material beings been with Ohrmazd. And the Creator, Ohrmazd, fashioned and created, maintains and orders all spiritual and material creatures, the gods (*yazdān*) and all the rest of creation through the power and valour, wisdom and experience of Innate Wisdom. And at the end of the rehabilitation (*fraškart*) he will crush and smite Ahriman and his abortions chiefly by the power of Wisdom.[3]

[1] See note B, p. 214.

[2] v. Henning, JRAS. 1942, p. 236.

[3] Mχ. 57. 2–4: *'hač fratom 'man 'kē āsnχrat 'ham 'hač mēnōkān 'ut gētēhān 'apāk*

The attitude in either case is the same: God's power is through His wisdom. In the *Mēnōk* Wisdom is clearly distinguished from Ohrmazd, while in our *Sīh-rōčak* text this is not obviously so. According to the *Mēnōk* Wisdom was from the beginning with Ohrmazd and through Its power creation took place. For the *Mēnōk*, then, Wisdom is uncreate. In the *Sīh-rōčak* passage, too, Wisdom is represented as dwelling with God: that creation took place through It is therefore a fairly logical deduction. Thus even without further evidence it would not be fanciful to see in Wisdom in this passage as in the *Mēnōk* an hypostasis of the Creator, and therefore a creator itself. Tentatively, then, we can regard Wisdom as the second of the mysterious 'Three Creators'. Leaving the corroborative evidence for the moment, we will now turn to the second hymn of the series.

This second hymn, unlike the two we have just dealt with, does not appear to be a creation hymn proper. The creation indeed seems to be incidental to the two main themes—the infinite compassion of God on the one hand and petitions for increased prosperity on the other. God is here —what is comparatively rare in Zoroastrian literature—addressed as the Saviour: His purification of sinners is extolled and His rescue of the damned from hell at the end of time. This idea of God, interesting as it is in a Zoroastrian text, must not, however, be allowed to detain us. What is of prime importance for the purpose of our present investigation is the formal identification of Ohrmazd with Infinite Time—an identification that would appear to be unique in Pahlavī literature. Its interest is obvious; for it represents an attempted synthesis of the two conflicting streams of Zoroastrian thought during and after the Sassanian period. The Father and the Son are here fused into one being, and the former becomes an hypostasis of the latter. The ambiguous Zurvān, deposed from his position of priority and supremacy, is fused into the being of his son, Ohrmazd, thereby losing his characteristic superiority to good and evil and being comfortably assimilated to the good.

It is unfortunate that the nature of our source does not permit us to unravel which attributes belong properly to Zurvān and which to Ohrmazd. *Prima facie* it would appear extremely improbable that Zurvān should appear as a Saviour (*bōχtār*): as the God of Fate it would be more natural for him to appear as something from which to be saved. The *Mēnōk i χrat*, however, again supplies an explanation, for in that work which, like these Creator hymns, belongs to a 'semi-Zervanite' brand of Zoroastrianism, we

Ōhrmazd 'būt 'ham; 'ut dātār Ōhrmazd mēnōk 'ut gētēh dahišnān, yazdān 'ut apārīk hamāk dām 'ut dahišn 'pat nērōk 'ut takīkīh 'ut dānākīh 'ut kār-ākāsīh i āsn-χrat āβurīt 'ut 'dāt 'ut 'dārēt 'ut rāδēnēt; 'ut 'pat fraškart 'sar aβsihēnišn 'ut zanišn i Ahriman 'ut-aš višūtakān 'pat χrat nērōk apērtar šāyēt kartan.

find the Infinite Zurvān intervening at the end of time to deliver creation from the powers of evil for ever.

When nine thousand years have fully elapsed, Ahriman will be made powerless; and Srōš the Blessed will smite Ēšm (Wrath); and Mihr, the Infinite Zurvān, and the Genius of Justice (*dātastān*) who lie to no one, and Fate and the divine Fate[1] will smite all the creation of Ahriman, and in the end the demon Āz also: and all the creation of Ohrmazd will again be free from aggression as it was fashioned and created in the beginning.[2]

Whether or not one is disposed to accept Zurvān as a Saviour-God from this evidence is for the moment beside the point. What cannot be denied is that being formally identified here with Ohrmazd, the Creator *par excellence*, in a hymn dedicated to the Creator, he must himself be Creator too. Thus we may be tolerably certain that it is Zurvān himself whose identity is concealed behind *Daδv* in this instance. This, of course, we already knew from the *'Ulemā*, where it is said that only after the creation of Ohrmazd from fire and water did Time become a creator:[3]

In spite of all the grandeur that surrounded it (Time), there was no one to call it creator: for it had not brought forth creation. Then it created fire and water; and when it had brought them together, Ohrmazd came into existence, and simultaneously Time became Creator and Lord with regard to the creation it had brought forth.

This is naturally a fully Zervanite position: that of the *Sīh-rōčak* is 'semi-Zervanite', Time being regarded as co-creator with Ohrmazd or in this passage as being identical with him. Thus we now have three creators —Ohrmazd himself and two hypostases, Time and Wisdom.

The *Bundahišn*, however, speaks of Ohrmazd *and* three creators. We are still one short. The first of our 'Creator' hymns can throw no light on the problem, for it is addressed to Ohrmazd alone as creator, and no amount of ingenuity can legitimately discover a different deity concealed behind his name in this case. We must, then, look elsewhere. Nyberg (l.c.) has already pointed out that the days of the month fall into four groups, the first three of which are terminated by *Daδv*, and the last by *Anaγrān*, 'the Endless Light'. It is here that we must seek the identity of the third *Daδv*.

Here we are on more familiar ground. The hymn is addressed to 'The Endless Light and bright Garōδmān and self-create Space of eternal benefit in which there is bliss everlasting and entire'. The assimilation of Light to Space immediately recalls the opening words of the first chapter of the

[1] The distinction between Fate (*baχt*) and 'divine Fate' (*baγō-baχt*) is clearly given in Mχ. 24 (text Z 32): v. Tavadia, ZII. viii, p. 131. Cf. also *infra*, p. 256.

[2] Text Z 8, §§ 10–11.

[3] Text Z 37, §§ 8–9.

Bundahišn ('that Light is the Space and place of Ohrmazd'). Again we are in the presence of a synthesis of Mazdean and Zervanite ideas. For the Zervanite, if we are to believe Damascius, Space or Time are the intelligible universe in its unity and from them 'derive a good god and an evil spirit, or light and darkness before these'.[1] The Mazdean, however, paradoxically identifies Space with the Endless Light; and Time becomes assimilated to Ohrmazd, though this was always an uncomfortable compromise and we do in fact find Space and Time associated with Ahriman.[2] That Space as being nearly identical with Time, or Light as being the Space and place of Ohrmazd, may represent our third creator is therefore at least possible —and we should then have the tetrad, Ohrmazd, Wisdom, Time, and Space, these three being the three *Daδvs*.

The deification of Space is also found outside Zoroastrianism; for it appears in the speculation of Bardesanes, who in this respect may well have been influenced by western Magian speculation. He placed God in Space, or rather made Space his support, and even seems to have gone so far as to subordinate the deity to Space.[3] In this he may well be following an Iranian tradition; for the idea of God sitting on Space as on a throne can easily be explained as being based on the double meaning of the Pahlavī *gās* (Avestan *gātu-*) 'throne' or 'Space'. In Zātspram's description of the Last Judgement Ohrmazd sits on the 'eternal self-create Space' to pass the judgement.[4] Both meanings of *gās* are here implied; for in a parallel passage Ohrmazd is represented as sitting on the Endless Light[5] which, as we have seen, is identical in the Mazdean system with Space. The parallel with Bardesanes is exact; and, in this case at least, there seems to be some justification for discerning Iranian influence on Gnostic thought, though once again we have no means of assigning any date to the genesis of ideas that are only actually attested in a ninth-century book.

That the Pahlavī *gās* is identical with the Avestan *θwāša-* is proved by the epithet *χᵛaδāt*, a mere transcription of the Avestan *χᵛaδāta-* 'self-create' or 'following its own law' applied only to *θwāša*, the Endless Light and, curiously, to *misvan* or *hamēstagān* 'the place of the mixed' or Zoroastrian version of Purgatory, where those souls are taken whose balance of good and bad deeds is equal. The compound *darəγō-χᵛaδāta-* 'following its own law

[1] Text G 1.

[2] Text Z 18 (*a*).

[3] Schaeder, *Zeitschrift für Kirchengeschichte*, li, 1932, p. 50; Bidez–Cumont, *Mages*, i, p. 62, n. (4).

[4] Zs. 35. 31: *Ōhrmazd 'pat apākīh i Srōš-*ahrāy 'hač nēmrōč ālak sahmān frāč 'ō hanjaman 'rasēt, 'apar hamēšak gās i χᵛaδāt 'nišēnēt.*—'Ohrmazd together with the blessed Srōš comes to the assembly from the direction and confines of the South, and sits on eternal, self-create Space.'

[5] GrBd. 163. 1: *χᵛat* (sc. *Ōhrmazd*) *'nišēnēt 'pat 'ān i asar* [*i*] *rōšnīh.*—'(Ohrmazd) himself sits on the Endless Light.'

for a long time' is only used of Zurvān and Vayu (Vāy).[1] The epithets are interesting as showing that, even at the time of the compilation of the later Avesta, Time and Space were regarded as independent entities, following their own law and, therefore, not subject to Ohrmazd.

Thus there seem to be solid reasons for regarding these three Creator hymns and that in honour of the Endless Light as being ultimately of Zervanite origin. First we have the appearance of 'self-create Space' which has just been discussed. Secondly, there is the identification of Ohrmazd with Infinite Time—an attempted compromise between the Zervanite and Mazdean positions. In both cases we may discern a conscious attempt of Mazdean orthodoxy to appropriate Time-Space to Ohrmazd. In the third Creator hymn, however, there is evidence that the redactors have unconsciously allowed a specifically Zervanite idea to remain unemended in the text. In this hymn, which we have seen to be associated with Wisdom, we are told that God (Ohrmazd) established the 'firmament of the Seven and the Twelve'. These are, of course, the Seven Planets and the Twelve Signs of the Zodiac. We have already seen that Mazdean orthodoxy regarded the planets as the spawn of Ahriman and as counter-creations to the Signs of the Zodiac.[2] That their creation should here be directly attributed to Ohrmazd is clear enough proof that we are dealing with an insufficiently emended unorthodox text.

Lastly, we have in the hymn to the Endless Light a further indication that Zervanite ideas are present. After mentioning the Endless Light, Heaven, self-create Space, and the Činvat bridge (the bridge of the Separator)[3] where the blessed are separated from the damned, the author refers to the 'way and path' (*rās 'ut pand*) which leads to the abodes of all bliss. This path is mentioned in the *Vidēvdāt*.[4] It is the path that leads to the Činvat bridge and which must be traversed by good and bad alike: it is the path created by Zurvān. The use of the word *pand* shows clearly that the author has the *Vidēvdāt* passage in mind, since *pand* must here be a translation (and near-transliteration) of the Avestan *pantay-* used there: in Pahlavī the word usually means 'advice', though it is rarely attested in the sense of 'path'.[5] The path created by Zurvān is the path of the souls

[1] It is once used of Vayu, but in this case it may well have been transferred from Zurvān: v. *supra*, pp. 87 ff.

[2] *Supra*, pp. 158 ff.

[3] The generally accepted meaning is disputed by Nyberg (*Religionen*, pp. 180–6), who interprets 'Übergang (aus dieser Welt in die andere) des (zur andern Welt) Hinzielenden'. Bailey connects with *kaēnā-* 'exaction' (JRAS. 1939, pp. 115–16; cf. Av. *arənaṯ-čaēša-* 'punishing sins').

[4] Text A 1. For discussion v. Nyberg, CCM. 1931, pp. 119–25. Cf. Christensen, *Études sur le zoroastrisme de la Perse antique*, pp. 54 ff.

[5] DkM. 262. 8: *rās i 'hač aχᵛ 'ō mēnišn 'bast brīt pand 'hač aχᵛ*.—'The way from the will to thought is blocked and the path

of the departed, and it is as the god of death that Zurvān appears in this connexion.[1] By securing the path of Zurvān the devotee earns his passage to eternity.

Our analysis of the Pahlavī *Sīh-rōčak* has led to the provisional conclusion that the Three Creators are—besides Ohrmazd—Time, Space, and Wisdom. We must now proceed to the evidence of the *Bundahišn*.

In the third chapter of that work the *Daδvs* are mentioned twice.[2] Once they are formally identified with Ohrmazd: '(Ohrmazd) inserted his own name in four places in the month—Ohrmazd and the three *Daδvs*'.[3] The second reference is much more interesting. In my translation of it I have had, for various reasons, to diverge considerably from Nyberg. The grammatical grounds for this divergence will be found in the note to line 44 of text Z 2. Moreover, on the ground of our argument from the Pahlavī *Sīh-rōčak* and from other sources detailed below it seems natural to translate the *'ān 3 daδv: ēvak gās 'ut ēvak dēn 'ut ēvak zamān* of the text as, 'those three creators; one is Space, one Religion, one Time'—and then, following the Paris manuscript, 'all are called *dē* (creator)'.[4] That these 'creators' are themselves uncreate follows from the fact that the *Bundahišn* says of them, 'his (*sc.* Ohrmazd's) helpers *are* the three Creators'; but when dealing with the helpers of the six lesser Amahraspands, it speaks of them as having been 'given' to or possibly 'created' for them.

It is interesting that later on in the same chapter we find both the infinite and the finite Zurvān mentioned among the helpers of Vahuman: but this is only one more proof that the *Bundahišn* is not to be treated as a consistent whole, but as a corpus of religious knowledge in which different traditions are clumsily combined. In it Mazdean and semi-Zervanite ideas are constantly to be found side by side.

Again, the opening of chapter i of the same work gives us the same tetrad:

> Ohrmazd was on high in *omniscience and goodness*: for *infinite time* he was ever in the *light*. That light is the *space and place* of Ohrmazd: some call it the Endless Light. Omniscience and goodness are the totality of Ohrmazd: some call them *religion*. The interpretation of both is the same, namely the totality of *Infinite Time*, for Ohrmazd and the Space, Religion, and Time of Ohrmazd were and are and ever shall be.

from the will cut off.' For *aχᵛ* v. p. 53, n. 1. Ibid. 31. 7 and 9: *'apar pand ⟨i⟩ martōm pat-iš bōχtakīh.*—'Concerning the way in which men can be saved.' There are probably other instances of *pand* used in the sense of 'path' in Pahlavī which have escaped my notice. In MPT. we have *r'h 'wd pnd* (Andreas–Henning, *MirMan.* i, p. 8).

[1] Nyberg, l.c.

[2] Text Z 2, §§ 2 and 11.

[3] Cf. GrBd. 163. 1.

[4] *dē* is the later form of *daδv*.

'Both' does not refer to 'omniscience and goodness', for in that case it would naturally precede the explanatory 'some call it religion'. It must rather be taken as referring to the concepts Space–Endless Light and omniscience–religion. The two are comprised in the 'totality of Infinite Time', that is to say eternity, for 'Ohrmazd and the Space, Religion, and Time of Ohrmazd were and are and ever shall be'. This last sentence explains what is meant by 'the totality of Infinite Time': it is eternity, and eternity is the *sine qua non* of the other three: it is their *vičārišn* or what explains them.

This interpretation of the text seems to be proved right by the parallel passage in the *Aβyātkār i Žāmāspīk* ii. 2 (text Z 13). Though the lamentable state of the Pārsī text does not permit of a definitive translation, the tetrad Ohrmazd–Light–Religion–Time is indisputably there. The Pārsī text with the Pāzand variants together with his Pahlavī reconstruction are to be found in Messina's edition, p. 34. On some points we have found ourselves unable to agree with him. As I understand it, the passage runs as follows: 'He who has ever been is only Ohrmazd in the Light—and the Light (proceeds) from Ohrmazd—and the propagation of his Religion, and his Time which is the eternity of Ohrmazd, for it is the genius of right ordering.' The Pahlavī *ēvāč* means both 'only' and 'voice'. Messina adopted the latter, but I know of no Zoroastrian text in any way parallel to such an idea. *ēvāč* (voice) does not correspond to what we call the Word (λόγος): that is *vāχš*. Even so the 'Word' does not appear in the Zoroastrian cosmology until the enunciation of the *Ahunvar* prayer by which Ahriman is driven back into the abyss after his first attempt to invade the kingdom of Light.[1] Moreover, the opening of the first chapter of the *Bundahišn* from which the *Žāmāspīk* passage is obviously derived knows nothing of a 'voice' of Ohrmazd. The two passages complement each other, and from the comparison the tetrad Ohrmazd, Light (Space), Religion, and Time emerges with all desirable clarity.

It was Professor Nyberg's notable achievement to demonstrate the importance of the 'quadriform god' in the Zervanite system;[2] but more important than his 'tetrad of fate' and the 'Zervanite terrestrial tetrad'[3] is this tetrad Time–Space–Religion–Ohrmazd which is the tetrad of the godhead itself. In addition it is better attested than the others and *mutatis mutandis* corresponds exactly to the Manichaean tetrad which makes up the Fourfold Father of Greatness, namely God himself (Zurvān), Light, Power, and Wisdom.[4] Schaeder, who first emphasized the importance of the

[1] *Supra*, p. 100.
[2] CCM. 1931, pp. 47 ff.
[3] Ibid., pp. 107–13.
[4] Schaeder, *Urform*, pp. 136 ff.; Nyberg, CCM. 1931, p. 48.

Manichaean tetrad, rightly adduced the evidence of the opening chapter of the *Bundahišn*. Differing from us in his translation of that inordinately corrupt passage he attempted to prove the existence of a divine tetrad, God–Light–Omniscience–Goodness. This, however, left out of account the evidence we have analysed in this chapter, and did not give the exact parallel to the Manichaean tetrad which Time—Light-Space—Religion-Omniscience—Ohrmazd-Creator supplies.

For the apparent differences between the Zoroastrian and Manichaean tetrads are easily reconciled when we consider that both must go back to a common Zervanite source.[1] Light or Light-Space is common to both. The Manichaeans, following the Zervanites, make Zurvān the supreme deity, but in taking over the Zervanite tetrad they assimilated Zurvān or Infinite Time to their own King of Light. The Mazdeans, on the other hand, being obliged to give first place to Ohrmazd, did not for that reason reject Time. Thus they substituted Ohrmazd for Power. And this was natural enough; for Ohrmazd was above all things the Creator, even in the Zervanite system, and it is exclusively in this capacity that he is lauded in the first Creator hymn of the *Sīh-rōčak*. The act of creation is the manifestation of the divine power, and it is no accident that in this same hymn Ohrmazd is referred to as 'boundless in power' (*akanārak-nērōk*). Moreover, there is a passage in the *Dēnkart* where Power figures in a context closely parallel to those we have been discussing. The different types of knowledge are under discussion: one type of wise person is said to be 'he who knows by his essential knowledge (knowing): and this is alone the Creator Ohrmazd. This knowledge is (knowledge) in Infinite Time and is power (or potentiality) in its highest form.'[2] From this it seems tolerably certain that the original Zervanite tetrad comprised Time, Space, Wisdom, and Power.

The assimilation of Space to Light was a necessary consequence of both Mazdean and Manichaean theology, but it is not Zervanite in origin: for Zurvān is himself not a god of light any more than he is a god of darkness. He is superior to both, and conceived as Space comprises both. The tetrad would then correspond to the Hellenistic conception of the Aion which, if we are to believe Reitzenstein, always includes Time, Space, and the divine personality.[3]

[1] The tetrad Zurvān (Supreme God), Light, Wisdom, and Power seems only to be found in the eastern Manichaean sources. *Kephalaia*, p. 23, has the characteristically different 'εὐδαιμονία, Wisdom, and Power'.

[2] DkM. 272. 18: *3 aδvēnak 'hēnd dānāk. ēvak 'kē 'pat χᵛatīk dānākīh dānāk; 'ut 'ēn ēvāč dātār Ōhrmazd, 'hast akanārak-zamānīk dānākīh apartomīhā nērōk.*

[3] Reitzenstein, *Studien zum antiken Synkretismus*, p. 81: 'So umschließt denn der hellenistische religiöse Wortgebrauch von Aion immer dreierlei, Zeit, stofferfüllten Raum und göttliche Persönlichkeit.'

The evidence of the Pahlavī *Sīh-rōčak* and the *Bundahišn* has led us to the conclusion that the 'Three Creators' of the latter are Time, Space, and Religion (Wisdom). Since it has become fashionable in certain circles to build whole structures of theory on the quicksands of corrupt or ambiguous texts, it may well be objected by those who rightly abhor such practices that the evidence of the *Sīh-rōčak* is unconvincing and that the text of the opening words of the first chapter of the *Bundahišn* is too corrupt for any firm conclusion to be drawn. There is, however, further evidence which we shall consider in due course; and this in the main confirms our theory. But before proceeding to this evidence it would be well to establish the practical identity of the concepts 'Religion' (*dēn*) and 'Wisdom' (*χrat* or *dānākīh*).

The relationship between wisdom and 'religion' is frequently referred to in the Pahlavī books and especially in the *Dēnkart*, but views on the exact relationship between the two seem to vary from text to text. Sometimes they are identified, sometimes a distinction is made. In one passage the identification is formal: 'The word of the Mazdayasnian Religion is identical with innate wisdom (reason—*χrat*): the word of innate wisdom concerning whatsoever was or is or shall be is from the Mazdayasnian Religion. For innate wisdom is identical with the Mazdayasnian Religion; and the Mazdayasnian Religion is identical with innate wisdom.'[1] Again, 'the decision of Religion is the wisdom of Ohrmazd',[2] and 'the essence of the Mazdayasnian Religion is the wisdom (*fražānakīh*) of Ohrmazd; and his wisdom is bestowing, knowing and doing. Its matter is knowledge of all . . . and it is itself the personality (*χēm*) of Ohrmazd'.[3] Again, 'he who applies his mind to the Religion of Zoroaster learns wisdom'.[4]

In other passages a distinction is made: thus Religion is spoken of as the seed of wisdom,[5] or again it is of the same lineage as innate wisdom[6] and is manifested in the matter, form, and activity of wisdom.[7] It holds sway

[1] DkM. 314. 9: *dēn māzdēsn gōβišn 'χᵛat 'hast āsn χrat. āsn-χratīk gōβišn i katār-ič-ē 'hastān 'būtān 'bavētān 'hač dēn māzdēsn; *'čē rāδ āsn χrat 'χᵛat 'hast dēn māzdēsn; dēn māzdēsn 'χᵛat 'hast āsn χrat.* Cf. ibid. 832. 7: *dēn i 'vēh 'kē 'hast čē-kām-ič dānākīh ⟨i⟩ visp 'hastān 'būtān 'bavētān.*—'The Good Religion which consists of every conceivable kind of knowledge of what is or was or will be.'

[2] Ibid. 915. 19: *vičīr i dēn χrat i Ōhrmazd 'hast.*

[3] Ibid. 329. 14: *dēn māzdēsn χᵛatīh fražānakīh ⟨i⟩ Ōhrmazd; 'ut-aš fražānakīh 'baχšišn dānišn kunišn. 'ut-aš mātaγ dānišn ⟨i⟩ visp . . . i 'χᵛat 'hast Ōhrmazd χēm.* Cf. ibid. 320. 20.

[4] Ibid. 904. 13: *'kē mēnišn 'ō dēn i Zartušt 'dahēt, χrat hamōχtēt.*

[5] Dd. 38. 22: *χrat 'kē-š dēn tō(h)mak.*

[6] DkM. 117. 10: *'vēh dēn āsn χrat 'ut karpān hunarān i āsn χrat ham-zahak.*—'The Good Religion is of the same lineage as innate wisdom and its forms and virtues.'

[7] Ibid., line 15: *paytākīh 'ān ⟨i⟩ 'vēh dēn 'hač χratīkīh, χrat-sāčīh 'ut χrat-mātaγīh 'ut χrat-karpīh 'ut χrat-kārīh.*—'The mani-

'among the good Amahraspands whose state is pure where innate wisdom has complete sovereignty'.[1] Wisdom is represented as a judge who knows the truth or untruth of hidden things by the knowledge of Religion.[2] It is as a lord over the soul (*ǰān*) of man, while free will is as a tutor to the voluntary faculty: the Religion of Ohrmazd is perfect and entire in both.[3] Conceived as celestial deities the Religion 'encompasses all the luminaries as with a girdle and omniscient wisdom encompasses all the knowing gods'.[4]

It is plain, then, from this short summary of excerpts from the relevant texts that the ideas of wisdom and the 'Religion' are so inextricably intertwined as to be virtually identical. It is only natural, then, that the two words should be indiscriminately used in reference to the second of the 'Three Creators'.

After this slight digression we must now return to the subject of the 'Three Creators' proper and consider the evidence of the *Dēnkart*. There we find Ohrmazd associated with three 'eternals' who can scarcely be different from the Three Creators whose eternity is implied in the third chapter of the *Bundahišn*—and this is indeed what one would expect. 'Eternal are the *Creator* Ohrmazd and the *Wisdom of Religion* through whose *power* is goodness, and *Space* on which his matter is (founded), and *Time* which is his eternity.'[5] Whether a more popular myth has been reduced to order by the author of the *Dēnkart* it is impossible to say, though it is likely that the 'Creators' had a more personal character than we can now discern; but for the later Mazdean writers Infinite Time and Infinite Space had become on the one hand hypostases of the Creator Ohrmazd, and on the other the *sine qua non* of creation.[6] It is through their limitation that creation becomes possible, and finite Time is the first creature.

Our text Z 14 presents the Zervanite tetrad with even greater clarity. First there is Time, without origin, yet an origin itself and a source of origins: all being is contingent on it, and without it nothing that is or was or will be can be done: itself is contingent on nothing. Second is Space within which are all substances; and third the wisdom of Ohrmazd which directs all things, yet is itself directed by nothing. Here again we have the

festation of the Good Religion is from wisdom, conformity to wisdom, the matter of wisdom, the form of wisdom and the activity of wisdom.'

[1] Ibid., line 22: *ravākīh . . . 'ān i 'vēh dēn 'andar 'vēh apēčak-ēstišnīk amahraspandān 'ku āsn χrat bavandak pātaχšāyīh.*

[2] Ibid. 259. 16: *ōγōn dātaβar χrat nihuftak 'čiš 'pat ētōnīh ayāp anētōnīh [ayāp anētōnīh] 'hač ākāsīh i 'ān dēn patīrēt.*

[3] Ibid. 178. 5: *'apar-ič ǰān χᵛatāyīk vičīnkar χrat, 'apar aχᵛ dastaβarīk āzāt-kām, 'andar 'har 'dō bav⟨an⟩dak ōhrmazdīk dēn.*

[4] Dd. 38. 14: *'ut-aš fravast 'pat fravand vispān rōšnān čēγōn fravand 'ān i harvispākās χrat fravast 'bavēt vispān ākās yazdān.*

[5] Text Z 15: cf. ZXA. 85. 5: *Ōhrmazd ⟨'ut⟩ gās 'ut dēn *'ut zamān hamē 'būt 'ut hamē 'hast.*—'Ohrmazd, Space, Religion, and Time have always been and always are.'

[6] See note C, p. 215.

same tetrad, Time–Space–Wisdom, and the personality of the Creator. Together they are one God in four persons. The distinction between the persons, however, is fairly marked.

Time and Space are eternity, the raw material from which creation is to proceed and whose limitation makes the creative act possible. Wisdom is the directing power of the universe, but can obviously only come into operation from the moment when something comes into existence to direct, that is after the limitation of Time and Space. *Sub specie aeternitatis* it is in a state of rest, and cannot really be said to direct at all: it has itself to be limited before it can operate *ad externum*.[1] This is the more rapidly achieved by the state of emergency created by the offensive launched by the powers of evil. According to one account[2] this offensive appears first to have produced a state of self-awareness in the deity itself, and from this proceeded the Endless Light: thence arose the Genius of Rectitude, thence Omniscience, thence creation and the defeat of the Evil One.

The theory enunciated by this text that the Endless Light was emanated by the deity and was not itself eternal seems to be of paramount importance. If the light is emanated only after the deity becomes aware of itself and aware of evil, it follows that light was not from the beginning with the deity. This is plainly a genuine Zervanite idea. The existence of evil seems to be prior to God's awareness of Himself: the impact of evil produces self-awareness in the deity and this manifests itself in the light. Light, then, cannot have been with God from all eternity: it is not an hypostasis of the Eternal. This, then, would appear to be a theological presentation of the myth of Zurvān's genesis of Ohrmazd and Ahriman conceived as light and darkness. The darkness (evil) originates through the unawareness of Himself of the eternal God; light proceeds from His awareness which, being the 'manifestation' of the divine nature, is subsequent to the darkness which proceeded from His unawareness.

Here indeed we seem to catch a glimpse of a fundamental Zervanite doctrine which regards the light as being other than eternal. In all the Mazdean accounts the Endless Light is the 'space and place of Ohrmazd' and with him eternal. Our text, however, implies that Ohrmazd, the 'Wise Lord', must, like his 'place', be an emanation from the self-awareness of a higher power, Zurvān. This too seems to be reflected in the *Bundahišn*,[3] where creation in the shape of the 'Endless Form' proceeds from the '*material* light': similarly the creation of Ahriman proceeds from the '*material* darkness'. If, as our text says, the light and presumably the darkness too are not eternal, we must conclude that creation is from

[1] v. text Z 20. [2] Ibid. [3] Text Z 1, §§ 26–27.

matter (*gētēh*), which is then seen as the substance of Zurvān, antecedent to both Ohrmazd and Ahriman who are spirits (*mēnōk*). Thus we find in text Z 18 (*a*) that the 'Light of Wisdom' and the 'Darkness of Lying Falsehood' appear as proper to Ohrmazd and Ahriman alongside Space which is common to both, though elsewhere Space is equated with the Endless Light, the 'place of Ohrmazd'. The light and darkness proper, then, would have superseded an original *gētēh* (matter) which appears as *gētēh* [*rōšnīh*] and *gētēh* [*tārīkīh*] in the *Bundahišn*. This 'matter' is the eternal substance of all that is, Time–Space which is Zurvān. This is surely *τὸ νοητὸν ἅπάν*[1] 'from which are derived either a good god and an evil genius, *or light and darkness before these*'.

Leaving reluctantly these speculations for the time being, we must return again to the evidence for the existence of a tetrad Time—Space—Wisdom—(Ohrmazd)-Power. Mas'ūdī has preserved a Zoroastrian tetrad that is suspiciously like our own. He says of the Magians that they acknowledge five principles;[2] the first is Ohrmazd 'and he is God the glorious and exalted', the second Ahriman 'and he is the evil Satan', and the third *kāh* (= NP. *gāh*, Phl. *gās*)[3] 'which is Time', the fourth *ǰāy*[4] 'which is Space'. So far the correspondence with our tetrad is exact, but at this point the Arabic text becomes obscure. We expect *dēn* 'Religion', but both manuscripts read *yaum* 'day', which is meaningless in the context. One manuscript adds the explanation *wa hūwa'l-ṭayyibatu wa'l-χamīru*, 'and it is the clear wine and the ferment(?)'; the other reads *wa hīya'l-ṭayyibatu wa'l-ḥamīrah*, 'and it is the good and . . .(?) . . . . De Goeje, accepting the first explanation, emended *yaum* to *haum* (Hōm, Haoma), the Iranian equivalent of the Vedic Soma, the drink of the gods. But what is Hōm doing in this company? His connexions with the *Dēn* (Religion) are in mythology slight and in theology nil: with Time and Space he has nothing to do at all. It is true that in the Avesta[5] Ohrmazd brings him the 'ancient (? *paurvanīm*)[6] star-studded, spirit-fashioned girdle of the Mazdayasnian Religion' and that he girded himself with it; but this is a purely mythological passage and obviously cannot serve as evidence for our present problem. In the later literature Hōm is represented as the genius of immortality[7] and confers immortality on mortals after the resurrection;[8] but nowhere does he

[1] Text G 1.
[2] Text F 12.
[3] Leyden MS. has *kām*.
[4] MSS. *jām*.
[5] Ys. 9. 26.
[6] Or the Pleiades; v. Bartholomae, *Indogermanische Forschungen*, xxxi, p. 35: in favour of 'Pleiades' is the Pashto form *pērūne* (Morgenstierne, *Etymological Vocabulary of Pashto*, p. 58).
[7] See note D, p. 215.
[8] GrBd. 149. 12: *'pat fraškart-kartārīh (hōm) 'andar apāyēt, 'čē-š an⟨ō⟩šakīh hač-iš vīrāδānd.*—'For the making of the Fraškart (Hōm) is necessary; for from it they will prepare immortality.' Cf. ibid. 175. 5. Ibid. 226. 4: *'gāv i haδayanš 'pat 'ān yazišn *kušēnd: 'hač 'pīh i 'ān 'gāv hōm i*

appear as a 'principle'—a role for which he would in any case be singularly miscast.

More plausibly one might emend to *taum* (= Phl. *tōm*, *tōhm* 'seed'); for in the *Dēnkart* the Endless Light is spoken of as the 'seed' from which the *χᵛarr* arises,[1] and the conception of 'seed' plays an important part in the ontological parts of that work.[2] This, however, amounts to duplicating Space, for *tōhm* = Endless Light is the Space of Ohrmazd. Again, in another passage Ohrmazd is seen to create (*āβurītan*) the *Dēn* which is called *tōhmakān tōhmak* 'the seed of seeds',[3] which would exactly fit the Masʿūdī context. It is, however, unlikely that Masʿūdī would have known of this equation, though it is not, of course, impossible.

The emendation of foreign words transcribed into the Arabic script is, however, not a rewarding or profitable occupation. One has only to glance at any Arabic text in which such names are transcribed to realize the appalling deformations that can take place:[4] the only possible guide in such cases is common-sense deduction from existing data. In our own passage it will have been noticed that Masʿūdī gives the form *kāh* (*gāh*) as the Persian for 'Time', and **ǰāy* for 'Space'; but in the older language both habitually mean 'space' or 'place', though *gāh* (*gās*) may also mean 'time'. Masʿūdī's use of *gāh* and **ǰāy* shows that he was dealing with a text which had the collocation *gās 'ut gyāk*; and it is precisely this collocation that we have in the first chapter of the *Bundahišn*. We are, then, justified in emending the senseless *yaum* to *dēn* while admitting that there is very little resemblance between the signs representing the two words in the Arabic script. For the whole phrase we might read: *dain, wa hīya'ṭ-ṭayyibatu wa'l-tamyīzu*, 'the Religion, that is the good and discrimination'. *Ṭayyib* in connexion with *dēn* would render the Pahlavī *dēn i vēh*, 'the Good Religion'.

Apart from the passages quoted above in which the Three Creators—Time, Space, and Religion (Wisdom)—appear together, there are numerous places in which two of the series are associated in pairs.[5] There is, however, also a passage in the *Šikand Gumānī Vazār*[6] in which the Three Creators whose identity we have been at such pains to establish, not only

spēt ⟨*i*⟩ *anōš vīrāδēnd*.—'At that sacrifice they slaughter the bull Haδayanš, and from his fat they prepare the white, immortal Hōm.' Cf. Dd. 36. 86.

[1] Text Z 9.

[2] Cf. especially DkM. 120. 22 ff; 290. 1 ff.

[3] See note E, p. 215.

[4] As a single example among many we may cite Yaʿqūbī's version of the name of Mānī's father. While Greek sources have *Πατέκιος*, Šahristānī *fātak* and the *Fihrist fattaq*, Yaʿqūbī has *ḥammād* (!). Cf. Kessler, *Mani*, p. 338.

[5] Time and Space in texts Z 16, 18 (*a*), 23: Time and Wisdom in Z 20 and 22.

[6] 10. 12–13.

appear, but are mentioned by name. The names are not what we expect. The passage reads:

> When he (Ohrmazd) bore the name of Creator (*dādār*), then he bore three (other) names also: creation (*dahišni*), Religion and soul (*rvą*).

Of the series we found in the *Sīh-rōčak*, *Bundahišn*, and *Dēnkart*, only *dēn* is the same; yet that the *Šikand* is referring to the same doctrine of the 'three creators' is quite indisputable. Nor can we lightly emend *dahišni* to something else on the grounds that it is nonsense as it stands in the text; for this text itself adds, 'For it is well known that the name of creator comes from creation'. Obviously, then, the author, who otherwise shows remarkably good sense and considerable dialectical skill, sticks by his paradox that 'creation' is one of the names of the 'Creator'. However, though the theology of the *Šikand* is based on the *Dēnkart*,[1] there is no evidence in that work that creation, religion, and soul figure as three creators. *A priori* the names of the three creators should be Time, Space, and Religion (Wisdom) as in *Bundahišn* iii.[2] We must then either reject our theory of Time–Space–Religion = the Three Creators altogether, and accept the evidence of the *Šikand* only, or offer a plausible explanation of how the author of the *Šikand* can have brought himself to describe 'creation' as a 'creator', and whence he derives 'soul' (*rvą*, *ruvān*) in this creative role.

To take 'soul' (*ruvān*) first. The only passage that occurs to me which is even remotely parallel to our present problematical text occurs in the *Greater Bundahišn*,[3] where the soul of man (the microcosm) is said to correspond to Ohrmazd in the macrocosm. In the Manichaean system, too, the panoply of Primal Man (Ohrmazd in Iranian Manichaean terminology) is equated with his soul,[4] and the power sent by the Primordial God is the soul of matter.[5] None of these passages, however, are parallel: they do not make 'soul' a creator. Nor are we justified in seeing the idea of the Neoplatonic world-soul (the *nafs-i-kull* of the Ṣūfīs) in this one isolated instance; for this idea is foreign to Zoroastrianism.

For the *ruvān* of the *Šikand* the *Bundahišn* has *zamān* 'Time'. If the accounts are to be reconciled, there are two possibilities. Either the author

[1] ŠGV. 4. 107; 9. 1; 10. 57; 12. 1. Cf. the introduction in Âsânâ-West, p. xviii.

[2] *Supra*, p. 204.

[3] GrBd. 190. 13: *ruvān čēyōn Ōhrmazd*, 'the soul is like Ohrmazd'. Cf. Reitzenstein, *Studien*, p. 119.

[4] v. Schaeder, *Urform*, pp. 111 ff.; id. *Studien*, p. 253; Reitzenstein, *Die Göttin Psyche*, p. 14. In the *X^{v}astuānift* the 'Five-gods' corresponding to the 'panoply' of the *Acta* are described as 'our souls': cf. the Persian account of the soul robbed by the powers of darkness in the frag. S 9 (Salemann, *Manichaica*, iii; Jackson, *Researches in Manichaeism*, pp. 75–126; Henning, NGGW. 1933, p. 306).

[5] Alexander of Lycopolis (Brinkmann, p. 5, l. 22), cf. Cumont, *Recherches sur le Manichéisme*, i, p. 18, no. 4; Baur, *Das Manichäische Religionssystem*, p. 52.

of the *Šikand* has sought to suppress all reference to Zurvān-Time as a creator, a view with which he radically disagreed as his last and sixth chapters show, and has substituted 'soul' for the once supreme deity which in his time was being slowly eliminated from the pantheon; or, owing to an early corruption, *ruvān* has been substituted for *zurvān*—the difference of one letter if we accept a Pahlavī spelling *zrwb'n* beside the normal *zwrw'n* and the more unusual *zrwp'n*.[1] Either alternative is possible; but the latter seems to me the more likely since precisely this has in fact happened in a New Persian text (our text Z 36) where the substitution of *ruvān* for *zurvān* is certain.

The case of *dahišn(i)* can also be explained as a scribal error, though if it originally was so, it was accepted as genuine by the author of the *Šikand* himself: and this is remarkable in one who would not himself have invented 'creation' as a name of the Creator. Oddly enough, the same enigma appears in the *Dēnkart*[2] where it is said:

> Matter (*gētēh*) is ruled by these six things, by Time, creation (*dahišn*), wisdom, power (*aδyār*, cf. NP. *yāristan*, *yārā*, *yār*, &c.), means, and effort. A wise man has explained that of these six three are spiritual and three material. Time, creation, and wisdom are spiritual; power, means, and effort are material.

Fortunately in this case there is a parallel passage.[3] In this we have a similar though not identical series—Will, Power, Means, Effort, Space, and Time—supplemented in the universe of the good by Wisdom and the Light of Wisdom, and in the universe of evil by Lying Falsehood and the Darkness of Lying Falsehood. Thus Time, Power (*nērōk* or *aδyār*), Means, Wisdom, and Effort are common to both series. The Light of Wisdom and its dark counterpart may for our present purposes be ruled out as being an extension of Wisdom and Lying Falsehood. Thus we are left with Will and Space on the one hand and *dahišn* (creation) on the other. Will is so nearly allied to Effort and Power that it need not detain us. We are therefore reduced to the equation Space = *dahišn*.

It is perfectly possible that the Pahlavī signs normally transcribed as *dahišn* and translated 'creation', and so transcribed and translated in the *Šikand* in the passage we have just discussed, conceal a word for Space which has remained hitherto unknown. It is, however, equally possible that *dahišn* is merely a miswriting of *gās* (space): such is the fascinating simplicity of the Pahlavī script that the mere addition of a ligature and a vertical stroke would transform *gās* into *dahišn*. Similarly if you insert a vertical stroke before *gās* it will become *vēhīh* 'goodness'; and this confusion is actually attested in GrBd. 3. 1, which reads *vēhīh* while IndBd. reads

[1] YF. 2. 39, 40. [2] Text Z 18 (*b*). [3] Text Z 18 (*a*).

correctly *gās*. Thus it is not at all impossible that the *dahišn–dēn–ruvān* of the *Šikand* is really *gās–dēn–zurvān* (*zamān*) heavily disguised.

The combined evidence of the *Sīh-rōčak*, *Bundahišn* i and iii, the *Dēnkart* passages, and of Masʿūdī seems conclusive that one section of the Zoroastrians whom we have called semi-Zervanites conceived Ohrmazd as tetramorphous: his forms are his own personality as Creator, Time, Space, and Wisdom. By analogy with the Manichaean tetrad of Zurvān (Supreme God), Light, Wisdom, and Power, we can deduce an original Zervanite tetrad of Zurvān (Time), Space, Wisdom, and Power which combined to make up the godhead. The evidence of the *Šikand* is disconcerting; and we are quite prepared to admit that we have perhaps explained away the thorny difficulties presented by the impossible 'creation-Creator' and the improbable 'Soul-Creator'. This does not, however, alter the picture which emerges from the rest of our evidence. In Zervanism as well as in Manichaeanism Zurvān is the *τετραπρόσωπος πατὴρ τοῦ μεγέθους*: Time–Space–Wisdom–Power.

NOTES TO CHAPTER VIII

A. *nāvtāk*: 'navigable'; so following Bartholomae, AIW., col. 1064 against Herzfeld, AMI. ii, pp. 62 ff. The latter connects our word with NP. *nāv* 'trough, pipe, canal', *nāvdān*, *nāvak* 'canal'; cf. GrBd. 82. 5 *nāyičak* = NP. *nāyizeh*, also *nāvičeh*: Yidgha-Munji *nawoγo* (Morgenstierne, *Indo-Iranian Frontier Languages*, ii, p. 234). In support of this he cites the Pahlavī gloss (Vd. 14. 16; 18. 74) *kaθas* (cf. MPT. *khs* 'channel, sewer') and the NP. gloss in FrPhl. *nāvdān*. All this, however, does not obviate the semantic difficulty presented by the present passage, for the creator can scarcely be credited with the creation of 'canals'. Similarly in Yt. 10. 14, *āpō nāvayå pərəθwiš χšaoδaŋha θwaχšəñte*, 'the navigable rivers, the broad torrents rush on'. Clearly 'canals' will not do. *nāvtāk* is the translation of Av. *nāvaya-*. The Phl. spelling is usually *N'YWT'K*, but Vd. 14. 16 has the expected *N'WT'K* (so also a variant in Vd. 18. 74). *N'YWT'K* should perhaps be read as *nāyᵘtāk* with a light *u* as in *pātᵘχšāy* (*P'TWXŠ'Y*, normal spelling in Pahlavī) with the normal development *v*>*y*: *nāy-vitāk* would not be satisfactory since MP. *vitāč-* means 'melt'.

B. Garōδmān = Av. *garō dəmāna-* is usually taken to mean the 'House of Song', so recently Nyberg (*Religionen*, p. 161), but Herzfeld (*Altpersische Inschriften*, pp. 168 ff.) has suggested 'treasure-house', *ἀποθήκη*, *gar-*, *ἀγείρω*, 'collect'. This view is corroborated by the alternative phrases for 'heaven': (i) *ganǰ i hamēšak sūt*, 'the treasury of eternal benefit', which we have met above in our second excerpt; (ii) *ganǰ i hamēšak vaχš*, 'the treasury of eternal increase (PhlTexts, p. 139, § 36); (iii) *ganǰ i yazdān*, 'the treasury of the gods', referring to the receptacle of good works collected by the Moon. Further there is Arm. *gerezman* 'tomb', which is plainly neither a house of song nor of glowing (Hertel), but an *ἀποθήκη*. The connexion of the Armenian word with *garō dəmāna-* is, however, questionable (Hübschmann, *Armenische Grammatik*, i, p. 127; Henning, *Transactions of the Philological Society*, 1946, pp. 157 ff.). In Yt. 12. 37 Garōδmān is represented as

being the highest of six heavens; but according to GrBd. 194 it is the third highest, being inferior to the Endless Light and 'the place of the Amahraspands' and corresponding to the 'station of the Sun' of GrBd., p. 28. Cf. further p. 144, n. F.

C. Texts Z 15 and Z 23, § 102. Cf. DkM. 416. 14 ff., a translation of which was attempted by Junker, *Aion-Vorstellung*, p. 159, n. 31. The text is as follows:

'apar-šān[1] (*yazdān* J.) *akanārakīh i zamān paytākīh ēvak 'bavēt, 'nē šāyastan dahišn 'bē 'andar zamān guftan. 'ut 'andar-šān* (*yazdān* J.) *sačišn i kanārak-zamānīh 'apar-vīnārišn hamīh i 'būt 'bavēt ēvak 'ō 'dit. 'ēn-ič paytākīh guft 'ku 'har 'būt 'bavēt 'ut 'har 'bavēt 'būt 'bavēt. gēhān*(?)*-šān*[2] *gyāk 'apar 'hast, 'ut 'nē 'čiš 'bē gyāk:* [*i*] *'čišān čand 'čišān* ['*čiš*] *kanārakōmand, 'ut gyāk-ič hamāk 'hač tuhīkīh: 'ut tuhīkīh mānāk-gyākīk akanārak guft 'pat abastakīh, čēyōn 'pat zamān dātār 'hastīh. akanārak-zamānīhā 'apar *čišān 'nēst 'čiš guft čēγōn* [*i*] *'būt 'bavēt.*—'Concerning the manifestation of the infinity of Time one of their[1] views is that one cannot speak of creation except (as existing) in Time: for them the regularity of the passage of finite time is continuity (existing between) the past and the future. Its manifestation is said (to consist in this) that everything past is (at some time) future and everything future is (at some time) past. For them matter(?) is (founded) on Space: nothing exists independently of Space. Things *qua* things are finite. All Space is from the Void. The Void *qua* Space is said to be infinite through being non-contingent just as the being of the Creator (is said to be infinite) through Time. *Sub specie aeternitatis*, it is said, there is no such thing as present and past.'[3]

D. PhlTexts, p. 125, § 27: *'ut-aš 'har 'rōč 3 bār hōm 'ō gōš 'gōβēt 'ku rāmišnīk 'kunam, 'ut 'mā tarsēt 'čē-tān ōš 'hač ruvān apāč 'dāram, 'ut-tān ruvān 'nē ōšōmand čēγōn tan ōšōmand.*—'Three times a day Hōm speaks in his ear (saying), 'I will make you glad: fear not, for I keep death from your soul, and your soul is not mortal as your body is mortal.'' '

GrBd. 116. 2: *hōm i spēt bēšaz i avinast rust 'ēstēt 'andar čašmak i Ardvīsūr: 'har 'kē 'χ^{v}arēt ahōš 'bavēt.*—'The white, healing, immaculate Hōm grows in the fount of Ardvīsūr: whosoever drinks thereof becomes immortal.'

Zs. 3. 40: *hōm i spēt hamēstār*[*īh*] ⟨*i*⟩ *zarmān, zīvandakgar i murtakān, an*⟨*ō*⟩*šakgar i zīvandakān.*—'The white Hōm, adversary of old age, vivifier of the dead and giver of immortality to the living.'

E. DkM. 873. 9: *'apar āβurītan i Ōhrmazd pēš 'hač 'har dahišn i yut 'hač amahraspand 'pat 'bē niyāβākīh i amahraspand *rāst 'saχ^{v}an i fražānak dēn visp-ākāsīh hangarttom 'ut hangartīktom fravand 'ut dāramaktom* ['*ut*] *karp, tōhmakān tōhmak 'ut baχšišnān bun i apārīk 'hamist vēh-dēn gōβišn bay ahunvar.*—'On Ohrmazd's creating before all creation except the Amahraspands and for the assistance of the Amahraspands the righteous word of the wise Religion of omniscience, the most wide embracing and comprehensive girdle and most subtle body, the seed of seeds and source of dispensations, the lord *Ahunvar* together with the other words of the Good Religion.'

[1] Who or what are 'they' (*-šān*)? 'They' occur with monotonous regularity throughout Book IV of the Dk. In the present context they would appear to be the *mānsrō*(*k*)*barān* 'bearers of the word' mentioned in the preceding line.

[2] For *gēhān* the text has *YYHN*. I read *gēhān* on the analogy of text Z 15 (DkM. 133. 2), *gyāk 'ī-š gētēh 'apar.*

[3] Cf. text Z 17: 'he (Ohrmazd) is limited by matter, limitless through Time'.

APPENDIX TO CHAPTER VIII

A transliteration of the four passages translated at the beginning of the chapter is appended here. The Pahlavī text is found in the *Zand i χᵛartak Apastāk*, pp. 231–2, 240–1, 252–3, 258–9. The very corrupt and late Pāzand version will be found in *Pāzand Texts*, pp. 250, 257, 266, and 272.

I. ZXA. 231. 11–232. 15.

dātār šnāyēnītārīh

stāyēm 'ut āzbāyēm dātār Ōhrmazd i vēh i aβzōnīk: burzēm 'pat hamāk 'rōč 'ut 'šap. burt-šnōhr[a] *'ham 'hač χᵛāβar dātār Ōhrmazd 'pat-ič kartan i 'man, 'kaδ-aš 'man 'hač čihrak i 'martōmān brēhēnīt, 'ut-aš vēnāk, gōβāk 'ut ravāk 'dāt, aržānīk kart 'ham 'pat tan druvistīh 'ku stāyēm 'rōč 'ut 'šap 'ō 'tō, dātār, 'nām 'baram. spāsdār 'ham 'hač 'tō, dātār i vēh aβzōnīk, 'kaδ kartārīh i 'tō 'vēnam, čēγōn āsmān i aβd-kart 'ut zamīk i hudahāk, star i hučihr 'ut māh i bāmīk, χᵛaršēt i rōšn i ravāk-ray, 'ut 'āp i tačāk i 'har jānvarān zīvišn hač-iš, ātaχš i suχr i sōčāk i 'vazurg aδyārīh i gētēhān hač-iš, urvar ⟨i⟩ χᵛāβargar i vas-gōnak i tarr i zarrgōn i 'har gētēhān hač-iš dārišn zīvišn, ⟨'ut⟩ 'χᵛarr 'ut χᵛahrīh 'ut χᵛāstak 'ut pātuχšāyīh 'ut apārīk-ič nēvakīh i 'tō 'dāt 'hēnd. 'ut 'kaδ kanīk 'vēnam 'ut nāirīk i hukarp ⟨i⟩ hučihr i naχšak*[b] *i patχᵛāδišnīk, 'ut 'kaδ 'pus 'vēnam i āsnōtak*[c] *i hudēn i huruvān i ravāk-guftār i hanǰamanīk, 'ut 'kaδ ham-tō(h)makān i 'χᵛēš 'vēnam i 'vēh i frārōn, stāyēm 'tō, dātār i akanārak-nērōk yāvētān-zamān. apuχšāδ 'pat 'man 'ut 'ō manišn i sardārān 'ut pātuχšāyān 'dah 'pat 'man nēvakīh 'ut āsānīh kartan, *hučašm*[d] **'būtan [i]. 'har nēvakīh 'i-m 'χᵛēš rāδ 'hač 'tō kāmak frārōnīhā 'andar aβzōn 'dār, dātār i vēh; 'čē aβzōnīk 'ut dēr-pattāy 'hast nēvakīh i 'hač 'tō. 'ut-am 'nēst ['ut-am] panāh 'ut-am aβstām 'ut ummēt 'bē 'ō χᵛāβarīh i 'tō.*

II. ZXA. 240. 3–241. 16

dātār šnāyēnītārīh

stāyēm 'ut āzbāyēm 'ō 'tō, dātār i aβzōnīk, 'hač 'nūn 'tāk yāvētānak-zamānīhā 'kē buništ i 'har nēvakīh Ōhrmazd 'hēh; 'ut hamāk 'χᵛarr 'ut χᵛahrīh 'ut rōšnīh bun 'hač 'tō vīnārišn. 'bē[e] *'tō 'χᵛat akanārak zamān 'hēh, 'ut dātār dāštār 'ut pānakēnītār i 'χᵛēš dāmān, yōšdāsrēnītār 'hač 'har āhōk pityārakōmandīh ['ut] 'pat 'χᵛēš χᵛāβarīh apuχšāδišnōmandīh. 'ut harvist 'ul ōstēnēh,*[f] *'kē ahrov 'ut 'kē-ič druvand, 'ut 'kas-ič 'hač χᵛēš dāmān 'andar dām nivandak*[g] *i druž 'nē 'hilēh; 'ut-šān hamāk 'pāk 'ut yōšdāsr 'kunēh, 'ut-šān yāvētān purr-urvāhm-vānišn*[h] *'dārēh, 'ut-šān kunišn passačakīhā 'hač 'χᵛēš ganǰ i hamēšak sūt pātdahišn 'ān i vēh [i] āzātakīhā ov-iš nivēkēh.*[i] *'ut 'pat 'har gās stāyēm 'tō, 'čē 'pat kām 'ut framān i 'tō vīnārt 'ēstēt āsmān 'ut zamīk 'ut 'har dām 'ut dahišn gētēh 'ut mēnōk. bōχtār-mān 'bavēh, 'tō χᵛāβar χᵛatāy, 'hač 'dast 'ut kōχšišn i 'vattarān, mustkarān, 'čē-mān 'nēst aδyārīh 'ut pānakīh 'ut aβstām bē 'ō 'tō, Ōhrmazd i vispān frahāt. 'bavēh čārak-χᵛāstār i ačārakān, apēčārēnītār i graftārān, bōžēnītār i 'har 'kas 'hač bīm 'ut astānak ⟨i⟩ garān, 'hač sāstārān, kayakān, karapān 'kē 'pat dām ⟨i⟩ 'vēh vināstārīh duvārēnd. apuχšāδ, χᵛāβar,*

[a–i] *For notes see p. 218.*

apuχšāδ, dātār, apuχšāδ, dānāk, apuχšāδ, kirpakgar, apuχšāδ, visp-aβzōnīk nēvakīh mēnōk, 'apar 'amāh apuχšāδāvandān. 'ō mēnišn i pātuχšāyān 'dah 'kē-mān 'apar sardār 'ut pātuχšāy 'hēnd, nēvakīh-kāmak 'ut hučašm 'būtan: ōγōn-ič 'ō mēnišn i hamāk sardārān pātuχšāyān 'kē 'andar gētēh 'apar dām i 'tō pātuχšāy 'ut ravāk-framān 'hēnd, 'ku 'tāk aβzōnīktar 'bavēt 'ān i 'tō dām 'ut dahišn, hamāk i 'apar spandarmat būm [i] purr-bar 'mānēnd. 'čē 'kaδ 'martōmān āsānīh 'ut χᵛahrīh 'bavēt, hamāk-ič dām 'ut dahišn i 'tō 'ō huvarzišnīh i 'martōmān pardāčišn pattōkīh 'i-šān 'pat 'har frārōnīh. 'ut-mān ⟨'pat⟩ᵢ 'har 'hēr aβstām 'ō 'tō, dātār i vēh i visp-tavān.

III. ZXA. 252. 5–253. 4

dātār šnāyēnītārīh

*stāyēm 'ut āzbāyēm 'tō, dātār i vēh i aβzōnīk, 'kaδ kart apāyastan kām 'ut framān 'vēnam i ōγōn aržōmand ⟨vi⟩tīmāsᵏ i 'pat gētēhān dānišn ayāftan 'ut 'dānastan 'nē 'bē ēvāč 'pat harvisp-ākās χrat i 'apāk 'tō, aβzōnīk Ōhrmazd, 'dānastan šāyēt. čand vēš 'vēnīhēt, 'tō pat-iš stāyišnīktar 'hēh, 'kaδ-at āsmān vīnārt i astūn 'kē-š hēč stūn vīnārišn 'ō gētēhān 'nē paytāk; 'ut-at zamīk vīnārt i ham astūn-šōnˡ i frāχᵛ-vistarišn 'kē-t 'apar frāč 'dāt rōt i *nāvtāk, kōf i buland i purr-vāstar i 'āpōmand 'ut gōhrōmand, 'ut dār i vazurg-tāk frāχᵛ-d⟨ē⟩šak 'ut zufr-rēšak, ātaχš-ič i suχr i sōčāk, 'martōm i 'vas-aδvēnak 'ut gōspand i panj-aδvēnak i 'vas-sarδak. 'ut-at andarag zamīk 'ut āsmān frāč-ravišnīh 'dāt, 'ān i hučihr 'ut bāmīk 'ut 'χᵛarrōmand stārak, māh 'ut χᵛaršēt, spihr i haftān 'ut davāzdahān, 'ut mēnōkīk aβr 'ut sūtēmand vārān, vāt-ič i škift-nērōk 'kē hēč jānvar yut hač-iš pattūtan 'nē tavān: rāδēnāk 'hast i 'har 'čē andarag zamīk 'ut āsmān. stāyēm 'ō 'tō, dātār i vēh 'kē-t 'man frāč 'dāt 'ham druvist-annām 'ut frārōn [i] rāδēnišn: 'ut-am 'pat 'har hēr aβstām 'ō 'tō.*

IV. ZXA. 258. 18–259. 14

anaγrān šnāyēnītārīh

*stāyēm 'ut āzbāyēm 'ān i asar rōšnīh 'ut 'ān rōšn garōδmān, hamēšak sūt gās ⟨i⟩ χᵛaδāt *'kē hamēšak ['ut hamēšak] hamāk-χᵛahrīh pat-iš. 'ut-aš 'ō gētēhān rasišnīk 'ān-ič i rāst rās Činvat puhr 'kē 'ō ahrovān 'bē frāχᵛēt 9 nēzak dr⟨ah⟩nāδ, 'kē dērangīh 3 nay, 'ut 'ō druvandān čēγōn ustarak tēh 'bavēt: 'ō dōšaχᵛ 'ōpatēnd. ahrovān ruvānān vitaragīhā frāχᵛ-rās āsānīhā 'ō 'ān i pahlom aχᵛān franaft 'rasīt tavān. hamvār šnāyēnēm 'ut yazēm χᵛāβar dātār Ōhrmazd 'ut amahraspandān 'ut hamāk yazdān. 'χᵛāδam 'ku-m aržānīkēnēnd ruvān 'andar 'ān i pahlom aχᵛān hamdēmānīh ⟨i⟩ Ōhrmazd 'ut amahraspandān: 'ut-am nikēžīt 'ō aχᵛᵐ i vārom 'ku hamē zīvandak dr⟨ah⟩nāδ χᵛāstār 'ut pattōk 'bavam 'pat χᵛēšēnītan i 'ān [i] rās 'ut pand i pat-iš 'ō 'ān i pahlom aχᵛān i hamāk χᵛahrīh garōδmān matan šāyēt. frāč-mān harvisp-ič χᵛahrīh nēvakīh ⟨i⟩ dām 'hač 'tō. čēγōn-mān harvisp nēvakīh 'hač 'tō, ōγōn-ič-mān 'pat 'ān i vēš nēvakīh 'ut sūt, 'χᵛarr, χᵛahrīh aržānīk 'kun.*

j–m *For notes see p. 218.*

NOTES TO APPENDIX VIII

[a] Cf. Phl. Psalter, p. 35, *bwltšnwhly*.

[b] Reading and meaning from MParthT. *nχšg* (Andreas–Henning, *MirMan.* iii).

[c] *āsnōtak*: translates Av. *āsna-*, cf. BSOS. ix, p. 311.

[d] Text has *hanǰām*, but the parallel *hučašm* of our third excerpt is decisive.

[e] The MSS. vary between *'pat* and *'bē*; but since *'hēh* can only be 2nd sing. ind. or the conjunctive, and the latter yields no meaning in the context, we must take *'tō* as the subject and read *'bē*. The identification of Ohrmazd with *zamān* 'Time' therefore seems to be certain.

[f] *ōstēn-*, 'raise up' is only distinguished from *hangēžēn-* by a single vertical stroke: v. p. 104, n. C.

[g] *dām*: as in NP. 'snare'. Cf. ŠGV. 4. 65–72 (ten times), Skt. translation *vāgura-*; Zs. 3. 16, *dām-ē 'ut χumb-ē*. A close parallel to our passage is ibid. 35. 22: *Airyaman frēstak band[r]-ē 'pat dast dārēt; 'hač 'har 'martōm-ē rāδ i 'bē viturt, aš band-ē hač-iš ākustak 'pat humānākīh i dām ⟨ni⟩vandak 'kē-š murv māhīk pat-iš 'gīrīhēt.*—'Airyaman, the Messenger, holds a fetter in his hand; and from every man who has passed away there hangs a fetter in the likeness of a snare or bond in which a bird or fish is caught.' For *nivandak* in our passage Pāz. has *vañda*, but the reading is assured by Av. *nivanda-*, 'Fessel': cf. also DkM. 337. 14, 21: 338. 4.

[h] For *vānišn* one may also read *'ut χᵛašn* (MPT. *χwšn*, 'Lichtheit', *MirMan.* i).

[i] *nivēkēh*: the usual form in Phl. is *nivēkēn-* (frequent in Dk.) and we should perhaps so normalize here. Cf. Av. *nivaēdaya-*, MPT. *nwydg*, Arm. *nuirel*.

[j] *'pat*: supplied from the parallel at the end of excerpt III.

[k] *vitīmās*: v. p. 30, n. A 1.

[l] *astūn-šōn*: *'vēnišn* might as easily be read. We should then have *ham-'vēnišn* 'wholly visible'. For *šōn* v. Bailey in BSOS. vi, p. 947.

[m] *aχᵛ*: presumably 'existence' rather than 'desire'. For the latter v. p. 53, n. 1: cf. MPT. *'wχ*, 'Sinn' (Henning, *Man. Bet- und Beichtbuch*, s.v.).

CHAPTER IX

THE GOD ZURVĀN

(*a*) *The Fourfold God*

It was the purpose of our last chapter to demonstrate from the Pahlavī books themselves and by comparison with the Manichaean data that the supreme god of the Zervanite Zoroastrians was conceived of as tetramorphous, comprising the four hypostases of Time, Space, Wisdom, and Power.

H. H. Schaeder was the first to point out that the tetramorphous Zurvān was present in Zoroastrianism as well as in Manichaeanism;[1] and H. S. Nyberg, with characteristic enthusiasm, took up the idea and carried it very much further.[2] Neither, however, seems to have discerned the basic tetrad—Time, Space, Wisdom, and Power—the existence of which we have sought to prove. Nyberg, however, thought he could discern other Zurvanic tetrads in the Pahlavī books; and it will be among our tasks in this chapter to consider the validity of these.

Turning first to the non-Iranian sources, in this case written in Syriac, we find three deities appearing as apparently coexistent and co-eternal with Zurvān.[3] Their names are Ašōqar, Frašōqar, and Zarōqar. The information supplied by our sources is as usual scanty; and we will therefore reproduce the four passages here:

F 10: 'He [Zoroaster] first recognized four principles like the four elements, Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar and Zurvān, and said that Zurvān was the father of Ohrmazd.'

F 5 (i): 'Should we then consider Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar and Zurvān to be gods?'

F 8: 'He [Zoroaster] taught first of all the existence of four gods, Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar and Zurvān; but did not say what their functions were.'

F 9: 'He [Zoroaster] says also that the elements, that is fire, water, earth and the atmosphere, are gods, but that in sovereignty and divinity they are inferior to the gods Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar and Zurvān. It was Frašōqar who engendered Ohrmazd.'

The Syriac sources then tell us very little indeed. All that emerges from their laconically contemptuous accounts is that the three gods are

[1] *Urform und Fortbildungen des manichäischen Systems*, pp. 138 ff.

[2] CCM. 1931, pp. 47 ff.

[3] Theodore bar Kônai, Āδur-Hormizd, Mâr Barhad-Bešabbâ, and the anonymous Syrian re-edited by Nyberg, CCM. 1929, pp. 238–41: v. our texts F 10, 5, 8, and 9.

hypostases of Zurvān, identical yet in some way distinct: this seems clear from the statement of F 9 that Frašōqar engendered Ohrmazd, though the same author says earlier in his narrative that both Ohrmazd and Ahriman were born of Zurvān. In this connexion we may cite Šahristānī's statement that the Light emanated 'persons of light', the greatest of whom was Zurvān.[1] Secondly, it is clear that the four gods are all antecedent to Ohrmazd and Ahriman; and thirdly that they are in some way unspecified connected with the four elements. *A priori*, then, we should expect the four gods to correspond to the four eternals discussed in the last chapter. The names of the gods, however, rule this out entirely.

On the meaning of the terms Ašōqar, Frašōqar, and Zarōqar Nyberg (l.c.) has already said most that is essential. He rightly based his interpretation on the Avestan passage *Yašt* 14. 28, where the words *aršōkarəm maršōkarəm frašōkarəm* occur as epithets of the warrior god Vərəθraγna (Phl. Varhrān, NP. Bahrām). In this series *frašōkarəm* is identical with our Frašōqar: our Ašōqar has merely lost the *r* of *aršōkarəm*: two members of the triad are therefore identical. *Maršōkarəm* was considered by Nyberg to be the semantic equivalent of Zarōqar, and he therefore translated 'qui rend vieux', and in this interpretation Benveniste agrees.[2] The whole sequence Nyberg took to mean 'qui rend viril, qui rend vieux, qui rend splendide'. Having satisfied himself as to the etymology and meaning of the three epithets, Nyberg turned his attention to the question of whether they belonged properly to Vərəθraγna or to Zurvān. The theory advanced in his *Questions de cosmogonie et cosmologie mazdéennes*,[3] which seemed plausible enough, he abandoned later in conformity with his highly original but largely unacceptable theories on the nature of the Iranian religions.[4] His earlier view was that at a time when the Zervanite form of Zoroastrianism was gradually being ousted in favour of a more orthodox Mazdeanism, attributes and epithets once proper to Zurvān were gradually transferred to other deities. The epithets 'who makes virile, who makes bright, who makes old' were thus transferred from the Time god to whom they obviously belonged to the genius of victory who should have no part in them. Subsequently, after radically changing his views on the nature of the god Vərəθraγna, Nyberg found that the epithets were equally applicable to either god. It is fortunately no business of ours to argue for the prior claims of either Vərəθraγna or Zurvān: it is enough that the epithets A(r)šōqar, Frašōqar, and Zarōqar are four times attested as hypostases of Zurvān and that each finds confirmation in an original Zoroastrian text:[5] whether they

[1] Text F 4, § 1.
[2] See note A, p. 246.
[3] pp. 89 ff.
[4] *Religionen des alten Irans*, p. 383.
[5] *Infra*, p. 221.

were transferred from Zurvān to Vərəθraγna or vice versa is in this context immaterial.

That Zurvanic attributes were, however, transferred to other deities is certain. In the course of our investigation we have time and again been struck by the fact that many myths found in our Zoroastrian books show a Zervanite origin, but have almost invariably been restated in order to conform as nearly as possible to Mazdean orthodoxy. Nyberg himself has cited one case that appears to me incontestable—the substitution of the death-demon Astōvihāt in the *Aogəmadaēčā* for the Zurvān (*zamān*) of the *Greater Bundahišn*.[1] Again we find that epithets attributed to Zurvān in the latter work are gratuitously transferred to Rapiθwin, the quite insignificant genius of the midday, in the *Dēnkart*. The parallelism is here so exact that there can be no doubt that such a transfer has taken place. By juxtaposing translations of the two passages here, the reader will be best able to judge for himself:

(i) GrBd. 10. 11 (text Z 1, § 25): 'Time understands more than those who understand much. Time is better informed than the well-informed.'

(ii) DkM. 647. 13: 'Rapiθwin is he who understands more than those who understand and he who is better informed than the well-informed.'[2]

That Rapiθwin has in this case benefited by the degradation of Zurvān from the supreme place in the pantheon seems obvious. The point should not need stressing.

The epithet Zarōqar is once attested (in the Pāzand form *Zarvagar*) in a late Pārsī text as a name of Zurvān.[3] Frašōqar, too, once appears in a Pāzand text (Pāz. form *faršōgar*),[4] but here it has been transferred to Ohrmazd. This again can be regarded as part of the late and post-Sassanian effort to minimize the importance of Zurvān, but the transfer has an additional interest in view of the Syriac text's statement that it was Frašōqar who engendered Ohrmazd. Again, we find the term Ašōqar paralleled in the *aršnōtačin* found in the *Dēnkart*[5] in a cosmological passage associated with Zurvān-Time. How and when these epithets were transferred to Vərəθraγna, or whether indeed they were originally proper to him, is for our present purposes beside the point. In the Zoroastrianism of the Sassanian period they quite certainly were regarded as hypostases of Zurvān.

[1] CCM. 1931, pp. 44 ff.

[2] DkM. 647. 13: *rapiθwin 'ān ⟨i⟩ 'hač ayāpakān ayāpakīhātar, 'ut 'ān ⟨i⟩ *'hač pursišnīkān pursišnīktar.*

[3] v. our text Z 36.

[4] PāzTexts, p. 337: it occurs as the hundred and first and last name of Ohrmazd: cf. the late Pārsī compilation entitled *Farziāt-nāmeh* (ed. Modi), p. 62 (Persian numbering): *zi nām ī faršgar ma'nī'st ẕāhir/ qiyāmat-rā kunandeh ū'st āχir.*

[5] Text Z 20.

Nyberg, having satisfied himself on the etymology of the three words, proceeded to expatiate on their significance. Zurvān, being the god who makes virile, who makes bright, and who makes old, must be the god of puberty, maturity, and old age, the god of life and death.[1] As such he ceased to be a *deus otiosus*, but was a nature god manifesting himself in the rhythm of life and death, though, as we shall see, he came to be popularly identified with death and it is in this capacity that he is known in the Avesta.

Nyberg's interpretation of *fraša-* as 'bright' is disputed by many; but though the etymology still remains doubtful, the OP. passages seem to prove that 'excellent, fine' must be the sense at any rate in Old Persian[2] and probably, too, in Avestan. Literally, then, the three hypostases would be 'the male-maker, he who makes good, and he who makes old'.

The function of the god A(r)šōqar at least seems to be indicated by the parallel *aršnōtačin* of the *Dēnkart*.[3] That the two words belong to the same cycle of ideas is proved by the fact that the first is represented as an hypostasis of Zurvān and as such a first 'principle', while the second is called the 'original seed' from which the 'performance of action' (*kār kunišn*) arises: this 'performance of action' duplicates the 'action of Time' (*zamānak kunišn*). The *aršnōtačin* is also called *kār nērōk*, the 'power of action' or 'ability to act', that is action *in potentia*. Literally translated the word appears to mean 'male-flowing', which can surely only refer to the male semen. Thus *a(r)šōkar* will mean quite literally 'the male-making' or 'author of the male principle'—Zurvān, then, in this case conceived as the father of the Cosmos. From his seed proceeds the entire material Cosmos, just as the human race was later to proceed from Gayōmart. This fits in quite beautifully with what we have already said about the conception and birth of Spihr (the Cosmos);[4] and our argument seems to be nicely clinched by the description of this in the *Greater Bundahišn*.[5]

The creation of Ohrmazd was fostered spiritually in such wise that it remained without thought, without touch, without movement *in a moist state like semen.*

The same passage, too, seems to give the clue to the cosmological function of Frašōqar, for it goes on to say:

After this moist state came mixture like (that of) semen and blood; after mixture came conception, like a foetus; after conception came diffusion, such as hands and feet; after diffusion came hollowing—eyes, ears, and mouth; after hollowing came movement *when it came forward to the light.*

[1] CCM. 1931, p. 90.

[2] v. R. G. Kent, *Old Persian*, p. 198, where the literature is given.

[3] *Supra*, p. 221.

[4] *Supra*, pp. 112 ff., 141 ff.

[5] Text Z 1, § 38.

This last sentence fits into both interpretations of Avestan *fraša-*, the first of which (Bartholomae and most other scholars) associates it with Skt. *prāñc-* 'moving forward' and the second of which (Nyberg) takes it to mean bright. Frašōqar, then, will be the god who brings about the birth of the Cosmos, which during the process *moves forward* to the *light*.

This is not indeed in accordance with what the Syriac text F 9 says, namely, that it was Frašōqar who *engendered* Ohrmazd; but we should not, I think, rely too much on this very confused and confusing source,[1] especially as another source says of the three hypostases of Zurvān that Zoroaster himself did not specify their functions.[2] The *aršnōtačin* passage, moreover, and the known meaning of the root *aršan-* (ἄρσην) make it certain that A(r)šōqar is the male principle inherent in Zurvān, and must therefore have engendered the Cosmos.

Leaving Frašōqar aside for the moment, let us consider Zarōqar. This must be connected with the root *zar-* 'to grow old', and the equivalent *maršōkarəm* of Yt. 14. 28 is derived by Benveniste (l.c.) from the root *marz-* 'to rub (away)'. *Ergo*, Zarōqar is the genius who brings on old age and physical decay. Thus we have the three gods corresponding to the three decisive moments in the life of the Cosmos—its conception, its birth, and its passing away.

Even so, we are still confronted with the very obvious connexions between Frašōqar and the *Fraškart* which is the final rehabilitation of the Cosmos corresponding to the Christian resurrection of the Dead and the Muhammadan *qiyāmat*. It would be disingenuous to try to dissociate the two terms, for they are *nomen agentis* and *nomen actionis* of the same compound and must have been associated in the minds of the Zoroastrians themselves.[3] The order of the words in the Syriac accounts on the one hand and in Yt. 14. 28 on the other, however, seems to indicate a difference in the conception of Frašōqar. In the first case we have Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar, and in the second *aršōkarəm maršōkarəm frašōkarəm*. If, then, the second series was in fact transferred from Zurvān to Vərəθraγna, *frašōkarəm*, appearing at the end, must be the god who produces the *fraškart*. This series would then represent (i) the god who engenders the Cosmos, (ii) the god who withers it away, and (iii) the god who reconstitutes it or makes it 'excellent'. The series Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar, on the other

[1] The same source we had occasion to quote on p. 187.

[2] Text F 8.

[3] p. 221, n. 4 above. The *Farziāt-nāmeh* obviously equates *faršgar* with *qiyāmat-kunandeh*. In PāzTexts 354. 13 we find the form *frašogar-kardār* used as an epithet of Sōšyans, the eschatological 'saviour'. This is presumably a mistake for the usual *fraškart-kartār*, but the mistake shows that the author equated *frašōkar* with *fraškart-kartār* 'he who brings about the *fraškart*'.

hand, would represent (i) the god who engenders the Cosmos, (ii) the god who brings about its birth, and (iii) the god who brings about its decline and death. In any case they are the three gods presiding over the γένεσις, φθορά, and παλιγγενεσία of the Cosmos which is the finite Zurvān. The *aršnōtačin* passage from the *Dēnkart* (text Z 20) shows clearly what the *leitmotiv* of the myth is:

> From action *in potentia*, the original seed the Avestan name of which is *aršnōtačin* first (arose) . . .[1] the performance of action with which coincided the entry of Time into action (*zamānak kunišn*). From the performance of action (arose) the completion of action with which coincided the limit of finite Time. The limit of finite Time merges into Infinite Time the essence of which is eternity, and (which means) that at the Final Body what is contingent on it cannot pass away. Even as the religious authorities have said concerning Time: Time was originally infinite; then it became subject to limitation; at the end it returns to the Infinite.

Thus we have the following series:

	(*a*) *Action*	(*b*) *Time*
(i)	*kār nērōk* 'action *in potentia*'.	⟨*akanārak zamān* 'Infinite Time'⟩.
(ii)	*kār kunišn* 'action proper'.	*zamānak kunišn* 'Time in action'.
(iii)	*kār fražāmišn* 'the completion of action'.	*zamān i brīn kanārak* 'the limit of finite Time'.
(iv)	⟨'the return to the state of rest'⟩.[2]	*akanārak zamān* 'Infinite Time'.

Ašōqar would then be the deity which presides over 'action *in potentia*'; Frašōqar would preside over the *fraškart* (= *kār fražāmišn—zamān i brīn kanārak*),[3] the return from action to rest and from the finite to the Infinite. Zarōqar then must be the deity which presides over *kār kunišn*, action performed in finite time, which, proceeding naturally to its appointed term, can literally be said to be growing old. If this is a correct analysis of the data, the series in Yt. 14. 28 is to be preferred to that of the Syriac writers.

The order unanimously preserved by the latter in which Zurvān appears at the *end* of the series can, I think, be best interpreted on the lines suggested above. This series will then represent the following functions:

(i) Ašōqar, presiding over the conception of the Cosmos.
(ii) Frašōqar, presiding over its birth.
(iii) Zarōqar, presiding over its decline.
(iv) Zurvān, representing its reabsorption into the Infinite.

Frašōqar will then be the god who presides over the birth of the

[1] I omit 'through the creation of Ohrmazd' which is almost certainly a Mazdean addition.

[2] Cf. text Z 19: 'action, at its fulfilment, returns to its original state of rest'.

[3] Ibid.: 'Time, when its full term has elapsed, returns to its source which is the Infinite—that is the *fraškart*, the defeat of the Lie, the Resurrection and the Final Body, eternal bliss delivering all creation.'

Cosmos into Time or over its rebirth into the Infinite at the *fraškart*. The former idea would explain why the author of text F 9 speaks of Frašōqar as having engendered Ohrmazd. Had he said 'gave birth to', his account would probably have been correct.

Conception, birth, death, and rebirth—this, then, is probably the true interpretation of the series Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar, Zurvān: or again *αἰών–γένεσις–φθορά–παλιγγενεσία–αἰών*, if we accept a series Zurvān–Aršokar–Maršōkar (Zarōqar)–Frašōkar–Zurvān. The basic idea in either case is the same—the genesis of the finite from the Infinite, the procession of the finite back towards the Infinite, and the 'death' of the finite by reabsorption in the Infinite. It is the story of the 'manifestation' of Infinite Time-Space which in this respect can be compared to the Aristotelian as opposed to the Manichaean *ὕλη*, and of its ultimate retreat into the unknowable Infinite.

There remains, however, one point which is still obscure. What does Theodore bar Kônai mean by saying that Zurvān and his three hypostases are 'like the four elements', or again (text F 9) that the elements 'fire, water, earth and the atmosphere are gods but that in sovereignty and divinity they are inferior to the gods Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar, and Zurvān'?

Theodore refers to the Four Gods as 'principles': similarly the four elements are described as the 'origin (*bun*—principle) of the nature of material things', being themselves the first manifestation of 'matter' (*mātaγ*) and as such called the first 'form'.[1] Moreover, they each have their specific function which the other elements cannot perform:[2] thus, according to Zātspram, water was the element of creation while fire brings about the end of the world.[3] The elements indeed derive directly from Spihr conceived as finite matter[4] and thus form a tetrad in the finite world corresponding to the Ašōqar tetrad in the infinite. The tetrad Ašōqar–Frašōqar–Zarōqar–Zurvān is a quaternity almost in the same sense as the Christian Trinity—four persons in one God of which Zurvān is the eternal origin from which the others eternally proceed. Similarly in the finite Cosmos which is the body of the finite Zurvān, the four elements are the 'form' of

[1] DkM. 120. 22 ff.; cf. text Z 10, 'the elements which are the seed of seeds of material creations'. *v. supra* p. 142, and cf. ŠGV. 4. 88: *či čuñ hamōīn dahišną bvašni əž čihār zahagą ąšą gəθī tan awāž ō čihār zahagą gumōžihastan ō vīnāwadā pādā.*—'For it is perfectly clear that since the genesis of all creatures is from the four elements which compose their material body, they must again mingle with the four elements.' Further ibid. 5. 57.

[2] v. ŠGV. 5. 49 ff. (p. 69 in Menasce's translation).

[3] Text Z 5 (*a*), § 50. There does not, however, appear to be agreement on the functions of the four elements. For instance, in text Z 10 air (wind) precedes the other elements.

[4] p. 142 *supra*.

'matter' which itself is the Cosmos. Each of the hypostases of the Infinite Zurvān has its proper function; so, too, in temporality do the four elements have their specific function. Thus they may be correctly described as being 'like' the divine Tetrad but inferior to it 'in sovereignty and divinity'.

As further evidence for the divinization of the elements in Zervanism the so-called 'Song of the Magians' preserved by Dio Chrysostom has been cited and copiously commented on by Cumont, Reitzenstein, and Nyberg.[1] Although we have nothing new to add to what those great scholars have already said, we must, in the interests of completeness, retail again much that has been better said by them.

The myth speaks of Zeus as the first and perfect charioteer of the perfect chariot. This chariot, which is the Cosmos, is guided by the one charioteer and proceeds on its course throughout 'unceasing periods of eternity'. Men can only see the courses of the Sun and Moon, but cannot grasp the movement of the whole. The cosmic chariot is drawn by four steeds of different nature. The first is of infinite beauty and size and is infinitely swift, and its course lies on the outside of the hippodrome: it is sacred to Zeus, winged and shining with the purest light. In it are the Sun and Moon, and the stars appear through it. Of the four horses this is the most brilliant, the most variegated and the most beloved of Zeus. The second horse, which rubs shoulders with it, is sacred to Hera, docile and gentle, and greatly inferior to the first in strength and speed. It is black, but shines with the reflected light of the Sun on the outer side. The third, yet slower than the second, is sacred to Poseidon. But the fourth, says Dio, is the most amazing of all, for it stands firm and immovable, has no wings, and is sacred to Hestia. It, too, is yoked to the chariot, but remains firmly rooted to the ground biting its adamantine bit. There is continual strife between the horses, the two nearest the stationary one leaning upon it and pushing it clumsily: but the outside horse pursues its own course, revolving round the central one as round the turning-post of a hippodrome.

Usually the horses manage to complete their course without hurting one another; but in the course of time the strongest horse starts panting, and its breath heats the others and particularly the fourth. The mane of this last finally catches fire and the whole Cosmos is ablaze. Or, again, it may happen that the horse sacred to Poseidon exerts itself beyond measure and drowns the stationary horse in its sweat. These things, however, happen rarely and only as the charioteer permits.

[1] v. Cumont, MMM. ii, pp. 60–64; Bidez–Cumont, *Mages*, i, pp. 91–97 and ii, pp. 142–52, where the text is given. Cf. also Reitzenstein, *Das iranische Erlösungsmysterium*, pp. 246 ff.; Nyberg, op. laud., pp. 92 ff.; Junker, *Aionvorstellung*, pp. 149 and 161.

According to Cumont the myth is genuinely Magian in origin. The charioteer Zeus (gen. *Διός*) is the supreme god, Zurvān; the horses of Zeus (gen. *Ζηνός*), Hera, Poseidon, and Hestia are the four elements—fire, air, water, and earth. Though they normally proceed in harmony, it sometimes happens that one of them gets over-excited and that the fourth, the earth, is harmed thereby.

After this comparatively intelligible narrative the myth becomes increasingly fantastic. The horses change their forms and fuse their natures until all are vanquished by the strongest and their natures are fused into one. The prize then goes to the strongest, who absorbs the essence of the other three and thereby becomes yet stronger and more brilliant. Rearing superbly, triumphant, and exulting in his victory, he seeks yet further space in which to show his strength and power. This horse, according to the Magians, is the soul of the charioteer.

Here we seem to be very far indeed from the sober world of Zoroastrian orthodoxy; but the ideas of the strife and ultimate fusion of the elements into the fire may well be of Zervanite origin; for Zātspram says that the *fraškart* is brought about by fire and its immediate sequel is the return of the finite Cosmos to the Infinite from which it arose. His description is worth quoting in full, for it shows some similarity to Dio's myth and above all demonstrates the important role played by the elements at the *fraškart*:

On the earth, in the likeness of springs of water, springs of fire will arise in many places. For Ohrmazd created with water and will bring about the end with fire: for water has a nature that illumines the seed and causes it to grow, and fire (a nature) that burns and thwarts it: for when the seed of plants comes to water, it receives the power of growth, and becomes moist.

When the fire appears on earth, the waters begin to sink and the rain ceases to rain till most of the waters on the earth are turned into desert, and the colour of plants on earth turns to the colour of wine(?) because of their union with fire, and they are burnt up and the tillage will be of no effect.

When but three months have yet to pass before the Resurrection, it will come to the great battle, even as in the beginning creation wrestled with the Lie. For ninety days and nights there was war, a battle of thirty days and nights by the rain that smites noxious beasts, of thirty days and nights by the streaming forth of the vapours through which the plants grow, of thirty days and nights by the wind which drives the water on and supports the earth below and above and makes hollows and heights.

But as the great battle in the beginning was by the raining of water and the wind that furthers water, so is the (battle) in the end by the burning and scorching of fire and the fearful wind that makes the fire to blaze.

As (first) for ninety days and nights the gods did battle with the demons and

the Whore, so in the end, manifest and plain, there will be seen by night and in the atmosphere a form of fire in the shape of a man, conceived by the spiritual gods, riding, as it were, a fiery horse, and fearful (to behold): and they shall be freed from doubt.[1]

Here, too, we seem to meet with the idea of fire absorbing all the other elements before being merged into the Infinite. If we wish to pursue the parallel, we may liken water to Ašōqar as being the element and genius of creation respectively, and fire to Frašōqar as being the agent and author of the *fraškart*. Here, however, the parallel breaks down since there is no obvious connexion between Zurvān and Zarōqar and the earth and air. Moreover, water is normally regarded as female and as being the sister and spouse of fire.[2] The parallelism between Zurvān and his hypostases on the one hand and the elements on the other must be confined to the fact that the former are the eternal source of all being, the latter the source of material existence in time. Dio's myth, if it really reflects Zervanite ideas, is mainly interesting in showing Zurvān as the directing force (*τοῦ ξύμπαντος μιὰν ἀγωγήν* = *rāδēnītārīh*) behind the four elements who are thus the terrestrial tetrad reflecting the tetrad of genesis, decay, rebirth, and the Infinite in eternity.

The account of the *'Ulemā i Islām* according to which fire and water were the first things created by Zurvān, and from which Ohrmazd and Ahriman were formed,[3] may fit into our present context. In this case the elements (if fire and water can be taken to represent all four) would proceed immediately from Zurvān and his hypostases; and the statement of the Syriac writer that according to the Magians fire, water, earth, and the atmosphere are gods but inferior in sovereignty and divinity to Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar, and Zurvān, would be quite accurate.

Thus in the purely ontological sphere we can discern three tetrads: first the Tetrad of Being—Time (Zurvān), Space, Wisdom, and Power; second the Tetrad of Becoming, Zurvān (the Infinite), Ašōqar, Frašōqar, and Zarōqar—genesis, decay, and rebirth; and thirdly the Tetrad of Matter—fire, air, water, and earth which are the source of all material creation as manifested to man. The last tetrad can, according to the Syriac sources, be regarded as a reflection in the finite of the other tetrads in the Infinite: and fire in this case would be the earthly representative of Zurvān, for, according to Dio, it is the soul of the divine charioteer.

Besides the above tetrads Nyberg thought that three other tetrads—the tetrad of fate, that of justice, and that of the luminaries—were to be found

[1] Text Z 5 (*a*), §§ 49–54.
[2] v. p. 73 and p. 79, n. D.
[3] Text T 37, § 9.

or inferred in the texts. The first he derived from a passage in the *Mēnōk i χrat* where it is said: 'the whole world proceeds in accordance with the decree (*brēh*) and the (decisive) moment (*zamānak*) and the fixed decision which are indeed Zurvān, the King and Lord of the long Dominion'.[1] Fate then is allotted in three stages: first the original decree, second the moment at which the decree takes effect, and the fixed irrevocable decision when the thing fated is accomplished. This 'process of fate' (*brēh-ravišnīh*)[2] is summed up in Zurvān of the long Dominion, finite Time. The idea recalls the *kār nērōk* (action *in potentia*), *kār kunišn* (the performance of action), and *kār fražāmišn* (the completion of action) which we have already discussed. The operation of fate as applied to individual men, then, can be said to reflect the three stages in the history of the Cosmos.

Again Zurvān—this time the Infinite—appears at the end of time accompanied by Mihr (Mithra), the Genius of Order (Justice—*dātastān*), and Fate,[3] and destroys Ahriman and his creatures, and finally Āz. Whether we can call this a Zervanite tetrad seems a little doubtful: the collocation of Mihr, the Genius of Order, and Fate seems to me rather haphazard, for the triad of justice or order would normally be Mihr, Srōš, and Rašn.[4] However this may be, it is obvious that Zurvān intervenes here together with two deities (Fate and the Genius of Order) which are merely the personification of his functions and with Mihr who is the god of truth, to crush finally the spirit of excess and deficiency, that is disorder, Āz.[5]

In addition to these tetrads Nyberg surmised that Zurvān also formed a tetrad with the Sun, Moon, and Signs of the Zodiac.[6] This, though extremely probable, is not attested in our texts. Similarly we ourselves have suggested that a tetrad comprising the infinite Zurvān, the finite Zurvān, the course of fate, and the genius of the year may be discerned in the *Bundahišn*:[7] this would then be the Tetrad of Time.

Thus we find the following tetrads attested:

(i) *The Tetrad of Being*
Time (Zurvān)
Space
Wisdom
Power

(ii) *The Tetrad of Becoming*
Zurvān (the Infinite)
Ašōqar (the originator)
Frašōqar (he who brings forth)
Zarōqar (he who causes to pass away)

(iii) *The Tetrad of Matter*
Fire (? the soul of Zurvān)

(iv) *The Tetrad of Time* (*uncertain*)
The Infinite Zurvān

[1] Text Z 27, § 5; cf. Nyberg, op. laud., pp. 54–56.
[2] Cf. text Z 1, § 22 and *supra*, pp. 108 ff.
[3] Text Z 8, § 10; Nyberg, op. laud., pp. 58 ff.
[4] See note B, p. 246.
[5] Text Z 8, ibid.
[6] Op. laud., pp. 56–57.
[7] *Supra*, p. 111.

Air	The finite Zurvān
Water	The Course of Fate
Earth	The Year
(v) *The Tetrad of Order* (*justice*)	(vi) *The Tetrad of Fate*
The Infinite Zurvān	The finite Zurvān
Mihr	The Decree
? Srōš—Order (Justice)	The decisive Moment
? Rašn—Fate	The fixed Decision

In these tetrads, then, Zurvān appears first as pure being, second as the source of contingent being, third as the source of matter, as finite time, as cosmic order, and as fate. This, in fact, sums up all that can be said about him, as we shall see when we come to study his nature in greater detail.

Before leaving the subject of the fourfold god we must devote a few lines to a surprising passage in the Persian *Rivāyats*,[1] where Zurvān appears as a deity with *seven* faces and three eyes in each face. Apparently corresponding to each of the seven faces are seven names. These names are transcribed in the Pāzand character: some are already known from other sources, others remain obscure: the names are *wayī*, *Zurvān*, *zarvagar*, *vaχt*, *nawāγ*, *paδyār*, and *yō-framānə̄*.

Of these *wayī*, *Zurvān*, *zarvagar*, and *vaχt* are easily recognizable; *paδyār* is well known as a word but astonishing in the context. The meaning of *nawāγ* can be guessed with comparative certainty: *yō-framānə̄* is difficult.

The name Zurvān is self-evident: *zarvagar* is Zarōqar, with whom we are now familiar; and *vaχt* is simply a Pāzand writing of *baχt* 'fate'. *Wayī*, too, is clear: it is a Pāzand transcription of *bayīk* and may thus be connected with our text Z 12 which enumerates the 'categories' of good and evil which correspond to the three castes.[2] Thus it scarcely seems too bold to suggest that we might well have here another Zervanite tetrad—Zurvān, Ohrmazd (*spēnākīk*, priesthood), Vāy (*vāyīk*, warriorhood), and Spihr (*bayīk*, the husbandmen), a conception that emerges fairly clearly from our texts Z 11 and Z 12. This, then, would be the Tetrad of the Castes or social *order*. In support of this theory we may again mention that Mihr-Narsē, whose Zervanite sympathies we sought to demonstrate in Chapter II, made his three sons the titular heads of the three castes.[3]

The three last names of the series, *nawāγ*, *paδyār*, and *yō-framānə̄* are more problematical. *Paδyār* means 'the adversary' and is the stock epithet of Ahriman. As an epithet of Zurvān, however, it shocks. This is, however,

[1] Text Z 36.

[2] For discussion *v. supra*, pp. 121 ff.

[3] Ṭabarī, Nöldeke, p. 110; cf. *supra*, p. 125.

what the text says and as such it must be accepted. *Nawāγ* can most easily be explained from NP. *navāχtan* (*navāz-*) 'to cherish'. Zurvān, then, seems to be regarded as the cherisher and the destroyer; and *yō-framānə* can then be emended to *dō-framān-ē*[1] and translated as 'the one who has two commands'. This again would give us yet another tetrad—Zurvān, the Cherisher, the Adversary, and the One who commands both. This would then be the Tetrad of Good and Evil.

Such an interpretation does not seem far-fetched; for each of the seven heads of this monstrous god has three eyes. Each head then should represent a different aspect of the god and the three eyes would represent three functions of the same aspect. There should then be seven tetrads in all.

Going back to the tetrads we listed on pp. 229–30 we can definitely accept those we have christened the Tetrads of Being and Becoming: the Tetrad of Fate is almost certainly genuine and the Tetrad of Order probably so. The Tetrad of Matter is not properly a Zurvānic tetrad at all but the reflection in the finite of the Tetrad of Becoming. The Tetrad of Time is a conjecture of my own and may therefore be eliminated. In place of these we now have a Tetrad of Social Order (the three castes) and a Tetrad of Good and Evil. This brings the total number up to six—two certain and the remainder probable. To complete the number seven we can either resort to Nyberg's Tetrad of the Luminaries (Sun, Moon, and the Signs of the Zodiac) or to my own Tetrad of Time. Thus we can reconstruct the nature of the God Zurvān on the following lines:

ZURVĀN
- *Being* (*Time*): Space, Wisdom, Power.
- *Becoming:* Ašōqar, Fraašōqar, Zarōqar.
- *Order:* Mihr, Order, Fate (Mihr, Srōš, Rašn).
- *Time* (infinite): finite Time, the Course of Fate, the Year.
- *Fate:* The Decree, the decisive Moment, the fixed Decision.
- *Good and Evil:* The Cherisher, the Adversary, the One who has command of both.
- *Social Order:* Priesthood, Warriorhood, the Husbandmen.

(*b*) *The Infinite Zurvān*

In the Zoroastrian books Zurvān (or more usually *Zamān* 'Time') appears either as infinite or finite. It is now time to discuss the nature of these two and the relationship that exists between them. As the Infinite the essence of Zurvān is pure Being: he is that which has no origin, yet is the origin of all things. He is contingent on nothing, and all things are

[1] *d* and *y* are identical in Pahlavī. *dō* (two), however, should either be written as figure 2 ( ) which scarcely differs from (*yō*, *dō*, *gō*, &c.), or with the Aramaic mask. The reading *dō-framān-ē* suits Zātspram's definition of the role of Time (Z 4, § 9), 'Time is a good helper and right orderer of both.'

contingent on him. He is *abun bun bunōmand*, without origin, yet himself the origin of all and the source of secondary causes. As Time his essence is duration; as Space he is the place of all creation without which creation would be impossible. He is the source of creation:[1] he is the Absolute: he 'was and shall be all'.[2] He 'is unageing, undying, without pain, uncorrupting and undecaying, free from aggression, and for ever and ever no one can violate him nor deprive him of his sovereignty in his proper sphere'.[3] This sphere is simply Being.

Zurvān, as Time and Space, is infinite; and nothing is infinite but he.[4] He is at the same time 'uncircumscribed in space and boundless in essence: and there is no other place or abode that is devoid of him'.[5] He is 'that without which nothing from the first is. Nothing can exist without him or separate from him. But in so far as he is infinite he cannot be understood'.[6] He cannot be comprehended by any intellect, so 'he cannot be comprehended by the intellect of God'.[7] Being infinite, his essence is incomprehensible even to himself; he cannot know himself since it is meaningless to say that he knows his infinite essence by an infinite intellect. 'If', the author of the *Šikand Gumānī Vazār* argues, it is said that 'his essence is infinite and that his intellect is infinite, and that with his infinite intellect he knows that he is infinite, that is false and doubly false. For one thing intellect can only be predicated of a thing that is within the scope of the intellect and comprehensible to it.'[8] Hence he is unknowable to created intellects, unknowable, too, to himself. Nothing in fact can be predicated of him as the Infinite except that he Is, that he is uncaused and the first cause of all that is.

Among the 'Magusaeans' or Magians who had emigrated into the Roman Empire this conception of the supreme god appears to be normal. Thus Philo of Byblus speaks of the god of Zoroaster as 'the first, the indestructible, eternal, unbegotten, without parts, without peer, the charioteer of all that is fair, who takes no bribe, the best of the good, the most prudent of the prudent'.[9] So, too, Cosmas of Jerusalem speaks of the supreme God of the Zoroastrian pantheon as being unseen and the source of all the gods.[10]

(*c*) *The Finite Zurvān*

It is not difficult to understand that such a conception of Time, once accepted, must have gravely affected the position of Ohrmazd as supreme

[1] Texts Z 14, 15, and 22.
[2] Text Z 16.
[3] Text Z 8, § 7.
[4] Text Z 23, § 53.
[5] Ibid., § 94.
[6] Ibid., §§ 102–4.
[7] Ibid., §§ 66–67.
[8] Ibid., §§ 106–8.
[9] *Apud* Eusebius, *Praeparatio Evangelica* i. 10. 52; v. Bidez–Cumont, *Mages*, ii, p. 157.
[10] Cosmas of Jerusalem, *Ad carmina S. Gregorii*, Migne, xxxviii, col. 461; v. Bidez–Cumont, op. laud. ii, pp. 272 ff.

being in the Mazdean system. Indeed, when the two appear in the same passage, one usually gains the impression that Ohrmazd is an intruder into a circle of ideas where he has no place. The author of the *Šikand Gumānī Vazār* saw this clearly; for if, as he himself says, there is nothing infinite except only Time and Space, what becomes of the godhead, Ohrmazd? The Infinite itself is beyond comprehension and therefore it is both futile to argue about it and unsettling to the uninstructed.[1] Further, he accepts the inevitable conclusion from his own premisses: Ohrmazd cannot be infinite.

A totality, because it is encompassed on all sides, is called total. That which is encompassed on all sides, is necessarily finite. A God who is aware that he is encompassed on all sides, must be considered finite. If he were infinite, he would be unaware of it. The first knowledge of an intelligent being is precisely to know his own essence, quality, and quantity.[2]

Similarly he accepts the further conclusion that the finite cannot derive from the Infinite:

The Infinite is not susceptible of division: for the part is divided from the whole, and totality implies limitation. . . . For I cannot conceive of the existence and quality of the source (cause) except by comparison and analogy with the result (effect). Whatever is perceptible in the result (effect) must certainly, in like manner, apply to the source (cause). Since it is to be perceived in the result (effect) that it is made and finite, it may without doubt be deduced that the source (cause) from which the result (effect) derives is also finite.[3]

He therefore flatly denies what is explicitly stated in the *Bundahišn* and the *Dēnkart*, namely, that finite Time was fashioned forth by Ohrmazd from Infinite Time.[4] Further, he diverges very far from the position normally adopted by the *Dēnkart*, namely, that Ohrmazd is co-eternal with Time.[5] The *Dēnkart* theology is plainly an attempt to reconcile the Mazdean and Zervanite positions. The extreme Mazdeans were quite content to accept the logic of their dualistic position, viz. that neither Ohrmazd nor Ahriman were infinite.[6] Zervanism, however, must have so influenced the State religion during the Sassanian period that the extreme Mazdean wing of the Zoroastrian community could no longer rid their religion of the

[1] Text Z 23, § 105.

[2] Ibid., §§ 71–75. [3] Ibid., §§ 86–93.

[4] Texts Z 1, § 22; Z 2, § 3; Z 19; Z 20; Z 22.

[5] Text Z 15: 'Eternal are the Creator Ohrmazd and the Wisdom of Religion through whose power is goodness, and Space on which matter is (founded), and Time which is his eternity (totality).' Z 17: 'He who *has no origin*, the principle of good, the Creator Ohrmazd is omniscient, omnipotent, universal Lord.' Z 22: 'Time is the source of creation and the eternity (totality) of Ohrmazd.'

[6] Text Z 1, § 5: 'The Spirits (Ohrmazd and Ahriman) in themselves are finite . . . everything that is within the knowledge of Ohrmazd is finite.'

concept of the Infinite or Absolute entirely. By attempting to assimilate Ohrmazd to Infinite Time they arrived at the untenable position that the Good God was infinite but that Ahriman was a separate substance wholly independent of and violently opposed to him. It would be interesting to follow up the Mazdean theology further, but this cannot be undertaken in this work. It is the Zervanite position alone that interests us here.

The question the devotees of Infinite Time had to answer was, How does the Infinite become finite? Again we cannot say with certainty how precisely they solved this riddle because we have no purely Zervanite text that will enlighten us. Ohrmazd thrusts himself into the charmed circle and insistently meddles in matters which, we can be sure, were originally no concern of his. The story of the birth of the Cosmos as of a child we have already discussed:[1] and it would appear to be purely Zervanite, for it is extremely likely that in the *Greater Bundahišn*[2] Ohrmazd has supplanted Zurvān as 'father and mother of creation'. This, however, is the final result of what appears to have been a long process. For while the great majority of our sources speak of the Endless Light as being uncreate, our text Z 20 speaks of it as the result of a complicated process.

This process seems to have been somewhat as follows. We start with the Infinite, hypostasized as Time, Space, Wisdom, and Power. The Infinite, however, neither does nor knows:[3] it Is. Somehow or other by the power (*nērōk*) of Infinite Time God's Wisdom begins to know, apparently in the abstract and without any object of knowledge. From this 'knowing'—which, for lack of an object, can scarcely be described as knowing at all—arises the Aggressor, and this is not in accordance with the will of God. This unwelcome event then produces self-realization in the deity. As a result of the dual process—the knowing of God and the appearance of the Aggressor—God knows himself; 'the divine essence and properties' arrived at knowledge of their own 'ground' (*ōstām*). Knowledge then receives an object: Wisdom knows its 'ground', which is the divine substance itself, Zurvān-Time. This full self-knowledge would then be the essence of Ohrmazd whose 'knowledge is finite, that is, he knows the norm that exists between the two Spirits'.[4] Ahriman springs from the deity's unawareness of himself, Ohrmazd from his self-knowledge; for 'this much knowledge was necessary for the Creator's creative effort'.

This is surely a philosophical reinterpretation of the well-known myth of the generation of Ohrmazd and Ahriman from Time. Ahriman here

[1] *supra*, pp. 128 ff. and text Z 10.

[2] Text Z 1, § 39.

[3] The whole of this paragraph is based on texts Z 19 and Z 20. For the purposes of our argument we are omitting the role of Ohrmazd in the beginning of text Z 20 since he again appears to be superimposed on a Zervanite text.

[4] Text Z 1, § 5.

arises from God's ignorance of himself which, according to the *Šikand*, is a necessary consequence of infinity and therefore brings him to a full consciousness of his own essence which is the beginning of limitation. Then from Ohrmazd, the Creator, arise his Endless Light, his omniscience, and his omnipotence[1]—the tetrad of Ohrmazd. Through these he can proceed to the act of creation.

All this appears to have taken place in eternity, for the limitation of Time is coincident with the act of creation.[2] Rather perhaps it should be regarded as occurring in a sort of twilight between eternity and temporality, between 'being' and 'manifestation'.

The passage of Infinite Time into the finite is dealt with more simply since Ohrmazd has no rival role to play here. Finite Time and Action arise simultaneously since they are interdependent and limit each other. 'Their course proceeds from the first term to the last. Action, at its fulfilment, returns to its original state of rest: Time, when its full term has elapsed, returns to its source which is the Infinite.'[3] Space, too, is limited to form the raw material of the Cosmos: it is 'born' from the Infinite.[4] Finite Space is the 'matter' which later takes on 'form' at the Creator's hands.[5] Thus the fourfold God suffered limitation in order to form and direct the Cosmos. Infinite Time and Infinite Space are reduced to temporality and the limited universe; Wisdom is limited by finding an object of knowledge; and power (the potential) is transformed into action (the actual).

The limitation of Zurvān results in the separation of the component parts of the divine hypostases: the distinction between spiritual (intellectual or ideal, *mēnōk*) and material (*gētēh*), or of 'voluntary' (*kāmīk*) and 'natural' (*čihrīk*) becomes a reality. The relevant text in this connexion is our Z 10, and this has already been fully discussed.[6] Of the four hypostases Wisdom alone can be said to constitute the personality of Ohrmazd in finite Time: limited Time-Space is Zurvān of the long Dominion—matter existing and moving in finite time.

The genesis of Ohrmazd and Ahriman was brought about by the divine knowledge becoming aware of itself; and Ahriman seems to have proceeded from an intermediary state of incomplete knowledge, what Eznik in more everyday language describes as Zurvān's doubt. Thus when the deity finally achieves self-awareness, Ahriman already exists. This, then, is a purely intellectual affair; and Ohrmazd inherits the divine wisdom, while Ahriman inherits the unawareness (later *dušākāsīh* 'wrong knowledge',

[1] Here we have an exact parallel to the Manichaean tetrad—God, his light, wisdom, and power.

[2] Text Z 21.

[3] Text Z 19.

[4] *v. supra*, p. 112.

[5] On the first, second, and third 'forms' v. p. 142.

[6] *Supra*, p. 128.

pas-dānišnīh 'coming to knowledge too late', so, very suitably, in text Z 1, § 3). To judge from the Mazdean texts it would seem that Ohrmazd is also heir to the divine power. One *Dēnkart* text,[1] however, shows that this cannot have been so in the Zervanite system; for, though Ohrmazd is time and again referred to in the Pahlavī texts as being omnipotent, he is here characterized only by Wisdom and the Light of Wisdom, Ahriman by Lying Falsehood and the Darkness of Lying Falsehood. Will, *Power*, Effort, Means, Space, and Time are common to both.

Zurvān himself made finite is primarily the material Cosmos, the so-called 'Endless Form', animated, it is true, by the Spirit of the Power of the Word[2] which proceeds from Ohrmazd, but remaining essentially the material macrocosm and manifesting himself through the operation of fate. He is embodied in the Cosmos, but is also the law by which the Cosmos works. This law manifests itself in the treaty (*patmān*)[3] which Zurvān makes between Ohrmazd and Ahriman. He gives each of the protagonists their appropriate arms and settles the rules for the combat. His law favours neither good nor evil, 'The law (*dātastān*)[4] of Time' is simply to proceed 'from original infinity through limitation involving action, motion and passage, and finally to return back to ultimate infinity'.[5] Thus to him Ohrmazd and Ahriman have little relevance: his 'law' is immutable; finite Time must run its course and it must inevitably lead up to the *fraškart* when the good triumphs and evil is destroyed. For Zurvān of the long Dominion the *fraškart* is death and resurrection into the Infinite—a return to the original state of unawareness and rest.

He is the genius of *rāδēnītārīh* 'direction' or 'control', and he guides all things to their appointed end. With Vāy and Spihr (who are indeed identical with him[6]) he 'protects the creatures of Ohrmazd well and keeps them safe and leads them on to the time of the *fraškart*'.[7] This inexorable progress of Time to the appointed end in fact is far more effective in the defeat of Ahriman than any weapon that Ohrmazd can devise: against it he is powerless. An amusing passage in the *Pandnāmak*[8] appears to say that Ahriman attempts to turn Time backwards, an impossible feat, but one which does credit to the Evil One's instinct of self-preservation. Though

[1] Text Z 18 (*a*).

[2] Text Z 10; v. also p. 130.

[3] For the *patmān* v. *infra*, pp. 248 ff.

[4] Vāy, whose connexion with Zurvān is recognized, is also associated with *dātastān*: cf. text Z 11, § 5, where *dātastān* and *masdātastānīh* are continually used of Vāy.

[5] Text Z 20, § 2; cf. Z 1, § 24; Z 3, § 3.

[6] *Supra*, pp. 126–7.

[7] See note C, p. 247.

[8] Pn. 54 (PhlTexts, p. 49): *Ahriman 'ut 'dēvān . . . čēγōn-šān 'ēn daχšak 'apāč-vīrāδšnīh* ⟨*i*⟩ *zamān*.—'Ahriman and the demons . . . for their sign is to direct time backwards.' This translation is possible, but the syntax of the passage from which the fragment is abstracted is not clear to me.

the end and goal of the law of Time is perfectly clear, it is said to have periods of ascendancy and depression, presumably with reference to the good creation, though the sense of the relevant passage is not quite sure.[1]

The limitation of Time, as we have seen, is the prerequisite for creation of any sort. The Zervanites, arguing from human experience, concluded that Time is a necessary condition of any activity whatsoever: the Creator has need of it as much as man; for

> if God and all the Amahraspands and all material creatures were to come together, they could not bring one single grain of millet into existence without Time. . . . Religion can be taught through Time, and a trade can be taught through Time, and civilized behaviour can be taught through Time: through Time the vine and garden can be cultivated, and through Time do the trees grow, and through Time do they yield up fruit; and through Time can one practise one's trade: and all things in existence are perfected through Time. It cannot be said that there was a creator when Time did not exist. If anyone should say that the function of Time is the night and day, it must be known that there was a long period when day and night did not exist yet Time existed.[2]

Time, then, is as necessary to Ohrmazd, the Creator, as it is to Ahriman, for 'Time is a good helper and right orderer of both'.[3] Just as Ahriman is the Adversary and opposite of Ohrmazd, so is Āz the natural adversary and opponent of Zurvān of the long Dominion; for the latter represents the functioning of the natural law and Āz disturbs and upsets it.[4] We have already suggested that Āz is the personification of Zurvān's 'doubt' and 'desire' mentioned by Eznik; and although there is no suggestion in any Zoroastrian book that she is antecedent to Ahriman as she appears to be in the Manichaean system, the fact remains that the destruction of Āz is the last act in the cosmic drama: only after the annihilation of the power of disorder which she represents can the finite Cosmos be reabsorbed into the Infinite. Thus it is natural and fitting that the *Mēnōk i χrat* should ascribe the destruction of Āz to the Tetrad of Order—Zurvān, Mihr (who sees to it that the terms of the treaty are not infringed), the Genius of Order (*mēnōk i dātastān*), and Fate.[5]

The opposition existing between Zurvān and Āz has nothing to do with moral goodness. Zurvān is not good; he is the natural law which takes no cognizance of good or evil. He is 'dyed' with the colour of good and evil 'because the evil of the Aggressor comes upon creation from without to confound it'.[6] In fact the whole *raison d'être* of finite Time may be said to

[1] The passage in question is DkM. 57. 20 ff.

[2] PersRiv. Hormuzyār, ii, p. 75: p. 443 in the translation of Dhabhar. Cf. Widengren, *Hochgottglaube*, p. 278.

[3] Text Z 4, § 9.

[4] *Supra*, pp. 171 ff.

[5] Text Z 8, § 10.

[6] Text Z 12, § 5.

be to bring about the mixture of good and evil in which evil is bound to be finally annihilated.[1] This seems to be fairly clear from the two recorded instances in which Zurvān as a personal god interferes in the affairs of the Universe.

The first occasion is when he makes the treaty between Ohrmazd and Ahriman and hands the latter 'an implement (fashioned) from the very substance of darkness, mingled with the power of Zurvān, as it were a treaty'. This most sinister weapon could scarcely be put into the hands of Ahriman unless Zurvān himself willed the mixture of good and evil, though knowing at the same time that Āz (concupiscence) would, in the last resort, prove the undoing of the kingdom of darkness. It is a long-term plan with very unpleasant consequences for the powers of light in the earlier phases.

Zurvān's second intervention can also be explained along the same lines. This myth is told by both the *Bundahišn* and Zātspram:[2] Zurvān decrees that Gayōmart, the Righteous Man and first parent of the human race, shall live for thirty years after Ahriman has delivered his victorious attack on the material world. Neither the *Bundahišn* nor Zātspram attempt to explain this unique intervention of the personal god Zurvān in the affairs of the human race. Schaeder considered that the prolongation of Gayōmart's life was due to astrological reasons since Saturn had to rise to a prominent position in order to cause his death.[3] According to Widengren it is a case of Zurvān giving Ahriman a free hand.[4] If, however, we remember that Zurvān of the long Dominion is himself the macrocosm and Man the microcosm, the purpose of Zurvān's intervention can be readily explained. Gayōmart was the holiest of the creatures of Ohrmazd and his creation laid Ahriman low for three thousand years.[5] The defilement of the macrocosm, however, had already taken place; and since Man, the microcosm, is merely a small-scale replica of the macrocosm, his defilement forms part of a fixed plan the culmination of which is the annihilation of evil and disorder through mixture. The method by which Gayōmart was defiled has already been gone into in detail. By prolonging Gayōmart's life Zurvān makes possible the union of the Righteous Man and the Whore and so the propagation of the human race in the 'mixed state'. Man, then, like the macrocosm itself, is subjected to the attacks of concupiscence until the latter is finally laid low in the last days.

[1] Cf. particularly text Z 1, § 12: 'then Ohrmazd, in his omniscience, knew that if he did not fix a time for battle against him, then Ahriman could do unto his creation even as he had threatened; and the struggle and the mixture would be everlasting.'

[2] See note D, p. 247.

[3] *Studien zum antiken Synkretismus*, p. 218. For the astrological interpretation of the passage v. Taqīzādeh, *Gāh-šumārī dar Īrān i qadīm*, p. 332.

[4] Widengren, *Hochgottglaube*, p. 287.

[5] *Supra*, pp. 183–4.

(*d*) *The God of Death*

In all we have said so far much conjecture has had to be injected into the narrative to supplement the considerable *lacunae* which exist in our knowledge of this dispossessed god. It is, then, with some sense of relief that we turn to an aspect of this deity of which there can be no doubt. Zurvān is the god of death. There is a passage in the first chapter of the *Bundahišn*[1] which has already been amply treated by Nyberg and which he regarded, mistakenly I think, as a Pahlavī hymn in verse written in honour of Zurvān.[2] The very close resemblance of this passage to *Aogəmadaēčā*, § 57, and the fact that it is introduced by the phrase 'as it says in the Religion', the usual way of introducing a passage translated from the Avestan, seem to preclude any theory that this is an original Pahlavī verse. Be that as it may, this is what we read:

> Time is mightier than both creations,—the creation of Ohrmazd and that of the Destructive Spirit. Time understands action and order (the law, *dātastān*). Time understands more than those who understand. Time is better informed than the well informed; for through Time must the decision be made. By Time are houses overturned—doom is through Time—and things graven shattered. From it no single mortal man escapes, not though he fly above, not though he dig a pit below and settle therein, not though he hide beneath a well of cold waters.

Time is here, of course, finite Time as it affects man in his everyday life. It is no longer the incomprehensible abstraction speculation about which seemed so pointless to the author of the *Šikand Gumānī Vazār*; it is 'nearer to man than the jugular vein'. It is mightier than the creations of Ohrmazd and Ahriman because both are dependent on it for their existence. It understands action and order because action cannot be performed except in Time,[3] and Time is the Genius of Order. It is understanding because it knows the outcome of the battle which it has itself initiated.[4] It is well informed because it is the god of justice[5] and Mihr is its helper,[6] 'who has a thousand ears and ten thousand eyes'[7] and whose vigilance nothing escapes. The decision must be made through Time, for Time is the Lord of Destiny and predetermines all decisions.[8] Time overturns houses because it is the god of decay and death[9] and cannot be escaped. Time, in short, is the god of fate and death.

[1] Text Z 1, § 25.

[2] ZDMG. lxxxii, 1928, pp. 222–35; CCM. 1931, pp. 42 ff.

[3] Text Z 20, § 2, and Z 19: 'Ohrmazd, by his omniscient wisdom and the projection of his will, fashioned a limit for Time through action and for action through Time.'

[4] pp. 231–2.

[5] pp. 58 ff. and 229 ff.

[6] Cf. the tetrad of Mχ. 8. Mihr, the Genius of Order, Fate, and the Infinite Zurvān.

[7] Yt. 10 *passim*.

[8] Cf. the Tetrad of Fate, p. 230, and *infra*, Chapter X.

[9] *Supra*, pp. 219 ff. on Zarōqar and our immediately following remarks.

That Zurvān was from an early date regarded as the god of death seems proved by the following considerations. The later portion of the *Bundahišn* passage cited above is exactly paralleled in *Aogəmadaēčā*, § 57, where the subject is Astōvihāt, the demon proper of death. Nyberg was almost certainly right in regarding Zurvān as being the original subject of the *Aogəmadaēčā* verse. Astōvihāt, he argued, must have been a later substitution,[1] for here we are in the presence of a god—a fearful and dreaded god, but a god none the less—for language like this in no way befits one of the demons who may terrify but cannot inspire awe.

In the Avesta, too, the only positive information we can glean about the nature of Zurvān is that he made the path which leads to the Činvat bridge where the souls of men must face the judgement.[2]

> The demon . . . Vizarəša . . . after binding it, carries off the soul of . . . men whose life is short. (The soul) of wicked and righteous alike proceeds along the paths created by Zurvān to the Činvat Bridge created by Mazdāh (Ohrmazd).

Here Zurvān is quite clearly the god of death, and Nyberg may well be right in contrasting him here with Ohrmazd as the god of eternal life.[3]

In the Pahlavī books, too, we meet Zurvān as the god of death. We have already noticed that these books prefer to speak of Zurvān as Zamān (Time) except when he appears as a personal god. This apparent aversion to the name Zurvān may in many cases be dictated by deliberate policy on the part of the later Mazdeans, whose efforts to eliminate, disguise, and conceal the father of Ohrmazd and Ahriman have caused modern scholars and not least the present writer so much trouble. Alternatively it may be that the name Zurvān had come to be so closely associated with death that the translation *zamān* (time) was preferred in less sombre contexts; for on the face of it it seems remarkable that when Zurvān appears as death he not infrequently does so under his own name.

'For Zurvān there is no remedy. From death there is no escape',[4] we read in a Pahlavī text. Or again in the pleasant fable of Yavišt i Friyān and the Sorcerer Axt: 'The seventh question he asked was this, "What is that thing which men would fain conceal, and which they cannot conceal?" Yavišt i Friyān said, "Mayst thou in life be in misery, thou accursed villain and heretic (*sāstār*), and mayst thou in death fall to hell; for that is Zurvān whom no one can conceal, for Zurvān reveals himself of his own accord." '[5]

In another passage the god of death appears simply as Time (*zamān*): 'As to him whose eye Time has sewn up, his back is seized upon and will never rise again; pain comes upon his heart so that it beats no more; his

[1] CCM. 1931, p. 45.
[2] Text A 1.
[3] Op. laud., pp. 122 ff.
[4] Text Z 25 (*b*).
[5] Text Z 25 (*a*).

hand is broken so that it grows no more, and his foot is broken so that it walks no more. The stars came upon him, and he goes not out another time: fate came upon him, and he cannot drive it off.'[1] Here Time appears most clearly as the god of death. Fate and the stars accompany him, and it is Time who closes the eyes of the dead. The picture of Time sewing up the eyes of the dead smacks of popular religion, and it is interesting to note that Firdausī has a couplet which is verbally almost identical with our passage, though the meaning is different. This serves as confirmation in detail of what even a casual reading of the *Šāhnāmeh* makes sufficiently plain, namely, that Firdausī's religion is Zervanite fatalism at its most depressing and pessimistic. It shows, too, that Firdausī must have been conversant with the more popular Pahlavī religious texts. 'You cannot drive off death from your body,' he says, 'no one can sew up the eye of Time with a needle.'[2] In the Pahlavī we have *zamān handōχt čašm*, in Firdausī *na čašm i zamān kas ba-sūzan bi-dūχt*: similarly in the Pahlavī one cannot *drive off* fate, and in Firdausī it is death that cannot be *driven off*. 'Drive off' is in each case *s(i)pōχtan*.

One last quotation will suffice to emphasize still further Zurvān's role as the god of death; and this is worth quoting if only as a parallel to any of the hundreds of passages in Firdausī which play on the same theme and which has served as a sombre *basso ostinato* to Persian poetry ever since. It is from the *Žāmāsp-nāmak*:

> Gayōmart was created by Ohrmazd; but when his time was come, Ahriman destroyed him. And again every one of the rulers who lived in former times could do nothing when Time came upon them—and especially Tahmōrup who rode Ahriman as his steed for thirty years; for when his time came, he could not preserve himself from death.[3]

If Tahmōrup, who performed the considerable feat of riding the Devil for thirty years, could not escape from death, the sinner would be foolish to hope for a better lot: 'in bodily form Time drives him back; and they cut off his head and show him the punishment of hell'.[4]

If, then, Zurvān is so markedly a god of death, it will be as such that he appears in the tetrad Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar, Zurvān, in so far as this tetrad refers to the life of man. The tetrad will then preside over conception, birth, decline, and death. Zurvān in whom the three hypostases are

[1] Text Z 26 (*b*).

[2] ŠnV. i. 324. 147: *na marg az tan ī χᵛīš bi-tvān sipūχt / na čašm ī zamān kas ba-sūzan bi-dūχt*. Cf. ibid. ii. 567. 815: *ču čašm ī zamāneh bi-dūzam ba-ganj / sazad gar sipihr-am na-dārad ba-ranj*.—'How should I close the eye of Time with treasure? It were right if the firmament kept me not in anxiety.'

[3] Text Z 26 (*a*).

[4] PhlRiv. 15. 7 (p. 41): *'ut-aš 'zamān tanōmandīhā 'apāč 'kunēt, 'ut-aš sar 'bē 'brīnēnd 'ut-aš pātufrās i dōšaχᵛ 'bē nimāyēnd.*

summed up will then be the god of man's short span on earth, just as he *is* the span of the macrocosm's life in time. Thus, as Nyberg has already said, he is not only the inaccessible sky-god who controls an inexorable fate; he is the god of the earth too, of life and death, birth and decay, both in the animal and vegetable kingdoms. This conception seems to have passed into the Mithraic religion of the Roman Empire, for there we find Kronos-Zurvān called *frugifer*.[1] The same idea is present in the *Bundahišn*, where it is Spihr who is the body of Zurvān who dons the dark blue garment of the husbandmen[2] because 'its office is to rule the destinies of the world aright even as that of the husbandmen is to till the soil and to deliver up' its produce. From the Infinite, then, through the macrocosm Zurvān reaches down to man bringing him life and death and maybe an insubstantial resurrection.

(*e*) *The Testimony of Firdausī*

Before closing this chapter a few words must be said on a passage from Firdausī which appears to be of the greatest importance for our purpose, for it expounds views which seem to be an epitome of popular Zervanite doctrine and which thus supplements the evidence we have hitherto culled from the Pahlavī books and from the Armenian, Syriac, and Greek writers. Moreover, it presents us with a picture of the Time-God reigning in his own right: there is no mention of either Ohrmazd or Ahriman, and there is thus no overlarding with Mazdean ideas which has hitherto made it so arduous a task to sift what is genuinely Zervanite from Mazdean accretion, emendation, or falsification. The passage in full is reproduced as text F 13 in our second part.[3]

First, a word or two on the context of this little text. Zāl, the father of the great Iranian hero Rustam, is summoned by the king to appear before the *mōbads* or religious authorities to answer a series of questions on religious matters. He is in fact required to undergo an examination on his catechism. I am inclined to think that this is based on a Pahlavī version, for we have an extant example of this genre in the little Pahlavī text, the *Yavišt i Friyān*. Here the hero, Yavišt, is put through a similar examination on matters of religious general knowledge by the sorcerer, Aχt. The penalty of failure was to have been the razing of his city to the ground. Both stories belong to the 'religion of the people'; but Firdausī's is unquestionably

[1] Arnobius, *Adversus Nationes*, vi. 10, p. 221, Reifferscheid; *apud* Cumont, MMM. ii, p. 58: 'inter deos videmus vestros leonis torvissimam faciem mero oblitam minio et nomine †frugiferio nuncupari'.

[2] Text Z 2, § 6.

[3] The section of the text which directly concerns Time was reproduced by I. F. Blue in *Indo-Iranian Studies . . . in Honour of . . . Sanjana*, p. 61.

Zervanite while the Yavišt story is not. This would be enough to explain the loss of the Pahlavī original if it existed.

Zāl is required to answer six questions put to him by the *mōbads*. They are as follows:

(i) What are those twelve noble cypresses which grow majestic and luxuriant, and each one shoots forth thirty boughs, and they neither wax nor wane?

(ii) Two horses, precious and fleet of foot, move forth, the one like unto a lake of pitch, and the other lustrous as white crystal: they move, and they both hurry on, but never do they catch each other up.

(iii) Thirty horsemen passing in review before the King,—one was lost: but if thou look aright, all thirty are back again when thou dost number them.

(iv) There is 'a meadow which thou dost see full of green herbs and streams. A man with a great sharp scythe stalks proudly towards the meadow; moist and dry together he mows down, and if thou make supplication, he hears thee not'.

(v) Two lofty cypresses (there are) growing like reeds in a billowy sea: a bird has his dwelling-place upon them; at eventide its seat is on the one and at dawn on the other. When it flies from the one, its foliage withers; it alights on the other and it gives out a scent of musk. Of these two one is ever fresh, but the foliage and fruit of the other are withered.

(vi) 'In a mountainous country I found a strong citadel. Wise men from that citadel chose on the plain a thorny place; they built buildings whose top reached to the Moon: some became servants and some leaders. They think no more of that citadel and no one speaks or makes mention of it. An earthquake arises on a sudden and their land and habitation completely disappear. Necessity brings them (back) to that citadel and brings them long forebodings.'

These are the questions with which Zāl is confronted; and here are his answers, all of which met with the approval of his examiners. The order of his answers does not correspond to that of the questions; but for convenience we will keep the same order in the summary of his answers which follows.

(i) The twelve cypresses each with thirty boughs. These are the twelve new moons in the year, and the thirty boughs the thirty days of the month, for 'such is the revolution of Time'.

(ii) The black horse and the white. Both are Time: they are night and day; they measure the time (*dam* 'breath') of the firmament.

(iii) The thirty horsemen one of which disappears and reappears. These are the days of the month; and the new moon is the one that disappears and reappears.

(iv) The man with a sharp scythe. 'This is the wood-cutter Time, and we are like the grass. Alike to him is the grandson, alike to him the grandsire: he takes

account of neither old nor young; whatever prey comes before him, he pursues. Such is the nature and composition of the world that save for death no mother bore a son. He enters in at one door and passes out through another: Time counts his every breath.'

(v) The two lofty cypresses in which a bird has its dwelling. These 'are the two arms of the lofty firmament through which we rejoice and (through which) we are grieved'. The bird is the Sun from which is fear and hope for the world.

(vi) The citadel and the thorny place. The citadel is 'the house of eternity' (*dirang*) and place of reckoning. The 'thorny place is this transitory abode which is at once pleasure and treasure and grief and pain. It counts the breath you breathe, it gives increase and carries it away. Wind and earthquake arise and raise grief and lamentation in the world. All our toiling remains in the thorny place: we must pass on to the citadel. Another will taste the fruits of our toil, but for him too they will not endure, and he too must pass on. So has it been from the beginning; so it is, and this will never grow old (change). If our riches are a good name, our soul will in the end be honoured. If we practise concupiscence (Āz) and twist and turn, (the result) will be manifest when we pass from life. Though our palace reach even unto Saturn, nought will remain for us but a winding-sheet. When brick and earth are heaped upon our face, everywhere is there fear and care and anguish.'

All the essential elements in the Zervanite scheme of things are present in this passage—the 'house of eternity' and 'this transitory abode', surely the Infinite and the finite Zurvān; day and night which are the Light and the Darkness, 'both' of which 'are Time'; the day, the month, and the year —the divisions of finite Time; the two arms of the firmament (*s(i)pihr*) which distribute joy and sorrow—the goodly and the evil Spihr; the wood-cutter Time—the god of death; and finally, as if obligingly to substantiate our thesis, the demon Āz. The whole passage revolves round Time in its multifarious and invariably sinister manifestations. Time, the firmament, fate, and death and the blank unknowable Infinite beyond—and everywhere fear and care and anguish: this, reduced to its simplest elements for simple minds, is the religion of the Great and Just God, Time.

This is not Arab-Muhammadan fatalism; it bears an unmistakably Iranian stamp, for Firdausī's background throughout his great national epic is, in religion as in the vast pageant of legend and history which he unfolds, through and through Iranian. The *mōbads are* the Zoroastrian clergy and Zāl *is* a Zoroastrian catechumen. Both are expressing the genuine religion of Time which the contemporary Zoroastrian Church had by now probably proscribed. Even the details correspond in places to the texts we have so laboriously essayed to analyse. Thus in Firdausī the 'house of eternity' is *sarāy-i dirang;* and in the Pahlavī sources the essence of Infinite Time is

described as *drang* 'duration':[1] 'the essence of Infinite Time is eternal duration, undivided into past and future; that of finite Time is transient duration, divided into future and past'.

Again, the 'two arms of the lofty firmament through which we rejoice and through which we are grieved' are the good and evil Spihr, the first of which bestows good things in abundance and the second of which begrudges them.[2] Similarly the concept of night and day which *are* Time bring to mind the two Spirits, the good and the evil, or rather the light and the darkness which preceded them and which proceeded from Time or Space.[3] This must almost certainly be a very ancient belief, and the story of the birth of Ohrmazd who is 'sweet-smelling and light' and Ahriman 'the dark and hideous' from Zurvān[4] is most naturally explained as an adaptation of an old nature myth to the Zervanite interpretation of the Gāθic passage Ys. 30. 3, where Ohrmazd and Ahriman are said to be twins. The myth, curiously enough, survives in Armenian popular belief, where we find Žuk or Žamanak (= Zurvān or Zamānak) represented as a white-haired old man who sits on a mountain holding two balls of thread in his hands, the one white and the other black.[5] These he rolls alternately down the mountain side, and while he rolls the one down, he draws the other up. The white and black balls of thread are the day and night. The survival of this idea in the Iranian national epic on the one hand and in Armenian folk-lore on the other seems adequate evidence that Damascius or his source Eudemus is right in suggesting that the genesis of light and darkness from Time is prior to the genesis of Ohrmazd and Ahriman.

In Firdausī again the days, the months, and the year all bring us back to the 'Time' passages in the *Bundahišn*, the *mēnōk i sāl* or Genius of the Year[6] and the correspondence between this and the cosmic year of twelve thousand years on the one hand and the firmament on the other with the twelve Signs of the Zodiac each with its thirty degrees.[7] Lastly there is the figure of 'the wood-cutter Time' whose identity with Zurvān as god of death is beyond all doubt, and the appearance of Āz-concupiscence singled out alone from among all the demons, the vices, and imperfections for dishonourable mention. Little or none of this can be coincidence. Firdausī is here giving us a succinct account of the religion of Time as it was once

[1] Texts Z 16 and 22. The use of NP. *dirang* in the sense of 'duration, eternity' is further proof that Firdausī was using Pahlavī material. In NP. the word ordinarily means 'delay'.

[2] Text Z 3, § 3.

[3] Text G 1 (Damascius on the authority of Eudemus of Rhodes).

[4] Text F 1, §§ 48, 49, and 55.

[5] Abeghian, *Der Armenische Volksglaube*, pp. 52–53; cf. I. F. Blue, op. cit., p. 72; Gray, *The Foundations of the Iranian Religions*, p. 127; Junker, *Aionvorstellung*, p. 178.

[6] *Supra*, p. 134.

[7] *Supra*, p. 144, n. E.

expounded in Īrān and in which Ohrmazd and Ahriman appear to have had no place.

Thus Firdausī's evidence corroborates much that we have discussed already and in some cases substantiates arguments we had not dared to press. Thus the impression that we have gained all along that Zurvān is originally a god concerned with matter and not with spirit seems to be borne out by Firdausī's hopeless testimony: for there is no word of heaven, redemption, release, of punishment for evil done or reward for good achieved. The best that can be offered is this: 'if our riches are a good name, our soul will in the end be honoured. If we practise concupiscence and twist and turn, the result will be manifest when we pass from life.' What a prospect! Yet even so he is not sure, for in what this 'honour' consists—whether it be an honourable estate in the 'house of eternity' or merely 'honour' from the lips of men as yet unborn—is left utterly obscure; and as to the concupiscent, their fate will be manifest when they are dead —yet we do not know to whom and where, 'for a veil is drawn over our ultimate lot'. And 'when brick and earth are heaped up on our face, everywhere is there fear and care and anguish'.

All that is known is that after our brief and miserable sojourn in this valley of tears we must pass on to the 'house of eternity' which, according to the *Dēnkart*, is the 'essence of infinite Time'. Here we can expect no ecstatic union with the One, no merging of the self into the Self as of a drop into the sea: all this seems foreign to this starkly stoic religion of unrewarded self-control. Man—who is the microcosm—will be swallowed up in the Infinite just as Zurvān of the long Dominion—the macrocosm—will return to the Infinite Zurvān, where motion finds eternal rest in an Infinite which neither understands nor is capable of being understood.

NOTES TO CHAPTER IX

A. According to Nyberg and Benveniste (MO. xxvi, p. 178) *maršōkara-* is connected with Arm. *ma(r)š* 'worn out'. The form *zarōqar* must be derived from an Av. **zarvō-kara* from the base *zarvan-* (Av. *zaurvan-*), just as we have *aršōkara-* from *aršan-*; cf. Benveniste, *Vṛtra et Vṛθragna*, p. 65. Nyberg's interpretation of these words supersedes the attempts of previous scholars (cf. Junker, *Wörter und Sachen*, xii, 1929, p. 156; Scheftelowitz, *Arch. für Relig.* xxviii, p. 236; Markwart, *Gāthā Uštavati*, p. 35). Wikander's identification (with metathesis) of *marša-* with Skt. *mrakṣa-* 'destruction' (*Vayu I*, p. 118) seems equally possible. Semantically there is little to choose between the two in our context.

B. *Supra*, p. 109. The Genius of Order (*dātastān*), moreover, is probably a description of Srōš who is called the 'Genius of the Mean' (*mēnōk i patmān*) in text Z 5 (*a*), § 44. For the intimate connexion of *patmān* and *dātastān* see *infra*, p. 249,

together with the appendix to Chapter X. Further, in the *Bahman Yašt* 7. 28, Mihr, Srōš, and Rašn actually appear together as the principal agents of the *fraškart*. I can quote no case of Rašn being identified with Fate, and consider that the *Mēnōk*, which is so very much preoccupied with the workings of fate, may have substituted the latter for the god of justice *par excellence* in this passage.

C. ZXA. 249. 16: *Vāy i aparkār i tarvēnītārtom 'hač 'an-ē dāmān, θiβāš i χᵛaδāt, Zurvān zamān ⟨i⟩ akanārak 'ut Zurvān zamān i dērang-χᵛatāy 'kē dāmān i Ōhrmazd hupānakīhā 'ut druvist-dārišnīhā 'ō fraškart zamān aδēnēnd.* The last word corresponds to MPT. '*dyn*-'herbeiführen' (Andreas–Henning, *MirMan.* ii): cf. DkM. 822. 22, *aδēnītār i driyōšān*; ibid. 470. 12, *aδēnēnd 'ō 'ān i yāvētānīk anākīh.*—'They lead them to eternal torment.' Cf. also Dd. 6. 4, where *aδēnd* seems to be haplography for *aδēnēnd*. Perhaps *aδēnītār* should be read in DkM. 797. 22 ('*DYNWT'L*) and 798. 2 ('*DYN'T'L*).

For Time as the genius of *rāδēnītārīh* 'direction' cf. text Z 13: 'Time which is the eternity of Ohrmazd, for it is the genius of *rāδēnītārīh*'; Z 18 (*b*), 'Matter is ruled by these six things, by Time, *Space, wisdom, power, means, and effort.'

D. GrBd. 68. 13 ff.: *'pat spihr i Gayō(k)mart paytāk 'būt 'ku 'andar aβigatīh 'pat kōχšišn ⟨i⟩ aχtarān ⟨'ut apāχtarān⟩ 30 'sāl zīvast; čēγōn guft Zamān 'pēš 'hač aβigat 'ku Gayō(k)mart ⟨i⟩ takīk 'ō 30 zimastān zīvandakīh 'ut χᵛatāyīh brēhēnīt.*—'In the horoscope of Gayōmart it was revealed that he would live for thirty years during the period of (Ahriman's) assault when the stars (and planets) strive together: for it is said that before the assault Time ordained that the valiant Gayōmart should live and rule for thirty winters.' Similarly Zs. 2. 19: *'ut-aš 'apar frēstīt Ast⟨ō⟩vihāt 'apāk 3000 uzvārtān yaskān i 'χᵛat 'hēnd vīmārīh i gōnak gōnak 'ku-š vīmārēnēnd 'ut margēnēnd Gayō(k)mart: 'ut-šān 'nē vindāt čārak. 'čē vičīr 'būt i brīnkar Zurvān 'pat bun 'andar 'āmatan i Ahriman 'ku 'apar 'ō 30 zimastān Gayō(k)mart i t⟨ak⟩īk 'ān i 'ǰān bōžišn frāč brēhēnom.*—'And Astōvihāt was sent against him together with three thousand chosen diseases, that is illnesses of different kinds, so that they should make Gayōmart ill and cause his death: but they could find no way of doing this. For such was the decision of Zurvān who fixes (all) decrees, "When Ahriman first enters (the creation of Ohrmazd), I decree that the life of the valiant Gayōmart shall be spared for thirty winters."'

CHAPTER X

THE LAW AND FATE

(*a*) *The Treaty and the Mean*

We have already seen that Zurvān of the long Dominion manifests himself as order and fate. Before proceeding to the much written up subject of fate in the Zervanite religion we must say a few words on Zurvān, the Genius of Order (*mēnōk i rāδēnītārīh*).[1]

In the Pahlavī books Zurvān of the long Dominion, finite Time, is represented as being fashioned forth from Infinite Time: he is the fixed term set for the battle between Ohrmazd and Ahriman, and as such is described as *patmānak* or *patmān*,[2] 'a treaty' extending over 'nine thousand winters'.[3] 'Till it is completed no one can change it or make it different.'[4] This 'norm' of Time leads inevitably to the defeat of Ahriman and the final overthrow of Āz who is disorder; and Zurvān as finite Time thus leads the material world to the final rehabilitation at the *fraškart*.[5] This, then, is the 'norm'—creation—the progress of created things in time—and the rehabilitation of creation at the *fraškart*.[6] What happens—and however many successes Ahriman may gain—is immaterial: the *dātastān*, the 'order, proper function, or law' of Time, is simply to proceed 'from original infinity through limitation involving action, motion, and passage and finally to return back to ultimate infinity'.[7] In the interim period Time who helps *and directs* both good and evil equally,[8] is itself 'dyed' with the colour of good and evil;[9] and the evil in finite Time often seems to predominate. This is very much played down by the *Bundahišn*, but according to the Christian sources the practical rulership of the world in time is given to Ahriman.[10] This, however, makes no difference: the 'norm' of finite Time must lead up to the *fraškart*, and nothing that the powers of darkness can do can alter or prevent it. How they found a way of attacking this 'norm' itself we shall shortly have occasion to relate.

One passage from the *Dēnkart* deserves especial attention in this context, for it seems to show traces of the basic Zervanite doctrine found in the non-Zoroastrian sources, but heavily censored in the Pahlavī books—the

[1] Text Z 13.
[2] Text Z 1, § 13 etc.
[3] Text Z 8, § 9.
[4] Ibid.
[5] pp. 236 and 247 n. C.
[6] Cf. text Z 5 (*a*), § 21: *dām-dahišnīh, dēn-ravākīh, fraškart-kartārīh*, 'creating of creation, the progress of Religion, and the accomplishment of the *fraškart*'.
[7] Text Z 20, § 2.
[8] Text Z 4, § 9.
[9] Text Z 12, § 5.
[10] p. 69 *supra*.

doctrine of an essential defect in God himself, the doctrine of Zurvān's 'doubt'. The translation unfortunately is not completely certain, but the meaning seems to be clear. In this passage the author is discussing the interesting conception of Time being 'dyed' with the colour of good and evil. He goes on to say:

> From a single inconsistency *in potentia* by which there was a dissipation of energy in (the progress of) creation during the millennia (lit. times) between the original creation and the *fraškart*, proceeds the restoring(?) of the balance (which consists) in continuity leading up to the restoration of creation at the *fraškart*. This means the destruction of evil by the power of the good (accumulated) throughout the millennia (times).[1]

The 'single inconsistency *in potentia*' which is, I think, a faithful rendering of the Pahlavī original, seems to make no sense in the context of Mazdean dualism. Ohrmazd is by definition perfectly good, and therefore cannot be susceptible to any 'inconsistency' (*apattōkīh*) either potentially or actually. The *single* inconsistency, moreover, is so very reminiscent of Zurvān's '*single* reflection' from which, Šahristānī tells us, Ahriman arose[2] that we must interpret the *Dēnkart* text according to what we know from the non-Zoroastrian sources, particularly since the passage is of obvious Zervanite provenance.[3]

The progress of creation in time is characterized by 'dissipation of energy' (*viškīt-nērōkīhā*). The 'norm' then does not in any way preclude the existence of disorder during the period of the existence of the universe in Time. And here again we are up against a syncretization of ideas in the use of the term *patmān*, for this represents both the 'treaty' between Ohrmazd and Ahriman which is the agreement to fight for nine thousand years, hence the period itself which can be neither curtailed nor prolonged and which leads up inevitably to the *fraškart*; and the concept of the golden Mean between the two extremes of excess and deficiency.

The fusion and confusion of the two ideas can best be seen in a very curious and pleasing myth which is mentioned casually in the *Mēnōk i χrat* and the little treatise known as 'The Month of Fravartīn' and which has been transformed and elaborated in the *Dēnkart*. The latter passage does not hitherto seem to have attracted the attention of scholars, and the two other passages have therefore been incorrectly translated.[4] The myth as told by the *Mēnōk* must originally have referred to the treaty between Ohrmazd and Ahriman. It relates how Ahriman made a direct assault on this inexorable weapon which resembled far more his own death-warrant

[1] Text Z 12, § 5.

[2] Text F 4, § 1.

[3] p. 125.

[4] Recently by Junker, *Aionvorstellung*, p. 140. So Messina in the parallel passage from Zn. 4. 21.

than a treaty in any ordinary sense of that word. His attempt to dispose of this awkward instrument is diverting in the extreme. The Evil One, impatient to do away with the thing once and for all, resorts to no subtlety, devises no cunning plan: he swallows it outright! This dreadful situation had to be retrieved by the good king Yam (Yima, J̌amšīd), who thus had the uncongenial task of retrieving the thing from the satanic maw.

The third benefit (derived) from Yam was this—that he brought back the material treaty (*patmān*) which had been swallowed by the accursed Ahriman of evil knowledge from his maw.[1]

We are indebted to the *Mēnōk* for this version of the story; for according to 'the Month of Fravartīn' and the *Dēnkart* the treaty was merely carried off to hell, while the *Aβyātkār i Žāmāspīk* ascribes its rape to the Seven Planets.[2] The *Dēnkart* has, as usual, taken the rough edges off the robust fable, and the loss of the *patmān* from the world is interpreted as the loss of the 'Mean', that is the sense of moderation in all things, and the consequent triumph of excess and deficiency. We will, however, quote the passage in full, since it illustrates the manner in which the two meanings of the word have been fused.

The usefulness of all actions and objects is through the mean: they are spoilt and invalidated by excess and deficiency. The mean is under the control of the innate wisdom (reason, *āsn-χrat*) of the Creator: among creatures it (remains) the mean. Lack of order (*yut-dātastān*) is specifically excess and deficiency, diabolical concupiscence (*varan*), the adversary of reason. Whenever divine reason triumphs over diabolical concupiscence among men, the mean and order (*dātastān*) are victorious, excess and deficiency are weakened and creation prospers. Among men the Creator Ohrmazd made reason supreme in the ruler so that he might vanquish concupiscence, that most rebellious Lie, thereby, and by energetic munificence and good government of men might arouse their reason after its extinction by concupiscence so that their minds might be open to reasonable advice and that order (*dātastān*) and the mean might be spread among them and that creation might be well governed.

Now before Yam came to power, reason was at a low ebb among rulers because the demons had carried it off and concupiscence was predominant. The mean which belongs to divine reason was so completely submerged in excess and deficiency which belong to diabolical concupiscence that men had become as beasts. Through debased(?) counsels which had been dropped into their ears and through the fearful prevalence of excess and deficiency among them they had become estranged from the mean in matters of conduct, food, alms, property, and other such activities. The world was disrupted. For since it is plain that once

[1] Mχ. 27. 15: *'ut sitīkar ('ēn sūt) 'ku patmān i gētēhīk i 'avē dušdānāk druvand (i Ahriman) ōpārt 'ēstāt, aš 'hač aškom 'apāč 'āβurt.* Skt. translation has correctly *gilitam āsīt* 'swallowed'.

[2] See note A, p. 261.

divine reason is withdrawn from men, diabolic concupiscence triumphs and the mean and order which are proper to reason disappear from the world, so does the injustice of excess and deficiency which are proper to concupiscence make its abode more completely with men, and the world becomes ruined and disrupted.

Yam came to power by the will and consent of the Creator. First he put an end to the sovereignty of the demons over men and rescued divine reason from diabolic concupiscence that has no path: and he devised a means of (saving) the mean which belongs to divine reason from the excess and deficiency of diabolical concupiscence so that there should be order (*vīrāδišn*), seemliness, and prosperity on earth. (This was to be achieved) by weakening the demons and depriving them of their sovereignty over men, by increasing once again divine reason, by the defeat of diabolic excess and deficiency, and by causing reason's mean and order (*dātastān*) to shine brightly through the defeat of excess and deficiency and the power of injustice in the world.

By the Creator's great supernatural power and glory (*χᵛarr*) he was raised aloft in bodily form and descended into hell; and for thirteen winters he wandered in hell in the form of a demon, devising a weapon by which the demons might be vanquished and by which their sovereignty over men might be broken. By marvellous and subtle means he was conveyed up from the demons; and he smote and vanquished them by this very weapon and deprived them of their sovereignty over men and drove them far away. Thus was diabolic concupiscence deprived of its sway over men and the excess and deficiency of concupiscence lessened; and divine reason was increased among men, and the mean and order of reason made victorious in creation—for by these did the creation of Ohrmazd achieve immortality and by these was it restored. In a clear exposition of the function of Yam the religion says that he was raised from hell.[1]

In this myth the equation of *patmān* 'the mean' and *dātastān* 'order or the law' is interesting. In view of the nine thousand years period of finite Time being called the *patmān* between Ohrmazd and Ahriman and Zurvān's close association with 'order', it is tempting to attach the whole *patmān* ideology, whether it refers to the treaty or to the mean, to the Zervanite branch of Zoroastrianism. As the mean, however, the *patmān* idea has patently been lifted bodily out of Aristotle, as Menasce has already pointed out;[2] but despite this, this distinguished scholar maintains, the *patmān* 'sums up in one word the moral teaching of Mazdeanism'. This is certainly true of the third book of the *Dēnkart*, which is by far the most important as well as the most difficult Zoroastrian theological work that has survived; but the Aristotelian conception, nevertheless, is ill at ease in a dualistic system which contrasts sharply in pairs light and darkness, good and evil, wisdom and wrong knowledge. The doctrine of the mean

[1] DkM. 295. 7–297. 6. The text will be found in the appendix to this chapter.

[2] His edition of ŠGV., p. 30, where the principal references are given.

was, however, adopted with such whole-hearted enthusiasm by the Zoroastrians that they did not hesitate to claim it as something essentially Iranian, just as the Moslems were later to claim it as something typical of Islam.[1] 'Īrān has always commended the mean', the *Dēnkart* complacently remarks,[2] 'and censured excess and deficiency. In the Byzantine Empire the philosophers, in India the learned, and elsewhere the specialists have in general commended the man whose argument showed subtlety, but the Kingdom of Īrān has shown approval of the (truly) wise'. This is tribute indeed to the Philosopher of the West that not only has his leading ethical idea been absorbed into two Eastern religious systems, but that both should then claim it as distinctively their own. In favour of the Zoroastrians, however, it may be said that the theory of the *patmān* as the treaty between Ohrmazd and Ahriman limiting the conflict to nine thousand years, was specifically and typically Iranian. The *patmān* as the mean, however, must be an Aristotelian borrowing. In the Zoroastrian cosmology and eschatology the two ideas become confused. In the Zervanite tradition Zurvān of the long Dominion *is* in a sense the *patmān* since he is the battlefield in time and space between the two Spirits: as such he represents cosmic order and his proper adversary is therefore Āz who is cosmic disorder. The denouement in the *Mēnōk i χrat*, then, where the Tetrad of Order finally destroys Āz seems to be genuinely Zervanite; and the whole myth can be reconstructed as follows.

In its infinite repose the deity merely *is*. Its partial self-awakening produces a 'single inconsistency'[3] or 'doubt': this inconsistency brings to light something disorderly within the godhead and this is called in the Zoroastrian texts Āz. The inconsistency gives rise to Ahriman; and the genesis of this apparently separate principle produces full self-realization in the deity and hence Ohrmazd as the 'knower'. This, then, is the full 'manifestation' of the potentiality of the infinite God. The 'inconsistency' then manifests itself in the irreconcilable duality of Ohrmazd and Ahriman, good and evil, light and darkness, wisdom and wrong-mindedness: the unity of the godhead is split and must be restored. To achieve this the supreme deity limits himself as finite Space and Time which are governed by the natural law (*dātastān, patmān*). Finite Space and Time are the material Cosmos, the 'first form',[4] the macrocosm. Like the microcosm it is subject to the attacks

[1] I. Goldziher, *Muhammedanische Studien*, ii, pp. 397–400 (cited by Menasce, l.c.).

[2] DkM. 429. 11: *ērān hamē patmān stāyast, frēhbūt 'ut *apēbūt nikōhīt. 'pat hrōm fīlāsō(k)fāy 'ut 'pat hindūkān dānāk 'ut 'pat apārīk *gyāk šnāsak 'ān apērtar stāyast 'kē gōβišn nēzumānīh 'hač-išān paytākīhast, fražānakān [i] ērān šaθr passandīt 'ēstāt.* For *nēzumānīh* see the appendix to this chapter.

[3] p. 249.

[4] *Supra*, pp. 141–3.

of disorder, but these are in the end powerless to prevent the emergence of the 'last body' (*tan i pasēn*) which is perfect, at the *fraškart* which is the achievement of the good.[1] The whole process is the story of the rehabilitation of an infinite God whom the process of 'manifestation' reveals as imperfect. The *patmān* (or *dātastān*) in this context is the power of order through which this rehabilitation is achieved: it leads up to the 'last' or 'final body', that is the macrocosm made perfect and the *fraškart*, the culminating point of the process through which it is made perfect. The 'final body' is then reabsorbed into the Infinite whence it originally proceeded.

All this is quite foreign to the Aristotelian doctrine of the mean; and in Zātspram's account of the *fraškart* it looks suspiciously as if he only identifies Āz with 'excess and deficiency' as an afterthought, since his whole treatment of the subject shows that for him Āz meant 'concupiscence' as manifested in eating, sexual intercourse, and the desire to possess—not in an excess or deficiency of any of these.[2] It is a little puzzling, then, that Zātspram agrees with the *Bundahišn* and the Pahlavī *Rivāyat* in attributing the overthrow of Āz exclusively to Srōš and not to the Zervanite Tetrad of Order as in the *Mēnōk*.

Interesting as it would be to pursue the doctrine of the mean in the purely Mazdean texts, this is scarcely the place to do so. Moreover, Fr. de Menasce has indicated that he will shortly be producing a study on this subject,[3] and this onerous task we gladly leave in his very much more capable hands. One point, however, must be made. The *patmān* is regularly associated with 'reason' (*χrat*) and 'the religion' (*dēn*) and is consequently contrasted with *Varan* (concupiscence defined as excess and deficiency).[4] This seems to be a purely Mazdean–Aristotelian idea and originally quite independent of the *patmān* applied to Zurvān of the long Dominion by the *Bundahišn* and the *Mēnōk*.[5] Here the mean is seen to belong to the intellectual-spiritual order of phenomena in which Zurvān and his myths play no essential part. The *patmān*, being the opponent of Āz, is similarly divided between the spiritual-voluntary (*mēnōk-kāmīk*) and material-natural (*gētēh-čihrīk*): in the first context it is of the very substance of Ohrmazd, in the second it is the law (*dātastān*) of the finite Zurvān. In both aspects Āz is the force which upsets the ideal equilibrium.[6]

[1] This interpretation preserves the meaning 'excellent' which Kent rightly attributes to OP. *fraša-*, *supra*, p. 222.

[2] *Supra*, pp. 177 ff.

[3] His edition of ŠGV., p. 30.

[4] Cf. the passage quoted above, pp. 250–1, and references *apud* Menasce, l.c.

[5] *Supra*, p. 248.

[6] *Supra*, pp. 171 ff.

(*b*) *Fate*

We have tried to show that Zurvān of the long Dominion, finite Time, the *patmān*, 'treaty' or 'norm' which regulates the cosmic battle between good and evil, is an inevitable process which culminates in the elimination of evil which is an 'inconsistency' in Being itself, and in the return of the finite to the unknowable Infinite. So, too, do the dealings of Zurvān of the long Dominion bear an impress of finality in relation to the microcosm, Man. In this world he manifests himself as fate.

We began our analysis of the Zervanite religion with a discussion of the myth of the Father of Good and Evil preserved by the Armenian Christian polemist, Eznik of Kołb: and now that the end of our investigation is in sight, it is to him that we again return. 'When nothing at all existed,' our faithful friend informs us, 'neither the heavens nor the earth, . . . there was one, Zurvān by name, which, being interpreted, is fate (*baχt*) or fortune (*pʿaṛkʿ*).'[1]

Hitherto it has been our ungrateful task to seek to reconcile our non-Zoroastrian sources with the testimony of the Pahlavī books. To this treatment both parties proved exceedingly recalcitrant. In the matter of fate, however, the two traditions completely agree. On the non-Zoroastrian side, besides Eznik, Theodore of Mopsuestia bears witness that Zurvān was called τύχη[2] and Theodore Abû Qurra speaks of him as *baχt*,[3] using the Persian word for fate which we know well from the Pahlavī books. Here, too, we find in the *Mēnōk i χrat* that Zurvān is explicitly identified with fate: 'Know', says the Spirit of Wisdom to the wise man, 'that the whole world proceeds in accordance with the decree and the (decisive) moment and the fixed decision which are indeed Zurvān, the King and Lord of the long Dominion.'[4] This we may, with Nyberg, call the Tetrad of Fate.[5] Similarly, Fate appears as a member of the Tetrad of Order by which, in the version of the *Mēnōk*, evil and disorder (Āz) are finally destroyed.[6] Both the Zoroastrian and the external sources, then, fully agree that Zurvān is the god of fate.[7]

From what we have already learnt from the nature and operation of Zurvān it is clear that fate is dispensed by Spihr, the firmament, and by the twelve Signs of the Zodiac in particular. 'All good things' were entrusted 'to Mihr (the Sun) and the Moon and the twelve Signs of the

[1] Text F 1, §§ 3–8.
[2] *Apud* Photius, text G 2.
[3] Text F 2.
[4] Text Z 27, §§ 4–5.
[5] Nyberg, CCM. 1931, p. 108; *supra*, pp. 229 ff.
[6] Cf. pp. 229 and 246 n. B.
[7] Cf. also text Z 1, § 25, and *supra*, pp. 239–42.

Zodiac',[1] and it is the office of the firmament 'to rule the destinies of the world aright'.[2] As such it is King, the *gēhān-baχtār* 'disposer of the world'[3] and of all things the most powerful.[4]

The fact that the firmament dispenses good and bad fortune alike owing to the maleficent operations of the planets has already been noticed;[5] and we suggested that the indifferent dispensation of good and bad fortune by an indifferent firmament containing the Signs of the Zodiac and the planets alike was in all probability the Zervanite version, and that the theory of the diversion of good fortune by the planets to improper purposes and improper objects might be regarded as a Mazdean conception. The result on earth of either is precisely the same: the earthly lot of man is predetermined by the operations of the celestial sphere; and from this there is no escape.

As we have already suggested, the vital distinction between the Zervanite and Mazdean points of view is not the role which either party may or may not assign to the planets, but the province of human activity which they deem to be absolutely subject to the dictates of fate. This was a very live issue in the Zoroastrian Church as it was later to be in Islam. Orthodoxy in the latter case was bound, in obedience to the whole tenor of the Qur'ān and the even more uncompromising attitude of the Tradition, finally to come down on the side of predestination. In Zoroastrianism, however, positing as it does two distinct and separate principles, orthodoxy could only opt for free will, the liberty of man to choose between the two alternatives. It was only when this distinction became to some extent blurred, as it did in Zervanism in which the God of Time was elevated to the supreme position in the pantheon, that predestination could insinuate itself into the Iranian creed.

The Mazdean view is clear enough: fate and effort on man's part each have their proper part to play. They should work together and in harmony as body and soul. 'Fate and action together are like body and soul (*ǰān*). For the body without the soul is a useless carcass, and the soul without the body an impalpable wind. But when they are fused together, they are powerful and exceedingly beneficial.'[6] The golden mean between fate and purposeful action must be found; for the man who puts his trust exclusively in fate 'makes himself contemptible', and he who 'continually exerts

[1] Text Z 28 (*a*), § 3. Cf. ŠGV. 4. 8: *spihir jā i bayą i nākī baχtārą kəšą har nākī baχtārī ažaš hamō baχšəñd rāstihā*.—'The firmament is the place of the "gods" (i.e. the luminaries) who bestow good things, for they ever bestow righteously all manner of good things.'

[2] Text Z 2, § 6; cf. Z 3, § 3.

[3] Text Z 24 (*b*) Zurvān of the long Dominion shares the epithet of 'king' (*pātuχsāy*) with Spihr (text Z 27, cf. ZXA. 221. 61).

[4] Text Z 24 (*a*), § 3.

[5] *Supra*, pp. 161 ff.

[6] Text Z 33 (*a*).

himself and makes efforts and denies fate and destiny, is a fool and puffed up with pride. . . . Fate and effort are like two bales of a traveller's baggage on the back of a mule. If one of them is heavier and the other lighter, the load falls to the ground, and the back of the mule is broken, and the traveller suffers embarrassment and does not reach his destination. But if both bales are equal, the traveller does not need to worry, the mule is comfortable, and both arrive at their destination'.[1] Fate is regarded as the cause; man's effort as the occasion for what happens to him.[2]

In reality there is no conflict between the two: each has its appointed sphere and these spheres do not overlap. Fate controls material existence only. Man's spiritual destiny is in his own hands. Yet even on the material side man may acquire what has been allotted to him by fate earlier than the allotted date if he makes efforts towards that end: and what is allotted can be taken away on account of his sins. Similarly by righteous effort he can avert evil that was destined to overtake him. He cannot, however, acquire anything that has not been allotted to him.[3]

This appears to be a modification of the doctrine of *baχt* 'fate' and *bayō-baχt* 'special dispensation' outlined in the *Mēnōk i χrat*,[4] although the passage just quoted leaves very much more scope for human initiative than that semi-Zervanite text is prepared to concede. Fate, according to this text, is what is determined from the beginning, *bayō-baχt* what is determined afterwards. This, however, is a dispensation which the gods only make use of on rare occasions, since Ahriman makes it an excuse to rob the good of wealth and to bestow it on the wicked.

The Mazdeans, with their passion for classification, parcelled up the whole of human activity into five categories—fate, action or effort, nature or habit (*hōk*), character (*gōhr*), and heredity (*aparmānd*).[5] Fate is responsible for life, wife, children, sovereignty, and riches only. Salvation and damnation together with the membership of the three castes are ascribed to effort. Eating, walking, sexual intercourse, sleeping, and excretion are the province of nature; worthiness, friendship, goodness, generosity, and rectitude of character; and intelligence, understanding, body, stature, and appearance of heredity. The role of fate, then, is narrowly restricted to one's existence, one's family, one's social status and income. Salvation and damnation are wholly outside its power: these are the province of man's free will, and he alone is responsible. At the same time it is admitted that all men are not born alike, for the virtues are inborn; they are part of

[1] Text Z 33 (*b*).
[2] Text Z 33 (*a*).
[3] Text Z 34 (*a*).
[4] Text Z 32.
[5] Text Z 35 (*a*) and (*b*). These categories reappear in Ghazzālī's *Naṣīḥatu'l-Mulūk* (text Z 35 (*c*)) as *qaẓā va qadar* (fate), *ǰahd* (effort), *tab'* (nature = *gōhr* 'character'), and *mīrāṯ* (heredity = *aparmānd*).

man's character or 'substance' (*gōhr*). In addition there are the inherited qualities which further increase the initial inequality between men. It would be a mistake, however, to suppose that these initial handicaps were not allowed for in Mazdean theology, for man's eternal destiny rests squarely in his own hands. By his actions he and he alone can attain to salvation or fall by the wayside. One phrase in the Pahlavī texts explicitly warns against the dangers of fatalism and man's inveterate habit of attributing to a higher power the sins which are peculiarly his own *ad excusandas excusationes in peccatis*. 'Sloth', this text succinctly and pertinently warns, 'is to be attributed to action, not to fate.'[1]

One passage in the *Dēnkart* goes even further in circumscribing the role of fate and in stressing man's responsibility for his actions. Starting by saying that fate controls only material things while man's actions determine the spiritual, the text goes on to say categorically that 'the spiritual salvation of man must be sought principally by his own efforts'. 'When he desires (something) and makes an effort (to get it), he will certainly get it.' Purely material affairs are best left to the will of the gods; but 'abstention (from action) is injurious to the soul; (yet) to the man who cultivates the soul and makes an effort (on its behalf), material riches are added'.[2]

The Mazdean view, then, is pellucidly clear. Fate can only influence man's material estate: it has no jurisdiction over the spiritual. Here man is a free agent; he has the awful freedom of choice between good and evil; he is the master of the ship of his own salvation.

The Zervanite doctrine, presented with varying degrees of rigour, is chiefly preserved in the *Mēnōk i χrat*. Here fate is introduced as 'Lord' or 'King' (*pātuχšāy*) over all persons and things.[3] However, in the twenty-second chapter[4] it seems that this kingship extends only over material factors. Good things which have not been fated cannot be acquired; but if fated, they always come if an effort is made. 'Effort, if it is not favoured by Time, is fruitless on earth, but later, in the spiritual world, it comes to our aid and increases in the balance.' There is here practically no divergence from Mazdean orthodoxy. It is the more surprising, then, to find in the following chapter a view expressed which seems to contradict all this.

Though (one be armed) with the valour and strength of wisdom and knowledge, yet it is not possible to strive against fate. For once a thing is fated and comes true, whether for good or the reverse, the wise man goes astray in his work, and the man of wrong knowledge becomes clever in his work; the coward

[1] PhlTexts, p. 74, § 4: *ašgahānīh baχt 'nē, 'bē kunišn rāδ āmārēnīt*. Though some of the MSS. read *rāδ* in place of *'nē*, the context leaves us in no doubt as to which reading is to be preferred.

[2] Text Z 34 (*b*).

[3] Text Z 29.

[4] Text Z 30.

becomes brave, and the brave cowardly; the energetic man becomes a sluggard and the sluggard energetic. For for everything that has been fated a fit occasion arises which sweeps away all other things.[1]

Similarly and even more uncompromisingly in a later chapter of the same work:

When fate helps a slothful, wrong-minded, and evil man, his sloth becomes like energy, and his wrong-mindedness like wisdom, and his evil like good: and when fate opposes the wise, decent, and good man, his wisdom is turned to unwisdom and foolishness, his decency to wrong-mindedness; and his knowledge, manliness, and decency appear of no account.[2]

This is a long way indeed from the orthodox position: for while it is not expressly stated that fate can deprive one of salvation, it is said that it can alter one's entire character. It is not perhaps entirely incompatible with the Mazdean position to concede to fate a power to turn wrong-mindedness to wisdom and evil to good, since these belong to the spheres of 'heredity' and 'character' respectively, not to that of 'action';[3] but to admit that fate can convert sloth into energy flatly contradicts the text from the *Dēnkart* which we quoted above.[4] Energy (*tuχšākīh*) is the very source and fountain-head of action, the quality by which salvation can be won, and in which, for the Mazdean, fate should have no part. To extend the empire of fate into this province is to deprive man of any power over his own spiritual destiny; and this, it appears, is what Zervanism did. The reason is not very far to seek: for if the goal of the universe is simply the reabsorption of the finite into the Infinite and if, as the Mazdeans and Zervanites agreed, hell is only temporary and comes to an end at the termination of the cosmic cycle,[5] it follows that right conduct on earth can have little intrinsic importance. What fate decrees must be: it is useless to contend with it, since the same engulfment in the same abyss must be the lot of all creation. Like the Supreme Being of the *Bhagavad-Gītā* Zurvān devours his own.

We have seen that in both the Zervanite and Mazdean traditions man's material condition, his social status, and his income are especially the province of fate. According to the Syriac *Acts of Āδur-Hormizd* this fate which conditions one's station in this world is carried on into the next. A Magian high priest is made to say:

In our Avesta it is clearly recognized that whosoever enjoys fame and honour in this world, will also be exalted, honoured, and sublime at the raising of the dead; and whosoever is wretched and lowly in this world will be just as wretched in the world to come.[6]

[1] Text Z 31 (*a*).
[2] Text Z 31 (*b*).
[3] *Supra*, p. 256.
[4] p. 257, n. 2.
[5] See note B, p. 261.
[6] Text F 5.

This doctrine seems so very shocking to the Western mind that one is at first disposed to discount the evidence and to pass it off as *odium theologicum*. Once again, however, Zātspram preserves a doctrine which is sufficiently close to the Syriac account to vindicate the latter's reliability. The passage is of sufficient importance to merit quotation in full.

In the 'Books of the Antagonists' it is demonstrated by analogy that if a man shows aptitude in a particular sphere of action, master craft, enterprise, or occupation here on earth, and is elevated to the rank of priest on the grounds of his intrinsic rectitude which ennobles gain, then the same kind of knowledge, master craft, enterprise, or occupation will accompany his soul, and his condition in the other world (*mēnōk*) will be analogous. Thus because Yam held fear, poverty, and need in check, his soul is worshipped and invoked in order to repel fear which was created by the demons and seeks out need, and need (itself) which moves in secret. So also because Frētōn bound Až i Dahāk, he is invoked to repel the violence of those who behave like Až i Dahāk. And because Guršāsp smote down highwaymen and robbers, he is invoked to repel the violence of those who behave like robbers.[1]

The difference between Zātspram and Āδur-Hormizd seems to be that whereas the latter regards the extension of one's earthly rank into the next world as automatic, the former implies that high rank attained on earth and so extended in heaven is the result of merit. In this he follows the texts quoted by us as Z 35 according to which membership of the three castes of priesthood, warriorhood, and the husbandmen, as well as salvation and damnation, are assigned to the province of 'action' or 'effort', not to fate or heredity. Yet, according to the 'Epistle of Tansar',[2] membership of the castes was practically closed to new-comers, and aspiring candidates had to be approved by the King himself. There seems to be no explanation of this anomaly except perhaps a crude presumption on the part of the Sassanian ruling classes that the privileges enjoyed by them on earth should, and therefore would, be maintained in the next world. This seems to be borne out by what Āδur-Hormizd goes on to say. 'Just as a man has honour in the sight of the great King, . . . so has he honour in heaven in the sight of Ohrmazd the Lord.' And this pernicious doctrine is again faithfully echoed by Zātspram:

It is said, 'O Frašōštar, thou shalt acquire generosity there—for thou shalt practise generosity in heaven. Just as on earth thou wast the court councillor of Vištāsp, so wilt thou be court councillor in the other world (*mēnōkīk*)—this is revealed in the Religion'. The other (offices) too are after the same way and manner. Thus whoever causes water to flow on earth, will be a maker of rain in the other world.[3]

[1] Zs. 32: text in the appendix at the end of the chapter.

[2] Mīnovī, p. 13; cf. Christensen, *L'Iran sous les Sassanides*, 2nd ed., p. 320.

[3] Zs. 33: text in the appendix at the end of the chapter.

Again Zātspram does not state the corollary of this doctrine, namely, that those whose misfortune it is to be impecunious and unprivileged on earth will suffer under the same disadvantages in the next world. This, however, is implicit in his use of the neutral words *kunišn* (which I have here translated 'sphere of action') and *χᵛēškārīh* ('occupation'—'own-work'[1]), the inference being that one's earthly estate, whatever it is, is continued in the next world. If Frašōštar, who was a court councillor on earth, can expect to hold the same position in heaven, the same rule may be assumed to apply to the crossing-sweeper and the boot-black. The unforgivable sin is to leave one's earthly master displeased. 'Of all these he is the worst who dies and leaves his ruler displeased. Whosoever leaves his ruler displeased, will have no place in the bright heaven.'[2] The text from which this quotation is drawn can be taken as being Zervanite, since it mentions Zurvān by name a line earlier. It fits in nicely with what we have learnt from Āδur-Hormizd and Zātspram. The social hierarchy stratified and heavily buttressed by the official Church is sacrosanct since it is reproduced and perpetuated in the next world. Of that supernal society it may be said to be a reflection. Any attempt to interfere with it must then be an unpardonable sin.

Thus while working from entirely different premisses we were able to deduce that Zurvān could manifest himself as a Tetrad of Social Order, we here find that not only is the Zoroastrian social order perpetuated in heaven but that the least offence committed against one's superiors in the social hierarchy is punished by the loss of eternal felicity. Without going so far as to argue from this that Zervanism was even more closely wedded to the State than its Mazdean rival, we can at least say that the idea of an immutable social hierarchy perpetuated in the next world fits very conveniently into the pattern of Zervanite fatalism.

And here again we come back to our old theory that Zurvān, at least so far as he is manifested to this world, is a god of matter, of physical nature and physical well-being and its opposite. He is concerned with neither good and evil, right and wrong, salvation and damnation, rewards and punishments, nor with moral values, nor with the destiny of the soul. Thus in the texts which accept him as a powerful force on earth we find a fatalism which leaves no room for the exercise of a free choice since he can at will alter and pervert the whole character of a man and deprive him of that initiative by which alone he can make a choice. It is no accident that both he[3] and the firmament[4] and fate itself[5] are called *pātuχšāy*, the King, while

[1] *Supra*, pp. 173 ff.
[2] Text Z 25 (*b*).
[3] Text Z 27.
[4] Text Z 24 (*b*).
[5] Text Z 29, § 5.

Ohrmazd appears only as the priest in passages which show a Zervanite origin.[1] Just as the Sassanian kings on earth were absolute rulers with the three castes wholly subordinated to them, so, we may suppose, was Zurvān–Fate absolute monarch ruling absolutely and by his kingly fate the destiny of the Cosmos which again is himself. The struggle between Ohrmazd and Ahriman in the material world and its counterpart, the struggle between good and evil in individual men, is basically a matter which concerns him not at all. Though some inherent defect in his own nature engendered evil, it is powerless to harm him,[2] and the whole regrettable incident is easily disposed of by the device of the limitation of the Infinite by which the evil is localized and thus destroyed. Man, then, is merely a cog in the wheel of fate whose operations must inevitably lead to the annihilation of disorder which sprang from a defect in the divine substance. As such it can be assumed that he will share in the final apotheosis when the finite is merged again into the Infinite where there is no room for duality and where man *qua* man will cease to be.

Order—Law—Fate—and King: so is the Great God made manifest to man. Here there is no hint of salvation, no trace of the Saviour-God in manifold disguise whose diverse operations constitute the hope and the fascination of the Gnostic systems and the kernel of Manichaean belief: there is only the unknowable Infinite made finite as the material Cosmos, Law and Fate. And his Law is to return to whence he came; for he 'was and shall be all'.[3]

NOTES TO CHAPTER X

A. *Māh i Fravartīn* § 10. (PhlTexts, p. 103): *'māh fravartīn 'rōč i Hurdāt Yam patmānak 'hač dōšaχᵛ 'bē 'āβurt 'ut 'andar gēhān 'ō paytākīh mat.*—'In the month of Fravartīn on the day of Hurdāt Yam brought the *patmān* from hell; and it was manifested in the world.' Cf. Zn. 4. 21 (Messina): *ut-aš patmān hač avēšān apāč stat.*—'And he (Yam) took the *patmān* away from them (the planets).'

The Mandaeans have preserved a similar and equally entertaining myth concerning Hibil Zīwā's descent into the infernal regions. In the nethermost hell he is confronted by one Krūn, 'der grosse Fleischberg', who swallows him. Hibil, however, was encased in a sheath of swords and other sharp weapons with which he sliced up his entrails, liver, and kidneys. In return for this rough treatment Krūn was forced to give him the passport he required to take him up out of the infernal regions. v. Lidzbarski, *Ginzā*, p. 157.

B. Sinners are released from hell at the time of the *fraškart*. On this point all the sources agree. Thus Mānuščihr (Dd. 40. 4), who may be taken as the classical exponent of Mazdean doctrine, says: *'ut-aš 'pat 'avēšān yazat-virravišn 'andar 'ān*

[1] Text Z 2, § 4; Z 11 and 12.

[2] Text Z 37, § 24: 'What pain or pleasure has Time from the evil of Ahriman or the goodness of Ohrmazd?'

[3] Text Z 16.

i vattom aχᵛān anākīh 'hast 'tāk 'ān i aβdom aχᵛān vartišn 'kaδ fraškart 'pat kāmak 'andar aχᵛān 'dahīhēt.—'According to their godly doctrine they (the damned) suffer torment in the worst abodes until the coming of the last things when the *fraškart* is produced in the worlds according to (their) desire.' Zātspram too, who may be presumed to reflect the Zervanite point of view, says that the damned are sent back to hell at the *fraškart* for only three days. Zs. 35. 44: *'pat dušmat dušhūχt dušhuvaršt 'ō dōšaχᵛ 'šavēnd 3 rōčak-šapān.*—'For their evil thoughts, words and deeds they go to hell for three days and nights.' Later they are brought out of hell by Airyaman. Ibid. 35. 49: *'pat ham 'zamān [i] Airyaman hamāk druvandān 'apar 'āβarēt.*—'At the same time Airyaman raises up all the damned.' Again the *Dēnkart* (M. 286. 18 ff.) is quite explicit: *'hač dōšaχᵛ 'ul 'nīt, 'pat mēnōk yōšdāsrgarān šōδišn 'hač vinās ⟨vi⟩zand pākēnīt, 'ut-aš ham-gōhr patmōk tan i pākēnītak 'hač aβigat ālūtakīh nōk 'apāč *patmōχt, 'ut yāvētān aviškann(?) purr-urvāhm vīnārt.*—'They are led out of hell and are purified from the harmfulness of sin by the cleansing of the spiritual purifiers; and their body, purified from the defilement of the Aggressor, is again clothed in a garment of the same substance, and they enjoy perfect bliss eternally and without interruption.'

APPENDIX TO CHAPTER X

DkM. 295.7–297.6. (translation pp. 250–1 of this book):

*'ēt 'har kār 'čiš sūtōmandīh 'pat patmān, 'ut-aš 'hač frēhbūt 'ut *apēbūt tapāhīh *akārīh. 'ut patmān vīnārišn 'pat āsn-χrat i dātār, 'andar dahišnān patmān. yut-dātastān 'nām*čišt frēhbūt 'ut *apēbūt 'dēvīk varan āsn-χrat pityārak. 'ut hamē 'kaδ 'andar 'martōmān āsn-χrat ⟨i⟩ yazdīk 'apar varan ⟨i⟩ 'dēvīk čēr, patmān dātastān 'andar martōm pērōžīh 'ut frēhbūt 'ut *apēbūt *nizārīh 'ut dahišn χᵛap-ēstišnīh 'bavēt. 'ut dātār 'andar martōmān āsn-χrat 'apar 'avē i dahyupat aγrayēnīt*[a] *'ku pat-iš 'ān i stahmaktar varan druž vānāt, 'pat amāvandīhā savākīh*[b] *χᵛap-rāδēnītārīh i 'martōm āsn-χrat i pat-išān 'hač zruftakīhā*[c] *i aδar ['ut] varan hangē-žēnāt 'ku-š patīrišn 'bavāt ⟨i⟩ āsn-χratīk handarz 'andar martōm, 'ut ravākīhāt 'andar-šān dātastān patmān, vīnārīhāt dām 'pat nēvakīh.*

*'ut pēš 'hač matan i Yam 'ō χᵛatāyīh, 'hač 'dēvān appurtārīh āsn-χrat 'andar χᵛatāyān nizārīh, varan aparōžīh, 'ut yazat āsn-χratīk patmān 'andar 'dēv varanīk frēhbūt 'ut *apēbūt zruftakīh ōγōn 'būt i martōm dat [i] *'būt mānāk, 'hač-ič 'šut [i] handarz ⟨i⟩ 'andar gōš ōpastak 'ēstāt, 'hač škift čērīh i frēhbūt 'ut *apēbūt 'apar-šān anōtak*[d] *'būt 'hēnd 'hač patmān i 'pat kartan 'χᵛartan 'dātan dāštan apārīk rāδēnišn: višuft 'ēstāt gēhān 'hač ham. 'bē čēγōn 'ēt i paytāk 'ku 'hač yazdīk āsn-χrat frōt-vaštakīh 'hač 'martōm [i] 'dēvīk varan čērīh 'ut āsn-χratīk patmān dātastān 'hač gēhān ānāftakīh, varanīk frēhbūt 'ut *apēbūt adātīh 'andar martōm vēš mēhmānīh 'ut gēhān avērānīh višuftakīh *'būt.*

Yam mat 'ō χᵛatāyīh 'hač dātār kām 'ut nimēž[e]*. fratom 'dēv *'hač 'martōm apātaχšāyēnīt 'ut yazdīk āsn-χrat 'hač 'dēvīk arās varan bōχt; 'ut yazat āsn-χratīk patmān 'hač 'dēv varanīk frēhbūt *apēbūt čārak nikīrīt, 'ku 'pat 'dēv 'hač martōm apātuχšāyīh-ārāδīh nizārīh 'ut yazdīk āsn-χrat 'apāč vaχšišnīh 'ut 'dēvīk frēhbūt *apēbūt vānītakīh 'ut āsn-χratīk patmān dātastān,—'pat vānītakīh i frēhbūt 'ut *apēbūt 'ut adātīh 'andar gēhān nērōk,—burz-brāhīh, ['ut] pat-iš gēhān vīrāδišn*

For notes see p. 263.

pērāδišn farraχᵛīh 'bavāt. 'hač 'vazurg varč 'ut 'χᵛarr i dātār 'apar 'burt 'pat tanō-mandīh 'ō dōšaχᵛ mat, 'ut 13 zimastān 'andar dōšaχᵛ 'pat 'dēv-karpīh 'raft, rāz-aβzār, 'kē pat-iš 'dēv vānīhēnd, 'hač 'martōm apātaχšāy⟨īh⟩ēnd. varčāvand nēzu-mān[f] čārīhā 'hač 'dēvān *'ul 'burt, 'ut 'dēvān 'pat 'χᵛat aβzār 'zat 'ut vānīt 'ut 'hač 'martōm apātaχšāyēnīt 'ut dūrēnīt. 'ut 'hač 'ān 'bē 'dēvīk varan 'hač čērīh 'apar 'martōm 'bē 'burt, varanīk frēhbūt *apēbūt nizārēnīt, 'ut yazdīk āsn-χrat 'andar martōm vaχšēnīt, 'ut āsn-χratīk patmān dātastān 'andar dām pērōžēnīt, pat-iš Ōhrmazd dām ⟨a⟩margēnīt 'ut 'pat 'apāčīh kart. 'ut paytāk vičārišn ⟨i⟩ dātastān [i] 'ān i Yam rāδ dēn 'gōβēt 'ku-š 'ul 'burt 'hač dōsaχᵛ.*

NOTES

[a] *aγrayēnīt*: denom. to *aγray* (MPT. *'gr'y*, MParthT. *'gr'w*, MPInscr. (KZ) *'gl'dyḥy*, Sprengling, AJSLL., lvii, p. 216). The word translates Av. *aγrya-* 'first-class' with which it may reasonably be connected (Bailey, BSOS. vi, p. 68). Andreas *apud* Waldschmidt-Lentz, *Die Stellung Jesu im Manichäismus*, p. 41, no. 1, connected with Skt. *argha-*: this seems improbable.

[b] *savākīh*: v. BSOS. ix, p. 103.

[c] *zruftakīhā*: v. text Z 2, l. 64, no. 4,

[d] *anōtak*: v. BSOS. ix, p. 312.

[e] *nimēž*: v. BSOS. ix, p. 584; MPT. *nmyzyšn* (Henning, *Beichtbuch*, p. 58).

[f] *nēzumān*: v. Henning, OLZ. 1934, col. 755, where he equates it for the meaning with MPT. *krwk*. ŠGV. miswrites *vičumą*, cf. Menasce, ŠGV., p. 50; the Skt. translation has correctly *vivekatayā* 'with discrimination' for the adverbial form.

Zātspram, Chapter 32.

(1) *čēγōn nimūt 'pat handāčak 'andar nipēkān i hanbitīkān 'ku 'avē 'kē-š 'andar gētēh kunišn-ē ayāp tavān-*nērōkīh-ē*[a] *ayāp masīh-ē ayāp χᵛēškārīh-ē pat-iš sačākīk 'ut-aš āsrōnīhēt*[b] *'pat rāstīh i dārēt 'pat sūt sačēnītan, 'ān aδvēnak dānišn, tavān-nērōkīh 'ut masīh ⟨'ut⟩ χᵛēškārīh 'ō 'ān i 'avē ruvān patvandēnd, 'ut-aš 'pat-ič mēnōk ham-brahmakīh pat-iš 'bavēt.*

(2) *čēγōn Yam 'apāč-dārišnīh i sahm, vitangīh ⟨'ut⟩ *sēž*[c] *rāδ, ruvān i 'avē 'yazīhēt 'ut 'χᵛānīhēt 'pat apāč-ēstišnīh ⟨i⟩ 'dēvān-frāč-kirrēnīt *sēž*[d] χᵛāstār sahm 'ut *sēž-ič*[e] *i nihān-ravišn.*

(3) *ētōn-ič Frētōn *bastan*[f] *i Až i Dahāk rāδ, 'χᵛānīhēt 'pat 'apāč-ēstišn i až-kartārān bēš.*

(4) *'ut *Guršāsp 'zatan i rāsdārān ['ut sēžān] 'ut gaδaγān ⟨rāδ⟩, 'χᵛānīhēt 'pat apāč-ēstišn i gaδaγ-⟨ka⟩rtārān bēš.*

NOTES

[a] *nērōkīh*: written *NYKLWKYH* in TD. For the phrase cf. Zs. 23. 2: *gōspandān-ič . . . čand-šān dānišn tavān-nērōkīh, dēn ōšmurēnd.*—'The beasts . . . so far as they have knowledge and power, celebrate the religion.'

[b] *āsrōnīhēt*: this can equally well be read as *'bandīhēt*, but the meaning is less satisfactory. In text Z 35 it is stated that *āsrōnīh, artēštārīh*, and *vāstryōšīh* belong to

the province of *kunišn* 'action'. Our present text should therefore probably be interpreted in the light of this.

[c] *sēž*: *SPW* TD: *ZKPW* BK.

[d] Text has *hēč-ič* (*HYČWČW*).

[e] Text has *spōž* (*SPWČW*).

[f] *bastak* TD: *WSTW* BK.

Zātspram, Chapter 33.

(1) *'gōβīhēt 'ku Frašōštar, 'ōδ 'tō 'ō rātīh 'ravišn, 'ku-t rātīh 'andar garōδmān 'kunišn; čēγōn gētēhīhā dar-handarz-pat*[a] *i Vištāsp būt, 'ān i mēnōkīk ham dar-handarz-patīh 'bavēt paytākīh 'hač dēn, apārīk-ič 'pat ham brahm*[b] *'ut aδvēnak, ōγōn čēγōn 'kē 'pat gētēh 'āp tāčītār 'būt, 'ān i mēnōkīk vārān-kartār.*

NOTES

[a] *DLHNDLPPTW* TD: *DLČPTW* Bk.

[b] *brahm*: 'manner' as often: v. BSOS. ix, p. 311, Henning, *Trans. Phil. Soc.* 1944, pp. 112 ff.

RETROSPECT

Our task is ended: and the time has come to bid farewell to one who has for so long occupied our thoughts. Before doing this, however, it would be well to take stock of what has been achieved. We said at the outset that it would be premature to speak of a Zervanite 'system'; for our evidence was so fragmentary that we could not even say whether such a system ever existed. All we knew for certain was that that heterodox branch of Zoroastrianism which habitually goes by the name of Zervanism differed from the orthodox dualism in that it elevated Time to a supreme position over the powers of good and evil, and that it laid great stress on the operations of fate.

In our investigation we were further handicapped by the nature of our sources, all of which were, with one exception, hostile. What of Zervanism has survived in the Pahlavī books, we can now state with some assurance, has in most cases been trimmed to suit Mazdean orthodoxy and, perhaps, robbed of its original significance. Fortunately for us the trimming has often been done by inexpert hands, and it has on occasion been possible to 'frustrate the knavish tricks' of the trimmers and to uncover the Zervanite idea from beneath its Mazdean overlay.

This is, however, only a beginning. The object of this work has been to collect and collate the texts in which Zurvān-Time appears and to offer my own interpretation of the texts collated. The next stage must be a more thorough analysis of these texts with a view to removing what appears to be Mazdean accretion from the Zervanite substratum. This I have barely attempted; for it seemed to me a better course first to publish our minimum findings and allow these to stand or fall by the criticism or assent that they will meet with from other scholars interested in this limited field. What seems obvious to me may seem far from obvious to others; and until our findings receive the blessing of Iranian scholars of known objectivity, there would be little point in pursuing the reconstruction of the House of Time. This book is merely the scaffolding. If that is faulty, we can start again. If it is sound, we or others can proceed with the reconstruction of the ruin. In matters like this where the evidence is scanty and frequently either ambiguous or obscure, or both, it would be presumptuous for any author to claim infallibility for his own views; and it would be both futile and morally injurious for him to cleave to those views against others equally good or better, simply because they are his. That scholars sometimes allow themselves to fall into this excess is a matter to be deplored and an example

to be avoided. If *ipse dixit* is unconvincing as an argument, to take one's stand on an *ipse dixi* is the perfection of foolishness.

Be that as it may, it will not be unprofitable to look back on what has been written and to summarize our tentative conclusions. The principal difficulty, as it appeared when this work was started, was the conflicting nature of the sources. What we had unearthed from the Pahlavī books seemed in no way to correspond to the principal Christian (and Manichaean) sources. Above all, the myth of the birth of Ohrmazd and Ahriman from Time obstinately refused to emerge from any of the Pahlavī texts. On other points, however, we have been able to establish parallelisms; and allowing for the fact that the Mazdean editors of the Pahlavī texts must have been to some pains to eliminate offensive doctrine, the results are as encouraging as could reasonably be hoped.

Nyberg long ago suggested that a form of Zervanism might well have existed in its own right—a religion of Time which took no cognizance of Ohrmazd and Ahriman. Our researches seem to substantiate this. For whereas Eznik and the sources allied to him tell us only of the birth of Ohrmazd and Ahriman from Time, the Pahlavī sources tell us of the birth of the Cosmos (Spihr) which is the body of finite Time from the Infinite (pp. 111 ff.). Material creation evolves from this. Spihr is Primal Matter: from it derives the 'first form', the four elements; thence the 'second form' or the mixing of the primary properties, and finally the 'third form', Man and animals, that is organic life. With the advent of the 'third form' we have the fully developed Cosmos which exists for twelve thousand years when the whole is taken up into the 'last form' or 'final body' (*tan i pasēn*) which is in turn absorbed into the Infinite.

The Cosmos itself derives from the 'seed' into which Time enters: Time-Space is itself the source of this 'seed' (p. 111). Thus the finite Cosmos is represented as having been born from the Infinite and at the appointed moment will be reabsorbed. In this finite world Zurvān-Time who is the macrocosm, and as such the fountain-head and source of the human race (p. 113), continues to manifest himself as natural law and fate. He is quite unconcerned with spiritual values: he is not only the god of nature (*φύσις*, *čihr*), but nature itself. He is the first cause of all physical phenomena, the Absolute conceived of as the origin of primal matter. Even when this purely physical conception of the Universe combines with the genuine Mazdean ethical dualism, Time and Fate continue to control only the physical universe: they have no part in the ethical struggle between good and evil.

This again is clearly borne out by the testimony of Firdausī, who presents us with a purely Zervanite theory of the world of man—dominated

by Time, Fate, and the heavenly bodies. Of salvation and damnation there is not a word.

This doctrine is in fact quite plainly that of the Daharīs, who derived the whole Cosmos from Infinite Time, denied the existence of spiritual values, of rewards and punishments, heaven and hell (p. 23). These again would appear to be identical with the Zandīks of Mas'ūdī, who believed in the eternity of matter and denied the creation of the world (p. 38). If all this is granted, we are now free to say that the Zervanite materialists were among those persecuted by the great Kartīr: they were the original Zandīks.

This form of Zervanism which we may call 'Zervanite materialism' can be deduced from certain passages in the *Dēnkart* (M. 120. 22 ff. and text Z 10). It is concerned with matter in the Aristotelian sense. Zurvān as the Infinite is simply the source of all matter, and his limitation, regarded as the birth of the finite from the Infinite, is the origin of the Universe. The differentiation of the Universe we know is regarded as the imposition of 'form' on to undifferentiated 'matter'. In the texts the agent who 'forms' matter is presumably Ohrmazd, though this, I venture to think, is a purely Mazdean interpretation of a fundamentally Aristotelian conception. The Infinite Zurvān thus appears as the father and mother of the Cosmos. As the Infinite he is the source of the 'seed' and as finite he is the embryo which has its origin in that seed.

The *Šikand Gumānī Vazār* rightly objects to this limitation of the Infinite. To modify the basic illogicality of this conception the Zervanites, like Plotinus and the Gnostics, put the maximum number of intermediate stages between the infinite One and phenomenal multiplicity. From the One proceeds the 'mass', thence conception and formation; then the 'first body' which is the firmament, that is the Cosmos, the elements, their mixture, and finally organic life. There is then a chain of being extending from phenomenal existence to the Absolute which is that from which primal matter proceeds.

All this seems to be rooted in the Aristotelian theory of 'form' and 'matter'. The myth of the genesis of Ohrmazd and Ahriman from Time is, however, quite different. The link between the two is the *'Ulemā i Islām* which interposes the creation of fire and water between Time and the two Spirits. Ohrmazd, when introduced into the Aristotelian scheme of things, becomes the 'hot-moist', Ahriman the 'cold-dry' (p. 141). Ohrmazd, then, is assimilated to the air and Ahriman to the earth—Ohrmazd thus apparently deriving from fire and Ahriman from water. So we must logically equate Ohrmazd with the two higher elements—fire and air—and Ahriman with

the lower—water and earth. In text Z 10 the Mazdean editor, therefore, makes nonsense of the whole passage by making *all* the elements derive from the 'hot-moist' because, as we know, 'hot-moist' is the characteristic of Ohrmazd.

It seems fairly obvious that Ohrmazd and Ahriman do not really fit into this scheme of things. They have been introduced where they do not belong. On the other hand, the doctrine deducible from our two Pahlavī texts and the *'Ulemā* is precisely reproduced by Hippolytus (p. 72) according to whom there are two *daemons*, one celestial and one terrestrial: the former is fire mixed with air, the latter is water and has its being in earth. The first is male and the second female; the one light and the other darkness.

Thanks to Hippolytus it now seems possible to reconstruct the true Zervanite view. From Spihr (the body of Zurvān = primal matter) proceed (i) the hot-moist, the male principle, and (ii) the cold-dry, the female. The first is the light and the second darkness. Elsewhere in the *Dēnkart* the male and female principles are equated with fire and water only; they are brother and sister and the source of all material things (p. 73). Thus it seems reasonably clear that the first distinction that appears out of the One is that of male and female: the male is the light—fire and air—the female is the darkness—water and earth. Ohrmazd and Ahriman have simply been substituted for the male and female principles in a system that is seemingly neither Zoroastrian nor Iranian. Thus we find logical grounds for explaining the perversity of female creatures in the myths of water fleeing to Ahriman (p. 74) and of J̌ēh (p. 183).

If, then, Ahriman in the Zervanite myth has simply superseded the primal female element which is evil, we must next try to discover who or what this female element originally was. Plainly, once the existence of such an element is admitted, it can only have been Āz–Concupiscence. This can and must be deduced from the supreme position that that demon occupies in the Manichaean system, from the importance which Zātspram attaches to her, and from the fact that she is the last of the powers of evil to be annihilated.

Here, then, we have a second form of Zervanism. The moral element is now present. Instead of the purely materialistic religion we have already described we now have a form of philosophical asceticism. Evil is equated with desire (pp. 176 ff.). Thus the appearance of duality in the One can properly be attributed to Zurvān's 'desire' to have a son, as Eznik seems dimly to have perceived (p. 115). From this desire the evil female principle is manifested, while on the other side wisdom or reason becomes manifest.

Ethically, then, duality springs from the One in the shape of reason (male) and desire (female), or of order and disorder.

It is very possible that these two forms of Zervanism in which Ohrmazd and Ahriman seem to be irrelevant existed side by side with Mazdeanism. The materialist form may well date back to the earliest Sassanian period when writings on 'medicine, astronomy, movement, time, space, substance, creation, becoming, passing away, change in quality and growth' were collected at the instance (it is said) of Šāpūr I (p. 8). Similarly the ethical version of it would seem to have flourished at the same time, as Mānī's preferment of the female Āz over Ahriman seems to show.

We must, however, concede that Ohrmazd and Ahriman early made their appearance in the system, and the female Āz would then seem to have been relegated to the second place. There is only the most shadowy trace of her in Eznik, and none at all in the other Armenian and Syriac Christian writers or in the fragmentary Manichaean polemics.

Zervanism, when once it ceases to be purely materialistic, is faced with the problem of evil: and since it arose in Īrān, the problem was posed in its simple dualistic form. Zervanism presupposes the unity of Being with a 'material' Absolute standing at its head. We must now consider how this theory could assimilate the ethical dualism of the Zoroastrians. The myth of the twin brothers is no doubt genuine: it is a simplification of what was probably a far more subtle theory. This theory seems to be best exemplified in our texts Z 10 and Z 20. The latter text divides the Cosmos as it develops in the 'Endless Form' into halves, best described as the material (concerned with finite time and activity arising out of potentiality) and the intelligible or spiritual (*dānākīh* = reason). The intelligible unites with the material in the 'first body', that is Spihr = primal matter (*mātaγ*). The 'hot-moist', which we have seen to be Ohrmazd, is connected with the 'spiritual Word' and shares in its power. Filling in what is not stated on the evil side of the picture, we can deduce that either 'desire' or the 'lying Word' (Āz–Varan) unites with the 'cold-dry' which is Ahriman. There is thus an ethical dichotomy in the spiritual world which, so to speak, overflows into the material—the 'hot-moist' being animated by the Spirit of Truth, the 'cold-dry' by the Spirit of Falsehood. Matter is, as it were, possessed and divided by two spiritual forces, though of itself it is neither good nor evil. The cosmology of the *Bundahišn* indeed posits three principles, not two: they are the Light, the Darkness, *and the Void*. The Void is Vāy; and the 'form' of Vāy seems to be identical with Spihr and is therefore the first 'form' of primal matter (pp. 130, 142). In this new scheme, then, the Absolute generates a prototype of spiritual good (reason), a

prototype of spiritual evil (concupiscence or doubt), and a prototype of matter which is devoid of ethical values. In the finite world Zurvān corresponds to the last only.

Zurvān, as the Absolute, we saw, comprised Time, Space, Power, and Reason (Wisdom). Time and Space are the source of matter, power (δύναμις, *nērōk*) the source of action or activity (ἐνέργεια, *kār*). Reason alone is non-material, and it is in the process of the passing of reason from the state of pure potentiality to that of actuality that evil manifests itself. Reason 'in Infinite Time and through its power entered the stage of knowing': from this half-awareness Ahriman (falsehood) arose. Only then did Reason come to know its own ground which is the godhead, and equip itself for the act of creation.

This text (Z 20) is the link between our Pahlavī sources and the myth of the Twin Spirits. The myth deals only with the development of the intelligible world, leaving the material one out of account altogether. Thus the coming of reason to self-realization corresponds to the birth of Ohrmazd: Ahriman represents the actualization of an essential imperfection in the godhead hitherto concealed in the potential (*nērōk*). Ahriman's birth precedes that of Ohrmazd as in the *Dēnkart* text falsehood appears before God's true realization of his own nature. Similarly Ahriman exhibits his true nature as soon as he is born by lying to his father and claiming to be Ohrmazd. The myth and the *Dēnkart* text are identical in content. The first is for the catechumen, the second for the philosopher. Essentially they are the same.

The essence, then, of 'ethical Zervanism' is its novel solution of the problem of evil. Orthodox Christianity teaches that evil is the result of the misuse of the will either by the angels (Satan) or by man either in Adam's original sin or in the personal sinning of the individual. Islam does not really face the problem at all—God leads astray whom He wills for reasons into the validity of which it is impious to inquire. Mazdean Zoroastrianism destroys the unity of the godhead by positing two independent and eternal principles, and thereby gives man absolute freedom of choice between black and white alternatives. Ethical Zervanism starts squarely from the unity of the godhead of which nothing positive can be stated except that it Is. God, the One, is a pure potentiality. Since this is so, neither good nor evil can be predicated of him *sub specie aeternitatis*. In the process of actualization, however, evil conceived as 'desire' or 'doubt' comes to light along with God's wisdom which is one of His eternal attributes. From a state of pure nescience the deity 'comes to know'; but there being as yet no object for his knowledge, knowledge turns to doubt, and the doubt gives

rise to a separate principle which is the Devil. The contrast provided by this unwelcome intruder brings about self-realization within the deity. This self-realization manifests itself as Ohrmazd, the divine Wisdom. The 'ground' of the deity meanwhile, which is eternity, is actualized as finite Time-Space, the material Cosmos which is the battlefield on which the struggle between good and evil must be worked out. The struggle is bound to end in the victory of good because the good is the 'manifestation' of all the wisdom of the godhead, whereas evil is simply the revelation of an essential flaw, the elimination of which, as in an inexorable machine, is the whole point and purpose of the limitation of the deity. God must be limited in order that he may become good.

It is perhaps along these lines too that Zurvān's desire 'to have a son Ohrmazd who should create heaven and earth' is to be interpreted. This very desire begins the process of the actualization of the deity, which in the event reveals his essential imperfection. Had there been no desire, the imperfection would have remained latent: there would have been no actual imperfection at all. Hence the desire was as evil as the unworthy doubt that followed it.

The purpose of the thousand years' sacrifice that accompanies the desire is not clear to me. Sacrifice, however, in the Zervanite system seems to be a necessary accompaniment of the creative act, that is the passage from potency into act. Sacrifice accompanies the actualization of Ohrmazd: Ohrmazd himself performs sacrifice to form his creation, and at the end of time sacrifice is held in order finally to annihilate the powers of evil and to inaugurate the 'Final Body'. Through sacrifice multiplicity is produced from unity, and by sacrifice is the essential unity restored. This perhaps is the 'deeper' significance of Zurvān's address to Ohrmazd: 'Up till now I offered sacrifice for thee; from now on thou shalt offer sacrifice for me.'

From the above it is plain that in the cosmological field and in their conception of the nature of God there was the sharpest antagonism between Mazdean and Zervanite. This difference on fundamentals would seem to be reflected in the purely ethical and human sphere; for, as we have seen, Zervanism allotted a far wider field of action to fate than Mazdeanism was prepared to concede. This, combined with a tendency towards asceticism, would appear to distinguish it in the purely practical sphere from the main current of Zoroastrianism which had no inhibitions about the flesh and freely championed the freedom of the human will. In this matter indeed there appears to have been a distinct anomaly in Zervanite belief; for while we find Ahriman boasting that he does evil by choice, and Mahmi, though by nature evil, choosing the better part, poor Man appears to be weighed

down by fate, and if not quite helpless against it, at least most severely handicapped. There seems to be no rational explanation of this unless it be that Man as microcosm is simply a small-scale reflection of the finite Zurvān, the macrocosm, and as such shares the destiny of the latter, which is already fore-ordained.

Thus we seem to be driven to the conclusion that Zervanism is as pessimistic a creed as is likely to be found on the surface of the globe. In some ways it invites comparison with Buddhism: but whereas the Buddha's *nirvāṇa* is associated with bliss—though who or what is conscious of this bliss is left absolutely vague—Zervanism seems to offer nothing at all. If we can regard Firdausī as a genuine expositor of Zervanite ideas, there is no suggestion of any kind of heavenly reward or of a blissful existence, whether personal or impersonal, experienced or not experienced, in eternity: nor do our other sources give any indication of the ultimate lot of man. The general impression is one of gloom. In this life Man must be content with his lot, extinguish his passions, and resign himself to fate. For the rest, he can only know that he will pass on to the 'house of eternity' the fate of whose denizens is utterly unknown; for 'a veil is drawn' over their eternal destiny, and Time 'was and shall be all'.

PART II
TEXTS

I

PASSAGES FROM THE AVESTA IN WHICH ZURVĀN APPEARS AS A GOD

A 1. *Vidēvdāt*, 19. 29. Cf. Nyberg, CCM. 1931, p. 120.

*vīzarəšō daēvō nąma, spitama zaraθuštra, urvānəm bastəm vāδayeiti drvatąm daēvayasnanąm *mərəzu-ǰīti-mašyānąm, paθąm zrvō-dātanąm ǰasaiti yasča drvaite yasča ašaone, činvaṯ-pərətūm mazdaδātąm.*

TRANSLATION

The demon whose name is Vizarəša, O Spitama Zaraθuštra, after binding it, carries off the soul of accursed devil-worshipping men whose life is short. (The soul) of wicked and righteous alike proceeds along the paths created by Zurvān (Time) to the Činvat bridge created by Mazdāh (Ohrmazd).

A 2. A number of passages mention Zurvān as a deity to be adored. As none of them tells us anything about him whatsoever, it will suffice to mention here the deities with whom he is mentioned.

Yasna, 72. 10. Rāman, Vayu (Vāy), Θwāša (the firmament), the Infinite Zurvān, and Zurvān who for a long time follows his own law (*darəγō-χ^{v}a-δāta-*). The same occur in *Sīh Rōčak* i. 21 and ii. 21.

Vidēvdāt, 19. 13. Daēnā (Dēn, the Religion), the Aməša Spəntas, Θwāša, the Infinite Zurvān, Vayu, Vāta (the wind), the Daughter of Ahura Mazdāh (Armaiti).

Ibid. 19. 16. Måθra Spənta (the magically increasing word), Θwāša, the Infinite Zurvān, Vayu, Vāta, the Daughter of Ahura Mazdāh, Daēnā, Dāta (the Law).

Nyāyišn, 1. 8. Tištra, Vanant, Θwāša, the two Zurvāns, Vāta, Čištā, Daēnā, the well-made path, the golden lake, and the sulphur mountain.

II

TEXTS RELATIVE TO ZURVĀN FROM ZOROASTRIAN SOURCES OTHER THAN THE AVESTA

Z 1. Our first text comprises the first chapter of the *Greater Bundahišn*. Both this and the third chapter of the same work (Z 2 in our texts) were published with a commentary by Nyberg (*JA.*, vol. ccxiv) in 1929. With this pioneer edition before us, it might seem superfluous to re-edit the same texts here. But more than twenty years have elapsed since the publication of Nyberg's edition; and meanwhile scholarship has not been idle. Two further considerations have prompted me to undertake a somewhat elaborate edition of the two chapters in question. First the nature of this book makes their inclusion in its pages indispensable, for they are among the most important sources for our subject; and secondly I have had the opportunity, denied to the former editor, of collating the manuscript of the Bibliothèque Nationale, *Supp. Pers.* 2043. In the elucidation of many points that had long remained obscure this manuscript has been invaluable. The manuscript is a copy of the Bombay MS. TD_1 made in the nineteenth century for Darmesteter. TD_1 has never been collated, though it is the oldest manuscript of the *Bundahišn* extant, and is described by Anklesaria as 'an almost perfect copy'. The value of the Paris MS. (P.) therefore lies in the fact that it most often reproduces the readings of TD_1 where the other manuscripts are corrupt.

As the basic text of my edition I have naturally used that of Anklesaria, a facsimile of the MS. TD_2 published in Bombay, 1908. As an account of the manuscripts is given in that edition, it would be superfluous to repeat it here; for the edition of Anklesaria is easily accessible to Iranian scholars. Besides TD_2 Anklesaria has given the variants of DH. (v. p. ix of his edition). These have been reproduced here.

For the readings of the *Indian Bundahišn* I have naturally used

the edition of Justi (*Der Bundahesh, zum ersten Male herausgegeben, transcribirt, übersetzt und mit Glossar versehen*, Leipzig, 1868). The 'Indian' recension (Ind.) is considerably shorter than the *Greater* or *Iranian*, and, in the first chapter, omits the entire passage devoted to Zurvān. The third chapter (text Z 2) is, apart from the last paragraph, missing. Readings from the Indian recension adopted in the text are printed in Roman type.

For the Pāzand of the Indian recension the reader is referred to Ântiâ, Pāzand texts, pp. 1 ff., and to Nyberg, *Hilfsbuch des Pehlevi*, pp. 71–76, where the variants are listed. The Pāzand is, however, so miserably late and corrupt that I have not thought it worth while to include its readings in this edition.

To Nyberg we owe two critical editions of the first chapter of the *Greater Bundahišn*. One appeared in the *Journal Asiatique* (l.c.) and consisted of the transliterated text and translation on opposite pages. The other, a transcription in the original Pahlavī script, appeared in his *Hilfsbuch des Pehlevi* (Uppsala, 1928), cf. also the *Glossar* to the same (Uppsala, 1931). Though I have often found myself in disagreement with the author of this edition on points of importance, I should like to acknowledge my debt to him for his pioneer services in the interpretation of the *Greater Bundahišn*.

In his review of Nyberg's *Hilfsbuch* (*Göttingische gelehrte Anzeigen*, 1935) Professor Henning made many fruitful suggestions and emendations. These are quoted as 'Henning' without further reference.

Last, but not least, I have had the privilege of using Professor Bailey's unpublished edition of the *Greater Bundahišn* for which he received the degree of D.Phil. at this University. Though I have consistently tried, as far as was feasible, to follow an independent line of research in the interpretation of this difficult chapter, my debt to my teacher, Professor Bailey, is such that I must have allowed myself, albeit unconsciously, to express views as my own of which he, nevertheless, is the prime author. When the debt has been conscious, I have added the letter B.

In the noting of variants I have not, perhaps, been entirely consistent. The addition or omission of an otiose *Wāw* or an

Iẓāfat has frequently been disregarded. The variant spellings of such words as *āsmān*, *'dēvān* and *nazdist* have been noted on their first occurrence, but are subsequently suppressed. Variants as between ideograms and their phonetic equivalents are noted only very occasionally. Every variant from P. which might be important—and many are certainly not—has been noted. The edition is intended to be used in conjunction with the facsimile published by Anklesaria; but it is hoped that, within the limitations imposed by the necessity of transliteration into the Latin type, it will be found useful.

No account of the contents of the chapter need be given here. An attempt at an interpretation will be found in Chapters IV and V in Part I.

The pages of Anklesaria's (A) and Justi's (J) editions are noted in the outside margin. The exact place where a new page starts is indicated by a vertical stroke in the body of the text.

Anklesaria, p. 2. Justi, p. 1.

(1) **'ēn zand-ākāsīh nazdist 'apar* bundahišnīh *i Ōhrmazd 'ut pityārakīh i ganāk mēnōk, 'pas 'apar čēγōnīh i gēhān dām 'hač bundahišnīh 'tāk fražām čēγōn 'hač dēn i māzdēsnān paytāk; 'pas 'apar 'hēr *'kē *gēhān 'dārēt 'pat vičārišn[īh] ⟨i⟩ *'čē-īh 'ut čēγōnīh.*

5 (2) *'pat 'vēh-dēn ōγōn paytāk, Ōhrmazd bālistīk 'pat harvisp-ākāsīh 'ut vēhīh; zamān i akanārak 'andar rōšnīh hamē 'būt; 'ān rōšnīh gās 'ut gyāk i*
A3 *Ōhrmazd; 'hast 'kē asar rōšnīh 'gōβēt. 'ān harvisp-ākāsīh 'ut vēhīh* | hāmak i Ōhrmazd; 'hast 'kē 'gōβēnd dēn; ham 'har 2 vičārišn ēvak, 'ān i hāmak i *zamān i akanārak čēγōn Ōhrmazd 'ut* gās *'ut dēn 'ut zamān i Ōhrmazd 'būt*
10 'ut 'hast 'ut hamē 'bavēt ['*hēnd*].

(3) *Ahriman 'andar tārīkīh 'pat 'pas-dānišnīh 'ut zatār-kāmīh zufr-pāδak 'būt*; ⟨'būt⟩ 'ut 'hast 'kē 'nē 'bavēt; *'ut-aš zatār-kāmakīh hām, 'ut 'ān tārīkīh gyāk; 'hast 'kē asar tārīkīh 'gōβēt.*

(4) *'ut-šān miyān tuhīkīh 'būt; 'hast 'kē Vāy* 'gōβēnd *'kē-š gumēčišn pat-iš*
15 *'har 2* mēnōk.

J2 (5) *kanārakōmandīh 'ut akanārakōmandīh,—'čē* | *bālistīh 'ān i asar rōšnīh, 'gōβēt, 'ku 'nē sarōmand, 'ut zufr-pāδak, 'ān i asar tārīkīh, 'ut 'ān 'hast akanār⟨ak⟩īh, 'ut 'pat vīmand 'har 2 kanārakōmand 'ku-šān miyān tuhīkīh, ēvak 'ō 'dit 'nē patvast 'hēnd. 'dit 'har 2-ān mēnōk 'pat* ˢχᵛēš
20 *tan kanārakōmand. 'dit harvisp-ākāsīh i Ōhrmazd rāδ 'har *'čiš ⟨i⟩ 'andar dānišn i Ōhrmazd kanārakōmand, 'čē* ['ēn] *'ān i* 'andar 'har 2-ān mēnōk

patmān 'dānēt 'tāk bavandak pātaχšāyīh i dām i Ōhrmazd 'pat tan i pasēn 'tāk hamē hamē ravišnīh, 'ut 'ān 'hast akanārakīh. dām i Ahriman 'pat 'ān zamān 'bē aβsihēnīt 'tāk 'kaδ tan i pasēn bēt; | 'ān-ič 'hast kanārakōmandīh. A4

(6) *Ōhrmazd 'pat harvisp-ākāsīh 'dānast 'ku ganāk mēnōk 'hast, 'apar* 25 **handāčišn 'kunēt, 'pat arišk-kāmakīh* 'andar *gumēčēt, *'hač frakān* 'tāk *fražām 'pat *'čē [frakān 'apar] 'ut čand aβzār* hanžāmēnēt. *'ut-aš mēnōkīhā 'ān dām i 'pat 'ān aβzār 'andar apāyīt, frāč brēhēnīt: 3000 'sāl dām 'pat mēnōk[īk] 'ēstāt, 'ku 'būt 'hēnd amēnītār 'ut aravāk ⟨'ut⟩ agraftār.*

(7) *ganāk mēnōk 'pas-dānišnīh rāδ 'hač 'hastīh i Ōhrmazd anākās 'būt;* 30 *'pas 'hač 'ān zufāyak āχēzast, 'ō vīmand i dītār i rōšnān mat. 'kaδ-aš 'dīt 'ān i Ōhrmazd rōšnīh agraftār, frāč patrōt, zatār-kāmakīh arišk-gōhrīh rāδ 'pat marnǰēnītan tak 'apar kart. 'ut-aš 'pas* 'dīt *čērīh 'ut | aparvēžīh i* frēh *'hač 'ān* J3 *i 'χ^v^ēš; 'apāč 'ō tam duvārast, kirrēnīt 'vas 'dēv, 'ān dām i marnǰēnītār niyāβ 'ō artīkgarīh.* (8) *Ōhrmazd 'kaδ-aš dām i ganāk mēnōk 'dīt, 'nē 'sahist, dām i* 35 *sahmēn i pūtak i vatak | *i dušīh; 'ut-aš 'nē buržīt 'hēnd. 'pas ganāk mēnōk* A5 *dām i Ōhrmazd 'dīt, 'sahist, 'vas dām i zufr i van, hamāk-pursišnīh; 'ut-aš buržīt 'ān i Ōhrmazd dām-dahišnīh.*

(9) *'aδak Ōhrmazd 'apāk-ič 'čē aδvēnak 'dānastan i [dām i] fražām i kār 'ō patīrak i ganāk mēnōk āštīh 'apar dāšt 'ut guft 'ku ganāk mēnōk, 'apar 'ō* 40 *dām i 'man aδyārīh 'bar, stāyišn 'dah, 'tāk 'pat 'ān pātdahišn amarg 'ut azar-mān, asōhišn, apōhišn, 'bavēh. 'ut-aš čim 'ēn 'ku 'hakar artīk 'nē sārēnēh, 'χ^v^at 'nē akār, 'ut 'ō mān 'har 2-ān sūt aβkārīhā.* (10) *'ut-aš drāyast ganāk mēnōk 'ku 'nē 'baram 'ō dām i 'tō aδyārīh, 'ut 'nē 'daham stāyišn, 'bē 'tō 'ut dām-ič i 'tō marnǰēnam 'tāk hamē hamē ravišnīh; 'bē hāčēm harvisp dām i 'tō* 45 *'ō adōstīh i 'tō, dōstīh i 'man. 'ut-aš vičārišn 'ēn 'ku-š 'pat 'ēt dāšt 'ku Ōhrmazd 'andar 'avē ačārak, 'ēt rāδ āštīh | 'pēš 'dārēt. 'nē* 'patiγraft, *patēst-ič 'apar* J4 *'burt.* (11) *'ut-aš guft Ōhrmazd | 'ku 'nē harvisp-kartār 'hēh, ganāk mēnōk,* A6 *'ku-t 'man 'nē tavān marnǰēnītan, 'ut-*at *dām-ič i 'man ētōn 'nē tavān kartan 'ku 'apāč 'ō χ^v^ēšīh i 'man 'nē 'rasēnd.* (12) *'pas Ōhrmazd 'pat harvisp-ākāsīh* 50 *'dānast 'ku 'hakar zamān i kārēčār-ič [i] *aš 'nē 'kunam, 'aδak-*aš *tavān kar-tan 'pat dām i 'man čēγōn patēst 'apar 'burt, kōχšišn gumēčišnīh hamayīhā, 'ut-aš 'andar gumēčišn i dām nišastan, 'ō 'χ^v^ēš kartan tavān,—čēγōn 'nūn-ič martōm 'andar gumēčišn 'vas 'kē* apārōnīh *vēš varzīt 'ku frārōnīh, 'ku kāmak i ganāk mēnōk vēš hamē varzēnd.* (13) *'ut-aš guft Ōhrmazd 'ō ganāk mēnōk 'ku zamān* 'kun 'tāk *kārēčār 'pat 'ēn pašn 'ō 9000 'sāl frāč 'aβganam; 'čē-š 'dānast 'ku 'pat 'ēn zamān* 'kartan *akārēnīt ganāk mēnōk. 'aδak ganāk mēnōk avēnāk-fražāmīh rāδ 'pat 'ān patmānak ham-dātastān 'būt, ētōn čēγōn 2 'mart* i *ham-kōχšišn zamān frāč 'kunēnd, 'ku-mān vahmān | 'rōč 'tāk 'šap* A7 *kārēčār 'kunēm.* 60

(14) *Ōhrmazd 'ēn-ič 'pat harvisp-ākāsīh 'dānast 'ku ē 'andar 'ēn 9000* 'sāl,

3000 'sāl hamāk kāmak i Ōhrmazd 'ravēt, 3000 'sāl 'andar gumēčišn, kāmak i Ōhrmazd 'ut Ahriman 'har 2 'ravēt, 'pat 'ān i aβdom artīk ganāk mēnōk akār šāyēt kartan, 'hač dām pityārakīh 'apāč 'dārēt.

J5 (15) *'pas Ōhrmazd | ahunvar frāč srūt 'ku-š yaθā-ahū-vairyō(k) 20-ēvak*
66 *mārīk 'bē guft; 'ut-aš fražām-pērōžīh i χᵛēš 'ut akārīh i ganāk mēnōk 'ut aβsihišn i 'dēvān, ristāχēz 'ut tan i pasēn, apityārakīh i dām 'tāk hamē hamē ravišnīh 'bē 'ō ganāk mēnōk nimūt.* (16) *ganāk mēnōk 'kaδ-aš akārīh i 'χᵛēš, aβsihišn i 'dēvān 'hamist 'dīt, start 'ut abōδ 'būt, 'apāč 'ō tam ōpast, ōγōn čēγōn*
70 *'pat dēn 'gōβēt 'ku 'kaδ-aš 3 ēvak-ē guft 'bavēt, ganāk mēnōk 'hač bīm tan 'andar hanǰēt, 'kaδ-aš 2 bahr guft *'bavēt, ganāk mēnōk 'pat šnūk 'andar*
A8 *ōpast, 'kaδ-aš bavandak guft *'bavēt, | akār *'bavēt ganāk mēnōk. 'hač akārīh i 'pat dāmān i Ōhrmazd* anākīh *kartan, 3000 'sāl 'pat startīh 'sayast.*

(17) *dām-dahišnīh mēnōkīhā 'gōβam, 'pas gētēhīhā.*

75 (18) *Ōhrmazd pēš 'hač dām-dahišnīh *'nē 'būt χᵛatāy, 'ut 'pas 'hač dām-dahišnīh χᵛatāy 'ut sūt-χᵛāstār 'ut fražānak 'ut yut-bēš, āškārak 'ut hamē-rāδēnītār 'ut aβzōnīk, harvisp-nikīrītār 'būt.*

(19) [*'ut-aš nazdist *yazdān *χᵛatīh 'dāt, nēvak-ravišnīh, 'ān [i] mēnōk 'i-š tan i χᵛēš pat-iš 'vēh 'bē kart.*] [*'ut*] *'kaδ-aš dām-dahišnīh mēnīt, 'čē-š 'hač*
80 *dām-dahišnīh χᵛatāyīh 'būt.*

(20) *'ut-aš 'dīt 'pat rōšn-vēnākīh Ōhrmazd 'ku ganāk mēnōk hakurč 'hač pityārak 'nē vartēt, 'ān pityārakīh yut 'pat dām-dahišnīh 'nē akārīhēt, dām yut 'pat zamān ravākīh 'nē 'bavēt; 'kaδ zamān brēhēnīt, dām-ič i Ahriman ravāk 'bē 'bavēt.* (21) *'ut-aš ačārakīhā pityārak akār kartan rāδ zamān frāč*
A9 *brēhēnīt: 'ut-aš čim 'ēn 'ku ganāk | mēnōk yut 'pat kārēčār 'nē akārīhēt. kārē-*
86 *čār vičārišn 'ēn 'ku kār 'pat čārōmandīh[ā] kartan apāyēt.*

(22) *'pas 'hač zamān i akanārak[īhā] zamān i dērang-χᵛatāy frāč brēhēnīt 'ut 'dāt, 'hast 'kē zamān i kanārakōmand 'gōβēt. 'hač zamān i dērang-χᵛatāy asačišnīh frāč 'dāt,' ku 'čiš ⟨i⟩ Ōhrmazd 'nē sačēt. 'hač asačišnīh* ['*ut*] *aχᵛārīh*
90 *paytāk 'būt, 'ku 'dēvān *χᵛārīh 'nē 'rasēt, 'hač aχᵛārīh *brēh-ravišnīh, mēnōk ⟨i⟩ a-'bē-vartišnīh paytāk 'būt ['ān mēnōk], 'ku 'čiš i Ōhrmazd, 'ān i 'pat bunda-hišn 'dāt, 'nē vartēt. 'hač mēnōk a-'bē-vartišnīh bavandak-kāmak i dām ⟨i⟩ gēhān paytāk 'būt, frārōn dām 'ut dahišn ham-'dātastān-ōmandīh.*

(23) *Ahriman 'pat apārōn dām-dahišnīh adān[īh] a'dātastān. 'ut-aš čim*
95 *vičārišn 'ēn 'ku ⟨'kaδ⟩ Ahriman 'apāk Ōhrmazd kōχšīt, χᵛatāy-fražānakīh, nāmakīh, pahlomīh [Ahriman] asačišnīh i Ōhrmazd 'ut akārīh, [i] χᵛat-*
A10 *dōšakīh, ['ut] apahlomīh, 'pas-dānišnīh i ganāk mēnōk 'ō paytākīh | mat, 'kaδ-aš dām 'dāt.*

(24) *'čē zamān-ič i dērang-χᵛatāy nazdist dām 'i-š frāč brēhēnīt: 'čē akan-*
100 *ārak 'būt pēš 'hač gumēčišnīh i hamayīh i Ōhrmazd. kanārakōmand brēhēnīt 'hač 'ān akanārak, 'ku 'hač bundahišn 'kaδ dām dāt 'tāk 'ō fražām 'ku ganāk*

*mēnōk akār 'bavēt patmānak-ē 12,000 'sāl 'ku kanārakōmand: 'pas 'ō akanā-rakōmandīh gumēčēt, vartēt, 'ku dām-ič i Ōhrmazd apēčakīhā 'apāk Ōhrmazd hamayīk 'bavēnd:—(25) čēγōn 'gōβēt 'pat dēn 'ku zamān ōžōmandtar 'hač 'har 2-ān dāmān,—dām i Ōhrmazd 'ān-ič i ganāk mēnōk.—zamān *hu-ayāpak 'ō* 105 *kār 'ut dātastān. [zamān pursišnīktar.] zamān 'hač ayāpakān ayāpaktar. zamān 'hač pursišnīkān pursišnīktar; 'ku vičīr 'pat zamān *šāyēt kartan. zamān [i] mān 'aβganīhēt,—brīn 'pat zamān,—pistak frāč škīhēt. 'kas 'hač 'avē 'nē bōχtēt, 'hač *ōšōmandān martōmān, 'nē 'kaδ 'ō 'ul vāzēt, 'nē 'kaδ 'ō nikōnīh *čāh-ē 'kanēt, 'andar | 'nišīnēt, 'nē 'kaδ hačaδar i χān i āpān i sart* A11 *frōt vartēt.* 111

(26) *Ōhrmazd 'hač 'ān i χ^v^ēš χ^v^atīh *'kē gētēh rōšnīh karp i dāmān i 'χ^v^ēš frāč brēhēnīt 'pat ātaχš karp i rōšn i spēt, girt, frāč paytāk. 'hač gētēh i 'ān mēnōk 'kē pityārak i 'andar 'har 2 dām aš 'bē 'barēt, 'hast tavān, 'hast zamān, aš karp i Vāy i 'vēh frāč brēhēnīt čēγōn Vāy apāyast. 'hast 'kē Vāy i dērang-* 115 *χ^v^atāy frāč 'gōβēt. 'ut-aš dām 'pat aδyārīh ⟨i⟩ Vāy i dērang-χ^v^atāy frāč brēhēnīt; 'čē 'kaδ-aš dām-ič 'dāt, Vāy-ič aβzār-ē 'i-š 'pat kār 'andar apāyast. ⟨'ut-aš nazdist yazdān χ^v^atīh 'dāt, nēvak-ravišnīh, 'ān mēnōk 'i-š tan i 'χ^v^ēš pat-iš 'vēh 'bē kart.⟩*

(27) *ganāk mēnōk 'hač gētēh tārīkīh, 'ān i 'χ^v^ēš ⟨χ^v^atīh⟩, tan ⟨i⟩ dām ⟨i* 120 *χ^v^ēš⟩ frāč kirrēnīt 'pat zaγ karp i *siyāh i āturastur-*gōn i tam aržānīk, dru-vand čēγōn bazak-*aδvēntar χrafstar, 'ut-aš 'hač gētēh χ^v^at-dōšakīh Varan i vattar-*dēn karp frāč kirrēnīt čēγōn Varan apāyast. 'ut-aš nazdist 'dēvan χ^v^atīh 'dāt, dušravišnīh, 'ān mēnōk 'i-š ganākīh i dāmān i Ōhrmazd 'hač-iš | 'būt: 'čē-š 'ān dām 'dāt 'i-š χ^v^ēš-tan pat-iš 'vattar 'bē kart, 'ku akār 'bē bēt.* A12

(28) *'čē-š 'hač gētēh tārīkīh, 'ān i asar tārīkīh, ['dāt 'hač asar tārīkīh]* 126 *'drōγ-gōβišnīh frāč *'dāt, 'hač ⟨drōγ-gōβišnīh⟩ anākīh i 'avē ganāk mēnōk paytāk 'būt. 'čē 'hač asar [i] tārīkīh 'ān karp frāč kirrēnīt, 'ut-aš 'χ^v^ēš dām 'andar 'ān karp 'bē 'dāt: 'hač 'ān i 'χ^v^ēš dām-dahišnīh akār 'bavēt.*

(29) *Ōhrmazd 'hač gētēh rōšnīh rāst-gōβišnīh ⟨frāč dāt⟩. 'hač rāst-gōβišnīh* 130 *aβzōnīkīh i dātār paytāk 'būt [dām-dahišnīh]. 'če-š asar karp [i] 'hač asar [i] rōšnīh frāč brēhēnīt, dām-ič hamāk 'andar asar karp(ak) 'bē 'dāt. asar(ak) karp(ak) zamān sačišn yutāk 'būt. 'hač asar(ak) karp(ak) ahunvar frāč 'būt, mēnōk i yaθā-ahū-vairyō(k) 'ke-š 'bē dahišnīh 'ut fražām i dām hač-iš paytāk, 'hast dēn. čēγōn dēn 'apāk dām-dahišnīh 'dahīhast.* (30) *'hač ahunvar mēnōk* 135 *⟨i⟩ 'sāl frāč 'būt 'kē 'andar | gumēčišn 'nūn nēm-rōšn nēm-tārīk, 365 'rōč-* A13 *šapān 'kē brīn i zamān i dērang-χ^v^atāy. 'ut-aš 'har 2 dām 'pat kōχšišn pat-iš ravāk 'būt:—čēγōn guft, dām i Ōhrmazd 'pat χ^v^atāyīh 'ut dastaβarīh ⟨'ut⟩ dātastānōmandīh ⟨'ut⟩ bālistīh 'pat *χ^v^ārakīh 'ēstāt; dām i ganāk mēnōk 'pat čērīh 'ut stahmīh 'ut vināskārīh ⟨'ut⟩ zufā⟨ya⟩kīh 'pat dušvārīh 'ēstāt.* 140

(31) *Ōhrmazd 'pat amahraspandān brīnōmand mat. 'kaδ-aš 'dāt 'būt 'hēnd,*

*3 rat,—'čē-š 'apāč 'ō gētēh apāyast,—'dāt: 'ut-aš nōktar 'pat tan i pasēn anākīh hač-iš 'bē *apētak burtan. 'ut-aš dām i mēnōk mēnōkīhā 'dārēt. 'ut-aš dām i gētēh ['ut] mēnōkīhā 'dāt, 'ut-aš 'dit 'bē 'ō gētēhīhā 'dāt.* (32) *'ut-aš*
145 *nazdist amahraspandān 'dāt, *6 bun, 'pas apārīk, 'ān i 7-om χᵛat Ōhrmazd.*
A14 *'hač dām i gētēh 'pat mēnōk 'dāt nazdist 6, 'ān i 7-om | χᵛat 'būt. 'čē Ōhrmazd 'har 2 'hast mēnōk ⟨'ut gētēh⟩. nazdist gētēh 'hač amahraspandān, 'pas 'hač Vāy i dērang-χᵛatāy.*

(33) *nazdist Vahuman frāč brēhēnīt 'kē-š ravākīh i dām i Ōhrmazd hač-iš*
150 *'būt. ganāk mēnōk nazdist mitōχtīhā Akōman* 'dāt. Ōhrmazd *'hač dām i gētēh nazdist āsmān; 'ut-aš Vahuman 'hač nēvak-ravišnīh ⟨i⟩ gētēh rōšnīh nazdist frāč brēhēnīt, 'kē-š dēn i 'vēh i māzdēsnān 'apāk 'būt: 'ēn 'ku 'ān i 'ō dām 'rasēt 'tāk fraškart, aš 'dānast; 'pas Artvahišt, 'pas Šaθrēvar, 'pas Spandarmat, 'pas Hurdāt, 'ut* 'pas *Amurdāt brēhēnīt: 7-om χᵛat Ōhrmazd,* (34) *'ut*
155 *8-om rāst-gōβišnīh, 9-om Srōš-ahrāy, 10-om Mānsraspand, 11-om Nēryōsang, 12-om rat i buland Raθwō(k) berzait, 13-om Rašn i rāst, 14-om Miθr i frēh-gōyōt, 15-om Arš⟨iš⟩vang i 'vēh, 16-om Pārand, 17-om χᵛāβ, 18-om*
A15 *Vāt, 19-om dātastān⟨ō⟩mandīh | 20-om patkār, pēš⟨ē⟩mār⟨īh⟩ 'ut pasēmārīh, āštīh āβzōnīkīh.*

160 (35) *'hač dām i gētēh nazdist āsmān, ditīkar 'āp, sitīkar zamīk, čahārom urvar, panǰom gōspand, šašom martōm, haftom χᵛat Ōhrmazd. 'ut-aš dām [i] 'pat aδyārīh i Vāy i dērang-χᵛatāy frāč brēhēnīt; 'čē 'kaδ-aš Vāy i dērang-χᵛatāy frāč brēhēnīt, 'avē-ič aβzār-ē 'būt, 'ut-aš 'pat dām-dahišnīh 'andar apāyast.*

(36) *ganāk mēnōk 'pat 'ān pityārakōmandīh 'hač kamālīkān 'dēvān nazdist*
165 *Akōman frāč kirrēnīt, 'pas Indar, 'ut 'pas Sāvul, 'ut 'pas Nāŋhaiθ, 'pas Tarōmat, 'pas Tarič 'ut Zērič, 'pas apārīkān 'dēvān, haftom χᵛat ganāk mēnōk. hakurč 'čiš i frārōn 'nē mēnēt, 'nē 'gōβēt, 'nē 'kunēt. 'ut-aš nēvakīh i dām i Ōhrmazd 'nē apāyast: dām i Ōhrmazd nēvakīh dām i Ahriman 'nē apāyast.* (37) *Ōhrmazd 'ān 'čis 'nē mēnēt 'i-š kartan 'nē tavān: ganāk mēnōk*
A16 *'ān 'i-š 'nē tavān kartan mēnēt, 'ut *patēst-ič 'apar | *'barēt.*

171 (38) *dām i Ōhrmazd 'pat mēnōkīh ētōn parvart 'ku *tarrīhā 'ēstāt, amēnītār, agraftār, aravāk čēγōn šusr hamānāk, 'pas 'hač *tarrīh gumēčakīh šusr χōn hamānāk; 'pas 'hač gumēčakīh āvartakīh 'būt, daštak-ē humānāk; 'pas 'hač āvartakīh viškītakīh *čēγōn 'dast 'ut 'pāδ; 'pas 'hač viškītakīh gaβrīh*
175 *'būt, 'čašm, gōš 'ut 'dahān; 'pas 'hač gaβrīh *čandišn 'būt 'kaδ 'bē *'ō 'pēš ⟨i⟩ rōšn 'ēstāt. 'nūn-ič 'pat gētēh 'pat ān hangōšītak 'andar aškomb i 'mātar hanbavīhēnd, 'zāyēnd, parvarēnd.* (39) *'ut Ōhrmazd 'pat dām-dahišnīh 'mātarīh 'ut 'pitarīh i dahišn 'hast: 'čē 'kaδ-aš dām 'pat mēnōk parvart, 'ān 'būt 'mātarīh; 'kaδ-aš 'bē 'ō gētēh 'dāt, 'ān 'būt 'pitarīh.*

180 (40) *'apar dām-dahišnīh i gētēhīhā.*

(41) *'kaδ ganāk mēnōk startīhā akār 'būt čēγōn-am apar nipišt, 3000 'sāl*

'pat startīh 'sayast. 'andar 'ān akārīh ⟨i⟩ 'avē ganāk | mēnōk Ōhrmazd dām A17
*'ō gētēh brēhēnīt. *'hač asar rošnīh ātaχš, 'hač ātaχš vāt, 'hač vāt 'āp, 'hač 'āp*
zamīk harvisp-astōmandīh gētēh frāč brēhēnīt; čēγōn 'gōβēt 'pat dēn 'ku fra-
tom dām hamāk 'āp-ē srišk-ē 'būt, 'ku hamāk 'hač 'āp 'būt yut tōhm i 'martō- 185
mān 'ut gōspandān, 'čē 'ān tōhm ātaχš tōhm-ē.

(42) *'ut-aš nazdist āsmān 'dāt 'pat 'apāč-dārišnīh. 'hast 'kē fratom 'gōβēt.*
ditīkar 'āp 'dāt 'pat zatan i tišn druž; sitīkar zamīk 'dāt harvisp-astōmandīh;
*čahārom urvar 'dāt 'ō aδyārīh i gōspand ⟨i⟩ hudāk; pančom *gōspand 'ō** 190
aδyārīh i 'mart i ahrov: šašom 'mart i ahrov 'dāt 'ō zatārīh 'ut akārīh i ganāk
mēnōk 'hamist 'dēvān. 'ut-aš 'pas ātaχš 'dāt χ^v^aray, 'ut-aš brēh 'hač asar
rōšnīh ov-iš patvast, ētōn karp i 'vēh čēγōn ātaχš kāmak. 'ut-aš 'pas vāt |
brēhēnīt 'pat 'mart karp i yuvān i 15 sālak 'kē 'ēn 'āp 'ut urvar 'ut gōspand 'ut A18
'mart i ahrov 'har 'čiš-ē 'barēt ⟨'ut⟩ dārēt.

(43) *'ut-šān čēγōnīh 'gōβam. nazdist āsmān 'dāt, rōšn, paytāk, i apēr dūr-* 195
**kanārak, χāyak-dēs*, χ^v^an-āhēn i 'hast gōhr almāst, 'nar. 'ut-aš 'sar 'bē 'ō*
asar rōšn patvast; 'ut-aš dām hamāk andarōn i āsmān 'bē 'dāt, āvahan humā-
nāk, drupušt 'kē-š 'har aβzār i 'pat kōχšišn 'andar apāyast, andarōn 'nihāt
'ēstēt, ayāp mān mānāk 'kē 'har 'čiš 'andar 'mānēt. parkān [bun] i āsmān čand-
aš pahnāδ 'i-š drahnāδ, čand-aš drahnāδ 'i-š bālā⟨δ⟩, čand-aš bālā⟨δ⟩ 'i-š 200
*zahyā⟨δ⟩, hamōγ handāč *hupatsāy. varzvar humānāk mēnišmōmand, gōβišnō-*
mand, kunišnōmand, ākās, aβzōnīk, vičītār, mēnōk ⟨i⟩ āsmān. (44) *'ut-aš*
patiγraft drang drupuštīh 'hač ganāk mēnōk 'ku 'apāč duvārastan 'nē 'hišt.
čēγōn gurt artēštār | 'kē zrēh patmōχt 'ēstēt, 'ku apē-bīmīhā 'hač kārēčār A19
bōχtēt, mēnōk i āsmān āsmān ētōn dārēt. 'ut-aš 'dāt 'ō aδyārīh i āsmān urvāh- 205
*manīh, 'čē-š urvāhmanīh pat-iš frāč brēhēnit: *'čē 'nūn-ič 'andar* gumēčakīh*
dām 'pat urvāhmanīh 'andar 'ēstēt.

(45) *ditīkar 'hač gōhr i āsmān 'āp brēhēnīt čand 'mart-ē 'kaδ 2 'dast 'ō zamīk*
'hilēt, 'pat 'dast 'ut 'pāδ 'ravēt, aš 'tāk 'aškomb 'āp 'bē 'ēstēt, 'pat 'ān bālāδ 'āp
*'bē tačēt. 'ut-aš 'dāt 'ō aδyārīh vāt 'ut vārān 'ut 'mēγ 'ut snōδān 'ut *snēžak.* 210

(46) *sitīkar 'hač 'āp zamīk dāt, girt dūr-vitarag, 'ut anišēβ, anaβrāz,*
hamōγ drahnāδ 'apāk pahnāδ, 'ut pahnāδ 'apāk zahyāδ rāst, miyān i 'ēn
āsmān 'bē vīnārt: čēγōn 'gōβēt 'ku-š nazdist 3 ēvak-ē 'ēn zamīk frāč brēhēnīt
saχt čēγōn ČČ' dāl(??), ditīkar 3 ēvak-ē 'ēn zamīk frāč brēhēnīt aržan ākand;
*sitīkar 3 ēvak-ē 'ēn zamīk frāč brēhēnīt *narm čēγōn* gil[ak].* | (47) *'ut-aš* A20
gōhr 'andar zamīk 'bē 'dāt, kōfīhā 'kē 'pas 'hač 'ān vaχšīt, rust 'hēnd 'hač 216
zamīk. 'ut-aš 'dāt 'ō aδyārīh ⟨i⟩ zamīk āsan, rōδ, gōgart, bōrak-ič harvist-ič
'ān i saχt zamīk tōhmak yut 'hač 'STYHL 'čē yut-tōhmak 'hēnd. ōγōn sāχt 'ut
brēhēnīt zamīk 'pat hamānāk i 'mart-ē 'kaδ-aš yāmak yāmak hamāk kust 'pat
tan saχt 'andar 'kart 'ēstēt. hačaδar 'ēn zamīk hamāk gyāk 'āp 'bē 'ēstēt. 220

(48) *čahārom urvar 'dāt, nazdist 'ō miyānak i 'ēn zamīk 'apar rust čand*

paδ-ē bālāδ, apē azg, apē pōst, apē χār, 'ut tarr 'ut šīrēn; 'ut-aš visp sarəδak zōr i urvarān 'andar čihr dāšt. 'ut-aš 'dāt 'ō aδyārīh ⟨i⟩ urvar 'āp 'ut ātaχš, 'čē 'har aδvan-ē urvarān 'āp-ē srišk 'pat 'sar, ātaχš 4 angust pēš. 'pat 'ān zōr
225 *hamē rust.*

(49) *pančom 'gāv i ēv-dāt brēhēnīt 'andar Ērānvēž 'pat miyānak ⟨i⟩ gēhān*
A21 *'pat *bār i | rōt i Vēh Daitē, 'ku miyānak i gēhān. spēt, rōšn 'būt čēγōn māh 'kē-š bālāδ 3 nay patmānīk. 'ut-aš 'dāt 'ō aδyārīh 'āp 'ut urvar, 'čē-š 'andar gumēčišn zōr 'ut vaχšišn 'hač 'ēn 'bavēt.*

230 (50) *6-om Gayō(k)mart brēhēnīt rōšn čēγōn χ^{v}aršēt; 'ut-aš 4 nay patmānīk bālāδ 'būt, pahnāδ čēγōn bālāδ rāst, 'pat *bār i rōt i Daitē 'ku miyānak i gēhān 'ēstēt,—Gayō(k)mart 'pat hōy ālak 'gāv 'pat dašn ālak. 'ut-šān dūrīh ēvak 'hač 'dit dūrīh-ič i 'hač 'āp ⟨i⟩ Daitē čand bālāδ ⟨i⟩ 'χ^{v}ēš 'būt: čašmōmand, gōšōmand, uzvān⟨ō⟩mand, daχšakōmand 'būt. Gayō(k)mart daχšakōmandīh*
235 *'ēt 'ku martōm 'hač 'avē tōhmak 'pat ān hangōšītak zāt 'hēnd.* (51) *'ut-aš 'dāt 'ō aδyārīh χ^{v}āβ, āsānīh i dātār, 'čē Ōhrmazd 'ān χ^{v}āβ frāč brēhēnīt 'pat 'mart karp i buland i 15 sālak i rōšn. 'ut-aš Gayō(k)mart 'apāk 'gāv 'hač*
A22 *zamīk brēhēnīt. | 'ut-aš 'hač rōšnīh 'ut zargōnīh ⟨i⟩ āsmān šusr i 'martōmān 'ut 'gāvān frāč brēhēnīt, čēγōn 'ēn 2 šusr ātaχš tōhmak, 'nē 'āp tōhmak:*
240 *'pat tan i 'gāv *'ut Gayō(k)mart 'bē 'dāt 'tāk-aš purr-ravišnīh ⟨i⟩ martōmān gōspandān hač-iš 'būt.*

(52) *'ut-aš 'ēn 6 dahišn 'pat 6 gās ⟨i⟩ gāsānbār 'bē 'dāt. 'pat 'sāl i hangārt 365 'rōč, 12 'māhīkān, 'har 'māhīk 30 'rōč 'ut māhīk-⟨ē⟩ 35 'rōč. 'har 'rōč-ē 'nām *i amahraspand-ē pat-iš 'nihāt.*

245 (53) *'ut-aš čēγōnīh 'gōβam. nazdist āsmān brēhēnīt 'pat 40 'rōč, čēγōn 'hač 'rōč i Ōhrmazd, 'māhīk ⟨i⟩ Fravartīn 'tāk 'rōč i Āpān 'māhīk ⟨i⟩ Artvahišt. 5 'rōč 'apar 'pāt 'tāk 'rōč i Daδv 'pat Miθr. 'ān 5 'rōč gāsānbār: 'ut-aš 'nām maiδyō(k)zarm. 'ut-aš vičārišn 'ēn 'ku māništ i *martōmān, [māništ ⟨i⟩ Miθr 'āp,] 'ut zargōnīh 'ō paytākīh mat.*

250 (54) *ditīkar 'āp 'dāt 'pat 55 'rōč, čēγōn 'hač 'rōč i Miθr 'māh i Urtvahišt*
A23 *'tāk 'rōč i Āpān 'māh i Tīr. 5 'rōč 'apar 'pāt 'tāk 'rōč i | Daδv 'pat Miθr. 'ān 5 'rōč gāsānbār: 'ut-aš 'nām maiδyō(k)šam, 'kē-š vičārišn 'ēn 'ku-š 'āp rōšn 'bē kart, 'čē nazdist tērak 'būt.*

(55) *sitīkar zamīk 'dāt 'pat 70 'rōč, čēγōn 'hač 'rōč i Miθr 'māh ⟨i⟩ Tīr 'tāk*
255 *'rōč i Art 'māh i Šaθrēvar. 'ān 5 'rōč 'apar 'pāt 'tāk 'rōč ⟨i⟩ Anaγrān. 'ān 5 'rōč gāsānbār: 'ut-aš 'nām paitišhah. 'ut-aš vičārišn 'ēn 'ku pā⟨δ⟩-ravišnīh ⟨i⟩ dāmān 'pat zamīk paytāk 'bē kart.*

(56) *čahārom urvar 'dāt 'pat 25 'rōč ⟨čēγōn 'hač 'rōč i Ōhrmazd 'māh i Miθr 'tāk 'rōč i Aštāt.⟩ 5 'rōč 'apar 'pāt 'tāk 'rōč ⟨i⟩ Anaγrān. 'ān 5 'rōč*
260 *gāsānbār: 'ut-aš 'nām ayāsrim, 'kē-š vičārišn 'ēn 'ku-š valg 'ut bōδ 'ut gōnak i zargōnīh paytāk 'būt.*

(57) *5-om gōspand 'dāt 'pat 75 'rōč, čēγōn 'hač 'rōč i Ōhrmazd 'māh i Āpān 'tāk 'rōč i Daδv 'pat Miθr, 'māh i Daδv. 5 'rōč 'apar 'pāt 'tāk ⟨'rōč i Varhrān⟩. 'ān 5 'rōč gāsānbār: 'ut-aš 'nām maiδyairim, 'kē-š vičārišn 'ēn 'ku hanbār i zimastān dāmān i 'χ^{v}ēš rāδ | paytāk 'bē kart.* A24

(58) *šašom martōm 'dāt, 'ku Gayō(k)mart, ⟨'pat⟩ 70 'rōč čēγōn 'hač 'rōč ⟨i⟩* 266 *Rām [i] 'māh i Daδv 'tāk 'rōč i Anaγrān 'māh i Spandarmat. 5 'rōč 'apar 'pāt 'tāk ⟨'rōč i Spandarmat.⟩ 'ān 5 'rōč gāsānbār: 'hast 'kē 5 'rōč i truftak, 'hast 'kē dužītak 'gōβēt. 'ut-aš 'nām hamaspamaiδayam, 'kē-š vičārišn 'ēn 'ku hām-spāh-ravišnīh 'pat gētēh paytāk 'būt; 'čē fravahr i martōmān 'pat hām-spāhīh* 270 *raft 'hēnd.* (59) *'nām i 'ān 5 'rōč truftak; 'hast 'kē 5 gās i gāsānīk, 'hast 'kē pančak i 'vēh 'gōβēt. 'pat dēn[īk] 'ēn 'hast Ahuvait gās, Uštavait gās, *Spantōmēn gās, Vahušaθr gās, Vahištōišt gās. 'ān 30 'rōč i 'pat māhīkān [i] 'nihāt 'ēstēt, *aš 'nām *'ēn;—Ōhrmazd, Vahuman, Urtvahišt, Šaθrēvar, Spandarmat, Hurdāt, Amurdāt, Daδv, Ātur, Āpān, X^{v}ar, Māh, Tīr, Gōš,* 275 *Daδv, Miθr, Srōš, Rašn, Fravartīn, Varhrān, Rām, Vāt, Daδv, Dēn, Art,* A25 *Aštāt, Āsmān, | Zāmdāt, Mahraspand, Anaγrān.*

(60) *'ān 12 māhīkān 'nām 'hač [ham] amahraspandān;—Fravartīn māh, Urtvahišt 'māh, Hurdāt 'māh, Tīr 'māh, Amurdāt 'māh, Šaθrēvar 'māh, Miθr 'māh, Āpān 'māh, Ātur 'māh, Daδv 'māh, Vahuman 'māh, Spandarmat* 280 *'māh. 'ut-šān čēγōnīh ēvak ēvak frāčtar 'gōβam.*

NOTES

l. **1.** **'ēn: Greater* (*Gr.*) has *ZK* (*'ān*), Ind. *MN* (*'hač*). Neither is satisfactory. If we adopt the first reading, we are forced to translate, '*That zand-ākāsīh* deals first with the primal creation, etc.'. No reference to any such *zand-ākāsīh* has hitherto been made; and—if the reading is kept—we can only assume that a work called *zand-ākāsīh* not only existed, but was widely enough known to be introduced without preliminary explanation or comment. The reading of Ind. is less hard, and would mean that the present work (our *Bundahišn*) obtained its material from this *zand-ākāsīh*. The simplest solution would seem to be to emend the 𐭠 of the Ind. to 𐭠𐭥 *'ēn*. This would then give us the title of the book,—'This is the *Zand-ākāsīh* etc.'. Nyberg (CCM. 1929, p. 260) emended to 𐭠𐭥𐭩 *'im*, obtaining the same sense, and Markwart (*Šaθrīhā i Ērān, passim*), too, assumes this to have the title of the *Bundahišn*. In the *Hilfsbuch* Nyberg returned to the *'ān* of Gr. which Bailey also keeps.

zand-ākāsīh: zand-ākās i Ind. *nazdist* Ind.: *NZSTW* Gr.

bundahišnīh Ind.: *BWNYH'TYH* Gr.: *bunēδātīh* Nyb.

pityārakīh: patyārak Ind.

l. **2.** *gēhān*: om. Ind.

After *fražām* Ind. has *i tan i pasēn*, 'the end . . . which is the final body'.

l. **3.** *paytāk . . . 'vēh-dēn*: om. Ind.

*'hēr *'kē *gēhān 'dārēt*: Gr. has שנוי 𐭠 נ״ז ט״שושו. For this Nyb. read **čē bun hač saχ^{v}an dārēt*, and translated (CCM.) 'ce qui a son principe dans la parole'. Now this introductory paragraph is plainly giving a summary of the contents of the

Bundahišn; and chapters ix–xvi of that work are entirely devoted to 'objects contained in the world'. The *Bundahišn*, on the other hand, tells us remarkably little of 'ce qui a son principe dans la parole'. What exactly this phrase is supposed to refer to Nyb. does not tell us. If it refers to the *ahunvar* prayer, it is far from explicit. For the whole passage Nyb. reads: *pas apar *čē bun hač saχᵛan dārēt pat vičārišnīh, čē-š u čiyōn-aš pat vēh-dēn*, and translates, 'Enfin, l'exposé de ce qui a son principe dans la parole (et se rapporte) à la discrimination, son essence et sa nature selon la bonne religion.' Here again the part played by the essence and nature of discrimination in the *Bundahišn* is negligible.

A true reconstruction of this corrupt passage can only be obtained once it is realized that the author is here telling us what his book contains. Once we read [illegible] as *'hēr* rather than as *čē bun—čē* written phonetically is, moreover, extremely rare—we have the clue to the passage. *MN* (*'hač*) must then be emended to *MNW̲* (*'kē*) and [illegible] read as *gēh(ā)n*. The rest of the sentence then follows naturally, the only further emendation required being the alteration of *'čē-š* to *'čē-īh*; and, as anyone familiar with the Pahlavī script knows, this can scarcely be regarded as an emendation at all. Thus we obtain the translation, 'Next concerning the objects contained in the world with an interpretation of their quiddity and quality'. This is a very accurate summary of the contents of chapters ix–xvi of the *Bundahišn*.

***l.* 4.** *vičārišnīh* TD_2, P.: *vičārišn i* DH.
**'čē-īh* 'whatness, *quidditas*' is found in DkM. 119. 18; 165. 18; 744. 20. To be compared are *'ku-īh* and *'kaδ-īh* (Dd. 36. 14). MSS. have *'čē-š*.

***l.* 5.** *paytāk*: P. adds *i*, Ind. adds *'ku*.
bālistīk: *B'L̲YSTNW̲* Ind.

***l.* 6.** *vēhīh* (*'vēhīh* Ind.): certainly 'goodness', not 'wisdom' as is proved by Zs. 1 (text Z 4), 21, *Ōhrmazd hamāk 'vēhīh a'vattarīh*.
zamān i akanārak: om. Ind.
For *hamē* Ind. has *hāmak i* suggested by *hāmak* in ll. 7 and 8.

***l.* 7.** *rōšnīh: rōšn* Ind.
'gōβēt: 'gōβēnd Ind.

***ll.* 7–10.** The whole passage is exceedingly obscure and corrupt. The text of GrBd. reads: *'ān* (Ind. *'ut*) *harvisp-ākāsīh 'ut vēhīh zamān i akanārak čēγōn Ōhrmazd vēhīh 'ut dēn zamān i Ōhrmazd 'būt 'hēnd*. This text may be translated thus: 'That omniscience and goodness is infinite Time, for the goodness and religion of Ohrmazd were the Time of Ohrmazd.' The sense, however, is far from satisfactory; and the text of Ind. proves that there is a *lacuna* in Gr. In our present text we follow Ind. except that we read the *akanārak* of Gr. rather than the *akanārakōmand* of Ind. There is, of course, no difference in meaning between the two words.

The reading *hāmak* is uncertain. Nyberg (first ZDMG. lxxxii, 1928, p. 220) read *yāmak* 'garment' on the assumption that the first character (ـه) could represent a doubled *Yōδ*. This is certainly attested in the middle of words, but, to my knowledge, there is no example of an initial *Aleph* being employed in this way. Scheftelowitz (*Die Zeit als Schicksalsgottheit in der indischen und iranischen Religion*, p. 46, note) objected to Nyberg's reading, and suggested *χēmak*, *χēm* 'nature, characteristic'. Though the meaning suits the context admirably, it is doubtful whether so common a word would have been corrupted in all manuscripts in both Gr. and Ind. Schaeder's *ahamkay* 'without rival' (*Urform*, p. 143) is unsatisfactory: etymo-

logically dubious, it takes no account of the *hām* (*H'M*) occurring in l. 12. Following Bailey I should prefer to read the word *hāmak* 'universum', though I can cite no parallel for the use of *hām* as a substantive. Slight support for the reading of Scheftelowitz is to be had from DkM. 347. 7 (text Z 9), where *hām* is written instead of *χēm*.

***ll.* 8–10.** *'ān i hāmak i zamān i akanārak* (*akanārakōmand* Ind.), &c. If we accept the reading of Ind. the phrase must either be taken in conjunction with what precedes it, or else be the subject of *'būt 'ut 'hast 'ut hamē 'bavēt*. In that case we should translate: 'The universe of infinite Time *qua* Ōhrmazd, Space, Religion, and the Time of Ohrmazd, was and is and ever shall be.' The sense is excellent, for we then have the proposition that infinite Time is eternal. On the whole, however, the first alternative seems preferable: for the author says that the interpretation or synthesis of *dēn* and *asar rōšnīh* is one. Having made that statement he could scarcely fail to inform us what that interpretation was: according to our punctuation it is 'the universe of infinite Time'.

***l.* 9.** *'ut gās*: so DH, Ind.: *vēhīh*, TD_2, P.

***l.* 11.** *tārīkīh : T'LKYH* DH.
'pas-dānišnīh : 'pas-dānīh Ind.
zatār-kāmīh zufr-pāδak : zatār-kāmakīh 'ut zufāy Ind.

***l.* 12.** *'ut-aš zatār-kāmakīh hām : 'ut 'ān zatārīh nām* Ind.
hām: v. our remarks on *hamāk* l. 7. Ind. has *nām* 'name'.

***l.* 13.** *'kē*: so Ind. and P. TD_2 and DH have *'hač*.
tārīkīh 'gōβēt : tārīk 'gōβēnd Ind.

***l.* 14.** *'būt* DH: TD_2 and P. *'bavēt : būt* Ind.
'gōβēnd: Ind. only.
'kē-š : 'kē 'nūn Ind.

***l.* 15.** *'har 2 mēnōk*: so Ind. *'har 2 'hēnd* Gr. which Nyb. adopts and attaches to what follows. Reading for *kanārakōmandīh 'ut akanārakōmandīh* the *kanārakōmand 'ut akanārakōmand* of Ind. he translates: 'Tous les deux sont à la fois limités et illimités'. The correct reading is probably *'har 2-ān *mēnōk*.

***l.* 16.** *kanārakōmandīh 'ut akanārakōmandīh : kanārakōmand 'ut akanārakōmand* Ind.: for *akanārakōmandīh* DH has *akanārakīh* as a correction. *'ut* Ind: *i 'ut* P.: *i* TD_2: om. DH.
'čē: om. Ind.
bālistīh : bālist Ind.: **bālistīk* Nyb.

***l.* 17.** For *'gōβēt* Ind. has *'gōβēnd passim*. Nyb. reads *guftēt*.
'ku 'nē sarōmand: probably a later gloss; lacking in Ind. For *sarōmand* P. reads *D̲YL'WMNND̲*.
zufr-pāδak : zufāy Ind.: *pāδak* spelt *P''K*, DH.
tārīkīh : tārīk Ind. Ind. then omits *'ut 'ān 'hast . . . kanārakōmand.*

***l.* 18.** *akanār⟨ak⟩īh : 'K'LKYH* P.

***l.* 19.** *tuhīkīh : tuhīk* Ind.
'ō 'dit P., DH: *'ō i 'dit* TD_2: *'apāk 'dit* Ind.
'hēnd : 'ēstēt Ind.

2-ān: Written "*N* in P. and TD_2: *2* Ind. P. repeats preceding *'har*.
'χᵛēš P, DH, Ind.: only TD_2 has the ridiculous *nipišt*.

***l.* 20.** After *kanārakōmand* Ind. has *'hēnd* (resp. *-ōmand*).
harvisp-ākāsīh: DH. omits: *harvist-ākāsīh* P.

***ll.* 20–22.** *'har *čiš . . . 'dānēt*: with the exception of the last word the whole passage is written in the margin in TD_2; but the passage forms a complete line in DH. The reading of TD_2 (and P.) is as follows: *'har 'čē-š 'andar dānišn i Ōhrmazd kanārakōmand 'čē 'ān i 'har 2 'hēnd patmān 'dānēt*. Ind. reads: *'har 2 'čiš 'andar 'dahišn i Ōhrmazd kanārakōmand 'ut akanārakōmand 'čē 'ēn 'ān i 'andar 'har 2-ān mēnōk patmān 'dānēnd*. Our passage must be interpreted with reference to DkM. 293. 15 ff. (text Z 22), where the limitations of knowledge are described. By substituting the *'čiš* of Ind. for the *'čē-š* of Gr. and the insertion of *i*, the meaning of the first part of the sentence becomes plain: 'Whatsoever is within the knowledge of Ohrmazd is limited'. This is in accordance with the Dk. passage cited where knowledge is said to be limited to present and past. The second part of our sentence is unintelligible in Gr. and we must therefore base our interpretation on Ind. By eliminating the superfluous *'ēn* and substituting the *'dānēt* of Gr. for the erroneous *'dānēnd* (*HWYTWNW̲d*, probably in any case representing the later pronunciation *dānēδ*) we obtain the translation: 'For he knows the *patmān* that exists between the two spirits'. The *patmān* is plainly the treaty between Ohrmazd and Ahriman mentioned later.

Nyberg takes the *T* after *HWYTW* in Gr. with the following 𐭩, thereby obtaining *'dit* instead of *'tāk* (Ind. has *'ut 'dit*). Against him is P. which divides correctly after *T*.

***l.* 22.** *pātaχšāyīh* P.: *pātšāhīh* Ind.: *pātaχšāy* TD_2, DH.
i dām : 'ut dām Ind.

***l.* 23.** *'tāk . . . akanārakīh*: Ind. has *'bavēt ; 'ān-ič 'hast i 'tāk hamāk hamāk ravišnīh akanārakōmand*.

***l.* 24.** *aβsihēnīt*: TD_2 and DH have *'PSHYNN* followed by a gap: *'PSYH'N* P: *'PSYNYT* Ind.
'tāk 'kaδ P.: *'tāk i 'kaδ* TD_2, DH: *'kē* Ind.
bēt TD_2: the rest have *'bavēt*.
kanārakōmandīh : akanārakīh Ind.

***l.* 25.** *harvisp : harvist* P. *ganāk mēnōk : Ahriman* Ind.

***l.* 26.** *'apar *handāčišn 'kunēt*: for *'apar* (𐭠𐭠𐭥) Ind. has incorrectly *'čē* (𐭧𐭠𐭥), and reads simply *handāčēt*: Gr. has *handāčēt* (*'ut*) *'kunēt*. One may either reject the *'kunēt* of Gr. with Ind. and Nyb., or, keeping it, emend *handāčēt* to *handāčišn*. Bailey keeps the text of Gr. but reads *'čē* with Ind. rather than *'apar*, and translates, 'whatever he planned and was doing'. The meaning 'attack', however, seems more in keeping with the character and subsequent actions of Ahriman.
arišk-kāmakīh : rišk-kāmak Ind.
'andar Ind.: *čēγōn* Gr., Nyb., Bailey.

***ll.* 26–27.** **'hač frakān . . . hanžāmēnēt*: The text of TD_2 is here hopelessly corrupt: it runs as follows: *'apar frakān 'apar fražām 'pat 'apar frakān 'apar 'ut čand aβzārān*. The second *frakān 'apar* (*'ut*) is omitted by P., and inserted above the line by DH. Ind. reads: *'tāk fražām 'čē fražām 'pat čand aβzār hanžāmēnēt*. The *frakān 'apar* omitted

in P. must be suppressed as a repetition in TD_2. The preceding *'apar* must then be read as *'čē* (𐭧𐭥 for 𐭧𐭥𐭩), as is proved by the parallel *ba-čand u čih afzār* (*'Ulemā i Islām*, text Z 37, § 11, PersRiv. ii, p. 81, l. 12). Assuming the *hanžāmēnēt* of Ind. to be genuine, we now have *'pat 'čē 'ut čand aβzār hanžāmēnēt*, which gives excellent sense. There remains only *'apar frakān 'apar fražām*. For the second *'apar* Ind. has *'tāk*. If *'tāk* is correct—and there is no reason to suppose it is not—we must read **'hač frakān 'tāk fražām* and translate: 'from the beginning to the end with what and how many weapons he would accomplish his purpose'.

frakān means 'beginning' or 'source'. So Nyberg, 'commencement' (CCM. 1929, p. 266); 'das Heraustreten, das Hervorgehen, das Entstehen' (*Glossar*, p. 71). The word is not to be confused with *parkān* 'wall' (Bailey, JRAS. 1934, p. 517), though the spelling of both is the same in Pahlavī. PhlTexts, p. 78, last line, best illustrates its use.

'ān rāmišn 'nē 'pat rāmišn apāyēt dāštan 'kē 'pas 'hač 'ān handōh frakān 'bavēt.—'A pleasure which afterwards turns out to be a beginning of grief, should not be considered a pleasure.'

Cf. further DkM. 737. 1: *χᵛap-frakānīh 'ut χᵛap-fražāmīh.*—'A good beginning and a good end.'

Ibid. 47. 10: *'ōh-ič 'vēhān dēn frakān bun vāčak āstuvānīh 'apar Ōhrmazd-bandakīh.*—'Thus the beginning of the religion of the good and its first proposition is to confess oneself the servant of Ohrmazd.'

Ibid. 141. 12: *gētēh pātuχšāyīh vīnārišn 'pat mēnōk dēn frakān; mēnōk dēn ravākīh 'pat gētēh pātuχšāyīh patvast-oviśīh apērtar.*—'The exercise of earthly kingship has its basis in spiritual religion; the propagation of spiritual religion is mainly (attained) by its close association with earthly kingship.'

The meaning in the last passage seems to be 'basis' or 'support', and this seems to be even more clearly the case in DkM. 336. 2: *sāstārīh 'pat ahramōγīh frakān vīnārtak.*—'Heretical priesthood exercised through the support (on the basis) of false religion'.

Further references are DkM. 25. 6; 209. 6; 212. 22; 214. 14; 217. 20; 237. 5; 253. 9; 335. 19; 337. 11, 21; 338. 3; 593. 6. *frakānēnīt*: 621. 21; 622. 4; 908. 3. *frakān bun 'ut χᵛatīh 'ut hangartīkīh*: 908. 10.

l. **28.** *dām i 'pat 'ān aβzār*: so all MSS. Nyb. takes *'pat* with the preceding *i* in order to obtain the sense 'the creation for which that weapon was necessary'. This meaning does not seem necessarily demanded by the context, and a postpositional *'pat* is not, to my knowledge, an attested Pahlavī construction.

apāyīt : apāyist Ind.

frāč: DH. and P. have the spelling *PL'Č*.

ll. **28–9.** *dām 'pat mēnōk[īk] 'ēstāt : dām 'pat mēnōkīk 'ēstēt* P.: *'pat dām mēnōkīk 'ēstāt* TD_2, DH.: *'andar mēnōk 'ēstīt 'hēnd* Ind. Nyberg, adopting the reading of TD_2 and DH. again takes *'pat* with the preceding word. Here, however, the better reading of P. is against him.

l. **29.** *'būt : būt* Ind.

amēnītār : amanītār Ind.

aravāk : aravā Ind. after which it adds *tan*. The reading has no authority, since the *T* of *tan* is best regarded as a miswriting for *K*: the first *Wāw* of *tan* will then be the *Wāw quiescens*, and the second the ideogram for *ut*.

l. **30.** *'pas-dānišnīh* P. and Ind.: *'pas-dānišn i* TD_2 and DH.
'hastīh i P.: *'hast-aš* TD_2, DH.; *'hast i* Ind.
anākās: *'nē ākās* Ind.

l. **31.** *zufāyak*: *zufāy* Ind.: *ZWP'YYG P.*
āχēzast, following the reading of Bailey. *χēzist* Nyb. Gr. reads *'HČSTW* (𐭠𐭧𐭮𐭩𐭮𐭯): Ind. more correctly *'XYČYT.*
vīmand: *'andar 'tāk* Ind.
dītār: spelt 𐭠𐭧𐭮𐭩𐭮𐭯. Nyb. reading *stār* translated: 'il arriva à la frontière où se trouve l'étoile des lumières.' To this there are two objections: (i) What is the 'star of Light'? (ii) For 'star' Phl. has *star* or *stārak*—the latter usually in the sense of 'constellation'—not *stār*. Our word is *dītār* and means 'sight'. Cf. DkM. 248. 9: *ōγōn ov-īš dōst čēγōn humiθr 'pit 'ō huzahak 'pus, 'ān-ič i 'dūr 'hač dītār*.—'As friendly to him as a loving father to his noble son who is far from his sight.' Ibid., 312. 11: *hudītārīhā tuχšākīh i 'pat χᵛēškārīh*.—'Striving in one's duty with eyes wide open.' Cf. further Zs. 29. 4, *dītārīhēt*: DkM. 21. 11. The adjective *dītārīk* is common. Cf. NP. *dīdār*, Horn, *Grundriss der neupersischen Etymologie*, no. 592.
For *dītār i rōšnān* Ind. has simply *rōšn.*
'kaδ-aš: *'kē-š* Ind.

l. **32.** *'ān i Ōhrmazd rōšnīh* Ind.: *Ōhrmazd 'ān rōšnīh* P.: *Ōhrmazd* repeated in TD_2 and DH. which follow P.
frāč patrōt TD_2, DH.: *patrōp* (*PTLWPW*) P.: *'pat druž* Ind.: *patrōt*, Nyb. rightly <**pati-rav-*. Cf. Kn. (Ântiâ) 11. 7, p. 30: *'andar zamān tīrak* ⟨*i*⟩ *čōpak 'hač dižpaδrōt mat*.—'Forthwith a wooden arrow sped forth and went from the castle.'
zatār-kāmakīh: *zatār-kāmak* Ind.

l. **33.** *marnǰēnītan* Ind. and P.: *marnǰītan* TD_2, DH. The stem is spelt 𐭬𐭩𐭲 and could therefore be read *mrōč-*: cf. Av. *nimraoka-*. Pāz. has *marōč-*.
tak 'apar kart P.: *'dit* (*TND*) *'apar kart* TD_2, DH.: *'andar duvārast* Ind. The reading of P. is certainly to be preferred as the phrase occurs again at GrBd. 41. 13, where all the MSS. have *tak*, except Ind. which has 𐭠𐭥𐭬. *tak 'apar kart*, lit. 'he raised a rush', i.e. 'rushed forth', suits the context admirably and corresponds in meaning to the *'andar duvārast* of Ind. If, however, 𐭠𐭥𐭬 is read, we must take it as *tang* and translate, 'he girded up his loins'. Nyberg's *'dit 'apar kart* can hardly mean 'avança plus loin encore vers le haut'.
'pas: om. Ind.
'dīt Ind. The phonetic complement *T* is missing in TD_2, DH. P omits altogether.
čērīh: *YLYH* P.
frēh Ind.: *farraχᵛ* Gr.

l. **34.** *tam*: *tār 'ut tom*, Ind.
'dēv: Ind. adds *'ut druž.*
'ān dām i marnǰēnītār niyāβ 'ō artīkgarīh: *'ān i dām i m. niyāβ 'ut artīkgarīh* P.: for *marnǰēnītār* (*MLNČYNYT'L*) DH. has *MWLWČYNYT'L*: for *artīkgarīh* TD and DH. have *artgarīh*. Ind. has *dām i marnǰēnītār χāst 'ō 'LGWND.*
niyāβ: cf. MPT. *ny'bg* 'becoming, suitable' (Henning, BSOS. ix, p. 86). Bailey reads *niyāz* and translates 'created many dēvs, destroyers of that creation, want and conflict', reading *'ut* instead of *'ō* with P. Henning (GGA. 1935, p. 10) regards *niyāβ* (𐭩𐭮𐭩𐭯) as a truncated form of *χēzist* which he deduces from the Ind. *χāst* which has the same meaning, and, punctuating after *marnǰēnītār*, translates: 'und er stieg hinauf zum Kampf gegen O.'

l. **35.** *'kaδ-aš : 'kē-š* Ind: om. P.

'dīt: *'vēnēnd* P.: *dīt* written phonetically in Ind.

'nē 'sahist P.: *rāδ 'sahist* TD_2, DH.: om. Ind. The correctness of the *'nē 'sahist* of P. is proved by the opposite *'sahist*, l. 37: cf. Henning, l.c.

l. **36.** *sahmēn i* TD_2: *sahmgund* (*SHMĢWND*) DH.: *ham-gund* (*HMĢWND*) P.: *sahmkun* (*SHMKWN*) Ind.

vatak: *'vat* Ind. In spite of the reading of Ind., Nyberg read an unattested **nitak* deduced from a conjectured *uparyavan*, itself unattested and far too archaic in form for any Pahlavī text. The form *vatak* is found GrBd. 58. 9: *margīh* ⟨*'ut*⟩ *vatakīh*. DkM. 595. 1: *'dēv 'ut 'martōm i vatak*. Ibid. 612. 7; 634. 22: *vataktar 'ut duš'χ^{v}arrtar*. Ibid. 861. 6: *vatak 'dēv 'ut druvand martōm*. Finally *vatak* translates Av. *ayavant-* Vd. 7. 27, where it is glossed as *'čiš i vat*.

**i*: MSS. *'ut*. Ind. omits.

dušīh: on this form and the parallel *hu-īh* v. BSOS. ix, p. 311. Nyb. *dušdāh*, but Av. *dužda-* should appear as *dušdāk* in Phl. Ind. omits.

'ut-aš: om. P.

buržīt 'hēnd : buržišnīk 'sahist Ind.

l. **37.** *zufr i van : 'ǰān* (*HY'*) *dām i* Ind. Nyb. objected to *zufr* 'deep' as being inapplicable to the creation of Ohrmazd. There is, however, no reason to suppose that 'deep' in Pahlavī cannot have the figurative meaning 'profound' as in other languages. Vd. 1. 21, on the contrary, shows that it can. Translating Av. *gufra-* used in the description of the many fair lands, the Phl. translator adds *'pat kār* ⟨*'ut*⟩ *dātastān*, 'deep in its works and judgement'. Similarly Av. *gufra-* is used in the sense of 'profound, mysterious': Mithra (Yt. 10. 25) is the 'profound lord '(*ahura-gufra-*), cf. AIW., col. 524.

van: the meaning and etymology are shown by DkM. 150. 20 ff. The opposite of *van* is *vānītak* 'conquered': *van*, therefore, means 'victorious' and is an adj. from Old Iranian *van-* 'conquer', (cf. FrÕīm., chapter 8, *vana*, *van*))) .One may compare MPT. *wnybwṯ* 'annihilated' (Henning, BSOS. ix. p. 89 and *w'nyšn* = ἀπώλεια, id. BSOAS. xi, pp. 57, 61). The Dk. passage reads as follows: *van pātuχšāy, vantom pātuχšāy*[*īh*]*tom spēnāk mēnōk, 'ut vanīh pātuχšāyīh i van 'ut vānišn, zanišn, spōžišn i hamēstār 'hač van vanīh. 'ut vānītak hačaδar purr-zōr pātuχšāytom spēnāk mēnōk *nihān-ōž ganāk mēnōk, 'ut vānītaktom ham ganāk mēnōk*.—'The victorious and kingly, the most victorious and kingly is the Bounteous Spirit. The victory and kingship of the victorious, and the conquering, smiting and repulse of the adversary come from the victory of the victorious one. He who is conquered beneath the almighty, most kingly Bounteous Spirit is the Destructive Spirit whose power is hidden; and he who is most conquered is also the Destructive Spirit.' Cf. ibid. 419. 14: *'kē azatār 'andar-ič vanīh, 'avē vānītak*.—'Whoso does not strike even when victorious, is vanquished.'

hamāk-pursišnīh 'ut-aš : pursišnīk, 'ut-aš buržišnīk 'sahist 'ut Ind.

l. **38.** *dām-dahišnīh* TD_2, P.: DH. omits *dām : dām 'ut 'dahišn* Ind.

l. **39.** *'apāk-ič : -ič* om. Ind.

'dānastan: correctly in P. with *Wāw quiescens* which is omitted by TD_2 and DH. Ind. has *'dānast* without a *Wāw*. The phrase means literally 'with the knowing what manner . . . '.

dām i: omitted in Ind.

kār : K'YR P. Ind. adds *'ut.*

l. **40.** After the first *ganāk mēnōk* Ind. adds *'šut 'hač-iš.* The latter word must stand for the first [illegible] which may be read either *'ut-aš* or *hač-iš.* For [illegible] Ind. has wrongly substituted *MN*, the ideogram for *hač.* Ind. is therefore to be translated, 'He approached Ahriman and offered him peace'.

āštīh P., Ind.: *āšt* TD_2, DH. which may be genuine, cf. Arm. *hašt.*

l. **41.** *'dah* DH.: *'dāt*, P.: TD_2 has the phonetic complement inserted above the line: *'kun* Ind.

l. **42.** *asōhišn apōhišn*: 'uncorrupting, undecaying', so Bailey, JRAS. 1930, pp. 12–13. Nyb. 'without hunger and thirst'. P. omits *apōhišn.*

'bavēh : 'bavēt Ind.

'ut-aš . . . aβkārīhā: lacking in Ind.

sārēnēh: for *sārēn-* 'stir up' v. Henning, BSOAS. xi, p. 61.

l. **43.** *akār : akār i* changed to *akārak* DH.: *'K'L'* P.

2-ān : 2 om. DH.

aβkārīhā: sc. <**upa-kar*, cf. Skt. *upakāra* 'assistance'. The meaning seems to be 'promote', cf. Dd. 30. 17: *nairīk i hukarp i hušarm ⟨i⟩ šōδ-kāmak, 'ān i hēr-pānak i ārāstār 'ut apārīkān nairīkān i sūt-aβkārān.*—'The beautiful and modest woman who desires her husband, and the thrifty one who is a good manageress and others who promote benefit'. Nyb. takes *aβkārīhā* as an optative: but the form is very doubtful.

l. **44.** *'ku 'nē 'baram . . . stāyišn*: for this passage Ind. reads: *'ku 'bē 'nē 'šavam, vēš aδyārīh 'ō dām i 'tō 'nē 'kunam ; 'ut stāyišn i 'pat dām i 'tō 'nē 'kunam, 'ut 'pat 'čiš ⟨i⟩ nēvak 'apāk 'tō ham-dātastān 'nē 'bavam.*—'I shall not go forth, nor shall I any more give assistance to thy creation; nor shall I give praise to thy creation; nor shall I agree with thee in any good thing.'

dām i P.: *dām-ič* TD_2, DH.

'bē 'tō 'ut dām-ič i 'tō : 'ut dām i 'tō Ind.

l. **45.** *hamē hamē* Gr.: *hamāk hamāk* Ind.

hāčēm (*H'ČYM*) TD_2, DH.: *'HYČ'M* P.: om. Ind. For a discussion of *hāč-* v. BSOS. ix, p. 582.

l. **46.** *i 'man : 'χ^{v}ēš 'kunam* Ind.

vičārišn : vizārišn Ind.

'ku-š : 'ku ganāk mēnōk Ind.

'ēt : ē (__) Ind.

l. **47.** *'avē* TD_2, DH.: *'ō* P., Ind.

ačārak: written with the distinctive sign [illegible] in Ind., which adds *'hast.*

'pēš 'dārēt : 'barēt Ind.

'patiyraft Ind.: *patīrēt* Gr.

patēst: for the reading and meaning of this word v. BSOS. ix, p. 582. Gr. reads *PTST*: Ind. has *'ut-aš 'pat stēž.*

l. **48.** *'burt*: [illegible] TD_2, DH.: [illegible] P.: [illegible] Ind.

'ut-aš : 'hač-iš Ind. Cf. l. 39.

harvisp-kartār 'hēh: Ind. has *harvisp-ākās 'hēt 'ut harvisp-kartār.*

l. **49.** *marnǰēnītan* P., Ind.: *marnǰītan* TD_2, DH.
'ut-at Ind., Henning: *'ut-aš* Gr., Nyb., Bailey.
dām-ič i TD_2: *dām-ič* DH.: *dām i-č* P.: *dām i* Ind.

l. **50.** *harvisp-ākāsīh : harvisp-ākās* P.

l. **51.** *zamān i* Ind., P.: *zamān 'ut* TD_2, DH.
kārēčār-ič : kārēčār Ind.
**aš : 'i-š* Gr.: om. Ind. In the Phl. MSS. *'ut-aš* (pronounced *u-š*), *'i-š*, and *aš* are continually confused.
'kunam : 'daham Ind.
'aδak-aš Ind.: *'aδak* Gr.

l. **52.** *'pat : i* Ind.
čēγōn . . . gumēčišn i dām: lacking in Ind.
patēst : patast MSS. v. l. 47.
kōχšišn : WK'Š'NW̲ P.
gumēčišnīh TD_2: *gumēčišn i* P., DH.

l. **53.** *nišastan* TD_2, DH.: *NY'STY* P.: *vyāpānītan* Ind.

l. **54.** *gumēčišn : gumēčišnīh* Ind.
After *'vas* Ind. adds *'hēnd.*
apārōnīh Ind.: *apārakīh* P.: *apārak* TD_2, DH., Nyb.
varzīt : varzand Ind.
'ku . . . varzēnd: lacking in Ind. Probably a gloss.

l. **55.** *'ut-aš : 'hač-iš* Ind. v. l. 39 note.

l. **56.** *'kun 'tāk* Ind.: *'kart* TD_2, DH.: *'kart i* (with *Wāw quiescens* after *T* and therefore possibly *'kart'tāk*) P.

zamān kartan has the meaning 'fix a time, make an appointment'; cf. the gloss on Vd. 2. 21: *hanžamanīh frāč 'burt 'kē dātār Ōhrmazd—'ku zamān 'bē 'kart.*—'The creator Ohrmazd summoned an assembly—that is, he fixed a date.'

'ēn pašn : gumēčišnīh Ind. *pašn* beside *pašt* and *past* (as **yašn*, NP. *ǰašn*, Av. *yasna-* beside *yašt*, or OP. *āšnaiy* beside Av. *āχšti-*, MP. *āštīh*, NP. *āštī*, Arm. *hašt*) is well attested. The two words are almost identical in meaning, though the former has the meaning 'connexion' as well as 'contract'. For the contract or treaty between Ohrmazd and Ahriman Zs. 1 (text Z 4) § 30 has *pašt*. In DkM. 272. 12 the meaning 'connexion' is certain for *pašn. dānišn pašn 'hast i andarag dānāk 'ut 'ān i 'dānīhēt.*—'Knowledge is the connexion between the knower and the object known.' DkM. 628. 22 we may translate 'obligation': *'vas-pašn-tom 'ku 'čiš vēš 'bē 'dahēt.*—'He who has most obligations, that is who gives most.' For 'compact' both words are indifferently used.

DkM. 778. 14: *'apar vinās i druχtan i pašt i 'apar 'χᵛart 'ut 'dāt, 'ut garānīh i apārīk miθrōdruž.*—'Concerning the sin of being false to a contract which one has received and given and the grievousness of other (forms of) promise-breaking.'

Ibid. 750. 7: *'apar vinās pātafrās i 'avē ['ō] 'kē 'ō 'ān 'i-š 'pat mēnišn ayāp 'pat gōβišn 'ō [i] 'avē i aržānīk 'dāt, pašn (PYHNW̲) kart, drōžēt.*—'Concerning the sin and punishment of him who is false to the contract which he has entered into with anyone on whom he has bestowed anything (even) in thought or word.'

pašn is very common in Dk. and is apt to be confused with *pēhn* 'food'. Cf. DkM.

653. 21, where *pašn* is written after *χᵛarišn*; here obviously only *pēhn* is suitable.
'ō DH.: om. P.: *'ō i* TD_2.
frāč 'aβganam: om. Ind
'čē-š : 'kē-š Ind.

l. **57.** *'kartan* Ind.: *'kunēt* P.: *'kun* TD_2, DH.
akārēnīt : 'K'LNNYT P.: *akār 'hast* Ind.

l. **58.** *fražāmīh : afražānak i* Ind.
ham- : kām TD_2.
'būt : 'bavēt TD_2.

l. **59.** *ham-kōχšišn*: Ind. adds *'kē*.
-mān vahmān : 'HM'N Ind.
For *vahmān* Nyb. proposed to read *vyaχmān*<Av. *vyāχman-* 'assembly'. The word is, however, certainly the MP. equivalent of NP. *bahmān* 'un tel'; it is used *passim* in the treatise on how to write letters (PhlTexts, pp. 132–40: edited BSOS. ix, pp. 93–109).
'šap: om. Ind.

l. **60.** *'kunēm : 'kunam* P., DH., Ind.

l. **61.** *'ēn-ič : 'ēn 'čē* Ind.
ē ('*Y*) TD_2, DH.: om. P.: Ind. omits both *ē* and the following *'andar*.
'ēn: added above the line in TD_2: om. DH.
'sāl is only in Ind.

l. **62.** *hamāk kāmak : HM'K'MK* Ind.
'andar: om. DH.
gumēčišn : gumēčak i Ind.

l. **63.** *'har 2 'ravēt*: om. Ind.: for the last word DH. has *'raft* and repeats from *'har* to *'ān i*.
'pat 'ān i : 3000 'sāl Ind.
artīk: om. Ind.

l. **64.** *šāyēt kartan : 'bavēt* Ind.
pityārakīh : i patyārak Ind.: P. writes *PTH' LKYH*.
'dārēt : 'dārēnd Ind.

l. **65.** *'ku-š*: om. Ind.
yaθā-ahū-vairyō(k): Ind. writes correctly in Avestan script. The remainder have Phl. readings of varying accuracy.
20-ēvak: written as two words in P.: joined up in TD_2: [illegible] Ind.

l. **66.** *mārīk : M'YLYK* Ind.

l. **67.** *aβsihišn : ōsēnītan* Ind.
ristāχēz : LYST'HČ DH.
apityārakīh : apatyārīh TD_2, DH.: *apatyārak* Ind.
dām : dāmān Ind.
'tāk: only in Ind.
hamē hamē : hamāk hamāk Ind.

l. **68.** *nimūt : nimūδ* Ind.

'kaδ-aš : 'kē-š Ind.
akārīh : akārakīh P.

l. **69.** *aβsihišn i 'dēvān 'hamist*: so P.: written in margin in TD_2: om. DH.: *'ut ōsēnītan i 'dēvān 'bē* Ind.
start : sturt P.
'ut abōδ: om. Ind.
'būt : 'bavēt P.
tam : tārtom Ind.

l. **70.** *'gōβēt : paytāk* Ind.
'ku : 'ku-š P.
3: om. P.
'bavēt TD_2: *'būt* P., DH., Ind.
'hač: om. DH.
tan 'andar hanǰēt: lit. 'draws in his limbs'. Unfortunately *hanǰ-* and *uz-* are spelt identically in Phl. *uzītan*, however, means 'rise up', and can, therefore, not seriously be considered in our passage where the word is used with *andar*. *tan 'andar* seems to me to be the only possible reading of [illegible]: Nyb.'s *tavīh* is one of his less happy emendations, and the examples he cites (*Hilfsbuch*, i, p. 14) entirely fail to convince one that the sign [illegible] can be used to represent the sound *īh*. The [illegible] he cites from DkM. 458. 12 does not represent *čē čēγōn*, a reading which presents formidable difficulties, but *čēγōn-ič dēn*: the passage is in no way remarkable except in so far as an extra stroke has been added to *čēγōn*. Though obscure it may be translated thus: *apārīk i ōšmurišn čēγōn-ič dēn nipēk paytākēnēt*, 'Other traditions, as the writings of the Religion too reveal'. Further, Nyb.'s *tavīh* is not an attested form: its existence is rendered all the more unlikely by the fact that in Phl. we have a number of words derived from the root *tav-* signifying 'power'—*tavān, tāv, attānīh, attōkīh*. To all of these the author could have resorted without using an otherwise unknown **tavīh* and representing it by the signs which would certainly—and rightly—have been read *tan 'andar*. Bailey rightly translates 'contracted his body'.

l. **71.** *bahr : bār* (*B'L*) Ind.
**'bavēt : 'būt* MSS.
ganāk mēnōk: om. Ind.
šnūk : dānūk P.: *zānūk* Ind. All forms are possible for 'knee'. *šnūk* represents the 'pahlavization' of Av. *šnav-* and is comparatively common, e.g. DkM. 529. 15; 765. 6, 7. The form *dānūk* could well be a Pers. form to north-west *zānūk*, and is found e.g. PhlRiv. 31. 3. It is, however, more likely that it either represents *zānūk* (written with the short *z*, as [illegible] for *zamān*) or *šnūk* (the signs [illegible] and [illegible] are very frequently interchanged).

l. **72.** *bavandak : hamāk* Ind.
First **'bavēt : 'būt* TD_2, P., Ind.: om. DH. Ind. adds *start 'ut*.
Second **'bavēt : 'būt* MSS.
ganāk mēnōk : om. Ind.
'hač akārīh i TD_2: om. Ind.: *'hač akārakīh* P.: *'hač akārīh* DH.

l. **73.** *anākīh*: om. Gr.
kartan : kart Ind. without *Wāw quiescens*.
startīh : sturtīh P.
'sayast Gr. (v. text Z 6, l. 2, note): *'ēstēt* Ind.

ll. **74–148**, lacking in Ind.

l. **74.** *dām-dahišnīh* P.: *dām 'ut dahišn* TD_2: *dām dahišn* DH.
mēnōkīha: [illegible] P.

l. **75.** **'nē : rāδ* MSS.
'būt P.: *'bavēt* TD_2, DH.
χ^{v}atāy : XWT' P., DH.

l. **76.** *χ^{v}atāy 'ut* DH.: *XWT' 'ut* P.:*χ^{v}atāy* TD_2.

l. **77.** *aβzōnīk : 'PZNYKW̲* P.

ll. **78–9.** The creation of *yazdān χ^{v}atīh*. As Nyb. has pointed out, the creation of the 'selfhood of the gods' corresponds to Ahriman's counter-'creation of the demons' (ll. 123–5). The correspondence is exact, and the creation in question in each case is the last of a series of three. Our passage must, therefore, be transferred to ll. 118–19.

l. **78.** *nazdist : NZSTW̲* TD_2, DH.: *NZ'ST* P.
**yazdān *χ^{v}atīh*: so Nyb. from the parallel ll. 123–4. *dahišn χ^{v}atāy* TD_2, DH.: *dahišn XWT'* P.

l. **79.** *i χ^{v}ēš* P: *'χ^{v}ēš* TD_2, DH.
dām-dahišnīh : dahišnīh P.: *dām 'ut dahišn* TD_2: *dām dahišn* DH.

l. **81.** *vēnākīh* P.: *YN'GŠ* TD_2.
hakurč : hakarč P.

l. **82.** *pityārak : patyārakīh* P.
'ān pityārakīh : 'ān i patyārakīh P.
akārīhēt : 'K'L'YT corrected to *akārīhēt* DH.

l. **84.** *ačārakīhā*: so Bailey. This seems to be the obvious reading, cf. l. 47. *ačār* in the sense of 'inevitable' is common in ŠGV. (references in BSOS. ix, p. 583). Nyb. reads *apārak, gǎh pityārak akār kartan rāδ*, and translates 'afin de rendre inefficaces la perversité et l'hostilité qui en découle, il créa le temps'. However, *apārak* in the sense of 'perversity' is only doubtfully attested in l. 54 of this chapter where we should certainly read *apārōnīh* with Ind. in contrast to the following *frārōnīh*. For *ačārakīhā* cf. NP. *čāreh nīst*, 'there is no alternative'.
pityārak : patyārak P., DH.

l. **86.** After *kār* P. adds [illegible].
čārōmandīhā : čār 'ut čārōmandīhā P.: *vičārišn čārōmandīhā* DH.

l. **87.** *akanārak*[*īhā*]: TD_2 adds *'ut*. Nyb. read *akanārak gǎh*, taking the second word as the equivalent of MPT. *ghy* 'then'. It is, perhaps, better to delete, as 'then' is already expressed in *'pas*. P. reads *'K'LKWYH'* preceded by *i* missing in TD_2.
dērang-χ^{v}atāy : dērang- XWT' P.
brēhēnīt 'ut: om. P.: *'dāt* DH. with *brēhēnīt* written above in a later hand.

l. **88.** *dērang-χ^{v}atāy : D̲YLNND̲XWT'* P.

l. **89.** *'dāt : 'būt* P.
After *aχ^{v}ārīh* P. reads *ravišnīh*, omitting preceding *'ut*.

l. **90.** *'būt* P.: *'bavēt* cet.

*χ^{v}ārīh : χ^{v}ārak MSS.
*brēh Nyb.: *GRYH* MSS.

l. **91.** *a-'bē-vartišnīh* (𐬀𐬉𐬌𐬌𐬀𐬌𐬱𐬀𐬉𐬌𐬌𐬀𐬌𐬱𐬀𐬉𐬌𐬌𐬀𐬌𐬱

theory, however, involves the assumption of a superabundance of glosses and the introduction of archaisms, sometimes 'emended' from a perfectly sound text. Exception has already been taken to this practice by Henning (l.c., p. 11) to which the reader is referred. Moreover, the close resemblance of our passage to *Aogəmadaēčā* 57–66, which Nyb. was himself the first to point out, precludes the possibility of an original Pahlavī poem: the resemblance is in places so great as to amount to translation, and Pahlavī verse translations from the Avestan are not known to have existed.

ōžōmandtar P., DH.: *ōžmandtar* TD_2.

***l.* 105.** **hu-ayāpak : ayāpak* (𐭠𐭩𐭯𐭪) P.: *handāčak* TD_2, DH. The reading *ayāpak* is to be preferred as it accords better with the subsequent *zamān 'hač ayāpakān ayāpaktar*. The 𐭩 of 𐭠𐭩𐭯𐭩 is therefore probably to be read *hu-*, and **hu-ayāpak* read: so TD_2 for *'hač ayāpakān* (l. 106) has *hu-ayāpakān*.

***l.* 106.** *zamān pursišnīktar*: P. rightly omits.

'hač ayāpakān ayāpaktar P.: *hu-ayāpakān ayāpaktar* TD_2, DH. *'hač* had already been supplied by Nyb. With the exception of Herzfeld editors agree on the reading and translation of 𐭠𐭩𐭯𐭪 (*ayāpak*). Nyb. has 'possède plus que les plus fortunés': Scheftelowitz, op. cit., pp. 44–45, 'ist reicher begütert als die Begüterten'. Bailey, 'is more successful than the successful'. Herzfeld, however (*Altpersische Inschriften*, p. 274), reads *aδawak* < **dab-* 'deceive', comparing Av. *aδaoyamna-* 'undeceivable', a standing epithet of Mithra (references in Gray, JAOS. xlvi, p. 98) which accords admirably with the character of Zurvān, the 'just', v. Part I, p. 58). Attractive though the suggestion is, the present author cannot altogether accept it. DkM. 647. 13, where our phrase is exactly reproduced, is unfortunately inconclusive. The passage is as follows: *'ut-aš 'andar rōšnīh 'ō patīrak 'raft Vištāsp 'apar ō 'ān i aβzōnīk rapiθwin, 'ān 'hač ayāpakān *ayāpaktar 'ut 'ān *'hač pursišnīkān pursišnīktar*.—'And Vištāsp went to meet him in the light at the time of the bounteous Rapiθwin (midday), he who . . . . . more than those who . . . . . ., he who is better informed than the well informed.' The passage is not quite conclusive since it is impossible to decide whether the epithets refer to Rapiθwin or Vištāsp: the fact that they here refer to Zurvān, however, makes the former alternative wellnigh certain. As an epithet of the genius of midday 'undeceived' is highly appropriate.

Though I have been unable to find *aδāwak* elsewhere in Pahlavī, the following instances may be of use: Dd. 36. 42: *'pat 'ān i 'drōy-dēnīh 'ut dāmān* 𐭥𐭥𐭠𐭩𐭯𐭩 (*āδāftēnītan?*).—'By false religion and the deceiving(?) of creatures.' In the same section we have 𐭥𐭩𐭠𐭩𐭯𐭩 *'dēv* which can be read as *āδāβānēnāk*, though it is far more probable that this is merely a misspelling of *viyāβānēnāk*. Less clear is Dd. 36. 47: *nihuftan družān i nihuftār 'hač* 𐭥𐭩𐭯𐭩 (*āδāβišn*) *i gētēhān 'hač-ič matan 'ō gētēhān āδāβišn*(?).—'To keep the concealing lies back from deceiving(?) material creatures and from coming to deceive them.' The translation, however, is uncertain. Dd. 2. 19 𐭥𐭩𐭯𐭩 certainly stands for *viyāβāngar*.

From the above examples it will be seen that the existence of the *āδāβ-* in MP. is by no means impossible. It should, however, be borne in mind that in all instances except Dd. 36. 47 the word may merely be a corruption of a derivative of *viyāβān*, whereas in Dd. 36. 47 one may read *ayāpišn* and translate 'keep them from getting hold of material creatures'. Not being wholly convinced of the existence of *āδāβ-* 'deceive', I have abandoned Herzfeld's *aδawak*. My own translation is based on the certain meaning of *ayāpakīh* "comprehension": v. Index.

'hač pursišnīkān pursišnīktar: closely parallel is GrBd. 209. 2: *'ut-aš kār 'ut dātastān 'vas 'andar pursēnd*—'they make a thorough study of their affairs'. *kār 'ut dātastān* comes to mean little more than 'affairs'. The semantic development of *dātastān* appears to be 'justice, (cosmic) order, affair, story'.

l. **107.** *vičīr* DH.: *WČL* TD_2: *vičār* P.
**šāyēt : ŠYT(W)* MSS.

l. **108.** *zamān [i] mān 'aβganīhēt*, &c.: Nyb. translates, 'notre temps s'en va disparaissant': but Henning has objected that 'our Time' would necessarily be *zamān i amāh* in MP. Further, *aβganīhēt* means 'is overthrown' rather than 'disappears'. 'Our time is overthrown' is scarcely what one would find in a passage celebrating Time. The crux of the passage is *brīn*. As Scheftelowitz (*Die Zeit als Schicksalsgottheit*, pp. 44–45) has pointed out, *brīn pat zamān* is not equivalent to *pat zamān i brīn* as Nyb. appears to have supposed. On the other hand, Scheftelowitz's own version is no more satisfactory. Apparently supposing that *LMYTWN* without phonetic complement can represent MP.*aβgandan*, he emends to,or rather asserts that the text reads, *awgandan šāyet*. ۱۹۴۵۵۵, which is certainly *pistak* (*pēsītak*) 'adorned', and is so taken by Nyb., he transliterates *paδstak* '= air. **padasta*, ai. *padastha* "auf festem Fuss stehend", np. vgl. *pāyistāh* "feststehend" '. Such a word is unknown in both MP. and NP. He translates, 'unsere Zeit vermag zu vertreiben das Geschick' —most unlikely in view of the connexion, amounting to identity, that existed between Time and Fate in Zervanism (v. Chapter X)—'Durch die Zeit wird auch der Feststehende auf einmal zerschmettert.' Once it is realized, with Henning, that *mān* cannot be taken as 'we', the situation becomes appreciably clearer. *mān* can then only mean 'house' (so Henning): and *zamān mān 'aβganīhēt* must mean 'by Time are houses overthrown'. The use of *zamān* without a preposition as an agent to a verb in *-īhēt* is rare, but an exact parallel is to be found in Zs. 34. 50 (text Z 5 (*a*)): *Ōhrmazd 'pat 'āp 'bē 'dāt, 'pat ātaχš fražāmīhēt*.—'Ohrmazd created by water, and consummates by fire'. *brīn 'pat zamān* must now be taken as a parenthesis—'The decision is through Time'. *pistak frāč škīhēt* will then also have *zamān* as its agent. The emendation of *pistak* to *dēstak* 'building' is tempting.

škīhēt: mutilated in TD_2.

l. **109.** **ōšōmandān*: following Henning, who restored from the parallel *aošaŋuhatąm mašyānąm* (Aog. 58): in spite of the MSS. I prefer to read the normal Phl. *ōšōmandān* rather than *ōšmandān*. TD_2 has ۱۳۵۳۵۳, and P. more correctly ۳۵۳۵۳. Nyb. read *hač hangām jān i martōmān* which he supposed to be a gloss. Henning's reading, however, now supported by P., is convincing.

First *'nē 'kaδ*: effaced in TD_2.

Second *'nē 'kaδ : 'kaδ* is omitted in TD_2 and DH.

l. **110.** **čāh-ē 'kanēt, 'andar : ČY'HB HPLWYTW BYN* P., DH.: *ČY'H W HPLWY* followed by a gap, TD_2. The reading *čāh* was first suggested by Schaeder *apud* Nyb. CCM. 1929, p. 274. Nyb.'s *nisyē afravēt* was introduced for 'metrical' reasons. B. Geiger, WZKM, xl, pp. 114 f., read *āfravēt*<*frav-*.

χān (۱۳۵): is the correct reading as the addition of *āpān i sart* shows: so Henning and Bailey; Nyb. and Scheftelowitz read $a\chi^{v}$.

l. **112.** **'kē gētēh rōšnīh*: MSS. have *'hač gētēh* (TD_2 spells *GYT'H*, DH. and P. *GYT' passim*) *rōšnīh*. Keeping the *'hač* Nyb. preferred to assume a *lacuna* and read:

Ōhrmazd . . .<gētāh rōšnīh u>hač gētāh rōšnīh karp . . . tāšīt (so Nyb. *passim* for *brēhēnīt*, v. his *Glossar*, s.v. *tāšītan*; cf. note on l. 113). The passage can, however, only be correctly understood with reference to the parallel l. 120 where the counter-creation of Ahriman is described. There, whether my own addition of *χᵛatīh* is accepted or not, only one creation is mentioned, namely that of Ahriman's *dām*—or rather *tan i dām* corresponding to the *karp i dām* here—from *gētēh tārīkīh*. Since the correspondence is throughout extremely close, Nyb.'s addition seems superfluous. The confusion of *'hač* and *'kē* is so frequent in Phl. as not to require comment.

***l.* 113.** After *brēhēnīt* TD_2 and DH. have *aš*: P. omits. *'pat ātaχš* is written above the line in DH. The correspondence between the Ohrmazdean and Ahrimanian creations is so close that in this passage the text, where faulty, can be restored with comparative certainty. Thus the superfluous *aš* omitted by P. is not found in the parallel l. 121, and must be deleted.

rōšn i P., DH.: *rōšnīh* TD_2. The corresponding word in l. 121 is **siyāh*, and the reading of DH. and P. should therefore be preferred.

spēt: clearly so written in TD_2: P. has *SČYTW* which may either be read *sačēt* (so Nyb.) or *spēt* (Henning). The latter is to be preferred, as the corresponding word in l. 121 is *āturastar-*gōn* 'ash-coloured'.

girt: Nyb. reads *girt frāč paitāk* ⟨*būt*⟩. 'Puis apparut la voûte du ciel', &c. As our conceptions of the Zervanite cosmogony largely depend on the translation of this passage, a somewhat lengthy discussion cannot here be avoided. In CCM. 1931, pp. 194–5, Nyb. gives a scheme of what he conceives to have been the successive stages of the Zervanite creation. These are: (i) Ohrmazd and his essence, (ii) *gētēh rōšnīh*, the light of this world, (iii) (*a*) *karp i dāmān i χᵛēš* 'universal form', (*b*) *rāst gōβišnīh* 'truthfulness', (iv) (*a*) *girt*, the firmament, (*b*) *karp i vāy i vēh*, the form of the good atmosphere, (*c*) *zām*, the earth. Of these we have seen that the second is not dependent on or emanated from the essence of Ohrmazd, but is identical with it. Our immediate concern is now with *girt* which Nyb., followed by Widengren (*Hochgottglaube*, p. 304), took as the firmament. Such an interpretation is only possible if *būt* is added after *frāč paytāk*: and for this there is no MS. authority. Further, the ordinary word for the firmament in all the cosmological texts is *spihr*, and no other example has so far been adduced in which *girt* alone is used of the firmament. The only example known to the present author where such an idea is expressed is DkM. 81. 3, *girt i āsmān*, 'the circle of the sky'. The addition of *i āsmān* is significant as indicating that *girt* alone would have been about as comprehensible in Phl. when applied to the firmament as 'circle' is in English.

In attempting to elucidate this important text it should be borne in mind that in all probability we have here to deal with a translation of an Avestan original, as the forms *asarak karpak* and *asarōk karpak* clearly show. The latter form also occurs in DkM. 349. 5 (text Z 10), where it is expressly stated that *asarōk karpak* was the Av. name for the *aβzār* which was produced from the Endless Light (*'i-š apastākīk 'nām asarōk karpak*). Once this is conceded, it becomes plain that *girt* translates either *skarəna-* or *hikarana* 'round' (AIW., coll. 1587 and 1812) and that *frāč paytāk* is a translation of *frā-dərəsra-* (ibid. 1015). *frāč* is constantly used by the Pahlavī translators to represent Av. *fra-* or *frā-*, and generally, as here, adds little to the meaning. Further, from the little evidence I have been able to collect, it would appear that *girt* in Phl. is used overwhelmingly as an adjective 'round' or as an adverb 'around', precisely as it is in Persia to-day.

PhlRiv. 46. 24 (text Z 7): *aδvēnak-ē 'kē-š sumb girt čēγōn asp.*—'One sort which has round hooves like the horse.' Cf. Zs. 3. 53: *čahār-pāδ i girt-sumb*, 'round-hoofed quadrupeds'; ibid. 3. 54: *girt-sumbān*, 'round-hoofed creatures'.

GrBd. 114. 5: *'pat girtīh 'har ēvak 'pat patmānak i χᵛēš.*—'In roundness each (egg) according to its measure.'

Used with verbs the word, as in NP., has the meaning 'around'.

BahmanYt. 4. 62: *χᵛāstak i gēhān girt 'kunēnd, 'ut hačaδar i zamīk nihān 'kunēnd.* —'They round up (amass) the riches of the world and bury them in the earth.'

Kn. 7. 3 (Ântiâ, p. 22): *spāh 'pat 'vas marak girt kart, 'ō kārēčār i Ardavān 'frēstīt.* —'An army was collected in great numbers and sent to do battle with Ardavān.'

GrBd. 152. 2: *and zamīk dārēt čand 1000 mēš 'kaδ 'pat ham-'nišīnišnīh girt frōt nišīnēt.*—'Covers as much ground as when a thousand sheep sit around together.'

Of Nyb.'s other cosmic entities *zām* must also disappear, for the word is unattested elsewhere, and P. reads clearly *dām*. As we shall see in the following notes the scheme of the Ohrmazdean creation can be easily disentangled from this difficult text by a close comparison with the Ahrimanian. The creations are as follows:

Ohrmazdean	*Ahrimanian*
1. The form of his own creatures in the form of fire.	The body of his own creation in the form of coal(?).
2. The form of the good Vāy.	The form of the evil Varan.
3. The selfhood of the gods.	The selfhood of the demons.

With reference to *brēhēnīt* which Nyb. read as *tāšīt*, the position is as follows. As an Iranian word it is easily explained as a denominative to *brēh* 'stature' (JRAS. 1940, p. 37, no. 6). <**brayaθa-* from *brāy-*, *brī-* 'cut'. Semantically one may compare French *taille* beside *tailler*. Pāz. reads *brəhn-*, *brəhən-*, *barəhin-*, and *brəhin-* (readings collected by Bailey). Nyb., however, in spite of the Pāz. prefers to treat the word as an ideogram, Aramaic *bereh*+*ūn*<*bᵉrā*, 'create': in that case one has to assume that *YN* is written for *WN*, and that the first of these two characters is a *Wāw* with a ligature to the left: this is unattested, and can scarcely be admitted as a normal way of writing even an Aramaic mask. For Nyb.'s full argument the reader is referred to his *Glossar*, pp. 224–5.

gētēh i P.: om. TD_2 and DH. P.'s reading is again confirmed by the *'hač gētēh χᵛat-dōšakīh* of l. 122.

***l.* 114.** *'kē pityārak*, &c.: I am entirely unable to agree with Nyberg's translation: 'C'est de cette force céleste que les récalcitrants des deux créations chantent ainsi: Elle est puissante, elle est le Temps.' Exactly parallel is our passage GrBd. 32. 1 (our text Z 2): *čēγōn 'gōβēt 'ku Vāy 'ān i 'andar 'har 'dō dām pityārak 'bē 'barēt*, where Nyb. himself translates correctly: 'C'est comme il est dit: L'œuvre propre de l'atmosphère, c'est de chasser les antagonistes qui se trouvent dans les deux créations.' This too must be the meaning here. *pityārak* means 'opposition' or 'aggression' with particular reference to the activities of Ahriman: it can under no circumstances mean 'les récalcitrants'. *bar-*, like its NP. equivalent, means 'carry off', not 'sing': Nyb.'s parallel—Av. *vāčim bar-* 'die Stimme erheben' (*Glossar*, p. 39), —is not valid, since the essential word in that phrase is, of course, not *bar-* but *vāčim*. In view of the close relation between Zurvān and Vāy, the translation here must be the same as in GrBd. 32. 1. The reading of P. *'bē 'barēt* instead of *'barēt*

makes this doubly certain. Nyb.'s theories expressed in CCM. 1931, p. 197 are based on an incorrect reading of the text and are therefore untenable.

pityārak : PT"LKW DH, P. This will no longer be noted.

'bē P.: om. cet.

'hast tavān, 'hast zamān: P. omits the first *'hast. 'hast . . . 'hast*, 'whether . . . or' as in GrBd. 167. 5 (text Z 3): *Vāy i dērang-χᵛatāy, 'hast Zurvān zēn, 'hast i Ōhrmazd.*—'Vāy of the Long Dominion, whether he is the weapon of Zurvān or of Ohrmazd'. PhlTexts, p. 63. 59: *'saχᵛan 'hast guftan 'vēh 'ut 'hast 'pātan.*—'A word may either be better said or kept silent.' The first meaning of *'hast . . . 'hast* is 'sometimes . . . sometimes'. In any case there is no reason to suppose that these words are taken from a Zervanite poem (so CCM. 1931, l.c.).

***l.* 116.** First *χᵛatāy* P.: *χᵛatāk* cet. This graphic variant will no longer be noted.

First *frāč*: om P.

'ut-aš P.: *aš* TD_2, DH.

dām P.: *zām* TD_2, DH. *dām* is certainly right as the *'kaδ-aš dām-ič 'dāt* of the explanatory clause shows. Nyb.'s *zām* (cf. l. 113 n.) is therefore superseded: it is in any case not an attested form.

***l.* 117.** *Vāy-ič* (𐬬𐬀𐬌) *aβzār-ē* (—) P.: *3-ič aβzār i* TD_2, DH.

'i-š: The MSS. read slightly more like *'ān-aš*, but may be read as *'i-š* which gives an easier construction.

apāyast (*'P'ST*) P.: *'P'YTW* TD_2, DH.

***ll.* 118–19**: supplied from ll. 78–9, q.v.

***l.* 120.** *χᵛēš ⟨χᵛatīh⟩ tan : tan i dām* here corresponds to the *karp i dāmān* of l. 110. The addition of *χᵛatīh* in accordance with the *χᵛatīh* above would therefore seem necessary. Otherwise one must translate 'from material darkness which is his own'.

***l.* 121.** *zaγ*: in form exactly like *'ān*. The parallel passage Zs. 1. 29 (text Z 4) *aβzār-ē i . . . zaγīk 'ut siyāh 'ut āturastar-gōn*, proves that this must be the reading. Since my note in BSOS. ix, p. 584 no further evidence has turned up. *zaγ karp* naturally corresponds to *ātaχš karp* l. 113. Hence I translate '? coal' on the analogy of NP. *zuγāl*.

**siyāh : S" YH* TD_2: *S' YH* P., DH. Readings indicate either *siyāh* or *siyāhīh*. The former is to be preferred on the grounds of Zs., l.c. Nyb. read **syāvahē* (CCM.) and **siyāvahē* (*Glossar*, p. 203) which is both unnecessarily archaic and involves the joining of a *Wāw* to the left.

*āturastar-*gōn : 'TWRWYSTLN* TD_2, DH.: *'TWRYSTLWN* P. v. BSOS. ix, p. 584.

aržānīk : 'LYČ'NYK MSS.

***l.* 122.** *bazak-*aδvēn : bazak-"N* MSS. The reading is, however, assured by DkM. 103. 6: *čēyōn 'ān i bazak-aδvēntom χrafstar i rīmantom*, and ibid. 145. 8: *tār gētēh 'hamist dušgandīh rīmanīh bazak-aδvēnīh*. Otherwise *bazak-aδēn* would have been a possible reading, 'bringing sin'. Cf. MPT. *'dyn-*. For this word v. Part I, p. 247, n. C.

Varan i : WLNND TD_2, DH.: *WLNNG* P.

***l.* 123.** *vattar-*dēn : WTLWNYT(W)* MSS. Corresponding to *Varan i vattar-*dēn karp frāč kirrēnīt* here l. 115 has *karp i Vāy i 'vēh frāč brēhēnīt*. Our *karp* must then be taken with *Varan*, and the intervening word must be an adjective qualifying *Varan*.

This adjective will presumably be the opposite of *vēh*, the epithet of Vāy. It is therefore clear that the word cannot be *'pāyēt* (*NTLWNYT*) and that *WTL* must be read as *vattar* 'worse'. The second part of the word could then be read as *nivēt* = NP. *nuvēd* 'good news' (for the same and Arm. *aweteran*, &c. v. Bailey, JRAS, 1934, p. 508; against him Henning, BSOS. ix, p. 85). Not having found a parallel to *nivēt* in Phl., however, I have preferred to emend to **dēn*.

Varan P., DH.: gap in TD_2.

***l.* 124.** *dušravišnīh* P., DH.: gap in TD_2.

***ll.* 125–8.** In the MSS. the sentence from *'čē-š 'hač gētēh tārīkīh . . . ganāk mēnōk paytāk 'būt* precedes *'čē-š 'ān dām . . . 'bē bēt*. The transposition, however, seems to be demanded by the parallel passage ll. 118–19. If it is through the selfhood of the gods that Ohrmazd makes his body better, then one must assume that it is through the selfhood of the demons that Ahriman makes his body worse. In similar contexts the contrasts between the Ohrmazdean and Ahrimanian activities are usually exact.

***l.* 125.** *bēt* TD_2: *'bavēt* P., DH.

***l.* 126.** *'dāt 'hač asar tārīkīh* P.: lacking in DH.: added above the line in TD_2. Nyb. reads *gētāh tārīkīh hač hān i asar tārīkīh dat* (sic)*; hač* **gētāh tārīkīh*. . . . There is much to be said for this reading, since it is more probable that material darkness should arise out of the Endless Darkness than vice versa. I have, however, preferred to ignore the words inserted in P. and TD_2, since there is nothing corresponding to them in the Ohrmazdean section, ll. 130 ff.

***l.* 127.** **'dāt : 'būt* MSS., but the past part. passive of a transitive verb is required; otherwise the *-š* of *čē-š* is superfluous. In the corresponding clause l. 130 *Ōhrmazd* is the subject.

The second *drōγ-gōβišnīh* must be supplied; cf. l. 130. *'hač rāst-gōβišnīh*, &c. Nyb. has *hač avē anākīh i gannāk-mēnūk*, &c., which gives the same sense.

***l.* 128.** *karp* P., DH.: *tan* TD_2.
kirrēnīt: *brēhēnīt* P.
'χ^{v}ēš P.: *tan* added in TD_2 and DH.

***l.* 129.** *'andar 'ān* P.: *'ut 'hač* TD_2, DH. The correctness of P. is proved by l. 132, *dām-ič hamāk 'andar asar karp(ak) 'bē 'dāt*.

***l.* 130.** ⟨*frāč dāt*⟩: some addition is necessary. Nyb. supplies *frāč tāšīt*.

***l.* 131.** *'būt* P.: *'bavēt* TD_2, DH. The superfluous *dām-dahišnīh* must be deleted.
karp i TD_2, DH.: *karpak* P.

***l.* 132.** *hamāk : HM' YK* P.
asar karpak : asarak karpak DH.: *asarōk karpak* P.
asarak karpak: so TD_2, DH.: *asarōk karpak* P.

***l.* 133.** *sačišn: SČWŠN* TD_2, DH.: *SYČWŠNW̲* P.
'būt P., DH.: *'bavēt* TD_2.
asarak karpak TD_2, DH.: *asarōk karpak* P.

***l.* 134.** For *yaθā-ahū-vairyō(k)* the MSS. have varying spellings.
'bē dahišnīh: Nyb. **bunē-δahišnīh* which would make the contrast with *fražām* more marked.

paytāk P.: *paytākīh* TD_2, DH.

l. 137. *brīn i zamān*: simply 'a division of time' rather than 'les arrêts du temps' (Nyb.). The phrase corresponds to the Av. *zrvan- θwaršta-*.

l. 138. *χᵛatāyīh* P.: *χᵛatāy-aš* TD_2.
dastaβarīh P., DH.: *dastūrīh* TD_2.

l. 139. *dātastānōmandīh* TD_2: *dātastānmandīh* P., DH.
bālistīh : B'LYSTYH P.: *B'LSTYH* TD_2, DH.
χᵛārakīh seems to be the correct reading as its Ahrimanian opposite *dušvārīh* shows: MSS. have the unintelligible [illegible] Nyb. *χᵛāhrakīh*.

l. 140. *dušvārīh* TD_2: *DŠWW'LYH* P., DH.

l. 143. **apētak : 'PYT'* P.: *'PYT'K* (*apaytāk*) TD_2, DH. As Nyb. has pointed out, the *apaytāk* of TD_2 makes no sense. The word is best emended to *apētak*, cf. MParthT. *'pydg* (Andreas–Henning, MirMan. iii) Arm. *pētkʿ*, *pitak*: <Old Iranian **upaita-* (so Nyberg, *Glossar*, s.v.). In Phl. the word has been noticed DkM. 762–5 *passim*: 70. 20; 709. 6; 711. 15. It must, however, be admitted that in these passages the meaning 'necessary' does not seem suitable. Nīr. 54. *nē apētak* translates Av. **paitika-* and is explained as *kē-š bahr andar nē būt ēstēt*, 'in which there has been no part', AIW., col. 828.

l. 144. *gētēhīhā* (*GYT'HYH'*) TD_2, DH.: *GYT'H* P.

l. 145. *amahraspandān* TD_2, DH.: *amahraspand* P.
**6*: 7 MSS.

l. 146. *'čē* (*MH*) P.: *'ōδ* (*TMH*) TD_2, DH.: **avi* Nyb.

l. 147. *'hač* before *Vāy*: om. P.

l. 149. End of *lacuna* in Ind. Before *nazdist* Ind. has *Ōhrmazd 'pat startīh i Ahriman dām dāt.*
hač-iš : frāč Ind.

l. 150. *mitōχtīhā : M'TWXTYH'* Gr.: *MYTWKXT 'ut 'pas* Ind.: *mitōχt gāh* Nyb. *'dāt. Ōhrmazd*: om. Gr.
gētēh: the spellings of this word vary; they will not be noted here.

l. 151. First *nazdist*: Ind. has the ideogram *'WL'*.
āsmān : 'SYM'NW P. This variant is exceedingly common and will not be noted again.
Second *nazdist*: om. Ind.

l. 153. *'tāk*: om. Ind.
aš: *W'Š* P.
Artvahišt P.: *Urtvahišt* (*'WRT-*) TD_2, DH.: *Ašvahišt* Ind.
Šaθrēvar, *ŠTRYWR* P.: *ŠTRYW* Ind.: *ŠTYWR* TD_2, DH.

l. 154. Last *'pas*: om. Gr.: Ind. has a *lacuna* from here to l. 164, omitting *brēhēnīt*.

l. 155. *Srōš-ahrāy*, *SLWŠHL'* TD_2, P.: *SLWŠ'LČ* DH.

l. 156. *buland : BLND* P.

l. 157. *frēh-gōyōt*, *PL'YGWYWTW* TD_2, DH.: *PL'SYWT* P.

l. 158. *vāt : 'T* P.

pēš⟨ē⟩mār : P' YŠM'L P.

l. **159.** *aβzōnīkīh : 'PZNYK* P.

l. **160.** *čahārom : čārom* P.

l. **163.** *'ut-aš : 'i-š* P.

l. **164.** *ganāk mēnōk . . . frāč kirrēnīt, 'pas*: Ind. has *'ut Ahriman 'hač gētēh tārīk Akōman 'ut . . .*

pityārakōmandīh : PTH'LK'WMND̲YH DH., P.: *PYTH'LK'WMNND̲YH* TD_2.

kamālīkān : KM'YL 'K'N P.

l. **165.** *kirrēnīt : KLNYTW̲* P.

Indar ('NDL) Gr.: [illegible] Ind.

Sāvul : S'WWL̲ TD_2: *S'WWL̲W̲* DH.: *S'WL̲* P.: *SWWL* Ind.

Nāŋhaiθ : N'HYKYH TD_2: *N'HBYH'* P., DH.: *N'KHYT* Ind.

'pas Tarōmat: om. Ind.

l. **166.** *Tarič: Tārič (T'LYČ)* Ind.: *TLWYČ* DH.

Zērič TD_2, P.: *zārič (Z'LYČ)* Ind.: *ZYLWP* DH. Ind. ends the chapter here, and adds: *Ōhrmazd 'hač dām i gētēh [i] fratom āsmān, ditīkar 'āp 'ut sitīkar zamīk, čahārom urvar, pančom 'gōspand, šašom 'martōm.*

l. **167.** *hakurč: genāk menōk hakarč* P.

'čiš P., DH.: *'čišīh* TD_2.

l. **169.** *'čiš : i 'čē-š* P.

l. **170.** **patēst-ič* so Nyb.: *'pat stēž-ič* MSS. But cf. l. 47, where Gr. has the correct *patēst* and Ind. *'pat stēž-ič* as here.

**'barēt : 'barēm* MSS.

l. **171.** **tarrīhā*: MSS. have *TLYHY'*, and for **tarrīh* in l. 172 *TLSYH*. I base my reading on the passage dealing with birth in Burzōē's introduction to the *Book of Kalîlah and Dimnah* (p. 40 in the edition of Fr. Cheikho, S.J., Beyrouth, 1905; p. 22 in the translation of Nöldeke, *Schriften der wissenschaftlichen Gesellschaft in Strassburg*, xii, 1912; cf. Christensen, *L'Iran sous les Sassanides*, p. 420). The text in translation runs as follows: 'And we read in medical books that when the water from which the perfect child is formed reaches the mother's womb, it mingles with her water and blood, thickens, and becomes bulky. . . .' According to Nöldeke (l.c.) Burzōē's introduction is genuine, and the correspondence between his text and that of GrBd. will therefore not be fortuitous. Our own text describes the different stages the foetus goes through before birth. The second of these is *gumēčakīh* 'mixture' and this corresponds exactly to the 'mingling' (*iχtalaṭa*) of Burzōē. We are then justified in supposing that the first stage corresponds to the *mā'* ('water') of Burzōē which Nöldeke translates as 'Feuchtigkeit'. The emendation is now simple, and *tarrīhā* must be read here, and *tarrīh* in l. 172. Nyb. read *tarsīh* translating 'engourdie de peur'.

l. **173.** *āvartakīh*: thus rather than *χᵛartakīh* 'smallness', as the meaning must be 'conception'. Etym. <Av. *var-* 'to make pregnant'. The word occurs in the obscure parallel passage DkM. 349. 17 (text Z 10), and appears to be equated with *gaβrīh*. Ibid. 170. 2, however, the stage following 'mixture' is described as *ham-'bavišnīh*, that is 'conception' or 'the coming together' of the male and female elements. This

idea is in no way expressed in *χᵛartakīh*. Cf. also Av. *vərəna-* 'Leibesfrucht', AIW. 1424.

*'*būt* P.: *'bavēt* TD_2, DH. For *humānāk* P writes *hamānāk*.

l. **174.** *viškītakīh*: for meaning and reading v. BSOS. ix, p. 318.

**čēyōn*: MSS. have *jān* (*G'N*) which yields no sense whatever. Nyb. reads *pēšānīk* 'forehead', taking *G'N* as the equivalent of *G'NH* = *GBYN'*, the ideogram of *pēšānīk*. Bailey reads *gēn*, dialect form of *vēn* and having the same meaning as *vēnīk* 'nostril, nose'. No parallel, however, is quoted for MP.

Second *viškītakīh*: the initial *Wāw*, missing in TD_2, is present in P.

l. **175.** First *'būt* P., DH.: *'bavēt* TD_2.

**čandišn*: MSS. have *ČNDŠK*(*W*). The emendation involves the change of only one letter. The last stage before the actual birth is described. The 'movement' of the child from the uterus towards the 'light' of day suits the context admirably. Nyb.'s *nīšak*, as usual, lacks confirmatory evidence in MP.

**'ō* : *'avē* MSS.

'pēš: om. P.

l. **176.** *rōšn* : *LWWŠNW* P.

ān : *'ān* (*ZK*) P., DH.

l. **177.** *hanbavīhēnd* (*HNNBWYHYNND*) P.: *HNNBWŠYNND* TD_2.

'zāyēnd : *ZLŠNND* P.

parvarēnd P.: *PLWLND* TD_2.

l. **178.** *parvart* P., DH.: *parvarēt* TD_2.

l. **179.** After *'ān* TD_2 and DH. have *mēnōk*: P. omits.

'pitarīh P.: *'pitar* TD_2, DH.

l. **181.** *startīhā* P.: *starīhā* TD_2, DH.

l. **182.** *startīh* P.: *sturtīh* TD_2, DH.

'sayast: TD_2 adds [illegible]. On this word v. text Z 6, l. 2.

l. **183.** **'hač* (*MN*) : *'čē* (*MH*) TD_2, DH.: *'čē-š* P.

asar : *'SLW* DH.

l. **184.** *harvisp* : *HLWSČ* DH.

l. **185.** *srišk* (*SLYŠK*) TD_2: *SLŠK* DH., P.

First *'būt* P.: *'bavēt* TD_2, DH.

l. **188.** *tišn* (*TYŠNW*) P.: *TŠNW* TD_2, DH.

l. **189.** *aδyārīh*: P. writes [illegible] and omits the next nine words.

hudāk : *hudahāk* DH. **gōspand 'ō** : *'ō gōspand* MSS.

l. **190.** *'ō*: om. P.: DH. adds *aδyārīh*.

l. **192.** *ov-iš* : *'WBŠNW* (*hanbašn*!) TD_2.

l. **193.** *'kē 'ēn*: P. repeats.

l. **194.** *'barēt*: [illegible] TD_2, DH.: [illegible] P.

l. **195.** *'gōβam* : *'gōβēt* P.

paytāk, i P.: *paytākīh* TD_2, DH.

(*dūr-*)**kanārak*, *χāyak-dēs**: TD_2 reads [illegible]: P. has [illegible]. The reading of TD_2 certainly contains a corruption of *kanārak*. *dūr-kanārak* is a standing epithet of the sky (e.g. ZXA. 256. 10; GrBd. 221. 15) and translates Av. *dūraē-karana-* (Yt. 13. 2) which is itself only used of the sky. The pointing of the reading of P. indicates that the [illegible] of TD_2 represents *dēs* as in GrBd. 41. 3, text Z 6, rather than *gās*. The first part of P.'s reading must then be read as *χāyak*. For the comparison of the sky to an egg cf. Mχ. 44. 7; PhlRiv. 46. 5 (text Z 7); DkM. 64. 7; Zs. 34. 20 (text Z 5). Thus with the aid of the two manuscripts the restoration *dūr-kanārak χāyak-dēs* seems assured. Nyb.'s reading *pasē gās* is not satisfactory.

l. **196.** *χ^{v}an-āhēn* (*XWN'HYNW*) DH.: *XWN'H'NW* TD_2: *XWN'ŠŠNN* P.
'nar (*ZGL*) P.: *ZGLW* TD_2, DH. *'nar* appears to be the obvious reading, and the ideogram is clearly written in P. For the idea cf. GrBd. 112. 15: *āsmān 'ut ayō(k)χšust 'ut vāt 'ut ātaχš 'nar 'ut hakarč yuttar 'nē 'bavēt : 'āp 'ut zamīk 'ut urvar 'ut māhīk mātak, hakarč yuttar 'nē 'bavēt.*—'The sky, metals, the wind, and fire are male and never become otherwise: water, the earth, plants, and fish are female and never become otherwise.' Nyb.'s *zērn*, though excellent Soghdian, can scarcely be admitted in a MPers. text. Bailey's interpretation (*Zoroastrian Problems*, p. 132) also seems unnecessary.
'bē P.: *'pat* TD_2, DH.

l. **197.** *āvahan* (*'WB'HNW*): so Bailey following Herzfeld, AMI. ii, p. 55 <*vah-* 'dwell'. Nyb. reads **avīkān*.
humānāk (*HWM'N'K*) P.: *HWM'N'KWW* DH.: *HM'N'KW* TD_2.

l. **198.** *drupušt : DLWPŠTW* P: *DLPWŠTW*, TD_2.
kōχšīšn : kōšīšn P.
apāyast (*'P'YSTW*) TD_2, P.: *'P'STW* DH.

l. **199.** *mānāk : hamānāk* P.
'kē P., DH.: om. TD_2.
parkān: 'enclosure'; v. Bailey, JRAS. 1934, p. 517. *bun* is perhaps better omitted. Nyb. preferred to read *frakāvan*.
čand-aš: here and in all the following cases P.: TD_2 has *čandīh*.

l. **200.** *drahnāδ*: DH. has *DLN'D* both times.
čand-aš bālāδ: om. P.
Second *'i-š : 'ut-aš* TD_2.

l. **201.** *hamōγ*: reading uncertain.
**hupatsāy : HWPS'L* MSS. Nyb. reads *χūpsār* and translates 'bien agencé' or 'schön angemessen' (*Glossar*, p. 142) and connects with OP. *niyaṣṣārayam*. For *hupatsāy* cf. MPT. *pdys'y* 'entsprechend'. *hupassāy* with the same meaning could be read, cf. *passaχ^v* < **pati-saχ^{v}an* &c.
humānāk P., DH.: *hamānāk* TD_2.

l. **202.** *ākās : 'K'YH* P.
aβzōnīk : 'PZNYK P.
āsmān : 'YM'NW DH.

l. **203.** *patiγraft : PYTYLPTW* P.
drang: v. BSOS. ix, pp. 319, 584.
drupuštīh : puštīh P.

'nē: om. P.

l. **204.** *artēštār : 'LYT'ŠT'L* P.
zrēh : ZL'B TD$_2$, DH.: *ZLH* P.
apē- : 'PY TD$_2$, DH.: *'PYB* P.

l. **205.** *urvāhmanīh* TD$_2$: *urvāhman i* P., DH.

l. **206.** Second *urvāhmanīh* TD$_2$, DH.: *urvāhman i* P.
**'čē : 'kē* (*MNWW* P.) MSS.
-ič 'andar : čēγōn MSS.

l. **207.** *urvāhmanīh* P., DH.: *urvāhman i* TD$_2$.
'ēstēt : 'mānēt P.

l. **208.** *'hač*: om. DH.
čand . . . 'dast : čand 'kaδ 'mart i 2 'dast P.

l. **209.** *balād : bālā* TD$_2$, P.

l. **210.** *aδyārīh :* [illegible] P.
'mēy : MWW MWZN'H TD$_2$, DH.: *MWW MWW ZN'H* P. For the reading of this word v. BSOAS. x, p. 630.
snōδān : SND'N TD$_2$, DH.: *SNŠNW̲* P. Reading after Nyb. The word is spelt either [illegible] or [illegible] and translates both Av. *snaoδa-* and *snaēž-* (cf. Vd. 8. 4, where it is glossed *vafr* 'snow'). It can therefore be read either *snōδān* or *snēhn*. In our passage the following *snēžak* makes the former more probable.
**snēžak : SNČKW̲* MSS. Reading after Nyb.

l. **211.** *'āp* P.: om. TD$_2$, DH.

anišēβ anaβrāz: [illegible] P. For the privative [illegible] TD$_2$ has [illegible]. This seems the only possible reading: so Bailey, who compares GrBd. 228. 4: *'ēn zamīk anāpēšar*(?) *'ut anišēβ 'ut hāmōn 'bē 'bavēt*.—'This earth will become without declivity and acclivity, and flat.' Henning (p. 12) read *huvišāδ huafrāz* 'weit ausgedehnt, schön sich erhebend': but the condition of the earth as it was first created by Ohrmazd must be similar to the perfect earth produced at the *Fraškart*, that is flat.

l. **212.** *drahnāδ* P.: *DLN'Y* TD$_2$, DH.
First *pahnāδ : pahnā* TD$_2$.
zahyāδ : ZHY'B TD$_2$: *ZHYYB* DH.: *ZWHY'B* P.

l. **213.** *āsmān : 'S'M'N* P.
ēvak-ē : -ē in all cases omitted by P. and DH.

ll. **214–15.** This passage, the most difficult and corrupt in the whole of the first chapter of the *Greater Bundahišn*, caused Nyb., with perhaps undue deference to an unsatisfactory text, to introduce readings which, for their extremely archaic forms, must be considered unacceptable. No satisfactory reconstruction of the text can be obtained unless we can find a clue to what the author is describing. He has just stated that the earth was created flat, and he subsequently tells us of the insertion of the minerals into the earth. In our present passage one thing is clear: he distinguishes three thirds of the earth each of which has peculiar properties. The first, he says, was created hard (*saχt*)—this seems the only possible reading of the word, the alternative *sāχt* being precluded by the absence of any similar verb in

the descriptions of the remaining two thirds—and this is, we venture to think, the clue to the whole passage. If the first section of the earth is hard, we are justified in supposing that the distinction between the three parts is one of consistency, and the third would therefore be soft, and the second something between the two. The ordinary word for 'soft' is *narm*, and towards the end of our passage we find *nēm* [illegible] which we are justified in taking as a corruption of *narm* [illegible]. On the same grounds I would emend the incomprehensible [illegible] to [illegible] *čēγōn gil(ak)* 'soft as clay'. If the emendation is bold, the sense is at least uncapricious.

In l. 214 [illegible] remains mysterious. Both Bailey (*Zoroastrian Problems*, p. 137) and Henning (JRAS. 1942, p. 233) have dealt with this tiresome word. The latter would read it as a corrupt ideogram for *'sang*, 'stone' (*ČČ'* corrupted from Aramaic *KYP'*): this he deduces from GrBd. 29. 8, where *ČČ'B i katak-masāδ* is equivalent to Avestan *asma katō-masâ*. The present passage he emends to *'sang-*sār*. The objection to this is that *KYP'* = *'sang* is found correctly spelt (Dd. 17. 4 and 36. 103) and that *ČČ'* which is relatively common is not very like *KYP'*.

Bailey identifies *ČČ'* with Aramaic *ṢṢ'* 'nail, peg, wing' and cites GrBd. 140. 1, where the word appears as a name for a thunderbolt (*vīr*). *ṢṢ'* would represent *dār* or *dāl* 'wood', hence the confusion in the FrPhl. which interprets it as *dālman* 'eagle'. Our present *ČČ'D'L* would then be the same word written phonetically and as an ideogram: Bailey quotes instances of this in AVN. 16. 7 and Dd. 36. 17. I am inclined to agree with him that *ČČ'* is actually a mask for *dāl*; but I cannot agree that either the meanings he adduces for Aramaic *ṢṢ'* or *dār* = 'wood' are satisfactory. The meaning seems to be 'hard stone' (for which Henning's *'sang* fits) and the reading is very probably *dāl*, but *dār* (?*dāl*) means 'wood', not 'stone'. We must then be content with saying that *ČČ'* probably represents a word *dāl* otherwise unknown the meaning of which is some sort of hard stone.

In l. 214 we read *aržan* with P. ([illegible], TD_2 and DH have *DLTNW̲*) the initial *Wāw* of which may be discounted. My reading is based on Herzfeld's interpretation of OP. *aržana-* (*Altpersische Inschriften*, pp. 88–93). Herzfeld, against Bailey, BSOS. vi, p. 598, *āranjana-* 'colour', interprets as 'building material' or 'sandstone', and Hinz (JNES. 1950, p. 5) gives 'material' for the equivalent Accadian *si-im-ma-nu*. There is no doubt at all that some sort of building material gives a far better sense in Dar. Sus. Chart. 4 than 'colour' or 'ornament'. The relevant section (in Herzfeld's transcription, op. cit., p. 13) is as follows: *ima ha*[*diš tya θ*ʳ*ūš*]*ā*[*y*]*ā aku*[*navam aržanam-ša*]*iy dūrdaš* [*abariya*] *fra*[*vata*] *būmiy akaniya* (the reading *aržanam* is assured by the Accadian *si-im-ma-nu*).—'This is the palace which I made at Susa. The *aržana* for it was brought from afar. The earth was dug down.' From this passage it seems clear that some sort of building material is intended. No useful purpose can be served by discussing the second passage in the inscription where the word occurs, for the one word which would give us a clue to the meaning of *aržana-* is imperfectly preserved, and will be read *dištā* 'built' or *pištā* 'decorated' according to one's personal view on the meaning of *aržana-*. The first passage, however, on grounds of context, supports the meaning 'building material, sandstone' rather than 'ornament'. Further support is now supplied by the reading of P. in our Bd. passage. If we read *aržan ākand*, we will then have the highly suitable meaning 'composed of sandstone'. MP. *aržan* is to be equated with Arm. *arjan* 'stone, statue'. *ākand* naturally corresponds to NP. *āgand* 'filled': in MP. also 'composed of', cf. Vd. 7. 11, *pašm-ākand* 'composed of wool', cf. text Z 7, § 5, *nikand*, and note ad loc.

l. **217.** *gōgart bōrak-ič*: for the first cf. MPT. *gwgyrd*, Soghd. *γwkt*, NP. *gōgard*, v. Henning, BSOS. ix, p. 90. and ibid. x, p. 398. P. omits *gōgart*. *gōgart* translates Av. *saokənta-* 'sulphur'.

l. **218.** *'ān i* P.: *'ān ē* (𐭠) TD_2.
'STYHL P.: *'STYHHL* TD_2, DH. The word remains problematic. Nyb. read *as-čihr* <**us-čiθra-* 'plant without seed'. This was accepted with reserve by Henning, MirMan. i, p. 9, no. 3, who similarly interpreted MPT. *''čyhr*. That our word is indeed a miswriting for the Turfān word seems proved by Vd. 4. 55, where we have *'āp i gōkartōmand zarrōmand āčihrōmand* (so the MS. MU1) translating Av. *āpəm saokəñtavaitīm zaranyāvaitīm vīθušavaitīm*. *āčihr* is therefore the Phl. equivalent of Av. *vīθuša-* which is itself of unknown meaning. It would seem from GrBd. and Vd. that we have to deal with a metal. Henning's Turfān text, however, clearly indicates a plant: *'wrwr 'sprhm w mrw 'wd ''čyhr 'wd gwnggwng 'rwy kyšt 'wd rwst.*— 'Plants, flowers, herbs and *āčihr* and all manner of growing things were sown and grew.' It seems likely that we have to deal with a form of plant which by its hardness or some other property may be classed with metals. What this plant is, I am unable to say.

l. **219.** *'mart-ē* : *'mart* P.
hamāk: om. P.

l. **220.** *'ēstēt* : *'ēstāt* P.

l. **221.** *miyānak i* : *miyān* P.

l. **222.** *bālāδ* : *bālā* P. This insignificant variant will no longer be noted.
sarəδak : *SLYTKW̲* TD_2, DH.: *SLTKW̲* P.

l. **223.** *urvar*: TD_2 adds *'ut*.

l. **224.** *aδvan*: so Bailey, JRAS. 1934, pp. 505 ff.
srišk : *SLYŠK* P.: *SLŠKW̲* TD_2.
4 : *5* DH.

l. **226.** *ēv-dāt* TD_2: *ēvak-dāt* P., DH.
miyānak P.: *M''NWKW̲* TD_2, DH.

l. **227.** **bār* : *bārīh* DH., P.: *B'L̲'YH* TD_2.
Vēh Daitē : *vēhdait* (one word) P.
spēt : *SYČYTW̲* TD_2, DH.: *SČYTW̲* P.
māh : *M'HY* DH.

l. **229.** *'bavēt* : *'būt* P.

l. **230.** *6-om* : *7-om* DH.

l. **231.** **bār* : *B'L'* MSS.

l. **232.** *'ēstēt* TD_2, P.: *'ēstāt* DH.

l. **234.** *uzvān⟨ō⟩mand* : *uzvānmand* TD_2, DH.: *ZW'N'NW̲ 'WMNND̲* P.
daχšakōmandīh : *DXŠK'WMND̲YH* DH.: *DXŠK'W'WMNND̲YH* TD_2: *DXŠK'WMNND̲* P.

l. **235.** *'ēt 'ku*: repeated in DH.
'ān TD_2: *'ān* P., DH.

l. **237.** *buland* : *BLND̲* P.
Gayō(k)mart : *Gayōmart* DH.

l. **238.** *zargōnīh*: has the meanings of 'yellow or green colour' or 'freshness'. Cf. Vd. 2. 26: *zargōnēn 'ku tarr*. Cf. Soghd. *zrywn* 'vegetable' (*Sûtra des causes et des effets*); Khotanese *ysaragūna* 'of golden hue' (Konow, *Saka Studies*, s.v.).

l. **239.** *'ēn*: [illegible] P.
'nē 'āp tōhmak: om. P.

l. **240.** **'ut*: om. P.: *i* TD_2, DH.
'tāk-aš P., and so corrected in DH.: *NDYH* TD_2.

l. **242.** *'sāl i : 'sāl-ē* (*ŠNTB*) P.

l. **244.** **i : -ē* (—) MSS.

l. **245.** *čēγōnīh* P.: *čēγōn-aš* TD_2, DH.
āsmān : 'S'M'NW P.

l. **246.** First *'rōč i : 'rōč-ē i* P.
First *'māhīk : 'māh* P. *Fravartīn : PLWLDYNW* P.
After *'tāk* TD_2 and DH. have *'ēn*.
Second *'māhīk : 'māh* P.

l. **247.** *'pāt*: appears to be used in the sense of 'remained' throughout this section. Nyb. emends throughout to *'mānd*. P. spells *NTLWT*.

l. **248.** *māništ i *martōmān : M'N Y YŠTW* without *i* TD_2: *martōmīh* all MSS.
māništ ⟨*i*⟩ *Miθr 'āp*: om. P., perhaps rightly, as [illegible] may merely be a misspelt repetition of [illegible].

l. **249.** *paytākīh : paytāk i* P.

l. **252.** *maiδyō(k)šam : maiδyō(k)šām* P.

l. **253.** *'būt : 'bavēt* TD_2.

l. **255.** *Art : 'LT* DH.: *'LTW* P.: *YLT* TD_2.
'pāt : NTWLWNT TD_2.

l. **256.** *paitišhah : PYTYŠHH* TD_2: *PYTYYŠH* DH.: *PYTYŠH* P.
ravišnīh : ravišn i DH., P.

l. **259.** *5 'rōč*: om. P. In the restoration of the text I follow Nyb. After the second *'tāk* TD_2 has *Aštāt 'rōč* which is added above the line in DH. and omitted in P.

l. **260.** *ayāsrim : 'Y'SLYM* TD_2: *'Y'SLM* P., DH.
vičārišn : čārišn P.
'ku-š : 'ku P.

l. **261.** *zargōnīh : ZLGNYH* P.

l. **262.** *5-om : pančom* P., DH.

l. **263.** Second *'tāk*: om. P., DH.
⟨*rōč i Varhrān*⟩: so after Nyberg.

l. **264.** *maiδyairim : MYTY'YLYM* TD_2: *MYTY'YL* DH., P.

l. **266.** *Gayō(k)mart : 90* written after it and then deleted in DH.

l. **267.** *Spandarmat : SČDRMTW* P.

l. **268.** *'tāk*: om. P., DH.

Before 5 *'rōč i truftak* P. has *'ān* omitting *'rōč i*. For *truftak* v. Schaeder, *Studien*, p. 216, and Nyb., p. 293; cf. id. *Glossar*, p. 227. Beside *truft* the spelling *traft* is found, cf. DkM. 407. 2; 444. 5.

l. 269. *hamaspamaiδayam : HM'SČM'D̲YM* TD_2, DH.: *HM'SPSYM'N* P.

l. 273. **Spantōmēn : SPYTMT* TD_2, DH.: *SČNDTMTW̲* P.
Vahištōišt (*WHŠTWYŠT*) P.: *WHŠTWHŠTW̲* TD_2, DH.
māhīkān [*i*]: P. has *māhān-ē* (*-B*).

l. 274. **aš : 'ut-aš* MSS.
**'ēn : 'rōč* MSS.
Urtvahišt : 'WRTWHŠTW̲ TD_2: *'WRTHŠTW̲* P.

l. 275. *Hurdāt*: P. writes the plenary *Aleph*.

l. 276. *Fravartīn : PLWLDYNW̲* P.
Varhrān : Varhrām P.
Art P., DH: *YLTW̲* TD_2.

l. 277. *Āsmān : 'S'M'N* P.: *'SYM'N* DH.

l. 278. *'hač*: om. P.
For *Fravartīn* P. reads *'māh Fravardīn*; DH. *'māh Fravartīn*.

l. 279. *Urtvahišt :* MS. readings as in l. 274.

l. 281. *'māh*: om. P.
čēγōnīh P.: *čēγōn-aš* TD_2, DH.
One *ēvak* is omitted by P.
'gōβam : 'gōβēt P.

TRANSLATION

(1) This, the Knowledge of the Commentary, (deals) first with the primal creation of Ohrmazd and the aggression of the Destructive Spirit; next with the nature of material creatures from the original creation up to the consummation as it is revealed in the Mazdayasnian religion; next with the things contained in the world together with an interpretation of their nature and properties.

(2) Thus is it revealed in the Good Religion. Ohrmazd was on high in omniscience and goodness: for infinite Time he was ever in the Light. That Light is the Space and place of Ohrmazd: some call it the Endless Light. Omniscience and goodness are the totality of Ohrmazd: some call them 'religion'. The interpretation of both is the same, namely the totality of Infinite Time, for Ohrmazd and the Space, Religion, and Time of Ohrmazd were and are and ever shall be.

(3) Ahriman, slow in knowledge, whose will is to smite, was deep down in the darkness: ⟨he was⟩ and is, yet will not be. The will to smite is his all, and darkness is his place: some call it the Endless Darkness.

(4) Between them was the Void: some call it Vāy in which the two Spirits mingle.

(5) Concerning the finite and infinite: the heights which are called the Endless Light (since they have no end) and the depths which are the Endless Darkness, these are infinite. On the border both are finite since between them is the Void, and there is no contact between the two. Again both Spirits in themselves are finite. Again concerning the omniscience of Ohrmazd—everything that is within the knowledge of Ohrmazd is finite; that is, he knows the Norm (pact) that exists between the two Spirits until the creation of Ohrmazd shall rule supreme at the Final Body for ever and ever: that is the infinite. At that time when the Final Body comes to pass, the creation of Ahriman will be destroyed: that again is the finite.

(6) Ohrmazd in his omniscience knew that the Destructive Spirit existed, that he would attack and, since his will is envy, would mingle with him; and from beginning to end (he knew) with what and how many instruments he would accomplish his purpose. In ideal form he fashioned forth such creation as was needful for his instrument. For three thousand years creation stayed in this ideal state, for it was without thought, without movement, without touch.

(7) The Destructive Spirit, ever slow to know, was unaware of the existence of Ohrmazd. Then he rose up from the depths and went to the border from whence the lights are seen. When he saw the light of Ohrmazd intangible, he rushed forward. Because his will is to smite and his substance is envy, he made haste to destroy it. Seeing valour and supremacy superior to his own, he fled back to the darkness and fashioned many demons, a creation destructive and meet for battle. (8) When Ohrmazd beheld the creation of the Destructive Spirit, it seemed not good to him—a frightful, putrid, bad, and evil creation: and he revered it not. Then the Destructive Spirit beheld the creation of Ohrmazd and it seemed good to him—a creation most profound, victorious, informed of all: and he revered the creation of Ohrmazd.

(9) Then Ohrmazd, knowing in what manner the end would be, offered peace to the Destructive Spirit, saying, 'O Destructive Spirit, bring aid to my creation and give it praise that in reward therefor thou mayest be deathless and unageing, uncorrupting and undecaying. And the reason is this that if thou dost not provoke a battle, thou shalt not thyself be powerless, and to both of us there shall be benefit abounding.' (10) But the Destructive Spirit cried out, 'I will not bring aid to thy creation nor will I give it praise, but I shall destroy thee and thy creation for ever and ever: yea, I shall incline all thy creatures to hatred of thee and love of me.' And

the interpretation thereof is this, that he thought Ohrmazd was helpless against him and that therefor did he offer peace. He accepted not but uttered threats. (11) And Ohrmazd said, 'Thou canst not, O Destructive Spirit, accomplish all; for thou canst not destroy me, nor canst thou bring it about that my creation should not return to my possession.'

(12) Then Ohrmazd, in his omniscience, knew that if he did not fix a time for battle against him, then Ahriman could do unto his creation even as he had threatened; and the struggle and the mixture would be everlasting; and Ahriman could settle in the mixed state of creation and take it to himself. Thus even now, in the mixed state, there are many men who work unrighteousness more than righteousness—that is they work chiefly the will of the Destructive Spirit. (13) And Ohrmazd said to the Destructive Spirit, 'Fix a time so that by this pact we may extend the battle for nine thousand years'. For he knew that by fixing a time in this wise the Destructive Spirit would be made powerless. Then the Destructive Spirit, not seeing the end, agreed to that treaty, just as two men who fight a duel fix a term (saying), 'Let us on such a day do battle till night falls'.

(14) This too did Ohrmazd know in his omniscience, that within these nine thousand years three thousand would pass entirely according to the will of Ohrmazd, three thousand years in mixture would pass according to the will of both Ohrmazd and Ahriman, and that in the last battle the Destructive Spirit would be made powerless and that he himself would save creation from aggression.

(15) Then Ohrmazd chanted the *Ahunvar*, that is, he recited the twenty-one words of the *Yaθā ahū vairyō*: and he showed to the Destructive Spirit his own final victory, the powerlessness of the Destructive Spirit, the destruction of the demons, the resurrection, the Final Body, and the freedom of creation from all aggression for ever and ever. (16) When the Destructive Spirit beheld his own powerlessness and the destruction of the demons, he was laid low, swooned, and fell back into the darkness; even as it is said in the Religion, 'When one third thereof is recited, the Destructive Spirit shudders for fear; when two thirds are recited, he falls on his knees; when the prayer is finished, he is powerless'. Unable to do harm to the creatures of Ohrmazd for three thousand years the Destructive Spirit lay crushed.

(17) I shall now speak of the ideal creation, then of the material.

(18) Ohrmazd, before the act of creation, was not Lord: after the act of creation he became Lord, eager for increase, wise, free from adversity, manifest, ever ordering aright, bounteous, all-perceiving, (19) [First he created the essence of the gods, fair (orderly) movement, that genius by

which he made his own body better] for he had conceived of the act of creation: from this act of creation was his lordship.

(20) And by his clear vision Ohrmazd saw that the Destructive Spirit would never cease from aggression and that his aggression could only be made fruitless by the act of creation, and that creation could not move on except through Time and that when Time was fashioned, the creation of Ahriman too would begin to move. (21) And that he might reduce the Aggressor to a state of powerlessness, having no alternative he fashioned forth Time. And the reason was this, that the Destructive Spirit could not be made powerless unless he were brought to battle. And the interpretation of battle (*kārēčār*) is this, that action (*kār*) must be performed with resourcefulness (*čārōmandīh*).

(22) Then from Infinite Time he fashioned and made Time of the long Dominion: some call it finite Time. From Time of the long Dominion he brought forth permanence that the works of Ohrmazd might not pass away. From permanence discomfort was made manifest that comfort might not touch the demons. From discomfort the course of fate, the idea of changelessness, was made manifest, that those things which Ohrmazd created at the original creation might not change. From the idea of changelessness a perfect will (to create) material creation was made manifest, the concord of the righteous creation.

(23) In his unrighteous creation Ahriman was without knowledge, without method. And the reason and interpretation thereof is this, that when Ahriman joined battle with Ohrmazd, the majestic wisdom, renown, perfection, and permanence of Ohrmazd and the powerlessness, self-will, imperfection, and slowness in knowledge of the Destructive Spirit were made manifest when creation was created.

(24) For Time of the long Dominion was the first creature that he fashioned forth: for it was infinite before the contamination of the totality of Ohrmazd. From the infinite it was fashioned finite; for from the original creation when creation was created until the consummation when the Destructive Spirit is made powerless there is a term of twelve thousand years which is finite. Then it mingles with and returns to the Infinite so that the creation of Ohrmazd shall for ever be with Ohrmazd in purity. (25) As it is said in the Religion, 'Time is mightier than both creations,—the creation of Ohrmazd and that of the Destructive Spirit. Time understands all action and order (the law). [Time is better informed.] Time understands more than those who understand. Time is better informed than the well-informed; for through Time must the decision be made. By Time are houses overturned—doom is through Time—and things graven

shattered. From it no single mortal man escapes, not though he fly above, not though he dig a pit below and settle therein, not though he hide beneath a well of cold waters.'

(26) From his own essence which is material light Ohrmazd fashioned forth the form of his creatures—a form of fire—bright, white, round, and manifest afar. From the material (form) of that Spirit which dispels aggression in the two worlds—be it Power or be it Time—he fashioned forth the form of Vāy, the Good, for Vāy was needed: some call it Vāy of the long Dominion. With the aid of Vāy of the long Dominion he fashioned forth creation; for when he created creation, Vāy was the instrument he needed for the deed. ⟨Then he created the essence of the gods, fair (orderly) movement, that genius by which he made his own body better.⟩

(27) From the material darkness which is his own essence the Destructive Spirit fashioned forth the body of his creation in the form of coal (?), black and ashen, worthy of the darkness, damned as the most sinful noxious beast. From material self-will he fashioned forth the form of Varan (heresy) whose religion is the worse (?); for Varan was needed. Next he created the essence of the demons, evil (disorderly) movement, that genius from which destruction came to the creatures of Ohrmazd: for he created a creation through which he made his own body more evil that (in the end) he might be powerless.

(28) For from material darkness which is the Endless Darkness he created lying speech: and from lying speech the harmfulness of the Destructive Spirit was manifest. [For he created that creation through which he made his own body more evil that he might be powerless.] For from the Endless Darkness he fashioned forth that form and he created his creation within that form: and through his own act of creation he will become powerless.

(29) From material light Ohrmazd created true speech: and from true speech the productiveness of the Creator was revealed. For he fashioned forth the Endless Form from the Endless Light and he created all creation within the Endless Form. The Endless Form is exempt from the passage of Time. From the Endless Form the *Ahunvar* came forth, the genius of the *Yaθā ahū vairyō* through which creation and the end of the world are revealed: this is the Religion. For Religion was created simultaneously with the act of creation. (30) From the *Ahunvar* the Spirit of the Year came forth which is now in a mixed state, half light and half dark, three hundred and sixty-five days and nights, and is a division (dispensation) of Time of the long Dominion. By means of it both creations were set in motion and strove with each other; as it is said, 'The creation of Ohrmazd was

endowed with lordship, authority, orderliness, blissful in the heights; the creation of the Destructive Spirit was endowed with contumacy, rebelliousness, sinfulness, straitened in the depths.'

(31) Ohrmazd became lord over decisions through the Amahraspands. When they had been created, he made three Judges, for they were needed for the material world. In the latter days at the Final Body they shall carry evil away from it. Spiritually he sustains the spiritual creation. The material creation he created in ideal form: then he created it in material form.

(32) First he created the Amahraspands, six originally, then the rest; and the seventh is Ohrmazd himself. Of the material world he created first six (beings) in ideal form; and he himself was the seventh. For Ohrmazd is both spiritual ⟨and material⟩. Material creation is first from the Amahraspands, second from Vāy of the long Dominion.

(33) First he fashioned forth Vahuman by whom movement was given to the creation of Ohrmazd. The Destructive Spirit first created Akōman of the lying word. Of material creatures Ohrmazd first fashioned the sky; and from the goodly movement of material light he fashioned forth Vahuman with whom the good Mazdayasnian Religion dwelt: that is to say Vahuman knew what would befall creation even up to its rehabilitation. Then he fashioned Artvahišt, then Šaθrēvar, then Spandarmat, then Hurdāt, then Amurdāt: and the seventh was Ohrmazd himself. (34) Eighth true speech, ninth the blessed Srōš, tenth Mānsraspand, eleventh Nēryōsang, twelfth the exalted judge Raθwōk Berzait, thirteenth Rašn the just, fourteenth Mihr of wide pastures, fifteenth Aršišvang the good, sixteenth Pārand, seventeenth Sleep, eighteenth the Wind, nineteenth Order (the Law), twentieth Dispute, prosecution and defence, and the fruitfulness of reconciliation.

(35) Of material creation (he created) first the sky, second water, third the earth, fourth plants, fifth cattle, sixth man; the seventh was Ohrmazd himself. And he fashioned forth creation with the aid of Vāy of the long Dominion: for when he fashioned forth Vāy of the long Dominion, it too was as an instrument and needful for the act of creation.

(36) The Destructive Spirit, bent on aggression, first of the demons with monstrous heads fashioned forth Akōman, then Indar, then Sāvul, then Nāŋhaiθ, then Tarōmat, then Tarič and Zēriič, then the other demons: the seventh was the Destructive Spirit himself. Never does he think or speak or do anything that is righteous; nor did he need the good that is in the creation of Ohrmazd;—and the creation of Ahriman did not need the good that is in the creation of Ohrmazd. (37) Ohrmazd does not turn his mind

to anything he cannot do. The Destructive Spirit does turn his mind to what he cannot do and threatens to do it.

(38) The creation of Ohrmazd was fostered spiritually in such wise that it remained without thought, without touch, without movement in a moist state like semen. After this moist state came mixture like (that of) semen and blood; after mixture came conception, like a foetus; after conception came diffusion, such as hands and feet; after diffusion came hollowing—eyes, ears and mouth; after hollowing came movement when it came forward to the light. Even now on earth do men in this wise grow together in their mother's womb, and are born and bred. (39) Ohrmazd by the act of creation is both father and mother to creation: for in that he fostered creation in ideal form, he acted as a mother; and in that he created it materially, he acted as a father.

(40) Concerning the material creation.

(41) When the Destructive Spirit was laid low, unable to act (as I have written above) for three thousand years he lay abject and low. During the period of the powerlessness of the Destructive Spirit Ohrmazd fashioned creation in material form. From the Endless Light he fashioned fire in material form, from fire wind, from wind water, from water the all-solid earth: as it is said in the Religion: 'The first creation of all was a drop of water, for all things arose from water except the seed of man and cattle: for that seed has the seed of fire.'

(42) First he created the sky as a defence. Some call it 'the first'. Second he created water to smite down the Lie of thirst: third he created the all-solid earth: fourth he created plants to help the useful kine: fifth kine to help the Blessed Man: sixth he created the Blessed Man to smite the Destructive Spirit and his demons and make them powerless. Then he created fire, a flame; and its brilliance derived from the Endless Light, a goodly form even as fire desires. Then he fashioned the wind in the form of a stripling, fifteen years of age, which fosters and keeps the water, the plants, and the kine, the Blessed Man and all things that are.

(43) Now I shall describe their properties. First he created the sky, bright and manifest, its ends exceeding far apart, in the form of an egg, of shining metal that is the substance of steel, male. The top of it reached to the Endless Light; and all creation was created within the sky—like a castle or fortress in which every weapon that is needed for the battle is stored, or like a house in which all things remain. The [bottom of the] vault of the sky's width is equal to its length, its length to its height, and its height to its depth: the proportions are the same and fit exceeding well (?). Like a husbandman the spirit of the sky is possessed of thought and speech

and deeds, knows, produces much, discerns. (44) And it received durability as a bulwark against the Destructive Spirit that he might not be suffered to return (to whence he came). Like a valiant warrior who dons his armour that fearless he may return from battle, so does the spirit of the sky keep (don) the sky. And to help the sky, he (Ohrmazd) gave it joy, for he fashioned joy for its sake: for even now in the mixed state creation is in joy.

(45) Second from the substance of the sky he fashioned water, as much as when a man puts his hands on the ground and walks on his hands and feet, and the water rises to his belly and flows to that height. And as helpmates he gave it wind, rain, mist, storm, and snow.

(46) Third from water he created the earth, round, with far-flung passage-ways, without hill or dale, its length equal to its breadth, and its breadth to its depth, poised in the middle of the sky: as it is said, 'The first third of this earth he fashioned as hard as granite(?); the second third of this earth he fashioned of sandstone(?); the third third of this earth he fashioned as soft as clay.' (47) And he created minerals within the earth, and mountains which afterwards sprang forth and grew out of the earth. And to aid the earth he gave it iron, copper, sulphur, and borax and all the other hard substances of the earth except . . . (?) . . ., for that is of a different substance. And he made and fashioned the earth like a man when he tightly covers his body on all sides with all manner of raiment. Beneath this earth there is water everywhere.

(48) Fourth he created plants. First they grew in the middle of this earth to the height of a foot, without branches, bark or thorn, moist and sweet: and every manner of plant life was in their seed. And to aid the plants he gave them water and fire; for the stem of every plant has a drop of water at its tip and fire for (the breadth of) four fingers before (the tip). By the power of these they grew.

(49) Fifth he fashioned the lone-created Bull in Ērānvēž in the middle of the earth, on the banks of the river Vēh Daitē, for that is the middle of the earth. He was white and shining like the Moon and his height was about three cubits. And to aid him he gave him water and plants; for in the mixed state he derives strength and growth from these.

(50) Sixth he fashioned Gayōmart, shining like the Sun, and his height was about four cubits and his breadth equal to his height, on the banks of the river Daitē, for that is the middle of the earth—Gayōmart on the left side, the Bull on the right side; and their distance one from the other and their distance from the water of the Daitē was as much as their height. They had eyes and ears, tongue and distinguishing mark. The distinguishing mark of Gayōmart is this, that men have in this wise been born from

his seed. (51) And to aid him he gave him sleep, the repose of the Creator; for Ohrmazd fashioned forth sleep in the form of a man, tall and bright, and fifteen years of age. He fashioned Gayōmart and the Bull from the earth. And from the light and freshness of the sky he fashioned forth the seed of men and bulls; for these two seeds have their origin in fire, not in water: and he put them in the bodies of Gayōmart and the Bull that from them there might be progeny abundant for men and kine.

(52) These six creations he made in the six *gāsānbār* seasons. In a complete year there are three hundred and sixty-five days or twelve months, each month having thirty days and one month thirty-five. Each day was given the name of an Amahraspand.

(53) Now I shall speak of their properties. First he fashioned the sky in forty days, that is from the day of Ohrmazd in the month of Fravartīn to the day of Āpān in the month of Artvahišt. For five days he rested till the day of Daδv pat Miθr. Those five days are *gāsānbār*: their name is *maiδyōzarm*. And the interpretation of *maiδyōzarm* is this, that the dwellings of man [and the dwellings of Mihr and water] and vegetation were made manifest.

(54) Second he created water in fifty-five days, that is from the day of Miθr in the month of Artvahišt to the day of Āpān in the month of Tīr: for five days he rested till the day of Daδv pat Miθr. Those five days are *gāsānbār*: their name is *maiδyōšam*. And the interpretation of *maiδyōšam* is this, that water was (then) made clear; for at first it was turbid.

(55) Third he created the earth in seventy days, that is from the day of Miθr in the month of Tīr to the day of Art in the month of Šaθrēvar. For five days he rested till the day of Anaγrān. Those five days are *gāsānbār*: their name is *paitišhah*. And the interpretation of *paitišhah* is this, that it was (then) revealed that creatures on earth can walk on foot.

(56) Fourth he created the plants in twenty-five days, that is from the day of Ohrmazd in the month of Miθr till the day of Aštāt: for five days he rested till the day of Anaγrān. Those five days are *gāsānbār*: their name is *ayāsrim*. And the interpretation of *ayāsrim* is this, that leaf and scent and colour of vegetation were (then) made manifest.

(57) Fifth he created cattle in seventy-five days, that is from the day of Ohrmazd in the month of Āpān to the day of Daδv pat Miθr in the month of Daδv: for five days he rested till the day of Varhrān. Those five days are *gāsānbār*: their name is *maiδyāirim*. And the interpretation of *maiδyāirim* is this that he taught his creatures to lay up store for winter.

(58) Sixth he created Man, that is Gayōmart, in seventy days, that is from the day of Rām in the month of Daδv to the day of Anaγrān in the

month of Spandarmat: for five days he rested till the day of Spandarmat. Those five days are *gāsānbār*. Some call them the 'stolen days', some the 'days filched away'. Their name is *hamaspamaiδayam*. And the interpretation of *hamaspamaiδayam* is this, that marching in assembled hosts was made manifest on earth: for the Fravahrs of men came down in assembled hosts. (59) The name of those five days is the Stolen. Some call them the five Gāθic periods, some the good pentad. In the Religion they are *Ahunvait gās*, *Uštavait gās*, *Spantōmēn gās*, *Vahušaθr gās*, *Vahištōišt gās*. The names of the thirty days that form the months are these: Ohrmazd, Vahuman, Artvahišt, Šaθrēvar, Spandarmat, Hurdāt, Amurdāt, Daδv, Ātur, Āpān, Xᵛar, Māh, Tīr, Gōš, Daδv, Miθr, Srōš, Rašn, Fravartīn, Varhrān, Rām, Vāt, Daδv, Dēn, Art, Aštāt, Āsmān, Zāmdāt, Mahraspand, Anaγrān.

(60) Likewise the twelve months are named after Amahraspands: the month of Fravartīn, the month of Artvahišt, the month of Hurdāt, the month of Tīr, the month of Amurdāt, the month of Šaθrēvar, the month of Miθr, the month of Āpān, the month of Ātur, the month of Daδv, the month of Vahuman, the month of Spandarmat. Of the properties of each severally I shall discourse below.

NOTES

(6) 'He fashioned forth such creation as was necessary for the weapon.' The 'weapon' must be the original weapon from which the universe is formed mentioned in PhlRiv. (text Z 7). This weapon which develops from the 'Endless Form' is limited space, the 'body' of limited Time, the universe contained within the firmament; v. Part I, Chapter V.

(19) The passage in square brackets is obviously out of place. It must be inserted in § 26, for the creation of the essence of the gods corresponds to the creation of the essence of the demons in Ahriman's counter-creation.

(20) Cf. DkM. 390. 22: *druž pēš 'hač kanārak-paytākīh i zamān 'pat tarmēnītan ⟨i⟩ dātār 'ut-aš dahišnān nērōk.*—'Before a limit was set to Time, the Lie had the power to despise the Creator and his creations.'

(31) The three Judges are in all probability Mihr, Rašn, and Srōš: v. Part I, p. 102.

Z 2. The third chapter of the *Greater Bundahišn*, p. 30, l. 10 to p. 39, l. 11 in the edition of Anklesaria (for details v. Z 1, introduction). Except for ll. 100–11 (Justi, p. 7, l. 9–p. 8, l. 5) the chapter is missing in the Indian recension and, therefore, also in the Pāzand. The chapter has been transliterated, translated, and annotated by Nyberg in the *Journal Asiatique*, vol. ccxiv, 1929, pp. 228–37 and 295–310. For a discussion of its contents v. Part I, Chapters V and VIII.

(1) *'apar čēγōn⟨īh 'ut⟩ čim i dahišnīh ⟨i⟩ dām 'ō artīk-karīh.* A30

(2) *Ōhrmazd 'nām i 30 amahraspand 'pat 'ān 30 'rōč ētōn 'nihāt 'ku nazdist Ōhrmazd, 'pas 6 amahraspand, 'bavēt 7: 'ut 8-om daδv, 'hast dātār; 'ut 'pas 6 amahraspand, 'bavēt 7; 8-om daδv, 'hast dātār, 'pas 7 amahraspand |*
A31 *'bavēt *8; 9-om daδv, 'hast dātār. 'ut 'pas 7 amahraspand, 'bavēt 8. čēγōn*
6 *'nām i 'χᵛēš 'pat 4 gyāk 'andar māhīkān passāχt,—Ōhrmazd 'ut 'ān i 3 daδv ⟨i⟩ ēvak 'nām: ēvak gās 'ut ēvak dēn 'ut ēvak zamān 'kē hamē 'būt 'hēnd.*

(3) *'kaδ ganāk mēnōk 'ō pityārak mat, Ōhrmazd Zamān i dērang-χᵛatāy brēhēnīt 'pat 'mart karp i 15 sālak, rōšn, spēt-dōisr, buland, amāvand 'kē-š*
10 *amāvandīh 'hač hunarāvandīh, 'nē 'hač dužīh 'ut stahmakīh.*

(4) *'ut-aš 'χᵛat patmōčan i spēt patmōχt, 'ut brēh i āsrōnīh dāšt; 'čē hamē dānākīh 'apāk āsrōnān 'kē 'ō 'kasān nimūtār, 'har 'kas hač-iš hamōχtār 'hēnd. Ōhrmazd-ič χᵛēškārīh dām-dahišnīh 'būt; dām 'pat dānākīh šāyēt 'dāt. 'ēt rāδ brahmak i dānākān patmōχt, 'hast āsrōnīh.*

15 (5) *Vāy i 'vēh yāmak i 'zarrēn sēmēn gōhr-pēsīt 'ut *arγavān 'vas-rang patmōχt, brahmak i artēštārīh ⟨dāšt⟩; 'čē 'apar raftār 'hač 'pas ⟨i⟩ dušmanān*
A32 *'pat pityārak zatan, dām pānakīh kartan; čēγōn 'gōβēt | 'ku Vāy 'ān i 'andar 'har 'dō dām pityārak 'bē 'barēt, χᵛēškārīh, *'kē-š 'dāt spēnāk mēnōk, 'kē-ič ganāk mēnōk, — 'pat 'ēn 'ku artīk 'sar 'bē 'kunēt, dām i Ōhrmazd hamē*
20 *aβzāyēt, 'ān i ganāk mēnōk āβsihēnēt.*

(6) *'hač Zamān brēhēnīt Spihr i Zurvān i dērang-χᵛatāy tan, nēvak baγ [i] baχtīh; 'ut-aš patmōčan i χšēn patmōχt, brahmak i vāstryōšīh dāšt: 'čē-š nēvak baχtārīh ⟨i⟩ gēhān χᵛēškārīh, ōγōn čēγōn vāstryōšān gēhān varzītan, passačakīhā 'bē dātan.*

25 (7) *čēγōn Ōhrmazd miyān ⟨i⟩ 'har 6 amahraspand dām i 'χᵛēš *passāχt, dahišn-*ič i* mēnōk 'ut gētēh 'pat ham-aδvēnak 'dāt, čēγōn mēnōk Ōhrmazd 'ut 'ān 6 amahraspand, Vahuman, Artvahišt, Šaθrēvar, Spandarmat, Hurdāt, Amurdāt, ētōn-ič āsmān 6 *pāδak i nazdist aβr-pāδak, ditīkar spihr i aχtarān, sitīkar star i agumēčišnīh, 4-om vahišt,—māh 'pat 'ān pāδak 'ēstēt,—*
30 *pančom garōδmān 'kē anaγr [i] rōšn 'χᵛānīhēt,—χᵛaršēt 'pat 'ān pāδak 'ēstēt,*
A33 *— | šašom gās i amahraspandān, haftom asar rōšnīh, gās ⟨i⟩ Ōhrmazd.*

(8) *ōγōn ič dām i gētēh *7 brēhēnīt, nazdist āsmān, ditīkar 'āp, sitīkar zamīk, čahārom urvar, pančom gōspand, šašom martōm, 'ut haftom ātaχš 'kē brēh 'hač asar rōšn, gās i Ōhrmazd. 'ut-aš ātaχš 'andar harvisp dahišn ētōn 'bē parkand,*
35 *frāč brēhēnīt, čēγōn katak-χᵛatāy-ē 'kaδ 'andar χānak 'šavēt, yāmak i 'andar χānak χᵛap 'apāč 'nihāt . . . 'ut-aš framūt 'ō ātaχš 'andar aβigatīh parastak i martōm kartan, χᵛarišn sāχtan 'ut dart zatan. 'kaδ 'hač 'čiš 'čiš 'bē vazēn⟨ēn⟩d, bērōn 'āyēt; 'kaδ 'ēsm 'apar 'nihēnd, frāč 'gīrēt.*

(9) *'ut-aš harvisp amahraspandān 'pat ham-kārīh artīk-karīh ⟨i⟩ dām ētōn*
40 *gumārt ēstēnīt 'ku 'kaδ aβigat āmat, 'har 'kas 'ān i χᵛēš hamēmāl 'pat kōχšišn frāč 'graft, 'ku nōk framān 'andar 'nē apāyēt.*

(10) *'ut-aš čēγōnīh frāčtar 'gōβam.*

(11) *fratom 'hač mēnōkān Ōhrmazd | ['ān 3 daδv], 'ut-aš 'hač gētēhān bun* A34
martōm 'ō 'χ^{v}ēš 'graft. 'ut-aš ham-kār 'ān 3 daδv: ēvak gās 'ut ēvak dēn 'ut
ēvak zamān, visp dē 'nām 'kē 'hast mēnōk ⟨i⟩ harvisp [ākās 'ut-aš martōm 'ō 45
*'χ^{v}ēš 'graft] dahišn hač-iš. martōm 'pat 5 *bažišn frāč 'dāt, tan 'ut ǰān 'ut*
ruvān 'ut aδvēnak 'ut fravahr; čēγōn tan 'ān i gētēh; 'ut ǰān 'ān i 'apāk vāt
patvast 'ēstēt, vēn 'āβarišn barišn; ruvān 'ān i 'apāk bōδ 'andar tan 'āšnavēt,
'vēnēt, 'gōβēt, 'dānēt: aδvēnak 'ān i 'pat χ^{v}aršēt pāδak 'ēstēt: fravahr 'ān i 'pēš
i Ōhrmazd χ^{v}atāy: 'pat 'ān čim ētōn brēhēnīt 'ku 'andar aβigatīh 'martōm 50
'mīrēnd, tan 'ō zamīk, 'ǰān 'ō vāt, aδvēnak 'ō χ^{v}aršēt, ruvān 'ō fravahr patvast,
*'ku *'dēvān ruvān marnǰēnītan 'nē tavān 'bavāt.*

(12) *ditīkar 'hač mēnōkān Vahuman. 'ut-aš 'hač gētēhān dahišn gōspand*
sarδakān 'ō 'χ^{v}ēš patiγraft. 'ut-aš 'dāt 'ō aδyārīh ham-kārīh Māh 'ut Gōš 'ut
Rām 'ut | Spihr i χ^{v}atāy ⟨'ut⟩ Zurvān i akanārak 'ut Zurvān i dērang-χ^{v}atāy. A35
*'ut-aš gōspand 'pat panč *bažišn frāč brēhēnīt,—tan, ǰān, ruvān, aδvēnak,* 56
mēnōk: 'ku ['tāk] 'andar aβigatīh Gōšurvan tōhmak i gōspandān 'hač māh
pāδak patiγraft, 'pat aδyārīh i Rām i 'vēh 'andar gēhān ravākēnīt. 'kaδ
'mīrēnd, tan 'ō Gōšurvan, ruvān 'ō Rām, aδvēnak 'ō māh, mēnōk 'ō Vahuman
*patvast, 'ku *dēvān 'bē marnǰēnītan 'nē tavān bāt.* 60

(13) *sitīkar 'hač mēnōkān Urtvahišt. 'ut-aš 'hač dahišn i gētēh ātaχš 'ō*
'χ^{v}ēš 'patiγraft. 'ut-aš 'dāt 'ō aδyārīh ham-kārīh Ātur 'ut Srōš 'ut Varhrān 'ut
Nēryō(k)sang, 'pat 'ān čim 'ku 'andar aβigatīh Varhrān ātaχš 'andar mān
**nišāst vīnārt, drupuštīh 'dahēt, Srōš pānakīh 'kunēt; 'kaδ 'bē azrōβēt, 'hač*
Varhrān 'ō Srōš, 'hač Srōš 'ō Ātur, 'hač Ātur 'apāč 'ō Artvahišt patvast, 65
'ku 'dēvān 'bē marnǰēnītan 'nē tavān 'bavāt.

(14) *čahārom | 'hač mēnōkān Šaθrēvar. 'ut-aš 'hač dahišn ⟨i⟩ gētēh ayō(k)-* A36
χšust 'ō 'χ^{v}ēš 'graft. 'ut-aš 'dāt 'pat aδyārīh ham-kārīh X^{v}ar, Miθr, Āsmān,
Anaγrān, Sōk i 'vēh, Ar(k)dv⟨ī⟩-sūr, Hōm yazat, Burz yazat 'ut Dahmān
*Āfrīn. 'čē ayō(k)χšust ōstuvārīh 'hač āsmān; āsmān bun gōhr [i] *gēn ayō(k)-* 70
χšust. 'ut-aš vīnārišn 'hač Anaγrān. Anaγrān andarag rōšn mān i 'zarrēn
*gōhr-pēsīt *'ut 'ul 'ō gās i amahraspandān patvast 'ēstēt, 'ku 'pat 'ēn ham-*
kārīh 'dēvān 'andar aβigatīh ayō(k)χšust ōvēn kartan 'nē tavān 'bavāt.

(15) *pančom 'hač mēnōkān Spandarmat. 'ut-aš 'hač dahišn i gētēh zamīk 'ō*
'χ^{v}ēš patiγraft. 'ut-aš 'dāt 'ō aδyārīh ham-kārīh Āpān, Dēn, Art, Mahraspand 75
*'ut Aršišvang 'ut Ar(k)dv⟨ī⟩-sūr i anāhīt: čēγōn *Aršišvang mēnōk i yōšdāsr-*
gar i zamīk, āpān, tōhmak. 'ut-aš pēš Mahraspand, Mānsraspand, gōβišn i
Ōhrmazd. 'ut Art 'ut Dēn 'andar 'χ^{v}arr [i] mān 'hast. | 'hač Aršišvang 'gōβēt, A37
*—'χ^{v}arr i vahištīk *artāyīh. Ar(k)dv⟨ī⟩-sūr *i anāhīt 'pit 'ut 'māt i āpān. 'pat*
'ēn ham-kārīh 'andar aβigatīh vīnārt 'ēstēt. 'ut 'ēn mēnōkān ⟨i⟩ hamkār 80
'χ^{v}arr nikās 'dārēnd.

(16) *šašom 'hač mēnōkān Hurdāt. 'ut-aš 'hač dahišn i gētēh 'āp 'ō 'χ^{v}ēš 'patiyraft. 'ut-aš 'dāt 'ō aδyārīh ham-kārīh Tīr 'ut Vāt 'ut Fravartīn,—čēγōn Tīr Tištar,—'ku 'andar aβigatīh 'ān 'āp 'pat aδyārīh ⟨i⟩ Fravartīn,—'hast i*
85 *Fravahr i ahrovān,—'stanēt, mēnōkīhā 'ō Vāt aβspārēt: Vāt 'ān 'āp 'nēvīhā 'ō kišvarīhā rāδēnēt, vitārēt. 'pat aβr aβzār 'apāk ham-kārān vārēnd.*

(17) *haftom 'hač mēnōkān Amurdāt. 'ut-aš 'hač dahišn i gētēh urvar 'ō χ^{v}ēš patiyraft. 'ut-aš dāt 'ō aδyārīh ham-kārīh Rašn 'ut Aštāt 'ut Zāmdāt, 3 'χ^{v}arr i 'ōδ 'pat čīnkār puhr, 'kē ⟨'andar⟩ aβigatīh ruvān i martōmān 'pat*
90 *nēvak 'vat kart āmārēnd.*

(18) *'an amar mēnōk i dām 'pat 'avēšān ham-kārīh vīnārt 'ēstēnd, čēγōn 'ān*
A38 *i 'andar Spihr | aχtarān rāδ nipišt.* (19) *'ut-aš *'rōč-ič i 'andar *māhīkān 'har ēvak 'pat 5 hangām baχt, 'har hangām-ē mēnōk-ē pat-iš gumārt, čēγōn bāmdāt gās [i] Hāvan mēnōk, nēmrōč gās Rapiθwin mēnōk, aδβārak gās [i] Uzayarin*
95 *mēnōk, apātyāβān ⟨gās⟩ Aiwisrū(k)srim mēnōk, Ušahin gās Ušahin mēnōk χ^{v}ēšīh 'dārēnd. 'ut-aš 'avēšān-ič 'pat ham-kārīh 'baχt 'hēnd; 'čē-š Hāvan 'ō Miθr, 'ut Rapiθwin 'ō Artvahišt, Uzayarin 'ō Burz yazat, Aiwisrū(k)srim 'ō ahrovān Fravahrān 'ut Varhrān, Ušahin 'ō Srōš 'ut Rašn 'pat ham-kārīh vīnārt.* (20) *'čē-š 'dānast 'ku 'kaδ aβigat 'rasēt, 'rōč 'pat 'ēn 5 hangām 'baχš-*
100 *īhēt: 'tāk 'pēš 'kaδ aβigat mat, hamēšak nēmrōč 'būt, 'hast Rapiθwin. Ōhrmazd 'apāk amahraspandān 'pat Rapiθwin* gās *mēnōk i yazišn frāč sāχt. 'andar yazišn kunišn dām hamāk 'bē 'dāt.* (21) *'apāk bōδ Fravahr i martōmān uskārt;*
A39 *χrat i harvisp-ākās 'pat martōmān frāč 'burt, | guft 'ku katār-tān sūtōmandtar 'sahēt, 'kaδ-tān 'bē 'ō gētēh brēhēnam 'ut tan-kartīhā 'apāk druž 'bē kōχšēt, druž 'bē aβsihēnēt, 'ut-tān 'pat fražām druvist anōšak 'apāč vīrāδēm, 'ut-tān 'apāč 'ō gētēh 'daham, *hamayīkīhā amarg, azarmān, apē-hamēmāl 'bavēt, ayāp-tān hamayīk pānakīh ⟨i⟩ aβigat apāyēt kartan.* (22) *'ut-šān 'dīt Fravahr i 'martōmān 'pat 'ān i χrat i harvisp-ākās anākīh 'hač druž 'ut Ahriman 'andar gētēh pat-iš 'rasēt, aβdom apē-hamēmālīh 'hač pityārak, druvist anōšak 'apāč 'bavišn-*
110 *īh 'pat tan i pasēn 'tāk hamē hamē ravišnīh rāδ, 'pat 'šutan* 'ō gētēh hamdātastān 'būt *'hēnd.*

NOTES

l. **1.** *čēγōn⟨īh 'ut⟩: čēγōn* TD$_2$, DH.: om. P.
artīk-karīh: artīk-garīh P.

l. **2.** *'nām: dām* P.
nazdist: NZSTW TD$_2$. The different spellings of this word will no longer be noted: cf. Z 1, l. 99 n.

l. **3.** *8-om*: so P., DH.: *7-om* with *8-om* in margin TD$_2$.

l. **5.** **8: 9* DH.: om. TD$_2$, P.
9-om daδv . . . amahraspand, 'bavēt: om. P.

8 : 8-om P.
čēγōn : čēγōn-aš P.

l. **6.** *māhīkān : 'māhīkān* DH.: *'māhīkān-ē* ( ) P.

After *daδv* P. adds *čēγōn*. For the punctuation and interpretation of this passage v. l. 44 n. and Chapter VIII. After *'nām* P. adds *i*.

l. **8.** *pityārak : patyārak* (*PT"LKW̲*) P. This unimportant variant will no longer be noted.

l. **9.** *brēhēnīt : frāč brēhēnīt* P.
karp: so P., DH.: *tan* TD_2.
15 P., DH.: *5* TD_2.
dōisr : DWYSLW̲Y TD_2, DH.: *DW'SL* P. The word is a mechanical transcription of Av. *dōiθra-*.
buland : i BLD̲ P.

l. **10.** *hunarāvandīh* P.: *hunarāvand-aš* TD_2, DH.

l. **11.** *patmōčan i* P.: *PTMWČND̲* TD_2, DH.
brēh : BL'Y TD_2, DH.: *BL'H* P. *brēh* in the sense of 'character' is attested DkM. 220. 21: *χēm 'ut hōk 'ut brēh*. PhlTexts, p. 26, § 13: *brēh i moγ-martīh* 'the character of a Magian'. Nyb. on the analogy of ll. 16 and 22 emended to *brahmak*; but the emendation is not strictly necessary as both words are capable of having the desired meaning 'character'. I have therefore kept *brēh* in accordance with the MSS. *brēh* 'character' is best regarded as a development of *brēh* 'stature' <base *brāy-*, *brī-* 'cut'. Cf. text Z 1, l. 113 n.
āsrōnīh : 'SLNYH P.

l. **12.** *'kasān*: MSS. ס̈נ̈ס̈ for ס̈ס̈ס̈.
hamōχtār: for the passive sense of agent nouns in *-tār* cf. NP. *giriftār* 'prisoner'.

l. **14.** *brahmak*: has the meaning (i) 'robe' as here, (ii) 'manner', (iii) 'character', so ll. 16, 22; cf. Zs. 32. 1: *'ān aδvēnak dānišn tavān-nērōkīh, 'ut masīh, χ^{v}ēškārīh 'ō 'ān i 'avē ruvān patvandēnd, 'ut-aš pat-ič mēnōk ham-brahmakīh pat-iš 'bavēt*.—'The same kind of knowledge, master-craft, enterprise, and occupation will accompany the soul, and in the spiritual world it will have the same character.' v. further BSOS. ix, p. 311 and Henning, *Transac. Philolog. Soc.*, 1945, pp. 108–18, where the question receives very full treatment.

l. **15.** *Vāy : W'Y* P.: *W'B* TD_2, DH. Vāy must be taken as the subject, as the parallel passages Z 11 and Z 12 show. It is Vāy who dons the many-coloured garment which is his essence (Z 11), not Ohrmazd who dons Vāy, as Nyberg erroneously translated. Ohrmazd dons one garment only, that of the priests, and that is emphasized by the use of *χ^{v}at* in l. 11. The distinction is, then, between 'he (Ohrmazd) *himself* . . .' on the one hand and Vāy (who dons the garment of the warriors) and Spihr (who dons that of the husbandmen) on the other. Moreover, there is no pronoun in the whole sentence which could stand for Ohrmazd: if the intended subject were Ohrmazd, then such a pronoun would necessarily be employed, and the sentence would in all probability start with *'ut-aš*. When Widengren (*Hochgottglaube*, p. 297) draws a distinction between the robe of the warriors as it

appears in DkM. l.c. and the same in this passage, his whole argument is based on a mistranslation. In both passages the garment belongs to Vāy: Ohrmazd dons only the garment of the priests. Fortunately Wikander (*Vayu I*, p. 27) has already corrected this error.

'zarrēn : ZYBYNW̲ P.

pēsīt P.: *pēšīt* TD_2, DH.

**aryavān* (*W'LGWWK'N* MSS.): as in NP. 'judas-tree' and the colour of its blossom. I owe the suggestion to Professor Henning. The parallel passage (text Z 11) gives the basic colour of Vāy's garment as 'red' (*suχr*): we therefore require a synonym for 'red' or similar colour. *aryavān* fits well and seems more satisfactory than either Nyberg's **ālgōnakān* or Wikander's *har-gōnakān* (*Vayu I*, p. 29) which is tautologous.

rang: so clearly P. (*LNG*): *LNY̲* (*rōy*) TD_2. Nyberg has accepted the latter, translating 'toutes sortes', but it is doubtful if *rōy* (*rōδ*) can be used in the sense of 'manner'. 'Colour' is clearly more suitable.

l. 16. *brahmak i artēštārīh ⟨dāšt⟩*: for *artēštārīh* P. has *artēštār i*. The addition of *dāšt* is demanded by the parallel ll. 11 and 22. For *brahmak* in the sense of character cf. l. 14 n.

'hač : 'čē P.

l. 17. *Vāy : W'Y* P.: *W'B* TD_2, DH.

l. 18. *pityārak* P.: *pityār* TD_2, DH. The passage is based on Yt. 15. 44. Cf. Nyb., p. 295.

**'kē-š : 'čē-š* MSS.

l. 19. *'pat 'ēn 'ku*: TD_2 and DH. add *'kē*.

l. 20. *aβzāyēt : 'PZ'TW̲* P.

l. 21. *'hač Zamān : 'hač dāmān* P.: *'kē zamān* TD_2, DH.

brēhēnīt P.: *brēhēnišnīh* TD_2, DH.

Spihr i Zurvān i dērang-χᵛatāy tan, nēvak bayγ-baχtīh : Spihr 'ut Zurvān dērang-χᵛatāy tan bayγ i baχtīh TD_2: *Spihr 'ut Zurvān* [illegible] *i baχtīh* DH. (if I have correctly understood Anklesaria's note, p. 9): *Spihr i WZWLWW'K 'būt nēvak baχtīh* P. No individual MS. reading is satisfactory, but the text can be restored (i) by the comparison and rearrangement of the MSS., and (ii) by comparison with DkM. 350. 1 (text Z 10). *tan*, though only found in TD_2, must be kept: for the reading of DH. is corrupt, and plainly represents *⟨dēran⟩g-χᵛa⟨t⟩āy tan*: the *'būt* (ט״״״ו) of P. is merely a clumsy attempt on the part of the scribe to correct the unintelligible ו״״ט of DH. into an intelligible form. *Spihr i . . .* is to be read rather than *Spihr 'ut Zurvān i dērang-χᵛatāy tan* since we find in DkM. l.c. that Spihr is spoken of as *fratom tan* 'the first body'. Thus we must translate here 'Spihr, the body of Zurvān of the Long Dominion', and take *bayγ-baχtīh* in apposition to *spihr* whose function it is to distribute good and bad fortune on earth; v. the following sentence and text Z 3. That only one entity is here described is proved by the singular *'ut-aš* of the following sentence. Nyb., however (whom Wikander follows), preferred to read *spihr u zurvān ⟨i⟩ dērang-χᵛatāi, tan, bayē-baχtīh*, 'le firmament étoilé, Zurvān à la longue domination, le corps (universel) et le Sort'. The difficulty of the following *'ut-aš* he avoided by referring it to Ohrmazd in spite of the fact that there is no direct reference to that deity in what directly precedes. Another grave objection to his interpretation is the use of *tan* in the sense of 'universal body'. To express so

pregnant an idea a qualifying adjective is indispensable. With the rejection of Nyb.'s translation, his tetrad *Spihr*, *Zurvān*, *tan*, and *bayē-baχtīh* (CCM. 1931, pp. 60, 109) must disappear. Against Nyb.'s assumption that Ohrmazd himself wore the garment here described, we must—in addition to the grammatical difficulties already referred to—object that in our text Z 12 the third garment belongs to the *bayān* 'constellations', corresponding, clearly, to the *bay-baχtīh* of this passage. It should further be observed that *bay-baχt* is used as an epithet of Harburz, itself identical with the sky.

l. 22. *χšēn : XŠ'NW* P.: *χšēnēn* DH., TD_2.
vāstryōšīh : W'SLTLYWŠYH DH.

l. 23. *vāstryōšān : 'STLYWŠ'NW* DH.
passačakīhā : passāčakīhā P.

l. 25. **passāχt : PSXTW* P. [illegible] TD_2, DH. which Nyb. took as *-ič *givaχt* < *vi-bag-*.

l. 26. **-ič i* : *Y Č* P.: *'čē* TD_2, DH.

l. 27. *Urtvahišt : 'WRTWHŠTW* TD_2, DH.: *'WRTHŠTW* P.
Spandarmat : SČDRMTW P.: *SČYNNTMTW* DH.

l. 28. *ētōn-ič : ētōn* P. *āsmān : 'SYM'NW* DH.: *'S'M'N* P.
**pāδak*: [illegible] MSS.
aβr-pāδak : aβr-P'HK P. For *pāδak* in ll. 29 and 30 P. has the same reading.

l. 30. *'ēstēt* P.: *'ēstāt* TD_2, DH.

l. 32. **7 : 6* MSS.
āsmān : 'S'M'NW P.

l. 33. *šašom : ŠŠWWM* P. (so also in ll. 31 and 82).
brēh : BL'Y TD_2, DH.: *BL'H* P.

l. 33. *'andar*: om. P.
parkand : PLYKND P. Nyb. reads *frakand*.

l. 35. *čēyōn katak-χ^{v}atāy-ē 'kaδ*, &c.: the sentence as it stands construes perfectly, but the point of the simile is far from apparent, the similarity between Ohrmazd scattering the fire throughout the world and a householder putting away his clothes being, to say the least, obscure. We must, therefore, assume that the end and point of the simile have been lost, and accordingly leave a *lacuna*. The simile clearly ends at *'nihāt* as the appearance of *aβigatīh*, the technical name for Ahriman's malignant attacks, shows. Nyb.'s treatment of the passage which failed to recognize that the simile—or what is left of it—ends at *'nihāt*, is unsatisfactory in that it introduces too many words of uncertain form and meaning, and resorts to a wholesale transposition of the text.

l. 36. *χānak* (*i*) P.: om. TD_2, DH.
aβigatīh P., DH.: *aβigat* TD_2.
parastak: the meaning, from the context, certainly is 'service'. Should we, therefore, emend to *parastišn*?

l. 37. *'kaδ : 'MT* P.: *'MWT* TD_2, DH.
'čiš 'čiš: *'čiš* P.

l. 38. *vazēn⟨ēn⟩d*: this seems to be the best reading, with haplography of *ēn*, meaning 'cause to move', then here 'kindle'. Equally well we may read **čīnēnd* 'they heap up':

cf. Andreas–Henning, MirMan. ii, p. 28, l. 11, *'n hym 'dwr 'i čyyd zrdrwšt.*—'I am the fire which Zoroaster heaped up'.

l. 39. *artīk-karīh : artīk-gārīh* P.

l. 40. *gumārt : gumartan* P.
ēstēnīt: so P.: *ēstānīt* TD_2, DH.
āmat : mat P.
kōχšišn DH.: *KWXŠ'ŠNW̲* TD_2: *KXŠŠNW̲* P.

l. 41. *'graft* P.: and so corrected from *'gīrēt* in TD_2.

l. 43. [*'ān 3 daδv*], *'ut-aš*: om. P. P. is probably right in omitting *'ān 3 daδv*. The *daδvs* are the *ham-kārān* of Ohrmazd, just as Māh, Gōš, &c., are the *ham-kārān* of Vahuman (so also the other Amahraspands). In the case of the six other Amahraspands the *ham-kārān* are not mentioned in the initial sentence; and we may, therefore, safely follow P. and ignore the *3 daδv* in this context.
'hač gētēhān . . . 3 daδv: added above the line in DH.
bun : BND P.

l. 44. *'ō 'χ^{v}ēš* P.: *'ut 'hač 'χ^{v}at* TD_2, DH.
gās 'ut: *gās i* P.

ēvak gās . . .: the passage in ll. 45–6 bracketed in our text is missing in P. and written above the line in DH. TD_2 alone has the offending passage written in the text. There can be no doubt that the reading of P. is right because (i) there is nothing in the parallel passages dealing with the activities of the remaining Amahraspands which in any way corresponds to the extra words in TD_2, and (ii) the words *'ut-aš martōm 'ō 'χ^{v}ēš 'graft* are obviously a tardy correction in TD_2 of the wrongly written *martōm 'ut 'hač 'χ^{v}at 'graft* in the preceding line: in that passage, too, P. gives the only correct reading. *ākās*, which is also missing in P., must then be regarded as an addition on the part of the scribe whose familiarity with the phrase *harvisp-ākās* 'omniscient' led him into error. The reading of P. *'kē 'hast mēnōk ⟨i⟩ harvisp dahišn hač-iš*, 'That is the spirit from whom all creation (arises)', gives a useful clue to the reading of [illegible] (TD_2, [illegible] DH, [illegible] P.). Since the relative clause has a singular verb, we must look for a singular noun in the problematic word: further, since the noun concerned is described as 'the spirit from which all creation arises', we are entitled to look for a word meaning 'creator'. Again in ll. 6–7 we have met the three *Daδvs* who were there described as having one name (*'nām* = *ŠM*). It seems probable, therefore, that here the [illegible] occurring at the end of the disputed word represents *ŠM- 'nām*. The beginning of the word can scarcely be anything but *visp* 'all'; and we are then left with the signs [illegible] which can easily be interpreted as *dē* (*DYY*), that is the later and therefore more comprehensible form of *daδv* 'creator'. This interpretation seems satisfactory in that it supplies a singular noun for the *'hast* of the relative sentence, and that the relative sentence gains additional point by serving as an explanntory clause to *dē*, the original meaning of which can scarcely have been generally understood at the time of the writing of the Bd. I have read *ēvak gās*, &c., as a separate sentence ('one is Space . . .') rather than as a series of compound adjectives ('of one rank . . .', so Nyb.), first because only so does *visp* cease to be superfluous, and secondly because it seems most unlikely that the author should not reveal the identity of the 'creators' who are the helpers of Ohrmazd, though he carefully enumerates the helpers of the six lesser Amahraspands. For a full discussion of the problems involved the reader is referred to Part I, Chapter VIII.

Against my interpretation of [illegible] a Pāz. form *vīspaesąm* (Pāz. Texts, p. 358. 4) should be noted. The Pāz. passage is, however, horribly corrupt.

l. **45.** *'kē*: repeated in DH.

l. **46.** **bažišn*: MSS. *BWČŠNW* (*bōžišn*), but the insertion of an otiose *Wāw* is so common in Phl. as to deserve no comment. The context clearly demands 'part', not 'redemption'. Nyb., however, translates: 'il créa pour l'homme la rédemption par cinq (forces)'. 'Pour l'homme', however, would necessarily be *martōm rāδ* or at least *'pat martōm : martōm* alone is not enough. Cf. Bailey, *Zoroastrian Problems*, p. 92, in support of our interpretation.

l. **47.** *'apāk vāt . . . bōδ 'andar tan*: om. P., substituting only *B'Y 'andar tan.*
vēn: 'breath' v. Bailey, BSOS. vii, p. 83. Nyb. reads the excessively archaic *vayū*.

l. **48.** *bōδ* DH.: *BWWD* TD_2.

l. **49.** *'vēnēt*: om. P.
pāδak : P'HK P.

l. **50.** *čim* (*ČYM*) TD_2: *ČM* P., DH.

l. **51.** *zamīk*: om. P.
vāt: P. has *WYSTW* with *WW'TW* written above it.

l. **52.** **'dēvān*: MSS. have *-šān*, but v. the parallels ll. 66, 73.
marnǰēnīt(*an*) P.: *MLWYNNYTNW* TD_2, DH.
'bavāt: *'bavēt* P.

l. **53.** *dahišn* P.: *daχšak* TD_2, DH. In the parallel passages ll. 61, 67, 74, 82, however, *dahišn* always occurs.

l. **55.** First *Zurvān : WZLWN* P.
Second *Zurvān : ZWWLWN* P.

l. **56.** *panč : 5* P.
**bažišn : BWČŠNW* MSS. v. l. 46 n.

l. **58.** *pāδak : P'HK* P.
patiγraft TD_2: *'patiγraft* DH.: *'patīrēt* P.
aδyārīh P., DH.: *aδyār* TD_2.
'vēh : Š'PYL DH.
ravākēnīt P.: *ravāgēnīt* TD_2.

l. **60.** **'dēvān : -šān* P.: *daχšak* TD_2, DH. Cf. l. 53 n.
bāt TD_2: *'bavāt* DH.: *'būt* P.

l. **61.** *Urtvahišt : 'WRTWHŠTW* TD_2, DH.: *'WRTHŠTW* P.

l. **62.** *'patiγraft : 'patīrēt* P.
Varhrān : Varhrām P.

l. **63.** *Nēryō(k)sang : Nērōksang*, *'ut-aš* P.
Varhrān : Varhrām P.

l. **64.** **nišāst : nišast* TD_2, DH.: *ŠSTNW* P.
'dahēt : 'dāt P.
pānakīh : pānak i P.
azrōβēt (*'ZLWPYTW*) P.: *MLWPYTW* TD_2, DH. <*uz*+**raup-* whence NP. *ruftan* 'sweep'. Meaning, 'extinguish, destroy'. The more usual form is *zruftan*, *zrōβ-*, cf. DkM. 407. 1 : *visāndak 'ut zruftak 'ut sūtak*, 'scattered, destroyed, and worn

away'. Ibid. 295. 17: *'ku . . . āsn-χrat i pat-išān 'hač zruftakīhā i aδar ['ut] varan hangēžēnāt.*—'That he might raise up the innate wisdom within them from the ruins under lust.' Again l. 22 on the same page. Ibid. 435. 12: *nihānīk zruftakīh.* Ibid. 454. 14: *zruftakīhā.* For the form *azruftan* cf. ibid. 90. 14: *ātaχš 'hač vāt čērīh *azruft ('ZWL'PTW)*—'The fire is extinguished by the violence of the wind.' Ibid. 293. 13: **azrōβēnd 'ut nikōnēnēnd.*—'They destroy and humble.'

l. 65. *Varhrān : Varhrām* P.
Artvahišt : 'WRTHŠTW P.

l. 66. *'dēvān*: P. and DH. have one more ـــ than TD_2. This variant is too common and has too little significance to be of any importance: it will therefore not be further noticed.
marnǰēnītan : MLNČWYNNYTNW TD_2, DH.: *MLNČYNYT* P.

l. 68. *aδyārīh : 'YYB'LYH* P.: *'YYYB'LYH* TD_2, DH.
Āsmān : 'S'M'NW P.

l. 70. *Āfrīn : 'PLYNW* TD_2, DH.: *'PRYNW* P.
ōstuvārīh : 'WSTWB'LYH TD_2, DH.: *'WSTB'LYH* P.
Second *āsmān*: om. P.

**gēn*: TD_2 has ـــ, thereby indicating the letters *G* and *Y*. P. omits. I read *gēn* on the analogy of PhlRiv. 46 (text Z 7), §§ 4 and 8 *kēn*, which would appear to be an abbreviated form of *āpakēnak* 'crystal': cf. NP. *gīneh* in the same sense. For a full discussion of the question v. Bailey, *Zoroastrian Problems*, pp. 129–34.
ayō(k)χšust : ayō(k)χšustēn P.

l. 71. *'zarrēn (ZHB'YNW)* TD_2, DH.: *ZHB'TW* P.
l. 72. *pēsīt : PYŠTW* TD_2, DH.: *PYST* P.
**'ut :* MSS. *i.*
'ō P.: om. TD_2, DH.

l. 73. For *ayō(k)-* P. has *'andar k-*.
ōvēn: the spelling of this problematic word is always ـــ, which suggests the pronunciation *ōvēn*: this will then be derived from **ava-vanya-*, and will be compared with MPT. *wnybwṭ* 'annihilated' (Henning, BSOS. ix, p. 89) and *wnywdyh* (ibid.), the latter corresponding closely to Phl. *ōvēn-būtīh* 'annihilation': cf. Nyb. *Glossar*, s.v. *avin* and *avin-būtīh*. The reading *avēn* 'unsichtbar' adopted by Nöldeke (*Bezzenbergers Beiträge*, iv. 41) but contested by Salemann (*Grundriss der iranischen Philologie*, i, p. 322) is unsatisfactory in that that word occurs DkM. 263. 22 in the spelling ـــ, and means not 'invisible' but 'blind'. Both forms *avēn* and *avin* (so Nyb. <*vind-* 'find'), however, would seem to be precluded by the verbal form ـــ, Mχ. 16. 12: *zanišn 'ut ōvēnišn*, 'striking and annihilating'. Such a form, if it were a denominative to *avēn* or *avin*, would necessarily be *avēnēnišn, avinēnišn*. If, however, it is derived from **ava-vanya-*, it presents no difficulty.
With this word must be connected ـــ = *ōvēnītan*. In the two following instances it is exactly parallel to Mχ. l.c. DkM. 557. 13: *'nē 'zanišn 'ut-aš 'nē ōvēnišn*, and on the same page, l. 16: *'zanēt ayāp ōvēnēt*. Ibid. 512. 1: *'ān i vināskār 'pat vināš 'nē ōvēnītan*, 'not to kill a sinner on account of his sin'. Cf. ibid. 567. 15: *aβsōs 'ut ōvēnišn 'ut panīh*, 'sorcery, murder, and avarice'.
For *ōvēn* FrPhl. gives ـــ which can be read as *ēvēn* <**abi-vanya-*.

l. 74. *Spandarmat : SČDRWMT* P.
dahišn i : dahišnīh TD_2, DH.

l. 75. *Art* P., DH.: *YLTW̲* TD_2.

l. 76. First *Aršišvang* (*'LŠŠWNG̲*) DH.: *'LYŠŠWNG̲* TD_2: *'L'ŠWNG* P.
i anāhīt P: *'ut anāhīt* TD_2, DH: *i 'ut anāhīt* P.
Second **Aršišvang*: *'ŠWN'* TD_2, DH.: *'ŠWNG* P.

l. 77. *mānsraspand*: *mahraspand* P.

l. 78. *'hač*: *'kē* P.
Aršišvang: *'LŠŠNG̲* DH.: *'LYŠŠNG̲* TD_2: *'LŠŠWND̲* P.

l. 79. *vahištīk*: *'ŠTYT* P.
**artāyīh*: *artāy-aš* MSS.
**i*: *'ut* MSS.

l. 80. *aβigatīh* P.: *aβigat i* TD_2: *aβigat-ē* [illegible] DH.
'ēstēt: *'ēstēnd* P.

l. 81. *nikās 'dārēnd* P.: *'vasīh 'āβarēnd* TD_2, DH.

l. 82. *'ut-aš* P., DH.: *aš* TD_2.
'hač: om. P.
gētēh: *gētēhān* (*GYT"N*) P.

l. 83. *'ut-aš*: om. DH, P.
Fravartīn: *PLWLTDYNW̲* P.

l. 85. *'stanēt*: *YWSTWP* P.
mēnōkīhā: *MYNWYH* P.
'nēvīhā: *TND̲YH'* TD_2, DH.: *TG̲KYH'* P.: *dit-gāh* Nyb.

l. 86. *vārēnd*: *vīnārēnd* TD_2, DH.

l. 87. *dahišn i* P.: *dahišnīh* TD_2, DH.

l. 88. *Zāmdāt*: *ZMD'TW̲* P.

l. 89. *čīnkār puhr*: *ČYNW'LPWL* P.
martōmān: *MLTWH'N* P.

l. 90. *'vat*: *SLYŠ* P.

l. 91. *amar*: om. P.

l. 92. **'rōč-ič*: *'ēn-ič* MSS. (*'ēn* being [illegible] and *'rōč* [illegible]).
**māhīkān*: *miyānakān* MSS.

l. 93. *baχt*: so P. TD_2 has *NB'XTW̲* which Nyb. read as *niβaχt*.

l. 94. First *mēnōk* DH, P.: *mēnōk-ē* TD_2.
Second *gās* only in P. which adds *i*.
aδβārak: *'Y̲YČ'LK* P.: *'YYYČ'LK* TD_2, DH.: TD_2 prefixes *i*. For an etymological discussion of the word v. Bartholomae, *ZumAIW.*, p. 32, n. 1, who derives the prefix from Av. *aδə̄* = Skt. *adhaḥ* rather than *aδi-*. The latter view is, however, supported by Salemann and Nyb.
Uzayarin (*'WZYLYNW̲*) TD_2, DH.: *'WZ'LYNW̲* P.

l. 95. *apātyāβān*: reading after Nyb. Quite uncertain.
First *Ušahin*: *'WŠH'N Y* P.: *'WŠH'NW̲* DH.
Ušahin (*'WŠŠYNY*) *mēnōk* P.: om. TD_2, DH.

l. **97.** *Artvahišt* DH.: *'WRTWHŠTW̲* TD$_2$: *'WRTHŠTW̲* P.
Uzayarin : 'WZ'LYNW̲ P.
Burz : BLČ P.
Aiwisrū(k)srim : 'YYČSLWKSLYM TD$_2$: *'YYYČSLWKSLM* DH.: *'YYČ-SLWKSLM* P.

l. **98.** *Fravahrān*: om. P.
ham-kārīh : ham-kārak P.

l. **99.** *'rōč : 'ēn* P.

l. **100.** From here to the end of the chapter Ind. resumes; Justi, p. 7.
'peš (١٢٢) TD$_2$, DH., Ind.: *'tar* (١٢٥) P.
'kaδ : 'kē Ind.
Rapiθwin (*LPYTPYNW̲*) TD$_2$, P.: *LPTPYNW̲* DH.

l. **101.** *sāχt : yašt* P.
'andar yazišn . . . 'bē 'dāt : 'ut-aš 'andar yazišn 'har aβzār-ē 'pat zatan i pityārak 'andar apāyast 'bē 'dāt Ind.

l. **103.** *harvisp-ākās : harvisp-ākāsīh* P.
'burt (١٣١٢ب): *srūt* (١٣٢ب) P.
katār-tān : katār 'i-tān Ind.: *katār-tēn* P.
sūtōmandtar DH., Ind.: *sūtmandtar* TD$_2$: *SWT'WD̲TL* P.

l. **104.** *'kaδ-tān* P.: *'kaδ 'tāk* TD$_2$, DH.: *'kē-tān* Ind.
brēhēnam : 'daham Ind.
tan-kartīhā : tanē-kartīhā Gr.: *tan-kartakīhā* Ind.
kōχšēt : kōšēt Ind.

l. **105.** *aβsihēnēt : aβsēnēt* Ind.
druvist: repeated in P.
anōšak : 'NŠKW̲ P.: *'NWKŠK* Ind.
vīrāδēm : WYL'YM Ind.: *WYLYM* P.
Second *'ut-tān*: Ind. adds *'pat fražām.*

l. **106.** **hamayīkīhā : hamayīk gās* Gr.: *hamakīhā* Ind.
azarmān: om. P.
apē-hamēmāl : apē-pityārak Ind.

l. **107.** *hamayīk : hamēšak* Ind.
⟨*i*⟩ *: 'hač* Ind.
'ut-šān 'dīt : 'dit Ind.

l. **108.** *harvisp-ākās* Ind.: *harvisp-ākāsīh* Gr.
'hač : 'kē P.
'ut Ahriman : i Ahriman Ind.

l. **109.** *apē-hamēmālīh : apē-hamēmāl* Ind.
anōšak : 'NŠKW̲ P.: *'NWKŠK* Ind.
'bavišnīh : 'būtan Ind.

l. **110.** *'tāk : i* P.
hamē hamē TD$_2$, DH.: *hamē* P.: *hamāk hamāk* Ind.
'ō gētēh ham-dātastān 'būt Ind.: missing in Gr.

TRANSLATION

(1) On the manner and reason for creating creation for battle.

(2) Ohrmazd gave the names of thirty Amahraspands to the thirty days (of the month) in this wise: first comes Ohrmazd, then six Amahraspands; that is seven; the eighth is Daδv, that is the Creator. Then come six Amahraspands; that is seven; the eighth is Daδv, that is the Creator. Then come seven Amahraspands; that is eight; the ninth is Daδv, that is the Creator. Then come seven Amahraspands; that is eight. Thus he inserted his own name in four places in the month—Ohrmazd and the three Daδvs who have one name: one is Space, one Religion, and one Time: they have always existed.

(3) When the Destructive Spirit delivered his assault, Ohrmazd fashioned Time of the long Dominion in the form of a man of fifteen years of age, bright, with white eyes, tall and mighty, whose might is from valour, not from robbery and violence.

(4) (Ohrmazd) himself donned a white garment and it had the stamp of priesthood: for wisdom is ever with the priests who are guides to men, and all men are their pupils. And the office of Ohrmazd was the act of creation, and it was through wisdom that creation must be created. Therefor did he don the robe of the wise (which is the robe of) priesthood.

(5) Vāy, the Good, donned a garment of gold and silver, adorned with precious stones, purple, and having many colours, and it had the stamp of warriorhood; for he pursues the enemy from behind that he may smite the Aggressor and protect creation; even as it is said—'The office of Vāy is to carry off opposition in the two creations—both that created by the Bounteous Spirit and that created by the Destructive Spirit'—in so far as it is he who will bring the battle to an end, will bring increase to the creation of Ohrmazd and destruction to that of the Destructive Spirit.

(6) From Time the firmament was fashioned, the body of Zurvān of the long Dominion, the good destiny of the gods (Signs of the Zodiac): he donned a dark blue garment and it had the stamp of the husbandmen: for its office is to rule the destinies of the world aright even as that of the husbandmen is to till the soil and to deliver up (its produce) in due course.

(7) When Ohrmazd had moulded his creation among the Amahraspands, he made the ideal (spiritual) and material creations in the same manner—on the spiritual side Ohrmazd and the six Amahraspands, namely Vahuman, Artvahišt, Šaθrēvar, Spandarmat, Hurdāt, and Amurdāt, and similarly the sky in six stations; first the station of the clouds, second the firmament of the stars, third the stars exempt from contamination, fourth heaven—the Moon is in that station—fifth Garōδmān called the endless (*anaγr*) light—

the Sun is in that station—sixth the place of the Amahraspands, seventh the Endless (*asar*) Light, the place of Ohrmazd.

(8) Thus too he fashioned material creation in seven parts—first the sky, second water, third the earth, fourth plants, fifth kine, sixth Man, and seventh fire whose brilliance is from the Endless Light, the place of Ohrmazd. And he disseminated and fashioned fire in all creation, even as a master of a house, on entering his abode, carefully puts away the garments that are within the house. . . . And he commanded fire to serve man during the period of the assault of the Aggressor, to prepare his food and ward off pain. When one kindles it from diverse things, it comes forth: when one puts fuel upon it, it devours it.

(9) And he so appointed and disposed all the Amahraspands to assist creation and join battle for it that when the Aggressor came, each singled out his own opponent for the fray, and no new command was needed.

(10) I shall now speak further of their nature.

(11) The first of spiritual beings is Ohrmazd. Of material beings he took to himself the Original Man. His helpers are the three Daδvs (creators): one is Space, one Religion, one Time; all are called *dē* (creator) which is the spirit from which all creation proceeds. Man was fashioned in five parts—body, spirit (breath), soul, prototype, and Fravahr. Body is the material part; spirit that which is connected with the wind—the inhaling and exhaling of breath; soul that which, with the consciousness in the body, hears, sees, speaks, and knows; the prototype is that which is situated in the station of the Sun; the Fravahr is that which is in the presence of Ohrmazd, the Lord: it was created in this wise because during the period of the assault of the Aggressor men die, and their body rejoins the earth, their spirit the wind, their prototype the Sun, their soul the Fravahr so that the demons could not destroy the soul.

(12) The second of spiritual beings is Vahuman. Of material creatures he took to himself all kinds of kine. For his aid and assistance the Moon, Gōš, Rām, Spihr (the firmament) the Lord, the infinite Zurvān and Zurvān of the long Dominion were given him. Kine were fashioned in five parts—body, spirit (breath), soul, prototype, and immaterial spirit (*mēnōk*): for during the period of the assault of the Aggressor Gōšurvan received the seed of cattle from the station of the Moon, and with the aid of Rām, the good, caused it to flow throughout the earth. When kine die, their body rejoins Gōšurvan, their soul Rām, their prototype the Moon, their immaterial spirit Vahuman so that the demons could not destroy them.

(13) The third of spiritual beings is Artvahišt. Of material creatures he took to himself fire. For his aid and assistance Ātur, Srōš, Varhrān, and

Nēryōsang were given him: for during the period of the assault of the Aggressor Varhrān placed and established the fire within the house and fends for it; and Srōš protects it. When it is extinguished, it returns from Varhrān to Srōš, from Srōš to Ātur, from Ātur back to Artvahišt so that it could not be destroyed by the demons.

(14) The fourth of spiritual beings is Šaθrēvar. Of material creatures he took to himself the metals. For his aid and assistance the Sun, Mihr, the Sky, Anaγrān (the Endless Light), the good Sōk, Ardvī-sūr, the god Hōm, the god Burz, and Dahmān Āfrīn (the praise of the wise) were given him. For the solidity of metals is from the sky; and the original substance of the sky is the metal of crystal (diamond?). It is controlled by Anaγrān. Anaγrān within is a shining house, golden and adorned with precious stones: above it joins the place of the Amahraspands so that with the aid of these the demons could not annihilate the metals at the time of the assault of the Aggressor.

(15) The fifth of spiritual beings is Spandarmat. Of material creatures she took to herself the earth. For her aid and assistance the Waters, Religion, Art, Mahraspand, Aršišvang, and Ardvī-sūr, the immaculate, were given her: for Aršišvang is the genius which purifies the earth, water, and semen. In her presence is Mahraspand (Mānsraspand) the word of Ohrmazd. Art and Religion are in the house of fortune. Of Aršišvang it is said, 'She is the glory ($\chi^{v}arr$) of heaven, even righteousness.' Ardvīsūr, the immaculate, is the father and mother of the waters. With the aid of these (the earth) is controlled during the period of the assault of the Aggressor. These helping spirits watch over the $\chi^{v}arr$.

(16) The sixth of spiritual beings is Hurdāt. Of material creatures he took to himself water. For his aid and assistance Tīr, the Wind, and the Fravarts were given him. Tīr is Tištar. For the period of the assault of the Aggressor Tīr, with the help of the Fravarts, that is the Fravahrs of the blessed, receives the waters and delivers them unseen (*mēnōkīhā*) to the Wind: the Wind distributes the waters fairly to the continents and spreads them abroad. By means of clouds and their helpers they rain down.

(17) The seventh of spiritual beings is Amurdāt. Of material creatures he took plants to himself. For his aid and assistance Rašn, Aštāt, and Zāmdāt were given him, the three treasures ($\chi^{v}arr$) whose place is beyond the Činvat Bridge who, during the period of the assault of the Aggressor, bring the souls of men to account for what they have done of good and evil.

(18) There are numberless other spirits by whose aid creation is controlled even as it is written concerning the stars in the firmament. (19) Every single day in the months is divided into five periods and over every period

a genius is appointed: the genius Hāvan keeps the period of dawn as his own, the genius Rapiθwin the period of midday, the genius Uzayarin the period of evening, the genius Aiwisrūθrim the period *apātyāβān*, the genius Ušahin the period Ušahin. They too are delegated as assistants (to others); for Hāvan is appointed to Mihr to aid him, Rapiθwin to Artvahišt, Uzayarin to the god Burz, Aiwisṛūθrim to the Fravahrs of the blessed and Varhrān, Ušahin to Srōš and Rašn. (20) For (Ohrmazd) knew that when the Aggressor came, the day would be divided into five periods; for before the Aggressor came, it was always midday, that is Rapiθwin. At the Rapiθwin time Ohrmazd and the Amahraspands fashioned the 'idea' (*mēnōk*) of sacrifice. By the performance of sacrifice all creation was created. (21) He took counsel with the consciousness and Fravahr of man and infused omniscient wisdom into man, saying, 'Which seemeth more profitable to you, whether that I should fashion you forth in material form and that you should strive incarnate with the Lie and destroy it and that we should resurrect you at the end, whole and immortal and recreate you in material form, and that you should eternally be immortal, unageing, without enemies; or that you should eternally be preserved from the Aggressor?' (22) And the Fravahrs of men saw by that omniscient wisdom that they would suffer evil from the Lie and Ahriman in the world; but because at the end (which is) the Final Body, they would be resurrected free from the enmity of the Adversary, whole and immortal for ever and ever, they agreed to go into the material world.

NOTE

(12) This part of the *Bundahišn* is clearly Mazdean: the position of Zurvān as an inferior deity and one of the helpers of Vahuman shows this plainly. It is significant that in this chapter Zurvān, the personal god, is separated from *zamān*, the more abstract concept of Time which is reckoned as one of the creators.

Z 3. The following text is taken from the twenty-sixth chapter of the *Greater Bundahišn*, 'On the high deeds of the spiritual gods'. The text is found in Anklesaria, p. 166, l. 4–p. 167, l. 9. This passage does not occur in the Indian recension and is missing in DH. Besides our own, translations are to be found in Darmesteter, ZA. ii, pp. 309 ff.; Widengren, *Hochgottglaube im alten Iran*, p. 232; Wikander, *Vayu I*, p. 18 (§§ 1 and 2 only).

(1) *Rām i Vāy i 'vēh ⟨i⟩ dērang-χᵛatāy 'gōβēt, 'χᵛat 'hast Vāy i dērang-χᵛatāy 'kē 'andar mēnōkān artēštārān sardārīh χᵛēškārīh 'dārēt. 'ut ruvān i ahrovān, 'kaδ 'pat *čīn-vitarag vitīrēt, Vāy i 'vēh 'dast 'apar 'gīrēt, 'ō 'ān i*

χᵛēš gās 'barēt. ē rāδ Rām 'gōβēt, 'čē rāmišn-dātār 'ō hamāk dahišn. 'kaδ-ič Vāy i 'vattar 'ǰān 'hač tan 'bē zanēt, 'avē i Vāy i 'vēh 'bē patīrēt, χᵛarsandīh 5 *'bē 'dahēt.*

(2) *'hač 'ān i zamān i brīn spihr, Zurvān; čēγōn 'gōβēt 'ku spihr i χᵛatāy 'ut Zurvān i akanārak 'ut Zurvān i dērang-χᵛatāy. spihr 'ān i 'kē nēvakīh 'baχšēt; 'ut-aš χᵛatāyīh, 'pātuχšāyīh čēγōn vāstryōšān gēhān varzēnd, 'avē-ič baχtārīh 'kunēt.* 10

(3) *mēnōk-ē ⟨i⟩'apāk Miθr hamkār Sōk 'χᵛānēnd. hamāk nēvakīh 'kē 'hač apargarān 'ō gētēh brēhēnīt, naz⟨di⟩st 'ō Sōk 'āyēt, Sōk 'ō Māh aβspārēt, Māh 'ō Ar(k)dv⟨ī⟩-sūr aβspārēt, Ar(k)dv⟨ī⟩-sūr 'ō spihr aβspārēt, spihr 'pat gēhān 'baχšēt: 'kē vēš 'dahēt nēvak[īh] spihr, 'ut 'kē kam 'dahēt vat spihr 'χᵛānēnd. 'ān-ič i 'baχišn 'pat zamān 'rasēt 'kē Vāy i dērang-χᵛatāy, 'hast* 15 *Zurvān zēn, 'hast i Ōhrmazd. 'ēt 'ku zūr pat-iš vānīt; 'ān-ič 'hast kunišn i zamān *'ku 'būt akanārak, 'ō dām-dahišnīh *kanārakōmand brēhēnīt 'tāk 'ō fražām 'ku akārīh i ganāk mēnōk, 'ut 'pas gumēčēt 'ō ham ak⟨an⟩ārakīh 'tāk 'ō hamē hamē ravišnīh.*

NOTES

l. **1.** First *'vēh : vēh* P.
'hast (*'YTW̲*): *ētōn* (*'YTWNW̲*) P.
Second *dērang- : DYLNNK* TD₂.

l. **2.** *'dārēt*: om. P.

l. **3.** **čīn-vitarag : ČYYNWTLG̲* TD₂: *Č WTLG̲* P.
'apar: om. P.

l. **5.** *'bē patīrēt* P.: *'bē 'pat patīrēt* TD₂.

l. **7.** *'ān i zamān i* P.: *'ān zamān* TD₂.
χᵛatāy 'ut P.: *χᵛatāy i* TD₂.

l. **8.** *Zurvān i dērang-χᵛatāy* P.: *Zurvān dērang-χᵛatāy* TD₂.

l. **9.** *'pātuχšāyīh*: om. P.

l. **10.** *'kunēt*: [illegible] P.; [illegible] TD₂.

l. **11.** *hamkār* P.: *hamkārīh* TD₂.
'kē : 'kaδ P.

l. **12.** Second *Sōk : sūt* P.

l. **13.** *aβspārēt, Ar(k)dv⟨ī⟩-sūr*: so P.: om. TD₂.
Second *aβspārēt : 'PYST'LYTW̲* P.

l. **14.** First *spihr*: so P.: om. TD₂.

l. **15.** *Vāy i* P.: *Vāy* TD₂.
'hast . . . 'hast: in the sense of 'whether . . . or . . .'; v. text Z 1, l. 114, note.

l. **16.** *Zurvān zēn* P.: *Zurvān i zēn* TD_2. The reading of P. is to be preferred since we should otherwise have to translate 'Time . . . which is Vāy of the long Dominion, whether it be the weapon Zurvān or Ohrmazd'. In spite of the formal identification of Ohrmazd with Time in the *Sīh-rōčak* (v. Chapter VIII), such an interpretation seems improbable here.

For *'hast i Ōhrmazd* P. has *'hast Ōhrmazd.*

'ēt : ē P.

'ān-ič P.: *'ān-ič i* TD_2.

l. **17.** **'ku : 'kē* MSS.

Before *'ō dām-dahišnīh* P. adds *'tāk*, and reads *dahišn i* for *dahišnīh.*

**kanārakōmand : ('ut) kanārakōmandīh* P.: *('ut) kanārak mānd* TD_2.

l. **18.** *fražām* P.: *fražām i* TD_2.

akārīh: akanārīh, P.

ak⟨an⟩ārakīh : akārakīh MSS.

TRANSLATION

(1) Rām who is called the good Vāy of the long Dominion is truly Vāy of the long Dominion who, among spiritual beings, has the office of chieftainship of the warriors. When the souls of the blessed pass over the Činvat Bridge, the good Vāy takes them by the hand and brings them to their appointed place. He is called Rām because he gives pleasure (*rāmišn*) to all creation. When the evil Vāy strikes the breath-soul from the body, the good Vāy receives it and gives it contentment.

(2) From finite Time (comes) the firmament (Spihr) and Zurvān; even as it is said, 'Spihr the Lord, the infinite Zurvān and Zurvān of the long Dominion.' Spihr it is who bestows good things; and his lordship and kingship are as when the husbandmen till the earth, and (the earth) makes good return (lit. makes bestowal).

(3) The spirit who is the helpmate of Mihr is called Sōk. All good things which are fashioned by those who work on high for the material world first come to Sōk: Sōk delivers them to the Moon, the Moon delivers them to Ardvī-sūr, Ardvī-sūr delivers them to Spihr, and Spihr bestows them on the material world. He who gives them in abundance is called the goodly Spihr; and he who gives them sparingly is called the evil Spihr. The things bestowed reach (men) through Time who is Vāy of the long Dominion, whether it be the instrument of Zurvān or of Ohrmazd. (For) this (reason is he called Zurvān) because deceit (*zūr*) is conquered (*vānīt*) by him: and this is the operation of Time, that it was infinite but was made finite for the act of creation, (and so it remains) until the consummation, that is when the Destructive Spirit is made powerless: then it mingles with that same infinity for ever and ever.

Z 4. The first chapter of *The Selections of Zātspram*. An edition with variants and philological notes will be found in BSOS. ix, pp. 573–85.

'apar gumēčišn i Spēnāk Mēnōk 'ut Ganāγ Mēnōk

(1) *'ēt 'pat dēn ōγōn paytāk 'ku rōšnīh hačapar 'ut tārīkīh hačaδar; 'ut-šān miyānak i 'har 2 višātakīh 'būt.*

(2) *Ōhrmazd 'andar rōšnīh, Ahriman 'andar tārīkīh; 'ut Ōhrmazd 'hastīh ⟨i⟩ Ahriman matan-ič 'ō patkār ākās; Ahriman 'hač 'hastīh rōšnīh ⟨i⟩ Ōhrmazd 'nē ākās 'būt.*

(3) *Ahriman 'andar tam-tārīkīh 'ō *frōt kustān hamē 'raft; 'dit [i] handāčišnīk 'ul 'ō 'apar 'āmat; 'ut-aš tēh-ē i rōšnīh frāč 'dīt, 'ut yut-gōhrīh i ov-iš rāδ tuχšīt 'ku ov-iš 'rasēt, 'ut-aš ham *ōγōn pat-iš 'andar kāmak vālīhēt čēγōn 'pat-ič tārān.*

(4) *'kaδ frāč 'ō vīmand mat, Ōhrmazd 'apāč dāštan i Ahriman 'hač 'χᵛēš šaθr rāδ, frāč 'ō hamrānīh mat, 'ut-aš 'pat apēčak gōβišn ⟨i⟩ dātīk startak kart, 'ut-aš 'apāč 'ō tom 'aβgand. pāspānīh 'hač druž rāδ mēnōkīhā 'andar *ō bālist* mēnōk āsmān 'āp zamīk ['āp] urvar gōspand 'martōm 'ut ātaχš brēhēnīt, 'ut-aš 3000 'sāl 'apāč dāšt.*

(5) *Ahriman-ič 'andar tom aβzār hamē ārāst. 'pat sar i 3000 'sāl 'apāč 'ō vīmand 'āmat; patēstāt 'ut drāyīt 'ku 'zanam 'tō, 'zanam dāmān i 'tō rāδ. dām 'dāt mēnēh, 'tō 'kē Spēnāk Mēnōk 'hēh: harvisp ['pat]' ān 'bē marnǰēnam.*

(6) *Ōhrmazd pāsaχᵛēnīt 'ku 'nē, druž, harvisp kartār 'hēh.*

(7) *'dit Ahriman patēstāt 'ku 'bē hāčēm harvisp aχᵛ i astōmand 'ō adōstīh i 'tō, dōstīh i 'man.*

(8) *Ōhrmazd 'pat mēnōk-χratīh 'dīt 'ku 'ān-ič *i Ahriman patēstāt tavānīk 'pat kartan 'hakar 'nē brīnōmand zamānak i kōχšišn.*

(9) *['ut-aš 'bē] 'ut-aš 'Zamān 'bē 'ō aδyārīh 'χᵛāst, 'čē-š 'dīt 'ku Ahriman 'pat miyānčīkīh i hēč rōšnīh 'apar 'nē 'ēstēt. Zamān 'hast 'har 2 χᵛap hamaδ-yārīh rāst rāδēnītārīh; ov-iš niyāz.*

(10) *'ut-aš 'pat 3 zamān 'kart i 'har zamān-ē 3 hazārak.*

(11) *Ahriman 'apar 'ēstāt.*

(12) *Ōhrmazd 'dīt 'ku, 'kaδ Ahriman fravastak kartan 'nē šāyēt, hamē 'kaδ 'χᵛāδēt, 'apāč 'ō 'χᵛēš *bunist i tārīkīh 'šavēt, aβzār vēš ārāδēt, afražām patkār 'bavēt. 'ut-aš 'pas 'hač zamān 'kartan ahunvar frāč srūt.*

(13) *'ut-aš 'pat ahunvar 3 aδvēnak ov-iš nimūt.*

(14) *fratom 'ku 'har 'čiš 'ān ⟨i⟩ frārōn [i] Ōhrmazd kām:*

(15) *'hač *'ēn paytāk 'ku 'kaδ 'ān i frārōn [i] Ōhrmazd kām, paytāk 'ku 'čiš 'hast i 'nē 'andar kām i Ōhrmazd, ačār 'ān 'kē *bun dāšt* Vāy i yut-gōhr.*

(16) *ditīkar 'ēn 'ku 'kē 'ān 'kunēt i Ōhrmazd kām, *aš mizd pātdahišn χᵛēš [īk]; 'avē 'kē 'nē 'ān 'kunēt 'kē Ōhrmazd kām, *aš puhr pātafrās 'χᵛēš.*

(17) *'hač 'ēn nimāyīhēt kirpak-garān mizd 'ut vināskārān pātafrās, 'ut mātiyān vahišt dōšaχᵛ hač-iš.*

(18) *sitīkar nimūt 'ku χᵛatāyīh i Ōhrmazd 'avē aβzāyēnēt i 'ō driyōšān vičārīhēt pityārakōmandīh;*

(19) *'ān-aš nimūt 'ku 'hast-'hērān 'ō niyāzīk -'hērān aδyār 'bavišn; čēγōn ākās-dahišnān 'ō anākāsagān hamōχtan, tavānīk-χᵛāstakān 'ō niyāzīk-χᵛāstakān rātīhā 'dāt⟨an⟩ i 'χᵛēš frahāt dast. [i] Ōhrmazd dāmān ēvak 'ō 'dit 'andar kōχšišnīk artīk.*

(20) *čēγōn fraškart-kartārīh 'pat 'ēn 3 'čiš šāyēt 'būt.*

(21) *'hast fratom rāst-dēnīh i 'χᵛat ōstavānīh i 'apar 2 buništakīh, 'pat 'ān ristak brahm 'ku Ōhrmazd hamāk 'vēhīh a-'vattarīh, 'ut-aš kām visp frārōn, Ahriman visp 'vattarīh a-'vēhīh.*

(22) *ditīkar aδmēt i mizd pātdahišn i kirpak-garān, bīm i 'hač puhr pātafrās ⟨i⟩ *bazak-garān, tuχšītan i 'pat kirpak, pahrēχtan i 'hač vināš.*

(23) *sitīkar ham-aδyārīh 'būtan i dāmān ēvak 'apāk *'dit; 'hač ham-aδyārīh ham-spāhīh, 'hač ham-spāhīh pērōžīh i 'apar dušman 'bavēt i *'χᵛat fraškart.*

(24) *'pat 'ēn gōβišn start 'būt, 'apāč 'ō tom ōpast.*

(25) *Ōhrmazd dām tanōmandīhā 'bē 'ō gētēh 'dāt, — fratom āsmān, ditīkar 'āp, sitīkar zamīk, 4-om urvar, 'ut pančom gōspand, 6-om 'martōm; 'ut ātaχš 'andar visp 'būt pargandak 'hamist 'pat 6 gōhrak, i 'har gōhrak-ē *drang i 'pat 'apar 'dāt and būt, guft 'ēstēt, čand mēč-ē i 'kaδ ēvak 'pat 'dit frōt 'nihēnd.*

(26) *3000 'sāl dām tanōmand 'ut afrāč-raftār 'būt: χᵛarštēt māh starān 'ēstīt 'hēnd 'andar bālist avazišnīk.*

(27) *'pat zamānak sar Ōhrmazd nikīrīt 'ku 'čē sūt 'hast [i] 'hač 'dāt i dām 'kaδ ačandišnīk aravišnīk avazišnīk: 'ut-aš 'pat aδyārīh i Spihr 'ut Zurvān dām frāč brēhēnīt.*

(28) *Zurvān attōk 'būt 'ku-š dām i Ōhrmazd ravāk kart 'bē 'hač ravākīh i Ahriman dām, 'čē buništān ēvak 'ō 'dit vizāyišnīk patīrak-ēstišnīk būt 'hēnd.*

(29) *'ut-aš fražām-nikīrīhā aβzār-ē i 'hač 'χᵛat gōhr ⟨i⟩ tārīkīh 'kē-š nērōk i zurvānīk pat-iš patvastak, past aδvēnak, zayīk 'ut siyāh 'ut āturastar-gōn frāč 'ō Ahriman burt.*

(30) *'ut-aš 'pat frāč barišnīh guft 'ku 'pat 'avēšān zāy apākīh [i] Āz 'ēt i 'tō 'bē žōyēt; χᵛat 'pat suδ frōt 'mīrēt,—'hakar 'pat sar i 9000 'sāl čēγōn-at patēstīt, pašt 'apar kart, 'zamān 'apar 'kart, 'nē fražāmēnīt.*

(31) *'pat ham 'zamān Ahriman 'hač ham zō(h)rān 'hamist 'bē 'ō star-pāδak 'āmat.*

(32) *bun i āsmān 'pat star-pāδak dāšt; 'hač 'ōδ frōt 'ō tuhīkīh āhaχt i*

**andarōn buništ i rōšnān 'ut tārān, 'ut gyāk i artīk, 'kē-š tačišn i 'har 2-ān pat-iš.*

(33) *'ut-aš tārīkīh ⟨i⟩ 'apāk 'χᵛēš dāšt[an] 'andar 'ō āsmān 'āβurt: asmān ōγōn 'ō tom āhaχt 'ku andarōn i aškōβ i āsmān čand 3 ēvak-ē hačapar star-pāδak 'bē 'rasāt.*

TRANSLATION

On the mixing of the Bounteous Spirit and the Destructive Spirit.

(1) Thus is it revealed in the Religion: the light was above and the darkness beneath; and between the two was the Void. (2) Ohrmazd in the light and Ahriman in the darkness. Ohrmazd knew of the existence of Ahriman and of his coming to do battle: Ahriman knew not of the existence and light of Ohrmazd. (3) In the dismal darkness he wandered to the nether side: then, rushing, he came up and beheld a point of light, and because it was of a different substance from himself, he strove to attain it, and his desire for it waxed so mightily that (it was as great as his desire) for the darkness. (4) When he came to the boundary, Ohrmazd, wishing to hold Ahriman back from his kingdom, advanced to join battle. By the pure word of the Law he laid him low and hurled him back into the darkness. As a protection against the Lie he fashioned in the heights the 'ideal' sky, water, earth, plants, cattle, man, and fire—all in ideal form. For three thousand years he held him back. (5) Ahriman too was preparing weapons in the darkness.

At the end of three thousand years he returned to the boundary, and threatening said, 'I shall smite thee, I shall smite thy creatures. Art thou of a mind to create a creation, O thou who art the Bounteous Spirit? Verily I shall utterly destroy it.' (6) Ohrmazd answered (and said), 'Thou canst not, O Lie, accomplish all.'

(7) Again Ahriman threatened (saying), 'I shall bring all corporeal existence to hate thee and to love me.'

(8) Ohrmazd, in his spiritual wisdom, saw that what Ahriman had threatened he could do unless the time of the conflict were limited. (9) He begged Time to aid him, for he saw that through no intermediary belonging to the light would (Ahriman) desist. Time is a good helper and right orderer of both: there is need of it. (10) (Ohrmazd) made it in three periods, each period three thousand years. (11) Ahriman desisted.

(12) Ohrmazd saw that unless Ahriman were encompassed, he would return to his own principle of darkness whenever he so willed and would prepare more weapons, and the conflict would be without end. After fixing the time, he chanted the Ahunvar. (13) And in the Ahunvar he showed him

three things. (14) First that every righteous thing is the will of Ohrmazd: (15) and from this it is plain that since righteousness is the will of Ohrmazd, obviously there are things which are not according to the will of Ohrmazd—and these can only be whatever has its root in Vāy who is of a different substance. (16) Secondly this, that he who does the will of Ohrmazd, reward and recompense are his; and he who does not the will of Ohrmazd, punishment and retribution are his. (17) This shows the reward of the virtuous and the punishment of sinners, and thence, too, heaven and hell. (18) Thirdly it shows that the sovereignty of Ohrmazd prospers him who keeps affliction from the poor. (19) This shows that the wealthy are to help the needy: as the learned teach the ignorant, so should the rich generously lend a helping hand to the poor; for the creatures of Ohrmazd are in strife and battle one with another.

(20) For the final rehabilitation will be effected by these three things. (21) First orthodoxy, that is the belief in two principles, in this wise and manner that Ohrmazd is all good and devoid of evil and his will is all-holy; and that Ahriman is all evil and devoid of good. (22) Second, the hope of reward and recompense for the virtuous and the fear of punishment and retribution for sinners, striving after virtue and shunning vice. (23) Third, that creatures should help one another: for from mutual help comes solidarity, from solidarity victory over the enemy, and this is the final rehabilitation.

(24) By this word (Ahriman) was laid low and fell back into the darkness.

(25) (Then) Ohrmazd projected creation in bodily form on to the material plane, first the sky, second water, third earth, fourth plants, fifth cattle, sixth man: and fire permeated all six elements, and the period for which it was inserted into each element lasted, it is said, as much as the twinkling of an eye. (26) For three thousand years creation was corporeal and motionless. Sun, Moon, and stars stood still in the heights and did not move.

(27) At the end of (this) period Ohrmazd considered, 'What profit have we from our creation if it neither moves nor walks nor flies?' And with the aid of the firmament and Zurvān he fashioned creation forth. (28) Zurvān had power to set the creation of Ohrmazd in motion without giving motion to the creation of Ahriman, for the (two) principles were harmful to each other and mutually opposed.

(29) Pondering on the end he (Zurvān) delivered to Ahriman an implement (fashioned) from the very substance of darkness, mingled with the power of Zurvān, as it were a treaty, resembling coal (?), black and ashen. (30) And as he handed it to him, he said, 'By means of these weapons Āz

(concupiscence) will devour that which is thine and she herself shall starve, if at the end of nine thousand years thou hast not accomplished that which thou didst threaten, to finish off the treaty, to finish off Time.'

(31) Meanwhile Ahriman, together with his powers went to the station of the stars. (32) The bottom of the sky was in the station of the stars: from there he dragged it into the Void which lies between the principles of light and darkness and is the field of battle where both move. (33) And the darkness he had with him he brought into the sky; and he dragged the sky down into the darkness so that within the roof of the sky as much as one third only could reach above the region of the stars.

Z 5 (*a*). The thirty-fourth chapter of *The Selections of Zātspram*. The transliterated text, both unvocalized and vocalized, was published for the first time in BSOS. x, pp. 377–98. Translation and notes appeared in the next number of the same *Bulletin* (pp. 606–31). For the notes the reader is referred there.

'apar fraškart-kartārīh

(1) ['*ku*] *'andar dēn ōγōn nimūt ēstēt 'ku Zartušt 'hač Ōhrmazd pursīt 'ku tanōmandān ⟨i⟩ 'pat zamīk 'bē viturt 'hēnd, 'pat fraškart tanōmand 'apāč 'bavēnd ayāp asāyak humānākīhā?*

(2) *Ōhrmazd ⟨guft⟩ 'ku tanōmand 'apāč 'bavēnd, uzēnd.*

(3) *'ut Zartušt pursīt 'ku 'ān 'kē 'bē viturt, 'sag 'ut vāy 'bē visānd 'ut gurg 'ut dālman[ak] 'bē burt, čēγōn 'apāč 'ō ham 'rasēnd?*

(4) *Ōhrmazd guft 'ku 'kaδ 'tō 'kē Zartušt 'hēh, ['aδak-at] kiβōt-ē i dārēn kartan apāyēh, *aδak 'pat kartan čēγōn hugartar 'bavēh, 'kaδ-at dār 'nē būt, 'ut-at 'brītan passāχt⟨an⟩ apāyīt, ayāp 'kaδ kiβōt 'būt, 'ut-aš [ān] ātak(?) ēvak 'hač 'dit 'bē višuft, 'apāč passāχtan apāyēt?*

(5) *Zartušt guft 'ku 'kaδ dār-*ē tāk būt 'hēh, hugartar 'būt 'hēh 'ku 'kaδ dār 'nē būt 'hēh, 'ut 'kaδ kiβōt ātak(?) ⟨ēvak hač dit bē višuft⟩, hugartar būt 'hēh. . . .*

(6) *Ōhrmazd guft 'ku 'avēšān dāmān, 'kaδ 'nē būt 'hēnd, am brēhēnītan tavān būt, 'ut 'nūn 'kaδ būt 'ut višuft, 'apāč passāχtan hugartar.*

(7) *'čē-m 'hēnd 5-ān hanbārtārān patiγraftār i viturtān tanōmandīh: ēvak zamīk *'kē 'apar nikās-dāštār i 'gōšt 'ut ast 'ut paδ i 'martōmān: ēvak 'āp nikās-*dāštār i [pit 'ut] χōn: ēvak urvar i dāštār i vars 'ut mōδ: ēvak *ras-rōšnīh* patiγraftār[īh] i ātaχš: ēvak ham vāt 'i-m 'ǰān i χ^{v}ēšān dāmān 'pat fraškart hangām ⟨apāč dahēt⟩ (?).*

(8) *'apar 'χ^{v}ānam zamīk, hač-iš 'χ^{v}āst ast 'ut 'gōšt 'ut paδ i Gayō(k)mart*

apārīkān. (9) *'gōβēt zamīk 'ku čēγōn 'rasēnam 'kaδ 'nē 'ēn 'bē 'dānam 'ku katār 'ān i 'avē ⟨ast ut gōšt ut paδ ut katār ān i avē?⟩*

(10) *'apar 'χ^{v}ān⟨am⟩ 'āp i Arang i 'hast Diglit 'hač rōtān, 'ku 'apar 'rasēn χōn i 'avē i ristak 'martōm.* (11) *'gōβēt ⟨āp⟩ 'ku čēγōn 'rasēnam, 'kaδ 'nē *'ēn 'bē 'dānam 'ku katār 'ān i 'avē χōn 'ut *katār 'ān i 'avē?*

(12) *'apar 'χ^{v}ānam urvar 'ut 'hač 'avē 'χ^{v}āδam vars ⟨i⟩ rist 'martōm.* (13) *'gōβēt urvar 'ku čēγōn 'rasēnam 'kaδ 'nē *'ēn 'bē 'dānam ⟨ku⟩ katār 'ān i 'avē vars 'ut katār 'ān i 'avē?*

(14) *'apar 'χ^{v}ānam vāt, *'hač 'avē 'χ^{v}āδam ǰān i 'avē ristak 'martōm.* (15) *'gōβēt vāt 'ku čēγōn 'rasēnam, 'kaδ 'nē *'ēn 'bē 'dānam 'ku katār 'ān i 'avē 'ǰān, katār 'ān i 'avē?*

(16) *⟨man⟩ 'kē Ōhrmazd 'ham, 'kaδ apāč nikīrom 'pat zamīk 'āp urvar rōšnīh vāt, 'pat rōšn dīδišn(?) 'bē 'dānam, ēvak 'hač 'dit 'bē šnāsēm: 'čē 'pat visp-dānišnīh, 'pat rōšn-mēnišnīh ēvak 'hač 'dit ōγōn vičīhēm čēγōn 'kaδ ⟨mart?⟩ šīr ⟨i⟩ 'mātakān ⟨dōχt⟩, i 'pat zamīk 'pat ham-yōy frāč tačēnd ēvak 'andar 'dit, 'ēt 'ku-m katār 'mātak: ōγōn 'bē šnāsēm čēγōn 'kaδ 'mart-ē 30 asp 'hēh, 'har ēvak rāδ yāmak-ē i nišān-ē pat-iš 'ku katār asp *rāδ, ['kaδ šīr dōχt,] 'ān 30 yāmak aγnēn 'ēstēnd, *aδak 'kāmēt 'dānastan, 'har yāmak-ē 'apar 'gīrēt, nišān i 'pat yāmak 'bē šnāsēt 'ku-m katār asp.*

(17) *'apar *'frēstam Airyaman frēstak 'kē-š fražāmkārīh 'andar χ^{v}ēškārīh.* (18) *'bē 'rasēnēt ast 'ut χōn 'ut vars 'ut rōšnīh ⟨'ut⟩ 'ǰān i Gayō(k)mart 'ut *Mašyē 'ut *Mašyānē.*

(19) *'ut-aš pēšōpāδ 'apāč passāčom ast i Gayō(k)mart, 'ut-aš 'ān i *Mašyē 'ut *Mašyānē ham-patvast dašnak 'ut hōyak 'bē 'daham.*

(20) *'ut-am 'ō ham-passāχtan 'apāč 'dātan hugartar 12 dāmān 'i-m 'pat bun 'bē 'dāt, fratom 'kaδ-am āsmān vīnārt astūn an-'apar-dāštār 'kē-š 'hač hēč kust 'nē 'hēnd gētēhān 'bē dāštār; 'ut ditīkar 'kaδ-am zamīk vīnārt miyānak ⟨i⟩ āsmān *'ku 'ō katār-ič-ē nēmak 'nē nazdīktar būt, humānākīh i zartak i χāyak miyān ⟨i⟩ χāyak; 'ut sitīkar 'kaδ-am χ^{v}aršēt brēhēnīt; 4-om 'kaδ-am māh brēhēnīt; ⟨5-om 'kaδ-am star brēhēnīt;⟩ *6-om 'kaδ-am 'andar urvarān 'vas gōnak rang 'ut *čāšišn 'bē 'dāt; *7-om 'kaδ-am 'andar urvar ātaχš 'pat *asōčišnīh 'bē 'dāt; *8-om 'kaδ-am χōšak 'ō zamīk 'bē burt 'ut 'pat hangām i frāč vaχšišn [i] barōmand 'bavēnd, 'ō χ^{v}arišn i 'martōmān 'ut gōspandān 'rasēnd; 9-om 'kaδ-am 'andar 'mātakān zahak 'bē vīnārt, 'apar nihuft 'tāk 'bē ⟨nē⟩ viturt, 'ut-am yut yut 'andar 'ān ārōδišn paytākēnīt ast χō⟨n⟩ mōδ 'ut drēm 'ut paδ 'ut srūv; dahom 'kaδ-am tanōmand murvān 'pat parr ⟨andar⟩ andarvāy vāδēnīt; yāzdahom 'kaδ-am 'āp 'pāδ *χargōš humānākīh [i] frāč raftār 'dāt; duvāzdahom ⟨'kaδ-am aβr dāt⟩ 'ul 'apar burtār i 'āp, vārānēnītār i vārān.*

(21) *humānāk 'būt ['ō] dām-dahišnīh, dēn-ravākīh, fraškart-kartārīh 'ō*

**dēsītan i 'χānak. (22) čēγōn katak 'pat 3 aβzār fražāmīhēt i 'hast būm dīvār 'ut aškōβ; 'ut 'ān i dām-dahišnīh būm, dēn-ravākīh dīvār, fraškart-kartārīh aškōβ.*

(23) čēγōn 'kaδ 'mart 'χānak 'kāmēt vīrāstan, 'mart 3 'bē vičēnēt 'kē ēvak 'pat būm vīrāstan, ēvak 'pat dīvār āhaχtan, 'ut ēvak 'pat aškōβ kartan frahaχtaktar, 'ut yut yut 'pat 'ān kār 'bē 'ēstēnīt: 'tāk būm vīrāst 'ut dīvār āhaχt[an], 'nē šāyast. (24) 'avē 'kē-š 'χānak framūt, rōšn ākās 'ku 'pat čand 'ō fražām 'rasēt, 'ut 'pat-ič frahaχtkārīh i 'avē i aškōβ-ka⟨r⟩tār apēgumān būtan rāδ, dēr-vistāχ^{v}. 'kaδ dīvār 'ō fražām mat, ['tāk] 'avē 'kē-š aškōβ 'andar χ^{v}ēškārīh, aškōβēnītan ōγōn hugar čēγōn 'avēšān-ič 2 'pat kār 'i-šān 'pātēmār.

(25) 'ut 'dit humānāk būt fraškart-kartārīh 'ō 'šap i tār: 'kaδ 'šap 'ō sar 'šavēt, χ^{v}aršēt 3 kanārak i gēhān uzēt, 'ut 'apāč 'ō 'χ^{v}ēš gyāk mat 'ut gartišn fražāmēnēt, ['ān] nōk 'pat spēžišn 'bavēt 'ut tam 'ut tār 'zanēt.

(26) humānāk būt 'ō māh 'kē 15 'andar vaχšišn, 15 'andar ⟨na⟩rfsišn 'bavēt. 'kaδ bavandak būt avēnāβtāk, nōk 'apāč 'zāyēt, 'hač χ^{v}aršēt šaθriyār i rōšnān 'pat bām paytāk 'bavēt: gēhān i ristāχēz 'apāč-dahišnīh pat-iš paytākīhēt.

*(27) humānāk būt 'ō 'sāl 'kē 'pat vahārān draχt viškuft 'bavēnd, 'pat hāmēn bar 'dahēnd, 'ut ⟨pat⟩ pātēz fražām bar *'dahēnd, 'pat zimastān hušk 'ut murt humānāk 'bavēnd. (28) 'kaδ vinīrišn i 'sālān spurrīkīhēt, Miθr 'apāč 'ō gyāk i naχ^{v}istēn mat, 'rōč 'ut 'šap hāvand-patmān, andarvāy nisārīk(?)-patmān[īk] 'bavēnd. 'ut murtāχēz humānāk *ō hušk dārān draχtān ⟨i⟩ nōk varg ⟨s⟩pēžīhēnd 'ut nihāl viškōβīhēnd.*

*(29) *ōstīkānīh 'apāč dahišnīh rāδ 'har čihrān fražām 'ō bun ham hangōšītak 'bavēnd, čēγōn 'martōm 'kē-šān 'bavišn 'hač tōhm *tačēnd, čēγōn urvarān 'kē-šān 'bavišn 'hač tōhmak, bavandak-fražāmīh 'pat ham-tōhmīh.*

(30) 'pat dēn ōγōn paytāk 'ku Ahriman, 'kaδ 'andar 'ō dām duvārast, dušdēn ǰēh-dēv sarδak ōγō⟨n⟩ 'pat hanbāz dāšt čēγōn 'mart 'zan ⟨i⟩ ǰēh-ē hanbašn ⟨bavē⟩t; 'čē 'χ^{v}at 'hast [i] 'dēv ǰēh: 'ut-aš duš-dēn [-ē] ǰēh-dēv sarδak bān-⟨ūk⟩ aβ⟨di⟩st[an], 'χ^{v}at 'hast sar i hamāk [ǰēh] ǰēh 'dēvān, garān pityāraktar 'ō 'mart ahrov. (31) 'ut-aš dušdēn [i] ⟨ǰēh-dēv apāk mart i ahrov⟩ ham-yuχt āhōkēnītan i 'mātakān rāδ 'apāk ham-yuχtīhast, 'ku 'tāk 'mātakān āhōkēnāt, 'ut āhōkēnītakīh ⟨i⟩ 'mātakān rāδ 'narān āhōkēnānd, 'hač χ^{v}ēškārīh vartānd.

*(32) 'ut-aš 'pas vičīt spāhpat sardār i 'χ^{v}at 'hast *Āz; 'ut-aš 4 spāhpat 'pat ham-kārīh frāč 'dāt 'hēnd, 'hast Ēšm 'ut Zimastān 'ut Zarmān 'ut S⟨ē⟩ž, humānākīh i χ^{v}arāsān 'ut *χ^{v}arβarān 'ut nēmrōč 'ut apāχtar. (33) spāhpat 'apar vičīt ['ut] Āz, dašnak sardār 'ut hōyak sardār, i 'hast suδ tišn, ētōn-ič Zarmān *šēvan mōδak, ētōn-ič S⟨ē⟩ž frēhbūt 'ut *apēbūt.*

*(34) 'pat fraškart fratom čār i Āz 'χ^{v}āδīhēt; 'hast 'ēt rāδ 'čē spāhpat sardār 'hast ⟨i⟩ *apārīkān-ič družān, Ahriman dušdēn nērōk 'hač 'avē vēš.*

(35) *'pat-ič bun ravākīh ⟨i⟩ dām 'kaδ Zurvān 'ān karp *patmōk i tārīk 'ut āturastar-gōn ravākīh rāδ frāč 'ō Ahriman burt 'pat 'ēn *pašt 'ku 'ēn 'hast 'ān zāy i ātaχš humānāk sōčišnīk, 'ut hamāk dāmān pat-iš ōštāβōmand, 'χᵛat gōhr i Āz dārēt. 'kaδ zamānak i 9000 'sāl 'bē 'ō fražām mat, 'ān 'čē-t 'pat ⟨bun⟩ 'bē *patēstāt 'ku 'bē hāčēh harvisp aχᵛ i astōmand 'ō adōstīh i Ōhrmazd, dōstīh i 'χᵛēš, 'χᵛat ⟨vir⟩ravišn i 'apar ēvak-buništakīh 'ku ham 'ān 'kē aβzāyēnītār zatār, bavandak 'nē fražāmēnīt, 'pat 'avēšān zāy *apākīh Āz 'ēt i 'tō 'bē žōyēt, dām ⟨i⟩ 'tō, χᵛat 'pat suδ frāč 'mīrēt, 'čē 'nē ayāpēt 'hač Ōhrmazd dāmān χᵛarišn, humānākīh i ⟨va⟩zaγ-ē 'kē 'andar 'āp zīvandak, 'ut 'tāk 'āp hamē āhōkēnēt, *aš 'χᵛat pat-iš hamē zīvēt, 'ut 'kaδ-aš 'āp hač-iš 'apāč *'graft, murtak hušk 'bavēt.*

(36) *'ut Āz ēvak-čihrīhā 'nē tavān 'būt āhōkēnītan 'tāk dāmān parkandak 'bavēt, *aš zō(h)rān 'pat yumē ravāk 'būtan i 'andar dām rāδ, 'ō 3 baχt i 'hast čihrīk, 'bē čihr 'ut bērōn 'hač čihr. čihrīk 'ān *'kē 'andar χᵛartārīh 'kē-š 'ǰān ov-iš bastak: 'bē čihrīk kāmakōmandīh i 'apar gumēčišn 'kē 'χᵛat varan 'χᵛānīhēt 'kē 'pat vēnišn i 'ō 'bē 'ān i andarōn hangēžīhēt 'ut čihr i tan ōštāβīhēt: bērōn 'hač čihr ārǰōk i 'ō katār-ič-ē nēvakīh i 'vēnēt ayāp āšnavēt.*

(37) *'har tōβ-ē 'ō 2 baχt; 'ān i čihrīk 'hast suδ tišn; 'ān i 'bē čihrīk 'hast rēčāk patīr⟨ā⟩k; 'ān i bērōn 'hač čihr 'hast appurīhā handōχtan, penīhā 'bē 'nē 'dātan.*

(38) *'ēt 'hast 'kē-š 'vattarīh 'andar fravand. 'ut [aβdom] paytāk 'ku aβdom *čārgarīh i Āz rāδ Ašvahišt 'pat ham-zō(h)rīh i Airyaman frēstak 'bē 'ō zamīk 'āyēt, 'ō dāmān 'apar garān-vināsīh *i gōspand sarδakān 'zatan, kam-*sūtīh i hač-iš ⟨ni⟩māyēt; 'ēn-ič framāyēt 'ku 'mart 'hēt, 'mā ētōn gōspand 'bē kušītār *'bavēt čēγōn-tān pēš frāč 'pat *'nūn *kušīt.*

(39) *'kaδ nazd 'ō fraškart-kartārīh 'bavēt, niγōχšītārān i Ašvahišt framān 'hač gōspand-zatārīh 'gōšt ['ut] χᵛarišnīh 'bē vartēnd, 'ut 4 ēvak *nērōk i Āz 'bē kāhēt, nēvakīh i 'andar tan 'ō 'hast, 'bē ānāβīhast, tam-ič tār bahrīhā *'zat: *mēnōkīkīh 'ō čihr apērtar patmōčīhēt, dānišnān rōšntar ayāpīhēt.*

(40) *frazandān i 'hač 'avēšān 'zāyēnd Āz 'andar tan *apātyāvandtar 'ut tan kam-gandaktar, 'ō yazdān *čihr ham-patvand-tar. 'pat hamōχtārīh i yazdān 'hač pēm-χᵛarišnīh vartēnd; nēmak nērōk i Āz 'bē kāhēt.* (41) *'avēšān-ič 'zāyišnān aχᵛarišnīh rāδ hubōδ, kam-tārīk, mēnōk-čihr 'ut a'zāyišnōmand 'bavēnd.*

(42) *'ut 'pas Āz *'dēv, 'nē ayāftan i nērōk 'hač Ōhrmazd dāmān ⟨rāδ⟩, 'bē 'ō Ahriman 'kē-š 'pat spāhpatān sardār paytākēnīt, ['ut] ruzdakīhā 'andar 'ō dāmān rat patkārt 'ku-m sēr hanburt 'kunēt, 'čē 'nē ayāpēm 'hač Ōhrmazd dāmān χᵛarišn zō(h)rān.* (43) *'pat framān i Ahriman 'dēv i χᵛartak 'bē aβsihēnēt. aβdom 'ān i 4 spāhpatān frāč 'mānēnd 'ut 'an 2 i Ahriman Āz.*

(44) *frāč 'ō zamīk 'āyēnd Ōhrmazd, Ahriman, Srōš, Āz. ['ō] Ōhrmazd*

*Ahriman 'zanēt: 'tāk *baχtīk būt Āz 'apāk Ahriman, čār 'nē ayāpēt, 'ān-ič rāδ 'kaδ Ōhrmazd visp-dātār i rōšnīh, 'ut-aš tārīkīh i Ahriman pityārak; Srōš-ahrāy i patmānīk 'hast mēnōk i patmān, 'ut-aš Frēhbūt 'ut *Apēbūt i Āz pityārak: hambrēh 'hēnd 'pat kōχšišn.* (45) *'bē čēγōn Āz 'apāk baχtīk ⟨nē⟩ 'bavēt, Ahriman ēvtāk, 'ut-aš hamēmāl 3, 2 i yut-gōhr i 'hast Ōhrmazd Srōš, 'ut ēvak i ham-gōhr i 'hast Āz ⟨i⟩ baχtīktar: 'kaδ-aš aδyār 'bē 'ō hamēmālīh *gašt, hambatīk pērōžīhēt.*

(46) *'kaδ 57 'sāl 'ō fraškart-kartārīh 'apāč 'ō 'zāyišn 'bavēt i Sōšyans, spurrīkgarīh 'ān i *'bē 'ō Zartušt 'bē 'dahīhēt.*

(47) *'apar Zartušt ōγōn paytāk 'ku 'pat 30 sālak 'bē 'ō ham-pursīh i Ōhrmazd mat, 'ut-aš dēn patiγraft, 'ut-aš yazdīkīh ravākēnīt. 'pat 57 'sāl dēn 'pat 7 kišvar bahrakīhā 'bē mat. čēγōn dēn 'ō ravākīh mat, druž 'hač āškārak-paytākīh [i] 'bē 'ō hačaδar zamīk . . . bahrīhā nērōk-šān akārīhast.*

(48) *'kaδ 'ān spurrgar frēstak i 'hast Sōšyans parvānak Airyaman 'pat zamīk paytāk 'bavēt, 'pat ham-handāčakīh 'pat 30 sālak 'bē 'ō mēnōkān [i] ham-*pursēt. dāt i fraškart-kartārīh ham 'pat 57 'sāl; bavandak-ravākīhā 'pat 7 kišvar 'bē 'ravēt; 'pat bavandak-ravākīh ānāβīhēt druž 'hač dāmān.*

(49) *'kaδ aβigat 'ō dām mat, frāč 6000 'sāl i ōšmartīk, i 'hast 'hač Fravartīn 'māh, Ōhrmazd 'rōč 'tāk rōčkār 'apāč 'ō Fravartīn 'māh, Ōhrmazd 'rōč [i] gašt, 'mānd 'ēstēt, 'ō uspurrīkīh i 6000 'sāl i vihēžakīk *4 'sāl humānākīh [i]; 'čē 'har 4 'sāl 'rōč-ē vihēžak, 'nē āβzōn; 'pat 6000 'sāl 4 'sāl humānāk 'bavēt. 'pat 'ān gās nišān 'bavēt i ristāχēz, 'ut spihr 'bē yumbēt, ravišn ⟨i⟩ χ^varšēt, māh, *starān *gaδ aδvēnak* 'bavēnd; čēγōn spihr vartišnīk, andarvāy 'ut zrēhān 'hamist zamīk 'ut mānišnān 'hač čihrīk ⟨rās⟩ 'bē *vartēnd. 'pat zamīk humānākīh i čašmakīhā i 'āp 'vasān gyākān čašmak ⟨i⟩ ātaχš 'ul uzēnd.* (50) *'ēt rāδ 'čē Ōhrmazd 'pat 'āp 'bē 'dāt, 'pat ātaχš fražāmīhēt: 'čē 'āp čihr dārēt i rōšnāk 'ut vaχšāk, ātaχš sōčāk pātēr⟨ān⟩gar i tōhm: čēγōn 'kaδ tōm i urvarān 'bē 'ō 'āp 'rasēt, aš zō(h)r i vaχš⟨ā⟩kīh, 'ut-aš χ^vēt 'bavēt.*

(51) *'kaδ 'ān ātaχš 'pat zamīk paytāk 'bavēt, āpān 'andar 'ō ōpāδišn 'ēstēnd, 'ut vārān-ič 'hač vārišn 'apāč 'ēstēnd 'tāk 'āp 'pat zamīk frahistān 'apāč 'ō *avērānīh aβspārīhā⟨t⟩ 'ut čihrān i 'apar zamīk ātaχš hamīkīh rāδ, gōnak 'ō maδīh(?) *vartāt vaχšākēnāt*, 'ut *varz apātyāvand 'bavēnd.*

(52) *'kaδ 3 'māh 'ō ristāχēz 'apāč, 'ō artīk 'bavēt i 'vazurg, čēγōn 'pat bun dām 'ut dahišn 'andar kōχšišnīh ⟨i⟩ druž. 90 rōč-šapān kārēčār būt, artīk i 'hast 30 'rōč 'ut 'šap *'pat vārān i χrafstar-zatār, 30 'rōč 'šap 'pat tāčišn 'hač 'mēγ 'kē-š urvar pat-iš vaχšēt, 30 'rōč 'šap 'pat vāt 'kē 'āp 'bē rānēnēt, zamīk aδar *dārišn 'ul *dārišn i gōr 'ut *čakāt 'bē kart.* (53) *'bē čēγōn 'ān i 'vazurg artīk 'pat bun ⟨pat⟩ vārišn i 'āp 'ut vāt i 'āp savāk 'būt, 'ān 'pat sar 'pat tāpišn 'ut tapišn i 'hač ātaχš 'ut škift vāt i ātaχš aβrōčāk.* (54) *čēγōn 'ān i artīk 'apar 90 'rōč-šapān yazdān 'apāk 'dēvān-ič 'ut ǰēh būt, 'ān 'pat aβdom*

*āškārak-paytākīhā 'vēnīhēt, šapān 'andar andarvāy ātaχš karp, 'mart dēs, mēnōkān mēnīt, ātaχšīk ⟨pat⟩ *bārak i 'asp humānāk škift: apēgumān 'bavēnd.*

NOTES

§ 6. *paδ*: reading so instead of *pīh* 'fat': v. Henning, *Book of Giants*, BSOAS, xi, p. 63, n. 1. In addition to the Manichaean parallels in Chinese, Uiγur Turkish, and Soghdian cited there, we have the series 'veins, hair, bone, sinews (*pay*) and blood' in Nāṣir i Khusrau, *Dīvān*, p. 307, l. 23 (ed. Tehran, A.H. 1306–7). Cf. Part I, Chapter V, p. 145, n. G.

§ 19. *dašnak 'ut hōyak*: so both here and in § 33 rather than *gašnak 'ut andak* previously read. Fr. P. J. de Menasce kindly pointed out the error in § 33 shortly after the translation appeared in article form.

TRANSLATION

On the final rehabilitation.

(1) It is revealed in the Religion that Zoroaster asked Ohrmazd (saying), 'Shall bodily creatures who have passed away on earth, receive their bodies back at the final rehabilitation or shall they be like unto shades?'

(2) Ohrmazd said, 'They shall receive their bodies back and shall rise again.'

(3) And Zoroaster asked (saying), 'He who hath passed away is torn apart by dog and bird and carried off by wolf and vulture: how shall (their parts) come together again?'

(4) Ohrmazd said, 'If thou who art Zoroaster hadst to make a wooden casket, would it be easier to make it if thou hadst no wood and yet hadst to cut and fit it, or if thou hadst a casket and its parts were sundered one from the other and thou hadst to fit it together again?'

(5) Zoroaster said, 'If I had a branch of wood, it would be easier than if I had no wood; and if I had a casket (and its parts were sundered one from the other), it would be easier. . . .'

(6) Ohrmazd said, 'When those creations were not, I had power to fashion them; and now when they have been and are scattered abroad, it is easier to fit them together again. (7) For I have five store-keepers who receive the bodily substance of those who have passed away. One is the earth which keeps the flesh and bone and sinews of men: one is the water which keeps the [flesh and] blood: one is the plants which preserve the hair of the head and the hair of the body: one is the light of the firmament(?) which receives the fire: and yet another is the wind which ⟨gives back⟩ the spirit of my own creatures at the time of the rehabilitation.

(8) I call upon the earth and ask of it the bone and flesh and sinews of

Gayōmart and the others. (9) The earth saith, "How shall I bring them, for I know not which is the ⟨bone, flesh, and sinews⟩ of the one ⟨and which of the other⟩?"

(10) I call upon the water of the Arang which is the Tigris among rivers (saying), "Bring forth the blood of those men who are dead." (11) ⟨The water⟩ saith, "How shall I bring it, for I know not which is the blood of the one and which of the other?"

(12) I call upon the plants and ask of them the hair of the dead. (13) The plants say, "How shall we bring it, for we know not which is the hair of the one and which of the other?"

(14) I call upon the wind and ask him for the spirit of those men who are dead. (15) The wind saith, "How shall I bring it, for I know not which is the spirit of the one and which of the other?"

(16) When I who am Ohrmazd look down upon the earth, water, plants, light, and wind, in my clear sight I know and distinguish the one from the other: for in my omniscience and clear thought I distinguish the one from the other even as when a man milks the milk of female beasts and it runs down upon this earth in the same channel, one stream into the other, he knows of which of his beasts it is. I recognize them even as when a man hath thirty horses and each horse has a caparison with a mark on it (to show) to which horse it belongs, and those thirty caparisons stand together, and the man (then) wishes to know; he takes off the caparisons and knows by the mark on the caparison which of his horses is which.

(17) I shall send forth Airyaman the Messenger among whose duties is the fulfilment of the end. (18) He will bring the bone and blood and hair and light and spirit of Gayōmart and Mašyē and Mašyānē. (19) And first shall I fit together again the bones of Gayōmart—and the bones of Mašyē and Mašyānē lie together near him, to the right and to the left—these shall I bring forth.

(20) And it is easier for me to fit together and create again the twelve creations that I created in the beginning: first when I created the sky without pillar or support which no material creature supports from any side; and second when I established the earth in the middle of the sky so that it was nearer to neither side, like the yolk of an egg in the middle of an egg; and third when I fashioned the Sun; fourth when I fashioned the Moon; ⟨fifth when I fashioned the stars;⟩ sixth when I created many hues, colours, and tastes in the plants; seventh when I created fire within the plants and it did not burn; eighth when I brought corn to the earth, and when it is full grown, it bears fruit and serves as food for man and kine; ninth when I formed the embryo within female creatures and covered it up

so that it did not die and, as it grew, I revealed one by one the bone, blood, hair, phlegm, sinews, and nails; tenth when I made birds in bodily form to fly in the air; eleventh when I gave the water feet moving forward like unto a hare(?); twelfth ⟨when I created the clouds⟩ that carry the water up and rain it down.'

(21) The creating of creation, the progress of Religion, and the final rehabilitation are like unto the building of a house. (22) For a house can only be completed by means of three things, that is the foundation, the walls, and the roof. Creation is the foundation, the progress of Religion the walls, and the rehabilitation the roof. (23) As when a man desires to build a house, he chooses three men of whom one is most skilled in laying the foundation, one in raising the walls, and one in making the roof; and each is assigned to his proper work. Till the foundation was laid and the walls raised, it was not possible (to make the roof). (24) He who bade the house (be built) knows clearly how many things are needed to complete it, and because he has no doubt concerning the skill of the maker of the roof, long does he confidently wait. When the walls are completed, it is as easy for him whose business is the roof, to roof (the house) in as (it is) for the other two in the work that is assigned to them.

(25) And again the rehabilitation was like unto a dark night: when the night draws to its close, the Sun rises over three corners of the earth and returns to its proper place and completes its cycle and comes to shine anew and smites the darkness and gloom.

(26) It was like unto the Moon which waxes for fifteen (nights) and for fifteen wanes. When it has completely disappeared, it is born anew and is manifest in the sheen (it has) from the Sun, the lord of lights: the restoration of the world of the resurrection is made manifest thereby.

(27) It was like unto the year in which, in spring, the trees blossom, in summer they bear fruit, in autumn they bear the last fruits, and in winter they become dry and as if dead. (28) When the order of the years is fulfilled, Mihr (the Sun) returns to his first place, day and night are equal in measure, and the atmosphere (returns to) its original(?) equilibrium.

And the resurrection of the dead is like unto dry trees and shrubs that put forth new foliage and shoot forth tender saplings. (29) Since stability must be restored the end of all natural things is in the same manner as their beginning, even as man whose coming to be springs from the semen or as the plants whose becoming is from seed; their perfection and end are in the selfsame seed.

(30) In the Religion thus is it revealed—When Ahriman rushed into creation, he had the brood of the demon Whore of evil religion as his

companion even as a man has a whore woman as his bedfellow; for verily the whore is a demon: and he appointed the demon Whore queen of her brood, that is the chief of all the whore demons, the most grievous adversary of the Blessed Man.

(31) And ⟨the demon Whore⟩ of evil religion joined herself ⟨to the Blessed Man⟩; for the defilement of females she joined herself to him, that she might defile females; and the females, because they were defiled, might defile the males, and (the males) would turn aside from their proper work.

(32) And he chose a captain of his commanders who is none other than Āz (concupiscence): and he gave her four commanders to help her, who are Wrath and Winter and Old Age and Bane, like unto the East and West and South and North. (33) Āz chose commanders, captains of the right and captains of the left, which are hunger and thirst: so too did Old Age (choose) lamentation and mourning: so too did Bane (choose) excess and deficiency.

(34) At the final rehabilitation first a means of overcoming Āz is sought, for she is the captain of the commanders of the other lies, and from her has Ahriman of evil religion most strength. (35) When first creation began to move and Zurvān for the sake of movement brought that form, the black and ashen garment to Ahriman, (he made) a treaty in this wise, 'This is that implement like unto fire, blazing, harassing all creatures, that hath the very substance of Āz. When the period of nine thousand years comes to an end, if thou hast not perfectly fulfilled that which thou didst threaten in the beginning, that thou wouldst bring all material existence to hate Ohrmazd and to love thee—and verily this is the belief in the one principle, that the increaser and destroyer are the same—then by means of these weapons Āz will devour that which is thine, thy creation; and she herself will starve; for she will no longer obtain food from the creatures of Ohrmazd—like unto a frog that liveth in the water; so long as it defileth the water, it liveth by it, but when the water is withdrawn from it, it dieth parched.'

(36) And Āz because she had only one nature, had not the power to cause defilement as long as creatures were dispersed. That her powers might work together within creation, she divided them in three, that is 'that pertaining to natural functions', 'that pertaining to natural functions directed outward', and 'that outside the natural functions'. That pertaining to the natural functions consists in eating on which life depends: that pertaining to the natural functions directed outward is the desire to mingle (copulate) which is called lust (Varan) through which, by a glance outward,

the inwards are excited and the natural functions of the body thrown into turmoil: that outside the natural functions is the yearning for whatever good thing one sees or hears.

(37) Each part was divided into two: that pertaining to the natural functions is hunger and thirst; that pertaining to natural functions directed outward is the emitting and receiving (of seed); that outside the natural functions is hoarding by robbery and refusing to give through avarice.

(38) This is she who comprises (all) evil. And it is revealed that at the end Artvahišt will come to earth with the powerful help of Airyaman, the Messenger, to find a means of overcoming Āz, and he will show to creatures that the slaughter of the divers kinds of cattle is a grievous sin and that the profit therefrom is small: and this will he command, 'Ye are men; slaughter not the cattle even as hitherto ye have slaughtered them.'

(39) When the time of the rehabilitation shall draw nigh, those who hearken to the command of Artvahišt will turn from the slaughter of cattle and the eating of flesh, and one quarter of the power of Āz will dwindle, and the strength that is in her body will be destroyed, and the darkness and gloom will be smitten in part: nature will be clad in spirit and intelligences will be more clearly grasped.

(40) In the bodies of the children that are born to them Āz shall be less strong and their bodies shall stink less, and their nature will be more closely bound to the gods. Instructed by the gods they will turn away from the drinking of milk; half the power of Āz will dwindle. (41) And those who are born to them will be sweet-smelling, lacking darkness, spiritual in nature, without offspring, for they will not eat.

(42) And then the demon Āz, since she will derive no power from the creatures of Ohrmazd, will chide Ahriman who appointed her captain of his commanders (saying) in her greed to the judge of creatures, 'Satisfy me, satiate me, for I derive nor food nor strength from the creatures of Ohrmazd.' (43) At the command of Ahriman she will destroy the lesser demons. At the last (only) those four commanders will remain, and the other two, even Ahriman and Āz.

(44) Forth to the earth come Ohrmazd and Ahriman, Srōš and Āz. Ohrmazd smites Ahriman: so long as Āz was in league with Ahriman, he found no means of overcoming him, for Ohrmazd is the all-creator of light and the darkness of Ahriman is his adversary: Srōš, the moderate and blessed, is the genius of the Mean and the excess and deficiency of Āz are his adversary: they are of equal stature in the battle. (45) But when Āz is ⟨no longer⟩ in league with (Ahriman), Ahriman is alone, and his adversaries are three—two of a different substance, that is Ohrmazd and Srōš, and one

of the same substance, that is Āz, his greatest ally (heretofore). When his helpmate turns to enmity, the Adversary will be vanquished.

(46) When fifty-seven years have yet to pass till the final rehabilitation, the birth of Sōšyans will come to pass, the consummation of that which was bestowed on Zoroaster.

(47) Concerning Zoroaster thus is it revealed—for thirty years he conferred with Ohrmazd, and he received the Religion and spread godliness abroad. In fifty-seven years the Religion reached the seven climes in part. When the Religion made progress, the Lie, once manifest and plain to see, ⟨fled⟩ beneath the earth and its power was partially destroyed.

(48) When the Messenger of the consummation who is Sōšyans, the envoy and Airyaman, appears on earth, in like manner will he confer for thirty years with the spiritual gods. The term allotted for the final rehabilitation is also fifty-seven years. The Religion will reach the seven climes in its plenitude, and by the wholeness of its propagation the Lie will be uprooted from creation.

(49) When the Aggressor came upon creation, six thousand years of the 'reckoned calendar' remained—that is from the day of Ohrmazd in the month of Fravartīn until the period returns to the day of Ohrmazd in the month of Fravartīn. For the completion of six thousand years of the intercalating calendar the equivalent of four years (is needed): for in every four years there is one intercalated day, not more: in six thousand years that is the equivalent of four years. At that time will come the sign of the resurrection, and the firmament will move (from its course) and the course of the Sun, Moon, and stars will be *like to the planets* (?); and as the firmament turns, so will the atmosphere and the seas, the earth and the abodes (of men) turn from their natural ⟨paths⟩. On the earth, in the likeness of springs of water, springs of fire will arise in many places. (50) For Ohrmazd created with water and will bring about the end with fire: for water has a nature that illumines the seed and causes it to grow, and fire (a nature) that burns and thwarts it: for when the seed of plants comes to water, it receives the power of growth and becomes moist.

(51) When the fire appears on earth, the waters begin to sink and the rain ceases to rain till most of the waters on the earth are turned into desert, and the colour of plants on earth turns to the colour of wine(?) because of their union with fire, and they are burnt up and the tillage will be of no effect.

(52) When but three months have yet to pass before the Resurrection, it will come to the great battle even as in the beginning creation wrestled with the Lie. For ninety days and nights there was war, a battle of thirty

days and nights by the rain that smites noxious beasts, of thirty days and nights by the streaming forth of the vapours through which the plants grow, of thirty days and nights by the wind which drives the water on and supports the earth below and above and makes hollows and heights.

(53) But as the great battle in the beginning was by the raining of water and the wind that furthers water, so is the (battle) in the end by the burning and scorching of fire and the fearful wind that makes the fire to blaze.

(54) As (first) for ninety days and nights the gods did battle with the demons and the Whore, so in the end, manifest and plain, there will be seen by night and in the atmosphere a form of fire in the shape of a man, conceived by the spiritual gods, riding, as it were, a fiery horse, and fearful (to behold): and they shall be freed from doubt.

Z 5 (*b*). From the *Pahlavī Rivāyat* 48, §§ 90–96. v. also BSOS. x, pp. 626–7.

(90) **Ēšm 'ut Āz 'bē 'ō ganāk mēnōk 'gōβēt 'ku dušdānāk ganāk mēnōk, 'bē 'tō žōyam, 'čē-t 'bē 'hač 'tō dām 'graft, ⟨'nē⟩ ganǰ 'nē-ič gund, 'ut 'man zīvastan 'nē tavān.* (91) *fratom Āz i 'dēvān-dāt 'bē *žōyēt Ēšm i χur-druš, 'ut ditīkar zimastān i 'dēvān-dāt, 'ut sitīkar sēž i nihān-ravišn, 'ut 4-om zarmān i *dušdaft 'bē *žōyēt 'tāk hēč-ē frāč mānēnd* (92) *⟨'bē 'hač⟩ ganāk mēnōk 'ut Āz i 'dēvān-dāt. 'gōβēt Āz i 'dēvān-dāt 'bē 'ō ganāk mēnōk 'ku 'bē 'tō žōyam, dušdānāk, 'čē yazdān 'bē 'hač 'tō dām *'graft.* (93) *ganāk mēnōk 'ul ēstēt, 'bē 'ō spēnāk mēnōk 'šavēt, ētōn *davēt 'ku 'man 'ēn dām 'dāt 'ut Āz i 'dēvān-dāt 'kē-š dām ⟨i⟩ 'man žūt, 'nūn 'man 'bē 'kāmēt žūtan; 'tō 'pat dātaβarīh 'kunam.* (94) *Ōhrmazd 'apāk Srōš ahrov 'ul ēstēt 'ut Srōš-ahrāy[īh] Āz 'bē 'zanēt, Ōhrmazd ganāk mēnōk.* (95) *'apāk spistēn(?) tārīkīh 'ut anākīh ⟨i⟩ fratom 'kaδ 'andar duvārast, 'andar āβurt, hamāk 'pat sūrāk 'ku 'andar duvārast, bērōn āsmān *'kart, 'ut-aš ⟨pat⟩ 'ān sūrāk ētōn start 'ut abōδ 'bē 'kart i 'pas 'hač 'ān sturtīh 'apāč ⟨nē⟩ ēstēt.* (96) *būt 'kē-š guft 'ku yāvētānakān 'pat *ōžanišn aδvēnak akār 'bē 'kart, 'nē 'pas ganā⟨k⟩ mēnōk 'bavēt, 'nē 'ān i 'avē dām.*

TRANSLATION

(90) Ēšm (Wrath) and Āz say to the Destructive Spirit 'O thou Destructive Spirit of evil knowledge, I shall swallow thee, for (all) creation has been taken away save thee, and there is neither treasure nor army, and I cannot live.' (91) First Āz, the demon-created, swallows Ēšm of the bloody spear, and second the demon-created Winter, and third Bane that moves in secret, and fourth she swallows Old Age whose breath is foul, so that

none remain (92) ⟨save⟩ the Destructive Spirit and Āz, the demon-created. Āz, the demon-created, says to the Destructive Spirit, 'I will swallow thee, O thou of evil knowledge, for the gods have taken away (all) creation save thee.' (93) The Destructive Spirit rises up and goes towards the Bounteous Spirit, and cries out thus, 'I created this creation, and Āz, the demon-created, who has swallowed my creation, now desires to swallow me: I make thee judge over us.' (94) Ohrmazd arises with Srōš, the Blessed, and Srōš, the Blessed, smites Āz, and Ohrmazd the Destructive Spirit. (95) With all the foul(?) darkness and misery which he brought into (the world) when he first rushed in, he is thrown out of the sky through the hole by which he rushed in: and at that hole he is laid low and made unconscious so that he will (never) again arise from that low estate. (96) There have been some who have said that he will be forever powerless and, as it were, slain, and that henceforth neither the Destructive spirit nor his creation will exist.

Z 6. The following text is found in both the *Greater* (Anklesaria, p. 39, l. 11–p. 41, l. 10) and the *Indian* (Justi, p. 8, l. 6–p. 9, l.13) *Bundahišn*. As the difference between the two versions is more marked here than elsewhere, I have transcribed the two texts separately. The text relates the activities of J̌ēh, the Primal Whore; and the Indian version has been translated by Christensen, *Le Premier Homme*, i, p. 15 and extensively treated by Benveniste (MO. xxvi, pp. 187 ff.), who rightly used it to interpret and supplement Theodore bar Kônai's account of the Zoroastrian religion (v. our text F 10). Reference to J̌ēh is also made in the thirty-fourth chapter of Zātspram, § 30 (text Z 5 (*a*)). A full discussion of this problematical figure will be found in Part I, Chapter VII.

Greater Bundahišn 39. 11 ff.

⟨*'apar*⟩ *duvārastan i aβigat 'ō dām.*

'gōβēt 'pat dēn 'ku ganāk mēnōk, 'kaδ-aš akārīh ⟨i⟩ 'χᵛēš 'hamist 'dēvān 'hač 'mart i ahrov 'dīt, start 'būt; 3000 'sāl 'pat sturtīh 'sāyast. 'andar 'ān sturtīh kamālakān 'dēvān yut yut davīt 'hēnd 'ku 'apar āχēz, 'pit i 'amāh, 'čē 'ān kārēčār 'kunam, 'ān 'i-š Ōhrmazd 'ut amahraspandān tangīh ⟨'ut⟩ anākīh hač-iš; 'ut-šān yut yut duškunišnīh i 'χᵛēš dōkānīk ōšmurt. 'ut-aš 'nē rāmīhast 5
'avē i druvand ganāk mēnōk, 'ut 'nē χāst 'hač 'ān sturtīh, bīm i 'mart i ahrov

*rāδ, 'tāk 'kaδ Jēh druvand mat 'pat bavandakīh ⟨i⟩ 3000 'sāl, davīt 'ku 'apar āχēz, 'pit i 'amāh, 'čē 'man 'andar 'ān kārēčār and-čand bēš *'apar 'mart i ahrov, 'gāv i varzāk 'hilam 'ku kunišn i 'man rāδ zīvand⟨ak⟩īh 'nē apāyēt,*
10 *'ut-šān 'χᵛarr 'bē 'appuram, bēšēm 'āp, bēšēm zamīk, bēšēm ātaχš, bēšēm urvar, bēšēm harvisp dahišn i Ōhrmazd-dāt. 'ut-aš 'ān duškunišnīh ōγōn 'pat dōkān ōšmurt 'ku ganāk mēnōk 'bē rāmīhast, 'hač 'ān sturtīh frāč ǰast, 'sar ⟨i⟩ Jēh 'apar bōsīt. 'ēn rīmanīh ⟨i⟩ daštān 'χᵛānēnd 'pat Jēh paytāk 'būt. davīt ganāk mēnōk 'ō *Jēh-dēv*•'ku-t 'čē kāmak 'hēt, 'χᵛāδ, 'tāk-at 'daham. 'aδak Ōhr-*
15 *mazd 'pat χrat ⟨i⟩ harvisp-ākāsīh 'dānast 'ku 'pat 'ān zamān 'čē Jēh-dēv 'χᵛāδēt, ganāk mēnōk attōk 'dāt, 'ut-aš 'pat 'ān mas-sūtīh. 'ān ganāk mēnōk karp [i] dītan dēs ⟨i⟩ vazaγ. 'ut-aš 'mart ⟨i⟩ yuvān i 15 'sālak humānāk 'ō Jēh-dēv nimūt. 'ān i Jēh-dēv mēnišn ov-iš bast. 'ut-aš davīt Jēh-dēv 'ō ganāk mēnōk 'ku 'mart-kāmakīh 'ō 'man 'dah, 'ku-š 'pat sardārīh 'andar mān 'bē*
20 *nišēnam. 'ut-aš davīt ganāk mēnōk 'ku 'čiš 'χᵛāstan 'ō 'tō 'nē 'gōβam, 'čē apē-sūt 'vat 'dānēh 'χᵛāst. 'bē *sačist 'ān zamān *'kaδ-aš 'čē* 'χᵛāst 'hēt, 'nē attōk 'būt 'hēh 'dātan.*

Indian Bundahišn, 8. 6 ff.

'apar duvārastan ⟨i⟩ aβigat 'ō dām.

*'gōβēt 'pat dēn 'ku ganāk mēnōk, 'kaδ-aš akārīh i 'χᵛēš 'ut hāmist 'dēvān 'hač 'mart i ahrov 'dīt, start 'būt; 3000 'sāl 'pat startīh *'sayast. 'andar 'ān startīh kamālakān 'dēvān yut yut drāyīt 'hēnd 'ku 'apar āχēz, 'pit i 'amāh, 'čē 'amāh 'andar 'ān gētēh kārēčār 'kunam, 'ān 'i-š Ōhrmazd 'ut aməšospan-*
5 *dān tangīh 'ut anākīh 'hač-iš 'bavēt. yut yut duškunišnīh i 'χᵛēš 2-kānak ōš-mart. 'ut-aš 'nē *rāmīhast 'avē druvand ganāk mēnōk, bīm i 'mart i ahrov rāδ 'sar 'apar kartan 'nē tavānast 'tāk 'kaδ Jēh i druvand mat 'pat bavandakīh ⟨i⟩ 3000 'sāl, *'ut-aš drāyīt 'ō ganāk mēnōk 'ku 'apar āχēz, 'pit i 'amāh, 'čē 'man 'andar 'ān gētēh kārēčār 'kunam 'i-š Ōhrmazd 'ut aməšospandān tangīh*
10 *'ut anākīh hač-iš 'bavēt. 'ut-aš yut yut duškunišnīh i 'χᵛēš 2-kānak ōšmart; 'ut-aš 'nē rāmēnīt *'avē druvand ganāk mēnōk, 'nē χāst 'hač 'ān startīh bīm i 'mart i ahrov rāδ. 'ut 'dit Jēh i druvand drāyīt 'ku 'apar āχēz, 'pit i 'amāh, 'čē 'man 'andar 'ān kārēčār 'ēn čand *bēš 'apar 'mart i ahrov 'ut 'gāv i varzāk 'hilam, 'ku kunišn i 'man rāδ zīvandakīh 'nē apāyēt; 'ut-šān 'χᵛarr 'bē marn-*
15 *ǰēnam; bēšom 'āp, bēšom urvar, bēšom ātaχš i Ōhrmazd, bēšom harvisp dahišn i Ōhrmazd. 'ut-aš 'ān duškunišnīh ōγō⟨n⟩ 'pat 2-kānak ōšmart 'ku ganāk mēnōk 'bē rāmist, 'ut 'hač 'ān startīh frāč ǰast, 'ut sar i Jēh 'apar bōsīt, 'ut 'ēn rīmanīh i daštān 'χᵛānēnd 'pat Jēh paytāk 'būt. drāyīt 'ō Jēh 'ku-t 'čē kāmak, 'tāk-at 'daham. 'ut-aš drāyīt Jēh 'ō ganāk mēnōk 'ku 'mart-*kāmakīh 'tāk 'ō 'man*
20 *'dah. ganāk mēnōk karp dītan d⟨ē⟩sak i vazaγ [karp]. 'ut-aš 'mart i yuvān i 15 'sālak 'ō Jēh nimūt. 'ān Jēh mēnišn ov-iš 'burt.*

NOTES

Greater Bundahišn, 39. 11 ff.

l. 2. *sturtīh : startīh* P.

'sǎyast: the ideogram for this word is written *ŠKBHWN-* = *šekibūn* (Nyberg, *Glossar*, p. 163). The meaning is certainly 'lie down', but the Iranian equivalent is uncertain and has been the subject of much discussion. The reading of Ind. is [illegible] = *'sahast* which gives us a clue to the interpretation of our word. *'sahast* means 'seemed' and is entirely unsuitable in the context. We must therefore suppose that Ind. has written *'sahast* instead of a nearly homophonous word. Errors of this sort are not infrequent in Ind., cf. *MNŠ* = *'hač-iš* frequently used for *'PŠ* = *'ut-aš* besides *'hač-iš*, also the ideogram for *'ō* 'to' for *'avē* (pronounced *ōy*) 'he': cases of similar misuse of ideogram could be multiplied. Now *ŠKBHWN-* translates Av. *sāy-* 'lie down' (Bartholomae, AIW., col. 1571). Bartholomae l.c. read *nisāy-* inf. *nisītan* in which he was followed by Junker (FrPhl., p. 84): Nyberg rightly objected to the inf. *nisītan* on the ground that the word has the phonetic complement *-astan*, not *-ītan*: he read *niyastan*. The reading of Ind. here, however, proves that our word must have sounded approximately *sahast*. In view of the fact that it translates Av. *sāy-* and that the Pahlavī translators tend to translate Av. words by their Pahlavī derivatives (whether real or supposed), the reading *sǎyastan* seems moderately certain. For *sahast* the expected south-west form would be *sayist* with the usual alternation of *H* and *Y* (representing an older *D*). In this case the two words, in the southern dialect, would be identical in pronunciation. Alternatively one may suppose with Bailey that a form *sah-* existed beside *sāy-*, cf. MP. *zahak*, NP. *zahīdan* beside *zāy-* 'to be born'. For the form in *-astan* we may compare *drāyastan* beside *drāyītan*. The readings of FrPhl. are certainly corrupt: they are [illegible], [illegible], [illegible]. Here the *T* may possibly be used to indicate a pronounced δ, in this case a false 'archaic' writing.

l. 3. *sturtīh : startīh* P.
kamālakān : KM'YLK'NW̲ P.
davīt (*D̲WY̲TW̲*) TD$_2$: *D̲WD̲YT* P.
'pit i P.: *'pit* TD$_2$.

l. 4. *'kunam* [illegible] P.: [illegible] DH.: [illegible] TD$_2$.
First *'ut* P.: om. TD$_2$, DH.
tangīh : tangīhā P.

l. 5. *duškunišnīh : yut kunišnīh* P. *ōšmurt : ōšmārt* P.

l. 6. *ganāk mēnōk*, *'ut*: om. P.
χāst P.: *X'SYNW* TD$_2$, DH.
sturtīh : startīh P.: *STYH* with *LT* above the line DH.

l. 7. *Jēh*: [illegible] TD$_2$: [illegible] DH.: [illegible] P.
davīt (*D̲WY̲TW̲*) TD$_2$: *D̲WY̲D̲TW̲* P.
'apar: om. P.

l. 8. *'amāh*, *'čē* P.: *'apāk* TD$_2$.
**'apar* (*DMM*) *: DMDM* MSS.

l. 9. *zīvand⟨ak⟩īh*: *zīvandīhā* P.

l. **10**. *'bē* (*BR'*) : *BRY* P.
First *bēšēm* TD_2, DH.: *bēšām* P.
Second *bēšēm* P., DH.: *bēšām* TD_2.

l. **11**. *dahišn i* TD_2, P.: *dahišnīh* DH.

l. **12**. *sturtīh* : *startīh* P.
Jēh: [illegible] TD_2: [illegible] DH.: [illegible] P.

l. **13**. *bōsīt* : *BWST* P.
rīmanīh : *L'MNNYH* P.
daštān : *dāštān* P., DH.
Jēh: [illegible] TD_2: [illegible] DH.: [illegible] P.
davīt : variants as in l 7.

l. **14**. **Jēh-dēv**: [illegible] TD_2, DH: [illegible] P.
'tāk-at : *'tāk* P.

l. **15**. *ākāsīh* : *'K'S'* DH.
'ān: om. P.
Jēh-dēv [illegible]: [illegible] P.

l. **16** *'dāt* P., DH.: *'dahēt* TD_2.

l. **17**. *dēs*: written *D̲'S* with the *D* correctly pointed. The word is, of course, identical with MPT. *dys*. The spelling *D'S* (in form identical with *gās*) is remarkable but normal. For the variations in the spelling of this word v. DkM. 746. 13, 14 where we have *D'S* = *dēs*, *DYSYHSTNW̲* = *dēsīhastan* and *DHŠNYH* = *dēsišnīh*. For *dēsak* meaning also 'form' we have the spellings [illegible] and [illegible], the latter form being the more common. The identity of the two words is proved by DkM. 379. 6, [illegible]-*sōhišnīh* 'contact with forms' as compared with ibid. 380. 9, [illegible]-*sōhišnīh* in the same sense. Further ibid. 257. 22: *'har* [illegible] *'pat-ič 'nām i tōhmak i 'andar-aš*, 'Every form (is called) by the name of the seed that is within it.' In DkM., pp. 207–8 all three forms are found. See further, Bailey, *Zoroastrian Problems*, p. 94.

The reading of *sōhišn* is confirmed by MPT. *swh-* (unpublished, information supplied by Professor Henning). Bailey connects it with Av. *θrav-* in *θraviṯ*: Purs. 23 (Darmesteter, ZA. iii, p. 60) *zarətəm . . . nasuš aōi ava θraviṯ*.—'Dead matter touches an old man.' Bailey, ibid., pp. 97 and 229.
humānāk : *hamānāk* P.

l. **18**. First *Jēh-dēv* [illegible]: [illegible] DH: [illegible] P.
Second *Jēh-dēv* [illegible].
davīt : *D̲WY̲Y̲T* P.
Third *Jēh-dēv*: [illegible] TD_2: [illegible] DH. From *Jēh-dēv* to *'ku-š 'pat* is missing in P., the copyist having, apparently, left out a line.

l. **19**. *sardārīh* : [illegible] P.

l. **20**. *davīt* : *D̲WY̲YT* P.
After *'ku* P. adds *'čē*, and for *'čiš* (*MND'M*) reads *MD'M*.
'gōβam : *'gōβēm* P.
apē-sūt P. (*'PY̲SWTW̲*): [illegible] TD_2, DH.

l. 21. *'χ^{v}āst : B' YHWNYSTNW* P.
**sačist : SPSTW* TD$_2$, DH. : [illegible] P.
**'kaδ-aš 'čē* : 'čē 'kaδ-aš* MSS.

l. 22. *'dātan : 'dah* P.

TRANSLATION

Greater Bundahišn 39. 11 ff.

Concerning the onslaught of the Aggressor against creation.

It is said in the Religion that when the Destructive Spirit saw that he himself and the demons were powerless on account of the Blessed Man, he was laid low. For three thousand years he lay stricken. And when he was thus laid low, the demons with monstrous heads cried out one by one (saying), 'Arise, O our father, for we would join the battle from which Ohrmazd and the Amahraspands will suffer straitness and misery'; and one by one they minutely related their own evil deeds. But the accursed Destructive Spirit was not comforted, nor did he arise from his fallen estate for fear of the Blessed Man; till the accursed Whore came after the three thousand years had run their course, and she cried out (saying), 'Arise, O our father, for in that battle I shall let loose so much affliction on the Blessed Man and the toiling Bull that, because of my deeds, they will not be fit to live. I shall take away their dignity (*χ^{v}arr*); I shall afflict the water, I shall afflict the earth, I shall afflict the fire, I shall afflict the plants, I shall afflict all the creation which Ohrmazd has created.' And she related her evil deeds so minutely that the Destructive Spirit was comforted and leapt from his fallen state and kissed the head of the Whore. That pollution which they call menstruation appeared on the Whore. And the Destructive Spirit cried out to the demon Whore, 'Whatsoever is thy desire, do thou ask, that I may give it thee.' Then Ohrmazd in his omniscient wisdom knew that at that time the Destructive Spirit could give whatever the demon Whore asked and that there would be great profit to him thereby. The appearance of the body of the Destructive Spirit was in the form of a frog. And he (Ohrmazd?) showed one like unto a young man of fifteen years of age to the demon Whore; and the demon Whore fastened her thoughts on him. And the demon Whore cried out to the Destructive Spirit (saying), 'Give me desire for man that I may seat him in the house as my lord.' And the Destructive Spirit cried unto her (saying), 'I do not bid thee ask anything, for thou knowest (only) to ask for what is profitless and bad.' But the time had passed when he had not been able to give what she asked.

Indian Bundahišn 8. 6 ff.

Concerning the onslaught of the Aggressor against creation.

It is said in the Religion that when the Destructive Spirit saw that he himself and the demons were powerless on account of the Blessed Man, he was laid low. For three thousand years he lay stricken. And when he was thus laid low, the demons with monstrous heads cried out one by one (saying), 'Arise, O our father, for we would join battle in the material world that Ohrmazd and the Amahraspands may suffer straitness and misery thereby.' One by one they minutely related their own evil deeds. But the accursed Destructive Spirit was not comforted, and for fear of the Blessed Man he could not raise his head; till the accursed Whore came after the three thousand years had run their course; and she cried out to the Destructive Spirit (saying), 'Arise, O our father, for I would join battle in the material world that Ohrmazd and the Amahraspands may suffer straitness and misery thereby.' And one by one (the demons) minutely related their own evil deeds: but the accursed Destructive Spirit was not comforted, nor did he rise from his fallen state for fear of the Blessed Man. Then a second time did the accursed Whore cry out (saying), 'Arise, O our father, for in that battle I shall let loose so much affliction on the Blessed Man and the toiling Bull that, because of my deeds, they will not be fit to live: and I shall destroy their dignity ($\chi^{v}arr$): I shall afflict the water; I shall afflict the plants; I shall afflict the fire of Ohrmazd; I shall afflict all the creation of Ohrmazd.' And she related her evil deeds so minutely that the Destructive Spirit was comforted and leapt forth from his fallen state and kissed the head of the Whore; and the pollution which they call menstruation appeared on the Whore. He cried out to the Whore (saying), 'What is thy desire that I may grant it thee?' And the Whore cried out to the Destructive Spirit (saying) 'Give me the desire for man.' The appearance of the body of the Destructive Spirit was in the form of a frog. And he showed the Whore a young man of fifteen years of age. The Whore fastened her thoughts on him.

Z 7. The following text is taken from the *Pahlavī Rivāyat* accompanying the *Dātastān i dēnīk* and will be found in pp. 127–37 in the edition of Dhabhar, Bombay, 1913. The first four sections of our text have been edited by Tavadia, *Studia Indo-iranica, Ehrengabe für Wilhelm Geiger*, Leipzig, 1931, pp. 239–40. We have omitted §§ 16–21 from our text as they are a fragment from the life of Zoroaster interpolated from another source. As a full

apparatus is supplied in Dhabhar's edition, it has not been thought necessary to reproduce it here.

(1) *'ēt 'ku āsmān čēγōn 'hač 'čē kart ēstēt.*

(2) *aβzār būt čēγōn χᵛaraγ i ātaχš i 'pat rōšnīh 'pāk; 'hač 'ān i asar rōšnīh 'bē brēhēnīt;* (3) *'ut-aš hamāk dām dahišn 'hač 'ān 'bē kart: 'ut 'kaδ-aš 'bē kart būt, aš 'andar 'ō tan burt, 'ut-aš 3000 'sāl 'andar tan dāšt, 'ut-aš hamē aβzāyīt, 'ut-aš 'vēh hamē kart, 'ut-aš 'pas ēvak ēvak 'hač tan ⟨i⟩ 'χᵛēš hamē brēhēnīt.* (4) *'ut-aš nazdist āsmān 'hač 'sar 'bē brēhēnīt, 'ut-aš gōhr 'hač kēn ⟨i⟩ spēt. 'ut-aš pahnāδ 'ut bālāδ rāst. 'ut-aš zahyā⟨δ⟩ i parkān 'ān and 'hast čand pahnāδ i tuhīkīh. 'ut-aš vīnārišn 'pat 'nar i ahrov dahmān āf⟨r⟩īn. 'ut-aš dāštārīh ⟨i⟩ gētēh 'nēst. Ōhrmazd 'apāk dām 'ut dahišn 'andar *'nišast.*

(5) *'ut-aš zamīk 'hač 'pāδ 'bē brēhēnīt; 'ut-aš vīnārišn 'hač kōf. [Miθr χᵛatāy, nēvak dahmān āfrīn, *Rašn i rāst [i], 'ut *rat i ahrāyīh 'pat nēvakīh 'apar aržānīk mēnōk χᵛāstak [i] 'pat ahrov-dāt 'bē 'dahēnd.] 'ut-aš gōhr *'andar 'bē nikand. 'ut-aš kōfīhā 'hač 'ān gōhr 'bē rōδēnīt; 1700 'sāl hačaδar 'ut hačapar 'har 2 hamē rust, 'ut 'pas hačaδar 'bē ēstāt, hačapar 800 'sāl 'dit hamē rust 'tāk 'bē 'ō āsmān. 'ut-aš hačaδar 'ut hačapar girtak pēr⟨ā⟩mōn 'χᵛarr 'āyēt. 'ut-aš humānāk ētōn čēγōn χāyak-ē 'kē-š murvēčak 'andar. 'ut-aš dāštārīh i gētēh 'nēst.* (6) *ētōn čēγōn-aš kōf 'bē rōδēnīt 'tāk 'ēn patmānak i 'hast, *aš zamīk 'pat nēmak i āsmān 'pat star pāδak frāč 'dāt. hač-iš paitištān frapad 'bē brēhēnīt. 'kaδ Ahriman 'andar duvārast, 'aδak-aš frōt *āhaχt: 'pat tan i pasēn 'apāč *ō star pāδak 'šavēt.* [(7) *Harburz zahyā⟨δ⟩ čand pahnāδ i zamīk: pēr⟨ā⟩mō⟨n⟩ Harburz parkān. 'ut-aš pahnāδ i *Harburz and čand* zamīk 'ut star pāδak, nēmak i āsmān. 'hač star pāδak 'tāk māh pāδak 34000 frasang mar. [vēš] 'hač māh pāδak 'tāk 'ō χᵛaršēt pāδak *34000 frasang. 'hač χᵛaršēt 'tāk 'ō āsmān *34000 frasang. 'hač star pāδak 'tāk 'ō 'ētar *34000 frasang, 'ut 'hač 'ēn gyāk 'tāk 'ō āsmān i hačaδar 11000 frasang.* (8) *āsmān gōhr kēn: spēt rōšn; 'ut-aš rōšnīh 'hač 'ān i χᵛaršēt.* (9) *'pas 'hač 'ān i 'kaδ drūž 'ō dām duvārist, 'bē Zartuχšt 'hač gētēhān 'kas-ič 'nē 'dīt. haft kišvar *nendar āsmān. Harburz kōf[īh] 2244 'hast.*

(10) *zrēh i Frāχᵛkart 3 ēvak i 'ēn zamīk.*] (11) *'ut-aš 'āp 'hač ars 'bē brēhēnīt, 'hast 'i-š 'andar 'ō zamīk gumēχt, 'ut 'hast 'i-š 'apar 'bē *ēstēnīt, 'ut 'hast ⟨'i-š 'andar⟩ andarvāy 'bē *ēstēnīt: 'ut hamāk 'pat ravišn 'ēstāt.* (12) *'har 'ān 'kē-š zōhr vēš 'ut-aš *hiχrīh kam, 'pat 3 'sāl; 'ān 'kē-š 'har 2 rāst, 'pat 6 'sāl; 'ān 'kē-š *hiχrīh vēš 'ut-aš zōhr kam, 'pat 9 'sāl 'apāč 'ō zrēh i Frāχᵛkart 'rasēt.*

(13) *'ut-aš urvar 'hač mōδ 'bē brēhēnīt, 'ut nazdist ē bun-ē vitast, 2 angust 'pat bālāδ būt; 'ut-aš hamāk sarδak urvarān 'andar būt, 'bē ē sarδak. 'ut-aš 'pat Ērānvēž frāč dāt.* (14) *'pas 'hast murvān, 'hast i 'pat 'āp, 'ut 'hast i*

*'martōmān gyāk gyāk 'bē burt *'ō vēšak-ič ⟨'ut⟩ 'andar zrēh. 'ut Hōm i spēt 'ut apārīk urvar i 'andar gēhān 'hač 'ān 'bē 'būt. 'ut-aš *āsānīh 'hač 'āp 'ut zōhr 'ut *zargōn i 'pāk. 'ut-aš dušχ^{v}ārīh 'hač 'ān i 'kaδ adātastānīhā 'bē 'brīnēnd ayāp 'bē 'škēnēnd. 'ān sarδak 'i-š 'paš 'dāt, 50 sarδak 'būt.*

(15) *'ut-aš 'gāv *hač 'dast ⟨i⟩ dašn 'bē brēhēnīt; 'ut-aš 'andar Ērānvēž frāč 'dāt. 'ut-aš 3 *nay *'pat bālāδ *'ut pahnāδ būt. 'ut 'kaδ-aš Ahriman 'apar mat, 'pat gyāk 'bē 'murt. 'ut-aš šusr 'pat gyāk 'bē 'ō zamīk mat. hamāk sarδak i gōspandān ⟨i⟩ Ōhrmazd 'hač 'ān šusr 'bē kart. 'ut-aš nazdist 'hač 'har sarδak-ē ēvak 'nar 'ut ēvak 'mātak 'bē kart, 'ut 'pas patvand 'hač 'avēšān 'bē 'raft. 'ut-šān 'χ^{v}ašīh 'ut āsānīh 'hač 'āp 'ut vāstar *pāyišn, nēvak zimastān *'ut hāmēn *i 'pāk. 'ut-šān dušχ^{v}ārīh 'hač 'ān 'kaδ-šān adātīhā 'bē kušēnd, 'ut-šān kār adātīhā framāyēnd, 'ut-šān 'āp 'ut vāstar 'nē 'dahēnd, 'ut-šān pāyišn . . . 'ut-aš gurs⟨nak⟩īh 'ut tišnakīh ētōn mat 'i-š ōž zō(h)r 'ut nērōk 'ut vēnišn 'ut āšnavišn 'i-š 'bē 'šut.*

* * * *

(22) *gōspand 262 sarδak 'hast, 'ut 'ān[i] 5 aδvēnak.* (23) *aδvēnak-ē 'ān 'kē-š sumb 2-kānak čēγōn 'gāv,* (24) *aδvēnak-ē 'kē-š sumb girt čēγōn asp,* (25) *aδvēnak-ē 'ān i 'kē 'pāδ čēγōn 'ān i 'uštur;* (26) *aδvēnak murv, aδvēnak āpīk 'ut māhīk. 'bē gōspand-ē aδvēnak 'hač apistāk čāšt.* (27) *'sag 'ut sārīgar, varāγ ⟨i⟩ siyāh 'ut dālman 'ut 'tāk apārīk *'nē apāyēt 'χ^{v}artan, 'sag 'ēt rāδ 'čē šusr i Gayō(k)mart 'čiš 'andar 'hast, 'ut sārīgar [i] 'ut varāγ ⟨i⟩ siyāh 'ut dālman tan hamāk *hiχrīh 'ut 'pat nasāy 'χ^{v}artan 'dāt 'ēstēnd.*

(28) *'ut-aš ātaχš 'hač vārom 'bē brēhēnīt. 'ut-aš brēh 'hač 'ān asar rōšnīh brēhēnīt.* (29) *'ut-aš urvar 'bē 'dāt, 'ut-aš ātaχš 'andar 'bē 'dāt. 'ut-aš āfrīn ov-iš kart, 'ku 'kē 'šmāk 'nē 'hēt ātaχš-kartār 'ku ātaχš hač-iš 'nē šāyēt 'vēχt, 'ān 'šmāk 'hēt ātur-sōk, 'ku 'kaδ-aš 'apar 'nihēnd, ē frāč 'gīrāt.* (30) *'kaδ-aš tan 'bē 'ō gētēh kāmist 'dāt, aš garzišn kart 'ku 'bē ⟨'ō⟩ gētēh 'nē 'šavam, 'čē-m anākīh 'vas pat-iš 'kunēnd.* (31) *'pas Ōhrmazd ātur gušnasp 'pat Āturpāt⟨ak⟩ān 'pat varhrānīh 'bē 'nišāst.* (32) *'ut-aš guft 'ku 'martōm *kār i* yazišn 'ō ātaχš kat⟨ak⟩īk pātaχšāyōmand framūt: 'kaδ-šān ē *yazišn framūt 'hāt, ⟨ēsm⟩ 'bē 'ō ātaχš varhrān 'barēnd, 'ut-at [i] arg 'bē 'kunēnd.* (33) *'ut 'pas 'pat 'āmatan i 'ō gētēh 'andar ēstāt, 'ut ham-dātastān 'būt.* (34) *'ut Ōhrmazd 'pat pātdahišn [i] hamāk ātaχš varhrān 'pat ahrāyīh paytākēnīt.* (35) *'ut-aš ātur i farnbaγ 'pat 'ān pātdahišn *i 'kaδ-aš kārēčār i 'apāk Dahāk kart, aš 'pat vahrāmīh 'pat X^{v}ārazm 'bē 'nišāst; 'ut ātur burzēn-miθr 'pat 'ān pātdahišn i 'kaδ-aš Vištāsp 'bē 'ō dēn hāχt, ⟨'pat⟩ vahrāmīh 'pat puštān i Vištāspān 'bē *'nišāst.*

(36) *'ut-aš 'martōm 'hač 'ān 'gil 'kē-š Gayō(k)mart hač-iš kart, 'pat šusr aδvēnak 'andar 'ō Spandarmat 'hišt: 'ut Gayō(k)mart 'hač Spandarmat 'bē*

*brēhēnīt 'ut zāt. čēyōn *Mahryā 'ut *Mahryānē rust 'hēnd, 3000 'sāl 'nē 'ravēnīt. 'kaδ Ahriman 'andar duvārast, 30 'sāl būt 'tāk hamē 'raft. 'ut-aš Fravartīn 'māh 'rōč ⟨i⟩ Ōhrmazd 'bē 'ōžat. šusr i Gayō(k)mart 'bē 'ō zamīk mat, 40 'sāl 'pat šusrīh 'andar zamīk ēstāt.* (37) *'pas *Mahryā 'ut *Mahryānē 'hač zamīk ⟨'pat⟩ rēβās karp 'bē rust 'hēnd, ē 'ku ētōn čēyōn rēβās 'kaδ 'apar 'āyēt, aš varg 'pat tan frāč ēstāt. 'avēšān-ič dast 'pat gōš 'apāč ēstāt. Rōšn guft 'ku 9 'māh rēβās karp būt 'hēnd.* (38) *'pas 'bē 'ō 'martōm-karpīh vašt 'hēnd. 'hač 'avēšān 6 'pus, 6 'duχt 'bē 'zāt 'hēnd; 'ut būt i zīvast, 'ut būt i murt 'hēnd. 'ut 'pas hamāk 'martōm 'hač 'avēšān 'bē būt 'hēnd.*

NOTES

§ **2**. *'pāk*: Dhabhar prints *'i-š* in his text, but the MSS. MRl and J read *'pāk*. Both make adequate sense.

§ **4**. *kēn : KYNW*, so here and in § 8. The substance of the sky is generally considered to be of *ayōχšust*. Our present word was interpreted by Bailey as **āpakēnak* 'crystal' (*Zoroastrian Problems*, p. 133). However, as the word appears twice in our passage in the form *kēn*, it would seem possible to take it as an abbreviated form of *āpakēnak*, cf. NP. *gīneh* 'crystal'. This is surprising in that *-kēn*, *-kēnak* must certainly be regarded as suffixes, cf. OP. *kāsakaina-* 'made of glass' from *kāsa-ka-* 'glass' (Kent, *Old Persian*, s.v.), cf. Skt. *kāca-*. Probably we are to see this word in the mysterious [illegible] of GrBd. 36. 5 (text Z 2, l. 70 and note).

parkān: v. Bailey, JRAS. 1934, p. 517.

§ **5**. **Rašn i rāst*: text has *rāt i rāst*. *rāst* is, however, the stock epithet of Rašn and corresponds to the Av. *razišta-*. For *rat i ahrāyīh* the text has *rāt i ahrāyīh*. There can be little doubt that Srōš is meant: his stock epithet is *ahrāy* (Av. *ašya-*) and in the Iranian Manichaean texts he appears always as *srwšhr'y* = *Srōš-ahrāy*. Moreover, the trio Mihr, Srōš, and Rašn are so intimately connected that they even appear in a Mandaean text (Lidzbarski, *Ginzā*, p. 284, n. 4) where they are identified with the Mandaean Hibil, Šitil, and Anōš. See also Part I, pp. 102–3.

**'andar*: MSS. have [illegible], *'χ^v^arr*, which can hardly be right. I would, therefore, emend to [illegible] *'andar*. The passage obviously refers to the insertion of the metals into the earth told in GrBd. 20. 2–4 (text Z 1, ll. 217–8). Another possibility would be [illegible] *sēm* 'silver', but the spelling in Phl. is usually *'SYM*.

nikand: for the root *kan-* v. Bailey, JRAS. 1934, p. 515; cf. text Z 1, l. 214 note. MPT. has *hmngnd*, Andreas–Henning, MirMan. i, p. 10: *'wš pd wyspzng z'z 'wd mzn 'y χwyš gryw hmngnd.*—'And she filled it with all manner of . . . and Mazans of her own self.'

§ **6**. *paitištān frapad*: transcriptions of Av. *paitištāna-* and *frapad-*.

**āhaχt*: text *W'ŠTW* (*vāšt* or *vahišt*), but cf. Zs. 1. 32 (text Z 4): *bun i āsmān 'pat star-pāδak dāšt; 'hač 'ōδ frōt 'ō tuhīkīh āhaχt.* So GrBd. 41. 14: *āsmān 'pat star pāδak 'ēstāt; frōt 'ō tuhīkīh āhaχt.*—'The sky was in the station of the stars; it was dragged down into the Void.'

**'ō star pāδak*: text has *'ut star pāδak*.

§ 7. **Harburz and čand**: text has *and čand Harburz*.
**34000*: text has *1000*, *4000* in all cases.

§ 8. *kēn*: v. § 4, note.

§ 9. **nendar*: text has [illegible]. The meaning required seems to be 'within'. I would therefore read *nendar* and compare *Psalter nyndly*, MPT. *nyndr* 'within' (Henning, BSOS. ix, p. 86)<**ni-antar* as Soghd. *čntr*<**hača-antar-* (v. Barr, *Psalter*, p. 51).

§ 13. *vitast*: written *WTYSTW̲* = Av. *vitasti-* 'span'.

§ 14. **'ō vēšak-ič 'ut : 'ut vēšak-ič* text.
**āsānīh*: written *'S'NYY*. That *āsānīh* is certainly right is proved by the parallel § 15, *'ut-šān 'χᵛašīh 'ut āsānīh 'hač 'āp*, &c.

**zargōn*: text has [illegible]: the emendation to *zargōn* is therefore very slight. On this word v. text Z 1, l. 238, note.

§ 15. *3 *nāy *'pat : 5 'bē*, text.
**pāyišn*: [illegible] text, and in the second place [illegible] which suggests *paχsišn* 'ripening', but *pāyišn* alone seems suitable to the context.
**'ut hāmēn* i 'pāk : hāmēn 'tāk 'pāk*, text.
After the second *pāyišn* there appears to be a *lacuna*. The text, as it stands, is untranslatable.

§ 27. *sārīgar*: that is *sār i gar* 'the starling (NP. *sār*) of the mountain': cf. Tavadia, ŠnŠ., p. 32, no. 5, 2–3.
dālman: according to Bailey (*Zoroastrian Problems*, p. 230)<OP. **darnu-mani-* = Av. *zarənu-manay-* an epithet of the bird *kahrkāsa-*, therefore 'the golden-necked vulture'. This interpretation is borne out by GrBd. 155. 9 where *karkās* is identified with *dālman*.—*karkās ⟨i⟩ zarmān-mēnišnīh, 'hast i dālman, nasāy χᵛarišnīh rāδ 'dāt*.—'The vulture whose thoughts are on old age, that is the *dālman*, was created for the consumption of corpses.'

§ 28. *vārom*: = Av. *vārəma*, v. Bailey, JRAS. 1934, p. 511.

§ 32. **kār i* : K'L'* (i.e. *'vāng*), text.
**yazišn : pašn*, text. For the latter cf. text Z 1, l. 56, note. The meaning 'treaty' or the like, however, is not suitable here. In the Phl. script the difference between *pašn* and *yazišn* is minute.

§ 35. *hāχt*: past part. to *hāč-*. Not *āhaχt*, since *hāχtan* is the technical term for 'convert'; v. BSOS. ix, p. 582.

TRANSLATION

(1) Concerning the manner in which and (the substance) from which the sky was made.

(2) There was an implement like a flame of fire, pure in light; it was fashioned from the Endless Light; (3) and from it all creation was made: and after it had been made, it was put into a body; and for three thousand

years it was kept within the body, and it grew continually, and it was made better. Then it fashioned (things) one by one from its body.

(4) First the sky was fashioned from its head; and its substance was of white crystal: and its breadth and height were equal: and the depth of its surrounding wall is as great as the breadth of the Void. And it is ruled by the Blessed Man, the Praise of the Wise. And it has no material support. Ohrmazd settled within it with his creation.

(5) And the earth was fashioned from its feet; and it is ruled by the mountains. [Mihr, the Lord, the goodly Praise of the Wise, Rašn, the Just, and the Judge of Righteousness give spiritual (unseen, *mēnōk*) riches in alms to those who are worthy of good things.] And minerals were inserted into it. And from those minerals the mountains were made to grow. For one thousand and seven hundred years they grew both above and beneath: then beneath they ceased (to grow), and for another eight hundred years they grew above till (they reached) the sky. And above and beneath the *χᵛarr* circles around. And it was like an egg with an unhatched bird inside it. And it has no material support. (6) As the mountains were made to grow till (they reached) this measure that (now) exists, the earth was created half way up the sky in the station of the stars. It was fashioned from its (sc. the implement's) legs and forefeet. When Ahriman rushed in, he dragged it down: at the Final Body it returns to the station of the stars. [(7) The depth of Harburz is as much as the breadth of the earth: Harburz is an enclosing wall around it. And the breadth of Harburz is as much as the earth and the station of the stars, one half of the sky. From the station of the stars to the station of the Moon is a distance of thirty-four thousand parasangs. From the station of the Moon to the station of the Sun it is thirty-four thousand parasangs. From the Sun to the sky it is thirty-four thousand parasangs. From the station of the stars to this place it is thirty-four thousand parasangs. From this place to the sky beneath it is eleven thousand parasangs. (8) The substance of the sky is white crystal —bright; and its light is from the Sun. (9) After the Lie had rushed into creation, no one of material creatures could be seen except Zoroaster (*sic*). The seven climes are within the sky. The mountains of Harburz are two thousand, two hundred and forty-four in number.

(10) The sea of Frāχᵛkart is one third of this earth.] (11) And water was fashioned from its (sc. the implement's) tears: some was mingled with the earth, and some was established above, and some was established in the atmosphere: and all was set in motion. (12) Whatever has a greater part of pure water and a lesser of filth, returns to the sea of Frāχᵛkart in three years; whatever has them in equal proportions, returns in six years:

whatever has a greater part of filth and a lesser of pure water, returns in nine years.

(13) And the plants were fashioned from its hair; and the first stem was one span, two fingers in height. And all species of plants were within it except one species. And it was created in Ērānvēž. (14) And they (the plants) were carried to divers places either by the birds, or by means of the water or by men, to the forests and into the sea. The white Hōm and the other plants which are in the world, sprang from it. And it derives comfort from the water and the waters of libation and pure verdure: and it is discomforted when it is injudiciously cut or broken. The species that was next created (gave rise to) fifty species.

(15) And the Bull was fashioned from its right hand; and it was created in Ērānvēž. And it was three cubits in height and breadth. And when Ahriman assailed it, it died at once; and immediately its seed fell to the earth. All species of the cattle of Ohrmazd were made from that seed. And first one male and one female were made of each species, and then offspring went out from them. And they derive pleasure and comfort from the water and the protection of the pasture lands, from a kindly winter and a pure summer. And they are discomforted when they are unjustly slaughtered or when they are set unjust tasks, or when they are not given water and pasturage, or when protection ⟨is withheld from them (?)⟩, or when hunger and thirst assail them so (violently) that they lose strength, might and power, sight and hearing.

* * * *

(22) There are two hundred and sixty-two species of livestock, and they are of five kinds. (23) One kind is that which has a cloven hoof, such as the ox; (24) one kind is that which has a round hoof, such as the horse; (25) one kind is that which has feet like a camel; (26) one kind is birds; one kind is amphibians and fish. The kinds of livestock are taught in the Avesta. (27) The dog and buzzard, the black crow and vulture and others must not be eaten—the dog for this reason that there is something of the seed of Gayōmart in it. The bodies of the buzzard, black crow, and vulture are full of filth, and they were created to eat dead matter.

(28) And fire was fashioned from its mind; and its brilliance was fashioned from the Endless Light. (29) And the plants were created, and fire was inserted into them. And he (Ohrmazd?) blessed them (saying), 'You who do not make fires—that is fire must not be kindled from them—you are (nevertheless) increasers of fire—that is when one puts (plants) on it, it takes them.' (30) When he wished to create its body on earth, it

complained (saying), 'I will not go to the earth, for they will do me much harm.' (31) Then Ohrmazd victoriously established the Gušnasp fire in Atropatene. (32) And he said, 'Men have been commanded to worship the fire as the lord of the house: since they were commanded to perform this sacrifice, they will bring fuel to the Varhrām fire, and they will spare no effort for thee.' (33) Then it agreed to go to the earth and consented. (34) And in recompense Ohrmazd manifested all fires as victorious in righteousness. (35) And the recompense of the Farnbaγ fire was that when he did battle with Dahāk, he was established victoriously in Chorasmia; and the recompense of the Burzēn-mihr fire was that when Vištāsp was converted to the Religion, it was victoriously established on the ridges of Vištāsp.

(36) From the clay from which Gayōmart was made (he made) man emitting him in the form of seed into Spandarmat: and Gayōmart was fashioned from Spandarmat and was born. When Mašyē and Mašyānē grew up, (he had existed) for three thousand years (and) had not passed away. When Ahriman rushed in, it was thirty years before he passed away. And in the month of Fravartīn on the day of Ohrmazd he was slain. The seed of Gayōmart fell to the earth, and for forty years it remained in the earth in the form of seed. (37) Then Mašyē and Mašyānē grew from the earth in the form of a rhubarb—that is to say that just as the rhubarb grows up and has leaves on its stem, so did they too stand with their hands on their ears. Rōšn has said that for nine months they were in the form of a rhubarb. (38) Then they were turned into human shape. From them six sons and six daughters were born; some lived and some died. And then all men sprang from them.

Z 8. The eighth chapter of the *Mēnōk i Xrat* (Anklesaria, pp. 43–47; Sanjana, pp. 21–23; Pāzand, West, pp. 16–18). Transliterated text and translation by Nyberg, CCM. 1929, pp. 198–201.

(1) *pursīt dānāk 'ō mēnōk i χrat 'ku Ōhrmazd 'ēn dām 'ut dahišn čēγōn 'ut 'pat 'čē aδvēnak 'dāt.* (2) *'ut-aš amahraspandān 'ut mēnōk i χrat čēγōn 'ut 'pat 'čē aδvēnak tāšīt 'ut 'dāt.* (3) *'ut Ahriman i druvand 'dēvān 'ut družān ('ut apārīk-ič višūtakān) čēγōn višūt 'hēnd?* (4) *('ut 'har nēvakīh 'ut 'vattarīh 'ō 'martōmān 'ut apārīk-ič dāmān čēγōn 'rasēt?)* (5) *'ut 'čiš i 'baχt 'ēstēt vartēnītan šāyēt ayāp 'nē?*

(6) *mēnōk i χrat passaχ^{v} kart 'ku dātār Ōhrmazd 'ēn dām 'ut dahišn 'ut amahraspandān 'ut mēnōk i χrat 'hač 'ān i 'χ^{v}ēš rōšnīh 'ut 'pat āfrīn i Zurvān i akanārak brēhēnīt.* (7) *'ēt rāδ 'čē Zurvān i akanārak azarmān 'ut amarg 'ut adart 'ut asōhišn 'ut *apōhišn 'ut apityārak, 'ut 'tāk hamē 'ut hamē ravišnīh hēč 'kas 'bē 'statan 'ut 'hač χ^{v}ēškārīh apātaχšāy kartan 'nē tavān.*

(8) *'ut Ahriman i druvand 'dēvān 'ut družān 'ut apārīk-ič *višūtakān 'hač kūnmarz i 'χᵛēš višūt.* (9) *'ut-aš 9000 zimastān 'pat zamān i akanārak 'apāk Ōhrmazd patmān 'kart, 'ut 'tāk bavandak 'bē 'būtan, hēč 'kas vartēnītan 'ut yuttar kartan 'nē tavān.* (10) *'ut 'kaδ 9000 'sāl bavandak 'būt, Ahriman 'bē akārīhēt; 'ut Srōš-ahrāy Ēšm 'bē 'zanēt, 'ut Miθr 'ut Zurvān i akanārak 'ut mēnōk i 'dātastān 'kē 'pat hēč 'kas 'nē *družēnd 'ut baχt 'ut *bayō-baχt hamōγēn dām 'ut dahišn i Ahriman, 'ut 'pat aβdomīh Āz-ič 'dēv 'bē 'zanēnd:* (11) *'ut hamāk dām 'ut dahišn i Ōhrmazd apityārak ētōn 'apāč 'bavēt čēγōn 'ān [i] 'i-š 'pat fratomīh brēhēnīt 'ut 'dāt.*

(12) *'har nēvakīh 'ut *'vattarīh (yuttarīh* MSS.) *i 'ō martōmān 'ut apārīkič dāmān 'rasēt 'pat 7-ān 'ut 12-ān 'rasēt.* (13) *'ut 'ān 12 aχtar čēγōn 'pat dēn 12 spāhpat i 'hač kustak i Ōhrmazd (guft 'ēstēt). 'ut ān 7 apāχtar 7 spāhpat i 'hač kustak i Ahriman guft 'ēstēt.* (14) *'ut harvist dām 'ut dahišn 'avē 7 apāχtarān tarvēnand 'ut 'ō margīh 'ut 'har anākīh aβspārēnd, čēγōn 'avēšān 12 aχtar 'ut 7 apāχtar brēhēnāk 'ut rāδēnāk i gēhān 'hēnd.*

(15) *Ōhrmazd nēvakīh kāmak 'ut hakarč anākīh 'nē 'patīrēt 'ut 'nē 'sahēt. 'ut Ahriman anākīh kāmak 'ut 'čiš-ič nēvakīh 'nē mēnēt 'ut 'nē 'patīrēt.* (16) *Ōhrmazd ⟨'hast i⟩ 'kaδ-aš 'kāmēt, 'pat dām i Ahriman, 'ut Ahriman-ič 'hast i 'kaδ-aš ('kāmēt), 'pat dām i Ōhrmazd vartēnītan tavān; 'bē ētōn tavān vartēnītan 'ku 'pat fražām-kārīh Ōhrmazd ziyān 'nē 'bavēt; 'čē fražām-pērōžīh Ōhrmazd 'χᵛēš.* (17) *'čē paytāk 'ku Ōhrmazd Yam 'ut Frētōn 'ut Kayōs ahōš 'dāt 'hēnd, 'ut Ahriman ētōn vartēnīt čēγōn āšnāk.* (18) *'ut Ahriman Bēvarāsp 'ut Frāsyāk 'ut Alaksandar ētōn 'sahast 'ku anōšak 'hēnd; 'ut Ōhrmazd 'ō mas-sūtīh ētōn vartēnīt čēγōn 'ān i paytāk.*

TRANSLATION

(1) The wise man asked the Spirit of Wisdom (saying), 'How and in what manner did Ohrmazd create this creation? (2) And how and in what manner did he fashion and create the Amahraspands and the Spirit of Wisdom? (3) How did the accursed Ahriman give birth to the demons and lies and other abortions? (4) And how do all good and bad things come to mankind and other creatures? (5) And can what is destined be changed or not?'

(6) The Spirit of Wisdom made answer (and said), 'The Creator Ohrmazd fashioned this creation and the Amahraspands and the Spirit of Wisdom from his own light with the blessing of the Infinite Zurvān: (7) for the Infinite Zurvān is unageing, undying, without pain, uncorrupting and undecaying, free from aggression, and for ever and ever no one can violate him nor deprive him of his sovereignty in his proper sphere.

(8) And the accursed Ahriman gave birth to the demons and lies and

the other abortions by committing sodomy on his own person. (9) And for nine thousand years he made a treaty with Ohrmazd through infinite Time and till it is completed no one can change it or make it different. (10) And when nine thousand years have fully elapsed, Ahriman will be made powerless; and Srōš the Blessed will smite Ēšm (Wrath); and Mihr, the Infinite Zurvān and the Genius of the Law (justice or order) who lie to no one, and Fate and the divine Fate will smite all the creation of Ahriman, and in the end the demon Āz also: (11) and all the creation of Ohrmazd will again be free from aggression as it was fashioned and created in the beginning.

(12) All welfare and adversity that come to man and other creatures come through the Seven and the Twelve. (13) The twelve Signs of the Zodiac, as the Religion says, are the twelve commanders on the side of Ohrmazd; and the seven planets are said to be the seven commanders on the side of Ahriman. (14) And the seven planets oppress all creation and deliver it over to death and all manner of evil: for the twelve Signs of the Zodiac and the seven planets rule the fate of the world and direct it.

(15) Ohrmazd desires welfare and is never susceptible to evil, nor does it beseem him. And Ahriman desires evil and never thinks of anything good nor is he susceptible to it. (16) Sometimes, when he wills, Ohrmazd can change the creation of Ahriman; and sometimes, when he wills, Ahriman can change the creation of Ohrmazd; but he can only change it in such wise that in the end Ohrmazd suffers no loss; for the final victory belongs to Ohrmazd. (17) For it is revealed that Ohrmazd created Yam and Frētōn and Kayōs immortal but Ahriman changed this in the manner that is known. And to Ahriman it seemed that Bēvarāsp (Dahāk) and Frāsyāk and Alexander were immortal: and Ohrmazd changed this for his greater profit as it is revealed.

Z 9. From the *Dēnkart* (Madan, p. 347, ll. 1–22; Sanjana, viii, p. 385). An annotated edition of this text has appeared in BSOS. ix, pp. 876, 885–6, 898.

'apar 'χᵛarr āβurāk, tōhmak, 'ut dārāk-χēm, 'ut baχtār i 'ō gētēhīk tōhmak, 'ut baχšišn-framān, parvarāk 'ut 'pāyāk i 'pat tōhmak 'ut 'andar tōhmak tan; 'ut-aš kār 'ut 'apāč patiγruftār 'ut 'apāč patvastār i 'ō χᵛēšāvand,—'hač nikēž i vēh-dēn.

*'ēt 'χᵛarr āβurāk dātār Ōhrmazd. tōhmak 'kē hač-iš *vičārīhēt 'ān i anaγr rōšnīh. 'ut-aš dārāk-*χēm mēnōkīk ātur 'ut 'āp 'ut gil mēnōk, 'ut gētēh ātur 'āp 'ut gil gētēh. 'ut baχtār i 'ō gētēhīk tōhmak 'hač [dāt] dātār framān*

mēnōkān yazdān 'hēnd. baχšišn-framān i 'ō tōhmak, 'andar tōhmak 'ō tan mat, Zamān i 'ān i kār 'pat 'ān 'χ^v^arr 'andar 'ān tōhmak 'pat 'ān tan rāδēnītan apāyišnīk. 'ut parvarāk 'ut 'pāyāk i 'χ^v^arr 'apar tōhmak 'ut tan i 'andar ⟨tōhmak⟩ χrat pēšōpāy 'ut rātīh 'ut rāstīh 'ut spāsdārīh 'ut χ^v^arsandīh 'ut tuχšākīh i 'pat χ^v^ēškārīh. 'ut-aš kār bōžākīh 'ut bōžēnākīh 'ut buržākīh 'ut buržēnākīh i 'χ^v^arrōmand 'pat 'χ^v^arr ⟨i⟩ 'χ^v^ēš 'ut χ^v^ēšīk, čand-aš 'χ^v^arr sahmān. 'ut 'apāč patiγruftār[īh], kart kār 'ut hanžaftak kārēkar, 'avēšān i bun 'dārāk-χēm. 'apāč patvastār i 'ō [i] χ^v^ēšāvand, 'ān i bahrīk 'ō tōhmak tōhmak 'ut tan tan, 'ut hamākīhā fraškart zamān 'ō fraškart-kartārān 'χ^v^arrōmandān hanbātak 'pat pat-iš kartan i fraškart, 'ut 'pat tan i pasēn 'ō harvist aχ^v^ i astōmand, dātār Ōhrmazd visp-ākās visp-tavān.

TRANSLATION

Concerning him who forms the *χ^v^arr*, its seed (origin), what maintains its character, what assigns it to the seed of matter, what is responsible for this assignment, what fosters and preserves the body through and in the seed: concerning the activity of the *χ^v^arr* and the agent which receives it back and re-unites it with what is properly its own—from the Exegesis of the Good Religion.

He who formed the *χ^v^arr* is the creator Ohrmazd. The seed from which it derives is the Endless Light. The 'ideal' fire, water, and earth maintain its character in the ideal world; material fire, water, and earth in the material world. Subject to the command of the Creator it is the spiritual gods who are responsible for assigning it to the material seed. It is Time manifesting itself in activity which is responsible for the assignment of the *χ^v^arr* to the (? material) seed and which itself became embodied in that seed and is indispensable for the regulation of the *χ^v^arr* in the seed for (the benefit of) that body (in which it is embodied). What fosters and preserves the *χ^v^arr* in the seed and the body which is comprised in that seed, is Wisdom the guide, generosity, rectitude, gratitude, contentment. and the concentration of effort on its proper object. The proper function of the *χ^v^arr* is to save and to bring about salvation, to ennoble and cause to be ennobled every entity which possesses *χ^v^arr* by means of each entity's own *χ^v^arr* and what is proper to it, and to the extent of its (individual) *χ^v^arr*. It is those entities which maintain its original character that receive it back, once its work is done and the agents have brought the work to fruition. It is the omniscient and omnipotent creator Ohrmazd who re-unites it to what is properly its own—both in individual cases (when each individual *χ^v^arr* is re-united) to its particular seed and body, and universally, at the time of the rehabilitations (when the universal *χ^v^arr* is re-united) to the

architects of that rehabilitation, the generation of those fully possessed of *χᵛarr* for the work of rehabilitation; and again at the Final Body (when the *χᵛarr* is re-united) to the whole of material existence.

This is perhaps the most difficult of all the texts we have to analyse. I have purposely left *χᵛarr* untranslated: neither the traditional 'glory' nor Bailey's 'fortune' will do. The clue seems to be in Eznik's use of *p'aṛk'* (text F 1) = *χᵛarr* which he says translates 'Zurvān'. That we are here moving in the same circle of ideas seems to me proven by the repeated occurrence of derivatives of *baχt* (*bag-*) in this text (*baχtār*, *baχšišn-framān*), since *baχt* is again described by Eznik as a 'translation' of 'Zurvān'. Add to this the appearance of Zurvān–Time himself, and the essentially Zervanite character of the text seems obvious.

In the first part of this book we were led to conclude that Zurvān is simply Absolute Being, that without which nothing can exist. The *χᵛarr* in our present context seems to be much the same. It is 'matter', whether 'spiritual' (intelligible or ideal) or corporeal, 'formed' by Ohrmazd, who thus appears as the individuating agent of the Cosmos. The 'Endless Light' is almost certainly a Mazdean 'translation' of Space (cf. text Z 20 and Part I, pp. 208–10). The 'ideal' elements maintain the character of the *χᵛarr* just as Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar, and Zurvān together form the godhead and are 'like the elements' (text F 10). 'Time manifesting itself in activity' is, of course, finite Time 'embodied' in the finite Cosmos to all the parts of which it assigns their *χᵛarr*, that is their properties.

The whole question of *χᵛarr* in the Pahlavī books needs to be investigated anew. Bailey's interpretation of the original meaning of the word seems to me quite convincing. To judge from the Pahlavī evidence the Pahlavī translation itself, *χᵛēškārīh* 'own-work', seems to be exact. Thus a different translation will be necessary with each individual use of the word. The *χᵛarr* of a king could therefore be rendered by 'majesty' (hence the traditional 'glory'), but the *χᵛarr* of God is simply his Being.

Z 10. The following text is taken from the *Dēnkart* (Madan, p. 349, l. 1–p. 350, l. 10; Sanjana, viii, pp. 387–8). I only treat this passage with reluctance since there is much in the middle section that still remains obscure.

'apar bun-'bavišn i gētēh-dahišn [dahišn] 'hač nikēž i vēh-dēn.

'ēt aβzār 'kē dātār 'hač 'ān i anayr-rōšnīh brēhēnīt 'ut dām 'andar hangartīkēnīt paytākīh, 'i-š apistākīk 'nām asarō(k) karpa(k) 2; ēvak 'ān i mēnōk dahišn, ēvak 'ān i gētēh-dahišn 'andar hangartīkēnīt. 'andar 'ān i mēnōk dahišn 'andar hangartīkēnīt mēnōk i vāχš nērōk; 'ut 'andar 'ān i gētēh dahišn 5 *'andar hangartīkēnīt mēnōk i čihr nērōk, 'ut nišast. aβzār i mēnōk dahišn hangartīkīh kart spurrīk, 'ut pat-iš kār i 'pat dahišn i 'andar 'ān aβzār apāyišnīk[īh] hač-iš vičārt vāχšōmand mēnōkān yazdān ēvak ēvak 'ō 'ān 'i-šān [ō] χᵛēškārīh. 'ut 'andar aβzār i gētēh dahišn hangartīkīh 'pat dātār kām 'ut varčēn čihr-*nērōk mēnōk 'pat šaθr i vāχš nērōk mēnōk *hamīhēt.* 10

*'ō dāramuktom gētēh 'grīv paytākīh fratom nisang *i-š apistāk⟨īk⟩ 'nām*

*kōt 'ut 'pat aδvāč i gēhān KYŠ srēšak srēšōtak-ič 'χ^{v}ānd; 'hač nisang i kōt 'ut srēšōtak-ič 'nām *nisang 'i-š apistākīk 'nām āvartakīh 'ut gaβrīh-ič 'ut 'pat aδvāč i martōm dītan i nōk(??) KYŠ-ič' χ^{v}ānd: 'ut hiyag(?) 'hast i kōt, 'ut-aš*
15 *kart 'andar. 'ut 'hač *nisang i āvartakīh ⟨'ut⟩ gaβrīh 'ut dītan i nōk(?) KYŠ-ič 'nām *nisang 'i-š apistākīk 'nām ['ut] *dēsakōmanδīh 'pat aδvāč i 'martōm vistartakīh-ič 'χ^{v}ānd: 'ut hiyag (?) 'hast i ⟨'ān⟩ *nisang, 'ut-aš *nisang kart-ič 'andar. 'hač *nisang i *dēsakōmandīh 'ut vistartakīh-ič 'nām vāχš nērōk mēnōk hamīk fratom tan 'i-š apistākīk ⟨'nām⟩ Ras 'ut Spahr-ič 'nām, 'pat*
20 *aδvāč i 'martōm spihr-ič 'χ^{v}ānd, 'i-š zahak 'andar 'hēnd rōšnān, χ^{v}aršēt, māh 'ut starān ham bun, 'ō visp dām 'i-š aδar rāδēnītār, 'hast i [čihrān] 'χ^{v}at čihrān apartom. 'ut 'hač Ras *'bavišn, garm 'ut χ^{v}ēt, vātōmand ['ut] 'pat ham-bastakīh [druž] ⟨i⟩ mēnōk vāχš ham-zōrīhā, zahak ⟨i⟩ gētēh dahišnān tōhmakān tōhmak *'kē 'bavišn-ravišnīh. zahakān [i] dēsak i *bavišn 'χ^{v}ānīhēt ⟨i⟩*
25 *rastakān-ič. 'hač ⟨bavišn-ravišnīh⟩ 'bavišn-ēstišnīh ⟨i⟩ zīndakān 'i-š 'andar gōspand 'ut 'martōm gētēh 'kē 'hēnd gētēh *dēsak karp.*

NOTES

l. 3. *asarō(k) karpa(k)*: the terminations show that the words are transliterated from an Avestan original; cf. text Z 1, ll. 131–3 with the variants.

l. 11. *dāramuk*: Pāz. *dāramaa*, ŠGV. 8. 137 and 10. 3 where Skt. rightly translates *sūkṣma-*; cf. ibid. 10. 79, *bārīk u dāramaa*. The usual spelling in Phl. is *dāramak* (*D'LMK*) in accordance with Pāz. rather than *D'LMWK* as here, cf. DkM. 75. 4: *dāramak-tan i kam-nērōk*, 'slender-bodied and having little strength'; further ibid. 301. 2; 873. 12; Dd. intro. 24, *dāramak-sarōk* translates Av. *urvī-sarah-* 'with pointed head'. Reading after Pāz. The etymology is uncertain, but Bailey (JRAS. 1934, p. 512) would connect it with *dar-* 'to split'.

'grīv: in the sense of 'self' extremely rare in Phl., but common in the Manichaean texts: cf. Soghd. *γr'yw* 'self'.

nisang: the reading of this word is uncertain, particularly as the spelling of it varies throughout this section. *nisang* is known to mean (i) 'a little', (ii) 'chapter', (iii) 'period'. For the first meaning cf. DkM. 245. 1: *'ō 'avē 'kē 'andar frāχ^{v}īh χ^{v}ārīh 'vas-ič 'sāl nisang, 'ut 'ō 'avē 'kē 'andar tangīh 'ut dušvārīh andak-ič zamān 'dēr.*—'To him who lives in comfort and ease even many years appear short, but to him who lives in straitened circumstances and distress even a short time seems long.' The same meaning is found ibid. 874. 8, where *nisang 'saχ^{v}an* is contrasted with *vāng i 'saχ^{v}an*. Cf. ŠGV. *nihañg*; 13. 4, Skt. *svalpa-*; 13. 48, Skt. *kiṃcit*; 14. 1, Skt. *kiṃcittaram*; 15. 1, Skt. *kiṃcit*. In the last instance the transition from 'short' to 'chapter' is perceptible: *χ^{v}azāraa nihañg pādāinom*, 'I will write a small chapter'. GrBd. 218. 2 deserves notice, for the meaning there is certainly 'period': *'ut 'andar ham nisang Pešyōtan i Vištāspān 'hač Kang-dīž 'āyēt.*—'And in the same period Pešyōtan, the son of Vištāsp, will come from Kang-dīž.' This must be the meaning here: 'period' or 'stage' suits. The following references may be of use; DkM. 62. 17; 127 *passim*; 178. 17; 179. 3; 284. 7; 433. 15; 473. 2; 482. 17; 599. 16; 600. 20; 657. 9; 659. 10; 787. 4; 804. 22; 874. 8.

l. **12**. *kōt*: so, on the excellent suggestion of Bailey. Professor Henning tells me that in the unpublished Persian-Soghdian glossary *kwd w hrg* = *''my pr twδyy* 'refuse on a heap'. Cf. Arm. *koyt* 'heap' and NP. *kōd* with the same meaning. The word here seems to refer to the amorphous mass in the womb prior to the formation of the foetus described by GrBd. 16 (text Z 1, ll. 171–6) as *gumēčakīh* 'mixture'; v. the note ad loc.

srēšak: cf. NP. *sirīšeh* 'dough, leaven', *sirištan*, Av. *sraeš-*, &c., v. Horn, *Grundriss der neupersischen Etymologie*, p. 162. For the termination *-ōtak* in *srēšōtak* v. BSOS. ix, p. 311.

l. **13**. *āvartakīh*: v. text Z 1, l. 173 note.

l. **14**. *dītan i nōk*: so, following the reading of Sanjana. Madan has *STWNKWN*, of which I can make nothing.

hiyag: quite uncertain, but the meaning is at least indicated by DkM. 166. 5: *'ēt i tan vīmārīh baχšīhēnd 'ō ēvak 'dō aδvēnak hiyag*(?) *i ōγārišnōmand, 'ut-aš vičārišn *patvēšakōmand . . . 'ut ēvak i hiyak i anōγārišn, 'ut-aš vičārišn *apatvēšak.*—'The illnesses of the body are divided into one or two sorts of ailments(?) which can be dispelled—and the explanation of this is that they arise from some rottenness—and into one ailment (?) which cannot be dispelled—and the explanation of this is that they do not arise from any rottenness.' On *patvēšak* v. Tavadia, ŠnŠ. 2. 7, note. *ōγārišn* corresponds to ŠGV. *hugār-* 'subdue, drive away'; 11. 138: *vašą nyāž daryōšī ažaš hugārəñd hāləñd.*—'They drive off and dispel want and poverty from him.' Ibid. 13. 104: *kəš rañj hugārihəṭ*, 'who has subdued pain'. If the meaning of our word which is spelt [illegible] and [illegible], is indeed 'ailment', it is to be connected with Arm. *hiwand*, Phl. *hiyandak*.

l. **19**. *Spahr*: = Av. *θwāša-* v. Part I, p. 89.

TRANSLATION

Concerning the original coming to be of the material creation, from the Exegesis of the Good Religion.

This is what is revealed concerning the instrument which the Creator fashioned from the Endless Light and in which he caused creation to be contained. Its Avestan name is the Endless Form and it is twofold. On the one hand it contains the 'ideal' creation; on the other the material creation. In the 'ideal' creation the Spirit of the Power of the Word was contained; and in the material creation the Spirit of the Power of Nature was contained, and it settled (in it). The instrument which contains the ideal creation was made perfect and the spiritual (ideal) gods of the Word were separated from it, each for its own function, to perform those activities which were necessary for the creation that was within the instrument. And within the instrument which contains the material creation the marvellous Spirit of the Power of Nature was united to the kingdom of the Spirit of the Power of the Word through the will of the Creator.

In greater detail this is what is revealed concerning the nature of the

material world. First was the stage the Avestan name of which is the mass and which is called the . . . mass or conglomeration in the language of the world. From the stage which is called the mass and conglomeration (proceeded) the stage the Avestan name of which is conception and also hollowing and which is called the new phenomenon(?) and also . . . in the language of men. It is (as) an ailment(??) in the mass, and it was inserted into it. From the stage which is called conception, hollowing, the new phenomenon(?) and . . . (proceeded) the stage the Avestan name of which is formation and which is called expansion in the language of men. It is as an ailment(??) in the (former) stage and it was inserted into that stage. From the stage the name of which is formation and expansion (proceeded) the first body united with the Spirit of the Power of the Word; and its Avestan name is the Wheel and it also has the name of Spahr (Θwāša) and in the language of men it is called the firmament (*spihr*). In it, like embryos, are the luminaries, the Sun, Moon, and stars, all of the same origin. They control all creation under them and are themselves the highest natural phenomena. From the Wheel proceeded becoming, the hot and the moist of which air is composed: these are connected with the spiritual Word and share in its power: (and from it also proceeded) the elements which are the seed of seeds of material creations and which are the movement of becoming. The elements are called the form of the becoming of the primary qualities. From the movement of becoming (proceeded) the settling of becoming, living things, which include material cattle and men, for they are the form and shape of matter.

Z 11. From the *Dēnkart* (Madan, p. 203. 16–206. 23; Sanjana, v, pp. 229–32). The text has already been edited in BSOS. ix, pp. 303–320 to which the reader is referred for philological matter arising out of it.

(1) *'apar *4 aδvēnak aβzār i fražānak brīnkar dātār Ōhrmazd 'pat kanārakōmand zamān 'ō 4 aδvēnak kunišnīk 'apāč kart, 'hač nikēž ⟨i⟩ vēh-dēn.*

(2) *'ēt 4 aβzār *i fražānak brīnkar dātār Ōhrmazd 'pat kanārakōmand zamān 'ō 4 aδvēnak kunišngarān baχt, 2 i huīk nērōk 'pat ravākīh i aβzōn i pat-iš huīk-kār 'i-šān 'pat nērōk, 'ut 2 dušīh nērōk 'pat *sēžišn akārīh i ⟨pat-iš⟩ dušīk-kār 'i-šān 'pat zōr, čēγōn 'hēnd hangartīk i visp rāδēnišn kār i 'andar zamānak i 6 hazangrō(k)zam, kanārakōmand zamān pat-iš vaštan vartītan 'ut paytākīk brahm i ōβām 'hač kunišn 'tāk fražām i gētēh.*

(3) *'ut-aš ēvak āsrōnīh brahm, 'vēh apēčak rāδēnišnīkīh 'kē 'kaδ spēnāk mēnōk zāy, 'ō 'χᵛēš χᵛatīh dōšišn, pat-iš 'baχt *hač-iš 'χᵛēš bažišn 'pat kanāra-*

*kōmand ⟨zamān⟩, 'kaδ fražām-pērōžīh 'i-š 'apar aβigatīk, bavandak vānītārīh 'ut aβsiδēnītārīh i 'hač 'χᵛēš dām. 'ēn brahm 'χᵛānīhēt spēnāk-mēnōkīh-ič Ōhrmazd *'χᵛēš 'χᵛatīh 'i-š 'hast patmōk 'ut-aš spēk, 'ut 'andar apartar mēnōkān mātiyān 'pat Vahuman 'ut Mānsraspand. 'ut 'andar bālist-vāzišnān *rāδēnāk ⟨i⟩ χᵛap rōšnān baγān; 'andar vāχšikān 'pat ravākīh ⟨i⟩ ruvān 'andar 'martōm tan; 'andar hunarān 'pat χrat; 'andar barišnān 'pat ērīh 'ut χᵛarsandīh; 'andar χēmān 'pat 'ān i āsnōtak mēnišn, 'ān i arišuχt gōβišn; *andar gētēh dēsakān 'pat 'mart i ahrov; 'andar pēšakān 'pat āsrōnān; ⟨'andar⟩ patān 'pat 'avē 'kē gētēhān apartom aχᵛ 'ut rat: 'ut 'andar patmōkān 'pat 'ān i rōšn 'ut spēt patmōčan: 'ut 'andar hukārān 'pat 'vēh vaχšēnītan, 'vattar zatan.*

(4) *ēvak sāstārīh brahm, 'vattar apēčak rāδēnišnīh 'kē 'kaδ ['tāk] ganāk mēnōk zāy, 'ō 'χᵛēš 'χᵛatīh dōšišn, 'kē ov-iš 'baχt 'pat zamān 'hač brīnkar rāδēnāk *bažišn, aβsiδīhišn, ōvēn-fražāmīh i ganāk mēnōk i dōšītār i ham zāy. 'ēn brahm 'χᵛānīhēt ganāk mēnōk χᵛatīh 'i-š 'hast *patmōk; 'ut-aš škafttar vīrāstakīh 'andar *Māzan 'dēvān 'pat Akōman, 'ān i 'vattar dēn; 'andar baγān-baχtārīh appurtārān 'kē 'hēnd apāχtarān, 'pat 'ān i apāχtar i starōšmur Kēvān 'χᵛānēnd; 'ut-aš dēnīk 'nām dūr-pityārak: 'andar āhōkān 'pat dušākāsīh; 'ut 'andar barišnān 'pat anērīh 'ut aχᵛarsandīh; 'ut 'andar ['andar] χēmān 'pat 'ān i davan mēnišn, 'ān i mitōχt gōβišn; ⟨'andar⟩ gētēh dēsakān 'pat druvand mar; ⟨'andar⟩ pēšak pityārakān 'pat sāstārīh; 'ut 'andar *patīh pityārakān 'pat 'avē i dušdēn 'ut dōšaχᵛīk[ān]; 'ut 'andar patmōkān 'pat 'ān i hērak-gōn patmōčan; 'ut 'andar duškārān 'pat 'vēh zatan, 'vattar vaχšenītan.*

(5) *'ut ēvak artēštārīh brahm, 'vēh gumēčak rāδēnītārīh [i] 'kē 'kaδ hangartīk i χᵛap rāδēnītārīh aδyārīh āsrōnīh hudānākīh zahāk, amāvandīh 'ut vīrāstārīh 'ut vīnārtārīh i dātastān, ayāpēnītār i 'ō katār-ič-ē 'ān i 'ō mas-dātastānīh χēm, dahišn sūtīh aδyār, 'kē ov-iš 'baχt 'pat zamān 'hač brīnkar rāδēnāk *bažišn 'ō 'χᵛēš fražām-sūtīh, hambunīh i Vāy ⟨i⟩ 'apar 'andar 'har 2 'tāk fražām patiγraftār i *ham zāy: 'ut 'ēn brahm aparkār Vāy χᵛatīh patmōk; 'ut-aš mātiyān 'andar yazdān mēhmānīh 'pat Vāy i mēnōk[īh] i Ras-ič 'nām, 'χᵛat 'hast spihr 'ut Spahr-ič 'χᵛānīhēt 'apar-ič takīk vāt 'ut 'ǰān-ič 'martōm; 'ut 'andar hunarān 'apar takīkīh 'ān i 'martān, ham marttāčōkīh; 'ut 'andar barišnān 'pat WL'YM'NW dātastānīkīh; 'ut 'andar χēmān 'pat kāmak i frārōn 'ut 'ān i mas-dātastānīhā kār; 'ut 'andar gētēh dēsakān 'pat 'ān i takīk 'ut arvand tan; 'ut 'andar pēšakān 'pat artēštārān; 'ut 'andar patān 'pat arvand spāhpat; 'ut 'andar patmōkān 'pat 'ān i suχr 'ut maδ-gōn patmōčan 'kē 'pat harvist pēsišn pēsīt 'ēstēt, 'pat sēm 'ut 'zarr 'ut karkēhan 'ut 'ān-ič i 'bē *tāpāk yākand; 'ut 'andar kārān 'pat mas-dātastānīh i χēm, dahišn zatan 'ut vaχšēnītan i 'har 2 'vēh 'ut 'vattar.*

(6) *ēvak χᵛat-dōšakīh, 'vattar gumēčak rāδēnišnīh 'kē 'kaδ hangartīk i duš-rāδēnītārīh, ham škarvan sāstārīh dušākāsīh hamēstār [i hamēstār i] rāδēnītārīh apassačakīh 'ut anaδvēnīh 'ut 'hišt- ŠKWYīh 'ut aβrāstakīh, brātarōt-davišnīh 'ut anāštīh, ['ut] ahramōγīh čardār(?), 'ke ov-iš baχt 'pat kanārakōmand zamān [brātarōt] 'hač brīnkar rāδēnāk ⟨bažišn⟩ 'ō 'χᵛēš fra-žāmīh-sūtīh, čērīh i 'har kāmīk kunišngar 'kē apāyēt pat-iš: 'ut 'ēn brahm Varan druž χᵛatīh; 'ut-aš škafttar grāyastakīh 'andar 'dēvān ['kē apāyēt] 'apar χurdruš Ēšm; 'ut 'andar baγān-baχtārīh appurtārān 'pat apāχtar 'i-š star-ōšmur *Vahrām 'χᵛānēnd, 'ut-aš dēnīk 'nām aγ-āšt; 'andar āhōkān 'pat χᵛat-dōšakīh; 'ut 'andar barišnān 'pat anayāpīh 'ut āhītīh; 'ut ⟨'andar⟩ χēmān 'pat 'ān i apārōn kāmak, 'ān i χᵛat-dōšakīh dēn 'ut 'ān i fražām [i] višōβ kār; 'ut 'andar gētēh dēsakān 'pat χᵛat-dōšakān 'ut apārōn-stēž marān; 'andar pēšak hamēstārān 'pat ahramōγān; 'andar *patīh pityārakān 'pat 'ān i anaχᵛ 'ut arat zat-dastaβar anēr; 'ut 'andar patmōkān 'pat 'ān i χᵛat-dōšakīhā brahmak.*

NOTES

(4) *ōvēn*: on this word v. text Z 2, l. 73, note.

(5) *'jān-ič 'martom*: so, I think correctly, Wikander, *Vayu I*, p. 86, who quotes GrBd. 34. 6: *jān 'ān i 'apāk vāt patvast 'ēstēt.*—'breath is that which is associated with the wind.'

maδ-gōn: so now rather than *'āp-gōn* in accordance with the *aryavān* of GrBd. 31. 14 (text Z 2, l. 15). In NP. cf. Nāṣir i Xusrau, *Dīvān* (ed. Tehran, A.H. 1304–7), p. 139, l. 13: *āb ču nīl i birkeh-aš maigūn šud.*

(6) *čardār*: seems the most probable reading of [illegible]. My reading *-ič riyahr* in BSOS. ix, p. 305 must now be rejected since [illegible] is well attested with the meaning 'parent' (of demonic creatures). In this passage it corresponds to *zahāk* in the former section; so also DkM. 293. 3: *varan adāt čardār* as against *āsn-χrat dāt zahāk*, and 325. 9. In Pahlavī *zahāk* and *zahak* are indistinguishable, but that it is to be read *zahāk* in the above-cited passages is proved by DkM. 359. 19: *Āz i niyāz [ānak] čardār 'ut niyāz i Āz hunušak.*—'Greed, the parent of want, and want the offspring of greed.' The etymology of our word is quite uncertain, but *čardār* and *čargār* are the only probable readings.

TRANSLATION

(1) Of the four kinds of instrument instituted through finite Time by the wise, decisive Creator, Ohrmazd, for the four kinds of agent, (an extract) from the Exegesis of the Good Religion.

(2) This concerns the four instruments ordained through finite Time by the wise, decisive Creator, Ohrmazd, for the four kinds of agent: two are powers of good, and through these powers arises good action for increasing progress; two are powers of evil, and through these forces arises evil action for decay and ineffectiveness. For these comprise all

development and activity within the period of six millennia: through them finite Time turns and revolves, and from their action the character of (particular) times appears even to the end of the world.

(3) One is the robe of priesthood, the ordering of good in its pure estate which, being the weapon of the Bounteous Spirit, was chosen by him as his very essence and bestowed upon him by his own dispensation through finite Time to ensure his final victory over the Aggressor, the utter defeat of this last and the erasing of him from his own creation. This robe is called 'Bounteous-Spirit-ness', the very essence of Ohrmazd, his garment and his brilliance. Among the higher spirits it is chiefly with Vahuman and Mānsraspand. Among those whose course is on high, it controls the good luminaries, the *baγān* (fixed stars); among spiritual beings it is in the progress of the soul in the body of man; among virtues in wisdom; among modes of conduct in good behaviour and contentment; among characters in noble thought and the rightly spoken word; among material 'forms' in the blessed man; among the castes in the priests; among rulers in the highest worldly lord and judge; among garments with the shining white garment; among good deeds in the furtherance of good and destruction of evil.

(4) One is the robe of false priesthood, the ordering of evil in its pure estate which, being the weapon of the Destructive Spirit, was chosen by him as his very essence and which was bestowed on him through Time from its decisive dispensation that orders aright, for the destruction and final annihilation of the Destructive Spirit, the chooser of that very weapon. This robe is called the essence of the Destructive Spirit and is his garment: among the Māzan demons it operates most fearfully in Akōman whose religion is the worst; among the robbers of the gods' gifts who are the planets, it is in the planet called by the astrologers Kēvān (Saturn) whose name in the Religion is 'he whose aggression reaches far': among sins it is in wrong knowledge; among modes of conduct in bad behaviour and discontent; among characters in lying thought and the falsely spoken word; among material 'forms' in the accursed villain (*mar*); among the enemies of caste in false priesthood; among the enemies of rulership in the infernal heretic; among garments in the ash-coloured garment; among evil deeds in the destruction of good and furtherance of evil.

(5) One is the robe of warriorhood, the ordering of good in its contaminated estate which, since it comprises good order, ability, priesthood, the parent of wisdom, power, and the orderly dispensation of the (natural) law, influences whatever has the character of orderliness and tends to benefit creation; and this was bestowed on him (sc. Vāy) through Time from its decisive dispensation that orders aright to its ultimate advantage,

and it has the same origin as Vāy, the recipient of this very weapon above and within both (creations) till the end: and this robe is the essence of Vāy of lofty deeds and his garment; among the gods it is associated chiefly with the Spirit Vāy whose name is the Wheel, that is the firmament, and it is also called Spahr (Θwāša), and with the swift wind and the breath of man; among virtues it is with the speed which is in men, that is valour; among modes of conduct in . . . orderliness; among characters in righteous desire and action conducive to greater good order; among material 'forms' in the swift and valiant body; among the castes in the warriors; among rulers in the valiant commander of an army; among garments in the red and wine-coloured garment, adorned with all kinds of ornament, with silver and gold, chalcedony, and shining ruby; among deeds in the great good ordering of character, the destruction and furtherance of both the good and evil creations.

(6) One is self-will, the ordering of evil in its contaminated estate which, since it comprises disorder, vacillation, false priesthood, wrong knowledge, ordering in opposition, unseemliness and lawlessness, lack of respect and pride, has the din of shouting in rivalry and peacelessness, the progenitor of heresy; and this was bestowed on him (sc. Varan) through finite Time from its decisive dispensation which orders aright to its own ultimate advantage, for it rises superior to every voluntary agent which is necessary to it: and this robe is the selfhood of the Lie Varan; among the demons it influences most fearfully Ēšm of the bloody club; among the robbers of the gods' gifts, the planet called by the astrologers Vahrām (Mars) whose name in the Religion is 'he whose peace is evil': among sins it is in self-will; among modes of conduct in ineffectiveness and sulkiness; among characters in unrighteous desire, in the religion of self-will and action that confuses the end; among material 'forms' in the self-willed and the villains (*mar*) who stir up strife unrighteously; among the enemies of caste in the heretics; among the enemies of rulership in those who have no lord or judge and who strike the priests improperly; among garments in the garment of self-will.

Z 12. From the *Dēnkart* (Madan, p. 21. 15–24. 5; Sanjana, i, pp. 23–25). This text has been edited in BSOS. ix, pp. 307 ff., to which the reader is referred.

(1) *'apar zamānak rang 'ut 'čē-īh ⟨i⟩ rang 'ut 'kē-ič ['hač] *rašt [i] 'pat rang, 'hač nikēž i vēh-dēn.*

(2) **'ēt 'apar* zamānak rang, vēhīh 'ut 'vattarīh: vēhīh ['ut] spēnāk-mēnōkīk χᵛat-gōhrīhā, 'vattarīh ganāγ-mēnōk 'pat rasišn i 'hač 'bē gōhr. 'ut*

*ōšmurišn i vēhīh *'ut 'vattarīh 'sar 'hač zamānak ⟨i⟩ pat-iš *rašt 8,—spēnākīk ⟨'ut ganākīk⟩ 'hač-išān vāyīk 'ut varanīk 'ut bayīk 'ut *gaδōkīk 'ut hunihātīk 'ut dušnihātīk.*

(3) **spēnākīk ōšmurišn mātiyān ⟨āsrōnīh⟩ dēn dānākīh ērīh rāstīh 'ut χ^{v}āβarīh, ['ut] 'če-šān ham-tōhmak ratīh 'ut rāδēnītārīh i *'apar vēh-dēn ⟨i⟩ rāst. ganākīk ōšmurišn mātiyān sāstārīh i āsrōnīh hamēstār, aγ-dēnīh anērīh 'ut kayakīh 'ut karapīh 'ut drōžanīh 'ut anispāsīh, ['ut] 'čē-šān ham-tōhmak višuftārīh pat-iš. vāyīk ōšmurišn *mātiyān artēštārīh āsrōnīh aδyār, takīkīh 'ut arvan⟨d⟩īh 'ut χ^{v}atāyīh 'ut dāt, 'čē-šān ham-tōhmak hunar 'ut rāδēnītārīh 'apar χ^{v}atāyīh. varanīk ōšmurišnīh mātiyān χ^{v}at-dōšakīh, har ahramōγīh i *āsrōnīh brātarōt, sāstārīh aδyār, 'ut dušdānākīh 'ut aγ-dēnīh, ['ut] 'čē-šān ham-tōhmak āhōk višuftārīhā i pat-iš. baγān⟨īk⟩ ōšmurišn vāstryōšīh i gēhān varzītārīh, 'čē-šān ham-tōhmak 'pat patmānak mānišnīk handōčišnīk 'ut vičītārīhišnīk rātīh i pat-iš *aβzāyēnītan, āsrōnīh artēštārīh aδyār. *gaδōk⟨īk⟩ ōšmurišn 'pat dužīh 'ut stahmakīh, varzītārān ⟨i⟩ gēhān pityārēnītan [i] 'ut 'pat panīk panēnītārīh nangkarīk halak-kartārīh āpātīh ⟨i⟩ gēhān pityārēnītan, 'pat *panīh patēχ^{v}īh aβsihēnītan 'ut dām marnǰēnītan, 'čē-š ham-tōhmak vāstryōšīh [i] pityār. 'ut hunihātīk ōšmurišn hutuχšīh 'ān 3 pēšak aδyār 'pat hutuχšīh humat hūχt huvaršt ruvān-ahrovīh. dušnihātīk ōšmurišn duštuχšākīh, 'ut 'pat dušmat dušhūχt dušhuvaršt 'ut ruvān-druvandīh 3 pēšakān pityār.*

(4) *'ut 'ēt ōšmurišnān yut yut 'hač 'χ^{v}ēš bun rasišnīh 'hač 'ān i 'apar 'ō 'ān 'i-š aδar: ['vēh] 'vēh, spēnākīk 'ō vāyīk, 'ut vāyīk 'ō bayīk, *bayīk 'ō hunihātīk: 'vattar, ganākīk 'ō varanīk, ⟨varanīk⟩ 'ō *gaδōkīk, 'ut *gaδōkīk 'ō dušnihātīk. 'ut pat-iš yut yut 'ān i 'χ^{v}ēš ērīk 'ut 'vēhīk *čērīh, *'vattarīk stahmakīh: 'ut čērīh 'ut stahmakīh 'andar gēhān āmarakānīhā; 'ut 'pat-ič yut yut tan 'vēhīk čērīh 'pat nēvakīh, 'ut *'vattarīk stahmakīh 'pat 'vatīh i ōβām 'ut martōm, paytākīh: 'ut 'hač-ič 'ān ⟨i⟩ hačaδar 'ō 'ān i hačapar nērōk 'ōh patvandīhēt čēγōn 'hač martōm kār 'pat huyāčakīh 'ō yazdān 'ut 'pat dušyāč⟨ak⟩īh 'ō 'dēvān nērōk patvandišnīh, dēn [pākīh] paytākīh.*

(5) *dātār Ōhrmazd rašt zamānak 'pat rang, 'pat vēhīh čim gōhrīhā aβzōn i dahišnān 'hač vēhīh, 'ut pat-iš ['ut] vānītan i aβigatīk 'vattarīh i 'hač duš bun, 'ut 'pat 'vattarīh, čim aβigatīk 'vattarīh i 'hač 'bē 'pat višōβišn 'ō dām matan: 'hač ēv-kartak nērōkīk apattōkīh i dām 'andar 'ō zamānakīhā i 'hač bundahišn 'tāk fraškart viškīt-nērōkīhā, tarāzēnišnīh nisārišnīkīh 'andar pattōkīh 'ut patvandišnīh i dahišn 'ō fraškart 'kē zōr i vēhīh i 'andar zamānakīhā 'vattarīh ānāβišnīkīh. 'ut zamānak 'ān-ič i rang i 'vattarīh vēš *'dārēt, 'ān i 'vattarīh frahist 'hač vēhīh i 'andar ham zamānak; 'pat sačišn 'i-š drang hamāk vānītārīh, *'hast fraškart gās 'pat zōr i vēhīh, 'vattarīh 'andar ōβāmīhā 'ut zamānakīhā hamāk vānītārīh: 'ān zamānak ⟨i⟩ fraškart 'pat vēhīh apēčak-ēstišnīh; 'ut pat-iš ganāγ-mēnōk aβsihišn, dām vāyišn-dahišnīh, tan i*

*pasēn 'ut amargīh 'ut *šētāy i hām dahišn i 'vēh matan 'bavēt 'pat dātār fražānakīhā handāčišn kām nērōk.*

TRANSLATION

(1) Of the colour of Time and the nature of that colour and him who dyed it with colour—from the Exegesis of the Good Religion.

(2) This concerns the colour of Time—good and evil: good is of the very substance of the Bounteous Spirit; evil is of the Destructive Spirit, proceeding from an outside substance. The categories of good and evil which have their beginning in Time and with which Time is dyed, are eight (in number): *spēnākīk* (bounteous) ⟨and *ganākīk* (destructive)⟩ from which are derived *vāyīk* and *varanīk*, *bayīk* (that bestows) and *gaδōkīk* (that takes away), *hunihātīk* (of good nature) and *dušnihātīk* (of evil nature).

(3) The category of *spēnākīk* includes chiefly ⟨priesthood,⟩ religion, wisdom, good conduct, righteousness, and munificence; for akin to them are the judgeship and the good management of the right and Good Religion. The category of *ganākīk* includes chiefly false priesthood, the adversary of priesthood, irreligion, bad conduct, the quality of Kay and Karap, falsehood and ingratitude; for akin to them is the confusion of them (i.e. the virtues just mentioned). The category of *vāyīk* includes chiefly warriorhood, the helpmate of priesthood, speed and valour, lordship and law; for akin to them are virtue and the good management of lordship. The category of *varanīk* includes chiefly self-will, all heresy, the rival of priesthood and helpmate of false priesthood, evil knowledge and irreligion; for akin to them is sin which confuses them (i.e. the virtues mentioned under the category of *vāyīk*). The category of *baγānīk* includes husbandry, the tilling of the soil; for akin to them, resembling moderation, thrifty and discerning, is generosity, author of increase, the helpmate of priesthood and warriorhood. The category of *gaδōkīk* includes theft and violence, enmity to the tillers of the soil, and, through miserly encouragement of stinginess and envious foolish deeds, enmity to the fertility of the earth, and through miserliness the suppression of prosperity and destruction of creation: for akin to them is the adversary of husbandry. The category of *hunihātīk* includes artisanship, the helpmate of the three castes through good effort, good thought, word, and deed, and salvation of the soul. The category of *dušnihātīk* includes bad artisanship through evil effort, evil thought, word, and deed, and damnation of the soul, the adversary of the three castes.

(4) These categories proceed severally from their origin through the higher to the lower. On the good side, *spēnākīk* to *vāyīk*, *vāyīk* to *bayīk*, *bayīk* to *hunihātīk*; on the evil, *ganākīk* to *varanīk*, ⟨*varanīk*⟩ to *gaδōkīk*,

gaδōkīk to *dušnihātīk*. In these respectively (we find) the courage of good conduct and goodness, and the violence of evil; courage and violence are of general occurrence in the world. In their respective bodies the courage of goodness leads to welfare, while the violence of evil leads to bad times and evil men, as it is revealed. There is a connexion of faculties from the lower to the higher, just as with the deeds of men their faculties are connected with the gods through good endeavour and with the demons through evil endeavour, as the Religion reveals.

(5) The creator Ohrmazd dyed Time with colour—with good because in substance the benefit accruing to creatures is from the good and the evil of the Aggressor which is from an evil origin is vanquished by the good—and with evil because the evil of the Aggressor comes upon creation from without to confound it. From a single inconsistency which exists in potency (and entered) into creation during the millennia (times) between the original creation and the final rehabilitation during which time there is dissipation of energy, proceeds the restoring of the balance which consists in continuity and the restoration of creation at the rehabilitation, which means the destruction of evil by the power of the good (accumulated) throughout the millennia. In times which are mainly coloured with evil, evil will exceed the good: but after the passage of such periods comes complete victory, that is the time of the rehabilitation (brought about) by the power of good (which means) the complete defeat of the evil (which had come into being) throughout the millennia. That is the moment of the rehabilitation when good is established in its pure state: through it will come the annihilation of the Destructive Spirit and the triumph of creation, the Final Body, immortality, ecstasy for all the good creation through the Creator's wise design, will and power.

Z 13. *Aβyātkār i Zāmāspīk* 2. 2 (Messina), p. 34 in Messina's edition; translation on p. 85.

Pārsī text.	Pahlavī reconstruction mainly after Messina.
⟨guftaš Žāmāsp⟩ bētāš kū šnav dayuvad ān če hamā būd āvāǰ Hōrmazd andar rōšnāī u rōšnāī az Ōrmazd ān bēd keš Hōrmazd andar χᵛānēd če azaš dēn rabāyišn būd azaš zamān hamā būdaš Ōrmazd būd čūn hast mēnō rāyēnīdāraš.	*guft-aš Žāmāsp bētaχš ku šnav, dahyupat, ān i hamē būt ēvāč Ōhrmazd andar rōšnīh, ut rōšnīh i hač Ōhrmazd,—ān bavēt kē-š Ōhrmazd andar *mānēt-ič,—ut-aš dēn ravākēnišn būt, ut-aš zamān hamē-būtīh i Ōhrmazd būt, čēγōn hast mēnōk i rāδēnītārīh.*

NOTE

**mānēt*: Messina keeps *χᵛānēt* and also takes *ēvāč* in the sense of 'voice'. The parallel passage in the opening of the first chapter of the *Bundahišn*, however, has nothing to justify such an interpretation. *ēvāč* must clearly mean 'only'. Reading *χᵛānēt* Messina translates 'la luce (procedente) da Ōhrmazd è quella cui evoca Ōhrmazd'; but the idea of 'evocation' is Manichaean and wholly foreign to Zoroastrianism, whether Zervanite or Mazdean. I would therefore read *mānēt* 'dwells', remembering that the light is the 'place' of Ohrmazd (text Z 1, § 1). The corruption of *mānēt* to *χᵛānēt* is equally simple whether we assume it to have been written ideographically or phonetically.

TRANSLATION

Prince Žāmāsp said, 'Listen, O king, he who has ever been is only Ohrmazd in the light—and the light (proceeds) from Ohrmazd—that is, that in which Ohrmazd dwells—and the propagation of his religion, and his Time which is the eternity of Ohrmazd, for it is the genius of right ordering.'

Z 14. From the *Dēnkart* (Madan, p. 128. 16–129. 3; Sanjana, iii, p. 147). Edition with notes in BSOS. ix, pp. 871, 879, 889.

'apar 'ān i 'har ov-iš niyāz, 'χᵛat 'hač 'har apē-niyāz; 'ān i 'har 'andar, 'χᵛat 'andar hēč; 'ān i 'apar 'har rāδēnītārīh, [i 'ut] χᵛat 'hač hēč i 'bē 'nē rāδēnišnīk,—'hač nikēž i vēh-dēn.

*'ēt abun 'ut bunōmand 'pat kār, 'ut 'hastīh-ič i 'har 'ō Zamān niyāz. 'ut apē Zamān hēč kartan *i *'hast 'būt 'bavēt, 'nē attōk 'hēnd. 'ut Zamān 'ō hēč 'hač 'imēšān 'pat hēč 'čiš 'nē niyāz. 'ut 'ān i 'har gōhr 'andar, 'χᵛat 'andar hēč, Gyāk. 'ut 'apar 'har rāδēnītār, 'χᵛat 'hač hēč i 'bē 'nē rāδēnišnīk, dānākīh i Ōhrmazd.*

TRANSLATION

On that of which all has need, and which itself has need of nothing; and that which has all within it, yet is within nothing; and that which directs all, yet itself is directed by no outside thing—from the Exegesis of the Good Religion.

This that (Time) has no origin, yet through action has an origin. The existence of all has need of Time. Without Time one can do nothing that is or was or shall be. Time has need of none of these for anything. That within which every substance is, yet itself is within nothing, is Space. That which directs all, yet itself is directed by no outside thing, is the Wisdom of Ohrmazd.

Z 15. From the *Dēnkart* (Madan, p. 132. 21–133. 9; Sanjana, iii, p. 152). Edition with notes in BSOS. ix, pp. 871, 880, 889.

*'apar 'hastīh *'ut paytākīh [i] 'ut yuttarīh i 'hastīh 'hač paytākīh,—'hač nikēž i vēh-dēn.*

*'ēt čēγōn pōryōtkēšān 'hač 'vēh-dēn nikēž guft;—'hast i hamayīk Ōhrmazd dātār 'ut dēn dānākīh 'i-š 'pat nērōk vēhīh, Gyāk 'i-š gētēh 'apar, 'ut Zamān 'i-š 'hast hamayīkīh. paytākīh 'i-šān 'hastīh, 'ān i Ōhrmazd dātār 'hač dahišn-kartakīh, 'ān i dēn dānākīh ⟨'hač⟩ 'saχᵛan ⟨i⟩ kāmīk-dānākīhā 'ut kār, 'ān i *Zamān Gās ⟨'hač 'ān i⟩ 'pat Zamān 'andar Gyāk 'dāt šāyītan-ič i dahišn. 'ut yuttarīh i 'hastīh [i] 'hač paytāk⟨īh⟩ [i] 'ēn-ič 'kaδ 'ān 'hastīh apē-paytāk ['pat] 'ō martōm, 'pat χᵛatīh 'būt; 'vas 'būt *šāyēn abun bun bunōmand, 'hast i apaytāk 'ō martōm. 'ut 'nē hēč paytākīh apē 'hastīh 'būt šāyēt.*

TRANSLATION

On existence and manifestation, and the difference between existence and manifestation—from the Exegesis of the Good Religion.

This is how the Ancient Sages have spoken from the Exegesis of the good Religion: eternal are the Creator Ohrmazd and the Wisdom of Religion through whose power is goodness, and Space on which his matter is (founded), and Time which is his eternity. The manifestation of their being: that of the creator Ohrmazd is from the act of creation; that of the Wisdom of Religion from the word, wise in will, and from action; that of Time and Space ⟨from the fact that⟩ creation had to be created by means of Time and in Space. The difference between existence and manifestation is this that when existence was unmanifest to man it existed in essence: it was merely potential, without origin, yet an origin and the source of origin, that is to say unmanifest to man. There can be no manifestation without existence.

Z 16. From the *Dēnkart* (Madan, p. 207. 1–7; Sanjana, v, p. 232). Edition with notes in BSOS. ix, pp. 872, 880, 892.

*'apar *Zamān 'χᵛat 'ut-aš χᵛatīh 'ut kanārak,—'hač nikēž i vēh-dēn.*

*'ēt Zamān 'χᵛat hamē, 'ut-aš χᵛatīh drang; 'ut pat-iš 'hast kartārīh nērōk ⟨i⟩ gētēh. 'hast hamayīk 'ān 'i-š 'pat nērōk. 'ut-aš kanārak yumbišn i gētēh 'andar Vāy 'pat Spāš, čēγōn rōšnān *vāzišn, vāt vāyišn, 'āp tačišn, urvar rōδišn, 'ut 'har *nērōk kār 'andar Vāy. 'ut hangartīk 'būt 'bavēt hamāk.*

TRANSLATION

On Time itself, and its essence and limitation—from the Exegesis of the Good Religion.

This that Time itself is eternal, and its essence is duration. Through it matter has the potentiality of being actualized. *Qua* potency it is eternal. Its limitation consists in the movement of matter in Space (Vāy) by means of the Firmament (Spāš), as, for example, the course of the luminaries, the blowing of the wind, the running of water, the growth of plants, and all actualization of potency in Space (Vāy). In short (Time) was and shall be all.

Z 17. From the *Dēnkart* (Madan, p. 198. 18–199. 6; Sanjana, v, p. 224). Edition with notes in BSOS. ix, pp. 872, 880, 891.

*'apar 'nē 'hast 'ut 'nē 'bavēt sačītan i hēč atavānīk 'apar vēhīkān buništ dātār Ohrmazd; 'ut kanār⟨ak⟩ōmandīh 'ut *akanārakīh-ič 'i-š tavān,—'hač pōryōtkēš gōβišn, nikēž i vēh-dēn.*

*'ēt abun 'vēhīkān buništ dātār Ōhrmazd visp-ākās, visp-tavān, visp-χᵛatāyīh. 'nē 'hast 'ut 'nē 'bavēt 'ut 'nē 'būt 'apar 'avē vēh-kām i kirpak-kar *hēč atavān. 'ēn-ič paytākīh 'kaδ tavān 'har 'andar *šāyēn fravand, 'avē i vispān ham bun 'ut yazat šāyēn 'har-tavān. 'ut-aš tavān 'pat 'ān i 'andar šāyēn fravastak kanārakōmand, 'ut 'pat 'ān i abrīn akanārak; čēγōn kanārakōmandīh-ič 'i-š 'pat gētēh, 'ut akanārakīh [i] 'i-š 'pat Zamānak.*

TRANSLATION

On there not being and the impossibility of there being anything not within the power of the principle of the good, Ohrmazd, the Creator: on the limitation and limitlessness of his power—from the words of the Ancient Sages, the Exegesis of the Good Religion.

This that he who has no origin, the principle of the good, the Creator Ohrmazd is omniscient, omnipotent, universal Lord. There is not, nor was there, nor shall there be anything impossible to his good and virtuous Will. This too is revealed, that since all power is confined to the possible, he who is both origin and God of all, is omnipotent in (the sphere of) the possible. His power, in so far as it is confined to what is possible, is limited; but in so far as it is unimpaired, it is limitless. Thus he is limited by matter, limitless through Time.

Z 18 (*a*). From the *Dēnkart* (Madan, p. 221. 11–224. 8; Sanjana, v, pp. 247–9). Edition with notes in BSOS. ix, pp. 872, 881, 892.

*'apar 'vēhīh ['vēhīh] 'ut vēhīh bun 'ut 'vēhīh ravākīh 'ut 'vēhīh vīmand 'ut 'vēhīh vihān 'vēhīh čim, hangartīkīh 'ut-aš zahak ōšmurišnān *i 'vēhīh: 'ut*

'vattarīh ravākīh 'ut 'vattarīh ['ut] vīmand 'ut 'vattarīh čim, 'ut 'vattarīh hangartīkīh [i] 'ut-aš hunušak ōšmurišn, 'ut 'vattarīh rāδēnišn 'pat bun 'ut miyān ⟨'ut⟩ fražām,—'hač nikēž i vēh-dēn.

*'ēt 'vēhīh-ōstīkān 'vēhīh-⟨χᵛatīk⟩ Spēnāk Mēnōk. 'ut 'vēhīh bun ham 'ō vēh-dēn, 'hast 'ān i katār-ič-ē i 'pat apar-rasišnīh 'ut pat-iš kartārīh sūt; 'ut 'vēhīh [i] ravākīh i 'avē 'vēh ⟨Spēnāk Mēnōk⟩ 8-ič 'i-š χᵛatīh, i 'hast dānišn *'ut rōšnīh i dānišn 'pat yut-'nihātakīh ham-vīmand; 'ut kām, nērōk, aβzār 'ut tuχšākīh 'ut *gyāk 'ut zamān. 'ut-aš paytāk 'hač hamāk mēnōkīk 'ut gētēhīk 'vēhīh-rāδēnākān ⟨i⟩ gētēh 'i-šān 'pat 'vēhīh-rāδēnākīh ōčīrišnīk, 'hast dānākīh i ōsānišnīk 'hač rōšnīh [i] 'apar gēt⟨ēh⟩ 'kē pat-iš ⟨vēh⟩ 'vēnēnd 'ut mēnēnd, vēh-dēn 'ut [gās] kām 'kē pat-iš apāyēt 'vēhīh, 'ut nērōk, aβzār 'ut tuχšākīh 'ut *zamān gās 'kē vēhīh nērōk, gētēh pat-iš 'andar 'kunēt vēhīh. 'ut vīmand i 'vēhīh 'ān 'i-š fra'nāmišn 'hač 'χᵛēš, 'ut a-fra'nāmišnīh 'hač 'bē 'χᵛēš, čēγōn zīndakīh i 'pat χᵛatīh apāyišnīk 'ut stāyišnīk, 'ut-aš anapāyišnīkīh *astavišnīh 'hač 'bē 'χᵛēš, i 'hast vīmārīh 'ut vaštīh 'ut zarmānīh vināš druvandīh. 'ut vihān i 'vēhīh 'andar dahišnān χᵛatīk 'vēhīh rātīh i dāmān 'pit χᵛatāy dātār Ōhrmazd. 'ut-aš čim apāyišn kām 'i-š 'apar dahišnān sūt matan 'i-š 'vēhīh 'ō dahišnān. 'ut 'vēhīh hangartīk patmān, 'ut-aš zahak dāt: zahak ōšmurišnān χrat χēm 'ut šarm 'ut miθr 'ut rātīh 'ut rāstīh, spāsdārīh, apārīk [i] hunarān ⟨i⟩ pat-iš Amahraspand 'hamist apārīk [i] mēnōkān *yazdān 'χᵛatīh; ⟨hač-iš⟩ martōm zīndakīh 'ut druvist āpātīh 'ut χᵛatāyīh 'ut dēndānākīh 'ut kirpak-ahrovīh 'ut 'hamist gētēh 'vēh dahišnān nēvakīh vīnārišnīh. 'ut 'vēhīh rāδēnišn 'pat bun dātārīh ravākīh i dām, 'pat miyān dām vīnārišn patvandišn [i] 'ut 'vattarīh vānītārīh, 'pat fražām aβigat bavandak vānītārīh, hač-iš ['ut] hām dahišn bōžišn, apēčakīh, yāvētānak nēvakīh 'ut šētāy.*

*'ut 'vattar-ōstīkān 'vattarīh-χᵛatīk dušākās Ganāk Mēnōk. 'vattarīh bun 'ān ham *'ō 'vattar *dēn, 'hast 'ān i katār-ič-ē 'pat 'apar-'rasišnīh ziyān. 'vattarīh ravākīh i 'avē 'vattar Ganāk Mēnōk zūr-mitōχtīh [i] 'ut tam zūr-mitōχtīh ⟨i⟩ yut-'nihātakīh ham-vīmand; 'ut kām, nērōk 'ut tuχšākīh 'ut aβzār 'ut gyāk 'ut zamān. 'ut-aš paytākīh 'hač 'ān i 'vattar-kartārān 'pat 'vattar-kartārīh 'dārēnd tamīk mitōχt 'kē pat-iš 'vattar čīhēnd mēnēnd, 'ut kām 'kē pat-iš 'vattar apāyēt, *nērōk-ič 'ut vičōδišn aβzār 'ut zamān gyāk 'kē 'vattarīh 'pat gētēh pat-iš 'andar 'kunēt. 'ut vīmand i 'vattarīh 'ān i 'pat χᵛatīh a-fra'nāmišnīkīh, 'ut-aš fra'nāmišn 'hač 'bē; čēγōn margīh i 'pat χᵛatīh anapāyišnīk 'ut *astavišnīk, 'ut-aš apāyišnīkīh 'ut stāyišnīkīh 'hač 'bē, i 'hast vīmārīh, vaštīh 'ut zarmān, škōhīh 'ut bēš i 'vattar 'hač marg. vihān i 'vattarīh 'andar gētēh 'ut mēnōk dāmān hamāk vatīh bun Ganāk Mēnōk aβigat. 'ut čim i rasišn i 'ō dāmān 'vēhīh aβigatīk anākīh-kām i 'avē druž 'pat ziyān i Spēnāk Mēnōk dāmān, āhōkēnītan 'i-šān 'pat 'ān i 'vattarīh bun vihān i 'har anākīh. 'ut 'vattarīh hangartīkīh Frēhbūt 'ut Apēbūt; 'ut 'vattarīh hunušak adāt. 'ut*

*hunušak ōšmurišnān āz 'ut ēšm, kēn, arišk 'ut druχtārīh, drōnīh 'ut panīh 'ut anispāsīh 'ut apārīk [i] āhōkān i pat-iš 'dēv drož dušχ^{v}atīh; hač-iš martōm sāstārīh 'ut ahramōyīh, vīmārīh 'ut škōhīh 'ut dušākāsīh *'ut vinās druvandīh 'ut 'hamist apārīk gētēh dahišnān anākīh višōβišn. 'ut 'vattarīh rāδēnišn 'pat bun dāmān āhōkēnišn, 'pat miyān kōšišn [i] 'ut āšōβ i 'andar gumēčakīh, 'pat fražām fražān⟨ak⟩īhā rāδēnītārīh i 'vēh Spēnāk Mēnōk, vānītakīh i 'pat 'vēhīh nērōk.*

kēš-dārān 'kē bun ēvak kēš 'i-šān 'ān bun spēnāk ganāγ, 'ut 'vēh 'ut 'vattar, stāyastak nikōhītak guft 'bavēt.

TRANSLATION

On goodness, the origin of goodness, the movement of goodness, the definition of goodness, the cause of goodness, the reason of goodness, what it is summed up in, and the categories of the offspring of goodness. On the movement of evil, the definition of evil, the reason of evil, what evil is summed up in, the categories of its abortions, the promotion of evil at the beginning, middle, and end—from the Exegesis of the Good Religion.

This that he whose ground is goodness and whose essence is goodness is the Bounteous Spirit. The origin of goodness is also in the Good Religion, that is to say whatever causes benefit when it supervenes and is put into practice. The movement of the goodness of the good Bounteous Spirit, that is his essence, is eightfold: it is Wisdom and the Light of Wisdom which are proper to his distinct nature, and Will, Power, Means, Effort, Space, and Time. It is revealed that of all those (powers), spiritual and material, which promote goodness in the world and are distinguished by the promotion of goodness, it is Wisdom that descends from the Light on to the earth and by which (men) see and think well; the Good Religion and Will by which goodness is desired; and Power, Means, Effort, Time, and Space which have the potentiality of goodness, and through which the world practises goodness. The definition of goodness is that which of itself develops, while hindrance of its development comes from outside itself; just as life in itself is desirable and worthy of praise, and that which is undesirable and unworthy of praise comes from outside itself, such as illness, disease, old age, sin, damnation. The cause of goodness in creatures is the essential goodness and generosity of the Father of Creation, the Lord and Creator, Ohrmazd. His intention, wish, and will for his creatures is that the benefit of his goodness shall come to them. Goodness is summed up in the Mean: its offspring is the Law. The categories of this offspring are wisdom, good character, modesty, love, generosity, rectitude, gratitude, and the other virtues inherent in the essence of the Amahraspands and the

other spiritual gods. Thence is the life of man, sound prosperity, lordship, knowledge of the Religion, salvation by virtue together with the promotion of welfare among the good creatures of the world. The promotion of goodness consists, in the beginning, in the act of creation and the setting of it in motion; in the middle, in directing and continuing creation and the conquest of evil; at the end, in the complete conquest of the Aggressor, whence is the salvation of all creation, purity, eternal well-being, and bliss.

He whose ground is evil and whose essence is evil is the Destructive Spirit of evil knowledge. The origin of evil is also in the evil religion, that is to say whatever causes harm when it supervenes. The movement of the evil of the evil Destructive Spirit is in Lying Falsehood and the Darkness of Lying Falsehood which are proper to his distinct nature; and Will, Power, Effort, Means, Space, and Time. It is revealed that of the evil-doers in evil deeds, they hold that it is the Dark Falsehood by which they perceive and think evil, Will that by which evil is desired; Power, Striving, Means, Time, and Space that through which evil is practised in the world. The definition of evil is that which essentially does not develop, while its development is from outside: just as death in itself is undesirable and unworthy of praise, and that which is desirable and worthy of praise (to itself) comes from outside, such as illness, disease, old age, poverty, and torment, which are worse than death. The cause of evil in spiritual and material creatures is the origin of all evil, the Destructive Spirit, the Aggressor. The reason for its coming upon the goodness of creation is the Lie's desire of destruction, inherent in an aggressor, for the harm of the creatures of the Bounteous Spirit, and for their defilement by means of evil, the original cause of all injury. Evil is summed up in Excess and Deficiency: and the abortion of evil is Lawlessness. The categories of this abortion are concupiscence, anger, vengeance, envy, deception, guile, avarice, ingratitude, and the other vices that are inherent in the evil essence of the Demon and the Lie. Thence is tyranny over men, heresy, illness, poverty, evil knowledge, damnation in sin, together with all the other injury and confusion of worldly creatures. The promotion of evil consists, in the beginning, in the defilement of creatures; in the middle, in strife and confusion in the contaminated state; at the end, in the wise control of the good Bounteous Spirit and the defeat (of evil) by the power of goodness.

The religion of those sectaries who (favour) one principle is forced to declare that that principle is Bounteous and Destructive, good and evil, praiseworthy and blameworthy.

Z 18 (*b*). From the *Dēnkart* (Madan, p. 567. 10–14).

*gētēh 'pat 'ēn 6 'čiš rāδēnīhēt, 'pat zamān, *gās, dānišn, aδyār 'ut aβzār 'ut tuχšākīh: 'ut dānāk vičīrēnīt 'ku 'hač *'ēn 6 3 mēnōkīk 'ut 3 gētēhīk: zamān, *gās, dānišn mēnōkīk; 'ut aδyār 'ut aβzār 'ut tuχšākīh gētēhīk.*

NOTE

**gās*: The text has *dahišn*, but I am inclined to read *gās* for the reasons stated in Part I, Chapter VII, pp. 213–14.

TRANSLATION

Matter is ruled by these six things, by Time, *Space, wisdom, power, means, and effort. A wise man has explained that of these six three are spiritual and three material. Time, *Space, and wisdom are spiritual; power, means, and effort are material.

Z 19. From the *Dēnkart* (Madan, p. 228. 1–22; Sanjana, v, p. 254). Edition with notes in BSOS. ix, pp. 874, 883, 895.

'apar χrat, kām 'ut kār 'ut 'zamān i Ōhrmazd, — 'hač nikēž i vēh-dēn.

*'ēt Ōhrmazd 'pat harvisp-ākās χrat kāmīk handāčišn brīt 'pat kār zamān kanārak, 'pat zamān kār kanārak: 'hač fratom 'tāk aβdom kanārak matan [i] 'bavēt. kār 'pat spurr-karīh 'apāč 'ō bun āsān, zamān 'pat spurr-kanārak-sačišnīh 'apāč 'ō bun akanārakīh matan, i 'hast fraškart, druž aβsihīk 'ut ristāχēz, tan i pasēn, hām dahišn bōžišnīk 'ut yāvētānīk šētāy. 'ut-aš χrat 'ut kām 'ut kār 'ut zamān avartišnīk, 'hast 'hač fratomīk handāčišn 'apar 'ō 'ān ⟨i aβdom⟩ kām handāčišn sāčišnīk ravāk; 'ut-aš 'andar mātiyān ravākīh i dēn ⟨i⟩ Māzdēsn 'hamist dām 'pat patvandišn i 'ō fraškart, 'apar asāčišnīh i 'har ānāβišnīk, apērtar 'ān i dēn ⟨i⟩ Māzdēsn 'ut dām visistakīh i 'hač fraškart 'bavēh. 'ut 'martōm kām 'ut kār dastaβar dēn ⟨i⟩ Māzdēsn. 'har Ōhrmazdīk fražām sūt, 'kaδ-ič 'pat gētēh 'hač pityārak nikōhišn ziyān-ē 'andar 'hēh: 'bē 'ān dastaβarīh ⟨i⟩ hamāk ganākīk fražām ziyān, 'kaδ-ič 'pat gētēh 'hač pityārak frēβišn sūt humānē 'andar 'hēnd. 'ut 'ōh-ič Ōhrmazd χrat 'ut kām handāčišn hām dahišn sūt *i avartišnīk sačēt.*

'ut kēš-dārān 'kē kām i yazat vartišnīk, 'har 'rōč 'pat dašn-ē(?), 'ut-aš 'saχᵛan patēstīk dōšaχᵛ purr 'hač martōm-ič kartan, kēš, 'ān 'kē-š 'pat yazat 'dārēnd, kām 'pat anōstīh, frašēβ i dāmān, 'saχᵛan 'pat anāk patēst burtārīh, Ganāk Mēnōk mānāk.

TRANSLATION

On the Wisdom, Will, Action, and Time of Ohrmazd—from the Exegesis of the Good Religion.

This that Ohrmazd, by his omniscient Wisdom and the projection of his Will, fashioned a limit for Time through action, and for action through Time. Their course proceeds from the first term to the last. Action, at its fulfilment, returns to its original state of rest: Time, when its full term has elapsed, returns to its source which is the Infinite;—that is the rehabilitation, the defeat of the Lie, the Resurrection and the Final Body, eternal bliss delivering all creation. His Wisdom, Will, Action, and Time are immutable. From the first projection of his Will till the last they are effective and in motion: in particular the forward motion of the Mazdayasnian Religion together with creation proceeds within them till it reaches the rehabilitation, so that every destructive thing is rendered ineffective, especially that which causes the separation of the Mazdayasnian Religion and creation from the rehabilitation. The rule for man's will and action is the Mazdayasnian Religion; and the end of all that is Ohrmazd's, is benefit, even though on earth some harm should accrue to it owing to its vilification by the Adversary. But the end of the rule of all that is destructive is harm, even though on earth the semblance of benefit should accrue to it owing to the wiles of the Adversary. Thus it appears that the Wisdom of Ohrmazd and the projection of his Will are an immutable benefit to the whole of creation.

The religion of those sectaries for whom the will of God is mutable and, every day, has a different character, and for whom the word of God threatens to fill Hell with men (makes) him whom they hold to be God resemble the Destructive Spirit, in that his will is unstable and injurious to his creatures and that his words threaten them with distress.

Z 20. From the *Dēnkart* (Madan, p. 282. 7–283. 17; Sanjana, vi, p. 313). Edition with notes in BSOS. ix, pp. 874, 883, 896.

(1) *'apar 'ān i 'pat gartišn 'apāč 'ō bun, 'ut 'ān i 'pat rastak 'hač bun 'ō 'sar patvand,—'hač nikēž i vēh-dēn.*

(2) *'ēt 'hač vēh-dēn nikēž 'hač 'ān i 'pat gartišn 'apāč 'ō bun patvand, Zamān; 'hač 'ān i 'hač bun 'ō 'sar 'pat patvand, dānākīh. 'ut Zamān *rāδ 'ēt ōγōn nikēžīt 'ku 'hač kār nērōk bun tōhmak i apistākīk* aršnōtačin *'nām, 'pat dātār āβurišn, fratom kār kunišn 'i-š Zamānak kunišn hambatast; 'hač kār kunišn kār fražāmišn 'i-š Zamān ⟨i⟩ brīn kanārak hambatast; Zamān [fražāmišn] ⟨i⟩ brīn kanārak patvand 'apāč 'ō akanārak Zamān i 'hast hamayīkīh χᵛatīh 'ut asačišnīh i 'pat tan i pasēn ⟨i⟩ 'avē χᵛēšīkān. čēγōn dastaβarān Zamān rāδ guft[an] 'ku Zamān 'hač bunīh akanārak 'būt, 'pas 'bē 'ō kanārakōmandīh niδāt 'ut 'pat 'sarīh 'apāč 'ō akanārakīh *vartēt. 'ut-aš dātastān ⟨i⟩*

Zamān 'hač akanārakīh ⟨i⟩ bunīk 'pat brīn-kanārakīh i kārīk, ravišnīk 'ut sačišnīk 'apāč 'ō akanārakīh i fražāmīk patvast.

(3) *'ut dānākīh rāδ 'ēt ōγōn nikēž 'ku 'pat dātār aβdīh ['hač] dānākīh akanārak-zamānīhā 'pat-iš nērōk, afrāč-*sačišnīh i Ōhrmazd χ^{v}atīh χ^{v}ēšīk i 'pat Zamān i akanārak 'bavēt, 'ō 'dānastan mat[an]: 'hač 'ān 'bē akām *uzišnīh ⟨i⟩ aβigat 'apar 'ān 'i-š mitōχtīk anhastkarīh i 'ān i 'avē χ^{v}atīh 'ut χ^{v}ēšīk patvastēt: 'ut 'hač 'ān 'bē patvand frāč *gaštīh i* 'avē χ^{v}atīh 'ut χ^{v}ēšīk 'pat 'χ^{v}ēs ōstām 'dānastan hambatast. 'ān and 'dānastan apāyast ⟨'pat⟩ 'ul uzišnīh i 'avē dātār 'ō dām dahišnīh. 'ut 'hač 'ān 'ul uzišnīh fratom hačišīk 'ān i anaγr rōšn: 'hač 'ān anaγr [i] rōšn rāstīh mēnōk ['ut 'hač 'ān anaγr rōšn rāstīh mēnōk] 'pat patvand 'hač dānākīh [i] 'pat nērōk aβzōnīkīh [i] 'ō 'dānastan i visp: 'hač 'dānastan i visp tavān i 'pat kartan i visp 'i-š kām: 'hač 'ān 'bē dām dahišnīh 'ut aβigat pat-iš vānītārīh 'ut dām 'apāč 'ō 'χ^{v}ēš kartārīh 'ut yāvētān [aβigatīk] 'andar hamāk šātīh vīnārtārīh i Ōhrmazd. 'ōh-ič hu-īk 'hērān bun, 'vēh bun, 'vēh tōhmak i visp* χuih *nērōk; [*vēhīk] 'vēhīk dahišnān hamāk hač-iš 'hēnd ['avē], 'čē fratom hačišīk 'pat āβurišn 'ut 'čē ['ō] 'ān 'pat patvand čēγōn bām 'hač pērōk, 'ut pērōk 'hač brēh, brēh 'hač rōšnīh ['hač rōšn].*

TRANSLATION

(1) On that which, revolving, returns to its origin and that which is regularly continuous from beginning to end—from the Exegesis of the Good Religion.

(2) This, from the Exegesis of the Good Religion, concerns that which, revolving, returns to its beginning, Time; and that which continues from beginning to end, Wisdom. Of Time thus it is taught. From action *in potentia*, the original seed the Avestan name of which is *aršnōtačin* (semen-flowing) first (arose), through the Creator's creation, the performance of action with which coincided the entry of Time into action. From the performance of action (arose) the completion of action with which coincided the limit of finite Time. The limit of finite Time merges into Infinite Time the essence of which is eternity, and (which means) that at the Final Body what is contingent on it cannot pass away. Even as the religious authorities have said concerning Time: Time was originally infinite; then it became subject to limitation; at the end it returns to the Infinite. The law of Time is (to proceed) from original infinity through limitation involving action, motion, and passage, and finally to return back to ultimate infinity.

(3) Of Wisdom thus it is taught. By the Creator's marvellous power—in infinite Time and through its power wisdom entered (the stage of) knowing (the immutability of Ohrmazd's essence is contingent on Infinite Time). Contingent on this is the rising up of the Aggressor, against the

will (of God), to destroy the essence and properties (of Wisdom) by false speech. Contingent on this was the reapplication of (Wisdom's) essence and properties to the knowing of its own ground. So much knowing was necessary for the Creator to rise up for the creative act. The first result of this rising up was the Endless Light. From the Endless Light is the Spirit of Truth which derives from Wisdom (animated) by the energy of power (and which thus) comes to the knowledge of all. From the knowledge of all is power to do all he wills. Thence creation and the Aggressor's defeat thereby and the return of creation to its proper sphere of action and the eternal rule of Ohrmazd in perfect joy, viz. the origin of good things, the origin of good, the seed of good, the potentiality of all that is good. All good creatures are from him as a first result by creation or by emanation (lit. by connexion with him) as sheen is from shining, shining from brilliance, and brilliance from the light.

Z 21. From the *Dēnkart* (Madan, p. 290. 8–12; Sanjana, vii, p. 322). Edition with notes in BSOS. ix, pp. 875, 884, 897.

'apar 'ān i pēš 'ut 'ān i 'apāk 'ut 'ān i ['apāk] 'pas 'hač dātārīh,—'hač nikēž i vēh-dēn.

'ēt 'ān i pēš 'hač dātārīh ⟨akanārak Zamān⟩, 'apāk 'χ^{v}at dātār dahišn hambatast kanārakōmand Zamān, 'ān i 'pas 'hač dātārīh dahišn-ič kār i 'tāk fraškart.

TRANSLATION

On that which was before, and that which was with, and that which was after creation—from the Exegesis of the Good Religion.

This that that which was before creation was ⟨Infinite Time⟩: that which coincided with the very act of the Creator's creation was Finite Time: that which was after creation was action (continuing) till the rehabilitation.

Z 22. From the *Dēnkart* (Madan, p. 293. 15–294. 3; Sanjana, vii, p. 326). Edition with notes in BSOS. ix, pp. 875, 885, 897; cf. Menasce, ŠGV., p. 250.

*'apar sahmānōmandīh i dānišn tavān, akanārakīh 'ut kanārakōmandīh-ič i Zamān, 'ut *χ^{v}atīh i Zamān i akanārak 'ut 'ān i kanārakōmand,—'hač nikēž i vēh-dēn.*

*'ēt čēγōn dānišn 'apar 'hast *'būt ['hast] visp-ič sahmānōmand, 'ut tavān 'har 'andar šāyēt 'būtan, šāyēt 'būt kanārakōmand paytāk, 'ōh-ič sahmānō-*

*mandīh i dānišn i visp-ič, tavān i 'apar-ič visp nikēžāk ⟨i⟩ akanārakīh. 'ōh-ič [i] Zamān dahišnān bun, Ōhrmazd hamayīkīh, 'ut-aš kanārakōmandīh 'būt šāyēt, *'ku dahišn 'andar brīnōmand zamān. 'ut *χ^v^atīh i Zamān i akanārak drang i hamayīk i abrīn 'pat 'būt 'bavēt, 'ān i kanārakōmand drang ⟨i⟩ sačišnīk i brīnōmand 'pat 'bavēt 'būt.*

TRANSLATION

On the limited nature of knowledge and the possible, the infinity and limitation of Time and the essence[a] of infinite and finite Time—from the Exegesis of the Good Religion.

This that since knowledge is wholly limited to what is present and past[b] and the potential to the possible, it is clear that the possible (too) is limited. Thus the limitation of omniscience and omnipotence gives an indication of infinity[c]. Thus Time is the source of creation and the eternity of Ohrmazd. Its limitation was necessary, for creation takes place in a definite time. The essence of Infinite Time is eternal duration, undivided into past and future; that of finite time is transient duration, divided into future and past.

NOTES

[a] From the context the reading *χ^v^atīh seems certain: χ^v^at in philosophical contexts seems to render Greek καθ' αὑτό.

[b] Menasce reads *hast būt bavēt* and translates 'la science porte sur ce qui a été, est, sera, tout cela étant limité'. This can scarcely be right: for the point seems to be that we know only that which is past and present: the future (i.e. that which will come to pass or can come to pass) cannot be actually known since it is still only in potency (*tavān* = δύναμις). *sahmānōmand* is best taken with *dānišn* as *sahmānōmandīh i dānišn* in line 6 shows.

[c] Menasce's 'nous offre une analogie pour la notion d'infinité qui s'applique au temps' does not seem to be a possible rendering, since *akanārakīh* is separated from *zamān* by *'ōh-ič* and cannot therefore be construed with it. *'ōh* means 'thus' and marks the beginning of a new clause.

Z 23. *Šikand Gumānī Vazār*, chapter xvi, §§ 53–111, cf. Salemann's edition (*Ein Bruchstück Manichaeischen Schrifttums*, 1904, St. Petersburg, pp. 20–24), my own BSOS. ix, pp. 876, 886, 898, and that of de Menasce.

(53) *nuñ gōem naχust awar būdan nā šāyastan i hāči hastaa θis i akanāraa* (54) *bā āwāž ą i akanāraa χ^v^ānom θihī u ǰamąn.* (55) *ąča i ō hast añdaruñ pa ǰāmañdī u ǰamąnī hastą θisą kanāraomañd vīnihəṯ.* (56) *īñča ku agaršą yakī u duī awar gōyehəṯ əž ą čuñ yakī bā pa hamāihā farawastaī i θis ainā nā bahōṯ:* (57) *či yak īñ ku nā du:* (58) *du īñ ku bun yak *u ǰudāī i yak əž diṯ.* (59) *i nā*

du χᵛānihəṯ (60) *ka yak bə̄ pa hamā farawastaī i yakī nə̄ šnāsihəṯ;* (61) *u duī bə̄ pa ǰudāī i yak yak nə̄ šāyaṯ būdan.* (62) *yak ą i pa yakī yak u ōstyą pa yakī.* (63) *yak u du añdar tuχmaa i čañdī maraomañdī;* (64) *u čañdī u maraomañdī u hamāī u ǰudāī i čuñ mən guft bə̄ kanāraomañdī būdan nə̄ šāyaṯ.* (65) *ōča myąnaa dānašną rōšan.*

(66) *diṯ īñ ku akanāraa ą bahōṯ i pa dānašni nə̄ farawañdihəṯ:* (67) *ka pa həči dānašni farawastan nə̄ šāyaṯ, añdar dānašni i yazaṯ farawastan nə̄ šāyast ačār.* (68) *ą yazaṯ χᵛadī i χᵛə̄š qča i tār bunyaštaa hamāihā añdar dānašni nə̄ farawañdihəṯ.* (69) *kaš χᵛə̄š χᵛadī añdar χᵛə̄š dānašni nə̄ farawañdihəṯ, ą vīsp-vahə u vīsp-vīn guftan vāhar.* (70) *či vīsp hamāī vazārəṯ.*

(71) *u hamāī hamā kūstaa farawastaī rā hamā χᵛānihəṯ.* (72) *hamā kūstaa farawastaa kanāraomañdī ačār.* (73) *ą yazaṯ ka əž hamā farawastaī i χᵛə̄š āgāh kanāraomañd sažəṯ añgārdan.* (74) *agar akanāraa anāgāh.* (75) *fradim dānašni i dānā ažaš χᵛazīrašnī dānastan i χᵛə̄š χᵛadī u čūnī u čañdī.* (76) *kə ą i χᵛə̄š hamā χᵛadī u čūnī u čañdī anāgāh awariča awarə̄ čūnī u čañdī dānā būṯ guftan vāhar.* (77) *īñča ku čuñ akanāraa afarawastaī rā pa dānašni nə̄ farawañdihəṯ.* (78) *ą īñ kuš hamā χᵛadī dānā ayå hast i adān, hamā rōšan ayå hast i tārīk, hamā ziñdaa ayå hast i murdaa *ažaš anāgāh.*

(79) *diṯ īñ ku rōšanī u ǰą i ə̄dar ayāwom, bahar i əž ham zurvąnī hast ayå nə̄.* (80) *ka bahar i əž χᵛadī i zurvąnī hast, ą ē huzvārąd ku θis kəš bahar ažaš baχtan šāyaṯ baharmañd šāyaṯ būdan.* (81) *baharmañd bə̄ ka haminīdaa añdā nə̄ šāyaṯ:* (82) *u haminīdaa bə̄ əž haminīdār kəš ą haminīdaa haminīṯ, ainā nə̄ vazirəṯ:* (83) *u ka bahar kardaa kanāraomañd vīnihəṯ, bun kəš bahar ažaš ham āinaa kardaa kanāraomañd būdan agumą,* (84) *pa ą či gōeñd ku vīsp bar bahar ō bun guwāī dādār.* (85) *ą ka bahar kardaa kanāraomañd ayāwom, qča bun bə̄ ka kardaa u əž baharą haminīdaa kanāraomañd ainā būdan nə̄ šāyaṯ.*

(86) *īñča ku akanāraa nə̄ baχšihəṯ:* (87) *či bahar əž hamāī baχšihəṯ,* (88) *u hamāī awar kanāraomañdī guwāī,* (89) *čuñ mən ažawar namūṯ.* (90) *ku hastī čūnī i bun bə̄ əž humānāī u añgōšīdaa i bar ainā nə̄ ayāwom.* (91) *har či pa bar ayāwihəṯ* (92) *pa bun ham āinaa būdan ə̄war.* (93) *ą ka kardaī u kanāraomañdī pa bar ayāwašnī ham əž vazār buniča kəš bar ažaš pa kanāraomañdī agumą.*

(94) *diṯ īñ ku akanāraa ą bahōṯ i aparə̄χt ǰā u avamąn χᵛadī,* (95) *vaš han ǰā nišāmī ažaš parə̄χt nə̄st.* (96) *ą ka du bunyaštaa akanāraa u asāmąn-χᵛadī gōyehəṯ, āsmąną zamyą χāmast tani-kardą, vaχšašną, ǰāną, rōšaną, baγą, amə̄šāspəñdą, vasą hambarašną kəšą ǰaṯ-nąmī əž ǰudāī i yak yak əž ōi diṯ, nə̄ sāmąnmañd šāyaṯ būdan.*

(97) *qš hamā añdar či u ku dāṯ.* (98) *ka du bunyaštą hamə̄šaihā aparə̄χt-ǰā būṯ həñd,* (99) *bə̄ agaršą χᵛadī i akanāraa kanāraomañd kard u ǰā i īñ hamā hastą būdą bahōdą kard būdan čuñ šāyaṯ.*

(100) *agar gōhar i hamə akanāraa kanāraomañd būdan šāyaṯ ą nəstiča būdan šāyastan əwar.* (101) *ą i awar avardišnī i gōhar gōeñd vāhar.*

(102) *īñča ə dānəṯ ku akanāraa ą bahōṯ kəš parəχt i ažaš fradim nə *bāṯ.* (103) *həči θis ǰaṯ əž ōi ǰudā ažaš būdan nə šāyaṯ.* (104) *bə əž vīmañd i akanāraī nə šnāsihəṯ.* (105) *ayå sturdaihā ą θis i nə dānəṯ ku či hamə gōeṯ u stəžəṯ u saχun awar rāinəṯ kōdagą kōdak-današną padaš vyāwąninəṯ, añdārāh ō či.* (106) *agaraš aχᵛaraidihā īñča gōeṯ kuš χᵛadī akanāraa vaš dānašniča akanāraa pa akanāraa-dānašnī dānəṯ ku akanāraa hast,* (107) *ą vāhar *u dubār vāhar.* (108) *yak īñ ku dānašni awar θis ą i pa dānašni ayāftaa u añdar dānašni farawastaa.* (109) *θisiča bā ą i añdar dānašni hamāihā farawastaa u ayāftaa añdā buñdaa nə šnāsiheṯ.* (110) [*i*] *θis dānašni pa hamā šnāχtan i θis bahōṯ;* (111) *hamā šnāχtan i θis pa hamā *farawastaī i θis añdaruñ dānašni bahōṯ.*

TRANSLATION

(53) Now I shall first discuss the impossibility of any existent thing being infinite except only the Void and Time, which I call infinite. All entities which are within locality and temporality are seen to be finite. Thus if they stipulate unity or duality (it will be found) that unity cannot exist except in an object that is completely self-contained: for the one is that which is not two: and two is that of which the origin is one and the separation of the one part from the second. Though this cannot be called two, for the one is not conceivable except as completely self-contained in its unity; and duality cannot exist except through the separation of the two ones. The one is that which is one in unity and confirmed in unity. Unity and duality are at the source of quantity and numerality. Quantity, numerality, totality, and separability, as I have said, can be nothing but finite. This is clear even to the moderately intelligent.

(66) Again the Infinite is that which cannot be comprehended by the intellect: and since it cannot be comprehended by any intellect, it follows that it cannot be comprehended by the intellect of God. Thus to the intellect God, his own essence and that of the Dark Principle, as wholes, are incomprehensible. Since his own essence is not comprehensible even to his own intellect, to call him all-good and all-seeing is false. How should one explain a complete totality?

(71) A totality, because it is encompassed on all sides, is called total. That which is encompassed on all sides, is necessarily finite. A God who is aware that he is encompassed on all sides, must be considered finite. If he were infinite, he would be unaware of it. The first knowledge of an intelligent being is precisely to know his own essence, quality, and quantity. To assert that one who is unaware of all his essence, quality, and quantity,

should be cognizant of the quality and quantity of others, is false. Thus the Infinite not being encompassed in any way cannot be comprehended by the intellect. It follows that it is not aware whether its whole essence is wise or ignorant, light or dark, alive or dead.

(79) Again (we must consider) whether the light and the living soul, which we receive on this earth, receive a part (lot) from that same Zurvānic substance or not. If it does receive such a part from the essence of Zurvān, then let them note that a thing from which a part can be divided must itself be composed of parts. What is composed of parts cannot but be joined together: and what is joined together is only distinguishable in so far as it is joined together by a joiner. And since the part is obviously made and finite, so also the source from which the part is derived must undoubtedly be made and finite, in accordance with the argument that has been put forward that every result and part bears witness of its source. So, since we find the part to be made and limited, it cannot be that the source is other than made and composed of parts and finite.

(86) Further the Infinite is not susceptible of division: for the part is divided from the whole, and totality implies limitation, as I have demonstrated above. For I cannot conceive of the existence and quality of the source except by comparison and analogy with the result. Whatever is perceptible in the result must certainly, in like manner, apply to the source. Since it is to be perceived in the result that it is made and finite, it may without doubt be deduced that the source from which the result derives is also finite.

(94) Again the Infinite is that which is uncircumscribed in Space and boundless in essence; and there is no other place or abode that is devoid of it. Now if it is said that the two Principles are infinite and boundless in essence, then boundless too are the heavens and earths together with corporeal and growing things, souls, lights, gods, Amahraspands, and the numerous complex entities which are variously named because they differ from one another: they cannot be bounded. Then in what and where were all these things created? If the two Principles were always uncircumscribed in Space, how is that possible unless their infinite essence was made finite and the place of all things that are and were and shall be? If an all-infinite substance can become finite, it is certainly possible that it may also become non-existent. What they say about the immutability of substance is untrue.

(102) Now you must know that the Infinite is that without which nothing from the first is. Nothing can exist without it or separate from it. But in so far as it is infinite, it cannot be understood. So what, pray, is the point

of obstinately discussing a thing which one does not know, of disputing and bandying words, and so deceiving the immature and those of immature intelligence? If one stupidly(?) asserts that its essence is infinite and that its intellect is infinite, and that with its infinite intellect it knows that it is infinite, that is false and doubly false. For one thing intellect can only be predicated of a thing which is within the scope of the intellect and comprehensible to the intellect. Nothing can be perfectly understood except that which is completely comprehensible to the intellect and within its scope. Knowledge of a thing is only attained by complete understanding of it; and the complete understanding of a thing is obtained by the complete comprehension of it in the intellect.

Z 24 (*a*). The twenty-eighth chapter of the *Mēnōk i Xrat*: Anklesaria, pp. 94–95; Sanjana, p. 48; Pāzand, West, p. 33. Nyberg's transliterated text and translation, CCM. 1929, pp. 202–3.

(1) *pursīt dānāk 'ō mēnōk i χrat 'ku 'kē niχšaδišnīktar, 'kē 'pat-nērōk-tar, 'kē tēžtar, 'kē šāttar, 'kē dušrāmišntar, ('kē anōmēttar)?*

(2) *mēnōk i χrat passaχ^{v} kart 'ku Ōhrmazd i χ^{v}atāy niχšaδišn⟨īk⟩tar ('kē) 9000 'sāl anākīh 'pat dāmān i 'χ^{v}ēš 'hač Ahriman 'dīt, 'pas-ič 'bē 'pat 'dātastān 'ut niχšaδišnīh *ēnyā 'nē 'zanēt.* (3) *'ut spihr 'pat-nērōk-tar:* (4) *'ut vīr i 'martōmān tēžtar:* (5) *'ut ruvān i ahrovān šāttar:* (6) *'ut 'ān i druvandān dušrāmišntar ('ut anōmēttar).*

niχšaδišnīk: for the reading of this word v. BSOS. ix, p. 107.

TRANSLATION

(1) The wise man asked the Spirit of Wisdom (and said), 'Who is the most patient; who is the most powerful; who is the most sharp; who is the most joyful; who is the most miserable; who is the most hopeless?'

(2) The Spirit of Wisdom answered (and said), 'Ohrmazd, the Lord, is the most patient; for for nine thousand years he sees Ahriman (inflict) misery on his own creatures, yet he does not smite him except with justice and patiently: (3) and the firmament is the most powerful: (4) and the intelligence of men is the most sharp: (5) and the soul of the blessed is the most joyful: (6) and that of the damned is the most miserable and the most hopeless.'

Z 24 (*b*). From the *Aβyātkār iVazurg-miθr* (*Pahlavī Texts*, p. 95).

(129–30) *'kē pātaχšāytar? spihr i gēhān-baχtār.*
(131–2) *'kē rāsttar? zamān i brīn .*
(133–4) *'kē aβdtar? 'ān 'kē zamān apērtar mat 'ēstēt.*
(135–6) *'kē vičītārtar? dānāk i 'vas-uzmāyišn.*

TRANSLATION

(129–30) Who is the most kingly? The firmament which makes distribution to the world.
(131–2) Who is the most just? Finite Time (*or*, Decisive Time).
(133–4) Who is the most marvellous? He to whom Time comes most.
(135–6) Who is the most discriminating? The wise man who has much experience.

Z 25 (*a*). *Yavišt i Friyān*, 2. 37–40 (Haug and West, *The Book of Arda Viraf*, p. 217).

(37) *haftom frašn 'ēn pursīt, 'ku 'čē 'ān 'čiš i martōmān 'pat nihān 'kāmēnd kartan, 'ut-šān nihān kartan 'nē šāyēnd?*
(38) *Yavišt i Friyān guft 'ku zīvandakān 'pat škōh 'bāš, mar i druvand sāstār, 'ut 'murtakān 'ō dōšaχ^{v} ōpat;* (39) *'čē 'ān Zruvān 'hast 'kē 'kas nihān kartan 'nē tavān;* (40) *'čē Zruvān χ^{v}at paytāk 'bavēt.*

TRANSLATION

(37) The seventh question he asked was this, 'What is that thing which men would fain conceal, and which they cannot conceal?'
(38) Yavišt i Friyān said, 'Mayst thou in life be in misery, thou accursed villain and heretic, and mayst thou in death fall to hell; (39) for that is Zurvān whom no one can conceal; (40) for Zurvān reveals himself of his own accord.'

Z 25 (*b*). *Pahlavī Texts*, p. 40, ll. 13 ff.

*dānākīh rāδ tāk 'nēst. riškīh rāδ 'nām 'nēst. gētēh rāδ 'pāyišn 'nēst. *yuvānīh rāδ nāzišn 'nēst. χ^{v}āstak rāδ buržišn 'nēst. zīvandakīh rāδ rāmišn 'nēst. Zarvān rāδ dārōk 'nēst. margīh rāδ čārak 'nēst. 'zanān rāδ χrat 'nēst. χ^{v}atāy rāδ hambāz 'nēst. 'ut 'hač 'ēn hamāk 'avē 'vattar 'kē 'bē 'mīrēt, χ^{v}atāy 'hač 'avē hušnūt 'nēst. 'ut 'har 'kē χ^{v}atāy 'hač 'avē hušnūt 'nēst, 'avē rāδ 'andar vahišt ⟨i⟩ bāmīk gyāk 'nēst.*

TRANSLATION

Of wisdom there is no equal. For envy there is no name. For the world there is no enduring. In youth there is no enjoyment. In wealth there is no honour. In life there is no pleasure. For Zurvān there is no remedy. From death there is no escape. In women there is no wisdom. Of a ruler there is no peer. Of all these he is the worst who dies and leaves his ruler displeased. Whosoever leaves his ruler displeased, will have no place in the bright heaven.

Z 26 (*a*). *Aβyātkār i Žāmāspīk* (Messina), 14. 16–17.

Pārsī text	Pahlavī reconstruction
avdān ēn če gōyam ke marg kaš avāz na gīrēd u zamān na dādēt če Gayōmard būd Ōrmazd dād kaš zamān mad Ahrīman pa mar u činīd u dadīgar yak yak χudāyān bēš būda hand kaš ānzamān frāz mad čiš az kardan na tavān pa nāmčišt Tahmōrap kaš sī sāl Ahrīman ba bār dāšt u če kaš χvēš frāz mad χvēštan az χōš avā dāšt na tavān.	(16) *ut-tān ēn-ič gōβam ku marg kas apāč nē kunēt ut zamān nē dārēt. čē Gayōmart būt Ōhrmazd-dāt; kaδ-aš zamān mat, Ahriman bē marnǰēnīt.* (17) *ut ditīkar ēvak ēvak χᵛatāyān i pēš būt hēnd, kaδ-šān zamān frāč mat, čiš-ič kartan nē tavān, pat nāmčišt Tahmōrap kē-š sīh sāl Ahriman pat bārak dāšt. čē kaδ-aš χᵛēš ⟨zamān⟩ frāč mat, χᵛēš-tan hač ōš apāč dāšt nē tavān.*

TRANSLATION

(16) This too do I say unto thee—No one can drive back death or hold back Time. For Gayōmart was created by Ohrmazd; but when his time was come Ahriman destroyed him. (17) And again every one of the rulers who lived in former times could do nothing when Time came upon them —and especially Tahmōrap who rode Ahriman as his charger for thirty years; for when his time came, he could not preserve himself from death.

Z 26 (*b*). *Pahlavī Texts*, p. 76, §§ 23–24.

(23) *'kē zamān handōχt*[a] *čašm, 'ān [i] *'pušt 'graft i 'nē āχēzēt, 'dil 'ān dart 'āyēt i 'nē čandēnīt, 'dast 'ān [i] škast i 'nē rōδēt, 'ut 'pāδ 'ān škast ⟨i⟩ 'nē 'ravēt.* (24)* *star mat, yut bār 'nē 'šavēt: baχt mat, spōχtan 'nē šāyēt.*

[a] For *handōχt* in the sense of *dōχt* v. Part I, p. 241.

TRANSLATION

(23) As to him whose eye Time has sewn up, his back is seized upon and will never rise again; pain comes upon his heart so that it beats no more; his hand is broken so that it grows no more, and his foot is broken so that it walks no more. (24) The stars came upon him, and he goes not out another time: fate came upon him, and he cannot drive it off.

Z 27. The twenty-seventh chapter of the *Mēnōk i Xrat*, §§ 4–7 (Anklesaria), §§ 8–13 (Sanjana). Anklesaria, pp. 85–86; Sanjana, p. 44; Pāzand, West, p. 30. Nyberg's transliteration and translation, CCM. 1929, pp. 200 f.

(4) *mēnōk i χrat passaχᵛ kart 'ku 'ān i 'avēšān rāδ 'pat nēvakīh ayāp 'pat 'vattarīh pursēh, ākās 'bāš 'ut 'bē 'dān;* (5) *'čē kār i gēhān hamōγēn 'pat brēh 'ut zamānak 'ut vičīr i brīn 'ravēt i 'χᵛat 'hast Zurvān i pātaχšāy 'ut dērang-χᵛatāy;* (6) *čēγōn 'andar ōβām ōβām 'ō 'har 'kē rāδ 'baχt 'ēstēt [čēγōn] 'ān i apāyēt matan, 'apar 'rasēt:* (7) *čēγōn 'hač-ič ham-patvand i 'avēšān pēšēnīkān i vitartak paytāk, 'ku aβdom 'ān nēvakīh i 'hač 'avēšān 'ō dāmān i Ōhrmazd apāyast matan, 'bē mat.*

TRANSLATION

(4) The Spirit of Wisdom made answer (and said), 'Regarding that which thou dost ask concerning the good and evil which they have brought, understand and know (5) that the whole world proceeds in accordance with the decree and the (decisive) moment and the fixed decision which are indeed Zurvān, the King and Lord of the long Dominion. (6) For in succeeding times what is fated to happen happens to whomsoever it has been fated. (7) For of the lineage of those ancient heroes who have passed away it is revealed that the benefits which were fated to come to the creatures of Ohrmazd from them came (to them) in the end.'

Z 28 (*a*). The twelfth chapter of the *Mēnōk i Xrat*: Anklesaria, pp. 51–53; Sanjana, pp. 26–27; West, Pāzand, pp. 19–20: transliterated text and translation in Nyberg, CCM. 1929, pp. 202–5.

(1) *pursīt dānāk 'ō mēnōk i χrat 'ku 'čē rāδ 'kaδ 'hēr i mēnōk ētōn rāst, 'ut 'ān i gētēh ētōn drōβ 'baχt 'ēstēt?*

(2) *mēnōk i χrat passaχ^{v} kart 'ku 'hēr i gētēh 'pat bun-dahišnīh ētōn rāst 'baχt 'ēstēt čēγōn 'ān i mēnōk;* (3) *'ut dātār Ōhrmazd hamōγēn nēvakīh i 'pat 'ēn dām 'ut dahišn 'ō bun i Miθr 'ut Māh 'ut 'avēšān 12 aχtar i 'hač dēn 12 spāhpat guft 'ēstēt, kart; 'ut 'avēšān-ič rāstīhā 'ut sačākīhā 'baχtan rāδ 'hač Ōhrmazd 'patiγraft.* (4) *'ut 'pas Ahriman 'ān 7 apāχtar čēγōn 7 spāhpat i Ahriman guft 'ēstēt, *višūt 'pat** (text *'pat višūtan*) *'bē 'statan i 'ān nēvakīh 'hač dāmān i Ōhrmazd; 'pat pityārakīh i Miθr 'ut Māh 'ut 'avēšān 12 aχtarān 'dāt.* (5) *'ut 'har nēvakīh i 'avēšān aχtarān 'pat dāmān i Ōhrmazd 'baχšēnd, 'avēšān apāχtarān, čand-šān tavān *'bavēt, hač-iš 'apparēnd, 'ut 'bē 'ō nērōk ⟨i⟩ 'dēvān 'ut družān 'ut 'vattarān 'dahēnd.* (6) *'ut 'hēr i mēnōk 'ēt rāδ ētōn rāst 'čē Ōhrmazd i χ^{v}atāy 'apāk harvisp yazdān 'ut amahraspandān apityārak 'hēnd, 'ut kōšišn i 'apāk Ahriman 'ut 'dēvān 'ut āmār-ič i ruvān i martōmān 'pat rāstīh 'kunēnd;* (7) *'ut 'kē-š kirpak vēš, gās 'pat vahišt, 'ut 'kē-š kirpak 'ut vinās aγnēn rāst, gās 'pat hamēstakān, 'ut 'kaδ bazak vēš, 'aδak-aš rās 'ō dōšaχ^{v}.*

NOTE

(4) *višūt*: only attested in the sense of 'give birth to' (of demonic beings). Nyberg translates differently, but unnecessarily.

TRANSLATION

(1) The wise man asked the Spirit of Wisdom, 'Why are the things of the spirit dispensed so justly, and those of the material world so unjustly?'

(2) The Spirit of Wisdom made answer (and said), 'The things of the material world at the original creation were dispensed quite as justly as those of the spirit; (3) and the Creator Ohrmazd entrusted all the good things which are in this creation to Mihr and the Moon and the twelve Signs of the Zodiac which are called by the Religion the twelve commanders; and in order to distribute them justly and befittingly, they received them from Ohrmazd. (4) Then Ahriman gave birth to the seven planets which are called the seven commanders of Ahriman, to take away the good things from the creatures of Ohrmazd: he created them in opposition to Mihr and the Moon and the twelve Signs of the Zodiac. (5) And all the good things that the constellations bestow on the creatures of Ohrmazd are taken away by the planets so far as is in their power; and they give them to the demons and lies and evil men to strengthen them. (6) But the things of the spirit are so just because Ohrmazd, the Lord, as well as the gods and the Amahraspands, are free from opposition: they struggle against Ahriman and the demons, and judge the souls of men in accordance with justice. (7) The place of him who has more virtue (than vice) is in heaven; and

the place of him whose virtue and vice are equal is in "the place of the mixed"; and the path of him who has more vice (than virtue) (leads) to hell.'

Z 28 (*b*). The thirty-eighth chapter of the *Mēnōk i Xrat*: Anklesaria, pp. 111–12; Sanjana, pp. 56–57; Pāzand, West, p. 39.

(1) *pursīt dānāk 'ō mēnōk i χrat 'ku 'čē rāδ, 'kaδ nēvakīh i gētēh 'nē 'pat aržānīkīh 'baχšēnd 'ut ruvān 'pat mēnōkān 'pat kunišn aržānīkīh graftār 'kunēnd?*

(2) *mēnōk i χrat passaχ^{v} kart 'ku χ^{v}āβarīh i Ōhrmazd i χ^{v}atāy 'apar dāmān rāδ, ham 'pat 'vēhān 'ut ham 'pat 'vattarān hamāk nēvakīh 'baχšēt; 'bē 'kaδ-šān 'nē hamvārak 'apar 'rasēt, stahmakīh i Ahriman 'ut 'dēvān 'ut 'appurišn i 'ān 7 apāχtar rāδ.* (3) *'pat mēnōkān 'ēt rāδ (ruvān) 'pat kunišn aržānīkīh graftār 'kunēnd 'čē ('har) 'kas druvandīh 'pat kunišn i 'χ^{v}ēš kart 'bavēt.*

TRANSLATION

(1) The wise man asked the Spirit of Wisdom, 'Why is it that the good things of this world are not distributed according to desert, but the soul in the spiritual world is made to receive its deserts in accordance with its deeds?'

(2) The Spirit of Wisdom made answer (and said), 'In his kindly care for his creatures Ohrmazd, the Lord, distributes all good things to both good and bad; but when they do not arrive equally, it is due to the violence of Ahriman and the demons and the theft of them by the seven planets. (3) The soul in the spiritual world is made to receive its deserts in accordance with its deeds because every person is damned (only) on account of the deeds which he himself has performed.'

Z 29. The forty-seventh chapter of the *Mēnōk i Xrat*: Anklesaria, p. 132; Sanjana, pp. 67–68; West, p. 46 (Pāzand). Transliteration and translation will be found in Widengren, *Hochgottglaube*, p. 199.

(1) *pursīt dānāk 'ō mēnōk i χrat 'ku 'čē 'ān 'čiš i 'hač 'har χ^{v}āstak pahlomtom;* (2) *'ut 'čē 'ān i 'apar 'har 'čiš pātaχšāy;* (3) *'ut 'čē 'ān i 'kas hač-iš 'virēχtan 'nē tavān?*

(4) *mēnōk i χrat passaχ^{v} kart 'ku χrat 'hast i 'vēh 'hač hamōγēn χ^{v}āstak i 'pat gēhān;* (5) *'ut baχt 'hast i 'apar 'har 'kas 'ut 'har 'čiš pātuχšāy;* (6) *'ut Vāy i 'vattar ('hast) 'kē 'kas hač-iš 'virēχtan 'nē tavān.*

TRANSLATION

(1) The wise man asked the Spirit of Wisdom, 'What is that which is the most excellent of all riches; (2) and what is that which is lord over all things; (3) and what is that from which no one can escape?'

(4) The Spirit of Wisdom made answer (and said): 'Wisdom it is which is better than all the riches on the world; (5) and fate it is which is lord over all persons and things; (6) and the evil Vāy it is from whom no one can escape.'

Z 30. The twenty-second chapter of the *Mēnōk i Xrat*: Anklesaria, pp. 78–79; Sanjana, p. 40; Pāzand, West, p. 28. Transliteration and translation by Nyberg, CCM. 1929, p. 204, and Tavadia, ZII. viii, p. 129.

(1) *pursīt dānāk 'ō mēnōk i χrat 'ku 'pat tuχšākīh 'hēr 'ut χ^{v}āstak i gētēh 'ō 'χ^{v}ēš šāyēt kartan ayāp 'nē?*

(2) *mēnōk i χrat passaχ^{v} kart 'ku 'pat tuχšākīh 'ān nēvakīh i 'nē brēhēnīt 'ēstēt 'ō 'χ^{v}ēš kartan 'nē šāyēt; 'bē 'ān i brēhēnīt 'ēstēt, tuχšākīh rāδ 'has 'bē 'rasēt.* (3) *'bē tuχšākīh 'kaδ-aš zamān 'nē 'apāk, 'pat gētēh apē-bar, 'bē 'pas-ič 'pat mēnōk 'ō frahāt 'rasēt, 'ut 'pat tarāzūk aβzāyēt.*

TRANSLATION

(1) The wise man asked the Spirit of Wisdom, 'Can one appropriate worldly wealth and riches by one's effort or not?'

(2) The Spirit of Wisdom made answer (and said), 'One cannot appropriate by effort such good things as have not been fated; but such as have been fated always come when an effort is made. (3) But effort, if it is not favoured by Time, is fruitless on earth, but later, in the spiritual world, it comes to our aid and increases in the balance.'

Z 31 (*a*). The twenty-third chapter of the *Mēnōk i Xrat*: Anklesaria, pp. 79–80; Sanjana, p. 41; West, p. 28. Transliteration and translation in Nyberg, CCM. 1929, pp. 204–5.

(1) *pursīt dānāk 'ō mēnōk i χrat 'ku 'pat χrat 'ut dānākīh 'apāk brēh kōχšītan šāyēt ayāp 'nē?*

(2) *mēnōk i χrat passaχ^{v} kart 'ku 'apāk-ič takīkīh 'ut zōrōmandīh i χrat 'ut dānākīh 'pas-ič 'apāk brēh kōχšītan 'nē šāyēt:* (3) *'čē 'kaδ brēhēnišn 'pat nēvakīh ayāp 'pat yuttarīh frāč 'rasēt, dānāk 'pat kār viyāβān 'bavēt 'ut*

dušākās (pat) kār ākās (bavēt), 'ut vat-dil dilītar (bavēt), 'ut dilītar vat-dil (bavēt), 'ut tuχšāk ašgahān (bavēt ut ašgahān) tuχšāk 'bavēt: (4) *ētōn čēγōn 'pat 'ān 'čiš i brēhēnīt 'ēstēt, bihānak pat-iš 'andar 'āyēt, 'ut apārīk 'har 'čiš 'bē spōžēt.*

TRANSLATION

(1) The wise man asked the Spirit of Wisdom, 'Is it possible to strive against fate with wisdom and knowledge or not?'

(2) The Spirit of Wisdom made answer (and said), 'Though (one be armed) with the valour and strength of wisdom and knowledge, yet it is not possible to strive against fate. (3) For once a thing is fated and comes true, whether for good or the reverse, the wise man goes astray in his work, and the man of wrong knowledge becomes clever in his work; the coward becomes brave, and the brave cowardly; the energetic man becomes a sluggard, and the sluggard energetic: (4) For, for everything that has been fated a fit occasion arises which sweeps away all other things.'

Z 31 (*b*). The fifty-first chapter of the *Mēnōk i Xrat*: Anklesaria, pp. 139–40; Sanjana, pp. 71–72; West, p. 48.

(1) *pursīt dānāk 'ō mēnōk i χrat 'ku 'čē rāδ 'kaδ ašgahān 'ut dušākās 'ut 'vat 'mart 'hast i 'kaδ 'ō buržišn 'ut nēvakīh i vazurg 'rasēt, 'ut 'avē i šāyandak 'ut dānāk 'ut 'vēh 'mart 'hast i 'kaδ 'ō garān anākīh 'ut škaftīh 'ut niyāzō-mandīh 'rasēt?*

(2) *mēnōk i χrat passaχ^{v} kart 'ku 'avē i ašgahān 'ut dušākās 'ut 'vat 'mart, 'kaδ-aš brēh aδyār 'bavēt, 'aδak-aš 'ān ašgahānīh 'ō tuχšākīh (humānāk), 'ut 'ān dušākāsīh 'ō dānākīh (humānāk), 'ut 'ān 'vattarīh 'ō 'vēhīh humānāk 'bavēt:* (3) *'ut 'avē i dānāk 'ut šāyandak 'ut 'vēh 'mart, 'kaδ-aš brēh hamēmāl, 'aδak-aš 'ān dānākīh 'ō adānākīh 'ut halakīh, 'ut 'ān šāyandakīh 'ō dušākāsīh vartēt, 'ut dānišn 'ut hunar 'ut šāyandakīh armēšt paytāk 'bavēt.*

TRANSLATION

(1) The wise man asked the Spirit of Wisdom, 'Why is it that the slothful, wrong-minded, and evil man sometimes achieves great honour and prosperity, and that the decent, wise, and good man sometimes is the victim of grievous misfortune, violence, and want?'

(2) The Spirit of Wisdom made answer (and said), 'When fate helps a slothful, wrong-minded, and evil man, his sloth becomes like energy, and his wrong-mindedness like wisdom, and his evil like good: (3) and when fate opposes the wise, decent, and good man, his wisdom is turned to un-

wisdom and foolishness, his decency to wrong-mindedness; and his knowledge, manliness, and decency appear of no account.'

Z 32. The twenty-fourth chapter of the *Mēnōk i Xrat*: Anklesaria, pp. 81–82; Sanjana, pp. 41–42; West, p. 29. Transliteration and translation in Nyberg, CCM. 1929, pp. 206–7.

(1) *pursīt dānāk 'ō mēnōk i χrat 'ku ayāft-χ^{v}āstārīh 'ut kirpak-varzītārīh 'ut aržānīkīh rāδ yazdān 'ō 'martōmān 'dit-ič 'čiš 'baχšēnd ayāp 'nē?*

(2) *mēnōk i χrat passaχ^{v} kart 'ku 'baχšēnd,* (3) *'čē ētōn čēγōn 'gōβēnd 'ku baχt 'ut baγō(k)-baχt.* (4) *'aδak baχt 'ān 'bavēt i 'hač fratomīh 'baχt 'ēstēt, 'ut baγō(k)-baχt 'ān i 'dit-ič 'baχšēnd.* (5) *'bē yazdān 'ān 'baχšišn 'ēt rāδ kem 'kunēnd 'ut 'pat mēnōk (kem) paytāk⟨ēn⟩ēnd 'čē Ahriman-ič i druvand 'pat 'ān bihānak 'pat nērōk i 7 apāχtar χ^{v}āstak 'ut apārīk-ič 'har nēvakīh i gētēh 'hač 'vēhān 'ut aržānīkān 'appurēt 'ut 'ō 'vattarān 'ut anaržānīkān apērtar 'baχšēt.*

TRANSLATION

(1) The wise man asked the Spirit of Wisdom, 'Do the gods make a second dispensation to men because they have amassed wealth and practised virtue and are worthy, or do they not?'

(2) The Spirit of Wisdom made answer (and said), (3) 'They do: for it is just as they say, "fate and the divine fate". (4) Fate is that which is fated in the beginning, and divine fate is that which they determine afterwards. (5) But the gods use this kind of dispensation rarely and manifest it rarely in the spiritual world because the accursed Ahriman makes this a pretext to rob the good and worthy of wealth and all other material prosperity through the power of the seven planets, and to bestow it chiefly on the evil and unworthy.'

Z 33 (*a*). From the *Aβyātkār i Vazurg-miθr*, §§ 105–9: *Pahlavī Texts*, p. 94. Transliterated text and translation by Tavadia in ZII. viii, p. 126.

'čiš i 'ō martōmān 'rasēt, 'pat baχt 'bavēt ayāp 'pat kunišn? baχt 'ut kunišn aγnēn ōγōn humānāk 'hēnd čēγōn tan 'ut ǰān: 'čē tan yut 'hač ǰān kālput-ē 'hast i akār, 'ut ǰān yut 'hač tan vāt-ē 'hast i agraftār; 'ut 'kaδ aγnēn gumēχt 'ēstēt, ōžōmand 'ut 'vazurg sūtōmand.

'čē baχt 'ut 'čē kunišn? baχt-ič čim, kunišn vihānak ⟨i⟩ 'čiš i 'ō martōmān 'rasēt.

TRANSLATION

Do the things that happen to man happen through fate or through action? Fate and action together are like body and breath-soul. For the body without the breath-soul is a useless carcase, and the breath-soul without the body an impalpable wind. But when they are fused together, they are powerful and exceedingly beneficial.

What is fate and what is action? Fate is the cause and action the occasion for the things that happen to man.

Z 33 (*b*). From the *Epistle of Tansar*, p. 45 in the edition of Minovi (Teheran, 1932): v. also the *editio princeps* of Darmesteter (JA. 1894, p. 247) and his translation (ibid., p. 553). The so-called *Epistle of Tansar* survives only in a modern Persian translation of Ibn Muqaffa''s Arabic version of the Pahlavī original. The latter dates from the reign of Xusrau I (A.D. 531–78): v. Markwart, *Ērānšahr*, pp. 30, 48; Christensen, *L'Empire des Sassanides*, pp. 111 ff.: id., *L'Iran sous les Sassanides*, pp. 58 ff. For our modern Persian texts it has been considered sufficient to give the translation only, since there is not, as in Pahlavī, any ambiguity of reading and rarely any of interpretation: moreover the texts themselves are readily accessible.

Know for certain that whosoever neglects to make efforts and puts his trust in fate and destiny makes himself contemptible; and whosoever continually exerts himself and makes efforts and denies fate and destiny is a fool and puffed up with pride. The wise man must find the mean between effort and fate, and not be content with one of them. For fate and effort are like two bales of a traveller's baggage on the back of a mule. If one of them is heavier and the other lighter, the load falls to the ground, and the back of the mule is broken, and the traveller suffers embarrassment and does not reach his destination. But if both bales are equal, the traveller does not need to worry, the mule is comfortable, and both arrive at their destination.

Z 34 (*a*). Gloss to the *Pahlavī Vidēvdāt* 5. 9, ed. Jamasp, Bombay, 1907, pp. 152–3. Transliteration and translation by Tavadia, ZII. viii, p. 127.

gētēh 'pat baχt, mēnōk 'pat kunišn. 'hast 'kē ētōn 'gōβēt, 'zan 'ut frazand 'ut χᵛāstak 'ut χᵛatāyīh 'ut zīvandakīh 'pat baχt, apārīk 'pat kunišn. 'mart i 'ān

nēvakīh 'i-š 'nē brēhēnīt 'ēstēt, aš hakarč 'apar 'nē 'rasēt, 'hač 'ān gyāk paytāk: gairi masō aŋhō aetahē.[a] *'ān 'i-š 'apar brēhēnīt 'ēstēt, aš 'pat tuχšākīh 'pēš 'bē 'rasēt: anyō arədva zəñgō χ^{v}arənō:*[a] *'ut-aš 'pat vināskārh 'bavēt 'kaδ-aš appār 'bavēt: āaṯ χ^{v}arənō frapiryeiti.*[a] *'ut-aš anākīh ⟨i⟩ brēhēnīt 'ēstēt, 'pat frārōn tuχšākīh spōχtan tavān: pouru-χ^{v}arənaŋhō ašava zaraθuštra.*[a] *'ut-aš 'pat vināskārīh nōk nōk ov-iš 'ō brēhēnīt: aešąmča naraṃ.*[a]

[a] Avestan written in the Avestan character.

TRANSLATION

Material things are through fate, spiritual through action.[a] Some say that wife, child, riches, sovereignty, and life are through fate, and the rest through action.[b] A man can never attain to such good things as have not been allotted (fated) to him; that is plain from the passage: 'His house(?) is the size of a mountain.' What has been allotted to him can be obtained earlier if he makes efforts: . . . ..[c] And it is for his sins if it is taken away from him: 'Then his fortune is forfeit.' The evil that is allotted to him can be averted by righteous effort: 'Those who have great fortune, righteous Zaraθuštra'. But if they sin, they are allotted to them again and again: 'Of those men.'

NOTES

[a] Cf. the following text; also Vd. 5. 8, gloss: *gētēh 'pat baχt, mēnōk 'pat ruvān*—'the material world (is ruled) by fate, the spiritual by the soul'. If I understand the passage aright, exactly the opposite point of view seems to be expressed in DkM. 417. 3: *baχt 'apar 'ān i 'hač mēnōkān, kunišn 'apar* [*i*] *'ān i 'hač gētēhān.*—'Fate controls that which is from the spiritual beings, and action controls that which is from the material.'

[b] Cf. texts Z 35 (*a*), (*b*), and (*c*).

[c] The Avestan words *anyō arədva zəñgō χ^{v}arənō* are meaningless. Tavadia, l.c., accepted Bartholomae's *ərədvō-zəñgō* for *arədva zəñgō*, and translated 'active (having erect legs)'. See further Bailey, *Zoroastrian Problems*, p. 34.

Z 34 (*b*). From the *Dēnkart* (Madan, p. 284. 13–20).

'ēt gētēh rāδēnišn apērtar 'pat brēh, 'ut mēnōk rāδēnišn apērtar 'pat kunišn. 'hač 'ēt martōm mēnōk bōžišn mātakvarīhā 'pat 'χ^{v}ēš tuχšišn 'χ^{v}āst: 'ān i 'kaδ χ^{v}āδēt, pat-iš tuχšēt, ēvarīk ayāpēt. gētēh mātiyān 'pat yazdān frāč 'hištan 'ān i yazdān 'apar gētēh χ^{v}āδišn. 'čē ruvān-vizāyišnīk [*i*] *pahrēč: 'pat 'ān i ruvān-sāčišnīk tuχšāk martōm gētēh-ič 'hēr, čēγōn pat-iš sūtēmandtar, handāχt;—'hač vēh-dēn nikēž pōryōtkēšān čāštak.*

TRANSLATION

This that the material world is controlled mainly by fate, and the spiritual world is controlled mainly by action. Hence the spiritual salvation of man must be sought principally by his own efforts: that is, when he desires (something) and makes an effort (to get it), he will certainly get it. The important thing in the material world is to leave what the gods will with regard to the material world to the gods. For abstention (from action) is injurious to the soul; (yet) to the man who cultivates the soul and makes an effort (on its behalf) material riches are added, for they are very useful to him—from the Exegesis of the Good Religion, the doctrine of the ancient sages.

Z 35 (*a*). From the *Dēnkart*, Madan, p. 568. 3–12.

*'gōβēnd 'ku hufravart Āturpāt i Mahraspandān 'hēr i gētēh 'pat 25 'dar *'dāt, 5 'pat brēh, 'ut 5 'pat kunišn, 'ut 5 'pat hōk, 'ut 5 'pat gōhr 'ut 5 'pat aparmānd. zīvandakīh 'ut 'zan 'ut frazand 'ut χᵛatāyīh 'ut χᵛāstak apērtar 'pat brēh. ahrovīh 'ut druvandīh, āsrōnīh 'ut artēštārīh 'ut vāstryōšīh apērtar 'pat kunišn. 'χᵛartan 'ut raftan 'ut 'ō 'zanān 'šutan 'ut būšāsp kartan 'ut kār vičārtan apērtar 'pat hōk. χēm 'ut miθr 'ut 'vēhīh ⟨'ut⟩ rātīh 'ut rāstīh apērtar 'pat gōhr. ōš 'ut vīr 'ut tan 'ut brēh 'ut dītan apērtar 'pat aparmānd.*

TRANSLATION

They say that Āδurbāδ, son of Mahraspand, divided the things of this world into twenty-five parts: five (he assigned) to fate, five to action, five to nature, five to character, and five to heredity. Life, wife, children, sovereignty, and riches are chiefly through fate. Salvation and damnation and the membership of the castes of priests, warriors, and husbandmen are chiefly through action. Eating, walking, going in to one's wife, sleeping, and satisfying one's natural needs are chiefly through nature. Worthiness, friendship, goodness, generosity, and rectitude are chiefly through character. Intelligence, understanding, body, stature, and appearance are chiefly through heredity.

Z 35 (*b*). Practically identical with the foregoing text is the following, *Pahlavī Texts*, p. 82, ll. 9–16.

'ēn-ič 'gōβēnd 'ku 'čiš ⟨i⟩ gētēh 'pat 25 bahr 'nihāt 'ēstēt, 5 'pat baχt, 5 'pat kunišn, 5 'pat hōk, 5 'pat gōhr 'ut 5 'pat aparmānd. zīvandakīh ⟨'ut⟩ 'zan 'ut frazand 'ut χᵛatāyīh 'ut χᵛāstak 'pat baχt. āsrōnīh 'ut artēštārīh 'ut vāstryōšīh

*'ut kirpak 'ut bazak 'pat kunišn. 'ō 'zanān 'šutan 'ut kār vičārtan 'ut 'χᵛartan 'ut raftan 'ut 'χuftan 'pat hōk. miθr 'ut āzarm 'ut rātīh 'ut rāstīh 'ut *aδarmēnišnīh 'pat gōhr. tan 'ut *brēh 'ut ōš 'ut vīr 'ut nērōk 'pat aparmānd.*

TRANSLATION

They say, too, that the things of this world are divided into twenty-five parts: five are through fate, five through action, five through nature, five through character, and five through heredity. Life, wife, children, sovereignty, and wealth are through fate. The membership of the castes of the priests, warriors and husbandmen, virtue and vice are through action. Going in to one's wife, satisfying one's natural needs, eating, walking, and sleeping are through nature. Friendship, respect, generosity, righteousness, and humility are through character. Body, stature, understanding, intelligence, and strength are through heredity.

Z 35 (*c*). Practically the same text (in New Persian) is found in Ghazālī, *Naṣīḥatu'l-mulūk* (ed. J. Humā'ī, Tehran, A.H. 1315–17), pp. 123–4. The editor quotes another work, the *Jāvīdān χirad*, as having the same text and attributing it to Āδurbāδ, presumably the son of Mahraspand (v. Part I, Chapter I). The translation is as follows:

It is generally agreed that worldly affairs are divided into twenty-five categories. Five of these are the province of fate (*qaẓā va qadar*), first choosing a wife, second children, third property, fourth kingship, fifth life.

Five others are the province of effort (*jahd*), first learning (*'ilm*), second the office of secretary, third horsemanship, fourth heaven, fifth salvation from hell.

Five others are of nature (*ṭab'ī*), first trust, second courtesy, third humility, fourth liberality, fifth truthfulness.

Five others are by habit (*'ādat*), first walking, second eating, third sleeping, fourth sexual intercourse, fifth excretion.

Five others are hereditary (*mīrāṣī*)—good looks, a good character, ambition, pride, and meanness.

Z 36. From the *Persian Rivâyat* (Hormazyār, ii, p. 53, l. 10). Text and translation with notes in BSOS. ix, pp. 310, 320.

From the Zand-Avesta

God said to Zoroaster, 'Zurvān has seven faces, and on each face three eyes; and he has seven names: the name of the one is 'Godly' (bestowing);

the second 'Zurvān'; the third 'He who makes old'; the fourth 'Fate'; the fifth 'the Cherisher (?)'; the sixth 'the Adversary'; the seventh *yō-framānā* (? *dō-framān-ē*, he who has two commands, v. Part I, p. 231).

Z 37. The second '*Ulemā i Islām*. The text was first published by Olshausen and Mohl in *Fragmens rélatifs à la Religion de Zoroastre extraits des manuscrits Persans de la Bibliothèque du roi*, Paris, 1829. The first translation is that of Vullers, *Fragmente ueber die Religion des Zoroaster*, Bonn, 1831, pp. 43–67. A second translation was made by Blochet in RHR. 1898, xxxvii, pp. 40–49. Finally the text appears in the *Persian Rivâyats* (Hormazyār), ii, pp. 80–86, and the translation in Dhabhar's *Persian Rivâyats*, pp. 449–57. Parallel with the '*Ulemā* is a *rivāyat* first published and translated by Spiegel in *Die traditionelle Literatur der Parsen*, pp. 161–6: this also appears in PersRiv. ii, pp. 62–66 (Dhabhar, pp. 428–31). The variants in this version are most useful for re-establishing the text. The parallelism between the two texts, however, only lasts as far as § 18. Words or sentences only found in the Spiegel text are put between brackets ( ).

(1) Six hundred years after Yezdigird (sc. III) according to the Religious Era the doctors of Islām asked certain questions of one who was learned in our religion. The conversation took place in this manner, and a book has been compiled on this matter, and this book is called '*The Doctors of Islām*', or '*The explanation of the nature of the world and the soul of man from the beginning of time till the end.*'

(2) They asked: 'What do you say concerning the raising (of the dead)? Do you believe it or not?'

(3) The High Priest of the Magians said: 'We believe in the raising (of the dead), and the resurrection will take place.'

(4) Then the Doctors of Islām said: 'Has the world (always) existed? and what is your opinion concerning God's creation of man, non-existence, death, and the resurrection in life?'

(5) The religious leader of that time answered: 'In this matter of which you ask concerning the raising (of the dead), first we must know what creation is and what it is to cause death and wherefore man is resurrected in life: and we must say whether the world has (always) existed or whether it has been created.

(6) 'First I will speak of the world and discuss whether it has (always)

existed or whether it was created. If it should be said that it has (always) existed, this opinion is untenable: for ever anew do things wax in the world and then again wane [and wax], decrease and then again increase. Further all that is susceptible of coming to be and passing away and is the effect of a cause is not proper to God. Thus it is established that the world has not (always) existed and that it has been created. Moreover, a created thing necessarily implies a Creator. (7) Now it must be known that in the Pahlavī religion to which the Zoroastrians adhere, the world is said to have been created. After saying that the world has been created we must further say who created it and when, how, and why he created it.

(8) 'In the religion of Zoroaster it is thus revealed. Except Time all other things are created.[a] Time is the creator; and Time has no limit, neither top nor bottom. It has always been and shall be for evermore. No sensible person will say whence Time has come. In spite of all the grandeur that surrounded it, there was no one to call it creator; for it had not brought forth creation. (9) Then it created fire and water; and when it had brought them together, Ohrmazd came into existence, and simultaneously Time became Creator and Lord[b] with regard to the creation it had brought forth. (10) Ohrmazd was bright, pure, sweet-smelling, and beneficent, and had power over all good things. Then, when he looked down, he saw Ahriman ninety-six thousand parasangs away, black, foul, stinking, and maleficent; and it appeared fearful to Ohrmazd, for he was a frightful enemy. (11) And when Ohrmazd saw this enemy, he thought thus: "I must utterly destroy this enemy", and he considered with what and how many instruments *he could destroy him.* (12) Then did Ohrmazd begin ⟨the work of creation⟩. Whatever Ohrmazd did, he did with the aid of Time; for all the excellence that Ohrmazd needed, had (already) been created. And Ohrmazd made Time of the long Dominion manifest[c] which has the measure of twelve thousand years, and within it he attached the firmament, the artificer[d] (and heaven).[e] (13) And each of the twelve Signs of the Zodiac which are bound to the firmament he appointed for a thousand years. During three thousand years the spiritual creation was made; and Aries, Taurus, and Gemini held sway each for a thousand years. (14) Then Ahriman (with the aid of Time) turned towards the heights that he might do battle with Ohrmazd: he saw[f] an army marshalled and drawn up in ranks, and rushed back to hell. From the foulness, darkness, and stench that was within him, he raised an army. This was possible for him.[g] In this matter much has been said. The meaning of this is that when he (saw he) was empty-handed, he rushed back to hell. (15) Because of the righteousness he saw in Ohrmazd for three thousand years he could not move, so that during these three thousand years

material creation was made.[h] The control of the world passed to Cancer, Leo, and Virgo. In this matter much has been said.

(16) 'I will say a few words on this subject. In the creation of the material world first he manifested the sky, and the measure of it was twenty-four (thousand) by twenty-four thousand parasangs, and its top reached Garōδmān . . . .[i] After forty-five days he caused the water to appear (from the sky):[j] after sixty days the earth appeared out of the water: after seventy-five days he manifested plants, large and small: after thirty days the Bull and Gayōmart appeared: and after eighty days Adam and Eve[k] made their appearance. (17) When the three thousand years we have mentioned (had elapsed) and Man, the material world, and the other creatures we have mentioned had come into existence, the accursed Ahriman again bestirred himself: and (Time brought it about that Ahriman)[l] bored a hole in the sky, the mountains, and the earth, rushed into the material world and defiled everything in it with his wickedness and impurity. (18) As he possessed no spiritual thing, he did battle for ninety days and nights in the material world; and the firmament was rent, and the spiritual beings came to the assistance of the material world. (19) And they seized the seven most evil demons and brought them to the firmament[m] and bound them with unseen (spiritual, *mīnū*) bonds. And Ahriman afflicted Gayōmart with a thousand torments till he passed away. And from him certain things came into existence. About this much has been said. From the Bull too certain things and animals came into existence. About this much has been said. (20) Then they seized upon Ahriman and carried him off to hell by that very hole through which he had entered the world; and they bound him with unseen bonds. Two angels, even Ardībihišt, the Amahraspand, and Varhrām, the god, stood in guard over him.

(21) 'If it is objected that since all this suffering comes from him, they should have slain him when they captured him, then it must be known that when one kills a living creature and says, 'I have killed so and so', and that creature is (actually) killed, the fire that is in him goes to the Fire, and the water that is in him to the Water, and the earth that is in him to the Earth, and the air that is in him to the Air: and at the time of the raising (of the dead) he will be raised up; and what does it matter if in the meantime (the elements) were separated? (22) Thus it is plain that none of these things which we have mentioned is annihilated, but that each of them is, as it were, separated from the four elements. Further, how could Ahriman with all his density[n] be slain unless they slew him gently and by degrees, and mingled evil with good, and darkness with light, and foulness with purity, so that mastery should remain, not vengeance and enmity?

(23) 'If it is objected that since (Time) possessed all this mastery, why did it create Ahriman, we (reply that as) we said in the beginning, Ohrmazd and Ahriman both came into existence from Time. Every sect holds a different opinion. (24) One party says that it created Ahriman so that Ohrmazd should know that Time has power over (all) things: another says that there was no need to create him, and that Time[o] said to Ohrmazd, "I have power to do this without bringing pain upon Ohrmazd and ourselves": another says, "What pain or pleasure has Time from the evil of Ahriman or the goodness of Ohrmazd?" Another says that it created Ohrmazd and Ahriman so that it might mingle good and evil, and that things of different kinds and colours might come into existence: another says that Ahriman was an honoured[p] angel, and that because of some disobedience of which he had been guilty he became the target of malediction. In this matter much has been said.

(25) 'Now we will proceed to the end of our story. After the spiritual beings had bound Ahriman in hell and had bound the seven demons on to the firmament[q]—the names of the demons are as follows: Zēriǰ, *Tariǰ, *Nānghaiθ, Tarmad, Xišm, *Sēǰ, and *Bēš—Ohrmazd surrounded every one of the seven with light and gave them Ohrmazdean names—Kēvān (Saturn), Ohrmazd (Jupiter), Bahrām (Mars), Šēd (the Sun), Nāhīd (Venus), Tīr (Mercury), and Māh (the Moon). (26) When these deeds were duly performed, the firmament began to revolve, and the Sun, Moon, and stars began to rise and set; and hours, days, nights, years, and months appeared, and the 'givers'[r] appeared. In this matter much has been said.

(27) 'For three thousand years men existed and the demons too were plain to see, and there was war between men and demons. In Man there are some things that are Ohrmazd's and some that are Ahriman's. In his body there is fire, water, earth, and air, and further soul, intelligence, consciousness, and *fravahr*; further the five senses, sight, hearing, taste, smell, and touch. (28) Should anyone say that all these derive from the soul, it is not so; for there are many people who are dumb and lame. If anyone should object saying, "If the soul does not possess these faculties and provisions, what then can it do?"—(we reply) that this is not a fair question (*lit.* this is not so): for we see that fire has no mouth, yet it consumes food; and it has no feet, yet when you put fuel before it, it goes in pursuit of the fuel; and it has no eyes, yet it gives light to the eyes. This has been said that we should know that provided though we are with all these faculties and provisions, we are nothing without His favour despite all the pride and selfishness we show in our relations with one another. Since we have recorded those things which are Ohrmazd's, we will now record[s] those which are

Ahriman's, that people may know. These are Concupiscence (Āz), Want, Envy, Vengeance, Lust, Falsehood, and Anger. These the demons had in their bodies; and they were (mixed with) the four elements.[t] (30) For the power of Ahriman comes to the demons of the firmament, and thus does he ever anew bring evil to the world through them, until the power of Ahriman wanes and the evil of Ahriman diminishes, till through the resurrection all his evil decreases and is annihilated.

(31) 'And the men of that time walked according to the paths of righteousness and smote the demons until J̌amšīd became king. For six hundred and sixteen years and six months did he reign; and the demon of Wrath entered him and he claimed to be God. And the Arab Dahāk seized him and slew him and settled at the king's court. (32) He reigned a thousand years and mixed men and demons together and worked much sorcery in the world until Farīdūn, son of Ātfī, came and bound him. Dahāk means ten sins.[u] Now he is commonly called Ẓaḥḥāk. After this, war broke out among men because some had mixed with the demons and some had fallen into error. Then Farīdūn strove to call men back to the path of righteousness. When Āfrāsyāb appeared from his family, disorder increased: and when Kay Xusrau appeared, he purged the world of evil men. (33) Then Zartušt (Zoroaster) Isfantamān came as a prophet and brought the Avesta, Zand, and Pāzand. King Guštāsp was converted and spread it abroad in the world;[v] and one quarter of the world was converted to the religion of Zartušt and spread it abroad in the world; and for three hundred years it went every day better with the followers of the Religion until Alexander the Roman (Macedonian) came, and once again confusion increased. (34) After this Ardašīr, son of Pāpak, lessened the confusion and five hundred years passed by. After that the army of the Arabs rose up and brought the Persians beneath its yoke; and every day they became weaker (till) the time when Bahrām, the mighty, comes and takes to himself the throne of the kingdom of the Sassanians.

(35) 'Then Ōšēdar, the bright, will come and will bring one Nask of the Avesta and Zand in addition to that which Zartušt Isfantamān had brought, and Bahrām, the mighty, will spread it abroad in the world; and of those three quarters who were not converted in the time of Zartušt, one quarter more will be converted and for four hundred years will spread it abroad.[w] Then once again will confusion appear. In this matter much has been said. (36) Then again Ōšēdar-māh will come and will make an end of confusion and will bring one more Nask of the Avesta in addition to that which Ōšēdar, the bright, had already brought, and will spread it abroad in the world. One half of those who are without religion will be converted to the

Good Religion. Once again a period of welfare will pass away and a period of evil will set in and in its turn pass away. (37) Then *Sōšyans[x] will bring one Nask of the Avesta in addition to that which Ōšēdar-māh had already brought and all men will be converted to the Good Religion and confusion will vanish from the world. Fifty-seven years will pass and the resurrection will come to pass. In this matter much has been said; but I have been brief so as not to bore the reader.

(38) 'Now we have come to the end of our story. When it is said that a person dies or is killed, the air that is within him is united to the Air, and the earth within him to the Earth, the water within him to the Water, and the fire within him to the Fire. His soul, intelligence, and consciousness all become one and unite with the *fravahr*, and the whole becomes one. If one has a preponderance of sin, one is punished: if one has a preponderance of virtue, one is taken up to heaven. Then the demons who were with these persons will all be worn down and slain. (39) With regard to the punishment that they endure, the Amahraspand Ardībihišt acts as mediator and does not permit that they be punished beyond the measure of their sin. Whoso is worthy of heaven is borne to heaven; and whoso is worthy of Garōδmān is borne to Garōδmān; and whoso is worthy of Hamēstagān (the place of the mixed, i.e. purgatory) is borne to Hamēstagān. (40) Then up to the resurrection the power of the demons is worn down and their wickedness is reduced to nothing because men endure punishment; and thus the demons that are within men are worn down. (41) After this they raise up the bodies of the denizens of heaven and hell even from the primal substances: they collect (spirit) from spirit, fire from fire, water from water, earth from earth, and air from air, and the soul returns to earth. (42) At the time of the resurrection the evil that is in the body of man no longer remains, and men will be free from death, old age, and want, so that they live for ever; and no evil will remain.

(43) 'Beasts, birds, and fish have no soul, but the fourfold spirit is reunited with them. They are exempt from the reckoning and judgement because they have no soul or *fravahr*. It is the soul that shows that man is possessed of reason, knowledge, righteousness, and height(!) and the ability to speak words with his tongue and to do deeds with his hands. Otherwise all living creatures partake of the four elements. But man has all this besides, and because he possesses a soul, he must undergo the reckoning and judgement while other living creatures do not.

(44) 'With regard to what has been said about what creation is and what it is to cause death and why there is hope of resurrection in life, we must know that creation is due to his mercy and grace, and the cause of death is

this, that (if) we were like the Amahraspands who do not die, Ahriman would have been unable to mingle with us, and his evil, darkness, foulness, and stench would have remained for ever: (but now) since he has mingled with us[y] and torments us, he has propagated himself and thinks that he can annihilate us, and he does not know that it is his own wickedness that he is destroying. That is how death is caused. (45) The resurrection in life is a holy duty for Him since we have laboured much both in the material world and in the spiritual. So because of His mercy and kindness it is a holy duty for Him to bring us to life, although there is no question of anything being (really) dead. Rather He brings together what was scattered abroad and raises up the person and gives him his recompense from the good things that are His.

(46) 'With regard to the twenty-one Nasks of the Avesta of which they speak, Avesta is the tongue of Ohrmazd, and Zand is our tongue and Pāzand that tongue in which everyone knows what he is saying. (47) The Avesta, Zand, and Pāzand of the twenty-one Nasks are as follows. The Zand and Pāzand of seven Nasks treat of those matters which we have discussed. The Zand and Pāzand of another seven Nasks treat of what is proper and what is improper, of what to do and what not to do, of what to say and what not to say, of what to take and what not to take, of what to eat and what not to eat, of what is pure and what is impure, of what to wear and what not to wear, and such matters. If I recounted all, the book would (never) end: and so I have been brief. The Zand and Pāzand of the other seven Nasks treat of medicine and astrology. In this matter much has been said.

(48) 'They say that the Sun revolves round the earth; and everywhere the Sun goes, as for example here where we are, the sky and the stars follow (*lit.* are). It can go under the earth or to the side of the earth, so that we ourselves may be under the earth though we say that we are on the top of the earth. In the Avesta and Zand it is said that all men that have been or are or shall be will go to heaven, and that their souls shall undergo punishment before the resurrection.

(49) 'More wonderful is this that we send our children to school and teach them good conduct and keep them far from evil. Yet when you consider, they still come to know evil before good. But good is good in the sight of God and before men; and evil is evil before the Creator and before men. And in man there is good and evil; and in the world there is good and evil; and in the firmament there is good and evil; and in the spiritual world there is heaven and hell. (50) We were created by the Creator, and to Him is our return. Had it not been necessary, the Creator would not

have created us. And with regard to the fact that evil should never have been created and yet exists, a veil is drawn over this, or else our intelligence cannot attain it. Yet since this is so, we must leave what is God's concern to God.

(51) 'What thou art told to do, thou shalt do; and what thou art told not to do, thou shalt not do; and what thou art told to think, thou shalt think; and what thou art told not to think, thou shalt not think; and what thou art told to say, say; and what thou art told not to say, thou shalt not say; and what thou art commanded to eat, eat; and what thou art commanded not to eat, thou shalt not eat; and what thou art told to wear, wear; and what thou art told not to wear, thou shalt not wear, and other such things as these. And our law is to busy ourselves with the service of God.'

(52) Greetings and blessings upon the pure and good and those who show the way. May the good prevail. Amen.

NOTES

[a] So, reading *ǰuz* as in Spiegel's text instead of *χudā* as in Hormuzyār. With the reading *χudā* no satisfactory sense is obtained. Blochet translates: 'Dieu a créé toutes les choses du Temps, et le Temps est le Créateur.' This is obviously inadequate.

[b] Reading *χudāvand* with Spiegel and the MS. Bk. quoted by Dhabhar.

[c] Ohrmazd must be the subject, for he is already existent whereas there has been no mention of Time of the long Dominion: yet Blochet, following Vullers, translates, 'Le Temps de la Longue Souveraineté créa Ormazd'.

[d] Literally 'the painter' (*naqqāš*): Dhabhar unaccountably translates 'its chart'.

[e] *va mīnū*: not in Spiegel. The word is obviously a transcription of Phl. *mēnōk* which in this context would mean 'in ideal or spiritual form'.

[f] So following Spiegel's text, *dīd*: Hormazyār has *az dīv*.

[g] *va mumkin būd*: the sense is not clear. Blochet has 'Il est possible que cela soit': similarly Dhabhar. Vullers, 'Wann dieses möglich gewesen'.

[h] This episode corresponds to the first defeat of Ahriman described in text Z 1, § 7, and Z 4, § 4.

[i] The text is corrupt: Hormuzyār has *tā ba-garōθmān bar šudeh*; Spiegel, *tā ba-garōθmān bi-rasad bar šudan bar rūy i āsmān*. Neither makes sense, and Vullers wisely left a *lacuna* in his translation. Blochet translates 's'élevant jusqu'au Garôthmân et sur la sphère céleste'. Dhabhar has 'upwards to G. which was over the heavens'. This involves a slight emendation of the text.

[j] All MSS. appear to read *āb* except Bk. which has *āsmān*. I would therefore read *az āsmān āb* corresponding to GrBd. 19. 5 (text Z 1, § 45), *'hač gōhr i āsmān 'āp brēhēnīt*.

[k] i.e. the first human couple, Mašyē and Mašyānē.

[l] So Spiegel's text: Hormuzyār omits.

[m] From here on Spiegel's text is completely different. In translation it runs as follows:

'Of the seven demons they seized the four who were the worst, and they bound them with unseen bonds to the eighth heaven which they call the heaven of the

fixed stars; and they appointed the star Vanand over those four demons so that they could do no harm. Of the other three demons they put Saturn who has a very evil influence in the seventh heaven; and in the Āyīn(?) heaven which is the sixth heaven they put Jupiter who has a very good influence. The second demon who is Mars and who has only a slightly evil influence, they put in the fifth heaven: and in the fourth heaven which is the centre of the heavens they placed the Sun and they presented him with sovereignty over the heavens [over against the heavens(?)]. They placed Saturn and Mars higher than the heaven of the Sun so that the poison and filth which they let fall upon the earth should be melted by the heat of the Sun and come to the earth in smaller quantities. In the third heaven they put Venus who has only a slightly good influence. The third demon which is Mercury, whose nature is mixed, they placed in the second heaven, and they bound him to the hand of the Sun so that (the Sun) should control the affairs of the heavens over him: but he does not escape from the Sun; for since his heaven is below that of the Sun, all the poison and filth which he lets fall comes to the earth. They call him "mixed" because he is inclined to do evil, but since he is a prisoner in the hand of the Sun, he cannot do excessive harm as he would wish to do. His place is between two planets of good influence. Necessarily when he is with a good influence, he does good; and when he falls together with an evil influence, he does evil. For this reason they do not call him an evil influence, but mixed. In the first heaven they put the Moon. Below the heaven of the Moon there is another heaven which they call the heaven of Gōčihr, and the tail and the head of the serpent[1] are in that heaven. When the period of control of Aries, Taurus, and Gemini had passed and control passed to Cancer and it was its turn, they prepared the horoscope of the world; and they placed every constellation in the twelve Signs of the Zodiac in the house of its ascendant in the form in which they are (now) fixed so that it should be easier to understand. Then Ahriman afflicted Gayōmart with a thousand torments until he passed away. From him certain things came into existence; and from the Bull, too, many kinds of things and animals came into existence. Then they seized upon Ahriman and carried him off to hell by that hole through which he had come into the world; and they bound him with unseen bonds, for the Amahraspand Ardībihišt and the god Vahrām were appointed (over him).'

n For *siṭabrī* Blochet's 'vil et méprisable' is wrong.

o Taking 'Time' as the subject with Vullers. Taking Ahriman as the subject Dhabhar produces singularly poor sense: 'He (Ahriman) said to Ormazd: I can do such (evil) things and therefore it is not necessary to attribute evil unto Ormazd or unto me.'

p So, reading *muqarrab*. Blochet read *mutaẓarrib* and translated 'qui se châtie lui-même'.

q Hormuzyār adds *tavānand kard*, which yields no sense.

r As Spiegel saw, the 'givers' must be the twelve Signs of the Zodiac (*Eranische Alterthumskunde*, ii, p. 182). *dahandagān* is in fact a literal translation of Av. *baγa-*, Phl. *baγ* 'bestower', then 'constellation': so ŠGV. 4. 8: *baγą i nākī-baχtārą*.

s For the *yād kunand* of the text *yād kunīm* must be read.

[1] For 'serpent' the text has the incomprehensible *WKYD*, but the meaning is assured by GrBd. 52. 12: *gōčihr miyān ⟨i⟩ āsmān 'bē 'ēstāt mār humānāk, 'sar 'pat dōpatkar 'ut dumb 'pat nēmāsp.*— 'Gōčihr was in the middle of the sky, like a serpent, with its head in Gemini and its tail in Centaurus.'

[t] The text reads: *dar dīvān kālbud dāštand ṭabā'i' čahār gūneh būdī.* In his translation Dhabhar appears to have substituted *agar* for *dar*—'Had the demons been incarnate, their natures would have been of these four kinds.' I would prefer to emend the text to *dīvān dar kālbud dāštand bā ṭabā'i' čahār-gūneh būdand*, since *ṭabā'i'* must surely refer to the elements and not to the 'natures' of the demons.

[u] The *DH'''* of the text is meaningless. We must emend to *DH'Γ* = *dahāγ*: from the explanation *dah 'aib* it is to be assumed that the word was understood as *dah aγ* < Av. *aγa-* 'evil', Phl. *aγ-* in *aγdēn*, &c. According to Dhabhar the MS. Bk. enumerates the sins; these Blochet translates as follows: 'odieux, inique, petit, tyran, sans pudeur, mangeant beaucoup, parlant mal, menteur, téméraire, ayant mauvais cœur, sans intelligence'.

[v] Text has *qabūl dar ǰahān kard*: read, with Dhabhar, *qabūl kard va dar ǰahān ravā kard.* Dhabhar reads *ravān* rather than *ravā.*

[w] Reading *ravā kunand* for *ravā bāšand.* For Hormazyār's *sih bāreh ōšēdarmāh yakī ziyādat kunad* read with MSS. T 30 and Bk. (Dhabhar p. 454) *sih yakī ziyādat qabūl kunad.*

[x] The text reads *siyāvušānī.*

[y] Reading *čūn* for *χūn.*

Z 38. The following text from the *Persian Rivâyat* is not found in the edition of Modi and Unvala. It was, however, published by Dhabhar in his translation (p. 438), where the Persian text will also be found. It appears to be an attempt on the part of an orthodox Mazdean to square Mazdean dualism with the myth that Ohrmazd and Ahriman issued from Time. The equation of Zurvān with the *Ahunvar* prayer, which does not appear elsewhere, is probably late and suggested by the fact that in the *Bundahišn* the *Ahunvar* is chanted just after the creation of finite Time.

From the Rivâyat of Bahman Pūnjayeh.—Ohrmazd and Ahriman became manifest from Time; that is to say, Ohrmazd and Ahriman became manifest during the same period. However, Ohrmazd became manifest through the overflowing of his own essence. There is no doubt about this. Again Zoroaster asked Ohrmazd (saying), 'At the time when the world came into existence, what existed?' Ohrmazd said, 'At that time I and my *Ahunvar* both existed.' Zurvān is called the *Ahunvar.*

III

POLEMICS AGAINST THE ZOROASTRIAN RELIGION AND NOTICES THEREOF FROM CHRISTIAN, MANICHAEAN, AND MUHAMMADAN SOURCES WRITTEN IN ORIENTAL LANGUAGES

F 1. Four versions of the Zervanite myth are preserved, two by the Armenians Eznik of Kołb and Ełišē Vardapet, and two by the Syrians Theodore bar Kônai and Yohannân bar Penkayê. For our arrangement of the texts in tabular form we are indebted to Louis Mariès, who has given us a close study of the three former in his valuable book, *Le* de Deo *d'Eznik de Kołb*, Paris, 1924, pp. 48–52. The last text was brought to light by P. de Menasce, who edited and commented upon it in his article, 'Autour d'un texte syriaque inédit' (BSOS. ix, pp. 587–601). The translation reproduced here is his. Mariès's table is also to be found—as are the majority of the texts appearing in this section—in Bidez–Cumont, *Les Mages hellénisés*, ii, pp. 89–92, whose translation I have followed in the main. For Eznik I have used the Venice edition, 1926 (pp. 125–8; p. 89 in the translation of Schmid; *Le Vaillant de Florival*, p. 75; Langlois, ii, p. 375; cf. I. F. Blue, *Indo-Iranian Studies in honour of Sanjana*, p. 70); for Ełišē the edition of Yohannisean, Moscow, 1892 (tr. Langlois, ii, p. 190); for Theodore bar Kônai the edition of Pognon in his *Inscriptions mandaïtes des coupes de Khouabir*, pp. 111 ff. (translation, pp. 162 ff.); and for Yohannân bar Penkayê the text and translation of de Menasce, l.c.

Obviously the four accounts go back to a common original; but whether this original is Theodore of Mopsuestia (G 2) as has been maintained by Cumont (MMM. i, p. 18; *Mages*, ii, p. 88) is open to doubt. For his version we have only the miserable summary preserved by Photius, and we are unable to judge from it what details in the myth were common to it and any one of the four accounts. Mariès supposes all four versions—not counting bar Penkayê whom he did not know—go back in two branches to a

common Syriac source, itself dependent on a Pahlavī original. His views are summarized in the following table.

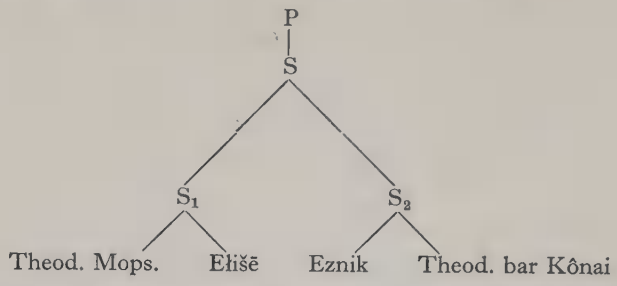

Schaeder, on the other hand, derives Ełišē direct from Eznik, and Eznik from Theodore of Mopsuestia (*Studien*, p. 239). None

	Eznik	*Ełišē*
1.		
2.		
3.	Alors que rien absolument n'existait encore, — disent-ils, —	. . . avant que fussent
4.	ni cieux, ni terre,	les cieux et la terre
5.	ni autres créatures que ce soit	
6.	qui sont aux cieux et sur la terre —	
7.	existait un dénommé Zrouan,	Zrouan le grand dieu
8.	ce qui se traduit 'sort' ou 'fortune'.	
9.	Pendant mille ans il avait offert sacrifice	offrait sacrifice pendant mille ans
10.		et disait:
11.	afin d'avoir peut-être un fils	'Peut-être aurai-je un fils,
12.	qui aurait nom Ormizd	Ormizd (sera son) nom,
13.	et qui ferait les cieux et la terre	il fera le ciel et la terre.'
14.	et tout ce qu'ils contiennent.	
15.	Depuis mille ans il offrait (ainsi) sacrifice	
16.	quand il se mit à faire réflexion et dit:	
17.	'De quelle utilité pourra bien être le sacrifice que j'offre?	

of these hypotheses is wholly acceptable, as each account has its individual peculiarities and no two are entirely in agreement throughout. We must, then, be content to note that they all derive from a common original, probably Pahlavī but possibly Syriac. I am inclined to think that the original was a genuine Zervanite text and not a Mazdean anti-Zervanite polemic, since it bears a striking resemblance to the genuinely Zervanite *'Ulemā i Islām* (text Z 37). If so, it is best regarded as a simple exposition of Zervanite doctrine for simple people.

Henning (*Zoroaster, Politician or Witch-doctor?*, p. 51) considers that all the principal anti-Zervanite writers including the Manichaean fragment (text F 7 (*b*)) derive from a common written source which cannot be later than the fourth century A.D.

	Theodore bar Kônai	*Yohannân bar Penkayê*
1.	Voici ce que dit (Zerdouscht) sur la conception	
2.	de Hormizd et d'Ahriman:	
3.	Quand rien n'existait encore,	. . . avant que Zarwan n'eût créé
4.	sinon les ténèbres,	le ciel et la terre,
5.		
6.		
7.	Zerwan	il
8.		
9.	offrit des sacrifices pendant mille ans.	offrait, mille années durant, des libations à Dieu
10.		
11.		dans le but d'obtenir un fils,
12.		Hormizd,
13.		qui créerait le ciel et la terre.
14.		
15.		Et au terme de cette période de (mille) années,
16.	Et parce qu'il douta,	il réfléchit dans son cœur, et se dit:
17.		'Aurai-je vraiment quelque profit de ces sacrifices,

Eznik	*Ełišē*
18. et aurais-je un fils Ormizd?	
19. ou bien fais-je en vain ces efforts?'	
20. Et tandis qu'il faisait cette réflexion	
21. Ormizd et Arhmn furent conçus	Et il conçut deux (fils)
22. dans le sein de leur mère:	dans (son) sein:
23. Ormizd en vertu du sacrifice offert	l'un pour le sacrifice offert
24. et Arhmn en vertu du doute susdit.	et un autre encore pour avoir dit: 'peut-être'.
25. Lors donc, s'en étant rendu compte, Zrouan	Quand il sut
26. dit: 'Deux fils sont	qu'ils étaient deux
27. dans le sein que voilà:	dans ce sein:
28. celui d'entre eux, quel qu'il soit, qui vite à moi parviendra	'Celui qui vite viendra, dit-il,
29. je le ferai roi.'	je lui donnerai la royauté.'
30. Ormizd ayant eu connaissance	
31. des desseins de leur père	
32. (les) révéla à Arhmn,	
33. disant: 'Zrouan notre père	
34. a formé ce dessein: qui d'entre nous vite	
35. à lui viendra, il le fera	
36. roi.'	
37. Et Arhmn ayant entendu cela	Or celui qui avait été conçu
38.	de par son peu de foi
39. perça le sein	déchira le sein
40. et sortit,	et sortit dehors.

	Theodore bar Kônai	*Yohannân bar Penkayê*
18.	craignant qu'il ne lui vînt point de fils,	
19.		ou est-ce en vain que je me fatigue?'
20.		Au moment même où cette pensée lui vint,
21.	Satan fut conçu en même temps que Hormizd.	Hormizd et Ahrman furent conçus,
22.		
23.		Hormizd en raison des libations,
24.		Ahrman en raison du doute.
25.	Et quand il s'aperçut de la conception d'Ahriman,	Dès qu'il s'en fût avisé,
26.	il dit:	il fit un vœu, disant,
27.		
28.	'Celui qui le premier viendra vers moi,	'A celui qui se trouvera être l'aîné,
29.	je le ferai roi.'	je donnerai ces baguettes — ils les appellent būrsemē — et je lui donnerai puissance pour créer le ciel et la terre.'
30.	Hormizd connut	
31.	la pensée de son père,	
32.	et la révéla à Satan.	
33.		
34.		
35.		
36.		
37.	Et lorsque Satan en eut connaissance,	Ahrman, quand il entendit cela,
38.		
39.	il fendit le ventre de sa mère,	déchira aussitôt le ventre de sa mère,
40.	et tomba de son nombril,	en sortit

Eznik	*Ełišē*
41. se présenta devant son père.	
42. Et Zrouan, l'ayant vu,	
43. ne sut pas qui il pouvait bien être;	
44. et il demandait: 'Qui es-tu, toi?'	Zrouan lui dit: 'Qui es-tu?'
45. Et celui-ci dit: 'Je suis ton fils.'	Il dit: '(Je suis) ton fils, Ormizd.'
46. Zrouan lui dit:	Zrouan lui dit:
47.	
48. 'Mon fils est parfumé et lumineux,	'Mon fils est lumineux et parfumé,
49. et toi, tu es ténébreux et puant.'	toi, tu es ténébreux et aimes à faire le mal.'
50.	Et après avoir pleuré très amèrement
51.	il lui donna la royauté pour ⟨neuf?⟩ mille ans.
52. Et tandis qu'ils	
53. échangeaient entre eux ces paroles,	
54. Ormizd étant né à son heure,	Quand il eut donné naissance
55. lumineux et parfumé,	à l'autre fils encore, il le nomma Ormizd,
56. vint, se présenta devant Zrouan.	
57. Et Zrouan l'ayant vu	
58. sut que c'était là son fils Ormizd,	
59. en vue duquel il offrait sacrifice.	
60. Et ayant pris les baguettes	
61. qu'il tenait en sa main, avec lesquelles il offrait sacrifice,	
61a.	ôta la royauté à Arhmn
62. il les donna à Ormizd, et dit:	et la donna à Ormizd en disant:
63. 'Jusqu'à présent	'Jusqu'à présent

Theodore bar Kônai	*Yohannân bar Penkayê*
41. et alla vers Zerwan.	et se présenta devant son père, Arzwan.
42. Et Zerwan	Celui-ci, en le voyant,
43.	
44. lui demanda: 'Qui es-tu?'	dit: 'Qui es-tu?'
45. Et celui-ci répondit: 'Je suis ton fils.'	Ahrman lui répondit par une tromperie, 'C'est moi qui suis ton fils, Hormizd.'
46. Et Zerwan lui dit:	
47. 'Tu n'es pas mon fils	
48.	
49. parce que tu es ténébreux et laid.'	
50.	Et tandis qu'Arzwan s'en contristait
51.	
52. Et pendant qu'il parlait ainsi	et qu'ils
53.	étaient en contestation,
54. Hormizd naquit,	le moment vint pour Hormizd, et il naquit.
55. de bonne odeur et lumineux.	
56.	
57. Et Zerwan dit:	
58. 'C'est mon fils, Hormizd.'	
59.	
60. Et les baguettes	
61. qu'il tenait,	
61a.	
62. il les lui donna et dit:	Et il lui donna puissance.
63. 'Jusqu'à présent	

Eznik	*Ełišē*
64. c'est moi qui pour toi offrais sacrifice:	c'est moi qui t'ai offert sacrifice:
65. dorénavant c'est toi qui pour moi l'offriras.'	maintenant c'est à toi de me l'offrir.'
66. Et tandis que Zrouan	
67. donnait les baguettes à Ormizd, et	
68. le bénissait, Arhmn, s'étant approché	
69. devant	
70. Zrouan, lui dit:	
71. 'N'as-tu pas fait le vœu suivant:	
72. quiconque de mes deux fils	
73. parviendra à moi le premier,	
74. celui-là je le ferai roi?'	
75. Et Zrouan, pour ne pas violer son serment,	
76. dit à Arhmn:	
77. 'Oh! faux et malfaisant!	
78. la royauté te sera accordée	
79. neuf mille ans,	
80. et Ormizd	
81. je (l')ai établi roi au-dessus de toi,	
82. et après neuf mille ans	
83. Ormizd régnera,	
84. et tout ce qu'il voudra faire,	
85. il le fera.'	
86.	
87. Alors Ormizd et Arhmn se mirent	
88. à faire des créatures.	
89. Et tout ce qu'Ormizd créait	Et Ormizd créa
90. était bon et droit,	les cieux et la terre;

Theodore bar Kônai	*Yohannân bar Penkayê*
64. c'est moi qui t'offrais des sacrifices:	
65. dorénavant tu vas m'en offrir.'	
66. Mais Satan, comme les choses	
67. se passaient ainsi,	
68.	
69.	
70. dit à Zerwan:	
71. 'Prends garde, n'as-tu pas fait cette promesse:	
72.	
73. le premier qui viendra,	
74. je lui donnerai la royauté?'	
75. Et Zerwan	
76. lui dit:	
77. 'Va-t'en, Satan;	
78. je t'ai fait roi	
79. pour neuf mille ans,	
80. et Hormizd,	
81. je l'ai fait dominer sur toi,	
82. et après le terme fixé	
83. Hormizd régnera,	
84. et tout, suivant sa volonté	
85. il mènera.'	
86. Et Satan s'en alla et fit tout ce qui lui plut.	
87.	
88.	
89. Et lorsque Hormizd créa	Hormizd créa
90. les justes,	toutes les choses qui sont bonnes et belles,

Eznik	*Ełišē*
91. et ce qu'Arhmn faisait	mais Arhmn à l'opposé fit
92. était mauvais et tortueux.	le mal.
93.	
94.	

F 2. From the treatise *On the True Religion* of Theodore Abū Qurra, Bishop of Harran (*c.* 740–820). The text is found in the edition of Father Cheikho, S.J. (Beyrouth, 1912), pp. 12–13. The treatise has been translated by Georg Graf (*Beiträge zur Geschichte der Philosophie des Mittelalters*, xiv, Heft 1, our text appearing on pp. 24–25), and his translation has been reproduced by de Menasce in BSOS. ix, pp. 600–1.

Theodore's source is obviously that of Eznik as is proved by their common use of the Persian word *baχt* for Fate and the account, common to both (v. text F 7 (a)), of the creation of the Sun and Moon through the intercourse of Ohrmazd with his mother and sister.

I turned aside from these and was encountered by a group of the Magians. They said, 'Drive them away (sc. the star-worshippers), they have no authority. Come rather to us; for what we possess is the truth.' They stated that their great god was called Zurvān (Ar. Dharwān) and that Zurvān was Fortune (*baχt*). Before he created the earth (*dunyā*), he sacrificed for a thousand years that a son might be born to him: and his wife conceived a son whose name was Hormazd. When he had been conceived for seven hundred years, his father, Zurvān, doubted if he had been conceived; and this doubt of his brought into being another child in his wife's womb, who was Satan. Zurvān knew of this and said: "Whichever of my sons shall first behold my face, verily to him shall I give the kingdom." And Hormazd knew of this while he was in his mother's womb and apprised Satan thereof. And when Satan knew that, he pierced his mother's womb and issued from her side, and went forth till he came into his father's presence: and he was darkness—black of face and ugly. And his father said to him: "Who art thou?" He replied, "I am thy son, Satan, who arose from thy doubt. Give me the kingdom even as thou didst say." And Zurvān was grieved: and since he would not go back on his word, he gave him the kingdom of this world (*dunyā*) for seven thousand years. Hormazd was born from his mother at the end of a thousand years, and he issued forth

Theodore bar Kônai	*Yohannân bar Penkayê*
91. Satan créa	et Ahrman fit
92. les démons;	tout ce qui est nuisible.
93. celui-là créa la richesse,	
94. celui-ci la pauvreté.	

as light—beautiful and fair. He created heaven and earth and the divers natures that are between them in their beauty and fairness, in which we see the world. But they were in darkness, and there was no light in them. And he was grieved, and consulted Satan therein: and he counselled him to have intercourse with his mother. And he did so and had intercourse with her: and she conceived and bore the Sun as a light for the day. And (he also counselled him) to have intercourse with his sister. And he did so and had intercourse with her: and she conceived and bore the Moon as a light for the night. Therefore do the Magians have intercourse with their mothers and sisters and daughters, so that they may bear sons like the Sun and the Moon, even as Hormazd, their god, (did). This is their description of their gods. As Hormazd (did himself), so did he allow them to indulge in all the lusts of the world they please, since for this reason did he create them. They maintain that the prophet who gave them this truth was Zoroaster.

F 3 (*a*). From the *Dēnkart*, Madan, p. 829, ll. 1–5. This, the only passage in Pahlavī literature that expressly condemns the Zervanite theory that Ohrmazd and Ahriman were brothers, has been the subject of frequent discussion. The reader is referred principally to Schaeder, *Iranische Beiträge*, i, pp. 288–91, and Benveniste, MO. xxvi, pp. 209–11; cf. also Darmesteter, ZA. i, p. 221, no. 10; Blochet, RHR. xxxvii, p. 28; Junker, *Aion-Vorstellung*, p. 144; I. F. Blue, *Indo-Iranian Studies in honour of . . . Sanjana*, p. 64. We have included this text in the 'foreign' rather than the Zoroastrian section of the texts on account of our parallels in Manichaean and Syriac writers.

'hač gōβišn i Zartuχšt 'apar drāyastan i Ariš 'dēv 'ō 'martōmān: Ōhrmazd 'ut Ahriman 2 'brāt i 'pat ēvak aškom 'būt 'hēnd: 'hač 'avēšān Amahraspand-⟨ē⟩ 'ān

From the saying of Zoroaster concerning the cry of the demon Ariš (Envy) to mankind: 'Ohrmazd and Ahriman were two brothers in one womb. Of them an Amahraspand chose

i 'vattar dōšīt 'pat 'ān i 'kaδ-aš šnāsakān 'dēvān-ēzišnīh guft, 'ut 'ēn 'ku 'pas[īh] gōspand 'dahēt 'ō apāχtarīkān 'dēvān.

the worse inasmuch as his adherents preach the worship of demons and that they should offer cattle (as victims) to the demons of the planets.'

Ariš: for Ariš, the demon of Envy, v. Chapter I, p. 31, n. E. This particular demon seems to have been suggested by the use of the word *ərəš* in Ys. 30. 3, of which our present passage is supposed to be a translation. The Gāθic passage in question is that in which Ohrmazd and Ahriman are said to have been twins (*yəmā*) and to which the Zervanites pointed as authoritative evidence for the orthodoxy of their views. The Mazdean translator in the *Dēnkart*, possibly fortified by his ignorance of the sacred language and no less by that of his rivals, turns the tables on them and produces a translation the meaning of which is the exact opposite of theirs. That the Avestan language was but very imperfectly understood by those who were supposed to be its interpreters is sufficiently indicated by the following passage of the *Dēnkart*, DkM. 455. 10. A Christian polemist of the name Bōχt-Mārā asks a Magian priest several questions concerning his religion. Among them is the following: 'Why did God proclaim this religion in an unknown and cryptic language called Avestan?'—*yazat 'ēn dēn 'čē rāδ 'pat aδvāč-ē i anāšnāk i nihuftak i apastāk 'nām guft?* The reply does not attempt to refute the charge, but freely admits it, DkM. 459. 8. 'This word and religion of the Avesta is omniscience. As it is most nearly connected with the good spirits, so with regard to the languages of earthly men is it wonderful and passes all comprehension of men. The *Zand*, by reason of the manner in which it is spoken, is more current in the world and better understood.'—*'ēn mānsar 'ut dēn apastāk harvist-ākāsīh. čēγōn 'vēh-mēnōkān ['ut] nazd-brahmīhātar, 'pat hamāk āvāč i gēhānīkān ōγōn vitīmāsīk i vitart 'hač 'har ayāpakīh i 'martōmān. 'ut zand 'pat aδvēnak *i guft 'ēstēt, 'pat miyān i gēhān ravāktar, 'andar gēhān āšnāktar*. A franker admission of sacerdotal ignorance could hardly be made.

Amahraspand-⟨ē⟩: the addition of *-ē* or *-ān* seems necessary: otherwise we should obtain the translation—accepted by Schaeder, op. cit., p. 289—'Of them the Amahraspand chose the worse': alternatively it is possible to take *Amahraspand* as a plural derived from an old nominative rather than the genitive (v. Nyberg, CCM. 1929, pp. 266–7). Punctuation after *Amahraspand* does not seem possible, as the following sentence would then be left without a subject. The translation 'the Amahraspand' seems most unlikely, since it would then be necessary to assume that a doctrine was widely known according to which a given Amahraspand chose the evil side and that this Amahraspand was generally known as *the* Amahraspand to the exclusion of all others. This seems highly improbable, for in the Mazdean books the Amahraspands are always considered as the highest deities in the good creation and are, moreover, seven in number. If any one were referred to as *the* Amahraspand, it would no doubt be Vahman who is the first of their number.

What, then, is meant by 'An Amahraspand chose the worse'? Benveniste has claimed that the passage proves that in Zervanism there were Amahraspands of evil as well as of good. This is scarcely in accordance with their name, which, as Bailey has convincingly shown, means 'the immortals who give increase'. Now it is an acknowledged fact that the Manichaeans, in adapting the Iranian deities to their own conceptions, aimed at the closest correspondence possible with the Zervanite, not the Mazdean, brand of Zoroastrianism; and the Amahraspands do in fact occur in Manichaean texts: they are the five 'light' elements which make up the panoply

of the Primal Man (Ohrmazd in the Iranian texts), light, wind, fire, water, and the gentle breeze. It would, then, seem probable that in Zervanism too the elements were called 'Amahraspands'; and the elements of the Pahlavī books are normally those of Empedocles—fire, water, earth, and air. Of these, then, one chose the worse, that is, attached itself to Ahriman. This can only be water: for we read in Āδur-Hormizd (text F 5), 'Als das Wasser zum Ahraman gekommen war . . . .' Further, we saw in Chapter III, pp. 72 ff., that associated with some Zervanites at least, water, the female element, was regarded as evil. Our present passage is not, then, an isolated case of the Amahraspands being according to Ahriman, but a further confirmation of what already had become sufficiently clear, namely that water, in our system, belongs to the evil creation.

'kaδ-aš šnāsakān: the sentence is only satisfactory if we take *šnāsakān* as the subject. Schaeder translates 'indem er den ihn Erkennenden (= Anerkennenden) die Dev-Anbetung verkündete': but this must involve the addition of *'ō* before *šnāsakān*. Benveniste has 'en ce qu'il a prêché le culte des démons, ses partisans' (l.c., p. 209): on p. 211 for *-aš šnāsakān* he writes 'qui le reconnaissent', from which he derives the meaning 'partisans'. It is, however, improbable that *šnāsakān* is in apposition to *'dēvān*, as the latter is best regarded as the first member of a compound *'dēvān-ēzišnīh*. Were this not so, the presence of the abstract termination *-īh* after the verbal noun *ēzišn* would be superfluous. It will, however, be granted that the scribes of the *Dēnkart* freely sprinkle their text with incorrect *-īh*'s.

F 3 (*b*). The following, a Manichaean fragment in Middle Persian, will be found in F. W. K. Müller, *Handschriften-Reste in Estrangelo-Schrift aus Turfān*, ii, p. 94; Salemann, *Manichäische Studien*, p. 10. See further text F 7 (*b*).

'wd gwynd kw 'whrmyzd 'wd 'hrmyn br'dr hynd 'wd pdys'y 'yn sχwn rsynd 'w wnywdyẖ.	'And they say that Ohrmazd and Ahriman are brothers; in consequence of this doctrine they will meet with their destruction.'

wnywdyẖ: later form of MPers. *wnybwṯ* + the abstract suffix *-yẖ* (*-īh*) (Henning, BSOS. ix, p. 89).

F 3 (*c*). Another Manichaean text found in the Turkish *X^v^astuānift*. Text and translation in von le Coq, JRAS. 1911, p. 282, and Bang, 'Manichaeische Laien-Beichtspiegel', *Muséon*, xxxvi, p. 147. I follow the latter's translation.

The *X^v^astuānift*—perhaps the most interesting and important Manichaean text that has so far turned up in central Asia—may be described as a Manichaean general confession. Its first section, from which our text is extracted, deals with sins against the god Äzruä (the Turkish form of Zurvān borrowed from the

Soghdian). From the Manichaean condemnation of the doctrine that Ohrmazd and Ahriman were brothers we may assume the whole of our passage to be an attack on those Zervanite doctrines which were repulsive to the eastern Manichees.

Wenn wir gesagt haben sollten: 'wenn jemand das Leben verleiht, so verleiht Gott es; wenn jemand den Tod giebt, so giebt Gott ihn', (oder) wenn wir gesagt haben sollten: 'das Gute unde das Böse hat Gott alles geschaffen', (oder) wenn wir gesagt haben sollten: 'er (Gott) ist der Schöpfer der ewigen Götter' (Gott sei der Schöpfer[a] der ewigen Götter), (oder) wenn wir gesagt haben sollten: 'Khormuzta[b] (der Urmensch) und Schimnu[c] (der Urteufel, die Materie) sind jüngerer und älterer Bruder.' Wenn wir jemals, mein Gott, aus Unverstand Gott verleugnend (wörtl.: gegen Gott falsch seiend) in dieser Weise gewaltig (gräßlich) gotteslästerliche Dinge gesagt haben sollten oder in dieser Weise diese unverzeihlichen (?) Sünden begangen haben sollten, mein Gott, so bereue ich, Raimast Färzind, jetzt und bitte um Vergebung der Sünden. *Manastar hirza* (d.h. Meine Sünde erlaß, vergieb).

NOTES

[a] The meaning is presumably 'creator by procreation and birth' with reference to Zurvān's physical paternity and maternity of Ohrmazd and Ahriman. The idea was notoriously repulsive to the Manichaeans who, when speaking of it, used the word 'evoke'.

[b] i.e. Ohrmazd.

[c] i.e. Ahriman: naturally not 'matter' in Zervanite doctrine.

F 3 (*d*). From the Syriac *Acts of the Persian Martyrs*. Text in Bedjan, *Acta Martyrum*, ii, p. 221; translation, O. Braun, *Ausgewählte Akten persischer Märtyrer*, p. 67. Both reproduced in Widengren, *Hochgottglaube im alten Iran*, p. 301; cf. I. F. Blue, *Indo-Iranian Studies in honour of . . . Sanjana*, p. 68. This translation follows Widengren in the main.

(The martyr Pûsai speaks to Šāpūr the Great.)

Wenn deine Majestät sagt: Sonne, Mond, Feuer und Wasser sind Kinder des Hormizd, so glauben wir Christen weder an den Bruder Satans noch bekennen wir den Mit-Erben des Teufels, wie die Magier sagen Hormizd sei der Bruder Satans. Wenn wir den Bruder Satans nicht anbeten, wie sollen wir dann die Kinder seines Bruders bekennen?

F 4. Šahristānī, *Kitābu'l-milal wa'n-niḥal*, pp. 183–5 in the edition of Cureton (Leipzig, 1923), cf. the translation of Haarbrücker, vol. i, pp. 277 ff. (Halle, 1850); I. F. Blue, *Indo-Iranian Studies in honour of Sanjana*, pp. 72 ff.

(1) The Zurvāniyya say that the Light emanated persons of light, and all were endowed with spirit, light, and lordship: but the greatest person whose name was Zurvān, doubted concerning something, and Ahriman (who is) Satan arose from that doubt. Some say that this was not so, but that the Great Zurvān stood and mumbled (prayers) for [nine thousand,] nine hundred and ninety-nine years that he might have a son; but he did not have one. Then he consulted with himself and thought and said, 'Perchance is this world (cosmos) as nothing': and Ahriman arose from this single reflection; and Hormuz arose from that wisdom. And they were both in one womb, and Hormuz was nearest to the door of egress: but Ahriman schemed so that he rent his mother's womb, and went out before him and seized the world (the earth). It is said that when he stood before Zurvān, and (Zurvān) beheld him and saw all the evil, wickedness, and corruption in him, he loathed him and cursed him and drove him away. And (Ahriman) went forth and mastered the world (the earth). (2) Hormuz, however, remained for a while without power over him; and he it is whom some took for their lord and served him in that they found in him goodness and purity and righteousness and beauty of character.

(3) Some of the Zurvāniyya think that there was always something evil with God, either an evil thought or an evil corruption, and that is the origin of Satan. They think that the world (earth) was free from wickedness and calamities and discord, and that its people were in a (state of) pure good and perfect prosperity: but when Ahriman arose, wickedness and calamities and discord arose.

(4) (Ahriman) was in a place apart from the sky, and he schemed so that he rent the sky and rose up. Some say that he was in the sky and that the earth was free from him, and he schemed till he rent the sky and descended on to the earth with all his hosts: and the Light fled with its angels, and Satan pursued it till he hemmed it in in its garden (paradise) and did battle with it for three thousand years, though Satan did not attain to the Lord Most High.

(5) Then the angels mediated and made peace (between them) so that the Devil and his hosts should dwell in the light for nine thousand years including the three thousand years in which he did battle with him. Then he will go out to his place.

(6) According to their words the Lord Most High thought it best to bear with the vileness of the Devil and his hosts, and he did not break the treaty until the time of peace was fulfilled: and men are in tribulation and discord and misfortune and trouble until the completion of the period. Then they return to their primal prosperity.

(7) The Devil made a pact that he (Hormuz) should give him power over things that he might do them, and he should allow him to undertake evil emprises. When they were finished with the pact, they called to witness two just ones, and they handed their swords to them, and said to them, 'Whoso shall break this treaty, him do ye slay with this sword.'

(8) I do not think that any sensible person will give credence to this idiotic doctrine, or look (favourably) on this feeble and idle religion. Yet, perhaps it is an allegory of what is figured in the mind. But whoso knows the Lord Most High in his glory and majesty will not assent to such nonsense nor lend his ears to these absurdities.

(9) More exact than this is what Abû Ḥâmidi-z-Zûzanî has told, (saying) that the Magians think that the Devil was always in the darkness and that the atmosphere and the Void were in a place apart from the kingdom of God. Then he continually crept and artfully drew nigh till he perceived the Light, and leapt forward and entered the kingdom of God and the Light, and brought in with him those calamities and wickedness. (10) And God Most High created this world (cosmos) as a net for him, and he fell into it and was suspended in it and could not return to his kingdom. He is imprisoned in this world (cosmos) and tortured in his captivity; and he shoots at God's creation with calamities and distress and discord: to whomsoever God gives life, he assails him with death; and to whomsoever (God) gives health, he assails him with sickness; and whomsoever (God) rejoices, he assails him with grief: nor does he cease from this till the day of the Resurrection. (11) Yet every day his kingdom decreases until he has no more power. And when the Resurrection comes to pass, his kingdom will pass away, and his fires shall be quenched, and his power will cease and his might shall dwindle away, and he shall be flung into the atmosphere, and the atmosphere is darkness without ending or issue. Then God will assemble the men of the religions and judge them and requite them according to their obedience or disobedience towards Satan.

F 5. S 7 in Bidez–Cumont, *Mages*, ii (pp. 107–11). Text in Bedjan, *Acta Martyrum*, ii, pp. 576 ff. Annotated translation first published by Nöldeke in *Festgruß an Rudolph von Roth*, Stuttgart, 1893, pp. 34–38. Reproduced by Mariès, *Le* de Deo *d'Eznik*

de Kołb, pp. 43–47, who adds translations of parallel passages from Eznik in parallel column. The best edition is now that of Bidez–Cumont, l.c. Our translation is that of Nöldeke.

I

(*The Magian High Priest, Âdhurfrâzgerd, speaks*)

Aus unserem Abhestāg (Avesta) ist deutlich erkannt worden, daß jeder, der in dieser Welt in Glanz und Ehren, auch im Ristâchêz herrlich, geehrt und erhaben ist, und jeder, der in dieser Welt elend und niedrig, auch in jener Welt ebenso elend ist. Denn diese beiden Welten Gêthîh und Behišt sind von Hormizd geschaffen, und wie einer vor dem Großkönig, den Hormizd Chodâi zum Pâtachšâh gemacht hat, um in dieser Welt über unser Kišwar zu herrschen, Ehre hat, so hat er sie auch im Behišt vor Hormizd Chodâi.

Da that der treffliche Âdhurhormizd den Mund auf und sprach zu ihm: Was ist das Leben? Was sind diese vergänglichen Güter, mit denen sich beschäftigt zu haben nach dem Vergehen der Welt keinem hilft? Was habt ihr für eine Lehre, die nützte? Sollen wir Ašôqar, Frašôqar, Zarôqar und Zurwân für Götter halten? Oder den durch Gebet und Gelübde erlangten Hormizd, dessen Vater für seine Gelübde und Opfer erst Erfolg hatte, nachdem er, ohne es zu wollen, den Satan hervorgebracht, indem er gar nicht damit einverstanden war und nicht wußte, wer sie in ihm gebildet hatte und von wem sie geschaffen waren? So zeigt sich, daß Ašôqar, Frašôqar und Zarôqar leere Namen und empfindungslose Steine sind, und so zeigt sich auch Zurwân fern von aller Eigenschaft als Gott, da er ja nicht einmal das wußte, was in seinem Leibe gebildet wurde. Es sieht also nach euren Worten so aus, als ob etwa noch ein anderer Gott da war, dem Zurwân, nach euren Worten, opferte und der ohne seinen Willen die Söhne bildete. Oder galt das vielleicht den Naturwesen, die von euch die Angehörigen des Hormizd und Behman genannt werden, (sc. oder) den dreißig Göttern und Göttersöhnen, die Gutes und Böses thun? Wen sollen wir also von ihnen ehren oder wem zu gefallen suchen, daß er uns helfe? Oder muß man vielleicht dem Ahraman zu gefallen suchen, der, nach euren Worten, aus seinen Werken als weise, kundig und hochmächtig erscheint, wie Hormizd als schwach und dumm, da er gar nichts zu schaffen wußte, bis er von Ahramans Schülern lernte? Denn als er, nach euren Worten, die Welt erschuf, ließ er sie in Finsternis, bis er von Ahramans Schülern lernte. Dann erst schuf er das Licht. Und als Hormizd dann nur einmal bei seiner Mutter schlief, wurde die Sonne, die so hell ist, geboren,

und die Hunde, Schweine, Esel und Rinder. Während sie vorher jeden Tag Chwêtwôdatîh vollzogen hatten, konnten sie doch nicht die Sonne schaffen und besonders nicht die Rinder, welche die Gerechten sind, und die Hunde, die reinen und reinigenden, die Hüter der Thore des Behišt. Und als das Wasser zum Ahraman gekommen war, sprach dieser zu Hormizd: 'deine Tiere sollen nicht von meinem Wasser trinken'. Da Hormizd nun kein Mittel sah und in Furcht war, entdeckte ihm ein Dämon von Ahramans Schar eins und belehrte ihn. Da sprach er zu Ahraman: 'nimm dein Wasser von meiner Erde'. So trank nun der Frosch,[a] den Ahraman geschaffen hatte, das Wasser aus, und Hormizd blieb wieder in Furcht und Betrübnis, bis er von den Geschöpfen Ahramans Hilfe erhielt, denn eine Fliege drang dem Frosch in die Nase, da wurde er irre, und nun kehrte das Wasser an seine Stelle zurück. Hormizd freute sich da und versprach einem von den Dienern, den Vertrauten Ahramans, der ihm die Entdeckung und Mitteilung gemacht hatte, ihm einen Sitz im Behišt zu geben. Und alle Magier sagen für ihn Shnûman her. Wie aus den Thatsachen ersichtlich, ziemt sich's also für uns, dem weisen und mächtigen Satan zu gehorchen und zu dienen, nicht aber dem dummen und unkräftigen Hormizd.

II

(*Anâhêdh speaks to Adhurfrâzgerd*)

Wie sagst du, o Obermagier? daß das Feuer und die Gestirne, die du vorbringst, Kinder des Hormizd seien, die von ihm selbst empfangen und geboren seien? oder von jemand anders? Wir sehen ja, daß alle, die erzeugen und gebären, die Geburt durch Vereinigung zweier, des Männlichen und Weiblichen, zu stande bringen, und nicht (geschieht das) bloß von einem von ihnen. Wenn sie nun aber Hormizd in sich selbst, d.h. bloß in seinem Leibe, empfangen und geboren hat, so ist er, wie sein Vater Zurwân, mann-weiblich, wie die Manichäer sagen. Und wenn er sie mit seiner Mutter, Tochter oder Schwester gezeugt hat, wie eure thörichte und alberne Lehre sagt, warum soll er uns dann nicht in allem gleichen? Ein Gott dagegen hat weder Mutter, noch Tochter, noch Schwester, weil er einer ist und er allein Gott ist, der über all seine Schätze frei verfügt. Daß aber Hormizd wie wir dem Anfang, Ende und Vergehen unterliegt, dafür zeugen sein Vater Zurwân und seine Mutter Xᵛaš(χ)varrīγ.[b] Wie diese das Leben verloren haben, so verlieren es auch ihre Kinder und Kindeskinder, und über diese heißt es in unseren (heiligen) Schriften: 'verlaßt euch nicht auf einen Menschen, auf den kein Verlaß ist, sondern auf den lebendigen Gott.'

NOTES

[a] This myth is highly obscure. Presumably one of the demons is referred to as a frog. Though in the fourth chapter of the *Bundahišn* Ahriman figures as a frog, he plainly cannot be meant here since this frog is created by him. It would therefore seem probable that it is Āz who is compared to a frog in Zs. 34. 35 (text Z 5 (*a*)). The fly is perhaps Ēšm, the demon of wrath.

[b] v. Chapter III, p. 64.

F 6. S 3*a* in Bidez–Cumont, *Mages* (ii, pp. 98–99). Mâr Abhâ. From the *Interpretation of the Laws concerning Sexual Intercourse and Marriage*. Text and translation published by Braun (ZDMG. lvii, 1903, pp. 562–5); reproduced by Sachau with translation (*Syrische Rechtsbücher*, iii, 1914, p. 265). Cf. further Benveniste, MO. xxvi, p. 175. The author Mâr Abhâ was a convert from Magianism to Nestorian Christianity: he was a Nestorian Catholicus from 540 to 552 (Bidez–Cumont).

This translation is that of Sachau.

Von Zerwân, dem Vater ihrer Götter, erzählen die Magier, daß er 1000 Jahre Magismus geübt habe, damit er einen Sohn bekomme, und daß er ob seiner Gerechtigkeit erhört wurde. Sie (die Magier) mögen uns nun nachweisen, wer dieses Zerwâns Mutter, Schwester und Tochter war, wer der Gemahl seiner Mutter und der Vater seiner Schwester, wer seine Gemahlin oder Mutter oder der Vater seiner Mutter war. Wenn sie über diesen (Zerwân) nichts vorbringen können, wie reden sie dann über Hormizd! Woher kommen denn diese Weiber des Hormizd, da sie doch lehren, daß er weder von sich selbst noch von seinem Vater noch von irgendeinem anderen Menschen geboren sei.

Wie war es ferner möglich, daß durch ein solches Lager die Himmelskörper geschaffen wurden, wie sie sagen? Unwahrscheinliches und Unglaubwürdiges kann durch Wahrscheinliches und Sichtbares bewiesen werden. Sie sollen uns nun ein sicheres Zeugnis für diese Hormizdgeschichte bringen. Infolge ihrer jetzigen Theorien heiraten sie ihre Mütter, Schwestern und Töchter. Wenn nun solche Leute imstande sind Wunder und eine neue Schöpfung zu verrichten, und durch den Geschlechtsverkehr mit solchen Weibern eine neue Weisheit zu erlangen, dann glauben die Menschen auch diese unwahrscheinliche Hormizdgeschichte so, wie sie erzählt wird. Wenn sie aber derartiges nicht nachweisen können, wie sollen wir dann von Hormizd glauben, daß er imstande gewesen sei, die Weisheit für die Erschaffung der Himmelskörper durch eine solche schmutzige

Geschlechtsverbindung zu erwerben, er, der ein Schüler des Satans ist, dem der Satan Genosse und gesinnungsgleich ist? Wenn aber Hormizd, der nicht von sich selbst und nicht von seiner und seines Vaters und seiner übrigen Vorfahren Gottesnatur, sondern von dem Satan diese Lehre von der absonderlichen Geschlechtsverbindung mit Mutter, Schwester und Tochter empfangen hat, wie sollte es da nicht klar sein und man es nicht laut ausrufen, daß alle diejenigen, welche um ihres Gottes Hormizd willen solche (blutverwandte) Weiber heiraten, Schüler und Sklaven des Satans sind, nicht des wahren Gottes?

F 7 (*a*). From Eznik, *Against the Sects*, Book II, chapter 8, Venice edition, 1926 (pp. 151–4); cf. the translations of Schmid, pp. 108–10; Langlois, ii, p. 380.

Indeed, both (sc. Ohrmazd and Ahriman) were responsible for the torments of evil in that they harm the good creatures of the good (god). For Ohrmazd, they say, made whatsoever is good, including righteous and beneficent men; and Ahriman (made) evil creatures and demons (*dews*).

Now if the demons were evil creatures and evil by nature, then no single one of them could ever conceive anything good—particularly not Ahriman. But we see that one thing which is very fair among creatures, was brought into being by the resourcefulness of Ahriman, as they (themselves) say. When he saw, they say, that Ohrmazd had created beautiful creatures, yet knew not how to create light, he took counsel with the demons, and said, 'What benefit hath Ohrmazd? for he has created such beautiful creatures, yet they remain in darkness, and he knew not how to create the light? But if he were wise, he would go in unto his mother, and the Sun would be born (*lit.* would become) as his son; and he would have intercourse with his sister, and the Moon would be born.' And he charged (them) that not one (of them) should betray his thought. A demon, Mahmi, having heard this, came before Ohrmazd with all speed, and betrayed that thought to him. O what senselessness and disgusting imbecility! He who knew the means by which he could create heaven and earth and all that in them is, could not even conceive of this means and device. Thus not only do they make Ohrmazd foolish, but (they make) Ahriman good and the deviser of good creatures.

For again they assert that Ahriman said: 'It is not that I cannot create anything good, but that I will not.' And that he might give effect to his words, he created the peacock. Do you see? He is evil through his own wish, not from the fact of his birth.

Yet what is there more brilliant than the light which Ahriman devised? or what is more fair than the peacock which he made to display his power to make what is beautiful? Thus it is clear that if Ahriman were in essence evil, he could not have devised a means of creating the light, nor could he have created what is fair. Further, if the demons were in essence evil, it would have been impossible for Mahmi to reveal the means of creating light: for even to this day the priests of this sect offer sacrifices to him three times a year. For this reason they are refuted and condemned in that they too are worshippers of demons: and the demons are not evil in essence, but of their own free will. And if they themselves offer sacrifices to a demon, what grounds have they for persecuting the worshippers of the demons? You see that whatever they say is fables and idle tales.

F 7 (*b*). The following text from a Persian Manichaean fragment has lately been published by Professor Henning (*Zoroaster*, p. 50). The first paragraph is the same as our text F 3 (*b*). The fragment presumably derives from the same source as Eznik.

'wd gwynd kw 'whrmyzd 'wd 'hrmyn br'dr hynd 'wd pdys'y 'yn sχwn rsynd 'w wnywdyẖ.	They say that Ohrmazd and Ahriman are brothers: in consequence of this doctrine they will meet with their destruction.
z'wr w p'dys'gyẖ gwynd 'br 'whrmyzd kwš m'hmy dyw hmwχt šhr rwšn qyrdn.	They lie against Ohrmazd and slander him, (saying) that the demon Māhmī taught him to make the world light.

F 8. S 4 in Bidez–Cumont, *Mages* (ii, p. 100). From the treatise on *The Cause of the Foundation of the Schools*, by Mâr Barhad Bešabbâ, Bishop of Halvan (wrote 581–604). Text and translation by Addai Scher, *Patrologia Orientalis*, iv, 1908, pp. 365–7; cf. Benveniste, MO. xxvi, p. 176.

Zardušt, mage perse, fonda, lui aussi, une école en Perse, au temps du roi Baštasp (i.e. Vištāspa *resp.* Guštāsp, Hystaspes); il attira à lui beaucoup d'élèves, qui, étant aveugles d'esprit, s'accordèrent facilement avec lui dans ses erreurs. Il enseigna tout d'abord l'existence de quatre dieux, Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar et Zarwān; mais il ne dit pas quelles étaient leurs opérations. Ensuite il admit deux autres dieux, Hormizd et Ahriman, disant que tous les deux ont été engendrés par Zarwān. Hormizd est complètement

bon; Ahriman est complètement mauvais. Ce sont les deux qui ont fait ce monde; le dieu bon créa les bonnes créatures, et le dieu mauvais créa les créatures mauvaises. Zardušt admit ensuite vingt-quatre autres dieux, qui font en tout trente, selon les jours du mois. Il dit qu'il ne faut point égorger les animaux; car Hormizd est en eux, mais qu'il faut meurtrir par des coups de bâton le cou de l'animal destiné à être égorgé, jusqu'à ce qu'il soit sans vie, et ensuite l'immoler, afin qu'il ne sente point la douleur. Il dit encore, entre autres choses, que l'homme peut épouser sa mère, sa fille et sa sœur; et qu'il ne faut pas que les morts soient ensevelis, mais qu'ils soient jetés au dehors pour être la nourriture des oiseaux de proie.

F 9. S 5 in Bidez–Cumont, *Mages* (ii, p. 101). Anonymous Syriac text. Published by Rahmani in *Studia Syriaca*, fasc. iv, p. 1. Re-edited and translated by Nyberg in JA. ccxiv, 1929 (CCM.), pp. 238–41.

Sur l'erreur des mages

Ceux-ci se répandaient, eux aussi, dans l'Empire de l'Est; ils avaient reçu leur erreur de Zardušt le fou . . . qui avait été instruit dans la langue hébraïque et la langue égyptienne, et qui avait recueilli de sept langues ses paroles en y mêlant le poison de la mort pour le donner en nourriture aux mages — de sorte qu'on peut dire qu'ils ne comprennent ni ce qu'ils disent eux-mêmes, ni les fables ineptes que leur maître a inventées.

C'est que son impiété est manifeste. Elle consiste en ceci: à l'origine des choses il pose deux antagonistes comme chefs de ce monde-ci qui est un, à savoir Hormezd et Ahremēd, c'est à dire Satan; il dit que ces deux sont nés du dieu Zarvān. Il partage les choses créées entre ces deux en disant: la lumière appartient à Hormezd, les ténèbres appartiennent à Ahremēd; la vie appartient à Hormezd, la mort à Ahremēd; la santé et la richesse appartiennent à Hormezd, la maladie et la pauvreté à Ahremēd.[a] Sur le même modèle les êtres vivants sont assignés, les uns à Hormezd et les autres à Ahremēd. C'est ainsi qu'il attribue les hommes et les grands animaux à Hormezd, mais les serpents, les scorpions, les cousins, les poux, les mouches et tous les reptiles de la terre à Ahremēd. De tout cela on peut inférer clairement qu'il suppose des séries de divinités mâles et femelles. Il dit qu'à chaque jour du mois préside un dieu, en commençant par Hormezd qui est le premier, et en donnant ainsi une série de trente dieux. Il dit aussi que les éléments, savoir le feu,[b] l'eau, la terre et l'atmosphère sont des dieux, mais qu'ils sont inférieurs quant à la souveraineté et à la divinité aux dieux

Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar et Zarwān. Frašōqar est celui qui engendra Hormazd.

NOTES

[a] Cf. Ełišē, Yohannisean, p. 28; Langlois, ii, p. 190. 'Ohrmazd created heaven and earth; and Ahriman, on the contrary, created evil. In this way are creatures divided: the angels (belong) to Ohrmazd, and the demons to Ahriman. Whatever is good in heaven and here, belongs to Ohrmazd; all sins, which are committed there or here, were created by Ahriman. Similarly whatever is good on earth was created by Ohrmazd, and whatever is not good was created by Ahriman: thus Ohrmazd created man, and Ahriman created disease, illness, and death: and all misfortunes, disasters, and bitter wars that exist, are creatures of the evil side; but prosperity, lordship, fortune, honour, bodily health, beauty of form, eloquence, and long life are the work of the creator of good. Everything which is not so, is contaminated by the creator of evil.'

[b] Text has *NWR'* 'fire', not *NHWR'* 'light' (so Nyberg).

F 10. S 6 in Bidez–Cumont, *Mages* (ii, pp. 104–7). From Theodore bar Kônai, *Book of Scholia*. Text and translation in Pognon, *Inscriptions mandaïtes des coupes de Khouabir*, pp. 111 ff. and pp. 161 ff. The whole chapter has been thoroughly analysed by Benveniste, MO. xxvi, pp. 170–215. Cf. also Yohannan, JAOS. xliii, pp. 239–42, and Chapter VII of this book.

Il (sc. Zoroastre) reconnut d'abord quatre principes comme les quatre éléments, Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar et Zarwan, et dit que Zarwan fut le père d'Ormazd.

[*Here follows the myth reproduced in our text F 1*]

Lorsqu' Ormazd eut donné des femmes aux justes, elles s'enfuirent et se rendirent auprès de Satan; lorsqu' Ormazd procura aux justes le calme et le bonheur, Satan procura aussi le bonheur aux femmes. Satan ayant permis aux femmes de demander ce qu'elles voudraient, Ormazd eut peur qu'elles ne demandassent à avoir des rapports avec les justes et qu'il n'en résultât pour eux un châtiment. Il chercha un expédient et fit le dieu Narsa, personnage de cinq cent (*read* quinze) ans. Il le mit tout nu derrière Satan pour que les femmes le vissent, le désirassent et le demandassent à Satan. Les femmes levèrent leurs mains vers Satan et lui dirent: 'Satan, notre père, donne-nous le dieu Narsa en présent!'

Dans un autre passage, il dit, que la terre était une jeune vierge qui s'était fiancée avec Parisag.[a] Il dit que le feu était doué de raison et marchait avec Gounrap,[b] l'humide des bois. Il dit de Parisag qu'il était parfois une colombe, une fourmi, un vieux chien; de Koum,[c] qu'il était un

dauphin et un coq et qu'il accueillit Parisag; de Kikoaouz, qu'il était un bélier de montagne et frappait le firmament de ses cornes; de la terre et de Gougi, qu'ils menacèrent le ciel de l'avaler.

Les partisans de Zoroastre réprouvent les règles de la femme et la lèpre qu'ils considèrent comme impures au point de vue de la loi réligieuse. Il enseigne à honorer le feu et regarde les jours du mois comme des dieux.

D'après le témoignage de ses disciples, cet imposteur fut dévoré par des loups, parce que, lorsqu' il voulut s'enfuir d'auprès d'eux, ils lui ôtèrent la vue. Il y a des gens qui prétendent qu'il leur donna à l'origine un enseignement véridique, mais que, lorsqu' il voulut partir, ils ne le lui permirent pas et l'aveuglèrent, et qu'alors il changea et leur donna un enseignement pervers.

De Zoroastre à l'apparition de Notre Seigneur Jésus Christ, six cent vingt-huit années et sept mois s'écoulèrent.

NOTES

[a] Parisag is presumably Frāsyāk (Āfrāsyāb). v. Benveniste, op. cit.

[b] *gwnrp*: formally this word corresponds to Av. *gandarəwa-*, Phl. *Gandarβ* (*gndrp*, MX. 27. 23; PhlRiv. 18, f. 9; DkM. 597. 15: 802. 21). *Gwnrp* = *Gunnarβ* < *Gundarβ* (*nd* > *nn* as in *handām* > *hannām*, &c.). For the spelling with *w* cf. Firdausī's *Kundərū* < *Gandarβ*, ŠnV. i. 55. 405:

u-rā kundərū χᵛāndandī ba-nām
ba-kundī zadī pīš bīdād gām.

Here *kundərū* must obviously be vocalized in accordance with *kundī*. The epithet 'l'humide des bois' is not paralleled; Gandarəwa is, however, connected with the water, and his fight with Kərəsāspa takes place in the sea Vourukaša (PhlRiv. 18, f. 9 ff.). His association with the fire could be explained by the fact that he is the opponent of Kərəsāspa who did violence to the fire. This identification of *gwnrp* with *gandarəwa* has been adopted by Henning (*Zoroaster*, p. 51).

A different and in many ways more satisfactory interpretation has been suggested by de Menasce in JA. 1949, pp. 3–6. He would emend *gwnrp* to *gwrp* = *Gurāf* < *Virāf*, the hero of the *Artāk Virāf Nāmak*, thus rejecting the hitherto accepted *Virāz*. Artāk Virāf is, in fact, reprimanded for giving damp wood to the fire and is addressed as *χᵛēt-ēzm* (x. 6), of which 'humide des bois' would be an exact translation. Further Ātur, the genius of fire, and Srōš are Virāf's guides and the phrase 'le feu était doué de raison et marchait avec *Gurāf' is therefore closely parallel. The equation of *gwnrp* with Artāk Virāf, then, seems the more plausible.

[c] Koum is possibly Hōm, and Kikoaouz is presumably Kay Kāūs (Benveniste, op. cit.). Neither of the legends told here appears, so far as I know, in any Zoroastrian text.

F 11. The following extract from Eznik follows immediately after our text F 7 (*a*). The text is found in the Venice edition, 1926, p. 154. Cf. the translations of Schmid, p. 110; Langlois, ii, p. 380. Cf. Benveniste, *The Persian Religion*, pp. 89 ff.

Again those who attribute the creation of the luminaries to such causes as these alter their words and introduce another cause for the genesis of the Sun. Ahriman, they say, summoned Ohrmazd to a feast. When he had come, Ohrmazd was unwilling to partake of the feast unless their sons should first have struggled together. When the son of Ahriman had vanquished the son of Ohrmazd, they sought for a judge and could find none. Then they took and created the Sun to be a judge for them.

Thus they say on the one hand that Ahriman found a way to create the Sun; on the other it is plain that he is the co-creator of the light. And if there was no other judge, could they not go to their father or to him to whom the father and son offered sacrifice according to the fable?

F 12. Masʿūdī, *Kitābu't-tanbīh wa'l-išrāf*, ed. de Goeje, p. 93; translation of Carra de Vaux, p. 134.

(We have related) their (the Persians') stories of his (Zoroaster's) miracles and signs and wonders and their belief in five original principles, that is Ohrmazd who is God (may he be exalted and glorified) and Ahriman who is the evil Satan, and Gāh which is Time (*zamān*), and Jāy[a] which is Space, and *Yōm which is the good ferment* together with their arguments in favour of this doctrine.[b] And (we have related) their reason for magnifying the two luminaries and other lights, and the distinction they draw between fire and light, and their account of the origin of the human race concerning Mīšāh (Phl. Mašyē) who is Mahlā, son of Gayōmart and Mīšānī (Phl. Mašyānē) who is Mahlīnah, daughter of Gayōmart, and how the genealogy of the Persian race is traced back to these two; and besides (we have related) in those of our books which we have named, their religious opinions and the nature of their services and the places in which they have their fire-temples.

Certain Muhammadan theologians who have written books on the sects and who have sought to refute this sect, both in the remote and the recent past, relate that they hold that God had a thought and that from that thought evil arose, that is Satan, and that God conciliated him, granting him a period of time in which he might tempt (men), and other things from their religion which the Magians deny and do not believe. I think that this was told them by some common persons from whom they heard it and took it on trust and attributed it to the whole (sect).

NOTES

[a] The MSS. have *jām*.

[b] For a discussion of this passage v. Part I, pp. 210–11.

F 13. Firdausī, *Šāhnāmeh*, ed. Vullers, vol. i, pp. 208–11; cf. the translation of Mohl, vol. i, pp. 259–63.

The mōbads make trial of Zāl

1. Then did the king summon Zāl, for he wished to ask him certain questions. The wise men with wakeful minds took their seats, and with them Zāl and the renowned *mōbads*, that they might ask of him many a thing and word hidden with a veil. One *mōbad* questioned Zāl—a quick-witted, discerning sage was he—'What are those twelve noble cypresses which grow majestic and luxuriant, and each one shoots forth thirty boughs and they neither wax nor wane in the Persian computation(?)?'

2. Another *mōbad* said, 'O exalted one, two horses, precious and fleet of foot, move forth, the one like unto a lake of pitch and the other lustrous as white crystal: they move and they both hurry on, but never do they catch each other up.'

3. Another spake thus, 'Those thirty horsemen, passing in review before the King—one was lost; but if thou look aright, all thirty are back again when thou dost number them.'

4. A fourth spake thus, '(There is) a meadow which thou dost see full of green herbs and streams. A man with a great sharp scythe stalks proudly towards the meadow; moist and dry together he mows down, and if thou make supplication, he hears thee not.'

5. Another said, '(There are) two lofty cypresses (growing) like reeds in a billowy sea: a bird has its dwelling-place upon them; at eventide its seat is on the one and at dawn on the other. When it flies from the one, its foliage withers; it alights on the other and it gives out a scent of musk. Of these two one is ever fresh, but the leaves and fruit of the other are withered.'

6. Another asked, 'In a mountainous country I found a strong citadel. Wise men from that citadel chose on the plain a thorny place; they built buildings whose top reached to the Moon: some became servants and some leaders. They think no more of that citadel and no one speaks or makes mention of it. An earthquake arises on a sudden and their land and habitation completely disappear. Necessity brings them to that citadel and brings them long forebodings. These words are hidden by a veil: seek, and speak forth plain before the lords. If thou make these secrets manifest, thou makest purest musk from black earth.'

Zāl answers the mōbads

7. For awhile the aged Zāl was lost in thought; he raised his wings and

stretched forth his pinions. Thereupon he loosened his tongue in answer and took account of all the questions of the *mōbads*.

8. 'First concerning the twelve lofty trees, each of which puts forth thirty branches—in a year there are twelve new moons like splendid kings upon new thrones. In thirty days the month comes to an end: such is the revolution of Time.

9. 'Now for what thou hast said concerning the two horses, blazing like unto lightning. Both the white and the black are Time; they pursue each other swiftly, they are night and day which pass by, they reckon each moment of the firmament above us. They do not catch each other up as they gallop on, running like the quarry before the hounds.

10. 'And the third question which thou didst ask concerning the thirty horsemen who passed before the king; of those thirty horsemen one is missing, but at the time of numbering the full thirty are (there). Know that the numbering of the new moon is in this wise, for so has the Lord of earth ordained. Thou canst be speaking only of the waning of the Moon which on one certain night always disappears from time to time.

11. 'Now I shall unsheathe that word concerning the two cypresses where a bird has its dwelling-place. From the constellation of the Ram to the Scales darkness keeps the world hid: when it passes from these it goes to the Fish, and then there is darkness and blackness. Those two cypresses are the two arms of the lofty firmament through which we rejoice and (through which) we are grieved. Know that the flying bird upon it is the Sun, and know that for the world fear and hope are from him.

12. 'Again the citadel in a mountainous land is the house of eternity and the place of reckoning: that thorny place is this transitory abode which is at once pleasure and treasure and grief and pain. It counts the breath you breathe, it gives increase and carries it away. Wind and earthquake arise and raise grief and lamentation in the world. All our toiling remains in the thorny place: we must pass on to the citadel. Another will taste the fruits of our toil, but for him too they will not endure, and he too must pass on. So has it been from the beginning; so it is, and this will never grow old (change). If our riches are a good name, our soul will in the end be honoured. If we practise concupiscence (Āz) and twist and turn, (the result) will be manifest when we pass from life. Though our palace reach even unto Saturn, nought will remain for us but a winding-sheet. When brick and earth are heaped upon our face, everywhere is there fear and care and anguish.

13. 'Concerning the desert and that man with the sharp scythe, and the hearts of moist and dry are in terror of him; moist and dry alike he mows

down, and if thou make supplication, he hears thee not. This is the wood-cutter Time, and we are like the grass. Alike to him is the grandson, alike to him the grandsire: he takes account of neither old nor young; whatever prey comes before him, he pursues. Such is the nature and composition of the world that save for death no mother bore a son. He enters in at one door and passes out through another: Time counts his every breath.'

IV

GREEK TEXTS

In this section only those texts from Greek authors will be found which directly concern Zurvān or Zervanism. For the collected Greek and Latin references to the Magian religion the reader is referred to Clemen, *Fontes historiae religionis persicae*, Bonn, 1920, and to Bidez–Cumont, *Les Mages hellénisés*, ii, Paris, 1938.

G 1. From the *Dubitationes et solutiones de Principiis* of Damascius (*c.* A.D. 453–533) 125 bis. v. Clemen, *Fontes*, p. 95.

μάγοι δὲ καὶ πᾶν τὸ ἄρειον γένος, ὡς καὶ τοῦτο γράφει ὁ Εὔδημος, οἱ μὲν Τόπον, οἱ δὲ Χρόνον καλοῦσι τὸ νοητὸν ἅπαν καὶ τὸ ἡνωμένον, ἐξ οὗ διακριθῆναι ἢ θεὸν ἀγαθὸν καὶ δαίμονα κακόν, ἢ φῶς καὶ σκότος πρὸ τούτων, ὡς ἐνίους λέγειν. οὗτοι δὲ οὖν καὶ αὐτοὶ μετὰ τὴν ἀδιάκριτον φύσιν διακρινομένην ποιοῦσι τὴν διττὴν συστοιχίαν τῶν κρειττόνων, τῆς μὲν ἡγεῖσθαι τὸν Ὠρομάσδη, τῆς δὲ τόν Ἀρειμάνιον.

G 2. Theodore of Mopsuestia *apud* Photius, bibl. 81 (Migne, *P.G.* ciii, col. 281: Clemen, *Fontes*, p. 108; Bidez–Cumont, *Mages*, ii, p. 87).

ἀνεγνώσθη βιβλιδάριον Θεοδώρου Περὶ τῆς ἐν Περσίδι μαγικῆς, καὶ τίς ἡ τῆς εὐσεβείας διαφορά, ἐν λόγοις τρισί. . . . καὶ ἐν μὲν τῷ πρώτῳ λόγῳ προστίθεται τὸ μιαρὸν Περσῶν δόγμα, ὃ Ζαράδης εἰσηγήσατο, ἤτοι τοῦ Ζουρουάμ, ὃν ἀρχηγὸν πάντων εἰσάγει, ὃν καὶ Τύχην καλεῖ· καὶ ὅτι σπένδων, ἵνα τέκῃ τὸν Ὠρμίσδαν, ἔτεκεν ἐκεῖνον καὶ τὸν Σατανᾶν· καὶ περὶ τῆς αὐτῶν αἱμομιξίας. καὶ ἁπλῶς τὸ δυσσεβὲς καὶ ὑπέραισχρον δόγμα κατὰ λέξιν ἐκθεὶς ἀνασκευάζει ἐν τῷ πρώτῳ λόγῳ.

G 3. Hippolytus, *Refutatio omnium haeresium*, i. 2. 12–13 (v. Clemen, *Fontes*, p. 76; Bidez–Cumont, *Mages*, ii, p. 63).

Διόδωρος . . . ὁ Ἐρετριεὺς καὶ Ἀριστόξενος ὁ μουσικός φασι πρὸς Ζαράταν τὸν Χαλδαῖον ἐληλυθέναι Πυθαγόραν· τὸν δὲ ἐκθέσθαι αὐτῷ δύο εἶναι ἀπ' ἀρχῆς τοῖς οὖσιν αἴτια, πατέρα καὶ μητέρα· καὶ πατέρα μὲν φῶς, μητέρα δὲ σκότος, τοῦ δὲ φωτὸς μέρη θερμόν, ξηρόν, κοῦφον, ταχύ· τοῦ δὲ σκότους

ψυχρόν, ὑγρόν, βαρύ, βραδύ· ἐκ δὲ τούτων πάντα τὸν κόσμον συνεστάναι, ἐκ θηλείας καὶ ἄρρενος. εἶναι δὲ τὸν κόσμον φησὶν κατὰ μουσικὴν ἁρμονίαν, διὸ καὶ τὸν ἥλιον ποιεῖσθαι τὴν περίοδον ἐναρμόνιον. περὶ δὲ τῶν ἐκ γῆς καὶ κόσμου γινομένων τάδε φασὶ λέγειν τὸν Ζαράταν· δύο δαίμονας εἶναι, τὸν μὲν οὐράνιον, τὸν δὲ χθόνιον· καὶ τὸν μὲν χθόνιον ἀνιέναι τὴν γένεσιν ἐκ τῆς γῆς· εἶναι δὲ ὕδωρ, τὸν δὲ οὐράνιον πῦρ μετέχον τοῦ ἀέρος, θερμὸν καὶ ψυχρόν· διὸ καὶ τούτων οὐδὲν ἀναιρεῖν οὐδὲ μιαίνειν φησὶ τὴν ψυχήν· ἐστὶ γὰρ ταῦτα οὐσία τῶν πάντων.

G 4. Plutarch, *de Iside et Osiride*, 45–47, pp. 369 D–370 D (Clemen, *Fontes*, p. 48; Bidez–Cumont, *Mages*, ii, pp. 70 ff.: translated in Benveniste, *The Persian Religion*, pp. 69 ff.). Though this passage cannot strictly be considered Zervanite (v. Chapter I, pp. 13 ff.), it is included because in our opinion it may reflect the beliefs and practices of the dissident Magians, the *yātūkān* or sorcerers.

εἰ γὰρ οὐδὲν ἀναιτίως πέφυκε γίνεσθαι, αἰτίαν δὲ κακοῦ τἀγαθὸν οὐκ ἂν παράσχοι, δεῖ γένεσιν ἰδίαν καὶ ἀρχὴν ὥσπερ ἀγαθοῦ καὶ κακοῦ τὴν φύσιν ἔχειν. καὶ δοκεῖ τοῦτο τοῖς πλείστοις καὶ σοφωτάτοις. νομίζουσι γὰρ οἱ μὲν θεοὺς εἶναι δύο καθάπερ ἀντιτέχνους, τὸν μὲν ἀγαθῶν, τὸν δὲ φαύλων δημιουργόν· οἱ δὲ τὸν μὲν [γὰρ] ἀμείνονα θεόν, τὸν δ' ἕτερον δαίμονα καλοῦσιν, ὥσπερ Ζωροάστρης ὁ μάγος, ὃν πεντακισχιλίοις ἔτεσιν τῶν Τρωικῶν γεγονέναι πρεσβύτερον ἱστοροῦσιν. οὗτος οὖν ἐκάλει τὸν μὲν Ὡρομάζην, τὸν δ' Ἀρειμάνιον, καὶ προσαπεφαίνετο τὸν μὲν ἐοικέναι φωτὶ μάλιστα τῶν αἰσθητῶν, τὸν δ' ἔμπαλιν σκότῳ καὶ ἀγνοίᾳ, μέσον δ' ἀμφοῖν τὸν Μίθρην εἶναι· διὸ καὶ Μίθρην Πέρσαι τὸν Μεσίτην ὀνομάζουσιν. ἐδίδαξε ‹δὲ› τῷ μὲν εὐκταῖα θύειν καὶ χαριστήρια, τῷ δ' ἀποτρόπαια καὶ σκυθρωπά. πόαν γάρ τινα κόπτοντες ὄμωμι καλουμένην ἐν ὅλμῳ τὸν Ἅιδην ἀνακαλοῦνται καὶ τὸν σκότον, εἶτα μίξαντες αἵματι λύκου σφαγέντος εἰς τόπον ἀνήλιον ἐκφέρουσι καὶ ῥίπτουσι. καὶ γὰρ τῶν φυτῶν νομίζουσι τὰ μὲν τοῦ ἀγαθοῦ θεοῦ, τὰ δὲ τοῦ κακοῦ δαίμονος εἶναι, καὶ τῶν ζῴων ὥσπερ κύνας καὶ ὄρνιθας καὶ χερσαίους ἐχίνους τοῦ ἀγαθοῦ, τοῦ [δὲ] φαύλου μῦς ἐνύδρους εἶναι· διὸ καὶ τὸν κτείνοντα πλείστους εὐδαιμονίζουσιν. οὐ μὴν ‹ἀλλὰ› κἀκεῖνοι πολλὰ μυθώδη περὶ τῶν θεῶν λέγουσιν, οἷα καὶ ταῦτ' ἐστίν, ὁ μὲν Ὡρομάζης ἐκ τοῦ καθαρωτάτου φάους, ὁ δ' Ἀρειμάνιος ἐκ τοῦ ζόφου γεγονὼς πολεμοῦσιν ἀλλήλοις· καὶ ὁ μὲν ἓξ θεοὺς ἐποίησε, τὸν μὲν πρῶτον εὐνοίας, τὸν δὲ δεύτερον ἀληθείας, τὸν δὲ τρίτον εὐνομίας, τῶν δὲ λοιπῶν τὸν μὲν σοφίας, τὸν δὲ πλούτου, τὸν δὲ τῶν ἐπὶ τοῖς καλοῖς ἡδέων δημιουργόν· ὁ δὲ τούτοις ὥσπερ ἀντιτέχνους ἴσους τὸν ἀριθμόν. εἶθ' ὁ μὲν Ὡρομάζης τρὶς ἑαυτὸν αὐξήσας ἀπέστησε τοῦ ἡλίου τοσοῦτον, ὅσον ὁ ἥλιος

τῆς γῆς ἀφέστηκε, καὶ τὸν οὐρανὸν ἄστροις ἐκόσμησεν· ἕνα δ' ἀστέρα πρὸ πάντων οἷον φύλακα καὶ προόπτην ἐγκατέστησε, τὸν Σείριον. ἄλλους δὲ ποιήσας τέσσαρας καὶ εἴκοσι θεοὺς εἰς ᾠὸν ἔθηκεν· οἱ δ' ἀπὸ τοῦ Ἀρειμανίου γενόμενοι καὶ αὐτοὶ τοσοῦτοι διατρήσαντες τὸ ᾠὸν †γανωθὲν ἀναμέμικται τὰ κακὰ τοῖς ἀγαθοῖς. ἔπεισι δὲ χρόνος εἱμαρμένος ἐν ᾧ τὸν Ἀρειμάνιον, λοιμὸν ἐπάγοντα καὶ λιμόν, ὑπὸ τούτων ἀνάγκη φθαρῆναι παντάπασι καὶ ἀφανισθῆναι, τῆς δὲ γῆς ἐπιπέδου καὶ ὁμαλῆς γενομένης ἕνα βίον καὶ μίαν πολιτείαν ἀνθρώπων μακαρίων καὶ ὁμογλώσσων ἁπάντων γενέσθαι. Θεόπομπος δέ φησι κατὰ τοὺς Μάγους ἀνὰ μέρος τρισχίλια ἔτη τὸν μὲν κρατεῖν, τὸν δὲ κρατεῖσθαι τῶν θεῶν, ἄλλα δὲ τρισχίλια μάχεσθαι καὶ πολεμεῖν καὶ ἀναλύειν τὰ τοῦ ἑτέρου τὸν ἕτερον· τέλος δ' ἀπολείπεσθαι τὸν Ἅιδην, καὶ τοὺς μὲν ἀνθρώπους εὐδαίμονας ἔσεσθαι, μήτε τροφῆς δεομένους, μήτε σκιὰν ποιοῦντας, τὸν δὲ ταῦτα μηχανησάμενον θεὸν ἠρεμεῖν καὶ ἀναπαύεσθαι χρόνον ἄλλως μὲν οὐ πολὺν ὡς θεῷ, ὥσπερ ‹δ'› ἀνθρώπῳ κοιμωμένῳ μέτριον. ἡ μὲν οὖν Μάγων μυθολογία τοιοῦτον ἔχει τρόπον.

G 5. St. Basil, *Epistula 258 ad Epiphanium*, 4 (Migne, P.G. xxxii, col. 952; Clemen, *Fontes*, p. 86).

τὸ δὲ τῶν Μαγουσαίων ἔθνος . . . πολύ ἐστι παρ' ἡμῖν κατὰ πᾶσαν σχεδὸν τὴν χώραν διεσπαρμένον, ἀποίκων τὸ παλαιὸν ἐκ τῆς Βαβυλωνίας ἡμῖν ἐπεισαχθέντων. οἳ ἔθεσιν ἰδιάζουσι κέχρηνται, ἄμικτοι ὄντες πρὸς τοὺς ἄλλους ἀνθρώπους· λόγῳ δὲ πρὸς αὐτοὺς κεχρῆσθαι, καθό εἰσιν ἐζωγρημένοι ὑπὸ τοῦ διαβόλου εἰς τὸ ἐκείνου θέλημα, παντελῶς ἐστιν ἀδύνατον. οὔτε γὰρ βιβλία ἔστι παρ' αὐτοῖς, οὔτε διδάσκαλοι δογμάτων, ἀλλὰ ἔθει ἀλόγῳ συντρέφονται, παῖς παρὰ πατρὸς διαδεχόμενοι τὴν ἀσέβειαν. ἐκτὸς δὲ τούτων, ἃ ὑπὸ πάντων ὁρᾶται, τὴν ζωοθυσίαν παραιτοῦνται ὡς μίασμα, δι' ἀλλοτρίων χειρῶν τὰ πρὸς τὴν χρείαν ζῶα κατασφάττοντες· γάμοις ἐπιμαίνονται παρανόμοις· καὶ τὸ πῦρ ἡγοῦνται θεόν· καὶ εἴ τι τοιοῦτο. τὰς δὲ ἐκ τοῦ Ἀβραὰμ γενεαλογίας οὐδεὶς ἡμῖν μέχρι τοῦ παρόντος τῶν μάγων ἐμυθολόγησεν· ἀλλὰ Ζαρ[ν]οῦάν τινα ἑαυτοῖς ἀρχηγὸν τοῦ γένους ἐπιφημίζουσι.

G 6. Inscription of Antiochus I of Commagene in Dittenberger, *Orientis Graeci inscriptiones selectae*, no. 383, ll. 36 ff. (=Jalabert-Mouterde, *Inscriptions grecques et latines de Syrie*, 1).

ἐπεὶ δὲ ἱεροθεσίου τοῦδε κρηπεῖδα ἀπόρθητον χρόνου λύμαις οὐρανίων ἄγχιστα θρόνων καταστήσασθαι προενοήθην, ἐν ὧι μακαριστὸν ἄχρι [γ]ήρως ὑπάρξαν σῶμα μορφῆς ἐμῆς πρὸς οὐρανίους Διὸς Ὠρομάσδου θρόνους θεοφιλῆ ψυχὴν προπέμψαν εἰς τὸν ἄπειρον αἰῶνα κοιμήσεται . . . (ll. 105 ff.) διαμονῆς δὲ

τούτων ἕνεκεν, ἣν ἐμ φρονίμοις ἀνδράσι εὐσεβὲς ἀεὶ τηρεῖν, οὐ μόνον εἰς τιμὴν ἡμετέραν ἀλλὰ καὶ μακαριστὰς ἐλπίδας ἰδίας ἑκάστου τύχης ἐγὼ καθοσιώσας ἐν στήλ[α]ις ἀσύλοις ἐχάραξα γνώμηι θεῶν ἱερὸν νόμον, ὃν θέμις ἀνθρώπων γενεαῖς ἁπάντων, οὗς ἂν χρόνος ἄπειρος εἰς διαδοχὴν χώρας ταύτης ἰδίαι βίου μοίραι καταστήσῃ, τηρεῖν ἄσυλον εἰδότας ὡς χαλεπὴ νέμεσις βασιλικῶν δαιμόνων τιμωρὸς ὁμοίως ἀμελίας τε καὶ ὕβρεως ἀσέβειαν διώκει, καθωσιωμένων τε ἡρώων ἀτιμασθεὶς νόμος ἀνειλάτους ἔχει ποινάς.

G 7. Psellus, *De operatione daemonum*, ed. Boissonade, 3. Reproduced by Darmesteter, *Ohrmazd et Ahriman*, p. 332, no. 2. Though the doctrine here expounded is attributed to a sect called the Euchites (v. ERE. *ad loc.*), the mention of Mānī and the most exact correspondence between it and other sources make it almost certain that the sect mentioned was directly dependent upon Zervanism.

τῷ μὲν ἐπαράτῳ Μάνεντι δύο ὑπετέθησαν τῶν ὄντων ἀρχαί, θεῷ θεόν, δημιουργῷ τῶν ἀγαθῶν αὐτουργὸν κακίας, τῷ ἀγαθῷ ἄρχοντι τῶν οὐρανίων τὸν τῆς κακίας ἄρχοντα τῶν ἐπιγείων, πλημμελῶς ἀντιτάττοντι· Εὐχίταις δὲ τούτοις τοῖς κακοδαίμοσι καὶ ἑτέρα τις ἀρχὴ προσελήφθη τρίτη. πατὴρ γὰρ αὐτοῖς υἱοί τε δύο, πρεσβύτερος καὶ νεώτερος, αἱ ἀρχαί· ὧν τῷ μὲν πατρὶ τὰ ὑπερκόσμια μόνα, τῷ δὲ νεωτέρῳ τῶν υἱῶν τὰ οὐράνια, θατέρῳ δὲ τῷ πρεσβυτέρῳ τῶν ἐγκοσμίων τὸ κράτος ἀποτετάχασιν.

ADDENDUM

WHEN this book went to press, I had not seen the text reproduced here. It is in some ways comparable to Šahristānī's account of the Magian religion. I shall, therefore, call it F 4 (b).

F 4 (b). From Murtaẓā Rāzī, *Kitābu tabṣirati'l-'awāmmi fī ma'rifati maqālāti'l-anām*, p. 13 in the Tehran edition of 1313 A.H. (solar). The editor of that edition dates Murtaẓā between 580 and 653 A.H.

Know that according to the Magian religion there are two creators of the world, Yazdān (God) and Ahriman. They call Yazdān God and Ahriman Satan. They say that when God Most High created the world, he had an evil thought (*andīšeh*) and said, 'Perhaps there is an opposite (power) to me who is hostile to me'. And Satan arose from his thought (*fikr*). Others say that since Yazdān was alone, he was frightened, and had an evil thought from which Ahriman arose. And Ahriman was outside the world: he looked through a hole and saw Yazdān, and observing his dignity and rank, he became envious; and evil and corruption arose in him. Yazdān created the Angels to be his army. He and his army did battle with Ahriman and the battle between them lasted for a long time. Since Yazdān could not stop Ahriman, they made peace together, and entrusted their swords to the Moon. Some say they entrusted them to the Angels on the condition that Ahriman should remain in the world for as long as they had stipulated. Whichever of them broke the treaty before the end of the appointed time, should be slain with his own sword. At the end of the (appointed) time Ahriman will go out of the world; and once he has left, the world will be absolutely good, and evil and corruption will no longer remain.

Some of them say that both Yazdān and Ahriman are bodies: others say that Ahriman is not a body, but that Yazdān is. They say that Yazdān is good by nature and cannot do evil, and that Ahriman is evil by nature and cannot do good. All that is good in the world is produced by Yazdān; all that is evil by Ahriman. They say that diseases and the creation of noxious creatures like snakes and scorpions, &c., are evil and produced by Ahriman. This is false since in their opinion all thought (*fikr*) and doubt is evil; yet this arose from Yazdān.

BIBLIOGRAPHY OF WORKS CITED

I. TEXTS

Aogəmadaēčā: ed. W. Geiger, Erlangen, 1878. More recent editions are those of J. Duchesne-Guillemin, JA., 1936, pp. 241 ff. and Wikander, *Vayu I*, 1941, pp. 96–209.

Artāy-Virāβ-nāmak: The Book of Arda Viraf, ed. Destur Hoshangji Jamaspji Asa, M. Haug, and E. W. West, Bombay, 1872.

Avesta: ed. K. F. Geldner, Stuttgart, 1895.

Aβyātkār i Žāmāspīk: Libro apocalittico persiano, by G. Messina, S.J., Rome, 1939.

—— *Jâmâspi*, Pahlavi, Pâzand, and Persian texts, ed. J. J. Modi, Bombay, 1903.

Bahman Yašt: ed. Kaikobâd Âdarbâd Nosherwân, Bombay, 1899.

—— *Zand-î Vohûman Yasn*, ed. B. T. Anklesana, Bombay, 1919.

Belʿamī: *Chronique de . . . Ṭabarī, traduite sur la version persane de . . . Belʿami . . . par* H. Zotenberg, i–iv, Paris, 1867–74.

Bērūnī: *Chronologie orientalischer Völker von Albērūnī*, ed. C. E. Sachau, Leipzig, 1878.

—— *The Chronology of Ancient Nations*, trans. by C. E. Sachau, London, 1879.

Bundahišn (greater or Iranian version): ed. Ervad Tahmuras Dinshaji Anklesaria, Bombay, 1908.

—— (Indian Version): *Der Bundehesh, zum ersten Male herausgegeben* . . . von F. Justi, Leipzig, 1868.

Dātastān i dēnīk: The Datistan-i dinik, Part I, Pursishn I–XL, ed. Ervad Tahmuras Dinshaji Anklesaria, Bombay, undated.

Dēnkart: The Complete Text of the Pahlavī Dinkard . . . under the supervision of Dhanjishah Meherjibhai Madan, Bombay, 1911.

—— another edition: *Dīnkard*, ed. and trans. Peshotan Behramgee and Darab Peshotan Sanjana, 19 vols., Bombay, 1874–1928.

Ełišē Vardapet: *Patmutʿiwn Vardananc*ʿ, ed. H. Yohannisean, Moscow, 1892.

—— translation in Langlois, *Collection des historiens anciens et modernes de l'Arménie*, ii, pp. 179–251.

Eznik of Kołb: *Against the Sects*, pocket edition, Venice, 1926.

—— translations: J. M. Schmid, Vienna, 1900: Langlois, *Collection, &c.*, pp. 371–82 (Book II only).

Farziât-nâmeh: The Persian Farziât-nâmeh and Kholâseh-i Dîn of Dastûr Dârâb Pâhlan, text and version with notes, by Jivanji Jamshedji Modi, Bombay, 1924.

Firdausī: *Šāhnāmeh*, ed. J. A. Vullers and S. Landauer, 3 vols., 1877–84.

—— ed. Turner Macan, 4 vols., Calcutta, 1829.

—— trans. J. Mohl, *Le Livre des Rois*, 7 vols., Paris, 1876–78.

Frahang i Ōīm: An Old Zand–Pahlavī Glossary, by Destur Hoshengji Jamaspji, revised by M. Haug, Bombay, 1867.

—— 'Der Frahang i Ōīm', by H. Reichelt, WZKM, 1900, xiv, pp. 177–213, and xv, pp. 117–86.

Ghazālī: *Naṣīḥatu'l-Mulūk*, ed. Jalāl Humā'ī, Tehran, A.H. (solar) 1315–17.

Ḥamza Isfahānī: ed. I. M. E. Gottwaldt, St. Petersburg, 1844.

Kârnâmak-i Artakhshîr Pâpakân: ed. Edalji Kersâspji Ântiâ, Bombay, 1900.

Łazar of Pʿarpi: trans. Langlois, *Collection, &c.*, ii, pp. 255–368.

Mānuščihr, *Epistles of: The Epistles of Mânûshchîhar*, ed. Ervad Bamanji Nasarvanji Dhabhar, Bombay, 1912.

Masʿūdī: *Murūju-dh-dhahab* (*Les Prairies d'Or*), ed. C. Barbier de Meynard and Pavet de Courteille, 9 vols., Paris, 1861–77.
—— *Kitābu't-tanbīh wa'l-ishrāf*, ed. M. J. de Goeje, Leyden, 1894.
—— translation: *Le Livre de l'avertissement et de la revision*, by B. Carra de Vaux, Paris, 1897.
Mātiyān i hazār dātastān: text, vol. i. *Mâdigân-i-hazâr dâdîstân* . . . with an introduction, by Jivanji Jamshedji Modi, Poona, 1901.
—— vol. ii: ed. Ervad Tehmuras Dinshaw Anklesaria, Bombay, 1913.
—— Complete transliteration and translation: S. I. Bulsara, *The Laws of the Ancient Persians*, Bombay, 1937.
Mēnōk i Xrat: Dânâk-u mainyô-i khard, Pahlavi, Pazand, and Sanskrit texts, ed. Ervad Tehmuras Dinshaw Anklesaria, Bombay, 1913. Quotations are from this edition. A.'s chapter 0 is quoted as chapter 1, chapter 1 as chapter 2, and so on.
—— *The Dînâ î Maînû î Khrat or The Religious Decisions of the Spirit of Wisdom*, ed. Darab Dastur Peshotan Sanjana, Bombay, 1895.
Moses of Chorene: *History of Armenia*, ed. and trans. by P. E. le Vaillant de Florival, 2 vols., Paris, 1846.
Nīrangistān: A photozincographed facsimile . . . ed. Darab Dastur Peshotan Sanjana, Bombay, 1894.
Pahlavī Rivāyats: The Pahlavi Rivâyat accompanying the Dâdistân-î Dînîk, ed. Ervad Bamanji Nasarvanji Dhabhar, Bombay, 1913.
Pahlavī Texts: ed. Jamaspji Dastur Minocheherji Jamasp-Asana, Bombay, 1897.
Pʿawstos of Byzantium: ed. Venice, 1914.
—— translation in Langlois, *Collection, &c.*, i, pp. 203–310.
Persian Rivāyats: Dârâb Hormazyâr's Rivâyat, 2 vols., by Ervad Manockji Rustamji Unvâlâ, Bombay, 1922.
—— translation by E. B. N. Dhabhar, Bombay, 1932.
Procopius: *De Bellis*, Loeb Classical Library, ed. H. B. Dewing, London, 1914.
Rig-Veda Saṁhitā: ed. F. Max Müller, 4 vols., London, 1890–6.
Šahristānī: *Kitābu'l-milal wa'n-nihal*, ed. W. Cureton, Leipzig, 1923.
—— translation: *Religionspartheien und Philosophen-Schulen*, 2 vols., Th. Haarbrücker, Halle, 1850–1.
Šāyast nē Šāyast: A Pahlavi Text on Religious Customs, ed. J. C. Tavadia, Hamburg, 1930.
Shikand-gûmânîk vijâr: The Pāzand–Sanskrit text together with a fragment of the Pahlavi . . ., ed. Hôshang Dastûr Jâmâspji Jâmâsp Âsânâ and E. W. West, Bombay, 1887.
—— *Texte pazand–pehlevi transcrit, traduit et commenté*, le P. P. J. de Menasce O.P., Fribourg, 1945.
Ṭabarī: *Geschichte der Perser und Araber zur Zeit der Sasaniden*, von Th. Nöldeke, Leyden, 1879.
Ps-Tansar, *Epistle of: Tansar's epistle to Goshnasp*, Persian text, ed. Mojtabâ Minovi, Tehran, 1932.
—— text, ed. J. Darmesteter, JA. 1894, pp. 185–250; translation ibid., pp. 502–55.
Theophylactus Simocatta: *Historiae*, ed. C. de Boor, Leipzig, 1857.
Vidēvdāt (Avestan and Pahlavī): *Vendidâd*, ed. Dastoor Hoshang Jamasp, Bombay, 1907, 2 vols.
Yaʿqūbī: ed. M. Th. Houtsma, Leyden, 1883.
Yāqūt: *Geographisches Wörterbuch*, ed. Ferd. Wüstenfeld, Leipzig, 1866–73, 6 vols.
Yavišt i Friyān: in *The Book of Arda Viraf*, ed. Destur Hoshangji Jamaspji Asa, M. Haug, and E. W. West, Bombay, 1872.

Zand i X^{v}artak Apastāk: Zand i Khūrtak Avistāk, ed. Ervad Bamanji Nasarvanji Dhabhar, Bombay, 1927.

Zātspram: *Vichîtakîhâ-î Zâtspram*, ed. Anklesaria, Bombay (printed but unpublished). Critical edition of Chapters I and XXIV by Zaehner, BSOS. ix, pp. 573–85 and X, pp. 377–98 and 606–31.

For the facsimiles of the Copenhagen MSS.:

Codices Avestici et Pahlavici bibliothecae universitatis Hafniensis, ed. A. Christensen, 1931–44.

II. GENERAL

M. Abeghian: *Der armenische Volksglaube*, Leipzig, 1899.

Alexander of Lycopolis: *Contra Manichaei Opiniones*, ed. A. Brinkmann, Leipzig, 1895.

C. R. C. Allberry: *A Manichaean Psalm-book, Part II*, Stuttgart, 1938.

F. C. Andreas and K. Barr: *Bruchstücke einer Pehlevi-Übersetzung der Psalmen*, SbPAW. 1933.

F. C. Andreas and W. Henning: *Mitteliranische Manichaica aus Chinesisch-Turkestan*, i–iii, SbPAW. 1932–4.

Aristotle: *De generatione et corruptione*, ed. H. H. Joachim, Oxford, 1922.

—— *Physics*, ed. W. D. Ross, Oxford, 1936.

—— *Metaphysics*, ed. W. D. Ross, Oxford, 1924.

—— *De Caelo*, ed. D. J. Allan, Oxford, 1936.

H. W. Bailey: *Zoroastrian Problems in the Ninth Century Books*, Oxford, 1943.

W. Bang: 'Manichaeische Laien-beichtspiegel', *Muséon*, xxxvi, pp. 137–242, Louvain, 1923.

F. C. Baur: *Das Manichäische Religionssystem*, Göttingen, 1831; photomechanischer Neudruck, Göttingen, 1928.

C. Bartholomae: *Altiranisches Wörterbuch*, Strassburg, 1904.

—— *Zum altiranischen Wörterbuch*, Strassburg, 1906.

—— *Zur Kenntnis der mitteliranischen Mundarten*, i–vi, Heidelberg, 1916–25.

—— *Zum Sassanischen Recht*, i–v, Heidelberg, 1918–23.

P. Bedjan: *Acta martyrum et sanctorum*, 7 vols., Paris, 1890–7.

E. Benveniste: *The Persian Religion according to the Chief Greek Texts*, Paris, 1929.

—— 'Le Témoignage de Théodore bar Kônay sur le zoroastrisme', MO. xxvi, pp. 170–215.

—— and L. Renou: *Vṛtra et Vṛθragna*, Paris, 1934.

J. Bidez and F. Cumont: *Les Mages hellénisés*, 2 vols., Paris, 1938.

I. F. Blue: 'The Zarvanite System', in *Indo-Iranian Studies . . . in honour of Shams-ul-Ullema Dastur Darab Peshotan Sanjana*, London, 1925.

Book of John (Mandaean): v. Lidzbarski.

W. Bousset: *Hauptprobleme der Gnosis*, Göttingen, 1907.

A. J. H. W. Brandt: *Die mandäische Religion*, Leipzig, 1889.

—— *Mandäische Schriften*, Göttingen, 1893.

O. Braun: 'Ausgewählte Akten persischer Märtyrer', in *Bibliothek der Kirchenväter*, xxii, Munich, undated.

F. C. Burkitt: *The Religion of the Manichees*, Cambridge, 1925.

L. C. Casartelli: *The Philosophy of the Mazdayasnian Religion under the Sassanids*, tr. Jamasp Asa, Bombay, 1889.

L. Cheiko: *La Version arabe de Kalîlah et Dimnah*, Beyrouth, 1905.

A. Christensen: *L'Empire des Sassanides*, Copenhagen, 1907.

—— *Le Règne du roi Kavādh I et le communisme mazdakite*, Copenhagen, 1925.

—— *Les Types du premier homme et du premier roi dans l'histoire légendaire des Iraniens*, 2 vols., Leyden and Uppsala, 1917–34.
—— *Études sur le zoroastrisme de la Perse antique*, Copenhagen, 1928.
—— *L'Iran sous les Sassanides*, Copenhagen, 1936. This edition referred to unless otherwise stated. 2nd edition, 1944.
C. Clemen: *Fontes historiae religionis persicae*, Bonn, 1920.
—— *Die griechischen und lateinischen Nachrichten über die persische Religion*, Giessen, 1920.
A. von le Coq: *Türkische Manichäica aus Chotscho*, i–iii, AbPAW, 1911, 1919, 1922.
F. Cumont: *Textes et monuments figurés relatifs aux mystères de Mithra*, 2 vols., Brussels, 1896–9.
—— *Les Mystères de Mithra*, 3rd edition, Brussels, 1913.
—— *Les Religions orientales dans le paganisme romain*, 3rd edition, Paris, 1929.
—— 'La Fin du monde suivant les Mages occidentaux', RHR. ciii, pp. 29–96.
—— *Recherches sur le manichéisme*, i–ii, Brussels, 1908, 1912.
—— *Les Mages hellénisés*: v. Bidez.
J. Darmesteter: *Le Zend Avesta*, 3 vols., Paris, 1892–3.
—— *The Zend Avesta*, SBE. vols. iv and xxiii.
—— *Ohrmazd et Ahriman*, Paris, 1877.
E. de Faye: *Gnostiques et Gnosticisme*, 2e édition augmentée, Paris, 1925.
W. Dittenberger: *Orientis Graecae inscriptiones selectae*, Leipzig, 1903–5.
J. Duchesne-Guillemin: *Zoroastre*, Paris, 1948.
G. Flügel: *Mani, seine Lehre und seine Schriften*, Leipzig, 1862.
W. Geiger and E. Kuhn: *Grundriss der iranischen Philologie*, Strassburg, 1895–1904.
A. Ghilain: *Essai sur la langue parthe*, Louvain, 1939.
Ginzā: v. Lidzbarski.
I. Goldziher: *Muhammedanische Studien*, Halle, 1889–90.
L. H. Gray: *The Foundations of the Iranian Religions*, Bombay, 1925.
A. von Harnack: *Marcion, Das Evangelium vom fremden Gott*, Leipzig, 1924.
Hegemonius: *Acta Archelai*, ed. C. H. Beeson, Leipzig, 1906.
W. B. Henning: *Ein manichäisches Bet- und Beichtbuch*, AbPAW, 1937.
—— *Mitteliranische Manichaica, &c.*, v. Andreas.
—— *Zoroaster, Politician or Witch-doctor?*, Oxford, 1951.
E. Herzfeld: *Archäologische Mitteilungen aus Iran*, 9 vols., Berlin, 1929–38.
—— *Altpersische Inschriften*, Berlin, 1938.
—— *Paikuli, Monument and Inscription of the Early History of the Sasanian Empire*, 2 vols., Berlin, 1924.
—— *Am Tor von Asien, Felsdenkmale aus Irans Heldenzeit*, Berlin, 1920.
P. Horn: *Grundriss der neupersischen Etymologie*, Strassburg, 1893.
H. Hübschmann: *Armenische Grammatik*, i, Leipzig, 1897.
A. V. W. Jackson: *Zoroastrian Studies*, New York, 1928.
—— *Researches in Manichaeism*, New York, 1932.
H. Junker: *Über iranische Quellen der hellenistischen Aion-Vorstellung, Vorträge der Bibliothek Warburg*, Leipzig, 1923.
F. Justi: *Geschichte des alten Persiens*, Berlin, 1879.
—— *Iranisches Namenbuch*, Marburg, 1895.
A. B. Keith: *The Religion and Philosophy of the Vedas and Upanishads*, 2 vols., Cambridge, Mass., 1925.
R. G. Kent: *Old Persian, Grammar, Texts, Lexicon*, New Haven, Connecticut, 1950.
K. Kessler: *Mani, Forschungen über die manichäische Religion*, i, Berlin, 1889.

J. Labourt: *Le Christianisme dans l'empire perse sous la dynastie sassanide*, Paris, 1904.
P. de Lagarde: *Persische Studien*, Göttingen, 1884.
V. Langlois: *Collection des historiens anciens et modernes de l'Arménie*, 2 vols., Paris, 1867–9.
M. Lidzbarski: *Ginzā, Der Schatz oder Das grosse Buch der Mandäer, übersetzt und erklärt*, Göttingen, 1925.
—— *Das Johannesbuch der Mandäer*, Giessen, 1915.
H. Lommel: *Die Yašts des Avesta, übersetzt und eingeleitet*, Göttingen, 1927.
L. Mariès: *Le* De Deo *d'Eznik de Kołb . . . études de critique littéraire et textuelle*, Paris, 1924–5.
J. Markwart: *Ērānšahr nach der Geographie des Ps. Moses Xorenacʿi*, Berlin, 1901.
—— and G. Messina: *Das erste Kapitel der Gāθā Uštavatī*, Rome, 1930.
—— and G. Messina: *Šaθrīhā i Ērān, A catalogue of the provincial capitals of Ērānšahr*, Rome, 1931.
P. J. de Menasce: *Škand-Gumānīk Vičār*, Fribourg, 1945.
G. Messina: *Der Ursprung der Magier und die zarathuštrische Religion*, Rome, 1930.
Ed. Meyer: *Ursprung und Anfänge des Christentums*, 3 vols., Stuttgart, 1921–3.
J. J. Modi: *The Persian Farziât-nâmeh and Kholâseh-i Dîn*, Bombay, 1924.
J. H. Moulton: *Early Zoroastrianism*, London, 1913.
G. Morgenstierne: *An Etymological Vocabulary of Pashto*, Oslo, 1927.
—— *Indo-Iranian Frontier Languages*, i–ii, Oslo, 1929, 1938.
F. W. K. Müller: *Handschriften-Reste in Estrangelo-Schrift aus Turfān*, i–ii, SbPAW. and AbPAW. 1904.
Th. Nöldeke: *Geschichte der Persen, &c.*: v. Ṭabarī.
—— 'Syrische Polemik gegen die persische Religion', in *Festgruß an Rudolph von Roth*, pp. 34–38, Stuttgart, 1893.
H. S. Nyberg: 'Ein Hymnus auf Zervān im Bundahišn', ZDMG. 1928, pp. 217–35.
—— *Hilfsbuch des Pehlevi*, i, Uppsala, 1928.
—— *Hilfsbuch des Pehlevi*, ii, *Glossar*, Uppsala, 1931.
—— 'Questions de cosmogonie et de cosmologie mazdéennes', JA. vol. ccxiv (1929), pp. 193–310, and vol. ccxix (1931), pp. 1–134, 193–244.
—— *Die Religionen des alten Iran*. German translation by H. H. Schaeder, Leipzig, 1938.
J. Olshausen and J. Mohl: *Fragments relatifs à la religion de Zoroastre*, Paris, 1829.
S. A. Pallis: *Mandaean Studies*, London–Copenhagen, 1919.
H. Pognon: *Inscriptions mandaïtes des coupes de Khouabir*, Paris, 1898.
H. J. Polotsky: *Manichäische Homilien*, Stuttgart, 1934.
—— *Kephalaia*, i, Stuttgart, 1940.
H. C. Puech: *Le Manichéisme, Son Fondateur, Sa Doctrine*, Paris, 1949.
R. Reitzenstein: *Die hellenistischen Mysterienreligionen, ihre Grundgedanken und Wirkungen*, Leipzig, 1910.
—— *Die Göttin Psyche in der hellenistischen und frühchristlichen Literatur*, Heidelberg, 1917.
—— *Das iranische Erlösungsmysterium*, Bonn, 1921.
—— and H. H. Schaeder: 'Studien zum antiken Synkretismus aus Iran und Griechenland', in *Studien der Bibliothek Warburg*, Leipzig, 1926.
C. E. Sachau: *Syrische Rechtsbücher*, Berlin, 1907–14.
C. Salemann: *Manichaeische Studien, Zapiski impyeratorskoy akadyemiy nauk*, 8th series, St. Petersburg, 1908.
—— *Manichaica*, i–v, St. Petersbourg, 1907–13.

F. Sarre: *Die Kunst des alten Persiens*, Berlin, 1923.
H. H. Schaeder: 'Urform und Fortbildungen des manichäischen Systems', in *Vorträge der Bibliothek Warburg* 1924–5, Leipzig, 1927.
—— and R. Reitzenstein: *Studien, &c.*, v. Reitzenstein.
—— 'Iranische Beiträge I', in *Schriften der Königsberger gelehrten Gesellschaft*, Halle, 1930.
—— 'Der iranische Zeitgott und sein Mythos', in ZDMG. 1941, pp. 268–99.
I. Scheftelowitz: *Die Zeit als Schicksalsgottheit in der indischen und iranischen Religion*, Stuttgart, 1929.
—— 'Neues Material über die manichäische Urseele und die Entstehung des Zarvanismus', ZII. iv, p. 317–44.
C. Schmidt and H. J. Polotsky: *Ein Mani-Fund in Ägypten*, SbPAW. 1933.
F. Spiegel: *Erânische Alterthumskunde*, 3 vols., Leipzig, 1871–8.
—— *Die traditionelle Literatur der Parsen*, Vienna, 1860.
S. H. Taqizadeh: *Gāh-šumārī dar Irān i qadīm* (*L'ancien calendrier iranien*), Teheran, 1938.
J. A. Vullers: *Fragmente über die Religion des Zoroaster*, Bonn, 1831.
E. Waldschmidt and W. Lentz: *Die Stellung Jesu im Manichäismus*, AbPAW., Berlin, 1926.
—— *Manichäische Dogmatik aus chinesischen und iranischen Texten*, SbPAW., Berlin, 1933.
O. G. von Wesendonk: *Das Wesen der Lehre Zarathuštrōs*, Leipzig, 1927.
E. W. West: *Pahlavī Texts*, SBE. v, xviii, xxiv, xxxvii, xlvii.
G. Widengren: *Hochgottglaube im alten Irān*, Uppsala, 1938.
—— *Mesopotamian Elements in Manichaeism*, Uppsala, 1946.
S. Wikander: *Der arische Männerbund*, Lund, 1938.
—— *Vayu, Teil I*, Uppsala, 1941.
—— *Feuerpriester in Kleinasien und Iran*, Lund, 1946.

INDEX OF PASSAGES QUOTED

This index includes quotations from Zoroastrian sources only.

OP. Inscr.
Dar. Sus. Chart. 4 309

Av.
Aog. 77–81. 84 (translation), 103–4 (text)
Ny. 1. 8 275
Purs. 23 358
Vd. 4. 55 310
19. 13 275
19. 16 275
19. 29 275
Y. 30. 3–4 4
30. 5 120
Yt. 10. 9 53
10. 14 214
11. 14 103
14. 28 220
72. 10 275

Phl.
Bahman Yt. 4. 62 301
7. 31–33 102
Dd. 18. 2 . . . . . 135, 180
23. 3 193
29. 4 86
30. 17 292
35. 3 87
36. 35 156
36. 42 298
36. 47 298
36. 90 166
38. 14 208
38. 22 207
40. 4 261–2
DkM. 20. 2 27
21. 15–24. 5 378–81
31. 7 204
31. 10 144
39. 17 174
44. 6 85
47. 10 289
50. 18 171
51. 10 53
67. 14 124
75. 4 372
79. 21 79
81. 3 300
82. 7 53
90. 14 330
104. 14 194
117. 10 207
117. 11 175
117. 15 207
118. 6 194
120. 22 ff. . 142 (translation), 145 (text)
123. 13 174
124. 18 ff. 145–6
128. 16–129. 3 382
132. 21–133. 9 383
141. 12 289
142. 12 194
150. 20 ff. 291
166. 5 373
178. 5 208
182. 6 ff. . 14 (translation), 30–1 (text)
198. 18–199. 6 384
199. 18 85
201. 8 45
203. 16–206. 23 374–8
207. 1–7 383–4
207. 17 112
207. 18 112
211. 21 14
212. 5 30
219. 7–22 52–53
220. 21 325
221. 11–224. 8 384–7
228. 1–22 388
232. 22 173
244. 12 194
245. 1 372
248. 9 290
252. 3 194
257. 22 358
259. 16 208
260. 12 171
262. 8 203
272. 12 293
272. 18 206
278. 7 145
278. 13 85
282. 7–283. 17 389–91
284. 13–20 406–7
286. 18 262
290. 8–12 391
292. 20 174
293. 3 376
293. 13 330
293. 15–294. 3 391–2
295. 7–297. 6 . 250–1 (translation), 262–3 (text)

295. 17, 22 330
302. 4 194
302. 21 124
312. 11 290
314. 9 207
314. 12 144
316. 9 . 171–2 (translation), 193 (text)
321. 8 194
329. 14 207
336. 2 289
342. 3 ff. . 174 (translation), 193 (text)
347. 1–22 369–71
349. 1–350. 10 371–4
349. 5 300
350. 13 174
352. 5 33
355. 6 15
358. 22 144
359. 19 . . . . . 171, 376
378. 22 172
379. 1 144
379. 5 172
379. 6 358
380. 9 358
390. 22 321
407. 1 329
412. 3–415. 3 . 7–9 (translation) 31–34 (text)
416. 14 ff. 215
417. 3 406
417. 15 79
419. 14 291
428. 15–429. 8 139 (translation), 145 (text)
429. 11 252
435. 12 330
437. 20 27
454. 3 12
454. 11 27
454. 14 330
455. 10 430
458. 12 295
459. 8 430
466. 12 52
468. 10 79
470. 12 247
512. 1 330
513. 8 173
515. 3 180
557. 13 330
567. 10–14 388
567. 15 330
568. 3–12 407
569. 14 171
595. 1 291
628. 22 293
634. 14 16
634. 22 291
647. 13 . . . . . 221, 298
652. 10 10
653. 21 294
737. 1 289
746. 13, 14 358
750. 7 293
778. 14 293
802. 18 193
803. 17 172
804. 20 193
817. 17 104
822. 22 247
829. 1–5 429–31
831. 16 15
832. 7 207
832. 12 31
836. 11 171
861. 6 291
873. 9 215
893. 10 16
904. 13 207
908. 3 289
915. 19 . . . . . 144, 207
946. 12 12
GrBd. 2. 8–25. 5 276–321
19. 5 416
25. 6 147
26. 8 147
26. 11 163
27. 8 . . . . . 97, 144
27. 15 148
28. 1 148
28–29 144
28. 10 148
29. 8 309
29. 12 148
30. 10–39. 11 321–36
32. 1 301
34. 6 376
39. 11–41. 10 355–9
41. 14 363
43. 10 191
47. 12 15
47. 15 86
52. 12 . . . . . 164, 417
53. 1 164
53. 8 164
54. 8 164
57. 7 ff. 160 (translation), 165 (text)
58. 9 291
68. 13 ff. 247
72. 9 138
95 198
100. 15 185
102. 1 ff. 177–8 (translation), 194 (text

102. 6–11 75
103. 6 302
105. 9 179
107 198
107. 14 ff. 188 (translation), 195 (text)
112. 14 75
112. 15 307
114. 5 301
116. 2 215
132. 8 86
145. 8 302
149. 12 210
152. 2 301
155. 9 364
163. 1 202
166. 4–167. 9 336–8
167. 5 302
170. 2 305
177. 7 15
177. 8 186
181. 6 . . . . . 73, 141
181. 13 195
182. 2 15
185. 13 193
186. 12 85
188. 11 73
189. 8 145
189. 13 162
193. 11 156
194. 12 145
209. 2 299
218. 2 372
226. 4 211
227. 7 69
227. 8 120
IndBd. 1. 2–6. 2 276–305
7. 9–8. 5 321–36
8. 6–9. 13 355–60
Kn. 7. 3 301
11. 7 290
MhD. ii. 39. 11–17 45–46 (translation), 52 (text)
Mχ. 2. 65 181
2. 66 181
2. 115 193
8 367–9
10. 4 164
12 399–400
16. 12 330
18 195
22 402
24 404
27. 4–7 399
27. 15 250
28 396
33 402–3
36. 2 158
38 401
46. 2 86
47 401–2
51 403
57. 2–4 199–200
PhlRiv. 8. 2–4 152 (translation), 163 (text)
8 *d* 2 158
15. 7 241
46 360–7
46. 24 301
48. 90–96 354–5
PhlTexts p. 40 397–8
p. 42 4
p. 46 171
p. 49 236
p. 63 302
p. 74 257
p. 76 398–9
p. 78 289
p. 82 407–8
p. 89 171
p. 94 404–5
p. 95 397
p. 103 261
p. 125 215
p. 139 214
Vd.(Phl.) 2. 21 293
4. 55 310
5. 8 406
5. 9 405–6
7. 11 309
Yavišt i Friyān 2. 37–40 397
3. 34 . . . . . 58, 90
Zn. 2. 2 381–2
4. 21 261
14. 16–17 398
17. 16 183
Zs. 1 339–43
1. 21 286
1. 29 302
1. 30 293
1. 32 363
2. 19 247
3. 16 218
3. 40 215
3. 53 . . . . . 198, 301
3. 54 301
4. 4–6 163
4. 8 155–6
23. 2 263
30. 1 112
30. 5–11 162
32 . . 259 (translation), 263 (text)
32. 1 325
33 . . 259 (translation), 264 (text)
34 343–54
34. 50 299

35. 31 202
35. 44 262
35. 49 262
ZXA. 85. 5 208
231. 11–232. 15 197 (translation), 216 (text)
240. 3–241. 16 197–8 (translation), 216–17 (text)
241 101
249. 16 . . . . . 236, 247
252. 5–253. 4 . 198 (translation), 217 (text)
258. 18–259. 14 199 (translation), 217 (text)

Pāz.
ŠGV. 1. 20 140
2. 17 79
3. 9 156–7
3. 16 ff. 164
4. 8 . . . . . 255, 417
4. 9 159
4. 21 164
4. 37 159
4. 39 ff. 164
4. 43 159
4. 88 225
6 23
10. 12–13 211–12
10. 20 144
11. 138 373
13. 104 373
16. 53–111 392–6

NP.
Epistle of Tansar (Minovi), p. 45 . 405
Farẓiât-nâmeh, p. 62 221
PersRiv. (Dhabhar), p. 438 . . . 418
PersRiv. (Unvala) ii. 53. 10 . . . 408
ii. 75 237
ii. 80–86 . . 409–18

SELECT GLOSSARY

OLD IRANIAN

**maδmiya-* 149.
**spiθra-* 88 n. 6.
**θwarta-* 'hurrying' 89.

AVESTAN

aγrya- 'first-class' 263 n. a.
aŋhvā- 'effort, will' 53 n. 1.
aršnōtačin 'semen-flowing' 222 ff., 389.
aršōkarəm 'male making' 220, 223, **246 n. A.**
āzi- 'greed' 168.
dānuš 'river' 104 n. B.
ərəš 'rightly' 149.
fraša- 'excellent' **222.**
frašōkarəm 'making excellent' 220, 223.
garō dəmāna- 'heaven' **214 n. B.**
gātu- 'throne, place' 202.
mahmī 'to my', name of a demon 149.
maršōkarəm 'making decrepit' 220, 223, **246 n. A.**
paurvanīm 'ancient(?), Pleiades(?)' 210.
θrav- 'touch' 358.
θwāša- 'firmament' **89.**
vaēkərəta- name of a country **82 n. 4.**
vīθušavaiti- ? **310.**
χᵛaētuš 'kinsman' 150.
χᵛaēt(u)-vadaθa- 'consanguineous marriage' 150.

OLD PERSIAN

aržana- 'building material, sandstone' **309.**
fraša- 'excellent, fine' **222.**
kāsakaina- 'made of glass' 363.

MIDDLE PERSIAN (INSCRIPTIONS)

'GL'DYḤY 'nobility' 263 n. a.
'LSWMWK 'heretic' **25 n. 1.**
GWMLČ'K 'in error(?)' **25 n. 1.**
KLSTYD'N 'Christian' 24 n. 1.
MKTKy ? **24 n. 2.**
N'ČL'Y 'Christian' **24 n. 1.**
PHLSTY 'spared' 25 n. 2.

MIDDLE PERSIAN (PSALTER)

nyndly 'inside' 364.
wtym'skyh 'marvel' 30 n. 1.

MANICHAEAN MIDDLE PERSIAN AND PARTHIAN

''čyhr ? **310.**
'gr'w (Parth.) 'noble' 263 n. a.
'gr'y 'noble' 263 n. a.
'dyn- 'lead' 247 n. C, 302.
'pydg 'needing' 304.
'whyr- 'move down' 33.
'wχ 'sense' 218 n. m.
čašm-gāh 'aware' **193.**
dys 'form' 358.
hmngnd 'fill' 363.
hrg 'refuse' 373.
jdg 'fame' 33.
khs 'channel' 214 n. A.
krwk 'skill' 263 n. f.
kwd 'heap' 373.
nχšg (Parth.) 'good' 218.
ny'bg 'suitable' 290.
nyndr 'within' 364.
p'dys'gyḫ 'slander' 439.
pdys'y 'in consequence of' 307, 431, 439.
przyd 'bound' 161 n. 3.
swh- 'touch' 358.
w'nyšn '*ἀπώλεια*' 291.
wnybwt 'annihilated' 291, 330.
wnywdyḫ 'destruction' 330, 431.
χwšn 'light' 218 n. h.

ARMENIAN

ampartk'aš ? **29.**
ark'ay 'King' 69.
bozpayit ? **29.**
gerezman 'tomb' **214 n. B.**
hamakden 'possessing all the religion' 29, 43.
hašt 'peace' 292, 293.
mazdezn 'worshipper of Ohrmazd, Zoroastrian' **31.**
mog 'Magian, Zoroastrian' **31.**
parskaden 'adhering to the religion of the Persians' 29.
petk' 'necessity' 304.
petmog ? **29,** 43.
pitak 'necessary' 304.
p'aṛaworut'iwn 'good fortune' 59.
p'aṛk' 'fortune' 57, **62 n. 1,** 65.
t'agawor 'King' 69.
t'šuaṛ 'unfortunate' 65.
t'šuaṛut'iwn 'misfortune' 65.
vṛamakan krak 'Bahrām fire' 43.
yašt 'sacrifice, hymn of praise' 62.

ZOROASTRIAN MIDDLE PERSIAN (PAHLAVĪ)

abōδ (i) 'unconscious' 280 § 16, 295, 354. (ii) 'imperceptible(?)' 297. Cf. *bōδ* (i).
abrīn 'undivided, unimpaired' 384, 392.
abun 'having no origin' 232, 382, 383, 384.
aβδ 'wonderful' 145 n. I (*-karīh*), 216 (*-kart*), 397 (*-tar*).
aβδīh 'wonder, mystery' 30, 32, 390 § 3.
aβdistan 'appoint' 345 § 30.
aβigat 'the Aggressor, Ahriman' 27, 148 n. 5, 165 n. H, 172 n. 4, etc., etc.
aβigatīh 'the period during which Ahriman's attack lasts' 27, 247 n. D, etc., etc.
aβkārīhā 'abounding' 279 § 9, **292.** Cf. *sūt-aβkār.*
aβrāstakīh 'pride' 376.
aβsārān 'freezing' 181 n. 3.
aβsiδ- 'destroy, annihilate' 10 (*-īhēt*).
aβsiēn- (= *aβsihēn-*) 'destroy' 375 § 3.
aβsiīhišn 'destruction' 375 § 4.
aβsihēn- 'destroy' 52 (*-ītan*), 279 § 5 (*-īt*), 288 (do.), 322 § 5 (*-ēt*), 324 § 21 (do.), 332 (do.), 346 § 43 (do.), 379 § 3 (*-ītan*). Cf. *aβsiδ-*, *ōsēnītan.*
aβsihīk 'destroying' 388.
aβsihišn 'destruction, annihilation' 280 §§ 15, 16; 294, 295, 379 § 5.
aβstām 'confidence' 216, 217.
ačandišnīk 'motionless' 340 § 27.
ačār 'inevitable' **296,** 339 § 15, etc.
āčihrōmand ? **310.**
āδāβānēnāk(?) 'deceiving' 298.
āδāβišn(?) 'deceiving(?)' 298.
āδāftēnītan(?) 'deceive(?)' 298.
aδar-mēnišnīh 'humility' 408.
adāšt-srōšīh 'disobedience' 14.
aδāwak 'undeceivable' **298.**
aδβārak 'evening' 324 § 18, 331.
aδēn- 'lead' **247 n. C,** 302.
aδvan 'stem' 284 § 48, 310.
aδvēnak (i) 'kind, sort, manner' 27 n. 3, 30 n. A and *passim.* (ii) 'form, *εἶδος*' **33,** 146. (iii) 'species' 79 n. D, 217 (*vas-* —), 362 §§ 23–26. (iv) 'prototype (of human soul)' 136 n. 2, 323 §§ 11, 12. (v) adv. 'like' 148 n. 4, 347 § 49.
aδyār (i) 'helper' *passim.* (ii) 'power' **213,** 388.
afrāč-sačišnīh 'immutability' 390 § 3.
afrahaχtīh 'failure to teach' 14 n. 5.
afra'nāmišnīh 'lack of development' 385.
aγ-āšt 'whose peace is evil' 376.
aγrayēn- 'make superior, cause to triumph' 262 (*-īt*), **263 n. a.**
āhītīh 'sulkiness' 376.
āhōkēn- 'defile, trouble' 75 n. 2 (*-īt*), 194 n. H (do.), 345 § 30 (*-ītan*, *-āk*, *-ītakīh*, *-ānd*), 346 § 35 (*-ēt*), § 36 (*-ītan*), 385 (do.), 386 (*-išn*).
ahōš 'immortal' 31 n. E, 215 n. D, 368 § 17.
ahrov-dāt 'almsgiving' 361 § 5.
aiβyāhan 'girdle' 69 n. 1, 120 n. 2, 156 n. 2.
ākandan 'fill, constitute' 283 § 46, **309.**
ākustak 'hanging, suspended' 218 n. g.
ālak 'side, direction, quarter' 138 n. 4, 202 n. 4, 284 § 50.
almāst 'steel' 283 § 43.
amar 'numberless' 324 § 18, 331.
āmār 'reckoning, judgement' 195 n. J, 400.
āmār- 'bring to account' 324 § 17 (*-ēnd*).
āmarakānīhā 'generally' 193 n. C, 194 n. F, 379 § 4.
āmārēn- 'reckon, attribute' 257 n. 1.
amāvand 'powerful, energetic' 262 (*-īhā*), 322 § 3 (and *-īh*), 375 § 5 (*-īh*).
an 'other' 148 n. 2, 346 § 42.
ānāβ- 'destroy' 193 n. C (*-išn*, *-īhēt*, *-ēt*), 346 § 39 (*-īhast*), 347 § 48 (*-īhēt*), 379 § 5 (*-išnīkīh*). Infin. *ānāftan.*
ānāβišnīk 'destructive' 388.
anaδvēnīh 'lawlessness' 376.
ānāftakīh 'destruction, disappearance' 262.
anāpēšar(?) 'without declivity' 308.
anaχᵛ 'who has no lord' 376.

anayāpīh 'incomprehension' 376. Cf. *ayāpakīh*.
andar pursītan 'make a thorough study' 299.
andarag (i) 'between' 147 n. 3, 217, 293. (ii) 'within, inside' 323 § 14.
andarvāy 'atmosphere' 344 § 20, 345 § 28, 347 § 49, 348, 361 § 11.
anēr 'ungentlemanly, ignoble' 375 § 4 (*-īh*), 376, 379 § 3 (*-īh*).
anētōnīh 'not suchness' 208 n. 2 (*pat anētōnīh* 'as it is not').
anhambatīk 'not inconsistent, not contradictory' 27 n. 3.
anhanbār 'insatiate' 171 n. 3.
anhastkarīh 'annihilation' 390 § 3.
anōst 'unstable' 33 n. c, 388 (*-īh*).
anōtak 'stranger, foreigner, estranged' 53, 262, 263 n. d.
apāč stāyastan 'apostasize' 45 n. 2.
apāč vaštak 'perverted' 30 n. B.
apāč-vīrāδišnīh 'directing backwards' 236 n. 8.
apahrēčišnīh 'intemperance' 53 n. 1.
āpakēnak 'crystal' 330. Cf. *kēn*, *gēn*.
apar dāštan 'offer' 279 § 9.
apar kartan 'finish off' 340 § 30.
apar pātan 'rest' 284 §§ 53–56; 285 §§ 57–58.
apargar 'working on high' 337 § 3.
aparkār 'whose deeds are lofty' 375 § 5.
aparmānd 'heredity' 256 n. 5, 407, 408. = Ar./NP. *mīrāṯ*.
aparōžīh 'ascendancy, supremacy' 262. Cf. *ōž*.
apar-vīnārišn 'regularity' 215 n. C.
apassačakīh 'unseemliness' 376.
apātaχšāy- 'deprive of sovereignty' 262 (*-ēnīt*), 263 (*-īhēnd*, *-ēnīt*).
apattōkīh 'lack of continuity, inconsistency' 249, 379 § 5.
apatvēšak 'without rottenness' 373.
apātyāβān 'late evening' 324 § 18, 331.
apātyāvand 'powerless' 346 § 40 (*-tar*), 347 § 51.
apātyāvandakīh 'being powerless, unable to resist' 165.
apaχšišn 'pity' 52 n. A. Cf. *apuχšāδ-*
apāχtar (i) 'North' 163 n. A, 345 § 32. (ii) 'planet' 247 n. D, 368 §§ 13–14, 375 § 4, 376, 400, 401, 404, 430 (*-īk*).
[2]*apāyast* 'desire, will' 193 n. D, 194 n. H, 217.
apāyišn 'wish, will' 385.
apāyišnīk 'desirable' 385.
apēbūt 'deficiency' 252 n. 2, 262–3, 345 § 33, 347 § 44, 385.
apēčārēnītār 'setting free' 216.
apētak 'necessary' 282 § 32, **304.**
apē-vihānak 'without pretext, without prejudice' 32, 34 **n. f.**
apōhišn 'undecaying' 279 § 9, 292, 367 § 7.
appār 'taken away' 406.
appārak 'rapacious' 171 n. 2.
appur 'robbing' 346 § 37 (*-īhā*).
appur- 'carry off, rob' 86 n. 2 (*ǰān-appurišnīh*), n. 4 (*-ēt*), 356 (*-am*), 400 (*-ēnd*), 401 (*-išn*), 404 (*-ēt*).
appurtār 'robber, who carries away' 86 n. 2, 262 (*-īh*), 375 § 4, 376.
apuχšāδ- 'have mercy' 216, 217. Cf. *apaχšišn*.
apuχšāδāvand 'merciful' 217.
apuχšāδišnōmandīh 'mercy' 216.
arg 'pains, effort' 362 § 32.
argastān 'system(?)' 32, **34 n. e.**
aryavān 'judas-tree, purple' 322 § 5, **326,** 376.
arišuχt 'rightly spoken' 375 § 3.
armēšt 'stagnant, of no account' 403.
ars 'tear' 361 § 11.
ārōδišn 'growth' 344 § 20.
artīk 'battle' 279 § 9, 294, 322 § 5, 340 § 19, 341 § 32, 347 §§ 52–54.
artīkgarīh 'battle' 279 § 7, 290, 324, 328.
artīk-karīh 'battle' 321, 322 § 9, 324, 328.
arvand 'swift' 375 § 5, 379 § 3.
arvand-asp 'having swift horses' 148 n. 3.
aržan 'sandstone'(?) 283 § 46, **309.**
asačišnīh 'not passing away, permanence' 109, 280 §§ 22–23, 389 § 2.
asāčišnīh 'ineffectiveness' 388.
āsan 'iron' 283 § 47.
āsnōtak 'noble' 216, **218 n. c.**, 375 § 3.
asōhišn 'uncorrupting' 279 § 9, 292, 367 § 7.
asrust 'disobedience, unorthodoxy' 53.
ast(ak) 'bone' 145 n. G, 162 n. 2, 343 §§ 7–8, 344 §§ 9, 18–20.
astānak 'sin' 216.
astavišnīh 'being unworthy of praise' 385.
astōmand 'having bones, material' 53 n. 1, 339 § 7, 346 § 35, 370.
āstuvānīh 'avowal, confession' 289. Cf. *ōstavānīh*.
'*STYHL* ? 283 § 47, **310.**
āsumbišn(?) 'gulp' 171 n. 5.
asūtak 'zealous' 32 (*-īhā*), **34 n. k.**
ašgahān 'slothful' 257 n. 1 (*-īh*), 403 (and *-īh*).
aškōβ 'roof' 341 § 33, 345 §§ 22–24 (and *-kartār*).
aškōβēnītan 'roof in' 345 § 24.
aštak 'messenger' 194 n. G.
ātak(?) 'part' 343 §§ 4–5.
atavān(īk) 'impossible' 384.
attān(?) 'possessions' 53, **193 n. D,** 295.
attāv(?) 'possessions' **194 n. D.**

attōk 'able' 295 (*-īh*), 340 § 28, 356, 382.
āturastur-gōn 'ash-coloured' 281 § 27, 340 § 29, 346 § 35.
ātur-sōk 'increasing the fire' 362 § 29.
āvahan 'dwelling, castle' 283 § 43, 307.
āvartakīh 'conception' 282 § 38, **305**, 372, 373.
avazišnīk 'not flying, not moving' 340 §§ 26–27.
ā'vēčišnīh(?) 'examination, study' 32.
avēnāβtāk 'invisible' 345 § 26.
avinast 'immaculate' 215 n. D.
aviškann(?) 'unceasingly, eternally' 262 n. B.
aχtar-āmār 'astronomer' 165.
[1]*aχᵛ* 'existence' **53 n. 1**, 217, **218 n. m**, 262 n. B, 339 § 7.
[2]*aχᵛ* 'lord' 375 § 3.
[3]*aχᵛ* 'zeal, will-power, will' **53 n. 1**, 128, 172 nn. 3, 4; 203 n. 5, **218 n. m.**
aχᵛārīh 'uneasiness, discomfort' 280 § 22.
aχᵛīk 'pertaining to the will' 144 n. C, 172 n. 3.
ayāpak 'understanding, comprehending' 221 n. 2, 281 § 25, **298.** Meaning deduced from *ayāpakīh* q.v. and NP. *andar yāftan* 'understand', etc.
ayāpakīh 'understanding, comprehension' 430.
azarmān 'unageing' 279 § 9, 324 § 21, 332, 367 § 7.
āzātīh-kartārīh 'giving thanks' 32, **34 n. i.**
āzbāy- 'invoke' 101 n. 5 (*-ēm*), 216 (do.), 217 (do.).
āz-čihr-patišīh 'nature being in the grip of concupiscence' 193 n. C.
azg 'branch' 284 § 48.
azrōβ- 'extinguish' 323 § 13 (*-ēt*), **330** (*-ēt*, *-ēnd*). Cf. *azruft*, *zruftak*.
azruft 'extinguished' 330.

baγ (i) 'lord, His Majesty' 32, 52 n. B, 215 n. E. (ii) 'constellation' 53 n. 1, 322 § 6, 326, 327, 375 §§ 3–4, 376, 379 § 3, 417.
baγ-baχtārīh 'destiny of the gods' (i.e. the constellations) 322 § 6, 326–7. Cf. *baγ*, *baγō-baχt*.
baγīk (*baγānīk*) 'belonging to the constellations' 121, 122, 230, 379 §§ 2–4.
baγō-baχt 'special dispensation of fate' **256**, 368 § 10, 404.
bālist-vāzišn 'whose course is on high' 375 § 3.
bām 'sheen' 345 § 26, 390 § 3.
bāmīk 'gleaming' 216, 217, 397
bār 'bank' 284 §§ 49–50, 310.
bārak 'steed' 348, 398.
barišn 'mode of conduct' 375 §§ 3–5, 376.
bavišn 'becoming, γένεσις' 32, **33 n. c**, 79 n. D, 112 nn. 1, 4; 145 n. I, 345 § 29, 372.
bavišn-ēstišnīh 'settling of becoming' 145 n. I, 146, 372.
bavišn-ravišnīh 'movement or progress of becoming' 112 n. 4, 145 n. I, 146, 372.
baχtīk 'allied' 347 §§ 44–45 (and *-tar*).
bazak-aδvēn 'sinful' 281 § 27, **302.**
bē for *baγ* 'lord' 52 n. B.
bē-kišvar 'abroad' 145 n. H.
bētaχš 'prince' 381.
bihānak 'occasion, pretext', 403, 404. Cf. *vihānak*.
bōδ (i) 'consciousness' 323 § 11, 324 § 21, 329. (ii) 'smell' 171 n. 9.
bōrak 'borax' 283 § 47, 310.
bōχt- 'escape' 283 § 44 (*-ēt*).
brahm (i) 'robe' 122, 374 § 3, 375 §§ 3–5, 376. (ii) 'manner, character' **264 n. b**, 340 § 21, 374 § 2, 430 (*nazd-brahmīhātar*).
brahmak (i) 'robe' 322 § 4, **325**, 376. (ii) 'manner' **325.** (iii) 'character, stamp' 322 §§ 5–6, **325**, 326. Cf. *ham-brahmakīh*.
brātarōt 'first cousin, rival' 193 n. D, 379 § 3. Cf. Pāz. *brādarōdī*.
brātarōt-davišnīh 'shouting in rivalry' 376.
brāz- 'shine' 156 n. 2 (*-īhēt*).
[1]*brēh* (i) 'stature' 301, 407, 408. (ii) 'character, stamp' 322 § 4, **325.** (iii) 'decree, fate' 229, 399, 402, 403, 406, 407.
[2]*brēh* 'brilliance' 283 § 42, 297, 322 § 8, 327, 362 § 28, 390 § 3.
[2]*brēhēnišn* 'fatality' 402.
brēhēnītan (i) 'fashion forth, create' **301** and *passim*. (ii) 'decree, destine' 247 n. D, 402, 403, 406.
brēh-ravišnīh 'course of fate' 109, 229, 280 § 22.
brīn (i) 'limited, finite' 106, 224, 337 § 2, 389 § 2, 390, 397. (ii) 'decisive' 399. (iii) 'division' 281 § 30, **304.** (iv) 'decision' 281 § 25, 299.
brīnkar 'who fixes decrees, decisive' 118, 247 n. D, 374 §§ 1–2, 375 §§ 4–5, 376.
brīnōmand (i) 'divided, limited, finite, definite' 57, 339 § 8, 392. (ii) 'decisive, taking a decision' 281 § 31.
brītan 'cut, fashion' 388.
būm (i) 'ground, earth' 85 n. 2. (ii) 'foundation' 345 §§ 22–23.
bun (i) 'root, source, origin, cause' 75 n. 1 (*bun ut bar* 'root and fruit' or 'cause and effect'), 85 n. 2, 112 n. 1, 124 n. 3, 145 n. I (*fratom bun* 'first cause'), 194 nn. F, H, 215 n. E, 225, 232, 345 § 29, 372, 379 §§ 4–5, 382, 383, 384, 385, 386, 389

§§ 1–2, 390 § 3, 392. (ii) 'stem' 361 § 13. (iii) 'beginning' 32, 165 n. H, 247 n. D, 346 § 35, 347 §§ 52–53, 385. (iv) adj. 'original' 145 n. H, 323 §§ 11, 14; 346 § 35, 370, 388. (v) adv. 'originally' 282 § 32, 389 § 2 (*pat bunīh*). (vi) 'responsibility' in *ō bun kartan* 'entrust' 400.

bunīk 'original' 390 § 2.

bunist (besides *buništ*) 'source, principle' 339 § 12.

bunōmand 'having an origin, source of (other) causes' 232, 382, 383.

burt-šnōhr 'giving thanks' 216, **218 n. a.**

burz-brāhīh 'shining brightly' 262.

burž- 'revere' 216 (*-ēm*), 279 § 8 (*-īt*), 291 (do.), 370 (*-ākīh, -ēnākīh*).

buržišn 'honour' 397, 403.

čakāt 'height' 347 § 52.

čand '*quà*' 215 n. C.

čandēn- 'move (trans.)' 398 (*-īt*).

čandišn 'movement' 32, 282 § 38, 306.

čardār? 'progenitor' **376.**

[1]*čāšišn* 'taste' 344 § 20.

[2]*čāšišn* 'teaching' 52 n. C.

čašm-kās 'aware' **193 n. A.**

čāštak 'teaching, doctrine' 16, 52 n. C, 406.

čāštan 'teach' 27 n. 5, 362 § 26.

ČČ' ? 283 § 46, **309.**

čē-īh '*quidditas*, nature = τὸ τί' 278 § 1, **286.**

čē-kām-ič 'whatever' 207 n. 1.

čīh- 'perceive' 385 (*-ēnd*).

čihr (i) 'nature' 128, **144 n. C,** 145 n. I, **171** n. 9, 172 nn. 3, 4; 174 n. 2, 178, 193 n. C, 346 § 36 (and *ēvak-čihrīhā*), §§ 37, 39, 40 (and *mēnōk-čihr*); 347 § 50, 371. (ii) 'natural phenomenon' 345 § 29, 372. (iii) 'seed' 284 § 48. (iv) 'plant' 347 § 51.

čihrak 'lineage, stock' 216.

čihrīk (i) 'natural' 85 n. 2, 144 n. C, 172 n. 3, 235, 346 §§ 36–37, 347 § 49. (ii) 'of one's own nature, related' 166 n. 4.

čim (i) 'reason, cause' 52 n. A, 165 n. H (*ham čim rāδ*), 279 § 9, 280 § 21, 323 §§ 11, 13; 329, 384, 385, 404. (ii) 'why?' 27 n. 5, 321. (iii) 'because' 379 § 5. (iv) 'intention' 385.

činkār translates Av. *činvat-* 324 § 17, 331.

čīn-vitarag 'the Činvat bridge' 336.

čust 'is made unstable' 193 n. D.

daδv 'creator' 196, 197, 204 n. 4, 322 § 2, 323 § 11, 324, 325, 328.

dahmān āfrīn 'praise of the wise' (name of a deity) 361 §§ 4–5.

dāl (?) 'granite(?)' 283 § 46, **309.**

dālman 'vulture' 343 § 3, 362 § 27, **364.**

[2]*dām* 'snare' 216, **218 n. g.**

dānūk 'knee' **295.**

dar (i) 'door', (ii) 'chapter', (iii) 'part', 407; (iv) 'matter' 52 n. A.

[1]*dār* 'tree, wood' 217, 343 §§ 4–5, 345 § 28.

[2]*dār*(?) 'granite(?)' 283 § 46, **309.** v. *dāl*(?).

dārāk-χēm 'maintaining the character of' 369, 370.

dāramak (*dāramuk*) 'slender, subtle, detailed' 215 n. E (*-tom*), 371 (do.), **372.** Cf. Pāz. *dāramaa* q.v.

dārēn 'wooden' 343 § 4.

dar-handarz-pat 'court councillor' 264 (and *-īh*).

[1]*dašn*(*ak*) 'right (hand)' 138 n. 4, 284 § 50, 344 § 19, 345 § 33, 348, 362 § 15.

[2]*dašn*(?) 'direction(?)' 388.

daštak 'embryo' 282 § 38.

daštān 'menstruation' 356, 358.

dāštan 'have' *passim*: *pat ēt dāštan* 'consider' 86 n. 4, 279 § 10.

davan 'lying' 375 § 4.

daχšak (i) 'sign, characteristic' 236 n. 8, 284 § 50 (*-ōmand, -ōmandīh*), 310 (do.). (ii) 'nature' 195 n. J, 329.

dē 'creator' 204 n. 4, 323 § 11, **328.**

dēr-pattāy 'long enduring' 216.

dēr-vistāχ[v] 'confident and patient' 345 § 24.

dēs 'form' 33 n. c, 283 § 43 (*χāyak-* —), 307 (do.), 348, 356, **358.**

dēs- 'form, build' 358 (*-īhastan, -išnīh*).

dēsak 'form, εἶδος' 112 n. 4, 145 n. I, 356, **358,** 372, 375 §§ 3–5, 376.

dēsakōmandīh 'formation' 372.

dēsak-sōhišnīh 'contact with forms' 358. Cf. *sōh-*.

dēsītan 'build' 345 § 21.

dēšak 'bough' 217.

dēstak 'building' 299.

dīδišn 'vision' 344 § 16.

dilītar 'brave' 403.

dītan 'appearance, phenomenon' 356, 372, 407.

dītār 'sight' 279 § 7, **290.**

dītārīh- 'be seen' 290 (*-ēt*).

dītārīk 'visible' 290.

dōčārīh 'confronting' 193 n. C (*pat 2-čārīh*).

dōisr (Av. *dōiθra-*) 'eye' **325.** Cf. *spēt-dōisr*.

dōkān 'detail' 356 (*pat dōkān, pat 2-kānak* 'in detail').

dōkānīk 'detailed, precise' 32, 355, 356 (*2-kānīk*).

dōšāramīh 'seeking to please' 30 n. A, 180 n. 2.

dōšišn 'choosing' 374 § 3, 375 § 4.

dōšītan 'choose' 430.
dōšītār 'chooser' 375 § 4.
dōχtan 'milk' 344 § 16.
drahnāδ 'length' 163 n. C, 217, 283 §§ 43, 46; 307, 308.
drang 'duration' 245, 283 § 44, 307, 340 § 25, 379 § 5, 383, 392.
drēm 'phlegm' 344 § 20.
drōβ 'unjustly' 399.
drōnīh 'deceit, guile' 386.
drōž- 'be false to, violate' 293 (*-ēt*), 368 § 10 (*-ēnd*). Infin. *druχtan* q.v.
drōžanīh 'falsehood' 164 n. D, 379 § 3.
drupušt (i) 'fortress' 156 n. 2 (*band-drupuštīh*), 283 §§ 43, 44 (*drang-drupuštīh*); 307 (and *-īh*). (ii) adv. 'firmly, jealously' 53.
drupuštīh 'protection' 323 § 13.
druvist-annām 'sound of limb' 217.
druχtan 'be false to, violate' 293. Pres. stem. *drōž-* q.v.
druχtārīh 'lying, deception' 386.
duš 'evil' 379 § 5.
dušdaft 'whose breath is foul' 354.
dušīh 'evil' 279 § 8, **291.** Cf. *hu-īh.*
dušīk-kār 'evil action' 374 § 2.
dušmičak 'bad taste' 52 n. A.
dušnihātīk 'of evil nature' 121, 379 §§ 2–4.
duš-rāδēnītārīh 'bad government, disorder' 376.
dušχᵛatīh 'evil essence' 386.
dušyāčakīh 'evil endeavour' 379 § 4.
dūtak 'family' 12 n. 3, 53 (*anōtak-dūtakān*).
dužīh 'robbery' 322 § 3, 379 § 3.
dužītak 'stolen' 285 § 58.

ēnyā 'otherwise' 396.
ēr 'noble' 32 (*-tar*), 375 § 3 (*-īh*), 379 § 3 (do.).
ērīk 'noble' 379 § 4.
ēsm 'fuel' 322 § 8.
ētōnīh 'suchness' 208 n. 2 (*pat ētōnīh* 'as it is').
ēvar 'certain' 34 n. j, 406 (*-īk*).
ēvār 'destruction, pillage' 31, 33 n. b.
ēvēn- 'annihilate' 330. Cf. *ōvēn-*.

frāč kartan 'fix, settle' 279 § 13.
frahāt 'help, helper' 216, 340 § 19, 402.
frahaχtak 'trained, skilled' 345 § 23 (*-tar*).
frahaχt-kārīh 'skill, experience' 345 § 24.
frahist (i) 'for the most part' 27 n. 3. (ii) 'exceeding' 379 § 5.
frahistān 'for the most part' 347 § 51.
frakān 'beginning, basis' 279 § 6, **288–9.**
frakānēnītan 'begin' 289.
franaftan 'proceed' 217. Pres. stem *franām-*.
fra'nāmišn 'proceeding, development' 385.
frapad 'forefoot' 361 § 6, 363.
frasāvandīh 'perishability' 180 n. 2.
frašēβ 'injurious' 388.
frašn 'question' 397.
fravand (i) 'girdle' 208 n. 4, 215 n. E. (ii) 'compass, scope' 346 § 38, 384.
fravastak 'comprised, contained, encompassed' 112 n. 4, 339 § 12, 384.
fravastan 'comprise, contain' 208 n. 4. Pres. stem *fravand-*.
frāχᵛ- 'widen' 217 (*-ēt*).
frāχᵛ-gōyōt 'having wide pastures' 101 n. 5, 102 nn. 1, 4.
frēhbūt 'excess' 193 n. D, 252 n. 2, 262–3, 345 § 33, 347 § 44, 385.
frēh-gōyōt (= *frāχᵛ-gōyōt* q.v.) 282 § 34, 304.
frōk- 'shine' 163 n. C (*-īhast*).
frōt 'down' *passim.* *frōt nēst* 'is not lacking' 32.
frōt-vaštakīh 'withdrawal' 262.

gaβrīh 'hollowing' 282 § 38, 372.
gaδ 'planet' 347 § 49.
gaδay 'robber' 263.
gaδōkīk 'belonging to the planets' 121, 123, 379 §§ 2–4.
gar 'mountain' 195 n. K.
garōδmān 'heaven' **214 n. B.**
garzišn 'complaint' 362 § 30.
gašnak 'numerous' 348.
gavākīh(?) 'growth' 32, 34 n. d. (more probably *gōβāk* = λογικός 'rational'; *gōβākīh* 'logic').
gēn 'crystal' 323 § 14, **330.** Cf. *kēn, āpakēnak.*
gētēh-handāčak-nimāyišnīhā 'prescribing (conduct) as far as this world is concerned' 32.
gijistak 'accursed' 158 n. 1.
girt (i) 'round' 281 § 26, 283 § 46, **300–1,** 362 § 24. (ii) 'circle' **300–1.** (iii) 'around' **300–1.**
girtak 'around' 361 § 5.
gōgart 'sulphur' 283 § 47, **310.**
gōhr (i) 'mineral' 283 § 47, 361 § 5. (ii) 'jewel' 322 § 5 (— *-pēsīt*), 323 § 14 (do.). (iii) 'substance' 32, 73 n. 3, 79 n. D, 141 n. 3, 145 n. G, 164 n. D, 283 §§ 43, 45; 340 § 29, 346 § 35, 361 §§ 4, 8; 378, 379 § 5 (*-īhā* 'in substance'), 382. Cf. *ham-gōhr, yut-gōhr.* (iv) 'character, nature' 256 n. 5, 257, 407, 408 = Ar./NP. *ṭab'*.
gōhrak 'element' 340 § 25.
gōhrōmand 'full of metals or mineral ores' 217.

gōr 'hollow' 347 § 52.
graftār 'prisoner' 216.
grāy- 'incline, lean' 85 n. 2 (*-išnīh*), 376 (*-astakīh*).
grīv (i) 'neck' 163 n. B. (ii) 'self' 371.
gund 'army' 354.
gyāk 'place' *passim. pat gyāk* 'on the spot, immediately' 27 n. 5, 362 § 15.

hāč- 'incline, convert' 15 n. 3 (*-ēt*), 279 § 10 (*-ēm*), 292 (do.), 339 § 7 (do.), 346 § 35 (*-ēh*). Infin. *hāχtan* q.v.
hačišīk 'result' 390 § 3.
halak 'ill-considered, foolish' 52 n. A (*-īhā*), 379 § 3, 403 (*-īh*).
hāmak 'totality' 278 § 2, **286–7.**
hambatast 'coincided' 389 § 2, 390 § 3, 391.
hambatīk 'adversary' 347 § 45. Cf. *hambitīk*.
hambav- 'grow together' 282 § 38 (*-īhēnd*), 305 (*-išnīh*), 306 (*-īhēnd*). *hambōs-* (NP. *anbūs-*) could also be read.
hambitīk 'opposed, adversary' 53, 263 (*hanbitīkān*). Cf. *hambatīk*, *anhambatīk*.
ham-brēh 'of equal stature' 347 § 44.
ham-brahmakīh 'having a similar mode or condition' 263, 325.
hambunīh 'original substance' 375 § 5.
ham-dātastān 'agreeing' 110 (*-ōmandīh*), 279 § 13, 280 § 22 (*-ōmandīh*), 292, 324 § 22, 332, 362 § 33.
hamēmāl 'rival, adversary' 53, 322 § 9, 324 § 21 (*apē-* —), § 22 (*apē-* — *īh*), 332 (do. and *apē-* —), 347 § 45 (and *-īh*), 403.
hāmēn 'summer' 345 § 27, 362 § 15, 364.
hamēn- 'unite' 145 n. I (*-ītār*).
hamē-rāδēnītār 'ever ordering aright' 280 § 18.
hamēstakān 'purgatory' 400.
ham-gōhr 'of the same substance' 262 n. B, 347 § 45.
hamīh- 'be united' 371 (*-ēt*).
hamīkīh 'union' 347 § 51.
hamōk 'teaching' 31, 32.
hamōχt- 'learn' 207 n. 4 (*-ēt*).
hamōχtār 'pupil' 322 § 4, **325.**
hamrānīh 'battle' 339 § 4.
ham-vīmand 'contiguous, proper to' 385.
ham-yuχt 'united' 345 § 30 (and *-īhast*).
ham-zahak 'of the same lineage' 207 n. 6.
[2]*hanbār-* 'be sated' 193 n. B. Cf. *hanburt*, *anhanbār*.
hanbārtār 'store-keeper' 343 § 7.
hanbasān 'contradictory' 27 n. 5.
hanbašn 'bedfellow' 306, 345 § 30.
hanbātak 'generation' 12 n. 3, 370.
hanbāz (*hambāz*) 'companion' 345 § 30, 397.
hanburt 'sated' 193 n. B, 346 § 42. Cf. [2]*hanbār-*.
handāč 'proportion' 283 § 43.
handāčak (i) 'measure'. (ii) 'manner' 347 § 48 (*pat ham-handāčakīh* 'in like manner'. (iii) adv. 'like' 164 n. G. (iv) 'analogy' 263.
[1]*handāčišn* (i) 'attack' 279 § 6, 288, 339 § 3 (*-īk*). (ii) 'overthrowing, victory' 12 n. 2.
[2]*handāčišn* 'ordaining, design' 380, 388 (= Ar./NP. *taqdīr* in Naṣir i Xusrau, *Gušāyiš u rahāyiš*).
handāχtan 'add' 32, 145 n. H, 406. Pres. stem *handāč-*.
handēmānīh 'meeting' 217.
handōčišnīk 'thrifty' 379 § 3.
[2]*handōχt* 'sew up' 241, 398.
hangart 'all-embracing' 215 n. E.
hangārt 'complete' 284 § 52.
hangārtan 'consider, esteem' 32, 79 n. D (*hangārīhēnd*).
hangartīk (i) 'including, inclusive, comprehensive, summing up' 45 n. 2, 215 n. E (*-tom*), 374 § 2, 376, 383, 385. (ii) 'compendium(?)' 145 n. H.
hangartīkēn- 'cause to be contained' 371 (*-īt*).
hangartīkīh 'comprehensiveness, scope, summing up' 289, 371, 384, 385.
hangat 'accumulated' 32 (— *-dānākīh*).
hangēnītan 'induce' 30 n. B (2).
hangēž- 'excite' 346 § 36 (*-īhēt*).
hangēžēn- 'raise up' 104 n. C, 262, 330 (*-āt*).
hangōšītak 'manner' 32, 282 § 38, 284 § 50, 345 § 29.
hanžaftak 'completed' 370.
harvisp-astōmandīh 'all solid' 283 §§ 41–42.
hast . . . hast 'sometimes . . . sometimes', 'whether . . . or . . .' **302,** 337 § 3, 338.
hast-hēr 'rich' 340 § 19.
hāvišt 'pupil' 52 n. C.
hāχtan 'convert' 362 § 35, **364.** Pres. stem *hāč-* q.v.
hazangrō(k)zam 'millennium' 374 § 2.
hēr 'goods, property, thing' 180 n. 2, 217, 278 § 1, 285–6, 390 § 3, 399, 400, 402, 406, 407.
hērak-gōn 'ash-coloured' 375 § 4.
hēr-pānak 'thrifty' 292.
hišt-škōhīh(?) 'lack of respect' 376.
hiχr 'excrement' 30, 52 n. A (*-īh*), 171 n. 9, 361 § 12 (*-īh*), 362 § 27 (do.).
hiyag(?) 'ailment(?)' 372, **373.**
hiyandak 'ill' 373.
hōk 'habit' 256, 325, 407, 408 = Ar/NP. *ʿādat*.

hōy(ak) 'left (hand)' 284 § 50, 344 § 19, 345 § 33, 348.
hu-ayāpak 'understanding well' 281 § 25, 298. Cf. *ayāpakīh* q.v.
hubōδ 'sweet-smelling' 73 n. 3, 141 n. 3, 346 § 40. Cf. *bōδ* (ii).
hučihr 'beautiful' 216, 217.
hučihr-gar 'beautifying' 162 n. 2.
hudahāk 'fruitful' 216, 306.
hudāk 'useful, fruitful' 283 § 42, 306.
hugar 'easy' 343 § 4 (*-tar*), § 5 (do.), 344 § 20 (do.), 345 § 24.
hu-īh 'goodness' 374 § 2. Cf. *dušīh*.
hu-īk 'good' 374 § 2, 390 § 3.
hu-īk-kār 'good action' 374 § 2.
hukarp 'shapely, beautiful' 292.
humiθr 'friendly' 290.
hunihātīk 'of good nature' 121, 379 §§ 2–4.
hunušak 'offspring (of demons only)' 171 n. 4, 175 n. 1, 376, 385, 386.
hupahrēčišnīh 'sober living, temperance' 53 n. 1.
hupatsāy 'fitting well(?)' 283 § 43, **307.**
huyāčakīh 'good endeavour' 379 § 4.
huzahak 'noble' 290. Cf. [1]*zahak*.

kaδ-īh 'when-ness, temporality' 286.
kālput 'carcase' 404.
kamālakān 'having (monstrous) heads (of demons)' 355, 356, 357.
kamālīk 'having a (monstrous) head (of demons)' 282 § 36, 305.
kanīk 'maiden' 163 n. C, 216.
kār (i) 'action' *passim.* (ii) '*ἐνέργεια*, actuality' 224, 229, 270, 383.
kār ut dātastān '(worldly) affairs' 281 § 25, 299.
kār vičārtan 'satisfy one's natural needs' 407, 408.
kārīk 'actual' 390 § 2.
karkās 'vulture' 364.
karkēhan 'chalcedony' 375 § 5.
karp 'body, shape, form' 33 n. c, 115, **131 n. 2,** 146, 175 n. 1, 207 nn. 6, 7 (*χrat-karpīh*); 215 n. E, 263 (*dēv-karpīh*), 281 §§ 26–29, 283 § 42, 284 § 51, 300 (= *tan*), 302 (do.), 303, 322 § 3, 325 (= *tan*), 346 § 35, 348, 356, 363 §§ 37, 38 (*-īh*); 372.
kartak 'rite' 52 n. C, 53.
katak-masāδ 'of the size of a house' 309.
katār 'which' 324 § 21, 332, 344 §§ 9, 11, 13, 15–16.
katār-ič-ē 'whatever, any at all' 207 n. 1, 344 § 20, 346 § 36, 375 § 5, 385.
kaθas 'channel' 214 n. A.
[2]*kēn* 'crystal' 330, 361 §§ 4, 8; **363,** 364. Cf. *gēn, āpakēnak.*

kērōkīh 'craft, process' 32.
kēš-dār 'sectary' 386, 388.
kiβōt 'casket' 343 §§ 4–5.
kišvarīk 'a subject, national' 32.
kōšāk (= Skt. *kośa*) 'volume' 145 n. H.
kōt 'mass' 372, **373.**
ku-īh 'where-ness, position' 286.
kunišnīk 'agent' 374 § 1.
kust(ak) 'side, direction' 163 nn. A, C; 283 § 47, 339 § 3, 344 § 20, 368 § 13.

maδ-gōn 'wine-coloured' 375 § 5, **376.**
maδīh(?) 'wine-ness' 347 § 51.
mān 'house' 281 § 25, 283 § 43, 299, 323 §§ 13–15, 356.
mānāk 'resembling' 262, 283 § 43, 307, 388.
mānāk-gyākīk '*qua* space' 215 n. C.
mānišn 'abode' 347 § 49.
mānišnīk 'resembling' 379 § 3.
māništ 'dwelling-place' 284 § 53, 311.
[1]*mar* 'number' 361 § 7.
[2]*mar* 'villain' 31 n. B, 375 § 4, 376, 397.
marak 'number' 301.
mārīk 'word' 280 § 15.
marnǰēnītan 'destroy' *passim*, **290.**
marttāčōkīh 'valour' 375 § 5.
mastīh- 'become drunk' 193 n. D.
mātaγ 'matter, *ὕλη*' 145 n. I, 207 nn. 3, 7 (*χrat-mātaγīh*), 225, 269.
mātakvarīhā 'principally' 406.
[1]*matiyān* 'book, volume' 32, 145 n. H.
[2]*mātiyān* 'important, chiefly' 32, 340 § 17, 375 §§ 3, 5; 379 § 3, 388 (*andar* —), 406.
māyišn 'coition' 195 n. K.
mēč 'eyelash' 195 n. I, 340 § 25.
[1]*mēčītan* 'blink' 194 n. H, **195 n. I** (*čašm-mēčišn*).
[2]*mēčītan* 'suck' 195 nn. H, I.
megistīk '*al-maǰist*, *μεγίστη* of Ptolemy' 145 n. H.
mēnōkān-tāšīt 'fashioned by the spiritual powers' 156 n. 1.
mēχ i gās 'the Pole Star' 163 n. A, 165.
mēzītan 'make water' 195 n. I.
mitōχt 'falsely spoken' 282 § 33 (*-īhā*), 304 (do.), 375 § 4, 390 § 3 (*-īk*).
mōδak 'mourning' 345 § 33.
murvēčak 'young of bird' 361 § 5.
mūtak 'ruinous' 175 n. 1, **194 n. E.**

nāirīk 'woman' 216, 292.
nāmakīh 'renown' 280 § 23.
nāmčišt(īk) 'especially' 52 n. A, 145 n. I, 262, 398.
narfsišn 'waning' 345 § 26.
nāvtāk 'navigable' **214 n. A,** 217.
naχšak 'comely' 216, **218 n. b.**

nay 'cubit' 284 §§ 49–50, 362 § 15, 364.
nāyᵘtāk v. *nāvtāk*.
nāzišn 'enjoyment' 397.
nendar 'inside' 361 § 9, **364.**
nērōk 'δύναμις' (i) 'power, strength' 53, 165 n. H, 193 n. D, 270, 340 § 29, 345 § 34, 346 § 39, etc., etc. (ii) 'ability' 321. (iii) 'potentiality' 32, 222, 224, 229, 270, 383, 385 (the meanings 'power' and 'potentiality' alternate).
nērōkīh- 'be strengthened' 193 n. D (*-ēt*).
nērōkīk 'potential' 379 § 5.
nēzumān 'subtle' 252 n. 2 (*-īh*), **263 n. f.**
niδvār- 'proceed, rush off' 166 n. 4 (*-ēt*), 194 n. F (*-išn*).
niγōχšītār 'hearer, obedient' 346 § 39.
nihāl 'sapling' 345 § 28.
nihātkārīh 'prosperity' 32.
nikandan 'insert' 309, 361 § 5, 363.
nikēž 'teaching, exegesis' 369, 371 § 1, 378, 382, 383, 384, 385, 388, 389, 390, 391, 406.
nikēž- 'teach, give an indication' 217 (*-īt*), 389 (do.), 392 (*-āk*).
nikēžišn 'teaching, doctrine' 27 n. 3, 32.
nimēž 'wink, consent' 262, 263 n. e.
nisang (i) 'a little' **372.** (ii) 'chapter' **372.** (iii) 'period, stage' 371, **372.** Cf. Pāz. *nihañg*.
nisārīk(?) 'original(?)' 345 § 28.
nisārišnīkīh 'restoring' 379 § 5.
nišāstan 'set down, establish' 323 § 13, 329, 362 §§ 31, 35.
nītan 'lead' 262 n. B.
nivandak 'bondage, trap' 216, **218, n.g.**
nivēk(?) 'doctrine(?) 32, 34 n. g.
nivēk- 'bestow' 216, **218 n. i.**
**nivēt* 'good news' 303.
niχšaδišnīh 'patience' 396.
niχšaδišnīk 'patient' 396 (*-tar*).
niyāβ 'suitable' 279 § 7, **290.**
niyāβākīh 'assistance(?)' 215 n. E.
nizōrīh 'weakness' 193 n. D.
nizōrīh- 'be weakened' 193 n. D (*-ēt*).

ōβām 'period, time' 97 n. 9, 102 n. 1, 194 n. E, 374 § 2, 379 §§ 4–5, 399.
ōčirišnīk 'distinguishable, distinguished' 385. Cf. Pāz. *χᵛazīrašnī* q.v.
ōyārišnōmand 'able to be dispelled' 373. Cf. Pāz. *hugār-* q.v.
ōpārtan 'swallow' 171 n. 5, 193 n. B. (*-ēt*), 250 n. 1.
ōsānišnīk 'descending' 385.
ōsēnītan 'destroy, annihilate' 294, 295. Later spelling of *aβsihēnītan* q.v.
ōstām 'ground, basis' 234, 390 § 3.
ōstān '(position of) trust' 52 n. B.
ōstavānīh 'confessing' 340 § 21. Cf. *āstuvānīh*.
ōstēn- 'raise up' 104 n. C, 216, **218 n. f.**
ōstīk 'stable, confident' 32 (*-īhā*).
ōstīkān 'grounded in' 385 (*vēhīh-* — 'grounded in goodness', *vattar-* —). Cf. Pāz. *ōstyą*.
ōstīkānīh 'stability' 345 § 29.
[1]*ōš* 'death' 215 n. D, 398.
[2]*ōš* 'intelligence' 407, 408.
ōšmurišn 'category' 379 *passim*, 384, 385, 386.
[1]*ōšōmand* 'subject to death, mortal' 172 n. 1, 215 n. D, 281 § 25, 299.
[2]*ōšōmand* 'wakeful' 101 n. 5.
ōvēn 'annihilated' 323 § 14, **330,** 376.
ōvēn- 'annihilate' **330** (*-ēt, -ītan*). Cf. *ēvēn-*.
ōvēn-būtīh 'annihilation' 330. Cf. MPT. *wnywdyḫ*.
ōvēn-fražāmīh 'final annihilation' 375 § 4.
ōvēnišn 'annihilating' 330.
ōž 'power' 145 n. I, 195 n. H, 291 (*nihān-ōž*), 362 § 15.
ōžīh- 'be strengthened' 193 n. D (*-ēt*).
ōžōmand 'mighty' 281 § 25 (*-tar*), 298 (do.), 404.

paččēn 'copy' 27 n. 2, 31, 32.
paδ 'sinew' 145 n. G, 162 n. 2, 343 §§ 7–8, 344 §§ 9, 20; **348.**
paδrōt v. *patrōt*.
pahrēč 'abstention' 406.
pahrēχtan 'refrain' 340 § 22. Pres. stem *pahrēč-*.
paitištān 'leg' 361 § 6, 363.
pand 'path' **203 n. 5,** 217.
panēnītārīh 'causing to be miserly' 379 § 3.
panīh 'avarice' 379 § 3, 386.
panīk 'miserly' 379 § 3. Cf. *pen*.
pārak 'bribe' 58 n. 6, 90 n. 1.
parastak 'service' 322 § 8, **327.**
parkān 'enclosing wall' 283 § 43, 289, 307, 361 §§ 4, 7; 363.
parvānak 'envoy' 347 § 48.
pasēmārīh '(legal) defence' 282 § 34.
pasōmandīh 'richness in flocks' 16 n. 3.
passāč- 'fit together' 344 § 19 (*-om*). Infin. *passāχtan* q.v.
passačak 'befitting, suitable' 31 n. B, 216 (*-īhā*), 322 § 6 (do.), 327 (do.).
passāčišn 'composition' 79 n. D.
passāχt 'consistent' 32.
passāχtan (i) 'mould, fit together' 322 § 7, 327, 343 §§ 4–6, 344 § 20. (ii) 'insert' 322 § 2. (iii) 'submit' 12 n. 2.
past 'treaty' 340 § 29. Cf. *pašt, pašn*.
pašn 'pact, connexion, obligation' 279 § 13, **293,** 364.

pašt 'treaty, pact' 102 n. 1, **293**, 340 § 30, 346 § 35.
pat 'lord' 375 §§ 3, 4 (*-īh*), 5; 376 (*-īh*).
pātēmār 'assigned task' 345 § 24.
pātērāngar 'thwarting' 347 § 50.
patērānēn- 'prevent' 165 n. H (*-īt*).
patēst 'threat' 279 §§ 10, 12, 282 § 37, 292, 293, 305, 388.
patēst- 'threaten' 339 § 5 (*-āt*), 7 (do.), 8 (do.); 340 § 30 (*-īt*), 346 § 35 (*-āt*).
patēstīk 'threatening' 388.
patēχᵛīh 'prosperity' 379 § 3.
pātēz 'autumn' 345 § 27.
patyāk 'messenger' 186 n. 6.
patīrak 'opposite, over against' 279 § 9 (*ō patīrak i* 'up to'), 298.
patīrak-ēstišnīk 'opposed' 340 § 28.
patkārdār 'disputant' 12 n. 2, 27 n. 3 (*patkārtār*).
patmān (i) 'measure' 345 § 28 (*hāvand-patmān* 'of equal measure'). (ii) 'proportion, moderation' 79 n. D, 193 n. D. (iii) 'the Mean' 58, 246, 249, 251, 252 n. 2, 261 n. A, 262–3, 385. (iv) 'agreed time, norm, treaty' 58, 102 n. 1, 248, 249, 250, 261 n. A, 279 § 5, 288, 368 § 9.
patmānak (i) 'measure' 301, 361 § 6. (ii) 'moderation' 379 § 3. (iii) 'the Mean' 261 n. A, 347 § 44. (iv) 'treaty' 248, 261 n. A. (v) 'term, period' 281 § 24. (vi) 'bond(?)' 165 n. H.
patmānīk (i) 'moderate' 171 n. 9, 347 § 44. (ii) 'approximate' 284 §§ 49–50.
patmān-kārīh 'moderating action' 145 n. I.
patmōč- 'clothe' 346 § 39 (*-īhēt*). Infin. *patmōχtan* q.v.
patmōčan 'garment' 15 n. 4, 118, 163 n. C, 164 n. G, 322 §§ 4, 6; 325, 375 §§ 3–5.
patmōk 'garment' 118, 262 n. B, 346 § 35, 375 §§ 3–5; 376.
patmōχtan 'clothe, wear' 163 n. C, 164 n. G, 262 n. B, 283 § 44, 322 §§ 4–6. Pres. stem *patmōč-* q.v.
pat-nērōk 'powerful' 396 (*-tar*).
pātram 'common people, *plebs*'. *pātram-ič aδvēnak āvāčīk* 'vulgar idiom, the vernacular' 32.
patrōtan 'rush forward' 279 § 7, **290**.
pattāyišn 'continuance' 193 n. C.
pattōk 'durable, firmly established' 193 n. D, 217.
pattōkīh 'continuance, endurance' 217, 379 § 5.
pattūtan 'endure, last' 217. Pres. stem *pattāy-*.
patvand (i) 'connected, connexion' 173 n. 3, 194 n. F etc. (ii) 'offspring' 362 § 15.
patvast-ovišīh 'association' 289.
patvēšak 'rottenness' 373 (and *-ōmand*).
patχᵛāδišnīk 'desirable' 216.
paχsišn 'ripening' 364.
paytākēn- (i) 'manifest', (ii) 'appoint' 346 § 42 (*-īt*), 404 (*-ēnd*).
pazzāmišn 'ripening' 79 n. D.
pēhn 'food' 293–4.
pēm 'milk' 195 n. H, 346 § 40.
pen 'miserly' 346 § 37. Cf. *panīk*.
pērāδišn 'seemliness' 263.
pērōk 'shining' 390 § 3.
pēsišn 'adornment' 375 § 5.
pēsīt(ak) 'adorned' 156 n. 1, 322 § 5 (*gōhr-pēsīt*), 323 § 14 (do.), 326, 330, 375 § 5. Cf. *pistak*, *pēšīt*.
pēšēmārīh 'prosecution' 282 § 34, 305.
pēšīt 'adorned' 326. Cf. *pēsīt*.
pēšōpāδ (i) 'guide, leader' 12 n. 3, 16 n. 3, 194 n. G, 370. (ii) 'first' 344 § 19.
pistak 'adorned' 281 § 25, **299**.
²*pit* 'flesh' 145 n. G, 343 § 7.
pōryōtkēš 'ancient sage' 383, 384, 406.
¹*puhr* 'bridge' 217, 324 § 17.
²*puhr* 'punishment' 14 n. 5, 340 §§ 16, 22.
purr-patmānīhā 'in full measure' 53.
purr-urvāhm 'full of bliss' 85 n. 4, 216 (— *-vānišn*), 262 n. B.
purr-vāstar 'full of pasture' 217.
pursišnīk 'well informed' 221 n. 2, 281 § 25, 298.
pušt (i) 'back', (ii) 'ridge' 362 § 35.
pūtak 'putrid' 279 § 8.

rāδēn- (i) 'order, direct, rule, regulate, control' 200 (*-ēt*), 370 (*-ītan*). (ii) 'distribute' 324 § 16 (*-ēt*), 388 (*-īhēt*).
rāδēnāk 'ordering, directing', etc. 118, 217, 368 § 14, 375 §§ 3–5, 376, 385 (and *-īh*).
rāδēnišn 'regulating, management, development, conduct, activity' 217, 262, 374 §§ 2–3 (*-īkīh* 'ordering'), 375 § 4 (*-īh*), 376 (do.), 382 (*-īk* 'directed'), 385, 388, (opp. *višōβišn* 'confusion'), 406.
rāδēnītār 'who orders, directs', etc., 85 n. 3, 372, 382.
rāδēnītārīh 'ordering, directing, regulation, management' 236, 247 n. C, 248, 339, 375 § 5, 376, 379 § 3, 381, 382, 386.
ras (= Av. *raθa-*) 'wheel (of heaven), firmament' 112 nn. 1, 4; 144 n. C, 145 n. I, 343 § 7, 372, 375 § 5.
¹*rastak* 'natural property' 372. Cf. *ristak* (iii).
²*rastak* 'regularity' 389 § 1 (*pat rastak* 'regularly').
raštan 'dye' 378, 379 §§ 2, 5.
rātēnītan 'propagate' 53.
ravāk-ray 'whose chariot is swift' 216.

ray 'chariot' 164 nn. E, F; 165 n. H.
rāy 'effort' 173 n. 2.
rāz-aβzār 'devising weapons' 263.
rēβās 'rhubarb' 363 § 37.
[1]*ristak* (i) 'manner' 340 § 21. (ii) 'way, sect' 32 (*yut-ristakān*). (iii) 'natural property' 145 n. I. Cf. [1]*rastak*.
[2]*rist(ak)* 'dead' 344 §§ 10, 12, 14.
riyahr 'mourning' 376.
rōδ 'copper' 283 § 47.
rōp 'looting' 31, **33 n. b.**
rōtstāk 'valley' 195 n. K.
ruzdak 'greedy' 346 § 42.

[2]*sač-* 'pass away' 280 § 22 (*-ēt*), 356 (*-ist*), 359 (do.).
sačēn- 'make seemly, ennoble' 263.
sačišn 'passing, passage' 215 n. C, 281 § 29, 303, 379 § 5, 388 (*spurr-kanārak-sačišnih*). Cf. *asačišnīh*.
sačišnīk 'transitory' 390 § 2, 392.
sāčišnīk 'effective' 388.
sah- 'seem good' 195 n. K (*-ēt*), 279 § 8 (*-ist*), 291 (do.), 324 § 21 (*-ēt*), 368 § 15 (do.), 18 (*-ast*).
sahmān 'limit, boundary, extent' 193 n. D, 202 n. 4, 370.
sahmānōmand 'limited' 391 (and *-īh*).
sangēn 'heavy' 73 n. 3, 141 n. 3.
sar(ə)δak 'sort, kind, species' 32 (*yut-sarəδakān*), 195 n. K, 217 (*vas-* —), 284 § 48, 310, 323 § 12, 345 § 30, 346 § 38, 361 § 13, 362 §§ 14, 15, 22.
sārēn- 'provoke' 279 § 9 (*-ēh*), 292 (do.).
sārīgar 'buzzard' 362 § 27, 364.
sāstār (i) 'ruler, tyrant' 16 n. 3 (*-īh*), **121 n. 1**, 216. (ii) 'heretical priest' **45**, 122, 289, 375 § 4 (*-īh*), 376 (do.), 379 § 3 (do.), 386 (do.), 397.
savāk 'furthering' 347 § 53.
savākīh 'munificence' 262, 263 n. b.
sǎy- 'lie down' **104 n. C**, 280 § 16 (*-ast*), 283 § 41 (do.), 295 (do.), 306 (do.), 355 (do.), 356 (do.), **357.**
sēž 'bane' 345 §§ 32, 33; 354.
sēžišn 'decay' 374 § 2.
snēžak 'snow' 283 § 45, 308.
snōδān 'storm' 283 § 45, **308.**
sōh- 'touch' 358 (*-išnīh*).
spahr (= Av. *Θwāša-*) 'firmament' 89, 372, 375 § 5. Cf. *spāš*.
spāš (= Av. *Θwāša-*) 'firmament' 88 n. 1, 89 n. 1, 247 n. C (*θiβāš*), 383. Cf. *spahr*.
spazgīh 'calumny' 10 n. 3.
spēk 'brilliance' 375 § 3.
spēt-dōisr 'white-eyed' 322 § 3, 325.
spēž- 'put forth new growth' 345 § 28 (*-īhēnd*).
spēžišn 'shining' 345 § 25.
spistēn(?) 'foul(?)' 354.
spurrgar 'who consummates' 347 § 48.
spurrīk 'whole, perfect' 32, 371.
spurrīk- 'complete' 345 § 28 (*-īhēt*).
spurrīkgarīh 'consummation' 347 § 46.
spurrkarīh 'completion' 388.
srēšak 'mass' 372, **373.**
srēšōtak 'conglomeration' 372.
srov 'word' 15 n. 1, 31 n. B (*duš-srov*).
srūv 'nail (of hand or foot)' 344 § 20.
star-ōšmur 'astronomer' 375 § 4, 376.
start 'laid low' 86 n. 3, 280 § 16 (and *-īh*), 282 § 41 (*-īhā*), 295 (and *-īh*), 304 (*-īh*), 306 (do.), 339 § 4 (*-ak*), 340 § 24, 354, 355, 356 (and *-īh*), 357 (do.), 358 (do.). Cf. *sturt*.
sturt 'laid low' 102 n. 1, 283 § 41 (*-īh*), 295 (and *-īh*), 354 (*-īh*), 355 (do.), 357 (do.), 358 (do.). Cf. *start*.
suδ 'hunger' 340 § 30, 345 § 33, 346 §§ 35, 37.
sus(?) 'degree' 97 n. 2, 144 n. E.
sūt-aβkār 'promoting benefit' 292. Cf. *aβkārīhā*.
sūtārīh 'efficacy' 52 n. A.
sūtak 'worn away' 329.

ša⟨sa⟩pīkān(?) 'royal(?)' 31, 32, 145 n. H.
šāyandak 'decent' 403 (and *-īh*).
šāyēn (i) 'potential' 383. (ii) 'possible' 384.
šāyēt būt(an) 'possible' 391.
šētāy 'bliss' 380, 385, 388.
šēvan 'lamentation' 345 § 33.
škaft 'fearful' 375 § 4 (*-tar*), 403 (*-īh*). Cf. *škift*.
škarv- 'lurch' 194 n. F. (*-ītakīh*).
škarvan 'lurching, vacillation' 376.
škift 'fearful, violent' 172 n. 1, 217, 262, 347 § 53, 348. Cf. *škaft*.
škōh 'poverty, misery' 397.
škōhīh 'poverty' 385, 386.
šnūk 'knee' 280 § 16, **295.**
šōn 'manner, sort' 145 n. H, 217–18 (*astūn-šōn*), 218 n. l.
šusr 'semen' 282 § 38, 284 § 51, 362 §§ 15, 27, 36; 363 § 36 (and *-īh*).

tač- 'flow' 283 § 45 (*-ēt*), 344 § 16 (*-ēnd*), 345 § 29 (do.).
tačišn 'flowing, movement' 341, 383.
tak 'haste' 279 § 7 (*tak apar kart* 'he made haste'), **290.**
[1]*tāk* 'branch' 217 (*vazurg-* —), 343 § 5.
[2]*tāk* 'equal, peer' 397.
takīk 'swift, valiant' 86 n. 3, 200 n. (*-īh*), 247 n. D, 375 § 5 (and *-īh*), 379 § 3 (*-īh*), 402 (do.).

tam (*tom*) 'darkness' 279 § 7, 280 § 16, 281 § 27, 290, 295, 339 §§ 3–5, 340 § 24, 341 § 33, 345 § 25, 346 § 39.
tam-aχᵛ 'of dark nature' 30 n A.
tamīk 'dark' 158 n. 4, 165.
tan-kartīhā 'incarnate' 324 § 21, 332.
tarāzēnišnīh 'balance' 379 § 5.
tarāzūk 'scales, balance' 402.
tarmēnītan 'despise' 321.
tarvēn- 'conquer, overcome, oppress' 193 n. D (*-ītan*, *-īt*), 247 n. C (*-ītārtom*), 368 § 14 (*-and*).
tāšītan 'create' 367 § 2.
tēh 'edge, point' 217, 339 § 3.
tišn 'thirst' 283 § 42, 306, 345 §§ 33, 37.
tōβ 'part' 346 § 37.
tom v. *tam*.
traft 'stolen' 312. Cf. *truftak*.
truftak 'stolen' 285 §§ 58–59, 312.

urvāhmanīh 'joy' 194 n. H, 283 § 44, 308. Cf. *purr-urvāhm*.
uskār 'consideration'. *ō uskār kart* 'examined', 32.
uskār- 'discuss, consult' 32 *passim*, 324 § 21 (*-t*).
uspurrīkīh 'completion' 347 § 49. Cf. *spurrīk* etc.
ustarak 'razor' 217.
uz- 'rise up' 85 n. 2 (*-išnīh*), 295, 343 § 2 (*-ēnd*), 345 § 25 (*-ēt*), 347 § 49 (*-ēnd*), 390 (*-išnīh*).

vāβarīkānīh 'faith' 194 n. E.
vāδēn- 'make to fly' 344 § 20 (*-īt*).
vahmān 'such a, so and so' 279 § 13, **294**.
vāl- 'grow, wax' 339 § 3 (*-īhēt*).
valg 'leaf' 284 § 56.
van 'victorious' 279 § 8, **291** (*-tom*, *-īh*).
vān- 'conquer' 32 (*-īt*), 262 (*-āt*, *-ītakīh*), 263 (*-īhēnd*, *-īt*), **291** (*-išn*, *-ītak*, *-ītaktom*), 337 (*-īt*), 379 § 5 (*-ītan*), 386 (*-ītakīh*).
vānītārīh 'conquest' 52 n. C (*-ā*), 174 n. 2, 375 § 3, 379 § 5, 385, 390 § 3.
varāγ 'crow' 362 § 27.
varanīk 'pertaining to Varan, heretic, freethinker' 32, 125 n. 1.
varč 'supernatural power, marvel' 30 n. 1 (— *-kārīh*), 263.
varčāvand 'marvellous' 263.
varčēn 'marvellous' 371.
vārom 'mind' 217, 362 § 28.
varōmand 'doubtful' 32, **34 n. j.**
vars 'body hair' 343 § 7, 344 §§ 12–13, 18.
varz 'tillage' 347 § 51.
varzāk 'toiling' 356.
varzvar 'husbandman' 283 § 43.
vāspuhrakānīh 'good government' 32.
vāstar 'pasture' 362 § 15.
vaštīh 'illness' 385.
vatak 'bad' 53, 165 (*-īh*), 279 § 8, **291**.
vat-dil 'cowardly' 403.
vaχš 'increase' 214 n. B.
vāχš 'word, Word' 174 n. 11, 205, 371 (and *-ōmand*), 372.
vaχš- 'grow' 283 § 47 (*-īt*), 347 § 50 (*-āk*, *-ākīh*), § 52 (*-ēt*).
vaχšākēn- 'burn up' 347 § 51 (*-āt*).
vaχšēn- 'increase' 53 (*-ītan*), 263 (*-īt*), 375 §§ 3–5 (*-ītan*).
vaχšīk 'blazing' 156 n. 2.
vāχšīk 'spiritual being' 375 § 3.
vaχšišn 'growth, increase' 145 n. H, 262 (*-īh*), 284 § 49, 344 § 20, 345 § 26.
vāy 'bird' 343 § 3.
vāyišn 'blowing' 383.
vāyišn-dahišnīh 'triumph' 379 § 5.
vāz- 'fly, move' 281 § 25 (*-ēt*), 383 (*-išn*).
vazēn- 'kindle' 322 § 8 (*-ēnd*), **327**.
vāzišnīh 'inspiration' 32.
vazurg-framātār 'prime minister' 40, 52 n. B.
vēčišn 'refraining' 178 n. 2, 194 n. H.
vēn 'breath' 323 § 11, 329.
vēšak 'forest' 362 § 14, 364.
vēχtan (i) 'drive away, neglect' 53. (ii) 'kindle' 362 § 29. Pres. stem *vēč-*.
vičār-, *vičārtan* (i) 'separate, scatter' 102 n. 1 (*vičārt-vars* 'having dishevelled hair'), 369 (*-īhēt* 'is separated, derives'), 371. (ii) 'dispel, scatter' 156 n. 2 (*gumān-vičār* 'dispelling doubt'). (iii) 'explain' *passim*. (iv) 'ward off, keep away' 340 § 18.
vičīh- 'distinguish' 344 § 16.
vičīnkar 'discriminating' 208 n. 3.
vičīr 'decision' 144 n. D, 207 n. 2, 247 n. D, 281 § 25, 299, 399.
vičīrēn- 'explain' 388 (*-īt*).
vičīrkarīh 'discernment' 27 n. 3.
vičītār 'discerning' 283 § 43, 397 (*-tar*).
vičītārīhišnīk 'discerning' 379 § 3.
vičōδ- 'examine, investigate' 32 (*-išnīh*), 385 (*-išn*). Infin. *vičustan*.
vičustan 'examine, investigate' 145 n. H. Pres. stem *vičōδ-*.
vihān 'cause' 384, 385.
vihānak 'occasion' 404. Cf. *bihānak*.
vihēr- 'move, change' 32. **33–34** (*-išnīk*, *-išn*).
vihēžak 'intercalated' 347 § 49.
vihēžakīk 'intercalating' 347 § 49.
vīmand (i) 'border, frontier' 278 § 5, 279 § 7, 290, 339 §§ 4–5. (ii) 'definition' 384, 385. Cf. Pāz. *vīmañd*.

vīmandīk 'to be defined' 112 n. 4.
vīnār-, *vīnārtan* (i) 'establish, set up' 148 n. 2, 216, 217, 283 § 46, 323 §§ 13, 15; 324 §§ 18–19, 344 § 20. (ii) 'maintain, govern, exercise' 193 n. C, 262 (*-t*, *-īhāt*), 289 (*-tak*), 331 (*-ēnd*).
vīnārišn (i) 'order, control, exercise' 79 n. D, 85 n. 4 (*hamē- vīnārišnīk*), 217, 262, 289, 323 § 14, 361 § 4. (ii) 'maintaining' 193 n. C (also *avīnārišnīh*), 217, 385 (and *-īh*). (iii) 'behaviour' 144 n. C.
vīnārtārīh 'maintenance' 375 § 5, 390 § 3.
vināsišn 'destruction, passing away, *φθορά*' 32, **33 n. c**, etc.
vināstārīh 'harming' 216.
vindātan 'find' 195 n. K, 247 n. D.
vinīrišn 'order' 345 § 28.
[1]*vīr* 'intelligence' 396, 407, 408.
[2]*vīr* 'thunderbolt' 309.
vīrāδ- 'prepare, put together' 210 n. 8 (*-ānd*), 211 (*-ēnd*), 324 § 21 (*-ēm*), 332 (do.). Infin. *vīrāstan* q.v.
vīrāδišn (i) 'order' 262. (ii) 'corrective, correction' 145 n. H, 194 n. E.
vīrāstan 'prepare, put together, build' 345 § 23. Pres. stem *vīrāδ-* q.v.
vīrāstakīh 'operation' 375 § 4.
vīrāstārīh 'orderliness' 375 § 5.
vīrōmand 'intelligent, scholar' 145 n. H.
virravišn 'faith' 261 n. B, 346 § 35.
visāndak 'scattered' 329.
visāndan 'tear apart, disperse' 343 § 3.
vistarag 'clothes' 30 n. B, 194 n. H.
vistartakīh 'expansion' 372.
višātakīh 'open space, void' 339.
viškar 'wilderness' 194 n. H.
viškītakīh 'diffusion' 282 § 38, 306.
viškīt-nērōkīhā 'with energy dissipated' 249, 379 § 5.
viškōβ 'disturber' 174 n. 5.
viškōβ- 'blossom' 345 § 28 (*-īhēnd*). Infin. *viškuftan*.
viškuftan 'blossom' 345 § 27. Pres. stem *viškōβ-*.
višūtak 'abortion (of demons)' 367 § 3, 368 § 8.
višūtan 'give birth to (of demons)' 367 § 3, 368 § 8, 400.
vitangīh 'poverty' 263.
vitār- 'cause to pass, spread abroad' 324 § 16.
vitarag 'passage' 217, 283 § 46 (*dūr- —*).
vitārēn- 'cause to pass away, kill' 87 n. 3.
vitartak 'dead' 399. Cf. *viturt*.
vitast 'span' 361 § 13, 364.
vitīmās 'marvel, mystery' **30 n. B** (and *-īh*, *-īk*), 217, 218, 430 (*-īk*).
viturt 'dead' 343 § 7. Cf. *vitartak*.
viturtan 'die' 218 n. g, 343 §§ 1, 3; 344 § 20.
viyāβ- 'deceive, ruin' 194 n. H (*-īhēt*).
viyāβān 'going astray' 402.
viyāβānēnāk 'deceiving' 298.
viyāβāngar 'deceitful' 298.
viyāβānīh 'deception' 195 n. J.
vizāyišnīk 'harmful' 340 § 28.
vizūtan 'harm' 145 n. H.
vizūtār 'preventing' 86 n 2.

χān (i) 'spring, well' 281 § 25, 299. (ii) 'source, origin' 85 n. 2.
χānīk 'original' 32.
χrafstar 'noxious beast' 281 § 27, 347 § 52.
χru-drafš 'having a bloody banner' 102 n. 4.
χšēn 'dark blue' 322 § 6, 327.
χur-druš 'having a bloody spear' 354, 376.
χᵛāβar 'munificent' 216 (and *-īh*), 379 (*-īh*), 401 (do.), etc.
χᵛāβargar 'fruitful' 216.
χᵛaδāt 'self-create' 89, 202 n. 4, 217, 247 n. C.
χᵛahrīh 'prosperity' 216, 217.
χᵛan-āhēn 'shining metal' 283 § 43, 307.
χᵛap-rāδēnītārīh 'good government' 262.
χᵛār 'easy' 180 n. 2.
χᵛaray 'flame' 283 § 42, 361 § 2.
χᵛārakīh 'ease, bliss' 281 § 30.
χᵛārīh 'ease, comfort' 280 § 22, 297.
χᵛārišn 'drink' 171 n. 9, 193 n. C.
χᵛatān 'kinsmen' 53.
χᵛat-dōšakīh 'self-will' 124, 174 n. 6, 280 § 23, 281 § 27, 301, 376, 379 § 3.
χᵛat-gōhrīhā 'of the very substance' 378.
χᵛatīh 'selfhood, essence' 15 n. 4, 194 n. G, 207 n. 3, 281 §§ 26–27, 289, 374 § 3, 375 §§ 3–5, 376, 383 (*pat χᵛatīh* '*καθ' αὑτό*, *per se*'), 389 § 2, 390 § 3, 391, 392.
χᵛatīk 'essential' 385.
χᵛēšēn- 'appropriate' 194 n. H. (*-īt*), 217 (*-ītan*).
χᵛēšīh 'kinship, possession' 279 § 11.
χᵛētōdat(īh) 'consanguineous marriage' 150, 152, 163 n. B.

yākand 'ruby' 375 § 5.
[1]*yāmak* 'garment' 283 § 47, 322 §§ 5, 8; 344 § 16 ('caparison').
[2]*yāmak* 'vessel' 195 n. K.
yask 'disease' 191 n. 3, 247 n. D.
yatak 'property' 32, **33 n. c.**
yatak-vihērīh 'change of property, *ἀλλοίωσις*' 32, **33 n. c.**
yōy 'stream' 344 § 16.
yumē 'together' 346 § 36.
yut-dātastānīh 'wrong principle, heresy' 27 nn. 2, 3.

yut-gōhr 'of different substance' 339 § 3 (*-īh*), 15; 347 § 45.
yut-vēnišnīh 'heterodoxy' 27 n. 2.
yut-nihātakīh 'distinct nature' 385.
yuχt 'a pair' 179 n. 3.

zaγ 'coal(?)' 281 § 27, **302.**
zaγīk 'like coal(?)' **302**, 340 § 29.
[1]*zahak* 'embryo, offspring' 175 n. 1, 344 § 20, 372, 385. Cf. *ham-zahak*, *huzahak*.
[2]*zahak* 'element, στοιχεῖον' 145 n. I, 146.
zahāk 'parent' 375 § 5, **376.**
zahyāδ 'depth' 283 §§ 43, 46; 308, 361 §§ 4, 7.
zamān kartan 'fix a time, make an appointment' 279 § 13, 293.
zand-ākāsīh 'commentary' 278 § 1, 285.
zarmān 'old age' 215 n. D, 345 §§ 32, 33; 354, 364, 385 (*-īh*).
zarγōn 'verdant, fresh' 216, 284 §§ 51, 53, 56 (*-īh*); **311** (*-īh*), 362 § 14, 364.
zartak 'yolk' 344 § 20.
zāy 'weapon' 118, 340 § 30, 346 § 35, 374 § 3, 375 §§ 4–5.
zēn 'weapon' 302, 337 § 3, 338.
zōhr 'pure water' 361 § 12, 362 § 14.
[1]*zrēh* 'sea' 85 n. 2, 347 § 49, 361 §§ 10, 12; 362 § 14.
[2]*zrēh* 'mail armour' 283 § 44, 308.
zruftak 'dispersed' 262 (*-īhā*, *-īh*), 263 n. c, **330** (and *-īh*, *-īhā*). Cf. *azrōβ-*, *azruft*.
zufāy(*ak*) 'depths' 279 § 7, 281 § 30 (*-īh*), 287, 290.
zufr 'deep, profound' 195 n. K, 217 (— *-rēšak*), 291.
zufr-pāδak (i) 'deep down' 278 § 3, 287. (ii) 'depths' 278 § 5.
zūr 'deceit' 337 § 3.
zūr-mitōχtīh 'lying falsehood' 385.

žah- 'pray for, crave' 16 n. 3.
žōy- 'swallow' 171 n. 9 (*-išn*), 340 § 30 (*-ēt*), 346 § 35 (do.), 354 (*-am*, *-ēt*). Infin. *žūtan* q.v.
žūtan 'swallow' 179 n. 3, 354.
žūtārīh 'swallowing' 166 n. 4.

PĀZAND

ainā 'otherwise' 392 § 56.
aparāχt 'uncircumscribed' 393 § 94, 97 (— *-ǰā*).
asāmąn-χ^{v}adī 'of infinite essence' 393 § 96.
avamąn 'boundless' 393 § 94.
awāχtar 'planet' 158 n. 4 (*-ī*), 164 n. F.
aχ^{v}araidihā 'stupidly' 394 § 106.

bayą 'the constellations' 255 n. 1, 417.
bar 'fruit, effect' 393 §§ 84, 90, 91, 93.
brādarōdī 'rival' 79 n. E.
bun 'origin, cause' 392 § 58, 393 §§ 83, 84, 85, 90, 92, 93.

dāramaa 'subtle' 372. Cf. Phl. *dāramak*.
dīmaspə for Phl. *vitīmās* q.v. 30 n. 1.

ēwar 'certain' 393 § 92, 394 § 100.

farawañd- 'contain, comprise' 393 § 66 (*-ihəṯ*), 68 (do.), 69 (do.), 77 (do.). Infin. *farawastan*.
farawastaa 'bounded, comprised' 393 § 72, 394 §§ 108–9.
farawastaī 'comprehensiveness' 392 § 56, 393 §§ 60, 71, 73; 394 § 111.
farawastan 'contain, comprise' 393 § 67. Pres. stem *farawañd-*.
faršogar 'making excellent' 221.

gadūg 'planet' 159 n. 7.
hambarašn 'complex entity' 393 § 96.
haminīdaa 'united, joined together' 393 §§ 81, 82, 85.
haminīdār 'one who unites' 393 § 82.
hugār- 'subdue, drive away' **373.** Cf. Phl. *ōγārišnōmand*.
huzvār- 'explain' 393 § 80 (*-ąd*).

ǰīk 'rope' 159 n. 6, 164 n. F.

kūstaa 'side' 393 §§ 71–72.

maraomañdī 'numerality' 393 §§ 63–64.

nawāy 'cherisher' 230–1.
nihañg (i) 'a little' **372.** (ii) 'chapter' **372.** Cf. Phl. *nisang*.

ōstyą 'firm, confirmed' 393 § 62.

parāχt 'devoid' 393 §§ 95, 102.

sāmąnmand 'bounded' 157 n. 1, 393 § 96.
sturdaihā 'obstinately' 394 § 105.

vāhar 'false, absurd' 393 §§ 69, 76; 394 §§ 101, 107.
vaχt 'fate' 230.
vazūdār 'injuring' 79 n. E, 159 n. 7 (*kamvazūdārī*).

vičumą v. Phl. *nēzumān* 263 n. f.
vīmañd (i) 'boundary, confines' 157 n. 1. (ii) 'definition' 394 § 104 (*əž vīmañd i* 'in so far as').
vīnāwadā 'evident' 225 n. 1.
vīspaesąm ? 329.
vyāwąnin- 'deceive' 394 § 105.

wayī 'godly, pertaining to the constellations' 230.

χuih 'goodness' 390 § 3.

χᵛadī 'selfhood, essence' 164 n. D, 393 §§ 69, 75, 76, 78, 80, 94, 99; 394 § 106.
χᵛazāraa 'small' 372.
χᵛazīrašnī 'precise' 393 § 75. Cf. Phl. *ōčīrišuīk* q.v.

yō-framānə (for *dō-framānə*) 'having two commands' 230–1, 409.

zahag 'element' 225 n. 1. Cf. Phl. [2]*zahak*.
zarvagar 'making old' 221, 230.

NEW PERSIAN

dahandagān 'the constellations' 417 n. r.
ay 'evil' 418 n. u.

faršgar 'making excellent' 221 n. 4, 223 n. 3.

INDEX OF SUBJECTS

Abū Ḥamīdi Zūzanī, 434.
Aβyātkār i Vazurg-miθr, 397, 404.
Aβyātkār i Žāmāspīk, 250, 398.
Acta Archelai, 212.
Acts of Anāhīδ, 64, 65, 151, 154, 155.
Acts of Pûsai, 151, 154.
Āδurbāδ (Aturpāt), son of Mahraspand, 45, 49, 53; ordeal of, 11, 12, 39; his views proclaimed orthodox, 8, 11, 12, 39, 44, 51; his doctrine continued in Pahlavī books, 12.
Āδur Frāzgerd, Magian High Priest, 435, 436.
Āδur-Hormizd, Persian martyr, 62, 63, 74, 157, 219, 258, 259, 260, 431, 435.
Agathias, 49.
aγ-dēn (heretic), as distinct from *ahramōγ*, 45.
ahramōγ (apostate), 25; as distinct from *aγ-dēn*, 45.
Ahriman, Aggressor, Adversary, Destructive Spirit, *passim*; as Ohrmazd's twin, 4, 26, 80, 120, 245, 429, 431, 432, 435, 439; conceived of Zurvān's doubt, 60–61, 63, 72, 132, 235, 249, 420–1, 428, 433; (elder) son of Zurvān, 5, 13, 65, 70, 220, 266; arises from God's self-ignorance, 235, 391; inherits Zurvān's unawareness, 235; pierces mother's womb and is first born, 64, 66, 422–3, 428, 433.
made king, but inferior to Ohrmazd, 59, 426–7; king for 9,000 years, 69, 72, 426–7; triumphs for 9,000 years, 98; dwells in the world for 9,000 years, 433; power lasts for 7,000 years, 69, 428; masters the world, 67, 433; prince of this world, 70; practical ruler of this world, 248; power relationship with Ohrmazd, 69 ff.; kingdom taken from, 68, 424.
routs Ohrmazd, 99, 133 n. 1, 433; (in Zervanism) evil by choice, 120, 132, 157, 438, clever and sometimes beneficent, 157; shows Ohrmazd how to create luminaries, 63, 147 ff., 429, 438; creates the peacock, 120, 439; his son defeats Ohrmazd's, 101, 443.
theories on his origin in Zervanism, 103 n. A, 412; origin from fire and water, 73, predominantly from water, 78, 267; substance cold, dry, heavy, dark, stinking, 73, 141; is 'cold-dry', 267, 269; associated with water and earth, 267–8; creates water, earth, and plants, 75; females belong to, 187.
principle of evil, 4, 15 n. 7, 29, 58, 342, 410, 415, 433, 440; his substance evil, 164 n. D, 380, 387; 'evil-minded' or 'wrong-headed', 121, 122; desires evil, 369, 438; never thinks, says, or does anything righteous, 317; desires to hurt, 91, 94, 95, 312, 313; destroyer, 4, 68, 187.
liar and deceiver, 4; lies to Zurvān, 68, 424–5, 428.
author of death, 4, 86–87; is disorder, 110; his envy, 313; desires and envies the light, 94, 341; self-willed, 108, 315.
slow in knowledge, 91, 94, 108, 110, 312, 313, 315; without knowledge, 315, 448; without method, 315; unaware of Ohrmazd's existence, 313, 341; 'powerless', 108, 314, 315, 316, against time, 236.
his misery, 109, 110; creates illness, 187, 434, 440, 441, and poverty, 187, 429, 440, and death, 187, 434, 440, 441.
his darkness, 68, 73, 187, 245, 410, 415, 424–5, 428, 434, 448; essence material darkness, 316; dwells in the depths in darkness, 91, 312, 341; stinking, 68, 73, 245, 410, 414, 424; lying falsehood and darkness distinguish him from Ohrmazd, 236, 386.
not infinite, 91, 92; finite, 313; associated with the finite, 93; his creation finite in time, 94, not deathless, 94; will cease to exist, 312; destroyed at Final Body, 313; expelled from Cosmos and slain, 183, 355; cast into hell and bound, 412, 417.
imprisoned in the Cosmos, 434.
has no material function, 135, 180; possesses no spiritual thing, 411.
attacks both ideal and material creations, 100; his first lie, 100; reveres Ohrmazd's creation, 94, 313, and threatens to seduce it, 95, 313, 341; laid low for 3,000 years at chanting of *Ahunvar*, 95, 99, 100, 133, 183, 205, 314, 341; powerless for 3,000 years because of Blessed Man, 359, 360.
creates demons, 313; conceives and bears planets, 157; fashions weapons for attack, 94, 313, 410.

rejects offer of peace, 313; agrees to 9,000 years' battle, 314; fashions body of his creation, 316; body of his creation given to him by Zurvān, 114, 116 ff., 131.
his creation is from material darkness, 209, 316.
receives weapon of Āz from Zurvān, 59, 132, 192, 342, 351; receives garment of Āz from Zurvān, 59, 119, 121 ff., 132, 351; receives garment of false priesthood from Zurvān, 377; chooses his evil garment, 120, 132, 377; made powerless by his own creation, 316.
Primal Whore his companion, 350; aroused by Primal Whore, 74, 184, 359, 360.
drags sky into Void, 343, 363, 365; breaks treaty, 102, and swallows it, 250; defeats the wind, 86; destroys Gayōmart, 241; ridden by Tahmōrup, 241.
appeals to Ohrmazd against Āz, 182; attempts to turn time back, 236; can change Ohrmazd's creation, 369.
reptiles belong to, 187; in form of frog, 359, 360, 437.
object of worship of heretics, 13, 14–15; his 'teaching' suppressed by Kartīr, 24; *see further* Devil-worshippers.
Ahriman (Manichaean), king of darkness, 21.
Ahunvar, basic Zoroastrian prayer: essence of the *Dēn*, 107, 111, 133; is the *Dēn*, seed of seeds, 215 n. E; co-eternal with Ohrmazd, 418; manifestation of the Spirit of the Power of the Word, 133; proceeds from the Endless Form, 129, 316; first creation after Amahraspands, 215 n. E; identified with Zurvān, 134, 418; Ohrmazd's chanting of, lays Ahriman low for 3,000 years, 95, 99, 100, 133, 183, 205, 314, 341.
Ahura Mazdāh, prays to Vayu, 82; *see* Ohrmazd.
ahuras (*asuras*), class of Indo-Iranian deity, 17.
Airyaman, divine Messenger, 177, 187, 349, 352; comes to earth with Artvahišt, 177, 187, 352; duty is fulfilment of the end, 349; resuscitates Gayōmart, Mašyē, and Mašyānē, 349; brings damned out of hell, 262; identical with Sōšyans, 353.
Aiwisrūθrim, assists Fravahrs, 336.
Akōman, the Evil Mind, arch-demon, 121, 135, 175, 377; created, 317.
Alexander of Lycopolis, 71, 167, 175, 212.
Alexander of Macedon, 8, 369, 413.
Amahraspands (Aməša Spəntas), 29, 103, 105, 117, 144 n. C, 184, 199, 204, 215, 237, 275, 317, 333, 334, 335, 359, 360, 368, 386, 395, 415, 429, 430; creation of, 135, 317; wisdom holds sway among, 208; free from opposition, 400.
Amahraspands (Manichaean), the 'light' elements, 430–1.
Amurdāt, Amahraspand, 103, 152, 333; created, 317; adopts plants, 135, 335; Rašn, Aštāt, and Zāmdāt his helpers, 335; as food, 171.
Anaγrān, *see* Endless Light.
Anāhīδ, Persian martyr, 436; *see also* Acts of Anāhīδ.
Anāhīt (planet), *see* Venus.
Anāhitā, 17, 34; temples at Hypapa and Hierocaesarea, 19; *see* Ardvīsūr.
an-Nadīm, Arab chronicler, 113.
Anōš, Mandaean deity: redeemer, 77; stranger, 79.
Antiochus I of Commagene: inscription of, not certainly Zervanite, 20, but χρόνος ἄπειρος mentioned, 31, 449–50.
Aogəmadaēčā, 84, 85, 90, 239, 240.
Arabissus, inscription at, 155.
Arang (River Tigris), 349.
Ardašīr I, son of Pāpak, 7; founder of Sassanian dynasty, 7; re-establishes Zoroastrianism, 8, 35, 51; draws up canon of Avesta, 8; introduces doctrine of inseparability of Church and State, 36; founds fire-temples, 36; model of princely wisdom, 36.
Ardvīsūr, 215 n. D; assistant of Šaθrēvar, 335; assistant of Spandarmat, 335, father and mother of waters, 335; passes good things on to world, 338; *see also* Anāhitā.
Arīš, Demon of Envy, 26; most lying of demons, 31 n. E; propounds doctrine that Ohrmazd and Ahriman are twins, 149, 429–30; tempts Zoroaster, 31 n. E.
Aristotle, 20, 28, 37, 251, 253; Xusrau I interested in, 49; physical theories of, in Pahlavī books, 33, 79, 141 ff.; *see further* matter and form, Mean, potentiality and actuality.
Arnobius, 242.
Aršak, Armenian vassal of Šāpūr II, 69.
Aršišvang: created, 317; assistant of Spandarmat, 335; purifies earth, water, and semen, 335; glory of heaven, and righteousness, 335. *Cf.* Art.
Art: assistant of Spandarmat, 335; is in house of Fortune, 335. *Cf.* Aršišvang.
Artāk Virāβ, 442.

Artvahišt, Amahraspand, 103, 152, 333; created, 317; adopts fire, 135, 334; fire returns to, 335; helpers are Ātur, Srōš, Varhrān, and Nēryōsang, 334; assisted by Rapiθwin, 336; comes to earth to stop slaughter of cattle, 177, 187, 352; stands guard over Ahriman, 411, 417; mediates for the damned, 414.
Asceticism, in Zervanism, 176–82.
Astarte, 78.
Astōviδāt (Astōviδōtu), demon of death, 84, 172, 247 n. D; substituted for Zurvān in *Aogəmadaēčā*, 221, 240.
asuras, *see ahuras*.
Ašōqar: hypostasis of Zurvān, 57, 143, 219, 435, 439, 441; 'who makes virile', 220; 'male-maker', 222; male principle in Zurvān, 223; father of Cosmos, 222; presides over action *in potentia*, 224; causes conception, 224.
Aštāt, assistant of Amurdāt, 335; brings souls to account, 335.
Attargatis, 78.
Ātur: assistant of Artvahišt, 334; fire returns to, 335; as Artāk Virāβ's guide, 442.
Augustine, St., 21, 71, 118.
Aurvasāra, prays to Vayu, 82.
Avesta, 103, 435; tradition on its origin and history, 7–9; called *zamzamat* by Arabs, 62; unknown and cryptic language, 430; does not contradict itself, 27; is word of Ohrmazd, 15; tongue of Ohrmazd, 415; omniscience and incomprehensible, 430.
Aχt (Aχtya), 240, 242; sorcerer and devil-worshipper, 30 n. A; allegedly contemporary of Zoroaster, 30 n. A.
Āz, concupiscence, 59, 61, 69, 115, 124, 166 ff., 244, 245, 413, 445; acquisitiveness, gluttony, and lust, 115, 176; every form of desire, 116; akin to desire, 173; greed, 168, 171; insatiable, 171, 193 n. B; opposed to contentment, 171, 180, 182.
predominantly Zervanite demon, 166; unimportant in Avesta, 166, 168.
male in Avesta, 166; probably female in Zervanism, 168; original female element, 188, 268.
natural adversary of Zurvān, 237, 252; cosmic disorder, 252; enemy of order, 175; upsets natural law, 237.
original evil with God, 175; as Zurvān's doubt and desire, 237.
comprises all evil, 352; excess and deficiency, 102, 175, 253, 352; as hunger and thirst, sexual desire, and desire for good things, 176 ff., 253; abuse of legitimate activities, 175; attacks both nature and will, 172; corrupts nature, 171; enemy of the body, 171; demon of death, 172.
misuse of intellect, 175; fights with reason for $\chi^{v}arr$ of man, 172–4; makes man forget his eternal destiny, 180, 195 n. J; adversary of Srōš and the Mean, 175.
equivalent to and inclusive of Varan, 131, 174–5; supreme commander of demons, 168, 176, 351; Ahriman has most strength from, 351.
garment steeped in essence of, given to Ahriman, 59, 132, 192, 342–3, 351.
divides her powers into three, 351–2; power gradually dwindles, 351; swallows up the demons, 115, 177, 182, 352, 354; turns against Ahriman, 115, 182, 352, 355; smitten by Srōš, 183, 253, 355; overthrown by Tetrad of Order, 175, 201, 229, 237, 252, 253, 254, 369.
Āz (Manichaean): ὕλη and *concupiscentia*, 167, 168; 'disorderly motion', 167, 175, 192; gluttony and lust, 170; mother of all the demons, 166, 192; takes precedence over Ahriman, 167, 169; forms body and imprisons soul in it, 169; creates bodies of first man and woman, 170; blinds soul to its true origin, 169; mingles with plants and animals, 169, 179; devours abortions of the demons, 179.

Babylon, 17, 20, 144 n. F, 155, 158, 449; influence of, 19–20.
bayō-baχt, special dispensation of gods, 256, 404.
Bahman-Yašt, 97, 102.
Bahrām, *see* Varhrān.
Bahrām (Mandaean), 77.
Bahrām I, 38, 51.
Bahrām III, 24, 39.
Bahrām V, 40, 43, 45, 54; said to have retired Mihr-Narsē, 46.
Bahrām Čōβēn, rebel defeated by Xusrau II, 51.
Bahrām fire, 43; *see also* Fire.
Balāš (Valaχš, Vologeses), Sassanian king, 47.
Bane (*Sēž*), arch demon; commander of the North, 351; swallowed by Āz, 182, 354.
Barbelo, mother and πρωτάνθρωπος, 78.
Bardesanes, 77, 167; his views on Space, 202.

barsom, bundle of sacred twigs, 78; handed by Zurvān to Ohrmazd, 66, 72; symbol of priesthood, not royalty, 66–67.
Basil, St., 113, 144 n. B, 449.
Baχt 57, &c.; *see* Fate.
Bel'amī, Persian translator of Ṭabarī, 43.
Bērunī, 97.
Book of John (Mandaean), 77.
Bōχt-Mārā, Christian polemist, 430.
Brahmā (Buddhist), 22.
Brahmans, persecuted by Kartīr, 11, 24.
Buddha, 272.
Buddhists, persecuted by Kartīr, 11, 24.
Bundahišn, *passim*; two recensions, 81, 277; author dualist and traditionalist, 92; Zurvān myth in, 26, 105; partly 'semi-Zervanite', 71.
Burz, assistant of Šaθrēvar, 335; assisted by Uzayarin, 336.
Burzēn-mihr fire, established on ridges of Vištāsp, 367.

Castes, 259, 261; priests, warriors, husbandmen, and artisans, 123; their heavenly patrons, 123; derived from 'primal instrument', 139.
Cattle, propitiated by Kartir, 24, 25.
Chaldaeans, 28, 47.
Christians: persecuted by Kartīr, 24, 25, and by Yezdigird II, 29, 44; rebuked for mocking at Fate and Fortune, 59; full liberty under Xusrau I, but persecuted by Dāδ-Hormizd, 49.
Činvat Bridge, 87, 90, 203, 275, 335, 338; broadens for the righteous but narrows for the wicked, 199.
Čištā, 275.
Clement of Alexandria, 20.
Consanguineous unions: habitual, 43; permitted, 440; encouraged by Kartīr, 25; most meritorious action possible, 151–2, 155; Ohrmazd learns of, from Ahriman, 438; Ohrmazd's triple incest generates luminaries, 63, 148 ff., 429, 435–6, 438; Ohrmazd and Spandarmat, 152.
Cosmas of Jerusalem, 232.
Cosmic period, 12,000 not 9,000 years, 96–100, 266, 315.
Cybele, 78.
Cyrus, 19.

Dāδ-Hormizd, Magian high priest under Xusrau I, 49–50.
daδvs, *see* Three Creators.
Dahāk (Ẓaḥḥāk, Aži Dahāka), 259, 367, 369; reigns 1,000 years, 413; bound by Frētōn, 413; slays Yam, 413; prays to Vayu, 82; said to have composed Pentateuch and built Jerusalem, 30 n. A.
Daharīs (Dahrīs), materialist sect: derive world from Infinite Time, 23, 267; deny heaven and hell, 23, 267; identical with Zandīks, 267.
Dahmān Afrīn, 'the Praise of the Wise', a deity, 136; assistant of Šaθrēvar, 335; rules the sky, 365; equated with Blessed Man, 365.
daiva, class of Indo-Iranian deity; demonized in Irān, 17; not gods of foreign cults, 17.
daivadāna, temple (or law) of *daivas*, destroyed by Xerxes, 16.
Damascius, 20, 55, 88, 202, 245, 447; takes refuge in Ctesiphon, 49.
Dārāy, son of Dārāy (Darius Codomannus), orders Avesta to be written, 7–8.
darkness: first existent thing, 55; Cosmos constructed from, 70–71; prior to Ahriman, 245; essential element in Ahriman, *see* Ahriman.
darkness of lying falsehood, 210, 213, 236.
dātastān, (cosmic) order, 58, 176, 192, 246, 250 ff.; of Time, 248; characteristic of Ohrmazd's creation, 110; equated with the Mean, 251; opposed to Āz, 175; governs material creation, 132; rehabilitation achieved through, 253.
dātastān, Genius of: probably name of Srōš, 246 n. B; overthrows Āz, 175, 201, 229, 237, 369.
Dātastān i dēnīk, 87, 97, &c.; most orthodox Mazdean book, 166, 180.
Dēn, the Religion, 275; is omniscience, 91, 144 n. D, 204, 215 n. E, 312, wisdom, 91, 144 n. D, 207, 215 n. E, or seed of wisdom, 207; manifested in wisdom, 207; wisdom manifested in, 207.
is will of Ohrmazd, 130, 144 n. D, goodness, 204.
is *Ahunvar*, 215 n. E, 316; summed up in *Ahunvar*, 107, 111; dwells with Vahuman, 317.
one of the three Creators, 333, 334; called seed of seeds, 211, 215 n. E.
encompasses the luminaries, 208; as girdle, 215 n. E, of Spandarmat, 155, 163 n. C; assistant of Spandarmat, 335; in house of Fortune, 335; rule for man's will and action, 389.
Dēnkart, *passim*; its text corrupt, 6–7; dates in substance from Sassanian period, 7; handed down in family of Āδurbāδ, 12; once attacks Zervanite myth, 26; little affected by Zervanite ideas, 12; 'semi-Zervanite' in places, 26; deplores heresy, 27.
dēvāsnīh, *see* devil-worshippers.

Devdat, son of Afšīn, 16.
devil-worshippers, 10, 30; sect described by Plutarch, 13–15, 448; worship Ahriman and demons as well as gods, 14–16, 20, 35; sacrifice to Ahriman, 448; deny rewards and punishments, 14; claim a revelation, 14–15; widespread cult, 15, though clandestine, 16; antecedents of Mithraists, 19, 35; influence Šāpūr I, 37; teaching of Ahriman suppressed by Kartīr, 24; many converted to orthodoxy by Kartīr, 25; excluded from Zoroastrian Church, 35.
Dio Chrysostom, 20, 226.
Diogenes Laertius, 13, 18.
dušāmōč-dēnīh, heretical sect, 13.

Elements, 144 n. C, 411, 414, 441; are gods, 440, but inferior to Zurvān and his hypostases, 219, 225; principle of material things, 225; 'seed of seeds of material creations', 141; proceed from Endless Light, 141, or Spihr, 128, 225, 266; first 'form', 225, 266; first manifestation of matter, 225; belong to Ohrmazd and Vahuman, 435; maintain character of *χᵛarr*, 370; in man, 412; at the *fraškart*, 227–8; called Amahraspands, 431; in Dio Chrysostom's 'Song of the Magians', 226.
Ełišē Vardapet, Armenian historian, 41, 47, 54, 59, 62, 67, 68, 441; claims to be eyewitness of events he describes, 29, 43; shows detailed knowledge of Zoroastrianism, 42–43; Zurvān myth in, 54 ff., 419–28; preserves (spurious) edict of Mihr-Narsē, 40.
Elkesaïte Gnosis, 72, 76.
Elxai, receives book from Parthians, 76.
Empedocles, 142.
Endless Darkness: in the depths, place of Ahriman, 91, 126, 312; infinite in downward direction, 93, 313; lying speech created from, 316.
Endless Form, the, 269; is 'primal instrument', 373; fashioned from the Endless Light, 127, 316, 373; proceeds from material light, 129, 209; made of fire from light, 113, 128; material and spiritual, 127, 129, 133, 373; exempt from passage of Time, 316; as embryo, 128, 374; creation within it, 127, 316, 373; wisdom infused into, 132; *Ahunvar* proceeds from, 129; results in Cosmos (Spihr), 130, 136, 374.
Endless Light, the, 199, 201, 203, 364; place of Ohrmazd, 70, 91, 96, 126, 312, 334; infinite in upward direction, 93, 313; assimilated to Space, 202, 371; throne of God, 202; Ohrmazd's creation proceeds from, 126, 136; seed of *χᵛarr*, 211, 370.
not eternal in Zervanism, 209, 234; proceeds from self-awareness of deity, 209; first result of creative act, 391.
equated with Garōδmān and with place of Ohrmazd, 135, 144–5; confusion over names *anaγrān* and *asar rōšnīh*, 144, 333–4; as Anaγrān assistant of Šaθrēvar, 335; controls the sky, 335.
Epiphanius, 54.
Epistle of Tansar, 259; not genuine, dates from reign of Xusrau I, 10, 44, 47, 49.
Ēšm, demon of wrath, 378, 412; made commander of the East, 351; smitten by Mihr, 102, or Srōš, 201, 369; swallowed by Āz, 182, 354.
'Euchites', dependent on Zervanism, 70, 450.
Eudemus of Rhodes, 20, 21, 49, 88, 89, 447; Zurvān myth in, 55, 245.
Eusebius, 232.
Eznik of Kołb, Armenian apologist, 21, 40, 41, 80, 81, 88, 97 ff., 129, 140, 147 ff., 235, 237, 254, 266, 268, 269, 371, 438, 443; on Zoroastrian sects, 28–29; Zurvān myth in, 54–78, 419–28.

Farnbaγ fire, established in Chorasmia, 367.
Fate (Mazdean): controls material existence only, 256, 257, 406, 407; works together with man's will, 255, 405; the cause, man's effort the occasion, 256, 405; responsible for life, wife, children, sovereignty, and riches only, 256, 406, 407, 408; no jurisdiction over the spiritual, 257; what is not fated cannot come to pass, 402, 403, 406; cannot be escaped, 241, 399, 403.
Fate (Zervanite): as definition of Zurvān, 59, 65; Zurvān manifested in, 254; lord over all things, 90, 402; Lord and King, 257, 260; Ohrmazd powerless against, 108; three stages in, 229; alters man's character, 258, 403–4; earthly lot prolonged in heaven, 258–60, 435; overthrows Āz, 175, 201, 229, 237, 369.
Fate, course of, immutable, 108–9, 229, 315.
Father of Greatness (Manichaean), 64, 65, 78, 205. *Cf.* Zurvān (Manichaean).
Female Element: in deity, 62; both distinct from and implicit in Zurvān, 64, 65; called Zurvān's wife, 63, 65; named Xᵛaš-χᵛarrīγ, 64–65; mother, principle of darkness, 72; equated

with darkness, 72, 188, 268, 447; originally evil, 74; principle of chaos and concupiscence, 192.
as water, dark, and evil, 72–74, 268; 'cold-dry', proceeds from Spihr, 268.
as J̌ēh, Primal Woman, 183 ff.; females belong to Ahriman, 75, 187; *see also* Āz, J̌ēh.
Fihrist, Arab chronicle, 36.
'Final Body', 271, 314, 317, 336, 381, 389, 390; is Zurvān's 'glorified body', 133; macrocosm made perfect, 253; temporality ceases with, 224; absorbed into Infinite, 266; means Ohrmazd's supreme rule and destruction of Ahriman, 313.
Firdausī, 242 ff., 272, 442; knew popular Pahlavī religious texts, 241; reproduces Zervanite doctrines, 266; his real religion Zervanite pessimism, 242.
Fire, 85, 197; son of Zurvān, 73; created before Ohrmazd and Ahriman, 67, 72, 201, 228, 267, 410; considered a god, 440, 449; male, brother and spouse of water, 73, 79, 228, 268; father of all material things, 73, 79.
child of Ohrmazd, 64, 436; created from Endless Light, 318; brilliance from Endless Light, 334, 366; fashioned from mind of 'primal instrument', 366; seventh material creation, 135, 318, 334, 341.
unwilling to go down to earth, 367; associated with air, 72, 73; permeates all six 'elements', 342.
in plants, 319, 349, 366; origin of seed of men and bulls, 320; thwarts growth, 227, 353; does not kill, 84; brings about end of world, 225, 227, 353–4; appearance of fiery horseman at end of world, 227.
fires established by Kartīr, 24, 25; ministration to, 47, 53, 73; demonized in some systems, 76; female according to Elxai, 76.
Fire (Mithraic), brother of water, 79.
Firmament, *see* Spihr, Θwāša.
'First Body', *see* Spihr.
Fortune, 57; as definition of Zurvān, 59, 65, or his hypostasis, 62, or consort, 129; sacrificed to by Zurvān, 62, 65; *see further* Xᵛarr, Xᵛaš-χᵛarrīγ.
Frāsyāk (Āfrāsyāb), 369, 413, 442.
fraškart, final rehabilitation of world, 23, 85, 119, 166, 224, 236, 247, 253, 350 ff.; corresponds to Christian resurrection, 223; brought about by fire, 227, 353; lasts 57 years, 353.
Frašōqar, Hypostasis of Zurvān, 57, 143, 219, 435, 439; 'who makes good', 222; 'who makes bright', 220; presides over birth, 224; brings Cosmos to birth, 223–4; produces *fraškart*, 223, 224; as father of Ohrmazd, 57, 220, 441.
Frašōštar, 259, 260.
Fravahrs (Fravašis), 321; man's Fravahr in presence of Ohrmazd, 334; agree to go down to earth, 336; in man, 412, 414; assisted by Aiwisrūθrim, 336; assistants of Hurdāt, 335.
Frāχᵛkart, mythical sea, 365.
free will: salvation obtained by, 256–7; operative in spiritual sphere, 257.
Frētōn (Θraētaona, Farīdūn), 259, 369; binds Dahāk, 413.

Gandarəwa, 442.
garments (Mandaean), 118.
garments (Manichaean), 118.
garments (Zoroastrian), *see* Ahriman, Ohrmazd, Spihr, Varan, Vāy, Zurvān.
Garōδmān, 145, 199, 201, 411, 414; place of the Sun, 135, 333–4; highest of six heavens, 214 n. B; treasure-house, 214 n. B.
Gāθās, 17, 68, 80, 120, 149, 151.
Gayōmart (Blessed Man), 170, 177, 366, 398, 411, 443; creation of, 137, 318, from the earth, 320; created by Ohrmazd, 241; born of Spandarmat, 137, 367; seed fashioned from fire, 320; 'like the Sun', 136, 319; origin of man, 113, 184, 187, 191, 222, 320; created to smite Ahriman, 318; keeps Ahriman at bay, 183, 190, 238.
has intercourse with J̌ēh, 190–1, 238, 351; assailed by Āz and other sins, 191.
different accounts of his death, 27–28; lives 30 years after Ahriman's attack, 238, 247 n. D, 367; his death, 411, 417; first human couple from his seed, 192; resurrected by Airyaman, 349.
Gayōmarθiyya, 97.
Gēhmurd, Manichaean first man, 170. *Cf.* Gayōmart.
Ginzā, Mandaean sacred book, 77, 104 n. D, 118, 153, 160, 261 n. A, 363.
Gnosticism, 79.
Gnostics, 3, 59, 70, 71, 76, 77, 78, 113, 128, 143, 160, 192, 261, 267; Iranian influence on, 202.
Gōčihr, 159, 164 n. E, 417; bound to Sun, 159.
God of the Laws (Marcionite), just but imperfect, 59.

Gōš, assistant of Vahuman, 334.
Gōšurvan, receives and distributes seed of cattle, 334; receives body of cattle, 334.
Great Bear, the, *see* Haptōring.
Greek influence on Zoroastrianism, 139 ff. *Cf.* Šāpūr I.
Guršāsp (Kərəsāspa), 259, 442.
Gušnasp fire, established in Atropatene, 367.
Guštāsp, *see* Vištāsp.

Hamēstagān, purgatory, 202, 401, 414.
Haptōring (the Great Bear): ruler of the North, 148, 159, 163 n. A; attacked by Jupiter, 159; more powerful than Jupiter, 160.
Harburz, half of the sky, 365.
Hāvan, genius of dawn, 336.
Hell, temporary condition, 258, 261–2.
Hera, 226; represents air, 227.
Herodotus, 68, 73.
Hestia, 226; represents earth, 227.
Hesychius, 13.
Hewath, *see* Rūhā.
Hibil(-Ziwā), Mandaean deity, 77; 'stranger', 79; his descent into Hell, 261 n. A.
Hippolytus, 72, 73, 76, 78, 268, 447.
Hōm, 366, 442; genius of immortality, 210, 215 n. D; assistant of Šaθrēvar, 335; girds himself with the *Dēn*, 210.
Homilies (Manichaean), 38.
Hormizd I, favours Manichees, 38.
Hurdāt (Amahraspand), 103, 152, 333; created, 317; helpers are Tīr, Wind, Fravahrs, 335; adopts water, 135, 335; as drink, 171.

ideal creation, motionless for 3,000 years, 131, 313, 342; the Amahraspands, 333.
Ideal Year, 111; proceeds from *Ahunvar*, 111, 134. *Cf.* Spirit of the Year.
Indian *Bundahišn*, basic text for Mazdean cosmology, 91.
Indian Influence in Īrān, 10; introduction of chess and *pancatantra*, 50; Puruṣa myth, 137 ff.
Indar (Indra), arch-demon, 17, 135, 317.
Indra (Buddhist), 22.
Indra (Vedic), 83, 137.
Infinite, the: as Time and Space, 91, 232, 394; indivisible, 394, 395; all-pervading, 91; nothing can exist without, 92, 232, 395; incomprehensible even to God, 92, 232, 394, 395; boundless in essence, 395; uncircumscribed in space, 395; finite cannot proceed from, 233; *see further* Space, Zurvān.
Irenaeus, 54.
Jains, 3.
J̌amšīd, *see* Yam.
J̌ēh, the Primal Whore, 74, 183 ff., 268, 350–1; Ahriman's companion, 350–1; originally woman, 183, 187; made queen of her brood, 351; arouses Ahriman from his torpor, 74, 184, 359, 360; asks for the desire of man, 184, 189, 359, 360; worst adversary of Blessed Man, 351; unites with Gayōmart (Blessed Man), 190, 351; defiles human race, 74, 191; old chthonian goddess, 75.
Jōšamīn, Mandaean deity, 60.
Jupiter (planet), 417; propitious, 159–61; planet of life, 160; in sixth heaven, 417; compared to skin in man, 162; attacks Great Bear, 159; spirited into eighth heaven, and substitute put in his place, 161.

Ka'beh i Zartušt (inscription), 11, 22, 24, 26, 138.
Kainawiyya, 76.
Kārnāmak i Artaχšaθr i Papakān, its matter legendary, 36.
Kartīr, 23–26, 37, 38, 51 ,138, 139; *hērbaδ* under Šāpūr I, 11; *mōbaδ* under his successors, 11; great inscription of, 11 ff., 24; not identical with Tansar, 10; his persecutions, 11–24; carries Magianism to non-Iranian provinces, 24; converts 'devil-worshippers', 25; encourages consanguineous marriages, 25; policy of, first victory of Mazdean orthodoxy, 38, 51; responsible for Mānī's execution, 26.
Kavāδ (Qubād), 47, 51; favours Mazdak, 11, 47.
Kayōs (Kā'ūs), 369, 442.
Kephalaia, Manichaean treatise, 36, 159, 167, 206.
Kərəsāspa, *see* Guršāsp.
King of Darkness (Mandaean), ignorance of, 104 n. D.
King of Light (Mandaean), 104 n. D.
Krūn; Mandaean demon, 261.

Łazar of P'arpi, Armenian historian, 40, 41, 43.
Lie, the: synonym for evil, 17, 68, and *passim*; lying equivalent to heresy, 75.
Light, prior to Ohrmazd, 245; *see* Endless Light.
Light of Wisdom, 210, 213, 236.
Luminaries: creation of, 147–8; created by Ohrmazd's incest, 147 ff., 157, 436; control all creation, 374; associated with priesthood, 377. *See also* Moon, Planets, Stars, Sun, Zodiac.

Lying Speech, created from Endless Darkness, 316.

Macrocosm, 136 ff., 145 n. G, 252, 253; *see* Spihr, Zurvān.
Magians, 8–9, 13, 14, 16, 20, 42, 43, 47, 49, 50, 58, 62, 72, 73, 97, 148, 210, 429, 432, 434, 437, 440, 443, 447, 448, 449; honoured by Kartīr, 24; become all-powerful, 25; sent by Yezdigird II to convert Armenians, 42; defeat Mazdak in controversy, 48.
relation to *μαγουσαῖοι*, 18; influenced by Babylonian thought, 19; emigrate westwards, 19; adopt Aramaic, 19; in Asia Minor and Caucasus, 24; rights for, in Asia Minor obtained by Xusrau I, 50.
Magusaeans, 18; Magians in Roman Empire, 232, 449; have no books, 449; think Zurvān their ancestor, 449.
Mahmi, demon, 156, 157, 271; betrays Ahriman's knowledge to Ohrmazd, 63, 147 ff., 438; teaches Ohrmazd how to make world light, 439; sacrifice offered to, 148, 439; etymology, 148–50.
Mahraspand, *see* Mānsraspand.
Malalas, 48.
Man: composed of body, spirit, soul, prototype, and *fravahr*, 334; soul, intelligence, consciousness, and *fravahr*, 412.
Mandā d'Hayyē, Mandaean deity: saviour and 'stranger', 79; his garment, 118.
Mandaeanism, 71, 118, 152 ff., 161; Christ a maleficent being in, 76–77, 79.
Mandaeans, 24, 79, 153, 159, 164, 261.
Mānī, 10, 30, 38, 70, 269, 450; begins mission in A.D. 242, 22; done to death by Kartīr, 26, 38.
Manichaeanism, 71, 78, 161, 167 ff., 212, 219, 261; dualism of spirit and matter, 4; largely of Christian heretical and Gnostic origin, 38, 167.
Manichaeans, 4, 16, 26, 64, 71, 96, 107, 113, 118, 159, 164, 166, 168, 182, 185 ff., 206, 432, 436; adopt Zoroastrian terminology, 21, 430; condemn reproduction of species, 170; favoured by Šāpūr I, 10, 36; persecuted by Kartīr, 11, 24, 25, 38.
'manifestation', 235; of Being, Ohrmazd, &c., 107 ff., 383; of Time and Space, 134, 225, 383; of the potentiality of God, 252; of good and evil, 271; of wisdom, 383; of nature in the Cosmos and of spirit in the *Ahunvar*, 133; reveals God as imperfect, 253.
Mānsraspand (Mahraspand), 275; created, 317; is the word of Ohrmazd, 335; assistant of Spandarmat, 335; associated with robe of priesthood, 377.
Mānuščihr, author of *Dātastān i dēnīk*, 90, 180; classical exponent of Mazdean orthodoxy, 261; concerned with Zātspram's heterodoxy, 96; avoids all mention of Zurvān, 90; his epistles, 96.
Mâr Abhâ, Christian convert from Zoroastrianism, 58, 147, 154, 437.
Mâr Barhad-Bešabbâ, Bishop of Halvan, 219, 439.
Marcion, 59, 79, 153, 167.
Marcionites, 24, 79.
Mardān-farruχ, author of *Šikand-gumānī Vazār*, dualist and rationalist, 92, 107.
Mard-būδ, *mōbaδān-mōbaδ* of Pērōz, advises Mihr-Narsē's retirement, 46.
Marduk, 17.
Mars (planet), 378; attacks Vega, 159; more powerful than Vega, 160; in fifth heaven, 161, 417; compared to veins in man, 162.
Maruts, 83.
Mas'ūdī, Arab historian, 10, 36, 38, 42, 44, 46, 49, 62, 96, 210 ff., 267, 443.
Mašyā and Mašyārē, first man and woman, 75, 195 n. I, 416, 443; arise from Gayōmart's seed, 137, 191, 192; proclaim Ahriman creator, 178; sin by drinking milk, 178; both equally perverse, 191; resuscitated by Airyaman, 349.
Mātiyān i hazār dātastān, Pahlavī law book: slighting reference to Mihr-Narsē and Yezdigird II in, 45–46; reflects views of Zoroastrian orthodoxy, 46.
matter (Manichaean), principle of darkness, 71.
matter (Mazdean), basically good, 4, 180.
matter (Zervanite): neutral substance, 130; substance of Zurvān, 210; source of creation and prior to Ohrmazd and Ahriman, 210; body of finite Zurvān, 130; actualized by Time, 384; used in Aristotelian sense, 384.
matter and form, 208, 225, 267; elements first 'form' of matter, 225.
Mazdak, Communist infidel, 11, 44, 45; wins support of Kavāδ, 47; massacred with his supporters, 48.
Mazdean distortion of Zervanite texts, 119, 125, 128, 203, 240, 265, 266.
Mazdeanism: fully dualist Zoroastrianism, 12, 58; admits two principles, 29, 30; assimilates Ohrmazd to Infinite Time, 234; denies infinity to Ohrmazd and Ahriman, 233; champions freedom of

will, 271; anti-ascetic, 180; advocates reproduction of species, 170; triumphant under Kartīr, 38, 51; official under Šāpūr II, 12, 39, 51, and under Xusrau I and after Islam, 12.
Mean, the, 58, 176, 246, 250; Aristotelian borrowing, 251; claimed as essentially Iranian, 252; opposite of excess and deficiency, 250; opposed to Varan, 253; equated with *dātastān*, 251; power of order through which rehabilitation is achieved, 253, 254; substance of Ohrmazd and law of Zurvān, 253; controlled by wisdom, 250; associated with reason and religion, 253; sum of goodness, 386; carried off by demons, 250.
Mēnōk i χrat, *passim*; semi-Zervanite in places, 26, 117, 200; preaches detachment from world, 181.
Mercury (planet): does both good and evil, 160; attacks Sirius, 159–60; of equal strength with Sirius, 160; in second heaven, 161, 417; compared to bones in man, 162.
Mihr (Mithra), 82, 89, 350; created, 317; god of contracts, 101, 102; *harvisp-patmān*, 102; μεσίτης, 101, 149, 448; judge and mediator, 101; upholds treaty between Ohrmazd and Ahriman, 102, 237; between Ohrmazd and Ahriman, 448; confused with Sun, 101; helper of Zurvān, 239; all good things entrusted to, 254, 400; presents *barsom* to Sassanian kings, 66; smites Ēšm, 102; overthrows Āz, 175, 201, 229, 237, 369; assistant of Šaθrēvar, 335; assisted by Hāvan, 336, and Sōk, 338; identified with Apollo, Helios, and Hermes, 31 n. C.
Mihr (Mandaean), 77, 363.
Mihr, Srōš, Rašn, 363; with Zurvān as Tetrad of Order, 229; uphold treaty between Ohrmazd and Ahriman, 102–3, 115; judge the dead, 77, 103; preside over the earth, 136; principal agents of *fraškart*, 247; the three judges, 321.
Mihr-Narsē, Prime Minister of Yezdigird I, Bahrām V, and Yezdigird II, 40, 43; not influential under Yezdigird I, 43; dominant influence under Bahrām V and Yezdigird II, 43–45; endeavours to convert Armenian Christians, 40; retired by Pērōz, 46; considered a 'sinner' by later Mazdeans, 46; was a Zervanite, 47, 51; eldest son called Zurvāndāδ, 41; decree of, 40 ff., 59; revives caste system, 125; makes his sons titular heads of castes, 230.
isvan, purgatory, 202; *see hamēstagān*.
Mithra, *see* Mihr.
Mithraism, 19, 65, 79, 143; derives from 'devil-worshippers', q.v., 19–20.
Moon, 100, 136, 144, 156, 160 ff., 186, 197, 226, 319, 333, 342, 349, 350, 353, 365, 412, 444, 445; child of Ohrmazd by his sister, 63, 147, 151, 154, 157, 429; like an embryo, 374; created by Ohrmazd, 75, 198; in first heaven, 417; between Sun and stars, 148; collects good works, 214 n. B; all good things entrusted to, 254, 400; passes good things on to world, 338; receives prototype of cattle, 334; assistant of Vahuman, 334; compared to marrow in man, 162; worship of, 43; *see also* Luminaries.
Moon, dark: bound to Moon, 160, 164 n. F; responsible for eclipses, 158.
Moses of Chorene, Armenian historian, 113, 144.
Mother goddess: in Zervanism, 62 ff., 78; principle of darkness, 72; as water, 73; in other systems, 78. *See* Female Element.
Mother of Life (Manichaean), 64; first evocation of Father of Greatness, 78; evokes Primal Man (Ohrmazd), 65.
'movement of becoming': is 'form' contained in the seed, 112; is the elements, 141, 142, 374.
Mūšparīk, 159; bound to chariot of Sun, 159, 164 n. E.

nafs-i-kull, universal soul, 212.
Namrūs, *see* Rūhā.
Nāŋhaiθ, arch-demon, 135, 317, 412.
Naqš i Rajab (inscription), 23, 25, 26, 38.
Narsē, god: displayed by Ohrmazd to excite desire of woman, 184, 189, 441; *see* Nēryōsang.
Narsē, King, 23.
Narsē (Manichaean), *Tertius Legatus*, seducer of Archons, 186.
Nature (*čihr*): as opposed to 'will' (*kām*), 128, 144 n. C, 171, 178, 235; physical side of man, 171 ff.
Nēryōsang: created, 317; messenger of gods, 186–7; fire returns to, 335; receives two-thirds of Gayōmart's seed, 185; assistant of Artvahišt, 334. *Cf.* Narsē.
Niẓāmu'l-Mulk, 193 n. B.
Nuzi documents, 20, 88.

Ohrmazd (Zervanite): as Ahriman's twin, 4, 26, 80, 120, 245, 429, 431, 432, 435, 439; (younger) son of Zurvān, 5, 13,

60, 70, 220, 266; engendered by Frašōqar, 57, 220; divulges Zurvān's thought to Ahriman, 66, 423, 428; born through Zurvān's sacrifice, 60 ff., 422–5, 433, 435, and from his wisdom, 61, 66, 132, 433; emanated as light, 130.
receives *barsom* from Zurvān, 66, 68, 424–5; made king above Ahriman, 69; rules world of spirit, 70; routed by Ahriman, 99; craves assistance of Time, 55, 95, 341.
formed from fire and water, 72, 201, predominantly from fire, 78, 267; is 'hot-moist', 267, 269; substance is warm, moist, sweet-smelling, light, 73, 141.
receives garment from Zurvān, 119, 121, garment of priesthood, 120, 122 ff.
good but not wise, 157; weak and stupid, 435, 438; powerless against fate, 108; cannot create man except through woman, 188; unable to create luminaries, 71, 147 ff., 435, 438, until instructed by Ahriman, 147 ff., 435, 438; incestuous creation of luminaries, 63, 147 ff., 154, 429, 435–6; dyes Time with good and evil, 93, 125, 381.
creates males only, 75–76; males only belong to, 187; displays Narsē to excite desire of woman, 184, 189, 441; his son conquered by Ahriman's, 101, 443.
Ohrmazd (Mazdean): Bounteous Spirit, *passim*; his omniscience, 91, 94, 204, 233, 235, 312, 314, 349, 359, 370, 384, 389, 391, and wisdom, 15 n. 4, 91, 93, 122 ff. (*see* 'Wisdom'); his wisdom is the *Dēn*, 91, 144 n. D; creates through wisdom, 132; his wisdom not infinite, 92, 93; all-perceiving, 314; can only be comprehended by Wisdom, 198, 199; distinguished from Ahriman by Wisdom and Light of Wisdom, 236, 386.
his goodness, 4, 15 n. 4, 29, 58, 93, 197, 204, 312, 342, 384, 410, 433, 439–40; his substance is goodness, 164 n. D, 380, 386; omniscience and goodness his totality, 204, 312; good by choice, 120, 132.
his light, 4, 68, 73, 187, 245, 312, 341, 410, 424–5, 428–9, 440, 448; dwells in (Endless) Light, 70, 91, 151, 204, 312, 382, 429; essence is material light, 113, 316.
his bliss, 109, 110; sweet-scented, 68, 73, 245, 410, 424–5.
his omnipotence, 233, 235, 236, 370, 384, and power, 93; boundless in power, 197, 206; his power confined to the possible, 156–7, 384, and limited by matter, 384; does not consider what he cannot do, 317–18; power derives from his omniscience, 391; can change Ahriman's creation, 369.
associated with the Infinite, 93; not infinite, 91, 92, 93, 233; finite, 233; Time his eternity, 90, 93, 107, 205, 208, 233, 382, 383, 392; eternal with Time, 233; eternal in Time, 197; limitless through Time, 384; is Infinite Time, 197, 200, 203.
his place on high, 312, 341; his will immutable, 107, 109, 389, and holy, 342, is goodness, 130, and the *Dēn*, 144 n. D; his essence immutable and contingent on Infinite Time, 390.
bisexual, 436; father and mother of creation, 128, 234, 318.
as priest, 66–68, 261; dons garment of priesthood, 67, 120, 132, 333; takes robe of priesthood as his essence, 377; patron of priests, 123, 124; chants *Ahunvar*, 95, 99, 100, 133, 183, 205, 314, 341; creates by sacrifice, 62, 336; Zurvān his victim, 140; sacrifices to defeat Ahriman, 120.
creator, 197–8; his office is creation, 132, 206, 333; manifested in creation, 107, 383; settles in creation, 128; creator of life, 4; his 'ideal' creation, 94, 313, 341, 342; fashions forth finite Time 315, 341, 389, and form of his creatures, 316.
repels Ahriman's first attack, 94, 99, 341; offers peace, 94, 99, 313; offers 9,000-year pact, 99, 314; reacts against Ahriman in accordance with the law, 98; does not break treaty, 434; his creation orderly, 110; orders aright, 314.
not lord before creation, 105, 314; Lord, 233, 334, 384, 396; lordship from creation, 315; upholder, protector, purifies from sin, 197–8; saviour, 200; possesses life and health, 187, 434, 440, 441, and riches, 187, 440; patient of Ahriman's wickedness, 396; smites Ahriman at end of Time, 183, 355.
has relations with Spandarmat, 152, 189; seventh of Amahraspands, 317; seventh material creation, 317; adopts man, 334; corresponds to soul in man, 212; in animals, 440; rules supreme at

Final Body, 313; his duty to raise the dead, 415; his helpers the three Creators, 334.
confers royalty on Sassanian kings, 66; identified with Zeus, 31 n. C, 67, 449; in Khotanese, the Sun, 22.
Ohrmazd (Buddhist), translates Indra, 22.
Ohrmazd (Manichaean): is πρῶτος ἄνθρωπος, 21, 169; armed with five pure elements, 118; his panoply is his soul, 212; reveals to imprisoned soul its true origin, 169.
Ohrmazd (planet), *see* Jupiter.
Old Age (Zarmān), arch demon: commander of South, 351; swallowed by Āz, 182, 354.
omomi, herb used in sacrifices to Ahriman, 13.
Order, *see dātastān*.
Ōšēdar, 413.
Ōšēdar-māh, 413, 414.

Pahlavī books, date from 9th century A.D., 26.
Pancatantra, 50.
Pārand, 317.
patmān, *see* Mean *and* Treaty.
Paulus Persa, 28.
P'awstos of Byzantium, 69.
Pērōz (Fīrūz), Sassanian king, 47; retires Mihr-Narsē, 46.
Philo of Byblus, 232.
Photius, 55, 254, 419, 447.
Planets, 29, 121, 122, 123, 144; demonized by Mazdeans, 144 n. F, 152; difference in Mazdean and Zervanite view of, 161–2, 255; Ahrimanian, 123, 154; born of Ahriman, 157, 203, 400; opposed to Signs of Zodiac, 123, 203; attack Signs of Zodiac, 159; intercept good gifts, 158, 159, 161, 400, 404; oppress creation, 158; deal death and evil, 369; bound to Sun and Moon, 159, 161, 164 n. F; four bound in eighth heaven, 161, 416–17; commanders on side of Ahriman, 369, 400; given Ohrmazdean names, 412; with Signs of Zodiac rule world, 158, 160; rule seven grades of heaven, 162; correspond to different parts of man, 162; seize the treaty, 250; their various influences explained, 160 ff.
Planets (Mandaean): 'rulers of the world', 160; evil architects of world, 153, 154; created by Ptahil or by union of Rūhā and Ur, 153.
Plato, Xusrau I interested in, 49.
Plotinus, 267.
Plutarch, 13, 16, 19, 97, 98, 101, 102, 448; describes 'devil-worshippers', 13–15, 19.
Poimandres, 73.
Pole Star, supreme commander of all quarters, 148, 159, 163 n. A; attacked by Saturn, 159.
Poseidon, 226; represents water, 227.
potentiality and actuality, 107, 222 ff., 229, 235, 249, 269, 270, 381, 383, 384, 390–1; power, as potentiality in Ohrmazd, 206, 213, 386, 387, 388, 389, 391; transformed into action, 235.
Prajāpati, 72.
Primal Bull, 184, 189, 191, 411; created, 136, 319; like the Moon, 136, 319; fashioned from the earth, 320; its seed fashioned from fire, 320; slain by Ahriman, 366.
primal 'instrument': all creation proceeds from, 136 ff., 364 ff.; fashioned from Endless Light, 364, 373; is Endless Form, 373; body of limited Time, 321.
Primal Man (Manichaean), 113, 186; called Ohrmazd, 21, 118.
Primal Whore, *see* J̌ēh.
Procopius, 39.
Psellus, 70, 450.
Pseudo-Clementinae, 72, 76.
Ptahil, Mandaean demiurge, 153; creates planets, 153.
Ptolemy, 139.
Puruṣa, primal giant of Vedic mythology, 137 ff.
Pythagoras, visits Zaratas, 447.
Pythagorean influence, 73.

Qur'ān, 255.

Rahziēl, Mandaean demon, 118.
Rām (Rāman), 87, 275; assistant of Vahuman, 334; identical with good Vāy, 338; chief of warriors, 338; distributes seed of cattle, 334; soul of cattle goes to, 334.
Rapiθwin, genius of midday, 336; substituted for Zurvān, 221.
Rašn, the Just, 77, 317; created, 317; god of justice *par excellence*, 103; weighs deeds of the dead, 103; brings souls to account, 335; one of the 'three judges', 103; rides on Mihr's left, 102; assisted by Ušahin, 336; assistant of Amurdāt, 335. *Cf.* Mihr, Srōš, Rašn.
Rašn (Mandaean), 77, 363.
Raθwōk Berzait, 317.
Religion, *see Dēn*.
Resurrection of Body, 348 ff.
rewards and punishments, denied by Daharīs, 23, and by Zervanites, 23–24, 26.

Rig-Veda, 17, 83.
Rūhā (Mandaean), Queen of darkness, 78, 118; mother of all evil, 153, 154, 167; incest with Ur to form planets, 153–4.
Rustam, 56, 242.
ruvān (soul), corresponds to Ohrmazd, 212.

Safavīs, 3.
sacrifice (animal): by Yezdigird II, 47; to devils, 13, 14.
sacrifice (divine): Zurvān's creative, 55, 58, 60, 63, 140, 420–1, 428, 433, 437; has virtue in itself, 62; Ohrmazd's creative, 62, 140, 336; Ohrmazd's, at end of time, 62, 69, 183; breaks Ahriman's power, 69, 183; significance of, 271.
Sām (Mandaean), 77.
Sāṁkhya, 3.
Sarva (Sāvul), arch-demon, 17, 135, 317.
sāstār, as heretical priest, 45, 121, 122, 123, 377.
Saturn (Mithraic), *see* Zurvān-Kronos.
Saturn (planet), 244, 377, 445; planet of death, 160; attacks Pole Star, 159; more powerful than Pole Star, 160; in seventh heaven, 161, 417; compared to hair of man, 162.
Satvēs (Scorpio): rules the South, 147, 159, 163 n. A; attacked by Venus, 159; more powerful than Venus, 160.
Scorpio, *see* Satvēs.
Seduction of the Archons (Manichaean), 186, 189.
seed, cosmic: of creation, 111, proceeds from Zurvān, 267; entered by Zurvān, 112, 266, 370; origin of finite Zurvān, 267; *χᵛarr* proceeds from, 128, 211; is action in potency, 390; called *aršnōtačin*, 390.
'semi-Zervanites', make Time first principle with Ohrmazd and Ahriman, 56; Time co-creator with Ohrmazd, 201; God as Creator, Time, Space, Wisdom, 214.
'settling of becoming', is organic life, 141, 142, 374.
sex: first distinction in godhead, 73; fire and water male and female, 72 ff.; light and darkness of different sex (Bardesanes), 77.
Shī'a Muslims, 3.
Sīh-rōčak (Pahlavī), 89, 196 ff., 212, 214; semi-Zervanite in places, 201, 203.
Simonian Gnosis, 77.
Sirius, *see* Tištar.
Sky, 128, 197, 198, 199; in six stations, 135, 144 n. F; its substance crystal, 136, 365, or steel, 318; male, 318; formed from head of 'primal instrument', 136, 365.
Σοβιαί, Mesopotamian baptist sect, 76.
Sōk, passes good things on to world, 338; assistant of Šaθrēvar, 335, and of Mihr, 338.
Soma, 210.
'Song of the Magians', 226.
Sophocles, 19.
Sōšyans, born, 353; confers for 30 years with gods, 353; will bring additional Nask of Avesta, 414; identical with Airyaman, 353.
Space, 386, 387, 388; eternal, 208, 233; infinite, 91, 215 n. C, 232; infinite and finite, 112; necessary for creation, 208, 383; within nothing, 382; contains all substances, 208, 382; with Time origin of universe, 49, 88, 89, and raw material of creation, 209; with Time is the universe, 202; matter founded on, 208, 215 n. C, 233, 383; itself matter, 235; self-create, 199, 201, 202, 203; is from the Void, 215 n. C; limitation of, for creation, 71, 235; cannot be limited (Mardān-farruχ), 92; tendency to identify with Endless Light, 202; one of the 'three Creators', 202 ff., 333, 334; identical with Vāy and Spihr, 88–89; common to Ohrmazd and Ahriman, 210; associated with Ahriman, 202; light and darkness, good and evil proceed from, 202; throne of God, 202.
Space (Bardesanes), God supported by, 202.
Spandarmat (Amahraspand), 103, 333; created, 317; adopts the earth, 135, 198, 335; Queen of Heaven, and mother of creation, 152; girt with *Dēn* and mother of it, 155, 163 n. C; sits in Ohrmazd's lap, 152, 155, 189; gives birth to Gayōmart, 137; Gayōmart's seed falls into, and first human couple grows from, 192; assistants are Waters, Dēn, Art, Mahraspand, Aršišvang, and Ardvīsūr, 335.
Spihr, the firmament, 89; also Space, 88; translates Θwāša, 89, 374, 378; standing epithet *χᵛatāy* 'lord', 89, 334, 338; proceeds from Time, 266, 333, 338; attached to finite Time, 410; result of the 'seed', 112; source of the 'seed', 112.
as macrocosm, 112, 128, 142; 'first body', 111, 112, 141, 143, 269, 374; Zurvān's body, 112, 121, 140, 266, 333; primal 'instrument' or Man, 136 ff.
derives from Endless Light, 111; born, 128, 132, 222, 374; as matter, 269; evolution of, 142, 225; elements proceed from, 128, 141, 225, 266, 374;

formed into a circle, 111; the Wheel, 112, 374, 378; compared to year, 97, 144 n. E.
rules destinies of the world, 88–89, 255, 333; dispenses fate, 254; good and evil destiny, 111, 123, 127, 161, 245, 255, 338, 445; of the Seven and the Twelve, 198; compounded of good and evil, 128, 161; is destiny, 333.
assists Ohrmazd in creation, 342; stationary before Ahriman's attack, 148.
king, 255, 260, 338; most kingly, 397; most powerful, 396; disposer of the world, 255; bestows good things, 338.
dons garment of husbandmen, 121 ff., 242, 333; patron of husbandmen, 122–4; with Zurvān and Vāy leads men to *fraškart*, 236.
assistant of Vahuman, 334; identified with Vāy, 127, 378. *Cf.* Space, Spirit of the Sky, Θwaša.
Spirit of the Power of Nature, 128, 129–30, 133, 373–4.
Spirit of the Power of the Word, 129–30; is True Speech, 131, 132, 133, 373–4.
Spirit of the Sky: like a husbandman, 318; possessed of thought, speech, and deeds, 319.
Spirit of the Year, 98, 245; proceeds from *Ahunvar*, 134, 316; division of finite Time, 134, 316; both creations set in motion by, 316.
Spirit of Wisdom, 117, 195, 254, 368, 396, 399, 400; from beginning with Ohrmazd, 199; creation by means of, 199.
Spiritus Vivens (Manichaean), 118.
Σπιθριδάτης, 88.
Σπιθροβάτης, 88.
Srōš: created, 317; genius of the *patmān*, 102, 352; genius of order, 246; watches over treaties, 103; adversary of Āz, 175; smites Āz, 102, 183; smites Ēšm, 102, 201, 369; assists Ohrmazd at final sacrifice, 69, 120; rides on Mihr's right, 102; guides Artāk Virāβ, 442; protects fire, 335; fire returns to, 335; assisted by Ušahin, 337; assistant of Artvahišt, 334. *Cf.* Mihr, Srōš, Rašn.
Srōš (Mandaean), 77, 363.
Stars, 342; produced by Ohrmazd's incest with his daughter, 63, 64, 151, 154, 157, 429; created by Ohrmazd, 75, 197, 198; like embryos, 374; contaminated and uncontaminated, 148, 333; *see also* Luminaries, Zodiac.
Strabo, 18, 28, 62.
substance, cannot be changed, 157, 164 n. D.
Ṣūfīs, 212.
Sun, 22, 75, 100, 136, 144, 156, 158, 160 ff., 186, 197, 226, 244, 319, 334, 342, 349, 350, 353, 365, 412, 445; child of Ohrmazd by his mother, 63, 147, 151, 154, 157, 429, 435; created by Ohrmazd, 198; created to mediate between Ohrmazd and Ahriman, 101, 443; above moon and stars, 148; with Moon and stars controls all existence, 141; man's prototype in station of, 334; compared to sinews in man, 162; like an embryo, 374; revolves round earth, 415; in fourth heaven, 417; assistant of Šaθrēvar, 335.
Sun, dark: bound to Sun, 160, 164 n. F; responsible for eclipses, 158.

Šahristānī, Arab heresiologist, 55, 56, 57, 60, 61, 66, 67, 69, 70, 76, 79, 81, 97–103, 113, 115, 130, 175, 220, 249, 433.
Šāpūr I, 22, 138, 167; captor of Valerian, 36; adds writings from India and Byzantium to Avesta, 8, 10, 37, 51, 139, 143, 269; inclines towards Zervanism, 37; favours Manichees, 10, 36; two brothers converted to Manichaeanism, 37; practises magic, 37.
Šāpūr II, 69; intolerant of heresy, 8; persecutes heretics and non-Zoroastrians, 39; summons religious conference, 8, 39; supports Āδurbāδ, 11, 12; decrees Āδurbāδ's views alone orthodox, 39, 44, 51.
Šaθrēvar, Amahraspand, 103, 152, 333; created, 317; adopts metals, 135, 335; helpers are Sun, Mihr, Sky, Anaγrān, Sōk, Ardvīsūr, Hōm, Burz, Dahmān Āfrīn, 335.
Šikand Gumānī Vazār, *passim*; regards Zurvān simply as the Infinite, 90; denies infinity to Ohrmazd, 233; thinks speculation on the infinite futile, 239; objects to limitation of Infinite, 267.
Šīrēn, favourite wife of Xusrau II, Christian, 51.
Šitil, Mandaean deity, 77.

Ṭabarī, Arab historian, 36, 37, 43–44, 46, 50, 51, 125.
Tacitus, 19.
Tahmōrup: rides Ahriman for 30 years, 241, 398.
Ṭansar, *hērbaδān-hērbaδ* of Ardašīr I, 9; draws up canon of Avesta, 8, 35, 44; not identical with Kartīr, 10; Platonist ideas of, 10, 36.
Tarič, arch-demon, 135, 317, 412.

Tarōmat (Tarmad), arch-demon, 317, 412.
Tertius Legatus (Manichaean), 186, 189.
Tetrads, divine: Ohrmazd, Light, Wisdom, Time, 57; Ohrmazd, Light, Religion, Time, 205; Ohrmazd, Space, Religion (Wisdom), Time, 93, 204 ff., 208, 312; Time, Space, Wisdom, Power, 91, 93, 214, 219, 228, 229, 231, 234; Infinite Time, finite Time, course of Fate, ideal year, 110–11, 134, 229, 231; Ašōqar, Frašōqar, Zarōqar, Zurvān, 219–25, 228, 229, 231, 241, 435, 439, 441; fire, water, air, earth, 225–8, 229; Zurvān, decree, decisive moment, fixed decision, 229–31, 254; Zurvān, Mihr, Genius of Order, Fate, 229–31; Tetrad of Fate, 205, 231, 254, of good and evil, 231, of castes, 230–1; terrestrial, 205.
Tetrads (Manichaean), God, Light, Wisdom, Power, 205, 214.
Theodore Abū Qurra, Christian-Arab polemist, 60, 63, 68, 69, 97, 147, 254.
Theodore bar Kônai, Syriac polemist, 40, 41, 60, 63, 74, 97 ff., 143, 183 ff., 219, 225, 441; Zurvān myth in, 54, 419–28.
Theodore of Mopsuestia, 254, 419, 420; Zurvān myth in, 55, 447.
Theophanes, 48.
Theophylact, 51.
Theopompus, 449.
three Creators, the, 196 ff.; are Wisdom (Religion), Time, and Space, 200–14, 333; identified with Ohrmazd, 196, 204, 333; uncreate, 204, 333; according to ŠGV. creation, Religion, and soul, 212 ff.
three Judges, the, 102, 317; are Mihr, Srōš, Rašn, 102, 321.
Tigris, 349.
Time, *see* Zurvān.
Tīr (planet), *see* Mercury.
Tištar (Sirius), 275; rules the East, 147, 159, 163 n. A; overseer of all stars, 449; attacked by Mercury, 159; assistant of Hurdāt, 335; delivers waters to wind, 335; also called Tīr, 335.
Treaty (*patmān*), 58; between Ohrmazd and Ahriman, 115, 117, 314; lasts 9,000 years, 95, 98, 100, 248; its terms inviolable, 93, 248; brought about by 'angels' (Mihr, Srōš, Rašn), 99, 101–2, 433–4; by Zurvān, 101, 115, 369; is Zurvān of the long Dominion, 248; leads inevitably to *fraškart*, 248; swallowed by Ahriman, 250; carried off to hell, 250; seized by the Planets, 250; play on two senses of patmān, 249 ff.
True Speech, created from material light, 316.
Tuγazγaz, Manichaean Turkish tribe, 96.
Θwāša, 87, 384 (Spāš); self-create, 89; revolving firmament, 89; identified with Space, 89, 202; appears with Zurvān, 89, 275. *See also* Space, Spihr.

'Ulemā i Islām, 5, 27, 54, 60, 67, 72, 81, 96, 97, 98, 105, 106, 110, 111, 135, 147, 160, 228, 267, 268, 409, 421.
Ur, Mandaean arch-demon: king of darkness, 154; begets planets out of Rūhā, 153; son of Rūhā, 167.
Uranius, 49.
Ušahin, 336.
Uzayarin, genius of evening, 336.

Vahrām fire, 367.
Vahuman (Bahman), 103, 121, 152, 333, 430; created from movement of light, 317; gives movement to Ohrmazd's creation, 317; *Dēn* dwells with, 317; adopts cattle, 135, 334; receives immaterial spirit of cattle, 334; assisted by the two Zurvāns, 135, 204, 334, and Moon, Gōš, Rām, and Spihr, 334; associated with robe of priesthood, 377, and elements, 435.
Valaχš (Vologeses), Arsacid, collects remains of Avesta, 8.
Valaχš, Sassanian King, *see* Balāš.
Vanand (Vega), 275; rules the West, 148, 159, 163 n. A; attacked by Mars, 159; guards four abducted demons, 417.
Varan, heresy and lust, 114, 124, 174; as heresy, 174, 175; as lust, 351; identical with Āz, 131, 174; λόγος of evil, 174; as Lying Speech, Ahriman's spiritual manifestation, 131; self-will and wrong-headedness, 174, 178; misuse of intellect, 175; adversary of wisdom, 124, 125, 174, 194 nn. E, F, G, 250; counterpart of Vāy, 124, 125, 130; abortion of Akōman and Ahriman, 175; formed from self-will, 114, 123, 316; form of, 131; receives garment from Zurvān, 119, 121 ff., 378; kills man's $\chi^{v}arr$, 174.
Varazvałān, Armenian convert to Zoroastrianism, 41.
Varhrān (Vərəθraγna, Bahrām), genius of victory: *aršōkarəm maršōkarəm frašōkarəm*, 220 ff.; stands guard over Ahriman, 411, 417; establishes fires, 335; fire returns to, 335; will restore Sassanian kingdom, 413; assisted by Aiwisrūθrim, 336; assistant of Artvahišt, 334; identified with Heracles and Ares, 31 n. C.
Varhrān (planet), *see* Mars.

var-nīrang, 'ceremony of the ordeal', rite of 'devil worshippers', 14.
Vāt, wind god, 86, 275; defeated by the demons, 86; distributes waters, 335; assistant of Hurdāt.
Vāy: as Space, 71, 85, 88, 89, 126, 384; the Void, 85, 88, 91, 126, 269, 313; place of mixture of good and evil, 85–86, 126, 313; the atmosphere, 85; wind and breath-soul, 85; identified with Spihr, 127, 378; with Zurvān, 58, 89, 338; his 'form', 114; formed from Power or Time, 126, 129, 316; instrument of creation, 114, 126, 316, 317; instrument of Zurvān or Ohrmazd, 338; with Spihr and Zurvān leads men on to *fraškart*, 236; his office to carry off opposition, 333; brings cosmic battle to an end, 333; just, 58, 89; *see also* Vayu. *Cf.* Space, Spihr, Void.
Vāy, the Evil: of different substance, 342; demon of death, 84, 85, 86, 338; identified with Astōviδāt, 85; inescapable, 90, 402; ridden by Kay Xusrau, 87.
Vāy, the Good, 84; fashioned from Time, 316; spirit of life, 85; aids Ohrmazd's creation, 316; leads souls to heaven, 86, 87, 338; dwelling-place of purified souls, 85; receives garment from Zurvān, 119, 121, 377; dons garment of warriors, 122 ff., 333, 377; patron of warriors, 123, 124, 125, 338.
Vayu: originally a supreme deity, 82–83, 90, 125–6; split into good and evil half, 82, 84, 90; superior to good and evil, 83–84; his names, 83; Ahura Mazdāh prays to, 82; god of warriors, 83; wind god, 83, 86; connected with Zurvān, 87, 203; also in Rig-Veda, 83.
Vega, *see* Vanand.
Venus (planet): propitious, 159–61; attacks Scorpio, 159; spirited into eighth heaven, 161; in third heaven, 417; compared to flesh in man, 162.
Vidēvdat, 84, 87, 203, 275, 405.
Vištāsp (Guštāsp), 259, 367, 413, 439.
Vitruvius, 72.
Vizarəša, demon of death, 240, 275.
Void, the: source of Space and infinite, 215; with Time alone infinite, 394; between kingdoms of light and darkness, 88, 91, 94, 313, 341, 434; called Vāy, 91, 313.

Water, 85, 197; daughter of Zurvān, 73; created before Ohrmazd and Ahriman, 67, 72, 201, 228, 267, 410; sister and spouse of fire, 73, 79, 228, 268; mother of all created things, 73, 79; deserts to Ahriman, 74, 157, 268, 436, 436; connected with earth, 72, 73, and darkness, 71; chthonian principle, 448; originally evil, 74, 76, 431.
not evil in Zoroastrian books, 78; element of creation, 71, 225, 227, 353; created from tears of primal 'instrument', 136, 365; second material creation, 136, 317, 318, 319, 320, 334.
in plants, 319; promotes growth, 227; assistant of Spandarmat, 335.
keeps blood of the dead, 348; propitiated by Kartīr, 24, 25; ministration to, 53, 73.
Water (Mithraic), sister of fire, 79.
whore, *see* J̌ēh.
Winter, as arch-demon, 182; commander of west, 351; swallowed by Āz, 182, 354.
Wisdom: eternal, 208, 233, 383; identical with *Dēn*, 91, 144 n. D, 207, 215 n. E; *Dēn* its seed, 207; manifest in *Dēn*, 107, 130, 207; as personality of Ohrmazd, 235; distinguishes Ohrmazd from Ahriman, 236, 386; alone comprehends Ohrmazd, 198, 199; hypostasis of Ohrmazd, 200; creation through, 132, 199; directed by nothing, directs all, 208–9, 382.
controls the Mean, 250; limited by finding object of knowledge, 235; comes to know its ground, 390–1; attribute of priesthood, 121 ff., 333, 377; best of all things, 90, 402; goodness through, 383.
infused into Fravahrs, 336; descends from light and promotes good, 386.
Woman: creature of evil, 74, 188, 191; secedes to Ahriman, 74, 157, 184, 188, 191, 441; asks for god Narsē, 184, 189, 441; grieves Ohrmazd, 188. *See also* J̌ēh.

Xerxes: destroys *daivadāna*, 16; forbids 'devil-worship', 16–17; destroys temple of Marduk, 17; unorthodox behaviour attributed to, 18.

Xusrau I, 12, 20, 26, 45; chaotic conditions on accession, 47; suppresses Mazdakites, 48; re-establishes orthodoxy, 48, 50, 51; suppresses heresy, 8, 49, 53, 54, 143; revives caste system, 8; ally of Magians, 8–9; interest in Greek philosophy, 28, 49.
Xusrau II: disliked by Magian clergy, 50; probably became Christian, 51; marries daughter of Emperor Maurice, 51; superstitious, 51.

Xusrau, Kay, 413; rides Vāy round Irān, 87.
χᵛarr, 'fortune, function, soul, final cause, dignity, glory': proceeds from the 'seed', 128, 370; Time embodied in, 129; assigned by Time to the 'seed', 370; proceeds from Endless Light, 211, 370; circles above and below earth, 365; maintained by elements, 370; preserved by wisdom, 370; function is salvation, 370; reason dwells in, 174; reason and concupiscence fight for, 173; 'own-work', virtue, 'job', 173, 371; intelligible and corporeal matter, 371; of Primal Man and Bull threatened by J̌ēh, 184, 359, 360.
χᵛarr i dēn, 'fortune or glory of Religion': as girdle round sky, 155–6; general of uncontaminated stars, 155.
Xᵛastuānift, Manichaean confession: 14, 212; condemns Zervanite myth, 22, 26.
Xᵛaš-χᵛarrīγ, Zurvān's consort, 64–65, 155, 156, 436; emanated from his *χᵛarr*, 65.
χᵛatāynāmak, Sassanian Book of Kings, 10, 12, 44; reflects views of nobles, 46.

Yam (Yima, J̌amšīd), 259, 369; rules 616 years, 413; retrieves treaty from Ahriman's maw, 250, or from planets, 261 n. A; puts end to rule of demons, 251; rescues the Mean from demons, 251, 261 n. A; restores reason, 251; claims to be God, 413; slain by Dahāk, 413.
Ya'qūbī, Arab historian, 37.
yātūkīh, 'sorcery', heretical sect, 13; *see* 'devil-worshippers'.
Yavišt i Friyān, 240, 242, 243, 397; *see* Yōišta.
Yezdigrid I ('the Sinner'), 46; his tolerance, 39.
Yezdigird II ('the Clement', 42), Zervanism predominant in his reign, 40, 51, 54; sincere Zervanite, 47; attempts to convert Armenians, 41–42; and Mihr-Narsē, 44–46; worships Sun, ministers to fire, sacrifices bulls, 47.
Yohannân bar Penkayê, Nestorian monk, 40, 41, 54, 60, 63, 66, 67, 419–28.
Yōišta, 240; defeats Aχt, the sorcerer, 30. *See* Yavišt i Friyān.

Zāl, father of Rustam, 56, 242, 244, 444–5.
Zamān, 'Time', *see* Zurvān.
Zāmdāt, assistant of Amurdāt, 335; brings souls to account, 335.
Zandīks, heretics, 24; persecuted by Kartīr, 24, 38; believe in eternity of matter, 38, 267; identical with Zervanite materialists, 38, 267, and Daharīs, 267; later identified with Manichees, 38.
Zarades, 447.
Zaratas, 72; visited by Pythagoras, 447.
Zarōqar, hypostasis of Zurvān: 57, 143, 219, 435, 439, 441; 'who makes old', 220; brings old age and death, 223; as name of Zurvān, 221, 230; presides over decline, 224.
Zātspram, High Priest of Sīrkān, *passim*; presupposes Zervanite myth, 26, 96, 106; 'semi-Zervanite', 71, 162; draws on Zervanite sources, 95, 180; reflects Zervanite point of view, 262; his heresies and intercourse with Manichees, 96; heterodoxy not open to doubt, 190.
Zērič, arch-demon, 135, 317, 412.
Zervanism: Time supreme God of, 20, 255, 265; re-establishes unity of godhead, 5; characterized by imperfection of God, 59; admits three principles, 29, 35, 58.
lays stress on fate, 265; source of Persian fatalism, 52; Ohrmazd and Ahriman foreign to, 246, 266; ascetic form of Zoroastrianism, 176–82; equates female with evil, 183–92; Zandīks and Daharīs derive from, 38, 267; moral form of, 269; makes material Absolute source of Being, 269; based on Ys. 30. 3, 430; in Firdausī, 241; different theories on origin of Ahriman, 412.
two forms of, 74, 268 ff.; alien ideas in, 5, 37, 143; form of Zoroastrianism attacked by Christians and Manichees, 21–22; attacked in *Dēnkart*, 26; attempts to expunge, from Pahlavī books, 5.
influential in SW. Irān, 30; possible Western origin of, 38; relations with Mazdeanism, 27.
not certainly attested earlier than Sassanian period, 20; current under Šāpūr I, 22, 37, 51, 167; out of favour under Kartīr, 38; predominant under Yezdigird II, 40, 47, 51; Xusrau I seeks *via media* between Mazdeanism and, 48; possibly proscribed at beginning of his reign, 49.
Zeus, identified with Ohrmazd, 31 n. C; (gen. *Διός*) represents Zurvān, 227; (gen. *Ζηνός*) fire, 227.
Zodiac, Signs of, 97, 121, 122, 123, 147, 148, 245, 417; created by Ohrmazd, 203; commanders on side of Ohrmazd, 369, 400; all good things entrusted to, 254,

400; with Planets rule world, 158, 160, 254; each rules 1,000 years, 410. *See also* 'Luminaries', 'Stars'.
Zodiac, Signs of (Mandaean): produced by incest of Rūhā and Ur, 153.
Zoroaster (Zaraθuštra, Zardušt, &c.), 4, 8, 16, 17, 18, 30, 31, 36, 37, 72, 97, 232, 275, 365, 410, 429, 439, 440, 441, 442, 443; confers with Ohrmazd, 348 ff., 353; brings Avesta, Zand, and Pāzand, 413; taught in Hebrew and Egyptian, 440; devoured by wolves, 442; lived 628 B.C., 442, or 5,000 years before Trojan war, 448.
Zoroastrianism, *passim*; plurality of sects, 13–16, 28–30; Parthian and Persian schools, 29–30; alleged to have no books, 9, 28.
Zurvān, 'Time': called Zurvān as person *zamān* as Time, 81, 240, 336; name in Nuzi documents, 20, 88; goes back to remote antiquity, 20; minor deity in Avesta, 87.
Zurvān, the Infinite, *passim*; his essence eternity, 224, 384, 390, 410; eternal duration, 232, 245, 384, 392; boundless, 232, 410; *qua* potency eternal, 384.
pure Being, 230, 231; Ohrmazd's immutability contingent on, 390; as pure being, contingent being, matter, time, order, and fate, 230; precedes creation, 391; was and shall be all, 232, 272, 384; incomprehensible, 90, even to God, 232; unageing, undying, &c., 232, 368.
first principle, 19; supreme deity, 20, 88; contingent on nothing, 208, 231; needs nothing, 382; nothing can exist without, 232; *sine qua non* of creation, 208; without origin and origin of all, 208, 231, 232, 382.
as Time, Space, Wisdom (Religion), Power (Ohrmazd), 91, 93, 214, 219, 229, 231, 234, 270, 312.
creation only possible in, 215 n. C; and Space alone infinite, 91, 232, 394; with Space origin of universe, 49, 88, 89, 112, and raw material of creation, 209; with Space intelligible universe, 202, 447; cannot be limited (Mardān-farruχ), 92, 107, 233.
creator, 410; source of creation, 232, 392, 447; source of all according to Daharīs, 23; source of the 'seed', 267; enters seed, 111, 266; cosmos proceeds from his seed, 222; assigns χ*arr* to seed, 370.
source of matter, 267; as Time, Space, matter, 266; god of matter, 260; as (primal) matter, 130, 135, 209–10, 266; creates fire and water, 410.
father (and mother) of Ohrmazd and Ahriman, 5, 13, 56 ff., 63, 80, 90, 92, 93, 432, 436, 439, 440, 441, 447; bisexual, 65, 436; father of good and evil, 61; (desire and) evil inherent in, 61, 115–16, 175, 433; the evil is Āz, 175; beyond and inclusive of good and evil, 65, 72, 90, 91, 206.
not god of light, 21, 96, 151; 'greatest of persons of light', 55, 57, 220, 433.
Ohrmazd and Ahriman come into existence through, 67; light and darkness, good and evil derive from, 202, 447.
his 1,000-year sacrifice, 55, 58, 60, 72, 420–1, 428, 433, 437, to obtain son, Ohrmazd, 58, 60, 420–1, 433, 437; sacrifice to Fortune, 62; his wife, 64–66, 428; his doubt, reflection, or desire engenders Ahriman, 60–61, 63, 78, 420–3, 428, 433, 443; inconsistency in, 249, 381; his vow to Ahriman, 66, 422–3, 428, only partially fulfilled, 69, 426–7, 429; philosophical interpretation of myth, 209, 234; hands *barsom* to Ohrmazd, 66, 68, 424–7.
Ohrmazd craves his aid, 341; aids Ohrmazd in creation, 342, 410; one of the 'three Creators', 201, 333, 334.
makes treaty between Ohrmazd and Ahriman, 115, 238, 342, 369; sets both creations in motion, 106; blesses Ohrmazd's creation, 117, 368; hands weapon of Āz to Ahriman, 55, 56, 59, 114–15, 132, 166, 192, 238, 342, 351; gives Ohrmazd material of his creation, 117; gives garments to Ohrmazd, Ahriman, Vāy, and Varan, 119, 376–8; vests Ohrmazd, Vāy, and Spihr, 125.
finite Time created from, 106.
the Great God, 60, 72, 244; King and Lord, *see* Zurvān, finite; genius of Order, 382; neither omnipotent nor omniscient, 72, 78; assimilated to Ohrmazd, 202; associated with Ahriman, 202; overthrows Āz, 175, 201, 229, 237, 369; Mardān-farruχ's views, 92.
hypostasis of Ohrmazd, 12, 57, 93, 205; eternity of Ohrmazd, 90, 93, 107, 205, 208, 233, 382, 383, 392; is Ohrmazd, 197, 200, 203; not father of Ohrmazd and Ahriman, 26.

Zurvān of the long Dominion, Finite Time: in Avesta, 57; creation of, 105, 106, 410, from the Infinite, 92, 106, 107, 143 n. A, 224, 233, 236, 248, 315, 338, in form of youth of fifteen, 333; first of all creatures, 315; needed by all including Creator, 95, 96, 237, 341, 382; needed for creation, 383.
transient duration, 245, 392; brings about mixture of good and evil, 238; directs good and evil, 248.
limited for creation, 71, 338; limitation coincides with creation, 235, 391; limitation of, origin of universe, 267, and movement in Space, 384; instrument of (Infinite) Zurvān or Ohrmazd, 88; and action interdependent, 235, 389, 390; proceeds from Infinite through limitation to Infinite, 248, 389, 390; revolves in circle, 106 ff., 377, 390; fixed term for cosmic battle, 248; regulates same, 254; is the *patmān*, 252; returns to Infinite, 92, 107, 143 n. A, 235, 236, 246, 254, 315, 338, 389, 390; lasts 12,000 years, 57, 92, 96–100, 315; three periods of 3,000 years, 95, 341; 12,000 years correspond to 12 Signs of Zodiac, 96, 97–98, 144 n. E.
connexion with firmament (Spihr), 97–98, 111, 112; firmament fashioned from, 333, 338; as embryo from seed, 267; embodied in seed, 370; as macrocosm, 112–13, 236, 238, 246, 266; embodied in firmament, 112, 132, 266, 333; as victim of sacrifice, 140; as matter in motion, 235.
comprises light and darkness, 56, 65, 73, 245; as night and day, 56, 134, 243, 445; Žuk in Armenian folklore, 56, 245; common to Ohrmazd and Ahriman, 93, and both creations, 90; helps both Spirits, 95, 96, 107, 237, 341; sets both creations in motion, 106; mightier than same, 239, 315.
unconcerned with good and evil, 22, 93, 125, 237, 248, 380, 381; needed to curb Ahriman, 105–6.
material cosmos proceeds from, 151; as matter, 130, 135, 209–10, 270; as material cosmos, 236; god of nature, 266; nature itself, 266.
none escapes him, 239; nothing can be done against, 90; Ahriman powerless against, 236.
understands, 239, 315; genius of order, 175, 236, 239, 247 n. C, 248, 261, 382; natural law and fate, 236, 237, 248, 252, 261, 266; his law immutable, 236; his opponent Āz, 237, 252; favours good and evil, 236; leads to *fraškart*, 236, 248; directs elements, 228.
as justice, 29, 58–60, 72, 89, 106, 175, 239, 244; most just, 397; conquers deceit (*zūr-vān*), 58, 338.
defined as Fate, 59, 230, 254, 420, 428, 447, and Fortune, 59, 254, 420; god of fate, 254 ff.; controls human destinies, 92, 161; gives good and bad fortune, 161; decisions made through, 239, 315.
god of death, 87, 90, 239 ff., 243, 446, and life, 242; none escape him, 239, 316, 398; cannot be concealed, 90, 240; controls path to Činvat bridge, 87, 90, 203–4, 240, 275.
fourfold god, 196–214, 219–31, *see* Tetrads, divine; King, 229, 254, 255, 260, 261; lord, 229, 254, 410.
has seven faces and seven names, 29, 230–1, 408–9; is treaty between Ohrmazd and Ahriman, 248; extends Gayōmart's life, 238, 247 n. D.
origin of man, 113, 138, 266; as Primal Man, 113; man derives from his seed, 138; ancestor of Aryans, 144 n. B, 449; identified with Abraham, 144 n. B, and Titan and Iapetos, 144 n. B.
connected or identical with Vāy, 87, 88, 90, 127, 338; identical with Space, 127, and *Ahunvar*, 134, 418; two Zurvāns assist Vahuman, 135, 204, 334.
Zurvān (Buddhist), Azrua (= Zurvān) translates Brahmā, 22.
Zurvān (Manichaean): supreme God of Light, 21; opposite of Ahriman, 21; Father of Greatness, 21, 54, 60, 64; bisexual, 65; evokes Mother of Life, 65.
Zurvān-Kronos (Mithraic): head of Mithraic pantheon, 19; *frugifer*, 242; sexless, 65; encircled by snake, 65; with sickle and thunderbolt, 67.
Zurvāndāδ: eldest son of Mihr-Narsē, 41; *hērbaδān-hērbaδ* under Bahrām V, 44; described as *sāstār* 45.
Zurvānduχt, daughter of Šāpūr II, 44.

Žāmāsp, 382; wrote Avesta, 27.
Žāmāsp-nāmak, 241; *see Aβyātkār i Žāmāspīk*.
Žāmāspi (Persian version), 50.
Žuk, Armenian deity, 56, 245; *see* Zurvān.

16915
THEOLOGY LIBRARY
CLAREMONT, CALIF.

PRINTED IN
GREAT BRITAIN
AT THE
UNIVERSITY PRESS
OXFORD
BY
CHARLES BATEY
PRINTER
TO THE
UNIVERSITY

41 81456

BL
1590
Z35
Z3

Zaehner, Robert Charles.
Zurvan, a Zoroastrian dilemma. Oxford, Clarendon Press, 1955.

xvi, 495 p. 25 cm.

1. Zoroastrianism. I. Title. CCSC/jc

A 55-8410

16915

Temple Univ. Library
for Library of Congress

BL1590
[5]